البداية والنهاية

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

راجعه

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط — الدكتور بشار عواد معروف

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
إدارة الشؤون الإسلامية
دولة قطر

البداية والنهاية

البداية والنهاية

مبدأ الخليقة وقصص الأنبياء

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

د. محيي الدين ديب مستو

راجعه

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط　　الدكتور بشار عواد معروف

الجزء الأول

إصدارات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر

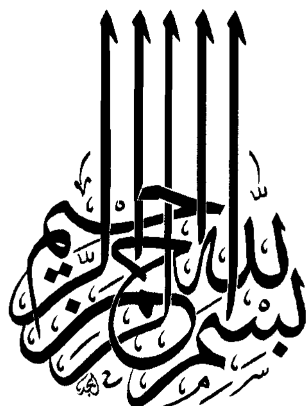
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم كتاب البداية والنهاية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ وقد وفقها الله لأن تضرب بسهم في نشر الكتب النافعة للأمة ـ لَتحمد الله ﷻ على أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم.

والمتابع لحركة النشر العلمي لا يخفى عليه جهود دولة قطر في خدمة العلوم الشرعية، ورفد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة، وذلك منذ تسعة عقود، عندما وجه **الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني** حاكم قطر آنذاك بطباعة كتابي **(الفروع)** و**(تصحيح الفروع)**، سنة (١٣٤٥هـ)، وكان **المؤسس الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني** رحمه الله تعالى قد سن تلك السنة من قبل.

ويعتبر الجهد الذي بذلته الوزارة في السنوات الأخيرة امتدادًا لذلك النهج، وسيرًا على تلك المحجة التي عُرفت بها دولة قطر.

ومنذ هذه الانطلاقة المباركة يسَّر الله جلَّ وعلا للوزارة إخراج مجموعة من أمهات كتب العلم والدراسات المعاصرة المتميزة في فنون مختلفة، **تُطبع لأول مرة**، نذكر منها:

- **في التفسير وعلوم القرآن:**

أصدرت الوزارة عدة كتب منها: **(التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)** للإمام المهدوي و**(فتح الرحمن في تفسير القرآن)** للعُليمي، و**(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)** لابن عطية في طبعته الثانية.

وفي علم رسم المصحف أصدرت الوزارة كتبًا منها: **(مرسوم المصحف)** للعُقيلي، و**(الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة)** لأبي بكر اللبيب.

وفي علم القراءات أصدرت الوزارة كتباً منها: **(البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة)** لأبي حفص النشار، و**(معاني الأحرف السبعة)** لأبي الفضل الرازي.

• **وفي السنة النبوية وشروحها:**

أصدرت الوزارة عدة كتب، منها: (**التقاسيم والأنواع**) لابن حبان، و(**مطالع الأنوار**) لابن قرقول، و(**التوضيح شرح الجامع الصحيح**) لابن الملقن، و(**حاشية مسند الإمام أحمد**) للسندي، وشرحان على **موطأ الإمام مالك**؛ لكُلٍّ من (القنازعي)، و(البوني)، و(**المخلصيات**) لأبي طاهر المخلص، و(**شرح مسند الإمام الشافعي**) للرافعي، و(**نخب الأفكار شرح معاني الآثار**) للعيني، و(**مصابيح الجامع**) للدَّمَاميني.

• **وفي الفقه وما يتصل به:**

أصدرت الوزارة عدة كتب في المذاهب الأربعة، منها: كتاب (**الأصل**) لمحمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ) كاملاً محققًا على أصول عدة، و(**التبصرة**) للخمي، و(**حاشية الخلوتي**)، و(**نهاية المطلب في دراية المذهب**) للإمام الجويني بتحقيقه المتقن للأستاذ الدكتور عبد العظيم الديب ـ رحمه الله تعالى ـ عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي، كما أصدرت الوزارة: (**الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف**) للإمام ابن المنذر بمراجعة دقيقة للشيخ الدكتور عبد الله الفقيه عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي، و(**بغية المتتبع لحل ألفاظ روض المربع**) للعوفي الصالحي، و(**منحة السلوك في شرح تحفة الملوك**) للعيني.

• **وفي السيرة النبوية:**

أصدرت الوزارة كتاب (**جامع الآثار في السير ومولد المختار**) لابن ناصر الدين الدمشقي، وغيره.

• **وفي العقيدة والتوحيد:**

أصدرت الوزارة كتابًا نفيسًا لطيفًا هو: (**الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**) لابن العطار تلميذ الإمام النووي رحمهما الله تعالى، كما أعادت نشر كتاب (**الرد على الزنادقة والجهمية**) للإمام أحمد رحمه الله تعالى، وغير ذلك من كتب عقيدة أهل السنة والجماعة.

• **وفي مجال الدراسات المعاصرة المتميزة:**

أصدرت الوزارة كتاب (**القيمة الاقتصادية للزمن**)، و(**نوازل الإنجاب**)، و(**مجموعة القره داغي الاقتصادية**)، و(**التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي**)، و(**صكوك الإجارة**)، و(**الأحكام الفقهية المتعلقة بالتدخين**)، و(**التورق المصرفي**)، و(**حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية**)، و(**روايات الجامع الصحيح ونسخه دراسة نظرية تطبيقية**).

ومما تشرفت الوزارة بإصداره في تحقيق جديد متقن من أمهات كتب الإسلام: (**مسند الإمام أحمد**)، و(**صحيح الإمام البخاري**) و(**صحيح الإمام مسلم**)، و(**صحيح ابن خزيمة**)، و(**السنن الكبرى**) للنسائي، و(**المنتقى لابن الجارود**) و(**جامع الأصول في أحاديث الرسول**)، و(**النهاية في غريب الحديث**) لابن الأثير، وكذا كتاب (**الجامع لأحكام القرآن**) للقرطبي، و(**الجامع لشعب الإيمان**) للبيهقي، و(**تاريخ الخلفاء**) للسيوطي، و(**التاريخ الأندلسي**) لعبد الرحمن علي الحجي، و(**الإقناع في مسائل الإجماع**) لابن القطان الفاسي، و(**شرح العقيدة الطحاوية**) لابن أبي العز الحنفي، و(**قواعد الأحكام في إصلاح الأنام**) للعز بن عبد السلام، و(**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**) لأبي الحسن الندوي، وغيرها.

ويسرنا اليوم أن نقدم كتاب (**البداية والنهاية**) للإمام ابن كثير، وهو موسوعة تاريخية شاملة، تميزت بالسلاسة في سرد الأحداث التاريخية، وذِكر الروايات الواردة فيها واختيار أصحها؛ لذلك نال هذا الكتاب مرتبة عليَّة بين كتب التاريخ.

وتمتاز هذه الطبعة التي بين أيدينا بمقابلتها على عدة نسخ خطية.

والحمد لله على توفيقه ونسأله المزيد من فضله

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

إدارة الشؤون الإسلامية

فهرس موضوعات المدخل

إلى البداية والنهاية

الموضـــوع | الصفحة

فهرس الموضوعات

***

الفهرس

الموضوع الصفحة

***

الفهرس

الموضوع	الصفحة

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

الفهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

* * *

الفهرس

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

الفهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

❊❊❊

الفهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *

الفهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

❊ ❊ ❊

الفهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

* * *

الفهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

التنضيد الضوئي والإخراج الفني

محمد إبراهيم شونو

هاتف : ٦٦١٥٦٨٤ـ ٦٦٣٠٠٥٠

جوال : ٩٦٣-٩٥٥-٤٨٠٣٥١+

دمشق ـ سورية

المصادر والمراجع

١ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان . دار المعارف القاهرة ١٩٥٥م

٢ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد ، مطبعة الشعب ـ القاهرة ـ ١٩٧٠م .

٣ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين (ط٦) . بيروت

٤ ـ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للعلاّمة محمد راغب الطباخ .

٥ ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة ـ المطبعة الهاشمية بدمشق (ط٢) (١٩٥٩م) .

٦ ـ أطلس تاريخ الإسلام ، د . حسين مؤنس ، دار الزهراء ـ القاهرة (ط١) ١٩٨٧م

٧ ـ بدائع الزهور لابن إياس الحنفي ، تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة (ط٢) مصورة عن الطبعة الأولى ١٩٨٤م

٨ ـ بغية الوعاة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ البابي الحلبي مصر (ط١) (١٩٦٤م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة محمد عيسى الحلبي القاهرة ١٩٦٤م .

٩ ـ تاج العروس للزبيدي ، تحقيق جماعة من المحققين ، حكومة الكويت ، صدر منه أجزاء .

١٠ ـ تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ـ ١٩٧٩م

١١ ـ تاريخ ابن عساكر تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥١م .

١٢ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي .

١٣ ـ التحفة السنيّة لابن الجيعان ، القاهرة .

١٤ ـ التعريف بمصطلحات « صبح الأعشى » محمد قنديل البقلي ـ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٣م

١٥ ـ تقويم البلدان للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠م

١٦ ـ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي . دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (ط٢) ١٩٥٢م

١٧ ـ جمهرة النسب للكلبي تحقيق محمود فردوس العظم دار اليقظة العربية ـ دمشق (ط١) ١٩٨٣م

١٨ ـ الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي القاهرة .

١٩ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ـ لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ (ط١) عام ١٩٦٧م .

٢٠ ـ الحيوان للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ـ المجمع العلمي العربي الإسلامي ـ بيروت (ط٢) ١٩٦٥م

٢١ ـ خطط الشام لمحمد كرد علي . دمشق

٢٢ ـ خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار) . مطبعة بولاق ـ القاهرة ١٣٩٤هـ .

٢٣ ـ الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ـ تحقيق جعفر الحسني ـ مطبعة الترقي ـ دمشق ـ الجزء الأول (ط١) ١٩٤٨م والجزء الثاني (ط١) ١٩٥١م .

٢٤ ـ الدرر الكامنة لابن حجر ، مصورة في بيروت .

٢٥ ـ الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ، تحقيق محمود الأرناؤوط ومحمد بدرالدين قهوجي مكتبة دار العروبة ـ الكويت ـ (ط٢) ١٩٨٩م

٢٦ ـ الدليل الشافي لابن تغري بردي ،تحقيق فهيم محمد شلتوت ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ومركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة (ط١) ١٩٧٩م .

٢٧ ـ دمشق تاريخ وصور للدكتور قتيبة الشهابي .

٢٨ ـ دول الإسلام للذهبي ، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٦٥هـ ـ

٢٩ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون اليعمري المالكي مطبعة المعاهد ـ القاهرة ـ (ط١) سنة ١٣٥١هـ .

٣٠ ـ ديوان مجنون ليلى . تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، مكتبة مصر . ؟

٣١ ـ ديوان المتنبي بشرح العكبري ، تحقيق مصطفى السقا . دار المعرفة بيروت ؟

٣٢ ـ الذيل التام على دول الإسلام ـ للسخاوي ـ تحقيق حسن إسماعيل مروة طبع دار ابن العماد بيروت (ط١) الجزء الأول ١٩٩٢م .

٣٣ ـ ذيل طبقات الحنابلة لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي المعروف بابن رجب باعتناء حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ١٩٥٢م .

٣٤ ـ ذيل العبر للذهبي وللحسيني ، تحقيق محمد رشاد عبد المطلب ، مطبعة حكومة الكويت سنة ١٩٧٠م .

٣٥ ـ ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ، الناشر محمد أمين دمج ـ دار إحياء التراث العربي .

٣٦ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني ، تحقيق الدكتور حامد عبد المجيد ، المطبعة الأميرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٧م .

٣٧ ـ السحب الوابلة لابن حميد النجدي .

٣٨ ـ سنن أبي داود ضبط محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨٠م .

٣٩ ـ سنن ابن ماجه تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، مصورة المكتبة العلمية بيروت ؟ .

٤٠ ـ سنن التِّرمذي إبراهيم عبد الغفار الدسوقي ، وسنن الترمذي (الجامع الصحيح) تحقيق أحمد محمد شاكر ـ إحياء التراث العربي بيروت .

٤١ ـ سنن النّسائي ، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ١٩٨٦م .

٤٢ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ (ط٢) ١٩٧٩م .

٤٣ ـ صبح الأعشى للشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي ـ دار الكتب المصرية (ط١) القاهرة ١٩٢٢م .

٤٤ ـ صحيح البخاري تحقيق د . مصطفى ديب البغا ، دار العلم للملايين (ط١) بيروت .

٤٥ ـ صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٤٦ ـ الطالع السعيد للشيخ الإمام أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الإدفوي الشافعي ، تحقيق سعد محمد حسن ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة (ط١) ١٩٦٦م

٤٧ ـ طبقات الأولياء لابن الملقن تحقيق نور الدين شريبة ـ الخانجي ـ القاهرة ـ (ط١) ١٩٧٣ .

٤٨ ـ طبقات الشافعية للإسنوي ، لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي ، تحقيق د . عبد الله الجبوري مطبعة الإرشاد ـ بغداد ـ ١٩٧٠م .

٤٩ ـ طبقات الشافعية للسبكي لتاج الدين عبد الوهاب السبكي ، المطبعة الحسينية المصرية (ط١) ١٣٢٤هـ .

٥٠ ـ طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي تحقيق عبد الله محمد الحبشي ـ دار الآداب بيروت (ط١) ١٩٨٣م .

٥١ ـ العبر للذهبي تحقيق د . صلاح الدين المنجد مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٠م .

٥٢ ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ـ ١٩٥٨م .

٥٣ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ـ الهيئة العامة للكتاب القاهرة وبيروت مصورة عن دار الكتب المصرية ١٩٢٥م .

٥٤ ـ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري عني بنشره .ج . براجستراسر القاهرة ١٩٣٢م .

٥٥ ـ فوات الوفيات . لصلاح الدين الكتبي ، تحقيق د . إحسان عباس . دار صادر بيروت (ط١) ١٩٧٣ .

٥٦ ـ القاموس المحيط للفيروز أبادي ـ مكتبة النوري مصورة عن شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده .

٥٧ ـ قضاة دمشق لابن طولون تحقيق . د . صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق (ط١) ١٩٥٦م

٥٨ ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون . تحقيق محمد أحمد دهمان ، دمشق ١٩٤٩م .

٥٩ ـ قنعة الأريب في تفسير الغريب لموفق الدين بن قدامة المقدسي ، تحقيق : الدكتور علي حسين البواب ، دار أمية للنشر والتوزيع . الرياض (ط١) ١٤٠٦هـ .

٦٠ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاج خليفة ، مصورة دار العلوم الحديثة بيروت عن طبعة أستامبول .

٦١ ـ اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير . مكتبة القدسي (ط١) القاهرة سنة ١٣٥٧هـ

٦٢ ـ لسان العرب لابن منظور المصري ـ دار صادر ودار بيروت ١٩٥٥م .

٦٣ ـ مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور المصري ، تحقيق جماعة من المحققين ، دار الفكر دمشق ١٩٨٤م

٦٤ ـ مرآة الجنان لليافعي ـ دار المعارف النظامية حيدر آباد سنة١٣٣٧هـ .

٦٥ ـ مسند الإمام أحمد المكتب الإسلامي بيروت (ط١) سنة ١٩٦٩م

٦٦ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ـ دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٨٤م

٦٧ ـ منادمة الأطلال للعلامة عبد القادر بدران ـ المكتب الإسلامي (ط٢) ١٩٨٥م بيروت

٦٨ ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي الأتابكي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ط١) سنة ١٩٧٢م .

٦٩ ـ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي والدكتور محمود الطناحي . القاهرة ١٩٦٢م .

٧٠ ـ الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق جماعة من المستشرقين والعرب ، نشر منه أجزاء حتى الآن .

٧١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان . تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٧٧م .

٧٢ ـ الوفيات لابن رافع . تحقيق صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة بيروت (ط١) ١٩٨٢م .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين ، والصّلاة والسَّلام على خيرة خلقه محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذا الجزء السادس عشر من كتاب الحافظ العماد ابن كثير « البداية والنهاية » أقدّمه متمّماً لما سبقه من أجزاء وقد كنت في غنىً عن التقديم له ، لأن عملي في تحقيقه لم يخرج عن الخطة التي وضعتها دار ابن كثير العامرة لإخراج هذا الكتاب وفق منهج علمي متميّز ، لما للكتاب من شأن كبير في مكتبتنا العربية ، ولما لمصنّفه ـ رحمه الله ـ من مكانة بين نظرائه من العلماء . غير أنّ مشاكل اعترضتني تخصُّ هذا الجزء من الكتاب ، فرأيت توضيحها وبيانها منها :

أولاً : إن النّسختين المصورتين (أ) و (ب) المعتمدتين في التحقيق تنتهيان إلى سنة (٧٣٨هـ) ، وتابعت بعد ذلك تحقيق القسم المتبقي مستعيناً بمراجع ومصادر تلك الفترة ، خاصة تلك التي نقل أصحابها عن ابن كثير مباشرة .

ثانياً : هناك فروق كبيرة وسقط يصل أحياناً إلى عدَّة صفحات بين المطبوع والنسخة (أ) التي اعتمدتها في التحقيق .

ثالثاً : هناك آراء وأقاويل تدور حول نسبة القسم الأخير من الكتاب إلى ابن كثير ، وهذا الخلاف يسير في وجهتين متضادتين تماماً ، ولكل وجهة منها من يؤيدها وينتصر لها بحججٍ ذات قيمة .

القول الأوّل :

إن تاريخ ابن كثير ينتهي في سنة (٧٣٨ هـ) ، وما بعده ذَيل ذيّله عليه ابن حجي ثم تابع بعده ابن قاضي شهبة . والقائل بهذا الرأي المؤرّخ العلاّمة الأستاذ محمد راغب الطبّاخ ، رحمه الله ـ . وقد جاء ذلك في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في المجلد ١٨ : (٣٧٦ ـ ٣٧٧) . وللأمانة أثبته بحروفه :

« وصلني من عهد قريب الجزء الثالث عشر والجزء الرابع عشر من « تاريخ البداية والنهاية » للحافظ العلاّمة إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفّى سنة (٧٧٤ هـ) ، فرأيته ذكر في آخر الجزء الرابع عشر

حوادث سنة (٧٦٨ هـ) إلى شهر ربيع الآخر ولم يعنون لها ، فعجبت لهذا لأني أعلم أن النسخة المخطوطة من هذا التاريخ المحفوظة في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب والتي هي في عشر مجلدات كبار تحت رقم ١٢١٧ قد انتهى التاسع منها الذي فيه الوفيات والحوادث إلى سنة (٧٣٨ هـ) وآخر العبارة فيه :

كان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وسبعمئة أحسن الله خاتمتها آمين ، إلى هنا انتهى ما كتبته من لدن خلق آدم ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصَّلاة والسَّلام ـ إلى زماننا هذا . والحمد لله رب العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيهما بإحسان إلى يوم الدين .

ثم هناك بخط آخر : يتلوه إن شاء الله الجزء الآخر ، وهو النهاية في أمور الآخرة آخر البداية في البَعْث والنشور ، والجزء العاشر يبتدئ بالملاحم والفتن في آخر الزمان وبعد التأمل في آخر الجزء الرابع عشر وجدته قال في نهاية حوادث سنة (٧٣٨ هـ) كتبه : إسماعيل بن كثير القرشي الشافعي عفا الله تعالى عنه آمين .

وهنا كتب المصحح في الذيل : كذا بسائر الأصول .

فهذا وذاك يفيدنا أن المؤلف قد انتهى تاريخه إلى هذه السنة ، ثم قال في الأصل المطبوع : ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمئة ، وأخذ في سرد حوادثها ووفياتها إلى أن ذكر بعض حوادث سنة (٧٦٨ هـ) كما تقدم ، وبها ختم الكتاب .

فهذه السنين أي من سنة (٧٣٩ هـ) إلى سنة (٧٦٨ هـ) هي بلا ريب لغير الحافظ ابن كثير . الشيخ العلامة الشيخ عماد الدين بن كثير درّس التفسير إلى آخره ، وهنا قال المصحح : كذا بنسخ الآستانة ، وفي المصرية بياض نصف صحيفة من الأصل ، وهذا صريح في أنّ الكلام لغير الحافظ ابن كثير ، وسقط كلام في أوّل السّنة ، وعند ذلك أحببت أن أقف على مؤلف الذيل ، فأخذت في البحث فرأيت مكتوباً بخطي على هامش كشف الظنون في الكلام على هذا التاريخ ، انظر ما كتب في ذيل ذيول تذكرة الحفاظ الذي طبعه السيد حسام الدين القدسي في ص(٢٥٠) ، فرجعت إليه ، فإذا هناك من تعليقات العلامة الفاضل الشيخ محمد زاهد الكوثري على ترجمة العلامة أحمد بن حجي المتوفى سنة (٨١٦ هـ) ما نصُّه :

وكتب ذيلاً على تاريخ ابن كثير ، ذكر فيه حوادث الشهر ثم من توفيّ فيه ، وهو مفيد جدًّا قال الحافظ السخاوي في « ضوئه » (١/ ٢٧٠) يبتدئ من سنة (٧٤١ هـ) وينتهي إلى سنة (٨١٥ هـ) .

قال ابن قاضي شهبة : كتب من سنة (٧٤١ هـ) ستاً ثم بدأ من سنة (٧٦٩ هـ) فكتب إلى قبيل وفاته بيسير ، وكان قد أوصى لي بتكميل الخرم المذكور فأكملته .

ثم رجعت إلى ضوء السخاوي (١/ ٢٧٠) وإلى الشذرات (٧/ ١١٧) فوجدت الأمر كما قال . فهنا يتبين أن هذا الذيل من سنة (٧٣٩ هـ) إلى الآخر لا (٧٤١ هـ) بعضه لأحمد بن حجي ، وبعضه لابن

قاضي شهبة ، وأن ابن حجي ذيّله من سنة (٧٦٩ هـ) إلى سنة (٨١٥ هـ) . وأن ابن قاضي شهبة ذيّله بعد ذلك إلى سنة (٨٤٠ هـ) في سبع مجلدات كبار ، ثم اختصره في نحو نصفه .

هذا ما ظهر لنا والله الموفق إلى الصواب » . انتهى . محمد راغب الطباخ

القول الثاني :

إنّ هذا الكتاب مع ما يُدَّعىٰ أنّه ذيلٌ له هما لابن كثير ، والقائل به الأستاذ : محمد أحمد دهمان ـ رحمه الله ـ وذلك في مقال نشرته مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٢٠ (٩٠ ـ ٩٣) ردّاً على قول الأستاذ الطبّاخ السابق . وأنا مثبته بتمامه أيضاً لنقف على الرأيين معاً ، فبعد تلخيص لما جاء في المقال الأول يقول : « وبعد دراستي لهذا الموضوع خرجت بنتيجتين :

١ ـ هو أن الحافظ ابن كثير انتهىٰ تاريخه بحوادث سنة (٧٣٨ هـ) وأنه توجد عدة نسخ خطية تنتهي بالسنة المذكورة .

٢ ـ أنّ المؤلف بعد أن وصل إلى هذه السنة في تاريخه ذيل عليه بعد مدة من سنة (٧٣٩ ـ ٧٧٤ هـ) كما في النسخة المطبوعة ، وأن هذه الزيادة موجودة في بعض النسخ دون بعض ، وهي للحافظ ابن كثير بلا شك ولا ريب .

أما أدلّتي على الأمر الأول فهي :

أولاً : النسخة الخطية الحلبية التي تكلم عنها الأستاذ الطباخ .

ثانياً : النسخة التي نقل عنها عبد القادر النعيمي المتوفَّى سنة (٩٢٧هـ) في كتابه « تنبيه الطالب وإرشاد الدارس » الذي تكلم فيه عن مدارس دمشق ومدرسيها ، فقد أخذ نصوص تاريخ ابن كثير التي تتعلق بموضوعه وجعلها في كتابه المذكور ، ولكننا نراه لا يذكر شيئاً من الزيادات التي بعد سنة (٧٣٨هـ) وما تجدد من المدارس أو الحوادث بعد هذا التاريخ فبعضه ينقله من مصادر أخرى غير ابن كثير ، والبعض الآخر يهمله لعدم اطلاعه عليه مع أن في الزيادات التي بعد سنة (٧٣٨هـ) مواد قيمة تتعلق بموضوع كتابه لا يستغنَى عنها ، وفي هذا دليل على أن النسخة التي كان ينقل منها النعيمي خالية من الزيادات الموجودة في النسخة المطبوعة وهي كنسخة حلب المحفوظة في المدرسة الأحمدية .

وأما أدلتي على الأمر الثاني ، وهو أن الزيادة لابن كثير نفسه فهي :

أولاً : إن بعض تلاميذ المؤلف تصرّف في الكتاب حين يذكر المؤلف نفسه ، فإذا ذكر نفسه بالاسم الصريح وضع التلميذ للاسم ألقاب التعظيم ، فحينما قال المؤلف عن نفسه [ص٣٢١] أنه في شوال حضر عماد الدين ابن كثير درس التفسير ، تصرف التلميذ في العبارة وقال : إنه في شوال حضر الشيخ العلامة الشيخ عماد الدين بن كثير ، وحينما يتكلم عن نفسه بضمير المتكلم يزيد تلميذه اسم شيخه ويبين أنه هو المراد في هذا الضمير كما في [ص٢١٦] حينما يتكلم المؤلف عن نفسه في جامع المرجاني

فيقول : وكنت أنا الخطيب [يعني عماد الدين المصنف تغمده الله برحمته] . ولله الحمد والمنة . فما بين الحاصرتين ظاهر البداهة في أنه يراد به تفسير الضمير في : كنت أنا الخطيب ، وإن هذه الزيادة من أحد تلامذة المؤلف أو أحد أصدقائه(١) ، وقد تكرر هذا التفسير مراراً ففي [ص٢٤٥] وفي يوم السبت عاشره ـ أي عاشر الشهر المتقدم ذكره وهو شعبان من سنة (٧٥٣هـ) ـ اجتمعنا [يقول الشيخ عماد الدين بن كثير المصنف رحمه الله] بالخليفة المعتضد بالله .

و [ص٢٥٤] وصنف ـ يعني ابن تيمية ـ في ذلك مسألة مفردة وقفت عليها [يعني الشيخ عماد الدين ابن كثير] فرأيتها غاية الحسن .

ثانياً : أنّ المؤلف يذكر عن نفسه أعمالاً وصفات لا تنطبق إلّا عليه ، فيقول عن المِزّي والذَّهبي [ص١٩٠] شيخنا جمال الدّين المِزّي : وشيخنا الحافظ الذَّهبي .

ويقول في [ص١٩٢] عن شيخه المزّي : أخبرتنا بنته زينب زوجتي .

وحينما يذكر ابن تيمية يقول [ص١٢٩] : شيخنا العلامة ابن تيمية ، أو زميله ابن القيّم تلميذ ابن تيمية [ص٢٠٢ ، ٢٣٤] صاحبنا العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي إمام الجوزية .

وبعد أن يذكر وفاة الحافظ الذَّهبي [ص٢٢٥] يقول : وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة أم الصالح ـ رحم الله واقفها ـ عوضاً عن الشيخ شمس الدّين الذّهبي ، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء ، وبعض القضاة ، وكان درساً مشهوداً .

وإذا رجعنا إلى ترجمة الحافظ ابن كثير نرى أن جميع هذه الصفات منطبقة عليه تمام الانطباق ، فما جاء في ترجمته في كتاب « تنبيه الطالب » للنُّعَيمي في بحث دار الحديث الأشرفية : صاهر الحافظ أبا الحجّاج المِزّي ولازمه ، وأخذ الكثير عن ابن تيمية ، وولي مشيخة تربة أم الصالح بعد الذهبي ، توفي سنة (٧٧٤هـ) ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية ومثل ذلك في شذرات الذهب .

على أن المؤلف صرح باسمه في موضعين آخرين مما لا يحتمل الشك ولا التأويل ففي [ص ٣١٧] : ولما كان يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر أعني ربيع الآخر طُلب القضاة الثلاثة وجماعة من المفتين ، فمن ناحية الشافعي نائباه وهما القاضي شمس الدين الغزي والقاضي بدر الدين بن وهبة والشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني والمصنف عماد الدين بن كثير ووو . . . فاجتمعت مع نائب السلطنة بالقاعة التي في صدر المكان وجلسنا حوله .

وفي [ص ٢٥٦] وقفت في شهر ذي القعدة على كتاب أرسله بعض الناس إلى صاحب له من بلاد طرابُلُس وفيه : والمخدوم يعرِّفُ الشيخ عماد الدّين بالذي جرىٰ في بلاد السواحل . وبعد فهذه أَدلّة قاطعة

(١) بل هو ابنه عبد الرحمن كما أشار السّخاوي ـ رحمه الله ـ وسيأتي ذلك عمّا قليل .

على أن الذيل الذي في آخر تاريخ ابن كثير هو للمؤلف نفسه ، ويرجع الفضل في إظهار هذه الحقيقة إلى الأستاذ محمد راغب الطباخ الذي أبدى ملاحظاته القيمة في هذا الموضوع أولاً .

وبعد كتابة هذا المقال اطلع عليه الأستاذ يوسف العش فلفت نظري إلى كتاب « إنباء الغمر » لابن حجر وبعد الرجوع إليه إذا به يقول في خطبة الكتاب :

هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزّمان الذي أدركته منذ مولدي [ثلاث وسبعين وسبعمئة] وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلاً على ذيل تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير فإنه انتهى في تاريخه إلى هذه السّنة . انتهى .

وكلامه صريح ومؤيد لما ذهبنا إليه ، وهو يفيدنا بأن النّسخة المطبوعة من تاريخ ابن كثير ينقص من آخرها حوادث خمس سنوات » . انتهى

محمد أحمد دهمان

وبعد :

فلقد وفقني الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ إلى تحقيق وإخراج كتاب : « الذيل التام لتاريخ دول الإسلام » للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفّي سنة (٩٠٢هـ) ـ رحمه الله ـ ، وكل اعتقادي أن أحداً من الذين كتبوا حول هذه النقطة لم يطّلع على ما قاله السّخاوي في كتابه هذا ، وإلّا فإنَّ ما جاء فيه جدير بالوقوف عنده والإشارة إليه .

ولقد تزامن إخراجي لهذا الكتاب مع عملي في تحقيق الجزء السادس عشر من « البداية والنهاية » وهذا من فضل ربي وتوفيقه .

وممّا لفت انتباهي كثرة نقول السّخاوي عن ابن كثير ، فوقفت أستقرئ هذه النقول وأوازن بينها وبين ما قيل عن ذيل تاريخ ابن كثير فوصلت إلى ما يلي :

أولاً : لقرب عهد السّخاوي من ابن كثير ولكونه تلميذاً لابن حجر صاحب « إنباء الغمر » الذي اعتبر كتابه ذيلاً لكتاب ابن كثير ، ولقرب عهده من أحمد بن حجّي وابن قاضي شهبه اللّذين نُسب إليهما الذّيل ، ولكون كتاب ابن كثير من مصادر السّخاوي الرئيسَة ، كان من الممكن ، بل ومن المؤكد أن يشير إلى هذه النقطة الخلافية في عزو الذّيل لو كان هذا الأمر واقعاً ، إلّا أنه لم يفعل .

ثانياً : لقد كانت نُقُوله عن ابن كثير حرفيَّة ، أضع بعضاً منها للاستئناس .

ـ ففي سنة (٧٤٥هـ) وفي الصفحة (٦٩) يقول السخاوي في مسألة قتل الكلاب في دمشق ، قال ابن كثير : « وكان الأولى قتلهم بالكلّية ثم أحرقوا . . . » .

ـ وفي سنة (٧٤٩هـ) ص (٩٧) قال السخاوي لدىٰ حديثه عن طاعون القاهرة : قال ابن كثير : « المكثر يقول : ثلاثون ، والمقلِّلُ يقول : أحد عشر . . . . » .

ـ وفي سنة (٧٥٠هـ) ص (١٠٨) قال السخاوي في معرض حديثه عن مقتل أرغون شاه : قال ابن كثير : « إنّه أُثبتَ محضرٌ بذبحه نفسه » .

ـ وفي سنة (٧٥١هـ) ص(١١٦) يقول في معرض ترجمته للشمس ابن قيم الجوزية : قال ابن كثير : « لا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه » .

ـ وفي سنة (٧٥٣هـ) ص (١٢٧) يقول في معرض حديثه عن الخليفة المعتضد بالله : قال ابن كثير : « شابٌ حسن الشكل ، مليحُ الكلام ، متواضعٌ ، جيد الفهم ، حلو العبارة » .

ـ وفي السنة نفسها ص (١٣٠) يقول : قال الحافظ العماد ابن كثير : « إنه اجتمع بالمعتضد حين كان مع الصّالح في كائنة بَيْبُغَا أُروس بدمشق ، وهو الخليفة فيها وإنّه حج في التي قبلها وعاد إلى مصرَ سريعاً بسبب الخلاف » .

ـ وفي سنة (٧٦٢هـ) ص (١٨٢) يقول : وحكى ابن كثير محرّمها أنه أُحضر حسن بن الخياط . . . » ونقل الخبر كاملاً عنه .

ـ وفي سنة (٧٦٨هـ) ص (٢١٩) يقول : وكذا قال ابن كثير في ذلك أبياتاً .

ـ وفي سنة (٧٦٩هـ) ص (٢٢٧) يقول لدى حديثه عن الطاعون : قال ابن كثير . وفيها أيضاً ولدىٰ ترجمته للعلاَّمة النحوي ابن عقيل ـ رحمه الله ـ يقول : قال ابن كثير : « أحد علماء الشَّافعية والعربية بمصر ، وذو التصانيف الكثيرة المفيدة وكانت فيه رئاسة وحشمة وتجمُّل ، وله جوامك كثيرة ، وتوسُّع في الملابس والمآكل ، وحجّ رجبيّاً في التي قبلها ، وكان بمكة في هيئته ونفقاته » .

ـ وفي سنة (٧٧٣هـ) ص (٢٥٢) ولدى حديثه عن تولية الخطيب برهان الدين بن جماعة قضاء الشّافعية بمصر قال : قال ابن كثير :

« وما سمعنا في هذه الأعصار بولاية أكمل منها ولا أبعد عن تهمة الرّشوة » وفيها أيضاً ، ولدى ترجمته للبهاء أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السُّبكي قال : قال ابن كثير : « كان قانتاً عابداً كثير الحج » .

ـ وفي أحداث سنة (٧٧٤هـ) أشار إلى انتهاء كتاب « الوفيات » لابن رافع في جمادىٰ الثانية ، ثم قال :

وفي أثناء شعبانها ـ أي سنة ٧٧٤ هـ ـ انتهى تاريخ العماد بن كثير ، وكان حين ضرره وضعفه يملي فيه على ولده عبد الرحمن .

بعد هذا الاستقراء نستنتج أن النسخة التي اعتمدها السخاوي من كتاب « البداية والنهاية » تنتهي إلى شعبان سنة (٧٧٤هـ) لا كما هو متوهم إلى سنة (٧٦٨هـ) فضلاً عما يقال عن انتهائه سنة (٧٣٨هـ) .

ـ والآن . . . .

لو أضفنا هذه الأدلة إلى ما قدّمه الأستاذ محمد أحمد دهمان ـ رحمه الله ـ لقطعنا بما يشبه اليقين بأن الكتاب كلَّه لابن كثير ، بل ونحن الآن ننتظر الوقوع على القسم المفقود في مكان ما ، كي يُلحق الفرع بالأصل ، ويقطع الشك باليقين . والله الهادي إلى الصواب .

وأخيراً : كل الشكر إلى دار ابن كثير العامرة التي عملت على إخراج هذا الكتاب القيم ، وأعطته كل ما هو أهلٌ له من العناية وللعاملين فيه من الرعاية ، ولما لها من باع طويل في خدمة تراثنا المجيد ، لربط الحاضر الزاهر بالماضي المشرق الباهر ، نفعهم الله وأثابهم في الدارين .

واللهَ أسألُ أن يوفقنا إلى أحسن الأعمال ، وأن يختم لنا بالحسنىٰ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

حسن إسماعيل مَرْوة

دمشق الشام ـ معربا
الجمعة ٢٧ رجب المعظم ١٤١٢هـ
٣١ كانون الثاني ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إنَّ الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد : فهذا هو الجزء الأخير من كتاب « البداية والنهاية » للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البُصروي الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ) رحمه الله ، ذكر فيه ما يكون في نهاية الزمان من ملاحم وفتن وأحداث ، وهي من علامات قيام الساعة ، فذكر ما يقع من الفتن جملة ثم فصَّلها ، كافتراق الأمم ، وما يحدث من الشرور في هذه الأمة في آخر الزمان ، وظهور المهدي المنتظر ، وهو (محمد بن عبد الله) الذي يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ ، واسمُ أبيه اسم أبي النبي ﷺ ، وبين بأنه يكون من أولاد فاطمة رضي الله عنها ، بنت رسول الله ﷺ ، وهو رجل من علماء الأمة الإسلامية ، ليس نبياً ولا رسولاً ، ولكنه مؤمن عالم يدعو إلى ما دعا إليه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، يدعو إلى الإيمان ، ويحارب الكفر والطغيان ، وذكر بعض النصوص الواردة في ظهوره ، وأنه من علامات الساعة الكبرى ، وذكر أن من الفتن العظام خروج الدجال الأعور الكذاب الكافر الذي يدعو إلى الكفر والضلال ، وذكر ما ورد من النصوص الصحيحة في حقه لعنه الله ، وأنه أيضاً من علامات الساعة الكبرى ، كما ذكر كثيراً من النصوص الواردة في حق نزول عيسى عليه السلام من السماء ، وأنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، وهي نصوص صحيحة ومتواترة ، وأنه يدعو إلى توحيد الله تعالى والعمل بشريعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، التي هي آخر الشرائع ، وقد نسخت شريعته جميع الشرائع ، ولا شريعة بعدها إلى يوم القيامة ، فيقوم عيسى ابن مريم عليه السلام في ذلك الزمان ومعه المهدي المنتظر ، ويدعوان الناس إلى الإسلام ، والعمل بالقرآن وشريعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في كل مكان ، ويلحق عيسى ابنُ مريم الدجالَ الكافر حتى يدركه بباب لُدٍّ في فلسطين فيقتله ، وينتهي الناس من شره ، ويسود الأمن والاستقرار في زمن عيسى عليه السلام ، وينتشر الإسلام في كل مكان ، ويتحقق قول الله تعالى في القرآن ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] فيعم الإسلام الأرض كلها ، كما يتحقق قول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام : « لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله

بيت مدر ولا وَبَر ، إلا أدخله الله هذا الدين ، بِعِزِّ عزيز ، أو بذُلِّ ذليل ، عزًّا يُعزُّ الله به الإسلام ، وذُلاًّ يُذلُّ به الكفر »[١] .

فيعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم وماديّاتهم وسلاحهم حتى يستطيعوا أن يتغلَّبوا على قوى الكفر والطغيان ، وهذا ما بشَّر به رسول الله ﷺ ، وتُظهر الأرض خيراتها وبركاتها ، ويعيش المسلمون في أمن وإيمان ، وراحة واطمئنان ، إلى أن يتوفى عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم بعد ذلك تنتشر الفتن في كل مكان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كما ذكر المؤلف رحمه الله بعض ما يتعلق بالفتن في آخر الزمان ، كخروج يأجوج ومأجوج ، وغيرها من الفتن العظام التي تحصل في ذلك الزمان ، وما جاء في ظهور الدخان ، وأن ناراً تخرج من قعر عدن تحشر الناس ، وأنها إذا خرجت ، فعلى الناس أن يلجؤوا إلى بلاد الشام ، لأنها تكون أبعد عن الفتن من غيرها ، وذكر من علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها ، وهي آخر علامات الساعة الكبرى الدالة على قيام الساعة .

كما ذكر ما يتعلق بالصور ، ونفخة الصعق ، وذكر أحاديث في البعث والنشور ، وأن الناس يبعثون يوم القيامة حُفاة عُراة غُرلاً ، وذكر ما يتعلق بأهوال يوم القيامة ، وما ورد في المقام المحمود الذي خُص به رسول الله ﷺ ، وما ورد في الحوض النبوي ، والصراط ، وكيفية الحشر يوم القيامة ، وصفة النار وما فيها من العذاب ، وما ورد من الأحاديث في شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة ، كما ذكر صفة الجنة ونعيمها ، وما ورد في أشجارها وغراسها وثمارها ، وأن أعلى الخلق في الجنة منزلة محمد رسول الله ﷺ ، وأن أمته أكثر أهل الجنة ، إلى غير ذلك من الأمور التي لها علاقة بالجنة وأهلها ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ، وحشرنا وإياه يوم القيامة ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليماً .

منهج التحقيق :

لقد اعتمدنا في إخراج هذا الجزء من الكتاب على بعض النسخ المطبوعة ، وقابلناها على مخطوطة المكتبة الأحمدية في حلب وقد رمزنا لها بحرف (آ) ، وهي نسخة كاملة ، وفيها زيادات مقحمة ، وهي تعليقات لبعض العلماء ، وفيها أخطاء كثيرة ، وقد حصلنا أثناء التحقيق على مصورة نسخة خطية جيدة أصلها من فاس بالمغرب محفوظة في خزانة معهد المخطوطات العربية في القاهرة ، عن طريق ولدنا وتلميذنا العزيز الأستاذ محمود الأرناؤوط لحرصه على إخراج الكتاب بأفضل صورة ، جزاه الله تعالى خيراً ونفع به ، وهي نسخة قَيِّمة منسوخة عن نسخة قرئت على المصنف ، وعليها تعليقات أيضاً

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/١٠٣) من حديث تميم الداري رضي الله عنه وإسناده صحيح .

في بعض المواضع ، فكان اعتمادنا عليها في أكثر الأحوال ، وقابلنا الكتاب عليها من أوله إلى آخره . وتبدأ هذه النسخة ببداية كتاب الفتن والملاحم من « البداية والنهاية » ، وتنتهي بنهايته ، وقد رمزنا لها بحرف (م) ، وأصلها من خزانة جامعة القرويين بفاس برقم (٢٤٨/٤٠) . وأفدنا من الطبعة الصادرة عن دار هجر بالقاهرة بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ورمزنا لها في الحواشي بحرف (ط) .

ثم قمنا بتحقيق هذا الجزء من الكتاب ، والتعليق عليه ، وتخريج أحاديثه ، وشرح بعض الكلمات الغريبة الواردة فيه ، والتعريف ببعض الأعلام ، وغير ذلك ، ونرجو الله تعالى أن يكون هذا الجزء قد خرج بما قمنا به من عمل في تحقيقه على النحو الذي يرضي الله تعالى ، وأن ينتفع به طلاب العلم إن شاء الله .

وقد ساعد في مقابلته والتعليق عليه بعض طلاب العلم جزاهم الله تعالى خيراً .

ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجزء من الكتاب من قرأه من العلماء وطلاب العلم ، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، كما نشكر كل من أعان على نشر هذا الكتاب العظيم ، ونخص بالذكر منهم الأستاذ علي مستو صاحب دار ابن كثير الذي تحمَّل من العناء في سبيل طبع هذا الكتاب سنوات عديدة . كما نشكر كل من بذل مجهوداً في سبيل إخراج هذا الكتاب ، ونخص منهم بالذكر ولدنا وتلميذنا العزيز الأستاذ محمود الأرناؤوط الذي كان يحثنا على تحقيق هذا الجزء من الكتاب ، وعلى القيام بمراجعة نصوص الأحاديث الواردة في الأجزاء المتقدمة والحكم عليها ، فجزى الله تعالى الجميع خيراً .

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يتولانا جميعاً بعنايته ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق في غرة شهر الله المحرم لعام ١٤٢٥هـ

عبد القادر الأرناؤوط
خادم السنة النبوية بدمشق

* * *

(١)

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي خلق فسَوَّى ، وقدَّر فهدى ، وجمع فأوعى .

والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، وعلى رسوله محمد بن عبد الله المجتبى ، وآله الشُّرفا ، وأصحابه نجوم الهُدَى ورجوم العِدَى ، ومن تبعهم بإحسان ووفَّى ووفَى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنى ، أمات وأحيا ، وجعل لكل أمة تاريخاً وأجلاً مسمًّى . وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وحبيبه ، صاحب المقام المحمود والشفاعة الكبرى ، المبعوث إلى الخليقة جميعاً بالإنذار والبُشْرى .

وبعد :

● **أهمية العمل ومبرراته :**

فإن النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري قد شهد صحوة إسلامية فكرية وثقافية ، واهتماماً ملحوظاً بالكتب المطبوعة والمحقَّقة ، على وفق أحدث الطرق الطباعية الحديثة ، والإخراج الفني المتطور ، والتجليد المتقن الفاخر ، وظهرت أمَّات الكتب في التفسير والحديث والسيرة والتاريخ والتراجم ، موثَّقة ومفهرسة ، وبأجمل شكل وبأصدق مضمون ، مثل : تهذيب الكمال للمِزي ، وجامع الأصول ؛ لابن الأثير ، وزاد المعاد ؛ لابن قيم الجوزية ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، والتفسير والتاريخ ؛ للإمام الطبري ، وغيرها .

وكان النصح إلى أصحاب دور النشر الكبيرة أن يتطلعوا إلى الكتب والمراجع في جميع مناحي الثقافة الإسلامية ، وإحياء مخطوطاتها المنسية ، وإعادة تحقيق الكتب المطبوعة من غير توثيق ولا تعليق ولا فهارس ، والاستفادة من المخطوطات المشرقية ، والمخطوطات المكتشفة حديثاً بعد أن كانت ضائعة أو مجهولة .

على أنَّه يتعين علينا أن نشير إلى أن العرب المسلمين حين تنبهوا إلى أهمية تراثهم وبدؤوا بنشره منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كانت المطابع الكبرى تعهد إلى مصححين من كبار العلماء لضبط النصوص وتصحيحها ، فأخرجت مطبعة بولاق بمصر نفائس من هذا التراث وتبعتها دار الكتب المصرية وغيرها من المؤسسات المعتبرة .

وتحقيق المخطوطات والعناية بالنصوص علم قائم بذاته ، أقام العلماء المسلمون منذ أمد بعيد قواعده على أحسن وجه ، فأخرجوا لنا ، ومنذ عصر المخطوطات ، نماذج رائعة في التحقيق والتدقيق ، نذكر منها كتابين مهمين هما نموذج لعشرات من نظرائهما ؛ موطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي ، وصحيح البخاري .

فقد عُني العلامة جمال الدين محمد بن يوسف المعروف بابن مَسْدي الأندلسي الغرناطي نزيل مكة المكرمة ودفينها « ٥٩٩ ـ ٦٦٣هـ » برواية الليثي من الموطأ فأخذه عن العديد من شيوخه ببلاد شتى وأسانيد كثيرة ، وقابل بين نسخه وعَمِلَ لنفسه منه نسخة محققة مدققة مستندة إلى العديد من الروايات ، ورمز لكل رواية من الروايات برمز معين ذكره في صدر نسخته ، وثبت في حواشيها الاختلافات بينها[١] .

وعني بصحيح البخاري عالمان جليلان هما : اليونيني ، وابن مالك صاحب الألفية فجمعا روايات الصحيح وقابلا بينها ورجحا في القراءات ، وأثبتا الاختلافات في الحواشي ، فكانت هذه النسخة من أعظم نسخ صحيح البخاري وأكثرها صحة وضبطاً وإتقاناً ، وهي التي انتشرت فيما بعد ، وطبع السلطان عبد الحميد يرحمه الله « الصحيح » استناداً إلى النسخة اليونينية ، فهي إلى يوم الناس هذا أصح طبعة لهذا الكتاب وأدقها وأتقنها وكل الذين نشروا الصحيح عيال عليها ، ولا أظن محققاً من محققي اليوم له القدرة على تجاوزها .

على أن انتشار الطباعة الحديثة ويُسْرها شجع الكثير من أصحاب الضمائر الضعيفة ممن يتصدون لنشر الكتب أو يدعون المعرفة بتحقيق النصوص إلى إخراج كتب مليئة بالتصحيف والتحريف والسقط ، أو سرقة الكتب المحققة تحقيقاً علمياً طمعاً بالربح العاجل ، فتُسلب حقوق المحققين المعنوية ، وحقوق الناشرين الجادين المادية ، فيسيؤون إلى كل عمل جاد وكل ناشر مخلص ، وقيل في القواعد الاقتصادية : « إن العملة الرديئة تطرد العملة الصعبة » ، نسأل الله الستر والعافية .

و « دار ابن كثير » للطباعة والنشر والتوزيع التي تأسست عام ١٩٨٤م في دمشق وبيروت ، من دور النشر الكبيرة والجادة في خدمة الثقافة الإسلامية ، وقد تطلعت إلى الإسهام في إعادة تحقيق ونشر كتب أمَّات[٢] في بابتها ، ولعل اسمها كان أكبر مُحفِّز للاضطلاع بتحقيق كتاب « البداية والنهاية » ، إذ هو من أعظم آثار الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ ، ولما يمتاز به من التأريخ

---

(١) انظر وصفها في مقدمة الدكتور بشار عواد لطبعته من موطأ مالك برواية الليثي ، ط٢ ، دار الغرب ، بيروت ١٩٩٨م جـ١ ص١٢ ـ ٢٢ .

(٢) ومنها أطراف مسند الإمام أحمد ؛ لابن حجر (١/ ١٠) ، والمفهم في شرح ما أشكل من تلخيص صحيح مسلم ؛ لأبي العباس القرطبي (١/ ٧) . وفتح القدير في التفسير ؛ للشوكاني (١/ ٦) .

الإسلامي العام ، والتأريخ لدمشق الشام في عصورها المختلفة بعامة ، وفي عصر المؤلف بخاصة ، وقد طبع ـ قديماً ـ طبعة واحدة في مطبعة السعادة ، وهي طبعة غير محققة مليئة بالتصحيف والتحريف والسقط والخلط ، مما قلَّل من قيمتها وجعل الاعتماد عليها يسيء إلى البحث العلمي الرصين ، وجل النشرات التي تلتها كانت تعتمدها على الرغم من ادعائها الاعتماد على مخطوطات ، ولذلك تشوَّف إلى هذا العمل العلمي الكبير جمهرة من العلماء والدكاترة بإشراف الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ يرحمه الله ـ ، وإدارة وتمويل الأستاذ علي مستو صاحب دار ابن كثير ـ حفظه الله ـ .

وفي الأول من شهر شعبان المكرم سنة ١٤٠٥هـ . تم الاجتماع في قرية « بسيمة » من وادي بردى ، وحضره : الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ رحمه الله ـ ، والدكتور علي أبو زيد ، والدكتور محيي الدين ديب مستو ، والدكتور رياض مراد ، والأستاذ محمود الأرناؤوط ، والدكتور نزار أباظة ، والأستاذ محمد حسان عبيد ، والأستاذ حسن مروة ، والأستاذ أكرم البوشي ، والأستاذ إبراهيم الزيبق ، والدكتور مأمون الصاغرجي ، والأستاذ ياسين السَّواس ، والأستاذ صلاح محمد الخيمي ـ رحمه الله ـ ، والأستاذ محمد ديب مستو ، والأستاذ علي ديب مستو .

- **خطة العمل ومنهج التحقيق :**

وزَّع فضيلة الشيخ عبد القادر ـ يرحمه الله ـ خطة العمل المقترحة على الأساتذة المشاركين في التحقيق ، وهي كما يلي :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد :

فإنَّ أوَّل ما يجب أن يكون واضحاً لكل الإخوة من الأساتذة المشاركين في تحقيق الكتاب : أن هذا المنهج لم يُوضع لتقييد المحقق في الجزء الذي وكل إليه تحقيقه ، وإنما أُريد منه أن يكون جامعاً لجهود المحقِّقين الأفاضل ، لكي تنصبَّ جميع الجهود في جهة واحدة في الشكل والمضمون بالقدر المستطاع ، حرصاً على نجاح العمل في الكتاب من الوجهتين العلمية والفنية ، لأن الكتاب عند ظهوره ـ إن شاء الله ـ سيكون مرتبطاً بأسماء المشاركين فيه ، مما يدلُّ على أن نجاحه هو نجاح الجميع ، ومن هنا كانت الرغبة في أن يتناول هذا المنهج جميع ما يتصل بتحقيق الكتاب وإخراجه على النحو التالي :

أولًا : فيما يتصل بالنسخ الخطية :

تعتمد نسخة المكتبة الأحمدية بحلب كنسخة رئيسة في العمل ، وقد اصطلح على تسميتها

« النسخة الأم » ، وذلك لكونها أتم النسخ من جهة ، ولكونها قوبلت على أصل قوبل على نسخة المؤلف من جهة أخرى ، وأخيراً لاعتبارها نسخة شامية المصدر ، لذا تجري عملية مقابلة المطبوع عليها لتصحيح ما وقع في المطبوع من الأخطاء ، واستدراك ما حصل فيها من السقط ، والإشارة إلى ما ورد فيها من الزيادة على النسخة المطبوعة من الكتاب ، وبعد ذلك تجري عملية مقابلة النسخة الأحمدية على النسخة الأخرى : نسخة برلين ، والنسخة الثالثة : نسخة دار الكتب الظاهرية ، وذلك في الأجزاء التي توفَّرت لها أوراق من النسختين المذكورتين ، فيثبت ما قد يرد فيها من الزيادة بين حاصرتين هكذا [ ] ، ويشار إلى ما وقع فيها من السقط والتحريف والتصحيف والاختلاف ، وهذا الأمر ينطبق على ما يتوفر من النسخ الخطية الأخرى من الكتاب ، ويُشار إلى النسخ المخطوطة في الحواشي عند وقوع سقط أو زيادة ، أو تحريف أو تصحيف أو اختلاف بالرموز ، وتُسمَّى مخطوطة الأحمدية بـ « النسخة : أ » ونسخة برلين بـ « النسخة : ب » ونسخة الظاهرية بـ « النسخة : ظ » والمطبوعة بـ « النسخة : ط » .

ثانياً : فيما يتصل بتحقيق نصوص الكتاب فإنه يجري على هذا الشكل :

١ ـ تفصيل النصوص ، وترقيمها ، وترتيبها ، واعتبار الفصول في الأجزاء (١ ـ ٦) و (١٧ ـ ١٨) والسنوات في الأجزاء (٨ ـ ١٦) فيما يتعلق بأوائل الصفحات ، وختم كل فصل ، وحوادث كل سنة بخمس نجوم (☆ ☆ ☆ ☆ ☆) في وسط الصفحة .

ويرجى ترقيم الآيات الواردة في الكتاب بذكر اسم السورة مع رقم الآية بين حاصرتين في متن الكتاب هكذا [ ] وحصر الآيات بقوسين مزهرين هكذا ﴿ ﴾ والأحاديث والآثار وأسماء الكتب بقوسين هكذا « » .

٢ ـ ضبط ألفاظ الآيات ، والأحاديث ، والآثار ، والأبيات الشعرية ، وأسماء الأعلام ، والبلدان والأماكن ، والألفاظ التي قد يُشكل فهمها على كثير من الناس .

٣ ـ ذكر مصادر الترجمة للمترجمين تراجم مفردة في الكتاب مرتبة ترتيباً زمنياً ، بحيث تذكر المصادر التي سبقت المؤلف وعاصرته .

٤ ـ تخريج الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب من المصدر الذي نقل عنه المؤلف ، والإشارة إلى ورود الحديث في المصادر الأخرى التي سبقت المؤلف ، أو المصدر الذي نقل عنه ، لا من طريق غيره من الرواة ، وكذلك بالنسبة إلى الآثار الموقوفة على الصحابة ، والتي لم ترفع إلى رسول الله ﷺ ، ويرجى ترتيب المصادر حسب الترتيب الزمني أيضاً ، والتأكد من سلامة النقل في المصدر الذي نقل منه المؤلف ، وذلك لاستدراك ما قد يقع من السقط ، والإشارة إلى ما قد يكون من زيادة في نصِّه ، ويكون تخريج الحديث وفق ما يلي على سبيل المثال :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير النَّاسِ قَرْني ، ثمَّ الذين يَلُونَهُمْ ، ثمَّ الذينَ يَلُونَهُمْ ، ثمَّ يجيءُ قومٌ تَسْبِقُ شهادةُ أحدِهم يمينَه ، ويمينُه شهادتَه » . رواه أحمد في « مسنده » (١/ ٤٤٢) والبخاري في « صحيحه » (٧/ ٦) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومسلم في « صحيحه » رقم (٢٥٣٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، والترمذي في « جامعه » رقم (٣٨٥٨) في المناقب ، باب ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه . كلُّهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

٥ ـ التعريف بالبلدان المغمورة باختصار ، مع الإشارة إلى المصدر الذي نقلت عنه المعلومات ، وذكر الجزء والصفحة أو المادة من كتب اللغة .

٦ ـ الإشارة في الحواشي إلى أسماء المصادر التي نقل عنها المؤلف ، وذكر الجزء والصفحة ، ومقابلة النقل على المصدر الذي نقله منه ، للتأكد من سلامة النقل ، واستدراك ما قد يقع فيه من السقط ، وتصحيح ما فيه من الخطأ ، والإشارة إلى الخلاف ما بين النص المنقول من الكتاب أو النص الموجود في الأصل المنقول عنه .

٧ ـ ترقيم التراجم المفردة في الكتاب بأرقام متسلسلة ، وذلك لحصر العدد الكامل لها في آخر الكتاب ، والتعريف بالأعلام الذين ليس لهم ترجمة في الكتاب باختصار .

٨ ـ ذكر المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كل جزء على حدة .

٩ ـ صنع فهرس للموضوعات في كل جزء على حدة ، والتراجم المفردة الواردة فيه .

١٠ ـ يقوم كل محقق بكتابة مقدمة موجزة للجزء الذي وكل إليه تحقيقه .

١١ ـ يتولَّى كلُّ محقِّق تصحيح تجارب الطبع في الجزء الذي وكل إليه تحقيقه . وبالنسبة للحواشي والتعليقات يقوم المحقق بكتابتها على أوراق مستقلة ، ويترك فراغاً بين التعليق والآخر مقدار ثلاثة أسطر تقريباً ، لكي يتسع لما قد يضيفه المراجع من التعليقات أثناء مراجعة الكتاب ، لا سيما فيما يتصل بتخريج الأحاديث النبوية ، للحكم عليها من جهة الصحة والضعف .

وفي الختام : نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا جميعاً على إخراج هذا الكتاب العظيم على النحو الذي يُرضيه عنا جلَّ جلاله ، وأن ينال الكتاب تقدير المخلصين العاملين في خدمة تراث هذه الأمة العظيمة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق في ١ شعبان ١٤٠٥هـ ـ خادم السنة النبوية / عبد القادر الأرناؤوط .

● مدى الالتزام بهذه الخطة :

التزم المحققون جميعاً بهذه الخطة ، وأتقنوا تفاصيلها ، وبخاصة عندما تعدَّى التكليف بالتحقيق إلى أكثر من جزء أو جزأين .

☆ وبدأت تظهر بعض الأجزاء المتقدمة ، فتكون نموذجاً ونبراساً للأجزاء المتأخرة ، وكانت الجهود ظاهرة في خدمة النص ، وتقديمه كاملاً ومتطابقاً مع ما أراده المؤلف وهدف إليه أو قريباً منه ، مع تعليقات وإضاءات مدروسة تنير غوامض بعض الألفاظ ، وتشع الضوء في مرامي جمله وعباراته .

☆ وأسهم التنضيد الحديث بإشراف وتنفيذ الأستاذ محمد إبراهيم شونو ، في تقديم النص بصورة متقدمة ومشرقة ، وأُخذت الآيات القرآنية مشكولة من المصحف الشريف ، مع فواصلها وأرقامها ، وتمَّ إدخال اللون الأحمر ، ليبرز العناوين والأرقام والفوائد المهمة .

☆ وربما أعرض كثير من المحققين عن التقديم للأجزاء التي أنجزوها ، حرصاً على وحدة الكتاب ، واكتفاء منهم بالمقدمة الضافية التي سبقت الجزء الأول ، وكانت بمثابة مقدمة للأجزاء كلها ، واستقر الرأي على الاستغناء عن كثير من المقدمات الفردية .

☆ وامتاز الكتاب في هذه الطبعة المشرِّفة بالجمع بين البداية والنهاية ، والتاريخ من بدء الخليقة إلى النهاية في أحوال الآخرة ، وحقَّق هذا الجزء السابع عشر وراجعه فضيلة الشيخ المحدث عبد القادر الأرناؤوط ـ رحمه الله ـ وجزاه الله أعظم الأجر والثواب عن هذا العمل المبارك الموصول ، وإنه لفخر يستحق الذكر والشكر أن تصدر البداية والنهاية كاملة وافية .

☆ وخُتم الكتاب بأربعة أجزاء اشتملت على الفهارس العلمية الوافية ، ولا شكَّ أن الفهارس مفاتيح ، تُيسِّر للقارئ الاستفادة من الكتاب ، والتجوال ضمن موضوعاته وكنوزه ، وتضمَّنت :

ـ فهارس الآيات القرآنية ، والأحاديث القولية والفعلية والآثار ، صنعة الأستاذ محمود الأرناؤوط .

ـ وفهارس الأعلام المترجم لهم ، وغير المترجم لهم ، صنعة الأستاذ أكرم البوشي .

ـ وفهرس الموضوعات ، وفهرس الشمائل والتاريخ ، وفهرس مصادر ابن كثير والكتب المذكورة في الكتاب ، وفهرس مشايخ ابن كثير ، وفهرس الأقوال والخطب والرسائل والوصايا والتوقيعات ، وفهرس الأماكن والبلدان والمواضيع ، وفهرس الحيوان والنبات ، وفهرس الشروح اللغوية ، وشروح الغريبين ، وفهرس القوافي والأشعار ، وفهرس الأمثال والحكم العربية والإسلامية ، وفهرس الأساليب العربية ، وفهرس الفوائد ، وفهرس الفهارس ، صنعة الدكتور رياض مراد .

• **القراءات المتعددة للكتاب بكامله :**

١ ـ قراءة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ رحمه الله ـ وهو المشرف العام على الكتاب ، ومراجعة وتخريج الأحاديث ، واستدراك أي خلل أو تقصير ، والحكم على أحاديث غير الصحيحين . وهذه القراءة الأولى لمسوَّدة كل جزء ، والتعليقات لا تزال جذاذات وقصاصات ، مفخرة للكتاب وللعاملين في تحقيقه ؛ لما يحمله الشيخ بين جوانحه من علم وتواضع وإخلاص ، وأنفاس طاهرة وأخلاق رضية ، واختصاص حديثي مشهود له ، ويظهر جلياً من خلال التعليقات القيمة المختومة بحرف « ع » ، رحم الله تعالى المحدث الجليل الشيخ عبد القادر ، وأسكنه الله تعالى فسيح جناته ، وجمعنا به تحت لواء سيدنا محمد ﷺ .

٢ ـ قراءة الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف حفظه الله تعالى ، وهو غني عن التعريف في اختصاصه وأستاذيته في مادة التاريخ الإسلامي والحديث النبوي الشريف ، وأعماله الكثيرة في مجال التحقيق وخدمة الكتب التراثية ، والنصوص التاريخية والحديثية . وتصحيحاته المثبتة على التجارب الأخيرة من تصحيح أجزاء « البداية والنهاية » في الأجزاء الست عشرة تشهد بخبرة عالم متضلع في فن التاريخ والتراجم والحديث ، ومستحضر لأخطاء وتصحيفات يقع بها الرواة والنُّسَّاخ . وتعليقاته المختومة باسمه « بشار » تؤكد الحظ الباسم والوافر لهذا الكتاب .

٣ ـ قراءة الدكتور محيي الدين ديب مستو للكتاب في آخر تصحيح ، ولصورة كاملة للأجزاء التي اعتمدت في الفهرسة ، وكان الغرض منها : التنسيق العام في كل الأجزاء ، وتوحيد علامات الترقيم ، وتصحيح بعض الأخطاء المطبعية ، ومقارنة النص كاملاً مع نسخة مقروءة ومصححة بقلم أستاذنا وشيخنا نايف العباس ـ رحمه الله تعالى ـ ، والتوقف عند تصحيحات الشيخ والاستفادة منها ، ومعروف في دمشق اهتمام الشيخ نايف بالتاريخ الإسلامي وتدريسه له في معهد العلوم الشرعية التابع للجمعية الغراء ، وقد قرأنا بين يديه السيرة النبوية لابن كثير بأجزائها الأربعة ، وكانت قراءته أو ضبطه لما نقرأ في البداية والنهاية ـ طبعة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٦٦م ، وقد أحضرها لي كاملة ابنه عبد المؤمن العباس جزاه الله كل خير ، وجعله سلفاً صالحاً لوالده .

وقد أثمرت هذه القراءة فوائد عظيمة وفرائد جليلة ، فيها العبرة الصادقة والعظة المؤثرة ، أشرت إليها في دفتري ، وستُطبع في دار ابن كثير مستقبلاً تحت عنوان « فوائد وفرائد » من البداية والنهاية ، ولله الحمد والمنة .

٤ ـ قراءة الأستاذ أكرم البوشي للكتاب مرتين ، مرة أثناء الفهرسة ، ومرة أخيرة ؛ لتكون مسكَ الختام ، وقد أثبتَ تصحيحات مهمة بقلمه الأخضر ، فيها تقويم الشكل ، وتصحيح الخطأ ، وفيها استدراك بعض السقط ، جزاه الله كل خير ، ووفَّقَه لكل صواب .

وختاماً :

أسأل الله الجواد الكريم أن يجزل الأجر العظيم ، والخير العميم لدار ابن كثير ممثلة بصاحبها الأستاذ علي ديب مستو الذي ضحَّى بماله ووقته ، وصبر وصابر ، معرضاً عن جهل الجاهلين ، وهفوات المتعالين والمتعالمين . . كما أشكر باسمه كل من أسهم في إنجاز هذا العمل أو شارك فيه ولو بالقليل . . اللهم تقبل منا هذا الجهد ـ وهو جهد المقل ـ واكتبه في صحائفنا ، وصحائف والدينا ومشايخنا . . يوم نلقى الأحبة محمداً ﷺ وصحبه ، ونلقى الحافظ ابن كثير . . والحمد لله ربِّ العالمين .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

وكتب
الدكتور محيي الدين ديب مستو
أبو أديب

(٢)

دراسة شخصية المؤلف

الحافظ ابن كثير

أولًا : عصر المؤلف

ثانياً : اسمه ونسبه

ثالثاً : ولادته ونشأته

رابعاً : أسرته

خامساً : شيوخه وتلاميذه

سادساً : كتبه

سابعاً : مكانته العلمية والاجتماعية

ثامناً : وفاته

(٢)

دراسة شخصية المؤلف

الحافظ ابن كثير

أولًا : عصر المؤلف

تمهيد :

عاش الحافظ ابن كثير عمره البالغ (٧٤) عاماً ، في حكم دولة المماليك البحرية ، والممتد من عام ٦٤٨هـ إلى ٧٨٤هـ وقد انتزع هؤلاء السلطة والحكم من أسيادهم الأيوبيين ، وتسمَّوا بالسلاطين مع الاحتفاظ بكلمة مملوك ، وآثروا وجود الخلافة[١] العباسية شكلًا وصورة ، لتبرير حكمهم ، وإضافة شيء من الشرعية عليه ، وقد خلا لهم الجو بمصر ، وفرغت الساحة ، واستطاعوا بفروسيتهم أن يبنوا لهم مجداً جهادياً بهزيمة المغول في عين جالوت (٦٥٨هـ) والتتار في شقحب (٧٠٢هـ) ، وهزيمة لويس التاسع وأسره في دمياط (٦٤٨هـ) وفتح عكا (٦٩٠هـ) وتطهير جميع السواحل الشامية من الغزاة الصليبيين إلى الأبد .

واستمروا من عام (٧٠٣هـ) إلى (٧٨٤هـ) يخضعون البلاد والعباد بهاجس الخطر الصليبي ، الذي يغيب ويظهر ، بعد أن تجمعت فلوله في جزيرة قبرص .

وامتدت حدود الدولة المملوكية من اليمن جنوباً إلى حدود الدولة العثمانية شمالًا ، ومن الفرات شرقاً إلى برقة غرباً ، وظهرت قوتهم في توحيد الشام ومصر ، والتشرف بإخضاع الحجاز ؛ لخدمة الحرمين الشريفين . أما بقية الأقاليم فتخضع لعاصمة الحكم في القاهرة بدرجات متفاوتة .

وقد عاصر ابن كثير من ولادته إلى وفاته (٥) خمسة من الخلفاء العباسيين ، و (١٥) خمسة عشر سلطاناً ، و (٢٠) عشرين نائباً في دمشق ، وسنلقي الضوء على هذه الفترة الزمنية من خلال التعرف على الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والعلمية ، والفكرية .

---

(١) السلطان الظاهر بيبرس هو أول من عمل على إحياء الخلافة العباسية بمصر بدءاً من سنة ٦٥٩هـ .

١ ـ الحياة السياسية :

وقد بدأنا بها لأنها التي توجد الاستقرار والأمان ؛ لحياة اجتماعية فارهة ، وحياة علمية متوهجة ، وحياة فكرية متوقدة .

وهي التي إذا اضطربت وضعفت ، وانعدمت الشورى ، وافتقدت العدالة ، وخاب الرأي الحر الغيور عن الحكام ؛ انقلبت حياة الناس إلى ظلم وتعاسة ، وفقر بائس ، وركود علمي ، وجمود فكري .

ومن المؤسف حقاً أن المماليك البحرية بدأوا تفرُّدهم بالحكم بالخيانة والغدر والتآمر والقتل ، واستمر هذا حال الأمراء فيما بينهم ، لا يستثنى من ذلك سوى مدة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعد عودته للمرة الثالثة (٧٠٩ ـ ٧٤١هـ) ، ومدة حكم النائب سيف الدين تنكز في دمشق (٧١٢ ـ ٧٤٠هـ) .

فالخليفة : رمز شكلي يبايع السلطان ، ويعيش في ظله ، ولا يملك من أمور الدولة الداخلية أو الخارجية شيئاً ، ويحمل لقباً فخماً ، كما حمل أجداده من بني العباس ؛ كالمستكفي بالله الأول (٧٠١ ـ ٧٣٦) والواثق بالله الأول (٧٣٦ ـ ٧٤٢) والحاكم بأمر الله الثاني (٧٤٢ ـ ٧٥٣) والمعتضد بالله الأول (٧٥٣ ـ ٧٦٣) والمتوكل على الله الأول (٧٦٣ ـ ٧٨٥) .

والسلطان : هو الحاكم الفعلي ، والذي يملك مقاليد الأمور السياسية الداخلية والخارجية ، وتجبى الأموال إلى قصره ، ولذلك يكون عرضة للقتل أو الخنق إذا كان ضعيفاً أو صغيراً ، أو لم يستطع أن يلبي متطلبات الأمراء من حوله وفوق رأسه ، أو كان فاسقاً أو فاجراً يعلن مبررات خلعه ، أو كان خائناً غادراً يعرض الأمة والبلاد للخطر الداهم ، فتسقط عند الناس هيبته ، ويطيح المتربصون برأسه . وإذا كان السلطان المنصور قد تمكن من تأسيس أسرة حاكمة ، واستمرت في السلطنة (١٠٥) سنوات ، فإن ابنه محمد هو الوحيد الذي حكم بقوة ومات على فراشه ، وإن ستة من أولاد الناصر وأحفاده كانوا ضعافاً فخلعوا ، وأربعة قتلوا ، واثنان فقط ماتوا ميتة طبيعية .

والنائب في دمشق[1] : هو المتنفذ طالما استقر به الحال ، وهدأت من حوله العواصف ، وجمع الثروات والعقارات ، ولكن المؤامرات والوشايات له بالمرصاد ، فيأمر السلطان بمسكه ومصادرته وقتله ، وقد استثني النائب تنكز ، فقد طالت مدته ، وظهر العدل والاطمئنان في نيابته ، وأصبح السلطان يخطب وده ، ويكاتبه بألقاب الفخامة وعلو الجناب[2] ، ولكن قبض عليه حين

---

(١) أكثر من نصف النواب الذين حكموا دمشق ، وعاصرهم ابن كثير كانوا يحملون لقب « سيف الدين » .
(٢) كتب له مرة يقول : « أعز الله أنصار المقر الكريم العالي » بدائع الزهور (ص ١٤٦) .

تغير خاطر الناصر عليه في أواخر نيابته ، ودبَّت عقارب الفتن بينهما ، فصودر وسُجن بالإسكندرية ، حيث مات ، قيل مخنوقاً ، وقيل : مسموماً ، وقيل : غير ذلك ، في المحرم سنة ٧٤١ هـ ، وتأسف الناس عليه كثيراً وطال حزنهم عليه[١] .

٢ ـ الحياة الاجتماعية :

ارتاح الناس من الخطر القادم من الشرق أو الشمال بعد الانتصار على التتار في مرج الصفر جنوب دمشق سنة (٧٠٢هـ) ، وبقيت عيونهم مسَمَّرة على الساحل الغربي حيث طيف الخطر الصليبي . وآثار التدمير المغولي والتخريب الصليبي ماثل للعيان ، وأوصال الأمة متقطعة ، والأخبار منقطعة ، وبخاصة في هذا القرن الثامن ، فالقارئ لتاريخ ابن كثير لا يجد أي أخبار عن بغداد أو عن بلاد المغرب ، وكأن العالم اختصر في دمشق والقاهرة .

والبعد الزمني عن الهجرة النبوية والقرون الخيِّرة الأولى ، أدى إلى اختلاف وانقسام ، وضعف في التطبيق العملي لمبادئ الإسلام .

فالحاكم السلطان ونوابه يتفننون في فرض الضرائب ، ويتوسعون في منح الإقطاعات ، لضمان جمع أكبر قدر من الأموال ، مما يزيد في تراجع الزراعة ، وتخلف الصناعة ، وإفلاس التجارة ، وتفشي البطالة ، وغلاء الأسعار .

والمرأة يرتكس دورها في بناء الأسرة وصلاح المجتمع ، فتتطلع إلى حبس زوجها إذا عجز عن النفقة ، أو تأخر عن طلبها مؤخر صداقها ، وتلبس الثياب ذات الأكمام العريضة والأزرار الحريرية ، والأحذية المزركشة ، التي تثير الغرائز أو تكشف عن المفاتن ، مما يستدعي تدخل السلطان[٢] ومنعها . وربما يسهم الفقر في انتشار البغاء ، وظهور نساء متنفذات يضمنَّ عمل البغايا ، ثم يُبطل السلطان ذلك ، وتنتشر الأغاني الخليعة وما يصاحبها من فسق وخمر ، رغم فتاوى العلماء بتحريم ذلك ، وكتابتهم أن هؤلاء المغنين هم « نوَّاحو جهنم » وأن السامعين لهم يُعذَّبون في قبورهم ، ويُحاسبون يوم حشرهم .

وتزداد الحياة الاجتماعية سوءاً بتعرُّض البلاد لكثير من الجوائح والكوارث الطبيعية ، كالفيضانات والزلازل والجراد ، وإصابتها بالمجاعات والأوبئة ؛ كالطاعون الذي يحصد الناس حصداً ، ويذهب منهم في اليوم الواحد بالمئات والألوف .

والناس الفقراء والمتبطلون يتبلَّد حسُّهم الجماعي ، ويرضون بالواقع المر والظلم الغاشم ،

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٦/ ٢٩٢) .
(٢) المصدر السابق (١٦/ ٣٥٢) .

ويغيبون عن المطالبة بأي تغيير ، أو إحداث أي تأثير ، مع أنهم في بعض الاستقبالات أو المآتم يحضرون ويتحركون .

٣ ـ الحياة العلمية :

وفي هذا الجو المظلم المكفهر كانت الحياة العلمية مزدهرة تعطي أطايب الثمار وأفضل النتائج ، والعلماء يتمتعون بتكريم الحكام ، واحترام الرعية ، والمدارس الكثيرة تُبنى وتوقف لها الأوقاف ، وتُرصد لها الأموال ، ذلك أن المماليك كانوا يتقرَّبون إلى الناس برفع منزلة العلماء وتقديم الجوائز والوظائف الدينية للمتفوقين وذوي السمعة الطيبة منهم ، وبخاصة في أوقات الشدة ، وعندما يحتاجون إلى تأثير العلماء ونفوذهم القوي على عامة المسلمين .

وتتجلى للمتأمل في الحياة العلمية خلال القرن الثامن الظواهر التالية :

الأولى : عظمة هذا الدين الإسلامي وخلوده ، وأنه صخرة منيعة ، تتحطم عليها مطامع الغزاة ومعاول الهدَّامين والمخربين ، لقد امتحن الإسلام في هذا العصر ، وخرج من أقسى المحن وأشد الخطوب سالماً منتصراً، وأثَّر حتى في أعدائه القساة الحاقدين عليه، فاعتنقوه وانضووا تحت لوائه.

الثانية : نشاط العلماء في هذا العصر ، وكثرتهم وكثرة تآليفهم ، وقد وصلوا بكتبهم بين ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها ، وأثبتوا صلابة مواقفهم وأنهم لم تقهرهم روح اليأس مما يُحيط بهم من ظلمات وأحوال .

الثالثة : الخلافات الاعتقادية لا سيما بين السنة والشيعة ، وبين المذاهب الفقهية ، كل ذلك أضعف الحياة العلمية ، واستنفد أوقاتاً وجهوداً عظيمة ، جعلت الماضي عبئاً على الحاضر ، ولم يُفد واقع الأمة ولا مستقبلها شيئاً مذكوراً .

الرابعة : بعض الفرق الصوفية التي لا تلتزم الكتاب والسنة ، حجرت على عقول الناس وأفكارهم ، ومنعت كل تطور وإصلاح ، واستهلكت أوقات العلماء وأعمارهم في تآليف وردود ؛ لكشف البدع ، وبيان زيف الخرافات ، وتجاوز المظاهر والقشور .

الخامسة : الاقتصار على العلوم الشرعية ، وعدم الاهتمام بالعلوم الكونية ، وغياب شمس الحضارة التي سبق وسطعت في بغداد ، وملأت الآفاق بنورها الشامل الوهَّاج .

علماً بأن تحصيل العلوم الدنيوية ، والنهوض بالصناعة وحيازة أسباب القوة مطلب شرعي ، إذ هي فروض الكفاية المضيعة ، والتي تزيد المسلمين ضعفاً وتخلُّفاً .

٤ ـ الحياة الفكرية :

لم تثمر الحياة العلمية في القرن الثامن الهجري حياة فكرية متوثبة أو متوقدة ، بل بقيت مظاهر

الجمود والتخلف الفكري واضحة وراسخة ؛ فالتعليم يقوم على حفظ المتون ، والتآليف قاصرة على الشرح أو الاختصار ، أو صنع الحواشي والهوامش ، والطلاب الجدد لا يعرفون أي تجديد وابتكار ، وهذا ما لاحظه الشيخ محمد أبو زهرة على الحياة العلمية وآثارها الفكرية ؛ فقال :

« وإذا كانت القرون الثلاثة ـ ٦ و ٧ و ٨ ـ قد امتازت بشيء ، فقد امتازت بكثرة العلم ، لا بعمق الفكر ، فقد كانت المعلومات كثيرة ، وتحصيلها كان بقدر عظيم ، وعكوف الناس عليها كان كبيراً . ولكن التفكير المطلق في مصادرها ومواردها ، والمقايسة بين صحيح الآراء وسقيمها مقايسة حرة نزيهة من التعصب الفكري ، والتحيز المذهبي ، بالنظر الفاحص المجرد ، أو النظر الذي يعم كلَّ الجوانب ، لم تكن بقدر يتناسب مع تلك الثروة المثرية التي توارثتها الأجيال »[١] .

ولا بد هنا ونحن نتصور الحياة الفكرية من تسجيل الملاحظات التالية :

الأولى : وجود التعصب المذهبي بين المذاهب الأربعة ، وبين أهل المذهب الواحد أحياناً .

الثانية : الخلاف بين الشيخ ابن تيمية وتلاميذه وبين المتصوفة وبعض الفقهاء ، مما أدى إلى سجن ابن تيمية ثلاث مرات ، إحداهن بمصر ، وسجن الحافظ المزي ، وابن القيم في دمشق ، بسبب اجتهادات فرعية فقهية ، تدل على تحجر وضيق أفق .

الثالثة : الاهتمام بعلم التاريخ ، ولكن من غير تجديد ولا نقد ـ باستثناء ابن خلدون والمقريزي ـ والاقتصار على التذييل والاختصار ، مما عطَّل هذا العلم العظيم عن تحريك بناء الأمة ، وتوحيدها ، ودفعها إلى بناء الحضارة وتوحيد الشمل من جديد .

الرابعة : التأثر بعقائد الأمم والأجناس المختلفة ، والخوض في علم الكلام ، والتأثر بالمنطق الصوري ، والانزلاق إلى متاهات الجبر والاختيار ، والتأويل والتفويض ، والتجسيم والتعطيل . . والإبقاء على الآراء المختلفة معلَّقة ، تقسم الصف ، وتهدد المستقبل ، وتنذر بالفناء .

(١) ابن تيمية ، للدكتور محمد أبو زهرة (ص ١٥٤) .

ثانياً : اسمه ونسبه

هو الحافظ الحجَّة ، والمُفسِّر العمدة ، والمحدِّث الثقة ، والمؤرِّخ الموضوعيّ ، والفقيه المستحضر ، عماد الدين ، أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، بن ضَوْ بن درع[1] القرشي ، الحَصْلي ، البُصروي ، الدِّمشقي ، الشافعي ، المعروف بابن كثير .

فهو عربي « قرشي » لأن بني حَصْلة ينتسبون إلى الشرف ، وبأيديهم نسب ، وقد وقف على بعضها الشيخ أبو الحجاج جمال الدين المِزِّي ، فأعجبه ذلك وابتهج به ، فصار يكتب في نسب ابن كثير « القرشي »[2] .

وهو « بُصروي » : لأن أباه من « بصرى » وهي بلدة قديمة بالشام من أعمال دمشق ، وتقع في الجنوب الشرقي من سورية ، وثاني مدينة بعد « درعا » في منطقة حوران ، وتبعد عن دمشق حوالي (١٣٧) كم .

وهو بعد ذلك « دمشقي » : لأنه سكن دمشق ، ونشأ فيها ، ثم توفي ودُفن فيها .

---

(١) كذا في طبقات المفسرين ؛ للداودي (١/ ١١) وإنباء الغمر بأبناء العمر ، لابن حجر (١/ ٤٥) وفي شذرات الذهب ، لابن العماد (٨/ ١٩٧) وذيل تذكرة الحفاظ ؛ للحسيني (ص ٥٧) ابن ذُرَع . وفي الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ؛ لابن حجر (١/ ٣٩٩) « القيسي » وفي نسخة « العبسي » .

(٢) البداية والنهاية (١٦/ ٣٥) .

ثالثاً : ولادته ونشأته

• **ولادته :**

ولد ابن كثير بقرية « مَجْدَلْ »[١] وهي قرية شرقي مدينة « بصرى » سنة ٧٠١هـ ، ولم يُنقل لنا شيء عن تحديد اليوم أو الشهر الذي وُلد فيه ، بل إن بعض من ترجم له لم يجزم في تحديد سنة ولادته ، فالإمام الذهبي يقول في « طبقات الحفاظ » : ولد بعد السبعمئة أو فيها[٢] . والحافظ ابن حجر يقول في « الدرر الكامنة » : ولد سنة سبعمئة أو بعدها بقليل[٣] .

وهذا التاريخ لولادة ابن كثير مستنبط من كلامه هو ، حيث يقول في ترجمة أبيه المتوفىٰ سنة ٧٠٣ هـ : « وكنتُ إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها ، لا أدركه إلا كالحلم »[٤] والذي يدقق النظر في كلامه : « ابن ثلاث سنين أو نحوها » يترجح لديه أن تكون ولادته في سنة ٧٠١هـ لا في سنة ٧٠٠هـ ، إلا أن يكون قد وُلد في أواخر السبعمئة ، وتوفي أبوه في أوائل سنة ٧٠٣هـ . ويرى أحمد محمد شاكر في « عمدة التفسير » : أن ولادة ابن كثير كانت سنة ٧٠٠هـ أو قبلها بقليل ، ورجَّح ذلك من عبارة ابن كثير نفسها : « لا أدركه إلا كالحلم » فقال : الذي هو في سن أقل من الثلاث ، ما أظنه يذكر شيئاً كالحلم ولا أبعد من الحلم ولا أقرب ، فهو حين موت أبيه قد جاوز الثالثة في أكبر ظني[٥] . وقال : وابن ثلاث سنين لا يعرف تواريخ السنين على اليقين في تلك السن ، فقد سمع إذن تحديد السنة التي مات فيها أبوه ممن حوله من إخوة وأهل وجيران[٦] .

ولكننا نعود فنؤكد سنة ٧٠١هـ ، لأنها من تحديد المؤلف ابن كثير ، حيث نجده يقطع الشك باليقين ، ويقول في أواخر سنة (إحدى وسبعمئة) : وفيها وُلد كاتبه إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي[٧] .

---

(١) وتعرف الآن باسم (الجدل) وهي بجوار بلدة (القُرَيَّة) وكلتاهما تقعان في السفح الجنوبي الغربي لجبل العرب . وهما تابعتان إدارياً لمحافظة السويداء .

(٢) تذكرة الحفاظ ؛ للذهبي (٤/ ١٥٠٨) .

(٣) الدرر الكامنة (١/ ٣٩٩) .

(٤) البداية والنهاية (١٦/ ٣٥٠) .

(٥) عمدة التفسير (١/ ٢٣) .

(٦) عمدة التفسير (١/ ٢٣) .

(٧) البداية والنهاية (١٦/ ١٩) .

- **نشأته :**

أما نشأته الأولى فكانت في قرية « مَجْدل » أو « مِجْدل » أو « مجيدل القُرَيَّة »[(١)] وتقع شرقي مدينة بصرى ، وهي موطن أمه ، انتقل إليها والد ابن كثير في أواخر حياته ، وعمل بها إماماً للصلوات وخطيباً للجمع والأعياد ، وبقيت الأسرة بعد وفاته مقيمة بها حوالي أربع سنين ، ثم تحوَّلت إلى دمشق سنة ٧٠٧هـ ، وغادر ابن كثير هذه القرية بعد أن ملأ قلبه وفكره من ذكريات الطفولة فيها ، وحفظ ما يتحدَّث الناس به عن خطب والده المؤثرة ، وسمع ما يحفظونه من أقواله وشعره ، وقصَّ عليه إخوته أن أباه سمَّاه إسماعيل تيمناً بأن يكون كأخيه الكبير طالب علم ، الذي اختطفته يد المنون بعد أن قطع في طريق طلب العلم شوطاً بعيداً ، فتطلَّعت نفسه منذ ذلك السن المبكر إلى السير في هذا الطريق ، والارتواء من منهله العذب ، فيقر بذلك عينَ والده في قبره ، ومن ثَمَّ يصبح بين الناس كأبيه شيئاً مذكوراً .

وأما نشأته الثانية والمؤثِّرة ، فكانت في دمشق الشام ، فارتحل إليها مع أخيه الشقيق عبد الوهاب المحب الشفوق ، الذي كان بمثابة الأب والمعلم الأول له ، واستمر في ملازمته والاستفادة منه مدة طويلة ، ولنسمع المؤرخ ابن كثير يحدثنا عن ذلك فيقول : « ثم تحوَّلنا من بعدُ ـ أي من بعد وفاة الوالد ـ في سنة ٧٠٧هـ إلى دمشق صحبة كمال الدين عبد الوهاب ، وكان لنا شقيقاً ، وبنا رفيقاً شفوقاً ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين وسبعمئة ، فاشتغلت على يديه في العلم ، فيسَّر الله تعالى على يديه ما تيسَّر ، وسهَّل منه ما تعسَّر »[(٢)] .

ويُحدِّد ابن كثير مكان سكناهم في دمشق ، ولكن بأسماء قد تبدلت وعفَّى عليها الزمن فيقول :

« في هذه السنة ٧٠٧هـ كان قدومنا من بُصرى إلى دمشق بعد وفاة الوالد ، وكان أول ما سكنا بدرب سقُّون الذي يُقال له درب ابن أبي الهيجاء بالصاغة العتيقة عند الطيوريين »[(٣)] .

ويقول في ترجمة الشيخ محيي الدين بن عبد الله بن صفي الدين إبراهيم بن مرزوق المتوفى سنة ٦٦٢هـ :

« داره التي جعلت مدرسة للشافعية ، وقفها الأمير جمال الدين آقوش النَّجِيبي التي يقال لها « النجيبية » ـ تقبَّل الله منه ـ وبها كانت إقامتنا ، جعلها الله داراً تعقبها دار القرار في الفوز العظيم »[(٤)] .

---

(١) المصدر السابق (١٦/ ٣٦) .
(٢) البداية والنهاية (١٦/ ٣٧) .
(٣) المصدر السابق (١٦/ ٦٤) .
(٤) المصدر السابق (١٥/ ٤٠١) .

ولم ينشأ أبو الفداء في دمشق غريباً ، ثم يرحل عنها غريباً ، بل قضى عمره في ربوع دمشق يكتب تاريخها ، فيُغني بكلماته أفراحها وانتصاراتها ، ويبكي أحزانها وأتراحها . ويصف لنا من خلال الصراع على الحكم قلعتها وأبوابها ، وطرقها وساحاتها ، ويترجم ما يراه في عيون سكانها وهم يودِّعون والياً مخلوعاً ، أو يستقبلون حاكماً جديداً ، أو يشهدون نائباً متمرِّداً أو آخر غادراً .

ويُدعى ابن كثير بعد أن تخرج من محراب العلم إلى مجالس العلم والتحكيم ، وهي تقام في بساتين دمشق الساحرة ، أو في قاعات قصورها الشامية الفسيحة .

ويتطلع أهل دمشق إلى الاستفادة من حفظ ابن كثير واستحضاره، فيعتلي منابر المساجد خطيباً، ويدخل المدارس المتخصصة مدرساً ورئيساً ، ويجلس في مسجد بني أمية تحت قبة النسر مفسِّراً ومحدِّثاً . فأيُّ مغاني خير وبركة كانت تنتظره في دمشق ، فتفتح نفسه على العلم بنهم زائد، وتمنحه قلم الفقيه الورع والمؤرخ المسؤول ، فيعيش للفيحاء أكثر مما يعيش فيها . ودمشق حين سكنها ابن كثير ونشأ فيها معدن العلم وموئل العلماء ، فتحت صدرها للأساتذة الكبار العائذين بها من وجه الفرنجة والتتار ، فأصبحت عشاً ومأمناً لهم ، وتلقتهم مدارسها بالترحاب ، فملؤوها علماً وكتباً ، وكان من علمائها الكبار المحدِّث الثقة أبو الحجاج المزي ، والفقيه الشافعي الحجة تاج الدين الفزاري ، والعالم المجدد ابن تيمية ومن جاء بعده من تلاميذه المشهورين كابن القيم وابن كثير .

ويهمنا أن نثبت هنا البدايات في تحصيله العلمي إبان نشأته :

ـ ختم القرآن الكريم حفظاً سنة ٧١١هـ على الشيخ محمد بن أبي الحسن البعلبكي[1] الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٠هـ .

ـ وتعلَّم القراءات على الشيخ محمد بن جعفر[1] اللَّبَّاد المتوفى سنة ٧٢٤هـ .

ـ وتعلَّم الكتابة على الشيخ نجم الدين موسى بن علي[1] المتوفى سنة ٧٢٣هـ .

---

(١) انظر ترجمة وافية لكل من هؤلاء الشيوخ في فقرة خامساً « شيوخه » الآتية (ص 23) .

رابعاً : أسرته

• ونبدأ بالتعرُّف على أفراد أسرته التي تحدَّر منها ، وهم :

أبــوه :

قال ابنه : « الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير ، ولد في حدود سنة ٦٤٠هـ ، واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى ، فقرأ « البداية » في مذهب أبي حنيفة ، وحفظ « جمل الزجَّاجي » وعُني بالنحو والعربية واللغة ، وحفظ أشعار العرب ، حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمراثي ، وقليل من الهجاء ، وقرَّر بمدارس بصرى بمَبْرك الناقة[1] شمالي البلدة ، حيث يُزار ، وهو المَبْرك المشهور عند الناس ، والله أعلم بصحة ذلك . ثم انتقل إلى خطابة القُرَيَّة شرقي بصرى ، وتمذهب للشافعي ، وأخذ عن النواوي ، والشيخ تقي الدين الفزاري ـ وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرني شيخنا العلاَّمة ابن الزملكاني ـ فأقام بها نحواً من ١٢ سنة ، ثم تحوَّل إلى خطابة « مجدل » القرية التي منها الوالدة ، فأقام بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة ، وكان يخطب جيداً وله مقول عند الناس ، ولكلامه وقع ؛ لديانته ، وفصاحته ، وحلاوته . وكان يُؤثر الإقامة في البلاد ؛ لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعياله . توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ٧٠٣هـ في قرية مجدل ، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتونة »[2] .

إخوته وأخواته :

ونستمر بالإصغاء إلى الحافظ ابن كثير وهو يُحدثنا عن إخوته وأخواته فيقول :

« وقد وُلد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها . أكبرهم إسماعيل ، ثم يونس ، ثم إدريس . ثم من الوالدة : عبد الوهاب ، وعبد العزيز ، وأخوات عِدَّة . ثم أنا أصغرهم ، وسُمِّيتُ باسم الأخ « إسماعيل » لأنه كان قدم دمشق ، فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده ، وقرأ مقدمة في النحو ، وحفظ « التنبيه » وشرْحَه على العلامة تاج الدين الفزاري، وحصَّل «المنتخب» في أصول الفقه ، قاله لي شيخنا ابن الزملكاني . ثم إنه سقط من سطح الشَّامية البرانية ، فمكث أياماً ومات ، فوجد الوالد عليه وجداً كثيراً ، ورثاه بأبيات كثيرة ، فلما وُلدت أنا له بعد ذلك سمَّاني

---

(١) أي : ناقة النبي ﷺ .
(٢) البداية والنهاية (١٦/ ٣٧) .

باسمه ، فأكبر أولاده إسماعيل ، وأصغرهم وآخرهم إسماعيل ، فرحم الله من سلف ، وختم بخير لمن بقي »[1] .

ولم يعرف من أحوال أفراد هذه الأسرة إلَّا ثلاثة : الأخ الأكبر إسماعيل من الزوجة الأولى ، والأخ الأصغر إسماعيل المؤلف والمؤرخ المشهور ، والأخ الثالث عبد الوهاب ، وهو الأخ الشقيق والأكبر من الزوجة الثانية ، الذي تحمَّل مسؤولية الأسرة ، وارتحل بهم إلى دمشق طلباً للرزق واستكمالاً للعلم ، ووصفه ابن كثير بالرفق والشفقة ، وقد اشتهرت من أولاد عبد الوهاب هذا بنت هي ست القضاة أم عيسى (٧٣٠ ـ ٨٠١هـ) التي تميزت بالعلم والمعرفة والثقافة الدينية ، فقد حدَّثت بالإجازة عن القاسم بن عساكر ، والحجَّار ، وعلي الواني ، والمِزّي ، والشرف ابن حافظ ، وغيرهم . وقد سمع منها الفضلاء ، وأجازت لابن حجر فيمن أجازت[2] .

● وأما أسرته التي أسسها في دمشق ، فاختار لها الزوجة الصالحة ، وأنجب الأولاد البررة ، وأفرادها هم :

زوجه :

أمة الرحيم زينب ، بنت الشيخ جمال الدين المِزِّي المتوفى سنة ٧٤٢هـ ، وهو شيخه في علم الحديث ، ولم يسجل ابن كثير في « البداية والنهاية » تاريخ زواجه ؛ وإنما ذكر اسمها ، وأنها حفظت القرآن مع أمها أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق ، على الشيخة الصالحة العابدة أم زينب فاطمة بنت عباس التي ختَّمت القرآن لنساء كثيرات[3] ، والمتوفاة سنة ٧١٤هـ ، وسمعتْ من والدها الكثير من الأجزاء والكتب الكبار ، منها « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » حيث نجد اسمها ضمن من سمعوا هذا الكتاب على المؤلف[4] . وقد أرَّخ ابن كثير لوفاة حماته سنة ٧٤١هـ . كما نقل عن زوجه زينب حادثة وفاة أبيها الشيخ أبي الحجاج[5] المزي ، يرحمه الله تعالى .

أولاده :

الأول : عمر ، وهو أكبر أولاده . قال ابن حجر في ترجمته : « عُني بالفقه ، وكتب تصانيف أبيه ، وولي الحِسْبة مراراً ، ونظرَ الأوقاف ، ودرَّسَ بعدة أماكن ، وعاش خمساً وأربعين سنة ، مات في رجب سنة ٧٨٣هـ »[6] .

---

(١) البداية والنهاية (١٦/ ٣٦) .

(٢) الضوء اللامع ، للسخاوي (١٢/ ٥٧) وشذرات الذهب (٩/ ١٨) .

(٣) البداية والنهاية (١٦/ ٢٩٧) .

(٤) تنظر مقدمة الدكتور بشار لكتاب تهذيب الكمال .

(٥) البداية والنهاية (١٦/ ٢٩٧) .

(٦) إنباء الغمر بأبناء العمر ؛ لابن حجر (٣/ ٧٥) .

وذكر ابن حجر في ترجمة ابن كثير[١] : أن ابنه عمر نسخ له مسند الإمام أحمد الذي رتبه ابن المحب الصامت المتوفى سنة ٧٨٩هـ على ترتيب حروف المعجم ، وكانت هذه النسخة أصلاً لأبيه في تأليف كتابه الكبير « جامع المسانيد والسنن » ثم بيَّض عمر هذا الكتاب الجامع ، ورأى ابن حجر النسختين بخط عمر .

الثاني : زين الدين عبد الرحمن المتوفى سنة ٧٩٢ هـ ، أشار إليه ابن فهد في كتابه « لحظ الألحاظ »[٢] واكتفى بالتصريح بأنه مات ودفن في دمشق .

الثالث : بدر الدين أبو البقاء محمد بن الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير ، ولادته بدمشق سنة ٧٥٩هـ ووفاته بها سنة ٨٠٣هـ . ذكر السخاوي في « الضوء اللامع » وابن العماد في « شذرات الذهب »[٣] أنه وُلد بدمشق ، ونشأ بها ، واشتغل وطلب ، وتخرَّج بابن المحبّ ، وسمع الكثير من ابن أميلة ، والصلاح بن أبي عمر ، وغيرهما من أصحاب الفخر ، ورحل إلى القاهرة ، فسمع من بعض شيوخها ، وتميَّز في هذا الشأن قليلاً ، وشارك في الفضائل ، مع خط حسن معروف جيد الضبط[٢] . إلا أنَّ ابن حجي قال : لم يكن محمود السيرة ، ودرَّس بعد أبيه في تربة أم صالح ، وعلَّق تاريخاً للحوادث التي في زمنه ، ذكر فيه أشياء غريبة . وقال الحافظ ابن حجر : سمعت من فوائده ، وسمع بقراءتي في دمشق ، ومات في سن الكهولة عن أربع وأربعين سنة بالرملة فارًّا من دمشق »[٢] . ولعله فرَّ من دمشق في الفتنة التيمورية ، حيث دخل تيمورلنك دمشق في ربيع الثاني من عام ٨٠٣ هـ ، ورحل عنها في شعبان من نفس السنة .

الرابع : تاج الدين عبد الوهاب ، وُلد سنة ٧٦٧هـ ، وتوفي سنة ٨٤٠هـ ، وقال السخاوي في ترجمته : « سمع من أبيه ، والمحب الصامت ، وأحمد بن عبد الغالب الماكسيني ، وابن أميلة ، وحدَّث فسمع منه الفضلاء »[٤] .

الخامس : شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عمر بن كثير ، ذكره السخاوي[٥] في ترجمة ابنته المحدثة أسماء التي كانت سبباً في ذكر اسم أبيها وعدم نسيانه للأجيال المتأخرة ، وهي التي تولَّت تربيتها وتعليمها ستُّ القضاة أم عيسى بنت عبد الوهاب ، والتي تقدم ذكرها قريبا[٦] .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) المصدر السابق (١/ ٤٧) .
(٢) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفَّاظ ؛ لابن فهد (ص ١٧٨) .
(٣) الضوء اللامع ؛ للسخاوي (٧/ ١٣٨) ، وشذرات الذهب ، لابن العماد (٩/ ٥٧) .
(٤) الضوء اللامع ؛ للسخاوي (٥/ ٩٨) .
(٥) المصدر السابق (٥/ ٩٨) .
(٦) انظر المقدمات (ص 23) .

خامساً : شيوخه وتلاميذه

أ ـ شيوخه :

تمهيد : اتجه ابن كثير في دراسته إلى العلوم الشرعية ، وبخاصة الفقه والحديث ، وما يتصل بهما من علوم القرآن والسنة واللغة العربية ، وهو الاتجاه السائد في عصره ، يدفعه إلى ذلك نشأته الأولى في أسرته ، وبخاصة أخوه وشيخه الأول عبد الوهاب ، يضاف إلى ذلك أنه طالب علم نبيه ومتفوِّق ، فهو كثير الحفظ ، قليل النسيان ، صحيح الذهن ، مما يفسر العلاقة الحميمة بينه وبين شيوخه ، الذين أحبُّوه وشجَّعُوه على الصبر والمثابرة ، وكان لهم أثر كبير في تكوين شخصيته العلمية ؛ كالمؤرخ الذهبي ، والمحدِّث المزي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وسنذكر فيما يلي تعريفاً مختصراً بمشايخه ، وهم صفوة العلماء في عصره ، مرتبة أسماؤهم حسب سني وفاتهم ، فنبدأ بالأقدم وفاة ، حريصين كل الحرص على أن يكون التعريف بقلم ابن كثير ومن خلال تأريخه العظيم « البداية والنهاية » :

١ ـ موسى بن علي بن محمد الحَلَبي ، نجم الدين ، الدمشقي المتوفى سنة ٧١٦هـ :

قال ابن كثير : « الكاتب الفاضل المعروف بالبُصْبُص ، شيخ صناعة الكتابة في زمانه ، لا سيما في المزوج والمثلث ، وقد أقام يُكتِّبُ الناسَ خمسين سنة ، وأنا ممن كتب على يديه أثابه الله ، وكان شيخاً حسناً ، بهيَّ المنظر .. توفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة ، ودفن بمقابر الباب الصغير ، وله خمس وستون سنة »(١) .

٢ ـ زكريا بن يوسف بن سليمان بن حمَّاد ، ركن الدين البجلي الشافعي ، المتوفى سنة ٧٢٢هـ :

لم يذكر ابن كثير العلم الذي أخذه عنه ، وإنما قال : « شيخنا العلامة الزاهد ركن الدين ، بقية السلف ، نائب الخطابة ، ومدرس الطيبية والأسدية ، وله حلقة للإشغال(٢) بالجامع ، يحضر بها عنده الطلبة ، كان يشغل بالفرائض وغيرها ، مواظباً على ذلك ، توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى عن سبعين سنة ، ودفن قريباً من شيخه تاج الدين الفزاري ـ رحمهما الله ـ »(٣) .

---

(١) البداية والنهاية (١٦/ ١٢١) .

(٢) الإشغال هو التعليم ، والاشتغال : طلب العلم .

(٣) البداية والنهاية (١٦/ ١٥٩) .

٣ ـ عبد الله ، ضياء الدين ، الدَّرْبَنْدِي النحوي ، المتوفى سنة ٧٢٣هـ :

أخذ عنه علم النحو ، وقال : « كان قد اضطرب عقله فسافر من دمشق إلى القاهرة ، فأشار شيخ الشيوخ القونوي فأُودع بالمارستان ، فلم يُوافق ، ثم دخل إلى القلعة وبيده سيف مسلول فقتلَ نصرانياً ، فحُمل إلى السلطان وظنوه جاسوساً ، فأمر بشنقه فشُنق ، وكنتُ ممن اشتغل عليه في النحو »[١] .

٤ ـ محمد بن محمد بن محمد ، شمس الدين ، أبو نصر الشيرازي ، المتوفى سنة ٧٢٣هـ :

أخذ عنه الحديث ، وقال : « شيخنا الأصيل شمس الدين ، أبـو نصر محمد بن عمـاد الدين أبي الفضل محمد بن شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله محمد بن يحيى بن بندار بن مميل الشيرازي ، مولده في شوال سنة تسع وعشرين وستمئة ، وسمع الكثير وأسمع ، وأفاد في عليّة شيخنا المِزي تغمده الله برحمته ، قرأ عليه عدة أجزاء بنفسه ، وكان شيخاً حسناً خيِّراً ، متواضعاً ، مباركاً ، يُذَهِّبُ الربعات والمصاحف ، له في ذلك يد طولى ، ولم يتدنَّس بشيء من الولايات ، ولا تدنِّس بشيء من وظائف المدارس ولا الشهادات إلى أن توفي يوم عرفة ببستانه من المزة ، وصلِّي عليه بجامعها ، ودُفن بتربتها ـ رحمه الله ـ »[٢] .

٥ ـ عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي ، المعروف بابن قاضي شهبة ، المتوفى سنة ٧٢٦هـ :

تفقَّه عليه ابن كثير ، لأنه كان ينوب عن الشيخ تاج الدين الفزاري في حلقته ، وله حلقة خاصة ، قال عنه : « وُلد بحوران في سنة ثلاث وخمسين وستمئة ، وقدم دمشق ، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ولازمه ، وانتفع به ، وأعاد بحلقته ، وتخرَّج به ، وكذلك لازم أخاه الشيخ شرف الدين ، وأخذ عنه النحو واللغة ، وكان بارعاً في الفقه والنحو . . توفي بالمدرسة المجاهدية ، وبها كانت إقامته ، ليلة الثلاثاء حادي عشر ذي الحجة ، وصُلِّي عليه بعد صلاة الظهر ، ودُفن بمقابر باب الصغير »[٣] .

٦ ـ محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم ، كمال الدين ، أبو المعالي المعروف بابن الزملكاني ، المتوفى سنة ٧٢٧هـ :

أخذ ابن كثير عنه الفقه وحضر دروسه ، وقال عنه : « انتهت إليه رئاسة المذهب تدريساً وإفتاءً ومناظرة ، برع وساد أقرانه ، وحاز قصب السبق عليه بذهنه الوقَّاد ، وتحصيله الذي أسهرَه ومنعه الرقاد ، وعبارته التي هي أشهر من السهاد ، وخطه الذي هو أنضر من أزاهير المهاد . . وقال : أما

---

(١) البداية والنهاية (١٦/ ١٦٥) .
(٢) المصدرية السابق (١٦/ ١٦٩) .
(٣) المصدر السابق (١٦/ ١٩٦) .

دروسه في المحافل فلم أسمع أحداً من الناس يُدرِّس أحسن منه ، ولا أحلى من عبارته ، وحسن تقريره ، وجودة احترازاته ، وصحة ذهنه ، وقوة قريحته ، وحسن نظمه ، توفي في رمضان سنة سبع وعشرين وسبعمئة ببليس ، وحُمل إلى القاهرة ، ودُفن جوار قبَّة الشافعي رضي الله عنه »[(١)] .

٧ ـ **أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تقي الدين ، أبو العباس ، الحراني الحنبلي ، شيخ الإسلام ، المتوفى سنة ٧٢٨هـ :**

لازم ابن كثير شيخه ابن تيمية ، وأحبه حباً عظيماً ، وأخذ عنه فأكثر من آرائه ، وكان يُفتي برأيه في مسألة الطلاق ، وامتحن بسبب ذلك وأوذي .

ويقول ابن حجر العسقلاني : « وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه ، وامتحن بسببه »[(٢)] ورغم أن ابن كثير كان شافعي المذهب ، فإنه كان مخلصاً لابن تيمية ، تأثر به كل التأثر في نبذ البدع والضلالات المستحدثة ومناصرة السنة وأهلها . وفي الجزء السادس عشر من طبعتنا الجديدة للبداية والنهاية نجده يتتبع مواقف الشيخ ابن تيمية المشهودة ، وجهاده البطولي ، فيفرح لانتصاره على[(٣)] التتار وأهل البدع[(٤)] والزيغ ، ويحزن لسجنه ، ويحضر إلى قلعة دمشق عند وفاته ، ويقبل وجهه عند غسله[(٥)] ، ويصف جنازته الكبرى[(٦)] ، التي خرج فيها أهل دمشق ومن حولها من القرى يُودِّعون العالم المصلح المجاهد ، ويرى ابن كثير في هذه الحشود الحزينة أكبر انتصار لدعوة الشيخ الإصلاحية ، ولطمة مؤلمة لأعدائه وحسَّاده .

وقال ابن كثير بعد ترجمة حاشدة أخذها من تاريخ شيخه البِرْزَالي : « وعملت له ـ للشيخ ابن تيمية ـ ختمات كثيرة ورؤيت له منامات صالحة عجيبة ، ورثي بأشعار كثيرة وقصائد مطوَّلة جداً ، وقد أُفردت له تراجم كثيرة ، وصنَّف في ذلك جماعة من الفضلاء ، وسألخص من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه ، وفضائله ، وشجاعته ، وكرمه ، ونصحه ، وزهادته ، وعبادته ، وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة ، وصفاته الكبار والصغار ، التي احتوت على غالب العلوم ، ومفرداته في الاختيارات التي نصرها بالكتاب والسنة ، وأفتى بها »[(٧)] .

وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء ، وممن يُخطئ ويُصيب ، ولكن خطؤه بالنسبة إلى

---

(١) المصدر السابق (١٦/ ٢٩٧) .
(٢) الدرر الكامنة (١/ ٤٠٠) .
(٣) البداية والنهاية (١٦/ ٢٦) .
(٤) البداية والنهاية (١٦/ ٤٣) .
(٥) المصدر السابق (١٦/ ٢١٣) .
(٦) المصدر السابق (١٦/ ٢١٤) .
(٧) المصدر السابق (١٦/ ٢١٤) .

صوابه كنقطة في بحر لجيٍّ ، وخطؤه أيضاً مغفور له ، كما في صحيح البخاري « إذا اجتهدَ الحاكمُ فأصاب له أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » فهو مأجور ، وقال الإمام مالك بن أنس : كلُّ أحدٍ يُؤخذ من قوله ويُترك إلا صاحب هذا القبر(١) .

٨ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن الفَزَاري ، برهان الدين ، الشهير « بابن الفركاح » ، المتوفى سنة ٧٢٩ هـ :

سمع ابن كثير عليه « صحيح مسلم » وغيره في الحديث ، وتفقَّه عليه في المذهب الشافعي ، وقال عنه : « كان مقبلاً على شأنه ، عارفاً بزمانه ، مستغرقاً أوقاته في الاشتغال والعبادة ، كثير المطالعة وإسماع الحديث ، وقد سمعنا عليه « صحيح مسلم » وغيره ، وكان يُدرِّس بالمدرسة البادرائية ، وله تعليق على « التنبيه » ، فيه من الفوائد ما ليس يوجد في غيره ، وله تعليق مختصر على « مختصر ابن الحاجب » في أصول الفقه ، وله مصنفات في غير ذلك كبار ، وبالجملة فلم أر شافعياً من مشايخنا مثله ، وكان حسن الشكل ، عليه البهاء والجلالة والوقار ، حسن الأخلاق ، فيه حدَّة ثم يعود قريباً ، وكرمه زائد ، وإحسانه إلى الطلبة كثير . .

توفي بكرة يوم الجمعة سابع جمادى الأولى بالمدرسة المذكورة ، وصُلِّي عليه عقب الجمعة بالجامع ، وحُملت جنازته على الرؤوس وأطراف الأنامل ، وكانت حافلة ، ودُفن عند أبيه وذويه بباب الصغير ، رحمه الله تعالى »(٢) .

٩ ـ أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن نعمة ، شهاب الدين ، أبو العبَّاس ، الحجَّار ، المعروف « بابن الشحنة » المتوفى سنة ٧٣٠هـ :

سمع عليه ابن كثير أجزاء حديثية بالإجازات والسَّماعات ، و « صحيح البخاري » ، وقال عنه : « كان شيخاً حسناً ، بهيَّ المنظر ، سليم الصدر ، ممتَّعاً بحواسِّه وقواه ، فإنه عاش مائة سنة مُحَقَّقاً وزاد عليها ، لأنه سمع « صحيح البخاري » من الزَّبِيدي في سنة ٦٣٠هـ ، وأسمعه هو في سنة ثلاثين وسبعمئة في ٩ صفر بجامع دمشق ، وسمعنا عليه يومئذ ، ولله الحمد .

توفي الحجار يوم الاثنين خامس وعشرين صفر من هذه السنة ، وصُلِّي عليه بالمظفري يوم الثلاثاء ، ودُفن بتربة له عند زاوية الدومي ، بجوار جامع الأفرم ، وكانت جنازته حافلة ، رحمه الله »(٣) .

---

(١) البداية والنهاية (١٦/ ٢١٥) .
(٢) البداية والنهاية (١٦/ ٢٢٥) .
(٣) البداية والنهاية (١٦/ ٢٣٢) .

١٠ ـ محمد بن حسين بن غيلان ، شرف الدين ، أبو محمد ، البعلبكي الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٠هـ :

ختم عليه ابن كثير حفظ القرآن سنة ٧١١هـ ، قال عنه : « سمع الحديث وأسمعه ، وكان يُقرىء القرآن طرفي النهار ، وعليه ختمت القرآن . . ، وكان من الصالحين الكبار ، والعبَّاد الأخيار »[(١)] .

١١ ـ عبد الله بن يوسف ، شمس الدين ، أبو محمد المقدسي ، ابن العفيف ، المتوفى سنة ٧٣٧هـ :

قرأ عليه ابن كثير كثيراً من الأجزاء الحديثية ، وقال عنه : « قرأتُ عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمئة ـ مرجعنا من القدس كثيراً من الأجزاء والفوائد ، وهو والد صاحبنا جمال الدين يوسف ، أحد مفتي الحنابلة وغيرهم ، والمشهورين بالخير والصلاح »[(٢)] .

توفي يوم الخميس ثاني وعشرين ربيع الآخر بنابلس ، ودفن بها ، وتأسف الناس عليه ، رحمه الله تعالى .

١٢ ـ القاسم بن محمد بن يوسف ، علم الدين ، أبو محمد البِرْزالي ، الإشبيلي الأصل ، الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٣٩هـ :

أخذ عنه ابن كثير علم التاريخ ، وقال : « هذا آخر ما أرَّخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيَّل به على تاريخ شهاب الدين أبي شامة المقدسي[(٣)] ، وقد ذيَّلتْ على تاريخه إلى زماننا هذا، وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء ٢٠ جمادى الآخرة من سنة ٧٥١هـ» .

توفي سنة ٧٣٩هـ وهو محرم فغُسِّل وكُفِّن ولم يُستر رأسه ، وحمله الناس على نعشه وهم يبكون حوله ، وكان يوماً مشهوداً . . ، توفي عن أربع وسبعين سنة[(٤)] ، رحمه الله .

١٣ ـ يوسف ابن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن ، أبو الحجاج ، المِزِّي ، المتوفى سنة ٧٤٢هـ :

لازم ابنُ كثير هذا الشيخ الكبير ، وسمع عليه أكثر تصانيفه ، وتخرَّج على يديه ، وقرأ عليه « صحيح البخاري » ، وقرأ عليه كتاب « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » واسمه مذكور في طباق السماعات ، وأصهر إليه فتزوَّج ابنته زينب ، وأصبح قريباً منه في حلقات دروسه ، وقريباً منه في

---

(١) المصدر السابق (١٦/ ٢٣١) .
(٢) المصدر السابق (١٦/ ٢٧٨) .
(٣) المسمّى « الروضتين في أخبار الدولتين » .
(٤) البداية والنهاية (١٦/ ٢٨٨) .

بيته ، ومكثراً من الأخذ عنه ، وتأثر به تأثراً بيناً في العقائد ، فإن المزي كان من أخلص مؤيدي شيخ الإسلام ابن تيمية ، ووصف لنا مرضه الذي مات فيه ، وجنازته المهيبة ، فقال : « وفاة شيخنا أبي الحجَّاج المزي : تمرَّضَ أياماً يسيرة ، لا يُشغله عن شهود الجماعة ، وحضور الدروس وإسماع الحديث ، فلما كان يوم الجمعة حادي عشر صفر أسمع الحديث إلى قريب وقت الصلاة ، ثم دخل منزله ليتوضأ ويذهب للصلاة ، فاعترضه في باطنه مغص عظيم ظنَّ أنه قولنج ، وما هو إلا طاعون ، فلم يقدر على حضور الصلاة ، فلما فرغنا من الصلاة أخبرت بأنه منقطع ، فذهبت إليه فدخلت عليه ، فإذا هو يرتعد رعدة شديدة من قوة الألم الذي هو فيه ، فسألته عن حاله ، فجعل يُكرِّر الحمدُ لله ، ثم أخبرني بما حصل له من المرض الشديد، وصلَّى الظهر بنفسه ، ودخل إلى الطهارة ، وتوضأ على البِرْكةِ وهو في قوة الوجع، ثم اتصل به هذا الحال إلى الغد من يوم السبت ، فلما كان وقت الظهر لم أكن حاضره إذ ذاك ، لكن أخبرتنا بنته زينب زوجتي ، أنه لما أذَّن الظهر تغيَّر ذهنه قليلاً ، فقالت : يا أبة أذَّن الظهر ! فذكر الله وقال : أريد أن أصلي ، فتيمَّم وصلَّى ، ثم اضطجع فجعل يقرأ آية الكرسي ، حتى جعل لا يفيض بها لسانه ، ثم قبضت روحه بين الصلاتين ، رحمه الله ، يوم السبت ثاني عشر صفر . . وفي يوم الأحد ثالث عشر صفر صبيحة ذلك اليوم ، غُسِّل وكُفِّن وصُلِّي عليه بالجامع الأَمَوي . . ثم صُلِّي عليه خارج باب النصر . . ودفن في مقابر الصوفية إلى جانب زوجته الصالحة الحافظة لكتاب الله عائشة بنت إبراهيم بن صديق ، غربي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية ـ رحمهم الله أجمعين ـ »(١) .

١٤ ـ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، أبو عبد الله الذهبي التركماني ، الفارقي ، الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ :

تتلمذ ابن كثير على هذا الشيخ الحافظ : في علوم التفسير ، والحديث ، والتاريخ ، وروى عنه ، وقال في ترجمته : « وفي ليلة الاثنين ثالث شهر ذي الحجة توفي الشيخ الحافظ الكبير ، مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، بتربة أم الصالح ، وصُلِّي عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ، ودفن بباب الصغير ، وقد ختم به شيوخ الحديث وحفَّاظه ، رحمه الله »(٢) .

١٥ ـ محمود بن عبد الرحمن ، شمس الدين ، أبو الثناء ، الأصبهاني ، المتوفى سنة ٧٤٩هـ :

أخذ ابن كثير عنه علم أصول الفقه ، فقد كان بارعاً في العقليات ، صحيحَ الاعتقاد ، محباً لأهل الصلاح(٣) .

---

(١) البداية والنهاية (١٦/ ٢٩٧) .
(٢) البداية والنهاية (١٦/ ٣٤٠) .
(٣) شذرات الذهب (٨/ ٣٨١) والدرر الكامنة (٥/ ٩٥) والفتح المبين (٢/ ١٥٨) .

اشتغل بتبريز ، وتصدَّر للإقراء بها ، ثم قدم دمشق ٧٢٥هـ ، ودرَّس بالرواحية ، واشتهر أمره بمصر وصنَّف « التفسير الكبير » و « شرح مختصر ابن الحاجب » و « شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه » .

توفي بالقاهرة بالطاعون ، ودفن بها[(١)] .

• وسمع ابن كثير على عدد من الشيوخ كتباً ، ومشيخات ، وأجزاء وفوائد ، فحُقَّ أن يُذكروا مشايخ له ، وهم :

١ ـ **عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد . . المسند ، شرف الدين ، أبو محمد السمسار في العقار ، مُطَعِّم الأشجار ، المتوفى سنة ٧١٩هـ :**

سمع عليه ابن كثير معظم الصحيح ـ صحيح البخاري ـ[(٢)] .

٢ ـ **القاسم بن مظفَّر بن محمود بن أحمد بن الحسن بن هبة الله ، بهاء الدين بن عساكر الدمشقي ، الطبيب ، المتوفى سنة ٧٢٣هـ :**

سمع عليه ابن كثير مشيخة في سنة وفاته ، خرَّجها له علم الدين البرزالي ، وقال عنه في « البداية والنهاية » : شيخنا الجليل ، الرُّحلة[(٣)] .

٣ ـ **يحيى بن إسحاق بن خليل بن فارس ، محيي الدين ، أبو زكريا الشيباني الشافعي ، المتوفى سنة ٧٢٤هـ :**

سمع عليه ابن كثير « سنن الدراقطني » وغيره[(٤)] .

٤ ـ **محمد بن عمر بن عثمان بن عمر ، عفيف الدين ، الصقلي الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٢٥هـ:**

قال عنه ابن كثير : « إمام مسجد الرأس ، آخر من حدَّث عن ابن الصلاح » ببعض سنن البيهقي ، سمعنا عليه شيئاً منها »[(٥)] .

٥ ـ **إسماعيل بن المسلم بن الحسن بن النصر ، ضياء الدين ، أبو الفداء الدمشقي ، المعروف بابن الحموي ، المتوفى سنة ٧٢٧هـ :**

سمع ابن كثير منه مشيخة خرَّجها له البِرْزَالي[(٦)] .

---

(١) شذرات الذهب (٨/ ٣٨١) والدرر الكامنة (٥/ ٩٥) والفتح المبين (٢/ ١٥٨) .
(٢) البداية والنهاية (١٦/ ١٤٥) .
(٣) المصدر السابق (١٦/ ١٦٧) .
(٤) المصدر السابق (١٦/ ١٧٨) .
(٥) المصدر السابق (١٦/ ١٨٤) .
(٦) البداية والنهاية (١٦/ ٢٠١) .

٦ ـ محمد بن عبد الملك بن إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب ، الملك الكامل ، ناصر الدين ، أبو المعالي ، المتوفى سنة ٧٢٧هـ :

قال ابن كثير : كان له سماع كثير ، سمعنا عليه ، وكان يحفظ تاريخاً جيداً(١) .

٧ ـ حمزة بن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد . . التميمي ، الدمشقي ، ابن القلانسي ، المتوفى سنة ٧٢٩هـ :

قال الحافظ ابن كثير : سمع الحديث من جماعة ، ورواه ، وسمعنا عليه(٢) .

٨ ـ علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي ، المتوفى سنة ٧٢٩هـ :

سمع ابن كثير عليه مشيخة بين سنة ٧٢٣هـ وسنة ٧٢٩هـ حين قدم القُونَوي إلى دمشق قاضياً(٣) .

٩ ـ محمد بن محمد بن سهل الأزدي الغرناطي الأندلسي ، المتوفى سنة ٧٣٠هـ :

سمع ابن كثير عليه « صحيح مسلم » بقراءته في تسعة مجالس قراءة صحيحة(٤) .

١٠ ـ أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله . . جمال الدين ، أبو العباس التميمي ، الدمشقي ، ابن القلانسي ، المتوفى سنة ٧٣١هـ :

سمع عليه مشيخة خرَّجها له فخر الدين البعلبكي(٥) .

١١ ـ سليمان بن عمر بن سالم بن عمر بن عثمان ، جمال الدين ، الأذرعي ، المتوفى سنة ٧٣٤هـ :

سمع ابن كثير عليه مشيخةً ، خرَّجها له البِرْزالي ، عن اثنين وعشرين شيخاً(٦) .

١٢ ـ عمر بن علي بن سالم بن عبد الله ، تاج الدين ، أبو حفص اللخمي ، الإسكندراني ، المعروف « بابن الفاكهاني » ، المتوفى سنة ٧٣٤هـ :

سمع ابن كثير عليه حين قدم دمشق سنة ٧٣٠هـ ، أيام قاضي القضاة الأخنائي ، فأنزله في دار السعادة ، وقال : وسمعنا عليه ومعه(٧) .

---

(١) المصدر السابق (١٦/ ٢٠٢) .
(٢) البداية والنهاية (١٦/ ٢٢٧) .
(٣) المصدر السابق (١٦/ ٢٢٦) .
(٤) المصدر السابق (١٦/ ٢٣٠) .
(٥) البداية والنهاية (١٦/ ٢٤١) .
(٦) المصدر السابق (١٦/ ٢٥٩) .
(٧) المصدر السابق (١٦/ ٢٦١) .

١٣ ـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المنعم بن نعمة ، شمس الدين المقدسي ، النابلسي الحنبلي ، المتوفى سنة ٧٣٧هـ :

سمع عليه سنة ٧٣٣هـ كثيراً من الأجزاء والفوائد[١] .

١٤ ـ عمر بن أبي بكر بن المِيْهنيّ ، البسطي ، فخر الدين ، ابن البخاري ، المتوفى سنة ٧٤٢هـ :

قرأ عليه ابن كثير مختصر المشيخة[٢] .

١٥ ـ علم الدين الجاولي ، المتوفى سنة ٧٤٥هـ :

سمع عليه « مسند الإمام الشافعي » ، وذلك حين مرَّ من دمشق يوم الثلاثاء ٢٥ صفر سنة ٧٤٣هـ في طريقه إلى حماة لمباشرة نيابتها ، وقد رأى ابن كثير عمله في « المسند » ، وشرْحَه عليه ، وأثنى عليه حسن ترتيبه[٣] .

١٦ ـ يوسف بن عبد بن محمد بن يوسف ، جمال الدين ، أبو الحجاج المقدسي ، المتوفى سنة ٧٥٤هـ :

كان من العلماء العبَّاد الورعين محباً للحديث وأهله ، سمع « سنن ابن ماجه » من الحافظ ابن بدران النابلسي ، وسمع منه ابن كثير[٤] .

١٧ ـ أحمد بن عبد الله الجهني ، شهاب الدين البارزي الحموي ، نزيل دمشق ، المتوفى سنة ٧٥٥هـ :

سمع ابن كثير منه « الغيلانيات »[٥] ، وقد كان يُحدِّث بها عن غازي الحلاوي .

١٨ ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بركات بن شمس الدين المعروف « بابن الخباز » الحنبلي ، المتوفى سنة ٧٥٦هـ :

سمع منه المِزي ، والذهبي ، والسبكي ، وابن جماعة ، وابن رافع ، وابن كثير ، وغيرهم[٦] .

١٩ ـ عبد العزيز بن محمد ، عز الدين ، أبو عمر بن جماعة ، المتوفى سنة ٧٦٧هـ :

سمع عليه ابن كثير بقراءته شيئاً كثيراً ، حين قدم دمشق في أواخر رجب سنة ٧٢٥هـ من

---

(١) المصدر السابق (١٦/ ٢٧٨) .
(٢) البداية والنهاية (١٦/ ٣٠٥) .
(٣) المصدر السابق (١٦/ ٣١١) .
(٤) ابن حجر : الدرر (١/ ١٩٠) . شذرات الذهب (٨/ ٣٠٢) .
(٥) ابن حجر : الدرر (١/ ١٩٠) . شذرات الذهب (٨/ ٣٠٣) .
(٦) شذرات الذهب (٨/ ٣١٠) .

مصر[1] ، ويبدو مما جاء عند ابن حجر أن ابن جماعة في هذه الرحلة انتفع بابن كثير ، في تخريج أحاديث الرافعي[2] .

٢٠ ـ محمد بن موسى الأنصاري الدمشقي ، الشهير « بابن الشيرجي » ، المتوفى سنة ٧٧٠هـ :

سمع عليه ، وكان ابن الشيرجي سمع من الفخر ابن البخاري جزء الأنصاري ، وحدَّث به ، وتفرَّد به عنه[3] .

ومن طرائف الأمور الدالة على فهم ابن كثير في تلقي العلم وحرصه عليه أنه لم يكن يأنف أن يأخذ ممن هو أصغر منه سناً حينما يكون ذلك الشاب متميزاً ، فقد عرفنا أن ابن كثير استفاد أشياء من الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المولود بمصر سنة ٧٢٥هـ والمتوفى سنة ٨٠٦هـ ، قال السخاوي : « كان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه بالمعرفة كالسبكي والعلائي وابن جماعة وابن كثير . . . وكذا صَرَّح ابن كثير باستفادته منه تخريج شيءٍ وقف على المحدثين ، وقرأ عليه شيئاً ، وذكر في شرحه للألفية أنه سمع منه حديثاً من مشيخة قاضي المارستان »[4] .

● وأجاز لابن كثير :

من علماء بغداد ابن الدواليبي المتوفى سنة ٧٢٨هـ .

ومن علماء مصر أبو موسى القرافي ، وأبو الفتح محمد الدبوسي ، ويوسف الخُتَني ، وعلي بن عمر الوَاني[5] ، وغير واحد .

● لم أجد في المصادر القديمة ـ التي وقفت عليها ـ ما يدل على أن ابن القيم محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١هـ كان شيخاً لابن كثير ، وإنما هو صاحبه ومعاصره ، ورفيقه في التلمذة والطلب على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، وفي ترجمة ابن كثير لابن القيم بعد وفاته يقول ابن كثير : « صاحبنا »[6] ويقول : « وكنت من أصحب الناس له ، وأحب الناس إليه »[7] .

ب ـ تلاميذه :

أثمر التلقي عن الشيوخ في حياة ابن كثير ؛ إلى التبكير بظهور الحافظ ابن كثير عالماً مشهوراً ،

---

(١) البداية والنهاية (١٦/ ١٨٣) .
(٢) إنباء الغمر بأنباء العمر (١/ ٤٦) .
(٣) شذرات الذهب (٦/ ١٧٦) .
(٤) الضوء اللامع ؛ للسخاوي (٤/ ١٧٣) .
(٥) الدرر الكامنة ؛ لابن حجر (١/ ٤٠٠) ، ودرر العقود للمقريزي (١/ ٤٠١) .
(٦) البداية والنهاية (١٦/ ٣٥٣) .
(٧) البداية والنهاية (١٦/ ٣٥٤) .

ومدرساً مرموقاً ، وشيخاً مقصوداً ، يدخل المدارس العامة بثقة واعتبار ، ويترأس المدارس المتخصصة بكفاءة واقتدار .

وأول مدرسة درَّس فيها المدرسة النجيبية ، وقد تقدم أنه سكنها مع أسرته ، وأول درس فيها كان يوم ١١ جمادى الأولى من سنة ٧٣٦هـ ، حيث فسَّر قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] وقال في تاريخه : « وكان الدرس حافلاً أثنى عليه الحاضرون وتعجبوا من جمعه وترتيبه »(١) .

ثم ولي التدريس في المدرسة الفاضلية بعد أن شغرت عن الإمام الذهبي ، وتولَّى مشيخة الحديث في المدرسة الصالحية ، ودار القرآن والحديث التنكزية ، ودار الحديث الأشرفية الجوانية(٢) .

• وافتتح دروس التفسير في المسجد الأموي تحت قبة النسر صباح يوم ٢٨ شوال سنة ٧٦٧ هـ وكان درساً حافلاً ومشهوداً في تفسير سورة الفاتحة ، حضره الطلاب والقضاة والأعيان(٣) .

• وكان عضواً في لجان الامتحان ، لاختبار الطلاب والشبان النابهين في اللغة والحفظ ؛ فحضر يوم ٢٠ شعبان من سنة ٧٤٧ هـ لامتحان صبي عمرهُ ست سنين يحفظ القرآن ، ويؤدي القرآن بإتقان ، وفي يوم ٢٠ شعبان من سنة ٧٦٣ هـ حضر مع العلماء لامتحان بدر الدين محمد بن الشيخ كمال الدين بن الشربيني ، وكان يحفظ كثيراً من شواهد اللغة .

• وحضر شاب من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ « صحيح البخاري » و« صحيح مسلم »، و« جامع المسانيد » لابن كثير ، و« الكشاف » للزمخشري ، فلما كان يوم الأربعاء سلخ شهر رجب سنة ٧٦٣هـ ، قرأ في الجامع الأموي بالحائط الشمالي منه ، عند باب الكلاَّسة ، من أول « صحيح البخاري » إلى أثناء كتاب العلم عنه من حفظه ، وأنا أقابل عليه من نسخة بيدي(٤) .

وقال الشاب : أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك ، وأن تجيزني ، وذكرك في بلادنا مشهور(٥) .

• كل هذا يجعل التلاميذ المتلقِّين عن ابن كثير لا يُحصون عدداً ، ولا يُعرفون كثرة ، فقال

---

(١) المصدر السابق (١٦/ ٢٦٩) .
(٢) المصدر السابق (١٦/ ٢٦٩ و٣٤٠) .
(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٣٢١) .
(٤) المصدر السابق (١٦/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) .
(٥) المصدر السابق (١٦/ ٤٣٣) .

مترجموه : « وتلامذته كثيرة »[١] و « أخذ عنه كثيرون »[٢] و « خرَّج كثيراً من الطلاب »[٣] .

ونجد هؤلاء المعرِّفين بابن كثير والمترجمين لحياته ومآثره يُغفلون أسماء تلاميذه ، ولا يذكرون إلا اسم تلميذه ابن حجي ! فأين ذهبت أسماء تلك الكثرة الكاثرة من التلاميذ والمريدين ؟! .

• وتعليل ذلك فيما نرى ـ والله أعلم ـ أن المشايخ والعلماء الكبار ينقسمون إلى ثلاثة أصناف :

الأول : ينشغل بالشأن العلمي العام ، وإلقاء الدروس الخاصة والعامة ، وممارسة الوظائف الرئاسية والإدارية ، ويتفرغون في بيوتهم وأوقاتهم الخاصة للتصنيف والتأليف .

والثاني : صنف يلقي دروسه الخاصة والعامة ، ويكرس كلَّ وقته لطلابه ومريديه ، ممن يختار من المتفوقين والنابهين . وهؤلاء يتشرَّبون علومه ومنهجه ، ويحملون اسمه ، ويُذيعون بين الناس دعوته وطريقته .

والثالث : صنف يجمع بين الأمرين ، ويُحقِّق الانتشار العام ، وتخريجَ التلاميذ الأَكْفَاء المتميزين .

ولعل شيخنا العلَّامة ابن كثير من الصنف الأول ، ممن شغل الناس بدروسه في حياته ، وشغل الناس بكتبه ومصنفاته بعد مماته .

كما يلاحظ أن كتب التراجم إنما تُعنى بذكر التلاميذ الآخذين عن الشيوخ المُعَمَّرين ، ولم يكن ابن كثير منهم ، لأسانيدهم العالية ، فتأمل مثلاً أسماء المذكورين في الكتب من الآخذين عن الحَجَّار بسبب كونه معمراً عالي السنَد .

■ ومع ذلك فإننا نستطيع العثور على عدد من أسماء التلاميذ ممن نصَّت الكتب على أخذه أو سماعه أو إجازته من شيخه الكبير ابن كثير ، وهم :

١ ـ محمد بن موسى بن محمد بن سند بن نعيم ، شمس الدين أبو العباس اللخمي ، المتوفى سنة ٧٩٢هـ :

أذن له في الإفتاء العلائي ، وابن كثير[٤] .

٢ ـ يحيى بن يوسف بن يعقوب بن أحمد بن يحيى ، محيي الدين ، أبو زكريا الرحبي ، المتوفى سنة ٧٩٤هـ :

---

(١) شذرات الذهب (٨/ ٣٩٩) .
(٢) عصر سلاطين المماليك ، لمحمود رزق سليم (٤/ ١٤٤) .
(٣) دائرة المعارف للبستاني (٣/ ٤٧٧) .
(٤) شذرات الذهب (٨/ ٥٥٨) .

قال الحافظ ابن حجر : لازم ابن كثير ، وكتب عنه فوائد حديثية ، أكثرها يتعلق بالصحيح[1] .

٣ ـ محمد بن بهادر بن عبد الله ، بدر الدين الزركشي التركي ، المتوفى سنة ٧٩٤هـ :

قال ابن حجر : « رحل إلى دمشق ، فأخذ عن ابن كثير الحديث ، وقرأ عليه مختصره في علوم الحديث ، ورثاه عند وفاته ببيتين من الشعر هما :

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمعٍ لا يبيدُ غزير
ولو مزجوا ماء المدامع بالدما لكان قليلاً فيك يا بن كثير[2]

٤ ـ محمد بن محمد بن عنقة ، أبو جعفر البسكري ثم المدني ، المتوفى سنة ٨٠٤هـ :

قال ابن العماد : وحمل عن ابن رافع ، وابن كثير[3] .

٥ ـ سعد بن يوسف بن إسماعيل بن يوسف ، سعد الدين النواوي ، المتوفى سنة ٨٠٥ هـ :

قال النُّعيمي : حمل عن ابن كثير ، وقرأ عليه تأليفه « اختصار علوم الحديث » وأذن له ابن كثير بالفتوى[4] .

٦ ـ محمد بن محمد بن محمد بن الخضر ، شمس الدين الزبيري العيزري الغزي الشافعي المولود بالقدس سنة ٧٢٤هـ والمتوفى سنة ٨٠٨هـ .

قال السخاوي : « ودخل دمشق فأخذ بها عن ابن كثير و . . . إلخ »[5] .

٧ ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن رضوان ، شهاب الدين الحريري ، الدمشقي ، المعروف بالسلاوي ، المتوفى سنة ٨١٣هـ :

قال السخاوي : سمع الحديث على التقي بن رافع ، وابن كثير ، وقرأ عليهما[6] .

٨ ـ علي بن زيد بن علوان بن صبرة بن مهدي بن حريز ، أبو الحسن ـ وكناه بعضهم أبا زايد ـ الردماوي الزُّبَيْدي ، وتسمَّى بأخرة عبد الرحمن ، المتوفى سنة ٨١٣هـ :

قال السخاوي : سمع من اليافعي ، والشيخ خليل ، وابن كثير[7] .

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٥٧٥) والدرر الكامنة (٤/ ٣٤٠) .
(٢) الدرر الكامنة ؛ لابن حجر (٣/ ٣٩٧) .
(٣) شذرات الذهب (٩/ ٧٣) .
(٤) الدارس في أخبار المدارس (١/ ٣٢٠) .
(٥) الضوء اللامع (٩/ ٢١٨) .
(٦) الضوء اللامع ؛ للسخاوي (٢/ ٨١) .
(٧) الضوء اللامع (٥/ ٢٢١) .

٩ ـ أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال ، أبو العباس ، شهاب الدين بن الحسباني ، المتوفى سنة ٨١٥هـ :

قال ابن فهد : وأخذ عن الحافظين : ابن كثير ، وابن رافع[(١)] .

١٠ ـ محمود بن عمر بن محمود بن إيمان ، شرف الدين الأنطاكي ثم الدمشقي الحنفي المتوفى في شعبان سنة ٨١٥هـ .

قال السخاوي : « قدم من بلده إلى حلب ثم إلى دمشق فسمع بها من ابن كثير والصلاح الصفدي وغيرهما »[(٢)] .

١١ ـ مسعود بن عمر بن محمود بن أنمار ، شرف الدين ، الأنطاكي النحوي ، نزيل دمشق ، المتوفى سنة ٨١٥هـ :

قال ابن العماد : قدم دمشق ، وأخذ عن الصَّفدي ، وابن كثير ، وغيرهما[(٣)] .

١٢ ـ أحمد بن العلاء حجِّي بن موسى بن أحمد . . شهاب الدين ، أبو العباس ، ابن حجّي السعدي الحُسْباني ، المتوفى سنة ٨١٦هـ :

تخرَّج في علوم الحديث بالحافظين : ابن كثير ، وابن رافع[(٤)] . وأثنى ابن حجي على شيخه ابن كثير ، وصرَّح بأنه لازمه ست سنين[(٥)] . وقد ذيّل على « البداية والنهاية » وسماه « تاريخ ابن حجي » وهو مطبوع .

١٣ ـ محمد بن سلمان بن محمد ، شمس الدين البغدادي الأصل الدمشقي الصالحي الشافعي الصوفي القادري ، نزيل القاهرة ، المولود في حدود سنة ٧٥٠هـ والمتوفى سنة ٨٢٠هـ .

قال السخاوي : « وطلب العلم ولازم التاج السبكي وفتح الدين ابن الشهيد والعماد ابن كثير ، وسمع منه مصنَّفه في علوم الحديث وفي فضل الجهاد وكتب له إجازة حسنة »[(٦)] .

١٤ ـ محمد بن أحمد بن معالي ، أبو المعالي ، شمس الدين الحَبَتِّي[(٧)] ، المتوفى سنة ٨٢٤هـ :

قال السخاوي : سمع بدمشق من متأخري أصحاب الفخر ، كابن أميلة ، وكذا سمع من

---

(١) لحظ الألحاظ (ص ٢٤٥) .
(٢) الضوء اللامع (١٠/ ١٤٢) .
(٣) شذرات الذهب (٨/ ١٧٠) .
(٤) الدارس (١/ ١٤٢) .
(٥) شذرات الذهب (٩/ ١٧٣) .
(٦) الضوء اللامع (٧/ ٢٥٦) .
(٧) قيده السخاوي فقال : « بمهملة ثم موحدة مفتوحتين ثم مثناة مشددة » .

العماد ابن كثير[1] ، وقال ابن حجر : كان ينقل عن شيخه ابن كثير الفوائد الجليلة »[2] .

١٥ ـ محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ، أبو الخير شمس الدين بن الجزري الشافعي ، المتوفى سنة ٨٣٣هـ :

صرَّح ابن الجزري بالسماع والرواية عن ابن كثير في كتابه « المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد »[3] . وذكر مترجموه أنه أخذ عنه الحديث ، وأذن له ابن كثير بالإفتاء[4] .

١٦ ـ محمد بن أحمد بن حاجي ، شمس الدين التبريزي ثم المقدسي الشافعي المعروف بابن عذيبة . ولد قبيل سنة ٧٥٥هـ بتبريز ، قال السخاوي : « ودخل مصر . . . وحلب . . . والشام في زمن ابن كثير وابن رافع وحضر عندهم » مات بمكة سنة ٨٣٥هـ[5] .

١٧ ـ أحمد بن علي ، تقي الدين المقريزي المولود سنة ٧٦٦هـ والمتوفى سنة ٨٤٥هـ ، قال في كتابه : « درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة » (١/ ٤٠١ ، الترجمة ٣٢٧) « سمعت عليه بعدما كُف بصره الحديث المسلسل بالأوليات ، وأجاز لي مسموعاته ومروياته » .

١٨ ـ عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عَيَّاش ، زين الدين أبو الفرج وأبو بكر الدمشقي الأصل ، المكي الشافعي المقرئ المتوفى سنة ٨٥٣هـ بمكة . قال السخاوي : « سمع حسبما كان يخبر على العمادين : ابن كثير وابن السراج »[6] .

وأجاز الحافظ ابن كثير لعدد من الطلبة ، منهم : محمد بن أحمد بن موسى بن نجاد ، ناصر الدين أبو عبد الله النابلسي المقدسي ، قال السخاوي : « أجاز له في سنة ست وخمسين الحفاظ الثلاثة : ابن كثير والعلائي والشهاب أبو محمود . . . إلخ »[7] .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) الضوء اللامع (٧/ ١٠٧) .
(٢) إنباء الغمر (٧/ ٤٠٨) .
(٣) مسند الإمام أحمد ، لأحمد شاكر (١/ ٣١) .
(٤) مفتاح السعادة (١/ ٣٩٢) وذيل السيوطي (ص ٣٧٦) .
(٥) الضوء اللامع (٦/ ٣٠١) .
(٦) الضوء اللامع (٤/ ٥٩) .
(٧) الضوء اللامع (٧/ ١١٢) .

سادساً : كتبه

تمهيد :

عاش ابن كثير ـ رحمه الله ـ حياة علمية متنوعة ومتكاملة ، بدأها بنشأته الأولى في أسرته العلمية ، وانتهى بها بتعليمه العالي في دمشق الفيحاء التي تتسامى بالشيوخ والمؤلِّفين الكبار ، ويُحيط به عن ملاصقة وقرب : أستاذه ابن تيمية ، وحموه ـ أبو زوجه ـ أبو الحجاج المِزِّي ، وشيخه الذهبي ، وصاحبه ابن القيم ، وكلُّهم كتب وألَّف ، وشنَّف الآذان بما أملى وصنَّف .

وإذ تهيأ لابن كثير أن يدخل التدريس من أوسع أبوابه ، فإن منصب الأستاذية الرئيس الذي بلغه يستدعي الجمع والتأليف . وكان من الطبيعي جدًّا أن يكتب يراع الحافظ والمفسر المؤرِّخ الفقيه كتباً عديدة في موضوعاتها ، ومتميِّزة في أسلوبها ، ومتقدِّمة في جوهرها ، وفيها الرسائل الصغيرة ، والكتب الموسوعية الكبيرة .

• وكان من الملفت حقًّا أن يبدأ ابن كثير بالتأليف مبكراً ، وقد ظهر هذا في تأليف كتاب « الأحكام على أبواب التنبيه » في صغره[١] ، ووقف عليه شيخه برهان الدين الفزاري ، وأُعجب به ، وأثنى عليه .

كما وضح في قدوم عز الدين بن جماعة ـ شيخ ابن كثير ـ إلى دمشق سنة ٧٢٥هـ ، واستقدم ابن كثير ، وانتفع به في تخريج أحاديث الرافعي[٢] ، مما يدل على نبوغ في علم الحديث ، وسبق في فن تخريج الأحاديث .

واستمر هذا الشغف بالتأليف حتى نيف على السبعين ، وكُفَّ بصرُه في إتمام كتابه الحديثي الكبير ؛ كما صرح لتلميذه ابن الجزري حين قال له : « لا زلت أكتب فيه « جامع المسانيد » في الليل ، والسراج ينوص ، حتى ذهب بصري معه »[٣] .

• وانتشرت كتبه في حياته ، فقُرئتْ عليه نسخٌ من كتابه « اختصار علوم الحديث » وقرئت « السيرة النبوية » من تأليفه في المسجد الأموي تحت قبة النسر[٤] ، ووصل كتابه « جامع المسانيد »

---

(١) شذرات الذهب ؛ لابن العماد (٨/ ٣٩٧) .

(٢) إنباء الغمر بأنباء العمر (١/ ٤٥) .

(٣) مسند الإمام أحمد ؛ لأحمد شاكر (١/ ٤٠) .

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٢٩٤) .

إلى خراسان وادَّعى شاب أعجمي حفظ أجزاء منه ، وجاء إلى دمشق ليطلب إجازة مؤلفه[(١)] .

• وشهد العلماء الأفذاذ على جودة تآليفه وإتقانها ، كما شهدوا على انتشارها وشيوعها بين الناس ، فهذا الذهبي يقول : « له تصانيف مفيدة »[(٢)] ويؤيد ذلك العيني فيقول : « له مصنفات عديدة ومفيدة[(٣)] . ويقول ابن حجر « وصنف التصانيف الكثيرة في التفسير والتاريخ والأحكام » ويقول : « وسارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد مماته »[(٤)] .

ويقول ابن حبيب : « سمع وجمع وصنَّف ، وأطرب الأسماع بالفتوى وشنَّف ، وحدَّث وأفاد ، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت إليه رياسته العلم في التاريخ والحديث والتفسير »[(٥)] .

• فاكتملت مؤهلات التأليف والعطاء عند ابن كثير ، وأصبح من أجلِّ العلماء المصنِّفين في موضوعات محبَّبة ومتنوعة ، تلقائية وغير متكلفة ، تهتدي بالكتاب والسنة ، وتتعدى حدود الزمن ، فتخاطب الأجيال المتتابعة ، وتظهر في العصور التالية وكأنها كُتبت لها !! .

فأي توفيق إلهي حالفه وهو يجمع مادة كتبه ، وأي إخلاص رافقه وهو يصوغ كلماته وجمله ، وأي نفَسٍ طاهر أجراه على أوراقه ، فكُتب له القَبُول عند الله وعند خلقه ؟! .

آ ـ الكتب المطبوعة والمخطوطة :

١ ـ تفسير القرآن العظيم :

أَلَّفه في عشرة أجزاء قبل عام ٧٤٢هـ تقريباً[(٦)] ، لكنه ظل ينقح فيه إلى آخر حياته وأحال إليه في « البداية والنهاية كثيراً » .

وطبع على حساب الملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ بتحقيق الشيخ رشيد رضا ، ومع تفسير البغوي في تسع مجلدات ، في مطبعة المنار سنة ١٣٤٣ ـ ١٣٤٧هـ ، ومعه كتاب « فضائل القرآن » ملحقاً بالتفسير بعد أن عُثر عليه في آخر النسخة الخَطِّيَّة المَكِّيَّة . ثم أُعيد مستقلاً عن البغوي سنة ١٣٨٤هـ في أربع مجلدات من القطع الكبير عن طبعة المنار ، وعلَّق حواشيه عبد الوهاب

---

(١) المصدر السابق (١٦/ ٤٣٢) .
(٢) الدرر الكامنة (١/ ٣٧٤) .
(٣) النجوم الزاهرة (١١/ ١٢٣) .
(٤) إنباء الغمر بأنباء العمر (١/ ٤٦) .
(٥) شذرات الذهب (٨/ ٣٩٨) .
(٦) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٢) طبعة دار ابن كثير ، تفسير الآية : ١٠٤ من سورة الأنبياء ، ففيها ذكر ابن كثير شيخه المزي ، ودعا له : « فسح الله له في عمره ، ونسأ في أجله » والشيخ المزي توفي سنة ٧٤٢هـ .

عبد اللطيف ، الأستاذ في كلية الشريعة بجامعة الأزهر ، ونشرته مكتبة النهضة بمكة .

وطُبع في ثمان مجلدات « طبعة كتاب الشعب » بمصر ، بتحقيق البنا ، غنيم ، عاشور ، وألحقوا بها فهارس علمية وموضوعية . وطبع سنة ١٤١٨هـ في ثماني مجلدات في « دار طيبة » بالرياض ، بتحقيق سامي بن محمد السلامة ، عن نسختين كاملتين وأكثر من عشر نسخ أخرى ، يستوعب مجموعها التفسير كله .

وطبع في مصر ولبنان طبعات تجارية ، ليس فيها تصحيح ولا تحقيق ولا مراجعة .

وطبع في دار ابن كثير سنة ١٣١٥هـ في أربع مجلدات ، طبعة جديدة مصحَّحة ومنقحة ومضبوطة بالشكل ، ومقابلة على عدة طبعات . ويعاد طبعه الآن بتحقيق جديد ومقابلة على نسخة خطية . وفي مقدمته فضائل القرآن كما نصّ على ذلك المؤلف .

• وهو من أكثر كتب التفسير بالرواية فائدة ، لأن ابن كثير يتكلم على الأسانيد ، وينقد الرواة ، وينصفهم جرحاً وتعديلاً ، ولا يُرسل الأحاديث إرسالاً كما يفعل غالب المحدثين ، بل يتكلّم عليها تصحيحاً وتضعيفاً .

• وتتجلى أهميته بين كتب التفسير من خلال منهجه العلمي التالي :

١ ـ التفسير الجملي لمعاني الآيات ، بألفاظ فصيحة وعبارات رشيقة ، وأسلوب سهل ممتنع .

٢ ـ تفسير القرآن بالقرآن .

٣ ـ ذكر الأحاديث بأسانيدها ومصادرها .

٤ ـ الحكم على الأحاديث .

٥ ـ الإعراض عن كثير من الإسرائيليات .

٦ ـ المحاكمة والترجيح من غير غلو ولا عصبية .

٧ ـ التفويض في تفسير آيات الأسماء والصفات .

• وقد أثنى العلماء من قبلُ على تفسير ابن كثير ، فقال الذهبي عن المؤلف : كان « مُفسِّراً نقَّاداً »[١] وقال السيوطي : « لم يُؤلَّف على نمطه مثله »[٢] . وقال الشوكاني : « من أحسن التفاسير ، إن لم يكن أحسنها ، جمع فيه فأوعى ، ونقل المذاهب والأخبار والآثار ، وتكلَّم بأحسن الكلام وأنفسه »[٣] .

وقال الشيخ أحمد شاكر : « أحسن التفاسير التي رأينا وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام

---

(١) ذيل الحسيني (ص ٥٨) .

(٢) ذيل السيوطي (ص ٣٦١) .

(٣) البدر الطالع (١/ ١٥٣) .

المفسِّرين أبي جعفر الطبري ، ولسنا نُوازن بينهما وبين أيِّ تفسير آخر مما بأيدينا ، فما رأينا مثلهما ولا ما يُقاربهما »[1] وقال : « يعرف به ـ الطالب ـ كيف ينقد الأسانيد والمتون ، وكيف يُميِّز الصحيح من غيره ، فهو كتاب في المعنى تعليميّ عظيم ، ونفعه جليل كثير »[2] .

• وكتب الله تعالى لهذا التفسير الانتشار والقبول في بلاد الشام ، وبخاصة في الخمسين سنة الأخيرة تقريباً ، وسمعت من شيخنا الشيخ نايف العباس ـ رحمه الله ـ تأكيد ذلك ، ولعلَّ مرجعَه النهضةُ الحديثية التي يشهدها العالم الإسلامي كله ، ولله الحمد والمِنَّة .

٢ ـ فضائل القرآن :

وُجد هذا الكتاب في ختام تفسير القرآن العظيم ، وتناول فيه ابن كثير الأحاديث الواردة في فضل القرآن ، وتاريخ القرآن ، وجمعه ، وكتابته ، والأحرف السبعة ، وكيفية ترتيله ، وسار فيه على منوال ما ذكره البخاري عقب كتاب التفسير في كتاب فضائل القرآن .

وطبع مع التفسير أحياناً ، وطبع مستقِلاًّ أحياناً ، وقد نصّ ابن كثير في تفسيره على أن كتابَ فضائل القرآن هو مقدمة للتفسير .

كما أشار إلى ذلك في « البداية والنهاية ، حيث يقول أثناء الكلام على الاتفاق على مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه : « كما قررنا ذلك في كتاب « فضائل القرآن » الذي كتبناه مقدمة في أول كتاب التفسير »[3] .

ومنهجه يتضمن : ١ ـ البدء بآيات القرآن الكريم في موضوع الفصل . ٢ ـ حشد الروايات الكثيرة من الأحاديث بأسانيدها ، مبتدئاً بأحاديث البخاري ومسلم . ٣ ـ الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين . ٤ ـ تصحيح بعض الأحاديث وبيان الراجح من الروايات والكلام على بعض رجال السند . ٥ ـ استنباط العبر والفوائد والأحكام .

وطُبع الكتاب مستقلاً في كل من بيروت ومصر (القاهرة) ومنها :

ـ طبعة مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت بتحقيق : محمد إبراهيم البنا .

ـ طبعة دار الحديث ـ القاهرة ـ تحقيق : سعيد عبد المجيد محمود .

٣ ـ البداية والنهاية :

هو كتاب في التاريخ الإسلامي العام ، ويشتمل على تاريخ ما قبل الإسلام من الأنبياء والأمم ،

---

(١) عمدة التفسير (١/ ٦) .
(٢) عمدة التفسير (١/ ٦) .
(٣) البداية والنهاية (٥/ ٣٤٧) .

وسيرة الرسول ﷺ ومعجزاته ، وتاريخ المسلمين بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وحوادثه مرتبة حسب السنين ، ونهايته إلى سنة ٧٧٤هـ كما نص عليه غير واحد من العلماء ، والموجود منه إلى حوادث سنة ٧٦٨هـ . أما « النهاية » ففي الملاحم والفتن وأشراط الساعة وأحوال الآخرة .

وهذا الكتاب التاريخي الكبير هو الذي تقوم كوكبة من العلماء والمحققين المتخصصين بتحقيقه ، وتضطلع دار ابن كثير بنشره موثقاً ومفهرساً وفق أحدث الطرق العلمية والموضوعية المعاصرة . وسنفرد لدراسته قسماً خاصًّا من هذه المقدمات المهمة .

٤ ـ السيرة النبوية مبسوطة :

ذكر الحافظ ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » (٦/ ٢٧١) أنه كتب السيرة النبوية مطوَّلة ومختصرة .

كما ذكر ذلك في « تفسير القرآن العظيم »[١] في تفسير سورة الأحزاب (٣/ ٥٩٠) فقال : « وهذا كله مقرر مفصَّل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفردناه موجزاً وبسيطاً ، ولله الحمد والمنَّة » .

ولم تصلنا هذه السيرة المبسوطة المطوَّلة ، ولم يذكرها المترجمون لابن كثير القدامى ، مما جعل الدكتور مصطفى عبد الواحد يستلُّ السيرة النبوية من « البداية والنهاية » معتقداً أن المجلدات الأربع التي أطلق عليها اسم السيرة النبوية هي السيرة النبوية المطوَّلة ، ولنسمعه يقول في المقدمة : « ويبدو أنه حين ألَّف كتابه الضخم « البداية والنهاية » قد أدمج تلك السيرة فيه : وأن شهرة ذلك الكتاب وانتشاره في الأنحاء قد جعل الناس يقرؤون تلك السيرة فيه ، ولم يعدلها كيان مستقل ككتاب ، وإذا كان ابن كثير قد ذكر أن له السيرة النبوية مبسوطة ـ أي مطوَّلة ـ فإنه لا يُعقل أن يكتب فيها أكثر من ذلك القسم الموجود بكتابه « البداية والنهاية »[٢] ، وهو استنتاج معقول .

٥ ـ الفصول في سيرة الرسول ﷺ :

وهو السيرة المختصرة كما يشير المؤلف في تاريخه وتفسيره . أو « سيرة صغيرة »[٣] كما ذكر مترجموه المتقدمون ، أما المتأخرون فيقولون : « الفصول في سيرة الرسول ﷺ »[٤] وقد وصلتنا نسخها الخطية ولله الحمد .

وتشتمل على بابين : الأول في سيرة رسول الله ﷺ ، والثاني : في أحواله وأعلام نبوته وخصائصه .

---

(١) طبعة دار ابن كثير الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن كثير (١/ ١٢ ـ ١٣) .
(٣) شذرات الذهب (٨/ ٣٩٩) .
(٤) كشف الظنون ؛ لحاجي خليفة (٢/ ١٩٢) .

وطُبع الكتاب في القاهرة سنة ١٣٥٧هـ طبعة رديئة تحت اسم « الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ » عن مخطوطة مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة ، وفيها تصحيف وتحريف ، وسقط وأخطاء مطبعية كثيرة .

وقد قام الدكتور محيي الدين ديب مستو والدكتور محمد العيد الخطراوي بتحقيق هذه السيرة الكاملة على ثلاث نسخ خطية ، واحدة من مكتبة عارف حكمة ، واثنتان من تركية ، ودوَّنا من خلال العمل الملاحظات التالية :

١ ـ الكتاب سيرة مختصرة قائمة بذاتها ، وليس اختصاراً لكتاب آخر ، والاسم هو « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » .

٢ ـ اشتمال هذه السيرة على فصل الخصائص النبوية ، وهو فصل يستحق أن يكون كتاباً مستقلاً ، وبخاصة إذا علمنا أن السيرة المبسوطة التي أُدرجت في البداية والنهاية ـ حسب رأي د. مصطفى عبد الواحد ـ قد خلت من هذا الفصل .

٣ ـ في الغالب إن ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ توقف في تأليف هذا الكتاب عند نهاية السيرة النبوية ، وما يتبعها من الدلائل ، والشمائل ، والخصائص ، ولم يترك شيئاً في اختصار أيام الإسلام كما وعد في المقدمة ؛ فقال : « فإنه لا يَجملُ بأولي العلم معرفة الأيام النبوية والتواريخ الإسلامية ، وهي مشتملة على علوم جمَّة ، وفوائد مهمَّة ، لا يستغني عالم عنها ، ولا يُعذر في العروِّ منها . وقد أحببت أن أُعلِّق تذكرة في ذلك لتكون مدخلاً إليه وأنموذجاً وعوناً له وعليه ، وعلى الله اعتمادي ، وإليه تفويضي واستنادي ؛ وهي مشتملة على ذكر نسب رسول الله عليه الصلاة والسلام وسيرته وأعلامه ، وذكر أيام الإسلام بعده إلى يومنا هذا ، مما يمسُّ حاجة ذوي الأرب إليه ، على سبيل الاختصار إن شاء الله تعالى »[١] .

٦ ـ « **اختصار علوم الحديث** » :

وهو كتاب في مصطلح الحديث ، سمَّاه ابن كثير « مختصر علوم الحديث » أو « اختصار علوم الحديث » .

قال ابن حجر في الدرر الكامنة : « وقد اختصر كتاب ابن الصلاح ، وله فيه فوائد »[٢] .

وقال حاجي خليفة في كشف الظنون : « أضاف إلى ذلك الفوائد الملتقطة من « المدخل إلى كتاب السنن » ؛ للبيهقي » .

---

(١) الفصول في سيرة الرسول ﷺ ـ الطبعة العاشرة ـ سنة ١٤٢٤هـ ـ دار الكلم الطيب بدمشق .
(٢) إنباء الغمر بأنباء العمر (١/ ٤٦) .

وسمَّاه السيوطي في ذيل تذكرة الحفَّاظ : « علوم الحديث » . ويُقدِّم ابن كثير ـ رحمه الله ـ لهذا الكتاب مبيِّناً منهجه فيقول :

« سلكت وراءه ـ يعني ابن الصلاح ـ واحتذيت حذاءَه ، واختصرتُ ما بسطه ، ونظمت ما فرَطه . . » ويفترض على ابن الصلاح تنويعه أقسام الحديث إلى خمسة وستين نوعاً ، وقابلية تقسيم هذه الأنواع إلى ما لا يُحصى ، فيقول : « وفي هذا كله نظر، بل في بسطه هذه الأنواع إلى هذا العدد نظر ، إذ يمكن إدماج بعضها في بعض ، وكان ذلك أليق مما ذكره ، ثم إنه فرق بين متماثلات منها بعضها عن بعض ، وكان اللائق ذكر كل نوع إلى جانب ما يناسبه ، ونحن نُرتِّب ما نذكره على ما هو الأنسب ، وربما أدمجنا بعضها في بعض طلباً للاختصار والمناسبة ، وننبه على مناقشات لا بد منها »[1] .

وقد نشر الكتاب بمكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ بتصحيح الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة باسم « اختصار علوم الحديث ، أو الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث » ، ثم شرحه الشيخ أحمد شاكر وطبع بالقاهرة سنة ١٣٥٥هـ باسم « الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث » ، ثم أعاد شرحه ، والتعليق عليه وتصحيحه ، وطُبع بالقاهرة سنة ١٣٧٠هـ ، ومما جاء في مقدمته : « وهو كتاب فذٌّ في موضوعه ، ألَّفه إمام عظيم من الأئمة الثقات المحقِّقين بهذا الفن ، ونسخه نادرة الوجود ، وكنا نسمع عنه في الكتب ، ثم رآه الأخ الأستاذ الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة المدرس بالحرم المكي عندما كان بالمدينة المنورة سنة ١٣٤٦هـ ، وكانت نسخته موجودة في مكتبة شيخ الإسلام أحمد عارف حكمة ، تحت رقم ٥٧ مصطلح ، وهي نسخة قديمة مكتوبة في طرابلس الشام سنة ٧٦٥هـ منقولة عن نسخة أخرى قوبلت على نسخة صحيحة معتمدة ، قرئت على المصنف ، وعليها خطه كما أثبت ذلك ناسخها ـ رحمه الله ـ »[2] ، ثم نشر مؤخراً في مجلدين بتحقيق علي حسن عبد الحميد الحلبي في مكتبة المعارف بالرياض .

٧٤ ـ الاجتهاد في طلب الجهاد :

وهو رسالة مطبوعة ، كتبها ابن كثير للأمير منجك نائب السلطنة بدمشق حين تولَّاها مرة ثانية (٧٧١ ـ ٧٧٥هـ) لإرسالها « إلى ما جاور البحر من البلاد ، ليأخذوا بحظهم من الجهاد »[3] .

وصرَّح ابن كثير في المقدمة بأنه كتبها بأمر نائب السلطان بدمشق « لأنه نائب الإمام ، وفيما أمر طاعة لله ولرسوله »[4] وطبعت بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ ، وعنيت بنشرها جمعية النشر والتأليف الأزهرية .

---

(١) اختصار علوم الحديث (ص : ١٩) .
(٢) الباعث الحثيث ؛ للشيخ أحمد شاكر (ص : ٤ ـ ٥) .
(٣) الاجتهاد في طلب الجهاد (ص : ٥) .
(٤) الاجتهاد في طلب الجهاد (ص : ٥) .

وتوجد من الرسالة نسخة مخطوطة بمعهد المخطوطات ، في جامعة الدول العربية بالقاهرة .

وذكرها حاجي خليفة في « كشف الظنون » وقال : « رسالة لعماد الدين إسماعيل بن عمر ، المعروف بابن كثير ، كتبها للأمير منجك لما حاصرَ الفرنج قلعة إياس »[١] .

وكان الفرنج قد هاجموا ثغر الإسكندرية ، وانتقلت عصائبهم منها إلى طرابلس لترويعها مع أهلها الآمنين بالقتل والأسر والتشريد .

وتمثل وثيقةً تاريخية وعلمية في فضل عبادة الجهاد ووجوبها ، وارتباطها الوثيق بصيانة مجد الأمة وعزتها ، والدفاع عن حياضها ، كلما استباح حرماتها معتد أثيم ، أو طامع لئيم .

وهي مختصر من كتاب أشمل ، كما ذكر المؤلف « وقد كنت جمعت في ذلك مجلداً بسيطاً ، فاختصرت منه وسطاً وسيطاً »[٢] .

٨ ـ جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوي سَنَن :

وهو أكبر كتب الحافظ ابن كثير في الحديث النبوي ، وأكثرها نفعاً ، وآخرها تأليفاً في حياته ، ولنسمع العلماء الكبار قدماء ومعاصرين ممن يتكلم على هذا الكتاب العظيم :

قال ابن حجر في « إنباء الغمر بأنباء العمر » (١/ ٤٧) : « ولما رتب الحافظ شمس الدين بن المحب ـ المعروف بالصامت المتوفى سنة ٧٨٩هـ ـ مسند أحمد على ترتيب حروف المعجم ـ حتى في التابعين المكثرين عن الصحابة ـ أعجب ابن كثير ، فاستحسنه . ورأيت النسخة بدمشق بخط ولده « عمر » فألحق ابن كثير ما استحسنه في الهوامش من الكتب الستة ، ومسندي أبي يعلى والبزار ، ومعجمي الطبراني ، ماليس في المسند ، وسمَّى الكتاب « جامع المسانيد والسنن » وكُتبت منه عدة نسخ نُسبت إليه . . وهو الآن في أوقاف « المدرسة المحمودية » المتن ترتيب ابن المحب ، والإلحاقات بخط ابن كثير في الهوامش والعصافير (الجذاذات)[٣] وقد كنت رأيت منه نسخة بيَّضها عمر بن العماد بن كثير مما في المتن والإلحاق ، وكتب عليه الاسم المذكور » .

وقال ابن العماد في « شذرات الذهب » (٨/ ٣٩٨) : « من مصنفاته كتاب في جمع المسانيد العشرة » .

---

(١) كشف الظنون (١/ ١٠) .

(٢) الاجتهاد في طلب الجهاد (ص : ٥) .

(٣) العصافير : الجذاذات ، لأنها إذا وقعت من الكتاب تطير كالعصافير ؛ وفي أساس البلاغة : الوريقات التي تعلق عليها الفوائد .

وقال الحسيني في « ذيل تذكرة الحفَّاظ » (ص : ٥٧٢) : « كتاب الهدي والسنن ، المعروف بجامع المسانيد ، رتبَّه على الأبواب[١] ، وهو من أنفع كتبه » .

وقال الشوكاني في « البدر الطالع » (١/ ١٥٣) : « الهدي والسنن في أحاديث المسانيد والسنن » ، جمع فيه بين مسند الإمام أحمد ، والبزار ، وأبي يعلى ، وابن أبي شيبة ، إلى الكتب الستة » .

وقال حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١/ ٥٧٣) : « جامع المسانيد والسنن ، كتاب عظيم ، فيه أحاديث الكتب العشرة في أصول الإسلام » .

وقال أحمد شاكر في مقدمة عمدة التفسير (ص : ٣٦) عن جامع المسانيد : منه في دار الكتب المصرية سبع مجلدات ، مجموع أوراقها (٢٢٨٠) ، وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية أجزاء منه .

وطُبع الكتاب في بيروت ـ بدار الفكر في سنة ١٩٩٩م في (٣٦) جزءاً ضمن (١٨) مجلداً + المقدمة ، وقد وثَّق أصوله وخرج حديثه وعلَّق عليه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي .

وقد جاء في المقدمة[٢] :

كيف نبتت فكرة « جامع المسانيد والسنن » ؟

يدين ابن كثير في وضع هذا الكتاب إلى شيخه الحافظ جمال الدين المِزي ، ومما لا ريب فيه أن تطور فهرسة الأحاديث النبوية بطريقة صنع الأطراف لها قد نضج على يد الحافظ المِزي بمؤلفه النفيس « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » الذي وضعه للكتب الستة ولواحقها[٣] .

والعمل الذي شرع الحافظ ابن كثير به عملٌ واسع مترامي الأطراف وعملية خطيرة أقدم عليها في أخريات حياته ، فهو آخر كتاب صنَّفه ، وقد كلفه عناء كبيراً .

ولكن كيف نبتت فكرة هذا المصنف الشامل ؟

كان الحافظ ابن كثير قد استوعب « تحفة الأشراف » استيعاباً وافياً ، وكان يحتفظ بنسخة من التحفة ، وقد وضع عليها بعض التقييدات ، واستدرك عليها .

---

(١) الصحيح ترتيبه على أسماء التابعين الرواة عن الصحابي .

(٢) مقدمة جامع المسانيد (ص : ٢٣٦) .

(٣) نشر الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتاب لأول مرة في الهند ، ثم أعاد الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف تحقيقه على سبعة وثلاثين جزءاً بخط المؤلف وعلى نسخ لرفاقه وتلامذته كُتبت في حياته ، ومنها نسخة علم الدين البرزالي التي قابلها بنفسه . وربطت هذه الطبعة الأحاديث ببعضها ، كما ربطت بمُسند الإمام أحمد ، وأضيف إليها عشرة كتب أخرى ، ونشرته دار الغرب الإسلامي منذ سنة ١٩٩٩م في ثلاثة عشر مجلداً .

وكلنا نعرف ما لأهمية مسند الإمام أحمد في دواوين السنة ، وقد تمنى الحافظ الذهبي أن يُقيِّض الله لهذا المسند من يرتبه ويخدمه . وقد أقام الله لترتيبه الشيخ الإمام الصالح الورع أبا بكر بن عبد الله المحب الصامت ، فرتبه على معجم الصحابة ، ورتب الرواية كذلك كترتيب كتاب الأطراف ، وتعب به كثيراً .

ثم إن الشيخ الإمام مؤرخ الإسلام ، وحافظ الشام ، عماد الدين أبا الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير رحمه الله ، أخذ هذا الكتاب المرتب من مؤلفه ، وأضاف إليه أحاديث الكتب الستة ، ومعجم الطبراني الكبير ، ومسند البزار ، ومسند أبي يعلى المَوْصلي ، وأجهد نفسه كثيراً ، وتعب فيه تعباً عظيماً ، فجاء لا نظير له في العالم[1] .

والحافظ ابن كثير كان يحفظ المسند عن ظهر قلب .

إذن فقد استبان منهج العمل أمام الحافظ ابن كثير ، ألا وهو تفريغ مسند الإمام أحمد على تحفة الأشراف ، وتفريغ معجم الطبراني الكبير ، وهو مصنف أساساً على أسماء الصحابة ، وليضف إليه مسند البزار من الزوائد على الكتب الستة ، وكذا مسند أبي يعلى الموصلي . وليكنْ كل هذا في قالب أسماء الصحابة ، وليكن أسد الغابة لابن الأثير هو أساس العمل .

٩ ـ التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل :

اتفق كثير من المترجمين لابن كثير على اسم هذا الكتاب « التكميل » ، صرح به ابن كثير في « البداية والنهاية (٨٠/ ١٥٠) . و (٩/ ٤١) و (١٠/ ٤١ ، ٧٦ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٩٧ ، ٣١٣) و (١١/ ٢٥٧ و٢٧٧) .

وذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » والبغدادي في « هدية العارفين » باسم « التكملة في معرفة الثقات والضعفاء »[2] قال الحسيني في ذيل تذكرة الحفَّاظ : « ومن تصانيفه : التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ، جمع بين كتاب التهذيب « تهذيب الكمال ؛ للمزي » والميزان « ميزان الاعتدال ؛ للذهبي » وهو في خمس مجلدات »[3] .

وقال ابن العماد في « شذرات الذهب » : واختصر « تهذيب الكمال » وأضاف إليه ما تأخَّر في

---

(١) لقد استفدنا من هذا الكتاب العظيم عند قيامنا بتأليف كتاب « المسند الجامع » لمعرفة ما سقط من الأحاديث في الطبعة الميمنية من مسند الإمام أحمد ، فاستدركناها منه ، وذلك ظاهر في حواشي « المسند الجامع » الذي نشرته دار الجيل سنة ١٩٩٢م (بشار) .

(٢) كشف الظنون (١/ ٤٧١) وهدية العارفين (١/ ٢١٥) .

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ (ص : ٥٧) .

« الميزان » سمّاه « التكميل »[1] ، ولابن كثير إضافات وزيادات في الجرح والتعديل ، كما أنه رتبه على حروف المعجم .

والكتاب مخطوط ، وقد رأى الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة المجلد الأخير منه في إحدى مكتبات المدينة المنورة بخط قديم ، منسوخ في حياة المؤلف من نسخته[2] .

وفي دار الكتب المصرية نسخة مصورة من نسخة خطية ناقصة رقمها (٢٤٢٧/ ب) وتقع في مجلدين[3] .

وفي الرباط مخطوطة رقمها (٢١٩/ك) وتقع في (٩٩) ورقة مخرومة الآخر[4] . ويعتبر التكميل مقدمة لكتاب « جامع المسانيد » كما صرح ابن كثير ـ رحمه الله ـ في مقدمة « التكميل »[5].

١٠ ـ مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وأقواله على أبواب العلم :

ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى في «اختصار علوم الحديث» فقال : كما بسطناه في مسند عمر »[6] وقال في « البداية والنهاية » : « كما بسطنا ذلك في ترجمة عمر بن الخطاب وسيرته التي أفردناها في مجلد ، ومسنده والآثار المروية عنه مرتباً على الأبواب في مجلد آخر ، ولله الحمد والمنة »[7] .

وقد بدأ الحافظ هذا المسند بأحكام الطهارة . . فالصلاة . . إلى آخر العبادات ، واشتمل على أبواب السير والملاحم ، والمعجزات ، والفضائل ، وغيرها . والكتاب مخطوط بخط ابن كثير ، بدار الكتب المصرية رقم (١٥٢) حديث تيمور ، ويقع في (٢٢٠) لوحة[8] .

وحققه الدكتور مطر الزهراني ، وحصل به على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة[9] . وقد طبع بتحقيق عبد المعطي قلعجي بدار الوفاء ـ المنصورة سنة ١٤١١هـ .

١١ ـ طبقات الشافعية :

أَلَّف الحافظ ابن كثير هذا الكتاب قبل « البداية والنهاية » لأنه أحال إليه فيها كثيراً كلما ذكر

---

(١) شذرات الذهب (٨/ ٣٩٨) .
(٢) مقدمة الباعث الحثيث (ص :٢٠٢) .
(٣) تهذيب الكمال ، المقدمة (١/ ٦٤) .
(٤) جامع المسانيد ، المقدمة (١/ ٢٠٤) .
(٥) ابن كثير الدمشقي ، للدكتور محمد الزحيلي (ص : ١٧٠) .
(٦) الباعث الحثيث (ص : ٥٧) .
(٧) البداية والنهاية (١٠/ ٢٨) .
(٨) جامع المسانيد ، المقدمة (١/ ٢٠٤) .
(٩) الإمام ابن كثير ؛ للندوي (ص : ١٢٨) .

أحد أصحاب الإمام الشافعي ، أو أحد العلماء الأعلام المصنِّفين في المذهب .

وقد ترجم في أوله لإمام المذهب محمد بن إدريس الشافعي سنة ٢٠٥هـ وقال : « أفردنا له ترجمة مطوَّلة في أول كتابنا « طبقات الشافعيين . . »[(١)] ثم قال : « وقد ذكر من شعره في السُّنَّة وكلامه فيها، وفيما قال من الحكم والمواعظ طرفاً صالحاً في الذي كتبناه في أول طبقات الشافعية»[(٢)] .

توجد من الكتاب نسخة خطية بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، كما رأينا (١١١) لوحة بالجامعة الإسلامية ، مصورة من مكتبة الكتاني بالرباط[(٣)] .

وقد طبع سنة ١٤١٣هـ بمصر بتحقيق محمد علي زينهم والدكتور أحمد عمر هاشم ، كما طُبع قسم منه بعنوان : « المسائل الفقهية التي انفرد بها الإمام الشافعي دون إخوانه من الأئمة » بقلم د . إبراهيم صندقجي ، مكتبة العلوم والحكم وحقَّق الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر « مناقب الإمام الشافعي » في مكتبة الإمام الشافعي ـ ١٤١٢هـ[(٤)] .

ب ـ الكتب المفقودة[(٥)] :

١ ـ **الكواكب الدراري في التاريخ** : وهو كتاب في التراجم ، ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » (٢/ ١٥٢١) والبغدادي في « « هدية العارفين » (١/ ٢١٥) وقالا : « انتخبه ابن كثير من تاريخه الكبير » وهو في ثلاث مجلدات ، ولم يرد له أثر في فهارس المخطوطات ، إلا المجلد الثالث في تركيا ـ إستنبول عمومي برقم (٥٠١٦) .

٢ ـ **سيرة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه** : ذكر ابن كثير كتابه هذا في « البداية والنهاية » في مواضع متفرقة ، وقال عنه في (٣/ ٢٢٤ و٢٣١) : وقد ذكرنا ترجمة الصِّدِّيق رضي الله عنه ، وسيرته ، وأيامه ، وما روى من الأحاديث ، وما روى من الأحكام في مجلد ، ولله الحمد والمنة » وأشار إلى هذا في التفسير (٤/ ٢٢٤) وفي اختصار علوم الحديث (ص : ١٨٣) .

٣ ـ **سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه** : ذكره في « البداية والنهاية » (١٠/ ٢٨) في مواضع أيضاً ، وقال عن أبي بكر وعمر : « وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي أفردناه في سيرته ،

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٣و٢٠) و (١٣/ ٢١٣) و (١٣/ ١٤٣) و (١٥/ ٣٤) .
(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣ و٢٠) و (١٣/ ٢١٣) و (١٣/ ١٤٣) و (١٥/ ٣٤) .
(٣) الفصول في سيرة الرسول ﷺ (ص : ٥٠) .
(٤) الإمام ابن كثير ؛ للندوي (ص : ١٢٤) .
(٥) هي كتب ذكرها المؤلف ، أو مترجموه ، ولم تظهر في فهارس المخطوطات حتى الآن ، ولم نفقد الأمل من وجودها أو بعضها على الأقل .

وأوردنا فضائله وشمائله، وأتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً، وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبي ﷺ من الأحاديث ، وما روي عنه من الآثار والأحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات ، ولله الحمد والمنة .

وأفاد الندوي[1] أن كلامه على الشيخين يتضمن كتابين في ثلاث مجلدات :

١ ـ كتاب في سيرة أبي بكر ومسنده ، في مجلد .

٢ ـ كتابه في سيرة عمر ومسنده ، في مجلدين : الأول في سيرته ، والثاني في مسنده ، وقد تقدم الكلام على مسنده برقم (١٠) .

٤ ـ **أحاديث الأصول** : ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٥٥) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء : ١١٥] وقال : وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك ، وقد ذكرنا طرفاً منها صالحاً في كتاب أحاديث الأصول » .

٥ ـ **شرح البخاري** : شرع ابن كثير في شرح البخاري ولم يكمله ، واتفق مترجموه على ذلك ، فقد ذكر ذلك حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ٥٥٠) والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٢٥١) وقال ابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٩٩) والداودي في طبقات المفسِّرين (١/ ١١١) : « وشرح قطعة من البخاري » . وقال ابن حجر في الدرر الكامنة (١/ ٣٩٩) : و« شرع في شرح البخاري » . وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » (١١/ ٢٥٠) أثناء ترجمة الإمام محمد بن إسماعيل البخاري سنة (٢٥٦هـ) : صاحب الصحيح ، وقد ذكرنا له ترجمة حافلة في أول شرحنا لصحيحه » وقال فيها (٣/ ١٨٩) عند الكلام على حديث بدء الوحي : « وتكلَّمنا مطوَّلًا في أول شرح البخاري في كتابه بدء الوحي ، إسناداً ومتناً ، ولله الحمد والمِنَّة » . ونراه في التفسير (٣/ ٤٥٤) أيضاً يُحيل إلى « أول صحيح البخاري » ويتساءل الدكتور مسعود الندوي : إلى أي حد بلغ ابن كثير في شرحه؟ ويجيب بأنه لا يمكن الإجابة بيقين ، ولكنه يذكر بعض الإرشادات التي تفيد شرحه لما يلي :

ـ الباب الأول : كيف كان بدء الوحي ؟ .

ـ الكتاب الأول : كتاب الإيمان .

٦ ـ **الأحكام الصغير ، أو أحكام التنبيه** : ذكره ابن كثير ـ رحمه الله ـ في كتاب « اختصار علوم الحديث » (ص : ١٩١) فقال : « وقد تكلَّمنا على ذلك في كتاب الأحكام الكبير والصغير » .

وقال ابن العماد في الشذرات (٨/ ٣٩٧) : « وصنف في صغره كتاب الأحكام على أبواب التنبيه » .

---

(١) الإمام ابن كثير ؛ للندوي (ص : ١٤٨) .

وقال ابن حجر في « إنباء الغمر بأبناء العمر » : « ألَّف في صغره أحكام التنبيه » . وتقدم أنه عرضه على شيخه برهان الدين الفزاري فأُعجب به ، وأثنى عليه .

ونصل إلى نتيجة سليمة وسديدة[١] : أن « الأحكام الصغير » هو كتاب أحكام التنبيه ، أو الأحكام على أبواب التنبيه ، وقد طبع في مجلدين بمؤسسة الرسالة باسم « إرشاد الفقيه » والعنوان استظهره المؤلف .

٧ ـ **الأحكام الكبير** : شرع ابن كثير في تأليف كتاب كبير في الأحكام ، ولكنه لم يتمه ، وهو في الفقه . وقد ذكره في البداية والنهاية (٣/ ٣٣٣) فقال : « وسنذكر جميع ما يختص بالأنبياء مع خصائص نبينا في أول كتاب النكاح من كتاب الأحكام الكبير حيث ذكره الأئمة المصنفون ، اقتداء بالإمام الشافعي ـ رحمه الله » .

وذكر الكتاب ابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٩٨) والداودي في طبقات المفسرين (١/ ١١١) وقالا : « وشرع في أحكام كثيرة حافلة ، كتب فيها مجلدات إلى الحج » .

وقال السيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ (ص : ٣٦١) : « وشرع في كتاب كبير في الأحكام ولم يتمَّه » . وذكر المقريزي أنّه عمل منه مجلدين في الطهارة ومجلداً من الصلاة[٢] .

٨ ـ **تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب** : أشار إليه ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٥/ ٢٦٩) أثناء ترجمة ابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ فقال : ومختصره في الفقه من أحسن المختصرات ، انتظم فيه فوائد ابن شاس ، ومختصره في أصول الفقه استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآمدي ، وقد من الله تعالى عليَّ بحفظه ، وجمعت كراريس في الكلام على ما أودعه فيه من الأحاديث النبوية ، ولله الحمد » .

وقال ابن قاضي شهبة في الطبقات (٣/ ١١٤) : « وخرج الأحاديث الواقعة في مختصر ابن الحاجب ، وكتب رفيقه الشيخ تقي الدين بن رافع لنفسه منه نسخة » .

٩ ـ **كتاب الصيام** : ذكره ابن كثير في « تفسير القرآن العظيم » (١/ ٢١٥) و (٣/ ٥١٢) وقال بسطنا هذه المسألة مستقصاة في « كتاب الصيام » الذي أفردناه ، ولله الحمد والمنة » .

١٠ ـ **المقدِّمات** : ذكره في مختصر مقدمة ابن الصلاح ، وأحال إليه (ص : ٥٧) : «وأما كون (المرسل) حجةً في الدين ، فذلك يتعلق بعلم الأصول ، وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا «المقدمات» .

وقد عدَّه محمد عبد الرزاق حمزة في كتبه (ص : ٢٧) من كتاب اختصار علوم الحديث ، وهو في علم أصول الفقه .

---

(١) انظر هذه الحقيقة مفصلة في كتاب « الإمام ابن كثير » ، للندوي (ص : ١٣٤) .
(٢) درر العقود الفريدة (١/ ٤٠١) .

١١ ـ مناقب الشافعي . ذكره تلميذه المقريزي في درر العقود الفريدة[(١)] .

١٢ ـ مناقب ابن تيمية : ذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٦/ ٢١٥) في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ فقال : « وسنفرد له ترجمة على حدة إن شاء الله تعالى » وقال : « وقد أُفردت له تراجم كثيرة ، وصنَّف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم ، وسألخص من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه وفضائله ، وشجاعته وكرمه ، ونصحه ، وزهادته وعبادته ، وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة ، وصفاته الكبار والصغار التي احتوت على غالب العلوم ومفرداته في الاختيارات التي نصرها بالكتاب والسنة ، وأفتى بها » .

ولا نستطيع الجزم بأن ابن كثير وفَّى بما وعد به ، ولا تسعفنا كتب التراجم بمعرفة ذلك .

١٣ ـ اختصار كتاب المدخل إلى كتاب السنن للبيهقي : ذكره ابن كثير في مقدمة اختصار علوم الحديث ، لابن الصلاح (ص ٢٩) فقال : « وقد اختصرته ـ المدخل إلى كتاب السنن ـ أيضاً ، بنحو هذا النمط من غير وكس ولا شطط » وهذا يدل على تقدم على اختصار كتاب المدخل إلى كتاب السنن . وقد عدَّه محمد عبد الرزاق حمزة في كتبه (ص ٢٧) من كتاب اختصار علوم الحديث .

١٤ ـ شرح التنبيه ؛ لأبي إسحاق الشيرازي : ذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » عند ترجمة أبي إسحاق الشيرازي ، المتوفى سنة ٤٧٦هـ ، (١٣/ ٢١٢) وسمَّاه « شرح التنبيه » ، وكان يحفظ « التنبيه » ويستحضره إلى آخر وقت ،كما في الإنباه ، لابن حجر (١/ ٤٦) ، وقد خرج أحاديثه ورتبه على أبواب الفقه كما تقدم .

١٥ ـ بيع أمهات الأولاد : ذكره في « البداية والنهاية » (٥/ ٤٣١) في فصل سراري رسول الله ﷺ حين ولدت له جاريته مارية إبراهيم ، فقال ﷺ : « أعتقها ولدها » وقال ابن كثير : « وقد أفردنا لهذه المسألة ، وهي بيع أمهات الأولاد ، مصنَّفاً مفرداً على حدته ، وحكينا فيه أقوال العلماء ، بما حاصله يرجع إلى ثمانية أقوال ، وذكرنا مستند كل قول ، ولله الحمد والمنة » .

١٦ ـ سيرة منكلي بغا الشمسي : ذكره السخاوي في « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » (ص ١٨٦) : « وأفرد العماد ابن كثير سيرة منكلي بغا سماها : ما ينتقى ويبتغى في سيرة المعز السيفي منكلي بغا » وهو أحد مماليك الملك الناصر حسن ، ونائبه على دمشق (٧١٤ ـ ٧٦٨هـ) وكان مهاباً عاقلاً يتكلم في عدة علوم ، ويحترم ابن كثير ويكرمه ويستشيره . توفي منكلي بغا سنة ٧٧٤هـ بمصر .

---

(١) درر العقود الفريدة (١/ ٤٠١) .

ج ـ الأجزاء الحديثية[1] :

١ ـ جزء في الأحاديث الواردة في المهدي : ذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » (٦/ ٣٦٨) والنهاية (١/ ٣٠) .

٢ ـ جزء في حديث كفارة المجلس : ذكره في البداية والنهاية (١١/ ٢٧٢) في ترجمة مسلم بن الحجاج ، المتوفى سنة ٢٦١هـ .

٣ ـ جزء في فضل يوم عرفة : ذكره ابن كثير في « تفسير القرآن العظيم » (١/ ٤٣٠) عند تفسيره الآية رقم ١٩٩ من سورة البقرة ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

٤ ـ جزء في الصلاة على النبي ﷺ في التشهد : ذكره ابن كثير في « مناقب الشافعي » في المسائل الفقهية التي انفرد بها الإمام الشافعي ، وأنها فرض عند الشافعي (ص ٨٦) ـ والكتاب مأخوذ من « طبقات الشافعية » .

٥ ـ جزء في ذكر الأحاديث الواردة في قتل الكلاب : أشار إليه في « البداية والنهاية » (١٦/ ٣٤٣) معلقاً على أمر نائب السلطان بقتل الكلاب سنة ٧٤٩هـ ، بعد أن فشا الطاعون في الشام .

٦ ـ جزء في الصلاة الوسطى : ذكره في « تفسير القرآن العظيم » (١/ ٢٩٤) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

٧ ـ جزء في ميراث الأبوين مع الإخوة : ذكره ابن كثير ـ رحمه الله ـ في « تفسير القرآن العظيم » (١/ ٤٥٩) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ . . . فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ . . ﴾ [النساء : ١١] .

٨ ـ جزء في الرد على حديث السجل : ذكره في « تفسير القرآن العظيم » (٣/ ٢٠٠) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] .

٩ ـ جزء في حديث الصور : ذكره ابن كثير في « تفسير القرآن العظيم » (٢/ ١٤٦) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ ﴾ [الأنعام : ٧٣] . وفي « النهاية » في الفتن والملاحم (١٧/ ١٨٠) .

١٠ ـ جزء في الذبيحة التي لم يُذكر اسم الله عليها : ذكره ـ رحمه الله ـ في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٧٠) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

---

(١) أشار إليها ابن كثير ـ رحمه الله ـ في كتبه ، أو ذكرها العلماء المترجمون له ، وهي مفقودة لم تصل إلينا بعد .

١١ ـ جزء في الأحاديث الواردة في فضل الأيام العشرة من ذي الحجة : ذكره ابن كثير في « تفسير القرآن العظيم » (٣/ ٢٧٢) أثناء تفسير قوله تعالى : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾ [الحج : ٢٨] .

١٢ ـ جزء في الرد على كتاب رفع الجزية عن يهود خيبر : ذكره في البداية والنهاية (٤/ ٤٥٠) وقد ادعوا أن النبي ﷺ أسقط عنهم الجزية ، فقام العلماء يفندون دعواهم الباطلة ، وأسهم ابن كثير في إبطال ذلك .

١٣ ـ جزء في ذكر تطهير المساجد : ذكره الحافظ في « تفسير القرآن العظيم » (١/ ٢٢٦) في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٥] و (٣/ ٣٦٤) أثناء تفسير قوله تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [النور : ٣٦] .

١٤ ـ جزء مفرد في فتح القسطنطينية : ذكره ابن كثير في « تفسير القرآن العظيم » (١/ ٤٥١) أثناء تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ . . ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

١٥ ـ جزء في زواج النبي ﷺ بأم سلمة : ذكره في كتاب « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » (ص : ٢٤٥) وبين فيه أن عمر المقول له : قم فزوّج النبي ﷺ ، إنما هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لا ابن أم سلمة عمر بن أبي سلمة ، فقد كان صغيراً لا يصح أن يكون وليّاً في عقد النكاح .

١٦ ـ جزء مفرد في حديث إنكار رسول الله ﷺ الزواج من عزَّة بنت أبي سفيان : ذكره الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » (ص : ٢٤٩) وفي « البداية والنهاية » (٨/ ١٧٤) والحديث في صحيح مسلم (٢٥٠١) وفيه أن أبا سفيان عرض على النبي ﷺ الزواج بأم حبيبة ، وهو خطأ ظاهر ، وإنما كانت (عزة) فاعتذر النبي ﷺ ، لأن الجمع بين الأختين حرام .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

ثامناً : مكانته العلمية والاجتماعية

تمهيد :

لقد تبوَّأ الحافظ المفسر المؤرِّخ الفقيه إسماعيل بن كثير مكان الصدارة والاحترام بتحصيله العلمي وتآليفه المدهشة ، وتسنَّم مكان الحفاوة والاهتمام بفتاويه الدقيقة ، ومواقفه الجريئة .

ورغم أنه أصبح من كبار العلماء ، فإنه لم يصل إلى التأثير في الشأن العام ، وبخاصة في الحياة الاجتماعية والسياسية كتأثير شيخه ابن تيمية ، ولكنه ترك تغييراً هادئاً ، ما زال يفعل فعله الثقافي والحضاري إلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهو يتمتع بحضور تام ، وعقل وقَّاد ، وقلم سيَّال ، وشخصية محترمة ومتميزة ، لا يُداهن في الحق ، ولا يتهاون في إنكار البدع ، ولا يُماري في نبذ الخرافات ، وليس بخِبٍّ فلا يخدعُ ولا يُخادَع ، ولا يحني رأسه ، ولا يكسر قلمه ؛ مرائياً أو متطامناً .

لقد جمع بين الرزانة والقوة ، والرَّصانة والعزيمة ، وتجنَّب التطرف والحِدَّة ، وظهر في المجالس العلمية الخاصة والعامة شافعياً ملتزماً ، ومفكراً مصلحاً ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويثبت بقلمه ولسانه ما يُريد بتبصر وإخلاص ، لا يخاف في الله لومة لائم ، فينظر إليه الناس بالتقدير والمحبة والإعجاب ، وسنرقب ذلك عن كثب وتمعن في مكانته العلمية والاجتماعية .

أ ـ مكانته العلمية :

● الفتاوى : أصبح ابن كثير في دمشق من المفتين الكبار ، أذن له في الإفتاء الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد المعروف بابن القلانسي المتوفى سنة ٧٣١هـ ، ووصفه أقرانه بالفقيه المفتي ، والإمام المفتي البارع ، وبأنه طارت فتاواه إلى البلاد ، ونجتزىء من سيرة حياته فتاوى تدلُّ على تضلع في الفقه مع الإنصاف والحصافة :

ـ قال الحافظ في « البداية والنهاية » (١٦/ ٢٥١) : « وفي يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة سنة ٧٣٣هـ رُكِّب على الكعبة باب حديد أرسله السلطان مرصَّعاً من السنط الأحمر ، كأنه أبنوس ، مركب عليه صفائح من فضة زنتها خمسة وثلاثون ألفاً وثلاثمئة وكسر ، وقُلع الباب العتيق ، وهو من خشب السَّاج ، وعليه صفائح ، تسلَّمها بنو شيبة ، وكان زنتها ستين رطلاً ، فباعوها كل درهم بدرهمين ، لأجل التبرك . وهذا خطأ وهو ربا ، وكان ينبغي أن يبيعوها بالذهب لئلا يحصل ربا بذلك » .

ـ وقال في « البداية والنهاية » (١٦/٤٠٦) : وفي سنة ٧٦١هـ صدر « الأمر بإلزام القلندرية بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم ، وذلك محرَّم بالإجماع حسب ما حكاه ابن حزم ، وإنما ذكره بعض الفقهاء بالكراهية » وكان اللائق أن يُؤمروا بترك الحشيشة الخسيسة ، وإقامة الحدِّ عليهم بأكلها وسكرها ، كما أفتى بذلك بعض الفقهاء » .

ـ وقال في « البداية والنهاية » (١٦/ ٣٥٤) سنة ٧٥١هـ : ومن العجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ، ولم يقع من نحو مئتي سنة وأكثر ، أنه أُبطل الوقيد بجامع دمشق ليلة النصف من شعبان ، فلم يزد في وقيده قنديل واحد ، على عادة لياليه في سائر السنة ، ولله الحمد والمنة ، وفرح أهل العلم بذلك ، وأهل الديانة ، وشكروا الله تعالى على تبطيل هذه البدعة الشنعاء ، التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد ، والاستئجار بالجامع الأموي ، وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلَّد الله ملكه ، وشيَّد أركانه ، وكان الساعي لذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النجيبي بيَّض الله وجهه ، وقد كان مقيماً في هذا الحين بالديار المصرية ، وقد كنت رأيت عنده فتيا عليها خط الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني وغيرهما في إبطال هذه البدعة ، فأنفذ الله ذلك ، ولله الحمد والمِنَّة » .

ـ وقال في « البداية والنهاية » (١٦/٣١٣) : في أحداث سنة ٧٤٣هـ : « وفي يوم الجمعة ١٦ صفر قبل العصر ورد البريد من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة تقي الدين السبكي[١] إليها حاكماً بها ، فذهب الناس للسلام عليه وتوديعه ، وذلك بعدما أرجف الناس به كثيراً ، واشتهر أنه سينعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الأيتام . . وكُتبت فتوى عليه بذلك في ترغيمه ، وداروا على المفتين ، فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضي جلال الدين بن حسام الدين الحنفي ، ورأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة ، وسئلت في الإفتاء عليها ، فامتنعت لما فيها من التشويش على الحكام » .

• **مواقف علمية** : صائبة وجريئة تدل على أن ابن كثير ليس بجمَّاع ولا حاطب ليل ، بل شخصيته حاضرة وشاهدة ، وعقله المتيقظ جلياً من خلال المواقف التالية :

ـ **دفاعه عن الطبري** : قال في « البداية والنهاية » (١٢/ ٥٩) : « وقد كانت وفاته ـ أبو جعفر الطبري ـ وقت المغرب عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال من سنة ٣١٠هـ . وقد جاوز الثمانين بخمس سنين أو ست سنين ، وفي شعر رأسه ولحيته سواد كثير ، ودُفن في داره ؛ لأن بعض عوام

---

(١) علماً بأنه كان بين ابن كثير وتقي الدين السبكي خصومة فكرية ، وأبى أبو الفداء أن ينتقم لنفسه ، وأصرَّ على الإنصاف والتريث حتى يظهر وجه الحق .

الحنابلة ورعاعهم منعوا من دفنه نهاراً ، ونسبوه إلى الرفض ، ومن الجهلة من رماه بالإلحاد ، وحاشاه من ذلك كله ، بل كان أحد أئمة الإسلام علماً وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإنما تقلَّدوا ذلك عن أبي بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري ، حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم والرفض . ولما توفي اجتمع الناس من سائر أقطار بغداد ، وصلُّوا عليه بداره ، ودُفن فيها ، ومكث الناس يتردّدون إلى قبره شهوراً يُصلُّون عليه ، وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث « غدير خم » في مجلدين ضخمين ، وكتاباً جمع فيه طريق « الطير »[1] .

ـ نقده لابن خلكان : وقال ابن كثير في ذكر حوادث سنة ٢٩٨هـ ترجمة ابن الراوندي ، فقال : « أحد مشاهير الزنادقة ، كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام ، ويقال إنه حرَّف القرآن ، كما عارض ابنه القرآن بالقرآن وألحدَ فيه ، وصنف كتاباً في الردِّ على القرآن سمَّاه « الدامغ » وكتاباً في الردِّ على الشريعة والاعتراض عليها سمَّاه « الزمردة » وكتاباً يُقال له « التاج » في معنى ذلك . . » .

ثم قال : « وقد ذكره ابن خلكان في « الوفيات » وقلس عليه ، ولم يخرجه بشيء ، ولا كأن الكلب أكل له عجيناً ، على عادته في العلماء والشعراء ، فالشعراء يطيل تراجمهم ، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة ، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم . وأرَّخ ابن خلكان تاريخ وفاته في سنة ٢٤٥هـ ، وقد وهم وهماً فاحشاً ، والصحيح أنه توفي في هذه السنة ، كما أرَّخه ابن الجوزي وغيره » .

ـ نقده للخطيب البغدادي : قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في « البداية والنهاية » (١٠/ ٣٣٥) : قال الخطيب في بناء أبي جعفر المنصور لمدينة بغداد : « وبناها مدوَّرة ، ولا يعرف في أقطار الأرض مدينة مدوَّرة سواها ، ووضع أساسها في وقت اختاره له « نوبخت » المُنجِّم . ثم ذكر عن بعض المنجِّمين قال : قال لي المنصور لما فرغ من بناء بغداد : خذ الطَّالع لها ، فنظرتْ في طالعها ـ وكان المشتري في القوس ـ فأخبرته بما تدلُّ عليه النجوم ، من طول زمانها ، وكثرة عمارتها ، وانصباب الدنيا إليها ، وفقر الناس إلى ما فيها . قال : ثم قلتُ له : وأُبشّرك يا أمير المؤمنين أنه لا يموتُ فيها أحدٌ من الخلفاء أبداً . قال : فرأيته يبتسم ، ثم قال : الحمدُ لله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . وذكر عن بعض الشعراء أنه قال في ذلك شعراً ، منه :

قضى ربُّها أن لا يموت خليفةٌ بها إنه ما شاء في خلقه يقضي

وقد قرَّره على هذا الخطأ الخطيب ، وسلم ذلك ولم ينقضه بشيء ، بل قرَّره مع اطلاعه ومعرفته !! » .

● قراءة صحيح البخاري ومسلم : في ستة مدارس ، وفي دور بعض الأمراء ، وفي أماكن

---

(١) أبو جعفر الطبري اثنان ، الأول هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، والثاني من الروافض واسمه أيضاً محمد بن جرير بن رستم ، ألف كتباً كثيرة في ضلالتهم انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧) و(١٤/ ٢٨٢) .

متعددة من دمشق الفيحاء ، ولنسمعه يؤرخ لذلك في تاريخه (١٦/٤٥٧) في حوادث سنة ٧٦٦هـ :

« وخُتم « البخاري » بالجامع الأموي وغيره في عدة أماكن ، من ذلك ستة مواعيد ، تقرأ على الشيخ عماد الدين بن كثير في اليوم ، أولها بمسجد هشام بكرة قبل طلوع الشمس ثم تحت النسر ، ثم بالمدرسة النورية ، وبعد الظهر بجامع تنكز ، ثم بالمدرسة العزية ، ثم بالكوشك لأم الزوجة الست أسماء بنت الوزير ابن السَّلْعوس إلى أذان العصر ، ثم من بعد العصر بدار ملك الأمراء أمير علي بمحلَّة القصَّاعين إلى قريب الغروب ، ويقرأ « صحيح مسلم » بمحراب الحنابلة داخل باب الزيارة بعد قبة النسر ، وقبل النورية ، والله المسؤول ، وهو المعين الميسِّر المسهِّل . وقد قرىء في هذه الهيئة في عدة أماكن أخر من دور الأمراء وغيرهم ، ولم يُعهد مثل هذا في السنين الماضية ، فلله الحمد والمِنَّة » .

● **موقفه من الإسرائيليات** : اهتم أبو الفداء رحمه الله للإسرائيليات ، ونبه على منهجه حيالها في أول تفسيره وفي أول تاريخه ، وتتبع روايات الحديث النبوي « بلِّغوا عني ولو آية ، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبَّوأ مقعده من النار » ، فقسَّم[1] الأخبار عن بني إسرائيل إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ الإسرائيليات التي يصدقها الكتاب والسنة ويشهدا لها ؛ ولا حاجة إليها « استغناء بما عندنا » .

٢ ـ الإسرائيليات التي لا يصدقها الكتاب والسنة ، ولا يشهدا لها ؛ « فذاك مردود ، لا تجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال » .

٣ ـ الإسرائيليات التي لا يُصدِّقها الكتاب والسنة ، ولا يكذبها ، تجوز روايتها للاعتبار ، لأن من فائدة هذا القسم « بسطٌ لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا ، مما لا فائدة في تعيينه لنا ، فنذكره على سبيل التحلِّي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه ، وإنما الاعتماد والاستناد على الكتاب وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ما صحَّ نقله أو حسن ، وما كان في ضعف بيِّنته » .

ونحن نتمنى أن يكون ابن كثير قد التزم هذا المنهج في أول كتابه « البداية والنهاية » وبخاصة في قسم بدء الخلق وقصص الأنبياء ، إذ لو فعل لأراح واستراح من كثير من الإسرائيليات المتهافتة التي لا تخرج عن القسم الثاني مما يجب رده وإنكاره وإبطاله ، والذي لا مبرر لتسطيره إلا داعي الجمع والنقل .

---

(١) انظر الإمام ابن كثير ، للندوي (ص : ٣١٥ ـ ٣١٦) .

• **نظم الشعر** : لا ريب أن ابن كثير غلب على أسلوبه أنه مفسر محدِّث فقيه ، لا شاعر ولا أديب ، ومن المحتمل أنه كان مقلاً جداً من قول الشعر ، لأنه يعتبر صناعة الشعر عملاً يستوجب الاستغفار والتوبة ، فقد روى قصيدة لوالده مطلعها :

نأى النومُ عن جفني فبتُّ مسهَّداً أخا كَلَفٍ ، حِلْفَ الصبابة مُوجَدا
سميرَ الثريا والنجوم ، مُدَلَّهاً فمن ولهي خِلْتُ الكواكب رُكَّدا

ثم قال بعدها : « وعدتها ثلاثة وعشرون بيتاً ، والله يغفر له ما صنع من الشعر » ، ومما يؤكد ذلك ما كتبه المترجمون لحياته :

قال ابن حجر في « الإنباء » (١/ ٤٦) : « وينظم نظماً وسطاً » وتبعه في ذلك ابن العماد في « الشذرات » (٨/ ٣٩٧) .

ومما نقل عنه من شعر الحكمة :

تمرُّ بنا الأيام تترى وإنما نساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائدٌ ذاك الشبابُ الذي مضى ولا زائلٌ هذا المشيب المُكدَّر

ولاحظ ابن حجر في « الإنباء » (١/ ٤٧) : على البيت الثاني ، أنه لو قال : صَفو الشباب ، لكان أمتع » .

كما نظم قصيدة في « البداية والنهاية » (١٣/ ٢١٠) أتمَّ فيها ذكر الخلفاء العباسيين بعد المستعصم بالله ، وهي ضرب من الرجز ، ومنها :

ثمَّ ابتلاه الله بالتتار أتباع جنكيز خان الجبَّار
صحبته ابن ابنه هولاكو فلم يكن من أمره فكاك
فمزَّقوا جنوده وشملَه وقتلوه نفسهُ وأهله
ودمَّروا بغداد والبلادا وقتلوا الأحفادَ والأجدادا

وأجاز لأحدهم فقال :

أجزتهمُ ما قد سُئلتُ بشرطه وكاتبُه إسماعيلُ بن كثير

وحكم بفكر العالم الفقيه ، لا بحسِّ الأديب الأريب ، على قصيدة أبي العباس الناشي (٨٨) بيتاً ، بأنها قصيدة بليغة مع أنها منظومة علمية لا تحرك عاطفة ولا تمس شعوراً ، أورد فيها ناظمها النسب النبوي الشريف بكلام موزون ، ليكون هذا مساعداً على الحفظ والتذكر[١] .

---

(١) الفصول (ص : ٢٢ و ٨٨) .

• **أقوال العلماء فيه** : ومما يؤكد المكانة العلمية السامقة التي بلغها ابن كثير بالجد والمثابرة أقوال شيوخه وتلاميذه ومعاصريه ، ومنهم :

ـ فهذا الذهبي ـ أحد شيوخه كما تقدم يقول في « تذكرة الحفاظ » (٤/ ٥٠٨) : « وسمعت مع الفقيه المفتي المحدِّث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي ، ولد بعد السبعمئة أو فيها ، وسمع من ابن الشحنة ، وابن الزرَّاد ، وطائفة ، وله عناية بالرجال والمتون ، والتفقه ، خرَّج وألف ، وصنَّف وفسَّر ، وتقدَّم » .

ويقول في « المعجم المختص » وهو معجم خاص بالطلبة : « الإمام الفقيه المحدث الأوحد البارع عماد الدين . . . يدري الفقه ويفهم العربية والأصول ، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم ، سمع مني ، وله حفظ ومعرفة[١] » .

ـ وهذا معاصره الحسيني يقول في ذيل تذكرة الحفاظ (ص : ٥٨) : « الشيخ الإمام العالم ، الحافظ المفيد البارع . . أفتى ودرَّس وناظر ، وبرع في الفقه والتفسير والنحو ، وأمعن النظر في الرجال والعلل » .

ـ أما تلميذه ابن حجي فيقول كما في « الدارس » للنعيمي (١/ ٣٦) و « طبقات المفسرين » للداودي (١/ ١١١) : « كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث ، وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها ، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك ، وكان يستحضر شيئاً كثيراً من الفقه والتاريخ ، قليل النسيان ، وكان فقيهاً جيد الفهم صحيح الذهن ، ويحفظ « التنبيه » إلى آخر وقت ، ويُشارك في العربية مشاركة جيدة ، وينظم الشعر ، وما أعرف أني اجتمعت به ـ على كثرة ترددي إليه ـ إلا واستفدت منه » .

وأما تلميذه الآخر العلامة تقي الدين المقريزي فيقول فيه : « الحافظ الفقيه العلامة ، شيخنا ذو الفنون . . . برع في فنون بملازمة شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وصنّف التصانيف المفيدة . . . وكان حافظاً متقناً حسن الأخلاق ، جميل المعاشرة ، متواضعاً ، كثير الاستحضار . . . ولم يخلف بعده مثله »[٢] .

ـ وأما ابن حجر العسقلاني ، فيقول في الدرر الكامنة (١/ ٤٠٠): « وكان كثير الاستحضار ،

---

(١) المعجم المختص ٧٤ ـ ٧٥ . ونقل ابن قاض شهبة وابن حجر عن « المعجم المختص » للذهبي أنه قال فيه : « فقيه متفنن ، ومحدث متقن ، ومفسر نقاد ـ في المطبوع وفي طبقات ابن قاضي شهبة (ص : ٤٧٤) والدرر الكامنة (١/ ٣٧٤) : « نقال » ، وهو تحريف واضح ، وخطأ فادح ـ وله تصانيف مفيدة » ولم نجد ذلك في معجمه . الضوء اللامع (٤/ ٥٩) .

(٢) درر العقود (١/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) .

حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته ، ولم يكن على طريقة المحدِّثين ، في تحصيل العوالي ، وتمييز العالي من النازل ، ونحو ذلك من فنونهم ، وإنما هو من محدِّثي الفقهاء ، وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح ، وله فيه فوائد . . . » .

ويرد السيوطي على ابن حجر في هذا الكلام الذي انتقص فيه من مكانة ابن كثير كمحدث ، فيقول في ذيله على التذكرة (ص : ٢٦١) : « العمدة في علم التفسير معرفة صحيح الحديث وسقيمه ، وعلله ، واختلاف طرقه ورجاله جرحاً وتعديلاً ، وأما العالي والنازل ونحو ذلك ، فهو من الفضلات ، لا من الأصول المهمة » .

ب ـ مكانته الاجتماعية :

● صلته بنائب السلطنة : وهو مؤهَّل لهذه الصلة ، فمنصب الإفتاء ، والتدريس ، والتأليف التاريخي ، تمنحه المكانة الاجتماعية المرموقة والمحترمة ، فيُدعى إلى مجالس العلم والتحكيم ، والفصل في القضايا العلمية الدقيقة ، ولحضور المصالحات العامة ، والصلة المباشرة مع الحكام الذين تولوا نيابة السلطان في دمشق ، فقد ورد في البداية والنهاية (١٦/ ٤٢٧) خلال حوادث سنة ٧٦٣هـ : « وفي ثاني المحرم قدم نائب السلطنة ـ علاء الدين المارداني ـ بعد غيبة نحو من خمسة عشر يوماً ، وقد أوطأ بلاد فرير بالرعب ، وأخذ من مقدميهم طائفة فأودعهم الحبس ، وكان قد اشتهر أنه قصد العشيرات المواسين ببلاد عجلون ، فسألته عن ذلك حين سلَّمت عليه ، فأخبرني أنه لم يتعد ناحية فرير ، وأن العشيرات قد اصطلحوا واتفقوا ، وأن التجريدة عندهم هناك » .

وتقدَّم أنه كتب سيرة لنائب السلطان على دمشق منكلي بغا المتوفى سنة ٧٧٠هـ ، وأنه كان يُكرم ابن كثير ويقرِّبه .

كما تقدَّم أنه كتب رسالة في الجهاد للأمير منجك حين تولَّى السلطنة مرة ثانية (٧٧١ ـ ٧٧٥هـ).

● حضور مجالس كبار العلماء : ومن يتابع حوادث السنوات بدءاً من سنة ٧٣٠هـ يجد أن ابن كثير كان يحضر مجالس العلماء ، ويشارك في الحياة العامة ، وبخاصة قضايا التحكيم والاختلاف ، ويشهد لذلك ما قاله في البداية والنهاية (١٦/ ٤٥١) في حوادث سنة ٧٦٥هـ : « وفي الرابع عشر من جمادى الآخرة عُقد بدار السعادة مجلس حافل ، اجتمع فيه القضاة الأربعة ، وجماعة من المفتين ، وطُلبتُ فحضرت معهم ، بسبب المدرسة التدمرية ، وقربة الواقف ، ودعواهم أنه وقف عليهم الثلث ، فوقف الحنبلي في أمرهم ، ودافعهم عن ذلك أشدَّ الدفاع . . » .

وقال في « البداية والنهاية » (١٦/ ٤٦٢) في حوادث سنة ٧٦٧هـ : « ولما كان يوم الإثنين ، الرابع والعشرين من ربيع الأول ، عقد مجلس حافل بدار السعادة ، بسبب ما رمي به قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ابن قاضي القضاة السبكي ، وكنت ممن طُلب إليه ، فحضرته فيمن حضر ، وقد

اجتمع فيه القضاة الثلاثة ، وخلق من المذاهب الأربعة ، وآخرون من غيره بحضرة نائب الشام سيف الدين مُنْكلي . . وكان قد كتب فيه محضران متعاكسان ، أحدهما له ، والآخر عليه . . » واستمر التداول إلى الشهر التالي ، وحضره ابن كثير ، وانتهى بالصلح استجابة لقوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ [المائدة : ٩٥] .

▫ **اجتماعه بالخليفة المعتضد** : قال ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٦/ ٣٦٧) في حوادث سنة ٧٥٣هـ : « وفي يوم السبت عاشر شهر شعبان اجتمعنا بالخليفة المعتضد بالله أبي الفتح بن أبي بكر المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد . وسلَّمنا عليه وهو نازل بالمدرسة الدماغية ، داخل باب الفرج ، وقرأت عنده جزءاً فيه ما رواه أحمد بن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعي في مسنده ، وذلك عن الشيخ عز الدين بن الضياء الحموي ، بسماعه من ابن البخاري ، وزينب بنت مكي عن أحمد بن الحصين عن ابن المذهب ، عن أبي بكر بن مالك ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ، فذكرهما .

والمقصود أنه شابٌ حسن الشكل ، مليح الكلام ، متواضع ، جيِّد الفهم ، حلو العبارة ، رحم الله سلفه » .

▫ **إنكاره على الأمر السلطاني بمسك النصارى من الشام** : وأن يأخذ نائب السلطان منهم ربع أموالهم ؛ لعمارة ما خرب من الإسكندرية ، ولعمارة مراكب تغزو الفرنج ، فأهانوا النصارى ، وطُلبوا من بيوتهم بعنف ، وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا ما يُراد بهم ، فهربوا كل مهرب .

يتابع ابن كثير ، وهو يؤرخ لهذه الحادثة في « البداية والنهاية » (١٦/ ٤٦٠) في سنة ٧٦٧هـ : « وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من شهر صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة ـ الأمير سيف الدين منكلي بغا ـ وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ بعد الفراغ من لعب الكرة ، فرأيت منه أنساً كثيراً ، ورأيته كامل الرأي والفهم ، حسن العبارة ، كريم المجالسة ، فذكرت له أن هذا لا يجوز اعتماده في النصارى ، فقال : إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك ، فقلت له : هذا مما لا يسوغ شرعاً ، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا ، ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالذلة والصغار ، وأحكام الله قائمة ، لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد الفرد فوق ما يبذلونه من الجزية . . » .

وما زال يعرض الأدلة ، ويقترح الحل الأنسب بغزو قبرص ، حتى أقنع نائب السلطنة ، وكتب إلى مصر بذلك ، فجاء الجواب موافقاً لما اقترحه وارتآه .

▫ **حضوره إعدام الزنديق عثمان الدَّكَّالي**[١] : قال ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٦/ ٢٩٤)

---

(١) منسوب إلى دكَّالة ، بلد بالمغرب .

في أحداث سنة ٧٤١هـ : « وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر شوال عقد مجلس في دار العدل بدار السعادة ، وحضرته يومئذ ، واجتمع القضاة والأعيان على العادة ، وأُحضر يومئذ عثمان الدَّكَّالي ـ قبحه الله تعالى ـ وادُّعِي عليه بعظائم من القول لم يُؤثر مثلها عن الحلَّاج ، ولا عن ابن أبي العَزَاقِر[1] الشَّلْمَغانيّ[2] ، وقامت عليه البينة بدعوى الإلهية ـ لعنه الله ـ وأشياء أخر من التنقيص بالأنبياء ، ومخالطة أرباب الريب من الباجريقية[3] وغيرهم من الاتحادية ـ عليهم لعائن الله ـ . . فسئل القاضي المالكي الحكم عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلَّى على رسوله ، ثم حكم بإراقة دمه وإن تاب ، فأُخذ المذكور وضُربت عنقه بسوق الخيل ، ونودي عليه : هذا جزاء من يكون على مذهب الاتحادية ، وكان يوماً مشهوداً بدار السعادة ، حضر خلق من الأعيان والمشايخ ، وحضر شيخنا جمال الدين المزي الحافظ ، وشيخنا شمس الدين الذهبي ، وتكلَّما وحرَّضا في القضية جداً ، وشُهد بزندقة المذكور بالاستفاضة ، وكذا الشيخ زين الدين أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وخرج القضاة الثلاثة : المالكي والحنفي والحنبلي ، وهم نفذوا حكمه في المجلس ، فحضروا قتل المذكور . وكنت مباشراً لجميع ذلك من أوله إلى آخره » .

---

(١) قيده ياقوت في معجم البلدان (٣/ ٣٥٨) فقال : بفتح العين المهملة والزاي وبعد الألف قاف مكسورة ثم راء مهملة .

(٢) منسوب إلى شلمغان ، من نواحي واسط ، كما في معجم البلدان .

(٣) نسبة إلى الباجريقي محمد بن جمال الدين من الحلولية توفي سنة (٧٢٤) كما في البداية .

ثامناً : وفاته

وأخيراً انتهت رحلة هذا الشيخ الجليل ، وختمت حياته المثمرة وأيامه المليئة بجليل الأعمال ، وصالح الأفعال والأقوال . وكان قد أُضِرَّ في أواخر عمره ، فأقعده فقد البصر عن استكمال كتابه الكبير « جامع المسانيد » كما صرَّح بذلك لأحد تلاميذه ، وهو ابن الجزري ، فقال : « لا زلتُ أكتبُ فيه في الليل ، والسراج ينوصُ ، حتى ذهب بصري معه » . وهناك من يُقدِّر تاريخ ذلك في السنة الأخيرة من حياته ، أي : سنة ٧٧٤هـ .

واتفق المؤرخون على أنه توفي بدمشق في شهر شعبان من سنة ٧٧٤هـ . وحدَّد ابن حجر يوم الوفاة بخامس عشر شعبان ، وخالفه ابن تغري بردي فحدَّد ذلك في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان . وهو تحريف صوابه : سادس عشر شعبان[(١)] ، كما نص عليه تلميذه المقريزي[(٢)] وإنما الاختلاف في تحديد بداية الشهر .

وشيَّعت دمشق عالمها ومؤرِّخَها في جنازة حافلة مهيبة ، ودُفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ، بمقبرة الصوفية[(٣)] ، خارج باب النصر من دمشق .

ورثاه أحدُ تلاميذه ، وهو الشيخ محمد بن بهادر الزركشي ، كما تقدَّم ، فقال :

لفقدكَ طلابُ العلوم تأسَّفوا وجـاؤوا بـدمـعٍ لا يبيـدُ كثيـر
ولو مَزَجُوا ماء المدامِعِ بالدِّما لكانَ قليلاً فيكَ يا ابنَ كثير

رحم الله الحافظ ابن كثير رحمةً واسعةً ، وجعل مثواه جنَّات النعيم ، وجمعنا به تحت لواء سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلَّى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) بعد الرجوع إلى كتاب « التوفيقات الإلهامية » تبين أن يوم الخميس من شعبان هو السادس عشر وهو ما أكده المقريزي رحمه الله تعالى .

(٢) درر العقود (١/ ٤٠١) .

(٣) مقبرة الصوفية : اندرست هذه المقبرة ، ولم يبق منها إلا ثلاثة قبور تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من حديقة إدارة جامعة دمشق (المستشفى الوطني سابقاً) .

(٣)

دراسة الكتاب

البداية والنهاية

تمهيد :

أولًا ـ المحتوى

١ ـ المبتدأ وقصص الأنبياء .

٢ ـ السيرة النبوية .

٣ ـ تايخ الإسلام :

أ ـ الخلافة الراشدة والدولة الأموية .

ب ـ الخلافة العباسية .

ج ـ دولة المماليك البحرية .

٤ ـ النهاية (ذكر الآخرة ، وأحوالها ، وعلامات الساعة ، ومظاهرها) .

ثانياً : منهج الكتاب .

ثالثاً : الأسلوب .

رابعاً : الموارد والمصادر .

خامساً : طبعات البداية والنهاية .

(٣)

دراسة الكتاب

البداية والنهاية

أولًا : المحتوى :

تمهيد :

« البداية والنهاية » كتاب تاريخيّ ، عالمي وإسلامي ، يؤرخ لمبدأ الخلق ، وللأنبياء والرسل ، وللسيرة النبوية ، وحوادث الحياة الإسلامية إلى عام ٧٧٤هـ ووصل منه إلينا إلى سنة ٦٦٨هـ ، وخاتمته ذكرُ الساعة وعلاماتها ، وأحوال الآخرة وأهوالها .

وهذه العالمية والشمولية في التاريخ الإسلامي إنما نزل بها القرآن الكريم ، ووجَّهت إليها السنة النبوية ، ممثلة في وحدة النبوات وتنزل الرسالات بالدين الحق ، وهو الاستسلام والانقياد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

كما أنَّ القرآن عرض لمصير العرب العاربة الذين أشركوا بالله تعالى ، وأكثروا في الأرض الفساد ، فعاقبهم الله في الدنيا قبل الآخرة ، وجعل مصيرهم وبلادهم عبرة لأولي البصائر والألباب .

وأشار القرآن الكريم ، إلى حروب الفرس والروم ، وعرّف بالحياة العربية وما فيها من شرك وجاهلية ، وسجَّل حوادث السيرة النبوية ، ووصف بدقة متناهية المواقف النبوية بمشاعرها الصادقة وعواطفها الدافقة .

وإذا كان لا بد لكل أمة من تاريخ تعتز به وتفتخر ، وتأخذ من خلاله الدروس والعبر ، والقدوة الحسنة ؛ فإن القرآن الكريم رسم للأمة المسلمة معالم تاريخ إنساني كامل وشامل .

وعلم التاريخ بهذا المعنى القرآني فن إسلامي ، لا يقوم على الانتقائية ، والتفسير المادي والفلسفة البشرية ، وإنما يؤرخ للحوادث والوقائع الحقيقية ويعرضها بحياد تام وإنصاف كامل ، ويُعرِّف بالأولياء الصالحين ، والعلماء العاملين ، والحكَّام والسلاطين ، وتختلط فيه علوم التفسير والحديث والفقه والاجتماع والأخلاق ، والدين والدنيا والآخرة .

ولذلك يقول الدكتور شاكر مصطفى : « إن التاريخ ـ في اعتقادي ـ علم عربي إسلامي ، أو يمكن اعتباره كذلك »[1] .

ومن قبلُ نقل السخاوي عن إبراهيم بن أبي الدم الحموي قوله : « إنما الفائدة في التاريخ الإسلامي ـ مع قربه من الصحة ـ ذكره لعلماء الأمة المحمدية ، وذكر محاسنهم وعلومهم ، ومواعظهم ، وحكمهم ، وسيرهم التي يستدل العامل بها في أموره ، ويتدبرها ويتفكر فيها ، فينتفع بما قالوه ، وما ينقل عنهم من المحاسن دنيا وأخرى »[2] .

وقد اهتم العلماء بهذا العلم ، ورووا الأخبار رواية شفوية ، ثم جاء التدوين للتاريخ من منتصف القرن الثاني الهجري ، كما يؤرخ لذلك الإمام الذهبي فيقول : « في سنة ثلاث وأربعين ومئة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير . . وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ودوِّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس ، وقبلَ هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم ، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة »[3] .

وسبق ابن كثير في هذا المضمار التاريخي الإمام الطبري وابن الجوزي وابن الأثير ، وكلهم كتب تاريخاً إسلامياً جمع بين التفسير والتاريخ ، أو بين الحديث والتاريخ ، أو بين الفقه والتاريخ ، وتميز تاريخ ابن كثير في « البداية والنهاية » بالجمع بين التفسير والحديث والفقه والتاريخ .

وحياة ابن كثير في دمشق ، هيأته لكتابة التاريخ ، وحفزته لهذا الإنجاز العظيم تأسياً بشيخيْه المؤرخين : الذهبي والبِرْزَاني ، كما أن عصره الذي عاش فيه ، وهو عصر المماليك[4] تميز بالاهتمام بالتاريخ والتأليف فيه ، يقول الأستاذ محمود رزق سليم : « التاريخ في مقدمة الفنون التي سعدت بالعناية ، ورزقت الرعاية في هذا العصر ، فقد تضافرت الجهود ، وتضاعفت الهمم ، وتنافست العقول والأيدي على إخراج كتب تاريخية حافلة »[5] .

ولا ريب أن للسيرة النبوية أثراً عظيماً في نشأة علم التاريخ الإسلامي وتطوره في اتباع أسلوب المحدثين في جمع الروايات والأخبار[6] ، ولا ريب أيضاً أن ابن كثير كتب السيرة أولاً ، مما حمله

---

(١) التاريخ والمؤرخون العرب (١/ ٦) .
(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ؛ للسخاوي (ص : ٤١٨) .
(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٠) .
(٤) عصر سلاطين المماليك (٣/ ٩٢) .
(٥) لعل البعد عن المنابع الأولى ولد الاهتمام بالتاريخ في هذا العصر ، وما جرى فيه من انتكاسات وانتصارات ، وانقطاع بين الماضي والحاضر ، والسلف والخلف .
(٦) انظر كتابنا « مناهج التأليف في السيرة النبوية خلال القرون الأربعة الأولى » (ص : ٥٨) طبعة دار الكلم الطيب الأولى .

على كتابة التاريخ ووصل السيرة بمبدأ الخليقة ، ووضعها في مجريات التاريخ الإسلامي العام .

ويبقى الحافظ ابن كثير مؤلِّفاً متفرداً عن غيره من المؤرخين ومتميزاً بهذه الخاتمة التي أنهى بها كتابه ، فكان منطقياً ومنسجماً مع اسم الكتاب حيث كان حقاً تأريخاً لبداية البشرية ، وتأريخاً لنهايتها في آن واحد ومؤلِّف واحد .

١ ـ المبتدأ وقصص الأنبياء :

ظهرت شخصية ابن كثير العلمية المتكاملة في هذا القسم من البداية والنهاية ، وهو متبع غير مبتدع في هذه البداءة للعلماء المصنفين قبله ؛ حيث يبدأون بالتأريخ لخلق الكون والسماوات والأرض ، ثم ينتقلون لخلق آدم ومن جاء بعده من الرسل .

ومن المؤكد أن تصنيفه لكتابه « تفسير القرآن العظيم » ، وإحالاته المتكررة له جعل الطريق ممهَّداً إلى كتابة « المبتدأ وقصص الأنبياء » ، كما جلَّى أبوابه وفصوله ، ومعالمه الثقافية ، ومستنداته الشرعية ؛ متضافرة ومتكاملة .

فبدأ بقوله الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الزمر : ٦٢] .

وبقوله سبحانه : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ﴾ [الفرقان : ٥٩] .

يُفسِّر القرآن بالقرآن ، وبالأحاديث المأثورة ، وبأقوال الصحابة ، ويُحرِّم التفسير بالرأي المحض ، ويصدر عن أشهر كتب التفسير المتقدمة والمطوَّلة بتأويلات موثَّقة وناضجة ، ويَرِدُ دواوين المحدِّثين ، ويدرس الأسانيد ، ويُميِّز الصحيح والحسن من الأحاديث عن الضعيف والموضوع . ويكشف عن الإسرائيليات ، ويقسمها إلى ثلاثة أقسام : ما يوافق الكتاب والسنة ؛ فلا حاجة له ، وما يُعارض الكتاب والسنة فهو مردود ، وما لا يُصدقه الكتاب والسنة ولا يكذبه فتجوز روايته للاعتبار . ويتوقف ملياً مع كل حكم فقهي ، حتى ينسى في بعض الأحيان أنه مؤرخ لا فقيه . وهو في كل ذلك حاضر بذهنه الوقّاد ، وثقافته الشاملة ، ينقد ويردُّ ويُرجح وينتقي ، ويُقارن الثابت في القرآن الكريم مع ما ورد في الكتب السماوية ، ويوضح ما طرأ على هذه الكتب من تغيير وتبديل ، ويستهجن من أهل الكتاب العصبية للباطل ، والتمسُّك به مع ظهور فساده وضلاله .

ويُلخِّص الحافظ ابن كثير هذا القسم في مقدمة « البداية والنهاية »(١) فيقول : « فهذا كتابٌ أذكر فيه ـ بعون الله وحسن توفيقه ـ ما يسَّره الله تعالى بحوله وقوته من مبدأ المخلوقات : من خلق العرش والكرسي ، والسماوات والأرض وما فيهنَّ ، وما بينهنَّ من الملائكة والجانّ والشياطين ، وكيفية

---

(١) انظر البداية والنهاية (٢/ ١٣٢ ـ ١٣٤) .

خلق آدم عليه السلام ، وقصص النبيين ، وما جرى مجرى ذلك إلى أيام بني إسرائيل وأيام الجاهلية ، حتى تنتهي النبوة إلى أيام نبيِّنا محمد ﷺ . . »[1] .

● وفي طبعتنا الجديدة جاء هذا القسم موزعاً على جزأين كما يلي :

١ ـ القسم الأول (المبتدأ وقصص الأنبياء	
الجزء	المحتوى
الجزء الأول (١)	مبدأ الخلق ـ الله خالق كل شيء ـ صفة خلق العرش والكرسي ـ اللوح المحفوظ ـ خلق السماوات والأرض ـ خلق الملائكة ـ خلق الجان وقصة الشيطان ـ خلق آدم . قصة إدريس ـ نوح ـ هود ـ صالح ـ إبراهيم ـ إسماعيل ـ إسحاق ـ إسرائيل ـ يوسف ـ أيوب ـ ذي الكفل ـ أصحاب الرس ـ قوم يس ـ يونس .
الجزء الثاني (٢)	قصة موسى ـ يوشع ـ الخضر وإلياس ـ حزقيل ـ اليسع ـ شمويل ـ داود ـ سليمان ـ زكريا ويحيى ـ عيسى أخبار الماضين : ذي القرنين ـ يأجوج ومأجوج ذكر أخبار العرب : قصة سبأ ـ قصة ربيعة .

٢ ـ السيرة النبوية :

وفي هذا القسم الثاني من « البداية والنهاية » يشتد ساعد ابن كثير ، ويسيل مداد قلمه ، فيكتب وكأنه يغرف من بحر . وهو اختصاصي في السيرة ، كتبها مبسوطة[2] ومختصرة ، وموارد السيرة عنده : القرآن أولاً ، والسُّنة ثانياً ، وكتب السيرة والمغازي ثالثاً ، وكتب الدلائل والشمائل رابعاً .

وحضور شخصية المفسر الألمعي في جميع أبواب السيرة وفصولها ، لا يقل عنه حضور شخصية المحدث الصيرفي وهو يوازن بين الروايات ، ويعرض لفنون تطبيقية ، من علوم الحديث متناً وإسناداً ، رواية ودراية .

كما أن وقائع السيرة لا تصرفه عن الاستطرادات الفقهية ، والتأصيل للقواعد الفقهية

(١) البداية والنهاية (١/ ٧) .
(٢) أشار إلى ذلك الحافظ في تفسيره (٣/ ٤٧٨) فقال في قصة غزوة الخندق « وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفردناه موجزاً وبسيطاً » .

والأصولية ، والاستدلال والانتصار لمذهبه الشافعي في أدق الأحكام والفروع ، وكأنه يكتب للمختصين في علوم التفسير والفقه والحديث ! وهو مع هذا كله يكتب التاريخ ! .

ومما انفرد به الحافظ ابن كثير في السيرة ؛ أنه أضاف كتابين : هما « الشمائل » و « دلائل النبوة » وكان قد أشار إلى إضافة كتابين آخرين في « الخصائص » و « الفضائل » ولكنه لم يفعل .

وقد كتب في المقدمة : « فنذكر سيرته ـ ﷺ ـ كما ينبغي ، فتشفي الصدور والغليل ، وتزيح الداء عن العليل »[1] .

وقد جاء محتوى هذا القسم موزعاً على أربعة أجزاء ، كما يلي :

٢ ـ القسم الثاني (السيرة النبوية)	
الجزء	المحتوى
الجزء الثالث (٣)	الحوادث زمن الفترة : تجديد حفر زمزم ـ نذر عبد المطلب ـ تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة . السيرة النبوية : المولد السنة الأولى من الهجرة ـ نهاية سرية عبيدة بن الحارث
الجزء الرابع (٤)	بداية السنة الثانية من الهجرة كتاب المغازي ـ ذكر ما كان من الأمور الحادثة سنة ٩ للهجرة .
الجزء الخامس (٥)	كتاب الوفود الواردين إلى رسول الله ﷺ ـ حج النبي ﷺ ـ وفاته ـ زوجاته وأولاده ـ إماؤه ـ خدَّامه ـ كتَّاب الوحي ـ آثار النبي ﷺ ـ ذكر أفراسه ومراكبه .
الجزء السادس (٦)	متعلقات السيرة : شمائله ﷺ ـ دلائل نبوَّته .

٣ ـ تاريخ الإسلام :

ويشتمل على :

أ ـ الخلافة الراشدة والدولة الأموية (١١ ـ ١٣٢ هـ) .

ب ـ الخلافة العباسية (١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ) .

---

(١) البداية والنهاية (١/٧) .

ج ـ دولة المماليك (٦٥٦ ـ ٧٦٨ هـ) .

وهذا القسم الثالث من « البداية والنهاية » من أوسع الأقسام زمناً ، وأعظمها حجماً ، وأغزرها مادة ، مليء بالحوادث والحروب الخارجية والداخلية ، والفتن الواقعة على المسلمين .

حفظ للمسلمين تاريخ ثمانية قرون ، وما اشتملت عليه من ثقافات متنوعة من الحديث والأدب والشعر والحكمة ، وخبرات العلماء وتجارب الأمم .

ويستوقفنا القرن الأول الذي جمع الحافظ ابن كثير مادته التاريخية من دواوين المحدثين وكتب التاريخ القديمة التي لم تصل إلينا مطبوعة ، وآراء الحافظ ابن كثير وتعليقاته حاضرة وظاهرة تثري الموضوعات المتنوعة ، وتظهر الحق وتكشف الخطل ، وتحرك العواطف المعبرة عن مواقف أهل السنة والجماعة .

اتبع طريقة الحوليات ، وذكر الحوادث على السنين ، وكل سنة موزعة إلى قسمين ، فيقول أولاً : ثم دخلت سنة كذا ، ويذكر الحوادث والحروب الخارجية والفتن الداخلية ، ثم يقول ثانياً : من توفي فيها من الأعيان .

● ويلاحظ أن نظام الحوليات يقطع الحادثة عند انتهاء السنة ، فلا يعرضها كاملة ومستوفاة في سنة وقوعها ، كما أنه في العصر العباسي زاد اهتمامه بذكر الحوادث الطبيعية من الزلازل والأمراض والأوبئة والمجاعات ، وغلاء الأسعار . ولم يسلم من ذكر الغرائب ، واهتم بأخبار القضاة وتعيينهم وعزلهم منذ أيام السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ) ، وبذكر المدارس وأخبار رؤسائها ومدرسيها منذ عصر الوزير نظام الملك (٤٥٦ ـ ٤٨٥هـ) .

● ويذكر في الوفيات تراجم الأعلام والأعيان من العلماء والمحدثين والشعراء والأدباء والمؤرخين والأمراء والسلاطين والخلفاء ، وكل من له أثر أو شهرة في المجتمع ، وهو بهذا الذكر المطول أو المختصر ينصفهم ويحفظ ذكرهم وآثارهم ، ولكنه من حيث الشكل يقطع التسلسل التاريخي ومجريات الحوادث والوقائع .

● يعتمد المصادر التاريخية التي سبقته أو عاصرته ، ويختصر ، ويصوغ الحوادث بالمعنى ، ويُحيل إلى الأصل والمصدر تخلصاً من الإطالة والإملال ، ويؤرخ عصره عن قرب ومشاهدة ، ويقدم للأجيال بعده صورة صادقة عن القرن الثامن الذي عاش عمره فيه .

وجاء محتوى هذا القسم موزعاً على عشرة أجزاء ، كما يلي :

٣ ـ القسم الثالث (تاريخ الإسلام)	
الجزء	المحتوى
الجزء السابع (٧)	سنة إحدى عشرة من الهجرة ـ الخلفاء الراشدون ـ خلافة الحسن بن علي ـ سنة ٤٠هـ
الجزء الثامن (٨)	خلافة معاوية ـ سنة ٤١هـ سنة ٦٥هـ ـ ترجمة مروان بن الحكم
الجزء التاسع (٩)	خلافة عبد الملك بن مروان ـ وفيات سنة ٦٥هـ وفيات سنة ١٠٠هـ
الجزء العاشر (١٠)	دخلت سنة ١٠١هـ . وفيات سنة ٢٠٠هـ .
الجزء الحادي عشر (١١)	دخلت سنة ٢٠١هـ وفيات سنة ٣٠٠هـ .
الجزء الثاني عشر (١٢)	دخلت سنة ٣٠١هـ وفيات سنة ٤٠٠هـ .
الجزء الثالث عشر (١٣)	دخلت سنة ٤٠١هـ وفيات سنة ٥٠٠هـ .
الجزء الرابع عشر (١٤)	دخلت سنة ٥٠١ هـ وفيات سنة ٦٠٠ هـ .
الجزء الخامس عشر (١٥)	دخلت سنة ٦٠١ هـ وفيات سنة ٧٠٠ هـ .
الجزء السادس عشر (١٦)	دخلت سنة ٧٠١ هـ وفيات سنة ٧٦٨ هـ .

وقد شاع بين بعض الباحثين أنَّ تاريخ ابن كثير ينتهي عند سنة ٧٣٨هـ بسبب إشارة للمؤلف في هذه السنة نصها : « كان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وسبعمئة » ، وهي إشارة إلى انتقائه من تاريخ شيخه علم الدين البِرْزالي الذي انتهى إلى هذه السنة ، ذلك أن عمدة ابن كثير في المدة ٦٦٥ ـ ٧٣٨هـ كانت على ما انتقاه من هذا التاريخ الذي ذيّل به مؤلفه على تاريخ أبي شامة وسماه « المقتفي لتاريخ أبي شامة » .

والحق الذي لا مراء فيه أن ابن كثير ظل يكتب الحوادث والوفيات في تاريخه إلى شهر وفاته

شعبان سنة ٧٧٤هـ ، وحينما كف بصره في أخريات أيامه كان يملي على ولده عبد الرحمن ، وأدلة ذلك صريحة ناصعة الدلالة من أبرزها :

١ ـ ظهور ذاتية المؤلف في كثير من الحوادث والتراجم لما بعد سنة ٧٣٨هـ وتصريح المؤلف باسمه .

٢ ـ تصريح العلماء الذين جاؤوا بعده واستفادوا من كتابه بالنقل منه في عشرات المواضع ، لاسيما المقريزي ، وابن حجر ، والسخاوي .

٣ ـ تصريح العلماء الثقات بأن ابن كثير أملى من تاريخه إلى شهر وفاته وهو شعبان من سنة ٧٧٤ ، قال السخاوي في حوادث سنة ٧٧٤ من كتابه « وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام » : « وفي أثناء شعبانها انتهى تاريخ العماد ابن كثير ، وكان من حين ضرره وضَعْفه يملي فيه على ولده عبد الرحمن » ، فهذا نص قاطع لا يحتاج إلى مزيد بيان ، ولا يشك عاقل بأن السخاوي كان قد اطلع على نسخة من « البداية » إلى هذا التاريخ ، بدلالة نقله منه في سنتي ٧٧٣ و٧٧٤هـ ، فضلاً عن نصوص أخرى ذكرها المؤرخون أمثال الحافظ ابن حجر وغيره .

على أنَّ الذي وصل إلينا إلى سنة ٦٦٨هـ ، وقد تلاعب في هذا القسم النساخ والتلاميذ . فأضافوا إليه أشياء من عندهم ، فعسى أن نقف في قابل الأيام على نسخ أكثر دقة وإتقاناً لهذا القسم منه ، لكن المحقق والمراجع بذلا جهداً في تصفيته .

٤ ـ النهاية (ذكر الآخرة وأحوالها . .) :

وفي هذا القسم الأخير من « البداية والنهاية » يجد ابن كثير نفسه من جديد ، وتسعفه صفة الحافظ المحدث الجهبذ في ختم الكتاب بالنهاية ، حيث يسرد أهم أحاديث الفتن والملاحم ، وأشراط الساعة ، ونهاية الدنيا ، وينتقل بعدها إلى استعراض حوادث الآخرة ، من النفخ في الصور مرتين ، مرة لقيام الساعة ومرة للبعث والنشور ، وما يجري في عرصات القيامة من أهوال ، وحساب ، وميزان ، وصحف ، وصراط ، وجنة أو نار .

وما أعظمها من نهاية مكملة للدنيا موفية لها ، اعتقدها الحافظ ابن كثير بكل جوارحه ، ويعتقدها كل مؤمن صادق ، ويشعر ببرد اليقين عندما يتحقق الوعد الحق للمؤمنين الأخيار ، والوعيد الصادق للكفار الأشرار ، ويتنعم الأتقياء الأنقياء في جنة الله الخالدة ، ويتقلب الضالون الخاطئون في نار جهنم خالدين فيها أبداً .

وإذا رجحت شخصية ابن كثير المفسر في مبدأ الخليقة ، فإن شخصية المحدث هي الراجحة والظاهرة في النهاية ، حيث النصوص الحديثية متلاحقة ومتواصلة ، ومع ذلك فإن العلامة ابن كثير لا تغيب عنه النصوص القرآنية ، بل هو يستحضرها ، ويوظفها في المشهد الأخروي المعروض ،

وبخاصة في مشاهد يوم القيامة ، وختامها بالمصير إلى الجنة وصفاتها الربانية المحببة ، أو النار وصفاتها الإلهية المرعبة .

ويشير ابن كثير إلى هذا القسم الأخير في المقدمة فيقول : « ونذكر الفتن والملاحم ، وأشراط الساعة ، ثم البعث والنشور ، وأهوال القيامة ، ثم صفة ذلك ، وما في ذلك اليوم ، وما يقع فيه من الأمور الهائلة ، ثم صفة النار ، ثم صفة الجنان ، وما فيها من الخيرات الحسان ، وغير ذلك وما يتعلَّق به ، وما ورد في ذلك من الكتاب والسنة ، والأخبار المنقولة والمقبولة عند العلماء وورثة الأنبياء الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية ، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام »[1] .

وجاء محتوى هذا القسم في الطبعة الجديدة كما يلي :

٤ ـ القسم الرابع (النهاية)	
الجــزء	**المحتــوى**
الجزء السابع عشر (١٧)	الفتن والملاحم ـ أشراط الساعة ـ النفخ في الصور ـ أهوال يوم القيامة ـ صفة الجنة ـ صفة النار .

(١) البداية والنهاية (٨/١) .

ثانياً : منهج الكتاب :

إن المتتبع لكتاب « البداية والنهاية » ابتداء بمقدمة المؤلف وانتهاء بالخاتمة في الجزء السابع عشر ؛ لا يجد منهجاً واحداً قد التزمه المؤلف ، سوى موضوع واحد هو « الإسرائيليات » . وعذره في عدم تحديد معالم منهجه ضخامة الكتاب ، وتعدد موضوعاته ، وكثرة مصادره ، وامتداد أزمنته وتعاقب قرونه .

ـ ففي القسم الأول (مبدأ الخلق وقصص الأنبياء) كان منهجه جمع الروايات من كتب التفسير والحديث ، واختيار ما يتفق مع ثقافته النقدية العالية في علم مصطلح الحديث وتراجم الرجال ، واستبعاد ما يتعارض مع الكتاب والسنة من الإسرائيليات وغيرها من الأخبار الضعيفة والمتهافتة .

ـ وفي القسم الثاني (السيرة النبوية ، والخلفاء الراشدون) كان منهجه الاعتماد على رواة السيرة الأوائل ، وما سجَّله ابن إسحاق والطبري وغيرهما ، ولكنه بقيت شخصيته في الاختيار والنقد ظاهرة ، يدرس الأسانيد ، ويتكلم على الرواة جرحاً وتعديلاً ، ولا يهمل المتن[1] إذا ظهرت عليه علائم الغرابة والنكارة .

ـ أما القسم الثالث (التاريخ الإسلامي العام) فهو مشتمل على عشرة أجزاء ، ومجموعة كتب ومصادر ، فلا عجب أن نجد تعدداً في المناهج واختلافاً في اللغة ، وتبايناً في الاختصار والتطويل ، والتقديم والتأخير .

وفي القسم الرابع (ذكر الآخرة وأحوالها) يعود حشد الروايات الحديثية ، ونقدها وتمحيصها ، واختيار الصحيح والحسن ، وبيان الضعيف منها ، وتظهر شخصية الحافظ ابن كثير محدثاً أولاً ومفسِّراً ثانياً ، وعالماً مستحضراً للكتب المتقدمة في علوم التفسير والحديث .

ونستطيع بعد التفحص الدقيق لهذه الأقسام وموضوعاتها أن نستنتج النقاط المنهجية التالية مع أمثلتها :

١ ـ **الإسرائيليات** : وهذا الموضوع هو الشرط الوحيد الذي اشترطه ، والمنهج الوحيد الذي رسمه[2] ، وأوضحه في المقدمة وخلال الجزء الأول والثاني من الكتاب ، بل والتزم به إلى حدٍّ بعيد ، فقال في المقدمة :

---

(١) انظر البداية والنهاية (٤/ ٤٥٠) وكيف أثبت أن الكتاب بإسقاط الجزية عن اليهود مزورٌ وباطلٌ .

(٢) قال الندوي في كتابه « الإمام ابن كثير » (ص : ٣١٥) : شغل ابن كثير موضوع الإسرائيليات فنسي في بيان منهجه ذكر سواها . . » .

« ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله ، مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهو القسم الذي لا يُصدَّق ولا يكذَّب . . »[١] .

وقال في باب ما جاء في سبع أرضين : « وهكذا الأثر المروي عن ابن عباس أنه قال : في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه ، حتى آدم كآدمكم ، وإبراهيم كإبراهيمكم ، فهذا ذكره ابن جرير مختصراً ، واستقصاه البيهقي في « الأسماء والصفات » ، وهو محمولٌ إنْ صحَّ نقله عنه ، على أنه أخذه ابن عباس عن الإسرائيليات ، والله أعلم »[٢] .

وقال في باب ذكر ما يتعلق بخلق السماوات : « وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراودها عن نفسها ، فأبت إلا أن يعلِّماها الاسم الأعظم ، فعلَّماها ، فقالته ، فرُفعت كوكباً إلى السماء ، فهذا من وضع الإسرائيليين ، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار »[٣] .

ورغم ذلك فإن ابن كثير ـ رحمه الله ـ لم يسلم من إيراد بعض الإسرائيليات المحتوية على مبالغات وخرافات ، وتناقض مع القرآن والسنة ، وقد حمله على إيرادها شهوة الجمع ، ودافع التقليد لمن سبقه من المؤلفين .

٢ ـ ذكر المصدر : الذي يستقي منه أخباره ، وهذه أمانة علمية ، وقد سمعنا من شيوخنا ـ رحمهم الله ـ أن بركة العلم في أمانة النقل وصدق العزو . فالحافظ ابن كثير يختصر بعض المعارك ويشير إليها موسعة في ابن جرير الطبري[٤] ، ويرد المنتظم لابن الجوزي ، ويصرح بذلك في مواضع متعددة[٥] ويرد الكامل[٦] لابن الأثير ويصرح بذلك أيضاً .

٣ ـ النقد : لأصحاب الكتب من الكبار ، وهذا النقد يدل على شخصية مستقلة ، وعقل حرّ ، وعدم السكوت عن إظهار الحق . فنراه يُظهر رأيه في المختار الثقفي ، ونقده للطبري[٧] في شأنه ، وينتقد ابن خلكان[٨] بمرارة لموقفه المريب من ابن الراوندي الزنديق ، كما ينتقد شيخه الذهبي[٩] في اغتراره بصاحب العقد الفريد .

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٨) .
(٢) المصدر السابق (١/ ٣٩) .
(٣) المصدر السابق (١/ ٦٣) .
(٤) المصدر السابق (٧/ ٩٢) .
(٥) المصدر السابق (١١/ ٣٢٥) .
(٦) البداية والنهاية (١٢/ ١٥٠) .
(٧) المصدر السابق (٩/ ٢٤) .
(٨) المصدر السابق (١١/ ٤٠٦) .
(٩) المصدر السابق (١٠/ ٢٣٦) .

٤ ـ **الفقه** : ويدلُّ على تعدد جوانب ثقافته ، ولم نتوقف عند بروز خبراته المدهشة في علوم التفسير والحديث ، فهذه طبيعية في مقدمات الكتاب ونهايته ، أما أن تطغى شخصية العالم الفقيه على المؤرخ ، فهذا منهج خاص يستحق التسجيل ، والتمثيل . وينظر في ذلك تحقيقه في من ولي تزويج أم سلمة رضي الله عنها[١] ، وتحقيقه حكم أكل لحوم الحمر الأهلية[٢] ، وبيان حكم نكاح المتعة[٣] .

٥ ـ **التاريخ الحولي** : والحول السنة ؛ اعتباراً بانقلابها ، ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، وقال سبحانه : ﴿ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة : ٢٤٠] .

وأسلوب التاريخ الحولي ظهر عند المؤرخين المسلمين منذ مدة مبكرة ، في المئة الثانية للهجرة ، وهذا يعني أنه ظهر في أوليات التدوين التاريخي ، فقد ذُكِرَ أنَّ الهيثم بن عدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ قد ألَّف تاريخاً على السنين[٤] ، وألف ابن سعد كاتب الواقدي ، المتوفى سنة ٢٣٠هـ تاريخاً على السنين أيضاً[٥] ، ووصل إلينا تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠هـ[٦] .

والتاريخ الحولي المرتب على السنين مرتبط بتاريخ الهجرة النبوية ، ولذلك فإن التأثيرات الأجنبية فيه تكاد أن تكون معدومة ، ومن ثم فهو مما اهتمَّ به المؤرخون المسلمون .

وكانت التواريخ الحولية الأولى ، ومن أعظمها تاريخ الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ، تعنى بالحوادث التاريخية بالدرجة الأولى ، وقلما أعطت أهمية كبيرة ومتميزة للتراجم . وقد ظهر تحوّل واضح منذ القرن السادس الهجري في هذا النمط من الكتب التاريخية لا سيما عند المؤرخين المحدِّثين حيث زاد اهتمامهم بذكر التراجم ، ويبدو ذلك واضحاً في كتاب « المنتظم » لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ حيث أدخل تقسيماً واضحاً بين الحوادث والوفيات ، فجعل التراجم تعقب حوادث كل سنة . وقد ظلت هذه الطريقة تؤثر في أطر الصور الحولية للمؤلفات التاريخية التي جاءت بعده ، ومنها كتاب البداية لابن كثير[٧] .

٦ ـ **الوفيات** : ويضعها في نهاية كل سنة تحت عنوان : « من توفي في هذه السنة » وقد يطيل

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٢٧٨) .
(٢) المصدر السابق (٤/ ٤١٠) .
(٣) المصدر السابق (٤/ ٤١٢) .
(٤) ياقوت : معجم الأدباء (٦/ ٢٧٩٢) (بتحقيق العلامة إحسان عباس) .
(٥) تنظر مقدمة الدكتور بشار عواد معروف لتاريخ مدينة السلام (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩) ففيها تفصيل .
(٦) حققه الدكتور أكرم العمري ونشر غير مرة .
(٧) تنظر تفاصيل ذلك في كتاب الدكتور بشار عواد معروف : الذهبي ومنهجه (ص ٣٠٣) فما بعد (القاهرة ١٩٧٦م) .

في الترجمة ، وقد يختصر ، متبعاً في ذلك المصدر الذي يعتمد عليه ، وقد خالف الترتيب في الجزء الأخير من تاريخه ، فأصبح بدءاً من سنة (٧٣٨) يذكر الوفيات مع الحوادث .

ولئن انتقد ابن خلكان[١] بإطالة تراجم الشعراء واختصار تراجم العلماء ؛ فإنه لم يسلم من هذا المحذور ، وقد أطال في ترجمة الفرزدق[٢] وأبي نواس[٣] ، وغيرهما من الشعراء .

٧ ـ **قوة الشخصية وظهورها** : عند نهاية كل رواية ، يناقش ابن كثير ويرجح ، أو يحيل إلى كتبه ، وبخاصة في التفسير والأحكام والطبقات ، ويستفيد من حفظه المتين وذاكرته القوية ، ويسخر من الروايات الخرافية المكذوبة ، فيثبت أن حديثاً[٤] من أفراد البخاري يذهب إلى تقديم الإسراء والمعراج على وفاة عمه ﷺ أبي طالب ، وزوجه خديجة رضي الله عنها ، وأن حديثاً[٥] مكذوباً وموضوعاً يذكر أن القمر دخل في كم رسول الله ﷺ .

(١) المصدر السابق (١٠/١٠٨) .
(٢) البداية والنهاية (١٠/ ١١٠) .
(٣) المصدر السابق (١٠/ ٥٣٠) .
(٤) المصدر السابق (٣/ ٣٤٩) .
(٥) المصدر السابق (٣/ ٣٦٠) .

ثالثاً : الأسلوب :

يتميز أسلوب الحافظ ابن كثير في كتاب « البداية والنهاية » عن غيره من الكتب ، باختيار التعبير السهل الواضح المشوق ، والبعد عن المحسنات البديعية ، والزخارف اللفظية ، وكل ما يتصل بالتكلف ، والاحتفال بأناقة الشكل ، مع الالتزام بسلامة المعنى وصحة العبارة . وهذا الاختيار للأسلوب العلمي المبسط الذي يوصل المعنى التاريخي بأوضح لفظ وأبسط تعبير ، يدلُّ على سلامة الاختيار والتوفيق في تحقيقه ، كما يثبت قوة المؤلف في ثقافته الأدبية وثروته اللغوية ، نلمحها في البداية والنهاية أحياناً ، وتظهر في باقي كتبه ـ كالتفسير ـ بكل وضوح .

يقول ابن العماد : « يشارك في العربية مشاركة جيدة ، وينظم الشعر »[(١)] ويقول الشرباصي : « تشغله الفكرة والمعاني عن التكلف في الأسلوب والمباني »[(٢)] .

ومع التنوع الواضح في أجزاء الكتاب وأقسامه ؛ تبعاً لتنوع المصادر والأمكنة والأزمنة كما أشرنا في « المنهج » ، فإننا نستطيع أن نتلمس صوراً ومواقف ومشاعر لصيقة بأسلوب المؤلف وهويته ، وصدق من قال : الأسلوب هو الرجل :

١ ـ **البعد عن تكلف السجع** : وإذا سجع ورادف بين الجمل والكلمات ؛ فإنه لا يطيل ، وأقرب مثال على ذلك خطبة « البداية والنهاية » إذ يقول : « الحمد لله الأول والآخر ، الباطن الظاهر ، الذي هو بكل شيء عليم ، الأول فليس قبله شيء ، الآخر فليس بعده شيء ، الظاهر فليس فوقه شيء ، الباطن فليس دونه شيء ، الأزليّ القديم الذي لم يزل ولا زوال ، يعلم دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصمَّاء ، في الليلة الظلماء . . . »[(٣)] .

وحول بدعة خلق القرآن يقول : « وهذه بدعة صلعاء ، شنعاء ، عمياء ، صمَّاء ، لا مستند لها من كتاب ولا سنة ، ولا عقل صحيح ، ولا نقل صريح . . بل القرآن والسنة والعقل الصحيح على خلافها »[(٤)] .

وحين قصد صلاح الدين الأيوبي بلاد الشام سنة (٥٧٠هـ) يقول : « وذلك حين مات سلطانها

---

(١) شذرات الذهب (٨/ ٣٠٢) .
(٢) الإمام ابن كثير ؛ للندوي (ص : ٣٢٣) نقلاً عن مجلة الحج .
(٣) البداية والنهاية (١/ ٥) .
(٤) المصدر السابق (١١/ ١٢٤) .

نور الدين محمود بن زنكي ، وأخيف سكانها ، وتضعضعت أركانها ، واختلفت حكامها ، وفسد نقضها وإبرامها ، قصد لجمع شملها ، والإحسان إلى أهلها ، وأمن سهلها وجبلها ، ونصرة الإسلام ، ودفع الطغام . . »[١] .

٢ ـ **لا ينقل حرفياً** : وإنما يقرأ الواقعة في مصدره ، ويصوغه بعباراته وألفاظه ، ويضيف ما يجده مناسباً من انتقاداته وتعليقاته . وعندما أراد بعضهم مقارنة ما في البداية والنهاية مع تاريخ الطبري أو غيره ، ظنوا أن ابن كثير لم يرد إلى تاريخ الطبري مباشرة ، وإنما أخذ مادته من مصدر آخر ، وقد أخطأوا في ظنهم ؛ لأنهم لم يتثبتوا من أسلوبه ومنهجه .

وأوضح مثال على ذلك ما كتبه في ترجمة الحلاج[٢] ، وما حلَّ ببغداد بعد دخول التتار من خراب ودمار[٣] ، وما كتبه من وصف دمشق وبناء مسجدها[٤] .

٣ ـ **عاطفته الصادقة** : في حبِّ الله تعالى ، وحب رسوله ﷺ ، وحب الصحابة جميعاً ومن تبعهم بخير وإحسان ، وكراهيته لأهل الكفر والزيغ والبطلان ، وتأثره بما وقع للمسلمين من فتن واختلاف ، مما أوقف الدعوة والفتوح ، ورد أسلحة المسلمين إلى نحورهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . . ونجد هذه العاطفة الصادقة تظهر عند ارتداد جبلة بن الأيهم الغساني ، ويصفه بأنه حيوان[٥] ! ، كما تبدو عاطفته عارمة عند مقتل ابن الزبير ، ووصفه للحجَّاج القاتل بالمبير ، ولابن الزبير المقتول بأمير المؤمنين[٦] .

وينقد بحرارة استدلال الجهمية على أن الاستواء بمعنى الاستيلاء، ويستشهدون بقول الأخطل :

قد استوى بشرٌ على العراق ... من غير سيف ودمٍ مهراق

ويقول : ولا دليل فيه ، والبيت للأخطل ، وهو نصراني[٧] .

ولا ريب أن الأسلوب السهل الممتنع ، والخاص بالحافظ ابن كثير ، والمتجلي في « البداية والنهاية » ، والعاطفة الصادقة والمخلصة في الانتصار للفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة ، كل ذلك جعل هذا الكتاب مباركاً ومعاصراً في آن واحد ، وكأن مؤلفه كتبه للأجيال القادمة بلغتها وأسلوبها ومشاعرها !! .

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١٣١) .
(٢) المصدر السابق (١٢/ ٤٠) .
(٣) المصدر السابق (١٠/ ٣٣٨) .
(٤) المصدر السابق (١٠/ ٣٣٨) .
(٥) البداية والنهاية (٨/ ٩٠) .
(٦) المصدر السابق (٨/ ١٠٥ و ١٠٨ و ١٠٩) .
(٧) المصدر السابق (٩/ ١٣٨) .

رابعاً : الموارد والمصادر :

عني المؤرخ ابن كثير بجميع المصادر القديمة المتوافرة بين يديه في القرن الثامن الهجري ، وجمع في تاريخه بين أنواع العلوم الإسلامية المتعددة ، وموارده الأساس القرآن الكريم ، وكتب التفاسير القديمة ، وكتب الحديث ، وكتب التراجم ، وكتب المغازي والسِّير والتاريخ . مما يدل على تبحر وسعة اطلاع ، وسلامة منهج ، وقيمة أفكار وموضوعات ، وقد أحسن ابن كثير ـ رحمه الله ـ وأجاد ، وأتى بالمراد ، وعرَّفنا على كتب أمهات ، وبعضها لم يصلنا حتى الآن .

على أننا ينبغي أن نشير إلى أن الحافظ ابن كثير كان يتتبع المصادر الأصلية المعاصرة فيختصرها ، وربما يقتصر عليها في كثير من الأحيان ، من نحو عنايته البالغة بالنقل من تاريخ الطبري ، والمنتظم لابن الجوزي لاسيما في المدة التي عاصرها ، ثم بعده على تاريخ مؤرخ العراق تاج الدين ابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤هـ ، وتاريخ شيخه البرزالي الذي كاد أن يقتصر عليه في المدة التي تناولها ٦٦٥ ـ ٧٣٨هـ ونحو ذلك .

وكان من المعروف بين كثير من المؤرخين المسلمين عند النقل من مصدر معين أن ينقل مصادره أيضاً ، فيصبح من العسير في بعض الأحيان معرفة المصادر الحقيقية التي اطلع عليها المؤلف .

ومع كل ذلك فإننا سنحاول في هذه المقدمة المختصرة المعتصرة أن نضع بين يدي القارئ أسماء هذه الموارد[1] والمصادر ، وأسماء مؤلفيها ، وقد قسَّمناها إلى مواضيع موحدة ، ورتبناها حسب أهميتها ، وورود المؤلف إليها :

أ ـ كتب التفسير :

١ ـ تفسير ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) .
٢ ـ تفسير ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) .
٣ ـ تفسير السدي الكبير (ت ١٢٧ هـ) .
٤ ـ تفسير عبد الرزاق (ت ٢١١ هـ) .
٥ ـ تفسير ابن مردويه (ت ٤١٠ هـ) .
٦ ـ تفسير شجاع بن مخلد (ت ٣٥٥ هـ) .
٧ ـ تفسير محمد بن الحسن النقاش (ت ٣١٥هـ).
٨ ـ التعريف والإعلام ؛ للسهيلي (ت ٥٨١هـ).
٩ ـ تفسير القاضي بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ).
١٠ ـ تفسير ابن عطية (ت ٣٨٣ هـ) .
١١ ـ تفسير أبي عيسى الروياني (ت ٣٨٤ هـ) .
١٢ ـ تفسير القاضي الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) .
١٣ ـ تفسير فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) .
١٤ ـ تفسير القرطبي (ت ٦٧١ هـ) .

---

(١) انظر هذه الموارد مفصَّلة مع بيان أماكن ورود ابن كثير عليها في كتاب « الإمام ابن كثير » للندوي (ص : ١٦٠) وما بعدها .

ب ـ الكتب السماوية :

١ ـ ترجمة التوراة . ٢ ـ ترجمة الإنجيل .

ولم يعتمدها ابن كثير مصادراً لأخباره، وإنما أوردها ليثبت ما طرأ عليها من تحريف وتبديل .

ج ـ كتب الحديث ورجاله :

١ ـ الموطأ ، للإمام مالك (ت ١٧٩ هـ) .
٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).
٣ ـ صحيح الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) .
٤ ـ صحيح الإمام مسلم (ت ٢٦١ هـ) .
٥ ـ المستدرك للحاكم (ت ٤٠٥ هـ) .
٦ ـ صحيح ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ) .
٧ ـ سنن أبي داود (ت ٢٧٥ هـ) .
٨ ـ سنن ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ) .
٩ ـ سنن النسائي (ت ٣٠٣ هـ) .
١٠ ـ سنن الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) .
١١ ـ الجامع الكبير ؛ للترمذي (ت ٢٧٩ هـ) .
١٢ ـ مسند أبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ) .
١٣ ـ مسند الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) .
١٤ ـ مسند أبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) .
١٥ ـ مصنف ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) .
١٦ ـ معجم الطبراني الكبير (ت ٣٦٠ هـ) .
١٧ ـ معجم الصحابة ؛ للبغوي (ت ٣١٧ هـ) .
١٨ ـ الكامل ؛ لابن عدي (ت ٣٦٥ هـ) .
١٩ ـ أسد الغابة ؛ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) .
٢٠ ـ الاستيعاب؛ لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) .
٢١ ـ شرح مشكل الآثار، للطحاوي (ت ٣٢١ هـ).
٢٢ ـ الموضوعات ؛ لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).
٢٣ ـ تهذيب الكمال؛ لأبي الحجاج المزي (ت ٧٤٢هـ).
٢٤ ـ ميزان الاعتدال ؛ للذهبي (ت ٧٤٨هـ).

د ـ كتب السير والمغازي :

١ ـ سيرة ابن إسحاق[١] (ت ١٥١هـ) .
٢ ـ مغازي موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ) .
٣ ـ سيرة ابن هشام (ت ٢١٨هـ) .
٤ ـ الروض الأُنف ؛ للسهيلي (ت ٥٨١هـ) .
٥ ـ مغازي الواقدي (ت ٢٠٧هـ) .
٦ ـ مغازي محمد بن عائذ (ت ٢٣٣هـ) .
٧ ـ طبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) .
٨ ـ مغازي الأموي (ت ٢٤٩هـ) .

هـ ـ كتب الدلائل :

١ ـ دلائل النبوة ؛ للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) .
٢ ـ دلائل النبوة ، لأبي نعيم (ت ٤٣٠هـ) .
٣ ـ دلائل النبوة ؛ لابن حامد (ت ٤٠٣هـ) .
٤ ـ دلائل النبوة ؛ لأبي زرعة (ت ٢٦٤هـ) .
٥ ـ دلائلة النبوة ؛ لابن شاهين (ت ٣٨٥هـ) .
٦ ـ المبعث ؛ لهشام بن عمار (ت ٢٤٥هـ) .

---

(١) من المرجح أن ابن كثير رحمه الله رجع إلى روايات متعددة لسيرة ابن إسحاق ، سواء من طريق مباشر أم بالواسطة ، ولا سيما روايات : البكائي ـ وهي التي اختصرها ابن هشام ـ أو يونس بن بكير ، أو سلمة بن الفضل الأبرش وغيرهم .

٧ ـ الفتن والملاحم؛ لابن عماد الخزاعي (ت ٢٤٨هـ). ٨ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ؛ لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) .

و ـ كتب التاريخ الإسلامي :

١ ـ تاريخ الطبري (ت ٣١٠ هـ) . ٢ ـ تاريخ دمشق ؛ لابن عساكر (ت ٥٧١هـ) .
٣ ـ تاريخ الإسلام ؛ للذهبي (ت ٧٤٨هـ) . ٤ ـ سير أعلام النبلاء ، للذهبي (ت ٧٤٨هـ) .
٥ ـ المنتظم ؛ لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) . ٦ ـ الكامل ؛ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) .
٧ ـ مرآة الزمان ، لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ). ٨ ـ كتاب الروضتين ؛ لأبي شامة (ت ٦٦٥هـ).
٩ ـ البرق الشامي ؛ للعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ). ١٠ ـ الجامع المختصر؛ لابن الساعي (ت ٦٧٤هـ).
١١ ـ تاريخ بغداد ؛ للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ). ١٢ ـ وفيات الأعيان؛ لابن خلكان (ت ٦٨١هـ).
١٣ ـ ذيل الروضتين ؛ لأبي شامة (ت ٦٦٥هـ) . ١٤ ـ ذيل مرآة الزمان ، لليونيني (ت ٧٢٩هـ) .
١٥ ـ المقتفى لتاريخ أبي شامة؛ لِلبِرزالي (ت ٧٣٩هـ).

خامساً : طبعات البداية والنهاية :

أ ـ البداية ، ويهمنا الطبعات المشهورة وهي :

١ ـ الطبعة التي أنفقت عليها مطبعة السعادة ، والمطبعة السلفية ، ومكتبة الخانجي ، وطُبعت في مطبعة السعادة بالقاهرة ، نقلاً عن مخطوطة المدرسة الأحمدية بمدينة حلب من الجمهورية العربية السورية ـ عام ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م في ١٤ مجلداً بدون النهاية . وهي أقدم الطبعات .

٢ ـ طبعة المعارف ببيروت ، بالاشتراك مع مكتبة النصر بالرياض عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ، وهي طبعة مصورة عن طبعة السعادة ، وهي النسخة المعتمدة بالمقابلة .

٣ ـ طبعة دار هجر ، مكتوب على غلافها : تحقيق الدكتور عبد الله المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية في دار هجر بالقاهرة عام ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م في ٢١ مجلداً مع النهاية . وهي مقابلة على عدد من النسخ المخطوطة .

ب ـ أما طبعات النهاية (الفتن والملاحم) فهي :

١ ـ طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ـ بتحقيق الدكتور طه محمد الزيني ـ عام ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م في جزأين .

٢ ـ طبعة مكتبة النصر الحديثة بالرياض ، بتحقيق محمد فهيم أبو عيبة عام ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م في ثلاثة أجزاء .

٣ ـ طبعة دار الإفتاء بالرياض ، قام بنشرها الشيخ إسماعيل الأنصاري عام ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م في جزأين .

(٤)

ثبت بأجزاء كتاب « البداية والنهاية »
وأسماء المحققين لها

الرقم	اسم المحقق	رقم الجـــزء
1-	د . محيي الدين ديب مستو	الأول
2-	د . علي أبو زيد أبو زيد	الثاني
3-	مأمون محمد سعيد صاغرجي	الثالث
4-	محمود عبد القادر الأرناؤوط	الرابع
5-	د . رياض عبد الحميد مراد	الخامس
6-	د . محيي الدين ديب مستو	السادس
7-	د . رياض عبد الحميد ومحمد حسان عبيد	السابع
8-	أكرم عبد اللطيف البوشي	الثامن
9-	محمد حسان عبيد	التاسع
10-	مأمون محمد سعيد صاغرجي	العاشر
11-	ياسين محمد السواس	الحادي عشر
12-	إبراهيم عمر الزيبق	الثاني عشر
13-	صلاح محمد الخيمي رحمه الله	الثالث عشر
14-	د . رياض عبد الحميد مراد	الرابع عشر
15-	د . رياض عبد الحميد مراد ومحمد حسان عبيد	الخامس عشر
16-	حسن إسماعيل مروة	السادس عشر
17-	الشيخ عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله	السابع عشر
18-	محمود عبد القادر الأرناؤوط	الفهارس ـ الجزء الأول
19-	أكرم عبد اللطيف البوشي	الفهارس ـ الجزء الثاني
20-	د . رياض عبد الحميد مراد	الفهارس ـ الجزء الثالث
21-	د . رياض عبد الحميد مراد	الفهارس ـ الجزء الرابع

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

(٥)

وصف النسخ المخطوطة

ونماذج من صورها

أولًا ـ النسخة الأحمدية :

ورُمز لها بحرف « أ » ، وهي نسخة الأحمدية بمدينة حلب المحمية رقم (١٢١٧) ، والمحفوظة الآن بمكتبة الأسد الوطنية في دمشق الفيحاء باسم « البداية والنهاية » للحافظ ابن كثير ، وتقع في عشرة أجزاء :

١ ـ الجزء الأول : (٢٩٢) ق ـ قياس ٣٠ × ٢١,٥سم في كل صفحة (٢٩) سطراً ، الرقم : ١٤٥٠٨ .

٢ ـ الجزء الثاني : (٢٥٠) ق ـ قياس ٣١ × ٢١,٥سم في كل صفحة (٢٥) سطراً ، الرقم : ١٤٥٠٨ .

٣ و٤ ـ الجزء الثالث والرابع : (٥٥٦) ق ـ قياس ٢٤,٥ × ١٥سم في كل صفحة (٢٣) سطراً ، الرقم : ١٤٥١٠ .

٥ ـ الجزء الخامس : (١٧٨) ق ـ قياس ٢٧ × ١٨سم في كل صفحة (٢٩) سطراً ، الرقم : ١٤٥١١ .

٦ ـ الجزء السادس : (٢٣٩) ق ـ قياس ٢٧ × ١٨سم في كل صفحة (٢٥) سطراً ، الرقم : ١٤٥١٢ .

٧ ـ الجزء السابع : (٢٢٤) ق ـ قياس ٢٧ × ١٨سم في كل صفحة (٢٣) سطراً ، الرقم : ١٤٥٣ .

٨ ـ الجزء الثامن : (٢٨٣) ق ـ قياس ٢٧ × ١٨سم في كل صفحة (٢٥) سطراً ، الرقم : ١٤٥١٤ .

٩ ـ الجزء التاسع : (٣٥٦) ق ـ قياس ٢٧ × ١٨سم في كل صفحة (٢٧) سطراً ، الرقم : ١٤٥١٥ .

١٠ ـ الجزء العاشر : (٢٨٣) ق ـ قياس ٢٩ × ١٩,٥سم في كل صفحة (٢٧) سطراً ، ضمن مجموع ، الرقم : ١٤٥١٦ .

النهاية في الفتن والملاحم : (٢٨٥ ـ ٤٦٦) ق ـ من المخطوط رقم : ١٤٥١٦ ت١ ـ قياس ٢٩,٥ × ١٩,٥ سم في كل صفحة (٢٦) سطراً .

وتنتهي البداية في النسخة الأحمدية بوفيات سنة ٧٣٨هـ .

والنسخة الأحمدية كاملة إلى سنة ٧٣٨هـ ومصححة ، كتبت العناوين ورؤوس الفقرات بالحمرة ، الخط : نسخ معتاد ، لم نجد اسم الناسخ ، أو تاريخ النسخ .

الغلاف ـ مزخرف ـ وفي الصفحة الأولى من الجزء الأول تملكات في سنة ٨٧٤هـ وسنة ٩٢٣هـ ، وتملكات وقراءات غير مؤرخة .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

ثانياً ـ نسخة برلين :

ورُمز لها بحرف « ب » وهي نسخة محفوظة في مكتبة برلين الوطنية ، تبدأ بصفحة عليها تملكات ، والصفحة الثانية فيها عنوان الكتاب هكذا : الجزء الأول من البداية والنهاية ، للحافظ العلامة الكبير ، عماد الدين ، أبي الفداء ، إسماعيل بن كثير ـ رحمه الله ـ فهرست ما في هذا المجلد . .

وعلى يمين الصفحة ثلاثة أبيات في مدح التاريخ قرأها الناسخ بخط العلامة شمس الدين السخاوي ، نقلاً عن سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، من قول القاضي الأردالي [الطويل] :

إذا علـمَ الإنسـانُ أخبـارَ مـا مضـى تـوهمتَـه قـد عـاشَ مـن أوّلِ الـدهـرِ
وتحسبُـه قـد عـاشَ آخـرَ عمـرِه إذا كان قد أبقى الجميلَ مِنَ الذكرِ
فقد عاشَ كلَّ الدَّهرِ مَنْ كان عالِماً حليماً كريماً فاغتنم أطول العمرِ

وهي نسخة تبدأ بأوائل الجزء الأول ، وتنتهي بوفيات سنة ٧٣٨هـ ، وبهامشها تعليقات ، وكتبت العناوين ورؤوس الفقرات بلون مغاير ، وخطها نسخي قديم ، (٧٨٠) ق ـ قياس ٢٠ × ١٣سم في كل صفحة (٣٠) سطراً ، كتبها محمد بن سلطان بن سعيد البعلي الحنبلي ـ عفا الله عنه بمنه وكرمه ـ ولم نجد تاريخ النسخ .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

ثالثاً ـ نسخة الظاهرية :

ورُمز لها بحرف « ظ » ، وهي نسخة المكتبة الظاهرية سابقاً ، ومحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية ، في دمشق المحمية ، برقم : ٦٧٩٧ .

وهي نسخة ناقصة ، تحتوي على (١٥٤) ق ـ قياس ٣١ × ٢٠سم في كل صفحة من (٣١) إلى (٣٣) سطراً ، ومؤطرة بالأحمر والأصفر والأسود ، وكتبت السنون بالمداد الأحمر . كتبها حبيب الله بن قمر الدين ، وتاريخ نسخها ١١٨١هـ ، وخطها نسخي جيد . .

تبدأ بقول المؤلف : عبد الله بن علي « وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبيد الله بن الحسن الأعرج عن ولد جعفر بن أبي طالب » وتنتهي : قال يا هذا شققت عليَّ وضيقت عليها ، ولكن اذهب فتصدَّق بها . آخر المجلد ، والحمد لله وحده . الغلاف ـ مزخرف بالذهب ـ متأثرة بالرطوبة ، مما أدَّى إلى اهتراء أطرافها ، تملكها : أحمد بن إبراهيم بن نصر سنة ١٢٢٧هـ .

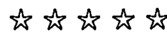

رابعاً : نسخة الرباط

وهو مجلد عثر عليه الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف في الخزانة الملكية بالرباط ، يبدأ من خلافة الحسن وينتهي بانتهاء الخلافة الأموية ، وكان يُظن أنه مجلد من تاريخ الإسلام . وقد أفاد منه الدكتور بشار عند مراجعة هذا الكتاب .

وصورة هذه النسخة بحوزة الدكتور بشار عواد ، ولم يقدِّم لنا بياناتها ولا نماذج عنها لنثبتها في هذه المقدمة ، على الرغم من إلحاحنا عليه بهذا الخصوص .

وفي الختام تتقدم دار ابن كثير بشكرها الجزيل لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية و(إدارة الشؤون الإسلامية ـ قسم المطبوعات) بدولة قطر ممثلة بلجنة التدقيق والمراجعة على ما بذلته من جهد قيّم في مراجعة هذه الطبعة ، وتصويب ما كان خطأً ، واستدراك ما كان نقصاً . وإن الدار وهي تقدِّمُ هذه الطبعة ـ وهي الأولى بهذا الحجم (٢٠ × ٢٨)سم ـ بعد أن قامت اللجنة العلمية في الدار بتلافي الملاحظات جميعاً مع إضافة بعض الحواشي المفيدة خدمةً للكتاب والقارئ الكريم .

وفقنا الله لخدمة العلم وتحري الحق والله من وراء القصد

١٢١٧

الجزء الأول من البداية والنهاية

للشيخ الإمام ... العلامة عماد الدين ... إسماعيل بن كثير روّح [الله] روحه ونوّر ضريحه آمين

صورة الصفحة الأولى من الجزء الأول

نسخة (أ) الأحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله عليه توكلت

الحمد لله الاول الاخر الباطن الظاهر الذي هو بكل شي عليم الاول فليس قبله شي الاخر فليس بعده شي الظاهر فليس فوقه شي الباطن فليس دونه شي الازلي القديم الذي لم يزل موجودا موصوفا بصفات الكمال ولا يزال دايما مستمرا باقيا سرمديا بلا انقضا ولا انفصال ولا زوال يعلم دبيب النملة على الصخرة في الليلة الظلما وعدد الرمال وهو العلي الكبير المتعال العلي العظيم الذي خلق كل شي فقدره تقديرا فرفع السموات بغير عمد وزينها بالكواكب الزاهرات وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وسوى فوقهن سريرا شرجعا عاليا منيفا متسعا مقببا مستديرا هو العرش العظيم له قوايم عظام تحمله الملايكة الكرام وتحفه الكروبيون عليهم الصلاة والسلام ولهم زجل بالتقديس والتعظيم وكذا ارجا السموات مشحونة بالملايكة ويفد منهم كل يوم سبعون الفا الى البيت المعمور بالسما السابعة لا يعودون اليه اخر ما عليهم في تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسليم ووضع الارض للانام على تيار الما وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام قبل خلق السما وانبت فيها من كل زوجين اثنين دلالة للالبا من جميع ما يحتاج العباد اليه في شتايهم وصيفهم ولكل ما يحتاجون اليه ويملكونه من حيوان بهيم وبدا خلق الانسان من طين وجعل نسله من سلالة من ما مهين في قرار مكين فجعله سميعا بصيرا بعد ان لم يكن شيا مذكورا وشرفه بالعلم والتعليم خلق بيده الكريمة ادم ابا البشر فصور جثته ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته وخلق منه زوجه حوا ام البشر فانس بها وحدته واسكنهما جنته واسبغ عليهما نعمته ثم اهبطهما الى الارض لما سبق في ذلك من حكمة الحكيم وبث منهما رجالا كثيرا ونسا وقسمهم بقدره العظيم ملوكا ورعايا وفقرا واغنيا واحرارا وعبيدا وحراير واما واسكنهم ارجا الارض طولها والعرض وجعلهم خلايف فيها يخلف البعض البعض الى يوم الحساب والعرض على الحكيم العليم وسخر لهم الانهار من ساير الاقطار تشق الاقاليم الى الامصار ما بين صغار وكبار على مقدار الحاجات والاوطار وانبع لهم العيون والابار وارسل عليهم السحاب بالامطار فانبت لهم ساير صنوف الزروع والثمار واتاهم من كل ما سالوه بلسان حالهم وقالهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار فسبحان الكريم العظيم الحليم وكان من اعظم نعمه عليهم واحسانه اليهم بعد ان خلقهم ورزقهم ويسر لهم السبيل وانطقهم ان ارسل رسله اليهم وانزل كتبه عليهم مبينة حلاله وحرامه واخباره واحكامه وتفصيل كل شي في المبدا والمعاد يوم القيمة فالسعيد من قابل الاخبار بالتصديق والتسليم والاوامر بالانقياد والنواهي بالتعظيم ففاز بالنعيم المقيم وزحزح عن مقام المكذبين في الجحيم ذات الزقوم والحميم والعذاب الاليم احمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه يملا ارجا السموات والارضين دايما ابدا الابدين ودهر الداهرين الى يوم الدين في كل ساعة وان ووقت وحين كما ينبغي لجلاله العظيم وسلطانه القديم ووجهه الكريم واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له ولا نظير له ولا وزير له ولا مشير له ولا عديد له ولا نديد ولا قسيم واشهد ان محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله المصطفى من

وقف مدرسة الرصاصية [illegible] على طلبة العلم

خلاصة

صورة الصفحة الثانية من الجزء الأول

نسخة (أ) الأحمدية

تاريخه رحمه الله الي زماننا هذا وكان فراغي من الانتقا من تاريخه في يوم الاربعا العشرين
من جمادي الاخر سنة احدي وخمسين وسبعمايه لحسن اسخاتمتها امين الي هنا انتهى
ماكتبته من لدن خلق ادم عليه وعلي نبينا افضل الصلاة والسلام الي زماننا هذا والحمد لله
رب العالمين وصلي الله علي سيدنا محمد واله وصحبه وتابعيهم باحسان الي يوم الدين

يتلوه ان شاء الله تعالى الجزو وهو النهايه في امور الآخره آخر
البدايه في البعث والنشور

صورة الصفحة الأخيرة من الجزء العاشر
نسخة (أ) الأحمدية

زمانا لم يأذن لهم ثم جاء صهيب وبلال والمقداد وعمار فأذن لهم سريعا فدخلوا فوجدوا
الأشراف غيرهم من الضعفاء الذين سبقوا وجابوا الرسول في أول ما دعاهم في أنفسهم
حيث أذن للضعفاء ولم يأذن للضعفاء لهم وهم جلوس على الباب أدلا فقال لهم عمرو بن
العاص وقيل أن القايل حكيم بن حزام أن القوم دعوا ودعينا فأجابوا وتأخرنا ولين
حسد بموهم اليوم على باب عمر ودخولهم إليه لأنتم غدا أشد حسد لهم على باب الجنة وهم
إليها قبلكم قال فأخذ القوم كلامه وبكوا حتى تحلهم والله أعلم فصل قال الزهري
كلام أهل الجنة عربي وقال سفين بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيمة بالسريانية فإذا
دخلوا الجنة تكلموا بالعربية والله أعلم وقال بن أبي الدنيا حدثني القسم بن هشام
حدثنا صفوان بن صالح حدثني داود بن الجراح العسقلاني حدثنا الأوزاعي عن هرون بن رياب
عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أهل الجنة الجنة على طول
آدم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلث وثلثين سنة وعلى
لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكحلين وقال بن عباس لسان أهل الجنة عربي والله
أعلم فصل في المرأة تتزوج في الدنيا بأزواج ثم تدخل الجنة فلمن تكون منهم فذكر
القرطبي في التذكرة من طريق بن وهب عن مالك أن أسما بنت أبي بكر شكت زوجها الزبير
إلى أبيها فقال يا بنية اصبري فإن الزبير رجل صالح ولعله أن يكون زوجك في الجنة قال
ولقد بلغني أن الرجل إذا ابتكر المرأة أي تزوجها بكرا تكون زوجته في الجنة قال أبو بكر
بن العربي هذا حديث غريب وقد روي عن أبي الدردا وحذيفة بن اليمان أن المرأة تكون
لآخر أزواجها في الدنيا وجا أنها تكون لأحسنهم خلقا قال أبو بكر البخاري حدثنا جعفر
بن محمد بن شاكر حدثنا عبيد بن إسحق العطار حدثنا سنان بن هرون عن حميد عن أنس
أن أم حبيبة قالت يا رسول الله المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا فأيهما يكون في الآخرة
فقال لأحسنهما خلقا كان معها في الدنيا ثم قال يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا
والآخرة وقد روي عن أم سلمة نحو هذا والله سبحانه أعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل
والحمد لله رب العالمين آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صورة الصفحة الأخيرة من النهاية في الفتن والملاحم

نسخة (أ) الأحمدية

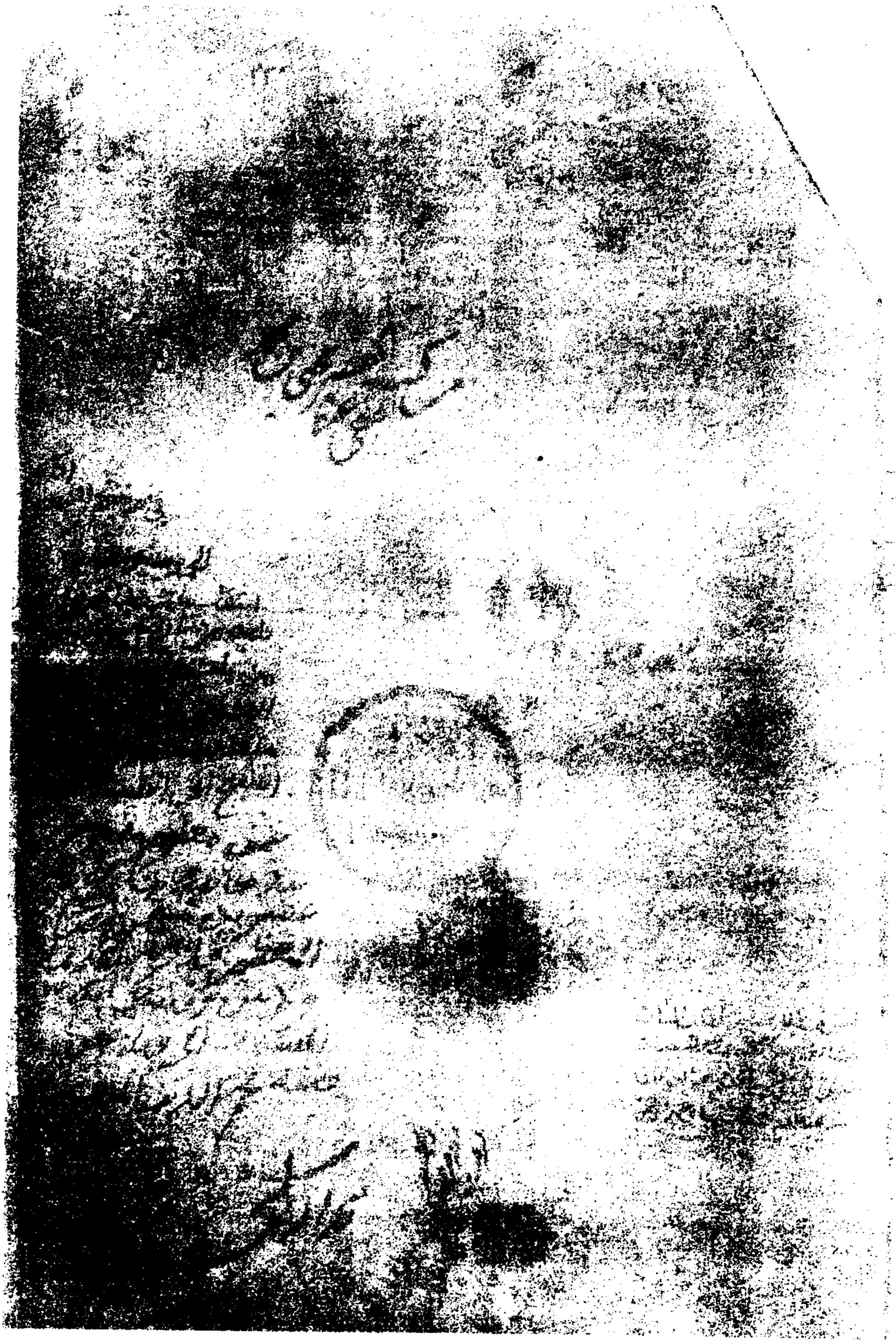

صورة الصفحة الأولى من الجزء الأول

نسخة (ب) برلين

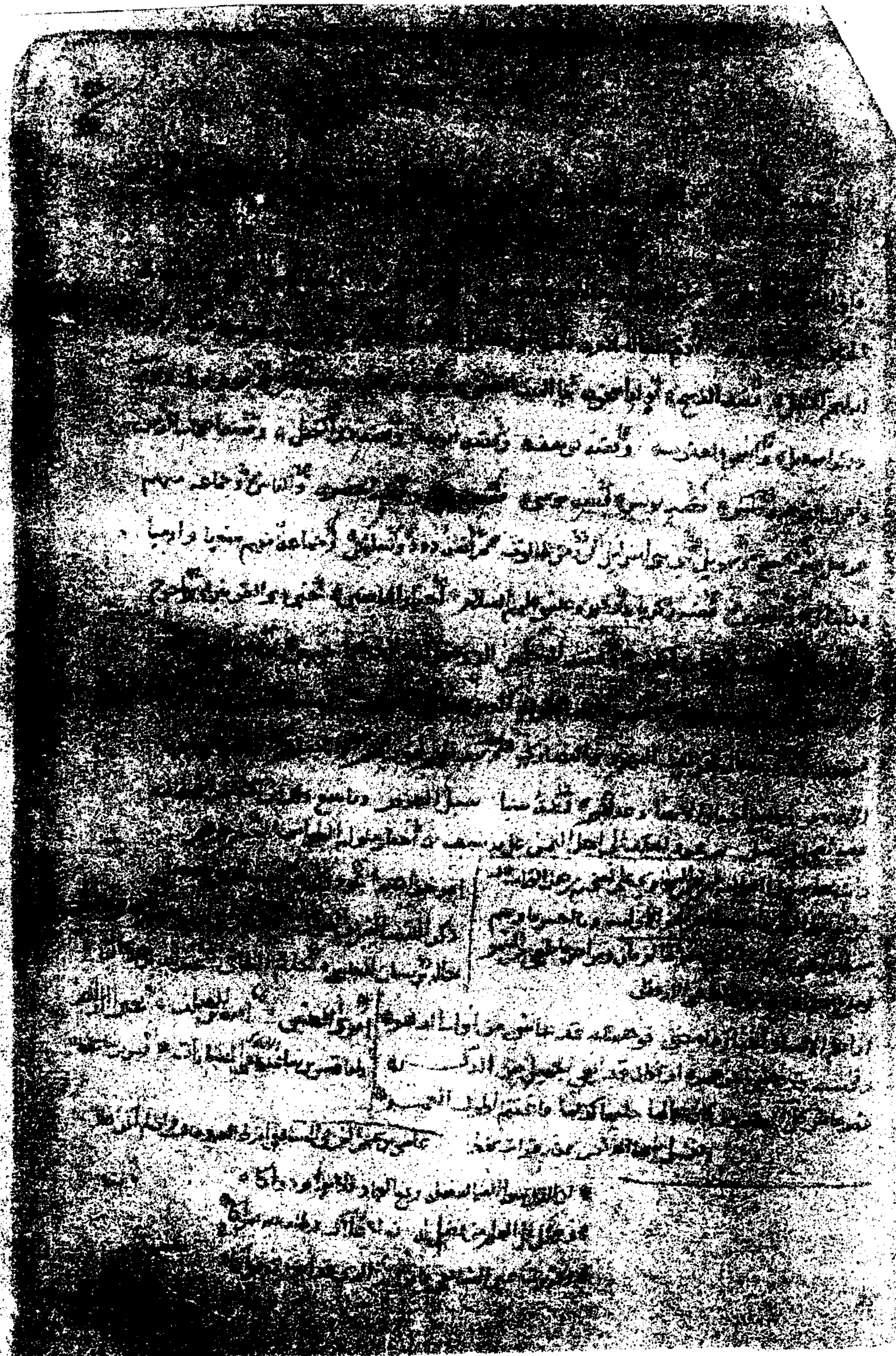

صورة الصفحة الثانية من الجزء الأول

نسخة (ب) برلين

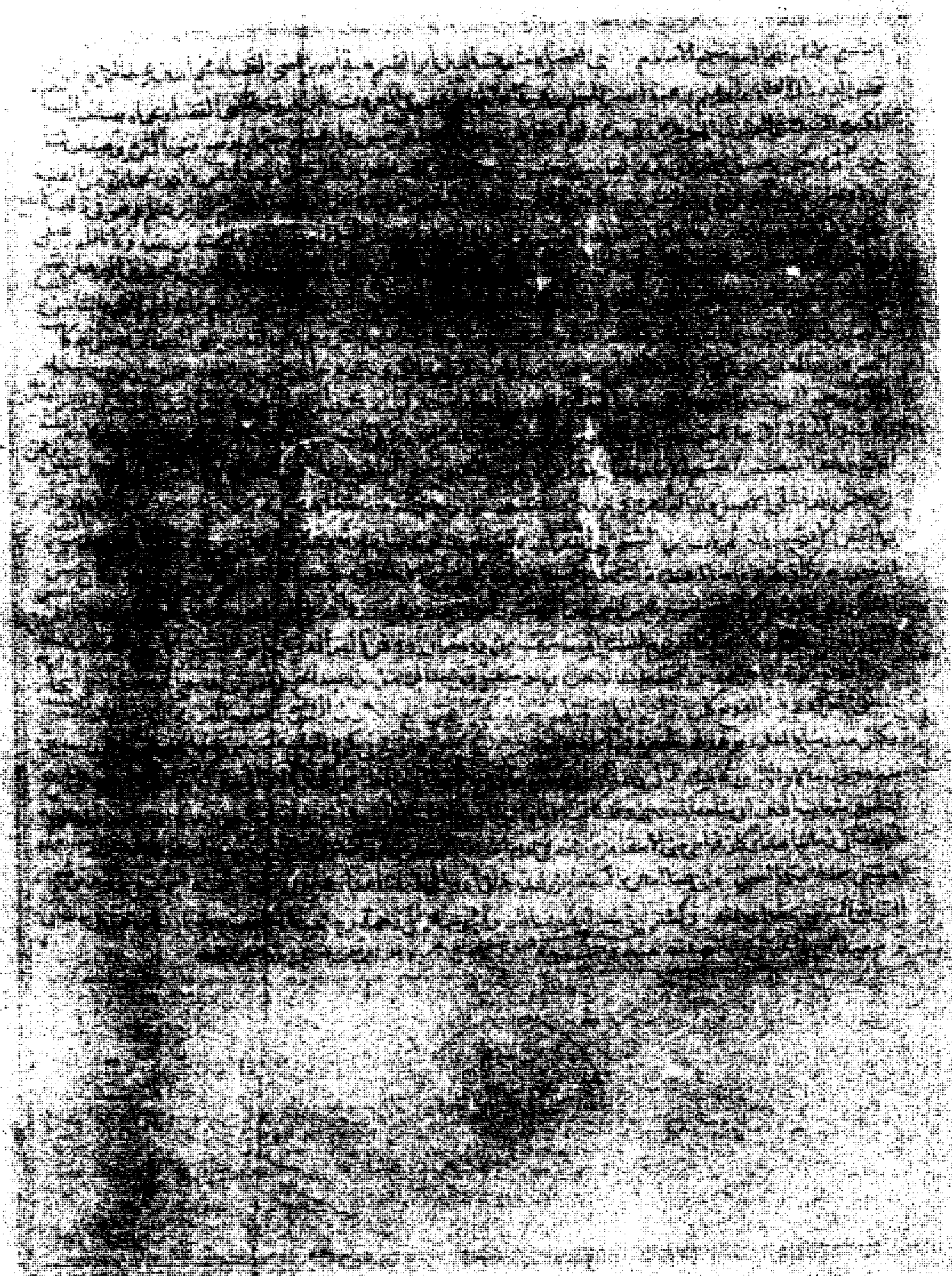

صورة الصفحة الأخيرة
نسخة (ب) برلين

وبعث المامون في هذه السنه يطلب جماعة من العباسيين واحصى كم العباسيون فبلغوا ثلاثة وثلاثين الفا ما بين ذكر
وانثى وفي هذه السنه قتلت الروم ملكهم اليون وقد ملكهم سبع سنين وملكوا عليهم ميخاييل نائبه وفيها قتل المامون يحيى
بن عامر بن اسمعيل وذلك لانه قال للمامون يا امير الكافرين فقتل صبرا بين يديه وفيها حج بالناس ابو اسحق محمد المعتصم
بن هرون الرشيد وفيها توفي من الاعيان اسباط بن محمد وابو ضمرة انس بن عياض ومسلم بن قتيبة وعمر بن عبد الواحد وابن
ابي فديك ومبشر بن اسمعيل ومحمد بن حمير ومعاذ بن هشام ثم دخلت سنة احدى ومائتين فيها راود اهل بغداد
منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع من ذلك فراودوه على ان يكون نائبا للمامون يدعو له في الخطبة فاجابهم الى ذلك
وذلك بعد اخراج اهل بغداد علي بن هشام نائب الحسن بن سهل من بين اظهرهم فجرت حروب كثيرة بسبب ذلك وفي
هذه السنه عم البلاء بالعيارين والشطار والفساق ببغداد وما حولها من القرى فكانوا ياتون الرجل يسالونه مالا يقرضهم
او يصلهم به فيمتنع عليهم فياخذون ما شاؤا من الغلمان والنسوان وانتهبوا اهل قطربل ولم يدعوا لهم شيا اصلا فا
نتدب رجل يقال له خالد الدريوشي واخر يقال له سهل بن سلامة ابو حاتم الانصاري من اهل خراسان والتفت
عليهما جماعة من العامه فردوا شرهم وقاتلوهم وقووا عليهم ومنعوهم من العبث في الارض فسادا واستقرت الامور
كما هي وذلك في شعبان ورمضان ولله الحمد والمنة وفي هذه السنة في شوال منها رجع الحسن بن سهل الى بغداد وصالح
الجند وانفصل منصور بن المهدي ومن التف معه من الامرا وفي هذه السنه بايع المامون لعلي الرضا بن موسى الكاظم
بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين الشهيد بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم ان يكون ولي العهد من
بعده وسماه الرضا من ال محمد صلى الله عليه وطرح لبس السواد ولبس الخضرة والزم جنده بذلك وكتب به الى الافاق
والاقاليم وكان مبايعته له يوم الثلثا لليلتين خلتا من شهر رمضان من سنة احدى ومائتين وذلك ان المامون
راى ان عليا الرضا خير اهل البيت وليس في بني العباس مثله في علمه ودينه فجعله ولي عهده من بعده ذكر
بيعة اهل بغداد لابراهيم بن المهدي لما جا الخبر الى بغداد ان المامون بايع لعلي بن موسى بولاية العهد من بعده
اختلفوا فيما بينهم فمن مجيب ومن مانع وجمهور العباسيين على الامتناع وكان الباعث لهم والقائم في ذلك ابراهيم
ومنصور ابنا المهدي فلما كان يوم الثلثا لخمس بقين من ذي الحجة اظهر العباسيون البيعه لابراهيم بن المهدي
ولقبوه المبارك وكان اسود اللون ومن بعده لابن اخيه اسحق بن موسى بن المهدي وخلعوا المامون فلما
كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة ارادوا ان يدعوا للمامون ثم من بعده لابراهيم فقال العامة لا نرضى
الا بابراهيم فقط واختلف الناس واضطربوا فيما بينهم ولم يصلوا الجمعة وصلى الناس فرادى اربع ركعات
وفي هذه السنه افتتح ما بطبرستان جبالها وبلاد البلادرو الشاذر فذكر ابن حزم ان سليمان الخاسر قال في ذلك
شعرا وقد ذكر ابن الجوزي وغيره ان سليمان توفي قبل ذلك بسنتين فالله اعلم وفي هذه السنه اصاب اهل خراسان
والري واصبهان مجاعة شديدة وعز الطعام جدا وفي هذه السنه تحرك بابك الخرمي واتبعه طوائف من السفلة والجهلة
وكان يقول بالتناسخ قبحه الله تعالى ولعنه وسياتي ما آل امره اليه وفيها حج بالناس اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى
بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وفيها توفي من الاعيان ابو اسامه وحماد بن مسعدة وحماد بن عثمان وعلي بن عاصم
ومحمد بن محمد صاحب ابي السرايا الذي كان قد بايعه اهل الكوفة بعد ابن طباطبا ثم دخلت سنة ثنتين ومائتين
في اول يوم منها بويع لابراهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وخلع المامون فلما كان يوم الجمعة خامس المحرم صعد ابراهيم
بن المهدي بالخلافة المنبر فبايعه الناس ولقب بالمبارك وغلب على الكوفة وارض السواد وطلب منه الجند ارزاقهم
فماطلهم ثم اعطاهم مائتي درهم لكل واحد وكتب لهم بتعويض من ارض السواد فخرجوا لا يمرون بشيء الا انتهبوه

صورة الصفحة رقم (٥٦)

نسخة (ظ) الظاهرية

مقدمة

ولا حول ولا قوة إلَّا بالله
عليه توكلت(١)

الحمدُ للهِ الأوَّلِ الآخِرِ ، الباطنِ الظَّاهرِ ، الذي هُو بكل شيءٍ عَليمٌ ، الأوَّلُ فليس قَبْلَهُ شيءٌ ، الآخِرُ فليس بَعْدهُ شيءٌ ، الظَّاهر فليس فَوْقَهُ شيءٌ ، الباطنُ فليس دونه شيء(٢) ، الأزليُّ القديم الذي لم يزل موجوداً موصوفاً(٣) بصفاتِ الكمال ، ولا يزال دائماً مستمراً باقياً سرمدياً بلا انقضاء ولا انفصال ولا زوالٍ . يعلمُ دَبيبَ النملةِ [السوداءِ](٤) ، على الصخرة [الصمَّاء] ، في الليلة الظلماء ، وَعَددَ الرِّمالِ ، وهو العلي الكبير المتعال ، العلي العظيم الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديراً .

فرفع السمواتِ بغير عمدٍ ، وزيَّنها بالكواكب الزَّاهرات ، وجعل فيها سِراجاً وقمراً منيراً ، وسوَّى فوقَهُنَّ سَريراً ، شَرْجَعاً(٥) عالياً مُنيفاً ، متَّسعاً مقبَّباً مستديراً ، هو العرش العظيم ، له قوائمُ عظامٌ ، تحمله

---

(١) سقطت هذه العبارة من المطبوع ، وجاء بعد هذا في ب : « اللهم صل وسلم على أشرف الخلق سيدنا محمد » ولعله من إضافات النساخ ، لأن المؤلف سيذكر ذلك بعد بتفصيل .

(٢) هو اقتباس من حديث رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٧١٣) ، في الذكر والدعاء : باب ما يقول عند النوم ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم ربَّ السمواتِ وربَّ الأرضِ وربَّ العرش العظيم ، ربَّنا وربَّ كل شيء ، فالق الحبِّ والنَّوى ، ومُنْزِلَ التوراةِ والإنجيل والفرقان ، أعوذُ بكَ من شرِّ كل شيء أنت آخذٌ بناصيته ، اللهمَّ أنت الأولُ فليس قبلك شيءٌ ، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيءٌ ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء . اقض عنا الدَّيْنَ وأغننا من الفقر » .
وهذا الحديث تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] .
ومعنى (الأول) : السابق للأشياء . و(الآخر) : الباقي بعد فناء الخلق . و(الظاهر) بحججه الباهرة وبراهينه النيِّرة وشواهده الدالّة على صحة وحدانيته ، ويكون (الظاهر) فوق كل شيء بقدرته ، ويكون الظهور بمعنى العلو وبمعنى الغلبة . و(الباطن) : المحتجب عن أبصار الخلق الذي لا يستولي عليه توهُّم الكيفية ، أو الباطن على كل شيء علماً .

(٣) لفظة : موصوفاً ؛ سقطت من المطبوع .

(٤) زيادة من المطبوع . تكتمل بها السجعة .

(٥) الشرجع : الطويل ، وقد شرحه بقوله : هو العالي المنيف .

الملائكة الكرامُ تحفُّه الكُرُوبيُّوْن[١] ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولهم زَجلٌ[٢] بالتقديس والتعظيم .

وكذا أرجاء السماوات مشحونة بالملائكة ، ويفدُ منهم في كل يوم سبعون[٣] ألفاً إلى البيت المعمور بالسماء السابعة[٤] ، لا يعودون إليه ، آخِرَ ما عليهم في تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسليم .

ووضع الأرض للأنام على تيار الماء ، وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك [فيها][٥] وقدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام قبْل خلق السماء ، وأثبت فيها من كل زوجين اثنين ، دلالة للألبَّاء ، من جميع ما يحتاج العباد إليه في شتائهم وصيفهم ، ولكل ما يحتاجون إليه ويملكون من حيوان بهيم .

وبدأ خلق الإنسان من طين ، وجعل نسله من سلالة من ماءٍ مهينٍ ، في قرارٍ مَكِيْن ، فجعله سميعاً بصيراً ، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، وشرَّفه بالعلم والتعليم .

خلق بيده الكريمة آدمَ أبا البشر ، فصوَّر جُثَّته ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وخلق منه زوجَه حواء أُمّ البشر ، فآنس بها وحْدَتَه ، وأسكنهما جنته ، وأسبغ عليهما نعمته . ثم أهبطهما إلى الأرض ، لما سبق في ذلك من حكمة الحكيم . وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، وقسمهم بقدره العظيم ملوكاً ورعايا[٦] ، وفقراء وأغنياء ، وأحراراً وعبيداً ، وحرائر وإماءً . وأسكنهم أرجاء الأرض ، طولها والعرض ، وجعلهم خلائف فيها يخلف البعضُ البعضَ[٧] ، إلى يوم الحساب والعرض على الحكيم العليم[٨] . وسخَّر لهم الأنهار من سائر[٩] الأقطار ، تشقُّ[١٠] الأقاليم إلى الأمصار ، مابين صغار وكبار ، على مقدار الحاجات والأوطار، وأنبع لهم العيون والآبار ، وأرسل عليهم السحاب[١١] بالأمطار ، فأنبت لهم سائر صنوف الزُّروع[١٢] والثمار . وآتاهم من كل ما سألوه بلسان حالهم وقالهم : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] فسبحان الكريم العظيم الحليم .

---

(١) الكروبيون : سادة الملائكة وهم المقربون . النهاية لابن الأثير (٤/ ١٦١) واللسان (كرب) .
(٢) الزجل : رفع الصوت الطَّرِب . وقال ابن الأثير : صوتٌ رفيع عالٍ . النهاية (٢/ ٢٩٧) .
(٣) في ب : سبعين ؛ وهو خطأ .
(٤) في المطبوع : الرابعة .
(٥) زيادة من ب .
(٦) في المطبوع : ورعاة .
(٧) في ب : « البعض منهم البعض » ، والعبارة من غير « منهم » أجود .
(٨) في ب : على العليم الحكيم .
(٩) سائر ، بمعنى الجميع ، خطأ شائع ، والصحيح استخدامها بمعنى البقية .
(١٠) قوله : تشق . والأوطار ؛ سقطت من « ب » .
(١١) في المطبوع : السحائب .
(١٢) في ب : الزرع .

وكان من أعظم نعمه عليهم ، وإحسانه إليهم ، بعد أن خلقهم ورزقهم ويسَّر لهم السبيل[١] ، وأنطقهم ، أن أرسل رُسُله إليهم ، وأنزل كُتُبهُ عليهم ، مبيِّنة حلاله وحرامه ، وأخباره وأحكامه ، وتفصيل كل شيءٍ في المبدأ والمعاد [إلى][٢] يوم القيامة ؛ فالسعيد من قابل الأخبار بالتصديق والتسليم ، والأوامر بالانقياد ، والنواهي بالتعظيم ، ففاز بالنعيم المقيم ، وزُحْزح عن مقام المكذِّبين في الجحيم ذات الزقّوم والحميم ، والعذاب الأليم .

أحمده حمداً كثيراً طيباً[٣] مباركاً فيه ، يملأ أرجاء السماوات والأرضين ، دائماً أبد الآبدين ، ودهرَ الداهرين ، إلى يوم الدِّين ، في كل ساعة وآنٍ ووقت وحين ، كما ينبغي لجلاله العظيم ، وسلطانه القديم ووجهه الكريم .

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريكَ له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا نظير له ، ولا وزير ولا مشير له ، ولا عديد ولا نديد[٤] ولا قسيم . وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله ، وحبيبه وخليله ، المصطفى من خُلاصة العرب العَرْباء من الصميم ، خاتم الأنبياء ، وصاحب الحوض الأكبر الرَّواء ، صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة ، وحامل اللواء الذي يبعثه الله تعالى المقامَ المحمود الذي يرغب إليه فيه الخلقُ كلُّهم ؛ حتى الخليل إبراهيم ﷺ وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين ، وسلَّم وشرَّف وكرَّم أزكى صلاةٍ وتسليم ، وأعلى تشريف وتكريم ، ورضي الله عن جميع أصحابه الغرِّ الكرام ، السادة النجباء الأعلام ، خلاصة العالم بعد الأنبياء ، ما اختلط الظلام بالضياء ، وما أعلن الداعي بالنداء ، وما نسخ النهارُ ظلام الليل البهيم .

أما بعد :

فهذا كتابٌ أذكر فيه ـ بعون الله وحسن توفيقه ـ ما يسَّرَه الله تعالى بحوله وقوته من ذكر مبدأ المخلوقات : من خلق العرش والكرسي والسموات والأرضين وما فيهن ، وما بينهنّ من الملائكة والجان والشياطين ، وكيفيَّة خلق آدم عليه السلام ، وقصص النبيين ، وما جرى مجرى ذلك إلى أيام بني إسرائيل وأيام الجاهلية ، حتى تنتهي النبوّة[٥] إلى أيام نبيّنا محمد ﷺ[٦] ، فنذكر سيرته كما ينبغي ، فتشفي الصدور والغليل ، وتزيح الداءَ عن العليل .

---

(١) في أ : ويسرهم .
(٢) زيادة من المطبوع .
(٣) قوله : كثيراً طيباً . سقطت من ب .
(٤) في ب : ولا عديل ولا نديد له ولا قسيم . والعديد : النظير .
(٥) في أ : النوبة .
(٦) في ب : صلوات الله وسلامه عليه .

ثمَّ نذكر ما بعد ذلك إلى زماننا ، ونذكر الفِتن والملاحم وأشراطَ(١) الساعة ، ثمَّ البعث والنشور وأهوال القيامة ، ثمَّ صفة ذلك وما في ذلك اليوم ، وما يقع فيه من الأمور الهائلة . ثمَّ صفة النَّار ، ثمَّ صفة الجنان وما فيها من الخيرات الحسان ، وغير ذلك وما يتعلق به ، وما ورد في ذلك من الكتاب والسُّنَّة والآثار والأخبار المنقولة المقبولة عند العلماء وورثة الأنبياء ، الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية ، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام .

ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذِن الشارع في نقله ، مما لا يخالف كتابَ الله تعالى وسنةَ رسوله ﷺ ، وهو القسم الذي لا يُصدَّق ولا يكذَّب ، مما فيه بسطٌ لمختصر عِنْدَنا ، أو تسميةٌ لمبهم وَرَدَ به شرعُنا مما لا فائدة في تعيينه لنا ، فنذكره على سبيل التحلِّي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه(٢) . وإنما العمدة والاستناد على كتاب الله تعالى وسنّة رسول الله ﷺ ، ما صحّ(٣) نقله أو حَسُن ، وما كان فيه ضعفٌ نبيِّنه ، وبالله المستعان وعليه التُّكلان ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله العزيز الحكيم العليّ العظيم .

فقد قال الله تعالى في كتابه : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه : ٩٩] وقد قصَّ الله على نبيِّه ﷺ خبر ما مضى من خلق المخلوقات ، وذِكْر الأممِ الماضين ، وكيف فعل بأوليائه ، وماذا أحلَّ بأعدائه . وبيَّن ذلك رسولُ الله ﷺ لأمته بياناً شافياً ، سنورد عند كل فَصْلٍ ما وَصَلَ إلينا عنه ، صلواتُ الله وسلامُه عليه ، في ذلك تِلْوَ الآيات الواردات في ذلك ، فأخبرنا بما نحتاج إليه من ذلك ، وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ويَتَراجم(٤) في فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب فيما لا فائدة فيه لكثير من الناس إليه ، وقد يستوعبُ(٥) نقلَه طائفةٌ من علمائنا أيضاً ، ولسنا نحذو حذوَهم ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار ، ونبين ما فيه منها(٦) حق مما وافق ما عندنا ، وما خالفه فوقع فيه الإنكار .

فأما الحديث الذي رواه البخاري ـ رحمه الله ـ في « صحيحه »(٧) عن [عبد الله بن] عمرو بن العاص

---

(١) أشراط : جمع شرط : هو العلامة . والشرط ، بسكون الراء : هو إلزام الشيء والتزامه ، ج : شروط وشرائط .
(٢) كذا في ب . و أ : والاعتماد إليه ، يقال : اعتمد على الشيء : إذا اتكأ عليه واتّكل .
(٣) في ب : مما صح .
(٤) الرجم : القذف بالغيب والظن .
(٥) في ب : استوعب .
(٦) لفظة : منها ؛ سقطت من المطبوع ، وفي ب : بياض مكانها قدر كتابتها .
(٧) رواه البخاري في صحيحه (٣٤٦١) في الأنبياء ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ « بلِّغوا عني ولو آية ، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . وجملة : « وحدِّثوا عني ولا تكذبوا عليَّ » التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في حديث البخاري ليست فيه . وإنما هي جملة من حديث رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ ولفظه بتمامه :=

ـ رضي الله عنهما[(١)] ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ ، وحدِّثُوا عَنِّي ولا تكْذِبُوا عليَّ ، ومنْ كذب عليَّ مُتعمداً فَلْيَتبوأْ مَقْعَدَهُ منَ النَّارِ » فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت[(٢)] عنها عندنا . فليس عندنا ما يُصدِّقُها ولا [ما][(٣)] يُكذِّبُها ، فيجوز روايتُها للاعتبار . وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا[(٤)] .

[فأمَّا ما شهد له شرعُنا بالصدق ؛ فلا حاجة بنا إليه استغناءً بما عندنا][(٥)] ، وما شهد له شرعُنا منها بالبطلان ، فذاك مردودٌ لا يجوز حكايته ، إلا على سبيل الإنْكار والإبْطال .

فإذا كان اللهُ سبحانه ولهُ الحمدُ ، قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع ، وبكتابه عن سائر الكتب ، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما قد وَقَعَ فيه خَبْط وَخلْطٌ ، وكَذِبٌ ووضْعٌ ، وتحريفٌ وتبديلٌ ، وبعد ذلك كله نسخ وتغيير .

فالمحتاجُ إليه قد بيَّنه لنا رسولُنا ، وشَرَحه ووضَّحه ، عَرفه من عَرَفه ، وجَهله [مَنْ جَهِلَهُ] . كما قال علي بن أبي طالب : كِتابُ الله فِيْه خَبَرُ ما قَبْلَكُمْ ، وَنَبأُ ما بَعْدكُم ، وحُكْمُ ما بَيْنكُمْ ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بالهزْلِ ، منْ تَرَكهُ من جَبَّار قَصَمهُ اللهُ ، ومَنِ ابْتَغى الهُدَىٰ في غَيْرِهِ أَضَلَّه[(٦)] اللهُ[(٧)] .

= « وحدِّثوا عني ولا تكذبوا عليَّ ، ومن كذب عليَّ متعمداً فقد تبوَّأ مقعده من النار ، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » .
وحديثنا الذي ذكره المؤلف من رواية البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ رواه أيضاً أحمد في المسند (٢/ ١٥٩ و٢٠٢ و٢١٤) والدارمي في سننه ، في المقدمة (١/ ١٣٦) باب : البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ، والترمذي في سننه (٢٦٦٩) ، في العلم ، باب : ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(١) في الأصل : عنه ؛ وعدلتها لتستقيم مع الزيادة التي أثبتُّها عن صحيح البخاري ، وسقطت من النسخ .
(٢) في ب : والمسكوت .
(٣) زيادة من المطبوع .
(٤) في ب : هذا منها .
(٥) زيادة من ب . سقطت من أ بنقلة عين .
(٦) في أ : أخبله ؛ وأثبت رواية ب ، وهي موافقة لما ورد في كتب الحديث .
(٧) قطعة من حديث أورده ابن كثير موقوفاً على عليّ رضي الله عنه . وقد ورد مرفوعاً عن رسول الله ﷺ وهو عند الترمذي في سننه (٢٩٠٦) في فضائل القرآن ، والدارمي في سننه (٢/ ٤٣٥) وأحمد في مسنده (١/ ٩١) .
وقال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال .
والحارث هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني ، وهو ضعيف الحديث ، وخاصة فيما يرويه عن عليٍّ رضي الله عنه ، ترجمته في ميزان الاعتدال ؛ للذهبي (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٧) .

وقال أبو ذر ، رضي الله عنه : توفي رسول الله ﷺ وما طائر يطير بجناحيه إلا أذكرنا[١] منه علماً .

وقال البخاري في كتاب[٢] بدء الخلق : وروي عن عيسى[٣] بن موسى غُنْجار ، عن رَقبة ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : سمعتُ عمر بن الخطاب يقول : قام فينا رسول الله ﷺ مَقَاماً ، فأخْبَرنا عن بدْء الخلق ، حتَّى دخل أهلُ الجنَّة منازِلَهُمْ ، وأهلُ النَّارِ مَنازِلَهم ، حَفِظَ ذلكَ مِنْ حَفِظَهُ وَنسيهُ مِنْ نسيهُ[٤] . قال أبو مسعود[٥] الدمشقي [« في أطْرافه »][٦] : هكذا قال البخاري ، وإنما رواه عيسى غُنْجار عن أبي حمزة ، عن رقبة .

وقال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ في « مسنده »[٧] : حدّثنا أبو عاصم ، حدَّثنا عَزْرة بن

---

(١) في ب : إلَّا ذكَّرنا .

(٢) في ب : كتابه .

(٣) هكذا بصيغة المبني للمجهول ، وكذلك هو بخط المزي في تحفة الأشراف (٧ / ٢٠٨ حديث ١٠٤٧٠) ، والذي في البخاري : وروى عيسى عن رقبة . وقد وضّحه المؤلف فقال : عيسى بن موسى غُنجار . وغنجار لقب لعيسى ، لقِّب به لحمرة لونه . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : (٦/٢٠٧) قوله : وروى عيسى عن رقبة ؛ كذا للأكثر ، وسقط منه رجل ، فقال ابن الفلكي : ينبغي أن يكون بين عيسى ورقبة أبو حمزة ، وبذلك جزم أبو مسعود ، وقال الطرقي : سقط أبو حمزة من كتاب الفربْري وثبت في رواية حماد بن شاكر ، فعنده عن البخاري : روى عيسى عن أبي حمزة عن رقبة ، قال ، وكذا قال ابن رميح عن الفربري . قلت [القائل ابن حجر] : وبذلك جزم أبو نعيم في المستخرج ، وهو يروي الصحيح عن الجرجاني عن الفربري ، فالاختلاف فيه حينئذٍ عن الفربري ، ثمّ رأيته سقط أيضاً من رواية النسفي ، لكن جعل بين عيسى ورقبة : ضبة ، ويغلب على الظن أن أبا حمزة ألحق في رواية الجرجاني ، وقد وصفوه بقلّة الإتقان ، وعيسى المذكور هو ابن موسى البخاري ، ولقبه غنجار . . . وليس له في البخاري إلا هذا الموضع ، وقد وصل الحديث المذكور من طريق عيسى المذكور عن أبي حمزة ، وهو محمد بن ميمون السكري ، عن رقبة ، الطبراني في مسند رقبة المذكور وهو بفتح الراء والقاف والموحدة الخفيفة ، ابن مصقلة بفتح الميم وسكون الصاد المهملة ، وقد تبدل سيناً (مسقلة) ولم ينفرد به عيسى ، فقد أخرجه أبو نعيم من طريق علي بن الحسن بن شقيق ، عن أبي حمزة ، نحوه ، لكن بإسناد ضعيف .

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣١٩٢) ، باب : ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُا۟ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ . . ﴾ [الروم : ٢٧] وهو من رواية حذيفة ، في مسند أحمد (٥/ ٣٨٥ و٣٨٩ ، ٤٠١) وأبي داود (٤٢٤٠) في الفتن : باب ذكر الفتن ودلائلها ، ومن رواية أبي سعيد الخدري في الترمذي (٢١٩١) في الفتن : باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وقال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح .

(٥) في ب : ابن مسعود ؛ وهو سهو . وأبو مسعود الدمشقي : هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي حافظ صدوق ورع . توفي سنة (٤٠١هـ) . ترجمته في السير للذهبي (١٧/ ٢٢٧) وكتابه : « أطراف الصحيحين » رتب فيه أحاديث كل صحابي على حدة . كشف الظنون (١/ ١١٦) ، وهو أحد الكتب الرئيسة التي أقام المزي عليها كتابه « تحفة الأشراف » .

(٦) زيادة من ب .

(٧) مسند أحمد (٥/ ٣٤١) .

ثابت، حدَّثنا عِلْباء بن أحمر[١] اليشكري ، حدَّثنا أبو زيد الأنصاري ، قال : صلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاةَ الصُّبح ، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ ، فَخَطبنا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهرُ ، ثُمَّ نَزلَ فَصَلَّى الظُّهرَ ، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ ، فَخَطبنا حَتَّى حَضرتِ العصْرُ ، ثُمَّ نَزلَ فَصلَّى العَصْر ، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبر فَخطبنا حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ ، فَحَدَّثنا بما كانَ ، وما هُوَ كائنٌ ، فأعلمُنا أحْفَظُنا . انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه في كتاب الفتن من « صحيحه »[٢] عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي وحجاج بن الشاعر ، جميعاً[٣] عن أبي عاصم الضحَّاك بن مخلد النبيل ، عن عزرة ، عن علباء ، عن أبي زيد عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصاري رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ بنحوه .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا يزيد بن هارون وعفَّان ، قالا : حدَّثنا حمَّاد بن سلَمة، أخبرنا علي بن زيد، عن [أبي نَضْرَة ، عن] أبي سعيد قال: خطبنا رسول الله ﷺ خُطْبَةً بعد العصْر إلى مُغَيْربان الشَّمْسِ ، حَفظها [منا] منْ حفظَها ، ونسِيَها من نسيها . قال عَفَّان : قال حمَّاد : وأكثر حفظي أنَّه قالَ : ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، فَحَمِدَ الله ، وأثنى عليه، ثمَّ قال : « أمَّا بَعْدُ فإنَّ الدُّنْيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيْها فناظِرٌ كَيْفَ تَعْملونَ ، ألا فَاتَّقُوا الدُّنْيا ، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ . . » وذكر تمام الخُطبة[٥] ، إلى أن قال : فلما كان عند مغيربان الشمس قال : « ألا إنَّ مثْلَ ما بَقيَ منَ الدُّنْيَا مِثْلُ ما بَقِيَ منْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيما مَضَى منْهُ » .

ثم قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا عبدُ الرزَّاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن علي بن زيد بن جُدْعان ، عن

---

(١) في أ : أحمد ؛ وهو تحريف .

(٢) صحيح مسلم (٢٨٩٢) باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

(٣) كذا في صحيح مسلم وط . وفي أ وب : كلاهما .

(٤) مسند أحمد (٣/ ١٩) والزيادات منه . والكلام حتى نهاية الفصل سقط من المطبوع .

(٥) وتمام الخطبة فيه : « ألا إنَّ بني آدم خُلقوا على طبقات شتَّى ، منهم من يُولَد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموتُ مؤمناً ، ومنهم من يُولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً ، ومنهم من يُولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموتُ مؤمناً .
ألا إنَّ الغضب جَمْرةٌ تُوقد في جَوف ابن آدَمَ ؛ ألا تَرَونَ إلى حُمْرة عينيه وانتفاخِ أوْدَاجِه ، فإذا وَجدَ أحدُكم شَيْئاً من ذلك فالأرض الأرضَ .
ألا إنَّ خَيْرَ الرجالِ من كان بَطيءَ الغضب سريعَ الرِّضى ، وشَرّ الرِّجال من كانَ سَريعَ الغضب بطيءَ الرضى ، فإذا كان الرجلُ بطيءَ الغضب بطيء الفَيْء وسريعَ الغضب سريعَ الفيء فإنَّها بها .
ألا إنّ خيرَ التجّار من كان حسنَ القضاء ، حسن الطلب ، وشرَّ التجار من كان سيّء القضاء سيّء الطلب ، فإذا كان الرجل حسنَ القضاء سيّء الطلب ، أو كان سيّء القضاء حسن الطلب فإنها بها .
ألا إن لكل غادرٍ لواءً يوْم القيامة بقدْر غدرته ، ألا وأكبر الغدْر غدرُ أمير عامة . ألا لا يمنعَنَّ رجُلاً مهابةُ الناسِ أنْ يتكلم بالحقّ إذا علمه . ألا إنَّ أفضَل الجهادِ كلمةُ حقٍّ عند سُلطان جائر . . » .
أقول : وفي سنده علي بن زيد بن جُدعان ، وهو ضعيف بطوله ، ولكن أول الحديث الذي ذكره المؤلف صحيح ، وآخره صحيح من قوله : « ألا إن لكل غادر لواءً » إلى آخره .

(٦) مسند أحمد (٣/ ٦١) .

أبي نَضْرَة ، عن أبي سعيد قال : صلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاةَ العَصْرِ ذاتَ يوم بنهارٍ ، ثمَّ قام فَخطبنا إلى أنْ غابَت الشَّمس ، فلم يَدَعْ شَيْئاً مما يَكُون إلى يوم القيامة إلا حدَّثناهُ ، حفِظ ذلكَ من حَفِظه ، وَنسيَ ذلك من نَسِيه ، فكان ممَّا قال : « يا أيها النَّاسُ ؛ إنَّ الدُّنْيا خَضِرَةٌ حُلْوةٌ ، وَإنّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكمْ فيها فناظرٌ كيفَ تَعْملونَ ، فاتَّقوا الدُّنْيا وَاتَّقوا النساءَ . . . »[١] . وذكر تمامها إلى أن قال : ثمَّ دَنتِ الشَّمْسُ أن تغرب فقال : « وإنَّ ما بقي من الدُّنيا فيمَا مَضَى [منها] مثلُ ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه » .

وهذا هو المحفوظ . والله أعلم[٢] .

فَصْــلٌ

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : ٦٢] .

فكل ما سواه تعالى مخلوق له ، مرْبوب مدبَّر مكوَّن بعد أن لم يكن ، محدث بعد عدمه فالعرش الذي هو سقف المخلوقات إلى ما تحت الثَّرىٰ ، وما بين ذلك من جمادٍ وناطق الجميعُ خَلْقهُ ، وملكهُ وعَبيده ، وتحت قَهْره وقُدرته ، وتحت تصريفه ومشيئته[٣] ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ﴾ [الفرقان : ٥٩] ، ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ ﴾ [الحديد : ٤] .

فقد أجمع علماء الإسلام قاطبةً ، لا يشُكّ في ذلك مسلم ، أنَّ الله تعالى خَلَقَ السماوات والأرضَ ، وما بينهما في ستة أيام ، كما دلَّ عليه القرآن العظيم[٤] واختلفوا في هذه الأيام : أهي كأيامنا هذه ؟ أو كل يوم كألف سنة مما تعدّون[٥] ؟ على قولين ، كما بيّنا ذلك في « التفسير »[٦] ، وسنتعرض لإيراده في

---

(١) رواه أحمد مطولاً (٣/ ٦١) وإسناده ضعيف بطوله ، ولأوله وآخره شواهد .

(٢) قوله : والله أعلم ؛ ليس في ب .
وأدرج بعد هذا الحديث في نسخة (ب) حديث آخر في معناه ، وقال الإمام أحمد : حدَّثنا مكي بن إبراهيم ، حدَّثنا هاشم ـ يعني ابن هاشم ـ عن عمر بن إبراهيم بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن المغيرة بن شعبة أنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبر بما يكون في أمته إلى يوم القيامة ، وعاه من وعاه ، ونسيه من نسيه ، وهو في مسنده (٤/ ٢٥٤) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٣) كذا في ب وفي أ : خشيته .

(٤) في المطبوع : الكريم ، وسقط اللفظان من ب .

(٥) قال الله تعالى في كتابه العظيم : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] .

(٦) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٢٠) في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ . . . ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

موضعه . واختلفوا : هل كان قبل[١] السموات والأرض شيء مخلوق قبلهما؟ فذهب طوائف من المتكلمين إلى أنَّه لم يكن قبلهما شيء وأنهما خلقتا[٢] من العدم المحض .

وقال آخرون : بل كان قبل السموات والأرض مخلوقات أُخَر ، لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود : ٧] الآية .

وفي حديث عمران بن حُصَيْنٍ ـ كما سيأتي ـ : « كان اللهُ ولَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وكَانَ عَرْشُهُ على الماءِ ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأرْضَ »[٣] .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدثنا بهْزٌ ، حدثنا حمَّاد بن سلمة ، حدَّثنا يَعْلَى بن عَطَاء ، عن وكيع بن حُدُس[٥] ، عن عمه أبي رزين لقيط بن عامر العقيلي ، أنه قال : يا رَسُولَ اللهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنا قَبْلَ أنْ يَخْلق السَّموات والأرْض ؟ قال : « في عماءٍ ما فوْقَهُ هواءٌ ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الماءِ »[٦] .

ورواه عن يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، ولفظه : « أيْنَ كَانَ رَبُّنا قَبْلَ أنْ يَخْلقَ خَلْقَهُ ؟ »[٧] ، وباقيه سواء .

وأخرجه الترمذي[٨] عن أحمد بن منيع ، وابن ماجه[٩] عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة ، ومحمد بن الصبَّاح ، ثلاثتهم عن يزيد بن هارون ، وقال الترمذي : حسنٌ[١٠] .

واختلف هؤلاء في أيِّها خُلِق أولاً ؟ فقال قائلون : خلق القلم قبل هذه الأشياء كلها ، وهذا هو اختيار

(١) في المطبوع : قبل خلق . . . وكُتب في « أ » : خلق ، ثمّ شطب عليها ، وهي ليست في (ب) .
(٢) في ب : خلقهما .
(٣) سيرد تخريجه (ص٣٠) .
(٤) المسند (٤/ ١١) .
(٥) ضبطه ابن حجر في التقريب : عُدُس ، بضمتين ، وقال : وقد يفتح ثانيه ، ويقال : [حُدُس] بالحاء بدل العين ، وقال الترمذي : هكذا يقول حماد بن سلمة : وكيع بن حُدُس ، ويقول شعبة وأبو عوانة وهُشيم : وكيع بن عُدُس ، وهو أصح .
(٦) العماء : السحاب ، وقيل : الضباب . قال أبو عبيد : لا يُدرى كيف كان ذلك العماء . النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٠٤) .
(٧) مسند أحمد (٤/ ١١) رقم (١٦١٣٢) وإسناده ضعيف ، لجهالة وكيع بن عدس .
(٨) الجامع (٣١٠٩) في التفسير .
(٩) سنن ابن ماجه (١٨٢) في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية .
(١٠) زاد في نسخة ب هنا : وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب « صفة العرش » : حدَّثنا عبد الله بن مروان بن معاوية ، سمعت الأصمعي يقول ـ وذكر هذا الحديث فقال ـ : العماء في كلام العرب : السحاب الأبيض الممدود ، وأما العمى ، المقصور ، فهو البصر .
ويبدو أنَّ ناسخ (ب) وقف على كتاب « صفة العرش » ثمَّ أدرج منه ما يؤيد الأخبار والأحاديث التي يذكرها ابن كثير وهذا ما سنلاحظه في كثير من الزيادات التي تفردت بها نسخة (ب) في هذا الموضوع .

ابن جرير[١]، وابن الجوزي، وغيرهما. قال ابن جرير[٢]: وبعد القلم السحاب الرقيق، وبعده العرش.

واحتجوا بالحديث الذي رواه [الإمام][٣] أحمد، وأبو داود والترمذي[٤]، عن عُبادة بن الصامت، رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمُ. ثُمَّ قالَ لَهُ اكْتُبْ، فجرى في تلك السَّاعة بما هُوَ كائنٌ إلى يَوْمِ القيَامَةِ» لفظ أحمد.

وقال الترمذي: حسن صحيح غريب[٥].

والذي عليه الجمهور، فيما نقله الحافظ أبو العلاء الهَمَذَاني وغيره: أنَّ العرش مخلوق قبل ذلك، وهذا هو الذي رواه ابن جرير[٦] من طريق الضَّحاك عن ابن عباس، كما دلَّ على ذلك الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه» حيث قال: حدَّثني أبو الطاهر أحمدُ بْن عمرو بن السَّرْح، حدَّثنا ابن وهب، أخبرني أبو هانىء الخَوْلاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي[٧]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كَتَبَ اللهُ مَقَاديْرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السَّموَاتِ وَالأرْضَ بخَمْسين ألْفَ سَنةٍ، قالَ: وعَرْشُهُ على المَاءِ»[٨]، قالوا: فهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقاديرَ.

وقد دلَّ هذا الحديثُ أنَّ ذلك بعد خلق العرش، فثبتَ تقدُّم العرش على القلم الذي كتبت به المقادير كما ذهب إلى ذلك الجماهير. ويُحمل حديثُ القلم على أنَّه أوَّلُ المخلوقات من هذا العالم.

ويؤيد هذا ما رواه البخاري[٩]، عن عِمْران بن حصين: قال: قال أهلُ اليمن لرسول الله ﷺ: جِئْنَاكَ

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٣٢) وما بعدها.

(٢) تاريخ الطبري (١/ ٣٧) وما بعدها.

(٣) زيادة من ب تجري على نسق أسلوب ابن كثير.

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣١٧) وأبو داود في السنن (٤٧٠٠) في السنة، والترمذي في الجامع (٢١٥٥) في القدر، وفي التفسير (٣٣١٩).

(٥) الذي في الترمذي باب القدر: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال في التفسير: هذا حديث حسن غريب صحيح، وهو الذي اقتصر عليه المزي في التهذيب والتحفة، وهو حديث صحيح.

(٦) تاريخ الطبري (١/ ٣٩) والصواب أن القلم أول ما خلق الله ولا نص عن رسول الله ﷺ صريح بأن العرش خلق أول، وإنما هو استنباط واجتهاد. ومن ذلك يتبين خطأ من يقول: أول خلق الله صلّوا عليه؛ وهو أفضل الخلق، وليس أول الخلق، وسيد ولد آدم.

(٧) في أ: الجبلي، وفي ب: الختلي، وفي ط: الجيلي؛ وكله تصحيف. والحُبُلي، بضم الحاء المهملة والباء المنقوطة بواحدة، منسوب إلى حيٍّ من اليمن. وأبو عبد الرحمن الحبلي هو عبد الله بن يزيد، من تابعي أهل مصر. الأنساب للسمعاني (٤/ ٥٠). وقيل: الحُبَلي، بفتح الباء.

(٨) رواه مسلم في صحيحه (٢٦٥٣) في القدر، والزيادة منه. وأخرجه الترمذي كذلك في السنن (٢١٥٦) في القدر.

(٩) رواه البخاري في صحيحه (٣١٩٠) و(٣١٩١) في بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧]، و(٤٣٦٥)، في المغازي، و(٤٣٨٦)، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، و(٧٤١٨) في التوحيد، وأخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٢٦، و٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٦) والترمذي في =

لنَتفقَّه في الدِّين وَلنَسْألَكَ عَنْ أوَّلِ الأمْرِ . فَقَالَ : « كانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ - وفي رواية : معه ، وفي رواية : غيره - وكَان عَرْشُهُ عَلَى الماءِ ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وخَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ » ، وفي لفظ : « ثُمَّ خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ »[١] . فسألوه عن ابتداء خلق السَّمواتِ والأرض ، ولهذا قالوا : جئناك نسألك عن أول هذا الأمر ، فأجابهم عمَّا سألوا فقط . ولهذا لم يخبرهم بخلق العرش كما أخبر به في حديث أبي رَزين المتقدم[٢] .

قال ابن جرير[٣] : وقال آخرون : بل خلقَ اللهُ - عَزَّ وجلَّ - الماءَ قَبْلَ العَرْشِ . رواه السُّدّي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مُرَّة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قالوا[٤] : إنَّ الله كان عرشُه على الماء ، و لم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء .

وحكى ابن جرير[٥] عن محمد بن إسحاق أنَّه قال : « أول ما خلقَ الله - عزَّ وجلَّ - النور والظلمة ، ثمَّ ميَّز بينهما ، فجعل الظلمة ليلاً أسودَ مظلماً ، وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصراً » .

قال ابن جرير : وقد قيل : « إنَّ الذي خلقَ رَبُّنا بعدَ القلم الكرسيُّ ، ثمَّ خلق بعد الكرسيّ العرش . ثمَّ بعد ذلك خلق الهواء والظلمة . ثمَّ خلق الماء [فوضع عرشه على الماء] »[٦] .

[وروى الحافظ أبوالقاسم بن عساكر في ترجمة علي بن الحسن[٧] بن محمد بن أحمد بن جميع الغَسَّاني الصَّيْداوي[٨] ، من طريق الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي، عن أبيه[٩] ، عن جده أحمد بن جميع ؛ حدَّثنا محمد بن المعافى الصدوق، حدَّثنا محمد بن خلف ، حدَّثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي أراكة قال : سأل رجلٌ عبدَ الله بن عمرو : ممَّ خُلق الخلق ؟ قال : من النور والظلمة والماء والثرى . وقال : إيت ابن عباس واسأله ؛ فأتاه وسأله ، فقال له مثل ذلك . فقال ارجع إليه فسلْه ممّ خلق ذلك كله ؟ فرجع إليه ، فسأله ، فتلا قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا

= الجامع (٣٩٥١) في المناقب ، والنسائي في التفسير (١١٢٤٠) .

(١) قوله : وفي لفظ : ثمَّ خلق السماوات والأرض ؛ ليس في ب .

(٢) تقدم ص(١٣) .

(٣) تاريخ الطبري (١/ ٤٩) .

(٤) في ب : قال .

(٥) تاريخ الطبري (١/ ٣٤) .

(٦) زيادة من ب توافق المصدر السابق .

(٧) في ط : « الحُسين » ، وهو تحريف ، فالحسن هذا هو ابن محمد صاحب « المعجم » المشهور ، والحسن يعرف بالسكن ، وهو مترجم في تاريخ دمشق (١٣/ ٣٥٢) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٥٦) وغيرهما .

(٨) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٣٨) .

(٩) يعني : الحسن بن محمد بن أحمد بن جميع .

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] . قال : قال ابن معين : لم يرو الفريابي حديثا أغرب من هذا .

قلت : غالب هذه المذكورات من الإسرائيليات الذي لا يصدَّق ولا يكذَّب ، إلا ما قام دليل على صدق بعضها أو كذبه . والله أعلم][١] .

* * *

فصل

فيما ورد في صفة خلق[٢] العرش والكرسي

قال الله تعالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [غافر : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٦] .

وقال الله : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴾ [النمل : ٢٦] .

وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ [البروج : ١٤ـ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

وقال : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ في غير ما آيةٍ[٣] منَ القُرْآنِ .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] .

وقال تَعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر : ٧٥] .

وفي الدعاء المروي في « الصحيح »[٤] ، في دعاء الكرب : « لا إلَهَ إلا الله العَظيم الحَليم[٥] لا إلَهَ

---

(١) زيادة من ب ، وفي تاريخ الطبري : فوضع عرشه عليه .

(٢) في (ب) : في العرش .

(٣) في سورة الأعراف : ٥٤ ، ويونس : ٣ ، والرعد : ٢ ، والفرقان : ٥٩ ، والسجدة : ٤ ، والحديد : ٤ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٣٤٥) و(٦٣٤٦) في الدعوات ، باب : الدعاء عند الكرب ، و(٧٤٣١) في التوحيد ، باب : قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] . وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٣٠) ، في الذكر والدعاء ، باب : دعاء الكرب ، وأحمد في المسند (١/ ٢٢٨) كلهم من رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . مع خلاف يسير في اللفظ .

(٥) في أ ، وب : الحليم العظيم . وأثبت رواية المطبوع ، لأنها موافقة لرواية الحديث في صحيح البخاري الذي ينقل منه المصنف .

إلا الله رَبُّ العَرْشِ الكَريم ، لا إِلَهَ إلا الله رَبّ السَّموات وَرَبُّ الأَرْضِ رَبّ العَرْشِ الكَريم » .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبدُ الرزاق ، حدَّثنا يحيى بنُ العلاء ، عن عمِّه شُعيب بن خالد ، حدَّثني سِمَاكُ بن حرب ، عن عبد الله بن عَميرةَ ، عن الأحنفِ بن قَيْسٍ[٢] ، عن عبَّاس بن عبد المطلب قال : كُنَّا جُلُوساً مع رسول الله ﷺ بالبطحاء ، فمرَّتْ سحابةٌ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أتَدْرُون ما هَذَا ؟ » قال : قُلْنا : السَّحابُ . قال : « والمزنُ » . قلنا : والمزْن . قال : « والعَنان » ، قال : فسكتنا ، فقال : « هَلْ تدْرُونَ كمْ بيْن السَّماءِ والأرْضِ » ؟ قال[٣] : قلنا : اللهُ وَرَسُولهُ أعلم . قال : « بَيْنهُما مَسِيرَة خَمْسمئة سنةٍ ، ومنْ[٤] كُلِّ سَماءٍ إلى سماء مَسيرة خمسمئة سَنَةٍ وكثف كُلّ سَماء مَسِيْرة خَمْسمئَةِ سنةٍ ، وفوْق السَّماء السَّابعة بحْرٌ بين أسْفله وأعْلاهُ كما بَيْن السَّماء والأرْضِ [ثُمَّ فَوْق ذلكَ ثَمانيةُ أوْعَالٍ بيْن رُكبهن وأظلافهنَّ كما بينَ السَّماء والأرضِ ، ثُمَّ عَلى ظُهُورهمْ[٥] العَرْشُ بَيْنَ أسْفَلِهِ وَأعْلاهُ كمَا بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ][٦] . واللهُ فَوْقَ ذلك ، ولَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أعْمالِ بَني آدَمَ شَيْءٌ » . هذا لفظ الإمام أحمد .

ورواه أبو داود ، وابن ماجه ، والترمذي[٧] من حديث سماك بإسناده ، نحوه . وقال الترمذي[٨] : هذا حديث حسن . وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك وَوقَفَهُ .

ولفظ أبي داود : « وهَلْ تَدْرُونَ بُعْدَ ما بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ ؟ » قالوا : لا نَدْري . قال : « بُعْدُ ما بَيْنَهُمَا إمَّا واحدةٌ أو اثنتان[٩] أو ثلاثة وسَبْعُونَ سَنَةً » ، والباقي نحوه[١٠] .

---

(١) مسند أحمد (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) .

(٢) ليست زيادة (للأحنف بن قيس) في المسند ، وقد صرح محمد بن عثمان بن أبي شيبة في « العرش » أن عبد الرزاق لم يذكر في حديثه الأحنف بن قيس ، ولكن روى الحديث بزيادة (الأحنف بن قيس) أبو داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠) وغيرهما .

(٣) في ب : والأرض ؟ قلنا .

(٤) في ب : وبين .

(٥) في مسند أحمد : « ثم فوق ذلك العرش » وقوله : ثمَّ على ظهورهم . . والأرض . ليس في ب .

(٦) ما بين الحاصرتين سقط من أ ، وسقط بعضه من ب كما أشرتُ . وهو في المطبوع ، ومسند أحمد الذي نص المؤلف على أنَّه نقل لفظه .

(٧) أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٢٣) في السنة ، وابن ماجه في سننه (١٩٣) في المقدمة ، والترمذي في الجامع(٣٣٢٠) في التفسير . وإسناده ضعيف .

(٨) قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وروى الوليد بن أبي ثور عن سماك نحوه ، ورفعه . وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث وأوقفه ولم يرفعه . .

(٩) كذا في ب ، وسنن أبي داود . والذي في أ ، والمطبوع : أو اثنتين ؛ وهو خطأ .

(١٠) أدرج ناسخ (ب) هنا القول : قال شهربن حوشب : حملةُ العرش ثمانية : أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهمَّ وبحمدك على حلمك بعد علمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللهمَّ وبحمدك على عفوك بعد قدرتك . قال : وكانوا=

وقال أبو داود[١] : حدَّثنا عبد الأعلى بن حَماد ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار وأحمد بن سعيد الرِّباطي[٢] قالوا : حدَّثنا وَهْب بن جرير ـ قال أحمد : كتبناه من نسخته ، وهذا لفظه ـ قال : حدَّثنا أبي قال[٣] : سمعت محمد بن إسحاق يُحدِّث عن يعقوب بن عتبة ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مُطعم ، عن أبيه ، عن جده قال : أتى رسول الله ﷺ أعرابيٌّ فقال : يا رسولَ الله : جهِدَتِ الأنْفُسُ ، وَجَاعتِ[٤] العيالُ ، وَنُهكتِ الأمْوالُ [وهَلَكتِ الأنعامُ] ، فاسْتَسْقِ اللهَ لَنا ، فإنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ وَنَسْتَشْفِعُ باللهِ عَلَيْكَ . فقال[٥] رسول الله ﷺ : « وَيحكَ ؛ أتَدْري ما تَقُولُ » ؟! وَسَبَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ فما زال يُسَبِّحُ حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه . ثمَّ قال : « وَيْحكَ ؛ إنَّهُ لا يُسْتَشْفعُ باللهِ على أحدٍ منْ خَلْقِهِ ، شأْنُ اللهِ أعْظمُ منْ ذَلكَ . وَيْحكَ ، أتَدْري ما اللهُ ؟ إنَّ عَرْشَهُ على سَمواتِهِ لَهَكذا » ـ وقال بأصابعه مثل القبة عليه ـ « وَإنَّهُ لَيَئِطُّ بهِ أطِيْطَ الرَّحْل بالرَّاكب » . قال ابنُ بشار في حديثه : « إنّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ ، وَعرْشُهُ فَوْقَ سَمواتِهِ » ؛ وساق الحديث . وقال عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن جبير ، عن أبيه عن جده . والحديث بإسناد أحمد بن سعيد أيضاً ، [هو الصحيح ، وافقه عليه جماعةٌ، منهم يحيى بن معين، وعلي بن المديني ، ورواه جماعة عن ابن إسحاق كما قال أحمد أيضاً][٦] وكان سَماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغني[٧] . تفرد بإخراجه أبو داود .

= يرون أنَّهم يرون ذنوب بني آدم . رواه ابن أبي شيبة في (صفة العرش) . ورواه أيضاً من طريق الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] قال : الجن ، والإنس ، والشياطين ، و الملائكة ، والكرُوبيون ، ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدّة هؤلاء فذلك قوله سبحانه : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ » .

(١) أبو داود (٤٧٢٦) .

(٢) الرباطي ، بكسر الراء المهملة ، وفتح الباء المنقوطة بواحدة : نسبة إلى الرباط ، وهو اسم لموضع رباط الخيل وملازمة أصحابها الثغر لحفظه من عدو الإسلام . وأحمد بن سعيد هذا ثقة ، وإنما قيل له الرباطي لأنه كان على الرباط وعمارته وتولّي الأوقاف التي له . وتصحّف في المطبوع من سنن أبي داود إلى : الرياطي بالياء آخر الحروف . أنساب السمعاني (٦/ ٧٠) .

(٣) في ب : أبي سمعت .

(٤) كذا في الأصول ، وفي سنن أبي داود : وضاعت .

(٥) ليست في أ ، وهي في ب وسنن أبي داود .

(٦) زيادة من ط ، موافقة لنص أبي داود ، ليست في أ و ب .

(٧) إسناده ضعيف ، ولا يصح في أطيط العرش حديث . والنهك : المرض ، المراد به هاهنا : التلف . والأطيط : صوت أقتاب الناقة، أي : إنَّه ليعجز عن حمله وعظمته ، إذ كان معلوماً أنَّ أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله . النهاية لابن الأثير (١/ ٥٤) . وانظر ما نقله ابن الأثير عن الخطابي ، في هذا الحديث ، في جامع الأصول (٤/ ٢٤) .

وقد صنّف الحافظ أبو القاسم بنُ عساكر الدمشقي جزءاً في الرد على هذا الحديث . سمَّاه : « بيانُ الوَهْمِ والتخليط الواقع في حديث الأطيط » ، واستفرغ وسعه في الطعن على محمد بن إسحاق بن يسار راويه . وذكر كلام النَّاسِ فيه .

ولكنْ قد[١] رُوي هذا اللفظ من طريقٍ أخرى عن غير محمد بن إسحاق ؛ فرواه عَبْد بن حُميد[٢] ، وابن جرير[٣] في « تَفْسيريْهما » ، وابن أبي عاصم والطبراني في كتابي « السُّنَّة » لهما ، والبَزَّار في « مُسنده » ، والحافظ الضياء المقدسي في « مختاراته » من طريق أبي إسحاق السَّبيعي[٤] عن عبد الله بن خَليفة عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه قال : أَتَتِ امْرأةٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقالت : ادْعُ اللهَ أَنْ يُدْخلني الجنَّةَ قال : فَعَظَّمَ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعالى ، وقال : « إنَّ كُرْسيَّهُ وَسِعَ السَّمٰواتِ والأرْضَ ، وَإِنَّ لَهُ أطيطاً كَأطِيْط الرحل الجديد منْ ثقلِهِ » .

عبد الله بن خليفة ليس بذاك المشهور ، وفي سماعه من عمر نظر . ثمَّ منهم من يرويه موقوفاً ومُرْسلاً ، ومنهم من يزيد فيه زيادةً غريبةً . فالله أعلم .

وثبت في « صحيح البخاري »[٥] عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال : « إذا سَألْتُم اللهَ الجَنَّةَ فَسَلُوْهُ الفِرْدَوسَ فَإِنَّهُ أعْلى الجنَّةِ[٦] ، وَفَوقهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ » . يُروى : « وفوقَه » بالفتح على الظرفية ، وبالضمّ[٧] ، قال شيخُنا الحافظُ المِزِّي[٨] : وهو أحسن ، أي : وأعلاهما عَرْشُ الرحمنِ .

وقد جاء في بعض الآثار : أنَّ أهْلَ الفِرْدَوْسِ يسمعون أطيطَ العَرْشِ ، وهو تَسْبِيْحُهُ وتعظيمه ، وما ذاك إلا لقربهم منه .

---

(١) في ب : ولكن روي .

(٢) هو أبو محمد عبد الحميد بن حُميد بن نصر الكِسِّي ، إمام جليل القدر ، يُعرف بعبد بن حميد له « تفسير » و« مسند » . توفي سنة (٢٤٩)هـ . أنساب السمعاني (١٠/ ٤٢٩) .

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٨) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ من آية الكرسي في سورة البقرة .

(٤) كذا في ب وفي أ : السنبقي ؛ وهو خطأ . وأبو إسحاق السبيعي هو : عمرو بن عبد الله بن علي ، توفي سنة (١٢٧) .

(٥) الحديث كاملاً في صحيحه (٢٧٩٠) في الجهاد . و(٧٤٢٣) في التوحيد ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه الترمذي في الجامع (٢٥٣٠) في صفة الجنة ، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٦) قوله : وأوسط الجنة ؛ سقط من ب .

(٧) على الابتداء أو الإخبار .

(٨) الحافظ المزي ، هو أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي المتوفى سنة (٧٤٢)هـ . إمام محدّث حافظ ، له مجموعة من الكتب على رأسها « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » . نُشر بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف في مؤسسة الرسالة .

وفي « الصحيح »[١] أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لَقَدِ اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحمنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعاذ » .

وذكر الحافظ ابن الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَة[٢] في كتاب « صِفَة العرش » عن بَعض السلف أنَّ العَرْشَ مخلوقٌ من ياقوتةٍ حَمْراء بُعْدُ ما بَيْنَ قُطْريه مسيرةُ خَمسين ألف سنةٍ[٣] .

وذكرنا[٤] عند قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] أنه بُعْد ما بين العرش إلى الأرض السابعة مسيرةُ خمسين ألف سنةٍ ، واتساعُه[٥] خمسون ألف سنة[٦] .

وقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أنَّ العرش فلكٌ مستدير من جميع جوانبه ، محيطٌ بالعالم من كل جهة ، وربما سَمَّوهُ : الفلك التاسع والفلك الأطلس والأثير . وهذا ليس بجيدٍ ؛ لأنَّه قد ثبت في الشرع أنَّ له قوائمَ تحمله الملائكة ، والفلك لا يكون له قوائم ولا يُحمل ، وأيضاً فإنَّهُ فوق الجنَّة ، والجنةُ فوق السماوات ، وفيها مئةُ درجةٍ ، ما بين درجتين كما بين السماء والأرض ، فالبعد الذي بينه وبين الكرسي ليس هو نسبة فلك إلى فلك . وأيضاً فإنَّ العرش ، في اللغة : عبارة عن السرير الَّذي لِلْمَلِكِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل : ٢٣] . وليس هو فلكاً ، ولا تَفهم منه العرب ذلك . والقرآن إنَّما نَزل بلغة العرب ، فهو سريرٌ ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقُبَّة على العالم ، وهو سقفُ المخلوقات[٧] .

---

(١) البخاري (٣٨٠٣) ، في مناقب الأنصار . وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٤٦٦) في فضائل الصحابة ، وابن ماجه في سننه (١٥٨) في المقدمة ، والترمذي في الجامع (٣٨٤٨) في المناقب ، وأحمد في المسند (٣/ ٢٩٦) كلهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) سيترجم له المؤلف في وفيات سنة (٢٩٧)هـ .

(٣) أورد المؤلف هذا النقل عن ابن أبي شيبة في تفسير قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ . . . ﴾ (٤/ ٤٩٤) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٩٢) وما بعدها . وقد أورد أربعة أقوال لتفسير مقدار اليوم .

(٥) كذا في المطبوع . وفي أ ،ب : الساعة . وعبارته في التفسير : . . . . وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة .

(٦) جاء في ب : زيادة مدرجة ليست في باقي الأصول : قال سهل بن أبي خلف : هو من ياقوتة حمراء . وقال وهب بن منبّه : هو مسيرة خمسين ألف سنة . رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح إليهما . وقال أيضاً : حدَّثنا قعنب بن محمد التيمي ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا داود بن عبد الرحمن المكّي ، عن محمد بن زاذان ، أنه أخبره عن أم سعد ـ امرأة من المهاجرات قالت : قال رسول الله ﷺ : « العرش على ملك في صورة ديك رجلاه في تخوم السفلى ، وعنقه مثبتة تحت العرش ، وجناحاه في المشرق والمغرب . فإذا سبّح ذلك الملك لم يبق شيء إلا سبح » .

(٧) أُدرجَ في ب . قوله : قال ابن أبي شيبة في صفة العرش : حدّثنا إبراهيم بن أبي معاوية وهنَّاد بن السري قالا : حدَّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي نضرة ، عن أبي ذر قال رسول الله ﷺ : « ما بين الأرض إلى السماء خمسمئة سنة ، وغلظ كل سماء خمسمئة سنة ، وما بين كل سماء إلى التي تليها خمسمئة سنة ، والأرضون مثل ذلك . وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك كله » .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] . وقد تقدَّم في حديث الأوعال[١] أنَّهم ثمانية ، وفوق ظهورهنَّ العَرْشُ ، وقال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] .

وقال شهْرُ بْن حوْشب : حملةُ العرْش ثمانيةٌ ؛ أربعةٌ منهم يقولون : سُبْحانك اللَّهُمَّ وبحَمْدكَ ، لَكَ الحمْدُ على حلْمكَ بَعْدَ عِلْمِكَ[٢] ، وأربعة يقولون : سُبْحانكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدكَ لَكَ الحَمْدُ عَلَى عَفْوكَ بَعْدَ قُدْرَتكَ .

فأما الحديثُ الذي رواه الإمام[٣] أحمد[٤] : حدَّثنا عبد الله بن محمد هو أبو بكر [بن أبي شَيْبة][٥] ، حدَّثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أنَّ رسول الله ﷺ صدَّق أمية بن أبي الصَّلْت[٦] في شيءٍ من شعره فقال : [من الكامل]

رجُـلٌ وثَـوْرٌ تحْـتَ رِجْـلِ يَمينـهِ والنَّسْرُ للأُخْرَىٰ وَلَيْثٌ مُرصدُ[٧]

فقال رسول الله ﷺ : « صدق » . فقال : [من الكامل]

والشَّمْـسُ تَطْلـع كُـلَّ آخِـرِ لَيْلَـةٍ حَمْـراءَ يُصْبـحُ لَـوْنُهـا يَتَـورَّدُ
تَأْبَى فما تَطلع لَنا في رِسْلِها إلا مُعَـذَّبَـةً وَإلا تُجْلَـدُ[٨]

فقال رسول الله ﷺ : « صَدَقَ » . فإنَّهُ حديثٌ صحيحُ الإسناد ، رجالُه ثقات[٩] . وهو يقتضي أنَّ

---

(١) تقدم الحديث ص١٥ وإسناده ضعيف .
(٢) في ب : لك الحمد على علمك ، وأربعة . . وهو سهو من الناسخ .
(٣) لفظة : الإمام ؛ سقطت من ب .
(٤) مسند أحمد (١/ ٢٥٦) وهو عند الدارمي في سننه (٢/ ٢٩٦) في الاستئذان ، باب في الشعر وفيه عنعنة ابن إسحاق ، وهو مدلس .
(٥) زيادة من ب ، وهو في مصنفه (٨/ ٥٠٥) .
(٦) شاعر جاهلي معروف ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وكان ينتظر أن تكون النبوّة له لما علم عن خبرها من رهبان النصارى وأحبار اليهود . انظر دراسة مفصلة عنه في ديوانه ، صنعة الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ السطلي .
(٧) البيت مع البيتين القادمين ، في ديوانه (ص٣٦٥) وهو من قصيدة طويلة مطلعها :
اعلـم بـأنَّ الله ليـس كصُنْعِـهِ صنْـعٌ ، ولا يخفـى عليـه مُلْحـد
وهي من شعره المتهم ، كما أشار الدكتور السطلي وسيأتي البيتان أيضاً ص (٥٤) .
(٨) أثبتُّ رواية ب ، وهي الموافقة للمصدر الذي ينقل منه المصنف وهو مسند أحمد .
(٩) أقول : لكن فيه محمد بن إسحاق مدلس ، وقد رواه بالعنعنة .

حَملة العرش اليومَ أربعةٌ[١] ، فيعارضه حديث الأوعال[٢] ؛ اللهمَّ إلا أن يُقال : إنَّ إثبات هؤلاء[٣] الأربعة على هذه الصفات لا ينفي ما عداهم ، والله أعلم .

ومن شعر أميَّة بن أبي الصَّلْت في العرش قولُه : [من الخفيف]

مجِّدُوْا اللهَ فَهْوَ للْمَجْد أهْلُ رَبُّنا في السَّماءِ أمْسَىٰ كَبيرا[٤]
بالبنَاءِ العَالي الَّذي بَهَرَ النَّا س وَسَوَّىٰ فَوْقَ السَّماءِ سَريرا[٥]
شَرْجعاً لا ينالُهُ بَصَرُ العَيْـ ـنِ تَرَى حَوْلَهُ الملائِكَ صُوْرا[٦]

صُور : جمع أصْور ، وهو المائل العنق لنظره إلى العلو[٧] . والشَّرْجعُ : هو العالي المنيف . والسرير : هو العرش ، في اللغة .

ومن شعر عبد الله بن رَوَاحة ـ رضي الله عنه ـ الذي عرَّض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته[٨] : [من الوافر]

شهدْتُ بأنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأنَّ النَّارَ مَثْوىٰ الكَافِرينا
وأنَّ العَرْشَ فوْقَ الماءِ طافٍ وفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالمينا
وتحْمِلُهُ ملائكةٌ كرَامٌ مَلائكةُ الإلَـهِ مُسَوَّمينا[٩]

ذكره ابن عبد البر[١٠] ، وغير واحد من الأئمة .

---

(١) في أ : أربع ، وهو سهو من الناسخ .
(٢) وحديث الأوعال ضعيف أيضاً ، على أن لفظ الثمانية في القرآن الكريم .
(٣) كذا ي ب ، وط . وفي أ : هذه الأربعة .
(٤) في ديوانه : . . . قديرا .
(٥) في ديوانه : بالبناء الأعلى الذي سبق . . .
(٦) الأبيات مطلع قصيدة في ديوانه (ص٣٩٩) وتخريجها فيه ، وهي من شعره المتهم ، كما أشار الدكتور السطلي .
(٧) الذي في النهاية لابن الأثير . واللسان : صور ، وهو المائل العنق لثقل حمله .
(٨) في أمالي اليزيدي (ص١٠٢) : كانت لعبد الله بن رواحة جارية يستسرها عن أهله ، فقالت له امرأته : لقد رأيتك دخلت مع جاريتك ، وإنك الآن لجنب ، فَجَاحَدَ ذلك . فقالت : فإن كنت صادقاً فاتلُ عليَّ القرآن . فقال : شهدت . . . [الأبيات] قالت : آمنت بالله وكذبت البصر . فأتى ابن رواحة رسولَ الله ﷺ ، فحدَّثه الحديث ، فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يغير عليه . وكانت امرأته لا تحفظ القرآن ، ولا تقرؤه ، فظنته يقرأ منه . وانظر : سير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٨) والأبيات في ديوان عبد الله بن رواحة (ص١٦٤) .
(٩) في أمالي اليزيدي : وتحمله ثمانية شداد . وفي ديوانه ، وأمالي اليزيدي ، والسير : مقرَّبينا .
(١٠) الاستيعاب (٦/ ١٧١) على هامش الإصابة (تحقيق . د . طه الزيني ـ القاهرة) .

وقال أبو داود[١] : حدَّثنا أحمد بن حفص بن عبد الله ، حدَّثني أبي ، حدَّثنا إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، أنَّ النبي ﷺ قال : « أذنَ لي أنْ أُحدِّثَ عنْ مَلَكٍ منْ مَلائِكةِ اللهِ عَزَّ وجلَّ منْ حَملةِ العَرْشِ : إنَّ ما بينَ شَحْمةِ أُذُنِه إلى عاتِقِهِ مَسِيرةُ سبعمئة عامٍ »[٢] .

ورواه ابن أبي حاتم ، ولفظه : « مخفق الطير مسيرة سبعمئة عام » .

وأمَّا الكُرْسي

فَرَوى ابن جرير[٣] من طريق جويبر ـ وهو ضعيف ـ عن الحسن البصري أنَّه كان يقول : الكرسي هو العَرش . وهذا لا يصح عن الحَسَن ، بل الصحيحُ عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره .

وعن ابن عباس وسعيد بن جبير أنَّهما قالا في قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ؛ أي علمه[٤] .

---

(١) أبو داود في سننه (٤٧٢٧) في السنة ، وإسناده حسن . وانظر جامع الأصول (٤/ ١٩) .

(٢) زاد في ب : وقال محمد بن أبي شيبة : حدَّثنا يوسف بن يعقوب الصفّار ، حدَّثنا ابن أبي فُديك ، عن عبد الرحمن بن عبد المجيد ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يُصبح وحين يُمسي : اللهمَّ إني أصبحت ؛ أُشهدك وأُشهد ملائكتك وحملة عرشك ، وجميع خلقك ؛ بأنَّك أنت الله لا إلّه إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأنَّ محمداً عبدك ورسولك . أعتق الله ربعه من النار . فإن قالها أربع مرات أعتقه الله من النار » .
طريق أخرى ، عن صحابي آخر : قال ابن أبي شيبة أيضاً : حدَّثنا عبيد بن يعيش ، حدَّثنا ابن خباب ، حدّثنا حميد مولى ابن علقمة المكي ، حدّثنا عطاء بن أبي رباح ، عن أبي هريرة ، حدّثني سلمان بن الإسلام قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : اللهمَّ إني أُشهدك وأُشهد ملائكتك وحملة العرش والسموات ومن فيهنّ والأرضين ، وأشهد جميع خلقك ؛ بأنَّك أنت الله ، وأكفّر من أبى ذاك من الأولين والآخرين ، وأشهد أنَّ محمداً عبدُك ورسولك . من قالها مرة أعتق الله ثلثه من النار ، ومن قالها مرتين أعتق الله ثلثيه ، ومن قالها ثلاثاً أعتقه الله من النار » .
طريق أخرى ، عن صحابي آخر : قال ابن أبي شيبة : حدَّثنا عبد الله ويحيى بن الربيع بن أبي راشد حدَّثنا محمود بن عطية ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ما من عبد يقول أربع مرات اللهمَّ إني أُشهدك ـ وكفى بك شهيداً ـ وأُشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك ، وأنا أشهد أن لا إلّه إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأنَّ محمداً عبدك ورسولك . إلا كتب الله له فكاكه من النار » وهذه الروايات أسانيدها ضعيفة .

(٣) في تفسيره ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] (٣/ ٨) .

(٤) المصدر السابق (٣/ ٧) وفيه كثير من الآراء التي سيذكرها المؤلف هنا .

والمحفوظ عن ابن عباس ، كما رواه[١] الحاكم في « مستدركه »[٢] ـ وقال : إنَّه على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ـ من طريق سفيان الثوري ، عن عمار الدُّهْني[٣] ، عن مسلم البَطين[٤] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس[٥] أنّه قال : الكرسي موضع القدمين[٦] ، والعرش لا يقدر قدره إلا اللهُ عَزَّ وجلَّ[٧] . وقد رواه شجاع بن مخلد الفلّاس[٨] في « تفسيره » عن أبي عاصم النبيل ، عن الثوري ، فجعله مرفوعاً ، والصواب أنَّه موقوف على ابن عباس . وحكاه ابن جرير[٩] عن أبي موسى الأشعري ، والضحاك بن مزاحم ، وإسماعيل بن عبد الرحمن[١٠] السّدِّي : السماوات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش[١١] .

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الضحاك ، عن ابن عباس أنَّه قال : لو أنَّ السماوات السبع والأرضين السبع بُسطن ، ثمَّ وُصِلْن بعضهن إلى بعض ، ما كُنَّ في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة[١٢] .

وقال ابن جرير[١٣] : حدّثني يونس ، حدّثنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدَّثني أبي قال : قال رسول الله ﷺ : « ما السموات السَّبْع في الكرسي إلا كَدَراهمَ سَبْعةٍ أُلْقيتْ في تُرسٍ » . قال : وقال أبو ذرّ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مـا الكُـرْسيُّ في العَرْشِ إلا كَحلْقَةٍ منْ حَديدٍ أُلْقيتْ بَيْنَ

(١) في ب : كما رواه ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش والحاكم . . .
(٢) المستدرك (٢/ ٢٨٢) .
(٣) في أ : المديني . وهو : عمار بن معاوية الدهني البجلي الكوفي . والدُّهني : بضم المهملة وسكون الهاء : نسبة إلى دُهن بن معاوية بن أسلم بن أحمس . . . بطن من بجيلة . تقريب التهذيب ، واللباب .
(٤) هو مسلم بن عمران البطين ، ويقال ابن أبي عمران . تقريب التهذيب .
(٥) زاد في ب في قوله : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ . وقد تقدم هذا قبل قليل .
(٦) تفسير الطبري (٣/ ٧) .
(٧) قال الطبري في تفسيره (٣/ ٧) : لما نزلت ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ قال أصحاب النبي ﷺ : يا رسول الله ؛ هذا الكرسي وسع السمٰوات والأرض ، فكيف العرش ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ . . ﴾ [الأنعام : ٩١] .
(٨) في أ : لدلاس ؛ وهو خطأ .
(٩) تفسير الطبري (٣/ ٧) .
(١٠) قوله : وحكاه ابن جرير . . . عبد الرحمن . سقط من ب .
(١١) تتمة الخبر في تفسير الطبري : وهو موضع قدميه . أما قول أبي موسى فهو الكرسي موضع القدمين ، وله أطيط كأطيط الرحل . وقول الضحاك : كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم .
(١٢) في ب : الفلاة . وانظر الدر المنثور (١/ ٣٢٨) فقد عزى الخبر إلى ابن مردويه ، وابن أبي حاتم ، ولم أجده في تفسير الطبري .
(١٣) تفسير الطبري (٣/ ٨) .

ظَهْري فَلاةٍ منَ الأرْضِ[(١)] » .

أول الحديث مرسل ، وعن أبي ذر منقطع . وقد رُوي عنه من طريق أخرى موصولاً ، فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في « تفسيره » : أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني ، أنبأنا عبد الله بن وهيب الغَزِّي[(٢)] ، أنبأنا محمد بن أبي السَّري العَسْقلاني ، أنبأنا محمد بن عبد الله التميمي ، عن القاسم بن محمد الثقفي ، عن أبي إدريس الخَوْلاني ، عن أبي ذر الغفاري أنَّه سال رسول الله ﷺ عن الكرسي ، فقال رسول الله[(٣)] ﷺ : « والذي نَفْسي بيدِهِ ما السَّماوات السَّبْعُ والأرَضُون السَّبْعُ عِنْدَ الكُرْسي إلا كَحَلْقةٍ مُلْقاةٍ بأرْضٍ فلاةٍ ، وإنَّ فَضْلَ العَرْش على الكُرْسي كفَضْلِ الفَلاةِ عَلَى تِلْكَ الحَلْقَةِ »[(٤)] .

وقال ابن جرير في « تاريخه »[(٥)] : حدَّثنا ابن وكيع [قال][(٦)] : حدَّثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : سُئل ابن عباس عن قوله عَزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ على أي شيءٍ كانَ الماء ؟ قال : على متن الريح .

والسَّموات[(٧)] والأرضون[(٨)] وكل ما[(٩)] فيهنّ من شيء يحيط بها البحار ، ويحيط بذلك كله الهيكل ويحيط بالهيكل [ـ فيما قيل ـ][(١٠)] الكرسي .

وروى[(١١)] عن وهب بن منبه نحوه . وفسَّر وهْبٌ الهيكلَ فقال : شيء[(١٢)] من أطراف السموات

---

(١) الحديث في تفسير الطبري (٣/ ٨) .

(٢) في أ : العربي ، وب : الفزي ، وفي ط : المغربي ، وكله تصحيف ، وما أثبتناه من معجم الطبراني الأوسط (٤٣٧٠) فما بعد ، والصغير (٥٩٩) .

(٣) الحديث في تفسير الطبري (٣/ ٨) بنحوه .

(٤) في نسخة ب ، زيادة : وروى محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب (صفة العرش) عن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أحمد بن علي الأسدي ، عن المختار بن غسان العبدي عن إسماعيل بن مسلم ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر قال : دخلت المسجد الحرام ، فرأيت رسول الله ﷺ وحده ، فجلست إليه ، فقلت : يا رسول الله ، أيّ آية نزلت عليك أفضل ؟ قال : « آية الكرسي . ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة » وهو حديث حسن بطرقه .

(٥) تاريخ الطبري (١/ ٤٠) .

(٦) زيادة في المطبوع : موافقة لنص ابن جرير في تاريخه .

(٧) في المطبوع : قال . والكلام من قول ابن عباس ، أورده ابن جرير كذلك (١/ ٤١) .

(٨) في تاريخ الطبري : والأرض .

(٩) في ب ، وتاريخ الطبري : من فيهن .

(١٠) زيادة من المطبوع . موافقة لرواية الطبري .

(١١) أي : الطبري ، وانظر قول وهب في تاريخه (١/ ٤١) .

(١٢) في أ : فقال : هو . . ، وفي ب : الهيكل الكرسي فقال : هو . وأثبت لفظ المطبوع ، وهو موافق لرواية الطبري .

محدق بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط(١) .

وقد زعم بعض من ينتسب إلى علم الهيئة أنَّ الكرسي عبارة عن الفلك الثامن الذي يُسَمُّونه فلك الكواكب الثوابت . وفيما زعموه نظر ؛ لأنه قد ثبت أنَّه أعظم من السماوات السبع بشيء كثير كما ورد [في](٢) الحديث المتقدم بأنَّ نسبتها إليه كنسبة حلقة ملقاة بأرض فلاة ، وهذا ليس نسبة فلك إلى فلك . فإن قال قائلُهم : فنحن نعترف بذلك ، ونسمّيه مع ذلك فلكاً ، فنقول : الكرسي ليس في اللغة عبارة عن الفلك ، وإنَّما هو ـ كما قال غير واحد من السلف ـ : بين يدي العرش كالمرقاة إليه . ومثل هذا لا يكون فلكاً . وزعمهم(٣) أنَّ الكواكب الثوابت مرصَّعة ، لا دليل لهم عليه . هذا مع اختلافهم في ذلك أيضاً ، كما هو مقرر في كتبهم . والله أعلم .

* * *

ذِكْرُ اللَّوْح المحفُوْظ

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٤) : حدَّثنا محمد بن عثمان(٥) بن أبي شَيبة ، حدَّثنا مِنْجاب بن الحارث ، حدَّثنا إبراهيم بن يوسف ، حدَّثنا زياد بن عبد الله ، عن ليث ، عن عبد الملك بن سعيد(٦) بن جبير [عن أبيه](٧) ، عن ابن عباس أنَّ نبي الله ﷺ قال : « إنَّ اللهَ خَلَقَ لَوْحاً مَحْفوظاً منْ دُرَّةٍ بَيْضاءَ صَفحاتُها منْ يَاقُوتةٍ حَمْراءَ ، قَلَمُهُ نُورٌ ، وكِتَابُهُ نُورٌ ، للهِ فِيْهِ في كُلِّ يَوْمٍ سِتُّونَ وَثَلاثُ مئة لحظة(٨) يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَيُميتُ وَيُحْيي وَيُعزُّ وَيُذلُّ وَيَفْعلُ ما يَشَاءُ »(٩) .

وقال إسحاق بن بشر : أخبرني مُقاتل وابنُ جُرَيْج عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : إنَّ في صَدْر اللَّوْح : لا إلَهَ إلا اللهُ وحْدَهُ(١٠) ، دِيْنُهُ الإسْلام ، ومُحمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَمنْ آمَنَ باللهِ وَصَدَّقَ بِوَعْدِهِ

(١) « الأطناب » : مفردها طُنُبٌ ، وهو حبل تشد به الخيمة إلى الأرض ، والفُسطاط : بيت من شعر .
(٢) زيادة من ب .
(٣) في ب : وزعم .
(٤) المعجم الكبير (١٢٥١١) .
(٥) في أ : سليمان ، خطأ ظاهر .
(٦) في ب : جي .
(٧) زيادة من ب والمطبوع ، والمعجم الكبير الذي ينقل منه المصنف .
(٨) في أ، ط : « نظرة » ، وما هنا من ب، وهو الموافق للمصدر الذي ينقل منه وهو المعجم الكبير للطبراني .
(٩) إسناده ضعيف ، محمد بن عثمان ضعيف ، وليث هو ابن أبي سليم ضعيف أيضاً .
(١٠) في ب : اللوح المحفوظ . . . وحده لا شريك له . . .

واتَّبَعَ رُسُلَه ، أدْخَلَهُ[١] الجنَّةَ . قال : وَاللَّوْحُ : لَوْحٌ منْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ . طُولُهُ ما بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ ، وعَرْضُه ما بين المشرِقِ والمغْرب ، وحافتاهُ الدرُّ والياقوتُ ، ودفتاهُ ياقوتةٌ حَمراءُ ، وَقَلَمُهُ نُورٌ ، وكلامهُ مَعْقُودٌ بالعَرْشِ ، وأصْلُه في حجر ملك .

وقال أنس بن مالك ، وغيره من السلف : اللَّوْحُ المحفوظ في[٢] جبهةِ إسْرافيل .

وقال مقاتل : هو عن يمين العرش .

***

باب
ما ورد في خلق السموات والأرض وما بينهما

قال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] .

وقال تَعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الفرقان : ٥٩] في غير ما آية من القرآن[٣] .

وقد اختلف المفسرون في مقدار هذه الستة الأيام على قولين : فالجمهور على أنها كأيامنا هذه[٤] .

وعن ابن عبَّاس ، ومجاهد ، والضَّحَّاك ، وكعب الأحبار : [أن][٥] كلَّ يوم منها كألف سنةٍ مما تَعُدُّون . رواه ابن جرير[٦] ، وابن أبي حاتم . واختار هذا القول الإمام أحمد بن حنبل في كتابه الذي رد

---

(١) في ب : أدخله الله الجنة .
(٢) في أ : من .
(٣) و [السجدة : ٤] .
(٤) قوله : هذه ؛ ليس في ب .
أقول : قال الخازن في تفسيره (٢/ ٩٥) : فتكامل جميع الخلق في ستة أيام ، كل يوم مقداره ألف سنة ، وهذا قول جمهور العلماء ، وقيل : في ستة أيام من أيام الدنيا . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢١١) : قوله : في ستة أيام ، قال ابن عباس : مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة ، وبه قال كعب ، ومجاهد ، والضحاك ، ولا نعلم خلافاً في ذلك ، ولو قال قائل : إنها كأيام الدنيا ، كان قوله بعيداً . وانظر القرطبي (٧/ ٢١٩) .
(٥) زيادة من ب .
(٦) تفسير الطبري (٨/ ١٤٦ ـ ١٤٧ و١٧/ ١٢٩) وتاريخه (١/ ٤٤) وما بعدها : والقرطبي (٧/ ٢١٩) وابن كثير (٢/ ٢٢١) .

فيه على الجَهْمية[١] وابن جرير وطائفة من المتأخرين والله أعلم[٢] . وسيأتي ما يدل على هذا القول .

وروى ابن جرير[٣] عن الضَّحَّاك بن مُزاحم ، وغيره أن أسماء الأيام الستة : أبجد ، هَوَّز ، حطّي ، كلمن ، سعفص ، قُرشت .

وحكى ابن جرير[٤] في أول الأيام ثلاثة أقوال ، فروي عن محمد بن إسحاق أنه قال : يقولُ أهل التوراة : ابتدأ الله الخلق يوم الأحد ، ويقول أهل الإنجيل : ابتدأ الله الخلقَ يومَ الإثنين . ونقول نحن المسلمين ، فيما انتهى إلينا عن رسول الله ﷺ : ابتدأ الله الخلقَ يَوْمَ السبت .

وهذا القول الذي حكاه ابن إسحاق عن المسلمين مال إليه طائفة من الفقهاء من الشافعية ، وغيرهم . وسيأتي[٥] فيه حديث أبي هريرة « خَلَقَ اللهُ التربةَ يومَ السَّبتِ » .

والقول بأنه الأحد رواه ابن جرير[٦] عن السُّدّي ، عن أبي مالك ، وأبي صالح عن ابن عبَّاس ، وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن جماعة من الصَّحابة .

ورواه أيضاً عن عبد الله بن سلام ، واختاره ابن جرير[٧] . وهو نص التوراة ، ومال إليه طائفة آخرون[٨] من الفقهاء ، وهو أشبه بلفظ الأحد ، ولهذا كمل[٩] الخلق في ستة أيام ، فكان آخرهن الجمعة ، فاتخذه المسلمون عيدهم في الأسبوع ـ وهو اليوم الذي أضل اللهُ عنه أهلَ الكتاب قبلنا ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

---

(١) انظر « الرد على الزنادقة والجهمية » للإمام أحمد بن حنبل صفحة (١١) .

(٢) وقيل حديثاً : أما الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض ، فهي غيب لم يشهده أحد من البشر ، ولا من خلق الله جميعاً ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الكهف : ٥١] وكل ما يقال عنها لا يستند إلى أصل مستيقن .
إنها قد تكون ست مراحل ، وقد تكون ستة أطوار . وقد تكون ستة أيام من أيام الله التي لا تقاس بمقاييس زماننا الناشىء من قياس حركة الأجرام ـ إذا لم تكن قبل الخلق هذه الأجرام التي نقيس نحن بحركتها الزمان ـ! وقد تكون شيئاً آخر . فلا يجزم أحد ماذا يعني هذا العدد على وجه التحديد . وكل حمل لهذا النص ومثله على تخمينات البشرية التي لا تتجاوز مرتبة الفرض والظن ـ باسم (العلم !) ـ وهو محاولة تحكمية منشؤها الهزيمة الروحية أمام (العلم) الذي لا يتجاوز في هذا المجال درجة الظنون والفروض .

(٣) تاريخ الطبري (١/ ٤٢) .

(٤) تاريخ الطبري (١/ ٤٤) .

(٥) (ص٣١ ، ت :٧) من هذا الجزء . ويأتي تخريجه والكلام عليه .

(٦) تاريخ الطبري (١/ ٤٧) .

(٧) تاريخ الطبري (١/ ٤٣ و٤٥) .

(٨) في ب : وآخرون ؛ وهو خطأ .

(٩) في ب : وهو أكمل .

وقال[١] تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ٩ ـ ١٢] .

فهذا يدل على أن الأرض خُلقت قبلَ السماء ، لأنها كالأساس للبناء ، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا . . . ﴾ إلى أن قال : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [النبأ : ٦ ـ ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ، أي : فصلنا ما بينَ السماءِ والأرضِ حتى هَبَّتِ الرِّياحُ ونَزلت الأمطارُ وجرتِ العيونُ والأنهار وانتعش الحيوان . ثم قال : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٢] أي : عَمَّا خلَق فيها من الكواكب الثوابت ، والسَّيَّاراتِ والنجوم الزاهرات والأجرام النيرات ، وما في ذلك من الدلالة[٢] على حكمة خالق الأرض والسماوات . كما قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٥ ـ ١٠٦] .

فأما قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ[٣] أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾[٤] وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [النازعات : ٢٧ ـ ٣٣] . فقد تمسَّك بعضُ الناس بهذه الآية على تقدُّم خلقِ السماءِ على خلق الأرض ، فخالفوا صريحَ الآيتين المتقدمتين ، ولم يفهموا هذه الآية الكريمة ، فإنَّ مقتضى هذه الآية[٥] أنَّ دَحْيَ الأرض ، وإخراج الماء

---

(١) على هامش أ ، عبارة : الدليل على خلق الأرض قبل السماء .
(٢) في ب : الدلالات .
(٣) في أ : أهم ؛ وهو خطأ .
(٤) في ب : فأخرج ليليها وأغطش ضحاها ؛ وهو خطأ .
(٥) في ب : الآية الكريمة أن . . .

والمرعى[(١)] منها بالفعل بعد خلق السماء ، وقد كان ذلك فيها[(٢)] مقدَّراً بالقوة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ [فصلت : ١٠] . أي : هَيّأ أماكن الزرع ومواضعَ العيون والأنهار . ثم لما أكْمل خلقَ صورةِ العالم السفلي والعلوي ؛ دحَى الأرض فأخرج ما كان مُوْدَعاً فيها ، فخرجت العيون ، وجرت الأنهار ، ونبتت الزروع والثمار ، ولهذا فسر الدحي بإخراج الماء والمرعى منها وإرساء الجبال فقال : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ وقوله : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ أي : قرّرها في أماكنها التي وضعها فيها وثبّتها وأكدها وأطدها[(٣)] .

وقوله : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝٤٨ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧ ـ ٤٩] ، بأيدٍ ، أي : بقوة . ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[(٤)] ، وذلك أن كلَّ ما علا اتَّسعَ ، فكل سماء أعلى من التي تحتها فهي أوسع منها . ولهذا كان المرسل أعلى من السماوات ، وهو أوسع منهن كلهن . والعرش أعظم من ذلك كله بكثير[(٥)] . وقوله بعد هذا : ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا ﴾ أي : بَسَطناها وجعلناها مهداً ، أي : قارّةً ساكنة غير مضطربة ولا مائدة بكم . ولهذا قال : ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ ، والواو لا تقتضي الترتيب في الوقوع ، وإنما تقتضي الإخبار المطلق في اللغة[(٦)] . والله أعلم .

وقال البخاري[(٧)] : حدَّثنا عُمر بن حفص بن غياث[(٨)] ، حدَّثنا أبي ، حدَّثنا الأعمش ، حدَّثنا جامع بن شدَّاد ، عن صَفوان بن مُحْرز : أنه حدَّثه عن عِمْران بن حُصَيْن قال : دَخلتُ على النَّبيِّ ـ ﷺ ـ وعَقَلْتُ ناقتي بالباب ، فـأتاهُ ناسٌ من بني تميم ، فقـال : « اقبَلُوا البُشْرى يا بني تميم »[(٩)] ، قالوا : قد بَشَّرْتَنَا[(١٠)] فأعطنا ـ مرَّتين ـ ثم دخل عليه ناسٌ من اليمن فقال : « اقْبَلُوا البُشْرَى يا أهلَ اليَمن إذْ[(١١)] لَمْ يَقْبَلها بَنُو تميم » ، قالوا[(١٢)] : قد قبلْنا يا رسولَ الله ، قالوا : جئناكَ نسألك عنْ هذا الأمر . قال : « كانَ اللهُ ولَمْ يكُـنْ شَـيْءٌ غَيْـرُهُ ، وكَـانَ عَـرْشُـهُ على المَـاءِ ، وكَـتَـبَ فـي الـذِّكْـرِ[(١٣)] كُـلَّ شَـيْءٍ وخَلَـقَ السَّمـواتِ

(١) كذا في ب ، وفي أ : والرعي .
(٢) في ب : ذلك مقدراً فيها بالقوة .
(٣) قوله : وأطدها ، ليس في ب .
(٤) هذا الجزء من الآية سقط من ب .
(٥) قال القرطبي (٧/ ٢١٩) : وخص العرش ، لأنه أعظم مخلوقات الله تعالى .
(٦) انظر : مغني اللبيب (ص٤٦٣) والجني الداني (١٥٣) .
(٧) البخاري (٣١٩٠) في بدء الخلق .
(٨) في ب : حدثنا حفص بن عمر ؛ وهو خطأ .
(٩) قوله : فقال : اقبلوا البشرى يا بني تميم ، ليس في ب .
(١٠) كذا في ب وهي موافقة للفظ البخاري ، وفي أ : قد قبلنا .
(١١) في ب وهي موافقة لرواية البخاري ، وأشار ابن حجر في شرحه إلى رواية المتن .
(١٢) قوله قد ليس في ب .
(١٣) زاد في ب وخلق .

والأرْضَ » ، فنادى منادٍ : ذهبتْ ناقتُك يا ابْنَ الحُصَيْن ، فانْطلقتُ فإذا هي يقطع دُونها السراب ، فوالله لوَدِدْتُ أني كُنْتُ تركتها ، هكذا رواه هاهنا . وقد رواه في كتاب المغازي[١] ، وكتاب التوحيد[٢] ، وفي بعض ألفاظه : « ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاواتِ والأرْضَ » ، وهو لفظُ النَّسائي[٣] أيضاً .

وقال الإمامُ أحمدُ[٤] : حدَّثنا حجاج ، حدثني ابن جُريج ، أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة قال : أَخَذَ رسولُ الله ﷺ بيدي فقال : « خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يومَ السَّبْتِ ، وخَلَقَ الجِبالَ فِيْها يومَ الأحدِ ، وخَلَقَ الشَّجَرَ فِيْها يَوْمَ الإثْنين ، وخلقَ المَكْرُوه فيها يومَ الثّلاثاءِ ، وخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأرْبعاءِ ، وَبثَّ الدَّواب فيها[٥] يومَ الخَميسِ ، وخَلَقَ آدمَ بعْدَ العَصْرِ يَوْمَ الجُمُعةِ آخر الخَلْقِ في آخِرِ ساعةٍ منْ سَاعاتِ الجُمُعةِ فِيْما بينَ العَصْرِ إلى اللَّيْلِ » .

وهكذا رواه مسلم[٦] عن سُرَيْج بن يونس وهٰرون بن عبد الله ، والنَّسائي[٧] عن هارون ويوسف بن سعيد ، ثلاثتهم عن حجاج بن محمد المِصِّيصي[٨] الأعور ، عن ابن جُرَيْج ، به مثله سواء .

وقد رواه النَّسائي[٩] في التفسير عن إبراهيم بن يعقوب الجُوْزجَاني[١٠] ، عن محمد بن الصَّباح ، عن

---

(١) البخاري (٤٣٦٥) عن أبي نعيم ، و (٤٣٨٦) عن عمرو بن علي .
(٢) البخاري (٧٤١٨) عن عبدان .
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٤٠) .
(٤) زاد في المطبوع : ابن حنبل ، والحديث في مسنده (٢/ ٣٢٧) .
(٥) كذا في أ ، ب وفي مسند أحمد ، ومسلم : « وبث فيها الدواب . . » .
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٨٩) في المنافقين : باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام .
ورواه أيضاً أحمد في المسند (٢/٣٢٧) والبيهقي في الأسماء والصفات صفحة (٣٨٣) ونقل تضعيفه عن بعض الأئمة ، وقد تقدم أن ابن كثير رحمه الله قال : وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم ، وقد تكلم عليه ابن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ ، والحديث في صحيح مسلم سنده صحيح ، وقد صحَّحه الشوكاني في « فتح القدير » وإنما تكلم عليه بعض العلماء من جهة متنه ، ورأوا أنه معارض للقرآن ، والذي صحح الحديث سنداً ومتناً رأى أنه لا تعارض بينه وبين القرآن ، فإن الله تعالى ذكر في القرآن أنه خلق السماوات والأرض جميعاً في ستة أيام ، وخلق الأرض وحدها في يومين ، وهذا الحديث بين أن الله تعالى خلق ما في الأرض في سبعة أيام ، ويحتمل أن تكون هذه الأيام السبعة غير الأيام الستة التي ذكرها الله تعالى في خلق السماوات والأرض ، وحينئذ لا تعارض ، وإنما فصَّل هذا الحديث كيفية الخلق على الأرض وحدها ، والله تعالى أعلم .
(٧) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٠١٠) .
(٨) المصيصي ، بكسر الميم والصاد المشددة : نسبة إلى المصيصة ؛ مدينة على ساحل البحر . اللباب (٣/ ٢٢١) وضبطها ياقوت بفتح الميم . (معجم البلدان) .
(٩) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٩٢) .
(١٠) والجُوزَجاني ، بضم الجيم الأولى ، وسكون الواو ، وفتح الزاي : نسبة إلى مدينة بخراسان . الأنساب (٣/ ٣٦١) ومعجم البلدان (جوزجان) .

أبي عُبيدة الحدَّاد ، عن الأخضر[١] بن عجلان ، عن ابن جُريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي هريرة : أنَّ رسولَ الله ﷺ ، أخذَ بيَدِهِ فقال : « يا أبا هُرَيْرةَ إنَّ اللهَ خَلقَ السَّماواتِ والأرضَ وما بَيْنهما في ستَّةِ أيَّامٍ ثُمَّ اسْتوى على العَرْشِ يَوْمَ السَّابعِ ، وخَلَقَ التُّرْبةَ يومَ السَّبْتِ » ، وذكر تمامه بنحوه ، فقد اختلف فيه على ابن جريج[٢] .

وقد تكلم في هذا الحديث علي بن المديني والبخاري والبيهقي ، وغيرهم من الحفاظ[٣] .

قال البخاري في « التأريخ »[٤] : وقال بعضُهم : عن كعب ، وهو أصح ، يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقَّاه من كعب الأحبار ، فإنهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث ، فهذا يُحدِّثُه عن صحفه ، وهذا يحدثه بما يصدّقه عن النبي[٥] ـ ﷺ ـ فكان هذا الحديث مما تلقّاه أبو هريرة ، عن كعب ، عن صحفه ، فوهم بعضُ الرواة فجعله مرفوعاً إلى النبي ـ ﷺ ـ وأكّدَ رفعَه بقوله : « أخَذَ رسول الله ـ ﷺ ـ بيدي » . ثم في متنه غرابة شديدة ، فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات[٦] ، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام ، وهذا خلاف القرآن[٧] ، لأنَّ الأرض خُلقت في أربعة أيام ، ثم خُلقت السمواتُ في يومين من دُخان ، وهو بُخار الماء الذي ارتفع حين اضطرب الماء العظيم الذي خلق من رُبدة[٨] الأرض بالقدرة العظيمة البالغة ، كما قال إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكبير في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمْداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩]

---

(١) في أ : الأحصن ؛ وفيه تصحيف وتحريف . والأخضر بن عجلان الشيباني من رجال التهذيب ، قال ابن حجر في التقريب : (١/ ٥٠) صدوق .

(٢) زاد في ب : وقد أسنده الحافظ ابن عساكر في ترجمة غنايم بن أحمد : مسلسلاً يقول كل منهم شبك بيدي فلان .
وفي السند غرابة إلى إبراهيم بن أبي يحيى قال : شبك بيدي أيوب بن خالد وقال : شبك بيدي : أبو هريرة وقال : شبك بيدي رسول الله ـ ﷺ ـ وقال : « خلق الله آدم يوم الجمعة ، والأرض يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الإثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والبحار يوم الخميس » . فهذا إسناد غريب ، وقد سقط منه عبد الله بن رافع وآخر في المتن ، ففيه نكارة شديدة سنداً ومتناً . والله أعلم .
ورواه الحاكم في علوم الحديث صفحة (٣٣) وأشار الحاكم إلى تضعيفه هكذا مسلسلاً بالتشبيك ، وعلته إبراهيم بن أبي يحيى ، فإنه متروك وأصله في صحيح مسلم غير مسلسل .

(٣) راجع الموضوع في جامع الأصول (٤/ ٢٥ ، ٢٦) وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٧/ ٢٤٣) .

(٤) راجع تاريخ البخاري (١/ ٤١٣ ـ ٤١٤) .

(٥) في ب : عن رسول الله .

(٦) زاد في ب : والأرض .

(٧) وقد تقدم التعليق في الصفحة التي قبلها (٣١) أنه لا يخالف القرآن ، فانظره .

(٨) الرُّبدة : لون إلى الغُبرة .

قال : إن الله كان عرشُه على الماء ، ولم يخلق شيئاً مما خلقَ قبل الماء[١] ، فلما أراد أن يخلُق الخلقَ أخرج من الماء دخاناً ، فارتفع فوق الماء ، فَسَما عليه ، فسمَّاه : سماءً ، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعل سَبْع أرضين في يومين[٢] : الأحد والإثنين ، وخلق الأرض على حُوت ، وهو النون الذي قال[٣] الله تعالى : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ ﴾ [القلم : ١] . والحوت في الماء ، والماء على صفاة[٤] ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة في الريح . وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض ، فتحرك الحوت ، فاضطرب[٥] ، فتزلزلت الأرض ، فأرسى عليها الجبال فقَرَّت[٦] ، وخلق اللهُ يومَ الثلاثاء الجبالَ وما فيهن من المنافع ، وخلقَ يومَ الأربعاء الشجرَ والماءَ والمدائن والعمران والخراب ، وفتَقَ السماء وكانت رَتْقاً[٧] فجعلها سبعَ سمَاوات في يوم الخميس والجمعة . وإنما سُمّى : الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض . ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ [فصلت : ١٢] . قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة [والخلق الذي فيها][٨] والبحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره[٩] . ثم زيَّن السماءَ [الدنيا] بالكواكب فجعلها زينةً وحفظاً تحفظ من الشياطين . فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش .

هذا الإسناد يَذْكُرُ به السّدّي أشياء كثيرة فيها غرابة ، وكأن كثيراً منها متلقى من الإسرائيليات ؛ فإن كعب الأحبار لما أسلم في زمن عمر كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب[١٠] ـ رضي الله عنه ـ بأشياء من علوم أهل الكتاب ، فيسمع له عمر تأليفاً له ، وتعجُّباً مما عنده مما يوافق كثيرٌ منه الحقَّ الذي ورد به الشرع المطهَّر ، فاستجاز كثيرٌ من الناس نقل ما يورده كعب الأحبار لهذا ، ولما جاء من الإذن في التحديث عن بني إسرائيل[١١] ، لكن كثيراً ما يقع فيما يرويه غلط وليس هو منه ، ولكنه من الكتب التي ينقل عنها لأنها قد دخلها غلط كبير وخطأ كثير .

---

(١) في تفسير الطبري ، وابن كثير : ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء ،
(٢) في ب : في يوم الأحد والإثنين : وفي تفسير الطبري ، وابن كثير : في يومين في الأحد والإثنين .
(٣) في الطبري ، وابن كثير : هو الذي ذكره في القرآن .
(٤) « الصفاة » : الصخرة الملساء .
(٥) في ب : فاضطربن . ولا توافق لفظ الطبري ، وابن كثير .
(٦) أورده الطبري (١/ ١٥٢) وابن كثير في تفسيره (١/ ٦٨) في تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا . . . ﴾ [البقرة : ٢٩] ، وتتمته فيهما يختلف لفظها عما في المتن .
(٧) « الرتق » : الالتئام .
(٨) زيادة من الطبري ، وابن كثير في تفسيره .
(٩) في الطبري : . . . وما لا يعلم ثم . . . وفي تفسير ابن كثير : ومما لا يعلم .
(١٠) قول : ابن الخطاب ؛ ليس في ب .
(١١) تقدم الحديث .

وقد روى البخاري في « صحيحه »(١) عن معاوية أنه كان يقول في كعب الأحبار : وإنْ كُنَّا لنَبْلُوَ عليه [الكذب](٢) ، أي فيما ينقله ؛ لا أنه يتعمد ذلك . والله أعلم .

ونحن نـورد ما نورده من الذي يسوقه كثيرٌ من كبار الأئمة المتقدمين عنهم ، ثم نتبع ذلك من الأحاديث بما يشهد له بالصحة أو يُكذِّبه ، ويبقى الباقي مما لا يصدَّق ولا يكذَّب ، وبالله المستعان ، وعليه التُّكلان .

قال البخاري : حدَّثنا قتيبة ، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القُرشي ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كتابِهِ ، فهوَ عِنْدهُ فَوْقَ العَرْشِ : إنَّ رَحْمتي غَلَبتْ غَضَبي »(٣) . وكذا رواه مسلم ، والنَّسائي عن قتيبة به(٤) .

ثم قال البخاري(٥) :

***

باب(٦) ما جاء في سبع أرضين

وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ

(١) رواه البخاري كما في الفتح (١٣/ ٢٨٢) في الاعتصام ، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، بلفظ : وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب .

(٢) من ط ، وهو موافق لرواية البخاري .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٩٤) ، في بدء الخلق : باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ ﴾ وقد أورده البخاري أيضاً من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه (٧٤٠٤) ، في التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ ، و(٧٤٢٢) باب : ﴿ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ ، و(٧٤٥٣) باب : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ و(٧٥٥٣) باب : قوله الله تعالى : ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوۡحٍ مَّحۡفُوظٍ ﴾ .

(٤) مسلم في صحيحه (٢٧٥١) ، في التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، وفيه : « إن رحمتي تغلب غضبي » والنسائي في الكبرى (٧٧٥٠) . وأخرجه ـ من طرق ـ ابن ماجه (١٨٩) في المقدمة : فيما أنكرت الجهمية و(٤٢٩٥) في الزهد : باب (٣٥) ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٣١٣ ، ٣٥٨ ، ٣٨١ ، ٣٩٧ ، ٤٣٣ ، ٤٦٦) والترمذي (٣٥٤٣) في الدعوات : باب (١٠٠) خلق الله مئة رحمة ، كلهم من حديث أبي هريرة ، بنحوه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٥) البخاري (٣١٩٥) في بدء الخلق .

(٦) كلمة باب ؛ سقطت من المطبوع .

﴿ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] ثم قال : حدَّثنا[١] عليُّ بن عبد الله ، أخبرنا[٢] ابن عُلَيَّة ، عن عليّ بن المبارك ، حدَّثنا يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وكانت بينه وبين ناس خصومة في أرض ، فدخل على عائشة فذكرَ لها ذلك . فقالت : يا أبا سلمة ! اجتنبِ الأرضَ ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « منْ ظلمَ قِيْدَ شِبْرٍ طُوِّقه منْ سبع أرضينَ »[٣] . ورواه أيضاً في كتاب المظالم[٤] ، ومسلم من طرقٍ[٥] ، عن يحيى بن أبي كثير به .

ورواه أحمد من حديث محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة به[٦] . ورواه أيضاً عن يونس ، عن أبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عائشة بمثله[٧] .

ثم قال البخاري : حدَّثنا بشر بن محمد ، قال : حدَّثنا عبد الله ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « منْ أخذ شيئاً من الأرض بغير حقِّه خُسِفَ به يومَ القيامةِ إلى سبع أرضين »[٨] . ورواه في المظالم أيضاً[٩] : عن مسلم بن إبراهيم ، عن عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ عن موسى بن عُقبة به ، وهو من أفراده .

وذكر البخاري هاهنا[١٠] حديث محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئته يوم خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ ، السنة اثنا عشرَ شهراً . . . » الحديث . ومراده ـ والله أعلم ـ تقرير قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١٢] أي : في العدد كما أن عدة الشهور الآن اثني عشر مطابقةٌ لعدة الشهور عند الله في كتابه الأول ، فهذه[١١] مطابقة في الزمن ، كما أن تلك مطابقة في المكان .

---

(١) في ب : حدَّثني .
(٢) في أ وب : « ثنا » ؛ وأثبت ما في البخاري والمطبوع .
(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣١٩٥) في بدء الخلق ، و (٢٤٥٣) في المظالم ، ومسلم (١٦١٢) في المساقاة .
(٤) البخاري (٢٤٥٣) في المظالم .
(٥) مسلم (١٦١٢) في المساقاة .
(٦) في المسند (٦/ ٧٨) و(٦/ ٢٥٢) .
(٧) رواه أحمد في المسند (٦/ ٦٤) .
(٨) رواه البخاري في صحيحه (٣١٩٦) في بدء الخلق .
(٩) البخاري (٢٤٥٤) في المظالم .
(١٠) أي في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في سبع أرضين (٣١٩٧) .
(١١) في أ : فهن .

ثم قال البخاري[١] : حدَّثنا عُبيد بن إسماعيل ، حدَّثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : أنَّه خاصمته أروى في حقٍّ زعمتْ أنه انتقصَه لها إلى مروان ، فقال سعيد رضي الله عنه : أنا أنتقصُ من حقِّها شيئاً ؟ أشهدُ لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « منْ أخذَ شِبْراً من الأرض ظُلماً فإنه يُطوَّقه يومَ القيامة من سبع أرضينَ » ورواه[٢] .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا حسن ، وأبو سعيد ـ مولى بني هاشم ـ قالا : حدَّثنا عبُد الله بن لَهيعة ، حدَّثنا عُبيد الله بن أبي جعفر ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن ابن مسعود قال : قلت يا رسول الله ! أي الظلم أعظم ؟ قال : « ذراع من الأرض ينتقصُه المرءُ المسلمُ من حقِّ أخيه ، فليست حصاةٌ من الأرض يأخذها أحد إلا طُوِّقها يوم القيامة إلى قعرِ الأرضِ ، ولا يعلمُ قعرَها إلا الذي خلقَها » . تفرّد به أحمد ، وهذا إسناد لا بأس به .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عفان ، حدَّثنا وُهيب ، حدَّثنا سُهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « من أخذَ شِبْراً من الأرض بغير حقِّه طُوِّقه من سبع أرضين » تفرَّد به من هذا الوجه وهو على شرط مسلم .

وقال أحمد[٥] : حدَّثنا يحيى ، عن ابن عَجْلان ، حدَّثني أبي ، عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال : « منِ اقتطعَ شِبْراً من الأرض بغير حقِّه طُوِّقه إلى سبع أرضين » تفرَّد به أيضاً ، وهو على شرط مسلم .

وقال أحمد أيضاً[٦] : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا أبو عَوانة ، عن عمرَ بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « منْ أخذَ من الأرض شِبْراً بغير حقِّه طُوِّقه من سبع أرضين » تفرَّد به أيضاً ،

---

(١) البخاري في صحيحه (٣١٩٨) في بدء الخلق .

(٢) كذا في الأصول . وفي البخاري : قال ابن أبي الزِّناد ، عن هشام ، عن أبيه ، قال : قال سعيد بن زيد : دخلت على النبي ﷺ ، فلعله يريد : ورواه البخاري معلقاً أو نحوه .

(٣) في المسند (١/ ٣٩٦) ، فيه ابن لهيعة ضعيف ، وأبو عبد الرحمن الحُبُلّي ـ عبد الله بن يزيد ـ لم يرو عن ابن مسعود ، وإنما روى عن صغار الصحابة . وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٧٤) وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير (١٠٥١٦) وإسناد أحمد حسن ، وحسنه المنذري في الترغيب (٢٧٨٥) ولعل التحسين بسب الشواهد المتقدمة في الصحيحين .

(٤) في المسند (٢/ ٣٨٨) وهو عند مسلم في صحيحه (١٦١١) في المساقاة .

(٥) في المسند (٢/ ٤٣٢) .

(٦) في المسند (٢/ ٣٨٧) وانظره في الترغيب (٢٧٨٢) .

وقد رواه الطبرانيُّ[١] من حديث مُعاوية بن قُرَّة عن ابن عباس مرفوعاً مثله .

فهذه الأحاديث كالمتواترة في إثبات سبع أرضين ، والمراد بذلك أن كلَّ واحدة فوقَ الأخرى ، والتي تحتَها في وسطها عند أهل الهيئة ، حتى ينتهيَ الأمر إلى السابعة ، وهي صمَّاء لا جوفَ لها ، وفي وسطها المركز ، وهي نقطة مقدَّرة متوهَّمة . وهو محطُّ الأثقال ، إليه ينتهي ما يَهبطُ من كلِّ جانب إذا لم يُعاوقه مانع . واختلفوا هل هنَّ متراكمات بلا تفاصل ، أو بين كلِّ واحدة والتي تليها خَلاء[٢] ؟ على قولين . وهذا الخلاف جارٍ في الأفلاك أيضاً .

والظاهر أن بين كل واحدة منهن وبين الأخرى مسافة ، لظاهر قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١٢] الآية .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا سُريج ، حدَّثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ مرَّت سحابة ، فقال : « أتدرون ما هذه ؟ » قال : قلنا : الله ورسوله أعلمُ . قال : العَنان ، ورَوايا[٤] الأرض يسوقُه إلى من لا يشكرونَه من عباده ولا يَدْعونه ، أتدرون ما هذه فوقكم ؟ قلنا : الله ورسولُه أعلمُ . قال : الرَّقيع[٥] ، موجٌ مكفوفٌ وسقفٌ محفوظٌ . أتدرون كم بينكم وبينها ؟ قلنا : الله ورسولُه أعلم . قال : مسيرة خمسمئة عام . ثم قال : أتدرون ما الذي فوقَها ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : مسيرة خمسمئة عام ، حتى عدَّ سبعَ سموات . ثم قال : أتدرونَ ما فوقَ ذلك ؟ قلنا : الله ورسولُه أعلمُ . قال : العرش . أتدرونَ كم بينَه وبين السماء السابعة ؟ قلنا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : مسيرة خمسمئة عام . ثم قال : أتدرون ما هذه تحتكم ؟ قلنا : الله ورسولُه أعلم . قال : أرض ، أتدرونَ ما تحتها ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : أرض أخرى ، أتدرون كم بينهما ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : مسيرة سبعمئة عام ، حتى عدَّ سبع أرضين . ثم قال : وايم الله لو دلَّيتم أحدكم إلى الأرض السفلى السابعة لهبطَ . ثم قرأ ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] .

ورواه الترمذي[٦] : عن عبد بن حميد ، وغيرُ واحد عن يونسَ بن محمد المؤدب ، عن شيبانَ بن عبد الرحمن ، عن قتادةَ ، قال : حدَّث الحسنُ ، عن أبي هريرة . . وذكرَه ، إلا أنه ذكرَ أن بُعدَ ما بين كل

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٩٢١) وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٧٥) وفيه محمد بن الفضل بن عطية ، وهو متروك كذاب ، ولفظه : « من أخذ شبراً من مكَّة . . . » .

(٢) في ب والمطبوع : مسافة .

(٣) في المسند (٢/ ٣٧٠) .

(٤) الروايا من الإبل : الحوامل للماء ، واحدتها راوية ، فشبهها بها . انظر النهاية ، لابن الأثير (٢/ ٢٧٩) .

(٥) الرقيع : السماء ، وقيل : هو اسم سماء الدنيا . انظر جامع الأصول (٤/ ٢٣) .

(٦) الجامع (٣٢٩٨) في التفسير .

أرضين خمسمئة عام ، وذكرَ في آخره كلمةً ذكرناها[١] عند تفسير هذه الآية من سورة الحديد ، ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، قال : ويُروى عن أيوب ، ويونسَ بن عُبيد ، وعلي بن زيد أنهم قالوا : لم يسمع الحسن من أبي هريرة[٢] .

ورواه أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في « تفسيره » من حديث أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، فذكرَ مثل لفظ الترمذي سواء بدون الزيادة في آخره[٣] .

ورواه ابن جرير في « تفسيره » عن بشر ، عن يزيد ، عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة مرسلاً[٤] . وقد يكون هذا أشبه والله أعلم .

ورواه الحافظان أبو بكر البزَّار والبيهقيُّ من حديث أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ[٥] بنحوه . و لكن لا يصح إسناده والله أعلم .

وقد تقدَّم[٦] عند صفة العرش من حديث الأوعال ما يُخالف هذا في ارتفاع العرش عن السماء السابعة وما يشهد له . وفيه : وبعدُ ما بين كلِّ سماءين خمسمئة عام ، وكثفها ، أي : سمكها خمسمئة عام . وأما ما ذهبَ إليه بعض المتكلِّمين على حديث « طُوِّقهُ من سَبْعِ أَرَضِيْنَ »[٧] أنها سبعة أقاليم . فهو قول يُخالف ظاهرَ الآية والحديثَ الصحيح ، وصريحَ كثير من ألفاظه مما يعتمد من الحديث الذي أوردناه من طريق الحسن عن أبي هريرة . ثم إنه حَمْلٌ للحديث والآية على خلاف ظاهرهما بلا مستند ولا دليل ، والله أعلم .

وهكذا ما يذكره كثير من أهل الكتاب ، وتلقَّاه عنهم طائفة من علمائنا ، من أن هذه الأرض من تراب ، والتي تحتَها من حديد ، والأخرى من حجارة من كبريت ، والأخرى من كذا ، فكلُّ هذا إذا لم يُخْبر به ويصح سندُه إلى معصوم فهو مردود على قائله .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ؛ لابن كثير (٤/ ٣٥٩) وقال الترمذيُّ : وفسَّر بعضُ أهل العلم هذا الحديث فقالوا : إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه ، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان ، وهو على العرش ، كما وصف في كتابه .

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٣٢٩٨) في التفسير ، قلت : وإسناده ضعيف .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٤/ ٣٠٣) عن الحسن عن أبي هريرة .

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١١/ ٦٧٠) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٥٩) وقال الحافظ ابن كثير : رواه البزار في مسنده ، والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات ، وفي متنه غرابة ونكارة .

(٦) تقدم الحديث (ص١٧) .

(٧) تقدم الحديث (ص٣٥) .

وهكذا الأثر المرويُّ عن ابن عباس أنه قال : في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه ، حتى آدم كآدمكم ، وإبراهيم كإبراهيمكم ، فهذا ذكرهُ ابن جرير(١) مختصراً ، واستقصاه البيهقي في « الأسماء والصفات »(٢) وهو محمولٌ ـ إن صحَّ نقلُه عنه ـ على أنه أخذَه ابن عباس رضي الله عنه عن الإسرائيليات ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا العوَّام بن حَوْشب ، عن سُليمان بن أبي سُليمان ، عن أنس بن مالك ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لما خلق الله الأرضَ جعلتْ تميدُ(٣) ، فخلقَ الجبالَ ، فألقاها عليها فاستقرَّتْ ، فتعجبتِ الملائكةُ من خَلْق الجبالِ ، فقالتْ : يا ربِّ : هل من خلقكَ شيءٌ أشدُّ من الجبال ؟ قال : نعم الحديدُ . فقالت : يا ربِّ : فهل من خلقك شيءٌ أشدُّ من الحديد ؟ قال : نعم النَّار . قالت : يا ربِّ ! فهلُ من خَلقكَ شيءٌ أشدُّ من النَّار ؟ (قالَ : الماء . قالت : يا ربّ ! فهل من خلقك شيء أشدُّ من الماء ؟)(٤) ؛ قال : نعم الرِّيحُ . قالت : يا ربِّ ! فهل من خلقكَ شيءٌ أشدُّ من الريح ؟ قال : نعم ابنُ آدمَ يتصدَّق بيمينهِ يُخفيها من شمالِه » . تفرَّد به أحمد(٥) .

وقد ذكرَ أصحابُ الهيئة أعدادَ جبال الأرض في سائر بقاعها شرقاً وغرباً ، وذكروا أطوالَها وبُعد امتدادها وارتفاعها ، وأوسعوا القولَ في ذلك بما يطول شرحه هاهنا . وقد قالَ الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر : ٢٧] قال ابن عباس وغير واحد : الجُدَدُ : الطرائقُ . وقال عكرمة وغيره : الغرابيب : الجبال الطِّوال السُّود(٦) . وهذا هو المشاهدُ من الجبال في سائر الأرض ، تختلفُ باختلاف بقاعها وألوانها .

وقد ذكرَ الله تعالى في كتابه ﴿ ٱلْجُودِيِّ ﴾ [هود : ٤٤](٧) على التعيين ، وهو جبل عظيم(٨) شرقي جزيرة ابن عمر إلى جانب دجلة ، عند الموصل ، امتداده من الجنوب إلى الشمال مسيرة ثلاثة أيام ، وارتفاعه مسيرة نصف يوم ، وهو أخضرُ لأن فيه شجراً من البلُّوط ، وإلى جانبه قرية يُقال لها : قرية « الثمانين »(٩)

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٢/ ١٤٥) .

(٢) الأسماء والصفات ، للبيهقي (٢/ ١٣١) وقال : إسناد هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما صحيح ، وهو شاذ بمرة ، لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعاً ، والله أعلم .

(٣) تميد : من الميد : وهو اضطراب الشيء العظيم ؛ كاضطراب الأرض . قاله الأصفهاني في مفرداته .

(٤) سقطت من أ والمطبوع ، وأثبتها من ب والمسند .

(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٢٤) ولم يتفرد به ، بل رواه الترمذي في جامعه (٣٣٦٦) في التفسير ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه . أقول : وإسناده ضعيف .

(٦) انظر تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٩) وتفسير القرآن العظيم ؛ لابن كثير (٣/ ٦٧٨) .

(٧) قال الله تعالى : ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ [هود : ٤٤] .

(٨) انظر معجم البلدان ؛ لياقوت الحموي (٢/ ١٧٩) .

(٩) معجم البلدان (٢/ ٨٤) .

لسكنى الذين نجوا في السفينة مع نوح عليه السلام في موضعها ، فيما ذكره غيرُ واحد من المفسرين[(١)] ، والله أعلم .

وذكر تعالى ﴿ طور سيناء ﴾ وقد روى[(٢)] الحافظُ البهاء ابن عساكر في كتابه (المستقصى في فضائل المسجد الأقصى) في ترجمة الجبال المقدسة من طريق عمرو بن بكر ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أبي هريرة قال : أقسمَ ربُّنا عز وجل بأربعة أجبل ، فقال : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين : ١ ـ ٣] فالتين : طور زيتا مسجدُ بيت المقدس ، والزيتون : طور تينا ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين : جبل مكة[(٣)] .

وقال قتادة : التين جبل عليه دمشق ، والزيتون : جبل عليه بيت المقدس[(٤)] .

وروى الحافظ ابن عساكر عن كعب الأحبار أنَّه قال : أربعة أجبل يوم القيامة : جبل الخليل ، والتين ، والطور ، والجودي ، يكون كل واحد منها يوم القيامة لؤلؤة بيضاء تضيء ما بين السماء والأرض ، يرجعن إلى بيت المقدس حتى تجعل في زواياه ، ويضعُ (الجبَّارُ جلَّ جلاله)[(٥)] عليها كرسيَّه حتى يُقضى بين أهل الجنة والنار ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٦)] [الزمر : ٧٥] .

ومن طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا عمَّار بن أبي العالية ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : أوحى الله إلى جبل قاسيون أن هَبْ ظلَّكَ وبركتكَ لجبل بيت المقدس ، قال : ففعلَ ، فأوحى الله إليه : أما إذ فعلتَ فإني سأبني لي في حضنكَ بيتاً ؛ يعني مسجدَ دمشق ، أُعْبَدُ فيه بعد

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٢/ ٤٨) والقرطبي (٩/ ٤٤) .
(٢) في أ : ذكر .
(٣) ذكره الشمس السيوطي في « إتحاف الأخصَّا بفضائل المسجد الأقصى » (١/ ٢٢١) بلفظ : فالتين مسجد دمشق ، والزيتون طور زيتا مسجد بيت المقدس ، وطور سنين حيث كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام ، والبلد الأمين مكة . وانظره في « مختصر تاريخ دمشق » لابن منظور (١/ ٢٥٥) عن يزيد بن ميسرة بلفظ « أربعة أجبل مقدسة بين يدي الله عز وجل : طور زيتا ، وطور سينا ، وطور تينا ، وطور تيمنانا . قال : فطور زيتا : بيت المقدس ، وطور سينا : طور موسى ، وطور تينا : مسجد دمشق ، وطور تيمنانا : مكة » .
وحديث البهاء ابن عساكر عن أبي هريرة فيه عمرو بن بكر : ضعيف ، وخالد بن معدان يرسل عن الصحابة الكبار .
(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر : لابن منظور (١/ ٢٥٥) ولفظه : أقسم الله تعالى بمساجد أربعة : قال : ﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ وهو مسجد دمشق ﴿ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ وهو مسجد بيت المقدس ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ وهو حيث كلَّم الله موسى ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ وهو مكة .
(٥) سقط من ب واستدركته من مختصر تاريخ دمشق .
(٦) مختصر تاريخ دمشق (١/ ٢٨٧) .

خراب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تذهبُ الأيام والليالي حتى أردَّ عليكَ ظلَّكَ وبركتَك ، قال : فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرِّع(١) .

وعن خليد بن دَعْلَج : أنَّ صفية زوج النبي ﷺ أتتْ طرفَ بيت المقدس فصلّتْ فيه ، وصعِدت إلى طور زيتا فصلَّت فيه ، وباتت على طرف الجبل ، فقالت : (من هاهنا يتفرَّقُ النَّاسُ يومَ القيامة إلى الجنة وإلى النار(٢))(٣) .

فصل في البحار والأنهار

قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ١٤ ـ ١٨] وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر : ١٢] وقال تعالى : ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٣] وقال تعالى : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩ ـ ٢٠] فالمراد بالبحرين : البحر الملح المرُّ ، وهو الأجاج ، والبحر العَذْبُ ، هو هذه الأنهار السارحة بين أقطار الأمصار لمصالح العباد ؛ قاله ابن جريج وغير واحد من الأئمة .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٢ ـ ٣٤] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان : ٣١ ـ ٣٢] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ

---

(١) ذكره ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق (١/ ٢٥٥ـ٢٥٦) وفي سنده علي بن يزيد الألهاني ، وهو ضعيف . ولم يرفعه .

(٢) ذكره الشمس السيوطي في « إتحاف الأخِصّا » (١/ ٢٢١) وخليد بن دعلج السدوسي : ضعيف . انظر ميزان الاعتدال (١/ ٣٠٩) والتقريب ص(١٩٥) .

(٣) ما بين قوسين أثبته من ب ، وهو ساقط من أ والمطبوع .

وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

فامتنَّ تعالى على عباده بما خلقَ لهم من البحار والأنهار ، فالبحرُ المحيط بسائر أرجاء الأرض وما ينبثقُ منه في جوانبها ، الجميع مالحُ الطعم ، مُرٌّ ، وفي هذا حكمة عظيمة لصحَّة الهواء ، إذ لو كان حلواً لأنتنَ الجوُّ وفسدَ الهواء بسبب ما يموتُ فيه من الحيوانات ، فكان يُؤَدِّي إلى تفاني بني آدم ، ولكن اقتضت الحكمةُ البالغةُ أن يكونَ على هذه الصفة لهذه المصلحة . ولهذا لما سُئلَ رسول الله ﷺ عن البحر قال : « هو الطَّهُورُ ماؤُه الحِلُّ مَيْتَتهُ »[١] .

وأما الأنهار ، فماؤُها حلوٌ عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُها لمن أراد ذلك . وجعلَها جاريةً سارحةً يُنْبِعُها تعالى في أرضٍ ويسوقُها إلى أخرى رزقاً للعباد . ومنها كبارٌ ومنها صغارٌ بحسب الحاجة والمصلحة .

وقد تكلَّم أصحابُ علم الهيئة والتسبير[٢] على تعداد البحار والأنهار الكبار ، وأصول منابعها ، وإلى أن ينتهي سيرُها بكلام فيه حكمٌ ودلالاتٌ على قدرةِ الخالق تعالى ، وأنَّه فاعلٌ بالاختيار والحكمة وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ [الطور : ٦] فيه قولان : أحدُهما أنَّ المرادَ به البحر الذي تحتَ العرش المذكور في حديث الأوعال[٣] . وأنه فوقَ السموات السبع بين أسفله وأعلاه كما بين سماءٍ إلى سماء ، وهو الذي ينزلُ منه المطرُ قبلَ البعث فتحيا منه الأجسادُ من قبورها . وهذا القولُ هو اختيار الربيع بن أنس[٤] . والثاني أنَّ البحرَ اسمُ جنس يعمُّ سائرَ البحار التي في الأرض ، وهو قول الجمهور .

واختلفوا في معنى ﴿ المسجور ﴾ فقيل : المملوء ، وقيل : الذي يصيرُ يومَ القيامة ناراً تأجَّجُ ، فيُحيط بأهل الموقف كما ذكرناه في « التفسير »[٥] عن عليّ ، وابن عباس ، وسعيد بن جُبير ، وابن مجاهد ، وغيرهم . وقيل : المراد به الممنوع المكفوفُ المحروسُ عن أن يطغى فيغمرَ الأرضَ ومنْ عليها

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٧٧ و٣٦١ و٣٧٨ و٣٩٣) وأبو داود في سننه (٨٣) في الطهارة ، والترمذي في جامعه (٦٩) في الطهارة ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وابن ماجه في سننه (٣٨٦) في الطهارة ، و(٣٢٤٦) في الصيد والنسائي في المجتبى (١/ ٥٠ و١٧٦) و(٧/ ٢٠٧) . كلهم من حديث أبي هريرة ، وهو حديث صحيح .
ورواه أحمد في المسند (٣/ ٣٧٣) وابن ماجه (٣٨٨) في الطهارة . من حديث جابر بن عبد الله . ورواه ابن ماجه (٣٨٧) من حديث الفراسي . ورواه أحمد في المسند (٥/ ٣٦٥) من حديث عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة .

(٢) كذا في الأصول : من السبر ، وهو امتحان غور الجرح وغيره ، فالمراد منه : العلم الذي يكشف عن أعماق الأنهار والبحار وأغوارها في الأرض ، وفي المطبوع : التفسير .

(٣) تقدم تخريج حديث الأوعال ص١٧ وهو ضعيف .

(٤) انظره في تفسير القرآن العظيم ؛ لابن كثير (٤/ ٢٨٢) .

(٥) المصدر السابق (٤/ ٢٨٣) .

فيغرقوا[١] . رواه الوالبي[٢] عن ابن عباس ، وهو قول السُّدِّي وغيره ، ويُؤيِّده الحديثُ الذي رواه الإمام أحمد : حدَّثنا يزيدُ ، حدَّثنا العوَّام ، حدَّثني شيخٌ كان مرابطاً بالساحل ، قال : لقيتُ أبا صالحٍ مولى عمرَ بن الخطاب ، فقال : حدَّثنا عمرُ بن الخطَّاب عن رسول الله ﷺ قال : « ليسَ من ليلةٍ إلا والبحرُ يُشرفُ فيها ثلاثَ مراتٍ يستأذنُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن ينفضح[٣] عليهم ، فيكُفَّه الله عزَّ وجلَّ »[٤] .

ورواه إسحاق بن راهويه : عن يزيد بن هارون ، عن العوَّام بن حَوْشب ، حدَّثني شيخ مرابط ، قال : خرجتُ ليلةً لمحرسٍ لم يخرجْ أحدٌ من الحرس غيري ، فأتيتُ الميناءَ فصَعِدتُ ، فجعل ، يخيَّلُ إليَّ أن البحرَ يشرفُ يُحاذي برؤوس الجبال ، فعلَ ذلك مراراً وأنا مستيقظٌ ، فلقيتُ أبا صالح ، فقال : حدَّثنا عمرُ بن الخطَّاب أن رسولَ الله ﷺ قال : « ما منْ ليلةٍ إلا والبحرُ يُشرفُ ثلاثَ مَرَّاتٍ يستأذنُ اللهَ أن يَنْفَضِحَ عليهم فيكُفَّه الله عزَّ وجلَّ »[٥] في إسناده رجل مبهم ، والله أعلم .

وهذا من نعمه تعالى على عباده أن كفَّ شرَّ البحر عن أن يطغى عليهم ، وسخَّره لهم يحمل مراكبَهم ليبلغوا عليها إلى الأقاليم النائية[٦] بالتجارات وغيرها ، وهداهم فيه بما خلقَه في السماء والأرض من النجوم والجبال التي جعلَها لهم علاماتٍ يهتدون بها في سيرهم ، وبما خلقَ لهم فيه من اللآلىء الحسنة الثمينة والجواهر النفيسة العزيزة التي لا تُوجد إلا فيه وبما خلقَ فيه من الدوابِّ الغريبة ، وأحلَّها لهم حتى مَيْتتِها ، كما قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ ﴾ [المائدة : ٩٦] وقال النبي ﷺ : « هو الطَّهُورُ ماؤه الحِلُّ مَيْتَتُه »[٧] وفي الحديث الآخر « أُحِلَّتْ لنا مَيْتَتَانِ ودَمَانِ : السَّمكُ والجَرادُ ، والكَبِدُ ، والطُّحَالُ » رواه أحمد[٨] وابن ماجه[٩] ، وفي إسناده نظر[١٠] .

---

(١) في التفسير (٤/ ٢٨٣) عن عليِّ بن أبي طلحة عن ابن عباس . وعلي هذا قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (ص٤٠٢) : مولى ابن العباس ، سكن حمص ، أرسل عن ابن عباس ولم يره ، صدوق قد يخطىء ، مات سنة ٤٣هـ .

(٢) الوالبي: هو علي بن سالم بن مخارق الوالبي، مولى العباس بن عبد المطلب، له تفسير القرآن، توفي سنة (١٢٣هـ).

(٣) ينفضح : ينفتح ويسيل .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٣) وإسناده ضعيف لجهالة الشيخ الذي روى عنه العوَّام بن حوشب ، ولجهالة أبي صالح أيضاً .

(٥) ذكره المؤلف في التفسير (٤/ ٢٨٣) : وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي : حدثنا الحسن بن سفيان ، عن إسحاق بن راهويه والحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢/ ١٧٦) في قصة طويلة عن إسحاق بن راهويه .

(٦) في ب : المباينة . وفي أ : البائنة .

(٧) سلف تخريجه قبل قليل .

(٨) في المسند (٢/ ٩٧) .

(٩) في سننه (٣٢١٨) و(٣٣١٤) .

(١٠) في إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف .

وقد قال الحافظُ أبو بكر البَزَّارُ في « مسنده »[١] : وجدتُ في كتابي ، عن محمد بن معاوية البغداديِّ ، حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ، عن سُهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رفعه ، قال : « كلَّم الله هذا البحر الغربيَّ ، وكلَّم البحرَ الشرقيَّ ، فقالَ للغربيِّ : إنِّي حاملٌ فيكَ عِباداً من عبادي ، فكيفَ أنت صانعٌ بهم ؟ قال : أُغْرِقُهم . قال : بأسُكَ في نواحيكَ ، فَحَرمهُ الحِلْيَةَ والصَّيْدَ ، وكلَّم هذا البحرَ الشَّرْقيَّ ، فقال : إني حاملٌ فيكَ عباداً من عبادي فما أنتَ صانعٌ بهم ؟ قال : أحملُهم على يدي ، وأكونُ لهم كالوالدةِ لولدِها ، فأثابَه الحِلْيَة والصَّيْد » . ثم قال[٢] : لا نعلمُ أحداً رواه عن سُهَيْل إلا عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عمر ، وهو منكر الحديث . قال : وقد رواه سُهيل ، عن النعمان بن أبي عيَّاش ، عن عبد الله بن عمرو ، موقوفاً .

قلتُ : الموقوفُ على عبد الله بن عمرو بن العاص أشبهُ ، فإنه قد كان وجدَ يومَ اليرموك زاملتين[٣] مملوءتين كتباً من علوم أهل الكتاب ، فكانَ يُحدِّث منهما بأشياء كثيرة من الإسرائيليات ، منها المعروفُ والمشهورُ والمنكورُ والمردود . فأما المرفوع فتفرَّد به عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطَّاب ، أبو القاسم المدنيّ ، قاضيها ؛ قال فيه الإمام أحمد[٤] : ليس بشيء ، وقد سمعتُ منه ، ثم مزَّقتُ حديثه ، كان كذَّاباً ، وأحاديثه مناكير . وكذا ضعَّفه ابن معين[٥] ، وأبو زُرعة[٦] ، وأبو حاتم[٧] ، والجوزجاني[٨] ، والبخاري[٩] ، وأبو داود[١٠] ، والنَّسائي[١١] ، وقال ابن عديّ[١٢] : عامَّة أحاديثه مناكير ، وأفظعها حديث البحر .

قال علماء التفسير المتكلِّمون على العُروض والأطوال والبحار والأنهار والجبال والمساحات ، وما في الأرض من المدن والخراب والعمارات والأقاليم السبعة الحقيقية في اصطلاحهم ، والأقاليم

(١) كما في كشف الأستار (١٦٦٩) .
(٢) أي : البزار .
(٣) زاملتين : الزاملة : الدابَّة التي يُحمل عليها .
(٤) العلل (١/ ٢٦٦) ، وتاريخ الخطيب (١١/ ٥٠١)، وتهذيب الكمال (١٧/ ٢٣٥) .
(٥) تاريخ يحيى برواية الدوري (٢/ ٣٥١) وسؤالات ابن طهمان (١٨) و(٢٩٠)، وتهذيب الكمال (١٧/ ٢٣٦).
(٦) الجرح والتعديل ٥/ الترجمة (١٢٠٢) .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) أحوال الرجال (١٢٠٢) .
(٩) تاريخه الصغير (٢/ ٢٤٠) .
(١٠) سؤالات الآجري لأبي داود (٣/ ١٠٨) .
(١١) الضعفاء والمتروكون الترجمة (٣٥٦) .
(١٢) الكامل في الضعفاء (٤/ ١٥٨٨ ، ١٥٩٠) .

المتعدِّدة العرفية ، وما في البلدان والأقاليم من الخواصّ والنباتات ، وما يُوجد في كل قطر من أصناف[١] المعادن والتجارات ، قالوا : الأرض مغمورة بالماء العظيم إلا مقدار الربع منها ، وهو تسعون درجة ، والعناية الإلهية اقتضت انحسار الماء على هذا القدر منها لتعيشَ الحيوانات عليها ، وتنبت الزرع والثمار منها ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٠ ـ ١٣] .

قالوا : والمغمور من هـذا البادي منها قريبُ الثلثين منه أو أكثر قليلاً . وهو خمس وتسعون[٢] درجة .

قالوا : فالبحر المحيط الغربيّ ، ويُقال له : أوقيانوس ، وهو الذي يُتاخمُ بلادَ المغرب ، وفيه الجزائرُ الخالدات ، وبينها وبين ساحله عشر درج مسافة شهر تقريباً ، وهو بحر لا يُمكن سلوكه ولا ركوبه ؛ لكثرة هيجه واغتلامه[٣]، واختلاف ما فيه من الرياح والأمواج، وليس فيه صيد[٤] ، ولا يُستخرجُ منه شيء ، ولا يُسافَر فيه لمتجر ولا لغيره، وهو آخذٌ في ناحية الجنوب حتى يُسامتَ الجبال القُمْر، ويُقال: جبال القمر التي منها منبع أصل نيل مصر، ويتجاوز خطَّ الاستواء. ثم يمتد مُشَرِّقاً، ويصير جنوبي الأرض . وفيه هناك جزائر الزنج[٥]، وعلى سواحله خراب كثير. ثم يمتدُّ شرقاً وشمالاً حتى يتصلَ ببحر الصين والهند. ثم يمتدُّ شرقاً حتى يُسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة ، وهناك بلاد الصين . ثم ينعطفُ في شرقي الصين إلى جهة الشمال حتى يُجاوزَ بلاد الصين، ويُسامتَ سد[٦] يأجوج ومأجوج. ثم ينعطفُ ويستديرُ على أرضٍ غير معلومة الأحوال . ثم يمتدُّ مُغَرِّباً في شمالي الأرض ويُسامتُ بلادَ الروس ويتجاوزها ، ويعطف مُغَرِّباً وجنوباً ، ويستديرُ على الأرض ويعودُ إلى جهة الغرب وينبثق من الغربي العربي[٧] إلى متن الأرض الزقاق ، الذي ينتهي أقصاه إلى أطراف الشام من الغرب . ثم يأخذُ في بلاد الروم حتى يتصل بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم .

وينبعث من المحيط الشرقي بحارٌ أُخر ، فيها جزائر كثيرة ، حتى إنه يقال : إن في بحر الهند ألفا جزيرة وسبعمئة جزيرة ، فيها مدن وعمارات سوى المدن العاطلة ، ويقال لهذا البحر : الأخضر ، فشرقيُّه بحرُ الصين ، وغربيُّه بحر اليمن ، وشماليه بحر الهند ، وجنوبيه غير معلوم .

---

(١) في ب : « صنوف » ، وهو جمع صحيح أيضاً .
(٢) في ب : خمس وستون .
(٣) الهيج والاهتياج والهيجان بمعنىً ، واغتلام البحر : هيجانه واضطراب أمواجه .
(٤) في ب : وليس يُصاد منه .
(٥) في المطبوع : الزابج ، وفي معجم البلدان (المقدمة ص٢١) : وفي هذا البحر من النواحي المشرق جزائر الزانج ، ثم جزائر الديبجات ، وقُمير : ثم جزائر الزابج . .
(٦) انظر التعريف بهذا السد وما قيل عنه في معجم البلدان ، لياقوت (٣/ ١٩٧) .
(٧) أثبتها من أ .

وذكروا أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالاً فاصلة بينهما ، وفيها فجاج تسلك المراكب بينها ، يسَّرها لهم الذي خلقها ، كما جعل مثلها في البر أيضاً ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١]. وقد ذكرَ بطليموس[١] في كتابه المسمَّى «بالمجسطي» الذي عُرِّبَ[٢] في زمان المأمون، وهو أصلُ هذه العلوم: أن البحار المتفجِّرة من المحيط الغربي والشرقي والجنوبي والشمالي كثيرة جداً. ومنها ما هو واحد، ولكن يُسمَّى بحسب البلاد المتاخمة له. فمن ذلك بحر القُلْزُم . والقُلْزُم[٣] : قريةٌ على ساحله قريب من أيلة . وبحر فارس وبحر الخزر ، وبحر وَرَنْك ، وبحر الروم ، وبحر بُنْطش ، وبحر الأزرق ، مدينة على ساحله ، وهو بحر القَرْم أيضاً ، ويتضايق حتى يصبَّ في بحر الروم عند جنوبي القسطنطينية ، وهو الخليج القسطنطيني[٤] ، ولهذا تُسرعُ المراكبُ في سيرها من القَرْم إلى بحر الروم ، وتُبطىء إذا جاءت من الإسكندرية إلى القَرْم ، لاستقبالها جريان الماء . وهذا من العجائب في الدنيا ، فإنَّ كلَّ ماءٍ جارٍ فهو حلوٌ إلا هذا ، وكلُّ بحر راكد فهو ملحٌ أجاجٌ ، إلا ما يُذكر عن بحر الخزر ، وهو بحر جرجان وبحر طبرستان ، أنَّ فيه قطعةً كبيرة ماءً حلواً فُراتاً ، على ما أخبر به المسافرون عنه .

قال أهل الهيئة : وهو بحرٌ مستديرُ الشكل إلى الطول ما هو . وقيل : إنَّه مثلث كالقِلَع[٥] ، وليس هو متصلاً بشيءٍ من البحر المحيط ، بل منفردٌ وحده ، وطوله ثمانمئة ميل وعرضه ستمئة ، وقيل : أكثر من ذلك ، والله أعلم .

ومن ذلك البحرُ الذي يخرجُ منه المدُّ والجَزْرُ عند البصرة ، وفي بلاد المغرب نظيرُه أيضاً ، يتزايدُ الماء من أوَّل الشهر ، ولا يزالُ في زيادة إلى تمام الليلة الرابعة عشرة منه [وهو المدُّ][٦] . ثم يشرعُ في النقص وهو الجَزْرُ إلى آخر الشهر[٧] . وقد ذكروا تحديدَ هذه البحار ومسراها[٨] ومنتهاها ، وذكروا ما في

---

(١) في الأصل: أحد ملوك الهند، وهي جملة مقحمة، وبطليموس يونانيٌّ، كان واحداً من أكبر علماء الفلك والجغرافيا في العصور القديمة، والمجسطي: اصطلاح مزيج من اليونانية والعربية، بمعنى المجيد. انظر الموسوعة العربية العالمية (٤/ ٤٦٦) .

(٢) في الفهرست (ص٣٢٧) : أول من عني بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك (ت١٩٠هـ) ففسَّره جماعة فلم يتقنوه ، فندب لتفسيره غير واحد من أصحاب بيت الحكمة .

(٣) انظر التعريف بها في معجم البلدان (٤/ ٣٨٨) .

(٤) معجم البلدان ؛ لياقوت (المقدمة ص٢١) ومادة البحار فيه .

(٥) القِلَع : جمع قِلْع وقلاعة ؛ شراع السفينة .

(٦) أثبتها من ب .

(٧) المد والجزر: ارتفاع وانخفاض مسطحات مائية واسعة على فترات زمنية محدودة، وتتم مرتين خلال الفترة الزمنية الواقعة بين طلوعين متتاليين للقمر، وهي تعادل ٢٤ ساعة و٢٥ دقيقة. انظر الموسوعة العربية العالمية (٢٢/ ٤٦٢).

(٨) في المطبوع : ومبتداها .

الأرض من البُحيرات المجتمعة من الأنهار وغيرها من السيول ، وهي البطائح[(١)] .

وذكروا ما في الأرض من الأنهار المشهورة الكبار ، وذكروا ابتداءَها وانتهاءَها ، ولسنا بصدد بسط ذلك والتطويل فيه ، وإنما نتكلَّم على ما يتعلَّق بالأنهار الوارد ذكرها في الحديث . وقد قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤] .

وفي الصحيحين[(٢)] : من طريق قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صَعْصَعة ، أن رسول الله ﷺ لما ذكرَ سِدْرة المنتهى ، قال : « فإذا يخرجُ من أصلها نهرانِ باطنان ، ونهرانِ ظاهران . فأمَّا الباطنان ففي الجنَّة ، وأما الظاهران فالنيلُ والفراتُ » .

وفي لفظ في البخاري[(٣)] : « عنصرُهما » أي : مادَّتُهما ، أو شكلُهما ، وعلى صفتهما ونعتهما ، وليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء .

وفي صحيح مسلم[(٤)]: من حديث عُبيد الله بن عمر، عن خُبيب بن عبد الرحمن ، عن حَفْص بن عاصم، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « سَيْحانُ وجَيْحان والفرات والنيل كلٌّ من أنهار الجنة » .

وقال الإمام أحمد[(٥)] : حدَّثنا ابن نُميرٍ ويزيد ، أنبأنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « فُجِّرَتْ أربعةُ أنهارٍ من الجنة : الفراتُ ، والنيلُ ، وسَيْحان وجَيْحان » . وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم .

وكأن المراد والله أعلم من هذا أن هذه الأنهار تُشبه أنهارَ الجنَّة في صَفائها وعُذوبتها وجَريانها، ومن جنس تلك في هذه الصفات ونحوها ، كما قال في الحديث الآخر الذي رواه الترمذي وصحَّحه[(٦)] : من طريق سعيد بن عامر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « العَجْوةُ من الجَنَّة، وفيها شِفَاءٌ من السُّمِّ[(٧)] » أي: تُشبه ثمرَ الجنَّة. فإنَّ الحسَّ يشهدُ بخلاف ذلك، فتعيَّن أن المرادَ غيره.

---

(١) البطائح : جمع بَطيحة والبَطيح : مسيل واسع فيه رمل ودُقاق الحصى .

(٢) البخاري في صحيحه (٣٢٠٧) في بدء الخلق، ومسلم في صحيحه (١٦٤) في الإيمان . وهو بعض حديث الإسراء .

(٣) في ب : ولفظ البخاري . وهذا اللفظ الذي أشار إليه المصنف ليس من الطريق الذي ذكره قبل قليل ، بل هو من طريق شريك بن أبي نمر عن أنس وهو في التوحيد من صحيح البخاري (٧٥١٧).

(٤) (٢٨٣٩) في الجنة .

(٥) في المسند (٢/ ٣٠١ و٣٠٥) .

(٦) في جامعه (٢٠٦٦)، ووقع في بعض الطبعات « حسن غريب » .

(٧) في ب : الحر ، ولا يستقيم مع سائر ألفاظ الحديث .

وكذا قولـه ﷺ : « الحمَّى من فَيْـح جهنَّم فأبردُوهـا بالماء[١] »[٢] وكذا قوله : « إذا اشتدَّ الحَرُّ فأبردُوا بالصَّلاة ، فإن شدة الحرِّ من فَيْحِ جهنَّم »[٣] . وهكذا هذه الأنهار أصلُ منابعها مُشاهدٌ من الأرض .

أما النيل ، وهو النهر الذي ليس في أنهار الدنيا له نظير في خفته ولطافته وبُعد مسراه فيما بين مبتداه إلى منتهاه ، فمبتداه من الجبال القُمْر ، أي : البيض ، ومنهم من يقول : جبال القَمَر[٤] ، بالإضافة إلى الكوكب ، وهي في غربيّ الأرض وراءَ خطِّ الاستواء إلى الجانب الجنوبي . ويُقال : إنَّها حُمْر يَنبعُ من بينها عيون ، ثم يجتمعُ من عشر مَسِيلاتٍ متباعدة ، ثم يجتمعُ كلُّ خمسة منها في بحرةٍ ، ثم يخرجُ منها أنهارٌ ستة ، ثم تجتمع كلها في بحيرة أخرى ، ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل ، فيمرُّ على بلاد السُّودان بالحبشة ، ثم على النوبة ومدينتها العُظمى دُمْقُلة ، ثم على أسوان ، ثم يفد على ديار مصر . وقد يحمل إليها من بلاد الحبشة زياداتِ أمطارها ، وما اجترفَ[٥] من ترابها وهي محتاجة إليهما معاً ، إن مطرَها قليلٌ لا يكفي زروعَها وأشجارَها ، وتربتُها رمالٌ لا تُنبتُ شيئاً حتى يجيءَ النيل بزيادته وطينه ، فينبتُ فيه ما يحتاجون إليه ، وهي من أحق الأراضي بدخولها في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة : ٢٧] ثم يجاوزُ النِّيلُ مصرَ قليلاً ، فيفترقُ شطرين عند قرية على شاطئه ، يقال لها : شَطَّنُوف[٦] ، فيمرُّ الغربيّ منه على رشيد ويصبُّ في البحر المالح . وأماالشرقيُّ فيفترقُ أيضاً عند جَوْجرَ فرقتين ، تمرُّ الغربيّةُ منهما على دِمياط من غربيِّها ، ويصبُّ في البحر ، والشرقية منهما تمرُّ على أشْمُون[٧] طَنَّاح ، فيصبُّ هناك في بحيرة شرقي دِمْياط ، يُقال لها : بحيرة تِنِّيس ، وبحيرة دمياط . وهذا بُعد عظيم فيما بين مبتداه إلى منتهاه ، ولهذا كان ألطف المياه . قال ابن سينا : له خصوصيات دون سائر مياه الأرض ، فمنها : أنه أبعدها مسافة من مجراه

---

(١) وقع في بعض الأصول : « بالماء البارد » ، وليست في المطبوع ولا في روايات الحديث كلمة (البارد) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٢٦٢) في بدء الخلق وفي الطب (٥٧٢٦)، ومسلم (٢٢١٢) في الطب ، والترمذي في جامعه (٢٠٧٣) في الطب ، وابن ماجه في سننه (٣٤٧٢) في الطب ، كلُّهم عن رافع بن خديج بلفظ « فأبردوها بالماء » . وهو في الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر (البخاري ٣٢٦٤ ومسلم ٢٢٠٩)، وهو في البخاري (٣٢٦١) من حديث ابن عباس، و(٣٢٦٣) من حديث عائشة رضي الله عنهم .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٣٨ و٢٦٦) والبخاري في صحيحه (٥٣٣ و٥٣٤) في مواقيت الصلاة ، ومسلم في صحيحه (٦١٥) (١٨٢ و١٨٣) في المساجد .

(٤) انظر ما قيل في تسمية جبال القمر حسن المحاضرة (٢/ ٣٤٩) ؛ للسيوطي .

(٥) في ب : واجتراف من .

(٦) انظر ما قاله ياقوت عن هذه القرية في معجم البلدان (٣/ ٣٤٤) .

(٧) في معجم البلدان (١/ ٢٠٠) : أُشْموم .

إلى أقصاه . ومنها أنه يجري على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلب ولا أوحال ، ومنها أنه لا يخضرُّ فيه حجر ولا حصاة ، وما ذاك إلا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته ، ومنها أن زيادته في أيام نقصان سائر الأنهار ، ونقصانه في أيام زيادتها وكثرتها ، وأما ما يذكره بعضُهم من أن أصل منبع النيل من مكان مرتفع اطَّلع عليه بعضُ الناس فرأى هناك هولاً عظيماً وجواريَ حِساناً وأشياءَ غريبةً ، وأن الذي اطَّلعَ على ذلك[١] لم يمكنْه الكلامُ بعد هذا ، فهو من خرافاتِ المؤرِّخين وهذيانات الأفَّاكين[٢] .

وقد قال عبدُ الله بن لَهِيْعةَ[٣] : عن قيس بن الحجَّاج ، عمَّن حدثه قال : لمّا فُتحتْ مصر ، أتى أهلها عمرَو بن العاص حين دخلَ بؤنة ـ من أَشْهُرِ العجم ـ فقالوا : أيُّها الأمير ! إن لنيلنا هذا سُنَّةً لا يجري إلا بها . قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كان لِثنتي عشرة ليلةً خلتْ من هذا الشهر عَمَدْنا إلى جاريةٍ بكْرٍ بين أبويها ، فأرْضَيْنا أبويْها وجعلنا عليها من الحليِّ والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل ، فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون في الإسلام . إنَّ الإسلامَ يهدم ما كان قبله . فأقاموا بؤنةَ ، والنِّيلُ لا يجري قليلاً ولا كثيراً . وفي رواية : فأقاموا بؤنةَ وأبيب ومِسْرى[٤] وهو لا يجري ، حتَّى همُّوا بالجلاء . فكتبَ عمرو إلى عمرَ بن الخطَّاب بذلك . فكتب إليه إنَّك قد أصبتَ بالذي فعلتَ ، وإني قد بعثتُ إليكَ ببطاقةٍ داخلَ كتابي هذا فألقِها في النيل . فلما قدمَ كتابُه ، أخذَ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد : فإن كنتَ لا تجري إلا من قِبَلكَ فلا تَجْرِ ، وإن كان الله الواحدُ القهَّارُ هو الذي يُجريك فنسألُ اللهَ أنْ يُجريَكَ . قال : فألقى البطاقةَ في النيل ، فأصبحَ يومَ السبت قد زادَ ستةَ عشرَ ذراعاً في ليلة واحدة ، وقطعَ الله سبحانه وتعالى[٥] تلك السُّنَّة عن أهل مصر إلى اليوم[٦] .

وأما الفرات : فأصلُها من شمال أَرْزَن الروم ، فتمرُّ إلى قرب مَلَطية ثم تمر على سُمَيْساط ، ثم على إلبيرة[٧] قِبْلِيِّها ، ثم تُشَرِّقُ إلى بالس[٨] وقلعة جعبرَ[٩] ، ثم الرَّقّة ، ثم إلى الرحبة شماليِّها ، ثم إلى

(١) في ب : وأن الذي اطَّلعَ عليها لم يمكنه .
(٢) انظر حسن المحاضرة ؛ للسيوطي (٢/ ٣٥٠) .
(٣) عبد الله بن لهيعة بن عقبة، أبو عبد الرحمن الحضرمي المصري، قاضي مصر، توفي سنة ١٧٤هـ كان شيخاً صالحاً، ولكن خلط بعد احتراق كتبه. واحترقت كتبه قبل موته بأربع سنين. انظر المجروحين؛ لابن حبان (٢/ ١١).
(٤) أسماء أشهر قبطية .
(٥) زيادة من ب .
(٦) كانت هذه الحادثة سنة (٢٣هـ) كما في بدائع الزهور (١/ ١١١) . وانظر حسن المحاضرة (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) . وإسناد هذه الحكاية ضعيف، لضعف ابن لهيعة عند التفرد وجهالة من روى عنه شيخ قيس بن الحجاج.
(٧) إلبيرة : من نواحي حلب .
(٨) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة . معجم البلدان (١/ ٣٢٨) .
(٩) قلعة على الفرات ، بين بالس والرقة ، قرب صِفِّين . معجم البلدان (٢/ ١٤٢) .

عانة ، ثم إلى هيت ، ثم إلى الكوفة ، ثم تخرجُ إلى فضاء العراق ، وتصبُّ في مصالح كبار ، أي : بحيرات وترد إليها ، ويخرج منها أنهار كبار معروفة .

وأما سَيحان : ويُقال له : سَيْحون أيضاً ، فأوَّلُه من بلاد الروم ، ويجري من الشمال والغرب إلى الجنوب والشرق ، وهو غربيّ مجرى جيحان ، ودونَه في القدْر ، وهو ببلاد الأرمن التي تُعرف اليوم ببلاد سِيس ، وقد كانت في أول الدولة الإسلامية ، فلما تغلَّب الفاطميون[1] على الديار المصرية ، وملكوا الشام وأعمالَها عجزوا عن صَوْنها عن الأعداء ، فتغلب أليقفور الأرمني على هذه البلاد ، أعني بلادَ سيس في حدود الثلاثمئة ، وإلى يومنا هذا ـ والله المسؤول عودُها إلينا بحوله وقوته ـ ثم يجتمعُ سَيحان وجَيحان عند أذنةَ ، فيصيران نهراً واحداً ، ثم يَصُبّان في بحر الروم بين إياسَ وطَرسوس .

وأما جيحان : ويُقال له : جيحون أيضاً ، وتسمية العامة جاهان . وأصلُه في بلاد الروم ، ويسير في بلاد سِيس من الشمال إلى الجنوب ، وهو يُقارب الفرات في القدر ، ثم يجتمعُ هو وسيحان عند أذنَة فيصيران نهراً واحداً . ثم يَصُبّان في البحر عند إياسَ وطَرسوس ، والله أعلم .

***

فصــل

قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٢ ـ ٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل : ٦٠ ـ ٦١] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٠ ـ ١٣] .

---

(١) في أ : تعدت القاطنون .

يذكر[١] تعالى ما خلقَ في الأرض من الجبال والأشجار والثِّمار والسهول والأوعار ، وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات في البراري ، والقِفار والبر والبحار مما يدلُّ على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه ، وما سهَّل لكلِّ دابَّة من الرزق الذي هي محتاجة إليها في ليلها ونهارها ، وصيفها وشتائها ، وصباحها ومسائها ، كما قال تعالى : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦] .

وقد روى الحافظُ أبو يعلى عن محمد بن المثنى ، عن عُبيد بن واقد ، عن محمد بن عيسى بن كَيْسان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، عن عمر بن الخطَّاب ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « خلقَ الله ألفَ أُمَّة : منها ستمئة في البحر ، وأربعمئة في البرِّ ، وأوَّلُ شيءٍ يهلكُ من هذه الأمم الجرادُ ، فإذا هلكَ تتابعتْ مِثْل النِّظام إذا قُطِعَ سِلْكُه »[٢] .

عبيد بن واقد : أبو عبَّاد البَصْري ، ضعَّفهُ أبو حاتم[٣] ، وقال ابن عديّ[٤] : عامَّة ما يرويه لا يُتابع عليه ، وشيخه أضعف منه[٥] . قال الفَلَّاس[٦] والبخاريّ[٧] : منكر الحديث . وقال أبو زُرْعة[٨] : لا ينبغي أن يُحدَّث عنه . وضعَّفه ابنُ حِبَّان[٩] والدارقطني[١٠] ، وأنكر عليه ابن عديّ هذا الحديث بعينه وغيره[١١] ، والله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

* * *

(١) في ب : وذكرَ .
(٢) رواه أبو يعلى (٢٣٩٩ ـ المطالب العالية ، النسخة المسندة) وحكم عليه ابن حبان بالوضع في ترجمته لابن كيسان .
(٣) الجرح والتعديل (٦/ الترجمة ١٨) .
(٤) الكامل (٥/ ١٩٩٠) .
(٥) يعني : محمد بن عيسى بن كيسان .
(٦) ساقه ابن عدي في الكامل عن الفلاس (٦/ ٢٢٤٩) .
(٧) تاريخه الكبير (١/ الترجمة ٦٣٥) ، والصغير (٢/ ٢٧١) .
(٨) سؤالات البرذعي (٢/ ٥١٧) .
(٩) المجروحين (٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦) بتحقيق السلفي .
(١٠) الضعفاء والمتروكون (٤٩٤) .
(١١) الكامل (٦/ ٢٢٥٠) .

باب ذكر ما يتعلَّق بخلق السموات وما فيهن من الآيات

قد قدَّمنا أنَّ خلقَ الأرض قبل خلق السماء ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ٩ ـ ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات : ٢٧ ـ ٣٠] . وقد أجبنا عن قوله جلَّ ذكره : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ . بأنَّ الدحي[1] غير[2] الخلق ، وهو بعد خلق السماء .

وقال تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١ ـ ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٢ ـ ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح : ١٥ ـ ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦١ ـ ٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات : ٦ ـ ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر : ١٦ ـ ١٨] .

---

(١) الدَّحي : والدَّحْو : البسط والتوسع .

(٢) في ب : هو غير .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٢ ـ ٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٣٧ ـ ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٦ ـ ٩٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

والآيات في هذا كثيرة جداً ، وقد تكلَّمنا على كل منها في « التفسير » .

والمقصود أنه تعالى يُخبر عن خلق السموات وعظمة اتساعها وارتفاعها ، وأنها في غاية الحسن والبهاء ، والكمال والسناء ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ [الذاريات : ٧] ، أي : الخلق الحسن ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك : ٣ ـ ٤] ، أي : خاسئاً عن أن يرى فيها نقصاً أو خللاً ، وهو حسير ، أي : كليل ضعيف ، ولو نظر حتى يعيا ويكلَّ ويضعف لما اطلع على نقص فيها ولا عيب ، لأنه تعالى قد أحكم خلقها وزيَّن بالكواكب أُفقها ، كما قال : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ [البروج : ١] أي: النجوم . وقيل : محالّ الحرس التي يُرمَى منها بالشهب لمسترقي السمع ، ولا منافاة بين القولين ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ[1] ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ [الحجر : ١٦ ـ ١٧] . فذكرَ أنَّه زين منظرها بالكواكب الثوابت والسَّيَّارات : الشمس ، والقمر ، والنجوم الزاهرات . وأنه صانَ حوزتَها[2] عن حلول الشياطين بها ، وهذا زينة معناها ، فقال : ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ كما قال : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ [الصافات : ٦ ـ ٨] .

قال البخاري في كتاب بدء الخلق[3] : وقال قتادة : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [الملك : ٥] خلق هذه النجـوم لثلاث : جعلها زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلاماتٍ يُهتدَى بها . فمن تأول

---

(١) في أ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ . . . ﴾ [الملك : ٥] وهو سهو من الناسخ .

(٢) حوزتها : حوزة الشيء : حدوده ونواحيه . (٣) انظر فتح الباري (٦/ ٢٩٥) باب في النجوم .

فيهـا بغير ذلك فقد أخطأ وأضاعَ نصيبَه ، وتكلَّفَ ما لا علم له به .

وهذا الذي قاله قتادة مصرَّح به في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأنعام : ٩٧] . فمن تكلَّف غير هذه الثلاث، أي: من عِلْمِ أحكام ما تدلُّ عليه حركاتها ومقارناتها[١] في سيرها، وأن ذلك يدلُّ على حوادث أرضية فقد أخطأ ؛ وذلك أن أكثر كلامهم في هذا الباب ليس فيه إلا حَدْسٌ وظنون كاذبة ودَعاوى باطلة .

وذكرَ تعالى أنَّه خلقَ سبع سموات طباقاً ، أي : واحدة فوق واحدة . واختلف أصحابُ الهيئة هل هُنَّ متراكمات[٢] ، أو متفاصلات بينهن خلاء ؛ على قولين : والصحيح الثاني ، لما قدَّمنا من حديث عبد الله بن عَميرة ، عن الأحنف ، عن العباس في حديث الأوعال ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أتدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسولُه أعلم . قال : بينها مسيرة خمسمئة عام . ومن كل سماء إلى سماء خمسمئة سنة . وَكُثُفُ[٣] كلِّ سماءٍ خمسمئة سنة . . » الحديث[٤] بتمامه . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وحسَّنه .

وفي الصحيحين : من حديث أنسٍ في حديث الإسراء ، قال فيه : ووجدَ في السماء الدنيا آدمَ ، فقال له جبريل : « هذا أبوكَ آدمُ فسَلِّم عليه ، فسلَّمَ عليه[٥] ، فردَّ عليه السلام ، وقال : مرحباً وأهلاً بابني ، نعم الابنُ أنت . . إلى أنْ قالَ : ثم عرجَ إلى السماء الثانية ، وكذا ذكرَ في الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة » .

فدلَّ على التَّفاصل بينها ، لقوله : « ثُمَّ عُرِجَ بنا حتى أتينا السَّماءَ الثانية ، فاستفتحَ ، فقيل : منْ هذا » الحديث[٦] . وهذا يدلُّ على ما قلناه ، والله أعلم .

وقد حكى ابنُ حزم ، وابنُ المُنَيِّر ، وأبو الفرج بن الجوزي ، وغيرُ واحد من العلماء : الإجماعَ على أنَّ السمواتِ كُرَيَّةٌ[٧] مستديرة . واستُدلّ على ذلك بقوله : ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٣] . قال

---

(١) في ب : ومقارباتها .
(٢) في ب : متراكبات .
(٣) « وَكُثُفُ » : سماكة .
(٤) تقدم الحديث وتخريجه ص ١٧ .
(٥) سقطت من المطبوع .
(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣٤٩) في الصلاة ، ومسلم في صحيحه (١٦٣) في الإيمان .
(٧) في المطبوع : كرة .

(الحسن)[١] : يدورون، وقال ابن عباس: في فلكةٍ مثل فَلْكةِ المِغزل[٢] . قالوا: ويدلُّ على ذلك أن الشَّمسَ تغربُ كلَّ ليلة من المغرب ، ثم تطلعُ في آخرها منَ المشرق ، كما قال أميَّةُ بن أبي الصلت : [من الكامل]

والشمس تبدو كلَّ آخِرِ ليلةٍ حمـراءَ تصبـحُ لـونهـا يتـورَّدُ
تأبى فما تبدُو لنا في رسلها إلَّا مُعَـذَّبـةً وإلَّا تُجْلَـدُ

فأما الحديث الذي رواه البخاريُّ ، حيث قال[٣] : حدَّثنا محمد بن يوسف ، حدَّثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التَّيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذرٍّ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ لأبي ذرٍّ حينَ غربتِ الشَّمسُ : « تدري أينَ تذهبُ ؟ قلت : الله ورسولُه أعلمُ . قال : فإنَّها تذهبُ حتى تسجدَ تحتَ العرش فتستأذنُ ، فيُؤذنُ لها ، ويُوشكُ أنْ تسجدَ فلا يُقبل منها ، وتستأذنُ فلا يُؤذنُ لها . ويُقالُ لها : ارجعي من حيثُ جئتِ ، فتطلعُ منْ مَغْربها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس : ٣٨] »[٤] .

هذا لفظه في بدء الخلق ، ورواه في التفسير[٥] ، وفي التوحيد[٦] : من حديث الأعمش أيضاً . ورواه مسلمٌ في الإيمان : من طريق الأعمش[٧] ، ومن طريق يُونس[٨] بن عبيد[٩] ، وأبو داود[١٠] : من طريقِ الحَكمِ بن عُتَيْبة ، كلُّه من [حديث] إبراهيم بن يزيد بن شَريك ، عن أبيه ، عن أبي ذرٍّ به ، نحوه . وقال الترمذي[١١] : حسن صحيح .

إذا عُلمَ هذا فإنه حديث لا يُعارِضُ ماذكرناه من استدارة الأفلاك التي هي السموات على أشهر القولين ، ولا يدلُّ على كرية العرش ، كما زعمه زاعمون . قد أبطلنا قولهم فيما سلفَ ، ولا يدلُّ على أنه تصعدُ إلى فوق السموات من جهتنا حتى تسجدَ تحتَ العرش، بل هي تغربُ عن أعيننا ، وهي مستمرَّة في فلكها الذي هي فيه ، وهو الرابع فيما قاله غيرُ واحد من علماء التفسير[١٢] . وليس في الشرع ما ينفيه ، بل في الحسِّ ،

---

(١) أثبتها من ب .
(٢) «فلكة المغزل»: قطعة مستديرة من الخشب ونحوه تُجعل في أعلاه، وتثبت السِّنَّارة من فوقها وعود المِغْزل من تحتها.
(٣) ديوانه (ص٣٦٥) وتقدم (ص٢١) .
(٤) صحيح البخاري (٣١٩٩) .
(٥) نفسه (٤٨٠٢) و(٤٨٠٣) .
(٦) نفسه (٧٤٢٤) و(٧٤٣٣) .
(٧) صحيح مسلم (١٥٩) (٢٥١) .
(٨) في أ : « ابن يونس » ، وهو سهو .
(٩) صحيح مسلم (١٥٩) (٢٥٠) .
(١٠) أبو داود (٤٠٠٢) في الحروف والقراءات .
(١١) الترمذي (٢١٨٦) في الفتن ، و(٣٢٢٧) في التفسير .
(١٢) في بعض النسخ : التسبير .

وهو الكسوفات ما يدلُّ عليه ويقتضيه، فإذا ذهبتْ فيه حتى تتوسَّطه ، وهو وقتُ نصف الليل مثلاً في اعتدال الزمان ، بحيث يكونُ بينَ القُطبين الجنوبي والشمالي، فإنها تكونُ أبعدَ ما يكونُ من العرش، لأنه مُقبَّبٌ من جهة وجه العالم ، وهذا محلُّ سجودها كما يُناسبها ، كما أنها أقربُ ما تكونُ من العرشِ وقتَ الزوالِ من جهتنا ، فإذا كانت في محلِّ سجودِها استأذنتِ الرَّبَّ جلَّ جلالُه في طلوعها من الشرق[1] فيؤذَنُ لها ، فتبدو من جهة الشرق ، وهي مع ذلك كارهةٌ لِعُصاةِ بني آدمَ أنْ تطلعَ عليهم ، ولهذا قال أمية[2] بن أبي الصَّلْتِ : [من الكامل]

تأبى فما تبدو لنا في رِسْلها إلَّا مُعــذّبــة وإلَّا تُجْلــدُ

فإذا كانَ الوقتُ الذي يُريدُ الله طلوعَها من جهة مغربها ، تسجدُ على عادتها ، وتستأذنُ في الطُّلوع من عادتِها ، فلا يُؤذَنُ لها ، فجاء أنها تسجدُ أيضاً ، ثم تستأذن فلا يُؤذن لها ، وتطولُ تلك الليلة ـ كما ذكرنا في « التفسير »[3] فتقول : يا ربِّ ! إن الفجرَ قد اقتربَ ، وإنَّ المدى بعيد . فيُقال لها : ارجعي منْ حيثُ جئتِ ، فتطلعُ من مَغْرِبها ، فإذا رآها النَّاسُ آمنوا جميعاً . وذلك قوله تعالى : حينَ ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] . وفسَّروا بذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ قيل : لوقتها الذي تُؤمَر فيه أنْ تطلعَ من مغربها . وقيل : مستقرُّها : موضعها الذي تسجد فيه تحت العرش . وقيل : منتهى سيرها ، وهو آخر الدنيا .

وعن ابن عباس أنه قرأ[4] : (والشمس تجري لا مستقرَّ لها) أي : ليست تستقرُّ ، فعلى هذا تسجدُ وهي سائرة . ولهذا قال تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] أي : لا تُدرك الشمسُ القمرَ فتطلعُ في سلطانه ودولته ، ولا هو أيضاً ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ أي : ليس يسبقُه بمسافة يتأخَّرُ ذاك عنه فيها ، بل إذا ذهبَ الليلُ جاءَ النهار في إثره متعقباً له ، وإذا ذهب النهار جاءَ الليل في إثره متعقِّباً له ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] . أي : يخلفُ هذا لهذا ، وهذا لهذا ، كما قال رسولُ الله ﷺ : « إذا أقبلَ اللَّيلُ من هاهنا وغربت الشَّمْسُ

---

(١) في ب : المشرق .

(٢) في ب : قال أميَّةُ ، دون نسب .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٠١) .

(٤) شواذ القرآن ؛ لابن خالويه (ص١٢٦) وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٨ ـ ٢٩) وهي قراءة ابن مسعود أيضاً ، ونقل القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري أنه قال : وهذا باطل مردود على من نقله ؛ لأن أبا عمرو روى عن مجاهد عن ابن عباس ، وابن كثير روى عن مجاهد عن ابن عباس ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ فهذان السندان عن ابن عباس ـ اللذان يشهد بصحتهما الإجماع ـ يبطلان ما روي بالسند الضعيف مما يخالف مذهب الجماعة وما اتفقت عليه الأمة .

فقد أفطرَ الصائمُ »[١] والزمانُ المحقَّق ينقسمُ إلى ليل ونهار ، ليس[٢] بينهما غيرهما . ولهذا قال تعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ[٣] مُّسَمّٗى ﴾ [لقمان : ٢٩] فيُولج من هذا في هذا ، أي : يأخذ من طول هذا في قِصَر هذا فيعتدلان ، كما في أول فصل الربيع يكونُ الليل قبل ذلك طويلاً والنَّهارُ قصيراً ، فلا يزالُ اللَّيْلُ ينقصُ ، والنَّهارُ يتزايدُ حتى يعتدلا ، وهو أول الربيع . ثم يشرعُ النَّهارُ يطول ويتزايد والليل يتناقصُ [إلى آخر فصل الربيع ، ثم يتراجعُ الأمر ، وينعكس الحالُ ، فيشرع النهار يتناقصُ والليل في ازدياد][٤] حتى يعتدلا أيضاً في أول فصل الخريف . ثم يشرعُ الليلُ يطولُ ويقصرُ النهار إلى آخر فصل الخريف . ثم يترجَّح النَّهار قليلاً قليلاً ، ويتناقصُ الليل شيئاً فشيئاً حتى يعتدلا في أول فصل الربيع ـ كما قدَّمنا ـ وهكذا في كل عام . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ [المؤمنون : ٨٠] أي : هو المتصرِّفُ في ذلك كلِّه ، الحاكمُ الذي لا يُخالَف ولا يُمانع ، ولهذا يقول في ثلاث آيات عند ذكر السمٰوات والنجوم والليل والنهار ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦][٥] أي : العزيز الذي قد قهرَ كلَّ شيء ، ودانَ له كلُّ شيء ، ولا[٦] يُمانَع ولا يُغالَبُ ، العليمُ بكلِّ شيءٍ ، فقدَّر تقديراً على نظام لا يختلف ولا يضطرب .

وقد ثبتَ في الصحيحين : من حديث سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عزَّ وجلَّ[٧] : يؤذيني ابنُ آدمَ يسبُّ الدهرَ وأنا الدهرُ ، بيدي الأمر أقَلِّبُ اللَّيلَ والنَّهارَ »[٨] وفي رواية : « وأنا الدهرُ أُقَلِّبُ ليلَه ونهاره »[٩] .

قال العلماء : كالشافعي ، وأبي عُبيد القاسم بن سلام ، وغيرهما : يسبُّ الدهرَ ؛ أي : يقولُ : فعلَ بنا الدَّهرُ كذا ، يا خيبةَ الدَّهر ! أيتمَ الأولادَ ، أرْمَلَ النساءَ . قال الله تعالى : « وأنا الدهر » أي : أنا الدهرُ الذي يعنيه ، فإنَّه فاعلٌ ذلك الذي أُسْنِدُه إلى الدهرِ ، والدَّهرُ مخلوقٌ ، وإنما فاعل هذا هو الله ، فهو

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٩٥٤) في الصوم ، ومسلم في صحيحه (١١٠٠) في الصيام ، وأبو داود (٢٣٥١) في الصوم ، والترمذي (٦٩٨) في الصوم . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) في ب : وليس .

(٣) في الأصول : لأجل ؛ ولا وجه لها هنا ، ولعلها التبست بآية أخرى ، كالآية رقم (٢) من سورة الرعد ، أو الآية (١٣) من سورة فاطر .

(٤) مابين حاصرتين سقط من المطبوع .

(٥) و [يس : ٣٨] و [فصلت : ١٢] .

(٦) في ب : فلا .

(٧) زيادة من ب .

(٨) رواه البخاري في صحيحه (٤٨٢٦) في التفسير ، و(٧٤٩١) في التوحيد ، ومسلم في صحيحه (٢٢٤٦) (٢) في الألفاظ .

(٩) رواها مسلم في صحيحه (٢٢٤٦) (٣) في الألفاظ .

يسبُّ فاعلَ ذلك ويعتقدُه الدهر . والله هو الفاعلُ لذلك، الخالقُ لكلِّ شيءٍ ، المتصرِّفُ في كلِّ شيءٍ ، كما قال : « وأنا الدَّهرُ بيدي الأمرُ أُقلِّبُ ليله ونهارَه » وكما قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٢٦ ـ ٢٧] وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٥ـ٦] أي : فاوتَ[١] بين الشمس والقمر في نورهما، وفي شكلهما، وفي وقتهما، وفي سيرهما ، فجعلَ هذا ضياءً ، وهو شعاعُ الشمس برهانٌ ساطعٌ وضوءٌ باهرٌ ظاهرٌ ﴿ وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ أي : أضعف من برهان الشمس ، وجعله مستفاداً من ضوئها ، وقدَّرها منازلَ ، أي : يطلعُ أوَّل ليلةٍ من الشهر صغيراً ضئيلاً ، قليلَ النور لقربهِ من الشمس ، وقلَّةِ مقابلته لها ، فبقدر مقابلتهِ لها يكونُ نورُه ، ولهذا في الليلة الثانية يكونُ أبعدَ منها بضعفِ ما كان في الليلة الأولى ، فيكون نورُه بضعفِ النُّور أوَّل ليلةٍ ، ثمَّ كلما بَعُدَ ازدادَ نورُه ، حتى يتكاملَ إبدارُه ليلةَ مقابلتهِ إيَّاها من المشرقِ ، وذلك ليلةَ أربعَ عشرةَ من الشهر . ثم يشرعُ في النقص لاقترابه إليها من الجهة الأخرى إلى آخر الشهر فيَسْتَسِرُّ[٢] حتى يعودَ كما بدأ في أول الشهر الثاني . فبه[٣] تُعرف الشهورُ، وبالشمس تُعرف الليالي والأيام، وبذلك تعرفُ السنينُ والأعوامُ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس : ٥] . وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٢] وقال تعالى : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

وقد بسطنا القول على هذا كله في « التفسير »[٤] . فالكواكبُ التي في السماء منها سيَّارات ، وهي المتحيزة[٥] في اصطلاح علماء التفسير ، وهو علم غالبُه صحيح ، بخلاف علم الأحكام فإن غالبه باطل ، ودعوى ما لا دليل عليه ، وهي سبعة : القمر في سماء الدنيا ، وعُطارد في الثانية ، والزُّهرة في الثالثة ، والشَّمس في الرابعة ، والمرِّيخ في الخامسة ، والمُشْتري في السادسة ، وزُحَل في السابعة . وبقية الكواكب يُسمونها الثوابت، وهي عندهم في الفلك الثامن، وهو الكرسيُّ في اصطلاح كثير من المتأخرين .

وقال آخـرون : بل الكواكبُ كلُّها في السماء الدنيا ، ولا مانعَ من كون بعضها فوقَ بعضٍ ، وقد

---

(١) في ب : قارب .
(٢) في المطبوع : فيستتر ، واستسرَّ الشيءُ : اختفى ولم يظهر .
(٣) في ب : به .
(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٠٢) .
(٥) في ب : المتحيِّرة . وفي المطبوع : المتخيرة .

يُستدلُّ على هذا بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك : ٥] . وبقوله : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ١٢] فخصَّ سماءَ الدنيا من بينهنَّ بزينةِ الكواكب ، فإنْ دلَّ هذا على كونها مرصَّعةً فيها فذاك ، وإلا فلا مانعَ مما قاله الآخرون ، والله أعلم .

وعندهم أنَّ الأفلاكَ السبعةَ، بل الثمانية، تدورُ بما فيها من الكواكب الثوابت والسيَّارات [في اليوم والليلة دورة كليَّة من الشرق إلى الغرب، وعندهم أن كل واحد من الكواكب السيَّارات](١) يدورُ على خلاف فلكهِ من الغرب إلى الشرق ، فالقمرُ يقطع فلكه في شهر ، والشمس تقطع فلكها ـ وهو الرابع ـ في سنة . فإذا كان السيران ليس بينهما تفاوتٌ ، وحركاتُهما متقاربةٌ ، كان قدرُ السماء الرابعة بقدر السماء الدُّنيا ثنتيْ عشرة مرةً ، وزُحلُ يقطعُ فلكه ـ وهو السابع ـ في ثلاثين سنةً ، فعلى هذا يكون بقدر السماء الدنيا ثلثمئة وستين مرة .

وقد تكلَّموا على مقادير أجرام هذه الكواكب وسيرها وحركاتها ، وتوسَّعوا في ذلك(٢) حتَّى تعدَّوا إلى علم الأحكام، وما يترتَّبُ على ذلك من الحوادث الأرضيَّة، بما لا علمَ لكثيرٍ منهم به . وقد كان اليونانيون الذين كانوا يسكنونَ الشام قبل زمنِ المسيح ـ عليه السلام ـ بدهور لهم في هذا كلامٌ كثير يطولُ بَسْطُه، وهم الذين بنوا مدينةَ دمشق ، وجعلوا لها أبواباً سبعةً ، وجعلوا على رأسِ كلِّ بابٍ هيكلاً على صفة الكواكب السَّبْعة ، يعبدونَ كلَّ واحدٍ في هيكلِه ، ويدعونه بدعاءٍ يأثره عنهم غيرُ واحد من أهلِ التواريخ(٣) وغيرهم .

وذكره صاحبُ كتاب « السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم »(٤) وغيره من علماء الحرنانيين(٥) ـ فلاسفة حرَّان في قديم الزمان ـ وقد كانوا مشركين يعبدونَ الكواكبَ السبعة ، وهم طائفة من الصابئين ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] وقال تعالى إخباراً عن الهُدْهُدِ أنَّه قال لسليمان عليه السلام ، مخبراً عن بلقيسَ وجنودِها ، ملكة سبأ في اليمن وما والاها : ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع .
(٢) في ب : في هذه الأشياء .
(٣) انظر مختصر تاريخ دمشق ؛ لابن منظور (١/ ٤٦) .
(٤) نُسب الكتاب إلى الفخر الرازي ، وقيل : ليس له ، وعليه ردود . انظر كشف الظنون (٢/ ٩٨٩) .
(٥) الحرنانيون : جمع حرنانيّ ؛ نسبة إلى حرَّان ـ على غير القياس ـ وهي مدينة في الجزيرة الفراتية ، بينها وبين الرقة يومان . قال ياقوت : وكانت منازل الصابئة ، وهم الحرَّانيون الذين يكرههم أصحاب كتب الملل والنحل . انظر معجم البلدان (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) والفهرست ؛ لابن النديم (ص٣٨٣) .

وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴾ [النمل : ٢٣ ـ ٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ [الحج : ١٨] وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴾ [النحل : ٤٨ ـ ٥٠] وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴾ [الرعد : ١٥] وقال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] [والآيات في هذا كثيرة جداً][١] .

ولما كان أشرفُ الأجرام المشاهدة في السمٰوات والأرض هي الكواكبُ ، وأشرفهن منظراً ، وأشرفهن معتبراً الشمس والقمر ، استدلَّ الخليلُ على بطلان إلٰهية شيءٍ منهنَّ ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] أي : الغائبين : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٧ ـ ٧٩] فبيَّنَ بطريق البرهان القطعيّ أن هذه الأجرامَ المشاهدة من الكواكب والشمس والقمر لا يصلحُ شيءٌ منها للإلٰهية ، لأنها كلها مخلوقة مربوبةٌ ، مدبَّرة مسخَّرة في سيرها لا تحيد[٢] عما خُلقتْ له ، ولا تزيغ[٣] عنه إلا بتقدير مبيَّن[٤] محرَّرٍ لا يضطرب ولا يختلف . وذلك دليلٌ على كونها مربوبة مصنوعة ، مسخَّرة مقهورة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] وثبتَ في الصحيحين في صلاة الكسوف : من حديث ابن عمر[٥] ، وابن عباس[٦] ، وعائشة[٧] ، وغيرهم من الصحابة[٨] : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في خطبته يومئذ : « إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آياتِ الله عزَّ وجلَّ ، وإنَّهما لا ينكسفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتهِ » .

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من « ب » .
(٢) في أ : لا محيد .
(٣) لا تزيغ : لا تميل .
(٤) في المطبوع : متقن .
(٥) البخاري (١٠٤٢) ، ومسلم (٩١٤) .
(٦) البخاري (١٠٤٦) و(١٠٥٢) و(١٠٥٩) ، ومسلم (٩٠٢) .
(٧) البخاري (١٠٤٦) و(١٠٤٧) و(١٠٥٨) ، ومسلم (٩٠١) .
(٨) ينظر جامع الأصول (٦/١٦٦ ـ ١٩٠) .

وقال البخاري في بدء الخلق[١] : حدَّثنا مُسَدَّد ، حدَّثنا عبدُ العزيز بن المختار ، حدَّثنا عبدُ الله الدَّاناج ، حدَّثني أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « الشمسُ والقمرُ مُكوَّرانِ يومَ القيامة » انفرد به البخاري .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزَّار بأبسطَ من هذا السياق، فقال: حدَّثنا إبراهيمُ بن زياد البغدادي، حدَّثنا يونسُ بن محمد ، حدَّثنا عبدُ العزيز بن المختار ، عن عبد الله الدَّاناج ، سمعتُ أبا سلمة بن عبد الرحمن زمنَ خالد بن عبد الله القَسْري في هذا المسجد مسجدِ الكوفةِ ، وجاء الحسنُ فجلسَ إليه ، يُحدِّث[٢] ، قال : حدَّثنا أبو هريرة ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ الشمسَ والقمرَ ثورانِ في النَّارِ يومَ القيامة »[٣] فقال الحسن : وما ذنبُهما ؟ فقال : أُحدِّثُكَ عن رسول الله ﷺ وتقولُ : وما ذنبُهما ؟ ثم قال البزار : لا يُروىٰ عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، ولم يروِ عبدُ الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث .

وروى الحافظ أبو يعلى المَوْصليّ : من طريق زيد الرقاشي ـ وهو ضعيف ـ عن أنس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الشَّمسُ والقمرُ ثوران عقيران في النار »[٤] .

وقال ابن أبي حاتم : حدَّثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عبد الله الأوديّ ، قالا : حدَّثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن شيخ من بجيلَةَ ، عن ابن عباس ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١] قال : يُكوِّرُ الله الشمسَ والقمرَ والنجومَ يوم القيامة في البحر ، ويبعثُ الله ريحاً دبوراً ، فتضرمها ناراً[٥] .

فدلَّتْ هذه الآثارُ أنَّ الشمسَ والقمرَ من مخلوقاتِ الله خلقَها[٦] لما أراد ، ثم يفعلُ فيها ما يشاء ، وله الحجَّةُ الدامغة والحكمة البالغة ، فلا يُسألُ عما يفعل لعلمه وحكمته ، وقدرته ومشيئته النافذة ، وحكمه الذي لا يُردُّ ولا يُمانَع ولا يُغالَب .

وما أحسنَ ما أورده الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في أول كتاب « السيرة »[٧] من الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل ، في خلق السماء والأرض والشمس والقمر ، وغير ذلك . قال ابن هشام هي لأمية بن أبي الصلت : [من الطويل]

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٠٠) .
(٢) في ب : فحدَّث .
(٣) ذكره الطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٦٦ ـ ٦٧) وإسناده صحيح .
(٤) رواه أبو يعلى في المسند (٤١١٦) وإسناده ضعيف جداً ، فيه : يزيد الرقاشي ضعيف ، ودُرُست بن زياد : منكر الحديث .
(٥) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٢١) طبعة دار الأندلس بيروت .
(٦) في ب : خلقها اللهُ .
(٧) السيرة النبوية ؛ لابن هشام (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩) .

إلى اللهِ أُهدي مدحتي وثنائيا وقوْلاً رَصِيْناً[١] لا يني الدَّهرَ باقيا
إلى الملكِ الأعلى الذي ليسَ فوقَه إلَهٌ ولا ربٌّ يكونُ مُدانيا
ألا أيُّها الإنسانُ إيّاك والرَّدىٰ فإنَّك لا تُخفي من الله خافيا
وإياكَ لا تجعلْ معَ اللهِ غيره فإنّ سبيلَ الرُّشْدِ أصبح بادِيا
حنَانيْكَ إنَّ الجِنّ[٢] كانت[٣] رجاءَهم وأنتَ إلَهي ربُّنا ورَجائيا
رضيتُ بك اللّهم ربّاً فلن أرىٰ أدينُ إلَهاً غيرك الله ثانيا
وأنتَ الذي من فضلِ مَنٍّ ورحمةٍ بعثتَ إلى موسى رَسُولاً مُنادياً
فقلت له : ياأذهب[٤] وهٰرون فادعُوَا إلى اللهِ فرعونَ الذي كانَ طاغيا
وقُولا له أأنت سوّيتَ هذه[٥] بلا وتدٍ حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له أأنتَ رفّعْتَ هَذِهِ بلا عَمدٍ أرْفِقْ إذاً بكَ بَانيا
وقولا له أأنتَ سوّيتَ وَسْطها مُنيراً إذا ما جنَّه اللَّيْلُ هَادِيا
وقُولا له : منْ يرسلُ الشَّمْسَ غُدْوةً فيُصبح ما مسَّتْ منَ الأرضِ ضَاحِيا
وقولا له : منْ يُنبتُ الحبَّ في الثَّرىٰ فيُصبح منه البَقْلُ يهتزُّ رَابيا
ويُخرجُ منه حبَّهُ في رؤوسِه وفي ذاكَ آياتٌ لمنْ كانَ واعِيا
وأنتَ بفضلٍ منكَ نَجيّتَ يُونُساً وقد باتَ في أضْعافِ حُوْتٍ لياليا[٦]
وإني وإنْ[٧] سبّحتُ باسمك ربّنا لأُكْثِرَ إلا ما غفرتَ خَطائيا
فربَّ العِبَادِ ألقِ سَيْباً ورحمةً عليَّ وباركْ في بَنيَّ ومَاليا[٨]

فإذا عُلم هذا ، فالكواكبُ التي في السماء من الثوابت والسيَّارات الجميع مخلوقةٌ منذ خلقها الله تعالى ، كما قال : ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ١٢] .

---

(١) في ب : رضيّاً .
(٢) في السيرة : الحنّ ؛ بالحاء . وفي اللسان : الحنُّ : بالكسر ، حيٌّ من الجن ، يُقال : منهم الكلاب السود البهم ، وقيل : ضرب من الجن .
(٣) في الديوان : كنت رجاءهم .
(٤) ياأذهبْ : على تقدير : يا هذا اذهبْ . وفي المطبوع : اذهبْ .
(٥) المراد بـ هذه : الأرض .
(٦) أضعاف حوت : جوف الحوت .
(٧) في الديوان والمطبوع : ولو .
(٨) سَيْباً : عطاء .

وأما ما يذكره كثيرٌ من المفسرين[١] في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراودَاها على نفسها ، فأبتْ إلا أن يعلِّماها الاسم الأعظم ، فعلَّماها ، فقالتْه ، فرُفعتْ[٢] كوكباً إلى السماء ، فهذا أظنُّه من وضع الإسرائيليِّين ، وإن كان قد أخرجَه كعبُ الأحبار ، وتلقَّاه عنه طائفةٌ من السلف ، فذكروه على سبيل الحكاية والتَّحديث عن بني إسرائيل .

وقد روى الإمام أحمد[٣] ، وابن حبَّان في « صحيحه »[٤] : في ذلك حديثاً ، رواه أحمد عن يحيى بن أبي بُكير ، عن زهير بن محمد ، عن موسى بن جبير ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ ، وذكرَ القِصَّةَ بطولها . وفيه : « فمثِّلَتْ لهما الزهرةُ امرأةً من أحسن البشر ، فجاءَتْهما ، فسألاها نفسها . . » وذكرَ القصة[٥] .

وقد رواه عبد الرزاق في « تفسيره »[٦] عن الثوري ، عن موسى بن عُقْبة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن كعب الأحبار ، به . وهذا أصحُّ وأثبتُ .

وقد روى الحاكم في « مستدركه » ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » : عن ابن عباس . . فذكرَه ، وقال فيه : وفي ذلك الزمان امرأة حسنُها في النساء كحُسْن الزهرة في سائر الكواكب . . وذكرَ تمامه[٧] . وهذا أحسنُ لفظٍ روي في هذه القصة ، والله أعلم .

وهكذا الحديثُ الذي رواه الحافظ أبو بكر البزَّار : حدَّثنا محمد بن عبد الملك الواسطي ، حدَّثنا يزيد ابن هارون ، حدَّثنا مبشر بن عُبيد ، عن يزيد بن أسلم ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ (ح) وحدَّثنا عمرو ابن عيسى حدَّثنا عبد الأعلى ، حدثنا إبراهيمُ بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر : أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكرَ سُهيلاً فقال : « كان عشَّاراً ظلوما ، فمسَخه الله شهاباً »[٨] ثم قال : لم يروه عن يزيد بن أسلم إلا

---

(١) انظر تفسير الطبري (١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤) .
(٢) في ب : فرجعتْ كوكباً في السماء .
(٣) في المسند (٢/ ١٣٤) .
(٤) ابن حبان (٦١٨٦) .
(٥) إسناده ضعيف ومتنه باطل ، وهو من قصص كعب الأحبار المنقولة عن كتب يهود .
(٦) تفسير عبد الرزاق (١/ ٥٣) ورواه الطبري (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) وابن كثير في التفسير (١/ ١٧٤) وقال : فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر ، وسالم أثبت في أبيه من مولاه نافع ، فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار ، عن كتب بني إسرائيل .
(٧) المستدرك (٤/ ٦٠٧ ـ ٦٠٨) وصححه ، وتعقبه الذهبي فقال : وتركُ حديث يحيى من المحالات التي يردُّها العقل ، قال النسائي : متروك . وقال أبو حاتم : منكر الحديث .
(٨) كما في كشف الأستار (٩٠٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٨٨) : رواه البزار وضعَّفه ، لأن في روايته إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو متروك ، وفي الأخرى مُبَشِّر بن عُبيد ، وهو متروك أيضاً .

مبشر بن عبيد ، وهو ضعيف الحديث ، ولا عن عمرو بن دينار إلا إبراهيم بن يزيد وهو لَيِّن الحديث .

وإنما ذكرناه على ما فيه من عِلَّة ، لأنا لم نحفظْه إلا من هذين الوجهين .

قلت : أما مُبَشِّرُ بن عُبيد القرشي ، أبو حفص الحمصي ، وأصلُه من الكوفة ، فقد ضعَّفه الجميع[١] ، وقال فيه الإمام أحمد[٢] والدارقطني[٣] : كان يضعُ الحديثَ ويكذبُ .

وأما إبراهيم بن يزيد هذا فهو الخوزيّ ، وهو ضعيفٌ باتفاقهم ، قال فيه أحمد[٤] والنسائي[٥] : متروك . وقال ابن مَعين[٦] : ليس بثقة وليس بشيء ، وقال البخاريُّ[٧] : سكتوا عنه . وقال أبو حاتم وأبو زُرْعة[٨] : منكرُ الحديث ضعيف .

ومثلُ هذا الإسناد لا يثبتُ به شيء بالكُلِّية : وإذا حسَّنا[٩] الظنَّ قلنا : هذا من أخبار بني إسرائيل ، كما تقدَّم من رواية ابن عمر عن كعبِ الأحبار . ويكونُ من خرافاتهم التي لا يُعوَّلُ عليها ، والله أعلم .

الكلام على المَجَرَّة وقَوْس قُزَح

قال أبو القاسم الطبراني[١٠] : حدَّثنا عليُّ بن عبد العزيز ، حدَّثنا عارمُ أبو النعمان ، حدَّثنا أبو عَوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : أنَّ هرقلَ كتبَ إلى معاويةَ ، وقال : إنْ كان قد بقيَ فيهم شيء من النبوة فسَيُخْبِرُني عما أسألُهم عنه . قال : فكتب إليه يسألُه عن المجرَّة ، وعن القوس ، وعن البقعة التي لم تُصبها الشَّمْسُ إلا ساعة واحدةً . قال : فلما أتى معاويةَ الكتابُ والرسولُ ، قال : إنَّ هذا لشيءٌ ما كنتُ آبَهُ له أن أسألَ عنه إلى يومي هذا ؟ منْ لهذا ؟ قيل : ابن عباس ، فطوى معاويةُ كتابَ هرقل ، فبعثَ به إلى ابن عباس ، فكتبَ إليه : إنَّ القوسَ أمانٌ لأهل الأرض من الغَرَق ، والمجرَّة بابُ السماء الذي تنشقُّ[١١] منه . وأما البقعةُ التي لم تُصِبْها الشَّمْسُ إلا ساعةً من النهار فالبحرُ الذي أُفرجَ عن بني إسرائيل . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه .

---

(١) ينظر تهذيب الكمال (٢٧/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .
(٢) العلل ومعرفة الرجال (١/ ٣٨٢) .
(٣) الضعفاء والمتروكون ، الترجمة (٥٠٠) .
(٤) الجرح والتعديل ١/ الترجمة (٤٨٠) وتهذيب الكمال (٢/ ٢٤٣) .
(٥) الضعفاء والمتروكون ، الترجمة (١٤) .
(٦) تاريخ الدوري عن ابن معين (٢/ ١٨) .
(٧) تاريخه الكبير ١/ الترجمة (١٠٥٨) .
(٨) الجرح والتعديل ١/ الترجم (٤٨٠) .
(٩) في ب : أحسنا .
(١٠) المعجم الكبير (١٠٥٩١) .
(١١) وكذا في المعجم الكبير ، وفي أ : ينشق ، وفي ب : ينبثق .

فأما الحديث الذي رواه الطبراني[١] : حدَّثنا أبو الزِّنْباع ـ روح بن الفَرَج ـ حدَّثنا إبراهيم بن مَخْلد ، حدَّثنا الفضلُ بن المختار ، عن محمد بن مسلم الطَّائفي ، عن ابن أبي نجيح ، عن مُجاهد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ !! إنِّي مُرْسلكَ إلى قوم أهل كتاب ، فإذا سُئلتَ عن المجرَّة التي في السماء ، فقل : هي لُعابُ حَيَّة ، تحتَ العرشِ » ، فإنه حديث منكر جداً ، بل الأشبهُ أنه موضوع[٢] ، وراويه الفضلُ بن المختار هذا أبو سهل البصري ، ثم انتقلَ إلى مصر ، قال فيه أبو حاتم الرازي[٣] : هو مجهول حدَّث بالأباطيل . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي[٤] : منكر الحديث جداً . وقال ابن عديّ[٥] : لا يُتابع على أحاديثه لا متناً ولا إسناداً .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٢ ـ ١٣] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

وروى الإمام أحمد[٦] : عن يزيد بن هارون ، عن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن شيخ من بني غِفَار ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إنَّ الله يُنشىء السَّحابَ ، فينطقُ أحسنَ النُّطقِ ، ويضحكُ أحسنَ الضَّحكِ » .

وروى موسى بن عُبيدة : عن سعد بن إبراهيم ؛ أنه قال : إنَّ نُطْقَه الرَّعْدُ وضَحِكَهُ البرقُ[٧] .

وقال ابن أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا هشامُ بن عُبيد الله الرازي ، عن محمد بن مسلم ، قال : بلغنا أنَّ البرقَ مَلَكٌ ، له أربعةُ وجوه : وجهُ إنسانٍ ، ووجهُ ثورٍ ، ووجهُ نَسْرٍ ، ووجهُ أسدٍ ، فإذا مَصَعَ[٨] بذنبِهِ فذاك[٩] البرق[١٠] .

---

(١) المعجم الكبير (١٧٥٤) .
(٢) وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢١٠) رقم (٢٩٦) .
(٣) العلل لابنه (٢٣٤٩) ، وميزان الاعتدال (٣/ ٣٥٨) .
(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٥٨) .
(٥) الكامل (٦/ ٢٠٢٤) .
(٦) في المسند (٥/ ٤٣٥) وإسناده صحيح ، وجهالة الصحابي لا تضر .
(٧) موسى بن عبيدة الربذي ضعيف ، لكن رواه أبو الشيخ في العظمة (٧٢٣) من طريق سليمان بن داود الهاشمي ـ وهو ثقة ـ قال : سألنا إبراهيم بن سعد ، فذكره .
(٨) مصع : مَصَعت الدَّابَّة بذنبها : حرَّكته وضربت به . ومصعَ البرقُ : لمع .
(٩) في ب : فذاك .
(١٠) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٦٢٢) .

وقد روى الإمام أحمد[١] والترمذي[٢] والنسائي[٣] والبخاري في كتاب الأدب[٤] والحاكم في « مستدركه »[٥] من حديث الحجَّاج بن أرطاة، حدَّثني ابن مطر، عن سالم، عن أبيه، قال: كان رسولُ الله إذا سمعَ الرعدَ والصَّواعقَ قال: « اللَّهُمَّ لا تقتلْنا بغضبكَ، ولا تُهْلكنا بعذابك، وعافِنا قبلَ ذلكَ »[٦].

وروى ابنُ جرير: من حديث ليث، عن رجل، عن أبي هريرة رفعَه، كان إذا سمعَ الرعدَ قال: « سبحانَ منْ يُسَبِّحُ الرّعدُ بحمدِه »[٧].

وعن عليّ أنه كان يقول: سبحانَ منْ سَبَّحْتَ له. وكذا عن ابن عباس، والأسود بن يزيد، وطاووس، وغيرهم[٧].

وروى مالك[٨]: عن عامرِ بن عبد الله بن الزبير: أنه كانَ إذا سمعَ الرعدَ تركَ الحديثَ، وقال: سبحانَ منْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بحمدِه والملائكةُ من خيفته، ويقول: إنَّ هذا وعيدٌ شديدٌ لأهلِ الأرض.

وروى الإمام أحمد[٩]: عن أبي هريرة؛ أن رسولَ الله ﷺ قال: « قال ربُّكم: لو أنَّ عبيدي أطاعُوني لأسقيتُهم المطرَ باللَّيل، وأطلعتُ عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتُهم صوتَ الرَّعْدِ. [وروى الطبراني عن ابن عبَّاس مرفوعاً: إذا سمعتُم الرعدَ] فاذكروا الله، فإنه لا يُصيب ذاكراً »[١٠]. وكلُّ هذا مبسوطٌ في « التفسير »[١١] ولله الحمدُ والمنَّة.

* * *

(١) في مسنده (٢/ ١٠٠).

(٢) في جامعه (٣٤٥٠).

(٣) في عمل اليوم والليلة (٩٢٧) و(٩٢٨).

(٤) الأدب المفرد (٧٢١).

(٥) المستدرك (٤/ ٢٨٦).

(٦) في إسناده أبو مطر، شيخ الحجاج بن أرطاة، وهو مجهول، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٧) تفسير الطبري (٧/ ٣٦٠) وحديث أبي هريرة في إسناده رجل مبهم.

(٨) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٢) وفيه: ثم يقول: إنَّ هذا لوعيدٌ لأهل الأرض شديدٌ. وهو موقوف، من كلام عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

(٩) في المسند (٢/ ٣٥٩) ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٦) وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: صدقة بن موسى الدقيقي؛ ضعفوه.

(١٠) رواه الطبراني في الدعاء (٩٨٢) وفي المعجم الكبير (١١/ ١٦٤) وإسناده ضعيف، فيه يحيى بن كثير، وعبد الكريم أبو أمية؛ ضعيفان. وانظره في المجمع (١٠/ ١٣٦).
وما بين حاصرتين سقط من المطبوع.

(١١) انظر تفسير القرآن العظيم؛ للحافظ ابن كثير (٢/ ٦٢٢ ـ ٦٢٣).

باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم
عليهم السلام

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ـ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشورى : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [غافر : ٧ـ٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ ﴾ [فصلت : ٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [الأعراف : ٢٠٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٩ـ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات : ١٦٤ ـ ١٦٦] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم : ٦٤] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار : ١٠ ـ ١٢] وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [المدثر : ٣١] وقال تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٣ ـ ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر : ١] وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٥ـ٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٢١ـ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٨] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

والآيات في ذكر الملائكة كثيرة جداً ، يصفُهم تعالى بالقوة في العبادة ، وفي الخَلْق وحسن المنظر ، وعظمة الأشكال ، وقوة التشكُّل[١] في الصور المتعدِّدة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود : ٧٧ ـ ٧٨] الآيات ، فذكرنا في « التفسير »[٢] ما ذكرَه غيرُ واحد من العلماء ، من أن الملائكة تَبدَّوْا لهم في صورة شبابٍ حِسَانٍ امتحاناً واختباراً ، حتى قامت على قوم لوط الحجَّة ، وأخذَهم الله أخذَ عزيز مقتدر .

وكذلك كان جبريلُ يأتي إلى النبيِّ ﷺ في صفاتٍ متعدِّدة ، فتارةً يأتي في صورة دِحْيةَ بن خليفة الكَلْبيِّ ، وتارةً في صورة أعرابيٍّ ، وتارةً في صورتِه التي خُلِقَ عليها ، له ستمئة جناح ، ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ، كما رآه على هذه الصفة مرتين ، مرَّة منهبطاً من السماء إلى الأرض ، وتارة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، وهو قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النجم : ٥ ـ ٨] أي : جبريل كما ذكرناه عن غير واحد من الصحابة ، منهم : ابن مسعود ، وأبو هريرة ، وأبو ذر ، وعائشة ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ٩ ـ ١٠] أي : إلى عبد الله محمد ﷺ ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٣ ـ ١٧] .

وقد ذكرنا في أحاديث[٣] الإسراء في سورة « سبحان » أنَّ سدرةَ المنتهى في السماء السابعة . وفي رواية : في السادسة ، أي : أصلُها وفروعها في السابعة . « فلما غشيها من أمر الله ما غشيَها » قيل : غشيَها نورُ الرب ـ جلَّ جلاله ـ وقيل : غشيها فراش من ذهب . وقيل : غشيَها ألوانٌ متعدِّدة كثيرة غير منحصرة . وقيل : غشيَها الملائكة مثل الغربان . وقيل : غشيها من الله[٤] أمرٌ فلا يستطيعُ أحدٌ أن ينعتَها . أي : من حسنها وبهائها .

---

(١) في المطبوع : الشكل .
(٢) تفسير القرآن العظيم ؛ للحافظ ابن كثير (٢/٥٥٨) .
(٣) المصدر السابق (٣/٦ ـ ٣١) .
(٤) في المطبوع : من نور الله تعالى .

ولا منافاة بين هذه الأقوال ، إذ الجميع ممكنٌ حصوله في حال واحدة .

وذكرنا أن رسول الله ﷺ قال : « ثم رُفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نَبْقُها كالقلال » . وفي رواية : « كقِلال هَجَرَ ، وإذا ورقُها كآذان الفيلة ، وإذا يخرجُ من أصلِها نهران باطنان ، ونهران ظاهران ؛ فأما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » .

وتقدَّم الكلامُ على هذا في ذكر خلق الأرض(١) وما فيها من البحار والأنهار . وفيه : « ثم رُفعَ لي البيتُ المعمورُ ، وإذا هو يدخلُه في كلِّ يومٍ سبعونَ ألفَ ملكٍ ثم لا يعودون إليه آخرَ ما عليهم »(٢) .

وذكر أنه وجد إبراهيمَ الخليل عليه السلام مُسْنِداً(٣) ظهرَه إلى البيت المعمور .

وذكرنا(٤) وجهَ المناسبة في هذا : أن البيت المعمور هو في السماء السابعة بمنزلة الكعبة في الأرض .

وقد روى سفيانُ الثوريُّ ، وشعبةُ ، وأبو الأحوص : عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عَرْعرةَ ، أن ابن الكَوَّاء سألَ عليَّ بن أبي طالب عن البيت المعمور ، فقال : هو مسجد في السماء ، يُقالُ له « الضُّراح » وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حرمتُه في السماء كحرمةِ البيت في الأرض ، يُصلِّي فيه كلَّ يومٍ سبعون ألفاً من الملائكة ، لا يعودون فيه أبداً(٥) .

وهكذا روى عليُّ بن ربيعة وأبو الطفيل ، عن عليٍّ ، مثله(٦) .

وقال الطبراني(٧) : حدثنا الحسنُ بن علويه القطَّان ، حدَّثنا إسماعيلُ بن عيسى العطَّار ، حدَّثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة ، حدَّثنا ابن جُرَيْج ، عن صفوان بن سليم ، عن كريب ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « البيتُ المعمورُ في السماء يُقال له : الضُّرَاحُ ، وهو على مثل البيت الحرام بحياله ، لو سقط لسقط عليه ، يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك ، ثم لا يرونه قطُّ ، فإن له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة » . يعني في الأرض .

---

(١) تقدم الحديث وتخريجه (ص٤٦) .

(٢) حديث الإسراء بعد مجاوزته ﷺ السماء السابعة ، وبلوغه سدرة المنتهى . . . أخرجه البخاري في الصلاة (٣٤٩) ومسلم في الإيمان (١٦٢) .

(٣) في المطبوع : مستنداً .

(٤) انظر تفسيره (٤/ ٢٨٢) .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٨٢) .

(٦) المصدر السابق (٤/ ٢٨٢) .

(٧) في المعجم الكبير (١٢١٨٥) ، وفي ألفاظه خلاف يسير ، وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٤) وفيه إسحاق بن بشر ـ أبو حذيفة ـ وهو متروك . وفيه عنعنة ابن جريج .

وهكذا قال العُوفيُّ : عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والربيع بن أنس ، والسُّدي ، وغير واحد[١] .

وقال قتادةُ : ذُكِرَ لنا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال يوماً لأصحابه : « هل تدرون ما البيتُ المعمورُ ؟ قالوا : الله ورسولُه أعلم . قال : فإنه مسجدٌ في السماء بحيال الكعبة ، لو خرَّ لخرَّ عليها ، يُصلِّي فيه كلَّ يومٍ سبعون ألف مَلكٍ ، إذا خرجوا منه لم يعودوا آخرَ ما عليهم »[٢] .

وزعمَ الضَّحاكُ أنه تعمره طائفةٌ من الملائكة يُقال لهم الجِنُّ ، من قبيلة إبليس[٣] ـ لعنه الله ـ كأنه يقول : سدنته وخدَّامه منهم . والله أعلم .

وقال آخرون : في كل سماء بيت يعمـره ملائكتُه بالعبادة فيه ، ويفدون إليه بالنَّوبة والبدل ، كما يعمرُ أهلُ الأرض البيتَ العتيقَ بالحجِّ قي كل عام ، والاعتمار في كل وقت ، والطواف والصلاة في كل آن .

قال سعيدُ بن يحيى الأموي في أوائل كتابه « المغازي » : حدَّثنا أبو عبيد في حديث مجاهد « أن الحَرَمَ حرام ، مناه ـ يعني قدره ـ من السموات السبع والأرضين السبع ، وأنه رابع أربعة عشر بيتاً ، في كل سماء بيت وفي كل أرض بيت ، لو سقطت سقطَ بعضُها على بعض » .

ثم روى عن مجاهد أنه قال : مناه ؛ أي : مقابله ، وهو حرف مقصور .

ثم قال : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا الأعمش ، عن أبي سليمان ـ مؤذِّن الحجَّاج ـ سمعتُ عبدَ الله بن عمرو يقول : إنَّ الحرمَ لمُحرَّمٌ في السموات السبع ، مقدارُه من الأرض ، وإنَّ بيت المقدسِ يُقَدَّسُ في السمواتِ السبع ، مقدارُه من الأرض . قال بعض الشعراء : [من الكامل]

إنَّ الذي سَمكَ السَّماء بَنى لنا   بَيْتـاً دَعـائمـهُ أشـدُّ وأطْـولُ

واسمُ البيت الذي في السماء الدنيا بيتُ العزة ، واسم الملك الذي هو مُقدَّم الملائكة فيها إسماعيل .

فعلى هذا يكون السبعون ألفاً من الملائكة الذين يدخلون في كل يوم إلى البيت المعمور ثم لا يعودون إليه آخرَ ما عليهم ، أي : لا يحصلُ لهم نوبة فيه إلى آخر الدهر ، يكونون من سكان السماء السابعة وحدها ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا أسودُ بن عامر ، حدَّثنا إسرائيلُ ، عن إبراهيمَ بن مُهَاجر ، عن مُجاهد ، عن مُورِّق ، عن أبي ذرٍّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٨٢) .
(٢) المصدر السابق (٤/ ٢٨٢) .
(٣) المصدر السابق (٤/ ٢٨٢) .

أطّتِ السَّماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ما فيها موضعُ أربع أصابعَ إلا عليه مَلَكٌ ساجدٌ ، لو علمتُم ما أعلمُ لضحكتُم قليلاً ولَبَكَيْتُم كثيراً ، ولما تلذَّذْتُم بالنساء على الفُرُشات ، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرونَ إلى الله عزَّ وجلَّ »[١] . فقال أبو ذر : واللهِ لوددتُ أني شجرةٌ تُعْضدُ[٢] .

ورواه الترمذي وابنُ ماجهَ من حديث إسرائيل ، فقال الترمذي : حسن غريب ويُروى عن أبي ذر موقوفاً[٢] .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدَّثنا حُسين بن عرفةَ المصري ، حدَّثنا عُروةُ بن مروان العِرْقي ، حدَّثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم بن مالك ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما في السمواتِ السبع موضعُ قَدَمٍ ولا شِبْرٍ ولا كفٍّ إلا وفيه مَلَكٌ قائم ، أو مَلكٌ ساجدٌ[٣] ، أو ملَكٌ راكعٌ ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً : ما عبدناك حقَّ عبادتِكَ إلا أنّا لا نُشرِكُ[٤] بكَ شيئاً »[٥] .

فدلَّ هذان الحديثان على أنَّه ما من موضع في السمواتِ السبع إلا وهو مشغول بالملائكة ، وهم في صنوف العبادات ، منهم من هو قائم أبداً ، ومنهم من هو راكعٌ أبداً ، ومنهم من هو ساجدٌ أبداً ، ومنهم من هو في صنوفٍ أُخر . اللهُ أعلمُ بها . وهم دائبونَ في عبادتهم وتسبيحِهم وأذكارِهم وأعمالِهم التي أمرَهم الله بها ، وهم منازلُ عندَ ربِّهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات : ١٦٤ ـ ١٦٦] . وقال ﷺ : « ألا تصُفُّونَ كما تصفُّ الملائكةُ عندَ ربّهم » . قالوا : وكيفَ يصفُّون [عند ربِّهم][٦] قال : « يُكمِّلونَ الصفوفَ الأُوَل ، ويتراصُّون في الصف »[٧] . وقال : « فُضِّلنا على الناس بثلاث . جُعِلتْ لنا الأرضُ مَسْجداً ، وتُرْبَتُها لنا طَهوراً ، وجُعلتْ صفوفُنا كصفوفِ المَلائكة »[٨] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٧٣) والترمذي في الجامع (٢٣١٢) في الزهد ، وابن ماجه في سننه (٤١٩٠) وهو حديث حسن ، دون قوله : والله لوددت أني شجرة تعضد ، فهي مدرجة من قول أبي ذر في الزهد ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٥٢) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٤) وصححه ، ووافقه الذهبي .
وتجأرون : ترفعون أصواتكم بالدعاء . تُعضد : تُقطع .

(٢) هذه الجملة مدرجة من كلام أبي ذر .

(٣) في المعجم الكبير (٢/ ١٨٤) : أو ملكٌ راكعٌ ، أو مَلكٌ ساجدٌ .

(٤) في المعجم الكبير : إلا أنَّا لم نُشرك .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٨٤) وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ٥٢) وقال : فيه عروة بن مروان . قال الدارقطني : كان أميا وليس بالقوي في الحديث . ميزان الاعتدال (٣/ ٦٤) .

(٦) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٣٠) في الصلاة ، وأبو داود في سننه (٦٦١) في الصلاة ، والنسائي في سننه (٢/ ٩٢) في الإمامة .

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٢٢) (٤) في المساجد ، عن حذيفة رضي الله عنه .

وكذلك يأتونَ يومَ القيامةِ بين يدي الربِّ جلَّ جلالُه صفوفاً كما قال تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ويقفونَ صفوفاً بين يديْ ربِّهم عزَّ وجلَّ يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] . والمرادُ بالروح هاهنا : بنو آدم ، قاله ابن عباس والحسنُ وقتادة[١] . وقيل : ضربٌ من الملائكة يُشبهون بني آدم في الشكل ، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش . وقيل : جبريل ، قاله الشعبيُّ ، وسعيد بن جُبَيْر ، والضحَّاك . وقيل : مَلَكٌ يُقال له : الروح ، بِقَدْرِ جميع المخلوقات . قال عليُّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾ [النبأ : ٣٨] قال : هو مَلَكٌ من أعظم الملائكة خَلْقاً[٢] .

وقال ابنُ جرير[٣] : حدَّثني محمد بن خلف العسقلاني ، حدَّثنا روَّاد بن الجرَّاح ، عن أبي حمزةَ ، عن الشعبيِّ ، عن علقمةَ ، عن ابن مسعود ، قال : الرُّوح في السماء الرابعة ، هو أعظم من السماواتِ ومن الجبالِ ، ومن الملائكةِ ، يُسبِّح كلَّ يومٍ اثنيْ عشرَ ألف تسبيحةٍ ، يخلقُ الله من كُلِّ تسبيحةٍ مَلَكاً من الملائكة ، يجيءُ يومَ القيامة صفّاً وحدَه . وهذا غريب جداً .

وقال الطبراني[٤] : حدَّثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصريّ ، حدَّثنا وَهْبُ الله بن رزق أبو هُبيرة ، حدَّثنا بِشْرُ بن بكْر ، حدَّثنا الأوزاعيُّ ، حدَّثني عطاء ، عن عبد الله بن عباس ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ لله مَلَكاً لو قيلَ له التقمِ السمواتِ والأرضينَ بلقمةٍ واحدةٍ لفَعلَ ، تسبيحُه : سبحانَكَ حيثُ كنتَ » وهذا أيضاً حديث غريب جداً ، وقد يكون موقوفاً .

وذكرنا في صفةِ حمَلَة العرش : عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أُذِنَ لي أنْ أُحدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكةِ الله من حملةِ العَرْش ، إنَّ ما بينَ شحمة أذنهِ إلى عاتقهِ مسيرةُ سبعمئة عام » . رواه أبو داود[٥] ، وابن أبي حاتم ، ولفظه : « مَخْفقُ الطَّيْرِ سبعمئة عام »[٦] .

وقد وردَ في صفة جبريلَ عليه السلام أمرٌ عظيمٌ ، قال الله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم : ٥] قالوا : كان من شدة قوَّتهِ أنه رفعَ مدائنَ قوم لوط ، وكُنَّ سبعاً ، بمن فيها من الأمم ، وكانوا قريباً من

---

(١) تفسير القرآن العظيم ؛ لابن كثير (٤/ ٥٤٩) .
(٢) المصدر السابق (٤/ ٥٤٩) .
(٣) في تفسيره (١٢/ ٤١٥) .
(٤) في المعجم الكبير (١١/ ١٩٥) وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ٨٠) وقال : تفرَّد به وَهْبُ الله بن رزق ، وهو مجهول .
(٥) في سننه (٤٧٢٧) في السنة ، وأخرجه أبو يعلى في المسند (٦٦١٩) وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٣٥) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .
(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٩) وقال : وهذا إسناد جيد ، رجاله كلهم ثقات .

أربعمئة ألف ، وما معهم من الدوابِّ والحيوانات ، وما لتلكَ المدنِ من الأراضي والمعتملات والعمارات ، وغير ذلك . رفعَ ذلكَ كلَّه على طرفِ جناحه حتى بلغَ بهنَّ عَنانَ السماءِ ، حتى سمعتِ الملائكةُ نُباح كلابهم ، وصياح ديكتهم ، ثم قلبَها ، فجعلَ عاليَها سافلَها ، فهذا هو شديدُ القوى .

وقوله ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ [النجم : ٦] أي : ذو خُلُقٍ حسن وبَهاءٍ وسَناءٍ ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة : ٤٠] أي : جبريل ، رسولٌ من الله ، كريمٌ : أي : حسن المنظر ، ذي قُوَّة : أي : له قوَّةٌ وبأسٌ شديد ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير : ٢٠] أي : له مكانةٌ ومنزلةٌ عالية رفيعة عند الله ذي العرش المجيد . ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ ﴾ [التكوير : ٢١] أي : مُطاعٍ في الملأ الأعلى ﴿ أَمِينٍ ﴾ [التكوير : ٢١] أي : ذي أمانةٍ عظيمةٍ ، ولهذا كان هو السفير بين الله وبين أنبيائه عليهم السلام ، الذي ينزلُ عليهم بالوحي ، فيه الأخبارُ الصَّادقةُ ، والشرائعُ العادلة . وقد كان يأتي إلى رسول الله ﷺ ، وينزلُ عليه في صفاتٍ متعدِّدة كما قدَّمنا . وقد رآه على صفته التي خلقَه الله عليها مرتين ، له ستمئة جناح ، كما روى البخاري[(١)] : عن طَلْقِ بن غنَّام عن زائدةَ ، عن الشَّيْبانيّ ، قال : سألتُ زِرّاً عن قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ٩ ـ ١٠] . فقال : حدَّثنا عبدُ الله ـ يعني ابنَ مسعود ـ أنَّ محمّداً[(٢)] ﷺ رأى جبريلَ له ستمئة جناح .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا يحيى بن آدم ، حدَّثنا شريك ، عن جامع بن أبي راشد ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : رأى رسولُ الله ﷺ جبريلَ في صورته وله ستمئة جناح ، كلُّ جناحٍ منها قد سدَّ الأفقَ ، يسقط من جناحه من التهاويل ، من الدرِّ والياقوت ما الله به عليم[(٣)] .

وقال أحمد أيضاً[(٤)] : حدَّثنا حسن بن موسى ، حدَّثنا حمَّاد بن سَلَمة ، عن عاصِم بن بَهْدلةَ ، عن زِرِّ بن حُبَيْش ، عن ابن مسعود في هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم : ١٣ ـ ١٤] قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ جبريلَ وله ستمئة جناح ، يَنْتَثِرُ من ريشِه التَّهاويلُ ، الدُّرُّ والياقُوت » .

وقال أحمد[(٥)] : حدَّثنا زيدُ بن الحباب ، حدَّثنا الحسينُ ، حدَّثني عاصمُ بن بَهْدلة ، سمعتُ شقيقَ بن سَلَمة ، يقولُ : سمعتُ ابن مسعود يقول : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ جبريلَ على سِدْرة المُنْتهى ، وله

---

(١) في صحيحه (٤٨٥٧) في التفسير .
(٢) في البخاري (أنه محمد ﷺ) .
(٣) لم أجده في المسند بهذا الإسناد ، وإنما أخرجه (١/ ٣٩٥) رقم (٣٧٤٨) عن حجَّاج ، عن شريك ، عن عاصم ، به . وأخرجه (١/ ٤٠٧) رقم (٣٨٦٢) عن زيد بن حباب ، عن حسين ، عن عاصم ، عنه ، نحوه .
وانظر أطراف المسند ، للحافظ ابن حجر (٤/ ١٥٨) رقم (٥٥٥٠) طبعة دار ابن كثير ودار الكلم الطيب (١٤١٤هـ) . والتهاويل : الأشياء المختلفة الألوان .
(٤) في المسند (١/ ٤٦٠) وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٥٤٢) . (٥) في المسند (١/ ٤٠٧) .

سِتُّمئةِ جَناح » قال : فسألتُ عاصماً عن الأجنحة ؟ فأبى أن يُخبرني ، قال : فأخبرني بعضُ أصحابه : أنَّ الجناحَ ما بينَ المَشْرقِ والمغربِ .

وهذه أسانيد جيدة قوية انفرد بها أحمد .

وقال أحمد[١] : حدَّثنا زيدُ بن الحباب ، حدَّثني حسين ، حدَّثني حُصَيْن ، حدَّثني شقيق ، سمعتُ ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريلُ في خُضرٍ[٢] مُعلَّقٍ به الدُّرُّ » . إسناده صحيح .

وقال ابن جرير[٣] : حدَّثنا ابن بزيع البغدادي ، قال : حدَّثنا إسحاق بن منصور ، قال : حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم : ١١] قال : رأى رسولُ الله ﷺ جبريلَ عليه حلَّتا رفرف قد ملأ ما بينَ السماء والأرض . إسناد جيد قوي .

وفي الصحيحين[٤] : من حديث عامر الشعبيّ ، عن مسروق ، قال : كنتُ عند عائشةَ فقلتُ : أليسَ الله يقولُ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣] ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣] فقالت : أنا أوَّلُ هذه الأمة سألَ رسولَ الله ﷺ عنها ، فقال : « إنما ذاك جبريلُ » لم يره في صورته التي خُلِقَ عليها إلا مرتين ، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ، سادّاً عظمُ خلقه ما بينَ السماء والأرض .

وقال البخاريُّ[٥] : حدَّثنا أبو نُعيم ، حدَّثنا عمرُ بن ذرّ (ح) وحدَّثني يحيى بن جعفر ، حدَّثنا وكيعٌ ، عن عمرَ بن ذرٍّ ، عن أبيه ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : « ألا تزورنا أكثرَ مما تزورُنا ؟ قال : فنزلت ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [مريم : ٦٤] الآية » .

وروى البخاريُّ[٦] : من حديث الزهريّ ، عن عُبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناس ، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريلُ ، وكان يلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضان ، فيدارسُه القرآنَ ، فلرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخير من الرِّيح المرسلة .

وقال البخاري[٧] : حدَّثنا قُتَيْبة ، حدَّثنا اللَّيْثُ ، عن ابن شهاب ، أن عمرَ بن عبد العزيز أخَّر العصرَ شيئاً ، فقال له عروةُ : أما إنَّ جبريلَ قد نزلَ فصلَّى أمامَ رسول الله ﷺ ، فقالَ عمر : أعلمُ ما تقولُ يا عروةُ : قال : سمعت بشير بن أبي مسعود يقولُ : سمعتُ أبا مسعود يقولُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) في المسند (١/ ٤٠٧) .
(٢) معنى : في خُضْرٍ : في ثياب خضر .
(٣) في تفسيره (١١/ ٥١٠) .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٨٥٥) في التفسير ، ومسلم (١٧٧) في الإيمان .
(٥) في صحيحه (٣٢١٨) في بدء الخلق .
(٦) في صحيحه (٦) في بدء الوحي .
(٧) في صحيحه (٣٢٢١) في بدء الخلق .

يقول : « نزلَ جبريلُ فأمَّني ، فصلَّيْتُ معه ، ثمَّ صلَّيتُ معه ، ثم صلَّيتُ معه ، ثم صلَّيتُ معه ، يحسبُ بأصابعه خمسَ صلواتٍ » .

ومن صفة إسرافيل عليه السلام ، وهو أحدُ حملةِ العرش ، وهو الذي ينفخُ في الصُّور بأمر ربِّه نفخاتٍ ثلاثة : أولاهنَّ نَفْخةُ الفَزع ، والثانية نَفخةُ الصَّعْق ، والثالثة نَفْخةُ البَعْث ، كما سيأتي بيانه في موضعه من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن توفيقه .

والصُّور : قَرْنٌ ينفخُ فيه ، كلُّ دارة منه كما بين السماء والأرض ، وفيه موضعُ أرواح العباد حينَ يأمرُه الله بالنفخ للبعث ، فإذا نفخَ تخرجُ الأرواحُ تتوهجُ فيقولُ الربُّ جلَّ جلالُه : وعِزَّتي وجَلالي لترجعنَّ كلُّ روحٍ إلى البَدنِ الذي كانت تعمُره في الدنيا ، فتدخلُ على الأجساد في قبورها ، فتدبُّ فيها كما يدبُّ السُّمُّ في اللَّدِيْغ ، فتحيا الأجسادُ وتنشقُّ عنهم الأجداث ، فيخرجونَ منها سِراعاً إلى مقام المحشر ، كما سيأتي تفصيله في موضعه[١] .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعمُ وصاحبُ القَرْنِ قد التقمَ القَرْنَ وحنَى جبهتَهُ وانتظرَ أن يُؤذَنَ له » . قالوا : كيف نقولُ يا رسول الله ؟ قال : « قولوا حسْبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل ، على الله توكَّلْنا » . رواه أحمد والترمذي من حديث عطيَّة العوفيِّ ، عن أبي سعيد الخدري[٢] .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن سعد الطَّائيِّ ، عن عطيَّةَ العوفيِّ ، عن أبي سعيد ، قال : ذكرَ رسولُ الله ﷺ صاحبَ الصُّور فقال : عن يمينه جبريلُ ، وعن يساره ميكائيلُ عليهم السلام .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني[٤] : حدَّثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدَّثنا محمد بن عمر بن أبي ليلى ، حدَّثني أبي عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : بينا رسولُ الله ﷺ ومعه جبريلُ بناحيةٍ إذ انشقَّ أفقُ السَّماء ، فأقبلَ إسرافيلُ[٥] يدنو من الأرضِ ويتمايلُ ، فإذا مَلَكٌ قد مَثُلَ بين يدي النبيِّ ﷺ ، فقال : يا محمد! إن الله يأمرُكَ أن تختارَ بين نبيٍّ عَبْدٍ أو ملكٍ نبيٍّ . قال : فأشارَ جبريلُ إليَّ بيده : أنْ تواضعْ . فعرفتُ أنه لي ناصحٌ . فقلتُ : عبدٌ نبيٌّ . فعرجَ ذلكَ الملكُ إلى السماء . فقلتُ : يا جبريلُ : قد كنتُ أردْتُ أنْ أسألَكَ عن هذا ، فرأيتُ منْ حَالِكَ ما شغلَني عن

---

(١) النهاية للحافظ ابن كثير (١/ ٢٧٣) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٧) والترمذي في الجامع (٢٤٣٣) وإسناده ضعيف ، وله شواهد يتقوّى بها ، ذكرها الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١١/ ٣١٧) .

(٣) في المسند (٣/ ١٠) .

(٤) المعجم الكبير (١١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) .

(٥) في المعجم : « فأخذ جبريل يدنو » .

المسألةِ ، فمَنْ هذا يا جبريلُ ؟ فقال : هذا إسرافيل عليه السلام خلقَه الله يومَ خلقَه بين يديْه صَافاً قدميْه لا يرفعُ طَرْفهُ ، بينه وبين الربِّ سبعون نوراً ، ما منها من نورٍ يكادُ يدنو منه إلا احترقَ ، بين يديه لوحٌ ، فإذا أذنَ الله في شيء من السماء أو في الأرض ارتفعَ ذلك اللَّوْحُ فضرب جبهتَه ، فينظر ، فإنْ كان من عملي أمرني به ، وإنْ كان من عمل ميكائيلَ أمرَه به ، وإن كان من عمل مَلَكِ الموت أمره به . فقلت : يا جبريل وعلى أيِّ شيءٍ أنت ؟ قال : على الريح والجنود . قلت : وعلى أيِّ شيءٍ ميكائيلُ ؟ قال : على النبات والقَطْر . قلتُ : وعلى أيِّ شيءٍ مَلَكُ الموت ؟ قال : على قَبْضِ الأنْفُسِ ، وما ظننتُ أنه نزل إلا لقيام السَّاعةِ ، وما الذي رأيتَ منِّي إلا خوفاً من قيامِ السَّاعة . هذا حديث غريب من هذا الوجه .

وفي صحيح مسلم[١] : عن عائشة ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ : كان إذا قامَ من اللَّيل يُصلِّي يقول : « اللَّهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ، فاطرَ السمواتِ والأرض ، عالمَ الغيبِ والشَّهادة ، أنتَ تحكمُ بين عبادِكَ فيما كانوا فيه يختلفونَ ، اهـدني لما اختُلفَ فيه من الحقِّ بإذنكَ ، إنَّكَ تهدي منْ تشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ » .

وفي حديث الصُّور : أن إسرافيلَ أول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ في الصُّور[٢] .

وذكر محمد بن الحسن النقَّاش : أن إسرافيل أول من سجد من الملائكة فجُوزي بولاية اللوح المحفوظ . حكاه أبو القاسم السهيلي في كتابه « التعريف والإعلام بما أُبهم في القرآن من الأعلام »[٣] .

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة : ٩٨] عطفَها على الملائكة لشرفهما ، فجبريلُ مَلَكٌ عظيم قد تقدَّم ذِكرُه . وأما ميكائيلُ ، فموكَّل بالقَطْر والنبات ، وهو ذو مَكانةٍ من ربّه عزَّ وجلَّ ، ومن أشراف الملائكة المقرَّبين .

وقد قال الإمامُ أحمد[٤] : حدَّثنا أبو اليمان ، حدَّثنا ابنُ عيَّاش ، عن عُمارة بن غَزيَّة الأنصاري ؛ أنه سمع حُميد بن عُبيد مولى بني المُعلَّى يقولُ : سمعتُ ثابتاً البُناني يُحدِّثُ عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ : أنه قال لجبريلَ : « ما لي لم أرَ ميكائيلَ ضاحكاً قطُّ ؟ فقال : ما ضحكَ ميكائيلُ منذ خُلقتِ النَّارُ »[٥] .

---

(١) (٧٧٠) في صلاة المسافرين ، وفيه قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته .

(٢) حديث الصُّور أخرجه البيهقي (٦٦٨) في « البعث والنشور » والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٢٥) والطبراني (٣٦) في المطولات ، عن أبي هريرة . قال الحافظ ابن كثير : وهذا حديث مشهور ، وهو غريب جداً ، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة .

(٣) التعريف والإعلام ؛ للسهيلي (ص١٨) طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .

(٤) في المسند (٣/ ٢٢٤) وهو حسن بطرقه وشواهده .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٢٤) ، وإسناده ضعيف .

فهؤلاء الملائكةُ المصرَّح بذكرهم في القرآن .

وفي الصِّحاح هم المذكورون في الدعاء النبويِّ « اللهم رب جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيل » . فجبريلُ ؛ ينزلُ بالهدى على الرسل لتبليغ الأمم . وميكائيلُ : موكَّل بالقَطْر والنبات اللَّذين يُخلق منهما الأرزاق في هذه الدار ، وله أعوانٌ يفعلون ما يأمرهم به بأمرِ ربِّه ، يصرفونَ الرِّياحَ والسَّحابَ كما يشاءُ الربُّ جلَّ جلاله ، وقد روينا أنه ما من قطرةٍ تنزلُ من السماء إلا ومعها مَلَكٌ يُقَرِّرُها في موضعها من الأرض . وإسرافيلُ : مُوكَّل بالنفخ في الصُّور ، للقيام من القبور ، والحضور يوم البعث والنشور ، ليفوزَ الشَّكُور ، ويُجازى الكفور ، فذاك ذنبه مغفور ، وسعيه مشكور ، وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور ، وهو يدعو بالويل والثبور . فجبريلُ عليه السلام يحصلُ مما هو[1] موكَّلٌ به الهدى ، وميكائيلُ يحصلُ مما[2] هو موكَّل به الرزق ، وإسرافيلُ يحصلُ مما هو موكَّلٌ به النصر والجزاء .

وأما مَلَكُ الموت ، فليس بمصرَّح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصِّحاح ، وقد جاء تسميتُه في بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة : ١١] وله أعوانٌ يستخرجون روحَ العبد من جثَّته حتى تبلغَ الحلقومَ ، فيتناولُها مَلَكُ الموت بيده ، فإذا أخذَها لم يدَعُوها في يده طَرْفَةَ عَيْنٍ حتَّى يأخذوها منه فيلقوها في أكفان تليق بها ، كما قد بُسط عند قوله ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] . ثم يصعدونَ بها ، فإن كانت صالحةً فُتحتْ لها أبوابُ السماء وإلا غُلِّقَتْ دونَها ، وأُلقيَ بها إلى الأرض ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام : ٦١ ـ ٦٢] .

وعن ابن عبَّاس ومجاهد وغير واحد ؛ أنهم قالوا : إنَّ الأرضَ بين يديْ مَلَكِ الموت مثل الطَّسْتِ يتناولُ منها حيث يشاء ، وقد ذكرنا أن ملائكة الموت يأتونَ الإنسانَ على حَسَبِ عملِهِ ، إنْ كان مؤمناً أتاه ملائكةٌ بيضُ الوجوه ، بيضُ الثياب ، طَيِّبةُ الأرواح . وإن كان كافراً فبالضدِّ من ذلك ؛ عياذاً بالله العظيم من ذلك .

وقد قال ابنُ أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا يحيى بن أبي يحيى المُقرئ ، حدَّثنا عَمْرو بن شمر[3] ، قال : سمعتُ جعفرَ بن محمّد ، قال : سمعتُ أبي يقولُ : نظرَ رسولُ الله ﷺ إلى مَلَكِ الموتِ عندَ رأسِ

---

(١) كذا في الأصول ، وفي المطبوع : بما ينزل .

(٢) في المطبوع : بما .

(٣) في الأصول : سمر ؛ والتصحيح من « المعجم الكبير » (٤/ ٢٢٠) و« تفسير القرآن العظيم » (٣/ ٥٦٥) .

رجلٍ من الأنصار ، فقال له النبيُّ ﷺ : يا مَلَكَ الموتِ ارفُقْ بصاحبي فإنه مؤمن ، فقال مَلَكُ الموت : يا محمَّدُ ! طِبْ نفساً وقرَّ عيناً فإنِّي بكلِّ مؤمنٍ رفيق ، واعلم أنَّ ما في الأرض بَيْتَ مَدرٍ ولا شَعرٍ في برٍّ ولا بحرٍ ، إلا وأنا أتصَفَّحُهم[١] في كلِّ يوم خمسَ مرَّاتٍ ، حتى إني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ، والله يا محمَّد ؛ لو أني أردتُ أن أقبضَ روحَ بعوضةٍ ما قدرتُ على ذلك حتى يكونَ الله هو الآمر بقبضها . قال جعفرُ بن محمد : أي : هو الصادق . بلغني : يتصفَّحُهم عندَ مواقيتِ الصلاة ، فإذا حضرَ عند الموتِ فإذا كان ممن يحافظُ على الصَّلاة دنا منه الملَكُ ودفعَ عنه الشيطانَ ، ولقَّنه الملَكُ : لا إله إلا الله محمَّد رسولُ الله . في تلك الحال العظيمة[٢] .

هذا حديث مرسلٌ وفيه نظر .

وذكرنا في حديث الصور من طريق إسماعيل بن رافع المدني القاصِّ ، عن محمد بن يزيد بن أبي زياد[٣] ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ . . . الحديث بطوله . وفيه : ويأمرُ الله إسرافيل بنفْخةِ الصَّعْقِ ، فينفخُ نفخةَ الصَّعْق ، فيَصْعقُ أهلُ السموات وأهلُ الأرض إلا منْ شاء الله ، فإذا هم خَمدُوا ، جاء مَلَكُ الموت إلى الجبَّار عزَّ وجلَّ ، فيقول : يا ربِّ قد ماتَ أهلُ السمواتِ والأرض إلا من شئتَ . فيقول الله ـ وهو أعلم بمن بقي ـ : فمن بقيَ ؟ فيقولُ : بقيتَ أنتَ الحيُّ الذي لا يموتُ ، وبقيتْ حملة عرشك ، وبقيَ جبريلُ وميكائيلُ . فيقول : ليمتْ[٤] جبريلُ وميكائيلُ . فيُنطِقُ اللهُ العرشَ ، فيقولُ : يا رب ! يموت جبريل وميكائيل ؟! فيقول : اسكتْ فإني كتبتُ الموتَ على كلِّ منْ كان تحتَ عرشي ، فيموتان . ثم يأتي ملَكُ الموتِ إلى الجَبَّارِ عَزَّ وجلَّ ، فيقولُ : يا ربِّ قد ماتَ جبريلُ وميكائيل . فيقول الله ـ وهو أعلم بمن بقي ـ فمنْ بقيَ ؟ فيقولُ : بقيتَ أنتَ الحيَّ الذي لا يموتُ ، وبقيت حملةُ عرشك ، وبقيتُ أنا ، فيقول الله : لتمت حملة عرشي ، فتموتُ . ويأمرُ الله العرشَ فيقبضُ الصُّورَ من إسرافيل ، ثم يأتي مَلَكُ الموت فيقولُ : يا ربِّ قد مات حملة عرشكَ ، فيقول الله : ـ وهو أعلم بمن بقي ـ : فمن بقي ؟ فيقولُ : بقيتَ أنتَ الحيَّ الذي لا يموتُ ، وبقيتُ أنا ، فيقول الله : أنتَ خلْقٌ من خَلْقي ، خلقتُك لما أردتُ ، فمتْ ، فيموت . فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهَّار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد ، فكان آخراً كما كان أوَّلاً . . وذكر تمام الحديث بطوله . رواه الطبراني

---

(١) في المطبوع : أتفحصهم . وفي المعجم الكبير : أتصفحهم في كل يوم خمس مرات .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٢٠) وذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ٣٢٦) وقال : وفيه عمرو بن شمر الجعفي ، ضعيف جداً ، والحارث بن الخزرج مجهول .
وبيت المَدَر : مبني من الطين .

(٣) في المطبوع : محمد بن زياد .

(٤) في أ : فيمت .

وابن جرير والبيهقي[١] ، ورواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب « الطوالات »[٢] وعنده زيادة غريبة ، وهي قوله : فيقول الله له : « أنت خَلْقٌ من خَلْقي خلقتُك لما أردتُ ، فمتْ موتاً لا تحيا بعده أبداً » .

ومن الملائكة المنصوص على أسمائهم في القرآن : هاروت وماروت في قول جماعة كثيرة من السَّلف . وقد ورد في قصتهما وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبُها إسرائيليات .

وروى الإمام أحمد حديثاً مرفوعاً عن ابن عمر وصحَّحه ابن حبان في « تقاسيمه »[٣] . وفي صحَّته عندي نظر ، والأشبه أنه موقوف على عبد الله بن عمر ، ويكون مما تلقَّاه عن كعب الأحبار ، كما سيأتي بيانه ، والله أعلم . وفيه : أنه تمثلت لهما الزهرة امرأةً من أحسن البشر .

وعن عليٍّ وابن عبَّاس وابن عمر أيضاً : أن الزهرة كانت امرأة ، وأنهما لما طلبا منها ما ذُكِر أبت إلا أن يُعلِّماها الاسمَ الأعظمَ ، فعلَّماها ، فقالته ، فارتفعت إلى السماء ، فصارتْ كوكباً[٤] .

وروى الحاكم في « مستدركه » : عن ابن عباس ، قال : وفي ذلك الزمان امرأة حسنُها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب[٥] . وهذا اللفظ أحسنُ ما ورد في شأن الزهرة .

ثم قيل : كان أمرهما وقصَّتهما في زمان إدريس . وقيل : في زمان سليمان بن داود كما حرَّرنا ذلك في التفسير[٦] .

وبالجملة فهو خبرٌ إسرائيلي مرجعه إلى كعب الأحبار ، كما رواه عبدُ الرزاق في تفسيره ، عن الثوريِّ ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن كعب الأحبار بالقِصَّة[٧] . وهذا أصح إسناداً وأثبت رجالًا والله أعلم .

ثم قد قيل : إن المراد بقوله : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] قبيلان من الجَانِّ ، قاله ابن حزم ، وهذا غريب وبعيد من اللفظ .

---

(١) رواه الطبراني في المطولات (٣٦) وابن جرير في التفسير (٣٠/ ١٨٦) والبيهقي (٦٦٨) في البعث والنشور .

(٢) قال في كشف الظنون : الطوالات ؛ للحافظ الكبير أبي موسى محمد بن أبي بكر عمر المديني المتوفى سنة (٥٨١هـ) وهي في مجلدين .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٣٤) وابن حبان في صحيحه ، الإحسان (٦١٨٦) والبزار (٢٩٣٨) كما في كشف الأستار ، والبيهقي في السنن (١٠/ ٤ ـ ٥) . وفي إسناده موسى بن جبير : يخطئ ويخالف ، وزهير بن محمد التيميُّ ؛ في حفظه شيء وله أغاليط .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (١/ ١٧٥ ـ ١٧٦) .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٦) وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٦) انظر تفسير ابن كثير (١/ ١٧٢) .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٩٧) .

ومن الناس من قرأ (وما أُنزل على الملِكين) بالكسر ، ويجعلهما علجين من أهل فارس ، قاله الضحَّاك[(١)] . ومن الناس من يقول : هما مَلَكان من السماء ، ولكن سبقَ في قدر الله ما ذكره من أمرهما إن صحَّ به الخبر ، ويكون حكمهما كحكم إبليس إن قيل : إنه من الملائكة ، لكن الصحيح أنه من الجنِّ كما سيأتي تقريره .

ومن الملائكة المسمَّيْن في الحديث : منكر ونكير عليهما السلام . وقد استفاضَ في الأحاديث ذِكْرُهما في سؤال القبر . وقد أوردناها[(٢)] عند قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] وهما فتَّانا القبر ، موكَّلان بسؤال الميت في قبره عن ربِّه ودينه ونبيه ، ويمتحنان البرَّ والفاجرَ ، وهما أزرقان أفرقان ، لهما أنيابٌ وأشكالٌ مزعجة ، وأصواتٌ مفزعة ، أجارنا الله من عذاب القبر ، وثبَّتنا بالقول الثابت آمين .

وقال البخاري[(٣)] : حدَّثنا عبدُ الله بن يُوسف ، حدَّثنا ابنُ وَهْب ، حدَّثني يونسُ ، عن ابن شهاب ، حدَّثني عروةُ ؛ أنَّ عائشةَ زوجَ النبيِّ ﷺ حدَّثته أنَّها قالتْ للنبي ﷺ : هل أتى عليكَ يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ[(٤)] ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبة ، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبدِ كُلال فلم يُجبْني إلى ما أردتُ ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي ، فلم أستفقْ إلا وأنا بقَرْنِ الثعالب ، فرفعتُ رأسي ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ ، فناداني ، فقال : إنَّ الله قد سمعَ قولَ قومِكَ لكَ وما ردُّوا به عليكَ ، وقد بعثَ اللهُ إليكَ[(٥)] ملَكَ الجبال لتأمرَه بما شئتَ فيهم ، فناداني ملَكُ الجبال فسَلَّم عليّ ، ثم قال : يا محمَّد ! فقال ذلك ، فما شئتَ ، إنْ شئتَ أنْ أُطْبِقَ عليهم الأخشبين . فقال النبي ﷺ : « بلْ أرجو أنْ يُخْرِجَ الله من أصلابهم منْ يَعْبُدُ اللهَ وحدَه ولا يُشركُ به شيئاً » . ورواه مسلم[(٦)] من حديث ابن وهب به .

فصل : ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة إلى ما هيَّأهم الله له أقسام :

فمنهم حَمَلةُ العرشِ ، كما تقدَّم ذكرهم ، ومنهم الكروبيون الذين هم حولَ العرش ، وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش ، وهم الملائكة المقرَّبون ، كما قال تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء : ١٧٢] . ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام ، وقد ذكر الله عنهم

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١/ ٥٢) والعلج : الرجل من كفار العجم .
(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٦٥٥ ـ ٦٦٣) وفي أ : وقد أوردنا .
(٣) في صحيحه (٣٢٣١) .
(٤) سقطت من الأصول ، وأثبتها من صحيح البخاري .
(٥) في ب : والمطبوع : بعث لك .
(٦) في صحيحه (١٧٩٥) في الجهاد .

أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر : ٧ ـ ٩] . ولما كانت سجاياهم[1] هذه السجية الطاهرة كانوا يُحِبُّونَ من اتَّصفَ بهذه الصفة ، فثبت في الحديث عن الصادق المصدوق أنه قال : « إذا دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال الملك : آمين ولك بمثل »[2] .

ومنهم : سكَّان السموات السبع ، يعمرونها عبادة دائبة ، ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساءً ، كما قال [تعالى] : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٠] . فمنهم الراكعُ دائماً ، و[ومنهم][3] القائمُ دائماً ، والساجدُ دائماً . ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعدَ زمرةٍ إلى البيت المعمور كل يوم سبعون ألفاً ، لا يعودون إليه آخر ما عليهم . ومنهم الموكَّلون بالجنان ، وإعداد الكرامة لأهلها ، وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن ومآكل ومشارب وغير ذلك مما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلب بشر .

وخازنُ الجنَّة مَلكٌ يقالُ له : رضوان ، جاء مصرَّحاً به في بعض الأحاديث .

ومنهم الموكَّلون بالنَّار وهم الزبانية ، ومقدَّموهم تسعة عشر ، وخازنُها مالكٌ ، وهو مُقدَّم على جميع الخزنة ، وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٩] الآية .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۞ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٧ ـ ٧٨] وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۞ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣٠ ـ ٣١] .

ومنهم[4] : الموكَّلون بحفظ بني آدم ، كما قال تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ ۞ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١٠ ـ ١١] .

---

(١) سجاياهم : طباعهم .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٣٢) في الذكر والدعاء ، وأبو داود في سننه (١٥٣٤) في الصلاة ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣) ما بين حاصرتين أثبته من أ .

(٤) في المطبوع : وهم ، وهو خطأ .

قال الوالبي[١] ؛ عن ابن عباس : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد : ١١] [والمعقبات من أمر الله][٢] هي الملائكة . وقال عكرمة عن ابن عباس ؛ يحفظونه من أمر الله : قال : ملائكة يحفظونه من بين يديْه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله خَلَّوا عنه[٣] . وقال مجاهد : ما من عبد إلا ومَلَكٌ موكَّلٌ بحفظِه في نومِه ويقظتِه من الجنِّ والإنسِ والهوامّ ، وليس شيء يأتيه يُريده إلا قال : وراءَك ، إلا شيء يأذنُ الله فيه فيصيبه[٤] . وقال أبو أمامة : ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلِّمه للذي قدِّر له[٥] . وقال أبو مجلز : جاء رجلٌ إلى علي فقال : إن نفراً من مراد يُريدون قتلكَ ، فقال : إن مع كلِّ رجلٍ مَلَكين يحفظانِه مما لم يُقدَّر ، فإذا جاءَ القدَرُ خلَّيا بينَه وبينه ، إنَّ الأجل جُنَّةٌ حصينة[٦] .

ومنهم : الموكَّلون بحفظ أعمال العباد ، كما قال تعالى : ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٧ ـ ١٨] وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الانفطار : ١٠ ـ ١٢] . قال الحافظُ أبو محمد عبدُ الرحمن بن أبي حاتم الرازيّ في تفسيره : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا علي بن محمد الطَّنافسيّ ، حدَّثنا وكيعٌ ، حدَّثنا سفيان ومِسْعر ، عن علقمةَ بن مَرْثد ، عن مجاهد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أكرموا الكرامَ الكاتبينَ الذين لا يُفارقونكُم إلا عندَ إحدى حالتين ؛ الجنَابة والغَائط ، فإذا اغتسلَ أحدُكم فليستترْ بجِذْمِ حائطٍ ، أو ببعيره ، أو ليستُرْه أخوه »[٧] .

هذا مرسلٌ من هذا الوجه ، وقد وصلَه البزَّارُ في « مسنده » : من طريق حفص[٨] بن سليمان القارىء ، وفيه كلام عن علقمة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ينهاكم عن التَّعرِّي ، فاستحيوا من ملائكة الله الذينَ معكم الكرام الكاتبين ، الذين لا يفارقُونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط ، والجنابة ، والغسل . فإذا اغتسلَ أحدُكم بالعَراء فَلْيَسْتَترْ بثوبهِ ، أو بجِذْمِ حائطٍ ، أو ببعيره »[٩] . ومعنى إكرامهم أن يُستحيا منهم فلا يُملى عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها ، فإن الله خلقَهم كراماً في خَلْقهم وأخلاقِهم .

---

(١) الوالبي : هو أبو خالد الوالبي المفسر ، يروي عن عبد الله بن عباس ، وجابر بن سمرة ، وعنه فِطْرُ بن خليفة ، وعطية العوفي ، وغيرهما . انظر تاريخ الطبري (١/ ١٢) .

(٢) ما بين حاصرتين أثبته من ب .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٣٥١) .

(٤) المصدر السابق (٧/ ٣٥٢) والهوامّ : السِّباع .

(٥) المصدر السابق (٧/ ٣٥٥) . ويذود : يُدافع .

(٦) المصدر السابق (٧/ ٣٥٤) . وجُنَّة : درع .

(٧) تفسير القرآن العظيم ؛ للحافظ ابن كثير (٤/ ٥٦٩) وجِذْمُ الحائط : أصله ، أو قطعة منه .

(٨) في المطبوع : جعفر ، وهو خطأ .

(٩) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣١٧) وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ٢٦٨) وقال البزار : لا نعلمه يُروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه ، وحفصٌ : ليِّنُ الحديث . والعراء : الفضاء من الأرض .

ومن كرمهم أنه قد ثبتَ في الحديث المرويّ في الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه صورةٌ ولا كَلْبٌ ولا جُنُبٌ »(١) وفي رواية : عن عاصم بن ضَمْرة ، عن عليّ : « ولا بَوْلٌ »(٢) . وفي رواية رافع ، عن أبي سعيد ، مرفوعاً : « لا تدخلُ الملائكة بيتاً فيه صورةٌ ولا تِمْثالٌ »(٣) . وفي رواية مجاهد : عن أبي هريرة ، مرفوعاً « لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه كَلْبٌ أو تمثالٌ »(٤) . وفي رواية ذكوان أبي صالح السَّمَّان : عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تصحبُ الملائكةُ رُفقةً معهم كَلْبٌ أو جَرَسٌ »(٥) . ورواه زُرارة بن أوفى عنه « لا تصحب الملائكةُ رُفقةً معهم جَرَسٌ »(٦) .

وقال البزار(٧) : حدَّثنا إسحاق بن سليمان البغدادي ، المعروف بالفلوسيّ . حدَّثنا بيانُ بن حمران ، حدَّثنا سَلَّام ، عن منصور بن زاذان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ملائكةَ الله يعرفون بني آدم ـ وأحسبه قال : ـ ويعرفون أعمالَهم ، فإذا نظروا إلى عبدٍ يعملُ بطاعة الله ذكروه بينهم ، وسمَّوه ، وقالوا : أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان ، وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصيةِ الله ذكرُوه بينَهم وسمَّوْهُ ، وقالوا : هلكَ فلانٌ الليلةَ » . ثم قال : سلَّام ـ أحسبه ـ سَلَّام المدائني ، وهو لَيِّنُ الحديث .

وقد قال البخاري(٨) : حدَّثنا أبو اليمان ، حدَّثنا شُعَيْبٌ ، حدَّثنا أبو الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الملائكةُ يتعاقبون ، ملائكةٌ باللَّيل وملائكةٌ بالنهار ، ويجتمعونَ في صلاة الفجر وفي صلاة العصر ، ثم يعرجُ إليه الذين باتوا(٩) فيكم فيسألهم ـ وهو أعلم ـ فيقول : كيف

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٢٧) في الطهارة ، و(٤١٥٢) في اللباس والنسائي في المجتبى (١/ ١٤١) في الطهارة ، عن عليٍّ رضي الله عنه وفي إسناده ضعف وقد صح دون الجنب ، فهو في الصحيحين من حديث عائشة وأبي طلحة .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٤٦) وإسناده ضعيف جداً ، فيه الحسن بن ذكوان : ليس بالقوي ، وعمرو بن خالد القرشي ؛ متروك .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٦٥) والترمذي في الجامع (٢٨٠٥) في الأدب وقال : حسن صحيح ، وهو كما قال .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤١٥٨) في اللباس ، والترمذي في الجامع (٢٨٠٦) في الأدب .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١١٣) في اللباس وأبو داود في سننه (٢٥٥٥) في الجهاد ، والترمذي في الجامع (١٧٠٣) في الجهاد .

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٨٥ و٤١٤) من حديث زرارة بن أوفى عن أبي هريرة ، وهو حديث صحيح .

(٧) كما في كشف الأستار (٣٢١٤) وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٦) وقال : رواه البزار وفيه من لم أعرفهم .

(٨) في صحيحه (٣٢٢٣) في بدء الخلق .

(٩) في البخاري : كانوا ، وفي أ : يأتون .

تركتُم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يُصَلُّون ، وأتيناهم وهُم يُصَلُّون » . هذا لفظه في كتاب بدء الخلق بهذا السياق ، وهذا اللفظ تفرَّد به دون مسلم من هذاالوجه .

وقد أخرجاه في الصحيحين[١] : من حديث مالك عن أبي الزناد به .

وقال البَزَّارُ[٢] : حدَّثنا زيادُ بن أيوب ، حدَّثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي ، حدَّثنا تمام بن نَجِيْح ، عن الحسن ـ يعني البَصْري ـ عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من حافظين ، يرفعانِ إلى الله عزَّ وجلَّ ما حفظا في يوم ، فيرى الله تبارك وتعالى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً ، إلا قال الله : قد غفرتُ لعبدي ما بينَ طرفي الصحيفة » . ثم قال : تفرَّد به تمَّام بن نَجيح ، وهو صالح الحديث .

قلت : وقد وثَّقه ابنُ مَعين[٣] ، وضعَّفه البخاري[٤] وأبو حاتم[٥] وأبو زُرْعة[٦] والنَّسائي[٧] وابن عديّ[٨] ، ورماه ابن حبان بالوضع[٩] . وقال الإمام أحمد[١٠] : لا أعرف حقيقة أمره .

والمقصودُ أنَّ كلَّ إنسانٍ له حافظان مَلَكان اثنان ، واحدٌ من بين يديه ، وآخرُ من خلفه ، يحفظانِه من أمر الله بأمر الله عزَّ وجلَّ . ومَلَكان كاتبانِ عن يمينهِ وعن شمالِه ، وكاتبُ اليمين أميرٌ على كاتبِ الشمال، كما ذكرْنا[١١] ذلك عند قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٧ ـ ١٨] .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد[١٢] : حدَّثنا أسود بن عامر ، حدَّثنا سفيان ، حدَّثنا منصور ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن أبيه ، عن عبد الله هو ـ ابن مسعود ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِّلَ به قرينُه من الجنِّ وقرينُه من الملائكةِ » قالوا : وإيَّاكَ يا رسولَ الله ؟ قال : « وإياي ، ولكنَّ الله أعانني عليه فلا يأمُرني إلا بخيرٍ » .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٥٥) في الصلاة . ومسلم في صحيحه (٦٣٢) في المساجد ومواضع الصلاة عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) كما في كشف الأستار (٣٢٥٢) .
(٣) تاريخ الدوري عن ابن معين (٢/ ٦٦) .
(٤) تاريخه الكبير ٢/ الترجمة (٢٠٤٦) .
(٥) الجرح والتعديل ٢/ الترجمة (١٧٨٨) .
(٦) سؤالات البرذعي (٢/ ٥٤٨) والجرح والتعديل ٢/ الترجمة (١٧٨٨) .
(٧) الضعفاء والمتروكون (٩٢) .
(٨) الكامل (٢/ ٥١٤) .
(٩) المجروحين (١/ ٢٠٤) .
(١٠) تهذيب الكمال (٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥) .
(١١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٣) .
(١٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٨٥) .

انفردَ بإخراجه مسلم[١] : من حديث منصور به .

فيحتملُ أنَّ هذا القرينَ من الملائكة غير القرين لحفظِ الإنسان ، وإنما هو موكَّل به ليرشده ويهديَه بإذن ربِّه إلى سبيلِ الخيرِ وطريقِ الرشاد ، كما أنه قد وُكِّل به القرينُ من الشياطين لا يألوه جهداً في الخَبال[٢] والإضلال ، والمعصومُ من عصم الله عزَّ وجلَّ ، وبالله المستعان .

وقال البخاري[٣] : حدَّثنا أحمد بن يونس ، حدَّثنا إبراهيمُ بن سعدٍ ، حدَّثنا ابنُ شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن والأغرِّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يومُ الجمعةِ ، كانَ على كلِّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبونَ الأوَّلَ فالأوَّلَ ، فإذا جلسَ الإمامُ طَوَوُا الصُّحفَ ، وجَاؤُوا يستمعونَ الذِّكْرَ » .

وهكذا رواه منفرداً به من هذا الوجه ، وهو في الصحيحين[٤] من وجه آخر .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا أسباط ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ . وحدَّثنا الأعمشُ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله : « ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ » [الإسراء : ٧٨] قال : « تشهدُه ملائكةُ اللَّيلِ وملائكةُ النَّهار » . ورواه الترمذيُّ[٦] ، والنَّسائيُّ[٧] ، وابن ماجه ، من حديث أسباط . وقال الترمذي : حسن صحيح . قلت : وهو منقطع[٨] .

وقال البخاري[٩] : حدَّثنا عبدُ الله بن محمّد ، حدَّثنا عبدُ الرَّزاق ، أنبأنا مَعْمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمةَ وسعيدِ بن المُسَيِّب ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : قال : « فضلُ صلاة الجَمْعِ على صلاة الواحد خمسٌ وعشرون درجة ، ويجتمعُ ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر » . يقول أبو هريرة : اقرؤُوا إن شئتم : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

وقال البخاري[١٠] : حدَّثنا مُسَدَّد ، قال أبو عَوانة ، عن الأعمش ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨١٤) (٦٩) في المنافقين .
(٢) « الخبال » : الفساد .
(٣) في صحيحه (٣٢١١) في بدء الخلق .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٢٩) في الجمعة ، ومسلم في صحيحه (٨٥٠) في الجمعة .
(٥) في المسند (٢/ ٤٧٤) أقول : لكنه حديث صحيح ، تشهد له الروايات التي ذكرها المصنف بعدها .
(٦) في جامعه (٣١٣٥) في التفسير .
(٧) في التفسير (٣١٣) .
(٨) في سننه (٦٧٠) في الصلاة .
(٩) في صحيحه (٤٧١٧) في التفسير وفيه : في صلاة الصبح .
(١٠) في صحيحه (٣٢٣٧) في بدء الخلق و (٥١٩٣) في النكاح .

قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا الرجلُ امرأته إلى فراشه فأبتْ فباتَ غضبانَ عليها ، لعَنَتْها الملائكةُ حتَّى تُصْبِحَ » . تابعه شعبةُ ، وأبو حمزة ، وأبو داود ، وأبو معاوية ، عن الأعمش .

وثبت في الصحيحين : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا أمَّنَ الإمامُ فأمِّنُوا ، فإن منْ وافقَ تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه »(١) .

وفي لفظٍ : « إذا قالَ الإمامُ : آمين(٢) ، فإنَّ الملائكةَ تقولُ في السماء : آمين ، فمنْ وافقَ تأمينُه تأمينَ الملائكةِ غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه »(٣) .

وفي صحيح البخاري(٤) : حدَّثنا إسماعيل، حدَّثني مالك، عن سُمَيٍّ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إذا قال الإمام سمعَ الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد ، فإنَّ من وافقَ قولُه قولَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه » . ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك(٥) .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ـ أو عن أبي سعيد ـ هو شكَّ ـ يعني الأعمش ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله ملائكةً سيَّاحينَ في الأرض فُضُلاً عن كتّاب النَّاس ، فإذا وجدُوا أقواماً يذكرونَ اللهَ تَنادوا هَلُمُّوا إلى بُغيتكم فيجيئون [فيحفُّون](٧) بهم إلى السماء الدنيا ، فيقول الله : أيُّ شيءٍ تركتُم عبادي يصنعونَ ؟ فَيَقُولون : تركنَاهُم يحمدونك ويمَجّدُونك ويذكرونَكَ . فيقول : وهل رأوني ؟ فيقولونَ : لا ، فيقول : كيفَ لو رأوْني ؟! فيقولون : لو رأوكَ لكانُوا أشدَّ تحميداً وتمجيداً وذكراً . قال : فيقول : فأيُّ شيءٍ يطلبونَ ؟ فيقولون : يطلبونَ الجنَّةَ ، فيقول : وهل رأوْها ؟ فيقولونَ : لا ، فيقول : فكيفَ لو رأَوْها ؟! فيقولون : لو رأوها لكانوا أشدَّ عليها حِرْصاً وأشدَّ لها طلباً . قال : فيقول : من أيِّ شيءٍ يتعوَّذون ؟ فيقولون : منَ النَّارِ ؟ فيقول : وهلْ رَأوْها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : فكيفَ لو رأوها . فيقولون : لو رأوْها كانوا أشدَّ منها هرباً وأشدَّ منها خوفاً . قال : فيقول : أشهدُكم أنِّي قد غفرتُ لهم . قال : فيقولون : إن فيهم فلاناً الخطَّاء لم يُرِدْهُم ، إنما جاءَ لحاجةٍ . فيقول : هُمُ القومُ لا يشقى بهم جليسُهم » .

وهكذا رواه البخاري(٨) عن قتيبة عن جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به . وقال : رواه شعبة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٨٠) في صفة الصلاة ، ومسلم في صحيحه (٤١٠) في الصلاة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) لفظ البخاري : « إذا قال الإمام ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقولوا : آمين » .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٨٢) في صفة الصلاة و(٤٤٧٥) في التفسير .

(٤) (٣٢٢٨) في بدء الخلق .

(٥) مسلم (٤٠٩)، وأبو داود (٨٤٨)، والترمذي (٢٦٧)، والنسائي (٢/ ١٩٦) وفي الكبرى (٦٥٠) كلهم في الصلاة .

(٦) في المسند (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) وهو حديث صحيح .

(٧) أثبتها من المسند (٢/ ٢٥١) .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٠٨) في الدعوات .

عن الأعمش ولم يرفعه ، ورفعه سهيل عن أبيه .

وقد رواه أحمد[١] : عن عفَّان ، عن وُهيب ، عن سُهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه ، كما ذكره البخاري معلّقا عن سهيل[٢] . ورواه مسلم[٣] : عن محمّد بن حاتِم ، عن بَهْز بن أسد ، عن وُهَيْبٍ به .

وقد رواه الإمام أحمد[٤] أيضاً : عن غُنْدَر ، عن شُعبة ، عن سليمانَ ـ هو الأعمش ـ عن أبي صالحٍ ، عن أبي هُريرة [لم يرفعه نحوه][٥] ، كما أشارَ إليه البخاريُّ رحمه الله[٦] .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا الأعمش ، وابنُ نمير ، أخبرنا الأعمشُ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « من نَفَّسَ عن مُؤمنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنيا ، نَفَّس الله عنه كُرْبة من كُرَبِ يوم القيامة ، ومنْ سترَ مسلماً ستره الله في الدُّنيا والآخرة ، [ومن يسَّر عن مُعْسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة][٨] والله في عونِ العَبْدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخيه ، ومن سلكَ طريقاً يلتمسُ به علماً سهَّلَ الله له به طريقاً إلى الجنَّة ، وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلونَ كتابَ الله ويتدارسونَه بينهم ، إلا نزلتْ عليهم السكينةُ ، وغشيتْهم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُمُ الملائكةُ ، وذكرَهم الله فيمن عنده ، ومنْ بَطَّأ به عملُه لم يُسرعْ به نسبُه » .

وكذا رواه مسلم[٩] من حديث أبي معاوية .

وقال الإمام أحمد[١٠] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا مَعْمر ، عن أبي إسحاق ، عن الأغَرّ ـ أبي مسلم ـ عن أبي هريرة وأبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « ما اجتمعَ قومٌ يذكرونَ اللهَ إلا حفَّتهم الملائكةُ ، وغشيتهم[١١] الرحمةُ ، ونزلتْ عليهم السَّكينةُ ، وذكرَهم الله فيمن عندَه » .

وكذا رواه[١٢] أيضاً : من حديث إسرائيل وسفيان الثوري وشعبة ، عن أبي إسحاق به ، نحوه .

---

(١) في المسند (٢/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩) .
(٢) أخرجه عقيب الحديث (٦٤٠٨) .
(٣) في صحيحه (٢٦٨٩) في الذكر والدعاء .
(٤) في المسند (٢/ ٢٥٢) .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع .
(٦) عقيب الحديث (٦٤٠٨) من صحيحه .
(٧) في المسند (٢/ ٢٥٢) .
(٨) ما بين حاصرتين أثبته من المسند .
(٩) في صحيحه (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء .
(١٠) في المسند (٣/ ٩٤) .
(١١) في المسند : وتغشتهم .
(١٢) في المسند (٣/ ٩٤) .

ورواه مسلم : من حديث شعبة[١] ، والترمذي من حديث الثوري[٢] وقال : حسن صحيح .

ورواه ابن ماجه[٣] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يحيى بن آدم ، عن عمَّار بن رزيق ، عن أبي إسحاق ، بإسناده نحوه .

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة .

وفي مسند الإمام أحمد والسنن عن أبي الدرداء ، مرفوعاً : « وإن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالبِ العلم رضاً بما يصنعُ »[٤] أي : تتواضع له ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء : ٢٤] وقال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥] .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا وكيع ، عن سُفيان ، عن عبد الله بن السَّائب ، عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن لله ملائكة سيَّاحينَ في الأرضِ ، لِيُبلِّغوني عن أمتي السَّلام »[٥] .

وهكذا رواه النسائي[٦] من حديث سفيان الثوريّ وسُليمان الأعمش ، كلاهما عن عبد الله بن السَّائب به .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا مَعْمر ، عن الزهريّ ، عن عروةَ ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقتِ الملائكةُ من نورٍ ، وخُلِقَ الجَانُّ من مَارجٍ من نارٍ ، وخُلِقَ آدمُ مما وُصفَ لكم » .

وهكذا رواه مسلم[٨] : عن محمد بن رافع ، وعَبْدِ بن حُمَيْد ، كلاهما عن عبد الرزاق به .

والأحاديث في ذكر الملائكة كثيرة جداً ، وقد ذكرنا ما يسَّره الله تعالى ، وله الحمد .

فصل : وقد اختلفَ الناس في مسألة تفضيل الملائكة على البشر على أقوال ؛ فأكثرُ ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلّمين ، والخلاف فيها مع المعتزلة ومَنْ وافقهم ، وأقدمُ كلامٍ رأيتُه في هذه المسألة ما ذكرَه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[٩] في ترجمة أميَّة بن عمرو بن سعيد بن العاص ؛ أنَّه حضرَ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٠٠) في الذكر والدعاء .

(٢) في جامعه (٣٣٧٨) في الدعوات .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٧٩١) في الأدب .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٣٩ و٢٤١) وأبو داود في سننه (٣٦٤١) في العلم ، والترمذي (٢٦٨٢) في العلم ، وابن ماجه (٢٢٣) في المقدمة .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٥٢) .

(٦) أخرجه النسائي في المجتبى (٣/ ٤٣) وفي السنن الكبرى (١٢٠٥) .

(٧) في المسند (٦/ ١٥٣ و١٦٨) .

(٨) في صحيحه (٢٩٩٦) في الزهد والرقائق .

(٩) تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) .

مجلساً لعمرَ بن عبد العزيز ، وعندَه جماعةٌ ، فقال عمرُ : ما أحدٌ أكرمُ على الله من كريم بني آدم ، واستدلَّ بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٧] ووافقه على ذلك أميَّةُ بن عمرو بن سعيد ، فقال عِرَاكُ بن مالك : ما أحدٌ أكرمُ على الله من ملائكته ، هم خزنة داره ، ورسلُه إلى أنبيائه . واستدلَّ بقوله تعالى : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠] فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القُرظي : ما تقولُ أنتَ يا أبا حمزة ! فقال : قد أكرمَ الله آدمَ ، فخلقَه بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسجدَ له ملائكته ، وجعلَ من ذريَّتِه الأنبياء والرسل ، ومن يزورُه الملائكةُ[١] . فوافقَ عمرَ بن عبد العزيز في الحكم ، واستدلَّ بغير دليله . وأضعفَ دلالةَ ما نزعَ به من الآية ، وهو قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البينة : ٧] بما مضمونُه أنَّها ليست بخاصَّة بالبشر ، فإنَّ الله قد وصفَ الملائكةَ بالإيمان في قوله : ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [غافر : ٧] وكذلك الجانّ ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [الجن : ١٣] ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ ﴾ [الجن : ١٤] .

قلت : وأحسنُ ما يُستدلُّ به في هذه المسألة ما رواه عثمان بن سعيد الدَّارميّ : عن عبد الله بن عمرو ، مرفوعاً ، وموقوفاً ، وهو أصحُّ ، قال : « لمَّا خلقَ الله الجنَّة قالتِ الملائكةُ : يا ربَّنا اجعلْ لنا هذه نأكلُ منها ونشربُ ، فإنَّك خلقتَ الدنيا لبني آدم ، فقالَ الله : لنْ أجعلَ صالحَ ذرِّيةِ منْ خلقتُ بيدي كمَنْ قلتُ له : كنْ فكان »[٢] .

* * *

باب خلق الجان وقصّة الشيطان

قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٤ ـ ١٦] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٦ ـ ٢٧] وقال ابن عبَّاس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد ﴿ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥] قالوا : من طَرَفِ اللَّهَب ، وفي رواية : من خالصِه وأحسنِه .

وقد ذكرنا آنفاً : من طريق الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلقَتِ الملائكةُ منْ نُورٍ ، وخُلِقت الجَانُّ من مَارج من نار ، وخُلِقَ آدمُ مما وُصفَ لكم » رواه مسلم[٣] .

---

(١) في المصدر السابق « وجعل من ذريته من تزوره الملائكة » .

(٢) عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني ، محدث ، حافظ ، له كتاب المسند الكبير ، مخطوط ، ولم أجد الحديث في المصادر الحديثية المطبوعة .

(٣) في صحيحه (٢٩٩٦) في الزهد ، وتقدم (ص٦٥) .

قال كثير من علماء التفسير[١] : خُلِقتِ الجنُّ قبلَ آدمَ عليه السلام ، و كان قبلَهم في الأرض الجن والبِنُّ ، فسلَّط الله الجن عليهم فقتلوهم وأخلوهم عنها ، وأبادوهم منها ، وسكنوها بعدهم .

وذكر السُّدِّي[٢] في تفسيره : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرَّة ، عن ابن مسعود . وعن أناس من أصحابِ رسول الله ﷺ : لما فرغَ الله من خلق ما أحبَّ استوى على العرش فجعلَ إبليسَ على مُلْك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم : الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خُزَّان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خازناً فوقعَ في صدره : إنما أعطاني الله هذا لمزية لي على الملائكة .

وذكر الضحَّاك[٣] : عن ابن عباس : أن الجن لما أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء بعثَ الله إليهم إبليس ومعه جند من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم عن الأرض إلى جزائر البحور .

وقال محمد بن إسحاق[٤] : عن خلاد ، عن عطاء ، عن طاووس ، عن ابن عباس : كان اسم إبليس قبل أن يرتكبَ المعصية عزَازيل . وكان من سكَّان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم علماً ، وكان من حيٍّ يقال لهم : الجن .

وروى ابن أبي[٥] حاتم : عن سعيد بن جُبير ، عنه : كان اسمه عزازيل ، وكان من أشرف الملائكة من أولي الأجنحة الأربعة .

وقال سُنَيْدٌ[٦] : عن حجَّاج ، عن ابن جُريج ، قال ابن عباس : كان إبليسُ من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلةً ، وكان خازناً على الجنان وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

وقال صالحُ مولى التوأمة : عن ابن عباس ، كان يسوسُ ما بينَ السَّماء والأرض . رواه ابن جرير[٧] .
وقال قتادة[٨] : عن سعيد بن المسيب : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا .

وقال الحسن البصري[٩] : لم يكنْ من الملائكةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وإنَّه لأصلُ الجنِّ ، كما أن آدم أصل البشر .

---

(١) انظر تفسير الطبري (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) وتفسير القرطبي (١/ ٣٠٧) .
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٤١) .
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٣٩) وتاريخ الطبري (١/ ٨٥) .
(٤) أخرجه الطبري في التاريخ (١/ ٨٦) وفيه : فذلك الذي دعاهُ إلى الكبر ، وكان من حيٍّ يُسمَّون جناً .
(٥) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ١١٤) مختصراً .
(٦) المصدر السابق (٣/ ١١٤) وأخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣٥) وفي المطبوع : وقد أسند .
(٧) تفسير الطبري (٨/ ٢٣٦) ، وفي هامش أ : والجن قبيلة من الملائكة ، وربما سموا الجن ؛ لأنهم خزَّان الجنة .
(٨) المصدر السابق (٨/ ٢٣٥) .
(٩) المصدر السابق (٨/ ٢٣٦) .

وقال شهر بن حوشب ، وغيره : كان إبليس من الجنِّ الذينَ طردتهم[١] الملائكة فأسرَه بعضهم فذهبَ به إلى السماء . رواه ابن جرير .

قالوا : فلما أراد الله خلقَ آدمَ ليكونَ في الأرض هو وذريَّته من بعده ، وصوَّر جثَّته منها ، جعلَ إبليسُ ـ وهو رئيسُ الجَانِّ وأكثرُهم عبادةً إذ ذاك ، وكانَ اسمُه عزازيل ـ يطيفُ به ، فلما رآه أجوفَ علم[٢] أنه خَلْقٌ لا يتمالك ، وقال : أما لئن سُلِّطْتُ عليكَ لأهلكنَّكَ ، ولئن[٣] سُلِّطْتَ عليَّ لأعصينَّك ، فلما أنْ نفخَ الله في آدم من روحه ، كما سيأتي[٤] ، وأمر الملائكة بالسجود له دخلَ إبليسَ منه حسد عظيم وامتنع من السجود له وقال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، فخالفَ الأمرَ ، واعترضَ على الربِّ عزَّ وجلَّ ، وأخطأ في قوله ، وابتعد من رحمة ربِّه ، وأُنزلَ من مرتبتِهِ التي كان قد نالَها بعبادتِه ، وكان قد تشبَّه بالملائكة ، ولم يكنْ من جنسهم ، لأنه مخلوقٌ من نار ، وهم من نور ، فخانَه طبعُه في أحوج ما كان إليه ، ورجعَ إلى أصله الناريِّ ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [ص : ٧٣ ـ ٧٤] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٠] .

فأُهْبِطَ إبليسُ من الملأ الأعلى وحُرِّمَ عليه قدَراً أن يسكنه ، فنزلَ إلى الأرض ذليلاً حقيراً[٥] مذؤوماً مدحوراً[٦] ، متوعَّداً بالنار هو ومن اتَّبعه من الجن والإنس ، إلا أنه مع ذلك جاهدَ كلَّ الجهد على إضلال بني آدم بكل طريق وبكلِّ مَرْصدٍ[٧] ، كما قال : ﴿ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦٢ ـ ٦٥] .

وسنذكر القصة مستقصاة[٨] عند ذكر خلق آدم عليه السلام . والمقصود أنَّ الجانَّ خُلقوا من النَّار ، وهم كبني آدمَ ، يأكلونَ ويشربونَ ويتناسلونَ ، ومنهم المؤمنون ، ومنهم الكافرون ، كما أخبرَ تعالى عنهم

---

(١) في الأصول : طردوهم ، و التصحيح من تفسير الطبري (٨/ ٢٣٦) .

(٢) في المطبوع . عرف .

(٣) في أ : وإن .

(٤) سيأتي في باب خلق آدم عليه السلام (ص١٠٩) .

(٥) في المطبوع : حقيراً ذليلاً .

(٦) مدحوراً : مطروداً .

(٧) مرصد : الطريق والمكان يُرصد منه العدوُّ .

(٨) في المطبوع : مستفاضة . وانظر القصة في باب خلق آدم (ص١٠٩) وما بعدها .

في سورة الأحقاف ، في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩ ـ ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن : ١ ـ ١٧] .

وقد ذكرنا تفسيرَ هذه السورة[١] ، وتمامَ القِصَّة في آخر سورة الأحقاف ، وذكرنا الأحاديثَ المتعلِّقة بذلك هنالك ، وأنَّ هؤلاء النَّفَرَ كانوا من جن « نصيبين » وفي بعض الآثار من جن « بصرى » ، وأنَّهم مرُّوا برسولِ الله ﷺ وهو قائمٌ يُصلِّي بأصحابه ببطنِ نخلةَ منْ أرضِ مكَّة ، فوقفُوا فاستمعُوا لقراءته[٢] .

ثم اجتمعَ بهم النبيُّ ليلةً كاملةً ، فسألوه عن أشياءَ أمرهم بها ونهاهم عنها ، وسألوه الزاد ، فقال لهم : « كلُّ عظمٍ ذُكِرَ اسمُ الله عليه ، تجدونَه أوفرَ ما يكون لحماً ، وكلُّ روثةٍ علفٌ لدوابِّكم » ونهى النبيُّ ﷺ النَّاسَ أن يستنجوا بهما ، وقال : « إنَّهما زادُ إخوانكم الجنّ »[٣] .

ونهى عن البول في الأسواق[٤] ، لأنَّها مساكنُ الجنِّ .

وقرأ رسولُ الله ﷺ عليهم سورةَ الرحمن ، فما جعلَ يمرُّ بآية فيها ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٣] . إلا قالوا : ولا بشيءٍ من آلائكِ ربَّنا نُكَذِّبُ ، فلكَ الحمدُ .

وقد أثنى عليهم النبيُّ ﷺ في ذلك لما قرأ هذه السورة على الناس فسكتُوا . فقال : « الجنُّ كانوا

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ؛ للمؤلف الحافظ ابن كثير (٤/ ١٩٢ ـ ٢٠٢) .
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٩٣) .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٥٠) في الصلاة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
(٤) في المطبوع : السرب . وروى مسلم حديثًا بمعناه في صحيحه (٢٦٩) .

أحسنَ منكم ردّاً ، ما قرأت عليهم ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالوا : ولا بشيءٍ من آلائك ربَّنا نُكذِّبُ ولكَ الحمدُ » . رواه الترمذيُّ : عن جابر ، وابنُ جرير والبزّار عن ابن عمر[١] .

وقد اختلفَ العلماءُ في مؤمني الجنِّ هل يدخلون[٢] الجنة ، أو يكونُ جزاء طائعهم أن لا يعذَّبَ في النار فقط . على قولين : الصحيحُ أنهم يدخلون الجنَّة لعمومات[٣] القرآن ، ولخصوص قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦ ـ ٤٧] فامتنَّ تعالى عليهم بذلك ، فلولا أنهم ينالونه لما ذكرَه وعدَّه عليهم من النِّعمِ ، وهذا وحدَه دليلٌ مستقلٌّ كافٍ في المسألة ، والله أعلم .

وقال البخاري[٤] : حدَّثنا قُتَيْبة ، عن مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، أن أبا سعيدٍ الخدريَّ قال له : إني أراك تُحبُّ الغنمَ والباديةَ ، فإذا كنتَ في غنمكَ وباديتك فأذَّنتَ بالصَّلاة ، فارفعْ صوتك بالنِّداء ، فإنَّه لا يسمعُ مدَى صوتِ المؤذِّن جِنٌّ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شهدَ له يوم القيامة . قال أبو سعيد : سمعتُه من رسولِ الله ﷺ . انفردَ به البخاري دون مسلم .

وأما كافرو الجِنِّ فمنهم الشياطين ، ومقدَّمهُم الأكبرُ إبليسُ عدوُّ آدم أبي البشر ، وقد سُلِّطَ[٥] هو وذريَّته على آدمَ وذريَّته ، وتكفَّل الله عزَّ وجلَّ بعصمةٍ منْ آمنَ به ، وصدَّق رسلَه ، واتَّبع شرعه منهم ، كما قال : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦٥] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ : ٢٠] وقال تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع (٣٢٩١) في التفسير عن جابر وقال : « هذا حديث غريب » ، وابن جرير في التفسير (١١/ ٥٨٢) عن ابن عمر ، أقول : وهو حديث حسن .

(٢) في هامش أ : بيان هل يدخل الجنة أم لا ؟ .

(٣) في المطبوع : لعموم القرآن ، ولعموم قوله تعالى .

(٤) في صحيحه (٣٢٩٦) في بدء الخلق .

(٥) كذا في الأصول ، وفي المطبوع : سلَّطه .

مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٢٨ ـ ٤٤] .

وقد ذكرَ تعالى هذه القصَّةَ في سورة البقرة ، وفي الأعراف ، وهاهنا(١) ، وفي سورة سبحانَ ، وفي سورة طه ، وفي سورة ص . وقد تكلَّمنا على ذلك كله في مواضعه في كتابنا التفسير ولله الحمد . وسنوردها في قصة آدمَ إن شاء الله تعالى(٢) .

والمقصودُ أنَّ إبليسَ أنظرهَ الله إلى يوم القيامة محنةً لعباده ، واختباراً منه لهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ : ٢١] وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢ ـ ٢٣] .

فإبليسُ لعنه الله حيٌّ الآن ، منظَرٌ إلى يوم القيامة بنصِّ القرآن، وله عرشٌ على وجه البحر، وهو جالسٌ عليه ، ويبعثُ سراياه يُلقون بينَ النَّاس الشَّرَّ والفتنَ . وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦] وكان اسمُه قبلَ معصيته العظيمة عزازيل ، قال النَّقَّاشُ : وكنيته : أبو كردوس ، ولهذا لما قال النبيُّ لابن صيَّاد : « ما ترى ؟ »(٣) قال : أرى عرشاً على الماء . فقال له النبيُّ ﷺ : « اخسأْ فلنْ تعدو قَدْرَكَ »(٤) فعرفَ أن مادَّة مكاشفته التي كاشفَه بها شيطانيَّة ، مستمدَّة من إبليس الذي هو يُشاهد عرشَه على البحر ، ولهذا قال له : « اخسأ فلنْ تعدو قَدْركَ »(٤) أي : لن تُجاوزَ قيمتك الدنيَّة الخسيسة الحقيرة .

والدليلُ على أنَّ عرشَ إبليسَ على البحر الحديثُ الذي رواه الإمام أحمد : حدَّثنا أبو المغيرة ، حدَّثنا صفوان ، حدَّثني ماعز التميمي ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « عرشُ إبليس [على] البحر ، يبعثُ سراياه في كلِّ يوم يفتنون النَّاسَ ، فأعظمُهم عندَه منزلةً أعظمُهم فتنةً للناس »(٥) .

وقال أحمد(٦) : حدَّثنا روح ، حدَّثنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنَّه سمعَ جابرَ بن عبد الله

---

(١) أي : في سورة الحجر .
(٢) انظر باب خلق آدم عليه السلام (ص١٠٩) .
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٦٦ و٩٧) عن أبي سعيد الخدري و(٣/ ٣٨٨) عن جابر .
(٤) هذان حديثان : الأول من حديث أبي سعيد الخدري حين قال ابن صياد : « أرى عرشاً على الماء » فقال له النبي ﷺ : « ترى عرش إبليس على البحر » (رواه مسلم : ٢٩٢٥) ، والثاني : من حديث عائشة حين قال له النبي ﷺ : « قد خبَّأت لك خبأ » فقال ابن صياد : « دخٌّ » فقال النبي ﷺ : « اخسأ فلن تعدو قدرك » (مسلم : ٢٩٢٤) .
(٥) في المسند (٣/ ٣٥٤) .
(٦) في المسند (٣/ ٣٨٤) .

يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « عرشُ إبليسَ على البحر ، يبعثُ سراياه ، فيفتنون النَّاس ، فأعظمُهم عنده أعظمهم فتنةً » تفرَّد به من هذا الوجه .

وقال أحمد[١] : حدَّثنا مُؤمَّل ، حدَّثنا حمَّاد ، حدَّثنا علي بن زَيْد ، عن أبي نضرة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ لابن صائد : « ما ترى ؟ قال : أرى عرشاً على الماء ـ أو على البحر ـ حولَه حيَّات » قال ﷺ : ذاك عرش إبليس . هكذا رواه في مسند جابر .

وقال في مسند أبي سعيد[٢] : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا حمَّاد بن سَلَمة ، أنبأنا عليُّ بن زَيْد ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لابن صيَّاد : « ما ترى ؟ » قال : أرى عرشاً على البحر حوله الحيَّات . فقال رسول الله ﷺ : « صَدقَ ، ذاك عرشُ إبليس » .

وروى الإمام أحمد[٣] : من طريق ماعز التَّميميّ وأبي الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الشيطانَ قد يئسَ أن يعبدَه المُصلُّونَ ، ولكن في التحريش بينهم » .

وروى الإمام مسلم[٤] : من حديث الأعمش ، عن أبي سفيان ـ طلحة بن نافع ـ عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ الشيطانَ يضعُ عرشَه على الماء ، ثم يبعثُ سَراياه في النَّاسِ ، فأقربُهم عندَه منزلةً أعظمهم عنده فتنة ، يجيءُ أحدُهم فيقول : ما زلتُ بفلانٍ حتى تركته وهو يقول : كذا وكذا ، فيقول إبليس : لا والله ما صنعتَ شيئاً . ويجيءُ أحدُهم فيقول : ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين أهله ، قال : فيُقرِّبه ويُدنيه . ويلتزمه . ويقول : نِعْم أنتَ » .

يُروى بفتح النون بمعنى نَعَمْ أنت ذاك الذي تستحقُّ الإكرامَ ، وبكسرها ، أي : نِعْمَ منْكَ . وقد استدلَّ به بعضُ النحاة على جواز كون فاعل نعم مضمراً ، وهو قليل . واختارَ شيخُنا الحافظ أبو الحجَّاج الأوَّلَ ، ورجَّحه ، ووجَّهه بما ذكرْناه ، والله أعلم .

وقد أوردنا هذا الحديث[٥] عند قوله تعالى : ﴿ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة : ١٠٢] يعني : أنَّ السحرَ المتلقَّى عن الشياطين من الإنس والجنِّ ، يُتوصَّل به إلى التفرقة بين المتآلفين غاية التآلف ، المتوادِّين المتحابِّين ، لهذا يشكرُ إبليسُ سعيَ من كان السبب في ذلك . فالذي ذمَّه الله يمدحُه ، والذي يُغْضِبُ الله يُرْضيه ، عليه لعنة الله .

وقد أنزل الله عزَّ وجلَّ سورتي المعوِّذتين مطردةً لأنواع الشر وأسبابه وغاياته ، ولا سيما سورة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٦٦ و٣٨٨) .

(٢) من المسند (٣/ ٩٦) .

(٣) في المسند (٣/ ٣٥٤) عن ماعز التميميّ وهو في صحيح مسلم (٢٨١٢) في صفات المنافقين .

(٤) في صحيحه (٢٨١٣) (٦٧) في صفات المنافقين وقد ذكره المؤلف بالمعنى .

(٥) انظر تفسير ابن كثير (١/ ١٨٠) .

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ١ ـ ٦] .

وثبتَ في الصحيحين[١] عن أنس ، وفي صحيح البخاري[٢] عن صفيَّة بنت حيي أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الشيطان يجري من ابنِ آدم مجرى الدم » .

وقال الحافظ أبو يعلى المَوْصلي[٣] : حدَّثنا محمد بن بحر ، حدَّثنا عديّ بن أبي عمارة ، حدَّثنا زياد النُّمَيْري ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الشيطانَ واضع خَطْمه على قَلْب ابن آدم ، فإن ذكرَ الله خَنَسَ ، وإن نسيَ التقمَ قلبه ، فذلك الوسواسُ الخنَّاسُ » .

ولما كانَ ذكرُ الله مطردةً للشيطان عن القلب ، كان فيه تذكار للنَّاس ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٤] وقال صاحب موسى : ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف : ٦٣] وقال تعالى : ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف : ٤٢] يعني الساقي لما قال له يوسف : اذكرني عند ربِّكَ ، نسيَ الساقي أن يذكرَه لربِّه ، يعني مولاه الملك ، و كان هذا النسيانُ من الشيطان ، فلبثَ يوسفُ في السجن بضع سنين ، ولهذا قال بعد هذا ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف : ٤٥] أي : مدة . وقُرِئَ ﴿ بعد أَمَهٍ ﴾ أي : نسيان . وهذا الذي قلنا من أن الناسي هو الساقي هو الصواب من القولين ، كما قرَّرناه في التفسير[٤] ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن عاصم ، سمعتُ أبا تميمة يُحدِّث عن رديف رسول الله ﷺ ، قال : عثرَ بالنبيِّ ﷺ حمارُه ، فقلت : تَعِسَ الشَّيطانُ ، فقال النبيُّ ﷺ : « لا تقلْ : تَعِسَ الشيطانُ ، فإنَّك إذا قلتَ : تَعِسَ الشيطانُ تعاظَمَ ، وقال : بقوَّتي صرعتُه . وإذا قلتَ : بسم الله ، تصاغرَ حتى يصيرَ مثلَ الذباب » .

انفرد به أحمد ، وهو إسناد جيد .

وقال أحمد[٦] : حدَّثنا أبو بكر الحنفي ، حدَّثنا الضحَّاك بن عثمان ، عن سعيد المَقْبُريّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحدَكم إذا كان في المسجد جاءه الشيطانُ فأَبَسَ به كما يَأْبِسُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٧٤) في السلام ولم يخرجه البخاري عن أنس ، لكن أخرجه في كتاب الأدب المفرد (١٢٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٢١٩) في الأدب ومسلم (٢١٧٥) في السلام .

(٣) في المسند (٤٣٠) وفي إسناده زياد النميري ، ضعيف .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩١) .

(٥) في المسند (٥/ ٥٩) .

(٦) في المسند (٢/ ٣٣٠).

الرجلُ بدابّتِهِ ، فإذا سكنَ له زَنَقه أو أَلْجَمَه »(١) . قال أبو هريرة وأنتم ترون ذلك . أما المَزنوقُ : فتراه مائلاً كذا لا يذكر الله ، وأما المُلْجم : ففاتحٌ فاه لا يذكر الله عزَّ وجلَّ . تفرَّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدَّثنا ابنُ نُمَيْر ، حدَّثنا ثَوْر ـ يعني ابن يزيد ـ عن مكحول ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « العينُ حقٌّ ، ويحضرُ بها الشيطان وحسدُ ابن آدم »(٣) .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا وكيع ، عن سفيانَ ، عن منصور ، عن ذرٍّ بن عبد الله الهَمْدانيّ ، عن عبدِ الله بن شَدَّاد ، عن ابن عبَّاس قال : جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إنِّي أُحدِّثُ نفسي بالشيء ، لأَنْ أخِرَّ من السَّماء أحبُّ إليَّ من أن أتكلَّمَ به . فقال النبي ﷺ : « الله أكبرُ(٥) ، الحمدُ الله الذي ردَّ كيدَه إلى الوَسْوسة » .

ورواه أبو داود والنسائي(٦) من حديث منصور ، زاد النسائي : والأعمش ، كلاهما عن ذر به .

وقال البخاري(٧) : حدَّثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدَّثنا اللَّيْثُ ، عن عقيل ، عن ابن شِهاب ، قال : أخبرني عُرْوةُ ، قال : قال أبو هريرة : قالَ رسول الله ﷺ : « يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقولُ من خلقَ كذا ؟ من خلقَ كذا ؟ حتى يقولَ : من خلقَ ربَّك ، فإذا بلغَ فليستعذْ بالله وَلْيَنْتَهِ » .

وهكذا رواه مسلم(٨) من حديث اللَّيث ومن حديث الزهري وهشام بن عروة وكلاهما عن عروة به .

وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] . وقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧ ـ ٩٨] وقال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٩٨ ـ ١٠٠] .

---

(١) « أبَسَه » : زَجَره . « وزَنَقه » : أماله . « وأَلْجَمَ » : يقال : ألجمت فلاناً عن حاجته : كففته ومنعته .
(٢) في المسند (٢/ ٤٣٩) .
(٣) إسناده ضعيف لانقطاعه فإن مكحولاً لم يسمع من أبي هريرة، وقوله « العين حق » صحيح .
(٤) في المسند (١/ ٢٣٥) وهو حديث صحيح .
(٥) في المسند : « اللهُ أكبرُ ، اللهُ أكبرُ ، اللهُ أكبرُ » .
(٦) أخرجه أبو داود في سننه (٥١١٢) في الأدب ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٦٨) .
(٧) في صحيحه (٣٢٧٦) في بدء الخلق .
(٨) في صحيحه (١٣٢) .

وروى الإمام أحمد[١] وأهل السنن[٢] : من حديث أبي المتوكل ، عن أبي سعيد ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من هَمْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ »[٣] . وجاء مثلُه من رواية جبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود وأبي أمامة الباهلي .

وتفسيرُه في الحديث : فهمزه الموتة ، وهو الخَنْقُ الذي هو الصَّرْع . ونفخُه : الكِبْرُ . ونَفْثُه : الشِّعْرُ .

وثبتَ في الصحيحين[٤] : عن أنس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا دخل الخَلاء قال : « أعوذُ بالله من الخُبْثِ والخَبائِثِ » قال كثيرٌ من العلماء : استعاذ من ذُكرانِ الشياطينِ وإناثهم .

وروى الإمام أحمد[٥] : عن سُرَيْج ، عن عيسى بن يُونس ، عن ثَوْر ، عن الحُصَيْن ، عن أبي سعدٍ الخير - وكان من أصحاب عمرَ - عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ومنْ أتى الغائطَ فليستتر ، فإن لم يجدْ إلا أن يجمعَ كثيباً من رملٍ فليستدبرْه ، فإنَّ الشيطان يلعبُ بمقاعدِ بني آدمَ ، منْ فعلَ فقد أحسنَ ، ومنْ لا فلا حَرَج » .

ورواه أبو داود وابن ماجه[٦] من حديث ثور بن يزيد به .

وقال البخاري[٧] : حدَّثنا عثمانُ بن أبي شيبةَ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن الأعمش ، عن عديٍّ بن ثابت ، قال : قال سليمانُ بن صُرَد : استبَّ رجلان عند النبيِّ ﷺ ونحنُ عندَه جلوسٌ ، فأحدُهما يسبُّ صاحبَه مُغضَباً قد احمرَّ وجهُه ، فقال النبيُّ ﷺ : « إنِّي لأعلمُ كلمةً لو قالَها لذهبَ عنه ما يجدُ ، لو قالَ : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم » فقالوا للرجل : ألا تسمعُ ما يقولُ النبيُّ ﷺ ؟ فقال : إني لستُ بمجنون .

ورواه أيضاً مسلم وأبو داود والنَّسائي من طرقٍ عن الأعمش[٨] .

وقال الإمام أحمد[٩] : حدَّثنا محمد بن عُبيد ، حدَّثنا عُبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا يأكلْ أحدُكم بشمالِه ولا يشربْ بشمالِه ، فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشمالِه ، ويشربُ

---

(١) في مسنده (٣/ ٥٠ و٦٩) .
(٢) أخرجه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، وابن ماجه (٨٠٤)، والنسائي (٢/ ١٣٢) .
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٨) وأبو داود في سننه (٧٧٥) في الصلاة ، والترمذي (٢٤٢) في الصلاة . أقول : وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٢) في الوضوء ، ومسلم في صحيحه (٣٧٥) في الحيض .
(٥) في المسند (٢/ ٣٧١) رقم (٨٨٢٤) ، وإسناده ضعيف .
(٦) أخرجه أبو داود في سننه (٣٥) في الطهارة ، وابن ماجه في الطهارة (٣٣٧) وفي (٣٤٩٨) في الطب مختصراً ، وإسناده ضعيف .
(٧) في صحيحه (٣٢٨٢) في بدء الخلق .
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦١٠) في البر، وأبو داود (٤٧٨١) في الأدب، والنسائي (١٠٢٢٤) في السنن الكبرى .
(٩) في المسند (٢/ ٨٠) .

بشماله » . وهذا على شرط الصحيحين بهذا الإسناد ، وهو في الصحيح من غير هذا الوجه[١] .

وروى الإمام أحمد من حديث إسماعيل بن أبي حكيم ، عن عروة ، عن عائشة ، عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال : « منْ أكلَ بشمالِه أكلَ معه الشيطانُ ، ومنْ شَرِبَ بشمالِهِ شربَ معه الشيطانُ »[٢] .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا شعبةُ ، عن أبي زياد الطحَّان ، قال : سمعتُ أبا هريرة يقولُ : عن النبيِّ ﷺ ؛ أنَّه رأى رجلاً يشربُ قائماً ، فقال له : « قِهْ » قال : لمَ ؟ قال : « أيسُرك أنْ يشربَ معكَ الهِرُّ ؟ . » قال : لا . قال : « فإنَّه قد شربَ معكَ من هو شرٌّ منه ، الشَّيطانُ » . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أيضاً[٤] : حدَّثنا عبد الرزَّاق ، قال معْمَرٌ ، عن الزهريِّ ، عن رجلٍ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لو يعلمُ الذي يشربُ وهو قائمٌ ما في بطنهِ لاستقاءَه » . قال : وحدَّثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بمثل حديث الزهريّ[٥] .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا موسى ، حدَّثنا ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، أنه سألَ جابراً : أسمعتَ النبيَّ ﷺ قالَ[٧] ؟ « إذا دخلَ الرجل بيتَه فذكرَ اسمَ الله حين يدخلُ وحين يَطْعمُ ، قال الشيطان : لا مبيتَ لكم ولا عشاء هاهنا ، وإن دخلَ ولم يذكرِ اسمَ الله عند دخولِه ، قال : أدركتمُ المبيتَ ، وإن لم يذكر اسمَ الله عند طعامه ، قال : أدركتم المبيتَ والعَشَاء ؟ » . قال : نعم .

وقال البخاري[٨] : حدَّثنا محمد ، أخبرنا عَبْدةُ ، عن هشام بن عُرْوةَ ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا طلعَ حاجبُ الشمس فدَعُوا الصَّلاةَ حتى تبرُزَ ، وإذا غابَ حَاجِبُ الشَّمس فدعُوا الصلاةَ حتى تغيبَ ، ولا تحيَّنوا بصلاتِكم طلوعَ الشمس ولا غُروبها ، فإنها تطلعُ بين قَرْني شيطان » أو « الشيطان » لا أدري أيَّ ذلك قال هشام ؟ .

---

(١) هو في صحيح مسلم (٢٠٢٠) (١٠٥) في الأشربة ، من طريق سالم عن ابن عمر وغيره .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٧٧) .

(٣) في المسند (٢/ ٣٠١) .

(٤) في المسند (٢/ ٢٨٣) وفي الإسناد الأول انقطاع .

(٥) في هامش أ : شربُ الماء قائماً مكروه .

(٦) في المسند (٣/ ٣٤٦) ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠١٨) في الأشربة ، وأبو داود (٣٧٦٥) في الأدب ، وابن ماجه (٣٨٨٧) والنسائي (١٧٨) في عمل اليوم والليلة .

(٧) في ا المسند : أسمعتَ رسول الله ﷺ يقول ؟

(٨) في صحيحه (٥٨٣) في مواقيت الصلاة ، و(٣٢٧٢) في بدء الخلق ، وفي المطبوع : « تطلع بين قرني الشيطان » أو « الشياطين » .

ورواه مسلم والنسائي[١] من حديث هشام به .

وقال البخاري[٢] : حدَّثنا عبد الله بن سلَمة ، عن مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمرَ ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُشيرُ إلى المشرق ، فقال : « ها إنَّ الفتنةَ هاهنا ، إن الفتنة هاهنا ، من حيثُ يطلعُ قرنُ الشيطان » . هكذا رواه البخاري منفرداً به من هذا الوجه .

وفي السنن أن رسول الله ﷺ نهى أن يجلسَ بين الشمس والظِلِّ ، وقال : « إنَّهُ مجلسُ الشيطان »[٣] . وقد ذكروا في هذا معاني ، من أحسنها أنه لما كان الجلوس في مثل هذا الموضع فيه تشويه بالخلقة فيما يُرى ، كان يُحبُّه الشيطان ، لأن خِلْقته في نفسه مشوَّهة ، وهذا مستقرٌّ في الأذهان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات : ٦٥] الصحيح أنَّهم الشياطينُ لا ضَرْبٌ من الحيَّات ، كما زعمه من زعمه من المفسرين . والله أعلم . فإن النفوس مغروزٌ فيها قبحُ الشياطين ، وحُسْنُ خَلْقِ الملائكة ، وإن لم يُشاهدوا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات : ٦٥] وقال النسوة لمَّا شاهدْنَ جمالَ يوسفَ ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف : ٣١] .

وقال البخاريُّ[٤] : حدَّثنا يحيى بنُ جعفرٍ ، قال محمّد بن عبد الله الأنصاريُّ ، قال ابنُ جريج ، أخبرني عطاءٌ ، عن جابرٍ ، عن النبي ﷺ ، قال : « إذا استجنحَ [اللَّيْلُ][٥] أو كان جُنْحُ اللَّيْلِ ـ فكفُّوا صبيانكم ، فإنَّ الشياطينَ تنتشرُ حينئذ ـ ، فإذا ذهبَ ساعةٌ من العشاء فخلُّوهم ، وأغلقْ بابَكَ ، واذكر اسمَ الله ، وأطفئ مصباحَكَ ، واذكرِ اسمَ الله ، وأوكِ سِقَاءَكَ واذكرِ اسمَ الله ، وخمِّرْ إناءكَ واذكرِ اسمَ اللهِ ، ولو تَعْرُضُ عليه عُوداً » .

ورواه أحمد[٦] : عن يحيى ، عن ابن جُريج ، وعندَه : « فإنَّ الشيطانَ لا يفتحُ مُغْلقاً » .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا وكيع ، عن مطر ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أغلقُوا أبوابَكم ، وخمِّروا آنيتكم ، وأوْكُوا أسقيتكم ، وأطفِئُوا سُرُجكم ، فإن الشيطان لا يفتحُ باباً مُغلقاً ، ولا يكشفُ غِطاءً ، ولا يحلُّ وِكَاءً[٨] ، وإن الفويسقةَ تضرمُ البيتَ على أهله » يعني : الفأرة .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٢٨) في صلاة المسافرين ، والنسائي (١/ ٢٧٧) في المواقيت .
(٢) في صحيحه (٣٢٧٩) في بدء الخلق .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤١٣) بتمامه . وروى منه أبو داود رقم (٤٨٢١) وغيره النهي فقط .
(٤) في صحيحه (٣٢٨٠) في بدء الخلق .
(٥) زيادة من البخاري .
(٦) في المسند (٣/ ٣٠١) .
(٧) في المسند (٣/ ٣٠١) .
(٨) في ب : وعاءً ، وأثبت ما في أ والمسند ، والمطبوع .

وقال البخاري[١] : حدَّثنا آدمُ ، حدَّثنا شعبةُ ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن كُرَيْب ، عن ابن عبَّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أنَّ أحدكم إذا أراد أنْ يأتيَ أهلَه قال : اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشيطانَ وجَنِّبِ الشيطانَ ما رزقتني ، فإن كان بينهما ولدٌ لم يضرَّه الشيطان ولم يُسلَّطْ عليه » . قال : وحدَّثنا الأعمشُ ، عن سالم ، عن كُرَيْب ، عن ابن عبَّاس ، مثله .

ورواه أيضاً[٢] : عن موسى بن إسماعيل ، عن همَّام ، عن منصورٍ ، عن سالم ، عن كُرَيب ، عن ابن عبَّاس ، عن النبيِّ ﷺ قال : « أما لو أنَّ أحدَكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشيطانَ ، وجَنِّب الشيطانَ ما رزقتنا ، فرُزقا ولداً لم يضرَّه الشيطانُ » .

وقال البخاري[٣] : حدَّثنا إسماعيلُ ، قال أخي ، عن سليمانَ ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « يعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقدٍ ، يضربُ على كلِّ عُقْدةٍ مكانَها : عليكَ ليلٌ طويلٌ فارقدْ . فإن استيقظَ فذكرَ الله انحلَّت عُقْدةٌ ، فإنْ توضَّأ انحلَّت عُقْدةٌ ، فإن صلَّى انحلَّتْ عُقَدُهُ كلُّها ، فأصبحَ نشيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ ، وإلا أصبحَ خبيثَ النَّفْس كسلانَ » هكذا رواه منفرداً به من هذا الوجه .

وقال البخاري[٤] : حدَّثنا إبراهيم بن حمزة ، حدَّثني ابن أبي حازم ، عن يزيدَ ـ يعني ابن الهاد ـ عن محمد بن إبراهيمَ ، عن عيسى بن طلحةَ ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إذا استيقظَ أحدُكم من منامِه فتوضَّأ فليستنثرْ ثلاثاً ، فإن الشيطانَ يبيتُ على خَيْشُومِهِ » .

ورواه مسلم[٥] : عن بشر بن الحكم ، عن الدراوردي ، والنسائي[٦] عن محمد بن زنبور ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، كلاهما عن يزيد بن الهاد به .

وقال البخاريُّ[٧] : حدَّثنا عثمان بن أبي شيبةَ ، قال جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ رجلٌ نامَ ليلة حتى أصبحَ ، قال : « ذاكَ رجلٌ بالَ الشيطانُ في أذنيْه » أو قال : « في أُذنهِ » .

ورواه مسلم[٨] : عن عثمان وإسحاق ، كلاهما عن جرير ، به .

---

(١) في صحيحه (٣٢٨٣) في بدء الخلق .
(٢) في صحيحه (٣٢٧١) في بدء الخلق .
(٣) في صحيحه (٣٢٦٩) في بدء الخلق .
(٤) في صحيحه (٣٢٩٥) في بدء الخلق .
(٥) في صحيحه (٢٣٨) في الطهارة .
(٦) في المجتبى (١/ ٦٧) في الطهارة .
(٧) في صحيحه (٣٢٧٠) في بدء الخلق .
(٨) في صحيحه (٧٧٤) في صلاة المسافرين .

وأخرجه البخاريُّ أيضاً ، والنَّسائيُّ ، وابن ماجه[١] ، من حديث منصور بن المعتمر به .

وقال البخاري[٢] : حدَّثنا محمد بن يُوسف ، أخبرنا الأوزاعيُّ ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمةَ ، عن أبي هريرة ، قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « إذا نُودي بالصَّلاة أدبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ ، فإذا قُضِيَ أقبلَ ، فإذا ثُوِّبَ بها أدبرَ ، فإذا قُضِيَ أقبلَ حتَّى يخْطِرَ بين الإنسان وقلبهِ ، فيقولُ : اذكرْ كذا وكذا ، حتى لا يَدري أثلاثاً صلَّى أم أربعاً ، فإذا لم يدرِ أثلاثاً صلَّى أم أربعاً سجدَ سجدتَي السَّهْو » هكذا رواه منفرداً به من هذا الوجه .

وقال أحمد[٣] : حدَّثنا أسودُ بن عامر ، حدَّثنا جعفر ـ يعني الأحمر ـ عن عطاء بن السائب ، عن أنس ، قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « راصُّوا الصفوفَ فإن الشيطانَ يقومُ في الخلل » .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا أبان ، حدَّثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان يقولُ : « راصُّوا صُفوفكم وقاربُوا بينها ، وحاذُوا بين الأعناق ، فو الذي نفسُ محمَّدٍ بيده إني لأرى الشيطان يدخل بين خلل الصف كأنَّهُ الحَذَف » .

وقال البخاري[٥] : حدَّثنا أبو مَعْمر ، حدَّثنا عبدُ الوارث ، حدَّثنا يونسُ ، عن حُميدِ بن هلالٍ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي سعيدٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا مرَّ بين يديْ أحدكُم شيء [وهو يُصلِّي] فليمنعْه ، فإن أبى فليمنعْه ، فإن أبى فليقاتلْه ، فإنما هو شيطان » .

ورواه أيضاً مسلم وأبو داود[٦] من حديث سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال به .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا أبو أحمد ، حدَّثنا مسرَّةُ بن مَعْبد ، حدَّثنا أبو عُبيد حاجب سُليمان ، قال : رأيتُ عطاءَ بن يزيد الليثي قائماً يُصلِّي ، فذهبتُ أمرُّ بين يديْه فردَّني ، ثم قال : حدَّثني أبو سعيد الخُدْريّ ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قام يُصلِّي صلاةَ الصُّبح وهو خلفه ، فقرأ ، فالتبستْ عليه القراءةُ ، فلما فرغَ من صلاتِه قال : « لو رأيتموني وإبليس ، فأهويتُ بيدي ، فما زلتُ أخْنقه حتى وجدتُ بردَ لُعابهِ بين إصبعيَّ هاتين : الإبهام والتي تليها ، ولولا دعوةُ أخي سُليمان لأصبحَ مربوطاً بساريةٍ من سَواري

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٤) في التهجد ، والنسائي (٣/ ٢٠٤) في قيام الليل ، وابن ماجه (١٣٣٠) في إقامة الصلاة .

(٢) في صحيحه (٣٢٨٥) في بدء الخلق .

(٣) في المسند (٣/ ١٥٤) وفيه : فإن الشياطين .

(٤) في المسند (٣/ ٢٦٠) وفيه : فإن الشياطين تدخل . والحَذَفُ : هي الغنم الصِّغار الحجازية ، واحدتها حَذَفة .

(٥) في صحيحه (٣٢٧٤) في بدء الخلق .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٥١٠ و٢٦٥) في الصلاة ، وأبو داود (٧٠٢) في الصلاة .

(٧) في المسند (٣/ ٨٢) .

المسجد ، يتلاعبُ به صِبْيانُ المدينة ، فمنِ استطاعَ منكم ألَّا يحولَ بينه وبينَ القِبْلة أحدٌ فليفعلْ »[١] .

وروى أبو داود[٢] : « فمن استطاعَ . . . » إلى آخره ، عن أحمد بن سريج ، عن أبي أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير به .

وقال البخاري[٣] : حدَّثنا محمود ، حدَّثنا شبَابة ، حدَّثنا شعبة ، عن محمّدِ بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : أنه صلَّى صلاةً ، فقال : « إنَّ الشيطانَ عرضَ لي ، فشدَّ عليّ يقطعُ الصَّلاة عليّ ، فأمكنني الله منه » ، فذكر الحديث .

وقد رواه مسلم والنسائي[٤] من حديثِ شعبةَ به مطوَّلاً .

ولفظ البخاري : عند تفسير قوله تعالى إخباراً عن سليمان عليه السلام ؛ أنه قال : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] من حديثِ روحٍ ، وغُنْدَر عن شُعبةَ ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إن عفريتاً من الجنِّ تفلَّت عليَّ البارحة ـ أو كلمةً نحوها ـ ليقطعَ عليَّ الصَّلاة ، فأمكنني الله منه ، فأردتُ أن أربطه إلى ساريةٍ من سواري المسجد ، حتَّى تُصبحوا وتَنظروا إليه كُلُّكم ، فذكرتُ قولَ أخي سليمانَ ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] »[٥] قال رَوْحٌ : فردَّه خَاسِئاً .

وروى مسلم[٦] : من حديث أبي إدريس ، عن أبي الدرداء ، قال : قامَ رسولُ الله ﷺ يُصلِّي فسمعناه يقولُ : « أعوذُ بالله منكَ » ثم قال : « ألعنُكَ بلعنةِ الله » ثلاثاً ، وبسطَ يدَه كأنَّه يتناولُ شيئاً ، فلمَّا فرغَ من الصَّلاة ، قلنا : يا رسولَ الله قد سمعناكَ تقولُ في الصَّلاة شيئاً لم نَسمعْكَ تقولُه قبلَ ذلكَ ، ورأيناك بسطتَ يدكَ ، فقال : « إنَّ عدوَّ الله إبليسَ ، جاءَ بشهابٍ من نار ، ليجعلَه في وَجْهي ، فقلتُ : أعوذ بالله منك ، ثلاث مراتٍ ، ثم قلتُ : ألعنُكَ بلعنةِ الله التَّامَّة ، فلم يستأخر ، ثم أردتُ أخذه ، والله لولا دعوةُ أخينا سليمانَ لأصبحَ مُوثَقاً يلعبُ به وِلْدانُ أهلِ المدينة » .

وقال اللهُ تعالى : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣] يعني الشيطان ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] فالشيطانُ لا يألو الإنسانَ خبالاً جهده وطاقته ، في جميع أحواله وحركاته وسكناته ، كما صنَّف الحافظ

---

(١) إسناده حسن .
(٢) في سننه (٦٩٩) في الصلاة .
(٣) في صحيحه (٣٢٨٤) في بدء الخلق .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٤١) في المساجد ، والنسائي في سننه الكبرى (١١٤٤٠) في التفسير .
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٨٠٨) في التفسير .
(٦) في صحيحه (٥٤٢) في المساجد ومواضع الصلاة .

أبوبكر بن أبي الدنيا ـ رحمه الله ـ كتاباً في ذلك سمَّاه « مكائد الشيطان »(١) وفيه فوائد جمَّة .

وفي سنن أبي داود(٢) : أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقولُ في دعائه : « وأعوذُ بكَ أن يتخبَّطني الشيطان عند الموت » وروينا في بعض الأخبار أنه قال : يا رب ! وعزَّتك وجلالكَ لا أزالُ أُغويهم ما دامتْ أرواحُهم في أجسادِهم ، فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي ولا أزالُ أغفرُ لهم ما استغفروني(٣) . وقال الله تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] فوعدُ الله هو الحقُّ الصِّدْقُ ، ووعدُ الشيطان هو الباطل .

وقد روى الترمذيُّ ، والنَّسائي ، وابنُ حبَّان في « صحيحه »(٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره : من حديث عطاءِ بن السَّائبِ ، عن مُرَّة الهَمْداني ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن للشيطانِ لَمَّة بابن آدمَ ، وللملك لمَّة ، فأما لمَّةُ الشيطان فإيعاد بالشرِّ وتكذيبٌ بالحقِّ ، وأما لمَّةُ المَلَكِ فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحقِّ ، فمن وجدَ ذلك فليعلمْ أنَّه من الله فليحمدِ الله ، ومن وجدَ الأخرى فليتعوّذ من الشيطان ثم قرأ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] » .

وقد ذكرنا في فضل سورة البقرة(٥) ؛ أنَّ الشيطانَ يفرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه ، وذكرنا في فضل آية الكرسي(٦) ؛ أنَّ من قرأها في ليلةٍ لا يقربُه الشيطان حتَّى يُصبحَ .

وقال البخاري(٧) : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن سُمَيٍّ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « منْ قالَ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير مئةَ مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مئة حسنة ومحيت عنه مئة سيئة ، وكانت له حِرْزاً من الشيطان يومه ذلك ، حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاءَ به إلا رجل عملَ أكثر من ذلك » .

---

(١) في المطبوع : « مصائد الشيطان » ، والكتاب مطبوع بالقاهرة سنة ١٤١٠هـ بتحقيق مجدي السيد إبراهيم ١٩٢ص ، واسمه « مكائد الشيطان » كما أثبتناه .
(٢) سنن أبي داود (١٥٥٢) في الصلاة .
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مكائد الشيطان » ص٤٣ .
(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٩٨٨) في التفسير ، والنسائي (١١٠٥١) في الكبرى ، والطبري في التفسير (٣/ ٨٨) وابن حبان في صحيحه (٩٩٧) الإحسان . وقال الترمذي : حسن غريب . أقول : وإسناده ضعيف .
واللَّمَّة من الشيطان ، مسٌّ ، واللَّمة : الشدة .
(٥) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٤٦ ـ ٤٧) .
(٦) المصدر السابق (١/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) .
(٧) في صحيحه (٣٢٩٣) في بدء الخلق .

وأخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه[١] من حديث مالك ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال البخاريُّ[٢] : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال ﷺ : « كلُّ ابن آدمَ يطعُنُ الشيطانُ في جَنْبيهِ بإصبَعِهِ ، حينَ يُولَدُ ، غيرَ عيسى بن مريم ، ذهبَ يطعنُ ، فطعنَ في الحجاب » . تفرَّد به من هذا الوجه .

وقال البخاري[٣] : حدَّثنا عاصمُ بن عليّ ، حدَّثنا ابنُ أبي ذئب ، عن سعيد المَقْبريِّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « التثاؤبُ منَ الشيطان ، فإذا تثاءبَ أحدُكم فليردَّه ما استطاعَ ، فإن أحدَكم إذا قال : ها ، ضحكَ الشيطانُ » .

ورواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه ، والنسائي[٤] من حديث ابن أبي ذئب به ، وفي لفظ : « إذا تثاءب أحدُكم فليكظم ما استطاع ، فإن الشيطانَ يدخلُ » .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا عبدُ الرزاق ، أنبأنا سفيان ، عن محمّد بن عجلان ، عن سعيدِ المَقْبري ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن اللهَ يُحبُّ العُطاسَ ، ويبغضُ أو يكرهُ التثاؤبَ ، فإذا قال أحدُكم : ها ، ها ، فإن ذلك الشيطان يضحكُ من جوفه » . ورواه الترمذي والنسائي[٦] ، من حديث محمد بن عجلان ، به .

وقال البخاريُّ[٧] : حدَّثنا الحسنُ بن الربيع ، حدَّثنا أبو الأحوص ، عن أشعث ، عن أبيه ، عن مسروق ، قال : قالت عائشةُ : سألتُ النبيَّ ﷺ عن التفات الرجل في الصَّلاة ؟ فقال : « هو اختلاسٌ يختلسُه الشيطانُ من صلاة أحدكُم » . وكذا رواه أبو داود والنسائي[٨] من رواية أشعث بن أبي الشعثاء ، سليم بن أسود المحاربي ، عن أبيه ، عن مسروق ، به .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩١) في الذكر، والترمذي في جامعه (٣٤٦٤) في الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٨) في ثواب التسبيح .

(٢) في صحيحه (٣٢٨٦) في بدء الخلق .

(٣) في صحيحه (٣٢٨٩) في بدء الخلق .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٩٧ و٥١٧) وأبو داود (٥٠٢٨) في الأدب ، والترمذي في جامعه (٢٧٤٦) في الأدب ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢١٦) .

(٥) في المسند (٢/ ٢٦٥) .

(٦) في جامعه (٢٧٤٦) في الاستئذان ، والنسائي في اليوم والليلة (٢١٧) .

(٧) في صحيحه (٧٥١) في صفة الصلاة ، و(٣٢٩١) في بدء الخلق .

(٨) أخرجه أبو داود في سننه (٩١٠) في الصلاة ، والنسائي (٣/ ٨) في السهو .

وروى البخاريُّ[١] : من حديث الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، حدَّثني عبدُ الله بن أبي قتادة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الرؤيا الصَّالحةُ من الله ، والحُلمُ من الشيطان ، فإذا حَلَمَ أحدُكم حُلُماً يخافُه فليبصقْ عن يساره ، وليتعوَّذْ بالله من شرِّها فإنها لا تضرُّه » .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا مَعْمرٌ ، عن همَّام ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُشيرنَّ أحدُكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري أحدُكم لعلَّ الشيطان أن ينزعَ في يده ، فيقع في حفرةٍ من النَّار » .

أخرجاه[٣] من حديث عبد الرزاق .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ٥] وقال : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات : ٦ ـ ١٠] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر : ١٦ ـ ١٨] وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠ ـ ٢١٢] وقال تعالى إخباراً عن الجان : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن : ٨ ـ ٩] .

وقال البخاري[٤] : وقال الليث : حدَّثني خالدُ بن يزيد ، عن سعيدِ بن أبي هلال : أنَّ أبا الأسود أخبرَه ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « الملائكةُ تتحدَّثُ في العنَان ـ والعَنَانُ : الغمام ـ بالأمر يكونُ في الأرضِ فتستمعُ الشياطينُ الكلمةَ ، فتقرُّها في أذنِ الكاهن ، كما تُقرُّ القارورة ، فيزيدونَ معها مئة كذبةٍ » . هكذا رواه في صفة إبليس معلَّقاً ، عن الليث به . ورواه في صفة الملائكة[٥] : عن سعيد بن أبي مريم ، عن الليث ، عن عُبيد الله بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة ، بنحوه . تفرَّد بهذين الطريقين دون مسلم .

وروى البخاري في موضع آخر ، ومسلم من حديث الزهري ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : قالت عائشة : سأل أناسٌ النبيَّ ﷺ عن الكُهَّان ، فقال : « إنهم ليسوا بشيء » فقالوا :

---

(١) في صحيحه (٣٢٩٢) في بدء الخلق، وأخرجه (٦٩٨٦) في التعبير من حديث عبد الله بن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه.
(٢) في المسند (٢/٢١٧) .
(٣) أخرجه البخاري (٧٠٧٢) في الفتن ، ومسلم (٢٦١٧) في البر والصلة .
(٤) في صحيحه (٣٢٨٨) .
(٥) من صحيحه (٣٢١٠) .

يا رسول الله ! إنَّهم يُحدِّثوننا أحياناً بشيءٍ فيكون حقّاً ، فقال ﷺ : « تلكَ الكلمةُ من الحقِّ يخطَفُها من الجنِّيِّ فيُقرْقِرُها في أذن وليِّه كقَرْقرةِ الدَّجاجة ، فيخلطونَ معها [أكثر من] مئة كذبةٍ »[1] . هذا لفظ البخاري .

وقال البخاري[2] : حدَّثنا الحميديُّ ، حدَّثنا سفيانُ ، حدَّثنا عمرو ، قال : سمعتُ عكرمةَ ، يقول : سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ : إنَّ نبيَّ الله ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمرَ في السَّماء ضربتِ الملائكةُ بأجنحتها خُضعاناً لقوله ، كأنه سلسلةٌ على صَفْوان ، حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا : ماذا قالَ ربُّكم ؟ قالوا : للذي قال الحقّ ، وهو العليُّ الكبيرُ . فيسمعُها مسترقُ السمع ، ومسترقُ السَّمعِ هكذا بعضُه فوقَ بعضٍ ـ ووصفَ سفيانُ بكفِّه فحرَّفها وبدَّد بين أصابعه ـ فيسمعُ الكلمةَ فيُلقيها إلى مَن تحته ، ثم يُلقيها الآخرُ إلى منْ تحته ، حتى يُلقيها على لسان الساحرِ أو الكاهنِ ، فربما أدركَ الشِّهابُ قبلَ أنْ يُلقيها ، وربما ألقاهَا قبلَ أنْ يُدركه ، فيكذبُ معها مئة كذبةٍ ، فيقال : أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا : كذا وكذا ، فيُصدَّق بتلكَ الكلمة التي سُمعتْ من السماء » انفرد به البخاري .

وروى مسلم[3] : من حديث الزهري ، عن عليِّ بن الحسين زين العابدين ، عن ابن عبَّاس ، عن رجال من الأنصار ، عن النبي ﷺ نحو هذا . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ [الزخرف : ٣٦ ـ ٣٨] وقال تعالى : ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [فصلت : ٢٥] الآية . وقال تعالى : ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق : ٢٧ ـ ٢٩] وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢ ـ ١١٣] .

وقد قدَّمنا في صفة الملائكة ، ما رواه أحمد ومسلم[4] : من طريق منصور ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن أبيه ، ـ واسمهُ رافع ـ عن ابن مسعود ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينُه من الجنِّ وقرينُه من الملائكة ، قالوا : وإيَّاك يا رسولَ الله ؟ قال : وإيَّاي ، ولكنَّ الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير » .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ـ واسمه حُصَيْنُ بن جُنْدب ، وهو أبو ظَبْيان الجَنبيُّ ـ عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منكم من

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦١) في التوحيد ، ومسلم (٢٢٢٨) في السلام .

(٢) في صحيحه (٤٨٠٠) في التفسير . وأخرجه (٤٧٠١) في التفسير ، و(٧٤٨١) في التوحيد عن علي ابن المديني عن سفيان .

(٣) في صحيحه (٢٢٢٩ و١٢٤) في السلام .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٨٥ و٣٩٧ و٤٠١) ومسلم (٢٨١٤) في صفات المنافقين .

أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينُه من الشياطين ، قالوا : وأنتَ يا رسولَ الله ؟ قال : نعم ، ولكنَّ الله أعانني عليه فأسلم »[١] . تفرَّد به أحمد ، وهو على شرط الصحيح .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا هارون ، حدَّثنا عبد الله بن وَهْب ، أخبرني أبو صخر ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، حدَّثه أن عروة بن الزبير حدَّثه ، أنَّ عائشة زوج النبي ﷺ حدَّثته ؛ أنَّ رسول الله ﷺ خرجَ من عندها ليلاً ، قالتْ : فغرتُ عليه ، قالت : فجاءَ فرأى ما أصنعُ ، فقال : « مالكِ يا عائشةُ أغرْت ؟ قالت : فقلت : ومالي ألاَّ يغار مِثْلي على مِثْلِك ؟ فقال رسول الله ﷺ : أفأخذك شيطانُكِ ؟ » قالت : يا رسول الله أو معي شيطان . قال : « نعم » . قلت : ومع كلِّ إنسان . قال : نعم . قلتُ : ومعكَ يا رسولَ الله ؟ قال : « نعم ، ولكنَّ ربِّي أعانني عليه حتَّى أسلمَ »[٢] .

وهكذا رواه مسلم[٣] عن هارون ـ وهو ابن سعيد الأيلي ـ بإسناده نحوه .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا قتيبة بن سعيد ، حدَّثنا ابنُ لهيعة ، عن مُوسى بن وَرْدان ، عن أبي هريرة ؛ أن النبيَّ ﷺ قال : « إن المؤمنَ ليُنْصي شيطانه كما يُنْصي أحدُكم بعيرَه في السفر » تفرَّد به أحمد من هذا الوجه .

ومعنى لينصي شيطانه : ليأخذ بناصيته ، فيغلبَه ويقهرَه ، كما يُفْعلُ بالبعير إذا شردَ ، ثم غلبَه . وقوله تعالى : إخباراً عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦ ـ ١٧] .

قال الإمام أحمد : حدَّثنا هاشم بن قاسم ، حدَّثنا أبو عقيل ـ هو عبد الله بن عقيل الثقفي ـ حدَّثنا موسى بن المسيَّب ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن سبرةَ بن أبي فاكه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ : قال : « إنَّ الشيطانَ قعدَ لابن آدمَ بأطرقه ، فقعدَ له بطريق الإسلام ، فقال له : أتُسلمُ وتذرُ دينكَ ودينَ آبائك ؟ قال : فعصاه وأسلم ، قال : وقعد له بطريق الهجرة ، فقالَ : أتهاجر وتذر أرضكَ وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول . فعصاه وهاجرَ ، قال : ثم قعدَ له بطريق الجهاد ، فقال له : هو جهاد النفس والمال ، فقال : أتقاتل فتقتل ، فتُنكحُ المرأةُ ويُقسمُ المالُ ؟ قال : فعصاه وجاهدَ » قال رسول الله ﷺ : « فمنْ يفعلْ ذلك منهم كان حقاً على الله أن يدخله الجنَّة ، وإن كان غرقَ كان حقاً

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٥٧) وهو حديث حسن .
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١١٥) . وفيه : عن ابن قسيط (في المطبوع من سند أحمد : أبي قسيط ، خطأ) ، وهو يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، يكنى أبا عبد الله وانظر التقريب ترجمة (٧٧٤١) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.
(٣) في صحيحه (٢٨١٥) (٧٠) في صفات المنافقين .
(٤) في المسند (٢/ ٣٨٠) .

على الله أنْ يُدْخله الجنَّة ، وإن وقصتْه دابَّتُه كان حقّاً على الله أن يُدْخله الجنَّة »[١] .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا عبادة بن مسلم الفزاري ، حدَّثني جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، سمعتُ عبد الله بن عمر ، يقول : لم يكن رسول الله يدعُ هذه الدعوات حين يُصبحُ وحينَ يُمسي : « اللهم إني أسألُك العافية في الدنيا والآخرة ، اللَّهمَّ إني أسألُكَ العفوَ والعافيةَ في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللَّهُمَّ استرْ عَوْراتي وآمنْ رَوْعاتي ، اللَّهُمَّ احفظْني من بين يديَّ ومن خلفي ، وعن يميني وعن شِمالي ومنْ فَوْقي ، وأعوذُ بعظمتك أنْ أُغتالَ منْ تحتي »[٢] . قال وكيع : يعني الخسف .

ورواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم[٣] : من حديث عبادة بن مسلم ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

***

باب
ما وردَ في خلق آدمَ عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠ـ٣٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٨٣) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٥) .

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤) في الأدب ، وابن ماجه (٣٨٧١) في الدعاء ، والنسائي (٨/ ٢٨٢) في الاستعاذة ، و(٥٦٦) في عمل اليوم والليلة ، وابن حبان في صحيحه (٩٦١) الإحسان ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١٧ و٥١٨) وصححه وهو كما قال .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] . كما قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] . وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩] الآية وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف : ١١ ـ ٢٥] . كما قال في الآية الأخرى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٢٦ ـ ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦١ ـ ٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ

وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ [۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ](١) ﴾ [الكهف : ٥٠ ـ ٥١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه : ١١٥ ـ ١٢٦] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ [ص : ٦٧ ـ ٨٨] .

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن ، وقد تكلَّمنا على ذلك كلِّه في التفسير ، ولنذكر هاهنا مضمون ما دلَّت عليه هذه الآيات الكريمات ، وما يتعلَّق بها من الأحاديث الواردة في ذلك عن رسول الله ﷺ ، وبالله المستعان .

فأخبر تعالى أنه خاطبَ الملائكة قائلاً لهم ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ [البقرة : ٣٠] أعلم بما يُريد أن يخلقَ من آدمَ وذريَّته الذين يخلفُ بعضُهم بعضاً ، كما قال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] . [وقال : ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ . . ﴾ [النمل : ٦٢]](٢) . فأخبرَهم بذلك على سبيل التنويه بخَلْق آدمَ وذريَّته ، كما يُخبر بالأمر العظيم قبل كونه ، فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة ، لا على وجه الاعتراض والتنقُّص لبني آدم والحسد لهم ، كما قد يتوهَّمُه بعضُ جهلة المفسرين ، قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة : ٣٠]

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع .
(٢) سقط من المطبوع .

قيل : علموا أن ذلك كائنٌ بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجن والبنّ[١] ، قاله قتادة .

وقال عبد الله بن عمر ، وكانت الجنُّ قبلَ آدمَ بألفيْ عامٍ ، فسفكُوا الدِّماءَ ، فبعثَ الله إليهم جنداً من الملائكة فطردُوهم إلى جزائر البحور .

وعن ابن عباس نحوه . وعن الحسن : أُلهموا ذلك .

[وقيل : لما اطَّلعوا عليه من اللوح المحفوظ ، فقيل : أطلعَهم عليه هاروتُ وماروتُ ، عن مَلَكٍ فوقَهما يُقال له السِّجلُّ . رواه ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر][٢] .

وقيل : لأنهم علموا أن الأرضَ لا يُخلق منها إلا من يكون بهذه المثابة غالباً .

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] أي : نعبدُك دائماً لا يعصيك منا أحد ، فإن كان المرادُ بخلق هؤلاء أنْ يعبدُوك فها نحنُ لا نفترُ ليلاً ولا نهاراً .

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] أي : أعلمُ من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون ، أي : سيُوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصِّدِّيقون والشهداء والصالحون .

ثم بيَّن لهم شرفَ آدمَ عليهم في العلم ، فقال ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] قال ابن عباس : هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابّة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وجمل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

وفي رواية : علَّمه اسم : الصَّحْفة ، والقدر ، حتى الفَسْوة والفُسيَّة . وقال مجاهد : علَّمه اسم كلِّ دابَّةٍ وكلِّ طير ، وكل شيء . وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وغير واحد . وقال الربيع : علَّمه أسماء الملائكة .

وقال عبد الرحمن بن زيد : علَّمه أسماءَ ذريَّته .

والصحيح : أنه علَّمه أسماءَ الذوات وأفعالها ، مُكبَّرها ومُصغَّرها ، كما أشار إليه ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما .

وذكر البخاريُّ هاهنا ما رواه هو ومسلم : من طريق سعيد وهشام ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال : « يجتمعُ المؤمنون يومَ القيامة ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربِّنا حتى يُريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدمَ فيقولون : أنت أبو البشر ، خلقكَ الله بيده ، وأسجدَ لكَ

---

(١) انظر تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٢) ومرآة الزمان (١/ ٢٥) .
(٢) ما بين حاصرتين أثبته من المطبوع .

ملائكته ، وعلَّمك أسماءَ كلِّ شيء . . . »[١] وذكرَ تمام الحديث .

﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ٣١] قال الحسن البصري : لما أراد الله خلقَ آدمَ قالتِ الملائكةُ : لا يخلقُ ربُّنا خَلْقاً إلا كنَّا أعلم منه ، فابتلوا بهذه . وذلك قوله : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ٣١] .

وقيل : غير ذلك ، كما بسطناه في « التفسير »[٢] .

قالوا ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] أي : سبحانك أن يُحيطَ أحدٌ بشيء من علمك من غير تعليمكَ ، كما قال : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٣] أي : أعلم السر كما أعلم العلانية .

وقيل : إن المراد بقوله : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ ما قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ وبقوله : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ المراد بهذا الكلام إبليس ، حين أسرَّ الكِبْرَ[٣] على آدم عليه السلام ، قاله سعيدُ بن جُبير ومجاهد والسُّدِّي والضَّحَّاك والثوري ، واختاره ابنُ جرير[٤] .

وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ قولهم : لن يخلقَ ربُّنا خلقاً إلا كنا أعلم منه ، وأكرم عليه منه .

وقوله ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ [البقرة : ٣٤] هذا إكرامٌ عظيم من الله تعالى لآدمَ ، حين خلقَه بيده ، ونفخَ فيه من روحه ، كما قال : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] فهذه أربع تشريفات : خَلْقهُ له بيده الكريمة ، ونَفْخُه فيه من روحه ، وأمْرُهُ ملائكته بالسجود له ، وتعليمُه أسماءَ الأشياء .

ولهذا قال له موسى الكليمُ حين اجتمعَ هو وإيَّاه في الملأ الأعلى وتناظرا ، كما سيأتي : أنت آدم أبو البشر ، الذي خلقكَ الله بيده ، ونفخَ فيك من رُوحه ، وأسجدَ لكَ ملائكتَه ، وعلَّمكَ أسماءَ كل شيء . وهكذا يقولُ أهلُ المحشر يومَ القيامة كما تقدَّم وكما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وقال في الآية الأخرى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٤١٠) في التوحيد ، ومسلم (١٩٣) في الإيمان .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٩٥) .

(٣) في تفسير الطبري (١/ ٢٥٩) وعند ابن كثير (١/ ٩٦) والاغترار .

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٤٤١) .

يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١١ ـ ١٢] .
قال الحسن البصري : قاسَ إبليسُ وهو أول من قاس .

وقال محمد بن سيرين : أوَّلُ منْ قاسَ إبليسُ ، وما عُبدت الشمسُ ولا القمرُ إلا بالمقاييس . رواهما ابن جرير(١) .

ومعنى هذا أنه نظرَ نفسَه بطريق المقايسة بينه وبين آدمَ ، فرأى نفسه أشرفَ من آدمَ ، فامتنعَ من السجود له ، مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود . والقياسُ إذا كان مقابلاً للنَّص كان فاسدَ الاعتبار ، ثم هو فاسدٌ في نفسه ، فإنَّ الطينَ أنفعُ وخيرٌ من النَّار ، فإنَّ الطينَ فيه الرَّزانةُ والحِلْمُ والأناةُ والنموُّ ، والنَّارُ فيها الطَّيْشُ والخِفَّةُ والسُّرعةُ والإحراقُ .

ثم آدمُ شرَّفه الله بخَلْقِه له بيده ، ونَفْخه فيه من روحِه ، ولهذا أمرَ الملائكةَ بالسجود له ، كما قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحجر : ٢٨ ـ ٣٥] . استحقَّ هذا من الله تعالى ، لأنه استلزمَ تنقُّصه لآدمَ وازدراؤهُ به ، وترفُّعه عليه مخالفةَ الأمر الإلَهي ، ومعاندةَ الحقِّ في النَّص على آدمَ على التَّعيين ، وشرعَ في الاعتذار بما لا يُجدي شيئاً ، وكان اعتذارُه أشدَّ من ذنبه ، كما قال تعالى في سورة سبحان : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦١ ـ ٦٥] وقال في سورة الكهف : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف : ٥٠] أي : خرجَ عن طاعة الله عَمْداً وعِناداً ، واستكباراً عن امتثال أمره ، وما ذاكَ إلا لأنه خانه طَبْعه ، ومادَّتُه الخبيثة أحوج ما كان إليها فإنَّه مخلوقٌ من نارٍ كما قال، وكما قدَّمنا في صحيح مسلم(٢) : عن عائشةَ ، عن رسول الله ﷺ قال : « خُلقت الملائكةُ من نورٍ، وخُلِقَ الجَانُّ من مارجٍ من نار، وخُلِقَ آدمُ مما وُصِفَ لكم » .

قال الحسن البصري : لم يكن إبليسُ من الملائكة طَرْفة عين قط .

وقال شهر بن حوشب : كان من الجنِّ ، فلما أفسدوا في الأرض بعثَ الله إليهم جنداً من الملائكة

(١) المصدر نفسه .
(٢) في صحيحه (٢٩٩٦) في الزهد والرقائق ، وأخرجه أحمد (٦/ ١٦٨) .

فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار ، وكان إبليسُ ممن أُسِرَ ، فأخذوه معهم إلى السماء فكانَ هناك ، فلما أُمِرَتِ الملائكةُ بالسجود امتنعَ إبليسُ منه .

وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيدُ بن المسيَّب وآخرون : كان إبليسُ رئيسَ الملائكة بالسماء الدنيا(١) .

قال ابنُ عبَّاس(٢) : وكان اسمه عزازيل . وفي رواية : الحارث ، قال النقَّاش : وكنيتُه « أبو كردوس » قال ابن عباس : وكان من حيٍّ من الملائكة يُقال له الجنُّ ، وكانوا خُزَّان الجِنانِ ، وكان من أشرفهم ، ومن أكثرهم علماً وعبادة ، وكان من أولي الأجنحة الأربعة فمسخَه الله شيطاناً رجيماً .

وقال في سورة ص : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٧١ ـ ٨٥] .

وقال في سورة الأعراف : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦ ـ ١٧] أي : بسبب إغوائك إيَّاي لأقعدنَّ لهم كل مَرْصد ولآتينَّهم من كلِّ جهة منهم ، فالسعيدُ من خالفَه والشقيُّ من اتَّبعه .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدَّثنا هاشم بن القاسم ، حدَّثنا أبو عقيل ـ هو عبدُ الله بن عقيل الثقفيّ ـ حدَّثنا موسى بن المسيَّب(٤) ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن سَبْرة بن أبي الفاكه ، قال : سمعت رسولَ الله ﷺ ، قال : « إنَّ الشيطانَ يقعدُ لابن آدمَ بأطرقهِ . . » وذكرَ الحديث كما قدَّمناه(٥) في صفة إبليس .

وقد اختلفَ المفسرون في الملائكة المأمورين بالسجود لآدمَ ، أهم جميع الملائكة ، كما دلَّ عليه عموم الآيات وهو قول الجمهور ، أو المرادُ بهم ملائكةُ الأرض ، كما رواه ابنُ جرير(٦) : من طريقِ الضَّحاك ،

---

(١) ولا دليل على ذلك .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢) .

(٣) في المسند (٣/ ٤٨٣) .

(٤) في المسند : موسى بن المثنى ، والصحيح ما أثبته ، وهو موسى بن المسيَّب الثقفي البزار . وانظر الكاشف ؛ للذهبي (٢/ ٣٠٨) . وأطراف المسند للحافظ ابن حجر ، تحقيق د . زهير الناصر (٢/ ٤٢٥) .

(٥) تقدم ذلك ص(١٠٨) .

(٦) في تفسيره (١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) .

عن ابن عبَّاس ؟ وفيه انقطاعٌ ، وفي السياق نكارةٌ ، وإن كان بعضُ المتأخرين قد رجَّحه ، ولكن الأظهر من السياقات الأول ، ويدل عليه الحديث : وأسجد له ملائكته ، وهذا عموم أيضاً والله أعلم .

وقوله تعالى لإبليس ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾ [الأعراف : ١٣] و ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨] دليلٌ على أنَّه كان في السماء ، فأُمر بالهبوط منها ، والخروج من المنزلة والمكانة التي كان قد نالها بعبادته ، وتشبُّهه بالملائكة في الطاعة والعبادة ، ثم سُلب ذلك بكبره وحسده ومخالفته لربه ، فأُهبط إلى الأرض مذؤوماً[١] مدحوراً[٢] .

وأمرَ الله آدمَ عليه السلام أن يسكن هو وزوجه الجنَّة ، فقال : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٣٥] . وقال في الأعراف : ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٨ ـ ١٩] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه : ١١٦ ـ ١١٩] وسياق هذه الآيات يقتضي أن خلقَ حواء كان قبلَ دخول آدم إلى الجنَّة [لقوله : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[٣] [البقرة : ٣٥]] .

وهذا قد صرَّح به إسحاقُ بن يَسار ، وهو ظاهرُ هذه الآيات .

ولكن حكى السُّدِّي : عن أبي صالح وأبي مالك ، عن ابن عبَّاس ، وعن مُرَّة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ؛ أنَّهم قالوا : أُخرجَ إبليس من الجنَّة ، وأُسكنَ آدمُ الجنَّة ، فكان يمشي فيها وحشيّاً ليس له فيها زوج يسكن إليها ، فنامَ نومةً فاستيقظَ ، وعند رأسه امرأةٌ قاعدةٌ ، خلقَها الله من ضِلْعه ، فسألَها : منْ أنتِ ؟ قالت : امرأةٌ . قال : ولِمَ خُلقتِ ؟ قالت : لتسكنَ إليَّ . فقالت له الملائكةُ ينظرونَ ما بلغَ من علمه : ما اسمُها يا آدمُ ؟ قال : حوَّاء . قالوا : ولِمَ كانتْ حوَّاء ؟ قال : لأنها خُلِقتْ من شيءٍ حيّ[٤] .

وذكر محمد بن إسحاق : عن ابن عبَّاسٍ : إنَّها خُلقتْ من ضِلْعه الأقصرِ الأيسرِ وهو نائمٌ ، ولأَمَ[٥] مكانَه لحماً ، ومصداق هذا في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١] الآية . وفي قوله تعالى : ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا

---

(١) مذؤوماً : مذموماً بأبلغ الذم .
(٢) مدحوراً : مقصيّاً ، مُبعداً .
(٣) ما بين الحاصرتين سقط من « ب » .
(٤) تفسير الطبري (٣/٥٧٨) .
(٥) لأمَ : أصلح .

زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾ [الأعراف : ١٨٩] الآية . وستتكلّم عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وفي الصحيحين(١) : من حديث زائدةَ ، عن مَيْسرة الأشجعيِّ ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « استوصُوا بالنساء خيراً ، فإنَّ المرأةَ خُلِقتْ من ضِلَعٍ ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلعِ أعلاه ، فإن ذهبتَ تُقيمه كسرتَه ، وإن تركتَه لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً » لفظ البخاري .

وقد اختلف المفسرون(٢) في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] فقيل : هي الكَرْمُ ، ورُوي عن ابن عبَّاس ، وسعيد بن جُبَيْر ، والشعبي ، وجَعْدةَ بن هُبيرة ، ومحمد بن قَيْس ، والسُّدِّي ، ورواه عن ابن عبَّاس ، وابن مسعود ، وناس من الصحابة ، قال : وتزعمُ يهودُ أنَّها الحنطةُ ، وهذا مرويٌّ عن ابن عبَّاس ، والحسن البصري ، ووهب بن منبّه ، وعطية العوفي ، وأبي مالك ، ومحارب بن دِثار ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

قال وهب : والحبَّةُ(٣) منه أليَنُ من الزبد وأحلى من العسل .

وقال الثوريُّ : عن حُصَيْن ، عن أبي مالك : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ هي النَّخْلةُ(٤) .

وقال ابن جريج ، عن مجاهد : هي التِّيْنةُ ، وبه قال قتادةُ(٢) .

وقال أبو العالية : كانت شجرةً منْ أكلَ منها أحدثَ ، ولا ينبغي في الجنَّة حدَثٌ(٥) .

وهذا الخلاف قريبٌ ، وقد أبهمَ اللهُ ذِكرَها وتعيينَها ، ولو كان في ذكرها مصلحةٌ تعودُ إلينا لعيَّنَها لنا ، كما في غيرها من المَحالِّ التي تُبْهمُ في القرآن .

وإنما الخلافُ الذي ذكروه في أنَّ هذه الجنَّة التي أُدْخِلها آدمُ ؛ هل هي في السماء(٦) أو في الأرض ؟ هو الخلاف الذي ينبغي فَصْلُه والخروج منه ، والجمهورُ على أنها هي التي في السماء ، وهي جنَّة المأوى ؛ لظاهر الآيات والأحاديث ، كقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظي ، وإنما تعود على معهود ذِهْني ، وهو المستقر شرعاً من جنَّة المأوى ، وكقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام « علامَ أخرجْتنا ونفسكَ من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٣١) في الأنبياء ، ومسلم (١٤٦٨) (٦٠) في الرضاع .
(٢) انظر تفسير الطبري (١/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠) وتفسير ابن كثير (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣) .
(٣) في ب : والخبز ، وما أثبتناه من أ ، والمطبوع ، والتفسير (١/ ١٠٢) .
(٤) تفسير الطبري (١/ ٢٧٠) .
(٥) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٢) .
(٦) في ب : السموات .

الجنة . . »[١] الحديث ، كما سيأتي الكلام عليه .

ورواه مسلم في صحيحه[٢] : من حديث أبي مالك الأشجعيّ ، ـ واسمه : سعدُ بن طارق ـ عن أبي حازم سلمةَ بن دينار ، عن أبي هريرة . وأبو مالك ، عن ربعي ، عن حذيفة ، قالا : قال رسول الله ﷺ : « يجمعُ الله النَّاسَ ، فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدمَ فيقولون : يا أبانا ! استفتح لنا الجنَّة ، فيقول : وهل أخرجَكم من الجنة إلَّا خطيئة أبيكم . . » وذكر الحديث بطوله .

وهذا فيه قوة جيِّدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنَّة المأوى ، وليست تخلو عن نظر .

وقال آخرون : بل الجنة التي أُسكنها آدمُ لم تكنْ جنَّةَ الخلد ، لأنه كُلِّفَ فيها ألا يأكلَ من تلك الشجرة ، ولأنه نامَ فيها وأُخرجَ منها ، ودخلَ عليه إبليسُ فيها ، وهذا مما يُنافي أن تكونَ جنَّة المأوى . وهذا القول محكيٌّ عن أُبيِّ بن كعب ، وعبد الله بن عبَّاس ، ووهْبِ بن مُنبِّه ، وسفيان بن عُيَيْنة ، واختارَه ابنُ قُتيبة في « المعارف »[٣] والقاضي منذر بن سعيد البلوطي في « تفسيره » وأفرد له مصنفاً على حدة ، وحكاه عن أبي حنيفة[٤] الإمام وأصحابِه ، رحمهم الله .

ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ابن خطيب الريّ في « تفسيره »[٥] عن أبي القاسم البَلْخي وأبي مُسلم الأصبهاني .

ونقله القرطبيُّ في « تفسيره »[٦] عن المعتزلة والقدرية ، وهذا القول هو نصُّ التوراة التي بأيدي أهل الكتاب .

وممن حكى الخلاف في هذه المسألة أبو محمد بن حزم في « الملل والنحل »[٧] وأبو محمد بن عطيَّة في « تفسيره »[٨] وأبو عيسى الرُّمَّاني في « تفسيره » . وحكى عن الجمهور الأوَّل ، وأبو القاسم الراغب ، والقاضي الماوردي في « تفسيره » فقال : واختُلف في الجنة التي أسكناها ، يعني آدم وحواء على قولين . أحدُهما : أنَّه[٩] جنَّةُ الخلد . الثاني : أنَّه جنَّة أعدها الله لهما وجعلَها دار ابتلاءٍ ، وليست جنَّة الخلد التي جعلَها دار جزاء .

---

(١) انظر الحديث وتخريجه (ص١٣١) .
(٢) صحيح مسلم (١٩٥) في الإيمان . وتزلف : تقترب .
(٣) المعارف لابن قتيبة (٦٩) .
(٤) في هامش « أ » : روى عن أبي حنيفة أن الجنة التي أدخل فيها آدم ليست جنة الخلد .
(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣/ ٤) .
(٦) تفسير القرطبي (١/ ٣١٥) .
(٧) الملل والنحل لابن حزم الأندلسي (١/ ١٨) .
(٨) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية (١/ ٢٤٩) .
(٩) في المطبوع : أنها .

ومن قال بهذا اختلفوا على قولين :

أحدُهما : أنها في السماء ، لأنه أهبطهما منها ، وهذا قول الحسن . والثاني : أنها في الأرض ، لأنه امتحنَهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نُهيا عنها دون غيرها من الثمار . وهذا قول ابن يحيى ، وكان ذلك بعد أن أُمر إبليسُ بالسجود لآدم ، والله أعلم بصواب[١] ذلك .

هذا كلامه . فقد تضمَّن كلامُه حكايةَ ثلاثةِ أقوالٍ ، وأشعرَ كلامُه أنَّه متوقف في المسألة . ولهذا حكى أبو عبد الله الرازي في « تفسيره »[٢] في هذه المسألة أربعةَ أقوال ، هذه الثلاثة التي أوردَها الماوردي . ورابعُها : الوقف . وحكى القولَ بأنها في السماء ، وليست جنَّة المأوى عن أبي علي الجُبَّائي .

وقد أوردَ أصحابُ القول الثاني سؤالاً يحتاج مثلُه إلى جواب ، فقالوا : لا شكَّ أنَّ الله سبحانه وتعالى طردَ إبليسَ حين امتنع من السجود عن[٣] الحضرة الإلَهية ، وأمره بالخروج عنها ، والهبوط منها ، وهذا الأمرُ ليس من الأوامر الشرعية بحيثُ يُمكن مخالفتُه ، وإنما هو أمر قدَريٌّ لا يُخالفُ ولا يُمانَعُ ، ولهذا قال : ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الأعراف : ١٨] وقال : ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ [الأعراف : ١٣] وقال : ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [ص : ٧٧] والضميرُ عائدٌ إلى الجنة أو السماء أو المنزلة ، وأيًّا ما كان فمعلومٌ أنه ليس له الكونُ قدراً في المكان الذي طُرد عنه وأُبعد منه ، لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز . قالوا : ومعلومٌ من ظاهر سياقاتِ القرآن أنَّه وسوسَ لآدمَ وخاطبَه بقوله له : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] وبقوله : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف : ٢٠ ـ ٢٢] الآية . وهذا ظاهر في اجتماعه معهما في جنَّتهما . وقد أُجيبوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمعَ بهما في الجنَّة على سبيل المرور فيها ، لا على سبيل الاستقرار بها ، أو أنَّه وسوسَ لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء .

وفي الثلاثة نظر ، والله أعلم .

ومما احتجَّ به أصحابُ هذه المقالة : ما رواه عبدُ الله بن الإمام أحمد في الزيادات ، عن هُدبة بن خالد ، عن حمَّاد بن سلمةَ ، عن حُميد ، عن الحسن البصريّ ، عن عُتَيّ بن ضَمْرة السعديّ ، عن أُبيّ بن كعب ، قال : إنَّ آدمَ لما احتُضرَ اشتهى قِطْفاً من عِنَب الجنَّة ، فانطلقَ بنوه ليطلبوه له ، فلقيتْهم الملائكةُ ، فقالوا : أينَ تُريدونَ يا بني آدمَ ؟! فقالوا : إنَّ أبانا اشتهى قِطْفاً من عِنَبِ الجنَّة . فقالوا لهم : ارجعوا فقد

---

(١) في المطبوع : والله أعلم بالصواب من ذلك .
(٢) انظر التفسير الكبير ؛ للفخر الرازي (٣/٣ ـ ٤) .
(٣) في أ : وعن .

كُفيتمُوه . فانتهوا إليه فقَبَضُوا روحَه ، وغسَّلوه وحنَّطوه وكفَّنوه ، ، وصلَّى عليه جبريلُ ومنْ خلفَه من الملائكة ، ودفنوه . وقالوا : هذه سُنَّتكم في موتاكم . وسيأتي الحديث بسنده ، وتمام لفظه عند ذكر وفاة آدم عليه السلام .

قالوا : فلولا أنَّه كان الوصولُ إلى الجنَّة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القِطْفَ ممكناً لما ذهبوا يطلبونَ ذلك ، فدلَّ على أنها في الأرض لا في السماء ، والله تعالى أعلم .

قالوا : والاحتجاجُ بأنَّ الألفَ واللام في قوله : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [الأعراف : ١٩] لم يتقدَّم عهد يعود عليه ، فهو المعهود الذهني مُسلَّم ، ولكن هو ما دلَّ عليه سياق الكلام ، فإن آدمَ خُلِقَ من الأرض ، ولم يُنقل أنه رُفِعَ إلى السماء ، وخُلقَ ليكونَ في الأرض ، وبهذا أعلمَ الربُّ ، حيث قال : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] .

قالوا : وهذا كقوله تعالى : ﴿ بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [القلم : ١٧] فالألفُ واللام ليس للعموم ولم يتقدَّم معهودٌ لفظيٌّ ، وإنما هي للمعهود الذهني الذي دلَّ عليه السياق ، وهو البستان .

قالوا : وذِكرُ الهبوط لا يدلُّ على النزول من السماء ، قال الله تعالى : ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ [هود : ٤٨] الآية . وإنما كانَ في السفينة[١] حين استقرت على الجوديِّ ، ونضبَ الماءُ عن وجه الأرضِ ، أُمرَ أن يهبطَ إليها هو ومن معه ، مباركاً عليه وعليهم ، وقال الله تعالى : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة : ٦١] الآية وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٧٤] الآية . وفي الأحاديث واللغة من هذا كثير .

قالوا : ولا مانعَ ـ بل هو الواقع ـ أن الجنَّة التي أُسكنها آدمُ كانت مرتفعةً على سائر بقاع الأرض ، ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم ونُضْرة وسرور ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ [طه : ١١٨] أي : لا يذلُّ باطنُكَ بالجوع ، ولا ظاهرُك بالعُرْي : ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه : ١١٩] أي : لا يمسُّ باطنك حرُّ الظمأ ولا ظاهرك حرُّ الشمس . ولهذا قرنَ بين هذا وهذا ، وبين هذا وهذا ؛ لما بينهما من المقابلة[٢] .

فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التي نُهي عنها ؛ أُهبط إلى أرض الشقاء والتعب والنَّصب والكدّ[٣] والسعي والنَّكد والابتلاء والاختبار والامتحان ، واختلاف السكان دِيناً وأخلاقاً وأعمالاً

---

(١) في نسخة : السفين .
(٢) في المطبوع : الملائمة .
(٣) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : والكَدَر .

وقصوداً[١] وإراداتٍ وأقوالاً وأفعالاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦] ولا يلزمُ من هذا أنهم كانوا في السماء ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء : ١٠٤] ومعلومٌ أنهم كانوا فيها ولم يكونوا في السماء .

قالوا : وليس هذا القولُ مُفرَّعاً على قول من يُنكر وجود الجنَّة والنَّار اليوم ، ولا تلازم بينهما ، فكلُّ منْ حُكي عنه هذا القول من السلف وأكثر الخلف ، ممن يُثبتُ وجودَ الجنَّة والنَّار اليومَ ، كما دلَّتْ عليه الآياتُ والأحاديثُ الصِّحاحُ ، كما سيأتي إيرادُها في موضعها ، والله سبحانه وتعالى أعلمُ بالصواب .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾ [البقرة : ٣٦] أي : عن الجنة ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة : ٣٦] أي : من النعيم والنضرة والسرور إلى دار التعب والكد والتنكد ، وذلك بما وسوس لهما وزيَّنه في صدورهما ، كما قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠] يقول : ما نهاكُما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلَكين أو تكونا من الخالدين ، أي : لو أكلتُما منها لصرتُما كذلك .

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ [الأعراف : ٢١] أي : حلف لهما على ذلك ﴿ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢١] كما قال في الآية الأخرى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] أي : هل أدلُّك على الشجرة التي إذا أكلتَ منها حصلَ لك الخلدُ فيما أنت فيه من النعيم ، واستمرَّ[٢] لك مُلْكٌ لا يبيدُ ولا يَنقضي ، وهذا من التغرير والتزوير ، والإخبار بخلاف الواقع .

والمقصودُ أنَّ قوله شجرة الخلد التي إذا أكلتَ منها خُلِّدْتَ ، وقد تكونُ هي الشجرةُ التي قالَ الإمامُ أحمد[٣] : حدَّثنا عبدُ الرحمن بن مَهْدي ، حدَّثنا شُعبةُ ، عن أبي الضَّحَّاك ، سمعتُ أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مئةَ عام لا يقطعها ، شجرةُ الخلد » .

وكذا رواه[٤] أيضاً : عن غندر وحجَّاج ، عن شعبة .

ورواه أبو داود الطيالسي في « مسنده »[٥] عن شعبة أيضاً به .

قال غُنْدر[٦] : قلت لشعبةَ : هي شجرةُ الخلد ؟ رواه[٧] : ليس فيها « هي » . تفرَّد

---

(١) في أ والمطبوع : وتصوُّراً .
(٢) في المطبوع : واستمررت في مُلكٍ .
(٣) في المسند (٢/ ٤٥٥) .
(٤) في المسند (٢/ ٤٦٢) .
(٥) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص٣٣٢) .
(٦) في المسند : قال حجاج .
(٧) في المسند : قال .

به الإمامُ أحمد . وقوله : ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾ [الأعراف : ٢٢] كما قالَ في « طه » : ﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ ﴾ [طه : ١٢١] وكانت حواء أكلتْ من الشجرة قبل آدمَ ، وهي التي حدَتْه[١] على أكلها ، والله أعلم .

وعليه يُحمل الحديث الذي رواه البخاري : حدَّثنا بشر بن محمد ، حدَّثنا عبدُ الله ، أنبأنا مَعْمر ، عن همَّام بن مُنبّه ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ نحوَه : « لولا بنو إسرائيل لم يَخْنزِ اللَّحمُ ، ولولا حَوَّاءُ لم تخُنْ أنثى زوجَها »[٢] . تفرد به من هذا الوجه .

وأخرجاه في الصحيحين[٣] : من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همَّام ، عن أبي هريرة به .

ورواه أحمد ومسلم[٤] : عن هارون بن معروف ، عن أبي وهب ، عن عمرو بن حارث ، عن أبي يونس ، عن أبي هريرة به .

وفي كتاب التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب أن الذي دلَّ حوَّاءَ على الأكل من الشجرة هي الحيَّةُ ، وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها ، فأكلتْ حوَّاءُ عن قولها ، وأطعمتْ آدمَ عليه السلام ، وليس فيها ذكر لإبليس ، فعند ذلك انفتحتْ أعينُهما ، وعلما أنَّهما عُريانان ، فوصلا من ورق التين ، وعملا مآزرَ ، وفيها أنَّهما كانا عُرْيانين .

وكذا قال وَهْبُ بن منبِّهْ : كان لباسُهما نوراً على فرجه وفرجها .

وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلطٌ منهم و تحريفٌ ، وخطأ في التعريب ، فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكادُ يتيسَّر لكلِّ أحد ، ولا سيما ممن لا يعرفُ كلامَ العرب جيداً ، ولا يُحيط علماً بفهم كتابه أيضاً ، فلهذا وقعَ في تعريبهم لها[٥] خطأ كثير لفظاً ومعنى ، وقد دلَّ القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس في قوله : ﴿ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾ [الأعراف : ٢٧] فهذا لا يُردُّ لغيره من الكلام ، والله تعالى أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدَّثنا علي بن الحسين بن إشكاب ، حدَّثنا عليّ بن عاصم ، عن سعيد بن

---

(١) حدَتْه : حثَّته وحرَّضَتْه .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٣٠) في أحاديث الأنبياء . وقوله ﷺ « يخنز » : ينتن ويتغير ، و« لولا حواء لم تخن أنثى زوجها » . قال الحافظ ابن حجر : ليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش ، حاشا وكلاَّ ، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة ، وحسَّنت ذلك لآدم ، عُدَّ ذ لك خيانة له . وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها . وانظر الفتح (٦/ ٣٦٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٩٩) في أحاديث الأنبياء . ومسلم (١٤٧٠) (٦٣) في الرضاع .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٤ و٣١٥) ومسلم (١٤٧٠) (٦٢) في الرضاع .

(٥) أي : للتوراة .

أبي عَرُوبة ، عن قتادةَ ، عن الحسن ، عن أبيّ بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلقَ آدمَ رجلاً طوالاً ، كثيرَ شعر الرأس ، كأنَّه نخلةٌ سحُوق ، فلما ذاقَ الشجرةَ سقطَ عنه لباسه ، فأوَّلُ ما بدا منه عورته ، فلما نظرَ إلى عورتِه جعلَ يشتدُّ في الجنة ، فأخذتْ شعرَه شجرةٌ فنازعَها ، فناداه الرحمنُ عزَّ وجلَّ : يا آدم ! منيِّ تفرُّ . فلما سمعَ كلامَ الرحمن ، قال : يا ربِّ لا ! ولكن استحياءً »[1] .

وقال الثوري : عن ابن أبي ليلى ، عن المِنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢] قال : ورق التين[2] . وهذا إسناد صحيح إليه ، وكأنَّه مأخوذ من أهل الكتاب ، وظاهر الآية يقتضي أعمَّ من ذلك ، وبتقدير تسليمه فلا يضرُّ ، والله تعالى أعلم .

وروى الحافظ ابن عساكر : من طريق محمَّد بن إسحاق ، عن الحَسن بن ذَكْوان ، عن الحسن البَصْريِّ، عن أُبيِّ بن كعب ، قال : قال رسولُ الله ﷺ: « إنَّ أباكم آدمَ كان كالنخلة السَّحوق ستين ذراعاً، كثيرَ الشعر ، مُوارى العورة ، فلما أصابَ الخطيئةَ في الجنَّة بدتْ له سوأتُه ، فخرجَ من الجنَّة ، فلقيتهُ شجرةٌ فأخذتْ بناصيتهِ، فناداه ربُّه: أفراراً مني يا آدمُ ؟ قال : بل حياءً منكَ والله يا ربِّ مما جئتُ به »[3] .

ثم رواه من طريق سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عُتيِّ بن ضَمْرة ، عن أُبيٍّ بن كعب ، عن النبي ﷺ ، بنحوه وهذا أصحُّ ، فإن الحسنَ لم يُدرك أبيّاً .

ثم أوردَه أيضاً : من طريق خيثمةَ بن سُليمان الإطرابلسي ، عن محمد بن عبد الوهاب أبي قِرْصافةَ العسقلاني ، عن آدمَ بن أبي إياس ، عن شيبانَ ، عن قتادةَ ، عن أنس مرفوعاً بنحوه[4] .

﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٢ ـ ٢٣] وهذا اعترافٌ ورجوعٌ إلى الإنابة ، وتذلُّلٌ وخضوعٌ واستكانةٌ ، وافتقارٌ إليه تعالى في الساعة الراهنة ، وهذا السِّرُّ ما سرَى في أحد من ذريَّته إلا كانت عاقبتُه إلى خير في دنياه وأخراه .

﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف : ٢٤] وهذا خطابٌ لآدمَ وحوَّاءَ وإبليسَ ، قيل : والحيَّة معهم ، أُمروا أن يَهبطوا من الجنَّة في حال كونهم متعادينَ متحاربينَ .

وقد يُستشهد لذكر الحيَّة معهما ، بما ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ : أنه أمر بقتل الحيَّات ،

---

(١) ذكرَه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٢) وقال : وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن ، عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ والموقوف أصح إسناداً . والحسن لم يدركْ أبيًّا ، وانظره في الدر المنثور (١/ ١٣٢) .
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٢) .
(٣) تهذيب تاريخ دمشق ؛ لابن منظور (٤/ ٢٢٢) .
(٤) المصدر السابق (٤/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

وقال : « ما سالَمْناهُنَّ منذُ حارَبْناهنَّ »[(١)] .

وقوله في سورة طه : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [طه : ١٢٣] هو أمرٌ لآدم وإبليس ، واستتبع آدمُ حوَّاءَ ، وإبليسُ الحيَّة ، وقيل : هو أمرٌ لهم بصيغة التثنية ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٨] .

والصحيح أن هذا لما كان الحاكمُ لا يحكم إلا بينَ اثنين مُدَّعٍ ومُدَّعىً عليه ، وقال : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٨] .

وأما تكريرُه الإهباط في سورة البقرة في قوله : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٦ ـ ٣٩] فقال بعض المفسرين : المرادُ بالإهباط الأوَّل الهبوطُ من الجنَّة إلى السماء الدنيا ، وبالثاني من السماء الدنيا إلى الأرض . وهذا ضعيفٌ ، لقوله في الأول ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦] فدلَّ على أنهم أهبطوا إلى الأرض بالإهباط الأوَّل ، والله أعلم .

والصحيحُ أنه كرَّره لفظاً وإن كان واحداً ، وناط مع كل مرة حُكماً ، فناطَ بالأوَّل عداوتهم فيما بينهم ، وبالثاني الاشتراط عليهم : أنَّ منْ تبعَ هُداه الذي يُنزِّله عليهم بعد ذلك فهو السعيد ، ومن خالفه فهو الشقيّ ، وهذا الأسلوب في الكلام له نظائر في القرآن الحكيم .

وروى الحافظ ابن عساكر : عن مجاهد ، قال : أمرَ الله مَلَكين أن يُخرجا آدمَ وحوَّاءَ من جِواره ، فنزعَ جبريلُ التَّاجَ عن رأسهِ ، وحلَّ ميكائيلُ الإكليلَ عن جبينه ، وتعلَّق به غصنٌ ، فظنَّ آدمُ أنه قد عُوجلَ بالعقوبة ، فنكَّسَ رأسَه يقولُ : العفوَ العفوَ ، فقال الله : أفراراً مني ؟ قال : بل حياءً منك يا سيدي[(٢)] !

وقال الأوزاعي : عن حسان ـ هو ابن عطيَّة ـ مكثَ آدمُ في الجنَّة مئةَ عامٍ ، وفي روايةٍ ستين عاماً ، وبكى على الجنَّة سبعينَ عاماً ، وعلى خطيئته سبعينَ عاماً ، وعلى ولده حينَ قُتِلَ أربعين عاماً[(٣)] . رواه ابن عساكر .

وقال ابن أبي حاتم : حدَّثنا أبو زُرْعَةَ ، حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا جرير ، عن سعيد ، عن ابن عبَّاس قال : أُهبطَ آدمُ عليه السلام إلى أرض يُقالُ له دَحْنا بين مكَّة والطائف[(٤)] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٧) وأبو داود (٥٢٤٨) في الأدب .
(٢) لم أجده فيما طبع من تاريخ دمشق لابن عساكر .
(٣) لم أجده فيما طبع من تاريخ دمشق لابن عساكر .
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٣٥) .

وعن الحسن قال : أهبط آدمُ بالهند ، وحوَّاء بجدة ، وإبليس بدست مَيْسان من البصرة على أميال ، وأهبطت الحيَّة بأصبهان[١] . رواه ابن أبي حاتم أيضاً .

وقال السدي : نزلَ آدمُ بالهند ، ونزل معه بالحجر الأسود ، وبقبضةٍ من ورق الجنة ، فبثَّه في الهند ، فنبتتْ شجرةُ الطِّيب هناك[٢] .

وعن ابن عمر قال : أهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة . رواه ابن أبي حاتم أيضاً .

وقال عبد الرزاق : قال معمر : أخبرني عوف ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : إن الله حينَ أهبط آدمَ من الجنَّة إلى الأرض علَّمه صنعةَ كلِّ شيءٍ ، وزوَّدهَ من ثمار الجنَّة ، فثمارُكم هذه من ثمار الجنَّة ، غير أن هذه تتغيرُ وتلك لا تتغير[٣] .

وقال الحاكم في « مستدركه »[٤] : أنبأنا أبو بكر بن بالويه ، عن محمد بن أحمد بن النضر ، عن معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عمَّار بن أبي معاوية البَجليّ ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : ما أُسكنَ آدمُ الجنَّة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرِّجاه .

وفي صحيح مسلم[٥] : من حديث الزهري ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ يومٍ طلعتْ فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلقَ آدمُ ، وفيه أُدخلَ الجنَّة ، وفيه أخرج منها » .

وفي الصحيح من وجه آخر « وفيه تقوم الساعة »[٦] .

وقال أحمد[٧] : حدَّثنا محمد بن مصعب ، حدَّثنا الأوزاعي ، عن أبي عمَّار ، عن عبد الله بن فَرُّوخ ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « خيرُ يومٍ طلعتْ فيه الشمسُ يومُ الجمعة ، فيه خُلِقَ آدمُ ، وفيه أدخلَ الجنَّة ، وفيه أخرجَ منها ، وفيه تقومُ السَّاعةُ » على شرط مسلم .

فأما الحديث الذي رواه ابن عساكر : من طريق أبي القاسم البَغَوي ، حدَّثنا محمد بن جعفر الوركاني ، حدَّثنا سعيد بن ميسرة ، عن أنس ؛ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « هبطَ آدم وحواء عُريانين جميعاً ، عليهما ورق الجنَّة ، فأصابه الحرُّ حتى قعد يبكي ويقولُ لها : يا حوَّاء ! قد آذاني الحرُّ ، قال :

---

(١) الدر المنثور (١/ ١٣٧) وقال : أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر عن الحسن .
(٢) الدر المنثور (١/ ١٣٩) وقال : أخرجه ابن أبي حاتم عن السدِّيِّ .
(٣) الدر المنثور (١/ ١٣٧) وقال: أخرجه البزار وابن أبي حاتم والطبراني وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٣) وصححه.
(٤) المستدرك (٢/ ٥٤٢) .
(٥) أخرجه مسلم (٨٥٤) (١٧) في الجمعة .
(٦) أخرجه مسلم (٨٥٤) (١٨) .
(٧) في المسند (٢/ ٥٤٠) .

فجاءه جبريلُ بقُطنٍ ، وأمرَها أنْ تغزلَ ، وعلَّمها ، وأمرَ آدمَ بالحياكة ، وعلَّمه أن ينسجَ . قال : وكان آدمُ لم يُجامع امرأتَه في الجنَّة حتى هبطَ منها ، للخطيئة التي أصابتهما بأكلهما من الشجرة . قال : وكان كلُّ واحد منهما ينامُ على حدَةٍ ، ينامُ أحدُهما في البطحاء والآخر من ناحية أخرى ، حتى أتاه جبريلُ فأمرَه أن يأتيَ أهله . قال : وعلَّمه كيف يأتيها ، فكلما أتاها جاءه جبريلُ ، فقال ؛ كيف وجدتَ امرأتكَ ؟ قال : صالحة »[١] فإنه حديث غريبٌ ، ورفعُه منكرٌ جداً ، وقد يكون من كلام بعض السلف ، وسعيدُ بن مَيْسَرة هذا ، هو أبو عمران البَكْري البَصْري ، قال فيه البخاري[٢] : منكر الحديث ، وقال ابن حِبَّان[٣] : يروي الموضوعات . وقال ابن عديّ[٤] : مظلم الأمر .

وقوله ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٧] قيل : هي قوله ﴿ ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] . رُوي هذا عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية ، والربيع بن أنس ، والحسن ، وقتادة ، ومحمد بن كعب ، وخالد بن مَعْدان ، وعطاء الخُراساني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٥] .

وقال ابنُ أبي حاتم : حدَّثنا عليُّ بن الحسين بن إشكاب ، حدَّثنا عليُّ بن عاصم ، عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أُبيِّ بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قالَ آدمُ عليه السلام : أرأيتَ يا ربِّ إن تبتُ وراجعتُ ، أعائدي إلى الجنة ؟ قال : نعم »[٦] فذلك قوله ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ ﴾ [البقرة : ٣٧] .

وهذا غريب من هذا الوجه ، وفيه انقطاع .

وقال ابن أبي نَجيح : عن مجاهد ، قال : الكلمات « اللهم لا إله إلا أنت سبحانَكَ وبحمدكَ ، ربِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي إنك خير الغافرين . اللَّهُمَّ لا إله إلا أنت سبحانكَ وبحمدك ، ربِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي إنك خيرُ الراحمين . اللَّهُمَّ لا إلهَ إلا أنتَ سبحانَكَ وبحمدكَ ، ربِّ إني ظلمتُ نفسي فتبْ عليّ إنَّك أنت التَّواب الرحيم »[٧] .

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٢/ ٣٥٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٣٨) وقال : وأخرج ابن عساكر بسند ضعيف عن أنس .
(٢) تاريخه الكبير ٣/ الترجمة (١٧٢٣) .
(٣) المجروحين (١/ ٣١٦) .
(٤) الكامل (٣/ ١٢٢٤) .
(٥) انظر الدر المنثور ، للسيوطي (١/ ١٤٤ ـ ١٤٥) .
(٦) أخرجه ابن جرير في التفسير (١/ ٢٨١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٤٢) .
(٧) أخرجه ابن جرير في التفسير (١/ ٢٨٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٤٥) وقال : أخرجه البيهقي في الشعب ، وابن عساكر عن أنس .

وروى الحاكم في « مستدركه »[١] : من طريق سعيد بن جُبير ، عن ابن عبَّاس ، ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ٣٧] قال : قال آدم : يا ربِّ ! ألم تَخْلُقني بيدكَ ؟ قيل له : بلى . ونفختَ فيَّ من روحكَ ؟ قيل له : بلى . وعطستَ ، فقلتَ : يرحمُك الله ، وسبقتْ رحمتك غضبَكَ ؟ قيل له : بلى . وكتبتَ عليَّ أن أعمل هذا ؟ قيل له : بلى . قال : أفرأيتَ إن تبتُ ، أفراجعي إلى الجنة ؟ . قال : نعم . ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يُخرِّجاه .

وروى الحاكم أيضاً ، والبيهقيُّ ، وابن عساكر ، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترفَ آدمُ الخطيئةَ قال : يا ربِّ أسألُكَ بحقِّ محمَّد أن غفرتَ لي . فقال الله : فكيفَ عرفتَ محمَّداً ولم أخْلُقْه بعدُ ؟ فقال : يا ربِّ لأنك لما خلقتني بيدكَ ، ونفختَ فيَّ من روحكَ ، رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائمِ العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمَّدٌ رسولُ الله . فعلمت أنَّك لم تُضِفْ إلى اسمكَ إلا أحبَّ الخلق إليكَ . فقال الله : صدقتَ يا آدمُ! إنَّه لأحبُّ الخلق إليّ ، وإذ سألتني بحقِّه فقد غفرتُ لكَ ، ولولا محمَّدٌ ما خلقتُك »[٢] . قال البيهقي : تفرَّد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه ، وهو ضعيف ، والله أعلم .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١٢١ ـ ١٢٢] .

* * *

ذكرُ
احتجاج آدمَ وموسى عليهما السلام

قال البخاري[٣] : حدثنا قتيبة ، حدَّثنا أيوب بن النجار ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « حاجَّ موسى آدمَ عليهما السلام ، فقال له : أنتَ الذي أخرجتَ النَّاس بذنبكَ من الجنَّة وأشقيتهم . قال آدم : يا موسى! أنت الذي اصطفاكَ الله برسالاته وبكلامِه ، أتلومني على أمر قد كتبَه الله عليّ قبل أن يَخْلُقني أو قدَّره عليّ قبل أن يخلقَني ؟ قال رسولُ الله ﷺ : فحجَّ آدمُ موسى » .

---

(١) المستدرك (٢/ ٥٤٥) .
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٥) وصححه ، وتعقبه الذهبي فقال : بل موضوع ، وعبد الرحمن واهٍ ، ورواه عبد الله بن مسلم الفهري ، ولا أدري من ذا ؟ وانظره في تهذيب ابن عساكر (٢/ ٢٥٩) .
(٣) في صحيحه (٤٧٣٨) في التفسير .

وقد رواه مسلم[(١)] : عن عمرو الناقد ، والنسائي[(٢)] عن محمد بن عبد الله بن يزيد ، عن أيوب بن النجار ، به . قال أبو مسعود الدمشقي[(٣)] : ولم يُخرِّجا عنه في الصحيحين سواه . وقد رواه أحمد[(٤)] عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن هَمَّام ، عن أبي هريرة . وقد رواه مسلم[(٥)] عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، به .

وقال الإمام أحمد[(٦)] : حدَّثنا أبو كامل ، حدَّثنا إبراهيمُ ، حدَّثنا ابن شهاب ، عن حُميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « احتجَّ آدمُ وموسى ، فقال له موسى : أنتَ آدمُ الذي أخرجتْكَ خطيئتُكَ من الجنَّة ؟ فقال له آدم : وأنتَ موسى الذي اصطفاكَ الله برسالاتِه وبكلامِه ، تلومُني على أمر قُدِّر عليَّ قبل أن أخلقَ ؟ قال رسول الله ﷺ: فحجَّ آدمُ موسى ، فحجَّ آدمُ موسى » . مرتين .

قلت : وقد روى هذا الحديثَ البخاريُّ ومسلم[(٧)] من حديث الزهري ، عن حُميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ نحوه .

وقال الإمام أحمد[(٨)] : حدَّثنا معاويةُ بن عمرو ، حدَّثنا زائدةُ ، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « احتجَّ آدمُ وموسى ، فقال موسى : يا آدم! أنت الذي خلقكَ الله بيده ونفخَ فيك من رُوحه ، أغويتَ النَّاس وأخرجتهم من الجنَّة . قال : فقالَ آدمُ : وأنت موسى الذي اصطفاكَ الله بكلامِه تلومُني على عملٍ أعملُه ، كَتبهُ اللهُ عليّ قبل أنْ يخلقَ السَّموات والأرض . قال : فحجَّ آدمُ موسى » .

وقد رواه الترمذي[(٩)] والنسائي جميعاً : عن يحيى بن حبيب بن عربيّ ، عن مَعْمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الأعمش به . قال الترمذي : وهو غريبٌ[(١٠)] من حديث سُليمان التَّيميِّ ، عن الأعمش ، قال : وقد رواه بعضُهم عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد .

قلت : هكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار في « مسنده »[(١١)] : عن محمد بن مثنى ، عن معاذ بن أسد ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٢) في القدر .
(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٣٢٩) ، في التفسير .
(٣) انظر قول أبي مسعود في تحفة الأشراف ؛ للمزيّ (١٠/ ٤٦٧) عقيب حديث (١٥٣٦١) .
(٤) في المسند (٢/ ٢٦٨) .
(٥) في صحيحه (٢٦٥٢) في القدر .
(٦) في المسند (٢/ ٢٦٤) .
(٧) أخرجه البخاري (٣٤٠٩) في الأنبياء و (٧٥١٥) في التوحيد ، ومسلم (٢٦٥٢) في القدر .
(٨) في المسند (٢/ ٣٩٨) .
(٩) أخرجه الترمذي (٢١٣٤) في القدر ، والنسائي في التفسير (٤٦٣) في الكبرى .
(١٠) في بعض النسخ : حسن غريب .
(١١) كما في كشف الأستار (٢١٤٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٩١) : رواه أبو يعلى والبزار مرفوعاً ، ورجالهما رجال الصحيح .

عن الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد .

ورواه البزار[١] أيضاً : حدَّثنا عمرو بن عليّ الفلاس ، حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ـ أو أبي سعيد ـ عن النبيِّ ﷺ فذكره .

وقال أحمد[٢] : حدَّثنا سفيان ، عن عمرو ، سمعَ طاووساً ، سمع أبا هريرة ، يقول : قال رسول الله ﷺ : « احتجَّ آدمُ وموسى ، فقالَ موسى : يا آدمُ أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنَّة . فقال له آدم : يا موسى ! أنت الذي اصطفاكَ الله بكلامهِ ـ وقال مرة : حجَّ آدمُ موسى ، حجَّ آدمُ موسى » .

وهكذا رواه البخاريُّ[٣] : عن عليِّ بن المديني ، حدَّثنا سفيان ، قال : حفظناهُ من عمرٍو ، عن طاووس ، قال : سمعتُ أبا هريرةَ عن النبيِّ ﷺ ، قال : « احتجَّ آدمُ وموسى ، فقال موسى : يا آدمُ : أنت أبونا ، خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنَّة . فقال له آدمُ : يا موسى ! اصطفاكَ الله بكلامِه ، وخطَّ لكَ بيدِه ، أتلومني على أمرٍ قدَّره الله عليَّ قبلَ أن يخلقَني بأربعينَ سنةً ؟ فحجَّ آدمُ موسى ، فحجَّ آدمُ موسى » هكذا ثلاثاً . قال سفيان : حدَّثنا أبو الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ مثله .

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه[٤] من عشر طرق عن سفيان بن عُيَيْنة[٥] ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن طاووس ، عن أبيه[٦] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه .

وقال أحمد[٧] : حدَّثنا عبد الرحمن ، حدَّثنا حمَّاد ، عن عمَّار ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لقيَ آدمُ موسى فقالَ : أنتَ آدمُ الذي خلقَكَ الله بيده ، وأسجدَ لكَ ملائكتَه ، وأسكنَكَ الجنَّة ، ثم فعلتَ ؟ فقال : أنتَ موسى الذي كلَّمك الله ، واصطفاكَ برسالتِه ، وأنزلَ عليكَ التوراةَ ، ثم أنا أقدمُ أم الذِّكر ؟ قال : لا ، بل الذِّكر ، فحجَّ آدمُ موسى »[٨] .

---

(١) أخرجه البزار (٢١٤٨) كما في كشف الأستار ، وقال الهيثمي : حديث أبي هريرة في الصحيح ، وأما حديث أبي سعيد فقد تقدم إسناده برقم (٢١٤٧) من غير شك .
(٢) في المسند (٢/ ٢٤٨) .
(٣) في صحيحه (٦٦١٤) في القدر .
(٤) أخرجه البخاري (٦٦١٤) في القدر ، ومسلم (٢٦٥٢) في القدر . والموطأ (٢/ ٨٩٨) في القدر ، وأبو داود (٤٧٠١) في السنة ، والنسائي في التفسير (٢٠٧) أقول : ورواه ابن ماجه رقم (٨٠) ولم أقف عليه عند الترمذي .
(٥) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٥٠٦) : وقع لنا من طرق عشرة عن أبي هريرة .
(٦) عمرو بن دينار إنما رواه عن طاووس عن أبي هريرة ، وعبد الله بن طاووس لم يرو هذا الحديث عن أبيه في أي من الكتب الستة .
(٧) في المسند (٢/ ٤٦٤) .
(٨) في المسند : « فحجَّ آدمُ موسى ، فحج آدمُ موسى » مكررة ، وهو حديث صحيح .

قال أحمد : وحدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا حَمَّاد ، عن عمَّار بن أبي عمَّار ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ ، وحُمَيْد ، عن الحسن ، عن رجلٍ ـ قال حمَّاد : أظنُّه جُنْدُبَ بن عبد الله البجلي ـ عن النبي ﷺ ، قال : « لقيَ آدمُ موسى . . . » فذكرَ معناه[١] . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدَّثنا حُسين ، حدَّثنا جرير ـ هو ابن حازم ـ عن محمد ـ هو ابن سيرين ـ عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لقيَ آدمُ موسى ، فقالَ : أنت آدمُ الذي خلقكَ الله بيده ، وأسكنكَ جنَّته ، وأسجد لك ملائكته ، ثمَّ صنعتَ ما صنعتَ ؟ قال آدمُ : يا موسى[٢] أنتَ الذي كلَّمه الله ، وأنزلَ عليه التوراةَ ؟ قال : نعم . قال : فهل تجده مكتوباً عليّ قبل أن أُخلقَ ؟ قال : نعم . قال : فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى »[٣] .

وكذا رواه حمَّاد بن زيد ، عن أيوب وهشام ، عن محمَّد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، رفعه . وكذا رواه عليُّ بن عاصم ، عن خالد وهشام ، عن محمد بن سيرين . وهذا على شرطهما من هذه الوجوه .

وقال ابن أبي حاتم : حدَّثنا يونسُ بن عبد الأعلى ، أنبأنا ابنُ وَهْبٍ ، أخبرني أنس بن عياض ، عن الحارث بن أبي ذُباب ، عن يزيدَ بن هُرْمزٍ ، سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ : قال رسول الله ﷺ : « احتجَّ آدمُ وموسى عند ربِّهما ، فحجَّ آدمُ موسى . قال موسى : أنتَ الذي خلقكَ الله بيده ، ونفخَ فيكَ من روحِه ، وأسجدَ لك ملائكتَه ، وأسكنكَ جنَّته ، ثم أهْبَطْتَ النَّاسَ إلى الأرض بخطيئتكَ ؟ قال آدم : أنت موسى الذي اصطفاكَ الله برسالتِه وكلامِه ، وأعطاكَ الألواحَ فيها تبيانُ كلِّ شيءٍ ، وقرَّبك نجيّاً ، فبكم وجدتَ اللهَ كتبَ التوراةَ ؟ قال موسى : بأربعين عاماً . قال آدم : فهل وجدتَ فيها ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١] قال : نعم . قال : أفتلومني على أن عملتُ عملاً كتبَ الله عليّ أن أعمَله قبل أن يخلُقَني بأربعين سنة ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : فحجَّ آدمُ موسى »[٤] .

قال الحارثُ : وحدَّثني عبدُ الرحمن بن هُرْمزَ بذلكَ ، عن أبي هريرةَ ، عن رسول الله ﷺ .

وقد رواه مسلم[٥] : عن إسحاق بن موسى الأنصاري ، عن أنس بن عِياض ، عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذُباب ، عن يزيد بن هُرْمز والأعرج ، كلاهما عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ بنحوه .

وقال أحمد : حدَّثنا عبدُ الرزاق ، أنبأنا مَعْمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ،

---

(١) في المسند (٢/ ٤٦٤) ، وهو حديث بطرقه .
(٢) في المسند : فقال آدم لموسى :
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٩٢) ، وهو حديث صحيح .
(٤) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر (٢/ ٣٤٦) وتفسير ابن كثير (٣/ ٢١٢) .
(٥) في صحيحه (٢٦٥٢) (١٥) في القدر .

قال : قال رسول الله ﷺ : « احتجَّ آدمُ وموسى ، فقال موسى لآدم : يا آدم ! أنتَ الذي أدخلتَ ذرِّيتَكَ النَّارَ . فقال آدمُ : يا موسى ! اصطفاكَ الله برسالاتِهِ وبكلامِهِ ، وأنزلَ عليكَ التوراةَ ، فهل وجدتَ أني أهبطُ ؟ قال : نعم . قال : فحجَّه آدمُ »(١) وهذا على شرطهما ، ولم يُخرِّجاه من هذا الوجه . وفي قوله : أدخلتَ ذرِّيتك النَّار ، نكارة .

فهذه طرقُ هذا الحديث عن أبي هريرة ، رواه عنه حُمَيْد بن عبد الرحمن ، وذَكْوان أبو صالح السَّمَّان ، وطاووس بن كَيْسان ، وعبدُ الرحمن بن هُرْمُز الأعرج ، وعمَّار بن أبي عمَّار ، ومحمّدُ بن سيرين ، وهمَّام بن مُنبِّه ، ويزيدُ بن هُرْمز ، وأبو سلمةَ بنُ عبد الرحمن .

وقد رواه الحافظ أبو يَعلى المَوْصلي في « مسنده »(٢) : من حديث أمير المؤمنين عمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه فقال : حدَّثنا الحارثُ بن مسكين المصري ، حدَّثنا عبدُ الله بن وَهْب ، أخبرني هشامُ بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمرَ بن الخطَّاب ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « قال موسى عليه السلام : يا ربِّ أرنا آدمَ الذي أخرجنَا ونفسَه من الجنَّة . فأراه آدمَ عليه السلام . فقال : أنت آدمُ ؟ فقال : نعم . قال : أنتَ الذي نفخَ الله فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكتَه ، وعلَّمك الأسماء كلَّها ؟ قال : نعم . قال : فما حملكَ على أنْ أخرجتَنا ونفسَك من الجنَّة ؟ فقال له آدم : منْ أنتَ ؟ قال : أنا موسى . قال : أنت موسى نبيُّ بني إسرائيل ؟ أنتَ الذي كلَّمكَ الله من وراءالحجاب ، فلم يجعلْ بينك وبينَه رسولاً من خَلْقِه ؟ قال : نعم . قال : تلومُني على أمرٍ قد سبقَ من الله عزَّ وجلَّ القضاءُ به قبلُ ؟! قال رسول الله ﷺ : فحجَّ آدمُ موسى ، فحجَّ آدمُ موسى » .

ورواه أبو داود(٣) : عن أحمد بن صالح المِصْري ، عن ابن وَهْب ، به(٤) .

قال أبو يعلى : وحدَّثنا محمد بن المثنَّى ، حدَّثنا عبدُ الملك بن الصباح المِسْمعيّ ، حدَّثنا عِمْران ، عن الرُّدَيْنيِّ بن أبي مِجْلزٍ ، عن يحيى بن يعمَر ، عن ابن عمرَ ، عن عمرَ ـ قال أبو محمد : أكبرُ ظنِّي أنَّه رفعه ـ قال : « التقى آدمُ وموسى ، فقالَ موسى لآدمَ : أنتَ أبو البشر ، أسكنكَ الله جنَّته ، وأسجدَ لكَ ملائكتَه ؟ قال آدمُ : يا موسى ! أما تجدُه عليَّ مكتوباً ؟ قال : فحجَّ آدمُ موسى ، فحجَّ آدمُ موسى »(٥) . وهذا الإسناد أيضاً لا بأسَ به ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/٢٦٨) ، وهو حديث صحيح دون قوله : « أدخلتَ ذريتك الجنة » .
(٢) (٢٤٣) وهو حديث حسن .
(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٠٢) في القدر .
(٤) في إسناده ضعف ، ولكن له شواهد يقوى بها .
(٥) أخرجه أبو يعلى في المسند (٢٤٤) وهو حديث حسن .

وقد تقدَّم[١] روايةُ الفضل بن موسى لهذا الحديث ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد . وروايةُ الإمام[٢] أحمد له عن عفَّان ، عن حمَّاد بن سلمة ، عن حُمَيْد ، عن الحسن ، عن رجلٍ . قال حمَّاد : أظنُّه جُنْدُب بن عبد الله البَجَليّ ، عن النبي ﷺ : « لقيَ آدمُ موسى . . . » فذكرَ معناه .

وقد اختلفتْ مسالكُ النَّاس في هذا الحديث ؛ فردَّه قومٌ من القدريَّة ، لما تضمَّن من إثبات القدر السابق .

واحتجَّ به قومٌ من الجبرية ، وهو ظاهر لهم باديءَ الرأي ، حيث قال : فحجَّ آدمُ موسى ، لمَّا احتجَّ عليه بتقديم كتابه ، وسيأتي الجوابُ عن هذا .

وقال آخرون[٣] : إنما حجَّه لأنه لامَه على ذَنْبٍ قد تابَ منه ، و التَّائبُ من الذنب كمن لا ذَنْبَ له . وقيل : إنما حجَّه لأنه أكبر منه وأقدم . وقيل : لأنه أبوه . وقيل : لأنهما في شريعتين متغايرتين . وقيل : لأنهما في دار البرزخ ، وقد انقطعَ التكليف فيما يزعمونه .

والتحقيقُ أنَّ هذا الحديث رُوي بألفاظٍ كثيرةٍ بعضُها مرويٌّ بالمعنى ، وفيه نظر . ومدارُ معظمها في الصحيحين وغيرهما على أنَّه لامَه على إخراجه نفسَه وذريَّته من الجنَّةِ ، فقال له آدم : أنا لم أخرجْكم ، وإنما أخرجَكم الذي رتَّب الإخراج على أكلي من الشجرة ، والذي رتَّب ذلك وقدَّره وكتبَه قبلَ أنْ أُخلقَ هو الله عز وجل ، فأنتَ تلومُني على أمر ليس له نسبة إليّ أكثر ما أنِّي نُهيتُ عن الأكل من الشجرة ، فأكلتُ منها ، وكون الإخراج مترتباً على ذلك ليس من فعلي ، فأنا لم أخرجْكم ولا نفسي من الجنَّة ، وإنما كان هذا من قدرة الله وصُنْعه ، وله الحكمةُ في ذلك ، فلهذا حجَّ آدمُ موسى .

ومن كذَّب بهذا الحديث فمعاندٌ ، لأنه متواترٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وناهيك به عدالةً وحفظاً وإتقاناً . ثم هو مرويٌّ عن غيره من الصحابة كما ذكرنا .

ومن تأوَّله بتلك التأويلات المذكورة آنفاً فهو بعيدٌ من اللفظ والمعنى . وما فيهم منْ هو أقوى مَسْلكاً من الجبريَّة ، وفيما قالوه نظرٌ من وجوه :

أحدها : أن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد تابَ منه فاعلهُ .

الثاني : أنه قد قتلَ نفساً لم يُؤمر بقتلها ، وقد سأل اللهَ في ذلك بقوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ [القصص : ١٦] الآية .

الثالث : أنه لو كان الجواب عن اللَّوْم على الذنب بالقدر المتقدم كتابته على العبد ، لانفتحَ هذا لكل

---

(١) تقدم الحديث وتخريجه ص(١٢٨) .
(٢) تقدم الحديث وتخريجه ص(١٣٠) .
(٣) في هامش « أ » : كلام في احتجاج آدم على موسى عليهما السلام .

من لِيْمَ على أمر قد فعلَه ، فيحتج بالقدر السابق ، فينسدُّ باب القصاص والحدود . ولو كان القَدَر حجَّةً ، لاحتجَّ به كلُّ أحد على الأمر الذي ارتكبه في الأمور الكبار والصغار ، وهذا يُفضي إلى لوازم فظيعة ، فلهذا قال من قال من العلماء : بأن جواب آدم إنما كان احتجاجاً بالقَدَر على المصيبة لا المعصية ، والله أعلم .

ذكر
الأحاديث الواردة في خلق آدم

قال الإمام أحمد : حدَّثنا يحيى ومحمد بن جعفر ، حدَّثنا عَوْف ، حدَّثني قَسَامة بن زُهير ، عن أبي موسى ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ من قَبْضةٍ قبضَها من جميعِ الأرض ، فجاءَ بنو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ ، جاءَ منهم الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ وبين ذلك . والخبيثُ والطَّيِّبُ والسَّهْلُ والحَزنُ وبين ذلك »[١] .

ورواه أيضاً[٢] : عن هوذةَ ، عن عَوْف ، عن قَسَامة بن زُهير ، قال : سمعتُ الأشعريَّ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ من قَبْضَةٍ قبضَها من جميع الأرضِ ، فجاءَ بنو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ ، فجاءَ منهم الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ وبينَ ذلك . والسَّهْلُ والحَزْنُ ، وبين ذلك ، والخبيثُ والطَّيِّبُ ، وبينَ ذلكَ » .

وكذا رواه أبو داود والترمذي وابن حِبَّان في « صحيحه »[٣] : من حديث عوف بن أبي جميلة الأعرابي ، عن قَسَامة بن زُهير المازني البَصْري ، عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشْعري ، عن النبيِّ ﷺ بنحوه . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد ذكر السُّدِّي : عن أبي مالك ، وأبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحابِ رسول الله ﷺ ، قال : « فبعثَ الله عزَّ وجلَّ جبريلَ في الأرض ، ليأتيَه بطينٍ منها ، فقالت الأرضُ : أعوذُ بالله منكَ أن تنقص مني أو تشينني ، فرجعَ ولم يأخذ ، وقال : ربِّ إنها عاذتْ بك فأعذتُها ، فبعث ميكائيلَ فعاذتْ منه فأعاذَها ، فرجعَ فقال كما قالَ جبريلُ ، فبعَثَ مَلَك الموتِ فعاذتْ منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجعَ ولم أُنَفِّذْ أمرَه ، فأخذَ من وجه الأرض وخلَطه ، ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذَ من تربةٍ بيضاءَ وحمراء وسوداءَ ، فلذلكَ خرجَ بنو آدم مختلفينَ ، فصَعِدَ به فَبَلَّ الترابَ حتى

---

(١) في المسند (٤/ ٤٠٠) .
(٢) في المسند (٤٠٦) .
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٣) في السنة ، والترمذي (٢٩٥٥) في التفسير ، وابن حبَّان في صحيحه (٦١٦٠) الإحسان .

عاد طيناً لازباً ـ واللازب ؛ هو الذي يلزق بعضه ببعض ـ ثم قال للملائكة : ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص : ٧١ ـ ٧٢] » .

فخلقَه الله بيده لئلا يتكبَّرَ إبليس عنه ، فخلقَه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرَّت به الملائكةُ ، ففزِعُوا منه لمَّا رأَوْه ، وكان أشدَّهم منه فزعاً إبليسُ ، فكان يمرُّ به فيضربه ، فيُصَوِّتُ الجسدُ كما يُصوِّتُ الفُخَّارُ ، يكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] ويقول : لأمرٍ ما خُلِقْتَ ، ودخلَ من فيه وخرجَ من دُبُره ، وقال للملائكة : لا تَرْهَبُوا من هذا فإن ربَّكم صمَدٌ وهذا أجوفُ ، لئن سُلِّطْتُ عليه لأهلكنَّه .

فلما بلغ الحين الذي يُريد الله عزَّ وجلَّ أنْ ينفخَ فيه الرُّوحَ ، قال للملائكة : إذا نفختُ فيه من روحي فاسجدوا له ، فلما نفخَ فيه الروحَ ، فدخلَ الرُّوحُ في رأسِه عطسَ ، فقالت الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال له الله : رحمكَ ربُّكَ . فلما دخلتِ الرُّوح في عينيْه نظرَ إلى ثمار الجنَّة ، فلما دخلتِ الرُّوح في جوفه ، اشتهى الطعام ، فوثبَ قبل أن تبلغَ الرُّوحُ إلى رجليْه ، عجلانَ إلى ثمار الجنَّة ، وذلك حين يقولُ الله تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٣٠ ـ ٣١] وذكرَ تمامَ القِصَّة[١] .

ولبعض هذا السِّياق شاهدٌ من الأحاديث ، وإن كانَ كثير منه مُتلقًّى من الإسرائيليات .

فقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عبدُ الصمد ، حدَّثنا حمَّاد ، عن ثابت ، عن أنس ، أن النبيَّ ﷺ قال : « لما خلق الله آدمَ تركَه ما شاء أن يدَعَه ، فجعل إبليسُ يطيفُ به ، فلما رآه أجوفَ عرفَ أنَّه خَلْقٌ لا يتمالكُ » .

وقال ابن حبَّان في « صحيحه »[٣] : حدَّثنا الحسنُ بن سفيان ، حدَّثنا هُدْبة بن خالد ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لما نُفِخَ في آدمَ ، فبلغَ الروحُ رأسَه عطسَ ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدَّثنا يحيى بن محمد بن السَّكَن ، حَدَّثنا حَبَّان بن هِلال ، حدَّثنا مبارك ابن فَضَالة ، عن عُبيد الله ، عن خُبيب ، عن حَفْص ـ هو ابن عاصم بن عمر بن الخطاب ـ عن أبي هُريرة ، رفَعه ، قال : « لمّا خلقَ الله آدمَ عطسَ ، فقال : الحمدُ لله ، فقال له ربُّه : رحمكَ ربُّك يا آدم »[٤] . وهذا الإسناد لا بأس به ، ولم يُخرِّجوه .

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ٩٠) .
(٢) في المسند (٣/ ١٥٢) .
(٣) الإحسان (٦١٦٥) وإسناده صحيح ، رجاله رجال مسلم .
(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي عروبة الحراني، عن يحيى بن محمد، به (٦١٦٤) الإحسان، وهو حديث حسن.

وقال عمر بن عبد العزيز : لما أُمرتِ الملائكةُ بالسجود ، كان أوَّلُ من سجدَ منهم إسرافيل ، فآتاه الله أن كتبَ القرآن في جبهته . رواه ابن عساكر(١) .

وقال الحافظ أبو يعلى(٢) : حدَّثنا عقبةُ بن مُكْرَم ، حدَّثنا عمرو بن محمد ، عن إسماعيل بن رافع ، عن المَقْبُري ، عن أبي هريرة ، أن رسولَ الله ﷺ ، قال : « إن الله خلقَ آدمَ من ترابٍ ، ثم جعلَه طيناً ، ثم تركَه حتى إذا كان حمأً مسنوناً ، خلقَه وصوَّره ، ثم تركَه ، حتَّى إذا كان صَلْصَالاً كالفَخَّار » . قال : فكان إبليسُ يمرُّ به ، فيقولُ له : لقد خُلِقتَ لأمرٍ عظيم . ثم نفخَ الله فيه من رُوحه ، فكان أوَّل ما جرى فيه الرُّوح بصرَه وخياشيمَه ، فعطسَ فلقَّاه الله(٣) رحمةَ ربِّه ، فقال الله : يرحمك ربك . ثم قال الله : يا آدم ! اذهبْ إلى هؤلاءِ النَّفَر فانظرْ ماذا يقولونَ ؟ فجاءَ فسلَّمَ عليهم ، فقالوا : وعليكَ السَّلامُ ورحمةُ الله وبركاتُه . فقال : يا آدمُ ! هذا تحيَّتُك وتحيَّةُ ذريَّتِك . قال : يا ربِّ وما ذريَّتي ؟ قال : اخترْ يدي يا آدمُ ! قال : أختارُ يمينَ ربِّي وكلتا يَدَيْ ربِّي يمين ، وبسط [الله](٤) كفَّه ، فإذا منْ هو كائنٌ من ذريَّته في كفِّ الرحمن ، فإذا رجالٌ منهم أفواهُهم النُّور ، فإذا رجلٌ يَعْجبُ آدمُ من نوره . قال : يا ربِّ ! من هذا ؟ قال : ابنك داود . قال : يا ربِّ ! فكم جعلتَ له من العمر . قال : جعلتُ له ستين . قال : يا ربِّ فأتِمَّ له من عُمري حتى يكونَ له من العمر مئة سنة ، ففعلَ الله ذلك وأشهد على ذلك .

فلما نَفِدَ عمرُ آدم بعثَ الله [إلَيْه](٤) مَلَكَ الموتِ ، فقال آدمُ : أو لم يبقَ من عُمُري أربعون سنة ؟ قال له المَلَك : أو لم تُعْطها ابنكَ داودَ ؟ فجحدَ ذلك ، فجحدتْ ذريَّته ، ونسي فنسيتْ ذريَّتُه(٥) .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار ، والترمذي(٦) ، والنَّسائي ، في « اليوم والليلة » من حديث صفوان ابن عيسى ، عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذُباب ، عن سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وقال النسائيُّ(٧) : هذا حديث منكر ، وقد رواه محمد بن عَجْلان ، عن سعيد المَقْبُري ، عن أبيه ، عن عبد الله بن سلام قوله(٨) .

---

(١) في تاريخه ؛ كما في الدر المنثور (١/ ١٢٣) .
(٢) في مسنده ١٤/ حديث (٦٥٧٩) .
(٣) في المسند : حمدَ ربِّه .
(٤) ما بين الحاصرتين أثبته من المسند .
(٥) في إسناده : إسماعيل بن رافع ، ضعيف الحفظ .
(٦) أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) في التفسير ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢١٨) .
(٧) انظر عمل اليوم والليلة (ص٢٣٨) .
(٨) المقصود : من قول عبد الله بن سلام ، فهو موقوف ، وقد سقطت كلمة : « قوله » من المطبوع .

وقد رواه أبو حاتم بن حِبّان في « صحيحه » ، فقال[١] : حدَّثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ، حدَّثنا محمَّد بن بشَّار ، حدَّثنا صَفْوانُ بن عيسى ، حدَّثنا الحارثُ بن عبد الرحمن بن أبي ذُباب ، عن سَعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلقَ الله آدمَ ونفخَ فيه الرُّوحَ عطسَ ، فقال : الحمدُ الله ، فحمدَ الله بإذن الله . فقال له ربُّه : يرحمُك ربُّك يا آدم ، اذهبْ إلى أولئكَ الملائكة ، إلى ملأٍ منهم جلوسٌ ، فسلِّم عليهم ، فقال : السَّلام عليكم . فقالوا : وعليكم السَّلام ورحمة الله . ثم رجعَ إلى ربِّه ، فقال : هذه تحيَّتُك وتحيَّةُ بنيكَ بينهم . وقال الله ـ ويداهُ مقبوضتان ـ اخترْ أيهما شئتَ . فقال : اخترتُ يمينَ ربِّي ، وكلتا يديْ ربِّي يمينٌ مباركة . ثمَّ بسطَهما فإذا فيهما آدمُ وذريَّتُه . فقال : أي ربِّ : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريَّتُك ، وإذا كلُّ إنسان منهم مكتوبٌ عمرُه بين عينيْه ، وإذا فيهم رجل أَضْوَؤُهم ـ أو منْ أَضْوَئِهم ـ لم يُكتبْ له إلا أربعونَ سنة . قال : يا ربِّ ! ما هذا ؟ قال : هذا ابنُك داود ، وقد كتبَ الله داود ، وقد كتبَ الله عمرَه أربعين سنة . قال : أي ربِّ : زدْ في عُمُره . فقال : ذاكَ الذي كُتِبَ له . قال : فإنِّي قد جعلتُ له من عُمُري ستينَ سنة . قال : أنتَ وذاك ، اسكن الجنَّة ، فسكنَ الجنَّة ما شاءَ الله ، ثم أُهبطَ منها .

وكان آدمُ يعدُّ لنفسه ، فأتاه مَلَكُ الموتِ ، فَقالَ له آدمُ : قد عجلتَ قد كتبَ لي ألفَ سنةٍ . قال : بلى ، ولكنَّك جعلتَ لابنكَ داودَ منها ستينَ سنةً ، فجَحَدَ آدمُ فجَحَدَتْ ذرِّيته ، ونسيَ فنسيتْ ذريَّته ، فيومئذ أمر بالكتابِ والشُّهود » هذا لفظه .

وقال الترمذي[٢] : حدَّثنا عبدُ بن حُميد ، حدَّثنا أبو نُعَيْم ، حدَّثنا هشام بن سَعْد ، عن زيد بن أسلمَ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلقَ الله آدمَ مسحَ ظهرَه ، فسقطَ من ظهره كلُّ نَسَمةٍ هو خالقُها من ذريَّته إلى يوم القيامة ، وجعلَ بينَ عينيْ كلِّ إنسانٍ منهم وَبِيْصاً[٣] من نور ، ثم عرضَهم على آدمَ ، فقال : أيْ ربِّ ! منْ هَؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريَّتُك . فرأى رجلاً منهم فأعجبَه وبيصُ ما بينَ عينيْه ، فقال : أي ربّ ! منْ هذا ؟ قال : هذا رجلٌ من آخر الأمم من ذريَّتِكَ ، يقال له : داود . قال : ربِّ وكم جعلتَ عمرَه . قال : ستينَ سنة . قال : أي ربّ زِدْه من عُمري أربعين سنةً . فلما انقضى عمرُ آدمَ جاءَه مَلَكُ الموت . قال : أو لم يبقَ من عُمُري أربعونَ سنة . قال : أو لم تُعْطِها ابنكَ داود . قال : فجحدَ فجَحَدتْ ذريَّته ، ونسي آدمُ ، فنسيتْ ذريَّتُه ، وخَطِئَ آدمُ فَخطئتْ ذريَّتهُ » ثم قال الترمذي : حسن صحيح ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

---

(١) الإحسان (٦١٦٧) .

(٢) في جامعه (٣٠٧٦) في التفسير .

(٣) الوبيص : البريق .

ورواه الحاكم في « مستدركه »(١) : من حديث أبي نُعيم الفَضْل بن دُكَيْن ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يُخرِّجاه .

وروى ابن أبي حاتم : من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عطاء بن يَسار ، عن أبي هريرة مرفوعاً . . . فذكرَه ، وفيه : « ثم عرضهم على آدمَ ، فقال : يا آدم هؤلاء ذريَّتُك ، وإذا فيهم الأجْذم والأبْرص والأعمى ، وأنواع الأسقام . فقال آدم : يا ربِّ! لمَ فعلتَ هذا بذريَّتي ؟ قالَ : كيْ تشكرَ نعمتي »(٢) .

ثم ذكرَ قصة داود ، وستأتي من رواية ابن عباس أيضاً .

وقال الإمام أحمد في « مسنده »(٣) : حدَّثنا الهيثمُ بن خارجة ، حدَّثنا أبو الربيع ، عن يونسَ بن ميسرة ، عن أبي إدريس ، عن أبي الدرداء ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « خلقَ الله آدمَ حين خلقَه ، فضربَ كتفَه اليُمْنى ، فأخرجَ ذريَّةً بيضاءَ كأنَّهم الذرُّ ، وضربَ كتفه اليُسْرى فأخرجَ ذريَّةً سوداءً كأنَّهم الحُمَمُ(٤) . فقالَ للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أُبالي ، وقال للذي في كَفِّه اليُسْرى : إلى النَّار ولا أُبالي » .

وقال ابن أبي الدنيا(٥) : حدَّثنا خَلَفُ بن هشام ، حدَّثنا الحَكم بن سِنَان ، عن حَوْشب ، عن الحسن ، قال : خلقَ الله آدمَ حين خلقَه ، فأخرجَ أهلَ الجنَّة من صَفْحته اليُمنى ، وأخرجَ أهلَ النَّار من صَفْحَته اليُسْرى ، فأُلقُوا على وجه الأرض ، منهم الأعمى والأصمُّ والمبتلى . فقال آدم : يا ربِّ ! ألا سوَّيتَ بينَ ولدي ؟! قال : يا آدم إني أردتُ أنْ أُشكَر .

وهكذا روى عبدُ الرَّزاق : عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، بنحوه .

وقد قال البخاري(٦) : حدَّثنا عبدُ الله بن محمد ، حدَّثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا مَعْمر ، عن هَمَّام بن مُنبِّه ، عن أبي هُريرة ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « خلقَ الله آدمَ وطولُه ستونَ ذراعاً ، ثم قال : اذهبْ فسلِّم على أولئكَ من الملائكة ، واستمعْ ما يجيبونكَ ، فإنها تحيَّتُك وتحيَّةُ ذريَّتِك . فقال : السَّلام عليكمُ . فقالوا : السلام عليكَ ورحمةُ الله . فزادوه : ورحمةُ الله . فكلُّ منْ يدخلُ الجنَّةَ على صُورة آدمَ ، فلم يزلِ الخلقُ ينقصُ حتَّى الآن » .

---

(١) المستدرك (٢/ ٣٢٥) .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في علل الحديث (٢/ ٨٨) .
(٣) المسند (٦/ ٤٤١) . وإسناده ضعيف .
(٤) الحُمَم : جمع الحُمَمة ، وهي الفحم .
(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٦٢) في كتاب الشكر ، وفي إسناده : الحكم بن سنان الباهلي ، أبو عون البصري . ضعيف . انظر ميزان الاعتدال (١/ ٥٧١) .
(٦) في صحيحه (٣٣٢٦) في الأنبياء .

وهكذا رواه البخاريُّ في كتاب الاستئذان[١] : عن يحيى بن جعفر ، ومسلم : عن محمد بن رافع ، كلاهما عن عبد الرزاق به .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا رَوْح ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمةَ ، عن عليِّ بن زيد ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبي هريرة ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال : « كانَ طولُ آدمَ ستينَ ذِراعاً في سبع[٣] أذرعٍ عرضاً » . انفردَ به أحمد .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمةَ ، عن عليِّ بن زيد ، عن يُوسف بن مِهْران ، عن ابن عبَّاس ، قال : لما نزلتْ آيةُ الدين قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أوَّلَ من جحدَ آدمُ ، إنَّ أوَّلَ من جحدَ آدمُ ، إنَّ أوَّلَ من جحدَ آدمُ[٥] ، إنَّ اللهَ لما خلقَ آدمَ ، مسحَ ظهرَه ، فأخرجَ منه ما هو ذارىءٌ[٦] إلى يوم القيامة ، فجعلَ يعرضُ ذُريَّتَه عليه ، فرأى فيهم رجلاً يَزْهرُ[٧] . قال : أي ربِّ ! منْ هذا ؟ قال : هذا ابنُك داود . قال : أي ربِّ ! كم عمرُه ؟ قال : ستون عاماً . قال : أي رب زِدْ في عُمُره . قال : لا ، إلا أن أزيده من عُمُركَ . وكان عمرُ آدمَ ألفَ عامٍ ، فزادهَ أربعين عاماً . فكتبَ الله عليه بذلك كتاباً ، وأشهدَ عليه الملائكة ، فلما احْتُضِرَ آدمُ أتته الملائكة لِقَبْضِه . قال : إنه قد بقيَ من عُمْري أربعونَ عاماً . فقيل له : إنك قد وهبتَها لابنكَ داود . قال : ما فعلتُ . وأبرزَ الله عليه الكتابَ ، وشهدتْ عليه الملائكة »[٨] .

وقال أحمد[٩] : حدَّثنا أسودُ بن عامر ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمة ، عن عليِّ بن زيد ، عن يوسفَ بن مِهْران ، عن ابن عبَّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أوَّلَ منْ جحدَ آدمُ ـ قالها ثلاث مرَّات ـ إنَّ الله عزَّ وجلَّ لما خلقَه مسحَ ظهرَه ، فأخرجَ ذريَّتَه ، فعرضَهم عليه ، فرأى فيهم رجلاً يَزْهرُ ، فقال : أي ربِّ ! زِدْ في عُمُره . قال : لا ، إلا أن تزيدَه أنت من عُمُرك . فزادَه أربعينَ سنةً من عُمُره ، فكتبَ

(١) في صحيحه (٦٢٢٧) ، ومسلم (٢٨٤١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها .
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥٣٥) وفي إسناده : علي بن زيد بن جدعان ؛ ضعيف ، وفي حديثه نكارة .
(٣) في المسند : سبعة .
(٤) في المسند (١/ ٢٥٢) .
(٥) كذا في الأصل ، كررها ثلاثاً وفي المسند : « إن أوَّل من جحدَ آدم عليه السلام ـ أو أول من جحد آدم . . . إلخ » ، فالتكرار ثلاث مرات ليس في حديث عفان ، وإنما في حديث أسود بن عامر الآتي بعده .
(٦) ذارىءٌ : خالق ، من صفات الله عزَّ وجلَّ .
(٧) يَزْهَرُ : يتلألأ ، ويُضيء حسناً .
(٨) وفي إسناده : علي بن زيد بن جدعان ، ويوسف بن مهران ، ضعيفان . وحديث ابن حبان (٦١٦٧) المتقدم شاهد قوي يعضده ويُقوِّيه .
(٩) في المسند (١/ ٢٩٩) .

الله تعالى عليه كتاباً ، وأشهدَ عليه الملائكةَ ، فلما أراد أن يقبضَ روحَه ، قال : إنَّه بقيَ من أجلي أربعونَ سنةً ، فقيل له : إنَّك قد جعلتَها لابنكَ داود . قال : فجحدَ . قال : فأخرجَ الله الكتابَ وأقامَ عليه البيِّنة ، فأتمَّها لداودَ مئة سنةٍ ، وأتم لآدمَ عمرَه ألفَ سنةٍ » . تفرد به أحمد وعلي بن زيد في حديثه نكارة[١] .

ورواه الطبراني[٢] : عن علي بن عبد العزيز ، عن حجَّاج بن مِنْهال ، عن حمَّاد بن سلمةَ ، عن عليِّ بن ز يد ، عن يوسفَ بن مِهْران ، عن ابن عبَّاس . وغير واحد : عن الحسن ، قال : لما نزلتْ آيةُ الدَّيْن قالَ رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أوَّلَ من جحدَ آدم » ثلاثاً . وذكرَه .

وقال الإمام مالك بن أنس في « موطئه » : عن زيد بن أبي أُنَيْسَةَ ، أن[٣] عبدَ الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطَّاب أخبرَه ، عن مسلم بن يَسار الجهني : أن عمرَ بن الخطَّاب سُئل عن هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . الآية . فقال عمرُ بن الخطَّاب : سمعتُ رسول الله ﷺ سُئل عنها ، فقال : « إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ عليه السلام ، ثمَّ مسحَ ظهرَه بيمينه ، فاستخرجَ منه ذريَّةً . قال : خلقتُ هؤلاء للجنَّة ، وبعملِ أهلِ الجنَّةِ يعملونَ ، ثم مسحَ ظهرَه فاستخرجَ منه ذريَّةً . قال : خلقتُ هؤلاء للنَّار وبعملِ أهل النَّار يعملون » . فقال رجلٌ : يا رسول الله ! ففيمَ العملُ ؟ قال رسولُ الله ﷺ : « إذا خلقَ الله العبدَ للجنَّة استعمَله بعمل أهل الجنَّة ، حتى يموتَ على عملٍ من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنَّة . وإذا خلقَ الله العبدَ للنَّار استعملَه بعملِ أهلِ النَّار حتَّى يموتَ على عملٍ من أعمال أهل النَّار فيدخل به النَّار »[٤] .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذيُّ ، والنَّسائي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو حاتم بن حِبَّان في صحيحه ، من طرق عن الإمام مالك[٥] ، به . وقال الترمذيُّ : هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع عمر . وكذا قال أبو حاتم وأبو زرعة ، زاد أبو حاتم : وبينهما نعيم بن ربيعة .

وقد رواه أبو داود[٦] عن محمَّد بن مُصفَّى ، عن بقية ، عن عمر بن جُعْثُم ، عن زيد بن أبي أُنَيْسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يَسار ، عن نعيم بن ربيعة ، قال :

---

(١) وهو ضعيف، ويوسف بن مهران ؛ ليِّن . وبهامش المسند : حسن لغيره ، دون قوله : « فأتمها لداود مئة سنة ، وأتمَّ لآدم عمره ألف سنة » .

(٢) في الكبير (١٢٩٢٨) وذكره البيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ١٤٦) والطيالسي في المسند (ص٣٥٠) والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٧) وفي إسناده عدة من الضعفاء .

(٣) في الموطأ : (٢/ ٨٩٨) عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ؛ أنه أخبره عن مسلم بن يسار .

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٨٩٨ ـ ٨٩٩) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٤ـ٤٥) وأبو داود (٤٧٠٣) في السنة ، والترمذي (٣٠٧٥) في التفسير ، والنسائي في تفسيره (٢١٠)، والطبري في تفسيره (٩/ ١١٣) وفي تاريخه (١/ ١٣٥) وابن حبان في صحيحه (٦١٦٦) في الإحسان.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٧٠٤) في السنة .

كنتُ عند عمر بن الخطاب وقد سُئل عن هذه الآية . . فذكر الحديث .

قال الحافظ الدارقطني[١] : وقد تابعَ عمر بن جُعْثُم أبو فروة يزيد بن سنان الرهاوي ، عن زيد بن أبي أُنيسة ، قال : وقولُهما أولى بالصواب من قول مالك رحمه الله[٢] .

وهذه الأحاديث كلُّها دالَّة على استخراجه تعالى ذريَّة آدمَ من ظهره كالذَّرِّ ، وقسمتهم قسمين : أهل اليمين وأهل الشمال ، وقال : هؤلاء للجنَّة ولا أُبالي ، وهؤلاء للنَّار ولا أُبالي .

فأما الإشهادُ عليهم واستنطاقُهم بالإقرار بالوحدانية ، فلم يجيء في الأحاديث الثابتة . وتفسير الآية التي في سورة الأعراف وحملُها على هذا فيه نظرٌ كما بيَّناه[٣] هناك . وذكرنا الأحاديثَ والآثار مستقصاةً بأسانيدها وألفاظ متونها . فمن أراد تحريره فليراجعه ثمَّ ، والله أعلم .

فأما الحديثُ الذي رواه أحمد[٤] : حدَّثنا حُسَيْنُ بن محمَّد ، حدَّثنا جريرٌ ـ يعني ابن حازم ـ عن كُلثوم بن جَبْر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبَّاس ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إن الله أخذ الميثاقَ من ظهرِ آدمَ عليه السلام بنُعْمان يوم عرفة ، فأخرجَ من صُلْبه كلَّ ذريَّةٍ ذرأها ، فنثرَها بين يديْه ، ثم كَلَّمَهُم قُبُلاً ، قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ ﴾ إلى قوله : ﴿ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ ـ ١٧٣] » فهو بإسناد جيد قويّ على شرط مسلم .

رواه النَّسائي ، وابن جرير ، والحاكم في « مستدركه »[٥] من حديث حُسين بن محمد المروزي ، به ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يُخرِّجاه ، إلا أنه اختلف فيه على كُلثوم بن جَبْر ، فروي عنه مرفوعاً وموقوفاً . وهكذا رُوي عن سعيد بن جُبير عن ابن عبَّاس موقوفاً[٦] . وهكذا رواه العوفي والوالبي والضحَّاك وأبو جمرة عن ابن عباس قوله . وهذا أكثرُ وأثبتُ ، والله أعلم . وهكذا رُوي عن عبد الله بن عمر[٧] موقوفاً ومرفوعاً والموقوف أصحُّ[٨] .

---

(١) انظر العلل ؛ للدارقطني (٢/ ٢٢٢) .
(٢) قال ابن عبد البر في التمهيد بعد أن ساق حديث مسلم بن يسار عن عمر المنقطع، وبيّن أن بينهما دحيم بن ربيعة: « وهو أيضاً مع هذا الإسناد لا تقوم به حجة، ومسلم بن يسار هذا مجهول، وقيل: إنه مدني، وليس بمسلم بن يسار البصري » ثم قال: « زيادة من زاد في هذا الحديث نعيم بن ربيعة ليست حجة، لأن الذي لم يذكره أحفظ، وإنما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن » (التمهيد ٦/ ٣ ـ ٦) .
(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٩ـ٣٣١) .
(٤) خرجه أحمد في المسند (١/ ٢٧٢) مرفوعاً ، ورجَّح الحافظ ابن كثير بعد قليل وقفه .
(٥) أخرجه النسائي (١١١٩١) في الكبرى ، والطبري في تفسيره (٩/ ١١٠ ـ ١١١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٤) .
(٦) في أ : مرفوعاً .
(٧) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١) .
(٨) قال النسائي عن الحديث المرفوع : ليس بالمحفوظ .

واستأنسَ القائلون بهذا القول ، وهو أخذُ الميثاق على الذريَّة ، وهم الجمهور ، بما قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا حجَّاج ، حدَّثني شعبةُ ، عن أبي عمران الجَوْني ، عن أنس بن مالك ، عن النبيِّ ﷺ قال : « يُقالُ للرجل من أهل النَّار يومَ القيامة : لو كان لك ما على الأرضِ من شيءٍ أكنتَ مفتدياً به ؟ قال : فيقول : نعم . فيقولُ : قد أردتُ منكَ ما هو أهونُ من ذلك ، قد أخذتُ عليك في ظهر آدم ألا تشركَ بي شيئاً ، فأبيتَ إلا أن تُشركَ بي » .

أخرجاه من حديث شعبة[٢] ، به .

وقال أبو جعفر الرازيّ : عن الربيع[٣] بن أنس ، عن أبي[٤] العالية ، عن أُبيِّ بن كَعْب ، في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] الآية والتي بعدها . قال : فجمَعهم له يومئذٍ جميعاً ما هو كائنٌ منه إلى يوم القيامة ، فخلقهم ثم صوَّرَهم ، ثم استنطقَهم ، فتكلَّمُوا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهد عليهم أنفسهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] الآية . قال : فإنِّي أشهدُ عليكم السمواتِ السبع والأرضين السبع ، وأُشهد عليكم أباكم ألا تقولوا يومَ القيامة : لم نعلمْ بهذا، اعلموا أنه لا إلَهَ غيري ، ولا ربَّ غيري ، ولا تشركوا بي شيئاً ، وإنِّي سأرسلُ إليكم رسلاً يُنذرونَكم عَهْدي وميثاقي ، وأُنزلُ عليكم كتابي . قالوا : نشهدُ أنَّكَ ربُّنا وإلَهنا ، لا ربَّ لنا غيركَ ، ولا إلَه لنا غيرك ، فأقروا له يومئذٍ بالطَّاعة . ورفعَ أباهم آدم فنظرَ إليهم ، فرأى فيهم : الغنيَّ والفقيرَ ، وحَسَنَ الصورة ودون ذلك . فقال : يا ربِّ لو سوَّيتَ بين عبادكَ ؟ فقال : إنِّي أحببتُ أن أشكرَ . ورأى فيهم الأنبياء مثل السُّرُج ، عليهم النُّور ، وخُصُّوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة ، فهو الذي يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] . وهو الذي يقول : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم : ٣٠] وفي ذلك قال : ﴿ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النجم : ٥٦] وفي ذلك قال : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٢] » . رواه الأئمة : عبد الله بن أحمد ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وابن مردويه ، في تفاسيرهم ، من طريق أبي جعفر[٥] .

ورُوي : عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبير ، والحسن البَصْري ، وقتادة ، والسُّدِّي ، وغير

---

(١) في مسنده (٣/ ١٢٧ ، ١٢٩) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٣٤) في الأنبياء ، ومسلم (٢٨٠٥) في صفات المنافقين .
(٣) في « ب » والمطبوع : عن أبي الربيع عن أنس .
(٤) في « ب » والمطبوع : العالية .
(٥) أي من طريق الرازي ، وقد أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١١٥) وذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٣٣١) . والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٠) .

واحد من علماء السلف ، بسياقات تُوافق هذه الأحاديث ، وتقدَّم أنه تعالى لما أمرَ الملائكةَ بالسجود لآدمَ امتثلوا كلُّهم الأمرَ الإلّهي ، وامتنعَ إبليس من السجود[١] حسداً وعداوة له ، فطردَه الله وأبعدَه وأخرجَه من الحضرة الإلهية ، ونفاه عنها ، وأهبطَه إلى الأرض طريداً ملعوناً شيطاناً رجيماً .

وقد قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا وكيع ويعلى ومحمد ابنا عُبيد ، قالوا : حدَّثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدة فسجدَ ، اعتزلَ الشيطانُ يبكي ، يقول : يا ويله ، أُمرَ ابنُ آدمَ بالسجود فسجدَ ، فله الجنَّة ، وأُمرتُ بالسجود ، فعصيت ، فلي النَّار » . ورواه مسلم[٣] : من حديث وكيع وأبي معاوية ، عن الأعمش ، به .

ثم لما أُسكن آدم الجنة التي أُسكنها ، سواء كانت في السماء أو في الأرض على ما تقدَّم من الخلاف فيه ، أقام بها هو وزوجتُه حوَّاء عليهما السلام يأكلان منها رغداً[٤] حيث شاءا ، فلما أكلا من الشجرة التي نُهيا عنها، سُلبا ما كانا فيه من اللِّباس ، وأُهبطا إلى الأرض ، وقد ذكرنا الاختلافَ في مواضع هبوطه منها .

واختلفوا في مقدار مقامه في الجنَّة ، فقيل : بعضُ يوم من أيام الدنيا ، وقد قدَّمنا ما رواه مسلم : عن أبي هريرة مرفوعاً « وخُلِقَ آدمُ في آخر ساعةٍ من ساعاتِ يوم الجمعة »[٥] وتقدَّم أيضاً حديثه عنه وفيه ـ يعني[٦] : يوم الجمعة ـ خلق آدم ، وفيه أُخرج منها[٧] . فإن كان اليومُ الذي خُلِقَ فيه أُخرجَ ، وقلنا إنَّ الأيام الستة كهذه الأيام ، فقد لبثَ بعضَ يوم من هذه ، وفي هذا نظر . وإن كان إخراجُه في غير اليوم الذي خُلِقَ فيه ، أو قلنا بأنَّ تلك الأيام مقدارُها ستة آلاف سنة ، كما تقدَّم عن ابن عباس ومجاهد والضحَّاك ، واختاره ابن جرير ، فقد لبثَ هناك مدة طويلة .

قال ابن جرير[٨] : ومعلومٌ أنه خُلِقَ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، فمكث مصوَّراً طيناً قبل أن يُنفخ فيه الروح أربعين سنة ، وأقام في الجنَّة قبلَ أن يهبطَ ثلاثاً وأربعينَ سنة وأربعة أشهر . والله تعالى أعلم .

---

(١) في المطبوع : من السجود له .
(٢) في المسند (٢/ ٤٤٣) .
(٣) في صحيحه (٨١) في الإيمان .
(٤) رغداً : طيِّباً .
(٥) تقدم الحديث وتخريجه (ص١٢٥) .
(٦) في الأصل : معين .
(٧) تقدم الحديث وتخريجه (ص١٢٥) .
(٨) في تاريخه (١/ ١٢٣) .

وقد روى عبد الرزاق : عن هشام بن حسَّان ، عن سوَّار ، خَبر عطاءَ بن أبي رباح : أنه كان لما أُهبط رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، فحطَّه الله إلى ستين ذراعاً . وقد رُوي عن ابن عباس نحوه[١] .

وفي هذا نظر لما تقدَّم من الحديث المتفق على صحته : عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله خلقَ آدمَ وطولُه ستونَ ذراعاً ، فلم يزل الخلق ينقصُ حتى الآن » . وهذا يقتضي أنه خُلِقَ كذلك لا أطول من ستين ذراعاً ، وأنَّ ذرِّيته لم يزالوا يتناقصُ خلقهم حتى الآن .

وذكر ابن جرير[٢] : عن ابن عبَّاس : إن الله قال : يا آدم ! إنَّ لي حَرَماً بحيال عرشي ، فانطلقْ فابن لي فيه بيتاً ، فطُفْ به كما تطوفُ ملائكتي بعرشي . وأرسلَ الله له مَلَكاً فعرَّفه وعلَّمه المناسك . وذكرَ أنَّ موضعَ كلِّ خطوة خطاها آدم صارت قريةً بعد ذلك .

وعنه[٣] : أنَّ أوَّل طعام أكلَه آدمُ في الأرض ، أنْ جاءَه جبريلُ بسبع حبَّات من حِنْطةٍ ، فقال : ما هذا ؟ قال : هذا من الشجرة التي نُهيتَ عنها فأكلتَ منها . فقال : وما أصنعُ بهذا ؟ قال : ابذرْه في الأرض ، فبذرَه ، وكان كلُّ حبَّةٍ ، منها زِنتُها أزيدُ من مئة ألف ، فنبتتْ ، فحصدَه ، ثم درسَه ، ثم ذرَّاه ، ثم طحنَه ، ثم عجنَه ، ثم خبزَه فأكلَه بعد جَهْد عظيم وتَعَبٍ ونَكَد ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١١٧] .

وكان أول كسوتهما من شعر الضأن ، جزَّاه ثم غزلاه فنسج آدم له جبة ، وَلِحَوَّاءَ درعاً وخماراً .

واختلفوا : هل وُلد لهما بالجنَّة شيءٌ من الأولاد ، فقيل : لم يُولد لهما إلا في الأرض . وقيل : بل وُلد لهما فيها ، فكان قابيلُ وأختُه ممن وُلد بها ، فالله أعلم .

وذكروا أنه كان يُولد له في كلِّ بطنٍ ذكرٌ وأنثى ، وأُمِرَ أنْ يُزوِّجَ كلَّ ابنٍ أختَ أخيه التي وُلدت معه والآخر بالأخرى وهلمَّ جرّاً ، ولم يكن تحلُّ أختٌ لأخيها الذي وُلدت معه .

ذكر
قصَّةِ ابنيْ آدمَ قابيل وهَابيل

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/١٣٦) .
(٢) في التفسير (١٧/١٤٢) .
(٣) في تاريخه (١/١٢٨) .

رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧ ـ ٣١] . قد تكلَّمنا على هذه القصَّة في سورة المائدة في التفسير(١) بما فيه كفاية ، ولله الحمد .

ولنذكر هاهنا ملخص ما ذكرَه أئمةُ السَّلف في ذلك .

فذكرَ السُّدِّي : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عبَّاس . وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناسٍ من الصحابة : أنَّ آدم كان يُزوِّجُ ذكرَ كلِّ بطنٍ بأنثى الآخر ، وأنَّ هابيلَ أراد أن يتزوَّجَ بأخت قابيل ، وكان أكبرَ من هابيل ، وأختُ هابيل أحسنُ ، فأراد هابيلُ أنْ يستأثرَ بها على أخيه ، وأمرَه آدمُ عليه السلام أن يزوِّجه إيَّاها فأبى ، فأمرَهما أن يُقرِّبا قرباناً ، وذهبَ آدمُ ليحجَّ إلى مكَّة ، واستحفظ السموات على بنيه فأبينَ ، والأرضين والجبال فأبينَ ، فتقبَّل قابيلُ بحفظ ذلك . فلما ذهبَ قرَّبا قربانَهما ، فقرَّبَ هابيلُ جَذْعةً سمينة ، وكان صاحبَ غَنم ، وقرَّبَ قابيلُ حزمةً من زَرْعٍ ، من رديء زَرْعه ، فنزلت نارٌ فأكلتْ قربانَ هابيل ، وتركتْ قربانَ قابيل ، فغضبَ وقالَ : لأقتلنَّكَ حتى لا تنكحَ أختي . فقال : إنما يتقبَّلُ الله من المتقين(٢) .

ورُوي عن ابن عباس من وجوه أُخر ، وعن عبد الله بن عمرو ، وقال عبد الله بن عمرو : وايم الله إن كان المقتول لأشدّ الرجلين ، ولكن منعَه التحرُّج أن يبسطَ إليه يدَه(٣) .

وذكر أبو جعفر الباقر : أنَّ آدمَ كان مباشراً لتقرُّبهما القربانَ والتَّقبُّل من هابيل دون قابيل ، فقال قابيل لآدم : إنما تَقبَّلَ منه لأنَّكَ دعوتَ له ولم تدعُ لي ، وتوعَّد أخاه فيما بينَه وبينَه ، فلما كان ذات ليلةٍ أبطأ هابيلُ في الرعي ، فبعثَ آدمُ أخاه قابيلَ لينظرَ ما أبطأ به ، فلما ذهبَ إذا هو به ، فقال له : تقبَّل منكَ ولم يتقبلْ منِّي . فقال : إنما يتقبل الله من المتقين ، فغضبَ قابيلُ عندَها وضربَه بحديدةٍ كانت معه ، فقتلَه . وقيل : إنه إنما قتلَه بصخرة رماها على رأسِه وهو نائمٌ فشدختْه(٤) . وقيل : بل خنقَه خنقاً شديداً وعضًّا كما تفعلُ السِّباعُ فمات(٥) . والله أعلم .

وقوله له لما توعَّده بالقتل : ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٨] دلَّ على خُلُقٍ حَسَن ، وخَوْفٍ من الله تعالى وخشية منه ، وتورُّعٍ أن يُقابلَ أخاه

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥ ـ ٦٠) .
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٤/ ٥٢٥) وابن كثير في التفسير (٢/ ٥٥) .
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٤/ ٥٣٢) وابن كثير في التفسير (٢/ ٥٦) .
(٤) « فشدخته » : كسرته وشقَّتْه .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ؛ كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦) .

بالسوء الذي أراد منه أخوه مثلَه ، ولهذا ثبتَ في الصحيحين[١] : عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النَّار » . قالوا : يا رسول الله ! هذا القاتلُ فما بالُ المقتول ؟ قال : « إنَّه كانَ حريصاً على قتلِ صاحبه » .

وقوله : ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٩] أي : إني أُريدُ تركَ مقاتلتكَ ، وإنْ كنتُ أشدَّ منكَ وأقوى ، وإذ قد عزمتَ على ما عزمتَ عليه أن تبوءَ بإثمي وإثمكَ ، أي : تتحمَّلُ إثمَ قتلي مع مالكَ من الآثام المتقدِّمة قبل ذلك . قاله مجاهد ، والسُّدِّي ، وابن جرير ، وغيرُ واحد .

وليس المرادُ أنَّ آثام المقتول تتحوَّل بمجرد قتلهِ إلى القاتل ، كما قد توهَّمه بعضُ الناس ، فإنَّ ابنَ جرير حكى الإجماع على خلاف ذلك .

وأما الحديث الذي يُورده بعضُ من لا يعلم ، عن النبيِّ أنه قال : « ما تركَ القاتلُ على المقتول من ذنبٍ » فلا أصلَ له ولا يُعرف في شيء من كتب الحديث بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف أيضاً[٢] . ولكن قد يتفق في بعض الأشخاص يومَ القيامة أن[٣] يُطالب المقتولُ القاتلَ ، فتكونُ حسناتُ القاتل لا تفي بهذه المظلمة ، فتُحوَّلُ من سيِّئات المقتول إلى القاتل ، كما ثبتَ به الحديث الصحيح في سائر المظالم ، والقتل من أعظمها ، والله أعلم . وقد حرَّرنا هذا كله في التفسير[٤] ولله الحمد .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي[٥] : عن سعد بن أبي وقاص ، أنه قال عند فتنة عثمان بن عفان : أشهدُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنها ستكون فتنة القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من الساعي » قال : أفرأيتَ إن دخل عليّ بيتي فبسطَ يدَه إليَّ ليقتلني ؟ قال : كن كابن آدم .

ورواه ابن مردويه : عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً ، وقال : « كن كخير ابني آدم »[٦] .

---

(١) البخاري (٦٨٧٥) في الديات ، ومسلم (٢٨٨٨) في الفتن .

(٢) وانظره في كشف الخفاء (٢/ ٢٥٨) والمقاصد الحسنة (٩٥٠) والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (٧٧٩) .

(٣) سقطت من الأصل ، وأثبتها من المطبوع .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٦٩ و١٨٥) وأبو داود (٤٢٥٧) في الفتن والملاحم ، والترمذي (٢١٩٤) في الفتن .

(٦) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/ ٥٩) وانظره بتمامه في تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨) .

وروى مسلم وأهل السنن إلا النسائي : عن أبي ذرٍّ نحو هذا(١) .

وأما الآخر ، فقد قال الإمام أحمد(٢) : حدَّثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : حدَّثنا الأعمشُ ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُقتلُ نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ(٣) من دمها ، لأنه كان أول منْ سنَّ القتلَ » .

ورواه الجماعة سوى أبي داود(٤) : من حديث الأعمش به .

وهكذا روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وإبراهيم النخعي ، أنهما قالا مثل هذا سواء .

[وبجبل قاسيون شمالي دمشق مغارةٌ يقال لها : مغارة الدم ، مشهورة بأنها المكان الذي قَتَلَ قابيلُ أخاه هابيلَ عندها ، وذلك مما تَلَقَّوه من أهل الكتاب ، فالله أعلمُ بصحة ذلك .

وقد ذكر الحافظُ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير ـ وقال : إنه كان من الصالحين ـ أنه رأى النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمرَ وهابيلَ ، وأنَّه استحلفَ هابيلَ أنَّ هذا دمه ، فحلفَ له ، وذكرَ أنَّه سألَ الله تعالى أن يجعلَ هذا المكان يُستجابُ عنده الدعاء ، فأجابَه إلى ذلك ، وصدَّقه في ذلك رسولُ الله ﷺ ، وقال : إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس(٥) . وهذا منامٌ لو صحَّ عن أحمد بن كثير هذا لم يترتبْ عليه حكمٌ شرعيٌّ ، والله أعلم](٦) .

وقوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ [المائدة : ٣١] ذكرَ بعضُهم أنه لما قتله حمله على ظهره سنةً . وقال آخرون : حملَه مئة سنة ، ولم يزل كذلك حتى بعثَ الله غرابين ـ قال السُّدِّي(٧) بإسناده عن الصحابة ـ أخوين ، فتقاتلا ، فقتلَ أحدهُما الآخرَ ، فلما قتلَه عَمدَ إلى الأرض يحفرُ له فيها ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٦١ و٤٤٠٩) في الفتن والملاحم ، وابن ماجه (٣٩٥٨) وفي تحفة الأشراف (٩/ ١٧٣) : لم يعزه المزي إلا إلى أبي داود وابن ماجه . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٥٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٨٣ و٤٣٠ و٤٣٣) وبهامش الحديث رقم (٣٦٣٠) : إسناده صحيح على شرط الشيخين [طبعة مؤسسة الرسالة] .

(٣) كِفْلٌ : نصيب .

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٣٥) في الأنبياء ، ومسلم (١٦٧٧) (٢٧) في القسامة ، والترمذي (٢٦٧٣) في العلم ، والنسائي في الكبرى (١١١٤٢) وابن ماجه (٢٦١٦) في الديات .

(٥) انظر مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣/ ٢١٨) .

(٦) ما بين حاصرتين زيادة من ب .

(٧) أخرجه ابن جرير في التفسير (٤/ ٥٣٨) وذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٦٠) .

ثم ألقاه ودفنه وواراه ، فلما رآه يصنعُ ذلك ، قال : ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾ [المائدة : ٣١] . ففعلَ مثلَ ما فعلَ الغرابُ ، فواراه ودفنَه .

وذكر أهلُ التواريخ والسِّير ؛ أنَّ آدمَ حَزِنَ على ابنه هابيل حزناً شديداً ، وأنَّه قال في ذلك شعراً ، وهو قوله فيما ذكره ابن جرير[١] ، عن ابن حميد : [من الوافر]

تَغيَّرتِ البلادُ ومَنْ عليها ... فوجهُ الأرضِ مُغْبَرٌّ قَبيحُ
تغيَّرَ كلُّ ذي لَوْنٍ وطَعْمٍ ... وقلَّ بشاشةُ الوَجهِ المليحِ

فأُجيب آدم : [من الوافر]

أبا هابيلَ قدْ قُتلا جميعاً ... وصارَ الحيُّ كالميْتِ الذَّبيحِ
وجاءَ بشرَّةٍ قدْ كان منْها ... على خَوْفٍ ، فجاءَ بها يصيحُ

وهذا الشعرُ فيه نظر ، وقد يكونُ آدمُ عليه السلام قال كلاماً يتحزَّن به بلغتِه ، فألَّفه بعضُهم إلى هذا ، وفيه أقوال ، والله أعلم .

وقد ذكر مجاهدٌ : أنَّ قابيلَ عُوجل بالعقوبة يومَ قتلَ أخاه ، فعلقتْ ساقُه إلى فخذه ، وجُعِلَ وجهُه إلى الشمس كيفما دارتْ تنكيلاً به ، وتعجيلاً لذنبه وبغيهِ وحسده لأخيه لأبويه[٢] .

وقد جاء في الحديث : عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما منْ ذَنْبٍ أجدر أن يُعجِّلَ الله عقوبتَه في الدنيا مع ما يدَّخرُ لصاحبه في الآخرة من البَغْي وقطيعةِ الرحم »[٣] .

والذي رأيتُه في الكتابِ الذي بأيدي أهلِ الكتاب ، الذين يزعمونَ أنه التوراة ، أنَّ الله عزَّ وجلَّ أجَّله وأنظرَه ، وأنَّه سكنَ في أرض « نَوْد » في شرق عَدن ، وهم يُسمُّونه « قنين » وأنه ولد له « خنوخ » ولخنوخ « عندر » ولعندر « محوايل » ولمحوايل « متوشيل » ولمتوشيل « لامك » وتزوَّجَ هذا امرأتين « عذا » « وصلا » فولدت عذا ولداً اسمه « إبل » وهو أوَّلُ من سكنَ القِباب واقتنى المالَ ، وولدت أيضاً « نويل » وهو أوَّل من أخذَ في ضَرْبِ الوَنج والصَّنج[٤] . وولدت صلا ولداً اسمه « شوبلتين » وهو أوَّلُ من صنعَ النحاس والحديد ، وبنتاً اسمها « نعمى » .

---

(١) في التفسير (٤/ ٥٣٠ـ٥٣١) وفي التاريخ (١/ ١٤٥) . وفي التفسير : فلونُ الأرض .
(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (٤/ ٥٢٨) .
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٦ و٣٨) وأبو داود (٤٩٠٢) في الأدب ، والترمذي (٢٥١١) في صفة القيامة ، وابن ماجه (٤٢١١) في الزهد ، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٢) وابن حبان في صحيحه (٤٥٥) الإحسان ، كلهم عن أبي بكرة رضي الله عنه ، وقال الترمذي : صحيح .
(٤) الوَنْج : ضرب من الأوتار أو العود أو المعزف . والصَّنجُ : شيء يتخذ من صُفْر (نحاس) يُضرب أحدهما على الآخر .

وفيها[١] أيضاً أن آدم طافَ على امرأته فولدتْ غلاماً ، ودعت اسمه « شيث » وقالت : من أجل أنه قد وهبَ لي خَلْفاً من هابيل الذي قتلَه قابيل ، ووُلد لشيث « أنوش » .

قالوا : وكان عمرُ آدم يوم وُلد له شيث مئة وثلاثين سنة ، وعاش بعد ذلك ثمانمئة سنة ، وكان عمرُ شيث يومَ ولد له أنوش مئة وخمساً وستين وعاش بعد ذلك ثمانمئة سنة وسبع سنين ، ووُلد له بنون وبنات غير أنوش .

فولد لأنوش « قَيْنان » وله من العمر تسعون سنة ، وعاش بعد ذلك ثمانمئة سنة وخمس عشرة سنة ، ووُلد له بنون وبنات .

فلما كان عمر قَيْنان سبعين سنة ولد له « مهلاييل » وعاش بعد ذلك ثمانمئة سنة وأربعين سنة ، وولد له بنون وبنات .

فلما كان لمهلاييل من العمر خمس وسبعون[٢] سنة ولد له « يرد » وعاشَ بعد ذلك ثمانمئة وثلاثين سنة ، ووُلد له بنون وبنات .

فلما كان ليرد مئة سنة واثنتان وستون سنة ولد له « خنوخ » وعاش بعد ذلك ثمانمئة سنة ، وولد له بنون وبنات .

فلما كان لخنوخ خمس وسبعون[٣] سنةً ولد له « متوشلح » وعاش بعد ذلك ثلاثمئة[٤] سنة ، ووُلد له بنون وبنات .

فلما كان لِمُتَوَشْلِخ مئة وسبع وثمانون سنة ولد له « لامك » وعاش بعد ذلك سبعمئة واثنتين وثمانين سنة ، وولد له بنون وبنات .

فلما كان للامك من العمر مئة واثنتان وثمانون سنة ولد له « نوح » وعاش بعد ذلك خمسمئة وخمساً وتسعين سنة ، وولد له بنونَ وبنات ، فلما كان لنوحٍ خمسمئة سنة ، وُلد له بنوه « سام » و« حام » و« يافث » .

هذا مضمون ما في كتابهم صريحاً[٥] .

---

(١) أي : في التوراة .
(٢) في المطبوع خمس وستون .
(٣) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : خمس وستون .
(٤) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : ثمانمئة .
(٥) انظر قريباً من هذا النص المنقول من التوراة في سفر التكوين ـ الإصحاح الخامس ـ .

وفي كون هذه التواريخ محفوظة فيما نزلَ من السماء نظرٌ كما ذكرَه غيرُ واحد من العلماء طاعنين عليهم في ذلك ، والظاهر أنها مقحمة فيها ، ذكرَها بعضهم على سبيل الزيادة والتفسير ، وفيها غلط كثير كما سنذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير في « تاريخه » عن بعضهم[(١)] : أنَّ حواءَ ولدت لآدم أربعينَ ولداً في عشرين بطناً ، قاله ابن إسحاق ، وسمَّاهم ، والله تعالى أعلم . وقيل : مئة وعشرين بطناً ، في كلِّ واحدٍ ذكرٌ وأنثى . أولهم « قابيل » وأخته « قليما » وآخرهم « عبد المغيث » وأخته « أم المغيث » . ثم انتشرَ النَّاسُ بعد ذلك وكثروا ، وامتدُّوا في الأرض ونموا ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١] الآية .

وقد ذكرَ أهلُ التاريخ أنَّ آدمَ عليه السلام لم يمتْ حتَّى رأى من ذرِّيتهِ من أولاده وأولاد أولاده أربعمئة ألف نسمة ، والله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩ ـ ١٩٠] . الآيات فهذا تنبيه أولاً بذكر آدم ، ثم استطرد إلى الجنس ، وليس المراد بهذا ذكر آدم وحواء ، بل لما جرى ذكر الشخص استطرد إلى الجنس ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٢ ـ ١٣] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك : ٥] ومعلوم أن رجومَ الشياطين ليست هي أعيانُ مصابيح السماء ، وإنما استطردَ من شخصها إلى جنسها .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد[(٢)] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا عمر بن إبراهيم ، حدَّثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرةَ ، عن النبي ﷺ ، قال : « لما ولدت حوَّاءُ طافَ بها إبليسُ ، وكان لا يعيشُ لها ولد ، فقال : سمِّيه عبدَ الحارث فإنَّه يعيشُ ، فسمَّته عبدَ الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » . وهكذا رواه الترمذي[(٣)] ، وابن جرير[(٤)] ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه[(٥)] في تفاسيرهم عند هذه الآية . وأخرجه الحاكم[(٦)] في مستدركه ، كلُّهم من حديث

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ١٤٠) .
(٢) في المسند (٥/ ١١) .
(٣) في جامعه (٣٠٧٧) في التفسير .
(٤) في تفسيره (٦/ ١٤٣) .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه ، كما في الدر المنثور (٣/ ٦٢٣) .
(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٥) .

عبد الصمد بن عبد الوارث ، به ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يُخرِّجاه .

وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه[١] .

فهذه علة قادحة في الحديث أنه روي موقوفاً على الصحابي وهذا أشبه[٢] ، والظاهر أنه تلقاه من الإسرائيليات ، وهكذا رُوي موقوفاً على ابن عباس . والظاهر أن هذا مُتلقَّى عن كعب الأحبار ودوّنه ، والله أعلم . وقد فسَّر الحسنُ البصريُّ هذه الآيات بخلاف هذا ، فلو كان عنده عن سَمُرة مرفوعاً لما عدلَ عنه إلى غيره ، والله أعلم . وأيضاً فالله تعالى إنما خلقَ آدمَ و حوَّاء ليكونا أصلَ البشر ، وليبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، فكيف كانت حوَّاء لا يعيشُ لها ولد كما ذُكرَ في هذا الحديث إن كان محفوظاً ؟! والمظنون بل المقطوع به أن رفعَه إلى النبي ﷺ خطأ ، والصوابُ وقفه ، والله أعلم . وقد حرَّرنا هذا في كتابنا التفسير[٣] ولله الحمد .

ثم قد كان آدم وحواء أتقى لله مما ذكر عنهما في هذا ، فإنَّ آدمَ أبو البشر الذي خلقَه الله بيده ونفخَ فيه من روحه ، وأسجدَ له ملائكته ، وعلَّمه أسماءَ كلِّ شيءٍ ، وأسكنَه جنَّته .

وقد روى ابنُ حبَّان في صحيحه : عن أبي ذر ، قال : قلت يا رسول الله! كم الأنبياء ؟ قال : « مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً » . قلت : يا رسول الله ! كم الرسل منهم ؟ قال : « ثلاثمئة وثلاثة عشر جمٌّ غفير » . قلت : يا رسول الله ! من كان أوَّلهم ؟ قال : آدم . قلت : يا رسول الله ! نبي مرسل ؟ قال : « نعم ، خلقه الله بيده ، ثم نفخَ فيه من رُوحه ، ثم سوَّاه قُبُلاً »[٤] .

وقال الطبراني[٥] : حدَّثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني، حدَّثنا شيبان بن فَرُّوخ ، حدَّثنا نافع أبو هرمز ، عن عطاء بن أبي رَباح ، عن ابن عبَّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأفضلِ الملائكةِ جبريل ، وأفضلِ النبيِّين آدم ، وأفضل الأيام يوم الجمعة ، وأفضل الشهور شهر رمضان ، وأفضل اللَّيالي ليلة القدر ، وأفضلُ النِّساء مريمُ بنت عمران »[٦] . وهذا إسنادٌ ضعيفٌ ، فإنَّ نافعاً أبا هرمز

---

(١) انظر جامع الترمذي (٥/ ٢٦٨) .

(٢) وهذا هو الصواب ؛ فالموقوف علة للمرفوع ، وليس كما شاع عند المتأخرين ، واقتصار الترمذي على تحسينه يعني أنه عنده معلول ، وهو معلول هنا بالوقف ، وهذا من عمر بن إبراهيم فإنه ضعيف في قتادة خاصة مع صدقه عموماً . ثم إن الحسن لم يسمع كل ما رواه عن سمرة كما قرره الإمام الذهبي .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٥) .

(٤) رواه ابن حبان (٣٦١) وأحمد في المسند (٥/ ١٧٨) من حديث أبي ذر ، وأحمد في المسند (٥/ ٢٦٦) من حديث أبي أمامة ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٥) في الكبير (١١٣٦١) .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٣٦١) وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٤٠) فيه نافع أبو هرمز ، وهو ضعيف وقال أيضاً (٨/ ١٩٨) : فيه نافع أبو هرمز ؟ ؛ وهو متروك .

هذا كذَّبه ابن مَعين ، وضعَّفه أحمد ، وأبو زُرْعة ، وأبو حاتم ، وابن حبان وغيرهم[١] ، والله أعلم .

وقال كعب الأحبار : ليس أحدٌ في الجنَّة له لحيةٌ إلا آدم ، لحيتُه سوداء إلى سُرَّته ، وليس أحدٌ يكتني في الجنَّة إلا آدم ، كنيتُه في الدنيا أبو البشر وفي الجنَّة أبو محمد .

وقد روى ابنُ عديّ : من طريق شيخ[٢] بن أبي خالد ، عن حمَّاد بن سلمة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ، مرفوعاً « أهلُ الجنَّةِ يُدعونَ بأسمائهم إلا آدم ، فإنه يُكنَّى أبا محمد »[٣] . ورواه ابن عديّ[٤] أيضاً : من حديث علي بن أبي طالب ، وهو ضعيفٌ من كلِّ وجهٍ ، والله أعلم .

وفيه حديث الإسراء الذي في الصحيحين : أنَّ رسولَ الله ﷺ لما مرَّ بآدمَ وهو في السماء الدنيا ، قال له : « مرحباً بالابن الصالح ، قال : وإذا عن يمينه أَسْودةٌ وعن يساره أسودة ، فإذا نظرَ عن يمينه ضحكَ ، وإذا نظرَ عن شمالِه بكى ، فقلت : يا جبريل ! ما هذا ؟ قال : هذا آدمُ وهؤلاء نسم بنيه ، فإذا نظرَ قِبَلَ أهل اليمين وهم أهلُ الجنَّة ضحكَ ، وإذا نظرَ قِبَلَ أهلِ الشمالِ وهم أهل النار بكى »[٥] هذا معنى الحديث .

وقال أبو بكر البزار : حدَّثنا محمد بن المثنى ، حدَّثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا هشام بن حسان ، عن الحسن ، قال : كانَ عقلُ آدمَ مثلَ عَقْل جميعِ ولدِه[٦] .

وقال بعض العلماء : في قوله ﷺ : « فمررتُ بيوسفَ ، وإذا هو قد أُعطي شَطْرَ الحُسْنِ » . قالوا : معناه أنه كان على النِّصْفِ من حُسْن آدمَ عليه السلام . وهذا مناسب ، فإنَّ اللهَ خلقَ آدمَ وصوَّره بيده الكريمة ونفخَ فيه من رُوحه ، فما كان ليخلُقَ إلا أحسنَ الأشباه .

وقد روينا : عن عبد الله بن عمرو ، وابن عمر أيضاً ، موقوفاً ومرفوعاً : « إنَّ الله تعالى لما خلقَ الجنَّة ، قالت الملائكة : يا ربَّنا اجعلْ لنا هذه فإنَّكَ خلقتَ لبني آدمَ الدنيا يأكلون فيها ويشربونَ . فقالَ الله تعالى : وعزَّتي وجَلالي لا أجعلُ صالحَ ذريَّةِ منْ خلقتُ بيدي كمن قلتُ له كن فكان »[٧] .

وقد وردَ الحديثُ المرويُّ في الصحيحين وغيرهما من طرق أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ الله خلقَ آدمَ

---

(١) ينظر ميزان الاعتدال (٤/ ٢٤٣) .
(٢) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : سبح .
(٣) أخرجه ابن عديّ في الكامل (٤/ ١٣٦٨) .
(٤) أخرجه ابن عديّ في الكامل (٦/ ٢٣٠٣) .
(٥) أخرجه البخاري (٣٣٤٢) في الأنبياء ، ومسلم (١٦٣) في الإيمان . وأسودة : جمع سواد ، وهو الشخص : أي جمع من الأشخاص . ونسم بنيه : جمع نسمة ، وهي نفس الإنسان ، أي : أرواح بني آدم .
(٦) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٣١٨) وقال : في رواية هشام بن حسان عن الحسن مقال .
(٧) ذكره ابن كثير في البداية (١/ ٤٩) وقال : رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً ، وهو أصحُّ .

على صُورته »[١] وقد تكلَّم العلماء على هذا الحديث، فذكروا فيه مسالكَ كثيرة ، ليس هذا موضع بسطها .

[وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد ربه بن صالح القرشي الدمشقي[٢] ، يروي عن مكحول وغيره ، وعبد الحكيم ، ومروان الطاطري ، وسليمان بن عبد الرحمن ، وهشام بن عمار ، وهشام بن خالد ، روى من طريق هشام بن عمَّار ، أنه سمعَ عروةَ بن رويم ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « لما خلق الله آدم وذريَّته ، قالت الملائكة : يا ربنا خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون ، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال الله عز وجلَّ : لا أجعلُ منْ خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي ، كمن قلت له كن فكان »][٣] .

***

ذكرُ
وَفَاة آدم وَوَصيّته إلى ابنه شيث
عليه السلام

ومعنى شيث : هبة الله ، وسمَّياه بذلك لأنهما رُزقاه بعد أن قُتِلَ هابيل .

قال أبو ذرّ في حديثه عن رسول الله ﷺ : « إنَّ الله أنزلَ مئة صحيفةٍ وأربع صحف ، على شيث خمسين صحيفة »[٤] .

قال محمد بن إسحاق : ولما حضرتْ آدمَ الوفاةُ عَهِدَ إلى ابنه شيث ، وعلَّمه ساعاتِ الليل والنهار ، وعلَّمه عباداتِ تلك الساعات ، وأعلمَه بوقوع الطُّوفان بعدَ ذلك . قال : ويُقال : إنَّ أنسابَ بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث ، وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادُوا[٥] ، والله أعلم .

ولما تُوفي آدمُ عليه السلام ـ وكان ذلك يوم الجمعة ـ جاءته الملائكة بحَنُوط وكَفَن من عند الله عز وجل من الجنة ، وعزَّوا فيه ابنَه ووصيَّهُ شيثاً ، عليه السلام .

قال ابن إسحاق[٦] : وكُسِفت الشمسُ والقمر سبعة أيَّام بلياليهن .

---

(١) أخرجه البخاري في العتق (٢٤٢٠) ومسلم في البر والصلة (٢٦١٢) .
(٢) تاريخ دمشق (٣٤/ ١١٠) .
(٣) زيادة من ب .
(٤) تقدم الحديث وتخريجه (ص١٥٠) .
(٥) تاريخ الطبري (١/ ١٥٢) .
(٦) المصدر السابق (١/ ١٥٩) .

وقد قال عبد الله ابن الإمام أحمد[١] : حدَّثنا هدبة بن خالد ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمة ، عن حُميد ، عن الحسن ، عن عُتَي ـ هو ابن ضمرة السعدي ـ قال : رأيتُ شيخاً بالمدينة يتكلَّمُ فسألتُ عنه : فقالوا : هذا أُبيُّ بن كعب ، فقال : إن آدمَ لما حضرَه الموتُ قالَ لبنيه : أيْ بنيّ إني أشتهي من ثمارِ الجنَّة . قال : فذهبوا يطلبونَ له فاستقبلتْهم الملائكة ومعهم أكفانُه وحنُوطه ، ومعهم الفؤوس والمساحي والمَكاتل ، فقالوا لهم : يا بني آدم ما تُريدون وما تطلبون ؟ ـ أو ما تُريدون وأين تطلبون ـ قالوا : أبونا مريضٌ واشتهى من ثمار الجنة . فقالوا لهم : ارجعوا فقد قضى[٢] أبوكم . فجاؤوا ، فلما رأتهم حوَّاء عَرَفتهم ، فلاذت بآدمَ ، فقال : إليكِ عنِّي فإني إنما أُتيت من قبلك ، فخلّي بيني وبين ملائكة ربِّي عزَّ وجلَّ ، فقبضُوه وغسَّلوه وكفَّنوه وحنَّطوه ، وحفروا له ولحدوه ، وصلّوا عليه ، ثم أدخلوه قبرَه فوضعوه في قبره ، ثم حثوا عليه ، ثم قالوا : يا بني آدم هذه سنتكم . إسناد صحيح إليه .

وروى ابن عساكر : من طريق شيبان بن فَرُّوخ ، عن محمّد بن ز ياد ، عن ميمونَ بن مِهْران ، عن ابن عبَّاس أن رسولَ الله ﷺ قال : « كبَّرتِ الملائكةُ على آدمَ أربعاً ، وكبَّر أبو بكرٍ على فاطمةَ أربعاً ، وكبَّر عمرُ على أبي بكرٍ أربعاً ، وكبَّر صُهَيْبٌ على عمرَ أربعاً »[٣] . قال ابنُ عساكر : ورواه غيره ، عن ميمون ، فقال : عن ابن عمر .

واختلفوا في موضع دفنه : فالمشهور أنه دُفنَ عند الجبل الذي أُهبط منه في الهند . وقيل : بجبل أبي قُبَيْس بمكة .

ويقال : إن نوحاً عليه السلام لما كانَ زمن الطُّوفان حملَه هو و حوَّاء في تابوت ، فدفنَهما ببيت المقدس . حكى ذلك ابن جرير[٤] .

وروى ابنُ عساكر : عن بعضهم : أنه قال : رأسُه عند مسجد إبراهيم ، ورجلاه عند صَخْرة بيتِ المقدس . وقد ماتت بعده حوَّاء بسنة واحدة .

واختُلف في مقدار عُمُره عليه السلام ، فقدَّمنا في الحديث عن ابن عبَّاس ، وأبي هريرة ، مرفوعاً : أنَّ عُمُره اكْتُتبَ في اللَّوحِ المحفوظِ ألفَ سنةٍ[٥] . وهذا لا يُعارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمئة وثلاثين سنة ؛ لأن قولهم هذا مطعون فيه ، مردود إذا خالفَ الحقَّ الذي بأيدينا ، مما هو المحفوظ عن

---

(١) في زياداته على مسند أبيه (٥/ ١٣٦) .
(٢) في « أ » فقد قضي قضاء أبيكم .
(٣) وإسناده ضعيف جداً .
(٤) في تاريخه (١/ ١٦١) .
(٥) تقدم الحديث .

المعصوم . وأيضاً فإنَّ قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث ، فإن ما في التوراة إن كان محفوظاً محمولٌ على مدَّة مُقامه في الأرض بعد الإهباط ، وذلك تسعمئة وثلاثون سنة شمسية ، وهي بالقمرية تسعمئة وسبع وخمسون سنة ، ويُضاف إلى ذلك ثلاث وأربعون سنة مُدَّة مقامه في الجنَّة قبلَ الإهباط على ما ذكرَه ابنُ جرير وغيره ، فيكون الجميع ألف سنة .

وقال عطاء الخراساني : لما مات آدمُ بكتِ الخلائقُ عليه سبعةَ أيَّام . رواه ابن عساكر[١] .

فلما ماتَ آدمُ عليه السلام قامَ بأعباء الأمر بعدَه ولدُه شيث عليه السلام ، وكان نبيًّا بنصِّ الحديث الذي رواه ابن حِبَّان في صحيحه[٢] : عن أبي ذر ، مرفوعاً : أنه أُنزلَ عليه خمسون صحيفة .

فلما حانتْ وفاتُه أوصى إلى ابنه « أنوش » فقامَ بالأمر بعدَه ، ثم بعده ولده « قينن » . ثم من بعده ابنه « مهلاييل » وهو الذي يزعمُ الأعاجم من الفرس أنه ملَكَ الأقاليمَ السبعة ، وأنَّه أوَّلُ من قطعَ الأشجار ، وبنى المدائن والحصون الكبار ، وأنَّه هو الذي بنى مدينةَ بابل ، ومدينة السوس الأقصى ، وأنه قهرَ إبليسَ وجنودَه وشرَّدهم عن الأرض إلى أطرافها وشعاب جبالها ، وأنه قتلَ خَلْقاً من مرَدة الجنِّ والغيلان ، وكان له تاج عظيم ، وكان يخطبُ النَّاس ، ودامت دولتُه أربعينَ سنة .

فلما ماتَ قامَ بالأمر بعدَه ولدُه « يرد » فلما حضرتْه الوفاة أوصى إلى ولده « خنوخ » وهو إدريسُ عليه السلام ، على المشهور .

ذِكرُ
إدريس عَلَيه السَّلام

قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٦ ـ ٥٧] . فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفَه بالنبوة والصِّدِّيقيَّة ، وهو « خنوخ » هذا ، وهو في عمود نسب رسول الله ﷺ على ما ذكرَه غير واحد من علماء النسب .

وكان أوَّل بني آدم أُعطي النبوة بعد آدمَ وشيث عليهما السلام . وذكر ابن إسحاق : أنَّه أوَّلُ من خطَّ بالقلم ، وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمئة سنة وثماني سنين .

وقد قال طائفة من الناس : إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي ، لما سألَ رسولَ الله

(١) أخرجه ابن عساكر ، كما في مختصر تاريخ دمشق ؛ لابن منظور (١٤/ ٢٢٦) .
(٢) تقدم الحديث وتخريجه .

ﷺ عن الخطِّ بالرمل ، فقال : « إنَّه كان نبيٌّ يخطُّ به ، فمن وافقَ خطَّه فذاك »[١] .

ويزعمُ كثيرٌ من علماء التفسير والأحكام : أنَّه أوَّل من تكلَّم في ذلك ، ويُسمُّونه هرمس[٢] الهرامسة ، ويكذبون عليه أشياءَ كثيرةً ، كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] هو كما ثبتَ في الصحيحين في حديث الإسراء : أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ به وهو في السماء الرابعة .

وقد روى ابن جرير[٣] : عن يونس ، عن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن جرير بن حازم ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : سألَ ابنُ عبَّاس كَعْباً وأنا حاضر ، فقال له : ما قول الله تعالى لإدريس ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] فقال كعبٌ : أما إدريس فإن الله أوحى إليه أنِّي أرفعُ لك كلَّ يوم مثل جميع عمل بني آدم ـ لعله من أهل زمانه ـ فأحب أن يزدادَ عملاً ، فأتاه خليلٌ له من الملائكة ، فقال : إنَّ الله أوحى إلي كذا وكذا فكلِّم فيَّ ملكَ الموت حتى أزداد عملاً ، فحملَه بين جناحيْه حتى صَعِد به إلى السماء ، فلما كان في السماء الرابعة تلقَّاه مَلَكُ الموتِ منحدراً ، فكلَّم مَلَك الموتِ في الذي كلَّمه فيه إدريس ، فقال : وأينَ إدريسُ ؟ قال : هو ذا على ظهري . فقال مَلَكُ الموتِ : فالعجبُ بُعثتُ وقيل لي : اقبضْ روحَ إدريس في السماء الرابعة ، فجعلتُ أقولُ كيف أقبضُ روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض ؟ فقبضَ روحَه هناك ، فذلك قول الله عز وجل ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] .

ورواه ابن أبي حاتم[٤] عند تفسيرها ، وعنده ، فقالَ لذلك الملك : سلْ لي ملَك الموت : كم بقيَ من عُمُري ؟ فسألَه وهو معه : كم بقيَ من عُمره ؟ فقال : لا أدري ، حتى أنظرَ ، فقال : إنَّك لتسألُني عن رجلٍ ما بقيَ من عُمُره إلا طَرْفَة عَيْن فنظرَ الملك إلى تحت جناحِه إلى إدريس ، فإذا هو قد قُبِضَ وهُو لا يشعرُ .

وهذا من الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارةٌ .

وقولُ ابن أبي نجيْح ، عن مجاهد[٥] ، في قوله ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾ [مريم : ٥٧] قال : إدريسُ رُفعَ ولم يمتْ ، كما رُفعَ عيسى ؛ إنْ أرادَ أنه لم يمت إلى الآنَ ففي هذا نظرٌ ، وإنْ أرادَ أنَّه رُفعَ حيّاً إلى السماء ، ثم قُبِضَ هناكَ ، فلا يُنافي ما تقدَّم عن كعب الأحبار ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٣٧) في المساجد .
(٢) « هرمس » : الأسد القوي الشديد .
(٣) في تفسيره (٨/٣٥٢) .
(٤) كما في الدر المنثور (٥/٥١٨) .
(٥) أخرجه مجاهد في تفسيره (١/٣٨٧) .

وقال العَوْفي[١] : عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] رُفع إلى السماء السادسة فمات بها . وهكذا قال الضَّحَّاك .

والحديثُ المتفق عليه من أنه في السماء الرابعة أصحُّ ، وهو قول مجاهد ، وغير واحد .

وقال الحسن البصري ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] قال : إلى الجنة . وقال قائلون : رُفِعَ في حياة أبيه يَرد بن مَهلاييل ، والله أعلم .

وقد زعمَ بعضُهم أنَّ إدريسَ لم يكنْ قبلَ نوح ، بل في زمان بني إسرائيل .

قال البخاري[٢] : ويُذكر عن ابن مسعود ، وابن عباس ؛ أنَّ إلياس هو إدريس ، واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري ، عن أنس في الإسراء ؛ أنه لما مرَّ به عليه السلام قال له : « مرحباً بالأخ الصَّالح والنَّبيِّ الصالح ، ولم يقل كما قال آدمُ وإبراهيم : مرحباً بالنَّبيِّ الصَّالح والابن الصَّالح » قالوا : فلو كانَ في عمود نسبه لقال له كما قال له .

وهذا لا يدلُّ ولا بُدَّ ، لأنه قد لا يكون الراوي حفظه جيِّداً ، أو لعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع ، ولم ينتصبْ له في مقام الأبُوَّة كما انتصبَ لآدمَ أبي البشر وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمَّدٍ ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

* * *

(١) انظر الدر المنثور ؛ للسيوطي (٥/ ٥١٩) .
(٢) في صحيحه (٣٣٤٢) في الأنبياء .

قصَّةُ نوح عليه السلام

هو نوح بن لامك ، بن متوشلخ ، بن خنوخ ـ وهو إدريس ـ بن يَرد ، بن مهلاييل ، بن قَيْنن ، بن أنوش ، بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام .

وكان مولدُه بعد وفاة آدم بمئة سنة وست وعشرين سنة فيما ذكره ابن جرير[١] وغيره .

وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مئة وست وأربعون سنة .

وكان بينهما عشرة قرون ، كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه[٢] : حدَّثنا محمد بن عمر بن يوسف ، حدَّثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه ، حدَّثنا أبو توبة ، حدَّثنا معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام ، سمعتُ أبا سلام ، سمعتُ أبا أمامة : أنَّ رجلاً قال : يا رسول الله ! أنبيٌّ كانَ آدمُ ؟ قال : « نعم ، مُكلَّم » . قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : « عشرة قرون » . قلت : وهذا على شرط مسلم ، ولم يخرِّجوه .

وفي صحيح البخـاري[٣] : عن ابن عبَّاس ؛ أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلُّهم على الإسلام .

فإن كان المراد بالقرن مئة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس ، فبينهما ألف سنة لا محالة ، لكن لا ينفي أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عبَّاس بالإسلام ، إذ قد يكون بينهما قرون أُخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام ، لكن حديث أبي أمامة يدلُّ على الحصر في عشرة قرون ، وزادَنا ابنُ عبَّاس أنهم كلهم كانوا على الإسلام . وهذا يردُّ قولَ من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهلِ الكتاب : أنَّ قابيلَ وبنيه عَبدُوا النَّار ، والله أعلم .

وإن كانَ المرادُ بالقَرْن الجيلَ من الناس ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء : ١٧] وقـولـه : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣١] وقال تعالى : ﴿ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٨] وقال ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ [مريم : ٧٤] وكقوله عليه السلام : « خيرُ القرونِ قرني »[٤] الحديث . فقد كان الجيل قبلَ نوح يُعمَّرون الدهور الطويلة ، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين ، والله أعلم .

---

(١) تاريخ ابن جرير الطبري (١/ ١٧٨) .

(٢) الإحسان (٦١٩٠) ، وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ١٧٨) عن ابن عباس وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٤٢) عن عكرمة ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٦) عن ابن عباس ، ولم أجده في صحيح البخاري ، وأظنه سبق قلم .

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٢٩) في الرقاق ، ومسلم (٢٥٣٣) (٢١٢) في فضائل الصحابة ، بلفظ « خير الناس قرني » .

وبالجملة : فنوحٌ عليه السلام إنما بعثَه الله تعالى لمَّا عُبِدتِ الأصنامُ والطواغيتُ ، وشرعَ النَّاسُ في الضلالة ، والكفر ، فبعثَه الله رحمةً للعباد ، فكان أوَّلَ رسول بُعِثَ إلى أهل الأرض ؛ كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة . وكان قومُه يُقال لهم : بنو راسب ، فيما ذكرَه ابن جُبير وغيره .

واختلفوا في مقدار سِنِّه يومَ بُعِثَ فقيل : كان ابن خمسين سنة . وقيل : ابن ثلاثمئة وخمسين سنة ، وقيل : ابن أربعمئة وثمانين سنة . حكاها ابن جرير[١] ، وعزا الثالثة منها إلى ابن عباس .

وقد ذكر الله قصته وما كان من قومه ، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان[٢] ، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه العزيز .

ففي الأعراف ، ويُونس ، وهود ، والأنبياء ، والمؤمنون ، والشعراء ، والعنكبوت ، والصافات ، واقتربت ، وأنزلَ فيه سورة كاملة .

فقال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٩ ـ ٦٤] .

وقال في سورة يونس : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [يونس : ٧١ ـ ٧٣] .

وقال تعالى في سورة هود : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن

(١) في تاريخه (١/ ١٧٩) .
(٢) سقطت من ب .

كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[هود : ٢٥ ـ ٤٩] .

وقال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٦ ـ ٧٧] .

وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣ ـ ٣٠] .

وقال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي

وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء : ١٠٥ ـ ١٢٢] .

وقال تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت : ١٤ ـ ١٥] .

وقال تعالى في سورة الصافات : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الصافات : ٧٥ ـ ٨٢] .

وقال تعالى في سورة اقتربت : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر : ٩ ـ ١٧] وقال تعالى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح : ١ ـ ٢٨] .

وقد تكلَّمنا على كل موضع من هذه في التفسير ، وسنذكرُ مضمون القصَّة مجموعاً من هذه الأماكن المتفرِّقة ، ومما دلَّت عليه الأحاديث والآثار ، وقد جرى ذكره أيضاً في مواضعَ متفرِّقة من القرآن فيها مَدْحه وذمٌّ منْ خالفَه ، فقال تعالى في سورة النساء : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا

مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥] .

وقال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٣ ـ ٨٧] الآيات .

وتقدَّمت قصته في الأعراف ، وقال في سورة براءة : ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة : ٧٠] .

وتقدَّمت قصَّته في سورة هود ، وقال في سورة إبراهيم : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم : ٩] .

وقال في سورة سبحان : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] وقال فيها أيضاً ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٧] .

وتقدمت قصته في الأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت . وقال في سورة الأحزاب ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] وقال في سورة صٓ : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [ص : ١٢ ـ ١٤] .

وقال في سورة غافر : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر : ٥ ـ ٦] .

وقال في سورة الشورى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] . وقال تعالى في سورة قٓ : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق : ١٢ ـ ١٤] وقال في الذاريات : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الذاريات : ٤٦] وقال في النجم : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ [النجم : ٥٢] وتقدمت قصته في سورة اقتربت الساعة . وقال تعالى في سورة الحديد : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٦] وقال تعالى في سورة التحريم : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠] .

وأما مضمونُ ما جرى له مع قومه مأخوذاً من الكتاب والسُّنَّة والآثار ، فقد قدَّمنا عن ابن عباس ؛ أنه كان بين آدمَ ونوح عشرةُ قرون ، كلُّهم على الإسلام . رواه البخاري(١) .

وذكَرْنا أنَّ المرادَ بالقرن : الجيل ، أو المدة على ما سلف .

ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمورٌ اقتضت أنْ آلَ الحالُ بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام ، وكان سببُ ذلك ما رواه البخاري(٢) : من حديث ابن جُريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح : ٢٣] قال : هذه أسماءُ رجالٍ صالحينَ من قوم(٣) نوح ، فلما هَلكُوا أوحى الشيطانُ إلى قومِهم أن انصبُوا إلى مجالسِهم التي كانوا يجلسونَ فيها أنصاباً ، وسَمُّوها بأسمائِهم ، ففعلُوا ، فلم تُعْبدْ حتَّى إذا هلكَ أولئكَ ، وتَنسَّخَ(٤) العلمُ عُبِدتْ .

قال ابن عباس : وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ . وهكذا قال عكرمة والضَّحَّاك ، وقتادة ، ومحمد بن إسحاق(٥) .

وقال ابن جرير(٦) في تفسيره : حدَّثنا ابن حُميد ، حدَّثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى ، عن محمد بن قيس ، قال : كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح ، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم ، فلما ماتوا ، قال أصحابُهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صوَّرناهم كان أشوقَ لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوَّروهم ، فلما ماتوا وجاءَ آخرون ، دبَّ إليهم إبليسُ فقال : إنما كانوا يَعبدونهم وبهم يُسقون المطرَ ، فعبدوهم .

وروى ابن أبي حاتم(٧) : عن عروة بن الزبير ؛ أنَّه قالَ : ود ، ويغوث ، ويَعُوق ، وسُواع ، ونَسْر ، أولاد آدم ، وكان وَدٌّ أكبرَهم وأبرَّهم به .

---

(١) لم أجده في البخاري كما سبق ص١١٠ .
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٠) في التفسير موقوفاً على ابن عباس . وقال الحافظ ابن حجر : قيل : هذا منقطع ؛ لأن عطاءً المذكور هو الخراساني ، ولم يلق ابن عباس . . . ثم قال : لكن الذي قوي عندي أن هذا الحديث بخصوصيته عند ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، وعن عطاء بن أبي رباح جميعاً . . وانظر فتح الباري (٨/ ٦٦٧ ـ ٦٦٨) .
(٣) في أ : رفقة .
(٤) في ب : ونسخ .
(٥) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٤) .
(٦) المصدر السابق (٢/ ٢٥٤) .
(٧) كما في الدر المنثور (٨/ ٢٩٣) .

وقال ابن أبي حاتم[١] : حدَّثنا أحمد بن منصور ، حدَّثنا الحسن بن موسى ، حدَّثنا يعقوب ، عن أبي المُطهَّر ، قال : ذكروا عند أبي جعفر ـ هو الباقر ـ وهو قائمٌ يُصلِّي يزيدَ بن المُهلَّب ، قال : فلما انفتلَ[٢] من صلاته ، قال : ذكرتُم يزيدَ بن المُهلَّب ، أما إنه قُتِلَ في أوَّل أرضٍ عُبدَ فيها غيرُ الله . قال : ذكر ودّاً رجلاً صالحاً ، وكان محبَّباً في قومِه ، فلما ماتَ عكفُوا[٣] حولَ قبره في أرضِ بابلَ وجَزِعُوا عليه ، فلما رأى إبليسُ جزعَهم عليه ، تشبَّه في صورة إنسان ، ثم قال : إنِّي أرى جزعَكم على هذا الرجل ، فهل لكم أن أصوِّر لكم مثلَه ، فيكون في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا : نعم . فصوَّرَ لهم مثلَه . قال : ووضعوه في ناديهم ، وجعلوا يذكرونَه . فلما رأى ما بهم من ذكرِه . قال : هل لكم أن أجعلَ في منزل كلِّ واحدٍ منكم تمثالاً مثلَه ، ليكونَ له في بيتِهِ فتذكرونه ؟ قالوا : نعم . قال : فمثَّل لكلِّ أهلِ بيتٍ تمثالاً مثلَه ، فأقبلوا فجعلُوا يذكرونَه به . قال : وأدرك أبناؤُهم ، فجعلُوا يرون ما يصنعونَ به ، قال : وتناسلوا ، ودرسَ[٤] أثرُ ذكرهم إيَّاه حتَّى اتَّخذوه إلَهاً يعبدونَه من دون الله أولاد أولادِهم ، فكانَ أوَّلَ ما عُبد غير اللهِ « ودٌّ » الصنمُ ، الذي سمَّوه وَدّاً .

ومقتضى هذا السياق : أنَّ كلَّ صنمٍ من هذه عبدَه طائفةٌ من الناس ، وقد ذُكرَ أنَّه لما تطاولتِ العهودُ والأزمانُ جعلوا تلك الصُّورَ تماثيلَ مجسَّدةً ، ليكونَ أثبتَ لها ، ثم عُبِدتْ بعد ذلك من دون الله عزَّ وجلَّ ، ولهم في عبادتِها مسالكُ كثيرةٌ جداً قد ذكرناها في مواضِعها من كتابنا التفسير[٥] ، ولله الحمد والمنة .

وقد ثبتَ في الصحيحين[٦] : عن رسول الله ﷺ : أنه لما ذَكرت عندَه أمُّ سلمةَ وأُمُّ حبيبةَ تلك الكنيسةَ التي رأينَها بأرضِ الحبشة ، يُقالُ لها : مارية ، فذكرتَا من حُسْنِها وتصاويرَ فيها ، قال : « أولئكَ إذا ماتَ فيهم الرجلُ الصَّالحُ بنوْا على قبره مسجداً ، ثم صوَّرُوا فيه تلك الصُّورة ، أولئك شِرارُ الخلق عند الله عزَّ وجلَّ » .

والمقصودُ أنَّ الفسادَ لما انتشرَ في الأرض وعمَّ البلاءُ بعبادة الأصنام فيها ، بعثَ الله عبدَه ورسولَه نوحاً عليه السلام ، يدعو إلى عبادةِ الله وحده لا شريكَ له ، وينهى عن عبادةِ ما سواه .

فكان أوَّلَ رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، كما ثبتَ في الصحيحين[٧] : من حديث أبي حيَّان ، عن

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٢٩٤) وعزاه لعبد بن حميد أيضاً .
(٢) انفتل : انصرف من صلاته .
(٣) في أ : عسكروا .
(٤) درسَ : انمحى .
(٥) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٣) .
(٦) أخرجه البخاري (٤٢٧) و(٤٣٤) في الصلاة ، ومسلم (٥٢٨) في المساجد .
(٧) أخرجه البخاري (٤٧١٢) في التفسير ، ومسلم (١٩٤) في الإيمان .

أبي زُرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ في حديث الشفاعة ، قال : « فيأتون آدمَ فيقولون : يا آدمُ أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخَ فيكَ من روحه ، وأمرَ الملائكةَ فسجدوا لكَ ، وأسكنكَ الجنَّة ، ألا تشفعُ لنا إلى ربِّك ؟ ألا ترى ما نحنُ فيه وما بَلَغنا ؟ فيقول : ربِّي قد غضبَ غضباً شديداً لم يغضبْ قبلَه مثلَه ، ولا يغضبُ بعدَه مثلَه ، ونهاني عن الشجرة ، فعصيتُ ، نفسي نفسي ، اذهبُوا إلى غيري ، اذهبُوا إلى نوح . فيأتونَ نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسمَّاك الله عبداً شكوراً ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بَلَغنا ، ألا تشفعُ لنا إلى ربِّك عز وجل ؟ فيقولُ : ربِّي قد غضبَ اليومَ غَضَباً لم يغضبْ قبلَه مثله ولا يغضبُ بعدَه مِثْله ، نفسي نفسي » . وذكر تمامَ الحديث بطوله ، كما أورده البخاريُّ[1] في قصة نوح .

فلما بعثَ الله نوحاً عليه السلام دعاهم إلى إفراد العبادة لله وحدَه لا شريكَ له ، ألاَّ يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً ، وأن يعترفوا بوحدانيته ، وأنَّه لا إلهَ غيره ولا ربَّ سواه ، كما أمر الله تعالى من بعده من الرسل الذين هم كلُّهم من ذريَّته ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] وقال فيه وفي إبراهيم : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الحديد : ٢٦] أي : كل نبيّ من بعد نوح فمن ذريته ، وكذلك إبراهيم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

ولهذا قال نوح[2] لقومه : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ٥٩] وقال : ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [هود : ٢٦] وقال : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٥] وقال : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ الآيات الكريمات [نوح : ٢ ـ ١٤] .

فذكرَ أنَّه دعاهم إلى الله بأنواع الدعوة في الليل والنهار والسِّرِّ والإجهار بالترغيب تارةً والترهيب

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) في الأنبياء .

(٢) في ب : ولهذا قال نوح عليه السلام : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ . . . ﴾ .

أخرى ، وكلُّ هذا ، فلم ينجحْ فيهم ، بل استمرَّ أكثرُهم على الضلالة والطغيان وعبادة الأصنام والأوثان ، ونَصَبُوا له العداوةَ في كلِّ وقتٍ وأوان ، وتَنقَّصُوه وتنقَّصُوا منْ آمنَ به ، وتوعَّدوهم بالرجم والإخراج ، ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾ أي : السادة الكبراء منهم ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٠ ـ ٦١] أي : لست كما تزعمونُ من أني ضالٌّ ، بل على الهدي المستقيم رسولٌ من رب العالمين ، أي : الذي يقول للشيء كن فيكون ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٢] . وهذا شأنُ الرسول أن يكونَ بليغاً ، أي : فصيحاً ناصحاً ، أعلم الناس بالله عز وجل .

وقالوا له فيما[١] قالوا : ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود : ٢٧] تعجَّبُوا أن يكونَ بشراً رسولاً ، وتنقَّصُوا بمن اتَّبعه ، ورأوْهم أراذلَهم . وقد قيل : إنهم كانوا من أفناد[٢] النَّاس وهم ضعفاؤهم ، كما قال هرقل : وهم أتباعُ الرسل . وما ذاك إلا لأنه لا مانعَ لهم من اتباع الحقِّ .

وقولهم : ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [هود : ٢٧] أي : بمجرد ما دعوتُهم استجابوا لكَ من غير نظر ولا رويَّة ، وهذا الذي رموهم به هو عين ما يُمدحون بسببه رضي الله عنهم ، فإن الحقَّ الظاهرَ لا يحتاجُ إلى رويَّةٍ ولا فكر ولا نظر ، بل يجبُ اتِّباعه والانقياد له متى ظهرَ .

ولهذا قال رسول الله ﷺ مادحاً للصدِّيق : « ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت كبوة[٣] ، غير أبي بكر فإنه لم يتلعثمْ »[٤] ولهذا كانت بيعتُه يوم السقيفة أيضاً سريعةً ، من غير نظرٍ ولا رويَّة ، لأن أفضليتَه على من عداه ظاهرةٌ جليَّةٌ عند الصحابة رضي الله عنهم ، ولهذا قال رسول الله ﷺ لما أراد أن يكتبَ الكتابَ الذي أراد أن ينصَّ فيه على خلافته ، فتركَه وقال : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر رضي الله عنه »[٥] .

وقول كَفَرةِ قوم نوحٍ له ولمن آمنَ به : ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ ﴾ [هود : ٢٧] أي : لم يظهرْ لكم أمر بعد اتصافكم بالإيمان ولا مزيَّة علينا ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود : ٢٧ ـ ٢٨] .

---

(١) في ب : مما قالوا .
(٢) أفناد : ضعفاء الرأي من الناس .
(٣) « كبوة » : وقفة وتردُّد .
(٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٦٢٨٦) عن ابن مسعود ، وذكره رزين كما في جامع الأصول (٨/ ٥٨٥) والشوكاني (ص١٤٢) في درِّ السحابة ، والمتقي الهندي (١١/ ٥٥٥) في كنز العمال .
(٥) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٠٦) ومسلم في صحيحه (٢٣٨٧) في فضائل الصحابة .

وهذا تلطُّفٌ في الخطاب معهم ، وترفُّق بهم في الدعوة إلى الحقِّ ، كما قال تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] وهذا منه ، يقول لهم : ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ [هود : ٢٨] أي : النبوة والرسالة ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : فلم تفهموها ولم تهتدوا إليها ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أي : أنغصبكم بها ، ونجبركم عليها ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ أي : ليس لي فيكم حيلة والحالة هذه ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [هود : ٢٩] أي : لستُ أريد منكم أجرةً على إبلاغي إياكم ما ينفعكم في دنياكم وأخراكم ، إن أطلبُ ذلك إلا من الله الذي ثوابُه خيرٌ لي وأبقى مما تُعطوني أنتم .

وقوله : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [هود : ٢٩] كأنهم طلبوا منه أن يُبعد هؤلاء عنه ، ووعدوه أن يجتمعوا به إذا هو فعل ذلك ، فأبى عليهم ذلك ، وقال : ﴿ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾ أي : فأخاف إن طردتهم أن يشكوني إلى الله عز وجل ، ولهذا قال : ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود : ٣٠] ولهذا لما سأل كفّارُ قريش رسولَ الله ﷺ : أن يطردَ عنه ضعفاءَ المؤمنين ، كعمّار ، وصُهيب ، وبلال ، وخبّاب ، وأشباههم ، نهاه الله عن ذلك كما بيّناه في سورتي الأنعام والكهف .

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [هود : ٣١] أي : بل أنا عبدٌ رسولٌ ، لا أعلم من علم الله إلا ما أعلمني به ، ولا أقدرُ إلا على ما أقدرني عليه ، ولا أملكُ لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلا ما شاء الله .

﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ ﴾ يعني من أتباعه ﴿ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ٣١] أي : لا أشهد عليهم بأنهم لا خير لهم عند الله يوم القيامة ، الله أعلم بهم وسيجازيهم على ما في نفوسهم إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشر ، كما قالوا في المواضع الأخر ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء : ١١١ ـ ١١٥] .

وقد تطاولَ الزمانُ والمجادلة بينه وبينهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤] أي : ومع هذه المدة الطويلة فما آمن له إلا القليل منهم ، وكان كلُّ ما انقرضَ جيلٌ وصَّوا منْ بعدَهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته ، وكان الوالد إذا بلغَ ولدُه وعقلَ عنه كلامه وصَّاه فيما بينَه وبينه ألا يؤمن بنوح أبداً ما عاش ، ودائماً ما بقي .

وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحقِّ ، و لهذا قال ﴿ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٧]

ولهذا قالوا : ﴿ قَالُوا يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [هود : ٣٢ـ٣٣] أي : إنما يقدر على ذلك الله عز وجل ، فإنه الذي لا يُعجزه شيءٌ ولا يكترثه أمر ، بل هو الذي يقولُ للشيء كن فيكون . ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود : ٣٤] أي : من يُرد الله فتنته فلن يملكَ أحدٌ هدايتَه ، هو الذي يَهدي منْ يشاءُ ويُضلُّ من يشاء ، وهو الفعَّال لما يُريد ، وهو العزيز الحكيم ، العليمُ بمن يستحقُّ الهداية ومنْ يستحقُّ الغواية ، وله الحكمة البالغة والحجَّة الدامغة .

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1] [هود : ٣٦] وهذه تعزيةٌ لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمنَ منهم إلا منْ قد آمنَ ، وتسليةٌ له عما كان منهم إليه ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أي : لا يسوأنَّكَ ما جرى فإنَّ النصرَ قريبٌ ، والنبأ عجيب ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود : ٣٧] وذلك أن نوحاً عليه السلام لما يئسَ من صَلاحهم وفَلاحِهم ، ورأى أنَّهم لا خيرَ فيهم ، وتوصلوا إلى أذيَّته ومخالفته وتكذيبه بكلِّ طريق من فعال ومقال ، دعا عليهم دعوةَ غضبٍ[2] ، فلبَّى الله دعوتَه ، وأجابَ طلبتَه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الصافات : ٧٥ـ٧٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء : ٧٦] . وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١١٧ـ١١٨] وقال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر : ١٠] وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [المؤمنون : ٢٦] وقال تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٥ـ٢٧] .

فاجتمعَ عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورِهم ودعوة نبيِّهم عليهم ، فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنعَ الفلكَ ، وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظيرٌ قبلَها ، ولا يكون بعدَها مثلها .

وقدَّم الله تعالى إليه أنه إذا جاء أمرُه ، وحلَّ بهم بأسُه الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين ، أنه لا يُعاوده فيهم ولا يُراجعه ، فإنَّه لعلّه قد تُدركه رقّة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم ، فإنَّه ليس الخبرُ كالمعاينة ، ولهذا قال : ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن

---

(١) في تفسير هذه الآية تقديم وتأخير وقع في أ والمطبوع ، وأثبت ما ورد في ب ؛ لأنه أقوم .

(٢) في ب : دعوة غضبٍ لله عليهم .

قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ ﴾ [هود : ٣٧ ـ ٣٨] أي : يستهزئون به استبعاداً[١] لوقوع ما توعَّدهم به ، ﴿ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾ [هود : ٣٨] أي : نحن الذين نسخرُ منكم ، ونتعجَّبُ منكم في استمراركم على كُفركم وعنادِكم الذي يقتضي وقوعَ العذاب بكم وحلوله عليكم ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴾ [هود : ٣٩] .

وقد كانت سجاياهم الكفرَ الغليظ ، والعنادَ البالغَ في الدنيا ، وهكذا في الآخرة ، فإنَّهم يَجْحدون[٢] أيضاً أن يكونَ جاءَهم[٣] رسولٌ .

كما قال البخاري[٤] : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبدُ الواحد بن زياد ، حدَّثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يجيءُ نوحٌ عليه السلام وأمَّتُه ، فيقولُ الله عزَّ وجلَّ : هل بلَّغتَ ؟ فيقولُ : نعم أي ربّ ، فيقولُ لأمَّته : هل بلَّغكُم ؟ فيقولون : لا ، ما جاءنا من نبيٍّ . فيقولُ لنوح : منْ يشهدُ لكَ ؟ فيقول : محمَّدٌ وأمَّته . فنشهدُ أنه قد بلَّغَ » . وهو قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣] . والوسط : العدل .

[٥]فهذه الأمة تشهدُ على شهادة نبيِّها الصَّادق المصدوق ، بأنَّ الله قد بعثَ نوحاً بالحقِّ ، وأنزلَ عليه الحقَّ ، وأمره به ، وأنه بلَّغه إلى أمَّته على أكمل الوجوه وأتمِّها ، ولم يدعْ شيئاً مما ينفعُهم في دينهم إلا وقد أمرَهم به ، ولا شيئاً مما قد يضرُّهم إلا وقد نهاهم عنه ، وحذَّرهم منه .

وهكذا[٦] شأنُ جميع الرسل ، حتَّى أنه حذَّر قومه المسيحَ الدَّجَّال ، وإن كان لا يتوقَّعُ خروجَه في زمانهم ، حذراً عليهم وشفقةً ورحمةً بهم .

كما قالَ البخاريُّ : حدَّثنا عَبْدان ، حدَّثنا عبدُ الله ، عن يُونس ، عن الزُّهريِّ ، قال سالم : قال ابنُ عمر : قامَ رسولُ الله ﷺ في النَّاسِ فأثنى على الله بما هو أهلُه ، ثم ذكرَ الدَّجَّال ، فقال : « إنِّي لأنذركُموهُ ، وما من نبيٍّ إلا وقد أنذرَه قومَهُ ، لقد أنذرَ نوحٌ قومَهُ ، ولكني أقولُ لكم فيه قولاً لم يَقُلْه نبيٌّ لقومِه ، تعلمونَ أنَّه أعورُ ، وأنَّ الله ليسَ بأعور »[٧] .

---

(١) في المطبوع : استعباداً ؛ وهو تصحيف ظاهر .
(٢) « يجحدون » : يُنكرون .
(٣) في أ : من رسول .
(٤) في صحيحه (٣٣٣٩) في الأنبياء .
(٥) في أ : وهكذا رواه .
(٦) في ب : وهذا .
(٧) أخرجه البخاري (٣٣٣٧) في الأنبياء .

وهذا الحديث في الصحيحين أيضاً : من حديث شَيْبان بن عبد الرحمن ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « ألا أحَدِّثكم عن الدَّجَّال حديثاً ما حدَّث به نبيٌّ قومه ، إنَّه أعورُ ، وإنَّه يجيءُ معه بمثالِ الجنَّة والنَّار ، فالتي يقولُ إنها[١] الجنَّة هي النَّار ، وإني أنذركُم كما أنذرَ به نوحٌ قومَه »[٢] لفظ البخاري .

وقد قال بعضُ علماءِ[٣] السَّلف : لما استجابَ الله له أمرَه أن يغرسَ شجراً ليعملَ منه السفينة ، فغرسَه وانتظره مئة سنة ، ثم نجره في مئة أخرى ، وقيل : في أربعينَ سنةً ، فالله أعلم .

قال محمد بن إسحاق : عن الثوري ، وكانت من خشب السَّاج . وقيل : من الصنوبر ، وهو نصُّ التوراة .

قال الثوري : وأمره أن يجعلَ طولها ثمانينَ ذراعاً وعرضَها خمسينَ ذراعاً ، وأن يطليَ ظاهرَها وباطنَها بالقار ، وأن يجعلَ لها جؤجؤاً أزورَ[٤] يشقُّ الماء ، وقال قتادة : كان طولُها ثلثمئة ذراع في عرض خمسين ذراعاً ، وهذا الذي في التوراة على ما رأيته . وقال الحسن البصري : ستمئة في عرض ثلاثمئة ذراع . وعن ابن عباس : ألف ومئتا ذراع في عرض ستمئة ذراع . وقيل : كان طولها ألفيْ ذراع وعرضُها مئة ذراع . قالوا كلُّهم : وكان ارتفاعُها ثلاثين ذراعاً ، وكانت ثلاث طبقات ، كلُّ واحدة عشرة أذرع ، فالسُّفلى للدَّوابِّ والوحوش ، والوسطى للنَّاس ، والعُليا للطيور ، وكان بابُها في عرضها ، ولها غِطاءٌ من فوقها مُطبقٌ عليها .

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٢٦ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [المؤمنون : ٢٦ ـ ٢٧] أي : بأمرنا لكَ ، وبمرأى منَّا لصَنْعَتكَ لها ، ومُشاهدتِنا لذلك ، ولنرشدكَ إلى الصَّواب في صنعتِها ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٧] فتقدَّم إليه بأمره العظيم العالي أنَّه إذا جاء أمرُه وحلَّ بأسُه أن يحملَ في هذه السفينة من كلٍّ زوجين اثنين من الحيوانات ، وسائر ما فيه روحٌ ، ومن المأكولات وغيرها ، لبقاءِ نَسْلِها ، وأن يحملَ معه أهلَه ، أي : أهل بيته ، إلا منْ سبقَ عليه القولُ منهم ، أي : إلا من كانَ كافراً ، فإنَّه قد نفذتْ فيه الدعوة التي لا تُردُّ ، ووجبَ عليه حلولُ البأسِ الذي لا يُردُّ ، وأمر أنَّه لا يُراجعه فيهم إذا حلَّ بهم ما يُعاينه من العذاب العظيم ، الذي قد حتَّمه عليهم الفعَّالُ لما يُريد ، كما قدَّمنا بيانه قبل .

---

(١) في أ والمطبوع : عليها .
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٨) في الأنبياء ، والبخاري (٢٩٣٦) في الفتن وأشراط الساعة .
(٣) في أ : بعض السَّلف .
(٤) « جُؤجؤاً أزور » : الجؤجؤ : صدر السفينة . والأزور : المنحرف المائل . وانظر هذه الأقوال عن طول السفينة وعرضها في تفسير الطبري (٧/ ٣٥ ـ ٣٦) والدر المنثور (٤/ ٤١٩) .

والمرادُ بالتَّنُّور عند الجمهور : وجهُ الأرض ، أي : نبعتِ الأرضُ من سائر أرجائِها ، حتَّى نبعتِ التنانيرُ التي هي محالُّ النَّار . وعن ابن عباس : التَّنُّور : عينٌ في الهند . وعن الشعبي : بالكوفة ، وعن قتادة : بالجزيرة . وقال عليُّ بن أبي طالب : المرادُ بالتَّنُّور : فَلَقُ الصُّبْحِ وتنويرُ الفجر ، أي : إشراقه وضِيَاؤُه . أي : عندَ ذلك فاحملْ فيها من كلٍّ زوجين اثنين . وهذا قولٌ غريب .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود : ٤٠] هذا أمرٌ بأنَّه عندَ حلول النقمة بهم ؛ أن يحملَ فيها من كلٍّ زوجين اثنين . وفي كتاب أهل الكتاب : أنه أمر أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج ، ومما لا يؤكل زوجين : ذكراً وأنثى . وهذا مغايرٌ لمفهوم قوله تعالى في كتابنا الحق : ﴿ اثنين ﴾ إن جعلنا ذلك مفعولاً به ، وأما إنْ جعلناه توكيداً لزوجين ، والمفعول به محذوف ، فلا ينافي والله أعلم .

وذكر بعضُهم ، ويُروى عن ابن عباس : أنَّ أوَّل ما دخلَ من الطُّيور الدُّرَّة[1] ، وآخر ما دخلَ من الحيوانات الحِمار . و دخلَ إبليسُ متعلِّقاً بذنبِ الحمار .

وقال ابنُ أبي حاتم[2] : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا عبد الله بن صالح ، حدَّثني الليث ، حدَّثني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « لما حملَ نوحٌ في السفينة منْ كلٍّ زوجين اثنين ، قال أصحابه : وكيف نطمئن ـ أو كيف تطمئنُّ المواشي ـ ومعنا الأسد ؟ فسلَّط الله عليه الحُمّى ، فكانت أوَّل حمَّى نزلتْ في الأرض . ثم شَكوا الفأرةَ ، فقالوا : الفُويسقة تُفْسدُ علينا طعامنا ومتاعَنا . فأوحى الله إلى الأسد فعطسَ ، فخرجتِ الهِرَّة منه ، فتخبَّأت الفأرةُ منها » . هذا مرسل .

وقوله ﴿ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ [هود : ٤٠] أي : من استُجيبت فيهم الدعوة النافذة ممن كفر ، فكان منهم ابنه يام الذي غَرِقَ كما سيأتي بيانه ﴿ ومن آمن ﴾ أي : واحمل فيها منْ آمنَ بكَ من أُمَّتكَ ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود : ٤٠] هذا مع طول المُدَّةِ والمقام بين أظهرهم ، ودعوتهم الأكيدة ليلاً نهاراً بضروبِ المَقال وفُنون التلطُّفاتِ ، والتهديد والوعيد تارةً ، والترغيب والوعد أخرى .

وقد اختلفَ العلماءُ في عِدَّة منْ كان معه في السفينة : فعن ابن عباس كانوا ثمانينَ نَفْساً ، معهم نساؤهم . وعن كعبِ الأحبار : كانوا اثنين وسبعين نَفْساً . وقيل : كانوا عشرة . وقيل : إنما كانوا نوحاً وبنيه الثلاثة وكنائنه الأربع بامرأة يام ، الذي انخزل[3] وانعزلَ ، وسلكَ عن طريق النجاة ، فما عدلَ إذ عدل . وهذا القولُ فيه مخالفةٌ لظاهر الآية ، بل هي نصٌّ في أنه قد ركبَ معه غير أهله طائفةٌ

---

(١) « الدُّرَّة » : نوع من الببغاوات ، جميل الشكل حسن الصوت .
(٢) كما في الدر المنثور (٤/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) وهو خبر مرسل ، كما قال المصنف .
(٣) « انخزل » : ارتدَّ عن الإيمان والركوب .

ممن آمنَ به ، كما قال ﴿ وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١١٨] وقيل : كانوا سبعة .

وأما امرأة نوح ، وهي أمُّ أولادِهِ كلِّهم ، وهم : حَام ، وسَام ، ويافث ، ويَام ؛ وتُسمِّيه أهلُ الكتاب كنعان[١] ، وهو الذي قد غَرِقَ ، وعابر ؛ وقد ماتتْ قبلَ الطُّوفان ، قيل : إنها غرقتْ مع منْ غَرِقَ ، وكانت ممن سَبَقَ عليه القولُ لكفرها ، وعند أهل الكتاب أنها كانت في السفينة ، فيُحتمل أنها كفرتْ بعد ذلك ، أو أنَّها أنظرت ليومِ القيامة، والظاهرُ الأوَّلُ ، لقوله ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] .

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٨ ـ ٢٩] أمره أن يحمد ربَّه على ما سخَّر له من هذه السفينة ، فنجَّاه بها ، وفتح بينه وبينَ قومه ، وأقرَّ عينَه ممن خالفَه ، وكذَّبه ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف : ١٢ ـ ١٤] .

وهكذا يُؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور أن يكون على الخير والبركة ، وأن تكونَ عاقبتُها محمودةً ، كما قال تعالى لرسوله ﷺ حين هاجر : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] .

وقد امتثلَ نوحُ عليه السلام هذه الوصيَّةَ ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود : ٤١] أي : على اسم الله ابتداءُ سيرها وانتهاؤه ﴿ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي : وذو عقاب أليم ، مع كونه غفوراً رحيماً ، لا يُردُّ بأسه عن القوم المجرمين ، كما أحلَّ بأهل الأرض الذين كفروا به وعبدوا غيره .

قال الله تعالى : ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ [هود : ٤٢] . وذلك أنَّ الله تعالى أرسلَ من السماء مطراً لم تعهدْه الأرض قبلَه[٢] ولا تمطره بعده[٣] ، كان كأفواه القِرَبِ ، وأمرَ الأرضَ فنبعتْ من جميع فِجاجها وسائر أرجائِها ، كما قال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر : ١٠ ـ ١٣] . والدُّسُر : السابر[٤] . ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي : بحفظنا وكلاءَتنا[٥] وحراستنا ومُشاهدتنا لها ﴿ جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر : ١٤] .

---

(١) في المطبوع : كعنان ؛ وهو تصحيف .
(٢) في أ : قبلها .
(٣) في أ : بعدها .
(٤) كذا في الأصول ، وفي المطبوع : المسامير .
(٥) « وكَلاءَتنا » : حفظنا .

وقد ذكر ابن جرير وغيره : أنَّ الطُّوفانَ كان في ثالث عشر شهر آبٍ في حمارَّة[١] القيظ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة : ١١] أي : السفينة . ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٢] .

قال جماعة من المفسرين : ارتفعَ الماءُ على أعلى جبل بالأرض خمسةَ عشرَ ذراعاً ، وهو الذي عند أهل الكتاب ، وقيل : ثمانين ذراعاً . وعمَّ جميعَ الأرض طولَها والعرضَ ، سهلَها وحَزْنَها[٢] وجبالَها وقِفارها ورِمالها . ولم يبقَ على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عينٌ تَطْرُفُ ، ولا صغيرٌ ولا كبير .

قال الإمام مالك : عن زيد بن أسلم ؛ كان أهلُ ذلك الزمان قد مَلؤوا السَّهلَ والجبلَ . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لم تكنْ بقعةٌ في الأرض إلا ولها مالكٌ وحائز ؛ رواهما ابن أبي حاتم[٣] .

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود : ٤٢ ـ ٤٣] .

وهذا الابن هو يام ، أخو سام وحام ويافث . وقيل : اسمه كنعان . وكان كافراً عَمِلَ[٤] عملاً غير صالح ، فخالفَ أباه في دينه ومذهبِهِ فهلكَ مع من هَلَكَ . هذا وقد نجا مع أبيه الأجانبُ في النسب لما كانوا موافقينَ في الدِّين والمذهب .

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ٤٤] . أي : لما فرغَ من أهل الأرض ولم يبق منها أحدٌ ممن عبد غيرَ الله عزَّ وجلَّ ، أمرَ الله الأرضَ أن تبلعَ ماءَها ، وأمرَ السَّماءَ أنْ تُقْلعَ ، أي : تُمْسكَ عن المطر ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ أي : نقصَ عمَّا كان ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي : وقعَ بهم الذي كان قد سبقَ في عِلْمه وقَدره ، من إحلاله بهم ما حلَّ بهم ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي : نُودي عليهم بلسان القُدْرة[٥] : بعداً لهم من الرحمة والمغفرة ، كما قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٤] وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [يونس : ٧٣] . وقال تعالى : ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٧] وقال تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾

---

(١) في المطبوع : في حساب القبط . وحمارَّة القيظ : شدَّة حرِّه ، وقد تُخفَّف الراء .
(٢) « حَزْنها » : ما خشن من الأرض وغلظ .
(٣) كما في الدر المنثور (٤/٤٢٧) .
(٤) في أ : وكان كافراً عملاً غير صالح .
(٥) في أ : القَدَر .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١١٩ ـ ١٢٢] وقال تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت : ١٤ ـ ١٥] وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء : ٦٦] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٥ ـ ١٧] وقال تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ۝ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٥ ـ ٢٧] وقد استجاب الله تعالى ـ وله الحمد والمنَّة ـ دعوته ، فلم يبق منهم عين تطرف .

وقد روى الإمامان أبو جعفر بن جرير[١] ، وأبو محمد بن أبي حاتم في تفسيريهما : من طريق يعقوب بن محمد الزُّهري ، عن فائد مولى عُبيد الله بن أبي رافع : أن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن أبي رَبيعة أخبره ، أن عائشةَ أم المؤمنين أخبرتْه ، أن رسول الله ﷺ قال : « فلو رحمَ الله من قومِ نوحٍ أحداً لرحمَ أمَّ الصبيِّ » . قال رسولُ الله ﷺ : « مكث نوحٌ عليه السلام في قومه ألفَ سنةٍ ـ يعني إلا خمسينَ عاماً ـ وغرسَ مئة سنةٍ الشجرَ ، فعظُمَتْ ، وذهبتْ كلَّ مذهبٍ ، ثم قطعَها ، ثم جعلَها سفينةً ، ويمرُّون عليه ، ويَسْخرون منه ، ويقولون : تعملُ سفينةً في البرِّ كيف تجري ؟ قال : سوف تعلمون . فلما فرغَ ، ونبعَ الماءُ وصارَ في السِّككِ ، خشيتْ أمُّ الصَّبيِّ عليه ، وكانتْ تُحبُّه حُبّاً شديداً ، خرجت به إلى الجبل حتَّى بلغت ثلثَه ، فلما بلغَها الماءُ خرجتْ به حتَّى استوتْ على الجَبَلِ ، فلمَّا بلغَ الماءُ رقبتَها رَفعتْه بيديْها ، فغرقا ، فلو رحمَ الله منهم أحداً لرحمَ أُمَّ الصَّبيِّ » . وهذا حديث غريب .

وقد رُوي عن كعب الأحبار ، ومُجاهد[٢] ، وغير واحد ، شبيهٌ لهذه القصة ، وأحرى بهذا الحديث أن يكونَ موقوفاً مُتلقًّى عن مثل كعب الأحبار ، والله أعلم .

والمقصودُ أنَّ الله لم يُبقِ من الكافرين ديّاراً فكيف يزعمُ بعضُ المُفسِّرين أنَّ عَوجَ بن عَنَق[٣] ـ ويقال ابن عَناق ـ كان موجوداً من قبل نوح إلى زمان موسى ؟ ويقولون : كان كافراً مُتمرِّداً جبَّاراً عنيداً ، ويقولون : كان لغير رشدة ، بل ولدتُه أُمُّه عَنَقَ بنت آدم ، من زنى ، وإنه كان يأخذُ من طوله السَّمَك من قَرار البحار ، ويشويه في عَيْن الشمس ، وإنه كان يقول لنوح وهو في السفينة : ما هذه القُصَيْعة التي لكَ ؟ ويستهزئُ به ، ويذكرون أنه كان طولُه ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مئة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلثاً ، إلى غير ذلك من الهذيانات التي لولا أنها مُسَطَّرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيَّام النَّاس ،

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٣٥) وتاريخ الطبري (١/ ١٨٠) .

(٢) انظر الدر المنثور ؛ للسيوطي (٤/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) .

(٣) انظر خبر عَوَجَ بن عَنَق هذا في التاريخ للطبري (١/ ١٨١ و٤٣١) . والكامل لابن الأثير (١/ ٧٢) وبهامشه : عَوج بن أعنق .

لما تعرَّضنا لحكايتها ؛ لسُقاطَتِها[١] ورَكاكَتها ، ثم إنَّها مخالفةٌ للمعقول والمنقول .

أما المعقولُ : فكيف يسوغُ فيه أن يُهْلِكَ الله ولدَ نوحٍ لكفره وأبوه نبيُّ الأمة وزعيمُ أهل الإيمان ، ولا يُهْلِكَ عَوجَ بن عَنَق ـ ويقال عناق ـ وهو أظلمُ وأطغى على ما ذكروا ؟! وكيف لا يرحم الله منهم أحداً ولا أُمَّ الصَّبيِّ ولا الصَّبيَّ ، ويترك هذا الدَّعيَّ الجبَّار العنيدَ الفاجرَ الشديدَ الكافرَ الشيطانَ المريدَ ، على ما ذكروا ؟!

وأما المنقولُ : فقد قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء : ٦٦] ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] ثم هذا الطول الذي ذكروه مخالفٌ لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله خلقَ آدمَ وطولُه ستون ذراعاً ، ثم لم يزل الخلقُ ينقصُ حتى الآن »[٢] .

فهذا نصُّ الصَّادقِ المصدوقِ المعصومِ ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى ؛ أنَّه لم يزلِ الخلقُ ينقصُ حتَّى الآن ، أي : لم يزل النَّاس في نقصان طُولهم من آدمَ إلى يوم إخباره بذلك ، وهلُمَّ جراً إلى يوم القيامة .

وهذا يقتضي أنه لم يُوجد من ذريَّة آدم من كان أطول منه ، فكيف يُتركُ هذا ويُذْهلُ عنه ، ويُصار إلى أقوال الكَذَبة الكَفَرةِ من أهل الكتاب ، الذين بدَّلوا كُتُب الله المنزلة وحرَّفوها وأوَّلوها ، ووضعُوها على غير مواضِعها ، فما ظنُّك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه ، [وهم الخونة والكذَبة ـ عليهم لعائنُ الله المتتابعة إلى يوم القيامة ـ][٣] وما أظنُّ أن هذا الخبر عن عَوج بن عَناق إلا اختلاقاً من بعض زنادقتهم وفُجَّارهم الذين كانوا أعداءَ الأنبياء ، والله أعلم .

ثم ذكرَ الله تعالى مناشدةَ نوح ربَّه في ولده ، وسؤاله له عن غرقِه ، على وجه الاستعلام والاستكشاف ، ووجه السؤال : أنَّك وعدَتني بنجاة أهلي معي ، وهو منهم وقد غرقَ ، فأجيب بأنه ليس من أهلك ، أي : الذين وعدتُ بنجاتهم ، أي : أما قُلنا لكَ ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ [المؤمنون : ٢٧] فكانَ هذا ممن سبقَ عليه القولُ منهم بأنه سيغرق بكفره ، ولهذا ساقتْه الأقدارُ إلى أن انحاز عن حوزة أهل الإيمان ، فغرِقَ مع حزبه أهل الكفر والطغيان ، ثم قال تعالى : ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود : ٤٨] هذا أمرٌ لنوحٍ عليه السلام لمَّا نضبَ الماءُ عن وجهِ الأرض ، وأمكنَ السَّعي فيها والاستقرار عليها ، أنْ يهبطَ من السفينة التي

---

(١) كذا في ب والمطبوع . والسُّقاطة : ما سقط من الشيء . وفي أ وسطالتها : والساطل من الغبار المرتفع ، والسَّاطلُ : المُلْبسُ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٦) في الأنبياء ، ومسلم (٢٨٤١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع ، وأثبته من أ وب .

كانت قد استقرَّتْ بعد سيرها العظيم على ظهر جَبَلِ[(١)] الجوديِّ . وهو جبلٌ بأرضِ الجزيرة مشهورٌ ، وقد قدَّمنا ذكرَه عند خَلْقِ الجبال ﴿ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾ أي : اهبطْ سالماً مباركاً عليك وعلى أمم ممن سيولد بعد أيٍّ من أولادك ، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلاً ولا عَقِباً سوى نوح عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] فكلُّ منْ على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينتسبون[(٢)] إلى أولاد نوح الثلاثة ، وهم : سام ، وحام ، ويافث .

قال الإمام [أحمد][(٣)] : حدَّثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « سَامٌ أبو العرب ، وحَامٌ أبو الحبش ، ويافثُ أبو الروم » .

ورواه الترمذيُّ[(٤)] : عن بشر بن مُعاذ العَقَديّ ، عن يزيدَ بن زُرَيْع ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قَتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة مرفوعاً ، نحوه .

وقال الشيخ أبـو عمر[(٥)] بن عبد البر : وقد روي عن عمـران بن حُصَيْن ، عن النبي ﷺ ، مثله . قال : والمرادُ بالروم هنا الرومُ الأوَلُ ، وهم : اليونان المنتسبون إلى رومي بن لبطي بن يُونان بن يافث بن نوح عليه السلام . ثم رَوَى من حديث إسماعيل بن عيَّاش ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال : ولدَ نوحٌ ثلاثةً : سام ، ويافث ، وحام . وولدَ كلُّ واحدٍ من هذه الثلاثة ثلاثةً ، فولدَ سامُ العربَ ، وفارسَ والرُّومَ . وولدَ يافثُ التُّركَ والسَّقالبةَ ويأجوجَ ومأجوجَ . وولدَ حامُ القِبْطَ والسُّودان والبَرْبر .

قلت : وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده[(٦)] : حدَّثنا إبراهيم بن هانيء وأحمدُ بن الحُسين بن عبَّاد ـ أبو العبَّاس ـ قالا : حدَّثنا محمَّد بن يزيد بن سنان الرَّهاوي ، حدَّثني أبي ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المُسيِّب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « وُلِدَ لنوحٍ : سام ، وحام ، ويافث . فوُلد لسامٍ : العربُ وفارسُ ، والرومُ ، والخيرُ فيهم . ووُلد ليافث : يأجوجُ ومأجوجُ ، والتُّركُ والسَّقَالبة ، ولا خير فيهم . وَوُلد لحام : القِبْطُ ، والبَرْبرُ والسُّودان » ثم قال : لا نعلم يُروى مرفوعاً إلا من هذا الوجه ، تفرَّد به محمد بن يزيد بن سنان عن أبيه ، وقد حدَّث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه . ورواه غيرُه عن يحيى بن سعيد مرسلاً ، ولم يُسنده وإنما جعلَه من قول سعيد .

---

(١) في أ : على ظهر الجوديّ .
(٢) في المطبوع : ينسبون .
(٣) في أ : قال الإمام ، وهو في المسند (٥/ ٩ ـ ١١) .
(٤) في الجامع (٣٢٣١) في التفسير ، و (٣٩٣١) في المناقب ، وقال : هذا حديث حسن .
(٥) في أ : عمرو ؛ وهو خطأ .
(٦) كما في كشف الأستار (٢١٨) .

قلت : وهذا الذي ذكرَه أبو عمر هو المحفوظ عن سعيد قوله[١] ، وهكذا رُوي عن وهب بن منبه مثله ، والله أعلم . ويزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي ضعيفٌ بمرَّة ، لا يُعتمد عليه .

وقد قيل : إنَّ نُوحاً عليه السلام لم يُولد له هؤلاء الثلاثة الأولاد إلا بعد الطُّوفان ، وإنما وُلد له قبل السفينة كنعان الذي غَرِقَ ، وعابر مات قبل الطُّوفان . والصحيحُ أن الأولادَ الثلاثة كانوا معه في السفينة هم ونساؤهم وأمهم ، وهو نصُّ التوراة . وقد ذُكرَ أنَّ حاماً واقعَ امرأتَه في السفينة ، فدعا عليه نوحٌ أنْ تُشوَّهَ خِلْقَةُ نطفتِه ، فوُلد له ولدٌ أسود ، وهو كنعان بن حام جدُّ السودان . وقيل : بل رأى أباه نائماً وقد بدتْ عورتُه فلم يسترْها ، وسترَها أخواه ، فلهذا دعا عليه أن تُغَيَّر نُطْفته ، وأن يكونَ أولادُه عبيداً لإخوته .

وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير : من طريق عليّ بن زيد بن جُدعان ، عن يوسفَ بن مِهْران ، عن ابن عبَّاس ، أنه قال : قال الحواريون لعيسى ابن مريم : لو بعثتَ لنا رجلاً شهدَ السفينة فحدَّثنا عنها ! فانطلقَ بهم حتى أتى إلى كثيبٍ[٢] من تُرابٍ ، فأخذَ كفَّاً من ذلك التراب بكفِّه ، قال : أتدرون من هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : هذا كعب[٣] حام بن نوح . قال : وضربَ الكثيبَ بعصاه ، وقال : قمْ بإذن الله ، فإذا هو قائمٌ ينفضُ الترابَ عن رأسِه قد شابَ . فقال له عيسى عليه السلام : هكذا هلكتَ ؟ قال : لا ولكنِّي متُّ وأنا شابٌّ ، ولكنِّي ظننتُ أنَّها السَّاعة ، فمن ثَمَّ شِبْتُ . قال : حدَّثنا عن سفينة نوح . قال : كان طولُها ألفَ ذراع ومائتي ذراع ، وعرضُها ستمئة ذراع ، وكانت ثلاثَ طبقاتٍ ، فطبقةٌ فيها الدوابُّ والوحشُ ، وطبقةٌ فيها الإنس وطبقةٌ فيها الطير . فلما كثرَ أرواثُ الدوابِّ أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى نوح عليه السلام أن اغمزْ[٤] ذنبَ الفيل ، فغمزَه فوقعَ منه خنزيرٌ وخنزيرةٌ ، فأقبلا على الرَّوْث ، ولما وقعَ الفأرُ بخرز السفينة يقرضُه ، أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن اضربْ بينَ عيني الأسدِ ، فخرجَ من منخره سنُّور وسنُّورة ، فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى : كيف عرفَ نوحٌ عليه السلام أن البلاد قد غَرِقتْ ؟ قال : بعثَ الغراب يأتيه بالخبر ، فوجدَ جيفةً فوقعَ عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فذلك لا يألفُ البيوتَ . قال : ثم بعثَ الحمامةَ فجاءت بورقِ زيتونٍ بمنقارها وطينٍ برجلِها ، فعلمَ أنَّ البلادَ قد غَرِقَتْ ، فطوَّقها الخضرةَ التي في عُنُقِها ، ودعا لها أن تكونَ في أُنسٍ وأمانٍ ، فمن ثمَّ تألفُ البيوتَ . قال : فقالوا : يا رسول الله : ألا ننطلقُ به إلى أهلينا ، فيجلسُ معنا ويُحدِّثنا ؟ قال : كيف يتبعُكم منْ لا رزقَ له . قال : فقال له : عُدْ بإذن الله ، فعادَ تراباً[٥] . وهذا أثر غريب جداً .

---

(١) أي من قول سعيد بن المسيب .
(٢) « كثيب » : تل من رمل .
(٣) كذا في الأصول ، وفي تاريخ الطبري : هذا قبر .
(٤) « اغمز » : انخسْ .
(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ١٨١ ـ ١٨٢) .

وروى علباءُ بن[١] أحمر : عن عكرمة ، عن ابن عبَّاس ، قال : كان مع نوحٍ في السفينة ثمانونَ رجلاً معهم أهلوهم ، وإنهم كانوا في السفينة مئة وخمسين يوماً ، وإن الله وجَّهَ السفينةَ إلى مكَّة ، فدارت بالبيتِ أربعينَ يوماً ، ثم وجَّهها إلى الجُودِيِّ[٢] فاستقرَّتْ عليه ، فبعثَ نوحٌ عليه السلام الغراب ليأتيَه بخبر الأرض ، فذهبَ فوقعَ على الجِيفَ فأبطأ عليه ، فبعثَ الحمامةَ فأتته بورقِ الزيتونِ ولطختْ رِجْلَيْها بالطِّين ، فعرفَ نوحٌ أنَّ الماءَ قد نضبَ ، فهبط إلى أسفلِ الجُوديِّ ، فابتنى قريةً وسمَّاها ثمانينَ ، فأصبحوا ذاتَ يومٍ وقد تبلبلتْ ألسنتُهم على ثمانينَ لغةً ، إحداها العربيُّ ، وكان بعضُهم لا يَفْقهُ كلامَ بعضٍ ، فكانَ نوحٌ عليه السلام يُعبِّرُ عنهم[٣] .

وقال قتادةُ وغيره : ركبوا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب ، فسارُوا مئة وخمسين يوماً ، واستقرَّت بهم على الجوديّ شهراً ، وكان خروجُهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم[٤] .

وقد روى ابن جرير[٥] خبراً مرفوعاً يُوافق هذا وأنهم صامُوا يومَهم ذلك .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا أبو جعفر ، أخبرنا عبدُ الصمد بن حَبيب الأزدي ، عن أبيه حبيب بن عبد الله ، عن شُبَيْل ، عن أبي هريرة ، قال : مرَّ النبيُّ بأناسٍ من اليهود وقد صامُوا يومَ عاشُوراء ، فقال : « ما هذا من الصوم ؟ » فقالوا : هذا اليوم الذي نجَّا الله موسى وبني إسرائيلَ من الغَرَقِ ، وغرَّقَ فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينةُ على الجُوديِّ ، فصامَ نوحٌ وموسى عليهما السلام شكراً لله عزَّ وجلَّ ، فقال النبيُّ : « أنا أحقُّ بموسى وأحقُّ بصومِ هذا اليوم »[٦] .

وقال لأصحابه : « مَنْ كانَ منكم أصبحَ صائماً فليتمَّ صومَه ، ومَنْ كان منكم قد اصابَ من غداءِ أهلِه فليتمَّ بقيَّةَ يومِه »[٧] .

وهذا الحديث له شاهدٌ في الصحيح[٨] من وجه آخر ، والمستغرب ذكرُ نوحٍ أيضاً ، والله أعلم .

وأما ما يذكرُه كثيرٌ من الجهلة أنهم أكلوا من فُضولِ أزوادِهم ومِنْ حُبوبٍ كانت معَهم قد

---

(١) علباء بن أحمر : اليشكري روى عن عمرو بن أخطب ، وعكرمة ، وثقه ابن معين وأبو زرعة الرازي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أحمد : لا بأس به لا أعلم إلا خيراً ، وهو من رجال مسلم (تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) .

(٢) « الجوديّ » : اسم جبل بالجزيرة ، استوت عليه سفينة نوح .

(٣) ذكره ابن كثير في التفسير أيضاً (٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥١) ولم يعزه لكتاب .

(٤) ذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٥٥١) .

(٥) في التاريخ (١/ ١٩٠) عن عبد العزيز بن عبد الغفور ، عن أبيه .

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) ، وإسناده ضعيف ، ولكن لقصة موسى دون نوح شواهد يقوى بها .

(٧) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٩) ، وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد يقوى بها .

(٨) أخرجه البخاري (٤٦٨٠) في التفسير ، ومسلم (١١٣٠) في الصيام .

استصحبُوها ، واطَّحنُوا الحبوبَ يومئذ ، واكتحلوا بالإثمد لتقوية أبصارهم لمَّا انهارتْ من الضِّياء بعد ما كانوا في ظُلْمة السفينة ، فكلُّ هذا لا يصحُّ فيه شيء ، وإنما يُذكر فيه آثارٌ منقطعة عن بني إسرائيل ، لا يُعتمدُ عليها ولا يُقتدى بها ، والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : لما أرادَ الله أن يكفَّ ذلك الطُّوفان أرسلَ ريحاً على وجه الأرض ، فسكنَ الماءُ وانسدَّتْ ينابيعُ الأرض ، فجعلَ الماء ينقصُ ويغيض ويُدْبرُ ، وكان استواءُ الفُلْكِ فيما يزعمُ أهلُ التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه ، وفي أول يوم من الشهر العاشر رُئيَتْ رُؤوس الجبال .

فلما مضى بعد ذلكَ أربعونَ يوماً فتحَ نوحٌ كُوَّةَ الفُلْكِ التي صنعَ فيها ، ثم أرسلَ الغُرابَ لينظرَ له ما فعلَ الماء ، فلم يرجع إليه ، فأرسلَ الحمامةَ فرجعتْ إليه لم يجد لرجلِها موضعاً ، فبسط يدَه للحمامة فأخذَها فأدخلَها ، ثم مضت سبعة أيام ، ثم أرسلها لتنظر له ما فعلَ الماءُ فلم ترجع ، فرجعتْ حينَ أمستْ وفي فيها ورقُ زيتونةٍ ، فعلمَ نوحٌ أنَّ الماء قد قلَّ عن وجه الأرض ، ثم مكثَ سبعة ايام ، ثم أرسلَها ، فلم ترجع إليه ، فعلم نوحٌ أنَّ الأرض قد برزتْ ، فلما كملت السنة ـ فيما بين أنْ أرسلَ الله الطُّوفان إلى أن أرسلَ نوحٌ الحمامةَ ـ ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنين ، برزَ وجهُ الأرضِ ، وظهرَ البرُّ ، وكشفَ نوحٌ غطاءَ الفلك .

وهذا الذي ذكرَه ابنُ إسحاق هو بعينه مضمونُ سياق التوراة التي بأيدي أهل الكتاب .

قال ابن إسحاق : وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين في ست وعشرين ليلة منه ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [هود : ٤٨] .

وفيما ذكر أهل الكتاب أن الله كلَّم نوحاً قائلاً له : اخرجْ من الفُلْك أنتَ وامرأتك وبنوكَ ونساءُ بنيكَ معكَ ، وجميع الدواب التي معك ، ولينموا وليكثروا في الأرض ، فخرجوا ، وابتنى نوحٌ مذبحاً لله عزَّ وجل ، وأخذ من جميع الدوابِّ الحلال والطير الحَلال فذبحها قرباناً إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعَهدَ الله إليه ألا يعيدَ الطُّوفان على أهل الأرض ، وجعلَ تذكاراً لميثاقه إليه القوس الذي في الغمام ، وهو قوس قزح الذي قدَّمنا(١) عن ابن عباس أنه أمان من الغرق . قال بعضهم : فيه إشارة إلى أنه قوسٌ بلا وتر ، أي : أن هذا الغمام لا يُوجد منه طوفان كأول مرة .

وقد أنكرت طائفة من جهلة الفرس وأهل الهند وقوع الطوفان ، واعترف به آخرون منهم وقالوا : إنما كان بأرض بابل ولم يصل إلينا . قالوا : ولم نزل نتوارث الملك كابراً عن كابرٍ من لدن كنوفرت(٢) ـ يعني آدم ـ إلى زماننا هذا . وهذا قاله من قاله من زنادقة المجوس عبَّاد النيران وأتباع الشيطان .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : روى .
(٢) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : كيومرث .

وهذا سفسطة ، وكفرٌ فظيع ، وجهل بليغ ، ومكابرةٌ للمحسوسات ، وتكذيبٌ لربِّ الأرض والسموات ، وقد أجمعَ أهلُ الأديان الناقلون عن رسلِ الرحمن مع ما تواتر عندَ الناس في سائر الأزمان على وقوع الطوفان ، وأنَّه عمَّ جميعَ البلاد ولم يُبْقِ اللهُ أحداً من كفرة العباد ، استجابةً لدعوة نبيِّه المؤيد المعصوم ، وتنفيذاً لما سبق في القدر المحتوم .

ذكرُ
شيء من أخبار نوح نفسه عليه السَّلام

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] قيل : إنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله(١) .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدَّثنا أبو أسامة ، حدَّثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله ليَرضى عن العبد أنْ يأكلَ الأكْلة فيحمدَه عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها » .

وكذا رواه مسلم والترمذي والنَّسائي(٣) من حديث أبي أسامة : والظاهر أن الشكور هو الذي يعملُ بجميع الطَّاعات القلبية والقولية والعملية ، فإن الشكرَ يكون بهذا وبهذا وبهذا ، كما قال الشاعر : [من الطويل]

أفادتكُمُ النعماءُ منّي ثلاثةً   يدي ولِساني والضميرَ المُحجَّبا(٤)

ذِكرُ
صومه(٥) عليه السلام

وقال ابن ماجه(٦) ـ باب صيام نوح عليه السلام ـ : حدَّثنا سهلُ بن أبي سَهْل ، حدَّثنا سعيد بن

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤) .
(٢) في المسند (٣/ ١١٧) .
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) في الذكر والدعاء ، والترمذي (١٨١٦) في الأطعمة ، والنسائي (٦٨٩٩) في السنن الكبرى .
(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (١/ ٨) وابن القيم في كتابه طريق الهجرتين (ص٦٢١) فقال : فاليد : للطاعة ، واللسان للثناء ، والضمير : للحب والتعظيم .
(٥) في أ : صيامه .
(٦) في سننه (١٧١٤) في الصيام ، وفي مصباح الزجاجة : في إسناده ابن لهيعة ، وهو ضعيف وقد ثبت النهي عن صيام الدهر في غير ما حديث .

أبي مَرْيم ، عن ابن لهيعة ، عن جعفر بن ربيعةَ ، عن أبي فراس ، أنَّه سمعَ عبدَ الله بن عمرو يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « صامَ نوحٌ الدَّهرَ إلا يوم عيد الفطر ويوم الأضحى » هكذا رواه ابن ماجه من طريق عبد الله بن لهيعة ، بإسناده ولفظه .

وقد قال الطبراني : حدَّثنا أبو الزِّنباع روح بن الفَرَج ، حدَّثنا عمرو بن خالد الحرَّاني ، حدَّثنا ابن لهيعة ، عن أبي قنان ، عن يزيد بن رباح أبي فراس ؛ أنَّه سمعَ عبدَ الله بن عمرو يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « صامَ نوحٌ الدَّهْرَ إلا يوم الفطر ويوم الأضحى ، وصامَ داودُ نصفَ الدهر ، وصامَ إبراهيمُ ثلاثةَ أيَّامٍ منْ كُلِّ شهر ، صامَ الدَّهرَ وأفطرَ الدَّهْرَ »[١] .

***

ذِكرُ
حَجِّه عليه السلام

وقال الحافظ أبو يعلى : حدَّثنا سفيان بن وكيع ، حدَّثنا أبي ، عن زمعة ، هو ابن أبي صالح ـ عن سلمةَ بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : حجَّ رسولُ الله ﷺ ، فلما أتى وادي عسفانَ ، قال : « يا أبا بكر ! أي وادٍ هذا ؟ » قال : هذا وادي عسفان ، قال : « لقدْ مرَّ بهذا الوادي نوحٌ وهودٌ وإبراهيمُ على بكرات[٢] لهم حمر ، خُطُمهم الليف ، أُزرهم العباء ، وأرديتهم النِّمار ، يحجُّون البيتَ العتيق » . فيه غرابة .

***

ذِكْرُ
وصيَّتِه لولده عليه السلام

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا سليمان بن حرب ، حدَّثنا حمَّاد بن زيد ، عن الصَّقْعب بن زُهير ، عن زيد بن أسلم ، قال حمَّاد ـ أظنُّه عن عطاء بن يسار ـ عن عبد الله بن عمرو ، قال : كنَّا عند رسولِ الله ﷺ ، فجاءَ رجلٌ من أهل البادية عليه جُبَّة سيجان[٤] مزرورةٌ بالديباج ، فقال : ألا إنَّ صاحبَكم هذا قد وضعَ كلَّ

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٥) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه : أبو قنان ، ولم أعرفه .
(٢) بكرات : جمع بكرة ، وهي الفتية من الإبل . والخطم : كل ما وضع في أنف البعير ليُقتاد منه .
(٣) في المسند (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠) رقم (٦٥٨٣) .
(٤) وسيجان : جمع ساج ، وهو الطيلسان الأخضر . وسفه الحق : جهله ، والاستخفاف به وغَمْص النَّاس : الاستهانة=

فارس ابنَ فارس ، قال : يُريدُ أن يضعَ كل فارس ابن فارس ، ويرفعَ كلَّ راع ابن راع . قال : فأخذَ رسولُ الله ﷺ بمجامع جُبَّتِه ، وقال : « ألا أرى عليكَ لباسَ منْ لا يعقل ؟ » . ثم قال : « إنّ نبيَّ الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاةُ قال لابنه : إنِّي قاصٌّ عليكَ الوصيةَ : آمُرك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين ؛ آمرك بلا إلَه إلا الله ، فإنَّ السموات السبع والأرضينَ السبعَ لو وُضِعتْ في كفَّةٍ ، ووُضعتْ لا إلَه إلا الله في كفَّةٍ رجحتْ بهنَّ لا إلَه إلا الله ، ولو أنَّ السمواتِ السبع والأرضينَ السبع كنَّ حلقةً مبهمةً فضمَّتهنَّ لا إلَه إلا الله وسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة كل شيء ، وبها يُرزق الخلق . وأنهاك عن الشرك والكبر » . قال : قلت ـ أو قيل ـ يا رسولَ الله هذا الشركُ قد عرفناه ، فما الكبر ؟ أن يكونَ لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان ؟ قال : « لا » . قال : هو أن يكون لأحدنا حلَّة يلبسها ؟ قال : « لا » . قال : هو أن يكون لأحدنا دابَّة يركبها ؟ قال : « لا » . قال : هو أن يكون لأحدنا أصحابٌ يجلسون إليه ؟ قال : « لا » قلت ـ أو قيل ـ يا رسول الله ! فما الكبر ؟ قال : « سَفهُ الحَقِّ وغَمْصُ النَّاس » وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه .

ورواه أبو القاسم الطبراني : من حديث عبد الرحيم بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عمرو ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « كان في وصية نوح لابنه : أُوصيكَ بخصلتين ، وأنهاكَ عن خصلتين »[1] فذكرَ نحوَه .

وقد رواه أبو بكر البزار : عن إبراهيم بن سعيد ، عن أبي معاوية الضرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ بنحوه[2] . والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أحمد والطبراني ، والله أعلم .

ويزعمُ أهلُ الكتاب أن نوحاً عليه السلام لما ركبَ في السفينة كان عمره ستمئة سنة . وقدَّمنا عن ابن عبَّاس مثله ، وزاد : وعاش بعد ذلك ثلثمئة وخمسين سنة ، وفي هذا القول نظر ، ثم إن لم يمكن الجمعُ بينه وبينَ دلالة القرآن فهو خطأٌ محضٌ ، فإنَّ القرآن يقتضي أن نوحاً مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطُّوفان ألف سنة إلا خمسين عاماً ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤] ثمَّ الله أعلمُ كم عاشَ بعد ذلك ، فإن كان ما ذكر محفوظاً عن ابن عباس ، من أنه بعث وله أربعمئة وثمانون سنة ، وأنه عاش بعد الطوفان

= بهم واحتقارهم وازدراؤهم .

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٧١٤) وفيه إسحاق بن إبراهيم الحنيني، وهو ضعيف، وابن إسحاق مدلس وقد عنعنه.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣٠٦٩) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٨٤) : فيه محمد بن إسحاق ، وهو مدلس ثقة ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه ابن عساكر ، كما في مختصر تاريخ دمشق ؛ لابن منظور (٢٦/ ٢١٧) .

ثلاثمئة وخمسين سنة ، فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمئة وثمانين سنة .

وأما قبرُه عليه السلام ، فروى ابنُ جرير والأزرقي : عن عبد الرحمن بن سابط ـ أو غيره من التابعين مرسلاً ـ أنَّ قبرَ نوح عليه السلام بالمسجد الحرام[١] .

وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين من أنه ببلدة بالبقاع تُعرف اليوم بكرك نوح ، وهناك جامعٌ قد بُني بسبب ذلك فيما ذكر ، والله أعلم .

* * *

(١) لم أجده فيهما ، وانظره في مختصر تاريخ دمشق ؛ لابن منظور (٢٦/٢١٨) .

قصّة هود عليه السلام

وهو هودُ بن شالخ بن أرفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام .

ويُقال : إن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفَخْشَذ بن سام بن نوح . ويُقال : هود بن عبد الله بن رَباح بن الجارود بن عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . ذكرَه ابن جرير(١) .

وكان من قبيلة يُقال لهم : عاد بن عوص بن سام بن نوح ، كانوا عرباً يسكنون الأحقاف ، وهي جبال الرمل ، وكانت باليمن بين عُمان وحضرموت بأرضٍ مُطلّةٍ على البحر ، يقال لها : الشحر ، واسم واديهم مغيث .

وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضِّخام ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ [الفجر : ٦ ـ ٧] أي : عاد إرم ، وهم عاد الأولى . وأما عادٌ الثانية فمتأخرة ، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه .

وأما عاد الأولى ، فهم عاد ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [الفجر : ٧ ـ ٨] أي : مثل القبيلة . وقيل : مثل العمد . والصحيح الأول ، كما بيَّناه في التفسير .

ومن زعمَ أنَّ إرمَ مدينةٌ تدور في الأرض ، فتارةً في الشام ، وتارةً في اليمن ، وتارةً في الحجاز ، وتارةً في غيرها ، فقد أبعدَ النُّجْعةَ ، وقال ما لا دليلَ عليه ، ولا برهانَ يُعوَّلُ عليه ، ولا مستندَ يُركنُ إليه .

وفي صحيح ابن حبَّان : عن أبي ذرٍّ ، في حديثه الطويل في ذكر الأنبياء والمرسلين ، قال فيه : « منهم أربعةٌ من العرب ، هُودٌ ، وصالحٌ ، وشُعيب ، ونَبيُّكَ يا أبا ذر »(٢) .

ويُقال : إن هُوداً عليه السلام أوّلُ من تكلّم بالعربية ، وزعمَ وهبُ بن مُنبِّه أنَّ أباه أوّلُ من تكلّم بها . وقال غيره : أوّلُ من تكلّم بها نوح . وقيل : آدمُ ، وهو الأشبه . وقيل : غير ذلك ، والله أعلم .

ويُقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل عليه السلام : العربُ العاربةُ ، وهم قبائلُ كثيرةٌ منهم : عاد ، وثمود ، وجُرْهم ، وطَسْم ، وجَديس ، وأميم ، ومَدْين ، وعِمْلاق ، وعَبيل ، وجَاسم ، وقَحْطان ، وبنو يقطن ، وغيرهم .

---

(١) ذكره ابن جرير في التاريخ (١/٢١٦) .

(٢) أخرجه ابن حبان (٩٤) موارد ، وفي المجروحين (٣/١٢٩ ـ ١٣٠) والطبراني في الكبير (٢/١٦٥١) . . وإسناده ضعيف جداً ، فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني ، كذاب ، وقال الذهبي : أحد المتروكين .

وأما العرب المستعربة : فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وكان إسماعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام أوّلَ من تكلَّم بالعربية الفصيحة البليغة ، وكان قد أخذَ كلامَ العرب من جُرْهم الذين نزلوا عند أُمِّه هاجرَ بالحرم ، كما سيأتي بيانُه في موضعه إن شاء الله تعالى ، ولكنْ أنطقَه الله بها في غاية الفَصاحة والبيان ، وكذلك كان يتلفَّظُ بها رسولُ الله ﷺ .

والمقصودُ أنَّ عاداً وهم عادٌ الأولى كانوا أوّل من عبدَ الأصنام بعد الطُّوفان ، وكانت أصنامُهم ثلاثة : صداً ، وصموداً ، وهراً[1] . فبعثَ الله فيهم أخاهم هوداً عليه السلام ، فدعاهم إلى الله ، كما قال تعالى بعد ذكر قوم نوح ، وما كان من أمرهم في سورة الأعراف : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٥ ـ ٧٢] .

وقال تعالى بعد ذكر قصة نوح في سورة هود : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ [هود : ٥٠ ـ ٦٠] . وقال تعالى في سورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ بعد قصة قوم نوح : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا

---

(١) في تاريخ الطبري (١/٢١٦) : صدَّاء ، وصمود ، والهباء . وفي إحدى النسخ المخطوطة : الهناء .

مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣١ ـ ٤١] . وقال تعالى في سورة الشعراء بعد قصة نوح أيضاً : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٢٣ ـ ١٤٠] .

وقال تعالى في سورة حم السجدة : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت : ١٥ ـ ١٦] وقال تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢١ ـ ٢٥] وقال تعالى في الذاريات : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤١ ـ ٤٢] وقال تعالى في النجم : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴾ [النجم : ٥٠ ـ ٥٣] وقال تعالى في سورة اقتربت : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٨ ـ ٢٢] وقال في الحاقة : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦ ـ ٨] وقال في سورة الفجر : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ٦ ـ ١٤] .
وقد تكلَّمنا على كلٍّ من هذه القصص في أماكنها من كتابنا التفسير ، ولله الحمد والمنة .

وقد جرى ذكر عاد في سورة براءة ، وإبراهيم ، والفرقان ، والعنكبوت ، وفي سورة (ص) ، وفي سورة (ق) ، ولنذكر مضمون القِصَّة مجموعاً من هذه السياقات ، مع ما يُضاف إلى ذلك من الأخبار .

وقد قدَّمنا أنهم أوَّل الأمم عبدوا الأصنامَ بعد الطُّوفان ، وذلك بيِّنٌ في قوله لهم : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ [الأعراف : ٦٩] . أي : جعلهم أشدَّ أهل زمانهم في الخلقة والشِّدَّة والبطش . وقال في المؤمنون : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣١] وهم قوم هود على الصحيح .

وزعم آخرون أنهم ثمود لقوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ﴾ [المؤمنون : ٤١] قالوا : وقوم صالح هم الذين أهلكوا بالصَّيْحة ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦] وهذا الذي قالوه لا يمنعُ من اجتماع الصَّيْحة والرِّيح العاتية عليهم ، كما سيأتي في قصَّة أهل مَدْين أصحاب الأيكة ، فإنَّه اجتمعَ عليهم أنواعٌ من العقوبات ، ثم لا خلافَ أن عاداً قبلَ ثمود .

والمقصودُ أنَّ عاداً كانوا عَرباً جُفاةً كافرين ، عُتاةً متمردين في عبادة الأصنام ، فأرسلَ الله فيهم رجلاً منهم يدعوهم إلى الله ، وإلى إفراده بالعبادة والإخلاص له ، فكذَّبوه وخالفوه وتنقَّصوه ، فأخذهم اللهُ أخذَ عزيز مقتدر ، فلما أمرهم بعبادة الله ورغَّبهم في طاعته واستغفاره ، ووعدَهم على ذلك خيرَ الدنيا والآخرة وتوعَّدهم على مخالفة ذلك عقوبةَ الدنيا والآخـرة : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ ﴾ [الأعراف : ٦٦] أي : هذا الأمرُ الذي تدعونا إليه سَفهٌ بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام التي يُرتجى منها النصرُ والرزقُ ، ومع هذا نظنُّ أنَّكَ تكذبُ في دعواكَ أنَّ الله أرسلكَ : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٧] أي : ليس الأمرُ كما تظنون ولا ما تعتقدون ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف : ٦٨] والبلاغُ يستلزمُ عدمَ الكذب في أصل المُبلِّغ ، وعدم الزيادة فيه والنقص منه ، ويستلزمُ إبلاغه بعبارة فصيحة وجيزة جامعةٍ مانعة ، لا لَبْسَ فيها ولا اختلافَ ولا اضطرابَ ، وهو مع هذا البلاغ على هذه الصفة في غاية النُّصْح لقومه والشفقة عليهم ، والحرص على هدايتهم ، لا يبتغي منهم أجْراً ولا يطلب منهم جُعْلاً ، بل هو مخلصٌ لله عزَّ وجلَّ في الدعوة إليه والنصح لخلقه ، لا يطلبُ أجرَه إلا من الذي أرسلَه ، فإنَّ خير الدنيا والآخرة كله في يديه وأمره إليه ، ولهذا قال : ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود : ٥١] أي : ألكم عقل تُميِّزونَ به وتفهمونَ أني أدعوكم إلى الحقِّ المبين الذي تشهد به فِطَرُكم التي خُلقتم عليها وهو دينُ الحقِّ الذي بعثَ الله به نوحاً ، وأهلكَ من خالفَه من الخلق ، وها أنا أدعوكُم إليه ، ولا أسألُكم أجراً عليه ، بل أبتغي ذلك عند الله مالكِ الضُّرِّ والنَّفْع ، ولهذا قال مؤمنُ يس ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس : ٢١ ـ ٢٢] وقال قوم هود له فيما قالوا : ﴿ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ [هود : ٥٣ ـ ٥٤] يقولون : ما جئتنا بخارقٍ يشهدُ لك بصدقِ ما جئت به وما نحن بالذين نتركُ عبادةَ أصنامنا عن مجرد قولك بلا دليل أقمتَه ولا برهان نصبتَه ، وما نظنُّ إلا أنَّكَ مجنون فيما تزعمُه ،

وعندنا إنما أصابك هذا أنَّ بعضَ آلهتنا غضبَ عليك فأصابك في عَقْلك فاعتراكَ جنونٌ بسبب ذلك ، وهو قولهم : ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [هود : ٥٤ ـ ٥٥] وهذا تحدٍّ منه لهم وتبرّؤ من آلهتم وتنقُّص منه لها ، وبيان أنها لا تنفعُ شيئاً ولا تضرُّ ، وإنها جمادٌ حكمُها حكمُه وفعلُها فعله ، فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع وتضرُّ ، فها أنا بريء منها لا عنٌ لها فكيدوني ثم لا تنظرون . أنتم وهي جميعاً بجميع ما يُمكنكم أن تصلوا إليه وتقدروا عليه ، ولا تُؤخِّروني ساعةً واحدةً ولا طَرْفة عين ، فإني لا أُبالي بكم ولا أُفكِّرُ فيكم ولا أنظر إليكم ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : ٥٦] أي : أنا متوكِّلٌ على الله ومتأيِّدٌ به ، وواثق بجنابه الذي لا يضيعُ من لاذَ به واستندَ إليه ، فلستُ أبالي مخلوقاً سواه ، ولستُ أتوكَّل إلاَّ عليه ، ولا أعبدُ إلاَّ إياه .

وهذا وحدهُ برهانٌ قاطعٌ على أن هوداً عبدَ الله ورسولَه ، وأنهم على جهل وضلال في عبادتِهم غير الله ، لأنهم لم يصلوا إليه بسوء ولا نالوا منه مكروهاً ، فدلَّ على صدقه فيما جاءهم به وبطلان ما هم عليه وفساد ما ذهبوا إليه .

وهذا الدليل بعينه قد استدلَّ به نوحٌ عليه السلام قبله في قوله : ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس : ٧١] .

وهكذا قال الخليلُ عليه السلام : ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٨٠ ـ ٨٣] .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٣ ـ ٣٤] استبعدوا أن يبعث الله رسولاً بشرياً ، وهذه الشبهةُ أدلى بها كثيرٌ من جهلة الكفرة قديماً وحديثاً ، كما قال تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ [يونس : ٢] وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٤ ـ ٩٥] ولهذا قال لهم هود عليه السلام : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٦٣] أي : ليس هذا بعجيب فإن الله أعلمُ حيث يجعلُ رسالاته(١) ،

---

(١) كذا في الأصل ، وفي المطبوع رسالته .

وقوله ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي ﴾ [المؤمنون : ٣٥ ـ ٣٩] . استبعدوا المعاد وأنكروا قيامَ الأجساد بعد صيرورتها تراباً وعظاماً ، وقالوا : هيهات هيهات : أي : بعيدٌ بعيدٌ هذا الوعد ، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٧] أي : يموت قومٌ ويحيى آخرون ، وهذا هو اعتقاد الدهرية كما يقول بعضُ الجهلة من الزنادقة : أرحامٌ تدفعُ وأرضٌ تبلعُ .

وأما الدَّورية فهم الذين يعتقدون أنهم يعودونَ إلى هذه الدار بعد كلِّ ستة وثلاثين ألف سنة ، وهذا كلُّه كذب وكفر وجَهْل وضلال ، وأقوال باطلة ، وخيال فاسد بلا برهان ولا دليل ، يستميل عقل الفجرة الكفرة من بني آدم ، الذين لا يعقلون ولا يهتدون ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٣] وقال لهم فيما وعظهم به : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨ ـ ١٢٩] يقول لهم : أتبنون بكلِّ مكان مرتفع بناءً عظيماً هائلاً كالقصور ونحوها ، تعبثون ببنائها ، لأنه لا حاجةَ لكم فيه ، وما ذاكَ إلا لأنهم كانوا يسكنون الخيامَ ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ [الفجر : ٦ ـ ٨] فعادُ إرم هم[1] عادُ الأولى ، الذين كانوا يسكنون الأعمدة التي تحملُ الخيام .

ومَنْ زعم أن إرم مدينة من ذهب وفِضَّة ، وهي تنتقل في البلاد ، فقد غلطَ وأخطأ ، وقال ما لا دليلَ عليه ، وقوله : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ [الشعراء : ١٢٩] قيل : هي القصور . وقيل : بروج الحمام . وقيل : مآخذ الحمام ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٩] أي : رجاءً منكم أن تُعمَّروا في هذه الدار أعماراً طويلة ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٣٠ ـ ١٣٥] وقالوا له مما قالوا : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٠] أي : أجِئْتنا لنعبدَ الله وحدَه ونخالفَ آباءَنا وأسلافنا وما كانوا عليه ، فإن كنتَ صادقاً فيما جئتَ به فأتنا بما تَعدُنا من العذاب والنَّكال ، فإنَّا لا نُؤمنُ بك ولا نتبعكَ ولا نُصدِّقك ، كما قالوا ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ١٣٦ ـ ١٣٨] إمَّا على قراءة فتح الخاء ، فالمراد به اختلاق الأولين ، أي : إن هذا الذي جئتَ به إلا اختلاقٌ منك وأخذتَه من كتب الأوَّلين . هكذا فسَّره غير واحد من الصحابة والتابعين . وإمَّا على قراءة الخاء واللام ، فالمراد به الدِّين ، أي : إن هذا الدِّين الذي نحن عليه إلا دين الآباء والأجداد من أسلافنا ، ولن نتحوَّلَ عنه ، ولا نتغيَّرَ ، ولا نزالُ مُتمسِّكين به . ويُناسب كلا القراءتين الأولى والثانية قولهم : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ١٣٨] قال : ﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ

---

(١) في أ : هو .

رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٧١] أي : قد استحققتم(١) بهذه المقالة الرجسَ والغضبَ من الله ، أتعارضون عبادةَ الله وحدَه لا شريكَ له بعبادة أصنام أنتم نحتُموها وسمَّيتمُوها آلهةً من تلقاء أنفسكم ، اصطلحتم عليها أنتم وآباؤكم ، ما نزّل الله بها من سلطان ، أي : لم يُنْزلْ على ما ذهبتم إليه دليلاً ولا بُرهاناً ، وإذا أبيتم قَبُولَ الحقِّ وتمادَيتم في الباطل ، وسواء عليكم أنهيتكم عما أنتم فيه أم لا فانتظروا الآن عذابَ الله الواقع بكم ، وبأسه الذي لا يُردُّ ، ونَكاله الذي لا يُصدّ ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٩ ـ ٤١] وقال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢٢ ـ ٢٥] وقد ذكرَ الله تعالى خبرَ إهلاكهم في غير ما آية ، كما تقدَّم مجملاً ومفصَّلاً ، كقوله : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٢] وكقوله : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود : ٥٨ ـ ٦٠] . وكقوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٤١] وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٣٩ ـ ١٤٠] .

وأما تفصيل إهلاكهم ، فكما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف : ٢٤] كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا ممحلين مسنتين(٢) ، فطلبوا السُّقيا ، فرأوا عارضاً(٣) في السماء وظنُّوه سقيا رحمة ، فإذا هو سقيا عذاب ، ولهذا قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ﴾ [الأحقاف : ٢٤] أي : من وقوع العذاب ، وهو قولهم : ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢٢] ومثلها في الأعراف .

وقد ذكرَ المفسرون وغيرُهم هاهنا الخبرَ الذي ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن يسار ، قال : فلما أبوا إلا الكفرَ بالله عزَّ وجلَّ أمسكَ عنهم القَطْر(٤) ثلاثَ سنين ، حتى جَهدَهم ذلك ، قال : وكانَ النَّاسُ إذا

---

(١) في أ : استحقيتم .
(٢) ممحلين مسنتين : أصابهم الجدب والقحط .
(٣) عارضاً : سحاباً .
(٤) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : المطر .

جَهَدهم أمرٌ في ذلك الزمان ، فطلبوا من الله الفرجَ منه ، إنما يطلبونَه بحرمِهِ ومكانِ بيته ، وكان معروفاً عند أهل ذلك الزمان ، وبه العماليق مقيمون ، وهم من سلالة عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وكانَ سيدهم إذ ذاك رجلاً يُقال له معاوية بن بَكْر ، وكانت أمُّه من قوم عاد ، واسمها جلهدة ابنة الخيبري . قال : فبعثَ عادٌ وفداً قريباً من سبعينَ رجلاً ليستسقوا لهم عند الحرم ، فمَرُّوا بمعاوية بن بكر بظاهر مكَّة ، فنزلوا عليه ، فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمرَ ، وتُغنيهم الجرادَتان ـ قَيْنتان لمعاوية ـ وكانوا قد وصلوا إليه في شهر . فلمَّا طالَ مقامُهم عندَه وأخذته شفقةٌ على قومِه ، واستحيا منهم أن يأمرهم بالانصراف ، عمِلَ شعراً ، فعرَّضَ[١] لهم بالانصراف ، وأمرَ القينتين أن تغنِّيهم به ، فقال : [من الوافر]

ألا يـا قيـلُ ويحـك قـمْ فهَيْنـمْ ... لعـلّ الله يُصبحنـا غَمـامـا[٢]
فيسقــي أرضَ عـادٍ إنَّ عَـادا ... قـد امسـوا لا يُبِينُـونَ الكَـلامـا
مِن العَطَشِ الشديدِ فليسَ نرجو ... بـه الشيـخَ الكبيـرَ و لا الغُـلامـا
وقـد كـانـتْ نسـاؤهـمُ بخيـرٍ ... فقـد أمسـتْ نسـاؤهـمُ عَيـامَـى[٣]
وإنَّ الـوحـشَ تـأتيهـم جهـاراً ... ولا يخشـى لعـاديٍّ سهـامـا
وأنتـم هـاهنـا فيمـا اشتهيتـم ... نهـارَكُـمُ وليلَكُـمُ التمـامـا
فقبِّـحَ وفـدُكـم مـن وَفْـدِ قـومٍ ... ولا لقُّـوا التَّحيَّـةَ والسَّـلامـا

قال : فعندَ ذلكَ تنبَّه القومُ لما جاؤوا له ، فنَهضوا إلى الحرَم ودَعَوا لقومِهم ، فدعا داعيهم ، وهو قَيْل بن عتر ، فأنشأ الله سحاباتٍ ثلاثاً : بيضاء ، وحمراء ، وسوداء ، ثم ناداه مُنادٍ من السماء : اخترْ لنفسك ولقومِك من هذا السحاب . فقال : اخترتُ السَّحابة السَّوْداءَ ، فإنها أكثرُ السَّحاب ماءً ، فناداه : اخترتَ رماداً رِمْدداً لا تُبقي من عاد أحداً ، لا والداً تتركُ ولا ولداً ، إلا جعلته هَمِداً ، إلا بني اللُّوذية المُهْدَى[٤] . قال : وهو بطنٌ من عادٍ كانوا مقيمينَ بمكَّة ، فلم يُصبهم ما أصابَ قومَهم . قال : ومَنْ بقي من أنسالهم وأعقابهم هم عاد الآخرة .

قال : وساق الله السَّحابة السَّوداءَ التي اختارَها قَيْلُ بن عتر بما فيها من النقمة إلى عاد ، حتى تخرجَ عليهم من واد يقال له المغيث، فلما رأوْها استبشروا، وقالوا : هذا عارض ممطرنا ، فيقول تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف : ٢٤ ـ ٢٥] أي : كل شيءٍ أمرت به .

---

(١) في المطبوع : فيعرض .
(٢) فهينم : من الهينمة ، وهي الكلام الخفي . وفي تاريخ الطبري : يسقينا غماماً ، وفي المطبوع : يمنحنا .
(٣) كذا في الأصل وتاريخ الطبري ، وفي المطبوع : أياما . وعَيَامى : جمع عيمئ ، وهي المرأة التي مات عنها زوجها ولا مال لها .
(٤) في المطبوع : الهمدا .

فكان أوَّل من أبصر ما فيها وعرفَ أنها ريحٌ ـ فيما يذكرون ـ امرأةٌ من عاد يُقال لها « قهد »[١] فلما تبيَّنت ما فيها صاحتْ ثم صُعِقَتْ ، فلمَّا أفاقت ، قالوا : ما رأيت يا قهد ؟ قالت : رأيتُ ريحاً فيها كشُهُبِ النَّار أمامَها رجال يَقُودونها ، فسخَّرها الله عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيَّام حسوماً ، والحسوم : الدائمة . فلم تدعْ من عاد أحداً إلا هلكَ .

قال : واعتزلَ هودٌ عليه السلام فيما ذُكر لي في حظيرةٍ هو ومن معه من المؤمنينَ ، ما يُصيبهم إلا ما يلين عليهم الجلود وتلتذ الأنفسُ ، وإنها لتمرُّ على عاد بالظعن فيما بين السماء والأرض ، وتدمغُهم بالحجارة ، وذكر تمامَ القصة[٢] .

وقد روى الإمام أحمد حديثاً في مسنده يُشبه هذه القِصَّة ، فقال[٣] : حدَّثنا زيدُ بن الحُبَاب ، حدَّثني أبو المنذر سَلاَّمُ بن سُليمان النَّحْوي ، حدَّثنا عاصمُ بن أبي النَّجُود ، عن أبي وائل ، عن الحارث ـ وهو ابن حسَّان ، ويقال : ابن يزيد البَكْري ـ قال : خرجتُ أشكو العلاءَ بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ ، فمررتُ بالرَّبَذة ، فإذا عجوزٌ من بني تميم منقطَعٌ بها ، فقالت لي : يا عبد الله ! إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجةً ، فهل أنت مُبلغي إليه ؟ قال : فحملتُها ، فأتيتُ المدينةَ ، فإذا المسجدُ غاصٌّ بأهلِه ، وإذا رايةٌ سوداءُ تَخْفقُ ، وإذا بلالٌ مُتقلِّدٌ السيفَ بينَ يديْ رسول الله ﷺ ، فقلتُ : ما شأنُ الناس ؟ قالوا : يُريدُ أن يبعثَ عمرو بن العاص وَجْهاً . قال : فجلست .

قال : فدخلَ منزله ـ أو قال : رَحْله ـ فاستأذنتُ عليه ، فأُذنَ لي ، فدخلتُ ، فسلَّمتُ ، فقال : « هل كانَ بينكم وبينَ بني تميم شيءٌ ؟ » فقلت : نعم ، وكانت لنا الدائرة عليهم ، ومررتُ بعجوزٍ من بني تميم منقطَع بها ، فسألتني أن أحملَها إليكَ ، وهاهي بالباب ، فأذنَ لها فدخلتْ ، فقلت : يا رسول الله ! إن رأيتَ أن تجعلَ بيننا وبين بني تميم حاجزاً ، فاجعل الدهناء ، فإنَّها كانت لنا . قال : فحميتِ العجوزُ واستوفزتْ ، وقالت : يا رسول الله ! فإلى أين تضطر مضرك ؟ قال : فقلتُ : إن مثلي ما قال الأول : مِعْزى حملتْ حتفَها ، حملتُ هذه الأمَة ولا أشعرُ أنها كانت لي خصماً ، أعوذُ بالله ورسوله أن أكونَ كوافد عادٍ . قال : « هيه ، وما وافدُ عاد ؟ » وهو أعلم بالحديث مني ، ولكن يستطعمه .

قلت : إن عاداً قُحطوا فبعثوا وفداً لهم يُقال له : قَيْل ، فمرَّ بمعاوية بن بكر ، فأقام عندَه شهراً يَسقيه الخمرَ ، وتُغنِّيه جاريتان يُقال لهما : الجرادتان ، فلما مضى الشهرُ خرجَ إلى جبال تِهامةَ[٤] ، فقال : اللَّهمَّ إنَّك تعلمُ أنِّي لم أجئ إلى مريض فأداويه ، ولا إلى أسير فأفاديه ، اللهم اسقِ عاداً ما كنتَ تسقيه ،

---

(١) في تاريخ الطبري : مَهْدد .
(٢) انظر القصة في تاريخ الطبري كاملة (١/ ٢١٩ ـ ٢٢٢) .
(٣) في المسند (٣/ ٤٨٢) .
(٤) في الأصل : إلى جبال مهرة ، وأثبت ما في المسند .

فمرَّتْ به سحاباتٌ سُودٌ ، فنُودي منها : اخترْ . فأومأ إلى سحابةٍ منها سوداءَ ، فنُودي منها : خذها رماداً رَمْدداً ، لا تُبقي من عادٍ أحداً . قال : فما بلغني أنه بُعث عليهم من الرِّيح إلا كَقَدْر ما يَجري في خَاتمي هذا من الرِّيح حتَّى هلكُوا . قال أبو وائل : وصدق ، وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا : لا تكن كوافد[1] عاد .

وهكذا رواه الترمذي[2] : عن عبد بن حميد ، عن زيد بن الحُباب به . ورواه النسائي[3] : من حديث سلاَّم أبي المنذر ، عن عاصم بن بَهْدلة ، ومن طريقه رواه ابن ماجه .

وهكذا أوردَ هذا الحديثَ وهذه القِصَّة عند تفسير هذه القصة غيرُ واحد من المُفسِّرين : كابن جرير[4] وغيره .

وقد يكونُ هذا السِّياق لإهلاك عاد الآخرة ، فإن فيما ذكرَه ابنُ إسحاق وغيرُه ذكراً لمكَّةَ ، ولم تُبنَ إلا بعد إبراهيم الخليل حينَ أسكنَ فيها هاجرَ وابنَه إسماعيل ، ونزلت جرهُم عندَهم كما سيأتي ، وعادٌ الأولى قبلَ الخليل ، وفيه : ذِكر معاوية بن بكر وشعره ، وهو من الشعر المتأخِّر عن زمان عادٍ الأولى ، لا يُشبه كلامَ المتقدِّمين ، وفيه : أن في تلك السحابة شررَ نارٍ ، وعادٌ الأولى إنما أُهلكوا بريح صرصر[5] .

وقد قال ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من أئمة التابعين : هي الباردةُ والعاتية الشديدة الهبوب : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة : ٧] أي : كوامل متتابعات . قيل : كان أولها الجمعة ، وقيل : الأربعاء ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٧] شبَّههم بأعجاز النخل التي لا رؤوس لها ، وذلك لأن الريحَ كانت تجيءُ إلى أحدهم فتحمله فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه ، فيبقى جثَّةً بلا رأس ، كما قال ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر : ١٩] أي : في يوم نحس عليهم ، مستمر عذابه عليهم ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [القمر : ٢٠] ومن قال : إن اليوم النحس المستمر هو يوم الأربعاء وتشاءم به فهذا إليهم[6] ، فقد أخطأ وخالفَ القرآن فإنه قال في الآية الأخرى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ [فصلت : ١٦] ومعلوم أنها ثمانية أيام متتابعات ، فلو كانت نحسات في أنفسها لكانت جميع الأيام السبعة المندرجة في الثمانية مشؤومة ، وهذا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٨٢) رقم (١٥٨٩٦) وهو حديث حسن .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٧٤) في التفسير وهو حديث حسن .

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٨٦٠٧) وابن ماجه (٢٨١٦) في الجهاد وهو حديث حسن .

(٤) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٧/ ٦٧) والدر المنثور (٤/ ٤٤٢) وتفسير ابن كثير (٢/ ٥٥٩) .

(٥) الريح الصرصر : هي الريح الباردة الشديدة .

(٦) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : لهذا الفهم ، وما يذكر عن التشاؤم بيوم الأربعاء ، فهو غير صحيح .

لا يقولُه أحدٌ ، وإنماالمراد في أيام نحسات ، أي : عليهم . وقال تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات : ٤١] أي : التي لا تنتج خيراً ، فإن الريحَ المفردة لا تثير سحاباً ولا تلقح شجراً ، بل هي عقيم لا نتيجةَ خيرٍ لها ، ولهذا قال : ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤٢] أي : كالشيء البالي الفاني ، الذي لا يُنتفع به بالكلية .

وقد ثبتَ في الصحيحين : من حديث شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال : « نُصِرْتُ بالصَّبا ، وأُهلكتْ عادٌ بالدَّبُور »[١] .

وأما قوله تعالى : ﴿ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٢١] فالظاهرُ أنَّ عاداً هذه هي عادُ الأولى ، فإنَّ سياقَها شبيهٌ بسياق قوم هود وهم الأولى ، ويحتمل أن يكونَ المذكورون في هذه القصة هم عاد الثانية ، ويدلُّ عليه ما ذكرنا ، وما سيأتي من الحديث[٢] عن عائشة رضي الله عنها . وأما قوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف : ٢٤] فإن عاداً لما رأوا هذا العارض وهو الناشئ في الجوِّ كالسحاب ظنُّوه سحابَ مطرٍ ، فإذا هو سحابُ عذابٍ اعتقدوه رحمةً ، فإذا هو نقمةٌ ، رجوا فيه الخير ، فنالوا منه غايةَ الشر ، قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ﴾ [الأحقاف : ٢٤] . أي : من العذاب ، ثم فسَّره بقوله : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف : ٢٤] يحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة الهبوب ، التي استمرت عليهم سبع ليال بأيامها الثمانية ، فلم تُبق منهم أحداً ، بل تتبَّعتهم حتى كانت تدخلُ عليهم كهوفَ الجبال والغيران[٣] ، فتلفُّهم وتخرجهم وتهلكهم ، وتُدمِّر عليهم البيوتَ المحكمة والقصورَ المشيَّدة ، فكما مُنوا بقوتهم وشدتهم ، قالوا : من أشدُّ منا قوة ؟ سلَّط الله عليهم الذي هو أشد منهم قوَّةً وأقدر عليهم ، وهو الريح العقيم .

ويحتمل أن هذه الريح أثارتْ في آخر الأمر سحابةً ظنَّ منْ بقيَ منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم ، وغياث لمن بقيَ منهم ، فأرسلَها الله عليهم شرراً وناراً ، كما ذكره غير واحد ، ويكون هذا كما أصابَ أصحابَ الظُّلَّة من أهل مدينَ ، وجمع لهم بين الرياح الباردة و عذاب النار ، وهو أشدُّ ما يكون من العذاب بالأشياء المختلفة المتضادَّة ، مع الصيحة التي ذكرَها في سورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ والله أعلم .

وقد قال ابنُ أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا محمد بن يحيى بن الضريس ، حدَّثنا ابن فضيل ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فتحَ الله على عادٍ من الريح التي

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٥) في الاستسقاء ، ومسلم (٩٠٠) في صلاة الاستسقاء .
(٢) انظر حديث عائشة رضي الله عنها في ص١٩٤ .
(٣) الغيران : المغاور ، جمع مغارة .

أهلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم ، فمرَّتْ بأهل البادية فحملتْهم ومواشيَهم وأموالَهم بين السماء والأرض ، فلما رأى ذلك أهلُ الحاضرة من عاد الريحَ وما فيها ﴿ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف : ٢٤] فألقتْ أهل الباديةِ ومواشيَهم على أهل الحاضرة » .

وقد رواه الطبراني[١] : عن عبدان بن أحمد ، عن إسماعيل بن زكريا الكوفي ، عن أبي مالك ، عن مسلم الملائي ، عن مجاهد وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فتحَ الله على عادٍ من الريح إلا مثلَ موضعِ الخاتم ، ثم أرسلتْ عليهم البدوَ إلى الحضَر ، فلما رآها أهلُ الحَضَر ، قالوا : ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ مستقبل أوديتنا ، وكان أهل البوادي فيها ، فألقي أهلُ البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا » . قال : عَتتْ على خُزَّانها حتى خرجتْ من خِلال الأبواب[٢] . قلت : وقال غيره : خرجت بغير حساب .

والمقصودُ أن هذا الحديث في رفعه نظرٌ . ثم قد اختلف فيه على مسلم الملائي ، وفيه نوع اضطراب ، والله أعلم .

وظاهرُ الآية أنهم رأوا عارضاً ، والمفهوم منه لمعة السحاب ، كما دلَّ عليه حديث الحارث بن حسَّان البكري إن جعلناه مفسراً لهذه القصة .

وأصرحُ منه في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال : حدَّثنا أبو الطاهر ، حدَّثنا ابنُ وهب ، سمعتُ ابنَ جريج ، يُحدِّثنا ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا عصفتِ الريحُ قال : « اللهمَّ إني أسألُك خيرها وخير ما فيها وخيرَ ما أُرسلَتْ به ، وأعوذُ بكَ من شرِّها وشرِّ ما فيها وشرِّ ما أُرسلتْ به » ؟ قالت : وإذا عَبَبتِ[٣] السَّماءُ تَغيَّرَ لونُه وخرجَ ودخلَ ، وأقبلَ وأدبرَ ، فإذا أمطرتْ سُرِّي عنه ، فعرفتْ ذلكَ عائشةُ فسألتْه ، فقال : « لعلَّه يا عائشةُ كما قال قوم عاد ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف : ٢٤] »[٤] .

ورواه التِّرمذيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجه[٥] ، من حديث ابن جريج .

---

(١) وأخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٧/ ١١٣) عن ابن عمر وفيه مسلم الملائي ؛ ضعيف ، وفيه : ابن فضيل ، بعضهم لا يحتج به . انظر المغني في الضعفاء (٢/ ٦٢٤) .

(٢) أخرجه الطبراني (١٢٤١٦) في الكبير ، وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٣) وقال : فيه مسلم الملائي ، وهو ضعيف .

(٣) في صحيح مسلم (تخيَّلت) أي يخيل إليه أنها ماطرة .

(٤) أخرجه مسلم (٨٩٩) في صلاة الاستسقاء .

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٤٩) في الدعوات . وقال : حديث حسن ، والنسائي (٩٤٠) في عمل اليوم والليلة ، والبيهقي (٣/ ٣٦٠) في السنن الكبرى .

طريق أخرى : قال الإمام أحمد : حدَّثنا هارون بن معروف ، أنبأنا عبد الله بن وهب ، أنبأنا عمرو ـ هو ابن الحارث ـ أن أبا النضر حدَّثه عن سليمان بن يسار ، عن عائشة ؛ أنها قالت : ما رأيتُ رسول الله ﷺ : مستجمعاً ضاحكاً قطُّ حتى أرى منه لهواتِه ، إنما كان يَتَبَسَّمُ . وقالت : كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرِفَ ذلك في وجهه . قالت : يا رسولَ الله ! الناسُ إذا رأوا الغيمَ فَرِحوا رجاءَ أن يكونَ فيه المطرُ ، وأراكَ إذا رأيتَه عُرِفَ في وجهكَ الكراهية ؟ فقال : « يا عائشة ! ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب ، قد عُذِّبَ قومُ نوحٍ بالريح ، وقد رأى قومٌ العذابَ » فقالوا : ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾[(١)] .

فهذا الحديثُ كالصريح في تغاير القِصَّتين كما أشرنا إليه أولاً ، فعلى هذا تكون القِصَّة المذكورة في سورة الأحقاف خبراً عن قوم عاد الثانية ، وتكون بقيَّةُ السياقات في القرآن خبراً عن عادٍ الأولى ، والله أعلم بالصواب .

وهكذا رواه مسلم[(٢)] عن هارون بن معروف ، وأخرجه البخاري وأبو داود[(٣)] من حديث ابن وهب .

وقد قدمنا حجَّ هودٍ عليه السلام عند ذكر حجِّ نوح عليه السلام .

ورُوي عن أميرِ المؤمنين عليّ بن أبي طالب أنه ذكرَ صفةَ قبر هُودٍ عليه السلام في بلاد اليمن .

وذكرَ آخرون أنه بدمشقَ ، وبجامِعها مكانٌ في حائطِه القِبْليّ يزعمُ بعضُ النَّاس أنَّه قبرُ هودٍ عليه السلام ، والله أعلم .

***

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٦٦) رقم (٢٤٢٥٠) .
(٢) أخرجه مسلم (٨٩٩) (١٦) في صلاة الاستسقاء .
(٣) أخرجه البخاري (٤٨٢٨ و٤٨٢٩) في التفسير ، وأبو داود (٥٠٩٨) في الأدب .

قصّة صالح نبي ثمود عليه السَّلام

وهم قبيلة مشهورة يقال [لهم][(١)] : ثمود ، باسم جدِّهم ثمود أخي جَديس ، وهما ابنا عاثر بن إرم بن سام بن نوح .

وكانوا عَرباً من العاربة يسكنونَ الحِجْرَ الذي بينَ الحجاز وتبوك . وقد مرَّ به رسولُ الله ﷺ وهو ذاهبٌ إلى تبوك بمن معه من المسلمين كما سيأتي بيانُه ، وكانوا بعدَ قوم عاد ، وكانوا يعبدون الأصنامَ كأولئك .

فبعثَ الله فيهم رجلاً منهم ، وهو عبدُ الله ورسولُه صالحُ بن عُبيدِ بن مَاشِخ بن عُبيد بن حاجِر بن ثمود بن عاثر بن إرمَ بن سام بن نوح ، فدعاهُم إلى عبادة الله وحدَه لا شريكَ له ، وأن يخلعُوا الأصنامَ والأندادَ ولا يُشركوا به شيئاً ، فآمنتْ به طائفةٌ منهم ، وكفرَ جمهورُهم ، ونالوا منه بالمقال والفِعال ، وهَمُّوا بقتله ، وقَتَلُوا النَّاقة التي جعلَها اللهُ حجَّةً عليهم ، فأخذَهم الله أخذَ عزيزٍ مُقتدر ، كما قال تعالى في سورة الأعراف :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٣ ـ ٧٩] .

وقال تعالى في سورة هود : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ

---

(١) سقطت من أ .

مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود : ٦١ ـ ٦٨] وقال تعالى في سورة الحجر : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الحجر : ٨٠ ـ ٨٤] وقال سبحانه وتعالى في سورة سبحان : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء : ٥٩] وقال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٤١ ـ ١٥٩] وقال تعالى في سورة النمل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [النمل : ٤٥ ـ ٥٣] وقال تعالى في سورة حم السجدة : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [فصلت : ١٧ ـ ١٨] وقال تعالى في سورة اقتربت : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٢٣ ـ ٣٢] وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ [الشمس : ١١ ـ ١٥] . وكثيراً ما يقرنُ الله في كتابه بينَ ذكرِ عادٍ وثمود ، كما في سورة براءة ، وإبراهيم ، والفُرقان ، وسورة (ص) وسورة (ق) والنجم ، والفجر .

ويُقال : إن هاتين الأمتين لا يعرفُ خبرَهما أهلُ الكتاب ، وليس لهما ذِكر في كتابهم التوراة ، ولكن

في القرآن ما يدلُّ على أن موسى أخبرَ عنهما ، كما قال تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [إبراهيم : ٨ ـ ٩] الآية . الظاهرُ أنَّ هذا من تمام كلام موسى مع قومه ، ولكن لما كانت هاتان الأمتان من العرب لم يضبطوا خبرَهما جيداً ، ولا اعتنوا بحفظه ، وإن كان خبرُهما كان مشهوراً في زمان موسى عليه السلام ، وقد تكلَّمنا على هذا كلِّه في التفسير متقصَّياً ، ولله الحمد والمنَّة .

والمقصود الآن ذكرُ قِصَّتهم وما كان من أمرهم ، وكيف نجَّى الله نبيَّه صالحاً عليه السلام ومن آمن به ، وكيف قطع دابرَ القوم الذين ظلموا بكفرهم وعتوِّهم ومخالفتهم رسولهم عليه السلام .

قد قدمنا أنهم كانوا عَرباً ، وكانوا بعد عاد ، ولم يعتبروا بما كان من أمرهم . ولهذا قال لهم نبيهم عليه السلام : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٣ ـ ٧٤] أي : إنما جعلكم خلفاءَ من بعدهم لتعتبروا بما كان أمرهم ، وتعملوا بخلاف عملهم ، وأباحَ لكم هذه الأرض تبنون في سهولها القصور ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٩] أي: حاذقين في صَنْعَتها وإتقانها وإحكامِها، فقابِلُوا نعمةَ الله بالشكر و العمل الصَّالح والعبادة له وحدَه لا شريكَ له ، وإيَّاكم ومخالفته والعدول عن طاعته ، فإنَّ عاقبةَ ذلك وخيمةٌ ، ولهذا وَعَظهم بقوله : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ [الشعراء : ١٤٦ ـ ١٤٨] أي : متراكم كثير ، حسنٌ بهيٌّ ناضج ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء : ١٤٩ ـ ١٥٢] .

وقال لهم أيضاً : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود : ٦١] أي : هو الذي خلقكم فأنشأكُم من الأرض وجعلكم عمَّارها ، أي أعطاكموها بما فيها من الزروع والثمار فهو الخالق الرازق فهو الذي يستحق العبادة وحدَه لا سواه . ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ [هود : ٦١] أي : أقلعوا عما أنتم فيه ، وأقبلوا على عبادتِه فإنَّه يقبلُ منكم ويتجاوزُ عنكم ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود : ٦١] .

﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ [هود : ٦٢] أي : قد كنا نرجو أن يكونَ عقلكَ كاملاً قبل هذه المقالة ، وهي دعاؤُك إيَّانا إلى إفراد العبادة ، وترك ما كنَّا نعبدُه من الأنداد ، والعدول عن دين الآباء والأجداد ، ولهذا قالوا : ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود : ٦٢ ـ ٦٣] .

وهذا تلطُّف منه لهم في العبارة ، ولين الجانب ، وحُسن تأتٍّ في الدعوة لهم إلى الخير ، أي : فما

ظنُّكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه ، ماذا عذركم عند الله ؟ وماذا يُخلِّصكم بين يديْه ؟ وأنتم تطلبونَ منِّي أن أتركَ دعاءَكم إلى طاعته ، وأنا لا يُمكنني هذا لأنَّه واجبٌ عليَّ ، ولو تركته لما قدر أحدٌ منكم ولا من غيركم أن يجيرني منه ولا ينصرني ، فأنا لا أزالُ أدعوكم إلى الله وحدَه لا شريكَ له ، حتى يحكمَ الله بيني وبينكم .

وقالوا له أيضاً : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٥٣] أي : من المسحورين ، يعنونَ مسحوراً لا تدري ما تقولُ في دعائِك إيَّانا إلى إفراد العبادة لله وحده ، وخلع ما سواه من الأنداد ، وهذا القولُ عليه الجمهور ، وهو أنَّ المراد بالمُسَحَّرين المَسْحُورين . وقيل : من المُسَحَّرين ، أي : ممن له سحر ، وهي الرئة ، كأنهم يقولون : إنما أنت بشر له سحر ، والأول أظهر لقولهم بعد هذا : ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [الشعراء : ١٥٤] وقولهم : ﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء : ١٥٤] سألوا منه أنْ يأتيَهم بخارقٍ يدلُّ على صدق ما جاءَهم ﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٥٥ ـ ١٥٦] وقال : ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٧٣] وقال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾ [الإسراء : ٥٩] .

وقد ذكر المفسرون[١] أن ثموداً اجتمعوا يوماً في ناديهم ، فجاءَهم رسولُ الله صالحٌ فدعاهم إلى الله وذكَّرهم وحذَّرهم ، ووعظَهم وأمرَهم . فقالوا له : إنْ أنتَ أخرجتَ لنا من هذه الصخرة ـ وأشاروا إلى صَخْرَةٍ هناكَ ـ ناقةً من صِفَتها كَيْتَ وكَيْتَ ، وذكروا أوصافاً سمَّوها ونعتوها ، وتعنَّتوا[٢] فيها ، وأن تكون عُشَرَاءَ[٣] طويلةً ، من صفتها كذا وكذا .

فقال لهم النبيُّ صالحٌ عليه السلام : أرأيتم إنْ أجبتُكم إلى ما سألتُم ، على الوجه الذي طلبتُم أتؤُمنونَ بما جئتكُم به وتصدقوني فيما أُرسلتُ به ؟ قالوا : نعم ، فأخذ عهودَهم ومواثيقَهم على ذلك ، ثمَّ قامَ إلى مُصلاَّه ، فصلَّى لله عزَّ وجلَّ ما قُدِّرَ له ، ثم دعا ربَّه عزَّ وجلَّ أن يُجيبَهم إلى ما طلبُوا ، فأمرَ الله عزَّ وجلَّ تلكَ الصَّخرة أن تنفطرَ عن ناقةٍ عظيمةٍ عُشَراء ، على الوجه المطلوب الذي طلبوا ، أو على الصِّفة التي نَعَتُوا .

فلما عاينُوها كذلك رأوا أمراً عظيماً ، ومَنْظراً هائلاً ، وقدرةً باهرةً ، ودليلاً قاطعاً ، وبُرهاناً ساطعاً ، فآمنَ كثيرٌ منهم ، واستمَّر أكثرُهم على كفرهم وضلالهم وعِنادهم، ولهذا قال: ﴿ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾ [الإسراء : ٥٩] أي : جَحدوا بها ولم يتَّبعوا الحقَّ بسببها ، أي : أكثرهم .

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٣٢) .
(٢) « تعنتوا » : تشدَّدوا .
(٣) « عشراء » : الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر .

وكانَ رئيسَ الذين آمنوا جندعُ بن عمرو بن محلاة بن لَبيد بن جواس ، وكان من رؤسائِهم ، وهم بقيَّةُ الأشراف بالإسلام ، فصدَّهم ذؤابُ بن عمرُو بن لَبيد والخُباب ، صاحبا أوثانهم ، ورباب بن صمعر بن جلمس ، ودعا جندعُ بْن عمِّه شهاب بن خليفة ، وكان من أشرافهم ، فهمَّ بالإسلام ، فنهاه أولئك ، فمال إليهم ، فقال في ذلك رجل من المسلمين ـ يُقالُ له : مهرش بن غنمة بن الذميل ـ رحمه الله : [من الوافر]

وكانتْ عصبةٌ من آل عمرٍو إلى دينِ النبيِّ دَعَوْا شِهابا
عـزيـز ثمـودَ كُلهـمُ جميعـاً فهـمَّ بـأنْ يُجيب ولـو أجـابـا
لأصبحَ صـالـحٌ فينـا عـزيـزاً وما عَدَلوا بصاحِبهمْ ذؤابا(١)
ولكـنّ الغُـواة مـن آلِ حجْـرٍ تولّوا بعدَ رُشدِهمُ ذئابا(٢)

ولهذا قال لهم صالح عليه السلام : ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةً ﴾ [هود : ٦٤] أضافها الله سبحانه وتعالى إضافةَ تشريف وتعظيم ، كقوله : بيتُ الله ، وعبدَ الله ﴿ لَكُمۡ ءَايَةً ﴾ أي : دليلاً على صدق ما جئتُكم به ﴿ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴾ [هود : ٦٤] .

فاتفقَ الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيثُ شاءتْ من أرضِهم ، وتردُ الماء يوماً بعد يوم ، وكان إذا وردتِ الماءَ تشربُ ماءَ البئر يومها ذلك ، فكانوا يرفعونَ حاجَتهم من الماء في يَومهم لغدِهم ، ويُقال : إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتَهم ، ولهذا قال : ﴿ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [الشعراء : ١٥٥] .

ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ ﴾ [القمر : ٢٧] أي اختباراً لهم ، أيؤمنون بها أم يكفرون ؟ والله أعلم بما يفعلون : ﴿ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ ﴾ أي : انتظر ما يكونُ من أمرهم ﴿ وَٱصۡطَبِرۡ ﴾ على أذاهم فسيأتيكَ الخبرُ على جَليَّة . ﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴾ [القمر : ٢٨] .

فلمَّا طالَ عليهم الحالُ هذا ، اجتمعَ مَلؤُهم ، واتَّفقَ رأيُهم على أن يَعقِرُوا هذه النَّاقة ليستريحوا منها ، ويتوفَّر عليهم ماؤُهم ، وزَّينَ لهم الشيطانُ أعمالَهم ، قال الله تعالى : ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] .

وكان الذي تولَّى قتلَها منهم رئيسُهم قُدارُ بن سالف بن جندع ، وكان أحمرَ أزرقَ أصهبَ ، وكان يُقالُ : إنه ولد زانيةٍ ، وُلد على فراش سالف ، وهو من رجلٍ يُقال له : صبيان . وكان فعلُه ذلك باتِّفاقِ جميعهم ، فلهذا نُسِبَ الفعلُ إليهم كلِّهم .

---

(١) « ذؤابا » : الذؤاب : أعلى كل شيء وذروته .
(٢) كذا في الأصل ، وفي المطبوع ذآبا ، وفي بعض النسخ : ذباباً .

وذكر ابنُ جرير(١) وغيرُه من علماء المفسرين : أنَّ امرأتين من ثمودَ اسمُ إحداهما : صدوق ابنة الحيا بن زهير بن المختـار ، وكانت ذاتَ حَسَبٍ ومـال ، وكانت تحتَ رجلٍ ممن أسلمَ ، ففارقته ، فدعت ابنَ عمٍّ لها يُقال له : مصرع بن مهرج بن المحيا ، وعرضتْ عليه نفسَها إن هو عقرَ النَّاقةَ . واسم الأخرى عُنيزة بنت غنيم بن مجلز ، وتُكنَّى أمَّ عثمـان ، وكانت عجوزاً كافرةً لها بناتٌ من زوجها ذؤاب بن عمرو ، أحد الرؤساء ، فعرضتْ بناتِها الأربع على قُدار بن سالف إن هو عقرَ النَّاقةَ ، فله أيُّ بناتها شاءَ ، فانتُدبَ هذان الشَّابَّان لعَقْرِها ، وسَعَوْا في قومِهم بذلك ، فاستجابَ لهم سبعةٌ آخرونَ ، فصَاروا تسعةً ، وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل : ٤٨] .

وسَعَوْا في بقيَّة القبيلةِ ، وحسَّنوا لهم عقرَها ، فأجابوهم إلى ذلك ، وطاوعُوهم في ذلك ، فانطلقوا يرصُدُون النَّاقةَ ، فلما صدرتْ من وِرْدها(٢) كمَنَ لها مصرعٌ ، فرماها بسهم ، فانتظمَ عظمَ ساقِها ، وجاء النساء يزمرن(٣) القبيلة في قتلها وحسرنَ(٤) عن وجُوهِهنَّ ، ترغيباً لهم في ذلك ، فابتدرَهم قُدارُ بن سالف ، فشدَّ عليها بالسيف فكشفَ عن عرقوبها(٥) ، فخرَّت ساقطةً إلى الأرض ، ورغت(٦) رغاةً واحدةً عظيمةً تُحذِّرُ ولدَها ، ثم طعن في لبَّتِها(٧) ، فنحرَها ، وانطلقَ سَقْبُها ـ وهو فصيلُها(٨) ـ فصَعِدَ جبلاً منيعاً ، ورغا ثلاثاً .

وروى عبد الرزاق(٩) : عن معمر ، عمَّن سمع الحسنَ ؛ أنه قال : يا ربِّ أينَ أُمِّي ؟ ثم دخلَ في صَخْرةٍ ، فغابَ فيها . ويُقال : بل اتَّبَعُوه ، فعقروه أيضاً . قال الله تعالى : ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ٢٩ ـ ٣٠] . وقال تعالى : ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ [الشمس : ١٢ ـ ١٣] أي : احذرُوها فكذَّبُوه فعقروها ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ [الشمس : ١٤ ـ ١٥] .

قال الإمام أحمد : حدَّثنا عبدُ الله بن نُمَيْر ، حدَّثنا هشام ـ هو ابن عُروة ـ عن أبيه ، عن عبد الله بن

(١) انظر تفسير الطبري (٥/ ٥٣٢) .
(٢) صدرت من وردها : ارتوت ورجعت .
(٣) في الأصل : يذمون ـ ويذمرن : يحضُّنَّ ويُشجعنَّ على القتال .
(٤) وحَسَرْنَ : كشفن الغطاء عن وجوههنَّ .
(٥) عُرْقُوبها : ما يكون في رجل الدابة بمنزلة الركبة في يدها .
(٦) رغتْ : صوتت وضجَّت ، والرُّغاء : صوت الإبل .
(٧) لَبَّتُها : اللبَّة : موضع القلادة من العنق .
(٨) فصيلُها : الفصيل : ابن الناقة .
(٩) تفسير الطبري (٥/ ٥٣٥) .

زمعة ، قال : خطبَ رسولُ الله ﷺ ، فذكر النَّاقة ، وذكر الذي عقرَها ، فقال : ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ [الشمس : ١٢] انبعثَ لها رجلٌ عَارمٌ عزيزٌ منيع في رهطه ، مثل ابن زمعة[١] .

أخرجاه[٢] من حديث هشام به . عارم : أي : شهمٌ عزيز ، أي : رئيس منيع ، أي : مطاع في قومه .

وقال محمد بن إسحاق : حدَّثني يزيدُ بن محمد بن خثيم[٣] ، عن محمد بن كعب ، عن محمد بن خُثيم ، عن يزيد ، عن عمَّار بن ياسر ، قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : « ألا أُحدثّك بأشقى الناس ؟ » قال : بلى . قال : رجلان أحدُهما أُحيمرُ ثمود الذي عقرَ النَّاقة ، والذي يضربُكَ يا عليُّ على هذا ـ يعني : قَرْنه ـ حتى تَبْتلَّ منه هذه ـ يعني لحيته ـ » رواه ابن أبي حاتم[٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] فجمَعُوا في كلامِهم هذا بين كفرٍ بليغٍ من وجوه :

منها أنهم خالفوا الله ورسولَه في ارتكابهم النهي الأكيد في عَقْر الناقة التي جعلها الله لهم آية .

ومنها أنهم استعجلوا وقوعَ العذاب بهم ، فاستحقُّوه من وجهين : أحدهما : الشرط عليهم في قوله : ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴾ [هود : ٦٤] وفي آية ﴿ عظيم ﴾ [الشعراء : ١٥٩] وفي الأخرى ﴿ أليم ﴾ [الأعراف : ٧٣] والكلُّ حقٌّ . والثاني : استعجالهم على ذلك .

ومنها أنهم كذَّبوا الرسولَ الذي قد قامَ الدليلُ القاطعُ على نبوَّته وصِدْقه ، وهم يعلمون ذلك علماً جازماً ، ولكن حملَهم الكفرُ والضَّلالُ والعِنادُ على استبعاد الحقِّ ، ووقوع العذاب بهم . قال الله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴾ [هود : ٦٥] .

وذكروا أنَّهم لما عَقَروا النَّاقَة كان أوَّل من سطا[٥] عليها قُدارُ بن سالف ـ لعنه الله ـ فعرقَبها ، فسقطت إلى الأرض ، ثم ابتدرُوها بأسيافهم يُقَطِّعُونها ، فلما عاينَ ذلك سَقْبُها ـ وهو ولدها ـ شَرَدَ عنهم ، فعلا أعلى جبلٍ هناك ، ورغا ثلاثَ مرارٍ[٦] .

فلهذا قال لهم صالح : ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ﴾ [هود : ٦٥] أي : غير يومهم ذلك ، فلم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٧) ، وهو حديث صحيح .
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٢) في التفسير ، ومسلم (٢٨٥٥) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها .
(٣) كذا في ب وهو الصحيح ، وفي المطبوع وأ : خيثم ، مصحف .
(٤) ورواه أيضاً أحمد في المسند (٤/ ٢٦٣) وهو حديث حسن .
(٥) سطا : بطش بشدَّة .
(٦) في المطبوع : مرات .

يُصدِّقوه أيضاً في هذا الوعد الأكيد ، بل لما أمسوا همُّوا بقتله ، وأرادوا فيما يزعمون أن يُلحقوه بالناقة ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ﴾ [النمل : ٤٩] أي : لنكبسنَّه في داره مع أهله فلنقتلنه ، ثم لنجحدنَّ قتله ، ولننكرنّ ذلك ، إنْ طالبنا أولياؤه بدمه ، ولهذا قالوا : ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [النمل : ٤٩] .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل : ٥٠ ـ ٥٣] .

وذلك أنَّ الله تعالى أرسلَ على أولئك النفر الذين قصدوا قتلَ صالح حجارةً رضختْهم سلفاً وتعجيلاً قبلَ قومهم ، وأصبحتْ ثمودُ يومَ الخميس ـ وهو اليوم الأول من أيام النَّظْرة ـ ووجوهُهم مُصْفَرَّةٌ ، كما أنذرهم صالح عليه السلام ، فلمَّا أمسَوا نادَوْا بأجمعِهم : ألا قد مضَى يوم من الأجل .

ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل ، وهو يوم الجمعة ، ووجوهُهُم مُحمَرَّة ، فلما أمسوا نادوا : ألا قد مضى يومان من الأجل .

ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع ، وهو يوم السبت ، ووجوهُهم مُسودَّة ، فلما أمسوا نادوا : ألا قد مضَى الأجل .

فلما كان صبيحة يوم الأحد تحنَّطوا وتأهَّبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحُلُّ بهم من العذاب والنَّكال والنقمة ، لا يدرون كيف يفعل بهم ! ولا من أي جهة يأتيهم العذاب ! فلما أشرقت الشمسُ جاءَتْهم صَيْحةٌ من السماء مِن فوقهم ، ورجفةٌ شديدةٌ من أسفل منهم ، ففاضتِ الأرواحُ ، وزهقتِ[1] النفوس ، وسكنتِ الحركاتُ ، وخَشَعتِ الأصواتُ ، وحقَّتِ الحقائقُ ، فأصبحوا في دارهم جاثمين ، جثثاً لا أرواحَ فيها ، ولا حَرَاكَ بها . قالوا : ولم يبق منهم أحدٌ إلاَّ أن جاريةً كانت مُقْعَدَةً ، واسمها كلية ابنة السلق ، ويُقال لها : الذريعة ، وكانت شديدة الكفر والعداوة لصالح عليه السلام ، فلما رأتِ العذاب أُطْلِقَتْ رجلاها ، فقامتْ تسعى كأسرع شيءٍ ، فأتتْ حيّاً من العرب فأخبرتْهم بما رأتْ ، وما حلَّ بقومها ، واستسقتهم ماءً ، فلما شربتْ ماتتْ .

قال الله تعالى : ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ﴾ [هود : ٦٨] أي : لم يُقيموا فيها في سَعة ورزق وغنَاء ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود : ٦٨] أي : نادى عليهم لسانُ القَدر بهذا .

قال الإمام أحمد[2] : حدَّثنا عبدُ الرزاق ، حدَّثنا معمر ، حدَّثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن

---

(١) زهقت النفوس : خرجت .
(٢) في المسند (٣/٢٩٦) رقم (١٤٠٩٢) .

أبي الزبير ، عن جابر ، قال : لما مرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْر ، قال : « لا تسألوا الآياتِ ، فقد سألها قومُ صالح ، فكانتْ ـ يعني الناقة ـ تَرِدُ من هذا الفَجِّ ، وتصدرُ من هذا الفجِّ ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ [الأعراف : ٧٧] فكانت تشربُ ماءَهم يوماً ويشربون لبنَها يوماً ، فعقروها ، فأخذتْهم صيحةٌ أهمد الله عزَّ وجلَّ من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله عزَّ وجلَّ . فقالوا : منْ هُو يا رسول الله ؟ قال : هو أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابَه ما أصابَ قومَه »[١] . وهذا الحديث على شرط مسلم ، وليس هو في شيء من الكتب الستة ، والله أعلم .

وقد قال عبد الرزاق أيضاً[٢] : قالَ مَعْمر : أخبرني إسماعيل بن أُميَّة : أن النبيَّ ﷺ مرَّ بقبر أبي رِغال ، فقال : أتدرون من هذا ؟ قالوا : الله ورسولُه أعلم . قال : هذا قبر أبي رِغال ، رجلٌ من ثمودَ كان في حَرَمِ الله فمنعَه حَرَمُ الله عذابَ الله . فلما خرجَ أصابَه ما أصابَ قومَه ، فدُفن هاهنا ودُفن معه غُصْنٌ من ذَهب ، فنزلَ القومُ فابتدرُوه بأسيافهم ، فبحثُوا عنه ، فاستخرجوا الغصنَ . قال عبد الرزاق : قال معمر : قال الزهري : أبو رغال : أبو ثقيف .

هذا مرسل من هذا الوجه .

وقد جاءَ من وجهٍ آخر متصلاً ، كما ذكرَه محمَّد بن إسحاق في السيرة : عن إسماعيل بن أمية ، عن بجير بن أبي بجير ، سمعتُ عبدَ الله بن عمرو ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بقبرٍ ، فقال : « إن هذا قبرُ أبي رغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمودَ ، وكان بهذا الحرم ، يدفعُ عنه ، فلمَّا خرجَ منه ، أصابتْه النقمة التي أصابتْ قومَه بهذا المكان ، فدُفن فيه ، وآية ذلك أنه دُفن معه غصنٌ من ذهب ، إنْ أنتم نبشتُم عنه أصبتموه معه » . فابتدرَه النَّاسُ فاستخرجوا منه الغصنَ[٣] .

وهكذا رواه أبو داود[٤] : من طريق محمد بن إسحاق .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجَّاج المزِّي ـ رحمه الله[٥] ـ : هذا حديث حسن عزيز .

قلت : تفرَّد به بُجَيْر بن أبي بُجَيْر هذا ، ولا يُعرف إلا بهذا الحديث ، ولم يرو عنه سوى إسماعيل بن

---

(١) وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٦١٩٧) الإحسان ، والبزار (١٨٤٤) كما في كشف الأستار ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) .
والفجُّ : الشَّقُّ ، والطريق الواضح بين جبلين .
(٢) في مصنفه (٢٠٩٩) .
(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٩٧) .
(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣٠٨٨) في الخراج والإمارة والفيء .
(٥) تهذيب الكمال (٤/ ١١) .

أمية . قال شيخنا : فيحتمل أنه وَهِم في رفعه ، وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو عن زاملتيه[١] ، والله أعلم .

قلتُ : لكن في المرسل الذي قبلَه ، وفي حديثِ جابرٍ أيضاً شاهدٌ له[٢] ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩] إخبارٌ عن صالحٍ عليه السلام أنَّه خاطبَ قومه بعد هَلاكهم ، وقد أخذ في الذَّهاب عن محلَّتهم إلى غيرها ، قائلاً لهم : ﴿ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٧٩] : أي جهدت في هدايتكم بكل ما أمكنني وحرصت على ذلك بقولي وفعلي ونيتي ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩] أي : لم تكن سجاياكُم تَقبَلُ الحقَّ ولا تُريده ، فلهذا صرتُم إلى ما أنتم فيه من العذاب الأليم المستمرّ بكم ، المتصل إلى الأبد ، وليس لي فيكم حيلة ، ولا لي بالدفع عنكم يدان ، والذي وجبَ عليّ من أداء الرسالة والنُّصْح لكم قد فعلتُه وبذلتُه لكم ، ولكنَّ الله يفعلُ ما يريد .

وهكذا خاطبَ النبيُّ ﷺ أهل قَلِيْبِ بَدْرٍ بعد ثلاث ليالٍ ، وقف عليهم ، وقد ركبَ راحلتَه ، وأمر بالرحيل من آخر الليل ، فقال : « يا أهلَ القَليب ! هل وجدتُم ما وعدَكم ربُّكم حَقّاً ، فإني قد وجدتُ ما وَعدني ربِّي حقاً » وقال لهم فيما قال : « بئسَ عشيرةُ النبيِّ كُنتم لنبيِّكم ، كذَّبتمُوني وصدَّقني النَّاسُ ، وأخرجتموني وآواني النَّاسُ ، وقاتلتمُوني ونَصرني النَّاسُ ، فبئس عشيرةُ النبيِّ كنتُم لنبيِّكم » فقال له عمر : يا رسول الله ! تخاطبُ أقواماً قد جيفوا ؟ فقال : « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يُجيبون »[٣] . وسيأتي بيانُه في موضعه إن شاء الله .

ويُقال : إنَّ صالحاً عليه السلام انتقلَ إلى حَرَمِ الله فأقامَ به حتَّى ماتَ .

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما مرَّ النبيُّ ﷺ بوادي عُسْفان حينَ حجَّ ، قال : « يا أبا بكر ! أيّ وادٍ هذا ؟ قال : وادي عُسْفان . قال : « لقد مرَّ به هودٌ وصالحٌ عليهما السلام على بكرات خُطُمُها اللِّيف ، أُزُرُهم العباء ، وأرديتهم النِّمار ، يُلَبُّون ، يَحُجُّونَ البيتَ العتيق » . إسناد حسن[٥] .

---

(١) زاملتيْه : الزاملة : ما يُحمل عليه من الإبل وغيرها .
(٢) قول ابن كثير هذا سقط من أ ، وأثبته من ب .
(٣) ذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٩١) من حديث عبد الله بن مسعود وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .
(٤) في المسند (١/ ٢٣٢) .
(٥) أقول : فيه زمعة بن صالح ضعيف ، كما قال الحافظ في « التقريب » .

وقد تقدَّم في قصَّة[١] نوحٍ عليه السلام من رواية الطبراني ، وفيه : نوح وهود وإبراهيم .

مرور النبيِّ بوادي الحِجْر من أرض ثمودَ عام تبوك

قال الإمام أحمد : حدَّثنا عبدُ الصمد ، حدَّثنا صَخْرُ بن جويرية ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال لما نزل رسولُ الله ﷺ بالناس على تبوكَ ، نزل بهم الحِجْرَ عند بيوت ثمود ، فاستقى النَّاسُ من الآبار التي كانت تشربُ منها ثمود ، فعجنُوا منها ، ونصبُوا القُدور [باللحم] ، فأمرَهم رسولُ الله فأهراقوا القدورَ ، وعلفُوا العجينَ الإبلَ ، ثم ارتحلَ بهم حتَّى نزل بهم على البئر التي كانت تشربُ منها النَّاقةُ ، ونهاهُم أن يدخلوا على القوم الذين عُذِّبوا فقال : « إني أخشى أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم »[٢] .

وقال أحمد أيضاً : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا عبدُ العزيز بن مسلم ، حدَّثنا عبدُ الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسولُ الله ﷺ وهو بالحِجْر : « لا تدخلوا على هؤلاء المُعذَّبين إلا أنْ تكونوا باكينَ ، فإن لم تكونوا باكينَ فلا تدخلوا عليهم ، أن يُصيبكُم مثل ما أصابهم »[٣] .

أخرجاه في الصحيحين[٤] من غير وجه .

وفي بعض الروايات : أنه عليه الصلاة والسلام لما مرَّ بمنازلهم قنَّع رأسه وأسرع راحلته ، ونهى عن دخولِ منازلهم إلا أن يكونوا باكين . وفي رواية : « فإنْ لم تبكوا فتباكوا ، خشيةَ أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابَهم » . صلوات الله وسلامه عليه .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المَسعودي ، عن إسماعيل بن أوسط ، عن محمد ابن أبي كبشة الأنماري ، عن أبيه ـ واسمه عمرو بن سعد ، ويُقال : عامر بن سعد رضي الله عنه ـ قال : لما كان في غزوة تبوك تسارعَ النَّاسُ إلى أهل الحجْر يدخلون عليهم ، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فنادى في النَّاس : الصَّلاةُ جامعة . قال : فأتيتُ النبيَّ ﷺ ، وهو يمسك بعيرَه ، وهو يقول : « ما تدخلون على قومٍ غضبَ الله عليهم ، فناداه رجلٌ نعجبُ يا رسول الله ! قال : أفلا أُنبئكم بأعجب من ذلك ؟ رجلٌ من أنفسكم يُنبئكم بما كان قبلكم ، وما هو كائنٌ بعدَكم ، فاستقيمُوا وسدِّدوا ، فإنَّ اللهَ لا يعبأُ بعذابِكم شيئاً ، وسيأتي قومٌ لا يدفعونَ عن أنفسهم شيئاً »[٥] . إسنادٌ حسنٌ ولم يُخرِّجوه .

---

(١) تقدم ص١٨٠ .
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١١٧) وإسناده صحيح على شرط الشيخين .
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٧٤) وإسناده صحيح على شرط الشيخين .
(٤) أخرجه البخاري (٤٧٠٢) في التفسير ، ومسلم (٢٩٨٠) في الزهد والرقائق .
(٥) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٣١) . قلت : فيه محمد بن أبي كبشة الأنماري ، وهو مجهول .

وقد ذُكرَ أنَّ قومَ صالح كانت أعمارُهم طويلةً ، فكانوا يبنون البيوتَ من المدر[١] ، فتخربُ قبلَ موتِ الواحد منهم ، فنحتوا لهم بيوتاً في الجبال .

وذكروا أنَّ صالحاً عليه السلام لما سألوه آيةً ، فأخرجَ الله لهم النَّاقةَ من الصَّخرة ، أمرهم بها وبالولد الذي كان في جَوْفها ، وحذَّرَهم بأسَ الله إن هم نالوها بسوء ، وأخبرَهم أنهم سيعقرونها ، ويكونُ سببُ هلاكهم ذلك ، وذكرَ لهم صفةَ عاقرها ، وأنَّه أحمرُ أزرقُ أصْهبُ ، فبعثوا القوابلَ في البلد ، متى وجدوا مولوداً بهذه الصِّفة يقتلنَّه ، فكانوا على ذلك دهراً طويلاً ، وانقرضَ جيلٌ وأتى جيلٌ آخر .

فلمَّا كان في بعضِ الأعصارِ ، خطبَ رئيسٌ من رُؤسائهم على ابنه بنتَ آخرَ مثله في الرياسة ، فزوَّجه ، فولدَ بينهما عاقرُ النَّاقة، وهو قُدَار بن سَالف، فلم تتمكَّن القوابلُ من قتله، لشرفِ أبويْه وجدَّيْه فيهم، فنشأ نشأةً سريعةً، فكان يشبُّ في الجمعة كما يشبُّ غيرُه في شَهْرٍ ، حتى كان منْ أمره أن خرجَ مُطاعاً فيهم رئيساً بينهم ، فسوَّلت له نفسُه عَقْرَ النَّاقةِ، واتَّبعه على ذلك ثمانيةٌ من أشرافِهم، وهم التسعة الذين أرادوا قتلَ صالح عليه السلام.

فلمَّا وقع من أمرِهم ما وقعَ من عَقْرِ النَّاقة ، وبلغَ ذلك صالحاً عليه السلام ، جاءهم باكياً عليها ، فتلقَّوه يعتذرون إليه ، ويقولون : إن هذا لم يقعْ عن ملأٍ منا ، وإنما فعل هذا هؤلاء الأحداث فينا ، فيُقال : إنه أمرَهم باستدراكِ سَقْبها[٢] حتى يُحسنوا إليه عوضاً عنها ، فذهبوا وراءَه ، فصعدَ جبلاً ، فلما تصاعدوا فيه وراءَه ، تعالى الجبلُ حتى ارتفعَ فلا ينالُه الطَّيْرُ ، وبكى الفصيلُ ، حتى سالت دموعه .

ثم استقبلَ صالحاً عليه السلام ، ودعا ثلاثاً ، فعندها قالَ صالح : ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [هود : ٦٥] وأخبرَهم أنَّهم يُصبحون من غَدِهم صُفْراً ، ثم تَحْمَرُّ وجوههم في الثاني ، وفي اليوم الثالث تَسْوَدُّ وجوههم ، فلما كان في اليوم الرابع أتتهم صَيْحةٌ فيها صوتُ كلِّ صاعقةٍ ، فأخذتْهم فأصبحوا في دارهم جاثمين .

وفي بعض هذا السياق نظرٌ ومخالفةٌ لظاهر ما يُفهم من القرآن في شأنهم وقصتهم ، كما قدَّمنا ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

***

(١) المدر : الطين .
(٢) سَقبها : السَّقْب : ولد الناقة .

قصة إبراهيم الخليل
عليه السلام

هو إبراهيم بن تارخ (٢٥٠) ، بن ناحور[١] (١٤٨) ، بن ساروغ (٢٣٠) ، بن أرغو[٢] (٢٣٩) ، ابن فالغ[٣] (٤٣٩) ، بن عابر[٤] (٤٦٤) ، بن شالخ[٥] (٤٣٣) ، بن أرفخشد[٦] (٤٣٨) ، بن سام (٦٠٠) ، بن نوح عليه السلام .

هذا نصُّ أهل الكتاب في كتابهم ، وقد أعلمت على أعمارهم تحت أسمائهم بالهندي ، كما ذكروه من المُددِ ، وقدَّمنا الكلام على عمر نوح عليه السلام فأغنى عن إعادته .

وحكى الحافظُ ابن عساكر في ترجمة إبراهيم الخليل من تاريخه : عن إسحاق بن بشر الكاهلي صاحب كتاب « المبتدأ » : أن اسمَ أم إبراهيم « أميلة » . ثم أورد عنه في خبر ولادتها[٧] له حكايةً طويلةً[٨] ، وقال الكلبيُّ : اسمها : « بونا » بنت كربنا بن كرلي ، من بني أرفخشذ بن سام بن نوح .

وروى ابن عساكر من غير وجه : عن عكرمة ؛ أنه قال : كان إبراهيمُ عليه السلام يُكنَّى أبا الضِّيفان[٩] .

قالوا : ولما كان عمر تارخ خمساً وسبعين سنة ولد له إبراهيم عليه السلام ، وناحور وهاران ، ووُلد لهاران لوط .

وعندهم : أن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط ، وأن هاران ماتَ في حياة أبيه في أرضه التي وُلد فيها ، وهي أرض الكلدانيين ، يعنون أرضَ بابل .

وهذا هو الصحيحُ المشهورُ عند أهل السير والتواريخ والأخبار ، وصحَّحَ ذلك الحافظ ابن عساكر[١٠]

---

(١) في أ : باحور .
(٢) في أ وب : راغو ؛ وأثبت ما في هامش أ . وما يتفق مع تاريخ الطبري ومختصر تاريخ دمشق .
(٣) في نسخة : فالاغ .
(٤) في نسخة : غيبر ، وفي نسخة : عابار .
(٥) في نسخة سالاخ .
(٦) في نسخة : أرفخشاذ .
(٧) في أ : ولادها .
(٨) أخرجه ابن عساكر ، كما في التهذيب (٢/ ١٤١) .
(٩) المصدر السابق (٢/ ١٤٠) .
(١٠) المصدر السابق (٢/ ١٣٧) .

بعدما روى من طريق هشام بن عمّار ، عن الوليد ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول ، عن ابن عباس ، قال : وُلد إبراهيم بغوطةِ دمشقَ في قريةٍ يُقال لها : برزة . في جبل يُقال له : قاسيون . ثم قال : والصحيحُ أنه وُلد ببابل . وإنما نسب إليه هذا المقام لأنَّه صلَّى فيه إذ جاءَ مُعينا للوط عليه السلام .

قالوا : فتزوَّج إبراهيمُ سارَة ، وناحور ملكا ابنة هاران ، يعنون بابنة أخيه .

قالوا : وكانت سارَةُ عاقراً لا تلد . قالوا : وانطلقَ تارخ بابنه إبراهيم وامرأته سارَة وابن أخيه لوط بن هاران ، فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين ، فنزلوا حرَّان ، فمات فيها تارخ وله مئتان وخمسون سنة ، وهذا يدلُّ على أنه لم يُولد بحرَّان ، وإنما مولده بأرض الكلدانيين ، وهي أرضُ بابلَ وما والاها .

ثم ارتحلوا قاصدينَ أرض الكنعانيين ، وهي بلاد بيت المقدس ، فأقاموا بحرَّان ، وهي أرضُ الكلدانيين[1] في ذلك الزمان ، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً ، وكانوا يعبدون الكواكبَ السبعة .

والذين عمروا مدينةَ دمشق كانوا على هذا الدِّين ، يستقبلونَ القطبَ الشمالي ، ويعبدون الكواكبَ السبعةَ بأنواع من الفِعال والمقال ، ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشقَ السبعة هيكلٌ لكوكبٍ منها ، ويعملونَ لها أعياداً وقرابينَ .

وهكذا كانَ أهلُ حرَّان يعبدونَ الكواكبَ والأصنامَ ، وكلُّ من[2] على وجه الأرض كانوا كفَّاراً ، سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام .

وكان الخليلُ عليه السلام هو الذي أزالَ الله به تلك الشرور ، وأبطلَ به ذاك الضلال ، فإن الله سبحانه وتعالى آتاه رشدَه في صِغَره ، وابتعثه رسولاً ، واتَّخذه خليلاً في كِبَره ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥١] أي : كان أهلاً لذلك . وقال تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) كذا في أ و ب ، وفي المطبوع : الكشدانيين .

(٢) كذا في أ و ب : وفي المطبوع : وكلُّ من كان .

يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ١٦ ـ ٢٧] ثم ذكرَ الله تعالى مناظرته لأبيه وقومه ، كما سنذكرُه إن شاء الله تعالى .

وكان أوّل دعوته لأبيه ، وكان أبوه ممن يعبد الأصنامَ ، لأنه أحقُّ النَّاس بإخلاص النصيحة له ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٤١ ـ ٤٨] . فذكرَ تعالى ما كان بينه وبين أبيه من المحاورة والمجادلة ، وكيف دعا أباه إلى الحقِّ بألطفِ عبارةٍ وأحسنِ إشارةٍ وبيَّنَ له بطلانَ ما هو عليه[(١)] من عبادةِ الأوثان ، التي لا تسمعُ[(٢)] دعاءَ عابدِها ، ولا تُبصر مكانَه ، فكيف تُغني عنه شيئاً أو تفعلُ له خيراً من رزقٍ أو نصر ؟ ثم قال مُنبِّهاً[(٣)] على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع ، وإن كان أصغرَ سِنّاً من أبيه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ٤٣] أي : مستقيماً واضحاً سَهْلاً حنيفاً[(٤)] ، يُفْضي بكَ إلى الخير في دنياكَ وأُخراكَ ، فلما عرضَ هذا الرشدَ عليه ، وأهدى هذه النصيحةَ إليه ، لم يقبلْها منه ولا أخذَها عنه ، بل تهدَّده وتوعَّدَه ، قال : ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ [مريم: ٤٦] قيل : بالمقال ، وقيل : بالفعال . ﴿ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤٦] أي : واقطعني ، وأطل هجراني ، فعندها قال له إبراهيم ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ ﴾ أي : لا يَصِلُكَ مني مكروهٌ ، ولا ينالُكَ مني أذىً ، بل أنت سالمٌ من ناحيتي ، وزاده خيراً فقال : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ [مريم : ٤٧] قال ابن عباس وغيره : أي لطيفاً ، يعني في أن هداني لعبادتِه والإخلاص له ، ولهذا قال : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٤٨] وقد استغفرَ إبراهيم عليه السلام ، كما وعده في أدعيته ، فلما تبيَّن له أنه عدوٌّ لله ، تَبرَّأ منه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] .

---

(١) في أ : إليه .

(٢) كذا في ب ، وهي في أ غير مقروءة .

(٣) كذا في ب ، وهي في أ غير مقروءة .

(٤) حنيفاً : مستقيماً على الحق ، مائلاً عن المعتقدات الباطلة .

وقال البخاري[١] : حدَّثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدَّثني أخي عبدُ الحميد ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « يلقى إبراهيمُ أباه آزرَ يوم القيامة ، وعلى وجهِ آزرَ قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ ، فيقول له إبراهيم : ألم أقلْ لكَ : لا تعصني ؟ فيقول له أبوه : فاليوم لا أعصيك . فيقولُ إبراهيم : يا ربِّ ! إنَّكَ وعَدْتني أن لا تُخزني يومَ يُبعثون ، وأيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقولُ الله : إنِّي حرَّمتُ الجنَّة على الكافرين . ثم يُقال : يا إبراهيمُ ما تحتَ رِجْلَيْكَ ؟ فينظرُ فإذا هو بذيخٍ مُلْتَطِخٍ ، فيُؤخذُ بقوائمِه فيُلقى في النَّار » هكذا رواه في قصة إبراهيم منفرداً .

وقال في التفسير[٢] وقال إبراهيمُ بن طَهْمان ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المَقْبُري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة .

وهكذا رواه النسائي[٣] : عن أحمد بن حَفْص[٤] بن عبد الله ، عن أبيه ، عن إبراهيمَ بن طَهْمان ، به .

وقد رواه البزار[٥] : من حديث حمَّاد بن سلمةَ ، عن أيُّوب ، عن محمّد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، بنحوه . وفي سياقه غرابةٌ . ورواه أيضاً[٦] : من حديث قتادة ، عن عُقْبة بن عبد الغافر ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ : بنحوه .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٧٤] هذا يدلُّ على أنَّ اسمَ أبي إبراهيم آزر ، وجمهور أهل النسب ـ منهم ابن عباس ـ على أن اسم أبيه تارح ، وأهل الكتاب يقولون تارخ بالخاء المعجمة ، فقيل : إنه لُقِّبَ بصنم كان يعبدُه اسمه آزر .

وقال ابن جرير[٧] : والصواب أن اسمَه آزر ، ولعلَّ له اسمان علمان ، أو أحدهما لقب والآخر علم .

وهذا الذي قاله محتمل ، والله أعلم .

---

(١) في صحيحه (٣٣٥٠) في الأنبياء .
وقترَة : غبرة شديدة ، بحيث يسوِّد الوجه . وغَبَرة : ما يعلو الوجه من الغبار . بذيخ : الذِّيخ : ذكرُ الضِّباع .
(٢) من صحيحه (٤٧٦٨) .
(٣) في السنن الكبرى (١١٣٧٥) .
(٤) في أ : أحمد بن عبد الله بن حفص ، وهو خطأ .
(٥) كما في كشف الأستار (٩٧) .
(٦) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٩٤) وقال البزار : لا نعلم رواه إلا التيمي ، ولا عنه إلا ابنه ، وهو حديث غريب .
(٧) في تفسيره (٥/٢٣٩ ـ ٢٤٠) .

ثم قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٧٥ ـ ٨٣] وهذا المقامُ مقام مناظرةٍ لقومه ، وبيان لهم أن هذه الأجرام المُشاهدة من الكواكب النَّيِّرة لا تصلحُ للألوهية ، ولا أن تُعبد مع الله عزَّ وجلَّ ، لأنها مخلوقةٌ مربوبةٌ مصنوعةٌ ، مُدبَّرةٌ مُسخَّرة ، تطلعُ تارة ، وتأفُل(١) أخرى ، فتغيب عن هذا العالم ، والربُّ تعالى لا يغيبُ عنه شيءٌ ، ولا تخفى عليه خافية ، بل هو الدائمُ الباقي بلا زوال ، لا إله إلا هو ، ولا ربَّ سواه .

فبيَّن لهم أولاً عدمَ صلاحيةِ الكواكب(٢) لذلك ، قيل : هو الزهرة ، ثم ترقَّى منها إلى القَمر الذي هو أضوأ منها وأبهى من حسنها ، ثم ترقَّى إلى الشمس التي هي أشدُّ الأجرام المشاهدة ضياءً وسناءً وبهاءً ، فبيَّن أنها مُسخَّرة مُقدَّرة مربوبة ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] ولهذا قال : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ أي : طالعة ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ ﴾ [الأنعام : ٧٨ ـ ٨٠] . أي : لستُ أبالي في هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله ، فإنها لا تنفع شيئاً ، ولا تسمع ، ولا تعقل ، بل هي مربوبة مُسخَّرة كالكواكب ونحوها ، أو مصنوعةٌ منحوتة منجورة .

والظاهر أنَّ موعظتَه هذه في الكواكب لأهل حرَّان ، فإنهم كانوا يعبدُونها ، وهذا يردُّ قولَ منْ زعمَ أنَّه قال هذا حين خرجَ من السرب لما كانَ صغيراً ، كما ذكره ابن إسحاق وغيره ، وهو مستندٌ إلى أخبار إسرائيلية لا يُوثَق بها ، ولا سيما إذا خالفتِ الحقَّ .

---

(١) تأفل : تغيب .

(٢) في الأصل : عدم صلاحية الكوكب ، قيل هو الزهرة لذلك . وأثبت ما في المطبوع .

وأما أهلُ بابلَ فكانوا يعبدونَ الأصنامَ ، وهم الذين ناظرَهم في عبادتِها وكسَّرها عليهم ، وأهانَها وبيَّنَ بطلانها ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٥] .

وقال في سورة الأنبياء : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥١ ـ ٧٠] .

وقال في سورة الشعراء : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الشعراء : ٦٩ ـ ٨٣] .

وقال تعالى في سورة الصافات : ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات : ٨٣ ـ ٩٨] .

يخبرُ اللهُ تعالى عن إبراهيم خليله عليه السلام ، أنَّه أنكرَ على قومه عبادةَ الأوثان ، وحقَّرها عندهم ، وصغَّرها وتنقَّصها ، فقال : ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥٢] أي : مُعتكفون عندها ، وخاضعون لها ، قالوا : ﴿ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥٣] ما كانَ حجَّتهم إلا صنيع الآباء والأجداد ، وما كانوا عليه من عبادة الأنداد ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنبياء : ٥٤] كما قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات : ٨٥ ـ ٨٧]

قال قتادة : فما ظنُّكم به أنَّه فاعلٌ بكم إذا لقيتُموه وقد عبدتُم غيره[١] ؟

وقال لهم ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٧٢ ـ ٧٤] سلَّموا له أنها لا تسمعُ داعياً ولا تنفعُ ، ولا تضرُّ شيئاً ، وإنما الحاملُ لهم على عبادتِها الاقتداء بأسلافهم ، ومن هو مثلهم في الضلال من الآباء الجهَّال ، ولهذا قال لهم ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٥ ـ ٧٧] وهذا برهانٌ قاطعٌ على بطلان إلٓهية ما ادَّعَوه من الأصنام ، لأنه تبرَّأ منها وتنقَّصَ بها ، فلو كانت تضرُّ لضرَّته ، أو تُؤثِّرُ لأثَّرتْ فيه .

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥٥] يقولون : هذا الكلام الذي تقوله لنا وتتنقَّصُ به آلهتنا ، وتطعنُ بسببه في آبائنا ، تقولُه مُحقّاً جادّاً فيه أم لاعباً ؟ ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥٦] يعني بل أقول لكم ذلك جادّاً مُحقّاً ، وإنما إلٓهكم الله الذي لا إلَه إلا هو ، هو ربُّكم وربُّ كلِّ شيءٍ فاطر السموات والأرض ، الخالق لهما على غير مثال سبق ، فهو المستحقُّ للعبادة وحدَه لا شريكَ له ، وأنا على ذلكم من الشاهدين .

وقوله : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥٧] أقسمَ ليكيدنَّ هذه الأصنامَ التي يَعبدونها بعدَ أن يولُّوا مدبرينَ إلى عيدهم . قيل : إنه قال هذا خفيةً في نفسه . وقال ابن مسعود : سمعَه بعضُهم وكان لهم عيدٌ يذهبون إليه في كلِّ عام مرَّةً إلى ظاهر البلد ، فدعاه أبوه ليحضرَه ، فقال : إني سقيم ، كما قال تعالى : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٨ ـ ٨٩] عرَّض لهم في الكلام حتى توصَّل إلى مقصوده من إهانة أصنامهم ، ونُصرة دين الله الحقِّ في بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام ، التي تستحقُّ أن تُكسرَ ، وأن تُهانَ غايةَ الإهانة .

فلمَّا خرجوا إلى[٢] عيدهم ، واستقرَّ هو في بلدهم : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ [الصافات : ٩١] أي : ذهبَ إليها مُسرعاً مُستخفياً ، فوجدَها في بهوٍ عظيم ، وقد وَضعُوا بين أيديها أنواعاً من الأطعمة قرباناً إليها ﴿ فَقَالَ ﴾ لها على سبيل التَّهكُّم والازدراء : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الصافات : ٩١ ـ ٩٣] لأنها أقوى وأبطشُ وأسرعُ وأقهرُ ، فكسَّرها بقَدُوم في يده كما قال تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾ [الأنبياء : ٥٨] أي : حُطاماً ، كسَّرها كلَّها ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥٨] قيل : إنه وضعَ القَدُوم في يد الكبير ، إشارةً إلى أنَّه غارَ أن تُعبدَ معه هذه الصغار ، فلما رجعُوا من عيدهم ووجدوا ما حلَّ بمعبودهم ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥٩] .

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٧٨) .

(٢) كذا في ب ، وفي أ : من عيدهم .

وهذا فيه دليلٌ ظاهر لهم لو كانوا يعقلون ، وهو ما حلَّ بآلهتهم التي كانوا يعبدُونها ، فلو كانت آلهةً لدفعتْ عن أنفسها منْ أرادَها بسوءٍ ، لكنَّهم قالوا من جهلهم وقلَّة عقلهم ، وكثرةِ ضلالهم وخَبالهم ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء : ٥٩ ـ ٦٠] أي : يذكرها بالعيب والتَّنقُّص لها والازدراء بها ، فهو المقيم عليها والكاسرُ لها . وعلى قول ابن مسعود ، أي : يذكرُهم بقوله : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥٧] ﴿ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦١] أي : في الملأ الأكبر على رؤوس الأشهاد ، لعلَّهم يشهدون مقالتَه ، ويسمعونَ كلامَه ، ويُعاينون ما يحلُّ به من الاقتصاص منه .

وكان هذا أكثرَ مقاصدِ الخليل عليه السلام أن يجتمعَ النَّاسُ كلُّهم ، فيقيمَ على جميع عُبَّاد الأصنام الحجَّةَ على بُطلان ما هم عليه ، كما قال موسى عليه السلام لفرعون : ﴿ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه : ٥٩] .

فلما اجتمعوا وجاؤوا به كما ذكروا ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء : ٦٢-٦٣] قيل : معناه هو الحامل لي على تكسيرها ، وإنما عرَّضَ لهم في القول ﴿ فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٣] وإنما أرادَ بقوله هذا أن يُبادروا إلى القول بأن هذه لا تنطقُ ، فيعترفوا بأنَّها جمادٌ كسائرِ الجمادات ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٤] أي : فعادوا على أنفسهم بالملامة ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمون ، أي : في تركها لا حافظَ لها ، ولا حارسَ عندها ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾ قال السُّدي : أي : ثم رجعوا إلى الفتنة فعلى هذا يكون قولهم ﴿ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي : في عبادتها . وقال قتادة : أدركتِ القومَ حيرةُ سوء ، أي : فأطرقوا ثم قالوا : ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٥] أي : لقد علمت يا إبراهيمُ أن هذه لا تنطقُ ، فكيف تأمرُنا بسؤالها ؟ فعندَ ذلك قال لهم الخليل عليه السلام : ﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٦ ـ ٦٧] كما قال : ﴿ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴾ [الصافات : ٩٤] قال مجاهد : يُسرعون . قال : ﴿ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴾ [الصافات : ٩٥] أي : كيف تعبدون أصناماً أنتم تنحتونها من الخشب والحجارة ، وتصوِّرونها وتُشكِّلونها كما تُريدون ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] وسواءٌ كانت ما مصدرية ، أو بمعنى الذي ، فمقتضى الكلام أنَّكم مخلوقون ، وهذه الأصنامُ مخلوقةٌ ، فكيف يعبدُ مخلوقٌ لمخلوقٍ مثله ؟ فإنه ليس عبادتكم لها بأولى من عبادتِها لكم . وهذا باطلٌ ، فالآخر باطل للتحكُّم ، إذ ليست العبادة تصلحُ ولا تجبُ إلا للخالق وحده لا شريكَ له .

﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ۝٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ [الصافات : ٩٧ ـ ٩٨] عَدلُوا عن الجِدال والمناظرة لمَّا انقطعوا وغُلبوا ، ولم تبقَ لهم حجَّة ولا شُبهة إلا استعمال قوَّتهم وسلطانهم ،

لينصروا ما هم عليه من سَفَههم وطُغيانهم ، فكادَهم الربُّ جلَّ جلالُه ، وأعلى كلمته ودينه وبرهانَه ، كما قال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٦٨ ـ ٧٠] .

وذلك أنَّهم شرعوا يجمعون حَطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن ، فمكثُوا مدَّة يجمعون له ، حتى أن المرأة منهم كان إذا مرضت تنذرُ لئن عُوفيت لتحملنَّ حطباً لحريق إبراهيم . ثم عمدوا إلى جَوْبة[١] عظيمةٍ ، فوضعوا فيها ذلك الحطبَ ، وأطلقوا فيه النَّار ، فاضْطَّرمتْ وتأجَّجتْ والتهبتْ ، وعلا لها شَرَرٌ لم يُرَ مثله قط .

ثم وضعوا إبراهيمَ عليه السلام في كِفَّة مَنْجنيق[٢] ، صنعَه لهم رجلٌ من الأكراد[٣] ، ويُقال له : « هيزن » ، وكان أوَّلَ من صنعَ المجانيقَ ، فخسفَ الله به الأرضَ فهو يتجلجلُ[٤] فيها إلى يوم القيامة .

ثم أخذوا يُقيِّدونه ويُكَتِّفُونهُ ، وهو يقول : لا إله إلا أنت سبحانك ، لك الحمد ، ولك الملك ، لا شريكَ لك . فلما وُضعَ الخليلُ عليه السلام في كِفَّة المَنْجنيق مُقيَّداً مكتوفاً ، ثم ألقَوه منه إلى النار ، قال : حسبنا الله ونعم الوكيل . كما روى البخاريُّ[٥] : عن ابن عباس : أنه قال : حسبُنا الله ونعمَ الوكيل ، قالها إبراهيمُ حين أُلقيَ في النَّار ، وقالها محمَّد حين قيل له ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٤] الآية .

وقال أبو يعلى : حدَّثنا أبو هشام الرفاعي ، حدَّثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال ﷺ : « لما أُلقي إبراهيمُ في النَّار قال : اللَّهُمَّ إنك في السماء واحدٌ ، وأنا في الأرض واحدٌ ، أعبدُك »[٦] .

وذكر بعضُ السَّلف : أنَّ جبريلَ عرضَ له في الهواء ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال : أمَّا إليكَ فلا[٧] .

---

(١) جَوْبة : الجَوْبة : هي الحفرة المستديرة الواسعة ، وكلُّ مُنْفتق بلا بناءٍ جَوْبة . وبهامش ب : قال الجلال السيوطي في مختصر النهاية : وصارت المدينة مثل الجوبة ، هي الحفرة الواسعة ، وكل منفتق بلا بناء جوبة .

(٢) مَنْجنيق : بفتح الميم وكسرها : آلة قديمة من آلات الحصار ، تُرمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها .

(٣) انظر تفسير الطبري (٩/ ٤٢) .

(٤) يتجلجلُ : يغوص في الأرض حين يُخسف به ، والجلجلة : حركة مع صوت .

(٥) أخرجه البخاري (٤٥٦٣) في التفسير .

(٦) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٩) ، والبزار كما في كشف الأستار (٢٣٤٩) وفي سنده عاصم بن أبي النجود ، وهو عاصم بن بهدلة ، وهو صدوق له أوهام . حجة في القراءة ، وحديثه في الصحيحين مقرون .

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠) من قول مقاتل وسعيد ، وهذا من الإسرائيليات ، من رواية كعب الأحبار ، وهو غير صحيح ، ومخالف لما رواه البخاري كما تقدم قبل قليل .

ويُروى عن ابن عبَّاس وسعيد بن جُبَيْر : أنَّه قال : جعل ملَكُ المَطر يقولُ : متى أُومرُ فأُرسِلُ المَطَرَ ؟ فكانَ أمرُ الله أسرع[١] .

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] قال عليُّ بن أبي طالب : أي : لا تضرّيه[٢] .

وقال ابن عباس وأبو العالية : لولا أن الله قال ﴿ وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ لأذى إبراهيم بردُها .

وقال كعبُ الأحبار : لم ينتفعْ أهلُ الأرض يومئذٍ بنارٍ ، ولم يُحْرقْ منه سوى وَثَاقه[٣] .

وقال الضحاك : يروى أنَّ جبريل عليه السلام كان معه يمسحُ العرقَ عن وجههِ لم يصبْه منها شيءٌ غيره[٤] .

وقال السُّدِّي : كان معه أيضاً مَلَكُ الظِّل[٥] .

وصارَ إبراهيمُ عليه السلام في مثل الجُوبة حولَه النار ، وهو في روضةٍ خضراءَ ، والنَّاسُ ينظرون إليه لا يَقْدرونَ إلى الوصول إليه ، ولا هو يخرجُ إليهم ، فعن أبي هريرة أنه قال : أحسنُ كلمةٍ قالها أبو إبراهيم إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال : نعمَ الربُّ ربُّك يا إبراهيم[٦] .

وروى ابن عساكر عن عكرمة ، أنَّ أمَّ إبراهيم نظرتْ إلى ابنها عليه السلام ، فنادته : يا بُنيَّ إنِّي أُريد أن أجيءَ إليكَ ، فادعُ اللهَ أنْ يُنجيَني من حرِّ النَّارِ حولك . فقال : نعم ، فأقبلتْ إليه لا يمسُّها شيءٌ من حرِّ النَّار ، فلما وصلتْ إليه اعتنقتْه وقبَّلته ، ثم عادت[٧] .

وعن المِنْهال بن عمرو أنَّه قال : أخبرتُ أنَّ إبراهيم مكثَ هناكَ إمَّا أربعين وإما خمسينَ يوماً ، وأنَّه قال : ما كنتُ أياماً ولياليَ أطيبَ عيشاً ، إذ كنتُ فيها ، وددتُ أنَّ عيشي وحياتي كلَّها مثل إذ كنت فيها[٨] ، صلوات الله وسلامه عليه .

فأرادوا أن ينتصروا فخذلُوا ، وأرادوا أن يرتفعوا فاتَّضعُوا ، وأرادوا أن يَغْلبُوا فغُلبوا . قال الله تعالى: ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٠] وفي الآية الأخرى ﴿ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات : ٩٨]

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٤٣) .
(٢) المصدر السابق (٩/ ٤٣) .
(٣) المصدر السابق (٩/ ٤٣) .
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٤٠) .
(٥) المصدر السابق (٥/ ٦٤٠) .
(٦) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٤٣) .
(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢/ ١٤٥) تهذيب .
(٨) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٩/ ٤٣) .

ففازوا بالخسارة والسفال هذا في الدنيا ، وأما في الآخرة فإن نارهم لا تكون عليهم برداً ولا سلاماً ، ولا يلقون فيها تحية ولا سلاماً بل هي كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٦] .

قال البخاري[١] : حدَّثنا عبدُ الله بن موسى ـ أو ابنُ سلام عنه ـ أنبأنا ابنُ جريج ، عن عبدِ الحميدِ بن جُبَيْر ، عن سعيدِ بن المُسَيِّب ، عن أمِّ شُرَيْك ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ بقتل الوَزَغِ ، وقال : « كانَ ينفخُ على إبراهيم عليه السلام » .

ورواه مسلم[٢] : من حديث ابن جُرَيْج .

وأخرجاه ، والنسائي ، وابن ماجه[٣] : من حديث سُفيان بن عُيَيْنة ، كلاهما عن عبد الحميد بن جُبَيْر بن شَيْبَة به .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا محمَّدُ بن بَكْر ، حدَّثنا ابن جُرَيْج ، أخبرني عبدُ الله بن عبد الرحمن بن أبي أُميَّة ، أنَّ نافعاً مولى ابن عمر أخبرَه ، أنَّ عائشةَ أخبرته ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « اقتلُوا الوَزَغَ ، فإنَّه كانَ ينفخُ النَّارَ على إبراهيم » . قال : فكانتْ عائشةُ تقتلُهنَّ .

وقال أحمد[٥] : حدَّثنا إسماعيلُ ، حدَّثنا أيُّوب ، عن نافع ؛ أنَّ امرأةً دخلتْ على عائشةَ ، فإذا رمحٌ منصوبٌ ، فقالت : ما هذا الرُّمحُ ؟ فقالت : نقتلُ به الأوزاغ . ثمَّ حدَّثتْ عن رسول الله ﷺ أنَّ إبراهيمَ لما أُلقي في النَّار ، جعلتِ الدوابُّ كُلها تُطفىء عنه إلا الوَزَغ ، فإنَّه جعلَ ينفخُها عليه .

تفرَّد به أحمدُ من هذين الوجهين .

وقال أحمد[٦] : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا جريرُ ، حدَّثنا نافعُ ، حدَّثتني سائبة[٧] ـ مولاة الفاكِه بن المغيرة ـ قالت : دخلتُ على عائشةَ فرأيتُ في بيتها رُمحاً موضوعاً ، فقلت : يا أمَّ المؤمنينَ ما تصنعينَ بهذا الرُّمحِ ؟ قالت : هذا لهذه الأوزاغِ نقتلُهنَّ به ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ حدَّثنا أنَّ إبراهيمَ حين أُلقيَ في النَّار ، لم يكنْ في الأرض دَابَّةٌ إلا تُطفىءُ عنه النَّار ، غيرَ الوَزَغ كانَ ينفخُ عليه ، فأمرنا رسولُ الله ﷺ بقتله .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٩) في الأنبياء ، والوزغ : سامٌّ أبرص .
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣٧) (١٤٣) في السلام .
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٩) في أحاديث الأنبياء ، ومسلم (٢٢٣٧) (١٤٣) في السلام ، والنسائي (٥/ ٢٠٩) في مناسك الحج ، وابن ماجه (٣٢٢٨) في الصيد .
(٤) في المسند (٦/ ٢٠٠) .
(٥) في المسند (٦/ ٢١٧) .
(٦) في المسند (٦/ ٨٣) ، وهو حديث حسن .
(٧) في أ : سمامة ، وفي ب : شماسة ، والتصحيح من المسند (٦/ ٨٣) .

ورواه ابن ماجه[١] : عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد ، عن جرير بن حازم ، به .

***

ذكرُ مناظرة إبراهيم الخليل مع مَنْ أرادَ أن ينازعَ العظيمَ الجليلَ في إزار العظمة ورداء الكبرياء ، فادَّعى الربوبيَّة ، وهو أحدُ العبيد الضعفاء

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

يذكرُ تعالى مناظرةَ خليله مع هذا المَلكِ الجبَّار المتمرِّد ، الذي ادَّعى لنفسه الربوبيةَ ، فأبطلَ الخليلُ عليه السلام دليلَه ، وبيَّن كثرةَ جَهْلِه ، وقِلَّةَ عَقْلِه ، وألجمَه الحُجَّة ، وأوضحَ له طريقَ المحجَّة .

قال المفسرون وغيرُهم من علماء النسب والأخبار : وهذا المَلكُ هو مَلِكُ بابلَ ، واسمُه النمرود بن كنعانَ بن كوش بن سام بن نوح ، قاله مجاهد[٢] . وقال غيرُه[٣] : نمرود بن فالح بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح .

قال مجاهد[٤] وغيره : وكان أحدَ ملوك الدنيا ، فإنه قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعةٌ ، مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان : ذو القَرْنين وسُليمان . والكافران : النمرود وبختنصر . وذكروا أن نمرودَ هذا استمرَّ في ملكه أربعمئة سنة ، وكان قد طغى وبغى ، وتجبَّر وعتى وآثر الحياةَ الدنيا .

ولما دعاه إبراهيمُ الخليلُ إلى عبادة الله وحدَه لا شريكَ له ، حملَه الجهلُ والضَّلالُ وطولُ الآمالِ على إنكار الصانع ، فحاجَّ إبراهيمَ الخليلَ في ذلك ، وادَّعى لنفسه الربوبية ، فلما قال الخليل : ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

قال قتادة والسُدِّي ومحمد بن إسحاق : يعني أنه إذا أُتي بالرجلين قد تحتَّم قَتْلُهما ، فإذا أمرَ بقتل أحدهما وعفا عن الآخر ، فكأنَّه قد أحيا هذا وأمات الآخر[٥] .

وهذا ليس بمعارضةٍ للخليل ، بل هو كلام خارجيٌّ عن مقام المناظرة ، ليس بمنع ولا بمعارضة ، بل

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٢٣١) في الصيد ، وهو حديث حسن .
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٥) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥) .
(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٥) .
(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٢٧) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥) .
(٥) تفسير الطبري (٣/ ٢٧) والدر المنثور (٢/ ٢٥) .

هو تشغيب[1] محض ، وهو انقطاعٌ في الحقيقة ، فإن الخليلَ استدلَّ على وجود الصانع بحدوثِ هذه المشاهداتِ ، من إحياء الحيواناتِ وموتِها على وجود فاعل ذلك الذي لا بُدَّ من استنادِها إلى وجوده ضرورةً عدم قيامها بنفسها ، ولا بدَّ من فاعلٍ لهذه الحوادث المشاهدة من خَلْقِها وتسخيرها ، وتسيير هذه الكواكب والرِّياح والسَّحاب والمطر ، وخلق هذه الحيوانات التي تُوجد مشاهدةً ، ثم إماتتُها ، ولهذا ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] فقول هذا الملك الجاهل : ﴿ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] إنْ عنى أنَّه الفاعلُ لهذه المشاهدة ، فقد كابرَ وعاندَ ، وإن عنى ما ذكرَه قتادةُ والسُّدِّي ومحمد بن إسحاق ، فلم يقلْ شيئاً يتعلَّقُ بكلام الخليل ؛ إذ لم يمنع مُقدِّمةً ، ولا عارضَ الدليلَ .

ولما كانَ انقطاعُ مناظرة هذا المَلِكِ قد تخفَى على كثيرٍ من النَّاس ممن حضرَه وغيرهم ، ذكرَ دليلاً آخرَ بيَّنَ وجودَ الصَّانع ، وبُطلان ما ادَّعاه النمرودُ ، وانقطاعَه جهرة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] أي : هذه الشمس مُسخَّرةٌ كلَّ يوم تطلعُ من المشرقِ كما سخَّرها خالقُها ومُسَيِّرُها وقاهِرُها ، وهو الله الذي لا إلهَ إلا هو خالقُ كلِّ شيء ، فإن كنتَ كما زعمتَ من أنَّكَ الذي تُحيي وتُميت فأتِ بهذه الشمس من المغرب ، فإن الذي يُحيي ويُميت هو الذي يفعلُ ما يشاءُ ، ولا يُمانَعُ ولا يُغالبُ ، بل قد قهرَ كلَّ شيءٍ ، ودانَ له كلُّ شيءٍ ، فإنْ كنتَ كما تزعمُ فافعلْ هذا ، فإن لم تفعله فلستَ كما زَعمْتَ ، وأنت تعلمُ وكلُّ أحد أنَّك لا تقدرُ على شيءٍ من هذا ، بل أنت أعجزُ وأقلُّ من أنْ تخلقَ بعوضةً أو تنتصرَ منها . فبيَّن ضلالَه وجهلَه وكذبَه فيما ادَّعاه ، وبطلان ما سلكه وتبجَّح به عند جَهلة قومه ، ولم يبق له كلامٌ يُجيب الخليلَ به ، بل امتنعَ وسكتَ ، ولهذا قال : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

وقد ذكرَ السُّدِّي[2] : أنَّ هذه المناظرة كانت بين إبراهيمَ وبينَ النمرود يومَ خرجَ من النَّارِ ، ولم يكن اجتمعَ به يومئذٍ ، فكانت بينهما هذه المناظرة .

وقد روى عبدُ الرزاق : عن معمر ، عن زيد بن أسلم ؛ أن النمرودَ كان عندَه طعامٌ ، وكان النَّاسُ يَفِدُون إليه للميرة ، فوفدَ إبراهيمُ في جملة منْ وفدَ للمِيرة ، فكان بينهما هذه المناظرة ، ولم يُعْطَ إبراهيمُ من الطعام كما أُعطي النَّاسُ بل خرجَ وليس معه شيءٌ من الطعام ، فلما قربَ من أهله عمدَ إلى كثيبٍ من التراب فملأ منه عدليْه[3] ، وقال : أشغل أهلي إذا قدمتُ عليهم ، فلما قدمَ وضعَ رحالَه وجاء فاتَّكأ فنامَ ، فقامتْ امرأتُه سارَةُ إلى العِدْلين ، فوجدتهما ملآنين طعاماً طيِّباً ، فعملت منه طعاماً . فلما استيقظَ إبراهيمُ

(١) تشغيب : تهييج للشر ، وتشويه للحقيقة .
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥ ـ ٢٦) .
(٣) عدليْه : العِدْل : الكيس والحِمْل يكونُ على أحد جنبي البعير .

وجدَ الذي قد أصلحُوه ، فقال : أنَّى لكم هذا ؟ قالت : من الذي جئتَ به ، فعرفَ أنَّه رزقٌ رزَقَهموه الله عز وجل .

قال زيدُ بن أسلم : وبعثَ الله إلى ذلك المَلِك الجبَّار ملَكا فأمره بالإيمان بالله ، فأبى عليه ، ثم دعاه الثانية ، فأبى عليه ، ثم الثالثة ، فأبى . وقال : اجمعْ جموعَك وأجمعُ جموعي ، فجمعَ النمرودُ جيشَه وجنودَه وقتَ طُلوعِ الشمس ، فأرسلَ الله عليه ذباباً من البَعوض ، بحيثُ لم يرَوا عينَ الشمسَ ، وسلَّطها الله عليهم ، فأكلتْ لحومَهم ودماءَهم ، وتركتْهم عظاماً باديةً ، ودخلتْ واحدةٌ منها في مِنْخر المَلكِ ، فمكثتْ في منخريه أربعمئة سنة ، عذَّبه الله تعالى بها ، فكان يضربُ رأسه بالمرازب[١] في هذه المدة كلها حتى أهلكَه الله عزَّ وجلَّ بها[٢] .

* * *

ذكرُ هجرة الخليل عليه السلام إلى بلاد الشام ودخوله الديار المصرية ، واستقرارِه بالأرض المقدَّسة

قال الله تعالى : ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلۡـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٦ ـ ٢٧] وقال تعالى : ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِى بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةًۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١ ـ ٧٣] لما هجرَ قومَه في الله ، وهاجرَ من بينِ أظهرهم ، وكانت امرأتُه عاقراً لا يُولد لها ، ولم يكنْ له من الولد أحدٌ ، بل معه ابنُ أخيه لوطُ بن هاران بن آزر ، وهبَه الله تعالى بعد ذلك الأولادَ الصالحينَ ، وجعلَ في ذُريَّتهِ النبوة والكتاب ، فكلُّ نبيٍّ بُعِث بعدَه من ذُريَّته ، وكلُّ كتابٍ نزلَ من السماء على نبيٍّ من الأنبياء منْ بعدِه ، فعلى أحد نسلِه وعَقبه خِلعة[٣] من الله وكرامةً له حين تركَ بلادَه وأهلَه وأقرباءَه وهاجرَ إلى بلد يتمكَّن فيها من عبادة ربِّه عزَّ وجلَّ ، ودعوةِ الخلق إليه ، والأرضُ التي قصدَها بالهجرة أرضُ الشام ، وهي التي قال الله عز وجل : ﴿ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِى بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١] قاله أُبيُّ بن كعب[٤] ، وأبو العالية ، وقتادة وغيرهم . وروى[٥] العوفي عن ابن عباس قوله :

---

(١) « المرازب » : جمع مِرْزبة : وهي المطرقة الكبيرة ، ويقال له : الإرزبَّة : بالهمز والتشديد .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٢٧) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤ ـ ٢٥) .
(٣) « خِلْعةً » : عطيَّة .
(٤) انظر الدر المنثور ؛ للسيوطي (٥/ ٦٤٢ ـ ٦٤٣) .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٤٦) .

﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١] مكة ، ألم تسمع إلى قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] . وزعم(١) كعبُ الأحبار أنها حرَّان .

وقد قدَّمنا عن نقل أهل الكتاب : أنَّه خرجَ من أرض بابلَ ، هو وأبوه وابن أخيه لوط ، وأخوه ناحور ، وامرأة إبراهيم سارَة ، وامرأة أخيه ملكا ، فنزلوا حرَّان ، فمات تارخُ أبو إبراهيمَ بها .

وقال السُّدِّي(٢) : انطلقَ إبراهيم ولوط قِبَلَ الشَّام فلقِيَ إبراهيمُ سارَةَ ـ وهي ابنة مَلِكِ حرَّان ـ وقد طعنت على قومِها في دينهم(٣) ، فتزوَّجها على ألاَّ يُغيِّرَها(٤) . رواه ابن جرير وهو غريب .

والمشهورُ أنها ابنة عمِّه هاران ، الذي تُنسب إليه حرَّان ، ومنْ زعمَ أنها ابنة أخيه هاران أخت لوط ، كما حكاه السُّهيلي عن القُتَيبيِّ وَالنَّقَّاش ، فقد أبعدَ النُّجْعَة ، وقال بلا علم ؛ وادَّعى أن تزويجَ بنت الأخ كان إذ ذاك مشروعاً ، فليس له على ذلك دليل . ولو فُرِضَ أن هذا كان مشروعاً في وقتٍ كما هو منقولٌ عن الربَّانيِّين من اليهود ، فإن الأنبياءَ لا تتعاطاه ، والله أعلم .

ثم المشهورُ أنَّ إبراهيمَ عليه السلام لمَّا هاجرَ من بابلَ خرجَ بسارَةَ مهاجراً من بلاده كما تقدَّم ، والله أعلم .

وذكرَ أهلُ الكتاب أنَّه لما قدمَ الشام أوحى الله إليه : إني جاعل هذه الأرض لخلفك من بعدك فابتنى إبراهيمُ مذبحاً لله ، شكراً على هذه النعمة ، وضربَ قبَّته شرقي بيت المقدس ، ثم انطلقَ مُرتحلاً إلى التيمُّن ، وأنه كان جوعٌ ، أي : قَحْطٌ وشِدَّةٌ وغَلاء ، فارتحلَ إلى مصرَ ، وذكروا قصَّة سارَة مع ملكها ، وأن إبراهيمَ قال لها قولي : أنا أُختُه ، وذكروا إخدامَ الملك إياها هاجرَ ، ثم أخرجهم منها ، فرجعوا إلى بلاد التَّيمن ـ يعني أرض بيت المقدس وما والاها ـ ومعه دوابّ وعبيدٌ وأموال .

وقد قال البخاري : حدَّثنا محمد بن محبوب ، حدَّثنا حمَّاد بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن محمد ، عن أبي هريرةَ قال : لم يكذبْ إبراهيمُ إلا ثلاثَ كَذبات : ثنتان منهنَّ في ذاتِ الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٩] وقوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء : ٦٣] وقال : بينا هو ذات يومٍ وسارَةُ إذ أتى على جبَّار من الجبَابرة ، فقيل له : هاهنا رجلٌ معه امرأةٌ من أحسن الناس ، فأرسلَ إليه وسألَه عنها ، فقال : منْ هذه ؟ قال : أختي ، فأتى سارَة ، فقال : يا سارَةُ ليس على وجهِ الأرضِ مؤمنٌ غيري

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/٦٤٣) .
(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/٤٥ ـ ٤٦) .
(٣) كذا في ب . وفي أ : على قومها دينهم .
(٤) كذا في أ وب وتفسير الطبري (٩/٤٦) وبهامشه : كذا في الأصل ، وفي ابن كثير على أن يفرَّ بها .
ومعنى : ألا يُغيِّرها : ألا يُطلِّقها ، ولا يتزوج عليها غيرها إلا بإذنها .

وغيركِ ، وإنَّ هذا سألني فأخبرتُه أنَّك أُختي فلا تُكذِّبيني ، فأرسلَ إليها ، فلما دَخَلَتْ عليه ذهبَ يتناولُها بيده ، فأخـذ . فقال : ادعي اللهَ لي ولا أضرُّك ، فدعت اللهَ فأُطلقَ ، ثمَّ تناولَها الثانيةَ فأُخذَ مثلها أو أشدَّ ، فقـال : ادعي الله لي ولا أضرُّكِ فدعتْ فأطلق ، فدعـا بعضَ حَجَبَتِه ، فقال : إنكم لم تأتوني بإنسانٍ وإنما أتيتموني بشيطان ، فأخدمَها هاجرَ ، فأتته وهو قائمٌ يُصلِّي ، فأومأ بيده : مَهْيم . فقالت : ردَّ الله كيدَ الكافر ـ أو الفاجر ـ في نَحْرِه ، وأخدمَ هاجرَ . قال أبو هريرة : فتلكَ أمُّكم يا بني ماء[1] السماء[2] . تفرَّد به من هذا الوجه موقوفاً .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزَّار : عن عمرو بن علي الفَلاس ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن هشام بن حسَّان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ إبراهيمَ لم يكذبْ قطُّ إلا ثلاثَ كذبات ، كلُّ ذلك في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٩] وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء : ٦٣] وبينما هو يسيرُ في أرضِ جبَّار من الجَبابرة ، إذ نزلَ منزلاً ، فأتي الجبَّارُ فقيل له : إنَّه قد نزلَ هاهنا رجلٌ معه امرأةٌ من أحسنِ النَّاس . فأرسلَ إليه ، فسأله عنها ، فقال : إنَّها أُختي . فلما رجعَ إليها ، قال : إنَّ هذا سألني عنكِ ، فقلتُ : إنَّك أختي ، وإنه ليس اليومَ مسلمٌ غيري وغيرك ، وإنك أختي فلا تُكذِّبيني عندَه ، فانطلقَ بها ، فلما ذهبَ يتناولها أُخذ ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرُّك فدعتْ له فأُرسل ، فذهبَ يتناولُها فأُخذ مثلَها أو أشدَّ منها ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرُّك ، فدعتْ فأُرسل ، ثلاث مرات . فدعا أدنى حَشَمِه ، فقال : إنك لم تأتني بإنسان ولكنْ أتيتني بشيطان ، أخرجْها وأعطِها هاجرَ . فجاءتْ وإبراهيمُ قائمٌ يُصلِّي ، فلمّا أحسَّ بها انصرفَ ، فقال : مَهْيَم ؟ فقالت : كفى الله كَيْدَ الظَّالمِ ، وأخْدمني هاجرَ[3] .

---

(١) في هامش ب : قال الجلال السيوطي في « مختصر النهاية » يا بني ماء السماء : يُريد العربَ ، لأنهم كانوا يتبعون قطرَ الماء ، فينزلون حيث كان .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٨) في الأنبياء . وقوله : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات » قال ابن عقيل : دلالة بالعقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم . وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله ، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه ، فكيف مع وجود الكذب منه ، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع ، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام ـ يعني إطلاق الكذب على ذلك ـ إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه ، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز ، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعاً لأعظمهما ، وأما تسمية إياها كذبات ، فلا يريد أنها تذم ، فإن الكذب وإن قبيحاً مخلاً ، لكنه قد يحسن في مواضع ، وهذا منها . فتح الباري (٦/ ٣٩٢) .

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه بإسناده عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ (٥٧٣٧) الإحسان وهو في مصنف عبد الرزاق (٢٠١٩٥) ومن طريقه أخرجه أحمد (٦/ ١٥٢) وأبو داود (٢٢١٢) في الطلاق ، والنسائي في فضائل الصحابة (٢٩٦) ، والبيهقي (١٠/ ١٩٦) في السنن الكبرى .

وأخرجاه[١] من [غير] حديث هشام .

ثم قال البزار : لا نعلمُ أسندَه عن محمد ، عن أبي هريرة ، إلا هشام ، ورواه غيره موقوفاً[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا عليُّ بن حَفْص ، عن ورقاء ـ هو ابن عمر اليشكري[٣] ـ عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يكذبْ إبراهيمُ إلا ثلاثَ كذبات : قوله حين دُعي إلى آلهتهم ، فقال : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٩] وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء : ٦٣] وقوله لسارة : إنها أختي . قال : ودخلَ إبراهيمُ قريةً فيها مَلِكٌ من الملوك ـ أو جبَّار من الجبابرة ـ فقيل : دخلَ إبراهيمُ الليلةَ بامرأةٍ من أحسنِ النَّاس . قال : فأرسل إليه المَلكُ ـ أو الجبَّارُ ـ مَنْ هذه معكَ ؟ قال : أختي . قال : فأرسلْ بها . قال : فأرسلَ بها إليه ، وقال : لا تُكذِّبي قَوْلي فإني قد أخبرتُه أنَّك أختي ، إنْ على الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك . فلما دخلتْ عليه قامَ إليها ، فأقبلتْ توضأ وتُصلِّي ، وتقول : اللهم إن كنتَ تعلمُ أني آمنتُ بك وبرسولكَ، وأحصنتُ فرجي إلا على زَوْجي، فلا تُسلِّط عليَّ الكافر. قال : فغطَّ[٤] حتَّى ركضَ برجله ». قال أبو الزناد : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة : إنها قالت : اللَّهُمَّ إن يمتْ يُقَل : هي قتلته . قال : فأُرسل . قال : ثم قام إليها . قال : فقامتْ توضَّأ وتُصلِّي وتقول : اللهم إن كنتَ تعلمُ أني آمنتُ بكَ وبرسولكَ ، وأحصنتُ فَرْجي إلا على زَوْجي فلا تُسلِّطْ عليَّ الكافرَ . قال : فغطَّ حتى ركضَ برجلِهِ . قال أبو الزناد : وقال أبو سلمة : عن أبي هريرة : إنها قالت : « اللهم إن يمتْ يقل هي قتلته » . قال : فأُرسل ، قال : فقال في الثالثة ـ أو الرابعة ـ ما أرسلتُم إليّ إلا شيطاناً ، أرجعوها إلى إبراهيمَ ، وأعطوها هاجرَ . قالَ : فرجعتْ ، فقالت لإبراهيم : أشَعَرْتَ أن الله ردَّ كيدَ الكافرين ، وأخدم وليدةً[٥] . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط الصحيح .

وقد رواه البخاري[٦] عن أبي اليمان ، عن شُعيب بن أبي حمزة ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ به مختصراً .

وقال ابن أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا سفيان ، عن عليِّ بن زيد بن جدعان ، عن أبي نَضْرة ، عن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٨٤) في النكاح ، ومسلم (٢٣٧١) في الفضائل .

(٢) أقول: رواه مرفوعاً أيضاً جرير بن حازم عن أيوب، عن ابن سيرين، وروايته في الصحيحين كما في الذي قبله .

(٣) كذا في ب ، وفي أ : هو ابن عمر التسكيك ، وهو خطأ .

(٤) « فغطَّ » : أي نام حتى سُمعَ غطيطه ، والغطيط : الصوت الذي يخرجُ مع نَفَس النائم ، وهو ترديده حيث لا يجدُ مساغاً . وركض برجله : ضرب بها ، وهو دليل الاستغراق بالنوم .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) ، وهو حديث صحيح .

(٦) أخرجه البخاري (٣١٦٦) في التفسير .

أبي سعيد ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ في كلماتِ إبراهيمَ الثلاث التي قال : « ما منها كلمةٌ إلا ما حلَ[1] بها عن دين الله ، فقال : (إني سقيم) وقال : (بل فعلَه كبيرهم هذا) وقال للمَلك حين أراد امرأته : هي أختي »[2] .

فقوله في الحديث : « هي أُختي » أي : في دين الله ، وقوله لها : « إنه ليس على وجهِ الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك » يعني : زوجين مؤمنين غيري وغيرك ، ويتعيَّنُ حملُه على هذا ، لأنَّ لوطاً كانَ معهم ، وهو نبيٌّ عليه السلام .

وقوله لها لما رجعتْ إليه : مَهْيَم ، معناه : ما الخبرُ ؟ فقالت : إن الله رد كيد الكافرين . وفي رواية : الفاجر ، وهو الملك ، وأخدمَ جاريةً .

وكان إبراهيمُ عليه السلام من وقتِ ذهبَ بها إلى الملك قامَ يُصلِّي لله عزَّ وجلَّ ، ويسألُه أن يدفعَ عن أهله ، وأن يردَّ بأسَ هذا الذي أراد أهله بسوءٍ . وهكذا فعلتْ هي أيضاً ، فلما أرادَ عدوُّ الله أن ينالَ منها أمراً ، قامت إلى وضوئها وصَلاتها ، ودعتِ الله عزَّ وجلَّ بما تقدَّم من الدعاء العظيم . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة : ٤٥] فعصمها الله وصانَها لعصمة عبده ورسوله وحبيبه وخليله إبراهيم عليه السلام .

وقد ذهبَ بعضُ العلماء إلى نبوة ثلاث نسوة : سارَة ، وأمُّ موسى ، ومريم عليهنَّ السلام . والذي عليه الجمهور أنهنَّ صِدِّيقَات رضي الله عنهن وأرضاهن .

ورأيتُ في بعض الآثار : أنَّ الله عزَّ وجلَّ كشف الحجابَ فيما بين إبراهيمَ عليه السلام وبينَها ، فلم يزلْ يراها منذ خرجتْ من عنده إلى أن رجعتْ إليه ، وكان مُشاهداً لها وهي عند المَلِكِ ، وكيف عصمَها الله منه ، ليكون ذلك أطيبَ لقلبه وأقرَّ لِعَيْنه ، وأشدَّ لطمأنينته ، فإنه كان يُحبُّها حبّاً شديداً لدينها ، وقرابتها منه ، وحُسْنها الباهر ، فإنَّه قد قيل : إنه لم تكن امرأةٌ بعد حوَّاء إلى زمانها أحسنَ منها رضي الله عنها ، ولله الحمدُ والمنَّةُ .

وذكر بعضُ أهل التواريخ : أن فرعونَ مصرَ هذا كان أخاً للضحَّاك الملك المشهور بالظلم ، وكان عاملاً لأخيه على مصر .

ويُقال : كان اسمُه سنان بن عُلوان بن عُبيد بن عويج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح .

وذكرَ ابن هشام في «التيجان» : أن الذي أرادها عمرو بن امرىء القيس بن مايلون بن سبأ ، وكان على مصر ، نقله السهيلي ، فالله أعلم .

---

(١) في هامش ب قال السيوطي في « مختصر النهاية » : ما حلَ : أي دافعَ وجادلَ .
(٢) ذكره السهيلي في الروض الأنف (١/ ٩٤) .

ثم إن الخليل عليه السلام رجعَ من بلاد مصر إلى أرض التَّيمُّن ، وهي الأرض المقدسة ، التي كان فيها ، ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل ، وصحبتهم هاجرُ القبطية المصرية .

ثمَّ إنَّ لوطاً عليه السلام نزحَ بماله من الأموال الجزيلة بأمر الخليل له في ذلك إلى أرض الغور ، المعروف بغور زغر[١] ، فنزل بمدينة سدوم[٢] ، وهي تلك البلاد في ذلك الزمان ،و كان أهلها أشراراً كفَّاراً فجّاراً ، وأوحى الله تعالى إلى إبراهيم الخليل فأمره أن يمدَّ بصرَه وينظرَ شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، وبشَّره بأن هذه الأرض كلها سأجعلها لك ولخلفك إلى آخر الدهر ، وسأكثر ذُريَّتكَ حتَّى يَصيروا بعدد تُراب الأرض .

وهذه البشارة اتَّصلتْ بهذه الأمة ، بل ما كملتْ ولا كانت أعظم منها في هذه الأمة المحمَّدية ، يُؤَيِّد ذلك قولُ رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لي الأرضَ فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها ، وسيبلغُ ملكُ أمَّتي ما زوي لي منها »[٣] .

قالوا : ثمَّ إنَّ طائفة من الجبَّارين تسلَّطوا على لوط عليه السلام فأسروه ، وأخذوا أموالَه ، واستاقوا أنعامه ، فلما بلغَ الخبرُ إبراهيمَ الخليل ، سارَ إليهم في ثلاثمئة وثمانية عشر رجلاً ، فاستنقذ لوطاً عليه السلام ، واسترجعَ أموالَه ، وقتل من أعداء الله ورسولِه خلقاً كثيراً ، وهزمَهم ، وساقَ في آثارِهم حتى وصلَ إلى شرقيّ دمشق ، وعسكرَ بظاهرها عند برزة[٤] ، وأظنُّ مقام إبراهيم إنما سُمِّي ، لأنه كان موقفَ جيش الخليل ، والله أعلم .

ثم رجعَ مؤيَّداً منصوراً إلى بلاده ، وتلقَّاه ملوكُ بلاد بيت المقدس مُعظِّمين له ، مُكرِّمين ، خاضعين ، واستقرَّ[٥] ببلاده ، صلوات الله وسلامه عليه .

***

---

(١) في هامش أ : صغر .
(٢) « سدوم » : مدينة من مدائن قوم لوط .
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٧٨ و٢٨٤) ومسلم (٢٨٨٩) في الفتن وأشراط الساعة ، والترمذي (٢١٧٦) في الفتن ، وابن ماجه (٣٩٥٢) في الفتن ، من حديث ثوبان ، وقال الترمذي : حسن صحيح .
(٤) « برزة » : قرية من غوطة دمشق ، تقع في الشمال الشرقي من المدينة ، وقد اتصل بناء المدينة بها .
(٥) كذا في ب ، وفي أ : استتر ، وهو تصحيف .

ذكر مولد إسماعيل عليه السلام من هاجر

قال أهلُ الكتاب : إنَّ إبراهيمَ عليه السلام سألَ الله ذريَّةً طيِّبةً ، وإنَّ اللهَ بشرَّه بذلك ، وإنه لما كان لإبراهيم ببلاد بيت المقدس عشر سنين ، قالتْ سارَة لإبراهيم عليه السلام : إنَّ الربَّ قد أحرمني الولدَ ، فادخلْ على أَمَتِي هذه لعلَّ الله يرزقنا منها ولداً ، فلمَّا وهَبَتْهَا له دخلَ بها إبراهيم عليه السلام ، فحين دخلَ بها حملتْ منه . قالوا : فلما حمَلَتْ ارتفعتْ نفسُها ، وتعاظمتْ على سيِّدتها ، فغارتْ منها سارَةُ ، فشكتْ ذلك إلى إبراهيم ، فقال لها : افعلي بها ما شئتِ ، فخافتْ هاجرُ فهربتْ فنزلتْ عند عَيْنٍ هناكَ ، فقال لها ملَكٌ من الملائكة : لا تخافي فإنَّ الله جاعلٌ من هذا الغلام الذي حمَلْتِ خيراً ، وأمرَها بالرجوع ، وبشَّرها أنها ستلدُ ابناً وتُسمِّيه إسماعيل ، ويكونُ وحشَ النَّاس ، يدهُ على الكُلِّ ، ويدُ الكُلِّ به ، ويملكُ جميعَ بلاد إخوته . فشكرتِ الله عزَّ وجلَّ على ذلك .

وهذه البشارةُ إنما انطبقتْ على ولدِه محمَّد صلواتُ الله وسلامه عليه ، فإنه الذي سادتْ به العربُ ، وملكت جميعَ البلاد غرباً وشرقاً ، وآتاها الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم تُؤْتَ أُمَّة من الأمم قبلَهم ، وما ذاكَ إلا بشرفِ رسولها على سائر الرسل ، وبركة رسالتِه ، ويُمْن بشارتِه ، وكماله فيما جاء به ، وعموم بعثته لجميع أهل الأرض .

ولما رجعتْ هاجَرُ وضعتْ إسماعيلَ عليه السلام . قالوا : وولدتْه ولإبراهيمَ من العمر ست وثمانون سنة ، قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة .

ولما ولد إسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يُبَشِّرُه بإسحاق من سارَة ، فخرَّ لله ساجداً ، وقال له : قد استجبتُ لك في إسماعيل ، وباركتُ عليه وكثَّرتُه ونمَّيتُه جدّاً كثيراً ، ويُولد له اثنا عشر عظيماً ، وأجعله رئيساً لشعب عظيم .

وهذه أيضاً بشارةٌ بهذه الأمَّة العظيمة ، وهؤلاء الاثنا عشر عظيماً هم الخلفاء الراشدون ، الاثنا عشرَ المُبشَّر بهم في حديث عبد الملك بن عُمير ، عن جابر بن سَمُرة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « يكونُ اثنا عشرَ أميراً » ثم قالَ كلمةً لم أفهمْها ، فسألتُ أبي : ما قال؟ قال : « كلهم من قريشٍ » أخرجاه في الصحيحين(١) .

وفي رواية : « لا يزالُ هذا الأمرُ قائماً ـ وفي رواية : عزيزاً ـ حتى يكونَ اثنا عشرخليفة ، كلُّهم من قريش »(٢) .

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢٢ و٧٢٢٣) في الأحكام ، ومسلم (١٨٢١) في الإمارة عن جابر بن سَمُرة .
(٢) أخرجه مسلم (١٨٢١) (٦) في الإمارة .

فهؤلاء منهم الأئمة الأربعة : أبو بكر ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعلي !. ومنهم : عمر بن عبد العزيز أيضاً . ومنهم بعضُ بني العبَّاس ، وليس المرادُ أنهم يكونون اثني عشر نسقاً ، بل لا بُدَّ من وجودِهم .

وليس المرادُ الأئمة الاثني عشر الذين يعتقدُ فيهم الرافضةُ ، الذين أوَّلُهم عليُّ بن أبي طالب ، وآخرُهم المنتظَرُ بسِرْدابِ سامراء[١] ، وهو محمَّدُ بن الحسن العسكري فيما يزعمون ، فإن أولئك لم يكن فيهم أنفع من عليّ ، وابنه الحسن بن عليٍّ حين تركَ القِتالَ وسلَّمَ الأمر لمعاوية ، وأخمدَ نار الفتنة ، وسَكَّنَ رحى الحروب بين المسلمين ، والباقون من جُملة الرعايا ، لم يكن لهم حكمٌ على الأمة في أمر من الأمور . وأما ما يعتقدونَه بسرداب سامراء ، فذاكَ هَوَسٌ في الرؤوس ، وهَذَيانٌ في النفوس ، لا حقيقةَ له ولا عين ولا أثر .

والمقصودُ أنَّ هاجرَ عليها السلام لما وُلدَ لها إسماعيلُ ، اشتدَّتْ غيرةُ سارَةَ منها ، وطلبتْ من الخليل أن يُغيِّبَ وجهَها عنها ، فذهبَ بها وبولدِها ، فسارَ بهما حتى وضعَهما حيث مكَّة اليوم . ويُقال : إنَّ ولدَها كان إذ ذاكَ رضيعاً .

فلمَّا تركَهما هناكَ وولَّى ظهرَه ، قامت إليه هاجرُ ، وتعلَّقتْ بثيابه ، وقالت : يا إبراهيم ! أين تذهبُ وتدَعُنا هاهنا ؟ وليس معنا ما يكفينا ، فلم يُجبْها ، فلمَّا ألَّحتْ عليه وهو لا يُجيبها ، قالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : فإذاً لا يُضيِّعُنا .

وقد ذكرَ الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله في كتاب « النوادر » أنَّ سارَةَ تغضَّبتْ على هاجرَ ، فحلفتْ لتقطعنَّ ثلاثةَ أعضاء منها ، فأمرَها الخليلُ أن تَثقب أُذنيْها ، وأن تخفضَها[٢] ، فتبرَّ قَسَمها .

قال السهيلي : فكانت أوَّلَ من اختتن من النساء ، وأوَّلَ من ثُقبت أُذُنُها منهنَّ ، وأوَّل من طَوَّلت ذَيْلها .

***

ذكر مُهاجرة إبراهيمَ بابنه إسماعيل وأمّه هاجر إلى جبال فاران ، وهي أرضُ مكّة وبنائه البيتَ العتيق

قال البخاري[٣] : قال عبدُ الله بن محمد ـ هو أبو بكر بن أبي شيبة ـ حدَّثنا عبد الرزَّاق ، حدَّثنا مَعْمرُ ، عن أيُّوبَ السِّختيانيِّ وكثيرِ بن كَثير بن المُطَّلب بن أبي وَداعة ـ يزيدُ أحدُهما على الآخر ـ عن سعيدِ بن

(١) « سامراء » : وهي مدينة سُرَّ من رأى ، وتقع شرقي دجلة ، بناها المعتصم ، وفيها السرداب المعروف في جامعها ، الذي تزعم الشيعة أنَّ مهديَّهم يخرج منه .

(٢) « تخفضها » : من الخَفْض وهو الختان للنساء ، يُقال : خفض الصبيَّة ، ختنها .

(٣) في صحيحه (٣٣٦٤) في الأنبياء .

جُبَيْرٍ ، عن ابن عبَّاس ، قال : أوَّلُ ما اتَّخذَ النِّساءُ المِنْطَقَ[١] من قِبَلِ أُمِّ إسماعيلَ ، اتَّخذتْ مِنْطقاً ، لتُعفِّيَ أثرَها على سارَة ، ثمَّ جاءَ بها إبراهيمُ وبابنها إسماعيلَ ، وهي تُرضِعُه ، حتَّى وضعَهما عندَ البيت ، عند دَوْحةٍ[٢] فوق زمزمَ في أعلى المسجد ، وليس بمكَّةَ يومئذٍ أحدٌ ، وليس بها ماءٌ ، فوضعَهما هنالك ، ووضعَ عندَهما جراباً فيه تمرٌ ، وسِقاءً[٣] فيه ماءٌ ، ثم قفَّى[٤] إبراهيمُ مُنْطلقاً ، فتبعتْه أمُّ إسماعيلَ ، فقالتْ : يا إبراهيمُ أين تذهبُ وتترُكنا بهذا الوادي الذي ليس به إنسٌ ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفتُ إليها ، فقالتْ له : آللهُ أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذاً لا يُضيِّعُنا ، ثم رجعتْ .

فانطلقَ إبراهيمُ حتَّى إذا كان عند الثنيَّة حيث لا يَرَونه ، استقبلَ بوجههِ البيتَ ، ثم دعا بهؤلاء الدَّعواتِ ، ورفع يدَيْه ، فقال : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

وجعلتْ أمُّ إسماعيل تُرْضعُ إسماعيلَ وتشربُ من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السِّقاء عَطِشتْ ، وعَطِشَ ابنُها ، وجعلتْ تنظرُ إليه يتلوَّى ـ أو قال يتلبَّط[٥] ـ فانطلقتْ كراهيةَ أنْ تنظرَ إليه ، فوجدت الصَّفا أقربَ جَبَلٍ في الأرض يليها ، فقامتْ عليه ثمَّ استقبلتِ الوادي تنظرُ هل ترى أحداً فلم تر أحداً ، فهبطتْ من الصَّفا حتى إذا بلغتِ الوادي رفعتْ طرفَ دِرْعها ، ثم سعتْ سعيَ الإنسانِ المجهودِ ، حتى إذا جاوزتِ الوادي ، ثم أتتِ المروةَ فقامتْ عليها ، ونظرت هل ترى أحداً ، فلم ترَ أحداً ، ففعلتْ ذلك سبعَ مرات .

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ « فلذلك سعى الناس بينهما »[٦] .

فلما أشرفتْ على المروة سمعتْ صوتاً ، فقالت : صهٍ ـ تريد نفسها ـ ثم تسمَّعتْ فسمعتْ أيضاً ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواثٌ ، فإذا هي بالملك عند مَوْضعِ زمزمَ ، فبحثَ بعَقبِه ـ أو قال بجناحه ـ حتَّى ظهرَ الماءُ ، فجعلتْ تحوِّضه[٧] ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلتْ تغرفُ من الماء في سِقائها ، وهي تفورُ بعدما تَغْرِفُ .

---

(١) « المِنْطَق » : ما يُشدُّ به الوسط .
(٢) « دوحة » : شجرة كبيرة .
(٣) « سقاء » : قربة صغيرة .
(٤) « قفَّى » : ولَّى راجعاً .
(٥) « يتلبَّط » : يتمرَّغ ، ويضرب بنفسه الأرض .
(٦) في أ : عليهما .
(٧) « تحوِّضُه » : تجعله مثل الحوض .

قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « يرحمُ الله أمَّ إسماعيل لو تركت زمزم » أو قال : « لو لم تغرفْ من الماء ، لكانت زمزمُ عيناً معيناً »[١] .

فشربتْ وأرضعتْ ولدَها ، فقال لها الملَكُ : لا تخافي الضَّيْعة[٢] ، فإن هاهنا بيتَ الله ، يبني هذا الغلامُ وأبوه ، وإنَّ الله لا يُضيعُ أهله . وكانَ البيتُ مرتفعاً من الأرض كالرابية ، تأتيه السُّيولُ ، فتأخذُ عن يمينه وعن شماله ، فكانت كذلك حتى مَرَّتْ بهم رُفْقةٌ من جُرْهم ـ أو أهل بيتٍ من جرهم ـ مقبلينَ من طريق كَداء ، فنزلوا في أسفل مكَّة ، فرأوا طائراً عائفاً[٣] ، فقالوا : إنَّ هذا الطائرَ ليدورُ على الماء ، لَعهدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريّاً[٤] ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا . قال : وأُمُّ إسماعيل عند الماء ، فقالوا : تأذنينَ لنا أن ننزلَ عندك ؟ قالت : نعم ، ولكنْ لا حقَّ لكم في الماء . قالوا : نعم .

قال عبد الله بن عبَّاس : قال النبي ﷺ : « فألفى ذلك أُمَّ إسماعيلَ وهي تُحبُّ الأُنْسَ » .

فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم ، فنزلوا معهم ، حتى إذا كان لها أهلُ أبياتٍ منهم ، وشبَّ الغُلامُ ، وتعلَّمَ العربيةَ منهم ، وأنفسهم وأعجبَهم حينَ شبَّ فلما أدركَ زوَّجُوهُ امرأةً منهم .

وماتتْ أُمُّ إسماعيل ، فجاء إبراهيمُ بعدما تزوَّجَ إسماعيل يُطالعُ تَرِكته ، فلم يجدْ إسماعيلَ ، فسألَ امرأته عنه ، فقالتْ : خرجَ يبتغي لنا . ثمَّ سألَها عن عَيْشهم وهَيْئَتهم ، فقالت : نحن بشَرٍّ ، نحن في ضيقٍ وشدَّةٍ ، وشَكَتْ إليه . قال : فإذا جاء زوجُكِ فاقرئي عليه السلام وقولي له يُغَيِّرْ عَتَبة بابه . فلما جاء إسماعيلُ كأنَّهُ آنسَ شيئاً ، فقال : هل جاءَكُمْ من أحدٍ ؟ فقالت : نعم ، جاءنا شيخٌ كذا وكذا ، فسألنا عنكَ فأخبرتُه ، وسألني كيف عَيْشُنا ، فأخبرتُه أنَّا في جَهْدٍ وشدَّةٍ . قال : فهل أوصاك بشيءٍ ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأَ عليكَ السَّلام ويقولُ لك : غَيِّر عتبةَ بابكَ . قال : ذاكَ أبي ، وأمرني أن أُفارقَكِ ، فالحقي بأهلِكِ . فطلَّقها ، وتزوَّج منهم أخرى ولبثَ عنهم إبراهيم ما شاء الله .

ثم أتاهم بعدُ فلم يجدْه ، فدخلَ على امرأتِه ، فسألَها عنه ، فقالت : خرجَ يبتغي لنا . قال : كيف أنتم ؟ وسألَها عن عَيْشهم وهَيْئَتهم ، فقالت : نحنُ بخيرٍ وسَعَةٍ ، وأثنتْ على الله ، فقال : ما طعامُكم ؟ قالت : اللَّحْمُ . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللَّهُمَّ باركْ لهم في اللَّحم والماء .

قال النبي ﷺ : « ولم يكن لهم يومئذٍ حَبٌّ ، ولو كان لهم حَبٌّ لدعا لهم فيه ، فهما لا يخلو عليهما أحدٌ بغير مكَّةَ إلا لم يوافقاه » .

---

(١) « معيناً » : ظاهراً جارياً على وجه الأرض .
(٢) « الضيعة » : الهلاك .
(٣) « عائفاً » : الطائر الذي يحوم على الماء ، ويتردد فوقه ، ولا يمضي عنه .
(٤) « جريّاً » : رسولاً .

قال : فإذا جاء زوجُكِ فاقرئي عليه السلام ، ومُريه يُثبِّتْ عَتَبَة بابه . فلمَّا جاءَ إسماعيلُ قال : هل أتاكُم من أحدٍ ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخٌ حَسَنُ الهيئةِ ، وأثنتْ عليه ، فسألني عنكَ فأخبرته ، فسألني كيف عَيْشُنا ، فأخبرتُه أنَّا بخيرٍ قال : فأوصاكِ بشيءٍ ؟ قالت : نعم ، وهو يقرأ عليكَ السَّلام ، ويأمُركَ أنْ تُثَبِّتَ عَتَبَة بابكَ . قالَ : ذاك أبي ، وأمرني أن أُمْسكَكِ .

ثم لبثَ عنهم ما شاءَ الله ، ثم جاءَ بعد ذلك وإسماعيلُ يبري نَبْلاً له تحت دوحةٍ قريباً من زمزمَ ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنعُ الولدُ بالوالد والوالدُ بالولد . ثم قال : يا إسماعيلُ ! إنَّ الله أمرني بأمرٍ . قال : فاصنعْ ما أمركَ به ربُّك . قال : وتُعينني ؟ قال : وأُعينك . قال : فإنَّ اللهَ أمرني أن أبني هاهنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة[١] مرتفعةٍ على ما حَوْلها . قال : فعند ذلك رفعا القواعدَ من البيتِ ، فجعلَ إسماعيلُ يأتي بالحجارةِ وإبراهيمُ يبني ، حتَّى إذا ارتفعَ البناءُ جاء بهذا الحَجَر فوضعَه له ، فقامَ عليه وهو يبني ، وإسماعيلُ يُناوله الحجارةَ ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] قال : وجعلا يَبنيان حتى يدورا حولَ البيت ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] » .

ثم قال[٢] : حدَّثنا عبدُ الله بن محمّد ، حدَّثنا أبو عامر عبدُ الملك بن عمرو ، حدَّثنا إبراهيمُ بن نافع ، عن كثيرِ بن كثيرٍ ، عن سعيدِ بن جُبَيْرٍ ، عن ابن عبَّاس قالَ : لما كان من إبراهيم وأهله ما كان ، خرجَ بإسماعيل وأمِّ إسماعيل ومعهم شَنَّةٌ[٣] فيها ماء . . وذكرَ تمامه بنحو ما تقدَّم .

وهذا الحديثُ من كلام ابن عباس ، وموشَّحٌ برفع بعضِه ، وفي بعضه غَرَابةٌ ، وكأنَّه مما تلقَّاه ابنُ عبَّاس عن الإسرائيليات ، وفيه : أنَّ إسماعيلَ كان رضيعاً إذ ذاك .

وعند أهل التوراة أنَّ إبراهيمَ أمره بأن يختنَ ولدَه إسماعيل ، وكلَّ منْ عنده من العبيد وغيرهم ، فختنَهم ، وذلك بعد مُضيِّ تسع وتسعينَ سنةً من عُمره ، فيكونُ عمرُ إسماعيلَ يومئذٍ ثلاثَ عشرة سنة ، وهذا امتثالٌ لأمر الله عزَّ وجلَّ في أهله ، فيدلُّ على أنَّه فعله على وجْهِ الوجوب ، ولهذا كانَ الصحيحُ من أقوالِ العلماء أنَّه واجبٌ على الرجال ، ما هو مقرَّر في موضعه .

وقد ثبتَ في الحديث الذي رواه البخاريُّ[٤] : حدَّثنا قُتيبة بن سعيد ، حدَّثنا مغيرةُ بنُ عبد الرحمن القُرشيُّ ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « اختتنَ إبراهيمُ النبيُّ

---

(١) « أكمة » : المرتفع من الأرض .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٥) في الأنبياء .

(٣) « شنة » : قربة عتيقة .

(٤) في صحيحه (٣٣٥٦) .

عليه السلام وهو ابنُ ثمانين سنةً بالقَدُوم » . تابعَه عبدُ الرحمن بن إسحاق ، عن أبي الزِّناد ، وتابعَه عَجْلان عن أبي هريرة ، ورواه محمَّدُ بن عمرٍو عن أبي سلمةَ عن أبي هريرة .

وهكذا رواه مسلم[١] : عن قُتَيْبة به .

وفي بعض الألفاظ : « اختتن إبراهيمُ بعدما أتتْ عليه ثمانونَ سنةً ، واختتنَ بالقَدُوم »[٢] والقَدُوم هو الآلة ، وقيل : موضع .

وهذا اللفظ لا ينافي الزيادة على الثمانين ، والله أعلم ، لما سيأتي من الحديث عند ذِكر وفاته عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اختتن إبراهيمُ وهو ابنُ مئةٍ وعشرينَ سنةً ، وعاشَ بعد ذلك ثمانينَ سنة » رواه ابن حبَّان في « صحيحه »[٣] .

وليس في هذا السِّياق ذِكْرُ قصَّة الذبيح ، ولم يذكره في قدماتِ إبراهيمَ عليه السلام إلا ثلاثَ مرات ، أُولاهنَّ بعد أن تزوَّج إسماعيلُ بعدَ موت هاجرَ ، وكيف تركهم من حيث صِغَر الولد على ما ذكرَ إلى حين تزويجه ، لا ينظر في حالهم . وقد ذُكِرَ أن الأرض كانت تُطوى له ، وقيل : إنه كان يركبُ البراقَ إذا سارَ إليهم ، فكيف يتخلَّفُ عن مُطالعة حالهم وهم في حال الضَّرورة الشديدة والحاجة الأكيدة . وكأنَّ بعضَ هذا السِّياق مُتلقَّى من الإسرائيلياتِ ، ومُطرَّزٌ بشيءٍ من المرفوعاتِ ، ولم يذكرْ فيه قصَّة الذبيح ، وقد دلَّلنا على أن الذبيحَ هو إسماعيلُ على الصحيح في سورة[٤] الصافات .

***

قصة الذبيح

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧٠) في الفضائل .
(٢) أخرجه مسدد في مسنده ، كما في فتح الباري (٦/ ٣٩٠) .
(٣) الإحسان (٦٢٠٤) .
(٤) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣ ـ ٢٤) .

﴿ مُبِينٌ ﴾ [الصافات : ٩٩ ـ ١١٣] . يذكر تعالى عن خليله إبراهيم أنه لمَّا هاجرَ من بلاد قومه سألَ ربَّه أن يهبَ له ولداً صالحاً ، فبشَّره الله تعالى بغلامٍ حليمٍ ، وهو إسماعيلُ عليه السلام ، لأنه أوَّلُ منْ وُلد له على رأسِ ستٍّ وثمانين سنةً من عُمُرِ الخليل ، وهذا ما لا خلافَ فيه بين أهل المِلَلِ ، لأنَّه أوَّلُ ولدِه وبكرُه .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] أي شبَّ وصار يَسعى في مَصالحه كأبيه ، قال مجاهد[1] : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] أي : شبَّ وارتحلَ ، وأطاقَ ما يفعلُه أبوه من السعي والعمل .

فلما كان هذا أُري إبراهيمُ عليه السلام في المنام أنَّه يُؤمر بذبح ولده هذا ، و في الحديث عن ابن عبَّاس مرفوعاً « رؤيا الأنبياء وحي »[2] قاله عُبيد بن عُمَيْر[3] أيضاً .

وهذا اختبارٌ من الله عزَّ وجلَّ لخليله في أنْ يذبحَ هذا الولد العزيز ، الذي جاءه على كِبَرٍ وقد طَعَن في السِّنِّ ، بعدما أُمر بأن يُسْكنه هو وأمَّه في بلادٍ قَفْرٍ ، وواد ليس به حسيسٌ ولا أنيس ، ولا زَرْعٌ ولا ضَرْعٌ . فامتثلَ أمرَ الله في ذلك ، وتركَهما هناكَ ثقةً بالله وتوكُّلا عليه ، فجعلَ الله لهما فَرجاً ومَخرجاً ، ورزقهما من حيث لا يحتسبان .

ثم لما أُمرَ بعد هذا كلِّه بذبح ولدِه هذا الذي قد أفردَه عن أمر ربه ، وهو بِكْرُه ووحيدُه الذي ليس له غيره ، أجابَ ربَّه وامتثلَ أمرَه ، وسارعَ إلى طاعتِه ، ثم عرضَ ذلك على ولدِه ليكونَ أطيبَ لقلبه وأهونَ عليه يأخذَه قَسْراً ويذبَحه قَهْراً ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات : ١٠٢] فبادرَ الغلامُ الحليمُ سرُّ والدِه الخليل إبراهيم فقال : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] وهذا الجواب في غاية السَّداد والطاعة للوالدِ ولربِّ العباد .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصافات : ١٠٣] قيل : أسلما ، أي : استسلما لأمر الله وعزَما على ذلك ، وقيل : هذا من المقدَّم والمؤخَّر ، والمعنى : تلَّه للجبين : أي ألقاه على وجهه . قيل : أراد أن يذبحَه من قفاه لئلا يُشاهده في حال ذَبْحِه ، قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضَّحَّاك . وقيل : بل أضجعه كما تُضْجَعُ الذبائحُ ، وبقي طرفُ جبينه لاصقاً بالأرض . وأسلما : أي سمَّى إبراهيم وكبَّر ، وتشهَّد الولدُ للموت . قال السُّدِّي وغيره : أمرَّ السكينَ على حَلْقِه فلم تقطعْ شيئاً . ويُقال : جعلَ بينها وبين حلقه صفيحةً منْ نُحاسٍ ، فالله أعلم .

---

(١) تفسير مجاهد (٢/ ٥٤٤) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٧/ ١٠٤) .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٨) في الوضوء . قال عمرو : سمعتُ عبيدَ بن عمرو يقول : رؤيا الأنبياء وحيٌ . ثم قرأ : ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] .

فعند ذلك نُودي من الله عزَّ وجلَّ ﴿ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ [الصافات : ١٠٤ ـ ١٠٥] أي : قد حصلَ المقصودُ من اختباركَ وطاعتكَ ومبادرتكَ إلى أمر ربِّكَ ، وبَذْلكَ ولدَكَ للقربان ، كما سمحتَ ببدنِكَ للنيران ، وكما مَالُكَ مبذولٌ للضِّيفان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ [الصافات : ١٠٦] أي : الاختبار الظاهر البيِّن . وقوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠٧] أي : وجعلنا فداءَ ذبح ولدِهِ ما يسَّره الله تعالى له من العِوَضِ عنه . والمشهورُ عن الجمهور أنه كَبْشٌ أبيضُ أعْيَنُ[(١)] أقْرَنُ[(٢)] ، رآه مربوطاً بسَمُرةٍ[(٣)] في ثبير[(٤)] .

قال الثوري : عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كَبْشٌ قد رعى في الجنَّة سبعين خريفاً[(٥)] .

وقال سعيد بن جبير : كان يرتعُ[(٦)] في الجنَّة حتى تشقَّقَ عنه ثبير ، وكان عليه عِهْنٌ[(٧)] أحمر .

وعن ابن عباس : هبطَ عليه من ثبير كَبْشٌ أعينُ أقرنُ له ثُغاءٌ فذبحَه ، وهو الكبشُ الذي قرَّبه ابنُ آدم ، فتُقُبِّلَ منه . رواه ابن أبي حاتم[(٨)] .

قال مجاهد[(٩)] : فذبحَه بمنى . وقال عبيد بن عُمير[(١٠)] : ذبح بالمقام .

فأما ما رُوي عن ابن عبَّاس : أنَّه كان وعلاً ، وعن الحسن : أنَّه كان تَيْساً من الأروى ، واسمه جرير ، فلا يكاد يَصِحُّ عنهما ، ثم غالب ما هاهنا من الآثار مأخوذٌ من الإسرائيليات ، وفي القرآن كفايةٌ عما جرى من الأمر العظيم ، والاختبار الباهر ، وأنه فُدِيَ بذبحٍ عظيمٍ ، وقد وردَ في الحديث أنَّه كان كبشاً .

قال الإمام أحمد[(١١)] : حدَّثنا سفيان ، حدَّثنا منصور ، عن خاله نافع ، عن صفيَّة بنت شيبةَ ، قالت : أخبرتني امرأة من بني سُليم وَلَّدَتْ عامَّة أهل دارنا ، قالت : أرسلَ رسول الله ﷺ إلى عثمانَ بن طلحة .

---

(١) « أعين » : واسع العينين .
(٢) « أقرن » : طويل القرنين .
(٣) « سَمُرة » : شجرة من شجر السَّمُر .
(٤) « ثبير » : جبل بمكة .
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٧/ ١١٣) وفيه : أربعين خريفاً .
(٦) يرتع : يأكل ويشرب ما شاء في خصب وسعة .
(٧) « عهن » : صوف .
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٧/ ١١٣) .
(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٥١٥) .
(١٠) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٥١٥) .
(١١) في المسند (٤/ ٦٨) و(٥/ ٣٨٠) .

وقالت مرّة : إنَّها سألتْ عثمانَ : لِمَ دعاكَ رسولُ الله ﷺ ؟ قال : « إنِّي كنتُ رأيتُ قَرْني الكبش حين دخلتُ البيتَ ، فنسيتُ أنْ آمرَك أنْ تُخمِّرَهُما فَخَمِّرْهُما ، فإنَّه لا ينبغي أن يكونَ في البيت شيءٌ يَشغلُ المصلِّي » . قال سفيان : لم تزلْ قرنا الكبش في البيت حتَّى احترقَ البيتُ فاحترَقا .

وهذا رُوي عن ابن عبَّاس : أنَّ رأسَ الكَبْش لم يزلْ مُعلَّقاً عند ميزاب الكعبة قد يبسَ .

وهذا وحده دليلٌ على أنَّ الذبيحَ إسماعيلُ ، لأنه كانَ هو المقيمُ بمكَّةَ ، وإسحاقُ لا نعلمُ أنَّه قدمها في حال صِغَره ، والله أعلم .

وهذا هو الظاهر من القرآن ، بل كأنَّه نصٌّ على أنَّ الذبيحَ هو إسماعيلُ ، لأنه ذكرَ قِصَّةَ الذبيح ، ثم قال بعده : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] ومنْ جعله حالاً فقد تكلَّف ، ومستنده أنَّه إسحاق إنما هو إسرائيليات ، وكتابُهم فيه تحريفٌ ، ولاسيما هاهنا قطعاً لا محيدَ عنه ، فإنَّ عندهم أنَّ الله أمرَ إبراهيمَ أنْ يذبحَ ابنَه وحيدَه ، وفي نسخة من المعرَّبة : بكْرَه إسحاق . فلفظة إسحاق هاهنا مقحمةٌ مكذوبةٌ مفتراة ، لأنه ليس هو الوحيدُ ولا البِكْرُ ، ذاكَ إسماعيل .

وإنما حملَهم على هذا حَسْدُ العربِ ، فإنَّ إسماعيلَ أبو العرب الذين يسكنون الحجازَ ، الذين منهم رسولُ الله ﷺ ، وإسحاقُ والد يعقوب ، وهـو إسرائيل ، الذين ينتسبونَ إليه ، فأرادوا أنْ يجرُّوا هذا الشرفَ إليهم ، فحرَّفوا كلامَ الله ، وزادُوا فيه ، وهم قومٌ بُهْتٌ[1] ، و لم يُقرُّوا بأنَّ الفضلَ بيد الله يُؤتيه من يشاءُ .

وقد قال بأنَّه إسحاق طائفةٌ كثيرةٌ من السَّلف ، وغيرهم ، وإنما أخذوه ـ والله أعلم ـ من كعب الأحبار ، أو صُحُف أهل الكتاب ، وليس في ذلك حديثٌ صحيحٌ عن المعصوم حتَّى نتركَ لأجله ظاهرَ الكتاب العزيز ، ولا يُفهم هذا من القرآن بل المفهومُ ، بل المنطوقُ ، بل النَّصُّ عند التَّأمُّل على أنه إسماعيل .

وما أحسن ما استدلَّ محمَّدُ بن كعب القرظي[2] على أنه إسماعيل ، وليس بإسحاق ، من قوله : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] قال : فكيفَ تقعُ البشارةُ بإسحاق ، وأنَّه سيولدُ له يعقوب ، ثم يُؤمرُ بذبح إسحاق وهو صغيرٌ قبلَ أن يُولد له ، هذا لا يكون ، لأنَّه يُناقضُ البشارةَ المتقدِّمة ، والله أعلم .

---

(١) « بهت » : باطل .

(٢) أخرجه ابن جرير عن ابن إسحاق (١٠/ ٥١٣) .

[وقد اعترضَ السُّهيلي[١] على هذا الاستدلال بما حاصلُه : أن قوله : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ ﴾ [هود : ٧١] جملة تامة وقوله : ﴿ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] جملة أخرى ليست في حيِّز البشارة . قال : لأنه لا يجوز من حيث العربية أن يكونَ مخفوضاً إلا أنْ يُعادَ معه حرفُ الجرِّ ، فلا يجوز أن يُقالَ : مررت بزيد ومن بعده عمرو ، حتى يُقال : ومن بعده بعمرو . وقال : فقوله : ﴿ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] منصوبٌ بفعل مُضمَر ، تقديرُه : ووهبنا لإسحاق يعقوبَ . وفي هذا الذي قالَه نظر .

ورجَّح أنَّه إسحاق ، واحتجَّ بقوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] قال : وإسماعيلُ لم يكن عندَه ، إنما كان في حال صِغَرِه هو وأمُّه بحيالِ مكَّةَ ، فكيف يبلغُ معه السعي ؟! وهذا أيضاً فيه نظرٌ ، لأنه قد رُوي أنَّ الخليلَ كان يذهبُ في كثيرٍ من الأوقاتِ راكباً البراقَ إلى مكَّة ، يَطلع على ولده وأمته ثم يرجع ، والله أعلم[٢] .

فمن حُكي القولُ عنه بأنَّه إسحاق كعبُ الأحبار ، ورُوي عن عمرَ ، والعبَّاس ، وعليّ ، وابن مسعود ، ومَسروق ، وعِكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومُجاهد ، وعَطاء ، والشَّعبي ، ومُقاتل ، وعُبيد بن عمر ، وأبي مَيْسرة ، وزيد بن أسلم ، وعبد الله بن شَقيق ، والزُّهْري ، والقاسم ، وابن أبي بُرْدة ، ومكحول ، وعُثمان بن حاضر ، والسُّدِّي ، والحَسن ، وقتادة ، وأبي الهُذَيل ، وابن سابط ، وهو اختيارُ ابن جرير[٣] ، وهذا عَجبٌ منه ، وهو إحدى الروايتين عن ابن عبَّاس ، ولكن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء أنه إسماعيل عليه السلام . قال مجاهد ، وسعيد ، والشعبي ، ويُوسف بن مهران ، وعطاء ، وغير واحد ، عن ابن عباس : هو إسماعيل عليه السلام .

وقال ابن جرير : حدَّثني يُونس ، أنبأنا ابنُ وَهْب ، أخبرني عَمْرو بن قَيْس : عن عطاء بن أبي رَباح ، عن ابن عبَّاس : أنه قال : المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنَّه إسحاق ، وكذبت اليهود[٤] .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد ، عن أبيه : هو إسماعيل .

وقال ابنُ أبي حاتم : سألتُ أبي عن الذبيح ، فقال : الصَّحيحُ أنه إسماعيل عليه السلام .

قال ابن أبي حاتم : ورُوي عن عليٍّ ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وأبي الطُّفَيْل ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جُبير ، والحسن ، ومجاهد ، والشَّعبي ، ومحمد بن كعب ، وأبي جعفر محمد بن علي ، وأبي صالح ؛ أنَّهم قالوا : الذبيحُ هو إسماعيل عليه السلام .

---

(١) انظر « التعريف والإعلام » بماأُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام للسهيلي (ص١١١) طبعة مكتبة الأزهر ١٣٥٦هـ.
(٢) ما بين قوسين أثبته من ب وهو في المطبوع ، وقد سقط من أ .
(٣) انظر تفسير الطبري (١٠/ ٥١٠ ـ ٥١٣) .
(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠/ ٥١٣) .

وحكاه البغويُّ أيضاً : عن الربيع بن أنس ، والكلبي ، وأبي عمرو بن العلاء .

قلت : ورُوي عن معاويةَ ، وجاءَ عنه : أنَّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ : « يا ابنَ الذبيحين » فضحكَ رسولُ الله ﷺ(١) .

وإليه ذهبَ عمرُ بن عبد العزيز ، ومحمَّد بن إسحاق بن يسار .

وكان الحسنُ البصري يقول : لا شكَّ في هذا .

وقال محمَّدُ بن إسحاق : عن بريدة بن سفيان بن فروةَ الأسلميّ ، عن محمد بن كعب : أنَّه حدَّثهم ، أنَّه ذكرَ ذلك لعمرَ بن عبد العزيز وهو خليفةٌ ، إذ كانَ معه بالشام [يعني استدلالَه بقوله بعد العصمة ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١]](٢) فقال له عمر : إنَّ هذا الشيءَ ما كنتُ أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلتَ ، ثم أرسلَ إلى رجلٍ كان عنده بالشام ، كان يهودياً فأسلمَ وحَسُنَ إسلامُه ، وكان يرى أنه من علمائهم ، قال : فسأله عمرُ بن عبد العزيز : [عن ذلك . قال محمد بن كعب : وأنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر بن عبد العزيز :](٣) أيُّ ابني إبراهيم أُمرَ بذبحِه ؟ فقال : إسماعيلُ والله يا أمير المؤمنين ، وإنَّ يهودَ لتعلمُ بذلك ، ولكنَّهم يحسدونكم معشرَ العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه ، والفضل الذي ذكرَه الله منه لصبره لما أُمرَ به ، فهم يَجحدون ذلك ، ويزعمونَ أنَّه إسحاق ، لأنَّ إسحاقَ أبوهم(٤) .

وقد ذكرنا هذه المسألة مستقصاة بأدلَّتها وآثارها في كتابنا التفسير(٥) ، ولله الحمد والمنة .

***

ذكرُ مولد إسحاق

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات : ١١٢ ـ ١١٣] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٤) وتعقبه الذهبي فقال : إسناده واهٍ .
(٢) ما بين الحاصرتين سقط من أ و ب وأثبته من المطبوع ، والعصمة : هي عصمة إسحاق من الذبح .
(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المطبوع .
(٤) أخرج القصة ابن جرير الطبري في تاريخه (١/ ٢٧٠) .
(٥) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣ ـ ٢٤) .

وقد كانت البشارة به من الملائكة لإبراهيمَ وسارَة لما مرُّوا عليهم[1] مجتازينَ ذاهبينَ إلى مدائنِ قومِ لوط ليدمِّروا عليهم لكفرهم وفُجورهم ، كما سيأتي بيانُه في موضِعه إن شاء الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٦٩ ـ ٧٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر : ٥١ ـ ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٢٤ ـ ٣٠] .

يذكرُ تعالى أنَّ الملائكةَ ـ قالوا : وكانوا ثلاثةً : جبريلُ ، وميكائيلُ وإسرافيلُ ـ لما وَرَدُوا على الخليل ، حَسِبهم أولاً أضيافاً ، فعاملَهم معاملةَ الضيوف ، شوى لهم عِجْلاً سميناً من خيار بقره ، فلمَّا قرَّبَه إليهم وعرضَ عليهم ، لم يرَ لهم همَّةً إلى الأكل بالكلية ، وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوَّة الحاجة إلى الطعام ، فنكرهم إبراهيمُ ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٧٠] أي : لندمِّرَ عليهم ، فاستبشرتْ عند ذلك سارةُ غضباً لله عليهم ، وكانت قائمةً على رؤوس الأضياف ، كما جرتْ به عادة الناس من العرب وغيرهم ، فلما ضحكت استبشاراً ، قال الله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] أي : بشَّرتها الملائكةُ بذلك ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ ﴾ [الذاريات : ٢٩] أي : في صرخة ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ [الذاريات : ٢٩] أي : كما يفعلُ النساء عند التعجُّب ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾ [هود : ٧٢] أي : كيف يلدُ مثلي وأنا كبيرةٌ وعقيمٌ أيضاً ، وهذا بعلي ، أي : زوجي شيخاً ، تعجَّبت من وجود ولدٍ والحالة هذه ولهذا قالت : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٧٢ ـ ٧٣] .

وكذلك تعجَّب إبراهيمُ عليه السلام استبشاراً بهذه البشارة ، وتثبيتاً لها وفرحاً بها ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ [الحجر : ٥٤ ـ ٥٥] أكَّدوا الخبرَ بهذه

(١) كذا في ب ، وفي أ : بهم .

البشارة ، وقرّروه معه ، فبشّروهما ﴿ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر : ٥٣] وهو إسحاق ، وأخوه إسماعيل غلام حليم ، مناسب لمقامه وصبره ، وهكذا وصفَه ربُّه بصدق الوعد والصبر . وقال في الآية الأخرى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] وهذا مما استدلَّ به محمَّدُ بن كعب القُرَظي وغيره ، على أنَّ الذبيحَ هو إسماعيل ، وأن إسحاق لا يجوزُ أن يُؤمرَ بذبحه بعدَ أنْ وقعتِ البشارةُ بوجوده ووجود ولده يعقوب ، المشتق من العَقِب من بَعْده .

وعند أهل الكتاب : أنَّه أَحضرَ مع العِجْل الحَنِيْذِ[1] ـ وهو المشويُّ ـ رغيفاً من مَلَّةٍ ، فيه ثلاثة أكتالٍ وسَمْنٍ ولبن . وعندهم : أنَّهم أكلوا ، وهذا غَلَطٌ مَحْضٌ . وقيل : كانوا يُورُون[2] أنَّهم يأكلونَ والطَّعامُ يتلاشى في الهواء .

وعندهم : أنَّ الله تعالى قال لإبراهيم : أمَّا سارا امرأتك ، فلا يُدعى اسمُها سارا ، ولكنْ اسمُها سارَة ، وأُباركُ عليها وأُعطيك منها ابناً وأباركُه ، و يكونُ الشُّعوب وملوكُ الشعوب منه . فخرَّ إبراهيم على وجهه ـ يعني ساجداً ـ وضحكَ قائلاً في نفسه : أبعد مئة سنةٍ يُولد لي غلامٌ ، أو سارَةُ تلدُ وقد أتتْ عليها تسعونَ سنة ؟!

وقال إبراهيمُ لله تعالى : ليتَ إسماعيلَ يعيشُ قدَّامكَ . فقال الله لإبراهيمَ : بحقِّي إنَّ امْرأتك سارَة تلدُ لك غلاماً ، وتدعو اسمَه إسحاق إلى مثلِ هذا الحينِ من قابل ، وأوثقُه ميثاقي إلى الدهر ، ولخلفِه من بعده . وقد استجبت لكَ في إسماعيلَ ، وباركتُ عليه وكبَّرتُه ونمَّيتُه جداً كثيراً ، ويُولد له اثنا عشرَ عظيماً ، وأجعلُه رئيساً لشعبٍ عظيم . وقد تكلَّمنا على هذا بماتقدَّم ، والله أعلم .

فقوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] دليلٌ على أنها تستمتعُ بوجود ولدها إسحاق ، ثم من بعده بولد ولده يعقوب ، أي : يُولد في حياتِهما لتقرَّ أعينُهما به كما قرَّتْ بوالده ، ولو لم يرد هذا لم يكن لذكرِ يعقوبَ وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة ، ولما عيَّن بالذكر دلَّ على أنهما يتمتعان به ويُسرَّان بولده ، كما سُرَّا بمولد أبيه من قبله . وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا ﴾ [الأنعام : ٨٤] وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ ﴾ [مريم : ٤٩] .

وهذا إن شاء الله ظاهرٌ قويٌّ ، ويُؤيِّده قوة ما ثبت في الصحيحين : من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن إبراهيم بن يزيد التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال : قلتُ يا رسول الله ! أيُّ مسجد وُضعَ أوَّل ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت : ثم أيّ ؟ قال : « المسجد الأقصى » . قلت : كم بينهما ؟

---

(١) الحنيذ : المشوي على الحصى المحمي بالنار .
(٢) كذا في أ وب ، وفي المطبوع : يودون ، وهو تصحيف .

قال : « أربعون سنة » قلت : ثم أي ؟ قال : « ثم حَيْثُ أدركت الصَّلاةَ فصلِّ ، فكلُّها مسجد »[١] .

وعند أهل الكتاب : أن يعقوبَ عليه السلام هو الذي أسَّس المسجدَ الأقصى ، وهو مسجد إيليا بيت المقدس ، شرَّفه الله .

وهذا مُتَّجِهٌ ، ويشهدُ له ما ذكرناه من الحديث ، فعلى هذا يكونُ بناء يعقوبَ ـ وهو إسرائيل عليه السلام ـ بعد بناءِ الخليل وابنه إسماعيل المسجدَ الحرام بأربعينَ سنةً سواء ، وقد كان بناؤُهما ذلك بعد وجود إسحاق ، لأن إبراهيمَ عليه السلام لمَّا دَعا قال في دعائه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٣٥ ـ ٤١] .

وما جاء في الحديث[٢] : من أنَّ سُليمان بن داود عليهما السلام ، لما بنَى بيتَ المقدس سألَ الله خِلالاً ثلاثاً ، كما ذكرناه عند قوله : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص : ٣٥] وكما سنُورده في قصَّته . فالمرادُ من ذلك أنَّه جدَّد بناءَه ، كما تقدَّم من أنَّ بينهما أربعينَ سنةً ، ولم يقلْ أحدٌ إنَّ بين سليمان وإبراهيم أربعينَ سنةً ، سوى ابن حِبَّان في « تقاسيمه » وأنواعه ، وهذا القولُ لم يُوافق عليه ، ولا سُبِقَ إليه .

***

ذكر بناية[٣] البيت العتيق

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٦ ـ ٢٧] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٦) في الأنبياء ، ومسلم (٥٢٠) في المساجد ومواضع الصلاة .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/١٧٦) والنسائي في سننه (٢/١٧٦) في المساجد ، وابن حبان في صحيحه (١٦٣٣) الإحسان .

(٣) في المطبوع : بناء .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦ـ٩٧] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝١٢٤ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝١٢٥ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٢٦ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٤ـ١٢٩] .

يذكرُ تعالى عن عبده ورسوله وصفيِّه وخليله إمام الحنفاء ووالد الأنبياء إبراهيم[١] عليه أفضل صلاة وتسليم أنَّه بنى البيتَ العتيقَ الذي هو أوَّلُ مسجدٍ وُضِعَ لعموم النَّاس ، يعبدون الله فيه ، وبوَّأه الله مكانَه ، أي : أرشدَه إليه ودلَّه عليه .

وقد روينا عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب وغيره ؛ أنَّه أُرشد إليه بوحي من الله عزَّ وجلَّ ، وقدَّمنا في صفة خلق السموات أنَّ الكعبةَ بحيالِ البيت المَعْمُور ، بحيث إنَّه لو سقطَ لسقطَ عليها ، وكذلك معابدُ السموات ، كما قال بعض السلف : إنَّ في كلِّ سماءٍ بيتاً يعبدُ اللهَ فيه أهلُ كلِّ سماءٍ ، وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض .

فأمرَ الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبنيَ له بيتاً يكون لأهل الأرض كتلك المعابد لملائكة السموات ، وأرشدَه الله إلى مكان البيتِ المهيَّأ له ، المعيَّن لذلك ، منذ خلق السموات والأرض ، كما ثبتَ في الصحيحين : « إن هذا البلدَ حرَّمه الله يومَ خلقَ السموات والأرض ، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة » .

ولم يجىء في خبر صحيح عن معصوم أنَّ البيتَ كان مبنيّاً قبلَ الخليل عليه السلام . ومن تمسَّك في هذا بقوله : ﴿ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ [الحج : ٢٦] فليس بناهضٍ ولا ظاهرٍ ، لأن المراد مكانه المقدَّر في علم الله ، المقرَّر في قدرته ، المعظَّم عند الأنبياء موضعه ، من لدن آدمَ إلى زمان إبراهيم .

وقد ذُكِرَ أنَّ آدم نصب عليه قُبَّةً ، وأن الملائكة قالوا له : قد طُفْنا قبلَك بهذا البيت ، وأنَّ السفينة

---

(١) سقطت من المطبوع .

طافتْ به أربعين يوماً أو نحو ذلك ، ولكن كلُّ هذه الأخبار عن بني إسرائيل . وقد قرّرنا أنها لا تصدَّقُ ولا تكذبُ ، فلا يُحتجُّ بها ، فأما إن ردَّها الحقُّ فهي مردودة .

وقد قال الله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] أي : أوّل بيت وُضعَ لعموم النَّاس للبركة والهدى البيت الذي ببكة . قيل : مكة ، وقيل : محل الكعبة : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٩٧] أي : على أنه بناء الخليل والد الأنبياء من بعده ، وإمام الحنفاء من ولده الذين يقتدونَ به ويتمسَّكون بسنَّته ، ولهذا قال : ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] أي : الحجَر الذي كان يقف عليه قائماً ، لما ارتفعَ البناءُ عن قامَته ، فوضعَ له ولدُه هذا الحجرَ المشهورَ ليرتفعَ عليه لمَّا تعالى البناءُ ، وعَظُمَ الفناء ، كما تقدَّم في حديث ابن عباس الطويل .

وقد كان الحجَر مُلصقاً بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيَّام عُمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، فأخّره عن البيت قائلاً : لئلا يَشغل المصلين عندَه الطائفين بالبيت ، واتُّبعَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه في هذا ، فإنه قد وافقه ربُّه في أشياءَ ، منها : في قوله لرسوله ﷺ لو اتَّخَذْنا مِن مقام إبراهيمَ مُصلًّى ، فأنزل الله : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[1] [البقرة : ١٢٥] .

وقد كانتْ آثارُ قدمي الخليل باقية في الصخرة إلى أوَّل الإسلام ، و قد قال أبو طالب في قصيدته[2] اللاميَّة المشهورة : [من الطويل]

وثـورٍ ومَـنْ أرسـى ثَبِيْـراً مكـانَـه ... وراقٍ لِيَـرْقـى فـي حِـراءَ ونـازِلِ[3]
وبالبيتِ ، حق البيت ، من بطنِ مكَّةٍ ... وبـالله إنّ اللهَ ليـس بغـافِـلِ
وبـالحَجـر المُسْـوَدِّ إذ يَمْسَحُـونـه ... إذا اكتنفُـوه بـالضُّحى والأصائلِ[4]
ومَوْطِئ إبراهيمَ في الصّخرِ رَطْبةٌ ... علـى قَـدَمَيْـهِ حَـافيـاً غيـرَ نـاعِـلِ

يعني أنَّ رجلَه الكريمة غاصتْ في الصخرة ، فصارتْ على قَدْر قَدَمه حافيةً لا مُنتعلة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] أي : في حال قولهما ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] فهما في غاية الإخلاص والطاعة لله عزَّ وجلَّ ، وهما يسألان من الله السميع العليم أن يتقبَّلَ منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعي المشكور : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨٩) في الجزية والموادعة ، ومسلم (١٣٥٣) في الحج ، عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .
(٢) انظر القصيدة في السيرة النبوية ؛ لابن هشام (١/ ٢٧٢ ـ ٢٨٠) .
(٣) ثور وثبير وحراء : جبال بمكة .
(٤) « اكتنفوه » : أحاطوا به .

والمقصودُ أن الخليلَ بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع ، في وادٍ غير ذي زَرْع ، ودعا لأهلها بالبركة وأن يُرْزقوا من الثمرات ، مع قلَّة المياه وعدم الأشجار والزروع والثِّمار ، وأن يجعلَه حَرَماً مُحرَّماً ، وآمناً مُحتّماً ، فاستجابَ الله وله الحمدُ له مسألته ، ولبَّى دعوتَه ، وآتاه طلبته ، فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٧] . وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [القصص : ٥٧] وسألَ الله أنْ يبعثَ فيهم رسولاً منهم ، أي : من جنسهم ، وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصحية ، لتتمَّ عليهم النعمتان الدنيوية والدينية ، سعادة الأولى والأخرى .

وقد استجابَ الله له ، فبعثَ فيهم رسولاً وأيّ رسول ، ختمَ به أنبياءَه ورسلَه ، وأكملَ له من الدِّين ، ما لم يُؤتِ أحداً قبلَه ، وعمَّ بدعوتِه أهلَ الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الأقطار والأمصار والأعصار إلى يوم القيامة ، وكان هذا من خصائِصه من بين سائر الأنبياء ، لشرفِه في نفسه ، وكمالِ ما أُرسلَ به ، وشَرفِ بُقعتهِ ، وفصاحة لغتِه ، وكمال شَفقتِه على أُمَّته ، ولطفه ورحمته ، وكريم مَحْتِدِهِ[١] ، وعظيم مولده ، وطيب مَصْدَرِه ومَوْرده .

ولهذا استحقَّ إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام إذ كان باني كعبة أهل الأرضِ أن يكونَ منصبُه ومحلُّه وموضعُه في منازل السموات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور ، الذي هو كعبةُ أهل السماء السابعة المُبارك المبرور ، الذي يدخلُه كلَّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، يتعبَّدون فيه ، ثم لا يعودون إليه إلى يوم البعث والنشور ، وقد ذكرنا في التفسير[٢] من سورة البقرة صفة بناية البيت ، وما وردَ في ذلك من الأخبار والآثار بما فيه كفاية ، فمن أرادَه فليراجعْه ثَمَّ ولله الحمد .

فمن ذلك ما قال السُّدِّي : لما أمرَ الله إبراهيمَ وإسماعيلَ أن يبنيا البيتَ ، ثم لم يدريا أين مكانه ، حتى بعثَ الله ريحاً يُقال له « الخجوج »[٣] لها جناحان ورأس ، في صورة حيَّة ، فكنستْ لهما ما حولَ الكعبة عن أساس البيت الأوَّل ، واتَّبعَاهَا بالمعاول يحفران ، حتى وضعا الأساسَ ، وذلك حين يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الحج : ٢٦] »[٤] .

فلما بلغا القواعدَ وبنيا الركنَ ، قال إبراهيمُ لإسماعيل : يا بني اطلبْ لي [حجراً حسَناً أضعُه هاهنا . قال : يا أبتِ ! إني كسلان لَغِبٌ . قال : عليَّ ذلكَ . فانطلقَ ، وجاءَه جبريلُ][٥] بالحَجَرِ الأسودِ من

---

(١) « محتده » : أصله وحسبه ونسبه .
(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٢١٩ ـ ٢٢٥) .
(٣) « الخجوج » : الريح الشديد المَرُّ .
(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (١/ ٢٥٢) .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع .

الهِنْد ، وكان أبيضَ ياقوتة بيضاء مثل الثَّغامة[١] . وكان آدمُ هبطَ به من الجنَّة ، فاسوَدَّ من خطايا النَّاسَ ، فجاءَه إسماعيلُ بحجر ، فوجدَه عند الركن . فقال يا أبتِ منْ جاءك بهذا ؟ قال : جاء به منْ هو أنشطُ منك . فبنيا وهما يدعوان الله : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

وذكرَ ابنُ أبي حاتم : أنَّه بناه من خمسة أجبل ، وأنَّ ذا القرنين ـ وكان مَلِكَ الأرضِ إذ ذاك ـ مرَّ بهما وهم يبنيانه ، فقال : منْ أمركما بهذا ؟ فقال إبراهيم : الله أمرنا به . فقال : وما يُدريني بما تقولُ ، فشهدتْ خمسةُ أكبشٍ أنَّه أمرَه بذلك ، فآمنَ وصدَّق . وذكر الأزرقي : أنَّه طافَ مع الخليل بالبيت .

وقد كانت الكعبة[٢] على بناء الخليل مدة طويلة ، ثم بعد ذلك بَنَتْها قريش ، فقصَّرت بها عن قواعد إبراهيم من جهة الشمال ، ممايلي الشام ، على ما هي عليه اليوم .

وفي الصحيحين[٣] : من حديث مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم ؛ أنَّ عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبرَ ابن عمر ، عن عائشةَ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ألم تريْ إلى قومِك حين بنوا الكعبةَ اقتصروا عن قواعد إبراهيم » فقلتُ : يا رسولَ الله : ألا تردَّها على قواعد إبراهيم ؟ فقال : « لولا حدثان قومِك بالكفر لفعلتُ » وفي رواية : « لولا أنَّ قومَك حديثو عهد بجاهلية ، أو قال : بكفر ، لأنفقت كنزَ الكعبة في سبيل الله ، ولجعلتُ بابَها بالأرض ، ولأدخلت فيها الحِجْرَ » .

وقد بناها ابنُ الزبير رحمه الله في أيَّامه على ما أشار إليه رسولُ الله ﷺ ، حسبما أخبرتْه خالتُه عائشة أمُّ المؤمنين عنه ، فلما قتلَه الحجَّاجُ في سنة ثلاثٍ وسبعين ، كتبَ إلى عبد الملك بن مروان الخليفة إذ ذاك ، فاعتقدوا أنَّ ابنَ الزبير إنما صنع ذلك من تلقاء نفسِه ، فأمرَ بردِّها إلى ما كانت عليه ، فنَقَضُوا الحائطَ الشَّاميَّ ، وأخرجوا منها الحِجْرَ ، ثم سَدُّوا الحائط وردَموا الأحجارَ في جَوْفِ الكعبة ، فارتفعَ بابُها الشرقيّ ، وسدُّوا الغربيَّ بالكُليَّة ، كما هو مشاهد إلى اليوم .

ثم لما بلغَهم أنَّ ابن الزبير إنما فعلَ هذا لما أخبرتْه عائشة أم المؤمنين نَدِموا على ما فَعلوا ، وتأسَّفوا أن لو كانوا تركوه وما تولَّى من ذلك .

ثم لما كان في زمن المَهْدي بن المنصور استشارَ الإمامَ مالكٍ بن أنس في ردِّها على الصِّفة التي بناها ابن الزبير ، فقال له : إني أخشى أن يتخذَها الملوكُ لعبةً ، يعني كلَّما جاءَ مَلِكٌ بناها على الصِّفَة التي يُريد ، فاستقرَّ الأمرُ على ما هي عليه اليوم .

* * *

(١) « الثغامة » : شجرة بيضاء الثمر والزهر .

(٢) أثبتها من المطبوع .

(٣) أخرجه البخاري (١٥٨٣) في الحج ، ومسلم (١٣٣٣) في الحج .

ذكر ثناء الله ورسولِه الكريم على عبده وخليله إبراهيم

قال الله : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤] . لما وفَّى ما أمرَه ربُّه به من التكاليف العظيمة ، جعلَه للناس إماماً يقتدون به ، ويأتمُّون بهديْه ، وسألَ اللهَ أن تكونَ هذه الإمامة متصلةً بسببه ، وباقيةً في نسبه ، وخالدةً في عَقبه ، فأُجيبَ إلى ما سأل ورامَ ، وسُلِّمَتْ إليه الإمامة بزمام ، واستثني من نيلها الظالمون ، واختُصَّ بها من ذرِّيته العلماءُ العاملون ، كما قال تعالى : ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الأنعام : ٨٤-٨٧] .

فالضميرُ في قوله : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ عائدٌ على إبراهيم على المشهور ، ولوطٌ وإن كان ابنَ أخيه ، إلا أنَّه دخلَ في الذريّة تغليباً ، وهذا هو الحاملُ للقائل الآخر : إن الضميرَ على نوحٍ كما قدَّمنا في قصته ، والله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ ﴾ [الحديد : ٢٦] . الآية .

فكلُّ كتاب أُنزل من السماء على نبيٍّ من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته . وهذه خِلْعةٌ سنيَّة لا تُضاهى ، ومرتبةٌ عليَّةٌ لا تُباهى . وذلك أنَّه وُلدَ له لصُلبِهِ ولدان ذكران عظيمان : إسماعيل من هاجر ، ثم إسحاق من سارَة ، ووُلد لهذا يعقوبُ ، وهو إسرائيل الذي ينتسبُ إليه سائرُ أسباطِهم ، فكانت فيهم النبوة ، وكثروا جداً بحيث لا يعلمُ عددَهم إلا الذي بعثهم ، واختصَّهم بالرسالة والنبوة حتى خُتِمُوا بعيسى ابن مريم من بني إسرائيل .

وأما إسماعيل عليه السلام ، فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها ، كما سنبيِّنه فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ولم يُوجد من سُلالتِه من الأنبياء سوى خاتَمهم على الإطلاق وسيدهم ، وفخر بني آدمَ في الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشيّ الهاشميّ المكيِّ ، ثم المدنيِّ صلوات الله وسلامه عليه ، فلم يُوجد من هذا الفرع الشريف والغُصْن المنيف سوى هذه الجوهرة الباهرة والدُّرَّة الزاهرة ، وواسطة العقد الفاخرة ، وهو السَّيِّد الذي يفتخرُ به أهلُ الجمع ، ويغبطُه الأوَّلون والآخرون يوم القيامة .

وقد ثبت عنه في صحيح مسلم ، كما سنُورده أنه قال : « سأقومُ مقاماً يرغبُ إليَّ الخَلْقُ كلُّهم حتى إبراهيم »[١] فمدحَ إبراهيمَ أباه مِدْحةً عظيمةً في هذا السياق ، ودلَّ كلامه على أنه أفضلُ الخلائق بعده على الإطلاق ، في هذه الحياة الدنيا ويومَ يُكشفُ عن سَاق .

وقال البخاري[٢] : حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا جريرٌ ، عن منصور ، عن المِنهال ، عن سعيد ابن جُبَيْر ، عن ابن عبَّاس ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يُعوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْن ويقول : « إنَّ أباكما كان يُعوِّذ بهما إسماعيلَ وإسحاقَ : أعوذُ بكلماتِ الله التَّامة ، من كُلِّ شَيْطانٍ وهامَّة ، ومنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّة » .

ورواه أهل السنن[٣] : من حديث منصور به .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

ذكر المفسرون لهذا السؤال أسباباً بسطناها في التفسير[٤] . وقرَّرناها بأتمِّ تقرير ، والحاصلُ : أنَّ الله عزَّ وجلَّ أجابَه إلى ما سألَ ، فأمرَه أن يعمد إلى أربعةٍ من الطيور ، واختلفوا في تعيينها[٥] على أقوال ، والمقصود حاصل على كلِّ تقدير ، فأمره أن يُمزِّقَ لحومَهنَّ وريشهنَّ ، ويخلط ذلك بعضه في بعض ، ثم يقسمه قسماً ، ويجعل على كلِّ جبل منهنَّ جزءاً ، ففعل ما أُمِرَ به ، ثم أُمِرَ أن يدعوهنَّ بإذن ربهنَّ ، فلما دعاهنَّ ، جعلَ كلُّ عضوٍ يطيرُ إلى صاحبه ، وكلُّ ريشة تأتي إلى أختها ، حتى اجتمعَ بدن كل طائر على ما كان عليه ، وهو ينظر إلى قدرة الذي يقولُ للشيء : كن فيكون . وأتينَ إليه سعياً ، ليكونَ أبينَ له وأوضحَ لمشاهدته يأتين طيراناً .

ويقال : إنه أُمر أن يأخذَ رؤوسهنَّ في يده ، فجعلَ كلُّ طائر يأتي فيُلقي رأسَه ، فيتركَّبُ على جثَّته كما كان ، فلا إله إلا الله .

وقد كان إبراهيمُ عليه السلام يعلمُ قدرة الله تعالى على إحياء الموتى علماً يقينياً ، لا يحتمل النقيضَ ، ولكنْ أحبَّ أنْ يُشاهدَ ذلك عياناً ، ويترقَّى من علم اليقين إلى عين اليقين ، فأجابه الله إلى سؤاله ، وأعطاه غاية مأموله .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٢٠) في صلاة المسافرين .
(٢) في صحيحه (٣٣٧١) في الأنبياء .
(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٧٣) في السنة ، والترمذي (٢٠٦٠) في الطب ، والنسائي (١٠٠٦) في عمل اليوم والليلة ، وابن ماجه (٣٥٢٥) في الطب . والهامة : واحدة الهوام ذوات السموم ، « واللاَّمَّة » : الداء والآفة .
(٤) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) .
(٥) في المطبوع : تعيُّنها .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٥ ـ ٦٨] يُنكر تعالى على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في دعوى كل من الفريقين ، كون الخليل على ملَّتهم وطريقتهم ، فبرَّأه الله منهم ، وبيَّن كثرةَ جهلهم وقلة عقلهم في قوله : ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ [آل عمران : ٦٥] أي : فكيف يكون على دينكم وأنتم إنما شرع لكم ما شرع بعدَه بمدد متطاولة ، ولهذا قال : ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٥] إلى أن قال : ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] فبيَّن أنه كان على دين الله الحنيف ، وهو القصدُ إلى الإخلاص والانحراف عمداً عن الباطل إلى الحق الذي هو مخالف لليهودية والنصرانية والمشركية ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٠ ـ ١٤١] . فنزَّه الله عزَّ وجلَّ خليلَه عليه السلام عن أن يكون يهودياً أو نصرانياً ، وبيَّن أنه إنما كان حنيفاً مسلماً ولم يكن من المشركين ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ [آل عمران : ٦٨] يعني الذين كانوا على مِلَّتِه من أتباعه في زمانه ، ومن تمسَّك بدينه من بعدهم ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [آل عمران : ٦٨] يعني محمداً ﷺ ، فإن الله شرعَ له الدِّينَ الحنيف الذي شرعه للخليل ، وكمَّله الله تعالى له وأعطاه ما لم يُعْطَ نبياً ولا رسولاً قبله ، كما قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١ ـ ١٦٣] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ

ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠ ـ ١٢٣] .

وقال البخاري[١] : حدَّثنا إبراهيم بن موسى ، حدَّثنا هشام ، عن مَعْمر ، عن أيُّوب ، عن عكرمة ، عن ابن عبَّاس : أنَّ النبيَّ ﷺ لما رأى الصُّوَرَ في البيت لم يدخلْ حتى أُمِر بها فمُحيت ، ورأى إبراهيمَ وإسماعيلَ بأيديهما الأزلامُ ، فقال : « قاتلَهم الله ، والله إن استقسما بالأزلام قطّ » . لم يخرِّجْه مسلم .

وفي بعض ألفاظ البخاري[٢] : « قاتلَهم الله ، لقد علموا أن شيخنا لم يستقسمْ بها قطُّ » .

وقوله : ﴿ أُمَّةً ﴾ أي : قدوة ، إماماً مهتدياً داعياً إلى الخير ، يُقتدى به فيه ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ أي : خاشعاً له في جميع حالاته وحركاته وسكناته ﴿ حَنِيفًا ﴾ أي مخلصاً على بصيرة : ﴿ وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ﴾ قائماً بشكر ربِّه بجميع جوارحِه من قلبه ولسانه وأعمالِه ﴿ ٱجۡتَبَىٰهُ ﴾ أي : اختاره الله لنفسه واصطَفَاه لرسالته ، واتَّخذه خليلاً ، وجمعَ له بين خيري الدنيا والآخرة .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء : ١٢٥] يرغِّب تعالى في اتباع إبراهيم عليه السلام ، لأنه كان على الدِّين القويم والصِّراط المستقيم ، وقد قام بجميع ما أَمر به ربُّه ، ومدحَه تعالى بذلك ، فقال : ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] ولهذا اتَّخذه الله خليلاً ، والخُلَّةُ هي غاية المحبَّة ، كما قال بعضُهم : [من الخفيف]

قد تَخَلَّلْتَ مَسْلك الرُّوحِ مني وبـذا سُمِّـي الخليـلُ خليـلا[٣]

وهكذا نالَ هذه المنزلة خاتمُ الأنبياء وسيِّدُ الرسل محمد صلواتُ الله وسلامه عليه ، كما ثبت في الصحيحين[٤] وغيرهمـا : من حديث جُنْدب البَجليّ ، وعبد الله بن عمـرو ، وابن مسعود ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أيها الناس إن الله اتَّخذني خليلاً ، كما اتَّخذَ إبراهيمَ خليلاً » .

وقال أيضاً في آخرِ خطبةٍ خطبَها : « ايُّها النَّاسُ لو كنتُ مُتَّخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً ، ولكنَّ صاحبَكم خليلُ الله » . أخرجاه من حديث أبي سعيد[٥] .

وثبت أيضاً من حديث عبد الله بن الزبير وابن عباس وابن مسعود .

---

(١) في صحيحه (٣٣٥٢) في الأنبياء .
(٢) أخرجه البخاري (١٦٠١) في الحج بلفظ « قاتلهم الله ، أما والله قد علموا أنهما لم يستقسما بها قط » .
(٣) ذكره ابن القيم في روضة المحبين (ص٨٢) طبعة دار الكلم الطيب تحقيق د. محيي الدين ديب مستو .
(٤) ليس في الصحيحين بهذا اللفظ وإنما رواه المؤلف بالمعنى .
(٥) أخرجه بالمعنى البخاري رقم (٣٩٠٤) في فضائل الصحابة ، ومسلم (٢٣٨٣) في فضائل الصحابة .

وروى البخاريُّ في « صحيحه »[١] : حدَّثنا سليمان بن حرب ، حدَّثنا شعبة ، عن حبيب بن جُبير ، عن عمرو بن ميمون ، قال : إنَّ معاذا لما قدمَ اليمن صلَّى بهم الصُّبْح ، فقرأ ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٥] . فقال رجل من القوم : لقد قرَّت عينُ أُمِّ إبراهيم .

وقال ابن مردويه[٢] : حدَّثنا عبدُ الرحيم بن محمد بن مسلم ، حدَّثنا إسماعيل بن أحمد بن أسيد ، حدَّثنا إبراهيمُ بن يعقوب الجُوزجاني بمكَّة ، حدَّثنا عبدُ الله الحنفي ، حدَّثنا زَمْعة بن صالح ، عن سلمةَ بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جلسَ ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه ، فخرجَ حتى إذا دنا منهم سمعَهم يتذاكرون ، فسمعَ حديثَهم ، وإذا بعضُهم يقول : عَجباً ، إن الله اتَّخذَ من خلقه خليلاً ، فإبراهيم خليله . وقال آخر : ماذا بأعجبَ الله كَلَّمَ موسى تكليماً . وقال آخر : فعيسى روحُ الله وكلمتُه . وقال آخر : آدمُ اصطفاه الله . فخرجَ عليهم فسلَّم ، وقال : « قد سمعتُ كلامَكم وعجبَكم أن إبراهيمَ خليلُ الله ، وهو كذلك ، وموسى كليمُه ، وهو كذلك ، وعيسى رُوحه وكلمتُه ، وهو كذلك ، وآدمُ اصطفاه الله ، وهو كذلك . ألا وإني حبيبُ الله ولا فخرَ ، ألا وإني أوَّلُ شافع وأوَّلُ مُشفَّع ولا فخر ، وأناأوَّلُ منْ يُحرِّك حلقةَ باب الجنَّة فيفتحه الله ، فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ، وأنا أكرم الأوَّلينَ والآخرين يوم القيامة ، ولا فخر » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وله شواهدُ من وجوه أخر ، والله أعلم .

ورواه الحاكم في مستدركه[٣] : من حديث قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أتنكرون أن تكون الخُلَّة لإبراهيم ، والكلامُ لموسى ، والرؤية لمحمَّد ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقال ابن أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا محمود بن خالد السُّلمي ، حدَّثنا الوليد ، عن إسحاق بن بشَّار ، قال : لما اتَّخذ الله إبراهيم خليلاً ألقى في قلبه الوجل ، حتى إنْ كان خفقانُ قلبه ليُسمع من بُعد كما يُسمع خفقان الطير في الهواء[٤] .

وقال عُبيد بن عُمير : كان إبراهيمُ عليه السلام يُضيِّفُ النَّاسَ ، فخرجَ يوماً يلتمسُ إنساناً يُضيِّفه ، فلم يجد أحداً يضيفه ، فرجعَ إلى داره ، فوجدَ فيها رجلاً قائماً ، فقالَ : يا عبد الله ما أدخلكَ داري بغير إذني ؟ قال : دخلتها بإذن ربِّها . قال : ومنْ أنتَ ؟ قال : أنا مَلَكُ الموتِ ، أرسلني ربِّي إلى عبد من عباده أبشِّره بأن الله قد اتخذه خليلاً ، قال : منْ هو ؟ فوالله إنْ أخبرتني به ، ثم كان بأقصى البلاد لآتينَّه ،

---

(١) البخاري (٤٣٤٨) في المغازي .
(٢) كما في الدر المنثور (٢/ ٧٠٥) والترمذي (٣٦١٦) في المناقب ، وقال : هذا حديث غريب .
(٣) المستدرك (١/ ٦٥ و٢/ ٤٦٩) .
(٤) كما في الدر المنثور (٢/ ٧٠٦) .

ثم لا أبرحُ له جاراً ، حتَّى يُفرِّقَ بيننا الموتُ . قال : ذلك العبدُ أنتَ . قال : أنا ؟ قال : نعم . قال : فبم اتَّخذني ربِّي خليلاً ؟ قال : بأنَّك تُعطي النَّاسَ ولا تسألُهم . رواه ابن أبي حاتم(١) .

وقد ذكره الله تعالى في القرآن كثيراً في غير ما موضع بالثناء عليه . والمدح له . فقيل(٢) : إنه مذكور في خمسة وثلاثين موضعاً ، منها خمسة عشر في البقرة وحدها .

وهو أحدُ أولي العزم الخمسة ، المنصوص على أسمائهم تخصيصاً من بين سائر الأنبياء في آيتي الأحزاب والشورى ، وهما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] وقوله : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى : ١٣] الآية .

ثم هو أشرفُ أُولي العزم بعد محمَّدٍ ﷺ ، وهو الذي وجده عليه السلام في السماء السابعة ، مسنداً ظهره بالبيت المعمور ، الذي يدخلُه كلَّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم .

وما وقع في حديث شريك بن أبي نَمِر ، عن أنس ، في حديث الإسراء(٣) : من أنّ إبراهيمَ في السادسة ، وموسى في السابعة ، فممَّا انتُقد على شريكٍ في هذا الحديث ، والصحيح الأول .

وقال أحمد(٤) : حدثنا محمد بن بشر ، حدَّثنا محمد بن عمرو ، حدَّثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الكريمَ ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن » . تفرَّد به أحمد(٥) .

ثم مما يدلُّ على أنَّ إبراهيمَ أفضلُ من موسى على الصحيح الحديث الذي قال فيه : « وأخَّرتُ الثالثة ليوم يرغبُ إليّ الخلقُ كلُّهم حتى إبراهيم » رواه مسلم من حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه(٦) .

وهذا هو المقامُ المحمودُ الذي أخبرَ عنه صلواتُ الله وسلامه عليه بقوله : « أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يوم القيامة ولا فخر » . ثم ذكرَ استشفاع الناس بآدمَ ثم بنوح ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، فكلُّهم يحيدُ عنها ، حتى يأتوا محمداً ﷺ : « فيقول : أنا لها ، أنا لها » . . . الحديث(٧) .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) في ب : يُقال .

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٧) في التوحيد ، ومسلم (١٦٢) (٢٦٢) في الإيمان .

(٤) في المسند (٢/ ٣٣٢) وهو حديث صحيح .

(٥) بل رواه الترمذي رقم (٣١٦٦) وهو حديث حسن .

(٦) أخرجه مسلم (٨٢٠) (٢٧٣) في صلاة المسافرين ، وتقدَّم .

(٧) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) في الأنبياء و(٤٧١٢) في التفسير .

وهكذا رواه البخاري في مواضع أخر(١) ، ومسلم(٢) ، والنسائي(٣) ، من طرقٍ عن يحيى بن سعيد القَطَّان ، عن عُبيد الله ، وهو ابن عمر العُمَريّ به .

قال البخاريُّ(٤) : حدَّثناعليُّ بن عبد الله ، حدَّثنا يحيى بن سعيد ، حدَّثنا عبيد الله ، حدَّثني سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قيل : يا رسول الله ! من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : « فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله ؟ » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : « فعن معادن العرب تسألوني ؟ ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » . ثم قال البخاري : قال أبو أسامة ومعتمر ، عن عبيد الله ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ .

قلت : وقد أسنده في موضع آخر من حديثهما(٥) ، وحديث عبدة بن سليمان(٦) ، والنسائي من حديث محمد بن بشر(٧) ، أربعتُهم عن عبيد الله بن عمر ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ(٨) .

وقال أحمد(٩) : حدَّثنا محمد بن بشر ، حدَّثنا محمد بن عمرو ، حدَّثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الكريمَ ابنَ الكريمَ ابن الكريم ابن الكريم يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله » . تفرَّد به أحمد .

وقال البخاريُّ(١٠) : حدَّثنا عبدة ، حدَّثنا عبد الصمد عن(١١) عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « الكريمُ ابنُ الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » . تفرَّد به من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، به .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٢): حدَّثنا يحيى ، عن سفيان ، حدَّثني مغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ : « يُحشرُ النَّاس حفاة عراة غرلاً ، فأول من يُكسى إبراهيم

---

(١) صحيح البخاري (٣٣٥٣) في أحاديث الأنبياء و(٣٤٩٠) في مناقب قريش .
(٢) صحيح مسلم (٢٣٧٨) في المناقب .
(٣) في التفسير (٢٦٩) ، وهو في الكبرى (١١٢٤٩) .
(٤) في صحيحه (٣٣٥٣) .
(٥) أخرج البخاري حديث أبي أسامة في أحاديث الأنبياء من صحيحه (٣٣٨٣) . وأخرج حديث معتمر بن سليمان في (٣٣٧٤).
(٦) أخرجه البخاري في التفسير من صحيحه (٤٦٨٩) .
(٧) في التفسير (٢٧٠) وهو في سننه الكبرى برقم (١١٢٥٠) .
(٨) فروى سعيد بن أبي سعيد هذا الحديث عن أبيه عن أبي هريرة ، ورواه عن أبي هريرة مباشرة، وكله صحيح كما هو معروف .
(٩) في المسند (٢/ ٣٣٢) وتقدم قريباً .
(١٠) البخاري (٣٣٩٠) في الأنبياء .
(١١) في المطبوع : « بن » خطأ بيّن ، وعبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار .
(١٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٢٩) وغرلاً : غير مختونين .

عليه السلام » ثم قرأ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] » فأخرجَاه في الصحيحين[١] : من حديث سفيان الثوري ، وشعبة بن الحجّاج[٢] ، كلاهما عن مغيرة بن النعمان النخعي الكوفي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبَّاس به .

وهذه الفضيلة المعيَّنة لا تقتضي الأفضليةَ بالنسبة إلى ما قابلَها مما ثبتَ لصاحب المقام المحمود ، الذي يغبطُه به الأوَّلون والآخرون .

وأما الحديث الآخر الذي قال الإمام أحمد : حدَّثنا وكيع وأبو نعيم ، حدَّثنا سفيان هو الثوري ، عن مختار بن فُلْفلٍ، عن أنس بن مالك، قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا خيرَ البريَّة ! فقال : « ذاكَ إبراهيم »[٣]، فقد رواه مسلم[٤] من حديث الثوري وعبد الله بن إدريس وعلي بن مسهر ومحمد بن فضيل أربعتُهم ، عن المختار بن فلفل . وقال الترمذي[٥] : حسن صحيح .

وهذا من باب الهَضْم والتواضع مع والده الخليل عليه السلام ، كما قال : « لا تُفضِّلوني على الأنبياء ، وقال : لا تُفضِّلوني على موسى فإن الناس يُصعقونَ يومَ القيامة ، فأكونُ أوَّلَ من يفيقُ ، فأجدُ موسى باطشاً بقائمةِ العَرْشِ ، فلا أدري أفاقَ قبلي أم جُوزي بصَعْقةِ الطُّور »[٦] .

وهذا كله لا ينافي ما ثبت بالتواتر عنه صَلواتُ الله وسلامُه عليه ، من أنه سيد ولد آدم يومَ القيامة[٧] .
وكذلك حديث أُبيٍّ بن كعب في صحيح مسلم : « وأخَّرْتُ الثالثةَ ليومٍ يرغبُ إليَّ الخلقُ كلُّهم حتى إبراهيم »[٨] .

ولما كان إبراهيمُ عليه السلام أفضلَ الرسل وأولي العزم بعد محمّد صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين ، أُمر المُصلِّي أن يقولَ في تشهده ما ثبتَ في الصحيحين : من حديث كعب بن عُجْرة وغيره ، قال : قلنا : يا رسولَ الله ! السلام عليك قد عرفناه ، فكيفَ الصَّلاةُ عليك ؟ قال : « قولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ على محمّد وعلى آل محمد ، كما صَلَّيتَ على إبراهيـمَ وآل إبراهيم ، وباركْ على محمَّد وعلى آل

---

(١) تفرد البخاري بإخراج حديث سفيان في صحيحه (٣٣٤٩) و(٣٤٤٧) و(٤٦٢٦) .
(٢) حديث شعبة أخرجه البخاري (٤٦٢٥) و(٤٧٤٠) و(٦٥٢٦) ، ومسلم (٢٨٦٠) (٥٨) .
(٣) في المسند (٣/ ١٧٨) .
(٤) مسلم (٢٣٦٩) في الفضائل .
(٥) الترمذي (٣٣٥٢) في التفسير .
(٦) أخرجه البخاري (٣٤١٤) في الأنبياء ، ولفظه : « لا تفضلوا بين أولياء الله . . . » ومسلم (٢٣٧٣) في الفضائل ، بلفظ : « لا تفضلوا بين أنبياء الله . . . » .
(٧) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) في الأنبياء ، ومسلم (٣٢٧) (١٩٤) في الإيمان ، وهو من الأحاديث المتواترة انظر « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » للسيوطي (ص١٤٩) مصورة دار المعارف بحلب ـ سورية .
(٨) أخرجه مسلم (٨٢٠) في صلاة المسافرين ، وقد تقدم .

محمد ، كما باركتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ[١] » .

وقال تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] قالوا : وفي جميع ما أُمر به ، وقامَ بجميع خصال الإيمان وشُعبه ، وكان لا يَشغله مراعاة الأمر الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل ، ولا يُنسيه القيام بأعباء المصالح الكبار عن الصِّغار .

قال عبد الرزاق : أنبأنا مَعْمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس [في قوله تعالى][٢] : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٢٤] قال : ابتلاه الله بالطَّهارة : خمسٌ في الرأس ، وخمسٌ في الجسد ، في الرأس : قصُّ الشارب ، والمضمضة ، والسِّواك ، والاستنشاق ، وفَرْقُ الرأس . وفي الجسد : تقليمُ الأظفار ، وحَلْقُ العانة ، والخِتان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر الغائط والبول بالماء . رواه ابن أبي حاتم[٣] ، وقال : وروي عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبي والنخعي وأبي صالح وأبي الجلد نحو ذلك .

قلت : وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الفطرةُ خمسٌ : الختان ، والاستحداد ، وقصُّ الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط »[٤] .

وفي صحيح مسلم وأهل السنن[٥] : من حديث وكيع ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن مصعب بن شيبة العبدري المكي الحجبي ، عن طلق بن حبيب العَنَزي ، عن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « عَشْرٌ من الفِطرة : قصُّ الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسِّواك ، واستنشاق الماء ، وقصُّ الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحَلْق العانة ، وانتقاص الماء » ـ يعني : الاستنجاء[٦] ـ قال مصعب : ونسيتُ العاشرةَ إلا أن تكون المضمضة . قال وكيع : انتقاص الماء . وسيأتي في ذكر مقدار عمره الكلام على الخِتان .

والمقصودُ أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يَشغله القيامُ بالإخلاص لله عزَّ وجلَّ وخشوع العبادة العظيمة ، عن مراعاة مصلحة بدنه وإعطاء كلِّ عضوٍ ما يستحقُّه من الإصلاح والتحسين ، وإزالة ما له

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٥٧) في الدعوات ، ومسلم (٤٠٦) في الصلاة .
(٢) ما بين حاصرتين ساقط من الأصل ، وأثبته من المطبوع .
(٣) كما في الدر المنثور (١/ ٢٧٣) وأخرجه البيهقي (٨/ ٣٢٥) في السنن الكبرى، والحاكم (٢/ ٢٦٦) في المستدرك .
(٤) أخرجه البخاري (٥٨٩١) في اللباس ، ومسلم (٢٥٧) في الطهارة .
(٥) أخرجه مسلم (٢٦١) في الإيمان، وأبو داود (٥٣) في الطهارة ، والترمذي (٢٧٥٧) في الأدب، وابن ماجه (٢٩٣) في الطهارة وسننها ، والنسائي (٨/ ١٢٦) و(١٢٨) في الزينة، وهو في الكبرى (٩٢٨٦) و(٩٢٨٧) و(٩٢٨٨) .
(٦) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع .

يُشيْن[١] من زيادة شعر أو ظفر أو وجود قَلْحٍ[٢] أو وَسَخٍ ، فهذا من جملة قوله تعالى في حقه من المدح العظيم ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] .

ذكر قصره في الجنة

قال الحافظ أبو بكر البزّار[٣] : حدَّثنا أحمد بن سنان القطَّان الواسطي ، ومحمد بن موسى القَطَّان ، قالا : حدَّثنا يزيد بن هارون ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنَّةِ قصراً ـ أحسبه قال ـ من لؤلؤة ليس فيه فَصْمٌ[٤] ولا وَهْيٌ[٥] ، أعدَّه الله لخليله إبراهيم عليه السلام نُزُلاً » .

قال البزار : وحدَّثناه أحمد بن حُمَيْد[٦] المروزي ، حدَّثنا النَّضْر بن شُمَيْل ، حدَّثنا حماد بن سَلمة ، عن سِماك ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه . ثم قال : وهذا الحديث لا نعلمُ رواه عن حمَّاد بن سلمةَ فأسندَه إلا يزيد بن هارون والنَّضْر بن شُمَيْل ، وغيرهما يرويه موقوفاً .

قلتُ : لولا هذه العِلَّة لكان على شرط الصحيح ولم يُخرِّجوه .

ذكر صفة إبراهيم عليه السلام

قال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا يونس وحُجَين ، قالا : حدَّثنا الليث ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « عُرِضَ عليّ الأنبياءُ ، فإذا موسى ضَرْبٌ من الرجال كأنَّه من رجالِ شنوءةَ ، ورأيتُ عيسى ابن مريم فإذا أقربُ مَنْ رأيتُ به شبَهاً عروةُ بن مسعود ، ورأيتُ إبراهيمَ ، فإذا أقربُ منْ رأيتُ به شبَهاً دِحْية » . تفرَّد به الإمام أحمد من هذا الوجه ، وبهذا اللفظ .

وقال أحمد[٨] : حدَّثنا أسودُ بن عامر ، حدَّثنا إسرائيلُ ، عن عثمان ـ يعني ابن المغيرة ـ عن مُجاهد ، عن ابن عبَّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ عيسى ابن مريم ، وموسى ، وإبراهيم ، فأما عيسى : فأحمرُ جَعْدٌ عريضُ الصَّدْر . وأما موسى : فآدمُ ، جَسِيْمٌ . قالوا له : فإبراهيمُ . قال : انظرُوا إلى صاحِبكم » . يعني نفسه .

---

(١) كذا في أ و ب وفي المطبوع : ما يشين .
(٢) « قلح » : تغير الأسنان بصفرة وخضرة تعلوها .
(٣) كما في كشف الأستار (٢٣٤٦) و(٢٣٤٧) .
(٤) « فَصْم » : كَسْرٌ .
(٥) « وَهيٌ » : ضعف . وفي هامش أ : وهَن ، وكذلك في المعجم الأوسط وكشف الأستار .
(٦) كذا في ب وكشف الأستار ، وفي أ والمطبوع : جميل ، وهو تصحيف .
(٧) في المسند (٣/ ٣٣٤) .
(٨) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٩٦) وإسناده صحيح على شرط البخاري .

وقال البخاري[١] : حدَّثنا بيانُ بن عمرو ، حدَّثنا النَّضْر ، أنبأنا ابنُ عون ، عن مجاهد ، أنَّه سمعَ ابن عبَّاس ، وذكروا له الدجَّال بين عينيْه [مكتوب] كافر ، أو (ك ف ر) . فقال : لم أسمعْه ، ولكنَّه قال ﷺ : « أما إبراهيمُ : فانظروا إلى صاحبكم . وأما موسى : فجَعْدٌ آدمُ ، على جَملٍ أحمرَ مَخْطومٌ بخُلْبةٍ[٢] ، كأني أنظرُ إليه انحدرَ في الوادي » .

وهكذا رواه البخاريُّ أيضاً في كتاب الحج[٣] وفي اللباس ، ومسلم ، جميعاً : عن محمد بن المثنى ، عن ابن أبي عديّ ، عن عبد الله بن عون به .

***

ذكر وفاة إبراهيم ، وما قيل في عمره

ذكرَ ابنُ جرير في تاريخه[٤] : أن مولدَه كان في زمن النمرود بن كنعان ، وهو فيما قيل : الضَّحَّاك المَلِكُ المشهورُ الذي يُقال : إنه مَلكَ ألف سنة ، وكان في غاية الغشم والظلم .

وذكرَ بعضُهم أنه من بني راسب الذين بُعثَ إليهم نوحٌ عليهم السلام ، وأنه كان إذ ذاكَ مَلكَ الدنيا .

وذكروا أنه طلعَ نجمٌ أخفى ضوءَ الشمس والقمر ، فهالَ ذلك أهلَ ذلك الزمان ، وفزع النمرودُ ، فجمعَ الكهنةَ والمُنجِّمينَ وسألَهم عن ذلك ، فقالوا : يُولد مولود في رَعيَّتكَ يكونُ زوالُ مُلْككَ على يديْه ، فأمرَ عند ذلك بمنع الرجال عن النساء ، وأن يُقتَلَ المولودون من ذلك الحين ، فكان مولدُ إبراهيم الخليل في ذلك الحين ، فحماه الله عزَّ وجلَّ وصانَه عن كيد الفُجَّار ، وشبَّ شباباً باهراً ، وأنبته الله نباتاً حسناً ، حتى كان من أمره ما تقدَّم ، وكان مولدُه بالسوس ، وقيل : ببابلَ ، وقيل : بالسواد من ناحية كُوثى[٥] . وتقدَّم عن ابن عباس أنه وُلدَ ببرزةَ شرقيّ دمشق .

فلما أهلك الله نمرودَ على يديْه وهاجرَ إلى حرَّان ، ثم إلى أرض الشام ، وأقام ببلاد إيليا كما ذكرنا ، ووُلد له إسماعيل وإسحاق ، وماتت سارَة قبلَه بقرية حَبْرُون التي في أرض كنعان ، ولها من العمر مئة

---

(١) في صحيحه (٣٣٥٥) في الأنبياء .
(٢) الخُلْبَةُ : الليف .
(٣) البخاري (١٥٥٥) في الحج و(٥٩١٣) في اللباس ، ومسلم (١٦٦) (٢٧٠) في الإيمان .
(٤) انظر تاريخ ابن جرير الطبري (١/ ٢٣٣) .
(٥) « كُوثى » : قال ياقوت : كوثى العراق : كوثيان ؛ أحدهما كوثى الطريق ، والآخر كوثى رَبَّى ، وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وبها مولده ، وهما من أرض بابل ، وبها طُرِحَ إبراهيم في النار ، وهما ناحيتان . معجم البلدان (٤/ ٤٨٧) .

وسبع وعشرون سنة، فيما ذكر أهل الكتاب، فحزنَ عليها إبراهيمُ عليه السلام ورثاها رحمها الله، واشترى من رجل من بني حيث، يقال له: عفرون بن صخر مغارةً بأربعمئة مثقال، ودفنَ فيها سارَة هنالك.

قالوا: ثم خطبَ إبراهيمُ على ابنه إسحاقَ، فزوَّجه «رفقا» بنت بتوئيل بن ناحور بن تارح، وبعث مولاه فحملَها من بلادها ومعها مُرضعتها وجواريها على الإبل.

قالوا: ثم تزوَّج إبراهيم عليه السلام «قنطورا» فولدت له: زمران، ويقشان، ومادان، ومدين، وشياق، وشوح. وذكروا ما ولدَ كلٌّ واحد من هؤلاء أولاد «قنطورا».

وقد روى ابنُ عساكر عن غير واحد من السلف، عن أخبار أهل الكتاب في صفة مجيء مَلَكِ الموت إلى إبراهيم عليه السلام أخباراً كثيرة الله أعلم بصحتها.

وقد قيل: إنَّه مات فجأةً، وكذا داودُ وسليمان، والذي ذكرَه أهلُ الكتاب وغيرُهم خلافُ ذلك.

قالوا: ثم مرض إبراهيم عليه السلام وماتَ عن مئة وخمس وسبعين، وقيل: وتسعينَ سنة، ودُفن في المغارة المذكورة التي كانت بحبرون الحيثي، عند امرأته سارَة، التي في مزرعة عفرون الحيثي، وتولَّى دفنه إسماعيلُ وإسحاق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد وردَ ما يدلُّ أنه عاشَ مئتي سنة، كما قاله ابن الكلبي.

وقال أبو حاتم بن حِبَّان في صحيحه[١]: أخبرنا المُفضَّل بن محمد الجَنَديُّ بمكة، حدَّثنا علي بن زياد اللَّحَجيُّ، حدَّثنا أبو قرَّة، عن ابن جُرَيْج، عن يحيى بن سعيدٍ، عن سعيدِ بن المسيِّب، عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اختتنَ إبراهيمُ بالقَدُوم وهو ابن عشرين ومئة سنة، وعاش بعد ذلك ثمانينَ سنة» وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق عكرمة بن إبراهيم، وجعفر بن عَوْن العَمْري، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد، عن أبي هريرة موقوفاً[٢].

ثم قال ابن حبان[٣]: ذكر الخبر المدحض[٤] قول من زعمَ أنَّ رفعَ هذا الخبر وَهمٌ: أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد بِبُسْتَ، حدَّثنا قتيبةُ بن سعيد، حدَّثنا الليثُ، عن ابن عَجْلانَ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «اختتنَ إبراهيمُ حين بلغَ مئة وعشرين سنة، وعاش بعد ذلك ثمانين سنة، واختتن بقَدُوم».

---

(١) الإحسان (٦٢٠٤).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه كما في مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٣٥٨).

(٣) الإحسان (١٤/ ٨٦) قبل حديث (٦٢٠٥).

(٤) «المُدحِض»: المُبْطِل.

وقد رواه الحافظ ابن عساكر : من طريق يحيى بن سعيد ، عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ وقد أتت عليه ثمانون سنة[١] .

ثم روى ابن حِبَّان[٢] عن عبد الرزاق : أنه قال : القَدُوم : اسم القرية .

قلت : الذي في الصحيح[٣] أنه اختتنَ وقد أتتْ عليه ثمانون سنة ، وفي رواية « وهو ابن ثمانين سنة » ولس فيهما تعرُّض لما عاش بعد ذلك ، والله أعلم .

وقال محمد بن إسماعيل الحيَّاني[٤] الواسطي : زاد في تفسير وكيع عنه ـ فيما ذكره من الزيادات ـ حدَّثنا أبو معاوية ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المُسَيِّب ، عن أبي هريرة ، قال : كان إبراهيمُ أوَّل من تسرولَ ، وأوَّل من فرَق ، وأوَّل من استحدَّ ، وأوَّل من اختتنَ بالقَدُوم ، وهو ابن عشرين ومئة سنة ، وعاشَ بعد ذلك ثمانينَ سنة ، وأوَّل من قرى[٥] الضيف ، وأوَّلَ من شابَ[٦] .

هكذا رواه موقوفاً ، وهو أشبهُ بالمرفوع ، خلافاً لابن حِبَّان ، والله أعلم .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المُسيِّب ، قال : كان إبراهيمُ أوَّلَ من أضافَ الضيفَ ، وأوَّل النَّاسِ اختتنَ ، وأوَّل الناس قصَّ شاربَه ، وأوَّل النَّاسِ رأى الشَّيْبَ . فقال : يا ربِّ ما هذا ؟ فقال الله : « وقارٌ » فقال : يا رب زِدْني وقاراً[٧] .

وزادَ غيرهما : وأوَّل منْ قصَّ شاربَه ، وأوَّل من استحدَّ ، وأولَ من لبس السراويلَ .

فقبرُه وقبرُ ولده إسحاق ، وقبرُ وَلَدِ وَلدِهِ يعقوبَ في المُرَبَّعةِ التي بناها سليمانُ بن داود عليه السلام ببلد حَبْرون ، وهو البلد المعروف بالخليل اليوم ، وهذا تُلُقِّيَ بالتواتر أُمَّةً بعد أُمةٍ وجيلاً بعد جيل ، من زمن بني إسرائيل وإلى زماننا هذا ؛ أن قبرَه بالمربعة تحقيقاً . فأمَّا تعيينه منها فليس فيه خبرٌ صحيح عن معصوم ، فينبغي أنْ تُراعى تلك المَحَلَّة وأنْ تُحترم احترامَ مثلِها ، وأن تُبَجَّل ، وأنْ تُجلَّ أن يُداس في أرجائها خشيةَ أن يكونَ قبرُ الخليل ، أو أحدٌ من أولاده الأنبياء عليهم السلام تحتَها .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ، كما في مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٣٥٨) .
(٢) الإحسان (١٤/ ٨٥) .
(٣) يعني : صحيح البخاري (٣٣٥٦) في الأنبياء .
(٤) في المطبوع : الحساني ، وهو تصحيف .
(٥) قرى الضيف : أطعمه .
(٦) انظر هذه الأوليات في كتاب « محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر » للسكتواري البسنوي (ص٣٧ ـ ٣٩) وعزاه لتاريخ القدس .
(٧) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٢٢) .

وروى ابن عساكر[١] بسنده إلى وَهْبِ بن مُنَبِّه قال : وُجِد عند قبر إبراهيم الخليل على حجر كتابة خلفه[٢] : [من الرجز]

ألهىٰ جَهُولاً أمَلُهْ يموتُ مَنْ جَا أجَلُهْ
ومَنْ دَنا من حَتْفهِ لم تُغنِ عَنْه حِيَلُهْ
وكيفَ يَبْقَى آخِرٌ مَنْ ماتَ عَنْهُ أوّلُهْ
والمَرْءُ لا يَصْحبُهُ في القبرِ إلا عَمَلُهْ[٣]

ذكر أولاد إبراهيم الخليل

أوّل من وُلد له إسماعيلُ من هاجَرَ القِبْطيّة المِصريَّة ، ثم وُلد له إسحاق من سارَة بنت عمِّ الخليل ، ثم تزوَّجَ بعدها « قنطورا » بنت يقطن الكنعانية ، فولدتْ له ستةً : مدين ، وزمران ، وسرج ، ونقشان ، ونشق ، ولم يُسمِّ السادسَ ، ثم تزوَّجَ بعدها « حجون » بنت أهين ، فولدت له خمسة : كيسان ، وسورج ، وأميم ، ولوطان ، ونافس . هكذا ذكره أبو القاسم[٤] السهيلي في كتابه « التعريف والإعلام » .

***

[قصة قوم لوط عليه السلام][٥]

ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمور العظيمة قصَّة قوم لوط عليه السلام ، وما حلَّ بهم من النقمة الغميمة[٦] ، وذلكَ أنَّ لوطاً بن هاران بن تارح ـ وهو آزر ـ كما تقدَّم ، ولوط ابن أخي إبراهيم الخليل ، فإبراهيم وهاران وناحور إخوةٌ كما قدَّمنا ، ويُقال : إن هاران هذا هو الذي بنى حَرَّان ، وهذا ضعيفٌ لمخالفته ما بأيدي أهل الكتاب ، والله أعلم .

وكان لوطٌ قد نزحَ عن محلَّة عمِّه الخليل عليهما السلام بأمره له وإذنه ، فنزلَ بمدينة سَدُوم من أرض

---

(١) في تاريخه ؛ كما في مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٣٧٦) .
(٢) في مختصر تاريخ دمشق : أُصيبَ على قبر إبراهيم الخليل مكتوب خلفه في حجر . وفي ب : خلقة : وفيها تصحيف .
(٣) في المختصر : أن هذا البيت من زيادة بعض أهل العلم .
(٤) انظر « التعريف والإعلام » للسهيلي (ص٣٥) وفيه : مدين ، وزموان ، وسبرج ، ونقشان ، ونشق .
(٥) ما بين حاصرتين أضفته عنواناً تمشياً مع ما صنعه المؤلف سابقاً ولاحقاً .
(٦) الغميمة : من الغمّ والكَرْب .

غور زغر ، وكان أَمَّ تلك المَحلَّة ، ولها أرضٌ ومعتملات وقرى مضافة إليها ، ولها أهلٌ من أفجرِ النَّاس وأكفرِهم وأسوئهم طويَّةً ، وأردَاهم سريرةً وسيرةً ، يقطعونَ السبيلَ ، ويأتون في ناديهم المنكر ، ولا يتناهون عن منكرٍ فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ابتدعوا فاحشةً لم يسبقْهم إليها أحدٌ من بني آدم ، وهي إتيانُ الذُّكْران من العالمين ، وتركُ ما خلقَ الله من النِّسْوان لعباده الصالحين ، فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحدَه لا شريكَ له ، ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات ، والفواحش المنكرات ، والأفاعيل المستقبحات ، فتمادَوْا على ضلالهم وطُغيانهم ، واستمرُّوا على فُجورهم وكُفرانهم ، فأحلَّ الله بهم من البأس الذي لا يُردُّ ما لم يكن في خَلَدِهم وحُسْبَانهم ، وجَعلَهم مُثْلةً في العالمين ، وعبرةً يتعظُ بها الألِبَّاءُ من العالمين ، ولهذا ذكرَ الله تعالى قِصَّتهم في غير ما موضع من كتابه المبين ، فقال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٠ ـ ٨٤] .

وقال تعالى في سورة هود : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٦٩ ـ ٨٣] .

وقال تعالى في سورة الحجر : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ

وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٥١ ـ ٧٧] .

وقال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٦٠ ـ ١٧٥] .

وقال تعالى في سورة النمل : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [النمل : ٥٤ ـ ٥٨] .

وقال تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٢٨ ـ ٣٥] .

وقال تعالى في سورة الصافات : ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٣٣ ـ ١٣٨] .

وقال تعالى في الذاريات بعد قصة ضيف إبراهيم ، وبشارتهم إياه بغلام عليم : ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [الذاريات: ٣١ ـ ٣٧] .

وقال في سورة القمر : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٣٣ ـ ٤٠] .

وقد تكلَّمنا على هذه القصص في أماكنها من هذه السور في التفسير .

وقد ذكرَ الله لوطاً وقومَه في مواضع أُخرَ من القرآن ، تقدَّمَ ذِكرها مع قوم نوح وعادٍ وثمود ، والمقصودُ الآن إيـرادُ مـا كانَ من أمرهم ، وما أحلَّ الله بهم مجموعاً من الآيات والآثار ، وبالله المستعان .

وذلك أنَّ لوطاً عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحدَه لا شريكَ له ، ونهاهم عن تعاطي ما ذكرَ الله عنهم من الفواحش ، فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به ، حتى ولا رجل واحد منهم ، ولم يتركُوا ما عنه نهُوا ، بل استمرُّوا على حالهم ، ولم يرعووا[1] عن غيِّهم وضَلالهم وهمُّوا بإخراج رسولهم من بين ظَهْرَانيهم ، وما كانَ حاصلُ جوابهم عن خطابهم إذ كانوا لا يعقلون إلا أن قالوا : ﴿ أَخْرِجُوٓا ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل : ٥٦] فجعلوا غاية المدح ذمًّا يقتضي الإخراج ، وما حملَهم على مقالتهم هذه إلا العناد واللجاج .

فطهَّره الله وأهلَه إلا امرأته ، وأخرجهم منها أحسنَ إخراج ، وتركَهم في محلَّتهم خالدين ، لكنْ بعدما صيَّرها عليهم بحرةً منتنةً ذات أمواج ، لكنَّها عليهم في الحقيقة نار تأجَّج ، وحرٌّ يتوهَّجُ ، وماؤها مِلْحٌ أجاج .

وما كان هذا جوابُهم إلا لما نهاهم عن الطَّامَّةِ العظمى والفاحشة الكبرى ، التي لم يسبقْهم إليها أحدٌ من أهل الدنيا ، ولهذا صاروا مُثْلةً فيها ، وعبرةً لمن عليها .

وكانوا مع ذلك يقطعون الطريقَ ، ويخونونَ الرفيقَ ، ويأتون في ناديهم ـ وهو مجتمعهم ومحلّ حديثهم وسمرهم ـ المنكرَ من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه ، حتى قيل : إنهم كانوا يتضارطُون في مجالسِهم ولا يستحيُونَ من مُجالسيهم ، وربما وقعَ منهم الفعْلةُ العظيمةُ في المحافل ، ولا يستنكفون ، ولا يرعوون لوعظ واعظ ولا نميمة من ناقل[2] ، وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضلُّ سبيلاً ، ولم يُقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر ، ولا ندموا على ما سلفَ من الماضي ، ولا رامُوا في المستقبل تحويلاً ، فأخذَهم الله أخذاً وبيلاً ، وقالوا له فيما قالوا : ﴿ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩] فطلبوا منه وقوعَ ما حذَّرهم من العذاب الأليم ، وحلول البأس العظيم ، فعند ذلك

---

(١) كذا في أ و ب . وفي المطبوع : ولم يرتدعوا .
(٢) كذا في أ و ب وفي المطبوع : ولا نصيحة من عاقل . ولعلها الأصوب .

دعا عليهم نبيُّهم الكريم ، فسألَ من ربِّ العالمين وإلَه المرسلين ، أن ينصرَه على القوم المفسدين ، فغارَ لغَيْرتِه وغضب لغَضْبَتِهِ ، واستجابَ لدعوتِه ، وأجابه إلى طُلْبَتِهِ ، وبعثَ رسلَه الكرام وملائكتَه العظام ، فمرُّوا على الخليل إبراهيم ، وبشَّرُوه بالغلام العليم ، وأخبرُوه بما جاؤوا له من الأمر الجَسيم والخَطْب العميم . ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الذاريات : ٣١ ـ ٣٤] .

وقال : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣١ ـ ٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٧٤] . وذلك أنه كان يرجو أن يُنيبوا ويُسلموا ، ويُقلعوا ويرجعوا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ [هود : ٧٥ ـ ٧٦] أي : أعرضْ عن هذا وتكلَّمْ في غيره ، فإنه قد حتمَ أمرُهم ، ووجبَ عذابُهم وتدميرُهم وهلاكُهم ﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ ﴾ [هود : ٧٦] أي : قد أمر به من لا يُردُّ أمرُه ، ولا يُردُّ بأسه ، ولا مُعقِّبَ لحكمِه ﴿ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ [هود : ٧٦] .

وذكر سعيدُ بن جُبير ، والسُّدِّي وقتادة ومحمد بن إسحاق : أنَّ إبراهيمَ عليه السلام جعلَ يقول : « أتُهلكون قريةً فيها ثلاثمئة مؤمن ؟ قالوا : لا . قال : فمئتا مؤمن ؟ قالوا : لا . قال : فأربعون مؤمناً ؟ قالوا : لا . قال : فأربعة عشرَ مؤمناً ؟ قالوا : لا » قال ابن إسحاق إلى أن قال « أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد ؟ قالوا : لا . ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ ﴾ [العنكبوت : ٣٢] الآية(١) » .

وعند أهل الكتاب أنه قال : يا ربِّ أتُهلكهم وفيهم خمسون رجلاً صالحاً ؟ فقال الله : لا أُهلكهم وفيهم خمسونَ صالحاً . ثم تنازلَ إلى عشرة فقال الله : لا أهلكهم وفيهم عشرة صالحون .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود : ٧٧] قال المفسرون : لما فصلتِ الملائكةُ من عند إبراهيم : جبريل وميكائيل وإسرافيل ، أقبلوا حتى أتوا أرض سدُوم في صُور شبَّان حِسَان ، اختباراً من الله تعالى لقوم لوط ، وإقامةً للحجَّة عليهم ، فاستضافوا لوطاً عليه السلام وذلك عند غروب الشمس ، فخشيَ إنْ لم يُضفهم يُضَيِّفهم غيرُه ، وحسبَهم بشراً من النَّاس ﴿ سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود : ٧٧] . قال ابن عبَّاس(٢) ومجاهد وقتادة ومحمد بن إسحاق : شديدٌ بلاؤُه . وذلك لما يعلم من مدافعته الليلة عنهم ، كما كان يصنعُ بهم في

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التاريخ (١/ ٢٩٧) .
(٢) انظر تفسير الطبري (٧/ ٨٠ ـ ٨١) .

غيرهم ، وكانوا قد اشترطوا عليه أن لا يُضَيِّفَ أحداً ، ولكن رأى من لا يمكن المحيد عنه .

وذكر قتادة : أنَّهم وَرَدُوا عليه وهو في أرضٍ له يعملُ فيها ، فتضيَّفُوا ، فاستحيا منهم ، وانطلقَ أمامَهم ، وجعلَ يُعرِّضُ لهم في الكلام لعلَّهم ينصرفون عن هذه القرية وينزلوا في غيرها ، فقال لهم فيما قال : يا هؤلاء ما أعلم على وجه الأرض أهلَ بلد أخبثَ من هؤلاء ، ثم مشى قليلاً ، ثم أعاد ذلك عليهم ، حتى كرَّره أربعَ مرَّات ، قال : وكانوا قد أمروا ألا يُهلكوهم حتى يشهدَ عليهم نبيُّهم بذلك(١) .

وقال السُّديّ : خرجتِ الملائكةُ من عند إبراهيم نحوَ قوم لوط ، فأتَوْها نصفَ النَّهار ، فلما بلغوا نهرَ سَدُوم لقوا ابنةَ لوط تَسْتقي من الماء لأهلها ، وكانت له ابنتان ، اسم الكبرى « ريثا » والصُّغرى « زغْرتا » فقالوا لها : يا جاريةُ : هل من منزلٍ ؟ فقالت لهم : مكانَكم لا تدخلوا حتى آتيكم ، فَرِقَتْ عليهم من قومها ، فأتتْ أباها ، فقالت : يا أبتاه أرادَك فتيانٌ على باب المدينة ، ما رأيتُ وجوهَ قوم قطُّ هي أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم . وقد كان قومُه نهوه أن يُضيِّفَ رجلاً ، فجاء بهم فلم يعلم أحدٌ إلا أهلُ البيت ، فخرجتْ امرأتُه فأخبرتْ قومَها ، فقالت : إن في بيت لوط رجالاً ما رأيتُ مثلَ وجوههم قطُّ ، فجاءَه قومُه يُهرعون إليه(٢) .

وقوله : ﴿ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ٧٨] أي : هذا مع ما سلفَ لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة الكثيرة ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [هود : ٧٨] يُرشدهم إلى غشيان نسائِهم وهنَّ بناته شرعاً ، لأن النبيَّ للأمة بمنزلة الوالد ، كما ورد في الحديث ، وكما قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] وفي قول بعض الصحابة والسلف : وهو أب لهم . وكهذا كقوله : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء : ١٦٥ ـ ١٦٦] وهذا هو الذي نصَّ عليه مجاهد وسعيد بن جُبَيْر والربيع بن أنس وقتادة والسُّدِّي ومحمد بن إسحاق ، وهو الصواب .

والقولُ الآخر خطأ ، مأخوذ من أهل الكتاب ، وقد تصحَّفَ عليهم ، كما أخطؤوا في قولهم : إن الملائكة كانوا اثنين ، وإنهم تَعشَّوْا عنده ، وقد خبطَ أهلُ الكتاب في هذه القِصَّة تخبيطاً عظيماً .

وقوله : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود : ٧٨] نهيٌ لهم عن تعاطي ما لا يليقُ من الفاحشة ، وشهادةٌ عليهم بأنه ليس فيهم رجلٌ له مُسْكةٌ ولا فيه خير ، بل الجميعُ سفهاء ، فجرةٌ أقوياء ، كفرةٌ أغبياء .

وكان هذا من جملة ما أرادَ الملائكةُ أن يسمعوا منه من قبل أن يسألوه عنه ، فقال قومه : ـ عليهم لعنة

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٧/ ٧٩ ـ ٨٠) .

(٢) أخرجه ابن جرير في التاريخ (١/ ٣٠٠) .

الله الحميد المجيد ـ مجيبينَ لنبيِّهما فيما أمرَهم به من الأمر السديد ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [هود : ٧٩] يقولون ـ عليهم لعائن الله ـ لقد علمتَ يا لوط إنه لا أربَ لنا في نسائنا ، وإنك لتعلَمُ مُرادنا وغَرضنا . واجهوا بهذا الكلام القبيح رسولَهم الكريم ، ولم يخافوا سَطْوةَ العظيم ، ذي العذاب الأليم ، ولهذا قال عليه السلام : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠] ودَّ أن لو كان له بهم قوَّة ، أو منعة وعشيرة ينصرونه عليهم ، ليحلَّ بهم ما يستحقُّونه من العذاب على هذا الخطاب .

وقد قال الزُّهري : عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة : عن أبي هريرة مرفوعاً : « نحنُ أحقُّ بالشكُ من إبراهيم ، ويرحمُ الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، ولو لَبِثْتُ في السجن ما لبثَ يوسف لأجبتُ الداعي »(١) ورواه أبو الزِّناد : عن الأعرج ، عن أبي هريرة .

وقال محمد بن عمرو بن علقمة : عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « رحمةُ الله على لوط ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد ـ يعني الله عزَّ وجلَّ ـ فما بعثَ الله بعدَه من نبيٍّ إلا في ثروة من قومه »(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٦٧ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ۝٦٨ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۝٦٩ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٠ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [الحجر : ٦٧ ـ ٧١] فأمرهم بقُربان نسائِهم وحذَّرهم الاستمرار على طريقتهم وسيِّآتهم ، هذا وهم في ذلك لا ينتهون ولا يرعوون ، بل كلَّما نصحَ لهم يُبالغون في تحصيل هؤلاء الضِّيفان ويُحرِّضون ، ولم يعلموا ما حُمَّ به القَدَرُ مما هم إليه صائرون ، وصبيحةَ ليلتهم إليه مُنقلبون ، ولهذا قال تعالى مقسماً بحياة نبيِّه محمد صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٦ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر : ٣٦ ـ ٣٨] ذكرَ المفسرون(٣) وغيرُهم : أن نبيَّ الله لوطاً عليه السلام جعلَ يُمانعُ قومَه الدخولَ ، ويُدافعُهم ، والبابُ مغلقٌ ، وهم يرومون فتحَه وولوجَه ، وهو يعظُهم وينهاهُم من وراء الباب ، وكل ما لهم في إلحاح وإنفاج(٤) ، فلما ضاقَ الأمرُ وعَسُرَ الحالُ ، قال : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠] لأحللتُ بكم النَّكال .

قالت الملائكة : ﴿ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ﴾ [هود : ٨١] وذكروا أن جبريلَ عليه السلام خرجَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢) في الأنبياء .
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٠٥) والترمذي (٣١١٦) في التفسير ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦١) .
(٣) انظر تفسير الطبري (٧/ ٨٥ ـ ٨٦) .
(٤) إنفاج : تعاظم وتكبُّر .

عليهم فضربَ وجوهَهم خفقةً بطرف جناحِه ، فطمست أعينَهم ، حتى قيل : إنها غارت بالكلية ، ولم يبق لها محلٌّ ولا عينٌ ولا أثر ، فرجعوا يتحسَّسون مع الحيطان ، ويتوعَّدون رسولَ الرحمن ، ويقولون : إذا كان الغدُ كان لنا وله شأنٌ ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر : ٣٧ ـ ٣٨] فذلك أن الملائكة تقدَّمت إلى لوط عليهم السلام ، آمرينَ له بأن يسري هو وأهله من آخر الليل ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ [هود : ٨١] يعني عند سماع صوت العذاب إذا حلَّ بقومه ، وأمروه أن يكونَ سيرُه في آخرهم كالساقة لهم . وقوله : ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ على قراءة النصب يحتمل أن يكون مستثنى من قوله : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ كأنه يقول : إلَّا امرأتك فلا تسرِ بها ، ويحتمل أن يكونَ من قوله : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ أي : فإنها ستلتفت فيُصيبها ما أصابَهم ، ويُقوِّي هذا الاحتمال قراءة الرفع ، ولكن الأول أظهر في المعنى ، والله أعلم .

قال السهيلي(١) : واسم امرأة لوط « والهة » واسم امرأة نوح « والغة » .

وقالوا له مبشرين بهلاك هؤلاء البغاة العتاة الملعونين النظراء والأشباه ، الذين جعلَهم الله سلفاً لكلِّ خائن مُريب : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود : ٨١] فلما خرجَ لوطٌ عليه السلام بأهله وهم ابنتاه ، ولم يتبعْه منهم رجلٌ واحد ، ويُقال : إن امرأتَه خرجتْ معه ، فالله أعلم . فلما خَلَصوا من بلادهم وطلعتِ الشَّمْسُ ، فكان عند شروقها جاءَهم من أمر الله ما لا يُردُّ ، ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يُصدَّ .

وعند أهل الكتاب : أن الملائكة أمروه أن يصعدَ إلى رأس الجبل الذي هناك ، فاستبعده ، وسأل منهم أن يذهبَ إلى قرية قريبة منهم . فقالوا : اذهب فإنا ننتظرُك حتى تصيرَ إليها وتستقرَّ فيها ، ثم نُحلَّ بهم العذابَ ، فذكروا أنه ذهبَ إلى قرية « صغر » التي يقول النَّاس « غور زغر » فلما أشرقتِ الشَّمْسُ نزلَ بهم العذاب ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٢ ـ ٨٣] .

قالوا : اقتلعَهنَّ جبريلُ بطرف جناحِه منْ قَرارهنَّ ، وكنَّ سبعَ مُدُنٍ بمن فيهنَّ من الأمم ، فقالوا : إنَّهم كانوا أربعمئة نسمة . وقيل : أربعة آلاف نسمة ، وما معهم من الحيوانات ، وما يتبعُ تلك المدن من الأراضي والأماكن والمعتملات ، فرفعَ الجميعَ حتى بلغَ بهنَّ عنانَ السماء ، حتى سمعتِ الملائكةُ أصواتَ ديكتهم ونُباح كلابهم ، ثم قلبَها عليهم ، فجعل عاليها سافلَها . قال مجاهد : فكان أوَّل ما سقط منها شرفاتها ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [هود : ٨٢] والسِّجِّيل(٢) : فارسي مُعرَّب ، وهو الشديد

(١) التعريف والإعلام ؛ للسهيلي (ص٥٣) .
(٢) سقطت من أ .

الصُّلْبُ القويُّ ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ أي يتبعُ بعضُها بعضاً في نزولها عليهم من السماء ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ أي : معلمة ، مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه فيدمغه كما قال : ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٣] وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ [النجم : ٥٣ ـ ٥٤] يعني قلبَها فأهوى بها منكّسة عاليها سافلها ، وغشَّاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مرقومة ، على كل حجر اسم صاحبه الذي سقطَ عليه ، من الحاضرين منهم في بلدهم والغائبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذّين منها . ويقال : إن امرأةَ لوطٍ مكثتْ مع قومها ، ويُقال : إنها خرجتْ مع زوجها وبنتيها ، ولكنَّها لما سمعت الصَّيْحة وسقوطَ البلدة التفتتْ إلى قومها ، وخالفتْ أمرَ ربِّها قديماً وحديثاً ، وقالت : واقوماه ! فسقطَ عليها حجرٌ فدمغَها[(١)] ، وألحقَها بقومها إذ كانت على دينهم ، وكانت عَيْناً لهم على منْ يكونُ عند لوطٍ من الضِّيفان ، كما قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠] أي : خانتاهما في الدين ، فلم يتَّبعاهُما فيه . وليس المرادُ أنهما كانتا على فاحشةٍ ، حاشا وكلا ولمَّا ، فإنَّ الله لا يُقدِّرُ على نبيٍّ أن تبغيَ امرأتُهُ ، كما قال ابن عبَّاس وغيره من أئمة السلف والخلف : ما بغت امرأةُ نبيٍّ قط . ومنْ قال خلافَ هذا فقد أخطأ خطأً كبيراً . قال الله تعالى في قصة الإفك ، لما أنزل براءة أمِّ المؤمنين عائشة بنت الصِّدِّيق زوج رسول الله ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فعاتبَ الله المؤمنين وأنَّبَ وزجرَ ووعظَ وحذَّر ، وقال فيما قال : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٥ ـ ١٦] أي : سبحانَكَ أن تكون زوجة نبيِّك بهذه المثابة . وقوله هاهنا ﴿ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٣] أي : وما هذه العقوبة ببعيدة ممن أشبههم في فعلهم .

ولهذا ذهبَ منْ ذهبَ من العلماء إلى أن اللائط يُرجمُ سواءٌ كان مُحْصناً أو لا ، نصَّ عليه الشافعيُّ وأحمد بن حنبل ، وطائفةٌ كثيرة من الأئمة ، واحتجُّوا أيضاً بما رواه الإمام أحمد وأهلُ السُّننَ : من حديث عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عبَّاس : أن رسول الله ﷺ قال : « منْ وجدتُموه يعملُ عملَ قومِ لوط فاقتلوا الفاعلَ والمفعولَ به »[(٢)] وذهبَ أبو حنيفة إلى أن اللائطَ يُلقى من شاهق جبل ويُتْبعُ بالحجارة ، كما فُعِلَ بقوم لوط ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٣] .

وجعلَ الله مكانَ تلك البلاد بحرةً منتنةً ، لا يُنتفع بمائِها ، ولا بما حولَها من الأراضي المتاخمة

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٣٠١) وفيه : فأدركها حجرٌ فقتلها .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٠٠) وأبو داود (٤٤٦٢) في الحدود ، والترمذي (١٤٥٦) في الحدود ، وابن ماجه (٢٥٦١) في الحدود وهو حديث صحيح بشواهده .

لفنائها ، لرداءتها ودناءتها ، فصارتْ عبرةً ومُثْلةً وعِظَةً وآيةً على قدرة الله تعالى وعظمته ، وعزَّته في انتقامه ممن خالفَ أمرَه وكذَّبَ رسلَه واتَّبعَ هواه وعصى مولاه ، ودليلاً على رحمتِه بعباده المؤمنينَ في إنجائه إيَّاهم من المهلكات ، وإخراجه إياهم من النُّور إلى الظلمات ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ٨ ـ ٩] وقال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝٧٣ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٧٣ ـ ٧٧] أي : منْ نَظَرَ بعين الفراسة والتوسُّم فيهم ، كيف غيَّر الله تلك البلاد وأهلَها ، وكيف جعلَها بعدما كانت آهلةً عامرة ، هالكةً غامرة ؛ كما روى الترمذيُّ وغيرُه مرفوعاً : « اتقوا فراسةَ المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله »[1] ثم قرأ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] .

وقوله ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الحجر : ٧٦] أي : لطريق مهيعٍ مسلوك إلى الآن ، كما قال : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٣٧ ـ ١٣٨] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٣٥] وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [الذاريات : ٣٥ ـ ٣٧] أي : تركناها عبرةً وعظةً لمن خافَ عذابَ الآخرة ، وخشي الرحمن بالغيب ، وخاف مقام ربّه ، ونهى النفس عن الهوى ، فانزجرَ عن محارم الله ، وترك معاصيه ، وخاف أن يُشابه قومَ لوط : « ومن تشبَّه بقوم فهو منهم »[2] وإن لم يكن من كل وجه فمن بعض ا لوجوه ، كما قال بعضهم : [من الطويل]

فإنْ لم تكونوا قومَ لوطٍ بعينهم فما قـومُ لـوطٍ منكـمُ ببعيـد

فالعاقلُ اللَّبيبُ الخائفُ من ربِّه ، الفاهمُ ، يمتثلُ ما أمرَه الله به عزَّ وجلَّ ، ويقبلُ ما أرشده إليه رسولُ الله من إتيان ما خلقَ له من الزوجات الحلال ، والجواري من السَّراري ذوات الجمَال ، وإيَّاه أن يتَّبعَ كلَّ شيطان مريد ، فيحقّ عليه الوعيد ، ويدخل في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٣] .

***

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) في التفسير وقال : هذا حديث غريب (يعني : ضعيف) ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥٠) وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣١٣) وسنده حسن ، وصححه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ، وحسنه الحافظ في الفتح (٦/ ٧٢) ورواه أبو داود (٤٠٣١) في اللباس وله شاهد من حديث حذيفة ، انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧١) وعلق طرفاً منه البخاري ، وله شاهد مرسل ، فالحديث صحيح بطرقه وشواهده .

قصة مدين قوم شعيب عليه السلام

قال الله تعالى في سورة الأعراف بعد قصّة قوم لوط : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟
بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا
فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ
يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم
بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾
[الأعراف : ٨٥ ـ ٩٣] .

وقال في سورة هود بعد قصة قوم لوط أيضاً : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا
لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾
وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ
ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ
أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ
رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ
فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ
ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ
يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾
[هود : ٨٤ ـ ٩٥] .

وقال في الحجر بعد قصة قوم لوط أيضاً : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر : ٧٨ ـ ٧٩] .

وقال تعالى في الشعراء بعد قصتهم : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٧٦ ـ ١٩١] .

كان أهل مدين قوماً عَرباً ، يَسكنونَ مدينتَهم « مدينَ » التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام ، ممايلي ناحية الحجاز ، قريباً من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعدَهم بمدَّة قريبة ، ومدين قبيلة عرفت بهم المدينة ، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل ، وشعيبُ نبيُّهم هو ابن ميكيل بن يشجن ، ذكره ابن إسحاق ، قال : ويقال له بالسريانية : « ينزون » وفي هذا نظر ، ويُقال : شعيب بن يشخر بن لاوي بن يعقوب ، ويقال : شعيب بن نويب بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم . ويقال : شعيب بن ضيفور بن عيتا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم . وقيل : غير ذلك في نسبه .

قال ابن عساكر[(١)] : ويُقال جدَّتُه ، ويُقال : أمه بنت لوط .

وكان ممن آمن بإبراهيم وهاجرَ معه ، ودخلَ معه دمشقَ .

وعن وهْب بن مُنبه أنه قال : كان شعيب وملغم ممن آمن بإبراهيم يوم أُحرقَ بالنار ، وهاجرا معه إلى الشام فزوَّجهما بنتيْ لوط عليه السلام . ذكره ابن قتيبة[(٢)] .

وفي هذا كله نظر أيضاً والله أعلم .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في « الاستيعاب »[(٣)] في ترجمة سلمةَ بن سعد العَنزي، قدمَ على رسول الله ﷺ فأسلمَ وانتسبَ إلى عنزةَ ، فقال : « نعم الحيُّ عنزةَ ، مبغيٌّ عليهم ، منصورون ، رهطُ شعيب وأختان[(٤)] موسى » فلو صحَّ هذا لدلَّ على أنَّ شُعيباً صهر موسى ، وأنه من قبيلة من العرب العاربة يُقال

---

(١) في تاريخه ، كما في المختصر (١٠/ ٣٠٧) .
(٢) انظر كتاب « المعارف » ، لابن قتيبة (ص٤١) .
(٣) « الاستيعاب » (٢/ ٩١) .
(٤) الذي في الاستيعاب : وأحبار موسى .

لهم : عَنزةَ ، لا أنهم من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان ، فإن هؤلاء بعدَه بدهرٍ طويل ، والله أعلم .

وفي حديث أبي ذر الذي في صحيح ابن حِبَّان في ذكر الأنبياء والرسل ، قال : « أربعةٌ من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيُّك يا أبا ذر »[١] .

وكان بعضُ السلف يُسمِّي شعيباً خطيبَ الأنبياء ، يعني لفصاحته وعلوِّ عبارته وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته .

وقد روى ابن إسحاق بن بشر : عن جويبر ومقاتل ، عن الضَّحَّاك ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذكرَ شعيباً قال : « ذاكَ خطيبُ الأنبياء »[٢] .

وكان أهلُ مَدْين كفَّاراً يقطعونَ السبيلَ ، ويُخيفون المارَّة ، ويعبدون الأيكةَ ، وهي شجرةٌ من الأيك حولَها غيضة[٣] ملتفَّة بها ، وكانوا من أسوأ الناس معاملةً ، يبخسون المِكْيال والميزان ، ويُطفِّفونَ فيهما ، يأخذون بالزائد ويدفعونَ بالنَّاقص ، فبعثَ الله فيهم رجلاً منهم ، وهو رسول الله ﷺ شُعيب عليه السلام ، فدعاهم إلى عبادة الله وحدَه لا شريكَ له ، ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل القبيحةِ من بَخْسِ النَّاس أشياءهم وإخافتهم لهم في سُبُلهم وطُرُقاتِهم ، فآمن به بعضُهم وكفرَ أكثرُهم ، حتى أحلَّ الله بهم البأسَ الشديدَ ، وهو الولي الحميد ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٥] أي : دلالة وحجَّة واضحة ، وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به وأنه أرسلني ، وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التي لم تُنقل إلينا تفصيلاً ، وإن كانَ هذا اللَّفظ قد دلَّ عليها إجمالاً : ﴿ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ﴾ [الأعراف : ٨٥] أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم ، وتوعَّدَهم على [خلاف ذلك][٤] فقال : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ ﴾ أي : طريق ﴿ تُوعِدُونَ ﴾ [الأعراف : ٨٥ ـ ٨٦] أي : تتوعدون الناس بأخذ أموالِهم من مُكوسٍ وغير ذلك ، وتُخيفون السُّبُل .

قال السُّدِّي في تفسيره عن الصحابة : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ﴾ أنهم كانوا يأخذونَ العشورَ من أموال المارة .

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٨٣) .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ؛ كما في الدر المنثور (٣/ ١٩٠) .
(٣) غيضة : الأجمة ، ومجتمع الشجر .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من أ .

وقال إسحاق بن بشرٍ : عن جُويبر عن الضَّحاك ، عن ابن عباس ، قال : كانوا قوماً طغاةً بغاةً ، يجلسون على الطريق ، ويبخسون الناس ، يعني : يُعشِّرونهم ، وكانوا أوَّلَ من سَنَّ ذلك . ﴿ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [الأعراف : ٨٦] فنهاهم عن قطع الطريقِ الحِسِّيَّةِ الدنيويَّة والمعنويَّة الدينية : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٦] ذكَّرهم بنعمة الله تعالى عليهم في تكثيرهم بعد القِلَّة ، وحذَّرهم نقمةَ الله بهم إن خالفوا ما أرشدَهم إليه ودلَّهم عليه ، كما قال لهم في القِصَّة الأخرى : ﴿ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ [هود : ٨٤] أي : لا تركبُوا ما أنتم عليه وتستمروا فيه فيمحق[١] الله بركةَ ما في أيديكم ويُفقرُكم ، ويُذهبُ ما به يغنيكم ، وهذا مضافٌ إلى عذاب الآخرة ، ومنْ جُمع له هذا وهذا فقد باءَ بالصفقة الخاسرة ، فنهاهم أولاً عن تعاطي ما لا يليقُ من التطفيف ، وحذَّرهم سَلْبَ نعمةِ الله عليهم في دنياهم وعذابه الأليم في أُخراهم ، وعنَّفهم أشدَّ تعنيف .

ثم قال لهم آمراً بعدما كان عن ضِدِّه زاجراً ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [هود : ٨٥ ـ ٨٦] قال ابن عباس والحسن البصري : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [هود : ٨٦] أي : رزق الله خير لكم من أخذ أموال النَّاس .

وقال ابن جرير : ما فضلَ لكم من الربح بعدَ وفاء الكيل والميزان خيرٌ لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف ، قال : وقد رُوي هذا عن ابن عبَّاس .

وهذا الذي قاله وحكاه حسن ، وهو شبيهٌ بقوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة : ١٠٠] يعني : أن القليل من الحلال خيرٌ لكم من الكثير من الحرام ، فإنَّ الحلالَ مباركٌ وإن قلَّ ، والحرامَ ممحوقٌ وإن كثرَ ، كما قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الرِّبا وإنْ كَثُرَ فإنَّ مصيره إلى قُلٍّ » رواه أحمد[٢] . أي : إلى قلة . وقال رسول الله ﷺ : « البَيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقا ، فإن صدَقَا وبيَّنابُورِكَ لهما في بَيْعهما ، وإنْ كتما وكذَبا مُحِقَتْ بركةُ بيعهما »[٣] .

والمقصود : أنَّ الربحَ الحلال مُباركٌ فيه وإنْ قَلَّ ، والحرامُ لا يجدي وإن كثر ، ولهذا قال نبي الله شُعيب : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [هود : ٨٦] .

---

(١) كذا في ب ، وفي أ : فيمحو .
(٢) في المسند (١/ ٣٩٥ ، ٤٢٤) وابن ماجه (٢٢٧٩) في التجارات .
(٣) أخرجه البخاري (٢١١٤) في البيوع ، ومسلم (١٥٣٢) في البيوع .

وقوله : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [هود : ٨٦] أي : افعلوا ما آمرُكم به ابتغاءَ وجه الله ، ورجاءَ ثوابه ، لا لأراكم أنا وغيري .

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] يقولونَ هذا على سبيل الاستهزاء والتنقُّص والتَّهكُّم : أصلاتُك هذه التي تُصلِّيها هي الآمرةُ لك بأن تحجزَ علينا فلا نعبدُ إلا إلَهك ، ونتركُ ما يعبدُ آباؤنا الأقدمون وأسلافُنا الأوَّلون ، أو ألاَّ نتعاملَ إلا على الوجه الذي ترتضيه أنتَ ، ونتركُ المعاملاتِ التي تأباها ، وإن كنا نحن نرضاها ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] قال ابن عباس وميمونُ بن مِهْران وابن جُرَيْج وزيد بن أسلم وابن جرير[١] : يقول ذلك أعداء الله على سبيل الاستهزاء .

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] هذا تلطُّفٌ معهم في العبارة ودعوةٌ لهم إلى الحقِّ بأبينِ إشارةٍ ، يقول لهم : أرأيتُم أيُّها المكذِّبون : ﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ [هود : ٨٨] أي : على أمر بَيِّنٍ من الله تعالى ، أنه أرسلني إليكم ﴿ وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ ﴾ [هود : ٨٨] يعني النبوة و الرِّسالة ، يعني وعَمِيَ عليكم معرفتها ، فايُّ حيلةٍ لي لكم . وهذا كما تقدَّم عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه سواء .

وقوله : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ ﴾ [هود : ٨٨] أي : لستُ آمرُكم بالأمر إلا وأنا أوَّلُ فاعلٍ له ، وإذا نهيتُكم عن الشيء فأنا أوَّلُ منْ يتركُه ، وهذه هي الصفة المحمودةُ العظيمة ، وضدُّها هي المردودة الذميمة ، كما تلبَّسَ بها علماء بني إسرائيل في آخر زمانهم ، وخطباؤهم الجاهلون ، قال الله تعالى : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤] .

وذكرَ عندها في الصحيح : عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « يُؤتى بالرجل فيُلقى في النار فتندلقُ أقتابُ بطنِه ـ أي : تخرجُ أمعاؤه من بطنِه ـ فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ برحاه ، فيجتمعُ أهلُ النَّار ، فيقولون : يا فلان مالكَ ؟ ألم تكن تأمرُ بالمعروف وتَنْهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنتُ آمرُ بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه »[٢] .

وهذه صفة مُخالفي الأنبياء من الفُجَّار والأشقياء ، فأمَّا السادةُ من النُّجباء والألبَّاء من العلماء ، الذين يخشونَ ربَّهم بالغيب ، فحالُهم كما قال نبي الله شعيب : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ ﴾ [هود : ٨٨] أي : ما أُريد في جميع أمري إلا الإصلاحَ في الفعال والمقال بجهدي

---

(١) انظر تفسيره (٧/ ١٠١) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٧) في بدء الخلق ، ومسلم (٢٩٨٩) في الزهد والرقائق .

وطاقتي ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ ﴾ أي : في جميع أحوالي ﴿ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] أي : عليه أتوكَّل في سائر الأمور وإليه مَرْجعي ومَصيري في كلِّ أمري ، وهذا مقامُ ترغيب .

ثم انتقلَ إلى نوعٍ من الترهيب ، فقال : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ [هود : ٨٩] أي : لا تحملنَّكم مخالفتي ، وبغضُكم ماجئتكم به على الاستمرار على ضلالِكم وجهلِكُم ومخالفتِكم ، فيحلّ الله بكم من العذاب والنَّكال نظيرَ ما أحلَّه بنُظرائكم وأشباهِكم من قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح من المكذِّبين المخالفين .

وقوله : ﴿ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ [هود : ٨٩] قيل : معناه في الزمان ، أي : ما بالعهد من قدم ، مماقد بلغكم ما أحلَّ بهم على كفرهم وعتوِّهم . وقيل : معناه : وما هم منكم ببعيد في المحلَّة والمكان . وقيل : في الصفات والأفعال المُستقبحات ، من قطع الطريق وأخذ أموال الناس جهرةً وخفيةً ، بأنواع الحيل والشبهات ، والجمعُ بين هذه الأقوال ممكن ، فإنَّهم لم يكونوا بعيدينَ منهم ، لا زماناً ولا مكاناً ولا صفاتٍ .

ثم مزجَ الترهيب بالترغيب ، فقال : ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ [هود : ٩٠] أي : أقلعوا عما أنتم فيه وتوبوا إلى ربِّكم الرحيم الودود ، فإنَّه منْ تابَ إليه تابَ عليه ، فإنَّه رحيمٌ بعباده ، أرحمُ بهم من الوالدة بولدها ﴿ وَدُودٞ ﴾ وهو المجيبُ ، ولو بعد التوبة على عبده ، ولو من المُوبقات العظام ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ ﴾ [هود : ٩١] روي[(١)] عن ابن عبَّاس ، وسعيد بن جُبَيْر ، والثوريّ : أنهم قالوا : كان ضريرَ البَصَر .

وقد رُوي في حديث مرفوع أنه بكى من حبِّ الله حتى عَمِيَ ، فردَّ الله عليه بصرَه ، وقال : « يا شعيبُ أتبكي من خوفِك من النَّار أو مِن شوقِك إلى الجنَّة ؟ فقال : بل من محبَّتِكَ ، فإذا نظرتُ إليكَ فلا أُبالي ماذا يُصنعُ بي . فأوحى إليه الله : هنيئاً لك يا شُعيب لقائي ، فلذلكَ أخدمتُك موسى بن عمران كليمي » .

رواه الواحدي[(٢)] عن أبي الفتح محمد بن علي الكوفي ، عن علي بن الحسن بن بندار ، عن أبي عبد الله بن محمد بن إسحاق الرملي ، عن هشام بن عمَّار ، عن إسماعيل بن عيَّاش ، عن بحير بن سعيد ، عن شدَّاد بن أوس ، عن النبي ﷺ بنحوه ، وهو غريبٌ جداً ، وقد ضعَّفه الخطيب[(٣)] البغدادي .

---

(١) أخرج هذه الآثار ابن جرير في التفسير (٧/ ١٠٣ ـ ١٠٤) .

(٢) في تفسيره ، كما في الدر المنثور (٤/ ٤٧٠) وأخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ، كما في المختصر ؛ لابن منظور (١٠/ ٣١٢) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ٣٢٠) وقال : « إسماعيل بن علي بن الحسن بن بندار بن المثنى ، أبو سعد الواعظ الاستراباذي ، قدم علينا بغدادَ حاجًّا ، وسمعتُ منه بها حديثاً واحداً مسنداً منكراً » ثم ساقه . وقال الذهبي في الميزان (١/ ٣٢٩) : « هذا الحديث باطل لا أصل له » .

وقولهم : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود : ٩١] وهذا من كُفْرهم البليغ وعنادهم الشنيع ، حيث قالوا : ﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ اي : ما نفهمه ولا نتعقَّله ، لأنا لا نُحبُّه ولا نُريده ، وليس لنا همَّةٌ إليه ، ولا إقبال عليه ، وهو كما قال كفَّارُ قريش لرسول الله ﷺ : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ [فصلت : ٥] وقولهم : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ أي : مُضْطَهداً مهجوراً ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ أي : قبيلتُك وعشيرتُك فينا ﴿ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [هود : ٩١ ـ ٩٢] أي : تخافونَ قبيلتي وعشيرتي ، وتراعوني بسببهم ولا تخافونَ جَنْبَةَ[1] الله ، ولا تراعوني لأني رسول الله ، فصارَ رهطي أعزَّ عليكم من الله : ﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ [هود : ٩٢] أي : جعلتم جانب الله وراءَ ظهوركم ﴿ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود : ٩٢] أي : هو عليمٌ بما تعملونَه وما تصنعونه ، محيطٌ بذلك كله ، وسيجزيكم عليه يوم تُرجعون إليه ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [هود : ٩٣] وهذا أمر تهديد شديد ووعيدٍ أكيد ، بأن يستمروا على طريقتهم ومنهجِهم وشاكلتِهم ، فسوفَ تعلمونَ من تكونُ له عاقبةُ الدار ، ومن يحلّ عليه الهلاك والبَوار ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ أي : في هذه الحياة الدنيا ﴿ ويحلُّ عليه عذابٌ مقيم ﴾ أي : في الأخرى ﴿ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ﴾ أي : مني ومنكم فيما أخبر وبشّر وحذّر ﴿ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [هود : ٩٣] وهذا كقوله : ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٧] .

﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٨ ـ ٨٩] . طلبوابزعمهم أن يردُّوا من آمن منهم إلى ملَّتهم ، فانتصب شعيب للمحاجّة عن قومه فقال : ﴿ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ أي : هؤلاء لا يعودونَ إليكم اختياراً وإنما يعودونَ إليه إن عادُوا اضْطراراً مُكرهينَ ، وذلك لأن الإيمان إذا خالطتْه بشاشةُ القلوبِ لا يسخطُه أحدٌ ، ولا يرتدُّ أحدٌ عنه ، ولا محيدَ لأحد منه . ولهذا قال : ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [الأعراف : ٨٩] أي : فهو كافينا وهو العاصمُ لنا وإليه مَلْجَؤُنا في جميع أمرنا .

ثم استفتحَ على قومِه واستنصرَ ربَّه عليهم في تعجيل ما يستحقُّونه إليهم ، فقال : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٩] أي : الحاكمين . فدعا عليهم ، والله لا يردُّ دعاء رسلِه

(١) جَنبة : جانب الشيء وناحيته . وفي المطبوع : جَنْب .

إذا استنصروه على الذين جحدُوه وكفَروه ، ورسوله خالفوه ، ومع هذا صَمَّمُوا على ما هم عليه مشتملون وبه مُتلبِّسونَ : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٠] .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٩١] ذكر في سورة الأعراف أنهم أخذتهم رجفة ، أي : رجفت بهم أرضهم ، وزُلزلت زلزالاً شديداً أزهقتْ أرواحَهم من أجسادها ، وصَيَّرت حيواناتِ أرضهم كجمادِها ، وأصبحت جُثثُهم جاثيةً لا أرواحَ فيها ، ولا حركات بها ، ولا حوَّاس لها .

وقد جمعَ الله عليهم أنواعاً من العقوبات ، وصنوفاً من المثلات ، وأشكالاً من البَليّاتِ ، وذلك لما اتَّصفُوا به من قبيحِ الصِّفاتِ ، سَلَّطَ الله عليهم رجفةً شديدةً ، أسكنتِ الحركاتِ ، وصيحةً عظيمةً أخمدتِ الأصواتَ ، وظُلَّة أُرسلَ عليهم منها شررُ النَّارِ من سائر أرجائِها والجهات .

ولكنَّه تعالى أخبرَ عنهم في كلِّ سورة بما يُناسب سياقها ويُوافق طباقها ، في سياق قصَّة الأعراف أرجفوا نبيَّ الله وأصحابه ، وتوعَّدُوهم بالإخراج من قريتهم ، أو ليعودُنَّ في مِلَّتهم راجعين ، فقال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٩١] فقابلَ الإرجاف بالرجفة والإخافة بالخيفة ، وهذا مناسبٌ لهذا السياق ، ومُتعلِّق بما تقدَّمه من السياق .

وأما في سورة هود : فذكرَ أنَّهم أخذتْهم الصَّيْحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، وذلك لأنهم قالوا لنبيِّ الله على سبيل التَّهكُّم والاستهزاء والتنقُّص : ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] فناسبَ أنْ يذكرَ الصيحةَ التي هي كالزجر عن تعاطي هذا الكلام القبيح الذي واجهوا به هذا الرسولَ الكريم الأمين الفصيحَ ، فجاءتهم صيحةٌ أسْكتَتْهُمْ مع رجفةٍ أسْكنتْهُم .

وأما في سورة الشعراء : فذكرَ أنه أخذَهم عذابُ يومِ الظُّلَّة ، وكان ذلك إجابةً لما طَلبُوا ، وتقريباً إلى ما إليه رغبوا .

فإنهم قالوا : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝١٨٦ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١٨٧ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء : ١٨٥ ـ ١٨٨] قال الله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٨٩] ومن زعمَ من المفسرين ، كقتادة وغيره : أن أصحابَ الأيكة أُمة أخرى غير أهل مَدْين ، فقوله ضعيف . وإنَّما عمدتهم شيئان : أحدهما : أنه قال : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴾ [الشعراء : ١٧٦ ـ ١٧٧] ولم يقل أخوهم ، كما قال ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف : ٨٥] والثاني : أنه ذكرَ عذابَهم بيوم الظُّلة ، وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة . والجواب عن الأول : أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٦]

لأنه وصفَهم بعبادة الأيكة ، فلا يُناسبُ ذكرَ الأخوة هاهنا ، ولمَّا نسبَهم إلى القبيلة شاعَ ذكرُ شعيب بأنَّه أخوهم . وهذا الفرقُ من النفائس اللَّطيفةِ العزيزة الشريفة .

وأما احتجاجُهم بيوم الظُّلَّةِ فإن كان دليلاً بمجرَّده على أن هؤلاء أُمة أخرى ، فليكن تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة دليلاً على أنهما أُمتان أخريان [وهذا لا يقولُه أحدٌ يفهم شيئاً من هذا الشأن][(١)] .

فأما الحديثُ الذي أوردَه الحافظُ ابنُ عساكر في ترجمة النبيِّ شعيب عليه السلام[(٢)] : من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، عن أبيه ، عن معاوية بن هشام ، عن هشام بن سعد ، عن شقيق بن أبي هلال ، عن ربيعة بن سيف ، عن عبد الله بن عمرو ، مرفوعاً : « إن قومَ مدين وأصحابَ الأيكةِ أمَّتان ، بعثَ الله إليهما شعيباً النبيَّ عليه السلام » . فإنَّه حديثٌ غريبٌ ، وفي رجاله من تكلَّم فيه ، والأشبهُ أنَّه كلام عبد الله بن عمرو ، مما أصابَه يوم اليرموك من تلك الزاملتين من أخبار بني إسرائيل ، والله أعلم .

ثم قد ذكرَ الله عن أهل الأيْكة من المذمَّة ما ذكرَه عن أهل مدينَ من التطفيف في المِكيال والميزان ، فدلَّ على أنهم أُمة واحدة أُهلكوا بأنواعٍ من العذاب . وذَكرَ في كلِّ موضعٍ ما يُناسب من الخطاب .

وقوله ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٨٩] ذكروا أنَّهم أصابَهم حرٌّ شديد ، وأسكنَ الله هبوبَ الهواء عنهم سبعة أيام ، فكان لا ينفعُهم مع ذلك ماءٌ ولا ظِلٌّ ، ولا دخولهم في الأسراب ، فهربوا من محلَّتهم إلى البرِّيَّة ، فأظلَّتهم سحابة ، فاجتمعُوا تحتَها ليستظِلُّوا بظِلِّها ، فلما تكاملوا فيه أرسلَها الله ترميهم بشررٍ وشُهُبٍ ، ورجفتْ بهم الأرضُ ، وجاءتْهم صيحةٌ من السماء ، فأزهقتِ الأرواحَ ، وخرَّبت الأشباح ، ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٩١ ـ ٩٢] ونجَّى اللهُ شعيباً ومن معه من المؤمنين ، كما قال تعالى ـ وهو أصدق القائلين ـ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩٤ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود : ٩٤ ـ ٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٩٠ ـ ٩٢] وهذا في مقابلة قولهم : ﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٠] ثم ذكر تعالى عن نبيِّهم أنه نعاهم إلى أنفسهم مُوبِّخاً ومُؤنِّباً ومُقرِّعاً ، فقال تعالى : ﴿ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ

(١) ما بين حاصرتين سقط من الأصول ؛ وأثبته من المطبوع .
(٢) في تاريخه ، كما في المختصر (١٠/٣٠٩) .

﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٩٣] أي : أعرضْ عنهم مُولّياً عن محلّتهم بعد هلكتهم قائلاً : ﴿ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٩٣] أي : قد أدّيْتُ ما كان واجباً عليّ من البلاغ التامِّ والنُّصْح الكامل ، وحرصتُ على هدايتكم بكلِّ ما أقدرُ عليه ، وأتوصّل إليه ، فلم ينفعْكم ذلك ، لأن الله لا يهدي منْ يُضلُّ ، وما لهم من ناصرين ، فلستُ أتأسَّف بعد هذا عليكم ، لأنكم لم تكونوا تقبلونَ النصيحةَ ، ولا تخافونَ يومَ الفضيحة ، ولهذا قال : ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ أي : أحزن ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ أي : لا تقبلون الحقَّ ولا ترجعون إليه ، ولا تلتفتونَ ، فحلَّ بهم من بأسِ الله الذي لا يُردُّ ما لا يُدافَعُ ولا يُمانَعُ ، ولا محيد لأحدٍ أريد به عنه ولا مناص[١] منه .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه[٢] : عن ابن عباس ؛ أن شعيباً عليه السلام كان بعد يوسف عليه السلام .

وعن وَهْب بن مُنبِّه[٣] أنَّ شُعيباً عليه السلام ماتَ بمكَّة ومنْ معه من المؤمنينَ ، وقبورهم غربيّ الكعبة بين دار النَّدْوة ودار بني سَهْم .

* * *

باب
ذكر ذريّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام[٤]

قد قدَّمنا قصَّته مع قومه وما كان من أمرهم ، وما آلَ إليه أمره عليه السلام والتحيَّة والإكرام ، وذكرنا ما وقعَ في زمانهِ من قصَّة قوم لوط ، وأتبعنا ذلك بقصَّة مدينَ قوم شعيب عليه السلام ؛ لأنها قرينتها في كتاب الله عزَّ وجلَّ في مواضعَ مُتعدِّدة ، فذكرَ تعالى بعدَ قِصَّة قومِ لوطٍ قصَّة مدينَ ، وهم أصحابُ الأيكة على الصحيح ، كما قدَّمنا ، فذكرناها تبعاً لها اقتداءً بالقرآن العظيم .

ثم نشرعُ الآن في الكلام على تفضيل ذرِّيَّة إبراهيم عليه السلام ، لأنَّ الله جعلَ في ذريَّته النبوةَ والكتابَ ، فكلُّ نبيٍّ أُرسلَ بعدَه فمن وَلَده .

---

(١) كذا في الأصول ، وفي المطبوع : ولا مناص عنه ، ومعنى : لا مناص : لا رجعة ولا عودة .
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ، كما في المختصر (١٠/ ٣٠٨) .
(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ، كما في المختصر ؛ لابن منظور (١٠/ ٣١٤) .
(٤) كذا في ب ، وفي أ : والتسليم .

ذكرُ
إسماعيل عليه السّلام

وقد كان للخليل بنونَ كما ذكرنا ، و لكنَّ أشهرَهم الأخوان النَّبيَّان العظيمان الرسولان ، أسنُّهما وأجلُّهما الذي هو الذبيحُ على الصحيح إسماعيل ، بكرُ إبراهيم الخليل من هاجرَ القِبْطيّة المصرية عليها السلام من العظيم الجليل .

ومنْ قال : إنَّ الذبيحَ هو إسحاقُ فإنما تلقَّاه من نَقَلةِ بني إسرائيلَ الذين بدَّلوا وحرَّفوا وأوَّلوا التوراةَ والإنجيلَ ، وخالفواما بأيديهم في هذا من التنزيل . فإنَّ إبراهيمَ أُمرَ بذبح ولده البكر ، وفي روايةٍ الوحيد .

وأيّاً ما كان فهو إسماعيلُ بنصِّ الدليل ، ففي نصِّ كتابهم إن إسماعيلَ وُلدَ ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة ، وإنما وُلِدَ إسحاق بعد مضي مئة سنةٍ من عمر الخليل ، فإسماعيلُ هو البِكْرُ لا محالة ، وهو الوحيد في الصورة والمعنى[1] على كل حالة . أما في الصورة فلأنَّه كان وحدَه ولدَه أزيدَ من ثلاثة عشر سنة ، وأما أنه وحيدٌ في المعنى فإنه هو الذي هاجرَ به أبوه ومعه أمّه هاجرُ ، وكان صغيراً رضيعاً فيما قيل ، فوضعهما في وهاد جبال فاران ، وهي الجبال التي حولَ مكّة نعم المقيل ، وتركَهما هنالك ليس معهما من الزاد والماء إلا القليل ، وذلك ثقةً بالله وتوكُّلاً عليه . فحاطَهُما الله تعالى بعنايته وكفايتِه ، فنعمَ الحسيبُ والكافي والوكيلُ والكفيلُ ، فهذا هو الولدُ الوحيدُ في ا لصورة والمعنى ، ولكنْ أين من يتفطَّنُ لهذا السر ؟ وأين منْ يحلُّ بهذا المحل ، والمعنى لا يُدركُه ويُحيط بعلمه إلا كلُّ نبيهٍ نبيل .

وقد أثنى الله تعالى عليه ووصفَه بالحِلْم والصَّبْر وصِدْقِ الوعد ، والمحافظة على الصلاة ، والأمر بها لأهله ليقيهم العذابَ ، مع ما كانَ يدعو إليه من عبادة ربِّ الأرباب .

قال الله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠١ ـ ١٠٢] فطاوعَ أباه على ما إليه دعاه ، ووعدَه بأنْ سيصبر ، فوفى بذلك ، وصبرَ على ذلك .

وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم : ٥٤ ـ ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ ـ ٤٨] وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ

---

(١) كذا في ب ، وفي أ : ضرورة ، وفي المطبوع : صورة ومعنى .

ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ ـ ٨٦] وقال تعالى : ﴿ ۞إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [النساء : ١٦٣] الآية . وقال تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [البقرة : ١٣٦] الآية ، ونظيرتها من السورة الأخرى . وقال تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة : ١٤٠] الآية .

فذكرَ الله عنه كلَّ صفةٍ جميلةٍ ، وجعله نبيَّه ورسولَه وبرَّأه من كل ما نَسبَ إليه الجاهلون ، وأمرَ بأن يُؤمنَ بما أُنزلَ عليه عباده المؤمنون .

وذكر علماءُ النسب وأيَّام النَّاس أنَّه أوَّلُ من ركبَ الخيلَ ، وكانت قبلَ ذلك وُحُوشاً فآنسها وركبَها .

وقد قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه : حدَّثنا شيخٌ من قُريش ، حدَّثنا عبدُ الملك بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن عمر ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « اتَّخذوا الخيلَ واعتقِبُوها ، فإنَّها ميراثُ أبيكم إسماعيل »(١) وكانت هذه العرابُ وحشاً فدعا لها بدعوتِه التي كان أعطي فأجابته .

وأنَّه أولُ من تكلَّم بالعربية الفصيحة البليغة ، وكان قد تعلَّمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جُرهم والعماليق ، وأهل اليمن من الأمم المتقدِّمين من العرب قبل الخليل .

قال الأموي : حدَّثني عليُّ بن المغيرة ، حدَّثنا أبو عُبيدة ، حدَّثنا مِسْمَعُ بن مالك ، عن محمد بن علي بن الحسين ، عن آبائه ، عن النبي ﷺ ؛ أنه قال : « أوَّلُ من فُتِق لسانُه بالعربية البيِّنة إسماعيل ، وهو ابن أربع عشرة سنة »(٢) فقال له يونس : صدقت يا أبا سيار ، هكذا أبو جريّ حدَّثني .

وقد قدَّمنا أنَّه تزوَّجَ لما شبَّ من العماليق امرأةً ، وأنَّ أباه أمرَه بفراقِها ، ففارقَها .

قال الأموي : هي عمارةُ بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقي(٣) . ثم نكحَ غيرَها فأمرَه أن يستمرَّ بها ، وهي السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي . وقيل : هذه ثالثة ، فولدت له اثني عشرَ ولداً ذكراً ، وقد سمَّاهم محمد بن إسحاق رحمه الله ، وهم : نابت وقيذر وازبل وميشى ومسمع وماش ودوصا وآزر ويطور ونبش وطيما وقيذما(٤) . وهكذا ذكرَهم أهلُ الكتاب في كتابهم . وعندهم أنهم الاثنا عشر عظيماً المبشَّر بهم ، المتقدِّم ذكرهم ، وكذبوا في تأويلهم ذلك .

---

(١) لم أجده ، وفي إسناده رجل مجهول ، فهو منقطع .

(٢) أخرجه الشيرازي في الألقاب والزبير بن بكار في النسب ، من حديث علي ، كما في فيض القدير (٣/ ٩٢) وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٤٨) من حديث ابن عباس ، وذكره القرطبي في التفسير (١/ ٢٨٣) .

(٣) في ب : العملاقي .

(٤) الذي في الطبري : نابت ، وقيدر ، وأدبيل ، ومبشا ، ومسمع ، ودما ، وماس ، وأدد ، ووطور ، ونفيس ، وطما ، وقيدمان .

وكان إسماعيلُ عليه السلام رسولاً إلى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن صلواتُ الله وسلامه عليه ، ولما حضرتْه الوفاةُ أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته « نسمة » من ابن أخيه العيص بن إسحاق ، فولدت له الروم ، يقال لهم : بنو الأصفر ، لصفرةٍ كانت في العيص . وولدتْ له اليونان في أحد الأقوال . ومن ولد العيص الأشبان ، قيل : منهما أيضاً . وتوقَّفَ ابن جرير[١] رحمه الله .

ودُفنَ إسماعيلُ نبيُّ الله بالحجر مع أمِّه هاجرَ ، وكان عمرُه يوم مات مئة وسبعاً وثلاثين سنة[٢] .

ورُوي عن عمرَ بن عبد العزيز أنه قال : شكا إسماعيلُ عليه السلام إلى ربِّه عزَّ وجلَّ حرَّ مكَّةَ ، فأوحى الله إليه أنِّي سأفتحُ لك باباً إلى الجنَّةِ ، إلى الموضع الذي تُدفنُ فيه ، تجري عليك روحُها إلى يوم القيامة[٣] .

وعربُ الحجاز كلُّهم ينتسبون إلى ولديْه نابت وقيذار . وسنتكلَّم على أحياء العرب وبطونها وعمائِرها وقبائِلها وعشائِرها من لدن إسماعيل عليه السلام إلى زمان رسول الله ﷺ . وذلك إذا انتهينا إلى أيَّامه الشريفة وسيرته المنيفة بعد الفراغ من أخبار أنبياء بني إسرائيل إلى زمان عيسى ابن مريم خاتم أنبيائهم ومحقِّق أنبائهم ، ثم نذكرُ ما كان في زمن بني إسرائيل ، ثم ما وقعَ في أيَّام الجاهلية ، ثم ينتهي الكلام إلى سيرة نبيِّنا رسولِ الله إلى العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم من الأمم ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم .

* * *

ذكرُ
إسحاق بن إبراهيم الكريم ابن الكريم عليهما الصّلاة والتسليم

قد قدَّمنا أنه ولد ولأبيه مئة سنة بعد أخيه إسماعيل بأربع عشرة سنة ، وكان عمرُ أمِّه سارَة حين بُشِّرتْ به تسعين سنة ، قال الله تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات : ١١٢ ـ ١١٣] .

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٣١٤) .
(٢) المصدر السابق (١/ ٣١٤) .
(٣) المصدر السابق (١/ ٣١٥) .

وقد ذكرَه الله تعالى بالثناء عليه في غير ما آية من كتابه العزيز ، وقدَّمنا في حديث أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ: « إنَّ الكريمَ بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم »[١].

وذكرَ أهلُ الكتاب أنَّ إسحاقَ لما تزوَّج « رفقا » بنت بثوابيل في حياة أبيه ، كان عمرُه أربعينَ سنة ، وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملَتْ ، فولدت غلامين توأمين : أولهما سمَّوه « عيصو » وهو الذي تُسميه العربُ العيصَ ، وهو والد الروم الثانية[٢] . والثاني خرجَ وهو آخذٌ بعقبِ أخيه فسمَّوه « يعقوبَ »[٣] وهو إسرائيل الذي ينتسبُ إليه بنو إسرائيل .

قالوا : وكان إسحاق يحبُّ « العيصو » أكثر من « يعقوب » لأنه بِكرُه ، وكانت أُمُّهما « رفقا » تحبُّ يعقوبَ أكثر ؛ لأنَّه الأصغرُ .

قالوا : فلما كبرَ إسحاق وضعفَ بصرُه ، اشتهى على ابنه « العيص » طعاماً وأمرَه أن يذهبَ فيصطادَ له صيداً ويطبخَه له ، ليُبارِكَ عليه ويدعوَ له . وكان العيص صاحبَ صيد ، فذهبَ يبتغي ذلك ، فأمرت « رفقا » ابنَها يعقوب أن يذبحَ جديين من خيار غنمه ، ويصنع منهما طعاماً كما اشتهاه أبوه ، و يأتي إليه به قبل أخيه ليدعوَ له ، فقامت فألبستْه ثيابَ أخيه ، وجعلتْ على ذراعيْه وعُنُقه من جلدِ الجَدْيَيْنِ ، لأن العيصَ كان أشعرَ الجسد ، ويعقوبُ ليس كذلك ، فلما جاء به وقرَّبه إليه ، قال : من أنت ؟ قال : ولدُك . فضمَّه إليه وجسَّه ، وجعلَ يقولُ : أما الصوتُ فصوتُ يعقوب ، وأما الجسُّ والثياب فالعيصُ ، فلما أكلَ وفرغَ دعا له أن يكونَ أكبرَ إخوتِه قَدْراً ، وكلمتُه عليهم وعلى الشعوب بعدَه ، وأن يكثرَ رزقُه وولدُه .

فلما خرجَ من عنده جاء أخوه العيصُ بما أمرَه به والده ، فقرَّبه إليه ، فقال له : ما هذا يا بنيَّ ؟ قال : هذا الطعام الذي اشتهيتَه . فقال : أما جئتني به قبلَ الساعة وأكلتُ منه ، ودعوتُ لك ؟ فقال : لا والله ، وعرفَ أنَّ أخاه قد سبقَه إلى ذلك ، فوجَدَ في نفسه عليه وَجْداً كثيراً . وذكروا أنَّه تواعده بالقتل إذا مات أبوهُما ، وسألَ أباه فدعا له بدعوةٍ أخرى ، وأن يجعلَ لذريَّته غليظَ الأرض ، وأنْ يُكثِرَ أرزاقهم وثمارَهم ، فلما سمعت أمُّهما ما يتواعدُ به العيصُ أخاه يعقوبَ ، أمرت ابنهَا يعقوبَ أن يذهبَ إلى أخيها « لابان » الذي بأرض حرَّان ، وأن يكونَ عندَه إلى حين يسكنُ غضبُ أخيه عليه ، وأن يتزوج من بناته . وقالت لزوجها إسحاق أن يأمرَه بذلك ويُوصيه ويدعو له ففعلَ .

فخرجَ يعقوبُ عليه السلام من عندِهم من آخر ذلك اليوم ، فأدركَه المساء في موضعٍ فنامَ فيه ، وأخذ

---

(١) تقدم الحديث وتخريجه .
(٢) سقطت من المطبوع .
(٣) في هامش ب : ذكر يعقوب ، وهو إسرائيل عليه السلام .

حجراً فوضعَه تحت رأسِه ونام ، فرأى في نومه ذلك مِعْراجاً[١] منصوباً من السماء إلى الأرض ، وإذا الملائكةُ يصعدون فيه وينزلون ، والربُّ تباركَ وتعالى يخاطبُه ، ويقولُ له : إني سأُبارِكُ عليك وأكثِر ذريَّتك ، وأجعلُ لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك .

فلما هبَّ من نومه فرحَ بما رأى ، ونذرَ لله لَئن رجعَ إلى أهله سالماً ليبنينَّ في هذا الموضع معبداً لله عزَّ وجلَّ ، وأن جميع ما يُرزقه من شيء يكونُ لله عشره ، ثم عمدَ إلى ذلك الحجر فجعلَ عليه دُهناً يتعرَّفه به ، وسمَّى ذلك الموضعَ « بيت إيل » أي : بيت الله ، وهو موضع بيت المقدس اليوم ، الذي بناه يعقوبُ بعد ذلك كما سيأتي .

قالوا : فلما قدمَ يعقوبُ على خاله أرضَ حرَّان إذا له ابنتان ، اسم الكبرى « ليا » واسم الصغرى « راحيل » [فخطب إليه راحيل][٢] ، وكانت أحسنهما وأجملهما ، فأجابه إلى ذلك بشرط أنْ يرعى على غنمه سبع سنين ، فلما مضت المدة على خاله « لابان » صنعَ طعاماً وجمعَ النَّاس عليه ، وزفَّ إليه ليلاً ابنته الكبرى « ليا » وكانت ضعيفةَ العينين قبيحة المنظر . فلما أصبحَ يعقوبُ إذا هي « ليا » فقال لخاله : لم غدرتَ بي ؟ وأنت إنما خطبتُ إليكَ « راحيل » فقال : إنه ليس من سنَّتنا أن نُزوِّجَ الصغرى قبل الكبرى ، فإن أحببتَ أختَها فاعملْ سبعَ سنين أخرى ، وأزوِّجكها . فعملَ سبع سنين وأدخلَها عليه مع أُختها ، وكان ذلك سائغاً في ملَّتهم ثم نُسخ في شريعة التوراة .

وهذا وحده دليلٌ كافٍ على وقوع النسخ ، لأن فعلَ يعقوب عليه السلام دليلٌ على جواز هذا وإباحتِه ، لأنه معصوم .

ووهبَ « لابان » لكلِّ واحدة من ابنتيْه جاريةً ، فوهبَ لليا جاريةً اسمها « زلفى » ووهب لراحيل جاريةً اسمها « بلهى » . وجبرَ الله تعالى ضعفَ « ليا » بأن وهبَ لها أولاداً ، فكان أول من ولدت ليعقوب روبيل ، ثم شمعون ، ثم لاوي ، ثم يهوذا . فغارت عند ذلك « راحيل » وكانت لا تحبلُ ، فوهبت ليعقوبَ جاريتها « بلهى » فوطئِها فحملتْ ، وولدتْ له غلاماً سمَّته « دان » وحملتْ وولدتْ غلاماً آخر سمَّته « نيفتالي » فعمدتْ عند ذلك « ليا » فوهبت جاريتَها « زلفى » من يعقوب عليه السلام ، فولدت له « حاد » و« أشير » غلامين ذكريْن ، ثم حملت « ليا » أيضاً فولدت غلاماً خامساً منها وسمَّته « إيساخر » . ثم حملتْ وولدت غلاماً سادساً سمته « زابلون » ثم حملت وولدت بنتاً سمَّتها « دنا » فصار لها سبعة من يعقوب . ثم دعتِ الله تعالى « راحيل » وسألته أن يهبَ لها غلاماً من يعقوب ، فسمع الله نداءها وأجاب دعاءها فحملت من نبيِّ الله يعقوب فولدت له غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلا سمَّته يوسفَ ، كل هذا وهم مقيمون بأرض حرَّان ،

---

(١) معراجاً : المعراج : ما يُرتقى به .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع ومن أ ، وأثبتهما من ب .

وهو يرعى على خاله غنمَه بعد دخوله على البنتين ست سنين أخرى ، فصار مدَّة مقامه عشرين سنة .

فطلبَ يعقوبُ من خاله « لابان » أن يُسرِّحه ليمرَّ إلى أهله . فقال له خاله : إنِّي قد بُورك لي بسببك فسلني من مالي ما شئتَ . فقال : تعطيني كلّ حَملٍ يُولد من غنمك هذه السنة أبقعَ[1] ، وكلَّ حَمْل ملمع أبيض بسواد ، وكلّ أملح[2] ببياض ، وكل أجلح[3] أبيض من المعز . فقال : نعم . فعمد بنوه فأبرزوا من غنم أبيهم ما كانَ على هذه الصفات من التُّيوس ، لئلا يُولد شيء من الحملان على هذه الصفات ، وساروا بها مسيرة ثلاثة أيام عن غنم أبيهم .

قالوا : فعمد يعقوب عليه السلام إلى قضبان رطبة بيض من لوز ودلب ، فكان يُقشِّرها بُلْقاً وينصبها في مساقي الغنم من المياه ، لينظرَ الغنمُ إليها فتفزعَ وتتحرَّك أولادُها في بطونها ، فتصيرُ ألوان حملانها كذلك ، وهذا يكونُ من باب خوارق العادات ، وينتظمُ في سلْكِ المعجزات ، فصار ليعقوبَ عليه السلام أغنامٌ كثيرة ودوابٌّ وعبيد ، وتغيَّر له وجه خاله وبنيه ، وكأنهم انحصروا منه .

وأوحى الله تعالى إلى يعقوبَ أن يرجعَ إلى بلاد أبيه وقومه ، ووعدَه بأن يكون معه ، فعرضَ ذلك على أهله فأجابُوه مبادرينَ إلى طاعته ، فتحمَّلَ بأهله ومالِه ، وسرقت « راحيل » أصنام أبيها ، فلما جاوزوا وتحيَّزوا عن بلادهم ، لحقَهم « لابان » وقومُه ، فلما اجتمع « لابانُ » بيعقوبَ عاتبَه في خروجه بغير علمه ، وهلاَّ أعلمَه فيُخرجهم في فرحٍ ومزاهرَ وطُبولٍ ، وحتَّى يُودِّعَ بناتِه وأولادهنَّ ، ولما أخذوا أصنامَه معهم ، ولم يكن عند يعقوبَ علمٌ من أصنامِه ، فأنكرَ أن يكونَ أخذوا له أصناماً ، فدخلَ بيوتَ بناتِه وإمائهنَّ يفتش فلم يجد شيئاً ، وكانت راحيلُ قد جعلتهنَّ في بَرْدَعةِ[4] الحِمْل وهي تحتَها ، فلم تقمْ واعتذرتْ بأنَّها طامِثٌ ، فلم يقدرْ عليهنَّ ، فعند ذلك تواثقُوا على رابية هناكَ ، يُقال لها « جلعاد » على أنَّه لا يهين بناته ولا يتزوَّج عليهن ، ولا يُجاوز هذه الرابية إلى بلادِ الآخر ، لا لابان ولا يعقوب ، وعملا طعاماً وأكلَ القومُ معهم وتودَّعَ كلٌّ منهما من الآخر ، وتفارقوا راجعينَ إلى بلادهم .

فلما اقتربَ يعقوبُ من أرض « ساعير » تلقَّتْه الملائكةُ يُبشِّرونه بالقدوم ، وبعثَ يعقوب البرد إلى أخيه العيص يترفَّق له ويتواضع له ، فرجعت البرد وأخبرتْ يعقوبَ بأن العيص قد ركبَ إليك في أربعمئة راجل ، فخشيَ يعقوبُ من ذلك ودعا الله عزَّ وجلَّ وصلَّى له وتضرَّع إليه وتمسكنَ لديْه ، وناشدَه عهدَه ووعدَه الذي وعدَه به ، وسأله أن يكفَّ عنه شرَّ أخيه العيص ، وأعدَّ لأخيه هديَّةً عظيمةً ، وهي مئتا شاة ،

---

(١) أبقع : خالط لونه لونٌ آخر .

(٢) أملح : خالط بياضَه سوادٌ .

(٣) أجلح : لا قرنَ له .

(٤) برْدعة : هي ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه ، كالسَّرْج للفرس .

وعشرون تيساً ومئتا نعجةٍ ، وعشرون كبشاً ، وثلاثون لَقْحَةً[١] ، وأربعون بقرة ، وعشرة من الثيران ، وعشرون أتاناً ، وعشرة من الحُمُر ، وأمرَ عبيدَه أن يسوقوا كلاً من هذه الأصناف وحدَه ، وليكنْ بين كلِّ قطيعٍ وقطيع مسافةٌ ، فإذا لقيهم العيصُ ، فقال : للأوَّل لمن أنت ؟ ولمن هذه معكَ ؟ فليقل : لعبدك يعقوب أهداها لسيِّدي العيصُ . وليقل الذي بعدَه كذلك ، وكذا الذي بعدَه ، ويقولُ كلٌّ منهم وهو جاءٍ بعدنا .

وتأخَّر يعقوبُ بزوجتيْه وأمتيْه وبنيه الأحد عشرَ بعد الكلِّ بليلتين ، وجعل يسيرُ فيهما ليلاً ، ويكمنُ نهاراً ، فلما كان وقتُ الفجر من الليلة الثانية تبدَّى له ملَكٌ من الملائكة في صُورة رجلٍ ، فظنَّه يعقوبُ رجلاً من النَّاس ، فأتاه يعقوبُ ليُصارعه ويُغالبه ، فظهرَ عليه يعقوبُ فيما يرى ، إلا أنَّ المَلَك أصابَ وِرْكَه ، فعرجَ يعقوبُ ، فلما أضاءَ الفجر قال له الملك ما اسمكَ ؟ قال : يعقوب . قال : لا ينبغي أن تُدعى به اليوم إلا إسرائيل . فقال له يعقوب : ومنْ أنتَ وما اسمكَ ؟ فذهبَ عنه ، فعلمَ أنَّه مَلَكٌ من الملائكة ، وأصبحَ يعقوبُ وهو يعرجُ من رِجْلِه ، فلذلك لا يأكلُ بنو إسرائيل عِرْقَ النَّسَا ، ورفعَ يعقوبُ عينيْه فإذا أخوه « عيصو » قد أقبلَ في أربعمئة راجل ، فتقدَّم أمام أهله ، فلما رأى أخاه العيص سجدَ له سبع مرَّاتٍ ، وكانت هذه تحيَّتُهم في ذلك الزمان ، وكان مشروعاً لهم ؛ كما سجدتِ الملائكةُ لآدمَ تحيَّةً له ، وكما سجدَ إخوةُ يوسفَ وأبواه له كما سيأتي ، فلما رآه العيص تقدَّم إليه واحتضنَه وقبَّله وبكى ، ورفعَ العيصُ عينيْه ونظرَ إلى النساء والصِّبيان ، فقال : من أين لك هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين وهبَ الله لعبدكَ ، فدنتِ الأمتان وبنوهما فسجدوا له ودنت « ليا » وبنوها فسجدوا له ، ودنت « راحيل » وابنها يوسف فخرَّا سُجَّداً له ، وعرضَ عليه أن يقبلَ هديَّته وألحَّ عليه ، فقبلَها ورجعَ العيصُ ، فتقدَّم أمامَه ولحقَه يعقوبُ وما معه من الأنعام والمواشي والعبيد قاصدينَ جبالَ ساعير .

فلما مرَّ بساحور ابتنى له بيتاً ولدوابّه ظلالاً ، ثم مرَّ على أورشليم قرية شخيم ، فنزل قبل القرية ، واشترى مزرعةَ شخيم بن جمور بمئة نعجة ، فضربَ هنالك فسطاطَه ، وابتنى ثَم مذبحاً ، فسمَّاه « إيل » إلَه إسرائيل ، وأمر الله ببنائه ليُستعلنَ له فيه . وهو بيتُ المقدس اليوم ، الذي جدَّده بعد ذلك سليمان بن داود عليهما السلام ، وهو مكان الصخرة التي أعلمَها بوضع الدُّهن عليها قبل ذلك ، كما ذكرنا أولاً .

[وذكر أهلُ الكتاب هنا قصة « دينا » بنت يعقوب بنت « ليا » وما كان من أمرها مع « شخيم » بن جمور الذي قهرَها على نفسها ، وأدخلَها منزلَه ثم خطبها من أبيها وإخوتها ، فقال إخوتها : إلا أن تختتنوا كلكم فنصاهركم وتصاهرونا ، فإنا لا نُصاهر قوماً غلفاً ، فأجابوهم إلى ذلك واختتنوا كلُّهم ، فلما كان اليوم الثالث واشتدَّ وجعُهم من ألم الخِتان ، مالَ عليهم بنو يعقوب فقتلوهم عن آخرهم ، وقتلوا

---

(١) لَقْحة : ناقة حلوب غزيرة اللبن .

« شخيماً » وأباه « جمور » لقبيح ما صنعوا إليهم ، مضافاً إلى كفرهم ، وما كانوا يعبدون من أصنامهم ، فلهذا قتلهم بنو يعقوب ، وأخذوا أموالهم غنيمة][1] .

ثم حملت « راحيل » فولدت غلاماً وهو « بنيامين » إلا أنها جهدت في طلقها به جهداً شديداً وماتت عقيبه ، فدفنَها يعقوبُ في « أفراث » وهي بيت لحم ، وصنعَ يعقوبُ على قبرها حجراً ، وهي الحجارةُ المعروفة بقبر راحيل إلى اليوم .

وكان أولاد يعقوب الذكور اثني عشر رجلاً ؛ فمن « ليا » : روبيل ، وشمعون ، ولاوي ، ويهوذا ، وايساخر ، وزايبلون . ومن راحيل : يوسف ، وبنيامين . ومن أمة راحيل : دان ، ونيثالي . ومن أمة « ليا » : جاد وأشير ، عليهم السلام .

وجاء يعقوبُ إلى أبيه إسحاق ، فأقام عنده بقرية حبرون ، التي في أرض كنعان ، حيث كان يسكنُ إبراهيم ، ثم مرضَ إسحاقُ ومات عن مئة وثمانين سنة ، ودفنَه ابناه العيصُ ويعقوبُ مع أبيه إبراهيم الخليل في المغارة التي اشتراها ، كما قدَّمنا .

***

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ ، وهو في ب والمطبوع .

ذكرُ
ما وقعَ من الأمور العجيبة في حياة إسرائيل
فمن ذلك قصة يوسف بن راحيل

وقد أنزل الله عزَّ وجلَّ في شأنه ، وما كان من أمره ، سورة من القرآن العظيم ليتدبَّر ما فيها من الحِكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف : ١ ـ ٣] .

وقد تكلَّمنا على الحروف المقطعة في أول تفسير سورة البقرة ، فمن أراد تحقيقه فلينظرْه ثَمَّ ، وتكلَّمنا على هذه السورة مستقصىً في موضعها من التفسير ، ونحن نذكرُ هاهنا نبذاً مما هناك على وجه الإيجاز والنجاز .

وجملةُ القول في هذا المقام : أنه تعالى يمدحُ كتابه العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم بلسانٍ عربيٍّ فصيح بيِّنٍ واضح جليّ ، يفهمُه كلُّ عاقل ذكيّ زكي ، فهو أشرف كتابٍ نزلَ من السماء ، أنزله أشرف الملائكة على أشرفِ الخلق في أشرف زمان ومكان ، بأفصح لغة وأظهر بيان ، فإن كان السياق في الأخبار الماضية أو الآتية : ذكرَ أحسنها وأبينها ، وأظهرَ الحق مما اختلف الناس فيه ، ودمغَ الباطلَ وزيَّفه وردَّه ، وإن كان في الأوامر والنواهي : فأعدلُ الشرائع وأوضحُ المناهج ، وأبيَنُ حكماً وأعدلُ حكماً ، فهو كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] . يعني صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي . ولهذا قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] أي بالنسبة إلى ما أوحي إليك فيه ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى : ٥٢ ـ ٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾ [طه : ٩٩ ـ ١٠١] .

يعني : منْ أعرضَ عن هذا القرآن واتَّبعَ غيرَه من الكتب فإنه ينالُه هذا الوعيد ، كما قال في الحديث المروي في المسند والترمذي : عن أمير المؤمنين عليٍّ مرفوعاً وموقوفاً : « من ابتغى الهدى في غيره أضلَّه اللهُ »(١) .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٩١) والترمذي (٢٩٠٦) في فضائل القرآن ، وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال . فهو ضعيف في المرفوع ، وبعضهم وقفه على علي رضي الله عنه .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا سريج بن النعمان : حدَّثنا هشيم ، أخبرنا مجالد ، عن ا لشعبي ، عن جابر : أنَّ عُمَرَ بن الخطاب أتى النبيَّ ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبيِّ ﷺ : قال فغضبَ وقال : « أتتهوكون[١] فيها يا بن الخطاب ! والذي نفسي بيده لقد جئتُكم بها بيضاء نقيَّة ، لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبرونكم بحقٍّ فتكذِّبونه ، أو بباطل فتُصدِّقونه ، والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى كان حيّاً ما وسعَه إلا أن يتبعني » . إسناد صحيح[٢] .

ورواه أحمد من وجهٍ آخرَ[٣] : عن عمر ، وفيه فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو أصبحَ فيكم موسى ثم اتَّبعتمُوه وتركتُموني لضَلَلْتُم . إنَّكم حَظِّي من الأمم وأنا حَظُّكم من النبيِّين » .

وقد أوردتُ طرقَ هذا الحديث وألفاظَه في أول سورة يوسف[٤] ، وفي بعضها أن رسول الله ﷺ خطبَ النَّاسَ ، فقال في خطبته : « أيُّها الناس ! إني قد أوتيتُ جوامعَ الكلم وخواتيمَه ، واختُصرَ لي اختصاراً ، ولقد أتيتُكم بها بيضاءَ نقيَّةً فلا تتهوَّكوا ، ولا يغرَّنكم المُتَهوِّكون »[٥] . ثم أمر بتلك الصحيفة فمُحيت حرفاً حرفاً .

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : ٤ ـ ٦] .

[قد قدَّمنا أن يعقوب كان له من البنين اثنا عشر ولداً ذكراً وسمَّيناهم ، وإليهم تُنسب أسباط بني إسرائيل كلهم ، وكان أشرفَهم وأجلَّهم وأعظمَهم يوسفُ عليه السلام ، وقد ذهبَ طائفةٌ من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبيٌّ غيره ، وباقي إخوته لم يُوحَ إليهم ، وظاهرُ ما ذُكر من فعالهم ومقالهم في هذه القصَّة يدلُّ على هذا القول .

ومن استدلَّ على نبوَّتهم بقوله : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [آل عمران : ٨٤] وزعمَ أن هؤلاء هم الأسباط ، فليس استدلاله بقوي ، لأن المرادَ

---

(١) « أتتهوكون » : التهوُّك : كالتهوّر ، وهو الوقوع في الأمر بغير روية ، والمُتهوِّك : المتحيِّر .
(٢) في المسند (٣/ ٣٨٧) وفيه : أمتهوِّكون ، أقول : وإسناده ضعيف .
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٧١) و (٤/ ٢٦٦) وإسناده ضعيف .
(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٧٦) .
(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٣) وقال : رواه أبو يعلى ، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق ، ضعَّفه أحمد وجماعة .

بالأسباط شعوبُ بني إسرائيل ، وما كان يُوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزلُ عليهم الوحي من السماء ، والله أعلم .

ومما يؤيِّد أن يوسف عليه السلام هو المختصُّ من بين إخوته بالرسالة والنبوة ، أنه نصَّ على واحد من إخوتِه سواه ، فدلَّ على ما ذكرناه ، ويُستأنس لهذا بما قال الإمام أحمد : حدَّثنا عبدُ الصمد ، حدَّثنا عبد الرحمن ، عن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « الكريمُ ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم »[١] . انفردَ به البخاريُّ ، فرواه عن عبد الله بن محمد ، وعبدة ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به .

وقد ذكرنا طرقَه في قصَّة إبراهيم بما أغنى عن إعادته هاهنا ـ ولله الحمد والمنة[٢] ـ .

قال المفسرون وغيرهم : رأى يوسفُ عليه السلام وهو صغير قبل أن يحتلم كأن ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [يوسف : ٤] وهم إشارة إلى بقية إخوته ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ [يوسف : ٤] وهما عبارة عن أبويه ، قد سجدوا له ، فهالَه ذلك ، فلما استيقظَ قصَّها على أبيه ، فعرفَ أبوه أنَّه سينالُ منزلةً عاليةً ورِفْعةً عظيمة في الدنيا والآخرة ، بحيث يخضعُ له أبواه وإخوته فيها ، فأمرَه بكتمانها ، وألاَّ يقصَّها على إخوته كيلا يحسدوه ويبغوا له الغوائل[٣] ، ويكيدوه بأنواع الحيل والمكر ، وهذا يدلُّ على ما ذكرناه . ولهذا جاء في بعض الآثار : استعينوا على قضاء حوائجكم بكتمانها ، فإن كل ذي نعمة محسود[٤] .

وعند أهل الكتاب أنه قصَّها على أبيه وإخوته معاً وهو غلطٌ منهم ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ أي : وكما أراكَ هذه الرؤيا العظيمة فإذا كتمتَها ﴿ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ أي : يخصُّك بأنواع اللطف والرحمة ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ أي : يُفهمُكَ من معاني الكلام وتعبير المنام ما لا يفهمُه غيرك ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ أي : بالوحي إليك ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ أي : بسببك ويحصل لهم بك خيرُ الدنيا والآخرة ﴿ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ أي : يُنعم عليك ويُحسن إليك بالنبوة ، كما أعطاها أباك يعقوب وجدَّك إسحاق ، ووالد جدِّك إبراهيم الخليل ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

---

(١) البخاري في الأنبياء (٣٣٨٢) و(٣٣٩٠) .
(٢) ما بين الحاصرتين سقط من أ ، وأثبته من هامش ب وهو في المطبوع .
(٣) « الغوائل » : الدواهي والمصائب .
(٤) رواه العقيلي وابن عديٍّ والطبراني وأبو نعيم والبيهقي ، عن معاذ بن جبل ، كما في فيض القدير (١/ ٤٩٣) والمقاصد الحسنة (ص٥٦) ، وتمييز الطيب من الخبيث (ص٢٧) وكشف الخفاء (١/ ١٣٥) وفي إسناده ضعف .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : لما سُئل أيُّ النَّاس أكرم ؟ قال : « يوسفُ نبيُّ الله ابن نبيِّ الله ابن نبيِّ الله ابن خليل الله »(١) .

وقد روى ابن جرير(٢) ، وابن أبي حاتم ، في تفسيريهما ، وأبو يعلى ، والبزَّار ، في مسنديهما : من حديث الحكم بن ظُهَير ـ وقد ضعَّفه الأئمة ـ عن السُّدِّي ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر ، قال : أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ من يهود يقال له : « بستانة اليهودي » فقال : يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسفُ أنها ساجدة له ما أسماؤها ؟ قال : فسكتَ النبيُّ ﷺ فلم يُجبْه بشيء . ونزلَ جبريلُ عليه السلام بأسمائها . قال : فبعثَ إليه رسولُ الله ، فقال : « هل أنت مؤمن إن أخبرتُك بأسمائها ؟ قال : نعم . فقال : هي حرثان ، والطارق ، والذيَّال ، وذو الكتفان ، وقابس ، ووثَّاب ، وعمردان ، والفيلق ، والمصبح ، والضروح ، وذو الفرع ، والضياء ، والنور » . فقال اليهوديُّ : إي والله إنها لأسماؤها(٣) .

وعند أبي يعلى فلما قصَّها على أبيه . قال : هذا أمرٌ مُشتَّتٌ يجمعُه الله . والشمس : أبوه ، والقمر : أمه .

﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضٗا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [يوسف : ٧ـ١٠] .

يُنبِّه تعالى على ما في هذه القصَّة من الآيات والحِكم والدَّلالاتِ والمواعظ والبيِّنات ، ثم ذكرَ حسدَ إخوة يوسف له على محبَّة أبيه له ولأخيه ـ يعنونَ شقيقَه لأمِّه بنيامين ـ أكثر منهم ، وهم عُصْبة ، أي : جماعة . يقولون : فكنّا نحن أحقُّ بالمحبَّة من هذين ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ أي : بتقديمه حبَّهما علينا .

ثم اشتوروا فيما بينهم في قتل يوسفَ أو إبعاده إلى أرضٍ لا يرجعُ منها ، ليخلوَ لهم وجهُ أبيهم ، أي : لتتمحَّضَ(٤) محبَّتُه لهم ، وتتوفر عليهم ، وأضْمَروا التوبةَ بعد ذلك ، فلما تمالؤوا على ذلك وتوافقوا عليه ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ ﴾ قال مجاهد : هو شمعون . وقال السُّدِّي : هو يهوذا . وقال قتادة ومحمد ابن إسحاق : هو أكبرُهم روبيل : ﴿ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ أي : المارة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٤) في الأنبياء .

(٢) انظر تفسير الطبري (٧/١٤٨) .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور ، والبزار ، وأبو يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والعقيلي ، وابن حبان في الضعفاء ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، وأبو نعيم والبيهقي معاً في دلائل النبوة ؛ كما في الدر المنثور (٤/٤٩٨) . أقول : وإسناده ضعيف كما قال المصنف .

(٤) « لتتمحَّض محبَّتُه » : لتكون خالصة ، لا تشوبها شائبة .

من المسافرين ﴿ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ ما تقولون لا محالة ، فليكن هذا الذي أقول لكم فهو أقربُ حالاً من قتله أو نفيه وتغريبه ، فأجمعوا رأيهم على هذا فعند ذلك : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [يوسف : ١١ ـ ١٤] .

طلبوا من أبيهم أن يرسلَ معهم أخاهم يوسفَ ، وأظهروا له أنهم يُريدون أن يرعى معهم ، وأن يلعبَ وينبسطَ ، وقد أضمروا له ما الله به عليم ، فأجابهم الشيخ عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم : يا بنيَّ يشقُّ عليّ أن أفارقَه ساعةً من النهار ، ومع هذا أخشى أن تشتغلوا في لعبكم وما أنتم فيه ، فيأتي الذئبُ فيأكله ، ولا يقدرُ على دفعه عنه لصغره وغفلتِكم عنه . ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ أي : لئن عدا عليه الذئبُ فأكلَه من بيننا ، أو اشتغلنا عنه حتى وقعَ هذا ونحن جماعة ، إنا إذاً لخاسرون ، أي : عاجزون هالكون .

وعند أهل الكتاب : أنه أرسلَه وراءَهم يتبعُهم ، فضلَّ عن الطريق ، حتى أرشدَه رجلٌ إليهم . وهذا أيضاً من غَلطِهم وخَطئِهم في التعريب ، فإن يعقوبَ عليه السلام كان أحرصَ عليه يبعثَه معهم ، فكيف يبعثه وحده ؟!

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٥ ـ ١٨] . لم يزالوا بأبيهم حتى بعثَه معهم ، فما كان إلا أن غابوا عن عينيْه ، فجعلوا يشتمونَه ويُهينونه بالفِعال والمقال ، وأجمعُوا على إلقائه في غيابت الجبِّ ، أي : في قعره ، على راعوفته ـ وفي الصخرة التي تكون في وسطه ، يقف عليها المائحُ ، وهو الذي ينزل ليملي الدِّلاء إذا قلَّ الماء ، والذي يرفعُها بالحبل يُسمَّى الماتح ـ فلما ألقوْه فيه أوحى الله إليه أنَّه لا بُدَّ لك من فرجٍ ومخرجٍ من هذه الشِّدَّة التي أنت فيها ، ولتخبرنَّ إخوتك بصنيعهم هذا في حالٍ أنت فيه عزيزٌ ، وهم محتاجون إليك ، خائفونَ منكَ ، وهم لا يشعرون .

قال مجاهد وقتادة : لا يشعرون بإيحاء الله إليه ذلك[1] . وعن ابن عباس : وهم لا يشعرون أي : لتخبرنَّهم بأمرهم هذا في حال لا يعرفونك فيها . رواه ابن جرير[2] عنه . فلما وضعوه فيه ورجعوا عنه أخذوا قميصَه فلطَّخوه بشيء من دم ، ورجعوا إلى أبيهم عِشَاءً وهم يبكون ، أي : على أخيهم . و لهذا

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ١٥٨) والتاريخ (١/ ٣٣٢) .
(٢) أخرجه ابن جرير في التاريخ (١/ ٣٣٣) .

قال بعضُ السلف : لا يغرَّنكَ بكاءُ المتظلّم ، فرُبَّ ظالم وهو باكٍ . وذكرَ بكاء إخوة يوسف ، و قد جاءوا أباهم عشاءً يبكون ، أي : في ظلمة الليل ، ليكون أمشى لغدرهم لا لعُذْرهم ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا ﴾ أي : ثيابنا ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ أي : في غيبتنا عنه في استباقنا ، وقولهم : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ أي : وما أنت بمصدِّقٍ لنا في الذي أخبرناكَ من أكل الذئب له ولو كنَّا غير مُتَّهمين عندك ، فكيف وأنت تتَّهمنا في هذا ؟! فإنك خشيتَ أن يأكلَه الذئبُ ، وضمنَّا لك ألا يأكله لكثرتنا حوله ، فصرنا غير مُصدَّقين عندكَ ، فمعذورٌ أنت في عدم تصديقك لنا والحالة هذه .

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ أي : مكذوب مُفتعل ؛ لأنهم عمَدوا إلى سخلةٍ ذبحوها ، فأخذوا من دمِها فوضعُوه على قميصه ، ليُوهموا أنَّه أكله الذئبُ . قالوا : ونسوا أن يَخْرِقُوهُ ، وآفةُ الكذب النسيان . ولما ظهرتْ عليهم علائمُ الرِّيبة لم يَرُجْ صنيعُهم على أبيهم ، فإنه كان يفهم عداوتَهم له وحسدَهم إيَّاه على محبَّتِه له من بينهم أكثر منهم ، لما كان يتوسَّم فيه من الجَلالة والمَهابة التي كانت عليه في صغره ، لما يُريد الله أن يخصَّه به من نبوته . ولما راودُوه عن أخذِه ، فبمجرَّد ما أخذوه أعدموه وغيَّبوه عن عينيْه ، جاؤوا وهم يتباكون ، وعلى ما تمالؤا عليه يتواطؤون ، ولهذا ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ .

وعند أهل الكتاب : أن « روبيل » أشار بوضعه في الجُبِّ ليأخذه من حيث لا يشعرون ، ويردَّه إلى أبيه ، فغافلوه وباعوه لتلك القافلة . فلما جاءَ « روبيلُ » من آخر النهار ليخرجَ يوسفَ لم يجدْه ، فصاحَ وشقَّ ثيابَه ، وعمدَ أولئك إلى جَدْيٍ فذبحوه ولطَّخوا من دمه جبَّة يوسف . فلما علمَ يعقوبُ شقَّ ثيابَه ولبسَ مِئزراً أسودَ ، وحزنَ على ابنه أيَّاماً كثيرة ، وهذه الركاكة جاءتْ من خطئهم في التعبير والتصوير .

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٩ ـ ٢٢]
يُخبر تعالى عن قصَّة يوسفَ حين وُضع في الجُبِّ ، أنَّه جلسَ ينتظرُ فرجَ الله ولُطفه به ، فجاءتْ سيَّارة ، أي : مسافرون .

قال أهلُ الكتاب : كانت بضاعتُهم من الفُستق والصَّنوبر والبُطْم[1] ، قاصدينَ ديار مصر من الشام .

---

(١) « البُطْمُ » : الحبة الخضراء ، من الفصيلة الفستقية ، شجرتها من أربعة إلى ثمانية أمتار ، تنبت في الأراضي الجبلية ، ثمرتها حَسَكَةٌ مفرطحةٌ خضراء ، تنقشر عن غلاف خشبي يحوي ثمرة واحدة ، تُؤكل في بلاد الشام والعراق .

فأرسلوا بعضَهم ليستقُوا من ذلك البئر ، فلما أدلى أحدُهم دلوه تعلَّق فيه يوسفُ ، فلما رآه ذلك الرجلُ ﴿ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ ﴾ أي : يا بشارتي ﴿ هَٰذَا غُلَٰمٌۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةًۚ ﴾ أي أوهموا أنه معهم غلام من جملة مَتْجَرهم ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : هو عالمٌ بما تمالأ عليه إخوته وبما يسَّره واجدوه ، من أنه بضاعة لهم ، ومع هذا لا يغيره تعالى ؛ لما له في ذلك من الحكمة العظيمة والقَدر السابق والرحمة بأهل مصرَ ، بما يجري الله على يديْ هذا الغلام ، الذي يدخلُها في صورة أسير رقيق ، ثم بعد هذا يُملِّكه أزمَّة الأمور ، وينفعهم الله به في دنياهم وأخراهم بما لا يُحدُّ ولا يُوصف .

ولما استشعرَ إخوةُ يوسفَ بأخذ السيَّارة له لحقُوهم ، وقالوا : هذا غلامنا أَبَقَ منا فاشتروه منهم بثمنٍ بخسٍ ، أي : قليل نَزْر ، وقيل : هو الزيف ﴿ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ .

قال ابن مسعود وابن عباس ونوف البكالي والسدي وقتادة وعطيَّة العوفي : باعوه بعشرين درهماً ، اقتسموها درهمين درهمين .

وقال مجاهد : اثنان وعشرون درهماً . وقال عكرمة ومحمد بن إسحاق : أربعون درهماً ، فالله أعلم .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ ﴾ أي : أحسني إليه ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ ﴾ وهذا من لُطْف الله به ورحمته وإحسانه إليه بما يريد أن يُؤهِّلَه له ويُعطيه من خيري الدنيا والآخرة .

قالوا : وكان الذي اشتراه من أهل مصرَ عزيزُها ، وهو الوزيرُ بها ، الذي الخزائنُ مُسلَّمة إليه . قال ابن إسحاق : واسمه إطفير[١] بن رُوحيب . قال : وكان مَلِكُ مصرَ يومئذ الريَّان بن الوليد ، رجل من العماليق . قال : واسم امرأة العزيز « راعيل » بنت رعاييل . وقال غيره : كان اسمها « زليخا » [والظاهر أنه لقبها][٢] . وقيل : « فكا » بنت ينوس . رواه الثعالبي عن أبي هشام الرفاعي .

وقال محمد بن إسحاق : عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، كان اسم الذي باعَه بمصر يعني الذي جلبَه إليها مالكَ بن زعر بن نويب بن عفقا بن مديان بن إبراهيم ، فالله أعلم .

وقال ابن إسحاق : عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود ، قال : أفرسُ الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لامرأته : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ ﴾ [يوسف : ٢١] والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦] وأبو بكر الصديق حين استخلفَ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما .

---

(١) في هامش أ وب : قطفير .
(٢) ما بين الحاصرتين سقط من أ ، وهو في ب والمطبوع .

ثم قيل : اشتراه العزيز بعشرين ديناراً . وقيل : بوزنه مِسْكاً ، ووزنه حريراً ، ووزنه وَرِقاً . فالله أعلم .

وقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي : وكما قيَّضْنا هذا العزيز وامرأتَه يُحسنان إليه ويعتنيان به ، مكنَّا له في أرض مصر ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ أي : فهمها . وتعبير الرؤيا من ذلك ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ أي : إذا أراد شيئاً فإنه يُقيِّضُ له أسباباً وأموراً لا يهتدي إليها العباد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٢٢] فدلَّ على أن هذا كلَّه كان وهو قبل بلوغ الأشدِّ ، وهو حدُّ الأربعينَ الذي يُوحي الله فيه إلى عباده النَّبيِّينَ عليهم الصلاة والسلام من ربِّ العالمين .

وقد اختلفوا في مُدَّة العمر الذي هو بلوغُ الأشُدّ(١) ، فقال مالك وربيعة وزيد بن أسلم والشعبي : هو الحلم . وقال سعيد بن جبير : ثماني عشرة سنة . وقال الضَّحاك : عشرون سنة . وقال عكرمة : خمس وعشرون سنة . وقال السُّدِّي : ثلاثون سنة . وقال ابن عبَّاس ومُجاهد وقتادة : ثلاث وثلاثون سنة . وقال الحسن : أربعون سنة . ويشهدُ له قولُه تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ [يوسف : ٢٣ ـ ٢٩] . يذكرُ تعالى ما كان من مُراودة امرأة العزيز ليوسفَ عليه السلام عن نفسه ، وطلبها منه ما لا يليقُ بحاله ومَقامه ، وهي في غاية الجمال والمال والمنصب والشباب ، وكيف غلَّقتِ الأبوابَ عليها وعليه ، وتهيَّأتْ له ، وتصنَّعتْ ، ولبستْ أحسنَ ثيابها ، وأفخرَ لباسها ، وهي مع هذا كله امرأة الوزير . قال ابن إسحاق : وبنت أخت الملك الريَّان بن الوليد صاحب مصر .

وهذا كلُّه مع أنَّ يوسفَ عليه السلام شابٌّ بديعُ الجمال والبَهاء إلا أنَّه نبيٌّ من سُلالة الأنبياء ، فعصمَه ربُّه عن الفحشاء ، وحماه عن مَكْر النساء ، فهو سَيِّدُ السادة النُّجباء السبعة الأتقياء ، المذكورينَ في الصحيحين عن خاتم الأنبياء ، في قوله عليه الصلاة والسلام من ربِّ الأرض والسماء : « سبعةٌ يُظلُّهم الله

(١) انظر أقوال السلف في معنى الأشد في تفسير الطبري (٧/ ١٧٦ ـ ١٧٧) .

في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلاظِلُّه : إمامٌ عادل ، ورجلٌ ذكرَ الله خالياً ففاضتْ عيناه ، ورجلٌ مُعلَّقٌ قلبُه[١] بالمسجد إذا خرجَ منه حتَّى يعودَ إليه ، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه ، ورجلٌ تصدقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالُه ما تنفقُ يمينُه ، وشابٌ نشأ في عبادة الله ، ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجمالٍ فقال : إنِّي أخافُ الله »[٢] .

والمقصود : أنها دعتْه إليها وحرصتْ على ذلك أشدَّ الحِرْص ، فقال : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴾ يعني زوجها صاحب المنزل سيِّدي ﴿ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾ أي : أحسنَ إليّ وأكرمَ مقامي عنده ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ وقد تكلَّمنا على قوله ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ ﴾ بما فيه كفاية ومقنع في التفسير .

وأكثرُ أقوال المفسرين هاهنا متلقَّى من كتب أهل الكتاب ، فالإعراض عنه أولى بنا . والذي يجبُ أن يُعتقد أنَّ الله تعالى عصمَه[٣] وبرَّأه ، ونزَّهه عن الفاحشة ، وحماه عنها ، و صانَه منها . ولهذا قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ .

﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴾ أي : هربَ منها طالباً إلى الباب ليخرجَ منه فِراراً منها ، فاتَّبعتْه في أثره ﴿ وَأَلۡفَيَا ﴾ [أي : وجدا][٤] .

﴿ سَيِّدَهَا ﴾ أي : زوجَها لدى الباب ، فبدرتْه بالكلام وحرَّضْته عليه ﴿ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ .

اتَّهمته وهي المتَّهَمة ، وبرَّأتْ عِرْضَها ونزَّهَتْ ساحتَها . فلهذا قال يوسف عليه السلام : ﴿ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾ احتاج إلى أن يقولَ الحقَّ عند الحاجة ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ قيل : كان صغيراً في المهد ، قاله ابن عباس . ورُوي عن أبي هريرة ، وهلال بن يساف ، والحسن البصري ، وسعيد بن جُبير ، والضَّحَّـاك ، واختاره ابن جرير[٥] . وروى فيه حديثـاً مرفوعاً عن ابن عباس[٦] ، ووقفَه غيرُه عنه .

وقيل : كان رجلاً قريباً إلى « أطفير » بعلها . وقيل : قريباً إليها . وممن قال : إنه كان

---

(١) في هامش ب : في نسخة : بالمساجد ، وفيها : متعلق .
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠) في الأذان ، ومسلم (١٠٣١) في الزكاة .
(٣) انظر عصمة الأنبياء للفخر الرازي ، ففيه ما يشفي الغليل من إثبات عصمة يوسف عليه السلام (ص٥١) .
(٤) سقطت من الأصول ، وأثبتها من المطبوع .
(٥) انظر تفسير الطبري (٧/ ١٩٤) .
(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ١٩٢) .

رجلاً[١] : ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، وزيد بن أسلم .

فقال : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ أي : لأنه يكونُ قد راودَها فدافعتْه حتى قَدّتْ[٢] مُقدَّم قميصه ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أي : لأنه يكونُ قد هربَ منها ، فاتَّبعتْه وتعلَّقتْ فيه ، فانشقَّ قميصُه لذلك ، وكذلك كان .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ أي : هذا الذي جرى من مكركنَّ ، أنتِ راودتِه عن نفسه . ثم اتَّهمْتِه بالباطل ، ثم ضربَ بعلُها عن هذا صفحاً ، فقال : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ أي : لا تذكرْه لأحدٍ ، لأنَّ كتمانَ مثل هذه الأمور هو الأليقُ والأحسنُ ، وأمرَها بالاستغفار لذنبها الذي صدرَ منها ، والتوبة إلى ربِّها ، فإنَّ العبدَ[٣] إذا تاب إلى الله تابَ الله عليه .

وأهلُ مصرَ وإن كانوا يعبدون الأصنامَ إلا أنَّهم يعلمونَ أنَّ الذي يغفرُ الذنوبَ ويُؤاخذ بها هو الله وحدَه لا شريكَ له في ذلك ، ولهذا قالَ لها بعلها ، وعذرَها من بعض الوجوه ، لأنها رأتْ ما لا صبرَ لها على مثله ، إلا أنه عفيفٌ نزيهٌ بريءُ العِرْضِ ، سليم الناحية ، فقال : ﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ [يوسف : ٢٩] .

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف : ٣٠ ـ ٣٤] . يذكرُ تعالى ما كان من قِبَل نساء المدينة من نساء الأمراء وبنات الكبراء في الطعن على امرأة العزيز ، وعيبها ، والتشنيع عليها في مراودتها فتاها ، وحُبِّها الشديد له ، تعنين : وهو لا يساوي هذا ؛ لأنه مولى من الموالي ، وليس مثله أهلاً لهذا ، ولهذا قلن ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي : في وضعِها الشيء في غير محلّه ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ أي : بتشنيعهنَّ عليها ، والتنقُّص لها ، والإشارة إليها بالعيب والمذمَّة بحبِّ مولاها وعِشْقِ فتاها ، فأظهرنَ ذمًّا وهي معذورةٌ في نفس الأمر ، فلهذا أحبَّتْ أن تبسطَ عذرَها عندهنَّ ، وتُبيِّن أنَّ هذا الفتى ليس كما حسبنَ ، ولا من قبيل ما لديهنَّ . فأرسلتْ إليهنَّ فجمعتهنَّ في منزلها ،

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣) .
(٢) « قدّت » : قطعت ومزّقت .
(٣) كذا في أ و ب ، وفي المطبوع : العبد المذنب .

وأعتدت لهنَّ ضِيافة مثلهنَّ ، وأحضرتْ في جملة ذلك شيئاً مما يُقطَّعُ بالسكاكين ؛ كالأترُجِّ[١] ونحوه . وآتتْ كلَّ واحدةٍ منهنَّ سكِّيناً ، وكانت قد هيَّأتْ يوسفَ عليه السلام ، وألبستْه أحسنَ الثياب ، وهو في غاية طراوة الشباب ، وأمرتْه بالخروج عليهنَّ بهذه الحالة . فخرجَ وهو أحسنُ من البَدْر لا محالة ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ أي : أعظمنه وأجللنه وهِبْنه ، وما ظننَّ أن يكونَ مثل هذا في بني آدم ، وبهرهنَّ حُسْنه ، حتى اشتغلنَ عن أنفسهن ، وجعلنَ يحززنَ في أيديهنَّ بتلك السكاكين ، ولا يشعرنَ بالجراح ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ . وقد جاء في حديث الإسراء « فمررتُ بيوسفَ وإذا هو قد أعطي شَطْرَ الحُسْن »[٢] .

قال السهيلي[٣] وغيره من الأئمة : معناه أنَّه كان على النِّصْفِ من حُسْن آدمَ عليه السلام ، لأن الله تعالى خلقَ آدمَ بيده ، ونفخَ فيه من روحه ، فكان في غاية نهايات الحُسْنِ البشريِّ ، ولهذا يدخلُ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ على طُولِ آدمَ وحُسْنه ، ويُوسف كان على النِّصفِ من حُسْنِ آدمَ ، ولم يكن بينهما أحسن منهما ، كما أنَّه لم تكن أنثى بعد حوَّاء أشبه بها من سَارَة امرأة الخليل عليه السلام .

قال ابن مسعود : وكان وجهُ يوسفَ مثل البرق ، وكان إذا أتته امرأةٌ لحاجةٍ غطَّى وجهه . وقال غيره : كان في الغالب مبرقعاً لئلا يراه النَّاسُ ، ولهذا لمَّا قام عذرن امرأة العزيز في محبَّتِها لهذا المعنى المذكور ، وجرى لهنَّ وعليهنَّ ما جرى من تقطيعِ أيديهنَّ بجِراح السكاكين ، وما ركبهنَّ من المهابة والدَّهش عند رؤيته ومعاينته .

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ ثم مدحتْه بالعِفَّة[٤] التَّامَّة ، فقالت : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ أي : امتنع ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ وكان بقيَّةُ النساء حرَّضْنَهُ على السمع والطاعة لسيدته ، فأبى أشدَّ الإباء ، ونأى لأنه من سُلالة الأنبياء ، ودعا فقال في دعائه لرب العالمين ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ يعني إن وَكَلْتني إلى نفسي فليس لي من نفسي إلا العجز والضعف ، ولا أملكُ لنفسي نفعاً ولا ضَرًّا إلا ما شاء الله ، فأنا ضعيفٌ إلا ما قوَّيتني وعصمتني وحفظتني ، وحُطتني بحولك وقوَّتك ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ

---

(١) « الأترُج » : شجر يحمل ثمراً كالليمون ، حامض الطعم ، ويُسمَّى : تفاح العجم .
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٤٨ و٢٨٦) ومسلم (١٦٢) في الإيمان .
(٣) انظر الروض الأنف للسهيلي (١/ ١٢٩) .
(٤) كذا في أ وب ، وفي المطبوع : بالعصمة .

مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٣٤ ـ ٤١] . يذكرُ تعالى عن العزيز وامرأته أنهم بدا لهم ، أي : ظهرَ لهم من الرأي بعدما علموا براءةَ يوسفَ أن يسجنوه إلى وقتٍ ، ليكونَ ذلك أقلّ لكلام الناس في تلك القضية وأخمد لأمرها ، وليظهروا أنه راودَها عن نفسها فسُجن بسببها ، فسجنوه ظلماً وعدواناً ، وكان هذا مما قدَّر الله له ، ومن جملة ما عصمَه به ، فإنَّه أبعدُ له عن معاشرتِهم ومخالطتِهم ، ومن هاهنا استنبطَ بعضُ الصوفية ، ما حكاه عنهم الشافعي : أن من العصمة ألاَّ تجد[1] ! .

قال الله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ قيل : كان أحدُهما ساقي الملك واسمه فيما قيل « نبو » ، والآخر خبَّازه ، يعني الذي يلي طعامَه ، وهو الذي يقول له الترك « الجاشنكير » واسمه فيما قيل « مجلث » كان الملك قد اتَّهمَهما في بعض الأمور فسجنَهما . فلما رأيا يوسفَ في السجن أعجبَهما سَمْتُه وهديُه ودلُّه ، وطريقته وقولُه وفعلُه ، وكثرةُ عبادته ربَّه ، وإحسانه إلى خلقه ، فرأى كلُّ واحد منهما رؤيا تُناسبُه .

قال أهلُ التفسير : رأيا في ليلة واحدة ، أما الساقي فرأى كأن ثلاثَ قضبان من حَبلَةٍ[2] ، وقد أورقت وأينعتْ عناقيدَ العِنبِ[3] ، فأخذَها فاعتصرَها في كأسِ الملك وسقاه . ورأى الخبَّازُ على رأسه ثلاثَ سِلالٍ من خبزٍ وضَواريَ الطيور تأكلُ من السَّلِّ الأعلى ، فقصَّاها عليه ، وطلبا منه أن يُعبِّرهما لهما وقالا : ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فأخبرَهما أنه عليمٌ بتعبيرها ، خبيرٌ بأمرها و ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ . قيل : معناه مهما رأيتُما من حلم فإني أعبِّره لكم قبلَ وقوعه ، فيكونُ كما أقول .

وقيل : معناه إني أخبرُكما بما يأتيكما من الطعام قبل مَجيئهِ حلواً أو حامضاً ، كما قال عيسى : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

وقال لهما : إن هذا من تعليم الله إياي ، لأني مؤمنٌ به مُوحِّد له ، مُتَّبعٌ مِلَّة آبائي الكرام إبراهيم

(١) أي : ألا تجد ما فيه الابتلاء .
(٢) « الحَبلَة » : الأصل أو القضيب من شجرة الأعناب .
(٣) كذا في ب ، وفي أ : عنباً ، فبدا العنبُ .

الخليل وإسحاق ويعقوب ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا ﴾ أي : بأن هدانا لهذا ﴿ وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي : بأن أمرنا أن ندعوَهم إليه ، ونرشدَهم وندلَّهم عليه ، وهو في فِطَرِهم مركوزٌ وفي جِبِلَّتِهم مغروزٌ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ .

ثم دعاهم إلى التوحيد ، وذمّ عبادة ما سوى الله عزَّ وجلَّ ، وصغَّر أمرَ الأصنام وحقَّرَها ، وضعَّفَ أمرَها ، فقال : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٣٩ ـ ٤٠] أي : هو المتصرف في خلقه ، الفعَّال لما يُريد ، الذي يَهدي منْ يشاءُ ، ويُضلُّ منْ يشاء ﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ﴾ أي : وحدَه لا شريك له و ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ أي : المستقيم والصراط القويم ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي : فهم لا يَهتدون إليه ، مع وضوحه وظهوره ، وكانت دعوتُه لهما في هذه الحال في غاية الكمال ، لأنَّ نفوسَهما مُعظِّمةٌ له ، منبعثة على تلقِّي ما يقول بالقَبول ، فناسبَ أن يدعوهما إلى ما هو الأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه .

ثمَّ لما قام بما وجبَ عليه وأرشدَ إلى ما أرشدَ إليه ، قال : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ ﴾ قالوا : وهو الساقي ، ﴿ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ ﴾ قالوا : وهو الخبَّاز ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ أي : وقعَ هذا لا محالةَ ، ووجبَ كونُه على حالة ، و لهذا جاء في الحديث « الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبَّرْ فإذا عُبِّرَتْ وقعتْ »(١) .

وقد رُوي عن ابن مسعود ، ومجاهد ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أنهما قالا لم نرَ شيئاً . فقال لهما : ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ .

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : ٤٢] . يُخبر تعالى أنَّ يوسفَ عليه السلام قال للذي ظنَّه ناجياً منهما وهو الساقي ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني : اذكرْ أمري وما أنا فيه من السجن بغير جُرْم عند الملك . وفي هذا دليل على جواز السعي في الأسباب . ولا ينافي ذلك التوكل على ربِّ الأرباب . وقولهُ ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ أي : فأنسى النَّاجي منهما الشيطانُ أن يذكرَ ما وصَّاه به يوسف عليه السلام . قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد، وهو الصواب، وهو منصوصُ أهل الكتاب ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ والبضع : ما بين الثلاث إلى التسع . وقيل : إلى السبع . وقيل : إلى الخمس . وقيل : ما دون العشرة . حكاها الثعلبي . ويقال : بضع نسوة ، وبضعة رجال . ومنعَ الفرَّاءُ استعمالَ البضع فيما دون العشر . قال : وإنما يُقال : نيف .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٠)، وابن ماجه (٣٩١٤) في تعبير الرؤيا، والدارمي (٢/ ١٢٦) في الرؤيا ، وهو حديث صحيح .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾ [الروم : ٤] وهذا ردٌّ لقوله . قال الفراء : ويُقال بضعة عشر ، وبضعة وعشرون إلى التسعين ، ولا يُقال : بضع ومئة ، وبضع وألف . وخالف الجوهري فيما زاد على بضعة عشر ، فمنعَ أن يُقال : بضعة وعشرون إلى تسعين . وفي الصحيح : « الإيمان بضعٌ وستون » وفي رواية : « وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »(١) .

ومن قال : إن الضمير في قوله : ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ ﴾ عائد على يوسفَ ، فقد ضُعِّفَ ما قاله ، وإن كان قد رُوي عن ابن عباس وعكرمة ، والحديث الذي رواه ابنُ جرير(٢) في هذا الموضع ضعيفٌ من كل وجه . تفرَّد بإسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي(٢) المَكِّيّ ، وهو متروك . ومُرسلُ الحسن وقتادة لا يُقبل ولا هاهنا بطريق الأولى والأحرى ، والله أعلم .

فأما قول ابن حبَّان في صحيحه(٣) عند ذكر السبب الذي من أجله لبثَ يوسف في السجن ما لبثَ : أخبرنا الفضل بن الحباب الجُمحيّ ، حدَّثنا مُسدَّد بن مُسَرهدٍ ، حدَّثنا خالدُ بن عبدِ الله ، حدَّثنا محمّدُ بن عمرٍو ، عن أبي سلمةَ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رحمَ الله يوسفَ لولا الكلمة التي قالها ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ ما لبثَ في السجن ما لبثَ ، ورحمَ الله لوطاً إنْ كان ليأوي إلى رُكْنٍ شديد ، إذ قال لقومه : ﴿ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ [هود : ٨٠] قال : فما بعثَ الله نبيّاً بعده إلا في ثروة من قومه » . فإنه حديث منكر من هذا الوجه ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، له أشياء ينفردُ بها ، وفيها نكارة ، وهذه اللفظة من أنكرها وأشدِّها . والذي في الصحيحين(٤) يشهدُ بغلطها ، والله أعلم .

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٩) ومسلم (٣٥) في الإيمان ، وأحمد (٢/ ٤٤٥) وأبو داود (٤٦٧٦) في السنة ، والترمذي (٢٦١٧) في الإيمان ، والنسائي (٨/ ١١٠) في الإيمان ، وابن ماجه (٥٧) في المقدمة .

(٢) في التفسير (٧/ ٢٢١) .

(٣) الإحسان (٦٢٠٦) وهو حديث حسن . والثروة : الكثرة والمنعة .

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٧٢) في الأنبياء ، ومسلم (١٥١) (٢٣٨) في الإيمان .

﴿ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ [يوسف : ٤٣ ـ ٤٩] هذا كان من جملة أسباب خروج يوسف عليه السلام من السجن على وجه الاحترام والإكرام ، وذلك أن مَلِكَ مصرَ ، وهو الريَّان بن الوليد بن ثروان بن أراشه بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى هذه الرؤيا .

قال أهل الكتاب : رأى كأنَّه على حافَة نهر ، وكأنَّه قد خرجَ منه سبع بقرات سمان ، فجعلنَ يرتعنَ في روضة هناك ، فخرجتْ سبْعٌ هُزال ضعاف من ذلك النهر ، فرتعنَ معهنَّ ، ثم مِلْنَ عليهنَّ فأكلنهنَّ ، فاستيقظ مذعوراً ، ثم نامَ فرأى سبعَ سنبلات خُضْرٍ في قصبةٍ واحدةٍ ، وإذا سبع أُخرُ دقاقٌ يابسات ، يأكلنهنَّ ، فاستيقظَ مذعوراً .

فلما قصَّها على ملئِه وقومِه ، لم يكن فيهم من يُحسنُ تعبيرَها ، بل ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ ﴾ أي : أخلاط أحلام من الليل ، لعلَّها لا تعبيرَ لها ، ومع هذا فلا خبرةَ لنا بذلك ، ولهذا قالوا : ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ فعند ذلك تذكَّرَ النَّاجي منهما الذي وصَّاه يوسفُ بأن يذكرَه عند ربِّه فنسيَه إلى حينه هذا ، وذلك عن تقدير الله عزَّ وجلَّ ، وله الحكمة في ذلك ، فلما سمعَ رؤيا الملكِ ورأى عَجْزَ النَّاس عن تعبيرها ، تذكَّرَ أمرَ يوسف ، وما كان أوصاه به من التَّذْكار ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ ﴾ أي : تذكَّر ﴿ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾ أي : بعدَ مدَّةٍ من الزمان ، وهو بضعُ سنينَ ، وقرأ بعضهُم كما حُكيَ عن ابن عبَّاس وعكرمة والضَّحَّاك ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أَمَةٍ ﴾ أي : بعد نسيان ، وقرأها مجاهد (بعد أمْهٍ) بإسكان الميم ، وهو النسيان أيضاً ، يقال : أمِهَ الرجلُ يأمَهُ أمْهاً وأمَهاً : إذا نسي ، قال الشاعر : [من الوافر]

أمِهْتُ وكنتُ لا أنسى حديثاً كذاكَ الدهرُ يردي بالعقول(١)

فقال لقومه وللملك : ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴾ أي : فأرسلوني إلى يوسفَ ، فجاءه فقال : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ .

وعند أهل الكتاب أن الملكَ لما ذكرَه له الساقي استدعاه إلى حضرتِه ، وقصَّ عليه ما رآه ، ففسَّره له . وهذا غَلَطٌ ، والصوابُ ما قصَّه الله في كتابه القرآن ، لا ما غُرَّ به هؤلاء الجهلة الثيران ، من قرَّاءٍ وَرَبَّان(٢) . فبذلَ يوسفُ عليه السلام ما عندَه من العلم بلا تأخُّرٍ ولا شرطٍ ، ولا طلبٍ للخروج(٣) سريعاً ، بل أجابَهم إلى ما سألوا ، وعبَّرَ لهم ما كان من منام الملك الدَّالِّ على وقوع سبع سنين من الخصب ، ويعقُبها سبعُ جدب . ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾ يعني : يأتيهم الغيث والخِصْبُ والرفاهية

(١) أمِهْتُ : نسيتُ . وفي تفسير القرطبي (٩/ ٢٠١) : يُودي بالعقول .
(٢) كذا في أ وب ؛ وقرَّاي : كثير القراءة ، والمراد : القرَّاء والعلماء من يهود .
(٣) في المطبوع : ولا طلبَ الخروجَ . وفي « أ » كلمة « الخروج » غير واضحة .

﴿ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ يعني : ما كانوا يعصرونَه من الأقصاب والأعناب والزيتون والسُّمْسُم وغيرها ، فعبَّرَ لهم ، وعلى الخير دلَّهم وأرشدَهم إلى ما يعتمدونه في حالتيْ خِصْبهم وجَدْبهم ، وما يفعلونه من ادِّخار حبوبِ سنيِّ الخِصْب في السبع الأول في سنبله ، إلا ما يُرصدُ بسبب الأكلِ ، ومن تقليل البذر في سنيِّ الجَدْب في السبع الثانية ، إذ الغالبُ على الظَّنِّ أنه لا يردُّ البذر من الحقل ، وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأي والفهم .

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ۝٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝٥٢ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [يوسف : ٥٠ ـ ٥٣] . لما أحاطَ الملكُ علماً بكمال علم يُوسف عليه الصلاة والسلام ، وتمام عقله ورأيه السديد وفهمه ، أمرَ بإحضاره إلى حضرتِه ، ليكونَ من جملة خاصَّته . فلما جاءه الرسولُ بذلك أحبَّ ألا يخرجَ حتى يتبينَ لكلِّ أحد أنه حُبسَ ظلماً وعدواناً ، وأنه بريءُ السَّاحة مما نسبوه إليه بهتاناً ﴿ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ يعني : الملك ﴿ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴾ قيل : معناه إنَّ سيدي العزيز يعلمُ براءتي مما نُسبَ إليَّ . أي : فمر الملكَ فليسألهنَّ : كيف كان امتناعي الشديد عند مراودتهنَّ إيايَ وحثِّهنَّ لي على الأمر الذي ليس برشيدٍ ولا سديدٍ ؟ فلما سُئلنَ عن ذلك اعترفنَ بما وقع من الأمر ، وما كان منه من الأمر الحميد ﴿ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ ﴾ فعند ذلك ﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ وهي « زليخا » ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾ أي : ظهرَ وتبيَّنَ ووضحَ ، والحقُّ أحقُّ أنْ يُتَّبعَ ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أي : فيما يقوله من أنه بريء ، وأنه لم يُراودني ، وأنه حُبسَ ظلماً وعدواناً وزوراً وبهتاناً ، وقوله ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ قيل : إنه من كلام يوسفَ ، أي : إنما طلبتُ تحقيق هذا ، ليعلمَ العزيزُ أني لم أخنْهُ بظهر الغيب . وقيل : إنه من تمام كلام « زليخا » أي : إنما اعترفتُ بهذا ليعلمَ زوجي أني لم أخنْه في نفسِ الأمر ، وإنما كان مُراودةً لم يقع معها فعل فاحشةٍ ، وهذا القولُ هو الذي نصرَه طائفةٌ كثيرةٌ من أئمة المتأخِّرين وغيرهم ، ولم يحكِ ابنُ جرير وابن أبي حاتم سوى الأول .

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ قيل : إنه من كلام يوسف ، وقيل : من كلام « زليخا » وهو مُفرَّع على القوليْن الأوَّلين ، وكونُه من تمام كلام « زليخا » أظهرُ وأنسبُ وأقوى ، والله أعلم .

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ۝٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يوسف : ٥٤ ـ ٥٧] . لما ظهرَ للملك براءةُ عِرْضِه

ونزاهةُ ساحتِه عمَّا كانوا أظهروا عنه مما نسبوه إليه ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ أي : أجعله من خاصَّتي ، ومن أكابر دولتي ، ومن أعيان حاشيتي . فلما كلَّمه وسمعَ مقالَه ، وتبيَّنَ حالَه ﴿ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ أي : ذو مكانة وأمانة ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ طلبَ أن يولِّيه النظرَ فيما يتعلق بالأهراء[١] ؛ لما يتوقع من حصول الخلل فيما بعد مضيّ سبع سنيِّ الخِصْبِ ، لينظرَ فيها بما يرضي الله في خَلْقِه من الاحتياط لهم والرِّفْق بهم ، وأخبر المَلِكَ : إنه حفيظ ، أي : قوي على حفظ ما لديه أمين عليه ، عليمٌ بضبط الأشياء ومصالح الأهراء ، وفي هذا دليلٌ على جواز طلب الولاية لمن علمَ من نفسه الأمانةَ والكفاءة .

وعند أهل الكتاب أنَّ فرعونَ عظَّمَ يوسف عليه السلام جداً وسلَّطَه على جميع أرض مصر ، وألبسه خاتَمه الحريرَ ، وطوَّقَه الذهبَ ، وحملَه على مركبه الثاني ، ونُودي بين يديْه : أنتَ ربٌّ ومُسلَّط . وقال له : لستُ أعظمَ منكَ إلا بالكرسيِّ . قالوا : وكان يوسفُ إذ ذاك ابنَ ثلاثينَ سنة وزوَّجه امرأةً عظيمةَ الشأن .

وحكى الثعالبيُّ[٢] : أنه عزلَ « أطفيرَ » عن وظيفته وولاها يوسف . وقيل : إنه لما مات زوَّجه امرأته « زليخا » فوجدَها عذراءَ ، لأن زوجَها كان لا يأتي النساءَ ، فولدتْ ليوسفَ عليه السلام رجلين ، وهما : « أفرايم » و « منشا » قال : واستوثقَ ليوسفَ مِلْكُ مصرَ ، وعمل فيهم بالعدل ، فأحبَّه الرجال والنساء .

وحُكي أنَّ يوسفَ كان يوم دخلَ على الملك عمرُه ثلاثين سنة ، وأن المَلِكَ خاطبَه بسبعينَ[٣] لغةً ، وكلُّ[٤] ذلك يُجاوبه بكلِّ لغةٍ منها ، فأعجبه ذلك مع حداثة[٥] سنه ، فالله أعلم .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ أي : بعد السجن والضيق والحَصْر ، صار مطلقَ الرِّكاب بديار مصرَ ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ أي : أين شاء حلَّ منها مكرَّماً محسوداً معظَّماً ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : هذا كلُّه من جزاء الله وثوابه للمؤمن ، مع ما يدَّخرُ له في آخرتِه من الخير الجزيل والثواب الجميل ، ولهذا قال : ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ .

ويقال : إن « أطفير » زوج « زليخا » كان قد ماتَ ، فولاه الملك مكانَه ، وزوَّجه امرأته « زليخا » فكان وزيرَ صدق .

---

(١) الأهراء : جمع الهُرْي ، وهو بيت ضخم يُجمع فيه طعام السلطان (مخزن أو مستودع) .
(٢) انظر قصص الأنبياء ؛ للثعالبي (ص ١٢٨) .
(٣) هذه من المبالغات التي تتسم بها الحكايا الإسرائيلية ؛ مما يدل على الوضع والكذب فيها .
(٤) في المطبوع : وفي كلِّ .
(٥) كذا في ب ، وفي أ : حذاقة .

وذكر محمد بن إسحاق : أن صاحبَ مصر الوليد بن الريَّان أسلم على يديْ يوسف عليه السلام ، فالله أعلم ، وقد قال بعضُهم : [من الطويل]

ووراءَ مضيقِ الخوفِ متّسعُ الأمنِ وأوّلُ مفروحٍ به غايةُ الحُزْنِ
فلا تيأسنْ ، فاللهُ مَلَّكَ يوسفاً خزائنَه بعد الخلاصِ من السِّجنِ

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يوسف : ٥٨ ـ ٦٢] يُخبر تعالى عن قدوم إخوة يوسف عليه[١] إلى الديار المصريّة يمتارون طعاماً ، وذلك بعد إتيان سنيّ الجَدْب وعمومِها على سائر البلاد والعباد ، وكان يوسفُ عليه السلام إذ ذاك الحاكم في أمور الديار المصرية ديناً ودنيا ، فلما دخلوا عليه عرفَهم ولم يعرفوه ، لأنهم لم يخطرْ ببالهم ما صارَ إليه يوسفُ عليه السلام من المكانة والعَظمة ، فلهذا عرفهم وهم له منكرون .

وعند أهل الكتاب : أنهم لما قدموا عليه سجدوا له فعرفهم ، وأرادَ ألا يعرفوه ، فأغلظَ لهم في القول ، وقال : أنتم جواسيسُ جئتُم لتأخذوا خبرَ بلادي . فقالوا : معاذَ الله ! إنما جئنا نمتارُ[٢] لقومنا من الجَهْد والجُوع الذي أصابنا ونحنُ بنو أب واحدٍ من كنعانَ ، ونحنُ اثنا عشرَ رجلاً ، ذهبَ منا واحدٌ ، وصغيرُنا عند أبينا . فقال : لا بُدَّ أن أستعلمَ أمرَكم .

وعندهم : أنه حبسَهم ثلاثةَ أيّام ، ثم أخرجهم ، واحتبسَ شمعونَ عندَه ليأتوه بالأخ الآخر . وفي بعض هذا نظر .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ أي : أعطاهم من الميرة ما جرتْ به عادته في إعطاء كل إنسان حملَ بعير ، لا يزيدُه عليه ﴿ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ ﴾ وكان قد سألهم عن حالهم ، وكم هم ؟ فقالوا : كنا اثني عشر رجلاً ، فذهبَ منَّا واحدٌ وبقيَ شقيقُه عند أبينا ، فقال : إذا قدمتُم من العام المقبل فأْتوني به معكم ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ أي : قد أحسنت نزلكم وقِراكم ، فرغَّبهم ليأتوه به ، ورهَّبهم إن لم يأتوه به قال ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ أي : فلستُ أعطيكم ميرةً ، ولا أقربُكم بالكُليّة ، عكسَ ما أسدى إليهم أولاً ، فاجتهدَ في إحضاره معهم لِيَبُلَّ شوقه منه بالترغيب والترهيب ﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ أي سنجتهدُ في مجيئه معنا وإتيانِه إليكَ بكلِّ ممكن ﴿ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ أي : وإنا لقادرون على تحصيله .

(١) في المطبوع : عليه السلام .
(٢) نمتار : نجلب الميرة ، وهي الطعام .

ثم أمر فتيانَه أن يضعوا بضاعتهم وهي ما جاؤوا به يتعوَّضون به عن الميرةِ في أمتعتهم من حيثُ لا يشعرون بها ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ قيل : أراد أن يردُّوها إذا وجدوها في بلادهم . وقيل : خشيَ ألا يكونَ عندهم ما يرجعون به مرة ثانية . وقيل : تذمَّم[1] أن يأخذ منهم عوضاً عن الميرة . وقد اختلف المفسرون في بضاعتهم على أقوال سيأتي ذكرُها . وعند أهل الكتاب أنها كانت صُرراً من وَرِق ، وهو أشبه ، والله أعلم .

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٦٣ ـ ٦٨] .

يذكرُ تعالى ما كان من أمرهم بعد رجوعهم إلى أبيهم . وقولهم له : ﴿ مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾ أي : بعد عامنا هذا إن لم تُرسلْ معنا أخانا ، فإن أرسلتَه معنا لم يُمنعْ منَّا ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ﴾ أي : أي شيء نُريد وقد رُدَّتْ إلينا بضاعتنا ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ أي : نمتارُ لهم ونأتيهم بما يُصلحُهم في سَنَتهم ومَحْلهم ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ ﴾ بسببه ﴿ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ أي : في مقابلة ذهاب ولده الآخر ، وكان يعقوبُ عليه السلام أضنَّ شيءٍ بولده « بنيامين » لأنه كان يشمُّ فيه رائحةَ أخيه ، ويتسلَّى به عنه ، و يتعوَّض بسببه منه ، فلهذا قال : ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ أي : إلا أن تُغلبوا كلُّكم عن الإتيان به ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ أكّد المواثيقَ وقرَّرَ العهودَ ، واحتاطَ لنفسه في ولده ، ولن يُغني حَذرٌ من قَدَر . ولولا حاجته وحاجة قومه إلى الميرة لما بعثَ الولد العزيز ، ولكنَّ الأقدار لها أحكامٌ ، والربُّ تعالى يُقدِّرُ ما يشاءُ ويختارُ ما يُريد ، ويحكم ما يشاءُ ، وهو الحكيم العليم .

ثم أمرَهم ألاَّ يدخلوا المدينةَ من بابٍ واحدٍ ، ولكنْ ليدخلوا من أبوابٍ مُتفرِّقةٍ . قيل : أراد ألاَّ يُصيبَهم أحدٌ بالعين ، وذلك لأنهم كانوا أشكالاً حسنةً ، وصوراً بديعة ، قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والسُّدِّي والضَّحَّاك . وقيل : أراد أن يتفرَّقوا لعلَّهم يجدون خبراً ليوسفَ أو يُحدَّثون عنه بأثر ، قاله إبراهيم النخعي ، والأول أظهر . ولهذا قال : ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾

---

(١) تذمَّم : امتنع واستنكف .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وعند أهل الكتاب : أنه بعثَ معهم هديَّةً إلى العزيز من الفُستق واللَّوز والصَّنوبر والبُطْم والعسل ، وأخذوا الدراهمَ الأولى وعوضاً آخرَ .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ [يوسف : ٦٩ ـ ٧٩] .

يذكرُ تعالى ما كانَ من أمرهم حين دخلوا بأخيهم « بنيامين » على شقيقه يوسف ، وإيوائه إليه وإخباره له سرّاً عنهم بأنه أخوه ، وأمره بكتمِ ذلك ، وسلاَّه عما كان منهم من الإساءة إليه . ثم احتالَ على أخذه منهم وتركه إياه عنده دونهم ، فأمرَ فتيانه بوضع سقايته ـ وهي التي كان يشربُ بها ، ويكيلُ بها للناس الطعام ـ عن غِرَّته في متاع بنيامين .

ثم أعلمَهم بأنهم قد سرقوا صُواع الملك ، ووعدَهم جُعالةً على ردِّه حِمْلَ بعير ، وضمنه المنادي لهم ، فأقبلوا على من اتَّهمهم بذلك فأنَّبوه وهجَّنوه[1] فيما قاله لهم و ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾ يقولون : أنتم تعلمون منا خِلافَ ما رميتمُونا به من السرقة ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . وهذه كانت شريعتهم : أنَّ السارقَ يدفعُ إلى المسروق منه ، ولهذا قالوا : ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال الله تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ ﴾ ليكون ذلك أبعد للتهمة وأبلغ في الحيلة ، ثم قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ . أي : لولا اعترافهم بأن جزاءه من وُجد في رَحْله فهو جزاؤه ، لما كان يقدر يوسف على أخذه منهم في سياسة ملك مصر ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ أي : في العلم ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ وذلك لأن يوسفَ كان أعلم

(١) هجَّنوه : عابوه ، من هجَّن الأمرَ : إذا قبَّحه وعابه .

منهم وأتم رأياً وأقوى عزماً وحزماً ، وإنما فعلَ ما فعلَ عن أمر الله له في ذلك ، لأنه يترتبُ على هذا الأمر مصلحة عظيمة بعد ذلك من قدوم أبيه وقومه عليه ووفودهم إليه ، فلما عاينوا استخراجَ الصُّواع من حمل بنيامين : ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ يعنون يوسفَ . قيل : كان قد سرقَ صنمَ جدِّه أبي أمه فكسرَه . وقيل : كانت عمَّتُه قد علَّقتْ عليه بين ثيابه وهو صغير منطْقَةً كانت لإسحاق ، ثم استخرجوها من بين ثيابه وهو لا يشعر بما صنعتْ ، وإنما أرادتْ أن يكونَ عندها وفي حضانتها لمحبَّتها له . وقيل : كان يأخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء . وقيل : غير ذلك فلهذا ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ ﴾ وهي كلمته بعدها ، وقوله : ﴿ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ أجابهم سرّاً لا جهراً ، حلماً وكرماً وصفحاً وعفواً ، فدخلوا معه في الترفُّق والتعطُّف ، فقالوا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ أي : إن أطلقنا المتهم وأخذنا البريء . هذا ما لا نفعله ولا نسمحُ به ، وإنما نأخذُ من وجدْنا متاعنا عنده .

وعند أهل الكتاب : أن يوسف تعرَّفَ إليهم حينئذ ، وهذا مما غلطوا فيه ولم يفهموه جيِّداً(١) .

﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ۝٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ۝٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۝٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨٦ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٠ ـ ٨٧] .

يقول تعالى مخبراًعنهم : إنهم لما استيأسوا من أخذه منه خَلصُوا يتناجون فيما بينهم ، قال كبيرُهم وهو روبيل ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ ﴾ لقد أخلفتُم عهدَه وفرَّطتم فيه كما فرَّطتم في أخيه يوسف من قبله ، فلم يبقَ لي وجهٌ أقابله به ﴿ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ أي لا أزالُ مقيماً هاهنا ﴿ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ ﴾ في القدوم عليه ﴿ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ ﴾ بأن يقدِّرني على ردِّ أخي إلى أبي ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ ﴾ أي : أخبروه بما رأيتم من الأمر في ظاهر المشاهدة ﴿ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ۝٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ

(١) كذا في ب : والمطبوع . وفي أ : جداً .

﴿ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ ﴾ أي : فإن هذا الذي أخبرناكَ من أخذهم أخانا لأنَّه سرقَ أمر اشتهرَ بمصرِ ، وعلمه العير التي كنا نحن وهم هناك ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ ﴾ أي : ليس الأمر كما ذكرتم لم يسرق فإنه ليس سجيّةً له ولا خلقه ، وإنَّما سوَّلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل .

قال ابن إسحاق وغيره : لما كان التفريط منهم في « بنيامين » مترتباً على صنيعهم في يوسف قال لهم ما قال . وهذا كما قال بعضُ السلف : إنَّ من جزاء السيئة السيئة بعدَها ، ثم قال : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ ﴾ يعني يوسف وبنيامين وروبيل ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ أي : بحالي ، وما أنا فيها من فراق الأحبة ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ فيما يُقدِّره ويفعله ، وله الحِكمةُ البالغة ، والحجَّة القاطعة ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ ﴾ أي : أعرض عن بنيه ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ ذكَّره حزنه الجديد بالحزن القديم ، وحرَّك ما كان كامناً ، كما قال بعضهم : [من الكامل]

نقِّل فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى ... مـا الحـبُّ إلا للحبيـبِ الأوّلِ[1]

وقال آخر : [من الطويل]

لقد لامَني عندَ القُبور على البُكا ... رفيقي لتذرافِ الدُّموع السَّوافِكِ[2]
فقــالَ أتبكــي كــلَّ قَبْــرٍ رأيتَــهُ ... لقبرٍ ثوى بينَ اللِّوى فالدكادكِ[3]
فقلتُ له إن الأسى يبعثُ الأسى ... فَدَعْني فهذا كلّهُ قبرُ مـالِـكِ[4]

وقوله ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ ﴾ أي : من كثرة البكاء ﴿ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ أي : مكظم من كثرة حزنه وأسفه وشوقه إلى يوسف ، فلما رأى بنوه ما يُقاسيه من الوَجْد وألم الفراق ﴿ قَالُواْ ﴾ له على وجه الرحمة له والرأفة به والحرص عليه ﴿ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾ يقولون لا تزالُ تتذكره حتى ينحلَ جسدُك ، وتضعف قوَّتُك ، فلو رَفقْتَ بنفسك كان أولى بك ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ يقول لبنيه : لست أشكو إليكم ولا إلى أحد من الناس ما أنا فيه ، إنما أشكو إلى الله عزَّ وجلَّ ، وأعلم أنَّ الله سيجعلُ لي مما أنا فيه فَرَجاً ومخْرَجاً ، وأعلم أن رؤيا يوسفَ لا بُدَّ أن تقعَ ، ولا بُدَّ أن أسجدَ له أنا وأنتم حسبَ ما رأى ، ولهذا قال : ﴿ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ثم قال لهم مُحرِّضاً على تَطلُّبِ يوسفَ وأخيه ، وأن يبحثوا عن أمرهما : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ

---

(١) البيت في العقد الفريد ، لابن عبد ربه (٣/ ٤٧٠) .
(٢) السَّوافك : المنصبّة ، يقال سفكَه : إذا صبَّه وأراقه .
(٣) اللِّوى : ما التوى من الرمل واعوجَّ ، والدَّكادِكِ : جمع الدك : وهو ما استوى من الرمل والأرض .
(٤) الأبيات لمتمم بن نُويرة . انظر حماسة أبي تمام (٢/ ٢٩٠) .

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ أي : لا تيئسوا من الفرج بعد الشدة ، فإنه لا ييأسُ من رَوْح الله وفَرَجِه وما يقدره من المَخْرجِ في المضايق إلا القوم الكافرون .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف : ٨٨ ـ ٩٣] .

يُخبر تعالى عن رجوع إخوة يوسف إليه ، وقدومهم عليه ، ورغبتهم فيما لديه من الميرة والصَّدقة عليهم بردِّ أخيهم « بنيامين » إليهم ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ أي : من الجَدْب وضيق الحال وكثرة العِيال ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ أي : ضعيفة لا يقبل مثلها منا إلا أن يُتجاوزَ عنها . قيل : كانت دراهم رديئة . وقيل : قليلة . وقيل : حبّ الصنوبر وحبّ البُطْم ، ونحو ذلك . وعن ابن عباس : كانت خلق الغرائر[1] والحبال ونحو ذلك ﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ قيل : بقبولها . قاله السُّدِّي . وقيل : برد أخينا إلينا . قاله ابن جريج . وقال سفيان بن عُيينة : إنما حرمت الصَّدقةُ على نبيِّنا محمد ﷺ ونزعَ بهذه الآية . رواه ابن جرير .

فلما رأى ما هم فيه من الحال وما جاؤوا به مما لم يبقَ عندهم سواه من ضعيف المال ، تعرَّف إليهم وعطفَ عليهم قائلاً لهم عن أمر ربِّه وربِّهم وقد حسر لهم عن جبينه الشريف وما يحويه من الخال الذي يعرفون ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ وتعجَّبوا كلَّ العجب ، وقد تردَّدوا إليه مراراً عديدة ، وهم لا يعرفون أنه هو ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ ﴾ يعني أنا يوسف الذي صنعتُم معه ما صنعتُم ، وسلفَ من أمركم فيه ما فرَّطتم ، وقوله : ﴿ وهـذا أخي ﴾ تأكيد لما قال ، وتنبيه على ما كانوا أضمروا لهما من الحسد ، وعملوا في أمرهما من الاحتيال ، ولهذا قال ﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾ أي : بإحسانه إلينا وصدقته علينا وإيوائه لنا ، وشدة معاقد عِزِّنا ، وذلك بما أسلفنا من طاعة ربِّنا ، وصبرنا على ما كان منكم إلينا وطاعتنا وبرنا لأبينا ، ومحبته الشديدة لنا ، وشفقته علينا ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أي : فضَّلكَ وأعطاكَ ما لم يُعطِنا ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ أي : فيما أسدينا إليكَ ، وهانحن بين يديك ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾ أي : لستُ أُعاقبكُم على ما كان منكم بعد يومكم هذا ، ثم زادَهم على ذلك فقال ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .

---

(١) « الغرائر » : جمع الغرارة ، وهي وعاء من الخيش ونحوه ، يُوضع فيه القمح ونحوه .

ومن زعم أن الوقفَ على قوله لا تثريبَ عليكم ، وابتدأ بقوله ﴿ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ فقوله ضعيف ، والصحيح الأول . ثم أمرهم بأن يذهبوا بقميصه ، وهو الذي يلي جسدَه ، فيضعوه على عينيْ أبيه ، فإنه يرجع إليه بصره بعدما كان ذهبَ بإذن الله ، وهذا من خوارق العادات ودلائل النبوات وأكبر المعجزات .

ثم أمرَهم أن يتحمَّلوا بأهلهم أجمعينَ إلى ديار مصرَ ، إلى الخير والدَّعة وجمع الشمل بعد الفرقة ، على أكمل الوجوه وأعلى الأمور .

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٩٦ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف : ٩٤ ـ ٩٨] .

قال عبدُ الرزاق : أنبأنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، سمعت ابنَ عبَّاس يقول : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ قال : لما خرجتِ العيرُ ، هاجتْ ريحٌ فجاءتْ يعقوبَ بريحِ قميص يوسف ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ قال : فوجد ريحَه من مسيرة ثمانية أيام[١] . وكذا رواه الثوري وشعبة وغيرهم : عن أبي سنان ، به . وقال الحسنُ البصري وابن جُريج المكّي : كان بينهما مسيرة ثمانين فرسخاً ، وكان له منذ فارقه ثمانون سنة .

وقوله ﴿ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ أي : تقولون إنما قلتَ هذا من الفند ، وهو الخَرف وكبر السن . قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جُبير وقتادة : تفندون : تسفهون . وقال مجاهد أيضاً والحسن تهرمون[٢] .

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ قال قتادة والسُّدِّي : قالوا له كلمة غليظة . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ أي : بمجرد ما جاءَ ألقى القميصَ على وجه يعقوبَ ، فرجعَ من فوره بصيراً بعدما كان ضريراً ، وقال لبنيه عند ذلك ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي : أعلمُ أنَّ الله سيجمعُ شَمْلي بيوسفَ ، وستقرُّ عيني به ، وسيُريني فيه ومنه ما يسرُّني ، فعند ذلك ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ . طلبوا إليه أن يستغفرَ لهم الله عزَّ وجلَّ عما كانوا فعلوا ونالوا منه ومن ابنه ، وما كانوا عزموا عليه . ولما كان من نيّتهم التوبةُ قبلَ الفعل قيَّضهُم الله للاستغفار عند

---

(١) أخرجه عبد الرزاق والفريابي وأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه ، كما في الدر المنثور (٤/ ٥٨١) .

(٢) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/ ٥٨١) .

وقوع ذلك منهم ، فأجابهم أبوهم إلى ما سألوه وما عليه عوّلوا قائلاً ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

قال ابن مسعود ، وإبراهيم التَّيْميُّ ، وعمرو بن قيس ، وابن جُرَيْج ، وغيرهم : أرجأهم إلى وقت السَّحر[١] . قال ابن جرير : حدَّثني أبو السَّائب ، حدَّثنا ابنُ إدريس ، سمعتُ عبدَ الرحمن بن إسحاق يذكرُ عن مُحارب بن دِثَار ، قال : كان عمٌّ لي[٢] يأتي المسجدَ ، فسمعَ إنساناً يقول : اللهم دعوتني فأجبتُ ، وأمرتني فأطعتُ ، وهذا السَّحرُ فاغفرْ لي . قال : فاستمعَ الصوتَ فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود ، فسألَ عبدَ الله عن ذلك ، فقال : إنَّ يعقوبَ أخَّرَ بنيه إلى السَّحر بقوله ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾[٣] .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] .

وثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا ، فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائلٍ فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له »[٤] .

وقد وردَ في حديثٍ أنَّ يعقوبَ أرجأ بنيه إلى ليلة الجمعة . قال ابن جرير : حدَّثني المثنَّى ، حدَّثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي ، حدَّثنا الوليد ، أنبأنا ابن جُرَيْج ، عن عطاء وعكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ يقولُ : « حتى تأتيَ ليلةُ الجمعة ، وهو قول أخي يعقوب لبنيه »[٥] . وهذا غريب من هذا الوجه . وفي رفعه نظر ، والأشبه أن يكون موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ٩٩ ـ ١٠١] .

هذا إخبارٌ عن حال اجتماع المتحابّين بعد الفُرْقة الطويلة التي قيل : إنها ثمانون سنة ، وقيل : ثلاث

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ٣٠٠) .

(٢) كذا في تفسير الطبري (٧/ ٣٠٠) وفي الأصول : عمر ، خطأ ، ومحارب بن دثار توفي سنة ١١٦هـ ، وروى عن جابر وابن عمر . انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٧) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٩) .

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (٧/ ٣٠٠) .

(٤) أخرجه البخاري (١١٤٥) في التهجد ، ومسلم (٧٥٨) في صلاة المسافرين وقصرها .

(٥) أخرجه ابن جرير (٧/ ٣٠٠) .

وثمانون سنة ، وهما روايتان عن الحسن . وقيل : خمس وثلاثون سنة ، قاله قتادة . وقال محمد بن إسحاق : ذكروا أنه غابَ عنه ثماني عشرة سنة . قال : وأهلُ الكتاب يزعمون أنه غاب عنه أربعين سنة .

وظاهر سياق القصة يُرشد إلى تحديد المدة تقريباً ، فإن المرأة راودتْه وهو شابٌّ ابن سبع عشرة فيما قاله غير واحد ، فامتنع فكان في السجن بضع سنين ، وهي سبع عند عكرمة وغيره . ثم أُخرج فكانت سنواتُ الخِصْب السبع ، ثم لما أمحل النَّاسُ في السبع البواقي ، جاء إخوتُه يمتارون في السنة الأولى وحدَهم ، وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين ، وفي الثالثة تعرَّف إليهم وأمرَهم بإحضار أهلهم أجمعين ، فجاؤوا كلُّهم ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾ اجتمع بهما خصوصاً وحدَهما دون إخوته ﴿ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ قيل هذا من المقدَّم والمؤخَّر ، تقديرُه : ادخلوا مصرَ وآوى إليه أبويه . وضعفه ابن جرير ، وهو معذور .

قيل : تلقَّاهما وآواهما في منزل الخيام ، ثم لما اقتربوا من باب مصر ﴿ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ قاله السُّدِّي . ولو قيل : إن الأمرَ لا يحتاجُ إلى هذا أيضاً ، وإنه ضمَّن قوله ادخلوا معنى اسكنوا وأقيموا بها ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ لكان صحيحاً مليحاً أيضاً .

وعند أهل الكتاب : أن يعقوبَ لما وصلَ إلى أرض « جاشر » وهي أرض « بلبيس » خرج يوسف لتلقِّيه ، وكان يعقوبُ قد بعثَ ابنه يهوذا بين يديه مُبشِّراً بقدومه . وعندهم : أنَّ الملك أطلقَ لهم أرضَ « جاشر » يكونون فيها ، ويقيمون بها بنعَمهم ومواشيهم .

وقد ذكرَ جماعةٌ من المفسِّرين أنه لما أزفَ قدومُ نبيِّ الله يعقوب وهو إسرائيل ، أرادَ يوسفُ أن يخرجَ لتلقِّيه ، فركبَ معه الملكُ وجنودُه خدمةً ليوسف ، وتعظيماً لنبيِّ الله إسرائيل ، وأنه دعا للملك ، وأنَّ الله رفعَ عن أهل مصرَ بقيَّة سنيّ الجَدْب ببركة قدومه إليهم ، فالله أعلم .

وكان جملة منْ قدم مع يعقوب من بنيه وأولادهم ، فيما قاله أبو إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن ابن مسعود : ثلاثة وستين إنساناً . وقال موسى بن عبيدة : عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن شدَّاد ، كانوا ثلاثة وثمانين إنساناً . وقال أبو إسحاق ، عن مسروق : دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون إنساناً . قالوا : وخرجوا مع موسى وهم أزيد من ستمئة ألف مقاتل . وفي نص أهل الكتاب : أنَّهم كانوا سبعين نفساً ، وسمَّوهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ قيل : كانت أُمه قد ماتت ، كما هو عند علماء التوراة . وقال بعض المفسرين : فأحياها الله تعالى . وقال آخرون : بل كانت خالتُه ليلى ، والخالةُ بمنزل الأم .

وقال ابن جرير[1] وآخرون : بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمِّه إلى يومئذ ، فلا يُعوَّل على نقل أهل الكتاب فيما خالفَه ، وهذا قوي ، والله أعلم .

---

(١) انظر تفسير الطبري (٧/ ٣٠٢) .

ورفعهما على العرش أي : أجلسهما معه على سريره ﴿ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ أي : سجدَ له الأبوان والإخوة الأحدَ عشر تعظيماً وتكريماً ، وكان هذا مشروعاً لهم ، ولم يزلْ تلك معمولاً به في سائر الشرائع حتَّى حَرُمَ في مِلَّتنا .

﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ ﴾ أي : هذا تعبير ما كنتُ قَصَصْتُه عليكَ من رؤيتي الأحدَ عشر كوكباً والشمس والقمر ، حين رأيتهم لي ساجدين ، وأمرتني بكتمانها ووعدتني ما وعدتني عند ذلك ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ أي : بعد الهمِّ والضِّيق جعلني حاكماً نافذَ الكلمة في الديار المصرية حيث شئت ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ وجاء بكم من البدو ﴾ أي : البادية وكانوا يسكنون أرضَ العربات من بلاد الخليل ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ أي : فيما كان منهم إليّ من الأمر الذي تقدَّم وسبقَ ذكره . ثم قال ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ أي : إذا أراد شيئاً هيَّأ أسبابَه ويسَّرها وسهَّلها من وجوه لا يهتدي إليها العباد ، بل يقدرها ويُيَسِّرها بلطيف صُنْعه وعظيم قُدْرته ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي : بجميع الأمور ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في خلقه وشرعه وقدره .

وعند أهل الكتاب : أن يوسفَ باع أهلَ مصرَ وغيرَهم ، من الطعام الذي كان تحتَ يده ، بأموالهم كلها من الذهب والفضة والعقار والأثاث ، وما يملكونه كله ، حتى باعهم بأنفسهم فصاروا أرقاء . ثم أطلقَ لهم أرضهم ، وأعتقَ رقابهم ، على أن يعملوا ويكون خُمُسُ ما يستغلُّون من زَرْعهم وثمارهم للملك ، فصارت سُنَّةَ أهل مصرَ بعده .

وحكى الثعالبيُّ[1] : أنه كان لا يشبعُ في تلك السنين حتى لا ينسى الجيعانَ ، وأنه إنما كان يأكل أكلةً واحدة نصفَ النهار . قال : فمن ثَمَّ اقتدى به الملوكُ في ذلك . قلت : وكان أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه لا يشبعُ بطنه عام الرمادة حتى ذهبَ الجدْبُ وأتى الخِصْبُ .

قال الشافعي : قال رجلٌ من الأعراب لعمرَ بعدما ذهب عام الرمادة : لقد انجلتْ عنك ، وإنَّك لابن حرَّة .

ثم لما رأى يوسفُ عليه السلام نعمتَه قد تمَّت ، وشملَه قد اجتمعَ ، عرفَ أن هذه الدار لا يُقرّ بها قرار ، وأنَّ كلَّ شيء فيها ومنْ عليها فان . وما بعد التمام إلا النقصان ، فعند ذلك أثنى على ربِّه بما هو أهله ، واعترف له بعظيم إحسانه وفضله . وسألَ منه وهو خيرُ المسؤولين أن يتوفَّاه ـ أي : حينَ يتوفَّاه ـ على الإسلام ، وأن يُلحقه بعبادِه الصَّالحين ، وهكذا كما يقال في الدعاء : « اللهم أحينا مسلمين وتوفَّنا

---

(١) قصص الأنبياء ؛ للثعالبي (ص ١٢٩) .

مسلمين »[١] . أي : حين تتوفانا .

ويُحتمل أنه سأل ذلك عند احتضاره عليه السلام ، كما سألَ النبيُّ ﷺ عند احتضاره أن يرفعَ روحَه إلى الملأ الأعلى والرفقاء الصَّالحين من النَّبيِّين والمرسلين ، كما قال : « اللهم في الرفيق الأعلى »[٢] ثلاثاً ، ثم قضى .

ويُحتمل أنَّ يوسف عليه السلام سأل الوفاة على الإسلام مُنْجزاً في صحَّة منه وسلامةٍ ، وأن ذلك كان سائغاً في ملَّتهم وشِرْعتهم ، كما روي عن ابن عباس أنه قال : ما تمنَّى نبيّ قط الموتَ قبل يوسف[٣] .

فأمَّا في شريعتنا فقد نُهي عن الدعاء بالموت إلَّا عند الفتن ، كما في حديث معاذ في الدعاء الذي رواه أحمد[٤] : « وإذا أردتَ بقومٍ فتنةً فتوفَّنا إليكَ غير مفتونين » وفي الحديث الآخر : « ابن آدمَ الموتُ خيرٌ لك من الفِتْنة » وقالت مريم عليها السلام : ﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾ [مريم : ٢٣] وتمنَّى الموتَ عليُّ بن أبي طالب لما تفاقمتِ الأمورُ ، وعظمتِ الفِتنُ ، واشتدَّ القتالُ ، وكَثُرَ القيلُ والقالُ ، وتمنَّى ذلك البخاريُّ أبو عبد الله صاحب الصحيح ، لما اشتدَّ عليه الحالُ ، ولقيَ من مخالفيه الأهوال .

فأما في حال الرفاهية : فقد روى البخاريُّ ومسلم في صحيحيهما : من حديث أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنَّى أحدُكم الموتَ لضُرٍّ نزلَ به ، إما مُحسناً فيزدادُ ، وإما مُسيئاً فلعلَّهُ [أنْ] يَسْتَعْتِبَ ، ولكن ليقلْ اللَّهُمَّ أحيني ما كانتِ الحياةُ خيراً لي ، وتوفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيراً لي »[٥] والمرادُ بالضُّرِّ هاهنا ما يخصُّ العبدَ في بدنه من مرضٍ ونحوه لا في دينهِ . والظاهرُ أن نبيَّ الله يوسفَ عليه السلام سألَ ذلك إما عند احتضارِه أو إذا كان ذلك أن يكونَ كذلك .

وقد ذكرَ ابنُ إسحاق عن أهل الكتاب : أنَّ يعقوبَ أقام بديار مصر عند يوسف سبعَ عشرة سنة ، ثم توفي عليه السلام ، وكان قد أوصى إلى يوسفَ عليه السلام أن يُدفنَ عند أبويْه إبراهيم وإسحاق . قال السُّدِّي : فصبرَ ، وسَيَّره إلى بلاد الشام فدفنَه بالمغارة عند أبيه إسحاق وجدِّه الخليل ، عليهم السلام .

وعند أهل الكتاب : أن عمرَ يعقوبَ يوم دخلَ مصرَ مئة وثلاثون سنة . وعندهم : أنه أقام بأرض مصر سبعَ عشرة سنة ، ومع هذا قالوا : فكان جميع عمره مئة وأربعين سنة . هذا نصُّ كتابهم ، وهو غلط إما في النسخة أو منهم ، أو قد أسقطوا الكسرَ ، وليس بعادتهم فيما هو أكثر من هذا ، فكيف يستعملون هذه

---

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد في ا لمسند (٣/ ٤٢٤) وغيره عن عبيد بن رِفاعة الزُّرَقي رقم (١٥٤٣١). قال الذهبي في السيرة (١/ ٤١٩ ـ ٤٢٠): غريب منكر .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٧) في المغازي ، ومسلم (٢١٩١) في السلام .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤/ ٥٩١) .

(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٤٣) والترمذي (٣٢٣٥)، وقال: حسن صحيح. من حديث معاذ.

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٧١) في المرض ، ومسلم (٢٦٨٠) في الذكر والدعاء .

الطريقة هاهنا . وقد قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٣] يُوصي بنيه بالإخلاص ، وهو دين الإسلام الذي بعث الله به الأنبياء عليهم السلام .

وقد ذكرَ أهل الكتاب أنَّه أوصى بنيه واحداً واحداً ، وأخبرهم بما يكون من أمرهم ، وبشَّرَ يهوذا بخروج نبيٍّ عظيم من نسله تُطيعه الشعوب ، وهو عيسى ابن مريم ، والله أعلم .

وذكروا : أنه لمَّا ماتَ يعقوبُ بكى عليه أهلُ مصرَ سبعين يوماً ، وأمرَ يوسفُ الأطبَّاءَ فطيَّبوه بطيبٍ ومكثَ فيه أربعين يوماً ، ثم استأذن يوسفُ ملكَ مصرَ في الخروج مع أبيه ليدفنَه عند أهله ، فأذنَ له ، وخرجَ معه أكابرُ مصرَ وشيوخُها ، فلما وصلوا « حبرون »[1] دفنوه في المغارة التي كان اشتراها إبراهيمُ الخليل من عفرون بن صخر الحيثي ، فدُفنَ فيها ، وعملوا له سبعة أيام . قالوا : ثم رجعوا إلى بلادهم ، وعزَّى إخوةُ يوسفَ ليوسفَ في أبيهم وترقَّقوا له ، فأكرمهم وأحسنَ منقلبهم ، فأقاموا ببلاد مصر .

ثم حضرتْ يوسفَ عليه السلام الوفاةُ ، فأوصى أن يُحملَ معهم إذا خرجوا من مصرَ فيدفن عند آبائه ، فحنَّطوه ووضعُوه في تابوت ، فكان بمصرَ حتى أخرجَه معه موسى عليه السلام ، فدفنَه عند آبائه كما سيأتي .

قالوا : فماتَ وهو ابن مئة سنة وعشر سنين . هذا نصُّهم فيما رأيته ، وفيما حكاه ابن جرير أيضاً . وقال مبارك بن فَضَالة ، عن الحسن : أُلقي يوسفُ في الجُبِّ وهو ابنُ سبعَ عشرة سنة ، وغاب عن أبيه ثمانينَ سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرينَ سنة ، ومات وهو ابن مئة سنة وعشرين سنة . وقال غيره : أوصى إلى أخيه يهوذا صلواتُ الله عليه وسلامُه .

* * *

(١) في هامش ب : قال في القاموس : باب الراء فصل الفاء : حبرون ؛ بلد الخليل إبراهيم ﷺ .

قصّة أيوب
عليه السلام

قال ابن إسحاق[١] : كان رجلاً من الروم ، وهو أيوب بن موص بن رازح بن العيس بن إسحاق بن إبراهيم الخليل . وقال غيره : هو أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن يعقوب . وقيل : غير ذلك في نسبه .

وحكى ابن عساكر[٢] : أنَّ أُمَّه بنت لوط عليه السلام . وقيل[٣] : كان أبوه ممن آمنَ بإبراهيم عليه السلام يومَ أُلقي في النار ، فلم تحرْقه ، والمشهور الأول ، لأنه من ذريَّة إبراهيم ، كما قرَّرنا عند قوله تعالى : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ ﴾ [الأنعام : ٨٤] الآيات ؛ من أنَّ الصحيحَ أنَّ الضميرَ عائدٌ على إبراهيم دون نوح عليهما السلام .

وهو من الأنبياء المنصوص على الإيحاء إليهم في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ ۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ ﴾ [النساء : ١٦٣] الآية . فالصحيحُ أنَّه من سُلالة العِيص بن إسحاق ، وامرأته قيل : اسمها[٤] « ليا » بنت يعقوب . وقيل : « رحمة » بنت أفرائيم ، وقيل : منشا[٥] بن يوسف بن يعقوب . وهذا أشهرُ ، فلهذا ذكرناه هاهنا ، ثم نعطفُ بذكر أنبياء بني إسرائيل بعد ذكر قصَّته إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

قال الله تعالى : ﴿ ۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣ ـ ٨٤] وقال تعالى في سورة ص : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص : ٤١ ـ ٤٤] .

وروى ابنُ عساكر[٦] : من طريق الكلبي ، أنه قال : أوَّلُ نبيٍّ بُعث : إدريس ، ثم نوح ، ثم

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٣٢٢) .
(٢) تاريخ دمشق (١٠/ ٥٨) .
(٣) تاريخ الطبري (١/ ٣٢٢) .
(٤) المصدر السابق (١/ ٣٢٢) .
(٥) ذكره ابن عساكر في تاريخه (١٠/ ٥٨) .
(٦) تاريخ دمشق (١٠/ ٥٨ ـ ٥٩) .

إبراهيم ، ثم إسماعيل ، ثم إسحاق ، ثم يعقوب ، ثم يوسف ، ثم لوط ، ثم هود ، ثم صالح ، ثم شُعيب ، ثم موسى وهارون ، ثم إلياس ، ثم اليسع ثم عزى بن شوتلح بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب ، ثم يُونس بن متى من بني يعقوب ، ثم أيوب بن رازح بن آموص بن ليفزتا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم .

وفي بعض هذا الترتيب نظر ، فإن هوداً وصالحاً المشهور أنهما بعد نوح ، وقبل إبراهيم ، والله أعلم .

قال علماء التفسير[١] والتاريخ وغيرهم : كان أيوبُ رجلاً كثيرَ المال من سائر صنوفه وأنواعه ؛ من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البَثْنيَّة[٢] ، من أرض حوران .

وحكى ابن عساكر[٣] : أنها كلَّها كانت له ، وكان له أولاد وأهلون كثير ، فسُلِبَ من ذلك جميعه ، وابتُلي في جسده بأنواع من البلاء ، ولم يبق منه عضو سليمٌ سوى قلبه ولسانه ، يذكر الله عزَّ وجلَّ بهما ، وهو في ذلك كلِّه صابرٌ محتسبٌ ، ذاكرٌ لله عزَّ وجلَّ في ليله ونهاره وصباحِهِ ومسائه .

وطال مَرَضُه حتى عافَه الجليسُ ، وأوحش منه الأنيس ، وأُخرجَ من بلده ، وأُلقي على مِزْبلةٍ[٤] خارجَها ، وانقطعَ عنه النَّاسُ ، ولم يبق أحدٌ يحنو عليه سوى زوجتِهِ كانت ترعى له حقَّه ، وتعرف قديمَ إحسانه إليها وشفقته عليها ، فكانت تتردَّد إليه ، فتُصلح من شأنه وتُعينه على قضاء حاجتِهِ ، وتقوم بمصلحته ، وضعفَ حالها وقلَّ مالُها حتى كانت تخدمُ النَّاسَ بالأجر لتُطعمه ، وتقومَ بأودِهِ رضي الله عنها وأرضاها ، وهي صابرةٌ معه على ما حلَّ بهما من فِراق المال والولد ، وما يختصُّ بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد ، وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والحرمة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجلُ على حَسْب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه »[٥] . ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام إلا صبراً واحتساباً وحمداً وشكراً ، حتى أنَّ المثلَ ليضربُ بصبره عليه السلام ، ويُضرب المثل أيضاً بما حصل له من أنواع البلايا .

---

(١) انظر تفسير الطبري (٩/ ٥٦) وتاريخه (١/ ٣٢٢) .

(٢) ويقال : البَثنة : قرية من قرى حَوْران ، تقع بين دمشق وأذرعات .

(٣) حكاه ابن عساكر في تاريخه ؛ كما في المختصر (٥/ ١٠٩ ـ ١١١) .

(٤) هذا من الإسرائيليات التي تتعارض مع عصمة يونس عليه السلام وليس في الذكر الحكيم ولا في السنة النبوية ما يُؤيِّدها .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٧٢) عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، والدارمي في سننه (٢٧٨٣) والحاكم في المستدرك (١/ ٤١) ولم أجده في الصحيح .

وقد رُوي عن وَهْب بن مُنَبِّهٍ وغيره من علماء بني إسرائيل في قصة أيوب خبرٌ طويل(١) في كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه في جسده ، والله أعلم بصحته .

وعن مُجاهد أنه قال : كان أيوب عليه السلام أوَّلَ من أصابه الجُدريُّ .

وقد اختلفوا في مدَّة بلواه على أقوال ، فزعمَ وَهْبٌ أنه ابتُلي ثلاثَ سنين لا تزيدُ ولا تنقصُ .

وقال أنس : ابتُلي سبعَ سنين وأشهراً ، وأُلقي على مِزْبلة لبني إسرائيل ، تختلف الدوابُّ في جسدِه حتى فرَّج الله عنه ، وعظَّمَ له الأجرُ ، وأحسنَ الثناء عليه .

وقال حميد : مكثَ في بلواه ثمانية عشرة سنة .

وقال السُّدِّي : تساقطَ لحمُه حتى لم يبقَ إلا العظم والعصبُ ، فكانت امرأتُه تأتيه بالرَّماد تفرشُه تحتَه ، فلما طال عليه ، قالت : يا أيوبُ لو دعوتَ ربَّك لفرَّجَ عنك ؟ فقال : قد عشتُ سبعينَ سنة صحيحاً ، فهو قليلٌ لله أن أصبرَ له سبعينَ سنة . فجزعتْ من هذا الكلام وكانت تخدمُ النَّاسَ بالأجر وتُطعم أيوب عليه السلام .

ثم إنَّ الناسَ لم يكونوا يستخدمونُها لعلمهم أنَّها امرأةُ أيوبَ ، خوفاً أن ينالَهم من بلائه ، أو تُعديهم بمخالطته ، فلما لم تجد أحداً يستخدمُها عمدتْ فباعت لبعض بناتِ الأشراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيِّب كثير ، فأتتْ به أيوبَ ، فقال : من أين لك هذا ؟ وأنكره ، فقالت : خدمتُ به أناساً . فلما كان الغد لم تجد أحداً ، فباعتِ الضفيرة الأخرى بطعامٍ ، فأتتْه به ، فأنكرَه أيضاً ، وحلفَ لا يأكلُه حتى تُخبره من أين لها هذا الطعام ؟ فكشفت عن رأسها خمارَها ، فلما رأى رأسها محلوقاً ، قال في دعائه : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

وقال ابن أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا أبو سلمة ، حدَّثنا جرير بن حازم ، عن عبد الله بن عُبيد بن عُمير ، قال : كان لأيوبَ أخوان ، فجاءا يوماً فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه ، فقاما من بعيد ، فقال أحدُهما لصاحبه : لو كان الله علمَ من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا ، فجزعَ أيوب من قولهما جزعاً لم يجزعْ من شيءٍ قط . قال : اللَّهُمَّ إن كنتَ تعلمُ أني لم أبتْ ليلةً قطُّ شبعاناً وأنا أعلمُ مكانَ جائعٍ فصدِّقني . فصُدِّقَ من السماء وهما يسمعان ، ثم قال : اللَّهُمَّ إن كنتَ تعلمُ أني لم يكن لي قميصان قطُّ وأنا أعلمُ مكان عارٍ فصدِّقني ، فصُدِّقَ من السماء وهما يسمعان . ثم قال : اللهم بعزَّتِكَ ، وخرَّ ساجداً ، فقال : اللَّهُمَّ بعزَّتك لا أرفعُ رأسي أبداً حتى تكشفَ عني ، فما رفعَ رأسَه حتى كشفَ عنه(٢) .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٥٥ ـ ٦٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٦٥٤) .

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعاً : حدَّثنا يونسُ ، عن عبد الأعلى ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني نافع بن يزيد ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إن نبيَّ الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ، فرفضَه القريبُ والبعيد إلاَّ رجلين من إخوانه ، كانا من أخصِّ إخوانه له ، كانا يغدوان إليه ويروحـان . فقال أحدهمـا لصاحبه : يعلمُ الله لقد أذنبَ أيـوبُ ذنباً ما أذنبَه أحدٌ من العالمين . قال له صاحبه : وما ذاكَ . قال من ثماني عشر سنة لم يرحمْه ربُّه فيكشف ما به . فلما راحا إليه لم يصبرِ الرجلُ حتى ذكرَ ذلك له ، فقال أيوب : لا أدري ما تقولُ ، غير أنَّ الله عزَّ وجلَّ يعلمُ أني كنت أمرُّ على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأُكفِّر عنهما كراهية أن يذكرا الله إلاَّ في حقّ . قال : وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجعَ ، فلما كان ذاتَ يومٍ أبطأتْ عليه ، فأوحى الله إلى أيوب في مكانِه أنْ ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص : ٤٢] فاستبطأتْه ، فتلقَّته تنظر ، وأقبلَ عليها قد أذهبَ الله ما به من البلاء ، وهو على أحسن ما كان ، فلما رأتْه ، قالت : أي باركَ الله فيك ؟ هل رأيتَ نبيّ الله هذا المبتلى ؟ فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً . قال : فإني أنا هو . قال : وكان له أندران : أندر للقمح ، وأندر للشعير ، فبعثَ الله سحابتين ، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيـه الذهب حتى فاض ، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الوَرِقَ حتى فاض » .

هذا لفظ ابن جرير[١] ، وهكذا رواه بتمامه ابن حبان في « صحيحه »[٢] عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن حرملة عن ابن وهب به . وهذا غريب رفعه جداً ، والأشبه أن يكون موقوفاً .

وقال ابن أبي حاتم[٣] : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا حمَّاد ، أنبأنا علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : وألبسَه الله حُلَّةً من الجنَّة ، فتنحَّى أيوب وجلسَ في ناحية ، وجاءت امرأتُه فلم تعرفْه ، فقالت : يا عبد الله هذا المبتلى الذي كان هاهنا لعل الكلاب ذهبت به ، أو الذئاب ؟ وجعلت تكلمه ساعةً . قال : ولعلَّ أنا أيوب . قالت : أتسخر مني يا عبد الله ؟ فقال : ويحك أنا أيوبُ ، قد ردَّ الله عليّ جسدي .

قال ابن عباس : وردَّ الله عليه مالَه وولده بأعيانهم ، ومثلهم معهم[٤] .

وقال وهب بن منبه : أوحى الله إليه قد رددتُ عليك أهلكَ ومالكَ ومثلَهم معهم ، فاغتسلْ بهذا

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٥٩٠) والأندر : البيدر .
(٢) الإحسان (٢٨٩٨) .
(٣) كما في الدر المنثور (٧/ ١٩٢) .
(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٦٩) .

الماء ، فإن فيه شفاءَك ، وقرِّبْ عن صحابتِك قرباناً ، واستغفرْ لهم فإنهم قد عصوني فيكَ . رواه ابن أبي حاتم(١) .

وقال ابن أبي حاتم(٢) : حدَّثنا أبو زرعة ، حدَّثنا عمرو بن مرزوق ، حدَّثنا همام ، عن قتادة ، عن النضر بن أنس ؛ عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لما عافى الله أيوبَ عليه السلام أمطرَ عليه جراداً من ذهب ، فجعلَ يأخذُ بيده ويجعلُ في ثوبه . قال : فقيل له : يا أيوب أما تشبعُ ؟ قال : يا ربِّ ومن يشبعُ من رحمتِك » .

وهكذا رواه الإمام أحمد(٣) : عن أبي داود الطيالسي وعبد الصمد ، عن همَّام ، عن قتادة ، به .

ورواه ابن حبَّان في « صحيحه »(٤) : عن محمد بن عبد الله الأزدي ، عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الصمد ، به .

ولم يُخرِّجه أحدٌ من أصحاب الكتب ، وهو على شرط الصحيح ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد(٥) : حدَّثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أُرسل على أيوب رِجْلٌ(٦) من جراد من ذهب ، فجعلَ يقبضُها في ثوبه ، فقيل : يا أيُّوب ! ألم يَكْفِكَ ما أعطيناكَ ؟ قال : أي ربِّ ! ومن يستغني عن فضلكَ . هذا موقوف ، وقد رُوي عن أبي هريرة من وجه آخر مرفوعاً .

وقال الإمام أحمد(٧) : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا معمر ، عن همَّام بن مُنبِّه ، قال : هذا ما حدَّثنا أبو هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما أيوبُ يغتسلُ عُرْياناً خرَّ عليه جرادٌ من ذهب ، فجعل أيوبُ يحثي في ثوبه ، فناداه ربُّه عزَّ وجلَّ : يا أيوبُ ! ألم أكنْ أغنيتُك عما ترى ؟ قال : بلى أي رب ! ولكن لا غنى لي عن بركتِكَ » .

رواه البخاري من حديث عبد الرزاق ، به(٨) .

وقوله ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ [ص : ٤٢] أي : اضرب الأرض برجلك ، فامتثلَ ما أمرَ به ، فأنبعَ الله له عيناً باردة الماء ، وأُمرَ أن يغتسلَ فيها ويشربَ منها ، فأذهبَ الله عنه ما كان يجدُه من الألم والأذى والسَّقم ، والمرض الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً ، وأبدلَه الله بعد ذلك كلِّه صِحَّةً ظاهرة وباطنةً ، وجمالاً تامًّا ،

---

(١) كما في الدر المنثور (٧/١٩٣) .
(٢) كما في الدر المنثور (٧/١٩٣) .
(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢/٥١١) وهو عند الطيالسي في مسنده (ص٣٢٢) .
(٤) الإحسان (٦٢٣٠) .
(٥) في المسند (٢/٢٤٣) .
(٦) الرِّجل : الطائفة العظيمة .
(٧) في المسند (٢/٣١٤) .
(٨) أخرجه البخاري (٣٣٩١) في الأنبياء .

ومالاً كثيراً ، حتى صبَّ له من المال صبًّا ، مطراً عظيماً جراداً من ذهب ، وأخلفَ الله له أهلَه ، كما قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ فقيل : أحياهم الله بأعيانهم ، وقيل : آجرَه فيمن سلفَ وعوَّضه عنهم في الدنيا بدلهم وجمع له شمله بكُلِّهم في الدار الآخرة . وقوله : ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ أي : رفعنا عنه شدَّته ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ رحمةً منا ، ورأفةً وإحساناً ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٤] أي : تذكرةً لمن ابتُلي ببلاءٍ في جسدِه أو مالِه أو ولدِه ، فله أسوةٌ بنبيِّ الله أيوب حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبرَ واحتسبَ حتَّى فرَّجَ الله عنه .

ومنْ فهمَ من هذا اسمَ امرأته ، فقال : هي رحمة ، من هذه الآية ، فقد أبعدَ النُّجعة وأغرقَ النَّزْعَ . وقال الضَّحَّاك ، عن ابن عباس : ردَّ الله إليها شبابَها وزادَها ، حتى ولدتْ له ستةً وعشرين ولداً ذكراً .

وعاش أيوب بعد ذلك سبعينَ سنة بأرض الروم ، على دين الحنيفية ، ثم غيَّروا بعدَه دين إبراهيم .

وقوله : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السلام فيما كان من حَلْفه ليضربنَّ امرأته مئة سوطٍ . فقيل : حَلْفُه ذلك لبيعها ضفائرَها . وقيل : لأنه اعترضها الشيطانُ في صورة طبيبٍ يصفُ لها دواءً لأيوب ، فانتبه فأخبرتْه ، فعرفَ أنه الشيطان ، فحلفَ ليضربنها مئة سوط . فلما عافاه الله عزَّ وجلَّ أفتاه أن يأخذَ ضغثاً ـ وهو كالعثكال ـ الذي يجمع الشماريخَ ، فيجمعها كلَّها ويضربها به ضربةً واحدةً ، ويكون هذا مُنزَّلاً منزلةَ الضرب بمئة سوْطٍ ويبرّ ولا يحنث .

وهذا من الفَرَج والمَخْرج لمن اتَّقى اللهَ وأطاعَه ، ولاسيما في حقِّ امرأتِه الصابرةِ المُحتسبةِ المكابدةِ الصِّدِّيقةِ البَارَّة رضي الله عنها .

ولهذا عقَّبَ الله هذه الرخصة ، وعلَّلها بقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ وقد استعملَ كثيرٌ من الفقهاء هذه الرخصة في باب الأيمان والنذور ، وتوسَّع آخرون فيها حتى وضعوا كتابَ الحيل في الخَلاص من الأيمان ، وصدَّروه بهذه الآية الكريمة ، وأتَوْا فيه بأشياء من العجائب والغرائب . وسنذكرُ طرفاً من ذلك في كتاب « الأحكام »[1] عند الوصول إليه إن شاء الله تعالى .

وقد ذكرَ ابنُ جرير[2] وغيرُه من علماء التاريخ : أنَّ أيوبَ عليه السلام لما تُوفي كان عمره ثلاثاً وتسعين سنة . وقيل : إنه عاشَ أكثرَ من ذلك . وقد روى ليثٌ عن مجاهد ما معناه : أنَّ الله يحتجُّ يومَ القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء ، وبيوسف عليه السلام على الأرقاء ، وبأيوب عليه السلام على أهلِ البلاء .

---

(١) كتاب « الأحكام » من الكتب التي بدأها ولم يتمَّها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .
(٢) ذكره ابن جرير في التاريخ (١/ ٣٢٤) .

رواه ابن عساكر[١] بمعناه .

وأنَّه أوصى إلى ولده « حومل »[٢] وقام بالأمر بعده ولده « بشر » بن أيوب ، وهو الذي يزعمُ كثير من الناس أنه ذو الكفل ، فالله أعلم . وماتَ ابنُه هذا وكان نبياً فيما يزعمون ، وكان عمرُه من السنين خمساً وسبعين ، ولنذكر هاهنا قصَّة ذي الكِفْل ، إذ قال بعضهم : إنه ابن أيوب عليهما السلام .

***

وهذه قصة ذي الكفل الذي زعم قومٌ أنَّه ابن أيُّوب

قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ ـ ٨٦] وقال تعالى بعد قصة أيوب أيضاً في سورة ص : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ ـ ٤٨] فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء ، أنه نبيٌّ عليه من ربِّه الصلاة والسلام ، وهذا هو المشهور .

وقد زعمَ آخرون أنَّه لم يكن نبيًّاوإنما كان رجلاً صالحاً وحكماً مُقْسطاً عادلاً . وتوقَّفَ ابنُ جرير في ذلك ، فالله أعلم .

وروى ابن جُريج[٣] وابن أبي نَجيح : عن مجاهد : أنه لم يكن نبيّاً وإنما كان رجلاً صالحاً ، وكان قد تكفَّلَ لبني قومه أن يكفيَه أمرَهم ويقضي بينهم بالعدل ، فسُمِّي ذا الكفل[٤] .

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم : من طريق داود بن أبي هند : أنه قال : لما كبر اليسع قال : لو أني استخلفتُ رجلاً على النَّاس يعملُ عليهم في حياتي ، حتى أنظرَ كيف يعملُ ، فجمعَ النَّاسَ ، فقال : منْ يتقبَّلْ لي بثلاث أستخلفْه ؟ يصومُ النهارَ ، ويقومُ اللَّيلَ ، ولا يغضب . قال : فقام رجل تزدريه العين ، فقال : أنا . فقال : أنتَ تصومُ النَّهارَ ، وتقومُ الليل ، ولا تغضب ؟ قال : نعم . قال : فردَّهم ذلك اليوم ، وقال مثلها اليوم الآخر ، فسكتَ النَّاس ، وقام ذلك الرجل ، فقال : أنا . فاستخلفَه . قال :

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٠/ ٨٢) .

(٢) انظر تاريخ الطبري (١/ ٣٢٥) .

(٣) في المطبوع : ابن جرير .

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٧١) .

فجعلَ إبليسُ يقولُ للشياطين : عليكم بفلان . فأعياهم ذلك ، فقال : دعوني وإيَّاه ، فأتاه في صورة شيخ كبير فقير ، وأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة ، وكان لا ينامُ اللَّيلَ والنَّهارَ إلا تلك النومة ، فدقَّ البابَ ، فقال : من هذا ؟ قال : شيخ كبير مظلوم . قال : فقامَ ففتحَ البابَ ، فجعلَ يقصُّ عليه . فقال : إن بيني وبين قومي خصومةً ، وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا ، حتى حضرَ الرَّواح وذهبتِ القائلة ، وقال : إذا رحتُ فأْتني آخذ لك بحقِّك ، فانطلقَ وراح ، فكان في مجلسه فجعلَ ينظرُ هل يرى الشيخ فلم يره ، فقامَ يتبعُه فلما كان الغد جعلَ يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه . فلما رجعَ إلى القائلة فأخذَ مضجعَه ، أتاه فدقَّ البابَ ، فقال : من هذا ؟ فقال : الشيخ الكبير المظلوم . ففتحَ له ، فقال : ألم أقل لك إذا قعدتُ فأْتني ؟ فقال : إنهم أخبثُ قوم ، إذا عرفوا أنَّك قاعدٌ قالوا : نحن نُعطيك حقَّكَ ، وإذا نمتَ جَحدوني . قال : فانطلقْ ، فإذا رحت فأْتني . قال : ففاتته القائلةُ فراحَ ، فجعلَ ينتظر فلا يراه ، وشقَّ عليه النُّعاسُ ، فقال لبعض أهله : لا تدعُنَّ أحداً يقربُ هذا الباب حتى أنام ، فإني قد شقَّ علي النوم . فلما كان تلك الساعة جاء ، فقال له الرجل : وراءَك وراءَك . قال : إني قد أتيتُه أمس فذكرتُ له أمري . فقال : لا والله لقد أمرنا ألا ندعَ أحداً يقربه ، فلما أعياه نظر فرأى كوَّةً في البيت ، فتسوَّر منها ، فإذا هو في البيت ، وإذا هو يدقُّ البابَ من داخل . قال : فاستيقظَ الرجل ، فقال : يا فلان ألم آمرك ؟ قال : أما من قبلي والله فلم تُؤْت فانظرْ من أين أُتيت . قال : فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقَه ، وإذا الرجل معه في البيت فعرَفه ، فقال : أعدوَّ الله ؟ قال : نعم ، أعييتني في كلِّ شيءٍ ، ففعلتُ ما ترى لأغضبنَّك ، فسمَّاه الله ذا الكفل لأنه تكفَّل بأمر فوفَّى به(١) .

وقد روى ابن أبي حاتم(٢) أيضاً عن ابن عبَّاس قريباً من هذا السياق .

وهكذا روي عن عبد الله بن الحارث ، ومحمد بن قيس ، وابن حجيرة الأكبر وغيرهم من السلف نحوُ هذا .

وقال ابن أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا أبو الجماهر ، أنبأنا سعيد بن بشير ، حدَّثنا قتادة ، سمعت الأشعري ـ يعني أبا موسى رضي الله عنه وهو على هذا المنبر ـ يقول : ما كان ذو الكفل نبيّاً ، ولكن كان رجلاً صالحاً ، يُصلِّي كلَّ يوم مئة صلاة ، فتكفَّل له ذو الكفل من بعده ، يُصلِّي كلَّ يوم مئة صلاة فسُمِّي ذا الكفل(٣) .

ورواه ابن جرير من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال أبو موسى الأشعري : فذكره منقطعاً .

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٧١) وابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٥/ ٦٦١) .
(٢) كما في الدر المنثور (٥/ ٦٦٢ ـ ٦٦٣) .
(٣) المصدر السابق (٥/ ٦٦٤) .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد[١] : حدَّثنا أسباط بن محمد ، حدَّثنا الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعد مولى طلحة ، عن ابن عمر ، قال : سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً لو لم أسمعْه إلا مرَّةً أو مرتين ، حتى عدَّ سبع مرار ، ولكن قد سمعتهُ أكثرَ من ذلك قال : « كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورَّع من ذنب عملَه ، فأتته امرأةٌ فأعطاها ستينَ ديناراً على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعدَ الرجل من امرأته أُرعدتْ وبكت ، فقال لها : ما يُبكيك أكرهتُك ؟ قالت : لا ، ولكن هذا عملٌ لم أعملْه قطُّ ، وإنما حملتني عليه الحاجةُ . قال : فتفعلينَ هذا ولم تفعليه قطّ . ثم نزل ، فقال : اذهبي بالدنانير لكِ . ثم قال : والله لا يَعصي الله الكِفْلُ أبداً ، فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه : قد غفر الله للكفل »[٢] .

ورواه الترمذي[٣] من حديث الأعمش به وقال حسن ، وذَكَرَ أن بعضَهم رواه فوقفه على ابن عمر ، فهو حديثٌ غريب جداً . وفي إسناده نظر ، فإن سعداً هذا قال أبو حاتم : لا أعرفه إلا بحديث واحد ، ووثَّقه ابنُ حبَّان ، ولم يروه عنه سوى عبد الله بن عبد الله الرازي هذا ، والله أعلم .

[وإن كان محفوظاً فليس هو ذا الكفل ، وإنما لفظ الحديث : الكفل ، من غير إضافة ، فهو رجلٌ آخر غير المذكور في القرآن ، فالله أعلم][٤] .

***

باب ذكر أممٍ أُهلكوا بعامّة

وذلك قبل نزول التوارة بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [القصص : ٤٣] الآية . كما رواه ابن جرير[٥] وابن أبي حاتم[٦] والبزار[٧] : من حديث عوف الأعْرابي ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : ما أهلكَ الله قوماً بعذابٍ من السَّماء أو من

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٧٢) .
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٣) رقم (٤٧٤٧) .
(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٩٨) في صفة القيامة .
(٤) ما بين الحاصرتين سقط من المطبوع وأثبته من أ وب .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٧٦) .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٦/ ٤١٧) .
(٧) أخرجه البزار (٢٢٤٧ و٢٢٤٨) وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٨٨) رواه البزار موقوفاً ومرفوعاً ، ورجالهما رجال الصحيح .

الأرضِ بعدما أُنزلت التوارة على وجه الأرض ، غير القرية التي مُسِخوا قردةً ، ألم ترَ أنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [القصص : ٤٣] .

ورفعه البزار في رواية له ، والأشبه والله أعلم وقفه ، فدلَّ على أن كل أمة أُهلكت بعامة قبل موسى عليه السلام ، فمنهم :

أصحاب الرس :

قال الله تعالى في سورة الفرقان : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٨ ـ ٣٩] . وقال تعالى في سورة قٓ : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق : ١٢ ـ ١٤] وهذا السياق والذي قبلَه يدلُّ على أنهم أُهلكوا ودُمِّروا وتُبِّرُوا ، وهو الهلاك .

وهذا يردُّ اختيارَ ابن جرير[١] من أنهم أصحاب الأخدود الذين ذُكروا في سورة البروج ، لأنَّ أولئك عند ابن إسحاق وجماعة كانوا بعدَ المسيح عليه السلام ، وفيه نظر أيضاً .

وروى ابن جريج قال : قال ابن عباس : أصحابُ الرَّسِّ أهلُ قريةٍ من قُرى ثمود[٢] .

وقد ذكرَ الحافظُ الكبير أبو القاسم بن عساكر في أول تاريخه عند ذكر بناء دمشق[٣] ، عن تاريخ أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة وغيره ؛ أنَّ أصحابَ الرَّسِّ كانوا بحَضُور[٤] ، فبعثَ الله إليهم نبيًّا يُقال له : حنظلة بن صفوان ، فكذَّبوه وقتلوه ، فسارَ عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده من الرسِّ ، فنزلَ الأحقاف ، وأهلكَ الله أصحابَ الرَّسِّ ، وانتشروا إلى اليمن كلها ، وفشوا مع ذلك في الأرض كلِّها ، حتى نزل جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح دمشق ، وبنى مدينتها وسمَّاها جيرون ، وهي إرم ذات العماد ، وليس أعمدة الحجارة في موضعٍ أكثر منها بدمشق ، فبعثَ الله هودَ بن عبد الله بن رَباح بن خالد بن الخلود بن عاد إلى عاد ، يعني أولاد عاد بالأحقاف ، فكذَّبوه ، وأهلكهم الله عزَّ وجلَّ ، فهذا يقتضي أنَّ أصحابَ الرسِّ قبلَ عادٍ بدهور متطاولة ، فالله أعلم .

وروى ابن أبي حاتم : عن أبي بكر بن أبي عاصم ، عن أبيه ، عن شَبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الرَّسُّ بئر بأذربيجان .

---

(١) ذكره ابن جرير في التفسير (١١/٤١٢) .
(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٣٩٠) . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٥٦) .
(٣) تاريخ دمشق (١/ ١٢) .
(٤) بلدة باليمن من أعمال زَبيد قيدها ياقوت في معجم البلدان وابن عبد الحق في مراصد الاطلاع، قال: بالفتح ثم الضم وسكون الواو وراء .

وقال الثوري : عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : الرَّسُّ بئر رسُّوا فيها نبيّهم ، أي : دفنوه فيها .

وقال ابن جُرَيْج : قال عكرمة : أصحابُ الرَّسِّ بفَلَج ، وهم أصحاب يسٓ .

وقال قتادة : فَلج : من قرى اليمامة .

قلت : فإن كانوا أصحاب يسٓ كما زعمَه عكرمة ، فقد أُهلكوا بعامَّة ، قال الله تعالى في قصتهم : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [يس : ٢٩] وستأتي قصَّتُهم بعد هؤلاء ، وإن كانوا غيرَهم ـ وهو الظاهر ـ فقد أُهلكوا أيضاً وتُـبِّروا . وعلى كلِّ تقديرٍ فيُنافي ما ذكرَه ابن جرير .

وقد ذكرَ أبو بكر محمد بن الحسن النَّقَّاش : أنَّ أصحابَ الرَّسِّ كانت لهم بئر ترويهم ، وتكفي أرضَهم جميعها ، وكان لهم مَلِكٌ عادلٌ حَسَنُ السِّيرة ، فلما ماتَ وجدوا عليه وَجْداً عظيماً ، فلما كان بعد أيام تصوَّر لهم الشيطان في صورته ، وقال : إني لم أمتْ ، ولكنْ تغيَّبتُ عنكم حتى أرى صنيعَكم ، ففرحوا أشدَّ الفَرح ، وأمر بضربِ حجابٍ بينهم وبينَه ، وأخبرَهم أنَّه لا يموتُ أبداً ، فصدَّق به أكثرُهم ، وافتتنوابه وعبدوه ، فبعثَ الله فيهم نبيًّا وأخبرَهم أنَّ هذا شيطانٌ يُخاطبهم من وراء الحجاب ، ونهاهم عن عبادِته وأمرهم بعبادة الله وحدَه لا شريك له .

قال السهيلي : وكان يُوحى إليه في النوم ، وكان اسمه حنظلة بن صفوان ، فعدوا عليه فقتلُوه وألقوه في البئر ، فغارَ ماؤُها ، وعطشوا بعد ريِّهم ، ويَبِسَتْ أشجارُهم ، وانقطعتْ ثمارُهم ، وخربت ديارُهم ، وتبدّلوا بعد الأنس بالوحشة ، وبعد الاجتماع بالفرقة ، وهلكوا عن آخرهم وسكنَ في مساكنهم الجنُّ والوحوش ، فلا يُسمع ببقاعهم إلا عزيف الجنِّ وزئير الأسود ، وصوتُ الضِّباع .

فأما ما رواه ـ أعني ابن جرير ـ عن محمد بن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أوَّل الناس يدخل الجنَّة يوم القيامة العبدُ الأسود » . وذلكَ أنَّ الله تعالى بعثَ نبيّاً إلى أهل قرية ، فلم يؤمنْ به من أهلها إلا ذلك الأسود .

ثم إنَّ أهلَ القرية عَدَوْا على النبيِّ فحفروا له بئراً فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجر أصمّ . قال : فكان ذلك العبدُ يذهبُ فيحتطبُ على ظهره ، ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشتري به طعاماً وشراباً ، ثم يأتي به إلى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة ، ويُعينه الله عليها ، ويُدلِّي إليه طعامه وشرابه ، ثم يردُّها كما كانت . قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون .

ثم إنه ذهبَ يوماً يحتطبُ كما كان يصنعُ ، فجمعَ حطبَه ، وحزمَ حِزْمته ، وفرغَ منها ، فلما أراد أن يحملها وجد سنةً ، فاضطجعَ ينامُ ، فضربَ الله على أذنه سبعَ سنين نائماً ، ثمّ إنَّه هبَّ فتمطَّى ، وتحوَّل لشقِّه الآخر ، فاضطجعَ فضربَ الله على أذنه سبعَ سنين أخرى ، ثم إنَّه هبَّ واحتملَ حزمته ولا يحسبُ أنه نام إلا ساعة من نهار ، فجاء إلى القرية فباعَ حزمته ، ثم اشترى طعاماً وشراباً كما كان يصنع . ثم إنه ذهبَ

إلى الحفرة ، إلى موضعها الذي كانت فيه ، فالتمسَه فلم يجدْه ، وقد كان بدا لقومه فيه بِدَاءً ، فاستخرجُوه وآمنوا به وصدَّقوه . قال : فكان نبيُّهم يسألُهم عن ذلك الأسود ما فعل ؟ فيقولون له : ما ندري حتّى قبضَ الله النبيَّ عليه السلام ، وأهبَّ الأسودُ من نومه بعد ذلك . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ ذلك الأسود لأوَّل من يدخل الجنَّة »[1] ، فإنَّه حديثٌ مرسلٌ ، ومثله فيه نظر . ولعلَّ بَسْطَ قِصَّته من كلام محمد بن كعب القرظي ، والله أعلم .

ثم قد ردَّه ابن جرير[2] نفسه ، وقال : لا يجوز أن يُحملَ هؤلاء على أنهم أصحابُ الرسِّ المذكورون في القرآن . قال : لأن الله أخبرَ عن أصحاب الرَّسِّ أنه أهلكهم ، وهؤلاء قد بدا لهم فآمنوا بنبيِّهم ، اللَّهُمَّ إلا أن يكونَ حدثت لهم أحداثٌ آمنوا بالنبيِّ بعد هلاك آبائهم ، والله أعلم .

ثم اختارَ أنَّهم أصحابُ الأخدود[3] ، وهو ضعيفٌ لما تقدم ، ولما ذُكرَ في قصَّة أصحاب الأخدود حيث تُوعِّدوا بالعذاب في الآخرة إن لم يتوبوا ، ولم يذكرْ هلاكَهم ، وقد صرَّح بهلاك أصحاب الرَّسِّ ، والله أعلم .

* * *

ومنهم أصحابُ القرية أصحاب يسٓ

قال الله تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس : ١٣ ـ ٢٩] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي (٩/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٩/ ٣٩١) .

(٣) المصدر السابق (٩/ ٣٩١) .

اشتُهر عن كثير من السلف والخلف ؛ أنَّ هذه القرية « أنطاكية » رواه ابن إسحاق[(١)] ، فيما بلغَه عن ابن عبَّاس ، وكعب الأحبار ، وَوَهْبِ بن مُنَبِّه ، وكذا رُوي عن بُريدة بن الحصيب ، وعكرمة ، وقتادة ، والزُّهْري وغيرهم ، قال ابن إسحاق ، فيما بلغه عن ابن عبَّاس وكعب ووهْب أنهم قالوا : وكان لها مَلِكٌ اسمُه « أنطيخس »[(٢)] بن أنطيخس ، وكان يعبدُ الأصنامَ ، فبعثَ الله إليه ثلاثاً من الرسل ، وهم : صادق ، وصدوق ، وشلوم ، فكذَّبهم .

وهذا ظاهرٌ أنهم رسلٌ من الله عزَّ وجلَّ ، وزعمَ قتادة[(٣)] أنهم كانوا رسلاً من المسيح .

وكذا قال ابن جرير[(٤)] : عن وهب ، عن ابن سليمان ، عن شعيب الجُبَّائي : كان اسم المرسلين الأوَّليين : شمعون ، و يوحنا ، واسم الثالث بولص ، والقرية أنطاكية .

وهذا القول ضعيفٌ جداً ؛ لأن أهل « أنطاكية » لما بعثَ إليهم المسيحُ ثلاثةً من الحواريِّينَ كانوا أوَّلَ مدينة آمنت بالمسيح في ذلك الوقت ، ولهذا كانت إحدى المدن الأربع التي تكون فيها بتاركةُ النَّصارى وهن : أنطاكية ، والقدس ، وإسكندرية ، ورومية . ثم بعدها إلى القسطنطينية ، ولم يهلكوا ، وأهل هذه القرية المذكورة في القرآن أُهلكوا كما قال في آخر قصتها بعد قتلهم صديق المرسلين ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴾ [يس : ٢٩] لكنْ إن كانت الرسلُ الثلاثة المذكورون في القرآن بُعثوا إلى أهل أنطاكية قديماً فكذَّبوهم وأهلكهم الله ، ثم عمُرتْ بعد ذلك ؛ فلما كان في زمن المسيح آمنوا برسله إليهم ، فلا يمنع هذا ، والله أعلم .

فأما القولُ بأن هذه القصَّة المذكورة في القرآن هي قصَّةُ أصحاب المسيح ، فضعيف لما تقدَّم ، ولأن ظاهر سياق القرآن يقتضي أن هؤلاء الرسل من عند الله .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ﴾ يعني لقومك يا محمد ﴿ أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ يعني المدينة ﴿ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ أي : أيدناهما بثالث في الرسالة ﴿ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ فردُّوا عليهم بأنَّهم بشرٌ مثلُهم كما قالت الأمم الكافرة لرسلهم يستبعدونَ أنْ يبعثَ الله نبيًّا بشريًّا ، فأجابوهم بأن الله يعلمُ أنَّا رسلُه إليكم ، ولو كنَّا كذَّبنا عليه لعاقبَنا وانتقم منَّا أشدَّ الانتقام ﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي : إنما علينا أن نُبلِّغكم ما أرسلنا به إليكم ، والله هو الذي يَهدي منْ يشاءُ ويُضلُّ منْ يشاء ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ أي : تشاءمنا بما جئتمونا به ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ قيل :

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠/ ٤٣١) والتاريخ (٢/ ١٨) .

(٢) في تفسير الطبري : أبطيحس بن أبطيحس ، وفي التاريخ (٢/ ١٨) كما في أصولنا .

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠/ ٤٣١) .

(٤) لم أجده في التاريخ والتفسير ؛ لابن جرير ، وإنما هو لابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٧/ ٥٠) .

بالمقال ، وقيل : بالفعال ، ويُؤيِّد الأوّلَ قوله : ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فوعدُوهم بالقتل والإهانة . ﴿ قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ أي : مردودٌ عليكم ﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾ أي : بسبب أنّا ذكّرناكم بالهدى ، ودعوناكم إليه توعّدْتُمونا بالقتل والإهانة ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أي : لا تقبلون الحق ولا تريدونه .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ يعني لنصرة الرُّسل وإظهار الإيمان بهم ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ أي : يدعونكم إلى الحقِّ المَحْضِ بلا أجرة ولا جُعالة ، ثم دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريكَ له ، ونهاهم عن عبادة ما سواه مما لا ينفعُ شيئاً ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي : إن تركتُ عبادة الله وعبدتُ معه ما سواه . ثم قال مخاطباً للرسل : ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ قيل : فاسمعوا مَقالتي واشهدوا لي بها عندَ ربِّكم . . وقيل : معناه : فاسمعوا يا قومي إيماني برسُل الله جهرةً . فعند ذلك قتلوه ، قيل : رجماً ، وقيل : عضّاً . وقيل : وثبوا إليه وثبةَ رجُلٍ واحدٍ فقتلُوه . وحكى ابن إسحاق : عن بعض أصحابه ، عن ابن مسعود ، قال : وَطِئوه بأرجلهم حتّى أخرجوا قُصْبَه[١] .

وقد روى الثوري[٢] : عن عاصم الأحول ، عن أبي مَجْلز ، كان اسمُ هذا الرجل حبيب بن مُرِّي . ثم قيل : كان نجّاراً . وقيل : حبّالاً . وقيل : إسكافاً . وقيل : قصّاراً . وقيل : كان يتعبَّدُ في غار هناك ، فالله أعلم .

وعن ابن عبّاس[٣] : كان حبيبُ النّجّارُ قد أسرعَ فيه الجُذام ، و كان كثيرَ الصَّدقة ، قتلَه قومه . ولهذا قال تعالى : ﴿ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ يعني لما قتله قومُه أدخلَه الله الجنّة ، فلما رأى فيها من النُّضرة والسرور ﴿ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ يعني ليؤمنوا بما آمنتُ به ، فيحصل لهم ما حصلَ لي .

قال ابن عباس : نصحَ قومه في حياته ﴿ يا قومِ اتَّبعوا المرسلين ﴾ وبعد مماته (يا ليتَ قومي يعلمون بما غفرَ لي ربي وجعلني من المكرمين) رواه ابن أبي حاتم[٤] .

وكذلك قال قتادة[٥] : لا يُلقى المؤمنُ إلا ناصحاً ، لا يُلقى غاشّاً لما عاين من كرامة الله . ﴿ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ تمنّى والله أن يعلمَ قومه بما عاينَ من كرامة الله ، وما هو عليه . قال قتادة : فلا وا لله ما عاتبَ الله قومَه بعد قتله ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴾ وقوله

---

(١) « أخرجوا قصْبَه » : أمعاءَه . وانظر تفسير الطبري (١٠/٤٣٦) .
(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠/٤٣٣) .
(٣) المصدر السابق (١٠/٤٣٣ـ٤٣٤) .
(٤) كما في الدر المنثور (٧/٥١) .
(٥) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠/٤٣٦) .

تعالى : ﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ أي : ما احتجنا في الانتقام منهم إلى إنزال جُنْدٍ من السماء عليهم ، هذا معنى ما رواه ابن إسحاق[1] : عن بعض أصحابه ، عن ابن مسعود .

وقال مجاهد وقتادة : وما أنزلَ عليهم جُنْداً ، أي : رسالةً أخرى . قال ابن جرير[2] : والأوَّلُ أولى . قلت : وأقوى . ولهذا قال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ أي : وما كنا نحتاجُ في الانتقام إلى هذا حين كذَّبوا رسلنا ، وقتلوا وَليَّنا ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ .

قال المفسرون : بعثَ الله إليهم جبريلَ عليه السلام ، فأخذَ بعضادتي الباب الذي لبلدهم ، ثم صاحَ بهم صيحةً واحدةً فإذا هم خامدون ، أي : قد أُخمدتْ أصواتُهم ، وسكنتْ حركاتُهم ، ولم يبق منهم عينٌ تَطْرُفُ .

وهذا كلُّه مما يدلُّ على أن هذه القرية ليست أنطاكية ، لأن هؤلاء أُهلكوا بتكذيبهم رسلَ الله إليهم ، وأهل أنطاكية آمنوا واتَّبعوا رسلَ المسيح من الحواريِّين إليهم ، فلهذا قيل : إن أنطاكية أوَّلُ مدينة آمنتْ بالمسيح .

فأما الحديث الذي رواه الطبراني : من حديث حسين الأشقر ، عن سُفيان بن عُيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مُجاهد ، عن ابن عبَّاس ، عن النبي ﷺ قال : « السَّبْقُ ثلاثة : فالسابق إلى موسى يُوشع بن نون ، والسابقُ إلى عيسى صاحب يسٓ ، والسابق إلى محمد عليٌّ بن أبي طالب »[3] فإنه حديث لا يثبتُ ، لأن حُسيناً هذا متروك وشيعيٌّ من الغلاة ، وتفرده بهذا مما يدلُّ على ضعفه بالكليَّة ، والله أعلم .

***

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠/ ٤٣٧) .
(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري (١٠/ ٤٣٧) .
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ١١١٥٢) .

قصة يونس
عليه السلام

قال الله تعالى في سورة يونس : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] وقال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨] وقال تعالى في سورة الصافات : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات : ١٣٩ ـ ١٤٨] . وقال تعالى في سورة نون : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القلم : ٤٨ ـ ٥٠] .

قال علماءُ التفسير : بعثَ الله يونسَ عليه السلام إلى أهل « نينوى » من أرض المَوْصل ، فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، فكذَّبوه وتمرَّدوا على كفرهم وعنادهم ، فلما طال ذلك عليه من أمرهم ، خرج من بين أظهرِهم ، ووعدَهم حلولَ العذاب بهم بعد ثلاث .

قال ابن مسعود ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وغير واحد من السلف والخلف : فلما خرجَ من بين ظهرانيهم وتحقَّقوا نزولَ العذاب بهم قذفَ الله في قلوبهم التوبة والإنابة ، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم ، فلبسوا المسوحَ ، وفرَّقوا بين كلِّ بهيمةٍ وولدها ، ثم عجُّوا[١] إلى الله عزَّ وجلَّ ، وصرَخوا وتضرَّعوا إليه ، وتمسكنوا لديه ، وبكى الرجالُ والنساء والبنون والبنات والأمهات ، وجأرت الأنعام والدوابُّ والمواشي ، فرغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وحملانها ، وكانت ساعة عظيمة هائلة .

فكشفَ الله العظيمُ بحوله وقوَّته ورأفتِه ورحمتِه عنهم العذابَ الذي كان قد اتَّصلَ بهم بسببه ، و دار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾ [يونس : ٩٨] أي : هلا وجدت فيما سلف من القرون قريةٌ آمنت بكمالها ، فدلَّ على أنه لم يقع ذلك ، بل كما قال

---

(١) عجُّوا بالدعاء : تضرَّعوا ورفعوا أصواتهم به .

تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سبأ : ٣٤] . وقوله : ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] أي آمنوا بكمالهم .

وقد اختلفَ المفسرون هل ينفعُهم هذا الإيمان في الدار الآخرة ، فينُقذهم من العذاب الأخروي كما أنقذَهم من العذاب الدنيوي ؟ على قولين : الأظهرُ من السياق نعم والله أعلم ، كما قال تعالى : ﴿ لَمَّآ ءَامَنُواْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات : ١٤٧ ـ ١٤٨] وهذا المتاعُ إلى حين ، لا ينفي أن يكونَ معه غيرُه من رفع العذاب الأخرويّ ، والله أعلم .

وقد كانوا مئة ألف لا محالة ، واختلفوا في الزيادة ، فعن مكحول[١] عشرة آلاف .

وروى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم : من حديث زهير ، عمن سمع أبا العالية ، حدَّثني أبيّ بن كعب : أنه سألَ رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٧] قال : « يزيدون عشرين ألفاً »[٢] . فلولا هذا الرجل المبهم لكان هذا الحديث فاصلاً في هذا الباب .

وعن ابن عباس : كانوا مئة ألف وثلاثين ألفاً . وعنه : وبضعة وثلاثين ألفاً . وعنه : وبضعة وأربعين ألفاً . وقال سعيد بن جبير : كانوا مئة ألف وسبعين ألفاً[٣] .

واختلفوا هل كان إرساله إليهم قبل الحوت أو بعده ، أو هما أُمَّتان ؟ على ثلاثة أقوال ، هي مبسوطة في التفسير[٤] .

والمقصودُ أنَّه عليه السلام لما ذهبَ مُغاضباً بسبب قومِه ، ركبَ سفينةً في البحر فلجَّت[٥] بهم واضطربتْ وماجتْ بهم وثَقُلتْ بما فيها ، وكادُوا يغرقونَ على ما ذكره المفسرون . قالوا : فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخفَّفوا[٦] منه . فلما أقرعوا[٧] وقعت القرعة على نبيِّ الله يونس ، فلم يسمحوا به ، فأعادوها ثانيةً فوقعت عليه أيضاً ، فشمَّر[٨] ليخلعَ ثيابه ويُلقي بنفسه فأبوا عليه ذلك .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٢) .
(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٢٩) في التفسير ، وابن جرير في التفسير (١٠/ ٥٣٢) .
(٣) انظر أقوال ابن عباس وسعيد بن جُبير في تفسير الطبري (١٠/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠) .
(٤) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨) .
(٥) فلجَّتْ : خاضت اللجة ، ووصلت إلى الأعماق .
(٦) في المطبوع : ليتحفظوا ، وهو تحريف .
(٧) في المطبوع : فاقترعوا .
(٨) في بعض النسخ : فتشمَّر .

ثم أعادوا القرعةَ ثالثةً فوقعتْ عليه أيضاً ، لما يُريده الله به من الأمر العظيم ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات : ١٣٩ ـ ١٤٢] . وذلك أنه لما وقعتْ عليه القُرْعة أُلقيَ في البحر ، وبعثَ الله عزَّ وجلَّ حوتاً عظيماً من البحر الأخضر فالتقمَه ، وأمره الله تعالى ألاّ يأكلَ له لحماً ولا يهشمَ له عظماً ، فليس لك برزقٍ ، فأخذه فطافَ به البحار كلَّها . وقيل : إنه ابتلعَ ذلك الحوتَ حوتٌ آخرُ أكبر منه .

قالوا : ولما استقرَّ في جَوْفِ الحوت حَسِبَ أنَّه قد ماتَ ، فحرَّك جوارحَه فتحرَّكتْ ، فإذا هو حيٌّ ، فخرَّ لله ساجداً ، وقال : يا ربِّ اتَّخذتُ لك مسجداً [في موضع][1] لم يعبدْكَ أحدٌ في مثله .

وقد اختلفوا في مقدار[2] لُبْثِه في بطنه ، فقال مجالدٌ عن الشعبي : التقمه ضُحىً ولفظه عشيَّةً . وقال قتادة : مكث فيه ثلاثاً . وقال جعفر الصادق : سبعة أيام . ويشهدُ له شعر أُميَّة بن أبي الصلت : [من الطويل]

وأنتَ بفضلٍ منكَ نجّيت يُونُساً   وقدْ باتَ في أضعافِ حُوتٍ لياليا[3]

وقال سعيدُ بن أبي الحسن ، وأبو مالك : مكثَ في جوفه أربعينَ يوماً . والله أعلمُ كم مقدار ما لبثَ فيه .

والمقصود أنَّه لما جعل الحوتُ يطوفُ به في قرار البحار ، ويقتحمُ به لُجج المَوْجِ الأجاجيّ ، فسمعَ تسبيح الحِيتان للرحمن ، وحتى سمعَ تسبيحَ الحصى لفالق الحَبِّ والنَّوى وربِّ السموات السبع والأرضين السبع ، وما بينها وما تحتَ الثرى . فعندَ ذلك وهنالكَ قال ما قال بلسان الحال والمقَال ، كما أخبرَ عنه ذو العِزَّة والجلال ، الذي يعلم السر والنجوى ، ويكشف الضرَّ والبلوى ، سامع الأصوات وإن ضعفتْ ، وعالم الخفيَّات وإن دقَّت ، ومجيب الدعوات وإن عظمت ، حيث قال في كتابه المبين المنزل على رسوله الأمين ، وهو أصدق القائلين وربّ العالمين وإله المرسلين : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ ﴾ إلى أهله ﴿ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨] فظنَّ أن لن نقدر عليه : أن نضيق ، وقيل معناه : نقدر من التقدير ، وهي لغة مشهورة قدر وقدّر ، كما قال الشاعر : [من الطويل]

فلا عائدٌ ذاك الزمانُ الذي مضى   تباركْتَ ، ما يُقدَرْ يكُنْ ، فَلكَ الأمرُ

﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ قال ابن مسعود ، وابن عبَّاس ، وعمرو بن ميمون ، وسعيد بن جُبير ،

---

(١) زيادة من المطبوع والدر المنثور (٧/١٢٧) .
(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (١٠/٥٢٩) والدر المنثور (٧/١٢٧) .
(٣) أضعاف حُوتٍ : جوفه .

ومحمد بن كعب ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل[١] . وقال سالم بن أبي الجعد : ابتلعَ الحوتَ حوتٌ آخر فصارتا : ظلمة الحُوتين مع ظُلْمة البحر[٢] .

قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٣ ـ ١٤٤] قيل : معناه لولا أنه سبَّح اللهَ هنالك وقالَ ما قالَ من التهليل والتسبيح والاعتراف لله بالخضوع والتوبة إليه والرجوع إليه ، للبث هنالك إلى يوم القيامة ، ولبُعثَ من جوف ذلك الحوت . هذا معنى ما رُوي عن سعيد بن جبير[٣] في إحدى الروايتين عنه ، وقيل : معناه ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ ﴾ من قبل أخذ الحوت له ﴿ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ أي : المطيعين المصلِّين الذاكرينَ الله كثيراً ، قاله : الضَّحاكُ بن قيس ، وابن عبَّاس ، وأبو العالية ، ووهْبُ بن مُنبِّه ، وسعيد بن جبير ، والضَّحاك ، والسُّدِّي ، وعطاء بن السَّائب ، والحسن البصري ، وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير[٤] .

ويشهدُ لهذا ما رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن : عن ابن عبَّاس أن رسول الله ﷺ قال لي : « يا غلام إنِّي مُعلِّمكَ كلماتٍ : احفظ الله يحفظْكَ ، احفظِ الله تجدْه تُجاهَكَ ، تعرَّفْ إلى الله في الرَّخاء يعْرفكَ في الشِّدَّة »[٥] .

وروى ابنُ جرير في تفسيره ، والبزَّار في مسنده ، من حديث محمد بن إسحاق ، عمن حدَّثه ، عن عبد الله بن رافع مولى أُمِّ سلمة ، سمعتُ أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « لما أرادَ الله حبسَ يونسَ في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذ ، ولا تخدشْ لحماً ، ولا تكسرْ عظماً . فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمعَ يونسُ حسَّاً ، فقال في نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوتِ : إن هذا تسبيح دوابِّ البحر . قال : فسبَّح وهو في بطن الحوت ، فسمعتِ الملائكةُ تسبيحَه ، فقالوا : يا ربنا إنا نسمع صوتاً بأرض غريبة . قال : ذلك عبدي يُونس عصاني ، فحبستُه في بطن الحوت في البحر . قالوا : العبدُ الصَّالحُ الذي كان يصعدُ إليك منه في كلِّ يوم وليلة عمل صالح ؟ قال : نعم . قال : فشفعوا له عند ذلك ، فأمر الحُوتَ فقذَفه في السَّاحل ، كما قال الله : ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ » .

هذا لفظ ابن جرير[٦] إسناداً ومتناً .

---

(١) انظر تفسير الطبري (٩/ ٧٦ ـ ٧٧) .
(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٧٧) .
(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠/ ٥٢٩) .
(٤) المصدر السابق (١٠/ ٥٢٩) .
(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٠٧) والترمذي (٢٥١٦) في صفة القيامة ، وهو حديث صحيح .
(٦) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٧٧ ـ ٧٨) .

ثم قال البزَّارُ[١] : لا نعلمه يُروى عن النبيِّ إلا بهذا الإسناد ، كذا قال .

وقد قال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدَّثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن أخي ابن وَهْب ، حدَّثنا عمِّي ، حدَّثني أبو صخر ؛ أن يزيدَ الرقاشيّ حدَّثه ، سمعت أنسَ بن مالك ـ ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ـ أن يونسَ النبيَّ عليه السلام حين بدا له أن يدعوَ بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت ، قال : اللهم ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] فأقبلتِ الدعوةُ تحنّ بالعرش ، فقالت الملائكة : يا ربِّ ! صوتٌ ضعيف معروف من بلاد غريبة ، فقال : أما تعرفون ذاك ؟ قالوا : يا ربِّ ومن هو ؟ قال : عبدي يُونس . قالوا : عبدك يونس الذي لم يزلْ ترفع له عملاً متقبلاً ، ودعوة مجابة ، قالوا : يا ربَّنا أو لا ترحم ما كان يصنعُه في الرخاء فتُنجيه من البلاء ؟ قال : بلى فأمرَ الحوتَ فطرحَه في العراء[٢] .

ورواه ابن جرير[٣] : عن يونسَ ، عن ابن وَهْب ، به .

زاد ابن أبي حاتم[٤] : قال أبو صخر حميد بن زياد : فأخبرني ابن قسيط وأنا أحدِّثه هذا الحديث ، أنه سمع أبا هريرة يقول : طُرح بالعراء ، وأنبت الله عليه اليقطينة [قلنا : يا أبا هريرة وما اليقطينةُ ؟][٥] قال شجرة الدُّبَّاء . قال أبو هريرة : وهيَّأ الله له أروية[٦] وحشيَّةً ، تأكلُ من خشَاش الأرض ـ أو قال : هشاش الأرض ـ قال : فتفشخُ[٧] عليه ، فترويه من لبنها كل عشيَّة وبكرة ، حتى نبتَ .

وقال أميَّةُ بن أبي الصَّلْتِ في ذلك بيتاً من شعره : [من الطويل]

فـأنْبَـتَ يقطيناً عليـهِ بـرحمـةٍ مِنَ اللهِ لولا اللهُ أصبحَ ضاويا[٨]

وهذا غريب أيضاً من هذا الوجه ، ويزيد الرَّقاشيّ ضعيف ، ولكنْ يتقوّى بحديث أبي هريرة المتقدّم ، كما يتقوَّى ذاك بهذا ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : ﴿ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ ﴾ أي : ألقيناه (بالعَراء) وهو المكان القَفْر الذي ليس فيه شيءٌ من الأشجار ، بل هو عارٍ منها ﴿ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴾ أي : ضعيف البدن . قال ابن مسعود : كهيئة الفَرْخ ، ليس

---

(١) كما في كشف الأستار (٢٢٥٤) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٨) وقال : رواه البزار عن بعض أصحابه ، ولم يُسمِّه ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٥/٦٦٨) .

(٣) في التفسير (٩/٧٦) .

(٤) أخرجه ابن جرير كما في الدر المنثور (٧/ ١٣٠) .

(٥) ما بين حاصرتين أثبته من ب .

(٦) أروية : في هامش ب . قال الجلال السيوطي في مختصر النهاية : الأروية : هي الأيائل ، وقيل : غنم الجبل .

(٧) فتفشخ : تقف فوقه ، وتباعد بين رجليها .

(٨) في الدر المنثور « ألقى ضاحياً » ومعنى : ضاوياً : هزيلاً .

عليه ريش . وقال ابن عبَّاس[١] والسُّدِّي وابنُ زيد : كهيئة الصَّبيّ حين يُولد وهو المنفوس ليس عليه شيء ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾ . قال ابن مسعود ، وابن عبَّاس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جُبير ، ووهْب بن منبه ، وهلال بن يساف ، وعبد الله بن طاووس ، والسُّدِّي ، وقتادة ، والضَّحَّاك ، وعطاء الخراساني ، وغير واحد : هو القَرْعُ[٢] .

قال بعض العلماء : في إنبات القَرْع عليه حِكم جَمَّة : منها : أن ورقه في غاية النعومة ، وكثير وظليل ، ولا يقربه ذبابٌ ، ويُؤكل ثمرُه من أوَّل طلوعه إلى آخره نِيئاً ومطبوخاً ، وبقشره وببزره أيضاً . وفيه نفع كثير وتقوية للدِّماغ وغير ذلك .

وتقدَّم كلام أبي هريرة في تسخير الله تعالى له تلك الأروية التي كانت تُرضعه لبنها وترعى في البرية وتأتيه بكرةً وعشيَّةً . وهذا من رحمة الله به ونعمته عليه وإحسانه إليه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ ﴾ أي : الكرب والضِّيق الذي كان فيه ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي : وهذا صنيعنا بكل من دعانا واستجارَ بنا .

قال ابن جرير[٣] : حدَّثني عمران بن بكَّار الكُلاعي ، حدَّثنا يحيى بن صالح ، حدَّثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، حدَّثني بشر بن منصور ، عن عليِّ بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعتُ سعدَ بن مالك ، ـ وهو ابن أبي وقَّاص ـ يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « اسم الله الذي إذا دُعي به أجابَ ، وإذا سُئل به أَعطى ؛ دعوةُ يونسَ بن متَّى ، قال : فقلت : يا رسولَ الله ! هي ليونسَ خاصَّة أم لجماعة المسلمين ؟ قال : هي ليونسَ بن متَّى خاصَّة ، وللمؤمنين عامَّة إذا دَعَوْا بها ، ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨] فهو شرطٌ من الله لمن دعاه به » .

وقال ابن أبي حاتم[٤] : حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ ، حدَّثنا أبو خالد الأحمر ، عن كثير بن زيد ، عن المطلب بن حَنْطَب ، قال أبو خالد : أحسبه عن مصعب ، يعني ابن سعد ، عن سعدٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « منْ دَعا بدعاءِ يُونس استجيبَ له » قال أبو سعيد الأشجُّ : يُريد به ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ وهذان طريقان عن سعد . وثالث أحسنُ منهما :

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا إسماعيل بن عمر ، حدَّثنا يونس بن أبي إسحاق الهَمْداني ، حدَّثنا

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٥٢٩) .
(٢) المصدر السابق (١٠/ ٥٣٠) ، والدر المنثور (٧/ ١٣٠) .
(٣) في التفسير (٩/ ٧٨) .
(٤) كما في الدر المنثور (٥/ ١٧) .
(٥) في المسند (١/ ١٧٠) .

إبراهيم بن محمد بن سعد ، حدَّثني والدي محمد ، عن أبيه سعد ـ وهو ابن أبي وقَّاص ـ قال : مررتُ بعثمانَ بن عفَّان في المسجد ، فسلَّمتُ عليه ، فملأ عينيه منِّي ثم لم يردَّ عليّ السلام ، فأتيتُ عمرَ بن الخطَّاب ، فقلت : يا أمير المؤمنين : هل حدثَ في السلام شيءٌ ؟ قال : لا ، وما ذاك ؟ قلت : لا إلا أني مررتُ بعثمان آنفاً في المسجد فسلَّمت عليه ، فملأ عينيْه منِّي ثم لم يردّ عليّ السلام . قال : فأرسلَ عمر إلى عثمان فدعاه ، فقال : ما منعكَ ألا تكونَ رددتَ على أخيك السلام ؟ قال : ما فعلتُ ، قال سعد : قلت : بلى ، حتى حلفَ وحلفتُ ، قال : ثم إنَّ عثمانَ ذكرَ فقال : بلى ، وأستغفرُ الله وأتوبُ إليه . إنك مررتَ بي آنفاً ، وأنا أُحدِّث نفسي بكلمة سمعتُها من رسول الله ﷺ : لا والله ما ذكرتُها قط إلا تغشَّى بصري وقلبي غشاوة . قال سعد : فأنا أُنبئك بها ، إنَّ رسول الله ﷺ ذكرَ لنا أوَّلَ دعوة ، ثم جاء أعرابي فشغلَه حتى قام رسول الله ﷺ فاتَّبعتُه ، فلما أشفقتُ أن يَسبقني إلى منزله ضربتُ بقدمي الأرضَ ، فالتفتَ إليَّ رسول الله ﷺ فقال : « منْ هذا ؟ أبو إسحاق » قال : قلت : نعم يا رسول الله ! قال : « فمه ؟ » قلت : لا والله ، إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ، ثم جاء هذا الأعرابيُّ فشغلكَ ، قال : « نعم دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . فإنه لم يدعُ بها مسلمٌ ربَّه في شيءٍ قطُّ إلا استجابَ له » .

ورواه الترمذي والنسائي من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد به[١] .

***

ذكر
فضل يونس ـ عليه السلام ـ

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٩] وذكرَه تعالى في جملة الأنبياء الكرام في سورتي النساء والأنعام ، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « لا ينبغي لعبدٍ أن يقولَ أنا خير من يُونس بن متَّى » .

ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري به[٣] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٥) في الدعوات ، والنسائي (٦٥٦) في عمل اليوم والليلة ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٥) و(٢/ ٣٨٢) وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٢) في المسند (١/ ٣٩٠) وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٠٤) في التفسير .

وقال البخاري أيضاً[١] : حدَّثنا حفصُ بن عمرَ ، حدَّثنا شعبة ، عن قتادةَ ، عن أبي العالية ، عن ابن عبَّاس ، عن النبي ﷺ قال : « ما ينبغي لعبد أن يقولَ إنِّي خير من يونسَ بن متى » ونسبه إلى أبيه .

ورواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث شعبة به[٢] . قال شعبة فيما حكاه أبو داود عنه : لم يسمع قتادة من أبي العالية سوى أربعة أحاديث هذا أحدُها .

وقد رواه الإمام أحمد[٣] عن عفَّان ، عن حمَّاد بن سلمة ، عن عليِّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « وما ينبغي لعبدٍ أن يقولَ أنا خير من يونسَ بن متَّى » تفرّد به أحمد[٤] .

ورواه الحافظ أبو القاسم الطبراني[٥] : حدَّثنا محمَّد بن الحسن بن كَيْسان ، حدَّثنا عبد الله بن رجاء ، أنبأنا إسرائيل ، عن أبي يحيى القتَّات ، عن مجاهد ، عن ابن عبَّاس أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا ينبغي لأحدٍ أن يقولَ أنا عند الله خيرٌ من يونسَ بن متَّى » .

إسناده جيد ولم يُخرِّجوه[٦] .

وقال البخاري[٧] : حدَّثنا أبو الوليد ، حدَّثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت حُميدَ بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لا ينبغي لعبدٍ أن يقولَ أنا خيرٌ من يونسَ بن متَّى » .

وكذا رواه مسلم من حديث شعبة به[٨] .

وفي البخاري ومسلم[٩] : من حديث عبد الله بن الفضل ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبي هريرة ، في قصة المسلم الذي لطمَ وجهَ اليهوديّ حين قال : لا والذي اصطفى موسى على العالمين . قال البخاري في آخره : « ولا أقول : إن أحداً أفضلُ من يونس بن متَّى » ، وهذا اللفظ يقوّي أحدَ القولين من المعنى : لا ينبغي لأحد أن يقولَ : أنا خيرٌ من يونسَ بن متَّى ، أي : ليس لأحد أن يُفضِّل نفسَه على يونسَ .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٠) في التفسير .
(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٤٢) ومسلم (٢٣٧٧) في الفضائل وأبو داود (٤٦٦٩) في السنة .
(٣) في المسند (١/ ٢٤٢) .
(٤) في إسناده عبد الله بن زيد هو ابن جدعان ، ضعيف الحديث .
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١١١٢٢) .
(٦) أقول : في إسناده أبو يحيى القتات ، لين الحديث ، لكن متنه صحيح كما سيأتي .
(٧) أخرجه البخاري (٤٦٣١) في التفسير .
(٨) أخرجه مسلم (٢٣٧٦) في الفضائل .
(٩) أخرجه البخاري (٣٤١٤) في الأنبياء ، ومسلم (٢٣٧٣) في الفضائل .

والقولُ الآخر : لا ينبغي لأحدٍ أن يُفضِّلني على يونسَ بن متَّى ، كما قد وردَ في بعض الأحاديث : « لا تُفضِّلُوني على الأنبياء ولا على يونسَ بن متَّى » ، وهذا من باب الهضم والتواضع منه صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى سائر أنبياء الله المرسلين .

انتهى الجزء الأول من كتاب البداية والنهاية
ويليه الجزء الثاني وأوله :
ذكر قصة موسى عليه السلام

قصة موسى الكليم

وهو موسى بن عِمْرَان بن يافث[١] بن عازَر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السَّلام .

قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥١ ـ ٥٣] .

وقد ذكره الله تعالى في مواضعَ كثيرةٍ متفرِّقةٍ من القرآن . وذكر قصّته في مواضع متعدّدةٍ مبسوطةٍ مطوّلةٍ وغيرِ مطوّلة ، وقد[٢] تكلّمنا على ذلك كلّه في مواضعه من (التفسير)[٣] ، وسنوردُ سيرته هاهنا من ابتدائها إلى آخرها من الكتاب والسُّنَّة ، وما ورد في الآثار المنقولة من الإسرائيليات التي ذكرها السَّلَف وغيرهم إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التُّكلان[٤] .

قال الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص : ١ ـ ٦] .

يذكر تعالى ملخَّص القصّة ، ثم يبسطها بعد هذا ، فذكر أنّه يتلو على نبيّه خبر موسى وفرعونَ بالحقِّ ، أي : بالصدق الذي كأنَّ سامعه مشاهد للأمر معاين له : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ ، أي : تجبَّر ، وعتا ، وطغى ، وبغى ، وآثر الحياة الدُّنيا ، وأعرض عن طاعة الرَّبِّ الأعلى ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أي قسم رعيته إلى أقسامٍ وفرقٍ وأنواعٍ يستضعف طائفةً منهم ، وهم شعب بني إسرائيل الذين هم من سُلالة نبيٍّ الله يعقوب بن نبي الله إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، وكانوا إذ ذاك خيارَ أهل الأرض . وقد سُلِّطَ عليهم هذا الملكُ الظالم الغاشم الكافر الفاجر ، يستعبدهم ويستخدمهم في أخسِّ الصنائعِ والحِرفِ ، وأرداها وأدناها ، ومع هذا ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وكان الحاملَ له على هذا الصنيعِ القبيحِ أنّ بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما كانوا يأثرونه عن

---

(١) في الأصول : قاهث . والتصويب من : التكملة والإتمام لكتاب التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام . الورقة ٦٨ .

(٢) في ب : أماكن متعددة مبسوطة مطولة ، وقد تكلمنا .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٥٠) .

(٤) قوله : « وبه الثقة وعليه التكلان » ليس في ب .

إبراهيم عليه السَّلام من أنّه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاكُ ملك مِصْرَ على يديه ، وذلك والله أعلم حين كان جرى على سارَة امرأة الخليل من ملك مصر من إرادتِهِ إيّاها على السوء[(١)] ، وعصمةِ الله لها . وكانت هذه البِشارة مشهورةً في بني إسرائيل فتحدَّث بها القبط فيما بينهم ، ووصلت إلى فرعون ، فذكرها له بعض أُمرائه وأَساورته[(٢)] وهم يسمُرون عنده ؛ فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل حذراً من وجود هذا الغلام ، (ولَنْ يُغْني حَذَرٌ مِنْ قَدَر)[(٣)] .

وذكر السُّدِّي[(٤)] ، عن أبي صالح وأبي مالك ، عن ابن عَبَّاس ، وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة أن فرعون رأى في منامه كأنّ ناراً قد أقبلت من نحو بيت المَقْدس فأحرقت دور مصر وجميعَ القبط ، ولم تضرَّ بني إسرائيل ، فلما استيقظ هالَه ذلك ، فجمع الكهنةَ والحَزَأَة[(٥)] والسَّحرة ، وسألهم عن ذلك فقالوا : هذا غلامٌ يولد من هؤلاء يكون سببُ هلاكِ أهل مِصْرَ على يديه ، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وهم بنو إسرائيل ، ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ أي الذين يؤول ملك مِصْرَ وبلادها إليهم ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾ أي : سنجعل الضعيفَ قوياً ، والمقهورَ قاهراً ، والذليلَ عزيزاً ، وقد جرى هذا كلّه لبني إسرائيل كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ . . . ﴾ [الأعراف : ١٣٧] . وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء : ٥٧ ـ ٥٩] ، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله .

---

(١) في ب : السفه .

(٢) أساورته : مفردها أسوار ، بضم الهمزة وكسرها ، وهو القائد ، أو بمنزلة الأمير عند العرب . التاج .

(٣) قطعة من حديث جرى مجرى المثل ، رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٣٤) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ : « لن ينفع حذر من قدر » وذكره بهذا اللفظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٤٦) من حديث معاذ وقال : رواه أحمد والطبراني ، وشهر بن حوشب لم يسمع من معاذ ، ورواية إسماعيل بن عيَّاش عن أهل الحجاز ضعيفة . وساق رواية أخرى له من حديث عائشة رضي الله عنها وهو عند البزار وإسناده ضعيف جداً ، وهو عنده بنحوه (٧/ ٢٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي (٤/ ٣٧) ، وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ص(٣٤٠) ، وإسناده ضعيف جداً فيه إبراهيم بن خثيم متروك .
وهو في الأمثال لأبي عبيد ص(٣٢٧) ، ومجمع الأمثال للميداني (٢/ ٢٣٧) ولفظه فيهما : لا ينفع حذر من قدر .

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الحجازي ثم الكوفي الأعور السُّدِّي ، أبو محمد ، أحد موالي قريش ، وأحد الأئمة المفسرين الكبار ، مات سنة (١٢٧)هـ . ترجمته في طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٠٩) . وتفسيره مخطوط لم يطبع بعد ، والنقل الذي أورده ابن كثير ساقه بنحوه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٩) وفي تاريخه (١/ ٣٨٨) .

(٥) الحزأة : جمع حَزّاء ، وهو الذي ينظر النُّجوم وأحكامها بظنِّه وتقديره فربما أصاب . النهاية : (حزأ) .

والمقصودُ أنّ فرعون احترز كُلَّ الاحتراز أن لا يوجدَ موسى ، حتى جعل رجالاً وقوابلَ يدورون على الحبالى ، ويَعلمون ميقات وضعهن ، فلا تلد امرأةٌ ذكراً إلا ذبحه أولئك الذبَّاحون من ساعته .

وعند أهل الكتاب : أنَّه إنَّما كان يأمر بقتل الغلمان ليُضعف شوكةَ بني إسرائيلَ فلا يقاومونهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم . وهذا فيه نظرٌ ، بل هو باطلٌ ، وإنّما هذا في الأمر بقتل الولدان بعد بعثة موسى ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ﴾ [غافر : ٢٥] ولهذا قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف : ١٢٩] ، فالصّحيح أن فرعون إنّما أمر بقتل الغلمان أولاً حذراً من وجود موسى ـ كما قدمناه ـ[١] .

هذا والقدر يقول : يا أيّهذا الملكُ الجبّار المغرور بكثرة جنوده ، وسلطة بأسه ، واتّساع سلطانه ، قد حكم العظيم الذي لا يغالَب ، ولا يمانَع ، ولا تخالَف أقدارُه ، أنّ هذا المولود الذي تحترز منه ، وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يُعَدُّ ولا يُحْصى ، لا يكون مرباه إلا في دارك وعلى فراشك ، ولا يغذّى إلّا بطعامك ، وشرابك في منزلك ، وأنت الذي تتبنّاه ، وتربّيه ، وتتعدّاه[٢] ، ولا تطّلع على سرِّ معناه ، ثم يكون هلاكُك في دنياك وأخراك على يديه ، لمخالفتك ما جاءك به من الحقِّ المبين ، وتكذيبك ما أُوحيَ إليه لتعلم أنت وسائر الخلق أن ربَّ السماوات والأرض هو الفعّال لما يريدُ ، وأنّه هو القويُّ الشديد ، ذو البأس العظيم ، والحول ، والقوّة ، والمشيئة التي لا مردّ لها .

وقد ذكر غيرُ واحدٍ من المفسّرين أن القِبْط شكوا إلى فرعون قِلّة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور ، وخشوا[٣] أن تتفانى الكبار مع قتل الصِّغار ، فيصيرون هم الذين يلُون ما كان بنو إسرائيل يعالجون ، فأمر فرعونُ بقتل الأبناء عاماً وأن يُتركوا عاماً ، فذكروا أن هارون عليه السلام ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء ، وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلِهم ، فضاقت أمُّه به ذَرْعاً ، واحترزت من أوّل ما حَبِلت ، ولم يكن يظهر عليها مخاييل الحبل[٤] ، فلما وضعت أُلهمت أنِ اتخذتْ له تابوتاً ، فربطته في حبلٍ ، وكانت دارها متاخمة للنيل ، فكانت ترضعه ؛ فإذا خشيت من أحدٍ وضعته في ذلك التابوت ، وأرسلته في البحر ، وأمسكت طرف الحبل عندها ، فإذا ذهبوا استرجعته[٥] إليها به .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ

---

(١) من قوله : وعند أهل الكتاب . . . إلى هنا زيادة من ب وط ، وقوله : كما قدمناه . ليس في ط .
(٢) أي تتجاوزه إلى غيره فتقتل غيره وتُمنع منه . قال ابن منظور : التَّعدِّي مجاوزة الشيء إلى غيره . اللسان (عدا) .
(٣) كذا في ب ، وفي أ وط : وخشي .
(٤) مخاييل الحبَل : علاماته ودلائله .
(٥) في ب : استخرجته .

وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص : ٧ ـ ٩] .

هذا الوحي : وحيُ إلهام وإرشادٍ كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا . . ﴾ الآية [النحل : ٦٨ ـ ٦٩] ، وليس هو بوحي نبوّةٍ ، كما زعمه ابن حَزْمٍ . وغير واحدٍ من المتكلّمين ، بل الصّحيح الأول ؛ كما حكاه أبو الحسن الأشعريّ عن أهل[١] السُّنَّة والجماعة .

قال السُّهَيلي[٢] : واسم أم موسى أيارخا . وقيل : أياذخت . والمقصود أنها أُرشدت إلى هذا الذي ذكرناه ، وأُلقيَ في خَلَدها ورُوعها أنْ لا تخافي ، ولا تحزني ؛ فإنه إنْ ذَهَب فإن الله سيردّه إليك ، وإن الله سيجعله نبياً مرسلاً يُعلي كلمته في الدنيا والآخرة ، فكانت تصنع ما أُمرت به ، فأرسلته ذاتَ يومٍ وذَهَلَتْ أن تربط طرف الحبل عندَها ، فذهب مع النيل ، فمرّ على دارِ فرعون ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾ قال الله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ . قال بعضهم[٣] : هذه لام العاقبة ، وهو ظاهر إن كان متعلِّقاً بقوله ﴿ فَالْتَقَطَهُ ﴾ ، وأمّا إن جعل متعلقاً بمضمون الكلام ، وهو أنَّ آل فرعون قُيِّضوا لالتقاطه ليكونَ لهم عدوّاً وحزَناً ، صارت اللّام معلِّلةً كغيرها ، والله أعلم . ويقوّي هذا التقدير[٤] الثاني قوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ ؛ أي : هم أهلٌ لهذا التقييض ليكون أبلغ في إهانتهم ، وأقوى في حسرتهم ؛ أن يربّوا عدوّهم في دارهم . ولهذا قال : ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ﴾[٥] . وهو الوزير السَّوْء ﴿ وَجُنُودَهُمَا ﴾ المتابعين لهما ﴿ كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ ؛ أي كانوا على خلاف الصّواب ، فاستحقّوا هذه العقوبة والحسرة .

وذكر المفسّرون[٦] : أنّ الجواري التقطْنه من البحر في تابوتٍ مغلق عليه ، فلم يتجاسرْنَ على فتحه حتى وضعنه بين يدي امرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عُبَيْد بن الرَّيَّان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف ، وقيل : إنّها كانت من بني إسرائيل من سِبط موسى ، وقيل : بل كانت عمته . حكاه السُّهيلي[٧] ، فالله أعلم .

---

(١) في ب : عن مذهب أهل .
(٢) في التعريف والإعلام فيما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام (مخطوط) الورقة (٤٦) .
(٣) كأبي حيان في البحر المحيط (٧/ ١٠٥) ، والزمخشري في الكشاف (٣/ ١٦٦) .
(٤) ليست في ب .
(٥) من قوله : إن فرعون وهامان وجنودهما . . إلى قوله : . . . عدواً وحزناً . سقط من ط .
(٦) كالطبري في : تفسيره (٢٠/ ٢١) .
(٧) التعريف والإعلام الورقة (٤٦) .

وسيأتي مدحُها والثناءُ عليها في قصّة مريمَ بنتِ عمران ، وأنّهما يكونان يوم القيامة من أزواجِ رسولِ الله ﷺ في الجنَّة . فلما فتحتِ الباب ، وكشفت الحجاب ، رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبويّة ، والجلالة الموسويّة ، فلمّا رأته ووقع نظرها عليه أحبّته حبًّا شديداً جدًّا ، فلما جاء فرعونُ قال : ما هذا ؟ وأمَرَ بذبحه ، فاستوهبته منه ، ودفعت عنه ﴿ وَقَالَتِ . . . قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ ﴾ ، فقال لها فرعون : أمّا لكِ فنعم ، وأمّا لي فلا ، أي : لا حاجة لي به . والبلاءُ مُوَكَّلٌ بالمنطِقِ[١] .

وقولها : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ ، وقد أنالها الله ما رَجَت منه من النفع ، أَمّا في الدُّنيا فهداها الله به ، وأمّا في الآخرة فأسكنها جنته بسببه ، ﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ ؛ وذلك أنّهما تبنّياه لأنه لم يكن يولد لها[٢] ولد .

قال الله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ؛ أي : لا يدرون ماذا يريد الله بهم أَنْ قيّضهم لالتقاطه من النقمة العظيمة بفرعون وجنوده[٣] . ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص : ١٠ ـ ١٣] .

قال ابن عبّاس ، ومجاهد ، وعكرمة[٤] ، وسعيد بن جُبير ، وأبو عُبيدة ، والحسن[٥] ، وقتادة ،

---

(١) قطعة من حديث جرى مجرى المثل ، ذكره السخاوي في « المقاصد الحسنة » ص(١٤٧ ـ ١٤٨) وأطال الكلام عليه ، والسيوطي في الجامع الصغير (١/ ٤٣٥) .
وأورده أبو عبيد (٧٥) بلفظ : « البلاء موكل بالقول » . وهو في : الفاخر (٢٣٥) وجمهرة الأمثال (١/ ٢٠٧) وفصل المقال (٩٥) والمستقصى (١/ ٣٠٥) ومجمع الأمثال (١/ ١٧) ونهاية الأرب (١٦/ ٣٠٨) وتمثال الأمثال (١/ ٢٦٣) .
ـ وهو يضرب في كلمة يتكلم بها الرجل فتكون باعثة للبلاء . وأوله : « ما من طامة إلا وفوقها طامة . والبلاء . . » وهو حديث ضعيف .
ـ وقد اختلف فيمن هو قائله ، فذكر صاحب الفاخر ، وعنه أخذ الميداني أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ أول من قاله ، عندما عرض النبي ﷺ نفسه على وفد ربيعة ، وأخذ أبو بكر يسألهم عن أنسابهم ، ونسبه في الجمهرة إلى الرسول ـ ﷺ ـ .
وقد نظمه بعضهم في بيت شعر فقال :
احفظ لسانك أن تقول فتُبتلى إن البلاء موكل بالمنطق

(٢) كذا في أ . وفي ب ، وط : لهما .

(٣) زاد في ب : وعند أهل الكتاب أن التي التقطت موسى وربته ابنة فرعون . وليس لامرأته ذكر بالكلية . وهذا في غلطهم على كتاب الله عز وجل .

(٤) هو عكرمة البربري .

(٥) إذا أطلق الحسن فهو الحسن بن يسار البصري .

والضحّاك ، وغيرهم ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ﴾ أي : من كلِّ شيءٍ من أمور الدنيا إلّا من موسى ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾ أي : لتظهر أمرَه وتسأل عنه جهرةً ، ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ أي : صبّرناها وثبّتناها ﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقالت لأخته ، وهي ابنتها الكبيرة : ﴿ قُصِّيهِ ﴾ أي : اتّبعي أثره واطلبي لي[١] خبره ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ ﴾ قال مجاهد : عن بُعدٍ . وقال قتادة : جَعَلَتْ تنظر إليه وكأنّها لا تريده ؛ ولهذا قال : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، وذلك لأن موسى عليه السلام لما استقرَّ بدار فرعون أرادوا أن يغذّوه برضاعةٍ ، فلم يقبل ثدياً ، ولا أخذ طعاماً ، فحاروا في أمره ، واجتهدوا على تغذيته بكل ممكن ، فلم يفعل ، كما قال تعالى : ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ ، فأرسلوه مع القوابل والنساء إلى السوق لعلّ يجدون من يوافق رضاعته ، فبينما هم وقوف به والناس عكوف عليه ؛ إذ بصُرت به أخته فلم تُظْهِرْ أنها تعرفه، بل قالت: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴾ . قال ابن عباس : لمّا قالت ذلك قالوا لها : ما يدريك بنصحهم وشفقتهم عليه ؟ فقالت : رغبة في صهر الملك[٢] ، ورجاء منفعته . فأطلقوها وذهبوا معها إلى منزلهم ، فأخذته أمّه ، فلمّا أرضعته التقم ثديها وأخذ يمتصه ويرتضعه ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، وذهب البشير إلى آسية يُعلمها بذلك ، فاستدعتها إلى منزلها ، وعرضت عليها أن تكون عندها ، وأن تحسن إليها ، فأبت عليها ، وقالت : إن لي بعلاً وأولاداً ، ولست أقدر على هذا إلا أن ترسليه معي ، فأرسلته معها ، ورتّبت لها رواتب ، وأجرت عليها النفقات ، والكسا[٣] ، والهبات فرجعت به تحوزه[٤] إلى رحلها ، وقد جمع الله شمله بشملها .

قال الله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ ، أي : كما وعدناها بردِّه ورسالته ، فهذا ردُّه ، وهو دليل على صدق البشارة برسالته ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقد امتن الله على موسى بهذا ليلة كلَّمه[٥] فقال له فيما قال له : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى[٦] وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه : ٣٧ ـ ٣٩] ، إذ قال قتادة ، وغير واحد من السَّلف[٧] : أي تُطْعَم وتُرفه وتُغذى

---

(١) في ب : واطلعي . وفي ط : واطلبي له .
(٢) في تاريخ الطبري (١/ ٣٩٤) . ورغبتهم في ظؤورة الملك .
(٣) في أصولنا : والكساوي ، وهو خطأ . فالكساء جمعه : أكسية وهو اللباس . والكُسْوَة : الثوب يستتر به ويتحلى ، وجمعه : كُساً . أما النسبة إلى الكساء فهي : كِساويّ ، ولا مكان لها هنا .
(٤) تحوزه : تضمه .
(٥) في ب : وقد امتن الله تعالى بهذا على موسى ليلة كلمه . . .
(٦) زاد في ب : وذلك أنه كان لا يراه أحد إلا أحبه .
(٧) كابن زيد ، وابن جريج ، وأبي نُهيك . كما في تفسير الطبري (١٦/ ١٢٣) .

بأطيب المآكل ، وتلبس أحسن الملابس[(١)] بمرأىً مني ، وذلك كلّه بحفظي وكلاءتي لك فيما صنعت بك ولك ، وقدرته من الأمور التي لا يقدر عليها غيري ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ[(٢)] إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ ﴾ [طه : ٤٠] ، وسنورد حديث الفتون في موضعه بعد هذا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التُّكلان .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص : ١٤ ـ ١٧] .

لما ذكر تعالى أنّه أنعم على أمّه بردّه[(٣)] لها ، وإحسانه بذلك ، وامتنانه عليها ، شرع في ذكر أنه لما ﴿ بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ وهو احتكام[(٤)] الخَلْق والخُلُق ، وهو سنّ الأربعين في قول الأكثرين ، آتاه الله حكماً وعلماً ، وهو النبوّة والرسالة التي كان بَشّر بها أمّه حين قال : ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] . ثم شرع في ذِكر سبب خروجه من بلاد مصر ، وذهابه إلى أرض مَدين ، وإقامته هنالك حتى كمل الأجل ، وانقضى الأمد[(٥)] ، وكان ما كان من كلام الله له ، وإكرامه بما أكرمه به ، كما سيأتي . فقال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ . قال ابن عبّاس ، وسعيد بن جُبير ، وعِكْرمة ، وقَتادة ، والسُّدِّي[(٦)] : وذلك نصف النهار .

وعن ابن عبَّاس : بين العشاءين ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ أي : يتضاربان ويتهاوشان ﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ أي : إسْرائيلي ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ أي : قبطي . قاله ابن عبّاس ، وقتادة ، والسّدّي ، ومحمد بن إسحاق . ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ وذلك أن موسى عليه السلام كانت له بديار مِصْرَ صَولةٌ بسبب نسبته إلى تبنِّي فرعون له ، وتربيته في بيته ، وكانت بنو إسرائيل قد عزّوا وصارت لهم وجاهةٌ ، وارتفعت رؤوسهم بسبب أنّهم أرضعوه وهم أخواله ، أي : من الرَّضاعة .

فلما استغاث ذلك الإسرائيلي موسى عليه السلام على ذلك القبطي أقبل إليه موسى ﴿ فَوَكَزَهُۥ ﴾ . قال

---

(١) في ب : أشرف الملابس .
(٢) في الأصل : فرددناك . وهو سهو ، التبس بقوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا . . . ﴾ الآية : [القصص : ١٣] .
(٣) في ب : بوصالها .
(٤) في ب : إحكام .
(٥) في ب : الأمل .
(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩) .

مجاهد(١) : أي : طعنه بجُمعِ كفِّه . وقال قتادة : بعصاً كانت معه ، ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ ، أي : فمات منها .

وقد كان ذلك القبطي كافراً مشركاً بالله العظيم ، ولم يُرِدْ موسى قتله بالكلّية ، وإنما أراد زَجْره وردْعَه ، ومع هذا قال موسى : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ أي : من العزِّ والجاه ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ١٨ ـ ٢١] .

يخبر تعالى أنّ موسى أصبح بمدينة مصر خائفاً ، أي : من فرعون ومَلَئِهِ أن يعلموا أنَّ هذا القتيل الذي رُفِع إليه أمرُه إنما قتله موسى في نصرة رجل من بني إسرائيل ، فتقوى ظنونهم أنّ موسى منهم ، ويترتَّب على ذلك أمرٌ عظيم ، فصار يسير في المدينة في صبيحة ذلك اليوم ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ أي : يتلفّتُ(٢) ، فبينما هو كذلك إذا ذلك الرجل الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستصرخه ، أي : يصرخ به ويستغيثه على آخر قد قاتله ، فعنَّفه موسى ، ولامه على كثرة شرّه ومخاصمته ، قال له : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، ثم أراد أن يبطش بذلك القبطي الذي هو عدوٌّ لموسى وللإسرائيلي فيردعه عنه ، ويخلّصه منه ، فلما عزم على ذلك ؛ وأقبل على القبطي ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ .

قال بعضهم : إنما قال هذا الكلام الإسرائيلي الذي اطلع على ما كان صنع موسى بالأمس ، وكأنّه لما رأى موسى مقبلاً إلى القبطي اعتقد أنّه جاء إليه لمّا عنَّفه قبل ذلك بقوله : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، فقال ما قال لموسى ، وأظهر الأمرَ الذي كان وقع بالأمس ، فذهب القبطي فاستعدى موسى إلى فرعون ، وهذا الذي لم يذكر كثيرٌ من النّاس سواه . ويحتمل أن قائل هذا هو القبطي ، وأنه لما رآه مقبلاً إليه خافه ، ورأى من سجيّته انتصاراً جيداً للإسرائيلي ، فقال ما قال من باب الظن والفراسة إن هذا لعلّه قاتل ذاك القتيل بالأمس ، أو لعلّه فهم من كلام الإسرائيلي حين استصرخه عليه ما دلّه على هذا . والله أعلم .

والمقصود أن فرعون بلغه أن موسى هو قاتل ذلك المقتول بالأمس ، فأرسل في طلبه ، وسبقهم رجلٌ ناصحٌ من طريق أقرب ، وجاءه من أقصى المدينة ساعياً إليه مشفقاً عليه ، فقال : ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ

---

(١) في تفسيره : (١/ ٤٨٢) . وقول ابن كثير : أي طعنه . لم يرد فيه ، وعنده : بجميع كفه ، والذي عند الطبري (٢٠/ ٣٠) : بجمع كفه .

(٢) في ط : يلتفت .

﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ ﴾ أي : من هذه البلدة[١] ﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ، أي : فيما أقوله لك .

قال الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ ، أي : فخرج من مدينة مِصْرَ من فوره على وجهه ، لا يهتدي إلى طريقٍ ولا يعرفه قائلاً : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ[٢] وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢١ـ٢٤] .

يخبر تعالى عن خروج[٣] عبده ورسوله وكليمه من مصر خائفاً يترقّب ؛ أي : يتلفّت خشية أن يدركه أحدٌ من قوم فرعون، وهو لا يدري أين يتوجّه ، ولا إلى أين يذهب ، وذلك لأنّه لم يخرج من مصر قبلها .

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ أي : اتجه له طريقٌ يذهب فيه ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ . أي : عسى أن تكون هذه الطريق موصلة إلى المقصود ، وكذا وقع ، أوصلته[٤] إلى مقصودٍ ، وأي مقصود .

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ وكانت بئراً يستقون منها ، ومَدْيَنُ[٥] هي المدينة التي أهلك الله فيها أصحاب الأيكة ، وهم قوم شعيب ، عليه السَّلام ، وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السَّلام في أحد قولي العلماء[٦] ، ولما ورد الماء المذكور ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ أي : تكفكفان غنمهما أن تختلط بغنم النَّاس[٧] . ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ

---

(١) قوله : أي : من هذه البلدة . زيادة في ب ، وط .

(٢) الرعاء ، بكسر الراء المهملة : جمع راعٍ ، ويجمع أيضاً على رُعاة ، ورُعيان . تفسير الطبري (٢٠/ ٣٦) .

(٣) ليست في ب .

(٤) في ب : ووصلته .

(٥) مدين : على بحر القلزم (الأحمر) محاذية لتبوك على نحو ست مراحل ، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام للسائمة .

(٦) وهو قول ابن عبّاس وقتادة ، وقد نقله المؤلف عن تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥) بتصرف .
وأما القول الثاني فقد قال الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٤) : وقوله : (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) يقول : عسى ربي أن يبين لي قصد السبيل إلى مدين ، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها ، وذُكر أن الله قيض له إذ قال : (رب نجني من القوم الظالمين) فهيأ الله الطريق إلى مدين ، فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ولا ظهر ولا درهم ولا رغيف خائفاً يترقب حتى وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين .

(٧) زاد في ب : وعند أهل الكتاب أنهن كن سبع بنات ، وهذا أيضاً من الغلط ، ولعله كان له سبع ، وإنما كان يستقي منهن اثنتان ، وهذا الجمع ممكن إن كان ذاك محفوظاً ، وإلا فالظاهر أنه لم يكن له سوى اثنتين .
وزاد مثل هذا في ط ، وفيهما : . . الغلط وكأنه كُنَّ سبعاً ولكن إنما كان تسقي اثنتان منهن . . سوى بنتان . وواضح في هذه الزيادة الضعف والخطأ .

﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ أي : لا نقدر على وِرد الماء إلَّا بعد صدور الرِّعاء لضعفنا ، وسبب مباشرتنا هذه الرعْية ضعف أبينا وكبره . قال الله تعالى : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ .

قال المفسرون[١] : وذلك أن الرِّعاء كانوا إذا فرغوا من وِردهم وضعوا على فم البئر صخرةً عظيمةً ، فتجيء هاتان المرأتان ، فيشرعان غنمهما في فضل أغنام الناس . فلما كان ذلك اليوم ، جاء موسى ، فرفع تلك الصخرة وحدَه ، ثم استقى لهماوسقى غنمهما ، ثم ردَّ الحجر كما كان .

قال أمير المؤمنين عمر[٢] : وكان لا يرفعه إلا عشرة ، وإنما استقى ذَنُوباً[٣] واحداً فكفاهما . ثمّ تولّى إلى الظلِّ ، قالوا : وكان ظلّ شجرة من السَّمُرِ[٤] .

روى ابن جرير[٥] ، عن ابن مسعود ؛ أنه رآها خضراء ترفّ[٦] ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ .

قال ابن عبَّاس : سار من مصر إلى مَدْيَن لم يأكل إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافياً فسقطت نعلا قدميه[٧] من الحفاء ، وجلس في الظِّل ، وهو صفوة الله من خلقه ، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع ، وإنّ خُضْرَةَ البقل لتُرى من داخل جوفه ، وإنّه لمحتاج إلى شقِّ تمرة .

قال عطاء بن السَّائب : لما قال ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ أسمع المرأة ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص : ٢٥ ـ ٢٨] .

لَمَّا جلس موسى عليه السَّلام في الظلِّ ، وقال ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ سمعته

---

(١) كالطبري (٢٠/ ٣٧) ، والقرطبي (١٣/ ٢٦٩) والزمخشري (٣/ ١٧٠) .
(٢) ساق المؤلف هذا الخبر هنا باختصار وبالمعنى ، ولكنه ساقه بتمامه في تفسيره (٣/ ٣٨٣) .
(٣) الذنوب : الدلو .
(٤) السمر ، بفتح السين وضم الميم : ضرب في شجر الطلح ، واحدته : سَمُرة .
(٥) في تفسيره (٢٠/ ٣٧) وذكر الخبر فيه بسياق أطول من هذا .
(٦) يقال : رفّ لونه يرفُّ ، بالكسر ، رفّاً ورفيفاً ، بَرَقَ وتلألأ ، اللسان (رفف) .
(٧) أورد الخبر المؤلف في تفسيره (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) وفيه : . . . وكان حافياً ، فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه وجلس في الظل . . . وإن بطنه للاصق .

المرأتان[١] ـ فيما قيل ـ فذهبتا إلى أبيهما ، فيقال : إنّه استنكر سرعة رجوعهما ، فأخبرتاه ما كان من أمر موسى عليه السَّلام ، فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ ، أي : مَشْيَ الحرائرِ ، قالت : ﴿ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ صرَّحت له بهذا لئلاّ يوهم كلامُها ريبةً . وهذا من تمام حيائها وصيانتها . ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾ وأخبره خبره ، وما كان من أمره في خروجه من بلاد مِصْرَ فراراً من فرعونها ﴿ قَالَ لَهُ ﴾ ذلك الشيخ : ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، أي : خرجت من سلطاتهم فلست في دولتهم .

وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو ؟ فقيل : هو شعيبٌ عليه السَّلام، وهذا هو المشهور عند كثيرين[٢] .

وممَّن نصّ عليه : الحسن البصري، ومالك بن أنس . وجاء مصرحاً به في حديث[٣] ، ولكن في إسناده نظر .

وصرّح طائفةٌ بأن شعيباً عليه السلام عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوَّج بابنته[٤] .

وروى ابن أبي حاتم وغيره ، عن الحسن البصري ، أن صاحب موسى عليه السَّلام هذا اسمه شعيب ، وكان سيّد الماء ، ولكن ليس بالنَّبيِّ صاحب مَدْيَن .

وقيل : إنّه ابن أخي شعيب .

وقيل : ابن عمه .

وقيل : رجل مؤمن من قوم شعيب .

وقيل : رجل اسمه يثرون ، هكذا هو في كتب أهل الكتاب : يثرون كاهن مَدْين ؛ أي : كبيرها وعالمها . قال ابن عبَّاس وأبو عُبَيْدة بن عبد الله : اسمه بترون[٥] . زاد أبو عبيدة وهو ابن أخي شعيب . زاد ابن عبَّاس : صاحب مَدين[٦] .

---

(١) قال السُّهيلي في التعريف والإعلام الورقة (٤٦) : هما صَفُوريَا ولَيا ابنتا بترون ، وبتَرون هو شعيب ، وقيل : ابن أخي شعيب وأن شعيباً كان قد مات ، وأكثر المفسرين على أنهما ابنتا شعيب وقال بعضهم : ليستا ابنتي شعيب ، وهو الصواب .

(٢) في ب : الأكثرين ، وقد أورد المؤلف هذه الأقوال في تفسيره (٣/ ٤٨٣) .

(٣) وقد ساقه المؤلف في تفسيره (٣/ ٤٨٣) من رواية الطبراني (وهو في معجمه الكبير ٦٣٦٤) عن سلمة بن سعد العنزي أنه وفد على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « مرحباً بقوم شعيب وأختان موسى » .

(٤) وهي ابنته صَفْوريَا كما ذكر السهيلي في التعريف والإعلام الورقة (٤٧) وزاد : وهي أهله التي قال [الله تعالى] فيها : ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا ﴾ [طه : ١٠] .

(٥) في أصولنا يثرون . وفي تاريخ الطبري (١/ ٣٨٥) : يترون ، وكلاهما مصحف ، والتصويب من التعريف والإعلام : للسهيلي الورقة (٤٦) .

(٦) ما قاله ابن عباس رضي الله عنه : الذي استأجر موسى يثربي صاحب مدين كما أورده ابن كثير في تفسيره =

والمقصود أنّه لما أضافه ، وأكرم مثواه ، وقصَّ عليه ما كان من أمره ، بشَّره بأنّه قد نجا ، فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ ﴾ ، أي : لرعي غنمك ، ثم مدحته بأنه قويٌّ أمينٌ .

قال عَمْرو[١] وابن عبَّاس ، وشريح القاضي ، وأبو مالك ، وقتادة ، ومحمد بن إسحاق ، وغير واحد : لمّا قالت ذلك قال لها أبوها : وما علمك بهذا ؟ فقالت : إنّه رفع صخرةً لا يطيق رفعها إلا عشرة . وإنّه لما جئت معه تقدمتُ أمامه ، فقال : كوني من ورائي ، فإذا اختلفت الطريق فاحذفي[٢] لي بحصاةٍ أعلم بها كيف الطريق .

قال ابن مسعود : أفرسُ النَّاس ثلاثة : صاحب يُوسف حين قال لامرأته ﴿ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ ﴾ [يوسف : ٢١] . وصاحبة موسى حين قالت : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ . وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطَّاب[٣] .

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ ﴾ .

استدلّ بهذا جماعةٌ من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله على صحّة ما إذا باعه أحد هذين العبدين أو الثوبين ، ونحو ذلك أنّه يصحُّ لقوله : ﴿ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ﴾ . وفي هذا نظر ؛ لأنّ هذه مُراوضةٌ لا معاقدةٌ . والله أعلم .

واستدلّ أصحابُ أحمد على صحّة الإيجار بالطعمة والكسوة كما جرت به العادة ، واستأنسوا بالحديث الذي رواه ابن ماجه في « سننه » مترجماً عليه كتابه[٤] : باب استئجار الأجير على طعام بطنه .

حدثنا محمد بن مصفّى[٥] الحمصي ، حدثنا بقيَّة بن الوليد ، عن مَسْلَمة بن علي ، عن سعيد بن أبي أيوب ، عن الحارث بن يزيد ، عن عُلَي بن رباح قال : سمعت عتبة بن النُّدَّر[٦] يقول : كُنَّا عند

= (٣/ ٣٨٥) . والخبر ذكره الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٠) ، وفيه : يثري .

(١) في أصولنا ، وتفسيره : عمرو ابن عباس ، وعمرو هو ابن ميمون . وقد أورد قوله الطبري في تفسيره : (٢٠/ ٤١) ، مع بقية الأقوال .

(٢) الحذف : الرمي عن جانب .

(٣) هو في تفسير المؤلف (٣/ ٣٨٥) .

(٤) في ب : مترجماً عليه في باب استئجار . . وفي ط : . . . مترجماً في كتابه . . .

(٥) في أصولنا : ابن الصفي وهو سهو ، ومحمد بن مصفى بن بُهلول ، الحمصي القرشي ، قال فيه ابن حجر في التقريب : صدوق ، له أوهام ، وكان يدلس (٢/ ٢٠٨) .

(٦) في ط : ابن الدر وهو تحريف . وعتبة بن النُّدَّر ، بضم النون ، وتشديد الدال المهملة المفتوحة . صحابي شامي ، توفي سنة (٨٤هـ) . مترجم في سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٧) ومصادر ترجمته ثمة .

رسول الله ﷺ فقرأ ﴿ طس ﴾ حتى إذا بلغ قصة موسى قال : « إنَّ موسى عليه السَّلام أجَرَ نفسه ثماني سنين أو عشرة[١] على عِفَّةِ فَرْجِهِ وطعام بطنِهِ[٢] » .

وهذا من هذا الوجه لا يصح ؛ لأن مَسْلَمة بن عُلي الخشني[٣] الدمشقي البلاطي ضعيف عند الأئمّةِ لا يُحتج بتفرّده[٤] ولكن قد روي من وجهٍ آخر .

وقال ابن أبي حاتم :

حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، حدّثني ابن لَهِيعة . (ح)[٥] ، وحدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا صفوان ، حدّثنا الوليد ، حدّثنا عبد الله بن لَهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن عُلَي بن رَباح اللَّخْمي ، قال : سمعت عتبة بن النُّدَّر السّلمي صاحب رسول الله ﷺ يحدِّث أن رسول الله قال : « إنَّ مُوسَى عليه السلام أجرَ نَفْسَه لِعِفةِ فَرْجِهِ وَطعْمَةِ بَطْنِهِ »[٦] .

ثم قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص : ٢٨] . يقول : إن موسى قال لصهره : الأمر على ما قلت ، فأيّهما قضيت[٧] فلا عدوان عليّ ، والله على مقالتنا سامع ، ومشاهد ، ووكيل عَليَّ وعليك ، ومع هذا فلم يقض موسى إلا أكملَ الأجلين وأتمّهما ، وهو العشر سنين كوامل تامّة .

قال البخاري : حدَّثنا محمد بن عبد الرَّحيم ، حدثنا سعيد بن سُليمان ، حدّثنا مروان بن شجاع ، عن سالم الأفْطس ، عن سعيد بن جُبير ، قال : سألني يَهودي من أهل الحِيْرةِ : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ فقلت : لا أدري حتى أقدم على حَبرِ العرب فأسأله ، فقدمتُ ، فسألت ابنَ عبَّاس ، فقال : قَضَى أكثرَهما وأطيبهما ، إن رسول الله إذا قال فعلَ[٨] . تفرّد به البخاري من هذا الوجه .

---

(١) في سنن ابن ماجه : أو عشراً .

(٢) سنن ابن ماجه رقم (٢٤٤٤) في الرهون : باب إجارة الأجير على طعام بطنه ، وإسناده ضعيف .

(٣) في أصولنا : الحسني وهو تصحيف ، والخُشَني ، بضم الخاء ، وفتح الشين المعجمتين ، كما ضبطه ابن حجر وقال : متروك . التقريب (٢/ ٢٤٩) . وقال ابن حبَّان : كان ممن يقلب الأسانيد ، ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم توهمّاً ، فلما فحش ذلك منه بطل الاحتجاج به . المجروحين (٣/ ٣٣) .

(٤) وفي إسناده أيضاً بقية بن الوليد وهو ضعيف ، أيضاً قالوا فيه : احذر أحاديث بقية ، وكن منها على تقية ، فإنها غير نقية . الأمصار ذوات الآثار ، للذهبي ص(٣٦ ـ ٣٧) .

(٥) علامة التحويل هذه في السند لم ترد في النسخة ب .

(٦) وهذه الرواية ضعيفة أيضاً في سندها عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف عند التفرد ، وفي غير رواية العبادلة عنه ، كما في تحرير التقريب (٢/ ٢٥٨) .

(٧) من قوله : واللهُ على . . . إلى قوله : فأيهما قضيت . سقط من ب ، بنقلة عين .

(٨) رواه البخاري في الشهادات (٢٦٨٤) .

وقد رواه النسائي في حديث الفتون ـ كما سيأتي ـ من طريق القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير[١] .

وقد رواه ابن جرير[٢] عن أحمد[٣] بن محمد الطُّوسي ، وابن أبي حاتم عن أبيه ، كلاهما عن الحُميدي ، عن سفيان بن عُيينة ، حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس : أن رسول الله ﷺ قال : « سألتُ جِبْرِيْلَ : أيَّ الأَجَلَيْن قَضَى مُوْسَى ؟ قَالَ : أَتَمَّهُمَا وَأَكْمَلَهُما »[٤] . وإبراهيم هذا غير معروف إلّا بهذا الحديث .

وقد رواه البزّار عن أحمد بن أبان القرشي ، عن سفيان بن عُيينة ، عن إبراهيم بن أعين ، عن الحاكم بن أَبَان ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس ، عن النَّبيِّ ﷺ[٥] فذكره .

وقد رواه سُنيد ، عن حجّاج ، عن ابن جُريج ، عن مُجاهدٍ مرسلاً ، أن رسول الله سأل عن ذلك جبريلَ ، فسأل جبريلُ إسرافيلَ ، فسأل إسرافيلُ الربَّ عَزَّ وجلَّ فقال : « أبرّهما وأوفاهما » .

وبنحوه رواه ابن أبي حاتم من حديث يوسف بن سرح مُرسلاً .

ورواه ابن جرير[٦] من طريق محمد بن كعب أن رسول الله ﷺ سُئِل : أيَّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أوفاهما وأتمّهما .

وقد رواه البزّار وابن أبي حاتم من حديث عُوْبَد[٧] بن أبي عمران الجَوْني، وهو ضعيف عن أبيه ، عن عبد الله بن الصَّامت ، عن أبي ذَرٍّ ، أن رسول الله ﷺ سُئِل : أيَّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : « أوفاهما

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١١٣٢٦) .
(٢) في تفسيره (٢٠/ ٤٤) ، ولهذا الخبر روايات أخرى عنده .
(٣) في أ وب . محمد بن محمد الطوسي . وهو تحريف لأنه متوفى سنة (٣٤٤)هـ . الأنساب (٨/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) أي عقب وفاة الطبري . والصواب ما جاء في ط ، وهو كذلك عند الطبري وعند المؤلف في تفسيره (٣/ ٣٨٦) وهو الذي أثبتناه . وأحمد بن محمد الطوسي توفي سنة (٢٤٨)هـ .
(٤) في أ : أو أكملها . والصواب ما جاء في ب وط وهو ما أثبتناه ، وهو موافق لما في تفسير الطبري .
(٥) في ب : أن رسول الله ﷺ قال : سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى ؟ . . . فذكره ، وفي سنده إبراهيم بن أعين ، ضعيف .
(٦) في تفسيره (٢٠/ ٤٤) .
(٧) في ب : عوف ، وهو تحريف ، وعند المؤلف في تفسيره (٣/ ٣٨٦) : عويذ . وكذلك في التاريخ الصغير للبخاري (٢/ ٢٠٥) ، والكبير (٧/ الترجمة ٤١٣) ، وما أثبتناه هو الصواب كما جاء في تهذيب الكمال (١٨/ ٢٩٩)، والضعفاء للنسائي (٤٦٥)، والضعفاء الصغير للبخاري (الترجمة ٢٩٠)، وميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ٣٠٤)، وهو كذلك بخطه في النسخة الخطية من « الميزان » .

وأبرّهما » . قال : وإن سُئِلتَ : أيَّ المرأتين تزوّج ؟ فقل : الصغرى منهما[١] .

وقد رواه البزار وابن أبي حاتم ، من طريق عبد الله بن لَهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن عُلَيّ بن رَباح ، عن عُتبة بن النُّدَّر ، أن رسول الله قال : « إِنَّ مُوسى أَجَرَ نَفْسَه بِعِفَّةِ فَرْجِهِ وَطَعامِ بَطْنِهِ » فلمّا وفّى الأجل ، قيل : يا رسول الله أيَّ الأجلين ؟ قال : « أبرَّهما وأوفاهما » . فلما أراد فراق شعيب سأل امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به ، فأعطاها ما ولدت من غنمه من قالب لون[٢] من وُلْدِ ذلك العام ، وكانت غنمه سوداً حساناً ، فانطلق موسى عليه السَّلام إلى عصا قسمها من طرفها ، ثمّ وضعها في أدنى الحوض ، ثمّ أوردها فسقاها ، ووقف موسى عليه السلام بإزاء الحوض فلم يصدر منها شاةٌ إلا ضرب جنبها شاةً شاةً ، قال فأتأمت وألبنت[٣] ووضعت كلّها قوالب ألوان ، إلا شاةً أو شاتين ، ليس فيها فَشُوش ولا ضَبُوب ولا عَزُوز ولا ثَعُول ، ولا كَمْشَة[٤] تفوت الكف ، قال النبي ﷺ : لو اقتحمتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السّامرية .

قال ابن لَهيعة : الفَشُوش : واسعة الشَّخْب[٥] ، والضَّبوب : طويلة الضَّرع تجرُّه[٦] . والعَزُوز : ضيّقة الشخب[٧] . والثَّعُول : الصغيرة الضَّرع كالحلمتين[٨] . والكَمْشة : التي لا يحكم الكفُّ على ضرعها لصغره[٩] .

وفي صحّة رفع هذا الحديث نظر . وقد يكون موقوفاً كما قال ابن جرير ؛ حدثنا محمد بن المثنى ، حدّثنا مُعاذ بن هشام ، حدّثنا أبي ، عن قتادة ، حدثنا أنس بن مالك قال : لما دعا نبيُّ الله موسى صاحبَه

---

(١) وهو مخالف لما ذكره السهيلي في التعريف والإعلام . الورقة ص(٤٧) من أن موسى عليه السلام تزوج صَفُوريَا وهي الكبرى .

(٢) قالب لون : قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٩٧) تفسيره في الحديث : أنها جاءت على غير ألوان أمهاتها ، كأن لونها قد انقلب .

(٣) في ط وأ : فأتمأت وآنثت . وفي ب : فأنمت وأنبتت . وأثبتنا رواية التفسير (٣/ ٣٨٧) .

(٤) في ط : ولا كموش . وفي تفسيره : ولا كميشة ، والكموش والكمشة بمعنى .

(٥) الشخب : ما خرج من الضرع من اللبن إذا احتُلب . وعبارة النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٤٨) : وهي التي ينفشُّ لبنها من غير حلب ؛ أي : يجري ، وذلك لِسَعة الإحْليل . ومثله في اللسان (فش) .

(٦) وكذلك قال في تفسيره . والذي في النهاية (٣/ ٧٠) : الضَّبوب : الضيقة ثقب الإحليل . ومثله في اللسان (ضبب) .

(٧) وفي النهاية (٣/ ٢٢٩) : والعزوز : الشاة البكيئة القليلة اللبن الضيقة الإحليل .

(٨) عبارته في التفسير (٣/ ٣٨٧) : التي ليس لها ضرع إلا كهيئة حلمتين . وفي النهاية (١/ ٢١٢) : الثعول : الشاة التي لها زيادة حَلَمة ، وهو عيب .

(٩) وفي النهاية (٤/ ٢٠٠) : الكموش : الصغيرة الضرع ؛ سميت بذلك لانكماش ضرعها ؛ وهو تقلصه . ومثله في اللسان (كمش) .

إلى الأجل الذي كان بينهما قال له صاحبُه : كلّ شاةٍ ولدت على غير لونها فلك ولدها ، فعمد فوضع خيالاً على الماء ، فلما رأت الخيال فزعت ، فجالت جولة ، فولدت كلهن بلقاً إلا شاةً واحدةً ، فذهب بأولادهن ذلك العام . وهذا إسناد رجاله ثقات . والله أعلم .

وقد تقدّم عن نقل أهل الكتاب عن يعقوب عليه السلام حين فارق خاله لابان أنّه أطلق له ما يولد من غنمه بُلقاً ، ففعلَ نحو ما ذكر عن موسى عليه السلام . فالله أعلم .

﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [القصص : ٢٩ ـ ٣٢] .

تقدم أنّ موسى قضى أَتمَّ الأجلين وأكملهما ، وقد يؤخذ هذا من قوله : ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ . وعن مجاهد أنّه أكمل عشراً وعشراً بعدها .

وقوله : ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ أي : من عند صهره ذاهباً ، فيما ذكره غير واحد من المفسّرين وغيرهم ، أنّه اشتاق إلى أهله ، فقصد زيارتهم ببلاد مصر في صورة مختفٍ ، فلما سار بأهله ومعه ولدان منهم وغنم قد استفادها في مدّة مقامه ، قالوا : واتّفق ذلك في ليلةٍ مظلمةٍ باردةٍ ، وتاهوا في طريقهم ، فلم يهتد إلى السّلوك في الدَّرب المألوف ، وجعل يوري(١) زناده فلا يوري شيئاً ، واشتدّ الظلام والبرد ، فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بُعدٍ ناراً تأجّج في جانب(٢) الطّور ، وهو الجبل الغربيّ منه عن يمينه ، فقال لأهله : ﴿ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ ، وكأنّه ـ والله أعلم ـ رآها دونهم ، لأنّ هذه النار هي نور في الحقيقة ، ولا تصلح رؤيتها لكلّ أحدٍ ، ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، أي : لعلّي أستعلم من عندها عن الطريق ، ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ فدلّ على أنّهم كانوا قد تاهوا عن الطريق في ليلةٍ باردةٍ ومظلمةٍ ؛ لقوله في الآية الأخرى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طه : ٩ ـ ١٠] ، فدلّ على وجود الظلام ، وكونهم تاهوا عن الطريق . وجمع الكلّ في قوله في النمل : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ

---

(١) يوري : يقدح .

(٢) جبل الطور : جبل بالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين ، وعليه كان الخطاب الثاني لموسى عليه السلام عند خروجه من مصر ببني إسرائيل .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [الآية : ٧] . وقد أتاهم منها بخبرٍ ، وأي خبرٍ ، ووجد عندها هُدًى ، وأي هدًى ، واقتبس منها نوراً ، وأي نور .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص : ٣٠] .

وقال في النمل : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل : ٨] أي : سبحان الله الذي يفعلُ ما يشاء ، ويحكم ما يريد . ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النمل : ٩] .

وقال في سورة طه ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [الآيات : ١١ ـ ١٦] .

قال غير واحدٍ من المفسّرين من السّلف والخلف[١] : لمّا قصد موسى إلى تلك النار التي رآها فانتهى إليها ، وجدها تأجّج في شجرةٍ خضراء من العَوْسَج[٢] ، وكلّ ما لتلك النار في اضطرام ، وكلّ ما لخضرة تلك الشجرة في ازدياد ، فوقف متعجّباً ، وكانت تلك الشجرة في لِحْف[٣] جبل غربي منه عن يمينه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾[٤] [القصص : ٤٤] وكان موسى في وادٍ اسمه طُوى ، فكان موسى مستقبل القبلة ، وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب[٥] ، فناداه ربّه بالواد[٦] المقدّس طُوى ، فأمر أولاً بخلع نعليه تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة المباركة ، ولا سيّما في تلك الليلة المباركة .

وعند أهل الكتاب : أنّه وضع يده على وجهه من شدّة ذلك النور مهابةً له ، وخوفاً على بصره ، ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلاً له : ﴿ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ أي : أنا رب العالمين[٧] الذي لا تصلح العبادة وإقامة الصلاة إلّا له . ثمّ أخبره أنّ هذه الدنيا ليست بدار قرار ، وإنّما الدار الباقية يوم القيامة التي لا بدّ من كونها ووجودها ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ أي : من خيرٍ وشرٍ . وحضّه وحثّه على العمل لها ، ومجانبة مَن لا يؤمن بها ممن عصى مولاه واتّبع هواه .

---

(١) تفسير الطبري (١٦/١٠٨ ـ ١٠٩) .
(٢) العوسج : شجر كثير الشوك ، واحدته عوسجة .
(٣) اللِّحْف : أصل الجبل .
(٤) زاد في ط تتمة الآية : ﴿ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ .
(٥) في ب : الغربي .
(٦) الوادي : معروف . وربما اكتفوا بالكسرة عن الياء . اللسان .
(٧) زاد في ط : ﴿ ٱلَّذِىٓ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

ثم قال له مخاطباً ومؤانساً ومبيّناً له أنّه القادر على كلِّ شيء ، الذي يقول للشيء كن فيكون ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ أي : أما هذه عصاك التي نعرفها منذ صَحِبْتَها !؟ ﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ . أي : بل هذه عصاي التي أعرفها وأتحقّقها ، ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ١٩ ـ ٢٠] . وهذا خارقٌ عظيم ، وبرهانٌ قاطعٌ على أن الذي يكلِّمه هو الذي يقول للشيء كن فيكون ، وأنّه الفعّال بالاختيار .

وعند أهل الكتاب : أنه سألَ برهاناً على صِدْقه عند مَن يكذِّبُه من أهل مصر ، فقال له الربّ عز وجل : ما هذه التي في يدك ؟ قال : عصا . قال : ألقها إلى الأرض ، ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ ﴾ ، فهرب موسى من قدّامها ، فأمره الربّ عز وجل أن يبسط يده ، ويأخذها بذنبها ، فلما استمكن منها ارتدت عصاً في يده ، وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ ﴾ ، أي : قد صارت حيَّةً عظيمةً لها ضخامةٌ هائلةٌ وأنيابٌ تصطك ، وهي مع ذلك في سرعة حركة الجانّ ، وهو ضرب من الحيّات[١] ، يقال : الجانّ والجِنّان ، وهو لطيف لكنه سريع الاضطراب والحركة جداً ، فهذه جمعت الضخامةَ والسرعةَ الشديدة ، فلمّا عاينها موسى عليه السلام ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ أي : هارباً منها ، لأن طبيعة البشريّة تقتضي ذلك ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ ﴾ أي : ولم يلتفت ، (فناداه ربُّهُ) قائلاً له : ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾ فلمّا رَجَعَ أمرَهُ اللهُ تعالى أنْ يمسكها ، ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه : ٢١] . فيقال : إنّه هابَها شديداً ، فوضع يده في كمّ مِدْرَعَته[٢] ، ثم وضع يده في وسط فمها . وعند أهل الكتاب : بذنبها . فلمّا استمكن منها ، إذا هي قد عادت كما كانت عصا ذات شعبتين . فسبحان القدير العظيم ربّ المشرقين والمغربين .

ثم أمره تعالى بإدخال يده في جيبه ، ثم أمره بنزْعها ، فإذا هي تتلألأ كالقمر بياضاً ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ ، أي : من غير برص ولا بَهَق[٣] ، ولهذا قال : ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ ﴾ [القصص : ٣٢] قيل : معناه إذا خِفتْ فضع يدك على فؤادك يسكن جأشُك . وهذا وإن كان خاصاً به ، إلا أنّ بركة الإيمان به حق بأن[٤] تنفع من استعمال ذلك على وجه الاقتداء بالأنبياء[٥] .

وقال في النمل : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ [آية : ١٢] أي : هاتان الآيتان ، هما : العصا واليد ، هما البرهانان المشار إليهما في قوله : ﴿ فَذَٰنِكَ

---

(١) في اللسان ، والجانُّ : ضرب من الحيات أكحل العينين ، يَضرِب إلى الصفرة ، لا يؤذي . . والجمع جِنّان .
(٢) المدرعة : ضرب من الثياب ، ولا تكون إلا من الصوف ، اللسان : درع .
(٣) البهق ، بفتحتين : بياض يعتري الجسد بخلاف لونه ؛ ليس من البرص .
(٤) في ب : حق الإيمان ينفع من استعمل .
(٥) من قوله : ثم أمره تعالى . . . إلى هنا زيادة من ب وط .

بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ ومع ذلك سبع آياتٍ أُخر ، فذلك تسع آياتٍ بيّنات ، وهي المذكورة في آخر سورة ﴿ سُبْحَـٰنَ ﴾ حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠١ ـ ١٠٢] وهي المبسوطة في سورة الأعراف ، في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الآيات : ١٣٠ ـ ١٣٣] كما سيأتي الكلام على ذلك في موضعه ، وهذه التسع آيات غير العشر الكلمات ، في التسع من كلمات الله القدرية ، والعشرة من كلماته الشّرعية ، وإنما نبهنا على هذا لأنّه قد اشتبه أمرها على بعض الرواة ، فظنّ أنّ هذه هي هذه ، كما قررنا ذلك في تفسير آخر سورة بني إسرائيل[1] .

---

(١) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ .

وتوهَّم بعض الرواة أن الكلمات هن الآيات ، مصدره الحديث الذي روي من طرق ، عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسّال المرادي قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآيات ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ . فقال : لا تقل له نبي ، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين . فسألاه ، فقال النبي ـ ﷺ ـ : « لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ـ أو قال : لا تفرُّوا من الزحف ـ (شعبةُ الشاكُّ) وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت . فقبّلا يديه ورجليه ، وقالا : نشهد أنك نبي . قال : « فما يمنعكما أن تتبعاني؟ قالا : لأن داود ـ عليه السلام ـ دعا أن لا يزال من ذريته نبي ، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود » .

وهذا الحديث أورده ابن كثير في تفسيره ، كما أورده من طرق الطبري (١٥/ ١١٥ ـ ١١٦) في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ . . ﴾ .

وهو في : مسند أحمد (٤/ ٢٣٩ ، ٢٤٠) والترمذي : (٣١٤٤) ، في التفسير : باب (١٨) ومن سورة بني إسرائيل ، والنسائي (٧/ ١١١) في التحريم باب السحر .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال ابن كثير : وهو حديث مشكل ، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء ، وقد تكلموا فيه ، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات ، فإنها وصايا في التوراة لا تَعَلُّقَ لها بقيام الحجة على فرعون ، والله أعلم .

وقال ابن كثير أيضاً (٣/ ٦٦ ـ ٦٧) : وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أُخَر كثيرة ، منها : ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ، ومنها تظليلهم بالغمام ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك مما أوتيه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ، ولكن ذكر ههنا التسع آيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم ، فخالفوها وعاندوها كفراً وجحوداً .

=

والمقصود أنّ الله سبحانه لما أمر موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص : ٣٣-٣٥] .

يقول تعالى ، مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى عليه السلام في جوابه لربّه عز وجل حين أمره بالذهاب إلى عدوّه الذي خرج من ديار مصر ، فراراً من سطوته وظلمه ، حين كان من أمره ما كان في قتل ذلك القبطي ، ولهذا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ . أي : اجعله معي مُعيناً ، ورِدْأً ، ووزيراً يساعدني ويعينني على أداء رسالتك إليهم ، فإنّه أفصح مني لساناً ، وأبلغ بياناً . قال الله تعالى مجيباً له إلى سؤاله ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾ أي : برهاناً ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ أي : فلا ينالون منكما مكروهاً بسبب قيامكما بآياتنا ، وقيل : ببركة آياتنا ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ .

وقال في سورة طه : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [الآيات : ٢٤ ـ ٢٨] .

قيل : إنّه أصابه في لسانه لثغةٌ بسبب تلك الجمرة التي وضعها على لسانه ؛ التي كان فرعون أراد اختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو صغير ، فهمّ بقتله فحاجّت عنه(1) آسية ، وقالت : إنّه طفلٌ ، فاختبره بوضع تمرة وجمرة بين يديه ، فهمّ بأخذ التمرة ، فصرفَ الملكُ يدَه إلى الجمرة ، فأخذها فوضعها على لسانه ، فأصابه لثغةٌ بسببها ، فسأل زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ، ولم يسأل زوالَها بالكليّة .

قال الحسن البصري : والرّسل إنّما يسألون بحسب الحاجة ، ولهذا بقيت في لسانه بقيةٌ ، ولهذا قال فرعون قبّحه الله فيما زعم أنّه يعيب به الكليم : ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف : ٥٢] أي : يُفصح عن مراده ويعبّر عمّا في ضميره وفؤاده . ثم قال موسى عليه السلام ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٢٩ ـ ٣٦] . أي : قد أجبناك إلى جميع ما سألت ، وأعطيناك الذي طلبت ، وهذا من وَجاهته عند ربّه عَزَّ وَجَلَّ حين شفع أن يوحي الله إلى أخيه ، فأوحى إليه ، وهذا جاهٌ عظيمٌ . قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٣] وقد سمعت

= وقد نظم بعضهم هذه الآيات التسع فقال :

عصـا ، سَنَـةٌ ، بَحْـرٌ ، جَـرَادٌ وقُمَّـلٌ دَمٌ ، ويَدٌ ، بعد الضفادع ، طوفانُ

القاموس المحيط للفيروزأبادي (تسع) .

(١) في ط : فخافت عليه .

أمّ المؤمنين عائشة رجلاً يقول لأناس وهم سائرون في طريق الحجّ : أي أخ أمَنُّ على أخيه؟ فسكت القوم ، فقالت عائشة : لمن حولَ هودجها : هو موسى بن عمران حين شفع في أخيه هارون ، فأوحي إليه[1] ، قالَ الله تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ ، وقال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الآيات : ١٠ ـ ٢٠] تقدير الكلام : فأتَياه فقالا له ذلك ، وبلَّغاه ما أُرْسلا به من دعوته إلى عبادة الله تعالى وحدَه لا شريك له ، وأن يفكَّ أسارى بني إسرائيل من قبضته ، وقهره ، وسطوته ، وتركهم يعبدون ربّهم حيث شاؤوا ، ويتفرَّغون لتوحيده ، ودعائه ، والتضرُّع لديه ، فتكبّر فرعون في نفسه ، وعتا ، وطغى ، ونظر إلى موسى بعين الازدراء والتنقّص قائلاً له : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ أي : أما أنت الذي ربَّيناه في منزلنا وأحسنّا إليه ، وأنعمنا عليه مدةً من الدَّهر ؟ وهذا يدلّ على أنَّ فرعون الذي بُعث إليه هو الذي فرَّ منه ، خلافاً لما عند أهل الكتاب من أن فرعون الذي فَرَّ منه مات في مُدّة مقامه بِمَدْين ، وأن الذي بُعِث إليه فرعونٌ آخر .

وقوله : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي : وقتلت الرجل القبطي ، وفررت منّا ، وجحدت نعمتنا ، ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ أي : قبل أن يوحى إليَّ وينزل عليَّ ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا ﴾ أي : نبوّة ، ﴿ وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١] . ثم قال ، مجيباً لفرعون عما امتنّ به من التربية والإحسان إليه : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء : ٢٢] ، أي : وهذه النعمة التي ذكرت من أنّك أحسنت إليّ ، وأنا رجل واحد من بني إسرائيل تقابل ما استخدمت هذا الشعب العظيم بكماله ، واستعبدتهم في أعمالك ، وخدمك ، وأشغالك .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٣ ـ ٢٨] .

يذكر تعالى ما كان بين فرعون وموسى من المقاولة ، والمحاجّة ، والمناظرة ، وما أقامه الكليم على فرعونَ اللئيم من الحجّة العقليّة المعنويّة ثم الحسيّة . وذلك أنَّ فرعون قَبّحه الله أظهر جحد الصانع تبارك وتعالى ، وزعم أنّه الإله ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٣ ـ ٢٤] . وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٧) .

مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص : ٣٨] . وهو في هذه المقالة معاند يعلم أنّه عبدٌ مربوب ، وأنّ الله هو الخالق البارىء المصوِّر الإلّه الحقُّ ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : ١٤] ، ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكار لرسالته ، والإظهار أنّه ما ثَمَّ ربٌّ أرسله : ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ؟ لأنّهما قالا له : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، فكأنه يقول لهما : ومَن ربّ العالمين الذي تزعمان أنّه أرسلكما وبعثكما؟ فأجابه موسى قائلاً : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ يعني : ربُّ العالمين خالق هذه السموات والأرض المشاهدة ، وما بينهما من المخلوقات المتجدّدة من السّحاب ، والرياح ، والمطر والنبات ، والحيوانات التي يعلم كلّ موقن أنّها لم تحدث بأنفسها ، ولا بدّ لها من موجدٍ ومُحْدِثٍ وخالقٍ ، وهو الله الذي لا إلّه إلا هو ربُّ العالمين ﴿ قَالَ ﴾ أي : فرعون لمن حوله من أُمرائه ومَرَازِبته[1] ووزرائه على سبيل التهكّم والتنقّص لما قرّره موسى عليه السلام : ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ يعني كلامه هذا ، قال موسى مخاطباً له ولهم : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي : هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السّالفة في الآباد ، فإنّ كلّ أحدٍ يعلم أنّه لم يخلق نفسه ، ولا أبوه ولا أمه ، ولم يَحدُث من غير مُحدِث ، وإنّما أوجده وخلقه الله ربُّ العالمين .

وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] ، ومع هذا كلّه لم يستفق فرعون من رَقدته ، ولا نزع عن ضلالته ؛ بل استمرّ على طُغيانه ، وعِناده ، وكفرانه ، ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، أي : هو المسخِّر لهذه الكواكب الزاهرة ، المسيِّرُ للأفلاك الدائرة ، خالق الظلام والضياء ، وربُّ الأرض والسماء ، ربُّ الأوّلين والآخِرين ، خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الحائرة ، خالق اللّيل بظلامه ، والنهار بضيائه ، والكلُّ تحت قهره وتسخيره وتسييره سائرون ، وفي فلك يَسبحون ؛ يتعاقبون في سائر الأوقات ، ويدورون ، فهو تعالى الخالق المالك المتصرِّف في خلقه بما يشاء .

فلما قامت الحجج على فرعون ، وانقطعت شبهه ، ولم يبق له قولٌ سوى العناد ، عدل إلى استعمال سلطانه ، وجاهه ، وسطوته ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٩ ـ ٣٣] . وهذان هما البرهانان اللذان أيّده الله بهما ، وهما العصا واليد . وذلك مقامٌ أظهر فيه الخارقُ العظيم الذي بَهر به العقول والأبصار حين ألقى عصاه ؛ فإذا هي ثعبان مبين ، أي : عظيم الشكل ، بديعٌ

---

(١) المرازبة : واحدها : مرزبان ، وهو الفارس الشجاع المقدَّم على القوم ، دون الملك ، وهو معرَّب . اللسان .

في الضخامة ، والهول ، والمنظر العظيم الفظيع الباهر ، حتى قيل : إنّ فرعون لمّا شاهد ذلك وعاينه أخذه رَهَبٌ شديد ، وخوف عظيم ، بحيث إنه حصل له إسهالٌ عظيم أكثر من أربعين مرّة في يوم ، وكان قبل ذلك لا يتبرّز في كل أربعين يوماً إلا مرة واحدة ، فانعكس عليه الحال . وهكذا لما أَدخل موسى عليه السلام يده في جيبه واستخرجها ، أخرجها وهي كفِلْقَةِ القمر تتلألأ نوراً يبهر الأبصار ، فإذا أعادها إلى جيبه رجعت إلى صفتها الأولى ، ومع هذا كلّه لم ينتفع فرعون لعنه الله بشيء من ذلك ، بل استمر على ما هو عليه ، وأظهر أنّ هذا كلّه سحر ، وأراد معارضته بالسَّحَرة ، فأرسل يجمعهم من سائر[١] مملكته ، ومن في رعيته ، وتحت قهره ودولته ، كما سيأتي بسطه وبيانه في موضعه من إظهار الله الحق المبين والحجّة الباهرة القاطعة على فرعون وملئه وأهل دولته وملّته ، ولله الحمد والمِنَّةُ .

وقال تعالى في سورة طه : ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝٤٢ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [الآيات : ٤٠ـ٤٦] .

يقول تعالى مخاطباً لموسى ، فيما كلّمه به لَيلة أَوحى إليه ، وأنعم بالنبوة عليه ، وكلّمه منه إليه : قد كنتُ مشاهداً لكَ وأنت في دار فرعون ، وأنت تحت كنفي ولطفي ، ثمّ أخرجتك من أرض مصر إلى أرض مَدين بمشيئتي وقَدَري وتدبيري ، فلبثت فيها سنين . ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ ، أي : منّي لذلك ، فوافق ذلك تقديري وتسييري ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ أي : اصطفيتك لنفسي برسالتي وبكلامي ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ يعني : ولا تفترا في ذِكري إذا قَدِمتما عليه ، ووفدتما إليه ، فإن ذلك عونٌ لكما على مخاطبته ، ومجاوبته ، وإهداء النصيحة إليه ، وإقامة الحجّة عليه .

وقد جاء في بعض الأحاديث : « يقول الله تعالى : إنَّ عَبْدي كُلَّ عَبْدي الذي يذكرني وهو ملاق[٢] قِرْنه » .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا . . . ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

ثم قال تعالى : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ وهذا من حلمه تعالى[٣] ، وكرمه ، ورأفته ، ورحمته بخلقه ، مع علمه بكفر فرعون وعتوّه ، وتجبُّره وهو إذ ذاك أردى خلقه ، وقد بعث إليه صفوته من خلقه في ذلك الزمان ، ومع هذا يقول لهما ويأمرهما أن يدعواه إليه بالتي

---

(١) سائر الشيء : بقيته .

(٢) في ب : كل عبدي لمن يذكرني وهو مناجز قرنه ، والحديث رواه الترمذي : (٣٥٨٠) في الدعوات ، باب ١١٩ ، وقال : « هذا حديث غريب (ضعيف) لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس إسناده بالقوي . . . ومعنى قوله : وهو ملاق قِرنه ، إنما يعني عند القتال ، يعني أن يذكر الله في تلك الساعة » .

(٣) في ب : وهذا من حكمة الله تعالى .

هي أحسن ؛ برفقٍ ولين ، ويعاملاه معاملةَ مَنْ يرجو أن يتذكّر أو يخشى ، كما قال تعالى لرسوله : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] وقال تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ . . . ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

قال الحسن البصري : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ : أعذرا إليه ، قُولا له : إن لك ربّاً ولك معاداً ، وإن بين يديك جنةً وناراً[١] .

وقال وهْب بن مُنَبِّه : قولا له : إنّي إلى العفو والمغفرة أقرب منّي إلى الغضب والعقوبة[٢] .

وقال يزيد الرَّقَاشي[٣] عند هذه الآية : يا من يتحبّب إلى من يعاديه ؛ فكيف بمن يتولّاه ويناديه .

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾ وذلك أنّ فرعون كان جباراً عنيداً وشيطاناً مَريداً ، له سلطان في بلاد مِصر ، طويل عريض ، وجاه وجنود وعساكر وسطوة ، فهاباه من حيث البشريةُ ، وخافا أن يسطو عليهما في بادىء الأمر ، فثبّتهما سبحانه وتعالى وهو العليُّ الأعلى فقال : ﴿ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء : ١٥] .

﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه : ٤٧ ـ ٤٨] .

يذكر تعالى أنّه أمرهما أن يذهبا إلى فرعون فيدعواه إلى الله تعالى أن يعبُدَه وحده لا شريك له ، وأن يرسل معهم بني إسرائيل ، ويُطلقهم من أسره وقهره ، ولا يعذبهم ﴿ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ ﴾ ، وهو البرهان العظيم في العصا واليد ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ تقييدٌ مفيدٌ بليغٌ عظيمٌ . ثم تهدّداه وتوعّداه على التكذيب فقالا : ﴿ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أي : كذّب بالحق بقلبه ، وتولّى عن العمل بقالَبه .

وقد ذكر السُّدِّي وغيره أنه لما قدم من بلاد مَدين دخل على أمّه وأخيه هارون ، وهما يتعشيان من طعام فيه الطفشيل[٤] ؛ وهو اللِّفْتُ ، فأكل معهما . ثم قال : يا هارون إنَّ الله أمرني وأمرك أن ندعو فرعون إلى

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٣) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الخبر في المصدر السابق . والرَّقَاشي ، بفتح الراء المهملة ، والقاف المخففة : نسبة إلى امرأة اسمها : رَقَاش ، كثرت أولادها حتى صاروا قبيلة ، وهي من قيس عيلان . الأنساب (٦/ ١٤٦) .
ويزيد بن طهمان الرقاشي ، أبو المعتمر ، من أهل البصرة .

(٤) في المحيط : الطَّفَيْشل ، بالمعجمة ، كَسَميدع : نوع من المرق . وفي تفسيره (٣/ ١٥٤) : وكان طعامهما ليلتئذٍ الطفيل ، وهو اللفت .

عبادته ، فقم معي ، فقاما يقصدان باب فرعون ، فإذا هو مغلق ، فقال موسى للبوّابين والحجَبة : أعلموه أنَّ رسولَ الله بالباب ، فجعلوا يسخرون منه ويستهزئون به .

وقد زعم بعضهم أنّه لم يؤذَن لهما عليه إلّا بعد حينٍ طويلٍ .

وقال محمد بن إسحاق : أُذن لهما بعد سنتين ، لأنّه لم يكُ أحدٌ يتجاسر على الاستئذان لهما[١] ، فالله أعلم .

ويقال : إنّ موسى تقدَّم إلى الباب فطرقه بعصاه ، فانزعج فرعون ، وأمر بإحضارهما ، فوقفا بين يديه ، فدعواه إلى الله عز وجل كما أمرهما .

وعند أهل الكتاب : أن الله قال لموسى عليه السلام : إن هارون اللاوي ، يعني الذي من نسل لاوي بن يعقوب ، سيخرج ويتلقّاك ، وأمره أن يأخذ معه مشايخ بني إسرائيل إلى عند فرعون ، وأمره أن يُظهر ما أتاه من الآيات ، وقال له : سأُقسّي قلبه فلا يرسل الشعب ، وأُكثر آياتي وأعاجيبي بأرض مصر .

وأوحى الله تعالى إلى هارون أن يخرج إلى أخيه يتلقّاه بالبرِّيَّة عند جبل حوريب ، فلما تلقّاه أخبره موسى بما أمره به ربّه ، فلما دخلا مِصر جمعا شيوخ بني إسرائيل ، وذهبا إلى فرعون ، فلما بلَّغاه رسالة الله ، قال : مَنْ هو الله ؟ لا أعرفه ، ولا أُرْسِلُ بني إسرائيل .

وقال الله تعالى مخبراً عن فرعون : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٤٩ ـ ٥٥] .

يقول تعالى ، مخبراً عن فرعون : إنّه أنكر إثبات الصّانع تعالى قائلاً : ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ، أي : هو الذي خلق الخلق ، وقدَّر لهم أعمالاً وأرزاقاً وآجالاً ، وكتب ذلك عنده في كتابه اللّوحِ المحفوظ ، ثمّ هدى كلَّ مخلوقٍ إلى ما قدَّره له ، فطابَقَ عمله فيهم على الوجه الذي قدّره وعَلِمَه لكمال علمه وقدرته وقدره .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى : ١ ـ ٣] أي : قدّر قدراً وهدى الخلائق إليه .

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ يقول فرعونُ لموسى : فإذا كان ربُّك هو الخالق المقدِّر ، الهادي الخلائق لما قَدَّره ، وهو بهذه المثابة من أنّه لا يستحقُّ العبادة سواه ، فلِمَ عبد الأوّلون غيرَه ، وأشركوا به من

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٤٠٥) .

الكواكب والأنداد ما قد علمت ، فهلّا اهتدى إلى ما ذكرته القرونُ الأولى؟! ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ أي : هم وإن عبدوا غيرَه ، فليس ذلك بحجةٍ لك ، ولا يدلُّ على خلافِ ما أقول ؛ لأنّهم جهلة مثلك ، كل شيءٍ فعلوه مستطرٌ عليهم في الزُّبر من صغيرٍ وكبيرٍ ، وسيجزيهم على ذلك ربّي عز وجل ، ولا يظلم أحداً مثقال ذرّة ، لأن جميع أفعال العباد مكتوبة عنده في كتابٍ لا يضلُّ عنه شيءٌ ، ولا ينسى ربي شيئاً .

ثمّ ذكر له عظمة الرَّبّ وقدرته على خلق الأشياء ، وجَعْلِه الأرضَ مهاداً والسماءَ سقفاً محفوظاً ، وتسخيره السحاب والأمطار لرزق العباد ودوابّهم وأنعامهم ، كما قال تعالى : ﴿ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ أي : لذوي العقول الصحيحة المستقيمة ، والفِطَر القويمة غير السّقيمة[(١)] ، فهو تعالى الخالق الرازق .

وكما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١ ـ ٢٢] ولما ذكر إحياء الأرض بالمطر ، واهتزازها بإخراج نباتها فيه ، نبّه به على المعاد فقال : ﴿ ۞مِنْهَا ﴾ ، أي : من الأرض خلقناكم ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم : ٢٧] .

ثم قال تعالى[(٢)] : ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه : ٥٦ ـ ٥٩] .

يخبر تعالى عن شَقاء فرعون ، وكثرة جهله ، وقلّة عقله في تكذيبه بآيات الله ، واستكباره عن اتّباعها ، وقوله لموسى : إنّ هذا الذي جئت به سحرٌ ، ونحن نعارضك بمثله ، ثم طلب من موسى أن يواعده إلى وقتٍ معلومٍ ، ومكان معلومٍ ، وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السّلام أن يُظهر آياتِ الله وحججه ، وبراهينه جَهْرة بحضرة النَّاس ، ولهذا قال : ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ ، وكان يوم عيدٍ من أعيادهم ، ومجتمع لهم ، ﴿ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ أي : من أوّل النهار في وقت اشتداد ضياء الشمس ، فيكون الحقّ أظهر وأجلى ، ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً في ظلامٍ ، كيما يروج عليهم محالاً وباطلاً ، بل طلب أن يكون نهاراً جهرةً لأنه على بصيرة من ربّه ، ويقينٍ أن الله سيظهرُ كلمته ودينه ؛ وإن رغمت أنوف القبط .

---

(١) قوله : والفطر . . . السقيمة . سقط من ب .

(٢) قوله : ثم قال تعالى . . . زيادة من ط .

قال الله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۝٦٣ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ [طه : ٦٠ ـ ٦٤] .

يخبر تعالى عن فرعون أنّه ذهب فجمع من كان ببلاده من السّحرة ، وكانت بلاد مصر في ذلك الزمان مملوءةً سَحَرةً فضلاء في فنّهم غاية ، فجمعوا له من كلِّ بلدٍ ، ومن كلِّ مكان ، فاجتمع منهم خلقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ، فقيل : كانوا ثمانين ألفاً ، قاله محمد بن كعب . وقيل : سبعين ألفاً ، قاله القاسم بن أبي بَزَّة[١] . وقال السُّدّي : بضعة وثلاثين ألفاً . وعن أبي أمامة : تسعة عشر ألفاً . وقال محمد بن إسحاق : خمسة عشر ألفاً . وقال كعب الأحبار : كانوا اثني عشر ألفاً[٢] . وروى ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس : كانوا سبعين رجلاً ، وروي عنه أيضاً : أنّهم كانوا أربعين غلاماً من بني إسرائيل ، أمرهم فرعون أن يذهبوا إلى العرفاء فيتعلّموا السِّحر ، ولهذا قالوا : ﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾ [طه : ٧٣] وفي هذا نظر .

وحضر فرعون ، وأمراؤه ، وأهل دولته ، وأهل بلده عن بَكرة أبيهم[٣] . وذلك أنّ فرعون نادى فيهم أن يحضروا هذا الموقف العظيم ، فخرجوا وهم يقولون : لعلّنا نتّبع السّحرة إن كانوا هم الغالبين . وتقدّم موسى عليه السلام إلى السّحرة فوعظهم ، وزجرهم عن تعاطي السِّحر الباطل الذي فيه معارضةٌ لآيات الله وحججه فقال : ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ قيل : معناه أنّهم اختلفوا فيما بينهم ؛ فقائل يقول : هذا كلام نبيٍّ وليس بساحر ، وقائل منهم يقول : بل هو ساحر ، فالله أعلم .

وأسرّوا التناجي بهذا وغيره ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ﴾ يقولون : إنَّ هذا وأخاه هارون ساحرانِ[٤] عليمان مطبقان متقنان لهذه الصِّناعة ، ومرادهم أن يجتمع النّاس عليهما ، ويصولا على الملك وحاشيته ، ويستأصلاكم عن آخركم ، ويستأمرا[٥] عليكم بهذه الصناعة ، ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ .

---

(١) في ط : أبي بردة ، وهو خطأ . والقاسم بن أبي بَزّة ـ بفتح الموحدة وتشديد الزاي ـ المكي ، مولى بني مخزوم . قارىء ، ثقة . تقريب التهذيب (٢/ ١١٥) .
(٢) قوله : ألفاً . ليس في ب ، ورواية المتن موافقة لما أورده في تفسيره (٣/ ١٥٨) .
(٣) يقال : جاؤوا على بكرة أبيهم : إذا جاؤوا جميعاً على آخرهم . اللسان (بكر) .
(٤) قوله : ﴿ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم . . ﴾ . . هارون ساحران سقط من ب بنقلة عين .
(٥) في ب : وليستأصلاكم . . وليستأمرا .

وإنما قالوا الكلام الأوّل ليتدبّروا ويتواصَوا ويأتوا بجميع ما عندهم من المكيدة ، والمكر ، والخديعة ، والسِّحر ، والبُهتان ، وهيهات ، كذبت والله الظنون ، وأخطأت الآراء . أنّى يعارِضُ البهتان ، والسحرُ والهذيان ، خَوارقَ العادات التي أجراها الدَّيّان ، على يدي عبده الكليم ، ورسوله الكريم المؤيد بالبرهان الذي يبهر الأبصار ، وتحار فيه العقول والأذهان .

وقولهم : ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ﴾ أي : جميع ما عندكم ﴿ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ ﴾ أي : جملةً واحدةً ، ثمّ حَضُّوا بعضهم بعضاً على التقدّم في هذا المقام ، لأن فرعون كان قد وعدهم ومَنّاهم ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء : ١٢٠] .

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾ [طه : ٦٥ ـ ٦٩] .

لما اصطفّ السَّحرةُ ، ووقف موسى وهارون عليهما السلام تجاههم قالوا له : إمّا أن تلقيَ قبلنا ، وإما أن نلقيَ قبلك . ﴿ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ ﴾ أنتم ، وكانوا قد عمدوا إلى حبالٍ وعِصِيٍّ ، فأودعوها الزئبقَ وغيرَه من الآلات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطراباً يخيّل للرائي أنّها تسعى باختيارها ، وإنّما تتحرّك بسبب ذلك . فعند ذلك سحروا أعين النّاس ، واسترهبوهم ، وألقَوا حبالهم وعصيَّهم وهم يقولون : بعزَّة فرعون إنّا لنحن الغالبون[1] .

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأعراف : ١١٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴾ أي : خاف على النّاس أن يفتتنوا بسحرهم ومحالهم قبل أن يُلْقِيَ ما في يده فإنّه لا يصنع شيئاً قبل أن يُؤمَر ، فأُوحيَ إليه في السّاعة الراهنة ﴿ لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾ فعند ذلك ألقى موسى عصاه وقال : ما جئتم به السِّحرُ إن الله سيُبْطِله إنَّ الله لا يُصلِحُ عمل المفسدين ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [يونس : ٨٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ[2] عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴾ [الشعراء : ٤٥] ﴿ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف : ١١٨ ـ ١٢٢] وذلك أنّ موسى عليه السلام لمَّا ألقاها صارت حيةً عظيمةً ذات قوائم ـ فيما ذكره غيرُ

---

(١) قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٤٤] .

(٢) كلمة ﴿ موسى ﴾ ليست في ب . وبذلك تكون الآية من قوله عزَّ وجل في سورة الأعراف : ﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴾ .

واحد من علماء السّلف ـ وعُنُقٍ عظيم ، وشكلٍ هائلٍ مزعجٍ ، بحيث إنّ النّاس انحازوا منها وهَربوا سِراعاً ، وتأخّروا عن مكانها ، وأقبلت هي على ما ألقوه من الحِبال والعِصيّ فجعلت تلقفه واحداً واحداً في أسرع ما يكون من الحركة ، والنّاس ينظرون إليها ويتعجّبون منها .

وأما السَّحَرة فإنهم رأوا ما هالَهم وحيّرهم في أمرهم ، واطّلعوا على أمر لم يكن في خَلَدهم ولا بالهم ، ولا يدخل تحت صناعاتهم وأشغالهم . فعند ذلك ، وهنالك تحقّقوا بما عندهم من العلم أنّ هذا ليس بسحر ، ولا شَعْبَذة ، ولا محالٍ ، ولا خيالٍ ، ولا زورٍ ، ولا بهتانٍ ، ولا ضلالٍ ، بل حق لا يقدر عليه إلا الحقّ الذي ابتعث هذا المؤيَّدَ به بالحقّ ، وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة وأنارها بما خَلَق فيها من الهدى ، وأزاح عنها القسوة ، وأنابوا إلى ربِّهم وخرّوا له ساجدين ، وقالوا جَهْرةً للحاضرين ، ولم يخشوا عقوبةً ولا بلوىٰ ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه : ٧٠ ـ ٧٦] .

قال سعيد بن جُبير ، وعكرمة ، والقاسم بن أبي بَزّة ، والأوزاعي ، وغيرُهم : لمّا سجد السَّحَرة رأوا منازلَهم وقصورَهم في الجنة تُهَيّأ لهم ، وتُزَخْرَف لقدومهم ، ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون ، وتهديده ، ووعيده ، وذلك لأن فرعون لمّا رأى هؤلاء السَّحرةَ قد أسلموا ، وأشهروا ذِكر موسى وهارون في النّاس على هذه الصِّفة الجميلة ، أفزعه ذلك ، ورأى أمراً بهره ، وأعمى بصيرته وبصره ، وكان فيه كيدٌ ، ومكرٌ ، وخداع ، وصنعة بليغة في الصدّ عن سبيل الله ، فقال مخاطباً للسّحرة بحضرة النّاس : ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ أي : هلاّ شاورتموني فيما صنعتم من الأمر الفظيع بحضرة رعيّتي ، ثمّ تهدّدَ ، وتوعّد ، وأبرق ، وأرعد ، وكذّب فأبعد قائلاً : ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ . وقال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٣] .

وهذا الذي قاله من البهتان الذي يعلم كل عاقل[١] ما فيه من الكفر ، والكذب ، والهذيان ، بل لا يروج مثله[٢] على الصّبيان ، فإنَّ النّاس كلهم من أهل دولته وغيرهم يعلمون أنّ موسى لم يَرَه هؤلاء يوماً من الدّهر ، فكيف يكون كبيرهم الذي علّمهم السِّحر . ثم هو لم يجمعهم ولا علم باجتماعهم حتى كان

---

(١) في ط : البهتان يعلم كل فرد عاقل . . .

(٢) كذا في ب وط . وفي أ : قيله .

فرعون هو الذي استدعاهم ، واجتباهم من كلِّ فجٍّ عميقٍ ، ووادٍ سحيقٍ ، ومن حواضر بلاد مصر والأطراف ، ومن المدن والأرياف .

قال الله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الآيات : ١٠٣ ـ ١٢٦] .

وقال تعالى في سورة يونس : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾

[الآيات : ٧٥ ـ ٨٢] .

وقال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ

وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾
[الآيات : ٢٩ ـ ٥١] .

والمقصود أنّ فرعون كذب وافترى ، وكفر غاية الكفر في قوله : ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ ، وأتى ببهتان يعلمه العالِمون ، بل العالَمون في قوله : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ﴾ يعني : يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وعكسه ، ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي : ليجعلهم مثلةً ونكالاً لئلا يقتدي بهم أحد من رعيته وأهل مِلّته ، ولهذا قال : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ أي : على جذوع النّخل ؛ لأنّها أعلى وأشهر ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ يعني : في الدنيا .

﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ أي : لن نُطيعَكَ وَنترك ما وَقَر في قلوبنا من البيّنات والدّلائل القاطعات ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ قيل : معطوف ، وقيل : قَسَم ، ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ أي : فافعل ما قدرت عليه ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ أي : إنّما حكمك علينا في هذه الحياة الدنيا ، فإذا انتقلنا منها إلى الدار الآخرة ؛ صرنا إلى حكم الذي أسلمنا له ، واتّبعنا رسله ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ أي : وثوابه خير مما وعدتنا به من التقريب والترغيب ﴿ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ أي : وأدوم من هذه الدار الفانية .

وفي الآية الأخرى : ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ ﴾ أي : ما اجترمناه من المآثم والمحارم ﴿ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : من القبط ، بموسى وهارون عليهما السلام .

وقالوا له أيضاً : ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ﴾ أي : ليس لنا عندك ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا واتّباعنا آيات ربنا لمّا جاءتنا ، ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ أي : ثبّتنا على ما ابتُلينا به من عقوبة هذا الجبّار العنيد ، والسلطان الشديد ، بل الشيطان المريد ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ .

وقالوا له[(١)] أيضاً يعظونه ، ويخوّفونه بأس ربّه العظيم : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ ، يقولون له : فإيّاك أن تكون منهم ، فكان منهم ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ أي : المنازل العالية ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ ، فاحرص أن تكون منهم ، فحالت بينه وبين ذلك الأقدار التي لا تُغالَب ولا تمانَع ، وحكم العليُّ العظيم بأن فرعون لعنه الله من أهل الجحيم ، ليباشر العذاب الأليم ، يُصبُّ من فوق رأسه الحميم ، ويقال له على

(١) في ط : وقالوا أيضاً .

وجه التقريع والتوبيخ ، وهو المقبوح المنبوح[١] الذّميم اللّئيم : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٩] .

والظّاهر من هذه السياقات[٢] أن فرعون لعنه الله ، صلبهم وعذَّبهم ، رضيَ الله عنهم . قال عبد الله بن عباس ، وعُبيد بن عُمير : كانوا من أوّل النّهار سَحَرةً فصاروا من آخره شهداء بَرَرة . ويؤيّد هذا قولهم : ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ .

***

فصل

ولمّا وقع ما وقع من الأمر العظيم ، وهو الغَلَبُ الذي غُلِبَتْهُ القِبط في ذلك الموقف الهائل ، وأسلم السَّحَرة الذين استنصروا بهم[٣] ، لم يزِدْهم ذلك إلا كُفراً وعِناداً وبُعداً عن الحقِّ .

قال الله تعالى بعد قَصَصِ ما تقدّم في سورة الأعراف : ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الآيات : ١٢٧ ـ ١٢٩] .

يخبر سبحانه وتعالى عَنِ الملأ من قوم فرعون ، وهم الأمراء والكبراء ، أنّهم حَرَّضوا مِلكهم فرعون على أذيّة نبيّ الله موسى عليه السلام ، ومقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والردِّ والأذى فقالوا : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ ﴾ ، يعنون ـ قَبَّحهم اللهُ ـ أنّ دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والنهيَ عن عبادة ما سواه ، فسادٌ بالنسبة إلى اعتقاد القِبط ، لعنهم الله . وقرأ بعضهم[٤] :

(١) المنبوح : المشتوم . يقال : نبحتني كلابك : أي لحقتني شتائمك . وأصله من نباح الكلب ، وهو صياحه . اللسان .

(٢) في ب : الآيات .

(٣) في ط : استنصروا ربهم . وهو خطأ . وقراءة نافع وابن كثير : ﴿ سَنَقْتُلُ ﴾ بالتخفيف . حجة القراءات : (٢٩٤) والنشر (٢/ ٢٧١) .

(٤) قال عبد الفتاح القاضي في القراءات الشاذة (ص٤٨) : وقرأ الحسن وابن محيصن : ﴿ وإلَهتك ﴾ ، بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام وألف بعدها ، فقيل : إنه مصدر بمعنى العبادة مضاف لمفعوله ، أي : ويترك عبادته لك ، وقيل : مصدر أريد به المفعول ، أي : ويترك المعبود الذي تعبده . وكذا في : شواذ ابن خالويه (٤٥) ، وتفسير الطبري (٩/ ١٧) ، وفيه : والقراءة التي لا نرى القراءة بغيرها هي القراءة التي عليها قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

﴿ ويذرك وإلٰهتك ﴾ أي : وعبادتك[1] ، ويَحتمل شيئين : أحدهما : ويذر دينك ، وتقوّيه القراءة الأخرى . الثاني : ويذر أنْ يعبدَك ، فإنّه كان يزعم أنّه إلَهٌ ، لعنه الله .

﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ ، أي : لئلّا يكثر مقاتِلتهم ، ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ ، أي : غالبون .

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، أي : إذا همّوا هم بأذيّتكم ، والفتكِ بكم ، فاستعينوا أنتم بربِّكم ، واصبروا على بليّتكم ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، أي : فكونوا أنتم من[2] المتقين لتكونَ لكم العاقبة ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يونس : ٨٤ ـ ٨٦] .

وقولهم : ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ أي : قد كانت[3] الأبناء تُقتّل قبل مجيئك ، وبعد مجيئك إلينا ﴿ جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وقال الله تعالى في سورة ﴿ حمٓ ﴾ المؤمن : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر : ٢٣ ـ ٢٤] وكان فرعون الملك ، وهامان الوزير ، وكان قارون[4] إسرائيلياً من قوم موسى ، إلّا أنّه كان على دين فرعون ومَلَئِهِ ، وكان ذا مالٍ جَزيلٍ جدّاً ، كما ستأتي قِصّته فيما بعد إن شاء الله تعالى . ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر : ٢٥] وهذا القتلُ للغلمان من بعد بعثة موسى إنّما كان على وجه الإهانة ، والإذلال ، والتقليل لملأ بني إسرائيل لئلّا يكون لهم شوكةٌ يمتنعون بها ، أو يصولون على القِبْط بسببها ، وكانت القبط منهم يحذرون ، فلم ينفعهم ذلك ، ولم يردّ عنهم قدر الله الذي يقول للشيء كُنْ فيكُون .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر : ٢٦] . ولهذا يقول النّاس على سبيل التهكّم : صار فرعون مُذكِّراً ، وهذا منه ، فإنّ فرعون في زعمه يخاف على النّاس أن يضلهم موسى عليه السّلام .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر : ٢٧] . أي : عذت

---

(١) في تاريخ الطبري (٤١٣/١) وآلهته ـ فيما زعم ابن عباس ـ كانت البقر ، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عجلاً بقرة .

(٢) الحرف (من) ليس في ط .

(٣) في ب : أي كانت .

(٤) في ب : وقارون كان . .

بالله، ولجأت إليه واستجرت[(١)] بجنابه من أن يَسْطُوَ فِرْعَونُ وغيرُه عليَّ بسوءٍ . وقوله : ﴿ مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ أي : جبّار عنيدٍ لا يَرْعَوي ، ولا ينتهي ، ولا يخافُ عذابَ الله وعقابه[(٢)] ؛ لأنّه لا يعتقد معاداً ولا جزاءً . ولهذا قال : ﴿ مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر : ٢٧ ـ ٢٩] . هذا الرجل هو ابن عمٍّ فرعون ، وكان يكتم إيمانه من قومه خوفاً منهم على نفسه . وزعم بعض النّاس أنّه كان إسرائيلياً ، وهو بعيدٌ ومخالف لسياق الكلام لفظاً ومعنى ، والله أعلم .

قال ابن جُرَيج : قال ابن عباس : لم يُؤْمِن من القِبط بموسى إلّا هذا ، والذي جاء من أَقْصى المدينة ، وامرأةُ فرعون . رواه ابن أبي حاتم . قال الدَّارَقُطْني : لا يُعْرف من اسمُه شمعان ، بالشين المعجمة ، إلا مؤمن آل فرعون ، حكاه السّهيلي[(٣)] .

وفي تاريخ الطبري أن اسمه : خير ، فالله أعلم .

والمقصود أنّ هذا الرجل كان يكتم إيمانَه ، فلما هَمَّ فرعون لعنه الله بقتل موسى عليه السلام وعزم على ذلك ، وشاور ملأه فيه ، خاف هذا المؤمن على موسى ، فتلطّف في ردِّ فرعون بكلامٍ جمع فيه الترغيبَ والترهيبَ ، فقال على وجه المشورة والرّأي ، وقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أَفْضَلُ الجِهادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ »[(٤)] . وهذا من أعلى مراتب هذا المقام ، فإن فرعون لا أشدَّ جَوْراً منه ، وهذا الكلام لا أعدل منه ، لأن فيه عصمة نبي . ويحتمل أنّه كاشرهم[(٥)] بإظهار إيمانه ، وصرّح لهم بما كان يكتمه ، والأوّل أظهر . والله أعلم .

قال ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ أي : من أجل أنّه قال : ربي الله ، فمثل هذا لا يقابَل بهذا ؛ بل بالإكرام والاحترام ، أو الموادعة وترك الانتقام ، يعني لأنّه إن ﴿ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ أي :

---

(١) قوله : واستجرت ليس في ط .
(٢) في ب : ولا عقابه .
(٣) في التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن : ورقة ٥٥ .
(٤) أخرجه الترمذي (٢١٧٤) في الفتن، باب ما جاء في أفضل الجهاد كلمة عدل وأبو داود (٤٣٤٤) في الملاحم ، وابن ماجه (٤٠١١)، في الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله . وأخرجه أحمد (٤/ ٣١٤) وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي، راويه عن أبي سعيد النسائي (٧/ ١٦١) عن طارق بن شهاب أن رجلاً سأل النبي ﷺ ، وهذا مرسل لأن طارق بن شهاب رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه (وينظر تهذيب الكمال (١٣/ ٣٤١ ـ ٣٤٣) والتعليق عليه) لكنه مرسل صحابي، فيصح به الحديث كما قال المصنف .
(٥) كاشرهم : ضحك في وجههم وباسطهم .

بالخوارق التي دلّت على صدقه فيما جاء به عمَّن أرسله ، فهذا إن وادعتموه كنتم في سلامةٍ لأنه ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ﴾ ، ولا يضرّكم ذلك ، ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا ﴾ وقد تعرّضتم له ﴿ يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ أي : وأنتم تشفقون أن ينالكم أيسر جزاءٍ مما يتوعدكم به ، فكيف بكم إن حلَّ جميعه عليكم .

وهذا الكلام في هذا المقام من أعلى مقامات التلطُّف ، والاحتراز ، والعقل التّام .

وقوله : ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يُحذِّرهم أن يُسلبوا هذا الملك العزيز فإنّه ما تعرّض الدول للدِّينِ إلا سُلبوا مُلْكَهم وذلّوا بعد عزِّهم ، وكذا وقع لآل فرعون ؛ ما زالوا في شكٍّ ، وريبٍ ، ومخالفةٍ ، ومعاندةٍ لما جاءهم موسى به حتى أخرجهم الله مما كانوا فيه من الملك والأملاك ، والدُّور والقصور والنِّعمة والحبور ، ثمّ حوِّلوا إلى البحر مهانين ، ونُقِلَتْ أرواحهم بعد العلوِّ والرِّفعة إلى أسفل السّافلين . ولهذا قال هذا الرجل المؤمن الصّادق[1] البارُّ الراشد ، التابع للحقّ ، الناصح لقومه ، الكامل العقل : ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي : عالين على الناس حاكمين عليهم ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ أي : لو كنتم أضعاف ما أنتم فيه من العدد والعدّة ، والقوّة والشدّة لما نفعنا ذلك ، ولا ردّ عنا بأس مالك الملك .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ أي : في جواب هذا كلِّه : ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ أي : ما أقول لكم إلا ما عندي ، ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ ، وكذب في كلٍّ من هذين القولين ، وهاتين المقدِّمتين ، فإنّه قد كان يتحقَّق في[2] باطنه وفي نفسه أنّ هذا الذي جاء به موسى من عند الله لا محالة ، وإنّما كان يُظْهِرُ خلافه بغياً وعدواناً وعتوّاً وكفراناً .

قال الله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال له[3] : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء : ١٠٢ ـ ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : ١٣ ـ ١٤] .

وأما قوله : ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ ، فقد كذب أيضاً ، فإنّه لم يكن على رشادٍ من الأمر ، بل كان على سَفَهٍ وضلالٍ وخَبَلٍ وخَيالٍ ، فكان أولاً ممن يعبد الأصنام والأمثال ، ثم دعا قومه الجَهَلَةَ الضُّلّالَ إلى أن اتَّبعوه وطاوعوه وصدَّقوه فيما زعم من الكفر المحال في دعواه أنّه ربٌّ ، تعالى الله ذو الجلال[4] .

---

(١) في ط : المصدق .
(٢) في ب : يتحقق ويعلم في . .
(٣) قوله : أنه قال له . زيادة من ب .
(٤) في ب : مولانا ذو الجلال .

قال الله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف : ٥١ ـ ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [النازعات : ٢٠ ـ ٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ [هود : ٩٦ ـ ٩٩] .

والمقصود بيان كذبه في قوله : ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ ، وفي قوله : ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر : ٢٩ ـ ٣٥] .

يحذِّرهم وليُّ الله إن كذبوا برسول الله موسى أن يَحُلَّ بهم ما حلَّ بالأمم من قبلهم من النقمات والمثُلات[1] ، مما تواتر عندهم ، وعند غيرهم ما حلَّ بقوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ ومَن بعدهم إلى زمانهم ، ذلك مما أقام الله به الحجج على أهل الأرض قاطبةً في صدق ما جاءت به الأنبياء لما أنزل من النقمة بمكذِّبيهم من الأعداء ، وما أنجى الله من اتَّبعهم من الأولياء ، وخوّفهم يومَ القيامة ، وهو ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ أي : حين ينادي الناسُ بعضهم بعضاً ، حين يولون ـ إن قدروا على ذلك ـ ، ولا إلى ذلك سبيل ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة : ١٠ ـ ١٢] . وقال تعالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٣ ـ ٣٦] .

وقرأ بَعْضُهُم[2] ﴿ يوم ٱلتنادِّ ﴾ ، بتشديد الدال : أي : يوم الفرار ، ويحتمل أن يكون يوم القيامة ،

---

(١) المثُلات : مفردها مَثُلَة وهي النقمة تنزل بالإنسان فيُجعل مثالاً يرتدع به غيره ، وذلك كالنكال . مفردات الراغب الأصفهاني .

(٢) هي قراءة ابن عباس والضحاك . قال : أي يندون كما تند الإبل . شواذ ابن خالويه (١٣٢) .

ويحتمل أن يكون يوم يُحِلُّ الله بهم البأس فيريدون[١] الفرار ولاتَ حِيْنَ مَناص . ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٢ ـ ١٣] .

ثم أخبرهم عن نبوّة يوسف في بلاد مصر وما كان منه من الإحسان إلى الخلق في دنياهم وأخراهم ، وهذا من سلالته وذريته ، ويدعو النّاس إلى توحيد الله تعالى وعبادته ، وأن لا يشركوا به أحداً من بريّته ، وأخبر عن أهل الديار المصرية في ذلك الزمان ، أن من سجيّتهم التكذيب بالحق ومخالفة الرسل ، ولهذا قال : ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴾ أي : وكذّبتم في هذا ، ولهذا قال : ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ﴾ أي : يردّون حجج الله وبراهينه ودلائل توحيده بلا حجّة ولا دليلٍ عندهم من الله ، فإن هذا أمر يمقته[٢] الله غاية المقت ، أي يبغض من تلبّس به من الناس ، ومن اتّصف به من الخلق ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ ، قُرئ بالإضافة وبالنعت[٣] ، وكلاهما متلازم ، أي : هكذا إذا خالفت القلوب الحقّ ولا تخالفه إلا بلا برهان ، فإن الله يطبع عليه أي يختم عليها[٤] .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾ [غافر : ٣٦ ـ ٣٧] .

كذّب فرعونُ موسى عليه السلام في دعواه أن الله أرسله ، وزَعْمُ فرعونَ لقومه ما كذبه وافتراه في قوله لهم : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي : طُرُقها ومَسَالِكها ، ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ . ويحتمل هذا معنيين : أحدهما : وإني لأظنه كاذباً في قوله : إن للعالم ربًّا غيري . والثاني : في دعواه أن الله أرسله . والأوّل أشبه بظاهر حال فرعون ، فإنه كان ينكر ظاهر إثبات الصانع[٥] ، والثاني أقرب إلى اللفظ حيث قال : ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ أي : فأسأله . هل أرسله أم لا ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ أي : في دعواه ذلك .

وإنما كان مقصود فرعون أن يَصُدَّ النّاس عن تصديق موسى عليه السلام وأن يحثّهم على تكذيبه . قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ،

---

(١) في ط : فيودون .

(٢) في ب : فإن هذا مما يمقت الله . وفي ط : فإن هذا أمر يمقته .

(٣) قرأ أبو عمرو وابن عامر : ﴿ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ ﴾ بالنعت . وقرأ الباقون بغير تنوين ، على الإضافة . حجة القراءات (٦٣٠ ـ ٦٣١) ، النشر (٢/ ٣٦٥) .

(٤) زاد هاهنا في ب : بما فيها .

(٥) من قوله : والثاني في دعواه . . . . إلى هنا سقط من أ بنقلة عين .

وقُرئ(١) : ﴿ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد : يقول : إلّا في خسار ، أي : باطل لا يحصل له شيء من مقصوده الذي رامه ، فإنّه لا سبيل للبشر أن يتوصّلوا بقواهم إلى نيل السماء أبداً ، أعني السماء الدنيا ، فكيف بما بعدها من السماوات العُلى وما فوق ذلك من الارتفاع الذي لا يعلمه إلا الله عَزّ وجَلّ(٢) . وذكر غير واحد من المفسّرين أن هذا الصرح ، وهو القصر الذي بناه وزيره هامان له ، لم يُرَ بناءٌ أعلى منه ، وإن كان مبنياً من الآجرِّ المشويِّ بالنار ، ولهذا قال : ﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا ﴾ .

وعند أهل الكتاب أن بني إسرائيل كانوا يُسَخَّرون في ضرب اللَّبِن ، وكان مما حملوا من التكاليف الفرعونية أنّهم لا يُساعدون على شيء مما يحتاجون إليه فيه ، بل كانوا هم الذين يجمعون تُرابه وتبنه ومَاءه ، ويُطلب منهم في كلِّ يوم قسط معين ، إنْ لم يفعلوه وإلّا ضُربوا وأُهينوا غاية الإهانة ، وأُوذوا غاية الأذيّة . ولهذا قالوا لموسى : ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ، فوعدهم بأن العاقبة لهم على القبط وكذلك وقع ، وهذا من دلائل النبوة .

ولنرجع إلى نصيحة المؤمن ، وموعظته ، واحتجاجه قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر : ٣٨ ـ ٤٠] يدعوهم رضي الله عنه إلى طريق الرشاد والحق ، وهي متابعة نبي الله موسى وتصديقه فيما جاء به من ربه ، ثم زهّدهم في الدنيا الدنيّة الفانية المنقضية لا محالة ، ورغّبهم في طلب الثواب عند الله الذي لا يضيع عمل عامل لديه ، القدير الذي ملكوت كل شيء بيديه ، الذي يعطي على القليل كثيراً ، ومِن عدله لا يجازي على السيئة إلا مثلها . وأخبرهم أن الآخرة هي دار القرار ؛ التي مَن وافاها مؤمناً قد عمل الصالحات فلهم الجنات العاليات والغرف الآمنات ، والخيرات الكثيرة الفائقات ، والأرزاق الدائمة التي لا تبيد . والخير الذي كل ما لهم منه في مزيد .

ثم شرع في بيان إبطال ما هم عليه ، وتخويفهم مما يصيرون إليه فقال : ﴿ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ

(١) قرئ ﴿ صَدَّ ﴾ بالبناء للمعلوم ، وهي قراءة الجمهور إلا عاصماً وحمزة والكسائي ، فقد قرؤوها بالبناء للمجهول . حجة القراءات (٦٣٢) وتفسير الطبري (٢٤/ ٤٣) .

(٢) تفسير الطبري : (٢٤/ ٤٣ ـ ٤٤) .

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[1] [غافر : ٤١ ـ ٤٦] .

كان يدعوهم إلى عبادة ربّ السماوات والأرض ، الذي يقول للشيء : كن فيكون ، وهم يدعونه إلى عبادة فرعون الجاهل الضّال الملعون ، ولهذا قال لهم على سبيل الإنكار : ﴿ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ ، ثمّ بيّن لهم بطلان ما هم عليه من عبادة ما سوى الله من الأنداد والأوثان ، وأنّها لا تملك من نفعٍ ولا إضرار[2] فقال : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ أي : لا تملك تصرّفاً ولا حكماً في هذه الدار ، فكيف تملكه يوم القرار . وأمّا الله عزّ وجلّ فإنه الخالق الرازق للأبرار والفجّار ، وهو الذي أحيا العباد ويميتهم ويبعثهم فيدخل طائعهم الجنة وعاصيهم إلى النار .

ثمّ توعّدهم إنْ هم استمروا على العناد بقوله : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ . قال الله : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ أي : بإنكاره سَلِم مما أصابهم من العقوبة على كفرهم بالله ومكرهم في صدّهم عن سبيل الله ، مما أظهروا للعامة من الخيالات والمحالات التي لبّسوا بها على عوامّهم وطَغامهم[3] ، ولهذا قال : ﴿ وَحَاقَ ﴾ أي : أحاط ﴿ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ أي : تُعرض أرواحهم في برزخهم صباحاً ومساءً على النار ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ . وقد تكلّمنا على دلالة هذه الآية على عذاب القبر في « التفسير »[4] ولله الحمد .

والمقصود أنّ الله تعالى لم يُهلكهم إلا بعد إقامة الحجج عليهم ، وإرسال الرسول إليهم ، وإزاحة الشُبه عنهم ، وأخذ الحجّة عليهم منهم ، فبالترهيب تارةً والترغيب أخرى ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٠ ـ ١٣٣] .

---

(١) الآية الأخيرة لم ترد في ب .
(٢) في ب : لا تملك نفعاً ولا ضراً .
(٣) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم ، الواحد والجمع سواء .
(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٠ ـ ٨١) .

يخبر تعالى أنه ابتلى آل فرعون ، وهم قومه من القبط ، بالسّنين : وهي أعوام الجَدْب التي لا يُستغل فيها زرع ولا يُنتفع بضرع ، وقوله : ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ . وهي قلّة الثمار من الأشجار ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أي : فَلَم ينتفعوا ولم يرعَوُوا ، بل تمرّدوا واستمروا على كفرهم وعنادهم ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾ وهو الخصب ونحوه ، ﴿ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ أي : هذا الذي نستحقّه ، وهذا الذي يليق بنا ، ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ أي : يقولون : هذا بشؤمهم أصابنا هذا ، ولا يقولون في الأوّل إنه بركتُهم وحسن مجاورتهم ، ولكنْ قلوبهم منكرة مستكبرة ، نافرة عن الحق ، إذا جاء الشرُّ أسندوه إليه ، وإن رأوا خيراً ادّعوه لأنفسهم .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي : الله يجزيهم على هذا أوفر الجزاء ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : مهما جئتنا به من الآيات ، وهي الخوارق للعادات ، فلسنا نؤمن بك ولا نتّبعك ولا نطيعك ولو جئتنا بكلِّ آية .

وهكذا أخبر الله عنهم في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٦ ـ ٩٧] .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ أما الطّوفان ، فعن ابن عباس : هو كَثْرةُ الأمطار المُتْلِفَةِ للزروع والثمار . وبه قال سعيد بن جُبير وقتادة والسُّدّي والضحّاك . وعن ابن عباس وعطاء : هو كثرة الموت[(١)] . وقال مجاهد الطوفان : الماء والطاعون على كلِّ حال . وعن ابن عباس : أمرٌ طافَ[(٢)] بهم .

وقد روى ابن جرير ، وابن مردويه ، من طريق يحيى بن يَمَان ، عن المنهال بن خليفة ، عن الحجّاج ، عن الحكم بن مِيْنا ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ « الطُّوفانُ الموْتُ »[(٣)] وهو غريب .

وأما الجراد : فمعروف . وقد روى أبو دَاود[(٤)] ، عن أبي عثمان ، عن سلمان الفارسي قال : سُئل رسول الله عن الجراد فقال : « أكْثَرُ جُنُوْدِ اللهِ لا آكُلُهُ وَلاَ أُحَرِّمُهُ » وترك النبي ﷺ أكله إنما هو على وجه التقذُّر له ، كما ترك أكل الضَّبِّ ، وتنزّه عن أكل البَصَل والثوم والكرّاث ؛ لما ثبت في « الصحيحين »[(٥)] عن عبد الله بن أبي أَوْفى قال : غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكلُ الجراد .

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٢ ـ ٢٧) .
(٢) في ب : حاق بهم .
(٣) هو في تفسيره : (٩/ ٢٧) من طريق أخرى عن مجاهد . وهو عن عائشة في الجامع الصغير (٢/ ١٠٨) .
(٤) سنن أبي داود رقم (٣٨١٣) في الأطعمة ، باب في أكل الجراد ، وإسناده ضعيف .
(٥) في البخاري (٥٤٩٥) في الذبائح والصيد ، باب أكل الجراد ، ومسلم (١٩٥٢) في الصيد ، باب إباحة الجراد .

وقد تكلّمنا على ما ورد فيه من الأحاديث والآراء في « التفسير »[١] والمقصود أنه استاف[٢] خضراءهم فلم يترك لهم زروعاً ولا ثماراً ولا سَبَداً[٣] ولا لَبَداً . وأما القُمَّل[٤] : فعن ابن عباس : هو السوس الذي يخرج من الحنطة . وعنه : أنّه الجرادُ الصغار الذي لا أجنحة له . وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة . وقال سعيد بن جبير ، والحسن : هو دوابٌّ سودٌ صغار . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي البراغيث .

وحكى ابن جَرير[٥] عن أهل العربية أنها الحَمْنان ، وهو صغار القِرْدان ، فوق القَمْقَامة ، فدخل معهم البيوت والفُرش ، فلم يَقِرَّ لهم قرارٌ ، ولم يُمكنْهم معه الغمض ولا العيش . وفسَّره عطاء بن السائب بهذا القَمْل المعروف . وقرأها الحسن البصري كذلك بالتخفيف .

وأمّا الضفادع : فمعروفة ، لبستهم حتى كانت تسقط في أطعماتهم[٦] وأوانيهم ، حتى إن أحدهم إذا فتح فمه لطعامٍ أو شرابٍ سقطت في فيه ضفدعة من تلك الضفادع .

وأمّا الدم : فكان قد مَزج ماءهم كلّه[٧] ، فلا يستَقُون من النيل شيئاً إلا وجدوه دماً عَبِيطاً[٨] ، ولا من نهرٍ ولا بئرٍ ولا شيء إلا كان دماً في الساعة الراهنة .

هذا كله ، ولم ينل بني إسرائيل من ذلك شيء بالكلّية . وهذا من تمام المعجزة الباهرة والحجّة القاطعة ، أن هذا كلّه يحصل لهم من فعل موسى عليه السلام . فينالهم عن آخرهم ولا يحصل هذا لأحدٍ من بني إسرائيل ، وفي هذا أدل دليل .

قال محمد بن إسحاق : فَرَجع عدوُّ الله فرعونُ حين آمنت السّحرة مغلوباً مفلولاً ، ثمّ أبى إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر ، فتابع الله عليه بالآيات ، فأخذه[٩] بالسنين ، فأرسل عليه الطّوفان ، ثمّ الجراد ، ثم القُمَّل ، ثمّ الضفادع ، ثمّ الدم ، آيات مفصلات .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤٢) .

(٢) في ط استاق . واستاف : أهلك .

(٣) السبد : ما يطلع من رؤوس النبات قبل أن ينتشر ، والسبد : الوبر ، وقيل : الشعر . والعرب تقول : ماله سَبَد ولا لَبَد ؛ أي: ماله وبر ولا صوف متلبد ، يكنى بهما عن الإبل والغنم . وقيل : أي ماله قليل ولا كثير . اللسان (سبد).

(٤) تفسيره (٩/ ٢٢) ، وقد أورد مختلف الأراء في تفسير القمل .

(٥) القُراد أول ما يكون وهو صغير لا يكاد يرى من صِغره يقال له : قمقامة ، ثم يصير حمنانة ، ثم قراداً ، ثم حلمة . اللسان (حمن) .

(٦) جمع طعام : أطعمة ، وجمع الجمع : أطعمات .

(٧) في ط : مُزج ماؤهم كله به .

(٨) دم عبيط : طري .

(٩) كذا في ط . وفي أ وب : فواخذه . قال ابن منظور : آخذه ، كأخذه . وفي التنزيل : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾ . والعامة تقول : واخذَه . اللسان (أخذ) .

فأرسل الطوفان ، وهو الماء ، ففاض على وجه الأرض ثمّ ركد . لا يقدرون على أن يخرجوا[١] ولا أن يعملوا شيئاً حتى جهدوا جوعاً ، فلما بلغهم ذلك ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف : ١٣٤] فدعا مُوْسَى رَبَّه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشيء ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأكل الشجر ـ فيما بلغني ـ حتى أن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم ، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربّه ، فكشف عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم القُمَّل ، فذُكر لي أن موسى عليه السلام أُمر أن يَمْشي إلى كثيب حتى يضربه بعصاه ، فمشى إلى كثيب أهيل عظيم ، فضربه بها ، فانثال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والأطعمة ، ومنعهم النومَ والقرار ، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له ، فدعا ربّه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل[٢] الله عليهم الضفادع ، فملأت البيوت والأطعمة والآنية ، فلم يكشف أحدٌ ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع قد غلب[٣] عليه ، فلمّا جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربّه فكشف عنهم ، فلم يفوا بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الدمَ ، فصارت مياه آل فرعون دماً ؛ لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون[٤] من إناءٍ إلا عاد دماً عَبِيْطاً . وقال زيد بن أسْلم : المراد بالدم : الرعاف ، رواه ابن أبي حاتم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٤ ـ ١٣٦] .

يخبر سبحانه وتعالى عن كفرهم ، وعتوّهم ، واستمرارهم على الضلال والجهل ، والاستكبار عن اتِّباع آيات الله وتصديق رسوله ، مع ما أُيّد به من الآيات العظيمة الباهرة ، والحجج البليغة القاهرة ، التي أراهم الله إياها عَياناً ، وجعلها عليهم دليلاً وبرهاناً . وكلّما شاهدوا آية وعاينوها وجهدهم وأضنكهم حَلَفوا وعاهدوا موسى لئن كشف عنهم هذه ليؤمنُنَّ به وليرسلُنَّ معه مَن هو من حِزبه ، فكلّما رُفعت عنهم تلك الآية عادوا إلى شرّ مما كانوا عليه ، وأعرضوا عما جاءهم به من الحق ولم يلتفتوا إليه ، فيرسل الله عليهم آية أخرى هي أشد مما كانت قبلها وأقوى ، فيقولون فيكذبون ، ويعدون ولا يفون : ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ فيكشف عنهم ذلك العذاب الوبيل . ثمّ

---

(١) في ب : يحرثوا .
(٢) في ط : فكشف عنهم فلما لم . . . أرسل .
(٣) في ب : علت .
(٤) كذا في ب . وفي أ : ولا نهر يعرفون . . . ، وفي ط : ولا نهر يفترقون .

يعودون إلى جهلهم العريض الطويل ، هذا والعظيم الحليم القدير يُنظرهم ولا يُعَجّل عليهم ، ويؤخِّرهم ويتقدَّم بالوعيد إليهم ، ثم أخذهم بعد إقامة الحجة عليهم والإنذار إليهم أخْذَ عزيز مقتدر ، فجعلهم عِبرةً ونَكالاً وسلفاً[1] لمن أشبههم من الكافرين ، ومَثَلاً لمن اتّعظ بهم من عباده المؤمنين ، كما قال تبارك وتعالى ـ وهو أصدق القائلين ـ في سورة ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ :

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٦ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ۝٤٧ وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٤٨ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ۝٤٩ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ۝٥٠ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ۝٥٣ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الزخرف : ٤٦ـ٥٦] .

يذكر تعالى إرسالَه عبده الكليم الكريم إلى فرعون الخسيس اللئيم ، وأنّه تعالى أيّد رسولَه بآيات بيّنات واضحات تستحق أن تقابَل بالتعظيم والتصديق ، وأن يرتدعوا عمّا هم فيه من الكفر ويرجعوا إلى الحقّ والصراط المستقيم ، فإذا هم منها يضحكون وبها يستهزؤون ، وعن سبيل الله يصدّون ، وعن الحق يصدّون ، فأرسل الله عليهم الآيات تَتْرى يتبع بعضُها بعضاً ، وكلّ آية أكبر من التي تتلوها ، لأن التوكيد أبلغ مما قبله ﴿ وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٤٨ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴾ . لم يكن لفظ السّاحر في زمنهم نقصاً ولا عيباً ؛ لأن علماءهم في ذلك الوقت هم السَّحَرة ، ولهذا خاطبوه به في حال احتياجهم إليه وضراعتهم لديه .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴾ . ثم أخبر تعالى عن تبجُّح فرعون بملكه وعظمة بلده وحسنها ، وتخرُّق الأنهار فيها ، وهي الخلجانات التي يكسرونها أمام[2] زيادة النيل ، ثمّ تبجّح بنفسه وحِلْيته ، وأخذ يتنقّص رسولَ الله موسى عليه السلام ويزدريه بكونه ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ يعني : كلامه ؛ بسبب ما كان في لسانه من بقيّة تلك اللّثغة التي هي شرف له وكمال وجمال ، ولم تكن مانعةً له ، أن كلمه الله تعالى ، وأوحى إليه ، وأنزل بعد ذلك التوراة عليه ، وتنقَّصه فرعون ـ لعنه الله ـ بكونه لا أساور في يديه ولا زينة عليه[3] ، وإنما ذلك من حلية النّساء لا يليق بشهامة الرجال فكيف بالرسل الذين

---

(١) قال الله تعالى في سورة الزخرف : ٥٥ ـ ٥٦ : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴾ أي : جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخِرون .

(٢) في ب : أيام .

(٣) في ب : ولا زينة على موسى .

هم أكمل عقلاً ، وأتمّ معرفة ، وأعلى همّة ، وأزهد في الدنيا ، وأعلم بما أعدّ الله لأوليائه في الأخرى .

وقوله : ﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ لا يحتاج الأمر إلى ذلك إن كان إنما المراد أن تعظِّمه الملائكة ، فالملائكة يعظّمون ويتواضعون لمن هو دون موسى عليه السلام بكثير ، كما جاء في الحديث : « إنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطَالِبِ العِلْمِ رِضىً بما يَصْنَعُ »[١] فكيف يكون تواضعهم وتعظيمهم لموسى الكليم ، عليه الصلاة والتسليم والتكريم .

وإن كان إنما المراد شهادتهم له بالرسالة فقد أيّد من المعجزات بما يدل قطعاً لذوي الألباب ، ولمن قصد إلى الحقِّ والصواب ، ولعمي عما جاء به من البيّنات والحجج الواضحات من نظر إلى القشور وترك اللباب ، وطبع على قلبه ربّ الأرباب ، وختم عليه بما فيه من الشكِّ والارتياب ، كما هو حال فرعون القبطي العمي الكذّاب .

قال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ ، أي : استخف عقولهم الفاسدة[٢] ، ودَرَجهم من حالٍ إلى حالٍ إلى أن صدَّقوه في دعواه الربوبية ، لعنه الله وقبّحهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ .

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ أي : أغضبونا ﴿ ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[٣] أي : بالغرق والإهانة ، وسَلْب العزِّ ، والتبدّل بالذُّلِّ ، وبالعذاب بعد النِّعمة ، والهوان بعد الرفاهية ، والنار بعد طيب العيش ، عياذاً بالله العظيم وسلطانه القديم من ذلك . ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا ﴾ أي : لمن اتبعهم في الصفات ﴿ وَمَثَلًا ﴾ أي : لمن اتَّعظ بهم وخاف من وبيل مصرعهم ممن بَلَغه جليَّةُ خبرهم ، وما كان من أمرهم ، كما قال الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص : ٣٨ـ ٤٢] .

يخبر سبحانه وتعالى أنهم لما استكبروا عن اتباع الحق ، وادَّعى مَلِكُهم الباطلَ ، ووافقوا عليه

(١) قطعة من حديث صفوان بن عسال المرادي ، أخرجه الترمذي (٣٥٣٦) في الدعوات ، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده . وقال الترمذي : حسن صحيح ، وهو كما قال .

(٢) قوله : الفاسدة . زيادة في ب .

(٣) في ب : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

وأطاعوه فيه ، اشتد غضب الربّ القدير العزيز الذي لا يُغَالَب ولا يمانَع عليهم ، فانتقم منهم أشد الانتقام ، وأغرقه هو وجنوده في صبيحة واحدة ، فلم يفلت منهم أحدٌ ولم يبق[1] منهم ديَّار ، بل كلٌّ قد غرق فدخل النار ، وأُتبعوا لعنة في هذه الدار بين العالمين ، ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ، ويوم القيامة هم من المقبوحين .

ذكر هلاك فرعون وجنوده[2]

لما تمادىٰ قبطُ مصر على كفرهم وعتوِّهم وعنادهم ، متابعةً لملكهم فرعون ، ومخالفةً لنبي الله ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام ، وأقام الله على أهل مصر الحجج[3] العظيمة القاهرة ، وأراهم من خوارق العادات ما بَهر الأبصار وحيَّر العقول ، وهم مع ذلك لا يرعوون ، ولا ينتهون ، ولا ينزعون ، ولا يرجعون ، ولم يؤمن منهم إلا القليل ، قيل : ثلاثة ، وهم : امرأة فرعون ـ ولا علم لأهل الكتاب بخبرها ـ ومؤمن آل فرعون الذي تقدمت حكاية موعظته ، ومشورته ، وحجّته عليهم ، والرجل الناصح الذي جاءَ يَسْعَى من أقصى المدينة فقال : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص : ٢٠] قاله ابن عباس ؛ فيما رواه ابن أبي حاتم عنه ، ومراده غيرَ السَّحَرةِ ، فإنّهم كانوا من القبط .

وقيل : بل آمن طائفة من القبط من قوم فرعون ، والسّحرة كلّهم ، وجميع شعب بني إسرائيل . ويدلُّ على هذا قوله تعالى : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس : ٨٣] فالضمير في قوله : ﴿ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ عائدٌ على فرعون ، لأن السياق يدلُّ عليه ، وقيل : على موسى لقربه ، والأول أظهر كما هو مقرر في « التفسير »[4] . وإيمانهم كان خفية لمخافتهم من فرعون وسَطوته وجبروته وسلطته ، ومن ملئهم أن ينمُّوا عليهم إليه فيفتنهم عن دينهم . قال الله تعالى مخبراً عن فرعون ، وكفى بالله شهيداً : ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي جبّارٍ عنيدٍ مستعلٍ بغير الحقّ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ أي : في جميع أموره ، وشؤونه ، وأحواله ، ولكنّه جرثومةٌ قد حان انجعافها[5] ، وثمرةٌ خبيثة قد آن قطافها ، ومهجةٌ ملعونة قد حُتم إتلافها .

وعند ذلك قال موسى : ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا

---

(١) كذا في ب وط . وفي أ : ولا يبقى .
(٢) في ط : هلاك فرعون وجنوده .
(٣) في ب : الحجج البالغة العظيمة .
(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٢٧) .
(٥) انجعافها : انقلاعها . يقال : جعفه فانجعف : أي صرعه وضرب به الأرض فانصرع .

تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ۝٨٥ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ [يونس : ٨٤ ـ ٨٦] ، يأمرهم بالتوكّل على الله ، والاستعانة به ، والالتجاء إليه ، فأتمَروا بذلك ، فجعل الله لهم مما كانوا فيه فَرَجاً ومخرجاً .

﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾(١) [يونس : ٨٧] .

أوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يتَّخذا لقومهما بيوتاً متميّزة فيما بينهم عن بيوت القبط ؛ ليكونوا على أُهبة في الرحيل إذا أُمروا به ، ليعرف بعضهم بيوت بعض .

وقوله : ﴿ واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ قيل : مساجد . وقيل : معناه كثرة الصلاة فيها . قاله مجاهد ، وأبو مالك ، وإبراهيم النَّخعي ، والربيع ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن ، وغيرهم . ومعناه على هذا : الاستعانة على ما هم فيه من الضرّ والشّدة والضّيق بكثرة الصلاة ، كما قال تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [سورة البقرة : ٤٥] وكان رسول الله ﷺ إذا حزَبه أمر صَلّى(٢) .

وقيل : معناه أنّهم لم يكونوا حينئذٍ يقدرون على إظهار عباداتهم في مجتمعاتهم ومعابدهم ، فأُمروا أن يصلّوا في بيوتهم عوضاً عمّا فاتهم من إظهار شعار الدين الحق في ذلك الزمان الذي اقتضى حالُهم إخفاءَه خوفاً من فرعون وملئه . والمعنى الأول أقوى ، لقوله : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ وإن كان لا ينافي الثاني أيضاً ، والله أعلم .

وقال سعيد بن جبير ﴿ واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ : أي متقابلة .

﴿ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ۝٨٨ قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ [يونس : ٨٨ ـ ٨٩] هذه دعوةٌ عظيمةٌ دعا بها كَليمُ الله موسى على عدوّ الله فرعون ، غضباً لله عليه لتكبّره عن اتباع الحق ، وصدّه عن سبيل الله ، ومعاندته وعتوّه وتمرُّده واستمراره على الباطل ، ومكابرته الحق الواضح الجلي الحسّي والمعنوي ، والبرهان القطعي فقال : ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون

---

(١) زاد في (ب) الآية التي تليها : ﴿ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا ﴾ .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٨)، وأبو داود (١٣١٩) والطبري في تفسيره (١/ ٢٦٠)، وأبو عوانة (٦٨٤٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٥١)، والخطيب في تاريخه (٧/ ٢٥٨) (ط. د. بشار) وغيرهم من طرق عن عكرمة بن عمار عن محمد ابن عبد الله الدؤلي، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة، ويقال: أخيه، عن حذيفة، به. وهذا إسناد ضعيف، محمد بن عبد الله، ويقال: ابن عُبيد، مجهول لم يرو عنه سوى عكرمة بن عمار ولم يوثقه أحد، ولذلك ذكره الذهبي في الميزان (تحرير التقريب ٢/ ٢٧٢)، وعبد العزيز روى عنه اثنان من المجهولين، وقال الذهبي: لا يعرف (تحرير التقريب ٢/ ٣٧٥). وأيضاً فإن الحديث قد اختلف فيه على عكرمة. أقول: ولكن له شاهد عند الطبراني في «الأوسط» رقم (٨٩٠) من حديث عبد الله بن سلام قال: كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة، ثم قرأ ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ [طه : ١٣٢] فهو به حسن .

وَمَلَأَهُ﴾ يعني قومَه من القبط ومَن كان على ملّته ودان بدينه ﴿زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ أي: وهذا يغترُّ به من يُعظِّم أمرَ الدنيا فيحسب الجاهلُ أنّهم على شيء لكون هذه الأموال، وهذه الزِّينة من اللباس، والمراكب الحسنة الهنيَّة، والدُّور الأنيقة، والقصور المبنيَّة، والمآكل الشهية، والمناظر البهية، والمُلك العزيز والتمكين، والجاه العريض في الدنيا لا الدين ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: أي أهلكها. وقال أبو العالية، والربيع بن أنس، والضحاك: اجعلها حجارةً منقوشةً كهيئة ما كانت. وقال قتادة: بلغنا أن زروعهم صارت حِجارةً. وقال محمد بن كعب: جعل سُكَّرَهُمْ حجارةً، وقال أيضاً: صارت أموالهم كلّها حجارة. ذُكر ذلك لعمر بن عبد العزيز، فقال عمر بن عبد العزيز لغلام[1]: قم إيتني بكيس، فجاءه بكيس، فإذا فيه حِمّصٌ وبَيضٌ قد قطع وقد حُوّل حجارة، رواه ابن أبي حاتم. وقوله: ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ قال ابن عباس: أي اطبع عليها، وهذه دعوةُ غضبٍ لله تعالى ولدينه ولبراهينه، فاستجاب الله تعالى لها وحقّقها وتقبّلها، كما استجاب لنوح في قومه حيث قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧] ولهذا قال تعالى، مخاطباً لموسى حين دعا على فرعون وملئِهِ وأَمَّن أخوه هارون على دعائه، فنزل ذلك منزلة الداعي أيضاً: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قال المفسرون[2] وغيرهم من أهل الكتاب: استأذن بنو إسرائيل فرعون في الخروج إلى عيدٍ لهم، فأذن لهم وهو كارهٌ، ولكنّهم تجهّزوا للخروج، وتأهّبوا له، وإنّما كان في نفس الأمر مكيدةٌ بفرعون وجنوده ليتخلّصوا منهم ويخرجوا عنهم، وأمرهم الله تعالى ـ فيما ذكره أهل الكتاب ـ أن يستعيروا حليّاً منهم، فأعاروهم شيئاً كثيراً، فخرجوا بليلٍ، فساروا مستمرّين ذاهبين من فورهم، طالبين بلاد الشام، فلما علم بذهابهم فرعونُ حَنِق عليهم كلّ الحنق، واشْتَدَّ غضبه عليهم، وشرع في استحثاث جيشه، وجمع جنوده ليلحقهم ويمحقهم[3].

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٥٢ ـ ٦٨].

---

(١) في ط: لغلام له. وقد ساق الطبري الكثير من الآراء في تفسير ذلك (١١/ ١٠٨) وما بعدها.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١١/ ٢٣٥).

(٣) من قوله: واشتد غضبه . . . إلى هنا زيادة من ب وط.

قال علماء التفسير[(١)] : لما ركب فرعون في جنوده طالباً بني إسرائيل يقفو أثرهم ، كان في جيشٍ كثيفٍ عرمرم ، حتى قيل : إنه كان في خيوله مئة ألف فحلٍ أدْهَم ، وكانت عدّة الجنود تزيد على ألف ألف وستمئة ألف . فالله أعلم . وقيل : إن بني إسرائيل كانوا نحواً من ستمئة ألف مقاتل غير الذرّية ، وكان بين خروجهم من مصر[(٢)] صحبة موسى عليه السلام ، ودخولهم إليها صحبة أبيهم إسرائيل أربعمئة سنة وست وعشرون سنة شمسية .

والمقصود أنّ فرعون لحقهم بالجنود ، فأدركهم عند شروق الشمس ، وتراءى الجمعان ، ولم يبق ثَمَّ ريب ولا لَبس ، وعاين كلٌّ من الفريقين صاحبه ، وتحقّقه ورآه ولم يبق إلا المقاتلة والمجاولة والمحاماة ، فعندها قال أصحاب موسى ، وهم خائفون : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ وذلك لأنهم اضْطُرّوا في طريقهم إلى البحر ، فليس لهم طريق ولا محيد إلا سلوكُه وخوضه[(٣)] . وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه ، والجبال عن يسرتهم وعن أيمانهم ، وهي شاهقةٌ منيفةٌ ، وفرعون قد غالقهم وواجههم ، وعاينوه في جنوده وجيوشه وعَدَده وعُدَده ، وهم منه في غاية الخوف والذُّعر لِما قاسوا في سلطانه من الإهانة والنّكر ، فشكوا إلى نبي الله ما هم فيه مما قد شاهدوه وعاينوه ، فقال لهم الرسول الصّادق المصدوق : ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ ، وكان في السّاقة[(٤)] فتقدّم إلى المقدمة ، ونظر إلى البحر وهو يتلاطم بأمواجه ، ويتزايد زَبَدُ أُجاجه[(٥)] ، وهو يقول : هاهنا أمرت ، ومعه أخوه هارون ويوشع بن نون ، وهو يومئذ من سادات بني إسرائيل وعلمائهم وعُبّادهم الكبار ، وقد أوحى الله إليه وجعله نبياً بعد موسى وهارون عليهما السلام كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله ، ومعهم أيضاً مؤمن آل فرعون ، وهم وقوفٌ ، وبنو إسرائيل بكمالهم عليهم عُكوف ، ويقال : إن مؤمن آل فرعون جَعل يَقْتَحم بفرسه مراراً في البحر هل يمكن سلوكه فلا يمكن ، ويقول لموسى عليه السلام : يا نبي الله أهاهُنا أُمِرت ؟ فيقول : نعم .

فلما تفاقم الأمر ، وضاق الحالُ ، واشتد الأمرُ ، واقترب فرعون وجنوده في جَدّهم ، وحَدّهم ، وحَديدهم ، وغضبهم ، وحنقهم ، وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، فعند ذلك أوحى الحليم العظيم القدير ربُّ العرش الكريم إلى موسى الكليم : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ فلمّا ضربه يقال : إنّه قال له : انفلق بإذن الله ، ويقال : إنّه كنّاه بأبي خالد[(٦)] ، فالله أعلم .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٨٩) .
(٢) قوله : مصر . سقط من ب .
(٣) في ب : وخروجه .
(٤) الساقة : مؤخرة الجيش .
(٥) الأجاج : الماء الملح . والأجيج : صوت انصباب الماء .
(٦) في ط : خلد . وأبو خالد : كنية البحر . المرصع (١٥٢) .

قال اللهُ تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ . ويقال : إنّه انفلق اثنتي عشرةَ طريقاً ، لكلِّ سِبطٍ(١) طريقٌ يسيرون منه ، حتى قيل : إنّه صار أيضاً شبابيك ليرى بعضهم بعضاً ، وفي هذا نظر ، لأنّ الماء جُرم شفّاف إذا كان من ورائه ضياءٌ حَكَاه .

وهكذا كان ماءُ البحر قائماً مثل الجبال، مكفوفاً بالقدرةِ العظيمةِ الصّادرة من الذي يقول للشيء: كن، فيكون، وأَمَرَ اللهُ ريحَ الدّبور(٢) فَلفحت حال البحر فأذهبته حتى صار يابساً لا يعلق في سنابك الخيول والدواب.

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه : ٧٧ ـ ٧٩] .

والمقصود أنّه لما آل أمر البحر إلى هذه الحال بإذن الربّ العظيم الشديد المحال ، أمر موسى عليه السلام أن يجوزه ببني إسرائيل ، فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين ، وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحيّر الناظرين ، ويهدي قلوب المؤمنين ، فلما جاوزوه وجاوزه وخرج آخرهم منه وانفصلوا عنه ، كان ذلك عند قدوم أوّل جيش فرعون إليه ووفودهم عليه ، فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول إليه ، ولا سبيل عليه ، فأمره القديرُ ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال كما قال ، وهو الصّادق في المقال : ﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾ [الدخان : ١٧ ـ ٣٣] .

فقوله تعالى : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ أي : ساكناً على هيئته لا تغيّره عن هذه الصفة . قاله عبد الله بن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والربيع ، والضحاك ، وقتادة ، وكعب الأحبار ، وسِمَاك بن حرب ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم ، فلما تركه على هيئته وحالته ، وانتهى فرعون فرأى ما رأى وعاين ما عاين ، هالَهُ هذا المنظر العظيم ، وتحقّق ما كان يتحقّقه قبل ذلك من أنّ هذا من فِعل ربّ العرش الكريم ، فأحجم ولم يتقدّم ، وندم في نفسه على خروجه في طلبهم ، والحالة هذه حيث لا ينفعه الندم ، لكنّه أظهر لجنوده تجلّداً ، وعاملهم معاملة العدا ، وحملته النّفس الكافرة ، والسجيّة الفاجرة على أن قال

---

(١) الأسباط من اليهود : كالقبائل من العرب ، الذين يرجعون إلى أب واحد . وقيل : السبط : الفرقة .

(٢) ريح الدبور : الريح الغربية .

لمن استخفّهم فأطاعوه ، وعلى باطله تابعوه : انظروا كيف انحسر البحرُ لي لأدرك عبيدي الآبقين من يدي ، الخارجين عن طاعتي وبلدي ، وجعل يوري[(١)] في نفسه أن يذهب خلفهم ويُجوّز[(٢)] أن ينجو ، وهيهات ، ويقدم تارة ولكنه يحجم تارات . فذكروا أن جبريل عليه السلام تبدَّى في صورة فارسٍ راكبٍ على رَمَكَةٍ حائل[(٣)] ، فمرّ بين يدي فحلِ فرعون لعنه الله فَحمحم إليها وأقبل عليها ، وأسرع جبريل بين يديه ، فاقتحم البحر واستبق الجواد وقد أجاد ، فبادر مسرعاً هذا وفرعون لا يملك من نفسه شيئاً ولا لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ، فلما رأته الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراءه مسرعين ، فحصلوا في البحر أجمعين أكتعين أبصعين[(٤)] ، حتى هَمَّ أولُهم بالخروج منه ، فعند ذلك أمر الله تعالى كليمَه فيما أوحاه إليه أن يضرب البحر بعصاه ، فضربه فارتَطَم عليهم البحرُ كما كان ، فلم ينج منهم إنسان .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي : في إنجائه أولياءه فلم يَغْرَق منهم أحد ، وإغراقه أعداءه فلم يخلص منهم أحدٌ ، آيةٌ عظيمةٌ ، وبرهانٌ قاطعٌ على قدرته تعالى العظيمة ، وصدق رسوله فيما جاء به عن ربّه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس : ٩٠ ـ ٩٢] .

يخبر تعالى عن كيفية غرق فرعون زعيم كَفَرة القبط ، وأنّه لما جعلت الأمواج تخفضه تارةً وترفعه أخرى ، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم ، والخطب الجسيم ، ليكون أقرّ لأعْيُن بني إسرائيل ، وأشفى لنفوسهم ، فلما عاين فرعون الهلَكة ، وأُحيط به ، وباشر سكرات الموت ، أناب حينئذٍ وتاب ، وآمن حين لا ينفع نفساً إيمانُها[(٥)] ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٦ ـ ٩٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٤ ـ ٨٥] .

---

(١) في ب : يروّي .

(٢) في ط : ويرجو .

(٣) الرمكة : الفرس ، والحائل : التي لم تحمل .

(٤) من صيغ التوكيد في العربية .

(٥) قال عز وجل في سورة الأنعام : ١٥٨ ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ .

وهكذا دعا موسى على فرعون وملئه أن يطمس على أموالهم ، ويشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ أي : حين لا ينفعهم ذلك[١] ، ويكون حسرة عليهم ، وقد قال تعالى لهما ، أي لموسى وهارون ، حين دعوا بهذا ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ ، فهذا من إجابة الله تعالى دعوة كليمه وأخيه هارون عليهما السلام .

ومن ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٢] ؛ حدّثنا سليمان بن حَرب ، حدّثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مِهران ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قَالَ فِرْعَوْنُ : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ قال : قالَ لي جِبْرِيْلُ : لَوْ رَأَيْتَنِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ حَالِ البَحْرِ فَدَسَسْتُهُ في فِيْهِ مَخافَةَ أَنْ تَنالَهُ الرَّحْمَةُ » ورواه الترمذي[٣] ، وابن جرير[٤] ، وابن أبي حاتم عند هذه الآية ؛ من حديث حمّاد بن سلمة . وقال الترمذي : حديث حسن[٥] .

وقال أبو داود الطيالِسِي[٦] : حدَّثنا شعبة ، عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « قال لي جبْريلُ : لَوْ رَأَيْتَني وَأَنا آخُذُ مِنْ حَالِ البَحْرِ فَأَدُسّه في فَمِ فِرْعَوْنَ مَخَافَةَ أَنْ يَنالَهُ الرَّحْمَةُ » . ورواه الترمذي[٧] ، وابن جرير[٨] ، من حديث شعبة[٩] ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب ، وأشار ابن جرير في روايةٍ إلى وقفه[١٠] .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو سعيد الأشج ، حدّثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : لما غرّق الله فرعون ، أشار بإصبعه ورفع صوته : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ قال : فخافَ جبريل أن تسبق رحمةُ الله فيه غضَبَه ، فجعل يأخذ الحالَ بجناحَيه فيضرب به وجهه فيرمسه ، ورواه ابن جرير من حديث أبي خالد به . وقد رواه ابن جرير[١١] من طريق كثير بن زاذان ، وليس بمعروف ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال

(١) في ب : فلم يكن ينفعهم إيمانهم ذلك . . .
(٢) مسند أحمد (١/ ٣٠٩) .
(٣) سنن الترمذي رقم (٣١٠٧) ، في التفسير ، باب ومن سورة يونس ، وهو حديث صحيح بطرقه .
(٤) تفسيره (١١/ ١١٢) .
(٥) إسناده ضعيف ، لضعف علي بن زيد بن جدعان ، وقد صح موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما .
(٦) في مسنده (٢٦١٨) .
(٧) سنن الترمذي رقم (٣١٠٨) وهو حديث صحيح بطرقه ولكن الصحيح وقفه .
(٨) في تفسيره (١١/ ١١٢) .
(٩) من قوله : شعبة عن عدي . . . إلى هنا سقط من ب بنقلة عين .
(١٠) أكثر أصحاب شعبة أوقفوه، فالموقوف أصح .
(١١) في تفسيره (١١/ ١١٢ ـ ١١٣) .

رسول الله ﷺ : « قال لي جِبْرِيْلُ : يا مُحمد لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنا أَغُطّهُ وَأَدُسُّ مِنَ الحالِ في فِيْهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللهِ فَيَغْفِر لَهُ » . يعني : فرعون(١) .

وقد أرسله غير واحد من السّلف كإبراهيم التيمي ، وقتادة ، وميمون بن مهران ، ويقال : إن الضحاك بن قيس خطب به الناس . وفي بعض الروايات أنّ جبريل قال : ما بغضت أحداً بغضي لفرعون حين قال : أنا ربكم الأعلى ، ولقد جعَلت أدسُّ في فيه الطين حين قال ما قال .

وقوله تعالى : ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ استفهام إنكارٍ ، ونصٌّ على عدم قبوله تعالى منه ذلك ، لأنه ـ والله أعلم ـ لو رُدَّ إلى الدنيا كما كان لعادَ إلى ما كان عليه ، كما أخبر تعالى عن الكفّار إذا عايَنُوا النارَ وشاهدوها أنّهم يقولون : ﴿ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال الله تعالى : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٧ ـ ٢٨] وقوله : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ قال ابن عباس وغير واحد : شكَّ بعضُ بني إسرائيل في موت فرعون ، حتى قال بعضهم : إنه لا يموت ، فأمر الله البحر فرفعه على مرتفع . قيل : على وجه الماء ، وقيل : على نَجْوَةٍ(٢) من الأرض وعليه درعُه التي يعرفونها من ملابسه ليتحقّقوا بذلك هلاكه ، ويعلموا قدرة الله عليه . ولهذا قال : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أي : مصاحباً درعك المعروفة بك ﴿ لِتَكُونَ ﴾ أي أنت آية ﴿ لِمَنْ خَلْفَكَ ﴾ أي من بني إسرائيل ، دليلاً على قدرة الله الذي أهلكه . ولهذا قرأ بعض السلف : ﴿ لِتَكُوْنَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيةً ﴾(٣) .

ويحتمل أن يكون المراد ننجّيك مصاحباً درعك لتكون درعُك علامةً لمن وراءك من بني إسرائيل على معرفتك وأنّك هُلِكْت . والله أعلم .

وقد كان هلاكه وجنوده في يوم عاشوراء ، كما قال الإمام البخاري في « صحيحه » : حدّثنا محمد بن بشّار(٤) ، حدّثنا غُندَر ، حدّثنا شعبة ، عن أبي بشرٍ ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : قدم النبيّ ﷺ المدينة واليهودُ تصوم عاشوراء(٥) فقالوا : هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون ، قال

---

(١) ورواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٥٨٢٣) وفي سنده قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثوري ، وضعفه جماعة ، والصحيح وقفه على ابن عباس كما مر .

(٢) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

(٣) في حاشية أ : بالقاف ، أي : ولتكون لخالقك آية كسائر آياته . وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه . البحر المحيط (٥/ ١٨٩) .

(٤) هو محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري أبو بكر ، لقبه بندار ، لأنه كان بندار حديث بلده ، أي جمع حديث بلده .

(٥) في ط : يوم عاشوراء .

النبي ﷺ[١] : « أَنْتُم أَحَقُّ بموسَى مِنْهُم[٢] فصَامُوا » . وأصل هذا الحديث في « الصحيحين » وغيرهما[٣] . والله أعلم .

* * *

فصل

فيما كان من أمر بني إسرائيل بعد هلاك فرعون[٤]

قال الله تعالى : ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٦ ـ ١٤١] .

يذكر تعالى ما كان من أمر فرعون وجنوده في غرقهم ، وكيف سلبهم عِزَّهم ومالَهم وأنفسهم ، وأورث بني إسرائيل جميع أموالهم وأملاكهم ، كما قال : ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء : ٥٩] ، وقال : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] ، وقال هاهنا : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ أي : أهلك ذلك جميعه وسلبهم عزَّهم العزيزَ العريضَ في الدنيا ، وهلك الملك ، وحاشيته ، وأمراؤه ، وجنودُه ، ولم يبقَ ببلد مصرَ سوى العامّة والرعايا . فذكر ابن عبد الحكم[٥] في « تاريخ مصر » أنّه من ذلك الزمان تسلَّط نساءُ مصر على رجالها ؛ بسبب أن نساء الأمراء والكبراء تزوجْن بمن دونَهنَّ

---

(١) زاد في ب : لأصحابه .

(٢) في ط : فصوموا .

(٣) رواه البخاري : رقم (٢٠٠٤) في الصوم ، باب صيام يوم عاشوراء ، ومسلم (١١٣٠) في الصيام ، باب صوم يوم عاشوراء ، وأبو داود رقم (٢٤٤٤) ، في الصوم ، باب في صوم يوم عاشوراء .

(٤) في ط : أمر بني إسرائيل بعد هلاك فرعون .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري ، فقيه عصره . له عدة مؤلفات ، منها « تاريخ مصر » ، و « أدب القضاة » و « سيرة عمر بن عبد العزيز » . توفي سنة (٢٦٨هـ) . كشف الظنون (١/ ٣٠٤) والأعلام (٦/ ٢٢٣) .

من العامة ، فكانت لهنَّ السَّطوة عليهم ، واستمرت هذه سُنّة نساء مصر إلى يومك هذا .

وعند أهل الكتاب : أنّ بني إسرائيل لما أُمِروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك الشهر أول سَنَتهم ، وأُمروا أن يذبح كلُّ أهل بيت حَمَلاً من الغنم ، فإن كانوا لا يحتاجون إلى حَمَل فليشترك الجار وجاره فيه ، فإذا ذبحوه فلينضحوا من دمه على أعتاب أبوابهم ليكون علامة لهم على بيوتهم ولا يأكلوه مطبوخاً ولكن مشوياً برأسه وأكارعه وبطنه ، ولا يُبقوا منه شيئاً ، ولا يكسروا له عظماً ، ولا يُخرجوا منه شيئاً إلى خارج بيوتهم ، وليكن خبزهم فطيراً سبعة أيام ، ابتداؤها من الرابع عشر من الشهر الأوّل من سَنتهم ، وكان ذلك في فصل الربيع ، فإذا أكلوا فلتكن أوساطهم مشدودةً ، وخفافهم في أرجلهم ، وعصيّهم في أيديهم ، وليأكلوا بسرعةٍ قياماً . ومهما فَضُل عن عشائهم فما بقي إلى الغد فليحرقوه بالنار ، وشُرِعَ هذا لهم عيداً لأعقابهم مادامت التوراة معمولاً بها ، فإذا نُسخت بَطَل شرعُها . وقد وقع .

قالوا : وقتل الله عزّ وجلّ في تلك الليلة أبكارَ القِبط وأبكارَ دوابهم ؛ ليشتغلوا عنهم ، وخرج بنو إسرائيل حتى انتصف الليل[١] ، وأهل مصر في مناحةٍ عظيمةٍ على أبكار أولادهم وأبكار أموالهم ، ليس من بيت إلا وفيه عويلٌ . وحين جاء الوَحي إلى موسى خرجوا مُسرعين ، فحملوا العجينَ قبل اختماره وحملوا الأزواد في الأردية وألقوها على عواتقهم . وكانوا استعاروا من أهل مصر حُليّاً كثيراً ، فخرجوا وهم ستمئة ألف رجلٍ سوى الذراري بما معهم من الأنعام ، وكانت مدة مقامهم بمصر أربعمئة سنةٍ وثلاثين سنةً . هذا نصُّ كتابهم .

وهذه السَّنة عندهم تسمى سنة الفسخ ، وهذا العيد عيد الفسخ[٢] . ولهم عيد الفَطير وعيد الحَمَل وهو أوّل السنة . وهذه الأعياد الثلاثة آكد أعيادهم ، منصوص عليها في كتابهم .

ولما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام وخرجوا على طريق بحر سوف . وكانوا في النهار يسيرون والسحاب بين أيديهم يسير أمامهم ، فيه عامود نور ، وبالليل أمامهم عامود نار ، فانتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر ، فنزلوا هنالك ، وأدركهم فرعون وجنوده من المصريين وهم هناك حلول على شاطئ اليمّ ، فقلق كثير من بني إسرائيل ، حتى قال قائلهم : كان بقاؤنا بمصر أحبَّ إلينا من الموت بهذه البرّيّة . وقال موسى عليه السلام لمن قال هذه المقالة : لا تخشَوا فإن فرعون وجنوده لا يرجعون إلى بلدهم بعد هذا .

قالوا : وأمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه وأن يقسمه وليَدْخُلَ بنو إسرائيل في البحر

(١) في ط : النهار .
(٢) في حاشية أ وب : الفصح ، وفي اللسان : والفِصح ، بالكسر : فطر النصارى ، وهو عيد لهم . وأفصحوا : جاء فصحهم ، وهو إذا أفطروا وأكلوا اللحم (فصح) .

واليَبَس[١] . وصار الماء من هاهنا وهاهنا كالجبلين ، وصار وسطه يَبَساً ، لأن الله سلّط عليه ريحَ الجنوب والسَّموم[٢] ، فجاز بنو إسرائيل البحر واتَّبعهم فرعون وجنوده ، فلما توسّطوه[٣] أمر الله موسى فضرب[٤] البحر بعصاه فرجع الماء كما كان عليهم .

لكن عند أهل الكتاب أن هذا كان في الليل ، وأن البحر ارتطم عليهم عند الصبح ، وهذا من غلطهم وعدم فهمهم في تعريبهم ، والله أعلم .

قالوا : ولما أغرق الله تعالى فرعون وجنوده ، حينئذٍ سبَّح موسى وبنو إسرائيل بهذا التسبيح للربّ وقالوا : نسبّح الربّ البهيَّ الذي قهر الجنود ، ونبذ فرسانها في البحر ، المنيع المحمود . وهو تسبيحٌ طويلٌ . قالوا : وأخذت مريم النبيّة[٥] أختُ هارون دُفّاً بيدها ، وخرج النساء في أثرها كلهنَّ بدفوف وطبول ، وجعلت مريم ترتّل لهنّ وتقول : سبحان الربّ القهار الذي قهر الخيول وركبانها إلقاءً في البحر . هكذا رأيته في كتابهم . ولعلّ هذا هو من الذي حمل محمد بن كعب القُرظي على زعمه أن مريم بنت عمران أم عيسى هي أخت هارون وموسى مع قوله : ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ [مريم : ٢٨] وقد بيَّنَّا غلطه في ذلك ، وأن هذا لا يمكن أن يقال ، ولا يتابعه أحدٌ عليه ، بل كل أحدٍ خالفه فيه ، ولو قدِّر أن هذا محفوظ فهذه مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام ، وأم عيسى عليهما السلام وافقتها في الاسم واسم الأب واسم الأخ ، لأنّهم كما قال رسول الله ﷺ للمغيرة بن شعبة لما سأله أهلُ نجران عن قوله : ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ ، فلم يدر ما يقول لهم حتى سأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال : « أَمَا عَلِمْتَ أَنّهُم كانُوا يُسَمُّونَ بأسْماءِ أنْبِيائِهِم » ، رواه مسلم[٦] .

وقولهم : النبيَّة ، كما يقال للمرأة من بيت الملك : ملكة ، ومن بيت الإمرة : أميرة ، وإن لم تكن مباشِرَةً شيئاً من ذلك ، فكذا ، هذه استعارة لها لا أنّها نبيّة حقيقة يوحى إليها ، وضَرْبُها بالدُّفّ في مثل هذا اليوم الذي هو أعظم الأعياد عندهم دليلٌ على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب الدُّف في العيد . وهذا مشروع لنا أيضاً في حقّ النِّساء ، لحديث الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة تضربان بالدّف في أيام مِنى ، ورسول الله ﷺ مضطجعٌ مولٍّ ظهره إليهم ووجهه إلى الحائط ، فلما دخل أبو بكر زَجَرهن وقال : أبمزمور

---

(١) اليَبَس ، بفتحتين : المكان يكون رطباً ثم ييبس .

(٢) السَّموم : الريح الحارة ، وقيل : الباردة ليلاً كان أو نهاراً . اللسان .

(٣) أي فلما توسط فرعون وجنوده البحر .

(٤) كذا في ب ، وط . وفي أ : يضرب .

(٥) كما يقال للمرأة من بيت الملك : ملكة ، أميرة وليس المقصود أنها نبية يوحى إليها ، وسيذكر المؤلف ذلك بعد قليل .

(٦) صحيح مسلم رقم (٢١٣٥) في الآداب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء .

الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ فقال : « دَعْهُنَّ يا أبا بَكْرٍ ، فإنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيْداً ، وَهذا عِيْدُنا »[١] .

وهكذا يُشرع عندنا في الأعراس ، ولقُدُوم الغُيَّاب ، كما هو مقرر في موضعه . والله أعلم .

وذكروا أنّهم لما جاوزوا البحر ، وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام ، مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماءً ، فتكلّم من تكلّم منهم بسبب ذلك ، فوجدوا ماءً زعاقاً أُجاجاً[٢] لم يستطيعوا شربه ، فأمر الله موسى فأخذ خشبةً فوضعها فيه فحَلا وساغ شربه . وعلّمه الربُّ هنالك فرائضَ وسنناً ، ووصاه وصايا كثيرةً .

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز المهيمن على ما عداه من الكتب : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨ ـ ١٣٩] .

قالوا : هذا الجهل والضلال وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دلَّهم على ما جاءهم به رسول ذي الجلال والإكرام ، وذلك أنّهم مَرُّوا على قوم يعبدون أصناماً ، قيل : كانت على صور البقر ، فكأنهم سألوهم لِمَ يعبدونها؟ فزعموا لهم أنها تنفعهم وتنصرهم[٣] ويسترزقون بها عند الضرورات ، فكأن بعض الجهّال منهم صدَّقوهم في ذلك ، فسألوا نبيَّهم الكليم الكريم العظيم أن يجعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة ، فقال لهم مبيّناً لهم أنّهم لا يعقلون ولا يهتدون : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

ثم ذكَّرهم نعمة الله عليهم في تفضيله إيّاهم على عالمي زمانهم بالعلم ، والشرع ، والرسول الذي بين أظهرهم وما أحسن به إليهم ، وما امتنَّ به عليهم من إنجائهم من قبضة فرعون الجبّار العنيد ، وإهلاكه إياه وهم ينظرون ، وتوريثه إياهم ما كان فرعون وملؤه يجمعونه من الأموال والسعادة ، ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ وبين لهم أنّه لا تصلح العبادة إلا لله وحده لا شريك له ، لأنه الخالق الرازق القهّار ، وليس كلّ بني إسرائيل سأل هذا السؤال ، بل الضمير عائد على الجنس في قوله : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ ﴾ أي قال بعضهم كما في قوله[٤] : ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٤٧ ـ ٤٨] فالذين زعموا هذا بعضُ الناس لا كلُّهم ، وقد قال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا

---

(١) أخرجه البخاري (٩٥٢) في العيدين ، باب : سنة العيدين لأهل الإسلام ، وابن ماجه (١٨٩٨) ، في النكاح ، باب الغناء والدف .

(٢) كذا في ب ، وط . وفي أ : زهاقا .
وماء زعاق : مرٌّ غليظ لا يطاق شربه . وماءٌ أُجاج : ملح . وقيل شديد المرارة .

(٣) في ط : وتضرهم . وكتب في حاشية ب لعله : وتضرهم .

(٤) في ب : كما قال بعضهم في قوله .

(٥) في مسنده (٥/ ٢١٨) .

عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزُّهْري ، عن سِنان الدِّيْلي[(١)] ، عن أبي واقد اللَّيْثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حُنَيْن ، فمررنا بسِدْرَة[(٢)] ، فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط ، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون حولها ، فقال النبي ﷺ : « اللهُ أَكْبَرُ ! هذا كَما قالَتْ بَنُو إسْرائِيْلَ لِموسَى ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ إنَّكم تَرْكَبُونَ سُنَنَ الذيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ » .

ورواه النسائي[(٣)] عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق[(٤)] ، به .

ورواه الترمذي[(٥)] ، عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، به . ثم قال : حسن صحيح .

وقد روى ابن جرير[(٦)] من حديث محمد بن إسحاق ومَعْمر ، وعقيل ، عن الزهري ، عن سنان بن أبي سنان ، عن أبي واقد الليثي أنّهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حُنَيْن[(٧)] ، قال : وكان للكفار سِدرة يعكُفون عندها ويعلّقون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط ، قال فمررنا بسدرةٍ خضراءَ عظيمةٍ ، قال : فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال : « قُلْتُم ـ وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ ـ كما قَالَ قَوْمُ مُوسَى لموسَى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ » .

والمقصود أنّ موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر ، وواجه بلاد بيت المقدس ، وجد فيها قوماً من الجبارين من الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم ، فأمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم ومقاتلتهم وإجلائهم إياهم عن بيت المقدس ، فإن الله كتبه لهم ، ووعدهم إيّاه على لسان إبراهيم الخليل وموسى الكليم الجليل ، فأبَوا ونكلوا عن الجهاد ، فسلّط الله عليهم الخوف ، وألقاهم في التيه يسيرون ويحلّون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون في مدّة من السنين طويلة ، هي من العدد أربعون ، كما قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) الدِّيْلي ، بكسر الدال المهملة وسكون الياء ، وكسر اللام . لغة في الدؤلي . اللباب (١/ ٥١٤) الدؤلي .

(٢) السِّدْر : شجر النبق .

(٣) في تفسيره (٢٠٥)، وهو في الكبرى (١١١٨٥).

(٤) وهو في مصنفه (٢٠٧٦٣) .

(٥) في الفتن من جامعه (٢١٨٠) .

(٦) تفسيره (٩/ ٣١) .

(٧) في المطبوع: « خيبر » خطأ، والصواب ما أثبتناه، وينظر تعليق الدكتور بشار على طبعته في جامع الترمذي (٤/ ٥٠).

يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٠ ـ ٢٦] .

يذكّرهم نبيُّ الله نعمةَ الله عليهم، وإحسانه إليهم بالنعم الدينية والدنيوية، ويأمرهم بالجهاد في سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ أي: تنكصوا على أعقابكم وتنكلوا عن قتال أعدائكم، ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ أي: فتخسروا بعد الربح، وتنقصوا بعد الكمال.

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ أي: عتاة كفرة متمردين ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ . خافوا من هؤلاء الجبارين، وقد عاينوا هلاك فرعون وهو أجبر من هؤلاء وأشد بأساً وأكثر جمعاً وأعظم جنداً، وهذا يدلّ على أنّهم ملومون[١] في هذه المقالة، ومذمومون على هذه الحالة من الذلّة عن مصاولة الأعداء ومقاومة المَرَدة الأشقياء .

وقد ذكر كثيرٌ من المفسّرين[٢] هاهنا آثاراً فيها مجازفاتٌ كثيرةٌ باطلةٌ، يدلّ العقل والنقل على خلافها، من أنهم كانوا أشكالاً هائلة ضخاماً جداً، حتى إنهم ذكروا أن رُسَل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقّاهم رجل من رسل الجبارين، فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلفُّهم[٣] في أكمامه وحجزة سراويله[٤]، وهم اثنا عشر رجلاً، فجاء بهم فنثرهم بين يدي ملك الجبّارين، قال: ما هؤلاء؟ ولم يعرف أنّهم من بني آدم حتى عرفوه . وكل هذه هذيانات وخرافات لا حقيقة لها، وأن الملك بعث معهم عنباً، كل عنبة تكفي الرجل، وشيئاً من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالهم . وهذا ليس بصحيح .

وذكر هاهنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين إلى بني إسرائيل ليهلكهم، وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمئة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع، هكذا ذكره البغوي وغيره، وليس بصحيح كما قدمنا بيانه[٥] عند قوله ﷺ: « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ طُولُه سِتُّونَ ذِراعاً »، ثمّ لم يزل الخلق ينقص حتى الآن . قالوا: فعمد عوج إلى قلة جبل[٦] فاقتلعها، ثمّ أخذها بيديه ليلقيها على جيش موسى، فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فخرقها، فصارت طوقاً في عنق عوج بن عنق، ثمّ عمد موسى إليه فوَثَب في الهواء

---

(١) كذا في ب، وط . وأ: ملزمون .
(٢) انظر القرطبي وابن كثير .
(٣) في ب: ويجعلهم .
(٤) حُجْزة السراويل: موضع التِّكّة .
(٥) في الجزء الأول من هذا الكتاب، في الأحاديث الواردة في خلق آدم .
(٦) في ط: قمة . والقلّة: أعلى الجبل، وقلّة كل شيء: أعلاه .

عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، وبيده عصاه وطولها عشرة أذرع ، فوصل إلى كعب قدمه فقتله .

يروى هذا عن نوف[١] البِكَالي ، ونقله ابن جرير[٢] عن ابن عباس . وفي إسناده إليه نظر . ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات ، وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل ، فإن الأخبار الكذب قد كثرت عندهم ولا تمييز لهم بين صحتها وباطلها . ثمّ لو كان هذا صحيحاً لكان بنو إسرائيل معذورين في النكول عن قتالهم ، وقد ذمّهم الله على نكولهم ، وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم ، وقد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالإقدام ، ونهياهم عن الإحجام . ويقال : إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسُّدّي والربيع بن أنس وغير واحد[٣] .

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أي يخافون الله ، وقرأ بعضهم[٤] : ﴿ يُخافون ﴾ أي : يهابون ﴿ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ أي : بالإسلام والإيمان والطّاعة والشجاعة : ﴿ ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي : إذا توكلتم على الله واستعنتم به ولجأتم إليه نصركم على عدوّكم وأيّدكم عليهم وأظفركم بهم .

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ فصمّم ملؤهم على النكول عن الجهاد ، ووقع أمرٌ عظيمٌ وَوَهَنٌ كبيرٌ . فيقال : إن يوشع وكالب لمّا سمعا هذا الكلام شقّا ثيابهما ، وإنّ موسى وهارون سَجدا إعظاماً لهذا الكلام وغضباً لله عزَّ وجلَّ وشفقةً عليهم من وبيل هذه المقالة .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قال ابن عباس : اقض بيني وبينهم[٥] . ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض ، يسيرون إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً ، ويقال : إنّه لم يخرج أحدٌ من التيه ممن دخله ، بل ماتوا كلّهم في مدة أربعين سنة ، ولم يبق إلّا ذراريهم ، سوى يوشع وكالب عليهما السلام .

لكن أصحاب محمد يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى ، بل لما استشارهم في الذهاب

---

(١) في الأصل « عوف » ، وهو تحريف ، وهو نَوْف بن فَضَالة البِكالي ، ابن امرأة كعب ، مات بعد سنة (٩٠هـ) . قال في تقريب التهذيب : شامي مستور ، وإنما كذّب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب (٢/ ٣٠٩) . والبِكالي : نسبة إلى بني بِكال ، بطن من حمير . اللباب (١/ ١٦٨) ، ولا نعرف في الرواة من اسمه عوف البكالي .

(٢) تاريخ الطبري (١/ ٤٣١) .

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١١٣) .

(٤) هي قراءة ابن عباس ، ومجاهد وسعيد بن جبير . تفسير الطبري (٦/ ١١٣ ـ ١١٤) والبحر المحيط (١/ ١٢٣) .

(٥) تفسير الطبري (٦/ ١١٦) .

إلى النفير تكلّم الصِّدِّيقُ فأحْسَنَ ، وغيره من المهاجرين ، ثم جعل يقول : « أشِيْروا عَلَيَّ » حتى قال سعدُ بن مُعاذ : كأنك تُعَرِّض بنا يا رسول الله ، فوالذي بعثك بالحق[(١)] لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلّف منّا رجلٌ واحدٌ ، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً ، إنّا لصبُرٌ في الحرب ، صُدُق في اللِّقاء ، لعلّ اللهَ يريكَ منّا ما تَقَرُّ به عينُك . فَسِرْ بنا على بركة الله . فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد وبسطه ذلك[(٢)] .

وقال الإمام أحمد[(٣)] : حدَّثنا وكيع ، حدّثنا سفيان ، عن مخارق بن عبد الله الأحْمسي[(٤)] ، عن طارق ـ هو ابن شهاب ـ أن المِقْداد قال لرسول الله ﷺ يوم بدر : يا رسول الله إنّا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] ولكن : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون .

وهذا إسنادٌ جيِّدٌ من هذا الوجه ، وله طريق[(٥)] أخرى : قال أحمد[(٦)] : حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا إسرائيل ، عن مخارق ، عن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله بن مسعود : لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه[(٧)] أحبّ إليَّ مما عدل به ، أتى رسول الله ﷺ وهو يدعو على المشركين ، قال : والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ ولكنّا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ، ومن بين يديك ومن خلفك . فرأيتُ وجه رسول الله ﷺ يُشْرِق لذلك ، وسُرَّ بذلك . رواه البخاري في التفسير ، والمغازي من طرق ، عن مخارق ، به[(٨)] .

وقال الحافظ أبو بكر بن مَردويه : حدّثنا علي بن الحسن بن علي ، حدثنا أبو حاتم الرازي ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا حميد ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر استشار المسلمين ، فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم ، فقالت الأنصار : يا معشر الأنصار إيّاكم يريدُ رسول الله ﷺ . قالوا : إذاً لا نقول له كما قال بنو إسرائيل لموسى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ والذي بعثك بالحق إن ضربتَ أكبادَها إلى بَرْك الغِمَاد[(٩)] لاتّبعناك .

---

(١) كذا في ب ، وط . وفي أ : فوالذي نفسي بيده .
(٢) انظر سيرة ابن هشام . غزوة بدر .
(٣) في مسنده (٤/ ٣١٤) .
(٤) (الأَحْمَسِي) : نسبة إلى أحمس ، وهي طائفة من بجيلة نزلوا الكوفة . الأنساب (١/ ١٤٦) .
(٥) في ط : طرق .
(٦) في مسنده (١/ ٣٩٠) .
(٧) في ب : لأن أكون صاحبه .
(٨) قوله : به ، ليس في ب . والحديث في البخاري برقم (٣٩٥٢) في المغازي ، باب قوله تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ ، و (٤٦٠٩) ، في التفسير سورة المائدة ، باب ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾ .
(٩) في حاشية ب : برك الغماد : مدينة النجاشي ملك الحبشة .
وقيل : هو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر . وموضع في أقاصي أرض هجر . وقيل : هو أقصى حَجْر =

ورواه الإمام أحمد عن عبيدة بن حميد ، عن حميد الطويل ، عن أنس[١] ، ورواه النسائي عن محمد بن المثنى ، عن خالد بن الحارث ، عن حميد ، عن أنس ، به نحوه[٢] .

وأخرجه ابن حبّان في « صحيحه »[٣] عن أبي يعلى[٤] ، عن عبد الأعلى بن حمّاد ، عن معتمر ، عن حميد عن أنس ، به نحوه .

* * *

فصل
في دخول بني إسرائيل التِّيه ومَا جرى لهم من الأمور العجيبة[٥]

قد ذكرنا نكول بني إسرائيل عن قتال الجبّارين ، وأن الله تعالى عاقبهم بالتيه ، وحكم بأنّهم لا يخرجون منه إلى أربعين سنة ، ولم أرَ في كتاب أهل الكتاب قصّة نكولهم عن قتال الجبّارين ، ولكن[٦] فيها أن يوشع جهّزه موسى لقتال طائفةٍ من الكفّار ، وأن موسى وهارون وخور[٧] جلسوا على رأس أَكَمَةٍ ، ورفع موسى عصاه ، فكلّما رفعها انتصرَ يوشَعُ عليهم ، وكلّما مالت يدُه بها من تعبٍ أو نحوِه غلبهم أولئك ، وجعل هارون وخور يدعَمان يديه عن يمينه وشماله ذلك اليوم إلى غروب الشمس ، فانتصر حزب يوشع عليه السلام .

وعندهم : أن يثرون كاهن مدين وخَتَن[٨] موسى عليه السلام بلغه ما كان من أمر موسى ، وكيف أظفره الله بعدوّه فرعون ، فقدم على موسى مسلماً ، ومعه ابنته صفُّورا[٩] زوجة موسى وابناها منه جِرْشُون

= باليمن . معجم البلدان .

(١) المسند (٣/ ١٠٥ و١٨٨) .

(٢) أخرجه في السير (٨٥٨٠) والمناقب (٨٣٤٨)، والتفسير (١١١٤١) من سننه الكبرى .

(٣) ابن حبان (٤٧٢١) .

(٤) وهو في مسنده (٣٨٠٣) وهو حديث صحيح .

(٥) كذا في الأصل ، وفي ب : فصل في دخول بني إسرائيل التيه وما جرى لهم فيه . . وفي ط : دخول بني إسرائيل التيه وما فيه من الأمور العجيبة .

(٦) وردت هذه القصة في العهد القديم ، سفر الخروج ، الإصحاح السابع عشر .

(٧) كذا في أصولنا . (خور) بالخاء المعجمة . وفي العهد القديم : (حور) بالمهملة .

(٨) الخَتَنُ : أبو امرأة الرجل ، وأخو امرأته ، وكل من كان من قبل امرأته . والجمع : أختان ، والأنثى خَتَنَة . اللسان .
وهذا الخبر في سفر الخروج ، الإصحاح الثامن عشر .

(٩) كذا في أصولنا . وفي العهد القديم : صفُّورة .

وعازر[١] ، فتلقّاه موسى وأكرمه ، واجتمع به شيوخ بني إسرائيل وعظّموه وأجلُّوه .

وذكروا أنّه رأى كثرة اجتماع بني إسرائيل على موسى في الخصومات التي تقع بينهم ، فأشار على موسى أن يجعل على الناس رجالاً أمناء أتقياء أعفّاء ، يبغضون الرِّشَا والخيانة ، فيجعلهم على الناس رؤوس ألوف ، ورؤوس مئين ، ورؤوس خمسين ، ورؤوس عشرة ، فيقضون بين الناس ، فإذا أشكل عليهم أمر جاؤوك ففصلْتَ بينهم ما أشكل عليهم ، ففعل ذلك موسى عليه السلام .

قالوا[٢] ودخل بنو إسرائيل البرية عند سيناء في الشهر الثالث من خروجهم من مصر، وكان خروجهم في أوّل السنة التي شُرِعت لهم، وهي أول فصل الربيع، فكأنهم دخلوا التيه في أول فصل الصيف والله أعلم.

قالوا[٣] ونزل بنو إسرائيل حول طور سيناء وصَعِد موسى الجبلَ فكلّمه ربُّه ، وأمره أن يذكّر بني إسرائيل ما أنعم الله به عليهم من إنجائه إيّاهم من فرعون وقومه ، وكيف حملهم على مثل جناحَي نسرٍ من يده وقبضته ، وأمره أن يأمر بني إسرائيل بأن يتطّهروا ويغتسلوا ويغسلوا ثيابَهم ، وليستعدّوا إلى اليوم الثالث ، فإذا كان في اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل ولا يقتربنَّ أحدٌ منهم إليه ، فمن دنامنه قُتِل ، حتى ولا شيء من البهائم ماداموا يسمعون صوت القرن ، فإذا سكن القرن فقد حلّ لكم أن ترتقوه[٤] ؛ فسمع بنو إسرائيل ذلك ، وأطاعوا ، واغتسلوا ، وتنظّفوا ، وتطيّبوا ، فلما كان اليوم الثالث ركب الجبلَ غمامةٌ عظيمةٌ وفيها أصواتٌ وبروقٌ وصوت الصور شديدٌ جداً ، ففزع بنو إسرائيل من ذلك فزعاً شديداً ، وخرجوا فقاموا في سفح الجبل ، وغشي الجبلَ دخانٌ عظيمٌ في وسطه عمود نور ، وتزلزل الجبل كلّه زَلزلةً شديدةً ، واستمر صوت الصور ـ وهو البوق[٥] ـ واشتد ، وموسى عليه السلام فوق الجبل والله يكلِّمه ويناجيه ، وأمر الربّ عز وجل موسى أن ينزل فيأمر بني إسرائيل أن يقتربوا من الجبل ليسمعوا وصيّة الله ، ويأمر الأحبار ـ وهم علماؤهم ـ أن يدنوا فيصعدوا الجبل ليتقدّسوا[٦] بالقرب ، وهذا نص في كتابهم على وقوع النسخ لا محالة ، فقال موسى : يا رب إنّهم لا يستطيعون أن يَصْعدوه ، وقد نَهيتَهم عن ذلك ، فأمره الله تعالى أن يذهب فيأتي معه بهارون أخيه ، وليكن الكهنة ـ وهم العلماء ـ والشعب ـ وهم بقية بني إسرائيل ـ غير بعيد ففعل موسى ، وكلَّمه ربّه عز وجل فأمره حينئذٍ بالعشر كلمات .

---

(١) في المصدر السابق : جرشوم ؛ لأنه قال : كنت نزيلاً في أرض غريبة . واسم الآخر : أليعازر ؛ لأنه قال : إلّه أبي كان عوني وأنقذني من سيف فرعون .

(٢) في سفر الخروج ، الإصحاح التاسع عشر .

(٣) في المصدر السابق نفسه .

(٤) في العهد القديم : أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل .

(٥) في ب : وهو القرن .

(٦) في ط : ليتقدموا .

وعندهم[١] أن بني إسرائيل سمعوا كلام الله ، ولكن لم يفهموا حتى فهّمهم موسى ، وجعلوا يقولون لموسى : بلِّغنا أنتَ عن الرب عز وجل فإنا نخاف أن نموت ، فبلّغهم عنه ، فقال هذه العشر الكلمات وهي : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والنّهي عن الحلف بالله كذباً ، والأمر بالمحافظة على السّبت ، ومعناه تفرُّغ يومٍ من الأسبوع للعبادة ، وهذا حاصل بيوم الجمعة الذي نسخ الله به السَّبت .

كرّم[٢] أباك وأمك ليطول عمرك بالأرض[٣] الذي يعطيك الله ربك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد على صاحبك شهادة زور ، لا تمدّ عينك إلى بيت صاحبك ، ولا تشْتَهِ امرأة صاحبك ولا عبدَه ولا أَمته ولا ثورَه ولا حمارَه ولا شيئاً من الذي لصاحبك ، ومعناه النّهي عن الحسد .

وقد قال كثيرٌ من علماء السلف وغيرهم[٤] : مضمون هذه العشر الكلمات في آيتين من القرآن ، وهما قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ ۞قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ . . . ﴾ الآية [: ١٥١ ـ ١٥٣] .

وذكروا بعد العشر الكلمات وصايا كثيرةً وأحكاماً متفرّقةً عزيزةً كانت فزالت ، وعملت بها حيناً من الدهر ، ثمّ طرأ عليها عصيانٌ من المكلّفين بها ، ثمّ عمدوا إليها فبدّلوها وحرَّفوها وأوّلوها . ثمّ بعد ذلك كلّه سَلَبوها فصارت منسوخةً مبدَّلة بعد ما كانت مشروعةً مكملة ، فلله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ، وهو الذي يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، ألا له الخَلْقُ والأمر ، تبارك الله ربُّ العالمين .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه : ٨٠ ـ ٨٢]

يذكر تعالى منّته وإحسانه إلى بني إسرائيل بما أنجاهم من أعدائهم ، وخلّصهم من الضيق والحرج ، وأنه وعدهم صحبة نبيهم كليمه إلى جانب الطور الأيمن ؛ أي : منهم ، لينزّل عليه أحكاماً عظيمةً فيها مصلحةٌ لهم في دنياهم وأخراهم ، وأنّه تعالى أنزل عليهم في حال شدَّتهم وضرورتهم في سفرهم في

(١) سفر الخروج ، الإصحاح العشرون .
(٢) كذا في أ ، وب . وفي ط : أكرم ، وكذلك لفظ العهد القديم .
(٣) في ب ، وط : في الأرض . وفي العهد القديم : على الأرض .
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٨١) .

الأرض التي ليس فيها زرع ولا ضرع منّاً من السماء يصبحون فيجدونه خلال بيوتهم ، فيأخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم إلى مثله من الغد ، ومن ادّخر منه لأكثر من ذلك فسد . ومن أخذ منه قليلاً كَفَاه ، أو كثيراً لم يفضل عنه ، فيصنعون منه مثل الخبز وهو في غاية البياض والحلاوة ، فإذا كان من آخر النهار غَشِيَهم طيرُ السَّلْوى ، فيقتنصون منه بلا كُلْفةٍ ما يحتاجون إليه بحسب كفايتهم لعشاهم ، وإذا كان فصل الصيف ظلَّل الله عليهم الغمامَ ، وهو السّحاب الذي يستر عنهم حرّ الشمس وضوءها الباهر . كما قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ إلى أن قال : ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ . . . إلى أن قال : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [٤٠ - ٦١] .

فذكر تعالى إنعامه عليهم ، وإحسانه إليهم بما يسّر لهم من المَنِّ والسَّلوى طعامين شهيّين بلا كُلفةٍ ولا سعيٍ لهم فيه ، بل ينزّل اللهُ المنَّ باكراً ، ويرسل عليهم طير السلوى عشياً . وأنبع الماءَ لهم بضرب موسى عليه السلام حَجَراً كانوا يحملونه معهم بالعصا فتفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، لكل سِبْط عينٌ منه تَنْبَجس ، ثمّ تتفجر ماءً زُلالاً فيستقون فيشربون[1] ويسقون دوابهم ، ويدّخرون كفايتهم . وظلّل عليهم الغمامَ من الحرِّ ، وهذه نعمٌ من الله عظيمةٌ ، وعطيّات جسيمةٌ ، فما رَعَوها حق رعايتها ، ولا قاموا بشكرها وحق عبادتها ، ثمّ ضجر كثيرٌ منها ، وتبرّموا بها ، وسألوا أن يستبدلوا منها ببدلها ﴿ مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ ﴾ فقرّعهم الكليمُ ووبّخهم وأنّبهم على هذه المقالة وعنّفهم

---

(١) قوله : فيشربون . ليس في ط .

قائلاً ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ أي : هذا الذي تطلبونه وتريدونه ، بدل هذه النعم التي أنتم فيها ، حاصلٌ[(١)] لأهل الأمصار الصغار والكبار ، موجودٌ بها ، وإذا هبطتم إليها ، أي : ونزلتم عن هذه المرتبة التي لا تصلحون لمنصبها ، تجدون بها ما تشتهون وما ترومون مما ذكرتم من المآكل الدَّنيَّةِ والأغذية الرديّة ، ولكني لست أجيبكم إلى سؤال ذلك هاهنا ، ولا أبلّغكم ما تعنتم به من المنى ، وكل هذه الصفات المذكورة عنهم الصادرة منهم تدلّ على أنّهم لم ينتهوا عما نهوا عنه ، كما قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه : ٨١] أي : فقد هلك ، وحُقّ له ـ والله ـ الهلاكُ والدمار . وقد حلّ عليه غضب الملك الجبّار ، ولكنه تعالى مزج هذا الوعيد الشديد بالرجاء لمن أنابَ وتاب ، ولم يستمر على متابعة الشيطان المريد ، فقال : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه : ٨٢] .

***

سؤال الرُّؤية

قال تعالى : ﴿ ۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٤٢ ـ ١٤٧] .

قال جماعةٌ من السّلَف ، منهم ابن عباس ومَسْروقٌ ومجاهد[(٢)] : الثلاثون ليلةً : هي شهر ذي القعدة بكماله ، وأُتِمَّت أربعين ليلةً بعشر ذي الحجة ، فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النّحر ، وفي مثله أكمل الله عزَّ وجل لمحمد ﷺ دينه ، وأقام حججه وبراهينه .

والمقصود أنّ موسى عليه السلام لما استكمل الميقات وكان فيه صائماً ، يقال : إنّه لم يستطعم

---

(١) في ب : بل هذه النعم التي أنتم تطلبونها حاصلة لأهل . . .

(٢) جمع هذه الأقوال الطبري في تفسيره (٩/ ٣٢ ـ ٣٣) .

بطعام ، فلما كَمُلَ الشهر أخذ لِحاء شجرةٍ[١] فمضغه ليطيب ريح فمه ، فأمر الله أن يُمْسِك عشراً أخرى فصارت أربعين ليلةً . ولهذا ثبت في الحديث[٢] أن خُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك[٣] .

فلما عزم على الذهاب استخلف على شعب بني إسرائيل أخاه هارون المحبّب المبجّل الجليل ، وهو ابن أمّه وأبيه ووزيره في الدعوة إلى مُصْطَفِيه ، فوصّاه وأمره[٤] ، وليس في هذا لِعُلُوّ منزلته في نبوته منافاةٌ .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾ أي : في الوقت الذي أُمِر بالمجيء فيه ، ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ أي : كلّمه الله من وراء الحجاب إلا أنه أسمعه الخطابَ ، فناداه ، وناجاه ، وقرّبه ، وأدناه ، وهذا مقامٌ رفيعٌ ، ومعقلٌ منيعٌ ، ومنصبٌ شريفٌ ، ومنزلٌ منيفٌ ، فصلوات الله عليه تَتْرى ، وسلامه عليه في الدنيا والأخرى .

ولما أُعطي هذه المنزلةَ العليَّة، والمرتبة السّنية، وسمع الخطاب، سأل رفعَ الحجاب، فقال للعظيم الذي لا تُدركه الأبصارُ ، القويّ البرهان : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ . ثم بيّن تعالى أنّه لا يستطيع أن يثبت عند تجَلِّيه تبارك وتعالى ، لأن الجبل الذي هو أقوى وأكبر ذاتاً ، وأشد ثباتاً من الإنسان لا يثبت عند التجلّي من الرحمن . ولهذا قال : ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ .

وفي الكتب المتقدّمة أن الله تعالى قال له : يا موسى إنّه لا يراني حيٌّ إلا ماتَ ، ولا يابسٌ إلا تَدَهْدَه[٥] .

وفي الصحيحين[٦] : عن أبي موسى ، عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « حِجَابُهُ النُّوْرُ » . وفي رواية : « النار . لَوْ كَشَفَه لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُه من خلقه » .

وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ذاك نورُه الذي هو نورُه ، إذا تجلّى لشيءٍ لا يقوم له شيء ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

---

(١) لحاء كل شجرة : قشرها .

(٢) قوله : الحديث زيادة من ط . وفي ب : ثبت الحديث في أن خلوف . . .

(٣) أخرجه البخاري : برقم (١٨٩٤) في الصوم ، باب فضل الصوم . و(١٩٠٤) باب هل يقول الصائم إني صائم إذا شتم ، و(٥٩٢٧) في اللباس ، باب ما يذكر في المسك ، و(٧٤٩٢) في التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ ﴾ و(٧٥٣٨) في التوحيد ، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه . ومسلم برقم (١١٥١) في الصيام ، باب فضل الصيام .

(٤) في ب : وأمره ونهاه .

(٥) في ب : يَدَّهده . والدهدهة : الدحرجة .

(٦) أخرجه مسلم (١٧٩) في الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : إن الله لا ينام ، ولم يرد في البخاري خلافاً لقول المؤلف وفي الصحيحين .

قال مجاهد ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ : فإنه أكبر منك ، وأشدّ خلقاً ، فلما تجلّى ربّه للجبل فنظر إلى الجبل لا يتمالك ، وأقبل الجبل فدُكَّ على أوله ، ورأى موسى ما يصنع الجبل ، فخر صَعِقاً .

وقد ذكرنا في « التفسير »[١] ما رواه الإمام أحمد[٢] ، والترمذي[٣] وصحّحه ، وابنُ جرير[٤] والحاكم[٥] ، من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ـ زاد ابن جرير وليث ـ عن أنس : أن رسول الله ﷺ قرأ : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ قال : هكذا بإصبعه ووضع النبي ﷺ الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر ، فساخ الجبل . لفظ ابن جرير .

وقال السُّدِّي عن عكرمة ، وعن ابن عباس : ما تجلّى ـ يعني من العظمة ـ إلّا قدر الخنصر ، فجعل الجبل دكاً ، قال : تراباً ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ أي : مَغْشِيّاً عَلَيه . وقال قتادة : ميتاً . والصحيح الأول ؛ لقوله ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ فإن الإفاقة إنما تكون عن غشي .

قال ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ تنزيهٌ وتعظيمٌ وإجلالٌ أن يراه بعظمته أحدٌ ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ أي : فلستُ أسأل بعد هذا الرؤية ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنه لا يراك حيٌّ إلا مات ، ولا يابس إلا تَدَهْدَه[٦] .

وقد ثبت في « الصحيحين » من طريق عمرو بن يحيى بن عُمارة بن أبي حسن المازني الأنصاري ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخُدري قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُخَيِّرُوني مِنْ بَيْنِ الأَنْبياءِ ، فإنَّ النَّاسَ يُصْعَقُوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيْقُ ، فإذا أنا بِمُوْسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوائِمِ العَرْشِ[٧] فلا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلي أم[٨] جُوْزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّوْرِ »[٩] . لفظ البخاري . وفي أوله قصة اليهودي الذي لطم وجهه الأنصاريُّ حين قال :

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٤) وما بعدها .
(٢) في مسنده (٣/ ١٢٥ . و٢٠٩) .
(٣) سنن الترمذي رقم (٣٠٧٤) في التفسير ، باب ومن سورة الأعراف .
(٤) تفسير الطبري (٩/ ٣٧) .
(٥) المستدرك (١/ ٢٥ و٢/ ٣٢٠ و٥٧٧) .
(٦) في ب : يَدَّهْدَه .
(٧) في ب : فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش ، وسيرد الحديث بعد قليل بهذا اللفظ .
(٨) كذا في ب ، والبخاري ، وهو وفاق ما عليه أهل النحو . وفي أ ، وط : أو
(٩) في البخاري : برقم (٢٤١٢) في أول الخصومات . و (٣٣٩٨) في الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً ﴾ ، و (٤٦٣٨) في تفسير سورة الأعراف ، باب ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾ ، و (٦٩١٦ و٦٩١٧) في الديات ، باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب . و (٧٤٢٧) في التوحيد ، باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ .
ومسلم رقم (٢٣٧٤) في الفضائل ، باب من فضائل موسى عليه السلام . وفي الروايات بعض اختلاف .

لا والذي اصطفى موسى على البشر ، فقال رسول الله : « لا تخيِّروني مِن بين الأنبياءِ » .

وفي « الصحيحين »[(١)] من طريق الزُّهْري ، عن أبي سلمة وعبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، بنحوه وفيه : « لا تُخَيِّروني عَلَى مُوسى » وذكر تمامه . وهذا من باب الهضم والتواضع ، أو نهي عن التفضيل بين الأنبياء على وجه الغضب والعصبية ، أو ليس هذا إليكم ، بل اللهُ هو الذي رفع بعضهم فوق بعض درجات ، وليس يُنالُ هذا بمجرد الرأي ، بل بالتوقيف . ومن قال : إن هذا قاله قبل أن يعلم أنه أفضل ، ثم نُسخ باطّلاعه على أفضليته عليهم كلّهم ، ففي قوله نظر ؛ لأن هذا من رواية أبي سعيد وأبي هريرة ، وما هاجر أبو هريرة إلّا عام حُنَين متأخِّراً ، فيبعد أنّه لم يعلم بهذا إلّا بعد هذا . والله أعلم .

ولا شك أنّه صلوات الله وسلامه عليه أفضل البشر ، بل الخليقة . قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وما كملوا إلا بشرف نبيّهم . وثبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْر »[(٢)] ، ثمّ ذكر اختصاصه بالمقام المحمود الذي يغبِطُه به الأوّلون والآخرون الذي تحيد عنه الأنبياء والمرسلون ، حتى أولو العزم الأكملون نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم .

وقوله ﷺ : « فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيْقُ فَأَجِدُ مُوسَى باطِشاً بِقائِمَةِ العَرْشِ » أي : آخذاً بِها « فلا أدْرِي أَفَاقَ قَبْلي أَمْ جُوْزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّوْرِ » دليلٌ على أنّ هذا الصعق الذي يحصل للخلائق في عَرَصَات القيامة حين يتجلّى الربُّ لِفَصْل القضاء بين عباده ، فيُصْعَقون من شدّة الهيبة والعَظَمةِ والجلال فيكون أوَّلَهم إفاقةً محمدٌ خاتم الأنبياء ومصطفى ربِّ الأرض والسماء على سائر الأنبياء ، فيجد موسى باطشاً بقائمة العرش ، قال الصّادق المصدوق : « لا أدْري أَصعق فأفاقَ قَبْلي » أي : كانت صعقته خفيفة ، لأنّه قد ناله بهذا السبب في الدنيا صعق ، أو جوزي بصعقة الطور ، يعني فلم يصعق بالكلّية ، وهذا فيه شرفٌ كبيرٌ لموسى عليه السلام من هذه الحيثية . ولا يلزم تفضيله بها مطلقاً من كلِّ وجه . ولهذا نبَّه رسول الله ﷺ على شرفه وفضيلته بهذه الصّفة ، لأن المُسْلِم لمّا ضرب وجه اليهودي حين قال : لا والذي اصطفى موسى على البشر ، قد يحصل في نفوس بعض المشاهدين لذلك هضمٌ بجناب موسى عليه السلام فبيّن النبي ﷺ فضيلته وشرفه .

---

(١) في البخاري : برقم (٢٤١١) في أول الخصومات . ومسلم (٢٣٧٣) في الفضائل ، باب من فضائل موسى ﷺ .

(٢) اللفظ للترمذي . وهو قطعة من حديث فيه من طريق أبي سعيد الخدري ، رقم (٣١٤٨) في التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل .
وأخرجه البخاري : برقم (٣٣٤٠) في الأنبياء ، باب قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ ومسلم (١٩٤) في الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها . والترمذي (٢٤٣٤) في صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة . من طريق أبي هريرة .

ـ وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى ﴾ أي : في ذلك الزمان لا ما قبله ، لأن إبراهيم الخليل أفضلُ منه ـ كما تقدم بيان ذلك في قصة إبراهيم[١] ـ ولا ما بعده لأن محمداً ﷺ أفضل منهما ، كما ظهر شرفه ليلة الإسراء على جميع المرسلين والأنبياء ، وكما ثبت أنه قال : « سَأَقُومُ مَقَاماً يَرْغَبُ إليَّ الخَلْقُ حَتَّى إبْرَاهِيم »[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ أي : فخذ ما أعطيتك من الرسالة والكلام ، ولا تسأل زيادة عليه ، وكن من الشاكرين على ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ وكانت الألواح من جوهرٍ نفيسٍ . ففي « الصحيح » أنّ الله كتب له[٣] التوراة بيده ، وفيها مواعظ عن الآثام وتفصيلٌ لكلِّ ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ أي : بعزم ونيّةٍ صادقةٍ قويّةٍ ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ﴾ أي : يضعوها على أحسن وجوهها وأجمل محاملها ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ أي : سترون عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمري المكذِّبين لرسلي . ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ﴾ عن فهمها وتدبُّرها وتعقُّل معناها الذي أريد منها ، ودلّ عليه مقتضاها ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ﴾ أي : ولو شاهدوا مهما شاهدوه من الخوارق والمعجزات لا ينقادون لاتِّباعها ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ أي : لا يسلكوه ولا يتبعوه ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ أي : صرفناهم عن ذلك لتكذيبهم بآياتنا ، وتغافلهم عنها ، وإعراضهم عن التصديق بها والتفكّر في معناها وترك العمل بمقتضاها ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .

* * *

(١) في الجزء الأول .

(٢) ورد تخريجه في الجزء الأول .

(٣) في ب : كتب التوراة . والحديث في البخاري (٦٦١٤) ، ومسلم (٢٦٥٢) .

قصَّة عِبادتهم العجْل في غيبَـة كليم الله عنهم[١]

قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٤٨ ـ ١٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه : ٨٣ ـ ٩٨] .

يذكر تعالى ما كان من أمر بني إسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربّه ، فمكث على الطور يناجيه ربُّه ويسأله موسى عليه السلام عن أشياءَ كثيرةٍ ، وهو تعالى يجيبه عنها ، فعمد رجلٌ منهم يقال له : هارون السّامري[٢] ، فأخذ ما كان استعاروه من الحليّ ، فصاغ منه عجلاً ، وألقى فيه قبضةً من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرقَ الله فرعونَ على يديه ، فلما ألقاها فيه خارَ كما

---

(١) في ب : في غيبة كليم الله موسى عليه السلام عنهم . وفي ط : في غيبة موسى .
(٢) في تاريخ الطبري (١/ ٤٢٥) : وكان اسم السامري موسى بن ظفر .

يخور العجل الحقيقي . ويقال : إنّه استحال عجلاً جسداً ، أي : لحماً ودماً حيّاً يخور . قاله قتادة وغيره .

وقيل : بل كانت الريح إذا دخلت من دُبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة ، فيرقصون حوله ويفرحون ﴿ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ أي : فنسي موسى ربّه عندنا ، وذهب يتطلّبه وهو هاهنا ، تعالى الله عما يقولون[١] علوّاً كبيراً ، وتقدّست أسماؤه وصِفاته ، وتضاعفت آلاؤه وعِداته .

قال الله تعالى مبيناً بطلان ما ذهبوا إليه ، وما عوّلوا عليه من إلّهية هذا الذي قُصاراه أن يكون حَيواناً بَهيماً ، وشيطاناً رجيماً ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ وقال : ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ فذكر أنّ هذا الحيوان لا يتكلّم ولا يردّ جواباً ، ولا يملك ضرّاً ولا نفعاً ، ولا يهدي إلى رشدٍ ، اتخذوه وهم ظالمون لأنْفُسهم عالمون في أنفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل والضلال : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي : ندموا على ما صنعوا ﴿ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

ولمّا رجع موسى عليه السلام إليهم ، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل ، ومعه الألواح المتضمّنة التوراة ، ألقاها ، فيقال : إنّه كسرها . وهكذا هو عند أهل الكتاب[٢] ، وأن الله أبدله غيرها . وليس في اللفظ القرآني ما يدلّ على ذلك ، إلا أنه ألقاها حين عاين ما عاين . وعند أهل الكتاب أنّهما كانا لوحين[٣] وظاهر القرآن أنّها ألواح متعددة ، ولم يتأثر بمجرّد[٤] الخبر من الله تعالى عن عبادة العجل فأمره[٥] بمعاينة ذلك . ولهذا جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٦] ، وابن حِبّان[٧] . عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ الخَبَرُ كالمُعَايَنَةِ » ، ثمّ أقبل عليهم فعنّفَهم ، ووبّخهم ، وهجّنهم في صنيعهم هذا القبيح ، فاعتذروا إليه بما ليس بصحيح ، ﴿ حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ تحرّجوا من تملّك حُليّ آل فرعون وهم أهل حرب ، وقد أمرهم الله بأخذه وأباحه لهم ، ولم يتحرّجوا بجهلهم وقلّة علمهم وعقلهم من عبادة العجل الجسد الذي له خُوار مع الواحد الأحد الفرد الصمد القهّار .

ثم أقبل على أخيه هارون عليهما السلام قائلاً له : ﴿ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ أي : هَلّا لما رأيت ما صنعوا اتّبعتني فأعلمتني بما فعلوا ؟ فقال : ﴿ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ

(١) في ب : تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .
(٢) سفر الخروج : الإصحاح الثاني والثلاثون .
(٣) المصدر السابق .
(٤) في ب : بوجود .
(٥) في ب : عن عبادتهم العجل تأثره بمعاينة ذلك .
(٦) مسند أحمد (١ / ٢٧١) .
(٧) صحيح ابن حبان (٢٤١٣) في كتاب التاريخ ، باب بدء الخلق .

إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي : تركتهم وجئتني وأنت قد استخلفتني فيهم : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .

وقد كان هارون عليه السلام نهاهم عن هذا الصنيع الفظيع أشدَّ النهي ، وزجرهم عنه أتمَّ الزجر . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ ﴾ أي : إنّما قدّر الله أمر هذا العجل وجعله يخور فتنةً واختباراً لكم ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ أي : لا هذا ﴿ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ أي : فيما أقول لكم ﴿ وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ يشهد الله لهارون عليه السلام وكفى بالله شهيداً ، أنّه نهاهم ، وزجرهم عن ذلك فلم يطيعوه ، ولم يتّبعوه .

ثم أقبل موسى على السّامري ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴾ أي : ما حملك على ما صنعت ؟ ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي : رأيت جبريل وهو راكب فرساً ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ أي : من أثر فرس جبريل .

وقد ذكر بعضهم أنّه رآه وكلّما وطئت بحوافرها على موضع اخضرَّ وأعشبَ ، فأخذ من أثر حافرها ، فلما ألقاه في هذا العجل المَصُوغ[١] من الذهب كان من أمره ما كان ، ولهذا قال : ﴿ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ ﴾ وهذا دعاء عليه بأن لا يَمَسَّ أحداً معاقبة له على مسّه مالم يكن له مسّه . هذا معاقبة له في الدنيا ، ثم توعّده في الأخرى فقال : ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ ﴾ وقرئ ﴿ لَنْ تُخلِفَه ﴾[٢] ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ . قال : فعمد موسى عليه السلام إلى هذا العجل فحرّقه بالنار كما قاله قتادة وغيره . وقيل : بالمبارد ، كما قاله علي وابن عباس وغيرهما ، وهو نص أهل الكتاب[٣] ، ثمّ ذراه في البحر ، وأمر بني إسرائيل فشربوا ، فمن كان من عابديه عَلِق على شفاههم من ذلك الرماد منه ما يدل عليه ، وقيل : بل اصفرّت ألوانهم .

ثمّ قال تعالى إخباراً عن موسى أنّه قال لهم : ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾

---

(١) في ط : المصنوع .

(٢) قوله : وقرئ : لن تخلفه . سقط في ب . وفي ط : نخلفه : بالنون .
وقراءة ﴿ لن تُخْلَفه ﴾ بفتح اللام هي قراءة الجمهور . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ تُخْلِفه ﴾ بكسر اللام . أي : لن تغيب عنه . على وجه التهديد . أي : ستصير إليه مريداً أو كارها ، فلا يكون لك سبيل إلى أن تخلفه . حجة القراءات (٤٦٢ ـ ٤٦٣) .

(٣) الذي قاله أهل الكتاب في سفر الخروج ، الإصحاح الثاني والثلاثين : ثم أخذَ العجلَ الذي صنعوا ، وأحرقه بالنار ، وطحنه حتى صار ناعماً ، وذراه على الماء ، وسقى بني إسرائيل .

وهكذا وقع. وقد قال بعض السلف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ مسجَّلةٌ لكلِّ صاحب بِدعةٍ إلى يوم القيمة.

ثمّ أخبر تعالى عن حلمه، ورحمته بخلقه، وإحسانه على عبيده في قبوله توبة من تاب إليه بتوبته عليه فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لكنْ لم يقبلِ اللهُ توبة عابدي العجل إلا بالقتل كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤] فيقال: إنّهم أصبحوا يوماً وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف، وألقى الله عليهم ضَباباً حتى لا يعرف القريبُ قريبَه ولا النسيب نسيبه، ثمّ مالوا على عابديه فقتلوهم وحصدوهم. فيقال: إنّهم قتلوا في صبيحةٍ واحدة سبعين ألفا.

ثمّ قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ استدلّ بعضهم بقوله: ﴿ وَفِى نُسْخَتِهَا ﴾ على أنّها تكسّرت، وفي هذا الاستدلال نظر، وليس في اللفظ ما يدلّ على أنّها تكسّرت. والله أعلم.

وقد ذكر ابن عباس في حديث الفتون ـ كما سيأتي[1] ـ أن عبادتهم العجل كانت على أثر خروجهم من البحر، وما هو ببعيد؛ لأنهم حين خرجوا ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾.

وهكذا عند أهل الكتاب أن عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس، وذلك أنّهم لما أُمروا بقتل من عبد العجل قَتلوا في أول يومٍ ثلاثة آلاف. ثمّ ذهب موسى يستغفر لهم فغفر لهم بشرط أن يدخلوا الأرض المقدّسة.

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥ ـ ١٥٧].

ذكر السُّدِّي وابن عباس وغيرهما أن هؤلاء السبعين كانوا علماءَ بني إسرائيل، ومعهم موسى وهارون ويوشع وناداب وأبيهو، ذهبوا مع موسى عليه السلام ليعتذروا عن بني إسرائيل في عبادة من عبد منهم العجلَ، وكانوا قد أُمروا أن يتطيّبوا ويتطهّروا ويغتسلوا، فلما ذهبوا معه واقتربوا من الجبل، وعليه

(١) صفحة: (٩٢) من هذا الجزء.

الغمام ، وعمود النور ساطعٌ ، وصعد موسى الجبل ، فذكر بنو إسرائيل أنّهم سمعوا كلام الله ، وهذا قد وافقهم عليه طائفةٌ من المفسّرين وحملوا عليه قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥] ، وليس هذا بلازمٍ ، لقوله تعالى : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] أي مبلَّغاً ، وهكذا هؤلاء سمعوه مبلَّغاً من موسى عليه السلام ، وزعموا أيضاً أن السبعين رأوا اللهَ ، وهذا غلط منهم ، لأنّهم لما سألوا الرؤية أخذتهم الرجفةُ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥ ـ ٥٦] وقال هاهنا : ﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ﴾[١] .

قال محمد بن إسحاق : اختار مُوْسى من بني إسرائيلَ سَبعينَ رجُلًا الخيِّر فالخيِّر ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم ، وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا ، وتطهّروا ، وطهِّروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وَقَّته له ربُّه ، وكان لا يأتيه إلا بإذنٍ منه وعلم ، فقال له طلب مني السبعون أن يسمعوا كلامَ الله ، فقال : أَفْعَلُ ، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشّى الجبلَ كلَّه ، ودنا موسى فدخل في الغمام وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلّمه الله وقع على جبهته نورٌ ساطعٌ لا يستطيع أحدٌ من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلِّم موسى ؛ يأمره[٢] وينهاه ، افعل ، لا تفعل . فلما فرغ الله من أمره وانكشفَ عن موسى الغمام ، وأقبل عليهم ، قالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة : ٥٥] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ ، وهي الصّاعقة ، فالتقت أرواحهم فماتوا جميعاً ، فقام موسى يناشد ربّه ، ويدعوه ، ويرغب إليه ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ أي : لا تؤاخذْنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا العجل منّا فإنا برآءُ مما عملوا .

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج : إنّما أخذتهم الرجْفة لأنهم لم ينْهَوا قومهم عن عبادة العجل[٣] . وقوله : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ أي : اختبارُك وابتلاؤك وامتحانك ، قاله ابن عباس وسعيد بن جُبير وأبو العالية والربيع بن أنس ، وغير واحد من علماء السّلف والخلف . يعني : أنت الذي قدّرت هذا وخلقت ما كان من أمر العجل اختباراً تختبرهم به ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ أي : اختبُرتم ، ولهذا قال : ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾ أي : من شئتَ أضللته باختبارك إياه ، ومن شئتَ هديته ، لك الحكم والمشيئة ، ولا مانع ولا رادّ لما حكمت وقضيت ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾

---

(١) ساق الطبري عدداً من الآراء في تفسيره (٩/ ٥٠) .
(٢) في ط : يأمر ، والخبر في تفسير الطبري (٩/ ٥٠) .
(٣) انظر تفسير القرطبي (٧/ ٢٩٥) .

أي : تبنا إليك ، ورجعنا ، وأنبنا ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جُبير ، وأبو العالية ، وإبراهيم التيمي ، والضحَّاك ، والسُّدّي ، وقتادة ، وغير واحد . وهو كذلك في اللغة[١] .

﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ أي : أنا أعذِّب من شئتُ بما أشاء من الأمور التي أخلقها وأقدِّرها ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ كما ثبت في « الصحيحين »[٢] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنّ اللهَ لَما فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمواتِ والأرْضِ كَتَبَ كِتاباً فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ : إنَّ رَحْمَتي تَغْلِبُ غَضَبِي » ﴿ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي : فسأُوحيها حتماً لمن اتصف بهذه الصفات ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ الآية . وهذا فيه تنويه بذكر محمد ﷺ وأُمَّته من الله لموسى عليه السلام في جملة ما ناجاه به ، وأعلمه ، وأطلعه عليه . وقد تكلّمنا على هذه الآية وما بعدها في « التفسير »[٣] بما فيه كفاية ومقنع ، ولله الحمد والمِنَّة .

وقال قتادة : قال موسى يا رب أجد في الألواح أمّةً خير أمّةٍ أُخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ربِّ اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمّةُ أحمد . قال : ربِّ إني أجد في الألواح أمّةً هم الآخِرون في الخلق ، السابقون في دخول الجنة ، ربِّ اجعلهم أمتي . قال : تلك أمّةُ أحمد . قال : رب إني أجد في الألواح أمّةً أناجِيْلُهم في صدورهم يقرؤونها وكان مَن قبلهم يقرؤون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه ، وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم ، قال : ربِّ اجعلهم أمتي : قال : تلك أمّةُ أحمد . قال : ربِّ إني أجد في الألواح أمّةً يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضّلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذّاب فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمّة أحمد . قال : ربِّ إني أجد في الألواح أمّةً صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ، ويؤجَرون عليها ، وكان مَن قبلهم إذا تصدَّق بصدقةٍ فَقُبِلتْ منه بعث الله عليها ناراً فأكلتها وإن رُدَّت عليه تُركت فتأكلها السباع والطير ، وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيِّكم لفقيركم ، قال : ربِّ فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمّةُ أحمد . قال ربِّ فإني أجد في الألواح أمّةً إذا هَمَّ أحدهم بحسنة ثمّ لم يعملها كُتبت له حسنةً فإن عملها كُتِبت له عشرُ أمثالها إلى سبعمئة ضعف ، قال : ربِّ اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمّةُ أحمد . قال : ربِّ إني أجد في الألواح أمّةً هم المشفَّعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمّةُ أحمد . قال قتادة فذُكر لنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال : اللهم اجعلني من أمّةِ أحمد .

وقد ذكر كثيرٌ من الناس ما كان من مناجاة موسى عليه السلام ، وأوردوا أشياءَ كثيرةً لا أصل لها ،

---

(١) في جمهرة اللغة (٢/ ٣٠٦) : هاد الرجل يهود هَوداً : إذا أناب ورجع . ومنه قول الله جل وعزّ : ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ أي : أنبنا ورجعنا . اللسان (هود) ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٤٤) .

(٢) أخرجه البخاري : برقم (٧٤٠٤) في التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ ، ومسلم برقم (٢٧٥١) في التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥١) .

ونحن نذكر ما تيسّر ذِكره من الأحاديث والآثار بعون الله وتوفيقه ، وحسن هدايته ، ومعونته ، وتأييده .

قال الحافظ أبو حاتم محمد بن حاتم بن حِبان في « صحيحه »[١] : ذِكْرُ سؤال كليم الله ربّه عز وجل عن أدنى أهل الجنة وأرفعهم منزلة : أخبرنا عمر بن سعيد الطَّائي بمَنْبِج ، حدّثنا حامد بن يحيى البلخي ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا مُطَرِّف بن طريف وعبد الملك بن أبْجر ـ شيخان صالحان ـ سمعا الشعبيَّ يقول : سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر عن النبي ﷺ : « إن موسى عليه السلام سأل ربَّهُ عز وجل : أيُّ أهل الجنّة أدنى منزلةً ؟ قال : رجلٌ يجيء بعد ما يدخل أهل الجنة الجنةَ ، فيقال: ادخل الجنة . فيقول : كيف أدخل الجنة وقد نزل النّاس منازلهم ، وأخذوا إخاذاتهم فيقال له : أترضى أن يكون لك من الجنة مثلُ ما كان لملكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : نعم ! أي ربّ . فيقال : لك هذا ومثله ومثله ومثله فيقول : أي ربّ ، رضيت . فيقال له : إنّ لك هذا وعشرة أمثاله ، فيقول : أي ربّ ، رضيت . فيقال له : لك مع هذا ما اشتهت نفسك ولذّت عينك . وسأل ربّه : أيُّ أهل الجنة أرفع منزلة ؟ قال : سأحدِّثك عنهم : غرستُ كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ الآية [السجدة : ١٧] » .

وهكذا رواه مسلم والترمذي[٢] ، كلاهما عن ابن أبي عمر ، عن سفيان ـ وهو ابن عيينة ـ به . ولفظ مسلم : « فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلوكِ الدُّنْيا ؟ فيقولُ : رَضِيْتُ رَبِّ . فَيَقولُ : لَكَ ذلكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ ، فيقول في الخامسة : رضِيتُ ربِّ . فيقال : هذا لك وعشرةُ أمثالِه ، وَلكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ . فَيَقُولُ : رَضِيْتُ رَبِّ . قالَ رَبِّ فأعْلاهُم منزلةً ؟ قالَ : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر . قال : ومصداقه من كتاب الله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ » .

وقال الترمذي : حسن صحيح قال : ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة فلم يرفعه ، والمرفوع أصح .

وقال ابن حبان[٣] : ذِكْرُ سؤال الكليم ربّه عن خصالٍ سبع . حدّثنا عبد الله بن محمد بن سِلم ببيت المقدس ، حدّثنا حَرمَلة بن يحيى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن أبا السَّمْح حدَّثه عن ابن حُجَيْرة[٤] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنّه قال : سأل مُوسى رَبَّهُ عَزَّ وجَلَّ عَنْ سِتّ خِصَالٍ كانَ

---

(١) صحيح ابن حبان (٦٢١٦) كتاب التاريخ ، باب بدء الخلق .
(٢) صحيح مسلم (١٨٩) في الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها . سنن الترمذي (٣١٩٨) في التفسير ، باب ومن سورة السجدة .
(٣) صحيح ابن حبان (٦٢١٧) كتاب التاريخ ، باب بدء الخلق .
(٤) هو عبد الرحمن بن حُجَيرة ، البصري القاضي ، الثقة . مات سنة (٨٣هـ) . تقريب التهذيب (١/ ٤٧٧) .

يَظُنُّ أنَّها لَهُ خَالِصَةٌ والسَّابِعَةُ لَمْ يَكُنْ مُوْسَى يُحِبُّها . قال : يا رَبِّ أيُّ عِبَادِكَ أتْقَى ؟ قالَ : الذي يَذْكُرُ ولا يَنْسى ، قال : فأيُّ عِبَادِكَ أَهْدَى ؟ قالَ : الذي يَتَّبِعُ الهُدَى . قالَ : فأيُّ عِبادِكَ أحكم ؟ قالَ : الذي يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَما يَحْكُمُ لِنَفْسِه . قالَ : فأيُّ عِبادِكَ أَعْلَم ؟ قالَ : عالِمٌ لا يَشْبَعُ مِنَ العِلْمِ يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إلى عِلْمِهِ . قالَ : فأيُّ عبادِكَ أعَزّ ؟ قال : الذي إذا قَدَرَ غَفَر . قال : فأيُّ عبادِكَ أغْنَى ؟ قال : الذي يَرْضَى بما يُؤْتى . قالَ : فأيُّ عبادِكَ أفْقَرُ ؟ قالَ : صاحِبُ مَنْقُوصٍ . قالَ رَسُولُ الله ﷺ « لَيْسَ الغنى عَنْ ظهر ، إنّما الغنى غنى النفس ، وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً ، جعل غناه في نفسه ، وتقاه في قلبه ، وإذا أراد بعبدٍ شرّاً جَعَل فَقْرَه بين عينيه » .

قال ابن حِبّان : قوله : صاحب منقوص يريد به : منقوص حالته يستقل ما أوتي ، ويطلب الفضل .

وقد رواه ابن جرير في « تاريخه »[1] عن ابن حميد ، عن يعقوب القُمّي[2] ، عن هارون بن عنترة[3] ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : سأل موسى ربّه عز وجل ، فذكر نحوه ، وفيه قال : (أي ربّ ! فأي عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبتغي علم النّاس إلى علمه عسى أن يجد[4] كلمةً تهديه إلى هُدى ، أو تردُّه عن ردى . قال : أي ربّ ! فهل في الأرض أحدٌ أعلم مني ؟ قال : نعم الخضر ، فسأل السبيل إلى لُقْيِهِ ، فكان ما سنذكره بَعْدُ إن شاء الله وبه الثقة .

ذكر
حديث آخر في معنى ما ذكره ابن حبان

قال الإمام أحمد : حدّثنا يحيى بن إسحاق ، حدّثنا ابن لَهِيْعة ، عن درّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخُدْري ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن موسى قال : أي ربّ عبدك المؤمن مُقتَّرٌ عليه في الدُّنيا ، قال فَفُتِحَ لَهُ باب من الجنة ، فنظر إليها ، قال : يا مُوسَى هذا ما أعْدَدْتُ لَهُ . فَقالَ مُوسَى : يا رَبِّ ، وعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ لو كَانَ مُقَطَّعَ[5] اليَدَيْن والرِّجلَين ، يُسْحَبُ على وجْهه مُنْذُ يَوْم خَلَقْتَه إلى يوم القيامةِ ، وكانَ هذا مَصِيره لَم يَرَ بُؤساً قَطُّ . قال : ثُمَّ قَال : أي ربِّ عَبْدك الكافِر مُوَسَّعٌ عَلَيْه في الدُّنيا . قال : ففُتح له بابٌ إلى النارِ ، فيقولُ : يا موسَى هذا ما أعْدَدْتُ لَه ، فقال : أي ربّ وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ لَوْ كانَتْ لَهُ

(١) تاريخ الطبري (١/ ٣٧١) ، وفي لفظه اختلاف عما هنا .
(٢) في ط : التميمي . وهو تحريف . وهو يعقوب بن عبد الله بن سعد العجمي القمي ، توفي سنة (١٧٤هـ) . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٦٦) .
(٣) في ط : عبيرة . وهو تصحيف .
(٤) في ب : أن يصيب .
(٥) في ب : أقطع .

الدُّنيا منذُ يَوْم خَلَقْتَهُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ، وكانَ هذا مَصِيْرُهُ لَمْ يَرَ خَيْراً قط » . تفرّد به أحمد من هذا الوجه[١] ، وفي صحته نظر . والله أعلم .

وقال ابن حبان[٢] : ذِكْرُ سُؤالِ كليم الله ربّه جل وعلا أن يعلمه شيئاً يذكره به . حدّثنا ابن سلم[٣] حدّثنا حَرْملة بن يحيى ، حدّثنا ابن وهْب ، أخبرني عمرو بن الحارث أنَّ درَّاجاً حدَّثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ أنه قال : « قال مُوسَى : يا رَبِّ عَلِّمْني شَيْئاً أَذْكُركَ بهِ وَأَدْعُوْكَ بِهِ . قالَ : قُلْ يا مُوسى : لا إِلَهَ إلّا اللهُ . قال يا رَبِّ كُلُّ عِبادِكَ يقولُ هذا . قالَ : قُلْ : لا إلَهَ إلّا اللهُ . قالَ : إنَّما أُرِيْدُ شَيْئاً تَخُصُّني بهِ . قالَ يا مُوسَى لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمواتِ السَّبْعِ وَالأرَضِيْن السَّبْعِ في كِفَّةٍ ، ولَا إلَهَ إلّا اللهُ في كِفَّةٍ مالَتْ بِهِمْ لا إِلَهَ إلّا اللهُ » .

ويشهد لهذا الحديث حديث البِطاقة[٤] . وأقرب شيءٍ إلى معناه الحديثُ المروي في السنن[٥] عن النبي ﷺ أنه قال : « أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ عَرَفَةَ ، وَأَفْضَلُ ما قُلْتُ أنا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلي : لا إِلَهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْر » . وقال ابن أبي حاتم عند تفسير آية

---

(١) المسند (٣/ ٨١) .

(٢) صحيح ابن حبان (٦٢١٨) كتاب التاريخ ، باب بدء الخلق ، وإسناده ضعيف ، فإن دراجاً ضعيف لا سيما في روايته عن أبي الهيثم .

(٣) في ط : ابن سلمة . وهو سهو . وابن سلم هو عبد الله بن محمد بن سلم الفريابي المقدسي . سمع من حرملة بن يحيى بمصر ، وحدّث عنه ابن حبان ووثقه ، توفي سنة نيف عشرة وثلاثمئة . سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٠٦) .

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣) و (٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، ومن حديثه أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٠٠) في الزهد ، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة . والترمذي برقم (٢٦٣٩) في الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

(٥) هكذا قال، وفي قوله نظر، فإن هذا الحديث لم يخرجه من أصحاب السنن سوى الترمذي (٣٥٨٥) في الدعوات من جامعه من حديث حماد بن أبي حميد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وضعفه بحميد هذا فقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني وليس هو بالقوي عند أهل الحديث». ومن هذا الطريق أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢١٠). ومن العجب أن الهيثمي أورده في مجمع الزوائد (٣/ ٢٥٢) وقال: رواه أحمد ورجاله موثقون! والصحيح في هذا أنه مرسل كما في الموطأ من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز (٥٧٢ برواية الليثي من ط . د. بشار). وقال ابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٣٩): «لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث كما رأيت، ولا أحفظه بهذا الإسناد مسنداً من وجه يحتج بمثله. وقد جاء مسنداً من حديث علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص، فأما حديث علي فإنه يدور على دينار أبي عمرو عن ابن الحنفية وليس دينار ممن يحتج به. وحديث عبد الله بن عمرو من حديث عمرو بن شعيب، وليس دون عمرو من يحتج به فيه» ثم ساقه موصولاً من هذه الطرق وقال: «ومرسل مالك أثبت من تلك المسانيد» (٦/ ٤١) . أقول: وللحديث شاهد من حديث علي عند الطبراني في « الدعاء » رقم (٨٧٤) وفي إسناده قيس بن الربيع، وحديثه يصلح للمتابعات والشواهد، وشاهد آخر موقوف من حديث ابن عمر عند الطبراني في «الدعاء» رقم (٨٧٨) وإسناده صحيح، وشاهد ثالث مرسل من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز عند مالك (١/ ٢١٤) ومن طريقه عبد الرزاق رقم (٨١٢٥) فهو حديث حسن لغيره .

الكُرْسِي : حدّثنا أحمد بن القاسم بن عطية ، حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن الدَّشْتكي[(١)] ، حدّثني أبي ، عن أبيه ، حدّثنا أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى : هل ينامُ رَبُّك ؟ قال : اتقوا الله . فناداه ربه عز وجل : يا موسى سألوكَ هل ينامُ ربك ، فخـذ زُجاجتين في يديك ، فَقُم الليلَ ، ففعلَ موسى ، فلما ذهب من الليل ثلثٌ نَعَسَ فوقع لركبتيه ، ثم انتعش فَضَبَطَهما ، حتى إذا كان آخر الليل نَعَسَ فسقطت الزجاجتان فانكسرتا . فقال : يا موسى لو كنتُ أنامُ لسقطتِ السماواتُ والأرضُ فهلكن كما هلكتِ الزجاجتان في يديك . قال وأنزل الله على رسوله آية الكرسي .

وقال ابن جرير : حدّثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدّثنا هشام بن يوسف ، عن أمية بن شِبْل ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال : وقَعَ في نَفْسِ مُوسى عليه السلام هَلْ يَنَامُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فأرْسَلَ الله عز وجل إليه مَلَكاً فَأرَّقَهُ ثَلاثاً ، ثُمَّ أَعْطاهُ قَارُوْرَتَيْنِ في كُلِّ يَدٍ قارُوْرَةٌ ، وأَمَرَهُ أَنْ يَحْتَفِظَ بِهِمَا ، قالَ : فَجَعَلَ يَنَامُ وكادَت يَدَاهُ تَلْتَقِيان فَيَسْتَيْقِظ فَيَحْبِسُ إحْداهُما عَلى الأخرى حَتَّى نامَ نَوْمَةً فاصْطَفَقَتْ يَدَاهُ ، فانْكَسَرَتِ القارُوْرَتان . قالَ : ضَرَبَ اللهُ لَهُ مَثَلاً أنْ لَوْ كَانَ يَنَامُ لَمْ يَسْتَمْسِك السَّماءُ والأَرْضُ .

وهذا حديث غريبٌ رفعه ، والأشبه أن يكون موقوفاً ، وأن يكون أصلُه إسرائيلياً[(٢)] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة : ٦٣ ـ ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧١] قال ابن عباس[(٣)] وغير واحد من السّلف : لما جاءهم موسى بالألواح فيها التوراة ، أمرهم بقَبولها والأخذ بها بقوةٍ وعزم ، فقالوا : انشرها علينا فإن كانت أوامرها ونواهيها سَهلةً قبلناها ، فقال : بل اقبلوها بما فيها ، فراجعوه مِراراً ، فأمر الله الملائكة فرفَعوا الجبلَ على رؤوسهم حتى صار ﴿ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾ أي : غمامة على رؤوسهم ، وقيل لهم : إن لم تقبلوها بما فيها وإلّا سقط هذا الجبل عليكم ، فقبلوا ذلك ، وأُمروا بالسجود فسجدوا ، فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشق وجوههم ، فصارت سُنَّة لليهود إلى اليوم يقولون : لا سجدة أعظم من سجدةٍ رفعت عنا العذاب .

---

(١) الدشتكي : نسبة إلى دشتك : قرية بالري من بلاد فارس .

(٢) العلة فيه من أمية بن شبل ، قال الإمام الذهبي في الميزان (١/ ٢٧٦) : « له حديث منكر رواه عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة مرفوعاً ، قال : وقع في نفس موسى : هل ينام الله . . . الحديث رواه عنه هشام بن يوسف . وخالفه معمر عن الحكم عن عكرمة قوله ، وهو أقرب » .

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٧٤) .

وقال سُنَيْد بن داود ، عن حَجَّاج بن محمد ، عن أبي بكر بن عبد الله قال : فلما نشرها لم يبق على وجه الأرض جبلٌ ، ولا شجر ولا حجر إلا اهتز ، فليس على وجه الأرض يهوديٌّ صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض لها رأسه[١] .

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي : ثم بعد مشاهدة هذا الميثاق العظيم ، والأمر الجسيم ، نكثتم عهودكم ومواثيقكم ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بأن تدارككم بالإرسال إليكم ، وإنزال الكُتُبِ عليكم ﴿ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

* * *

(١) المصدر السابق (٩/ ٧٥) .

قصة بقرة بني إسرائيل

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٦٧ ـ ٧٣] .

قال ابن عباس وعَبِيدة السلماني وأبو العالية ومجاهد والسُّدّي ، وغير واحد من السلف : كان رجل في بني إسرائيل كثير المال ، وكان شيخاً كبيراً ، وله بَنو أخٍ ، وكانوا يتمنَّوْن موته ليرثوه ، فعمد أحدُهم فقتله في الليل ، وطرحه في مجمع الطريق[١] ، ويقال على باب رجل منهم ، فلما أصبح الناس اختصموا فيه ، وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلَّم ، فقالوا : ما لكم تختصمون ولا تأتون نبيَّ الله ، فجاء ابن أخيه ، فشكى أمرَ عمه إلى رسول الله موسى ﷺ فقال موسى عليه السلام : أنشد الله رجلاً عنده عِلمٌ من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به ، فلم يكن عند أحد منهم علمٌ منه ، وسألوه أن يسأل في هذه القضية ربّه عز وجل فسأل ربه عز وجل في ذلك ، فأمره الله تعالى أن يأمرهم بذبح بقرة ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ ﴾ يعنون نحن نسألك عن أمر هذا القتيل ، وأنت تقول لنا هذا . ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أي : أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أُوحيَ إليَّ . وهذا هو الذي أجابني حين سألته عمَّا سألتموني عنه أن أسأله فيه .

قال ابن عباس وعَبِيدة ومجاهد وعكرمة والسدي وأبو العالية ، وغير واحد : فلو أنّهم عَمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصودُ منها ، ولكنهم شددوا ، فشدَّد عليهم . وقد ورد فيه حديث مرفوع[٢] ، وفي إسناده ضعف ، فسألوا عن صفتها ، ثمّ عن لونها ثمّ عن سنّها ، فأجيبوا بما عزّ وجودُه عليهم ، وقد ذكرنا تفسير ذلك كلّه في « التفسير »[٣] .

---

(١) في ط : الطرق .
(٢) انظر الدر المنثور (١/ ١٩٠) .
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٨) .

والمقصود أنهم أُمروا بذبح بقرة عوان ، وهي الوسط بين النصف الفارض وهي الكبيرة ، والبكر وهي الصغيرة ، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والحسن وقتادة وجماعة .

ثمّ شدّدوا وضيّقوا على أنفسهم فسألوا عن لونها ، فأُمروا بصفراء فاقعٌ لونها ، أي مُشربٌ بحمرةٍ تسرُّ الناظرين . وهذا اللون عزيز . ثمّ شدّدوا أيضاً ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ . ففي الحديث المرفوع الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه : « لولا أن بني إسرائيل استثنوا لما أعطوا » وفي صحته نظر[١] . والله أعلم . ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ وهذه الصفات أضيق مما تقدم ، حيث أمروا بذبح بقرة ليست بالذّلول ، وهي المذلّلة بالحراثة ، وسقي الأرض بالسانية[٢] ، مسلّمة وهي الصحيحة التي لا عيب فيها ، قاله أبو العالية وقتادة .

وقوله تعالى : ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ ﴾ أي : ليس فيها لون يخالف لونها ، بل هي مسلَّمة من العيوب ، ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها ، فلمّا حدّدها بهذه الصفات ، وحصرها بهذه النعوت والأوصاف ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ ويقال : إنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفات إلا عند رجلٍ منهم كان بارّاً بأبيه ، فطلبوها منه فأبى عليهم ، فأرغبوه في ثمنها حتى أعطوه ـ فيما ذكره السُّدّي ـ بوزنها ذهباً ، فأبى عليهم ، حتى أعطوه بوزنها عشر مرات فباعها منهم ، فأمرهم نبي الله موسى بذبحها ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ أي : وهم يتردّدون في أمرها .

ثمّ أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك القتيل ببعضها . قيل : بلحم فخذها . وقيل بالعظم الذي يلي الغُضْروف . وقيل بالبضعة التي بين الكتفين ، فلما ضربوه ببعضها أحياه الله تعالى فقام وهو تشخب أوداجه[٣] فسأله نبي الله : من قتلك ؟ قال : قتلني ابن أخي . ثمّ عاد ميتاً كما كان . قال الله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي : كما شاهدتم إحياء هذا القتيلِ عن أمر الله له ، كذلك أمره في سائر الموتى إذا شاء إحياءَهم أحياهم في ساعةٍ واحدة كما قال : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ ﴾ الآية : [لقمان : ٢٨] .

* * *

(١) أورده المؤلف في تفسيره (١/ ١١٥) ، عن أبي هريرة ، وقال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة .

(٢) السانية : الدلو الكبير يُستقى بها .

(٣) الأوداج : عروق في العنق . وقد ساق المؤلف في تفسيره (١/ ١١٢) الكثير من الآراء حول هذه القصة .

قِصّة موسى والخضر عليهما السلام

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ[١] بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٦٠ ـ ٨٢] .

قال بعضُ أهل الكتاب : إن موسى هذا الذي رحل إلى الخضر هو موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن[٢] إبراهيم الخليل ، وتابعهم على ذلك بعض من يأخذ من صحفهم ، وينقل عن كتبهم ، منهم نوف بن فضالة الحميري الشامي البكَالي . ويقال : إنّه دمشقي ، وكانت أمه زوجة كعب الأحبار . والصحيح الذي دلَّ عليه ظاهر سياق القرآن ، ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه ، أنّه موسى بن عمران صاحب بني إسرائيل .

---

(١) في أ : ﴿ زاكية ﴾ ، وما أثبتناه قراءة الجمهور .

(٢) قوله : إسحاق بن زيادة من ط ، وفي ب توقف عند يعقوب .

قال البخاري[١] : حدّثنا الحميدي ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا عمرو بن دينار ، أخبرني سعيد بن جُبير قال : قلت لابن عباس : إن نوفاً البِكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ، ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل . قال ابن عباس : كذب عدو الله . حدّثنا أُبي بن كعب أنّه سمع رسول الله ﷺ يقُول : « إنَّ مُوسَى قامَ خَطِيْباً في بَني إسْرائِيْلَ فَسُئِلَ : أيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فقَالَ : أنا . فَعَتِبَ اللهُ عَلَيْهِ إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إلَيْه ، فأوْحَى اللهُ إليْه : إنَّ لي عَبْداً بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قالَ موسَى : يا رَبِّ وَكَيْفَ لي بِهِ ؟ قالَ : تَأْخُذُ مَعَكَ حُوْتاً فَتَجْعَلُهُ بِمِكْتَلٍ[٢] فَحَيثما فَقَدْتَ الحوتَ فَهُوَ ثَمَّ . فأَخَذَ حُوتاً فَجعله بِمِكْتَلٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتاهُ يُوْشَعُ بنُ نُونٍ حَتّى إذا أَتَيا الصَّخْرَةَ وَضَعا رُؤُوسهما فَناما ، واضْطَرَبَ الحوتُ في المِكْتَلِ ، فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ في البَحْرِ وَاتّخذَ سَبِيْلَه في البَحْرِ سَرَباً . وأمْسَكَ اللهُ عَنِ الحوتِ جرية الماءِ فَصارَ عَلَيْهِ مِثْل الطاقِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بالحوتِ فانْطَلَقا بَقِيَّةَ يَوْمِهما وَلَيْلَتهما حَتّى إذا كانَ مِنَ الغَدِ ﴿ قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جاوَزَ المَكانَ الذي أَمَرهُ اللهُ بِهِ ﴿ قَالَ ﴾ له فتاه : ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ قال : فكان للحوت سَرَباً ولموسى ولفتاه عجباً ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ قال : فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا رجلٌ مُسَجًى بثوب ، فسلّم عليه موسى ، فقال الخضر : وأنّى بأرضك السلامُ . قال : أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، أتيتك لتعلمني مما عُلّمت رُشْداً ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ يا موسى إني على علم من علم الله علَّمنيه اللهُ لا تعلمه أنتَ ، وأنتَ على علم من علم الله علّمَكه الله لا أعلمه ، فقال موسى ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ . قال له الخضر : ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا ﴾ يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينةٌ فكلّمهم أن يحملوهم ، فعرَفُوا الخضر ، فحملوهم بغير نَوْل . فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقَدُوم . فقال له موسى : قوم حملونا بغير نَوْل عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ قال : وقال رسول الله ﷺ « وكانتِ الأولى مِنْ مُوسى نسياناً ، قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة ، فقال له الخضر : ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر . ثم خرجا من السفينة ، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ بصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله ، فقال له موسى : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل

---

(١) سقطت صفحة كاملة من ب ، وعوض عنها صفحة بخط مغاير ، ووقع فيها اختلاف كثير عن نسخة الأصل ، لم أشر إليه لأنه لا يفيد في اختلاف النسخ .

(٢) المكتل : الزنبيل الذي يعمل من الخوص .

لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ قال : وهذه أشد من الأولى ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ قال : مائل ، فقال الخضر بيده ﴿ فَأَقَامَهُۥ ﴾ فقال موسى : قومٌ أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ قال رسول الله ﷺ « وددْنا أَنَّ مُوسَى كانَ صَبرَ حَتَّى يَقُصَّ اللهُ عَلَيْنا مِنْ خَبَرِهِما »[١] .

قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ : وكان أمامهم مَلِك يأخذ كلّ سفينةٍ صالحةٍ غصباً ، وكان يقرأ : وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين .

ثم رواه البخاري[٢] أيضاً عن قُتيبة ، عن سُفيان بن عُيَيْنة بإسناده ، نحوه . وفيه : فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ، ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة ، فنزلا عندها ، قال : فوضع موسى رأسه فنام ، قال سفيان : وفي حديث غير عَمرو قال : وفي أصل الصخرة عين يقال لها : الحياة ، لا يصيب من مائها شيءٌ إلا حيي ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين ، قال : فتحرّك وانْسَلَّ من المِكتل ، ودخل البحرَ ، فلما استيقظ ﴿ قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا ﴾ وساق الحديث وقال : ووقع عصفور على حرف السفينة ، فغمس منقاره في البحر ، فقال الخضر لموسى : ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره . . . وذكر تمام الحديث .

وقال البخاري : حدّثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جُريج أخبرهم قال : أخبرني يعلى بن مسلم ، وعمرو بن دينار ، عن سعيد بن جُبير يزيد أحدهما[٣] على صاحبه ، وغيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبير قال : إنا لَعند ابن عباس في بيته إذ قال : سَلوني ، فقلت : أي أبا عباس ـ جعلني الله فداك ـ بالكوفة رجل قاصٌّ يقال له : نوف ، يزعم أنّه ليس هو نبي بني إسرائيل ، أما عمرو فقال لي : قال : كذب عدوُّ الله . وأمّا يعلى فقال لي : قال ابن عباس : حدّثني أُبَي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : مُوسى رسول الله ذَكَّرَ الناسَ يوماً حتى إذا فاضت العيونُ ، ورقّت القلوبُ ، ولّى فأدركه رَجُل ، فقال : أي رسول الله هل في الأرض رجل أعلم منك ؟ قال : لا ، فَعَتِبَ اللهُ عَلَيْه إذْ لَمْ يَرُدَّ العلْم إلى الله . قيل : بلى . قال : أي ربّ فأين ؟ قالَ : بِمَجْمَع البَحْرَيْن . قالَ أي رَبّ اجْعَل لي علماً أعلم ذلك به . قال : قال لي عمرو : حيث يفارقك الحوت . وقال لي يعلى : خذ حوتاً ميتاً حيث ينفخ فيه

---

(١) الحديث بتمامه أخرجه البخاري : رقم (١٢٢) ، في العلم ، باب ما يستحب للعالم إذا سئل : أي الناس أعلم ؟ فيكل العلم إلى الله . وفيه اختلاف عما هاهنا .

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٧٢٧) في تفسير سورة الكهف ، باب ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ . صحيح البخاري (٤٧٢٦) .

(٣) قوله : يزيد أحدهما . . . إلى هنا . زيادة من ط . وهي في البخاري .

الروح ، فأخذ حوتاً فجعله في مِكتل فقال لفتاه : لا أُكلِّفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت ، قال : ما كلفتَ كبيراً ، فذلك قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ يوشع بن نون . ليست عن سعيد بن جبير . قال : فبينما هو في ظلّ صخرةٍ في مكان ثَرْيَان إذ تَضَرَّب[1] الحوت ، وموسى نائم ، فقال فتاه : لا أُوقظه ، حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره ، وتضرّب الحوت حتى دخل البحر فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره في حجر ، قال : فقال لي عمرو : هكذا كان أثره في حجر ، وحلَّق بين إبهاميه واللتين تليان . ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ . وقد قطع الله عنك النصب . ليست هذه عن سعيد . أخبره ، فرجعا فوجدا خضراً قال : قال عثمان بن أبي سليمان على طنفسة[2] خَضْراء على كبد البحر . قال سعيد : مُسجًى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه ، وطرفه تحت رأسه ، فسلّم عليه موسى ، فكشف عن وجهه وقال : هل بأرضٍ من سلام ؟ من أنت ؟ قال : أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم . قال : فما شأنك ؟ قال : جئتك ﴿ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ قال : أما يكفيك أنّ التوراة بيديك ، وأنّ الوحي يأتيك ، يا موسى إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه ، وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه ، فأخذ طائرٌ بمنقاره من البحر ، فقال : والله ما علمي وعلمك في جَنْب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر . ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ ﴾ وجدا معابر صغاراً تحمل أهل الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر ، عرفوه فقالوا : عبد الله الصالح . قال : فقلنا لسعيد : خضر ؟ قال : نعم . لا نحمله بأجر . فـ ﴿ خَرَقَهَا ﴾ ووتّد فيها وَتَداً ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ قال مجاهد : منكراً ، ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ . كانت الأولى نسياناً ، والوسطى شرطاً ، والثالثة عمداً . ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ قال يعلى[3] : قال سعيد : وجد غلماناً يلعبون ، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً ، فأضجعه ، ثمّ ذبحه بالسكين . ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ لم تعمل بالخبث . ابن عباس قرأها ﴿ زكية ﴾ زاكية مسلمة كقولك : غلاماً[4] زكياً . ﴿ فَٱنطَلَقَا . . . فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ قال بيده هكذا ورفع يده فاستقام ، قال يعلى : حسبت أن سعيداً قال : فمسحه بيده فاستقام . ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ . قال سعيد : أجراً نأكله . ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ . وكان أمامهم ، قرأها ابن عباس أمامهم ﴿ مَّلِكٌ ﴾ يزعمون عن غير سعيد أنّه هدد بن بدد ، والغلام المقتول [اسمه][5] يزعمون جيسور . ﴿ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ فإذا هي

---

(١) ثريان : مبلول . وتَضَرَّب ، تَحرَّكَ وسار في الأرض .
(٢) الطنفسة : البساط .
(٣) تفسير الطبري (١٥/ ١٨٥) .
(٤) المصدر السابق .
(٥) سقطت من ط ، وهي في أ وفي صحيح البخاري الذي ينقل منه المصنف .

مرّت به يدعها بعيبها، فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها . منهم من يقول : سدُّوها بقارورة ، ومنهم من يقول : بالقار .

﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ وكان كافراً ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾ أي : يحملهما حُبُّه على أن يتابعاه على دينه ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ لقوله : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ . ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر . وزعم غير سعيد بن جبير أنهما أبدلا جارية . وأما داود[1] بن أبي عاصم فقال عن غير واحد : إنها جارية .

وقد رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : خطب موسى بني إسرائيل فقال : ما أحدٌ أعلم بالله وبأمره مني ، فأُمِرَ أن يلقى هذا الرجل . فذكر نحو ما تقدّم . وهكذا رواه محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحَكَم بن عُتَيْبَة ، عن سعيد بن جبير ، عن أُبي بن كعب ، عن رسول الله ﷺ كنحو ما تقدم أيضاً . ورواه العَوْفي عنه موقوفاً .

وقال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس[2] أنه تمارى هو والحرُّ بن قيس بن حصن الفزازي في صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو خضرٌ ، فمر بهما أُبي بن كعب ؛ فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لُقْيِهِ ، فهل سمعت من رسول الله فيه شيئاً ؟ قال : نعم . وذكر الحديث[3] .

وقد تقصَّينا طُرق هذا الحديث ، وألفاظه في تفسير سورة الكهف[4] . ولله الحمد .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ قال السُّهيلي : وهما أصرم وصريم ابنا كاشح . ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ قيل : كان ذهباً ، قاله عكرمة ، وقيل : علماً ، قاله ابن عباس . والأشبه أنه كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه علم . قال البزّار[5] : حدّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدّثنا بِشْر بن المنذر ، حدّثنا الحارث بن عبد الله اليَحْصُبي[6] ، عن عيّاش بن عباس القتباني ، عن ابن حُجَيرة عن

---

(١) في ط : وزعم سعيد بن جبير أنه ابن لا جارية ، وأما داود . وهو تحريف ، وما هنا موافق لما في صحيح البخاري .

(٢) حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أخرجه أحمد (٥/ ١١٦) والبخاري (٧٤) و(٧٨) في العلم ، و(٣٤٠٠) في أحاديث الأنبياء ، و(٧٤٧٨) في التوحيد ، ومسلم (٢٣٨٠) (١٧٤) ، والنسائي في العلم من سننه الكبرى (٥٨٤٤) ، وفي التفسير المفرد (٣٢٧) و(٣٢٨) و(٣٢٩) .وهو في الكبرى (١١٣٠٧) و(١١٣٠٨) و(١١٣٠٩) (وينظر المسند الجامع ١/ ٧٥ ـ ٧٦ حديث ٧٥) .

(٣) إلى هنا نهاية الصفحة المخالفة لخط ب .

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٩٨) .

(٥) انظر كشف الأستار (٢٢٢٩) ، وفي إسناده ضعف .

(٦) اليَحصِبي ، بفتح الياء وسكون الحاء ، وكسر الصاد المهملة ، وقيل : بضمها : نسبة إلى يحصب : قبيلة من حِمْيَر . اللباب (٣/ ٤٠٧) .

أبي ذر رَفَعه قال : إن الكَنْز الذي ذَكَرَ اللهُ في كتابه لوح من ذهب[١] مصمت ، عجبت لمن أيقن بالقدر كيف نصب[٢] ؛ وعجبت لمن ذكر النار ثم ضحك ، وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل ، لا إلَه إلا الله .

وهكذا روي عن الحسن البصري وعمر مولى غفرة ، وجعفر الصادق نحو هذا .

وقوله : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ وقد قيل : إنه كان الأب السابع ، وقيل : العاشر . وعلى كلّ تقدير فيه دلالة على أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته ، فالله المستعان .

وقوله : ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ دليلٌ على أنّه كان نبياً ، وأنّه ما فعل شيئاً من تلقاء نفسه ، بل بأمر ربّه ، فهو نبي ، وقيل : رسول ، وقيل : وليٌّ . وأغرب من هذا من قال : كان ملكاً والله أعلم[٣] .

وسنفرد للخضر ترجمة على حدة بعد هذا[٤] .

---

(١) في ط : من الذهب . وذهب مُصْمَت : لا يخالطه شيء .

(٢) كذا في أ ، وط . وتفسير المؤلف . وفي ب : يغضب .

(٣) جاء في المطبوع من البداية والنهاية هنا زيادة لم ترد في أ وب . وهي :
قلت : وقد أغرب جداً من قال : هو ابن فرعون . وقيل : إنه ابن ضحاك الذي ملك الدنيا ألف سنة .
قال ابن جرير : والذي عليه جمهور أهل الكتاب أنه كان في زمن أفريدون ، ويقال : إنه كان على مقدمة ذي القرنين الذي قيل : إنه كان أفريدون ، وذو الفرس هو الذي كان في زمن الخليل .
وزعموا أنه شرب من ماء الحياة فخلد وهو باقٍ إلى الآن . وقيل : إنه من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه من أرض بابل . وقيل : اسمه : ملكان ، وقيل : أرميا بن خلقيا . وقيل : كان نبياً في زمن سباسب بن لهراسب .
قال ابن جرير : وقد كان بين أفريدون وبين سباسب دهور طويلة لا يجهلها أحد من أهل العلم بالأنساب .
قال ابن جرير : والصحيح : أنه كان في زمن أفريدون ، واستمر حياً إلى أن أدركه موسى عليه السلام وكانت نبوة موسى في زمن منوشهر الذي هو من ولد أبرج بن أفريدون أحد ملوك الفرس ، وكان إليه الملك بعد جده أفريدون لعهده ، وكان عادلاً ، وهو أول من خندق الخنادق وأول من جعل في كل قرية دهقاناً . وكانت مدة ملكه قريباً من مئة وخمسين سنة . ويقال : إنه كان من سلالة إسحاق بن إبراهيم . وقد ذكر عنه من الخطب الحسان ، والكليم (كذا في ط) البليغ النافع الصحيح ما يبهر العقل ويحير السامع ، وهذا يدل على أنه من سلالة الخليل . والله أعلم .
وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ ﴾ . . الآية [آل عمران : ٨١] .
فأخذ الله ميثاق كل نبي على أن يؤمن بمن يجيء بعده من الأنبياء وينصره ، فلو كان الخضر حياً في زمانه لما وسعه إلا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره ، ولكان مِن جملة مَن تحت لوائه يوم بدر كما كان تحتها جبريل وسادات من الملائكة . وقصارى الخضر ـ عليه السلام ـ أن يكون نبياً ، وهو الحق ، أو رسولاً ، كما قيل ، أو ملكاً ـ فيما ذكر ـ وأياً كان فجبريل رئيس الملائكة ، وموسى أشرف من الخضر ، ولو كان حياً لوجب عليه الإيمان بمحمد ونصرته ، فكيف إن كان الخضر ولياً كما يقوله طوائف كثيرون ، فأولى أن يدخل في عموم البعثة ، وأحرى ، ولم ينقل في حديث حسن ، بل ولا ضعيف يعتمد أنه جاء يوماً واحداً إلى رسول الله ﷺ ، ولا اجتمع به . وما ذكر من حديث التعزية فيه ، وإن كان الحاكم قد رواه ، فإسناده ضعيف . والله أعلم .

(٤) في ب : على حدة بعد هذا .

ذكر الحديث الملقب بحديث الفُتُوْن
المتضمّن قصّة موسى مبسوطة من أوّلها إلى آخرها[١]

قال الإمام أبو عبد الرحمن النَّسائي في كتاب التفسير من « سننه »[٢] ، عند قوله تعالى في سورة طه ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ [الآية : ٤٠] : (حديث الفتون) :

أخبرنا عبد الله بن محمد ، حدّثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا أصْبَغ بن زيد[٣] ، حدّثنا القاسم بن أبي أيوب ، أخبرني سعيد بن جُبير قال : سألت عبد الله بن عباس عن قوله تعالى لموسى ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ فسألته عن الفتون ما هو ؟ فقال : استأنفِ النهارَ يا بنَ جُبير ، فإن لهذا حديثاً طويلاً ، فلما أصبحتُ غدوتُ إلى ابن عباس لِأَنْتَجِزَ منه ما وعدني من حديث الفُتون فقال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وَعَدَ إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذُرّيَته أنبياءَ وملوكاً ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكُّون فيه ، وكانوا يظنُّون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلَكَ قالوا : ليس هكذا وعد إبراهيم . فقال فرعون : فكيف تَرَون ؟ فأْتَمَرُوا وأجْمعوا أمرَهم على أن يبعث رجالاً معهم الشِّفارُ[٤] يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلّا ذبحوه ، ففعلوا ذلك . فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم والصغارَ يُذبحون ، قالوا : توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخِدْمة الذي كانوا يكفونكم ، فاقْتُلوا عاماً كلَّ مولود ذكر ، فيقل أبناؤهم[٥] ، ودعوا عاماً فلا تقتلوا منهم أحداً ، فيشبّ الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إيّاكم ، ولن يفنوا[٦] بمن تقتلون وتحتاجون إليهم ، فأجمعوا أمرهم على ذلك .

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا تقتل فيه الغلمان ، فولدته علانيةً آمنةً . فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهمُّ والحزَن ، وذلك من الفتون يا ابن جبير ، ما دخل عليه في

---

(١) في ب : المتضمن قصة موسى مبسوطة من أولها إلى آخرها . وسقط من العنوان أوله . وفي ط : حديث الفنون المتضمن قصة موسى من أولها إلى آخرها .

(٢) هو في كتاب التفسير من السنن الكبرى للنسائي كما في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي (٤/٤٣٨) . وتحرفت فيه الفتون ، إلى القنوت ، وانظره في تفسير النسائي (٣٤٦) وهو قطعة من سننه الكبرى .

(٣) في ب : يزيد . وأصبغ بن زيد بن علي الجهني ، الوراق ، كاتب المصاحف . صدوق . من السادسة . مات سنة (١٥٧هـ) تقريب التهذيب (١/ ٨١) .

(٤) الشفار : جمع شفرة ، وهي السِّكين العظيم ، وحدُّ السيف .

(٥) في المطبوع من التفسير : « نباتهم » .

(٦) في ط . « تفتنوا » تحريف .

بطن أمّه مما يراد به فأوحى الله إليها أن ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوتٍ ، وتلقيه في اليمِّ ، فلما ولدت فعلت ذلك ، فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان فقالت في نفسها : ما فعلت بابني ؟ لو ذُبح عندي فواريتُه ، وكفَّنتُه كان أحبَّ إليَّ من أن ألقيه إلى دوابِّ البحر وحيتانه . فانتهى الماء به حتى أوفى عند فرضةٍ تستقي منها جواري امرأة فرعون ، فلما رأينَه أخذنه فهممن أن يفتحن التابوت ، فقال بعضهن : إن في هذا مالاً وإنا إن فتحناه لم تصدِّقنا امرأةُ الملك بما وجدنا فيه ، فحملنه كهيئته لم يُخرجن منه شيئاً حتى دفعنه إليها ، فلما فتحته رأت فيه غلاماً ، فألقى عليه منها محبةً لم يلق منها على أحد قط ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [القصص : ١٠] من ذكر كلِّ شيءٍ إلاّ من ذكر موسى .

فلما سمع الذَّبَّاحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه ، وذلك من الفتون يا ابن جبير ، فقالت لهم : أقرُّوه فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه ، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم أَلُمكم، فأتت فرعون فقالت : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [القصص : ٩] فقال فرعون : يكون لك ، فأمّا لي فلا حاجة لي فيه . فقال رسول الله ﷺ : « وَالَّذي يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أنْ يَكُوْنَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ كَما أَقَرَّتِ امْرأَتُهُ لَهَداهُ اللهُ كَمَا هَدَاها ، ولكِنْ حَرَمَهُ ذلكَ »(١) فأرسلت إلى مَن حولها ، إلى كلِّ امرأة لها لبن تختار ظِئْراً(٢) ، فجعل كلّما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يُقْبِل على ثديها ، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فأحزنها ذلك ، فأمرت به فأُخرج إلى السوق ومجمع الناس ، ترجو أن تجد له ظِئراً تأخذه منها فلم يقبل ، وأصبحت أمّ موسى والهاً ، فقالت لأخته قصِّي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذِكراً أحيّ ابني أم قد أكلته الدواب ، ونسيت ما كان الله وعدها فيه ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ ﴾ أخته ﴿ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص : ١١] والجنب : أن يسمو بصر الإنسان إلى شيءٍ بعيدٍ وهو إلى جنبه لا يشعر به ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤرات : أنا ﴿ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [القصص : ١٢] فقالوا ما يدريك ما نصحهم هل يعرفونه ؟ حتى شكّوا في ذلك ، وذلك من الفتون يا ابن جبير . فقالت : نصحهم له ، وشفقتهم عليه ، ورغبتهم في صهر الملك ، ورجاء منفعة الملك ، فأرسلوها ، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت أمّه فلما وضعته في حجرها نزا(٣) إلى ثديها فمصه(٤) حتى امتلأ جنباه ريّاً .

---

(١) تقدم الحديث .

(٢) في ب : كل امرأة لها ولد لأن تختار له ظئراً ، وفي ط : « الى كل امرأة لها لأف » ولا معنى لها . والظئر : المرضعة لغير ولدها .

(٣) نزا : وثب .

(٤) وفي ب : يمُصّنّه .

وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظِئراً ، فأرسلت إليها فأتت بها وبه . فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي ترضعي ابني هذا فإني لم أحب شيئاً حبَّه قطّ . قالت أم موسى : لا أستطيع أن أترك بيتي وولدي فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيراً فعلتُ ، فإني غيرُ تاركة بيتي وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجزٌ موعوده ، فرجعت إلى بيتها من يومها ، وأنبته الله نباتاً حسناً ، وحفظ لما قد قضى فيه ، فلم يزل بنو إسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم .

فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأمّ موسى : أزيريني ابني . فوعدتها يوماً تزيرها[١] إياه فيه ، وقالت امرأة فرعون لخزّانها ، وظؤورها ، وقَهَارمتها[٢] : لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهديةٍ وكرامةٍ لأرى ذلك فيه ، وأنا باعثة أميناً يحصي كلّ ما يصنع كلّ إنسان منكم ، فلم تزل الهدايا والكرامة والنُّحْل[٣] تستقبله من حين خرج من بيت أمّه إلى أن دخل على امرأة فرعون . فلما دخل عليها نَحَلَتْه وأكرمتهُ وفرحت به ، ونحلَت أمّه بحسن أثرها عليه . ثمّ قالت : لآتين به فرعون فلينحلنّه وليكرمنّه ، فلما دخلت به عليه ، جعله في حجره ، فتناول موسى لحيةَ فرعون فمدّها إلى الأرض ، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون : ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيّه أنّه زعم أن يرثك[٤] ويعلوك ويصرعك ، فأَرسل إلى الذباحين ليذبحوه . وذلك من الفتون يا بن جبير ، يُعدُّ كلُّ بلاءٍ ابتُلي به وأريد به فتوناً . فجاءت امرأة فرعون تسعى[٥] إلى فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ فقال : ألا ترينه يُزْعَمُ أنه يصرعني ويعلوني . فقالت : اجعل بيني وبينك أمراً تعرف فيه الحق ، ائت بجمرتين ولؤلؤتين ، فقربْهن إليه ، فإن بطش[٦] باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفتَ أنّه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يُردِ اللؤلؤتين علمتَ أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين ، وهو يعقل ، فقرّب إليه فتناول الجمرتين ، فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ؟! فصرفه الله عنه بعد ما كان هَمَّ به وكان الله بالغاً فيه أمره .

فلما بلغ أشدّه ، وكان من الرِّجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحدٍ من بني إسرائيل معه بظلمٍ ولا سخرةٍ حتى امتنعوا كلّ الامتناع ؛ فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذا هو برَجُلين يقتتلان ، أحدهما فرعوني ، والآخر إسرائيلي ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فغضب موسى

---

(١) في ط : تريها ، وما هنا من النسخ ، وهو الذي في تفسير النسائي الذي ينقل منه المصنف .
(٢) قهارمة : جمع قهرمان ، وهو من أمناء الملك وخاصته . (فارسي) .
(٣) النُّحْل : إعطاؤك الإنسان شيئاً بلا استعاضة ، ومهر المرأة .
(٤) هكذا هنا وفي تفسيره أيضاً ، وفي تفسير النسائي : « يَرُبَّك » ولعله الأوجه .
(٥) في ب : تبكي ، وما هنا يعضده ما في التفسير .
(٦) بطش بالشيء : أخذه بعنف وشدة .

غضباً شديداً لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل ، وحفظه لهم [لا يعلم الناس إلا أنما ذلك من الرضاع إلا أمُّ موسى ، إلا أن يكون الله سبحانه أطلع موسى عليه السلام من ذلك على][1] ما لم يطّلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعوني فقتله ، وليس يراهما أحدٌ إلا الله عزَّ وجلَّ والإسرائيلي ، فقال موسى حين قتل الرجل : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص : ١٥] ثم قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۝١٧ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص : ١٦ ـ ١٨] الأخبارَ ، فأُتي فرعون فقيل له : إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا بحقّنا ولا ترخّص لهم ، فقال : ابغوني قاتله ومن يشهد عليه ؟ فإن الملك وإن كان صغوه[2] مع قومه لا ينبغي له أن يقتل بغير بيّنةٍ ولا ثبتٍ، فاطلبوا لي علمَ ذلك آخذْ لكم بحقكم . فبينما هم يطوفون لا يجدون بيّنةً إذا موسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلاً من آل فرعون آخر ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى قد نَدِم على ما كان منه ، وكره الذي رأى ، فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يَبْطش بالفرعوني ، فقال للإسرائيلي لِمَا فعل بالأمس واليوم ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص : ١٨]. فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال له ما قال ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني ، فخاف أن يكون بعد ما قال له : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ أن يكون إياه أراد ، ولم يكن أراده إنّما أراد الفرعوني ، فخاف الإسرائيلي . وقال : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ﴾ [القصص : ١٩] وإنّما قال له مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله ، فتتاركا . وانطلق الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ، فأرسَل فرعون الذّباحين ليقتلوا موسى ، فأخذ رسلُ فرعون الطريق الأعظم يمشون على هِينتهم يطلبون موسى ، وهم لا يخافون أن يفوتهم ، فجاء رجلٌ من شيعة موسى من أقصى المدينة ، فاختصر طريقاً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره ، وذلك من الفتون يا ابن جبير .

فخرج موسى متوجِّهاً نحو مَدين لم يلق بلاءً قبلَ ذلك ، وليس له بالطريق علم إلا حُسنُ ظنّه بربّه عز وجل ، فإنه قال : ﴿ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ [القصص : ٢٢ ـ ٢٣] يعني بذلك حابستين غنمهما فقال لهما : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ معتزلتين لا تسقيان مع الناس ، قالتا : ليس لنا قوة نزاحم القوم ، وإنما ننتظر فضول حياضِهم ، فسقى لهما ، فجعل يغرف في الدلو ماءً كثيراً حتى كان أول الرعاءِ . وانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما ، وانصرف موسى فاستظلّ بشجرةٍ ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] ، واستنكر أبوهما سرعة صَدَرِهما بغنمهما حُفَّلاً بطاناً فقال : إن لكما اليوم لشأناً ، فأَخْبَرَتاه بما صنع

(١) زيادة من تفسير النسائي . وقريب منها في ب .
(٢) في ط والمطبوع من تفسير النسائي : صفوه ، بالفاء وهو تصحيف . والصغو . . الميل .

موسى ، فأمر إحداهما أن تدعوه ، فأتت موسى فدعته ، فلما كلّمه ﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص : ٢٥] ليس لفرعون ولا لقومه علينا من سلطان ، ولسنا في مملكته ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦] فاحتملته الغَيْرَةُ على أن قال لها : ما يدريك ما قوته وما أمانته ؟ فقالت : أمّا قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا ، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه . وأما الأمانة فإنه نظر إليَّ حين أقبلت إليه وشخصت له ، فلما علم أني امرأة صوَّب رأسَه فلم يرفعه حتى بلَّغته رسالتَك ، ثمّ قال لي : امشي خلفي وانعتي لي الطريق ، فلم يفعل هذا إلا وهو أمين ، فَسُرِّي عن أبيها وصدَّقها وظنّ به الذي قالت ، فقال له : هل لك ﴿ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القصص : ٢٧] ففعل ، فكانت على نبي الله موسى ثماني سنين واجبة ، وكانت السنتان عِدَةً منه ، فقضى الله عنه عِدَته فأتمها عشراً .

قال سعيد ـ هو ابن جبير[١] ـ : فلقيني رجلٌ من أهل النصرانية من علمائهم قال : هل تدري أيَّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا ، وأنا يومئذ لا أدري ، فلقيت ابنَ عبَّاس ، فذكرت ذلك له فقال : أما علمتَ أن ثمانيةً كانت على نبي الله واجبةً لم يكن نبيُّ الله ليُنْقِص منها شيئاً ، وتعلم أن الله كان قاضياً عن موسى عِدَته التي وعده ، فإنه قضى عشر سنين ، فلقيت النصراني فأخبرته ذلك فقال : الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ، قلت : أجل وأولى .

فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قصّ الله عليك في القرآن . فشكا إلى الله تعالى ما يتخوَّف من آل فرعون في القتيل وعقدة لسانه ، فإنّه كان في لسانه عقدةٌ تمنعه من كثير من الكلام ، وسأل ربّه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءاً ، ويتكلّم عنه بكثيرٍ مما لا يُفصح به لسانه ، فآتاه الله عز وجل سؤله وحلَّ عقدةً من لسانه ، وأوحى الله إلى هارون فأمره أن يلقاه فاندفع[٢] موسى بعصاه حتى لقي هارون فانطلقا جميعاً إلى فرعون ، فأقاما على بابه حيناً لا يؤذَن لهما . ثمّ أُذِن لهما بعد حِجاب شديد، فقالا : إنا رسولا ربّك . فقال : فمن ربّكما ؟ فأخبره بالذي قصّ الله عليك في القرآن . قال فما تريدان ؟ وذكَّره القتيل ، فاعتذر بما قد سمعت . قال : أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل ، فأبى عليه وقال : ائت بآية إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هي حية[٣] عظيمةٌ فاغرةٌ فاها مسرعة إلى فرعون ، فلمَّا رأها فرعون قاصدة إليه خافها ، واقتحم عن سريره ، واستغاث بموسى أن يكفَّها عنه ، ففعل . ثمّ أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوءٍ ، يعني من غير بَرَصٍ . ثمّ ردَّها فعادت إلى لونها الأول .

---

(١) في ب : سعيد بن جبير .
(٢) في ب : فانتفع .
(٣) في أ وط : « ثعبان » وما هنا من ب ، وهو الذي عند النسائي .

فاستشار الملأ حوله فيما رأى فقالوا له : ﴿ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ [طه : ٦٣] يعني مُلْكهم الذي هم فيه والعيش ، وأبَوا على موسى أن يعطوه شيئاً مما طلب ، وقالوا له : اجمع السّحرة فإنّهم بأرضك كثيرٌ حتى تغلب بسحرك سحْرَهما ، فأرسل إلى المدائن فحشر له كلّ ساحرٍ متعالم . فلمّا أتوا فرعون قالوا : بم يعمل الساحر ؟ قالوا : يعمل بالحيّات . قالوا : فلا والله ما أحدٌ في الأرض يعمل السحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل . وما أَجْرُنا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم : أنتم أقاربي وخاصّتي ، وأنا صانعٌ إليكم كلَّ شيء أحببتم ، فتواعدوا يومَ الزينة ﴿ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه : ٥٩] .

قال سعيد : فحدّثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسّحرة هو يوم عاشوراء ، فلمّا اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض : انطلقوا فلنحضر هذا الأمر لعلّنا نتّبعُ السّحرة إن كانوا هم الغالبين . يعنون موسى وهارون استهزاءً بهما ، فقالوا : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ ـ بعد تريثهم بسحرهم ـ ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف : ١١٥] قالَ بَلْ أَلْقُوا ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٤٤] فرأى مُوسى من سحرهم ما أوجَسَ في نفسه خيفةً ، فأوحى الله إليه أن ألق عصاك ، فلما ألقاها صارت ثعباناً عظيمة فاغِرةً فاها ، فجعلت العصي تَلَبّسُ بالحبال حتى صارت جُرَزاً على الثعبان تدخل فيه حتى ما أبقت عصاً ولا حبلاً إلا ابتلعته ، فلما عرف السّحرة ذلك قالوا : لو كان هذا سحراً لم يبلغ[١] من سحرنا كلّ هذا ، ولكنّه أمرٌ من الله تعالى ، آمنا بالله وبما جاء به موسى ، ونتوب إلى الله مما كنّا عليه ، فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه ، وظهر الحق ، وبطل ما كانوا يعملون ، فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

وامرأة فرعون بارزةٌ متبذِّلة[٢] تدعو الله بالنّصر لموسى على فرعون وأشياعه ، فمن رآها من آل فرعون ظنّ أنها إنّما ابتذلت[٣] للشفقة على فرعون وأشياعه ، وإنّما كان حزنها وهمّها لموسى .

فلما طال مكثُ موسى بمواعيد فرعون الكاذبة ؛ كلّما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا مضت أخلف من غده ، وقال : هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا ؟ فأرسل الله على قومه الطّوفان ، والجراد ، والقُمَّل ، والضفادِعَ ، والدَّمَ آياتٍ مفصَّلاتٍ ، كلّ ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفّها عنه ، ويوافقه[٤] على أن يرسل معه بني إسرائيل ، فإذا كفّ ذلك عنه أخلف بوعده ، ونكث عهده حتى أُمِرَ موسى بالخروج بقومه ، فخرج بهم ليلاً ، فلما أصبح فرعون ورأى أنّهم قد مضوا ، أرسل في المدائن

---

(١) في ط : « تبلغ » ، وما هنا يعضده ما في تفسير النسائي ، وب .
(٢) في ط : مبتذلة .
(٣) هكذا في أ وط وتفسير النسائي ، وفي ب : تبذلت .
(٤) في ب : ويطلب إليه أن يوافقه .

حاشرين ، فتبعه بجنودٍ عظيمةٍ كثيرةٍ ، وأوحى الله إلى البحر إذا ضربك موسى عبدي بعصاه فانفلق اثنتي عشرة فرقةً حتى يجوز موسى ومن معه ، ثمّ الْتقِ على من بقي بعد من فرعون وأشياعه ، فنسي[١] موسى أن يضرب البحر بالعصا ، وانتهى إلى البحر وله قَصيف[٢] مخافة أن يضربه موسى بعصاه ، وهو غافل فيصير عاصياً لله عز وجل ، فلما تراءى الجمعان ، وتقاربا قال أصحاب موسى : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء : ٦١] افعل ما أمرك به ربّك فإنه لم يكذب ، ولم تكذب ، قال : وعدني ربي إذا أتيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة حتى أجاوزه ، ثمّ ذكر بعد ذلك العَصَا ، فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى ، فانفرق البحر كما أمره ربّه ، وكما وعد موسى ، فلما أن جاوز موسى وأصحابه كلّهم البحر ودخل فرعون وأصحابه ، التقى عليهم البحر كما أُمرَ .

فلما جاوز موسى قال أصحابه : إنّا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ، ولا نؤمن بهلاكه[٣] ، فدعا ربّه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه .

ثمّ مرّوا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨ ـ ١٣٩] قَدْ رأيتم من العبر ، وسمعتم ما يكفيكم .

ومضى فأنزلهم موسى منزلاً وقال : أطيعوا هارون فإنّ الله قد استخلفه عليكم ، فإنّي ذاهب إلى ربّي وأجّلَهم ثلاثين يوماً أن يرجع إليهم فيها ، فلما أتى ربّه عزّ وجلّ وأراد أن يكلّمه في ثلاثين يوماً ، وقد صامهنّ ليلَهنّ ونهارَهنّ ، وكره أن يكلّم ربّه وريح فِيه ريح فم الصّائم ، فتناول موسى شيئاً من نبات الأرض فمضغه ، فقال له ربّه حين أتاه : لم أفطرت ؟ ـ وهو أعلم بالذي كان ـ قال يا ربّ إني كرهت أن أكلّمك إلّا وفمي طيّب الريح . قال : أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك . ارجع فصُم عشراً ، ثمّ ائتني . ففعل موسى ما أمره به ربُّه ، فلما رأى قومُ موسى أنه لم يرجع إليهم في الأجل ، ساءهم ذلك ، وكان هارون قد خطبهم فقال : إنّكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عوار وودائعُ ، ولكم فيها مثل ذلك ، وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم ، ولا أحلّ لكم وديعة استُودعتموها ، ولا عارية ، ولسنا برَادّين إليهم شيئاً من ذلك ، ولا ممسكيه لأنفسنا ، فحفر حفيراً وأَمَرَ كلَّ قومٍ عندهم من ذلك من متاعٍ أو حليةٍ أن يقذفوه في ذلك الحفير . ثمّ أوقد عليه النار فأحرقه فقال : لا يكون لنا ولا لهم .

---

(١) في ب : فأنسي .
(٢) القصيف : الصوت الهائل يشبه صوت الرعد .
(٣) في ب : ولا نأمن بهذا له .

وكان السامري من قومٍ يعبدون البقر جيرانٌ لبني إسرائيل ، ولم يكن من بني إسرائيل فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا ، فقضى له أن رأى أثراً ، فقبض منه قبضةً ، فمرّ بهارون ، فقال له هارون : يا سامري ألا تلقي ما في يديك ، وهو قابض عليه لا يراه أحدٌ طوال ذلك ، فقال : هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ، ولا أُلقيها لشيءٍ إلا أن تدعو اللهَ إذا ألقيتُها أن يكون ما أريد ، فألقاها ودعا له هارون ، فقال : أريد أن تكون عجلاً ، فاجتمع ما كان في الحفرة من متاعٍ ، أو حليةٍ ، أو نحاسٍ ، أو حديدٍ ، فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح ، له خُوار . قال ابن عباس : لا والله ما كان فيه صوت قط ، إنّما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك .

فتفرَّق بنو إسرائيل فِرَقاً ، فقالت فرقةٌ : يا سامري ما هذا ـ وأنت أعلم به ـ قال : هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق . وقالت فرقةٌ : لا نكذّب بهذا حتى يرجع إلينا موسى ، فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه ، وعجزنا فيه حتى رأيناه ، وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى . وقالت فرقةٌ : هذا من عمل الشيطان وليس بربّنا ، ولا نؤمن به ، ولا نصدِّق . وأسرَّت فرقةٌ في قلوبهم الصِّدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به ، فقال لهم هارون عليه السلام : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [طه : ٩٠] ليس هذا . قالوا : فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ثمّ أخلفنا ؟ هذه أربعون يوماً قد مضت . فقال سفهاؤهم : أخطأ ربّه فهو يطلبه ويبتغيه .

فلمّا كلّم الله موسى وقال له ما قال ، أخبره بما لقي قومه من بعده ، فرجع إلى قومه غضبان أسفاً ، فقال لهم ما سمعتم ما في القرآن ؟! ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف : ١٥٠] وألقى الألواح من الغضب . ثمّ إنّه عَذَرَ أخاه بعذره ، واستغفر له ، فانصرف إلى السامري ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : قبضت ﴿ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ وفطنت لها ، وعَميت عليكم ، فقذفتها ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه : ٩٦ ـ ٩٧] ولو كان إلّهاً لم يخلص إلى ذلك منه .

فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة ، واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون ، فقالوا لجماعتهم : يا موسى سل لنا أن يُفتح لنا بابُ توبةٍ نصنعها فتكفّر عنّا ما عملنا ، فاختار ﴿ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ [الأعراف : ١٥٥] لذلك لا يألو الخير خيار بني إسرائيل ، ومن لم يشرك في الحق ، فانطلق بهم يسأل لهم التوبة ، فرجفت بهم الأرض ، فاستحيا نبي الله عليه السلام من قومه ومن وفده حين فُعل بهم ما فُعل ، فقال : ﴿ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] وفيهم من كان الله تعالى اطلع منه على ما أُشرب قلبه من حُبِّ العجل وإيمانٍ به ، فلذلك رجفت بهم الأرض ، فقال : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٦ـ١٥٧] فقال : يا رب سألتك التوبة لقومي ، فقلت : إن رحمتي كتبتها لقوم غير قومي ، فليتك أخّرتني حتى تخرجني في أمّة ذلك الرجل المرحومة ، فقال له : إنّ توبتهم أن يقتل كلّ رجلٍ من لقي من والدٍ وولدٍ فيقتله بالسيف ، لا يبالي مَن قتل في ذلك الموطن . وتاب أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون ، واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها ، وفعلوا ما أُمروا ، وغفر الله للقاتل والمقتول .

ثمّ سار بهم موسى عليه السلام متوجّهاً نحو الأرض المقدّسة ، وأخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب ، فأمرهم بالذي أُمِر به من الوظائف ، فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقرّوا بها ، ونَتَقَ الله عليهم الجبل كأنّه ظلّةٌ ، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم ، وأخذوا الكتاب بأيمانهم ، وهم مصغون ينظرون إلى الجبل ، والكتاب بأيديهم ، وهم من وراء الجبل مخافةَ أن يقع عليهم ، ثمّ مضوا حتى أتوا الأرض المقدّسة ، فوجدوا مدينة فيها قومٌ جبارون ، خَلْقُهم خَلْقٌ منكر ، وذكر من ثمارهم أمراً عجباً من عِظَمها ، فقالوا : ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ لا طاقة لنا بهم ، ولا ندخلها ما داموا فيها ﴿ فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ ـ قيل ليزيد : هكذا قرأه ؟ قال : نعم ـ من الجبارين آمَنا بموسى وخرجا إليه فقالوا : نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم ؛ فإنهم لا قلوب لهم ، ولا منعة عندهم ، فادخلوا ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ﴾ ويقول أُناس : إنهم من قوم موسى . فقال الذين يخافون من بني إسرائيل ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾[1] [المائدة : ٢٢ ـ ٢٤] فأغضبوا موسى ، فدعا عليهم وسمّاهم فاسقين ، ولم يدعُ عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذٍ ، فاستجاب الله له وسمَّاهم كما سمَّاهم فاسقين ، فحرّمها عليهم أربعين سنةً يتيهون في الأرض ، يصبحون كلّ يوم فيسيرون ليس لهم قرار ، ثمّ ظلّل عليهم الغمام في التيه ، وأنزل عليهم المَنَّ والسلوى ، وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ ، وجعل بين ظهرانيهم حجراً مربّعاً ، وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، في كلِّ ناحية ثلاثة أعين ، وأعلم كلّ سبطٍ عينهم التي يشربون منها ، فلا يرتحلون من مَنْقَلَةٍ[2] إلا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذي كان منهم فيه بالأمس .

رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ ، وصدّق ذلك عندي أن معاوية سمع من ابن عباس هذا الحديث ، فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى على موسى أمر القتيل الذي قتل ، فقال : كيف يفشي عليه ، ولم يكن عَلم به ، ولا ظهر عليه إلاّ الإسرائيلي الذي حضر ذلك ؟ فغضب ابن عبّاس ، فأخذ بيد

---

(١) من قوله : قيل ليزيد : هكذا . . . إلى . . . إنا هاهنا قاعدون . سقط من ب .

(٢) في ب : منزلة . وفي ط : محلة . والمنقلة : المرحلة من مراحل السفر .

معاوية ، فانطلق به إلى سعد بن مالك الـزُّهْري ، فقال له : يا أبا إسحـاق ، هل تذكـر يوم حدّثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون ؟ الإسرائيلي الذي أفشى عليه أم الفرعوني ؟ قال : إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع الإسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره .

هكذا ساق هذا الحديث الإمام النسائي . وأخرجه ابن جرير[١] وابن أبي حاتم في « تفسيريهما » من حديث يزيد بن هارون . والأشبه ـ والله أعلم ـ أنه موقوف ، وكونه مرفوعاً فيه نظر ، وغالبه متلقى من الإسرائيليات ، وفيه شيء يسير مصرّح برفعه في أثناء الكلام ، وفي بعض ما فيه نظرٌ ونكارةٌ ، والأغلب أنه كلام كعبِ الأحبار .

وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المِزِّي يقول ذلك . والله أعلم .

***

ذكر
بناء قبّة الزمان

قال أهل الكتاب[٢] : وقد أمر الله موسى عليه السلام بعمل قبّة من خشب الشمشار[٣] ، وجلود الأنعام ، وشعر الأغنام ، وأمر بزينتها بالحرير المصبغ والذهب والفضّة على كيفيات مفصّلة عند أهل الكتاب ولهـا عشر سُرادقـات ؛ طول كلِّ واحدٍ ثمـانية وعشرون ذراعـاً ، وعرضه أربعة أذرعٍ ، ولها أربعةُ أبوابٍ وأطنابٌ من حريرٍ ، ودمقس مصبغ ، وفيها دفوف وصفائح من ذهب وفضّة ، وفي كلِّ زاوية بابان ، وأبوابٌ أُخر كبيرةٌ ، وستورٌ من حريرٍ مصبغ وغير ذلك مما يطول ذِكره .

وبعمل تابوتٍ[٤] من خشب الشمشار ، يكون طولُه ذراعين ونصفاً وعرضه ذراعين وارتفاعُه ذراعاً ونصفاً ، ويكون مضبَّباً[٥] بذهبٍ خالصٍ من داخله وخارجه وله أربع حَلَقٍ في أربع زواياه ، ويكون على حافتيه كروبيان[٦] من ذهبٍ ، يعنون صفة ملكين بأجنحة وهما متقابلان ، صنعه رجل اسمه بصليال .

وأمره أن يعمل مائدةً من خشب الشمشار طولها ذراعان وعرضهـا ذراع ونصف لها ضِبَاب ذهب

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١١٣٢٦) وابن جرير (١٦/ ١٦٤) وفي إسناده ضعف .
(٢) العهد القديم : سفر الخروج ، الإصحاح السادس والعشرون .
(٣) في المصدر السابق : شجر السنط . وهو نوع من الشجر يكثر في مصر . القاموس المحيط .
(٤) سفر الخروج ، الإصحاح الخامس والعشرون .
(٥) ضبَّبَ الخشب : ألبسه الحديد أو الذهب أو نحوهما .
(٦) الكروبيون : الملائكة المقربون .

وإكليل ذهب بشفة مرتفعة بإكليلٍ من ذهب وأربع حَلق من نواحيها من ذهب مُغرزة في مثل الرمّان ، من خشب ملبّس ذهباً ، واعمل صِحافاً[١] ومصافي وقصاعاً على المائدة .

واصنع منارة من ذهبٍ دليّ[٢] ، وفيها ست قصبات من ذهب من كلِّ جانب ثلاث ، على كلِّ قصبة ثلاثة سُرُج ، وليكن في المنارة أربعة قناديل ، ولتكن هي وجميع هذه الآنية من قنطار من ذهب صنع ذلك بصليال أيضاً ، وهو الذي عمل المذبح أيضاً ، ونصب هذه القبة أول يوم من سنتهم ، وهو أوّل يومٍ من الربيع ، ونصب تابوت الشهادة ، وهو ـ والله أعلم ـ المذكور في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] .

وقد بُسط هذا الفصل في كتابهم مطوّلاً جدّاً ، وفيه شرائع لهم ، وأحكام ، وصفة قربانهم وكيفيته . وفيه أن قبّة الزمان كانت موجودة قبل عبادتهم العجل الذي هو متقدِّم على مجيء بيت المقدس ، وأنها كانت لهم كالكعبة يصلّون فيها وإليها ، ويتقرّبون عندها . وأن موسى عليه السلام كان إذا دخلها يقفون عندها[٣] ، وينزل عمود الغمام على بابها فيخرّون عند ذلك سُجّداً لله عزّ وجلّ ، ويكلم اللهُ موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذي هو نورٌ ، ويخاطبه ، ويناجيه ، ويأمره ، وينهاه ، وهو واقف عند التابوت صامدٌ إلى ما بين الكَرُوبِيّيْنَ ، فإذا فصل الخطاب يخبر بني إسرائيل بما أوحاه اللهُ عزَّ وجلَّ إليه من الأوامر والنواهي . وإذا تحاكموا إليه في شيءٍ ليس عنده من الله فيه شيء يجيء إلى قبّة الزمان ، ويقف عند التابوت ، ويصمد لما بين ذينك الكروبِيّيْنَ ، فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة[٤] .

وقد كان هذا مشروعاً لهم في زمانهم ، أعني استعمال الذهب والحرير المصبغ واللآلىء في معبدهم وعند مصلاّهم ، فأمّا في شريعتنا فلا ، بل قد نُهينا عن زخرفة المساجد وتزيينها لِئَلا تشغل المصلّين ؛ كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسّع في مسجد رسول الله ﷺ للّذي وكّله على عمارته : ابنِ للناسِ ما يُكنُّهم ، وإياكَ أن تُحمِّر أو تُصَفِّر فتفتن الناس . وقال ابن عباس : لا تُزَخْرِفُنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى كنائسَهم[٥] ، وهذا من باب التشريف والتكريم والتنزيه لهذه الأمّة عن مشابهة من كان قبلهم من الأمم ، إذ جمع الله همّهم في صلاتهم على التوجّه إليه والإقبال عليه ، وصان أبصارهم وخواطرهم عن الاشتغال والتفكّر في غير ما هم بصدده من العبادة العظيمة . فلله الحمد والمِنَّة .

---

(١) الصحاف : جمع صَحْفَة ، وهي آنية الطعام . والمصافي : جمع مصفاة .
(٢) في العهد القديم : ذهب نقي .
(٣) في ب : حَوْلها .
(٤) في ب : الخصومة .
(٥) رواه البخاري تعليقاً (١/ ٥٣٩) .

وقد كانت قبّة الزمان هذه مع بني إسرائيل في التيه يُصلُّون إليها وهي قبلتهم ، وكعبتهم ، وإمامُهم كليم الله موسى عليه السلام ، ومُقدِّم القربان أخوه هارون عليه السلام . فلما مات هارون ثمّ موسى عليهما السلام ، استمرّت بنو هارون في الذي كان يليه أبوهم من أمر القربان . وهو فيهم إلى الآن .

وقام بأعباء النبوّة بعد موسى وتدبير الأمر بعده فتاه يوشَع بن نون عليه السلام ، وهو الذي دخل بهم بيت المقدس ، كما سيأتي بيانه .

والمقصود هنا أنّه لما استقرّت يده على البيت المقدّس نصب هذه القبّة على صخرة بيت المقدس ، فكانوا يصلّون إليها ، فلما بادت صلوا إلى محلّتها ، وهي الصخرة ، فلهذا كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله ﷺ، وقد صلى إليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة ، وكان يجعل الكعبة بين يديه . فلما هاجر أُمِر بالصلاة إلى بيت المقدس ، فصلّى إليها ستة عشر ، وقيل : سبعة عشر شهراً[1] . ثم حُوّلت القبلة إلى الكعبة ، وهي قبلة إبراهيم ، في شعبان سنة ثنتين في وقت صلاة العصر ، وقيل : الظهر ، كما بسطنا ذلك في « التفسير »[2] عند قوله تعالى : ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ الآيات[3] [البقرة : ١٤٢ ـ ١٤٤] .

* * *

(١) في ب : ستة عشر شهراً ، وقيل : سبعة عشر .
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٩) .
(٣) زاد في ب : والله أعلم .

قصة قارون مع موسى عليه السّلام

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٧٦ ـ ٨٣] .

قال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباسٍ قال : كان قارون ابنَ عم موسى . وكذا قال إبراهيم النَّخَعِي[(١)] ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ، وسِماك بن حرب ، وقتادة ، ومالك بن دينار ، وابن جريج ، وزاد فقال : هو قارون بن يصهر بن قاهث ، وموسى بن عمران بن قاهث[(٢)] .

قال ابن جرير[(٣)] : وهذا قول أكثر أهل العلم أنّه كان ابن عمّ موسى . وردَّ قولَ ابن إسحاق : إنه كان عم موسى .

قال قتادة : وكان يُسمّى النُّورَ لِحُسْنِ صوته بالتوراة ، ولكن عدوّ الله نافق كما نافق السّامري ، فأهلكه البغي لكثرة ماله .

وقال شهر بن حوشب : زاد في ثيابه شبراً طولاً ترفُّعاً على قومه .

وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزة حتى إن مفاتحه لكان يثقل حملها على الفئام من الرجال الشداد . وقد قيل : إنها كانت من الجلود ، وإنها كانت تحمل على ستين بغلاً فالله أعلم .

---

(١) النَّخَعي ، بفتح النون والخاء المعجمة : نسبة إلى النخع ، وهي قبيلة كبيرة من مذحج . اللباب (٣/ ٣٠٤) .

(٢) في ب : وموسى بن عمران بن يصهر بن قاهث . وط : هافث .

(٣) كذا في ب . وفي أ وط : جريج . والخبر في تاريخ الطبري (١/ ٤٤٣) ، وفيه : وأما أهل العلم من سلف أمتنا ومن أهل الكتابين فعلى ما قال ابن جريج .

وقد وعظه النّصحاء من قومه قائلين : ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ أي : لا تبطر بما أُعطيت ، وتفخر على غيرك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ . يقولون : لتكن همّتك مصروفةً إلى تحصيل ثواب الله في الدار الآخرة ، فإنّه خيرٌ وأبقى ، ومع هذا ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي : وتناول منها بمالك ما أحلّ الله لك فتمتّع لنفسك بالملاذ الطيبة الحلال ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ أي : وأحسن إلى خَلق الله كما أحسن الله خالقُهم وبارئُهم إليك ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي : ولا تُسيء إليهم ، ولا تفسد فيهم ، فتقابلهم ضدّ ما أُمرت فيهم فيعاقبك ، ويسلبك ما وهبك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

فما كان جوابه لهذه النّصيحة الصّحيحة الفصيحة إلا أن ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ يعني أنا لا أحتاج إلى استعمال ما ذكرتم ، ولا إلى ما إليه أشرتم ، فإن الله إنما أعطاني هذا لعلمه أني أستحقه ، وأني أهلٌ له ، ولولا أني حبيب إليه ، وحَظِيٌّ عنده لما أعطاني ما أعطاني .

قال الله تعالى رادّاً عليه ما ذهب إليه : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أي : قد أهلكنا من الأمم الماضين بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالاً وأولاداً ، فلو كان ما قال صحيحاً لم نعاقب أحداً ممن كان أكثر مالاً منه ، ولم يكن ماله دليلاً على محبتنا له ، واعتنائنا به كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [سبأ : ٣٧] وقال تعالى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٥ ـ ٥٦] . وهذا الردّ عليه يدلّ على صحّة ما ذهبنا إليه من معنى قوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ . وأمّا من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يعرف صَنْعة الكيمياء ، أو أنه كان يحفظ الاسم الأعظم فاستعمله في جمع الأموال فليس بصحيح ؛ لأن الكيمياء تخييل وصبغة ، لا تحيل الحقائق ، ولا تشابه صنعة الخالق ، والاسم الأعظم لا يصعد الدعاءُ به مِن كافر به ، وقارون كان كافراً في الباطن منافقاً في الظاهر . ثمّ لا يصح جوابه لهم لهذا على التقدير ولا يبقى بين الكلامين تلازم . وقد وضحنا هذا في كتابنا « التفسير »(١) ولله الحمد .

قال الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ ذكر كثير من المفسرين أنه خرج في تجمُّلٍ عظيمٍ من ملابس ، ومراكب ، وخدمٍ ، وحشمٍ ، فلما رآه من يعظّم زهرة الحياة الدنيا تمنّوا أن لو كانوا مثله ، وغَبَطوه بما عليه وله ، فلما سمع مقالتهم العلماء ذوو الفَهم الصحيح الزهّاد الألِبّاءُ قالوا لهم : ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أي : ثواب الله في الدار الآخرة خيرٌ وأبقى وأجلُّ وأعلى . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ أي : وما يلقّى هذه النصيحة وهذه المقالة وهذه الهمّة السامية

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٩) .

إلى الدار الآخرة العلية عند النظر إلى زهرة هذه الدنيا الدنيَّة إلاّ مَن هدى اللهُ قلْبَهُ ، وثبَّت فؤاده ، وأيّد لُبَّه ، وحقق مراده . وما أحسن ما قال بعض السلف : إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول الشهوات .

قال الله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ لما ذكر الله تعالى خروجه في زينته واختياله فيها وفخره على قومه بها قال : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ كما روى البخاري[١] من حديث الزهري عن سالم ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « بَيْنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إزارَهُ إذْ خُسِفَ بِهِ فَهُو يَتَجَلْجَلُ في الأرضِ إلى يَومِ القيامَةِ » ثمّ رواه البخاري[٢] من حديث جرير بن زيد ، عن سالم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، نحوه .

وقد ذُكر عن ابن عباس والسُّدي أن قارون أعطى امرأة بغيّاً مالاً على أن تقول لموسى عليه السلام وهو في ملأٍ من الناس : إنّك فعلت بي كذا وكذا ، فيقال : إنّها قالت له ذلك ، فأرعد من الفرق ، وصلّى ركعتين ، ثمّ أقبل عليها فاستحلفها مَنْ دَلّكِ على ذلك وما حملك عليه ؟ فذكرت أن قارون هو الذي حملها على ذلك ، واستغفرت الله ، وتابت إليه ، فعند ذلك خرّ موسى لله ساجداً ، ودعا الله على قارون ، فأوحى الله تعالى إليه إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه ، فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره ، فكان ذلك . فالله أعلم[٣] .

وقد قيل : إن قارون لما خرج على قومه في زينته مرّ بجحفله[٤] ، وبغاله ، وملابسه على مجلس موسى عليه السلام وهو يذكّر قومه بأيام الله ، فلما رآه الناس انصرفت وجوه كثير من الناس ينظرون إليه ، فدعاه موسى عليه السلام فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا موسى أما لئن كنتَ فُضِّلت عليَّ بالنبوة فلقد فُضِّلتُ عليك بالمال ، ولئن شئت لتخرجن فلتدعُوَن عليّ ، ولأدعون عليك ، فخرج وخرج قارون في قومه ، فقال له موسى : تدعو أو أدعو ؟ قال : أدعو أنا ، فدعا قارون فلم يُجَب في موسى . فقال موسى : أدعو ؟ قال : نعم . فقال موسى : اللهم مُرِ الأرض فلتطغى[٥] اليوم ، فأوحى الله تعالى إليه : إني قد فعلتُ ، فقال موسى : يا أرضُ خذيهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ، ثمّ قال : خذيهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ، ثمّ إلى مناكبهم ، ثمّ قال : أقبلي بكنوزهم وأموالهم ، فأقبلت بها حتى نظروا إليها ، ثمّ أشار موسى بيده فقال : اذهبوا بني لاوي ، فاستوت بهم الأرض .

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٤٨٥) في الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٢) صحيح البخاري رقم (٥٧٩٠) في اللباس ، باب من جرّ ثوبه خيلاء .
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٥) .
(٤) في ب : بخيله .
(٥) في ب : فلتطعني . وهو أشبه .

وقد روي عن قتادة أنّه قال : يُخسف بهم كلَّ يوم قامةٌ إلى يوم القيامة . وعن ابن عباس أنّه قال : خُسف بهم إلى الأرض السابعة .

وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا إسرائيليات كثيرة ضربنا عنها صفحاً وتركناها قصداً .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ لم يكن له ناصر من نفسه ولا من غيره كما قال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ١٠] ولمّا حلّ به ما حلّ من الخسف ، وذهاب الأموال ، وخراب الدار ، وإهلاك النفس والأهل والعقار ، ندم[١] من كان تمنى مثل ما أوتي ، وشكروا الله تعالى الذي يدبّر عباده بما يشاء من حسن التدبير المخزون ، ولهذا قالوا : ﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ . وقد تكلّمنا على لفظ (ويك) في « التفسير »[٢] ، وقد قال قتادة : (ويكأن) بمعنى : ألم ترَ أنّ ، وهذا قولٌ حسنٌ من حيثُ المعنى والله أعلم .

ثمّ أخبر تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ وهي دار القرار ، وهي الدار التي يُغْبَط من أُعطيها ، ويُعزَّى من حُرمها إنّما هي معدّة ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ فالعلوُّ هو التكبُّر ، والفخر ، والأشر ، والبطر ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ وهو عمل المعاصي اللاّزمة والمتعدّية من أخْذِ أموال الناس ، وإفساد معايشهم ، والإساءة إليهم ، وعدم النّصح لهم ، ثمّ قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقصّة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر ، لقوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ فإن الدار ظاهرة في البنيان ، وقد تكون بعد ذلك في التِيه ، وتكون الدار عِبارة عن المحلة التي تضرب فيها الخيام كما قال عنترة : [من الكامل]

يا دارَ عَبْلَةَ بالجِواءِ تكلَّمي وَعِمي صَباحاً دارَ عَبْلَةَ واسْلَمي[٣]

والله أعلم .

وقد ذكر الله تعالى مذمّة قارون في غير ما آية من القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر : ٢٣ ـ ٢٤] .

وقال تعالى في سورة العنكبوت ، بعد ذكر عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ

---

(١) في ب : تدبّر .
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٠١) .
(٣) من معلقته التي مطلعها : [من الكامل]
هَلْ غادَر الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ أم هلْ عرفتَ الدارَ بعدَ توَهُّم
ديوانه (١٨٣) . والجِواء : موضع .

أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [٣٩ ـ ٤٠] .

فالذي خسف الله به الأرض قارون ـ كما تقدّم ـ والذي أغرق فرعون وهامان وجنودَهما أنّهم كانوا خاطئين .

وقد قال الإمام أحمد(١) : حدّثنا أبو عبد الرحمن ، حدّثنا سعيد ، حدّثنا كعب بن علقمة ، عن عيسى ابن هلال الصَّدَفي(٢) ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ أنّه ذكر الصلاة يوماً فقال : « مَنْ حَافَظَ عَلَيْها كانَتْ لَهُ نُوْراً وبُرْهَاناً ونجاةً يومَ القِيامة ، ومَنْ لَم يُحَافِظْ عَلَيْها لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلاَ بُرْهانٌ ولا نَجَاةٌ ، وكانَ يَوْمَ القيامةِ مَعَ قَارُونَ وفِرْعَونَ وهامان وأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ » . انفرد به أحمد ، رحمه الله .

***

باب
ذِكْر فضَائِل موسى عليه السّلام وَشمائِله وصفاته ووفاته(٣)

قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥١ ـ ٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

وتقدّم في « الصحيحين » عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تُفَضِّلُوني عَلَى مُوسَى ، فإنّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القيامَةِ فأكُونُ أوَّلَ مَنْ يفِيْقُ فأجِدُ مُوْسَى باطِشاً بِقائمةِ العَرْشِ فَلا أدْرِي أَصعِقَ فأفاقَ قَبْلي أمْ جُوزي بِصَعْقَةِ الطُّوْرِ »(٤) . وقدَّمنا أنه مِنْ رسول الله ﷺ مِنْ باب الهَضْمِ والتواضع ، وإلاّ فهو صلوات الله وسلامُه عليه خاتم الأنبياء ، وسيّد ولد آدم في الدنيا والآخرة قطعاً جزماً لا يحتمل النقيض .

وقال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ إلى أن قال : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٣ ـ ١٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] .

---

(١) في مسنده (٢/ ١٦٩) ، وهو حديث حسن .
(٢) الصدفي : نسبة إلى الصَّدِف ، بكسر الدال ، وهي قبيلة من حمير نزلت مصر . اللباب (٢/ ٢٣٦) .
(٣) في ط : باب فضائل . . . ووفائه .
(٤) تقدم تخريجه ص (٧١) .

قال الإمام أبو عبد الله البخاري : حدّثنا إسحاق[١] بن إبراهيم ، حدّثنا رَوح بن عبادة ، عن عوف ، عن الحسن ومحمد وخِلاس ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ مُوسَى كانَ رَجُلاً حَيِيّاً سِتِّيراً لا يَرَى جِلْدَهُ شَيْءٌ استحياءً منه ، فآذاهُ مَن آذاه مِن بني إسْرائيلِ ، فقالوا : ما يَسْتَتِرُ هذا التَّسَتُّرَ إلاّ مِن عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إمّا بَرَصٌ وإما أُدْرَة[٢] وإمّا آفةٌ . وإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أرادَ أنْ يُبَرِّأَهُ مِمَّا قالُوا لِموسى ، فَخَلا يَوْماً وَحْدَهُ ، فَوَضَعَ ثِيابَهَ عَلى الحَجَرِ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى ثِيابِهِ لِيأْخُذَهَا ، وأنّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ ، فأخَذَ مُوسى عَصَاهُ وطَلَبَ الحَجَرَ فَجَعَل يَقُولُ : ثَوبي حَجَرٌ ، ثوبي حَجَرٌ ، حَتّى انْتَهَى إلى مَلأٍ مِن بني إسْرائيل ، فَرَأَوْهُ عُرْياناً أَحْسَنَ ما خَلَقَ اللهُ وبرّأهُ[٣] مِمّا يَقُوْلُونَ . وقامَ الحجَرُ فأخَذَ ثوبَهُ فَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بالحجَرِ ضَرْباً بعصاهُ ، فواللهِ إنَّ بالحجَرِ لَنَدَباً مِنْ أَثَر ضَرْبِهِ ثلاثاً أوْ أرْبعاً أو خَمْساً[٤] » ، قال : فذلك قولُه عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾[٥] .

وقد رواه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن شقيق ، وهمّام بن منبه ، عن أبي هريرة ، به[٦] .

وهو في « الصحيحين »[٧] من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عنه ، به .

ورواه مسلم من حديث عبد الله بن شقيق العقيلي عنه[٨] .

قال بعض السلف : كان من وجاهته أنّه شفع في أخيه عند الله ، وطلب منه أن يكون معه وزيراً ، فأجابه الله إلى سُؤاله ، وأعطاه طَلِبَتَهُ ، وجعله نبياً كما قال : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ . ثم قال

---

(١) في ط : ابن .
وفي ب ، هنا ، خمسة أسطر كتبت بخط مخالف ، لخط الأصل ، وفيها نص مخالف لنص أ وط . وهو : (حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ، ينظر بعضهم إلى بعض ، وكان موسى ـ ﷺ ـ يغتسل وحده . فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر فذهب مرة يغتسل ، فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه ، فخرج موسى في إثره يقول : ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى وقالوا : والله ما بموسى من بأس . وأخذ ثوبه ، فطفق بالحجر ضرباً » . قال أبو هريرة : والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضرباً بالحجر) .
وهذا الحديث رواه البخاري (١/ ٣٨٥) ، في الغسل ، باب من اغتسل عرياناً وحده . وهو فيه عن إسحاق بن نصر عن عبد الرزاق .
(٢) في ط : أو . والأدرة ، بضم الهمزة وسكون الدال ، وقيل بفتحتين : نفخة في الخصية .
(٣) كذا في ط . وفي أ : وأبرأه وهذا مما زاده ابن كثير هنا في النص وليس في لفظ البخاري .
(٤) نهاية الخلاف مع ب .
(٥) أخرجه البخاري : برقم (٣٤٠٤) في الأنبياء ، باب (٢٨) .
(٦) المسند (٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥) .
(٧) رواه البخاري رقم (٢٧٨) ومسلم برقم (٣٣٩) في الحيض ، باب جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة .
(٨) في أحاديث الأنبياء من صحيحه (٣٣٩) (١٥٦) .

البخاري[١] : حدّثنا أبو الوليد ، حدّثنا شعبة ، حدّثنا الأعمش : سألت أبا وائل قال سمعت عبد الله قال : قَسَم رسول الله ﷺ قسماً ، فقال رجل : إنّ هذه قِسْمةٌ ما أُريد بها وجه الله ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه . ثم قال : « يَرْحَمُ اللهُ مُوسى ، قَدْ أوْذِيَ بأكْثَرَ مِنْ هذا فَصَبَرَ » . وكذا رواه مسلم[٢] من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش ، به .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا حجاج[٣] ، سمعت إسرائيل بن يونس ، عن الوليد بن أبي هشام مولى لهمْدان ، عن زيد بن أبي زائد ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « لا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أحَدٍ شَيْئاً فإنّي أُحِبُّ أنْ أخْرُجَ إلَيْكُم وَأنا سَلِيْمُ الصَّدْرِ » . قال وأتى رسولَ الله ﷺ مالٌ فقسمه ، قال : فمررتُ برجلين وأحدهما يقول لصاحبه : والله ما أراد محمدٌ بقسمته وجه الله ولا الدارَ الآخرة ، فثبتُّ حتى سمعتُ ما قالا . ثمّ أتيت رسولَ الله فقلت : يا رسول الله إنّك قلتَ لنا : « لا يُبَلِّغُني أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أصْحَابي شَيْئاً » وإني مررتُ بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا . فاحمرَّ وجهُ رسول الله ﷺ وشقّ عليه . ثمّ قال : « دعْنا مِنْكَ فَقَدْ أوْذِيَ مُوسَى أكْثَرَ مِنْ ذلكَ فَصَبَرَ »[٤] .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي[٥] من حديث إسرائيل ، عن الوليد بن أبي هاشم ، به . وفي رواية للترمذي[٦] ولأبي داود[٧] من طريق ابن العبد ، عن إسرائيل ، عن السُّدّي ، عن الوليد ، به . وقال الترمذي : غريب من هذا الوجه .

وقد ثبت في « الصحيحين » في أحاديث الإسراء أن رسول الله ﷺ مر بموسى وهو قائم يصلي في قبره . وروواه مسلم عن أنس .

وفي « الصحيحين »[٨] من رواية قتادة عن أنس ، عن مالك بن صعصعة ، عن النبي ﷺ أنّه مرّ ليلة أُسْرِي به بموسى في السماء السادسة ، فقال له جبريل : هذا موسى فسلِّم عليه ، قال : « فَسَلَّمْتُ عَلَيْه ، فَقَال : مَرْحَباً بالنبي الصَّالح والأخ الصَّالِح ، فَلَمَّا تجاوَزْتُ بَكَى ، قيلَ له : ما يُبْكِيك ؟ قالَ : أبْكي لأنَّ غُلاماً بُعِثَ بَعْدي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أمَّتهِ أكْثَرُ مما يَدْخُلها من أمّتي » ، وذكر إبراهيم في السماء السابعة .

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٠٥) في الأنبياء ، باب (٢٨) .
(٢) صحيح مسلم رقم (١٠٦٢) في الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .
(٣) في ط : أحمد بن حجاج .
(٤) المسند (١/٣٩٦) .
(٥) أخرجه أبو دواد رقم (٤٨٦٠) في الأدب ، باب رفع الحديث من المجلس ، والترمذي برقم (٣٨٩٧) في المناقب ، باب فضل أزواج النبي ﷺ .
(٦) الترمذي (٣٨٩٦) في المناقب أيضاً .
(٧) ينظر تحفة الأشراف ، حديث (٩٢٢٧) .
(٨) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) في بدء الخلق ، ومسلم (١٦٤) (٢٦٤) في الإيمان .

وهذا هو المحفوظ ، وما وقع في حديث شريك بن أبي نمر عن أنس ، من أن إبراهيم في السادسة ، وموسى في السابعة ، بتفضيل كلام الله ، فقد ذكر غير واحد من الحفّاظ أن الذي عليه الجادة أن موسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة ، وأنه مسندٌ ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كلَّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثمّ لا يعودون إليه آخر ما عليهم[١] .

واتفقت الروايات كلّها على أن الله تعالى لما فرض على محمد ﷺ وأمته خمسين صلاةً في اليوم والليلة ، فمرّ بموسى قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك فإني قد عالجت بني إسرائيل قبلك أشدّ المعالجة ، وإن أمتك أضعف أسماعاً ، وأبصاراً ، وأفئدة ، فلم يزل يترددُ بين موسى وبين الله عزّ وجلّ ويخفّف عنه كل مرة حتى صارت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة ، وقال الله تعالى : هي خمس وهي خمسون ، أي بالمضاعفة ، فجزى الله عنا محمداً ﷺ خيراً . وجزى الله عنا موسى عليه السلام خيراً .

وقال البخاري[٢] : حدّثنا مُسَدَّد ، حدّثنا حُصَين بن نمير ، عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال : « عُرِضَتْ عَلَيّ الأُمَمُ وَرَأَيْتُ سَواداً كَثيراً سَدَّ الأُفُقَ ، فَقِيلَ : هذا مُوسَى في قَوْمه » . هكذا روى[٣] البخاري هذا الحديث هاهنا مختصراً .

وقد رواه الإمام أحمد مطولاً فقال : حدّثنا سَريج ، حدّثنا هشيم[٤] ، حدّثنا حُصين بن عبد الرحمن ، قال : كنت عند سعيد بن جُبير فقال : أيُّكم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحة ؟ قلت : أنا ، ثم قلت : إني لم أكن في صلاة ولكن لُدغت . قال : وكيف فعلت ؟ قلت : اسْتَرْقَيْتُ . قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : قلت : حديثٌ حدَّثناه الشعبي عن بُريدة الأسلمي أنه قال : « لا رُقْيَةَ إلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حمّةٍ » . فقال سعيد ـ يعني ابنَ جُبير ـ قد أحسن منِ انتهى إلى ما سمع . ثمّ قال : حدّثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنبي ومعه الرَّجُل والرجلان ، والنّبي وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إذْ رُفع لي سَوَادٌ عَظِيْمٌ ، فَقُلْتُ : هذِهِ أُمّتي ؟ فقيلَ : هذا مُوسى وقومُه ، ولكِنِ انْظُرْ إلى الأفُقِ فإذا سَوَادٌ عَظِيْمٌ . ثُمَّ قِيلَ : انْظُرْ إلى هذا الجانِبِ فإذا سَوَادٌ عَظِيْمٌ ، فقيلَ : هذه أُمّتُكَ وَمَعَهُم سَبْعُون ألفاً يَدْخُلُونَ الجنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ » . ثمّ نهض رسول الله ﷺ فَدَخَلَ ، فخاض القوم في ذلك فقالوا : مَن هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذابٍ ؟ فقال بعضهم : لعلّهم الذين صحبوا النبي ﷺ .

---

(١) حديث شريك في البخاري (٧٥١٧) في التوحيد ، وهذا واحد من الأخطاء التي أخطأ فيها شريك في هذا الحديث ، وبينها الحافظ ابن حجر في الفتح .

(٢) صحيح البخاري (٣٤١٠) في الأنبياء ، و(٥٧٥٢) في الطب .

(٣) في ب : رواه .

(٤) في ط : هشام ، وهو تحريف .

وقال بعضهم : لعلّهم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً قطُّ ، وذكروا أشياء . فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال : « ما هذا الذي كُنْتُم تَخُوضُوْنَ فيه » ؟ فأخبروه بمقالتهم ، فقال : « هُمُ الذينَ لا يَكْتَوُوْنَ وَلا يَسْتَرْقُوْنَ وَلاَ يَتَطَيَّرُوْنَ وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ » ، فقام عُكاشة بن مِحْصَن[1] الأسدي فقال : أنا منهم يا رسولَ الله ؟ قال : « أَنْتَ مِنْهُم » . ثم قام آخر فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال « سبَقَكَ بها عُكَاشَةُ »[2] .

وهذا الحديث له طرق كثيرة جداً ، وهو في الصحاح والحسان وغيرها ، وسنوردها إن شاء الله تعالى في باب صِفَة الجنة عند ذكر أحوال القيامة وأهوالها[3] .

وقد ذكر الله تعالى موسى عليه السلام في القرآن كثيراً ، وأثنى عليه وأورد قصته في كتابه العزيز مراراً وكررها كثيراً ، مطولة ومبسوطة ومختصرة ، وأثنى عليه بليغاً . وكثيراً ما يقرنه الله تعالى ويذكره ، ويذكر كتابه مع محمد ﷺ وكتابه ، كما قال في سورة البقرة ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران : ١ ـ ٤] .

وقال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الآيتان : ٩١ ـ ٩٢] .

فأثنى تعالى على التوراة ، ثمّ مدح القرآن العظيم مدحاً عظيماً ، وقال تعالى في آخرها : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝١٥٤ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٥٤ ـ ١٥٥] .

وقال تعالى في سورة المائدة : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا

---

(١) في ط : محيصن . وعكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي ، صحابي من أمراء السرايا . استشهد في حروب الردة . الإصابة (٢/ ٤٩٤) ترجمة رقم (٥٦٣٢) والأعلام (٤/ ٢٤٤) .

(٢) مسند أحمد (١/ ٢٧١) ، وفيه اختلاف يسير بالألفاظ .

(٣) في النهاية من هذا الكتاب . وتخريجه ثمة .

تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ إلى أن قال : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ . . . ﴾ [الآية : ٤٤ ـ ٤٨] . فجعل القرآن حاكماً على سائر الكتب غيره ، وجعله مصدِّقاً لها ومبيناً ما وقع فيها من التحريف والتبديل ، فإن أهل الكتاب استُحفِظوا على ما بأيديهم من الكتب فلم يقدروا على حفظها ، ولا على ضبطها وصونها ، فلهذا دخلها ما دخلها من تغييرهم وتبديلهم لسوء فهومِهم ، وقصورهم في علومهم ، ورداءة قصودهم ، وخيانتهم لمعبودهم ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة . ولهذا يوجد في كتبهم من الخطأ البيّن على الله وعلى رسله ما لا يحدُّ ولا يوصف ، وما لا يوجد مثله ولا يعرف .

وقال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الآيات : ٤٨ ـ ٥٠] .

وقال الله تعالى في سورة القَصص : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الآيتان : ٤٨ ـ ٤٩] . فأثنى الله على الكتابين وعلى الرسولين ، عليهما السلام .

وقالت الجن لقومهم : إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى . وقال ورقة بن نوفل لما قصَّ عليه رسول الله ﷺ خبر ما رأى من أول[١] الوحي ، وتلا عليه ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] قال : سُبُّوحٌ سبوح ، هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران .

وبالجملة فشريعة موسى عليه السلام كانت عظيمة[٢] ، وأمته كانت أمّة كثيرة ، ووجد فيهم أنبياء وعلماء وعبّاد وزهاد[٣] وملوك وأمراء وسادات وكبراء . لكنّهم كانوا فبادوا ، وتبدّلوا كما بُدِّلت شريعتهم ، ومُسخوا قِردة وخنازير ، ثمّ نسخت بعد كل حساب ملّتهم ، وجرت عليهم خطوب وأمور يطول ذكرها ، ولكن سنورد ما فيه مَقنع لمن أراد أن يبلغه خبرها إن شاء الله . وبه الثقة وعليه التُّكلان .

* * *

---

(١) السيرة النبوية (١/ ٢٣٨) .
(٢) في ب : كانت شريفة عظيمة .
(٣) زاد في ب هنا : وأولياء . وفي ط : وألباء .

ذكر
حجّته عليه السلام إلى البيت العتيق[١]

قال الإمام أحمد : حدّثنا هُشَيم[٢] ، حدّثنا داود بن أبي هند ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق فقال : « أيُّ وادٍ هذا » ؟ قالوا : وادي الأَزرق . قال : « كأنّي أَنْظُرُ إلى مُوْسَى وَهُوَ هابِطٌ مِنَ الثَّنِيَّةِ وَلَهُ جُؤارٌ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بالتَّلْبِيَةِ » حَتَّى أتى على ثنيَّة هَرْشَى . فقال : « أيُّ ثَنِيَّةٍ هذِهِ » ؟ قالوا : هذه ثنيَّة هَرْشَى . قال : « كأنّي أَنْظُرُ إلى يُوْنُس بنِ مَتَّى عَلَى ناقَةٍ حَمْراءَ ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوْفٍ ، خِطَامُ ناقَتِهِ خلبةٌ » . قال هُشيم : يعني ليفاً ، « وهو يلبِّي »[٣] .

وأخرجه مسلم[٤] من حديث داود بن أبي هند ، به .

وروى الطبراني[٥] عن ابن عباس مرفوعاً أن موسى حج على ثور أحمر . وهذا غريب جداً .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن عون ، عن مجاهد قال : كنا عند ابن عباس ، فذكروا الدجّال ، فقال : إنه مكتوب بين عينيه (ك ف ر) قال : ما يقولون ؟ قال : يقولون : مكتوب بين عينيه (ك ف ر) ، فقال ابن عباس : لم أسمعه قال ذلك ولكن قال : أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ، وأما موسى فرجل آدم جعد الشعر على جملٍ أحمرَ مَخْطوم بخُلْبة ، كأني أنظر إليه وقد انحدر من الوادي يلبِّي .

قال هشيم : الخُلْبَةُ : الليف .

ثمّ رواه الإمام أحمد[٧] ، عن أسود ، عن إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ عِيْسَى بنَ مَرْيَمَ ومُوسى وإبراهيمَ ، فأمّا عِيْسَى فأبْيَضُ جَعْدٌ عَرِيْضُ الصَّدْرِ . وأمّا مُوْسَى فآدَمُ جَسِيْمٌ » . قالُوا : فإبراهيمُ ؟ قال : « انظروا إلى صاحبكم » .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يونس ، حدّثنا شيبان قال : حدّث قتادة ، عن أبي العالية ، حدّثنا ابنُ عَمّ

---

(١) في ب : ذكر حج موسى . . . وصفته . وفي ط : حجته . . .
(٢) في ط : هشام ، خطأ بيّن .
(٣) مسند أحمد (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦) . وفي النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٦٠) ، ثنية هرشى : هي ثنية بين مكة والمدينة ، وقيل : هرشى جبل قرب الجحفة .
(٤) صحيح مسلم رقم (١٦٦) (٢٦٩) في الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ، وفرض الصلوات .
(٥) المعجم الكبير (١٢٥١٠) وفي إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف .
(٦) في مسنده (١/ ٢٧٧) .
(٧) المسند (١/ ٢٩٦) .

نبيّكم ابنُ عباس قال : قال نبي الله ﷺ : « رأيتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بي مُوْسَى بنَ عِمْرانَ رَجُلاً طوالاً جَعْداً كأنهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، ورَأيْتُ عِيْسَى بنَ مَرْيم مَرْبُوعَ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ والبَياضِ ، سَبطَ الرأسِ »(١) .

وأخرجاه(٢) من حديث قتادة ، به .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا مَعْمَر ، قال الزُّهري : وأخبرني سعيد بن المسيِّب ، عن أبي هُريرة قال : قال رسول الله ﷺ : حينَ أُسْرِي به : « لقيتُ مُوسَى » فَنعَتَهُ . فقالَ رَجُلٌ قالَ حسِبْتُه قال : مُضْطَرِبَ ـ يعني طويلاً ـ رَجْلَ الرأس ، كأنه من رجال شَنُوءَةَ . « وَلَقِيْتُ عِيْسَى » . فَنَعَتَهُ رسولُ الله ﷺ فقال : « رَبعةٌ أحمر كأنّما خَرَجَ مِنْ دِيماسٍ » يعني : حماماً . قال : « ورأيتُ إبْراهِيْمَ وأنا أشْبَهُ وَلَدِهِ به » . . الحديث(٣) .

وقد تقدَّم غالبُ هذه الأحاديث في ترجمة الخليلِ(٤) .

***

ذكر
وفاته عليه السّلام

قال البخاري في « صحيحه » : (وفاة موسى عليه السلام) .

حدّثنا يحيى بن موسى ، حدّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : أُرسِل مَلَكُ الموتِ إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صَكَّهُ(٥) . فرجع إلى ربّه عز وجل فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، قال : ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بما غطّت يدُه بكلِّ شعرة سَنة . قال : أيْ رب ، ثمّ ماذا ؟ قال : ثمّ الموت . قال : فالآن ، قال : فسأل اللهَ عزَّ وجَلَّ أن يدنيه من الأرض المقدّسة رميةً بِحَجر . قال أبو هريرة فقال رسول الله ﷺ « فَلو كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُم قَبْرَهُ إلى جَانِبِ الطَّرِيْقِ عِنْدَ الكَثِيْبِ الأحْمَرِ »(٦) .

قال : وأخبرنا معمر ، عن همّام ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ نحوه .

---

(١) المسند (١/ ٢٤٥) . والسبط هو المسترسل ، ليس فيه تكسر .

(٢) صحيح مسلم رقم (١٦٥) في الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ وهو عند البخاري : برقم (٣٤٣٠) في الأنبياء ، باب قول الله تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ من حديث مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) المسند (٢/ ٢٨٢) .

(٤) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٥) صكّه : ضربه ودفعه .

(٦) صحيح البخاري رقم (٣٤٠٧) في الأنبياء ، باب وفاة موسى وذكره بعده .

وقد روى مسلم[١] الطريق الأول من حديث عبد الرزاق ، به .

ورواه الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، وسيأتي[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا الحسن ، حدّثنا ابن لَهِيْعَة ، حدّثنا أبو يونس ـ يعني سليم بن جبير ـ عن أبي هريرة . قال الإمام أحمد : لم يرفعه . قال : جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال : أجب ربك . فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها . فرجَع الملك إلى الله عز وجل فقال : إنك بعثتني إلى عبد لك لا يريد الموت . قال : وقد فقأ عيني . قال : فرد الله عينَه وقال : ارجع إلى عبدي فقل له ألحياةَ تُريد ؟ فإنْ كنتَ تريدُ الحياةَ فضع يدَك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة . قال : ثمّ مَهْ ؟ قال : ثمّ الموت . قال : فالآن يا ربِّ من قريب . تفرّد به أحمد[٣] ، هو موقوف بهذا اللفظ .

وقد رواه ابن حِبان في « صحيحه »[٤] من طريق معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة . قال معمر : وأخبرني من سمع الحسن عن رسول الله ، فذكره ، ثمّ استشكله ابن حِبّان ، وأجاب عنه بما حاصله : أن ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه لمجيئه له على غير صورة يعرفها موسى عليه السلام كما جاء جبريل في صورة أعرابي ، وكما وردت الملائكة على إبراهيم ولوط في صورة شباب فلم يعرفهم إبراهيم ولا لوط أولاً ، وكذلك موسى لعلّه لم يعرفه لذلك ولطمه ففقأ عينه ؛ لأنه دخل داره بغير إذنه . وهذا موافق لشريعتنا في جواز فقء عين من نظر إليك في دارك بغير إذن[٥] .

ثمّ أورد الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « جاءَ مَلَكُ المَوْتِ إلى مُوسَى لِيَقْبِضَ رُوحَه قال له: أَجِبْ رَبَّك. فَلَطَم مُوسى عينَ مَلَكِ الموْتِ فَفَقَأَ عَيْنَه » ، وذكر تمام الحديث كما أشار إليه البخاري ، ثمّ تأوّله على أنه لما رفع يده ليلطمه قال له : أجب ربّك ، وهذا التأويل لا يتمشّى على ما ورد به اللفظ من تعقيب قوله : أجب ربك ، بلطمه ولو استمر على الجواب الأول لتمشّى له وكأنّه لم يعرفه في تلك الصورة ، ولم يحمل قوله هذا على أنّه مطابق إذ لم يتحقق في الساعة الراهنة أنّه ملَك كريم ؛ لأنه كان يرجو أموراً كثيرة كان يحب وقوعها في حياته من خروجهم من التيه ، ودخولهم الأرض المقدّسة ، وكان قد سبق في قدر[٦] الله

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٣٧٢) في الفضائل ، باب فضائل موسى ﷺ .
(٢) وهو في المسند (٢/ ٢٦٩) .
(٣) المسند (٢/ ٣٥١) .
(٤) ابن حبان (٦٢٢٤) .
(٥) قوله : وهذا موافق . . . بغير إذن . سقط من ب .
(٦) في ط : « قدرة » . والحديث ذكره التبريزي في مشكاة المصابيح برقم (٥٧١٣) . وقال : متفق عليه .

أنّه عليه السلام يموت في التيه بعد هارون أخيه ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى .

وقد زعم بعضهم أن موسى عليه السلام هو الذي خرج بهم من التيه ودخل بهم الأرض المقدّسة . وهذا خلاف ما عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين . ومما يدلّ على ذلك قوله لما اختار الموتَ : ربّ أدنني إلى الأرض المقدّسة رميةً بحجر . ولو كان قد دخلها لم يسأل ذلك ، ولكن لما كان مع قومه بالتيه وحانت وفاته عليه السلام أحبَّ أن يتقرّب إلى الأرض التي هاجر إليها ، وحثّ قومه عليها ، ولكن حال بينهم وبينها القدر رميةً بحجر ، ولهذا قال سيد البشر ، ورسول الله إلى أهل الوبر والمدر[١] : « فلو كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُم قَبْرَهُ عِنْدَ الكَثِيْبِ الأحْمرِ » .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عفان ، حدّثنا حمّاد ، حدّثنا ثابت وسليمان التَّيْمي ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لما أُسْرِيَ بي مَرَرْتُ بموسَى وهُو قائِمٌ يُصَلّي في قَبْرِهِ عِنْدَ الكَثِيْبِ الأَحْمَرِ »[٢] .

ورواه مسلم من حديث حمّاد بن سلمة[٣] ، به .

وقال السدّي عن أبي مالك وأبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة عن ابن مسعود ، وعن ناسٍ من الصحابة قالوا: ثم إن الله تعالى أوحى إلى موسى: إني متوفٍّ هارون فائْتِ به جبل كذا وكذا. فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا هم بشجرة لم يُرَ شجرةٌ مثلها، وإذا هم ببيتٍ مبني، وإذا هم بسريرٍ عليه فرش، وإذا فيه ريحٌ طيبةٌ، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه ، قال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير ، قال له موسى : فنم عليه قال : إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب عليّ ، قال له : لا ترهب ، أنا أكفيك ربَّ هذا البيت ، فنم . قال : يا موسى نم معي فإن جاء ربّ هذا البيت غضب عليّ وعليك جميعاً . فلما ناما أخذ هارونَ الموتُ فلما وجدَ حسّه قال : يا موسى خدعتني . فلما قُبض رُفع ذلك البيت، وذهبت تلك الشجرة، ورفع السرير به إلى السماء ، فلما رجع موسى إلى قومه وليس معه هارون قالوا : فإن موسى قتل هارون ، وحسده حب بني إسرائيل له ، وكان هارون أكفَّ عنهم وأليَنَ لهم من موسى ، وكان في موسى بعضُ الغلظة عليهم ، فلما بلغه ذلك قال لهم : ويحكم كان أخي أفتروني أقتله ؟ فلما أكثروا عليه ، قام فصلّى ركعتين ثمّ دعا اللهَ فنزل السريرُ حتى نظروا إليه بين السماء والأرض .

ثمّ إن موسى عليه السلام بينما هو يمشي ويوشَع فتاه إذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر إليها [يوشع][٤] ظن أنها الساعة ، فالتزم موسى وقال : تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبيّ الله ، فاستل[٥] موسى عليه السلام

---

(١) المدر : الطين اليابس . ويراد به أهل المدينة الذين يبنون بيوتهم به .
(٢) المسند (٣/ ٢٤٨) .
(٣) صحيح مسلم رقم (٢٣٧٥) في الفضائل ، باب من فضائل موسى ﷺ .
(٤) زيادة من ط ، وتاريخ الطبري .
(٥) في ب : فانسل .

من تحت القميص ، وترك القميص في يدي يوشع . فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل وقالوا : قتلت نبي الله ؟ فقال : لا والله ما قتلته ولكنه استل مني . فلم يصدّقوه وأرادوا قتله ، قال : فإذا لم تصدقوني فأخّروني ثلاثة أيام ، فدعا الله ، فأُتي كلّ رجلٍ ممن كان يحرسه في المنام ، فأُخبر أن يوشع لم يقتل موسى ، وإنّا قد رفعناه إلينا ، فتركوه ولم يبق أحد ممن أبى أن يدخل قرية الجبارين مع موسى إلا مات ، ولم يشهد الفتح(١) .

وفي بعض هذا السياق نكارة وغرابة والله أعلم .

وقد قدّمنا أنه لم يخرج أحد من التيه ممن كان مع موسى سوى يوشع بن نون ، وكالب بن يوقنا ، وهو زوج مريم أخت موسى وهارون ، وهما الرجلان المذكوران فيما تقدم ، اللذان أشارا على ملأ بني إسرائيل بالدخول عليهم .

وذكر وهب بن منبه أن موسى عليه السلام مرّ بملأٍ من الملائكة يحفرون قبراً ، فلم يَرَ أحسن منه ، ولا أنضر ، ولا أبهج ، فقال : يا ملائكةَ الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ فقالوا : لعبد من عباد الله كريم ، فإن كنت تحب أن تكون هذا العبد فادخل هذا القبر ، وتمدد فيه ، وتوجّه إلى ربك ، وتنفَّس أسهل تنفسٍ ، ففعل ذلك فمات صلوات الله وسلامه عليه فَصَلَّتْ عليه الملائكة ودفنوه(٢) .

وذكر أهل الكتاب وغيرُهم أنه مات وعمره مئة وعشرون سنةً .

وقد قال الإمام أحمد(٣) : حدّثنا أمية بن خالد ويونس قالا : حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال يونس : رفع هذا الحديث إلى النبي ﷺ قال : « كان مَلَكُ الموتِ يأتي الناسَ عِياناً ، قال : فأتى مُوسَى عَليه السلامُ ، فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ ، فأتى رَبَّه فقال : يا رَبّ عَبْدُك مُوسَى فَقَأ عَيْني ولولا كَرامَتُهُ عَلَيْكَ لَعَتِبْتُ عَلَيْه(٤) » . وقال يونس : « لشققتُ عليه » . قال له : « اذْهَب إلى عَبدي ، فَقُلْ له فَلْيَضَع يَدَه على جلد (أو مسْك) ثور فَلَه بكُل شَعْرَةٍ وَارَتْ يَدُهُ سَنَةٌ ، فأتاه فقال له ، فقال : ما بعد هذا ؟ قال : الموت . قال : فالآن . قال : فشمه شمة فَقَبَضَ رُوْحَه » . قال يونس : فردّ الله عليه عينه ، وكان يأتي الناس خفية .

وكذا رواه ابن جرير(٥) عن أبي كريب عن مُصعب بن المقدام عن حمّاد بن سلمة، به، فرفعه أيضاً(٦) .

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) .

(٢) تاريخ الطبري (١/ ٤٣٣) .

(٣) في المسند (٢/ ٥٣٣) .

(٤) هكذا في الأصول ، وفي مسند أحمد : « لعَنَّفْتُ به » وهو أحسن .

(٥) في تاريخه (١/ ٤٣٤) .

(٦) في هذا الحديث مقال من وجهين : الأول أنه قد اختلف في رفعه ووقفه، والثاني : نكارة عبارة : «كان ملك الموت يأتي الناس عياناً» وهي مما تفرد بها حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار، ولكل من هذين الراويين بعض ما يُستنكر كما هو معروف من ترجمتيهما .

ذكر
نبوّة يوشع وقيامه بأعبَاء بني إسرَائيل بعد موسى وهارون عليهم السلام[(١)]

هو يوشع بن نون بن أفراييم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام[(٢)] .

وقد ذكره الله تعالى في القرآن غيرَ مُصرّح باسمه في قصّة الخضرِ ، كما تقدم من قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ﴾ وقدّمنا[(٣)] ما ثبت في الصحيح من رواية أُبي بن كعب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : من أنه يوشع بن نون ، وهو متفق على نبوّته عند أهل الكتاب ، فإن طائفة منهم ـ وهم السامرة ـ لا يقرّون بنبوّة أحدٍ بعد موسى إلا يوشع بن نون ، لأنه مصرّح به في التوراة ، ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق من ربّهم ، فعليهم لعائن الله البالغة[(٤)] إلى يوم القيامة .

وأما ما حكاه ابن جرير وغيره من المفسرين ، عن محمد بن إسحاق من أن النبوة[(٥)] حُولت من موسى إلى يوشع في آخر عمر موسى ، فكان موسى يلقى يوشَع فيسأله ما أحدث الله من الأوامر والنواهي حتى قال له : يا كليم الله ، إني كُنت لا أسألك عما يوحي الله إليك حتى تخبرني أنت ابتداءً من تلقاء نفسك ، فعند ذلك كره موسى الحياة وأحب الموت[(٦)] ، ففي هذا نظر ، لأن موسى عليه السلام لم يزل الأمر ، والوحي ، والتشريع ، والكلام من الله إليه من جميع أحواله حتى توفّاه الله عزّ وجلّ ، ولم يزل معزّزاً مكرّماً مدلّلاً وجيهاً عند الله ، كما قدّمنا في الصحيح من قصّة فقْئه عَين مَلك الموت ، ثمَّ بعثه الله إليه إن كان يريد الحياة فليضع يده على جلد ثور فله بكلِّ شعرة وارَتْ يدُه سنةٌ يعيشها ، قال : ثمّ ماذا ؟ قال : الموت . قال : فالآن يا رب . وسأل الله أن يُدنيه إلى بيت المقدس رميةً بحجر ، وقد أجيب إلى ذلك صلوات الله وسلامه عليه[(٧)] .

فهذا الذي ذكره محمد بن إسحاق إن كان إنّما يقوله من كتب أهل الكتاب ، ففي كتابهم الذي يسمونه التوراة : أن الوحي لم يزل ينزل على موسى في كلّ حينٍ يحتاجون إليه إلى آخر مدّة موسى ، كما هو المعلوم من سياق كتابهم عند تابوت الشهادة في قبّة الزمان .

---

(١) قوله : ذكر عليهم السلام ليس في ط . وفي ب : عليهما . .
(٢) زاد في ب : وأهل الكتاب يقولون : يشوع بن عم هود . وفي ط : وأهل كتاب . . . يوشع بن عم هود .
(٣) ص (٨٦) من هذا الجزء . في (ذكر قصة موسى والخضر) .
(٤) في ط : المتتابعة .
(٥) زاد في أ هنا : من أن التوراة .
(٦) تاريخ الطبري (١/ ٤٣٣) وما بعدها .
(٧) هكذا في الأصل، وهذه القطعة التي أشار إليها المصنف ليست في صحيح البخاري وإنما تفرد بها مسلم من حديث سليمان التيمي عن أنس فأخرجها في أحاديث الأنبياء من صحيحه (٢٣٧٥)، فلعل صواب العبارة: «وقد ثبت في الصحيح في أحاديث الإسراء أن رسول الله ﷺ مر بموسى وهو قائم يصلي في قبره؛ رواه مسلم عن أنس» ، وإلا فإن ما ذكر غير صحيح .

وقد ذكروا في السفر الثالث[١] : أن الله أمر موسى وهارون أن يعدّا بني إسرائيل على أسباطهم ، وأن يجعلا على كلِّ سبطٍ من الاثني عشر أميراً ـ وهو النقيب ـ[٢] وما ذاك إلّا ليتأهبوا للقتال قتال الجبارين عند الخروج من التيه ، وكان هذا عند اقتراب انقضاء الأربعين سنةً . ولهذا قال بعضهم : إنما فقأ موسى عليه السلام عين ملَك الموت لأنه لم يعرفه في صورته تلك ، ولأنه كان قد أُمر بأمر كان يرتجي وقوعه في زمانه ، ولم يكن في قَدَر الله أن يقع ذلك في زمانه بل في زمان فتاه يوشع بن نون عليه السلام ، كما أن رسول الله ﷺ كان قد أراد غزو الروم بالشام ، فوصل إلى تبوك ثمَّ رجع عامه ذلك في سنة تسعٍ . ثمّ حجّ في سنة عشر ، ثمّ رجع فجهَّز جيش أسامة إلى الشام طليعة بين يديه ، ثمّ كان على عزم الخروج إليهم امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] . ولما جهّز رسولُ الله جيشَ أسامة توفي عليه الصلاة والسلام وأسامة مخيِّم بالجُرْفِ[٣] ، فَنَفَّذَهُ صِدِّيقُه وخليفته أبو بكر الصدّيق[٤] رضي الله عنه . ثمّ لمّا لمّ شعث جزيرة العرب ، وما كان وهَى من أمر أهلها ، وعاد الحقّ إلى نصابه ، جهّز الجيوش يمنةً ويسرةً إلى العراق أصحاب كسرى ملك الفرس ، وإلى الشام أصحاب قيصر ملك الروم ، ففتح الله لهم ، ومكّن لهم وبهم ، وملّكهم نواصي أعدائهم ، كما سنورده في موضعه إذا انتهينا إليه مفصّلاً إن شاء الله ، بعونه وتوفيقه وحسن إرشاده .

وهكذا موسى عليه السلام كان الله تعالى قد أمره أن يجنّد بني إسرائيل ، وأن يجعل عليهم نقباء كما قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ وقال الله : ﴿ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ١٢] يقول لهم : لئن قمتم بما أوجبت عليكم ، ولم تَنْكِلُوا عن القتال كما نَكَلتم أوّلَ مرة ، لأجعلن ثواب هذه مكفراً لما وقع عليكم من عقاب تلك ، كما قال تعالى لمن تخلّف من الأعراب عن رسول الله ﷺ في غزوة[٥] الحديبية : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٦] .

---

(١) في سفر العدد ، وهو الرابع ، الإصحاح الأول .
(٢) قوله : وهو النقيب . زيادة من ب وط .
(٣) موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .
(٤) انظر ما قاله المؤلف في خبر (تنفيذ جيش أسامة بن زيد) من هذا الكتاب . ومطلع حديثه من أخبار سنة (١٣هـ) .
(٥) في ب : عمرة . ويقال : غزوة الحديبية ، وعمرة الحديبية ، لأن رسول الله ﷺ إنما كان قصده العمرة .

وهكذا قال تعالى لبني إسرائيل[١] : ﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ . ثمّ ذمهم تعالى على سوء صنيعهم ونقضهم مواثيقهم ، كما ذمّ مَن بعدهم من النصارى على اختلافهم في دينهم وأديانهم . وقد ذكرنا ذلك في « التفسير » مستقصى ولله الحمد[٢] .

والمقصود أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يكتب أسماء المقاتلة من بني إسرائيل ممن يحمل السلاح ويقاتل ممن بلغ عشرين سنة فصاعداً ، وأن يجعل على كلّ سِبطٍ نقيباً منهم .

السبط الأول : سبط روبيل[٣] لأنه بِكر يعقوب ، كان عدّة المقاتلة منهم ستة وأربعين ألفاً وخمسمئة ، ونقيبهم منهم وهو أليصور بن شَدَيْئُور[٤] .

السبط الثاني : سبط شمعون ، وكانوا تسعة وخمسين ألفاً[٥] ، ونقيبهم شلوميئيل بن صُوريشَدَّاي[٦] .

السبط الثالث : سبط يهوذا ، وكانوا أربعة وسبعين ألفاً وستمئة ، ونقيبهم نحشون بن عَمِّيناداب .

السبط الرابع : سبط إيساخر[٧] ، وكانوا أربعة وخمسين ألفاً وأربعمئة ، ونقيبهم نثنائيل بن صوغر[٨] .

السبط[٩] الخامس : سبط يوسف عليه السلام ، وكانوا أربعين ألفاً وخمسمئة ، ونقيبهم يوشع بن نون[١٠] .

السبط السادس : سبط ميشا ، وكانوا أحداً[١١] وثلاثين ألفاً ومئتين ونقيبهم جمليئيل بن فدهصور[١٢] .

السبط السابع : سبط بنيامين ، وكانوا خمسة وثلاثين ألفاً وأربعمئة ونقيبهم أبيدن بن جِدعون .

السبط الثامن : سبط جاد ، وكانوا خمسة وأربعين ألفاً وستمئة وخمسين رجلاً ، ونقيبهم أَلياساف بن دعوئيل .

---

(١) قوله : لبني إسرائيل . زيادة من ب وط .
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤) .
(٣) في التوراة : رأوبين .
(٤) كذا في ط . والتوراة . وفي أ وب : أليضون بن سادور .
(٥) زاد في ط : وثلاثمئة . وهي في التوراة أيضاً .
(٦) كذا في التوراة ، وفي أ وب : ساموال بن صورشدي . وفي ط : هو ريشداي .
(٧) في التوراة : يسَّاكر .
(٨) كذا في التوراة ، وط . وفي أ وب : شال بن صاعون .
(٩) قوله : السبط . زيادة من ب وط .
(١٠) في التوراة : لابني يوسف : لافراييم ؛ أليشمَع بن عمّيهود . ولمنسَّى : جمليئيل بن مذهصور .
(١١) في التوراة : اثنان وثلاثون .
(١٢) في أ وب : يرضون .

السبط التاسع : سبط أَشِير ، وكانوا أحداً وأربعين ألفاً وخمسمئة ونقيبهم فجعيئيل بن عُكْرَن[١] .

السبط العاشر : سبط دان ، وكانوا اثنين وستين ألفاً وسبعمئة ونقيبهم أَخِيعَزَر ابن عَمّيشدّاي[٢] .

السبط الحادي عشر : سبط نفتالي وكانوا ثلاثة وعشرين[٣] ألفاً وأربعمئة ونقيبهم أخيرَع بن عينن[٤] .

السبط الثاني عشر : سبط زبولون[٥] ، وكانوا سبعة وخمسين ألفاً وأربعمئة ، ونقيبهم أَلياب بن حِيلون[٦] . هذا نص كتابهم الذي بأيديهم والله أعلم .

وليس منهم بنو لاوي . فأمر الله موسى أن لا يعدَّهم معهم لأنّهم موكّلون بحمل قُبة الشهادة ، وضربها ، ونصبها ، وحملها إذا ارتحلوا ، وهو سبط موسى وهارون عليهما السلام ، وكانوا اثنين وعشرين ألفاً من ابن شَهْرٍ فما فوق ذلك . وهم في أنفسهم قبائل إلى كلِّ قبيلة طائفة من قبة الزمان يحرسونها ، ويحفظونها ، ويقومون بمصالحها ، ونصبها وحملها ، وهم كلّهم حولها ينزلون ويرتحلون أمامها ويمنتها وشأمتها[٧] ووراءها .

وجملة ما ذكر من المقاتلة غير بني لاوي خمسمئة ألف وأحد وسبعون ألفاً وستمئة وخمسون[٨] ، لكن قالوا : فكان عدد بني إسرائيل ممن عمره عشرون سنة فما فوق ذلك ممن حمل السلاح ستمئة ألف وثلاثة آلاف وخمسمئة وخمسين[٩] رجلاً سوى بني لاوي ، وفي هذا نظر ، فإن جميع الجمل المتقدّمة إن كانت كما وجدنا في كتابهم[١٠] لا تطابق الجملة التي ذكروها . والله أعلم .

فكان بنو لاوي الموكّلون بحفظ قبّة الزمان يسيرون في وسط بني إسرائيل وهم القلب ، ورأس الميمنة بنو روبيل، ورأس الميسرة بنو دان، وبنو نفتالي يكونون ساقة[١١] . وقَرَّر موسى عليه السلام بأمر الله تعالى

---

(١) كذا في ط . والتوراة . وفي أ وب مخابيل بن عجران .
(٢) كذا في ط . والتوراة . وفي أ : جعيدر بن عيشدي . وفي ب : جعيدر بن عمشيد .
(٣) في ط : وخمسي ، وهي كذلك في التوراة .
(٤) كذا في التوراة . وفي أ وب : أخدع بن عنيان . وفي ط : عين .
(٥) كذا في ط . التوراة . وفي أ وب : زايلون .
(٦) في أ . الباب بن جالون . وفي ب . بإليان بن جالون . وفي ط : ألباب . وأثبتنا ما في التوراة .
(٧) في ط : وشمالها . والشأمة : الميسرة . وقال : قعد فلان يمنة ، وقعد فلان شأمة . اللسان .
(٨) في ط : خمسمئة ألف وأحد وسبعون ألفا وست مئة وست وخمسون . وهذا الرقم الذي ورد أقل من مجموع ما ذكر مفصلاً قبل قليل .
(٩) هذا ما ورد في التوراة . وفي ب : ألف ألف وثلاثة آلاف وخمس مئة وخمسين . وفي ط : ... وخمسة وخمسين .
(١٠) بل ليست مطابقة لما في المطبوع من التوراة اليوم .
(١١) في ب : يلتقون : ساقة . والساقة : مؤخرة الجيش .

له الكهانة في بني هارون كما كانت لأبيهم من قبلهم وهم ناداب وهو بِكره وأبيهو والعازر ويثمر[١] .

والمقصود أن بني إسرائيل لم يبق منهم أحد ممن كان نكل عن دخول مدينة الجبارين الذين قالوا : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] قاله الثوري : عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . وقاله قتادة وعكرمة . ورواه السُّدّي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة ، حتى قال ابن عباس وغيره من علماء السلف والخلف : ومات موسى وهارون قبله كلاهما في التيه جميعاً[٢] .

وقد زعم ابن إسحاق أن الذي فتح بيت المقدس هو موسى ، وإنما كان يوشع على مقدّمته ، وذكر في مروره إليها قصّة بلعام بن باعور الذي قال تعالى فيه : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ـ ١٧٧] وقد ذكرنا قصته في « التفسير »[٣] ، وأنّه كان فيما قاله ابن عباس وغيرُه يعلم الاسم الأعظم ، وأن قومه سألوه أن يدعو على موسى وقومه فامتنع عليهم ، ولما ألحّوا عليه ركب حمارة له . ثمّ سار نحو معسكر بني إسرائيل ، فلما أشرف عليهم ربضت به حمارته ، فضربها حتى قامت ، فسارت غير بعيد وربضت ، فضربها ضرباً أشدّ من الأول ، فقامت ثمّ ربضت ، فضربها ، فقالت له : يا بلعام أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة أمامي تردّني عن وجهي هذا ! أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلم ينزع عنها فضربها حتى سارت به ، حتى أشرف عليهم من رأس جبل حُسْبان ، ونظر إلى معسكر موسى وبني إسرائيل فأخذ يدعو عليهم ، فجعل لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه ، فلاموه على ذلك ، فاعتذر إليهم بأنه لا يجري على لسانه إلا هذا ، واندلع لسانُه حتى وقع على صدره ، وقال لقومه : ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ، ولم يبق إلا المكر والحيلة . ثمّ أمر قومه أن يزيّنوا النساء ويبعثوهن بالأمتعة يبعن عليهم ويتعرضن لهم ، حتى لعلّهم يقعون في الزنا فإنه متى زنى رجلٌ منهم كُفيتموهم ، ففعلوا وزينّوا نساءهم وبعثوهن إلى المعسكر ، فمرّت امرأة منهم اسمها كُسْتَى برجل من عظماء بني إسرائيل وهو زَمري بن شَلوم ، يقال : إنه كان رأس سبط بني شمعون بن يعقوب ، فدخل بها قُبّته ، فلما خلا بها أرسل الله الطاعون على بني إسرائيل ، فجعل يجوس[٤] فيهم ، فلما بلغ الخبر إلى فنحاص بن العيزار بن هارون

---

(١) في التوراة : إيثاما .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٤) وما بعدها .

(٤) يجوس : يتردد ويتنقل .

أخذ حربته ـ وكانت من حديد ـ فدخل عليهما القُبَّةَ ، فانتظمهما جميعاً فيها ، ثمّ خرج بهما على الناس ، والحربة في يده ، وقد اعتمد على خاصرته ، وأسندها إلى لحيته ، ورفعهما نحو السماء ، وجعل يقول : اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ، ورُفع الطاعونُ .

فكان جملة من مات في تلك الساعة سبعين ألفاً ، والمقلِّلُ يقول : عشرون ألفا . وكان فنحاص بكر أبيه العيزار بن هارون ، فلهذا يجعل بنو إسرائيل لولد فنحاص من الذبيحة أليته والذراع واللحى ، ولهم البكر من كلِّ أموالهم وأنفسهم .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصّة بلعام صحيح ، قد ذكره غير واحد من علماء السّلف . لكن لعلّه لما أراد موسى دخول بيت المقدس [أول مقدمه من الديار المصرية ، ولعلّه مراد ابن إسحاق ، ولكن ما فهمه بعض الناقلين عنه . وقد قدّمنا عن نص التوراة ما يشهد لبعض هذا والله أعلم . أو لعلّ هذه قصة أخرى كانت في خلال سيرهم في التيه ، فإن في هذا السياق ذكر حُسبان وهي بعيدة عن أرض بيت المقدس ، أو لعلّه كان هذا بجيش موسى الذين عليهم يوشع بن نون حين خرج بهم من التيه قاصداً بيت المقدس] كما صرح به السُّدِّي . والله أعلم .

وعلى كلّ تقدير فالذي عليه الجمهور أن هارون توفي بالتيه قبل موسى أخيه بنحو من سنتين . وبعده موسى في التيه أيضاً كما قدّمنا ، وأنه سأل ربّه أن يقرب إلى بيت المقدس فأجيب إلى ذلك . فكان الذي خرج بهم من التيه ، وقصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام ، فذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ أنه قطع ببني إسرائيل نهر الأردن وانتهى إلى أريحا ، وكانت من أحصن المدائن سوراً ، وأعلاها قصوراً ، وأكثرها أهلاً ، فحاصرها ستة أشهر . ثمّ إنهم أحاطوا بها يوماً وضربوا بالقرون ـ يعني الأبواق ـ وكبّروا تكبيرةَ رجلٍ واحدٍ ، فتفسّخ سورها ، وسقط وجبة واحدة ، فدخلوها ، وأخذوا ما وجدوا فيها من المغانم ، وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء ، وحاربوا ملوكاً كثيرةً .

ويقال : إن يوشع ظهر على أحدٍ وثلاثين ملكاً من ملوك الشام . وذكروا أنه انتهى محاصرته له إلى يوم جمعةٍ بعد العصر . فلما غربت الشمس أو كادت تغرب ويدخل عليهم السبت الذي جعل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان ، قال لها : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها عليَّ ، فحبسها الله عليه حتى تمكّن من فتح البلد ، وأمر القمر فوقف عن الطلوع ، وهذا يقتضي أن هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر .

والأول ، وهو قضية الشمس ، مذكورة في الحديث الذي سأذكره . وأما قضية القمر فمن عند أهل الكتاب ، ولا ينافي الحديث ، بل فيه زيادة تستفاد فلا تُصدق ولا تُكذب ، ولكن ذكرهم أن هذا في فتح أريحا فيه نظر ، والأشبه ـ والله أعلم ـ أن هذا كان في فتح بيت المقدس الذي هو المقصود الأعظم ، وفتح أريحا كان وسيلة إليه . والله أعلم .

قال الإمام أحمد: حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا أبو بكر ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الشَّمسَ لم تُحْبَسْ لِبَشرٍ إلاّ لِيوشَع لَيالِيَ سَارَ إلى بَيْتِ المقْدِس »[١] . انفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط البخاري . وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام ، لا موسى ، وأن حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا أريحا كما قلنا . وفيه أن هذا كان من خصائص يوشَع عليه السلام ، فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه أن الشمس رجعت حتى صلى علي بن أبي طالب صلاة العصر بعد ما فاتته بسبب نوم النبي ﷺ على ركبته ، فسأل رسول الله أن يردّها عليه حتى يصلّي العصر فرجعت[٢] . وقد صححه أحمد بن صالح المصري[٣] ، ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان ، وهو مما تتوفر الدواعي على نقله . وتفرّدت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « غزا نبيٌّ مِنَ الأنبياءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ : لا يَتْبَعني رَجُلٌ قد مَلكَ بُضْعَ امرأةٍ وهُو يُريدُ أن يَبْنيَ بها ولَمَّا يَبْنِ ، ولا آخرُ قَدْ بَنَى بنياناً ولم يَرْفَع سُقُفَها ، ولا آخرُ قَدِ اشْتَرى غنماً أو خَلِفاتٍ[٤] وهو يَنْتَظِرُ أولادَها . فغزا فدنا منَ القَريةِ حِينَ صُلي العصر أو قريباً من ذلكَ ، فقال للشمسِ : أنتِ مأمورةٌ وأنا مأمورٌ ، اللهم احْبِسْها عَلَيَّ شَيئاً ، فَحُبِسَتْ عَلَيه حتّى فَتحَ اللهُ عليه ، فَجَمَعُوا ما غَنِموا فأتت النارُ لتأكُلَه ، فأبت أنْ تطعمَه ، فَقالَ : فِيْكُم غُلُولٌ[٥] فلْيبايِعْني مِن كُلِّ قَبيلةٍ رَجُلٌ ، فبايعوهُ ، فلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بيدِهِ ، فقالَ : فيكُمُ الغُلُولُ ، ولْتُبايعني قبيلَتُكَ ، فبايعَتْهُ قبيلَتُه ، فلَصِقَ بيدِ رَجُلَين أو ثلاثةٍ ، فقالَ: فيكُم الغُلولُ ، أنتم غَللتم ، فأخْرَجُوا له مثلَ رأسِ بَقَرةٍ من ذهب ، قالَ : فوضَعُوه بالمالِ وهو بالصَّعِيْد ، فأقبلتِ النارُ فأكَلَتْهُ ، فلم تحلَّ الغنائمُ لأحَدٍ مِنْ قَبْلنا ، ذلك بأنّ الله رأى ضَعْفَنا وَعَجْزَنا فطيَّبَها لَنا » . انفرد به مسلم[٦] من هذا الوجه[٧] .

---

(١) المسند (٢/ ٣٢٥) .

(٢) الحديث في شرح الزرقاني (٥/ ١١٣) ومشكل الآثار (٢/ ٨) والشفا (١/ ٥٤٨) وفي الحديث كلام. انظر شرح الزرقاني.

(٣) في أ : علي بن صالح المصري ، والصواب ما أثبتناه فهو أحمد بن صالح المصري أبو جعفر الحافظ المعروف بابن الطبري كان أبوه من أهل طبرستان، ولد بمصر (١٧٥هـ) وتوفي فيها (٢٤٨هـ). قال ابن حبان في كتاب الثقات : كان أحمد بن صالح في الحديث وحفظه عند أهل مصر كأحمد بن حنبل عند أهل العراق . تهذيب التهذيب (١/ ٣٩).

(٤) رواه أحمد (٢/ ٣١٨) والخَلِفَات : جمع خلفة ، وهي الحامل من النوق .

(٥) الغُلول : الخيانة في المغنم ، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة .

(٦) هو في مسند أحمد (٢/ ٣١٨) كما قال في بداية الحديث . وأخرجه مسلم أيضاً كما قال هنا ، رقم (١٧٤٧) في الجهاد والسير ، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة .

(٧) لعله يريد من حديث عبد الرزاق عن معمر ، وإلا فإن البخاري أخرجه من حديث عبد الله بن المبارك عن معمر به (٣١٢٤) و(٥١٥٧) .

وقد روى البزار من طريق مبارك بن فضالة ، عن عبيد الله ، عن سعيد المقْبُري ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ نحوه[١] ، قال : ورواه محمد بن عجلان عن سعيد المقبري[٢] . قال : ورواه قتادة ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ[٣] .

والمقصود أنّه لما دخل بهم باب المدينة أُمروا أن يدخلوها سُجَّدا ، أي : ركّعا متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما مَنَّ به عليهم من الفتح العظيم الذي كان الله وعدهم إياه ، وأن يقولوا حال دخولهم : حِطّة ، أي : حط عنا خطايانا التي سلفت من نكولنا الذي تقدّم منا . ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم فتحها دخلها وهو راكب ناقَته ، وهو متواضعٌ حامدٌ شاكرٌ حتى أن عُثنونه ، وهو طرف لحيته ، ليمس مورك رحله مما يطأطىء رأسَه خضعاناً لله عز وجل ، ومعه الجنود والجيوش ممن لا يرى منه إلا الحدق ، ولا سيما الكتيبة الخضراء التي فيها رسول الله ﷺ ، ثمّ لما دخلها اغتسل وصلّى ثماني ركعات ، وهي صلاة الشكر على النصر على المنصور من قولي العلماء . وقيل : إنّها صلاة الضحى ، وما حمل هذا القائل على قوله هذا إلا لأنها وقعت وقت الضحى .

وأما بنو إسرائيل فإنهم خالفوا ما أُمروا به قولاً وفعلاً، دخلوا الباب يزحفون على أستاههم وهم يقولون: حبة في شعرة، وفي رواية: حنطة في شعرة. وحاصله أنّهم بدّلوا ما أُمروا به واستهزؤوا به، كما قال الله تعالى حاكياً عنهم في سورة الأعراف ، وهي مكية : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الآيتان : ١٦١ ـ ١٦٢] وقال تعالى في سورة البقرة ، وهي مدنية مخاطباً[٤] لهم : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [الآيتان : ٥٨ ـ ٥٩] .

وقال الثوري ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ قال : رُكّعاً من باب صغير . رواه الحاكم وابن جرير وابن أبي حاتم .

وكذا روى العوفي عن ابن عباس . وكذا روى الثوري عن ابن إسحاق عن البراء .

قال مجاهد والسدي والضحاك : الباب هو باب حطة من بيت إيلياء بيت المقدس .

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق مبارك بن فضالة ، به (٢/ ١٣٩) .

(٢) لم أقف عليه من هذا الوجه .

(٣) أخرجه النسائي في السير من سننه الكبرى (٨٨٧٨) ، وابن حبان (٤٨٠٧) .

(٤) تفسير الطبري (١/ ٢٣٨) .

قال ابن مسعود : فدخلوا مقنعي رؤوسهم ضد ما أُمروا به . وهذا لا ينافي قول ابن عباس إنهم دخلوا يزحفون على أستاههم . وهكذا في الحديث الذي سنورده بعدُ فإنّهم دخلوا يزحفون وهم مقنعوا رؤوسهم .

وقوله : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ الواو هنا حالية لا عاطفة ، أي : ادخلوا سُجَّداً في حال قولكم حطّة .

قال ابن عباس وعطاء والحسن وقتادة والربيع : أمروا أن يستغفروا[١] .

قال البخاري[٢] : حدّثنا محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن ابن المبارك ، عن مَعْمر ، عن همّام بن منبه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « قيلَ لِبَني إسْرائيلَ : ادْخُلوا البابَ سُجّداً ، وقُولُوا : حِطَّة ، فَدَخَلوا يَزْحَفُونَ عَلَى أسْتَاهِهِم ، فَبَدَّلُوا وقالُوا : حِطّة حَبة في شَعرة » .

وكذا رواه النسائي من حديث ابن المبارك ببعضه[٣] . ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن ابن مهدي ، به موقوفاً[٤] . وقد قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن همام بن منبّه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « قالَ اللهُ لِبني إسْرائيلَ : ادْخُلوا البابَ سُجَّدا وقُولُوا حِطَّة نغفرْ لَكم خَطَاياكُم ، فَبَدَّلوا فَدَخلوا البابَ يَزْحَفُونَ على أسْتَاهِهِم ، فقالوا : حَبّة في شَعرة » . ورواه البخاري[٥] ، ومسلم[٦] ، والترمذي ، من حديث عبد الرزاق ، وقال الترمذي[٧] : حسن صحيح .

وقال محمد بن إسحاق : كان تبديلهم كما حدّثني صالح بن كَيْسان ، عن صالح مولى التَّوْءَمة[٨] ، عن أبي هريرة وعمَّن لا أتَّهم ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « دَخَلوا البابَ الذي أُمِرُوا أن يَدْخُلوا فيه سُجَّداً يَزْحَفُونَ على أسْتَاهِهِم وهُم يقولُونَ : حِنْطة في شَعيرة »[٩] .

وقال أسباط ، عن السُّدي ، عن مُرة ، عن ابن مسعود قال في قوله : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ

---

(١) انظر تفسير الطبري (١/ ٢٣٨) .
(٢) صحيح البخاري رقم (٤٤٧٩) في تفسير سورة البقرة ، باب ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ . . ﴾ .
(٣) في تفسيره (١٠) ، وهو في الكبرى (١٠٩٩٠) .
(٤) في تفسيره (٩) ، وهو في الكبرى (١٠٩٨٩) .
(٥) صحيح البخاري رقم (٣٤٠٣) في الأنبياء ، باب (٢٨) ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ ، و(٤٦٤١) في التفسير .
(٦) صحيح مسلم رقم (٣٠١٥) في التفسير .
(٧) الترمذي رقم (٢٩٥٦) ، في التفسير ، باب ومن سورة البقرة .
(٨) هو صالح بن نبهان المدني ، مولى التَّوْءَمَة ، صدوق ، اختلط بأخرة . توفي سنة خمس أو ست وعشرين . وهو من رجال التهذيب .
(٩) تفسير الطبري (١/ ٢٤٠) .

﴿ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ قال : قالوا « هطي سمقاثا ازمه مزبا » فهي في العربية : (حَبَّة حِنْطَة حَمْراء مَثْقُوبة فيها شَعْرة سَوْداء)[١] .

وقد ذكر الله تعالى أنّه عاقبهم على هذه المخالفة بإرسال الرِّجْز الذي أنزله عليهم ، وهو الطاعون ، كما ثبت في « الصحيحين » من حديث الزهري عن عامر بن سعد[٢] ، ومن حديث مالك عن محمد بن المنْكَدِر وسالم أبي النضر[٣] ، عن عامر بن سعد ، عن أسامة بن زيد ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ هذا الوَجَع (أو السّقم) رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الأمَم قَبلَكم » .

وروى النسائي[٤] وابن أبي حاتم ـ وهذا لفظه ـ من حديث الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت قالوا : قال رسول الله ﷺ : « الطاعُونُ رِجْزٌ عَذابٌ عُذّبَ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم »[٥] .

وقال الضحاك عن ابن عباس : الرِّجْز : العذاب . وكذا قال مجاهد ، وأبو مالك ، والسدي ، والحسن ، وقتادة . وقال أبو العالية : هو الغضب .

وقال الشعبي : الرِجْز : إمّا الطاعون ، وإما البرد .

وقال سعيد بن جبير : هو الطاعون .

ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه وهو ابن مئة وسبع وعشرين سنة ، فكان مدةُ حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة .

***

(١) المصدر السابق (١/ ٢٤١) .
(٢) أخرجه البخاري في ترك الحيل من صحيحه (٦٩٧٤) من حديث شعيب عن الزهري ، به ، وأخرجه مسلم من حديث يونس ومعمر عن الزهري (٢٢١٨) (٩٦) .
(٣) أخرجه البخاري في ذكر بني إسرائيل من صحيحه (٣٤٧٣) ، ومسلم (٢٢١٨) (٩٢) .
(٤) في الطب من سننه الكبرى (٧٥٢٣) .
(٥) قصَّر المصنف رحمه الله في تخريج هذه الطريق ، فقد رواه مسلم من حديث الثوري ، به (٢٢١٨) (٩٧) .

ذكر قصتي
الخضر وإلياس عليهما السلام

أما الخَضر فقد تقدّم أن موسى عليه السلام رحل إليه في طلب ما عنده من العلم اللَّدُنّي ، وقصّ الله من خبرهما في كتابه العزيز في سورة الكهف ، وذكرنا في تفسير ذلك هنالك ، وأوردنا هنا ذكر الحديث المصرّح بذكر الخضر عليه السلام وأن الذي رحل إليه هو موسى بن عمران نبي بني إسرائيل عليه السلام الذي أنزلت عليه التوراة .

وقد اختلف في الخضر في اسمه ونسبه ونبوته وحياته إلى الآن على أقوال سأذكرها لك هاهنا ، إن شاء الله وبحوله وقوته .

قال الحافظ ابن عساكر : يقال : إنّه الخضر بن آدم عليه السلام لصلبه . ثمّ روى من طريق الدارقُطني : حدّثنا محمد بن الفتح القَلانِسي(١) ، حدّثنا العباس بن عبد الله التَّرْقُفي(٢) ، حدّثنا رَوَّاد بن الجرَّاح ، حدّثنا مقاتل بن سليمان ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس قال : الخضر ابن آدم لصلبه ونُسىءَ له في أجله حتى يُكذّبَ الدجّال(٣) . وهذا منقطع وغريب .

وقال أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني : سمعت مشيختنا ، منهم أبو عبيدة وغيره ، قالوا : إن أطول بني آدم عمراً الخضر ، واسمه خضرون بن قابيل بن آدم . قال : وذكر ابن إسحاق : أن آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة أخبر بنيه أن الطوفان سيقع بالناس ، وأوصاهم إذا كان ذلك أن يحملوا جسده معهم في السفينة ، وأن يدفنوه في مكان عيَّنه لهم(٤) . فلما كان الطوفان حملوه معهم ، فلما هبطوا إلى الأرض أمر نوح بنيه أن يذهبوا ببدنه فيدفنوه حيث أوصى . فقالوا : إن الأرض ليس بها أنيس وعليها وحشة(٥) ، فحرّضهم وحثّهم على ذلك ، وقال : إن آدم دعا لمن يلي دفْنه بطول العمر ، فهابوا المسير

---

(١) القَلاَنسي ، بفتح القاف وتخفيف اللام : نسبة إلى القلانس وعملها . والقلنسوة : لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال ج : قلانس ، وقلانيس ، وقلاسٍ ، وقلاسي .

(٢) في ط : الرومي . وهو خطأ . وعباس بن عبد الله بن أبي عيسى الواسطي ، الترقُفي ، نزيل بغداد ، ثقة عابد ، مات سنة سبع أو ثمان وستين ومئتين . وهو من رجال التهذيب .
والتَّرقفي ، بفتح التاء ، وسكون الراء ، وضم القاف ، نسبة إلى ترقف من أعمال واسط . كذا ضبطه السمعاني ، وابن حجر في التقريب ، وياقوت في معجم البلدان ، وضبطه ابن الأثير في اللباب بضم التاء .

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٨/ ٥٧ ـ ٥٨) .

(٤) أمرهم أن يحملوا جسده معهم في المغارة ، حتى إذا هبطوا أمرهم أن يدفنوه في الشام . كما في المعمرون .

(٥) في المعمرون : فقالوا : الأرض وَحِشة ، ولا أنيس بها ، ولا نهتدي الطريق ، ولكن نكف حتى يأمن الناس ويكثروا ، وتأنس البلاد ، وتجف .

إلى ذلك الموضع في ذلك الوقت ، فلم يزل جسده عندهم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه ، وأنجز الله له ما وعده ، فهو يحيا إلى ما شاء الله له أن يحيا[١] .

وذكر ابن قتيبة في (المعارف) عن وهب بن منبه أن اسم الخضر بليا ، ويقال إيليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام[٢] .

وقال إسماعيل بن أبي أويس : اسم الخضر ـ فيما بلغنا والله أعلم ـ المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن لازد . وقال غيره : هو خضرون بن عميائيل بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل . ويقال هو أرميا بن طبقا[٣] . فالله أعلم .

وقيل : إنّه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر . وهذا غريب جداً . قال ابن الجوزي : رواه محمد بن أيوب ، عن ابن لهيعة ، وهما ضعيفان . وقيل : إنه ابن مالك ، وهو أخو إلياس . قاله السدي كما سيأتي . وقيل : كان على مقدمة ذي القرنين . وقيل : كان ابن بعض من آمن بإبراهيم الخليل وهاجر معه . وقيل : كان نبياً في زمن بشتاسب بن لهراسب[٤] .

قال ابن جرير : والصحيح أنه كان متقدماً في زمن أفريدون[٥] حتى أدركه موسى عليهما السلام[٦] .

وروى الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيِّب أنه قال : الخضر أمه رومية وأبوه فارسي[٧] .

وقد ورد ما يدل على أنه كان من بني إسرائيل في زمان فرعون أيضاً . قال أبو زرعة في « دلائل النبوة » : حدّثنا صفوان بن صالح الدمشقي ، حدّثنا الوليد ، حدّثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أُبي بن كعب ، عن رسول الله ﷺ أنه ليلة أُسري به وجَدَ رائحة طيبةً فقال « يا جِبْريلُ ما هذِهِ الرائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ قالَ : هذهِ رِيْحُ قَبْرِ الماشِطَةِ وابنتِها وزَوْجِها » . قال : وكان بدء ذلك أن الخضر كان من أشراف بني إسرائيل ، وكان ممره براهب في صومعته[٨] ، فتطلّع عليه الراهب فعلّمه الإسلام ، فلما بلغ الخضر زوّجه أبوه امرأة ، فعلّمها الإسلام ، وأخذ عليها أن لا تعلِّمه أحداً ، وكان لا يقرب النساء . ثمّ طلّقها ، ثمّ زوجه أبوه بأخرى ، فعلّمها الإسلام ، وأخذ عليها أن لا تعلِّمه أحداً ، ثمّ

(١) نقل ابن كثير كلام أبي حاتم في : المعمرون ص (٣) ، مختصراً .
(٢) المعارف : (٤١ ـ ٤٢) .
(٣) كذا في أ وب . وفي ط : خلقيا . وكذا في حاشية أ : خلقيا . وفي تاريخ الطبري (١/ ٣٦٦) .
(٤) أورد الطبري هذه الأقوال عند ذكره لقصة الخضر عليه السلام (١/ ٣٦٥) .
(٥) في ط : أفريدون بن أثفيان .
(٦) تاريخ الطبري (١/ ٣٦٦) وفيه زيادة .
(٧) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٥٨) .
(٨) في ب : وجاز مرة براهب في صومعة .

طلّقها . فكتمت إحداهما وأفشت عليه الأخرى . فانطلق هارباً حتى أتى جزيرةً في البحر ، فأقبل رجلان يَحْتَطِبان ، فرأياه ، فكتم أحدهما وأفشى عليه الآخر ؛ قال قد رأيت العزقيل[١] : ومن رآه معك ؟ قال : فلان ، فسُئل فكتم ، وكان من دِينهم أنه من كذب قُتِل ، فقتل . وكان قد تزوج الكاتم المرأة الكاتمة . قال : فبينما هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها ، فقالت : تَعِس فرعون . فأخبرت أباها ، وكان للمرأة ابنان وزوجٌ ، فأرسل إليهم ، فراوَد المرأةَ وزوجَها أن يرجعا عن دينهما ، فأبيا ، فقال : إني قاتلكما . فقالا : إحسان منك إلينا إن أنت قتلتنا أن تجعلنا في قبر واحد ، فجعلهما في قبر واحد . فقال : وما وجدت ريحاً أطيب منهما وقد دخلت الجنة[٢] .

وقد تقدمت قصة مائلة بنت فرعون . وهذا البسط في أمر الخضر قد يكون مدرجاً من كلام أُبي بن كعب أو عبد الله بن عباس ، والله أعلم .

وقال بعضهم : كنيته أبو العباس . والأشبه ـ والله أعلم ـ أن الخضر لقب غلب عليه .

قال البخاري ـ رحمه الله ـ : حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن مَعْمر ، عن هَمام ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إنما سُمّي الخَضِر لأنه جَلَس على فَرْوَةٍ بيضاءَ فإذا هي تهْتَزُّ من خَلْفِه خَضْرَاءَ » . تفرد به البخاري[٣] .

وكذلك رواه عبد الرزاق عن معمر ، به[٤] . ثم قال عبد الرزاق : الفَرْوة : الحشيش الأبيض وما أشبهه ، يعني الهَشِيم اليابس .

وقال الخطّابي : وقال أبو عُمر : الفروة الأرض البيضاء التي لا نبات فيها ، وقال غيره : هو الهشيم اليابس ، شَبَّهه بالفروة ، ومنه قيل : فروة الرأس ، وهي جلدته بما عليها من الشعر ، كما قال الراعي :

ولقدْ تَرى الحبَشيَّ حولَ بُيوتِنا   جَذِلاً إذا ما نالَ يوماً مأكلا[٥]
صَعْلاً أصكَّ كأنّ فروةَ رأسِه   بُذِرَت فأَنبتَ جَانباهُ فُلفُلا[٦]

---

(١) في ب : الخضر .

(٢) وأخرجه من طريق آخر عن أبي بن كعب ، ابنُ ماجه (٤٠٣٠) في الفتن ، باب الصبر على البلاء وفي إسناده ضعف . ومن طريق آخر أحمد في مسنده (١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) .

(٣) صحيح البخاري رقم (٣٤٠٢) في الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام .

(٤) حديث عبد الرزاق أخرجه الترمذي (٣١٥١) في التفسير ، وقال : صحيح غريب .

(٥) في ب : نائلاً . والجَذِل : الفرِح .

(٦) في ط : جعداً أصك . وفي ب : أسك . والصَّعْل : الدقيق الرأس والعنق ، والأصك : الملتصق الأسنان والأضراس ، والأسك : من السَّكَك ، وهو الصمم ، وقيل : صغر الأذن ولزوقها بالرأس . والبيتان ليسا في المطبوع من شعر الراعي ـ جمع ناصر الحاني ـ طبع مجمع اللغة العربية ، دمشق (١٣٨٣هـ) وديوانه ـ جمع راينهرت ـ بيروت ـ المعهد الألماني ـ (١٤٠١هـ) .

قال الخطابي : وإنما سمي الخضر خضراً لحسنه وإشراق وجهه . قلت : وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيح ، فإن كان ولا بد من التعليل بأحدهما ، فما ثبت في الصحيح أولى وأقوى ، بل لا يلتفت إلى ما عداه ، وقد روى الحافظ ابن عساكر[1] هذا الحديث أيضاً من طريق إسماعيل بن حفص بن عمر الأَيْلي[2] ، حدّثنا عثمان وأبو جُرَي[3] وهمام بن يحيى ، عن قتادة ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « إنما سُمي الخَضِرُ خَضِراً لأنَّهُ صَلّى عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فاهْتَزَّتْ خَضْراء » . وهذا غريب من هذا الوجه .

وقال قبيصة ، عن الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد قال : إنما سمي الخضر لأنه كان إذا صلّى اخضرّ ما حولَه[4] .

وتقدم أن موسى ويوشع عليهما السلام لما رجَعا يقُصّان الأثر وجداه على طنفسة خضراء على كبد البحر ، وهو مسجًّى بثوب قد جُعل طرفاه من تحت رأسه وقدميه ، فسلم عليه موسى عليه السلام فكشف عن وجهه فرد وقال : أنّى بأرضك السلام من أنت ؟ قال : أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم . فكان من أمرهما ما قص الله في كتابه عنهما .

وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه :

أحدها : قولـه تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ .

الثاني : قول موسى له : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٦٥ ـ ٧٠] فلـو كان ولياً وليس بنبي لم يخـاطبه موسى بهذه المخاطبة ، ولم يردّ على موسى هـذا الردّ ، بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصّه الله به دونه ، فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً ولم تكن لموسى ـ وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة ـ كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمـة ، ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه ولو أنه يمضي حقباً من الزمان ، قيل : ثمانين سنة ، ثمّ لما اجتمع به تواضع له وعظّمه واتّبعه في صورة مستفيد منه ، دلّ على أنه نبي مثله ، يوحى إليه كما يوحى إليه ، وقد خُصَّ من العلوم اللدنية[5]

---

(١) في ب : ابن عساكر الحافظ . والخبر في مختصر تاريخه (٨/ ٥٨) .
(٢) الأيلي ، بفتح الألف وسكون الياء : نسبة إلى بلدة على ساحل بحر القلزم مما يلي ديار مصر . اللباب .
(٣) في ط : أبو جزي ، بالزاي .
(٤) أورده ابن عساكر . مختصر تاريخه (٨/ ٥٨) .
(٥) في ب : الدينية .

والأسرار النبوية بما لم يُطْلِع اللهُ عليه موسى الكليمَ نبي بني إسرائيل الكريم .

وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرُّمّاني(١) على نبوة الخضر عليه السلام .

الثالث : أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام ، وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلّام . وهذا دليلٌ مستقلٌ على نبوّته ، وبرهانٌ ظاهرٌ على عصمته ، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرّد ما يلقى في خَلَده ، لأن خاطره ليس بواجب العصمة ؛ إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق . ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلْم علماً منه أنه إذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشدّة محبتهما له فيتابعانه عليه ، ففي قتله مصلحةٌ عظيمةٌ تربو على بقاء مهجته ، صيانةً لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته ، دلّ ذلك على نبوته وأنه مؤيَّد من الله بعصمته .

وقد رأيت الشيخ أبا الفرج بن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوّة الخضر وصحّحه ، وحكى الاحتجاج عليه عن الرُّمَّاني أيضاً .

الرابع : أنه لما فسر الخضر تأويل الأفاعيل لموسى ووضَّح له عن حقيقة أمره وجلّى قال بعد ذلك كله : ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف : ٨٢] يعني ما فعلته من تلقاء نفسي ، بل أُمرت به وأُوْحِي إليَّ فيه ، فدلت هذه الوجوه على نبوته . ولا ينافي ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته كما قاله آخرون .

وأما كونه مَلَكاً من الملائكة ، فقول غريب جداً . وإذا ثبتت نبوته ـ كما ذكرناه ـ لم يبق لمن قال بولايته وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر مستَنَدٌ يستندون إليه ، ولا معتمدٌ يعتمدون عليه(٢) .

وأما الخلاف في وجوده إلى زماننا هذا ؛ فالجمهور على أنه باقٍ إلى اليوم . قيل : لأنه دَفَن آدم بعد خروجهم من الطوفان ، فنالته دعوة أبيه آدم بطول الحياة . وقيل : لأنه شرب من عين الحياة فحيي .

وذكروا أخباراً استشهدوا بها على بقائه إلى الآن ، وسنوردها(٣) إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وهذه وصيته لموسى حين قال : ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف : ٧٨] .

---

(١) هو علي بن عيسى الرُّمَّاني النحوي المعتزلي . صنف في التفسير واللغة والنحو والكلام والاعتزال . توفي سنة (٣٨٤هـ) . سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٣٣) .

(٢) زاد هنا في ب : وأيضاً فلو قيل بأنه كان ولياً فقد يكون على شريعة نبي غير موسى ، فإن موسى لم يكن مرسلاً إلى أهل الأرض قاطبة ، فليس لولي في هذه الأمة التي نبيها رسولُ الله إلى جميع الثقلين أن يدعي علماً لا تسيغهُ هذه الشريعة المحمدية التي هي عامة شاملة لجميع المكلفين إلى يوم الدين .

(٣) زاد في ب : مع غيرها .

رُوي في ذلك آثار منقطعة كثيرة :

قال السهيلي : أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو ، حدّثنا أبو عبد الله الصفّار ، حدّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدّثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدّثنا جرير ، حدّثني أبو عبد الله المَلَطي(١) قال : لما أراد موسى أن يفارق الخضر قال له موسى : أوصني . قال : كُنْ نفّاعاً ، ولا تكن ضَرّاراً . كن بشّاشاً ، ولا تكن غضبانَ . ارجع عن اللّجاجة ، ولا تمش في غير حاجة . وفي رواية من طريق أخرى زيادة : ولا تضحك إلا من عجبٍ(٢) .

وقال وهب بن مُنبه : قال الخضر : ؛ يا موسى إن الناس معذَّبون في الدنيا على قدر همومهم بها .

وقال بشر بن الحارث الحافي : قال موسى للخضر : أوصني . فقال نشر(٣) الله عليك طاعته . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيى الوَقَار(٤) إلاّ أنه من الكذّابين الكبار ، قال : قرىء على عبد الله بن وهب وأنا أسمع قال الثوري : قال مجالد ، قال أبو الودّاك ، قال أبو سعيد الخدري : قال عمر بن الخطاب : قال قال رسول الله ﷺ : « قالَ أخي مُوسى : يا رَبّ ، ذكر كلمة ، فأتاه الخَضِرُ وهو فتًى طيّبُ الرِّيح ، حَسَنُ بياضِ الثياب مشمِّرُها ، فقال : السلامُ عليكَ ورحمةُ الله يا موسى بن عمران ، إنّ ربَّك يَقرَأ عَلَيك السلامَ . قال موسى : هو السَّلامُ وإلَيه السَّلَامُ ، والحمد لله رَبِّ العالمينَ الذي لا أُحْصي نِعَمَهُ ولا أقْدِرُ على أداءِ شُكْرِه إلا بمعونته . ثمّ قال موسى : أريدُ أن توصيني بوصيةٍ ينفعُني اللهُ بها بعدَك . فقالَ الخضِر : يا طالِبَ العِلْم إنّ القائِلَ أقلُّ ملامة من المستمع ، فلا تملَّ جلساءك إذا حدثتهم ، واعلم أنَّ قلبك وعاءٌ فانظر ماذا تحشو به وعاءك . واغرف من الدنيا(٥) ، وانبذها وراءك ، فإنها لَيسَت لك بدار ، ولا لك فيها محل قرار . وإنما جعلت بُلْغة(٦) للعباد والتزود منها ليوم المعاد . ورُضْ نفسك على الصبر تخلص من الإثم .

يا موسى تفرَّغ للعلم إنْ كنت تريدُه ، فإنما العلمُ لمن تَفرَّغ له . ولا تكن مكثاراً للعلم(٧) مهذاراً فإن

---

(١) المَلَطي ، بفتح الميم واللام : نسبة إلى مدينة مَلَطْية من ثغور الروم . اللباب (٣/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) .

(٢) في ب : ولا تضحك من غير عجب . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٦٢) وزاد في آخره : ولا تعيّر امرأ بخطيئة ، وابك على خطيئتك يا ابن عمران .

(٣) في ط : يسر . وكذلك في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٦٢) .

(٤) في أ : الوتار ، وفي ب الوقّار بتشديد القاف . وفي ط : الوقاد . والوَقَار ، بفتح الواو والقاف المخففة ، وبعد الألف راء ، قال ابن الأثير : اشتهر بهذه الصفة أبو يحيى زكريا بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الله الوقار مولى قريش ، إنما قيل له ذلك لسكونه وثباته ، وهو مصري ولد سنة (١٧٤هـ) ومات سنة (٢٥٤هـ) . اللباب (٣/ ٣٧٠) .

(٥) كذا في أ وط . وفي ب وابن عساكر : واعزف عن الدنيا .

(٦) البلغة : ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها .

(٧) في ب : بالعلم . وفي ابن عساكر : بالمنطق .

كثرة المنطق تشين العلماء ، وتبدي مساوىء السخفاء . ولكن عَليكَ بالاقتصادِ ، فإن ذلك من التوفيق والسداد . وأعرِض عن الجهَّال وماطلهم واحلم عن السفهاء[١] فإن ذلك فعل الحكماء وزين العلماء . إذا شتمك الجاهلُ فاسكتْ عنه حِلماً ، وجانبه حَزْماً ، فإنّ ما بقي من جهله عليك وسبِّه إياك أكثر وأعظم .

يا ابن عِمْران ولا تَرى أنك أُوْتيتَ من العلم إلا قليلاً . فإن الاندلاث[٢] والتعسُّف من الاقتحام والتكلّف . يا ابن عمران لا تفتحن باباً لا تدري ما غَلْقه ، ولا تغلقن باباً لا تدري ما فتحه . يا ابن عمران من لا ينتهي من الدنيا نَهْمَتُه ، ولا تنقضي منها رغبته ، ومن يحقر حاله ويتهم الله فيما قضى له كيف يكون زاهداً ؟! هل يكف عن الشهوات[٣] من غلب عليه هواه . أو ينفعه[٤] طلب العلم والجهل قد حواه ، لأن سعيه إلى آخرته وهو مقبل على دنياه .

يا موسى تعلّم ما تعلمت لتعملَ به ولا تعلَّمه لتحدّث به فيكون عليك بوارُه ولغيرك نوره . يا موسى بن عمران اجعلِ الزهدَ والتقوى لباسَك ، والعلمَ والذِّكْر كلامَك ، واستكثر من الحسنات فإنك مصيب السيئات ، وزعزع بالخوف قلبك فإن ذلك يُرضي ربَّك ، واعمل خيراً فإنك لا بد عاملٌ سوءاً . قد وعظت إن حفظتَ . قال : فتَولّى الخضر وبقي موسى محزوناً مكروباً يبكي »[٥] .

لا يصح هذا الحديث . وأظنه من صنعة زكريا بن يحيى الوقَار المصري ، كذّبه غير واحد من الأئمة[٦] . والعجب أن الحافظ ابن عساكر سَكَت عنه .

وقال الحافظ أبو نُعيم الأصبهاني : حدّثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، حدّثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي ، حدّثنا محمد بن الفضل بن عمران الكِنْدي ، حدّثنا بَقِيَّة بن الوليد ، عن محمد بن زياد ، عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الخَضِرِ ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « بينَما هُو ذاتَ يوم يَمشي في سُوقِ بَني إسْرائيلَ أبْصَره رَجُلٌ مُكَاتَب[٧] فقال : تَصَدَّقْ عَلَيَّ بارَكَ اللهُ فيكَ . فقالَ الخضِرُ : آمنتُ باللهِ ما شاءَ اللهُ من أمرٍ يَكُونُ ، ما عندي من شيءٍ أُعْطِيكَهُ . فقالَ المسكينُ : أسألكَ بوجهِ اللهِ لَمَا تَصَدَّقْتَ علَيَّ ، فإني نظرتُ إلى السيماء في وجهكَ

---

(١) في ب وابن عساكر : وأعرض عن الجهال وباطلهم ، واحلم على السفهاء .
(٢) الاندلاث : السرعة والاندفاع . يقال : اندلث الرجل : إذا مضى على وجهه ، أو أسرع وركب رأسه ، فلم ينهنهه شيء في قتال . اللسان .
(٣) قوله : ومن يحقر حاله . . . عن الشهوات . سقط من ب .
(٤) في ب : أو كيف .
(٥) الوصية في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٦١ ـ ٦٢) .
(٦) أورده الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٧٧) .
(٧) المكاتَبة : أن يكاتبك عبدُك على نفسه بثمنه ، فإذا أدّاه عتق .

ورجَوتُ البرَكَةَ عِندك . فقالَ الخضِر : آمنتُ باللهِ ما عِنْدي من شيء أعطيكه إلاّ أنْ تأخذَني فتبيعني . فقال المسكينُ : وهلْ يَستقيمُ هذا ؟ قالَ : نعم. الحقَّ أقولُ لكَ ، لَقَدْ سألتني بأمرٍ عظيم أمَا إني لا أُخَيّبكَ بوجه ربي ، بعني . قال : فقدَّمه إلى السُّوقِ فباعه بأربع مئة درهم . فمكث عند المشتري زماناً لا يَستَعملُه في شيء . فقال له : إنما ابتعتني التماسَ خيرٍ عندي ؛ فأوصني بعملٍ . قال : أكرهُ أن أشُقَّ عليكَ إنكَ شَيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ . قال : ليس تشق علَيَّ . قال : فانقلْ هذه الحجارةَ ، وكان لا ينقلها دون ستةِ نفرٍ في يوم ، فخرجَ الرجل لبعض حاجته ، ثمّ انصرف وقد نقلَ الحجارة في ساعة . فقال : أحسنتَ وأجملتَ وأطقتَ ما لم أرَكَ تُطيقه . ثمّ عرضَ للرجلِ سفرٌ فقال : إني أَحْسبك أميناً فاخلُفني في أهلي خِلافةً حسنةً . قال : فأوصني بعملٍ . قال: إني أكره أن أشقَّ عليكَ. قال : ليس تَشُقُّ عليَّ . قال : فاضرب من اللَّبِن لبيتي حتى أقدم عليكَ . فمضى الرجل لسفره ، فرجَع وقد شُيِّد بناؤه ، فقال : أسألك بوجه الله ما سبيلُكَ وما أمرك ؟ فقال : سألتني بوجهِ اللهِ ، والسؤالُ بوجهِ اللهِ أوقعني في العُبُودِية ، سأُخبركَ مَنْ أنَا ، أنا الخضِر الذي سمعت به ، سألني مسكينٌ صدقةً فلم يكن عندي من شيءٍ أُعْطيه ، فسألني بوجهِ اللهِ فأمْكَنْتُه من رَقَبتي فباعني ، وأُخبرُكَ أنه من سُئِل بوجهِ اللهِ فردَّ سائلَه وهو يقدر وقفَ يومَ القيامةِ جلْدُه لا لَحم له ولا عظمَ يتقعقع[١] . فقالَ الرجلُ : آمنتُ باللهِ ، شَقَقْتُ عليكَ يا نَبيَّ اللهِ ولم أَعْلَم . فقالَ : لا بأسَ ، أحْسَنْتَ وأبقَيتَ . فقال الرجلُ : بأبي وأمي يا نبي اللهِ احكُم في أهلي ومالي بما أراك[٢] الله ، أو أُخيّرك فأُخلي سبيلك ؟ فقال : أُحِبُّ أن تُخليَ سبيلي فأعْبُدَ ربي . فخلّى سبيله . فقال الخضر : الحمدُ لله الذي أوْقَعَني في العبوديةِ ثمّ نجّاني منها » .

وهذا حديث رفْعُه خطأ ، والأشبه أن يكون موقوفاً . وفي رجاله من لا يُعْرف ، فالله أعلم[٣] .

وقد رواه ابن الجوزي في كتابه (عُجالة المنتظِر في شرح حال الخضِر)[٤] من طريق عبد الوهاب بن الضحاك[٥] ، وهو متروك ، عن بقية .

وقد روى الحافظ ابن عساكر بإسناده إلى السُّدّي أن الخضر وإلياس كانا أخوين ، وكان أبوهما ملِكاً ، فقال إلياس لأبيه : إن أخي الخضِر لا رغبة له في الملك فلو أنك زوجته لعل يجيء منه ولدٌ يكون المُلْكُ

---

(١) يتقعقع : يضطرب .
(٢) في ب : أمرك .
(٣) الخبر مرفوعاً إلى النبي ﷺ في المعجم الكبير للطبراني (٨/ ٧٥٣٠) وفي مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٦٢ ـ ٦٣) .
(٤) ذكره حاجي خليفه في كشف الظنون (١١٢٥) .
(٥) عبد الوهاب بن الضحاك العُرْضي ، أبو الحارث السُّلَمي من أهل حمص ، قال النَّسائي : عنده عجائب . وقال ابن حِبّان : لا يحل الاحتجاج به ، ولا الذكر عنه إلا على جهة الاعتبار . مات سنة (٢٤٥هـ) .
الضعفاء والمتروكين للنسائي (٦٩) ، والمجروحين ، لابن حبان (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨) والتقريب (١/ ٥٢٧) .

له ، فزوَّجه أبوه بامرأةٍ حسناء بكر ، فقال لها الخضر : إنه لا حاجة لي في النساء ، فإن شئتِ أطلقتُ سراحَك ، وإن شئتِ أقمتِ معي تعبدين الله عزَّ وجلَّ وتكتمين عليَّ سِرِّي . فقالت : نَعَم ، وأقامت معه سنةً . فلما مضت السنة دعاها الملكُ فقال : إنك شابة وابني شاب فأين الولد ؟ فقالت : إنما الولد من عند الله ، إن شاءَ كانَ و إن لم يشأ لم يكن . فأمره أبوه فطلّقها وزوَّجه بأخرى ثيِّباً قد وُلد لها ، فلما زُفَّت إليه قال لها كما قال للتي قَبْلَها ، فأجابت إلى الإقامة عندَه . فلما مضت السنة سألها الملكُ عن الولد ، فقالت : إن ابنَك لا حاجة له بالنساء . فتطلبه أبوه ، فهربَ ، فأرسل وراءه فلم يقدروا عليه . فيقال : إنه قتل المرأة الثانية لكونها أفشت سرَّه فهرب من أجل ذلك ، وأطلق سراح الأُخرى فأقامت تعبدُ الله في بعض نواحي تلك المدينة ، فمرّ بها رَجُل يوماً فسمعته يقول : بسم الله ، فقالت له : أنَّى لك هذا الاسم ؟ فقال : إني من أصحاب الخضِر ، فتزوجته فولدت له أولاداً[(١)] .

ثم صار[(٢)] من أمرها أن صارت ماشِطةَ بنتِ فِرعون ، فبينما هي يوماً تمشطها إذ وقع المشط من يدها فقالت : بسم الله . فقالت ابنة فرعون : أبي ؟ فقالت : لا ، ربي وربّك وربّ أبيك ، الله . فأعلمت أباها ، فأمر ببقرة من نحاس ، فأُحميت ، ثمّ أمر بها فأُلقيت فيها ، فلما عاينت ذلك تقاعست أن تقع فيها ، فقال لها ابنٌ معها صغير : يا أماه اصبري فإنك على الحق ، فألقت نفسها في النار فماتت[(٣)] رحمها الله .

وقد روى ابن عساكر ، عن أبي داود الأعمى نُفيع ـ وهو كذاب وضاع[(٤)] ـ عن أنس بن مالك . ومن طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ـ وهو كذاب أيضاً ـ[(٥)] عن أبيه عن جدّه : أن الخضر جاء ليلة ، فسمع النبيُّ ﷺ كلامه[(٦)] وهو يدعو ويقول : اللهم أعني على ما ينجّيني مما خوَّفتني ، وارزقني شوقَ الصالحين إلى ما شوَّقتَهم إليه ، فبعث إليه رسول الله ﷺ أنس بن مالك فسلم عليه ، فرد عليه السلامَ وقال : قل له : إن الله فضَّلك على الأنبياء كما فضَّل شهرَ رمضان على سائر الشهور ، وفضّل أُمتك على

---

(١) الخبر مفصل عن السدي ، في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٦٣ ـ ٦٤) .

(٢) تتمة الخبر هذه عند ابن عساكر عن ابن عباس . مختصره (٨/ ٦٤) .

(٣) سياق الخبر عند ابن عساكر يختلف عما هنا . ففيه : وأخذ بعض ولدها فرمى به في البقرة وهي تغلي ، ثم قال : ترجعين؟ قالت : لا . فأخذ الولد الآخر حتى ألقى أولادها أجمعين ، ثم قال لها : ترجعين ؟ قالت : لا . فأمر بها ، قالت : إن لي حاجة ، فقال : وما هي : قالت : إذا ألقيتني في البقرة تأمر بالبقرة أن تُحمل ثم تكفأ في بيتي الذي على باب المدينة ، وتنحّي البقرة وتهدم البيت علينا حتى يكون قبورَنا . فقال : نعم ، إن لك علينا حقاً . قال : ففعل بها ذلك . مختصر تاريخ ابن عساكر (٨/ ٦٤) .

(٤) وقال النسائي : متروك الحديث . الضعفاء ، له (١٠٢) . والضعفاء للبخاري (١١٥) ، والمجروحين ، لابن حبان (٣/ ٥٥ ـ ٥٦) ، والتقريب (٢/ ٣٠٦) .

(٥) وقال النسائي : متروك الحديث . (ص٨٩) . والمجروحين ، لابن حبان (٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) والتقريب (٢/ ١٣٢) .

(٦) لفظ كلامه . سقط من ط .

الأمم كما فضّل يوم الجمعة على غيره[١] . الحديث ـ وهو مكذوب ـ لا يصح لا سنداً ولا متناً ، لا يتمثّل بين يدي رسول الله ﷺ ويجيء بنفسه مسلّماً ومتعلّماً وهم يذكرون في حكاياتهم وما يسندونه عن بعض مشايخهم أن الخضِر يأتي إليهم ، ويسلّم عليهم ، ويعرف أسماءهم ومنازلهم ومحالّهم ، وهو مع هذا لا يعرف موسى بن عمران كليم الله الذي اصطفاه الله في ذلك الزمان على مَن سواه حتى يتعرف إليه بأنه موسى بني إسرائيل . وقد قال الحافظ أبو الحسين بن المنادي ، بعد إيراده حديث أنس هذا : وأهل الحديث متفقون على أنه حديثٌ منكر الإسناد سقيم المتن يتبين فيه أثر الصنعة .

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي[٢] قائلاً : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر ابن بالويه ، حدّثنا محمد بن بشر بن مطر ، حدّثنا كامل بن طلحة ، حدّثنا عباد بن عبد الصمد ، عن أنس ابن مالك قال: لما قُبض رسول الله ﷺ أحدق به أصحابه فبكوا حولَه واجتمعوا ، فدخل رجلٌ أشْهَب اللحية جسيمٌ صَبيح ، فتخطّى رقابَهم ، فبكى ثمّ التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ فقال : إن في الله عَزاءً من كلِّ مصيبةٍ ، وعِوَضاً من كلِّ فائت ، وخَلَفاً من كلِّ هالك ، فإلى الله فأنيبوا وإليه فارغبوا ، ونظره إليكم في البلاء ، فانظروا فإن المصاب من لم يُجْبَر ، وانصرف . فقال بعضهم لبعض : تعرفون الرجل ؟ فقال أبو بكر وعلي : نعم هذا أخو رسول الله ﷺ الخضر عليه السلام .

وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن كامل بن طلحة ، به ، وفي متنه مخالفة لسياق البيهقي ، ثم قال البيهقي : عباد بن عبد الصمد ضعيفٌ ، وهذا منكر بمرة .

قلت : عباد بن عبد الصمد هذا هو أبو معمر البصري ، روى عن أنس نسخة ؛ قال ابن حِبان[٣] ،

---

(١) اختصر ابن كثير النص هاهنا فالتبس مضمونه . والذي عند ابن عساكر ، في المختصر (٨/ ٦٥) : عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يتوضأ من الليل إلى الليل ، فخرجتُ معه ذات ليلة في بعض طرق المدينة ومعي الطَّهُور ، فسمعت صوت رجل يدعو : اللهم أعني على ما ينجيني مما خوّفتني . فقال رسول الله ﷺ : لو دعا بالتي تليها ـ قال : وفّق الله على لسان الداعي الذي كان في نفس رسول الله ﷺ ـ فقال : اللهم ارزقني شوق الصادقين إلى ما شوقتهم إليه . فقال : دع الطهور يا أنس ، جُمعتا له وربّ الكعبة ، ائت هذا الداعي فقل له : ادع لرسول الله ﷺ فليُعنه الله على ما بعثه ، وادع لأمته أن يأخذوا ما آتاهم نبيهم . قال : من أرسلك؟ ـ قال : ولم يكن النبي ﷺ قال لي : أخبره من أرسلني ـ قال : فقلت : وما عليك؟ قال : لست أدعو حتى تخبرني من أرسلك . فقلت : وما عليك؟ قال : لست أدعو حتى تخبرني من أرسلك . قال : فأتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إنه أبى حتى أخبره من أرسلني . قال : قل له : « رسول الله ﷺ » . فأتيت فقلت له : رسول الله ﷺ أرسلني . قال : مرحباً برسول الله ﷺ ، وبرسوله ، أنا أحق أن آتي رسولَ الله ﷺ ، فائت رسول الله ﷺ وقل له : أنا أخوك الخضر ، وإن الله فضلك على النبيين كما فضّل رمضان على سائر الشهور ، وفضل أمتك على سائر الأمم ، كما فضل الجمعة على سائر الأيام . قال : فلما ولّيت سمعته يقول : اللهم اجعلني من هذه الأمة المرحومة المرشدة المتاب عليها .

(٢) في دلائل النبوة (٧/ ٢٦٩) .

(٣) المجروحين (٢/ ١٧١) .

والعقيلي[(١)] : أكثرها موضوع . وقال البخاري[(٢)] : منكر الحديث . وقال أبو حاتم[(٣)] : ضعيف الحديث جداً منكره . وقال ابن عدي[(٤)] : عامّة ما يرويه في فضائل علي ، وهو ضعيف غالٍ في التشيع .

وقال الشافعي في « مسنده »[(٥)] : أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه علي بن الحسين قال : لما توفي رسولُ الله ﷺ وجاءت التعزية سمعوا قائلاً يقول : إن في الله عزاءً من كلّ مصيبة ، وخلَفاً من كل هالك ، ودرَكاً من كل فائت ، فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حُرِمَ الثواب . قال علي بن الحسين : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر .

شيخ الشافعي القاسم العمري متروك ؛ قال أحمد بن حنبل[(٦)] ويحيى بن معين[(٧)] : يكذب . زاد أحمد : ويضع الحديث . ثمّ هو مرسل ، ومثله لا يعتمد عليه هاهنا ، والله أعلم .

وقد روي من وجه آخر ضعيف عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبيه ، عن علي . ولا يصح .

وقد روى عبد الله بن وهب عمن حدّثه ، عن محمد بن عجلان ، عن محمد بن المنكدر أن عمر بن الخطاب بينما هو يصلي على جنازة إذ سمع هاتفاً وهو يقول : لا تسبقنا يرحمك الله ، فانتظره حتى لحق بالصفِّ ، فذكر دعاءه للميت : إنْ تعذبه فكثيراً عصاك ، وإن تغفر له ففقير إلى رحمتك . ولما دُفن قال : طوبى لك يا صاحبَ القبر إن لم تكن عريفاً أو جابياً أو خازناً أو كاتباً أو شرطياً ، فقال عمر : خذوا الرجل نسأله عن صَلاته وكلامه عمَّن هو . قال : فتوارى عنهم ، فنظروا فإذا أثر قدمه ذراع . فقال عُمر : هذا ـ والله ـ الخضر الذي حدّثنا عنه رسول الله ﷺ[(٨)] . وهذا الأثر فيه متهم ، وفيه انقطاع ، ولا يصح مثله .

وروى الحافظ ابن عساكر عن الثوري ، عن عبد الله بن مُحَرَّر ، عن يزيد بن الأصم ، عن علي بن أبي طالب قال : دخلت الطوافَ في بعض الليل ، فإذا أنا برجل متعلقٍ بأستار الكعبة وهو يقول : يا من

---

(١) الضعفاء الكبير (٣/ ١٣٩) وعبارته : « وله عن أنس مناكير كثيرة » .
(٢) عده البخاري اثنين في تاريخه الكبير؛ عباد بن منصور أبو معمر، وقال: فيه نظر، وعباد بن عبد الصمد، سمع أنساً، وقال فيه: منكر الحديث (٦/ الترجمتان ١٦٢٩ و١٦٣٠) وهما واحد إن شاء الله، كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم وغيره.
(٣) الجرح والتعديل (٦/ الترجمة ٤٢١) .
(٤) الكامل في الضعفاء (٤/ ١٦٤٨) .
(٥) مسند الشافعي (٣٦١) وليس فيه قول علي بن الحسين بأن القائل هو الخضر .
(٦) العلل (٢/ ١٩٨) ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ الترجمة ٦٤٣) .
(٧) هذا نقله من الميزان للذهبي (٣/ ٣٧٢) ، ولم نقف على ذلك في تاريخ الدوري (٢/ ٤٨١) وسؤالات ابن الجنيد (الترجمة ٢١٧) ، بل فيهما : ليس بشيء .
(٨) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٦٥) .

لا يمنعه سَمْع من سمع ، ويا من لا تغلطه المسائل ، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحّين ، ولا مسألة السائلين ، ارزقني بَرْدَ عفوك ، وحلاوة رحمتك . قال : فقلت : أَعِد عليَّ ما قلت . فقال لي : أوسمعتَه ؟ قلت : نعم . فقال لي : والذي نفس الخضر بيده ـ قال : وكان هو الخضر ـ لا يقولها عبدٌ خلفَ صلاة مكتوبة إلا غَفَر الله له ذنوبه . ولو كانت مثل زبد البحر ، وورق الشجر ، وعدد النجوم ، لغفرها الله له . وهذا ضعيف من جهة عبد الله بن المحَرَّر فإنه متروك الحديث[١] . ويزيد بن الأصم لم يدرك علياً ، ومثل هذا لا يصح . والله أعلم .

وقد رواه أبو إسماعيل الترمذي حدّثنا مالك بن إسماعيل ، حدّثنا صالح بن أبي الأسود ، عن محفوظ ابن عبد الله الحَضْرَمي ، عن محمد بن يحيى قال : بينما علي بن أبي طالب يطوف بالكعبة إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ويا من لا يغلطه السائلون ، ويا من لا يتبرَّم بإلحاح الملحِّين ، أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك قال : فقال له علي : يا عبد الله أَعِد دعاءك هذا . قال : وقد سمعتَه ؟ قال : نعم . قال : فادع به في دُبر كلِّ صلاة ، فوالذي نفس الخضر بيده لو كان عليك من الذنوب عددُ نجوم السماء ومطرها ، وحصباء الأرض وترابها ، لغفر لك أسرع من طرفة عين[٢] .

وهذا أيضاً منقطع وفي إسناده من لا يُعرف ، والله أعلم .

وقد أورده ابن الجوزي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا ، حدّثنا يعقوب بن يوسف ، حدّثنا مالك بن إسماعيل ، فذكر نحوه ، ثمّ قال : وهذا إسنادٌ مجهولٌ منقطعٌ ، وليس فيه ما يدل على أن الرجل الخضر .

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر : أخبرنا أبو القاسم بن الحصين ، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد ، أخبرنا أبو إسحاق المُزَكِّي[٣] ، حدّثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ، حدّثنا محمد بن أحمد بن يزيد أملَّهُ[٤] علينا بعبّادان ، أخبرنا عمرو بن عاصم ، حدّثنا الحسن بن رَزِيْن[٥] ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال ـ ولا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ ـ قال : يلتقي الخضرُ وإلياس كلّ عام في الموسم ، فيحلق كلُّ واحد منهما رأس صاحبه ، ويَتَفَرَّقان عن هؤلاء الكلمات : بسمِ اللهِ ، ما شاء الله ،

---

(١) تقريب التهذيب ، والضعفاء والمتروكين للبخاري (٦٧) ، وللنسائي (٦٣) ، والمجروحين لابن حبان (٢/ ٢٢ ـ ٢٤) .

(٢) أورد ابن منظور هذه الرواية في مختصره لابن عساكر (٨/ ٦٦) .

(٣) المزَكّي ، بضم الميم وفتح الزاي ، وكاف مشددة ، يقال هذا لمن يزكي الشهود ويبحث عن حالهم ويعرفه القاضي . وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي شيخ نيسابور في عصره ، وكان من العبّاد المجتهدين . كثير الحج . رحل في طلب الحديث . وتوفي سنة (٣٦٢هـ) . اللباب (٣/ ٢٠٤) .

(٤) في ب وط : أملاه ، وهو أصوب .

(٥) في ط : « الحسن بن زريق » خطأ بيّن ، فإن الحسن بن زريق الطهوي يروي عن ابن عيينة ، والحسن بن رزين هذا يروي عن ابن جريج ، وقد ساق كل من العقيلي وابن عدي والذهبي في الميزان هذا الحديث في ترجمته كما سيأتي .

لا يسوق الخيرَ إلا الله ، ما شاء الله ، لا يَصْرفُ السوء إلا الله ، ما شاء الله ، ما كان من نِعمة فمن الله ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله . قال : وقال ابن عباس : من قالهنَّ حين يُصبح وحين يُمسي ثلاث مرات آمَنَه اللهُ من الغَرق والحرق والسَّرَق. قال: وأحسبه قال: ومن الشيطان والسُّلطان والحية والعقرب[١] .

قال الدارقطني في « الأفراد » : هذا حديث غريب من حديث ابن جُريج لم يُحدِّث به غير هذا الشيخ عنه ، يعني الحسن بن رَزِين هذا . وقد روى عنه محمد بن كثير العبدي أيضاً ، ومع هذا قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي[٢] : ليس بالمعروف . وقال الحافظ أبو جعفر العقيلي[٣] : مجهول وحديثه غير محفوظ . وقال أبو الحُسين[٤] ابن المنادي : هو حديث واهٍ بالحسن بن رَزِين .

وقد روى ابن عساكر نحوه[٥] من طريق علي بن الحسن الجهضمي ـ وهو كذاب ـ عن ضَمرة بن حبيب المقدسي ، عن أبيه ، عن العلاء بن زياد القُشَيْري ، عن عبد الله بن الحسن ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب مرفوعاً قال : يجتمع كلَّ يوم عَرَفة بعرفات جِبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر . . . وذكر حديثاً طويلاً موضوعاً تركنا إيراده قصداً ، ولله الحمد .

وروى ابن عساكر من طريق هشام بن خالد ، عن الحسن بن يحيى الخُشَنِي ، عن ابن أبي رَوّاد قال : إلياس والخضِر يصومان شهرَ رمضان في بيت المقدس ، ويحجان في كلِّ سنة ، ويشربان من ماء زمزم شَربةً واحدةً تكفيهما إلى مثلها من قابل[٦] .

وروى ابن عساكر أن الوليد بن عبد الملك بن مروان باني جامع دمشق أحبَّ أن يتعبَّدَ ليلةً في المسجد ، فأمر القُوَمَة[٧] أن يخلوه له ، ففعلوا ، فلما كان من الليل جاء من باب الساعات فدخل الجامع فإذا رجل قائم يصلي فيما بينه وبين باب الخضراء ، فقال للقُومَة : ألم آمركم أن تخلوه ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين هذا الخضِر يجيء كلَّ ليلة يصلي هاهنا .

وقال ابن عساكر أيضاً : أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد ، أخبرنا أبو بكر بن الطبري ، أخبرنا

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٦٦) .
(٢) الكامل (٢/ ٧٤٠) .
(٣) الضعفاء الكبير (١/ ٢٢٤) .
(٤) في ط : « الحسن » ، محرف ، وهو أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد المعروف بابن المنادي المتوفى سنة ٣٣٦ كما في تاريخ الخطيب (٥/ ١١٠) (ط. د. بشار) والسير (١٥/ ٣٦١) وغيرهما .
(٥) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٦٦ ـ ٦٧) ، وذكره المزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣١٥ ـ ٣١٦) ، والذهبي في الميزان (٢/ ٣٣٠) .
(٦) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٦٧) .
(٧) القومة : الخدم .

أبو الحسين بن الفضل ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، حدّثنا يعقوب ـ وهو ابن سفيان الفَسَوي ـ حدّثني محمد بن عبد العزيز ، حدّثنا ضَمْرة[١] ، عن السري بن يحيى ، عن رياح بن عَبيدة قال : رأيتُ رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه ، فقلت في نفسي : إن هذا الرجل جاف ، قال[٢] : فلما انصرف من الصلاة قلت : مَن الرجل الذي كان معتمداً على يدك آنفاً ؟ قال : وهل رأيته يا رياح ؟ قلت : نعم . قال : ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً ، ذاك أخي الخضِر بشّرني أني سألي وأعدل[٣] .

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي[٤] : الرَّملي مجروح عند العلماء[٥] . وقد قدح أبو الحسين بن المنادي في ضمرة ، والسري ، ورياح[٦] . ثمّ أورد من طرق أُخر عن عمر بن عبد العزيز أنه اجتمع بالخضر ، وضعَّفها كلَّها[٧] .

وروى ابن عساكر أيضاً أنه اجتمع بإبراهيم التيمي ، وبسفيان بن عُيينة وجماعة يطول ذكرهم[٨] . وهذه الروايات والحكايات هي عُمدة مَن ذهب إلى حياته إلى اليوم ، وكُلٌّ من الأحاديث المرفوعة ضعيفة

---

(١) في أ وط : (حمزة) وهو سهو ، وأثبتنا ما في ب ، وسيذكره المؤلف بعد قليل على الصواب .

(٢) في ط : حافي . وفي ب : حافٍ فلما .

(٣) مختصر ابن عساكر (٨/ ٦٩ ـ ٧٠) .

(٤) كلام ابن الجوزي صحيح، وقد ذكره في كتابه الضعفاء (٣/ ٧٧)، وهو محمد بن عبد العزيز العمري الرملي، قال أبو زرعة: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: كان عنده غرائب ولم يكن عندهم بالمحمود هو إلى الضعف ما هو، وقال البزار: لم يكن بالحافظ، لكن وصفه يعقوب بن سفيان بالحفظ ووثقه العجلي وحده، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما خالف. وقد انتقى الإمام البخاري حديثين من حديثه أحدهما في التفسير والثاني في الاعتصام (تحرير التقريب ٣/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) .

(٥) هو محمد بن عبد العزيز الرملي . قال ابن حجر : صدوق يهم . التقريب (٢/ ١٨٦) .

(٦) كلام ابن المنادي هذا، إن صح عنه، فيه نظر، فإن ضمرة وهو ابن ربيعة الفلسطيني ثقة يهم قليلاً وإن قال الحافظ ابن حجر: « صدوق يهم قليلاً » فقد وثقه الأئمة: ابن معين، وأحمد، والنسائي، وآدم بن أبي إياس، وابن سعد، وابن حبان، والعجلي، ولم يتكلم فيه سوى زكريا الساجي، وله أوهام قليلة (تحرير التقريب ٢/ ١٥١ ـ ١٥٢). أما السري ابن يحيى فهو ثقة ولم يضعفه سوى الأزدي، وتضعيفه شبه لا شيء لأنه متكلم فيه كما في التقريب، ورياح بن عبيدة ثقة أيضاً كما في التقريب.

(٧) زاد هنا في ب : وذكر ابن عساكر في ترجمة رجل تطلبه سليمان بن عبد الملك أنه فرّ منه في البلاد يميناً وشمالاً ، فبينما هو يوماً في بعض الأماكن إذا رجل يصلي ، فاقترب ، فلما سلّم قال له : لعل هذا الطاغي أخافك؟ قال : نعم . فقال : قل : سبحان الله الواحد الذي ليس غيره إلّه ، سبحان القديم الذي لا بادئ له . سبحان الدائم الذي لا نفاد له . سبحان الذي كل يوم هو في شأن . سبحان الذي يحيي ويميت . سبحان الذي خلق ما يُرى وما لا يُرى . سبحان الذي علِمَ كل شيء بغير تعَلُّم . قال : فلما قلتها أمن قلبي ورجعت إلى سليمان فأجلسني معه على الفراش وقال : ساحر والله لقد أردت قتلك فما تمالكت إذ رأيتك أني أجلستك معي . فقلت : إن من قصتي كذا وكذا . فقال : الخضر والله ، والله الخضر ، والله .

(٨) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٦٨ ـ ٧٠) .

جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين ، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد . وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ . والله أعلم .

وقال(١) عبد الرزاق أخبرنا مَعْمَر ، عن الزُّهْري ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة أن أبا سعيد قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجّال ، وقال فيما يحدثنا : يأتي الدجّال وهو مُحَرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فيخرج إليه يومئذ رجلٌ هو خير الناس أو من خيرهم ، فيقول : أشهدُ أنك أنت الدجّال الذي حدّثنا عنك رسول الله ﷺ بحديثه . فيقول الدجّال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكّون في الأمر ؟ فيقولون : لا . فيقتله ثم يُحييه ، فيقول حين يحيا : والله ما كنتُ أشدَّ بصيرة فيك مني الآن . قال : فيريد قتله الثانية فلا يُسلَّط عليه . قال مَعْمَر : بلغني أنه يجعل على حلقه صفيحة نحاس . وبلغني أنه الخضر الذي يقتله الدجّال ثمّ يُحييه .

وهذا الحديث مخرج في « الصحيحين » من حديث الزُّهري ، به(٢) .

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سُفيان الفقيه الراوي عن مسلم : الصحيح أن يقال : إن هذا الرجل الخضر . وقول معمر وغيره : « بلغني » ، ليس فيه حجة . وقد ورد في بعض ألفاظ الحديث : فيأتي بشابٍ ممتلئ شباباً فيقتله . وقوله : « الذي حدّثنا عنه رسول الله ﷺ » لا يقتضي المشافهةَ ، بل يكفي التواتر .

وقد تصدَّى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي ـ رحمه الله ـ في كتابه (عُجالة المنتظِر في شرح حال الخضِر) للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات ، فبيّن أنها موضوعات ، ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، فبيّن ضعف أسانيدها ببيان أحوالها وجهالة رجالها ، وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد .

وأما الذين ذهبوا إلى أنه قد مات ، ومنهم البخاري ، وإبراهيم الحربي ، وأبو الحسين بن المنادي ، والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي ؛ وقد انتصر لذلك وصنَّف فيه كتاباً سماه (عجالة المنتظِر في شرح حال الخضر)، فيحتج لهم بأشياء كثيرة. منها قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح . والأصل عدمه حتى يثبت ، ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله . ومنها أن الله تعالى قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١]

---

(١) في ب : قال . والحديث في مصنف عبد الرزاق (١١/ ٣٩٣) رقم (٢٠٨٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري في الحج (١٨٨٢)، وفي الفتن (٧١٣٢) من طريق عقيل وشعيب، عن الزهري. وأخرجه مسلم في الفتن (٢٩٣٨) (١١٢) من طريق صالح بن كيسان عن الزهري .

قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمِنُنَّ به وينصرنه . ذكره البخاري عنه ، فالخضر إن كان نبياً أو ولياً، فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حياً في زمان رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه ، وينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه ، لأنه إن كان ولياً فالصِّدِّيق أفضلُ منه ، وإن كان نبياً فموسى أفضلُ منه . وقد روى الإمام أحمد في (مسنده) : حدّثنا شُريح بن النعمان ، حدّثنا هُشيم ، أنبأنا مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كانَ حَيّاً ما وَسِعَه إلاّ أنْ يَتَّبِعَني »[1] . وهذا الذي يُقطع به ، ويُعلم من الدين علم الضرورة .

وقد دلّت عليه هذه الآية الكريمة أن الأنبياء كلّهم لو فرض أنهم أحياء مكلّفون في زمن رسول الله ﷺ لكانوا كلّهم أتباعاً له وتحت أوامره وفي عموم شرعه ، كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لمّا اجتمع معهم ليلة الإسراء رُفع فوقهم كلّهم ، ولما هبطوا معه إلى بيت المقدس وحانت الصلاة ، أمره جبريل عن أمر الله أن يَؤُمَّهم ، فصلّى بهم في محلِّ ولايتهم ، ودار إقامتهم ، فدلّ على أنه الإمام الأعظم ، والرسول الخاتم المبجَّل ، المقدَّم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

فإذا عُلم هذا ، وهو معلوم عند كلِّ مؤمن ، علم أنه لو كان الخضِر حياً لكان من جملة أمة محمد ﷺ وممن يقتدي بشرعه ، لا يسعه إلاّ ذلك . هذا عيسى بن مريم عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهّرة لا يخرج منها ولا يحيد عنها، وهو أحد أُولي العزم الخمسة المرسلين، وخاتم أنبياء بني إسرائيل ، والمعلوم أن الخضِر لم يُنقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه أنه اجتمع برسول الله ﷺ في يوم واحد ، ولم يشهد معه قتالاً في مشهد من المشاهد ، وهذا يوم بدر يقول الصَّادِق المصدوقُ فيما دعا به لربه عزّ وجلّ، واستنصره ، واستفتحه على من كفره : « اللهمَّ إنْ تهلِكْ هذهِ العِصَابةُ لا تُعْبَدُ بَعْدَها في الأرْضِ »[2] وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ وسادة الملائكة ، حتى جبريل عليه السلام كما قال حسان بن ثابت في قصيدة له في بيت يقال : إنه أفخر بيت قالته العرب : [من الكامل]

وبئرُ بـدْرٍ إذْ يـردّ وُجـوهَهـم   جِبْريلُ تحتَ لِوائِنا ومحمدُ[3]

فلو كان الخضر حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته ، وأعظم غزواته .

قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفرّاء الحنبلي : سُئل بعض أصحابنا عن الخضِر هل ماتَ ؟ فقال : نعم . قال : وبلغني مثل هذا عن أبي طاهر بن الغباري ، قال : وكان يحتج بأنه لو كان حياً لجاء إلى رسول الله ﷺ . نقله ابن الجوزي في « العُجالة » .

(١) الحديث بتمامه في مسند أحمد (٣/ ٣٨٧) . (وسيأتي في ٤/ ٦٩) من هذا الكتاب .
(٢) الحديث بتمامه أخرجه مسلم (١٧٦٣) في الجهاد ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر .
(٣) ليس في ديوانه . وفي ب : وبيوم بدر .

فإن قيل : فهلا يقال : إنه كان حاضراً في هذه المواطن كلّها ولكن لم يكن أحدٌ يراه ؟ فالجواب : أن الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذي يلزم منه تخصيص العمومات بمجرّد التوهُّمات . ثمّ ما الحامل له على هذا الاختفاء ، وظهوره أعظم لأجره ، وأعلى في مرتبته ، وأظهر لمعجزته . ثمّ لو كان باقياً بعده لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ الأحاديث النبوية ، والآيات القرآنية ، وإنكاره لِمَا وقع من الأحاديث المكذوبة ، والروايات المقلوبة ، والآراء البدعية ، والأهواء العصبية ، وقتاله مع المسلمين في غزواتهم ، وشهوده جمعهم وجماعاتهم ، ونفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم ، وتسديده العلماء والحكام ، وتقديره الأدلة والأحكام أفضل ما يقال عنه من كونه في الأمصار ، وجَوْبه الفيافي والأقطار . واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم ، وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم . وهذا الذي ذكرناه لا يتوقّف أحد فيه بعد التفهيم ، والله يهدي من يَشاء إلى صراط مستقيم .

ومن ذلك ما ثبت في (الصحيحين) وغيرهما عن عبد الله بن عُمر ، أن رسول الله ﷺ صلّى ليلةً العِشاءَ ثم قال : «أرأيْتُم لَيْلتَكُم هذِهِ فإنَّهُ إلى مِئة سَنَةٍ لا يَبْقَى مِمَّنْ هُو عَلَى وَجْهِ الأرْضِ اليَوْمَ أَحَدٌ»[١] . وفي رواية : « عَيْنٌ تَطرفُ » . قال ابن عمر : فَوَهَلَ[٢] الناس في مقالة رسول الله ﷺ هذه ، وإنما أراد انخرام قرنه .

قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عبد الرزاق[٤] ، أنبأنا مَعمر ، عن الزهري قال : أخبرني سالم بن عبد الله وأبو بكر بن سليمان بن أبي حَثْمةَ أن عبد الله بن عمر قال : صلّى رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته ، فلما سلّم قام فقال : « أرأيْتُم لَيلتكم هذهِ فإنَّ علَى رأسِ مِئة سَنَةٍ لا يَبْقَى ممن على ظهر الأرض أحدٌ » . وأخرجه البخاري[٥] ، ومُسلم[٦] من حديث الزهري .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا محمد بن أبي عدي ، عن سليمان التيمي ، عن أبي نضرة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ قبل موته بقليل أو بشهر : « ما مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ ، أو ما مِنْكُم مِنْ نَفْسٍ اليومَ مَنْفُوسَةٍ يأتي عَلَيها مئة سَنَةٍ وهيَ يَوْمَئذٍ حَيَّة » .

---

(١) أخرجه البخاري : برقم (١١٦) ، في العلم ، باب السمر في العلم ، ومسلم رقم (٢٥٣٧) في فضائل الصحابة عن الزهري ، باب قوله ﷺ : « لا تأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم » .

(٢) وَهَلَ : غلط ، يقال : وهل يهل وَهْلاً ، أي : غلط وذهب وهمه إلى غير الصواب . أما وَهِلت بكسر الهاء ، فمعناه : فزعت .

(٣) في مسنده (٢/ ٨٨) .

(٤) وهو في مصنفه (٢٠٥٣٤) .

(٥) البخاري (١١٦) و(٥٦٤) .

(٦) مسلم (٢٥٣٧) .

(٧) المسند (٣/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) .

وقال أحمد[(١)] : حدّثنا موسى بن داود ، حدّثنا ابن لَهِيْعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي ﷺ أنه قال قبل أن يموت بشهر : « تَسْألُونَني عَنِ السَّاعَةِ وَإنّما عِلْمُها عِنْدَ اللهِ . أُقْسِمُ باللهِ ما عَلَى الأرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ اليومَ يأتي عَلَيْها مئة سَنَةٍ » . وهكذا رواه مسلم[(٢)] من طريق أبي نَضرة وأبي الزبير كلٌّ منهما عن جابر بن عبد الله ، به[(٣)] نحوه .

وقال الترمذي[(٤)] : حدّثنا هنّاد ، حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان[(٥)] ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما على الأرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ يأتي عَلَيها مئة سَنَةٍ » . وهذا أيضاً على شرط مسلم[(٦)] .

قال ابن الجوزي : فهذه الأحاديث الصِّحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر عليه السلام .

قالوا : فالخَضِر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ كما هو المظنون الذي يترقى في القوة إلى القطع ، فلا إشكال ، وإن كان قد أدرك زمانه ، فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعش بعده مئة سنة ، فيكون الآن مفقوداً لا موجوداً ، لأنه داخل في هذا العموم ، والأصل عدم المخصِّص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله . والله أعلم .

وقد حكى الحافظ أبو القاسم السُّهيلي في كتابه « التعريف والإعلام »[(٧)] عن البخاري ، وشيخه أبي بكر بن العربي أنه أدرك حياة النبي ﷺ ولكن مات بعده لهذا الحديث ، وفي كون البخاري ـ رحمه الله ـ يقول بهذا ، وأنه بقي إلى زمان النبي ﷺ نظر . ورجَّح السهيلي بقاءه ، وحكاه عن الأكثرين . قال : وأما اجتماعه مع النبي ﷺ وتعزيته لأهل البيت بعدَه ، فمروي من طُرق صِحاح[(٨)] . ثمّ ذكر ما تقدّم مما ضعَّفناه ، ولم يورد أسانيدها . والله أعلم .

***

(١) المسند (٣/ ٣٤٥) . وأخرجه من طريق آخر هو (٣٨٥) .
(٢) مسلم رقم (٢٥٣٨) في فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ : « لا تأتي مئة سنة وعلى هذه الأرض نفس منفوسة اليوم » .
(٣) قوله : به ، ليس في ب .
(٤) أخرجه الترمذي رقم (٢٢٥٠) في الفتن ، باب (٦٤) .
(٥) في ب : أبي شعيب ، خطأ .
(٦) لكن الترمذي اقتصر على تحسينه .
(٧) التعريف والإعلام الورقة (٣٥) .
(٨) انظر ص٩٦ .

وَأمّا إلياس عَلَيه السّلام

فقال الله تعالى بعد قصة موسى وهارون من سورة الصافات ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الآيات : ١٢٣ ـ ١٣٢] .

قال علماء النسب : هو إلياس بن تشبين . ويقال : ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون . وقيل : إلياس بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران .

قالوا : وكان إرساله إلى أهل بعلَبَك غربي دمشق ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وأن يتركوا عبادة صَنَم لهم كانوا يسمونَه : بَعلا[١] . وقيل : كانت امرأة اسمها : بعل[٢] ، والأول أصح . ولهذا قال لهم ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ فكذّبوه ، وخالفوه ، وأرادوا قتله ، فيقال : إنه هرب منهم ، واختفى عنهم .

قال أبو يعقوب الأذرعي ، عن يزيد بن عبد الصمد ، عن هشام بن عمار قال : وسمعت من يذكر عن كعب الأحبار أنه قال : إن إلياس اختفى من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم[٣] عشر سنين حتى أهلَكَ اللهُ الملِكَ وولّى غيرَه ، فأتاه إلياس ، فعرض عليه الإسلام ، فأسلم وأسلم من قومه خلقٌ عظيم غير عشرة آلاف منهم ، فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم[٤] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني أبو محمد القاسم بن هاشم ، حدّثنا عمر بن سعيد الدمشقي ، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن بعض مشيخة دمشق قال : أقام إلياس عليه السلام هارباً من قومه في كهف جبل عشرين ليلة ، أو قال أربعين ليلة ، تأتيه الغربان برزقه[٥] .

وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه قال : أول نبي بُعث إدريس ، ثمّ نوح ، ثمّ إبراهيم ، ثمّ إسماعيل وإسحاق ، ثمّ يعقوب ، ثمّ يوسف ، ثمّ لوط ، ثمّ

---

(١) استدركه محقق كتاب الأصنام لابن الكلبي (ص١٠٨) ، عن تاج العروس : (بعل) . وفي تاريخ الطبري (١/ ٤٦١) . وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله يقال له : بعل .
(٢) في تاريخ الطبري (١/ ٤٦١) عن ابن إسحاق .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٢٣) .
(٤) تاريخ الطبري (١/ ٤٦٢) .
(٥) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٢٣) .

هود ، ثمّ صالح ، ثمّ شعيب ، ثمّ موسى وهارون ابنا عمران ، ثمّ إلياس بن تشبين بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، هكذا قال[١] . وفي هذا الترتيب نظر .

وقال مكحول ، عن كعب : أربعة أنبياء أحياء ، اثنان في الأرض : إلياس والخضر ، واثنان في السماء : إدريس وعيسى[٢] .

وقد قدّمنا قول من ذكر أن إلياس والخضر يجتمعان في كلِّ عام في شهر رمضان في بيت المقدس ، وأنّهما يحجّان كلّ سنة ، ويشربان من زمزم شَربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل . وأوردنا الحديث الذي فيه أنهما يجتمعان بعرفات كلّ سنة ، وبيّنا أنه لم يصح شيء من ذلك ، وأن الذي يقوم عليه الدليل أن الخضر ماتَ ، وكذلك إلياس عليهما السلام . وما ذكره وهب بن منبّه وغيره أنه لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه إليه لما كذبوه وآذوه ، فجاءته دابة لونُها لون النار ، فركبها وجعل الله له ريشاً وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، وصار ملكياً بشرياً سماوياً أرضياً ، وأوصى إلى اليسع بن أخطوب[٣] ففي هذا نظر ، وهو من الإسرائيليات التي لا تُصدّق ولا تكذب ، بل الظاهر أن صحتها بعيدة . والله أعلم .

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثني أبو العباس أحمد بن سعيد المَعْداني[٤] ببخارى ، حدّثنا عبد الله بن محمود ، حدّثنا عبدان بن سنان ، حدّثني أحمد بن عبد الله البَرْقي ، حدّثنا يزيد بن يزيد البلوي ، حدّثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي ، عن مكحول ، عن أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فنزلنا منزلاً ، فإذا رجلٌ في الوادي يقول : اللهم اجعلني من أمّة محمد ﷺ المرحومة المغفورة المتاب لها . قال : فأشرفت على الوادي فإذا رجلٌ طوله أكثر من ثلاثمئة ذراع ، فقال لي : من أنت ؟ فقلت : أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ . قال : فأين هو ؟ قلت : هو ذا يسمع كلامَك . قال : فأته فأقرئه السلامَ ، وقل له : أخوكَ إلياس يُقرئك السلامَ . قال : فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فجاء حتى لقيه فعانقه وسلّم ، ثمّ قعدا يتحادثان ، فقال له : يا رسول الله إني ما آكل في سنة إلا يوماً ، وهذا يوم فطري ، فآكل أنا وأنت . قال : فنزلتْ عليهما مائدةٌ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٢٣) . وانظر الطبقات لابن سعد (١/ ٤٠) .
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٢٤) .
(٣) تاريخ الطبري (١/ ٤٦٣) . ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٢٥ ـ ٢٧) .
(٤) المَعْداني ، بفتح الميم وسكون العين : نسبة إلى مَعْدان وهو اسم لجد أبي العباس أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن معدان . ترجمته في اللباب (٣/ ٢٣٢) . وفي دلائل النبوة : البغدادي ، وهو تحريف ، والحديث فيه (٥/ ٤٢١) .

من السماء عليها خبزٌ وحوت وكَرَفس[١] ، فأكلا وأطعماني وصلّيا[٢] العصر ، ثم ودَّعه . ورأيته مرّ في السحاب نحو السماء . فقد كفانا البيهقي أمره وقال : هذا حديث ضعيف بمرَّة ، والعجب أن الحاكم أبا عبد الله النيسابوري أخرجه في « مستدركه »[٣] على الصحيحين ، وهذا مما يُستدرك به على « المستدرك » فإنه حديث موضوع مخالف للأحاديث الصحاح من وجوه . ومعناه لا يصح أيضاً ، فقد تقدم في « الصحيحين » أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَم طُوْلُه سِتُّون ذراعاً في السماء » إلى أن قال : « ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الخلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ »[٤] وفيه أنه لم يأت إلى رسول الله ﷺ حتى كان هو الذي ذهب إليه . وهذا لا يصح ، لأنه كان أحق بالسعي إلى بين يدي خاتم الأنبياء . وفيه أنه يأكل في السنة مرة ، وقد تقدم عن وهب أنه سلبه الله لذة المطعم والمشرب ، وفيما تقدم عن بعضهم أنه يشرب من زمزم كلّ سَنَةٍ شربةً تكفيه إلى مثلها من الحول الآخر . وهذه أشياء متعارضة ، وكلّها باطلة لا يصح شيءٌ منها .

وقد ساق ابن عساكر هذا الحديث من طريق آخر ، واعترف بضعفها ، وهذا عجب منه كيف تكلّم عليه ، فإنه أورده من طريق حسن بن عَرفة ، عن هانئ بن الحسن ، عن بقية ، عن الأوزاعي ، عن مكحول ، عن واثلة بن الأسقع ، فذكر نحو هذا مطولاً[٥] ، وفيه أن ذلك كان في غزوة تبوك وأنه بعث إليه رسول الله ﷺ أنس بن مالك وحذيفة بن اليمان ، قالا : فإذا هو أعلى جسماً منا بذراعين أو ثلاثة ، واعتذر بعدم قدومه لئلا تنفر الإبل ، وفيه أنه لما اجتمع به رسول الله ﷺ أكلا من طعام الجنّة وقال : إن لي في كلِّ أربعين يوماً أكلةً ، وفي المائدة خبز ورمان وعنب وموز ورُطَب وبقل ماعدا الكُرَّاث ، وفيه أن رسول الله ﷺ سأله عن الخضر فقال : عهدي به عام أول ، وقال لي : إنك ستلقاه قبلي ، فأقرئه مني السلام[٦] .

وهذا يدلّ على أن الخضر وإلياس بتقدير وجودهما ، وصحّة هذا الحديث لم يجتمعا به إلى سنة تسعٍ من الهجرة ، وهذا لا يسوغ شرعاً ، وهذا موضوع أيضاً .

وقد أورد ابن عساكر طرقاً فيمن اجتمع بإلياس من العباد[٧] ، وكلّها لا يُفرَح بها ، إمّا لضعف إسنادها أو لجهالة المسند إليه فيها . ومن أحسنها ما قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثني بشر بن مُعاذ ، حدّثنا حماد بن واقد ، عن ثابت قال : كنا مع مصعب بن الزبير بسواد الكوفة ، فدخلت حائطاً أصلي فيه

---

(١) الكَرَفْس : بقل كثير المنافع .
(٢) في ط : وصلينا .
(٣) المستدرك (٦١٧/٢) . والبيهقي في الدلائل (٥/ ٤٢١) وقال الذهبي في تلخيص المستدرك : إنه حديث موضوع .
(٤) تقدم تخريج هذا الحديث .
(٥) زاد في ب هاهنا : وهذا موضوع أيضاً .
(٦) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٢٧ ـ ٢٩) .
(٧) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٢٩) .

ركعتين ، فافتتحت : ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ [غافر : ١ ـ ٣] . فإذا رجل من خلفي على بغلة شهباءَ ، عليه مقطعات يمنية ، فقال لي : إذا قلت : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ فقل : يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي . وإذا قلت : ﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ فقل : يا قابل التوب تقبل توبتي . وإذا قلت : ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ فقل : يا شديد العقاب لا تعاقبني . وإذا قلت : ﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ فقل : يا ذا الطول تطوّل عليّ برحمةٍ ، فالتفتُّ فإذا لا أحد ، وخرجت فسألت : مرَّ بكم رجل على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية ؟ فقالوا : ما مرَّ بنا أحد ، فكانوا لا يرون إلا أنه إلياس[1] .

وقوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أي : للعذاب ، إما في الدنيا والآخرة أو في الآخرة ، والأوّل أظهر على ما ذكره المفسرون والمؤرخون .

وقوله : ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ أي : إلا من آمن منهم .

وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ أي : أبقينا بعده ذِكراً حسناً له في العالمين ، فلا يذكر إلا بخير ، ولهذا قال : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ أي : سلام على إلياس ، والعرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها ، كما قالوا : إسماعيل وإسماعين ، إسرائيل وإسرائين ، وإلياس وإلياسين . ومن قرأ : ﴿ سَلامٌ على آلِ يَاسِين ﴾[2] أي على آل محمد ، وقرأ ابن مسعود وغيره : ﴿ سَلامٌ على إدراسِين ﴾ ونقل عنه من طريق إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال : إلياس هو إدريس . وإليه ذهب الضحاك بن مزاحم ، وحكاه قتادة ومحمد بن إسحاق ، والصحيح أنه غيره كما تقدم . والله أعلم .

* * *

(١) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٢٩ ـ ٣٠) ، وهذا في إسناده حماد بن واقد وهو ضعيف .
(٢) هي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب ، حجة القراآت (٦١٠ ـ ٦١١) والنشر (٢/ ٣٦٠) .

باب
ذكر(١) جماعة من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السّلام

ثم نتبعهم بذكر داود وسليمان عليهما السلام .

قال ابن جرير في « تاريخه » : لا خلافَ بينَ أهلِ العلم بأخبار الماضين وأمور السالفين من أمتنا وغيرهم أن القيِّم(٢) بأمور بني إسرائيل بعد يوشع كان كالب بن يوفنا(٣) ـ يعني أحد أصحاب موسى عليه السلام ـ وهو زوج أخته مريم ، وهو أحد الرجلين اللذين ممن يخافون الله ، وهما يوشع وكالب ، وهما القائلان لبني إسرائيل حين نكلوا عن الجهاد : ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] قال ابن جرير(٤) : ثمّ من بعده كان القائم بأمور بني إسرائيل حِزْقيل بن بوذي ، وهو الذي دعا الله فأحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت .

* * *

قصة حزقيل

قال الله تعالى ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٣] .

قال محمد بن إسحاق عن وهب بن مُنَبِّه : إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بعد يوشع خلف في بني إسرائيل حِزقيل بن بوذي ، وهو ابن العجوز ، وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه ـ فيما بلغنا ـ ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ قال ابن إسحاق : فروا من الوباء ، فنزلوا بصعيد من الأرض فقال لهم الله : موتوا ، فماتوا جميعاً ، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فمضت عليهم دهور طويلة ، فمر بهم حزقيل عليه السلام فوقف عليهم متفكراً ، فقيل له : أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر ؟ فقال : نعم . فأُمِر أن يدعو تلك العظام أن تكتسي لحماً ، وأن يتصل العصبُ بعضه ببعض ، فناداهم عن أمر الله له بذلك ، فقام القوم أجمعون وكبّروا تكبيرة رجلٍ واحدٍ(٥) .

---

(١) قوله : باب ـ ذكر ، ليس في ب ، وط .
(٢) في ط : القائم ، وهو لا يوافق نص الطبري .
(٣) تاريخ الطبري (١/ ٤٥٧) .
(٤) المصدر السابق (١/ ٤٥٧) .
(٥) اختصر ابن كثير هنا فأخل بمضمونه وقد ذكره الطبري مفصلاً في تاريخه (١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) وتفسيره أيضاً (٥/ ٤٦٨).

وقال أسباط ، عن السدّي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة في قوله : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ قالوا : كانت قرية يقال لها : دَاوَرْدَان[1] قِبَل واسط وقَع بها الطاعون فهرب عامة أهلها ، فنزلوا ناحية منها ، فهلك من بقي في القرية وسَلِم الآخرون فلم يمت منهم كثير ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا : أصحابُنا هؤلاء كانوا أحزم منا ، لو صنعنا كما صنعوا بقينا ، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم . فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً ، حتى نزلوا ذلك المكان ، وهو واد أفيَح[2] ، فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخرُ من أعلاه : أن موتوا ، فماتوا حتى إذا هلكوا ، وبقيت أجسادهم مرَّ بهم نبي يقال له : حِزقيل ، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكّر فيهم ويلوي شدقيه وأصابعه ، فأوحى الله إليه : تريد أن أُريك كيف أحييهم ؟ قال : نعم . وإنما كان تفكره من قدرة الله عليهم . فقيل له : نادِ ، فنادى يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي ، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض حتى كانت أجساداً من عظام ، ثمّ أوحى الله إليه أن نادِ : يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً ، فاكتست لحماً ودماً ، وثيابها التي ماتت فيها . ثم قيل له : ناد ، فنادى : أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومي ، فقاموا . قال أسباط : فزعم منصور عن مجاهد أنّهم قالوا حين أُحيوا : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت ، فرجعوا إلى قومهم أحياء يُعرفون أنهم كانوا موتى ، سَحْنَةُ[3] الموت على وجوههم ، لا يلبسون ثوباً إلا عاد كفناً وسخاً[4] حتى ماتوا بآجالهم التي كُتبت لهم[5] .

وعن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف . وعنه : ثمانية آلاف . وعن أبي صالح : تسعة آلاف . وعن ابن عباس أيضاً : كانوا أربعين ألفاً .

وعن سعيد بن عبد العزيز : كانوا من أهل أذْرِعات[6] . وقال ابن جريج عن عطاء : هذا مَثَل ، يعني أنه سيق مثلاً مبيناً أنه . « لن يغني حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ »[7] ، وقول الجمهور أقوى إن هذا وقع[8] .

---

(١) في أ وب وراوردان وفي بعض النسخ : دراوَرْدان ، وأثبتنا ما في ط . وهو موافق لما في المطبوع من تاريخ الطبري ، ومعجم البلدان ، وفيه : داوَردان : . . من نواحي شرقي واسط ، بينهما فرسخ . ثم أورد رأي ابن عباس وتفسيره للآية : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ . . ﴾ .

(٢) الأفيح : كل موضع واسع .

(٣) السحنة : الهيئة واللون والحال .

(٤) في ب ، والطبري : دسما وفي ط : إلا عاد رسماً حتى ماتوا . والدسم : الدنس والوسخ .

(٥) تاريخ الطبري (١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٩) .

(٦) مدينة في أطراف الشام ، تبعد عن دمشق نحو (١٠٠) كيلو متر جنوباً تعرف اليوم ب : درعا .

(٧) قطعة من حديث ، جرت مجرى المثل . تقدم تخريجها .

(٨) أورد الطبري في تفسيره (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٩) ، معظم الآراء التي قيلت في تفسير هذه الآية وعددهم .

وقد روى الإمام أحمد ، وصاحبا « الصحيح » من طريق الزُّهري[(١)] ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب ، عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسَرْغ[(٢)] لقِيَه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام . فذكر الحديث ، يعني في مشاورته المهاجرين والأنصار ، فاختلفوا عليه ، فجاءه عبد الرحمن بن عوف ، ـ وكان متغيّباً ببعض حاجته ـ فقال : إن عندي من هذا علماً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كانَ بأرْضٍ وأنتُم بها فَلا تَخرُجُوا فِراراً مِنْه ، وإذا سَمِعْتُم بهِ بأرضٍ فلا تَقْدموا عَلَيه » فحمِدَ اللهَ عمرُ ثم انصرف .

وقال الإمام[(٣)] : حدّثنا حجاج ويزيد المعني[(٤)] قالا : حدثنا ابن أبي ذِئْب[(٥)] ، عن الزهري ، عن سالم ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عُمر وهو في الشام[(٦)] عن النبي ﷺ : « إنّ هذا السقمَ عُذِّبَ بِهِ الأُمَمُ قَبْلَكُم ، فإذا سَمِعْتُم بهِ في أرْضٍ فلا تَدْخُلُوها ، وإذا وَقَع بأرْضٍ وأنْتُم بها فَلاَ تَخْرُجُوا فِراراً مِنه » . قال : فرجع عمر من الشام . وأخرجاه من حديث مالك عن الزهري ، بنحوه[(٧)] .

قال محمد بن إسحاق ، ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل في بني إسرائيل ، ثمّ إن الله قبضه إليه ، فلما قُبض نسي بنو إسرائيل عهد الله إليهم ، وعظمت فيهم الأحداث ، وعبدوا الأوثان ، وكان في جملة ما يعبدونه من الأصنام صنم يسمونه بعلاً ، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران .

قلت : لم يذكر ابن عساكر ترجمة حزقيل في « تاريخه »[(٨)] وقد قدّمنا قصة إلياس تبعاً لقصّة الخضر لأنهما يُقرنان في الذكر غالباً ، ولأجل أنها بعد قصة موسى في سورة الصّافات ، فتعجلنا قصته لذلك . والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق فيما ذُكر له عن وهب بن منبه قال : ثمّ تنبأ فيهم بعد إلياس وصيُّه اليسع بن أخطوب عليه السلام .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٩٢ و١٩٤) والبخاري : رقم (٥٧٢٩) في الطب ، باب ما يذكر في الطاعون . ومسلم رقم (٢٢١٩) في السلام ، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها .

(٢) سَرْغ : أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك ، من منازل حاج الشام معجم البلدان ، وفيه خبر عمر رضي الله عنه .

(٣) المسند (١/ ١٩٣) .

(٤) في أ : العنى . وفي ب : المغني ، بإعجام الغين . وفي ط : المفتي . وما أثبتناه عن المطبوع من مسند أحمد (١/ ١٩٣)

(٥) في ط : « ذؤيب » وهو تحريف بيّن .

(٦) في المطبوع من مسند أحمد : وهو يسير في طريق الشام .

(٧) أخرجه البخاري (٥٧٣٠) ، و(٦٩٧٣) ، ومسلم (٢٢١٩) .

(٨) قوله : ولم يذكر ابن عساكر ترجمة حزقيل في تاريخه ، زيادة من ب ، وهو كما قال .

وهذه قصّة اليسع عَلَيه السّلام

وقد ذكره الله تعالى مع الأنبياء في سورة الأنعام [الآية : ٨٦] في قوله : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

وقال تعالى في سورة ص : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [الآية : ٤٨] .

قال إسحاق بن بشر أبو حذيفة : أخبرنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قال : كان بعد إلياس اليسع عليهما السلام ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ، يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج إلياس وشريعته ، حتى قبضه الله عزّ وجلّ إليه ، ثمّ خلف فيهم الخلُوف ، وعظمت فيهم الأحداث والخطايا ، وكثرت الجبابرة ، وقتلوا الأنبياء ، وكان فيهم ملك جبار[١] عنيدٌ طاغ . ويقال : إنه الذي تكفّل له ذو الكفل إن هو تاب ورجع دخل الجنة ، فسُمّي : ذا الكِفل .

قال محمد بن إسحاق : هو اليسع بن أخطوب .

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في حرف الياء من « تاريخه » : اليسع وهو الأسباط بن عدي بن شوتلم بن أفراييم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل . ويقال : هو ابن عم إلياس النبي عليهما السلام . ويقال : كان مستخفياً معه بجبل قاسيون من ملك بَعْلَبَك ، ثم ذهب معه إليها ، فلما رُفع إلياس خلفه اليسع في قومه ، وتنبَّاه[٢] الله بعده . ذكر ذلك عبد المنعم بن إدريس[٣] عن أبيه عن وهب بن منبه . قال : وقال غيره : وكان الأسباط[٤] ببانياس . ثم ذكر ابن عساكر قراءة من قرأ ﴿ اليسع ﴾ بالتخفيف وبالتشديد ، ومن قرأ ﴿ واللَّيْسَعَ ﴾[٥] وهو اسم واحد لنبي من الأنبياء .

قلت : وقد قدمنا قصة ذي الكفل بعد قصة أيوب عليهما السلام ، لأنه قد قيل : إنه ابن أيوب . فالله أعلم .

فصْلٌ

قال ابن جرير[٦] وغيره : ثم مرج أمر بني إسرائيل ، وعظمت منهم الخطوب والخطايا ، وقتلوا من

---

(١) قوله : جبار ، زيادة من ب .

(٢) في ط : ونبأه وهي أصوب . انظر مختصر تاريخ ابن عساكر (٢٨/ ٣٦) .

(٣) في ب : عبد المنعم بن إدريس بن سنان . ذكره ابن حِبان في المجروحين (٢/ ١٥٧) ، وقال : يضع الحديث على أبيه وعلى غيره من الثقات ، لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه . . . مات سنة (٢٢٨) ببغداد .

(٤) لفظ : الأسباط . سقط من ط .

(٥) حجة القراءات (٢٥٩) والنشر (٢/ ٢٦٠) .

(٦) تاريخ الطبري (١/ ٤٦٤) .

قتلوا من الأنبياء ، وسلَّط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبّارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم ، وسلّط الله عليهم الأعداء من غيرهم أيضاً ، وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قُبة الزمان ـ كما تقدم ذِكره ـ فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة ، والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزّة وعسقلان غلبوهم عليه وقهروهم على أخذه ، فانتزعوه من أيديهم . فلما علم بذلك مَلِك بني إسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقُه فمات كمداً ، وبقي بنو إسرائيل كالغنم بلا راعٍ حتى بعث الله فيهم نبياً من الأنبياء يقال له : شمويل ، فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا معه الأعداء ، فكان من أمرهم ما سنذكره مما قصَّ الله في كتابه .

قال ابن جرير : فكان بين وفاة يوشع بن نون إلى أن بعث الله عزّ وجلّ شمويل بن بالي أربعمئة سنة وستون سنة . ثم ذكر تفصيلها بمدد الملوك الذين ملكوا عليهم وسماهم واحداً واحداً[1] ، تركنا ذِكرهم قصداً .

* * *

(١) تاريخ الطبري (١/ ٤٦٥) .

قصّة شمويل عليه السلام

وفيها بدء أمر داود عليه السلام[١]

هو شمويل ، ويقال له : أشمويل بن بالي بن علقمة بن حام[٢] بن اليهو بن تهو بن صوف[٣] بن علقمة بن ماحث بن عموصا بن عزريا .

قال مقاتل : وهو من ورثة[٤] هارون . وقال مجاهد : هو أشمويل بن هلفاقا[٥] ولم يرفع في نسبه أكثر من هذا ، فالله أعلم .

حكى السُّدِّي[٦] بإسناده عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة ، والثعلبي ، وغيرهم : أنه لما غلبت العمالقة من أرض غزة وعسقلان على بني إسرائيل ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وسبوا من أبنائهم جمعاً كثيراً ، وانقطعت النبوّة من سبط لاوي ، ولم يبق فيهم إلا امرأة حُبلى ، فجعلت تدعو الله عزّ وجلّ أن يرزقها ولداً ذكراً ، فولدت غلاماً ، فسمَّته أشمويل[٧] ، ومعناه بالعبرانية : إسماعيل ، أي سمع الله دعائي . فلما ترعرع بعثته إلى المسجد ، وأسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته ، فكان عنده . فلما بلغ أشده[٨] بينما هو ليلة نائم إذا صوت يأتيه من ناحية المسجد فانتبه مذعوراً ، فظنه الشيخَ يدعوه ، فسأله أدعوتني ؟ فكره أن يُفزعه ، فقال : نعم نَمْ ، فنامَ . ثمّ ناداه الثانية فكذلك ، ثمّ الثالثة[٩] فإذا جبريل يدعوه فجاءه فقال : إن ربك قد بعثك إلى قومك . فكان من أمره معهم ما قصَّ الله في كتابه .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا

---

(١) في ب : عليهما الصلاة والسلام ، وفي ط : قصة شمويل وفيها بدء أمر داود عليهما السلام .
(٢) في ط : يرخام . وهو موافق لما في تاريخ الطبري (١/ ٤٦٧) . وفي تفسير الطبري (٢/ ٣٧٣) : برحام ، بالباء الموحدة والحاء المهملة .
(٣) في تفسير الطبري (٢/ ٣٧٣) : ابن اليهو بن يهوصوق . . .
(٤) في ب : ذرية .
(٥) في بعض النسخ : هلفايا .
(٦) ونقله الطبري مفصلاً في تاريخه (١/ ٤٦٧) .
(٧) في تاريخ الطبري : سمعون .
(٨) في الطبري : فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبياً . . .
(٩) في الطبري : فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني .

مَلِكًا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٦ ـ ٢٥١] .

قال أكثر المفسرين : كان نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو شمويل . وقيل : شمعون . وقيل : هما واحد . وقيل : يوشع ، وهذا بعيد ، لما ذكره الإمام أبو جعفر بن جرير في « تاريخه »[١] أن بين موت يوشع وبعثة شمويل أربعمئة سنة وستين سنة . فالله أعلم .

والمقصود : أن هؤلاء القوم لمّا أنهكتهم الحروب ، وقهرهم الأعداء ، سألوا نبيَّ الله في ذلك الزمان ، وطلبوا منه أن ينصِّب لهم ملكاً يكونون تحت طاعته ليقاتلوا من ورائه ، ومعه وبين يديه الأعداء ، فقال لهم : ﴿ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي : وأيُّ شيءٍ يمنعنا من القتال ﴿ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ ﴾ ، يقولون : نحن محروبون موتورون[٢] ، فحقيق لنا أن نقاتل عن أبنائنا المنهورين[٣] المستضعفين فيهم المأسورين في قبضتهم .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . كما ذكر في آخر القصة أنه لم يجاوز النهرَ مع الملك إلا القليل ، والباقون رجعوا ونكلوا عن القتال .

﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ ﴾ . قال الثّعْلبي : وهو طالوت بن قيش بن

(١) تاريخ الطبري (١/ ٤٦٥) . وتفسيره (٢/ ٣٧٣) والقرطبي (٣/ ٢٤٣) .
(٢) في ب : محزونون مقهورون .
(٣) في ب : المنهوبين .

أبيال بن ضرار[١] بن لحوب بن أفيح بن أريش بن بنيامين[٢] بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل .

قال عكرمة والسدي : كان سقّاءً . وقال وهب بن منبه : كان دبّاغاً . وقيل غير ذلك[٣] ، فالله أعلم . ولهذا ﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ . وقد ذكروا أن النبوة كانت في سبط لاوي ، وأن الملك كان في سبط يهوذا ، فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا منه وطعنوا في إمارته عليهم ، وقالوا : ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ وذكروا أنه فقير لا سعة من المال معه ، فكيف يكون مثل هذا ملكاً ؟! .

﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ . قيل : كان الله قد أوحى إلى شمويل أن أيّ بني إسرائيل كان طوله على طول هذه العصا ، وإذا حضر عندك يفور هذا القرن الذي فيه من دهن القدس فهو ملكهم ، فجعلوا يدخلون ويقيسون أنفسهم بتلك العصا ، فلم يكن أحد منهم على طولها سوى طالوت ، ولما حضر عند شمويل فار ذلك القرن فدهنه منه ، وعيَّنه للملك[٤] عليهم ، وقال لهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ قيل : في أمر الحروب ، وقيل : بل مطلقاً ﴿ وَٱلْجِسْمِ ﴾ قيل : الطول . وقيل : الجمال . والظاهر من السياق أنه كان أجملهم ، وأعلمهم بعد نبيهم عليه السلام ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ فله الحكم وله الخلق والأمر ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وهذا أيضاً من بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم ويُمْنِهِ عليهم أن يردَّ اللهُ عليهم التابوتَ الذي كان سُلب منهم وقَهرهم الأعداءُ عليه ، وقد كانوا يُنصرون على أعدائهم بسببه ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ قيل : طست من ذهب كان يُغْسَل فيه صدور الأنبياء . وقيل : السكينةُ[٥] مثل الريح الخَجُوج[٦] . وقيل : صورتها مثل الهرة إذا صرخت في حال الحرب أيقن بنو إسرائيل بالنصر .

﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ قيل : كان فيه رُضَاض[٧] الألواح وشيء من المنِّ

---

(١) في بعض النسخ : أنيال بن صرار .

(٢) في ط : طالوت بن قيش بن أفيل بن صارو بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين . . . وفي تاريخ الطبري : (١/ ٤٧٥) . شاول بن قيس . . . بن بحرت بن أفيح بن أيش . . .

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) .

(٤) في ط : الملك .

(٥) قد ساق الطبري عدداً من الآراء في تأويل السكينة تفسيره (٢/ ٣٨٥) . وما بعدها .

(٦) ريح خجوج : أي شديدة المرور في غير استواء . وخَجَّتِ الريح في هبوبها تَخُجّ خُجوجاً : التوت .

(٧) الرضّ : دقُّك الشيءَ . ورُضَاضه : قِطَعُه وكسرُه .

الذي كان نزل عليهم بالتيه[١] ﴿ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُۚ ﴾ أي : تأتيكم به الملائكة يحملونه وأنتم ترون ذلك عياناً ليكون آيةً لله عليكم وحُجةً باهرةً على صدق ما أقوله لكم وعلى صحّة ولاية هذا الملِك الصالح عليكم ، ولهذا قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ . وقيل : إنه لما غلب العمالقة على هذا التابوت وكان فيه ما ذكر من السكينة والبقية المباركة . وقيل : كان فيه التوراة أيضاً ، فلما استقر في أيديهم وضعوه تحت صنم لهم بأرضهم ، فلما أصبحوا إذا التابوت على رأس الصنم ، فوضعوه تحته ، فلما كان اليوم الثاني إذا التابوت فوق الصنم ، فلما تكرر هذا علموا أن هذا أمر من الله تعالى ، فأخرجوه من بلدهم وجعلوه في قرية من قراهم ، فأخذهم داء في رقابهم ، فلما طال عليهم هذا جعلوه في عجلة وربطوها في بقرتين وأرسلوهما ؛ فيقال : إن الملائكة ساقتهما[٢] حتى جاؤوا بهما ملأ بني إسرائيل وهم ينظرون كما أخبرهم نبيهم بذلك ، فالله أعلم على أي صفة جاءت به الملائكة . والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفهوم[٣] من الآية ، والله أعلم . وإن كان الأول قد ذكره كثير من المفسرين أو أكثرهم[٤] .

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ ﴾ . قال ابن عباس ، وكثير من المفسرين[٥] : هذا النهر هو نهر الأردن ، وهو المسمى بالشريعة[٦] ، فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبي الله له عن أمر الله له اختباراً وامتحاناً أنّ من شَرِب من هذا النهر اليوم فلا يصحبْني في هذه الغزوة ، ولا يصحبني إلا مَن لم يَطْعمْه إلا غرفة في يده . قال الله تعالى : ﴿ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ ﴾ .

قال السدّي : كان الجيش ثمانين ألفاً ، فشرب منه ستةٌ وسبعونَ ألفاً ، وتبقّى معه أربعة آلاف . كذا قال[٧] .

وقد روى البخاري في « صحيحه » من حديث إسرائيل ، وزهير ، والثوري ، عن أبي إسحاق ، عن البَراء بن عازب قال : كنا ـ أصحابَ مُحمد ﷺ ـ نتحدث أنَّ عِدَّة أصحاب بدرٍ على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، ولم يجاوز معه إلا بضعةَ عشرَ وثلاثمئة مؤمن[٨] .

---

(١) ساق الطبري عدداً من الآراء في تأويل البقية ، تفسيره (٢/ ٣٨٧ـ٣٨٨) .
(٢) في ب : ساقوهما وفي بعض النسخ : ساقتها .
(٣) في ط : كما هو مفهوم بالجنود من الآية ، بزيادة لفظ (الجنود) هنا وحذفه من الآية القادمة .
(٤) تفسير الطبري (٢/ ٣٨٨ـ٣٨٩) .
(٥) من بداية الآية الكريمة ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ ﴾ إلى قوله : وكثير من المفسرين ؛ ليس في ب .
(٦) الآراء في تأويل قوله ﴿ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ ﴾ في تفسير الطبري (٢/ ٣٩١) .
(٧) تفسير الطبري (٢/ ٢٩٢) .
(٨) الحديث في البخاري : رقم (٣٩٥٨) في المغازي ، باب عدة أصحاب بدر . وهو عند الطبري أيضاً في تفسيره (٢/ ٣٩٣) .

وقول السدّي إن عدة الجيش كانوا ثمانين ألفاً ، فيه نظر ، لأن أرض بيت المقدس لا تحتمل أن يجتمع فيها جيش مقاتلة يبلغون ثمانين ألفاً . والله أعلم[١] .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ أي : استقلّوا أنفسَهم واستضعفُوها عن مقاومة أعدائهم بالنسبة إلى قلّتهم وكثرة عدد عدوهم . ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ يعني بها : الفرسان منهم[٢] . والفرسان أهل الإيمان والإيقان الصابرون على الجِلاَد[٣] والجدال والطِّعان .

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ طلبوا من الله أن يُفرغ عليهم الصبرَ، أي: يغمُرُهم به من فوقهم فتستقر قلوبهم ولا تقلق ، وأن يثبّت أقدامهم في مجال الحرب ومعترك الأبطال وحَومة الوغى ، والدعاء إلى النِّزال ، فسألوا التثبّت الظاهرَ والباطنَ ، وأن يُنزل عليهم النصر على أعدائهم ، وأعدائه من الكافرين الجاحدين بآياته وآلائه ، فأجابهم العظيم القدير السميع البصير الحكيم الخبير إلى ما سألوا ، وأنالهم ما إليه فيه رغبوا ، ولهذا قال : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي : بحول الله لا بحولهم ، وبقوة الله ونصره لا بقوتهم وعددهم مع كثرة أعدائهم وكمال عددهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام ، وأنه قتله قتلاً أَذَلّ به جُنْدَهُ وكسره ، ولا أعظم من غزوة يُقتَل مَلِكُ عدوّها فيُغْنَمُ بسبب ذلك الأموال الجزيلة ، ويُؤسَر الشجعان والأقران[٤] ، وتعلو كلمة الإيمان على الأوثان ، ويُدالُ أولياء الله على أعدائه ، ويظهر الدين الحق على الباطل وأوليائه .

وقد ذكر السُّدّي فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه ، وكانوا ثلاثة عشر ذكراً ، وكان سمع طالوتَ ملك بني إسرائيل وهو يُحرّض بني إسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول : من قتل جالوت زَوّجْتُه بابنتي ، وأشركته في ملكي ، وكان داود عليه السلام يرمى بالقَذَّافة ، وهو المقلاع ، رمياً عظيماً ، فبينا هو سائر مع بني إسرائيل إذ ناداه حَجَر أن خُذني فإنّ بي تَقْتل جالوتَ ، فأخذه . ثم حجر آخر كذلك ، ثم آخر كذلك . فأخذ الثلاثة في مِخْلاته . فلما تواجه الصفّان برز جالوتُ ودعا إلى نفسه ، فتقدّم

---

(١) للطبري رأي في من جاوز مع طالوت النهر (٢/ ٣٩٤) .
(٢) في ب : يعني بهم الشجعان منهم .
(٣) في ب : الجهاد . والجلاد : الضرب بالسيف في القتال .
(٤) في ب : ويؤسر الشجعان والأبطال . وفي ط : ويأسر الأبطال والشجعان والأقران .

إليه داود ، فقال له : ارجع فإني أكره قتلَك . فقال : لكني أُحب قتلك ، وأخذ تلك الأحجار الثلاثة فوضَعها في القَذّافة ، ثمّ أدارها فصارت الثلاثة حجراً واحداً ، ثمّ رمى بها جالوتَ ففلق رأسَه وفرَّ جيشُه منهزماً ، فوفى له طالوت بما وعدَه ، فزوَّجه ابنته ، وأجرى حكمه في ملكه ، وعظُم داودُ عليه السلام عند بني إسرائيل ، وأحبوه ومالوا إليه أكثر من طالوت . فذكروا أن طالوت حَسَده وأراد قتله ، واحتال على ذلك فلم يصل إليه . وجعل العلماءُ ينهون طالوتَ عن قتل داود ، فتسلّط عليهم ، فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا القليلُ . ثمّ حصل له توبةٌ وندم وإقلاع عما سلف منه ، وجعل يُكثر من البكاء ويخرج إلى الجبَّانة فيبكي حتى يبلَّ الثرى بدموعه ، فنودي ذاتَ يوم من الجبانة : أن يا طالوت قَتَلتنا ، ونحن أحياء ، وآذيتنا ، ونحن أموات ، فازداد لذلك بكاؤه وخوفه ، واشتد وجله ، ثمّ جعل يسأل عن عالم يسأله عن أمره وهل له من توبة ، فقيل له : وهل أبقيت عالماً ؟! حتى دُل على امرأة من العابدات فأخذته فذهبت به إلى قبر يوشَع عليه السلام . قالوا : فدعتِ الله ، فقام يوشع من قبره فقال : أقامتِ القيامة ؟ فقالت : لا ، ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة ؟ فقال : نعم . ينخلع من الملك ، ويذهب فيقاتل في سبيل الله حتى يُقتل . ثمّ عاد مَيْتاً . فترك الملكَ لداود عليه السلام ، وذهب ومعه ثلاثةَ عشرَ من أولاده ، فقاتلوا في سبيل الله حتى قُتلوا . قالوا : فذلك قوله : ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ .

هكذا ذكره ابن جرير في « تاريخه »[١] من طريق السدّي بإسناده . وفي بعض ذلك[٢] نظر ونكارة والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : النبي الذي بعث فأخبر طالوت بتوبته هو اليسع بن أخطوب . حكاه ابن جرير[٣] أيضاً .

وذكر الثعلبي أنها أتت به إلى قبر أشمويل فعاتبه على ما صنع بعده من الأمور . وهذا أنسب . ولعلّه إنما رآه في النوم لا أنه قام من القبر حياً ، فإن هذا إنما يكون معجزةً لنبي ، وتلك المرأة لم تكن نبيَّةً . والله أعلم . قال ابن جرير[٤] : وزعم أهل التوراة أن مدّة ملك طالوت إلى أن قُتل مع أولاده كانت[٥] أربعين سنةً . فالله أعلم .

***

(١) (١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٥) وفيه تفصيل وتوضيح كثير لما أوجزه ابن كثير هنا .
(٢) لفظ ذلك مستدرك من ب ، ومكانه فراغ في أ . وفي ط : هذا .
(٣) تاريخ الطبري (١/ ٤٧٥) .
(٤) قوله : قال ابن جرير ، سقط من ط ، والخبر في تاريخ الطبري ، كما أشار (١/ ٤٧٥) .
(٥) كانت . زيادة من أ وهي موافقة لما في الطبري . وفي ط : أربعون .

قصّة داود عليه السلام وَمَا كان في أيامه
وذكر فضائِله[١] وَشمائِله وَدَلائل نبوّته وأعلامه

هو داود بن إيشا بن عويد بن باغز[٢] بن سلمون بن نحشون بن عميناداب[٣] بن إرم بن حضرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس .

قال محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبّه : كان داود عليه السلام قصيراً ، أزرق العينين ، قليل الشعر ، طاهر القلب نقيه[٤] .

تقدم أنه لما قتل جالوت ، وكان قتله له ، فيما ذكر ابن عساكر[٥] ، عند قصر أم حكيم بقرب مرج الصُّفَّر[٦] فأحبته بنو إسرائيل ، ومالوا إليه وإلى ملكه عليهم ، فكان من أمر طالوت ما كان ، وصار الملك إلى داود عليه السلام ، وجمع الله له بين الملك والنبوة ، بين خير الدنيا والآخرة ، وكان الملك يكون في سبط ، والنبوة في آخر ، فاجتمع في داود هذا وهذا كما قال تعالى : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي : لولا إقامة الملوك حكّاماً على الناس لأكل قويُّ الناسِ ضعيفَهم . ولهذا جاء في بعض الآثار : السلطان ظلّ الله في أرضه[٧] . وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان : إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وقد ذكر ابن جرير في « تاريخه » أن جالوت لما بارز طالوت فقال له : اخرج إلي وأخرج إليك ، فندب طالوت الناس فانتدب داود فقَتل جالوت . قال وهب بن مُنبّه : فمال الناس إلى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر ، وخلعوا طالوت ، وولوا عليهم داود[٨] .

---

(١) في ط : ثم فضائله .

(٢) في أ وط : عابر . وفي بعض النسخ : عامر وأثبتنا ما في ب ، والطبري (١/ ٤٧٦) . وسيأتي كذلك في نسب سليمان عليه السلام .

(٣) في م : عويناداب . وفي بعض النسخ : عوينادب بن إرم بن حصرون . وأثبتنا ما في ب ، والطبري ، وسيأتي كذلك في نسب سليمان .

(٤) في ط : ونقيه . مختصر ابن منظور (٨/ ١٠٥) وتاريخ الطبري (١/ ٤٧٦) .

(٥) مختصر ابن منظور (٨/ ١٠٥) .

(٦) مرج الصفَّر : موضع إلى الجنوب من دمشق بينها وبين الجولان . معجم البلدان (الصفر ـ مرج الصفر) .

(٧) كنز العمال (١٤٥٨٠ ـ ١٤٥٨٥) والحديث رواه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٧٣٧٣) وإسناده ضعيف في المرفوع .

(٨) تاريخ الطبري (١/ ٤٧٨) .

وقيل : إن ذلك كان عن أمر شمويل ، حتى قال بعضهم : إنه ولاّه قبل الوقعة . قال ابن جرير : والذي عليه الجمهور أنه إنما ولي ذلك بعد قتل جالوت والله أعلم[١] .

وروى ابن عساكر ، عن سعيد بن عبد العزيز أن قتله جالوت كان عند قصر أم حكيم ، وأن النهر الذي هناك هو المذكور في الآية . فالله أعلم .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ : ١٠ ـ ١١] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩ ـ ٨٠] .

أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصّن المقاتلة من الأعداء ، وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها فقال : ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ أي : لا تُدِقَّ المسمارَ فيقلق[٢] ولا تُغلظه فيفصم . قاله مجاهد وقتادة والحكم وعكرمة[٣] .

قال الحسن البصري ، وقتادة ، والأعمش : كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة . قال قتادة : فكان أول من عمل الدروع من زرد ، وإنما كانت قبل ذلك من صفائح .

قال ابن شوذب : كان يعمل كلّ يومٍ درعاً يبيعها بستة آلاف درهم . وقد ثبت في الحديث أن أَطْيَبَ ما أكل الرجل من كسبه ، وأن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده[٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص : ١٧ ـ ٢٠] .

قال ابن عباس ومجاهد : الأيد : القوة في الطاعة ، يعني كان ذا قوة في العبادة والعمل الصالح . قال قتادة : أُعطي قوةً في العبادة ، وفقهاً في الإسلام . قال : وقد ذُكر لنا أنه كان يقوم الليل ، ويصوم نصفَ الدهر .

وقد ثبت في « الصحيحين » أن رسول الله ﷺ قال : « أَحَبُّ الصَّلاةِ إلى اللهِ صَلاَةُ داودَ وأَحَبُّ الصِّيامِ

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٤٧٨) .
(٢) في ط : فيغلق . وهو تصحيف . والقلق : الاضطراب وعدم الثبات .
(٣) في ب : وغيرهم . وهناك عدة أقوال في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧) .
(٤) الحديث عند البخاري برقم (٢٠٧٢) في البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده . وفي الباب أحاديث أخرى . جامع الأصول (١٠/ ٥٧٠) .

إلى اللهِ صِيَامُ دَاودَ ، كان ينام نصفَ الليل ، ويقوم ثُلُثه . وينامُ سُدُسَه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفِرُّ إذا لاقى »[١] .

وقوله : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ ، كما قال : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ أي : سبّحي معه . قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ أي : عند آخر النهار وأوّله ، وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً ، بحيث إنه كان إذا ترنَّم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يُرجِّع بترجيعه ويسبح بتسبيحه ، وكذلك الجبال تجيبه وتُسبِّح معه كلما سبَّح بُكرَةً وعَشِياً ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقال الأَوزاعي[٢] : حدّثني عبد الله بن عامر قال : أُعطي داود من حسن الصوت ما لم يُعْطَ أحدٌ قطّ ، حتى أن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشاً وجوعاً ، وحتى أن الأنهار لتقف .

وقال وهب بن منبه : كان لا يسمعه أحد إلا حَجَل[٣] كهيئة الرقص ، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله ، فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعاً .

وقال أبو عوانة الإسفراييني : حدّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدّثنا محمد بن منصور الطوسي ، سمعت صبيحاً أنبأنا براد[٤] . (ح) قال أبو عوانة : وحدّثني أبو العباس المدني ، حدّثنا محمد بن صالح العدوي ، حدّثنا سيَّار ـ هو ابن حاتم ـ عن جعفر ، عن مالك قال : كان داود عليه السلام إذا أخذ في قراءة الزبور تفتقت العذارى . وهذا غريب .

وقال عبد الرزاق ، عن ابن جريج : سألت عطاء عن القراءة على الغناء فقال : وما بأس بذلك ، سمعت عبيد بن عُمير يقول : كان داود عليه السلام يأخذ المِعزَفة فيضرب بها فيقرأ عليها ، فترد عليه صوته . يريد بذلك أن يبكي وتبكي[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري : رقم (٣٤٢٠) ، في الأنبياء ، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وليس فيه : « ولا يفر إذا لاقى » ، ومسلم رقم (١١٥٩) (١٨٩ ـ ١٩٠) في الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقاً . وفي لفظه تقديم وتأخير .

(٢) الأوزاعي هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمد ، شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام . كان يسكن بمحلة الأوزاع ـ وهي العقيبة الآن ـ ظاهر باب الفراديس ـ وهو باب العمارة اليوم ـ ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات رحمه الله سنة (١٥٧هـ) في سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧) ومصادر ترجمته ثمة .

(٣) الحَجْل : أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى من الفرح .

(٤) في بعض النسخ : سمعت صبيحاً أبا تراب .

(٥) ضبطت في ب : أن يَبكي ويُبكي .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا مَعْمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : سمع رسول الله ﷺ صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال : « لقد أُوتي أبو مُوسَى مِنْ مَزَامِيْر آل داود »[١] . وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه .

وقال أحمد[٢] : حدّثنا حسن[٣] ، حدّثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لقد أُعْطي أَبو مُوْسَى مِن مَزامِيْرِ داود » . على شرط مسلم .

وقد روينا عن أبي عثمان النهدي[٤] أنه قال : لقد سمعت البَرْبَط[٥] والمزمار ، فما سمعت صوتاً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري .

وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتابه الزبور كما قال الإمام أحمد[٦]: حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا معمر، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خُفّفَ عَلَى داود القِراءةُ فَكَانَ يأْمُرُ بِدَابَّتِهِ فَتُسْرَج ، فَكَانَ يَقْرَأُ القُرآنَ مِن قَبْلِ أَنْ تُسْرَجَ دَابَّتُهُ ، وَكَانَ لا يَأْكُلُ إلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ » .

وكذلك رواه البخاري[٧] منفرداً به عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق ، به . ولفظه : « خُفّف عَلَى داودَ القرآنُ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّه فَتُسْرَج فَيَقْرَأُ القرآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّه وَلاَ يَأْكُلُ إلاّ مِنْ عَمَل يديه[٨] » . ثم قال البخاري : ورواه موسى بن عقبة ، عن صفوان ـ هو ابن سليم ـ عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

وقد أسنده ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام في « تاريخه » من طرق عن إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة . ومن طريق أبي عاصم ، عن أبي بكر السبري ، عن صفوان بن سليم ، به[٩] .

والمراد بالقرآن هاهنا الزبور الذي أنزله عليه وأوحاه إليه . وذكر رواية أشبه أن يكون محفوظاً ، فإنه كان ملكاً له أتباع ، فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تُسرج الدواب ، وهذا أمر سريع مع التدبُّر والترنُّم والتغني

---

(١) المسند (٦/ ١٦٧) .
(٢) في مسنده (٢/ ٣٥٤) .
(٣) هو حسن بن موسى الأشيب .
(٤) في أ وط الترمذي . والصواب ما في ب . وأبو عثمان النهدي هو عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي توفي سنة (١٠٠هـ) . اللباب (٣/ ٣٣٦) .
(٥) البَرْبَط : العود .
(٦) المسند (٢/ ٣١٤) .
(٧) أخرجه البخاري برقم (٣٤١٧) في الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَادَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ .
(٨) هكذا في أ وط وهو موافق لإحدى روايات البخاري ، وفي ب : « يده » وهي موافقة لإحدى روايات البخاري أيضاً .
(٩) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ١٠٩) .

به على وجه التخشع ، صلوات الله وسلامه عليه . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥] والزبور كتاب مشهور ، وذكرنا في « التفسير » الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه أنزل في شهر رمضان ، وفيه من المواعظ والحكم ما هو معروف لمن نظر فيه .

وقوله : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ أي : أعطيناه ملْكاً عظيماً وحُكماً نافذاً . روى ابن جرير(١) ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رجلين تداعيا إلى داود عليه السلام في بقر ادَّعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه ، فأنكر المدَّعى عليه ، فأرجأ أمرهما إلى الليل ، فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يَقتل المدَّعي ، فلما أصبح قال له داود : إن الله تعالى قد أوحى إلي أن أقتلك ، فأنا قاتلك لا محالة ، فما خبرك فيما ادعيته على هذا ؟ قال : والله يا نبي الله إني لَمحق فيما ادعيت عليه ، ولكني كنت اغتلت أباه قبل هذا . فأمر به داود فقُتل ، فعظم أمرُ داود في بني إسرائيل جداً ، وخضعوا له خضوعاً عظيماً ، قال ابن عباس وهو قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي : النبوة ، ﴿ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ ، قال شريح والشعبي وقتادة وأبو عبد الرحمن السُّلَمي وغيرهم : فصل الخطاب : الشهود والأيمان ، يعنون بذلك البيّنة على المدعي ، واليمين على من أنكر(٢) . وقال مجاهد والسّدي : هو إصابة القضاء وفهمه(٣) . وقال مجاهد : هو الفصل في الكلام وفي الحكم . اختاره ابن جرير(٤) وهذا لا ينافي ما رُوي عن أبي موسى أنه قول : أما بعد .

وقال وهب بن منبه : لما كثر الشر وشهادات الزور في بني إسرائيل أُعطي داود سلسلة لفصل القضاء ، فكانت ممدودة من السماء إلى صخرة بيت المقدس ، وكانت من ذهب ، فإذا تشاجر الرجلان في حق فأيهما كان محقاً نالها ، والآخر لا يصل إليها ، فلم تزل كذلك حتى أودع رجلٌ رجلاً لؤلؤة فجحدها منه ، واتخذ عكازاً وأودعها فيه ، فلما حضر عند الصخرة تناولها المدعي ، فلما قيل للآخر : خُذها بيدك عمد إلى العكاز فأعطاه المدعي وفيه تلك اللؤلؤة وقال : اللهم إنك تعلم أني دفعتها إليه ، ثمّ تناول السلسلة فنالها ، فأشكل أمرها على بني إسرائيل . ثمّ رفعت سريعاً من بينهم . ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين . وقد رواه إسحاق بن بشر ، عن إدريس بن سنان ، عن وهب ، به ، بمعناه .

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٨) .
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٩) .
(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٨) .
(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٩) .

وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [سورة ص : ٢١ ـ ٢٥] .

قد ذكـر كثير من المفسرين من السلف والخلف هاهنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات ، ومنها ما هو مكذوبٌ لا محالة ، تركنا إيرادها في كتابنا قصداً اكتفاءً واقتصاراً على مجرّد تلاوة القصّة من القرآن العظيم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وقد اختلف الأئمة في سجدة ﴿ ص ﴾ هل هي من عزائم السجود ، أو إنما هي سجدة شكر ليست من عزائم السجود ، على قولين .

قال البخاري(١) : حدّثنا محمد بن عبد الله ، حدّثنا محمد بن عبيد الطنافسي ، عن العوّام قال : سألت مجاهداً عن سجدة ﴿ ص ﴾ فقال : سألت ابنَ عباس : من أين سجدت ؟ فقال(٢) : أوما تقرأ ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] فكان داود ممن أُمِر نبيُّكم ﷺ أن يقتدي به ، فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله ﷺ .

وقد قال الإمام أحمد(٣) : حدّثنا إسماعيل ـ هو ابن علية ـ عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في السجود في ﴿ ص ﴾ : ليست من عزائم السجود . وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها .

وكذا رواه البخاري(٤) ، وأبو داود(٥) ، والترمذي(٦) ، والنسائي(٧) ، من حديث أيوب . وقال الترمذي : « حسن صحيح » .

وقال النسائي(٨) : أخبرني إبراهيم بن الحسن المِقْسَمي ، حدّثنا حجّاج بن محمد ، عن عمر بن ذَرّ ، عن أبيه ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد في ﴿ ص ﴾ وقال : « سَجَدَها دَاوُدُ تَوْبَةً وَنَسْجُدُها شُكْراً » تفرد به ، ورجاله ثقات .

---

(١) البخاري رقم (٤٨٠٧) ، في تفسير سورة ﴿ ص ﴾ .
(٢) في ط : « قال » وما هنا يعضده ما في البخاري .
(٣) في مسنده (١/ ٣٦٠) .
(٤) صحيح البخاري رقم (١٠٦٩) في سجود القرآن، و(٣٤٢٢) في الأنبياء، باب ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ .
(٥) سنن أبي داود رقم (١٤٠٩) في الصلاة ، باب السجود في ﴿ ص ﴾ .
(٦) الترمذي رقم (٥٧٧) في الصلاة ، باب ما جاء في السجدة في ﴿ ص ﴾ .
(٧) في التفسير (١٩٠) .
(٨) سنن النسائي (٢/ ١٥٩) ، وهو في التفسير (٤٥٨) .

وقال أبو داود[١] : حدّثنا أحمد بن صالح ، حدّثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد ابن أبي هلال ، عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سَرح ، عن أبي سعيد الخدري قال : قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر ﴿ ص ﴾ فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها ، فلما بلغ السجدة تَشَزَّنَ[٢] الناس للسجود فقال : « إنّما هي تَوْبَةُ نَبي ولكنْ رَأَيْتُكُم تَشَزَّنْتُم » فنزل وسجد . تفرد به أبو داود . وإسناده على شرط الصحيح .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عفان ، حدّثنا يزيد بن زُريع ، حدّثنا حُميد ، حدّثنا بكر ـ هو ابن عمر ـ وأبو الصديق الناجي[٤] أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رأى رؤيا أنه يكتب ﴿ ص ﴾ فلما بلغ (إلى) التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكلّ شيء بحضرته انقلب ساجداً ، قال : فقصَّها على النبي ﷺ ، فلم يزل يسجد بها بعد . تفرّد به أحمد .

وروى الترمذي[٥] وابن ماجه[٦] من حديث محمد بن يزيد بن خُنيس ، عن الحسن بن محمد بن عُبيد[٧] الله بن أبي يزيد قال : قال لي ابن جُريج : حدّثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : إني رأيت فيما يرى النائم كأني أُصلي خلف شجرة ، فقرأت السجدةَ ، فسجدت الشجرة بسجودي ، فسمعتها تقول وهي ساجدة : اللهم اكتب لي بها عندك أجراً ، واجعلْها لي عندك ذُخراً ، وضع عنّي بها وِزراً ، واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود ، قال ابن عباس : فرأيت النبي ﷺ قام فقرأ السجدة ثمّ سجد ، فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة . ثمّ قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد ذكر بعض المفسرين أنه عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوماً . وقاله مجاهد والحسن وغيرهما .

وورد في ذلك حديث مَرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف متروك الحديث[٨] . قال

---

(١) سنن أبي داود رقم (١٤١٠) في الصلاة ، باب السجود في ﴿ ص ﴾ .

(٢) في ط : تشرف . . . تشرفتم . . والتشزُّن : التأهب والتهيؤ للشيء والاستعداد له .

(٣) المسند (٣/ ٧٨) .

(٤) في ب : وأبو بكر الصديق . وهو سهو . والناجي : نسبة إلى بني ناجية بن سامة بن لؤي . وأبو الصديق بكر بن قيس الناجي ، منهم ، بصري ، مات سنة (١٠٨هـ) . اللباب : (٣/ ٢٨٧) .

(٥) هو عند الترمذي رقم (٥٧٩) في الصلاة ، باب ما يقول في سجود القرآن ، وقال : غريب (يعني ضعيف) .

(٦) في سننه (١٠٥٣) .

(٧) في ب : « عبد الله » وهو تحريف .

(٨) في أ : متروك البداية ، وفي ط : . . الرواية . وأثبتنا ما في ب . ويزيد بن أبان الرقاشي كما قال ابن كثير ضعيف متروك الحديث . المجروحين (٣/ ٩٨) ، والضعفاء للنسائي : (١١٠) .

الله تعالى : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ . أي : وإن له يوم القيامة لزلفى ، وهي القربة التي يقربه الله بها ويدنيه من حظيرة(١) قدسه بسببها ، كما ثبت في الحديث : « المُقْسِطُوْنَ على مَنَابِرَ مِنْ نُوْرٍ عَنْ يَمِيْنِ الرَّحْمنِ ، وَكِلْتَا يديه يمينٌ ، الذين يُقْسِطون في أَهليهم وحكمِهم وما وَلوا »(٢) .

وقال الإمام أحمد في « مسنده » : حدّثنا يحيى بن آدم ، حدّثنا فضيل ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إلى اللهِ يَوْمَ القِيامة وأَقْرَبَهُم مِنْه مَجْلِساً إمامٌ عَادِلٌ ، وإنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إلى اللهِ يَوْمَ القِيَامَة(٣) وأَشَدَّهُم عَذاباً إمامٌ جَائِرٌ »(٤) .

وهكذا رواه الترمذي من حديث فضيل بن مرزوق الأغرّ ، به . وقال : لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه(٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدّثنا سيّار ، حدّثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ قال : مقام داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش ، ثم يقول الله : يا داود مجّدْني اليومَ بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنتَ تمجّدني به في الدنيا . فيقول : وكيف وقد سلبته ؟ فيقول : إني أرده عليك اليومَ . قال . فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان .

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [سورة ص : ٢٦] .

هذا خطاب من الله تعالى مع داود ، والمرادُ ولاة الأمور وحُكّام الناس ، وأمرهم بالعدل واتّباع الحق المنزّل من الله لا ما سواه من الآراء والأهواء ، وتوعّد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك ، وقد كان داود عليه السلام هو المقتدى به في ذلك الوقت(٦) في العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات ، حتى إنه كان لا يمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً ، كما قال تعالى ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام ، حدّثنا صالح المُرِّي ، عن

---

(١) في أ وب : حضيرة . . وحظيرة القدس : الجنة . اللسان .
(٢) أخرجه مسلم رقم (١٨٢٧) في الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر . وفي لفظه اختلاف يسير .
(٣) من قوله : وأقربهم منه . . إلى هنا سقط من ب .
(٤) المسند (٣/ ٢٢ و٥٥) .
(٥) الترمذي رقم (١٣٢٩) في الأحكام ، باب ما جاء في الإمام العادل .
(٦) في ب : الزمان .

أبي عمران الجوني ، عن أبي الجَلْد[١] قال : قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال : يا رب كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصِل إلى شكرك إلا بنعمتك ؟ قال : فأتاه الوحي « أن يا داود أليس تعلم أن الذي بك من النعم مني ؟ قال : بلى يا رب . قال : فإني أرضى بذلك منك »[٢] .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن بالويه ، حدّثنا محمد بن يونس القرشي ، حدّثنا رَوح بن عبادة ، حدّثني عبد الله بن لاحق ، عن ابن شهاب قال : قال داود : الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله . فأوحى الله إليه : إنك أتعبتَ الحفَظَةَ يا داود . ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن علي بن الجعد ، عن الثوري ، مثله[٤] .

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب « الزهد »[٥] : أخبرنا سفيان الثوري ، عن رجل ، عن وهب بن منبه قال : إن في حكمة آل داود : وحق على العقل أن لا يغفل عن أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفضي فيها إلى إخـوانه الذين يخبرونه بعيوبه ، ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلّي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحـل ويجمل ، فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام للقلوب . وحق على العقل أن يعرف زمانه ، ويحفظ لسانه ، ويقبل على شأنه . وحق على العاقل أن لا يظعن إلا في إحدى ثلاث : زاد لمعاده ، ومرمة لمعاشه، ولذة من غير محرم .

وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا ، عن أبي بكر بن أبي خيثمة ، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، عن أبي الأغر ، عن وهب بن منبه ، فذكره .

ورواه أيضاً عن علي بن الجعد ، عن عمر بن هيثم الرقاشي ، عن أبي الأغر ، عن وهب بن منبه ، فذكره ، وأبو الأغر هذا هو الذي أبهمه ابن المبارك في روايته . قال ابن عساكر : وقال عبد الرزاق : أخبرنا بشر بن رافع ، حدّثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له : أبو عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه ، فذكر مثله .

---

(١) هو جيلان بن فروة ، أبو الجلد ، بفتح الجيم . الإكمال (٣/ ١٨١) وهو في كتاب الشكر لابن أبي الدنيا صفحة (٦٧) وإسناده ضعيف ، صالح المري ، ضعيف .

(٢) لفظ منك ليس في ب . والخبر في مختصر ابن منظور (٨/ ١١٣) .

(٣) في « شعب الإيمان » رقم (٤٤١٦) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر صفحة (٨٣) ، وهو في تاريخ ابن عساكر كما في مختصره لابن منظور (٨/ ١١٣ ـ ١١٤) .

(٥) الزهد لابن المبارك ، وهو في تاريخ ابن عساكر كما في مختصره لابن منظور (٨/ ١٢٦) ، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ سفيان .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام أشياء كثيرة مليحة ، منها قوله : كن لليتيم كالأب الرحيم . واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد .

وروى بسندٍ غريبٍ مرفوعاً قال داود : يا زارع السيئات أنت تحصد شوكها وحسكها . وعن داود عليه السلام أنه قال : مثل الخطيب الأحمق في نادي القوم كمثل المغنّي عند رأس الميت . وقال أيضاً : ما أقبح الفقر بعد الغنى ، وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى . وقال : انظر ما تكره أن يذكر عنك في نادي القوم فلا تفعله إذا خلوت . وقال : لا تَعِدنَّ أخاك بما لا تنجزه له فإن ذلك عداوة ما بينك وبينه[١] .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر الواقدي ، حدّثني هشام بن سعد ، عن عمر مولى غفرة قال : قالت اليهود لما رأت رسول الله ﷺ يتزوج النساء : انظروا إلى هذا الذي لا يشبع من الطعام ، ولا والله ماله همة إلا إلى النِّساء ، وحسدوه لكثرة نسائه ، وعابوه بذلك ، وقالوا : لو كان نبياً ما رغب في النساء . وكان أشدهم في ذلك حُيي بن أخطب ، فكذبهم الله تعالى وأخبرهم بفضل الله وسعته على نبيه صلوات الله عليه وسلامه قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ يعني بالناسِ رسول الله ﷺ ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٥٤] يعني ما آتى الله سليمانَ بن داود ، كانت له ألفُ امرأة ، سبعمئة مهيرة[٢] وثلاثمئة سرية ، وكانت لداود عليه السلام مئة امرأة منهن امرأة أوريا أم سليمان بن داود التي تزوجها بعد الفتنة ، هذا أكثر مما لمحمد ﷺ .

وقد ذكر الكلبي نحو هذا، وأنه كان لداود عليه السلام مئة امرأة ولسليمان ألف امرأة منهن ثلاثمئة سرية .

وروى الحافظ في « تاريخه »[٣] في ترجمة صدقة الدمشقي الذي يروي عن ابن عباس من طريق الفرج بن فضالة الحمصي ، عن أبي هريرة الحمصي ، عن صدقة الدمشقي : أن رجلاً سأل ابن عباس عن الصيام ؟ فقال : لأحدثنك بحديثٍ كان عندي في التخت[٤] مخزوناً : إن شئت أنبأتك بصوم داود ، فإنه كان صوّاماً قوّاماً ، وكان شجاعاً لا يفرُّ إذا لاقى ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وقال رسول الله ﷺ : « أَفْضَلُ الصِّيَامِ صِيَامُ دَاوُدَ » ، وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتاً يكون فيها . وكانت له ركعة من آخر[٥] الليل يبكي فيها نفسه ، ويبكي ببكائه كلّ شيء ويصرف بصوته الهموم

---

(١) مختصر ابن منظور (٨/ ١٢٧) .
(٢) المهيرة : غالية المهر . اللسان . وهو كذلك في بعض النسخ وفي أصولنا : مهرية ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) تاريخ دمشق (٢٤/ ٤٧) .
(٤) التخت : وعاء تحفظ فيه الثياب .
(٥) قوله : « آخر » من ب ، وهي في تاريخ دمشق الذي ينقل منه المصنف .

والحموم[١] . وإن شئت أنبأتك بصوم ابنه سليمان ، فإنه كان يصوم من أوّل الشهر ثلاثة أيام ، ومن وسطه ثلاثة أيام ، ومن آخره ثلاثة أيام ، يستفتح الشهر بصيام ، ووسطه بصيام ، ويختمه بصيام . وإن شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى ابن مريم ؛ فإنه كان يصوم الدهر ، ويأكل الشعير ، ويلبس الشعر ، يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد ، ليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ، وكان أينما أدركه الليل صفن بين قدميه[٢] ، وقام يصلّي حتى يصبح ، وكان رامياً لا يفوته صيد يريده ، وكان يمر بمجالس بني إسرائيل فيقضي لهم حوائجهم . وإن شئت أنبأتك بصوم أمه مريم بنت عمران فإنّها كانت تصوم يوماً[٣] وتفطر يومين . وإن شئت أنبأتك بصوم النبي العربي الأمي محمد ﷺ فإنه كان يصوم من كلّ شهر ثلاثة أيام ، ويقول : « إن ذلك صوم الدهر[٤] » .

وقد روى الإمام أحمد عن أبي النضر ، عن فرج بن فضالة ، عن أبي هرم ، عن صدقة ، عن ابن عباس مرفوعاً في صوم داود[٥] .

ذكر[٦] كمّيّة حياته وَكيفيّة وفاته عليه السّلام

قد تقدم في ذكر الأحاديث الواردة في خلق آدم[٧] أن الله لما استخرج ذريته من ظهره فرأى فيهم الأنبياء عليهم السلام ، ورأى فيهم رجلاً يزهر فقال : أي ربِّ من هذا ؟ قال : هذا ابنُك داود . قال : أي ربّ كم عمره ؟ قال : ستون عاماً . قال : أي ربّ زِدْ في عمره . قال : لا ، إلا أن أزيده من عمرك . وكان عمر آدم ألفَ عام ، فزاده أربعين عاماً ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملكُ الموت ، فقال : بقي من عمري أربعون سنة ، ونسي آدم ما كان وهَبه لولده داود ، فأتمها الله لآدم ألف سنة ولداود مئة سنة .

رواه أحمد[٨] عن ابن عباس ، والترمذي ـ وصححه ـ[٩] عن أبي هريرة . وابن خزيمة[١٠]

(١) في بعض النسخ : المهموم والمحموم ، وفي تاريخ ابن عساكر : « ويضطرب لصوته المهموم والمحموم » .
(٢) في ب : . . أينما أدركته صفن ، وفي تاريخ ابن عساكر : « صفق بيديه » .
(٣) في ب : يومين .
(٤) إلى هنا انتهى النقل من تاريخ ابن عساكر .
(٥) تقدم قبل قليل مخرّجاً .
(٦) كلمة ذكر ليست في ط .
(٧) في الجزء الأول من هذا الكتاب .
(٨) مسند أحمد (١/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) .
(٩) الترمذي رقم (٣٠٧٦) في التفسير ، باب ومن سورة الأعراف .
(١٠) لم نقف عليه في المطبوع من صحيح ابن خزيمة .

وابن حبان[١] . وقال الحاكم[٢] : على شرط مسلم . وقد تقدم ذكر طرقه وألفاظه في قصة آدم .

قال ابن جرير[٣] : وقد زعم بعض أهل الكتاب أن عمر داود كان سبعاً وسبعين سنة .

قلت : هذا غلط مردود عليهم قالوا : وكان مدة ملكه أربعين سنة . وهذا قد يُقبل نقله لأنه ليس عندنا ما ينافيه ولا ما يقتضيه .

وأما وفاته عليه السلام ، فقال الإمام أحمد في « مسنده »[٤] : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « كانَ داودُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِيهِ غَيْرَةٌ شَدِيْدَةٌ ، فَكانَ إذا خَرَجَ أُغلقت الأبواب فَلَم يَدْخُلْ عَلى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ. قال : فَخَرَجَ ذاتَ يَوْمٍ وغلقت الدارُ فأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ تَطلع إلى الدَّارِ ، فإذا رَجُلٌ قائِمٌ وَسطَ الدَّارِ ، فَقالَت لِمَنْ في البيْتِ : مِنْ أَيْنَ دَخَلَ هذا الرَّجُلُ والدَّارُ مُغْلَقَةٌ ؟ واللهِ لَنَفْتَضِحَنَّ بداود . فجاءَ داودُ فإذا الرجُلُ قائِمٌ وسطَ الدَّارِ ، فقالَ لَهُ داودُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أنا الذي لا أَهَابُ الملوكَ ولا يمتنع[٥] من الحجَّاب ، فقالَ داودُ : أنتَ واللهِ إذَنْ مَلَكُ الموْتِ ، مَرْحَباً بأمْرِ اللهِ . فَزَمَلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَتّى قُبِضَتْ نَفْسُه ، حتى فَرَغَ مِنْ شَأنِه . وطَلَعَتْ[٦] عَليهِ الشَّمْسُ ، فقالَ سُليمانُ لِلطَّيْر : أَظِلّي عَلَى دَاوُد ، فأَظَلَّت عَلَيه الطيرُ حتى أظلَمَتْ عَلَيهِ الأرْضُ . فقالَ سُليمانُ لِلطَّيْر : اقبضي جناحاً جناحاً » . قال أبو هريرة : يرينا رسول الله ﷺ كيف[٧] فعلت الطير ، وقبض رسول الله ﷺ بيده ، وغلبت عليه يومئذ المضرحية .

انفرد بإخراجه الإمام أحمد . وإسناده جيد قوي ، رجاله ثقات .

ومعنى قوله : « وغلبت عليه يومئذ المضرحية » أي : وغلبت على التظليل عليه المضرحية وهي الصقور الطوال الأجنحة ، وإحداها : مَضْرحي . قال الجوهري : وهو الصقر الطويل الجناح[٨] .

وقال السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس قال : مات داود نبي الله عليه السلام فجأة ، وكان بسبت ، وكانت الطير تظله .

---

(١) الإحسان (٦١٦٧) من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة .

(٢) المستدرك (٢/ ٣٢٥) . في التفسير .

(٣) تاريخه (١/ ٤٨٥) .

(٤) المسند (٢/ ٤١٩) . وأخرجه ابن عساكر ، كما في مختصر ابن منظور (٨/ ١٣٩) .

(٥) في ط : ولا أمنع من . وفي مسند أحمد : ولا يمتنع مني شيء .

(٦) في ط : ثم مكث حتى قبضت روحه ، فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس . . . ، وفي مسند أحمد : . . . حيث قبضت روحه . . . .

(٧) في ط : قال : قال أبو هريرة : فطفق رسول الله ﷺ يرينا كيف . . .

(٨) الصحاح (١/ ٣٨٦) ضرح .

وقال السدي أيضاً عن أبي مالك ، وعن سعيد بن جبير قال : مات داود عليه السلام يوم السبت فجأة .

وقال إسحاق بن بشر ، عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن الحسن قال : مات داود عليه السلام وهو ابن مئة سنة ، ومات يوم الأربعاء فجأة .

وقال أبو السكن الهجري : مات إبراهيم الخليل فجأة ، وداود فجأة ، وابنه سليمان فجأة ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . رواه ابن عساكر[١] .

وروي عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهو نازل من محرابه ، فقال له : دعني أنزل أو أصعد . فقال : يا نبي الله نفدت[٢] السنون والشهور والآثار والأرزاق . قال : فخرَّ ساجداً على مِرْقاة من تلك المراقي ، فقبضه وهو ساجد . وقال إسحاق بن بشر : أخبرنا زافر[٣] بن سليمان ، عن أبي سليمان الفلسطيني ، عن وهب بن منبه قال : إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام ، فجلسوا في الشمس في يوم صائفٍ . قال : وكان شيَّع جنازته يومئذ أربعون ألف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ، ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعاً عليه منهم على داود . قال : فأذلقهم الحر[٤] فنادوا سليمان عليه السلام أن يعجل عليهم لما[٥] أصابهم من الحر ، فخرج سليمان فنادى الطيرَ ، فأجابت ، فأمرها فأظلت[٦] الناس . قال : فتراص بعضها إلى بعض من كلِّ وجه حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غماً ، فصاحوا إلى سليمان عليه السلام من الغم ، فخرج سليمانُ فنادى الطير : أن أظلي الناس من ناحية الشمس وتنَحي عن ناحية الريح ، ففعلت ، فكان الناس في ظل تهب عليهم الريح ، فكان ذلك من أول ما رأوا من ملك سليمان[٧] .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدّثنا أبو همّام الوليد بن شجاع ، حدّثني الوليد بن مسلم ، عن الهيثم بن حميد ، عن الوضين بن عطاء ، عن نصر بن علقمة ، عن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء قال : قال

---

(١) مختصر ابن منظور (٨/ ١٤٠) .
(٢) في أ وب : السنين . والذي في مختصر ابن منظور (٨/ ١٤٠) : نفدت الأيام والشهور والسنون والآثار والأرزاق .
(٣) في أ وط : وافر . وهو تصحيف .
وزافر بن سليمان أبو سليمان الإيادي القوهستاني ، ذكره ابن حبان في المجروحين : (١/ ٣١١ ـ ٣١٢) .
(٤) في ط : فأذاقهم . وأذلقهم الحر : أجهدهم وأضعفهم وأقلقهم .
(٥) في ط : أن يعمل لهم وقاية لما . . .
(٦) في ط : أن تظل .
(٧) مختصر ابن منظور (٨/ ١٤٠ ـ ١٤١) .

رسول الله ﷺ : « لَقَد قَبَضَ اللهُ دَاودَ مِنْ بَينِ أَصْحابهِ ما فُتِنوا ولا بَدَّلوا ، وَلَقَد مَكَثَ أَصْحَابُ المسيحِ على سننهِ وهَدْيهِ مئتي سَنةٍ » .

هذا حديث غريب ، وفي رفعه نظر . والوضين بن عطاء كان ضعيفاً في الحديث[1] . والله أعلم .

* * *

(١) قوله : في الحديث والله أعلم : ليس في ب .
والوضين بن عطاء بن كنانة الخزاعي . قال ابن حجر في التقريب : صدوق ، سيء الحفظ ، ورمي بالقدر . مات سنة (١٥٦هـ) .

قصّة سليمان بن داود عليهما السّلام

قال الحافظ ابن عساكر(١) : هو سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن باغز بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن إرم بن حَضْرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، أبو الربيع ، نبي الله ابن نبي الله .

جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق .

قال ابن ماكولا(٢) : فارص ، بالصاد المهملة ، وذكر نسبه قريباً مما ذكره ابن عساكر .

قال الله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٦] أي : ورثه في النبوة والملك ، وليس المراد وراثة المال ؛ لأنه قد كان له بنون غيره(٣) ، فما كان ليخص بالمال دونهم ، ولأنه قد ثبت في الصِّحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : « لا نُورثُ ما تَرَكْنا فَهُوَ صَدَقَةٌ »(٤) وفي لفظ : « نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِياءِ لا نُورث »(٥) فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تُورَث أموالُهم عنهم كما يورَث غيرهم ، بل تكون أموالهم صدقةً من بعدهم على الفقراء والمحاويج ، لا يخصون بها أقرباءهم ، لأن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك ، كما هي عند الذي أرسلَهم واصطفاهم وفضَّلهم .

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ يعني أنه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ، ويعبِّر للناس عن مقاصدها وإراداتها . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا علي بن حمشَاذ ، حدّثنا إسماعيل بن قتيبة ، حدّثنا علي بن قدامة ، حدّثنا أبو جعفر

---

(١) تاريخه (٢٢/ ٢٣٠) .

(٢) الإكمال (٧/ ٥٢) .

(٣) زاد هنا في ب : كما رواه ابن عساكر عن بعض السلف .

(٤) الحديث برواياته وطرقه أخرجه البخاري : رقم (٣٧١٢) في فضائل الصحابة ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ، ورقم (٤٠٣٤) في المغازي ، باب حديث بني النضير ، ورقم (٤٢٤٠) باب غزوة خيبر ، ورقم (٦٧٢٦ ، ٦٧٢٧ ، ٦٧٢٨ ، ٦٧٣٠) في الفرائض ، باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة ، ورقم (٧٣٠٥) في الاعتصام ، باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع . ومسلم (١٧٦١) ، في الجهاد ، باب قول النبي ﷺ لا نورث . وأبو داود (٢٩٧٧) في الخراج والإمارة ، باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال ، والترمذي (١٦١٠) في السير ، باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ . ومالك في الموطأ (٢/ ٩٩٣) ، في الكلام ، باب ما جاء في تركة النبي ﷺ . والنسائي : (٧/ ١٣٢) ، وأحمد (١/ ٤ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٢٠٨) و(٦/ ١٤٥ ، ٢٦٢) .

(٥) . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٢/ ٨) : وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) فقد أنكرها جماعة من الأئمة ، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ (نحن) لكن أخرجه النسائي بلفظ (إنا معاشر الأنبياء لا نورث) .

الأسواني يعني محمد بن عبد الرحمن ، عن يعقوب القُمِّي[١] ، حدّثني أبو مالك قال : مرَّ سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة ، فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : وما يقول يا نبي الله ؟ قال : يخطُبُها إلى نفسها ويقول : زوجيني أُسْكنكِ أيَّ غُرَفِ دمشق شئت . قال سليمان عليه السلام : لأن غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ، ولكن كلّ خاطبٍ كذاب .

ورواه ابن عساكر عن أبي القاسم زاهر بن طاهر ، عن البيهقي ، به[٢] .

وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات . والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات : ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أي : من كلّ ما يحتاج الملك إليه من العُدَدِ والآلات ، والجنود والجيوش ، والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش[٣] السارحات ، والعلوم والفهوم ، والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات . ثمّ قال : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي : من بارئ البريات ، وخالق الأرض والسماوات ، كما قال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل : ١٧ ـ ١٩] .

يخبر سبحانه وتعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه ركب يوماً في جيشه جميعه من الجن والإنس والطير ، فالجن والإنس يسيرون معه ، والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحرِّ وغيره ، وعلى كلٍّ من هذه الجيوش الثلاثة وَزَعَةٌ ، أي : نقباء يردون أوله على آخره فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخّر عنه .

قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فأمرت وحذّرت ، واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور .

وقد ذكر وَهْب : أنه مرّ وهو على البساط بوادٍ بالطائف ، وأن هذه النملة كان اسمها (جرس)[٤] وكانت من قبيلة يقال لهم بنو الشيصبان ، وكانت عرجاء ، وكانت بقدر الذئب[٥] . وفي هذا كلّه نظر ، بل في هذا السياق دليل على أنه كان في موكبه راكباً في خيوله وفرسانه لا كما زعمه بعضهم من أنه كان إذ ذاك

---

(١) في ط : عن أبي يعقوب القمي .
ويعقوب بن عبد الله بن سعد القمي ، توفي بقزوين سنة (١٧٤هـ) . والقُمي ، بضم القاف ، وتشديد الميم المكسورة نسبة إلى (قُم) ، بلدة بين أصبهان وساوة ، في فارس . الأنساب (١٠/ ٢٢٨) .

(٢) تاريخه (٢٢/ ٢٣٢) .

(٣) زاد في ط : والشياطين !؟.

(٤) في تفسير ابن كثير : حرس . بالحاء المهملة . ونقل الخبر فيه عن ابن عساكر .

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٩) .

على البساط ، لأنه لو كان كذلك لم ينل النملَ منه شيء ولا وطْء ؛ لأن البساط كان يكون عليه جميع ما يحتاجون إليه من الجيوش والخيول والجمال والأثقال والخيام والأنعام ، والطير من فوق ذلك كله ، كما سنبينه بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لأُمّتها من الرأي السديد والأمر الحميد ، وتبسّم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره . وليس كما يقوله بعض الجهلة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان، وتخاطب الناس ، حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهدَ، وألجمها ، فلم تتكلّم مع الناس بعد ذلك ، فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون ، ولو كان هذا هكذا ، لم يكن لسليمان في فهم لغاتها مزية على غيره ، إذ قد كان الناس كلّهم يفهمون ذلك ، ولو كان قد أخذ عليها العهد أن لا تتكلم مع غيره وكان هو يفهمها ، لم يكن في هذا أيضاً فائدة يعوّل عليها[(١)] . ولهذا قال : ﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ ﴾ أي ألهمني وأرشدني ﴿ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ . فطلب من الله أن يقيّضه للشكر على ما أنعم به عليه ، وعلى ما خصّه به من المزيّة على غيره ، وأن ييسّر عليه العمل الصالح ، وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين . وقد استجاب الله تعالى له .

والمراد بوالديه : داود عليه السلام وأمه ، وكانت من العابدات الصالحات ، كما قال سُنيد بن داود ، عن يوسف بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : « قالَتْ أمُّ سُلَيمان بنِ داودَ : يا بُنيَّ لا تُكثرِ النَّوْمَ باللَّيلِ ، فإن كَثرةَ النومِ بالليلِ تَدَعُ العبدَ فَقيراً يومَ القِيامة » . رواه ابن ماجه[(٢)] عن أربعة من مشايخه ، عنه ، به ، نحوه .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزُّهري : إن سليمان بن داود عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون ، فرأى نملة قائمةً رافعة إحدى قوائمها تستسقي ، فقال لأصحابه : ارجعوا فقد سُقيتم ، إن هذه النملة استسقت فاستُجيب لها .

قال ابن عساكر[(٣)] : وقد رُوي مرفوعاً، ولم يذكر فيه سليمان، ثمّ ساقه من طريق محمد بن عزيز ، عن سلامة بن روح بن خالد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، حدّثني أبو سلمة عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله

---

(١) ورد مثل هذا في تفسيره (٣/ ٣٥٨) .
وزاد هنا في ب : فأما الحديث الذي رواه الطبراني من طريق زيد بن بكر بن حبيش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود أنهم عرضوا رقبة الحمار على رسول الله ﷺ بسم الله سحنة قرنبة ملحة بحر قمطا فقال : هذه مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام ، ولا أرى بها بأساً . فإنه حديث غريب ولا يخلو من نكارة . والله أعلم . وبتقدير صحته أخذ على الهوام ، وهي ذوات السموم ، وكانت العهود والمواثيق أنه لا تؤذين أحداً من البشر ، وليس المراد أن لا تخاطبي أحداً .
(٢) سنن ابن ماجه رقم (١٣٣٢) في إقامة الصلاة ، باب ما جاء في قيام الليل ، وإسناده ضعيف .
(٣) تاريخه (٢٢/ ٢٨٨) .

ﷺ يقول : « خَرجَ نبيٌّ مِنَ الأنبياءِ بالناسِ يَسْتَسْقونَ الله ، فإذا هُم بِنَملةٍ رافعة بَعضَ قوائِمها إلى السماء ، فقال النبي : ارجِعُوا فَقَدِ اسْتُجِيْبَ لَكُم مِنْ أَجْلِ هذهِ النملةِ »(١) .

وقال السدي : أصاب الناس قحطٌ على عهد سليمان عليه السلام ، فأمر الناس فخرجوا ، فإذا بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول : اللهمَّ إنا خلقٌ من خلقك ولا غناء بنا عَنْ فَضْلِكَ ، قال : فصب الله عليهم المطر .

قال تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل : ٢٠ ـ ٣٧] .

يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد ، وذلك أن الطيور كانت على كلِّ صنف منها مقدمون يقومون بما يطلب منهم ، ويحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك ، وكانت وظيفة الهدهد ـ على ما ذكره ابن عباس وغيره ـ أنهم كانوا إذا أعوزوا الماء في القفار في حال الأسفار يجيء فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماءٍ ، وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض ، فإذا دلّهم حفروا عنه ، واستنبطوه ، وأخرجوه ، واستعملوه لحاجتهم . فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقده ، ولم يجده في موضعه من محلّ خدمته ﴿ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ أي : ماله مفقودٌ من هاهنا أو قد غاب عن بصري فلا أراه بحضرتي ؟ ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ توعّده بنوع من العذاب اختلف المفسرون فيه ، والمقصود حاصل على كلِّ تقدير ، ﴿ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي بحجّة تنجيه من هذه الورطة .

قال الله تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ . أي : فغاب الهدهدُ غيبةً ليست بطويلةٍ ثم قدم منها

---

(١) وأخرجه الحاكم وغيره ، وهو ضعيف .

﴿ فَقَالَ ﴾ لسليمان ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ أي : اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ أي : بخبر صادق : ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوّجِين ، وكان المُلْك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يُخلِّف غيرها فملّكوها عليهم .

وذكر الثعلبي وغيره أن قومها ملّكوا عليهم بعد أبيها رجُلاً ، فعمَّ به الفساد ، فأرسلت إليه تخطُبه ، فتزوّجها ، فلما دخلت عليه سقته خمراً ثم حزّت رأسه ونصبته على بابها ، فأقبل الناس عليها وملّكوها عليهم ، وهي بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد ، وقيل : شراحيل بن ذي جَدَن بن السيرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يَشْجب بن يعرب بن قحطان . وكان أبوها من أكابر الملوك وكان يأبى أن يتزوج من أهل اليمن ، فيقال إنه تزوج بامرأة من الجنّ اسمها ريحانة بنت السكن ، فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمة ويقال لها : بلقيس .

وقد روى الثَّعْلَبي[١] من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « كانَ أَحَدُ أبَوي بَلْقيس جِنيّاً »[٢] . وهذا حديث غريب ، وفي سنده ضعف .

وقال الثعلبي : أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه[٣] ، حدّثنا أبو بكر بن جرجة ، حدّثنا ابن أبي الليث ، حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن أبي بكرة قال : ذكرت بلقيس عند رسول الله ﷺ فقال : « لا يُفلِحُ قَوْمٌ ولّوا أَمْرَهُم امْرأَةً » .

إسماعيل بن مسلم هذا هو المكي : ضعيف[٤] .

وقد ثبت في « صحيح »[٥] البخاري من حديث عوف ، عن الحسن ، عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملّكوا عليهم ابنة كسرى قال : « لَنْ يُفلِحَ قَوْمٌ ولّوا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً » .

---

(١) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري . توفي سنة (٤٢٧هـ) .
وتفسيره : الكشف والبيان في تفسير القرآن . قال عنه الزركلي : مخطوط .
ترجمته في شذرات الذهب (٥/ ١٢٧) تحقيق محمود الأرناؤوط ـ طبع دار ابن كثير ، والأعلام (١/ ٢١٢) .

(٢) أورده القرطبي في تفسيره (١٣/ ٢١١) .

(٣) في ط : قبحوية . وهو تصحيف . وهو الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن صالح بن شعيب بن فنجويه الثقفي الدينوري . توفي سنة (٤١٤هـ) . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٨٣) .

(٤) المجروحين لابن حبان (١/ ١٢٠) ، والضعفاء للبخاري (١٧) ، وللنسائي (١٧) .

(٥) صحيح البخاري رقم (٤٤٢٥) في المغازي ، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ، ورقم (٧٠٩٩) في الفتن ، باب (١٨) . وفيه : لن يفلح .

ورواه الترمذي[١] ، والنسائي[٢] من حديث حميد ، عن الحسن ، عن أبي بكرة ، عن النبي ﷺ وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقوله : ﴿ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ أي مما من شأنه أن تؤتاه الملوك . ﴿ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴾ يعني سرير مملكتها وكان مزخرفاً بأنواع الجواهر واللآلئ والذهب والحليّ الباهر .

ثمّ ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله وإضلالَ الشيطان لهم وصدّه إياهم عن عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ أي : يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴾ أي : له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات .

فعند ذلك بعث معه سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله ، والإنابة والإذعان إلى الدخول في الخضوع لملكه وسلطانه ، ولهذا قال لهم : ﴿ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ ﴾ أي لا تستكبروا عن طاعتي وامتثال أوامري ﴿ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾ أي : واقدموا عليّ سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة . فلما جاءها الكتاب مع الطير ـ ومن ثم اتخذ الناس البطائق ، ولكن أين الثريا من الثرى ؟! تلك البطاقة كانت مع طائر سامع مطيع فاهم عالم بما يقول ويقال له ـ فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدهد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها ، ثمّ وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها ، فجمعت أُمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴾ . ثم قرأت عليهم عنوانه أولاً ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ ﴾ ثم قرأته ﴿ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾ . ثمّ شاورتهم في أمرها وما قد حل بها ، وتأدّبت معهم ، وخاطبتهم وهم يسمعون ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴾ تعني : ما كنت لأبتَّ أمراً إلا وأنتم حاضرون : ﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾ يعنون : لنا قوة وقدرة على الجلاد والقتال ومقاومة الأبطال ، فإن أردت منّا ذلك فإنا عليه من القادرين ، ﴿ و ﴾ مع هذا فـ ﴿ الأمر إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾ فبذلوا لها الطاعة ، وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة ، وفوّضوا إليها في ذلك الأمر لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم ، فكان رأيها أتمَّ وأسدَّ من رأيهم ، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يُغالَب ولا يُمانَع ولا يُخالَف ولا يُخادَع .

﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ تقول برأيها السديد : إن هذا الملك لو قد غلَب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إليَّ ، ولم تكن الحدَّة الشديدة

---

(١) سنن الترمذي رقم (٢٢٦٢) في الفتن ، باب (٧٥) .
(٢) سنن النسائي (٨/ ٢٢٧) .

والسطوة البليغة إلا عليّ ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ أرادت أن تصانع عن نفسها وأهل مملكتها بهدية ترسلها وتحف تبعثها ، ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لا يقبل منهم ـ والحالة هذه ـ صرفاً ولا عدلاً ، لأنهم كافرون وهو وجنوده عليهم قادرون . ولهذا ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ هذا ، وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة ، كما ذكره المفسرون(١) .

ثم قال لرسولها إليه ووافدها الذي قدم عليه ، والناس حاضرون يسمعون : ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ يقول : ارجع بهديتك التي قدمت بها إلى من قدْ مَنَّ بها فإن عندي مما قد أنعم الله عليّ وأسداه إليّ من الأموال والتحف والرجال ما هو أضعاف هذا ، وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه : ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ أي : فلأبعثنَّ إليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم ، ولأخرجنهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم ﴿ أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ عليهم الصّغار والعار والدمار . فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بدٌّ من السمع والطاعة ، فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة ، وأقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين ، فلما سمع بقدومهم عليه ووفودهم إليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخَّر له من الجان ما قصه الله عنه في القرآن .

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل : ٣٨ـ٤٤] .

لما طلب سليمان من الجان أن يُحضِروا له عرش بلقيس ، وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها قبل قدومها عليه : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ يعني قبل أن ينقضيَ مجلسُ حكمك ، وكان ـ فيما يقال ـ من أول النهار إلى قريب الزوال ، يتصدى لمهمات بني إسرائيل وما لهم من الأشغال ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ أي : وإني لذو قدرة على إحضاره إليك وأمانةٍ على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك : ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ المشهور أنه آصف بن برخيا ، وهو ابن خالة سليمان . وقيل : هو رجل من مؤمني الجان ، كان ـ فيما يقال ـ يحفظ الاسم الأعظم . وقيل : رجل من بني

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٩٧) ، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٢ـ٣٦٣) .

إسرائيل ، من علمائهم ، وقيل : إنه سليمان ، وهذا غريب جداً . وضعفه السُّهَيْلي بأنه لا يصح في سياق الكلام ، قال : وقد قيل فيه قول رابع وهو جبريل : ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾ قيل معناه قبل أن تبعث رسولاً إلى أقصى ما ينتهي إليه طرفك من الأرض ثم يعود إليك . وقيل : قبل أن يصل إليك أبعد من تراه من الناس . وقيل : قبل أن يكلَّ طرفك إذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفنك . وقيل : قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته وهذا أقرب ما قيل .

﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ أي : فلما رأى عرش بلقيس مستقراً عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ ﴾ أي : هذا من فضل الله عليّ وفضله على عبيده ليختبرهم على الشكر أو خلافه ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ أي : إنما يعود نفع ذلك عليه ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ أي : غني عن شكر الشاكرين ، ولا يتضرر بكفر الكافرين .

ثم أمر سليمان عليه السلام أن يُغيَّر حُليُّ هذا العرش ويُنكَّر لها ليختبر فهمها وعقلها ، ولهذا قال : ﴿ نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ ﴾ وهذا من فطنتها وغزارة فهمها ، لأنها استبعدت أن يكون عرشَها ؛ لأنها خلَّفته وراءَها بأرض اليمن ، ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنيع العجيب الغريب . قال الله تعالى إخباراً عن سليمان وقومه : ﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾ أي : ومنعها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي وقومها من دون الله اتّباعاً لدين آبائهم وأسلافهم لا لدليل قادهم إلى ذلك ولا حداهم على ذلك .

وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج ، وعمل في ممرِّه ماء ، وجعل عليه سقفاً من زجاج ، وجعل فيه من السمك وغيرها من دواب الماء ، وأُمِرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه ﴿ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وقد قيل : إن الجن أرادوا أن يبشعوا منظرها عند سليمان ، وأن تُبدي عن ساقيها ليرى ما عليها من الشعر فينفره ذلك منها ، وخشوا أن يتزوجها لأن أمَّها من الجان فتتسلط عليهم معه .

وذكر بعضهم أن حافرها كان كحافر الدابة ، وهذا ضعيف . وفي الأول أيضاً نظر . والله أعلم . إلا أن سليمان قيل : إنه لما أراد إزالته حين عَزَم على تَزَوُّجها سألَ الإنس عن زواله فذكروا له الموسى ، فامتنعت من ذلك ، فسأل الجان فصنعوا له النُّوْرَة[1] ووضعوا له الحمَّام ، فكان أول من دخل الحمَّام ، فلما وجد مَسَّه قال : أَوَّه من عذاب أَوَّه ، أَوَّه[2] قبل أن لا ينفع أَوَّه . رواه الطبراني مرفوعاً وفيه نظر .

وقد ذكر الثعلبي وغيره أن سليمان لما تزوجها أَقرَّها على مملكة اليمن وردّها إليه ، وكان يزورها في

(١) النورة : أخلاط تضاف على الكلس من زرنيخ وغيره ، ويستعمل لإزالة الشعر .
(٢) في ب : أواه من عذاب أواه أواه . .

كلّ شهرٍ مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثمّ يعود على البساط . وأمر الجان فبنَوا لها ثلاثة قصور باليمن ، غمدان ، وسالحين ، وبيتون . فالله أعلم .

وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن سليمان لم يتزوجها ، بل زوجها بملك هَمْدان وأقرها على ملك اليمن ، وسخَّر زوبعة ملك جن اليمن فبنى لها القصور الثلاثة التي ذكرناها باليمن ، والأول أشهر وأظهر . والله أعلم .

وقال تعالى في سورة ص : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [الآيات : ٣٠ ـ ٤٠] .

يذكر سبحانه وتعالى أنه وهب لداود سليمان عليهما السلام ، ثم أثنى عليه تعالى فقال : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ أي : رجّاع مطيع لله .

ثم ذكر تعالى ما كان من أمره في الخيل الصافنات ، وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة ، الجياد ، وهي المضمَّرة السراع(١) .

﴿ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ يعني الشمس . وقيل : الخيل ـ على ما سنذكره من القولين ـ ﴿ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ قيل : مسح عراقيبها وأعناقَها بالسيوف . وقيل : مسح عنها العرق لمَّا أجراها وسابق بينها وبين يديه على القول الآخر .

والذي عليه أكثر السلف الأول ، فقالوا : اشتغل بعَرض تلك الخيول حتى خرج وقتُ العصر وغربت الشمس . رُوي هذا عن علي بن أبي طالب(٢) وغيره .

والذي يُقطع به أنه لم يترك الصلاة عَمْداً من غير عذر ، اللهمَّ إلا أن يُقال : إنه كان سائغاً في شريعتهم فَأَخَّرَ الصلاة لأجل أسباب الجهاد ، وعَرْض الخيل من ذلك .

وقد ادّعى طائفة من العلماء في تأخير النبي ﷺ صلاة العصر يوم الخندق أن هذا كان مشروعاً إذ ذاك حتى نُسخ بصلاة الخوف . قاله الشافعي وغيره .

---

(١) في ب : الجياد المضمرة السرَّع . تفسير الطبري (٢٣/٩٨ـ٩٩) .
(٢) أورده الطبري في « تفسيره » (٢٣/٩٩) ، أن أبا الصهباء البكري سأل علي بن أبي طالب عن الصلاة الوسطى ، فقال : هي العصر ، وهي التي فتن بها سليمان بن داود .

وقال مكحول والأوزاعي : بل هو حُكم مُحْكَم إلى اليوم ؛ أنه يجوز تأخيرها بعذر القتال الشديد ، كما ذكرنا تقرير ذلك في سورة النساء عند صلاة الخوف .

وقال آخرون : بل كان تأخير النبي ﷺ صلاة العصر يوم الخندق سهواً نسيانا ، وعلى هذا فَيُحمَل فعلُ سليمان عليه السلام على هذا . والله أعلم .

وأما من قال : الضمير في قوله : ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ عائد على الخيل ، وأنه لم يفته وقت صلاة ، وأن المراد بقوله : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ يعني مسح العرق عن عراقيبها وأعناقها ، فهذا القول اختاره ابن جرير ، ورواه الوالبي عن ابن عباس في مسح العرق . ووجَّه هذا القول ابنُ جرير بأنه ما كان لِيعذِّبَ الحيوانَ بالعرقبة ، ويهلك مالاً بلا سبب ولا ذنب لها[١] .

وهذا الذي قاله فيه نظر ، لأنه قد يكون هذا سائغاً في ملّتهم . وقد ذهب بعض علمائنا إلى أنه إذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شيء من الحيوانات من أغنام ونحوها جاز ذبحُها وإهلاكها لئلا يتقوّوا بها عليهم ، وعليه[٢] حُمل صنيع جعفر بن أبي طالب يومَ عَقَر فرسه بمؤته[٣] . وقد قيل : إنها كانت خيلاً عظيمة . قيل : كانت عشرة آلاف فرس . وقيل : عشرين ألفَ فرس . وقيل : كان فيها عشرون فرساً من ذوات الأجنحة .

وقد روى أبو داود في « سننه » : حدّثنا محمد بن عوف ، حدّثنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا يحيى بن أيوب ، حدّثني عُمارة بن غَزيّة أن محمد بن إبراهيم حدّثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، وفي سَهْوَتها[٤] سِتْر ، فهبَّت الريح فكشفت ناحية الستر عن بناتٍ لعائشة لُعَب ، فقال : « ما هذا يا عائشةُ » فقالت : بناتي . ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع فقال : « ما هذا الذي أرى وسْطَهنَّ » ؟ قالت : فرس . قال : « وما الذي عليه هذا » ؟ قالت : جناحان . قال : « فرسٌ له جناحان » ؟ قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟ قالت : فضحك حتى رأيت نواجذه ﷺ[٥] .

وقال بعض العلماء : لما ترك الخيلَ لله عوّضَه اللهُ عنها بما هو خير له منها ، وهو الريح التي كانت غُدُوُّها شهرٌ ورَواحها شهر ، كما سيأتي الكلام عليها .

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٠) .
(٢) في أ : لئلا ينفروا بها ، وعليه . . . وفي ط : لئلا يتقووا بها ، وعليه . . وأثبتنا ما في ب .
(٣) خبر غزوة مؤتة ، وعرقبة جعفر بن أبي طالب فرسه ، في المغازي (٢/ ٧٥٥) ، وما بعدها .
(٤) السهوة : بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً ، شبيه بالمخدع والخزانة . وقيل : هو كالصُّفَّة تكون بين يدي البيت . وقيل : شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشيء . النهاية (٢/ ٤٣٠) .
(٥) أخرجه أبو داود : رقم (٤٩٣١) ، في الأدب : باب (٦٢) في اللعب بالبنات .

كما قال الإمام أحمد : حدّثنا إسماعيل ، حدّثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي قتادة وأبي الدهماء ، وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا : أتينا على رجل من أهل البادية ، فقال البدوي : أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلّمني مما علّمه الله عز وجل ، وقال : « إنّكَ لا تَدَعُ شَيْئاً اتّقاءَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلاّ أَعْطاكَ اللهُ خَيْراً مِنْهُ »[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ : ذكر ابن جرير[٢] ، وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين هاهنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف ، وأكثرها أوْ كلُّها متلقّاة من الإسرئيليات ، وفي كثير منها نكارة شديدة . وقد نبهنا على ذلك في كتابنا « التفسير »[٣] ، واقتصرنا هاهنا على مجرّد التلاوة .

ومضمون ما ذكروه أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يوماً ثمّ عاد إليه . ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناه بناءً مُحْكماً . وقد قدَّمْنا أنه جدَّده ، وأن أول من جَعله مسجداً إسرائيلُ عليه السلام كما ذكرنا ذلك عند قول أبي ذر : قلت : يا رسول الله أيُّ مسجد وضع أوّل ؟ قال : « المسْجِدُ الحَرَامُ » . قلت : ثم أي ؟ قال : « مَسْجِدُ بَيْتِ المْقدِسِ » . قلت : كم بينهما ؟ قال : « أَرْبَعُونَ سَنةً »[٤] . ومعلوم أن بين إبراهيم الذي بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام أزيد من ألف سنة ، دع أربعين سنة ، وكان سؤاله المُلْك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بعدَ إكماله بناء بيت المقدس كما قال الإمام أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبّان ، والحاكم ، بأسانيدهم عن عبد الله بن فيروز الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ سُلَيمانَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ المَقْدِسِ سَأَلَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خِلالاً ثلاثاً فأَعْطَاهُ اثْـنَـتَيْنِ ، ونَحْنُ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَنا الثَّالِثَةُ ، سَأَلَهُ حُكْماً يُصَادِفُ حُكْمَهَ فَأَعْطَاهُ إياهُ ، وسَأَلَهُ مُلْكاً لا يَنْبَغي لأحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فأَعْطَاهُ إيَّاهُ ، وسَأَلَه أيّما رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لا يُرِيْدُ إلاّ الصَّلاةَ في هذا المسْجِدِ خَرَجَ مِنْ خَطِيْئَتِهِ مِثْلَ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أمُّهُ ، فَنَحْنُ نَرْجُو أنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ أَعْطانا إياها »[٥] .

فأما[٦] الحكم الذي يوافق حكم الله تعالى ، فقد أثنى الله تعالى عليه وعلى أبيه في قوله : ﴿ وَدَاوُدَ

---

(١) المسند (٥/ ٧٨) .

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٠) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤) وما بعدها .

(٤) أخرجه البخاري رقم (٣٤٢٥) في الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ﴾ .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧٦) ، والنسائي (٢/ ٢٤) ، في المساجد ، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه ، وابن ماجه رقم (١٤٠٨) في إقامة الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس . وفي لفظه اختلاف يسير . وابن خزيمة (١٣٣٤) . وابن حبان في صحيحه (١٦٣٣) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٠ ـ ٣١) .

(٦) زاد في ب : وقد روي هذا عن صحابي آخر فقال الطبراني : حدّثنا محمد بن الحسن العسقلاني ، حدّثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثني أبي ، حدّثنا إبراهيم بن أبي عبلة ، عن أبي الزاهرية ، عن رافع بن عمير ، سمعت =

وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٨ ـ ٧٩] وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كان لهم كرم ، فنفشت فيه غنم قوم آخرين ، أي : رعته بالليل فأكلت شجره بالكلية ، فتحاكموا إلى داود عليه السلام ، فحكم لأصحاب الكرم بقيمته ، فلما خرجوا على سليمان قال : بم حكم لكم نبي الله ؟ فقالوا : بكذا وكذا ، فقال : أما لو كنتُ أنا لما حكمت إلاّ بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم فيستغلّونها نتاجاً ودرّا حتى يصلح أصحاب الغنم كرم أولئك ويردوه إلى ما كان عليه ، ثمّ يتسلّموا غنمهم ، فبلغ داود عليه السلام ذلك فحكم به .

وقريب من هذا ما ثبت في « الصحيحين » من حديث أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما امْرأتان مَعهما ابْناهُما ، إذْ عَدا الذِّئْبُ فأَخَذَ ابنَ إحْداهُما ، فتَنازَعَتا في الآخَر ، فقَالتِ الكُبْرى : إنّما ذَهَبَ بابْنِكِ . وقَالَت الصُّغْرى : بلْ إنّما ذَهَبَ بابنكِ . فتَحاكَمتا إلى دَاودَ فَحكَم بِهِ لِلكُبْرى ، فَخرجَتا على سُليمان فقَال : ائتُوني بالسِّكّين أَشُقُّهُ نِصْفَيْنِ لِكُلّ واحِدَةٍ منهما[(١)] نِصْفُه ، فَقالَتِ الصُّغْرى : لا تَفْعَل يَرْحَمُكَ اللهُ هُوَ ابنُها فَقَضَى بهِ لَها »[(٢)] ولعل كلاً من الحُكمين كان سائغاً في شريعتهم ، ولكن ما قاله سليمان أرجح . ولهذا أثنى الله عليه بما ألهمه إياه ومدح بعد ذلك أباه فقال تعالى : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ أي وسخرنا

= رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى لداود عليه السلام : ابن لي بيتاً في الأرض ، فبنى داود لنفسه بيتاً قبل البيت الذي أمر به ، فأوحى الله تعالى إليه : يا داود نصبت بيتك قبل بيتي . قال : يا رب هكذا تعلمت فما قضيت من ملك استأثر ، ثم أخذ في بناء المسجد ، فلما تم السور سقط ثلثاه ، فشكا ذلك إلى الله عز وجل ، فأوحى الله إليه أنه لا يصلح أن تبني لي بيتاً . قال : أي رب ولم ؟ قال : لما جرت عليك من الدماء . قال : أي رب أو لم يكن ذلك في هواك ومحبتك ؟ قال : بلى ، ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم . فشق ذلك عليه ، فأوحى الله لا تحزن فإني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان . فلما مات داود عليه السلام أخذ سليمان في بنائه ، فلما تم قرّب القرابين وذبح الذبائح . وجمع بني إسرائيل ، فأوحى الله تعالى إليه قد أرى سرورك ببنيان بيتي فسلني أعطك . قال : أسألك ثلاث خصال : حكماً يصادق حكمك ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

قال رسول الله ﷺ : أما الثنتان فقد أعطيهما ، وأنا أرجو أن يكون قد أُعطينا الثالثة . وهذا سياق غريب وإسناد غريب . وقد أورد هذا الحديث ابن كثير في تفسيره (٤/٣٨) .

(١) في ط : منكما .

(٢) في عبارة ب اختلاف عن لفظ الحديث هاهنا .

والحديث أخرجه البخاري رقم (٣٤٢٧) في الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ . رقم(٦٧٦٩) في الفرائض ، باب إذا ادعت المرأة ابناً . ومسلم رقم (١٧٢٠) في الأقضية ، باب بيان اختلاف المجتهدين .

لسليمان الريح عاصفة ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ۝٨١ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩ ـ ٨٢] .

وقال في سورة ص : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [٣٦ ـ ٤٠] .

لما تَرَكَ الخَيلَ ابتغاء وجه الله عوَّضه اللهُ منها الريح التي هي أسرع سيراً وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها ، تجري بأمره رُخاءً ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ أي : حيث أراد من أيِّ البلاد . كان له بساط يركبُ عليه من أخشاب[(١)] ، بحيث إنه يسع جميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال من الإنس والجان ، وغير ذلك من الحيوانات والطيور ، فإذا أراد سفراً أو مستنزهاً أو قتالَ ملك أو أعداءً من أي بلاد الله شاء ، فإذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط أمر الريحَ فدخلت تحته فرفعته ، فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرُّخاءَ[(٢)] فسارت به ، فإن أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون فوضعته في أي مكان شاء ، بحيث إنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح فتضعه بإصطخر ، مسيرة شهر ، فيقيم هناك إلى آخر النهار . ثمّ يروح من آخره فترده إلى بيت المقدس ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ ـ ١٣] .

قال الحسن البصري : كان يغدو من دمشق فينزل بإصطخر فيتغدّى بها ويذهب رائحاً منها فيبيت بكابُل ، وبين دمشق وبين إصطخر مسيرةُ شهر ، وبين إصطخر وكابُل مسيرة شهر[(٣)] .

قلتُ : قد ذكر المتكلمون على العمران والبلدان أن إصطخر بنتها الجان لسليمان ، وكان فيها قرار مملكة الترك قديماً ، وكذلك غيرها من بلدان شتى كتدمر وبيت المقدس ، وبابُ جيرون وباب البريد[(٤)] اللذان بدمشق ، على أحد الأقوال .

وأما القِطْر[(٥)] فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد : هو النحاس ، وقال قتادة : وكانت باليمن أنبعها الله له . قال السدي : ثلاثة أيام فقط أخذ منها جميع ما يحتاج إليه للبنايات وغيرها .

---

(١) كذا في ب . وفي أ : مركب في أخشاب وفي ط : مركب من أخشاب . تفسير الطبري (٢٢/٤٨) .
(٢) أورد الطبري الأقوال في تفسير الريح الرخاء ، وفيها : السريعة الطيبة ، والمطيعة . (٢٣/١٠٣) .
(٣) تفسير الطبري (٢٢/٤٨) .
(٤) في ب : باب التومة .
(٥) في ب : عين القطر .

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ أي : وسخّر الله له من الجنّ عُمّالاً يعملون له ما يشاء لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته ، ومن خرج منهم عن الأمر عذّبه ونكلّ به . ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ وهي الأماكن الحسنة وصدور المجالس ﴿ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ وهي الصور في الجدران ، وكان هذا سائغاً في شريعتهم وملّتهم ﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ﴾ . قال ابن عباس : الجفنة كالجوبة من الأرض ، وعنه : كالحياض[١] . وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم[٢] . وعلى هذه الرواية يكون الجواب جمع جابية ، وهي الحوض الذي يجبئ فيه الماء كما قال الأعشى : [من الطويل]

تَرُوْحُ على آلِ المُحلِّقِ جَفنةٌ كَجابِيَةِ السَّيْحِ العِراقيِّ يَفْهَقُ[٣]

وأما القدور الراسيات ، فقال عكرمة : أثافيها منها ، يعني أنهن ثوابت لا يزلن عن أماكنهن . وهكذا قال مجاهد وغير واحد[٤] .

ولما كان هذا بصدد إطعام الطعام والإحسان إلى الخلق من إنسان وجان قال تعالى : ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ يعني أن منهم من قد سَخّره في البناء ، ومنهم من يأمره بالغوص في الماء لا ستخراج ما هنالك من الجواهر واللآلئ وغير ذلك مما لا يوجد إلا هنالك . وقوله : ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ أي قد عصوا فقُيِّدوا مقرنين اثنين اثنين في الأصفاد ، وهي : القيود . وهذا كلّه من جملة ماهيأ الله وسخر له من الأشياء التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، ولم يكن أيضاً لمن كان قبله . وقد قال البخاري[٥] : حدّثنا محمد بن بشار ، حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ عِفرِيْتاً مِنَ الجِنِّ تَفلَّتَ عليّ البارحَةَ لِيَقْطَعَ علَيّ صَلاتي فأمْكَنَني اللهُ مِنْهُ ، فأخَذْتُهُ فأرَدْتُ أنْ أرْبطَهُ إلى سَارِيَةٍ مِنْ سَوارِي المَسْجد حَتّى تَنْظُروا إليه كُلُّكم ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أخي سُلَيْمانَ ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ فَرَدَدْتُهُ خاسِئاً » .

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ديوان الأعشى : (ق٣٣/ ب٥٧ ، ص٢٧٥) . وفيه : [من الطويل]

نفى الذم عن آل المحلق جفنة كجابية السيح العراقي تفهق

وفي ط : الشيخ . والسيح : النهر . ويفهق : يتصبب .

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩) .

(٥) أخرجه البخاري رقم (٣٤٢٣) في الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ﴾ .

وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة[١] .

وقال مسلم[٢] : حدّثنا محمد بن سلمة المرادي ، حدّثنا عبد الله بن وهب ، عن معاوية بن صالح ، حدّثني ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس الخَوْلاني ، عن أبي الدرْداء قال : قام رسول الله ﷺ فصلّى ، فسمعناهُ يَقُولُ : « أعوذُ باللهِ مِنْكَ ، أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ ثلاثاً ، وبَسَطَ يَدَهُ كأنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئاً ، فلَمّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ قُلْنا يا رَسُولَ اللهِ سَمِعْناكَ تَقُوْلُ في الصلاَّةِ شَيْئاً لم نَسْمَعك تَقُوْلُهُ قَبْلَ ذلكَ ، ورأَيْناكَ بَسَطْتَ يَدَكَ . قال : « إنَّ عَدُوَّ اللهِ إبْليس جاءَ بِشِهابٍ مِنْ نارٍ لِيَجْعَلَهُ في وَجْهي فَقُلْتُ أعُوذُ باللهِ مِنْكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قُلْتُ أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ ، فَلَم يَسْتَأْخِر ثَلاثَ مَرَّاتٍ . ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ . واللهِ لَولا دَعْوَةُ أَخِيْنا سُلَيمانَ لأَصْبَحَ مُوْثَقاً يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ المدِيْنَة » .

وكذا رواه النسائي عن محمد بن سلمة ، به[٣] .

وقال أحمد[٤] : حدّثنا أبو أحمد ، حدّثنا مسرَّة بن معبد ، حدثنا أبو عبيد صاحب سليمان قال : رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائماً يُصلي ، فذهبتُ أمرُّ بين يديه ، فردّني ، ثمّ قال : حدّثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام فصلّى صلاةَ الصُّبح وهو خلفَه ، فقرأ ، فالتبسَتْ عليه القراءة . فلمّا فرغ من صلاته قال : « لَوْ رَأَيْتُمُوْني وإبْلِيْس فأَهْوَيْتُ بِيَدِي فما زِلْتُ أَخْنُقُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعابِهِ بَيْنَ أَصْبعَيَّ هاتَيْن » الإبهام والتي تليها « ولَولا دَعْوَةُ أخي سُلَيمانَ لأَصْبَحَ مَرْبُوطاً بِسَارِيةٍ مِنْ سَوارِي المَسْجِدِ يَتَلاعَبُ بهِ صِبْيانُ المدِيْنة ، فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُم أنْ لا يَحُولَ بَيْنَهُ وبَيْنَ القِبْلَةِ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ » .

روى أبو داود[٥] منه « فَمَن اسْتَطَاع » إلى آخره ، عن أحمد بن سريج ، عن أحمد الزبيري ، به .

وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة سبعمئة بمهور ، وثلاثمئة سراري ، وقيل بالعكس ثلاثمئة حرائر وسبعمئة من الإماء . وقد كان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً . قال البخاري : حدّثنا خالد بن مَخْلَد ، حدّثنا مغيرة بن عبد الرحمان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قالَ : « قال سُلَيْمانُ بنُ دَاودَ : لأَطُوْفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِيْنَ امْرَأةً تَحْمِلُ كُلُّ امْرأةٍ فارِساً يُجَاهِدُ في سَبِيْلِ اللهِ . فقالَ لَهُ صَاحِبُهُ : إنْ شاءَ اللهُ . فلم يَقُلْ ، فَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئاً إلاّ واحِداً ساقِطاً أَحَدُ شِقَّيْهِ » . فقال النبي ﷺ : « لَوْ قَالَها لَجَاهَدُوا في سَبِيْلِ اللهِ » . وقال

(١) أخرجه مسلم رقم (٥٤١) في المساجد ، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة ، والتعوذ منه ، والنسائي في التفسير (٤٦٠) ، وهو في سننه الكبرى (١١٤٤٠) .

(٢) صحيح مسلم رقم (٥٤٢) في المساجد ، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة .

(٣) أخرجه في الصلاة من سننه الكبرى (٥٤٩) .

(٤) المسند (٣/ ٨٢ ـ ٨٣) .

(٥) في سننه رقم (٧٠٠) في الصلاة ، باب ما يؤمر المصلي أن يدرأ عن الممر بين يديه .

شعيب ، وابن أبي الزناد : تسعين ، وهو أصح ، تفرّد به البخاري من هذا الوجه[(١)] .

وقال أبو يعلى : حدّثنا زهير ، حدّثنا يزيد، أخبرنا هشام بن حسان، عن محمد، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال سُلَيمانُ بنُ دَاودَ : لأَطُوْفَنَّ اللَّيلةَ عَلَى مئةِ امْرأةٍ كُلُّ امْرأةٍ مِنْهُنَّ تَلِدُ غُلاماً يَضْرِبُ بالسَّيْفِ في سَبِيْلِ اللهِ ، وَلَم يَقُلْ : إنْ شَاءَ اللهُ . فطافَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ على مئةِ امْرأةٍ فَلَم تَلِدْ مِنْهُنَّ امْرأَةٌ إلاّ امْرأَةً وَلَدَتْ نِصْفَ إنْسَانٍ » . فقال رسول الله ﷺ : « لو قَالَ : إنْ شَاءَ اللهُ لَوَلَدَتْ كُلُّ امْرأةٍ مِنْهُنَّ غُلاماً يَضْرِبُ بالسَّيْفِ في سَبِيْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » . إسناده على شرط « الصحيح » ، ولم يخرجوه من هذا الوجه[(٢)] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا هُشيم ، حدثنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال سليمان ابن داود : لأطوفن الليلة على مئة امرأة تلد كل واحدة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله ، ولم يستثن ، فما ولدت إلا واحدة منهن بشِقّ إنسان قال : قال رسول الله ﷺ : « لَو اسْتَثْنَى لَوُلِدَ لَهُ مِئةُ غُلام . كُلُّهُم يُقَاتِلُ في سَبِيْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » تفرد به أحمد أيضاً[(٣)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قالَ سُليمانُ بنُ داودَ لأَطُوْفَنَّ اللَّيْلَةَ بمئةِ امْرأةٍ تَلِدُ كُلُّ امْرأةٍ مِنْهُنَّ غُلاماً يُقاتِلُ في سَبِيْلِ اللهِ » قال : « ونَسِيَ أنْ يَقُولَ : إنْ شَاءَ اللهُ ، فأطَافَ بِهِنَّ » قال : « فلَم تَلِدْ مِنْهُنَّ امْرأةٌ إلاّ واحِدَةٌ نِصْفَ إنْسانٍ » فقال رسول الله ﷺ : « لو قَالَ إنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنثْ وكانَ دركاً لحاجَتِهِ »[(٤)] .

وهكذا أخرجاه في « الصحيحين » من حديث عبد الرزاق ، به ، مثله[(٥)] .

وقال إسحاق بن بشر : أخبرنا مقاتل ، عن أبي الزناد ، وابن أبي الزناد عن أبيه ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة : أن سليمان بن داود كان له أربع مئةِ امْرأةٍ وستمئة سرية ، فقالَ يَوْماً : لأَطُوْفَنَّ اللَّيْلَةَ على ألْفِ امْرأةٍ فتَحْمِلُ كُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِفارِسٍ يُجَاهِدُ في سَبِيْلِ اللهِ ، ولَمْ يَسْتَثْنِ ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ فَلَمْ تَحْمِلْ واحِدَةٌ مِنْهُنَّ إلا امْرأَةٌ واحِدَةٌ مِنْهُنَّ جاءَتْ بِشِقّ إنْسَانٍ . فقال النبي ﷺ : « والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَو اسْتَثْنَى فَقَالَ : إنْ شَاءَ اللهُ ، لَوُلِدَ لَهُ ما قالَ فُرسانٌ ، ولَجاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ » .

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٤٢٤) في الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ ﴾ .

(٢) مسند أبي يعلى رقم (٦٣٤٧) .
ذكره صاحب كنز العمال (٣/ ٥٧ و٥٨ و٥٥٨)، والحديث عزاه لعدد من الأئمة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) المسند (٢/ ٢٢٩) .

(٤) المسند (٢/ ٢٧٥) .

(٥) في البخاري رقم (٥٢٤٢) في النكاح ، باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي . ومسلم رقم (١٦٥٤) في الأيمان ، باب الاستثناء .

وهذا إسناد ضعيفٌ لحال إسحاق بن بشر فإنه مُنكَر الحديث، ولاسيما وقد خالف الروايات الصحاح[١].

وقد كان له عليه السلام من أمور المُلك واتِّساع الدولة وكثرة الجنود وتنوُّعها مالم يكن لأحدٍ قبلَه ولا يعطيه الله أحداً بعده، كما قال: ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقال: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ .

وقد أعطاه الله ذلك بنص الصَّادق المصدوق .

ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه وأسداه من النعم الكاملة العظيمة إليه قال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي: أعط من شِئت، واحرم من شئت، فلا حساب عليك، أي: تصرَّف في المال كيف شئت، فإن الله قد سوَّغ لك كل ما تفعله من ذلك، ولا يحاسبك على ذلك. وهذا شأن النبي المَلِك، بخلاف العبد الرسول، فإنّ مِنْ شأنه أن لا يُعطي أحداً، ولا يمنع أحداً إلا بإذن الله له في ذلك. وقد خُيِّر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين هذين المقامين، فاختار أن يكون عبداً رسولاً. وفي بعض الروايات أنه استشار جبريل في ذلك فأشار إليه: أن تواضع، فاختار أن يكون عبداً رسولاً صلوات الله وسلامه عليه. وقد جعل الله الخِلافة والمُلْك من بعده في أمته إلى يوم القيامة، فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة. فلله الحمد والمِنَّة.

ولما ذكر تعالى ما وهبه لنبيه سليمان عليه السلام من خير الدنيا، نبَّه على ما أعدَّه له في الآخرة من الثواب الجزيل والأجر الجميل، والقربة التي تقرِّبه إليه والفوز العظيم والإكرام بين يديه، وذلك يوم المعاد والحساب حيث يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ .

* * *

ذكر وَفاته وكم كانت مدّة ملكه وحياته[٢]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤] .

روى ابن جرير، وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب[٣] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: « كانَ سُلَيمانُ نَبيُّ اللهِ عَلَيْه السَّلامُ إذا صَلَّى رَأَى شَجَرَةً

(١) ترجمته وما قيل فيه في المجروحين، لابن حبان (١/ ١٣٥ ـ ١٣٧) .
(٢) في ط: وفاته ومدة ملكه وحياته .
(٣) في ب: عن عطاء بن السائب عن أبي هريرة قال . . .

نابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ لَها : ما اسْمُكِ ؟ فتَقُول : كَذَا . فَيَقُولُ : لأيِّ شَيْءٍ أَنْتِ ؟ فإنْ كَانَتْ لِغَرْسٍ غُرِسَتْ ، وإنْ كَانَتْ لِدَوَاءٍ أنبتت[١] فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلّي ذاتَ يَوْمٍ إذْ رَأَى شَجَرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَها : ما اسْمُكِ ؟ قالتْ : الخرُّوْب . قال : لأيّ شَيءٍ أنْتِ ؟ قالتْ : لَخرابِ هذا البيْتِ . فَقَالَ سُليمانُ : اللّهُمّ عَمِّ عَلَى الجِنِّ مَوْتي حَتَّى تَعْلَمَ الإنْسُ أَنَّ الجِنَّ لا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ . فَنَحَتَها عَصاً فَتَوَكَّأَ عَلَيْها حَوْلاً والجِنُّ تَعْمَلُ فَأَكَلَتْها الأَرَضَةُ ، فَتَبَيَّنَتِ الإنْسُ أَنَّ الجِنَّ لَوْ كانوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا حَوْلاً في العذابِ المُهِيْنِ »[٢] . قال : وكان ابن عباس يقرؤها كذلك[٣] ، قال : فشكرت الجنُّ للأرضة فكانت تأتيها بالماء .

لفظ ابن جرير[٤] . وعطاء بن السائب[٥] في حديثه نكارة[٦] .

وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس موقوفاً[٧] ، وهو أشبه بالصواب . والله أعلم .

وقال السُّدّي في خبرٍ ذَكَره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرَّة عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة : كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر ، يُدخل طعامه وشرابه ، فأدخله في المرة التي تُوُفّي فيها ، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة فيأتيها ، فيسألُها : ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا . فيقول لها : لأي شيء نبتِّ ؟ فتقول : نبتُّ لكذا وكذا ، فيأمر بها فتقطع[٨] . فإذا كانت نبتت لغرس غرسها ، وإن كانت نبتت لدواءٍ[٩] قالت : نبتُّ دواءً لكذا وكذا ، فيجعلها كذلك . حتى نبتت شجرة يقال لها : الخرُّوبة ، فسألها : ما اسمك ؟ فقالت : أنا الخرُّوبة . فقال : ولأي شيء

---

(١) في بعض النسخ : كتبت .

(٢) الحديث في تفسير الطبري (٢٢/ ٥١) .

(٣) أي : . . ما لبثوا حولاً في العذاب المهين . تاريخ الطبري (١/ ٥٠١) وفي شواذ ابن خالويه : (١٢١) ، أن ابن عباس كان يقرأ : تُبُيِّنت . .

(٤) تفسيره (٢٢/ ٥١) . وتاريخه (١/ ٥٠١) .

(٥) في أ وب وط : الخراساني . ولا مكان لذكره هاهنا ؛ والذي في سند الحديث عند ابن جرير في تفسيره ، وتاريخه (١/ ٥٠١) ، عطاء بن السائب .

(٦) هكذا قال ولم يوضح، وعطاء بن السائب ثقة في نفسه لكنه اختلط، فحديثه قبل الاختلاط صحيح، وقد وثقه أيوب السختياني، ويحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن حنبل، والعجلي، وابن سعد، ويعقوب بن سفيان، والنسائي، وغيرهم، وإنما ضعفه بعضهم بسبب اختلاطه. وآفة هذا الحديث أنه من رواية إبراهيم بن طهمان عن عطاء، وهو ممن روى عنه بعد الاختلاط (وينظر تحرير التقريب ٣/ ١٤ ـ ١٥) .

(٧) تاريخه (٢٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .

(٨) من قوله : فيقول لها . . . إلى هنا ؛ زيادة من تفسير الطبري (٢٢/ ٥١) . وتاريخه (١/ ٥٠٢) .

(٩) في أ وط : دواء . وفي ب : نَبَت دواء . . . وأثبتنا لفظ الطبري .

نبتّ ؟ فقالت : نبتُّ لخراب هذا المسجد . فقال سليمان : ما كان الله ليخرِبه وأنا حيّ ، أنتِ التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ، فنزعها وغرسها في حائط[١] له . ثم دخل المحراب ، فقام يصلي مُتّكِئاً على عصاه ، فمات ولم يعلم به الشياطين ، وهم في ذلك يعملون له ، يخافون أن يخرج فيعاقبهم . وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كُوًى بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : ألست جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب ، فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر . فدخل شيطان من أولئك فمرَّ ـ ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان عليه السلام وهو في المحراب إلا احترق ـ ولم يسمع صوت سليمان ، ثمّ رجع فلم يسمع ، ثمّ رجع فوقع في البيت ولم يحترق ، ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات . ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا مِنْسأته ـ وهي العصا بلسان الحبشة ـ قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلةً . ثمّ حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة . وهي قراءة ابن مسعود : « فمكثوا يدأبون[٢] له من بعد موته حولاً كاملاً » ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان . ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ، وذلك قول الله عزّ وجل : ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ يقول : تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم . ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنتِ تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنتِ تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ، ولكنا سننقل إليك الماء والطين . قال فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت ، قال : ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما يأتيها به الشياطين تشكراً لها[٣] . وهذا فيه من الإسرائيليات التي لا تُصدّق ولا تكذّب .

وقال أبو داود في كتاب « القدر »[٤] : حدّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا قبيصة ، حدّثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة قال : قال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت : إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني . قال : ما أنا أعلم بذاك منك ، إنما هي كُتب يُلقى إليَّ فيها تسميةُ من يموت .

وقال أصبغ بن الفرج وعبد الله بن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : قال سليمان لملَك الموت : إذا أُمرتَ بي فأعلمني . فأتاه فقال : يا سليمان قد أُمِرت بك ، قد بقيت لك سُوَيعة ، فدعا

---

(١) الحائط : البستان .

(٢) في تاريخ الطبري : يدينون .

(٣) تاريخ الطبري (١/٥٠٢) ، وتفسيره (٢٢/٥١ ـ ٥٢) .

(٤) كتاب القدر لأبي داود ، رواه عنه محمد بن أحمد بن يعقوب المتُّوثي البصري .
ذكر ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/٢٠٦) ، ولم يصل إلينا .

الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب ، فقام يُصلي فاتكأ على عصاه ، قال : فدخل عليه ملَك الموت فقبض روحه وهو متوكئ على عصاه . ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت . قال : والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي ، قال فبعث الله دابّة الأرض - يعني إلى مِنْسأته - فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضَعُفتْ وثقُل عليها ، فخرّ ، فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا . قال : فذلك قوله : ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[١] .

قال أصبغ : وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل في مِنسأته حتى خرَّ . وقد رُوِي نحوُ هذا عن جماعة من السلف وغيرهم . والله أعلم[٢] .

قال إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري وغيره ، إن سليمان عليه السلام عاش ثنتين وخمسين سنةً ، وكان ملكه أربعين سنة .

وقال إسحاق أخبرنا أبو روق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن ملكه كان عشرين سنة . فالله أعلم .

وقال ابن جرير : فكان جميع عمر سليمان بن داود عليهما السلام[٣] نيفاً وخمسين سنة . وفي سنة أربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس فيما ذكر[٤] .

ثمّ ملك بعده ابنه رحبعيم[٥] مدة سبع عشرة سنة فيما ذكره ابن جرير ، وقال : ثم تفرقت بعده مملكة بني إسرائيل[٦] .

* * *

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢) .
(٢) زاد في ب : وقد استنبط بعض الأئمة من هذا أن الأنبياء عليهم السلام لا تبلى أجسادهم كما ثبت في الحديث أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، رواه أبو داود رقم (١٠٤٧) من حديث أوس بن أوس بلفظ « إن الله حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء » وهو حديث صحيح .
(٣) زاد ابن جرير هنا : فيما ذُكر .
(٤) تاريخ الطبري (١/ ٥٠٣) .
(٥) في ط : رحبعام : وفي الطبري : رُحُبْعُم .
(٦) تاريخ الطبري (١/ ٥١٧) .

باب[١]

ذكر جَماعَة من أنبيَاء بني إسرائيل عليهم السلام ممن لا يعلم وقت زمانهم على التعيين إلا أنهم بعد داود وسليمان عليهما السلام وقبل زكريا وَيحيى عليهما السّلام[٢]

فمنهم :

شعيا بن أمصيا

قال محمد بن إسحاق : وكان قبل زكريا ويحيى ، وهو ممن بَشَّر بعيسى ومحمد عليهما السلام . وكان في زمانه ملك اسمه صديقة[٣] على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس ، وكان سامعاً مطيعاً لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه من المصالح ، وكانت الأحداث قد عظمت في بني إسرائيل ، فمرض الملك وخرجت في رجله قَرْحة . وقصد بيت المقدس ملكُ بابل في ذلك الزمان وهو سنحاريب . قال ابن إسحاق : في ستمئة ألف راية ، وفزع الناس فزعاً عظيماً شديداً ، وقال الملك للنبي شعيا : ماذا أوحَى الله إليك في أمر سنحاريب وجنوده ؟ فقال : لم يُوْحَ إليَّ فيهم شيء بعدُ . ثمّ نزل عليه الوحي بالأمر للملك صديقة بأن يوصي ويستخلف على ملكه مَن يشاء فإنه قد اقترب أجلُه ، فلما أخبره بذلك أقبل الملكُ على القبلة فصلّى وسبّح ودعا وبكى ، فقال وهو يبكي ويتضرّع إلى الله عزَّ وجل بقلب مخلص وتوكُّلٍ وصبر : اللهمّ ربَّ الأرباب وإلَه الآلهة[٤] ، يا رحمن يا رحيم[٥] ، يا من لا تأخذه سِنَة ولا نوم ، اذكرني بعلمي[٦] وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل ، وذلك كله كان منك ، فأنت أعلم به من نفسي ، سري وإعلاني لك[٧] . قال : فاستجاب الله له ورحمه . وأوحى الله إلى شعيا أن يبشّره بأنه قد رَحِم بكاءه ، وقد أخّر في أجله خمسَ عشرة سنة ، وأنجاه من عدوه سنحاريب . فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الشر والحزن ، وخرّ ساجداً ، وقال في سجوده : اللهم أنت الذي تعطي المُلْكَ من تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ، أنت الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت

---

(١) ليست في ب وط .
(٢) في ط : جماعة من أنبياء بني إسرائيل بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم السلام .
(٣) في ط : حزقيا ، وكذلك في الطبري (١/ ٥٣١) ، إلا أنه نبه على أن ابن إسحاق سماه : صديقة . كما هاهنا .
(٤) زاد الطبري هاهنا : القدّوس المتقدس .
(٥) في الطبري : الرحيم ، الرؤوف الذي لا تأخذه .
(٦) في الطبري : بعملي ، وهو كذلك في بعض النسخ وهو الأصوب .
(٧) تاريخ الطبري (١/ ٥٣٢ _ ٥٣٣) .

ترحم وتستجيب دعوة المضطرين[١] . فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن يأمره أن يأخذ ماء التين فيجعله على قَرحته فيشفى ويصبح قد برئ ، ففعل ذلك ، فشفي .

وأرسل الله على جيش سنحاريب الموت فأصبحوا وقد هلكوا كلُّهم سوى سنحاريب وخمسة من أصحابه ، منهم بخت نصّر ، فأرسل ملكُ بني إسرائيل فجاء بهم ، فجعلهم في الأغلال وطاف بهم في البلاد على وجه التنكيل بهم والإهانة لهم سبعين يوماً ، ويطعم كلّ واحد منهم كل يوم رغيفين من شعير . ثمّ أودعهم السجن .

وأوحى الله تعالى إلى شعيا أن يأمر الملك بإرسالهم إلى بلادهم لينذروا قومَهم ما قدْ حلَّ بهم ، فلما رجعوا جمع سنحاريب قومه وأخبرهم بما قد كان من أمرهم ، فقال لهم السحرة والكهنة : إنا أخبرناك عن شأن ربهم وأنبيائهم فلم تطعنا ، وهي أمة لا يستطيعها أحد من ربهم . فكان أمر سنحاريب مما خوفهم الله به . ثمّ مات سنحاريب بعد سبع سنين[٢] .

قال ابن إسحاق : ثم لما مات صديقة ملك بني إسرائيل مَرِج أمرُهم ، واختلطت أحداثهم ، وكثر شرهم ، فأوحى الله تعالى إلى شعيا ، فقام فيهم فوعظهم وذكّرهم . وأخبرهم عن الله بما هو أهله ، وأنذرهم بأسه وعقابه إن خالفوه وكذّبوه . فلما فرغ من مقالته عَدَوا عليه وطلبوه ليقتلوه ، فهرب منهم ، فمرَّ بشجرة فانفلقت له فدخل فيها ، وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها ، فلما رأوا ذلك جاؤوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها . فإنا لله وإنا إليه راجعون[٣] .

***

ومنهم :

أرميَا بن حلقيا
من سبط لاوي بن يعقوب

وقد قيل : إنه الخضر . رواه الضحّاك عن ابن عباس[٤] ، وهو غريب وليس بصحيح[٥] .

قال ابن عساكر[٦] : جاء في بعض الآثار أنه وقف على دم يحيى بن زكريا وهو يفور بدمشق

---

(١) لفظ الدعاء عند الطبري في تاريخه (١/ ٥٣٣) .
(٢) تاريخ الطبري (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٥) .
(٣) نقل الطبري الخبر عن ابن إسحاق مفصلاً في تاريخه (١/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧) .
(٤) ورواه كذلك وهب بن منبه . تاريخ الطبري (١/ ٣٦٦ و٥٤٧) .
(٥) وكذلك قال الطبري . تاريخه (١/ ٣٧٦) .
(٦) تاريخه (٨/ ٢٧ ـ ٢٨) .

فقال أيها الدم فتنت الناس فاسكن ، فسكن ورسب حتى غاب .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثني علي بن أبي مريم ، عن أحمد بن حباب ، عن عبد الله بن عبد الرحمن قال : قال أرميا : أي ربّ أيُّ عبادك أحَبُّ إليك ؟ قال : أكثرهم لي ذِكراً ، الذين يشتغلون بذِكري عن ذكر الخلائق . الذين لا تعرض لهم وساوس الفناء ولا يُحدِّثون أنفسهم بالبقاء . الذين إذا عرض لهم عيش الدنيا قَلُّوه ، وإذا زوي عنهم سُرُّوا بذلك . أولئك أنحلهم محبتي وأعطيهم فوق غاياتهم .

***

ذكر[1] خراب بَيت المقدس

وقوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢ ـ ٨] .

وقال وهب بن منبه : أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له : أرميا حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قُم بين ظهراني قومك فأخبرهم أن لهم قلوباً ولا يفقهون ، وأعيناً ولا يبصرون ، وآذاناً ولا يسمعون ، وإني تذكَّرت صلاح آبائهم فعطفني ذلك على أبنائهم ، فسلْهم كيف وجدوا غِبَّ طاعتي ، وهل سعد أحد ممن عصاني بمعصيتي ، وهل شقي أحد ممن أطاعني بطاعتي ، إن الدوابَّ تذكر أوطانها فتنزع إليها ، وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه آباءهم والتمسوا الكرامة من غير وجهها ، أما أحبارهم فأنكروا حقي ، وأما قُرّاؤهم فعبدوا غيري ، وأما نُسّاكهم فلم ينتفعوا بما علموا ، وأما وُلاتهم فكذبوا عَليّ وعلى رُسلي . خَزنوا المكر في قلوبهم ، وعوّدوا الكذبَ ألسنتَهم . وإني أقسم بجلالي وعزتي لأهيجنَّ عليهم جيولاً[2] لا يفقهون ألسنتهم ، ولا يعرفون وجوههم ، ولا يرحمون بكاءهم ، ولأبعثن فيهم مَلِكاً جبّاراً قاسياً ، له عساكر كقطع السحاب ، ومواكب كأمثال الفجاج ، كأن خفقان راياته طيران النسور ، وكأن حمل فرسانه كَرّ العقبان ، يعيدون العمران خراباً ، ويتركون القرى وحشة ، فياويل

---

(١) كلمة ذكر ؛ ليست في ط .

(٢) الجيول ، لعله يريد الأجيال ، جمع جيل .

إيليا وسكانها كيف أذلّلهم للقتل وأسلّط عليهم السبي ، وأُعيد بعد لجب الأعراس صُراخاً ، وبعد صهيل الخيل عُواء الذِّئاب ، وبعد شرافات القصور مساكن السباع ، وبعد ضوء السرج وهج العجاج ، وبالعزِّ الذُّلَّ ، وبالنعمة العبودية ، وأبدلن نساءهم بعد الطيب التراب ، وبالمشي على الزرابي الخبب[١] ، ولأجعلن أجسادهم زبلاً للأرض ، وعظامَهم ضاحية للشمس ، ولأدوسنَّهم بألوان العذاب ، ثم لآمرنَّ السماء فتكون طبقاً من حديد والأرض سبيكة من نحاس ، فإن أُمطرت لم تنبت الأرض ، وإن أنبتت شيئاً في خلال ذلك فبِرحْمتي للبهائم ، ثمّ أحبسه في زمان الزرع ، وأرسله في زمان الحصاد ، فإن زرعوا في خلال ذلك شيئاً سلطت عليه الآفة ، فإن خلص منه شيء نزعت منه البركة ، فإن دعوني لم أجبهم ، وإن سألوا لم أعطهم ، [وإن بكَوا لم أرحمهم ، وإن تضرّعوا صرفتُ وجهي عنهم . رواه ابن عساكر بهذا اللفظ][٢] .

وقال إسحاق بن بشر : أخبرنا إدريس ، عن وهب بن منبه ، قال : إن الله تعالى لما بعث أرميا إلى بني إسرائيل ، وذلك حين عظمت الأحداث فيهم ، فعملوا بالمعاصي وقتلوا الأنبياء ، طمع بخت نصّر فيهم ، وقذف الله في قلبه ، وحدَّث في نفسه بالمسير إليهم لمَّا أراد الله أن ينتقم به منهم ، فأوحى الله إلى أرميا إني مهلك بني إسرائيل ومنتقمٌ منهم ، فَقُم على صخرة بيت المقدس يأتيك أمري ووحيي ، فقام أرميا فشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وخَرَّ ساجداً وقال : يا رب ودِدْتُ أمي لم تلدني حين جعلتني آخِر أنبياء بني إسرائيل فيكون خراب بيت المقدس وبوار بني إسرائيل من أجلي ، فقال له : ارفع رأسك . فرفع رأسه فبكى ثم قال : يا رب من تُسَلِّط عليهم ؟ فقال : عبدة النيران ، لا يخافون عقابي ولا يرجون ثوابي . قم يا أرميا فاستمع وحيي أخبرْك خبرك وخبر بني إسرائيل :

من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن أصوّرك في رحم أُمّك قَدَّسْتُك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهَّرْتُك ، ومن قبل أن تبلغ نبَّأْتُك ، ومن قبل أن تبلغ الأشدَّ اخترتُك ، ولأمر عظيمٍ اجتبيتك[٣] . فقم مع الملِك تُسدّده وترشده . فكان مع الملك يسدده[٤] ويأتيه بالوحي[٥] من الله ، حتى عظمت الأحداث ونَسُوا ما نجّاهم اللهُ به من عدوّهم سنحاريب وجنوده ، فأوحى الله إلى أرميا : قم فاقصص عليهم ما آمرك به ، وذكِّرْهم نعمتي عليهم ، وعَرِّفْهم أحْدَاثَهم . فقال أرميا : يا رب إني ضعيفٌ إن لم تقوّني ، عاجزٌ إن لم تبلّغني ، مخطِئٌ إنْ لم تسدّدْني ، مَخذولٌ إن لم تنصرني ، ذليلٌ إن لم تُعزّني . فقال الله تعالى : أَوَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الأُمُوَرَ كُلَّها تصدر عن مشيئتي ، وأنّ الخلقَ والأمر كله لي ، وأنّ

---

(١) الزرابي : البسط .
(٢) ليست في ب . وقد فصل الطبري الخبر في تاريخه (١/٥٤٨ ـ ٥٥٠) .
(٣) تاريخ الطبري (١/٤٥٨) .
(٤) في ب : يرشده .
(٥) في أ وط : الوحي . وأثبتنا ما في ب . وفي تاريخ الطبري . . . ويأتيه بالخبر من قبل الله فيما بينه وبين الله عز وجل .

القلوب والألسنة كلها بيدي فأقلّبُها كيف شئِتُ فتطيعني ، فأنا الله الذي ليس شيء مثلي . قامت السماوات والأرض وما فيهن بكلمتي ، وإنه لا يخلص التوحيد ولم تتم القدرة إلاّ لي ، ولا يعلم ما عندي غيري ، وأنا الذي كلّمتُ البحار ففهمتْ قولي ، وأمرتها ففعلت أمري ، وحدَّدْتُ عليها حدوداً فلا تعدو حدِّي ، وتأتي بأمواجٍ كالجبال فإذا بلغت حَدّي ألبستُها مذَلَّةً لطاعتي وخوفاً واعترافاً لأمري ، وإني معكَ ولن يصل إليك شيءٌ معي ، وإني بعثتُك إلى خلقٍ عظيمٍ من خلقي لتبلِّغهم رسالاتي فتستوجب لذلك أجر منِ اتّبعك ، ولا ينقص من أجورهم شيئاً [وإن تقصر عنها تستحق بذلك مني وزر من تركته في عماية ولا ينتقص ذلك من أوزارهم شيئاً][1] انطلق إلى قومك فقُم فيهم وقل لهم : إن الله قد ذكَركم بصلاح آبائكم فلذلك استبقاكم . يا معشر أبناء الأنبياء ، كيف وجد آباؤكم مَغَبّةَ طاعتي ؟ وكيف وجدتم مغبةَ معصيتي ؟ وهل وجدوا أحداً عصاني فسعد بمعصيتي ؟! وهل علموا أحداً أطاعني فشقي بطاعتي ؟ إن الدوابَّ إذا ذَكَرت أوطانَها الصالحة نزعت إليها ، وإن هؤلاء القوم رتعوا في مُروج الهلَكَة وتركوا الأمر الذي به أكرمتُ آباءهم ، وابتغوا الكرامة من غير وجهها .

أما أحبارهم ورهبانهم : فاتخذوا عبادي خَوَلاً[2] يتعبَّدونهم ويعملون فيهم بغير كتابي حتى أجهلوهم أمري ، وأنسَوْهم ذكري وسُنَّتي وغرُّوهم عني ، فدانَ لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلاّ لي فهم يطيعونهم في معصيتي .

وأما ملوكهم وأمراؤهم : فبطروا نعمتي وأمِنوا مكري ، وغرَّتهمُ الدنيا حتى نبذوا كتابي ونسوا عهدي ، فهم يُحرّفون كتابي ويفترون على رسُلي جرأةً منهم عليَّ وغرة بي ، فسبحان جلالي وعلوَّ مكاني وعظمة شأني هل ينبغي أن يكون لي شريك في ملكي ؟ وهل ينبغي لبشر أن يُطاع في معصيتي ؟! وهل ينبغي لي أن أخلق عباداً أجعلهم أرباباً من دوني ، أو آذن لأحد بالطاعة لأحد لا تنبغي إلا لي ؟! .

وأما قُرّاؤهم وفقهاؤهم : فيدرسون ما يتخَيَّرون فينقادون للملوك فيتابعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني ، ويطيعونهم في معصيتي ، ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدي ، فهم جَهَلة بما يعلمون لا ينتفعون بشيء مما علِموا من كتابي .

وأما أولاد النبيين : فمقهورون ومفتونون ، يخوضون مع الخائضين ، يتمنَّون مثلَ نصري آباءهم ، والكرامةَ التي أكرمتهم بها ، ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك منهم ، بغير صدق منهم ولا تفكر ، ولا يذكرون كيف كان صبرُ آبائهم ، وكيف كان جهدهم في أمري حين اغترَّ المغترُّون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءَهم فصبروا وصدقوا حتى عزّ أمري وظهر ديني . فتأنَّيت هؤلاء القوم لعلهم يستحيون مني

---

(١) سقطت العبارة من ط .

(٢) الخَوَل : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية .

ويرجعون ، فتطوَّلت عليهم وصفحت عنهم فأكثرت ومددت لهم في العمر ، وأعذرت لهم لعلهم يتذكرون . وكل ذلك أُمطر عليهم السماء وأُنبت لهم الأرض وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو ؛ ولا يزدادون إلاّ طغياناً وبُعداً مني . فحتى متى هذا ؟ أبي يسخرون ؟ أم بي يتحرَّشون ؟ أم إياي يُخادعون ؟ أم عليَّ يجترئون ؟ فإني أُقسم بعزتي لأُتيحنَّ عليهم فتنة يتحير فيها الحكيم ، ويضل فيها رأي ذوي الرأي وحكمة الحكيم ، ثم لأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً أُلبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرأفة والرحمة ، وآليت أن يتبعه عددٌ وسوادٌ مثلُ الليل المظلم ، له فيه عساكر مثل قطع السحاب ، ومواكب مثل العجاج ، وكأن حفيف راياته طيرانُ النسور ، وحمل فرسانه كسرب العقبان[١] يعيدون العمران خراباً والقرى وحشاً ، ويعيثون في الأرض فساداً ، ويُتَبِّرون ما علوا تتبيراً ، قاسية قلوبهم لا يكترثون ولا يرقون ولا يَرحمون ولا يبصرون ، ولا يسمعون ، يجولون في الأسواق بأصوات مُرتفعة مثل زئير الأسد تقشعِرُّ من هيبتها الجلود ، وتطيش من سمعها الأحلام ، بألسنة لا يفقهونها ، ووجوه ظاهر عليها المنكر لا يعرفونها .

فوعزَّتي لأُعَطّلن[٢] بيوتهم من كتبي وقدسي ، ولأُخْلِيَن مجالسهم من حديثها ودروسها ، ولأُوحِشَن مساجدَهم من عمّارها وزوّارها الذين كانوا يتزيَّنون بعمارتها لغيري ، ويتهجَّدون فيها ويتعبَّدون لكسب الدنيا بالدين ، ويتفقّهون فيها لغير الدين ، ويتعلَّمون فيها لغير العمل . لأُبدّلن ملوكها بالعز الذل ، وبالأمن الخوف ، وبالغنى الفقر ، وبالنعمة الجوع ، وبطول العافية والرخاء أنواع[٣] البلاء ، وبلباس الديباج والحرير مَدارع الوبر والعباء ، وبالأرواح الطيبة والأدهان جِيفَ القتل ، وبلباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والأغلال . ثم لأعيدنَّ فيهم بعد القُصور الواسعة والحصون الحصينة الخرابَ ، وبعد البروج المشيَّدة مساكن السباع ، وبعد صَهيل الخيل عواء الذئاب ، وبعد ضوء السراج دخان الحريق ، وبعد الأنس الوحشة والقفار . ثمّ لأبدلنَّ نساءها بالأسوِرَةِ الأغلال ، وبقلائد الدر والياقوت سلاسل الحديد ، وبألوان الطيب والأدهان النقع والغبار ، وبالمشي على الزَّرابي[٤] عُبور الأسواق والأنهار والخبب إلى الليل في بطون الأسواق ، وبالخدور والستور ، الحسور عن الوجوه والسوق والأسفار والأرواح السّموم . ثمّ لأدوسنهم بأنواع العذاب حتى لو كان الكائن منهم في حَالِق[٥] لَوَصَل ذلك إليه .

إني إنما أُكرم من أكرمني ، وإنما أُهين من هانَ عليه أمري . ثمّ لآمرَنَّ السماء خلال ذلك فلتكونن

(١) الخبر في تاريخ الطبري (١/٥٤٨ ـ ٥٥٠) . وتفسيره (١٥/٢٩ ـ ٣٠) ، وفي بعض النسخ : كنصوب العقبان .
(٢) التعطيل : التفريغ .
(٣) في ب : ألوان .
(٤) الزّرابي : البسط . مفردها : زُربي .
(٥) الحالق : الجبل المنيف المشرف ، ولا يكون إلا مع عدم نبات . اللسان .

عليهم طبقاً من حديد ، ولآمُرَنّ الأرض فلتكونَن سبيكة من نحاس ، فلا سماء تمطر ، ولا أرض تنبت . فإن أمطرت[١] خلال ذلك شيئاً سلّطت عليهم الآفة ، فإن خلص منه شيء نزعت منه البركةَ ، وإن دَعَوني لم أجبْهم ، وإن سألوني لم أُعْطِهم ، وإن بكَوا لم أرحَمْهم ، وإنْ تَضَرَّعوا إليَّ صرفتُ وجهي عنهم ، وإن قالوا : اللهم أنت الذي ابتدأتنا وآباءنا من قبلنا برحمتك وكرامتك ، وذلك بأنّك اخترتَنا لنفسكَ ، وجعلتَ فينا نُبوَّتَك وكتابك ومساجدك ، ثم مَكَّنْتَ لنا في البلاد واستخلفتنا فيها ، وربيتنا وآباءنا من قبلنا بنعمتك صِغاراً ، وحفظتنا وإيّاهم برحمتك كباراً ، فأنتَ أوفى المُنْعِمين وإنْ غَيَّرْنا ، ولا تُبَدّل وإنْ بدَّلْنا . وأن يتم نعمته وفضله ومَنَّه وطَوله وإحسانه[٢] . فإن قالوا ذلك قلت لهم : إني أبتدئ عبادي برحمتي ونعمتي ، فإن قبلوا أتممت ، وإن استزادوا زدت ، وإن شكروا ضاعَفْتُ ، وإن بدلوا غيرت ، وإذا غيّروا غضبت ، وإذا غضبتُ عذَّبْتُ وليس يقوم شيء بغضبي .

قال كعب : فقال أرميا : برحمتك أصبحْت ، أتعلّم بين يديك ، وهل ينبغي ذلك لي وأنا أذلُّ وأضعفُ مِن أن ينبغي لي أن أتكلم بين يديك ، ولكن برحمتك أبقيتني لهذا اليوم ، وليس أحد أحق أن يخاف هذا العذاب وهذا الوعيد مني بما رضيت به مني طولاً ، والإقامة في دار الخاطئين وهم يعصونك حولي بغير نكر ولا تغيير مني ، فإن تعذبني فبذنبي ، وإن ترحمني فذلك ظَنّي بك .

ثم قال : يا رب سبحانك وبحمدك وتباركتَ ربَّنا وتعاليت ، أتُهلك هذه القرية وما حولَها وهي مساكن أنبيائك ومنزل وحيك ؟ يا رب سبحانك وبحمدك وتباركت وتعاليت لمخرب هذا المسجد وما حوله من المساجد ومن البيوت التي رُفِعتْ لذكرك ؟ يا رب سبحانك وبحمدك وتباركت وتعاليت لمقتل هذه الأمة وعذابك إياهم وهم من ولد إبراهيم خليلك وأمة موسى نجيِّك وقوم داود صفيِّك ؟ . يا رب أي القرى تأمن عقوبتَك بعدُ ؟ وأي العباد يأمنون سطوتك بعد ولد خليلك إبراهيم وأُمّة نجيّك موسى وقوم خليفتك داود ، تسلط عليهم عبدة النيران ؟ قال الله تعالى : يا أرميا من عصاني فلا يستنكر نقمتي فإني أكرمت هؤلاء القوم على طاعتي ، ولو أنهم عصوني لأنزلتهم دار العاصين إلا أن أتَدارَكَهم برحمتي .

قال أرميا : يا رب اتخذتَ إبراهيم خليلاً وحفظتنا به . وموسى قَرَّبته نجياً ، فنسألك أن تحفظنا ولا تتخطفْنا ولا تسلط علينا عدوَّنا . فأوحى الله إليه : يا أرميا إني قدَّسْتُك في بطن أمك ، وأخَّرتك إلى هذا اليوم ، فلو أن قومك حفظوا اليتامى والأرامل والمساكينَ وابنَ السبيل لكنت الداعم لهم ، وكانوا عندي بمنزلة جنةٍ ناعم شجرُها ، طاهر ماؤها ، ولا يغور ماؤها ، ولا تبور ثماره ولا تنقطع . ولكن سأشكو إليك بني إسرائيل ، إني كنتُ لهم بمنزلة الداعي الشفيق أُجَنّبهم كلَّ قَحْطٍ وكلَّ عسرة ، وأتبع بهم الخِصب

---

(١) في ب : مطرت .
(٢) في ط : وأن تتم فضلك ومَنَّكَ وطَولك وإحسانك .

حتى صاروا كباشاً ينطح بعضُها بعضاً ، فيا ويلَهم ثمّ يا ويلهم ، إنّما أُكرم من يكرمني[١] ، وأُهين من هان عليه أمري . إنَّ من كان قبل هؤلاء القوم من القرون يستخفون بمعصيتي ، وإن هؤلاء القوم يتبرَّعون بمعصيتي تبرُّعاً ، فيُظهرونها في المساجد والأسواق وعلى رؤوس الجبال وظلال الأشجار ، حتى عجَّت السماء إليَّ منهم ، وعجَّت الأرض والجبال ، ونفرت منها الوحوش بأطراف الأرض وأقاصيها ، وفي كل ذلك لا ينتهون ولا ينتفعون بما علموا من الكتاب .

قال : فلما بلَّغهم أرميا رسالة ربهم ، وسمعوا ما فيها من الوعيد والعذاب ، عصَوه وكذَّبوه واتّهموه وقالوا : كذبت وأعظمت على الله الفرية ، فتزعم أن الله مُعطّل أرضه ومساجدَه من كتابه وعبادته وتوحيده ، فمن يعبده حين لا يبقى له في الأرض عابدٌ ولا مسجدٌ ولا كتاب ؟! لقد أعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون . فأخذوه وقيَّدوه وسجنوه . فعند ذلك بعث الله عليهم بختَ نصر ، فأقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم ، ثم حاصرَهم فكان كما قال تعالى : ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ ﴾ .

قال : فلما طال بهم الحصر نزلوا على حُكمه ، ففتحوا الأبوابَ وتخلَّلوا الأزِقّة ، وذلك قوله : ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ ﴾ ، وحكم فيهم حُكم الجاهلية ، وبطْشَ الجبّارين ، فقتل منهم الثلثَ ، وسبى الثلثَ ، وترك الزَّمْنَى والشيوخَ والعجائز ، ثم وطِئهم بالخيل ، وهدم بيت المقدس ، وساق الصبيان ، وأوقف النساء في الأسواق محسرات[٢] ، وقتل المقاتلة وخرَّب الحصون ، وهدمَ المساجد ، وحرقَ التوراة ، وسأل عن دانيال الذي كان قد كتب له الكتاب فوجدوه قد ماتَ ، وأخرج أهلُ بيته الكتاب إليه وكان فيهم دانيال بن حزقيل الأصغر[٣] وميشائيل وعزرائيل وميخائيل فأمضى لهم ذلك الكتاب . وكان دانيال بن حزقيل خلفاً من دانيال الأكبر ، ودخل بخت نصر بجنوده بيتَ المقدس ، ووطئ الشامَ كلَّها ، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم .

فلما فرغ منها انصرف راجعاً وحمل الأموال التي كانت بها ، وساق السبايا فبلغ معه عدة صبيانهم من أبناء الأحبار والملوك تسعين ألفَ غلامٍ ، وقذف الكناسات في بيت المقدس ، وذبح فيه الخنازير . وكان الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود ، وأحدَ عشرَ ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين ، وثمانية آلاف من سبط إيشا بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفاً من سبط زيالون ونفتالي ابني يعقوب ، وأربعةَ عشر ألفاً من سبط دان بن يعقوب وثمانية آلاف من سبط يستاخر بن يعقوب[٤] وألفين من سبط زيالون بن

---

(١) في ب وط : أكرمني .
(٢) في ب وط : حاسرات .
(٣) في ب : دانيال الأصغر ابن حزقيل .
(٤) من قوله : وثمانية آلاف . . إلى هنا زيادة من ب وط .

يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوي ، واثني عشر ألفاً من سائر بني إسرائيل[١] ، وانطلق حتى قدم أرض بابل .

قال إسحاق بن بشر : قال وهب بن منبه : فلما فعل ما فعل قيل له : كان لهم صاحب يُحذّرهُم ما أصابهم ، ويصفك وخبرك لهم ، ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم وتهدم مساجدهم وتحرق كنائسهم ، فكذّبوه واتّهموه وضربوه وقيّدوه وحبسوه . فأمر بخت نصر فأخرج أرميا من السجن ، فقال له : أكنتَ تُحذّر هؤلاء القوم ما أصابهم[٢] ؟ قال : نعم . قال : فإني علمتُ ذلك . قال : أَرسلني الله إليهم فكذّبوني . قال : كذَّبوك وضربوك وسجنوك ؟ قال : نعم . قال : بئس القوم قومٌ كذّبوا نبيَّهم وكذّبوا رسالة ربّهم ، فهل لك أن تلحق بي فأكرمَك وأُواسيك ؟ وإن أحببت أن تقيم في بلادك فقد أمَّنْتك . قال له أرميا : إني لم أزل في أمان الله منذ كنتُ . لم أخرج منه ساعةً قَطُّ ، ولو أن بني إسرائيل لم يَخْرجوا منه لم يخافوك ولا غيرَك ، ولم يكن لك عليهم سلطانٌ . فلما سمع بخت نصر هذا القول منه تركه فأقام أرميا مكانه بأرض إيلياء[٣] .

وهذا سياق غريب . وفيه حِكم ومواعظ وأشياء مليحة ، وفيه من جهة التغريب غرابة .

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : كان بخت نصر إصبهبذاً[٤] لما بين الأهواز إلى الروم للملك على الفرس وهو لهراسب ، وكان قد بنى مدينة بلْخ[٥] التي تلقب بالخنساء ، وقاتل الترك وألجأهم إلى أضيق الأماكن ، وبعث بخت نصر لقتال بني إسرائيل بالشام ، فلما قدم الشام صالحه[٦] أهل دمشق ، وقد قيل إن الذي بعث بخت نصر إنما هو بهمن ملك الفرس بعد بشتاسب بن لهراسب ، وذلك لتعدي بني إسرائيل على رسله إليهم .

وقد روى ابن جرير ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيِّب : أن بخت نصر لما قدم دمشق وجد بها دماً يغلي على كبا ـ يعني القمامة ـ فسألهم ما هذا الدم ؟ فقالوا : أدركْنا آباءَنا على هذا ، وكلما ظهرَ عليه الكَبا ظهرَ . قال : فقتل على ذلك سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم فسكن[٧] .

---

(١) مجموع من ذكرهم هاهنا ثمانون ألفاً ، تاريخ الطبري (١/ ٥٥٣) .
(٢) من قوله : ويصفك وخبرك . . . . إلى هنا ساقط من ب بنقلة عين .
(٣) إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس . (معجم ياقوت) .
(٤) الصَّبَهْبَذ ، والإصبهبذ : فارسي معرب ، وهو عندهم كالأمير في العرب . المعرّب : (٢١٨) ، واللسان (إصبهبذ).
(٥) معجم ياقوت : بلخ (١/ ٤٧٩) .
(٦) في ب : فصالحه .
(٧) تاريخ الطبري (٥٨٧ ـ ٥٨٨) .

وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيِّب ، وقد تقدم من كلام الحافظ ابن عساكر ما يدل على أن هذا دم يحيى بن زكريا ، وهذا لا يصح ؛ لأن يحيى بن زكريا بعد بخت نصر بمدة ، والظاهر أن هذا دم نبي متقدّم ، أو دم لبعض الصالحين[١] ، أو لمن شاء الله ممن الله أعلم به .

قال هشام بن الكلبي : ثمّ قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود ، وصانعه عن بني إسرائيل ، وأخذ منه بخت نصر رهائن ورجع . فلما بلغ طبرية بلغه أن بني إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لأجل أنه صالحه ، فضرب رقابَ من معه من الرهائن ، ورجَع إليهم فأخذ المدينة عَنوة ، وقتل المقاتلة وسبى الذرية[٢] .

قال : وبلغنا أنه وجد في السجن أرميا النبيَّ ، فأخرجه وقصَّ عليه ما كان من أمره إياهم وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه ، فقال بخت نصر : بئس القوم قومٌ عصَوا رسول الله . وخلّى سبيله وأحسن إليه واجتمع إليه من بقي من ضعفاء بني إسرائيل فقالوا : إنا قد أسأنا وظلمنا ونحن نتوب إلى الله عزَّ وجلَّ مما صنعنا ، فادْعُ الله أن يقبل توبتنا ، فدعا ربَّه فأوحى الله إليه أنه غيرُ فاعلٍ ، فإن كانوا صادقين فليقيموا معكَ بهذه البلدة ، فأخبرهم ما أمره الله تعالى به ، فقالوا : كيف نقيم بهذه البلدة وقد خربت وغضب الله على أهلها ؟ فأبوا أن يقيموا[٣] .

قال ابن الكلبي : ومن ذلك الزمان تفرّقت بنو إسرائيل في البلاد ، فنزلت طائفةٌ منهم الحجاز ، وطائفة يثرب ، وطائفة وادي القُرى ، وذهبت شِرْذمة منهم إلى مصر ، فكتب بخت نصر إلى ملكها يطلب منه من شرد منهم إليه ، فأبى عليه ، فركب في جيشه فقاتله وقهره وغلبه وسبى ذراريهم . ثمّ ركب إلى بلاد المغرب حتى بلغ أقصى تلك الناحية . قال : ثمّ انصرف بسبيٍ كثيرٍ من أرض المغرب ومصر وأهل بيت المقدس وأرض فلسطين والأردن ، وفي السبي دانيال .

قلت : والظاهر أنه دانيال بن حزقيل الأصغر لا الأكبر على ما ذكره وهب بن منبه . والله أعلم .

* * *

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٥٨٩) .
(٢) نقله الطبري (١/ ٥٣٨) ، عن ابن الكلبي . وابن الأثير في الكامل (١/ ٢٦٢) .
(٣) الطبري (١/ ٥٣٨) .

ذكر[١] شيء من خبر دَانيال علَيه السَّلام

قال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أحمد بن عبد الأعلى الشّيباني قال : إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان ، فحدّثني بعض أصحابنا عنه عن الأجلح الكِنْدي ، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : ضَرَّى بختُ نَصَّر أَسَدين ، فألقاهما في جُبٍّ ، وجاء بدانيال فألقاه عليهما ، فلم يهيجاه[٢] ، فمكث ما شاء الله ، ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب ، فأوحى الله إلى أرميا وهو بالشام إن أعدِد طعاماً وشراباً لدانيال ، فقال : يا رب أنا بالأرض المقدَّسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق ، فأوحى الله إليه أن أعدِد ما أمرناك به فإنا سنرسل مَن يحملُك ويحملُ ما أعددت ، ففعل ، وأرسل الله تعالى مَن حَمَلَه وحمل ما أعدَّ ، حتى وقف على رأس الجبّ ، فقال : دانيالُ ! دانيال ! فقال : من هذا ؟ قال : أنا أرميا . فقال : ما جاء بك ؟ فقال : أرسلني إليك ربُّك . قال : وقد ذكرني[٣] ربي ؟ قال : نعم . فقال دانيال : الحمد لله الذي لا ينسى مَن ذَكره . والحمد لله الذي لا يخيِّب[٤] من رجاه . والحمد لله الذي من وثق به لم يكِلْه إلى غيره . والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا . والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاةً . والحمد لله الذي هو يكشف ضَرَّنا بعد كربنا . والحمد لله الذي هو يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا . والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا . قال : ولم أره ذكر إيصال ما أعدَّه أرميا لدانيال من الطعام الذي أحب[٥] .

وقال يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق عن أبي خَلْدة خالد بن دينار[٦] ، حدّثنا أبو العالية قال : لما افتتحنا تُسْتَر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ، فدعا له كعباً فنسخه بالعربية . فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا . فقلت لأبي العالية : ما كان فيه ؟ قال : سِيَرُكم وأمورُكم ولُحون كلامكم ، وما هو كائن بعدُ . قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرّقةً ، فلما كان بالليل دفنّاه وسوّينا القبورَ كلَّها لنُعَمِّيه على الناس فلا ينبشونه . قلت : فما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيُمْطَرون . قلت : مَن كنتم تظنّون الرجلَ ؟ قال : رجل يقال له : دانيال .

---

(١) ليست في ط .

(٢) الكامل لابن الأثير (١/ ٢٦٦ـ٢٦٧) .

(٣) من قوله : قال : أنا أرميا . . إلى هنا ، زيادة من ب وط .

(٤) في ط : الذي يجيب .

(٥) قوله : قال ولم أره . . إلى هنا ، زيادة من ب .

(٦) كذا في ب . وهو الصواب . وفي أ وط : أبي خلدون بن دينار وهو سهو . وخالد بن دينار التميمي السعدي ، أبو خَلْدَة ، محدث صدوق ، من الطبقة الخامسة ، مشهور بكنيته . تقريب التهذيب (١/ ٢١٣) .

قلت : منذ كم وجدتموه قد مات ؟ قال : من ثلاثمئة سنة . قلت : ما تغيَّر منه شيء ؟ قال : لا ، إلا شعرات من قفاه ، إن لُحوم الأنبياء لا تُبليها الأرض ولا تأكلها السباع .

وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية ، ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلاثمئة سنة ، فليس بنبي بل هو رجل صالح ، لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في البخاري[١] ، والفترة التي كانت بينهما أربعمئة سنة . وقيل : ستمئة . وقيل : ستمئة وعشرون سنة ، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمئة سنة ، وهو قريب من وقت دانيال ، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر ، فإنه قد يكون رجلاً آخر ، إما من الأنبياء أو الصالحين ، ولكن قربت[٢] الظنون أنه دانيال ، لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجوناً ، كما تقدم .

وقد روي بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أنفه شِبرٌ .

وعن أنس بن مالك بإسناد جيد أن طول أنفه ذراع[٣] ـ والله أعلم ـ ، فيحتمل على هذا أن يكون رجلاً من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد[٤] . والله أعلم .

وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب « أحكام القبور »[٥] : حدّثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، حدّثنا أبو القاسم بن عبد الله ، عن أبي الأشعث الأحمري قال : قال رسول الله ﷺ : إن دانيال دعا ربّه عز وجل أن تدفنه أمّة محمد ، فلما افتتح أبو موسى الأشعري تستر ، وجده في تابوت تَضْرب عروقه ووريده ، وقد كان رسول الله ﷺ قال : « من دل على دانيال فبشّروه بالجنة » . فكان الذي دلّ عليه رجل يقال له : حُرقوص ، فكتب أبو موسى إلى عمر بخبره ، فكتب إليه عمر أنِ ادفنه وابعث إليّ حرقوص[٦] فإن النبي ﷺ بشّره الجنة .

وهذا مرسل من هذا الوجه ، وفي كونه محفوظاً نظر . والله أعلم .

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٤٤٢) ، في الأنبياء ، باب (٤٨) قول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ . ونص الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد عَلّات ، ليس بيني وبينه نبي » .

(٢) في ب : قويت .

(٣) في ب : والله أعلم ، ولم يرد في نهاية كلامه .

(٤) في ب : المدة .

(٥) من كتبه التي لم تطبع بعد . فيما أعلم . ومن عادة ابن أبي الدنيا أن يذكر أحاديثه بسنده الخاص مما لا يشاركه فيها أحد من أصحاب المصادر إلا ما ندر .

(٦) في ب : بحر قوص . وهو حرقوص بن زهير . أحد القادة الذين شاركوا في فتح الأهواز . تاريخ الطبري (٤/ ٧٧) .

ثم قال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أبو بلال ، حدّثنا قاسم بن عبد الله ، عن عنبسة بن سعيد وكان عالماً قال : وجد أبو موسى مع دانيال مُصْحفاً وجَرَّة فيها ودك[١] ودراهم وخاتمه ، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أمّا المصحف فابعث به إلينا ، وأما الوَدَك فابعث إلينا منه ، ومُر مَن قِبَلَك من المسلمين يستشفون به ، واقسم الدراهم بينهم ، وأمّا الخاتم فقد نَفَلْناكَهُ .

وروى ابن أبي الدنيا من غير وجه أن أبا موسى لما وجده ذكروا له أنه دانيال التزمه وعانقه وقبّله . وكتب إلى عُمر يذكر له أمره ، وأنه وجد عنده مالاً موضوعاً قريباً من عشرة آلاف درهم ، وكان من جاء اقترض منها ، فإن ردَّها وإلاّ مرض ، وأن عنده ربعة[٢] ، فأمر عُمر بأن يغسل بماءٍ وسدر[٣] ، ويكفّن ويدفن ويُخفَى قبرُه فلا يعلم به أحد ، وأمر بالمال أن يرد إلى بيت المال ، وبالربعة فتحمل إليه ، ونَفَلَه خاتمه .

وروي عن أبي موسى أنه أمر أربعة من الأُسَراء فسَكَّروا نهراً ، وحفروا في وسطه قبراً فدفنه فيه ثمّ قدم الأربعة الأسراء ، فضرب أعناقهم ، فلم يعلم بمكان موضع قبره غير أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح ، حدثنا ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه قال : رأيت في يد أبي بردة بن أبي موسى الأشعري خاتماً نَقْش فصّه أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل ، قال أبو بردة : هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال ، أخذه أبو موسى يوم دفنه . قال أبو بردة : فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا : إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجِّمون وأصحاب العلم فقالوا له : إنه يولد ليلة كذا وكذا غلام يُغور[٤] ملكك ويفسده . فقال الملك : والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا قتلته ، إلا أنّهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد فبات الأسد ولبوته يلحسانه ولم يضراه ، فجاءت أمه فوجدتهما يلحسانه ، فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ . قال أبو بردة : قال أبو موسى : قال علماء تلك القرية : فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه لئلاّ ينسى نعمة الله عليه .

إسناد حسن .

***

---

(١) الودَك : الدسم .
(٢) الربعة : صندوق فيه أجزاء المصحف .
(٣) السدر : شجرة يستخدم ورقها للغسل .
(٤) في ط : يعور .

وهذا ذكر عمارة بَيت المقدس بَعدَ خرابها واجتماع الملأ من بني إسرائيل بعد تفرقهم في بقاع الأرض وشعابها[١]

قال الله تعالى في كتابه المبين وهو أصدق القائلين : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٩] .

قال هشام بن الكلبي : ثمّ أوحَى الله تعالى إلى أرميا عليه السلام ، فيما بلغني ، إني عامرٌ بيت المقدس فاخرج إليها فانزلها ، فخرج حتى قدمها وهي خراب فقال في نفسه : سبحان الله ، أمرني الله أن أنزل هذه البلدة ، وأخبرني أنه عامرها ، فمتى يعمرها ؟! ومتى يُحييها الله بعد موتها ؟! ثمّ وضع رأسه فنام ومعه حمارُه وسلَّة من طعام ، فمكث في نومه سبعين سنةً حتى هَلَك بخت نصر والملك الذي فوقه ، وهو لهراسب ، وكان ملكه مئة وعشرين سنة ، وقام بعده ولده بشتاسب بن لهراسب وكان موت بخت نصر في دولته ، فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب ، وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين فلم يبق بها من الإنس أحد ، فنادى في أرض بابل في بني إسرائيل أن من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع ، وملّك عليهم رجلاً من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها . فرجعوا ، فعمروها ، وفتح الله لإرميا عينيه فنظر إلى المدينة كيف تُبنى وكيف تعمر ، ومكث في نومه ذلك حتى تم له مئة سنة ، ثم بعثه الله وهو لا يظن أنه نام أكثر من ساعة ، وقد عهد المدينة خراباً فلما نظر إليها عامرة آهلة قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قال : فأقام بنو إسرائيل بها وردّ الله عليهم أمرهم ، فمكثوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف . ثمّ لم يكن لهم جماعة ولا سلطان[٢] ، يعني بعد ظهور النصارى عليهم . هكذا حكاه ابن جرير في تاريخه[٣] عنه .

وذكر ابن جرير[٤] أن لهراسب كان ملكاً عادلاً سائساً لمملكته قد دانت له العباد والبلاد والملوك والقوّاد[٥] وأنه كان ذا رأي جيد في عمارة الأمصار والأنهار والمعاقل . ثمّ لما ضعف عن تدبير المملكة بعد مئة سنة ونيف نزل عن الملك لولده بشتاسب ، فكان في زمانه ظهور دين المجوسية ، وذلك أن رجلاً

---

(١) جاء عنوان ط ، هكذا : عمارة بيت المقدس بعد خرابها واجتماع بني إسرائيل . . الأرض .

(٢) في ب : ولا سلطان ولا عز .

(٣) تاريخ الطبري (١/ ٥٣٨ ـ ٥٤٠) .

(٤) تاريخ الطبري (١/ ٥٤٠ ـ ٥٤١) .

(٥) من قوله : وذكر ابن جرير . . إلى هنا سقط من ب وط .

اسمه زردشت كان قد صحب أرميا عليه السلام فأغضبه فدعا عليه أرميا ، فبرص زردشت ، فذهب فلحق بأرض أذربيجان ، وصحب بشتاسب ، فلقنه دين المجوسية الذي اخترعه من تلقاء نفسه ـ لعنه الله ـ[١] فقبله منه بشتاسب ، وحمل الناس عليه وقهرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ممن أباه منهم[٢] .

ثمّ كان بعد بشتاسب بهمن بن بشتاسب وهو من ملوك الفرس المشهورين والأبطال المذكورين وقد ناب بخت نصر لكلّ واحد من هؤلاء الثلاثة وعمر دهراً طويلاً ، قبّحه الله .

والمقصود أن هذا الذي ذكره ابن جرير من أن هذا المارَّ على هذه القرية هو إرميا عليه السلام . قاله[٣] وهب بن منبه ، وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهما ، وهو قوي من حيث السياق المتقدم .

وقد رُوي عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس والحسن وقتادة والسُّدّي وسليمان بن بريدة وغيرهم أنه عُزير[٤] . وهذا أشهر عند كثير من السلف والخلف . والله أعلم .

***

(١) سقطت من ط .

(٢) تاريخ الطبري (١/ ٥٤٠ ، ٥٦١) .

(٣) في ط : قال . تفسير الطبري (٣/ ٢٠) .

(٤) تفسير الطبري (٣/ ١٩ ـ ٢٠) وفيه : وجائز أن يكون ذلك عزيراً ، وجائز أن يكون أرميا ، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه ، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك ، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم ، وإعادتهم بعد فنائهم .

وَهذه قِصَّة العزير

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : هو عزير بن جروة ، ويقال بن سوريق بن عديا بن أيوب بن درزنا ابن عري بن تقي بن إيشوع[١] بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران . ويقال : عزير بن سَروخا[٢] . جاء في بعض الآثار أن قبره بدمشق .

ثمّ ساق من طريق أبي القاسم البغوي عن داود بن عمرو عن حِبان بن علي عن محمد بن كُريب عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً « لا أدري أَلُعِنَ تُبَّعٌ أم لا[٣] ، ولا أدري أكان عزير نبياً أم لا » .

ثمّ رواه من حديث مؤمّل بن الحسن عن محمد بن إسحاق السِّجْزي ، عن عبد الرزاق عن معمر ، عن أبي ذؤيب ، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه .

ثمّ روي من طريق إسحاق بن بشر ، وهو متروك[٤] ، عن جويبر ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أن عزيراً كان ممن سباه بخت نصر وهو غلام حدث ، فلما بلغ أربعين سنة أعطاه الله الحكمة ، قال : ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم بالتوراة منه . قال : وكان يُذكَر مع الأنبياء حتى محا الله اسمه من ذلك حين سأل ربّه عن القدر[٥] . وهذا ضعيف ومنقطع ومنكر . والله أعلم .

وقال إسحاق بن بشر عن سعيد بن أبي عَروبة عن قتادة عن الحسن عن عبد الله بن سلام أن عزيراً هو العبد الذي أماته الله مئة عام ثمّ بعثه .

وقال إسحاق بن بشر : أخبرنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن كعب ، وسعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، ومقاتل وجويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس وعن عبد الله بن إسماعيل السُّدّي ، عن أبيه ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، وإدريس عن جده وهب بن منبه ، قال إسحاق : كل هؤلاء حدَّثوني عن حديث عزير ، وزاد بعضهم على بعض ، قالوا بإسنادهم : إن عزيراً كان عبداً صالحاً حكيما ، خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها ، فلما انصرف أتى إلى خربة حين قامت الظهيرة وأصابه

---

(١) في ط ، وبعض النسخ : أسبوع .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ٣٥) . وفيه اختلاف في بعض الأسماء . درتنا بن غرى بن بقي .

(٣) في ط : العين بيع . . . وهو تحريف وتصحيف . وفي بعض النسخ : (لا أدري العزير بِيع أم لا) والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » رقم (٣٤٧١) مختصراً وفي إسناده ضعف .

(٤) المجروحين لابن حبان (١/ ١٣٥ ـ ١٣٧) .

(٥) مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ٣٥) .

الحر ، ودخل الخربة وهو على حماره ، فنزل عن حماره ومعه سلَّة فيها تين وسلَّة فيها عنب ، فنزل في ظل تلك الخربة وأخرج قصعة معه ، فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة ، ثم أخرج خبزاً يابساً معه فألقاه في تلك القصعة في العصير ليبتل ليأكله ، ثم استلقى على قفاه وأسند رجليه إلى الحائط ، فنظر سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي قائمة على عروشها وقد باد أهلها ، ورأى عظاماً بالية فقال : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فلم يشك أن الله يحييها ، ولكن قالها تعجُّباً ، فبعث الله ملك الموت فقبض روحه ، فأماته الله مئة عام . فلما أتت عليه مئة عام وكانت فيما بين ذلك في بني إسرائيل أمور وأحداث ، قال : فبعث الله إلى عزير مَلَكاً فخلق قلبه ليعقل[١] به ، وعينيه لينظر بهمافيعقل كيف يحيي الله الموتى . ثمّ ركّب خلقه وهو ينظر ثمّ كَسَى عظامه اللحم والشعر والجلد ، ثمّ نفخ فيه الروح ، كلّ ذلك وهو يرى ويعقل ، فاستوى جالساً ، فقال له الملَك : كم لبثتَ ؟ قال : لبثت يوماً ، وذلك أنه كان لبث[٢] صدر النهار عند الظهيرة ، وبعث في آخر النهار والشمس لم تغب ، فقال : أو بعض يوم ، ولم يتم لي يوم ، فقال له الملك : بل لبثت مئة عام ، فانظر إلى طعامك وشرابك ، يعني الطعام الخبز اليابس ، وشرابه العصير الذي كان اعتصر في القصعة فإذا هما على حالهما ، لم يتغير العصير ، والخبز يابس ، فذلك قوله : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ يعني لم يتغير ، وكذلك التين والعنب غض لم يتغير عن شيء من حالهم ، فكأنه أنكر في قلبه ، فقال له الملك : أنكرتَ ما قلتُ لك ؟ انظر إلى حمارك ، فنظر إلى حماره قد بليت عظامه وصارت نَخِرة ، فنادى الملكُ عظامَ الحمار ، فأجابت وأقبلت من كلِّ ناحية حتى ركبه الملك ، وعزير ينظر إليه ، ثمّ ألبسها العروق والعصب ، ثمّ كساها اللحم ، ثمّ أنبت عليها الجلد والشعر ، ثم نفخ فيه الملك فقام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه إلى السماء ناهقاً يظن القيامةَ قد قامت ، فذلك قوله : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ يعني : وانظر إلى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضاً في أوصالها حتى إذا صارت عظاماً مصوراً حماراً بلا لحم ، ثمّ انظر كيف نكسوها لحماً ، فلما تبيّن له قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من إحياء الموتى وغيره .

قال : فركب حماره حتى أتى محلّته ، فأنكره الناسُ ، وأنكر الناسَ ، وأنكر منزله ، فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله ، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مئة وعشرون سنة ، كانت أَمَةً لهم ، فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته ، فلما أصابها الكبر أصابها الزمانة . فقال لها عزير : يا هذه أهذا منزل عزير ؟ قالت : نعم هذا منزل عزير ، فبكت وقالت : ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنةً يذكر عزيراً وقد نسيه الناس . قال : فإني أنا عزير كان الله أماتني مئة سنة ثم بعثني . قالت : سبحان الله

---

(١) في ط : ليعقل قلبه .
(٢) في ب : نام . في مختصر ابن عساكر : كان نام في صدر النهار .

فإن عزيراً [قد فقدناه منذ مئة سنة فلم نسمع له بذكر ، قال : فإني أنا عزير . قالت : فإن عزيراً][(١)] رجلٌ مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء ، فادع الله أن يردّ عليّ بصري حتى أراك ، فإن كنتَ عزيراً عرفتُك . قال : فدعا ربّه ومسح بيده على عينيها فصحّتا وأخذ بيدها وقال : قومي بإذن الله ، فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نَشِطَتْ من عقال[(٢)] فنظرت فقالت : أشهد أنك عزير . وانطلقت إلى محلَّة بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم ، وابن لعزير شيخ ابن مئة سنة وثماني عشرة سنة ، ومن بني بنيه شيوخ في المجلس ، فنادتهم فقالت : هذا عزير قد جاءكم ، فكذبوها ، فقالت : أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فردَّ عليّ بصري وأطلق رجليّ ، وزعم أن الله أماته مئة سنة ثم بعثه . قال : فنهض الناس فأقبلوا إليه فنظروا إليه فقال ابنه : كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه ، فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير . فقالت بنو إسرائيل : فإنه لم يكن فينا أحد حفظ التوراة فيما حُدّثنا غير عزير ، وقد حرق بخت نصر التوراة ولم يبق منها شيء إلا ما حفظتِ الرجال ، فاكتبها لنا ، وكان أبوه سروخا قد دفن التوراة أيام بخت نصر في موضع لم يعرفه أحد غير عزير ، فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة وكان قد عفن الورق ودرس الكتاب ، قال : وجلس في ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله فجدَّد لهم التوراة ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه فتذكَّر التوراة فجدَّدها لبني إسرائيل[(٣)] . فمن ثم قالت اليهود : عزير ابن الله للذي كان من أمر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه بأمر بني إسرائيل . وكان جدَّد لهم التوراة بأرض السواد بدير حزقيل . والقرية التي مات فيها يقال لها : سايراباذ . قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى : ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ يعني لبني إسرائيل . وذلك أنه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب ، لأنه مات وهو ابن أربعين سنة فبعثه الله شاباً كهيئته يوم مات .

قال ابن عباس : بعث بعد بخت نصر . وكذلك قال الحسن .

وقد أنشد أبو حاتم السجستاني في معنى ما قاله ابن عباس : [من الطويل]

وأسودُ رأسٍ شابَ من قبلِه ابنُهُ ومـن قبلِـه ابـنُ ابْنِـه فَهْـو أكْبـرُ
يَرَى ابنَهُ شَيْخاً يدبُّ على عَصاً ولحيتُـه سَـودَاءُ والـرأسُ أشقـرُ
ومـا لابنـهِ حَيْـلٌ ولا فَضْـلُ قـوّةٍ يقومُ كما يمشي الصبيّ فيعْثرُ[(٤)]
يَعُدُّ ابنُهُ في الناسِ تِسْعينَ حجةً وعشـريـنَ لا يجـري ولا يَتَبخْتَـرُ

---

(١) سقطت من ب بنقلة عين .
(٢) في لسان العرب ، نشط : يقال للأخذ بسرعة في أي عمل كان ، وللمريض إذا برأ .
(٣) تفسير الطبري : (٣/٢٢ ـ ٣٢) .
(٤) في ب : يمشي الصغير .

وعُمــرُ أبيــهِ أرْبَعُــون أمــرَّهــا ولابن ابنه تِسْعون في الناسِ عُبّر[١]
فما هُو في المعْقولِ إن كنتَ دارياً وإن كنتَ لا تدْري فبالجَهْل تُعذَرُ[٢]

***

فصْلٌ

المشهور أن عزيراً نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وأنه كان فيما بين داود وسليمان ، وبين زكريا ويحيى ، وأنه لما لم يبق في بني إسرائيل من يحفظ التوراة ألهمه الله حِفظَها فسردَها على بني إسرائيل كما قال وهب بن منبه : أمر الله ملكاً فنزل بمغرفة من نور ، فقذَفها في عزير ، فنسخ التوراةَ حرفاً بحرف حتى فرغ منها[٣] .

وروى ابنُ عساكر[٤] عن ابن عباس أنه سأل عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] لم قالوا ذلك ؟ فذكر له ابن سلام ما كان من كَتْبِه لبني إسرائيل التوراة من حفظه وقول بني إسرائيل : لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب ، وإن عزيراً قد جاءنا بها من غير كتاب ، فرماه طوائف منهم وقالوا عزير ابن الله . ولهذا يقول كثير من العلماء : إن تواتر التوراة انقطع في زمن العزير . وهذا متجه جداً إذا كان العزير غير نبي كما قاله عطاء بن أبي رباح والحسن البصري ، فيما رواه إسحاق بن بشر عن مقاتل بن سليمان عن عطاء ، وعن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه ومقاتل عن عطاء بن أبي رباح قال : كان في الفترة تسعة أشياء : بخت نصر ، وجنة صنعاء ، وجنة سبأ ، وأصحاب الأُخدود ، وأمرحاصورا ، وأصحاب الكهف ، وأصحاب الفيل ، ومدينة إنطاكية ، وأمر تُبَّع .

وقال إسحاق بن بشر : أخبرنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال : كان أمر عزير وبخت نصر في الفترة .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أَوْلَى الناسِ بابنِ مَرْيَمَ لأَنا ، إنه ليْسَ بَيني وبَيْنَهُ نبيّ »[٥] .

وقال وهب بن منبه : كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام .

---

(١) في ط : ولأن ابنه . وهو خطأ .
(٢) الخبر في مختصر ابن عساكر (١٧/ ٣٧ ـ ٤٠) . وفيه اختلاف يسير .
(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٧٨) .
(٤) مختصر ابن عساكر (١٧/ ٤٠) وما بعدها .
(٥) في ب : أنا أولى بابن مريم وإنه . . والحديث تقدم تخريجه ص (٢٠٦) .

وقد روى ابن عساكر عن أنس بن مالك وعطاء بن السائب أن عزيراً كان في زمن موسى بن عمران ، وأنه استأذن عليه فلم يأذن له ، يعني لما كان من سؤاله عن القدر ، وأنه انصرف وهو يقول : مئة مَوتة أهون من ذُلِّ ساعة .

وفي معنى قول عزير : مئة موتة أهون من ذُلِّ ساعة قول بعض الشعراء : [من السريع]

قَد يَصْبر الحرُّ على السّيفِ ويأنَفُ الصَّبرَ على الحيْفِ
ويؤْثِرُ الموتَ على حَالةٍ يَعْجَزُ فيها عن قِرى الضّيفِ

فأما ما روى ابن عساكر وغيره عن ابن عباس ونَوْف البِكَالي[١] وسفيان الثوري وغيرهم من أنه سأل عن القدر فمحى اسمه من ذكر الأنبياء ، فهو منكر ، وفي صحته نظر ، وكأنه مأخوذ من الإسرائيليات .

وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجَوني ، عن نوف البكالي قال : قال عزير فيما يناجي ربَّه : يا رب تخلق خلقاً فتضل من تشاء وتهدي من تشاء ، فقيل له : أعرض عن هذا ، فعاد . فقيل له لتعرض عن هذا أو لأمحوَنَّ اسمك من الأنبياء ، إني لا أُسأل عما أفعل وهم يسألون . وهذا لا يقتضي وقوع ما توعد عليه لو عاد . فما عاد ، فما محي اسمه . والله أعلم .

وقد روى جماعة سوى الترمذي من حديث يونس بن يزيد عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة ، وكذلك رواه شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نزل نبيٌّ من الأنبياء تحتَ شجرةٍ فلدغته نملةٌ ، فأمَر بجِهازه فأُخرِجَ من تحتها ، ثمّ أَمَرَ بها فأُحرِقَتْ بالنارِ ، فأوحى الله إليه فهلاَّ[٢] نملةً واحدةً »[٣] .

فروى إسحاق بن بشر عن ابن جريج عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه أنه عزير .

وكذا روي عن ابن عباس والحسن البصري أنه عزير ، فالله أعلم .

***

(١) نوف بن فَضَالة البِكالي ، ابن امرأة كعب ، شامي ، وقد كذب ابن عباس ما رواه البكالي عن أهل الكتاب . مات بعد التسعين للهجرة . تقريب التهذيب (٢/ ٣٠٩) .

(٢) في ط : مهلاً . وهو تصحيف . وفي ب : أن لدغتك نملة أحرقت أمة من الأمم . وهي رواية أخرى للحديث أخرجها البخاري رقم (٣٠١٩) في الجهاد ، باب (١٥٣) ، ومسلم رقم (٢٢٤١) (١٤٨) ، في السلام ، باب النهي عن قتل النمل .

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٣١٩) ، في بدء الخلق ، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم . . ، ومسلم (٢٢٤١) (١٤٩ ، ١٥٠) ، في السلام ، باب النهي عن قتل النمل ، وأبو داود (٥٢٦٥) وابن ماجه (٣٢٢٥) ، في الأدب ، باب في قتل الذر . وأحمد (٢/ ٣١٣ ، ٤٤٩) . والنسائي (٧/ ٢١١) .
وقوله : فهلا نملة واحدة أي : فهلا عاقبت نملة واحدة هي التي قرصتك .

قصّة زكرّيا ويحيى عليهما السّلام

قال الله تعالى في كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١ ـ ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران : ٣٧ ـ ٤١] .

وقال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٩ ـ ٩٠] .

وقال تعالى ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٥] .

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتابه التاريخ المشهور الحافل : زكريا بن برخيا ، ويقال : زكريا بن دان ، ويقال : زكريا بن لدن[١] بن مسلم بن صدوف بن خُشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهغاشاط بن إينامن بن رحبعام بن سليمان بن داود أبو يحيى النبي عليه السلام من بني إسرائيل . دخل البثنية[٢] من أعمال دمشق في

(١) في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٩/ ٤٥) أدن .

(٢) في ط : البثينة ؛ وهو تصحيف . والبثنية : ناحية من نواحي دمشق بينها وبين أذرعات . معجم البلدان .

طلب ابنه يحيى . وقيل : إنه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى . والله أعلم[١] .

وقد قيل غير ذلك في نسبه ، ويقال فيه : زكريا بالمد وبالقصر . ويقال : زكرى أيضاً .

والمقصود أن الله تعالى أمر رسوله محمداً[٢] ﷺ أن يقصّ على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر ، وكانت امرأته عاقراً[٣] في حال شبيبتها ، وقد أسَنَّت أيضاً ، حتى لا ييأس أحد من فضل الله ورحمته ، ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس ، فقال تعالى : ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴾ .

قال قتادة عند تفسيرها : إن الله يعلم القلب النقيَّ ويسمع الصوت الخفيَّ[٤] .

وقال بعض السلف : قام من الليل فنادى ربه مناداةً أسرّها عمّن كان حاضراً عنده مخافتة فقال : يا رب ، يا رب ، يا رب ! فقال الله : لبيك لبيك لبيك ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي ﴾ أي : ضعف وخار منَ الكبر ، ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ استعارة من اشتعال النار في الحطب ، أي : غلب على سواد الشعر شيبُه ، كما قال ابن دريد في مقصورته[٥] : [من الرجز]

إمّا تَرَيْ رَأسِيَ حاكَى لَوْنُه طُرَّةَ صُبحٍ تَحْتَ أذيالِ الدُّجى
واشْتَعَلَ المُبْيَضُّ في مُسْودِّهِ مِثْلَ اشْتِعالِ النَّارِ في جَمر الغَضى
وآضَ عودُ اللَّهْوِ يَبْساً ذَاوِياً مِنْ بَعْدِ ما قدْ كانَ مَجَّاجَ الثَّرَى[٦]

يذكر أن الضعف قد استحوذ عليه باطناً وظاهراً ، وهكذا قال زكريا عليه السلام ﴿ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ وقوله : ﴿ وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾ أي : ما دعوتني فيما أسألك إلا الإجابة . وكان الباعث له على هذه المسألة أنه لما كفل مريم بنتَ عمران بن ماثان ؛ وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير أيامها ولا في أوانها ، وهذه من كرامات الأولياء ، فعلم أن الرازق للشيء في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولداً ، وإن كان قد طعن في سنه[٧] ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ . وقوله : ﴿ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا ﴾ .

---

(١) مختصر ابن منظور (٩/ ٤٥) .
(٢) ليست في ط .
(٣) في ب : مع ذلك عاقراً .
(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٣٥) .
(٥) الأبيات مطلع مقصورته . شرح المقصورة للتبريزي (١٣ ـ ١٤) .
(٦) في شرح التبريزي : وآض روضُ . .
(٧) في ب : سنه وزمانه .

قيل : المراد بالموالي العصبة[١] ، وكأنه خاف من تصرُّفهم بعده في بني إسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته ، فسأل وجود ولد من صلبه يكون برّاً تقياً مرضياً ، ولهذا قال : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ﴾ أي من عندك بحولك وقوتك ﴿ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي ﴾ أي في النبوة والحُكم في بني إسرائيل ﴿ وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ يعني : كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياءَ ، فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي ، وليس المراد هاهنا وراثة المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة ، ووافقهم ابن جرير هاهنا ، وحكاه عن أبي صالح من السلف لوجوه : أحدها ما قدّمناه عند قوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ أي في النبوة والملك كما ذكرنا في الحديث المتفق عليه بين العلماء المروي في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ما تَرَكْنا فَهُو صَدَقَةٌ »[٢] فهذا نص على أن رسول الله ﷺ لا يورث ، ولهذا منع الصدّيق أن يصرف ما يختص به في حياته ، إلى أحد من ورّاثه الذين لولا هذا النص لصرف إليهم ، وهم ابنته فاطمة وأزواجه التسع وعمه العباس رضي الله عنهم ، واحتج عليهم الصدِّيق في منعه إياهم بهذا الحديث ، وقد وافقه على روايته عن رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، والزبير ، وأبو هريرة ، وآخرون رضي الله عنهم .

الثاني : أن الترمذي رواه بلفظ يعم سائر الأنبياء « نَحْنُ مَعَاشرَ الأنبياءِ لا نورث » وصححه[٣] .

الثالث : أن الدنيا كانت أحقر عند الأنبياء من أن يكنزوا لها[٤] أو يلتفتوا إليها أو يهمهم أمرها ، حتى يسألوا الأولاد ليحوزوها بعدهم ، فإن من لا يصل إلى قريب منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدار أن يسأل ولداً يكون وارثاً له فيها .

الرابع : أن زكريا عليه السلام كان نجّاراً يعمل بيده ويأكل من كسبها ، كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب يده ، والغالب ولا سيما من مثل حال الأنبياء أنه لا يجهد نفسه في العمل إجهاداً يستفضل منه ما لا يكون ذخيرة له يخلفه من بعده ، وهذا أمر بين واضح لكل من تأمله بتدبُّر وتفهُّم إن شاء الله .

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٣٦) ، وهو قول مجاهد ، وقتادة ، والسدي .
(٢) تقدم ص(١٧٦) .
(٣) لم يروه الترمذي بهذا اللفظ . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٢/ ٨) وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » فقد أنكره جماعة من الأئمة ، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ (نحن) لكن أخرجه النسائي بلفظ « إنا معشر الأنبياء لا نورث » . أقول : وهو في الكبرى للنسائي رقم (٦٢٧٥) المؤسسة ، ورواه كذلك أحمد في المسند (٢/ ٤٦٣) وإسناده صحيح ، ورواه البخاري رقم (٤٠٣٣) ومسلم (١٧٥٨) بلفظ (لا نورث ما تركنا فهو صدقة) .
(٤) في ب : يكترثوا بها .

قال الإمام أحمد[١] : حدثنا يزيد ، يعني ابن هارون ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كانَ زَكَرِيّا نجاراً » .

وهكذا رواه مسلم[٢] وابن ماجه[٣] من غير وجه[٤] عن حماد بن سلمة به .

وقوله : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴾ وهذا مفسر بقوله : ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ . فلما بُشّر بالولد وتحقَّق البشارة ، شرع يستعلم على وجه التعجُّب وجود الولد والحالة هذه له ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴾ أي كيف يوجد ولد من شيخ كبير ؟! قيل : كان عمره إذ ذاك سبعاً وسبعين سنة ، والأشبه ـ والله أعلم ـ أنه كان أسن من ذلك ﴿ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا ﴾ يعني وقد كانت امرأتي في حال شبيبتها عاقراً ولا تلد . والله أعلم . كما قال الخليل ﴿ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر : ٥٤] . وقالت سارة : ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود : ٧٢ ـ ٧٣] . وهكذا أُجيب زكريا عليه السلام ، قال له الملَك الذي يوحي إليه بأمر ربه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ ﴾ أي هذا سهل يسير عليه ﴿ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ أي قُدرَته أوجدتْك بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً ، أفلا يوجِدُ منكَ ولداً وإن كنت شيخاً[٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ ومعنى إصلاح زوجته أنها كانت لا تحيض فحاضت . وقيل : كان في لسانها شيء ، أي بذاءة[٦] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ ﴾ أي : علامة على وقت تعلّق مني المرأة بهذا الولد المبشر به ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾ يقول : علامة ذلك أن يعتريك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزاً ، وأنت في ذلك سَويّ الخلق ، صحيح المزاج ، معتدل البنية . وأمر بكثرة الذِّكر في هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بفؤاده بالعشي والإبكار ، فلما بشّر بهذه البشارة خرج مسروراً بها على قومه من محرابه ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ . والوحي هاهنا هو

---

(١) المسند (٢/ ٢٩٦) .
(٢) صحيح مسلم رقم (٢٣٧٩) ، في الفضائل ، باب من فضائل زكريا عليه السلام .
(٣) سنن ابن ماجه رقم (٢١٥٠) ، في التجارات ، باب الصناعات .
(٤) قوله : من غير وجه ليس في ب . فمسلم رواه عن هدّاب بن خالد عن حماد . وابن ماجه عن محمد بن عبد الله الخزاعي والحجاج بن منهال ، والهيثم بن جميل ، عن حماد .
(٥) في ب : شيخاً كبيراً .
(٦) تفسير الطبري (١٧/ ٦٦) ، والقرطبي (١١/ ٣٣٦) ، وابن كثير (٣/ ١٩٣) .

الأمر الخفي إما بكتابة ، كما قال مجاهد والسُّدّي ، أو إشارة كما قاله مجاهد أيضاً ووهب وقتادة[١] .

قال مجاهد وعكرمة ووهب والسُّدّي وقتادة : اعتقل لسانه من غير مرض . وقال ابن زيد : كان يقرأ ويسبّح ، ولكن لا يستطيع كلام أحد .

وقوله ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾ ، يخبر تعالى عن وجود الولد وفق البشارة الإلّهية لأبيه زكريا عليه السلام ، وأن الله تعالى علّمه الكتابة والحكمة وهو صغير في حال صباه . قال عبد الله بن المبارك : قال معمر : قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب . فقال : ما للّعب خُلِقنا . قال : وذلك قوله : ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾[٢] .

وأما قوله: ﴿ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا ﴾ فروى ابن جرير[٣] عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: لا أدري ما الحنان . وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك : ﴿ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا ﴾ أي رَحْمة من عندنا ، رحمنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد . وعن عكرمة ﴿ وَحَنَانٗا ﴾ أي محبّة عليه . ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنّن يحيى على الناس ولا سيما على أبويه، وهو محبّتهما والشفقة عليهما وبرّه بهما .

وأما الزكاة : فهو طهارة الخلق وسلامته من النقائص والرذائل . والتقوى طاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجره .

ثمّ ذكر برّه بوالديه وطاعته لهما أمراً ونهياً وترك عقوقهما قولاً وفعلاً فقال ﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴾ ثم قال ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ هذه الأوقات الثلاثة أشد ما تكون على الإنسان ، فإنه ينتقل في كلّ منها من عالم إلى عالم آخر ، فيفقد الأول بعد ما كان ألفه وعرفه ، ويصير إلى آخر ، ولا يدري ما بين يديه ، ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الأحشاء وفارق لينها وضمّها ، وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمّها . وكذلك إذا فارق هذه الدار ، وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد الدور[٤] والقصور إلى عَرَصة الأموات سكان القبور ، وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور ، فمن مسرور ومحبور ، ومن محزون ومثبور ، وما بين مجبور[٥] وكسير ، وفريق في الجنة وفريق في السّعير . ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول : [من الكامل]

وَلَدتكَ أُمّكَ باكياً مُسْتَصْرِخاً ... والناسُ حولَك يَضْحكونَ سُرورا
فاحْرِصْ لنفسِك أن تكونَ إذا بَكَوا ... في يَوْمِ مَوْتِك ضاحِكاً مَسْرُورا

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٤١ ـ ٤٢) .
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٣) .
(٣) تفسيره (١٦/ ٤٣) .
(٤) في ب : بعد هذه الدار والقصور .
(٥) في ط : جبير .

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما تكون على ابن آدم سلَّم الله تعالى على يحيى في كلّ موطن منها فقال : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ . وقال سعيد ابن أبي عَروبة ، عن قتادة أن الحسن قال : إن يحيى وعيسى التقيا ، فقال له عيسى : استغفر لي أنت خيرٌ مني ، فقال له الآخر : استغفر لي أنت خير مني ، فقال له عيسى : أنت خير مني ، سلّمتُ على نفسي ، وسلّم الله عليكَ ، فعرف والله فضلها[١] .

وأما قوله في الآية الأخرى : ﴿ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ فقيل : المراد بالحَصُور الذي لا يأتي النساء . وقيل غير ذلك وهو أشبه لقوله : ﴿ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ ﴾ . وقد قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا عفّان ، حدّثنا حمّاد ، أخبرنا علي بن زيد ، عن يوسف بن مِهران ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحدٍ من ولد آدمَ إلاّ وقدْ أخطأ أو هَمَّ بخطيئة ، لَيْس يَحْيى بن زكريا ، وما ينبغي لأحدٍ يقول : أنا خَيْرٌ مِنْ يُوْنُس بن متَّى » .

علي بن زيد بن جُدْعان ، تكلم فيه غير واحدٍ من الأئمة ، وهو منكر الحديث[٣] .

وقد رواه ابن خزيمة والدارقطني من طريق أبي عاصم العبّادَاني عن علي بن زيد بن جدعان به مطولاً ، ثمّ قال ابن خزيمة : وليس على شرطنا .

وقال ابن وهب : حدثني ابن لَهِيْعة ، عن عُقَيْل ، عن ابن شهاب قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه يوماً وهم يتذاكرون فضل الأنبياء ، فقال قائل : موسى كليم الله . وقال قائل : عيسى روح الله وكلمته . وقال قائل[٤] : إبراهيم خليل الله[٥] ، فقال : أين الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب . قال ابن وهب : يريد يحيى بن زكريا[٦] .

وقد رواه محمد بن إسحاق ، وهو مدلّس ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ، حدّثني ابن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « كلُّ ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذنْبٌ ، إلا ما كان من يحيى بن زكريا »[٧] .

---

(١) في ط : فضلهما .
(٢) المسند (١/ ٢٥٤ و٢٩٢) .
(٣) قال الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » (٣/ ١٢٨) قلت : أراه منكراً .
(٤) كذا في ب وط . وفي أ : . . . روح الله وقائل يقول . .
(٥) زاد في ب : وهم يذكرون ذلك . . .
(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦٢). وابن لهيعة تكلّم فيه الحفاظ . لكن رواية العبادلة عنه قوية، وعبد الله بن وهب أحدهم (تنظر التفاصيل في «تحرير التقريب» ٢/ ٢٥٨)، على أن هذا الحديث من مراسيل الزهري، فهو ضعيف.
(٧) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٣) ، أطول من هذا من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم !

فهذا من رواية ابن إسحاق وهو من المدلّسين[١] ، وقد عنعن هاهنا .

ثمّ قد رواه عبد الرزاق عن معمر ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب مرسلاً .

ثمّ رأيت ابن عساكر ساقه من طريق أبي أسامة عن يحيى بن سعيد الأنصاري . ثمّ[٢] رواه ابن عساكر من طريق إبراهيم بن يعقوب الجُوزجَاني خطيب دمشق[٣] ، حدّثنا محمد بن الأصبهاني ، وحدّثنا أبو خالد الأحمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو قال : ما أحد إلا يلقى الله بذنب إلا يحيى بن زكريا . ثمّ تلا قوله تعالى : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ثمّ رفع شيئاً من الأرض فقال : ما كان معه إلا مثل هذا ، ثمّ ذبح ذبحاً .

وهذا موقوف من هذه الطريق وكونه موقوفاً أصح من رفعه . والله أعلم .

وأورده ابن عساكر من طرق[٤] : من ذلك ما أورده من حديث إسحاق بن بشر ، وهو ضعيف[٥] ، عن عثمان بن ساج[٦] عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ عن النبي ﷺ بنحوه .

وروي من طريق أبي داود الطيالسي وغيره ، عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نُعْم[٧] ، عن أبيه ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسَنُ والحُسَيْن سَيِّدا شباب أَهْلِ الجَنةِ إلّا ابني الخالة يَحيَى وعيْسى عليهما السلام »[٨] .

وقال أبو نعيم الحافظ الأصبهاني : حدّثنا إسحاق بن أحمد ، حدّثنا إبراهيم بن يوسف ، حدّثنا أحمد ابن أبي الحَواري ، سمعت أبا سليمان يقول : خرج عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا يتماشيان فصدم يحيى امرأة ، فقال له عيسى : يا ابن خالة ، لقد أصبت اليوم خطيئة ما أظن أن تغفر لك أبداً ، قال : وما هي يا ابن خالة . قال : امرأة صدمتها . قال : والله ما شعرت بها . قال : سبحان الله بدنك معي فأين روحك ؟ قال : معلق بالعرش ، ولو أن قلبي اطمئنَّ إلى جبريل لظننتُ أني ما عرفت الله طرفة عين .

---

(١) وقال الذهبي في السير (٧/ ٣٩) : وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأشياء ، منها : يدلس في حديثه .

(٢) زاد في ب وط : قد . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٧/ ٢٤٤) .

(٣) توفي سنة (٢٥٩هـ) . وسيترجم له المؤلف فيما بعد .

(٤) زاد في ط : عن معمر .

(٥) المجروحين والضعفاء لابن حبان (١/ ١٣٥) .

(٦) في ط : سباح . وهو خطأ . وعثمان بن عمرو بن ساج ، مولى بني أمية . قال ابن حجر : فيه ضعف . تقريب التهذيب (٢/ ١٣) .

(٧) في جميع النسخ : ابن أبي نعيم ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٨) وأخرجه الترمذي (٣٧٦٨) في المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين مختصراً على « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . وقال : هذا حديث حسن صحيح . والحديث حسن بتمامه .

فيه غرابة ، وهو من الإسرائيليات .

وقال إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن خيثمة قال : كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة ، وكان عيسى يلبس الصوف ، وكان يحيى يلبس الوبر ، ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا أمة ولا مأوى يأويان إليه ، أين ما جنَّهما الليلُ أويا ، فلما أرادا أن يتفرقا قال له يحيى : أوصني ، قال : لا تغضب . قال : لا أستطيع إلا أن أغضب . قال : لا تقتَنِ مالاً . قال : أمّا هذه فعسى .

وقد اختلفت الروايات عن وهب بن منبه[١] : هل مات زكريا عليه السلام موتاً ، أو قتل قتلاً على روايتين : فروى عبد المنعم بن إدريس بن سنان ، عن أبيه ، عن وهب بن منبه أنه قال : هرب من قومه فدخل شجرةً ، فجاؤوا فوضعوا المنشار عليها ، فلما وصل المنشار إلى أضلاعه أنَّ ، فأوحى الله إليه لئن لم يسكن أنينُك لأقلبنَّ الأرض ومن عليها ، فسكن أنينه حتى قطع باثنتين .

وقد روي هذا في حديث مرفوع سنورده بعدُ إن شاء الله .

وروى إسحاق بن بشر ، عن إدريس بن سنان ، عن وهب أنه قال : الذي انصدعت له الشجرة هو شعيا ، فأما زكريا فمات موتاً . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا عفّان، حدّثنا أبو خلف موسى بن خلف، وكان يُعدُّ من البُدَلاَء[٣]، حدّثنا يحيى بن أبي كثير ، عن زيد بن سلام ، عن جدّه ممطور ، عن الحارث الأشعري ، أن نبي الله ﷺ قال : « إنّ الله أمَرَ يَحْيَى بنَ زَكَرِيا بخمسِ كلماتٍ أنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وأنْ يأمُرَ بَني إسْرائيلَ أنْ يَعملوا بهنَّ وكادَ أنْ يُبْطِئَ ، فقالَ له عِيسى عليه السلام : إنّكَ قَدْ أُمِرْتَ بخمسِ كلماتٍ أنْ تَعملَ بهنَّ وتأمُرَ بَني إسْرائيلَ أنْ يَعْملُوا بهنَّ ، فإمّا أنْ تُبلّغهنَّ ، وإمّا أنْ أُبلّغَهنَّ . فقالَ : يا أخي إني أخشى إنْ سَبقْتَني أنْ أُعَذَّبَ أو يُخْسَفَ بي . قالَ : فجمعَ يَحْيَى بني إسرائيلَ في بيتِ المقدسِ حتّى امتلأَ المسجدُ ، فَقعدَ على الشرفِ ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ ثمَّ قال : إنَّ الله عزَّ وجل أمرني بخمسِ كلماتٍ أنْ أعملَ بهنَّ وآمُرَكُم أنْ تَعملُوا بهنَّ . وأوّلُهنّ أن تعبدوا اللهَ لا تُشْرِكُوا بهِ شيئاً ، فإنَّ مَثَلَ ذلكِ مَثَلُ مَنِ اشْتَرى عَبداً مِنْ خالصِ مالِه بورِقٍ أو ذَهَبٍ ، فجعلَ يعملُ ويؤدي غلّته إلى غير سيّده ، فأيكم يَسُرُّهُ أن يكونَ عبدُهُ كذلك ؟ وأنَّ الله خَلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وآمُرُكم بالصلاةِ فإنّ الله ينصبُ وجهَهُ قِبَلَ عَبْدِه ما لم يلتفتْ ، فإذا صَلّيتم فلا تلتفتوا . وآمُرُكم بالصيامِ فإنّ مَثَلَ ذلك كمثلِ رَجُل معه صرةٌ من مِسْكٍ في عصابة كلُّهم يَجدُ ريحَ المسك[٤] .

وآمُركم بالصدقة ، فإنَّ مَثل ذلك كمثل رجل أَسَرَهُ العدوُّ فشدُّوا يده إلى عنقه ، وقدَّموه ليضربوا

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٥٠) .

(٢) مسند أحمد (٤/ ١٣٠ ، ٢٠٢) .

(٣) البدلاء : قوم من الصالحين كلما مات منهم أحد ، أبدل الله مكانه آخر .

(٤) زاد في ب وط : «وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» . وهذه الزيادة غير موجودة في مسند أحمد .

عنقه ، فقال : هل لكم أن أفتديَ نفسي منكم ، فجعل يفتدي نفسَه منهم بالقليل والكثير حتى فكّ نفسه . وآمركم بذكر الله عزَّ وجلَّ كثيراً ، فإن مثل ذلك كمثل رجلٍ طلبه العدو سِراعاً في إثره ، فأتى حِصناً حصيناً فتحصّن فيه ، وإن العبدَ أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل » .

قال : فقال رسول الله ﷺ : « وأنا آمرُكم بخمسٍ اللهُ أمَرني بهنَّ : بالجماعةِ ، والسَّمعِ ، والطاعةِ ، والهجرةِ ، والجهادِفي سبيل الله . فإن مَنْ خَرجَ عن الجماعةِ قِيْد شِبرٍ فقد خَلَع ربقة الإسلام من عُنقِه إلا أنْ يرجعَ ، ومن دَعَا بدعْوَى الجاهلية فهو من جُثَى جَهَنّم[١] » . قالوا : يا رسول الله وإن صام وصلّى ؟ قال : « وإنْ صامَ وصلّى وزَعَم أنه مُسلم . ادْعوا المسلمينَ بأسمائهم بما سَمَّاهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ المسلمينَ المؤمنينَ عباد الله عز وجل » .

وهكذا رواه أبو يعلى عن هدبة بن خالد ، عن أبان بن يزيد ، عن يحيى بن أبي كثير ، به[٢] .

وكذلك رواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي[٣] وموسى بن إسماعيل[٤] ، كلاهما عن أبان بن يزيد العطار ، به .

ورواه النَّسائي[٥] عن هشام بن عمار ، عن محمد بن شعيب بن سابور ، عن معاوية بن سلاَّم ، عن أخيه زيد بن سلاَّم ، عن أبي سلاَّم ، عن الحارث الأشعري ، به .

ورواه الحاكم[٦] من طريق مروان بن محمد الطَّاطَرِي ، عن معاوية بن سلاَّم ، عن أخيه ، به . ثم قال : تفرّد به مروان الطّاطَري عن معاوية بن سلاَّم .

قلت : وليس كما قال . ورواه الطَّبَراني[٧] عن محمد بن عبدة ، عن أبي تَوْبة الربيع بن نافع[٨] عن

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٩/٥٤٧) : جُثى : جمع جُثوة ، بالضم ، وهي الشيء المجموع من جماعات جهنم ، هذا فيمن رواها مخففة . ومن رواها (جثيّ) مشددة ، فإنه أراد الذين يجثون على الركب ، واحدها (جاث) من قوله تعالى : ﴿ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٦٨] قال الهروي : وهذا أحب إلى أبي عبيد .

(٢) مسند أبي يعلى (٣/ ١٤٠ ـ ١٤٢) ، رقم (١٥٧١) .

(٣) رقم (٢٨٦٤) ، في الأمثال ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ، وهو في مسند الطيالسي (١١٦١) .

(٤) رقم (٢٨٦٣) ، وصحح الترمذي الوجهين .

(٥) في ط : « ابن ماجة » وهو غلط محض، فابن ماجة لم يخرج هذا الحديث، والصواب ما أثبتنا، وهو الذي في تحفة الأشراف للمزي (٣٢٧٤). وقد أخرجه النسائي في موضعين من سننه الكبرى، أولهما في السير (٨٨٦٦)، وثانيهما في التفسير (١١٣٤٩)، وهو في كتاب التفسير المطبوع مفرداً برقم (٣٦٩) بالإسناد المذكور .

(٦) الحديث بطرق وروايات في المستدرك (١/ ١١٧ ـ ١١٨ ، ٢٣٦ ، ٤٢١) ، ولم يرد في سنده ذكر لمروان الطاطري ، ولا الكلام المنسوب له عن التفرد ، ولعل الراوي غير الحاكم ، وهو الأرجح .

(٧) في المعجم الكبير (٣٤٣٠) ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال (٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨) .

(٨) في ط : (نوبة) يافع . وهو تصحيف . والربيع بن نافع ، أبو توبة الحلبي ، نزيل طرسوس ، ثقة ، حجة . توفي سنة (٢٤١هـ) . تقريب التهذيب (١/ ٢٤٦) .

معاوية بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري ، فذكر نحوه ، فسقط ذكر زيد بن سلَّام عن أبي سلَّام عن الحارث الأشعري فذكر نحو هذه الرواية[١] .

ثمّ روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : ذُكر لنا عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما سمعوا من علماء بني إسرائيل أن يحيى بن زكريا أرسل بخمس كلماتٍ ، وذكر نحو ما تقدّم .

وقد ذكروا أن يحيى عليه السلام كان كثيرَ الانفراد من الناس ، إنما كان يأنسُ إلى البراري ، ويأكل من ورق الأشجار ، ويرد ماء الأنهار ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان . ويقول : من أنعم منك يا يحيى ! .

وروى ابن عساكر[٢] أن أبويه خرجا في تطلُّبه فوجداه عند بحيرة الأردن ، فلما اجتمعا به أبكاهما بكاءً شديداً لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل .

وقال ابن وهب عن مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد قال : كان طعام يحيى بن زكريا العشب ، وإنه كان ليبكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه لخرقه .

وقال محمد بن يحيى الذهلي : حدّثنا أبو صالح ، حدّثنا الليث ، حدّثني عُقيل ، عن ابن شهاب قال : جلست يوماً إلى أبي إدريس الخولاني وهو يقص ، فقال : ألا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاماً ؟ فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال : إن يحيى بن زكريا كان أطيب الناس طعاماً ، إنما كان يأكل مع الوحش كراهةَ أن يُخالط الناس في معايشهم .

وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال : فَقَدَ زكريا ابنَه يحيى ثلاثة أيام ، فخرج يلتمسه في البرية فإذا هو قد احتفر قبراً وأقام فيه يبكي على نفسه ، فقال : يا بني أنا أطلبك من ثلاثة أيام وأنت في قبرٍ قد احتفرته ، قائم تبكي فيه ؟ فقال : يا أبت ألستَ أنتَ أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة[٣] لا تقطع إلا بدموع البكّائين ؟ فقال له : ابكِ يا بني ، فبكيا جميعاً .

وهكذا حكاه وهب بن منبه ، ومجاهد بنحوه .

وروى [ابن عساكر] عنه أنه قال : إن أهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم ، فكذا ينبغي

---

(١) هكذا في ط والأصول التي بين أيدينا ، والعبارة مرتبكة وغير صحيحة في الوقت نفسه ، ذلك أن الطبراني قد روى هذا الحديث عن محمد بن عبدة ، عن أبي توبة ، عن معاوية ، عن زيد بن سلام عن أبي سلام ، به فلم يسقط منه « زيد بن سلام » كما في النص ، هكذا هو عنده في معجمه الكبير (٣٤٣٠) ، وفي مسند الشاميين (٢٨٧٠) ، وكذلك نقله الإمام المزي عنه في تهذيب الكمال (٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨) فلم يعد أدنى شك أن «زيد بن سلام» مذكور في إسناده . أما الارتباك ففي قوله : « فسقط ذكر زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري » ، مع أنه ذكر قبل «عن أبي سلام عن الحارث الأشعري » ! ونحن أخوف ما نكون أن تكون هذه العبارة مقحمة على النص (بشار عواد) .

(٢) مختصر ابن منظور (٩/ ٤٩) .

(٣) كذا في ب وط . وفي أ : مقام .

للصدّيقين أن لا يناموا[١] لما في قلوبهم من نعيم المحبّة لله عز وجل . ثمّ قال : كم بين النعيمين وكم بينهما[٢] ؟ .

وذكروا أنّه كان كثير البكاء حتى أثّر البكاء في خدّيه من كثرة دموعه[٣] .

بيان سبب قتل يحيى عليه السلام[٤]

وذكروا في قتله أسباباً ، من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوّج ببعض محارمه أو من لا يحلّ له تزويجها ، فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك ، فبقي في نفسها منه . فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى ، فوهبه لها ، فبعث إليه من قتله وجاء[٥] برأسه ودمه في طست إلى عندها . فيقال : إنها هَلَكت من فورها وساعتها[٦] .

وقيل : بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته فأبى عليها ، فلما يئست منه تحيلت في أن استوهبته من الملك ، فتمنع عليها الملك ، ثمّ أجابها إلى ذلك فبعثت من قتله وأحضر إليها رأسه ودمه في طست .

وقد ورد معناه في حديث رواه إسحاق بن بشر في كتابه « المبتدا »[٧] حيث قال : أخبرنا يعقوب الكوفي ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به رأى زكريا في السماء ، فسلَّم عليه وقال له : يا أبا يحيى خبّرني عن قتلك كيف كانَ ، ولمَ قتلك[٨] بنو إسرائيل . قال : يا محمد أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه ، وكان أجملهم وأصبحهم وجهاً ، وكان كما قال الله تعالى ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ، وكان لا يحتاج إلى النساء ، فهويته امرأة ملك بني إسرائيل ، وكانت بَغيّةً ، فأرسلت إليه وعَصَمَهُ الله وامتنع يحيى وأبى عليها ، وأجمعت على قتل يحيى . ولهم عيد يجتمعون في كل عام ، وكانت سُنَّة الملك أن يوعد ولا يخلف ولا يكذب . قال : فخرج الملك إلى العيد ، فقامت امرأته فشيَّعته ، وكان بها معجباً ، ولم تكن تفعله فيما مضى ، فلما أن شيعته قال الملك : سليني فما سألتِني شيئاً إلا أعطيتُك . قالت : أريدُ دمَ يحيى بن زكريا ، قال لها : سليني غيره . قالت : هو ذاك . قال : هو

---

(١) في بعض النسخ لا ينامون .

(٢) كتب على حاشية الأصل : لعله : بيننا .

(٣) مختصر ابن منظور (٩/ ٤٩) .

(٤) ليس هذا العنوان في بعض النسخ .

(٥) في ب : وجاؤوا .

(٦) الخبر في تاريخ الطبري (١/ ٥٨٧) .

(٧) ذكر هذا الكتاب صاحب كشف الظنون (١٥٧٩) ، والخبر نقله ابن عساكر . مختصر ابن منظور (٩/ ٥٠ ـ ٥١) .

(٨) كذا في الأصول . وفي حاشية ب : لعله : قتل ولدك . . ولم قتله . وواضح أن قصة قتل زكريا عليه السلام بدأت مع بداية قصة قتل يحيى . فالعبارة في المتن صحيحة .

لك . قال : فبعثت جَلاوِزَتَها إلى يحيى ، وهو في محرابه يصلّي ، وأنا إلى جانبه أصلي ، قال : فذُبح في طستٍ وحُمل رأسه ودمُه إليها . قال : فقال رسول الله ﷺ : « فما بلغ من صَبْرِكَ ؟ قال : ما انفتلت من صلاتي » . قال : فلما حُمل رأسه إليها فوضع بين يديها ، فلما أمسوا خَسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه ، فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل : قد غضب إلّه زَكرِيا لزكرِيا ، فتعالوا حتى نغضب لملكنا فنقتل زكريا ، قال : فخرجوا في طلبي ليقتلوني ، وجاءني النذير ، فهربت منهم ، وإبليس أمامهم يدلهم عليَّ ، فلما أن تخوّفت أن لا أُعْجِزَهم عرضَتْ لي شجرةٌ ، فنادتني وقالت : إليَّ إليَّ ، وانصدعت لي ، ودخلت فيها . قال : وجاء إبليس حتى أخذ بطرف ردائي ، والتأمتِ الشجرةُ ، وبقي طرف ردائي خارجاً من الشجرة ، وجاءت بنو إسرائيل ، فقال إبليس : أما رأيتموه دخل هذه الشجرة ؟ هذا طرف ردائه ، دخلها بسحره ، فقالوا : نحرق هذه الشجرة ، فقال إبليس : شُقّوهُ بالمنشار شقاً . قال : فَشُقِقْتُ مع الشجرة بالمنشار . قال له النبي ﷺ : « هل وَجَدْتَ لَهُ مسّاً أو وجعاً » قال : لا ، إنما وجدَتْ ذلكَ الشجرةُ التي جعل الله روحي فيها[(١)] .

هذا سياق غريب جداً ، وحديث عَجيبٌ ، ورفْعُهُ منكرٌ ، وفيه ما ينكر على كلّ حال ، ولم يُرَ في شيء من أحاديث الإسراء ذِكْرُ زكريا عليه السلام إلا في هذا الحديث ، وإنّما المحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء[(٢)] : « فمررت بابني الخالة يَحْيَى وعِيسى » ، وهما ابنا الخالة على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث ، فإن أم يحيى أَشْياعَ بنتَ عمران أختُ مريم بنت عمران . وقيل : بل أشياع وهي امرأة زكريا أم يحيى هي أخت حَنَّةَ امرأة عمران أم مريم ، فيكون يحيى ابن خالة مريم . فالله أعلم .

ثمّ اختُلف في مقتل يحيى بن زكريا : هل كان بالمسجد الأقصى ، أم بغيره على قولين ، فقال الثوري عن الأعمش ، عن شمر بن عطية قال : قتل على الصخرة التي ببيت المقدس سبعونَ نبياً منهم يحيى بن زكريا عليه السلام .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلاّم : حدّثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : قدم بخت نصَّر دمشق ، فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي ، فسأل عنه ، فأخبروه . فقتلَ على دمه سبعين ألفاً ، فسَكَنَ[(٣)] .

وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب ، وهو يقتضي أنه قُتل بدمشق وأنَّ قصة بخت نصَّر كانت بعد المسيح كما قاله عطاء والحسن البصري . فالله أعلم .

---

(١) في مختصر ابن منظور (١/ ٥١) : وعن وهب أن الذي انصدعت له الشجرة ودخل فيها كان أشعياء قبل عيسى وأن زكريا مات موتاً .
(٢) حديث الإسراء بطوله ورواياته في جامع الأصول (١١/ ٣٠٥) ، وتخريجه ثمة .
(٣) تفصيل الخبر في تاريخ الطبري (١/ ٥٩١) .

وروى الحافظُ ابن عساكر[١] من طريق الوليد بن مسلم ، عن زيد بن واقد قال : رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناءَ مسجد دمشق أُخرِجَ من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق ، فكانت البشرةُ والشعر على حاله لم يتغير . وفي رواية : كأنما قُتِل الساعةَ .

وذكر في بناء مسجد دمشق أنه جعل تحت العمود المعروف بعمود السكاسكة . فالله أعلم[٢] .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في « المستقصى في فضائل الأقصى » من طريق العباس بن صبح عن مروان عن سعيد بن عبد العزيز عن قاسم مولى معاوية قال : كان ملك هذه المدينة ـ يعني دمشق ـ هداد بن هداد ، وكان قد زوج ابنه بابنة أخيه أريل ملكة صيدا ، قلت : وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك[٣] بدمشق ، وهو الصاغة العتيقة ، قال : وكان قد حلف بطلاقها ثلاثاً . ثمّ إنه أراد مراجعتها ، فاستفتى يحيى بن زكريا ، فقال : لا تحل لك حتى تنكح زوجاً غيرك ، فحقدت عليه ، وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا ، وذلك بإشارة أُمها ، فأبى عليها ، ثمّ أجابها إلى ذلك ، وبعث إليه وهو قائم يصلّي بمسجد جيرون مَنْ أتاه برأسه في صينية ، فجعل الرأس يقول له : لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، فأخذت المرأة الطبق فحملته على رأسها وأتت به أمها وهو يقول كذلك ، فلما تمثّلت بين يدي أمها خُسف بها إلى قدميها[٤] ، ثم إلى حقويها . وجعلت أمها تولول والجواري يصرخن ويلطمن وجوههن ، ثمّ خُسف بها إلى منكبيها ، فأمرت أمها السياف أن يضرب عنقها لتتسلى برأسها ، ففعل . فلفظت الأرض جثتها عند ذلك ، ووقعوا في الذلّ والفناء . ولم يزل دم يحيى يفور حتى قدم بخت نصّر ، فقتل عليه خمسةً وسبعين ألفاً . قال سعيد بن عبد العزيز : وهي دية كلّ نبي . ولم يزل يفور حتى وقف عنده أرميا عليه السلام فقال : أيها الدم أفنيت بني إسرائيل فاسكن بإذن الله . فسكن[٥] ، فرفع السيف وهرب من هرب من أهل دمشق إلى بيت المقدس ، فتبعهم إليها فقتل خلقاً كثيراً لا يُحصون كثرة ، وسبا منهم ثمّ رجع عنهم .

***

---

(١) مختصر ابن منظور (١/ ٢٥٧) .
(٢) ليس في ب . وأورده ابن منظور في مختصره (١/ ٢٥٧) .
(٣) في ب : اللؤلؤ .
(٤) زاد في ب : ثم إلى ركبتيها .
(٥) في تاريخ الطبري (١/ ٥٨٧) خبر مشابه لما هنا .

قصّة عِيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وابن أمته
عليه من الله(١) أفضل الصلاة والسّلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران التي أنزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها في الردّ على النصارى ، عليهم لعائن الله ، الذين زعموا أن لله ولداً ، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً . وكان قد قَدِمَ وفد نجران(٢) منهم على رسول الله ﷺ ، فجعلوا يذكرون ما هم عليه من الباطل من التثليث في الأقانيم ، ويدّعون بزعمهم أن الله ثالث ثلاثة ؛ وهم الذات المقدسة ، وعيسى ومريم ، على اختلاف فرقهم ، فأنزل الله عز وجل صدر هذه السورة بيّن فيها أن عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوَّره في الرحم كما صوّر غيره من المخلوقات ، وأنه خلقه من غير أبٍ كما خلق آدم من غير أب ولا أم ، وقال له : كن ، فكان ، سبحانه وتعالى . وبين أصل ميلاد أمّه مريم ، وكيف كان من أمرها ، وكيف حملت بولدها عيسى ، وكذلك بسط ذلك في سورة مريم كما سنتكلّم على ذلك كلّه بعون الله وحسن توفيقه وهدايته . فقال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٣٣ ـ ٣٧] .

يذكر سبحانه وتعالى أنه اصطفى آدم عليه السلام والخُلَّص من ذريته المتَّبِعين شرعَه الملازمين طاعته ، ثمّ خصص فقال : ﴿ وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ فدخل فيهم بنو إسماعيل وبنو إسحاق . ثمّ ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران ، والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام . وقال محمد بن إسحاق(٣) وهو عمران بن باشم بن أمون ابن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزازيا بن أمصيا بن ياوش بن احريهو بن يازم بن بهفاشاط بن إيشا بن إيان بن رحبعام بن سليمان بن داود .

وقال أبو القاسم بن عساكر : مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن اخنر بن صادوق بن عيازور بن الياقيم بن ايبود بن زريابيل بن شالتال بن [يوحينا بن برشا بن أمون بن ميشا بن

(١) في ط : قصة عيسى بن مريم عليه من الله . . .
(٢) سيفصل ابن كثير الحديث عن وفد نجران في الجزء الخامس ، باب الوفود .
(٣) نقل الطبري نسب عمران في تاريخه (١/ ٥٨٦) ، عن ابن إسحاق وفيه بعض خلاف من حيث اللفظ فقط . وكذلك هو في تفسيره (٣/ ١٥٧) .

حزقا][١] بن احاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط ابن ايشا بن ايبا بن رحبعام بن سليمان بن داود عليه السلام[٢] . وفيه مخالفة لما ذكره محمد بن إسحاق ، ولا خلاف أنها من سلالة داود عليه السلام ، وكان أبوها عمران صاحبَ صلاة بني إسرائيل في زمانه ، وكانت أمها وهي حَنَّة بنت فاقود بن قبيل من العابدات ، وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم أشياع في قول الجمهور . وقيل : زوج خالتها أشياع فالله أعلم[٣] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره[٤] أن أم مريم كانت لا تحبل ، فرأت يوماً طائراً يزقُّ فَرخاً له ، فاشتهت الولد ، فَنَذرت لله إن حملت لتجعلَنَّ ولدها مُحَرَّراً ، أي : حبيساً في خدمة بيت المقدس . قالوا : فحاضت من فورها ، فلما طَهُرت واقعَها بعلُها ، فحملت بمريم عليها السلام ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ وقُرِئ بضم التاء[٥] ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ أي في خدمة بيت المقدس . وكانوا في ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خدّاما من أولادهم . وقولها : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ استُدل به على تسمية المولود يوم يولد . وكما ثبت في الصحيحين[٦] عن أنس في ذهابه بأخيه إلى رسول الله ﷺ فَحنَّكَ أخاهُ وسمَّاه عبد الله .

وجاء في حديث الحسن عن سَمُرة مرفوعاً « كُلُّ غُلامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيْقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ ويُسَمَّى ويُحْلَقُ رَأْسُه » . رواه أحمد[٧] ، وأهل السنن[٨] ، وصحّحه الترمذي . وجاء في بعض

---

(١) ليست في ب .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ، تراجم النساء (٣٤٣) .

(٣) تاريخ الطبري (١/ ٥٨٥) .

(٤) تفسير الطبري (٣/ ١٥٧) .

(٥) أي : وضعتُ ، وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر ، وقرأ الباقون : وضعتْ بالسكون حجة القراءات (١٦٠ ـ ١٦١) . وقد صوب الطبري القراءة الثانية ، بسكون التاء ، تفسيره (٣/ ١٥٩) .

(٦) في البخاري : رقم (٥٥٤٢) ، في الذبائح والصيد ، باب الوسم والعلم في الصورة . ومسلم (٢١١٩) (١١٠) ، في اللباس والزينة ، باب جواز وسم الحيوان غير الآدمي في غير الوجه .
كذلك أخرجه أبو داود (٢٥٦٣) ، في الجهاد ، باب في وسم الدواب .
وللحديث روايات تشير إلى أن أنساً رضي الله عنه ذهب بولد لأم سليم ، وبعبد الله بن أبي طلحة والأحاديث مخرجة في جامع الأصول (١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٩ ، و١١/ ٧٥٧) .

(٧) المسند (٥/ ٧ ـ ٨ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٢) . وفيه اختلاف يسير في بعض ألفاظه . والعقيقة : الشعر الذي يولد عليه كل مولود ، ومنه سميت الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه : عقيقة .

(٨) أخرجه أبـو داود (٢٨٣٧) ، (٢٨٣٨) ، في الأضاحي ، باب في العقيقة ، والترمذي (١٥٢٢) و(١٥٢٢م) وابن ماجه في الذبائح (٣١٦٥) ، والنسائي (٧/ ١٦٦) في العقيقة ، وهو في سننه الكبرى (٤٥٤٦) و(٤٥٤٧) . في الأضاحي .

ألفاظه (ويُدَمَّى) بدلَ (ويسمَّى) . صححه بعضهم[١] . والله أعلم .

وقولها : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ قد استُجيب لها في هذا ، كما تقُبِّل منها نذرها . فقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « ما مِنْ مَوْلُوْدٍ إلاَّ والشيطانُ يَمَسُّهُ حِيْنَ يُوْلَدُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إيّاهُ إلاَّ مَرْيَمَ وابْنَها » . ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إنْ شئتم ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ أخرجاه من حديث عبد الرزاق[٣] . ورواه ابن جرير[٤] عن أحمد بن الفرج [عن بقية][٥]، عن الزبيدي[٦] ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه .

وقال أحمد[٧] أيضاً: حدّثنا إسماعيل بن عمر، حدّثنا ابن أبي ذئب، عن عجلان مولى المُشْمَعِل ، عن

---

(١) هكذا قال، ولم يصححه فيما أعلم كبير أحد سوى ابن حزم، فهذا خطأ أخطأ فيه هَمَّام بن يحيى العوذي في روايته عن قتادة، وهذه الرواية في مسند أحمد (٥/ ٧ و١٧ و٢٢)، والدارمي (١٩٧٥) وأبي داود (٢٨٣٧) من رواية عفان بن مسلم وبهز بن أسد العمي وحفص بن عمر الغمري، وهم ثقات، ثلاثتهم عن هَمَّام بهذه اللفظة «ويُدَمَّى» بدلاً من «ويُسَمَّى». وقد خالفه ثلاثة من الثقات من أصحاب قتادة وهم: أبان بن يزيد العطار، وسعيد بن أبي عروبة، وشعبة بن الحجاج، فرووه «يُسَمَّى» على الصواب، فأما رواية أبان فهي عند أحمد (٥/ ١٧)، وأما رواية شعبة فهي عند أحمد أيضاً، وأما رواية سعيد، وهو من أثبت الناس في قتادة ـ كما قرره الأئمة: ابن معين، والطيالسي، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان وغيرهم ـ فهي عند أحمد (٥/ ١٢) وأبي داود (٢٨٣٨)، والترمذي (١٥٢٢م) وابن ماجه (٣١٦٥) والنسائي (٧/ ١٦٦).
وأيضاً فقد رواه آخرون عن الحسن مثل رواية الجماعة، منهم إسماعيل بن مسلم المكي ـ وهو ضعيف ـ عند الترمذي (١٥٢٢)، وإياس بن دغفل وأشعث بن عبد الملك الحمراني، وهما ثقتان. وقال أبو داود عقيب رواية همام: «خولف هَمَّام في هذا الكلام، وهو وهم من همَّام، وإنما قالوا: «يُسَمَّى» فقال همام: «يُدَمَّى». قال أبو داود: وليس يؤخذ بهذا». ثم قال عقيب حديث سعيد عن قتادة: «ويُسَمَّى أصح، كذا قال سلام بن أبي مطيع عن قتادة، وإياس بن دغفل وأشعث عن الحسن». وقال ابن عبد البر: «لا يُحْتَمَل هَمَّام في هذا الذي انفرد به فإن كان حفظه، فهو منسوخ». (نقله الحافظ ابن حجر في الفتح في شرح حديث العقيقة ٥٤٧٢).
قلت: وإنما كان يفعل ذلك في الجاهلية فنسخ هذا، وتدل عليه مجموعة أحاديث منها عند ابن حبان (٥٣٠٨)، وابن ماجه (٣١٦٦)، وأبي داود (٢٨٤٣)، والحاكم (٢٣٨) وغيرها. وإنما أطلنا في هذا ونبهنا عليه لئلا يغتر به بعض الناس فيعمل به أو بما يستفاد منه (بشار).
(٢) المسند (٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .
(٣) والبخاري (٤٥٤٨) في التفسير ، ومسلم (٢٣٦٦) في الأنبياء .
(٤) تفسيره (٣/ ١٦١) .
(٥) زيادة من ب وط . وهي في تفسير الطبري كذلك .
(٦) في ط : « عن عبد الله بن الزبيدي » وهو غلط بيّن ، فلا يعرف في الرواة عن الزهري مثل هذا ، وإنما هو محمد بن الوليد الزبيدي ، وروايته عن الزهري في الصحيحين (تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٣٠) ، وفي تفسير الطبري كما أثبتناه .
(٧) المسند (٢/ ٢٨٨) .

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « كُلُّ مولودٍ من بني آدم يَمَسُّه الشَّيْطانُ بإصْبَعِه إلاَّ مَرْيَمَ بنتَ عِمْرانَ وابْنَها عِيْسى » .

تفرّد به من هذا الوجه .

ورواه مسلم[١] عن أبي الطاهر ، عن ابن وَهْب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي يونس ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، بنحوه .

وقال أحمد[٢] : حدّثنا هشيم ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « كُلُّ إنْسانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ يَلْكزُهُ[٣] الشَّيْطَانُ في حِضْنَيْهِ[٤] إلاَّ ما كانَ مِنْ مَرْيَمَ وابْنِها . أَلَمْ تَرَ إلى الصَّبِيِّ حِيْنَ يَسْقُطُ كَيْفَ يَصْرُخُ ؟ قالُوا : بَلَى يا رسُولَ اللهِ . قالَ : ذلكَ حِيْنَ يَلْكُزُهُ الشَّيْطَانُ بِحِضْنَيه » .

وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه من هذا الوجه .

ورواه قيس ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ وَقَدْ عَصَرَهُ الشَّيْطَانُ عَصْرَةً أو عَصْرَتَيْنِ إلاّ عِيْسَى بنَ مَرْيَمَ ومَرْيَمَ »[٥] .

ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ .

وكذا رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بأصل الحديث[٦] .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا عبد الملك[٨] ، حدّثنا المغيرة هو ابن [عبد الرحمن] بن عبد الله الحِزامي[٩] ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « كُلُّ بني آدمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ في جَنْبِهِ حِيْنَ يُوْلَدُ ، إلا عِيْسى بنَ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ في الحِجَابِ » .

وهذا على شرط الصحيحين ، ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ :

ذكر كثيرٌ من المفسرين أن أُمها حين وضعتها لفَّتها في خروقها ثمّ خرجت بها إلى المسجد ،

---

(١) رقم (٢٣٦٦) (١٤٧) ، في الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام .
(٢) (٢/ ٣٦٨) .
(٣) اللكزُ : الدفع في الصدر بالكف .
(٤) الحِضن : الجنب . وهما حِضْنان .
(٥) أورده الطبري في تفسيره (٣/ ١٦١) .
(٦) المصدر السابق (٣/ ١٦٠) .
(٧) (٢/ ٥٢٣) .
(٨) في ب : أحمد بن عبد الرحمن . وهو سهو . وعبد الملك هو ابن عمرو كما في مسند أحمد .
(٩) المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حِزام ، الحِزامي . قال ابن حجر في التقريب (٢/ ٢٧٠) : ثقة ، له غرائب ، من السابعة ، قال أبو داود : كان قد نزل عسقلان .

فسلَّمتها إلى العُبّاد الذي هم مقيمون به ، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها .

والظاهر أنّها إنّما سلَّمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها . ثمّ لمّا دفعتها إليهم تنازعوا في أيّهم يكفلها ، وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان قد أراد أن يستبدّ بها دونهم من أجل أن زوجته أختها أو خالتها على القولين ، فشاحُّوه في ذلك ، وطلبوا أن يقترع معهم ، فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبة لهم ، وذلك أن الخالة بمنزلة الأم . قال الله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ أي بسبب غلبه لهم في القُرعة . كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .

قالوا[١] : وذلك أن كلاً منهم ألقى قلمه معروفاً به ، ثمّ حملوها ووضعوها في موضع ، وأمروا غلاماً لم يبلغ الحنث ، فأخرج واحداً منها ، وظهر قلم زكريا عليه السلام . فطلبوا أن يقترعوا مرّة ثانية وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر ، فأيّهم جَرى قلمُه على خلاف جرية الماء[٢] فهو الغالب ، ففعلوا ، فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جَرية الماء ، وسارت أقلامهم مع الماء ، ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة فأيُّهم جرى قلمه مع الماء ، ويكون بقية الأقلام قد انعكس[٣] سيرها صُعُداً فهو الغالب ، ففعلوا ، فكان زكريا هو الغالب لهم ، فكفلها إذ كان أحقَّ بها شرعاً وقدراً لوجوه عديدة .

قال الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قال المفسرون : اتخذ لها زكريا مكاناً شريفاً من المسجد لا يدخله سواها ، فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتُها ، وتقوم بالعبادة ليلَها ونهارَها ، حتى صارت يُضرب المثل بعبادتها في بني إسرائيل ، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة ، حتى إنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجدُ عندها رزقاً غريباً في غير أوانه ، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف[٤] فيسألها أنَّى لك هذا ؟ فتقول : ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ أي رزق رَزَقَنِيْه الله ، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب ، فعند ذلك وهنالك طمع زكريا في وجود ولدٍ من صُلبه وإن كان قد أسَنَّ وكبر ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . قال بعضهم : قال : يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه[٥] هب لي ولداً ، وإن كان في غير أوانه ، فكان من خبره وقضيته ما قدّمنا ذِكره في قصته .

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٦٢) .
(٢) كذا في ب . وهو الأشبه كما سيأتي في سياق الكلام . وفي أ وط : في الماء .
(٣) في ب : انغطس . وكُتب في الحاشية : لعله : انعكس .
(٤) تفسير الطبري (٣/ ١٦٥) .
(٥) في ب : إبّانه .

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٤٢ ـ ٥١] .

يذكر سبحانه وتعالى أن الملائكة بشّرت مريمَ باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها بأنِ اختارها لإيجاد ولدٍ منها من غير أبٍ ، وبُشّرت بأن يكون نبياً شريفاً ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ أي : في صِغره يدعوهم إلى عبادة الله وحدَه لا شريك له ، وكذلك في حال كهولته ، فدلّ على أنه يبلغ الكهولةَ ويدعو إلى الله فيها . وأُمِرَتْ بكثرة العبادة والقُنوتِ والسجودِ والركوع لتكون أهلاً لهذه الكرامة ، ولتقوم بشُكْر هذه النعمة . فيقال : إنها كانت تَقُومُ في الصلاة حتى تفطّرت قدماها ، رضي الله عنها ورحمها ورحم أمها وأباها . فقول الملائكة : ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ أي اختارك واجْتباك ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ أي من الأخلاق الرذيلة ، وأعطاك الصفات الجميلة ، ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، يحتمل أنه يكون المراد عالمي زمانها ، كقوله لموسى : ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] وكقوله عن بني إسرائيل : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] . ومعلومٌ أن إبراهيم عليه السلام أفضل من موسى ، وأن محمداً ﷺ أفضل منهما ، وكذلك هذه الأمة أفضل من سائر الأمم قبلها ، وأكثر عدداً ، وأفضل علماً ، وأزكى عملاً من بني إسرائيل وغيرهم . ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ محفوظ العموم ، فتكون أفضل نساء الدنيا[1] ممن كان قبلها ووجد بعدها ، لأنها إن كانت نبيةً ، على قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة أم إسحاق ونبوة أم موسى محتجاً بكلام الملائكة والوحي إلى أم موسى ـ كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره ـ فلا يمتنع على هذا أن تكون مريم أفضل من سارة وأم موسى لعموم قوله : ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إذ لم يعارضه غيره والله أعلم .

وأما قول الجمهور كما قد حكاه أبو الحسن الأشعري وغيره عن أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصةٌ بالرجال ، وليس في النساء نبيّة ، فيكون أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ

---

(١) في ب : أفضل من سائر أهل الدنيا .

﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة : ٧٥] . فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصِّدِّيقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها والله أعلم .

وقد جاء ذِكرها مقروناً مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رضي الله عنهن وأرضاهن .

وقد روى الإمام أحمد(١) ، والبخاري(٢) ومسلم(٣) والترمذي(٤) والنسائي(٥) من طرق عديدة عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ نِسائِها مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وخَيْرُ نِسائِها خَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلد » .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « حَسْبُكَ مِنْ نِساءِ العالَمِيْنَ بأرْبَعٍ : مَرْيَم بِنْت عِمْران ، وآسِية امْرأة فِرعَوْن ، وخَدِيْجَة بِنْت خُوَيْلِد وفاطِمَةُ بنت مُحَمّد » .

ورواه الترمذي(٧) عن أبي بكر بن زَنجَويه(٨) ، عن عبد الرزاق ، به ، وصححه .

ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، وابنُ عساكر من طريق تميم بن زياد ، كلاهما عن أبي جعفر الرازي، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ نِساءِ العالَمينَ أرْبَعٌ : مريمُ بنتُ عِمران ، وآسِيةُ امْرأَةُ فِرْعَون ، وخَدِيجةُ بنتُ خُوَيْلِد ، وفاطمةُ بنت محمد(٩) رسول الله » .

وقال الإمام أحمد(١٠) : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب قال : كان أبو هريرة يحدث أن النبي ﷺ قال : « خَيْرُ نِساءٍ رَكِبْنَ الإبِلَ ، صالحُ نِساءِ قُرَيْشٍ ، أَحْناهُ عَلَى وَلَدٍ في صِغَرِهِ وأرْعَاهُ لِزَوجٍ في ذاتِ يدِهِ » . قال أبو هريرة : ولم تركب مريم بعيراً قط .

وقد رواه مسلم في « صحيحه »(١١) عن محمد بن رافع وعبد بن حُمَيد كلاهما عن عبد الرزاق به .

---

(١) المسند (١/ ٨٤ ، ١٣٢ ، ١٤٣) .
(٢) صحيح البخاري (٣٤٣٢) في أحاديث الأنبياء ، و رقم (٣٨١٥)، في مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها .
(٣) صحيح مسلم رقم (٢٤٣٠) في فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين .
(٤) سنن الترمذي رقم (٣٨٧٧)، في المناقب ، باب فضل خديجة رضي الله عنها ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٥) في المناقب من سننه الكبرى (٨٣٥٤) .
(٦) مسند أحمد (٣/ ١٣٥) . وفي لفظه تقديم وتأخير .
(٧) جامع الترمذي رقم (٣٨٧٨) ، في المناقب ، باب فضل خديجة رضي الله عنها .
(٨) في ط : زانجويه ، وهو خطأ .
(٩) زاد في ط : محمد . والحديث في تاريخ دمشق ، تراجم النساء (٣٧٨) .
(١٠) مسند أحمد (٢/ ٢٧٥) .
(١١) صحيح مسلم رقم (٢٥٢٧) (٢٠١) ، في فضائل الصحابة ، باب من فضائل نساء قريش .

وقال أحمد[١] : حدّثنا زيد بن الحباب ، حدّثني موسى بن عُلَيّ ، سمعت أبي يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « خَيرُ نِساءٍ رَكِبْنَ الإبِلَ نِساءُ قُرَيْشٍ أحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ في صِغَرِهِ وَأَرْأَفَهُ بِزَوْجٍ عَلَى قِلَّةِ ذاتِ يَدِهِ » . قال أبو هريرة : وقد علم رسول الله ﷺ أن ابنة عمران لم تركب الإبل .

تفرد به وهو على شرط الصحيح . ولهذا الحديث طرق أخر عن أبي هريرة[٢] .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدّثنا زهير ، حدّثنا يونس بن محمد ، حدّثنا داود بن أبي الفرات ، عن عِلباء بن أحْمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خَطَّ رَسُول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط فقال : « أتَدْرُوْنَ ما هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله ﷺ : « أفضلُ نِساءِ أهْل الجنةِ خَديجةُ بنتُ خويلد ، وفاطمةُ بنتُ محمدٍ ، ومَريَمُ بنتُ عِمران ، وآسيةُ بنتُ مُزاحم امرأةُ فرعونَ »[٣] .

ورواه النسائي من طرق عن داود بن أبي الفرات[٤] .

وقد رواه ابن عساكر من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث ، حدّثنا يحيى بن حاتم العسكري ، حدّثنا بشر بن مهران بن حمدان ، حدّثنا محمد بن دينار ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « حَسْبُكَ مِنْهُنَّ أَرْبَعُ سَيّداتِ نساء العالمين : فاطمةُ بنتُ محمد ، وخديجةُ بنتُ خويلدٍ ، وآسيةُ بنتُ مُزاحم ، ومريمُ بنتُ عمران »[٥] .

وقال أبو القاسم البغوي : حدّثنا وهب بن منبه ، حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة أنها قالت لفاطمة : أرأيتِ حين أكْبَبْتِ على رسول الله ﷺ فبكيت ثم ضحكتِ ؟ قالتْ : أخْبرني أنه مَيّتٌ من وجعه هذا فبكيت ، ثم أكْبَبتُ عليه فأخبرني أني أسرع أهله لحوقاً به ، وأني سيدةُ نساء أهل الجنة إلا مريمَ بنتَ عمران فضحكتُ[٦] .

وأصل هذا الحديث في الصحيح . وهذا إسناد على شرط مسلم، وفيه أنهما أفضل الأربع المذكورات[٧].

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٨] ، حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير ، عن يزيد هو ابن

---

(١) في مسنده (٢/ ٥٣٦) .
(٢) في مسند أحمد (٢/ ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٣١٩ ، ٣٩٣ ، ٤٤٩ ، ٤٦٩ ، ٥٠٢) .
(٣) مسند أبي يعلى (٥/ ١١٠ ، رقم ٢٧٢٢) . وهو في تراجم النساء ، تاريخ دمشق (٣٧٥) .
(٤) في ط وأ وب: «داود بن أبي هند» وهو خطأ، وقد تقدم قبل قليل في إسناد أبي يعلى على الصواب. وقد أخرجه النسائي في الفضائل من سننه الكبرى من طريق يونس بن محمد (٨٣٥٥) وأبي النعمان (٨٣٥٧) وحجاج بن منهال (٨٣٦٤)؛ ثلاثتهم عن داود بن أبي الفرات.
(٥) تاريخ دمشق ، تراجم النساء (٣٧٨) .
(٦) وأورده الطبري في تفسيره (٣/ ١٨٠ ـ ١٨١) ، مفصلاً .
(٧) انظر الروايات وتخريجها في جامع الأصول (٩/ ١٢٨) ، وما بعدها .
(٨) المسند (٣/ ٨٠) .

أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي نُعْم ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « فاطمةُ سَيّدةُ نساءِ أهلِ الجَنَّةِ ، إلاّ ما كانَ مِنْ مَرْيَمَ بنتِ عِمران » . إسناد حسن ، وصححه الترمذي[١] ، ولم يخرجوه ، وقد روي نحوه من حديث علي بن أبي طالب ، ولكن في إسناده ضعف .

والمقصود أن هذا يدل على أن مريم وفاطمة أفضل هذه الأربع . ثمّ يحتمل الاستثناءُ أن تكون مريم أفضل من فاطمة ، ويحتمل أن يكونا على السواء في الفضيلة ، لكن ورد حديث إن صَحَّ عيَّنَ الاحتمال الأول ؛ فقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : أخبرنا أبو الحسن بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنّاء قالوا : أخبرنا أبو جعفر ابن المُسْلِمة أخبرنا أبو طاهر المُخَلِّص حدّثنا أحمد بن سليمان ، حدّثنا الزبير ـ هو ابن بكار ـ حدّثنا محمد بن الحسن ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن موسى بن عقبة ، عن كريب ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « سَيِّدة نساءِ أهلِ الجنةِ مريمُ بنتُ عِمران ، ثم فاطمةُ ، ثم خديجةُ ، ثم آسيةُ امرأةُ فرعونَ » . فإن كان هذا اللفظ محفوظاً بـ« ثم » التي للترتيب فهو مبيِّنٌ لأحد الاحتمالين اللذين دلّ عليهما الاستثناء ، وتقدّم على ما تقدّم من الألفاظ التي وردت بواو العطف التي[٢] لا تقتضي الترتيب ولا تنفيه . والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازي ، عن داود الجعفري[٣] ، عن عبد العزيز بن محمد ـ وهو الدَّرَاوَرْدِي ـ[٤] عن إبراهيم بن عقبة ، عن كُريب ، عن ابن عباس مرفوعاً ، فذكره بواو العطف لا « بثمَّ » التي للترتيب[٥] فخالفه إسناداً ومتناً . فالله أعلم .

فأما الحديث الذي رواه ابن مَردويه من حديث شعبة ، عن معاوية بن قرّة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « كمُلَ مِنَ الرجَّالِ كَثيْرٌ ، ولَمْ يَكْمُل مِنَ النّسَاءِ إلاَّ ثَلاثٌ : مَرْيَمُ بنتُ عِمْران ، وآسيةُ امْرَأَةُ فِرعَون ، وخَدِيْجَةُ بنتُ خُوَيْلِدِ ، وفَضْلُ عائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيْدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعامِ » . وهكذا الحديث الذي رواه الجماعة[٦] إلا أبا داود من طرقٍ عن شعبة عن عمرو بن مرة ، عن مرة الهمداني ، عن

---

(١) هكذا قال، وإنما صحح الترمذي حديث «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» (٣٧٦٨) و(٣٧٦٨م) وليس فيه الزيادة التي ذكرها المصنف. نعم، ذكر الإمام أحمد حديث الحسن والحسين وذكر الزيادة في (٣/ ٦٤)، وكذلك ذكرها النسائي في المناقب (٨٥١٤)، لكن الترمذي لم يذكرها.

(٢) في ب : الذي .

(٣) هو داود بن عبد الله بن محمد الجعفري، أبو سليمان المدني، من رجال التهذيب .

(٤) قال ابن الأثير : هذه نسبة عبد العزيز بن محمد بن عبيد ، من أهل المدينة . توفي سنة (١٨٦هـ) . وكان أبوه من (دار ابجرد) فاستثقلوا أن يقولوا : دار ابجردي ، فقالوا : دراوردي . اللباب (١/ ٤٩٦) .

(٥) في ط : الترتيبية .

(٦) حديث شعبة عن عمرو بن مرة، عن مرة، عن أبي موسى أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء من صحيحه (٣٤١١) و(٣٤٣٣)، وفي فضل عائشة (٣٧٦٩) وفي الأطعمة (٥٤١٨). وأخرجه مسلم في الفضائل (٢٤٣١)، والترمذي في=

أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « كَمُل مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ولم يَكْملْ مِنَ النِّسَاءِ إلاّ آسِيةُ امرأةُ فِرعَون ومَرْيَمُ بنتُ عِمران وإنَّ فَضْلَ عائِشَةَ على النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيْدِ عَلَى الطَّعَامِ » ، فإنه حديث صحيح كما ترى، اتفق الشيخان على إخراجه، ولفظه يقتضي حَصْر الكمال في النساء في مريم وآسية، ولعل المراد بذلك في زمانهما ، فإن كلاً منهما كفلت نبياً في حال صغره ، فآسية كفلت موسى الكليم ، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله ، فلا ينفي كمال غيرهما في هذه الأمة كخديجة وفاطمة ، فخديجة خدمت رسول الله ﷺ قبل البعثة خمس عشرة سنة، وبعدها أزيد من عشر سنين، وكانت له وزيرَ صِدْق بنفسها ومالها رضي الله عنها وأرضاها . وأما فاطمة بنتُ رسول الله ﷺ فإنها خُصّت بمزيد فضيلة على أخواتها ، لأنها أصيبت برسول الله ﷺ وبقيةِ أخواتها مِتن في حياة النبي ﷺ . وأما عائشة فإنّها كانت أحبَّ أزواج رسول الله ﷺ إليه ، ولم يتزوج بِكراً غيرها، ولا يُعرف في سائر النساء في هذه الأمة ، بل ولا في غيرها ، أعلم منها ولا أفهم، وقد غار الله لها حين قال لها أَهل الإفك ما قالوا ، فأنزل براءتها من فوق سبع سموات، وقد عُمِّرت بعد رسول الله ﷺ قريباً من خمسين سنةً تبلّغ عنه القرآن والسُّنَّةَ ، وتفتي المسلمين ، وتصلح بين المختلفين ، وهي أشرف أمهات المؤمنين حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين ، والأحسن الوقف فيهما رضي الله عنهما . وما ذاك إلا لأن قوله ﷺ : « وفضلُ عائِشَة على النساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيْدِ علَى سائرِ الطَّعامِ » يحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى المذكورات [وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى ما عدا المذكورات][1] . والله أعلم .

والمقصود هاهنا ذِكْر ما يتعلّق بمريم بنتِ عمران عليها السلام ، فإن الله طهّرها واصْطفاها على نساء عالمي زمانها ، ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً ، كما قدّمنا . وقد ورد في حديثٍ أنها تكون من أزواج النبي ﷺ في الجنة هي وآسية بنت مزاحم . وقد ذكرنا في « التفسير »[2] عن بعض السلف أنه قال ذلك واستأنس بقوله : ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] ، قال : فالثيب آسية ، ومن الأبكار مريم بنت عمران . وقد ذكرناه في آخر سورة التحريم . فالله أعلم .

قال الطبراني[3] : حدثنا عبد الله بن ناجية ، حدثنا محمد بن سعد العَوْفي[4] حدثنا أبي حدثنا عمي

= الأطعمة (١٨٣٤)، وابن ماجه في الأطعمة أيضاً (٣٢٨٠)، والنسائي في المناقب (٧/ ٦٨) وهو في عشرة النساء من الكبرى (٨٣٥٣) و(٨٣٨١) و(٨٨٩٥) بقصة فضل عائشة .

(١) سقط من ب بنقلة عين .

(٢) هو كما قال في تفسيره : (٤/ ٣٩٠) .

(٣) في المعجم الكبير (٥٤٨٥/ ٢) .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن سعد بن محمد بن الحسن ، العَوْفي ، من بني عوف بن سعد ، من يشكر بن بكر بن وائل ، وقيل من يشكر بن الحارث ، من قيس عيلان . كان من أهل بغداد ، توفي سنة (٢٧٦هـ) . قيل : كان لين الحديث . وقال الدار قطني : لا بأس به . أنساب السمعاني (٩/ ٨٩ ـ ٩٠) .

الحسين ، حدّثنا يونس بن نُفيع عن سعد بن جُنادة ـ هو العَوْفي ـ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن اللهَ زَوَّجَنِي في الجنةِ مَرْيَمَ بنتَ عِمْرانَ وامرأةَ فِرْعَوْنَ وأُخْتَ مُوْسَى » .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدّثنا إبراهيم بن عرعرة ، حدّثنا عبد النور بن عبد الله ، حدّثنا يونس بن شعيب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « أُشْعِرْتُ أنَّ اللهَ زَوَّجَني مَرْيَمَ بنتَ عِمْران وآسِيةَ بِنْتَ مُزاحِم وكَلْثَم أُخْتَ مُوْسى » . رواه أبو جعفر العُقَيلي[١] من حديث عبد النور به ، وزاد : « فقلت هنيئاً لك يا رسول الله » ثم قال العقيلي : وليس بمحفوظ[٢] .

وقال الزبير بن بكار : حدّثني محمد بن الحسن ، عن يعلى بن المغيرة ، عن ابن أبي روّاد قال : دخل رسول الله ﷺ على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها : « بالكُرهِ منّي ما أرى مِنْكِ يا خديجةُ ، وقد يَجْعلُ اللهُ في الكُره خَيْراً كثيراً . أما علمتِ أنَّ اللهَ قَدْ زَوَّجَني مَعَكِ في الجَنَّةِ مَرْيَمَ بنتَ عِمران وكَلْثَمَ أختَ مُوْسى وآسيةَ امرأةَ فِرعون » قالت : وقد فعل الله بكَ ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . قالت : بالرِّفاء والبنين[٣] .

وروى ابن عساكر[٤] من حديث محمد بن زكريا الغَلَابي[٥] ، حدّثنا العباس بن بكار ، حدّثنا أبو بكر الهذلي[٦] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة وهي في مرض الموت ، فقال : « يا خَدِيجةُ إذا لَقِيْتِ ضَرَائِرَكِ فَأقْرئيهنَّ مِنّي السَّلامَ » قالَت : يا رسول الله وهل تزوجتَ قبلي ؟ قال : « لا ، ولكن الله زوَّجَني مريَمَ بنتَ عِمران وآسيةَ بنتَ مُزاحِم وكَلْثَمَ أختَ موسى »[٧] .

وروى ابن عساكر من طريق سُويد بن سعيد ، حدّثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد ، عن ابن عمر قال : نزل جبريل إلى رسول الله ﷺ بما أُرسِل به ، وجلس يُحدّث رسول الله ﷺ إذ مرّت

---

(١) في الضعفاء الكبير (٤/ ٤٥٩) .

(٢) إسناده تالف، فإن يونس بن شعيب منكر الحديث، كما قال البخاري فيما نقله عنه العقيلي (٤/ ٤٥٩)، وعبد النور بن عبد الله هو المسمعي رافضي كذاب وضاع خبيث (ضعفاء العقيلي ٣/ ١١٤)، وانظر تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٩٠) .

(٣) الرِّفاء : الالتئام والاتفاق والبركة والنماء . وقد نُهي أن يقال للمتزوج : بالرفاء والبنين . وكان رسول الله ﷺ إذا رفّأ الإنسانَ قال : بارك الله لك وعليك وجمع بينكما على خير .

(٤) في ترجمة مريم بنت عمران كما أشار ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٩٠) .

(٥) الغَلابي ، بفتح الغين واللام ألف المخففة : نسبة إلى غَلاب ، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه . أنساب السمعاني (٩/ ١٩٣) .

(٦) في ط : الهزلي . بالزاي . وهو خطأ . وأبو بكر الهُذَلي اسمه سُلْمى بن عبد الله بن سُلْمى ، من أهل الكوفة ، سكن البصرة . توفي سنة (١٦٧هـ) . وهو متروك الحديث .
المجروحين لابن حبان (١/ ٣٥٥) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٤٠١) .

(٧) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٩٠) : ضعيف .

خَديجةُ ، فقال جبريل : من هذه يا محمد ؟ قال : « هذه صِدِّيقَةُ أُمتي » . قال جبريل : معي إليها رسالة من الرب عز وجل ، يقرئها السلام ويبشّرها ببيت في الجنة من قَصَبٍ بعيد من اللهب لا نَصَب فيه ولا صَخَب . قالت : الله السلام ومنه السلام والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته على رسول الله ، ما ذلك البيت الذي من قصب ؟ قال : لؤلؤة جوفاء بين بيت مَريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم ، وهما من أزواجي يوم القيامة . وأصل السلام على خديجة من الله وبشارتها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا وصب في الصحيح(١) ، ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جداً . وكل هذه الأحاديث في أسانيدها نظر .

وروى ابنُ عساكر من حديث أبي زُرْعة الدمشقي ، حدّثنا عبد الله بن صالح ، حدّثني معاوية ، عن صفوان بن عمرو ، عن خالد بن معدان ، عن كعب الأحبار أن معاوية سأله عن الصخرة ـ يعني صخرة بيت المقدس ـ فقال : الصخرة على نخلة ، والنخلة على نهر من أنهار الجنة ، وتحت النخلة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة .

ثمّ رواه من طريق إسماعيل بن عياش(٢) ، عن ثعلبة بن مسلم ، عن مسعود بن عبد الرحمن ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ﷺ بمثله . وهذا منكر من هذا الوجه ، بل هو موضوع . وقد رواه أبو زرعة عن عبد الله بن صالح عن معاوية عن مسعود بن عبد الرحمن ، عن ابن عابد أن معاوية سأل كعباً عن صخرة بيت المقدس ، فذكره . قال الحافظ ابن عساكر : وكونه من كلام كعب الأحبار أشبه .

قلت وكلامُ كعب الأحبار هذا إنما تلقّاه من الإسرائيليات التي منها ما هو مكذوب مفتعل وضعه بعض زنادقتهم أو جهّالهم ، وهذا منه . والله أعلم .

* * *

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٣٣) ، في مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها . ومسلم (٢٤٣٣) ، في فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها .

(٢) في ط . عن عياش . وهو خطأ . وإسماعيل بن عياش مترجم في سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٧٧) . وما بعدها .

ذكر ميلاد العبد الرسول عيسى ابن مَريم البتول[(١)]

قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم : ١٦ ـ ٣٧] .

ذكر تعالى[(٢)] هذه القصّة بعد قصّة زكريا التي هي كالمقدمة لها والتوطئة قبلها ، كما ذكر في سورة آل عمران ، قَرَن بينهما في سياق واحد ، وكما قال في سورة الأنبياء : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٩ ـ ٩١] .

وقد تقدّم أنّ مريم لما جعلتها أمُّها محرَّرةً تخدم بيت المقدس ، وأنّه كفلها زوجُ أختها أو خالتها نبيُّ ذلك الزمان زكريا عليه السلام ، وأنه اتّخذ لها محراباً وهو المكان الشريف من المسجد لا يدخله أحد عليها سواه ، وأنها لما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات وظهر عليها من الأحوال ما غَبَطها به زكريا عليه السلام ، وأنها خاطبتْها الملائكةُ بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبأنه سَيَهب لها ولداً زكياً يكون نبياً كريماً طاهراً مكرَّماً مؤيداً بالمعجزات ، فتعجبت من وجود ولد من غير والدٍ لأنها لا زوج لها ، ولا هي ممن تتزوج ، فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا

---

(١) لم يرد لفظ ذكر في ط . وزاد في ب : العذراء البتول .
(٢) في ب : يذكر سبحانه وتعالى .

﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ فاستكانت لذلك وأنابت وسلَّمت لأمر الله ، وعلمت أن هذا فيه محنةٌ عظيمةٌ لها ، فإن الناس يتكلمون فيها بسببه ، لأنهم لا يعلمون حقيقةَ الأمر ، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبُّرٍ ولا تعقُّلٍ ، وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حَيْضها ، أو لحاجةٍ ضروريَّةٍ لا بدَّ منها ؛ من استقاء ماءٍ أو تحصيل غذاءٍ ، فبينما هي يوماً قد خرجتْ لبعض شؤونها ﴿ فَٱنتَبَذَتْ ﴾ أي انفردت وحدَها شرقي المسجد الأقصى إذ بعث الله إلَيْها الروحَ الأمين جبريل عليه السلام ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ فلما رأتْهُ ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ . قالَ أبو العالية : علمتْ أنّ التقي ذو نهيةٍ ، وهذا يردُّ قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسقٌ مشهور بالفسق اسمه « تقي » فإن هذا قولٌ باطلٌ بلا دليل ، وهو من أسخف الأقوال .

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ : أي : خاطَبها الملك قائلاً إنما أنا رَسُول ربك لستُ ببشرٍ ولكني مَلَك بعثني الله إليكِ ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ أي : ولداً زاكياً[1] ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ ﴾ أي : كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ أي ولستُ ذاتَ زوجٍ ، وما أنا ممن يفعلُ الفاحشةَ ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ﴾ أي فأجابها المَلَك عن تعجُّبها من وجود ولدٍ منها والحالة هذه قائلاً ﴿ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ أي وعَدَ أنه سيخلق منكِ غلاماً ولستِ بذاتِ بعلٍ ولا تكونين ممن تبغين ﴿ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ﴾ أي وهذا سهل[2] عليه ويسير لديه ، فإنه على ما يشاء قدير .

وقوله : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على كمال قُدرَتِنا على أنواع الخلْق ، فإنه تعالى خلقَ آدمَ من غير ذكرٍ ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكرٍ بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقيةَ الخلق من ذكر وأنثى .

وقوله : ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أي نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفولته وكهولته بأن يُفرِدوا[3] الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه[4] عن اتخاذ الصاحبة والأولاد والشركاء والنظراء والأضداد والأنداد .

وقوله : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها ؛ يعني أن هذا أمرٌ قد قضاه الله وحَتَّمه وقدَّره وقرَّره ، وهذا معنى قول محمد بن إسحاق ، واختاره ابن جرير[5] ولم يحك سواه . والله أعلم . ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ كنايةً عن نفخ جبريل فيها كما قال

---

(١) في ط : زكياً .
(٢) في ب : أسهل .
(٣) في ب : يفرد .
(٤) في ب وينزهه .
(٥) تفسير الطبري (٤٧/١٦) .

تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] . فذكر غيرُ واحدٍ من السلف[١] أن جِبريل نفخَ في جيبِ درعها ، فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها[٢] . ومن قال إنه نَفَخ في فمها أو إن الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها فقوله خلاف ما يُفهم من سياقات هذه القصّة في محالّها من القرآن ، فإن هذا السياق يدلّ على أن الذي أُرسل إليها ملكٌ من الملائكة وهو جبريل عليه السلام ، وأنه إنما نفخ فيها ولم يواجه الملك الفرج ، بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه كما قال تعالى : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ يدلّ على أن النفخة ولجت فيه لا في فمها كما رُوي عن أُبي بن كعب ، ولا في صدرها كما رواه السدّي بإسناده عن بعض الصحابة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ ﴾ أي حملت ولدَها ﴿ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ وذلكَ لأنَّ مَرْيَم عليها السلام لمّا حملت ضاقت به ذرعاً ، وعلمت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام في حقّها ، فذكر غير واحد من السّلف[٣] منهم وهب بن منبه أنها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رَجُلٌ من عُبّاد بني إسرائيل يقال له : يوسف بن يعقوب النجار ، وكان ابن خالها ، فجعل يتعجّب من ذلك عجباً شديداً ، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها ، وهو مع ذلك يراها حُبلى وليس لها زوج فعرَّض لها ذات يوم في الكلام ، فقال : يا مريم هل يكون زرع من غير بذر ؟ قالت : نعم فمن خلق الزرع الأول ! ثمّ قال : فهل يكون شجر من غير ماءٍ ولا مطر ؟ قالت : نعم ، فمن خلق الشجر الأول ! ثم قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى . قال لها : فأخبريني خبرك . فقالت : إن الله بشّرني ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥ ـ ٤٧] . ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سألها فأجابته بمثل هذا . والله أعلم .

وذكر السُّدِّي بإسناده عن الصحابة[٤] : أن مريم دخلت يوماً على أختها فقالت لها أختها : أُشْعِرْتُ أَنّي حُبلى . فقالت مريم : وشعرتُ أيضاً أني حبلى ، فاعتنقتها وقالت لها أم يحيى إني أرى ما في بطني يَسجُد لما في بطنك ، وذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ومعنى السجود هاهنا الخضوع والتعظيم كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان في شرع مَن قَبلنا ، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم . وقال أبو القاسم : قال مالك : بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعاً معاً فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم : إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك . قال مالك : أرى ذلك

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ١١٠) .
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٨) .
(٣) أورده الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩) .
(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨) .

لتفضيل عيسى عليه السلام ، لأن الله تعالى جعله يُحيي الموتى ، ويبرىء الأكمه والأبرص . رواه ابن أبي حاتم . وروي عن مجاهد قال : قالت مريم : كنت إذا خلوت حدّثني وكلّمني ، وإذا كنت بين الناس سبَّح في بطني .

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن ، إذ لو كان خلاف ذلك لذكر .

وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر . وعن ابن عباس[١] ما هو إلا أن حملت به فوضعته . قال بعضهم حملت به تسع ساعات ، واستأنسوا لذلك بقوله : ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ والصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه لقوله : ﴿ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [الحج : ٦٣] . وكقوله : ﴿ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] . ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه[٢] .

قال محمد بن إسحاق : ثم شاع أمرها[٣] واشتهر في بني إسرائيل أنها حامل ، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا . قال : واتهمها بعض الزنادقة بيوسف الذي كان يتعبَّد معها في المسجد ، وتوارت عنهم مريم واعتزلتهم وانتبذت مكاناً قصياً .

وقوله : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ أي فألجأها واضطرها الطلق إلى جذع النخلة ، وهو بنص الحديث الذي رواه النسائي بإسنادٍ لا بأس به عن أنس مرفوعاً[٤] ، والبيهقي بإسنادٍ صححه[٥] عن شدّاد بن أوس مرفوعاً أيضاً بيت لحم[٦] الذي بنى عليه بعضُ ملوك الروم فيما بعد على ما سنذكره ، هذا البناء المشاهد الهائل ﴿ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتن[٧] ، وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها ، بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها

---

(١) أورده الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٠) ، والقرطبي : (١١/ ٩٢) .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٢٠٨) في بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وص (٣٦٣) ، رقم (٣٣٣٢) في الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته . ومسلم رقم (٢٦٤٣) في القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه .

(٣) في ط : شاع واشتهر .

(٤) السنن (١/ ٢٢٢) ، في أول أحاديث الصلاة ، وأوله عنده : « أُتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل . . . » وأورده المؤلف في تفسيره (٣/ ١٥٠) . في تفسير قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ .

(٥) في ط : وصححه . والحديث عنده في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧) . وأوله عنده : قلنا يا رسول الله كيف أسري بك ؟ قال : « صليت لأصحابي صلاة العتمة . . . » .

(٦) وقيل غير ذلك . تفسير الطبري (١٦/ ٥٠) .

(٧) وقال في تفسيره (٣/ ١٢٣) (ط . دار المعرفة) : فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة ، فإنها عرفت أنها=

مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطعات إليه المعتكفات فيه ومن بيت النبوة والديانة ، فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت ﴿ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ أي لم تخلق بالكلية .

وقوله : ﴿ فَنَادَىٰهَا مَنْ تَحْتَهَا ﴾ وقرئ ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ على الخفض[(١)] ، وفي المضمر قولان : أحدهما أنه جبريل[(٢)] . قاله العَوْفيُّ عن ابن عباس قال : ولم يتكلّم عيسى إلا بحضرة القوم . وهكذا قال سعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والضحاك والسدي وقتادة . وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير في رواية : هو ابنها عيسى . واختاره ابن جرير[(٣)] .

وقوله : ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ أي ناداها قائلاً لها : لا تحزني ، قد جعل ربك تحتك سرياً . قيل : النهر ، وإليه ذهب الجمهور[(٤)] . وجاء فيه حديث رواه الطبراني لكنه ضعيف ، واختاره ابن جرير[(٥)] وهو الصحيح . وعن الحسن والربيع بن أنس وابن أسلم وغيرهما أنه ابنها . والصحيح الأول لقوله : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ فذكر الطعام والشراب ولهذا قال : ﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ . ثم قيل : كان جذع النخلة يابساً وقيل كانت نخلة مثمرة فالله أعلم . ويحتمل أنها كانت نخلة لكنها لم تكن مثمرة إذ ذاك ، لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر ، وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان ﴿ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ . قال عمرو بن ميمون ليس شيء أجود للنفساء من التمر والرُّطَب ، ثم تلا هذه الآية[(٦)] .

وقال ابن أبي حاتم حدّثنا علي بن الحسين ، حدّثنا شيبان ، حدّثنا مسرور بن سعيد التميمي ، حدّثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن عروة بن رويم ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « أَكرِمُوا عَمَّتَكمُ النخْلةَ فإنها خُلِقَتْ من الطّينِ الذي خُلِقَ مِنْهُ آدمُ ، ولَيْس مِنَ الشَّجَرِ شيءٌ يُلْقَحُ غيرَها » . وقال رسول الله ﷺ : « أَطْعِمُوا نِساءَكُم الوُلَّدَ الرُّطَبَ فإنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبٌ فتَمْرٌ ،

= ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ، ولا يصدقونها في خبرها ، وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة ، تصبح عندهم ـ فيما يظنون ـ عاهرة زانية ، فقالت : يا ليتني مت قبل هذا ، أي قبل هذا الحال .

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير ، وابن عامر ، وأبو بكر ﴿ مَن تحتها ﴾ بفتح الميم والتاء . وقرأ الباقون بكسر الميم والتاء حجة القراءات (٤٤١) .

(٢) عدد الطبري طائفة من أصحاب هذا القول . تفسيره (١٦/ ٥١ ـ ٥٢) .

(٣) تفسيره (١٦/ ٥٢) .

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٥٣) .

(٥) المصدر السابق (١٦/ ٥٤) .

(٦) ذكره الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٥) .

وليسَ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ أكرمَ على اللهِ مِنْ شَجَرةٍ نَزَلَتْ تَحْتَها مَرْيَمُ بنت عمران »[١] .

وكذا رواه أبو يعلى في « مسنده »[٢] عن شيبان بن فروخ ، عن مسروق بن سعيد ، وفي رواية مسرور بن سعد ، والصّحيح مسرور بن سعيد التميمي . وأورد له ابن عدي هذا الحديث عن الأوزاعي ، به ، ثم قال : وهو منكر الحديث ولم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث . وقال ابن حبان[٣] : يروي عن الأوزاعي المناكير الكثيرة التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها[٤] .

وقوله : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ . وهذا من تمام كلام الذي نَاداها من تحتها قال : ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ أي فإن رأيت أحداً من الناس ﴿ فَقُولِىٓ ﴾ له أي بلسان الحال والإشارة : ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ أي صَمتاً ، وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام ، قاله قتادة والسُّدِّي وابنُ أسلم[٥] ويدل على ذلك قوله : ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ فأما في شريعتنا فيُكرَه للصَّائِمِ صَمْتُ يَوْمٍ إلى الليل[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ ذكر كثير من السّلف ممن ينقل عن أهل الكتاب أنّهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا في طلبها ، فمروا على محلّتها والأنوار حولها ، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها ، فقالوا لها : ﴿ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ أي أمراً عظيماً منكراً . وفي هذا الذي قالوه نظر مع أنه كلام ينقض أوّلَهُ آخرُه ، وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملته بنفسها وأتت به قومها وهي تحمله . قال ابن عباس : وذلك بعد ما تعلت من نفاسها بعد أربعين يوما[٧] .

---

(١) وأخرجه ابن حبان في المجروحين (٣/ ٤٤ ـ ٤٥) . مع خلاف يسير في اللفظ .
وأورد الحديثين متصلين السيوطي في الجامع الصغير (١/ ١٨٢ ـ ١٨٣) . وضعفه .

(٢) مسند أبي يعلى : (١/ ٣٥٣) ، رقم (٤٥٥) .

(٣) الكامل في الضعفاء (٦/ ٢٤٢٥) .

(٤) المجروحين (٣/ ٤٤) .

(٥) وقاله غيرهم أيضاً . تفسير الطبري (١٦/ ٥٦ ـ ٥٧) .

(٦) قال القرطبي في تفسيره (١١/ ٩٨) : ذلك لا يجوز في شرعنا لما فيه من التضييق وتعذيب النفس، كنذر القيام في الشمس ونحوه، وعلى هذا كان نذر الصمت في تلك الشريعة لا في شريعتنا . . وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق بالكلام، وهذا هو الصحيح، لحديث أبي إسرائيل . . . ومن سنتنا نحن في الصيام الإمساك عن الكلام القبيح، قال عليه الصلاة والسلام : إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل ، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إني صائم.
وحديث أبي إسرائيل رواه البخاري عن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم. فسأل عنه. فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال رسول الله ﷺ: « مُرْهُ فليتكلّم وليستظل، وليقعد، وليتم صومهُ » فتح الباري: (١١/ ٥٨٦)، رقم (٦٧٠٤) في الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي المعصية.

(٧) وهو ما قاله أيضاً ابن الكلبي . تفسير القرطبي (١١/ ٩٩) .

والمقصود أنهم لما رأَوها تحملُ معها ولدها ﴿ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ والفرْيَةُ : هي الفعْلَةُ المنكرة العظيمة من الفعال والمقال[١] . ثم قالوا لها : ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ قيل[٢] : شَبَّهُوها بعابدٍ من عُبَّادِ زمانهم كانت تُساميه في العبادة ، وكان اسمه هارون . وقيل : شبَّهوها برجل فاجرٍ في زمانهم اسمه هارون ، قاله سعيد بن جبير . وقيل : أرادوا بهارون أخا موسى ، شبَّهوها به في العبادة . وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهارون نسباً ، فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على أدنى من عنده من العلم مايرده عن هذا القول الفظيع ، وكأنه غره أن في التوراة أن مريم أخت موسى وهارون ضربت بالدف يوم نجّا اللهُ موسى وقومَه وأغرق فرعونَ وملأه ، فاعتقد أن هذه هي هذه ، وهذا في غاية البُطْلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن كما قررناه في « التفسير »[٣] مطولاً . ولله الحمد والمنة .

وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخ[٤] اسمه هارون وليس في ذكر قصّة ولادتها وتحرير أمّها لها ما يدلّ على أنها ليس لها أخ سواها والله أعلم .

قال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا عبد الله بن إدريس ، سمعت أبي يذكره عن سماك ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبة[٦] قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران ، فقالوا : أرأيت ما تقرؤون ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ ، وموسى قبلَ عيسى بكذا وكذا ؟! قال : فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُم كَانُوا يُسَمّونَ بِالأَنْبِياءِ والصَّالِحِيْنَ قَبْلَهُمْ » .

وكذا رواه مسلم[٧] ، والنسائي[٨] ، والترمذي[٩] من حديث عبد الله بن إدريس ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديثه .

---

(١) في اللسان (فرا) : الفَرِيُّ : الأمر العظيم . . مفردات الراغب الأصبهاني (٣٩٣) . وتفسير الطبري (١٦/ ٥٨) .
(٢) أورد الطبري معظم ما قيل في تفسير هذه الآية (١٦/ ٥٨ ـ ٥٩) .
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١١٩) . والحديث الذي استدل به ابن كثير في التفسير ، قوله ﷺ : « أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » . وتقدم تخريج هذا الحديث (ص٢٠٦) ، (ت١٤) .
(٤) كذا في ب وط . وفي أ : على أن لها أخ . وفيه خطأ نحوي بيّن .
(٥) المسند (٤/ ٢٥٢) .
(٦) زاد في ب : عن علي ، وليست ثابتةً في مسند أحمد هذه الزيادة .
(٧) صحيح مسلم رقم (٢١٣٥) في الآداب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء .
(٨) في تفسيره (٣٥٥) وهو في الكبرى (١١٣١٥) .
(٩) رقم (٣١٥٥) في تفسير القرآن ، باب ومن سورة مريم .

وفي رواية : « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحيهم وأنبيائهم » .

وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثرون من التسمية بهارون ، حتى قيل : إنه حضر بعض جنائزهم بشرٌ كثير منهم ممن يُسمى بهارون ، أربعون ألفاً[١] . فالله أعلم .

والمقصود أنهم قالوا : ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ ودلّ الحديث على أنها قد كان لها أخ نَسَبي اسمه هارون ، وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير ، ولهذا قالوا : ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ أي لستِ من بيتٍ هذا شيمتهم ولا سجيتهم ، لا أخوك ولا أمك ولا أبوك ، فاتهموها بالفاحشة العظمى ، ورمَوها بالداهية الدهياء . فذكر ابن جرير في تاريخه[٢] أنهم اتهموا بها زكريا وأرادوا قتله ففر منهم ، فلحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك إبليس بطرف ردائه ، فنشروه فيها كما قدمنا . ومن المنافقين من اتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار .

فلما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال ، عظم التوكل على ذي الجلال ، ولم يبق إلا الإخلاص والاتّكال ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ ﴾ أي : خاطبوه وكلّموه ، فإنَّ جوابَكم عليه وما تبغون من الكلام لديه . فعندها ﴿ قَالُواْ ﴾[٣] مَن كان منهم جباراً شقياً : ﴿ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴾ أي : كيف تحيلينا[٤] في الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب ، وهو مع ذلك رضيع في مهده ولا يميز بين محض المخض وزبده ، وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء والتنقُّص لنا والازدراء ، إذاً لا تردّين علينا قولاً نطقياً ، بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبياً ، فعندها ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ . وهذا أولُ كلامٍ تفوه به عيسى بن مريم ، فكان أوّل ما تكلّم به أن ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾ اعترف لربه سبحانه وتعالى بالعبودية ، وأن الله ربّه ، فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله ، بل هو عبدُه ورسولُه وابنُ أَمَته ، ثم برّأ أُمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به ورمَوْها بسببه بقوله : ﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾ فإن الله تعالى لا يعطي النبوةَ من هو كما زعموا ـ لعنهم الله وقبّحهم ـ كما قال تعالى : ﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء : ١٥٦] وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا : إنها حملت به من زِنى في زمن الحيض ـ لعنهم الله ـ فبرّأها الله من ذلك ، وأخبر عنها أنها صِدّيقة ، واتخذ ولدها نبياً مرسلاً أحدَ أولي العزم

---

(١) اختصر ابن كثير الخبر هنا ، وقد نقله كاملاً في تفسيره (٣/ ١١٩) عن تفسير الطبري (١٦/ ٥٨) ، وفيه أن من خرج في جنازة هارون الرجل الصالح ممن يسمون هارون يبلغ عددهم (٤٠) ألفاً .

(٢) (١/ ٦٠٠) .

(٣) كذا في ب وط . وهو لفظ الآية وأشبه أن يُثبَت هاهنا . وفي أ : قال .

(٤) في أ وب وط : تحيلينا . وفي ب : على الجواب .

الخمسة[١] الكبار ، ولهذا قال : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحدَه لا شريك له ، ونزّه جنابه عن النقص والعيب من اتخاذ الصاحبة والولد تعالى وتقدّس ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة والإحسان إلى الخليقة بالزكاة ، وهي تشمل طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة ، وتطهر الأموال الجزيلة بالعطية للمحاويج[٢] على اختلاف الأصناف وقِرى الأضياف والنفقات على الزوجات والأرقاء والقرابات ، وسائر وجوه الطاعات وأنواع القُرُبات .

ثم قال : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أي : وجعلني براً بوالدتي وذلك أنه تأكّد حقها عليه لمحض جهتها ، إذ لا والد له سواها ، فسبحان من خلق الخليقة وبرأها ، وأعطى كلّ نفس هداها .

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أي لستُ بِفَظٍّ ولا غليظ ، ولا يصدر مني قولٌ ولا فعلٌ ينافي أمر الله وطاعته .

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ . وهذه الأماكن[٣] الثلاثة التي تقدّم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام .

ثمّ لما ذكر تعالى قصّته على الجلية ، وبيّن أمرَه ووضّحه وشرحه قال : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ . كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في آل عمران : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ [٥٨ - ٦٣] . ولهذا لما قَدِم وفد نجران[٤] وكانوا ستينَ راكباً يرجع أمرُهم إلى أربعة عشر منهم ، ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرافهم وساداتهم ، وهم العاقب والسّيد وأبو حارثة بن علقمة ، فجعلوا يناظرون في أمر المسيح ، فأنزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك ، وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أُمه من قبله ، وأمر رسوله بأن يباهِلَهم[٥] إن لم يستجيبوا له ويتبعوه ، فلما رأوا عينيها وأذنيها نكلوا ونكصوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا إلى المسالمة والموادعة ، وقال قائلهم ، وهو العاقب

(١) ليست في ب . وأولو العزم من الرسل هم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم السلام .
(٢) المحاويج : جمع مُحْوِج وهو المعدم .
(٣) في ب : المواطن .
(٤) سيأتي تفصيل الحديث عن وفد نجران في الجزء الخامس ، باب الوفود .
(٥) المباهلة : الملاعنة ، وهو أن يجتمع القوم إذ اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا .

عبد المسيح : يا معشر النصارى لقد علمتم أن محمداً لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لاعَنَ قومٌ نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نَبَت صغيرهم ، وإنها للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلّا إلفَ دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادِعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم . فطلبوا ذلك من رسول الله ﷺ ، وسألوه أن يضرب عليهم جزية ، وأن يبعث معهم رجلاً أميناً ، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجرَّاح . وقد بينا ذلك في تفسير آل عمران(١) وسيأتي بسط هذه القضية في السيرة النبوية(٢) إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

والمقصود أن الله تعالى لما بين أمر المسيح قال لرسوله : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ يعني من أنه عبد مخلوق ، من امرأة من عباد الله ، ولهذا قال : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي لا يُعجزه شيء ، ولا يكربه(٣) ولا يؤوده ، بل هو القدير الفعّال لما يشاء ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ هو من تمام كلام عيسى لهم في المهد ، أخبرهم أن الله ربُّه وربُّهم وإلَهُهُ وإلَهُهُم ، وأن هذا هو الصراط المستقيم .

قال الله تعالى : ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي : فاختلف أهل ذلك الزمان(٤) ومَنْ بَعدهم فيه ، فمن قائل من اليهود : إنه ولد زنية ، واستمروا على كفرهم وعنادهم ، وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا : هو الله . وقال آخرون : هو ابن الله . وقال المؤمنون : هو عبد الله ورسوله وابن أَمَتِه وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، هؤلاء هم الناجون المثابون المؤيَّدُون المنصورون ، ومَنْ خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالّون الجاهلون ، وقد توعَّدهم العلي العظيم الحكيم العليم بقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

قال البخاري : حدّثنا صدقة بن الفضل ، حدّثنا الوليد ، حدّثنا الأوزاعي ، حدّثني عمير بن هانيء ، حدّثني جُنادة بن أبي أمية ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ شَهِد أنْ لا إلهَ إلاّ الله وحدَه لا شَرِيْكَ له ، وأن محمداً عبدُه ورَسُوْلُهُ ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته(٥) ألقاها إلى

---

(١) في تفسيره (١/ ٣٦٨) .

(٢) في الجزء الخامس من هذا الكتاب .

(٣) كذا في ب . وفي أ وط : يكترثه .

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٦٤ ـ ٦٥) .

(٥) في ب : وأن عيسى روح الله وكلمته .

مريم ورُوحٌ منه ، والجنةُ حقٌّ ، والنارُ حقٌّ ، أدخله الله الجنةَ على ما كان من العمل »[١] . قال الوليد : فحدّثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير عن جنادة ، وزاد : « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء » .

وقد رواه مسلم[٢] عن داود بن رُشَيْد عن الوليد عن ابن جابر به . ومن طريق أخرى عن الأوزاعي به .

* * *

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٤٣٥) ، في الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ . وقول الوليد الآتي من تتمة رواية البخاري وسيكرره في الصفحة (٢٨٩) ، ت (٩) .

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٨) في الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

باب بَيان أنّ الله تعالى منزّه عن الولد تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً(١)

قال تعالى في آخر هذه السورة : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ أي : شيئاً عظيماً ومنكراً من القول وزوراً ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٨٨ ـ ٩٥] .

فبيّن أنّه تعالى لا ينبغي له الولد ؛ لأنه خالق كلِّ شيءٍ ومالكه ، وكلّ شيء فقير إليه ، خاضعٌ ذليلٌ لديه ، وجميع سكان السماوات والأرض عبيدُه ، وهو ربّهم ، لا إلّه إلا هو ، ولا رب سواه ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٠ ـ ١٠٣] .

فبين أنه خالق كلّ شيء ، فكيف يكون له ولد ، والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين ، والله تعالى لا نظير له ولا شبيه له ولا عديل له ، ولا صاحبة له فلا يكون له ولد كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ تقرر أنه الأحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ وهو السيد الذي كمل في علمه وحكمته ورحمته وجميع صفاته ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ أي لم يوجد منه ولد ، ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أي : ولم يتولّد عن شيء قبله ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي وليس له عديلٌ ولا مكافىءٌ ولا مساوٍ ، فقطع النظير المدني والأعلى والمساوي ، فانتفى أن يكون له ولد ، إذ لا يكون الولد إلا متولّداً بين شيئين متعادلين أو متقاربين وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقال تبارك وتعالى وتقدّس : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ

(١) هذه العبارة ليست في ط .

إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٧١ ـ ١٧٣] .

يَنْهىٰ تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلوّ والإطراء في الدين ، وهو مجاوزة الحدّ ، فالنصارى ـ لعنهم الله[(١)] ـ غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحدّ ، فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنه عبد الله ورسوله وابن أمته العذراء البتول التي أحصنت فرجها ، فبعث الله الملك جبريل إليها فنفخ فيها عن أمر الله نفخةً حملت منها بولدها عيسى عليه السلام ، والذي اتصل بها من الملك هي الروح المضافة إلى الله إضافةَ تشريف وتكريم ، وهي مخلوقة من مخلوقات الله تعالى ، كما يقال : بيت الله ، وناقة الله ، وعبد الله ، وكذا روح الله ، أضيفت إليه تشريفاً لها وتكريماً . وسمي عيسى بها لأنه كان بها من غير أب ، وهي الكلمة أيضاً التي عنها تخلّق[(٢)] ، وبسببها وجد كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : ١١٦ ـ ١١٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى ـ عليهم لعائن الله ـ كلٌّ من الفريقين ادّعَوا على الله شططاً ، وزعموا أن له ولداً ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وأخبر أنهم ليس لهم مستندٌ فيما زعموه ولا فيما ائتفكوه إلاّ مجرّد القول ومشابهة من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة ، تشابهت قلوبهم ، وذلك أن الفلاسفة ـ عليهم لعنة الله ـ زعموا أن العقل الأول صَدَر عن واجب الوجود الذي يعبّرون عنه بعلّة العلل والمبدأ الأول ، وأنه صدر عن العقل الأول عقل ثان ونفس وفلك ، ثمّ صدر عن الثاني كذلك ، حتى تناهت العقول إلى عشرة والنفوس إلى تسعة ، والأفلاك إلى تسعة ، باعتبارات فاسدة ذكروها واختيارات باردة أوردوها ، ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقلهم موضع آخر . وهكذا طوائف من مشركي العرب زعموا لجهلهم[(٣)] أن الملائكة بنات الله ، وأنه صاهر سروات الجن فتولّد منهما الملائكة ، تعالى الله عما يقولون وتنزّه عما يشركون ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩] .

---

(١) في ب : عليهم لعائن الله تعالى .

(٢) في ط : خلق .

(٣) في ب : بجهلهم .

وقال تعالى : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الصافات : ١٤٩ ـ ١٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٩] .

وقال تعالى في أول سورة الكهف ، وهي مكية : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [١ ـ ٤] .

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس : ٦٨ ـ ٧٠] .

فهذه الآيات المكّيات(١) الكريمات تشمل الردّ على سائر فرق الكفَرة من الفلاسفة ومشركي العرب واليهود والنصارى الذين ادّعوا وزعموا ، بلا علم ، أن لله ولداً ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون المعتدون علوّاً كبيراً .

ولما كانت النصارى ـ عليهم لعنة الله المتابعة إلى يوم القيامة ـ من أشهر من قال بهذه المقالة ، ذُكِروا في القرآن كثيراً للردّ عليهم ، وبيان تناقضهم ، وقلّة علمهم ، وكثرة جهلهم ، وقد تنوعت أقوالهم في كفرهم ، وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض ، وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب . قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] . فدلّ على أن الحق يتّحد ويتّفق، والباطل يختلف ويضطرب. فطائفة من ضُلاّلهم وجُهّالهم زعموا أن المسيح هو الله ـ تعالى الله(٢) ـ وطائفة قالوا : هو ابن الله ـ عزّ الله ـ وطائفة قالوا : هو ثالث ثلاثة ـ جل الله ـ . قال الله تعالى في سورة المائدة : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ

---

(١) ليست في ب . والآيات ، كما قال ، مكيات .

(٢) ليست في ب وط .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٧] .

فأخبر تعالى عن كفرهم وجهلهم ، وبيَّن أنه الخالق القادر على كلّ شيء ، المتصرّف في كلّ شيء ، وأنه ربُّ كلّ شيء ومليكه وإلٰهه . وقال في أواخرها : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة : ٧٢ ـ ٧٥] .

حكم تعالى بكفرهم شرعاً وقَدراً ، فأخبر أن هذا صَدَرَ مِنهم مع أنّ الرسول إليهم وهو عيسى بن مريم قد بيّن لهم أنه عبدٌ مَرْبُوبٌ مخلوقٌ مُصَوَّرٌ في الرحم ، داع إلى عبادة الله وحدَه لا شريكَ له ، وتوعَّدَهم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والخزي في الدار الآخرة والهوان والعار[(١)] ، ولهذا قال : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ . ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ . قال ابن جرير[(٢)] وغيره : المراد بذلك قولهم بالأقانيم[(٣)] الثلاثة . أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن ، على اختلافهم في ذلك ما بين الملكية واليعقوبية والنسطورية ـ عليهم لعائن الله ـ كما سنبين كيفية اختلافهم في ذلك ، ومجامعهم الثلاثة في زمن قسطنطين بن قسطس ، وذلك بعد المسيح بثلاثمئة سنة ، وقبل البعثة المحمدية بثلاثمئة سنة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أي وما من إلٰه إلاّ الله وحدَه لا شريك له ولا نظير له ولا كفء له ولا صاحبة له ولا ولد . ثمّ توعّدهم وتهدّدهم[(٤)] فقال : ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ثم دعاهم برحمته ولُطْفه إلى التوبة والاستغفار من هذه الأمور الكبار والعظائم التي توجب النار فقال : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ثُمَّ بَيَّنَ حَالَ المسيح وأمّه ، وأنه عبدٌ رسولٌ ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ أي : ليست بفاجرة كما يقوله اليهود ـ لعنهم الله ـ وفيه دليلٌ على أنها ليست بنبيّة كما زعمه طائفة من علمائنا ، وقوله : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما ، أي ومَنْ كان بهذه المثابة كيف يكون إلٰهاً ، تعالى الله عن قولهم وجهلهم علواً كبيراً . وقال

---

(١) قوله : والهوان والعار ؛ ليس في ب .

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٠٢) .

(٣) الأقانيم : الأصول . واحدها أُقنوم . قال الجوهري : وأحسبها رومية . . نقله في اللسان .

(٤) في ب : وهددهم .

السُّدِّي[(١)] وغيرُه : المراد بقوله : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ زَعْمُهُم في عيسى وأمه أنهما إلٰهان[(٢)] مع الله ، يعني كما بيّن تعالى كفرَهم في ذلك بقوله في آخر هذه السورة الكريمة ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٦ ـ ١١٨] .

يخبر تعالى أنه يسأل عيسى ابنَ مريمَ يوم القيامة على سبيل الإكرام له والتقريع والتوبيخ لعابديه ممن كذَّب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله ، أو أنه الله أو شريكه ، تعالى الله عما يقولون ، فيسأله ـ وهو يعلم ـ أنه لم يقعْ منه ما يسأله عنه ، ولكنْ لتوبيخ من كذبَ عليه ، فيقول له : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ أي : تعاليت[(٣)] أن يكون معك شريك . ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ أي ليس هذا يستحقه أحدٌ سواك ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ . وهذا تأدُّبٌ عظيمٌ في الخطاب والجواب ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ﴾[(٤)] حين أرسلتني إليهم وأنزلت عليَّ الكتاب الذي كان يُتلى عليهم .

ثم فسّر ما قال لهم بقوله : ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ أي : خالقي وخالقكم ، ورازقي ورازقكم ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ أي : رفعتني إليك حين أرادوا قتلي وصلبي ، فرحمتني وخلّصتني منهم ، وألقيتَ شَبَهي على أحدهم ، حتى انتقموا منه ، فلما كان ذلك ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

ثمّ قال على وجه التفويض إلى الربّ عزّ وجلّ والتبرّي من أهل النصرانية : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ أي : وهُمْ يستحقون ذلك ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . وهذا التفويض والإسناد إلى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقوعَ ذلك ، ولهذا قال : ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ولم يقل الغفور الرحيم .

وقد ذكرنا في « التفسير »[(٥)] ما رواه الإمام أحمد عن أبي ذَرٍّ أنَّ رسول الله ﷺ قام بهذه الآية الكريمة ليلةً حتى أصبح : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وقال : « إني سألت ربي

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) .
(٢) في ط : الإلاهان .
(٣) في ب : عن أن .
(٤) زاد في ب : أي ما قلت غير ما أمرتني به .
(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢١) .

عزَّ وجلَّ الشفاعةَ لأمتي فأعطانيها ، وهي نائلةٌ إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئاً »[١] .

وقال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٦ ـ ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [الزمر : ٤ ـ ٥] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف : ٨١ ـ ٨٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء : ١١١] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ .

وثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، يزعم أن لي ولداً وأنا الأحد الصمدُ الذي لم ألدْ ولم أُولدْ ولم يكن لي كفواً أحد »[٢] .

وفي الصحيح أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا أحد أصبرُ على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم »[٣] .

ولكن ثبت في الصحيح أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ، ثم قرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[٤] [هود : ١٠٢] .

---

(١) الحديث في مسند أحمد (٥/ ١٤٩) .

(٢) الحديث بتمامه في البخاري رقم (٤٩٧٤) و(٤٩٧٥) ، في التفسير ، باب تفسير سورة الإخلاص . والنسائي (٤/ ١١٢) ، ومسند أحمد (٢/ ٣١٧ ، ٣٥٠) . من طريق أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري رقم (٦٠٩٩) ، في الأدب ، باب الصبر في الأذى ، ورقم (٧٣٧٨)في التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ ، ومسلم (٢٨٠٤) في المنافقين ، باب لا أحد أصبر على أذى ، من الله عز وجل ، وأحمد (٤/ ٣٩٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٥) . وفي لفظه اختلاف يسير عما هنا .

(٤) أخرجه البخاري رقم (٤٦٨٦) ، في التفسير ، (تفسير سورة هود) ، باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ ، ومسلم (٢٥٨٣) في البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، والترمذي (٣١١٠) في التفسير ، باب ومن سورة هود وابن ماجه (٤٠١٨) ، في الفتن ، باب العقوبات . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . . .

وهكذا قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحج : ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان : ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس : ٦٩ ـ ٧٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ [الطارق : ١٧] .

* * *

ذكر منشأ عِيسى ابن مريم عليهما السّلام
ومرباه في صغره وصباه وَبيان بدء الوحي إليه من الله تعالى[١]

قد تقدم أنه وُلد ببيت لحم[٢] قريباً من بيت المقدس . وزعم وهْب بن منبّه أنه ولد بمصر ، وأن مريم سافرت هي ويوسف بن يعقوب النجار وهي راكبة على حمار ليس بينها وبين الإكاف[٣] شيء . وهذا لا يصح . والحديث[٤] الذي تقدم ذكره دليل على أن مولده كان ببيت لحم كما ذكرنا ، ومهما عارضه فباطلٌ .

وذكر وهب بن منبه أنه لما وُلد خَرَّتِ الأصنام يومئذٍ في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن الشياطين حارت في سبب ذلك حتى كَشَفَ لهم إبليس الكبير أمرَ عيسى ، فوجده في حجر أمه والملائكة مُحدقة به[٥] ، وأنه ظهر نجم عظيم في السماء ، وأن ملك الفرس أشفق من ظهوره ، فسأل الكهنةَ عن ذلك فقالوا : هذا لمولدِ عظيمٍ في الأرض ، فبعث رُسُلَه ومعهم ذهب ومرٌّ ولبان[٦] هدية إلى عيسى ، فلما قدموا الشام سألهم ملكها عمّا أقدمهم ، فذكروا له ذلك ، فسأل عن ذلك الوقت ، فإذا قد ولد فيه عيسى ابن مريم ببيت المقدس واشتهر أمره بسبب كلامه في المهد ، فأرسلهم إليه بما معهم وأرسل معهم من يعرفه له ليتوصل إلى قتله إذا انصرفوا عنه . فلما وصَلوا إلى مريم بالهدايا ورجعوا قيل لها : إن رسل ملك الشام إنما جاؤوا ليقتلوا ولدك فاحتملته فذهبت به إلى مصر فأقامت به حتى بلغ اثنتي عشرة سنةً ، وظهرت عليه كرامات ومعجزات في حال صغره[٧] .

فذكر منها أن الدهقان الذي نزلوا عنده افتقد مالاً من داره ، وكانت داره لا يسكنها إلا الفقراء والضعفاء والمحاويج ، فلم يدر من أخذه ، وعزَّ ذلك على مريم عليها السلام ، وشَقّ على الناس وعلى

---

(١) العنوان في ط : منشأ عيسى بن مريم عليهما السلام وبيان بدء الوحي إليه من الله تعالى .
(٢) صفحة (١٦٨) .
(٣) تاريخ الطبري (١/ ٥٩٥) . والإكاف : برذعة الحمار .
(٤) في ب : والذي . والحديث المتقدم ص (٢٤٣) . في ذكر ميلاد عيسى عليه السلام .
(٥) كذا في ط . وفي أ : تحدقه . وفي ب : تحدقها . وفي تاريخ الطبري أن إبليس رأى الملائكة محدقين بذلك المكان .
(٦) في تاريخ الطبري : أن حملة الهدايا مرُّوا بملك من ملوك الشام ، فسألهم عن معنى هذه الهدية فقالوا : تلك أمثاله : لأن الذهب هو سيد المتاع كله ، وكذلك هذا النبي هو سيد أهل زمانه . ولأن المر يُجْبَرُ به الجرح والكسر ، وكذلك هذا النبي يشفي به الله كل سقيم ومريض . ولأن اللبان ينال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره ، كذلك هذا النبي يرفعه الله إلى السماء لا يُرفع في زمانه أحد غيره .
(٧) تاريخ الطبري (١/ ٥٩٥) ، وما بعدها .

رب المنزل ، وأعياهم أمرها ، فلما رأى عيسى ـ عليه السلام ـ ذلك عمد إلى رجل أعمى وآخر مُقْعَد من جُملة من هو منقطع إليه ، فقال للأعمى : احمل هذا المقعد وانهض به . فقال : إني لا أستطيع ذلك . فقال : بلى ، كما فعلت أنت وهو حين أخذتما هذا المال من تلك الكُوَّة من الدار . فلما قال ذلك صدقاه فيما قال ، وأتيا بالمال ، فَعَظُم عيسى في أعين الناس وهو صغير جداً[١] .

ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافةً للناس بسبب طهور أولاده ، فلما اجتمع الناس وأطعمهم ثمّ أراد أن يسقيهم شراباً ، يعني خمراً كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان ، لم يجد في جِراره شيئاً ، فشق ذلك عليه ، فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمرُّ على تلك الجرار ويمرُّ يَده على أفواهها ، فلا يفعل بجرة منها ذلك إلا امتلأت شراباً من خيار الشراب . فتعجّب الناس من ذلك جداً وعظّموه وعرضوا عليه وعلى أمه مالاً جزيلاً فلم يقبلاه ، وارتحلا قاصدين[٢] بلاد بيت المقدس[٣] . والله أعلم .

وقال إسحاق بن بشر : أخبرنا عثمان بن ساج[٤] وغيره عن موسى بن وَرْدان ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيدٍ ، وعن مكحول عن أبي هريرة قال : إن عيسى ابن مريم[٥] أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلّم به وهو طفل فمجّد الله تمجيداً لم تسمع الآذان بمثله ، لم يَدَع شمساً ولا قمراً ولاجبلاً ولا نهراً ولا عيناً إلا ذكره في تمجيده فقال : اللهم أنت القريب في علوّك ، المتعال في دُنُوِّكَ ، الرفيع على كلّ شيءٍ من خلقك . أنت الذي خَلَقتَ سبعاً في الهواء بكلماتك ، مستوياتٍ طباقاً ، أَجَبْنَ ، وهُنَّ دخانٌ من فَرَقك[٦] فأتَيْنَ طائعات لأمرك ، فيهن ملائكتُكَ يسبّحون قُدْسَك لتقديسك ، وجعلت فيهن نوراً على سواد الظلام وضياءً من ضوء الشمس بالنهار ، وجعلت فيهن الرعد المسبِّح بالحمد ، فبعزَّتك يجلو ضوءُ ظلمتك . وجعلت فيهن مصابيح يَهتدِي بهنّ في الظلمات الحيرانُ ، فتباركت اللهم في مفطور سماواتك ، وفيما دَحَوْتَ من أرضك . دحوتها على الماء فسمكتها على تيّار الموج الغامر ، فأذللتها إذلال التظاهر[٧] فذلَّ لطاعتك صعبها واستحيى لأمرك أمرُها ، وخضعت لعزتك أمواجُها ، ففجَّرْتَ فيها بعد البحور الأنهار ، ومن بعد الأنهار الجداول الصغار ، ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار . ثمّ أخرجت منها الأنهار والأشجار والثمار ، ثمّ جعلت على ظهرها الجبال فوتدتها أوتاداً على ظهر الماء ، فأطاعت

---

(١) أورد الطبري الخبرين أكثر تفصيلاً (١/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨) .
(٢) ليست في ب وط .
(٣) الخبر في تاريخ الطبري (١/ ٥٩٨) .
(٤) عثمان بن عمرو بن ساج ، وقد ينسب إلى جده . قال ابن حجر في التقريب (٢/ ١٣) : فيه ضعف .
(٥) ليست في ب .
(٦) الفَرَق : الفزع .
(٧) في ب : الموج المتغاير .... إذلال الماء المتظاهر .

أطوادها وجلمودها[١] ، فتباركت اللهمّ ، فمن يبلغ بنعْته نعتَك ، أم من يبلغ بصفته صفتك ، تنشىء[٢] السحاب ، وتفكُّ الرقاب ، وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين . لا إلَه إلا أنت ، سبحانك أمرتَ أن نستغفر من كلّ ذنب ، لا إلَه إلا أنت ، سبحانك استترت بالسموات عن الناس . لا إلَه إلا أنت سبحانك إنما يخشاك من عبادك الأكياس . نشهد أنّك لست بإلّه استحدثناك ، ولا رب يبيد ذكره ، ولا كان معك شركاء يقضون معك فندعوهم ونَذَرُك[٣] ، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشكّ فيك . نشهد أنك أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفواً أحد[٤] .

وقال إسحاقُ بن بشر ، عن جويبر ، ومقاتلٌ عن الضحاك ، عن ابن عباس : إن عيسى ابن مريم أمسك عن الكلام بعد إذ كلّمهم طفلاً حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ، ثم أنطقه الله بعد ذلك الحكمة[٥] والبيان ، فأكثر اليهودُ فيه وفي أمّه من القول ، وكانوا يسمّونه ابنَ البغيّة ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٦] قال : فلما بلغ سبعَ سنين أسلمته أمّه في الكُتَّاب ، فجعل لا يعلّمه المعلّم شيئاً إلا بَدَرَه إليه[٦] ، فعلّمه (أبا جاد) ، فقال عيسى : ما أبو جاد ؟ فقال المعلِّم : لا أدري . فقال عيسى : كيف تعلّمني ما لا تدري ؟ فقال المعلِّم : إذاً فعلِّمني ! فقال له عيسى : فقم من مجلسك . فقام ، فجلس عيسى محلَّه ، فقال : سلني . فقال المعلّم : ما أبو جاد ؟ فقال عيسى : الألف آلاء الله . باء : بهاء الله . جيم[٧] : بهجة الله وجماله[٨] . فَعجِب المعلِّم من ذلك ، فكان أول من فسّر أبا جاد[٩] .

ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فأجابه على كلِّ كلمةٍ كلمة بحديث طويل موضوع لا يسأل ولا يتمادى[١٠] .

وهكذا روى ابن عدي من حديث إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي مُلَيْكَة عمّن حَدَّثه ، عن ابن مسعود ، وعن مِسْعَر بن كِدَام ، عن عطية ، عن أبي سعيدٍ ، رفع الحديث في دخول

---

(١) في ب وجلمدها . والجلمد والجلمود : الصخر .
(٢) في ب وط : تنشر .
(٣) في ط : ولا كان معك شركاء فندعوهم ونذكرك .
(٤) الدعاء في مختصر تاريخ ابن عساكر (٢٠/ ٩٠) ، مختصراً . عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة .
(٥) في ب : بالحكمة ، وكذلك في مختصر ابن عساكر .
(٦) يقال بدره الأمرَ ، وبدر إليه : إذا عَجِل إليه .
(٧) في ط : والباء . . والجيم .
(٨) في مختصر ابن عساكر : زاد في غيره : دال : الله الدائم .
(٩) مختصر ابن عساكر : (٢٠/ ٩٣) .
(١٠) في ب : لا يسأل فيه . والحديث أورده ابن عساكر . مختصره (٢٠/ ٩٣) .

عيسى إلى الكُتَّاب وتعليمه المعلم معنى حروف أبي جاد ، وهو مطوّل لا يُفْرَحُ به[١] .

ثم قال ابن عدي : وهذا الحديث باطلٌ بهذا الإسناد ، لا يرويه غير إسماعيل .

وروى ابن لَهِيْعَة عن عبد الله بن هبيرة قال : كان عبد الله بن عمرو يقول : كان عيسى بن مريم وهو غلامٌ يلعب مع الصبيان ، فكان يقول لأحدهم : تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك ؟ فيقول : نعم . فيقول : خبأت لك كذا وكذا . فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها : أطعميني ما خبأت لي . فتقول : وأي شيءٍ خبأت لك ؟ فيقول : كذا وكذا . فتقول له : من أخبرك ؟ فيقول : عيسى ابن مريم . فقالوا : والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليُفْسِدَنَّهم . فجمعوهم في بيتٍ وأغلقوا عليهم ، فخرج عيسى يلتمسهم ، فلم يجدهم ، فسمع ضوضاءهم في بيت ، فسأل عنهم ، فقالوا : إنما هؤلاء قردة وخنازير ، فقال : اللهم كذلك ، فكانوا كذلك . رواه ابن عساكر[٢] .

وقال إسحاق بن بشر عن جويبر ، ومقاتلٌ عن الضحاك عن ابن عباس قال : وكان عيسى يرى العجائب في صباه إلهاماً من الله ، ففشا ذلك في اليهود ، وترعرع عيسى ، فهمَّتْ به بنو إسرائيل ، فخافت أمّه عليه ، فأوحى الله إلى أمّه أن تنطلق به إلى أرض مصر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[٣] [المؤمنون : ٥٠] .

وقد اختلف السلف والمفسرون في المراد بهذه (الربوة) التي ذكر الله من صفتها أنها ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ ، وهذه صفةٌ غريبةُ الشكل ، وهي أنها ربوة ، وهو المكان المرتفع من الأرض الذي أعلاه مستوٍ يقرُّ عليه وارتفاعه متسعٌ ، ومع علوّه فيه عيون[٤] الماء ، (معين) وهو الجاري السارح على وجه الأرض ، فقيل : المراد المكان الذي وَلَدت فيه المسيح ، وهو نخلة بيت المقدس ولهذا ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم : ٢٤] ، وهو النهر الصغير في قول جمهور السّلف[٥] . وعن ابن عباس بإسناد جيد أنها أنهار دمشق [فلعلّه أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق][٦] . وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقَّاه عنهم والله أعلم .

وقيل : هي الرملة[٧] .

---

(١) أخرجه ابن عدي في ترجمة إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي من الكامل (١/ ٢٩٩) .
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٩٢) .
(٣) تاريخ الطبري (١/ ٥٩٧) . ومختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٩٤) .
(٤) في ب عين من الماء .
(٥) في تفسير الطبري (١٦/ ٥٣) . عدة آراء في تفسير (السري) .
(٦) ليست في ب .
(٧) أي : الربوة . تفسير الطبري (١٨/ ٢٠ ـ ٢١) .

وقال إسحاق بن بشر : قال لنا إدريس ، عن جدّه وهب بن منبه قال : إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا ، قال : فقدم عليه يوسف ابن خال أمّه ، فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى إيليا ، وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل ، وعلّمه التوراة ، وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الأسقام ، والعلم بالغيوب مما يدَّخرون في بيوتهم ، وتحدّث الناس بقدومه ، وفزعوا لما كان يأتي من العجائب ، فجعلوا يعجبون منه ، فدعاهم إلى الله ، ففشا فيهم أمره(١) .

***

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٩٤) .

[بَيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها][(١)]

قال[(٢)] أبو زرعة الدمشقي : حدّثنا عبد الله بن صالح ، حدّثني معاوية بن صالح عمّن حدّثه قال : أُنزلت التوراة على موسى في ست ليال خلون من شهر رمضان . ونزل الزبور على داود في اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وكذلك بعد التوراة بأربع مئة سنة واثنتين وثمانين سنة . وأنزل الإنجيل على عيسى ابن مريم في ثمانية عشرة ليلة خلت من رمضان . بعد الزبور بألف عام وخمسين عاماً . وأنزل الفرقان على محمد ﷺ في أربع وعشرين من شهر رمضان . وقد ذكرنا في « التفسير »[(٣)] عند قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٥] الأحاديث الواردة في ذلك ، وفيها أن الإنجيل أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام في ثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

وذكر ابن جرير في « تأريخه »[(٤)] أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنةً ، ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وقال إسحاق بن بشر : وأخبرنا سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، ومقاتلٌ عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة قال : أوحى الله عزّ وجل إلى عيسى ابن مريم : يا عيسى جُـدَّ في أمري ولا تَهِن ، واسمع وأطع . يا ابن الطاهرة البِكر البَتُوْل إنك من غير فحل ، وأنا خلقتك آيةً للعالمين ، إياي فاعبد ، وعليَّ فتوكل ، خُذِ الكتاب بقوة ، فَسِّر لأهل السريانية[(٥)] بلِّغ من بين يديك أني أنا الحق[(٦)] الحي القائم الذي لا أزول . صَدِّقوا النبيَّ الأميَّ العربيَّ صاحبَ الجملِ والتاجِ ـ وهي العمامة[(٧)] ـ والمِدْرَعة[(٨)] والنعلين والهِراوة ـ وهي القضيب ـ الأنجلَ[(٩)] العينين ، الصلتَ الجبين[(١٠)] ، الواضحَ الخدّين ، الجعدَ الرأس ، الكثَّ اللحية ، المقرونَ الحاجبين ، الأقْنَى[(١١)] الأنف ، المفلَّجَ

---

(١) زيادة من ط . وهو في حاشية أ . ولم يرد في ب .
(٢) في أ و ب : وقال .
(٣) (١/ ٢١٥) وما بعدها . والخبر في مختصر ابن عساكر (٢٠/ ٩٥) .
(٤) (١/ ٥٩٨) .
(٥) قوله : السريانية ، زيادة من ب ، وهي كذلك في مختصر ابن عساكر .
(٦) ليست في ب .
(٧) يقولون : إن العمائم هي تيجان العرب . اللسان (عمم) .
(٨) المدرعة : ثوب من صوف .
(٩) النَّجَلُ : سعة العينين .
(١٠) الصلت : الواضح الجبين ، البارز المستوي .
(١١) قنا الأنف : ارتفاع أعلاه ، واحديداب وسطه ، وضيق المنخرين .

الثنايا ، البادي العَنْفَقَة[(١)] ، الذي كأن عنقه إبريق فضة ، وكأن الذهب يجري في[(٢)] تراقيه ، له شعرات من لَبَّتِه[(٣)] إلى سُرَّته ، تجري كالقضيب ، ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره ، شثن[(٤)] الكف والقدم ، إذا التفتَ التفتَ جميعاً ، وإذا مشى كأنما يتقلَّع من صخر ويتحدّر من صَبَب[(٥)] . عرَقه في وجهه كاللؤلؤ ، وريح المسك يَنْفَحُ منه ، ولم يُرَ قبلَه ولا بعده مثلُه . الحسنَ القامة ، الطيّبَ الريح ، نَكّاحَ النساء ، ذا النسل القليل ، إنما نسله من مباركةٍ لها بيت - يعني في الجنة - من قصب لا نصب فيه ولا صخب[(٦)] ، تكفله يا عيسى في آخر الزمان ، كما كفل زكريا أمك ، له منها فَرَحان مستشهدان ، وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر . كلامه القرآن ، ودينه الإسلام ، وأنا السلام ، طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه[(٧)] .

قال[(٨)] عيسى : يا رب وما طوبى ؟ قال : غرس شجرة[(٩)] أنا غرستها بيدي ، فهي للجنان كلّها ، أصلها من رضوان ، وماؤها من تَسْنيم ، وبردها برد الكافور ، وطعمها طعم الزنجبيل ، وريحها ريح المسك ، مَنْ شرب منه[(١٠)] شربة لم يظمأ بعدها أبداً . قال عيسى : يا رب اسقني منها . قال : حرامٌ على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي ، وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى تشرب منها أمة ذلك النبي . قال : يا عيسى أرفعك إليّ . قال : ربِّ ولم ترفعني ؟ قال : أرفعك ، ثم أُهبِطُك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب ، ولتعينهم على قتال اللعين الدجّال . أُهبطك في وقت صلاةٍ ، ثمّ لا تصلي بهم لأنها أمةٌ[(١١)] مرحومة ، ولا نبي بعد نبيهم .

وقال هشام بن عمار ، عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن أبيه : إن عيسى قال : يا رب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة . قال : أمّة أحمد ، هم علماء حكماء كأنهم أنبياء ، يرضون مني بالقليل من العطاء ، وأرْضى منهم باليسير من العمل ، وأدخلهم الجنة بلا إلّه إلا الله . يا عيسى هم أكثر

---

(١) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .
(٢) في ب : من .
(٣) اللبة : المنحر من الرقبة .
(٤) شثن الكف : خشونته وغلظه .
(٥) الصبب : تصوب نهر أو طريق يكون في حدور .
(٦) في ب : لا صخب فيه ولا نصب . والنصَب : التعب .
(٧) مختصر ابن عساكر (٢٠/ ٩٥ - ٩٦) .
(٨) زاد في ط . عنواناً وهو في حاشية أ . ولم يرد في ب ، وهو : بيان شجرة طوبى ما هي .
(٩) زاد في ب : في الجنة .
(١٠) في ب : منها ، والتسنيم : قيل هو ماء في الجنة .
(١١) قوله : أمة . ليست في ط . والخبر تتمة للسابق في مختصر ابن عساكر (٢٠/ ٩٦) .

سكان الجنة ؛ لأنه لم تذِلّ ألسنُ قوم قط بلا إلَه إلا الله كما ذلّت ألسنتهم ، ولم تذلّ رقابُ قومٍ قط بالسجود كما ذلّت به رقابهم . رواه ابن عساكر[١] .

وروى ابن عساكر[٢] من طريق عبد الله بن بديل العقيلي ، عن عبد الله بن عَوْسَجة قال : أوحى الله إلى عيسى ابن مريم : أنزلني من نفسك كهمِّك ، واجعلني ذخراً لك في مَعادك ، وتقرَّب إليَّ بالنوافل أُحببك ، ولا تَوَلَّ غيري فأخذلَك . اصبر على البلاء ، وارض بالقضاء ، وكن لمسرتي فيك ، فإن مسرتي أن أُطاع فلا أُعصى ، وكن مني قريباً ، وأحي ذِكري بلسانك ، ولتكن مودَّتي في صدرك ، تيقّظ من ساعات الغفلة ، واحكم في لطيف الفطنة ، وكن لي راغباً راهباً ، وأمِتْ قلبَك في الخشية لي ، وراعِ الليل لحقِّ مسرَّتي ، وأظْمِ نهارَك ليوم الريِّ عندي . نافس في الخيرات جهدَك ، واعترف بالخير حيث توجهت ، وقم في الخلائق بنصيحتي ، واحكم في عبادي بعدلي ، فقد أنزلت عليك شفاء وسواس الصدور من مرض النسيان ، وجلاء الأبصار من عَشَا الكلال . ولا تكن حَلْسا[٣] كأنك مقبوض ، وأنت حي تنفس . يا عيسى ابن مريم ما آمنت بي خليقةٌ إلا خشعت ، ولا خشعت لي إلا رَجَت ثوابي ، فأُشهدكَ أنها آمنة من عقابي ما لم تغيِّر أو تبدِّل سنَّتي . يا عيسى ابن مريم البِكْرِ البَتُول ، ابْكِ على نفسِكَ أيامَ الحياةِ بُكاءَ مَنْ ودَّعَ الأهلَ وقَلَى الدنيا وتَرَكَ اللذات لأهلها وارتفعت رغبته فيما عند إلَهه ، وكن في ذلك تُلين الكلامَ وتفشي السلام . وكن يقظان إذا نامت عيون الأبرار ، حذار ما هو آتٍ من أمر المعاد وزلزال شدايد الأهوال قبل أن لا ينفع أهل ولا مال ، واكحل عينك بمُلْمُول[٤] الحزن إذا ضحك البطَّالون ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، وطوبى لك إن نالك ما وعدتُ الصابرين . زَجِّ من الدنيا بالله[٥] ، يوم بيوم ، وذق مذاقه ما قد هرب منك أين طعمه ؟ وما لم يأتك كيف لذته ، فزجّ من الدنيا بالبُلْغة[٦] ، وليكفك منها الخشن الجَشِيب[٧] ، قد رأيت إلى ما يصير . اعمل على حساب فإنك مسؤول ولو رأت عينك[٨] ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهَقَت نفسك .

وقال أبو داود في كتاب « القدر »[٩] : حدّثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا

---

(١) مختصر ابن عساكر (٢٠/ ٩٦) .
(٢) مختصر ابن عساكر (٢٠/ ٩٧) .
(٣) العشا : سوء البصر ، أو العمى . والحلس : الملازم الذي لا يبرح مكانه .
(٤) في الأصل : بملول . وهو سهو . والمُلْمُول : المكحال يكتحل به .
(٥) تزجى بالشيء : اكتفى به .
(٦) البلغة : ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها .
(٧) في ط : الجثيث . وهو خطأ . والجشيب : الخشن الغليظ البشع من كل شيء .
(٨) في ط : عيناك .
(٩) من كتب أبي داود التي لم تصل إلينا .

معمر عن الزهري عن ابن طاووس عن أبيه قال : لقي عيسى ابن مريم إبليس فقال : أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب لك ، قال إبليس : فارق بذروة هذا الجبل فتردّى منه فانظر تعيش[١] أم لا ، فقال ابن طاووس عن أبيه . فقال عيسى : أما علمت أن الله قال : لا يجرِّبني عبدي فإني أفعل ما شئت . وقال الزهري : العبد لا يبتلي ربَّه ، ولكنَّ الله يبتلي عبدَه[٢] .

قال أبو داود : حدّثنا أحمد بن عبدة ، أخبرنا سفيان ، عن عمرو ، عن طاووس قال : أتى الشيطانُ عيسى ابن مريم فقال : أليس تزعم أنك صادقٌ ؟ فأْتِ هُوَّةً فألقِ نفسَك . قال : ويلك أليس قال الله : يا ابن آدم لا تسألني هلاكَ نفسك فإني أفعل ما أشاء .

وحدّثنا أبو توبة الربيعُ بن نافع ، حدّثنا حسين بن طلحة ، سمعت خالد بن يزيد قال : تعبَّد الشيطان مع عيسى عشر سنين ، أو سنتين ، أقام يوماً على شفير جبل ، فقال الشيطان : أرأيت إن ألقيتُ نفسي هل يصيبني إلا ما كُتب لي ؟ قال : إني لست بالذي أبتلي ربي ، ولكن ربي إذا شاء ابتلاني ، وعرفه أنه الشيطان ففارقه[٣] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا شريح بن يونس ، حدّثنا علي بن ثابت ، عن خطاب[٤] بن القاسم ، عن أبي عثمان قال : كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل ، فأتاه إبليس فقال : أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدرٍ ؟ قال : نعم . قال : ألقِ نفسَك من هذا الجبل وقل : قُدِّرَ عليّ . فقال : يا لعين ! اللهُ يختبِرُ العبادَ ، وليس العبادُ يختبرون الله عز وجل[٥] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا الفضل بن موسى البصري ، حدّثنا إبراهيم بن بشّار ، سمعت سفيان بن عيينة يقول : لقي عيسى ابن مريم إبليس ، فقال له إبليس : يا عيسى ابن مريم الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلّمت في المهد صبياً . ولم يتكلّم فيه أحد قبلك ، قال : بل الربوبية للإلّه الذي أنطقني ثمّ يميتني ثمّ يحييني . قال : فأنت الذي بلغ من عِظَم ربوبيتك أنك تحيي الموتى ؟ قال : بل الربوبية لله الذي يحيي ويُميت من أحييتُ ثم يحييه ، قال : والله إنك لإلّه في السماء وإلّه في الأرض . قال : فَصَكَّه جبريلُ صكةً بجناحه[٦] فما تناهى[٧] دون قرون الشمس ، ثمّ صكّه أخرى بجناحه فما تناهى دون العين الحامية ،

---

(١) في ط : هل تعيش .
(٢) الخبر في مختصر ابن عساكر (٢٠/٩٨) .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/٩٨) .
(٤) كذا في ب . وفي أ . وط : الخطاب .
(٥) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/٩٨) .
(٦) في ط : بجناحيه .
(٧) في ط : فما تباها .

ثم صكّه أخرى فأدخله بحار السابعة فأساخه ، وفي رواية فأسلكه فيها حتى وجد طعم الحمأة[(١)] ، فخرج وهو يقول : ما لقي أحدٌ من أحد ما لقيتُ منك يا ابن مريم[(٢)] .

وقد روي نحو هذا بأبسط منه من وجه آخر ، فقال الحافظ أبو بكر الخطيب : أخبرني أبو الحسن بن رزقويه ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن سندي[(٣)] ، حدّثنا أبو محمد الحسن بن علي القطان[(٤)] ، حدّثنا إسماعيل بن عيسى العطار ، أخبرنا علي بن عاصم ، حدّثني أبو سلمة سويد عن بعض أصحابه قال : صلّى عيسى ببيت المقدس ، فانصرف ، فلما كان ببعض العقبة عرض له إبليس ، فاحتبسه ، فجعل يعرض عليه ويكلّمه ويقول له : إنه لا ينبغي لك أن تكون عبداً ، فأكثر عليه . وجعل عيسى يحرص على أن يتخلّص منه ، فجعل لا يتخلّص منه ، فقال له فيما يقول : لا ينبغي لك يا عيسى أن تكون عبداً . فقال : فاستغاث عيسى بربّه ، فأقبل جبريل وميكائيل ، فلما رآهما إبليس كَفَّ ، فلما استقرا[(٥)] معه على العقبة اكتنفا عيسى ، وضرب جبريلُ إبليس بجناحه فقذفه في بطن الوادي . قال : فعاد إبليس معه وعلم أنهما لم يؤمرا بغير ذلك ، فقال لعيسى : قد أخبرتك أنه لا ينبغي أن تكون عبداً ، إنَّ غَضَبَكَ ليس بغضب عبد ، وقد رأيت ما لقيت منك حين غضبت ، ولكن أدعوك إلى أمر هو لك ؛ آمر الشياطين فليطيعوك ، فإذا رأى البشر الشياطين أطاعوك عبدوك ، أما إني لا أقول أن تكون إلّهاً ليس معه إلّه ، ولكن الله يكون إلّهاً في السماء وتكون أنت إلّهاً في الأرض . فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث بربّه وصرخَ صرخةً شديدةً ، فإذا إسرافيل قد هَبَطَ ، فنظر إليه جبريل وميكائيل ، فكفّ إبليس ، فلما استقر معهم ضرب إسرافيلُ إبليسَ بجناحه فَصَكَّ به عَيْنَ الشمسِ ، ثمّ ضربه ضربة أخرى فأقبل إبليس يهوي ، ومر بعيسى وهو بمكانه فقال : يا عيسى لقد لقيت فيك اليوم تعباً شديداً ، فَرُمي به في عين الشمس فوجد سبعة أملاك عند العين الحامية[(٦)] ، قال : فَغَطّوه ، فجعل كلّما خرج[(٧)] غطّوه في تلك الحمأة ، قال : والله ما عاد إليه بعد[(٨)] .

---

(١) في ط : فخرج منها . والحمأة : الطين الأسود المنتن .

(٢) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٩٨) .

(٣) في ط: «سبدي» وهو تصحيف، والتصحيح من تاريخ الخطيب (٥/ ٣٠٤) (ط. الدكتور بشار) ومادة «السندي» من أنساب السمعاني، قال الخطيب: «حدثنا عنه ابن رزقويه بكتاب «المبتدأ» تصنيف أبي حذيفة البخاري وبغيره» وذكر سماعه من الحسن القطان .

(٤) هو المعروف بابن علويه المتوفى سنة ٢٩٨هـ، كما في تاريخ الخطيب (٨/ ٣٦٧ـ ٣٦٨) .

(٥) في ط . . . استقر . وفي مختصر تاريخ دمشق : فلما استقر معهم على العقبة .

(٦) في ب : الخامسة .

(٧) كذا في ب . وأ وط صرخ .

(٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٩٨) .

قال : وحدّثنا إسماعيل العطار ، حدّثنا أبو حُذيفة[١] قال : واجتمع إليه شياطينه فقالوا : سيدَنا لقد لقيت تعباً . قال : إن هذا عبدٌ معصوم ليس لي عليه من سبيل ، وسأضلّ به بشراً كثيراً ، وأبثّ فيهم أهواءً مختلفة ، وأجعلهم شيعاً ، ويجعلونه وأمَّه إلَهين من دون الله[٢] .

قال : وأنزل الله فيما أيّدَ بِهِ عيسى وعَصَمه من إبليس قرآناً ناطقاً بذكر نعمته على عيسى فقال : ﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾ يعني إذ قَوَّيْتُك بروح القُدُس يعني جبريل ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ ﴾ . . . الآية كلها [المائدة : ١١٠] ، وإذ جعلتُ المساكين لكَ بِطانةً وصحابةً وأعواناً ترضى بهم ، وصحابةً وأعواناً يَرضَون بك هادياً وقائداً إلى الجنة ، فذلك ـ فاعلم ـ خُلُقان عظيمان من لقيني بهما فقد لقيني بأزكى الخلائق وأرضاها عندي . وسيقول لك بنو إسرائيل : صُمنا فلم يُتقَبَّل صيامُنا ، وصلّينا فلم تُقبل صلاتُنا ، وتصدَّقنا فلم تُقبل صدقاتنا ، وبكينا بمثل حنين الجمال فلم يُرْحَم بكاؤنا ، فقل لهم : ولم ذلك ، وما الذي يمنعني إنْ ذَاتُ يدي قلَّتْ ، أَوَلَيْسَ خزائنُ السموات والأرض بيدي أُنْفق منها كيف أشاء ؟! وإن البخل لا يعتريني[٣] أولست أَجْوَدَ من سُئل ، وأوسع من أعطى ، أو إن رحمتي ضاقت ، وإنما يتراحم المتراحمون بفضل رحمتي ، ولولا أن هؤلاء القوم يا عيسى ابن مريم عدّوا أنفسهم بالحكمة التي تورث في قلوبهم ما استأثروا به الدنيا أثره على الآخرة لعرفوا من أين أُتُوا ، وإذاً لأيقنوا أن أنفسهم هي أعدَى الأعداء لهم ، وكيف أقبل صيامهم وهم يتقوّون عليه بالأطعمة الحرام ؟! وكيف أقبل صلاتهم وقلوبهم تركن إلى الذين يحاربونني ويستحلُّون محارمي ؟! وكيف أقبل صدقاتهم وهم يغصبون الناس عليها فيأخذونها من غير حلّها ؟! يا عيسى إنما أجزي عليها أهلها . وكيف أرحم بكاءهم وأيديهم تقطرُ من دماءِ الأنبياء ! ازددت عليهم غضباً . يا عيسى وقضيت يوم خلقتُ السمواتِ والأرضَ أنه من عبدني وقال فيكما بقولي أن أجعلهم جيرانك في الدار ورفقاءك في المنازل ، وشركاءك في الكرامة . وقضيت يوم خلقت السمواتِ والأرضَ أنه من اتخذك وأمَّك إلَهين من دون الله أن أجعلهم في الدركِ الأسفل من النار ، وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أني مثبت هذا الأمر على يدي عبدي محمد ، وأختم به الأنبياء والرسل ، ومولده بمكة ، ومهاجره بِطَيْبَةَ ، وملكه بالشام . ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صَخّاب[٤] في

---

(١) هو إسحاق بن بشر بن محمد، أبو حذيفة البخاري المتوفى سنة ٢٠٦هـ، وصاحب كتاب «المبتدأ» أحد الكذابين المشهورين، قال الخطيب: «حدث عن . . . وخلق من أئمة أهل العلم أحاديث باطلة» (تاريخه ٧/ ٣٣٧) .

(٢) ليست في ب . والخبر تتمة للسابق في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٩٩) .

(٣) في ب : أو إن البخل يعتريني .

(٤) كذا في ب . وفي أ وط : سخاب ، وهو من الصخب أيضاً .
تاج العروس (سخب) ، وفي أساس البلاغة : يقال : وهو صخاب في الأسواق .

الأسواق ، ولا مُزر[١] بالفحش ، ولا قَوَّال بالخنا ، أسدّده لكلّ أمر جميل ، وأهب له كلّ خُلُق كريم ، وأجعل التقوى ضميرَه ، والحكمَ معقوله ، والوفاءَ طبيعته ، والعدلَ سيرته ، والحقَّ شريعته ، والإسلامَ مِلَّته . اسمُه محمد ، أهدي به بعد الضلالة ، وأُعلّم به بعد الجهالة ، وأُغني به بعد العائلة ، وأرفع به بعد الضَّعَة ، أهدي به ، وأفتح به بين آذان صم وقلوب غُلف وأهواء مختلفة متفرّقة . أجعل أمته خيرَ أمّةٍ أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، إخلاصاً لاسمي وتصديقاً لما جاءت به الرسل . ألهمهم التسبيح والتقديس والتهليل في مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومتقلّبهم ومثواهم ، يصلّون لي قياماً وقعوداً وركّعاً وسجوداً ، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً ، قُرُباتهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، وقربانهم في بطونهم ، رهبانٌ بالليل ، ليوث في النهار ، ذلك فضلي أُوتيه من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم[٢] .

وسنذكر ما يصدّق كثيراً من هذا السياق . مما سنورده من سورتي المائدة والصف إن شاء الله ، وبه الثقة .

وقد روى أبو حذيفة إسحاق بن بشر بأسانيده عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وابن عباس وسلمان الفارسي ، دخل حديثُ بعضهم في بعض قالوا : لما بُعث عيسى ابن مريم وجاءهم بالبينات ، جعل المنافقون والكافرون من بني إسرائيل يعجبون منه ويستهزئون به ، فيقولون : ما أكل فلانٌ البارحة ؟ وما ادّخَر في منزله ؟ فيخبرهم ، فيزداد المؤمنون إيماناً والكافرون والمنافقون شكّاً وكفراناً ، وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل يأوي إليه ، إنما يسيح في الأرض ليس له قرار ولا موضع يُعرف به ، فكان أول ما أحيا من الموتى أنه مرَّ ذات يوم على امرأة قاعدةٍ عند قبرٍ وهي تبكي ، فقال لها : مالك أيتها المرأة ؟ فقالت : ماتت ابنة لي لم يكن لي ولد غيرها ، وإني عاهدت ربي أن لا أبرح من موضعي هذا حتى أذوق ما ذاقت من الموت أو يحييها الله لي[٣] فأنظر إليها ، فقال لها عيسى : أرأيتِ إن نظرتِ إليها أراجعة أنت ؟ قالت : نعم . قالوا : فصلّى ركعتين ، ثمّ جاء فجلس عند القبر ، فنادى يا فلانة قومي بإذن الرحمن فاخرجي ، قال : فتحرّك القبر ، ثمّ نادى الثانية فانصدع القبر بإذن الله ، ثمّ نادى الثالثة فخرجت وهي تنفض رأسها من التراب ، فقال لها ما بطَّأ بكِ عني[٤] ؟ فقالت : لمَّا جاءتني الصيحة الأولى بَعثَ الله لي مَلَكاً فركَّبَ خَلْقي ، ثمّ جاءتني الصيحة الثانية فرجَّع إليّ روحي ، ثمّ جاءتني الصيحة الثالثة فخِفت أنها

---

(١) في مختصر تاريخ دمشق : ولا متزين بالفحش . وفي بعض النسخ المطبوعة : ولا يتَّزر .

(٢) مختصر تاريخ دمشق : (٢٠/ ٩٩ ـ ١٠٠) .

(٣) كذا في ب ط . وفي أ : يهيئها . وقوله : لي ليس في ب .

(٤) في ط : أبطأ وكلاهما صحيح . يقال أبطأ به ، وبطّأ به .
وفي ب : ما بدا لك فقالت .

صيحةُ القيامة فشاب رأسي وحاجباي وأشفار عينيّ من مخافة القيامة ، ثمّ أقبلت على أمها فقالت : يا أُمّاه ما حملك على أن أَذُوقَ كَرْبَ الموت مرّتين ، يا أُمّاه اصبري واحتسبي فلا حاجة لي في الدنيا ، يا روحَ اللهِ وكلمتَهُ ، سل ربي أن يردّني إلى الآخرة ، وأن يهوّن عليَّ كرب الموت ، فدعا ربّه ، فقبضها إليه واستوت عليها الأرض . فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه[1] غضباً .

وقدّمنا في عقيب قصّة نوح[2] أن بني إسرائيل سألوه أن يحيي لهم سام بن نوح ، فدعا الله عز وجل وصلّى لله[3] فأحياه الله لهم ، فحدّثهم عن السفينة وأمرها ، ثمّ دعا فعاد تراباً .

وقد روى السُّدّي عن أبي صالح ، وأبي مالك عن ابن عباس في خبر ذكره ، وفيه أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل مات وحمل على سريره ، فجاء عيسى عليه السلام ، فدعا الله عز وجل ، فأحياه الله عز وجل فرأى الناس أمراً هائلاً ومنظراً عجيباً ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة : ١١٠ ـ ١١١] .

يذكّره تعالى بنعمته عليه وإحسانه إليه في خَلْقه إياه من غير أبٍ ، بل من أُمّ بلا ذَكَرٍ ، وجَعْلِهِ له آيةً للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى ، ثمّ إرساله بعد هذا كلّه ﴿ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ في اصطفائها واختيارها لهذه النعمة العظيمة ، وإقامة البرهان على براءتها مما نسبها إليه الجاهلون ، ولهذا قال : ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ وهو جبريل بإلقاء روحه إلى أمه ، وقرنه معه في حال رسالته ومدافعته عنه لمن كفر به ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ أي تدعو الناس إلى الله في حال صغرك في مهدك وفي كهولتك ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي الخط والفهم ، نص عليه بعض السلف[4] ﴿ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى ﴾ أي تصوّره وتشكّله من الطين على هيئته[5] عن أمر الله له بذلك ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾ أي بأمري ، يؤكّد تعالى بذكرِ الإذْن له في ذلك لرفع التوهّم .

وقوله : ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ قال بعض السلف : وهو الذي يولد أعمى ولا سبيل لأحد من الحكماء

(١) ليست في ب . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٠١ ـ ١٠٢) .
(٢) في الجزء الأول .
(٣) زاد في ب : ركعتين .
(٤) تفسير الطبري (٧/ ٨٣) .
(٥) في ب : هيئة الطير .

إلى مداواته . ﴿ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ هو الذي لا طِبَّ فيه ، بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عُضالاً . ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي من قُبُورهم أحياءً بإذني .

وقد تقدم ما فيه دلالة على وقوع ذلك مراراً متعددةً مما فيه كفاية .

وقوله : ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وذلك حين أرادوا صلبه ، فرفعه الله إليه وأنقذه من بين أظهرهم صيانة لجنابه الكريم عن الأذى ، وسلامة لهم من الردى .

وقوله : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ قيل : المراد بهذا الوحي وحْي إلهامٍ ، أي : أرشدهم الله إليه ودلهم عليه كما قال : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل : ٦٨] . ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [القصص : ٧] . وقيل : المراد وحي بواسطة الرسول وتوفيق في قلوبهم لقبول الحق ، ولهذا استجابوا قائلين ﴿ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾(١) .

وهذا من جملة نِعم الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم أن جعل له أنصاراً وأعواناً وحواريين(٢) ينصرونه ويدعون معه إلى عبادة الله وحدَه لا شريك له ، كما قال تعالى لعبده محمد ﷺ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٢ ـ ٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٨ ـ ٥٤] .

كانت معجزة كلّ نبي في زمانه بما يناسب أهلَ ذلك الزمان ، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه ، وكانوا سحرةً أذكياء ، فبُعِثَ بآياتٍ بهرتِ الأبصار وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرةُ خبيرين بفنون السحر وما ينتهي إليه ، وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٨٣) .

(٢) قوله : وحواريين . ليست في ط .

الذي لا يمكن صدوره إلاّ عَمَّنْ أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقاً له ، أسلموا سراعاً ولم يتلعثموا[(١)] .

وهكذا عيسى ابن مريم بُعث في زمن الطبائعية الحكماء ، فأُرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها ، وأنّى لحكيم إبراء الأكْمَه الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى والأبرص والمجذوم ومن به مرضٌ مزمن ؟! وكيف يتوصل أحدٌ من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره ؟! هذا مما يعلم كلُّ أحد أنه معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله .

وهكذا محمد ﷺ وعليهم أجمعين بُعث في زمن الفصحاء البلغاء ، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] فلفظه معجز تحدّى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله[(٢)] ، أو بعشر سور من مثله[(٣)] ، أو بسورة[(٤)] ، وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون لا في الحال ولا في الاستقبال (فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا) وما ذاك إلا لأنه كلام الخالق عز وجل ، والله تعالى لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

والمقصود أن عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم ، فانتدب له من بينهم طائفة صالحة ، فكانوا له أنصاراً وأعواناً قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته ، وذلك حين هَمَّ به بنو إسرائيل ووشَوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان ، فعزموا على قتله وصلبه ، فأنقذه الله منهم ورفعه إليه من بين أظهرهم ، وألقى شبهه على أحد أصحابه ، فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى ، وهم في ذلك غالطون وللحق مكابرون ، وسَلَّم لهم كثيرٌ من النصارى ما ادّعوه ، وكلا الفريقين في ذلك مخطئون . قال تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ إلى أن قال بعد ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ

(١) التلعثم : الانتظار .

(٢) قال الله تعالى في سورة الإسراء (٨٨) : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ .

(٣) قال عز وجل في سورة هود (١٣) : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

(٤) قال تبارك وتعالى في سورة البقرة (٢٣ ـ ٢٤) : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف : ٦ ـ ١٤] فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد قام فيهم خطيباً فبشَّرهم بخاتم الأنبياء الآتي بعدَه ، ونوَّه باسمه ، وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه إذا شاهدوه ، إقامةً للحُجَّة عليهم وإحساناً من الله إليهم كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

قال محمد بن إسحاق : حدّثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى . ورأتْ أمّي حِيْنَ حَمَلتْ بي كأنّه خَرَجَ منها نورٌ أضاءَتْ لَهُ قُصورُ بُصْرَى من أرضِ الشامِ »[(١)] .

وقد رُوي عن العِرْباض[(٢)] بن سارية وأبي أمامة عن النبي ﷺ نحو هذا[(٣)] ، وفيه « دعوة إبراهيم وبشرى عيسى » وذلك أن إبراهيم لما بنى الكعبة قال : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ الآية : [البقرة : ١٢٩] . ولما انتهت النبوة في بني إسرائيل إلى عيسى قام فيهم خطيباً ، فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم ، وأنها بعده في النبي العربي الأميِّ خاتم الأنبياء على الإطلاق أحمد ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي هو من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم السلام . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف : ٦] يحتمل عود الضمير إلى عيسى عليه السلام ، ويحتمل عوده إلى محمد ﷺ، ثمّ حَرَّض تعالى عباده المؤمنين على نُصرة الإسلام وأهله ، ونُصرةِ نبيه ومؤازرته ومعاونته على إقامة الدين ونشر الدعوة فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي من يساعدني[(٤)] في الدعوة إلى الله ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ وكان ذلك في قرية يُقال لها: الناصرة ، فَسُمّوا بذلك النصارى . قال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ [الصف : ١٤] ، يعني لما دعا عيسى بني إسرائيل وغيرهم إلى الله تعالى ، منهم مَن آمن ، ومنهم

---

(١) هو في السيرة (١/ ١٧٥) . ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره ، والحاكم (٢/ ٦٠٠) والبيهقي في الدلائل (١/ ٨٣) وإسناده صحيح .

(٢) في ب : «روى العرباض ، وعن أبي أمامة» . وحديث العرباض بن سارية أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧) ومن طريقه أبو نعيم في الدلائل (١٠)، والبخاري في تاريخه الكبير (٦/ ٦٨) وابن حبان (٦٤٠٤)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٣٠) وغيرهم، وفيه سعيد بن سويد الكلبي مجهول الحال، وذكر الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة (ص١٥٢) أن البخاري قال: لم يصح حديثه هذا ، أقول : ولكن للحديث شواهد وطرق يقوى بها ، منها الذي قبله .

(٣) حديث أبي أمامة أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٢) ، وإسناده ضعيف . أقول : ويشهد له الذي قبله .

(٤) في ب : مساعدي .

من كفر ، وكان ممن آمن به أهل أنطاكية بكمالهم ، فيما ذكره غير واحد من أهل السير والتواريخ والتفسير[١] . بعث إليهم رسلاً ثلاثة أحدهم شمعون الصفا ، فآمنوا واستجابوا ، وليس هؤلاء هم المذكورين في سورة « يس » لما تقدم[٢] تقريره في قصّة أصحاب القرية، وكفر آخرون من بني إسرائيل وهم جمهور اليهود ، فأيّد الله من آمن به على مَن كفر فيما بعد ، وأصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ الآية : [آل عمران : ٥٥] فكل من كان إليه أقرب كان عالياً لمن[٣] دونه ، ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذي لا شك فيه ، من أنه عبد الله ورسوله ، كانوا ظاهرين على النصارى الذين غَلوا فيه وأطروه وأنزلوه فوق ما أنزله الله به ، ولما كان النصارى أقرب في الجملة مما ذهب إليه اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ كان النصارى قاهرين لليهود في أزمان الفترة إلى زمن الإسلام وأهله .

* * *

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٥٩) ، وتاريخه (١/ ٦٠٣) ، وتفسير القرطبي (١٨/ ٩٠) .
(٢) في الجزء الأول .
(٣) في أ وط : فمن . وأثبت ما في ب .

ذكر خبر المائدة

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٢ ـ ١١٥] .

قد ذكرنا في « التفسير »(١) الآثار الواردة في نزول المائدة عن ابن عباس ، وسلمان الفارسي ، وعمار بن ياسر ، وغيرهم من السّلف . ومضمون ذلك أن عيسى عليه السلام أمر الحواريّين بصيام ثلاثين يوماً ، فلما أتمّوها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها ، وتطمئن بذلك قلوبهم أنَّ الله قد تقبّل صيامهم وأجابهم إلى طلبتهم ، وتكون لهم عيداً يفطرون عليها يوم فطرهم ، وتكون كافية لأولهم وآخرهم ، لغنيِّهم وفقيرهم . فوعظهم عيسى في ذلك ، وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حقّ شروطها ، فأبوا عليه إلاّ أن يسأل لهم ذلك من ربّه عزّ وجلّ . فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مُصَلاّه ، ولبس مسحاً من شعر ، وصفّ بين قدميه ، وأطرقَ رأسه ، وأسبل عينيه بالبكاء ، وتضرّع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا ، فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تتحدر بين غمامتينِ ، وجعلت تدنو قليلاً قليلا ، وكلّما دنت سأل عيسى ربَّه عز وجل أن يجعلها رحمةً لا نقْمةً ، وأن يجعلها بركة وسلامة ، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مُغَطّاة بمنديل ، فقام عيسى فكشف عنها وهو يقول : (بسم الله خير الرازقين) ، فإذا عليها سبعة من الحيتان ، وسبعة أرغفة . وبُقُول وخلّ . ويُقال : ورمان وثمار ، ولها رائحةٌ عظيمة جدّاً ، قال الله لها : كوني ، فكانت . ثمّ أمرهم بالأكل منها ، فقالوا : لا نأكل حتى تأكل ، فقال : إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها ، فأبوا أن يأكلوا منها ابتداءً ، فأمر الفقراءَ والمحاويج والمرضى والزَّمْنَىٰ(٢) ، وكانوا قريباً من ألف وثلاثمئة ، فأكلوا منها ، فَبَرِىء كلُّ مَنْ به عاهة أو آفة أو مرض مزمن ، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك . ثمّ قيل : إنها كانت تنزل كلّ يوم مرّة ، فيأكل الناس منها ، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم ، حتى قيل : إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف . ثمّ كانت تنزل يوماً بعد يوم ، كما كانت

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/١١٦) ، وفي تفسير الطبري (٧/ ٨٤ ـ ٨٥) . ومختصر تاريخ دمشق (٢٠/١٠٦) وما بعدها .

(٢) في ب : والناس . والزمنى : المبتلون .

ناقة صالح يشربون لبنها يوماً بعد يوم . ثمّ أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج دون الأغنياء ، فشَقّ ذلك على كثير من الناس ، وتكلّم منافقوهم في ذلك ، فرفعت بالكُلّية ، ومسخ الذين تكلّموا في ذلك خنازير .

وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير جميعاً : حدّثنا الحسن بن قَزَعَة الباهلي ، حدّثنا سُفيان بن حبيب ، حدّثنا سعيد بن أبي عَروبة ، عن قَتادة ، عن خِلاس[١] ، عن عمار بن ياسر ، عن النبي ﷺ قال : « نزلت المائدة من السماء خُبز ولحم ، وأُمروا أن لا يخونوا ولا يدّخروا ولا يرفعوا لغد[٢] فخانوا وادّخروا ورفعوا فَمُسخوا قِردَة وخنازير »[٣] .

ثمّ رواه ابن جرير عن بندار[٤] ، عن ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خِلاس ، عن عمار ، موقوفاً ، وهذا أصح[٥] .

وكذا رواه من طريق سماك ، عن رجل من بني عجل ، عن عمار موقوفاً[٦] . وهو الصواب والله أعلم .

وخلاس عن عمار منقطع[٧] ، فلو صح هذا الحديث مرفوعاً لكان فيصلاً في القصة ، فإن العلماء اختلفوا في المائدة : هل نزلت أم لا . فالجمهور أنّها نزلت ، كما دلّت عليه هذه الآثار ، وكما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ، ولا سيّما قوله : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ كما قرره ابن جرير[٨] . والله أعلم .

وقد روى ابن جرير[٩] بإسناد صحيح إلى مجاهد ، وإلى الحسن بن أبي الحسن البصري أنهما قالا : لم تنزل ، وإنهم أبوا نزولها حين قال : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ . ولهذا قيل : إن النصارى لا يعرفون خبرَ المائدة ، وليس مذكوراً في كتابهم ، مع أن خبرها مما تتوفّر الدواعي على نقله . والله أعلم .

---

(١) في تفسير الطبري : جلاس بن عمرو . بالجيم ، وهو تصحيف . وخِلاس بن عمرو الهَجَري ثقة . من رجال التهذيب .

(٢) كذا في ط ، وفي تفسير الطبري . وهو الأشبه . وفي أ : أن لا يخونوا بغد ولا يدخروا . . وفي ب : أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا . . . وفي مختصر تاريخ دمشق : أن لا يخبؤوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد . . .

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٨٧) . وأورده عن عمار في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٠٧) .

(٤) هو محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري . ثقة . توفي سنة (٢٥٢هـ) . تقريب التهذيب (٢/ ١٤٧) .

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٨٧) .

(٦) المصدر السابق .

(٧) هكذا قال، وفي قوله نظر، فقد ذكر سماعه من عمار إمام أهل الصنعة محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه الكبير (٣/ الترجمة ٧٦٤)، وأبو زرعة الرازي (كما في الجرح والتعديل ٣/ الترجمة ١٨٤٤)، وناهيك بهما، ولذلك قال الحافظ ابن حجر في التقريب: «وقد صح أنه سمع من عمار» (وانظر التعليق على تهذيب الكمال ٨/ ٣٦٧) .

(٨) تفسيره (٧/ ٨٨) .

(٩) المصدر السابق .

وقد تقصينا الكلام على ذلك في « التفسير »[١] فليُكْتَب من هناك . ومن أراد مراجعته فلينظره من ثَمَّ . ولله الحمد والمنة .

فصلٌ

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا رجل سقط اسمه ، حدّثنا حجاج بن محمد ، حدّثنا أبو هلال محمد بن سليمان ، عن بكر بن عبد الله المزني[٢] قال : فقد الحواريون عيسى[٣] ، فقيل لهم : توجَّه نحو البحر ، فانطلقوا يطلبونه ، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو يمشي على الماء ، يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى ، وعليه كساء مُرتدٍ بنصفه ومؤتزر بنصفه ، حتى انتهى إليهم ، فقال له بعضهم ـ قال أبو هلال : ظننت أنه من أفاضلهم ـ : ألا أجيء إليك يا نبي الله ؟ قال : بلى . قال : فوضع إحدى رجليه على الماء ، ثمّ ذهب ليضع الأخرى فقال : أَوّه ، غرقت يا نبي الله ! فقال : أرني يدك يا قصير الإيمان ، لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء[٤] .

ورواه أبو سعيد بن الأعرابي ، عن إبراهيم بن أبي الجحيم ، عن سليمان بن حرب ، عن أبي هلال ، عن بكر ، بنحوه .

ثم قال ابن أبي الدنيا : حدّثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان ، حدّثنا إبراهيم بن الأشعث ، عن الفضيل بن عياض قال : قيل لعيسى بن مريم : يا عيسى بأي شيء تمشي على الماء ؟ قال : بالإيمان واليقين . قالوا : فإنا آمنا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت ، قال : فامشوا إذاً . قال : فمشوا معه في الموج ، فغرقوا ، فقال لهم عيسى : ما لكم ؟ فقالوا : خِفنا الموج . قال : ألا خفتم ربّ الموج . قال : فأخرجهم ، ثمّ ضرب بيده إلى الأرض فقبض بها ثمّ بسطها ، فإذا إحدى يديه ذهب ، وفي الأخرى مَدَر[٥] أو حصى ، فقال : أيهما أحلى في قلوبكم ؟ قالوا : هذا الذهب . قال : فإنهما عندي سواء[٦] .

وقدَّمنا في قصة يحيى بن زكريا[٧] عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ويأكل من

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١١٩) .
(٢) هو أبو عبد الله البصري . قال ابن حجر : ثقة . ثبت . جليل . من الثالثة ، مات سنة ست ومئة . تقريب التهذيب (١/ ١٠٦) .
(٣) في ب وط : نبيهم عيسى .
(٤) أورده ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٢) .
(٥) المدر : التراب المتلبّد .
(٦) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٣) .
(٧) ص (٢١٦) من هذا الجزء .

ورق الشجر ، ولا يأوي إلى منزل ولا أهل ولا مال ولا يدّخر شيئاً لغد . قال بعضهم : كان يأكل من غزل أمه ، صلوات الله وسلامه عليه .

وروى ابن عساكر[١] عن الشعبي أنه قال : كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول : لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ، ويسكت .

وعن عبد الملك بن سعيد بن بحر أن عيسى كان إذا سمع الموعظة صرخ صراخ الثكلى[٢] .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، حدّثنا جعفر بن بُرْقَان[٣] أن عيسى كان يقول : اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ، ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيري ، وأصبحت مرتَهناً بعملي ، فلا فقير أفقر مني ، اللهم لا تشمتْ بي عدوي ، ولا تَسُؤْ بي صديقي ، ولا تجعل مصيبتي في دِيني ، ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني[٤] .

وقال الفُضيل بن عياض ، عن يونس بن عُبيد : كان عيسى يقول : لا نصيب[٥] حقيقة الإيمان حتى لا نبالي من أَكَلَ الدنيا[٦] .

وقال الفضيل : وكان عيسى يقول : فكَّرت[٧] في الخلق ، فوجدت من لم يُخلق أغبط عندي ممن خُلق[٨] .

وقال إسحاق بن بشر ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن قال : إن عيسى رأس الزاهدين ، يؤمُّ الزاهدين يوم[٩] القيامة . قال : وإن الفرّارين بذنوبهم ، يُحشَرون يوم القيامة مع عيسى[١٠] .

قال : وبينما عيسى يوماً نائم على حجر قد توسّده ، وقد وجد لذة النوم ، إذ مرّ به إبليس فقال :

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٣) .
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٣) .
(٣) في الأصل : بلقان . وهو تحريف . وأثبت ما في مختصر ابن منظور ، وجعفر بن بُرقان الكلابي ، أبو عبد الله الرقي ، من الطبقة السابعة . قال ابن حجر : صدوق ، يهم في حديث الزهري . التقريب (١/ ١٢٩) . توفي سنة (١٥٠هـ) .
(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٣) .
(٥) في ب ، ومختصر تاريخ دمشق : لا يصيب أحد .
(٦) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٣) .
(٧) في ب : تفكرت .
(٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٤) .
(٩) قوله : يؤم الزاهدين : ليس في ب وط . ومختصر تاريخ دمشق .
(١٠) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٤) .

يا عيسى ألست تزعم أنك لا تريد شيئاً من عرض الدنيا ! فهذا الحجر من عرض الدنيا . فقام فأخذ الحجر ورمى به إليه وقال : هذا لك مع الدنيا[١] .

وقال معتمر بن سليمان : خرج عيسى على أصحابه وعليه جُبَّة صوف وكساءٌ وتُبَّان[٢] حافياً باكياً شعِثاً ، مصفرّ اللون من الجوع ، يابس الشفتين من العطش . فقال : السلام عليكم يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلتُ الدنيا منزلتها بإذن الله ، ولا عجب ولا فخر ، أتدرون أين بيتي ؟ قالوا : أين بيتك يا روح الله ؟ قال : بيتي المساجد ، وطيبي الماء ، وإدامي الجوع ، وسراجي القمر بالليل ، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس ، وريحاني بُقُول الأرض ، ولباسي الصوف ، وشعاري خوف رب العزة ، وجلسائي الزَّمنى[٣] ، والمساكين ، أُصبح وليس لي شيء ، وأمسي وليس لي شيء[٤] ، وأنا طيّب النفس غير مكترث ، فمن أغنى مني وأربح ! رواه ابن عساكر[٥] .

وروى في ترجمة محمد بن الوليد بن أبان بن حيان أبي الحسن العقيلي المصري : حدّثنا هانىء بن المتوكل الإسكندراني ، عن حَيْوة بن شُريح ، حدّثني الوليد بن أبي الوليد ، عن شُفَي بن ماتع[٦] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى : أن يا عيسى انتقل من مكان إلى مكان لئلا تُعرف فتؤذى ، فوعزتي وجلالي لأزوجنّك ألفَ حوراء ، ولأولمنَّ عليك أربعمئة عام[٧] .

وهذا حديث غريب رفعه ، وقد يكون موقوفاً من رواية شُفَي بن ماتع عن كعب الأحبار أو غيره من الإسرائيليين . والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن سفيان بن عيينة ، عن خلف بن حَوشب قال : قال عيسى للحواريين : كما ترك لكم الملوك الحكمة ، فكذلك فاتركوا لهم الدنيا[٨] .

وقال قتادة : قال عيسى عليه السلام : سلوني فإني ليّن القلب ، وإني صغير عند نفسي .

وقال إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال عيسى للحواريين : كلوا

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٤) .
(٢) التبان : سراويل صغير يستر العورة فقط .
(٣) الزمنى : المرضى المبتلون بدوام المرض .
(٤) قوله : وأمسي وليس لي شيء . سقط من ب .
(٥) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٦ ـ ١١٧) .
(٦) في ط : سفي بن نافع . وفيه تصحيف وتحريف . وشُفَي بن ماتع الأصبحي ممن رووا عن أبي هريرة ، وهو من الطبقة الثالثة ، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك . ووثقه ابن حجر . تقريب التهذيب (١/ ٣٥٣) .
(٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٩٨) .
(٨) أورده ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٧) ، عن سفيان بن عيينة .

خبز الشعير ، واشربوا الماء القَراح ، واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين ، بحق ما أقول لكم : إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ، وإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وإن عباد الله ليسوا بالمتنعِّمين ، بحق ما أقول لكم إن شركم عالم يؤثر هواه على علمه ، يود أن الناس كلّهم مثله[١] .

ورُوي نحوه عن أبي هريرة[٢] .

وقال أبو مصعب ، عن مالك أنه بلغه أن عيسى كان يقول : يا بني إسرائيل عليكم بالماء القَراح والبقل البَرِّي ، وخبز الشعير ، وإياكم وخبز البُرِّ ، فإنكم لن تقوموا بشكره[٣] .

وقال ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد قال : كان عيسى يقول : اعبروا الدنيا ولا تَعْمُروها . وكان يقول : حب الدنيا رأس كلّ خطيئة ، والنظر يزرع في القلب الشهوة .

وحكى وُهَيب بن الوَرْد مثله ، وزاد : ورُبّ شهوةٍ أورثت أهلها حُزناً طويلاً[٤] .

وعن عيسى عليه السلام : يا ابن آدم الضعيف ، اتقّ الله حيثما كنت ، وكن في الدنيا ضيفاً ، واتخذ المساجد بيتاً ، وعلّم عينك البكاء ، وجسدك الصبر ، وقلبك التفكر ، ولا تهتم برزق غد فإنها خطيئة[٥] .

وعنه عليه السلام أنه قال : كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتّخذ على موج البحر داراً فلا يتخذ الدنيا قراراً[٦] .

وفي هذا يقول سابق البربري[٧] : [من البسيط]

لكُم بيوتٌ بمستَنِّ السُّيوفِ وهَلْ ... يُبنَى على الماءِ بيتٌ أُسُّه مَدَرُ

وقال سفيان الثوري : قال عيسى بن مريم : لا يستقيم حبُّ الدنيا وحبُّ الآخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار في إناءٍ[٨] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٨) .
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٨) .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٨) .
(٤) المصدر السابق (٢٠/ ١١٩) .
(٥) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١١٨) ، وهو عن عتبة بن يزيد .
(٦) المصدر السابق (٢٠/ ١٢٠) .
(٧) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله ، شاعر أموي ، سكن الرقة ، ووفد على عمر بن عبد العزيز . واتصف شعره بالزهد والموعظة . توفي نحو سنة (١٠٠هـ) .
والبربري : لقب له ، وليس نسبة إلى البربر . ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٨٠) خزانة الأدب (٩/ ٥٣٢) والأعلام (٣/ ٦٩) .
(٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٢٠) .

وقال إبراهيم الحربي ، عن داود بن رُشيد ، عن أبي عبد الله الصوفي قال : قال عيسى[١] : طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر ؛ كلّما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله[٢] .

وعن عيسى عليه السلام : إن الشيطان مع الدنيا ، ومَكْرُهُ[٣] مع المال ، وتزيينه مع الهوى ، واستمكانه عند الشهوات[٤] .

وقال الأعمش ، عن خيثمة : كان عيسى يصنع الطعام لأصحابه ويقوم عليهم ويقول : هكذا فاصنعوا بالقرى[٥] .

وبه قالت امرأة لعيسى عليه السلام : طوبى لحِجْر [حملك ولثدي أرضعك . فقال : طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه .

وعنه : طوبى][٦] لمن بكى من ذكر خطيئته ، وحفظ لسانه ، ووسعه بيته[٧] .

وعنه : طوبى لعين نامت ولم تحدِّث نفسها بالمعصية ، وانتبهت إلى غير إثم[٨] .

وعن مالك بن دينار قال : مرّ عيسى وأصحابه بجيفة ، فقالوا : ما أنتن ريحَها ! فقال : ما أبيض أسنانَها ، لينهاهم عن الغيبة[٩] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا الحسين بن عبد الرحمن ، عن زكريا بن عدي قال : قال عيسى بن مريم : يا معشر الحواريين ارضوا بدَنيِّ الدُّنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بِدَنيِّ الدين مع سلامة الدنيا . قال زكريا : وفي ذلك يقول الشاعر : [من البسيط]

أرى رِجالاً بأدنى الدِّينِ قَدْ قَنِعوا ... ولا أَراهُم رَضُوا في العَيْشِ بالدّونِ
فاستَغْنِ بالدينِ عنْ دنيا الملوكِ كما ... اسْتغنَى الملوكُ بدُنياهُم عنِ الدِّينِ[١٠]

---

(١) في هامش ب : لعله : مثل .
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٢٠) .
(٣) في ط . وفكره من المال .
(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٢٠) .
(٥) في ب : تصنعوا بالفقراء . وفي ط : فاصنعوا بالقرى .
والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٢١) ، ونصه : إذا صنع الطعام ، فدعا القرّاء ، قام عليهم ثم قال : هكذا فافعلوا بالقراء .
(٦) سقطت من ب بنقلة عين . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٢١) .
(٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٢١) .
(٨) المصدر السابق .
(٩) المصدر السابق (٢٠/ ١٢٢) .
(١٠) أورده ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .

وقال أبو مصعب ، عن مالك : قال عيسى ابن مريم عليه السلام : لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله فتقسوَ قلوبكم ، فإن القلب القاسي بعيدٌ من الله ولكن لا تعلمون . ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب ، وانظروا فيها كأنكم عبيد ، فإنما الناس رجلان معافى ومبتلًى ، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية(١) .

وقال الثوري : سمعت أبي يقول ، عن إبراهيم التيمي قال : قال عيسى لأصحابه : بحقٍّ أقول لكم : من طلب الفردوس فخبز شعير له(٢) والنوم في المزابل مع الكلاب كثير(٣) .

وقال مالك بن دينار : قال عيسى : إن أكل الشعير مع الرَّماد ، والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس .

وقال عبد الله بن المبارك : أخبرنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد قال : قال عيسى : اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم ، انظروا لهذه الطير تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها ، فإن قلتم : نحن أعظم بطوناً من الطير ، فانظروا إلى هذه الأباقر(٤) من الوحوش والحمر فإنها تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها(٥) .

وقال صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبيد الله ، عن يزيد بن ميسرة قال : قال الحواريون للمسيح : يا مسيح الله انظر إلى مسجد الله ما أحسنه ، قال : آمين آمين بحقٍّ أقول لكم : لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً إلا أهلكه بذنوب أهله ، إن الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الأحجار التي تعجبكم شيئاً ، إنّ أحبَّ إلى الله منها القلوب الصالحة ، وبها يعمرُ الله الأرض ، وبها يخرب الله الأرض إذا كانت على غير ذلك(٦) .

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في « تاريخه » : أخبرنا أبو منصور أحمد بن محمد الصوفي ، أخبرتنا عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوَرْكانية(٧) ، قالت : حدّثنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله بن الهيثم إملاءً ، حدّثنا الوليد بن أبان إملاءً ، حدّثنا أحمد بن جعفر الرازي ، حدّثنا سهل بن

---

(١) المصدر السابق (٢٠/ ١٢٤) .

(٢) قوله : له . زيادة من ب ، وهي كذلك في مختصر ابن منظور .

(٣) زاد في ب : في حقه . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٢٤) .

(٤) في ط : الأباقير . وفي مختصر ابن منظور : الأنافر .

(٥) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٢٤) .

(٦) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٢٨) .

(٧) الوركانية : نسبة إلى محلة بأصبهان . وعائشة بنت الحسن هذه عالمة واعظة ، توفيت سنة (٤٦٣هـ) . اللباب (٣/ ٣٦١) .

إبراهيم الحنظلي ، حدّثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز ، عن المعتمر ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : مرّ عيسى عليه السلام على مدينة خربة فأعجبه البنيان ، فقال : أي ربّ مُر هذه المدينة أن تجيبني . فأوحى الله إلى المدينة : أيتها المدينة الخربة جاوبي عيسى . قال : فنادت المدينة عيسى : حبيبي وما تريد مني ؟ قال : ما فعل أشجارك ؟ وما فعل أنهارك ؟ وما فعل قصورك ؟ وأين سكانك ؟ قالت : حبيبي جاء وعد ربك الحق ، فيبست أشجاري ، ونشفت أنهاري ، وخربت قصوري ، ومات سكاني . قال : فأين أموالهم ؟ فقالت : جمعوها من الحلال والحرام موضوعة في بطني ، لله ميراث السموات والأرض . قال : فنادى عيسى عليه السلام : تعجَّبت(١) من ثلاثة أناس : طالب الدنيا والموت يطلبه ، وباني القصور والقبر منزله ، ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه . ابنَ آدم لا بالكثير تشبع ، ولا بالقليل تقنع ، تجمع مالك لمن لا يحمدك ، وتقدم على رب لا يعذرك ، إنما أنت عبد بطنك وشهوتك ، وإنما يُملأ بطنك إذا دخلت قبرك . وأنت يا ابن آدم ترى حشد مالك في ميزان(٢) غيرك .

هذا حديث غريب جداً ، وفيه موعظة حسنة فكتبناه لذلك .

وقال سفيان الثوري ، عن أبيه ، عن إبراهيم التيمي قال : قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين اجعلوا كنوزكم في السماء ، فإن قلب الرجل حيث كنزه(٣) .

وقال ثور بن يزيد ، عن عبد العزيز بن ظبيان قال : قال عيسى ابن مريم : من تعلّم وعَلِم وعمل دُعي عظيماً في ملكوت السماء(٤) .

وقال أبو كريب : روي أن عيسى عليه السلام قال : لا خير في علم لا يَعْبُر معك الوادي ويعبر بك النادي(٥) .

وروى ابن عساكر بإسناد غريب عن ابن عباس مرفوعـاً : أن عيسى قام في بني إسرائيل فقال : يا معشر الحواريين لا تحدِّثوا بالحكمة(٦) غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، والأمور ثلاثة : أمرٌ تبيَّن رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيُّه فاجتنبوه ، وأمر اختلف عليكم فيه ، فردُّوا علمه إلى الله عز وجل(٧) .

---

(١) كذا في ب ، ومختصر ابن منظور ، وهو الأشبه بالصواب . وفي أ وط : فعجبت .
(٢) في ب : ميراث . وفي مختصر ابن منظور (٢٠/١٢٨ ـ ١٢٩) . . ترى حسد مالك في ميزان غيرك .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/١٢٩) .
(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/١٢٩) .
(٥) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/١٢٩) ، وفيه : ولا يعمر بك النادي .
(٦) كذا في ب ، وهو موافق لما في مختصر تاريخ دمشق . وفي أ وط : بالحكم .
(٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/١٢٩ ـ ١٣٠) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن رجل ، عن عِكرمة قال : قال عيسى : لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير ، فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً ، ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها ، فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ، ومن لا يريدها شر من الخنزير[١] .

وكذا حكى وهب وغيره عنه . وعنه أنه قال لأصحابه : أنتم ملح الأرض ، إذا فسدتم فلا دواء لكم ، وإن فيكم خصلتين من الجهل : الضحك من غير عُجب ، والصُّبْحة من غير سهر[٢] .

وعنه أنه قيل له : من أشد الناس فتنة ؟ قال : زلّة العالم . فإن العالم إذا زلَّ يزلُّ بزلَّته عالم كثير[٣] .

وعنه أنه قال : يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤوسكم ، والآخرة تحت أقدامكم ، قولكم شفاءٌ وعملكم داءٌ ، مَثَلكم مثل شجرة الدفلى[٤] تُعْجِبُ من رآها وتَقْتُلُ مَنْ أَكَلَها[٥] .

وقال وهب : قال عيسى : يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا تدخلونها ، ولا تَدَعون المساكين يدخلونها ، إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه[٦] .

وقال مكحول : التقى يحيى وعيسى ، فصافحه عيسى وهو يضحك ، فقال له يحيى : يا ابن خالة مالي أراك ضاحكاً كأنك قد أمنت ؟! فقال له عيسى : مالي أراك عابساً كأنك قد يئست . فأوحى الله إليهما إن أحبكما إليّ أبشُّكما بصاحبه[٧] .

وقال وهب بن منبه : وقف عيسى هو وأصحابه على قبر وصاحبه يُدلّى فيه ، فجعلوا يذكرون القبر وضيقه ، فقال : قد كنتم فيما هو أضيق منه من أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسّع وَسّع[٨] .

وقال أبو عمر الضرير : بلغني أن عيسى كان إذا ذكر الموت تفطّر جلده دماً .

والآثار في مثل هذا كثيرة جداً . وقد أورد الحافظ ابن عساكر[٩] منها طرفاً صالحاً اقتصرنا منها على هذا القدر . والله الموفق للصواب .

***

---

(١) وهو في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٣٠) .
(٢) المصدر السابق . والصبحة : نوم الغداة .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الدفلى : شجر مرّ ، أخضر حسن المنظر ، لا يأكله شيء ، وهو من السموم .
(٥) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٣١) .
(٦) المصدر السابق .
(٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٣٤) .
(٨) المصدر السابق .
(٩) مختصره لابن منظور (٢٠/ ٨٢ـ ١٥٤) .

ذكر[١] رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

في حفظ الربّ وبيانِ كذب اليهود والنصارى عليهم لعائن الله في دعوى الصلب

قال الله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٤ ـ ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ۝١٥٦ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٥ ـ ١٥٩] فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم ، على الصحيح المقطوع به ، وخلّصه ممن كان أراد أذيّته من اليهود الذين وشَوا به إلى بعض الملوك الكَفَرة في ذلك الزمان .

قال الحسن البصري ، ومحمد بن إسحاق : كان اسمه داود بن نودا[٢] ، فأمر بقتله وصلبه ، فحصروه في دارٍ ببلد بيت[٣] المقدس ، وذلك عشية الجمعة ليلة السبت ، فلما حان وقت دخولهم ، أُلقي شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ، ورُفع عيسى من رَوْزَنة[٤] من ذلك البيت إلى السماء وأهل البيت ينظرون ، ودخل الشُّرَط فوجدوا ذلك الشاب الذي أُلقي عليه الشبه ، فأخذوه ظانّين أنّه عيسى ، فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانةً له ، وسلَّم لليهود عامةُ النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صُلب ، وضَلوا بسبب ذلك ضلالاً مبيناً كثيراً فاحشاً بعيداً . وأخبر تعالى بقوله : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة ، فإنه ينزل ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام كما بيَّنا ذلك ، بما ورد فيه من الأحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء[٥] ، وكما سنورد ذلك مستقصًى في كتاب الفتن

---

(١) ليست في ط .
(٢) في مختصر تاريخ دمشق : بوذا . الخبر ثمة (٢٠/ ١٣٥) .
(٣) في ب : ببلد في بيت . وفي ط : ببيت المقدس .
(٤) ليست في ط . والروزنة : الكوة ، أو الخرق في أعلى السقف .
(٥) تفسير ابن كثير .

والملاحم[١] عند أخبار المسيح الدجّال ، فنذكر ما ورد في نزول المسيح المهدي عليه السلام من ذي الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعي إلى الضلال ، وهذا ذكر ما ورد في الآثار في صفة رفعه إلى السماء .

قال ابن أبي حاتم : حدّثنا أحمد بن سنان ، حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين ، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ، ورأسه يقطر ماءً ، فقال : إنّ منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي ، ثمّ قال : أيّكم يُلقى عليه شبهي فيُقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال له : اجلس . ثمّ أعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال : اجلس . ثمّ أعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال : أنا ، فقال : أنت ، هو ذاك ، فأُلقي عليه شبه عيسى ، ورُفع عيسى من رَوْزَنةٍ في البيت إلى السماء . قال : وجاء الطلب من اليهود ، فأخذوا الشبه ، فقتلوه ، ثمّ صلبوه ، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به ، وافترقوا ثلاث فرق ، فقالت طائفة : كان الله فينا ما شاء ، ثمّ صعد إلى السماء ، هؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثمّ رفعه الله إليه ، وهؤلاء النسطورية . وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء المسلمون . فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها ، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ . قال ابن عباس : وذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾[٢] [الصف : ١٤] .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم .

ورواه النسائي عن أبي كُريب ، عن أبي معاوية ، به نحوه .

ورواه ابن جرير ، عن سَلْم[٣] بن جُنادة ، عن أبي معاوية .

وهكذا ذكر غير واحد من السلف . وممن ذكر ذلك مطولاً محمد بن إسحاق بن يسار قال : وجَعَل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يؤخّر أجله ، يعني ليبلِّغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله ، قيل : وكان عنده من الحواريين اثنا عشر رجلاً : فطرس[٤] ، ويعقوب بن زبدا ، ويحنس أخو يعقوب ، واندرابيس ، وابن قلما ، ومتى ، وتوماس ، ويعقوب بن خلفايا ،

---

(١) في آخر هذا الكتاب .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/١٣٨) .

(٣) في ب : ابن خزيمة . وفي ط : مسلم بن جنادة . وهو تحريف . وسَلْم بن جنادة بن سلم السُّوائي ، أبو السائب الكوفي وثقه ابن حجر في التقريب (١/ ٣١٣) . توفي سنة (٢٥٤هـ) .
والخبر أورده ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٨/ ٦٠) .

(٤) حصل في أسماء الحواريين تصحيف وتحريف كثير بين المطبوع ونسخنا . وكذلك في تفسير الطبري (٦/ ١١) .

وتراوسيس ، وقنانيا ، ويودس ، وزكريا يوطا ، وهذا هو الذي دلّ اليهود على عيسى .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم رجل آخر اسمه سرجس كتمته النصارى ، وهو الذي أُلقي شبه المسيح عليه فصُلِب عنه . قال : وبعض النصارى يزعم أن الذي صُلب عن المسيح وأُلقي عليه شبهه هو يودس بن زكريا يوطا . والله أعلم .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : استخلف عيسى شمعون ، وقتلت اليهود يوذا[١] الذي ألقي عليه الشبه[٢] .

وقال أحمد بن مروان : حدثنا محمد بن الجهم قال : سمعت الفَرَّاء[٣] يقول في قوله : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤] قال : إن عيسى غاب عن خالته زماناً فأتاها ، فقام رأس الجالوت اليهودي ، فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب داره ، فكسروا الباب ، ودخل رأس جالوت[٤] ليأخذ عيسى ، فطمس الله عينيه عن عيسى[٥] ، ثمّ خرج إلى أصحابه فقال : لم أره . ومعه سيف مسلولٌ ، فقالوا : أنت عيسى . وألقى الله شبه عيسى عليه ، فأخذوه فقتلوه وصلبوه . فقال جلَّ ذِكْرُه : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

وقال ابن جرير[٦] : حدّثنا ابن حميد ، حدّثنا يعقوب القُمِّي ، عن هارون بن عنترة ، عن وهب بن منبه قال : أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت ، فأحاطوا بهم ، فلما دخلوا عليهم صوَّرهم[٧] الله كلّهم على صورة عيسى ، فقالوا لهم : سَحَرْتمونا ، لتُبْرِزُنَّ إلينا[٨] عيسى أو لنقتلنّكم جميعاً ، فقال عيسى لأصحابه : من يشتري منكم[٩] نفسه اليوم بالجنة ؟ فقال رجل منهم : أنا ، فخرج إليهم فقال : أنا عيسى ، وقد صوَّره الله على صورة عيسى ، فأخذوه فقتلوه وصلبوه ، فمن ثَم شُبّه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى . وظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى ، ورَفَعَ اللهُ عيسى من يومه ذلك .

---

(١) في ط : يودس . وفي مختصر تاريخ دمشق بوذا .
(٢) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٣٩) .
(٣) معاني القرآن (١/ ٢١٨) . وفيه اختلاف عما هاهنا .
(٤) في ب : الجالوت . وكذلك في مختصر تاريخ دمشق .
(٥) في ب : فوقع يمشي ثم خرج . .
(٦) تفسيره (٦/ ١٠) .
(٧) كذا في ط . وهو موافق لما في تفسير الطبري . وفي أ : عليه صورهم .
وفي ب : عليه صوره .
(٨) في ب : ليبرز لنا . وفي تفسير الطبري : لتبرزن لنا .
(٩) قوله : منكم ، زيادة من ب وط . وفي تفسير الطبري نفسه منكم .

قال ابن جرير[١] : وحدّثنا المثنى ، حدّثنا إسحاق ، حدّثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدّثني عبد الصمد بن مَعْقِل أنه سمع وَهْباً يقول : إن عيسى ابن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا ، جَزِعَ من الموت وشقَّ عليه ، فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً ، فقال : احضُروني الليلة فإن لي إليكم حاجةً ، فلما اجتمعوا إليه من الليل عشّاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده[٢] ، ويمسح أيديهم بثيابه ، فتعاظموا ذلك وتكارهوه ، فقال : ألا من ردّ عليّ شيئاً الليلة[٣] مما أصنع فليس مني ولا أنا منه ، فأقرّوه حتى إذا فرغ من ذلك قال : أمّا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسّلت أيديكم بيدي ، فليكن لكم بي أسوة فإنكم ترون أني خيركم فلا يتعظّم بعضكم على بعض ، وليبذل بعضكم نفسه لبعض[٤] كما بذلت نفسي لكم ، وأما حاجتي الليلة التي استعنتكم عليها فتدعون لي الله وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أَجَلي ، فلما نصبوا أنفسهم للدّعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاءً ، فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله أما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها ؟ فقالوا : والله ما ندري مالنا ! والله لقد كنّا نسمر فنكثر السّمر وما نطيق الليلة سمراً ، وما نريد دعاءً إلا حِيْل بيننا وبينه ! فقال : يَذهب الراعي وتتفرّق الغنم ، وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعى به نفسه .ثمّ قال : الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ، وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلنّ ثمني . فخرجوا وتفرّقوا ، وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا : هذا من أصحابه ، فجحد وقال : ما أنا بصاحبه ، فتركوه . ثمّ أخذه آخرون فجحد كذلك ، ثمّ سمع صوتَ ديك فبكى وأحزنه . فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود ، فقال : ما تجعلون لي إن دللتُكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً ، فأخذها ودلّهم عليه ، وكان شبّه عليهم قبل ذلك ، فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل ، وجعلوا يقودونه ويقولون : أنت كنت تُحيي الموتى وتنتهر الشيطان[٥] وتبرىء المجنون ، أفلا تنجي[٦] نفسك من هذا الحبل ، ويبصقون عليه ، ويلقون عليه الشوك حتى أتَوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه وصلَبوا ما شُبّه لهم ، فمكث سبعاً . ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب ، فجاءهما عيسى فقال : عَلامَ تبكيان ؟ قالتا : عليك . فقال : إني قد رفعني الله إليه ولم يُصِبْني إلاّ خير ، وإن هذا شيء شُبّه لهم .

---

(١) تفسيره (٦/ ١٠ ـ ١١) . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٣٦) .
(٢) كذا في ط . وهو موافق لما في تفسير الطبري . وفي أ وب أخذ يوضئهم ويغسل أيديهم بيده .
(٣) كذا في ط . وهو موافق لما في تفسير الطبري . وفي ب . شيئاً عليَّ . وفي أ : الليلة شيئاً .
(٤) في ط . وتفسير الطبري لبعض نفسه .
(٥) كذا في ط . وتفسير الطبري . وفي أ : وتنهر الشياطين .
(٦) كذا في ب . وط . وتفسير الطبري . وفي أ : تفتكّ .

فأُمُرَا الحواريين أن يَلقوني إلى مكان كذا وكذا ، فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر ، وفَقَد الذي كان باعه ودلَّ عليه اليهود فسأل عنه أصحابَه ، فقالوا : إنه ندم على ما صنع فاختنق وقَتَل نفسه . فقال لو تاب لتاب الله عليه . ثمّ سألهم عن غلام كان يتبعهم يقال له : يحيى ، فقال : هو معكم فانطلقوا فإنه سيصبح كلّ إنسان منكم[١] يحدّث بلغة قومٍ فلينذرهم وليدْعُهم .

وهذا إسناد غريب عجيب ، وهو أصحّ مما ذكره النصارى لعنهم الله من أن المسيح جاء إلى مريم وهي جالسة تبكي عند جذعة فأراها أماكن المسامير من جسده ، وأخبرها أن روحه رفعت ، وأن جسده صلب . وهذا بُهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل ، وزيادة باطلة في الإنجيل على خلاف الحقّ ومقتضى النقل[٢] .

وحكى الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن حبيب فيما بلغه أن مريم سألت من بيت الملك بعد ما صُلب المصلوب بسبعة أيام ، وهي تحسب أنّه ابنها أن ينزل جسده ، فأجابهم إلى ذلك ، ودُفن هنالك . فقالت مريم لأم يحيى : ألا تذهبين بنا نزور قبر المسيح ؟ فذهبتا ، فلما دنتا من القبر قالت مريم لأم يحيى : ألا تستترين ؟ فقالت : وممن أستتر ؟ فقالت : من هذا الرجل الذي هو عند القبر . فقالت أم يحيى : إني لا أرى أحداً ، فرجت مريم أن يكون جبريلَ ، وكانت قد بعد عهدها به ، فاستوقفت أمَّ يحيى وذهبت نحو القبر ، فلما دنت من القبر قال لها جبريل ، وعرفته : يا مريم أين تريدين ؟ فقالت : أزور قبر المسيح فأسلّم عليه وأحدث[٣] عهداً به . فقال : يا مريم إن هذا ليس المسيح ، إن الله قد رفع المسيحَ وطهّره من الذين كفروا ، ولكن هذا الفتى الذي أُلقي شبهه عليه وصُلِبَ وقُتِلَ مكانه . وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فعل . فهم يبكون عليه ، فإذا كان يوم كذا وكذا فأْتي غيضة كذا وكذا فإنك تلقَيْن المسيح . قال : فرجعت إلى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر الغيضة . فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى في الغيضة ، فلما رآها أسرع إليها فأكبَّ عليها ، فقبَّل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل ، وقال : يا أُمَّه إن القوم لم يقتلوني ، ولكنَّ الله رفعني إليه وأذن لي في لقائك ، والموت يأتيك قريباً ، فاصبري واذكري الله كثيراً . ثمّ صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت .

قال : وبلغني أن مريم بقيت بعد عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاث وخمسون سنة رضي الله عنها وأرضاها .

وقال الحسن البصري : كان عمر عيسى عليه السلام يومَ رُفع أربعاً وثلاثين سنة .

---

(١) قوله : منكم . زيادة من ط . وتفسير الطبري .
(٢) في ب : الدليل .
(٣) في ب : وأحدثه .

وفي الحديث : « إنَّ أهلَ الجنة يدخلونها جُرداً مُرداً مكحّلين أبناء ثلاث وثلاثين »[١] .

وفي الحديث الآخر على ميلاد عيسى وحُسْنِ يوسف[٢] .

وكذا قال حماد بن سلمة ، عن علي بن زَيْد[٣] ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : رُفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

فأما الحديث الذي رواه الحاكم في « مستدركه » ويعقوب بن سفيان الفسوي في « تاريخه »[٤] عن سعيد بن أبي مريم ، عن نافع عن يزيد ، عن عمارة بن غَزيّة ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، أن أمَّه فاطمة بنت الحسين حدّثته أن عائشة كانت تقول : أخبرتني فاطمة أن رسول الله ﷺ أخبرها[٥] أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله ، وأنه أخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومئة سنة ، فلا أراني إلا ذاهب على رأس ستين . هذا لفظ الفسوي ، فهو حديث غريب[٦] .

قال الحافظ ابن عساكر : والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر ، وإنما أراد به مدة مقامه في أمته كما روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال : قالت فاطمة : قال لي رسول الله ﷺ : إن عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة[٧] . وهذا منقطع .

وقال جرير والثوري عن الأعمش عن إبراهيم : مكث عيسى في قومه أربعين عاماً .

ويروى عن أمير المؤمنين علي أن عيسى عليه السلام رُفع في ليلة الثاني والعشرين من رمضان ، وتلك الليلة في مثلها توفي علي بعد طعنه بخمسة أيام[٨] .

وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رُفع إلى السماء جاءته سحابة فدنت منه حتى جلس عليها ، وجاءته مريم فودَّعته وبكت ، ثمّ رُفع وهي تنظر ، وألقى إليها عيسى برداً له وقال : هذا علامة ما بيني وبينك يوم القيامة ، وألقى عمامته على شمعون ، وجعلت أُمُّه تودعه بإصبعها تشير بها إليه حتى

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٥) ، في صفة الجنة ، باب ما جاء في سن أهل الجنة ، وأحمد في المسند (٥/ ٢٤٣) . من طريق معاذ بن جبل رضي الله عنه .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وبعض أصحاب قتادة رووا هذا عن قتادة مرسلاً ولم يسندوه .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٤٢) .

(٣) في ط : « يزيد » محرف ، وهو علي بن زيد بن جُدعان ، ضعيف ، من رجال التهذيب .

(٤) لعل الحديث ورد في القسم المفقود من كتابه « المعرفة والتاريخ » لأن المطبوع منه يبدء بسنة (١٣٥هـ) .

(٥) قوله : أخبرها ، زيادة من ب وط .

(٦) زاد في ب جداً . والخبر مفصلاً أورده ابن عساكر . مختصر تاريخه (٢٠/ ١٤١ ـ ١٤٢) .

(٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٤٢) .

(٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٤١) .

غاب عنها ، وكانت تحبّه حباً شديداً ، لأنه توفر عليها حُبُّه من جهتي الوالدين ، إذْ لا أبَ له ، وكانت لا تفارقه سَفَراً ولا حضراً . فكانت كما قال بعض الشعراء :

وكُنتُ أرى كالموْتِ من بَينِ ساعةٍ فكيفَ بِبَيْنٍ كانَ مَوْعِدَه الحَشْرُ

وذكر إسحاق بن بِشْر ، عن مجاهد بن جبر[١] أن اليهود لمَّا صَلبوا ذلك الرّجل الذي شُبّه لهم ، وهم يحسبونه المسيح ، وسَلّم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك ، تسلّطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس ، فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم ، وهو ملك دمشق في ذلك الزمان ، فقيل له : إن اليهود قد تسلّطوا على أصحاب رجلٍ كان يذكر لهم أنه رسول الله ، وكان يُحيي الموتى ، ويبرىء الأكمه والأبرص ، ويفعل العجائب ، فَعَدَوا عليه فقتلوه وأهانوا أصحابه وحبسوهم ، فبعث ، فجيء بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجماعة ، فسألهم عن أمر المسيح ، فأخبروه عنه ، فبايعهم في دينهم ، وأعلى كلمتهم ، وظهر الحق على اليهود ، وعلت كلمة النصارى عليهم ، وبعث إلى المصلوب فوضع عن جذعه ، وجيء بالجذع الذي صُلب عليه ذلك الرجل فعظّمه[٢] .

فمن ثَمَّ عَظَّمتِ النصارى الصليبَ ، ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم[٣] .

وفي هذا نظر من وجوه :

أحدها : أن يحيى بن زكريا نبيٌّ لا يُقرُّ على أن المصلوب عيسى ، فإنه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق .

الثاني : أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلاثمئة سنة ، وذلك في زمان قسطنطين بن قسطن[٤] باني المدينة المنسوبة إليه على ما سنذكره .

الثالث : أنّ اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثمّ ألقوه بخشبته ، جعلوا مكانه مطرحاً للقمامة والنجاسة[٥] وجِيف الميتات والقاذورات ، فلم يزل كذلك حتى كان في زمان قسطنطين المذكور ، فعمدت أُمُّه هيلانة الحرّانية الفندقانية ، فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح ، ووجدوا الخشبة التي صُلب عليها المصلوب ، فذكروا أنه ما مسّها ذو عاهة إلا عوفي . فالله أعلم أكان هذا أم لا ، وهل كان هذا لأن ذلك

(١) في الأصول والمطبوع : جبير ، وهو تصحيف ، ومجاهد بن جبر ، هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي التابعي إمام في التفسير والعلم .
(٢) المصدر السابق (٢٠/ ١٣٩) .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٣٩ ـ ١٤٠) .
(٤) في ب : بن قسطنطين وفي بعض النسخ : قسطس .
(٥) في ب : والكناسة .

الرجل الذي بذل نفسه كان رجلاً صالحاً أو كان هذا محنة وفتنة لأمّة النصارى في ذلك اليوم حتى عظَّموا تلك الخشبة وغَشَّوها بالذهب واللآلىء ، ومن ثمّ اتخذوا الصلبانات وتبرّكوا بشكلها وقبّلوها لعنهم الله وأمرت أم الملك هيلانة فأزيلت تلك القمامة وبُني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة ، فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يقال لها : القمامة باعتبار ما كان عندها ، ويسمونها : القيامة يعنون التي يقوم جسد المسيح منها . ثمّ أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة التي هي قِبلة اليهود ، فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس ، فكنس عنها القمامة بردائه ، وطهرها من الأخباث والأنجاس ، ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلّى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء ، وهو الأقصى .

***

ذكر[(١)] صِفة عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله

قال الله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة: ٧٥].

قيل: سُمِّي المسيح لمسحه الأرض، وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدّة تكذيب اليهود له وافترائهم عليه وعلى أمّه عليهما السلام.

وقيل: لأنه كان ممسوح القدمين[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ وقفَّيْنا علىٰ آثارِهم[(٣)] بعيسىٰ بنِ مَرْيَمَ وآتَيْناهُ الإنْجيْلَ فيهِ هُدىً ونُورٌ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧].

والآيات في ذلك كثيرةٌ جداً.

وقد تقدم[(٤)] ما ثبت في (الصحيحين)[(٥)]: «ما من مولود إلا والشيطان يطعن في خاصرته حين يولد فيستهلّ صارخاً إلا مريم وابنها ذهب يطعن فطعن في الحجاب».

وتقدم[(٦)] حديث عُمير بن هانىء عن جنادة عن عبادة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من شهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبدُه ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». رواه البخاري وهذا لفظه، ومسلم[(٧)].

---

(١) ليست في ط.

(٢) وثمة أقوال أخرى أوردها الأصفهاني في معجمه مفردات ألفاظ القرآن (٤٨٨).

(٣) زاد في ط: برسلنا قفينا وهو التباس بالآية الكريمة الأخرى ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

(٤) ص ٢٣١.

(٥) في البخاري: رقم (٣٢٨٦) في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده. ورقم (٣٤٣١) في الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾. ورقم (٤٥٤٨) في التفسير، باب ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. وأخرجه مسلم (٢٣٦٦) في الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام.
والاستهلال: صياح المولود عند الولادة. وقوله: فطعن في الحجاب، أي: في المشيمة وهي التي يكون فيها المولود جامع الأصول (٨/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣).

(٦) صفحة ٢٥٠. عن البخاري فقط.

(٧) صحيح مسلم رقم (٢٩) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

وروى البخاري[١] ومسلم[٢] من حديث الشعبي ، عن أبي بُرْدة بن أبي موسى ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أَدَّبَ الرجلُ أَمَتَهُ فأَحْسَنَ تأديبها ، وعلّمها فأحسن تعليمها ، ثمّ أعتقها ، فتزوَّجها ؛ كان له أجران . وإذا آمن بعيسى ابن مريم ، ثم آمن بي فله أجران . والعبد إذا اتّقى ربّه وأطاع مواليه فله أجران » هذا[٣] لفظ البخاري .

وقال البخاري[٤] : حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام عن معمر ، « ح » وحدّثني محمود ، حدّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزُّهري ، أخبرني سعيد بن المسيِّب ، عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « لَيلَةَ أُسْرِيَ بي لقيتُ موسى » قال : فنعته فإذا رَجُلٌ حَسِبْتُهُ قال مُضطرب رَجِلُ الرأس كأنه من رجال شنوءة . قال : « ولقيت عِيسى »فنعته النبي ﷺ فقال : « رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنّما خَرَجَ مِن دِيماس » يعني : الحمّام « ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أَشْبَهُ ولده به » . الحديث .

وقد تقدم في قصتي إبراهيم[٥] وموسى[٦] .

ثم قال : حدّثنا محمد بن كثير ، أخبرنا إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال النبي ﷺ : « رأيتُ عِيسى وموسى وإبراهيم ، فأمّا عيسى فأحمرُ جَعْدٌ عريضُ الصَّدْر . وأما موسَى فآدمُ جَسِيْمٌ سَبِطٌ ، كأنّه من رِجال الزُّطِّ » تفرّد به البخاري[٧] .

وحدّثنا إبراهيم بن المنذر ، حدّثنا أبو ضَمْرة ، حدّثنا موسى بن عُقْبة ، عن نافع قال : قال عبد الله بن عمر : ذكر النبي ﷺ يوماً بينَ ظَهْراني الناسِ المسيحَ الدجّالَ فقال : « إنَّ اللهَ لَيْسَ بأعورَ إلاّ أنَّ المسيحَ

(١) صحيح البخاري رقم (٩٧) ، في العلم ، باب تعليم الرجل أمته وأهله ، ورقم (٢٥٤٤) و(٢٥٤٧) في العتق ، باب فضل من أدب جاريته وعلمها ، ورقم (٣٠١١) ، في الجهاد ، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين ، ورقم (٣٤٤٦) في أحاديث الأنبياء، ورقم (٥٠٨٣) ، في النكاح ، باب اتخاذ السراري ، ومن أعتق جارية ثم تزوجها .
(٢) صحيح مسلم رقم (١٥٤) ، في الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ .
(٣) هذا ، زيادة من ط . وثمة اختلاف بين لفظ البخاري والنص هنا .
(٤) صحيح البخاري رقم (٣٤٣٧) في الأنبياء ، باب قول الله ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ .
وكذلك هو فيه رقم (٣٣٩٤) في الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ من طريق إبراهيم بن موسى وحده . والرَّبْعة : المربوع . قال ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٨٤) : والمراد أنه ليس بطويل جداً ولا قصير جداً ، بل وسط . والمراد بقوله : كأنما خرج من ديماس : أن يصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه .
(٥) في الجزء الأول من هذا الكتاب .
(٦) في هذا الجزء ص (٥) .
(٧) صحيح البخاري رقم (٣٤٣٨) في الأنبياء ، باب قول الله ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ .
والسبط : الذي ليس بجعد ، من صفات الشّعر . والزُّط : جنس من السودان ، وقيل : هم نوع من الهنود ، وهم طوال الأجسام مع نحافة فيها . فتح الباري (٦/ ٤٨٥) .

الدجَّالَ أعورُ العينِ اليمنى كأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِية . وأراني الليلةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ في المنامِ فإذا رَجُلٌ آدَمُ كأحْسَنِ ما يُرى من أُدْمِ الرِّجالِ ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَينَ مَنْكِبَيْهِ ، رَجِلُ الشَّعْرِ ، يَقْطُرُ رأسُه ماءً ، واضعاً يديهِ على مَنْكِبي رَجُلَيْنِ ، وهُو يطوفُ بالبيت ، فقلتُ : من هذا ؟ فقالوا : المسيحُ بنُ مريمَ . ثُمَّ رأيتُ رَجُلاً ورَاءَهُ جَعْداً قَطَطاً أعْورَ عينِ اليُمْنَى كأشْبَهِ من رأيْتُ بابنِ قَطَنٍ ، واضعاً يدَه على مَنكبي رَجُل يطوفُ بالبيتِ ، فقلتُ : مَن هذا ؟ فقالوا : المسيحُ الدَّجَّال »(١) .

ورواه مسلم(٢) من حديث موسى بن عقبه به(٣) .

ثمّ قال البخاري : تابعه عُبيد الله ، عن نافع(٤) . ثمّ ساقه من طريق الزُّهري عن سالم [عن] ابن عمر . قال الزهري : وابن قَطَن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية(٥) .

فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحَيْنِ مسيحِ المهدي ومسيحِ الضلالة ، ليُعرَفَ هذا إذا نَزَل فيؤمن به المؤمنون ، ويُعرَف الآخر فيحذره الموحِّدون .

وقال البخاري(٦) : حدَّثنا عبد الله بن محمد ، حدّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن همام بن منبّه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق ، فقالَ له : أسَرَقْتَ ؟ قال : كلاّ والذي لا إله إلا هو . فقال عيسى : آمنت بالله وكذّبْتُ عيني » .

وكذا رواه مسلم عن(٧) محمد بن رافع عن عبد الرزاق .

وقال أحمد(٨) : حدّثنا عفان ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن حُميد الطويل ، عن الحسن وغيره ، عن أبي هريرة قال : ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال : « رأى عيسى رَجُلاً يَسْرِقُ فقالَ : يا فلان أسرقت ؟ فقال : لا والله ما سرقت . فقال : آمنتُ باللهِ وكذَّبْتُ بصري » .

---

(١) رواه البخاري : رقم(٣٤٣٩) (٣٤٤٠) في الأنبياء ، باب قول الله ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ ﴾ .
وقوله : طافية : أي بارزة . وآدم : أسمر . واللمّة : شعر الرأس إذا جاوز الأذنين . ورجِل الشعر : أي قد سرحه ودهنه . والقطط : شدة جعودة الشعر .

(٢) صحيح مسلم رقم (١٦٩) ، في الإيمان ، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال .

(٣) به ، زيادة من ب .

(٤) في ط . عبد الله بن نافع . وهو خطأ .

(٥) صحيح البخاري رقم (٣٤٤١) . في الأنبياء ، باب ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ ﴾ .

(٦) صحيح البخاري رقم (٣٤٤٤) . في الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ ﴾ .

(٧) قوله : مسلم عن ، سقط من ط . والحديث في صحيح مسلم ، رقم(٢٣٦٨) ، في الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام .

(٨) المسند (٢/ ٣٨٣) .

وهذا يدلّ على سجيّةٍ طاهرة ، حيث قدّم حلف ذلك الرجل ، فظنَّ أن أحداً لا يحلف بعظمة الله كاذباً ، على ما شاهده منه عياناً ، فقبل عُذرَه ، ورجع على نفسه فقال : آمنت بالله ، أي : صدَّقتُكَ ، وكذّبت بصري لأجل حلفك .

وقال البخاري[1] : حدّثنا محمد بن يوسف ، حدّثنا سُفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « تُحْشَرُونَ حُفاةً عُراةً غُرْلاً » ثمّ قرأ ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] فأوّلُ الخلقِ يُكْسَى إبراهيم ، ثمّ يُؤْخَذُ برجالٍ من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال ، فأقول : أصحابي ! فيقال : إنّهم لن يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتَهُم . فأقول كما قال العبدُ الصالحُ عيسى ابنُ مريم ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٧ - ١١٨] .

تفرّد به دون مسلم من هذا الوجه .

وقال[2] أيضاً : حدّثنا عبد الله بن الزبير الحُمَيدي ، حدّثنا سفيان ، سمعت الزُّهْري يقول : أخبرني عُبَيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس سمع عُمر يقول على المنبر : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تُطْروني كما أطْرتِ النَّصارى عيسى ابنَ مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولُوا : عَبْدُ الله ورسولُه » .

وقال البخاري[3] : حدّثنا مسلم بن[4] إبراهيم ، حدّثنا جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لم يَتكلَّمْ في المهدِ إلاّ ثلاثةٌ : عيسى ، وكانَ في بني إسرائيل رجلٌ يقال له جُرَيج يُصَلِّي إذْ جاءته[5] أُمُّهُ فدعتْه ، فقال : أُجِيبُها أو أُصَلّي ؟ فقالت : اللهم لاتُمِتْهُ حَتّى تُريه وجوهَ الموسساتِ . وكان جُريجٌ في صَوْمَعةٍ ، فتعرَّضت[6] له امرأة وكلَّمته فأبى ، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها ، فولدت غلاماً ، [فقيل لها : ممن ؟][7] قالت : من جريج . فأتَوْه وكَسروا صومعته ، فأنزلوه وسبّوه . فتوضّأ وصلّى ، ثمّ أتى الغلامَ فقالَ : من أبوك يا غلام ؟ قال : فلانٌ الراعي . قالوا : أنبني صومعتَكَ من ذهب ؟ قال : لا ، إلا من طين . وكانتِ امرأةٌ تُرضعُ ابناً لها في بني إسرائيل ، فمرَّ بها رجلٌ

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٤٤٧) ، في الأنبياء ، باب قول الله تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ .
(٢) صحيح البخاري رقم(٣٤٤٥) ، في الأنبياء ، باب ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ .
(٣) صحيح البخاري رقم (٣٤٣٦) ، في الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ .
(٤) قوله : مسلم بن سقط من ط .
(٥) في البخاري : كان يصلي فجاءته .
(٦) كذا في ب . وهو موافق لرواية البخاري ، في م وط « فعرضت » .
(٧) ليست في البخاري .

راكبٌ ذُو شَارَةٍ . فقالتْ : اللهمَّ اجعل ابني مثلَه ، فترك ثديَها وأقبلَ على الراكِب فقال : اللهم لا تجعلْني مثلَه . ثم أقْبَلَ عَلى ثَدْيها يَمُصُّه . قال أبو هريرة : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص أصبعه . « ثم مُر بأَمَةٍ ، فقالتْ : اللهم لا تجعل ابني مثلَ هذه . فتركَ ثديَها فقال : اللهم اجعلني مثلَها . فقالت : لم ذلك ؟ فقالت : الراكبُ جبَّارٌ من الجبابرة ، وهذه الأمَةُ يقولون سَرَقَتْ وزَنَتْ[١] ولم تفعل » .

وقال البخاري[٢] : حدثنا أبو اليَمان، حدثنا شُعيب، عن الزهري، أخبرني أبو سَلَمة أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا أَوْلى الناسِ بابنِ مَرْيَم ، والأنبياءُ أولادُ عَلاَّتٍ ، ليس بيني وبينه نبي » .

تفرد به البخاري من هذا الوجه .

ورواه ابن حِبَّان في « صحيحه » من حديث أبي داود الحَفَرِي[٣] ، عن الثوري ، عن أبي الزناد ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة .

وقال أحمد[٤] : حدّثنا وكيع ، حدّثنا سفيان ـ هو الثوري ـ عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أَوْلَى الناسِ بِعيسى عليه السلام ، والأنبياءُ إخْوةٌ أولادُ عَلاَّتٍ ، ولَيْس بيني وبين عِيسى نبي » .

وهذا إسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وأخرجه أحمد[٥] عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه .

وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق نحوه[٦] .

وقال أحمد[٧] : حدّثنا يحيى ، عن ابن أبي عَرُوبة ، حدّثنا قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « الأنبياءُ إخْوةٌ لِعَلّات . ودِينُهم واحدٌ وأُمَّهاتُهُم شَتّى . وأنا أَوْلى الناسِ بِعِيْسَى ابنِ مَرْيَم لأنَّه لم يَكُنْ بَيني وبَيْنه نبيٌّ ، وإنَّه نازِلٌ ، فإذا رأَيْتُموهُ فاعْرفُوه ، فإنهُ رَجُلٌ مربوعٌ إلى الحُمْرةِ والبياضِ ، سَبط ، كأنَّ رأسَهُ يَقْطُرُ وإنْ لَم يُصِبْهُ بَلَلٌ بَيْن مُمَصَّرتَيْن[٨] ، فيكسر الصليبَ ، ويَقْتُلُ

---

(١) في البخاري : سرقتِ زنيتِ .

(٢) صحيح البخاري رقم (٣٤٤٢) في الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ ﴾ .

(٣) هو عمر بن سعد بن عبيد أبو داود الحفَري ، ثقة عابد . توفي سنة(٢٠٣هـ) وقيل (٢٠٦هـ) . والحَفَري : نسبة إلى محلة بالكوفة . تقريب التهذيب (٢/ ٥٦) ، واللباب (١/ ٣٧٥) ، والحديث في الإحسان (٦١٩٥) .

(٤) المسند (٢/ ٤٦٣) .

(٥) مسند أحمد (٢/ ٣١٩) .

(٦) الإحسان (٦١٩٤) .

(٧) المسند (٢/ ٤٣٧) .

(٨) في ط : مخصرتين، وهو تحريف، والممصرة من الثياب : التي فيها صفرة خفيفة . النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٣٦) .

الخِنزير ، ويَضَعُ الجِزْيَةَ ، ويُعَطِّلُ المِلَلَ ، حتى يهلك في زمانه المِلَل كلُّها غير الإسلام ، ويُهلك اللهُ في زمانه المسيحَ الدجّالَ الكذابَ ، وتقع الأَمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعاً ، والنمورُ مع البقر ، والذئابُ مع الغنم ، ويلعبُ الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً ، فيمكثُ ما شاءَ اللهُ أنْ يمكثَ ، ثمّ يُتوفّى ، فَيُصَلّي عليه المسلمونَ ويدفنونَه » .

ثمّ رواه أحمد[١] عن عفّان ، عن همام ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، فذكر نحوه ، وقال : « فيمكث أربعين سنةً . ثُمَّ يُتوفّى ويصلّي عليه المسلمون » .

ورواه أبو داود عن هُدبة بن خالد ، عن همام بن يحيى[٢] ، به نحوه .

وروى هشام بن عروة عن صالح مولى أبي هريرة ، عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فيمكث في الأرض أربعين سنة » . وسيأتي بيانُ نزولِه عليه السلام في آخر الزمان في كتاب الملاحم[٣] ، كما بسطنا ذلك أيضاً في « التفسير » عند قوله تعالى في سورة النّساء[الآية : ١٥٩] : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[٤] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ الآية[٥] [الزخرف : ٦١] ، وأنّه ينزل على المنارة البَيضاءِ بدمشق ، وقد أقيمت صلاةُ الصبح ، فيقول له إمام المسلمين : تقدَّم يا روح الله فَصَلِّ ، فيقول : لا ، بعضُكم على بعضٍ أمراء تكرمة الله هذه الأمة ، وفي رواية : فيقول له عيسى : إنما أُقيمت الصلاةُ لكَ ، فيُصلي خلفه . ثمّ يركبُ ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال ، فيلحقه عند باب لُدّ ، فيقتله بيده الكريمة . وذكرنا أنه قَويَ الرجاءُ حِيْنَ بُنيت هذه المنارةُ الشرقيةُ بدمشق التي هي من حِجارة بيض ، وقد بنيت[٦] أيضاً من أموال النصارى حين حَرقوا التي هدمت وما حولها ، فينزل عليها عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ولا يقبل من أحدٍ إلّا إلاسلام ، وأنه يخرج[٧] من فج الرَّوْحاء حاجاً أو معتمراً أو ليُثنِّيهما ، ويقيم أربعين سنة ، ثمّ يموت فيدفن فيما قيل في الحجرة النبوية عند رسول الله ﷺ وصاحبيه .

وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر[٨] في آخر ترجمة[٩] المسيح عليه السلام في كتاب عن

---

(١) المسند (٢/٤٠٦) .
(٢) سنن أبي داود (٤٣٢٤) ، ومن هذا الوجه أخرجه ابن حبان أيضاً (٦٨٢١) .
(٣) في الجزء الأخير من هذا الكتاب . وهناك تخريج الأحاديث الواردة في ذلك .
(٤) تفسير ابن كثير (١/٥٧٨) وما بعدها .
(٥) التفسير (٤/ ١٣١) وما بعدها .
(٦) أشار ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٨٣) إلى أن المنارة المذكورة بنيت سنة إحدى وأربعين وسبعمئة .
(٧) كذا في ب . وفي أ وط : يحج . وفج الروحاء : بين مكة والمدينة .
(٨) مختصر ابن منظور (٢٠/ ١٥٤) .
(٩) كذا في ط : وفي بعض النسخ : بعثة . وفي ب قصة .

عائشة[١] مرفوعاً أنه يدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعُمر في الحجرة النبوية . ولكن لا يصح إسناده .

وقال أبو عيسى الترمذي[٢] : حدّثنا زيد بن أخزم الطائي ، حدّثنا أبو قتيبة سَلْم[٣] بن قتيبة ، حدّثني أبو مودود المدني ، حدّثنا عثمان بن الضحاك ، عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، عن جدّه قال : مكتوب في التوراة صفة محمد ، وعيسى ابن مريم عليهم السلام يُدفن معه . قال أبو مَوْدُود : وقد بقي من البيت موضع قبر . ثمّ قال الترمذي : هذا حديث حسن[٤] . كذا قال : والصواب : الضحاك بن عثمان المدني .

وقال البخاري : هذا الحديث لا يصح عندي ولا يُتابَع عليه .

وروى البخاري[٥] عن يحيى بن حماد ، عن أبي عوانة ، عن عاصمٍ الأحول ، عن أبي عثمان النَّهْدي ، عن سلْمان قال : الفترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ ستمئة سنة .

وعن قتادة : خمسمئة وستون سنة[٦] . وقيل : خمسمئة وأربعون سنة[٧] .

وعن الضحاك : أربعمئة وبضع وثلاثون سنة[٨] .

والمشهور ستمئة سنة[٩] . ومنهم من يقول ستمئة وعشرون سنة بالقمرية لتكون ستمئة بالشمسية . والله أعلم .

وقال ابن حِبّان في صحيحه[١٠] : (ذِكْرُ المدة التي بقيت فيها أُمة عيسى على هديه) : حدّثنا أبو يعلى ، حدّثنا أبو هَمام ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، عن الهيثم بن حميد ، عن الوَضِيْن بن عطاء ، عن نصر بن علقمة ، عن جبير بن نُفَير ، عن أبي الدرداء قال : ؛ قال رسول الله ﷺ : « لقد قَبَضَ الله داودَ من

---

(١) قوله : عن عائشة ، زيادة من ط . وهو كذلك في مختصر تاريخ دمشق ، وفي ب : في آخر ترجمة المسيح وفيه أنه . .

(٢) سنن الترمذي رقم (٣٦١٧) ، في المناقب ، باب (١) في فضل النبي ﷺ وهو في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ١٥٤) وإسناده ضعيف .

(٣) في ط : مسلم ، وهو تحريف . ولم يرد الاسم في ب . وسلم بن قتيبة الشَّعيري صدوق . توفي سنة (٢٠٠هـ) أو بعدها . تقريب التهذيب (١/ ٣١٤) .

(٤) في السنن : « حسن غريب » ، وهو الصواب الذي نص عليه المزي في التحفة (٥٣٣٦) .

(٥) صحيح البخاري رقم (٣٩٤٨) ، في مناقب الأنصار باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٦) أورده ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٢٧٧) . في شرح الأحاديث السابقة .

(٧) قال الكلبي ، كما في فتح الباري (٧/ ٢٧٧) .

(٨) المصدر السابق .

(٩) قوله : وقيل خمسمئة . . . إلى هنا . سقط من ب بنقلة عين .

(١٠) الإحسان (١٤/ ٦٢٣٦) .

بين أصحابه فما فُتنوا ولا بدلوا ، ولقد مكث أصحاب المسيح على سُنته وهديه مئتي سنة » . وهذا حديث غريب جداً وإن صَحَّحه ابن حِبَّان .

وذكر ابن جرير عن محمد بن إسحاق أن عيسى عليه السلام قبل أن يُرفع وصَّى الحواريين بأن يدعوا الناس إلى عبادة الله وحـده لا شريك له ، وعَيَّن كلَّ واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب ، فذكروا أنه أصبح كل إنسان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم .

وذكر غير واحد أن الإنجيل نقله عنه أربعة : لوقا ومتّى ومرقس ويوحنا ، وبين هذه الأناجيل الأربعة تفاوتٌ كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة ، وزيادات كثيرة ، ونقص بالنسبة إلى الأخرى ، وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيحَ ورآه وهما متّى ويوحنا ، ومنهم اثنان من أصحاب أصحابه وهما مرقس ولوقا . وكان ممن آمن بالمسيح وصدَّقه من أهل دمشق رجل يقال له ضينا ، وكان مختفياً في مغارة داخل الباب الشرقي قريباً من الكنيسة المصلبة خوفاً من بولص اليهودي ، وكان ظالماً غاشماً مبغضاً للمسيح ولِما جاء به ، وكان قد حلق رأسَ ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلد ثمّ رَجَمه حتى مات رحمه الله . ولما سمع بولص أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق جَهَّز بغاله[(١)] وخرج ليقتله ، فتلقاه عند كوكبا[(٢)] ، فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه مَلَكٌ فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه . فلما رأى ذلك وقع في نفسه تصديق المسيح ، فجاء إليه واعتذر مما صنع وآمن به ، فَقَبِل منه ، وسأله أن يمسح عينيه ليردَّ اللهُ عليه بصرَه ، فقال : اذهب إلى ضينا عندك بدمشق في طرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعو لك . فجاء إليه ، فدعا له فرّد عليه بصره وحسن إيمان بولص بالمسيح عليه السلام أنه عبد الله ورسوله ، وبُنيت له كنيسة باسمه ، فهي كنيسة بولص المشهورة بدمشق من زمن فَتَحها الصحابة رضي الله عنهم حتى خربت في الزمان الذي سنورده[(٣)] ، إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) في ب : العساكر .
(٢) في معجم البلدان : كوكب : . . . اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية . .
(٣) في ب : سنورده فيما بعد .

فَصْلٌ

اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء فيه على أقوال ، كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف ، كما أوردناه عند قوله : ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف : ١٤] قال ابن عباس وغيره[١] قال قائلون منهم : كان فينا عبد الله ورسوله فرفع إلى السماء . وقال آخرون[٢] منهم : كان فينا ابن الله فرفعه إليه . وقال آخرون : كان الله فينا فارتفع إلى السماء ، فالأول هو الحق ، والقولان الآخران كفر عظيم كما قال : ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم : ٣٧] .

وقد اختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل ، ثمّ بعد المسيح بثلاثمئة سنة حدثت فيه الطامّة العظمى والبلية الكبرى ؛ اختلف البتاركة الأربعة وجميع الأساقفة والقساوسة[٣] والشمامسة والرهابين في المسيح على أقوال متعدّدة لا تنحصر ولا تنضبط ، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم المجمع الأول ، فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا الملكية[٤] ودَحَض من عداهم وأبعدهم . وتفرّدت[٥] الفرقة التابعة لعبد الله بن اديوس الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله ، فسكنوا البراري والبوادي ، وبَنَوا الصوامع والديارات والقَلّايات[٦] ، وقنعوا بالعيش الزهيد ، ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل . وبنت الملكية الكنائس الهائلة ، عمدوا إلى ما كان من بناء[٧] اليونان فحوَّلوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدْي .

***

(١) زاد في ب : من أئمة التفسير .

(٢) كذا في ب ، وهو موافق لما أورده ابن كثير قبل قليل (ص٢٨٧) ولما جاء في تفسيره (٤/ ٣٦٢) ، وتفسير الطبري (٢٨/ ٦٠) . وفي العبارة التالية اختلاف . ففي أ : كان فينا فارتفع إلى السماء ، فالأول . . . وفيه نقص . وفي ط : هو الله ، وقال آخرون هو ابن الله ، فالأول . . . وفيه نقص أيضاً .

(٣) في أ : والقساقسة . ولم يسمع هذا الجمع لـ (قس) .

(٤) كذا في ب . وفي أ وط الملائكة .

(٥) في ب : وتفرقت .

(٦) القلّايات : جمع قلّاية ، كالصومعة . وقيل هي قَلِيَّة . لسان العرب : (قلي) .

(٧) في ب : من كنائس .

[١]وبنى الملك قسطنطين بيتَ لحم على محلِّ مولد المسيح ، وبَنَتْ أُمُّه هَيلانة القُمامةَ ، يعني على قبر المصلوب ، وهم يُسلّمون لليهود أنه المسيح . وقد كفرت[٢] هؤلاء وهؤلاء ، ووضعوا القوانين والأحكام ، ومنها مخالف للعتيقة التي هي التوراة ، وأحلُّوا أشياء هي حرام بنص التوراة ، ومن ذلك الخنزير ، وصلّوا إلى الشرق ولم يكن المسيح صلّى إلا إلى صخرة بيت المقدس ، وكذلك جميع الأنبياء بعد موسى . ومحمد خاتم النبيين صلى إليها بعد هجرته إلى المدينة ستة عشر أو سبعةَ عشر شهراً ، ثمّ حُوِّل إلى الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل . وصوَّروا الكنائس ولم تكن مصورة قبل ذلك ، ووضعوا العقيدة التي يحفظها أطفالهم ونساؤهم ورجالهم التي يُسمُّونها بالأمانة ، وهي في الحقيقة أكبر الكفر والخيانة ، وجميع الملكية والنسطورية أصحاب نسطورس أهل المجمع الثاني ، واليعقوبية أصحاب يعقوب البرادعي أصحاب المجمع الثالث يعتقدون هذه العقيدة ويختلفون في تفسيرها . وها أنا أحكيها وحاكي الكفر ليس بكافر لأنبّه على ما فيها من ركّة الألفاظ وكثرة الكفر والخبال المفضي بصاحبه إلى النار ذات الشواظ ، فيقولون عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة[٣] :

نؤمن بإلّه واحد[٤] ، ضابط الكل ، خالق السموات والأرض كل ما يُرى ، وكل ما لا يرى ، وبربٍّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل[٥] الدهور ، نور من نور ، إلّه حق من[٦] إلّه حق ، مولود غير مخلوق ، مساوٍ للأب في الجوهر الذي كان به كلّ شيء من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل السماء وتجسَّد من روح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس وصلب على عهد ملاطس النبطي ، وتألَّم وقبر ، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب ، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب ، وأيضاً فسيأتي بجسده ليدبّر الأحياء والأموات ، الذي لافناء لملكه[٧] ، وروح القدس الربّ المحيي[٨] المنبثق من الأب والابن مسجود له ، وبمجد الناطق في الأنبياء كنسبة

(١) وُضِع في ط عنوان في الوسط : بيان بناء بيت لحم والقمامة . وهو ليس في متن أ ، بل كتب في الحاشية . وليس في ب .
(٢) في ب : كذب .
(٣) عليهم لعائن الله . . . سقطت من ط .
(٤) في ب : واحد أب .
(٥) في ب : كل الدهور .
(٦) في ب : ابن .
(٧) في ب : الذي رد بوحي بملكه وبروح . . .
(٨) في ب : المنجي .

واحدة جامعة مقدسة بهولية ، واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وأنه حي قيامة الموتى وحياة الدهر العتيد كونه آمين[١] .

***

(١) زاد في ب هنا : وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القَرَافي في كتابه « الرد على النصارى » لبعضهم يرد عليهم في قولهم بصلب المسيح وتسليمهم ذلك إلى اليهود مع دعواهم أنه ابن الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

عجباً للمسيح بين النصارى ... وإلى أي والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه
فإذا كان ما يقولون حقاً ... وصحيحاً فأين كان أبوه
حين خلّى ابنه رهين الأعادي ... أتراهم أرضوه أو أغضبوه
فلئن كان راضياً بأذاهم ... فاحمدوهم لأنهم وافقوه
ولئن كان ساخطاً فاتركوه ... واعبدوهم لأنهم غلبوه

كتاب أخبَار الماضين(١)

من بني إسرائيل وغيرهم إلى آخر زمن الفترة ، سوى أيام العرب وجاهليتهم ، فإنا سنورد ذلك بعد فراغنا من هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه : ٩٩] .

وقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] .

خبر ذي القرنين

قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف : ٨٣ ـ ٩٨] .

ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا ، وأثنى عليه بالعدل ، وأنه بلغ المشارقَ والمغاربَ ، وملك الأقاليم ، وقَهَرَ أهلها ، وسار فيهم بالمَعْدِلة التامة ، والسلطان المؤيَّد المظفَّر المنصور القاهر المقسط .

والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين(٢) ، وقيل : كان نبياً . وقيل : رسولا(٣) . وأغربَ من

(١) في ب : الأمم الماضية .

(٢) هذا هو قول علي رضي الله عنه كما أورده السهيلي في الروض الأنف (٢/ ٥٩) .

(٣) هذه الأقوال مفصلة في تفسير الطبري (١٦/ ٨) ، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٠٠) ، والروض الأنف (٢/ ٥٩) .

قال : ملَكا[١] من الملائكة . وقد حُكي هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فإنه سمع رجلاً يقول لآخر : يا ذا القرنين ، فقال : مَهْ ! ما كفاكم أن تتسمَّوا بأسماء الأنبياء حتى تسمَّيتم بأسماء الملائكة . ذكره السهيلي[٢] .

وقد رَوَى وكيعٌ ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : كان ذو القرنين نبياً .

ورَوَى الحافظُ ابنُ عساكر من حديث أبي محمد بن أبي نصر ، عن أبي إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن أبي ذؤيب ، حدّثنا محمد بن حماد ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي ذئب ، عن المَقْبُري ، عن أبي هُريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا أدْري أتُبَّعٌ كانَ لَعِيناً أمْ لاَ ، ولا أدْري الحدُودُ كَفَّاراتٌ لأَهْلِها أمْ لا ، ولا أدري ذو القرنين نبياً كان أم لا »[٣] .

وهذا غريب من هذا الوجه .

وقال إسحاق بن بشر ، عن عثمان بن السَّاج ، عن خُصَيْف[٤]، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : كان ذو القرنين مَلِكا صالحاً ، رضي الله عملَه ، وأثنى عليه في كتابه ، وكان منصوراً ، وكان الخضِر وزيره .

وذكروا أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه ، وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في اصطلاح الناس اليوم .

وقد ذكر الأزرقي وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل ، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام .

وروي عن عُبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن ذا القرنين حجَّ ماشياً ، وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقّاه ودعا له ووصّاه[٥]، وأن الله سخّر[٦] لذي القرنين السحابَ يحمله[٧] حيث أراد . والله أعلم .

---

(١) في ب : كان ملكاً .

(٢) الروض الأنف (٢/ ٦٠) .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٧٤) ، في السنة ، باب في التخيير بين الأنبياء باختصار وفيه « عزير » بدلاً من ذي القرنين . وهو في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢١٥) .

(٤) هو خُصَيْف بن عبد الرحمن ، أبو عون الخِضْرِمي ، الأموي ، مولاهم الجزري الحرّاني ، رمي بالإرجاء ، وفيه كلام . توفي سنة سبع وثلاثين ومئة ، وقيل غير ذلك . سير أعلام النبلاء (٦/ ١٤٥) .

(٥) في ط : ورضاه . وفيها تحريف وتصحيف .

(٦) في ب : يسخر .

(٧) في ب : السحابة تحمله .

واختلفوا في السبب الذي سُمِّي به ذا القرنين . فقيل : لأنه كان له في رأسه شبه القرنين . قال وهب بن منبه : كان له قرنان من نحاس في رأسه ، وهذا ضعيف ؛ [قال][١] : وقال بعض أهل الكتاب : لأنه ملك فارس والروم .

وقيل : لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً ، وملك ما بينهما من الأرض . وهذا أشبه من غيره ، وهو قول الزهري[٢] .

وقال الحسن البصري : كانت له غديرتان من شعر يطأ فيهما ، فسمي ذا القرنين .

وقال إسحاق بن بشر ، عن عبد الله بن زياد بن سمعان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه أنّه قال : دعا ملكاً جباراً إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضّه . ثمّ دعاه فدقّ قرنه الثاني فكسره ، فسُمّي ذا القرنين .

وروى الثوري عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطُّفيل ، عن علي بن أبي طالب أنه سُئِل عن ذي القرنين فقال : كان عبداً ناصحَ اللهَ[٣] فناصَحَه ، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات ، فأحياه الله فدعا قومَه إلى الله ، فضربوه على قرنه الآخر فمات ، فسُمّي ذا القرنين .

وهكذا رواه شعبة عن القاسم[٤] بن أبي بَزَّة ، عن أبي الطفيل ، عن علي ، به .

وفي بعض الروايات عن أبي الطفيل ، عن علي قال : لم يكن نبياً ولا رسولاً ولا مَلِكاً ، ولكن كان عبداً صالحاً[٥] .

وقد اختُلِف في اسمه : فروى الزبير بن بَكَّار ، عن ابن عباس : كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد[٦] .

وقيل : مصعب[٧] بن عبد الله بن قَنَّان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن غَوث[٨] بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان .

---

(١) زيادة يستوجبها الكلام وهي مثبتة في تفسيره (٣/ ١٠٠ ـ ١٠١) . وتفسير الطبري (١٦/ ٨) .
(٢) الروض الأنف (٢/ ٥٩) .
(٣) في ب : ناصحاً إلى الله . والخبر في الروض الأنف (٢/ ٥٩) .
(٤) زيادة من ب . والخبر في تفسير الطبري (١٦/ ٨) بهذا السند .
(٥) الروض الأنف (٢/ ٥٩) .
(٦) الروض الأنف (٢/ ٦٠) .
(٧) في المحبر (٣٦٥) : الصعب بن قرين .
(٨) في ط : عون .

وقد جاء في حديث أنه كان من حمير ، وأمه رومية[١] ، وأنه كان يقال له : ابن الفيلسوف ؛ لعقله .

وقد أنشد بعض الحميريين في ذلك شعراً يفخر[٢] بكونه أحد أجداده فقال : [من الكامل]

قَد كانَ ذو القرنَيْنِ جَدّي مُسْلماً   مَلِكاً تدين له الملوكُ وتَحشِدُ
بلغَ المشارقَ والمغاربَ يَبتغي   أسبابَ أمرٍ مِنْ حَكيمٍ مُرشِدِ
فرأى مغيبَ الشّمسِ عندَ غُروبها   في عيْنِ ذي خُلْبٍ وثأْطٍ حِرْمِدِ[٣]
مِن بعدِهِ بلقيسُ كانتْ عمّتي   مَلَكَتهُمُ حتّى أتاها الهدهدُ[٤]

قال السهيلي : وقيل كان اسمه مرزبان بن مَرْذَبة[٥] . ذكره ابن هشام . وذكر ابن هشام في موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذي مراثد ، وهو أول التبابعة ، وهو الذي حكم لإبراهيم[٦] في بئر السبع .

وقيل : إنه أفريدون بن أثفيان الذي قتل الضحَّاك ، وفي خطبة قُس : يا معشر إياد بن الصعب ، ذو القرنين ، ملك الخافقين ، وأذل الثقلين ، وعمر ألفين . ثم كان ذلك كلحظة عين[٧] ، ثم أنشد ابن هشام للبيد[٨] : [من الكامل]

والصّعبُ ذو القَرنَيْنِ أصبحَ ثاوياً   بالحنوِ في جَدَثٍ ـ أُميم ـ مقيم[٩]

وذكر الدارقطني وابن ماكولا أن اسمه هرمس ، ويقال : هرويس بن قيطون بن رومى بن لنطى بن كشلوخين بن يونان[١٠] بن يافث بن نوح ، فالله أعلم .

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٥٧٤) وفي الروض الأنف (٢/ ٥٩) : وكانت أمه زنجية .
(٢) في ط : يفتخر . والقائل هو تبع أبو كرب كما في التيجان ١٢ (ص١٢١) والنص من قصيدة طويلة في التيجان (١٢١ ـ ١٢٤) . وثمة بعض خلاف في رواية الشعر ، ولم يرد البيت الأخير (الهدهد) فيها . وهو مختلف الروي ولعله من قصيدة ثانية .
(٣) الخُلْب : الطين والحمأة ، والثأط : كذلك . والحِرْمِد : الطين الأسود .
(٤) في ب : من بعد بلقيس وكانت عمتي .
(٥) في ط : مرزبة ، بالزاي . والذي في الروض الأنف (٢/ ٥٩) : ايمه مرزبي بن مرذبة بذال مفتوحة اسم أبيه وزاي في اسمه .
(٦) الروض الأنف (٢/ ٥٩) .
(٧) المصدر السابق .
(٨) نسب ابن هشام البيت للأعشى ، وكذلك نقله عنه السهيلي في الروض الأنف (٢/ ٥٩) ، وابن كثير ، هنا . والبيت ليس في ديوان الأعشى (تح . محمد محمد حسين) . وهو للبيد في ديوانه (ص١٠٩) . من قصيدة مطلعها :
سفهاً عذلتِ وقلت غيرَ مليم   وبُكاك قِدْماً غيرُ جِدٍّ حكيمِ
(٩) في ط : أشم مقيما . . وهو خطأ . وأميم مرخم أميمة . والحنو : موضع .
(١٠) ليست في ب .

وقال إسحاق بن بشر ، عن سعيد بن بشير ، عن قَتادة قال : اسكندر هو ذو القرنين ، وأبوه أول القياصرة ، وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام[١] .

فأما ذو القرنين الثاني ، فهو اسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن هردس[٢] بن ميطون بن رومي بن لنطى بن يونان بن يافث بن يونة بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن يقز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ـ كذا نسبه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[٣] ـ المقدوني اليوناني المصري باني إسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم ، وكان متأخراً عن الأول بدهرٍ طويلٍ كان هذا متأخراً[٤] قبل المسيح بنحو من ثلاثمئة سنة ، وكان أرطاطاليس الفيلسوف وزيره ، وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذلّ ملوك الفرس وأوطأ أرضهم .

وإنما نبَّهنا عليه لأن كثيراً من الناس يعتقد أنهما واحد ، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرطاطاليس وزيره ، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير ، وفساد عريض طويل كثير ، فإنّ الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً ، وملِكاً عادلا ، وكان وزيره الخضر ، وقد كان نبياً ، على ما قررناه قبل هذا .

وأما الثاني فكان مشركاً ، وكان وزيره فيلسوفاً ، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة . فأين هذا من هذا ! لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبيٍّ لا يعرف حقائق الأمور . فقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ كان سببه أن قريشاً سألوا اليهود عن شيء يمتحنون به علم رسول الله ﷺ فقالوا لهم : سلوه عن رجل طوَّافٍ في الأرض ، وعن فتية خرجوا لا يُدرَى ما فعلوا ، فأنزل الله تعالى قصّة أصحاب الكهف وقصّة ذي القرنين[٥] . ولهذا قال ﴿ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي من خبره وشأنه ، ﴿ ذِكْرًا ﴾ أي خبراً نافعاً كافياً في تعريف أمره وشرح حاله ، فقال : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ أي وسَّعْنا مملكته في البلاد ، وأعطيناه[٦] من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمّات العظيمة والمقاصد الجسيمة .

قال قتيبة ، عن أبي عَوَانة ، عن سِماك ، عن حَبيب بن حماد ، قال : كنت عند علي بن أبي طالب ، وسأله رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب ، فقال له : سُخِّرَ له السّحاب ، ومُدَّت له الأسباب ، وبُسط له في النور . وقال : أزيدُك ؟ فسكت الرجلُ ، وسكت عليٌّ رضي الله عنه .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢١٣) .
(٢) ليست في ط .
(٣) تاريخ دمشق (١٧/ ٣٣٠) .
(٤) ليست في ط .
(٥) وقيل إن الذين سألوه هم اليهود . تفسير الطبري (١٦/ ٧) وأسباب النزول للواحدي (٢٢٥) .
(٦) في ب : وآتيناه .

وعن أبي إسحاق السَّبِيعي ، عن عمرو بن عبد الله الوادعي ، سمعت معاوية يقول : ملك الأرض أربعة : سليمان بن داود النبي عليهما السلام ، وذو القرنين ، ورجلٌ من أهل حلوان ، ورجلٌ آخر . فقيل له : الخضر ؟ قال : لا[(١)] .

وقال الزبير بن بكار : حدثني إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن الضحاك ، عن أبيه ، عن سفيان الثوري قال : بلغني أنه مَلك الأرضَ كلَّها أربعة : مؤمنان وكافران ، سليمان النبي ، وذو القرنين ، ونُمرود ، وبخت نصَّر[(٢)] . وهكذا قال سعيد بن بشير سواء .

وقال إسحاق بن بشر ، عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن الحسن قال : كان ذو القرنين ملك بعد النمرود ، وكان من قصته أنّه كان رجُلاً مسلماً صالحاً ، أتى المشرق والمغرب ، مدّ الله له في الأجل ، ونصره حتى قهر البلاد واحتوى على الأموال ، وفتح المدائن ، وقتل الرجال ، وجال في البلاد والقلاع ، فسار حتى أتى المشرق والمغرب ، فذلك قول الله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي خبراً ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ أي : علماً بطلب أسباب المنازل .

قال إسحاق : وزعم مُقاتل أنّه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز ، فمن اتبعه على دينه وشايعه[(٣)] عليه وإلا قتله[(٤)] .

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جُبير وعِكرمة وعُبيد بن يعلى والسُّدِّي وقتادة والضحاك : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ يعني علماً[(٥)] .

وقال قتادة ومَطَر الورَّاق[(٦)] : معالم الأرض ، ومنازلها ، وأعلامها ، وآثارها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني تعليم الألسنة ، كان لا يغزو قوماً إلا حدّثهم بلغتهم .

والصحيح أنه يعم[(٧)] كلّ سبب يتوصّل به إلى نيل مقصوده في المملكة وغيرها ، فإنه كان يأخذ من كلّ إقليم من الأمتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه ويعينه على أهل الإقليم الآخر .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢١٥) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) في ب : وسار معه ، وفي ط : وتابعه .
(٤) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢١٧) .
(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٨ ـ ٩) .
(٦) في ب ومطرف . وكذلك هو في تفسير ابن كثير (٣/ ١٠١) .
ومطر بن طهمان الوراق السلمي مات سنة (١٢٥هـ) . تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٢) .
(٧) في ب : تعلم .

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفاً وستمئة سنة يجوب الأرض ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وفي كلّ هذه المدّة نظر . والله أعلم .

وقد روى البيهقي ، وابن عساكر حديثاً متعلّقا بقوله ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ مطولاً جداً ، وهو منكر جداً . وفي إسناده محمد بن يونس الكُدَيْمي ، وهو مُتَّهم[١] فلهذا لم نكتبه لسقوطه عندنا . والله أعلم .

وقوله : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أي طَريقاً ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ يعني من الأرض ، انتهى إلى حيث لا يمكن أحداً أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له : أُوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبتدأ الأطوال على أحد قولي أرباب الهيئة ، والثاني من ساحل هذا البحر كما قدّمنا . وعنده شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته ﴿ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ والمراد بها البحر في نظره ، فإن من كان في البحر أو على ساحله يرى الشمسَ كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ، ولهذا قال : ﴿ وَجَدَهَا ﴾ أي في نظره ، ولم يقل : فإذا هي تغرب في عين حمئةٍ ، أي ذات حمأة . قال كعب الأحبار[٢] : وهو الطين الأسود . وقرأه بعضهم ﴿ حامية ﴾[٣] . فقيل : يرجع إلى الأول ، وقيل من الحرارة ، وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها .

وقد روى الإمام أحمد[٤] ، عن يزيد بن هارون ، عن العوَّام بن حَوْشَب ، حدثني مولى لعبد الله بن عمرو ، عن عبد الله قال : نظر رسول الله ﷺ : إلى الشمس حين غابت فقال : « في نار الله الحامية ، لولا ما يَزَعُها من أمر الله لأحْرقَتْ ما على الأرض » فيه غرابة ، وفيه رجل مُبهم لم يُسَمَّ ، ورفْعُه فيه نظر ، وقد يكون موقوفاً من كلام عبد الله بن عمرو ، فإنه أصاب يوم اليرموك زامِلتين من كتب المتقدّمين ، فكان يحدِّث منها[٥] . والله أعلم .

ومن زعم من القصاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشي بجيوشه في ظلمات مُدداً طويلة فقد أخطأ وأبعدَ النجعة . وقال ما يخالف العقل والنقل .

***

(١) ترجمته في المجروحين والضعفاء (٢/ ٣١٢) وفيه : ولعله قد وضع أكثر من ألف حديث .
(٢) زيادة من ط .
(٣) هي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وأبي بكر . حجة القراءات لابن زنجلة : (٤٢٨ ـ ٤٢٩) ، وتفسير الطبري (٩/١٦) .
(٤) المسند (٢/٢٠٧) .
(٥) في ب : منهما .

[بَيان طلب ذي القرنين عين الحياة][(١)]

وقد ذكر ابن عساكر[(٢)] من طريق وكيع ، عن أبيه ، عن معتمر بن سليمان ، عن أبي جعفر الباقر ، عن أبيه زين العابدين خبراً مطولاً جداً فيه أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له : رناقيل[(٣)] ، فسأله ذو القرنين : هل تعلم في الأرض عيناً يقال لها : عين الحياة ؟ فذكر له صِفةَ مكانها . فذهب ذو القرنين في طلبها ، وجعل الخَضِرَ على مقدّمته ، فانتهى الخضِر إليها في وادٍ في أرض الظلمات ، فشرب منها ، ولم يهتد ذو القرنين إليها .

وذكر اجتماع ذي القرنين ببعض الملائكة في قصرٍ هناك ، وأنه أعطاه حجراً ، فلما رَجَع إلى جيشه سأل العلماءَ عنه ، فوضعوه في كِفَّة ميزان ، وجعلوا في مقابلته[(٤)] ألف حجر مثله فوزنها ، حتى سأل الخضرَ ، فوضع قباله حجراً وجعل عليه حفنة من تراب فرجح به[(٥)] ، وقال : هذا مَثَلُ ابن آدم لا يشبع حتى يوارى بالتراب ، فسجد له العلماء تكريماً له وإعظاماً . والله أعلم .

ثمّ ذكر تعالى أنه حكّمه في تلك الناحية ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف : ٨٦ ـ ٨٧] أي فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة ، وبدأ بعذاب الدنيا لأنه أزجرُ عند الكافر . ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ فبدأ بالأهَمِّ وهو ثواب الآخرة ، وعطف عليه الإحسان منه إليه ، وهذا هو العدل والعلم والإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أي سَلك طريقاً راجعاً من المغرب إلى المشرق ، فيقال : إنه رجع في ثنتي عشرة[(٦)] سنة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ أي : لَيسَ لَهُم بُيُوتٌ ولا أكْنانٌ[(٧)] يَسْتَتِرُونَ بها من حرّ الشمس . قال كثيرٌ من العلماء[(٨)] : ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحرُّ إلى أسراب قد اتخذوها في الأرض شبهَ القبور . قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ أي ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكلَؤه بحراستنا في مسيره ذلك كلّه من مغارب الأرض إلى مشارقها .

وقد رُوي عن عُبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما من السلف أن ذا القرنين حجَّ ماشياً ، فلما سمع

---

(١) زيادة من ط . ومن حاشية الأصل .
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢٢٠ ـ ٢٢٤) .
(٣) في مختصر تاريخ دمشق : زيافيل . وكذلك هو في الروض الأنف (٢/ ٥٩) .
(٤) زيادة من ب وط .
(٥) في ب : فرجحته .
(٦) في ط : عشر ، وهو خطأ . والقول منسوب إلى سعيد بن جبير في مختصر تاريخ دمشق(٨/ ٢١٧) .
(٧) الكِنّ والكِنان : البيت ، وما يقي ويستر ، جمعه : أكنان وأكِنّة .
(٨) تفسير الطبري (١٦/ ١٢) .

إبراهيمُ الخليل بقدومه تلقّاه ، فلما اجتمعا دعا له الخليل ، ووصّاه بوصايا ، ويقال : إنه جيء بفرس ليركبها فقال : لا أركبُ في بلد فيه الخليل ، فسخَّر اللهُ له السحابَ ، وبشّره إبراهيم بذلك ، فكانت تحمله إذا أراد[١] .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ يعني غُشما . يُقال : إنهم هم التُّركُ أبناء عم يأجوج ومأجوج ، فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدوا عليهم وأفسدوا في بلادهم وقطعوا السُّبُل عليهم ، وبذلوا له حَمْلا ، وهو الخراج (على أن يقيم بينهم وبينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول إليهم فامتنع من أخذ الخراج)[٢] اكتفاءً بما أعطاه الله تعالى من الأموال الجزيلة .

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ﴾ ثمّ طلب منهم أن يجمعوا له رجالاً وآلاتٍ ليبني بينهم وبينهم سداً ، وهو الردم بين الجبلين ، وكانوا لا يستطيعون الخروج إليهم إلا من بينهما ، وبقية ذلك بحارٌ مُغرِقة وجبالٌ شاهقةٌ ، فبناه كما قال الله تعالى من الحديد والقَطر ، وهو النحاس المذاب ، وقيل : الرصاص ، والصحيح الأول ، فجعل بَدَل اللَّبِن حديداً ، وبدلَ الطِّين نحاساً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ أي يَعلو عليه بسلالم ولا غيرها ﴿ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ أي بمعاول ولا فؤوس ولا غيرها ، فقابل الأسهلَ بالأسهل ، والأشد بالأشد .

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾ أي : قَدَّر اللهُ وجودَه ليكون رحمةً منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على مَن جاورهم في تلك المحلة ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى ﴾ أي : الوقت الذي قدّر خروجهم على الناس في آخر الزمان ﴿ جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾ أي : مُساوياً للأرض ، ولا بد من كون هذا ، ولهذا قال : ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ . كما قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ الآية [الأنبياء : ٩٦ ـ ٩٧] . ولذا قال هاهُنا : ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ﴾ يَعني يوم فتح السدِّ على الصحيح[٣] ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ .

وقد أوردنا الأحاديث المرويّة في خروج يأجوج ومأجوج في « التفسير »[٤] ، وسنوردها إن شاء الله في كتاب الفتن والملاحم من كتابنا هذا إذا انتهينا إليه بحول الله وقوته وحسن توفيقه ومعونته وهدايته[٥] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢١٧) .
(٢) سقطت من ب بنقلة عين .
(٣) عند الطبري أقوال متعددة في تفسير هذه الآية ، تفسيره (١٦/ ٢٣ ـ ٢٥) .
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٥) ، عند تفسير قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ .
(٥) زاد في ب : وإنه المستعان .

قال أبو داود الطيالسي ، عن الثوري : بلغنا أن أَوَّلَ من صافح ذو القرنين[١] .

وروي عن كعب الأحبار أنه قال لمعاوية : إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمَّه إذا هو مات أن تصنع طعاماً وتجمع نساء أهل المدينة وتضعه بين أيديهن وتأذن لهن فيه إلا من كانت ثَكْلَى فلا تأكل منه شيئاً ، فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدَها فيه ، فقالت لهن : سبحان الله كلكنَّ ثَكْلى ؟ فقلن : إي والله ما منا (إلا من أثكَلتْ . فكان ذلك تسلية لأمه)[٢] .

وذكر إسحاق بن بشر عن عبد الله بن زياد عن بعض أهل الكتاب وصية ذي القرنين وموعظة أمه موعظة بليغة طويلة ، فيها حكم وأمور نافعة ، وأنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة . وهذا غريب .

قال ابن عساكر[٣] : وبلغني من وجه آخر أنه عاش ستاً وثلاثين سنةً . (وقيل كان عمره ثنتين وثلاثين سنة . وكان بعد داود بسبعمئة سنة وأربعين سنة)[٤] . وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومئة وإحدى وثمانين سنة . وكان ملكه ست عشرة سنة[٥] . وهذا الذي ذكره إنما ينطبق على الإسكندر الثاني لا الأول ، وقد خلط في أول الترجمة وآخرها بينهما ، والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداءً بجماعة من الحفّاظ . والله أعلم .

وممن جعلهما واحداً الإمام عبد الملك بن هشام راوي السيرة[٦] ، وقد أنكر ذلك عليه الحافظ أبو القاسم السُّهيلي[٧] ، رحمه الله ، إنكاراً بليغاً ، ورد قوله رداً شنيعاً ، وفرَّق بينهما تفريقاً جيداً كما قدمنا ، قال : ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسمَّوا بذي القرنين تشبُّهاً بالأول . والله أعلم .

***

(١) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٣٥٨) .
(٢) سقطت من ب . والخبر في تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٣٥٨) .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٧/ ٣٦١) .
(٤) سقطت من ب بنقلة عين .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٧/ ٣٦١) .
(٦) السيرة (١/ ٣٠٧) .
(٧) الروض الأنف (٢/ ٥٩) .

ذكر أُمَّتَيْ يأجوج ومأجوج

وصفاتهم وما ورد من أخبارهم وصفة السد

هم من ذرية آدم بلا خلاف نعلمه ، ثمّ الدليل على ذلك ما ثبت في « الصحيحين »(١) من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول اللهُ تعالى يومَ القيامة : يا آدمُ قُمْ فَابْعثْ بَعْثَ النارِ من ذُرّيّتك . فيقولُ : يا ربِّ وما بعْثُ النار ؟ فيقولُ : من كُلِّ ألفٍ تسعمئةٍ وتسعةٌ وتسعونَ إلى النارِ ، وواحدٌ إلى الجنة ، فحينئذٍ يَشيبُ الصغيرُ ، وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها ، وتَرَى النَّاسَ سُكَارى وما هُمْ بِسُكَارى ولكِنَّ عذابَ اللهِ شَدِيْدٌ . قالوا : يا رسول الله أيُّنا ذلك الواحدُ ؟ فقال رسول الله ﷺ : أبشروا فإن منكم واحداً ، ومن يأجوج ومأجوج ألفاً » . وفي رواية : فقال : « أبشروا فإن فيكم أُمَّتين ما كانتا في شيء إلا كثَّرتاه » أي غلبتاه كثرةً ، وهذا يدلّ على كثرتهم ، وأنهم أضعاف الناس مراراً عديدة .

ثمّ هم من ذرية نوح ، لأن الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبده نوح في دعائه على أهل الأرض بقوله : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ [العنكبوت : ١٥] . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] .

وتقدم(٢) في الحديث المروي في « المسند »(٣) و « السنن »(٤) أن نوحاً وُلد له ثلاثة ، وهم سام ، وحام ويافث ، فسام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك . فيأجوج ومأجوج طائفةٌ من الترك وهم مثل(٥) المغول ، وهم أشدّ بأساً وأكثر فساداً من هؤلاء ، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم . وقد قيل : إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السدَّ وألجأ يأجوج ومأجوج إلى ما وراءه ، فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم فتركوا(٦) من ورائه . فلهذا قيل لهم الترك .

---

(١) في البخاري رقم(٤٧٤١) ، في التفسير ، باب تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ ﴾ ، ومسلم (٣٧٩) ، في الإيمان ، باب قوله : « يقول الله لآدم : أخرج بعث النار من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين » .

(٢) في الجزء الأول من هذا الكتاب ، في قصة نوح عليه السلام .

(٣) مسند أحمد(٥/ ٩و١١) ، من طريق سَمُرة بن جندب عن رسول الله ﷺ .

(٤) الترمذي ، رقم(٣٢٣٠) و(٣٢٣١) في التفسير ، باب ومن سورة الصافات ، رقم (٣٩٣١) في المناقب ، باب مناقب في فضل العرب ، وحسّنه الترمذي ، وإسناده ضعيف .

(٥) كذا في ب وهو أشبه بالصواب . وفي أ وط : مغل .

(٦) في ب : فنزلوا . وهو تصحيف وتحريف .

ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خُلقوا من نطفة آدم حين احتلم ، فاختلطت بترابٍ ، فَخُلِقوا من ذلك ، وأنهم ليسوا من حواء ، فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النووي(١) في شرح مسلم وغيره ، وضَعَّفوه ، وهو جدير بذلك ، إذ لا دليل عليه ، بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن .

وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جدًّا ؛ فمنهم من هو كالنخلة السحوق . ومنهم من هو غاية في القصر . ومنهم من يفترش أذناً من أذنيه ويتغطى بالأخرى ، فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان(٢) .

والصحيح أنهم من بني آدم ، وعلى أشكالهم وصفاتهم . وقد قال النبي ﷺ : « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً . . . ثمّ لم يزل الخلق ينقص حتى الآن »(٣) . وهذا فيصل في هذا الباب وغيره .

وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفاً ، فإن صَحَّ في خبرٍ قُلنا به ، وإلا فلا نردُّه ، إذ يحتمله العقل ، والنقل أيضاً قد يرشد إليه . والله أعلم . بل قد ورد حديث مصرّح بذلك إن صَحَّ ، قال الطبراني : حدّثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصبهاني ، حدّثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات ، حدّثنا أبو داود الطيالسي ، حدّثنا المغيرة ، عن مسلم ، عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر ، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، ولو أُرْسِلوا لأفسدوا على الناس معايِشَهم ، ولن يموتَ منهم رَجُلٌ إلاّ تَرَكَ من ذُرِّيته ألفاً فصاعداً ، وإن من ورائهم ثلاثَ أُمَم : تاويل وتاريس ومنسك » . وهو حديث غريب جدًّا وإسناده ضعيف . وفيه نكارة شديدة .

وأما الحديث الذي ذكره ابن جرير في « تاريخه »(٤) أن رسول الله ﷺ ذهب إليهم ليلة الإسراء فدعاهم إلى الله فامتنعوا من إجابته ومتابعته ، وأنه دعا تلك الأمم التي هناك (تارس وتاويل ومنسك) فأجابوه فهو حديث موضوع ، اختلقه أبو نعيم عمر بن الصبح(٥) أحد الكذّابين الكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث . والله أعلم .

---

(١) نقله أيضاً ابن حجر في فتح الباري : (٦/ ٣٨٦) .
والنووي : هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي النووي الحوراني ، توفي سنة (٦٧٦هـ) وله مؤلفات كثيرة . منها كتابه : المنهاج في شرح صحيح مسلم . وهو مطبوع .
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١٦) .
(٣) الحديث بتمامه في البخاري : رقم (٦٢٢٧) في أول باب الاستئذان ، ومسلم (٢٨٤١) ، في الجنة ، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير .
(٤) تاريخ الطبري (١/ ٧٠) .
(٥) انظر تهذيب التهذيب (٧/ ٤٦٣) .

فإن قيل : فكيف دلّ الحديث المتفق عليه أنهم فداء المؤمنين يوم القيامة ، وأنهم في النار ولم يُبعثْ إليهم رُسُلٌ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] (فالجواب أنهم لا يُعذَّبون إلا بعد قيام الحجّة عليهم والإعذار إليهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾)(١) فإن كانوا في زمن(٢) الذي قبل بعث(٣) محمد ﷺ قد أتتهم رسلٌ منهم ، فقد قامت على أولئك الحجّة ، وإن لم يكن قد بعث الله إليهم رسُلاً ، فهم في حكم أهل الفترة ، ومن لم تبلغه الدعوة ، وقد دلَّ الحديث المرويُّ من طُرُق عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ أن من كان كذلك يُمتحَنُ في عَرَصَات القيامةِ ، فمن أجابَ الداعي دخَلَ الجَنَّةَ ، ومن أبى دَخلَ النار . وقد أوردنا الحديث بطرقه(٤) وألفاظه وكلام الأئمة عليه عند قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ .

وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري إجماعاً عن أهل السنة والجماعة ، وامتحانهم لا يقتضي نجاتهم ولا ينافي الإخبار عنهم بأنهم من أهل النار ، لأن الله يُطلع رسوله ﷺ على ما يشاء من أمر الغيب ، وقد أطلعه على أن هؤلاء من أهل الشقاء ، وأن سجاياهم تأبى قَبولَ الحق والانقياد له ، فهم لا يجيبون الداعي إلى يوم القيامة ، فيُعلَم من هذا أنهم كانوا أشدّ تكذيباً للحق في الدنيا لو بلغهم فيها ، لأن في عرصات القيامة ينقاد خلقٌ ممن كان مكذِّباً في الدنيا ، فإيقاع الإيمان هنالك لما يشاهد من الأهوال أولى وأحرى منه في الدنيا ، والله أعلم .

كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ١٢] . وقال تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [مريم : ٣٨] . وأما الحديث الذي فيه أن رسول الله ﷺ دعاهم ليلة الإسراء فلم يُجيبوا ، فإنه حديث منكَرٌ ، بل موضوع ، وضعه عمر بن الصبح .

وأما السَّدُّ ، فقد تقدّم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنُّحاس ، وساوَى به الجبالَ الصم(٥) الشامخات الطوال ، فلا يُعرفُ على وجه الأرض بناءٌ أجلّ منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم . قال البخاري : وقال رجل للنبي ﷺ : رأيتُ السد . قال : « وكَيْفَ رَأَيْتَهُ » ؟ قالَ : مثل البُرْدِ المحبَّر . فقال : « رأيته هكذا » . ذكره البخاري(٦) معلقاً بصيغة الجزم ، ولم أَرَه مُسْنَداً من وجه متصل أرتضيه ، غير أن ابن جرير

---

(١) سقطت من ب : بنقلة عين .

(٢) في ب : الزمن .

(٣) في ب : بعثة .

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨ ـ ٣٢) .

(٥) في ب : الشم .

(٦) رواه البخاري (٦/ ٣٨١) في الأنبياء ، معلقاً أول باب قصة يأجوج ومأجوج .

رواه في « تفسيره »[(١)] مرسَلاً فقال : حدّثنا بِشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن رجلاً قال : يا رسول الله قد رأيتُ سد يأجوج ومأجوج ، قال : « انعتْه لي » . قال : كالبُردِ المحبَّر طريقة سواد وطريقة حمراء . قال : « قد رأيته » .

وقد ذُكر أن الخليفة الواثق[(٢)] بعث رسلاً من جهته ، وكتب لهم كتباً إلى الملوك يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى ينتهوا إلى السد فيكشفوا عن خبره ، وينظروا كيف بناه ذو القرنين على أي صفة ؟ فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه باباً عظيماً ، وعليه أقفال ، وأنه بناءٌ محكمٌ شاهقٌ منيفٌ جدّاً ، وأن بقية اللَّبِن الحديد والآلات في برج هناك ، وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المتاخمة لتلك البلاد ، ومحلّته في شرقي الأرض في جهة الشمال في زاوية الأرض الشرقية الشمالية ، ويقال : إن بلادهم متسعة جداً ، وإنهم يقتاتون بأصناف من المعايش من حراثة وزراعة واصطياد من البر ومن البحر ، وهم أمم وخلق لا يعلم عدَدَهم إلا الذي خلقهم .

فإن قيل : فما الجمع بين قوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَـرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ وبين الحديث الذي رواه البخاري[(٣)] ومسلم[(٤)] عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : استيقظ رسول الله ﷺ من نوم محمرّاً وجهه وهو يقول : « لا إلَه إلا الله ، ويلٌ لِلعربِ من شَرٍّ قَدِ اقْتربَ ، فُتِحَ اليومَ من ردمِ يأجوج ومأجوج مثلُ هذه » وحلّق تسعين[(٥)] . قلت : يا رسول الله ! أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[(٦)] من حديث وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « فُتحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه » وعقد تسعين .

فالجواب : أما على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفِتن ، وأن هذا استعارة محضة ، وضرْبُ مثلٍ ، فلا إشكال .

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٠) .

(٢) هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد . ولي الخلافة سنة ٢٢٧هـ وتوفي سنة ٢٣٢هـ .

(٣) صحيح البخاري رقم (٣٣٤٦) في الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ، ورقم (٣٥٩٨)في المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ورقم(٥٢٩٣) في الطلاق باب الإشارة في الطلاق والأمور ، ورقم(٧٠٥٩) . في الفتن ، باب قول النبي ﷺ ويلٌ للعرب من شرٍّقد اقترب ، ورقم (٧١٣٥) باب يأجوج ومأجوج .

(٤) صحيح مسلم رقم (٢٨٨٠) في الفتن ، باب اقتراب الفتن .

(٥) قال ابن حجر في فتح الباري : عقد التسعين : أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها ويضمها ضماً محكماً بحيث تنطوي عقدتاها حتى تصير مثل الحية المطوقة (١٣/ ١٠٨) .

(٦) في البخاري رقم (٧١٣٦) في الفتن ، باب يأجوج ومأجوج .
ومسلم رقم (٢٨٨١) في الفتن ، باب اقتراب الفتن . واللفظ لمسلم .

وأما على قول من جَعل ذلك إخباراً عن أمرٍ محسوس كما هو الظاهر المتبادر ، فلا إشكال أيضاً ، لأن قوله : ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ أي : في ذلك الزمان ، لأن هذه صيغة خبر ماضٍ فلا ينفي وقوعُه فيما يستقبل بإذن الله لهم في ذلك قدراً ، وتسليطهم عليه بالتدريج قليلاً قليلاً حتى يتم الأجل وينقضي الأمر المقدور فيخرجون كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٦] ولكن الحديث الآخر أشكل من هذا ، وهو ما رواه الإمام أحمد في « مسنده »[(١)] قائلاً : حدّثنا رَوْح ، حدّثنا سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، حدّثنا أبو رافع ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن يأجوج ومأجوج ليَحْفِرُنَّ السدّ كلّ يومٍ حتى إذا كادوا يرونَ شعاعَ الشمسِ قالَ الذي عَلَيهم : ارجِعُوا فستحفرونه غداً ، فيعودون إليه كأشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدّتُهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس ، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاعَ الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله ، ويستثني ، فيعودون إليه وهو كهيئته يوم تركوه ، فيحفرونه ويخرجون على الناس ، فيستقون[(٢)] المياه وتتحصن الناس منهم[(٣)] في حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم ، فيقولون : قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء ، فيبعث الله عليهم نغفاً[(٤)] في أقفائهم فيقتلهم بها » ، قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسُ محمدٍ بيده إن دوابَّ الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم » . رواه أحمد[(٥)] أيضاً عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة .

وهكذا رواه ابن ماجه[(٦)] من حديث سعيد عن قتادة ، إلا أنه قال : حدّث أبو رافع . ورواه الترمذي[(٧)] من حديث أبي عوانة عن قتادة به ، ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

فقد أخبر في هذا الحديث أنهم كل يوم يلحسونه حتى يكادوا ينظرون[(٨)] شعاع الشمس من ورائه لرقّته ، فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظاً . وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار ، كما قاله بعضهم ، فقد استرحنا من المؤونة ، وإن كان محفوظاً ، فيكون محمولاً على أن صنيعهم هذا يكون في آخر الزمان

---

(١) المسند (٢/ ٥١٠) .
(٢) في المسند : فينشفون .
(٣) قوله : منهم ، زيادة من ب والمسند .
(٤) النَّغَفُ : دودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم ، واحدتها : نَغَفَةٌ . النهاية لابن الأثير .
(٥) المسند (٢/ ٥١١) .
(٦) سنن ابن ماجه رقم (٤٠٨٠) ، في الفتن ، باب فتنة الدجال وخروج عيسى وخروج يأجوج ومأجوج، إسناده صحيح، ولكن في رفعه نكارة، ولعله من كلام كعب ، كما يعنيه المصنف وينظر التعليق على ابن حبان (١٤/ حديث ٦٨٢٩).
(٧) سنن الترمذي رقم (٣١٥٣) في تفسير القرآن ، باب ومن سورة الكهف .
(٨) في ط : ينذرون . .

عند اقتراب خروجهم ، كما هو المروي عن كعب الأحبار ، أو يكون المراد بقوله : ﴿ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ أي : نافذاً منه ، فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه . والله أعلم .

وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في « الصحيحين » عن أبي هريرة « فُتح اليومَ من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وعقد تسعين ، أي : فتح فتحاً نافذاً فيه . والله أعلم .

* * *

قصّة أصحاب الكهف

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٩ - ٢٦] .

كان سبب نزول قصّة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين ما ذكره محمد بن إسحاق في « السيرة »(١) وغيره أن قريشاً بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ ويسألونه عنها ليختبروا ما يجيب به فيها ، فقالوا : سلوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يُدرَى ما صنعوا ، وعن رجل طوّافٍ في الأرض ، وعن الروح . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء : ٨٥] . ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى

(١) السيرة النبوية (٢٠٢) .

﴿ ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف : ٨٣] ، وقال هاهنا ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ أي ليسوا بعجب عظيم بالنسبة إلى ما أطلعناك عليه من الأخبار العظيمة والآيات الباهرة والعجائب الغريبة .

والكهف : هو الغار في الجبل . قال شُعيب الجَبَائي[١] : واسم كهفهم حَيزم .

وأما الرَّقيم ، فعن ابن عباس أنه قال : لا أدري ما المراد به . وقيل : هو الكتاب المرقوم فيه أسماؤهم وما جرى لهم ، كُتِبَ من بعدهم ، اختاره ابن جرير[٢] وغيره . وقيل : هو اسم الجبل الذي فيه كهفهم . قال ابن عباس وشعيب الجَبَائي واسمه بنجلوس[٣] . وقيل : هو اسم وادٍ عند كهفهم . وقيل : اسم قرية هنالك . والله أعلم .

قال شعيب الجَبَائي : واسم كلبهم حَمران .

واعتناء اليهود بأمرهم ومعرفة خبرهم يدل على أن زمانهم متقدِّم على ما ذكره بعض المفسرين أنهم كانوا بعد المسيح ، وأنهم كانوا نصارى . والظاهر من السياق أن قومهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام . قال كثير من المفسرين[٤] والمؤرخين وغيرهم كانوا في زمن ملك يقال له : دقيانوس ، وكانوا من أبناء الأكابر . وقيل : من أبناء الملوك . واتفق اجتماعهم في يوم عيدٍ لقومهم ، فرأوا مايتعاطاه قومُهم من السجود للأصنام والتعظيم للأوثان ، فنظروا بعين البَصِيرة ، وكشف الله عن قلوبهم حجابَ الغفلة ، وألهَمَهم رشدهم ، فعلموا أن قومهم ليسوا على شيء ، فخرجوا عن دينهم ، وانتموا إلى عبادة الله وحدَه لا شريك له . ويقال : إن كل واحد منهم لما أوقع الله في نفسه ما هداه إليه من التوحيد انحاز عن الناس ، واتفق اجتماع هؤلاء الفتية في مكانٍ واحد ، كما صحّ في البخاري[٥] « الأرْواحُ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعارَفَ مِنها ائتَلَفَ وما تناكَرَ مِنها اخْتَلَفَ » ، (فكلٌّ منهم سأل الآخر عن أمره وعن شأنه فأخبره ما هو عليه ، واتفقوا على الانحياز عن قومهم)[٦] والتبرّي منهم ، والخروج من بين أظهرهم ، والفرار بدينهم منهم ، وهو المشروع حال الفِتن وظهور الشرور .

قال الله تعالى ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ﴾ أي : بدليلٍ ظاهرٍ على ما ذهبوا إليه وصاروا من الأمر عليه

(١) الجَبَائي : نسبة إلى جَبَاء ، جبل باليمن .
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٣١ ـ ١٣٢) .
(٣) كذا في الأصول ، وفي تفسير أيضاً . وفي ط : بنا جلوس .
(٤) تفسير الطبري (٥١/ ١٣٢) وما بعدها .
(٥) رواه البخاري معلقاً رقم (٣٣٣٦) ، في الأنبياء ، باب الأرواح جنود مجندة ، وقد وصله البخاري في الأدب المفرد ، وقد وصله مسلم رقم (٢٦٣٨) وأبو داود رقم (٤٨٣٤) وغيرها .
(٦) سقطت من ب .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ أي وإذ فارقتموهم في دينهم وتبرَّأتم مما يعبدون من دون الله ، وذلك لأنهم كانوا يشركون مع الله كما قال الخليل : ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف : ٢٦ ـ ٢٧] وهكذا هؤلاء الفتية قالوا بعضهم بعضاً[١] : إذ قد فارقتم قومكم في دينهم[٢] فاعتزلوهم بأبدانكم لتسلموا منهم أن يوصِلوا إليكم شراً ﴿ فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ أي : يُسْبلْ عَلَيكُم ستره وتكونوا تحت حفظه وكنفه ويجعل عاقبةَ أمركم إلى خيرٍ ، كما جاء في الحديث « اللهُمَّ أحسن عاقِبَتَنا في الأُمورِ كُلِّها ، وأَجِرْنا مِن خزي الدُّنيا ومِن عذابِ الآخرة »[٣] .

ثمّ ذكر تعالى صفة الغار الذي أووا إليه ، وأن بابه موجَّه إلى نحو الشمال ، وأعماقه إلى جهة القبلة ، وذلك أنفع الأماكن أن يكون المكان قبلياً وبابه نحو الشمال ، فقال : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ ﴾ وقُرِئ[٤] ﴿ تَزْوَرُّ عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ﴾ فأخبر أن الشمس ـ يعني في زمن الصيف وأشباهه ـ تشرق أوَّل طلوعها في الغار في جانبه الغربي ، ثم تشرع في الخروج منه قليلاً قليلاً ، وهو ازورارُها ذاتَ اليمين[٥] فترتفع في جو السماء وتتقلص عن باب الغار ، ثم إذا تضيَّفت للغروب تشرع في الدخول فيه من جهته الشرقية قليلاً قليلاً إلى حين الغروب ، كما هو المشاهد بمثل هذا المكان ، والحكمة في دخول الشمس إليه في بعض الأحيان أن لا يفسد هواؤه ﴿ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي : بقاؤهم على هذه الصفة دهراً طويلاً من السنين لا يأكلون ولا يشربون ولا تتغذَّى أجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهان قدرته العظيمة .

﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ ﴾ قال بعضهم : لأن أعينهم مفتوحة لئلا تفسد بطول الغمض .

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ ﴾ قيل : في كل عام يتحوَّلون مرةً من جنب إلى جنب ، ويحتمل أكثر من ذلك . فالله أعلم .

﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ ﴾ (قال شُعيب الجَبائي : اسم كلبهم حَمْران. وقال غيره: الوصيد)[٦]:

---

(١) كذا العبارة في أ وب : قالوا بعضهم بعضاً . وفي ط : قال بعضهم إذ . وهو الأصح .

(٢) في ب : دينكم .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٨١) من حديث بسر بن أرطاة عن رسول الله ﷺ، وبسر مختلف في صحبته، والصحيح أنه ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين، وذكر ابن معين أنه كان رجل سوء، وقال ابن عدي: مشكوك في صحبته، وله أفعال قبيحة معروفة وينظر تحرير التقريب (١/ ١٦٩)، فالثابت أنه لم يسمع النبي ﷺ .

(٤) هي قراءة ابن عامر . الحجة لابن زنجلة (٤١٣) .

(٥) في ب : الشمال وهو سهو .

(٦) سقطت من ب بنقلة عين .

أُسْكُفَّةُ الباب[١] . والمراد أن كلبهم الذي كان معهم وصَحِبَهم حال انفرادهم من قومهم لزمهم ولم يدخل معهم إلى الكهف ، بل رَبَض على بابه ووضع يديه على الوصيد ، وهذا من جملة أدبه ومن جملة ما أُكرِموا به ، فإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ، ولما كانت التبعية مؤثرة حتى كان في كلب هؤلاء صار باقياً معهم ببقائهم ، لأن من أحبَّ قوماً سَعِد بهم ، فإذا كان هذا في حق كلبٍ فما ظنك بمن تبع أهل الخير وهو أهل للإكرام .

وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأً وخبراً طويلاً أكثره متلقّى من الإسرائيليات ، وكثير منها كَذِبٌ ومما لا فائدة فيه ، كاختلافهم في اسمه ولونه[٢] .

وأما اختلاف العلماء في محلّة هذا الكهف ، فقال كثيرون : هو بأرض أيْلة . وقيل : بأرض نينوى . وقيل : بالبلقاء . وقيل : ببلاد الروم ، وهو أشبه والله أعلم .

ولما ذكر الله تعالى ما هو الأنفع من خبرهم والأهم من أمرهم ، ووصف حالهم حتى كأن السامع راءٍ والمخبر مشاهِدٌ لصفة كهفهم ، وكيفيتهم في ذلك الكهف ، وتقلّبهم من جنب إلى جنب ، وأن كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، قال : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ أي : لِما عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا إليه . ولعلّ الخطاب هاهنا لجنس الإنسان المخاطَب لا بخصوصية الرسول ﷺ ، كقوله : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ [التين : ٧] أي : أيّها الإنسان ، وذلك لأن طبيعة البشرية تنفر من رؤية الأشياء المهيبة غالباً ، ولهذا قال : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ ودلَّ على أن الخبر ليس كالمعاينة ، كما جاء في الحديث[٣] ، لأن الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب .

ثمّ ذكر تعالى أنه بعثهم من رقدتهم بعد نومهم بثلاثمئة سنة وتسع سنين ، فلما استيقظوا قال بعضهم لبعض : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ أي : بدراهمكم هذه ، يعني التي معهم ، إلى المدينة ، ويقال : كان اسمها دفسوس ، ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ أي : أطيب مالاً ﴿ فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ أي : بطعام تأكلونه ، وهذا من زهدهم وورعهم ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أي في دخوله إليها ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ أي : إن عُدتم في ملتهم بعد إذ أنقذكم الله منها ، وهذا كله لظنهم أنهم رقدوا يوماً أو بعضَ يومٍ أو أكثر من ذلك ، ولم يحسِبوا أنهم قَدْ رقدوا أَزْيَدَ من ثلاثمئة سنة ،

---

(١) أُسْكفَّة الباب : خشبته التي يوطأ عليها ، وقيل عتبته .
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٤٢) .
(٣) رواه أحمد في مسنده رقم (١٨٤٢) و(٢٤٤٧) وابن حبان رقم (٦٢١٣) وهو حديث صحيح .

وقد تبدَّلت الدول أطواراً عديدةً ، وتغيَّرت البلاد ومن عليها ، وذهب أولئك القرن الذين كانوا فيهم ، وجاء غيرُهم ، وذهبوا وجاء غيرهم ، ولهذا لما خرج أحدُهم وهو تيذوسيس[١] فيما قيل ، وجاء إلى المدينة متنكراً لئلا يعرفه أحد من قومه فيما يحسبه تنكرت له البلاد واستنكره من يراه من أهلها واستغربوا شكله وصفته ودراهمه ، فيقال : إنهم حملوه إلى متولِّيهم وخافوا من أمره أن يكون جاسوساً أو تكون له طوية[٢] يخشون من مضرتها فيقال : إنه هرب منهم . ويقال : بل أخبرهم خبرَه ومن معه وما كان من أمرهم ، فانطلقوا معه ليُريهم مكانَهم ، فلما قربوا من الكهف دخل إلى إخوانه فأخبرهم حقيقَة أمرهم ومقدار ما رقدوا ، فعلموا أن هذا أمرٌ قدَّره الله ، فيقال : إنهم استمرُّوا راقدين ، ويقال : بل ماتوا بعد ذلك .

وأما أهل البلدة[٣] فيقال : إنهم لم يهتدوا إلى موضعهم من الغار ، وعمَّى الله عليهم أمرهم ، ويقال : لم يستطيعوا دخوله حِسّاً ، ويقال : مهابةً لهم[٤] .

واختلفوا في أمرهم : فقائلون يقولون : ﴿ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ﴾ أي : سدُّوا عليهم بابَ الكهف لئلا يخرجوا أو لئلا يصلَ إليهم ما يؤذيهم . وآخرون ، وهم الغالبون على أمرهم ، قالوا : ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ أي : معبداً يكون مباركاً لمجاورته هؤلاء الصالحين[٥] . وهذا كان شائعاً فيمَن كان قبلنا ، فأما في شَرْعنا ، فقد ثبت في « الصحيحين » عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنصارَى اتّخذُوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ » يُحذِّرُ ما فعلوا[٦] .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ (فمعنى أعثرنا : أطلعنا على أمرهم الناس . قال كثير من المفسرين : ليعلم الناسُ أن المعاد حقٌّ وأن الساعة

---

(١) كذا في الأصول . وقد ذكر ابن جرير في تفسيره (١٥/١٤٣و ١٤٤) . أن تيذوسيس هو الملك الذي كان حاكماً وقتئذٍ ، أما الفتى الذي أرسله أصحابه من الكهف فهو يمينحا . كما ذكر وفي بعض النسخ : يمليخا .

(٢) في ط : صولة . وهو تحريف .

(٣) في ب : القرية .

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٢) . وما بعدها .

(٥) أشار الطبري إلى أن قائلي هذا الرأي مختلف فيهم ، فقيل : هم المسلمون ، وقيل : هم الكفار . تفسيره (١٥/١٤٩) .

(٦) أخرجه البخاري : برقم (٤٣٥ ـ ٤٣٧) ، في الصلاة ، باب (٥٥) (الصلاة في البيعة) ، ورقم (١٣٣٠) ، في الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، ورقم (١٣٩٠) باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ، من طريق عائشة رضي الله عنها . ومسلم (٥٣٠) و(٥٣١) في المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، وقوله : يحذّر ما فعلوا . ورد في فتح الباري (١/ ٥٣٢) وفيه . وقوله : يحذر ما صنعوا جملة أخرى مستأنفة من كلام الراوي ، كأنه سئل عن حكمة ذكر ذلك في ذلك الوقت فأجيب بذلك .

لا ريب)[١] فيها إذا علموا أن هؤلاء القوم رقدوا أزيد من ثلاثمئة سنة ثمّ قاموا كما كانوا من غير تغير منهم ، فإن من أبقاهم كما هُم قادرٌ على إعادة الأبدان وإن أكلتها الديدان ، وعلى إحياء الأموات وإن صارت أجسامهم وعظامهم رُفاتاً ، وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون[٢] ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

هذا ويحتمل عود الضمير في قوله : ﴿ لِيَعْلَمُوٓاْ ﴾ إلى أصحاب الكهف ، إذ علْمُهم بذلك من أنفسهم أبلغ من علم غيرهم بهم . ويحتمل أن يعود على الجميع . والله أعلم .

ثمّ قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ ﴾ فذكر اختلافَ الناس في كميتهم ، فحكى ثلاثة أقوال وضعّف الأوّلَيْنِ وقرّر الثالثَ ، فدلّ على أنه الحقُّ ، إذ لو قيل غير ذلك لحكاه ، ولو لم يكن هذا الثالث هو الصحيح لوهّاه ، فدلّ على ما قلناه[٣] . ولمّا كان النزاع في مثل هذا لا طائل تحته ولا جدوى عنده أرشد نبيه ﷺ إلى الأدب في مثل هذا الحال إذا اختلف الناس فيه أن يقول : الله أعلم . ولهذا قال : ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ .

وقوله : ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ ﴾ أي : من الناس . ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا ﴾ أي : سَهلا ، ولا تتكلف أعمال الجدال في مثل هذا الحال ولا تَسْتَفْتِ في أمْرِهم أحداً من الرجال . ولهذا أبهَم الله تعالى عدَّتهم في أوّلِ القِصة فقال : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ ﴾ ولو كان في تعيُّن عدَّتهم كبير فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴾ أدب عظيم أرشده الله تعالى إليه وحَثّ خلقه عليه ، وهو ما إذا قال أحدهم : إني سأفعل في المستقبل كذا ، فيشرع له أن يقول : إن شاء الله ، ليكون ذلك تحقيقاً لعزمه ، لأن العبدَ لا يعلم ما في غدٍ ، ولا يدري أهذا الذي عَزَم عليه مقدَّرٌ أم لا ، وليس هذا الاستثناء تعليقاً وإنما هو الحقيقي ، ولهذا قال ابن عباس إنه يصح إلى سنة[٤] ولكن قد يكون في بعض المحال لهذا ، ولهذا كما تقدّم في قصّة سليمان عليه السلام[٥] حين قال : لأطوفنَّ الليلةَ على سبعين[٦] امرأةً تلد كل

(١) سقطت من ب بنقلة عين .
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٩) ، وتفسير ابن كثير (٣/ ٧٧) .
(٣) وهذا رأي ابن عباس رضي الله عنه . كما في تفسير الطبري (١٥/ ١٥٠) ، وابن كثير (٣/ ٧٨) .
(٤) أي يصح أن يستثني ولو تذكر إلى سنة ، وقول ابن عباس في الرجل يحلف ، قال له أن يستثني ولو إلى سنة . أورده الطبري في تفسيره (١٥/ ١٥١) ، وابن كثير (٣/ ٧٩) .
(٥) تقدم في الصفحة (١٩١) من هذا الجزء . وتخرج الحديث ثمة .
(٦) في ب : تسعين ، وهي رواية أيضاً .

واحدة[١] منهنَّ غلاماً يقاتل في سبيل الله . فقيل له : قل : إن شاء الله ، فلم يقل ، فطاف فلم تلد منهن إلا امرأةٌ واحدةٌ نصف إنسان . قال رسول الله ﷺ : « والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لو قالَ : إنْ شَاءَ اللهُ ، لم يَحْنَثْ وكانَ دركاً لحاجته » .

وقوله : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ وذلك لأن النسيان قد يكون من الشيطان ، فذِكْرُ الله يطرده عن القلب فيذكر ما كان قد نسيه .

وقوله : ﴿ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ أي : إذا اشْتبه أمرٌ وأشكَلَ حالٌ والتبس أقوالُ الناس في شيءٍ فارغب إلى الله يُيسّره لك ويسهّله عليك .

ثمّ قال تعالى : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ . لما كان في الإخبار بطول مدة لبثهم فائدة عظيمة ذَكَرها تعالى ، وهذه التسع المزيدة بالقمرية وهي لتكميل ثلاثمئة شمسية ، فإن كل مئة قمرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين . ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ أي : إذا سُئِلْتَ عن مثل هذا وليس عندك في ذلك نقلٌ ، فرُدَّ الأمرَ في ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ ﴿ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي هو العالم بالغيب فلا يُطلع عليه إلا من شاء من خلقه ﴿ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ ﴾ يعني أنه يضع الأشياء في مَحالّها لعلمه التام بخلقه وبما يستحقونه .

ثم قال : ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ أي : ربك المنفرد بالملك والمتصرف[٢] وحدَه لا شريك له .

***

(١) في ب : امرأة .

(٢) في ط : المنصرف . وهو تصحيف .

قصة الرجلين المؤمن والكافر

قال الله تعالى في سورة الكهف بعد قصة أهل الكهف : ﴿ ۞وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ إلى قوله : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الآيات : ٣٢ ـ ٤٤] .

قال بعض الناس : هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقعاً . والجمهور أنه أمرٌ قد وقع .

وقوله : ﴿ ۞وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ﴾ يعني لكفارِ قُريش في عَدَم اجتماعهم بالضعفاء والفقراء وازدرائهم بهم وافتخارهم عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس : ١٣] . كما قدَّمنا[١] الكلام على قصَّتهم قبل قصة موسى عليه السلام .

والمشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين ، وكان أحدُهما مؤمناً والآخر كافراً ، ويقال : إنه كان لكل منهما مالٌ ، فأنفق المؤمن مالَه في طاعة الله ومرضاته ابتغاء وجهه ، وأما الكافر فإنه اتّخذ له بستانين ، وهما الجنتان المذكورتان في الآية على الصفة والنعت المذكور ، فيهما أعنابٌ ونخيل تحفّ تلك الأعناب والزروع في ذلك[٢] ، والأنهار سارحةٌ هاهنا وهاهنا للسقي والتنزُّه ، وقد استوثقت فيهما الثمار ، واضطربت فيهما الأنهار ، وابتهجت الزروع والثمار ، وافتخر مالكُهما على صاحبه المؤمن الفقير قائلاً له : ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ أي أوسع[٣] جناناً . ومرادُه أنّه خيرٌ منه ، ومعناه : ماذا أغنى عنكَ إنفاقُك ما كنتَ تملكُه في الوجه الذي صرفتَه فيه ؟! كان الأولى بكَ أن تفعل كما فعلتُ لتكونَ مثلي ، فافتخر على صاحبه ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ أي : وهو على غير طريقةٍ مرضية . قال : ﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ وذلك لِما رأى من اتّساع أرضِها وكثرة مائها وحُسن نبات أشجارِها ، ولو قد بادت كلُّ واحدةٍ من هذه الأشجار لاستخلف مكانها أحسن منها ، وزروعها دارةٌ لكثرة مياهها .

ثمّ قال : ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ فوَثِقَ بزهرةِ الحياة الدنيا الفانية وكذّب بوجود الآخرة الباقية الدائمة . ثمّ قال : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أي : وَلَئن كان ثَمّ آخرةٌ ومعادٌ فلأجدنَّ هنالكَ خيراً من هذا ، وذلك لأنه اغترَّ بدنياه واعتقد أن الله لم يعطه ذلك فيها إلاّ لحبّهِ له وحظوته عنده ،

(١) في آخر الجزء الأول من هذا الكتاب .
(٢) في ب : والزرع في خلال ذلك . .
(٣) زاد في ب : وأينع .

كما قال العاص بن وائل فيما قصَّ الله من خبره وخبر خبّاب بن الأرت[١] في قوله : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٧٧ ـ ٧٨] .

وقال تعالى إخباراً عن الإنسان إذا أنعم الله عليه : ﴿ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ قال الله تعالى : ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت : ٥٠] .

وقال قارون ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ أي : لعلم الله بي أنّي أستحقه ، قال الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص : ٧٨] .

وقد قدمنا الكلام على قصته في أثناء قصّة موسى[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٥ ـ ٥٦] .

ولما اغتر هذا الجاهل بما خُوِّل به في الدنيا فجحد الآخرة وادّعى أنها إن وجدت لَيَجدنَّ عند ربّه خيراً مما هو فيه . وسمعَه صاحبُه يقول ذلك قال له ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ أي : يجادله : ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ أي : أَجَحَدْتَ[٣] المَعَادَ وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب ، ثمّ من نطفة ، ثمّ طوّرك[٤] أطواراً حتى صِرت رجلاً سوياً سميعاً بصيراً ، تعلم وتبطش وتفهم ، فكيف أنكرت المعاد والله قادرٌ على البداءة . ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ أي : لكن أنا أقول بخلاف ما قلتَ ، وأعتقد خلافَ معتقدكَ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ أي : لا أعبد سِواه ، وأعتقد أنه يبعث الأجساد بعد فنائها ، ويعيد الأموات ، ويجمع العظام الرُّفات ، وأعلم أنَّ الله لا شريك له في خلقه ولا في ملكه ، ولا إله غيره .

ثم أرشده إلى ما كان الأولى به أن يسلكه عند دخول جنته فقال : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ ولهذا يُسْتَحَب لكلِّ من أعجبه شيءٌ من ماله أو أهله أو حاله أن يقول كذلك ، وقد ورد فيه حديثٌ مرفوعٌ ، في صحته نظر .

---

(١) تفصيل الخبر وسبب نزول هذه الآية في تفسير الطبري (١٦/ ٩١) .
(٢) في أول هذا الجزء .
(٣) في ب : جحرت .
(٤) في ط : صورك .

قال أبو يعلى الموصلي : حدَّثنا جَرَّاح بن مَخْلد[١] ، حدّثنا عمر بن يونس[٢] ، حدّثنا عيسى بن عون ، حدّثنا عبد الملك بن زرارة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أنعَمَ اللهُ على عبدٍ نِعمةً من أهْلٍ أو مالٍ أو ولدٍ فيقُولُ : ما شاءَ اللهُ لا قوةَ إلا بالله ، فيرى فيه آفة دون الموت »[٣] . وكان يتأول هذه الآية ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ قال الحافظ أبو الفتح الأزدي : عيسى بن عون عن عبد الملك بن زُرارة عن أنس لا يصح .

ثمّ قال المؤمن للكافر : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ أي : في الدار الآخرة ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ . قال ابن عباس ، والضحّاك ، وقتادة : أي : عذاباً من السماء[٤] . والظاهر أنه المطر المزعج الباهر الذي يَقْتَلِعُ زروعها وأشجارها ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ وهو الترابُ الأملس الذي لا نبات فيه[٥] ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾ وهو ضد المَعِين السارح ﴿ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ يعني فلا تقدر على استرجاعه .

قال الله تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ أي : جاءه أمرٌ أحاط بجميع حواصله وخَرَّب جنته ودمَّرها ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ أي : خربت بالكُلّية فلا عودَة لها ، وذلك ضد ما كان عليه أَمَّل حيث قال[٦] : ﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ وندم على ما كان سلف منه من القول الذي كفر بسببه بالله العظيم فهو يقول : ﴿ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ﴾ أي : لم يكن أحد يتدارك ما فرط من أمره ، وما كان له قدرة في نفسه على شيءٍ من ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ١٠] وقوله : ﴿ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ . ومنهم من يبتدئ بقوله : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو حَسَنٌ أيضاً لقوله ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٦] فالحكم الذي لا يُرَدُّ

---

(١) الجراح بن مخلد العجلي ، ثقة ، من الطبقة العاشرة ، توفي نحو سنة (٢٠٥هـ) . تقريب التهذيب (١/ ١٢٦) .

(٢) في ط : عمرو بن يوسف . وفي أ : عمر بن يوسف . وأثبت ما في ب ، وهو موافق لما في تفسير المؤلف (٣/ ٨٤) ، وعمر بن يونس اليمامي ، من الطبقة التاسعة ، وهو ثقة ، توفي بعيد المئتين ، قيل سنة (٢٠٦هـ) . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٢٢) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٦٤) . ولعله التبس بعمرو بن يوسف مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه . الجرح والتعديل (٦/ ٢٦٩) .

(٣) رواه أبو يعلى والبيهقي في شعب الإيمان ، من حديث أنس ، وفيه ضعف .

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ١٦٣) .

(٥) وقيل غير ذلك . تفسير الطبري (١٥/ ١٦٣) .

(٦) في ب : ما كان أمل منها حيث . . .

ولا يُمانَع ولا يُغالَب في تلك الحال ، وفي كل حال لله الحق . ومنهم من رفع ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾ جعله صفةً للوَلاية ، وهما متلازمتان[1] .

وقوله : ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [أي : معاملته خيرٌ لصاحبها ثواباً ، وهو الجزاء ، وخير عُقبا][2] . وهو العاقبة في الدنيا والآخرة .

وهذه القصّة تضمنت أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ، ولا يغترّ بها ولا يثق بها ، بل يجعل طاعةَ الله والتوكُّلَ عليه في كلّ حال نصب عينيه . وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه .

وفيها : أن من قدَّم شيئاً على طاعة الله والإنفاق في سبيله عُذِّب به ، وربما سُلب منه معاملة له بنقيض قصده .

وفيها : أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق ، وأن مخالفته وبال ودَمار على من رد النصيحة الصحيحة .

وفيها : أن الندامةَ لا تنفع إذا حانَ القدر ونفذ الأمر الحتم ، بالله المستعان وعليه التكلان .

* * *

(١) قراءة الرفع لأبي عمرو والكسائي ، وقرأ الباقون بالكسر ، ورجح الطبري قراءة الكسر . تفسير الطبري (١٥/ ١٦٤) ، وحجة القراءات (٤١٨ ـ ٤١٩) ، والنشر (٢/ ٣١١) .

(٢) زيادة من ط . سقطت من أ و ب . بنقلة عين .

قصّة أصحاب الجنّة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم : ١٧ ـ ٣٣] .

وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم إليهم ، فقابلوه بالتكذيب والمخالفة[١] ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم : ٢٨ ـ ٢٩] . قال ابن عباس : هم كفار قريش ، فضرب تعالى لهم مثلاً بأصحاب الجنة المشتملة على أنواع الزروع والثمار التي قد انتهت واستحقت أن تُجذَّ وهو الصرام ، ولهذا قال ﴿ إِذْ أَقْسَمُواْ ﴾ فيما بينهم ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ أي : ليجذّنها وهو الاستغلال ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ [أي : وقت الصبح][٢] حيث لا يراهم فقيرٌ ولا محتاج فيعطوه شيئاً ، فحلفوا على ذلك ، ولم يستثنوا في يمينهم ، فعجّزهم الله وسلّط عليها[٣] الآفة التي أحرقتها وهي السفعة التي اجتاحتها ولم تُبقِ بها شيئاً يُنْتفع به ، ولهذا قال : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ أي : كالليل الأسود المنصرم من الضياء ، وهذه معاملة بنقيض المقصود .

﴿ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴾ أي : فاستيقظوا من نومهم فنادى بعضُهم بعضاً قائلين : ﴿ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴾ أي باكروا إلى بستانكم فاصرموه قبل أن يرتفع النهار ويكثر السُؤّال ﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾ أي يتحدثون فيما بينهم خِفْيةً قائلين : ﴿ لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ أي : اتفقوا على هذا واشتوروا عليه ﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾ أي : انطلقوا مُجدِّين في ذلك قادرين عليه مضمرين على هذه[٤] النية الفاسدة. وقال عِكْرمة والشَّعْبي : ﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾ أي: غضب على[٥] المساكين[٦] . وأبعد السُّدِّي في قوله : أن اسم

---

(١) زاد في ب : له .
(٢) ليست في ب .
(٣) في ب : عليهم .
(٤) في ب : . . . . عليه مصممين مصرين على هذه . .
(٥) في ب : من .
(٦) وقيل غير ذلك . تفسير الطبري (٢٩/ ٢٠ ـ ٢١) ، وأمالي القالي (١/ ٧ ـ ٨) .

حرثهم[(١)] حرد ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا ﴾ أي : وصلوا إليها ونظروا ما حصل[(٢)] بها وما قد صارت إليه من الصفة المنكرة بعد تلك النضرة والحُسْن والبهجة ، فانقلبت بسبب النية الفاسدة ، فعند ذلك ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾ أي : قد تهنا[(٣)] عنها وسلكنا غير طريقها . ثمّ قالوا : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أي : بل عوقبنا بسبب سوء قصدنا وحُرِمنا بركة حَرْثنا .

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هو أعدلهم وخيرهم[(٤)] ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ قيل : تستثنون ، قاله مجاهد والسُّدِّي وابن جرير[(٥)] . وقيل : تقولون خيراً بدل ما قلتم من الشر .

﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴾ ، فندموا حيث لا ينفع[(٦)] واعترفوا بالذنب بعد العقوبة وذلك حيث لا ينجع .

وقد قيل : إن هؤلاء كانوا إخوةً وقد ورثوا هذه الجنة من أبيهم وكان يتصدّق منها كثيراً ، فلما صار أمرها إليهم استهجنوا أمر أبيهم وأرادوا استغلالها من غير أن يعطوا الفقراء شيئاً ، فعاقبهم الله أشد[(٧)] العقوبة ، ولهذا أمر الله تعالى بالصدقة من الثمار وحَثَّ على ذلك يوم الجذاذ كما قال تعالى : ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٤١] ثمّ قيل : كانوا من أهل اليمن من قرية يقال لها : ضَرَوَان[(٨)] . وقيل : من أهل الحبشة . والله أعلم[(٩)] .

قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾ أي : هكذا نعذّب من خالف أمرنا ولم يعطف على المحاويج من خلقنا ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أي أعظم وأحكم من عذاب الدنيا ﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقصة هؤلاء شبيه بقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ [النحل : ١١٢ ـ ١١٣] قيل : هذا مثل مضروب لأهل مكة ، وقيل[(١٠)] : هم أهل مكة أنفسهم ضربهم مثلاً لأنفسهم ولا ينافي ذلك . والله أعلم .

---

(١) في تفسير ابن كثير : (٤/٤٠٦) : اسم قريتهم حرد .
(٢) في ب : ونظروا إلى ما . . . ، وفي ط : ما حل .
(٣) في ط : نهينا .
(٤) تفسير الطبري (٢٩/٢٢) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) زاد في ط : الندم .
(٧) في ب : هذه العقوبة .
(٨) ضروان : بليدة قرب صنعاء . (معجم البلدان) .
(٩) انظر تفسير الطبري (٢٩/١٩) ، وتفسير النيسابوري على حاشيته ، وتفسير المؤلف (٤/٤٠٦) .
(١٠) زاد في ب : أنفسهم .

قصّة أصحاب أيلة الذين اعتدوا في سبتهم

قال الله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف : ١٦٣ ـ ١٦٦] .

وقال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [٦٥ ـ ٦٦] .

وقال تعالى في سورة النساء : ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [٤٧] .

قال ابن عباس ومُجاهد وعِكْرمة وقَتادة والسُّدِّي وغيرُهم : هم أهل أيلة[١] . زاد ابن عباس بين مَدْين والطُّور[٢] .

قالوا : وكانوا متمسِّكين[٣] بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان ، فكانت الحِيْتان قد أَلِفَتْ منهم السكينة في مثل هذا اليوم ، وذلك أنه كان يحرَّم عليهم الاصطياد فيه ، كذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب ، فكانت الحِيْتان في مثل يوم السبت يكثر غشيانها لمحلَّتهم من البحر ، فتأتي من هاهنا وهاهنا ظاهرةً آمنةً مسترسلةً ، فلا يهيجونها ولا يذعرونها ، ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ وذلك لأنهم كانوا يصطادونها فيما عدا السبت .

قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم ﴾ أي : نختبرهم بكثرة الحِيْتان في يوم السبت ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ أي : بسبب فسقهم المتقدِّم .

فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطيادها في يوم السبت بأن نصبوا الحبال والشباك والشُّصُوص[٤] وحفروا الحُفَر التي يجري معها الماء إلى مصانع قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها ، ففعلوا ذلك في يوم الجمعة ، فإذا جاءت الحِيْتان مُسترسلةً يوم السبت علقت بهذه المصايد ، فإذا خرج

---

(١) معجم البلدان . وهي التي تسمى اليوم إيلات ، على الشاطىء الشمالي للبحر الأحمر جنوب فلسطين .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٦٢) .

(٣) في ب : مستمسكين .

(٤) الشُّصوص ، مفردها : شِصّ : وهي حديدة عقفاء يصاد بها السمك .

سبتُهم أخذوها ، فغضب الله عليهم ولَعَنَهم لِمَا احتالوا على خلاف أمره وانتهكوا محارمه بالحيل التي هيظاهرة للناظر ، وهي في الباطن مخالفةٌ مَحضَةٌ ، فلما فعل ذلك طائفةٌ منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين : فرقة أنكروا عليهم صنيعهم هذا واحتيالهم على مخالفة الله وشرعه في ذلك الزمان ، وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ يقولون[١] : ما الفائدة في نهيكم هؤلاء وقد استحَقوا العقوبةَ لا محالة ، فأجابتهم الطائفة المنكرة بأنْ قالوا : ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي : فيما أَمَرَنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فنقوم به خوفاً من عذابه ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي : ولعلّ هؤلاء يتركون ما هُم عليه من هذا الصنيع فيقيهم الله عذابه ويعفو عنهم إذا هم رَجَعوا واستمعوا .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ ﴾ أي : لم يلتفتوا إلى مَن نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع الفظيع ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾ وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية[٢] عن المنكر ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ وهم المرتكبون الفاحشة ﴿ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ﴾ وهو الشديد المؤلم الموجع ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ . ثم فَسَّر العذاب الذي أصابهم بقوله : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ . وسنذكر ما ورد من الآثار عن ذلك[٣] .

والمقصود هنا أن الله تعالى أخبر أنه أهلكَ الظالمين ، ونجّى المؤمنين المنكرِين ، وسكت عن الساكتين . وقد اختلف فيهم العلماءُ على قولين : فقيل : هم[٤] من الناجين . وقيل : إنهم من الهالكين . والصحيح الأول عند المحقّقين ، وهو الذي رَجَع إليه ابن عَبَّاس إمامُ المفسرين ، وذلك عند[٥] مناظرة مولاه عِكرمة ، فكساه من أجل ذلك حُلَةً سَنِيَّةً تكرمةً .

قلت : وإنما لم يُذكَروا مع الناجين لأنهم وإن كرهوا ببواطِنهم تلك الفاحشةَ إلا أنهم كان ينبغي لهم أن يحملوا ظواهرهم بالعمل المأمور به من الإنكار القولي الذي هو أوسط المراتب الثلاث التي أعلاها الإنكار باليد ذات البَنان ، وبعدَها الإنكار القولي باللسان ، وثالثها الإنكار بالجَنان ، فلما لم يُذكَروا نجوا مع الناجين ، إذ لم يفعلوا الفاحشة بل أنكروا[٦] .

---

(١) زاد في ب : لهم .
(٢) في ب : والناهون .
(٣) كذا في ب ، وهو الأشبه بالصواب . وفي أ وط : الآيات في .
(٤) في ط : إنهم .
(٥) كذا في ب : وهو مناسب لما في تفسير المؤلف (٢/ ٢٥٨) . وفي أ وط : عن .
(٦) في ط : أنكروها .

وقد روَى عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيج ، عن رجل ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس[(١)] ، وحكى مالك ، عن ابن رومان ، وشيبانُ عن قتادة وعطاء الخراساني ما مضمونه أن الذين ارتكبوا هذا الصنيع اعتزلهم بقيةُ أهل البلد ، ونهاهم من نهاهم منهم ، فلم يقبلوا ، فكانوا يبيتون وحدَهم ، ويغلقون بينهم وبينهم أبواباً حاجزاً لما كانوا يترقبون من هلاكهم ، فأصبحوا ذاتَ يوم وأبوابُ ناحيتهم مغلقة لم يفتحوها ، وارتفع النهار واشتد الضحاء ، فأمر بقية أهل البلد رجلاً أن يصعد على سلالم ويشرف عليهم من فوقهم ، فلما أشرف عليهم إذا هم قِردة لها[(٢)] أذناب يتعاوون ويتعادون ، ففتحوا عليهم الأبواب فجعلت القردة تعرف قراباتهم ولا يعرفهم قراباتهم ، فجعلوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون : ألم ننهكم عن صنيعكم ؟ فتشير القردة برؤوسها أنْ نعم . ثمّ بكى عبد الله بن عباس وقال : إنا لَنَرى مُنكراتٍ كثيرةً ولا نُنكرها ولا نقول فيها شيئاً[(٣)] .

وقال العَوْفي[(٤)] عن ابن عباس : صار شباب القرية قردة وشيوخها خنازير .

وروى ابن أبي حاتم[(٥)] من طريق مجاهد عن ابن عباس أنهم لم يعيشوا إلا فُوَاقاً[(٦)] ثمّ هلكوا ما كان لهم نسل . وقال الضحاك عن ابن عباس[(٧)] : إنه لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل هؤلاء ولم يشربوا ولم ينسلوا .

وقد استقصينا الآثار في ذلك في تفسير سورة البقرة والأعراف[(٨)] . ولله الحمد والمنة .

وقد روى ابن أبي حاتم[(٩)] وابن جرير[(١٠)] من طريق ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد أنه قال : مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وخنازير ، وإنما هو مَثَلٌ[(١١)] ضربه الله ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة : ٥] وهذا صحيح إليه ، وغريب منه جداً ، ومخالف لظاهر القرآن ، ولما نصّ عليه غير واحد من السلف والخلف . والله أعلم .

---

(١) قوله : عن ابن عباس ليس في ب . والذي في تفسير المؤلف : جئت ابن عباس .
(٢) في ب : لهم .
(٣) تفسير المؤلف (٢/ ٢٥٨) .
(٤) العَوْفي ، هو عطية بن سعيد بن جنادة العَوْفي ، الجَدَلي الكوفي أبو الحسن ، صدوق يخطىء كثيراً ، وكان مدلساً « التقريب » رقم (٤٦١٦) .
(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠٩) .
(٦) الفُواق : ترديد الشهقة العالية ، وما يأخذ الإنسان عند النزع .
(٧) قوله : أنهم لم يعيشوا . . . إلى هنا . زيادة من ب وط . سقطت من أ بنقلة عين .
(٨) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦هـ ٢/ ٢٥٧) .
(٩) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠٩) .
(١٠) تفسير الطبري (١/ ٢٦٣) .
(١١) في ب . . قردة وإنما هذا مثل .

قصّة ﴿ أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس : ١٣] تقدَّم ذِكْرُها[١] قَبْلَ قِصَّة مُوسى عليه السلام .

قصّة سبأ : سيأتي ذكرها[٢] في أيام العرب إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

قصّة قارون ، وقصّة بلعام : تقدّمتا[٣] في قصّة موسى .

وهكذا قصّة الخضر وقصّة فرعون والسَّحرة كلّها في ضمن[٤] قصّة موسى .

وقصّة البقرة تقدَّمت[٥] في قصّة موسى .

وقصّة ﴿ ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة : ٢٤٣] . في قصّة حزقيل[٦] .

وقصّة ﴿ ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ ﴾ [البقرة : ٢٤٦] في قصّة شمويل[٧] .

وقصّة الذي ﴿ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] في قصّة عُزَيْر[٨] .

* * *

(١) في الجزء الأول من هذا الكتاب .
(٢) (ص٤٠٥) من هذا الجزء .
(٣) (ص١٠٤) من هذا الجزء .
(٤) (ص٨٦ و١٢٩) من هذا الجزء .
(٥) (ص٨٤) من هذا الجزء .
(٦) (ص١٥١) من هذا الجزء .
(٧) (ص١٥٦) من هذا الجزء .
(٨) (ص٢١١) من هذا الجزء .

قصّة لقمان

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ
حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا
تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ
ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان : ١٢ ـ ١٩] .

هو لقمان بن عنقاء بن سدون . ويقال : لقمان بن ثاران ، حكاه السهيلي عن ابن جرير والقتيبي . قال السهيلي : وكان نُوبيّاً من أهل أيْلَة .

قلت : وكان رجلاً صالحاً ذا عبادةٍ وعبارةٍ وحكمةٍ عظيمةٍ . ويقال : كان قاضياً في زمان داود عليه السلام . فالله أعلم .

وقال سفيان الثوري ، عن الأشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان(١) عبداً حبشياً نجاراً(٢) .

وقال قتادة ، عن عبد الله بن الزبير : قلت لجابر بن عبد الله : ما انتهى إليكم في(٣) شأن لقمان ؟ قال : [كان قصيراً أفطس من النوبة .

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيِّب قال](٤) : كان لقمان من سودان مصر(٥) . ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة .

وقال الأوزاعي : حدّثني عبد الرحمن بن حرملة قال : جاء أسود إلى سعيد بن المسيِّب يسأله ، فقال

---

(١) زاد في ب : لقمان .
(٢) الخبر في تفسير الطبري (٢١/ ٤٣) ، وليست فيه كلمة نجار ، والظاهر أنها جاءت من رواية أخرى سترد بعد قليل .
(٣) في ب : من . والخبر في تفسير المؤلف (٣/ ٤٤٣) .
(٤) سقطت من ب بنقلة عين .
(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣) .

له سعيد : لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان ، بلال ومِهْجع[(١)] مولى عمر ، ولقمان الحكيم كان أسود نوبياً ذا مشافر[(٢)] .

وقال الأعمش ، عن مجاهد : كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين ، وفي رواية مصفَّح القدمين[(٣)] .

وقال عمرو[(٤)] بن قيس : كان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفَّح القدمين ، فأتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدّثهم ، فقال له : ألستَ الذي كنتَ ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا[(٥)] ؟ قال : نعم . قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صِدْقُ الحديث ، والصمتُ عما لا يعنيني . رواه ابن جرير[(٦)] عن ابن حُميد عن الحكم عنه .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا صفوان ، حدّثنا الوليد ، حدّثنا عبد الرحمن بن يزيد[(٧)] ابن جابر قال : إن الله رفع لقمان الحكيم لحكمته ، فرآه رجلٌ كان يعرفه قبل ذلك فقال : ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعى[(٨)] بالأمس ؟ قال : بلى . قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : قَدَرُ الله ، وأداء الأمانة ، وصِدْقُ الحديث ، وترك ما لا يعنيني[(٩)] .

وقال ابن وهْب : أخبرني عبد الله بن عياش القِتْبَاني[(١٠)] ، عن عمر مولى غفرة[(١١)] قال : وقف رجل

---

(١) قال النووي : استشهد يوم بدر . تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٥) .
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) في ط : عمر .
(٥) قوله : وكذا زيادة من ب وط .
(٦) تفسيره (٢١/ ٤٤) .
(٧) في ط : أبي يزيد ، وهو خطأ . وفي تفسير المؤلف (٣/ ٤٤٣) : عن جابر ، وهو خطأ أيضاً .
وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، أبو عتبة الأزدي الداراني ، إمام ، حافظ ، فقيه ، ولد في خلافة عبد الملك بن مروان ، وتوفي سنة (١٥٣هـ) وقيل (١٥٤هـ) . وقد روى عنه الوليد بن مسلم . ترجمته ومصادرها في سير أعلام النبلاء (٧/ ١٧٦) .
(٨) في ط : عبد بن . . . ترعى غنمي . . . ، وفي ب : عبدي فلان . . . ترد غنمي .
(٩) تفسير المؤلف (٣/ ٤٤٣) .
(١٠) القتباني ، بكسر القاف وسكون التاء : نسبة إلى قِتبان ، بطن من رُعين نزلوا مصر .
وعبد الله بن عياش بن عباس القتباني أبو حفص توفي سنة (١٧٠هـ) .
تقريب التهذيب (١/ ٤٣٩) واللباب (٣/ ١٤) .
(١١) في ط : عفرة ، بالعين ، وهو تصحيف .

على لقمان الحكيم فقال : أنت لقمان ؟ أنت عبد بني الحسحاس[١] ؟! قال : نعم . قال : فأنت راعي الغنم الأسود ؟ قال : أمّا سَوادي فظاهر ، فما الذي يعجبك من أمري ؟ قال : وطْءُ الناس بساطَك ، وغشيهم بابَكَ ، ورضاهم بقولك . قال : يا ابن أخي إن صنعتَ[٢] ما أقول لك كنتَ كذلك . قال : ما هو[٣] ؟ قال لقمان : غَضِّي بصري ، وكَفِّي لساني ، وعِفَّةُ مطعمي ، وحفظي فرجي ، وقيامي بعدَّتي ، ووفائي بعهدي ، وتكرمتي ضيفي ، وحفظي جاري ، وتركي ما لا يعنيني ، فذاك الذي صيّرني كما ترى[٤] .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبي ، حدّثنا ابن فضيل ، حدّثنا عمرو بن واقد ، عن عبدة بن رباح ، عن ربيعة ، عن أبي الدرداء أنه قال يوماً[٥] ، وذَكَر لقمانَ الحكيم فقال : ما أوتي ما أوتي[٦] عن أهل ولا مالٍ ولا حَسَب ولا خصال ، ولكنه كان رجلاً صمصامة[٧] سِكِّيتاً ، طويل التفكر ، عميق النظر ، لم ينم نهاراً قط ، ولم يره أحد يبزق ولا يتنخَّع[٨] ولا يبول ولا يتغوَّط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحدٌ ، وكان قد تزوَّج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم ، وكان يغشى السلطان ويأتي الحكّام لينظر ويتفكّر ويعتبر ، فبذلك أوتي ما أوتي[٩] .

ومنهم من زعم أنه عُرضت عليه النبوة فخاف أن لا يقوم بأعبائها فاختار الحكمة لأنها أسهل عليه . وفي هذا نظر والله أعلم . وهذا مروي[١٠] عن قتادة كما سنذكره .

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير[١١] من طريق وكيع عن إسرائيل عن جابر الجُعْفي عن عكرمة أنه قال : كان لقمان نبياً . وهذا ضعيف لحال الجُعْفي[١٢] .

---

(١) في ط : النحاس .
(٢) في تفسير المؤلف : صغيت إلى ما أقول .
(٣) ليست في ب .
(٤) تفسير المؤلف (٣ ٤٤٣) .
(٥) قوله : يوماً ، زيادة من ب وط . وهي ثابتة في تفسيره أيضاً .
(٦) سقطت من ط .
(٧) في ط : ضمضامة . وهو تصحيف . ورجل صمصامة : مصمم .
(٨) في ط : يتنحنح . والتنخُّع : رمي ما يخرج من الصدر عن طريق الفم .
(٩) تفسير المؤلف (٣/ ٤٤٤) .
(١٠) في ب : يروى . وسيأتي الخبر مفصلاً بعد قليل .
(١١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٤) .
(١٢) جابر بن يزيد الجُعفي ، أبو يزيد ، من أهل الكوفة ، كان سبئياً ، تكلموا فيه . توفي سنة (١٢٨هـ) . والجُعفي : نسبة إلى قبيلة جعفي بن سعد العشيرة من مذحج . المجروحين (١/ ٢٠٨) ، واللباب (١/ ٢٨٤) .

والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيماً ولياً ولم يكن نبياً . وقد ذكره الله تعالى في القرآن فأثنى عليه وحكى من كلامه فيما وَعَظَ به [ولده الذي هو أحبُّ الخلق إليه ، وهو أشفق الناس عليه ، فكان من أول ما وَعَظَ به](١) أن قال : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ . فنهاه عنه وحذّره منه . وقد قال البخاري(٢) : حدّثنا قُتيبة ، حدّثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : أيّنا لم يلبس(٣) إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنه ليس بذاك ، ألم تسمع إلى قول لقمان : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ » .

ورواه مسلم من حديث سُليمان بن مِهران الأعمش(٤) به .

ثم اعترض تعالى بالوصية بالوالدين وبيان حقهما على الولد وتأكّده ، وأمر بالإحسان إليهما حتى ولو كانا مشركَيْن ، ولكن لا يطاعان على الدخول في دينهما ، إلى أن قال مُخبراً عن لقمان فيما وعظ به ولده : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ ينهاه عن ظلم الناس ولو بحبّةِ خردلٍ ، فإن الله يسأل عنها ويحضرها حوزة الحساب ويضعها في الميزان كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ [النساء : ٤٠] وقال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] وأخبره أن هذا الظلم ولو كان في الحَقارة كالخردلة ، ولو كان في جوف صخرةٍ صَمّاء لا بابَ لها ولا كُوّة ، أو لو كانت ساقطةً في شيءٍ من ظلمات الأرض أو السموات في اتساعهما وامتداد أرجائهما ، لعلم اللهُ مكانها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ أي : عِلمُه دقيقٌ فلا يخفى عليه الذَّرُّ مما تراءى للنواظر أو توارى ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام : ٥٩] وقال : ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [النمل : ٧٥] وقال ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ : ٣] .

---

(١) سقطت من ب بنقلة عين .

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٧٧٦) ، في التفسير ، (سورة لقمان) .
كذلك أورده من غير طريق قتيبة عن جرير ، برقم (٣٢) في الإيمان ، باب ظلم دون ظلم ، ورقم (٣٤٢٨ و٣٤٢٩) في الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ ، ورقم (٤٦٢٩) في التفسير ، باب ﴿ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ .

(٣) في ب : يظلم وهو سهو .

(٤) صحيح مسلم رقم (١٢٤) في الإيمان ، باب صدق الإيمان وإخلاصه .

وقد زعم السُّدِّي في خبره عن الصحابة أن المراد بهذه الصخرة[١] الصخرة التي تحت الأرضين السبع ، وهكذا حكي عن عطية العَوْفي[٢] وأبي مالك والثوري والمِنْهال بن عمرو وغيرهم ، وفي صحة هذا القول من أصله نظر .

ثمّ إن في هذا هو المراد نظر آخر ، فإن هذه الآية نَكِرة غير معرفة فلو كان المراد بها ما قالوه لقال : فتكن في الصخرة ، وإنما المراد فتكن[٣] في صخرة أي صخرة كانت ، كما قال الإمام أحمد : حدّثنا حسن بن موسى ، حدّثنا ابن لَهِيْعة ، حدّثنا دَرَّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ قال[٤] : « لو أَنَّ أحدَكُم يَعمَلُ في صَخْرَةٍ صَمَّاءَ ليس لها بابٌ ولا كُوَّةٌ لَخَرَجَ عملُه للناسِ كائِناً ما كان »[٥] .

ثم قال ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي : أَدِّها بجميع واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها وما شرع فيها ، واجتنب ما نُهي عنه فيها .

ثم قال : ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ أي : بجَهْدك وطاقتك أي إن استطعت باليد فباليد ، وإلاّ فبلسانك ، فإن لم تستطع فبقلبك . ثمّ أمر بالصبر فقال : ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾ وذلك أن الآمرَ بالمعروف والناهي عن المنكر في مظنة أن يُعادَى ويُنال منه ، ولكن له العاقبة ، ولهذا أمره بالصبر على ذلك ، ومعلوم أن عاقبة الصبر الفرج .

وقوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [أي : إن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وصبرك على الأذية من عزائم الأمور][٦] التي لا بد منها ولا مَحيد عنها .

وقوله : ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جُبير والضحّاك ويزيد بن الأصَمّ وأبو الجوزاء وغير واحد[٧] : معناه لا تتكبّر على الناس وتميّل خدّك حال كلامك لهم وكلامهم لك على وجه التكبّر عليهم والازدراء لهم . قال أهل اللغة[٨] : وأصلُ الصَّعَر داءٌ يأخذ الإبل في

(١) الأقوال في المراد بالصخرة في تفسير الطبري (٢١/٤٦ ـ ٤٧) وتفسير ابن كثير : (٣/٤٤٦) .
(٢) العَوْفي : هو عطية بن سعد العوفي ، الجدلي ، صدوق يخطىء كثيراً ، وكان مدلساً .
(٣) في ب : فتكون .
(٤) في ب : أنه قال .
(٥) مسند أحمد (٣/٢٨)، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة وَدَرَّاج أبي السمح، وهم من القصاص المصريين .
(٦) سقطت من ب وط .
(٧) تفسير الطبري (٢١/٤٧) .
(٨) لسان العرب (صعر) .

أعناقها فتلتوي رؤوسُها فشبّه به الرجل المتكبّر الذي يميل وجهه إذا كلّم الناس أو كلّموه على وجه التعاظم(١) عليهم .

قال أبو طالب في شعره : [من الطويل]

وكُنّـا قـديمـاً لا نُقِـرُّ ظُـلامَـةً إذا ما ثَنَوا صُعْرَ الخُدودِ نُقيْمُها

وقال عمرو بن حُنَي(٢) التغلَبي : [من الطويل]

وكنّـا إذا الجبّـار صَعَّـر خـدَّه أقمنـا لَـهُ مـن مَيْلـهِ فتقـوّمـا(٣)

وقوله : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ينهاه عن التبختر في المِشية على وجه العظمة والفخر على الناس ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] ، يعني لستَ بسرعة مشيك تقطع البلاد في مشيتك هذه ، ولست بدقّك الأرضَ برجلك تخرِق الأرض بوطئك عليها ، ولست بتشامخك وتعاظُمك وترفُّعك تبلغ الجبال طولاً ، فاتّئد على نفسك ، فلست تعدو قدرك .

وقد ثبت في الحديث « بينما رجلٌ يمشي في بُردَيه يَتَبَخْتَرُ فيهما إذ خَسَفَ اللهُ به الأرضَ ، فهو يَتَجَلْجَلُ(٤) فيها إلى يوم القيامة »(٥) . وفي الحديث الآخر : « وإياكَ وإسْبال الإزارِ فإنَّها مِن المَخِيلَة والمخيلة لا يحبُّها الله »(٦) . كما قال في هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ . ولما نهاه عن الاختيال في المشي أمره بالقصد فيه ، فإنه لا بدَّ له أن يمشي ، فنهاه عن الشر وأمره بالخير ، فقال : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ أي : لا تتباطأ مُفرِّطاً ولا تسرع إسراعاً مُفْرِطاً ، ولكن بين ذلك قواما ، كما قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

---

(١) في ط : التعظم .

(٢) القول وبيت عمرو سقط من ب .
وعمرو بن حُني فارس شاعر جاهلي . اختُلِف في اسمه واسم أبيه ، وفي وجوده أصلاً . انظر ترجمته ضمن شعراء تغلب للمحقق .

(٣) البيت بهذه الرواية فتقوما ، الأولى أن ينسب للمتلمس ، من قصيدة أصمعية له رقمها (٩٢) .
أما الذي ينسب إلى عمرو بن حني فهو برواية فتقوَّمِ ، وهو من أبيات مطلعها :
ألا تستحـي منـا ملـوك وتتقـى محـارمنـا لا يُبـأُ الـدم بـالـدمِ
شعر عمرو بن حني في ديوان شعراء تغلب ، للمحقق (٢/ ٣٢٧) .

(٤) في ط : يتجلل .

(٥) أخرجه البخاري : رقم (٥٧٩٠) ، في اللباس ، باب من جرّ ثوبه من الخيلاء ، ومسلم (٢٠٨٨) ، في اللباس ، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه ، وفي اللفظ بعض اختلاف .

(٦) أخرجه أحمد (٤/ ٦٥ و٥/ ٣٧٧) ، وهو صحيح .

ثمّ قال : ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ يعني إذا تكلّمت فلا تتكلّف رفع صوتك ، فإن أرفع الأصوات وأنكرها صوت الحمير .

وقد ثبت في « الصحيحين »(١) الأمر بالاستعاذة عند سماع صوت الحمير بالليل ، فإنها رأت شيطاناً ، ولهذا نُهي عن رفع الصوت حيث لا حاجة إليه ولا سيما عند العُطاس ، فيستحب خفضُ الصوت وتخميرُ الوجه كما ثبت به الحديث من صنيع رسول الله ﷺ(٢) . فأما رفع الصوت بالأذان وعند الدعاء إلى الفئة للقتال ، وعند الإهلال(٣) ونحو ذلك فذلك مشروع .

فهذا مما قصّه الله تعالى عن لقمان عليه السلام(٤) في القرآن من الحِكَم والوصايا النافعة الجامعة للخير المانعة من الشر . وقد وردت آثار كثيرة في أخباره ومواعظه وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى مجلة(٥) لقمان . ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله تعالى .

قال الإمام أحمد : حدّثنا علي بن إسحاق(٦) أخبرنا ابن المبارك أخبرنا سفيان ، أخبرني نَهْشل بن مجمّع(٧) الضبي ، عن قَزَعَة عن ابن عمر قال : أخبرنا رسول الله ﷺ قال : « إنَّ لُقمانَ الحكيمَ كانَ يَقُولُ : إنَّ اللهَ إذا استُودع شيئاً حفظه »(٨) .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو سعيد الأشج ، حدّثنا عيسى بن يونس عن الأوْزاعي ، عن موسى بن سليمان ، عن القاسم بن مُخَيْمرة(٩) أن رسول الله ﷺ قال : « قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني إياك

---

(١) أخرجه البخاري : رقم (٣٣٠٣) في بدء الخلق ، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعف الجبال ، ومسلم (٢٧٢٩) في الذكر والدعاء ، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك ، وكذلك أخرجه أبو داود (٥١٠٢) في الأدب ، باب ما جاء في الديك والبهائم ، والترمذي (٣٤٥٩) في الدعوات ، باب ما يقول إذا سمع نهيق الحمار .

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٢٩) في الأدب ، باب في العطاس ، والترمذي (٢٧٤٥) في الأدب ، باب ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس ، من حديث أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه ، وخفض أو غض بها صوته ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) في ط : الإهلاك وهو خطأ . وفي ط : ذلك فذلك .

(٤) في ب : رضي الله عنه .

(٥) في ب وط : بحكمة . والمجلة : صحيفة يكتب فيها ، والصحيفة فيها الحكمة . وقيل : كل كتاب عند العرب مجلّة . لسان العرب (جلل) .

(٦) لم يرد علي بن إسحاق في سند الحديث في المسند ، ففيه : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان . .

(٧) في ط : نهيك بن يجمع وفيه تحريف وتصحيف . ونهشل بن مجمع الضبي الكوفي من رجال التهذيب .

(٨) مسند أحمد (٢/ ٨٧) رقم (٥٦٠٦) وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح سوى نهشل بن مجمع وهو ثقة، وثقه ابن معين وأبو داود ويعقوب بن سفيان. ولا نعلم فيه جرحاً (تحرير التقريب ٤/ ٢٥) .

(٩) القاسم بن مُخيمرة ، أبو عروة الهمْداني ، نزيل دمشق ، محدث ثقة ، توفي سنة مئة للهجرة . سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٠١) .

والتقنُّعَ فإنه مَخْوفة بالليل ومذمّة بالنهار »[١] .

وقال أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان[٢] حدثنا ضمرة حدثنا السري بن يحيى قال قال لقمان لابنه : يا بني إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك .

وحدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك أخبرنا عبد الرحمن المسعودي ، عن عون بن عبد الله قال : قال لقمان لابنه : يا بني إذا أتيتَ نادي قومٍ فارمهم بسهم الإسلام ، يعني السلام ، ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا ، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجِل سهمك معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم .

وحدّثنا أبي ، حدّثنا عمرو بن عثمان ، حدّثنا ضَمرة ، عن حفص بن عمر قال : وضع لقمان جراباً من خَردلٍ إلى جانبه ، وجعل يَعظُ ابنَهُ وعظة ويُخرج خَردلةً ، حتى نَفِدَ الخردل ، فقال : يا بني وعظتك موعظةً لو وُعِظها جبلٌ تفطَّرَ . قال : فتفطّر ابنه .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدّثنا يحيى بن عبد الباقي المصِّيْصي ، حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن الحرَّاني ، حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن الطَّرَائفي[٣] حدّثنا أبين بن سفيان[٤] المقدسي ، عن خليفة بن سلاّم ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « اتّخذِوا السُّودان فإنَّ ثَلاثَةً منهم من سادات أهل[٥] الجنة : لُقمان الحكيم ، والنجاشي ، وبلال المؤذن[٦] » قال الطبراني : يعني الحبشي . وهذا حديث غريب بل منكر .

وقد ذكر له الإمام أحمد في كتاب « الزهد » ترجمة ذكر فيها فوائد مهمة جمة ، فقال[٧] : حدّثنا وكيع ، حدّثنا سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان : ١٢] قال : الفقه والإصابة في غير نبوة[٨] . وكذا روي عن وهب بن منبه .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٧) . وكذلك باقي الأخبار واردة فيه .
(٢) في ط : عمارة وهو خطأ .
(٣) عثمان بن عبد الرحمن الحرَّاني الطرائفي ، لُقب بذلك لأنه كان يتبع طرائف الحديث ويرويها عن قوم ضعاف . اللباب (٢/ ٢٧٨) .
(٤) في ط : عن ابن سفيان ، وهو خطأ . وأَبْيَن بن سفيان المقدسي شيخ أكثر رواته من الضعفاء . المجروحين لابن حبان (١/ ١٧٩) .
(٥) في ب : من سادات الجنة ، وفي ط : من أهل الجنة .
(٦) أورده ابن حبان في المجروحين (١/ ١٨٠) . وفيه : هذا متن باطل لا أصل له .
(٧) الزهد (٢٦٦) .
(٨) ذكره الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٣) من طريق آخر .

وحدّثنا وكيع ، حدّثنا سفيان عن أشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان لقمان عبداً حبشياً[١] .

وحدّثنا أسود[٢] ، حدّثنا حماد ، عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطاً .

وحدثنا سيَّار[٣] ، حدّثنا جعفر ، حدّثنا مالك يعني ابن دينار قال : قال لقمان لابنه : يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة .

وحدّثنا يزيد[٤] ، حدّثنا أبو الأشهب عن محمد بن واسع قال : كان لقمان يقول لابنه : يا بني اتق الله ولا تُري الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر .

وحدّثنا يزيد بن هارون ووكيع قالا[٥] : حدّثنا أبو الأشهب ، عن خالد الربَّعي قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، فقال له سيده : اذبح لي شاة ، فذبح له شاة ، فقال : ائتني بأطيب مضغتين فيها ، فأتاه باللسان والقلب . فقال : أما كان فيها شيء أطيب من هذين ؟ قال : لا . قال : فسكت عنه ما سكت ، ثم قال له : اذبح لي شاةً ، فذبح له شاة ، فقال له : ألق أخبثها مضغتين ، فرمى باللسان[٦] والقلب ، فقال : أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب ، وأمرتك أن تلقي أخبثها مضغتين فألقيت اللسان والقلب ! ، فقال له : إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا[٧] .

وحدّثنا داود بن رُشَيد ، حدّثنا ابن المبارك ، حدّثنا معمر ، عن أبي عثمان رجلٍ من أهل البصرة يقال له : الجعد أبو عثمان ، قال : قال لقمان لابنه : لا ترغب في ودِّ الجاهل فيرى أنك ترضى عمله ، ولا تَهاوَن بمقْت الحكيم فيزهده فيك[٨] .

وحدّثنا داود بن أسيد، حدّثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شُريح بن عبيد الحضرمي، عن عبد الله بن زيد قال: قال لقمان: ألا إن يد الله على أفواه الحكماء، لا يتكلّم أحدُهم إلا ما هيَّأ الله له[٩] .

---

(١) هكذا قال ، والذي في كتاب الزهد (٢٦٥) أنه من رواية حكّام الرازي ، عن سعيد الزبيدي ، عن مجاهد . وانظر تفسير الطبري : (٢١/٤٣) .
(٢) الزهد ، رقم (٢٦٧) .
(٣) الزهد ، رقم (٢٦٨) .
(٤) الزهد ، رقم (٢٦٩) .
(٥) الزهد ، رقم (٢٧٠) .
(٦) في ب : فألقى اللسان ، وما أثبتناه هو الذي في كتاب « الزهد » لأحمد .
(٧) وهو في تفسير الطبري (٢١/٤٣ ـ ٤٤) .
(٨) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد .
(٩) كذلك .

وحدّثنا عبد الرزاق ، سمعت ابن جُريج قال : كنت أقنّع رأسي بالليل ، فقال لي عمرو[١] : أما علمت أن لقمان قال : القناع بالنهار مذلّة معذرة ، أو قال معجزة بالليل ، فلِمَ تقنع رأسك بالليل ؟ قال : قلت له : إن لقمان لم يكن عليه دَين[٢] .

وحدّثني حسن بن الجنيد[٣] ، حدّثنا سفيان ، قال : قال[٤] لقمان لابنه : يا بُني ما ندمت على السكوت[٥] قط ، وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب .

وحدّثنا عبد الصمد ووكيع قالا : حدّثنا أبو الأشهب[٦] ، عن قتادة أن لقمان قال لابنه : يا بُنيَّ اعتزل الشرّ يعتزلك ، فإنَّ الشر للشر خُلِق .

وحدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا هشام بن عروة ، عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة : يا بُني إياك والرغَب فإن الرغَب كلّ الرغب يبعد القريب من القريب ويزيل الحلم[٧] كما يزيل الطرب . يا بُني إياك وشدّة الغضب ، فإن شدّة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم .

قال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدّثنا نافع بن عمر[٨] ، عن ابن أبي مُليكة ، عن عبيد بن عمير قال : قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بُني اختر المجالس على عينك ، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم ، فإنك إن تكُ عالماً ينفعك علمُك ، وإن تك غبيّاً يعلّموك ، وإن يطّلع الله عليهم برحمة تصبك[٩] معهم . يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله فيه[١٠] ، فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمُك ، وإن تك غَبيّاً يزيدوك غُبيّا[١١] ، وإن يطّلع الله إليهم[١٢] بعد ذلك بسخط يصبك معهم . يا بني لا تغبطوا[١٣] امرأً رحب الذراعين يسفك دماء المؤمنين ، فإن له عند الله قاتلاً لا يموت .

---

(١) في ب : فقال عمرو . وفي ط : عمر . . .
(٢) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد .
(٣) الزهد ، رقم (٢٧١) .
(٤) من ب ، وهي في الزهد لأحمد .
(٥) في ب : الصمت .
(٦) أخرجه في الزهد من زيادات عبد الله عن أحمد بن حنبل ، عن ابن المبارك ، عن أبي الأشهب (رقم ٢٧٢) .
(٧) في ط : الحكم .
(٨) في ب : نافع عن ابن عمر ، وهو سهو . ونافع بن عمر بن عبد الله إمام حافظ ، ثبت . حدّث عن ابن مليكة وغيره . توفي سنة (١٦٩هـ) . سير أعلام النبلاء : (٧/ ٤٣٣) .
(٩) في ط : تصبيك وهو خطأ .
(١٠) في ب : فيه الله .
(١١) يقال : فيه غَبْوَةٌ ، وغُبُوَّة ، وغُبِيٌّ : أي غفلة .
(١٢) في ب : عليهم .
(١٣) في ب : ويا بني لا تغبطن .

وحدّثنا أبو معاوية[١] ، حدّثنا هشام بن عُروة ، عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة [بني لتكن كلمتك طيبة ، وليكن وجهك بسطاً تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم العطاء .

وقال : مكتوب في الحكمة][٢] أو التوراة : الرفق رأس الحكمة .

وقال : مكتوب في التوراة : كما تَرْحَمون تُرحَمون .

وقال : مكتوب في الحكمة : كما تزرعون تحصدون .

وقال : مكتوب في الحكمة : أحبَّ خليلك وخليل أبيك .

وحدّثنا عبد الرزاق عن مَعْمَر عن أيوب عن أبي قِلابة قال : قيل للقمان : أي الناس أَصْبَر ؟ قال : صبر لا يتبعه أذى . قيل : فأي الناس أعلم ؟ قال : من ازداد من علم الناس إلى علمه . قيل : فأي الناس خيرٌ ؟ قال : الغني . قيل : الغنيّ من المال ؟ قال : لا ولكن الغنيَّ الذي إذا التُمِس عنده خيرٌ وُجد ، وإلا أغنى نفسه عن الناس[٣] .

وحدّثنا سفيان[٤] ، هو ابن عيينة قال : قيل للقمان : أي الناس شر ؟ قال : الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً .

وحدّثنا أبو عبد الصمد[٥] عن مالك بن دينار قال : وجدت في بعض الحكمة : يبدد الله عظامَ الذين يتكلّمون بأهواء الناس . ووجدت فيها : لا خير لك في أن تُعلّم ما لم تعلم ولما تعمل[٦] بما قد علمت ، فإن مَثَلَ ذلك مَثَلُ رجل احتطب حطباً فحزم حزمةً ثمّ ذهب يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى .

وقال عبد الله بن أحمد : حدّثنا الحكم بن أبي زهير ، وهو الحكم بن موسى ، حدّثنا الفرج بن فضالة ، عن أبي سعيد قال : قال لقمان لابنه : يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء ، وشاور في أمرك العلماء .

وهذا مجموع ما ذكره الإمام أحمد في هذا الموضع[٧] . وقد قدّمنا من الآثار كثيراً لم يروها ، كما أنه ذكر أشياء ليست عندنا . والله أعلم .

---

(١) الزهد ، رقم (٢٧٣) .
(٢) سقطت من ب بنقلة عين .
(٣) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد .
(٤) الزهد ، رقم (٢٧٤) .
(٥) سقطت من ط .
(٦) في ب : ما لا تعلم ولم تعمل .
(٧) في ط : هذه المواضع .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبي ، حدّثنا العباس بن الوليد ، حدّثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي ، حدّثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة قال : خَيَّر الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة ، فاختار الحكمة على النبوة ، قال فأتاه جبريل وهو نائم فذرَّ عليه الحكمة ، قال : فأصبح ينطق بها . قال سعيد : فسمعت[١] قتادة يقول : قيل للقمان : كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيّرك ربُّك ؟ فقال : إنه لو أرسل إليَّ بالنبوة عزمةً لرجوت فيه الفوز منه ، ولكنت أرجو أن أقوم بها ، ولكن خيَّرني ، فخِفْت أن أضعُفَ عن النبوة ، فكانت الحكمة أحبَّ إليَّ[٢] .

وهذا فيه نظر ، لأن سعيد بن بشير عن قتادة قد تكلّموا فيه[٣] . والذي رواه سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة في قوله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان : ١٢] قال : يعني الفقه في الإسلام[٤] ، ولم يكن نبياً ولم يُوحَ إليه[٥] . وهكذا نصّ على هذا غير واحد من السّلف ، منهم مجاهد وسعيد بن المسيب وابن عباس . والله أعلم .

* * *

(١) في ط : سمعت .
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٤) .
(٣) قال ابن حبان : يروي عن قتادة ما لا يتابع عليه . المجروحين : (١/ ٣١٥) .
(٤) في ط : والإسلام .
(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٣) .

قصّة أصحاب الأخدود

قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج : ١ - ١٠] .

قد تكلّمنا على ذلك مستقصى في تفسير هذه السورة[١] ولله الحمد .

وقد زعم محمد بن إسحاق أنهم كانوا بعد مبعث المسيح ، وخالفه غيره فزعموا أنهم كانوا قبله .

وقد ذكر غير واحد أن هذا الصنيع مكرر في العالم مراراً في حق المؤمنين من الجبارين الكافرين ، ولكنْ هؤلاء المذكورون في القرآن قد ورد فيهم حديث مرفوع ، وأثر أورده ابن إسحاق ، وهما متعارضان وها نحن نوردهما لنوقف عليهما[٢] .

قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عفان[٤] ، حدّثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال : « كان مَلِك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحرٌ ، فلما كبر الساحرُ قال للملك : إني قد كَبرتْ سني ، وحَضَرَ أجلي ، فادفعْ إليَّ غلاماً فلأُعلمه السحرَ ، فدفع إليه غلاماً ، فكان يعلمه السحرَ ، وكان بين الساحر وبين الملك[٥] راهب ، فأتى الغلام على الراهب ، فسمع من كلامه ، فأعجبه نحوه وكلامُه ، وكان إذا أتى الساحرَ ضربه وقال : ما حبسك ؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا : ما حبسك ؟ فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي ، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل : حبسني الساحر . قال : فبينما[٦] هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حَبَستِ الناسَ فلا يستطيعون أن يجوزوا ، فقال : اليومَ أعلم أمرُ الساحر أحبُّ إلى الله أم أمرُ الراهب . قال : فأخذ حَجَراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ، ورماها فقتلها ومضى ، فأخبر الراهب بذلك ، فقال : أي بني أنت أفضلُ مني ، وإنك

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩١) وما بعدها .

(٢) في ط : لتقف .

(٣) في المسند (٦/ ١٧) .

(٤) في ط : سقط « عفان » من السند .

(٥) في ط وأ: « وكان بين الملك وبين الساحر ». وما أثبتناه من ب ، وهو موافق لما في المسند الذي ينقل منه المصنف.

(٦) في ط وأ : « فبينا » وما هنا من ب ، وهو الموافق للمسند .

ستُبْتَلَى فإن ابتُلِيت فلا تدل عليَّ . فكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرصَ وسائر الأدواء ويشفيهم الله على يديه[١] وكان جليسٌ للملك فعمي ، فسمع به ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : اشفني ولك ما هاهنا أجْمَع . فقال : ما أنا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله عز وجل ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك[٢] . فآمن ، فدعا الله فشفاه . ثم أتى الملكَ ، فجلس منه نحو ما كان يجلس ، فقال له الملك : يا فلان من ردّ عليك بَصَرَك ؟ فقال : ربي . قال : أنا . قال : لا ربي وربُّك الله . قال : ولك ربٌّ غيري ؟ قال : نعم ، ربي وربك الله . فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام ، فأتى به فقال : أي بني ! بَلَغَ من سحرك أن تُبرئ الأكمه والأبرص ، وهذه الأدواء ؟! قال ما أشفي أنا أحداً[٣] إنما يشفي الله عز وجل . قال : أنا . قال : لا . قال : أولك ربٌّ غيري ؟ قال : ربي وربك الله . قال : فأخذه أيضاً بالعذاب ، ولم يزل به حتى دَلَّ على الراهب ، فأتي بالراهب[٤] فقال : ارجع عن دينك . فأبى . فوضع المنشار في مَفْرِق رأسه حتى وقع شِقَّاهُ . وقال للأعمى : ارجع عن دينك . فأبى . فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شِقَّاه . وقال للغلام : ارجع عن دينك . فأبى . فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا . وقال : إذا بلغتم ذروته[٥] فإن رجع عن دينه ، وإلا فدهدهوه[٦] ، فذهبوا به ، فلما علوا الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فدُهدِهوا أجمعون . وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . فبعث به مع نفر في قُرْقُوْر[٧] فقال : إذا لججتم البحر فإن رجع عن دينه ، وإلا فغرِّقوه[٨] في البحر ، فلججوا به البحر ، فقال الغلام : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فغرقوا أجمعون ، وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . ثم قال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرُك به ، فإن أنتَ فعلتَ ما آمرك به قتلتني ، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي . قال : وما هو ؟ قال : تجمعُ الناسَ في صعيد واحدٍ ، ثم تصلبني على جذع ، وتأخذ سهماً من كنانتي ، ثم قل : بسم الله ربّ الغلام ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني ، ففعل ووضع السهم في كبد القوس ثمّ رماه وقال : بسم الله ربّ الغلام ، فوقع[٩] السهم في صدغه ، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات ، فقال الناس :

---

(١) قوله : الله على يديه ليس في ب ، ولا في المسند .
(٢) في ط : ودعوت . شفاك .
(٣) ليست في ب .
(٤) في ط : الراهب .
(٥) في ب : ذروة الجبل .
(٦) زاد في المسند : من فوقه . والدهدهة : الدحرجة .
(٧) كذا في المسند . وهو الصواب . وفي أ ، وب ، وط ، قرقرة . والقرقور : السفينة .
(٨) في ط : فأغرقوه .
(٩) في ب : فوضع . وهو موافق لما في المسند .

آمنا بربِّ الغلام آمنا بربِّ الغلام . فقيل للملك : أرأيت ما كنت تحذر ، فقد والله نزل بك ، قد آمن الناس كلُّهم ، فأمر بأفواه السكك فخدّت[١] فيها الأخاديد ، وأضرمت فيها النيران ، وقال : من رجع عن دِينه فدعوه ، وإلا فأقحموه فيها . وقال : فكانوا يتعادون فيها ويتواقعون ، فجاءت امرأة بابن لها تُرضعه ، فكأنها تقاعست أن تقع في النار ، فقال الصبي : اصبري يا أماه فإنك على الحق » .

كذا رواه الإمام أحمد . ورواه مسلم[٢] والنسائي[٣] من حديث حماد بن سلمة . زاد النسائي وحماد بن زيد كلاهما عن ثابت ، به . ورواه الترمذي[٤] من طريق عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن ثابت ، بإسناده نحوه ، وجَوَّد إيراده كما بسطنا ذلك في « التفسير »[٥] .

وقد أورد محمد بن إسحاق هذه القصة على وجه آخر[٦] فقال : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب ، وحدثني أيضاً بعضُ أهل نجران ، عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شِرْك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران ـ ونجران هي القرية العظمى التي إليها جِماع أهل تلك البلاد ـ ساحرٌ يعلّم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيميون[٧] ، ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن مُنَبِّه ، قالوا : رجل نزلها ، فابتنى خيمةً بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر ، وجعل أهلُ نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر [يعلمهم السحر][٨] . فبعث الثامرُ ابنه عبد الله مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مَرَّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم ، فوحَّد الله وعبدَه ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام ، حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يَعْلَمُهُ ، فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخي إنك لن تحمله ، أخشى ضعفك عنه . والثامر أبو عبدالله[٩] لا يظن إلا أن ابنه[١٠] يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبدُ الله أن صاحبه قد ضنَّ به عنه وتَخوَّف ضعفه فيه ، عمد إلى قِداح فجمعها ، ثمّ لم يُبقِ لله اسماً يعلمه إلا كَتَبه في قدح ،

---

(١) في ط : فحفر . والسكك : الطرق .

(٢) صحيح مسلم رقم (٣٠٠٥) ، في الزهد ، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام .

(٣) في التفسير (٦٨١)، وهو فيه من سننه الكبرى (١١٦٦١) عن حماد بن سلمة، وفي السير (٨٦٣٣)، وفي عمل اليوم والليلة (٦١٤) عن حماد بن زيد .

(٤) سنن الترمذي رقم (٣٣٤٠) في التفسير ، باب ومن سورة البروج .

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩٤) . وقال هناك: قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى .

(٦) الروض الأنف (١/ ٤٧) وما بعدها .

(٧) في ط : فيمون . وهو تحريف .

(٨) ليست في ب .

(٩) سقطت من ط . وهي في نص السيرة لابن إسحاق .

(١٠) زاد في ط : عبد الله .

لكل اسم قدح ، حتى إذا أحصاها أوقدَ ناراً ثمّ جعل يقذفها فيها[١] قدَحاً قدحاً ، حتى إذا مرَّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضرّه شيئاً ، فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتمه ، فقال : وما هو ؟ قال : كذا وكذا . قال : وكيف[٢] علمته ؟ فأخبره بما صنع . قال : أي ابن أخي ، قد أصبتَه فأمسِك على نفسك ، وما أظن أن تفعل . فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يَلْقَ أحداً به ضُرٌّ إلاّ قال : يا عبد الله أتوحِّد اللهَ وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيعافيك مما[٣] أنت فيه من البلاء . فيقول[٤] : نعم ، فيوحّد الله ويُسلم ، ويدعو[٥] الله فيشفى ، حتى لم يبق بنجران أحد به ضُر إلاّ أتاه فاتّبعه على أمره . ودعا له فعوفي ، حتى رُفع شأنُه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال : أفسدتَ عليّ أهلَ قريتي وخالفتَ ديني ودينَ آبائي لأُمثِّلنَّ بك . قال : لا تقدر على ذلك . فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل ، فيُطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ما به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يُلقى فيها شيء إلاّ هَلَك فيُلقى به فيها فيخرج ليس به بأس . فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر إنك[٦] والله لا تقدر على قتلي حتى توحِّد اللهَ فتؤمنَ بما آمنتُ به ، فإنك إن فعلتَ سُلِّطتَ عليّ فقتلتني[٧] . قال : فوحَّد اللهَ ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثمّ ضربه بعصاً في يده فشجه شجةً غيرَ كبيرة فقتله ، وهلك الملك مكانه . واستجمع أهلُ نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكمه ، ثمّ أصابهم ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث[٨] . فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر . فالله أعلم أي ذلك كان .

قال[٩] : فسار إليهم ذو نُواس بجنده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخيَّرهم بين ذلك أو القتل ، فاختاروا القتلَ فخدَّ[١٠] الأخدود ، وحرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومثَّل بهم . فقتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ،

---

(١) ليست في ط .
(٢) زاد في ب : قد .
(٣) في ط : عما .
(٤) قوله : فيقول . . . . على أمره ، سقط من ط .
(٥) زاد في ب : له ، وهو موافق لما في الروض الأنف .
(٦) ليست في ط .
(٧) في ب : فتقتلني .
(٨) في ط : الأحزاب .
(٩) ابن إسحاق . وهو تتمة للخبر السابق في الروض الأنف (١ / ٥١) .
(١٠) في ط : فخدوا . . وفي الروض الأنف : فخد لهم .

ففي ذي نواس وجُنده أنزل الله على رسوله ﷺ ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ . . الآيات [البروج : ٤ ـ ٥] . وهذا يقتضي أنَّ هذه القصة غير ما وقع في سياق مُسلم . وقد زعم بعضُهم أن الأخدود وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير قال : كان الأخدود في اليمن زمان تُبَّع ، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد ، فاتخذ[١] أَتُّونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد . وفي العراق في أرض بابل في زمان بخت نصّر حين صَنَع الصنمَ وأمر الناس فسجدوا له ، فامتنع دانيال وصاحباه عزريا ومشايل ، فأوقد لهم أتّونا وألقى فيها الحطب والنار ، ثم ألقاهما فيه فجعلها الله عليهم برداً وسلاماً وأنقذهم منها ، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط[٢] ، فأكلتهم النار .

وقال أسباط عن السُّدِّي في قوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ [البروج : ٤] قال : كان الأخدود ثلاثة : خد بالشام ، وخد بالعراق ، وخد باليمن . رواه ابن أبي حاتم .

وقد استقصيت ذكر أصحاب الأخدود والكلام على تفسيرها في سورة البروج[٣] ولله الحمد والمنة .

* * *

(١) كذا في ب . وفي أ وط : واتخذ .

(٢) في ب : من رهطه .

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩١) وما بعدها . وزاد في ب : من التفسير .

باب[١]

بَيان الإذن في الرواية والتحديث عن أخبَار بني إسرَائيل

قال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الصمد ، حدّثنا همّام ، حدثنا زيد ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « حدِّثوا عنّي ولا تَكْذبُوا عَلَيَّ ، ومَنْ كَذَبَ عليَّ مُتَعَمّداً فَلْيتبوّأ مقعدَهُ من النارِ . وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج »[٢] .

وقال أيضاً : حدّثنا عفان ، حدّثنا همام ، أخبرنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال : « لا تكتُبوا عنّي شيئاً غيرَ القرآن ، فمن كتبَ عني شيئاً غيرَ القرآن فليمْحُه » وقال : « حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج . حدّثوا عني ولا تكذبوا عليَّ »[٣] . قال : « ومن كذب عليَّ » . قال همام[٤] أحسبه قال : « متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[٥] .

وهكذا رواه مسلم[٦] والنَّسائي[٧] من حديث همام .

ورواه أبو عوانة الأسْفَرَاييني ، عن أبي داود السجستاني ، عن هُدْبة ، عن همام ، عن زيد بن أسلم به . ثم قال : قال أبو داود : أخطأ فيه همام هو[٨] من قول أبي سعيد . كذا قال .

وقد رواه الترمذي[٩] عن سفيان ، عن وكيع ، عن سفيان بن عُيَينة ، عن زيد بن أسلم ببعضه[١٠] مرفوعاً . فالله أعلم .

قال الإمام أحمد : حدّثنا الوليد بن مسلم ، أخبرنا الأَوزاعي ، حدّثنا حسان بن عطية ، حدّثني

---

(١) في ب وط : بيان . وسقطت لفظة التحديث من ط .
(٢) المسند (٣/ ٤٦) وفيه : فقد تبوّأ .
(٣) ليست في المسند .
(٤) زيادة من ب وط . وهي موافقة لما في المسند .
(٥) المسند (٣/ ٥٦) .
(٦) صحيح مسلم (٣٠٠٤) في الزهد ، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم .
(٧) في سننه الكبرى (٨٠٠٨) .
(٨) في ط : وهو .
(٩) جامع الترمذي (٢٥٦٦) في العلم، باب ما جاء في كراهته كتابة العلم .
(١٠) هو قوله : « استأذنا النبي ﷺ في الكتابة فلم يأذن لنا » ، وقال الترمذي عقبه : « وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه أيضاً عن زيد بن أسلم ، رواه همام عن زيد بن أسلم » .

أبو كبشة السَّلُولي ، أن عبد الله بن عمرو بن العاص حدّثه أنه سمع رسول الله ﷺ يعني يقول : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومَن كَذَب عليَّ متعمداً[(١)] فليتبوأ مقعده من النار »[(٢)] .

ورواه أحمد أيضاً عن عبد الله بن نمير وعبد الرزاق ، كلاهما عن الأوزاعي[(٣)] ، به .

وهكذا رواه البخاري[(٤)] عن أبي عاصم النبيل ، عن الأوزاعي ، به .

وكذا رواه الترمذي عن بُنْدار عن أبي عاصم . ثم رواه عن محمد بن يحيى الذُّهلي ، عن محمد بن يوسف الفِرْيابي[(٥)] عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية[(٦)] وقال : حسن صحيح[(٧)] .

وقال أبو بكر البزَّار : حدّثنا محمد بن المثنى أبو موسى ، حدّثنا هشام بن معاوية ، حدّثنا أبي ، عن قتادة ، عن أبي حسان ، عن عبد الله بن عمرو قال : كان نبي الله ﷺ يحدثنا عامة ليلة عن بني إسرائيل حتى نصبح ، ما نقوم فيها إلا لعظم صلاة[(٨)] [ورواه أبو داود[(٩)] ، عن محمد بن مثنى . ثمّ قال البزار : حدّثنا محمد بن مثنى ، حدثنا عفان ، حدثنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن أبي حسان ، عن عمران بن حصين ، قال : كان رسول الله ﷺ يحدثنا عامة ليلة عن بني إسرائيل لا يقوم إلا لعظم صلاةٍ][(١٠)] .

قال البزار : وهشام أحفظ من أبي هلال ، يعني أن الصواب عن عبد الله بن عمرو لا عن عمران بن حصين . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يحيى ـ هو القطان ـ عن محمد بن عمرو ، حدّثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي[(١١)] ﷺ « حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »[(١٢)] إسناد[(١٣)] صحيح ولم يخرّجوه .

---

(١) ليست في ب . وهي واردة في مسند أحمد .
(٢) المسند (٢/ ١٥٩) .
(٣) المسند (٢/ ٢٠٢) .
(٤) صحيح البخاري رقم (٣٤٦١) في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل .
(٥) في ط : العرياني وهو تصحيف . والفريابي نسبة إلى فارياب ، بلدة بنواحي بلخ . اللباب (٢/ ٤٢٧) .
(٦) زاد في ب : حدثني أبو كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أنه سمع به . وهو موافق لما في الترمذي ، لكن إيراده هنا فيه تكرار .
(٧) سنن الترمذي : (٢٦٦٩) في العلم ، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل .
(٨) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٩١، ٨/ ٢٦٤). من حديث عمران بن حصين، وقال: رواه البزار وأحمد والطبراني في الكبير، وإسناده صحيح. وقال أيضاً: وفي رواية: يعني الفريضة المكتوبة. وعُظْم الشيء: أكثره ومعظمه.
(٩) سنن أبي داود رقم (٣٦٦٣) في العلم ، باب الحديث عن بني إسرائيل ، وهو حديث صحيح .
(١٠) زيادة من ب وط .
(١١) زاد في ط : قال .
(١٢) المسند (٢/ ٤٧٤) .
(١٣) في ب : إسناده .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدّثنا أبو خيثمة ، حدّثنا وكيع ، حدّثنا ربيع بن سعد الجعفي ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « حدثوا عن بني إسرائيل فإنه قد كان فيهم الأعاجيب » . ثم أنشأ يحدث ﷺ قال : « خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة من مقابرهم ، فقالوا : لو صلّينا ركعتين ودعونا الله عزَّ وجلَّ فيخرج لنا رجلاً قد مات نُسائِله يحدّثنا عن الموت ، ففعلوا ، فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر[1] من تلك القبور ، بين عينيه أثر السجود ، فقال : يا هؤلاء ! ما أردتم إلي ؟ فقد مِتُّ منذ مئة عام فما سكنتْ عني حرارة الموت حتى الآن ، فادعوا الله أن يُعيدني كما كنتُ »[2] .

وهذا حديث غريب ، إذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحاً ، فأما ما يعلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذي بأيدينا عن المعصوم ، فذاك متروك مردود لا يعرَّج عليه ، ثم مع هذا كله لا يلزم من جواز روايته أن تعتقد صحته ، لما رواه البخاري[3] قائلاً : حدّثنا محمد بن بشار[4] ، حدّثنا عثمان بن عمر ، حدّثنا علي بن المبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلٰهنا وإلٰهكم واحد ونحن له مسلمون » . تفرّد به البخاري من هذا الوجه .

وروى الإمام أحمد[5] من طريق الزُّهري عن [ابن][6] أبي نملة الأنصاري عن أبيه أنه كان جالساً عند رسول الله ﷺ ، إذ جاء[7] رجل من اليهود فقال : يا محمد هل تتكلّم هذه الجنازة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « الله أعلم » . فقال اليهودي : أنا أشهد أنها تتكلّم . فقال رسول الله ﷺ : « إذا حَدَّثَكُم أهل الكتاب[8]

---

(١) ليست في ب .
(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٩١) باختصار ، وقال : رواه البزار عن شيخه جعفر بن محمد بن أبي وكيع ، عن أبيه ، ولم أعرفهما ، وبقية رجاله ثقات .
(٣) صحيح البخاري رقم (٤٤٨٥) في التفسير ، باب ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ ، ورقم (٧٣٦٢) في الاعتصام ، باب قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » ، ورقم (٧٥٤٢) في التوحيد ، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية .
(٤) في ط : يسار وهو تصحيف . وسقط عمر من السند في ب .
(٥) المسند (٤/ ١٣٦) .
(٦) زيادة من ب ، وهي موافقة لما في المسند . وأبو نملة الأنصاري صحابي مختلف في اسمه ، فقيل هو عمار ، وقيل : عمرو ، وقيل عمارة . من الأوس شهد أحداً . تقريب التهذيب (٢/ ٤٨٢) .
(٧) في ط : فقال إذا جاء . . وهو خطأ .
(٨) زاد في ب : بشيء .

فلا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وكتبه ورسله ، فإن كان حقاً لم تكذبوهم ، وإن كان باطلاً لم تصدّقوهم » . تفرّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد[١] : حدّثنا سُريج[٢] بن النعمان ، حدّثنا هشيم ، أخبرنا مجالد ، عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب[٣] أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي ﷺ ، قال : فغضب وقال : « أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب ؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء[٤] نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقٍّ فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده[٥] لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلاّ أن يتبعني » . تفرد به أحمد ، وإسناده على شرط مسلم .

فهذه الأحاديث دليل على أنهم قد بدّلوا ما بأيديهم من الكتب السماوية وحرّفوها وأوّلوها ووضعوها على غير مواضعها ، ولا سيما ما يبدونه من المغربات التي لم يحيطوا علماً بها[٦] ، وهي بلغتهم ، فكيف يعبّرون عنها بغيرها ؟ ولأجل هذه وقع في تعريبهم خطأ كبيرٌ ووهْم كثيرٌ مع مالهم من القصود[٧] الفاسدة والآراء الباردة ، وهذا يتحققه من نظر في كتبهم التي بأيديهم وتأمّل ما فيها من سوء التعبير وقبيح التبديل والتغيير ، وبالله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير .

وهذه التوراة التي يُبْدونها ويُخفُون منها كثيراً فيما ذكروه فيها تحريف[٨] وتبديل وتغيير وسوء تعبير يعلم[٩] من نظر فيها وتأمّل ما قالوه وما[١٠] أبدوه وما أخفوه ، وكيف يسوغون عبارة فاسدة البناء والتركيب ، باطلة من حيث معناها وألفاظها . وهذا كعب الأحبار من أجود من ينقل عنهم ، وقد أسلم في زمن عمر ، وكان ينقل شيئاً عن[١١] أهل الكتاب ، فكان عمر رضي الله عنه يستحسن بعض ما ينقله لما

---

(١) المسند (٣/ ٣٨٧) .

(٢) في ط : شريح وهو تصحيف . وسُريج بن النعمان بن مروان الجوهري ، أبو الحسن البغدادي ، من كبار الطبقة العاشرة ، توفي سنة (٢١٧هـ) . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٩) .

(٣) زاد في ب : في كتاب .

(٤) كذا في ب ، وهو موافق لما في المسند ، وفي أ وط : به لقد جئتكم به . . . والتهوّك : كالتهور ، وهو الوقوع في الأمر بغير روية .

(٥) كذا في ب ، وهو موافق لما في المسند . وفي أ وط . به .

(٦) في ط : بها علماً .

(٧) في ط : المقاصد . وفي حاشية الأصل : لعله المقاصد .

(٨) في ب : من تحريف .

(٩) في ب : يعلمه .

(١٠) ليست في ب .

(١١) زاد في ب كتب .

يصدقه من الحق وتأليفاً لقلبه، فتوسع كثير من الناس في أخذ ما عنده ، وبالغ أيضاً[١] هو في نقل تلك الأشياء التي كثير منها ما لا يساوي مداده ، ومنها ما هو باطل لا محالة ، ومنها ما هو صحيح لما يشهد له الحق[٢] الذي بأيدينا .

وقد قال البخاري[٣] : وقال أبو اليمان : حدّثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني حُميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدّث رَهْطاً من قريش بالمدينة . وذَكر كعبَ الأحبار ، فقال : « إن كان من أصدق هؤلاء المحدّثين الذين يُحدّثون عن أهل الكتاب، وإن كنا ـ مع ذلك ـ لَنَبْلُو عليه الكذب » يعني من غير قصد منه .

وروى البخاري[٤] من حديث الزُّهري ، عن عُبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس أنه قال : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزلَ الله على رسوله أحدَثُ الكتب بالله تقرؤونه محضاً لم يُشب ، وقد حدَّثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتابَ الله وغيّروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أُنزل عليكم » .

وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود أنه قال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل . والله أعلم .

***

(١) في ب : هو أيضاً .
(٢) في ب : من الحق .
(٣) صحيح البخاري رقم (٧٣٦١) ، في الاعتصام ، باب قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » .
(٤) رقم (٧٣٦٣) .

قصّة جريج أحد عُبّاد بني إسرَائيل

قال الإمام أحمد[(١)] : حدّثنا وهب بن جرير ، حدّثني أبي ، سمعت محمد بن سيرين يحدّث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يَتكلّم في المهد إلاّ ثلاثةٌ : عيسى ابنُ مريم » . قال : « وكان في[(٢)] بني إسرائيل رجلٌ عابد يُقال له جُريج ، فابتنى صومعةً وتعبّد فيها . قال : فذكر بنو إسرائيل عبادةَ جريج ، فقالت بَغِيٌّ منهم : لئن شئتم لأفتننّه . فقالوا : قد شئنا ذاك . قال : فأتته ، فتعرَّضت له ، فلم يلتفت إليها . فأمكنت نفسَها من راعٍ كان يُؤوي غنمه إلى أصل صومعة جُريج ، فحملت ، فولدت غلاماً ، فقالوا : ممن ؟ قالت : من جريج . فأتوه ، فاستنزلوه ، فشتموه وضربوه وهدموا صومعته ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : إنك زنيتَ بهذه البغيّ فولدت غلاماً . فقال : وأين هو ؟ قالوا : هو هذا . قال : فقام ، فصلّى ودعا ، ثمّ انصرف إلى الغلام فطعنه بإصبعه ، فقال : بالله يا غلام من أبوك ؟ فقال : أنا[(٣)] ابن الراعي . فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبّلونه ، وقالوا : نبني صومعتَك من ذهب . قال : لا حاجة لي في ذلك ، ابنوها من طين كما كانت .

قال : وبينما امرأة في حجرها ابن لها تُرضعه ، إذ مرَّ بها راكبٌ ذو شارة . فقالت : اللهم اجعل ابني مثلَ هذا . قال : فترك ثَدْيَها وأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلني مثلَه . قال : ثمّ عاد إلى ثديها فمصَّه . قال أبو هريرة : فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي صنيعَ الصبيّ ووضع إصبعه في فيه يمصُّها . ثمّ مُرّ[(٤)] بأَمَة تُضْرَبُ فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثلَها . قال : فترك ثديَها وأقبل على الأَمَة فقال : اللهم اجعلني مثلها . قال : فذاك حين تراجعا الحديث ، فقالت : حَلْقى[(٥)] . مرَّ الراكب ذو الشارة ، فقلتُ : اللهم اجعل ابني مثلَه ، فقلتَ : اللهم لا تجعلني مثله . ومُرَّ[(٦)] بهذه الأمَةِ فقلتُ : اللهم لا تجعل ابني مثلَها . فقلتَ : اللهم اجعلني مثلها ! فقال : ياأُمَّاه إن الراكب ذا[(٧)] الشارة جبَّارٌ من الجبابرة ، وإن هذه الأمَة يقولون : زنت ، ولم تزنِ ، وسرقت ولم تسرق ، وهي تقول : حسبي الله » .

---

(١) المسند (٢/ ٣٠٧) .
(٢) في ب : من .
(٣) زيادة من ب وط ، وهي موافقة لما في المسند .
(٤) في ط : مرت .
(٥) في ط : خلفي ، وهو تصحيف . وقولها : حلقى : أي :حلقك الله حلقاً ، قال السندي : المعروف في اللغة بالتنوين ، لكن اشتهر على الألسنة بلا تنوين .
(٦) في ط : مررت .
(٧) في أ. وب . وط : ذو . وهو خطأ .

وهكذا[١] رواه البخاري في أحاديث الأنبياء[٢] ، وفي المظالم[٣] عن مسلم بن إبراهيم . ومسلم في كتاب الأدب[٤] عن زهير بن حرب عن يزيد بن هارون ، كلاهما عن جرير بن حازم ، به . طريق أخرى وسياق آخر .

قال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا يحيى بن سعيد ، حدّثنا سليمان بن المغيرة ، حدّثنا حُميد بن هلال ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة عن النبي[٦] ﷺ قال : « كان جُريج يتعبّد في صومعته »[٧] قال : « فأتته أُمُّه فقالت : يا جريج أنا أمك وكلمني » . قال : وكان أبو هريرة يصف كيف كان رسول الله ﷺ وضع يده على حاجبه الأيمن ، قال : « وصادفَتْه يُصلّي . قال : يا ربِّ أمي وصلاتي ، فاختارَ صلاتَه ، [فرجعتْ . ثمّ أتته فصادفته يُصلي ، فقالت : يا جريج أنا أمك فكلّمني . فقال : يا رب أمي وصلاتي ، فاختار صلاتَه . فقالت : اللهم هذا جريج ، وإنه ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني][٨] ، اللهم فلا تمته حتى تُريه الموسات . ولو دعت عليه أن يفتتن لافتتن . قال : وكان راعٍ يأوي إلى ديره ، فخرجت امرأة ، فوقع عليها الراعي ، فولدت غلاماً ، فقيل : ممن هذا ؟ فقالت : هو من صاحب الدير . فأقبلوا بفؤوسهم ومساحيهم[٩] ، وأقبلوا إلى الدير فنادوه ، فلم يكلمهم ، فأقبلوا يهدمون ديره ، فنزل إليهم ، فقالوا : سل هذه المرأة . قال : أراه تَبَسَّم ، قال : ثمّ مسح رأس الصبي فقال : من أبوك ؟ قال : راعي الضأن . قالوا : يا جريج نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة . قال : لا ، ولكن أعيدوه كما كان . ففعلوا » .

ورواه مسلم[١٠] في الاستئذان عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة ، به .

سياق آخر : قال الإمام أحمد[١١] : حدّثنا عفان ، حدّثنا حماد ، أخبرنا[١٢] ثابت ، عن أبي رافع ،

---

(١) في ب : وهذا .
(٢) صحيح البخاري رقم (٣٤٣٦) ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾ .
(٣) صحيح البخاري رقم (٢٤٨٢) ، باب إذا هدم حائطاً فليبن مثله .
(٤) صحيح مسلم رقم (٢٥٥٠) . في ب البر والصلة والآداب ، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.
(٥) في المسند (٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤) .
(٦) لم يرفع الحديث إلى النبي ﷺ في مسند أحمد ، والظاهر أن هذا من إضافات المصنف إن صحت النسخ لأن الحديث في حقيقته مرفوع .
(٧) كذا في ب وط . وهو موافق لما في المسند . وفي أ صومعة .
(٨) سقطت من ب .
(٩) المسحاة : أداة تقشر بها الأرض وتجرف .
(١٠) مسلم (٢٥٥٠) .
(١١) المسند (٢/ ٣٨٥) .
(١٢) في ب : وحدثنا .

عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « كان في بني إسرائيل رجل يقال له : جريج ، كان يتعبّد في صومعته ، فأتته أمه ذات يوم ، فنادته فقالت : أي جريج أي بُني أشرِف عليَّ أكلمكَ أنا أمُّك أشرِفْ عليَّ ، فقال : أي ربي صلاتي وأمي ، فأقبل على صلاته ، ثم عادت فنادته مراراً ، فقالت : أي جريج أي بُني أشرِف عليَّ . فقال : أي رب صلاتي وأمي فأقبل على صلاته . فقالت : اللهم لا تُمته حتى تريه الموسمة . وكانت راعية ترعى غنماً لأهلها ، ثم تأوي إلى ظل صومعته ، فأصابت فاحشةً فحملت فأُخِذَت . وكان من زنى منهم قُتل . فقالوا : ممن ؟ قالت : من جريج صاحب الصومعة ، فجاؤوا بالفؤوس والمرور فقالوا ؛ أي جريج أي مراءٍ ، انزل ، فأبى وأقبل على صلاته يصلّي ، فأخذوا في هدم صومعته . فلما رأى ذلك نزلَ فجعلوا في عنقه وعنقها حبلاً ، فجعلوا[١] يطوفون بهما في الناس ، فوضع أصبعه على بطنها فقال : أي غلام من أبوك ؟ فقال[٢] : أبي فلان راعي الضأن . فقبّلوه وقالوا : إن شئت بنينا لك صومعتك من ذهب وفضة ، قال : أعيدوها كما كانت » .

وهذا سياق غريب ، وإسناده على شرط مسلم ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

فهؤلاء ثلاثة تكلّموا في المهد : عيسى ابن مريم عليه السلام ، وقد تقدم الكلامُ على قصته[٣] ، وصاحب جُريج ابن البغي من الراعي كما سمعت ، واسمه يابوس كما ورد مصرّحاً به في صحيح البخاري[٤] ، والثالث ابن المرأة التي كانت ترضعه فتمنَّت له أن يكون كصاحب الشارة الحسنة فتمنى أن يكون كتلك الأمة المتهومة بما هي بريئة منه وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، كما تقدم في رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً .

وقد رواه الإمام أحمد[٥] عن هَوذة عن عوف الأعرابي عن خِلَاس عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بقصة هذا الغلام الرضيع ، وهو إسنادٌ حسن .

وقال البخاري[٦] : حدّثنا أبو اليمان ، حدّثنا شعيب ، حدّثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، حدّثه أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ قال : « بينما[٧] امرأة ترضع ابنها إذ مرّ بها راكب وهي ترضعه ، فقالت : اللهم لا تُمت ابني حتى يكون مثل هذا . فقال : اللهم لا تجعلني مثله . ثمّ رجع في

---

(١) ليست في ب .
(٢) في ب : قال وهذا موافق لما في المسند .
(٣) في ب : كلامه .
(٤) صحيح البخاري رقم (١٢٠٦) ، في العمل في الصلاة ، باب إذا دعت الأم ولدها في الصلاة .
(٥) المسند (٢/ ٣٩٥) .
(٦) رقم (٣٤٦٦) ، في أحاديث الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٧) في ب : بينا ، وهو موافق لرواية البخاري .

الثدي ومرّ بامرأة تُجرّر ويلعب بها ، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه[١] . فقال : اللهم اجعلني مثلها . فقال : أما الراكب فإنه كافر . وأما المرأة فإنهم يقولون : إنها[٢] تزني ، وتقول : حسبي الله ، ويقولون : تسرق ، وتقول : حسبي الله » .

وقد ورد في من تكلّم في المهد أيضاً شاهد يوسف كما تقدّم ، وابن ماشطة آل فرعون[٣] . والله أعلم .

* * *

(١) في ب : مثلها ، وهو موافق لرواية البخاري .

(٢) في ب : لها ، وهو موافق لرواية البخاري .

(٣) ليست في ب . وتقدم خبر ابن الماشطة في هذا الجزء .

قصّة برصيصا

وهي عكس قضية[(١)] جُريج فإن جُريجاً عُصم ، وذلك[(٢)] فتن .

قال ابن جرير : حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، أخبرنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦ ـ ١٧] . قال ـ ابن مسعود ـ وكانت امرأة ترعى الغنم ، وكان لها إخوة أربعة ، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب ، قال : فنزل الراهب ، ففجر بها ، فحملت ، فأتاه الشيطان فقال له : اقتلها ثمّ ادفنها ، فإنك رجل تُصدَّقُ ويُسمع قولُك . فقتلها ثمّ دفنها . قال : فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثمّ دفنها في مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجلٌ منهم : والله لقد[(٣)] رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقُصُّها عليكم أم أترك ؟ قالوا : لا بل قُصَّها علينا . قال : فقصها . فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك . فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك . قالوا : فوالله ما هذا إلا لشيء . فانطلقوا فاستَعْدوا ملكَهم على ذلك الراهب ، فأتوه فأنزلوه . ثمّ انطلقوا به ، فأتاه الشيطان فقال : إني أنا[(٤)] أوقعتك في هذا ، ولن ينجيك منه غيري ، فاسجُد لي سجدةً واحدةً وأُنجيكَ مما أوقعتُك فيه . قال : فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرّأ منه ، وأُخِذَ فقُتل[(٥)] . وهكذا روي عن ابن عباس وطاووس ومقاتل بن حَيّان نحو ذلك[(٦)] .

وقد رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسياق آخر ، فقال ابن جرير[(٧)] : حدثنا خَلّاد بن أسلم ، حدثنا النَّضْرُ بن شُمَيل أخبرنا شُعْبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت عبد الله بن نَهيك ، سمعت علياً يقول : إن راهباً تعبَّد ستين سنةً ، وإن الشيطان أراده فأعياه ، فعمد إلى امرأةٍ فأَجَنَّها[(٨)] ولها

---

(١) في ب : قصة .
(٢) في ب : وذاك .
(٣) في ب : لقد والله .
(٤) في ب : أنا الذي . . . وهو موافق لما عند ابن جرير .
(٥) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٣) .
(٦) قوله : وهكذا روي . . . إلى هنا ، زيادة من ب وط . والرواية من طريق ابن عباس وطاووس في تفسير الطبري (٨/ ٣٣ ـ ٣٤) .
(٧) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٣) .
(٨) في ب : فأحبلها .

إخوة ، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القس فَيُداويها ، قال : فجاؤوا بها إليه ، فداواها . وكانت عنده ، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته ، فأتاها ، فحملت ، فعمد إليها فقتلها ، فجاء إخوتُها . فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك إنك أعييتني ، أنا صنعتُ هذا بك فأطعني أُنْجِكَ مما صنعتُ بك ، اسجُد لي سجدةً ، فسجد له فلما سجد له[1] قال إني بريءٌ منك إني أخاف الله رب العالمين . فذلك قوله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

* * *

(١) قوله : فلما سجد له ، زيادة من ب ، وهي موافقة لما عند ابن جرير .

قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانطبق عليهم فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ففرّج عنهم

قال الإمام البخاري[١] : حدّثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا علي بن مُسْهِر ، عن عُبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « بينما ثلاثةُ نَفَرٍ ممّن كانَ قبلَكم يمشونَ ، إذ أصابَهم مطرٌ ، فأوَوا إلى غارٍ ، فانطبقَ عليهم . فقال بعضُهم لبعض : إنه واللهِ يا هؤلاء لا يُنجيكُم إلا الصِّدق ، فليدْعُ كلُّ رجلٍ منكم بما يَعلمُ أنَّه صدَقَ فيه . فقال واحدٌ منهم[٢] : اللهمّ إنْ كُنتَ تعلمُ أنّه كانَ لي أجيرٌ عَمِلَ لي على فرَقٍ من[٣] أرُز ، فذهب وتركه ، وأني عَمدتُ إلى ذلك الفَرَق فزرعته ، فصار من أمره أني اشتريتُ منه بَقَراً ، وأنه أتاني يطلب[٤] أجره ، فقلت : اعمد إلى تلك البقر فسُقْها . فقال لي : إنما لي عندك فَرَق من أرز . فقلت له : اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفَرَق ، فساقها . فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك من خَشيتك ففرِّج عنا . فانساخَت[٥] عنهم الصخرةُ . فقال الآخر : اللهم إنْ كنتَ تعلم كان لي أبَوان شيخانِ كبيران ، وكنت آتيهما كلَّ ليلةٍ بلبن غنم لي فابطأتُ ليلةً ، فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغَون[٦] من الجوع ، وكنتُ لا أسقيهم حتى يشربَ أبواي ، فكرهتُ أن أُوقظَهما ، وكرهت أن أدعهما فَيَسْتَكِنَّا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر ، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك من خَشيتك ففرّج عنّا ، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء . فقال الآخر : اللهمّ إنْ كنتَ تعلمُ أنه كانتْ لي ابنةُ عمٍّ مِنْ أحَبِّ الناسِ إليَّ وأنّي راودتُها عن نفسها ، فأبَتْ إلاّ أن آتِيَها بمئة دينار ، فطلبتُها حتى قدرتُ ، فأتيتُها بها ، فدفعتُها إليها ، فأمكنتني من نفسها ، فلما قعدتُ بين رجليها قالت : اتقِ اللهَ ولا تَفضَّ الخاتَمَ إلا بحقّه ، فقمت وتركتُ المئة دينار . فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك من خَشيتك ففرّج عنّا . ففرَّج الله عنهم فخرجوا[٧] » .

---

(١) ثمة خلاف في نسخة ب عما هاهنا ، ففيها الحديث الذي رواه البخاري من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رقم (٢٢٧٢) في الإجارة ، باب من استأجر أجيراً فترك أجره . .

(٢) كذا في البخاري ، وفي أ : أحدهم ، وفي ط : واحداً منهم .

(٣) زيادة من ط ، وهي موافقة لما في البخاري . والفَرَق : مكيال محدد .

(٤) كذا في ط والبخاري . وفي أ : فطلب .

(٥) انساخت : انشقت .

(٦) الضغاء : الصياح ببكاء .

(٧) صحيح البخاري رقم (٣٤٦٥) ، في أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار .

ورواه[١] مسلم عن سويد بن سعيد ، عن علي بن مُسْهِر[٢] ، به .

وقد رواه الإمام أحمد[٣] منفرداً به عن مروان بن معاوية ، عن عُمَر بن حمزة بن عبد الله بن عمر ، عن سالم ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ ، بنحوه .

ورواه الإمام أحمد[٤] من حديث وهْب بن مُنَبِّه ، عن النعمان بن بشير ، عن النبي ﷺ بنحو من هذا السياق ، وفيه زيادات .

ورواه البزّار من طريق أبي إسحاق عن رجل من بَجيلة عن النعمان بن بشير مرفوعاً مثله[٥] .

ورواه البزّار في مسنده من حديث ابن حبيش[٦] عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ بنحوه[٧] .

***

(١) في ط : رواه .
(٢) صحيح مسلم رقم (٢٧٤٣) في الذكر والدعاء ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال .
(٣) المسند (٢/ ١١٦) .
(٤) المسند (٤/ ٢٧٤) .
(٥) كشف الأستار (٣١٧٨) .
(٦) في أ وط : « أبي حنتش » وما أثبتناه في ب وهو الصواب ، فالمعروف أن زر بن حبيش هو أحد الرواة عن علي رضي الله عنه كما في كتب الرجال . . سير أعلام النبلاء (٤/ ١٦٧) ، وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٣٥) .
(٧) وذكره ابن قدامة في كتاب التوابين (٦٩) ، وللشيخ عبد القادر الأرناؤوط تعليق مطوّل عليه ، فلينظر ثمة .

خبَر الثلاَثة الأعمى وَالأبرص وَالأقرع

روى البخاري[١] ومسلم[٢] من غير وجه عن هَمَّام بن يحيى ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، حدثني عبد الرحمن بن أبي عَمْرة ، أن أبا هريرة حدَّثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثةً في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله[٣] أن يَبْتَليهم ، فَبعث[٤] إليهم مَلَكاً ، فأتى الأبرصَ ، فقال له : أي شيء أحبّ إليك ؟ قال : لونٌ حسن وجلدٌ حسنٌ ، قد قَذِرَني الناسُ . قال : فمسحه فذهب عنه فأُعطي لَوناً حسناً وجلداً حسنا . فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل ـ أو قال : البقر ، شك[٥] في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر ـ فأعطي ناقة عشراء ، فقال : يُبارَك لكَ فيها . قال : وأتى الأقرَع فقال[٦] : أي شيء[٧] أحب إليك ؟ قال : شَعرٌ حسنٌ ويَذْهَبُ عني هذا[٨] ، قد قَذِرَني الناس . فمسحَه فذهب وأُعطيَ شَعراً حسناً . قال أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، فأعطاه بقرةً حاملاً وقال : يُبارَك لك فيها . قال[٩] : وأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال يردُّ اللهُ إليَّ بَصري . فأبصِرُ به الناسَ . قال : فمسحه ، فرد الله إليه بصره[١٠] . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم فأعطاه شاةً والداً فأُنتِج هذان ، ووُلِّدَ هذا ، فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر[١١] ، ولهذا وادٍ من الغنم ثم[١٢] إنه أتى الأبرصَ في صورته وهيئته ، فقال : رجلٌ مِسكين تقطَّعت بي الحِبال في سَفري فلا بلاغَ اليوم[١٣] إلا بالله ثم بك ، أسألك ـ بالذي أعطاك اللون الحسن والجِلْد الحسن والمال ـ بعيراً أتبلّغ

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٤٦٤) ، أحاديث الأنبياء ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل ، ورقم (٦٦٥٣) ، في الأيمان والنذور ، باب لا يقول ما شاء الله وشئت .

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٩٦٤) في أول الزهد .

(٣) في ط : وأعمى وأقرع بدا الله .

(٤) في ط : فبعث الله .

(٥) في ط : هو شك ، وهي رواية البخاري .

(٦) زاد في ط : له .

(٧) كذا في ب : وهو لفظ البخاري . وفي أ وط : المال .

(٨) في ب : هذا عني .

(٩) ليست في ب . وكذلك في البخاري .

(١٠) من قوله : يرد الله . . إلى هنا زيادة من ب وط والبخاري ، سقطت من الأصل .

(١١) في ب : بقر ، وهي رواية البخاري .

(١٢) زيادة من ط . موافقة للفظ البخاري .

(١٣) في ب : لي اليوم . والحبال : الوسائل والأسباب .

عليه في سفري . فقال له : إن الحقوق كثيرةٌ . فقال له : كأني أعرفُك ! ألم تكن أبرصَ يَقْذَرُكَ الناس فقيراً فأعطاك الله عزَّ وجلَّ ؟ فقال : لقد ورثتُ لكابرٍ[١] عن كابر . فقال : إن كنتَ كاذباً فصيّرَكَ الله إلى ما كنتَ . وأتى الأقرعَ في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، فردّ عليه مثلَ ما ردَّ عليه هذا . فقال : إن كنتَ كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنتَ . وأتى الأعمى في هيئته وصورته ، فقال : رجلٌ مسكين وابنُ سبيل ، وتقطّعت بي الحِبال في سفري ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثمّ بك ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلّغ بها في سفري . فقال : قد كنتُ أعمى فردّ الله إليَّ بَصري ، وفقيراً فقد أغناني[٢] فخذ ما شئت[٣] فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عزّ وجلّ . فقال : أمْسك مالَكَ فإنما ابتُليتم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك » .

هذا لفظ البخاري[٤] في أحاديث بني إسرائيل .

* * *

(١) في ب : كابراً ، وهو لفظ مسلم .

(٢) زيادة من ب وط . وهي موافقة للفظ البخاري .

(٣) زاد في ب : واترك ما شئت وهو لفظ مسلم . وفيه : ودع .

(٤) وهو أقرب إلى لفظ مسلم .

حديث الذي استلف من صَاحبه ألف دينار فأدّاها

قال الإمام أحمد : حدّثنا يونس بن محمد ، حدّثنا ليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هُرْمُز ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه ذكر « أنَّ رجلاً من بني إسرائيل سأل بعضَ بني إسرائيل أن يُسلفه ألفَ دينارٍ ، فقال : ائتني بشهداء أُشهدهم . قال : كفى بالله شهيداً . قال : ائتني بكفيلٍ . قال : كفى بالله كفيلاً . قال : صدقتَ . فدفعها إليه إلى أجَلٍ مُسمًى ، فخرج في البحر ، فقضى حاجته ، ثم التمس مركباً يقدمُ عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً ، فأخذ خشبة فنقرها وأدخل فيها ألفَ دينار وصحيفة معها إلى صاحبها ، ثمّ زَجَّجَ موضعها ، ثمّ أتى بها البحر ، ثمّ قال : اللهم إنك علمتَ أني استسلفت فلاناً ألفَ دينارٍ ، فسألني كفيلاً فقلتُ : كفى بالله كفيلاً فرضي بذلك ، وسألني شهيداً فقلت : كفى بالله شهيداً فرضي بذلك ، وإني قد جَهِدتُ أن أجد مركباً أبعثُ إليه بالذي أعطاني فلم أجد مركباً ، وإني استودعتكها ، فرمى بها في البحر حتى وَلَجتْ فيه ، ثمّ انصرف وهو في ذلك يطلب مركباً إلى بلده ، فخرج الرجلُ الذي كان أسلفه ينظرُ لعلَّ مركباً يجيئه بماله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطباً ، فلما كسرها وجد المال والصحيفةَ ، ثمّ قدم الرجل الذي كان تسلَّف منه ، فأتاه بألف دينارٍ وقال : والله ما زلتُ جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه . قال : هل كنتَ بعثتَ إليَّ بشيء ؟ قال : ألم أُخبرْكَ أني لم أجد مركباً قبل هذا الذي جئت فيه . قال : فإن الله أدّى عنكَ الذي بعثتَ في الخشبة ، فانصرفْ بألفكَ راشداً » .

هكذا رواه الإمام أحمد مسنداً[١] . وقد علّقه البخاري في غير موضعٍ من « صحيحه »[٢] بصيغة الجزم عن الليث بن سعد ، وأسنده في بعضها عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه[٣] . والعجب من الحافظ أبي بكر البزار كيف رواه في مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد عن أبي عَوانة عن عمر بن سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه . ثم قال : لا يُروى إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد .

***

(١) المسند (٢/ ٣٤٨_٣٤٩) .

(٢) صحيح البخاري رقم (١٤٩٨) (٢٢٩١) ، و(٢٤٠٤) و(٢٤٣٠) و(٢٧٣٤) وفي الكفالة ، باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها ، ورقم (٦٢٦١) في الاستئذان ، باب بمن يُبدأ في الكتاب .

(٣) البخاري (٢٠٦٣) .

قصة أخرى شبيهة بهذه[(١)] في الصّدق وَالأمانة

قال البخاري : حدّثنا إسحاق بن نصر ، حدّثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن همّام بن مُنبِّه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اشترى رجلٌ من رجلٍ عقاراً له ، فوجد الرجلُ الذي اشترى العقار في عقاره جرَّة فيها ذهب ، فقال له الذي اشترى العقار : خُذْ ذهبَك مني إنما اشتريتُ منكَ الأرض ولم أبْتَع منك[(٢)] الذهب . فقال الذي له الأرض : إنما بعتُك الأرضَ وما فيها . فتحاكَما إلى رجلٍ ، فقال الذي تحاكما إليه : ألَكُما ولَد ؟ قال أحدهما لي غلام ، وقال الآخر : لي جارية . قال أَنْكِحوا الغلام الجارية وأنْفِقوا[(٣)] على أنفسهما منه ، وتصدقا » .

هكذا روى البخاري[(٤)] هذا الحديث في أخبار بني إسرائيل . وأخرجه مسلم[(٥)] عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق ، به .

وقد رُوي أن هذه القصة وقعت في زمن ذي القرنين . وقد كانَ قبل بني إسرائيل بدهور متطاولة . والله أعلم .

قال إسحاق بن بشر[(٦)] في كتابه « المبتدأ » عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن الحسن : إن ذا القرنين كان يتفقّد أمور[(٧)] ملوكه وعماله بنفسه ، وكان لا يطّلع على أحدٍ منهم خيانة إلا أنكر ذلك عليه ، وكان لا يقبل ذلك حتى يطّلع هو بنفسه . قال : فبينما هو يسير متنكراً في بعض المدائن ، فجلس إلى قاضٍ من قضاتهم أياماً لا يختلف إليه أحد في خصومةٍ ، فلما أن طال بذي القرنين ولم يطَّلع على شيء من أمر ذلك القاضي ، وهَمَّ بالانصراف ، إذا هو برجلين قد اختصما إليه ، فادّعى أحدهما فقال : أيها القاضي إني اشتريتُ من هذا داراً وعمرتها ووجدت فيها كنزاً ، وإني دعوته إلى أخذه فأبى عليَّ . فقال له القاضي ما تقول ؟ قال : ما دفنتُ ولا علمت[(٨)] به فليس هو لي ولا أقبضُه منه . قال المدّعي : أيها القاضي مُر من يقبضه فيضعه حيث أحببتَ . فقال القاضي : تَفِرُّ من الشر وتُدخلني فيه ، ما أنصفتني ،

---

(١) في ط : « بهذه القصة » .
(٢) زيادة من ب وط ، وهي موافقة للفظ البخاري .
(٣) كذا في ب وط . وهو موافق لما في البخاري . وفي أ : انكحا . . وانفقا .
(٤) صحيح البخاري رقم (٣٤٧٢) ، في أحاديث الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٥) صحيح مسلم رقم (١٧٢١) في الأقضية ، باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين .
(٦) إسحاق بن بشر بن محمد ، أبو حُذيفة ، مؤرخ ، ولد ببلخ ، واستوطن بخارى . توفي سنة (٢٠٦هـ) . وكتابه المبتدأ منه جزء مخطوط في المكتبة الظاهرية . الأعلام (١/ ٢٩٤) .
(٧) زاد في ب : مملكته . . .
(٨) في ط : وما .

وما أظن هذا في قضاء الملك . فقال القاضي : هل لكما في[١] أمرٍ أنصف مما دعوتماني إليه ؟ قالا : نعم . قال للمدعي : ألكَ ابنٌ ؟ قال : نعم . وقال للآخر : ألك ابنة ؟ قال : نعم . قال : اذهبا فزوّج ابنتك من ابن هذا وجهزاهما[٢] من هذا المال وادفعا فضل ما بقي إليهما يعيشان به فتكونا قد حمِّلتا[٣] بخيره وشره . فعجب ذو القرنين حين سمع ذلك ، ثم قال للقاضي : ما ظننت أن في الأرض أحداً يفعل مثل هذا ، أو قاضٍ يقضي بمثل هذا ؟ فقال القاضي وهو لا يعرفه : وهل أحد يفعل غير هذا ؟ قال ذو القرنين : نعم . قال القاضي : فهل يُمطَرُون في بلادهم ؟! فعجب ذو القرنين من ذلك وقال : بمثل هذا قامت السموات والأرض .

***

قصّة أخرى

قال البخاري[٤] : حدّثنا محمد بن بشار ، حدّثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أبي الصِّدِّيق[٥] الناجي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال : « كان في بني إسرائيل رجلٌ قتل[٦] تسعةً وتسعين إنساناً ، ثمّ خرج يسأل ، فأتى راهباً ، فسأله ، فقال : هل من توبةٍ[٧] ؟ قال : لا . فقتله . فجعل يسأل ، فقال له رجل : ائت قرية كذا وكذا ، فأدركه الموتُ فناءَ بصدره نحوها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأوحى الله إلى هذه أن تقرَّبي ، وأوحى إلى هذه أن تَبَاعدي ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوُجد إلى هذه أقرب بشبرٍ ، فغُفر له » .

هكذا رواه هاهنا مختصراً . وقد رواه مسلم[٨] عن بندار ، به . ومن حديث شعبة ، ومن وجه آخر عن قتادة ، به مطولاً .

***

(١) ليست في ط .
(٢) كذا في ب ، وفي أ : وجهزوهما . وفي ط : وجهزهما .
(٣) في ط : فتكونا ملياً .
(٤) صحيح البخاري رقم (٣٤٧٠) في أحاديث الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٥) في ب : أبي بكر الصديق وهو سهو . وأبو الصدّيق هو بكر بن عمرو الناجي ، ثقة من الطبقة الثالثة ، مات سنة (١٠٨هـ) . تقريب التهذيب (١/١٠٦) .
(٦) كذا في ب وط . والبخاري ومسلم . وفي أ زاد : قد .
(٧) كذا في ب وط والبخاري . وفي أ فسأله هل له توبة .
(٨) صحيح مسلم رقم (٢٧٦٦) في التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله .

حديث آخر :

قال البخاري[١] : حدّثنا علي بن عبد الله ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : صلّى بنا [رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، ثمّ أقبل على الناس بوجهه][٢] فقال : « بينما رجلٌ يسوق بقرةً إذ ركبها فضربها فقالت : إنا لم نخلق لهذا ، إنّما خلقنا للحَرث . فقال الناس : سبحان الله بقرةٌ تكَلَّمُ ؟! فقال : فإني أومِنُ بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما[٣] ثمَّ . قال وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة ، فطلبه[٤] حتى كأنه استنقذها منه ، فقال له الذئب : هذا ! استنقذتَها منّي ، فمن لها يوم السَّبُع[٥] ، يوم لا راعي لها غيري ؟ فقال الناس : سبحان الله ذئب يتكلّم . قال : فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما[٦] ثَمَّ » .

قال[٧] : وحدّثنا علي قال : حدّثنا[٨] سفيان ، عن مِسْعَر ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بمثله .

وقد أسنده البخاري في المزارعة عن علي بن المديني[٩] . ومسلم[١٠] عن محمد بن عباد كلاهما عن سفيان بن عيينة ، وأخرجاه من طريق شعبة ، كلاهما عن مِسْعَر به . وقال الترمذي : حسن صحيح[١١] .

---

(١) (٦/ ٥١٢) ، رقم (٣٤٧١) في أحاديث الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٢) ليست في ط .
(٣) كذا في ب وط والبخاري . وفي أ : وهاهما .
(٤) في ط : فطلب .
(٥) يوم السبع : قيل هو يوم القيامة ، وردوه بأن هذا لا يصلح مع تتمة الحديث . قيل : السبع : الذعر والفزع . وقيل : أراد عند الفتن يتركها الناس هملاً . وقيل : يوم السبع عيد كان لهم في الجاهلية يلهون به وينشغلون عن ماشيتهم النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) .
(٦) كذا في ب وط . والبخاري . وفي أ : وهاهما .
(٧) أي البخاري (٦/ ٥١٢) .
(٨) قوله : علي ، قال : حدثنا ، سقطت من أ . وهي في ب وط . والبخاري .
(٩) هكذا وقع عند المصنف ، والذي في المطبوع من صحيح البخاري أن حديث المزارعة (٢٣١٤) إنما هو عن محمد بن بشار عن غندر عن شعبة فقط . والظاهر أن المصنف قد نقل ذلك من كتاب « تحفة الأشراف » لشيخه المزي إذ جاء فيه : « خ في المزارعة عن محمد بن بشار عن غندر عن شعبة . وعن علي عن سفيان عن مسعر ، كلاهما عن سعد بن إبراهيم به » (١٠/ ٣٤٦) رقم (١٤٩٥١) ط. د. بشار .
(١٠) ليست في ب . والحديث بطرقه في صحيح مسلم ، رقم (٢٣٨٨) ، في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
(١١) جامع الترمذي (٣٦٧٧) و(٣٦٩٥) .

[وأخرج مسلم الطريق الأول من حديث سفيان بن عيينة وسفيان الثوري كلاهما عن أبي الزناد][١] .

حديث آخر :

قال البخاري : حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدّثنا إبراهيم بن سعد[٢] ، عن أبي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إنه قد[٣] كان فيما مضى قبلَكم من الأمم مُحدَّثون وإنّه وإنْ كان في أمتي هذه منهم فإنه عمرُ بن الخطاب »[٤] . لم يخرجه مسلم من هذا الوجه[٥] .

وقد روي عن إبراهيم بن سعد عن أبي سلمة عن عائشة[٦] رضي الله عنها .

حديث آخر :

قال البخاري[٧] : حدّثنا عبد الله بن مَسْلمة ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن حُميد بن عبد الرحمن أنه« سمع معاوية بنَ أبي سفيان ـ عام حجَّ ـ على المنبر ، وتناول[٨] قُصَّةً من شعرٍ كانتْ في يدِ حَرَسيّ[٩] فقال : يا أهل المدينة أين علماؤكم ؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثلِ هذه ويقول : إنما هَلَكَتْ بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم » .

وهكذا رواه مسلم[١٠] وأبو داود[١١] من حديث مالك . وكذا رواه معمر ويونس وسفيان بن عيينة عن الزهري بنحوه .

وقال الترمذي : حديث صحيح[١٢] .

وقال البخاري : حدّثنا آدم ، حدّثنا شعبة ، حدّثنا عمرو بن مُرَّة ، قال : سمعت سعيد بن المسيِّب

---

(١) ليست في ب ، وهي في صحيح مسلم رقم (٣٦٧٧) في المناقب ، باب (١٧) .
(٢) كذا في ب ، والبخاري . وفي أ وط : عن سعد ، وهو سهو .
(٣) سقطت من ط .
(٤) صحيح البخاري رقم (٣٤٦٩) ، في أحاديث الأنبياء ، باب (٥٤) . ورواه أيضاً من طريق يحيى بن قزعة عن إبراهيم بن سعد رقم (٣٦٨٩) في فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب .
(٥) الحديث بطرق أخرى في صحيح مسلم (٢٣٩٨) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(٦) لابن حجر قول في سند هذا الحديث في الفتح (٧/ ٥٠) .
(٧) صحيح البخاري رقم (٣٤٦٨) ، في الأنبياء باب (٥٤) .
(٨) في ط : فتناول .
(٩) القُصَّة : هي شعر الناصية ، والخصلة منه . والحرسيّ : منسوب إلى الحرس ، وهو واحد الحراس .
(١٠) صحيح مسلم رقم (٢١٢٧) في اللباس والزينة ، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة .
(١١) سنن أبي داود رقم (٤١٦٧) في الترجل ، باب صلة الشعر .
(١٢) الترمذي رقم (٢٧٨١) في الأدب ، باب ما جاء في كراهية اتخاذ القُصَّة .

قال : قدم معاوية بن أبي سُفيان المدينة آخر قَدْمةٍ قَدِمها ، فخطبنا ، فأخرج من كُمّه كُبَّةَ شعرٍ وقال : « ما كنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهود ، إن النبي ﷺ سمّاه الزُّوْرَ ، يعني الوصال في الشعر » . تابعه غُنْدَر عن شعبة[(١)] .

والعجب أن مسلماً رواه من غير وجه عن غُندر عن شعبة[(٢)] . ومن حديث قتادة عن سعيد بن المسيب[(٣)] ، به[(٤)] .

حديث آخر :

قال البخاري : حدّثنا سعيد بن تَلِيْدٍ ، حدّثنا ابنُ وهب قال[(٥)] أخبرني جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما كلبٌ يَطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كادَ يقتله العطشُ ، إذ رأته امرأة بغي[(٦)] من بغايا بني إسرائيل ، فنزعت مُوْقَها ، فسقته ، فَغُفِرَ لها به »[(٧)] .

ورواه مسلم عن أبي الطاهر بن السَّرْح عن ابن وهب ، به[(٨)] .

حديث آخر :

قال البخاري[(٩)] : حدّثني عبد الله بن محمد بن[(١٠)] أسماء ، حدّثنا جويرية ، عن نافع ، عن عبد الله ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « عُذِّبَتِ امرأةٌ في هِرَّةٍ سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، فلا[(١١)] هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش الأرض » .

وكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء ، به[(١٢)] .

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٨٨) في الأنبياء .
(٢) رواه عن أبي بكر من أبي شيبة ، ومحمد بن المثنى العنزي ، ومحمد بن بشار ، ثلاثتهم عن غندر (٢١٢٧) (١٢٣) في اللباس .
(٣) مسلم (٢١٢٧) (١٢٤) .
(٤) زيادة من ب وط .
(٥) زيادة من ط . موافقة للفظ البخاري .
(٦) ليست في ط . ولا في البخاري .
(٧) صحيح البخاري رقم (٣٤٦٧) في الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٨) صحيح مسلم رقم (٢٢٤٥) في السلام ، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها . والموق : الخف .
(٩) صحيح البخاري (٣٤٨٢) في الأنبياء .
(١٠) قوله : محمد بن . . . زيادة من ب . موافقة لنص البخاري .
(١١) في ب : لا .
(١٢) صحيح مسلم رقم (٢٢٤٢) في الحيوان ، وفي الأدب ، جميعاً بالإسناد نفسه .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[١]: حدّثنا عثمان بن عمر ، حدّثنا المُسْتَمِرُّ بن الريّان ، حدّثنا أبو نَضْرة ، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « كان في بني إسرائيل امرأة قصيرةٌ ، فصنعتْ رِجلين من خشب ، فكانت تمشي بين امرأتين قصيرتين . واتخذت خاتماً من ذهب ، وحشت تحت فَصِّه أطيب الطيب والمسك[٢] ، فكانت إذا مرت بالمجلس حركّته فَنَفَح رِيحه » .

رواه مسلم من حديث المستمر وخُليد بن جعفر كلاهما عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً قريباً[٣] منه .

وقال الترمذي : حديث حَسَن صحيح[٤] .

حديث آخر :

قال البخاري : حدّثنا آدم ، حدّثنا شعبة ، عن منصور ، سمعت رِبْعي بن حِرَاش يحدّث عن أبي مسعود[٥] قال : قال النبي ﷺ : « إن ممّا أدركَ الناسُ من كلام النبوة الأُولى[٦] : إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئتَ » . تفرّد به البخاري[٧] دون مسلم .

وقد رواه بعضهم عن ربعي[٨] عن حذيفة مرفوعاً وموقوفاً أيضاً[٩] . والله أعلم .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[١٠] : حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا عبد الحميد ـ يعني ابن بهرام ـ حدّثنا شَهْر بن حَوْشَب قال : قال أبو هريرة[١١] : بينما رجلٌ وامرأةٌ له في السلف الخالي لا يقدران على شيء ، فجاء

---

(١) المسند (٣/ ٤٠) .

(٢) في ب : المسك بلا واو . وكذلك هو في المسند .

(٣) صحيح مسلم رقم (٢٢٥٢) في الألفاظ ، باب استعمال المسك وأنه أطيب الطيب .

(٤) في ط وأ : « صحيح » وما أثبتناه من ب ، وهو الذي في الترمذي رقم (٩٩١) ، في الجنائز ، باب في ما جاء في المسك للميت ، وكذلك نقله المزي في التحفة (٤٣١١) .

(٥) كذا في ب ، وهو موافق لنص البخاري ، وفي أ وط : ابن وهو سهو .

(٦) ليست في ب . وكذلك في البخاري .

(٧) صحيح البخاري رقم (٣٤٨٤) ، في الأنبياء ، باب (٥٤) .

(٨) زاد في ط : ابن حراش .

(٩) تنظر تحفة الأشراف (٩٩٨٢) .

(١٠) المسند (٢/ ٤٢١) .

(١١) زاد في ط : قال قال رسول الله ، وما هنا هو الذي في المسند .

الرجل من سَفَره ، فدخل على امرأته جائعاً قد أصابته مَسْغَبَةٌ شديدة فقال لامرأته : أعندك[١] شيء ؟ قالت : نعم أبشر ، أتاك رزق الله . فاستحثَّها فقال : ويحك أبتغي إن كان عندك شيء . قالت : نعم هُنَيّة[٢] نرجو رحمة الله . حتى إذا طال عليه الطَّول[٣] قال : ويحك قومي فابتغي إن كان عندك شيء فأتيني به فإني قد بلغت[٤] وجهدت . فقالت : نعم الآن ينضج التنّور فلا تعجل . فلما أن سَكَتَ عنها ساعة وتحيَّنَتْ أيضاً أن يقول لها ، قالت مِن عِند نفسها : لو قُمتُ فنظرتُ إلى تنّوري . فقامت فوجدت تنورَها ملآن من جُنُوب الغنم [ورحاها تطحن ، فقامت إلى الرحى فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جُنُوب الغنم][٥] . قال أبو هريرة : فوالذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد ﷺ لو أخذت ما في رَحَيَيْها ولم تنفضها لطحنتها[٦] إلى يوم القيامة .

وقال أحمد[٧] : حدّثنا ابن عامر ، حدّثنا أبو بكر ، عن هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة قال : دخل رجل على أهله ، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج[٨] إلى البرِّيَّة ، فلما رأت امرأته[٩] قامت إلى الرَّحى فوضعتها ، وإلى التنور فَسَجَرته ، ثمّ قالت : اللهم ارزقنا . فنظرت فإذا الجَفْنَةُ قد امتلأت . قال : وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً . قال : فرجع الزوج قال : أصبتم بعدي شيئاً ؟ قالت امرأته : نعم من ربنا ، ثم قامت إلى الرَّحى فرفعتها[١٠] . فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة » .

قال : شهدت النبي ﷺ وهو يقول : والله لأَن يأتيَ أحدُكم بحزمة حطبٍ[١١] ثمّ يحمله فيبيعه فيستعفف منه خيرٌ له من يأتي رجلاً فيسأله .

* * *

(١) هكذا في ب وهو الموافق لما في المسند .
(٢) في ط : هنيئة . والهُنَيّة : تصغير هَنَة : القليل من الوقت .
(٣) في ط . المطال . وفي حاشية أ : في نسخة : المطال .
(٤) زاد في ط : الجهد .
(٥) ليست في ب ، وهي في مسند أحمد . وجنوب الغنم : جمع جَنْب ، يريد جنب الشاة ، أي أنه كان في التنور جنوب كثيرة لا جنب واحد . النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٠٤) .
(٦) من ب ، وهي رواية أحمد .
(٧) مسند أحمد (٢/ ٥١٣) .
(٨) كذا في ب وط . وهو موافق لما في المسند . وفي أ : فرجع .
(٩) زاد في ط : مالقي . وليست في المسند ، وفي حاشية أ : أنها رواية نسخة أخرى .
(١٠) في ط : من ربنا فرفعتها إلى الرحى ثم قامت فذكر . وفي ب : قام الرجل فرفعها .
(١١) في ب : بحطب . وفي المسند : صبيراً .

قِصّة المَلِكَينْ التائبين

قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا يزيد بن هارون ، حدّثنا المسعودي ، عن سِمَاك بن حرب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته فتَفَكَّر[٢] ، فعلم أن ذلك منقطع عنه ، وأن ما هو[٣] فيه قد شغله عن عبادة ربه ، فانْسابَ ذاتَ ليلة من قصره فأصبح[٤] في مملكة غيره ، وأتى ساحل البحر ، فكان به يضرب اللَّبِنَ بالأجر فيأكل ويتصدَّق بالفضل . ولم يزل كذلك حتى رقي أمرُه إلى مَلِكِهم ، فأرسل إليه ، فأبى أن يأتيه ، فركب إليه الملكُ ، فلما رآه ولّى هارباً ، فركض في أثره فلم يدركه ، فناداه : يا عبد الله إنه ليس عليك منّي بأس . فقام حتى أدركه فقال له : من أنت ، رحمك الله ؟ فقال : أنا فلان بن فلان صاحب مملكة كذا وكذا ، تَفَكَّرْتُ[٥] في أمري فعلمت أن[٦] ما أنا فيه منقطع ، وأنه قد شغلني عن عبادة ربي ـ عز وجل ـ فتركته وجئتُ هاهنا أعبدُ ربّي . فقال له : ما أنت بأحوجَ لما صنعتَ منّي . قال : فنزل عن دابّته ، فسيَّبها وتبعه ، فكانا جميعاً يعبدان الله عزَّ وجلَّ فَدَعَوا اللهَ أن يُميتهما جميعاً ، فماتا . قال عبد الله : فلو كنتُ بِرُمَيلة[٧] مصر لأريتُكم قبورَهما بالنعتِ الذي نعتَ لنا رسول الله ﷺ .

حديث آخر :

قال البخاري[٨] : حدّثنا أبو الوليد ، حدّثنا أبو عَوانة ، عن قتادة ، عن عقبة بن عبد الغافر ، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال[٩] : « إن رجلاً كان قَبْلَكُم رَغَسَه[١٠] الله مالاً ، فقال لبنيه لما حُضِر : أيَّ أبٍ كنتُ لكم ؟ قالوا : خيرَ أب . قال : فإني لم أعمل خيراً قَطُّ ، فإذا مِتُّ فاحرقوني ثمّ اسحقوني ثمّ ذرُّوني

---

(١) المسند (١/ ٤٥١) ، وإسناده ضعيف لاختلاط المسعودي، ويزيد ممن سمع منه بعد الاختلاط .
(٢) من ب : وهي كذلك في المسند .
(٣) ليست في ب .
(٤) من ب ، وهو الذي في المسند .
(٥) من ب ، وكذلك في المسند .
(٦) في ب : فعلمت ما أنا .
(٧) في ط : برملية .
(٨) صحيح البخاري رقم (٣٤٧٨) ، في الأنبياء ، باب (٥٤) . والذي في نسخة ب رواية أخرى للحديث من طريق عبد الله بن محمد ، وهي في البخاري رقم (٣٤٨١) ، وستأتي الإشارة إليه في آخر الحديث .
(٩) ليست في ب وط .
(١٠) رَغَسَه : كثّر مالَه ، وأعطاه .

في يوم عاصف . ففعلوا . فجمعه الله عزَّ وجلَّ فقال : ما حملك ؟ فقال : مخافتك . فتلقاه برحمته » .

ورواه في مواضع أخر ، ومسلم من طرق عن قتادة ، به[١] . ثمّ رواه البخاري ومسلم من حديث ربْعي بن حِراش ، عن حذيفة عن النبي ﷺ بنحوه[٢] . [ومن حديث الزهري عن حُميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه][٣] .

حديث آخر :

قال البخاري[٤] : حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدّثنا إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ[٥] قال : « كان رجل يُداين الناس فكان[٦] يقول لفتاه : إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنا . قال : فلقي اللهَ فتجاوز عنه » .

وقد رواه في مواضع أخر[٧] ، ومسلم من طريق الزهري ، به[٨] .

حديث آخر :

قال البخاري[٩] : حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثني مالك ، عن محمد بن المُنْكَدِر ، [وعن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد : ماذا سمعتَ من رسول الله ﷺ في الطاعون ؟ قال أسامة : قال رسول الله ﷺ : « الطاعونُ رِجْسٌ أُرسلَ على طائفةٍ من بني إسرائيل وعلى][١٠] من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تَقْدَموا عليه ، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم فيها فلا تخرجوا فِراراً منه » . قال أبو النضر : « لا يُخرِجكم إلا فِراراً منه » .

---

(١) البخاري (٦٤٨١) في الرقاق و(٧٥٠٨) في التوحيد . ومسلم (٢٧٥٧) (٢٨) في التوبة .
(٢) هكذا قال، ولم يخرجه مسلم، إنما تفرد به البخاري وحده، فرواه في الرقاق (٦٤٨٠)، وفي الأنبياء (٣٤٥٢) و(٣٤٨٠) و(٣٤٧٩) .
(٣) زيادة من ب وط ، وهذا الطريق في الأنبياء من البخاري (٣٤٨١)، وفي التوبة من صحيح مسلم (٢٧٥٦) (٢٥) و(٢٧٥٦) (٢٦) .
(٤) صحيح البخاري رقم (٣٤٨٠) في الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٥) في ط وأ : « عن النبي ﷺ » وما أثبتناه من ب وهو الذي في البخاري وهو المصدر الذي ينقل منه المصنف .
(٦) زيادة من ب وط والبخاري .
(٧) صحيح البخاري رقم (٢٠٧٨) في البيوع ، باب من أنظَر معسراً .
(٨) صحيح مسلم رقم (١٥٦٢) في المساقاة ، باب فضل إنظار المعسر .
(٩) زيادة من ب وط . والحديث عند البخاري رقم (٣٤٧٣) ، في الأنبياء ، باب (٥٤) . وورد الحديث في نسخة ب من طريق آخر ، ورواية أخرى هي في البخاري أيضاً رقم (٣٤٧٤) ، وستأتي بعد هذا .
(١٠) زيادة من البخاري .

ورواه مسلم[١] من حديث مالك ، ومن طرق أخر ، عن عامر بن سعد ، به .

حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدّثنا داود بن أبي الفرات ، حدّثنا عبد الله بن بُرَيدة ، عن يحيى بن يَعْمَر ، عن عائشة قالت : سـألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرني « أنه عذابٌ يبعثه الله على من يشاء من عباده ، وأن الله جعله رحمة[٢] للمؤمنين ، ليس من أحد يقَعُ الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أن لا يصيبه إلا ما كتبَ الله له، إلا كان له مثلُ أجرِ شهيد » . تفرّد به البخاري[٣] عن مسلم من هذا الوجه .

حديث آخر :

قال البخاري[٤] : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا ليثٌ ، عن ابن شهاب ، عن عُروة ، عن عائشة ، (أن قريشاً أهمهم شأن[٥] المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلّم فيها رسول الله ﷺ ؟ [فقالوا : ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ][٦] فكلّمه أسامةُ . فقال : « أتشفع في حدٍّ من حدود الله ؟! » ثمّ قام فاختطب ، ثمّ قال : « إنما أهلك[٧] الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ . وايمُ اللهِ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وأخرجه بقية الجماعة من طرق عن الليث بن سعد ، به[٨] .

حديث آخر :

وقال البخاري : حدّثنا آدم ، حدّثنا شعبة ، حدّثنا عبد الملك بن مَيْسرة ، سمعت النَّزَّال بن سَبْرَة الهلالي ، عن ابن مسعود قال : سمعت رجلاً قرأ آية[٩] وسمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ خلافَها ، فجئت به إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فعرفت في وجهه الكراهية فقال[١٠] : « كلاكما محسن ، ولا تختلفوا

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٢١٨) في السلام ، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها .
(٢) زيادة من ب وط . والبخاري .
(٣) صحيح البخاري رقم (٣٤٧٤) في الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٤) صحيح البخاري رقم (٣٤٧٥) في الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٥) زاد في ب : المرأة . وكذلك هو في البخاري .
(٦) سقطت من ب بنقلة عين .
(٧) في ط : فخطب . وهلك .
(٨) أخرجه مسلم رقم (١٦٨٨) في الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره . والترمذي رقم (١٤٣٠) ، في الحدود ، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود . وأبو داود (٤٣٧٣) في الحدود ، باب في الحد يُشفع فيه . وابن ماجه (٢٥٤٧) في الحدود ، باب الشفاعة في الحدود ، والنسائي (٨/ ٧٢ ـ ٧٥) .
(٩) زيادة من البخاري .
(١٠) في ط : وقال . وكذلك هي في البخاري .

فإن من[١] قبلكم اختلفوا فهلكوا » . تفرّد به البخاري[٢] دون مسلم .

حديث آخر :

قال البخاري : حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدّثنا إبراهيم بن سعد[٣] عن صالح ، عن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : أن أبا هريرة قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن اليهود والنصارى[٤] لا يصبغون فخالفوهم » . تفرّد[٥] به دون مسلم . وفي سنن أبي داود[٦] : « صلّوا في نعالكم خالفوا اليهود » .

حديث آخر :

قال البخاري[٧] : حدّثنا علي بن عبد الله ، حدّثنا سفيان ، عن عمرو ، عن طاووس ، عن ابن عباس : سمعت عمر يقول : قاتلَ الله فلاناً ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال : « لَعَنَ الله اليهودَ ، حُرِّمَت عليهم الشحومُ فَجَمَلوها[٨] . فباعوها » رواه مسلم من حديث ابن عيينة . ومن حديث عمرو بن دينار[٩] ، به . ثمّ قال البخاري : (تابعه أبو جابر وأبو هريرة عن النبي ﷺ) .

ولهذا الحديث طرقٌ كثيرة[١٠] . وسيأتي في باب الحِيَل من كتاب الأحكام[١١] إن شاء الله ، وبه الثقة .

حديث آخر :

قال البخاري[١٢] : حدّثنا عِمْران بن مَيْسَرة ، حدّثنا عبد الوارث ، حدّثنا خالد ، عن أبي قلابة ، عن أنس بن مالك قال : (ذَكَرُوا النارَ والناقوسَ فَذَكَروا اليهود والنصارى ، فأُمِر بلالٌ أنْ يَشْفَعَ الأذان وأن يوتر

---

(١) زاد في ط : كان . وكذلك هي في البخاري .
(٢) صحيح البخاري رقم (٣٤٧٦) في الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٣) ليست في ب وط .
(٤) ليست في ب .
(٥) صحيح البخاري رقم (٣٤٦٢) في الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل . والمراد بالصبغ هنا : صبغ شيب اللحية والرأس .
(٦) رقم (٦٥٢) في الصلاة ، باب الصلاة في النعل .
(٧) صحيح البخاري رقم (٣٤٦٠) في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل .
(٨) جَمَلوها : أي أذابوها .
(٩) صحيح مسلم رقم (١٥٨٢) في المساقاة . باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام .
(١٠) جامع الأصول (١/ ٤٥٠) وما بعدها .
(١١) هو كتاب : الأحكام الكبير للمصنف ، وليس هو في هذا الكتاب .
(١٢) صحيح البخاري رقم (٦٠٣) في الأذان .

الإقامة . وأخرجه بقية الجماعة من حديث أبي قلابة عبد الله بن زيد الجَرْمي ، به[١] .

والمقصود من هذا مخالفة أهل الكتاب في جميع شعارهم ، فإن رسول الله ﷺ لما قدم المدينةَ كان المسلمون يتحيَّنون وقت الصلوات بغير دَعوة إليها ، ثمّ أمرَ من ينادي فيهم وقت الصلاة : (الصلاة جامعة) ، ثمّ أرادوا أن يدعوا إليها بشيء يعرفه الناس ، فقال قائلون : نضربُ بالناقوس . وقال آخرون : نوري بالنار[٢] ، فكرهوا ذلك لمشابهة أهل الكتابين[٣] فأُري عبد الله بن زيد بن عبد ربّه الأنصاري في منامه الأذان ، فقصَّها على رسول الله ﷺ فأمر بلالاً فنادى به[٤] ، كما هو مبسوط في موضعه من باب الأذان في كتاب الأحكام .

حديث آخر :

قال البخاري[٥] : حدّثنا بشر بن محمد ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا مَعْمَر ويونس عن الزُّهْري ، أخبرني عُبَيد الله بن عبد الله ، أن عائشة وابن عباس قالا : لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طَفِق يطرَحُ خميصةً على[٦] وجهه، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه فقال: « وهو كذلك، لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ. يُحذِّر ما صنعوا ». وهكذا رواه في غير موضع[٧]، ومسلم[٨] من طُرُقٍ عن الزهري ، به.

حديث آخر :

قال البخاري[٩] : حدّثنا سعيد بن أبي مريم ، حدّثنا أبو غسان ، قال: حدثني[١٠] زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال : « لتَتَّبِعُنَّ سَنَن من[١١] قبلكم شِبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع

---

(١) أخرجه مسلم (٣٧٨) في الصلاة ، باب الأمر بشفع الأذان وإيتار الإقامة . وأبو داود (٥٠٨) في الصلاة ، باب في الإقامة ، والترمذي (١٩٣) في الصلاة ، باب ما جاء في إفراد الإقامة . وابن ماجه (٧٢٩) و(٧٣٠) في الأذان والسنة ، باب إفراد الإقامة ، والنسائي (٢/ ٣) في الصلاة .

(٢) في ط : وقال آخر نوري ناراً .

(٣) في ب وط : الكتاب .

(٤) جامع الأصول (٥/ ٢٦٩) .

(٥) صحيح البخاري رقم (٣٤٥٣) في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

(٦) في أ وب : « خميصة له » . وما هنا من ط ، وهو الموافق لصحيح البخاري .

(٧) أخرجه البخاري في الصلاة من صحيحه (٤٣٥ و٤٣٦) ، وفي المغازي (٤٤٤٣ و٤٤٤٤) ، وفي اللباس (٥٨١٥).

(٨) صحيح مسلم رقم (٥٢٩ ـ ٥٣١) ، في المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٩) صحيح البخاري رقم (٣٤٥٦) في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

(١٠) زيادة من ب وط موافقة لما في صحيح البخاري . وفي ب : أبو غسان حدثني .

(١١) زاد في ب : كان .

حتى لو سَلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسلكتموه » فقلنا : يا رسول الله اليهودَ والنصارى ؟ قال النبي ﷺ : « فَمَنْ » ؟ .

وهكذا رواه مسلم من حديث زيد بن أسلم ، به[١] .

والمقصود من هذا الإخبارُ عما يقع من الأقوال والأفعال[٢] المنهيّ عنها شرعاً مما يشابه أهل الكتاب قبلنا . إن الله ورسوله ينهيان عن مشابهتهم في أقوالهم وأفعالهم حتى ولو كان قصد المؤمن خيراً[٣] ، لكنه تَشبَّه ، فَفِعْله[٤] في الظاهر فعلُهم ، وكما نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا تشابه المشركين الذين يسجدون للشمس حينئذٍ ، وإن كان المؤمن لا يخطر بباله شيء من ذلك بالكُلّية ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٠٤] . فكان الكفار يقولون للنبي ﷺ في كلامهم معه : راعنا ، أي : انظر إلينا ببصرك واسْمَع كلامَنا ، ويقصدون بقولهم : راعنا ، من الرُّعُونَةِ ، فنهى المؤمنين أن يقولوا ذلك وإنْ كان لا يخطر ببال أحد منهم هذا أبداً[٥] . فقد روى الإمام أحمد[٦] ، والترمذي[٧] ، من حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبدَ اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وجعل رزقي تحت ظلّ رُمحي ، وجعل الذلّة والصَّغَار على من خالف أمري . ومن تَشبَّه بقوم فهو منهم » . فليس للمسلم أن يتشبه بهم ، لا في أعيادهم ولا مواسمهم ولا عباداتهم[٨] ، لأن الله تعالى شرَّف هذه الأمة بخاتم الأنبياء الذي شرع له الدين العظيم القويم الشامل الكامل الذي لو كان موسى بن عمران الذي أُنزلت[٩] عليه التوراة ، وعيسى بن مريم الذي أنزل عليه الإنجيل حَيّين لم يكن لهما شرع متَّبَع ، بل لو كانا موجودين ، بل وكل الأنبياء لما ساغ لواحدٍ منهم أن يكون على غير هذه الشريعة المطهَّرة المشرَّفة المكرَّمة المعظَّمة ، فإذا كان الله تعالى قد مَنَّ علينا بأن جعلنا من أتباع محمد ﷺ فكيف يَليق بنا أن نتشبَّه بقومٍ قد ضلُّوا من قبل وأضلُّوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، قد

(١) صحيح مسلم رقم (٢٦٦٩) ، في العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى .
(٢) في ب : من الأفعال والأقوال .
(٣) في ب : الخير .
(٤) في ب : يشبه فعله .
(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٧٣) وما بعدها .
(٦) المسند (٢/ ٥٠ ، ٩٢) .
(٧) لم أقف على الحديث في سنن الترمذي . وهو في الجامع الصغير (١/ ٤٢٧) ، من رواية أحمد وأبي يعلى والطبراني في الكبير .
(٨) في ب : لا في عباداتهم ولا في مواسمهم ولا أعيادهم . وفي ط : ولا في عباداتهم .
(٩) في ب : أنزل .

بدّلوا دينهم وحرّفوه وأوّلوه حتى صار كأنه غير ما شُرِع لهم أولاً . ثمّ هو بعد ذلك كلّه منسوخ والتمسك[١] بالمنسوخ حرامٌ لا يَقْبَلُ اللهُ منه قليلاً ولا كثيراً ، ولا فرق بينه وبين الذي لم يُشْرَع بالكلية . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

حديث آخر :

قال البخاري[٢] : حدّثنا قُتيبة ، حدَّثنا اللَّيثُ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنما أجَلُكم في أجل من خَلا[٣] من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس . وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجُلٍ استعملَ عُمَّالاً فقال : مَن يَعملُ لي إلى نصفِ النهار على قيراطٍ قيراطٍ ؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراطٍ قيراطٍ . ثمّ قال : مَن يعملُ لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ قيراطٍ ؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ قيراطٍ . ثمّ قال : مَن يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس[٤] على قيراطين قيراطين . ألا لكم الأجرُ مرَّتين . فغضب اليهودُ والنصارى ، فقالوا : نحن أكثر عملاً وأقلُّ عطاءً ؟ قال الله تعالى : هل ظُلِمتم من حقّكم شيئاً ؟ فقالوا : لا . قال : فإنه فَضْلي أوتيه من شئت[٥] » .

وهذا الحديث فيه دليل على أن مدّة هذه الأمة قصيرةٌ بالنسبة إلى ما مضى من مدد الأمم قبلها ، لقوله : « إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس » ، فالماضي لا يعلمه إلا الله ، كما أن الآتي لا يعلمه إلا هو ، ولكنه قصيرٌ بالنسبة إلى ما سبق ، ولا اطّلاع لأحدٍ على تحديد ما بقي إلا الله عزَّ وجلَّ كما قال الله تعالى : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ، وقال : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ [النازعات : ٤٢ ـ ٤٤] . وما يذكره بعض الناس من الحديث المشهور عند العامة من أنه عليه السلام لا يؤلف تحت الأرض ، فليس له أصل في كتب الحديث ، وورد حديث فيه[٦] أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة . وفي صحته نظر .

والمراد من هذا التشبيهِ بالعمالِ تفاوتُ أجورِهم ، وأن ذلك ليس منوطاً بكثرة العمل وقِلّته ، بل بأمور أُخَرَ معتبرةٍ عند الله تعالى ، وكم من عملٍ قليلٍ أجدى ما لا يجديه العمل الكثير ، هذه ليلة القدر العمل

---

(١) في ب : والعمل .
(٢) صحيح البخاري رقم (٣٤٥٩) ، في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل .
(٣) زاد في ط : من قبلكم ، وليست في البخاري .
(٤) في ط : إلى المغرب .
(٥) في ط : من أشاء ، وما أثبتناه موافق لرواية البخاري .
(٦) من ب ، وفي ط : فيه حديث .

فيها أفضل من عبادة ألف شهر سواها . وهؤلاء أصحاب محمد ﷺ أنفقوا في أوقاتٍ لو أنفقه غيرُهم من الذهب مثل أُحُدٍ ما بلغ مُدَّ أَحَدِهم ولا نَصيفه[١] من تمر . وهذا رسول الله ﷺ بعثه الله على رأس أربعين سنة[٢] من عمره ، وقَبَضَه وهو ابن ثلاثٍ وستين[٣] على المشهور ، وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنةً في العلوم النافعة والأعمال الصالحة على سائر الأنبياء قبله ، حتى على نوحٍ الذي لبث في قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحدَه لا شريك له ، ويعمل بطاعة الله ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساءً ، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى سائر الأنبياء أجمعين . فهذه الأمة إنما شُرِّفت وتضاعف ثوابُها ببركة سيادة نبيّها وشرفِه وعَظَمته ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢٨ ـ ٢٩] .

* * *

فصل

وأخبارُ بني إسرائيل كثيرةٌ جداً في الكتاب وفي السنة[٤] النبوية ، ولو ذهبنا نتقصَّى ذلك لطال الكتابُ ، ولكن ذكرنا ما ذكره الإمام أبو عبد الله البخاري في هذا الكتاب[٥] ، ففيه مَقنَعٌ وكفايةٌ ، وهو تذكرة وأُنموذج لهذا الباب والله أعلم .

وأما الأخبار الإسرائيلية فيما يذكره كثيرٌ من المفسرين والمؤرخين ، فكثيرةٌ جداً ، ومنها ما هو صحيح موافق لما وقَعَ ، وكثيرٌ منها بل أكثرُها مما يذكره القصّاص مكذوبٌ مفترًى وضعه زنادقتُهم وضُلاَّلُهم ، وهي ثلاثة أقسام : منها ما هو صحيح ، لموافقته ما قصَّه اللهُ في كتابه أو أخبرَ به رسولُ الله ﷺ . ومنها ما هو معلوم البُطلان ؛ لمخالفته كتاب الله وسُنة رسوله . ومنها ما يحتمل الصدق والكذب ، فهذا الذي

---

(١) النصيف : النصف ، وقيل مكيال دون المد . وكلام المؤلف هنا مأخوذ من حديث رواه البخاري : رقم (٣٦٧٣) ، في فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » . ولفظه : « لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَهُ » . ورواه مسلم (٢٥٤٠) و(٢٥٤١) في فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة .

(٢) ليست في ب .

(٣) زاد في ب : سنة .

(٤) في ط : والسنة .

(٥) صحيح البخاري (٦/ ٤٩٤) ، وما بعدها ، في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ولم يأت به كله .

أُمِرنا بالتوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه كما[١] ثبت في الصحيح : « إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تُصَدِّقوهم ولا تُكَذِّبوهم ، وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم » . وتجوز روايته مع هذا الحديث المتقدم « وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »[٢] .

* * *

(١) في ب : لما .

(٢) تقدم في الصفحة (٢٣٥) ، عند حديث المؤلف عن بيان الإذن في الرواية والتحديث عن أخبار بني إسرائيل .

ذكر(١) تحريف أهل الكتاب وتبديلهم أديانهم

أما اليهود فقد أنزل الله عليهم التوراة على يدي موسى بن عمران عليه السلام ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الصافات : ١١٧ ـ ١١٨] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

فكانوا يحكمون بها وهم متمسكون بها بُرهةً من الزمن ، ثمّ شرعوا في تحريفها وتبديلها وتغييرها وتأويلها وإبداء ما ليس منها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٨] .

فأخبر تعالى أنّهم يفسّرونها ويتأوّلونها ويضعونها على غير مواضعها ، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء ؛ وهو أنّهم يتصرّفون في معانيها ويحملونها على غير المراد ، كما بدّلوا حُكْم الرجمِ بالجلد والتحميم(٢) ، مع بقاء لفظ الرجم فيها ، وكما أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ(٣) ، مع أنهم مأمورون بإقامة الحد والقطع على الشريف والوضيع .

فأما تبديل ألفاظها فقال قائلون : بأنها جميعها بُدِّلت . وقال آخرون : لم تبدل ، واحتجّوا بقوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ٤٣] وقوله : ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ ... الآية [الأعراف : ١٥٧] وبقوله : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٣] .

---

(١) ليست في ط .
(٢) التحميم : تسويد الوجه حتى يصبح كالفحمة .
(٣) تقدم هذا في حديث رسول الله ﷺ ص(٣٨٠) .

وبقصة[(١)] الرجم ، فإنهم كما ثبت في « الصحيحَين »[(٢)] عن ابن عمر ، وفي « صحيح » مسلم عن البَراء بن عازب[(٣)] وجابر بن عبد الله[(٤)] ، وفي « السنن » عن أبي هريرة[(٥)] وغيره لمَّا تحاكموا إلى رسول الله ﷺ في قصّة اليهودي واليهودية اللذين زنيا فقال لهم : « ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ » فقالوا : نفضحهم ويُجلدون . فأمرهم رسول الله ﷺ بإحضار التوراة ، فلما جاؤوا بها وجعلوا يقرؤونها ويكتمون آيةَ الرجم التي فيها ، ووضع عبد الله بن صوريا يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له رسول الله ﷺ : « ارفع يَدك يا أعور » . فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، فأَمَرَ رسولُ الله ﷺ برجمها وقال : « اللهمَّ إني أوّلُ من أحيا أمرك إذ أماتوه » وعند أبي داود[(٦)] أنهم لما جاؤوا بها نَزَعَ الوِسادةَ من تحته فوضعها تحتها[(٧)] وقال : « آمنتُ بكَ وبمَن أنزلَكَ » . وذكر بعضُهم أنه قام لها ، ولم أقف على إسناده . والله أعلم .

فهذا كلّه يُشْكِلُ على ما يقوله كثيرٌ من المتكلّمين وغيرِهم : إن التوراة انقطع تواترها في زمن بُخت نصّر ولم يبقَ من يحفظها إلا العُزَيْر ، ثمّ العزير[(٨)] إن كان نبياً فهو معصومٌ والتواتر إلى المعصوم يكفي ، اللهمّ إلا أن يُقال إنها لم تتواتر إليه . لكِنْ بعده زكريا ويحيى وعيسى وكلّهم كانوا متمسكين بالتوراة ، فلو لم تكن صحيحةً معمولاً بها لما اعتمدوا عليها وهم أنبياء معصومون .

ثم قد[(٩)] قال الله تعالى فيما أنزل على رسوله محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء منكراً على اليهود في قصدهم الفاسد ، إذ عدلوا عمّا يعتقدون صحَّته عندهم ، وأنهم مأمورون به حتماً إلى التحاكم إلى رسول الله ﷺ وهم يعاندون ما جاء به . لكنْ لمَّا كان في زعمهم ما قد يوافقهم على

---

(١) في ب : وبقضية .
(٢) في البخاري رقم (١٣٢٩) ، في الجنائز ، باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد ، ورقم (٣٦٣٥) ، في المناقب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ . ورقم (٤٥٥٦) ، في التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ ﴾ ورقم (٦٨١٩) في الحدود ، باب الرجم في البلاط ، ورقم (٦٨٤١) باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ، ورقم (٧٣٣٢) في الاعتصام ، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ، ورقم (٧٥٤٣) في التوحيد ، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها .
ومسلم (١٦٩٩) ، في الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى .
(٣) صحيح مسلم رقم (١٧٠٠) .
(٤) صحيح مسلم رقم (١٧٠١) .
(٥) في سنن أبي داود (٤٤٥٠) و(٤٤٥١) ، في الحدود ، باب في رجم اليهوديين .
(٦) سنن أبي داود رقم (٤٤٤٩) .
(٧) تحت التوراة .
(٨) تقدمت قصته .
(٩) ليست في ب .

ما ابتدعوه[١] من الجلد والتحميم المصادم لما أمر الله به حتماً وقالوا : إنْ حكم لكم بالجلد والتحميم فاقبلوه وتكونون قد اعتذرتم بحكم نبي لكم عند الله يوم القيامة ، وإن لم يحكم لكم بهذا بل بالرجم فاحذروا أن تقبلوا منه . فأنكر اللهُ تعالى عليهم في هذا القصد الفاسد الذي إنما حملهم عليه الغرضُ الفاسد وموافقة الهوى لا الدين الحق فقال : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٣ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ . . . الآية [المائدة : ٤٣ ـ ٤٤] . ولهذا لمّا[٢] حكم بالرجم قال : « اللهم إني أوّل من أحيى أمرك إذْ أماتوه » ، وسألهم ما حَمَلَهُم على هذا ؟ ولمَ تركوا أمر الله الذي بأيديهم ؟ فقالوا : إن الزنى[٣] قد كثر في أشرافنا ولم يمكنّا أن نقيمه عليهم ، وكنا نرجم من زنى من ضعفائنا ، فقلنا : تعالوا إلى أمر نصف نفعله مع الشريف والوضيع ، فاصطلحنا على الجلد والتحميم ، فهذا من جملة تحريفهم وتبديلهم وتغييرهم وتأويلهم الباطل . وهذا إنما فعلوه في المعاني مع بقاء لفظ الرجم في كتابهم كما دلّ عليه الحديث المتفق عليه ، فلهذا قال من قال هذا من الناس إنه لم يقع تبديلهم إلا في المعاني ، وإن الألفاظ باقيةٌ وهي حجة عليهم ، إذ لو أقاموا ما في كتابهم جميعه لقادهم ذلك إلى اتباع الحق ومتابعة الرسول محمد ﷺ كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ . . الآية وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ ﴾ . . الآية [المائدة : ٦٦] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ ﴾ . . . الآية [المائدة : ٦٨] . وهذا المذهب ، وهو القول بأن التبديل إنما وقع في معانيها لا في ألفاظها ، حكاه البخاري عن ابن عباس في آخر كتابه « الصحيح » وقرّر عليه ولم يردّه . وحكاه العلامة فخر الدين الرازي في « تفسيره » عن أكثر المتكلمين .

[٤]وذهب فقهاء الحنفية إلى أنه لا يجوز للجنب مَسُّ التوراة وهو مُحْدِث . وحكاه الحنّاطي في « فتاويه » عن بعض أصحاب الشافعي ، وهو غريب جداً . وذهب آخرون من العلماء إلى التوسُّط في هذين القولين ، منهم شيخُنا الإمام العلامة أبو العباس بن تَيْمِية ـ رَحِمَه اللهُ ـ فقال : أمّا من ذهب إلى أنها

---

(١) في ب : ابتدعوا .

(٢) ليست في ط .

(٣) ليست في ب .

(٤) زاد في ط عنواناً لهذه الفقرة : ليس للجنب لمس التوراة . وهو مكتوب في حاشية أ ، وليس له ذكر في متنها أو في ب .

كلّها مبدَّلة من أولها إلى آخرها ولم يبق منها حرفٌ إلا بدَّلوه فهذا بعيدٌ ، وكذا من قال لم يبدَّل شيء منها بالكلّية بعيدٌ أيضاً ، والحق أنه دخلها تبديلٌ وتغيير ، وتصرفوا في بعض ألفاظها بالزيادة والنقص ، كما تصرّفوا في معانيها ، وهذا معلوم عند التأمل ، ولبسطه موضع آخر ، والله أعلم ، كما في قوله في قصة الذبيح : اذبح ابنك وحيدك ، وفي نسخة : بكرك إسحاق ، فلفظة إسحاق مُقحَمة مزيدة بلا مرية ، لأن الوحيد وهو البكر إسماعيل ، لأنه وُلِدَ قبل إسحاق بأربع عشرة[١] سنة ، فكيف يكون الوحيد البكر إسحاق . وإنما حَمَلَهم على ذلك حَسَدُ العرب أن يكون إسماعيلُ هو الذبيح[٢] ، فأرادوا أن يذهبوا بهذه الفضيلة لهم ، فزادوا ذلك في كتاب الله افتراءً على الله وعلى رسوله ﷺ وقد اغتر بهذه الزيادة خلقٌ كثير من السلف والخلف ، ووافقوهم على أن الذبيح إسحاق ، والصحيحُ الذبيحُ[٣] إسماعيل كما قدَّمنا ، والله أعلم . وهكذا في توراة السامرة في العشر الكلمات زيادة الأمر بالتوجه إلى الطور في الصلاة ، وليس ذلك في سائر نسخ اليهود والنصارى .

وهكذا يوجد الزبور[٤] المأثور عن داود عليه السلام مختلفاً كثيراً ، وفيه أشياء مزيدة ملحقة فيه[٥] وليست منه ، والله أعلم .

قلت : وأما ما بأيديهم من التوراة المعرَّبة فلا يشكُّ عاقلٌ في تبديلها وتحريف كثير من ألفاظها ، وتغيير القصص والألفاظ والزيادات والنقص البيّن الواضح ، وفيها من الكذب البيِّن والخطأ الفاحش شيءٌ كثيرٌ جداً ، فأما ما يتلونه بلسانهم ويكتبونه بأقلامهم فلا اطّلاع لنا عليه ، والمظنونُ بهم أنهم كَذَبَةٌ خَوَنَة يكثرون الفِرْية على الله ورسله وكتبه .

وأما النصارى ، فأناجيلهم الأربعة من طريق مرقس ولوقا ومَتّى ويوحنا أشد اختلافاً وأكثر زيادةً ونقصاً ، وأفحش تفاوتاً من التوراة . وقد خالفوا أحكام التوراة والإنجيل في غير ما شيءٍ قد شرَّعوه لأنفسهم ، فمن ذلك صلاتهم إلى الشرق ، وليست منصوصاً عليها ولا مأموراً بها في شيء من الأناجيل الأربعة . وهكذا تصويرهم كنائسهم ، وتركهم الختان ، ونقلهم صيامهم إلى زمن الربيع ، وزيادته إلى خمسين يوماً ، وأكلِهم الخنزير ، ووضعهم الأمانة الكبيرة ، وإنما هي الخيانة الحقيرة ، والرهبانية وهي ترك التزويج لمن أراد التعبُّدَ وتحريمه عليه ، وكتبهم القوانين التي وضعتها لهم الأساقفة الثلاثمئة والثمانية عشر ، فكل هذه الأشياء ابتدعوها ووضعوها في أيام قسطنطين بن قسطن باني القسطنطينية ، وكان زمنه

---

(١) في ط : عشر وهو خطأ .
(٢) في ب : أن يكون أبوهم هو الذبيح .
(٣) في ب : أن الذبيح .
(٤) في ط : في الزبور .
(٥) في ب : مزيدة وليست . . .

بعد المسيح بثلاثمئة سنة ، وكان أبوه أحدَ ملوك الروم ، وتزوّج أمَّه هيلانة في بعض أسفاره للصيد من بلاد حَرَّان ، وكانت نصرانيةً على دين الرهابين المتقدمين ، فلما وُلِدَ لها منه قسطنطين المذكور تعلّم الفلسفة ومهر[١] فيها وصار فيه ميل بعض الشيء إلى النصرانية التي أُمُّه عليها ، فعظَّم القائمين بها بعض الشيء ، وهو على اعتقاد الفلاسفة . فلما مات أبوه واستقلَّ هو في المملكة ، سار في رعيته سيرةً عادلة ، فأحبَّه الناس ، وساد فيهم ، وغلب على ملك الشام بأسره مع الجزيرة ، وعظُم شأنه وكان أول القياصرة .

ثمّ اتفق اختلافٌ في زمانه بين النصارى ومنازعةٌ بين[٢] بترك الإسكندرية أكصندروس وبين رجل من علمائهم يقال له : عبد الله بن أريوس ، فذهب أكصندروس إلى أن عيسى ابن الله ، تعالى الله عن قوله ، وذهب ابن أريوس إلى أن عيسى عبد الله ورسوله ، واتَّبعه على هذا طائفة من النصارى واتفق الأكثرون الأخسرون على قول بتركهم ، ومُنع ابن أريوس من دخول الكنيسة هو وأصحابه ، فذهب يستعدي على أكصندروس وأصحابه إلى الملك قسطنطين ، فسأله الملك عن مقالته ، فَعَرَضَ عليه عبد الله بن أريوس ما يقول في المسيح من أنه عبد الله ورسوله ، واحتج على ذلك فمال[٣] إليه وجنح إلى قوله ، فقال له قائلون : فينبغي أن تبعث إلى خصمه فتسمع كلامه . فأَمَر الملكُ بإحضاره ، وطلب من سائر الأقاليم كلَّ أسقف وكل من عنده علم[٤] في دين النصرانية ، وجمع البتاركة الأربعة من القدس وأنطاكية وورومية والإسكندرية ، فيقال : إنهم اجتمعوا في مدة سنة وشهرين ما يزيد على ألفي أسقف ، فجمعهم في مجلس واحد وهو المجمع الأول من مجامعهم الثلاثة المشهورة وهم مختلفون اختلافاً[٥] متبايناً منتشراً جداً . فمنهم الشرذمة على المقالة التي لا يوافقهم أحد من الباقين عليها فهؤلاء خمسون على مقالة . وهؤلاء ثمانون على مقالة أخرى . وهؤلاء عشرة على مقالة أخرى[٦] وأربعون على أخرى ومئة على مقالة ، ومئتان على مقالة ، وطائفة على مقالة ابن أريوس ، وجماعة على مقالة أخرى . فلما تفاقم أمرهم وانتشر اختلافهم[٧] حار فيهم الملك قسطنطين ، مع أنه سيء الظن بما عدا دين الصابئين من أسلافه اليونانيين ، فعمد إلى أكثر جماعة منهم على مقالة من مقالاتهم فوجدهم ثلاثمئة وثمانية عشر أسقفاً قد اجتمعوا على مقالة أكصندروس ، ولم يجد طائفةً بلغت عِدّتهم ، فقال : هؤلاء أَوْلى بنصرِ قولِهم لأنهم أكثر الفِرَق ، فاجتمع بهم خصوصاً ووضع سيفه وخاتمه إليهم وقال : إني رأيتكم أكثر الفرق قد اجتمعتم على مقالتكم

---

(١) كذا في ب . وفي أ وط : وبهر .
(٢) زاد في ب : وقعت بين .
(٣) في ط : فحال وهو تحريف .
(٤) ليست في ط .
(٥) زاد في ب : كثيراً .
(٦) ليست في ب وط .
(٧) في ب : خلافهم .

هذه فأنا أنصرها وأذهب إليها ، فسجدوا له . وطلب منهم أن يضعوا له كتاباً في الأحكام ، وأن تكون الصلاة إلى الشرق لأنها مطلع الكواكب النيّرة ، وأن يصوروا في كنائسهم صوراً(١) لها جثث ، فصالحوه على أن تكون في الحيطان ، فلما توافقوا على ذلك أخذ في نصرهم ، وإظهار كلمتهم ، وإقامة مقالتهم ، وإبعاد مَن خالفهم ، وتضعيف رأيه وقوله ، فظهر أصحابه بجاهِه على مخالفيهم ، وانتصروا عليهم ، وأمربناء الكنائس على دينهم وهم الملكية نِسبةً إلى دين الملك ، فَبُني في أيام قسطنطين بالشام وغيرها في المدائن والقُرى أزيدَ من اثني(٢) عشر ألف كنيسة ، واعتنى الملك ببناء بيت لحم ، يعني على مكان مولد المسيح ، وبَنَت أُمُّه هَيلانة قُمامةَ بيت المقدس على مكان المصلوب الذي زعمت اليهود والنصارى بجهلهم وقلة علمهم أنه المسيح عليه الصلاة والسلام ، ويقال : إنه قتل من أعداء أولئك وخَدَّ لهم الأخاديد في الأرض ، وأجَّج فيها النار وأحرقهم بها كما ذكرناه في سورة(٣) البروج ، وعظم دين النصرانية وظهر أمره جداً بسبب الملك قسطنطين . وقد أفسده عليهم فساداً لا صلاح(٤) له ولا نجاح معه ولا فلاح عنده . وكثرت أعيادهم بسبب عظمائهم ، وكثرت كنائسهم على أسماء عُبّادهم . وتفاقم كفرهم ، وغلظت مصيبتهم ، وتخلّد ضلالهم ، وعظم وَبَالُهم ، ولم يهد الله قلوبَهم ولا أصلح بَالهم ، بل صرف قلوبَهم عن الحق وأحال(٥) عن الاستقامة حالهم(٦) .

ثم اجتمعوا بعد ذلك مَجْمَعَيْن في قضية النسطورية واليعقوبية ، وكل فرقة من هؤلاء تكفّر الأخرى وتعتقد تخليدَهم في نار جهنم ، ولا يرى مجامعتهم في المعابد والكنائس ، وكلهم يقول بالأقانيم الثلاثة : أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الكلمة . ولكن بينهم اختلاف في الحلول والاتحاد فيما بين اللاهوت والناسوت هل تدرَّعه أو حلَّ فيه أو اتّحد به ، واختلافهم في ذلك شديد ، وكفرهم بسببه غليظ ، وكلهم على الباطل إلا من قال من الأريوسية أصحاب عبد الله بن أريوس إن المسيح عبد الله ورسوله ، وابن أَمَتِه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه . كما يقول المسلمون فيه سواء . ولكن لما استقر أمر الأريوسية على هذه المقالة ، تسلّط عليهم الفرق الثلاثة بالإبعاد والطرد حتى قلّوا فلا يُعرَف اليوم منهم أحد فيما يعلم . والله أعلم .

***

(١) في أ : صور وهو خطأ .
(٢) في أ ، وب ، وط : اثنتي ، وهو خطأ .
(٣) في ب : في تفسير سورة .
(٤) في ط : لا إصلاح .
(٥) في ط : وأمال .
(٦) زيادة من ب .

كتاب الجامع لأخبار الأنبياء المتقدمين

قال الله تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ الآية [البقرة : ٢٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥] .

وقد روى ابن حِبّان في « صحيحه » ، وابن مَردويه في « تفسيره » ، وغيرهمامن طريق إبراهيم بن هشام ، عن يحيى بن محمد الغساني الشامي ، وقد تكلّموا فيه ، حدثني أبي ، عن جَدّي ، عن أبي إدريس ، عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : « مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً » قلت : يا رسول الله كم الرسل منهم ؟ قال : « ثلاثمئة وثلاثة عشر ، جم غفير » قلت : يا رسول الله مَن كان أوّلهم ؟ قال : « آدم » . قلت : يا رسول الله نبي مرسل ؟[1] قال : « نَعم خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ثم سوّاه قبلاً » ثم قال : يا أبا ذر أربعة سريانيون : آدم وشيث ونوح وخنوخ ، وهو إدريس ، وهو أول من خط بالقلم . وأربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر . وأول نبي من بني إسرائيل موسى ، وآخرهم عيسى ، وأول النبيين آدم ، وآخرهم نبيك » .

وقد أورد هذا الحديث أبو الفرج بن الجوزي في « الموضوعات »[2] .

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال : حدّثنا محمد بن عوف ، حدّثنا أبو المغيرة ، حدّثنا مُعان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قلت : يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : « مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل[3] من ذلك ثلاثمئة وخمسة عشر جماً غفيراً » .

---

(١) رواه ابن حبان رقم (٣٦١) وأحمد في المسند (٥/ ١٧٨ و١٧٩) من حديث أبي ذر ، وأحمد (٥/ ٢٦٦) من حديث أبي أمامة مطولاً ، وهو ضعيف جداً بطوله . ورواه مختصراً ابن حبان (٦١٩٠) والطبراني في (الأوسط) رقم (٤٠٥) وهو صحيح في عدد الرسل ، وكم كان بينه وبين نوح ، وزيادة عدد الأنبياء ، ضعيف ، ولكن له متابعات ، فهو حديث حسن بطرقه .

(٢) وليس كذلك ، وقد رد عليه الحافظ ابن حجر في (تخريج الكشاف) (٤/ ١١٤) .

(٣) ليست في ب .

وهذا أيضاً من هذا الوجه ضعيف ، فيه ثلاثةٌ من الضعفاء : معان[١] ، وشيخه ، وشيخ شيخه[٢] .

وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدّثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري ، حدّثنا مكي بن إبراهيم ، حدثنا موسى بن عُبيدة الرَّبَذي[٣] ، عن يزيد الرَّقَاشي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « بعثَ اللهُ ثمانيةَ آلاف نبي ، أربعةُ آلاف إلى بني إسرائيل ، وأربعة آلاف إلى سائر الناس » .

موسى وشيخه[٤] ضعيفان أيضاً .

وقال أبو يعلى أيضاً : حدّثنا أبو الربيع ، حدّثنا محمد بن ثابت العبدي ، حدّثنا معبد بن خالد الأنصاري ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ، ثمّ كان عيسى ، ثمّ كنت أنا » .

يزيد الرقاشي ضعيفٌ .

وقد رواه الحافظ أبو بكر الإسماعيلي ، عن محمد بن عثمان بن أبي شَيبة ، حدّثنا أحمد بن طارق ، حدّثنا مسلم بن خالد ، حدّثنا زياد بن سعد ، عن محمد بن المنكدر ، عن صفوان بن سليم ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « بُعثت على أثر ثمانية آلاف نبي ، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل » .

وهذا إسناد لا بأس به ، لكني لا أعرف حال أحمد بن طارق هذا . والله أعلم .

حديثٌ آخر :

قال عبد الله بن الإمام أحمد : وجدت في كتاب أبي بخطه : حدّثني عبد المتعالي بن عبد الوهاب ، حدّثنا يحيى بن سعيد الأموي ، حدّثنا مجالد ، عن أبي الوداك قال : قال أبو سعيد : هل تقر الخوارج بالدجّال ؟ قال : قلت : لا . فقال : قال رسول الله ﷺ : « إني خاتم ألف نبي أو أكثر ، وما بعث الله نبياً يُتبع إلا وحذَّر أمته منه ، وإني قد بُيِّن لي فيه ما لم يُبيَّن لأحد منهم ، وأنه أعور ، وأن ربكم ليس بأعور ،

---

(١) مُعان بن رفاعة الدمشقي ، منكر الحديث ، يروي مراسيل كثيرة ، ويحدّث عن أقوام مجاهيل . المجروحين (٣/ ٣٦) .

(٢) قال ابن حبان هو ضعيف جداً. المجروحين (٢/ ١١٠) في ترجمة علي بن يزيد، ولكن يشهد له الذي قبله فهو حسن.

(٣) في ط : اليزيدي ، وهو تصحيف وتحريف . وموسى بن عُبيدة بن نِسطاس الرَّبَذي ، أبو عبد العزيز ، متوفى سنة (١٥٣هـ) . فاضل من خيار العبّاد نسكاً وصلاحاً ، إلا أنه بطل الاحتجاج به . المجروحين (٢/ ٢٣٤) .
والحديث في مسند أبي يعلى (٧/ ١٥٩ ـ ١٦٠) رقم (٤١٣٢) .

(٤) يزيد بن أبان ، أبو عمرو الرقاشي ، من أهل البصرة ، أحد العبّاد البكّائين ، إلا أنه ضعيف ، كما قال ابن كثير . المجروحين (٣/ ٩٨) .

وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص ، وعينه اليسرى كأنها كوكب درّي . معه من كلّ لسان ، ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء ، وصورة النار سوداء تدخن »(١) .

وهذا حديث غريب .

وقد روي عن جابر بن عبد الله ، فقال الحافظ أبو بكر البزّار : حدّثنا عمرو بن علي ، حدّثنا يحيى بن سعيد ، حدّثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لخاتم ألف نبي أو أكثر ، وإنه ليس منهم نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال ، وإنه قد تبيَّن لي فيه ما لم يتبيَّن لأحدٍ منهم ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور »(٢) .

وهذا إسناد حسنٌ(٣) ، وهو محمول على ذكر عدد من أنذر قومه الدجال من الأنبياء . لكن في الحديث الآخر « ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال » فالله أعلم .

وقال البخاري : حدّثنا محمد بن بشّار ، حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شُعبة ، عن فُرات ، قال : سمعت أبا حازمٍ قال : قاعدْتُ أبا هريرة خمسَ سنين فسمعتُه يحدّث عن النبي ﷺ قال : « كانت بنو إسرائيل تَسُوسُهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خُلَفاء فيَكْثُرون » . قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « فُوا ببيعةِ الأوّل فالأول ، أعطوهم حقَّهم ، فإن الله سائلُهم عما استرعاهم »(٤) .

وكذا رواه مسلم(٥) عن بُندار ، ومن وجهٍ آخر عن فُرات ، به ، نحوه .

وقال البخاري(٦) : حدّثنا عمر بن حفص ، حدّثنا أبي ، حدّثني الأعمش ، حدّثني شَقيق قال : قال عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضَربه قومُه فأدمَوه وهو يمسحُ الدمَ عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

ورواه(٧) مسلم(٨) من حديث الأعمش ، به نحوه .

---

(١) مسند أحمد (٣/ ٧٩) . بخلاف يسير في لفظه ومجالد هو ابن سعيد ، وهو ضعيف .
(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٧) .
(٣) هكذا قال وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف .
(٤) البخاري رقم (٣٤٥٥) ، في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل .
(٥) صحيح مسلم رقم (١٨٤٢) في الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول .
(٦) صحيح البخاري رقم (٣٤٧٧) ، في الأنبياء ، باب (٥٤) .
(٧) في ط . رواه .
(٨) صحيح مسلم رقم (١٧٩٢) ، في الجهاد والسير ، باب غزوة أحد .

وقال الإمام أحمد(١) : حدّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل ، عن أبي سعيد الخدري قال : وضع رجلٌ يده اليمنى(٢) على النبي ﷺ فقال : والله ما أُطيق أن أضع يدي عليكَ من شدة حُمّاك . فقال النبي ﷺ : « إنا معشرَ الأنبياء يُضاعَفُ لنا البلاءُ كما يُضاعف لنا الأجر ، إن كان النبيُّ من الأنبياء ليُبتلَى بالقمل حتى يقتله ، وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالفقر حتى يأخذ العبَاءة فيجوّبها ، وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء » . هكذا رواه الإمام أحمد من طريق زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد .

وقد رواه ابن ماجه(٣) عن دُحَيم عن ابن أبي فُدَيك ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسْلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد ، فذكره .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن(٥) عاصم بن أبي النجود ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله أيُّ الناس أشد بلاءً ؟ قال : « الأنبياء . ثم الصالحون . ثم الأمثل فالأمثل من الناس ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صَلابةٌ ، زِيْدَ في بلائه ، وإن كان في دينه رِقَّة خُفِّف عليه ولا يزال(٦) البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » .

ورواه الترمذي(٧) والنسائي(٨) ، وابن ماجه(٩) من حديث عاصم بن أبي النجود(١٠) . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وتقدم(١١) في الحديث : « نحن معشر الأنبياء أولادُ عَلَّات ديننا واحد وأمهاتنا شتى » . والمعنى أن شرائعهم وإن اختلفت في الفروع ونَسخَ بعضُها بعضاً حتى انتهى الجميع إلى ما شرع الله لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين ، إلا أن كل نبي بعثه الله ، فإنما دينه الإسلام وهو التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

---

(١) المسند (٣/ ٩٤) في سنده جهالة الرجل ولكن يشهد له ما بعده .
(٢) ليست في ب ، ولا في المسند .
(٣) سنن ابن ماجه رقم (٤٠٢٤) ، في الفتن ، باب الصبر على البلاء ، وهو حديث صحيح .
(٤) المسند (١/ ١٧٢) .
(٥) في ط : بن ، وهو خطأ .
(٦) في ب : ما يزال ، وكذلك في المسند .
(٧) سنن الترمذي رقم (٢٣٩٨) في الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء ، وهو حديث صحيح .
(٨) في الطب من سننه الكبرى (٧٤٨١) .
(٩) سنن ابن ماجه رقم (٤٠٢٣) ، في الفتن ، باب الصبر على البلاء ، وهو حديث صحيح .
(١٠) زاد في ب : به .
(١١) تقدم ص (٢٩٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ ﴾ الآية [النحل : ٣٦] .

فأولاد العَلَّات أن يكون الأب واحداً ، والأمهات متفرّقات ، فالأب بمنزلة الدين وهو التوحيد ، والأمهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها كما قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [المائدة : ٤٨] . وقال : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ ﴾ [الحج : ٦٧] . وقال : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ ﴾ [البقرة : ١٤٨] . على أحد القولين في تفسيرها[١] .

والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت في أوقاتها ، إلا أنَّ الجميع آمرةٌ بعبادة الله وحدَه لا شريك له ، وهو دين الإسلام الذي شرعه الله لجميع الأنبياء ، وهو الدين الذي لا يقبل الله غيرَه يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٠ - ١٣٢] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ الآية [المائدة : ٤٤] . فدين الإسلام هو عبادة الله وحدَه لا شريك له ، وهو الإخلاص له وحده دون ما سواه ، والإحسان أن يكون على الوجه المشروع في ذلك الوقت المأمور به ، ولهذا لا يقبلُ اللهُ من أحد عملاً بعد أن بَعث محمداً ﷺ إلا[٢] على ما شرعه له كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . وقال تعالى : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٩] . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ ﴾ [هود : ١٧] . وقال رسول الله ﷺ : « بُعِثْتُ إلى الأحْمرِ والأسود » . قيل أراد العرب والعجم . وقيل الإنس والجن[٣] . وقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لو أصبحَ فيكم موسى ثمّ اتّبعتُمُوهُ وتركتُموني لضللتم »[٤] والأحاديث في هذا كثيرة جداً .

والمقصود أن « إخوة العلات » أن يكونوا من أبٍ واحد وأمهاتهم شتّى ، مأخوذٌ من شُرب العَلَل بعد النَّهَل . وأما إخوة الأخياف فعكس هذا أن تكون أمهم واحدة من آباء شتى . وإخوة الأعيان فهم الأشقاء من أب واحد وأم واحدة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) تفسير المؤلف (١/ ١٩٤) .
(٢) سقطت من ب وط .
(٣) النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٣٧) .
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٧١) من طريق عبد الله بن ثابت .

وفي الحديث الآخر : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة »[١] وهذا من خصائص الأنبياء أنهم لا يورثون ، وما ذاك إلا لأن الدنيا أحقرُ عندهم من أن تكون مخلَّفة عنهم ، ولأن توكُّلهم على الله عز وجل في ذراريهم أعظم[٢] وأشد وآكد من أن يحتاجوا معه إلى أن يتركوا لورثتهم من بعدهم ما لا يستأثرون به عن الناس ، بل يكون جميع ما تركوه صدقةً لفقراء الناس ومحاويجهم وذوي خلَّتهم . وسنذكر جميع ما يختص بالأنبياء عليهم السلام مع خصائص نبينا ﷺ وعليهم أجمعين في أول كتاب النكاح من كتاب الأحكام الكبير حيث ذكره الأئمةُ من المصنِّفين اقتداءً بالإمام أبي عبد الله الشافعي رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الرحمن ابن[٤] عبد ربِّ الكعبة قال : انتهيت إلى عبد الله بن عمرو وهو جالس في ظلّ الكعبة ، فسمعته يقول : بينا نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ نزل منزلاً فَمِنا من يَضْرب خباءه ، ومنّا مَن هو في جَشْرة[٥] ، ومنّا من ينتضلُ ، إذ نادى مناديه : الصلاة جامعةً ، قال : فاجتمعنا . قال : فقام رسول الله ﷺ فخطبنا فقال : « إنه لم يكن نبي قبلي إلاّ دلّ أمته على خير ما يعلمه لهم ، وحذَّرهم ما يعلمه شراً لهم ، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها ، وإن آخرها سيصيبها بلاءٌ شديد وأمور ينكرونها ، تجيء فتن يرقق[٦] بعضها بعضاً ، تجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتي . ثمّ تنكشف . ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه . ثم تنكشف . فمن سرَّه منكم أن يُزَحْزَح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه منيَّتُه[٧] وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقةَ يدِه وثمرةَ قلبه فليطعه ما استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عُنق الآخر » . قال فأدخلت رأسي من بين الناس فقلت : أُنشدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : فأشار بيده إلى أذنيه وقال : سمعتْه أذناي ووعاه قلبي . قال : فقلت : هذا ابن عمك ـ يعني معاوية ـ يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وأن نقتل أنفسنا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [النساء : ٢٩] قال : فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثمّ نكس هُنيهة ، ثمّ رفع رأسه فقال : أطِعْه في طاعة الله ، واعصه في معصية الله .

---

(١) تقدم تخريجه .
(٢) زيادة من ب وط .
(٣) المسند (٢/ ١٦١) .
(٤) في ط : أن ، وهو خطأ .
(٥) الجَشَرة : قوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى ويبيتون مكانهم ، ولا يأوون إلى البيوت . النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٧٣) . والمناضلة : المراماة بالنشاب .
(٦) كذا في ب ، والمسند . وفي أ وط : يريق .
(٧) في ب وط : موتته . وأشار في حاشية أ إلى هذه الرواية .

ورواه أحمد أيضاً عن وكيع ، عن الأعمش ، به . وقال فيه : « أيها الناس إنه لم يكن نبي قبلي إلاّ كان حقاً عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيراً لهم وينذرهم ما يعلمه شراً لهم » وذكر تمامه بنحوه[١] .

وهكذا رواه مسلم[٢] ، وأبو داود[٣] ، والنسائي[٤] ، وابن ماجه[٥] من طُرقٍ عن الأعمش ، به .

ورواه مسْلم أيضاً من حديث الشعبي[٦] عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ بنحوه[٧] .

* * *

(١) المسند (٢/ ١٩١) .

(٢) صحيح مسلم رقم (١٨٤٤) (٤٦) ، في الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء .

(٣) سنن أبي داود رقم (٤٢٤٨) ، في الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

(٤) سنن النسائي (٧/ ١٥٣) .

(٥) سنن ابن ماجه رقم (٣٩٥٦) ، في الفتن ، باب ما يكون من الفتن .

(٦) صحيح مسلم (١٨٤٤) (٤٧) .

(٧) هذا آخر الجزء الثامن من تصنيف ابن كثير رحمه الله . وجاء في نسخة أ : آخر الجزء الثامن من خط المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أخبار العرب . وكان الفراغ من تتمة هذا المجلد في سابع عشر شوال سنة (. . ؟؟ . .) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بدمشق المحروسة على يد أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته وعفوه وغفرانه ولطفه وكرمه إسماعيل الدرعي الشافعي الأنصاري غفر الله تعالى له وختم له بخير ، ولأحبابه ولإخوانه ولمشايخه ، ولجميع المسلمين والصلاة والسلام على محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

ذكر أخبار العرب

[(١)]قيل : إن جميع العرب ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام والتحية والإكرام . والصحيح المشهور أن العرب العارِبة قبل إسماعيل ، وقد قدّمنا أن العرب العاربة منهم عاد وثمود وطَسَم وجَديس وأميم وجرهم والعماليق وأمم آخرون لا يعلمهم إلا الله ، كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام ، وفي زمنه أيضاً . فأما العرب المستعربة ، وهم عرب الحجاز ، فمن ذرّية إسماعيل بن إبراهيم[(٢)] عليهما السلام . وأما عرب اليمن ، وهم حِمْيَر ، فالمشهور أنهم من قحطان ، واسمه مهزم ، قاله ابن ماكولا[(٣)] ، وذكروا أنهم كانوا أربعة إخوة : قحطان ، وقاحط ، ومقحط ، وفالغ[(٤)] . وقحطان بن هود[(٥)] . وقيل : هو هُود . وقيل : هود[(٦)] أخوه . وقيل : من ذريته . وقيل : إن قحطان من سُلالة إسماعيل ، حكاه ابن إسحاق[(٧)] وغيره . فقال بعضهم : هو قحطان بن [الهميسع بن تيمن بن قيذر بن نبت][(٨)] بن إسماعيل . وقيل غير ذلك في نسبه إلى إسماعيل . والله أعلم .

[وقد ترجم البخاري في « صحيحه » على ذلك فقال : (باب نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام)][(٩)] حدّثنا مُسَدَّد ، حدّثنا يحيى ، عن يزيد بن أبي عبيد ، حدّثنا سَلَمة رضي الله عنه قال : خَرَج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضَلُون بالسوق[(١٠)] فقال : « ارموا بني إسماعيل وأنا مع بني فلان » ـ لأحد الفريقين ـ فأمسكوا بأيديهم ، فقال : « مالكم »[(١١)] قالوا : وكيف نرمي وأنت مع بني فلان . فقال : « ارموا وأنا معكم كلّكم » .

انفرد به البخاري[(١٢)] . وفي بعض ألفاظه : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع ابن الأدرع » . فأمسك القوم فقال : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

---

(١) في ب : كتاب أخبار العرب .
(٢) سقطت من ب .
(٣) ونقله أيضاً السهيلي في الروض الأنف (١/ ١٩) .
(٤) زاد في ب : ويقال .
(٥) انظر نسب قحطان في : نسب معد (١/ ١٣١) ، وجمهرة النسب لابن حزم (٧ ـ ٨) .
(٦) ليست في ب .
(٧) السيرة (١/ ٥) .
(٨) سقطت من ط .
(٩) سقط من ب بنقلة عين .
(١٠) كذا في البخاري ، وب ، وفي أ وط : بالسيوف .
(١١) في البخاري ، وب : مالهم .
(١٢) صحيح البخاري رقم (٣٥٠٧) ، في المناقب .

قال البخاري : وأسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة ، يعني وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم ، كما سيأتي بيانه ، وكانت الأوس والخزرج منهم ، وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام : « ارموا بني إسماعيل »(١) فدلّ على أنهم من سلالته ، وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب ، لكنه تأويل بعيد ، إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل . لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل ، وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين : قحطانية وعدنانية ، فالقحطانية شعبان : سبأ وحضرموت ، والعدنانية شعبان أيضاً : ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان ، والشعب الخامس وهم قضاعة(٢) مختلف فيهم ، فقيل : إنهم عدنانيون . قال ابن عبد البر : وعليه الأكثرون ، ويروى هذا عن ابن عباس وابن عُمر وجبير بن مطعم ، وهو اختيار الزبير بن بكار ، وعمه مصعب الزبيري ، وابن هشام . وقد ورد في حديث قضاعة بن معدّ ، ولكنه لا يصح . قاله ابن عبد البر وغيره(٣) . ويقال : إنهم لن يزالوا في جاهليتهم وصدر من الإسلام ينتسبون إلى عدنان ، فلما كان في زمن خالد بن يزيد بن(٤) معاوية ، وكانوا أخواله ، انتسبوا إلى قحطان ، فقال في ذلك أعشى بني(٥) ثعلبة في قصيدة له : [من البسيط]

أبلغْ قضاعةَ في القِرطاس أنهمُ ... لـولا خـلائـفُ آلِ الله مـا عُتقـوا
قالت قضاعةُ : إنا من ذوي يمنٍ ... واللهُ يعلـم مـا بـرّوا ومـا صَـدقـوا
قِـد ادّعـوا والـداً مـا نـالَ أمَّهـمُ ... قـد يعلمـون ولكـنْ ذلـكَ الفَـرَق

وقد ذكر أبو عمرو السهيلي(٦) أيضاً من شعر العرب ما فيه إقذاع في تغيير(٧) قضاعة في انتسابهم إلى اليمن ، والله أعلم .

---

(١) أورده ابن حجر في شرح الحديث السابق .
(٢) نسب معد (٢/ ٥٥١) ، وجمهرة النسب لابن حزم (٨) . والإنباه على قبائل الرواه ، لابن عبد البر (٣١) .
(٣) ليست في ب .
(٤) قولـه : يزيد بن . زيادة من ب وط . وخالد هذا أحد العلماء الحكماء ، اشتغل بالطب والكيمياء والنجوم . واختلفوا في سنة وفاته . فقيل سنة (٨٥هـ) وقيل (٩٠هـ) . وفيات الأعيان (٢/ ٢٢٤) ، والأعلام (٢/ ٣٠٠) .
(٥) في أ وط : بن . وهو ميمون بن قيس ، الشاعر الجاهلي المشهور . من قبيلة قيس بن ثعلبة ، يقال له : أعشى قيس ، وأعشى بني ثعلبة ، والأعشى الكبير .
والأبيات القادمة ليست في ديوانه المطبوع بتحقيق الدكتور محمد محمد حسين .
(٦) الروض الأنف (١/ ٢٣ ـ ٢٤) .
(٧) كذا في ب ، وهو الصواب يؤيده ما جاء في الروض من أشعار . وفي أ : إبداع . وفي ط : إبداع في تفسير .

والقول الثاني : أنهم من قحطـان ، وهو قول ابن إسحاق[١] ، والكلبي[٢] ، وطائفة من أهل النسب .

قال ابن إسحاق : وهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقد قال بعض شعرائهم ، وهو عمرو بن مرة ، صحابي[٣] له حديثان : [من الرجز]

يـا أيُّهـا الـداعـي ادْعُنـا وأَبشـرِ وكـــنْ قُضـــاعيـــاً ولا تُنَـــزِّرِ

نحنُ بنو الشيخ الهجانِ الأزهر قضـاعـةَ بـنِ مـالـكِ بـنِ حِمْيَـرِ

النسب المعروف غير المنكر[٤]

قال بعض أهل النسب : هو قضاعة بن مالك بن عمر بن مرَّة بن زيد بن حمير . وقال ابن لَهِيْعَة ، عن معروف بن سويد ، عن أبي عشابة محمد بن موسى[٥] ، عن عقبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله أما نحن من معد ؟ قال : « لا » . قلت : فمن نحن ؟ قال : « أنتم قضاعة بن مالك بن حِمير » .

قال أبو عمر بن عبد البر : ولا يختلفون أن جُهينة بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمران بن الحاف بن قضاعة قبيلة عقبة بن عامر الجُهني[٦] . فعلى هذا قضاعة في اليمن في حمير بن سبأ ، وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من أن قضاعة امرأة من جرهم تزوجها مالك بن حِمير فولدت له قضاعة ، ثم خلف عليها معد بن عدنان وابنها صغير ، وزعم بعضهم أنه كان حملا فنسب إلى زوج أمه كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل إلى زوج أمه . والله أعلم .

وقال محمد بن سَلاَّم البصري النسابة : العرب ثلاثة جراثيم : العدنانية ، والقحطانية ، وقضاعة . قيل له : فأيهما أكثر ، العدنانية أو القحطانية ؟ فقال : ما شاءت قضاعة إن تيامنت فالقحطانية أكثر ، وإن تعددت[٧] فالعدنانية أكثر ، وهذا يدل على أنهم يتلوَّمون في نسبهم ، فإن صحّ حديثُ ابن لهيعة

---

(١) السيرة (١/ ١٠) .
(٢) نسب معد (٢/ ٥٥١) .
(٣) ترجمته في الإصابة (٣/ ١٥) ، رقم (٥٩٦١) . وأورد له البيتين الثالث والرابع (نحن بنو الشيخ . .) والخبر أورده السهيلي في الروض الأنف (١/ ٢٣) ، وأورد الأبيات الأربعة الأولى ، ونقل عن الزبير قوله : الشعر لأفلح بن اليعبوب . تهذيب السيرة لابن هشام (١/ ١١) .
(٤) زاد في ط بيتاً سادساً ، وهو : في الحجر المنقوش تحت المنبر ، وهو في السيرة : (١/ ١١) .
(٥) كذا في أ وط . وفي ب : عن أبي عُشَّانة حَي بن يُؤمن ، ولعله الأشبه بالصواب . فلم أقف على ترجمة لأبي عشابة . وحي بن يومن ، من رجال الطبقة الثالثة ، توفي سنة (١١٨هـ) . تقريب التهذيب (١/ ٢٠٨) .
والخبر أورده السهيلي في الروض (١/ ٢٣) دون سنده .
(٦) الإنباه على قبائل الرواه (٣٢) .
(٧) كذا في ب . وهو الصواب . وفي أ وط : تعددنت .

المقدَّم[١] فهو دليل على أنهم من القحطانية والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات : ١٣] . قال علماء النسب : يقال : شعوب ، ثمّ قبائل ، ثمّ عمائر ، ثمّ بطون ، ثمّ أفخاذ ، ثمّ فصائل ، ثمّ عشائر ، والعشيرة[٢] أقرب الناس إلى الرجل[٣] وليس بعدها شيء .

ولنبدأ أولاً بذكر القحطانية ، ثم نذكر بعدهم عرب الحجاز وهم العدنانية وما كان من أمر الجاهلية ليكون ذلك متّصلاً بسيرة رسول الله ﷺ إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وقد قال البخاري : (باب ذكر قحطان)[٤] حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدّثنا سليمان بن بلال ، عن ثور بن زيد ، عن أبي الغَيْث[٥] ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتّى يخرجَ رجلٌ من قحطان يَسوقُ الناس بعصاه » .

وكذا رواه مسلم ، عن قتيبة ، عن الدَّرَاوَرْدِي ، عن ثور بن زيد ، به[٦] .

قال السهيلي[٧] : وقحطان أول من قيل له : أبيت اللعن ، وأول من قيل له : أنعم صباحاً .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا أبو المغيرة ، عن حَريز[٩] حدّثني راشد بن سعد المَقْرَائي[١٠] ، عن أبي حَيٍّ[١١] ، عن ذي مِخْبَر[١٢] ، أن رسول الله ﷺ قال : « كان هذا الأمر في حمير ، فنزعه الله منهم

---

(١) في ب : المتقدم .
(٢) في ط : فالعشيرة .
(٣) سبائك الذهب (ص٧) .
(٤) صحيح البخاري (٦/ ٥٤٥) ، رقم (٣٥١٧) ، في المناقب .
(٥) في ط . المغيث . وهو خطأ .
(٦) صحيح مسلم رقم (٢٩١٠) ، في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء .
(٧) الروض الأنف (١/ ١٩) .
(٨) المسند (٤/ ٩١) .
(٩) في ط : جرير ، وهو تصحيف . وحريز هو ابن عثمان الرَّحَبي الحمصي ، توفي سنة ثلاث وستين ومئة . تقريب التهذيب (١/ ١٥٩) .
(١٠) المقرائي ، فتح الميم وسكون القاف . كذا ضبطه ابن حجر في تقريب التهذيب (١/ ٢٤٠) . وضبطت بضم الميم ، ضبط قلم في ب . وكذلك بضمها في (اللباب) ، وقال : نسبة إلى قرية بالشام . أقول : ومُقرى كَحُبلى : قرية على مرحلة من صنعاء .
(١١) هو شداد بن حي . تقريب التهذيب (١/ ٣٤٧) .
(١٢) كذا في ب ، ومسند أحمد : مخمر . وفي أ وط : فجر . قال في التقريب :
ذو مِخْبَر ، بكسر أوله وسكون المعجمة وفتح الموحدة ، وقيل : بدلها ميم ، الحبشي ، صحابي ، نزل الشام ، =

فجعله في قريش » . (وس ي ع ودال ي ه م) . قال عبد الله كان هذا[١] في كتاب أبي [مقطع][٢] وحيث حدّثنا به تكلم به على الاستواء ، يعني : « وسيعود إليهم » .

***

= وهو ابن أخي النجاشي (١/ ٢٣٩) .

(١) في ب : هكذا كان في . . وفي المسند : وكذا كان في .

(٢) زيادة من المسند .

قِصّة سَبأ

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ : ١٥ ـ ١٩] .

قال علماء النسب ، منهم محمد بن إسحاق[١] : اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قالوا : وكان أول من سبى في[٢] العرب فسُمّي سبأ لذلك[٣] ، وكان يقال [له : الرائش لأنه كان يُعطي الناس الأموالَ من متاعه . قال السهيلي : ويقال][٤] إنه أول من تَتَوَّج[٥] . وذكر بعضهم أنه كان مسلماً ، وكان له شعر بشَّرَ فيه بقدوم[٦] رسول الله ﷺ ، فمن ذلك قوله[٧] : [من الوافر]

سَيَملِكُ بعدَنا مُلْكاً عظيماً ... نبيٌّ لا يرخِّص في الحرامِ
ويملِك بعدَه مِنهم ملوكٌ ... يدينون العبادَ بغيرِ ذام
ويملِك بعدَهم منا ملوكٌ ... يَصِيْر الملكُ فينا باقتسام
ويملك بعدَ قحطانٍ نبيٌّ ... تقيّ جَبينِه خيرُ الأنام
يُسمى أحمداً يا ليتَ أني ... أُعمّر بعدَ مبعثِه بعام
فأعضدُه وأحبُوه بنصري ... بكلّ مدجّج وبكلّ رام
متى يظهرْ فكونوا نَاصِرِيه ... ومَنْ يلقاهُ يُبلغْه سلامي

(١) السيرة (١/ ١٠) .
(٢) في ط : من .
(٣) مروج الذهب (٢/ ٧١) ، والبدء والتاريخ (٣/ ١٣١) . ونهاية الأرب للنويري (١٥/ ٢٩١) . وقال السهيلي في الروض (١/ ١٩) : ولست من هذا الاشتقاق على يقين ، لأن سبأ مهموز ، والسبي غير مهموز .
(٤) سقطت العبارة من ب بنقلة عين . والذي في نهاية الأرب للنويري (١٥/ ٢٩٢) : أن الذي لقب بالرائش هو الحارث بن شداد .
(٥) الروض الأنف (١/ ١٩) .
(٦) كذا في ب ، وهو اللفظ الأنسب . وفي أ وط : بوجود .
(٧) أورد النويري في نهاية الأرب (١٥/ ٢٩٢) بيتين .
وواضح أن هذه الأبيات مصنوعة منحولة ، وقد تكررت فيها الضرائر الشعرية .

حكاه ابن دحية[١] في كتابه « التنوير في مولد البشير النذير » .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو عبد الرحمن ، حدّثنا ابن لَهِيْعة ، عن عبد الله بن هُبيرة عن عبد الرحمن[٢] بن وعلة ، سمعت عبد الله بن عباس يقول : إن رجلاً سأل النبي ﷺ عن سبأ : ما هو أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال : « بل هو رجل ولد[٣] عشرة ، فسكن اليمن منهم ستة ، وبالشام منهم أربعة . فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير . وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان »[٤] . وقد ذكرنا في « التفسير »[٥] أن فروة بن مُسَيك الغطيفي هو السائل عن ذلك ، كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك . ولله الحمد .

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلّها وقد كان فيهم التبابعة[٦] بأرض اليمن ، واحدهم تُبَّع . وكان لملوكهم تيجان يلبَسُونها وقت الحكم ، كما كانت الأكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك ، وكانت العرب تسمي كلّ من ملك اليمن مع[٧] الشحر وحضرموت تُبَّعاً ، كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر ، ومن ملك الفرس كسرى ، ومن ملك مصر كافراً[٨] فرعون ، ومن ملك الحبشة النجاشي ، ومن ملك الهند بَطْلَيْمُوس . وقد كان من جملة ملوك حمير بأرض اليمن بلقيس . وقد قدَّمْنا قصتها مع سليمان عليه السلام ، وقد كانوا في غبطة عظيمة وأرزاق دارَّة وثمار وزروع كثيرة ، وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد ، فلما بدّلوا نعمة الله كفراً أحلُّوا قومهم دار البوار .

قال محمد بن إسحاق ، عن وهب بن منبه : أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً[٩] . وزعم السُّدِّي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي . فالله أعلم .

والمقصود أنهم لما عدلوا عن الهدى إلى الضلال ، وسجدوا للشمس من دون الله ، وكان ذلك في زمان بلقيس وقبلها أيضاً ، واستمر ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيل العرم كما قال تعالى : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [سبأ : ١٦ ـ ١٧] .

---

(١) هو عمر بن الحسن بن علي ، ابن دحية الكلبي ، أديب مؤرخ مغربي ، أقام بمصر وتوفي فيها سنة (٦٣٣هـ) . الأعلام (٥/ ٤٤) ومصادر ترجمته ثمة .

(٢) قوله : ابن هبيرة عن عبد الرحمن ، زيادة من ب ومسند أحمد .

(٣) زاد في ب : له .

(٤) مسند أحمد (١/ ٣١٦) .

(٥) تفسير المؤلف (٣/ ٥٣١) ، وكذلك ذكره الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٣) .

(٦) زاد في ب : وهم ملوك حمير .

(٧) اليمن مع سقطت من ب .

(٨) سقطت من ط .

(٩) وأورده الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٤) .

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين[١] وغيرهم أن سدَّ مأرب كان صنعته أن المياه تجري من بين جبلين ، فعمدوا في قديم الزمان فسدّوا ما بينهما ببناء محكم جداً حتى ارتفع الماء فحكم على أعالي الجبلين ، وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة ، وزرعوا الزروع الكثيرة . ويقال : كان أول من بناه سبأ بن يعرب ، وسلّط إليه سبعين وادياً يفد إليه ، وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء ، ومات ولم يكمل بناؤه ، فكمّلته حمير بعده ، وكان اتّساعه فرسخاً في فرسخ ، وكانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة ، حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها فتمتلىء من الثمار ما[٢] يتساقط فيه مَن نضجه وكثرته ، وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب المؤذية لصحّة هوائهم ، وطيب فنائهم ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ : ١٥] . وكما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] . فلما عبدوا غيرَ الله وبطروا نعمته وسألوا بعد تقارب ما بين قراهم وطيب ما بينهـا من البساتين وأمْن الطرقات سألوا أن يباعد بين أسفارهم ، وأن يكون سفرهم في مشاقٍّ وتعب ، وطلبوا أن يبدِّلوا بالخير شراً[٣] ، كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسـلوى البقول والقِثّاء والفوم والعدس والبصـل ، فسلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد كما قال تعالى : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ .

قال غير واحد[٤] : أرسل الله على أصل السدِّ الفار ، وهو الجرذ ، ويقال الخُلْد ، فلما فطِنوا لذلك أرصدوا عندهم السنانير فلم تغن شيئاً إذ قد حُمَّ القدر ولم ينفع الحذر ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ [القيامة : ١١] فلما تحكَّم في أصله الفساد سقط وانهار ، فسلك الماء القرار وتقطعت[٥] تلك الجداول والأنهار ، وانقطعت تلك الثمار ومادت[٦] تلك الزروع والأشجار ، وتبدَّلوا بعدها برديء الأشجار والأثمار كما قال العزيز الجبّار ﴿ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ ﴾ [قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هو الأراك ، وثمره البرير ، وأثل][٧] : وهو الطرفاء[٨] . وقيل : يشبهه وهو حطب لا ثمر له : ﴿ وَشَيْءٍ مِّن

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥) .
(٢) في ب : بما .
(٣) في ب : الشر . وفي أ : كما سألوا بنو . . وهي لغة رديئة .
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٦) .
(٥) في ط : فقطعت .
(٦) في ب : وبادت .
(٧) سقطت العبارة من ب بنقلة عين . وقد أورد الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٦) مجمل الآراء في تفسير الآية .
(٨) المصدر السابق ، عن ابن عباس وقتادة .

سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴾ وذلك لأنه لما كان يثمر النَّبق كان قليلاً مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه كما يقال في المثل : لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيُرتقى ولا سمين فينتقى(١) . ولهذا قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ أي : إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذّب رسلَنا وخالف أمرنا وانتهك محارمنا .

وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ ﴾ وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها ، فتفرَّقوا في غَور البلاد ونجدها أيدي سبأ شَذَر مَذَر ، فنزلت طوائف منهم الحجاز ؛ ومنهم خزاعة نزلوا ظاهر مكة ، وكان من أمرهم ما سنذكره . ومنهم الأوس والخزرج ، نزلوا بيثرب وهي(٢) المدينة النبوية(٣) اليوم ، فكانوا أول من سكنها ، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود : بنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وبنو النضير ، فحالفوا الأوس والخزرج ، وأقاموا عندهم ، وكان من أمرهم ما سنذكره . ونزلت طائفة أخرى منهم الشام ، وهم الذين تنصَّروا فيما بعد ، وهم غسان وعاملة وبهراء ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم ، وسنذكرهم عند ذكر فتوح الشام في زمن الشيخين رضي الله عنهما .

قال محمد بن إسحاق(٤) : حدّثني أبو عبيدة قال : قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة ، وهو ميمون بن قيس(٥) . [من المتقارب]

وفي ذاكَ للمؤْتَسي أُسْوةٌ ... ومأربُ عَفَّى عليها العَرِمْ(٦)
رُخام بَنَتْه لهم حِميرٌ ... إذا جاءَ موَّارُه لم يرم(٧)
فأَروى الزّروع وأعنَابها ... على سَعَةٍ ماؤُهم إذ قَسَم
فصاروا أيادِيَ لا يقدِرو ... ن على شُربِ طفلٍ إذا ما فُطِم(٨)

(١) هو جزء من حديث أم زرع الطويل ، رواه البخاري رقم (٥١٨٩) ومسلم رقم (٢٤٤٨) وقد شرحه شرحاً مطولاً في رسالة القاضي عياض .
(٢) قوله : الأوس و . . إلى هنا ، زيادة من ب .
(٣) في ط : المنورة .
(٤) السيرة (١/ ١٤) . وفيه : قال أعشى بني قيس بن ثعلبة . . وهذا هو الصحيح الأعلى .
(٥) ديوانه (ص٩٣) من القصيدة الرابعة ، ومطلعها : [من المتقارب]
أتهجر غانيةً أم يُلِمْ ... أم الحبلُ واهٍ بها مُنجذِمْ
وقالها يمدح قيس بن معد يكرب .
(٦) في ط . ومأرم وهو سهو . وفي الديوان : قفَّى .
(٧) في الديوان : إذا جاءه ماؤهم لم يرِم .
(٨) في ب : لا يقدرون منه على شرب طفل إذا ما فطم ، وعليه يختل الوزن . وأثبت ما في ط . وفي أ . سقطت لفظة=

وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب « السيرة »[١] أن أول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر اللخمي ، ولخم هو ابن عدي بن الحارث بن أزد[٢] بن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ ، قاله ابن هشام[٣] . قال ابن إسحاق[٤] : وكان سبب خروجه من اليمن فيما حدّثني أبو زيد الأنصاري أنه رأى جرذاً يحفر في سدِّ مأرب الذي كان يحبس عنهم[٥] الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أرضهم ، فعلم أن لا بقاء[٦] للسدِّ على ذلك ، فاعتزم على النُّقلة عن اليمن ، وكاد قومه ، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له[٧] ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنه ما أُمِر[٨] به . فقال عمرو : لا أقيم ببلد لَطَم وجهي فيه أصغرُ ولدي . وعرض ماله[٩] . فقال أشرافٌ مِن أشراف اليمن : اغتنموا غضبة عمرو ، فاشتروا منه أمواله ، وانتقل في ولده وولد ولده . وقالت الأزد : لا نتخلّف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عكٍّ مجتازين يرتادون البلدان[١٠] فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سجالاً . ففي ذلك يقول[١١] عباس بن مرداس : [من الطويل]

وعكّ بن عدنانَ الّذين تلعّبوا بغسّانَ حتى طُرِّدوا كلَّ مَطْرِدِ

قال : فارتحلوا عنهم ، فتفرَّقوا في البلاد[١٢] فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ، ونزل الأوس والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعة مَرّاً[١٣] ، ونزلت أزد السراة السراة ، ونزلت أزد عُمان عُمان ، ثم أرسل الله تعالى على السدّ السيل فهدمه ، وفي ذلك أنزل الله هذه الآيات .

= (إذا ما) وفي الديوان : [من المتقارب]
فطاروا سراعاً وما يقدرو ن منه لشرب صبي فطم

(١) (١/ ١٣) .
(٢) في ط : أزد .
(٣) السيرة (١/ ١٢) .
(٤) السيرة (١/ ١٣) .
(٥) في ط : عليهم .
(٦) في ط : أنه لا بقاء .
(٧) في ط : عليه .
(٨) في ب وط : أمره .
(٩) في ط : أمواله .
(١٠) زيادة من ط .
(١١) في ط : قال . والبيت في السيرة (١/ ٩) والروض الأنف (١/ ٢٠) .
(١٢) في ب : في البلدان . وكذا في السيرة .
(١٣) مَرّ : موضع على خمسة أميال من مكة . معجم البلدان .

وقد رُوي عن السُّدِّي قريب من هذا . وعن محمد بن إسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهناً . وقال غيره : كانت امرأته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة ، فأخبرت بقرب هلاك بلادهم وكأنهم رأوا شاهد ذلك في الفأر الذي سلَّط على سدِّهم ففعلوا ما فعلوا والله أعلم . وقد ذكرتُ قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبي حاتم في « التفسير »[١] .

فصل

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أُصيبوا بسيل العرم ، بل أقام أكثرهم بها ، وذهب أهل مأرب الذين كان لهم السدُّ فتفرَّقوا في البلاد ، وهو مقتضى الحديث المتقدم عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن ، بل إنما تشاءم منها أربعة ، وبقي باليمن ستة وهم : مذحج وكندة والأزد[٢] وأنمار والأشعريون ـ وأنمار هو أبو خثعم وبجيلة ـ وحمير فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن واستمر فيهم الملك والتبابعة حتى سلبهم[٣] ذلك ملك الحبشة بالجيش الذي بعثه صحبة أميريه أبرهة وأرياط نحواً من سبعين سنة ، ثم استرجعه سيف بن ذي يزن الحميري وكان ذلك قبل مولد رسول الله ﷺ بقليل ، كما سنذكره مفصَّلاً قريباً إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان .

ثم بعث[٤] رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن عليّاً وخالد بن الوليد ، ثم أبا موسى الأشعري ، ومعاذ بن جبل ، وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويبيِّنون لهم الحجج ثمّ[٥] تغلَّب على اليمن الأسود العنسي ، وأخرج نوّاب رسول الله ﷺ منها ، فلما قُتِل الأسود استقرت اليد الإسلامية عليها في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كما سنبين ذلك بعد البعثة إن شاء الله تعالى .

***

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٣) .

(٢) زيادة من ب ، وتفسير المؤلف (٣/ ٥٣١) لأن أنماراً هو أبو خثعم وبجيلة . جمهرة ابن حزم (٤٨٤) ، وعلى ما ورد في المتن يكون عدد القبائل خمسة لا ستة .

(٣) زاد في ب : بعد .

(٤) في ط : أرسل .

(٥) في ب : حتى .

قِصّة رَبيعة بن نصر بن أبي حَارثة بن عمرو بن عَامِر

المتقدِّم ذِكره اللخمي ، كذا ذكره ابن إسحاق[١] . وقال السهيلي[٢] . ونسَّابُ اليمن تقول : نصر بن ربيعة ، وهو ربيعة[٣] بن نصر بن الحارث بن نمارة بن لخم[٤] . وقال الزبير بن بكار : ربيعة بن نصر بن مالك[٥] بن شَعوذ بن مالك بن عُجم بن عمرو بن نمارة بن لخم ، ولخم أخو جذام ، وسمي لخماً لأنه لَخَم أخاه[٦] على خدِّه ، أي : لطمه ، فعضّه الآخر في يده فَجَذَمها ، فَسُمّي جُذاماً[٧] . وكان ربيعة أحد ملوك حمير التبابعة ، وخبره مع شِق وسَطيح الكاهنين ، وإنذارهما بوجود رسول الله ﷺ .

أما سَطيح : فاسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان[٨] .

وأما شق فهو ابن صعب[٩] بن يشكر بن رُهْم بن أَفْرَك بن قسر[١٠] بن عبقر بن أنمار بن نزار ، ومنهم من يقول : أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نابت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

ويقال : إن سطيحاً كان لا أعضاء له ، وإنما كان مثل السطيحة ، ووجهه في صدره وكان إذا غضب انتفخ وجلس .

وكان شِق نصفَ إنسان ، ويقال : إن خالد بن عبد الله القسري كان من سلالته[١١] . وذكر

---

(١) السيرة (١/ ١٥) .

(٢) عبارة السهيلي في الروض (١/ ٢٦ ـ ٢٧) : وبعضهم يقول فيه : نصر بن ربيعة ، وهو في قول نساب اليمن : ربيعة بن نصر بن الحارث بن نمارة بن لخم . . .

(٣) سقطت من ط .

(٤) كذا في ط . وهو موافق لما في الروض الأنف . وفي أ وب : . . الحارث بن ربيعة بن نصر . وهو سهو .

(٥) ليست في ب .

(٦) في أ وب : لطم أخاه . وهو سهو . واللخم : اللطم . وفي ط : لخم أخاه : أي لطمه . وقال ابن دريد في الاشتقاق (٣٧٦) : واشتقاق لخم من الغِلَظ والجفاء .

(٧) كذا في ط . وهو موافق لما نقله السهيلي عن الزبير . وفي أ وب : فعضه الآخر في يده فجذمها وكان . . .

(٨) كذا نسبه ابن إسحاق . وفيه خلاف عما ذكره ابن الكلبي في نسب معد (١/ ٤٧٧) ، وابن دريد في الاشتقاق (٤٨٧) وابن حزم في الجمهرة (٣٧٤) .

(٩) كذا في ط . وهو موافق لما في السيرة ، وجمهرة ابن حزم (٣٨٨) . وفي أ وب : أصعب .

(١٠) في ط : قيس ، وهو تحريف .

(١١) في ط : ابن عبد الله بن القسري كان سلالته . وخالد القسري هو أحد خطباء العرب وأجوادهم ، أمير العراقين . قُتل في أيام الوليد بن يزيد بعد سنة (١٢٠هـ) . الأعلام (٢/ ٢٩٧) .

السهيلي[١] أنهما ولدا في يوم واحد ، وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخير الحميرية ، ويقال : إنها تفلت في فم كلٍّ منهما فورثا[٢] الكهانة عنها ، وهي امرأة عمرو بن عامر المتقدِّم ذِكره . والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق[٣] : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هائلة[٤] هالته وفظِع بها[٥] ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا مُنجّماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظِعت بها فأخبروني بها وبتأويلها . فقالوا : اقصُصْها علينا نخبرْك بتأويلها . فقال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم بتأويلها لأنه لا يعرف تأويلها إلا مَن عرفها قبل أن أخبره بها . فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى شِق وسَطيح فإنه ليس أحدٌ أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه . فبعث إليهما ، فقدم إليه سَطيح قبل شِق ، فقال له : إني قد[٦] رأيت رؤيا هالتني وفظِعت بها ، فأخبِرْني بها ، فإنك إن أصبتَها أصبتَ تأويلَها . فقال : أَفْعَلُ . رأيت حُمَمة خرجتْ من ظُلْمة[٧] . فوقعت بأرض تهَمة . فأكلت منها كلَّ ذاتِ جُمْجُمة . فقال له الملك : ما أخطأتَ منها شيئاً يا سطيح ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرَّتين من حَنَش لتهبطنّ أرضَكُم الحَبَش ، فليملكنّ ما بين أَبْيَن إلى جُرَش . فقال له الملك : يا[٨] سطيح إن هذا لنا لَغائظٌ موجعٌ ، فمتى هو كائن ، أفي زماني أم بعده ؟ فقال : لا[٩] بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين[١٠] ، يمضين من السنين . قال : أفيدوم ذلك من سلطانهم[١١] أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يُقتلون ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه[١٢] إرم ذي يَزَن ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن[١٣] . قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم

---

(١) الروض الأنف (١/ ٢٧) .
(٢) في ط : فورث .
(٣) السيرة (١/ ١٥) .
(٤) ليست في ب .
(٥) فظع بالأمر : اشتد عليه . وفي ب : فلم يترك كاهناً .
(٦) ليست في ب .
(٧) الحممة : أراد الفحمة . وقال السهيلي (١/ ٢٨) : أي من ظُلْمة ، وذلك أن الحممة قطعة من نار ، وخروجها من ظلمة يشبه خروج عسكر الحبشة من أرض السودان .
(٨) زاد في ب : وأبيك يا سطيح .
(٩) زاد في ط : وأبيك .
(١٠) زاد في أ : سنة ، ولا يستقيم هذا من السجعة ، والمعنى .
(١١) في ب : ملكهم ، وكذلك في السيرة والروض الأنف .
(١٢) كذا في ب . وهو موافق لما في السيرة . وفي أ وط : يليهم .
(١٣) في ب : أحداً منهم باليمن . وهو موافق لما في السيرة والروض الأنف .

ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي ، يأتيه الوحي ، من قبل العلي . قال : وممن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يومٌ[١] يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يَسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال : أحقٌّ ما تخبرني ؟ قال : نعم ، والشَّفقِ والغسقِ ، والفلق إذا اتّسق ، إن ما أنبأتك به لحق .

قال ثمّ قدم عليه شِق ، فقال[٢] له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيحٌ لينظر أيتّفقان أم يختلفان . قال : نعم ، رأيتَ حُمَمة ، خرجت من ظُلمة ، فوقعت بين روضة وأكَمة ، فأكلت منها كلَّ ذاتِ نسمة . فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا ، وأن قولهما واحدٌ ، إلّا أن سَطيحاً قال : وقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جُمْجُمة . وقال شق : وقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كلّ ذات نسمة . فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان . لينزلنَّ أرضَكُم السودان، فليغلِبُنَّ على كل طَفْلَةِ البَنان ، وليملكن ما بين أَبْيَن إلى نَجران . فقال له الملك : وأبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجعٌ ، فمتى هو كائن ، أفي زماني أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بزمان . ثم يستنقذكم منهم عظيمٌ ذو شأن ، ويذيقهم أشد الهوان . قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : غلام ليس بدَني ولا مُدَن[٣] يخرج عليهم[٤] من بيت ذي يَزَن . قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل[٥] ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق والعدل ، بين[٦] أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يُجزَى فيه الوُلاة ، يدعى فيه من السماء بدعوات ، تسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع الناس فيه للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال : أحقٌّ ما تقول ؟ قال : إي وربِّ السماء والأرض ، وما بينهما من رفْعٍ وخفض ، إن ما أنبأتك به لحقٌّ[٧] ما فيه أَمْض .

قال ابن إسحاق : فوقع في نفس[٨] ربيعة بن نصر ما قالا ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما

---

(١) يوم . زيادة من ط . موافقة لنص السيرة .
(٢) ليست في ب .
(٣) قال السهيلي ، عن الفراهيدي : المدن : الذي جمع الضعف مع الدناءة .
(٤) ليست في ب .
(٥) في ب : لا بل .
(٦) كذا في ب ، وهو موافق لما في السيرة والروض الأنف . وفي أ وط : من .
(٧) زيادة من ب وط . موافقة لنص السيرة . والأمض : الشك والريب ، والباطل .
(٨) في ب : قلب .

يصلحهم وكتب لهم[١] إلى ملك من ملوك فارس يقال له : سابور بن خُرَّزاذ ، فأسكنهم الحِيرة[٢] .

قال ابن إسحاق : فمن بقية ولد[٣] ربيعة بن نصر النعمانُ بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر . يعني الذي كان نائباً على الحِيرة لملوك الأكاسرة ، وكانت العرب تَفِدُ إليه وتمتدحه . وهذا الذي قاله محمد بن إسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر الناس . وقد روى ابن إسحاق[٤] أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جيء بسيف النعمان بن المنذر سأل جُبير بن مُطْعِم عنه ممن كان ، فقال : من أشلاء قُنُص بن معد بن عدنان . قال ابن إسحاق : فالله أعلم أي ذلك كان .

* * *

(١) زيادة من ب . موافقة لنص السيرة .

(٢) زاد في ب : قال أبو القاسم السهيلي : ليس في ملوك الفرس من اسمه خرزاذ ، فإنهم من ولد أزدشير بن بابك ـ وهو أولهم ـ إلى يزدجرد ، يعني ابن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، وأسماؤهم محفوظة ، ليس فيهم من اسمه خرزاذ ، ولعل خرزاذ هذا نائب له ، أو ملك من ملوك الطوائف ، فإن زمان ربيعة بن نصر كان في زمانهم . والله أعلم . وكانت ملوك الطوائف في زمن المسيح وقبله وبعده ، وكان الذي فرّق شملهم إسكندر بن فيليبس المقدوني كما غلب على دارا بن دارا وتزوج ابنته من بعده ، ففرق شملهم لئلا ينتظم لواحد منهم أمر ، وكان كل ملك يتبعه طائفة من الناس على قطر من الأرض ، منهم عرب ، ومنهم فرس ، وغيرهم . واستمر الأمر كذلك قريباً من خمسمئة سنة . ثم قام بعدهم بنو ساسان بن بهمن بن أسفيديار بن بشتاسب . وكان أردشير وبعده ابنه سابور الذي خرب الحصن وأخذه من الساطرون . وهذا القول مأخوذ ـ كما سلف ـ من السهيلي (١/ ٣٠ ـ ٣١) بتصرف .

(٣) زيادة من ب وط . والسيرة .

(٤) السيرة (١/ ١٢) .

قصّة تُبّع أَبي كرب تُبَّان أسعد

ملك اليمن مع أهل المدينة[١] ، وكيف أراد غزو البيت الحرام ، ثمّ شرَّفه وعظَّمه وكساه الحُلل ، فكان أوّل من كساه

قال ابن إسحاق[٢] : فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع مُلْك اليمن كلُّه إلى حسّان بن تُبَّان أسعد أبي كَرب ـ وتُبَّان أسعد تبع الآخر ـ بن كلكيكرب[٣] بن زيد ، وزيد تُبَّع الأول بن عمرو ذي الأَذْعار بن أبرهة ذي المنار بن الرائش بن عدي بن صيفي بن سبأ الأصغر بن كعب كَهْف[٤] الظُّلْم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطَن بن عَرِيْب بن زهير بن أنس[٥] بن الهَمَيْسع بن العَرَنجج ، والعَرَنجج هو حِمير بن سبأ الأكبر بن يَعْرُب بن يَشْجُب بن قحطان .
قال عبد الملك بن هشام : سبأ بن يشجب[٦] بن يعرب بن قحطان[٧] .

قال ابن إسحاق : وتُبَّان أسعد أبو كَرِب هو الذي قدم المدينة ، وساق الحبرين[٨] من اليهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل [مُلْك][٩] ربيعة بن نصر[١٠] ، وكان قد جعل طريقه ـ حين رجع من غزوة بلاد المشرق ـ على المدينة[١١] ، وكان قد مر بها في بَدْأَته فلم يَهِجْ أهلَها ، وخلَّف بين أظهرهم ابناً له ، فقُتِل غِيْلة ، فقدِمَها وهو مُجمع لإخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها ، فَجَمَعَ له

---

(١) جاء العنوان في ط : قصة تبع أبي كرب مع أهل المدينة ، وكيف . . . .
(٢) السيرة (١/ ١٩) .
(٣) في ب : كلكيرب . وفي السيرة : كُلي كرب . وأشار المحقق إلى أن أصل المخطوط : كليككرب .
وفي الروض الأنف (١/ ٣٤) : وكلكي كرب اسم مركب . وقال السهيلي أيضاً (١/ ٦) : والكرب : هو الفلاح (بالحميرية) وقد تقدم أبو كرب ، فمعناه على هذا : أبو الفلاح . قاله ابن هشام في غير هذا الكتاب . وكذلك تقدم كلكي كرب ، ولا أدري ما كلكي .
(٤) كذا في ط . وهو موافق لما في السيرة . وفي أ . وب : بن كهف .
(٥) في السيرة ، والروض الأنف : أيمن .
(٦) ليست في ب .
(٧) شرح السيرة (١/ ٢٠) .
(٨) في أ : الحرير ، وهو تحريف .
(٩) زيادة من ب وط . والسيرة .
(١٠) زاد في ب : قال ابن هشام : وهو الذي يقال له : [من المديد]

ليت حظي من أبي كرب أن يَسُــد خيــره خبلــه

قال ابن إسحاق وهذه الزيادة في السيرة (١/ ٢٠) .
(١١) في ب : حين أقبل من المشرق على المدينة . وكذا في السيرة .

هذا الحيُّ من الأنصار ورئيسُهم عَمْرو بن طَلحة[١] أخو بني النجّار ، ثم أحد بني عمرو بن مبذول ، واسم مَبْذول[٢] : عامر بن مالك بن النجار ، والنجار هو[٣] : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة بن[٤] عمرو بن عامر .

وقال ابن هشام : عمرو بن طَلّة هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار ، وطَلَّة أُمُّه ، وهي بنت عامر بن زُرَيق[٥] الخزرجية .

قال ابن إسحاق[٦] : وقد كان رجل من بني عدي بن النجار ، يقال له : أحمر ، عدا على رجل من أصحاب تُبّع[٧] وَجَدَه يَجُدُّ عَذْقاً[٨] له فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أَبَّرَهُ[٩] ، فزاد ذلك تُبعاً حنقاً عليهم ، فاقتتلوا . فتزعَم الأنصارُ أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويَقْرُونه[١٠] بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام . وحكى ابن إسحاق عن الأنصار أن تُبَّعاً إنما كان حنقه على اليهود أنهم منعوهم منه .

قال السهيلي[١١] : ويقال إنه إنما جاء لنصرة الأنصار أبناءِ عمه على اليهود الذين نزلوا عندهم في المدينة على شروط فلم يفوا بها واستطالوا عليهم[١٢] . والله أعلم .

قال ابن إسحاق: فبينا تُبَّع على ذلك من حربهم[١٣] إذ جاءه حَبْران من أحْبار اليهود من بني قُريظة[١٤] ،

---

(١) في أ وط : طلحة . وهو سهو . وسيذكره صحيحاً بعد قليل .
(٢) كذا في ب ، وط . والسيرة . وفي أ : واسمه .
(٣) في ب ، وط : واسم النجار : تيم وكذا في السيرة .
(٤) ليست في ط .
(٥) زاد في ب : ابن عبد حارثة بن مالك بن غضْب بن جشم بن الخزرج . وكذلك في السيرة .
(٦) السيرة (١/ ٢١) وتاريخ الطبري (٢/ ١٠٥) .
(٧) زاد في ب : حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه . . وكذلك في السيرة .
(٨) العَذْق : النخلة . والجد : القطع .
(٩) أَبَّرَه : أصلحه .
(١٠) القرى إطعام الضيف .
(١١) الروض الأنف (١/ ٣٥) .
(١٢) في الروض : واستضاموهم .
(١٣) في ط : قتالهم . وكذلك في السيرة .
(١٤) زاد في ب : وقريظة والنضير والنحّام وعمرو ـ وهو هَدَل ـ بن الخزرج بن الصريح بن التوءمان بن السبط بن اليسع بن لاوي بن خير بن النحام بن منحوم بن عاد بن عود بن هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ، وهو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ﷺ . وكذلك في السيرة ، مع خلاف يسير .

عالمان راسخان ، حين سمعا بما يُريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا[١] له : أيها الملك لا تفعلْ فإنك إن أبيت إلا ما تريد حِيْل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل[٢] العقوبة . فقال لهما : ولم ذلك ؟ قالا : هي مُهاجَرُ نبيّ يخرج من هذا الحرَم من قُريش في آخر الزمان ، تكون دارَه وقرارَه . فتناهى عن ذلك[٣] ورأى أن لهما علماً ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة واتّبعهما على دينهما[٤] .

قال ابن إسحاق : وكان تُبَّع وقومُه أصحاب أوثان يعبدونها ، فوجَّه[٥] إلى مكة ، وهي طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفان وأَمَج[٦] أتاه نفرٌ من هذيل بن مُدْركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فقالوا له : أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثرٍ أَغْفَلَتْه الملوكُ قبلكَ ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيتٌ بمكة يعبده أهله ويصلّون عنده . وإنما أراد الهذليون هلاكَه بذلك لما عرفوا من هلاك مَنْ أراده من الملوك وبَغَى عنده . فلما أجمع لما قالوا[٧] أرسلَ إلى الحَبْرَيْن فسألهما عن ذلك . فقالا له : ما أراد القومُ إلّا هلاكَك وهلاكَ جُنْدك ، ما نعلم بيتاً لله عز وجل اتخذه[٨] في الأرض لنفسِه غيرَه ، ولئن فعلتَ ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن مَن معك جميعاً . قال : فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدِمْتُ عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهلُه ، تطوفُ به وتعظّمه وتكرّمه ، وتَحلق رأسَك عنده ، وتَذَلّلُ[٩] له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما[١٠] والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، عليه السلام ، وإنه لكَما أخبرناك ، ولكنّ أهلَه حَالُوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها[١١] حوله وبالدماء التي يهريقون عنده ، وهم نَجَس أهل شرك ، أو كما قالا له . فعرف نُصْحَهما وصِدْقَ حديثهما ، وقرَّب النفرَ من هُذيل فقطع أيديهم وأرجلَهم ، ثم مضى حتى قدم

---

(١) في ط : فقالوا .

(٢) في ط : جل .

(٣) زيادة من السيرة .

(٤) زاد في ب : فقال خالد بن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبيد بن غوث بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة : [من المديد]

أصحا أم قد نهى ذكره ... أم قضى من لذة وطره

إلى انتهاء الأبيات . والقول مع الأبيات في السيرة (١/ ٢٢) .

(٥) في ط : فتوجه . وكذلك في السيرة .

(٦) عُسفان : موضع ، على مرحلتين من مكة ، وهو حد تهامة . وأَمَج : بلد من أعراض المدينة .

(٧) في ب : سمع ما قالوا .

(٨) زيادة من ب وط . والسيرة .

(٩) في ب : وتتذلل . وفي السيرة : وتذل .

(١٠) ليست في ب .

(١١) في ب : نصبوا .

مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام ـ فيما يذكرون ـ ينحر بها للناس ويُطِعم أهلَها ويسقيهم العسل . وأُرِيَ في المنام أن يَكسو البيتَ ، فكساه الخَصَفَ[(١)] ثم أُرِيَ في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المعافِريَّ[(٢)] ، ثم أُرِيَ أن يكسوه أحسن من ذلك . فكساه المُلاءَ والوصائل[(٣)] ، فكان تُبع ـ فيما يزعمون ـ أولَ من كسا البيتَ وأوصى به وُلاتَه من جُرْهم ، وأمرهم بتطهيره وأن لا يُقرّبوه دماً ولا مِيتة ولا مِئْلاة ـ وهي المحايض[(٤)] ـ وجعل له باباً ومفتاحاً . ففي ذلك قالت سُبَيْعة بنت[(٥)] الأحَبِّ تُذَكّر ابنَها خالد بن عبدِ مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وتنهاه عن البغي بمكة ، وتذكر له ما كان من أمر تُبّع فيها : [من مجزوء الكامل]

أبُنَـــيّ لا تَظلِـــمْ بمكــ ـــةَ لا الصغيـرَ ولَا الكَبيـرْ
واحفَـــظْ محـــارِمَهـــا بُنَــ ـــيّ ولا يغـرَّنْـك الغَـروزْ
أبنـــيّ مـــن يَظلِـــمْ بمكــ ـــةَ يلـقَ أطـرافَ الشُّـرور
أبُنـــيّ يُضـرَبْ وجهُـــه ويلـحْ بخـدّيـهِ السَّعيـر[(٦)]
أبنـــيّ قـــد جـــرّبتُهـــا فـوجدتُ ظـالمَهـا يَبـور[(٧)]
اللهُ آمَنهـــا ومـــا بُنيـتْ بِعَـرْصَتها قُصـور
واللهُ آمَـــن طَيـــرَهـــا والعُصْمُ تامَنُ في ثَبِير[(٨)]
ولقـــدْ غـــزَاهـــا تُبّـــع فكَســا بنيّتهـا الحبيــر
وأذلّ ربـــي مُلْكَـــه فيهـا فـأوفـى بـالنّـذُور
يمشـــي إلَيهـــا حـــافيـــاً بفِنـــائهـــا ألفـا بعيــر

(١) الخصف : حصر تنسج من خوص النخل ومن الليف .
(٢) في ط ، وب ، والسيرة : المعافر . والمعافري : ثوب منسوب إلى معافر ، وهو رجل ، ثم أصبح علماً على الثوب دون نسبة ، فيقال : معافري .
(٣) قوله : فكساه الملاء والوصائل . سقط من ب . والملاء : ج ملاءة ، وهي الملحفة . والوصائل : ثياب مخططة يمنية يوصل بعضها إلى بعض .
(٤) المحايض : ج محيضة ، وهي خرقة الحيض .
(٥) في ب : بنت الأحب بن زبيّنة بن جذيمة بن عوف بن مضر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، لابن أبي منبه يقال له خالد ، تعظم عليه حرمة مكة ، وتنهاه عن البغي فيها ، وتذكره وتذلله لها وما صنع بها . وقريب منه في السيرة .
(٦) في ط : ويلج ، وفي ب : بحرمته .
(٧) يبور : يهلك .
(٨) العصم : الوعول ، لأنها تعتصم بالجبال . وثبير : جبل بمكة .

ويظــلّ يُطعــمُ أهلَهــا   لحــمَ المهــارَى والجـزَور[١]
يسقيهــمُ العسَــلَ المصفـ   ـفى والرَّحِيضَ من الشّعير[٢]
والفيــلُ أهلــكَ جيشَــه   يُــرمــون فيهــا بــالصّخــور
والملْـك فـي أقصَـى البـلا   دِ وفي الأعاجمِ والخُزير[٣]
فــاسمـع إذا حُــدّثــت وافْـ   ـهَمْ كيفَ عـاقبـةُ الأُمـور[٤]

قال ابن إسحاق : ثم خرج تُبَّع متوجّهاً إلى اليمن بمن مَعه من جنوده[٥] وبالحَبْرَين ، حَتَى إذا دخل اليمن ، دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبَوْا عليه حتى يحاكموه[٦] إلى النار التي كانت باليمن .

قال ابن إسحاق : حدّثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي[٧] مالك القُرَظي ، قال[٨] : سمعتُ إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدّث أن تُبَّعاً لما دنا من اليمن ليَدْخلها حالت حِمْير بينه وبين ذلك وقالوا : لا تدخلها علينا وقد خالفت[٩] ديننا ، فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خيرٌ من دينكم . قالوا : تُحاكمنا[١٠] إلى النار ؟ قال : نعم . قال : وكانت باليمن ـ فيما يزعم أهل اليمن ـ نارٌ تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ؛ تأكل[١١] الظالم ولاتضر المظلوم ، فخرج قومُه بأوثانهم وما يتقرّبون به في دينهم ، وخرج الحَبْرَان بمصاحفهما في أعناقهما متقلّدين حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منها ، فخرجت النارُ إليهم ، فلما خرجت[١٢] نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فزجرهم[١٣] من حَضَرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غَشِيتْهم ، فأكلت الأوثانَ وما قرّبوا معها ، ومَن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج الحَبران بمصاحفهما في أعناقهما تَعْرَق جباهُهما لم[١٤] تضرهما ،

(١) المهارى : الإبل النجيبة .
(٢) الرحيض : المنقَّى والمصفَّى .
(٣) في ط : والخزور . وفي ب : والجزير . والخزير : أمة من العجم .
(٤) كذا في ب وط ، والسيرة . وفي أ : خافهم إذا . . .
(٥) في ط : الجنود .
(٦) في ب : تحاكموا .
(٧) ليست في ب .
(٨) زيادة من ب ، وط ، والسيرة .
(٩) في ب وط : فارقت . وكذلك في السيرة .
(١٠) في ب : حاكمنا . وفي السيرة : فحاكمنا .
(١١) في ط : تأخذ .
(١٢) في ب ، وط : أقبلت . وكذلك في السيرة .
(١٣) في ب : فزبرهم . وفي السيرة : فزبرهم . والزبر : المنع والنهي . وذمرهم : حضهم وشجعهم .
(١٤) في ط : ولم .

فأصفقت[١] عند ذلك حمير على دينه[٢] ، فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن إسحاق : وقد حدّثني مُحدِّث أن الحَبْرَيْن ومَن خرج من حِمْير إنما اتَّبعوا النار ليردُّوها، وقالوا : من ردّها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال حِمير بأوثانهم ليردُّوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها ، ودنا[٣] منها الحَبْران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وتنكص[٤] عنهما حتى رداها إلى مخرجها الذي خرجت منه ، فأصفقت عند ذلك حِمير على دينهما . والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وكان رِئام بيتاً لهم يعظِّمونه وينحرون عنده ويكلّمون منه[٥] إذ كانوا على شركهم . فقال الحبران لِتُبّع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك[٦] فَخَلِّ بيننا وبينه . قال : فشأنكما به . فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود ، فذبحاه ، ثم هَدَما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم كما ذُكر لي بها آثار[٧] الدماء التي كانت تهراق عليه[٨] .

وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ : « لا تسبوا تُبّعاً فإنّه قد كان أسلم »[٩] قال السهيلي[١٠] : ورَوى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبُّوا أسعد الحميري فإنه أوّل من كسا الكعبة »[١١] .

قال السهيلي[١٢] : وقد قال تُبّع حين أخبره الحبران عن رسول الله ﷺ شعراً : [من المتقارب]

شهــدْتُ علــى أحمــدٍ أنــه ... رسـولٌ مـنَ الله بـاري النسـم
فلـو مُـدَّ عمـري إلـى عُمـره ... لكنـتُ وزيـراً لـه ، وابـنَ عـم
وجـاهـدت بـالسيـف أعـداءَه ... وفرّجتُ عن صدرِه كلَّ هم[١٣]

---

(١) في ب : فأصفقت حمير عند ذلك. . . وأصفقوا على الأمر : اجتمعوا عليه .
(٢) في ط : دينهما . وعبارة ط . بعد هذا . فمن هنالك كان أصل. . . .
(٣) في ط : فدنا .
(٤) في ط : وهي تنقص .
(٥) في ط : فيه .
(٦) زيادة من ط . والسيرة .
(٧) في ب : كما ذكر فيه آثار. . .
(٨) زاد في ب هاهنا قوله : ثم صار الملك فيما بعد. . .اليمامة . وسيأتي هذا بعد قليل في أ وط .
(٩) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٤٠) ، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .
(١٠) الروض الأنف (١/ ٣٦) .
(١١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ٣١) من رواية ابن مردويه ، والله أعلم به .
(١٢) الروض الأنف (١/ ٣٥) .
(١٣) كذا في ط ، وهو موافق لنص السهيلي : وفي أ وب : (عن وجهه) . وفي ب : (كل غم) .

قال : ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم ، وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه .

قال السهيلي[١] : وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور أن قبراً حُفر بصنعاء ، فوُجد فيه امرأتان معهما[٢] لوحٌ من فضة مكتوب فيه بالذهب[٣] ، وفيه : هذا قبر لَميس وحُبَّى ابنتي تُبَّع ماتتا وهما تشهدان أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له[٤] ، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما .

ثم صار الملك فيما بعد إلى حسان بن تُبَّان أسعد ، وهو أخو اليمامة الزرقاء التي صُلبت على باب مدينة جَوّ ، فسميت من يومئذ اليمامة .

قال ابن إسحاق[٥] : فلما ملك ابنه حسان بن أبي كرب تبَّان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم[٦] أرض العرب وأرض الأعاجم ، حتى إذا كان[٧] ببعض أرض العراق[٨] كرهت حِمير وقبائل اليمن السير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهليهم ، فكلّموا أخاً له يقال له : عمرو ، وكان معه في جيشه ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان ونملّكك علينا، وترجع بنا إلى بلادنا. فأجابهم. فاجتمعوا[٩] على ذلك إلا ذا رُعين الحِميري فإنه نهى عَمراً عن ذلك ، فلم يقبل منه ، فكتب ذو رعين رُقعة فيها هذان البيتان : [من الوافر]

أَلا مَـن يَشْتـري سَهَـراً بنـومٍ سعيـدٌ مَـن يبيـتُ قَـريـرَ عَيْـن
فإما حِميَرٌ غدَرتْ وخانَت فمعذرةُ الإلّه لِذي رُعَين[١٠]

[١١]ثمّ استودعها عمراً . فلما قَتَل عمرٌو أخاه حسان ورجع إلى اليمن ، مُنع منه النوم ، وسُلّط عليه السهر ، فسأل الأطباء والحُزاة[١٢] من الكهّان والعرّافين عما به ، فقيل له : إنه والله ما قَتلَ رجلٌ أخاه قط

---

(١) الروض الأنف (١/ ٣٦) . وفي ط : (وذكر) .
(٢) زيادة من ط ، والروض الأنف .
(٣) في ط : مكتوب بالذهب ، وفيه .
(٤) زيادة من ط موافقة لنص السهيلي .
(٥) السيرة (١/ ٢٨) .
(٦) زيادة من ب ، وط . موافقة لنص السيرة .
(٧) في ط : كانوا . وكذلك في السيرة .
(٨) زاد في ب : قال ابن هشام : بالبحرين فيما ذكر لي بعض أهل العلم . وهو كذلك في شرح السيرة .
(٩) كذا في ب ، وط . وهو موافق لنص السيرة ، والذي في أ : . . وأهليهم ، فاتفقوا مع أخيه عمرو على أن يقتله ويملكون عليهم ، وأصفقوا على ذلك .
(١٠) تاريخ الطبري (٢/ ١١٥)، ومجمع الأمثال (١/ ٧٣) . وهذه الأبيات أصبحت تضرب لمن غمط النعمة وكره العافية .
(١١) زاد في ب : كلاماً هو من تمام نص السيرة الذي تصرف به قليلاً المؤلف في نسخة أ وط .
(١٢) في ط : والحذّاق . وهو أصوب .

أو ذا رَحم بغياً[١] إلا ذهب نومه وسُلِّط عليه السهر ، فعند ذلك جعل يقتل كل[٢] من أمره بقتل أخيه[٣] ، فلما خلص إلى ذي رُعين قال له : إن لي عندك براءة . قال : وما هي ؟ قال : الكتاب الذي دفعتُه إليك . فأخرجه فإذا فيه البيتان ، فتركه ورأى أنه قد نصحه . وهلك عمرو ، فمرج أمرُ حمير عند ذلك وتفرَّقوا .

* * *

وثُوْبُ لخنيعة ذي شناتر على ملك اليمن

وقد ملكها سبعاً وعشرين سنة . قال ابن إسحاق[٤] : فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الملك يقال له : لَخْنِيْعَة ينوف ذو شَناتر ، فَقَتَل خيارَهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم[٥] ، وكان مع ذلك امرأً فاسقاً يعمل عَمل قوم لوط ، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مَشْرَبة[٦] له قد صنعها لذلك لئلا يَملِك بعد ذلك ، ثم يَطْلعُ من مشربته تلك إلى حرسه ومن حَضَر من جنده قد[٧] أخذ مِسواكاً فجعله في فِيه ليُعْلِمهم أنه قد فرغ منه . حتى بعث إلى زُرْعة ذي نواس بن تُبان أسعد أخي حسن وكان صبياً صغيراً حين قُتل أخوه حسان ، ثمّ شبَّ غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئةٍ[٨] وعقلٍ ، فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه ، فأخذ سكِّيناً حديداً[٩] لطيفاً ، فخبّأه بين قدميه[١٠] ونعله ، ثمّ أتاه ، فلما خلا معه وَثَب إليه ، فواثبه ذو نواس فَوَجَأَه حتى قَتَله ، ثُمّ حزَّ رأسه فوضعه في الكُوَّة التي كان يُشرف منها ، ووضع مسواكه في فيه ، ثمّ خرج على الناس فقالوا له : ذا نواس أَرُطَبٌ أَمْ يَباس ؟ فقال : سَلْ نحماس[١١]

---

(١) زاد في ب : على مثل ما قتلت أخاك عليه . وهو موافق لنص السيرة .

(٢) زيادة من ب وط . وكذلك في السيرة .

(٣) زاد في ب : من أشراف اليمن . وكذلك في السيرة .

(٤) السيرة (١/ ٢٩) . وقد سقط العنوان ومطلع هذا المقطع من ب تاريخ الطبري (٢/ ١١٧) .

(٥) زاد في ب : فقال قائل من حمير شعراً : [من الطويل]

تقتل أبناها وتنفي سراتها ... وتبني بأيديها لها الذل حمير
تدمر دنياها بطيش حلومها ... وما ضيعت من دينها فهو أكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها ... وإسرافها تأتي الشرورَ فتخسر

والنص هو من تمام نص السيرة .

(٦) المشربة : الغرفة المرتفعة .

(٧) في ب : وقد .

(٨) كذا في ط ، والسيرة ، وهو موافق للمعنى ، وفي أ وب : هيبة .

(٩) في ط : جديداً وهو تصحيف .

(١٠) كذا في ب ، وهو الأشبه بالصواب ، وموافق لنص السيرة . وفي أ وط : قدميه .

(١١) في السيرة : نخماس وأشار السهيلي إلى أنه يمكن أن يكون هو الصواب . وفيه أنه النحماس في لغتهم : الرأس . =

اسْتَرطُبان ذو نواس ، استرطبان لا باس ، فنظروا إلى الكُوَّة فإذا رأس لَخنيعة مقطوع ، فخرجوا في أثر ذي نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا غيرُك إذ أَرَحْتنا من هذا الخبيث ، فملّكوه عليهم ، واجتمعت[١] عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير ، وتَسَمَّى يوسف ، فأقام في مُلكه زماناً . وبنجران[٢] بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل ، أهل[٣] فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأسٌ يقال له : عبد الله بن الثامر[٤] .

ثمّ ذكر ابن إسحاق[٥] سبب دخول أهل نجران في دين النصارى ، وأن ذلك كان على يدي رَجُل يقال له : فَيْمِيُون كان من عُبّاد النصارى بأطراف الشام ، وكان مجاب الدعوة ، وصَحِبه رجلٌ يقال له : صالح ، فكانا[٦] يتعبّدان يوم الأحد ، ويعمل فيميون بقية الجمعة في البناء ، وكان يدعو للمرضى والزَّمْنَى[٧] وأهلِ العاهات فيشفون ، ثمّ استأسره وصاحِبَه بعضُ الأعراب ، فباعوهما بنجران ، فكان الذي اشترى فَيْميون يراه إذا قام في مُصَلاّه بالبيت الذي هو فيه في الليل يمتلىء عليه البيت نوراً ، فأعجبه ذلك من أمره ، وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة يعلّقون عليها حُليَّ نسائهم ويعكفون عندها ، فقال فيميون لسّيده : أرأيتَ إن دعوتُ الله على هذه الشجرة فَهَلَكَتْ أتعلمون أن الذي أنتم عليه باطل ؟ قال : نعم . فجمع له أهل نجران ، وقام فيميون إلى مُصَلاّه ، فدعا الله عليها ، فأرسل الله عليها قاصفاً[٨] فجعفها من أصلها ورماها إلى الأرض ، فاتَّبعه أهل نجران على دين النصرانية ، وحملهم على شريعة الإنجيل حتى حدثت فيهم الأحداث التي دخلت[٩] على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب .

= وأورد الأصفهاني الخبر بشكل يوضح المراد من هذه العبارة ، وفيه أن الحراس يصيحون بالخارج : أرطب أم يباس ، فلما خرج ذو نواس صاحوا : زرعة يا ذا نواس ، أرطب أم يباس؟ فقال : ستعلم الأحراس ، أاست ذي نواس رطب أم يباس (الأغاني ـ ثقافة ٢٢/ ٣٤٦) .

(١) كذا في ط . وفي أ : وأجمعت . وفي ب : فملكوه واجتمعت .

(٢) هذا من تتمة كلام ابن إسحاق .

(٣) كذا في ب وط ، والسيرة . وفي أ : فيهم فضل .

(٤) زاد في ب : وكان موقع أهل ذلك الدين بنجران ، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وأن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين يقال له فيمون . وهذه تتمة كلام ابن إسحاق ، وآخره : يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه ، فدانوا به . . تاريخ الطبري (٢/ ١٢١) .

(٥) السيرة (١/ ٣١) . وما بعدها .

(٦) في ط : فكان ، وهو خطأ .

(٧) الزمنى : الذين يطول مرضهم ولا يشفون منه .

(٨) زاد في ب : ريحاً قاصفاً . والجعف : القلع .

(٩) في ب : حلت .

ثمّ ذكر ابن إسحاق قصة عبد الله بن الثامر[١] حين تنصَّر على يدي فيميون ، وكيف قتله وأصحابه ذو نواس ، وخَدَّ لهم الأخدود ـ وقال ابن هشام : وهو الحفر المستطيل في الأرض مثل الخندق[٢] ـ وأجّج فيه النار وحرقهم بها ، وقتل آخرين حتى قَتَل قريباً من عشرين ألفاً ، كما قدّمنا ذلك مبسوطاً في أخبار بني إسرائيل ، وكما هو مستقصى في تفسير سورة ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾ من كتابنا « التفسير »[٣] ولله الحمد .

***

ذكر خروج المُلْك باليمن من حِميَر وصيرورته إلى الحبشة السودان[٤]

كما أخبر بذلك شِقٌّ وسَطيح الكاهنان . وذلك أنه لم ينج من أهل نجران إلا رجلٌ واحدٌ[٥] يقال له دوس ذو ثعلبان على فَرَس له ، فَسَلك الرمْلَ[٦] ، فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصرَ صاحب الروم[٧] ، فاستنصره على ذي نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، وذلك لأنه نصراني على دينهم . فقال له : بعدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة ، فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك . فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره . فقَدِم دَوْس على النجاشي بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة ، وأمَّر عليهم رجلاً منهم يقال له : أرياط ومعه في جنده أبرهة الأشرم ، فركب أرياطُ البحرَ حتى نزل ساحل[٨] اليمن ، ومعه دوس ، وسار إليه ذو نواس في حِمْير ومَن أطاعه من قبائل اليمن . فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ، ثم ضربه فدخل فيه فخاض به ضَحْضاح[٩] البحر حتى أفضى به إلى غَمْرِه فأدخله فيه[١٠] ، فكان آخر العهد به ، ودخل أرياط اليمن فملكها[١١] .

---

(١) السيرة (١/ ٣٤) .
(٢) السيرة (١/ ٣٦) .
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩١) .
(٤) في ط : خروج الملك باليمن من حمير إلى الحبشة السودان .
(٥) تفصيل الخبر في السيرة (١/ ٣٧) ، وتاريخ الطبري (٢/ ١٢٥) .
(٦) كذا في ب وط ، وهو موافق لنص السيرة . وفي أ : الرجل .
(٧) في ط : ملك . وكذلك في السيرة .
(٨) في ط : بساحل .
(٩) الضحضاح من الماء : الذي يظهر منه القعر .
(١٠) كذا في ب ، وهو موافق لنص السيرة ، وأقرب إلى المعنى . وفي أ : غمرة فأدخله فيها . . وفي ط : غمره . . والغَمْر : الماء الكثير .
(١١) في ب وط : وملكها .

وقد ذكر ابن إسحاق هاهنا[١] أشعاراً للعرب فيما وقع من هذه الكائنة الغريبة ، وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ، ولكن تركنا إيرادها خشية الإطالة ، وخوف الملالة . وبالله المستعان .

* * *

ذكر خروج أبرهة الأشرم على أرياط واختلافهما ، واقتتالهما ، وصيرورة ملك اليمن إلى أبرهة بعد قتله أرياط[٢]

قال ابن إسحاق[٣] : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين[٤] في سلطانه ذلك ، ثمّ نازعه أبرهة حتى تفرقت الحبشة بينهما[٥] . فانحاز إلى كل منهما طائفةٌ ، ثم[٦] سار أحدهما إلى الآخر . فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط إنك لا تصنع[٧] بأن تلقى الحبشةُ بعضُها ببعض حتى تفنيها شيئاً شيئاً[٨] ، فابرُزْ لي وأبرُزُ لك ، فأيّنا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ . فخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً لحِيماً[٩] وكان ذا دين في النصرانية ، وخرج إليه أرياط ، وكان رجلاً جميلاً عظيماً طويلاً وفي يده حَربةٌ له ، وخلف أبرهة غلام يقال له : عَتَوْدَة يمنع ظهرَه ، فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخَه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه[١٠] وشفته ، فبذلك سُمي أبرهة الأشرم . وحمل عَتَودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى[١١] أبرهة . فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وَوَدَى[١٢] أبرهةُ أرياطَ . فلما بلغ ذلك النجاشي [ملك الحبشة الذي بعثهم إلى اليمن][١٣] غضب غضباً شديداً على أبرهة ، وقال : عَدَا عَلَى أميري فقتله بغير أمري ، ثمّ حَلَف

---

(١) السيرة (١/ ٣٨) وما بعدها .
(٢) نقص العنوان في ط عما هاهنا ، وهو ثمة : خروج أبرهة الأشرم على أرياط واختلافهما . قال ابن إسحاق . .
(٣) السيرة (١/ ٤١) . وانظر تاريخ الطبري (٢/ ١٢٨) .
(٤) كذا في ب وط . وهو موافق لنص السيرة . وفي أ : سنتين .
(٥) في ط : عليهما . وكذلك في السيرة .
(٦) في ب : إلى كل واحد منهما أناس منهم ثم .
(٧) في ط : لن تضيع .
(٨) في ب : بشيء .
(٩) اللحيم : الكثير لحم الجسد .
(١٠) في ب : أنفه وعينه .
(١١) في أ : على .
(١٢) في ب : ووارى . ووداه : دفع ديته .
(١٣) سقطت من ب .

أن[١] لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجزَّ ناصيته ، فحلق أبرهة رأسَه وملأ جُراباً من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشي ، ثم كتب إليه : أيها الملك إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدُك ، فاختلفنا في أمرك ، وكلٌّ طاعتُه لك ، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه . وقد حَلَقْتُ رأسي كله حين بلغني قسمُ الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب[٢] من أرضي ليضعه تحت قدميه[٣] فيبرَّ قسمه فيّ . فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه وكتب إليه أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري ، فأقام أبرهة باليمن[٤] .

***

ذكر سَبب قصد أبرهة بالفيل مكّة ليخرب الكعبة فأهلكه الله عاجلاً غير آجل ، كما قال سبحانه وتعالى[٥] :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾ [الفيل : ١ ـ ٥] .

قيل : أول من ذلَّل الفِيَلة إفريدون بن أثفيان[٦] الذي قَتَل الضحّاك ، قاله الطبري[٧] . وهو أول من اتخذ للخيل السرج . وأما أول من سخَّر الخيل وركبها فطهمورث[٨] وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا . ويقال : إن أول من ركبها إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب . والله تعالى أعلم .

ويقال : إن الفيل مع عظمة خلقه يَفْرَقُ[٩] من الهر . وقد احتال بعض أمراء الحروب في قتال

---

(١) ليست في ط .
(٢) كذا في ب وط . وهو موافق للسيرة . وفي أ : من تراب اليمن من أرضي .
(٣) في ط : قدمه .
(٤) زاد في ب : وحكى السهيلي أن النجاشي بعث أرياط بعد أبرهة شفقاً عليه ينصره في طاعته ، فخالفه أبرهة وامتنع أن يسلم اليمن إليه ، فاقتتلا ، فلما قتل عتودة أرياط قال له أبرهة : تَمَنَّ عليَّ . قال : أريد أن لا تُزفَّ امرأة بكر في اليمن أو غيرها إلا جيء بها إلي قبله فأقضي وطري منها ، ثم أردها إليه . فأجابه إلى ذلك . فلما طال على أهل اليمن ذلك قتلوا عتودة غيلة ، فلم يعنفهم أبرهة ، ولم يطلبهم بدمه .
(٥) الذي في ط : سبب قصد أبرهة بالفيل مكة ليخرب الكعبة . ألم تر . .
(٦) ليست في ب .
(٧) تاريخه (١/ ٢١٤) ، وخبر قتل الضحاك ثمة .
(٨) تاريخ الطبري (١/ ١٧٢) .
(٩) في ب : عظم خلقه يهرب . والفَرَق : الخوف والفزع .

الهنود بإحضار سنانير[١] إلى حومة الوغى فنفرت الفيلة .

قال ابن إسحاق[٢] : ثمّ إن أبرهة بنى القُلَّيْس بصنعاء ، كنيسةً[٣] لم يُرَ مثلُها في زمانها بشيء من الأرض ، وكتب إلى النجاشي إني قد بنيت لكَ كنيسةً لم يُبْنَ مثلُها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حجَّ العرب .

فذكر السهيلي[٤] أن أبرهة استذلَّ أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخسيسة ، وسخَّرهم فيها أنواعاً من السّخر . وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة . وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رُخاماً وأحجاراً وأمتعة عظيمة ، وركّب فيها صلباناً من ذهب وفضة . وجعل فيها منابر من عاج وأبنُوس ، وجعل ارتفاعها عظيماً جداً ، واتساعها باهراً . فلما هلك أبرهة بعد ذلك وتفرقت[٥] الحبشة كان من يتعرض لأخذ شيء من بنائها وأمتعتها أصابته الجنُّ بسوءٍ . وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنمين ـ كُعَيْب وامرأته ـ وكان طول كلّ منهما ستين ذراعاً . فتركها أهل اليمن على حالها . فلم تزل كذلك إلى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس ، فبعث إليها جماعة من أهل العزم والحزم والعلم فنقضها حجراً حجراً ، واندثرت إلى يومك هذا[٦] .

قال ابن إسحاق : فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي ، غضب رجلٌ من النَّسَأَة[٧] من كنانة الذين ينسؤون شهر الحرام إلى الحل بمكة أيام الموسم كما قررنا ذلك عند قوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ . . . . الآية[التوبة : ٣٧] قال ابن إسحاق : فخرج الكناني حتى أتى القُلَّيس ، فقعد فيه ، أي أَحْدث حيث لا يراه أحدٌ ، ثم خرج فلحق بأرضه . فأُخْبِر أبرهةُ بذلك . فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنعه رجلٌ من أهل هذا البيت الذي تحجّه العرب بمكة لما سمع بقولك إنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا ، فغضب ، فجاء ، فقعد فيه . أي إنه ليس لذلك أهل . فغضب أبرهة عند ذلك ، وحلف ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمه . ثمّ أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت . ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب ، فأعظموه وفظعُوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هَدْم الكعبة بيت الله

---

(١) السنانير : مفردها سنور .
(٢) السيرة (١/ ٤٣) .
(٣) في ب : فبنى الكنيسة .
(٤) في ب : وقد ذكر والخبر في الروض الأنف (١/ ٦٣) .
(٥) في ط : بعد ذلك أبرهة . . . وفي ب : وتمزقت الحبشة .
(٦) في ط : ودرست آثارها إلى يومنا هذا .
(٧) قال ابن إسحاق : النسأة : الذين كانوا ينسؤون ـ أي يؤخرون ـ الشهور على العرب في الجاهلية ، فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ليواطئوا عدّة ما حرم الله ، ويؤخرون ذلك الشهر . السيرة (١/ ٤٣) .

الحرام . فخرج إليه رجلٌ وكان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر ، فدعا قومَه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام[١] وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، ثم عَرَض له فقاتله . فَهُزِم ذو نَفْر وأصحابه ، وأُخِذَ له ذو نفر فَأُتي به أسيراً ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : يا أيها الملك لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من القتل ، فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق ، وكان أبرهة رجلاً حليماً ، ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نُفيل بن حبيب الخثْعمي في قبيلَتي خَثْعم ، وهما شَهْران وناهس ومن تَبِعه من قبائل العرب ، فقاتله ، فهزمه أبرهة ، وأُخِذَ له نُفيل أسيراً ، فأُتي به ، فلما هَمَّ بقتله قال له نفيل : أيها الملك[٢] لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم - شهران وناهس - بالسمع والطاعة . فخلّى سبيله وخرج به معه يدله . حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف ، فقالوا له : أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا[٣] خلاف . وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه . فتجاوز عنهم .

قال ابن إسحاق : واللات بيت لهم بالطائف ، كانوا يعظّمونه نحوَ تعظيم الكعبة . قال فبعثوا معه أَبا رِغال يدلُّه على الطريق إلى مكة . فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالمغمّس[٤] . فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فَرَجَمَتْ قبرَه العربُ ، فهو القبر الذي يَرْجُم الناسُ بالمغمّس .

وقد تقدّم في قصّة ثمود أن أبا رغال كان رجُلاً منهم ، وكان يمتنع بالحرم ، فلما خرج منه أصابه حَجَرٌ فقتله ، وأن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « وآية ذلك أنه دُفن معه غصنان من ذهب »[٥] ، فحفروا فوجدوهما . قال : وهو أبو ثقيف .

قلت : والجمع بين هذا وبين ما ذَكَر ابنُ إسحاق أن أبا رغال هذا المتأخر وافق اسمه اسم جده الأعلى ، رجمته الناس كما رجموا قبر الأول أيضاً والله أعلم . وقد قال جرير[٦] : [من الوافر]

إذا ماتَ الفَرَزْدَقُ فارْجُموه ... كرجمِكُمُ لقبرِ أبي رِغَالِ

الظاهر أنه الثاني .

---

(١) زيادة من ب ، وط . موافقة لنص السيرة . وفي ط : وما يريده .
(٢) زيادة من ط ، موافقة لنص السيرة .
(٣) في ب ، وط : ليس عندنا لك .
(٤) في ب : المغمس . وهو موضع بطريق الطائف إلى مكة .
(٥) أخرجه أبو داود في سننه : (٣٠٨٨) ، في الخراج والإمارة ، باب نبش القبور العادية وإسناده ضعيف .
(٦) ليس في ديوانه ، بتحقيق الدكتور نعمان طه .

قال ابن إسحاق : فلما نزل أبرهة المغمِّس بَعَث رجلاً من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة . فساق إليه أموال أهل تِهامة من قُريش وغيرهم . وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ـ وهو يومئذ كبير قُريش وسيِّدها ـ فهمَّت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم(١) بقتاله . ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك . وبَعث أبرهة حُنَاطَة الحميري إلى مكة ، وقال له : سَلْ عن سيّد أهل هذا البلد وشريفهم ، ثمّ قل له : إن الملك يقول إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تعرضوا دونه(٢) بحرب ، فلا حاجة(٣) لي بدمائكم ، فإن هو لم يرد حربي فائتني به . فلما دخل حُناطة مكّة سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم . فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، ومالنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ـ أو كما قال ـ فإن يمنعه منه فهو حَرَمُه وبيته(٤) ، وإن يُخَلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دَفْعٌ عنه . فقال له(٥) حُنَاطة : فانطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك . فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذي نَفْر ـ وكان له صديقاً ـ حتى دخل عليه وهو في محبسه ، فقال له : يا ذا نفر هل عندك من غَناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غَناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غُدوّاً أو عشيّاً ؟ ما عندي غَناء في شيء مما نزل بك ، إلا أن أُنَيْساً سائسَ الفيل صديق لي ، فسأرسل إليه فأوصيه(٦) بك وأعظم عليه(٧) حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك . فقال : حسبي . فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة ، يُطعم الناس بالسهل ، والوحوشَ في رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مئتي بعير(٨) ، فاستأذِنْ له عليه وانفعْه عنده بما استطعت . قال : أَفْعَلُ . فكلّم أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عين مكة ، وهو الذي يطعم الناس بالسهل ، والوحوشَ في رؤوس الجبال ، فائذن له عليك فليكلمك في حاجته . قال(٩) : فأذن له أبرهة . وكان عبد المطلب أوسَم الناس وأعظمهم

(١) في ب : ومن كان من أكابر الحرم .
(٢) في ط : لنا دونه .
(٣) في ب : له .
(٤) في ب : بيته وحرمه .
(٥) ليست في ب .
(٦) في ب وط : وأوصيه .
(٧) زيادة من ب ، وط ، موافقة لنص السيرة .
(٨) في عبارة ب هاهنا بعض التصرف مما يخالف الأصل ونص السيرة ، ولا جديد في ذلك .
(٩) ليست في ط . وفيه : فأذن له أبرهة قال وكان . . .

وأجملهم[١] ، فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه عن[٢] أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه[٣] على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره[٤] فجلس على بساطه وأجلسه إلى[٥] جانبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك[٦] ؟ فقال له ذلك الترجمان[٧] ، فقال : حاجتي أن يرد عليّ الملك مئتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : لقد[٨] كنتَ أعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدتُ فيك حين كلمتني . أتكلّمني في مئتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لأهدمه[٩] لا تكلّمني فيه !؟ فقال له عبد المطلب : إني أنا ربُّ الإبل ، وإن للبيت ربّاً سيمنعه . فقال : ما كان ليمتنع مني . قال : أنت وذاك[١٠] . فردّ على عبد المطلب إبلَه .

قال ابن إسحاق : ويقال إنه كان قد دخل مع عبد المطلب على أبرهة يَعْمَر بن نُفاثة بن عدي بن الدِّيل ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، سيد[١١] بني بكر ، وخويلد بن وائلة سيد[١٢] هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، فأبى عليهم ذلك[١٣]، فالله أعلم أكان ذلك أم لا[١٤].

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرُّز في رؤوس الجبال[١٥] . ثمّ قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفرٌ من قريش

---

(١) في ب : وأجملهم وأعظمهم .
(٢) زيادة من ب ، وط . والسيرة .
(٣) في ب : يجلس على .
(٤) قوله : منزل . . سريره . ليس في ب .
(٥) في ط : وأجلسه معه عليه إلى . . وكذلك في السيرة .
(٦) في ب : ما حاجتك .
(٧) زيادة من ب ، وط . والسيرة .
(٨) في ب : قد . وكذلك في السيرة .
(٩) في ب : لهدمه . وكذلك في السيرة .
(١٠) عبارة ب بعد هذا : قال : وكان فيما زعم أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة ـ حين بعث إليه حناطة ـ يعمر بن نفاثة . . وكذلك في السيرة .
(١١) في ب : وهو يومئذ سيد . . وكذلك في السيرة .
(١٢) في ب : الهذلي ، وهو يومئذ . . وكذلك في السيرة .
(١٣) ليست في ب . وكذلك في السيرة .
(١٤) زاد في ب : فرد أبرهة الإبل على عبد المطلب التي أصاب له . ومثله في السيرة .
(١٥) في ب : في شَعَف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم معرة الجيش . ثم . . . . ومثله في السيرة .
والتحرّز : التمنع . وشعف الجبال : رؤوسها . والشعاب : المواضع الخفية بين الجبال . ومعرة الجيش : شدته .

يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده . وقال عبد المطلب ـ وهو آخذ بحلقةباب[١] الكعبة ـ :[م الكامل]

لا هُـــمَّ إنّ العبـــدَ يمـ ـنع رَحْلَه فامنَعْ حِلالك[٢]
لا يَغلِبَـــنَّ صَليبُهـــم وَمِحَالُهم غَدْواً مِحالَك[٣]

قال ابن هشام : هذا ما صح عندي[٤] له منها .

وقال ابن إسحاق[٥] : ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال يتحرَّزون[٦] فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ . فلما[٧] أصبح أبرهة تهيّأ لدخول مكة ، وهيأ فِيلَه ، وعبّى جيشه ، وكان اسم الفيل محموداً ، فلما[٨] وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ، ثم أخذ بأذنه فقال : ابرُكْ محمود وارجع راشداً من حيث جئت[٩] ، فإنك في بلد الله الحرام ، وأرسل[١٠] أذنه . فبرك الفيل .

قال السهيلي[١١] : أي سقط إلى الأرض ، وليس من شأن الفيلة أن تبرك . وقد قيل إن منها ما يبرك كالبعير ، فالله أعلم .

وخرج نُفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا رأسه

---

(١) كذا في ب ، وط ، وهو موافق لنص السيرة . وفي أ : بباب .
(٢) في ط : رحالك . والحِلال : جماعة البيوت ، ومتاع البيت .
(٣) غدواً : أي غداً .
وزاد في ط بيتاً آخر : [من الرجز]
إن كنـــت تـــاركهـــم وقبـ ـلتنـا فـأمـر مـا بـدا لـكْ
وهو في السيرة زيادة عن الواقدي .
(٤) ليست في ط . ولا في نص السيرة .
(٥) زاد في ب : قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي :
لا هـم أَخز الأسود بـن مقصـودْ الآخـذَ الهجمـة فيهـا التقليـدْ
بيـن حـراء وثبيـر فـالبيـدْ يحبسهـا وهـي أولات التطـريـدْ
فضمهـا إلـى طمـاطـم سـود أخفـره يـا رب وأنـت محمـود
قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . . وهذا من تمام نص السيرة .
(٦) في ب : فتحرزوا .
(٧) زاد في ب : فاعل بمكة إذا دخلها ، فلما . . . وكذلك في السيرة .
(٨) في ب : وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن . فلما . . وكذلك في السيرة .
(٩) في ط : أتيت .
(١٠) في ب : ثم أرسل . وكذلك في السيرة .
(١١) قول السهيلي سقط من ب . وهو في الروض (١/ ٧١) .

بالطَّبَرْزين(١) ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجنهم(٢) في مَرَاقّه فبزغوه بها ليقوم ، فأبى . فوجّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول . ووجّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك . ووجّهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان(٣) ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجرٌ في منقاره وحجران في رجليه ، أمثال الحِمَّص والعدس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هَلَك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤوا . ويسألون عن نُفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل(٤) في ذلك : [من الوافر]

ألا حُيّيتِ عنّا يا رُدَينا نَعِمناكُم معَ الإصباحِ عَيْنا
رُدَيْنةُ لو تَرينَ ولا تَرُيْه لَدى جَنْبِ المحصَّبِ ما رأينا(٥)
إذاً لعذَرْتِني وحَمِدْتِ أمري ولَم تأسَيْ علَى ما فاتَ بَيْنا
حَمِدتُ الله إذْ أبصَرْتُ طَيراً وخِفْتُ حِجارةً تُلقَى علَينا(٦)
فكلُّ القَومِ يسألُ عن نُفَيل كأنّ عليّ للحُبْشانِ دَينا(٧)

قال ابن إسحاق(٨) : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون [بكل مَهْلَك](٩) على كل مَنْهل . وأُصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنْملة [أُنملة](١٠) ، كلما سقطت أُنملة أتبعتها منه مِدَّة تَمُثُّ(١١) قيحاً ودماً حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر . فما مات حتى انصدَع صدرُه

---

(١) الطبرزين : آلة من حديد . والطبر ، بالفارسية : الفأس . وفي المعرب للجواليقي (٢٢٨) : والطبرزين : فارسي . وتفسيره : فأس السرْج . لأن فرسان العجم تحمله معها يقاتلون به .

(٢) في ب ، وط : محاجن لهم . ومثله في السيرة . والمحجن : عصا معوجة ، وقد يجعل في طرفها حديد . ومراقّه : أسفل بطنه . وبزغوه : أدموه .

(٣) الخطاطيف : جمع خُطّاف ، وهو طائر أسود . والبلسان : لعلها الزرازير .

(٤) في ب ، زيادة : فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته : [من الرجز]
أيـن المفر والإلـه الطـالـب والأشرم المغلوب ليس الغالب
قال ابن هشام : قوله : ليس الغالب ، عن غير ابن إسحاق . وهذا من تمام نص السيرة .

(٥) في ب ، وط : لو رأيت . وكذلك في السيرة . وفي ط : ولا . . ومثله في السيرة . والمحصب : موضع فيما بين مكة ومنى .

(٦) في ب : أن أبصرت . وفي أ : ترمى . وأثبت ما في ب ، وط . لموافقته ما في السيرة .

(٧) في ط : وكل . وكذلك في السيرة .

(٨) ليست في ب .

(٩) زيادة من ط ، توافق نص السيرة .

(١٠) زيادة من ب ، وط ، والسيرة . وقوله : يسقط أنملة أنملة ، أي ينتثر جسمه . الروض الأنف (١/ ٧٤) .

(١١) تمث : ترشح . والمدة : ما يجتمع في الجرح من القيح .

[عن قلبه][(١)] فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق[(٢)] : حدثني يعقوب بن عُتبة أنه حُدّث أن أول ما رؤيت الحصْبة والجُدَري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤي بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعُشَر[(٣)] ذلك العام .

قال ابن إسحاق : فلما بعثَ اللهُ محمداً ﷺ كان مما يعد[(٤)] الله على قريش من[(٥)] نعمته عليهم وفضله ما ردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾ [الفيل : ١ ـ ٥] .

ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه السورة والتي بعدها[(٦)] . وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا « التفسير »[(٧)] بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى . وله الحمد والمنة .

قال ابن هشام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه[(٨)] . قال وأما السِّجّيل ، فأخبرني يونس النحوي وأبو عُبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال : وزعم بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة[(٩)] واحدة ، وأنهما[(١٠)] (سَنْجُ) و (جِل)[(١١)] فالسنج : الحجر ، والجل : الطين . يقول الحجارة[(١٢)] من هذين الجنسين الحجر والطين . قال : والعَصْفُ : ورق الزرع الذي لم يقصَّب .

وقال الكسائي : سمعت بعض النحويين يقول : واحد الأبابيل إبّيل[(١٣)] . وقال كثيرون من السلف : الأبابيل : الفِرق من الطير التي يتبع بعضها بعضاً من هاهنا وهاهنا .

---

(١) زيادة من ب ، وط ، والسيرة .
(٢) قول ابن إسحاق هذا إلى آخر الآية سقط من ب .
(٣) العشر : شجر مر له صمغ ولبن . من فصيلة الحنظل والحرمل .
(٤) في ب ، وط : يعدد .
(٥) زيادة من ب ، وط ، والسيرة .
(٦) السيرة (١/ ٥٥) .
(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٨) ، وما بعدها .
(٨) كذا في ط . وهو موافق لنص السيرة . وفي أ وب : ولم تتكلم العرب بواحدة .
(٩) ليست في ب .
(١٠) في ط : وأنها .
(١١) في المعرّب : قال ابن قتيبة : السجيل بالفارسية : (سنك) و(كل) أي : حجارة وطين . (١٨١) .
(١٢) زيادة من ط . والسيرة .
(١٣) أورد الطبري في تفسيره (٣٠/ ١٩١) وما بعدها معظم الآراء التي جاءت في تفسير هذه الكلمة .

وعن ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكُفٌّ كأكفِّ الكلاب .

وعن عكرمة كانت رؤوسها كرؤوس السباع ، خرجت عليهم من البحر ، وكانت خضراً . وقال عبيد بن عمير : كانت سُوداً بحرية في مناقيرها وأكفها الحجارة .

وعن ابن عباس : كانت أشكالها كعنقاء مُغرب[١] .

وعن ابن عباس كان أصغر حجر منها كرأس الإنسان ، ومنها ما هو كالإبل . وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق . وقيل : كانت صغاراً . والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة[٢] ، حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عُبيد بن عُمير قال : لما أراد الله أن يُهلك أصحابَ الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف ، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزّعة[٣] ، حجرين في رجليه وحجراً في منقاره ، قال : فجاءت حتى صفت على رؤوسهم . ثم صاحَت وأَلْقت ما في رجليها ومناقيرها . فما يقع حجر على رأس رجل إلّا خرج من دبره . ولا يقع على شيء من جسده إلّا خرج من الجانب الآخر . وبعث الله رِيحاً شديدةً فضربت الحجارة فزادتها شدة ، فأهلكوا جميعاً .

وقد تقدّم أن ابن إسحاق قال : وليس كلّهم أصابته الحجارة ، يعني بل رَجَع منهم راجعون إلى اليمن حتى أَخْبروا أهلَهم بما حلّ بقومهم من النّكال .

وذكروا أن أبرهة رجع وهو يتساقط أُنملة أنملة ، فلما وصل إلى اليمن انصَدَع صدرُه فمات ، لعنه الله[٤] .

وروى ابن إسحاق قال : حدّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عمْرة[٥] ، عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعْميَيْن مُقْعَدَين يستطعمان .

وتقدم أن سائس الفيل كان اسمه أُنيسا ، فأما قائده فلم يُسم . والله أعلم .

---

(١) عنقاء مغرب ، يضرب بها المثل في الشيء الذي يُسمَع به ولا يُرى ، يقال : (أعز من عنقاء مغرب) . ثمار القلوب (٤٥٠) .

(٢) في أ وط : محمد بن عبد الله بن أبي شيبة . وأثبت ما في ب ، فهو الصواب ومثله في تفسير المؤلف (٤/ ٥٥١) وأبو زرعة روى عن عبد الله بن محمد ، وعبد الله أخذ عن أبي معاوية . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٢ ـ ١٢٣) .

(٣) سقطت من ط . والمجزعة : المقطعة .

(٤) ذكره ابن إسحاق في السيرة (١/ ٥٤) .

(٥) كذا في ب ، وهو موافق لنص السيرة ، وهو الصواب . وفي أ . وط : سمرة وهو تحريف . وعمرة هي ابنة عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، كما في السيرة (١/ ٥٧) .

وذكر النقّاش[١] في « تفسيره » أن السيل احتمل جُثثَهم فألقاها في البحر .

قال السهيلي[٢] : وكانت قصة الفيل في المحرم من[٣] سنة ست وثمانين وثمانمئة[٤] من تاريخ[٥] ذي القرنين .

قلت : وفي عامها ولد رسول الله ﷺ على المشهور . وقيل : كان قبل مولده بسنين ، كما سنذكر إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

ثم ذكر ابن إسحاق[٦] ما قالته العرب من الأشعار في هذه الكائنة العظيمة التي نَصَرَ اللهُ فيها بيتَه الحرام الذي يُريد أن يشرّفه ويعظّمه ويطهّره ويوقّره ببعثة محمد ﷺ وما يشرع له من الدين القويم الذي أحد أركانه الصلاة ، بل عماد دينه ، وسيجعل قبلته إلى هذه الكعبة المطهّرة . ولم يكن ما فعله بأصحاب الفيل نُصْرَةً لقريش إذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة ، فإن الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها[٧] من مشركي قريش ، وإنما كان النصر للبيت الحرام ، وإرهاصاً وتوطئة لبعثة محمد ﷺ .

فمن ذلك ما قاله عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهمي[٨] : [من الكامل]

فَتَنَكّلوا عن بطنِ مكّة إنّها ... كانتْ قديماً لا يُرام حَرِيْمُها[٩]
لم تُخلَق الشِّعرى لياليَ حُرّمت ... إذْ لا عزيزَ من الأنامِ يرومُها
سائلْ أميرَ الحُبْشِ عنها ما رأى ... فلسوفَ يُنبي الجاهلينَ عليمُها[١٠]
ستّون ألفاً لم يَؤوبوا أرضَهم ... بلْ لم يعشْ بعدَ الإيابِ سَقيمُها
كانتْ بها عاد وجُرْهُم قبلَهم ... واللهُ من فوقِ العبادِ يُقيمها[١١]

---

(١) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ، أبو بكر ، النقاش ، علّامة ، مفسر ، شيخ القراء . له عدة كتب . ولد سنة (٢٦٦هـ) وتوفي سنة (٣٥١هـ) . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٣) .
(٢) الروض الأنف (١/ ٧٢) عن تفسير النقاش .
(٣) في ط : أول المحرم وهو موافق لنص السهيلي .
(٤) في الروض الأنف : سنة اثنتين وثمانين .
(٥) زيادة من ط ، توافق نص السهيلي .
(٦) السيرة (١/ ٥٧) .
(٧) في ب : أقرب حالاً .
(٨) أحد شعراء الدعوة الإسلامية . توفي سنة (١٥هـ) . والأبيات في ديوانه (٤٩) .
(٩) في ط ، وديوان ابن الزبعرى : تنكلوا وعلى هذه الرواية يصاب البيت بالوقص .
(١٠) في الديوان ، والسيرة : الجيش . . . ولسوف .
(١١) سقط هذا البيت من ب .

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت الأنصاري المدني[(١)] : [من المتقارب]

ومِنْ صُنعهِ يومَ فيلِ الحبُو ... شِ إذْ كلّما بعثُوه رَزَم[(٢)]
محاجنهم تحتَ أقرابه ... وقدْ شَرَموا أنفَه فانخرَم[(٣)]
وقد جَعلوا سوْطَه مِغْولاً ... إذا يَمّموه قَفَاهُ كُلِم[(٤)]
فولّى وأَدبَرَ أدراجَه ... وقدْ باءَ بالظلم من كان ثَم
فأرسل من فوقهم حاصباً ... فلفّهمُ مثلَ لفّ القُزُم[(٥)]
تحثّ على الصّبر أحبارُهم ... وقد ثأَجوا كثُؤاجِ الغَنَم[(٦)]

ومن ذلك قول أبي الصلت ربيعة[(٧)] بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقفي . قال ابن هشام : ويروي لابنه أمية[(٨)] ابن أبي الصلت : [من الخفيف]

إن آياتِ ربّنا باقياتٌ ... ما يُماري فيهنّ إلا الكَفُور[(٩)]
خلَق الليلَ والنهارَ فكلٌّ ... مستبينٌ حسابُهُ مقدور
ثم يجلو النهارَ ربٌّ رحيم ... بِمَهَاةٍ شُعاعُها مَنشورُ[(١٠)]
حَبسَ الفيلَ بالمغمّس حتّى ... صَارَ يحبو كأنه مَعْقُورُ[(١١)]
لازماً حَلْقَة الجِرانِ كما قُطِّـ ... ـر من ظهرِ كَبْكَبٍ مَحْدُور[(١٢)]

---

(١) أبو قيس صيفي بن عامر الأسلت شاعر جاهلي حكيم ، أدرك النبي ولقيه وتريث في إعلان إسلامه ، ومات قبل أن يسلم في السنة الأولى للهجرة .
والأبيات في ديوانه (٩٠) بتحقيق د . حسن محمد باجودة .
وقال ابن هشام : والقصيدة أيضاً تروى لأمية بن أبي الصلت . السيرة (١/ ٥٩) .
والأبيات في ديوان أمية (٤٩٢) بتحقيق أستاذنا د . عبد الحفيظ السطلي .
(٢) رزم البعير والرجل : إذا كان لا يقدر على النهوض إعياءً أو هزالاً .
(٣) المحاجن : العصي المعوجة كالصولجان . والأقراب : مفردها قُرْب ، وهو الخاصرة .
(٤) المغول : سيف دقيق غمده كالسوط . وكُلم : جُرح .
(٥) في أ ، ب يلفهم وأثبت رواية ط ، والديوان والسيرة ، فهي أولى وأقرب للمعنى . والحاصب : ريح شديدة تحمل التراب . والقُزُم : مفردها قَزَم ، وهو اللئيم الدنيء الصغير الجثة .
(٦) في ب ، وط ، والديوان : تحض . والثؤاج : صياح الغنم .
(٧) ليست في السيرة . وفي اسم أبي الصلت خلاف . ديوان أمية (٣٣) .
(٨) في ط : ويروي لأمية : والأبيات في ديوان أمية (٣٩١) وتخريجها ثمة .
(٩) في ط ، والسيرة ، والديوان : ثاقبات .
(١٠) المهاة : الشمس .
(١١) المغمس : موضع في طرف الحرم . والعقر : أن تقطع إحدى قوائم البعير قبل نحره كيلا يشرد عند النحر .
(١٢) في ط : قد من صخر . والجِران : باطن العنق . وقُطّر : ألقي من علو على قطره، أي جانبه. وكبكب: جبل بمكة خلف عرفات.

حـولَـه مـن ملـوك كِنـدة أبطـا ... لٌ ملاويثُ في الحروب صُقُور[(١)]
خَلَّفـوه ثـم ابـذَعَـرُّوا جَميعـاً ... كُلُّهـم عَظْـمُ سـاقـهِ مَكْسـور[(٢)]
كـلُّ دِيـنٍ يـومَ القيـامـة عنـدَ اللَّـ ... ـــه إلّا ديـــنَ الحنيفــةِ بُــورُ

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت[(٣)] أيضاً : [من الطويل]

فقُـومـوا فَصَلّـوا ربَكـم وتمسحـوا ... بأركانِ هذا البيت بين الأخاشبِ[(٤)]
فعِنــدكــمُ منــهُ بـــلاءٌ مُصَـــدَّق ... غـداة أبـي يكسـوم هـادي الكتـائب
كتيبتُــه بــالسهــلِ تَمشـي ورَجْلُـه ... على القاذفاتِ في رؤوسِ المناقبِ[(٥)]
فلما أتاكم نصرُ ذي العرش ردَّهم ... جنودُ المليكِ بين سَافٍ وحاصبِ[(٦)]
فـولَّـوا سِـراعـاً هـاربيـن ولـم يـؤب ... إلى أهله مِلحُبْش غيرُ عصائبِ[(٧)]

ومن ذلك قول عبد[(٨)] الله بن قيس الرُّقَيّات في عظمة البيت وحمايته بهلاك من أراده بسوءٍ : [من الخفيف]

كـادَهُ الأشْـرَم الـذي جـاءَ بـالفيـ ... ــلِ فَـوَلّـى وجَيْشُـه مَهْـزُومُ[(٩)]
واستهلـت عَلَيهـمُ الطَّيْـرُ بـالجنـ ... ــدَلِ حتّـى كـأنّـه مَـرْجُـومُ[(١٠)]
ذاكَ مـن يَغْـزُهُ مـن النـاسِ يَـرْ ... جع وهو فَلٌّ من الجيوشِ ذميم[(١١)]

قال ابن إسحاق[(١٢)] وغيره : فلما هلك أبرهة مَلَكَ الحبشةَ بعده ابنُه يَكْسوم . ثم من بعده أخوه

---

(١) الملاويث : الأشداء ، مفردها : مَلاث ، أو مِلْوَث .
(٢) ابذعروا : تفرقوا .
(٣) ديوانه ص (٦٩) من قصيدة مطلعها :
أيـا راكبـاً إمّـا عَـرَضْـتَ فبلغَـنْ ... مغلغلـةً عنـي لـؤي بـن غـالـب
(٤) الأخاشب : جبال بمكة .
(٥) القاذفات : أعالي الجبال البعيدة . والمناقب : جمع منقبة ، وهي الطريق في رأس الجبل . ورواية أ : المقانب وهي بعيدة ، فالمقانب : الذئاب .
(٦) السافي : أراد الذي غطّاه التراب . والحاصب : الذي أصابته الحجارة .
(٧) ملحبش : أي من الحبش . والعصائب : الجماعات .
(٨) في ط : عبيد . وقيل في اسمه : عبد الله وعبيد الله ، وهو شاعر قريش في العصر الأموي . توفي سنة (٨٥هـ) . والأبيات في ديوانه ص (١٩٢) . عن السيرة .
(٩) في ب : لأبرهة الأشرم . ولا يستقيم بها الوزن .
(١٠) الجندل : الحجارة .
(١١) فَلٌّ : منهزم .
(١٢) السيرة (١/ ٦١) .

مسروق بن أبرهة ، وهو آخر ملوكهم . وهو الذي انتزع سيف بن ذي يَزَن الحِميري المُلْكَ مِن يده بالجيش الذين قَدِم بهم من عند كسرى أنوشروان ، كما سيأتي بيانهُ .

وكانت قِصّة الفيل في المحرم سنة ست وثمانين وثمانمئة من تاريخ[١] ذي القرنين ، وهو الثاني إسكندر بن فلبس المقدوني الذي يُؤرِّخ له الروم ، ولما هَلَك أبرهة وابناه ، وباد[٢] مُلك الحبشةِ عن اليمن ، هُجِر القُلَّيس الذي كان بناه أبرهة وأراد صرف حج العرب إليه لجهله[٣] وقِلّة عقله . وأصبح يباباً لا أنيس به . وكان قد بناه على صَنمين[٤] ، وهما كُعيب وامرأته ، وكانا من خَشَب طول كل منهما ستون ذراعاً في السماء ، وكانا مصحوبين من الجان ، ولهذا كان لا يتعرَّض أحدٌ إلى أخذ شيءٍ من بناء القُلّيس وأمتعته إلا أصابوه بسوءٍ . فلم يزل كذلك إلى أيام السفّاح أول خلفاء بني العباس ، فذُكر له أمره وما فيه من الأمتعة والرُّخام الذي كان أبرهة نقله إليه من صرح بلقيس الذي كان باليمن ، فبعث إليه من خربه حَجَراً حجراً ، وأخذ جميع ما فيه من الأمتعة والحواصل . هكذا ذكره السهيلي[٥] . والله أعلم .

***

ذكر خروج المُلْك عَن الحبشة وَرجوعه إلى سيف بن ذي يَزَن الحِمْيَري كما أخبر بذلك الكاهنان لربيعة بن نصر اللخمي[٦]

قال محمد إسحاق[٧] رحمه الله : فلما هلك أبرهةُ مَلَكَ الحبشةَ يكسومُ بن أبرهة ، وبه كان يكنى ، فلما هلك يَكسومُ مَلَكَ اليمنَ في الحبشة[٨] أخوه مسروقُ بن أبرهة .

قال : فلما طال البلاءُ على أهل اليمن ، خرج سيفُ بن ذي يزن الحميري[٩] ، وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج ، وهو حمير سبأ ـ وكان سيف يكنى

---

(١) زيادة من ط .
(٢) في ط : وزال .
(٣) في ب : بجهله ، وسقطت أيضاً كلمة : وأصبح . من ب .
(٤) في ب : على اسم صنمين .
(٥) الروض الأنف (١/ ٦٣) .
(٦) ورد العنوان في ط . مختصراً خروج الملك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذي يزن .
(٧) السيرة (١/ ٦١) وما بعدها .
(٨) في ب : ملك الحبشة أخوه . وفي ط : من الحبشة .
(٩) في السطرين القادمين تقديم وتأخير في ب .

أبا مرة ـ حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكى إليه ما هو فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ويليهم[١] ويخرج إليهم من سائر[٢] الروم فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشكِه . فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر ، وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمرَ الحبشة ، فقال له النعمان : إن لي على كسرى وِفادة في كل عام ، فأقم عندي حتى يكون ذلك ، ففعل . ثم خرج معه فأدخله على كسرى ، وكان يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه[٣] وكان تاجه مثل القُنْقُل العظيم ـ فيما يزعمون ـ يضرب فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة ، معلقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في[٤] مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يُسْتَرُ بالثياب[٥] حتى يجلس في مجلسه ذلك[٦] ، ثم يُدخِلُ رأسَه في تاجه ، فإذا استوى في مجلسه كُشِفَ عنه الثيابُ فلا يـراه أحد[٧] لم يره قبلَ ذلك إلّا برك هيبةً له . فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن بَـرَك . قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن سيفاً لما دخل عليه[٨] طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل عليَّ من هذا الباب الطويل ثم يطأطئ رأسَه ! فقيل ذلك لسيف . فقال : إنما فعلتُ هذا لهمي لأنه يضيق عنه كل شيء[٩] . قال ابن إسحاق ثم قال : أيها الملك غَلَبنا على بلادنا الأغربة . قال كسرى : أيُّ الأغربة ؛ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرني ويكونَ ملك بلادي لك . فقال له كسرى : بَعُدَت بلادك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأورّط جيشاً من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لي بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وافٍ[١٠] وكساه كسوة حسنة ، فلما قبض ذلك[١١] سيف ، خرج فجعل ينثر تلك الورِق للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال إن لهذا لشأناً[١٢] ، ثم بعث إليه فقال : عمدت إلى حِباء الملك تنثرُه للناس ؟! قال : وما أصنع بهذا ؟

---

(١) في أ : عن ويلهم ويخرج . وفي ط : ويلهم ، وأثبت ما في ب .
(٢) في ط : شاء من .
(٣) زيادة من ط . وفي ب : الذي تاجه مثل القنقل . والقنقل : المكيال الضخم ، واسم تاج لكسرى (المحيط) . الروض الأنف (١/ ٨٢) .
(٤) كذا في ب ، وط . وفي أ من .
(٥) في ب : يستتر بالثياب . وفي ط : يستر عليه بالثياب .
(٦) زاد في ب : قال الخليل : القنقل : شجر له ثمر عظام .
(٧) في ب : كشفت الثياب عنه فلا يراه رجل .
(٨) قوله : سيف بن ذ . . . إلى هنا زيادة من ب ، وكذلك النص في السيرة (١/ ٦٣) .
(٩) كذا في ط . وهو موافق لنص السيرة . وفي أ : فعلت ذلك لهمتي . .
وفي ب : فعلت ذلك لهمي لأني تضيق علي كل شيء . وقوله : قال ابن إسحاق ليس في ط .
(١٠) وفى الدرهمُ المثقالَ : عَدَله . وفي ب : ورق .
(١١) زاد في ط : منه .
(١٢) زاد في ب : عظيماً .

ما[١] جبال أرضي التي جئتُ منها إلا ذهبٌ وفضة ، يُرَغِّبُه فيها ، فجمع كسرى مرازبته ، فقال لهم[٢] : ما ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له ؟ فقال قائل : أيّها الملك ، إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتَهم معه ، فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكاً ازددْتَه ، فبعث معه كسرى مَن كان في سجونه ، وكانوا ثمانمئة رجل ، واستعمل عليهم وَهْرز ، وكان ذا سنّ فيهم ، وأفضلَهم حسباً وبيتاً ، فخرجوا في ثمان سفائن[٣] ، فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن ، فجمع سيف إلى وَهْرز من استطاع من قومه ، وقال له : رِجلي ورجلك[٤] حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً . فقال له وَهْرز : أنصفتَ . وخرج إليه مسروقُ بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جندَه ، فأرسل إليهم وهرز ابناً له ليقاتلهم فيختبر قتالَهم ، فقُتِل ابنُ وهرز ، فزاده ذلك حَنَقاً عليهم ، فلما تواقف الناس على مصافهم قال وَهْرز : أَروني مِلكَهم . فقالوا له : أترى رجلاً على الفيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم . قالوا : ذلك ملكهم . فقال : اتركوه . قال[٥] : فوقفوا طويلاً ، ثم قال : عَلَامَ هو ؟ قالوا : [قد تحوّل على الفرس . قال : اتركوه . فتركوه طويلاً . ثم قال : عَلامَ هو ؟ قالوا :][٦] على البغلة . قال وهرز : بنتُ الحمار ! ذلّ وذلَّ مُلكُه ، إني سأرميه فإن[٧] رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم ، فإني قد أخطأتُ الرجلَ ، وإن رأيتمُ القومَ قد استداروا به ولاثوا[٨] فقد أصبتُ الرجلَ فاحملوا عليهم . ثم وَتَرَ قوسه ـ وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيرُه من شدتها ـ وأمر بحاجبَيه فعصّبا له ، ثم رماه ، فَصَكَّ الياقوتةَ التي بين عينيه ، وتغلغلت النُّشَّابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونُكِس عن دابته ، واستدارت الحبشةُ ولاثت به[٩] ، وحملت عليهم الفرس ، وانهزموا[١٠] فقُتِلوا وهَرَبوا في كل وجه ، وأقبلَ وَهْرز ليدخلَ صنعاء ، حتى إذا أتى بابها قال : لا تدخل رايتي مُنَكَّسةً أبداً ، اهدموا هذا[١١] الباب فهدم ، ثم دخلها ناصباً رايته . فقال سيف بن ذي يزن[١٢] : [من مجزوء الوافر]

---

(١) زيادة من ب ، وكذلك في السيرة . وفي ط : بحباك .
(٢) زيادة من ط . وكذلك في السيرة .
(٣) في ب : سفن . وكلا الجمعين صحيح .
(٤) في ب : مع رجلك . وكذلك في السيرة . وسقط من ب قوله : أو نظفر جميعاً .
(٥) ليست في ب . ولا في السيرة .
(٦) سقطت من ب .
(٧) كذا في ب ، وط ، والسيرة . وفي أ : فإذا .
(٨) في ب ، والسيرة : ولاثوا به . ولاثوا به : اجتمعوا حوله .
(٩) في ب : به ولاثت .
(١٠) في ط : فانهزموا .
(١١) ليست في ب ، والسيرة .
(١٢) زاد في ط ، والسيرة : الحميري . والأبيات في السيرة (١/ ٦٥) والروض الأنف (١/ ٨٤) .

يظـن النـاسُ بـالملْكيـ ـن أنهمـا قـد التـأمـا
ومـن يسمـعْ بـلأمِهمـا فـان الخطـب قـد فَقِمـا[١]
قتلنـا القَيْـلَ مسـروقـاً وروّينـا الكثيـبَ دمـا
وإن القيـلَ قيـل النـا سِ وهـرز مُقْسِـم قَسَمـا
يـذوق مُشَعْشَعـاً حتـى يُفـيءَ السبـيَ والنَّعمـا

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهنئونه بعود المُلْك إليه ، وامتدحوه . فكان من جملة من[٢] وفَدَ من قريش ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فبشّره سيف برسول الله ﷺ وأخبره بما يعلم[٣] من أمره ، وسيأتي ذلك مفصّلاً في باب البشارات به عليه الصلاة والسلام .

قال ابن إسحاق[٤] : وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة[٥] الثقفي ، قال ابن هشام ويروى لابنه أمية[٦] :

لِيطلبِ الوِتـرَ أمثالُ ابن ذي يَزَن رَيَّـم فـي البحرِ لـلأعداءِ أحوالا[٧]
يمَّـمَ قيصـر لمـا حـانَ رحلتـه فلم يجد عندَه بعضَ الذي سالا[٨]
ثم انثنى نحو كسرى بعدَ عاشرةٍ من السنين يهين النفسَ والمالا[٩]
حتـى أتـى ببنـي الأحـرارِ يَحملُهـم إنك عَمْري لقد أسرعتَ قَلقالا[١٠]
لله درُّهـمُ مـن عصْبـةٍ خـرجـوا مـا إن أرى لهـمُ فـي النـاسِ أمثـالا
غُلبـاً مـرازبـةً بِيضـاً أسـاورةً أُسْداً تُربّبُ في الغَيْضات أشبالا[١١]
يـرمُـون عَـنْ شُـدُفٍ كـأنهـا غُبُـط بزَمْجَرٍ يُعجِل المرميَّ إعجالا[١٢]

---

(١) كذا في ط ، والسيرة . والروض الأنف وفي أ : ملامهما . وفي ب : كلاهما .
(٢) زيادة من ب ، وط . يستقيم بها المعنى .
(٣) في ب : يكون .
(٤) السيرة (١/ ٦٥) .
(٥) في أ ، وب : أمية وهو سهو .
(٦) في ط : ويروى لأمية بن أبي الصلت ، وكذلك نص السيرة . والأبيات في ديوان أمية : (٤٥٣) ، رجح الدكتور السطلي أنها منحولة .
(٧) في ديوان أمية : ليطلب الثأر . وريّم : زاد في السير .
(٨) في أ : لقيصر . وفي ط : قيصراً .
(٩) هذا البيت لم يرد في أ وب . وهو في السيرة والديوان . وط .
(١٠) قلقل في الأرض قلقلة وقلقالاً : ضرب فيها .
(١١) الغُلْب : مفردها أغلب ، وهو الغليظ الرقبة . والمرازبة : مفردها مرزبان وهو عند الفرس الفارس الشجاع . والأساورة : مفردها إسوار ، وهو القائد من الفرس . وتُربّب : تُربّي . والغيضات : جمع غيضة ، وهي الأجمة .
(١٢) في ط : سُدُف بالسين المهملة . والشدُف : القسي الفارسية ، واحدتها شَدْفاء . والغُبط : جمع غبيط ، وهو =

أرسلتَ أُسداً على سود الكلابِ فقد   أضحى شريدُهمُ في الأرضِ فُلّالا[١]
فاشربْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفقاً   في رأس غمدان داراً منك محلالا[٢]
واشربْ هنيئاً فقد شَالتْ نعامتُهم   وأسبلِ اليومَ في بُرديْك إسبالا[٣]
تلكَ المكارمُ لا قعبانِ من لَبنٍ   شِيْبا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا[٤]

يقال : إن غمدان قصرٌ باليمن ، بناه يَعرب بن قحطان وأكمله[٥] بعده واحتله وائلة بن حِمير بن سبأ . ويقال : كان ارتفاعه عشرين طبقةً . فالله أعلم[٦] .

قال ابن إسحاق : وقال عدي بن زيد الحِميري[٧] وكان أحد بني تميم : [من المنسرح]

ما بَعدَ صنعاءَ كان يَعْمُرُها   وُلاةُ مُلْكٍ جَزْلٌ مَواهِبُها
رفعها من بَني لَدَى قَزَعِ الـ   ـمُزْنِ وتَنْدَى مِسْكاً مَحاربُها[٨]
مَحْفوفَة بالجبالِ دون عُرَى الـ   كائدِ ما تُرتَقَى غواربُها[٩]
يأنَسُ فيها صوتُ النُّهام إذا   جاوبَها بالعشيّ قاصِبُها[١٠]
ساقتْ إليها الأسبابُ جُنْدَ بني الـ   أحرارِ فُرْسَانُها مَواكبها
وفَوَّزتْ بالبغال تُوسَقُ بالـ   ـحَتْفِ وتَسعى بها توالبُها[١١]
حتى رآها الأقوالُ من طرفِ الـ   ـمَنْقَل مُخْضَرَّةً كتائبها[١٢]

= الرحل . شبه القسي الفارسية بخشب الرحل . والزمجر : الهام .

(١) أراد بسود الكلاب : الأحباش . وفلال : مهزومون .

(٢) في ب : مرتفعاً . ومرتفقاً : متكئاً . والمحلال : التي يكثر فيها الحلول والإقامة .

(٣) شالت نعامتهم : هلكوا وتفرقوا .

(٤) القعب : القِدح الضخم . وشِيبا : خُلِطا .

(٥) في ط : وملكه .

(٦) هذا المقطع ليس في ب .

(٧) في ط : الحميري . وهو سهو . والأبيات من قصيدة في ديوان عدي ص (٤٥) وما بعدها (تح . المعيبد . وط . العراق ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م) .

(٨) في الديوان : يرفعها . والقزع : قطع من السحاب صغار متفرقة . والمحارب : الغرف المرتفعة .

(٩) في الديوان : الكيد فيها ترقى . وقواه : دون عرى الكائد : يريد عرى السماء وأسبابها . الروض الأنف (١/٨٦) . والغوارب : الأعالي .

(١٠) النهام : ذكر البوم . والقاصب : الذي يزمر بالقصب .

(١١) فوّزت بالبغال : ركبت المفاوز أي الصحاري . ووسق البعير : حمله . وتوسق بالحتف : أي تحمل بالحتف . والتوالب : جمع تولب وهو ولد الحمار .

(١٢) في ط : يراها . وطرف المنقل : أعالي الحصون . والأقوال : جمع قَيل ، وهو الملك من ملوك حِمير . وقوله : =

يـومَ ينـادون آل بـربَـرَ والـ يكسُـومَ لا يُفْلِحَـنْ هَـاربُهـا[١]
فكان يوماً باقي الحديثِ وزا لـتْ أُمَّـةٌ ثـابَـتْ مَـرَاتبهـا[٢]
وبُـدّل الفيـجُ بـالـزرافـة والأ يـام خُـونٌ جَـمٌّ عجـائبهـا[٣]
بعـدَ بنـي تُبّـعٍ نَخَـاوِرَةٍ قـدِ اطْمـأنّـتْ بهـا مَـرازِبهـا[٤]

قال ابن هشام[٥] : وهذا الذي عنى سطيحٌ بقوله : يليه إرم ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن[٦] . والذي عنى شِقٌّ بقوله : غلام ليس بدني ولا مدن يخرج من بيت ذي يزن .

قال ابن إسحاق : وأقام وهرز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناءُ الذين باليمن اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرْياط إلى أن قتلت الفرس مسروقَ بن أبرهة وأخرجت الحبشة اثنتين وسبعينَ سنةً ، توارث ذلك منهم أربعة : أرْياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

* * *

ذكر ما آل إليه أمر الفرس باليمن

قال ابن هشام[٧] : ثم مات وِهرز ، فأمّر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ، ثم مات المرزبان ، فأمّر كسرى ابنَه التَّيْنُجان ، ثم مات ، فأمّر ابن التَّيْنُجان ، ثم عزله عن اليمن وأمّر عليها باذان ، وفي زمنه بُعث رسول الله ﷺ .

قال ابن هشام : فبلغني عن الزُّهْري أنه قال : كتب كسرى إلى باذان : إنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي ، فسِرْ إليه فاستَتِبْه ، فإن تابَ ، وإلا فابعث إليّ برأسه ، فبعث باذان بكتاب

= مخضرة كتائبها : يعني من الحديد .

(١) في الديوان :

يـوم يقـولـون يـال بـربـر والـ يكـون لا يفلتـن هـاربهـا

(٢) سقط البيت من ب . والإمة : النعمة .

(٣) كذا في الديوان . وفي أ وط : وبدل الهيج . وفي ب : الفيل غياجها . والفيج : المنفرد في مشيته . والزرافة : الجماعة من الناس .

(٤) في ب : وبعد تبع فيها نواخرة . وفي الديوان : بهم . والنخاورة : الكرام الأشراف .

(٥) السيرة (١/ ٦٨) .

(٦) في ب ، والسيرة : أحداً منهم باليمن .

(٧) السيرة (١/ ٦٩) .

كسرى إلى رسول الله ﷺ فكتب إليه رسول الله ﷺ : « إن الله قد وَعَدني أن يُقْتَل كسرى يوم كذا وكذا من شهر كذا » . فلما أتى باذان الكتاب وقف لينتظرَ[١] وقال : إن كان نبياً فسيكون ما قال . فقتلَ اللهُ كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ . قال ابن هشام[٢] : على يدي ابنه شِيرَوَيه .

قلت : وقال بعضهم[٣] بنوه تمالؤوا على قتله ، وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباذ ، وهو الذي غلب الروم في قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم : ١ ـ ٣] كما سيأتي بيانه .

قال السهيلي[٤] : وكان قتله ليلة الثلاثاء لعشر خَلَون من جمادى الأولى سنة تسع[٥] من الهجرة .

وكان ـ والله أعلم ـ لما كتب إليه رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام ، فغضب ومزّق كتابه ، كَتَبَ إلى نائبه باليمن [يقول له ما قال . وفي بعض الروايات أن رسول الله ﷺ قال لرسول باذان][٦] : « إن ربي قد قَتَل الليلةَ ربَّك » . فكان كما قال رسول الله ﷺ قُتِل تلك الليلة بعينها ، قتله بنوه لظلمه بعد عدله بعد ما خلعوه[٧] وولوا ابنه شيرويه ، فلم يعش بعد قتله أباه إلّا ستة أشهر أو دونها . وفي هذا يقول خالد بن حِق الشيباني[٨] : [من الوافر]

وكسـرى إذ تَقَـاسمَـه بَنُـوهُ ... بأسْيافٍ كما اقْتُسِمَ اللَّحَامُ[٩]
تَمَخَّضَـتِ المنُـونُ لـه بيـومٍ ... أَنـى ولِكُـلِّ حَـاملةٍ تمـامُ[١٠]

قال الزُّهري : فلما بلغ باذان[١١] بعث بإسلامه وإسلام مَن مَعه من الفرس إلى رسول الله ﷺ فقالت الرسل : إلى مَن نحن يا رسولَ الله ؟ قال : أنتم منا وإلينا أهلَ البيت . قال الزُّهري : ومن ثم قال رسول الله ﷺ : « سلمانُ مِنّا أهلَ البيت »[١٢] .

---

(١) في ب : توقف ينظر .
(٢) في ب : ابن شهاب وهو سهو .
(٣) زاد في ب : قتله .
(٤) الروض الأنف (١/ ٨٨) .
(٥) في الروض الأنف : سبع .
(٦) سقطت من ب .
(٧) في ب : بعدما خلعوه لظلمه بقومه .
(٨) البيتان في السيرة (١/ ٦٩) والروض الأنف (١/ ٨٨) .
(٩) في ط ، والسيرة ، والروض : تقسّمه . . . واللحام : جمع لحم .
(١٠) في ط : ألا . وقوله : أنى : أي حان .
(١١) في ب : سمع باذان . . وفي ط : بلغ ذلك باذان . وكان إسلام باذان سنة عشر للهجرة كما أورد السهيلي (١/ ٨٨) .
(١٢) رواه الطبراني في الكبير ، والحاكم (٣/ ٥٩٨) من حديث عمرو بن عوف وفيه ضعف .

قلتُ : والظاهر أن هذا كان بعدما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ولهذا بعث الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس الخيرَ ودعوتهم إلى الله عز وجل ، فبعث أولاً خالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب ، ثم أتبعهما أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جَبل . ودانت اليمن وأهلها للإسلام . ومات باذان ، فقام بعده ولده شهر بن باذان ، وهو الذي قتله الأسود العنسي حين تنبّأ[١] وأخذ زوجته كما سيأتي بيانه ، وأجلى عن اليمن نوابَ رسول الله ﷺ فلما قتل الأسود عادت اليد الإسلامية عليها .

وقال ابن هشام : وهذا هو الذي عنى به سطيح بقوله : نبي زكي يأتيه الوحي من قِبَل العلي . والذي عنى شِقٌّ بقوله : بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان في حَجَر باليمن ـ فيما يزعمون ـ كتابٌ بالزبور كتب في الزمان[٣] الأول : لمن مُلْك ذِمار ؟ لحمير الأخيار . لمن ملك ذمار ؟ للحبشة الأشرار . لمن ملك ذمار ؟ لفارس الأحرار . لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجار .

وقد نظم[٤] بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودي : [من الخفيف]

حين شيدتْ ذِمارُ قِيلَ : لمنْ أنـ ـتِ ؟ فقالت : لِحميَرِ الأخيار[٥]
ثم سِيلتْ من بعدِ ذاك فقالت : أنا للحُبْشِ أخبثِ الأشرار[٦]
ثم قالوا من بعد ذاك : لمن أنـ ـتِ ؟ فقالت : لفارسِ الأحرار[٧]
ثم سيلت من بعد ذاك : لمن أنـ ـت ؟ فقالت : إلى قريش التِّجار[٨]

ويقال : إن هذا الكلام الذي ذكره محمد بن إسحاق[٩] ، وجد مكتوباً عند قبر هود عليه السلام حين

(١) كان أول تنبؤ الأسود سنة إحدى عشرة للهجرة . تاريخ الطبري (٣/ ١٨٤) . وما بعدها .
(٢) السيرة (١/ ٧٠) .
(٣) في ط : بالزمان .
(٤) لم يشر المسعودي إلى أن أحداً نظم هذا ، بل قال : وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الأول في حجر أسود ، ثم أورد الأبيات . مروج الذهب (٢/ ٨٨) .
(٥) في ط : شدت . وفي المروج : يوم .
(٦) في المروج : إن ملكي .
(٧) في المروج : ثم سيلت من بعد ذاك فقالت إن ملكي .
(٨) في ط : ثم قالوا . وفي المروج : ما بعد ذاك فقالت إن ملكي . وأورد المسعودي ثلاثة أبيات أخرى .
(٩) الإشارة إلى ما قاله ابن إسحاق من كلام منثور . أما الأبيات المنظومة فلم يذكرها ابن إسحاق بل أخذها ابن كثير عن المسعودي كما ذكر .

كشفَت الريح عن قبره بأرض اليمن ، وذلك قبل زمن بلقيس بيسير في أيام مالك بن ذي المنار أخي عمرو ذي الأذعار بن ذي المنار ، ويقال : كان مكتوباً على قبر هود[١] ، وهو من كلامه عليه السلام . حكاه السهيلي[٢] . والله أعلم .

* * *

(١) في ب : منبر ، وكذلك عند السهيلي .
(٢) الروض الأنف (١/ ٩٠) .

قصّة السّاطرون صَاحب الحَضْر

وقد ذكر قصته هاهنا عبد الملك بن هشام[١] لأجل ما قاله بعض علماء النسب : إن النعمان بن المنذر الذي تقدّم ذِكره في ورود سيف بن ذي يزَن عليه وسؤاله في مساعدته في ردّ مُلْك اليمن إليه إنه[٢] من سلالة الساطرون صاحب الحضر . وقد قدّمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر ، وأنه روى عن جُبير بن مطعِم أنه من أشلاء قيصر بن معد بن عدنان ، فهذه ثلاثة أقوال في نسبه ، فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضر .

والحضر حصنٌ عظيم بناه هذا الملك ، وهو الساطرون ، على حافة الفرات ، وهو منيف مرتفع البناء ، واسع الرحبة والفناء ، دوره بقدر مدينة عظيمة ، وهو في غاية الإحكام والبهاء والحسن والسناء ، وإليه يُجبى ما حوله من الأقطار والأرجاء . واسم الساطرون الضَّيْزَن بن معاوية بن عبيد بن سَليح[٣] بن حلوان بن الحاف بن قضاعة . كذا نسبه ابن الكلبي . وقال : غيره كان من الجرامقة[٤] وكان أحد ملوك الطوائف ، وكان يقدمهم[٥] إذا اجتمعوا ، وكان حصنه بين دجلة والفرات .

قال ابن هشام[٦] : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون[٧] ملك الحضر . وقال غير[٨] ابن هشام : إنما غزا صاحب سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان ، أذَلَّ ملوكَ الطوائف وردَّ الملْكَ إلى الأكاسرة . وأما سابور ذو الأكتاف بن هرمز فبعد ذلك بدهر طويل . والله أعلم . ذكره السهيلي[٩] .

قال ابن هشام : فحصره سنتين . وقال غيره : أربع سنين[١٠] ، وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور

---

(١) هو مهذب السيرة لابن إسحاق .
(٢) في ب : إنه ملك .
(٣) في ط : . . . عبيد بن أجرم من بني سليح . وفي تاريخ الطبري (٢/ ٤٧) : ابن العَبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح .
(٤) الطبري (١/ ٤٧) .
(٥) في ط : يقدمهم إذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم وكان حصنه . . .
(٦) السيرة (١/ ٧١) .
(٧) في ط : الساطرون .
(٨) الطبري (١/ ٤٧) .
(٩) الروض الأنف (١/ ٩١) .
(١٠) قاله ابن الكلبي فيما نقله عنه الطبري (١/ ٤٨) .

في غيبته بأرض العراق ، فأشرفت بنت الساطرون ، وكان اسمها النضيرة ، فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلاً ، فدسَّت إليه : أتتزوجني إن فتحت(١) لك باب الحضر ؟ فقال : نعم ! فلما أمسى ساطرون ، شرب حتى سكر ، وكان لا يبيتُ إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب(٢) الحضر من تحت رأسه فبعثت(٣) بها مع مولى لها ، ففتح الباب .

ويقال : بل دلَّتهم على نهر يدخل منه(٤) الماء متسع ، فولجوا منه إلى الحضر ، ويقال : بل دلَّتهم على طلسم كان في الحضر وكان في علمهم أنه(٥) لا يفتح حتى تؤخذ حمامة وَرْقاء ، وتُخضَب رجلاها بحيض جارية بكر زَرقاء ، ثم ترسل ، فإذا وقعت على سور الحضر سقط ذلك الطلسم فيفتح الباب . ففعل ذلك فانفتح الباب ، فدخل(٦) سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخرّبه . وسار بها معه فتزوجها . فبينا هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تَململُ لا تنام ، فدعا(٧) بالشمع ، ففتّش فراشَها ، فوجد عليه ورقة آس . فقال لها سابور : أهذا الذي أسهركِ ؟ قالت : نعم . قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج ، ويلبسني الحرير ، ويطعمني المخَّ ، ويَسقيني الخمر(٨) . قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعتِ به ؟! أنت إليَّ بذلك أسْرع ، ثم أمر بها(٩) فرُبطت قُرون رأسِها بذنب فرس ، ثم رَكَض الفرس حتى قتلها . ففيه يقول أعشى بني(١٠) قيس بن ثعلبة : [من المتقارب]

ألَـم تَـرَ للحَضْـرِ إذْ أهلُـه ... بنُعْمَى وهـلْ خـالِـدٌ مَن نَعم
أقـامَ بـه شـاهَبُـورُ الجنـو ... دَ حـوْليْـنِ تضربُ فيـه القَدم
فلمّـا دَعـا ربَّـهُ دعـوةً ... أنـابَ إليـه فلـم ينتقِـم
فهــل زادَه ربــه قــوَّةً ... ومثْـل مجـاورِه لــم يُقِـم

---

(١) في ب : وأنا أفتح .
(٢) ليست في ب .
(٣) في ط : وبعثت .
(٤) زيادة من ب ، وط . والكلام هاهنا ليس لابن هشام ، بل للسهيلي .
(٥) قوله : وكان . . . إلى هنا : زيادة من ط . وكذلك في السهيلي نقلاً عن الطبري (١/ ٤٩) .
(٦) عاد هنا إلى ما قاله ابن هشام .
(٧) في ب ، وط ، والسيرة : فدعا لها .
(٨) زاد في ب : وقال الطبري : كان يطعمني المخ والزبد ، وشهد أبكار النحل ، وصفو الخمر . وذكر أنه كان يُرى مخ ساقها من صفاء بشرتها . تاريخ الطبري (١/ ٥٠) .
(٩) زيادة من ب ، والسيرة . وقرون رأسها : أي ذوائب شعرها .
(١٠) في ط : بن ، وهو سهو . والأبيات في ديوانه ص(٩٣) ، من قصيدة طويلة يمدح فيها قيس بن معد يكرب . وفي رواية الديوان بعض اختلاف عما هنا .

وكـانَ دعـا قـومَـه دعـوةً هلمُّوا إلـى أمرِكـم قـد صُرِم
فمـوتـوا كِـرامـاً بـأسيـافكـم أرى الموتَ يجشِمه من جَشِم[١]

وقال عدي بن زيد في ذلك[٢] : [من المنسرح]

والحضرَ صابتْ عليه داهيةٌ مِـن فـوقِـه أَيِّدٍ منـاكبُهـا[٣]
ربيَّـةٌ لـم تُـوَقِّ والـدَهـا لِحَيْنهـا إذ أضـاعَ راقبُهـا
إذ غَبَّقَتْـه صهبـاءَ صـافيـةً والخمرَ وَهْلٌ يَهيم شاربُها[٤]
فـأسلمـتْ أهلَهـا بليلتهـا تظـنّ أن الـرئيـسَ خـاطبُهـا
فكانَ حظُّ العروسِ إذ جَشَر الـ ـصبح دماءً تجري سبائبها[٥]
وخَرَّبَ الحضرَ واستُبيح وقد أُحرقَ في خدرِها مشاجبها[٦]

وقال عدي بن زيد أيضاً[٧] : [من الخفيف]

أيُّها الشامتُ المعيِّر بالدهـ ـر أأنـتَ المبَـرَّأُ المـوفـور
أم لديكَ العهدُ الوثيق من الـ أيـام بـل أنـتَ جـاهـلٌ مغـرور
من رأيتَ المنونَ خلَّدنَ أم من ذا عليـه مِـن أن يضـام خَفيـر
أين كسرى كسرى الملوك أنو شـروانَ أم أيـن قبلـه سـابـور
وبنو الأصفر الكرامُ ملوك الـ ـروم لـم يبـق منهـمُ مـذكـور
وأخو الحضْر إذْ بَنَاهُ وإذ دجْـ ـلَـةُ تُجبَـى إليـه والخـابـور
شـاده مَـرْمـراً وجلَّلـه كـأ سـاً فللطيـر فـي ذُراه وُكُـور
لـم يَهَبْـهُ ريـبُ المنـون فبَـا ن الملـك عنـه فبـابـه مهجـور
وتـذكّـر ربَّ الخـوَرْنَـقِ إذ أشرف يوماً وللهدى تنكير[٨]
سَـرَّه مـالُـه وكثـرةُ مـا يمـ ـلِكُ والبحرُ معرضاً والسديرُ

---

(١) يجشمه : يتكلفه ويركبه .
(٢) الأبيات في ديوانه ص(٤٦) ، مع خلاف ببعض الألفاظ .
(٣) أيد : شديدة .
(٤) غبقته : سقته الغبوق ، وهو شراب العشي . ويقال : وهَلَ الرجل : إذا أراد شيئاً فذهب وهمه إلى غيره .
(٥) جشر : أضاء وبيّن . والسبائب : الطرائق .
(٦) المشاجب : جمع مشجب وهو عود تعلق عليه الثياب .
(٧) ديوانه ص(٨٧) ، وفيه بعض اختلاف في الرواية .
(٨) في ب ، وط . والديوان : تفكير .

فارعوى قلبُه وقال وما غِبـ ـطةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ
ثـم أضْحَـوا كـأنهـم وَرَقٌ جـ ـفَّ فألْوَتْ به الصَّبا والدَّبورُ[١]

قلت : وربُّ الخوَرْنق الذي ذكره في شعره رجلٌ من الملوك المتقدمين ، وعَظَهُ بعضُ علماء زمانه في أمره الذي قد كان[٢] أسرف فيه وعتا ، وتمرد فيه وأتْبعَ نفسَه هواها ، ولم يراقب فيها مولاها ، فوعَظَه بمن سلَف قبلَه من الملوك والدول ، وكيف بادُوا ولم يبق منهم أحدٌ ، وأنه ما صار إليه عن غيره إلا وهو منتقل عنه إلى مَن بَعْده ، فأخذته موعظتُه وبلغت منه كلَّ مبلغ ، فارعَوى لنفسه ، وفكّر في يومه وأمسه ، وخاف من ضِيْق رَمْسه[٣] . فتاب وأناب ونزع عما كان فيه ، وترك الملك ولبس زي الفقراء وساح في الفلوات وحظي بالخلوات ، وخرج عمّا كان الناس فيه من اتّباع الشهوات وعصيان ربّ السماوات .

وقد ذكر قصته مبسوطة[٤] الشيخ الإمام موفق بن قدامة المقدسي[٥] رحمه الله في كتاب « التّوابين » . وكذلك أوردها بإسناد متين الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتاب[٦] « الروض الأنف »[٧] المرتَّب أحسن ترتيب وأوضح تبيين .

* * *

خبر ملوك الطوائف

وأما صاحب الحضْر ، وهو ساطِرون ، فقد تقدّم أنه كان مقدّماً على سائر ملوك الطوائف ، وكان من[٨] زمن اسكندر بن فليبس المقدوني اليوناني ، وذلك لأنه لما غلب على ملك الفرس دارا بن دارا وأذلَّ مملكته وخرّب بلاده واستباح بيضة قومه ، ونهب حواصله ، ومزّق شمل الفرس شَذَرَ مَذَرَ ، عزم أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ، ولا يلتئم لهم أمر ، فجعل يقرّ كل ملك على طائفة من الناس في أقليم من

---

(١) الصبا ، والدبور : ريح . وزاد في ب هنا بيتاً آخر ، وهو :
ثم بعد الفلاح والمُلْك والأ مَّـة وارتهـم هنـاك قبـور
(٢) في ب : الذي كان أسرف . وفي ط : الذي كان قد . . .
(٣) الرمس : القبر .
(٤) في ب تقديم وتأخير في العبارة هنا .
(٥) هو الموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، توفي سنة (٦٢٠هـ) . وكتاب التوابين طبع في دار البيان بدمشق (١٩٦٩) ، بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط . والخبر فيه ص(٣٩) .
(٦) في ط : كتاب .
(٧) الروض الأنف (١/٩٣ ـ ٩٤) .
(٨) في ب : في .

أقاليم الأرض ما بين عربها وأعاجمها[١] ، فاستمر كل ملك منهم يحمي حَوزته ، ويحفظ صقعه[٢] ويستغلُّ محلَّته ، فإذا هَلَك قام ولده من بعده أو أحد قومه ، فاستمر الأمر كذلك قريباً من خمسمئة سنة ، حتى كان أردشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن يشتاسب بن لهراسب ، فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ، ورجعت الممالك برمَّتها إليه ، وأزال ممالك ملوك الطوائف ، ولم يبق منهم[٣] تالد ولا طارف ، وكأنه[٤] تأخر عليه حصار صاحب الحضْر الذي كان أكبرهم وأشدهم وأعظمهم ، إذ كان رئيسهم ومقدّمهم ، فلما مات أزدشير تصدّى له ولده سابور فحاصره حتى أخذه كما تقدم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

(١) كذا في ط . وفي أ : ما بين عرب وأعاجمها . وفي ب : عرب وأعاجم .

(٢) في ط . حصته . وهو خطأ .

(٣) في ب : منه .

(٤) في ط : وكان .

باب[١]

ذكر بني إسماعيل وهم عرب الحجاز وما كان من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة

تقدم ذكر إسماعيل نفسه عليه السلام مع ذكر الأنبياء[٢] ، وكيف كان من أمره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر ، فأسكنها[٣] بوادي مكة بين جبال فاران حيث لا أنيس به ولا حسيس ، وكان إسماعيل رضيعاً[٤] ، ثم ذهب وتركهما هنالك عن أمر الله له بذلك ، ليس عند أمّه سوى جراب فيه تَمر ووِكاءٌ[٥] فيه ماءٌ ، فلما نَفد ذلك أنبع الله لِهاجَرَ زمزمَ التي هي « طعام طعم وشفاء سقم » كما تقدم بيانه في حديث ابن عباس الطويل الذي رواه البخاري[٦] رحمه الله .

ثم نزلت جُرْهم ، وهم طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجَر بمكة على أن ليس لهم في الماء شيء إلا ما يشربون منه وينتفعون به ، فاستأنست هاجر بهم ، وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرَهم في كلّ حين ، يقال : إنه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس في ذهابه وإيابه ، ثم لما ترعرع الغلام وشبَّ وبلغ مع أبيه السعي كانت قصّة الذبح ، كما تقدم بيان أن الذبيح هو إسماعيل على الصحيح .

ثم لما كبر تزوج من جُرهم امرأةً ، ثم فارقَها وتزوّج غيرَها وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو رئيس جرهم ، وجاءته البنون الاثنا عشر[٧] كما تقدم ذِكرهم ، وهم : نابِت ، وقيذر ، وأدبيل[٨] ، وميشا ، ومسمع ، وماسى ، ودما[٩] ، وأذر ، ويطور ، ونيشى ، وطيما ، وقيذما . هكذا ذكره محمد بن إسحاق[١٠] وغيره عن كتب أهل الكتاب . وله ابنة واحدة اسمها نَسَمة ، وهي التي زوَّجها من

---

(١) سقط من ط : باب . وهم عرب الحجاز .
(٢) في الجزء الأول من هذا الكتاب .
(٣) في ب : فأسكنهما . وفيها أيضاً : حيث لا حسيس به ولا أنيس .
(٤) زاد في ب : إذ ذاك .
(٥) الوكاء : هو ما يُشدّ به الكيس وغيره . وأراد القربة .
(٦) تقدم تخريجه في الجزء الأول .
(٧) في ط : ابن عمرو الجرهمي وجاءته بالبنين الاثني عشر . وتقدم الخبر كما أشار ابن كثير في سيرة إسماعيل عليه السلام في الجزء الأول .
(٨) وأدبيل : زيادة من ب ، تتمم العدد . تاريخ الطبري (١/ ٣١٤) .
(٩) في ب : ودوما .
(١٠) السيرة (١/ ٤ ـ ٥) .

ابن أخيه العيصو بن إسحاق بن إبراهيم فولد له منها الروم واليونان[١] ، والأشبان أيضاً في أحد القولين .

ثم جميع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون في أنسابهم إلى ولديه نابت وقيذر .

وكان الرئيس بعده والقائم بالأمور الحاكم في مكة والناظر في أمر البيت وزمزم نابت بن إسماعيل ، وهو ابن أخت الجرهميين ، ثم تغلبت جرهم على البيت طمعاً في بني أختهم ، فحكموا بمكة وما والاها عِوضاً عن بني إسماعيل مدةً طويلة ، فكان أول من صار إليه أمر البيت بعد نابت مُضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هي[٢] بن نبت بن جرهم ، وجرهم بن قحطان ويقال جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح الجرهمي . وكان نازلاً بأعلى مكة بقُعَيْقِعان ، وكان السَّمَيْدع سيد قَطوراء نازلاً بقومه في أسفل مكة ، وكل منهما يَعْشُر[٣] من مَرَّ به مُجتازاًإلى مكة . ثم وقع بين جُرهم وقَطوراء ، فاقتتلوا ، فقُتِل السَّمَيْدعُ واستوثق الأمر لمضاض ، وهو الحاكم بمكة والبيت لا ينازعه في ذلك ولد إسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتشارهم[٤] بمكة وبغيرها ، وذلك لخؤولتهم له ولعظمة البيت الحرام . ثمّ صار الملك بعد إلى ابنه الحارث ، ثمّ إلى عمرو بن الحارث .

ثمّ بَغَت جرهم بمكة وأكثرتْ فيها الفساد وألحدوا بالمسجد الحرام حتى ذُكر أن رجلاً منهم يقال له : إساف بن بغي ، وامرأة يقال لها : نائلة بنت وائل اجتمعا في الكعبة ، فكان منه إليها الفاحشة ، فمسخهما الله حَجَرين ، فنصبهما الناس قريباً من البيت ليعتبروا بهما ، فلما طال المطال بعد ذلك بمدد عبدا من دون الله في زمن خزاعة كما سيأتي بيانه في موضعه . فكانا منصوبين صنمين[٥] يقال لهما : إساف ونائلة . فلما أكثرت جرهم البغي[٦] بالبلد الحرام تمالأت عليهم خُزاعة الذين كانوا[٧] نزلوا حول الحرم ، وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذي[٨] خرج من اليمن لأجل ما توقّع من سيل العرم[٩] ، كما تقدم . وقيل : إن خزاعة من بني إسماعيل . فالله أعلم .

والمقصود أنهم اجتمعوا لحربهم وآذنوهم بالحرب واقتتلوا ، واعتزل بنو إسماعيل كلا الفريقين .

---

(١) في ب وط : فولد . وفي ط : الروم وفارس .
(٢) في ب وط : عيبر . وفي الروض الأنف (١/ ١٣٦) ، كما هنا .
(٣) يعشر : يأخذ عشر أموالهم .
(٤) في ط : وانتشارهم .
(٥) في ط : صنمين منصوبين .
(٦) في ب : الظلم .
(٧) ليست في ب .
(٨) الذي ، زيادة من ب وط .
(٩) الخبر في السيرة (١/ ١١١) وما بعدها .

فغلبت خُزاعة وهم بنو بكر بن عبد مناة وغبشان ، وأجلوا جرهماً[(١)] عن البيت ، فعمد عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ، وهو سيدهم إلى غزَالَي الكعبة ، وهما[(٢)] من ذهب ، وحجر الركن وهو الحَجَرِ الأسود ، وإلى سيوف محلَّاة ، وأشياء أُخر فدفنها في زمزم ، وعلَّمَ زمزم وارتحل بقومه فرجعوا إلى اليمن . ففي ذلك يقول عمرو بن الحارث بن مضاض[(٣)] : [من الطويل]

وقَائلةٍ والدَّمعُ سَكْبٌ مُبادرٌ ... وقَدْ شَرِقَتْ بالدمع منها المحاجرُ
كأنْ لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُر بمكّة سامرُ
فقلتُ لها والقلبُ مِنّي كأنما ... يُلجلجُه بين الجناحَيْن طائرُ[(٤)]
بلى نحنُ كنّا أهلَها فأزالنا ... صُروفُ الليالي والجدودُ العواثر[(٥)]
وكنا ولاةَ البيت من بعد نابتٍ ... نَطوْف بذاك البيت والخيرُ ظاهر
ونحن وَلينا البيتَ من بعد نابتٍ ... بعزّ فما يحظى لدينا المُكاثر
ملَكنا فعزَّزْنا فأعظِمْ بمُلْكِنا ... فليس لحيّ غيرنا ثَمَّ فاخر
ألم تنكحوا من خيرِ شخصٍ علمتمُ ... فأبناؤه منّا ونحنُ الأصاهر[(٦)]
فإن تنثنِي الدنيا علينا بحالها ... فإنّ لها حالاً وفيها التشاجُرُ
فأخرجَنا منها المليكُ بقُدرةٍ ... كذلك ، يا للناسِ ، تجري المقادِرُ
أقولُ إذا نام الخليّ ولم أنم ... أذا العرشُ لا يبعد سُهيلٌ وعامر
وبُدِّلْتُ منها أوجُهاً لا أحِبُّها ... قبائل منها حِمْيَرٌ ويُحابر
وصِرْنا أحاديثاً وكُنَّا بغبطةٍ ... بذلك عضَّتنا السِّنونَ الغوابر
فَسحَّتْ دُموعُ العَين تبكي لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المشاعر[(٧)]
وتبكي لبيتٍ ليس يؤذَى حَمامُه ... يَظلّ (به) أمناً وفيه العَصَافر[(٨)]
وفيه وحوشٌ لا تُرام أنيسةٌ ... إذا خرجَتْ منه فليست تُغادر

---

(١) في ط : وأجلوهم .
(٢) وهما : زيادة من ط .
(٣) السيرة (١/ ١١٤) ، والروض الأنف (١/ ١٣٦) وما بعدها ، والأبيات فيهما .
(٤) البيت زيادة من ط . وهو كذلك في السيرة ، والروض الأنف .
(٥) صروف الدهر : نوائبه . والجدود : الحظوظ .
(٦) في ب ، وط . والسيرة ، والروض : علمته .
(٧) المشاعر : المواضع المشهورة في الحج التي يتعبَّد بها .
(٨) زيادة من ب ، وط . والسيرة ، والروض ، يستقيم بها الوزن . وقوله : العصافر : أراد العصافير ، وحذف الياء ضرورة .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث بن مُضاض أيضاً يذكر بني بكر وغبشان الذين خلفوا بعدهم بمكة[١] : [من البسيط]

يا أيها الناسُ سِيروا إن قَصرَكم   أن تصبحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا[٢]
حُثوا المطيَّ وأرْخوا من أَزِمّتها   قبلَ المماتِ وقضّوا ما تقضونا
كنا أناساً كما كنتم فغيّرنا   دهر فأنتم كما صرنا تصيرونا[٣]

قال ابن هشام : هذا ما صحَّ له منها . وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ولم يُسَمَّ قائلُها .

وذكر السهيلي[٤] لهذه الأبيات أخوة ، وحكى عندها حكاية معجبة وإنشادات معربة . قال : وزاد أبو الوليد الأزرقي في كتابه « فضائل مكة » على هذه الأبيات[٥] المنسوبة إلى عمرو بن الحارث بن مضاض : [من البسيط]

قد مالَ دهرٌ علينا ثم أهلكَنا   بالبغي فينا وبزّ الناسَ ناسونا[٦]
واستخبِروا في صنيع الناس قبلَكمُ   كما استبانَ طريقٌ عنده الهونا
كنا زماناً ملوكَ الناس قبلَكمُ   بمسكنٍ في حَرامِ الله مسكونا

***

(١) السيرة (١/ ١١٦) ، والروض الأنف (١/ ١٣٩) .
(٢) في ط : قصاركم . وهو تحريف وأراد نهايتكم وغايتكم .
(٣) في ب : كنا تصيرونا . وفي السيرة والروض : كما كنا تكونونا .
(٤) الروض الأنف (١/ ١٤٠) وما بعدها .
(٥) في ط : الأبيات المذكورة .
(٦) كذا في ط . ومثله عند السهيلي . وفي أ : فيه . وفي ب : فيه وكل الناس . وزاد في ب بعد هذا البيت :
إن التفكر لا يجدي بصاحبه   عند البديهة في علم له دونا
قضّوا أموركم بالحزم إن لها   أمور رشد رشدتم ثم مسنونا
وهما كذلك في الروض الأنف .

قصّة خزاعة وخبر عمرو بن لُحَي وَعبادة الأصنام بأرض العرب(١)

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خُزاعة ولِيَتِ البيتَ دون بني بكر بن عبد مناة ، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشاني ، وقُريش إذ ذاك حُلول وصِرَم(٢) وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة(٣) .

قالوا : وإنما سُميت خُزاعة خزاعة(٤) لأنهم تخزَّعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمرّ الظهران ، فأقاموا به . قال عون بن أيوب الأنصاري ثمّ الخزرجي : في ذلك يقول بعضهم(٥) : [من الطويل]

فلمّـا هبطْنـا بطـنَ مـرّ تخزّعـتْ ... خُـزاعـةُ مِنّـا فـي حُلُـولِ كَـرَاكـرِ
حمتْ كل وادٍ من تِهامةَ واحتمت ... بصُـمّ القَنـا والمـرهَفـاتِ البـواتـر

وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصاري الأوسي :

فلمـا هبطنـا بطـن مكـة أحْمـدت ... خـزاعـةُ دارَ الآكـل المتحـامـل
فحلـت أكـاريسـاً وشتّـت قبـائـلاً ... على كلِّ حيّ بينَ نجد وساحل(٦)
نفَوا جُرهماً عن بطن مكّة واحتبَوا ... بعـزٍّ خـزاعـيّ شـديـدِ الكـواهـل

فوليت(٧) خزاعة البيتَ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيْل بن حُبْشِية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي ، الذي تزوّج قصي بن كلاب ابنته حُبَّى ، فولدت له بنيه الأربعة : عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزّى ، وعبدا .

ثمّ صار أمر البيت إليه كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه(٨) إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

---

(١) في ط : قصة خزاعة وعمرو بن لحي وعبادة العرب للأصنام .
(٢) الصرم : الجماعات المتقطعة .
(٣) السيرة (١/ ١١٧) .
(٤) ليست في ب . وتخزعوا : انقطعوا عنهم وفارقوهم . الاشتقاق لابن دريد (٤٦٨) .
(٥) زيادة من ب يستقيم بها الخبر . فالبيتان لحسان بن ثابت ، وهما في ديوانه (٢٦٤ و٢٦٥) . مع خلاف في الرواية (تحقيق عبد الرحمن البرقوقي) . وأورد ابن دريد البيت الأول بعد حديثه عن اشتقاق (خزاعة) منسوباً إلى حسان .
(٦) في ط : وشتت قنابلاً . والأكاريس ، جمع أكراس ، وهي جمع كِرْس ، وهي أبيات من الناس مجتمعة .
(٧) عاد إلى نقل ما قاله ابن إسحاق .
(٨) سيأتي خبر قصي بعد صفحات في هذا الجزء .

واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمئة سنة ، وقيل : خمسمئة سنة . والله أعلم .

وكانوا مشؤومين[١] في ولايتهم ، وذلك لأن في زمانهم كان أول عبادة الأوثان بالحجاز ، وذلك بسبب رئيسهم عَمرو بن لُحي لعنه الله ، فإنه أول من دعاهم إلى ذلك[٢] ، وكان ذا مالٍ جزيلٍ جداً . يقال : إنه فقأ عين[٣] عشرين بعيراً ، وذلك عبارة عن أنه ملك عشرين ألف بعير ، وكان من عادة العرب أنّ من ملك ألف بعير فقأ عين واحد منها كأنه[٤] يدفع بذلك العين عنها . وممن ذكر ذلك الأزرقي .

وذكر السهيلي : أنه ربما ذَبح أيام[٥] الحجيج عشرة آلاف بَدَنة ، وكسا عشرة آلاف حُلَّة في كلّ سنة يطعم العرب ويحيس لهم الحيس بالسمن والعسل ، ويلتُّ لهم السَّويق[٦] . قالوا : وكان قولُه وفعلُه فيهم كالشرع المتّبع لشرفه فيهم ، ومحلته عندهم ، وكرمه عليهم .

قال ابن هشام[٧] : حدّثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَي خرج من مكة إلى الشام في بعض أُموره ، فلما قدم مآبَ من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق ، وهم ولد عِمْلاق ، ويقال : ولد[٨] عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح ، رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصر بها[٩] فتنصرنا . فقال لهم : ألا تعطوني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه . فأعطوه صنماً يقال له : هبل ، فقدِم به مكَة فنصبَه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه .

قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل عليه السلام أنه كان لا يَظْعَنُ من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفَسَحَ في البلاد[١٠] إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم ، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سَلَخَ ذلك

---

(١) في ط : وكانوا سوس .
(٢) الأصنام لابن الكلبي (٨) ، واللباب للسيوطي (١/ ٤٣٩) ، والسيرة (١/ ٧٦) ، والروض الأنف (١/ ٩٩) وما بعدها ، والأوائل للعسكري ص(٤٨ ط . السعودية ١٩٦٦) .
(٣) في ط : أعين .
(٤) في ط : لأنه .
(٥) في ب : زمن .
(٦) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً . واللت : الدَّقّ ، والفتّ ، والسحق . والسويق : ضرب من الطعام .
(٧) السيرة (١/ ٧٧) .
(٨) ليست في ب ، والسيرة .
(٩) في ط : ونستنصرها . وكذلك في السيرة .
(١٠) زيادة من ط . توافق نص السيرة .

بهم[١] إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخُلوفُ ، ونَسَوا ما كانوا عليه .

وفي الصحيح عن أبي رجاء العُطاردي ، قال : كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طُفنا بها .

قال ابن إسحاق : واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره ، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم عليه السلام يتمسكون بها ، من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عَرفات والمزدلفة ، وهَدْي البُدْن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . فيوحّدونه بالتلبية ويدخلون[٢] معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] . أي : ما يوحدونني لمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكاً من خلقي .

وقد ذكر السهيلي[٣] وغيره : أن أول من لبّى هذه التلبية عمرو بن لُحي ، وأن إبليس تبدّى له في صورة شيخ ، فجعل يلقّنه ذلك فيسمع منه ، ويقول كما يقول ، واتّبعه العرب في ذلك .

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا سمعهم يقولون : لبيك لا شريك لك يقول : « قَدٍ قَدٍ »[٤] أي : حَسْب حسب .

وقد قال البخاري[٥] : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي حصين[٦] ، عن (أبي صالح)[٧] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « عمرو بن لُحَي بن قَمْعَة بن خِندف أبو خُزاعة » تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : قرأت على أبي : حدّثنا عمرو بن مجمع ، حَدّثنا إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ قال[٨] : « إن أول من سَيَّبَ السَّوائب ،

(١) سلخ بهم : خرج بهم .
(٢) في ط : ثم .
(٣) الروض الأنف (١/ ١٠٢) .
(٤) رواه مسلم (١١٨٥) في الحج ، باب التلبية وصفتها ووقتها .
(٥) صحيح البخاري رقم (٣٥٢٠) ، في المناقب ، باب قصة خزاعة .
(٦) في أ ، وط : حفص ، وهو سهو . والزيادة من ب ، والبخاري .
(٧) سقط من ط .
(٨) قوله : عمرو بن لحي . . . إلى هنا زيادة من ب يستقيم بها النص ، ففيه اضطراب من قبل .

وعبدَ الأصنام ، أبو خزاعة عمرو بن عامر ، وإني رأيتُه يجرُّ أمعاءه في النار »تفرّد به أحمد[1] من هذا الوجه .

وهذا يقتضي أن عمرو بن لُحي هو أبو خزاعة الذي تنسب إليه القبيلة بكاملها ، كما زعمه بعضهم من أهل النسب ، فيما حكاه ابن إسحاق وغيره . ولو تركنا مجرد هذا لكان ظاهراً في ذلك ، بل كالنص . ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه ، فقال البخاري : حدّثنا[2] أبو اليمان : أخبرنا شُعيب ، عن الزهري ، قال : سمعت سعيد بن المسيِّب قال : البَحيرةُ التي يُمْنَعُ دَرُّها للطواغيت ولا يحلُبها أحدٌ من الناس ـ والسائبة ـ التي كانوا يُسَيّبونها لآلهتهم فلا يُحملُ عليها شيء . قال ، وقال[3] أبو هريرة : قال النبي ﷺ : « رأيتُ عَمْرو بن عامر بن لُحَيّ[4] الخزاعي يجر قُصْبَه في النار ، وكان أولَ من سيّب السوائب » .

وهكذا رواه البخاري[5] أيضاً ، ومسلم[6] من حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة به . ثمّ قال البخاري : ورواه ابن الهاد عن الزهري .

قال الحاكم : أراد[7] رواه ابن الهاد عن عبد الوهاب بن بخت ، عن الزهري . كذا قال .

وقد رواه أحمد عن منصور[8] بن سلمة الخزاعي [عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رأيت عمرو بن عامر][9] يجر قُصْبَه في النار ، وكان أول من سيب السوائب وبحر البحيرة » . ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بُخْت كما قال الحاكم . فالله أعلم .

وقال أحمد أيضاً[10] : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصْبَه في النار ، وهو أول من سَيَّب السوائب » .

---

(١) المسند (١/ ٤٤٦) .
(٢) في ط : وقال أبو اليمان . والحديث في البخاري رقم (٣٥٢١) ، في المناقب ، باب قصة خزاعة .
(٣) زيادة من ط ، والبخاري .
(٤) سقطت من ط .
(٥) صحيح البخاري رقم (٤٦٢٣) ، في تفسير سورة المائدة ، باب (١٣) .
(٦) صحيح مسلم رقم (٢٨٥٦) ، في الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون .
(٧) زاد في ط : البخاري .
(٨) المسند (٢/ ٣٦٦) . وفي ط : « عمرو » وهو خطأ ، فلا نعرف في شيوخ أحمد من اسمه عمرو بن سلمة ، وما أثبتناه هو الصواب (وينظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٣١) .
(٩) سقطت من ب بنقلة عين .
(١٠) المسند (٢/ ٢٧٥) .

وهذا منقطع من هذا الوجه . والصحيح : الزُّهري ، عن سعيد عنه كما تقدم .

وقوله في هذا الحديث والذي قبله « الخزاعي » يدل على أنه ليس والد القبيلة بل منتسبٌ ، فلعل[١] ما وقع في الرواية من قوله « أبو خزاعة » [تصحيف من الراوي من (أخو خزاعة)][٢] ، أو أنه كان يُكنى بأبي خزاعة ، ولا يكون ذلك من باب الإخبار بأنه أبو خزاعة كلّهم . والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي : أن أبا صالح السمّان حدّثه : أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجَوْن الخزاعي : « يا أكْثَم ، رأيتُ عَمْرَو بنَ لُحي بن قَمعة بن خِنْدف يَجُرُّ قُصْبَه في النار ، فما رأيتُ رجلاً أشبهَ برجُلٍ منكَ بِه ولا بِكَ مِنْهُ » . فقال أكثم : عسى أن يَضُرَّني شبهه يا رسول الله ؟! قال : « لا ، إنك[٤] مؤمنٌ وهو كافر . إنه كانَ أولَ مَنْ غيّر دينَ إسماعيل فَنَصَبَ الأوثانَ ، وبَحَر البَحِيْرَةَ ، وسيَّب السائبة ، ووَصَلَ الوَصِيْلَة ، وحَمَى الحامي[٥] » .

ليس في الكتب من هذا الوجه . وقد رواه ابن جرير عن هناد عن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه أو مثله . وليس في الكتب أيضاً .

وقال البخاري[٦] : حدّثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرماني ، حدّثنا حسان بن إبراهيم ، حدّثنا يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ جهنَّم يَحطم بعضُها بعضاً ، ورأيتُ عَمْراً يجرُّ قُصْبَه ، وهو أول من سيَّب السوائب » . تفرّد به البخاري .

وروى الطبراني من طريق صالح[٧] ، عن ابن عباس مرفوعاً في ذلك[٨] .

والمقصود أن عمرو بن لُحَي لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء في الدين غيّر بها دينَ الخليل ، فاتبعه العرب في ذلك ، فَضَلُّوا بذلك ضلالاً بعيداً بيّناً فظيعاً شنيعاً . وقد أنكر الله تعالى عليهم في كتابه العزيز في غير ما آية منه ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) في ط : إليها مع .
(٢) سقطت من ب بنقلة عين .
(٣) السيرة (١/ ٧٥) . والقصب : الأمعاء .
(٤) لا زيادة من ط . والسيرة .
(٥) الأصنام لابن الكلبي ص(٥٨) . والوصيلة : الناقة البكر تنتج أنثى ثم أنثى ، يسيبونها لطواغيتهم . والحام : فحل الإبل ، يتركونه للطواغيت ويعفونه من الحمل .
(٦) صحيح البخاري رقم (٤٦٢٤) ، في تفسير سورة المائدة ، باب (١٣) .
(٧) في معجمه الكبير (١٠٨٠٨) ، وصالح هو مولى التوأمة .
(٨) في ب : مرفوعاً بنحوه نحو ذلك .

ٱلْكَذِبَۚ ﴾ . . الآية [النحل : ١١٦] . وقال تعالى ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٣] .

وقد تكلّمنا على هذا كلّه مبسوطاً وبيّنا اختلافَ السلف في تفسير[١] ذلك ، فمن أراده فليأخذه من ثَمَّ . ولله الحمد والمنة .

وقال تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل : ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام : ١٣٦ ـ ١٤٠] .

قال البخاري في صحيحه[٢] : باب جهل العرب :

حدّثنا أبو النُّعمان ، حدّثنا أبو عوانة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : إذا سَرَّكَ أن تعلم جهلَ العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة في سورة الأنعام : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [١٤٠] .

وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة التي ظنّها كبيرُهم عَمرو بن لُحَي قبّحه الله مصلحةً ورحمةً بالدواب والبهائم ، وهو كاذب مفترٍ في ذلك ، ومع هذا الجهل والضلال اتّبعه هؤلاء الجهلةُ الطَّغَام[٣] فيه ، بل قد تابعوه فيما هو أطَمُّ[٤] من ذلك وأعظم بكثير ، وهو عبادة الأوثان مع الله عز وجل ، وبدّلوا ما كان اللهُ بعث به إبراهيمَ خليلَه من الدين القويم والصراط المستقيم ، من توحيد عبادة الله وحدَه لا شريك له ، وتحريمِ الشرك ، وغيّروا شعائر الحج ومعالمَ الدين بغير علم ولا برهان ولا دليلٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ ، واتّبعوا في ذلك مَن كان قبلهم من أمم المشركين ، وشابهوا قومَ نوح ،

---

(١) في ب : تفسيرنا .

(٢) (٦/ ٥٥٠) ، في المناقب . وفيه : باب قصة زمزم وجهل العرب .

(٣) الطَّغَام : أوغاد الناس .

(٤) في ب : أطم وأعظم من ذلك بكثير . وأطَمّ : أدهى وأعجب .

وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الأصنام ، ولهذا بعث الله إليهم نوحاً وكان أول رسول بُعث يَنهى عن عبادة الأصنام ، كما تقدم بيانه في قصة نوح[١] ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ﴾ الآية [نوح : ٢٣ ـ ٢٤] .

قال ابن عباس : كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم . وقد بيّنا كيفيةَ ما كان من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن إعادته هاهنا .

قال ابن إسحاق[٢] وغيره : ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبديلهم دين إسماعيل ، فكان وَدٌّ لبني كلب بن وَبْرة[٣] بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة . وكان منصوباً بدَوْمَة الجَنْدَلِ .

وكان سُواع لبني هذيل بن إلياس بن مُدْرِكة بن مضر . وكان منصوباً بمكان يقال له رُهَاط[٤] .

وكان يَغُوث لبني أنْعُمَ من طيّئ ولأهل جُرَش من مذحِج وكان منصوباً بجرش[٥] .

وكان يَعُوقُ منصوباً بأرض هَمْدان من اليمن لبني خَيْوان بطن من هَمْدان[٦] .

وكان نَسْر منصوباً بأرض حِمْير لقبيلة يقال لهم : ذو الكلاع[٧] .

قال ابن إسحاق : وكان لخَولان بأرضهم صَنمٌ يقال له : عم أنس[٨] يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله فيما يزعمون ، فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسموه له تركوه له ، وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردّوه عليه ، وفيهم أنزل الله ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ .

قال : وكان لبني مِلْكان بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة صنم يقال له : سَعْدٌ ، صخرةٌ بفلاة أرضهم طويلة ، فأقبل رجلٌ منهم بإبلٍ له[٩] ليقفها عليه التماسَ بركتِه ، فيما يزعم ، فلما رأته الإبل ، وكانت مرعيةً لا تُركب ، وكان الصنم يُهرَاق عليه الدماء ، نفرت منه فذهبت في كل وجه ، وغضب ربها ، فأخذ حجراً فرماه به ثم قال : لا بارك الله فيك ، نفرت عليّ إبلي ، ثم خرج في طلبها ، فلما اجتمعت له قال :

---

(١) في الجزء الأول من هذا الكتاب . والسيرة (١/ ٧٨) .
(٢) السيرة (١/ ٧٨) ، والروض الأنف (١/ ١٠٢) .
(٣) كذا في ب . وهو الصحيح . وفي أ وط : مرة وهو سهو . الأصنام لابن الكلبي ص(١٠) .
(٤) الأصنام ص(٩) .
(٥) الأصنام ص(١٠) ، ولم يذكر أنه لطيّئ .
(٦) الأصنام ص(١٠) .
(٧) الأصنام ص(١١) .
(٨) في السيرة : عُميانس : وأشار المحقق إلى ما أورده ابن كثير . وفي الأصنام ص(٤٣) عُمْيَانِس .
(٩) زاد في ط : مؤبلة . وفي الأصنام ص(٣٦) ، ذكر موضع الصنم أنه بساحل جدة . والتنوفة : القفر .

أتينـا إلـى سعـدٍ ليجمـعَ بيننـا فشتّتنا سعدٌ فلا نحنُ من سعد[١]
وهـل سعـدُ إلّا صَخـرةٌ بِتنـوفـةٍ من الأرض لا يَهدي لغيّ ولا رُشْد[٢]

قال ابن إسحاق : وكان في دوس صنم[٣] لعمرو بن حُممة الدوسي .

قال وكانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له : هبل ، وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام أنه أول صنم نصبه عمرو بن لُحَي لعنه الله .

قال ابن إسحاق[٤] : واتخذوا إسافاً ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما . ثم ذكر أنهما كانا رجلاً وامرأةً ، فوقع عليها في الكعبة فمسخهما الله حجرين[٥] . ثم قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عَمْرة أنها[٦] سمعت عائشة تقول : ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة كانا رجلاً وامرأةً من جُرهم ، أحدثا في الكعبة ، فمسخهما الله عز وجل حجرين . والله أعلم .

وقد قيل[٧] إن الله لم يمهلهما حتى فجرا فيها ، بل مسخهما قبل ذلك ، فعند ذلك نُصِبا عند الصفا والمروة ، فلما كان عمرو بن لُحي نقلهما فوضعهما على زمزم وطاف الناس بهما . وفي ذلك يقول أبو طالب : [من الطويل]

وحيث يُنيخُ الأشْعَرونَ ركابَهُم بِمُفْضَىٰ السُّيولِ من إسافٍ ونائلِ[٨]

وقد ذكر الواقدي : أن رسول الله ﷺ لما أمر بكسر نائلة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور[٩] .

وقد ذكر السهيلي : أن أجا وسلمى وهما جبلان بأرض الحجاز إنما سميا باسم رجل اسمه أجا بن عبد الحي فَجَرَ بسلمى بنت حام فصلبا في هذين الجبلين فعرفا بهما . قال : وكان بين أجا وسلمى صنم لطيّئ يقال له : فَلْس[١٠] .

---

(١) في ط : ليجمع شملنا . . وكذلك في الأصنام ص(٣٧) .
(٢) في ط : لا يدعو . وفي الأصنام : لا يُدعى .
(٣) هو ذو الكفّين ، كما ذكر ابن الكلبي ص(٣٧) .
(٤) السيرة (١/ ٨٢) .
(٥) في ب : فمسخا حجرين .
(٦) في ط ، والسيرة : أنها قالت سمعت .
(٧) الروض الأنف (١/ ١٠٥) .
(٨) البيت في السيرة (١/ ٨٣) ، وروض الأنف (١/ ١٠٦) ، والأصنام ص(٢٩) .
(٩) المغازي (٢/ ٨٤١) .
(١٠) الروض الأنف (١/ ١٠٧ ـ ١٠٨) . والأصنام ص(٥٩) .

قال ابن إسحاق[١] : واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسَّح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره . فإذا قدم من سفره تمسَّح به ، فكان[٢] أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله . قال : فلما بعث اللهُ محمداً ﷺ بالتوحيد قالت قريش : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] .

قال ابن إسحاق : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سَدَنة وحُجَّاب ، وتُهدي لها كما تهدي للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها[٣] ، وتنحر عندها كما تنحر عندها[٤] . وهي مع ذلك تعرف فَضْل الكعبة عليها ، لأنها بناءُ إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده .

فكانت لقريش وبني كنانة العُزَّى بِنَخْلَة ، وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من سُلَيم حُلفاء بني هاشم ـ وقد خرّبها خالد بن الوليد زمن الفتح كما سيأتي ـ .

قال : وكانت اللاتُ لثقيف بالطائف ، وكانت سدنتها وحجّابها بني مُعَتّب من ثقيف[٥] وخرّبها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة بعد مجيء أهل الطائف كما سيأتي .

[قال][٦] : وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقُدَيْد[٧] . وقد خرَّبها أبو سفيان أيضاً ، وقيل علي بن أبي طالب كما سيأتي .

قال : وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بِتَبَالة[٨] ، وكان يقال له : الكعبة اليمانية ، ولبيت مكة الكعبة الشامية . وقد خرَّبه جرير بن عبد الله البجلي كما سيأتي .

قال : وكان فلس لطيّئ[٩] بين أجا وسلمى ، وهما جبلان مشهوران كما تقدم .

قال : [وكان ريَآم[١٠] بيتاً لحمير وأهل اليمن كما تقدم][١١] ذكره في قصة تبع أحد ملوك حمير ،

---

(١) السيرة (١/ ٨٣) .
(٢) في ط : فكان ذلك .
(٣) في ب : وتطوف بها كتطوافها بالكعبة .
(٤) ليست في ط . ولا السيرة .
(٥) السيرة (١/ ٨٥) .
(٦) زيادة من ط . والسيرة .
(٧) قديد : موضع قرب مكة . والمشلل : جبل يهبط منه إلى القديد من ناحية البحر .
(٨) تبالة : موضع على مسيرة سبع ليال من مكة .
(٩) في ط . والسيرة : لطيئ ومن يليها بجبلي طيء . وفي الأصنام ص(٥٩) : وكان أنفاً أحمر في وسط جبلهم الذي يقال له أجأ ، أسود كأنه تمثال إنسان .
(١٠) في ط : رآم .
(١١) سقط من ب بنقلة عين .

وقصة الحَبْرَيْن حين خرباه وقتلا منه كلباً أسود .

قال : وكانت رُضاء[١] بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ولها يقول المستوغر ، واسمه عمرو[٢] بن ربيعة بن كعب : [من الكامل]

ولقد شددت على رُضاءٍ شَدَّةً فتركتُها قفراً بقاعٍ أسحما
وأعان عبد الله في مكروهها وبمثلِ عبد الله أَغْشى المَحْرما[٣]

ويقال : إن المستوغر هذا عاش ثلاثمئة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمراً ، وهو الذي يقول : [من الكامل]

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مئة حدتها بعدها مئتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقى إلا كما قد فاتنا يوم يمرُّ وليلة تحدونا[٤]

قال ابن هشام : وتُروى[٥] لزهير بن جناب بن هُبل .

قال السهيلي : ومن المعمَّرين الذين جازوا المئتين والثلاثمئة زهير هذا ، وعبيد بن شرية ، ودَغْفَل ابن حنظلة النسّابة ، والربيع بن ضبع الفزاري ، وذو الإصبع العدواني ، ونصر بن دهمان بن أشجع بن ريث بن غطفان ، وكان قد اسود شعره بعد ابيضاضه ، وتقوَّم ظهره بعد اعوجاجه[٦] .

قال[٧] : وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب بن وائل وإياد بِسَنْداد[٨] ، وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة[٩] : [من الكامل]

---

(١) في الأصنام ص(٣٠) : رُضًى .
(٢) في أ ، و : ب ، و : ط و : كعب بن ربيعة . . . وهذا غير معروف . ألقاب الشعراء (في نوادر المخطوطات) (٢/ ٣٠٤) ، والشعر والشعراء (١/ ٣٨٤) ، والمعمرين (١٢ ـ ١٣) ، والأصنام ص(٣٠) .
(٣) في الأصنام : ودعوت . . . ولمثل عبد الله يغشى المحرما .
(٤) قوله : بقَى ، يريد بقيَ ، وهي لغة لطيئ . والأبيات في المعمرين ص(١٢) ، والشعر والشعراء (١/ ٣٨٤) . إضافة إلى السيرة .
(٥) في ط : وتروى هذه الأبيات . وزهير بن جناب بن هبل الكلبي من المعمرين أيضاً . انظر المعمرين : (٣١) .
(٦) الروض الأنف (١/ ١١٠) . وانظر ذكراً لهؤلاء في المعمرين .
(٧) ابن إسحاق (١/ ٨٨) .
(٨) سنداد : من منازل إياد أسفل سواد الكوفة .
(٩) كذا في الأصل . والسيرة . وأشار ابن هشام إلى أن هذا البيت للأسود بن يعفر النهشلي . وليست الأبيات في ديوان الأعشى بشرح الدكتور محمد محمد حسين ، رحمه الله .

بين الخَوْرَنَقِ والسَّدِيرِ وبارقٍ   والبيتِ ذي الشُّرفاتِ من سندادِ

وأول هذه القصيدة(١) : [من الكامل]

ولقد علمتُ وإن تطاول بي المدى   أن السبيل سبيل ذي الأعواد
ماذا أؤمّل بعد آل محرّق   تركوا منازلهم وبعد إياد
نزلوا بأنقرةٍ يسيل عليهم   ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض الخورنق والسدير وبارق   والبيت ذي الشرفات من سنداد
جرت الرياح على محلّ ديارهم   فكأنما كانوا على ميعاد
وأرى النعيم وكل ما يُلهى به   يوماً يصير إلى بِلىً ونفاد

قال السهيلي(٢) : الخورنق : قصر بناه النعمان الأكبر لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناه رجل يقال له : سنِمَّار في عشرين سنة ، ولم ير بناء أعجب منه ، فخشي النعمان أن يبني لغيره مثله فألقاه من أعلاه فقتله . ففي ذلك يقول الشاعر(٣) : [من البسيط]

جزاني جزاه الله شر جزائه   جزاء سنمَّار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة   يعلقْ عليه بالقرامد والسكب(٤)
فلما انتهى البنيان يوماً تمامه   وآض كمثل الطود والباذخ الصعب
رمى بسنمَّار على حق رأسه   وذاك لعمر الله من أعظم الخطْب(٥)

قال السهيلي : أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان(٦) . والسِّنمّار من أسماء القمر(٧) .

والمقصود أن هذه البيوت كلها هدمت ، لما جاء الإسلام ، جهز رسول الله ﷺ إلى كل بيت من هذه

---

(١) هذه الأبيات ضمن قصيدة مفضلية للأسود بن يعفر ، ص(٢١٦) وما بعدها ، مع بعض اختلاف في الرواية . وكذلك نسب السهيلي البيت الأول للأسود بن يعفر .
(٢) الروض الأنف (١/ ١١١) ومن قوله : الخورنق إلى قوله : السهيلي وبداية المقطع الثاني سقط من ب بنقلة عين .
(٣) هو شرحبيل الكلبي كما في ثمار القلوب للثعالبي (١/ ١٣٩) . ولعبد العزى بن امرئ القيس الكلبي كما في الأمالي الشجرية (١/ ١٠٢) .
(٤) في ط ، وب : سوى رضفه . . . يعد عليه . . والسكب : النحاس أو الرصاص .
(٥) في ب ، ط : من أقبح .
(٦) حياة الحيوان (١/ ٢٣) .
(٧) زاد في ب : وقال آخر :
جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر   وحسن ظن كما يجزى سنمَّار
وأما السدير : فبيت الملك . وذو الكعبات ، وهي الشرفات ، بيت كانوا ينحرون عنده ويطوفون به كما ذكره ابن إسحاق وغيره . والله أعلم .

سرايا تخربه ، وإلى تلك الأصنام من كسرها ، حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها ، وعبد الله وحده لا شريك له ، كما سيأتي بيانه وتفصيله في مواضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

***

خبر عدنان جد عرب الحجاز
[وهو الذي ينتهي إليه نسب رسول الله ﷺ][١]

لا خلاف أن عدنان من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، عليهما السلام ، واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين إسماعيل . على أقوال كثيرة ، فأكثر ما قيل : أربعون أباً ، وهو الموجود عند أهل الكتاب ، أخذوه من كتاب رخيا كاتب أرميا بن حلقيا ، على ما سنذكره . وقيل : بينهما ثلاثون . وقيل : عشرون . وقيل : خمسة عشر . وقيل : عشرة . وقيل : تسعة . وقيل : سبعة . وقيل : إن أقل ما قيل في ذلك : أربعة ، لما رواه موسى بن يعقوب[٢] الزمعي ، عن عمته ، عن أم سلمة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « معد بن عدنان بن أُدَدْ بن زند بن اليرى بن أَعْراق الثرى »[٣] . قالت أم سلمة : فَزَنْد : هو الهَمَيْسع ، واليَرى : هو نابت ، وأعراق الثرى : هو إسماعيل لأنه ابن إبراهيم ، وإبراهيم لم تأكله النار ، كما أن النار لا تأكل الثرى .

قال الدارقطني : لا نعرف زنداً إلا في هذا الحديث وزَنْدَ بن الجَون[٤] أبا دلامة الشاعر .

قال الحافظ أبو القاسم السهيلي[٥] ، وغيره من الأئمة : مدة ما بين عدنان إلى زمن إسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة آباء أو عشرة أو عشرون ، وذلك أن معدّ بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر ثنتي عشرة سنة . وقد ذكر أبو جعفر الطبري[٦] وغيره أن الله تعالى أوحى[٧] إلى أرميا بن حلقيا أن اذهب إلى بخت نصر فأعلمه أني سلطته على العرب ، وأمر الله لأرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي

---

(١) سقط من ط .
(٢) تمم نسبه في ط فقال : ابن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة . تقريب التهذيب (٢/ ٢٨٩) .
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٢٧١) ، ورواه السهيلي في الروض (١/ ١١) ، وقال : أصح شيء روي فيما بعد عدنان .
(٤) في ط : الجون وهو أبو دلامة . والخبر نقله السهيلي في الروض (١/ ١١) ، عن الدارقطني . وأبو دلامة شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، توفي سنة (١٦١هـ) . وله ديوان شعر جمعه الدكتور رشدي علي حسن وطبع في مؤسسة الرسالة (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م) .
(٥) الروض الأنف (١/ ١١) .
(٦) تاريخه (١/ ٥٥٨ - ٥٥٩) .
(٧) زاد في ط : في ذلك الزمان .

لا تصيبه النقمة[١] ، فإني مستخرجٌ من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل . ففعل أرميا ذلك ، واحتمل معداً[٢] إلى أرض الشام ، فنشأ مع بني إسرائيل ممن بقي منهم بعد خراب بيت المقدس ، وتزوج هناك امرأة اسمها معانة بنت جوشن[٣] من بني دب بن جرهم قبل أن يرجع إلى بلاده ، ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحضت جزيرة العرب[٤] . وكان رخيا كاتب أرميا قد كتب نسبه في كتاب عنده ليكون في خزانة أرميا فيحفظ نسب معد[٥] لذلك . والله أعلم . ولهذا كره مالك رحمه الله رَفْعَ النسب إلى ما بعد عدنان .

قال السهيلي[٦] : وإنما تكلمنا في رفع هذه الأنساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه ، كابن إسحاق والبخاري والزُّبير بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء . وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك ، وقال من أين له بعلم[٧] ذلك ؟ فقيل له : فإلى إسماعيل ؟ فأنكر ذلك أيضاً وقال : ومن يخبره به ، وكره أيضاً أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال : إبراهيم بن فلان بن فلان ، هكذا ذكره المعَيْطي في كتابه[٨] . قال : وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير أنه قال : ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل[٩] . وعن ابن عباس أنه قال : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يُعرفون .

وروي عن ابن عباس أيضاً أنه كان إذا بلغ عدنان يقول : كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً[١٠] . والأصح

---

(١) زاد في ط : فيهم .
(٢) زاد في ط : على البراق .
(٣) في الطبري (١/ ٥٦٠) ، أن معداً تزوج معانة بنت جوشم بن جلهمة الجرهمي .
(٤) تمحضت : تخلصت من الشوائب ، وزاد في ب هنا . ذكر السهيلي إنما سلط الله تعالى عليهم بخت نصر على العرب لأنه كان بعث فيهم رسولاً يقال له : شعيب بن ذي مهدم ، فكذبوه وقتلوه ، فقبره بجبل باليمن يقال له : صنين . قال : وليس بشعيب صاحب مدين ، وذاك شعيب بن عَيفي ، ويقال : ابن صيفون . قال : وبعث الله تعالى إلى العرب نبياً آخر يقال له : حنظلة بن صفوان ، فكذبوه أيضاً ، فسلط الله عليهم . بخت نصر . وفي هذا الذي قاله نظر من وجوه ، من آكدها قوله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ والمراد بهم العرب ؛ لا أهل مكة على الخصوص ، وسنزيد هذا بسطاً فيما بعد ، إن شاء الله تعالى . الروض الأنف ، (١/ ١٢) ، وتاريخ الطبري (٢/ ٢٧١) .
(٥) زاد في ب : وكان النسب بينه وبين إسماعيل قريباً من أربعين أباً كما تقدم ، لكن تختلف ألفاظ الضابطين . تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٤) .
(٦) الروض الأنف (١/ ١٤) .
(٧) في ط : وقال له من له علم ذلك .
(٨) قال السهيلي : وقع هذا الكلام لمالك في الكتاب الكبير المنسوب إلى المعيطي ، وإنما أصله لعبد الله بن محمد بن حنين ، وتممه المعيطي ، فنسب إليه .
(٩) من قوله : روي عن . . . إلى هنا زيادة من ط ، والسهيلي .
(١٠) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، ونسبه لابن سعد وابن عساكر ، من حديث ابن عباس ، وهو ضعيف .

عن ابن مسعود مثله . وقال عمر بن الخطاب إنما تنسب إلى عدنان .

وقال أبو عمر بن عبد البر في كتابه « الإنباه في معرفة قبائل الرواه » روى ابن لهيعة عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول : ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا وراء قحطان إلا تخرُّصاً ، وقال أبو الأسود : سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة ، وكان من أعلم قريش بأشعارهم وأنسابهم يقول : ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم .

قال أبو عمر[١] : وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأودي ومحمد بن كعب القرظي إذا تلوا ﴿ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [إبراهيم : ٩] قالوا : كذب النسابون[٢] .

قال أبو عمر رحمه الله : والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا[٣] ، والمراد أن من ادعى إحصاء بني آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم ، وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهات قبائلها ، واختلفوا في بعض فروع ذلك[٤] .

قال أبو عمر : والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا : عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور ابن[٥] يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام . وهكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في « السيرة »[٦] .

قال ابن هشام : ويقال : عدنان بن أد ، يعني عدنان بن أد بن أدد . ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم كما قدمناه في قصة الخليل عليه السلام .

وأما الأنساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحفوظة شهيرة جداً لا يتمارى فيها اثنان ، والنسب النبوي إليه أظهر وأوضح من فلق الصبح . وقد ورد حديث مرفوع بالنص عليه كما سنورده في موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر أنسابها وانتظامها في سلك النسب الشريف والأصل المنيف إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وما أحسن ما نظم النسب النبوي الإمام أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ في قصيدته المشهورة المنسوبة إليه وهي قوله : [من الطويل]

---

(١) زاد في ب : ابن عبد البر .
(٢) الإنباه (١٧ ـ ١٩) وتفسير الطبري (١٣/ ١٢٥) .
(٣) زاد في ب : إليه .
(٤) الإنباه (١٩) وزاد في ب : وقد حرَّر ذلك مستقصىً مطولاً الإمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه ، وذكر الخلاف في ذلك مبسوطاً رحمه الله . تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٤) .
(٥) زاد في ط : ابن تيرح . وكذلك في السيرة .
(٦) السيرة (١/ ٢) ، والإنباه (٢٠) .

مـدحـتُ رسـولَ الله أبغـي بمـدحِـه وُفورَ حظوظي من كريمِ المآربِ
مدحتُ امرأً فاقَ المديحَ موحّداً بـأوصـافـه عـن مُبعِـدٍ ومقـارِب(١)
نبيّـاً تسـامـى فـي المشـارقِ نـورُه فـلاحـتْ هَـواديـه لأهـلِ المغـاربِ
أتتنـا بــه الأنبـاءُ قبـلَ مجيئـه وشاعتْ به الأخبارُ في كلّ جانب
وأصْبَحَـتِ الكُهّـانُ تهتـفُ بـاسمـهِ وتنفـي بـه رجـمَ الظنـونِ الكـواذب
وأُنطِقـت الأصنـامُ نطقـاً تبـرّأت إلـى الله فيـهِ مـن مَقـالِ الأكـاذب
وقـالـت لأهـل الكفـر قـولاً مبيّناً : أتـاكـم نبـيٌّ مـن لـؤيّ بـنِ غـالـب
ورامَ استـراقَ السمـع جـنٌّ فـزيّلـتْ مقاعدَهم منها رجومُ الكواكب(٢)
هدانا إلى ما لم نكنْ نهتدي له لطولِ العمى من واضحات المذاهب
وجــاء بــآيــات تبيّــن أنهــا دلائــلُ جبّــارٍ مثيــبِ معــاقــب
فمنها انْشقاقُ البدرِ حين تعمّمت شعوبُ الضيا منه رؤوس الأخاشب(٣)
ومنهـا نبـوعُ المـاء بيـنَ بَنـانـه وقد عدِمِ الورّاد قربَ المشارب(٤)
فـروّى بـه جمّـاً غَفيـراً وأسْهلـت بـأعنـاقِـهِ طـوعـاً أكُفّ المـذانِـب(٥)
وبئرٍ طفتْ بالماء من مَسّ سَهْمِه ومن قبلُ لم تسمح بمَذْقةِ شارب(٦)
وضـرع مَـرَاهُ فـاستـدرّ ولـم يكـنْ بـه دِرّةٌ تُصغـي إلـى كـفّ حـالـب
ونُطـقِ فصيـحٍ مـن ذِراع مبينـةٍ لكيـدِ عـدوٍّ للعـداوة نـاصـب
وإخبـارِه بـالأمـر مـن قبـلِ كـونـه وعنـدَ بـواديـه بمـا فـي العـواقـب
ومـن تلكـم الآيـاتِ وَحـيٌ أتـى بـه قـريـب المـآتـي مستجـمّ العجـائـب
تقـاصـرتِ الأفكـارُ عنـه فلـم يطـعْ بليغاً ولم يَخْطُر على قلبِ خاطب
حَوى كلَّ عِلمٍ واحْتَوى كلَّ حِكمةٍ وفـاتَ مـرامَ المستمـرّ المـوارب

(١) في ط : عن معبد .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحجر : ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [١٧ - ١٨] .
(٣) قال عز وجل ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ . وحديث انشقاق القمر مشهور أورد ابن الأثير رواياته في جامع الأصول (١١/٣٩٦) عن البخاري ومسلم والترمذي . والأخاشب : الجبال .
(٤) حديث نبع الماء بين أصابعه ﷺ أخرجه مسلم (٣٠٠٦ وحتى ٣٠١٤) ، في الزهد ، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .
(٥) المذانب : جمع مِذْنب وهو سيل الماء إلى الأرض .
(٦) المذقة : الشّربة .

أتـــانــا بـــه لا عَـــن رَويَّـــة مـــرتــئٍ ... ولا صُحْفِ مُسْتَمْلٍ ولا وصفِ كاتب
يـــواتيـــه طـــوراً فـــي إجـــابـــةِ ســـائـــلٍ ... وإفتـــاءِ مستفْـــتٍ ووعْـــظ مخـــاطـــب
وإتيـــان بـــرهـــانٍ وفـــرضِ شـــرائـــعٍ ... وقـــصِّ أحـــاديـــثٍ ونـــصّ مـــآرب
وتصـــريـــف أمثـــالٍ وتثبيـــتِ حُجّـــة ... وتعـــريـــفِ ذي جَحـــدٍ وتـــوقيـــف كـــاذب
وفي مَجمع النادي، وفي حومةِ الوغى ... وعنـــدَ حـــدوثِ المعضِـــلات الغـــرائـــب
فيـــأتـــي علـــى مـــا شئـــتَ مـــن طُـــرقـــاتـــه ... قـــويـــمَ المعـــانـــي مستـــدرَّ الضَّـــرائـــب
يصـــدّقُ منـــه البعـــضُ بعضـــاً كـــأنمـــا ... يـــلاحَـــظ معنـــاه بعيـــنِ المـــراقـــب
وعجْزُ الورَى عن أن يجيؤوا بمثلِ ما ... وصَفنـــاهُ معلـــومٌ بطـــول التجـــارب
تـــأبَّـــى (بعبـــدِ الله) أكـــرمِ والـــدٍ ... تبلّـــجَ منْـــه عـــن كـــريـــمِ المنـــاســـب
و (شيبة) ذي الحمدِ الذي فخرت به ... قـــريـــشٌ علـــى أهـــلِ العُلَـــى والمنـــاصـــب
ومَـــن كـــان يُستسْقَـــى الغمـــامُ بـــوجهـــه ... ويُصـــدَر عـــن آرائـــه فـــي النـــوائـــب
و (هـــاشـــمٌ) البـــانـــي مُشيـــد افتخـــارِه ... بعـــزّ المســـاعـــي وامتهـــانِ المـــواهـــب(١)
و (عبدِ مناف) وهو علَّم قومَه اشـ ... ـتطـــاط الأمـــانـــي واحتكـــامَ الـــرغـــائـــب
وإن (قُصَيّـــاً) مـــن كـــريـــمِ غِـــراســـه ... لفـــي مَنهـــلٍ لـــم يَـــدنُ مـــن كـــف قـــاضـــب
بـــه جَمـــع الله القبـــائـــلَ بعـــد مـــا ... تقسَّمهـــا نهـــبُ الأكـــفّ الســـوالـــب
وحلَّ (كلابٌ) من ذُرى المجدِ معقلاً ... تقـــاصَـــرَ عنـــه كـــلُّ دانٍ وغـــائـــب
و (مُـــرَّة) لـــم يحلـــل مـــريـــرةَ عـــزمـــه ... سِفـــاهُ سَفيـــهٍ أو مَحُـــوبـــةُ حـــائـــب(٢)
و(كعب) عَلَا عن طالبِ المجدِ كعبُه ... فنـــال بـــأدنـــى السعـــي أعـــلا المـــراتـــب
وألـــوى (لـــؤيٌّ) بـــالعُـــداة فطُـــوّعـــت ... لـــه هِمَـــمُ الشُّـــمِّ الأنـــوفِ الأغـــالـــب
وفي (غالبٍ) بأسٌ أبَى البأسُ دونهم ... يُـــدافـــع عنهـــم كـــلّ قِـــرنٍ مُغـــالـــب
وكـــانـــت (لفهـــرٍ) فـــي قـــريـــشٍ خَطـــابـــة ... يعـــوذُ بهـــا عنـــدَ اشتجـــارِ المُخـــاطـــب
ومـــا زالَ منهـــم (مـــالـــكٌ) خيـــرَ مـــالـــكٍ ... وأكـــرمَ مصحـــوبٍ وأكـــرمَ صـــاحـــب
و(للنضْر) طولٌ يقصُرُ الطَّرفُ دونَه ... بحيـــثُ التقـــى ضـــوءَ النجـــومِ الثـــواقـــب
لَعَمـــري لقـــد أبـــدى (كِنـــانـــةُ) قبلـــه ... محـــاســـنَ تـــأبـــى أن تَطـــوعَ لغـــالـــب(٣)

---

(١) في ط : وامتنان .
(٢) الحوبة : الإثم .
(٣) كذا في ط . وهو الصحيح . وفي أ وب بعده .

ومـن قبلـه أبقـى (خُـزيْمَـةُ) حَمْـدَه تليـدَ تُـراثٍ عـن حَميـدِ الأقـارب[١]
و(مـدرِكـةٌ) لـم يـدركِ النـاسُ مثلَـه أعـفّ وأعلـى عـن دنـيّ المكـاسـب
و(إليـاسُ) كـان اليـأسُ منـه مُقـارِنـاً لأعـدائـه قبـل اعتـدادِ الكتـائـب
وفـي (مُضَـرٍ) يُستجمَـع الفخـرُ كلُّـه إذا اعتـركـتْ يـومـاً زُحُـوفُ المقـانـب[٢]
وحـلَّ (نـزارٌ) مـن ريـاسـة قـومـه محـلًّا تسـامـى عـن عيـونِ الـرواقـب[٣]
وكـان (معـدّ) عِـدَّةً لـوليّـه إذا خـافَ مـن كيـدِ العـدوّ المحـارب
ومـا زال (عـدنـان) إذا عُـدّ فضلُـه تـوحَّـد فيـه عـن قـريـنٍ وصـاحـب
و (أُدّ) تـأدّى الفضـلُ منـه بغـايـةٍ وإرثٍ حـواهُ عـن قُـرومٍ أشـايـب[٤]
وفـي (أُدَدٍ) حلْـم تـزيَّـنَ بـالحِجـا إذا الحلـم أزهـاهُ قطـوبُ الحـواجـب
ومـا زال يَستعلـي (هَميسـعُ) بـالعلـى ويبلـغ آمـالَ البعيـدِ المـراغـب[٥]
و (نبـتٍ) بنتْـهُ دوحـةُ العـزّ وابتغـى معـاقلَـه فـي مُشْمَخـرٍّ الأهـاضـب[٦]
وحِيـزتْ (لِقيـذارٍ) سمـاحـةُ حـاتـم وحكمـةُ لقمـانٍ وهمّـةُ حـاجـب
هُمـوا نسـلُ (إسمـاعيـل) صـادقِ وعـدِه فمـا بعـدَه فـي الفخـرِ مَسْعـىً لـذاهـب
وكـان (خليـلُ الله) أكـرمَ مـن عَنَـت لـه الأرضُ مـن مـاشٍ عليهـا وراكـب
و (تـارحُ) مـا زالـتْ لـه أرْيَحِيّـة تُبيّـنُ منـه عـن حميـد الضـرائـب[٧]
و (نـاحـورُ) نحّـارُ العِـدى حُفظـت لـه مـآثـرُ لمَّـا يُحصِهـا عـدُّ حـاسـب
و (أشـرغُ) فـي الهيجـاء ضَيْغـمُ غـابـةٍ يقـدُّ الطّلـى بـالمرهَفـات القـواضـب[٨]
و (أرغـو) فنـابٌ فـي الحـروب مُحكَّـم ضنيـنٌ علـى نفـس المشيـح المغـالـب
ومـا (فـالـغٌ) فـي فضلـه تِلـو قـومِـه ولا (عابرٌ) من دونهم في المراتب[٩]
و (شالخ) و(ارفخشذ) و (سام) سمتْ بهم سجـايـا حمتْهـم كـلّ زارٍ وعـائـب

(١) كذا في ط . وفي أ و ب : ومن بعده أبقى خزيمة بعده .
(٢) المقانب : جمع مِقْنب ، وهي جماعة الخيل والفرسان .
(٣) في ط : أهله .
(٤) القروم : السادة الفرسان الشجعان .
(٥) في ط : ويتبع .
(٦) المشمخر : العالي المرتفع .
(٧) في ط : المضارب .
(٨) الطلى : الأعناق .
(٩) كذا في ط . وفي أ و ب : دونه .

وما زال (نوحٌ) عند ذي العرش فاضلاً يعـدّده فـي المصطَفَيـن الأطـايـب
و (لمكٌ) أبوهُ كان في الرَّوْع رائعاً جـريئـاً علـى نفـس الكمـيِّ المضـارب
ومن قبلِ لمكٍ لم يزل (متوشلخ) يـذودُ العِـدى بـالـذائـدات الشـوازب
وكـانـت (لإدريـسَ) النبـيّ منـازلٌ مِـنَ الله لـم تُقـرن بهمّـة راغـب
و (يـاردٌ) بحـرٌ عنـد آلِ سـراتـه أبـيُّ الخـزايـا مُستـدقّ المـآرب
وكـانـت (لمهـلاييـل) فيـه فضـائـلٌ مهـذَّبـةٌ مـن فـاحشـات المثـالـب
و (قينان) من قبلُ اقتنى مجدَ قومه وقـادَ بشأوِ الفضـل وَخْـدَ الـركـائـب[1]
وكـان (أنـوش) نـاشَ للمجـد نفسَـه ونـزّهـهـا عـن مُـردِيـات المطـالـب
وما زال (شيثٌ) بالفضائل فاضلاً شـريفـاً بـريئـاً مـن ذميـم المعـايـب
وكلّهـمُ مـن نـورِ (آدم) أَقبسـوا وعـن عـودِه أجْنـوا ثمـار المنـاقـب
وكـان رسـول الله أكـرمَ منجَـبٍ جـرى فـي ظهـور الطيّبيـن المناجـب
مقـابلـةً آبـاؤه أمهـاتِـه مُبـرّأة مـنْ فـاضحـات المثـالـب
عليـه سـلامُ الله فـي كـلِّ شـارقٍ ألاحَ لنـا ضـوءاً وفـي كـلّ غـارب

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر[2]، وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزي في « تهذيبه »[3] من شعر الأستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشئ المعروف بابن شِرْشِير[4] ، أصله من الأنبار ، وورد بغداد ثمّ ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومئتين . وكان متكلماً معتزلياً ، يحكي عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه « المقالات » فيما يحكي عن المعتزلة . وكان شاعراً مطبقاً حتى إنه من جملة اقتداره على الشعر كان يعاكس الشعراء في المعاني ، فينظم في مخالفتهم ويبتكر ما لا يطيقونه من المعاني البديعة والألفاظ البليغة ، حتى نسبه بعضهم إلى التهوّس والاختلاط . وذكر الخطيب البغدادي أن له قصيدةً على قافية واحدة قريباً من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم ، وأرخ وفاته كما ذكرنا[5] .

قلت : هذه قصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلمه وفهمه وحفظه ، وحسن لفظه ، واطلاعه واضطلاعه واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك شعره ، وغوصه على هذه المعاني التي هي جواهر نفيسة من قاموس بحره ، فرحمه الله وأثابه وأحسن مصيره وإيابه .

---

(١) الوخْد : الإسراع .
(٢) الإنباه على قبائل الرواه (٢١/ ٢٥) .
(٣) تهذيب الكمال (١/ ١٧٧ ـ ١٨٠) .
(٤) ترجمته في : وفيات الأعيان (٣/ ٩١) ، والسير (١٤/ ٤٠) .
(٥) تاريخ مدينة السلام (١١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩) (ط . د. بشار) .

ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجَاز إلى عدنان[١]

وذلك لأن عدنان وُلِد له ولدان : معدّ وعك . قال السهيلي : ولعدنان أيضاً ابن اسمه الحارث ، وآخر يقال له[٢] المذهب . قال وقد ذكر أيضاً في بنيه الضحاك . وقيل إن الضحاك ابن لمعدّ لا ابن عدنان . قال : وقيل : إن عدن الذي تُعرف به مدينةُ عدَن ، وكذلك أَبْيَن ، كانا ابنين لعدنان . حكاه الطبري[٣] . فتزوج عك في الأشعريين وسَكَن في بلادهم من اليمن ، فصارت لغتهم واحدة[٤] ، فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم فيقولون : عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن الغوث ، ويقال : عك بن عدنان بن الذيب بن عبد الله بن الأسد ، يقال : الريث بدل الذيب ، والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان[٥] . قال عباس بن مرداس : [من الطويل]

وعكّ بن عدثانَ الذين تَلَقَّبُوا بغسّانَ حتى طُرِّدوا كلَّ مَطرد[٦]

وأما معد : فوُلِد له أربعة : نزار ، وقضاعة ، وقُنُص ، وإياد . وكان قضاعةُ بكرَه ، وبه كان يُكنى ، وقد قدّمنا[٧] الخلاف في قضاعة ، ولكن هذا هو الصحيح عند ابن إسحاق[٨] وغيره . والله أعلم .

وأما قُنُص : فيقال : إنهم هلكوا ولم يبقَ لهم بقيةٌ ، إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائباً لكسرى على الحيرة كان من سُلالته على قول طائفة من السلف[٩] . وقيل بل كان من حمير ، كما تقدم . والله أعلم .

وأما نزار : فولد لهم ربيعة ومضر وأنمار . قال ابن هشام : وإياد بن نزار كما قال الشاعر[١٠] : [من الرمل]

وفُتُـوٍّ حَسَـنٌ أَوْجُهُهُـم مِن إيادِ بنِ نزار بن مَعَدّ

(١) في ط : أصول أنساب عرب الحجاز .
(٢) قوله : وآخر يقال له ، زيادة من ط ، توافق نص السهيلي (١/ ١٨) ، وكذلك بقية الزيادات التالية في هذا النص .
(٣) كذا في ط . ومثله في الروض الأنف . ونص أ ، وب : وقيل إن عدن وأبين اللذين باليمن اللذين تنتسب إليهما هذان اللذان كانا ابنين لمعد بن عدنان . تاريخ الطبري (٢/ ٢٧٠) .
(٤) السيرة (١/ ٨) .
(٥) انظر الروض الأنف (١/ ١٨) .
(٦) السيرة (١/ ٩) ، والروض (١/ ٢٠) .
(٧) في فصل (ذكر أخبار العرب) من هذا الجزء .
(٨) السيرة (١/ ١٠) .
(٩) السيرة (١/ ١١) .
(١٠) نسب ابن هشام البيت إلى الحارس بن دوس الإيادي ، وقال : ويروى لأبي داود الإيادي . السيرة (١/ ٧٤) . والروض الأنف (١/ ٩٧) .

قال : وإياد ومضر شقيقان ، وأمهما : سَوْدة بنت عكّ بن عدنان . وربيعة وأنمار شقيقان ، أمهما شُقيقة ، ويقال[١] : جُمعة بنتُ عك بن عدنان .

قال ابن إسحاق[٢] : فأما أنمار فهو والد خَثْعَم ، وبَجِيلة ، قبيلة جرير بن عبد الله البجلي[٣] . قال وقد تيامنت فلحقت باليمن . قال ابن هشام : وأهل اليمن يقولون : أَنمار بن إراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

قلت : والحديث المتقدم في ذكر سبأ يدل على هذا . والله أعلم .

قالوا : وكان مضر أول من حَدا ، وذلك لأنه كان حَسَنَ الصوت ، فسقط يوماً عن بعيره ، فَوَثِيَت يده فجعل يقول : وايدياه وايدياه ، فأَعْنَقَتِ الإبل لذلك[٤] .

قال ابن إسحاق[٥] : فولد مضر بن نزار رجلين : إلياس وعَيلان ، ووُلد لإلياس مُدركة وطابخة وقَمَعَة ، وأمهم خِنْدف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مُدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً ، ولكن اصطاد صيداً فبينا هُما يطبخانه إذ نفرت الإبل ، فذهب عامر في طلبها حتى أدركها ، وجلس الآخر يطبخ ، فلما راحا على أبيهما ذكرا له ذلك ، فقال لعامر : أنت مُدركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة[٦] .

قال : وأما قَمعَة فيزعم نُسّاب مُضَر أن خُزاعة من ولد عمرو بن لُحي بن قمعة بن إلياس[٧] . قلت والأظهر أنه منهم لا والدهم ، وأنهم من حمير كما تقدم[٨] . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فولد مُدركة : خُزيمة وهذيل ، وأمهما امرأة من قُضاعة . وولد خُزيمة : كنانة

---

(١) في ط : وأم ربيعة وأنمار شقيقة بنت عك بن عدنان ، ويقال . . . وفي تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٨) : أمهما جدالة بنت وعلان بن جوشم بن جلهمة بن عمرو ، من جرهم .

(٢) السيرة (١/ ٧٤) .

(٣) من أعيان الصحابة ، بايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم ، وكان أميراً نبيلاً . بديع الحسن كامل الجمال . توفي سنة (٥١هـ) وقيل (٥٤هـ) . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣٠) .

(٤) وثيت : انكسرت . وأعنقت الإبل : أسرعت . والخبر في : الأوائل لابن قتيبة (٤٢ ـ ٤٣) (تح . محمد بدر الدين القهوجي ، بإشراف محمود الأرناؤوط ـ طبع دار ابن كثير ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) . والروض الأنف (١/ ١٠) ، والأوائل للحنبلي ص (١١٩) (ط . دار الإيمان ـ دمشق ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م) .

(٥) السيرة : (١/ ٧٥) .

(٦) النص عن السيرة (١/ ٧٥) ، مع اختلاف وتصرف به . وانظر تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٧) .

(٧) في خبر خزاعة وعمرو بن لحي من هذا الجزء .

(٨) السيرة (١/ ٩٢) .

وأسداً وأَسَدَة والهون . وزاد أبو جعفر الطبري[١] في أبناء كنانة على هؤلاء الأربعة : عامراً ، والحارث ، والنضير ، وغنماً ، وسعداً ، وعوفاً ، وجرولاً ، والحدال ، وغزوان .

قال وولد كنانة النضر ومالكاً وعبد مناة ومِلْكان[٢] .

الكلام على[٣] قريش نسباً واشتقاقاً وفضلاً وهم بنو النضر بن كنَانة

قال ابن إسحاق[٤] : وأم النَّضر بَرَّةُ بنت مرّ بن أد بن طابخة ، وسائر[٥] بنيه لامرأة أخرى . وخالفه ابن هشام فجعل برَّة بنت مرّ أم النضر ومالك ومِلكان . وأم عبد مناة هالة بنت سُويد بن الغطريف من أزد شَنُوءة . قال ابن هشام : النضر هو قُريش ، فمن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . قال : ويقال : فِهر بن مالك هو قريش ، فمن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة[٦] النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر ، والزبير بن بكار ومصعب ، وغير واحد[٧] .

قال أبو عُبيد ، وابن عبد البر : والذي عليه الأكثرون أنه النضر بن كنانة ، لحديث الأشعث بن قيس.

قلت : وهو الذي نصّ عليه هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وهو جادة مذهب الشافعي رضي الله عنه .

ثم اختار أبو عمر أنه فِهر بن مالك ، واحتج بأنه ليس أحد اليوم ممن ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك . ثم حكى اختيار هذا القول عن الزبير بن بكّار ومصعب الزبيري وعلي بن كيسان ، قال : وإليهم المرجع في هذا الشان . وقد قال الزبير بن بكار : وقد أجمع نُسَّاب قريش [وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت من فهر بن مالك ، والذي عليه من أدركت من نُسّاب قريش][٨] أن ولد

---

(١) فيما نقله ابن كثير عن الطبري هنا لبس . ونص الطبري (٢/ ٢٦٥) : واسم النضر : قيس ، وأمه برة بنت مر بن أد بن طابخة . وإخوته لأبيه وأمه : نُضير ، ومالك وملكان وعامر والحارث وعمرو وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجرول وغزوان وحُدال . وأخوهم من أبيهم عبد مناة ، وأمه فُكيهة .

(٢) السيرة (١/ ٩٣) . وفي الخبر تأخير في نسخة ب .

(٣) قوله : الكلام على ليس في ط .

(٤) السيرة (١/ ٩٣) .

(٥) سائر الشيء بقيته .

(٦) في ط : أئمة علم .

(٧) الروض الأنف (١/ ١١٥ ـ ١١٦) .

(٨) سقطت من ب ، بنقلة عين .

فهر بن مالك قريش ، وأن من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من قريش ، ثم نصر هذا القول نَصْراً عزيزاً وتحامى له ونحوه بأنه أعلم[١] بأنساب قومهم وأحفظ لمآثرهم .

وقد روى البخاري[٢] من حديث كليب بن وائل قال : قلت لرَبيبة النبي ﷺ يعني زينب ، في حديث ذكره : أخبريني عن النبي ﷺ ممن كان ، من مضر ؟ قالت : فممن كان إلا من مضر ، كان[٣] من بني النضر بن كنانة .

وقال الطبراني[٤] : حدّثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ، حدّثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ، حدّثنا الحسن بن صالح ، عن أبيه ، عن الجُفْشيش[٥] الكندي قال : جاء قوم من كندة إلى رسول الله ﷺ فقالوا : أنت منا ، وادّعوه . فقال : « لا[٦] نقفوا أمّنا ولا ننتفي من أبينا ، نحن ولد[٧] النضر بن كنانة » .

وقال الإمام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد[٨] حدثنا أبي ، حدثنا الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس[٩] قال جاء رجل من كندة يقال له : الجفشيش إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إنا نَزْعم أن عبد مناف منا ، فأعرضَ عنه ، ثم عاد فقال مثل ذلك ، ثم أعرض عنه ، ثم عاد فقال مثل ذلك ، فقال النبي ﷺ : « نحْنُ بَنو النضر بن كنانة لا نَقْفوا أُمّنا ولا ننتفي من أبينا » . فقال الأشعث : ألا كنتَ سكتَّ في المرة الأولى فأبطل ذلك من[١٠] قولهم على لسان نبيه ﷺ . وهذا غريب أيضاً من هذا الوجه . والكلبي ضعيف . والله أعلم[١١] .

---

(١) في ط : له بأنه ونحوه أعلم .
(٢) صحيح البخاري رقم (٣٤٩٢) ، في أول المناقب .
(٣) ليست في ط .
(٤) في المعجم الصغير (١/ ٨١) .
(٥) كذا في ب . وهو موافق لما عند الطبراني . وفي أ وط : الجشيش . . . وهو خطأ .
وجفشيش لقب ، واسمه معدان بن أسود ، وقيل غير ذلك ترجمته في الإصابة (١/ ٢٤٠) . وفيهم خشيش بن الأسود النسائي ، وثقه النسائي . توفي سنة (٢٥٣هـ) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥٠) .
(٦) في ط : نحن بنو النضر بن كنانة لا نقف أمنا ولا ننتفي من أبينا .
(٧) في ب . وط : بنو . وقوله : لا نقفوا أمنا : أي لا نتهمها ولا نقذفها . وقيل : لا نترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأمهات . النهاية في غريب الحديث (٤/ ٩٥) . وفي الطبراني : لا ننبوا أمنا .
(٨) ثقة ، من الطبقة العاشرة ، توفي سنة (٢٤٩هـ) . تقريب التهذيب (١/ ٣٠٨) .
(٩) قال سفيان الثوري : قال لي الكلبي : ما سمعتَه مني عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب . كتاب المجروحين (٢/ ٢٥٤) .
(١٠) في ط : ذلك قولهم . وزاد .
(١١) زاد في ب : والمحفوظ في هذا حديث الأشعث بن قيس ، وروي من حديث النبي . والكلبي هو محمد بن السائب المفسر ، النسابة ، الأخباري ، توفي سنة (١٤٠هـ) . المجروحين (٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٦) .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا بَهْز وعفّان قالا : حدّثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثني عقيل بن أبي طلحة . قال عفان : عقيل بن طلحة السلمي ، عن مسلم بن الهَيْصَم ، عن الأشعث بن قيس أنه قال : أتيتُ رسول الله ﷺ في وفد كِندة . قال عفان ـ لا يَرَوْني أَفْضَلَهم ـ قال : فقلت : يا رسولَ الله إنّا نزْعُم أنّكم مِنّا . قال : فقال رسول الله ﷺ : « نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا[١] أُمَّنا ولا ننتفي من أبينا » . قال : فقال الأشعث بن قيس : فوالله لا أسمع أحداً نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جَلَدْته الحد[٢] .

وهكذا رواه ابن ماجه من طرق عن حماد بن سلمة ، به[٣] . وهذا إسناد جيد قوي ، وهو فَيْصل في هذه المسألة ، فلا التفات إلى قول من خالفه ، والله أعلم ، ولله الحمد والمِنة .

وقد قال جرير[٤] بن عطية التميمي يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان : [من الوافر]

فما الأمّ التي وَلَدت قريشاً ... بمُقْـرِفَـة النِّجـارِ ولا عَقيـمِ
وما قَرْمٌ بأنجبَ من أبيكم ... ولا خـالٌ بـأكـرمَ مـن تميـم

قال ابن هشام : يعني أم النضر بن كنانة ، وهي بَرّة بنت مُرّ أخت تميم بن مر[٥] .

وأما اشتقاق قريش فقيل : من التقَرُّش وهو[٦] التجمُّع بعد التفرُّق ، وذلك في زمن قُصي بن كِلاب ، فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم كما سيأتي بيانه . وقد قال حذافة بن غانم العدوي[٧] : [من الطويل]

أبوكم قُصَيّ كان يُدعى مُجمِّعاً ... به جمَع اللهُ القبائلَ من فِهْر

وقال بعضهم : كان قُصي يقال له : قريش ، قيل : من التجمّع ، والتقرّش : التجمع كما قال أبو جِلْدة اليشكري[٨] : [من الخفيف]

---

(١) في ط : لا نقف .
(٢) مسند أحمد (٥/ ٢١٢) .
(٣) سنن ابن ماجه رقم (٢٦١٢) ، في الحدود ، باب من نفى رجلاً من قبيلته ، وهو حديث حسن .
(٤) في ديوانه (١/ ٢١٩) ، من قصيدة أولها : [من الطويل]
أَلُمْتِ وما رفقْت بأن تلومي ... وقلتِ مقالةَ الخَطِل الظلومِ
(٥) السيرة : (١/ ٩٣) . . وديوان جرير (١/ ٢١٩) .
(٦) قوله : التقرّش وهو زيادة من ط . زانظر ما جاء في اشتقاق قريش : السيرة (١/ ٩٣) ، وتاريخ الطبري (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥) ، والروض (١/ ١١٥) .
(٧) أورد ابن إسحاق البيت في السيرة (١/ ١٢٦) . بلا نسبه ، ونسبه السهيلي (١٠/ ١٤٨) ، إلى حذافة بن جمح . وفيهما : قصي لعمري كان يدعى مجمعاً . وهو في تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٦) ، ونسبه إلى مطرود وقيل إن قائله حذافة بن غانم .
(٨) شاعر أموي ، كان مولعاً بالشراب . توفي سنة (٨٣هـ) . الشعر والشعراء (٢/ ٧٣٣) ، والأعلام للزركلي (٢/ ١٣٣) . والبيت في السيرة (١/ ٩٤) ، والروض (١/ ١١٦) .

إخوةٌ قَرَّشُوا الذُّنُوبَ عَلَينا في حديثٍ من دهرِنا وقَدِيْمِ

وقيل : سميت (قريش) من التقرُّش ، وهو التكسُّب والتجارة . حكاه ابن هشام رحمه الله[١] .

وقال الجوهري : القَرْشُ : الكَسْب والجمعُ ، وقد قَرَش يَقْرِش . قال الفرّاء : وبه سُميت قريشٌ ، وهي قبيلة ، وأبوهم النضر بن كنانة ، فكل من كان من ولده فهو قُرَشي دون ولد كنانة ، ومن فوقه[٢] .

وقيل : من التفتيش . قال هشام بن الكلبي : كان النضر بن كنانة تسَمَّى قُريشاً لأنه كان يقرِش عن خُلَّة الناس وحاجتهم فيسدُّها بماله ، والتقريش هو التفتيش ، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيرفدونهم بما يبلغهم بلادهم ، فسُمّوا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشاً[٣] . وقد قال الحارث بن حِلِّزة في بيان أن التقرُّش التفتيش : [من الخفيف]

أيُّها الناطقُ المقرِّش عنّا عندَ عمروٍ فهلْ له إبقاء[٤]

حكى ذلك الزبير بن بكار . وقيل : قُرَيش تصغير قرش ، وهو دابة في البحر . قال بعض الشعراء :

وقريشٌ هي التي تسكن البحـ ـرَ بها سُمّيت قريشٌ قريشا

قال البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني[٥] ، حدّثنا محمد بن الحسن بن الخليل النَّسَوي[٦] ، أن أبا كُريبٍ حدَّثهم : حدّثنا وكيع بن الجراح ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن أبي ركانة العامري ، أن معاوية قال لابن عباس : فلم سُمِّيت قريش قريشاً ؟ فقال لدابة تكون في البحر ، تكون أعظم دوابه فيقال لها : القرش ، لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته . قال : فأنشِدْني في ذلك شيئاً ، فأنشده شعرَ الجُمحي إذ يقول : [من الخفيف]

وقريشٌ هي التي تسكنُ البحـ ـرَ بها سُمّيتْ قريشٌ قريشا
تأكلُ الغثَّ والسَّمينَ ولا تتركن لذي الجناحين رِيشا
هكذا في البلادِ حيّ قريش يأكلون البلادَ أكلاً كميشا[٧]

(١) السيرة (١/ ٩٤) .
(٢) الصحاح (٣/ ١٠١٦) (قرش) . والنص في أ وب ، دون من كان من كنانة فمن فوقه . وأثبت ما في ط . وهو موافق لما في الصحاح .
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٤) .
(٤) من معلقته . ويروى : المرقش . ولا شاهد فيه . شرح القصائد السبع للأنباري (٤٥٣) .
(٥) الماليني : نسبة إلى مالين ، قرى مجتمعة من أعمال هراة في بلاد فارس . اللباب (٣/ ١٥٥) .
(٦) النسوي : نسبة إلى نسا ، إحدى مدن فارس .
(٧) الأكل الكميش : السريع المغني .

ولهـم آخـر الـزمـانِ نبـيٌّ   يُكثِرُ القتلَ فيهمُ والخُموشا

وقيل : سُمُّوا بقريش بن الحارث بن يخلُد بن النضر بن كنانة ، وكان دليل بني النضر وصاحب[١] مِيْرتهم ، فكانت العرب تقول : قد جاءت عِير قريش[٢] ، قالوا : وابنه[٣] بدر بن قريش هو الذي حفر البئر المنسوبة إليه التي كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . والله أعلم .

ويقال في النسبة إلى قريش : قُرَشي وقُرَيْشي . قال الجوهري : وهو القياس . قال الشاعر : [من الطويل]

بكُـلِّ قُـرَيشـيٍّ عَلَيـهِ مهـابـةٌ   سريعٌ إلى داعي النَّدا والتَكَرُّم[٤]

قال فإذا[٥] أردت بقريش الحي صرفته، وإن أردت القبيلة منعته. قال الشاعر في ترك الصرف: [من الكامل]

وكفى قريشَ المعضلاتِ وسادَها[٦]

وقد روى مسلم في صحيحه[٧] من حديث أبي عمرو الأوزاعي قال : حدّثني شدّاد أبو عمار ، حدّثني واثِلَة بن الأَسْقَع قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله اصطفى كِنانةَ من وَلَدِ إسماعيل ، واصْطَفى قُريشاً من كِنانةَ ، واصطفى هاشِماً من قريش ، واصطفاني مِنْ بني هاشم » .

قال أبو عمر بن عبد البر : يقال : بنو عبد المطلب فصيلة رسول الله ﷺ ، وبنو هاشم فخذه ، وبنو عبد مناف بطنه ، وقريش عِمارته ، وبنو كنانة قبيلته ، ومضر شَعبه ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين[٨] .

ثم قال ابن إسحاق : فولد النضر بن كنانة مالكاً ويَخْلُد[٩] . قال ابن هشام : والصَّلْت ، وأُمُّهم جميعاً بنت سعد بن الظَّرِب العُدواني. قال كثيِّر بن عبد الرحمن وهو كُثير عَزَّة أحد بني مُلَيح بن عمرو من خزاعة :

أَلَيْس أبي بالصَّلتِ أمْ ليس إِخْوتي   لِكـلِّ هجـانٍ مـن بَنـي النضْـر أَزْهـرا

---

(١) في ب : وهو صاحب .
(٢) زاد في ب : قد خرجت عير قريش .
(٣) في ط : وابن وهو خطأ . تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) .
(٤) الشطر الثاني من البيت زيادة من ط ، توافق نص الصحاح . وفي ط : لكل .
(٥) في ب : فإن ، وكذلك في الصحاح .
(٦) الصحاح(٣/ ١٠١٦) (قرش) . وصدر البيت :
غلب المساميحَ الوليدُ سماحةً
وهو لعدي بن الرقاع العاملي في مدح الوليد بن عبد الملك . الإنباه (٤٣ ـ ٤٥) .
(٧) صحيح مسلم رقم (٢٢٧٦) ، في أول الفضائل .
(٨) الإنباه (٤٥) .
(٩) في ط : ومخلداً ، وهو خطأ .

رأيت ثيابَ العَصْبِ مختلطَ السَّدَى ... بنا وبهمْ والحَضْرَميَّ المخَصَّرا[١]

فإن لم تكونوا من بني النضْرِ فاتْركوا ... أراكاً بأذنابِ الفَوائجِ أخْضَرا[٢]

قال ابن هشام : وبنو مليح بن عمرو يُعزَوْن إلى الصلت بن النضر[٣] .

قال ابن إسحاق : فولد مالكُ بن النضر فِهْرَ بنَ مالك ، وأمه جَنْدلة بنت الحارث بن مُضاض الأصغر ، وولد فِهر غالباً ومُحارباً والحارث وأَسَداً ، وأمهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وأختهم لأبويهم[٤] جندلة بنت فهر .

قال ابن إسحاق : فولد غالبُ بن فهر لؤيَّ بنَ غالب ، وتيمَ بن غالب ، وهم الذين يقال لهم : بنو الأدْرَم ، وأمهما سلمى بنت عَمرو الخُزاعي .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب ، وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي ، وهي أم لؤي وتيم ابني غالب[٥] .

قال ابن إسحاق : فولدَ لُؤيُّ بن غالب أربعَةَ نفرٍ : كعباً وعامراً وسامة وعوفا[٦] . قال ابن هشام : ويقال : والحارث وهم جُشم بن الحارث في هِزّان من ربيعة وسَعْد بن لؤي ، وهما بُنَانة في شيبان بن ثعلبة ، وبُنانة حاضِنَة لهم .

وخزيمة بن لؤي ، وهم عائذة في شيبان بن ثعلبة[٧] .

ثم ذكر ابن إسحاق[٨] خبر سامة بن لؤي ، وأنه خرج إلى عُمان ، فكان بها ، وذلك لشَنَآن[٩] كان بينه وبين أخيه عامر ، فأخافَه عامر ، فخرجَ عنه هارباً إلى عُمان ، وأنه مات بها غريباً ، وذلك أنه كان يرعى ناقَتَه ، فعلقت حية بمشفرها ، فوقعت لشقِّها ، ثم نهشت الحيةُ سامةَ حتى قتلته[١٠] . فيقال : إنه كتب بأصبعه على الأرض : [من الخفيف]

---

(١) العصب : نوع من الثياب اليمنية . والحضرمي نوع من النعال المخصرة .

(٢) الفوائج : رؤوس الأودية .

(٣) السيرة (١/ ٩٤ ـ ٩٥) ، الروض (١/ ١١٧ ـ ١١٨) .

(٤) في ط ، وب : لأبيهم . السيرة (١/ ٩٥) .

(٥) قوله : وتيم ابني غالب زيادة من ب . والسيرة .

(٦) قول ابن إسحاق زيادة من ب ، ط . والسيرة .

(٧) تتمة النص في السيرة (١/ ٩٧) .

(٨) السيرة (١/ ٩٧) . الروض (١/ ١٢٠) .

(٩) الشنآن : البغضاء .

(١٠) وقيل كان يسير عليها حين حدث عليها . السيرة .

عينُ فابكي لِسَامةَ بنِ لؤيّ عُلِقَتْ ما بِسَامةَ العَلّاقه
لا أرى مِثلَ سامةَ بنِ لُؤَيٍّ يومَ حَلّوا به قتيلاً لناقه
بَلِّغا عامراً وسعداً رسولاً أن نفسي إليهما مشتاقه[١]
إن تكن في عُمانَ داري فإني غالبيٌّ خَرجْتُ من غَير فاقه
رُبَّ كأسٍ هرقتَ يا ابنَ لُؤي حَذَرَ الموتِ لم تكُن مُهراقه
رُمتَ دَفْعَ الحتوفِ يا بنَ لُؤي ما لمنْ رامَ ذاك بالحتْفِ طاقه
وخَروس السُّرى تركْت رَدياً بعد جِدّ وجِدّةٍ ورشاقه[٢]

قال ابن هشام[٣] : وبلغني أن بعض وَلَده أتى رسول الله ﷺ فانتسب إلى سامة بن لؤي ، فقال له رسول الله ﷺ : « آلشاعر ؟ » فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

رُبَّ كأسٍ هَرقتَ يا بنَ لؤي حَذَرَ الموتِ لم تكنْ مُهراقه

فقال : أجل .

وذكر السهيلي عن بعضهم أنه لم يُعْقِب . وقال الزبير : ولَدَ أسامةُ بن لؤي غالباً ، والنبيت ، والحارث ، قالوا : وكانت له ذرية بالعراق يبغضون علياً ، ومنهم علي بن الجعد ، كان يشتم أباه لكونه سمّاه علياً . ومن بني سامة بن لؤي محمد بن عَرْعَرة بن اليزيد شيخ البخاري[٤] .

وقال ابن إسحاق : وأما عوف بن لؤي فإنه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش ، حتى إذا كان بأرض غَطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أُبْطِئ به ، فانطلق مَن كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد ، وهو أخوه في نسب بني ذبيان ، فحبسه وزوَّجه والتاطه[٥] وآخاه ، فشاع نسبه في ذبيان وثعلبة فيما يزعمون[٦] .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين أن عمر بن الخطاب قال : لو كنتُ مدّعياً حياً من العرب أو مُلحِقَهم بنا لادّعيتُ بني مرة بن

---

(١) في ط . والسيرة ، والروض : عامراً وكعباً .
(٢) خروس السرى : أراد ناقة صموتاً صبوراً على السرى لا تضجر منه .
(٣) السيرة (١/ ٩٧ ـ ٩٨) والروض (١/ ١٢٠ ـ ١٢١) .
(٤) الروض الأنف (١/ ١٢١) .
(٥) التاطه : ألصقه به وضمه إليه وألحقه بنسبه .
(٦) السيرة (١/ ٩٨ ـ ٩٩) .

عوف ، إنا لَنعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع . يعني عوف بن لؤي[(١)] .

قال ابن إسحاق : وحدثني مَن لا أتّهم أن عمر بن الخطاب قال لرجل منهم من بني مُرّة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه[(٢)] .

قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافاً في غطفان ، هم سادتهم وقادتهم ، قوم لهم صيت[(٣)] في غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نسبهم[(٤)] .

قالوا : وكانوا يقولون إذا ذكر لهم نسبهم ما ننكره وما نجحده[(٥)] ، وإنه لأحب النسب إلينا . ثم ذكر أشعارهم في انتمائهم إلى لؤي[(٦)] .

قال ابن إسحاق : وفيهم كان البَسْلُ ، وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب ، وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويأمنونهم فيها ويؤمّنونهم أيضاً[(٧)] .

وكانت ربيعة ومضر إنما يحرّمون أربعة أشهر من السنة ، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، واختلفت ربيعةُ ومضر في الرابع ، وهو رجب . فقال مضر : هو الذي بين جمادى وشعبان . وقالت ربيعة : هو الذي بين شعبان وشوال . وقد ثبت في الصحيحين[(٨)] عن أبي بَكْرة أن رسول الله ﷺ قال في خطبة حجة الوداع : « إنَّ الزمانَ قدِ اسْتدارَ كَهيئته يومَ خلق [الله][(٩)] السموات والأرض ، السنةُ اثنا عَشَر شهراً ، منها أربعةٌ حُرُمٌ ، ثلاثٌ متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورَجَبُ مُضَر الذي بين جمادى وشعبان »فنص على ترجيح قول مضر لا ربيعة ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة : ٣٦] فهذا ردّ على بني عوف بن لؤي في جَعلهم الأشهر الحرم ثمانيةً ، فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه . وقوله في الحديث : « ثلاث متواليات » رد على أهل النسيء الذين كانوا يؤخّرون تحريم المحرَّم إلى صفر . وقوله فيه « ورجب مضر » ردٌّ على ربيعة .

---

(١) السيرة (١/ ٩٩) .
(٢) السيرة (١/ ١٠٠) .
(٣) زاد في ب : وذكر . وكذلك في السيرة .
(٤) السيرة (١/ ١٠١ ـ ١٠٢) ، اختصر ابن كثير الخبر هاهنا .
(٥) السيرة (١/ ٩٩) .
(٦) وُضِع في ب هنا عنوان : ذكر السبل وهو تحريم ثمانية أشهر من السنة .
(٧) السيرة (١/ ١٠٢) ، والروض (١/ ١٢٦) .
(٨) في البخاري رقم (٤٦٦٢) ، في التفسير ، تفسير سورة براءة ، باب (٨) ، ومسلم رقم (١٦٧٩) ، في القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال .
(٩) زيادة من ب ، والصحيحين .

قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤي ثلاثةً ، مرة ، وهُصَيْصًا ، وعديا[١] ، وولد مُرَّةُ ، ثلاثةً أيضاً : كلاب بن مرَّة ، وتيم بن مرة ، ويَقَظَة بن مُرة ، من أمهات ثلاث .

قال : وولد كلابٌ رجلَين : قُصَيّ بن كلاب وزُهْرَة بن كلاب ، وأمهما فاطمة بنت سعد بن سَيَل أحد الجَدَرَة من جُعْثُمة الأسْدِ من اليمن حلفاء بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وفي أبيها يقول الشاعر :

ما نرى في الناسِ شخْصاً واحداً ... مَـنْ عَلمنـاه كَسَعْـد بـنِ سَيَـلْ

فـارســاً أضبــطَ فيــه عُسْــرَةٌ ... وإذا مــا واقَــفَ القِــرنَ نَــزَل[٢]

فارساً يستدرِج الخيلَ كما اسـ ... ـتدرجَ الحرُّ القَطاميُّ الحجَل[٣]

قال السهيلي : سَيَل اسمه خير بن حَمَالة ، وهو أول من طُلِيت له السيوفُ بالذهب والفضة[٤] .

قال ابن إسحاق : وإنما سُمُّوا الجدَرَة لأن عامر بن عمرو بن خزيمة بن جُثْعمة تزوّج بنتَ الحارث بن مُضَاض الجُرهمي ، وكانت جرهم إذ ذاك ولاةَ البيت ، فبنى للكعبة جداراً ، فَسُمّي عامر بذلك الجدار ، فقيل لولده : الجدَرة لذلك .

***

خبر قصيّ بن كلاب وما كان من أمره في ارتجاعه ولاية البَيت إلى قريش وانتزاعه ذلِك من خزاعة واجتماع قريش إلى الحرم الذي جعله الله أمناً للعباد بعد تفرقها في البلاد وتمزقها في الجبال والمهاد[٥]

وذلك أنه لما مات أبوه كلاب تزوج أمَّه ربيعةُ بنُ حرام من عُذرة ، وخرج بها وبه إلى بلاده ، ثم قدِم قُصَيّ مكةَ وهو شاب ، فتزوج حُبَّى ابنةَ رئيس خزاعة حُلَيْل بن حُبْشِيَّة . فأما خُزاعة فزعم[٦] أن حُليلاً أوصى إلى قُصي بولاية البيت لما رأى من كثرة نَسْله من ابنته ، وقال : أنت أحق بذلك مني[٧] .

(١) في ط : وعديا وهصيصاً . وكذلك في السيرة (١/ ١٠٣) .
(٢) الأضبط : الذي يعمل بكلتا يديه . والقرن : الذي يقاوم في الحرب .
(٣) الحر القطامي : أراد الصقر . والأبيات في السيرة (١/ ١٠٥) ، والروض (١/ ١٢٨) .
(٤) الروض (١/ ١٢٨) ، نقلاً عن الطبري (٢/ ٢٥٤) .
(٥) سقط من هذا الكلام جزء كبير من ط . ففيه : خبر قصي بن كلاب وارتجاعه . . . . من خزاعة . فقط .
(٦) في ب : فتزعم .
(٧) الخبر في السيرة (١/ ١١٧ ـ ١١٨) ، وفيه اختلاف عما هنا . وكذلك نقله الطبري عن ابن إسحاق (٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) ، والسهيلي في الروض (١/ ١٤٢) .

وقال ابن إسحاق : ولم نسمع ذلك إلا منهم . وأما غيرهم فإنهم يَزْعُمُون أنه استغاث بإخوته من أمه ، وكان رئيسهم رزاح بن ربيع وإخوة[١] إخوته ، وبني كنانة ، وقضاعة ، ومَنْ حَول مكة من قريش وغيرهم[٢] ، فأجلاهم عن البيت ، واستقل هو بولاية البيت ، إلا أن[٣] إجازة الحجيج كانت إلى صُوْفة ، وهم بنو الغوث بن مُرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، فكان الناس لا يرمون الجمار حتى يرموا ، ولا ينفرون من مِنًى حتى ينفروا ، فلم يزل كذلك فيهم حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك بالقُعْدُد[٤] بنو سعد بن زيد مناة بن تميم[٥] ، فكان أولهم صفوان بن الحارث ابن شِجْنَة بن عُطَارد بن عوف بن كَعب [بن سعد][٦] بن زيد مناة من تميم ، وكان ذلك في بيته حتى قام على آخرهم الإسلام ، وهو كَرِب بن صفوان .

وكانت الإجازة[٧] من المزدلفة في عدوان حتى قام الإسلام على آخرهم ، وهو أبو سيَّارة عُمَيْلَة بن الأعزل ، وقيل : اسمه العاصي واسم الأعزل[٨] خالد وكان يجيز بالناس على أتان له عَوراء مكث يدفع عليها في الموقف[٩] أربعين سنة ، وهو أول من جعل الدية مئة[١٠] ، وأول من كان يقول : أشْرِق ثَبِيْرُ كيما نُغير[١١] . حكَاه السُّهيلي[١٢] .

وكان عامر بن الظَّرِب العُدْواني لا يكون بين العرب نائرة[١٣] إلا تحاكموا إليه فيرضون بما يقضي به ،

---

(١) سقطت من ط . والنص في السيرة : كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة يدعوه إلى نصرته . . فخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته . . . وهم لغير فاطمة . . .

(٢) زاد في ب : على خزاعة .

(٣) في ط : لأن ، ولا يستقيم مع المراد .

(٤) القعدد : قرب الآباء بالنسب من الجد الأكبر .

(٥) زاد في أ : من سهم .

(٦) زيادة من ط ، والسيرة (١/ ١٢٠) .

(٧) وفي السيرة ، والروض : الإفاضة .

(٨) في أ وب : العاص بن خالد والزيادة من ط ، والروض الأنف .

(٩) زيادة من ط . والروض . وانظر ما قاله الأصبهاني في الأغاني (٣/ ٩٣) ، وسوائر الأمثال (الدرة الفاخرة) . تحقيق د . فهمي سعد (عالم الكتب ـ بيروت) : ص(٢٧٣) .

(١٠) وقيل أول من سنَّ ذلك عبد المطلب . الأوائل لابن قتيبة (٢٣٣) ، وسوائر الأمثال (٢٣٣) ، والأوائل لأبي بكر الجراعي الحنبلي (٧٢) ، والوسائل للسيوطي (٧٢) .

(١١) ثبير : جبل بمكة . يريد أشرق كيما نسرع للنحر . وهو مثل يضرب في الإسراع والعجلة . مجمع الأمثال (١/ ٣٦٢) .

(١٢) الروض الأنف (١/ ١٤٦) .

(١٣) النائرة : الكائنة الشنيعة بين القوم . وعامر بن الظرب العدواني أحد المعمرين في الجاهلية ، قيل عاش مئتي سنة . المعمرين للسجستاني (٥٦) .

فتحاكموا إليه مرة في ميراث خُنْثَى ، فبات ليلته ساهراً يتروَّى ماذا يحكم به ، فرأته جاريةٌ له كانت ترعى عليه غنمه اسمها سُخَيلة[١] فقالت له : ما لك ـ لا أبا لك ـ الليلةَ ساهراً ؛ فذكر لها ما هو مفكّر فيه ، قال : لعله[٢] يكون عندها في ذلك شيء . فقالت : أَتْبِعِ القضاءَ المبالَ . فقال : فَرَّجْتِها واللهِ يا سخيلة . وحكم بذلك[٣] .

قال السهيلي : وهذا الحكم من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات[٤] ، وله أصل في الشرع ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ ﴾ [يوسف : ١٨] حيث لا أثر لأنياب الذئب فيه . وقال تعالى : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [يوسف : ٢٦ ـ ٢٧] . وفي الحديث : « أَنْظِروها فإن جاءَتْ به أَوْرَقَ جعداً[٥] جُمَالِياً فهو الذي رُمِيَتْ به »[٦] .

قال ابن إسحاق : وكان النسيء في بني فُقَيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

قال ابن إسحاق[٧] : وكان أول من نَسَأَ الشهور على العرب القَلَمَّس[٨] ، وهو حُذيفة بن عبد بن فُقَيم ابن عدي ، ثم قام بعده ابنُه عَبّاد ، ثُم قَلَع بن عبّاد ، ثم أمية بن قلع ، ثم عوف بن أمية ، ثم كان آخرَهم أبو ثُمامة جُنادة بن عوف بن قَلَع بن عبّاد بن حُذيفة وهو القلَمَّس ، فعلى أبي ثُمامة قام الإسلام . وكانت العرب إذا فَرغَت من حجّها اجتمعت إليه ، فخطبهم[٩] ، فحرّم الأشهر الحرم ، فإذا أراد أن يُحلَّ منها شيئاً أحلَّ المحرَّم ، وجعل مكانه صَفَراً ليواطِئوا عِدَّة ما حرّم اللهُ فيقول : اللهم إني أحللتُ أَحَدَ الصفرين ، الصفر الأول ، وأنسأت الآخر للعام المقبل . فتتبعه العرب في ذلك . ففي ذلك يقول مفتخراً[١٠] عمير بن

---

(١) في المعمرين : فُصيلة .
(٢) في ط : وقال : لعلها .
(٣) الخبر ، مفصلاً ، في السيرة (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣) ، والمعمرين (٥٧) ، والروض (١/ ١٤٧ ـ ١٤٨) .
(٤) كذا في ط . وهو موافق لنص السهيلي . وفي أ : وهذا الحكم بالأمارات وله . . . وفي ب : وهذا من باب الاستدلال بالأمارات وله .
(٥) زيادة من ط توافق نص الحديث . والحديث طويل رواه أبو داود (٢٢٥٦) في الطلاق ، باب في اللعان ، وأحمد (١/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) ، من طريق ابن عباس رضي الله عنه . والأورق : الذي لونه فيه سمرة ، والجعد : القصير الشعر .
(٦) الروض الأنف (١/ ١٤٧) .
(٧) السيرة (١/ ٤٤ ـ ٤٥) .
(٨) قيل سمي القلمس لجوده ، إذ القلمس من أسماء البحر .
(٩) في ب : فقام فيهم خطيباً ، ومحرم الأشهر الحرم الأربعة .
(١٠) ليست في ط .

قَيس أحد بني فِراس بن غَنْم بن مالك بن كنانة ، ويُعرف عمير بن قيس هذا : بِجِذْلِ الطَّعان : [من الوافر]

لقد علمتْ معدّ أن قومي ... كرامُ الناسِ أن لهم كراما[١]
فأي الناس فاتونا بوترٍ ... وأي الناس لم نُعْلِك لِجاما
أَلَسْنا الناسِئينَ على معدٍّ ... شهورَ الحِلّ نجعلُها حَراما

والمقصود[٢] أنه جمع قريشاً من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب ، واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خُزاعة وإجلائهم عن البيت الحرام[٣] وتسليمه إلى قُصي ، فكان بينهم قتال كبير[٤] ودماءٌ غزيرة ، ثم تداعوا إلى التحكيم ، فتحاكموا إلى يَعْمَر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فحكم بأن قُصياً أَوْلَى بالبيت من خُزاعة ، وأنَّ كلَّ دم أصابَه قُصَيّ من خزاعة وبني بكر موضوعٌ يَشْدَخُه[٥] تحت قدميه ، وأن ما أصابته خُزاعة وبنو بكر من قُريش وكنانة وبني[٦] قضاعة ففيه الدية مُؤَدّاة ، وأن يُخَلَّى بين قُصَي وبين مكة والكعبة . فَسُمّي يَعْمَر يومئذٍ : الشدَّاخ[٧] .

قال ابن إسحاق : فوَلي قُصَي البيتَ وأمرَ مكة ، وجَمَع قومَه من منازلهم إلى مكة ، وتملَّك على قومه وأهل مكة فملّكوه ، إلا أنه أقر العرب على ما كانوا عليه ، لأنه يرى ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي تغييرُه . فأقرّ آلَ صفوان وعَدوان والنَّسَأَةَ ومُرةَ بن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله . قال : فكان قُصَي أول بني كعب أصابَ مُلْكا أطاع له به قومه ، وكانت إليه الحِجابة والسقاية والرِّفادة والندوة واللواء[٨] ، فحاز شَرَف مكة كلَّه ، وقطع مكة رِباعاً بين قومه ، فأنزل كلَّ قوم من قريش منازلهم من مكة[٩] .

---

(١) كذا في ط ، والسيرة ، والروض . وفي أ : معداً من لؤي .
(٢) زاد في ط قبل هذه الكلمة : وكان قصي في قومه سيداً رئيساً مطاعاً معظماً . ولا وجود لها في السيرة . في هذا الموضع .
(٣) الحرام ، ليست في ط .
(٤) في ط : كثيرة .
(٥) يشدخه : يكسره ، يريد إبطال تلك الدماء .
(٦) بني ، ليست في ط .
(٧) السيرة (١/ ١٢٤) .
(٨) الحجابة : أن يكون مفاتيح البيت عنده ، فلا يدخله أحد إلا بإذنه . والسقاية : سقاية الحجيج . والرفادة : طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم . والندوة : الاجتماع للمشورة والرأي . واللواء : يعني في الحرب ولأنه كان لا يحمله إلا أناس مخصوصون .
(٩) كذا في ط : وكذلك في السيرة . وفي أ ، وب : من مكة منازلهم .

قلت : فرجَع الحق إلى نصابه ، ورُدَّ شاردُ العدل بعد إيابه[١] ، واستقرت بقريش الدار ، وقضت من خُزاعة المراد والأوطار ، وتسلمت بيتَهم العتيق القديم ، لكن بما أحدثتْ خُزاعة من عبادة الأوثان ونصْبها إياها حول الكعبة ، ونحرهم لها ، وتضرّعهم عندها ، واستنصارهم بها ، وطلبهم الرزق منها . وأنزل قُصي قبائل قريش أباطح مكة ، وأنزل طائفة منهم ظواهرها ، فكان يقال : قريش البطاح وقريش الظواهر . فكانت لقصي بن كلاب جميع الرئاسة من حجابة البيت وسدانته واللواء ، وبنَى داراً لإزاحة الظلامات وفَصْل الخصومات سمَّاها دار النَّدْوة ، إذا أعضلت قضيةٌ اجتمع الرؤساءُ من كلِّ قبيلةٍ فاشْتَوَرُوا فيها وفصلوها ، ولا يُعقَد عقدُ لواء ولا عقدُ نكاح إلا بها ، ولا تبلغ جاريةٌ أن تَدَّرِعَ فتدَّرع[٢] إلا بها . وكان باب هذه الدار إلى المسجد الحرام ، ثم صارت هذه الدار فيما بعد إلى حكيم بن حزام بعد بني عبد الدار ، فباعها في زمن معاوية بمئة ألف درهم ، فلامه على بيعها مُعاوية ، وقال : بعتَ شرف قومك بمئة ألف ؟ فقال : إنما الشرف اليوم بالتقوى . والله لقد ابتعتها في الجاهلية بزقِّ خَمر ، وهاأنا قد بعتها بمئة ألف ، وأشهدكم أن ثمنها صدقةٌ في سبيل الله ، فأيُّنا المغبون . ذكره الدارَقُطني في « أسماء رجال الموطّأ »[٣] .

وكانت إليه سقاية الحجيج ، . فلا يشربون إلا من ماء حياضه ، وكانت زمزم إذ ذاك مطمومة[٤] من زمن جُرهم ، قد تناسَوا أمرها من تقادُم عهدها ، ولا يهتدون إلى موضعها . قال الواقدي : وكان قُصي أول من أحدَث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدي إليها من يأتي من عرفات . والرِّفادة وهي إطعام الحجيج أيام الموسم إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم . قال ابن إسحاق : وذلك أن قُصياً فرضه عليهم ، فقال لهم : يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل مكة[٥] ، وأهل الحرم . وإن الحُجَّاج ضيفُ الله وزوَّار بيته ، وهم أحق بالضيافة[٦] ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم ، ففعلوا فكانوا يُخرِجون لذلك في كل عام من أموالهم خرجاً فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيام مِنًى ، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنًى للناس حتى ينقضي الحج[٧] .

---

(١) في ب : وآب : شرد بعد ذهابه .
(٢) ادرعت الجارية : لبست الدرع والدرع قميص المرأة .
(٣) نقله السهيلي في الروض (١/ ١٤٩) .
(٤) في ط : مطموسة .
(٥) في ب : بيته . وكذلك في السيرة .
(٦) زاد في ب : والكرم ، وفي السيرة : أحق الضيف بالكرامة .
(٧) السيرة (١/ ١٣٠) .

قلتُ : ثم انقطع هذا بعد ابن إسحاق ، ثم أُمِر بإخراج طائفة من بيت المال فتصرف في حمل زاد وماءٍ لأبناء السبيل القاصدين إلى الحج ، وهذا صنيعٌ حسن من وجوه يطول ذكرها ، ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال من أحَلّ ما فيه ، والأولى أن يكون من جوالي الذمة(١) لأنهم لا يحجون البيت العتيق ، وقد جاء في الحديث : « من استطاعَ الحجَّ فلم يَحُجَّ فليَمُتْ إنْ شَاءَ يَهودياً أو نصْرانياً »(٢) .

وقال قائلهم في مدح قُصي وشرفه في قومه(٣) : [من الطويل]

قُصيّ لعمري كان يُدْعَى مجمّعاً ... بـه جَمَـعَ اللهُ القبـائـلَ مـن فِهـر
هُموا ملؤوا البطحاءَ مَجْداً وسُؤْدداً ... وهـم طَـردوا عنـا غُـواة بنـي بكـر

(٤)قال ابن إسحاق : ولما فرغ قُصي من حَربه انصرفَ أخوه رِزاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه ، [وإخوته من أبيه الثلاثة وهم حُنّ ومحمود وجلهمة](٥) . قال رِزاح في إجابته قُصَياً : [من المتقارب]

ولمَّـا أتـى مِـن قصـيٍّ رَسُـولٌ ... فقـالَ الـرسـولُ أَجيبـوا الخليـلا
نهضْنـا إليـه نَقُـودُ الجيـا ... دَ ونطـرحُ عنّـا المَلـولَ الثقيـلا
نَسِيـرُ بهـا الليـلَ حتـى الصبـا ... حِ ونَكْمـي النهـارَ لِئـلا نَـزُولا(٦)
فَهُـنّ سِـراعٌ كـوِرْدِ القطـا ... يُجِبْـنَ بنـا مِـن قُصـيّ رَسـولا
جمعنـا مـن السـرِّ مـن أَشْمَـذَيْـن ... ومِـنْ كُـلّ حـيّ جَمعنـا قَبيـلا(٧)
فيـالـكِ حَلْبَـةَ مـا لَيْلَـةٍ ... تـزيـد علـى الألـف سَيْبـا رَسِيـلا(٨)
فلمـا مَـرَرْنَ علـى عَسْجَـرٍ ... وأسْهلْـنَ مِـن مُسْتَنـاخٍ سَبيـلا(٩)

---

(١) الجوالي : جمع جالية ، وهم أهل الذمة ، لأن عمر رضي الله عنه أجلاهم عن جزيرة العرب ، ثم لزم كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب بكل بلد . (اللسان) .

(٢) أخرجه الترمذي : (٨١٢) ، في الحج ، باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج ، وإسناده ضعيف .

(٣) أورد ابن كثير البيت الأول قبل قليل ، في الكلام على قريش نسباً واشتقاقاً ، ونسبه إلى حذافة بن غانم العدوي . وهو في الروض (١/ ١٤٩) ، والإنباه على قبائل الرواة (٤٤) .

(٤) زاد في ب : ثم فوّض قصي هذه الجهات التي كانت إليه من السدانة والحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية إلى ابنه عبد الدار كما سيأتي تفصيله وإيضاحه ، وأقر الإجازة في المزدلفة في بني عدوان ، وأقر النسيء في بني فقيم ، وأقر الإجازة ، وهو النفر في صوفه كما تقدم بيان ذلك كله ، ما كان بأيديهم قبل ذلك . وسيكرر هذا في مطلع الفصل القادم ، بعد قليل .

(٥) لم يرد هذا القول في نص السيرة (١/ ١٢٦) .

(٦) نكمي النهار : أي نكمن ونستتر .

(٧) الأشمذان : جبلان هاهنا ، وقيل : قبيلتان . انظر معجم البلدان (أشمذان) ، والروض : (١/ ١٥١) .

(٨) الحلبة : الدفعة من الخيل .

(٩) في ب : عسجد . وكذا روى ياقوت البيت في معجم البلدان (عسجد) . وأشار إلى روايته بالراء : عسجر .

وجـاوزْنَ بـالـرُّكـنِ مِـنْ وَرَقـا نَ وجـاوَزْن بـالعـرْج حَيّـا حُلـولا[١]
مَـرَرْنَ علـى الحِلـي مـا ذُقنـه وعـالجـنَ مـنْ مرّ ليـلاً طـويـلا[٢]
نُـدَنّـي مـن العُـوْذِ أفـلاءهـا إرادةَ أن يَسْتَـرِقْـن الصَّهيـلا[٣]
فلمـا انتَهَيْنـا إلـى مكـةٍ أبَحْنـا الـرجـالَ قَبيـلاً قَبيـلا[٤]
نُعَـاورُهـم ثَـمَّ حَـدَّالسُّيـو فِ وفـي كُـلِّ أوْبٍ خَلَسْنـا العقُـولا
نُخَبِّـزُهُـم بصِـلابِ النُّسُـو رِ خَبْـزَ قَـويّ العَـزيـزِ الـذَّليـلا[٥]
قَتَلنـا خُـزاعَـةَ فـي دارِهـا وبَكـراً قَتَلْنـا وجِيْـلاً فَجيـلا
نَفَيْنـاهُـمُ مِـن بـلادِ المليـ ـكِ كما لا يَحُلُّون أرْضاً سهـولا
فـأصْبَـح سَبْيُهُـمُ فـي الحَـديـ ـدِ ومـن كـل حَـيٍّ شَفَيْنـا الغَليـلا

قال ابن إسحاق : فلما رجع رزاح إلى بلاده نشره الله ونشر حُنّا ، فهما قبيلا عذرة إلى اليوم[٦] . قال ابن إسحاق : وقال قصي بن كلاب في ذلك[٧] : [من الوافر]

أنـا ابـن العـاصِميـن بنـي لُـؤي بمكّـةَ مَنْـزلـي وبهـا رُبِيْـت
إلـى البطحـاءِ قـدْ علمـتْ معـدّ ومـروتُهـا رَضيـتُ بهـا رَضيـت
فلسـت لغـالـبٍ إنْ لـم تـأثَّـلْ بهـا أولادُ قيـذرَ والنَّبِيْـت[٨]
رِزاحٌ نـاصِـري وبـه أُسـامـي فلسـتُ أخـافُ ضيمـاً مـا حييـت

وقد ذكر الأموي ، عن الأثرم[٩] ، عن أبي عبيدة ، عن محمد بن حفص : أن رزاحاً إنما قدم بعد ما نَفَى قُصي خُزاعة . والله أعلم .

---

(١) ورقان ، بفتح الراء ، وروي بكسرها : جبل عظيم .
(٢) الحلي : ثمر نبت . ويروى : الحِل وهو جمع حِلة ، وهي بقلة شاكة . ويروى : الحيل ، وهو الماء المستنقع في بطن واد . الروض (١/ ١٥١) .
(٣) العوذ : الحديثات النتاج من الظباء . والأفلاء : الصغار .
(٤) في ب : أنخنا الرحال .
(٥) نخبزهم : نسوقهم سَوقاً شديداً .
(٦) السيرة (١/ ١٢٩) . وفي ب : قبيلتا عذرة . وقال السهيلي : في قضاعة عذرتان : عذرة بن رفيدة ، وهم من بني كلب بن وبرة ، وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، الروض (١/ ١٥١) .
(٧) السيرة (١/ ١٢٨) .
(٨) تتأثل : تتأصل وتنمو .
(٩) في ط : الأشرم وهو خطأ . والأثرم ، بالثاء : هو علي بن المغيرة ، أديب ، ورّاق ، لقي أبا عبيدة ، والأصمعي وأخذ عنهما ، توفي سنة (٢٣٢هـ) . ترجمته في معجم الأدباء (١٥/ ٧٧) .

فصل

ثم لما كبر قُصي فوّض أمر هذه الوظائف التي كانت إليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والندوة[١] إلى ابنه عبد الدار ، وكان أكبر ولده . وإنما خصصه بها كلها لأن بقية إخوته عبد مناف وعبد العزّى[٢] وعبد كانوا قد شَرُفوا في زمن أبيهم ، وبلغوا في قوتهم[٣] شرفاً كبيراً ، فأحب قُصي أن يلحق بهم[٤] عبد الدار في السؤدد ، فخصصه بذلك ، فكان إخوته لا ينازعونه في ذلك ، فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم في ذلك ، وقالوا : إنما خصص قُصي عبدَ الدار بذلك ليُلحقه بإخوته ، فنحن نستحقُّ ما كان أباؤنا يستحقونه ، وقال بنو عبد الدار : هَذا أمر جعله لنا قُصَي ، فنحن أحق به . واختلفوا اختلافاً كثيراً ، وانقسمت بطون قريش فرقتين : ففرقة بايعت عبدَ الدار وحالفتهم ، وفرقة بايعت بني عبد مناف وحالفوهم على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف في جَفْنَة فيها طيب ، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسُمّوا : حلف المطَيّبين . وكان منهم من قبائل قريش : بنو أسد بن عبد العزى بن قُصي ، وبنو زُهرة ، وبنو تميم وبنو الحارث بن فِهر . وكان مع بني عبد الدار بنو مخزوم ، وبنو سَهم ، وبنو جُمح ، وبنو عَدي . واعتزلت بنو عامر بن لُؤي ومُحارب بن فِهر الجميع ، فلم يكونوا مع واحد منهما . ثم اصطلحوا واتفقوا على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف ، وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار ، فانبرم الأمر على ذلك واستمر[٥] .

وحكى الأموي عن الأثرم عن أبي عُبيدة قال : وزَعَم قوم من خُزاعة[٦] أن قُصياً لما تزوج حُبَّى بنت حُليل ونقل حُليل عن ولاية البيت جعلها إلى ابنته حُبَّى ، واستناب عنها أبا غُبشان سليم بن عمرو بن لؤي بن مِلكان بن قُصي بن حارثة بن عمرو بن عامر ، فاشترى قصي ولاية البيت منه بزِقٍّ خَمر وقَعود[٧] ، فكان يقال : أَخْسَر من صَفقة أبي غُبْشان[٨] . ولما رأت خُزاعة ذلك اشتدّوا على قُصي ، فاستنصر أخاه ، فقَدِم بمن معه ، وكان ما كان .

---

(١) في ب : ودار الندوة .
(٢) كذا في ب . وهو موافق لنص السيرة (١/ ١٢٩) ، وفي أ ، وط : عبد الشمس .
(٣) في ب : قومهم .
(٤) في ب : يلحق عبد الدار بهم .
(٥) السيرة (١/ ١٢٩ ـ ١٣١) .
(٦) ليست في ب .
(٧) القعود : الناقة ، والفصيل .
(٨) المثل والقصة في الدرة الفاخرة (١/ ١٣٩) .

ثم[١] فوّض قُصي هذه الجهات التي كانت إليه من السِّدانة والحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية إلى ابنه عبد الدار ، كما سيأتي تفصيله وإيضاحه ، وأقر الإجازة من مزدلفة في بني عَدوان ، وأقر النسيء في فُقيم ، وأقر الإجازة ، وهو النفر في صُوفة[٢] ، كما تقدم بيان ذلك كله مما كان بأيديهم قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : فولد قُصي أربعة نفر وامرأتين : عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبداً ، وتَخْمُر وبَرَّة ، وأمُّهم كلُّهم حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبْشِيَّة بن سَلول بن كعب بن عمرو الخزاعي[٣] ، وهو آخر من ولي البيت من خزاعة ومن يده أخذَ البيتَ قُصي بن كلاب .

قال ابن إسحاق[٤] : فولد عبد مناف بن قُصي أربعةَ نَفَر : هاشماً ، وعبدَ شمس ، والمطّلب ، وأمُّهم عاتكة بنتُ مُرَّة بن هلال ، ونوفلَ بن عبد مناف ، وأمه واقدة بنت عمرو المازنية .

قال ابن هشام : ووُلِد لعبد مناف أيضاً : أبو عمرو وتُماضر ، وقلابة ، وحَيَّة ، ورَيْطة ، وأم الأختم ، وأم سفيان[٥] .

قال ابن هشام : وولد هاشم بن عبد مناف أربعةَ نفرٍ وخمسَ نسوة : عبد المطلب ، وأسداً وأبا صَيْفي ، ونَضْلة ، والشِّفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورُقيَّة ، وحَيّة ، فأم عبد المطلب ورُقيَّة : سَلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خِداش بن عامر بن غَنْم بن عَدي بن النجار من المدينة ، وذَكَرَ أمهاتِ الباقين . قال ووَلَدَ عبدُ المطلب عشرةَ نفر وستَّ نسوة وهم : العباس ، وحمزة ، وعبد الله ، وأبو طالب، واسمه عبد مناف لا عمران، والزُّبير، والحارث[٦] ـ وكان بكر أبيه وبه كان يُكنى ـ وجَحْل ، ومنهم من يقول : حَجْل ، وكان يلقّب بالغَيداق لكثرة خيره ، والمقوّم ، وضرار ، وأبو لهب ـ واسمه عبد العزى ـ وصَفية ، وأم حكيم البيضاء[٧] ، وعاتكة ، وأميمة ، وأروى ، وبَرة . وذَكَر أمهاتهم ، إلى أن قال : وأم عبد الله وأبي طالب والزبير وجميع النساء ، إلّا صفيةَ : فاطمةُ بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظة بن مرة بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعد بن عدنان . قال : فولد عبد الله محمداً رسول الله ﷺ سيد ولد آدم ، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، ثم ذكر

---

(١) ليست في ب .
(٢) صوفة : الغوث بن مر بن أد بن طابخة .
(٣) السيرة (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦) .
(٤) في ط : بن هشام . وهو سهو . والسيرة (١/ ١٠٦) .
(٥) السيرة (١/ ١٠٧) .
(٦) زيادة من ط . والسيرة .
(٧) كذا في ط ، وهو موافق لما في السيرة . وفي أ ، وب : ذكر البيضا وبعد برّة .

أمهاتها فأغرق إلى أن قال : فهو أشرف ولد آدم حَسباً ، وأفضلهم نسباً من قِبَل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين(١) .

وقد تقدّم حديث الأوزاعي عن شداد أبي عمار ، عن واثلة بن الأسْقَع قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصْطفى كِنانةَ من ولد إسماعيل ، واصْطَفى قُريشاً من كِنانةَ ، واصطفى هاشماً من قُريش ، واصطفاني من بني هاشم » . رواه مسلم(٢) .

وسيأتي بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الأخبار والآثار ، وسنورد عند سرد النسب الشريف فوائد أُخر لَيست هاهنا إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة ، وعليه التُّكْلان .

* * *

ذكر جُمَلٍ من الأحدَاث الواقعة في زمن الجاهِليّة(٣)

قد تقدم ما كان من أخذ جُرهم ولاية البيت من بني إسماعيل ، طمِعوا فيهم لأنهم أبناء بناتِهم ، وما كان من توثُّب خُزاعة على جُرهم وانتزاعهم ولاية البيت منهم ، ثم ما كان من رجوع ذلك إلى قُصي وبَنيه واستمرار ذلك في أيديهم إلى أن بعث الله رسوله ﷺ فأقر تلك الوظائف على ما كانت عليه .

* * *

باب
ذكر جماعة مشهورين كانوا في الجاهلية(٤)

خبر(٥) خالد بن سِنان العبسي الذي كان في زمن الفترة ، وقد زعم بعضُهم أنه كان نبياً(٦) . والله أعلم.

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدّثنا أحمد بن زُهَير التُّسْتَرِي(٧) ، حدّثنا يحيى بن المعَلّى بن

---

(١) السيرة (١/ ١٠٧ ـ ١١٠) .
(٢) صحيح مسلم رقم (٢٢٧٦) ، في أول الفضائل .
(٣) في ط : الأحداث في الجاهلية .
(٤) في ط : ذكر جماعة مشهورين في الجاهلية .
(٥) في ب : ذكر .
(٦) أخباره في : مروج الذهب (٢/ ٢٢٦) ، والكامل لابن الأثير (١/ ٣٧٦) ، والإصابة (١/ ٤٦٦) ، وتاريخ الخميس (١٩٩) .
(٧) التُّسْتَري : نسبة إلى تُستَر ، من قرى خوزستان . اللباب (١/ ٢١٦) .

منصور الرازي ، حدّثنا محمد بن الصَّلْت ، حدّثنا قيس بن الربيع ، عن سالم الأفطَس ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : قال : جاءت بنتُ خالد بن سِنان إلى النبي ﷺ ، فبَسط لها ثوبَه وقال : « بنتُ نبي ضَيَّعَهُ قَوْمُه »(١) .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزَّار ، عن يحيى بن المعلى بن منصور ، عن محمد بن الصلت ، عن قيس ، عن سالم ، عن سعيد ، عن ابن عباس . قال : ذُكِر خالدُ بن سنان عند رسول الله ﷺ فقال : « ذاك نبيٌّ ضَيَّعَهُ قومُهُ » . ثم قال : ولا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه(٢) . وكان قيس بن الربيع ثقةً في نفسه ، إلا أنه كان رديء الحفظ ، وكان له ابنٌ يُدْخِل في أحاديثه ما ليس منها(٣) . والله أعلم .

قال البزار : وقد رواه الثوري عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبير مرسلاً .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدّثنا المعلّى بن المهدي الموصلي(٤) قال : حدّثنا أبو عَوانة ، عن أبي يونس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رجلاً من عبس يقال له : خالد بن سنان قال لقومه : إني أُطفئ عنكم نار الحرّتين . فقال له رجلٌ من قومه : والله يا خالد ما قلتَ لنا قَطُّ إلّا حقاً ، فما شأنك وشأن نار الحرّتين تزعم أنك تطفئها ؟! فخرج خالد ومعه أناس من عبس(٥) قومه ، فيهم عمارة بن زياد ، فأتوها ، فإذا هي تخرج من شِق جبل فخط لهم خالد خطة ، فأجلسهم فيها ، فقال : إن أبطأتُ عليكم فلا تَدْعُوني باسمي . فخرجَتْ(٦) كأنها خيلٌ شُقر يتبع بعضُها بعضاً ، فاستقبلها خالد ، فجعلَ يضربُها بعصاه ويقول : بدا بدا بدا كل هدى مؤدى(٧) زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى . حتى دخل معها الشق . فأبطأ عليهم ، فقال لهم عمارة بن زياد : إن صاحبكم لو كان حياً لقد خرج إليكم بعد فادعُوه باسمه . قال : فقالوا : إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه . فدعوه باسمه . فخرج وهو آخذ برأسه فقال : ألم أنهَكُم أن تدعوني باسمي ، فقد والله قَتَلتموني ، فاحملوني(٨) فادفنوني ، فإذا مرتْ بكم الحُمُرُ ، فيها حمار أبتر فانبشوني ، فإنكم تجدوني حَياً ، فحملوه فدفنوه ، فمرت بهم الحمر فيها حمار

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١٤) .
وأورده ابن حجر في الإصابة (١/ ٤٦٦) ، وابن الأثير (١/ ٣٧٦) ، والمسعودي (٢/ ٢٢٧) .
(٢) زاد في ب : قلت . والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١٤) .
(٣) قيس بن الربيع الأسدي ، أبو محمد ، من أهل الكوفة ، توفي سنة (١٦٧هـ) . اختُلف فيه . المجروحين (٢/ ٢١٦ ـ ٢١٩) .
(٤) زاد في ب : ورواه الطبري عن علي بن عبد العزيز ، وخلف بن عمرو العكبري ، عن معلى بن مهدي الموصلي .
(٥) ليست في ط .
(٦) قوله : فخط لهم . . . إلى هنا زيادة من ب ، وط .
(٧) في العبارة هنا بعض اختلاف في الأصول .
(٨) فاحملوني : زيادة من ب وط .

أبتر ، فأرادوا نبشه فقال لهم[١] عمارة لا تنبشوه ، لا والله لا تُحدِّث مضر أنّا ننبش موتانا . وقد كان قال لهم خالد : إن في عُكَن[٢] امرأته لوحين فإنْ أشكَل عليكم أمرٌ فانظروا فيهما ، فإنكم ستجدون ما تسألون عنه قال ولا يمسهما حائض . فلما رجعوا إلى[٣] امرأته سألوها عنهما ، فأخرجتهما إليهم وهي حائض ، فذهب ما كان فيهما من علم[٤] .

قال أبو يونس : قال سماك بن حَرب : سُئل عنه النبي ﷺ فقال : « ذاك نبيٌّ أضاعَه قومه » . قال : أبو يونس : قال سماك بن حرب[٥] إن ابن خالد بن سنان أتى النبي ﷺ فقال : « مرحباً بابن أخي »[٦] . فهذا السياق موقوف على ابن عباس ، وليس فيه أنه كان نبياً ، والمرسَلات التي فيها أنه نبي لا يُحتَجُّ بها هاهنا ، والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات ، فإنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنّ أولى الناس بعيسى بن مريم أنا ، لأنه ليس بيني وبينه نبي »[٧] . وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص : ٤٦] . وقد قال غير واحد من العلماء : إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبياً في العرب إلا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل باني الكعبة المكرمة التي جعلها الله قِبلةً لأهل الأرض شرعاً ، وبشّرت به الأنبياء لقومهم ، حتى كان آخر من بشّر به عيسى بن مريم عليه السلام . وبهذا المسلك بعينه يُرَدّ ما ذكره السهيلي[٨] وغيره من إرسال نبي من العرب يقال له : شُعيب بن ذي مَهذم بن شعيب بن صفوان صاحب مَدين ، وبُعث إلى العرب أيضاً حنظلة بن صَفوان[٩] فكذبوهما فسلّط الله على العرب بختَ نصّر فنال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني إسرائيل ، وذلك في زمن معد بن عدنان . والظاهر أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين يدعون إلى الخير . والله أعلم .

وقد تقدّم ذكر عمرو بن لُحي بن قمعة بن خِندف في أخبار خُزاعة بعد جُرهم .

* * *

(١) في ط : فقلنا انبشوه ، فإنه أمرنا أن ننبشه ، فقال لهم عمارة .
(٢) كذا في ط ،وهو موافق لما نقله ابن حجر في الإصابة . وهو الأشبه بالصواب . وفي أ ، وب : علم . والعُكن : جمع عُكنة ، وهي ما تثنى من لحم البطن وانطوى .
(٣) كذا في ط. وهو موافق لما أورده ابن حجر. وفي أ، وب : تسألون ولا تمسه حائض فلما فرغوا من دفنه أتوا امرأته.
(٤) الخبر في الإصابة (١/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨) ، وتاريخ الخميس (١٩٩ ـ ٢٠٠) ، والكامل (١/ ٣٧٦) . والمروج (٢/ ٢٢٦) ، وفي روايته اختلاف .
(٥) زيادة من ب ، وط . والإصابة .
(٦) كذا في الأصول . والذي في الإصابة . والكامل : أن الذي أتى إلى النبي ﷺ ابنة خالد بن سنان ، لا ابنه .
(٧) صحيح البخاري رقم (٣٤٤٢ و٣٤٤٣) ، في الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ وفيه اختلاف عما هاهنا ، وكذلك رواه مسلم ، رقم (٢٣٦٥) في الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام .
(٨) الروض (١/ ١٢) ، وتاريخ الطبري (٢/ ٢٧١) .
(٩) خبره في تاريخ الخميس (٢٠٠) .

ذكر حَاتم الطائي أَحَد أجواد الجاهليّة

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرج بن امرئ القيس بن عَدي بن أَخْزم بن أبي أخزم ، واسمه هرومة[(١)] بن ربيعة بن جَرْول بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغوث بن طيئ ، أبو سَفَّانة الطائي ، والد عَدِي بن حاتم الصحابي[(٢)] .

كان جواداً ممدَّحاً في الجاهلية ، وكذلك كان ابنه في الإسلام . وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة ، وأخبار مُسْتَغْرَبة في كرمه يطول ذكرها ، ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، وإنما كان قصده السمْعة والذكر .

قال الحافظ أبو بكر البزّار في « مسنده » : حدّثنا محمد بن معمر ، حدّثنا عبيد بن واقد القيسي ، حدّثنا أبو نصر ـ هو الناجي ـ عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : ذُكر حاتم عند النبي ﷺ فقال : « ذاكَ أرادَ أمراً فأدركَه »[(٣)] .

حديث غريب. قال الدارقُطني: تفرّد به عُبيد بن واقد، عن أبي نصر الناجي، ويقال: إن اسمه حماد. قال ابن عساكر : وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبي نصر الناجي وبين أبي نصر حماد ، ولم يسم الناجي . ووقع في بعض روايات الحافظ ابن عساكر عن أبي نصر شيبة الناجي . والله أعلم[(٤)] .

وقال الإمام أحمد[(٥)] : حدّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة[(٦)] عن سماك بن حرب ، عن مرِّي بن قطري ، عن عدي بن حاتم قال : قلت لرسول الله ﷺ : إن أبي كان يَصِلُ الرحمَ ، ويفعل ، ويفعل ، فهل له في ذلك ؟ يعني من أجر . قال : « إن أباكَ طَلَبَ شيئاً فأَصَابه » .

وهكذا رواه أبو يعلى ، عن القواريري ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن سماك ، به . وقال : « إن أباكَ أرادَ أمراً فأدركه » يعني الذِّكرَ .

---

(١) زيادة من ط . وب . وكذلك في الأغاني (ثقافة ١٧/ ٢٧٨) . وقع في نسبه بعض اختلاف في المصادر . الشعر والشعراء (١/ ٢٤١) ، ونشوة الطرب (١/ ٢٢٣) ، والأغاني .

(٢) توفي عدي سنة (٦٧هـ) وقيل (٦٨هـ) . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٢) ومصادر ترجمته ثمة .

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد : (١/ ١١٩) ، وقال : رواه البزار ، وفيه عبيد بن واقد العبسي ، ضعّفه أبو حاتم.

(٤) تاريخ دمشق (١١/ ٣٦٢) .

(٥) في المسند (٤/ ٢٥٨) .

(٦) في ط : «حدثنا يزيد بن إسماعيل، حدثنا سفيان عن سماك. . .» ومثل هذا الإسناد لا يوجد في مسند الإمام أحمد، وفيه خلط، فقد روى أحمد عن يزيد ـ وهو ابن هارون ـ عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين، عن أبي عبيدة عن رجل، قال: قلت لعدي، وذكر حديثاً غير هذا (٤/ ٢٥٧) كما روى عن عبد الرحمن ـ وهو ابن مهدي، عن سفيان، عن سماك عن مُري عن عدي حديث ذكر اسم الله على الذبيحة (٤/ ٢٥٦) أما هذا الحديث فليس له في المسند سوى طريقين: الأول من طريق محمد بن جعفر غندر عن شعبة عن سماك، وهو هذا، والثاني من طريق حسين بن محمد بن بهرام المروزي، عن شعبة، به (٤/ ٢٥٨) .

وهكذا رواه أبو القاسم البغوي[١] ، عن علي بن الجعد ، عن شعبة ، به ، سواء[٢] .

وقد ثبت في الصحيح في الثلاثة الذين تُسَعَّرُ بهم جَهنم ، منهم الرجل الذي يُنفق ليقال : إنه كريم ، فيكون جزاؤه أن يقال ذلك في الدنيا ، وكذا في العالم والمجاهد[٣] .

وفي الحديث الآخر في الصحيح أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سَعد بن تَيم بن مرة فقالوا له : كان يقري الضيفَ ويعتقُ ويتصدَّقُ ، فهل ينفعه ذلك ؟ فقال : « إنه لم يَقُلْ يوماً من الدهْرِ رَبِّ اغفِرْ لي خطيئتي يوم الدين »[٤] .

هذا وقد كان من الأجواد المشهورين أيضاً المطعِمين في السنين الممحلة والأوقات المرملة .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٥] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العُماني ، حدّثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي ، حدّثنا ضِرار بن صُرَد[٦] ، حدّثنا عاصم بن حميد ، عن أبي حمزة الثُّمالي[٧] ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن كُمَيْل بن زياد النَّخْعي[٨] قال : قال علي بن أبي طالب : يا سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس في خير ، عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً ، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً[٩] لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق ، فإنها تدلّ على سبيل النجاح . فقام إليه رجل فقال : فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين ، أسمعتَه من رسول الله ﷺ ؟ قال نعم . وما هو خير منه : لما أُتي بسبايا طيئ وقعت جارية

---

(١) الجعديات (٥٧٩) .

(٢) زاد في ب : وروى الطبراني من طريق سعيد بن أبي هلال عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، أن عدي بن حاتم قال : يا رسول الله إن أبي كان يصل القرابة ، ويحمل الكَلَّ ، ويطعم الطعام . قال : هل أدرك الإسلام؟ قال : لا . قال : فإن أباك كان يحب أن يذكر فذكر .

(٣) أخرجه مسلم (١٩٠٥) في الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار . وكذلك الترمذي (٢٣٨٢) ، في الزهد ، باب ما جاء في الرياء والسمعة . وقال : هذا حديث حسن غريب . والنسائي (٦/ ٢٣) .

(٤) رواه مسلم (٢١٤) ، في الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمله . وأحمد في مسنده (٦/ ٩٣ ، ١٢٠) ، من طريق عائشة رضي الله عنها .

(٥) في دلائل النبوة (٥/ ٣٤١) .

(٦) ضِرار بن صُرَد، أبو نعيم الطحان الكوفي، فقيه عالم، كذّبه يحيى بن معين. توفي سنة (٢٢٩هـ). المجروحين (١/ ٣٧٦).

(٧) أبو حمزة الثمالي ثابت بن أبي صفية ، كوفي ، ضعيف ، رافضي . توفي سنة (١٤٨هـ) .
المجروحين (١/ ٢٠٦) ، وتقريب التهذيب (١/ ١١٦) .
والثُّمالي : نسبة إلى (ثُمالة) بطن من الأزد . اللباب (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) .

(٨) كُمَيْل بن زياد النَّخْعي من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه . كان منكر الحديث .
المجروحين (٢/ ٢٢١) .

(٩) في ب : عذاباً .

حمراء لَعْساء ، زلفاء ، عَيْطاء ، شَمّاء الأنف ، معتدلة القامة والهامة ، درماء الكعبين ، خَدَلَّجة الساقين ، لَفَّاء الفخذين ، خميصة[١] الخصرين ، ضامرة الكشحين ، مصقولة المتنين . قال : فلما رأيتها أُعجِبْتُ بها ، وقلتُ : لأطلبَنَّ إلى رسول الله ﷺ فيجعلها في فَيْئي . فلما تكلَّمَتْ أُنسِيْتُ جمالَها لِما رأيتُ من فصاحتها. فقالت: يا محمد إنْ رأيتَ أن تُخلّي عني ولا تُشمت بي أحياء العرب، فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يَحمي الذمار ، ويفك العاني ، ويُشبع الجائع ، ويكْسوالعاري ، ويَقْري الضيف ، ويُطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يَرُدَّ طالبَ حاجةٍ قط ، أنا ابنة حاتم طيء . فقال النبي ﷺ : « يا جَارية هَذه صِفةُ المؤمنين حقاً ، لو كانَ أبوكِ مؤمناً لترحَّمْنا عليه ، خَلُّوا عنها فإن أباها كان يُحِبُّ مكارمَ الأخلاق ، والله تعالى [يحبُّ مكارمَ الأخلاق »][٢] . فقام أبو بردة بن دينار فقال : يا رسول الله ، والله يُحبُّ مكارمَ الأخلاق ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يدخلُ الجنةَ أحدٌ إلا بحُسْن الخلق »[٣] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدَّثني عُمر بن بكر ، عن أبي عبد الرحمن الطائي ـ هو الهيثم[٤] بن عدي ـ عن عثمان ، عن عركى بن حليس الطائي ، عن أبيه ، عن جده ، وكان أخا عدي بن حاتم لأمه قال : قيل لنَوار امرأة حاتم : حدّثينا عن حاتم . قالت : كل أَمْره كان عجباً . أصابتنا سَنَةٌ حصتْ كلَّ شيءٍ ، فاقشعرَّت لها الأرضُ واغبرَّتْ لها السماء ، وضَنَّت المراضع على أولادها ، وراحت الإبل حُدْبا حَدابير ، ما تَبِضّ[٥] بقطرة ، وحَلَقتِ المالَ ، وإنا لفي ليلة صِنَّبْر[٦] ، بعيدة ما بين الطرفين ، إذا تَضَاغَى الأصبيةُ[٧] من الجوع: عبد الله، وعدي، وسَفّانة، فوالله إنْ وَجَدْنا شيئاً نُعلّلهم به . فقام إلى أحد الصبيين[٨]

---

(١) اللعساء : التي في شفتها سواد مستحسن . الزلفاء : الصقيلة البشرة من الزَّلَفة ، وهي المرآة النظيفة المستوية . والعيطاء : الطويلة العنق . ودرماء الكعبين : أي غطاهما اللحم حتى لم يبن لهما حجم . والخَدَلَّجَة : الممتلئة الذراعين والساقين . واللَّفَّاء : الضخمة الفخذين . والخميصة : الضامرة . والكشح : ما بين السرة ووسط الظهر . والمتن : الظهر ، أو ما ظهر منها .

(٢) ليست في ب .

(٣) وروى الخبر الأصبهاني في الأغاني (الثقافة ١٧/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩) ، وابن عساكر في تاريخه (١١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤) .

(٤) كذا في ب ، وهو الصحيح . وفي أ ، وط : القاسم بن عدي ، وهو سهو .
والهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي أبو عبد الرحمن ، ولد بالكوفة ، وسكن بغداد ، كان عالماً بالسير وأخبار العرب ، تكلموا فيه . وتوفي سنة (٢٠٧هـ) . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٣ ـ ١٠٤) ، والمجروحين (٣/ ٩٢ ـ ٩٣) .

(٥) والحُدب : جمع حدباء ، وهي التي بدت حراقفها وعظم ظهرها .
والحدابير : جمع حِدْبير ، وهي الإبل الضامرة . والسنة الجدبة أيضا . والبَضُّ : السيلان ببطء .

(٦) حلقت المال : ذهبت بالإبل . وليلة صِنَّبْر : شديدة البرد .

(٧) ضغا : صاح . وأصبية : جمع صبي .

(٨) في ب ، وط : الصبيان .

فحمله ، وقمتُ إلى الصَّبِيَّة فعلّلتُها ، فوالله إنْ سَكتا إلا بعدَ هدْأَةٍ من الليل . ثم عُدْنا إلى الصبيِّ الآخر فعلّلناه حتى سكتَ وما كاد . ثم افترشنا قَطِيفةً[١] لنا شامية ذات خمل ، فأضْجعنا الصبيان عليها ، ونمتُ أنا وهو في حجرة والصبيان بيننا ، ثم أقبل عليَّ يُعلّلني لأنامَ ، وعرفتُ ما يريدُ ، فتناومْتُ . فقال : مالكِ أنمتِ ؟ فسكتُّ . فقال : ما أراها إلا قد نامت وما بي نوم . فلما ادلهمَّ الليلُ وتهوَّرت النجومُ[٢] ، وهدأتِ الأصواتُ ، وسكنتِ الرِّجْلُ ، إذا جانب البيت قد رُفع . فقال : من هذا ؟ فولّى ، حتى قلتُ : إذاً قد أسْحَرنا أو كِدنا ، عاد فقال : من هذا ؟ قالت : جارتُك فُلانة يا أبا عدي ، ما وجدتُ على أحد معولاً غيرَك ، أتيتك من عند أصْبيةٍ يتعاوَوْن عواء الذئاب من الجوع . قال : أعجليهم عليَّ . قالت النوارُ : فوثبتُ فقلتُ : ماذا صنعتَ ؟![٣] والله لقد تضاغى أصْبيتُك فما وجدت ما تعلّلهم [به][٤] فكيف بهذه وبولدها ؟ فقال : اسكتي ، فوالله لأُشْبِعَنّك [وإياهم][٤] إن شاء الله . قالت : فأقبلتْ تحملُ اثنين ، وتمشي جنبتيها أربعة ، كأنها نعامة حولها رئالها ، فقام إلى فرسه ، فوَجَأ بحرْبَتِه في لَبّته[٥] ، ثم قدَح زَنْده وأورى ناره ، ثم جاء بِمدْية فكَشَط عن جلده ، ثم دفع المديةَ إلى المرأة ، ثم قال : دُونَكِ . ثم قال : ابعثي صِبيانك ، فبعثتهم . ثم قال : سوءةً ! أتأكلون شيئاً دون أهل الصِّرم[٦] ؟ فجعل يطوفُ فيهم حتى هَبّوا وأقبَلُوا عليه . والتَفَعَ في ثوبه ثم اضجع ناحية ينظر إلينا . والله ما ذاقَ مُزْعَةً[٧] ، وإنه لأحْوَجُهم إليه ، فأصبحنا وما على الأرض منه إلا عَظْم أو حافر[٨] .

وقال الدارقُطني : حدّثني القاضي أبو عبد الله المحاملي ، حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، حدّثنا عُثَيم بن ثوابة بن حاتم الطائي ، عن أبيه ، عن جدّه قال : قالت امرأة حاتم لحاتم : يا أبا سَفّانة ، أشتهي أنْ آكلَ أناوأنتَ طعاماً وحدَنا ليس عليه أحدٌ . فأمَرَها فحوّلت خَيْمتَها من الجماعة على فرسخ ، وأمر بالطعام فهُيئ ، وهي مرخاة ستورها عليه وعليها ، فلما قاربَ نضجُ الطعام كشفَ عن رأسه ثم قال : [من الطويل]

فـلا تطبخـي قِـدري وسِتْـرُكِ دونَهـا علـــيَّ إذنْ مـــا تطبخيـــنَ حَـــرامُ

(١) القطيفة : دثار مُخَمَّل .
(٢) تهوَّرت النجوم ذهبت ، أو ولّى أكثرها .
(٣) زاد في ط : اضطجع .
(٤) زيادة من ب .
(٥) الرأل : ولد النعام . ووجأ : ضرب . واللبة : المنحر .
(٦) الصرم : الأبيات المجتمعة المنقطعة من الناس .
(٧) المُزعة : القطعة من اللحم .
(٨) في ط : وحافر . والخبر في الشعر والشعراء (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٤) ، والأغاني (٧/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) ، ونشوة الطرب (١/ ٢٢٥) ، وفي روايته اختلاف يسير .

ولكــنْ بهــذاكَ اليَفــاعِ فــأَوقِــدي بجــزلٍ إذا أوقــدتِ لا بضِــرامِ[١]

قال : ثم كشفَ الستورَ وقدَّمَ الطعامَ ودعا الناسَ ، فأكل وأكلوا . فقالت : ما أتممْتَ لي ما قلت . فأجابها : فإني لا تطاوعني نفسي ، ونفسي أكرمُ عليَّ مِن أن يثني علي هذا ، وقد سبق لي السخاء . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

أُمارسُ نفسَ البخلِ حتّى أعزّها وأتركُ نفسَ الجودِ ما أستشيرها
ولا تشتكيني جارتي غيرَ أنها إذا غابَ عنها بعلُها لا أزورُها
سيبلُغها خَيري ويرجع بعلُها إليها ، ولم تقصُر عليها سُتُورها[٢]

ومن شعر حاتم : [من الوافر]

إذا ما بتّ أشْربُ فوقَ زِقّي لِسُكْرٍ في الشرابِ فلا رَويتُ[٣]
إذا ما بِتُّ أختِلُ عِرْسَ جاري ليخفيني الظلامُ فلا خفيتُ
أأفضحُ جارتي وأخونُ جاري فلا واللهِ أفعلُ ما حَييتُ[٤]

ومن شعره أيضاً : [من الكامل]

ما ضَرَّ جاراً لي أُجاورُه أن لا يكونَ لِبابِهِ سِتْرُ
أُغضي إذا ما جارتي بَرزت حَتّى يُواريَ جارتي الخِدْرُ[٥]

ومن شعر حاتم أيضاً : [من الوافر]

وما مِنْ شِيمتي شَتْمُ ابنِ عَمّي وما أنا مُخْلِفٌ مَن يَرْتجيني
وكلْمةِ حاسدٍ من غَيرِ جرْمٍ سَمعتُ وقلتُ : مُرِّي فانفِذيني
وعابوها عليّ ، فلم تَعِبْني ولم يعرَقْ لها يوماً جبيني
وذي وجهين يلقاني طليقاً وليس إذا تغيَّب يأتسيني
ظفرتُ بعيبه فكففْتُ عنه محافظةً على حَسَبي وديني[٦]

---

(١) البيتان في ديوانه (١٦٤) ، (تحقيق د . عادل جمال ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٤١١هـ ١٩٩٠) . وفيه اختلاف في بعض الألفاظ .
واليفاع : المرتفع من الأرض . والجزل : الغليظ من الحطب اليابس . والضرام : دقيق الحطب .
(٢) ديوانه (٢٣٢) وما بعدها ، من قصيدة ، والخبر في تاريخ ابن عساكر من طريق الدارقطني (١١/٣٦٦) .
(٣) في ط : فوق ري .
(٤) ديوانه (٢١٠) .
(٥) ديوانه (٢٩٦) .
(٦) ديوانه (١٥٢) .

ومن شعره : [من الطويل]

سلي البائسَ المقرورَ يا أُمَّ مالكٍ إذا ما أتاني بين ناري ومجزري
أأبسط وجهي إنه أولُ القِرى وأبذلُ معروفي له دون مُنْكَرِي(١)

وقال أيضاً : [من الطويل]

وإنكَ إن أعطيتَ بطنكَ سُؤْلَه وفَرْجَك نالا منتَهى الذمّ أَجْمعا(٢)

وقال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا(٣) الجريري : حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدّثنا أبو العباس المبرد ، أخبرني التَّوزي ، عن أبي عُبيدة . قال : لما بلغ حاتم طيِّئ قول المتلمس :

قليلُ المالِ تُصلحهُ فيبقى ولا يبقى الكثيرُ على الفَساد
وحِفظُ المال خيرٌ من فَناه وعسفٍ في البلادِ بغير زاد

قال : ما له قطع الله لسانه حمل الناس على البخل ، فهلا قال : [من الطويل]

فلا الجودُ يُفني المالَ قبلَ فنائه ولا البخلُ في مال الشحيح يزيد
فلا تلتمسْ مالاً بعيشٍ مُقتّرٍ لكلّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديد
ألم ترَ أنّ المالَ غادٍ ورائح وأنّ الذي يُعطيك غيرُ بعيد(٤)

قال القاضي أبو الفرج : ولقد أحسن في قوله : وإن الذي يعطيك غير بعيد . ولو كان مسلماً لرجي له الخير في معاده . وقد قال تعالى في كتابه : ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء : ٣٢] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٥) [البقرة : ١٨٦] .

وعن الوضّاح بن معبد الطائي قال : وَفَدَ حاتم الطائي على النعمان بن المنذر ، فأكرمه وأدناه ، ثم زوّده عند انصرافه جَمَلين ذهباً وورِقاً غيرَ ما أعطاه من طرائف بلده ، فرحل ، فلما أشرف على أهله تلقته أعاريب طيِّئ . قالت : يا حاتم أتيتَ من عند الملك بالغنى(٦) وأتينا من عند أهالينا بالفقر . فقال حاتم : هلم فخذوا ما بين يدي فتوزّعوه ، فوثبوا إلى ما بين يديه من حباء النعمان فاقتسموه . فخرجت إلى حاتم

(١) ديوانه (٢٨٤) .
(٢) ديوانه (١٧٤) .
(٣) في كتابه الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) ، (تحقيق د . محمد مرسي الخولي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٩٨١) .
(٤) ديوانه (٢٥٠) .
(٥) الجليس الصالح الكافي (١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) .
(٦) زيادة من ب .

طريفة جاريتُه ، فقالت له : اتق الله وأبقِ على نفسك ، فما يدع هؤلاء ديناراً ولا دِرهماً ولا شاة ولا بعيراً . فأنشأ يقول : [من البسيط]

قالتْ طُرَيفةُ : ما تَبقَى دراهِمُنا ... وما بنا سَرَفٌ فيها ولا خَرَقُ
إنْ يَفْنَ ما عندنا فالله يرزُقنا ... ممَّنْ سِوانا ولسنا نحنُ نَرْتَزِق
ما يألف الدرهمُ الكاريُّ خِرقَتَنا ... إلا يمرّ عليها ثُم ينطلق
إنا إذا اجتمعت يوماً دراهمُنا ... ظلّت إلى سُبُلِ المعروفِ تستبق[١]

وقال أبو بكر بن عياش : قيل لحاتم : هل في العرب أجود منك ؟ فقال : كل العرب أجود مني . ثم أنشأ يُحدّثُ ، قال : نزلتُ على غلام من العرب يتيمٍ ذات ليلة ، وكانت له مئة من الغنم ، فذبح لي شاة منها ، وأتاني بها ، فلما قَرَّبَ إليَّ دماغَها قلت : ما أطيبَ هذا الدماغ ! قال : فذهبَ ، فلم يزل يأتيني منه حتى قلتُ : قدِ اكتفيت ، فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المئة شاة وبقي لا شيء له ؟ فقيل : فما صنعتَ به ؟ فقال : ومتى أبلغُ شكرَه ولو صنعتُ به كل شيء ؟! قالوا[٢] : على كل حال ؟ فقال : أعطيتُه مئة ناقة من خيار إبلي .

وقال محمد بن جعفر الخرائطي[٣] في كتاب « مكارم الأخلاق » : حدّثنا العباس بن الفضل الرَّبَعي ، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدّثني حماد الراوية ومشيخة من مشيخة طيّئ ، قالوا : كانت عنترة[٤] بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس أم حاتم طيّئ لا تُمسك شيئاً سَخاءً وجوداً ؛ وكان إخوتها[٥] يمنعونها فتأبى ، وكانت امرأة موسِرةً ، فحبسوها في بيتٍ سنةً يطعمونها قوتَها لعلها تكفّ عما تصنع . ثمّ أخرجوها بعد سنةٍ وقد ظنّوا أنها قد تركتْ ذلك الخُلُق ، فدفعوا إليها صِرْمةً من مالها وقالوا : استمتعي بها ، فأتتها امرأة من هوازنٍ ، وكانت تغشاها ، فسألتها ، فقالت : دونك هذه الصِّرْمة فقد والله مسني من الجوع ما آليتُ أن لا أمنع سائلاً ثم أنشأت تقول : [من الطويل]

لَعَمري لقِدماً عضّني الجوعُ عضة ... فآليتُ أن لا أمنعَ الدهرَ جائعا
فقولا لهذا اللائمي اليومَ أعفِني ... وإن أنتَ لم تفعل فعضّ الأصابعا

---

(١) ديوانه (٢٨٦) .
(٢) كذا في ب ، وهو الأشبه بالصواب . وفي ط : قال .
(٣) محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي السامري ، فاضل من حفاظ الحديث . توفي في يافا سنة (٣٢٧هـ) . وكتابه مكارم الأخلاق مطبوع .
الأعلام (٦/ ٧٠) .
(٤) كذا في م ، وط . وفي ب ، والأغاني : غنية . وفي الشعر والشعراء : عنبة .
(٥) كذا في ب ، ط . وفي أ : وكانوا يمنعونها .

فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم سوى عذلكم أو منع مَن كانَ مانعا[١]
ومهما تروْن اليومَ إلا طبيعةً فكيف بتركي يا ابنَ أمي الطبائعا[٢]

وقال الهيثم بن عدي ، عن مِلحان بن عركى بن عدي بن حاتم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : شهدتُ حاتماً يكيد بنفسه[٣] فقال لي : أي بُني إني أعهدُ من نفسي ثلاث خصال : والله ما خاتلتُ جارةً لريبةٍ قطُّ ، ولا ائتمنت على أمانة إلَّا أدّيتُها ، ولا أوتيَ أحدٌ من قِبلي بسوءٍ .

وقال أبو بكر الخرائطي : حدّثنا علي بن حَرب ، حدّثنا عبد الرحمن[٤] بن يحيى العدوي ، حدّثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مسكين - يعني جعفر بن المحرر بن الوليد - عن المحرر مولى أبي هريرة قال : مرَّ نفر من عبد القيس بقبر حاتم طيّئ ، فنزلوا قريباً منه ، فقال إليه بعضهم [يقال له : أبو الخيبري][٥] فجعل يركض[٦] قبره برجله . ويقول : يا أبا الجَعْراء[٧] اقرنا . فقال له بعض أصحابه : ما تخاطب من رِمَّة وقد بليتْ ! وأجنّهم الليلُ فنوموا[٨] . فقام صاحبُ القول فزعاً يقول : يا قوم عليكم بمطيكم فإن حاتماً أتاني في النوم ، وأنشدني شعراً ، وقد حفظته . يقول : [من المتقارب]

أبا خَيْبَرِيّ وأنتَ امرؤٌ ظَلومُ العَشِيْرةِ شتَّامُها
أتيتَ بصحْبِكَ تبغي القِرى لَدى حُفْرةٍ قد صَخِبِ هَامُها[٩]
أتبغي لي الذنبَ عندَ المبيـ ـتِ وحولَك طيئ وأنعامها
وإنا سنُشْبِعُ أضيافَنا وتأتي المطيّ فنعتامُها[١٠]

قال : وإذا ناقة صاحب القول تَكُوس[١١] عقيراً ، فنحروها وقاموا يشْتَوونَ ويأكلون . وقالوا والله لقد أضافنا حاتم حيّاً وميتاً . قال : وأصبح القوم وأردفوا صاحبهم ، وساروا . فإذا رجلٌ

---

(١) في ب : عسيتم . وفي ط : أو عذل من .
(٢) في ط : وماذا ترون . والخبر في الشعر والشعراء (١/ ٢٤٢) ، والأغاني (١٧/ ٢٨٠) .
(٣) كاد بنفسه : جاد .
(٤) في ب : عبد الرزاق وهو خطأ .
(٥) قوله : يقال له أبو الخيبري . زيادة من ط .
(٦) الركض : تحريك الرجل ، والضرب بها .
(٧) في ط ، ومروج الذهب : الجعد . وفي الشعر والشعراء : عذي . وفي الأغاني : جعفر . وأثبت ما في الأصل ، وهو الأشبه بالصواب . فالجعراء هي الاست . وهو هنا إنما يسخر من حاتم .
(٨) في ط : فناموا .
(٩) في ط : قد صدت هامها .
(١٠) في ط : لنشبع . والأبيات في ديوانه (١٦٨) ، مع اختلاف في الرواية .
(١١) تكوس : تمشي على ثلاثة أرجل .

ينوّه[١] بهم راكباً جملاً ويقود آخر . فقال : أيكم أبو الخيبري ؟ قال : أنا . قال : إن حاتماً أتاني في النوم فأخبرني أنه قرى أصحابَك ناقتك ، وأمرني أن أحملك ، وهذا بعيرٌ فخذه . ودفعه إليه[٢] .

***

ذكر شيء من أخبَار عبد الله بن جدعان

هو عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة ، سيد بني تيم ، وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وكان من الكرماء الأجواد في الجاهلية المطعمين للمسنتين[٣] .

وكان في بدء أمره فقيراً مُمْلِقاً ، وكان شِرّيراً يُكْثِر من الجنايات ، حتى أبغضه قومُه وعشيرتُه وأهلُه وقبيلتُه ، وأبغضوه حتى أَبُوه ، فخرج ذات يوم في شِعاب مكة حائراً بائراً[٤] ، فرأى شِقاً في جبل ، فظن أن يكون به شيء يؤذي ، فقصدَه لعلّه يموت فيستريح مما هو فيه ، فلما اقترب منه إذا ثعبانٌ يخرج إليه ويَثِبُ عليه ، فجعل يحيدُ عنه ويَثِبُ فلا يُغْني شيئاً ، فلما دنا منه إذا هو من ذهب ، وله عينان هما ياقوتتان ، فكَسَره وأخذه ، ودخل الغار فإذا فيه قبور لرجال[٥] من ملوك جُرهم ، ومنهم الحارث بن مُضاض الذي طالت غيبتُه فلا يُدرَى أين ذهبَ ، ووجد عند رؤوسهم لوحاً من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومُدَد ولايتهم ، وإذا عندهم من الجواهر واللآلئ والذهب والفضة شيء كثير ، فأخذ منه حاجته[٦] ، ثمّ خرج . وعَلَّم بابَ الغارِ ثم انصرف إلى قومه ، فأعطاهم حتى أحَبّوه ، وسادهم ، وجعل يُطعم الناسَ ، وكلما قَلَّ ما في يده ذَهَبَ إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ، ثمّ رَجَع[٧] .

فممن ذكر هذا عبد الملك بن هشام في كتاب « التيجان »[٨] .

---

(١) ينوّه : ينادي .
(٢) الخبر في الشعر والشعراء (١/ ٢٤٩) ، ومروج الذهب (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣) ، والأغاني (١٧/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ و٣٠٠) ، وخزانة الأدب (٣/ ١٢٩) .
(٣) المسنتون : المجدبون . وقد ذكره ابن حبيب في المحبر (١٣٧ ـ ١٣٩) وعده من أجواد الجاهلية .
(٤) حائر بائر : لم يتجه لشيء ، ولا يأتمر رُشْداً ، ولا يطيع مرشداً . (القاموس) .
(٥) زاد في ب : طوال .
(٦) في ب : ما يكفيه .
(٧) الخبر في الروض الأنف (١/ ١٥٩) ، وفيه توضيح كيف اكتشف ابن جدعان أن الثعبان مصنوع وليس حقيقياً .
(٨) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، مؤرخ عالم بالأنساب واللغة وأخبار العرب . وهو الذي هذّب كتاب السيرة لابن إسحاق . توفي سنة (٢١٣هـ) وقيل : (٢١٨هـ) . وكتابه التيجان في ملوك حمير مطبوع . ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) ، والأعلام (٤/ ١٦٦) .

وذكره أحمد بن عَمَّار[١] في كتاب « ري العاطش وأنس الواحش » .

وكانت له جَفنة يأكُلُ منها الراكب على بعيره ، ووقع فيها صَغيرٌ فغرق .

وذكر ابن قتيبة وغيره[٢] أن رسول الله ﷺ قال : « لقد كنتُ أستظلُّ بظِلِّ جَفْنةِ عبد الله بن جُدعان صكة عُمَيّ » أي وقت الظهيرة .

وفي حديث مقتل أبي جهل[٣] أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « تطلبوه بين القتلى وتعرفوه بشَجَّةٍ في رُكبته ، فإني تزاحمتُ أنا وهو على مأدبةٍ لابن جُدْعان ، فدفعتُه ، فَسَقَطَ على رُكبته ، فانهشمت ، فأثرُها باقٍ في ركبته » . فوجدوه كذلك . [من الكامل]

وذكروا أنه كان يطعم التمر والسَّويق ، ويسقي اللبنَ ، حتى سمع قول أمية بن أبي الصَّلْت :

ولقدْ رأيتُ الباذلين وفِعلَهم فرأيتُ أكرمَهم بني الديّان[٤]
البُرُّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ طَعَامُهم لا ما يُعلِّلنا بنو جُدْعان[٥]

فأرسل ابن جُدعان إلى الشام ألفي بعير تحمل البُرَّ والشَّهْدَ والسمن ، وجعل منادياً ينادي كلَّ ليلةٍ على ظهر الكعبة أن هلموا إلى جفنة ابن جدعان . فقال أمية في ذلك : [من الوافر]

لَهُ داعٍ بمكةَ مُشْمَعِلٌّ وآخرُ فوقَ كَعبتها ينادي[٦]
إلى رُدُحٍ من الشِّيزى عليها لُبابُ البُر يُلْبَكُ بالشِّهاد[٧]

ومع هذا فقد ثبت في الصحيح لمسلم أن عائشة قالت : يا رسول الله إن ابن جُدعان كان يُطعم الطعام

---

(١) أحمد بن عمار المَهدَوي التميمي ، مقرئ أندلسي ، من المهدية بالقيروان . توفي نحو (٤٤٠هـ) . الأعلام (١/ ١٨٤) .

(٢) غريب الحديث (١/ ٤٥٥) ، وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٣) في صكة عمي : يريد الهاجرة . والأصل فيها أن عُمَياً مصغّر مرخم ، كأنه تصغير أعمى . وقيل إن عمياً اسم رجل من عدوان كان يُفيض بالحاج عند الهاجرة وشدة الحر . وقيل إنه أغار على قومه في حر الظهيرة فضُرب به المثل في من يخرج في شدة الحر يقال : لقيته صكة عُمي . مجمع الأمثال (٢/ ١٨٢) ، والمستقصى (٢/ ٢٨٧) ، والروض الأنف (١/ ١٥٨) .

(٣) زاد في ب : يوم بدر . والخبر في السيرة (١/ ٦٣٥) .

(٤) في ب ، وط : الفاعلين .

(٥) البر : الحنطة . ويلبك : يخلط . والشهاد : مفردها شهد ، وهو العسل . علّله بالشيء : شغله به والبيتان في ديوان أمية (٥٠٢) ، (صنعة د . عبد الحفيظ السطلي) .

(٦) المشمعل : النشيط السريع ، المبادر .

(٧) في ط : ملاء لباب . والردح : الجفان العظيمة . والشيزى : خشب أسود تُتَّخذ منه الجفان . واللباب من كل شيء : خالصه وخياره .
والبيتان في ديوان أمية (٣٨١)، والخبر في الروض الأنف (١/ ١٥٨).

ويقري الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: « إنه لم يَقُلْ يوماً: ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين »[١].

***

ذكر امرئ القيس بن حجر الكندي صاحب إحدَى المعلّقات[٢]

وهي أفخرهنّ وأشهرهن التي أولها:

قِفا نبكِ مِن ذكرى حَبيبٍ ومنزل

قال الإمام أحمد: حدّثنا هُشيم[٣]، حدّثنا أبو الجهم، عن الزُّهْري، عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « امرؤ القَيس صاحِب لواء الشُّعَراء إلى النار »[٤].

وقد روَى هذا الحديثَ عن هشيم جماعةٌ كثيرون، منهم بِشر بن الحكم، والحسن بن عَرفة، وعبد الله ابن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الأمين، ويحيى بن مَعين. وأخرجه ابن عدي من طريق عبد الرزاق عن الزُّهْري، به[٥]. وهذا منقطع[٦]، وروي من وجه آخر عن أبي هريرة[٧]، ولا يصح من غير هذا الوجه[٨].

---

(١) تقدم قبل قليل، في أول الحديث عن حاتم الطائي، وتخريجه هناك.
وابن جدعان واحد ممن حرموا الخمر في الجاهلية. المحبر (٢٣٧). وأخباره في الأغاني (ثقافة ٨/ ٣٢٩) وما بعدها.

(٢) قوله: ذكر ليس في ط. وفي ب: المعلقات السبع.

(٣) في أ. ط: هشام وهو خطأ.

(٤) المسند(٢/ ٢٢٨)، والجامع الصغير (١/ ٢١٧)، وضعّفه.

(٥) الكامل (٤/ ١٤٠٤).

(٦) هكذا قال المصنف، وهو وهم منه، فكأنه ظن عبد الرزاق هذا هو ابن هَمَّام الصنعاني فقال هذه المقالة، وإنما هو عبد الرزاق بن عمر الثقفي الدمشقي، وهو من الضعفاء المتروكين ومن أصحاب الزهري الكذبة المعروفين (تهذيب الكمال ١٨/ ٤٨ ـ ٥٠ والتعليق عليه)، وقد نسب ابن عدي هذا الحديث إليه فقال في ترجمة أبي الجهم الإيادي وبعد أن ساق هذا الحديث من طريق هشيم عنه عن الزهري: «وقد روي هذا الحديث عن عبد الرزاق بن عمر الدمشقي عن الزهري، كما رواه أبو الجهم» ثم ساقه من طريقه (الكامل ٤/ ١٤٠٤). ثم ذكره في ترجمة هشيم بن بشير منه (٧/ ٢٥٩٨)، وفي ترجمة أبي الجهم من الكنى (٧/ ٢٧٥٥) (د. بشار).

(٧) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ٢٠٤) وقال عقيبه: « وهذا الحديث بهذا الإسناد باطل ».

(٨) قوله: «ولا يصح من غير هذا الوجه»، أي لا يعرف إلا من طريق أبي الجهم، لا أنه صحيح، وأبو الجهم هذا واهي الحديث كما قال الإمام أبو زرعة الرازي في كتاب الضعفاء (٢/ ٥٢٧)، وقال ابن حبان في المجروحين (٣/ ١٥٠): «لا يجوز الاحتجاج بروايته إذا انفرد» فإسناد الحديث ضعيف جداً، ولذلك ذكره ابن الجوزي في كتابه «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (١/ ١٣٨)، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٢١٧).

وقال الحافظ ابن عساكر : هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عَمرو بن[١] حجر آكل المُرَار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يَعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة . أبو يزيد ويقال : أبو وهب ويقال : أبو الحارث الكِنْدي . كان بأعمال دمشق ، وقد ذَكَر مواضعَ منها في شعره ، فمن ذلك قولُه :

قِفا نبكِ من ذِكرى حَبيبٍ ومنزلِ ... بسِقْط اللِّوى بينَ الدَّخُول فَحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمقراةِ لم يَعْفُ رسمُها ... لما نَسجَتْها من جَنوبٍ وشَمْألِ

قال : وهذه مواضع معروفة بحوران[٢] .

ثمّ روى من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي : حدّثني فَرْوة بن سعيد بن عفيف بن معدي كرب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل وفدٌ من اليمن ، فقالوا : يا رسول الله لقد أحيانا الله ببيتين من شعر امرىء القيس . قال : « وكيف ذاك » ؟ قالوا : أقبلنا نريدُك ، حتى إذا كُنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق ، فمكثنا ثلاثاً لا نقدر على الماء[٣] ، فتفرقنا إلى أصول طَلْح وسَمُر ليموتَ كل رجلٍ منا في ظل شجرة ، فبينا نحن بآخر رَمَق إذا راكب يُوضِعُ على بعير ، فلما رآه بعضُنا قال ، والراكب يسمع :

ولما رأتْ أنّ الشريعةَ هَمُّها ... وأنَّ البياضَ منْ فَرائِصِها دامي[٤]
تَيَمَّمَتِ العينَ التي عند ضارجٍ ... يَفيءُ عليها الظلّ عَرْمَضُها طامي[٥]

فقال الراكب : ومن يقول هذا الشعر وقد رأى ما بنا من الجهد ؟ قال : قلنا : امرؤ القيس بن حُجر .

---

(١) كذا في ط ، وهو موافق لنص ابن عساكر . وزاد في : أ . ابن الحارث بن حجر . والمُرَار : نبتٌ حار يأكله البعير فيتقلص منه مشفره .

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٥/ ٣٣) . ولم يشر ياقوت إلى أن هذه المواضع من حوران ، بل نقل عن السكري قوله : حومل والدخول والمقراة وتوضح مواضع ما بين إمرة وأسود العين . وإمرة : موضع على طريق مكة من البصرة . معجم البلدان (حومل ، إمرة ، أسود العين) .

(٣) كذا في ب وط . وفي أ : عليه .

(٤) كذا في ب وط . ومختصر تاريخ دمشق . وفي أ : أن المنبة وردها . والشريعة : مورد الشاربين . والفرائص : جمع فريصة ، لحمة بين الكتف والصدر . ترتعد عند الفزع .

(٥) ضارج : جبل ، وقيل : موضع ببلاد عبس . والعرمض : الطحلب . وفي اللسان (ضرج) . همها : طلبها . والضمير في (رأت) للحمر ، يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة ، وأن تدمى فرائصها من سهامهم ، عدلت إلى ضارج لعدم الرماة على العين التي فيه . . . وطامي : مرتفع .
والبيتان ، مع الخبر في الشعر والشعراء (١/ ١١١ ـ ١١٢) ، وفي ملحقات ديوان امرىء القيس (تح . أبو الفضل إبراهيم) (٤٧٦) ، ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٤) ، واللسان (ضرج) .

قال : ما كذب وإن هذا الضارج أو (ضارج)[١] ، عندكم ، فنظرنا فإذا بيننا وبين الماء نحوٌ من خمسين ذراعاً ، فحبونا إليه على الركَب ، فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العرمض يفيء عليه الظل . فقال رسول الله ﷺ : « ذاك رَجُلٌ مذكورٌ في الدنيا منسِيٌّ في الآخرة ، شَريفٌ في الدنيا ، خامل في الآخرة ، بيده لواء الشعراء يقودُهم إلى النار » .

وذكر الكلبي : أن امرأ القيس أقبل براياته يريد قِتال بني أسد حين قتلوا أباه ، فمر بِتَبَالَةَ ، وبها ذو الخُلصة ، وهو صنم ، وكانت العرب تستقسم عنده ، فاستقسم ، فخرج القدح الناهي ، ثم الثانية ، ثم الثالثة كذلك ، فكسر القداح وضرب بها في[٢] وجه ذي الخُلَصة وقال : عَضِضْتَ بأير أبيك ، لو كان أبوك المقتولَ لما عَوَّقْتني . ثمّ أغار على بني أسد[٣] فقتلهم قتلاً ذريعاً . قال ابن الكلبي : فلم يُسْتَقْسَم عِند ذي الخلصَة حتى جاء الإسلام[٤] . وذكر بعضهم أنه امتدح قيصر ملك الروم يستنجده في بعض الحروب ويسترفده ، فلم يجد ما يؤمله عنده ، فهجاه بعد ذلك ، فيقال : إنه سقاه سُمّاً فقتله ، فألجأه الموتُ إلى جنب قبرِ امرأةٍ عند جبل يقال له : عسيب ، فكتب هنالك : [من الطويل]

أجارتَنا إن المزارَ قريبُ ... وإني مُقيمٌ ما أقامَ عسيبُ

أجارتَنا إنا غريبان هاهنا ... وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ[٥]

وقد[٦] ذكروا أن المعلقات السبع كانت معلَّقةً بالكعبة[٧] ، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدُهم قصيدةً عرضها على قريش ، فإن أجازوها علّقوها على الكعبة تعظيماً لشأنها ، فاجتمع من ذلك هذه المعلقات السبع :

فالأولى لامرئ القيس بن حُجْر الكِندي كما تقدم ، وأولها : [من الطويل]

قِفا نَبْكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخُولِ فَحومَلِ

---

(١) في ط : والله ما كذب ، هذا ضارج عندكم .
(٢) ليست في ط . ولا الأصنام لابن الكلبي .
(٣) في أ : سليم وهو سهو .
(٤) الأصنام لابن الكلبي (٤٧) . وفي ص (٣٤ ـ ٣٦) . تفصيل خبر ذي الخلصة .
(٥) البيتان في ديوانه (٣٥٧) ، وكذلك في الشعر والشعراء (١/١٢١) ، والأغاني (٩/١٠١) ، ومختصر تاريخ دمشق (٤١) .
(٦) في ط : وذكروا .
(٧) انظر ما جاء في الحديث عن المعلقات وتسميتها وعددها وما إلى ذلك في كتاب (المعلقات سيرة وتاريخاً) لنجيب البهبيتي . طبع دار الثقافة ـ المغرب . (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) .

والثانية للنابغة الذبياني : واسمه زياد بن معاوية ـ ويقال : زياد بن عمرو[(١)] ـ بن معاوية بن ضباب بن جابر[(٢)] بن يَربوع بن غَيْظ بن مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وأولها : [من البسيط]

يـا دارَ ميّـةَ بـالعليـاءِ فـالسَّنَـدِ أقـوتْ وطـالَ عليهـا سـالـفُ الأبـدِ

والثالثة[(٣)] لزهير بن أبي سُلْمى ، ربيعة بن رياح المزَني ، وأولها : [من الطويل]

أمِـنْ أمِّ أَوْفَـى دِمْنَـةٌ لـم تكلَّـمِ بِحَـوْمـانَـةِ الـدَّرَّاج فـالمُتَثَلَّـمِ[(٤)]

والرابعة لطَرَفَةَ بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب ابن عُلَي بن بكر بن وائل ، وأولها : [من الطويل]

لخَـولـةَ أطـلالٌ ببُـرقَـةِ ثَهْمـدِ تلوحُ كباقي الوشْمِ في ظاهر اليد

والخامسة لعنترة بن شداد بن معاوية بن قُراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب[(٥)] بن قُطَيفةَ بن عبس العبسي وأولها : [من الكامل]

هـل غـادرَ الشعـراءُ مـن مُتـردَّمِ أمْ هَل عَرَفتَ الدارَ بعدَ توهُّمِ[(٦)]

---

(١) قاله التبريزي في شرح القصائد العشر (٤٤٦) .

(٢) سقط ضباب من النسب في ب . وفي أ : بن جابر بن ضباب . ونسب النابغة كما هنا في طبقات فحول الشعراء (٥١/١) ، والشعر والشعراء (١٦٣/١) ، والأغاني (٣/١١) ، والمؤتلف والمختلف (١٩١) ، وجمهرة النسب لابن حزم (٢٥٣) .

(٣) في ب جعل الثالثة لعلقمة بن عبدة ، ثم تابع لزهير الرابعة ، وهكذا .

(٤) أم أوفى : زوجة زهير . والدمنة : آثار الناس وما اسود من أماكنهم . وحومانة الدراج ، والمتثلم : موضعان .

(٥) قوله : غالب زيادة من ط ، توافق المشهور من نسب عنترة . انظر طبقات فحول الشعراء (١٥٢/١) ، والشعر والشعراء (٢٥٠/١) .

(٦) زاد في ب بعد البيت قوله : وهو عربي صليبة ، وإنما كانت أمه حبشية ، فكان أسمر اللون كأمه ، فتوهم العامة أنه كان عبداً رقيقاً ، وسموا أمه زبيبة . ويقولون : عنتر ، ويجعلون له أخاً اسمه شيبوب ، ولم أرَ ذلك في شيء من التواريخ . وإنما كان له أخ اسمه عُتبة فيما ذكره ابن خالويه في شرح المعلقات السبع . وكان أبوه من الشجعان أيضاً ، وكان يعرف بفارس جِرْوة ـ اسم فرس له ـ وكان عنترة من أشد الناس بأساً ، وأبطشهم يداً . وكان له مقامات في العرب ، وكان أبوه يعترف له بذلك ويشكره على ذلك . وقد فاخره رجل فقال له عنترة : ويلك! والله إني لأحضر البأس في المقام ، وأعف عن الغنيمة ، وأفضُل الشجعان . فقال له الرجل : أنا أشعر منك . فقال له عنترة : ستعلم ذلك . فعمل قصيدته هذه ، فذكر فيها قتل معاوية بن نزّال ، وتغزل بمعشوقته عبلة بنت أم الهيثم . وله شعر كثير غيرها . ولكن هذه القصيدة هي أول ما قاله من الشعر فيما ذكره ابن خالويه . ومن شعره يقول :

يـا عبـل للمنيـة مهـربـي إن كان ربي في السماء قضى بها

وقد ذكر له الأصمعي ، وأبو عبيدة شيئاً يسيراً من سيرته ، فزاد عليها القصاص وجهلة الناس أشياء كثيرة مكذوبة ، وحروباً كانت بين رستم واسفنديار ملك من ملوك الفرس كانت بينهما حروب طويلة ، فساقوا كثيراً منها في حروب=

والسادسة لعلقمة بن عَبَدة بن النعمان بن قيس أحد بني تميم وأولها : [من الطويل]

طحا بكَ قلبٌ في الحسان طروبُ　　بُعَيد الشبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيْبُ[١]

والسابعة ـ ومنهم من لا يثبتها في المعلقات وهو قول الأصمعي وغيره ـ وهي للبيد بن ربيعة[٢] بن مالك بن جعفر بن كلاب بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوَزان بن منصور بن عِكْرِمة بن خصفة بن قيس بن مضر وأولها : [من الكامل]

عفتِ الديارُ مَحلُّها فَمُقَامُها　　بِمِنًى تأبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها[٣]

فأما القصيدة التي لا يُعْرَف قائلُها ، فيما ذكره أبو عبيدة والأصمعي والمبرّد وغيرهم فهي قوله :

هَلْ بالطُّلولِ لسائلٍ ردُّ　　أمْ هَلْ لَها بتكلُّمٍ عهدُ[٤]

وهي مطولة وفيها معان حسنة كثيرة[٥] .

* * *

= عنترة، ووضعوا لها أشعاراً ركيكة لا تناسب . وقد قيل لشيخنا العلامة ابن تيمية : إن العامة يجلسون يسمعون سيرة عنترة ، ويأكلون من الترمس والباقلا المقلي ، فقال : هؤلاء قال الله تعالى فيهم : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ .

ويبدو أن هذا النص من الناسخ لا من ابن كثير ، فالأسلوب يختلف ، وإن ظهر فيه شيء من العلم ، فناسخ فيما يبدو من روايته عالم .

(١) لا أعرف أحداً ـ فيما قرأت ـ جعل قصيدة علقمة هذه من المعلقات السبع ، أو التسع ، أو العشر . وقد عدّها ابن خلدون المتوفى سنة (٨٠٨هـ) من المعلقات كذلك ، ولعل ابن كثير وابن خلدون قد وقعا على مصدر فيه ذلك ، ولم يصل إلينا .
المعلقات سيرة وتاريخاً (١١١) .
وقصيدة علقمة هذه قالها يمدح الحارث بن أبي شمر الغساني ، ويسعى بها إلى إطلاق أسرى قومه . الشعر والشعراء (١/ ٢٢١) . وهي في ديوانه (٣٣) .

(٢) المشهور أن قصيدة لبيد من المعلقات السبع المتفق عليها ، فقد اتفقت الروايات على أن قصيدة امرىء القيس ، وزهير ، وطرفة ، وعمرو بن كلثوم ، ولبيد ، من القصائد السبع ، واختلفوا في القصيدتين المتممتين بين قصائد : النابغة ، والأعشى ، وعنترة ، والحارث بن حلزة . الحديث مفصلاً حول عدد المعلقات في : المعلقات سيرة وتاريخاً (٦٩) وما بعدها .

(٣) عفت : درست وانمحت . وتأبّد : توحّشَ . ومنى : موضع غير الذي بمكة ، وقيل : هو . والغول والرجام : موضعان .

(٤) قيل : إن هذه القصيدة تنسب إلى سبعة عشر شاعراً . ونشرت القصيدة منسوبة إلى دوقلة المنبجي بعنوان (القصيدة اليتيمة) برواية القاضي علي بن المحسن التنوخي . حققها د . صلاح الدين المنجد (ط . دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ ١٩٧٠م) .

(٥) في ب : وفيها معان كثيرة .

ذكر شيء من أخبَار أميّة بن أبي الصّلت الثقفي[١]

[كان من شعراء الجاهلية ، وقد أدرك زمن الإسلام][٢]

قال الحافظ ابن عساكر[٣] : هو أمية بن أبي الصَّلْت عبد الله بن أبي ربيعة بن عَوْف بن عُقْدَة[٤] بن غِيَرة ابن عوف بن ثقيف ، أبو عثمان ، ويقال : أبو الحكم الثقفي . شاعر جاهلي ، قَدِم دمشقَ قبل الإسلام ، وقيل : إنه كان مستقيماً[٥] ، وإنه كان في أول أمره على الإيمان ، ثمّ زاغ عنه ، وإنه هو الذي أراد الله تعالى[٦] بقوله : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

قال الزبير بن بكّار : فولدت رُقَيّة بنتُ عبد شمس بن عبد مناف أمية الشاعر ابن أبي الصلت ، واسم أبي الصلت : ربيعة بن وهْب بن علاج بن أبي سلمة بن ثقيف وقال غيره : كان أبوه من الشعراء المشهورين[٧] بالطائف ، وكان أمية أشعرَهم .

وقال عبد الرزاق : قال الثوري : أخبرني حبيب بن أبي ثابت أن عبد الله بن عمرو قال في قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ هو أمية بن أبي الصلت . وكذا رواه أبو بكر بن مردويه[٨] عن أبي بكر الشافعي ، عن معاذ بن المثنى ، عن مُسدّد ، عن أبي عَوانة ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن نافع بن عاصم بن مسعود . قال : إني لفي حلقة[٩] فيها عبد الله بن عمرو ، فقرأ رجلٌ من القوم الآية التي في الأعراف ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ فقال : هل تدرون من هو ؟ فقال بعضهم : هو صَيْفي بن الراهب . وقال آخر : بل هو بَلْعم رجل من بني إسرائيل . فقال : لا ! قال[١٠] : فمن ؟ قال : هو أمية بن أبي الصلت .

---

(١) قوله : ذكر شيء من ، ليس في ط .

(٢) سقط من . وزاد في ب هنا ، فكان ممن آمن شعره وكفر قلبه كما قاله عنه سيد المرسلين رسول الله ﷺ .

(٣) تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٥) .

(٤) في ط: «عوف بن عقدة بن ربيعة» وفي أ: «عقدة بن ربيعة بن عزة». وأثبت الصواب من نسبه. انظر الاشتقاق: (٣٠٤)، وجمهرة ابن حزم: (٢٦٧، ٢٦٩)، ومختصر تاريخ دمشق: (٥/ ٤٢) .

(٥) في مختصر تاريخ دمشق : كان نبياً .

(٦) تفسير الطبري (٩/ ٨٢ ـ ٨٣) .

(٧) الشعر والشعراء (١/ ٤٥٩ و٤٦١) .

(٨) في ب : وقد رواه ابن مردويه .

(٩) في ب : جماعة .

(١٠) في ب : قالوا : والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٤٦) .

وهكذا قال أبو صالح : والكَلْبي . وحكاه قَتادة عن بعضهم[١] .

وقال الطبراني[٢] : حدّثنا علي بن عبد العزيز ، حدّثنا عبد الله بن شبيب الربعي ، حدّثنا محمد بن مسلمة بن هشام المخزومي ، حدّثنا إسماعيل بن الطريح بن إسماعيل الثقفي ، حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن مروان بن الحكم ، عن معاوية بن أبي سفيان ، عن أبيه ، قال : خرجتُ[٣] وأمية بن أبي الصلت الثقفي تُجّاراً إلى الشام ، فكلّما نزلنا منزلاً أخذ أمية سفراً له يقرؤه علينا ، فكنا كذلك حتى نزلنا قريةً من قرى النصَارى ، فجاؤوه وأهدوا له وأكرموه وذهب معهم إلى بيوتهم ، ثم رجع في وسط النهار ، فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين ، فلبسهما وقال لي : هل لك يا أبا سفيان في عالِم من عُلماء النصارى إليه يتناهى علمُ الكتاب تسأله ؟ قلت : لا أرَبَ لي فيه ، والله لئن حدَّثني بما أُحِبُّ لا أُثق به ، ولئن حدّثني بما أكره لأَوجلن[٤] منه . قال : فذهب ، وخالفه شيخٌ من النصارى ، فدخل عَليَّ فقال : ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ ؟ قلت : لست على دينه . قال : وإنْ . فإنك تسمع منه عجباً وتراه . ثم قال لي أثقفيٌّ أنت ؟ قلت : لا ، ولكن قُرشي ؟ قال : فما يمنعك من الشيخ ؟ فو الله إنه ليحبُّكم ويوصي بكم . قال : فخرج من عندنا ، ومكث أمية[٥] حتى جاءنا بعد هدْأةٍ[٦] من الليل ، فطرح ثوبيه ، ثم انجدل على فراشه ، فو الله ما نامَ ولا قامَ حتى أصبحَ كئيباً حَزيناً ساقطاً غبوقه على صبوحه[٧] ما يكلّمنا ولا نكلّمه . ثم قال : ألا ترحَلُ ؟ قلت : وهل بكَ مِن رحيل ؟ قال : نعم ، فرحلنا . فسرنا بذلك ليلتين من همه[٨] ثم قال في الليلة الثالثة : ألا تَحدَّثُ يا أبا سفيان ؟ قلت : وهل بك من حديث ؟ والله ما رأيتُ[٩] مثل الذي رجعتَ به من عند صاحبك . قال : أَمَا إنَّ ذلك لشيءٌ لست فيه، إنما ذلك لشيء وجلتُ منه من مُنقلبي . قلت : وهل لك من منقلب ؟ قال : إي والله . لأموتَن ثم لأحيين . قال : قلت : هل أنت قابل أمانتي ؟ قال : على ماذا ؟ قلت : على أنك لا تُبعثُ ولا تحاسَب . قال : فضحك ثمّ قال : بلى ! والله يا أبا سفيان لنُبعثن ثم لنُحاسَبَن وليَدخلن فريق الجنة وفريق النار ، قلت : ففي أيهما أنتَ أخبرَكَ صاحبك ؟ قال : لا علم لصاحبي بذلك لافيَّ ولا في نفسه . قال : فكُنا في ذلك ليلتين يعجَبُ مني وأضحك منه ، حتى قدِمنا

(١) أورد الطبري في تفسيره معظم الآراء التي قيلت في هذه الآية (٩/ ٨٢ ـ ٨٣) .
(٢) ذكره ابن عساكر عن أبي علي الحداد ، عن أبي نُعيم ، عنه (٩/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠) .
(٣) في ط : أنا وأمية .
(٤) في ط : لأجدن . والوجل : الخوف .
(٥) زاد في ط : عندهم .
(٦) بعد هدأة من الليل : أي حين هدأ الليل ، والرِّجْلُ ، والهدْءُ : أول الليل إلى ثلثه .
(٧) الغَبوق : العشي ، وما يشرب فيه . والصبوح : الصباح ، وما يشرب فيه .
(٨) قوله : من همه ، ليس في ب ، وط .
(٩) في ب : منك .

غوطةَ دمشق ، فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين ، فارتحلنا ، حتى نزلنا قريةً من قرى النصارى ، فلما رأوه جاؤوه وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، فما جاء إلا بعد منتصف النهار ، فلبس ثوبيه وذهب إليهم حتى جاء بعد هدأةٍ من الليل ، فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام ، وأصبح حزيناً كئيباً لا يكلّمنا ولا نُكلّمه . ثم قال : ألا ترحل ؟ قلت : بلى إنْ شئتَ . فرحلنا كذلك من بَثّه[(١)] وحُزنه ليالي . ثم قال لي : يا أبا سفيان هل لك في المسير ؟ نقدمْ أصحابنا . قلت : هل لي فيه[(٢)] ؟ قال : نعم! فسرنا حتى برزْنا من أصحابنا ساعةً ، ثم قال : هيا صَخر[(٣)] . فقلت : ما تشاء ؟ قال : حدّثني عن عُتبة بن ربيعة[(٤)] أيجتَنِبُ المظالم والمحارمَ ؟ قلتُ : إي والله . قال : ويَصِلُ الرحم ويأمرُ بصلتها ؟ قلتُ : إي والله ! قال : وكريم الطرفين وسيطٌ في العشيرة ؟ قلت : نعم ! قال : تعلم[(٥)] قرشياً أشرف منه ؟ قلت : لا والله لا أعلم . قال أمحوجٌ هو ؟ قلت : لا ، بل هو ذو مال كثير . قال : وكم أتى عليه من السن[(٦)] ؟ فقلت : قد زاد على المئة . قال : فالشرفُ والسنُّ والمال أزْرَيْنَ به ؟ قلت : ولم ذاك يُزري به ؟ لا والله بل يزيده خيراً . قال : هو ذاك . هل لك في المبيت ؟ قلت هل لي فيه[(٧)] ، قال : فاضطجعنا حتى مر الثَّقَل[(٨)] . قال : فسرنا حتى نزلنا في المنزل وبتنا به ، ثم ارتحلنا[(٩)] منه . فلما كان الليل قال لي : يا أبا سفيان . قلت : ما تشاء ؟ قال : هل لك في مثل البارحة ؟ قلت : هل لي فيه! قال : فسرنا[(١٠)] على ناقتين بختيتين حتى إذا برزنا قال : هَيا صَخر ، هيه عن عتبة بن ربيعة ، قال : قلت : هِيْهاً فيه . قال : أيجتنب المحارم والمظالم ، ويصل الرحم ، ويأمرُ بصلتها ؟ قلت : إي والله ، إنه ليفعل . قال : وذو مال ؟ قلت : وذو مال . قال : أتعلم قرشياً أسودَ منه[(١١)] ؟ قلت : لا والله ما أعلم! قال : كم أتى له من السن ؟ قلت : قد زاد على المئة . قال فإن السن والشرف والمال أزْرَين به ؟ قلت : كلا والله ما أزرى به ذلك ، وأنت قائلٌ شيئاً فقلْه . قال : لا تَذْكُرْ حديثي حتى[(١٢)] يأتي منه ما هو آت . ثم قال : فإن الذي

---

(١) البث : شدة الحزن .
(٢) في ط : لنتقدم هل لك فيه .
(٣) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، صحابي توفي سنة (٣١هـ) .
(٤) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أحد سادة قريش في الجاهلية، كان خطيباً ، حليماً ذا فضل ، قتل يوم بدر على الشرك .
(٥) في ط : فهل تعلم .
(٦) في ب : أتى له من السنين .
(٧) في ط : قالت لي فيه .
(٨) الثَّقَل : المتاع ، والحشم .
(٩) في ب : رحلنا .
(١٠) في ط : هل لك فيه . قال نعم فسرنا . وفي ب : بخيبتين . والبُخت : نوع من الجِمال .
(١١) أسود : من السيادة .
(١٢) ليست في ط .

رأيتَ أصابني أنّي جئتُ هذا العالم فسألته عن أشياء ، ثم قلتُ : أخبرني عن هذا النبي الذي يُنْتَظر . قال : هو رجل من العرب . قلت : قد علمتُ أنه من العرب ، فمن أي العرب هو ؟ قال من أهل بيت تحُجه العرب . قلت : وفينا بيتٌ تحجّه العرب . قال : هو من إخوانكم من قريش . فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط[١] ، وخرج من يدي فوزُ الدنيا والآخرة ، وكنتُ أرجو أن أكونَ إياه ، قلت : فإذا كان ما كان فصِفْه لي . قال : رجل شاب حين دَخَل في الكهولة[٢] . بُدُوُّ أمره يجتنبُ المظالم والمحارم ، ويصل الرحمَ ، ويأمر بصلتها ، وهو محوج كريم الطرفين ، متوسط في العشيرة ، أكثر جنده[٣] الملائكة . قلت : وما آيةُ ذلك ؟ قال : قد رَجَفتِ الشام منذ هلكَ عيسى ابن مريم عليه السلام ثلاثين[٤] رجفةً ، كلها فيها مصيبة ، وبقيتْ رجفةٌ عامة فيها مصائب . قال أبو سفيان : فقلتُ : هذا والله الباطل ، لئن بعثَ اللهُ رسولاً لا يأخذه إلا مُسِنًّا شريفاً . قال أمية : والذي حلفتَ به إن هذا لهكذا يا أبا سفيان ، تقول إن قول النصراني حق . هل لك في المبيت ؟ قلت نعم ، هل لي فيه[٥] . قال : فبتنا حتى جاءنا الثَّقَلُ ، ثم خرجْنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان[٦] أدرَكَنا راكبٌ من خلفنا ، فسألناه ، فإذا هو يقول : أصابت أهلَ الشام بعدكم رجفةٌ دمَّرت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عظيمةٌ . قال أبو سفيان : فأقبل عليَّ أميةُ فقال : كيف ترى قولَ النصراني يا أبا سفيان ؟ قلت أرى والله وأظن[٧] أن ما حدَّثك به صاحبُك حقٌّ . قال أبو سفيان : فقدِمْنا مكةَ ، فقضيتُ ما كان معي ، ثم انطلقتُ حتى جئتُ اليمنَ تاجراً ، فكنت بها خمسةَ أشهر ، ثم قدمتُ مكة ، فبينا أنا في منزلي جاءني الناس يسلّمون[٨] ويسألون عن بضائعهم ، حتى جاءني محمد بن عبد الله وهندٌ عندي تُلاعبُ صبيانها ، فسلّم عليّ ورحَّب بي وسألني عن سَفَري ومُقامي ولم يسألني عن بضاعته ، ثم قام . فقلت لهندٍ : والله إن هذا يعجبني[٩] ، ما مِن أحَد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألني عنها ، وما سألني هذا عن بضاعته . فقالت لي هند : أو ما علمتَ شأنه ؟ قلت وقد فزعت[١٠] : ما شأنه ؟ قالت : يزعم أنه رسول الله . فوَقَذَتْني وذكرتُ[١١] قول النصراني ،

---

(١) في ب قط مثله .

(٢) الكهل : من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين .

(٣) في ط : من الملائكة .

(٤) زيادة من ب . وكذلك في مختصر تاريخ دمشق . وفي ط : ثمانين .

(٥) في ط : قلت نعم لي .

(٦) في ط : مرحلتان ليلتان .

(٧) في ط : أرى وأظن والله .

(٨) في ط ، ومختصر تاريخ دمشق : يسلمون علي .

(٩) في ط : ليعجبني . وفي ب : ما يعجبني أي الذي يعجبني .

(١٠) في ط : فقلت وأنا فزع .

(١١) في ب : وذكرتني . وفي ط : وتذكرت . والوقذ : شدة الضرب .

فوجمت[١] حتى قالت لي هند : مالك ؟ فانتبهتُ ، فقلت : إن هذا لهو الباطل ، لهو أعقل من أن يقول هذا . قالت : بلى والله إنه ليقول ذلك ويؤاتى عليه ، وإن له صحابة[٢] على دينه . قلت : هذا[٣] الباطل . قال : وخرجتُ . فبينا أنا أطوف بالبيت لقيته[٤] فقلت له : إن بضاعتك قد بلغتْ كذا وكذا ، وكان فيها خيرٌ فأرسِلْ فخذها[٥] ، ولست آخُذُ مِنكَ فيها ما آخُذُ من قومي ، فأبَى عليَّ ، وقال : إذن لا آخذُها . قلت : فأرسل فخذْها وأنا آخذ منك مثلَ ما آخذُ من قومي . فأرسَلَ إلى بضاعته فأخذها ، وأخذتُ منه ما كنتُ آخذ من غيره . فلم أَنْشَبْ[٦] أن خرجتُ إلى اليمن ، ثم قدمتُ الطائفَ فنزلتُ على أميةَ بن أبي الصلت فقلت : يا أبا عثمان ، قال : ما تشاء ؟ قلت : هل[٧] تذكر قول النصراني ؟ فقال : أذكره قلت : فقد كان . فقال : ومن ؟ قلت : محمد بن عبد الله . قال ابن عبد المطلب ؟ قلت : ابن عبد المطلب . ثم قصصْتُ عليه خبرَ هند ، قال : فالله يعلم ، لَتَصَبَّبَ[٨] عرقاً . ثم قال : والله يا أبا سفيان لَعَلَّهُ ! إنَّ صفته لهي ، ولئن ظهر وأنا حَيٌّ لأنيلنَّ[٩] من الله عزّ وجل في نصره عُذراً . قال : ومضيتُ إلى اليمن فلم أَنْشَب أن جاءني هنالك استهلاله ، فأقبلتُ حتى نزلتُ على أمية بن أبي الصلت بالطائف ، فقلت : يا أبا عثمان ! قد كان من أمر الرجل ما قد بلغَكَ وسمعت . قال[١٠] : قد كان لَعَمْري . قلت : فأين أنت منه يا أبا عثمان ؟ فقال : والله ما كنتُ لأومن برسولٍ من غير ثقيف أبداً . قال أبو سفيان : وأقبلتُ إلى مكةَ ، فوالله ما أنا ببعيد حتى جئتُ مكةَ فوجدتُ أصحابه يُضْرَبون ويُعْقَرون ، قال أبو سفيان : فجعلتُ أقول : فأين جُنْدُه من الملائكة ؟! قال : فدخلني ما يدخلُ الناس من النفاسة[١١] .

وقد رواه الحافظ البيهقي في كتاب « الدلائل »[١٢] من حديث إسماعيل بن طريح به ، ولكن سياق الطبراني الذي أوردناه أتم وأطول . والله أعلم .

---

(١) في ط : فرجفت .
(٢) في ط : ليقولن ذلك ويدعوا إليه وإن له لصحابة . والمؤاتاة : حُسن المطاوعة .
(٣) في ط : هذا هو الباطل .
(٤) في ط : إذ بي قد لقيته .
(٥) في ط : من يأخذها .
(٦) في ط : قال أبو سفيان : فلم أنشب . ولم ينشب : أي ما لَبِث .
(٧) في ط : . . الصلت فقال لي يا أبا سفيان ما تشاء هل . . . وكذلك ثمة خلاف في ألفاظ : قال وقلت بين المطبوع ، وأ ، وب . لن أشير إليها .
(٨) في ط : وأخذ يتصبب .
(٩) في ط : لأطلبن . وائتلى : إذا اجتهد ، أو قصّر ، من الأضداد .
(١٠) في ط : وسمعته فقال .
(١١) النفاسة : الحسد . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٤٣ ـ ٤٦) ، والأغاني (٤/ ١٢٣) .
(١٢) في ب : كتابه دلائل النبوة ، وهو فيه (٢/ ١١٦ ـ ١١٧) .

وقال الطبراني : حدّثنا بكر بن أحمد بن نُفَيل ، حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهري ، حدثنا مجاشع بن عمرو الأسدي ، حدثنا ليث بن سعد ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن[١] ، عن عروة بن الزبير ، عن معاوية بن أبي سفيان ، عن أبي سفيان بن حَرب أن أمية بن أبي الصلت كان بغزةَ أو بإيلياء ، فلما قفلنا قال لي أمية : يا أبا سفيان هل لك أن تتقدم على الرفْقة فنتحدث ؟ قلت : نعم ! قال : ففعلنا ، فقال لي : يا أباسفيان إيهِ عن عتبة بن ربيعة . قلت : كريمُ الطرفين ، ويجتنب المحارم والمظالم ؟ . قلت : نعم . قال : وشريفٌ مُسِنٌّ ؟ . قلت : وشريف مسن . قال : السن والشرف أزْرَيا به ؟ فقلت له : كذبتَ ، ما ازداد سناً إلا ازداد شرفاً . قال : يا أبا سفيان إنها كلمةٌ ما سمعتُ أحداً يقولها لي منذ تبصرت ، فلا تعجل عليَّ حتى أُخبرَك . قال : قلت : هات . قال : إني كنت أجد في كتبي نبياً يُبعث من حَرَّتنا[٢] هذه ، فكنتُ أظن ، بل كنتُ لا أشك أني أنا هو ، فلما دارَسْتُ أهل العلم إذا هو من بني عبد مناف ، فنظرتُ في بني عبد مناف فلم أجد أحداً يصلح لهذا الأمر غيرَ عُتبة بن ربيعة ، فلما أخبرتني بسنّه عرفتُ أنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يُوْحَ إليه . قال أبو سفيان : فضرب الدهر من[٣] ضَرْبه ، فأُوحي إلى رسول الله ﷺ ، وخرجت في ركْبٍ من قريش أريد اليمن في تجارة ، فمررتُ بأمية ، فقلتُ له كالمستهزِىء به : يا أمية ، قد خرج النبي الذي كنتَ تنعته . قال : إنه[٤] حقٌّ فاتَّبِعْهُ . قلت : ما يمنعك من اتباعه ؟ قال : ما يمنعني إلاّ الاستحياء من نسيّات[٥] ثقيف ، إني كنتُ أحدّثهن أني هو ، ثم يَرَيْنني تابعاً لغلام من بني عبد مناف ! ثم قال أمية : كأني بك يا أبا سفيان إن[٦] خالفتَه ، ثم قد رُبطت كما يربط الجدي حتى يؤتى بك إليه فيحكم فيك بما يريد .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر عن الكلبي قال : بينا أمية راقدٌ ومعه ابنتان له إذ فزِعت إحداهما ، فصاحت عليه ، فقال لها : مـا شأنك ؟ قالت : رأيت نَسْرين كَشَطا سقفَ البيت ، فنزل أحدهما إليك فشقَّ بطنك ، والآخر واقفٌ على ظهر البيت ، فناداه فقال : أَوَعَى ؟ قال : نعم . قال : أزَكَا ؟ قال[٧] :

---

(١) في أ : أبي الأسود بن محمد بن عبد الرحمن . وهو سهو ، فأبو الأسود هو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي ، ثقة . توفي سنة بضع وثلاثين ومئة . تقريب التهذيب (٢/ ١٨٥) .

(٢) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود .

(٣) ليست في ط .

(٤) في ط : أنا إنه .

(٥) في ط : نساء .

(٦) في ط : قد .

(٧) كذا في ط . ومختصر تاريخ دمشق . وهي أوضح العبارات . وفي أ : أوعى؟ قال : وعى . قال : أرجا قال لا . وفي ب مثل ما في ط ، وفيهما : قال : أرجا . وقوله : زكا ، يعني الشفع ، ويروى الخبر ، قال : زكا؟ قال : خسا . وخسا : هو الفرد ، يقال : زكا ـ خسا أي أزوج أم فرد؟ قال الشيخ محمود شاكر في تحقيقه لطبقات =

لا . فقال : ذاك خيرٌ أريد بأبيكما فلم يقبلْه(١) .

وقد رُوي من وجه آخر ، بسياق آخر ، فقال إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيّب وعثمان بن عبد الرحمن ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيِّب قال : قدمَتِ الفارعة أختُ أمية بن أبي الصلت على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة(٢) ، وكانت ذاتَ لُبٍّ وعَقْل وجمال ، وكان رسول الله ﷺ بها معجَباً ، فقال لها ذات يوم : يا فارعة هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً ؟ فقالت : نعم ، وأعجبُ منه(٣) ما قد رأيتُ ، قالت : كان أخي في السفر ، فلما انصرفَ بدأني(٤) فدخل عليَّ ، فرقدَ على السرير وأنا أحلق أديماً في يدي ، إذ أقبل طائران أبيضان ، أو كالطيرين أبيضين ، فوقع على الكوّة أحدُهما ، ودخل الآخر فوقع عليه ، فشقَّ الواقعُ عليه ما بينَ قَصّه(٥) إلى عانته ، ثم أدخل يده في جوفه فأخرج قلبه ، فوضعه في كفه ، ثم شمه ، فقال له الطائر الآخر : أوَعَى ؟ قال : وعى . قال : أزكَا ؟ قال أبى ، ثم ردَّ القلبَ إلى مكانه فالتأم الجرحُ أسرعَ من طَرفة عين ، ثم ذهبا ، فلما رأيتُ ذلك دنوتُ منه فحركْته فقلتُ : هل تجدُ شيئاً . قال : لا ، إلا توهيناً في جَسَدي ـ وقد كنت ارتعبتُ مما رأيتُ ـ فقال : ما لي أراك مرتاعة ؟ قالت : فأخبرتُه الخبرَ . فقال : خيرٌ أُريد بي ثم صُرِف عني . ثم أنشأ يقول : [من المنسرح]

باتت همومي تَسْري طوارِقُها ... أَكُفُّ عيني والدمْعُ سابقُها
مما أتاني من اليقينِ ولم ... أُوْتَ بَراةً يَقُصُّ ناطِقُها(٦)
أَمْ مَنْ تَلَظَّى واقِدَةُ النـ ... ـارِ مُحِيْطٌ بهمْ سُرَادِقُها(٧)
أَمْ أُسْكِنَ الجنَّةَ التي وُعِد الأبـ ... ـرارُ مَصْفُوفةٌ نمارِقُها
لا يَسْتَوي المنزلانِ ثَمّ ولا الأعـ ... ـمالُ لا تَسْتَوي طَرَائقُها
هُما فريقان فِرْقةٌ تَدْخُلُ الجـ ... ـنَّةَ حَفَّتْ بهم حَدائِقُها

= ابن سلام (٢٦٦) : وأراد به في هذا الخبر : أوعى فقبِلَ ؟ فهذان زوج ، الوعي والقبول معاً . أم وعى ولم يقبل ، فهذا فرد في الوعي وحده دون القبول .

(١) في ط : يفعله . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٤٦) .

(٢) في الإصابة : الطائف .

(٣) في ب ، وط : من ذلك .

(٤) في ب ، ومختصر تاريخ دمشق : بدأ بي . وفي ط : على سريري .

(٥) القَصُّ : الصدر ، أو رأسه ، أو وسطه ، أو عظمه .

(٦) اليقين : أراد به العلم بالبعث والحساب ، وهو شيء مؤكد . والبراة : أراد بها البراءة ، أي لم يُعط براءة تخفف من همه ، لأنه واحد من الناس ، وعليه ما عليهم يوم الحساب .

(٧) السرادق : ما أحاط بالبناء ونحوه . وخبر (من) محذوف ، والتقدير : أمّن يحترق بالنار ويحيط به العذاب كمن يسكن الجنة .

وفـرقـةٌ منهـمُ قـدِ ادخِلـتِ النّـ ـارَ فسـاءتْهـمُ مَـرافقهـا
تعـاهـدتْ هـذه القلـوبُ إذا هَمَّـتْ بخيـرٍ عـاقَـتْ عَـوائقُهـا
وصَـدَّهـا للشقـاءِ عَـن طلَـبِ الـ ـجَنَّـةِ دُنْيـا أَللهُ مـاحِقُهـا
عبـدٌ دَعـا نَفسَـه فعـاتَبَهـا يَعْلَـمُ أنَّ البصيـرَ رامِقُهـا
مـا رغبـة النفس فـي الحيـاةِ وإن تَحيـا قليـلاً فـالمـوتُ لاحِقهـا[١]
يـوشِـك مَـنْ فـرَّ مـن منيّتـه يـومـاً علـى غِـرّةٍ يُـوافقهـا
إنْ لـم تَمُـتْ عَبْطـةً تَمُـتْ هَـرَمـاً لِلمـوتِ كـأسٌ والمـرْءُ ذائِقهـا[٢]

قال[٣] : ثم انصرف إلى رحله ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى طعن في حيارته[٤] فأتاني الخبر ، فانصرفتُ إليه ، فوجدتُه منعوشاً[٥] قد سُجّي عليه ، فدنوتُ منه ، فشهق شهقةً ، وشقّ[٦] بصره ، ونظر نحوَ السقفِ ورفع صوتَه ، وقال : [من الرجز]

لبَّيكمـا لبَّيكمـا هـا أنـذا لـديكمـا

لا ذو مال فيفديني ، ولا ذو أهل فتحميني . ثم أُغمي عليه ، إذ شهق شهقةً فقلت : قد هلك الرجلُ . فشقَّ بصره نحو السقف فرفع صوته ، فقال : [من الرجز]

لبيكمـا لبيكمـا هـا أنـا ذا لـديكمـا

لا ذو براءة فأعتذر ، ولا ذو عشيرة فأنتصر . ثم أغمي عليه ، إذ شهق شهقةً وشق بصره ، ونظر نحو السقف ، فقال : [من الرجز]

لبيكمـا لبيكمـا هـا أنـا ذا لـديكمـا

بالنعم محفود ، وبالذنب محصود ، ثم أغمي عليه إذ شهق شهقة . فقال : [من الرجز]

لبيكمـا لبيكمـا هـا أنـا ذا لـديكمـا
إنْ تغفرِ اللهُمَّ تَغْفِرْ جَمّا وأيُّ عبدٍ لكَ لا أَلمَّا[٧]

---

(١) في ط : ما رغّب .
(٢) في ط الأصول : غبطة . ولا وجه لها . وأثبت ما في ديوانه . ومات عبطة : شاباً . والأبيات في ديوان أمية : (٤١٩) ، وتخريجها فيه .
(٣) في ب : قالت .
(٤) في ط : حيارته . وفي مختصر تاريخ دمشق : ظعن في جنازته . ولا يستقيم بها المعنى . والحيار : الأثر .
(٥) النعش : السرير يحمل عليه الملك إذا مرض .
(٦) شق بصر الميت : انفتحت عيناه وشخص كأنه ينظر إلى شيء ، لا يرتد إليه طرفه .
(٧) ديوانه (٤٩١) . وألم الرجل : وقع في اللمم ، وهو صغار الذنوب .

ثم أغمي عليه إذ شهق شهقة فقال : [من الخفيف]

كـلُّ عيشٍ وإن تطـاولَ دهـراً صـائـرٌ مـرَّةً إلـى أن يَـزُولا
ليتنـي كنـتُ قبـلَ مـا قـدْ بـدالـي في قِلالِ الجبالِ أرْعَى الوعولا[١]

قالت : ثم مات . فقال رسول الله ﷺ : « يا فارعةُ فإن مَثَلَ أخيك كَمَثَلِ الذي آتاه الله آياته ﴿ فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾[٢] الآية .

وقد تكلَّم الخطابي على غريب هذا الحديث .

وروى الحافظ ابن عساكر عن الزهري أنه قال : قال أمية بن أبي الصلت : [من البسيط]

أَلا رســولٌ لنــا منّــا يخبّــرنــا ما بُعْدُ غايتِنا منْ رأسِ مُجْرانا[٣]

قال : ثم خرج أميةُ بن أبي الصلت إلى البحرين ، وتَنبَّأ رسول الله ﷺ ، وأقام أمية بالبحرين ثماني سنين ، ثم قدم الطائف فقال لهم : ما يقولُ محمد بن عبد الله ؟ قالوا : يزعم أنه نبيٌّ ، هو[٤] الذي كنتَ تتمنى . قال : فخرجَ حتى قدم عليه مكة ، فلقيه . فقال : يا ابن عبد المطلب ، ما هذا الذي تقول ؟ قال : أقول : إني رسول الله ، وأن لا إلّه إلا هو . قال : إني أريدُ أن أكلمك ، فعِدْني غداً . قال : فموعدُك غداً . قال : فتحِبُّ أن آتيكَ وحْدي أو في جماعةٍ من أصحابي ، وتأتيني وحدَك أو في جماعةٍ من أصحابك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أيّ ذلك شئتَ » . قال : فإني آتيكَ في جماعة ، فأْتِ في جماعة . قال : فلما كان الغدُ غدا أمية في جماعةٍ من قريش ، قال : وغدا رسول الله ﷺ معه نفر من أصحابه حتى جلسوا في ظل الكَعْبة . قال : فبدأ أميةُ فخطبَ ، ثم سجع ، ثم أنشدَ الشعر ، حتى إذا فرغ[٥] قال : أجبني يا ابنَ عبد المطلب . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . يس . والقرآن الحكيم ﴾ حتى إذا فرغ منها وثَبَ أميةُ يجرُّ رجلَيه ، قال : فتبعتْه قريشٌ يقولونَ : ما تقول يا أمية ؟ قال : أشهد أنه على الحق . فقالوا : هل تتّبعُه ؟ قال : حتى أنظرَ في أمره . قال : ثم خرج أمية إلى الشام ، وقدم رسولُ الله ﷺ المدينة ، فلما قُتِلَ أهلُ بدرٍ قدِمَ[٦] أميةُ من الشام حتى نزلَ بدراً ، ثم ترحَّل يريدُ رسولَ الله ﷺ فقال قائل : يا أبا الصلت ما تريدُ ؟ قال : أريدُ محمداً . قال : وما تصنعُ ؟ قال : أومنُ به وأُلقي إليه

---

(١) ديوانه (٤٥٠ ـ ٤٥١) . والقلال : جمع قُلّة ، وهي أعلى الجبل .
(٢) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٥٠ ـ ٥٢) . وطبقات فحول الشعراء (٢٦٥ ـ ٢٦٧) ، والأغاني (٤/ ١٣١ ـ ١٣٢) ، والإصابة (٤/ ٣٧٥) .
(٣) ديوان أمية : (٥١٧) .
(٤) في ب ، ومختصر تاريخ دمشق : فهو .
(٥) في ط : فرغ الشعر .
(٦) في ب ، وابن عساكر : أقبل .

مقاليدَ هذا الأمر . قال : أتدري مَنْ في القليب ؟ قال : لا . قال : فيه عُتبة بن ربيعة ، وشَيبة بن ربيعة ، وهما ابنا خالك ـ وأمه رُقية[١] بنتُ عبد شمس ـ قال : فَجَذَعَ أذني ناقته ، وقطع ذنَبها ، ثم وقفَ على القليب يقول : [من مجزوء الكامل]

مـــا ذا ببَـــدرٍ فـــالعَقَنْـ ـقَلِ مِن مرازبةٍ جَحاجِحِ[٢]

القصيدة إلى آخرها ، كما سيأتي ذكرها بتمامها في قصّة بدر إن شاء الله . ثمّ رجع إلى مكة والطائف ، وترك الإسلام[٣] .

ثمّ ذكر قصّة الطيرين ، وقصّة وفاته كما تقدم .

وأنشدَ شعرَه عند الوفاة : [من الخفيف]

كـلُّ عيـشٍ وإن تَطـاولَ دَهْـراً صـائـرٌ مـرةً إلـى أنْ يـزولا
ليتنـي كُنْـتُ قبـلَ مـا قـد بـدا لـي فـي قِـلالِ الجبـالِ أرعَـى الـوُعُـولا
فاجْعل الموتَ نُصْبَ عَينيكَ واحْذَرْ غَـوْلَـةَ الـدهْـرِ إنّ للـدهْـرِ غُـوْلا[٤]
نـائـلاً ظُفْـرُهـا القَسَـاورَ والصِّـدْ عَان والطِّفْلَ في المنار الشَّكِيلا[٥]
وبُغَـاثَ النِّيـافِ واليَعْفُـرَ النـا فِـرَ والعَـوْهَـجَ البُـرامَ الضَّئِيـلا[٦]

فقوله : القساور : جمع قَسْورة ، وهو الأسد . والصِّدْعان : ثيران الوحش ، واحدها صَدْع ، والطّفل : الشكل من حمرة العين . والبغاث : الرخم . والنياف : الجبال . واليَعْفُر : الظبي . والعوهج : ولد النعامة . يعني أن الموت لا ينجو منه الوحوش في البراري ، ولا الرخم الساكن في رؤوس الجبال ، ولا يترك صغيراً لصغره ولا كبيراً لكبره .

وقد تكلّم الخطابي وغيرُه على غريب هذه الأحاديث .

---

(١) كذا في ب : وهو معروف . وفي أ ، ط : ربيعة .
(٢) ديوانه (٣٤٦) . والعقنقل : كثيب رمل ببدر . والمرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع (فارسية) . والجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد الكريم .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٥٢ ـ ٥٣) .
(٤) الغَوْلة : المَرَّةُ من غاله الشيء غَوْلاً إذا أهلكه . والغُول : المنية وكل ما أهلك الإنسان .
(٥) في الديوان : في القفار الشكيلا . وقال محققه في رواية المتن المنار : لا يستقيم معناه بهذه الرواية ، ولهذا اجتهدت أن أقرأه (والطفل في القفار الشكيلا) لأن الطفل في اللغة : النار ، أو ولد كل وحشيّةٍ . والمنار : موضع النور . وطبيعة الأبيات لا تساعد على هذا المعنى .
(٦) ديوان أمية (٤٥١ ـ ٤٥٢) . والبرام : القُراد ، وهو دويبة تعلق بالبعير ونحوه .

وقد ذكر السهيلي في كتابه « التعريف والإعلام »[١] : أن أمية بن أبي الصلت أول من قال : باسمك اللهم[٢] ، وذكر عند ذلك قصة غريبة ، وهو أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سَفْرٍ فيهم حرب بن أمية والد أبي سفيان ، قال : فمرّوا في مسيرهم بحيَّة فقتلوها ، فلما أمسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم في قتل تلك الحية ، ومعها قضيبٌ ، فضربت به الأرضَ ضربةً نفرت الإبل عن آخرها ، فذهبت وشردت كل مذهب ، وقاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردّوها ، فلما اجتمعوا جاءتهم أيضاً فضربت الأرضَ بقضيبها ، فنفرت الإبل ، فذهبوا في طلبها حتى ردوها[٣] ، فلما أعياهم ذلك قالوا : والله هل عندكَ لما نحن فيه من مخرج ؟ فقال : لا والله ، ولكن سأنظر في ذلك . قال فسار[٤] في تلك المحلّة لعلّه يجد أحداً يسأله عما قد حلّ بهم من العَناء ، إذا نارٌ تلوح على بعد ، فجاءها ، فإذا شيخٌ على باب خيمة يوقد ناراً ، وإذا هو من الجان ، في غاية الضآلة والدَّمَامة ، فسلّم عليه ، فسأله عما هم فيه ، فقال : إذا جاءتكم فَقُلْ : باسمك اللهم ، فإنها تهربُ ، فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة أو الرابعة قال في وجهها أمية : باسمك اللهم ، فشردت ولم يقرّ لها قرار ، لكن عَدَت الجِنُّ على حَرب بن أمية فقتلوه بتلك الحية ، فقبره[٥] أصحابه هنالك حيث لا جار ولا دار ، ففي ذلك يقول الجان : [من الرجز]

وقبـرُ حـربٍ بمكـانٍ قفْـرُ وليْس قُربَ قبرِ حَربٍ قبرُ[٦]

وذكر بعضهم : أنه كان يَتَفَرَّسُ في بعض الأحيان في لغات[٧] الحيوانات ، فكان يمر في السفر على الطير فيقول لأصحابه : إن هذا يقول كذا وكذا ، فيقولون : لا نعلم صدقَ ما يقول . حتى مرّوا على قطيع غنم قد انقطعتْ منه شاةٌ ومعها ولدها ، فالتفتتْ إليه فَثَغَتْ[٨] كأنها تستحثه . فقال : أتدرون ما تقول له ؟ قالوا : لا . قال : إنها تقول : أسرعْ بنا لا يجيء الذئبُ فيأكلك كما أكل الذئب أخاك عام[٩] أول ، فأسرعوا حتى سألوا الراعي : هل أكل الذئب عام أول حَمَلاً بتلك البقعة ؟ فقال : نعم[١٠] .

(١) التعريف والإعلام بما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ، طبع في مصر (١٣٥٦هـ-١٩٣٨م) .
(٢) الأغاني (٤/ ١٢٣) .
(٣) قوله : حتى ردوها ليس في ب ، ط .
(٤) في ط : فساروا وكذلك باقي الخبر ورد في ط بصيغة الجماعة .
(٥) في ط : قبره .
(٦) الخبر في الأغاني (٤/ ١٢٥ ـ ١٢٧) . والبيت من شواهد البلاغيين على تنافر الكلمات . البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٦٥) ، ودلائل الإعجاز (٤٧) . (تح . د . الداية) .
(٧) في ب : كلام .
(٨) الثغاء : صوت الغنم .
(٩) في ب : كما أكل أخاك في .
(١٠) الأغاني (٤/ ١٢٤) ، ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٤٨) .

قال : ومرَّ يوماً على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه إليها ويرغُو . فقال : إنه يقول لها : إنك رحلتني وفي الحِدَاجَة مَخيط . فأنزَلوا تلك المرأةَ وحلوا ذلك الرحْل فإذا فيه مخيط كما قال[١] .

وذكر ابن السكّيت : أن أمية بن أبي الصلت بينما هو يَشْرَب يوماً إذ نَعَبَ غُرابٌ . فقال له : بفيك التراب ، مرتين . فقيل له : ما يقول ؟ فقال : إنه يقول : إنك تشربُ هذا الكأسَ الذي في يدك ثم تتكىء[٢] تموت . ثم نعب الغراب فقال : إنه يقول : وآيةُ ذلك أني أنزل على هذه المزبلة فآكل منها فيعلقُ عظم في حلقي فأموت . ثم نزل الغرابُ على تلك المزبلة ، فأكل شيئاً ، فعلق في حلقه عظمٌ ، فمات . فقال أمية : أما هذا فقد صدق في نفسه ، ولكن سأنظر هل صدقَ فيَّ أم لا . ثم شرب ذلك الكأس الذي في يده ، ثم اتّكأ فمات[٣] .

وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن مهدي ، عن الثوري ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أصْدَقَ كلمة قالَها شاعرٌ كلمة لبيد : [من الطويل]

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ

وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم »[٤] .

فقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا رَوْح ، حدّثنا زكريا بن إسحاق ، حدّثنا إبراهيم بن ميسرة أنه سمع عمرو بن الشريد يقول : قال الشريد : كنت رِدْفاً لرسول الله ﷺ فقال لي : « أمَعَكَ مِن شِعْر أمية بن أبي الصلت شَيءٌ » ؟ قلت : نعم ! قال : « فأنشِدْني » . فأنشدتُه بيتاً ، فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتاً : « إيهِ » حتى أنشدته مئة بيت . قال : ثمّ سكتَ النبي ﷺ وسكتُّ .

وهكذا رواه مسلم من حديث سُفيان بن عُيينة عن إبراهيم[٦] بن ميسرة ، به .

ومن غير وجهٍ عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي عن النبي ﷺ[٧] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٥/٤٨ ـ ٤٩) . والحداجة : مركب للنساء .
(٢) قوله : تتكىء ، زيادة من ب ، وابن عساكر توافق سياق الكلام .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٥٢) .
(٤) أخرجه البخاري رقم (٦١٤٧) في الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز ، ومسلم (٢٢٥٦) ، في الشعر ، وابن ماجه (٣٧٥٧) في الأدب ، باب الشعر .
(٥) المسند (٤/ ٣٨٩) .
(٦) في ط : أبي تميم بن مسرة . وإبراهيم بن ميسرة الطائفي فقيه ، ثقة . توفي قريباً من سنة (١٣٢هـ) . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/ ١٢٣) .
والحديث في صحيح مسلم (٢٢٥٥) ، في أول كتاب الشعر .
(٧) زاد في ب : بنحوه .

وفي بعض الروايات : فقال رسول الله ﷺ : « إنْ كاد لَيُسْلم » .

وقال يحيى بن محمد بن صاعد : حدّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدّثنا أبو أسامة ، حدّثنا حاتم بن أبي صَغيرة[١] ، عن سماك بن حرب ، عن عمرو بن نافع ، عن الشريد الهمْداني وأخواله ثقيف قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع ، فبينا أنا أمشي ذات يوم إذا وَقْعُ ناقةٍ خلفي فالتفت[٢] فإذا رسول الله ﷺ فقال : « الشريد » ؟ فقلت : نعم . قال : « ألا أحملك » ؟ قلت : بلى ، وما من إعياءٍ[٣] ولكني أردت البركة في ركوبي مع رسول الله ﷺ فأناخ ، فحملني ، فقال : « أمعكَ من شِعر أمية بن أبي الصَّلْت » ؟ قلت : نعم ! قال : « هاتِ » . فأنشدتُه . قال : أظنه قال : مئة بيت ، فقال : « عند الله عِلْم أمية بن أبي الصلت »[٤] . ثم قال ابنُ صاعد : هذا حديث غريبٌ .

فأما الذي يُروى أن رسول الله ﷺ قال في أمية : « آمنَ شعرُه وكَفَرَ قلبُه » ، فلا أعرفه[٥] . والله أعلم.

وقال الإمام أحمد[٦] : حدثنا عبد الله بن محمد ـ وهو أبو بكر بن أبي شيبة ـ حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ صدَّق أمية في شيء من شِعره قال : [من الطويل]

رجـلٌ وثـورٌ تحـتَ رِجـلِ يَمينـه ... والنَّسْر للأُخْرى ولَيْثٌ مُرْصِد[٧]

[فقال رسول الله ﷺ : صدق ، وقال][٨] [من الكامل]

والشمـسُ تَبـدو كُـلَّ آخـرِ ليلـةٍ ... حَمْـراءَ يُصبـحُ لـونُهـا يتـورّد

تأبى فما تَطلُعْ لنا في رِسْلها ... إلا مُعَـذّبـةٌ وإلاّ تُجْلَـدُ[٩]

فقال رسول الله ﷺ : « صدَق » .

---

(١) في ط : صفرة وفيه تحريف . وحاتم بن أبي صغيرة أبو يونس البصري ، ثقة ، من الطبقة السادسة . تقريب التهذيب (١/ ١٣٧) .

(٢) زيادة في ب .

(٣) في ب : وما بي من إعياء ولا لغوب .

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٤٧) .

(٥) أورده السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٧) ، وضعّفه . وهو في الأغاني (٤/ ١٣٠) ، ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٤٨) .

(٦) المسند (١/ ٢٥٦) .

(٧) المرصد : المترقب المتهيىء للوثوب .

(٨) من ب ، وهي في المسند الذي ينقل منه .

(٩) الرِّسْل : الرفق وعدم العنف . والأبيات في ديوان أمية (٣٦٥ ـ ٣٦٦)، والحديث في مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٤٧).

وفي رواية أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : إن الشمس لا تطلع حتى يَنْخَسَها(١) سبعونَ ألف مَلك يقولون لها : اطلعي اطلعي ، فتقول : لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله . فإذا همّت بالطلوع أتاها شيطانٌ يريد أن يُثبّطها ، فتطلع بين قرنيه وتحرقه . فإذا تضيَّفت للغروب عزمت على السجود(٢) لله عز وجل فيأتيها شيطان يريد أن يثبطها عن السجود ، فتغرب من قرنيه وتحرقه . أورده ابن عساكر مطولاً(٣) .

ومن شعره في حَمَلَة العرش : [من الطويل]

فمن حاملٍ إحدى قوائمِ عرشِه ... ولـولا إلَـهُ الخلـقِ كَلُّـوا وبلَّـدوا(٤)
قيـامٌ علـى الأقـدامِ عـانـونَ تحتـه ... فرائصُهم من شدّة الخوف ترعد(٥)

رواه ابن عساكر ، وروي عن الأصمعي أنه كان ينشد من شعر أمية : [من الخفيف]

مجّـدوا اللهَ فهـو للمجْـدِ أهْـلُ ... رَبُّنـا فـي السمـاء أمسـى كَبيـرا
بـالبنـاءِ الأعلـى الـذي سَبَـقَ النَّـ ... ـاسَ وسَـوَّى فَـوْق السَّمـاءِ سَرِيـرا
شَـرْجَعـاً لا ينـالـهُ بَصَـرُ العَيْـ ... ـنِ تَـرَى دُوْنـه المـلائِكَ صُورا(٦)

ثم يقول الأصمعي : الملائك : جمع ملك ، والصور : جمع أصور ، وهو المائل العنق ، وهؤلاء حَملة العرش . ومن شعر أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جُدْعان التيمي(٧) : [من الوافر]

أأذكـرُ حَـاجتـي أمْ قَـدْ كفـانـي ... حَيَـاؤُكَ إنَّ شيْمَتَـك الحيـاءُ
وعِلمُـك بـالحقـوقِ وأنْـتَ فَـرْعٌ ... لـكَ الحسَـب المهـذّبُ والسنـاء
كـريـمٌ لا يغيّـره صَبـاح ... عـن الخُلُـق الجزيـل ولا مَسـاء(٨)
يبـاري الـريـحَ مَكْـرُمـةً وجُـوداً ... إذا مـا الكَلْـبُ أجحَـره الشتـاء
وأرضُـك أرضُ مَكـرمـةٍ بَنَتْهـا ... بنـو تَيْـمٍ وأنـتَ لهـا سمـاء

---

(١) ينخسها : يقال : نخس الدابة ، غرز مؤخّرها أو جنبها بعود ونحوه .
(٢) زيادة من ب .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٤٨) .
(٤) في ط : وأبلدوا . وكذلك في ديوانه .
(٥) العاني : الأسير . والبيتان في ديوان أمية (٣٦٨ ـ ٣٦٩) .
(٦) في ط : شرجعاً يناله ، ولا يستقيم الوزن بذلك . والأبيات في ديوانه (٣٩٩ ـ ٤٠٠) . وهي من الشعر المتهم والشرجع : العالي المنيف .
(٧) في ب : ومن شعره يمدح ابن جدعان .
(٨) في ب ، ط : الجميل .

إذا أثنى عليك المرءُ يوماً كَفَاه من تَعَرُّضِه الثَّناءُ[١]

وله فيه مدائح أُخَر .

وقد كان عبد الله بن جُدعان[٢] هذا من الكُرماء الأجواد المَمَدَّحين المشهورين ، وكان له جَفنة يأكل الراكب منها وهو على بَعيره من عرض حافتها وكثرة طعامها ، وكان يملؤها لُباب البُرّ يُلْبَك بالشهد والسمن ، وكان يعتق الرقاب ، ويُعين على النوائب . وقد سألت عائشةُ النبي ﷺ : أينفعُه ذلك ؟ فقال : « إنه لم يقل يوماً من الدهر[٣] : ربّ اغفرْ لي خَطيئتي يومَ الدينِ »[٤] .

ومن شعر أمية البديع : [من الكامل]

لا يَنْكُتُونَ الأرْضَ عندَ سُؤَالِهم كَتَطَلُّبِ العِلّاتِ بالعِيْدانِ[٥]
بل يُسْفِرون وجوهَهم فَتَرى لها عند السُّؤال كأحْسَنِ الألوانِ
وإذا المقِلُّ أقامَ وسْط رِحَالِهم رَدُّوهُ رَبَّ صَواهلٍ وقِيانِ
وإذا دعوتَهمُ لِكُلِّ مُلمّةٍ سَدُّوا شعاعَ الشمسِ بالفرسانِ[٦]

آخر ترجمة أمية بن أبي الصلت[٧] .

---

(١) ديوانه (٣٣٣ ـ ٣٣٥) .
(٢) سلف الحديث عن ابن جدعان قبل قليل .
(٣) في ب : لم يكن يوماً من الدهر يقول .
(٤) تقدم تخريجه قبل قليل في ترجمة عبد الله بن جدعان .
(٥) النكت : نبش الأرض بالعود ، فِعْلَ المفكر المهموم .
(٦) ديوانه (٥٠٠ ـ ٥٠٢) .
(٧) في حاشية ب : وهو آخر الجزء التاسع من أجزاء المصنف ، وزاد في النص التالي : فائدة جليلة ذكرها ابن عساكر في ترجمة صفوان بن أمية . قال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن حسن ، عن نصر بن مزاحم ، عن معروف بن خَرَّبوذ رحمه الله ، قال صفوان بن أمية الجد، أحد العشرة الذين من عشرة بطون الذين انتهى إليهم شرف الجاهلية ووصله لهم الإسلام : هاشم، وأمية، ونوفل، وأسد، وعبد الدار، وتيم ، ومخزوم ، وعدي ، وسهم ، وجمح . فمن هاشم : العباس بن عبد المطلب ، قد كان سقى الحجيج وبقي له في الإسلام . ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب ، ومن بني نوفل في الجاهلية : الحارث بن عامر . قال الزبير : غَلِط في الحارث بن عامر . ومن بني عبد الدار : عثمان بن أبي طلحة . ومن بني تيم : أبو بكر الصديق. ومن بني أسد : يزيد بن زمعة . ومن بني مخزوم : خالد بن الوليد بن المغيرة . ومن بني عدي: عمر بن الخطاب . ومن بني سهم : الحارث بن قيس . ومن بني جُمح : صفوان بن أمية . قال ابن خرّبوذ : فإن قريشاً لم تكن تملّك عليها في الجاهلية أحداً ، فإذا كانت حرب أقرعوا بين أهل الرياسة من الذكور ، فإذا حضرت الحرب أجلسوه، لا يبالون صغيراً كان أو كبيراً، أجلسوه تيمُّناً به . فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بني هاشم ، فخرج سهم العباس ، وهو غلام ، فأجلسوه على فرس ، وكان أبو طالب يحضرها ، وكان النبي ﷺ يجيء معه وهو غلام، فإذا جاء أبو طالب هَزَمَت قريش وإذا لم يجىء هزمت كنانة، فقالوا: لا أبا لك لا تغب . =

بحيرى الراهب[١]

الذي توسَّم في رسول الله ﷺ النبوةَ وهو مع عمه أبي طالب حين قدم الشام في تجّار من أهل مكة ، وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة[٢] سنة ، فرأى الغمامةَ تُظِلّه من بينهم . فصنع لهم طعاماً ضيافة ، واستدعاهم ، كما سيأتي بيان ذلك في السيرة[٣] . وقد روى الترمذي في ذلك حديثاً بسطنا الكلام عليه هنالك .

وقد أورد له الحافظ ابن عساكر[٤] شواهد وسائغات في ترجمة بَحيرى ، ولم يُورد ما رواه الترمذي ، وهذا عَجَبٌ .

وذكر ابنُ عساكر أن بحيرى كان يسكن قرية يقال لها : الكفر ، بينها وبين بصرى ستة أميال ، وهي التي يقال لها : (دير بحيرى) . قال : ويقال : إنه كان يسكن قرية يقال لها : منفعة بالبلقاء وراء زيزاء[٥] . والله أعلم .

***

= وأما عمارة المسجد الحرام ، فإنها والسقاية كانت إلى العباس بن عبد المطلب ، فأما السقاية فإنها معروفة ، وأما العمارة فإنهم لا يدع أحداً في المسجد الحرام ، ولا يقول : يحملهم على عمارته بالخير ، لا يستطيعون لذلك امتناعاً ، لأنه قد اجتمع ملأ قريش على ذلك ، فهم له أعوان . وكانت العُقاب عند أبي سفيان ، وإنه الرئيس ، وكانت العقاب إذا كانت عند رجل أخرجها إذا حمشت الحرب ، فإن أجمعت قريش على أحد أعطوها إياه ، وإن لم يجمعوا على أحد فأمروا صاحبها . وكانت الرفادة إلى الحارث بن عامر بن نوفل ، والرفادة : ما كانت قريش تخرج من أموالها في زمن ينقطع الحاج . وكانت المشورة إلى يزيد بن ربيعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، وقتل يوم الطائف مع رسول الله ﷺ ، والمشورة : أن قريشاً لم يجتمعوا على أمر إلا عرضوه عليه ، فإن وافق رأيهم رأيه سكت ، وإن سعت فيه فكانوا له جوّاباً حتى يرجعوا عنه . وكانت سدانة البيت واللواء إلى عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى . والسدانة : الخزانة مع الحجابة . وكانت الأشياق : إلى أبي بكر الصديق ، يحمل الديات ، كان إذا حمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالته وحمالة من قام معه ، وإن قام به غيره خذلوه ولم يصدقوه . وكانت القبة والأعنَّة إلى خالد بن الوليد . فأما الأعنَّة : فإنه أن يكون على خيول قريش في الجاهلية . وأما القبة : فإنهم كانوا يضربونها ، يجمعون إليها ما يجيرون له عيش . وكانت السفارة إلى عمر بن الخطاب ، إن وقعت الحرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم منافر ، أو فاخرهم مفاخر ، بعثوه مسافراً ومفاخراً ورضوا به . وكانت الحكومة والنوال المحجرة إلى الحارث بن قيس بن عباد ، والأموال التي سمّوا لآلهتهم . وكانت الأسمار إلى صفوان بن أمية ، والأنصاب والأزلام ، فكان لا يشق بأمر عام حتى يكون هو الذي يسره على يديه به » .

(١) خبر بحيرا الراهب هنا سقط من نسخة ب .

(٢) في الأصل : اثني عشرة ، وهو خطأ .

(٣) في أوائل الجزء الثالث من هذا الكتاب .

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٦) وما بعدها . وأورد له ترجمة في (٥/ ١٥٤ ـ ١٥٥) .

(٥) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ١٥٤) . وقوله : دير بحيرى . لعله أراد دير بصرى ، فقد ذكر ياقوت أن بحيرى كان به .=

ذكر قُسّ بنِ سَاعِدة الإيَادي[١]

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب « هَواتِف الجِنَّان »[٢] حدثنا علي بن[٣] داود القَنْطَري ، حدّثنا عبد الله بن صالح ، حدّثني أبو عبد الله المشْرقي ، عن أبي الحارث الورّاق ، عن ثور بن يزيد ، عن مورِّق العِجْلي ، عن عُبادة بن الصامت ، قال : لما قدِم وفْدُ إياد على النبي ﷺ قال : « يا مَعْشَرَ وفْدِ إياد ! ما فَعَلَ قُسُّ بنُ ساعدة الإيادي » ؟ قالوا : هلك يا رسول الله . قال : « لقد شَهِدتُه يوماً بسوق عُكَاظ على جَمَلٍ أحْمَرَ يَتَكَلَّمُ بكلامٍ معجب مونق لا أجدني أحفظه » . فقام إليه أعرابي من أقاصي القوم فقال : أنا أحفظه يا رسول الله . قال : فَسُرَّ النبي ﷺ بذلك . قال : فكان بسوق عكاظ على جمل أحْمر وهو يقول : يا معشرَ الناس اجتمعوا ، فكل من فات فات ، وكلّ شيء آت آت ، ليلٌ داج ، وسماءٌ ذات أبراج ، وبحر عَجَّاج ، نجوم تزهر ، وجبال مرسية ، وأنهار مجرية ، إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لَعِبَرا ، مالي أرى الناس يذهبون ويموتون[٤] فلا يرجعون ، أَرَضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تُرِكوا فناموا ، أَقسم قُسٌّ بالله قسماً لا ريب فيه ، إن لله ديناً هو أرضَى من دينكم هذا [وإن كان فيه بعض الاستطال][٥] ، ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

فـــي الــــذاهِبيــــنَ الأوّلـيـ ـــنَ مـن القُـرونِ لنـا بَصَـائـر
لمّــــا رأيـــتُ مــــوارداً للمـوتِ ليـسَ لهــا مصــادر
ورأيــتُ قَــومـي نحـوهـا يمضـي الأصـاغـرُ والأكـابـر
لا مَــن مضــى يــأتــي إليـ ـــك ولا مِـن البـاقيـن غـابـر
أيقنــــتُ أنـــي لا محــا لةَ حيثُ صارَ القومُ صائر[٦]

= وزيزاء : كان ينزلها الحاج ، وفيها بِرْكة عظيمة . (ياقوت) .

(١) ترجمته وأخباره في : المعمرين (٨٧ ـ ٩٠) ، والبيان والتبيين (١/ ٥٢ ، ٣٠٨ ـ ٣٠٩) ، ومعجم الشعراء(٢٢٢ ـ ٢٢٣) ، ومجمع الأمثال (١/ ١١١) ، والعصا لأسامة بن منقذ (٧٨ ـ ٧٩) ، وخزانة الأدب (تح . هارون) (٢/ ٨٩ ـ ٩٠) ، والإصابة (٣/ ٢٧٩) . وعيون الأثر (١/ ٩٥ ـ ١٠٠) .

(٢) في ب ، ط : الجان . والجنان : جمع الجان ، والليل ، والقلب لاستتاره في الصدر . وكتاب الخرائطي : (هواتف الجنان وما يحكى عن الكهان) طبع مؤسسة الرسالة ضمن كتاب نوادر الرسائل ، تح إبراهيم صالح .

(٣) زيادة من ب توافق ما في هواتف الجنان ويستقيم بها النص . وعلي بن داود بن يزيد القنطري الأَدَمي ، محدث ثقة . توفي سنة (٢٧٢هـ) . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٤٣) .

(٤) ليست في ط .

(٥) ليست في ط .

(٦) الأبيات في مصادر ترجمته . والخبر في هواتف الجنان (١٨٥ ـ ١٨٦) .

وهذا إسناد غريب من هذا الوجه .

وقد رواه الطبراني من وجه آخر فقال في كتابه « المعجم الكبير »[١] : حدّثنا محمد بن السَّرِي بن مهران بن الناقد البغداي ، حدّثنا محمد بن حسان السَّمْتي[٢] ، حدّثنا محمد بن الحجاج ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس . قال : قدِم وفدُ عبد القيس على النبي ﷺ فقال : « أيّكم يَعْرفُ القُسَّ بن ساعدة الإيادي » ؟ قالوا : كلّنا يعرفه يا رسول الله . قال : « فما فعل » ؟ قالوا : هلك . قال : « فما أنساهُ بعُكَاظ في الشّهْرِ الحرامِ وهُوَ على جَمَلٍ أحْمَرَ وهُو يخطُبُ الناسَ ، وهو يقول : يا أيها الناسُ اجْتمعوا واستَمِعوا وعُوا ، من عاشَ ماتَ ، ومَن ماتَ فاتَ ، وكل ما هو آتٍ آت . إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لعبراً ، مهاد موضوع ، وسقفٌ مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لا تَغُور . أقسم[٣] قسٌّ قَسماً حقاً لئن كان في الأمر رِضىً ليكون بعده سخط . إن لله لديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه . مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون . أَرَضوا بالمقام فأقاموا . أم تُرِكوا فناموا » . ثم قال رسول الله ﷺ : « أفيكم من يروي شعرَهُ » ؟ فأنشده بعضهُم : [من مجزوء الكامل]

فــي الــذاهبيــن الأوليـ ـنَ من القرونِ لنا بصَائر
لمّــا رأيــتُ مَــوارداً للموْتِ ليسَ لها مصادر
ورأيــتُ قَــومـي نحـوَهـا يَسعى الأصاغِرُ والأكابر[٤]
لا يـرجـع المـاضـي إلـيَّ ولا مــن البَـاقِيـن غــابـر
أيقنـــتُ أنـــي لا محــا لَةَ حيثُ صارَ القومُ صائر

وهكذا أَورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق محمد بن حسّان السَّمْتي[٥] ، به .

وهكذا رويناه في الجزء الذي جمعه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه في « أخبار قُسّ »[٦] قال : حدّثنا عبد الكريم بن الهيثم الديْرعَاقُولي[٧] ، عن سعيد بن شبيب ، عن محمد بن

---

(١) المعجم الكبير (١٢٥٦١) .

(٢) في ط : السهمي ، وهو تحريف . والسَّمْتي نسبة إلى السمت والهيئة . اللباب (٢/ ١٣٦) ، ومحمد بن حسان بن خالد الضبي السمتي ، أبو جعفر البغدادي ، محدث صدوق ، لين الحديث . توفي سنة (٢٢٨هـ) . تقريب التهذيب (٢/ ١٥٣) .

(٣) في ط . وأقسم .

(٤) هذا البيت والذي يليه ليس في ب .

(٥) في ط : السلمي ، وهو تحريف . والخبر في دلائل النبوة (٢/ ١٠٤) .

(٦) تفرد ابن كثير في الإشارة إلى هذا الكتاب ، ولم أقف على أحد غيره ذكره فيما رجعت إليه .

(٧) الديرعاقولي : نسبة إلى دير عاقول من قرى بغداد . اللباب (١/ ٥٢٣) .

الحجاج وهو أبو إبراهيم[(١)] الواسطي نزيل بغداد ويعرف بصاحب الهَرِيسة[(٢)] به ، وقد كذَّبه يحيى بن مَعين[(٣)] وأبو حاتم الرازي[(٤)] ، والدارقُطني[(٥)] ، واتَّهمه غير واحد منهم ابن عَدي[(٦)] بوضع الحديث .

وقد رواه البزّار[(٧)] ، وأبو نعيم من حديث محمد بن الحجاج هذا[(٨)] .

ورواه ابن درستويه وأبو نعيم من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق أمثل من التي قبلها ، وفيه أن أبا بكر هو الذي أورد القصة بكمالها نَظَمَها ونَثَرَها بين يدي رسول الله ﷺ .

ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث أحمد بن موسى بن إسحاق الخطمي . حدّثنا علي بن الحسين بن محمد المخزومي : حدّثنا أبو حاتم السجستاني ، حدّثنا وهب بن جرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن ابن عباس قال : قدم وفدُ بكر بن وائل على رسول الله ﷺ فقال لهم : « ما فعلَ حَليفٌ لكم يقالُ له : قُس بن ساعدة الإيادي » . وذكر القصّة مطوّلة[(٩)] .

وأخبرنا الشيخ المسند الرحلة أحمد بن أبي طالب الحجار إجازةً إن لم يكن سماعاً قال : أجاز لنا جعفر ابن علي الهمْداني قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد[(١٠)] بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السِّلَفي سماعاً (ح)[(١١)] : وقرأت على شيخنا الحافظ أبي عبد الله الذهبي : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن أبي بكر الخلاَّل سماعاً قال : أخبرنا جعفر بن علي سماعاً : أخبرنا السِّلَفي سماعاً ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي، أخبرنا أبو القاسم عبيد الله ابن أحمد بن علي المقرىء، حدّثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي قال: حدّثنا إسماعيل ابن إبراهيم بن أحمد السعدي ـ قاضي فارس ـ حدّثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن دِرْهم الطائي ، من أهل حران ، حدّثنا أبو عمرو سعيد بن يربع ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال : كان الجارود بن المعلَّى بن حَنَش بن معلّى

---

(١) في ط : عن إبراهيم الواسطي . وهو خطأ .
(٢) في ط : الفريسة ، وهو تحريف . وسقط لفظ به من ط . وإنما لقب بصاحب الهريسة لأنه روى حديث الهريسة وهو أن النبي ﷺ قال: « أتاني جبريل بهريسة فقال : كل هذه لتشد ظهرك لقيام الليل » . المجروحين (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) .
(٣) تاريخ الدارمي عن يحيى ، رقم (٧٩٨) .
(٤) الجرح والتعديل لابنه عبد الرحمن (٧/ الترجمة ١٢٧٨) .
(٥) سؤالات البرقاني رقم (٤٧٢) ، والضعفاء والمتروكون رقم (٤٦٠) .
(٦) الكامل في الضعفاء (٦/ ٢١٥٦) .
(٧) كما في كشف الأستار (٢٧٥٩) .
(٨) وهو حديث موضوع كما بينه الدكتور بشار عواد معروف في تعليقه على تاريخ الخطيب (٣/ ٩٣) .
(٩) المعمرين سجستاني (٨٨ ـ ٨٩) .
(١٠) في ب : أبو طاهر السلفي ، ولم يذكر تمام اسمه .
(١١) مختصر الحوالة هذا لم يرد في ط .

العبدي(١) نصرانياً ، حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها ، عالماً بسِيَرِ الفرس وأقاويلها ، بصيراً بالفلسفة والطب ، ظاهرَ الدهاء والأدب ، كاملَ الجمال ، ذا ثَرْوةٍ ومالٍ ، وإنه قدم على النبي ﷺ وافداً في رجال من عبد القيس ذوي آراء وأسنان وفصاحة وبيان ، وحجج وبرهان ، فلما قَدِم على النبي ﷺ وقف بين يديه ، وأشار إليه ، وأنشأ يقول : [من الخفيف]

يـا نبـيَّ الهُـدى أتتـكَ رِجـالٌ ... قَطَعـتْ فَـدْفَـداً وآلاً فـآلا(٢)
وطَـوتْ نحوكَ الصَّحَاصِحَ تهوى ... لا تَعُـدُّ الكـلالَ فيـك كَـلالا(٣)
كُـلّ يَهْمـاء قَصَـرَ الطـرفُ عنهـا ... أَرْقَلتْهـا قِـلاصُنـا إرْقـالا(٤)
وطـوتْهـا العِتـاقُ يَجْمَـحُ فيهـا ... بِكُمـاةٍ كـأنْجُـمٍ تَتَـلالا(٥)
تَبْتَغـي دفْـعَ بـأسِ يـومٍ عظيـم ... هـائـلٍ أوجـعَ القلـوبَ وهـالا
ومـزاداً لمحشـر الخلْـق طُـرّاً ... وفـراقـاً لمـن تمـادى ضـلالا
نحـو نـورٍ مـن الإلّـه وبـرهـا ... نٍ وَبِـرٍّ ونعمـةٍ أن تُنـالا
خَصَّـكَ الله يـا ابـن آمنـةَ الخـ ... ـيرِ بهـا إذ أتـتْ سِجـالا سِجـالا
فـاجْعـلِ الحظَّ منكَ يا حُجَّة اللـ ... ـه جزيـلاً لا حـظَّ خُلفٍ أحـالا

قال : فأدناه النبي ﷺ وقرّب مجلسه وقال له : يا جارود ، لقد تأخّر الموعود بك وبقومك . فقال الجارود : فداك أبي وأمي ، أمّا من تأخّر عنك فقد فاته حظه ، وتلك أعظم حوبة وأغلظ عقوبة ، وما كنت فيمن رآك أو سمع بك فعداك واتّبع سواك ، وإني الآن على دينٍ قد علمتَ به ، قد جئتك وها أنا تاركه لدينك أفذلك مما يُمحّص الذنوب والمآثم والحوب ؟ ويُرْضي الربَّ عن المربوب ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « أنا ضَامنٌ لك ذلك ، وأَخْلِصِ الآن لله بالوحدانية ، ودعْ عنك دينَ النصرانية » . فقال الجارود : فداك أبي وأمي ، مُدَّ يدَك فأنا أشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك محمد عبده ورسوله . قال : فأسلم ، وأسلم معه أناس من قومه ، فَسُرَّ النبي ﷺ [بإسلامهم ، وأظهر من إكرامهم ما سُرّوا به وابتهجوا به . ثم أقبل عليهم رسولُ الله ﷺ](٦) فقال : « أفيكم من يعرف قُسَّ بن ساعدة الإيادي » ؟ فقال الجارود : فداك أبي وأمي كلُّنا نعرفه ، وإني من بينهم لعالم بخبره ، واقف على أمره : كان قُسٌّ

(١) اختلف في اسم أبيه فقيل : الجارود بن عمرو ، وقيل ابن العلاء . استشهد سنة (٢١هـ) . وقيل غير ذلك . تقريب التهذيب (١/ ١٢٤) ، والإصابة (١/ ٢١٦ ـ ٢١٧) ، والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٦٨) .
(٢) الفدفد : الفلاة .
(٣) الصحاصح : ما استوى من الأرض .
(٤) اليهماء : الفلاة لا يُهتدى فيها . وأرقل : أسرع . والقلاص : جمع قلوص ، وهي الشديدة من الإبل الباقية على السير .
(٥) يجمح : يسرع . والخبر والأبيات في عيون الأثر (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) .
(٦) سقطت من ب بنقلة عين .

يا رسولَ الله سِبْطاً(١) من أسباط العرب ، عُمّر ستمئة سنة(٢) ، تَقَفَّرَ منها خمسة أعمار في البراري والقفار يضِجُّ بالتسبيح على مثال المسيح ، لا يقرُّه قَرارٌ ، ولا تكنه دار ، ولا يستمتع به جار . كان يلبس الأمْساح(٣) ويفوق السياح ، ولا يفتر من رهبانيته ، يتحسّى في سياحته بيضَ النعام ، ويأنس بالهوام ، ويستمتع بالظلام ، يُبصِرُ فيعتبر ، ويُفكّر فيختبر ، فصار لذلك واحداً تُضْرَب بحكمته الأمثال(٤) ، وتكشف به الأهوال ، أدرك رأسَ الحواريين سَمْعان ، وهو أول رجل تألّه من العرب ووحّد ، وأقرّ وتعبد ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذّر سوء المآب ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، ووعظ بالموت ، وسلَّم بالقضا على السخط والرضا ، وزار القبور ، وذكر النشور ، وندب بالأشعار ، وفكّر في الأقدار وأنبأ عن السماء والنماء ، وذكر النجوم وكشف الماء ، ووصف البحار ، وعرف الآثار ، وخطب راكباً ، ووعظ دائباً ، وحذّر من الكرب ، ومن شدة الغضب ، ورسَّل الرسائل ، وذكر كل هائل ، وأرغم في خطبه ، وبيّن في كتبه ، وخوّف الدهر ، وحذر الأزْر(٥) ، وعظَّم الأمر ، وجنَّب الكفر ، وشوّق إلى الحنيفية ، ودعا إلى اللاهوتية . وهو القائل في يوم عكاظ : شرق وغرب ، ويتم وحزب(٦) ، وسلم وحرب ، ويابس ورطب ، وأُجَاج(٧) وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وإناث وذكور ، وبرار وبحور(٨) ، وحَب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع وأشتات ، وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر وإعدام ، ورَب وأصنام ، لقد ضل الأنام ، نشوّ مولود ، ووأد(٩) مفقود ، وتربية محصود ، وفقير وغني ، ومحسن ومسيء ، تباً لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن الآمل أمله ، كلا بل هو إلّهٌ واحد ، ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، ربّ الآخرة والأولى(١٠) . أما بعد : فيا معشر إياد ، أين ثمود وعاد !؟ وأين الآباء والأجداد !؟ وأين العليل والعوّاد !؟ كل له مَعاد . يقسم قُسٌّ برب العباد ، وساطح المِهاد ، لتُحْشَرُنَّ على الانفراد ،

---

(١) السِّبط : الأمة ، أي الشخص المنفرد بدين .

(٢) وقيل غير ذلك ، ففي المعمرين : أنه عاش (٣٨٠) سنةً . وفي الخزانة (٢/ ٩٠) : أنه عاش سبعمئة سنة .

(٣) الأمساح : جمع قلة للمِسْح ، وهو الكساء من الشعر .

(٤) قال الأعشى :

وأحلم من قس وأجرى من الذي ... بذي الفيل من خفّان أصبح حاردا

وقال لبيد :

وأقول من قس ، وأمضى إذا مضى ... من الرمح إذ مسّ النفوسَ نكالُها

(٥) الأزر : القوة ، والضعف ، ضد . وهذه الجملة والتي تليها ليست في ب .

(٦) الحزب : الطائفة ، والجماعة من الناس .

(٧) الأجاج : الملح المر .

(٨) في ب : وأبرار وفجور .

(٩) في ب : وولد مفقود . وقوله : نشو ، بتسهيل الهمز أراد : نشوء .

(١٠) زاد في ب : وهو أول من قال .

في يوم التناد ، إذا نُفخ في الصور ، ونقر(١) في الناقور ، وأشرقت الأرض ، ووعظ الواعظ ، فانتبذ الغائظ ، وأبصر اللاحظ ، فويل لمن صَدَفَ عن الحق الأشْهَر ، والنور الأزْهر ، والعرض الأكبر ، في يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حَكَم القدير ، وشهد النذير ، وبَعُدَ النصير ، وظهر التقصير ، ففريق في الجنة وفريق في السعير . وهو القائل : [من الخفيف]

ذكَّر القلبَ من جواه ادّكارُ ... ولَيالٍ خَلالهنّ نهار
وسِجَالٌ هَواطلٌ من غَمام ... ثِرنَ ماءً وفي جواهنّ نار
ضَوءها يطمسُ العيونَ وأرعا ... دٌ شِداد في الخافقين تُطار
وقصورٌ مَشِيدة حوت الخـ ... ـير وأخرى خلت بهن قِفار
وجبالٌ شوامِخٌ راسياتٌ ... وبحارٌ مياههن غِزار
ونجومٌ تلوح في ظُلَم الليـ ... ـل نَراها في كل يوم تدار
ثم شمس يحثّها قمرُ الليـ ... ـل وكلٌّ متابِعٌ مَوَّار
وصغيرٌ وأشمط وكَبير ... كلهم في الصعيد يوماً مزار
وكبير مما يقصر عنه ... حدسه الخاطر الذي لا يُحارُ
فالذي قد ذكرتُ دلَّ على اللـ ... ـه نُفوساً لها هُدى واعْتبار

قال : فقال رسول الله ﷺ : « مهما نَسيتُ فلستُ أنساه بسوقِ عُكاظ ، واقفاً على جَمل أحمر يخطب الناس ويقول : يا أيها الناس(٢) اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا سمعتم فعُوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وضوء وظلام ، وليل(٣) وأيام ، وبر وأثام(٤) ، إن في السماء خبرا ، وإن في الأرض عبرا ، يحار فيهن البُصَرا ، مِهاد موضوع ، وسَقف مرفوع ، ونجوم تغور(٥) ، وبحار لا تفور ، ومنايا دوان ، ودهر خَوّان ، كحد النِّسْطاس(٦) ، ووزن القِسطاس . أقسَم قُسٌّ قسما ، لا كاذباً فيه ولا آثما ، لئن كان في هذا الأمر رِضى ، ليكونن سخط . ثم قال : أيها الناس إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه ، وهذا زمانه وأوانه . ثم قال :

(١) في ب : إذا نقر . وسقط ما بينهما .
(٢) قوله : يا أيها الناس . زيادة من ب . والخبر في عيون الأثر (١/ ٩٧) .
(٣) في ب : وليال .
(٤) أثام : الإثم ، وجزاؤه .
(٥) تغور : أي تذهب وتختفي . وفي اللسان (مور) . وفي حديث قس : ونجوم تمور ، أي تذهب وتجيء .
(٦) في اللسان (نسطس) : في حديث قس : كحذْو النسطاس ، قيل : إنه ريش السهم ، ولا تعرف حقيقته . وفي رواية : كحد النسطاس .

مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرَضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تُرِكوا فناموا » . والتفتَ رسول الله ﷺ إلى بعض أصحابه فقال : « أيُّكم يروي شعرَه لنا » ؟ فقال أبو بكر الصديق : فداك أبي وأمي أنا شاهدٌ له في ذلك اليوم حيث يقول : [من مجزوء الكامل]

فــي الــذاهبيــن الأوّلِيـ ـن من القرون لنا بصائر
لمــا رأيــتُ مَــوارداً للموت ليس لها مصادر
ورأيـتُ قـومـي نحـوهـا يمضي الأصاغر والأكابر
لا يَـرجـع المـاضـي إلـ ـيَّ ولا من الباقين غابر
أيقنـــتُ أنـــي لا محـــا لة حيث صارَ القومُ صائر

قال : فقام إلى رسول الله ﷺ شيخ من عبد القيس ، عظيمُ الهامة ، طويل القامة ، بعيدُ ما بين المنكبين ، فقال : فداك أبي وأمي ، وأنا رأيتُ من قُسٍّ عجباً . فقال له رسول الله ﷺ : « ما الذي رأيت يا أخا بني عبد القيس » ؟ فقال : خرجتُ في شبيبتي أتبع(١) بعيراً لي نَدَّ عنّي أقفو أثره في تَنائف قِفاف ذات ضَغَابيس وعرصات جَثْجَاث(٢) ، بين صدور جَذعان ، وغمير حَوذان(٣) ، ومَهْمه ظُلْمان ، ورصيع أيهقان(٤) ، فبينا أنا في تلك الفلوات أجول بسبسبها وأرمق(٥) فدفدها ، وإذا أنا بهضبة في نشزاتها أراك كَبَاث مخضوضلة(٦) ، وأغصانها متهدلة ، كأن بَرِيْرها(٧) حب الفلفل وبواسق أقحوان ، وإذا بعين خرَّارة ، وروضة مُدْهَامَّة(٨) ، وشجرة عارمة ، وإذا أنا بقسّ بن ساعدة في أصل تلك الشجرة وبيده قضيب . فدنوتُ منه وقلت له : أنعم صباحاً ! فقال : وأنت فنَعِمَ صباحُك ! وقد وردتِ العينَ سباعٌ كثيرةٌ ، فكان كلما ذهبَ سَبُعٌ منها يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قسٌّ بالقضيب الذي بيده . وقال : اصبر حتى يشرب الذي قبلك ، فذعرت من ذلك ذعراً شديداً ، ونظر إليَّ فقال : لا تخف . وإذا بقبرين بينهما مسجدٌ ، فقلت : ما هذان القبران ؟ قال قبرا أخوين كانا يعبدان الله عزّ وجل بهذا الموضع ، فأنا

---

(١) كذا في ب وهو أشبه بالصواب . وفي أ ، وط : أربع .
(٢) التنائف : جمع تنوفة ، وهي المفازة ، والأرض الواسعة البعيدة الأطراف . والقِفاف : جمع قُف ، وهي حجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة . والضغابيس : جمع ضغبوس ، صغار القثاء ، وأغصان الشوك . والجثجاث : نبات .
(٣) الغمير : الكثير . وحوذان : نبات .
(٤) في ط : ليهقان . وهو خطأ . والمهمه : المفازة البعيدة . والظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام . والأيهقان : عشب يطول ، والجرجير البري .
(٥) في ط : أرنق ، وهو تحريف . والسبسب : المفازة . ورمَقَه : لَحَظَه . والفدفد : الفلاة .
(٦) النشز : المكان المرتفع . والكَبَاث : النضيج من ثمر الأراك . ومخضوضلة : رطبة ندية .
(٧) البرير : الأول من ثمر الأراك .
(٨) روضة مدهامّة : خضراء تضرب إلى السواد نعمة ورياً .

مقيم بين قبريهما أعبد الله حتى ألحقَ بهما . فقلت له : أفلا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم وتبايُنِهم على شرهم ؟ فقال لي : ثكلتكَ أمُّك ، أوَ ما علمتَ أن ولد إسماعيل تركوا دينَ أبيهم واتّبعوا الأضداد وعظّموا الأنداد[١] ، ثم أقبل على القبرين وأنشأ يقول : [من الطويل]

خليلـيّ هُبّـا طـالمـا قـد رقـدتُمـا … كمـا أجِـدَّ لا تَقضيـان كَـراكُمـا[٢]
أرى النومَ بين الجِلد والعَظمِ منكما … كأنّ الذي يسقي العقارَ سقاكما[٣]
أمِـن طـولِ نـومٍ لا تُجيبـان داعيـاً … كـأنّ الـذي يسقـي العقـارَ سقـاكمـا
ألـم تعلمـا أنـي بنجـرانَ مفـرَداً … ومـاليَ فيـه مـن حَبيـبٍ سـواكمـا[٤]
مقيـمٌ علـى قبريكمـا لسـتُ بـارحـاً … إيـابَ الليـالـي أو يجيـبَ صَـداكمـا
أبكيكمـا طـولَ الحيـاةِ ومـا الـذي … يـردّ علـى ذي لـوعـةٍ أن بَكَـاكمـا
فلو جُعلتْ نفسٌ لنفس امرىء فِدىً … لجـدتُ بنفسـي أن تكـونَ فِـداكمـا
كـأنكمـا والمـوت أقـربُ غـايـةٍ … بـروحـيَ فـي قَبـريكمـا قـد أتـاكمـا

قال : فقال رسول الله ﷺ : « رحمَ الله قُساً ، أمَا إنه سيبعث يوم القيامة أُمَّةً وحده »[٥] .

وهذا الحديث غريب جداً من هذا الوجه وهو مرسل إلا أن يكون الحسَنُ سمِعَه من الجارود . والله أعلم .

وقد رواه البيهقي ، والحافظ أبو القاسم بن عساكر من وجه آخر ، من حديث محمد بن عيسى بن محمد بن[٦] سعيد القُرشي الأخباري ، حدّثنا أبي ، حدثنا علي بن سليمان عن سليمان بن علي ، عن علي[٧] بن عبد الله ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . قال : قدم الجارود بن عبد الله[٨] ، فذكر مثله أو نحوه مطولاً بزيادات كثيرة في نظمه ونثره ، وفيه[٩] ما ذكره عن الذي ضَلّ بعيره فذهب في طلبه ،

---

(١) الند : المِثْل ، والمشارك في الجوهر ، جمعه : أنداد .
(٢) الكرى : النوم .
(٣) العقار : الخمر . وهذا البيت لم يرد في الأغاني ، ولا الخزانة .
(٤) في الأغاني ، والخزانة : بسمعان . وهو الجبل الذي كان فيه قس كما في الرواية فيهما .
(٥) الأمة : الشخص المنفرد بدين ، أي يُبعث واحداً يقوم مقام جماعة . (الخزانة) .
والخبر في الأغاني (ثقافة) (١٥/ ١٩٢ ـ ١٩٣) ، وخزانة الأدب (تح . هارون) (٢/ ٨٠ ـ ٨٣) .
(٦) زيادة من ب ، وط . وعيون الأثر . وهو الصحيح .
(٧) كذا في ب ، وهو موافق لما في عيون الأثر ، وهو الصحيح . وفي م ، وط : علي بن سليمان بن علي عن علي بن عبد الله .
(٨) هذا اختلاف آخر في نسب الجارود .
(٩) في ب : فمنه .

قال : فبِتُّ في وادٍ لا آمن فيه حتفي ، ولا أَرْكن إلى غير سيفي ، فبت[1] أرقب الكوكب ، وأرمق الغيْهب ، حتى إذا عسعس الليل[2] ، وكاد الصبح أن يتنفس ، هتف بي هاتف يقول : [من الرجز]

يا أيُّها الراقدُ في الليلِ الأَجَمّ قَدْ بعثَ الله نبياً في الحَرَم[3]
من هاشمٍ أهلِ الوفاءِ والكرمْ يجلو دجنّاتِ الدياجي والبهَم[4]

قال : فأدرت طرفي فما رأيت له شخصاً ولا سمعت له فَحْصاً[5] ، قال : فأنشأت أقول : [من الرجز]

يا أيها الهاتفُ في داجي الظُّلَم أهلاً وسهلاً بك من طيْفٍ أَلَم
بَيِّنْ هَداكَ اللهُ في لحنِ الكَلِم ماذا الذي تدعو إليهِ يُغتنم

قال : فإذا أنا بنحْنَحَةٍ وقائل[6] يقول : ظهر النور ، وبَطل الزور ، وبَعثَ الله محمداً بالحبُور[7] ، صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمِغْفَر[8] ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقمر ، والطَّرْف الأحور ، صاحب قول شهادة أن لا إلّه إلا الله ، وذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأبيض أهل المدر والوبر[9] ، ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الرجز]

الحمدُ للهِ الّذي لم يخلقِ الخلقَ عبثْ
لم يُخلِنا يوماً سُدى من بعدِ عيسى واكترث[10]
أرْسلَ فينا أحمداً خيرَ نبيّ قد بُعث
صلى عليه اللهُ ما حجّ له ركبٌ وحثّ

وفيه من إنشاد[11] قُس بن ساعدة : [من البسيط]

---

(١) ليست في ط .
(٢) في ط : إذا الليل عسعس .
(٣) في ط : الأجم بالجيم ، وهو تصحيف . والأحم : الأسود من كل شيء ، واحتم : اهتم بالليل .
(٤) في ب : يجلو غياهب . والدجنات : الظلمات . والبهم : السود .
(٥) في اللسان (فحص) : وفي حديث قس : ولا سمعت له فحصاً : أي وقع قدم وصوتَ مشي .
(٦) كذا في ب ، وفي أ ، وط : وقائلاً .
(٧) الحبور : السرور والنعمة .
(٨) المغفر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة .
(٩) في ب : المبعوث للأسود والأحمر من أهل الوبر والمدر . وكذلك في عيون الأثر .
وأهل المدر : هم أهل القرى الذين يبنون بيوتهم بالطين الذي فيه المدر ، وهو القش . وأهل الوبر : البدو الذين ينسجون بيوتهم من الوبر .
(١٠) في ب : فلم يخلّنا سدى : وكذلك في عيون الأثر .
(١١) في ط : إنشاء .

يا ناعيَ الموتِ والملحودِ في جدثٍ ... عليهمُ من بقايا ثوبهمْ خِرَقُ[(١)]
دعهم فإنّ لهم يوماً يُصاح بهم ... فهم إذا انتبهوا من نومهم أرِقوا
حتى يعودوا بحالٍ غيرِ حالهمُ ... خَلقاً جديداً كما مِن قَبْلِه خُلقوا
منهم عُراةٌ ومنهم في ثيابهمُ ... منها الجديدُ ومنها المنهجُ الخَلَقُ[(٢)]

ثمّ رواه البيهقي عن أبي محمد عبد الله[(٣)] بن يوسف بن أحمد الأصبهاني ، حدّثنا أبو بكر أحمد بن سعيد بن فرضخ الإخميمي[(٤)] بمكة . حدّثنا القاسم بن عبد الله بن مهدي ، حدّثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن[(٥)] المخزومي . حدّثنا سفيان بن عُيينة ، عن أبي حمزة الثُّمالي ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس . فذكر القصةَ وذكر الإنشاد[(٦)] ، قال فوجدوا عِنْدَ رأسه صحيفة فيها : [من البسيط]

يا ناعيَ الموتِ والأمواتُ في جَدثٍ ... عليهم من بقايا نومهم خِرقُ[(٧)]
دعْهم فإن لهم يوماً يُصاح بهم ... كما تَنَبَّهَ من نوماته الصَّعِقُ
منهم عُراةٌ وموتىَ في ثيابهمُ ... منها الجديدُ ومنها الأزرَق الخَلَقُ

فقال رسول الله ﷺ : « والذي بَعَثني بالحق لقد آمن قُس[(٨)] بالبعث » .

وأصله مشهور . وهذه الطرق على ضَعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة . وقد تكلّم أبو محمد بن درستويه على غريب ما وقع في هذا الحديث ، وأكثره ظاهر إن شاء الله تعالى ، وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه في الحواشي .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو سعد سعيد بن محمد بن أحمد الشُّعَيْثي[(٩)] ، حدّثنا أبو عمرو بن أبي طاهر المحمد آباذي[(١٠)] لفظاً ، حدّثنا أبو لبابة محمد بن المهدي الأموردي[(١١)] ، حدّثنا أبي ، حدّثنا سعيد بن

---

(١) في ب : بزهم . وفي ط : قولهم .
(٢) المنهج : البالي .
والخبر في عيون الأثر (١/ ٩٦ ـ ٩٩) ، وخزانة الأدب (٢/ ٨١ ـ ٨٣) .
(٣) كذا في ب ، وهو موافق لنص الدلائل ، وفي م وط : عن محمد بن عبد الله .
(٤) الإخميمي : نسبة إلى إخميم ، بلدة من صعيد مصر . اللباب (١/ ٣٥) .
(٥) في ب : عبيد الله بن سعيد بن عبد الرحمن .
(٦) في ب : هذا الإنشاد . وفيها : عند رأسه صخرة .
(٧) في ب : ثوبهم .
(٨) في ب : والذي نفسي بيده لقد آمن قس بن ساعدة بالبعث . والخبر مطولاً في دلائل النبوة : (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٤) .
(٩) الشعيثي : نسبة إلى شُعَيث ، بطن من بَلْعنبر بن عمرو بن تميم . اللباب (٢/ ٢٠٠) .
(١٠) المحمد آباذي : نسبة إلى محمد آباذ محلة خارج نيسابور . اللباب (٣/ ١٧٥) .
(١١) في ب : الأنبوردي . ولم أقف على هذه النسبة . ولعلها الأبيوردي ، نسبة إلى أبيورد من قرى خراسان .

هبيرة حدّثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك قال : قدِم وَفْد إياد على النبي ﷺ فقال : « ما فعل قُسُّ بن ساعدة » ؟ قالوا : هلك . قال : « أما إني سمعتُ منه كلاماً أرى أني أحفظه » . فقال بعض القوم : نحن نحفظه يا رسول الله . قال : « هاتوا » . فقال قائلهم : إني واقف بسوق عُكاظ فقال : يا أيها الناس استمعوا واسمعوا وعوا ، كلّ من عاش مات ، وكلّ من مات فات ، وكلّ ما هو آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرسية ، وأنهار مجرية ، إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لَعِبرا ، أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تُرِكوا فناموا . أقسَمَ قُسٌّ قسماً بالله لا إثم فيه ، إن لله ديناً هو أرضى مما أنتم عليه . ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

فــي الــذاهبيــن الأوّليـ ـن من القرون لنا بصائر
لمــا رأيــت مصــارعــاً للقوم ليس لها مصادر[1]
ورأيــت قــومــي نحــوهــا يمضي الأكابر والأصاغر[2]
أيقنــتُ أنــي لا محــا لة حيثُ صار القوم صائر

ثم ساقه البيهقي من طُرُق أُخَر قد نبَّهنا عليها فيما تقدم . ثم قال بعد ذلك كله : وقد رُوي هذا الحديث عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس بزيادة ونقصان . ورُوي من وجه آخر عن الحسن البصري منقطعاً . ورُوي مختصراً من حديث سعد بن أبي وقّاص وأبي هريرة .

قلت : وعُبادة بن الصامت ، كما تقدم ، وعبد الله بن مسعود ، كما رواه أبو نعيم في كتاب « الدلائل »[3] عن عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي ، عن أبي الوليد طريف بن عبيد الله مولى علي بن أبي طالب بالموصل ، عن يحيى بن عبد الحميد الحِمّاني ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، فَذَكَره .

وروى أبو نعيم أيضاً حديث عبادة المتقدم ، وسعد بن أبي وقاص[4] .

ثم قال البيهقي : وإذا رُوي الحديثُ من أوجه أُخَر ، وإن كان بعضها ضعيفاً ، دلّ على أن للحديث أصلاً . والله أعلم .

---

(١) في ب : مصارعاً للقوم .
(٢) في ب : الأصاغر والأكابر . وكتب فوق العبارة : الأوائل والأواخر . وزاد بعده :
لا يــرجــع المــاضــي ولا يبقــى مــن البــاقيــن غــابــر
والخبر في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٠١) وما بعدها .
(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٢٧ ـ ١٢٩) .
(٤) قوله : وسعد بن أبي وقاص ليس في ب . ولم أجد الخبر عند سعد في دلائل أبي نعيم . وهو في الزهرة لمحمد بن داود الأصبهاني (٢/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥) . (تح . السامرائي ـ ط . الأردن ـ ١٩٨٥) .

ذِكْر زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل رَضيَ الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عَدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي(١) .

وكان الخطّابُ والدُ عُمر بن الخطاب عمَّه وأخاه لأمه . وذلك لأن عمرو بن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نُفيل أخوه الخطاب . قاله الزبير بن بكّار ومحمد بن إسحاق(٢) .

وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثان ، وفارق دينهم . وكان لا يأكل إلا ما ذُبح على اسم الله وحدَه .

قال يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق : حدّثني هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مُسنِداً ظهرَه إلى الكعبة يقول : يا معشرَ قريش ، والذي نفسُ زيد بيده ما أصبح منكم أحد(٣) على دين إبراهيم غيري . ثمّ يقول : اللهمّ إني لو أعلم أحبَّ الوجوه إليك عبدتُك به ، ولكني لا أعلم ، ثم يسجد على راحلته(٤) .

وكذا رواه أبو أسامة عن هشام ، به . وزاد : وكان يُصلي إلى الكعبة ويقول : إلَهي إلَه إبراهيم ، وديني دين إبراهيم . وكان يُحيي الموؤدة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتلَ ابنتَه : لا تقتلها ، ادفعها إليَّ أكفِكَها ، فإذا ترعرعت قال :(٥) إن شئت فخذها وإن شئت فادفعها(٦) .

أخرجه النَّسائي من طريق أبي أسامة . وعلّقه البخاري فقال : وقال الليث : كتب إليَّ هشامُ بن عروة ، عن أبيه ، به(٧) .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق : وقد كان نفر من قريش : زيد بن عمرو بن نفيل ،

---

(١) في نسبه بعض اختلاف . وترجمته في السيرة (١/ ٢٢٣) وما بعدها ، والاشتقاق (١٣٤) ، ومروج الذهب (١/ ٧٠) ، والأغاني (ثقافة) (٣/ ١١٧) وما بعدها ، ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٢ ـ ١٦٧) ، والروض الأنف (١/ ٢٥٣) ، والإصابة (١/ ٥٦٩) ، وخزانة الأدب (٦/ ٤١٦) .

(٢) السيرة (١/ ٢٢٩) . ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٢) .

(٣) في ط ، ب : أحد منكم . والخبر في السيرة (١/ ٢٢٥) .

(٤) في الأصول : راحلته . وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصحيح من السيرة ، والروض الأنف ، والإصابة لابن حجر .

(٥) في ط : ترعرعت فإن .

(٦) في ب : فدعها . وكذلك في مختصر تاريخ دمشق .

(٧) صحيح البخاري رقم (٣٨٢٨) ، في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل .

ووَرَقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى ، وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى ، وعبيد الله بن جحش بن رياب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن بَرة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد[(١)] بن خزيمة ، وأمه أميمة بنت عبد المطلب ، وأخته زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد مولاه زيد بن حارثة ، كما سيأتي بيانه . حضروا قُريشاً عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لِعيدٍ من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خَلاَ بعضُ أولئك النفر إلى بعضٍ وقال : تصادقوا ولْيكتم بعضكم على بعض . فقال قائلهم : تعلَمُنَّ والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطؤوا دين إبراهيم وخالفوه . ما وَثَنٌ يُعْبَد ؟ لا يضرُّ ولا ينفع ، فابتغوا لأنفسكم ، فخرجوا يطلبون ويسيرون في الأرض يلتمسون أهل كتاب من اليهود والنصارى والملل كلّها الحنيفيةَ دين إبراهيم . فأما ورَقَة بن نوفل فتنصَّر واستحكم في النصرانية ، واتبع[(٢)] الكتب من أهلها ، حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب ، ولم يكن فيهم أعدل أمراً وأعدل شأناً[(٣)] من زيد بن عمرو بن نفيل ، اعتزل الأوثان ، وفارقَ الأديان من اليهود والنصارى والملل كلّها إلاّ دين الحنيفية دين إبراهيم ، يوحّد اللهَ ، ويخلع مَنْ دونه ، ولا يأكل ذبائح قومِه ، باداهم[(٤)] بالفِراق لما هم فيه .

قال : وكان الخطّاب قد آذاه أذى كثيراً ، حتى خرج منه إلى أعلى مكة ، ووكل به الخطّاب شباباً من قريش وسُفهاء من سُفهائهم فقال : لا تتركوه يدخل ، فكان لا يدخلُها إلاّ سِرّاً منهم ، فإذا علموا به أخرجوه وآذوه كراهيةَ أن يُفْسِد عليهم دينَهم أو يتابعه أحد إلى[(٥)] ما هو عليه .

وقال موسى بن عقبة : سمعتُ من أرْضَى يحدث أنّ[(٦)] زيد بن عمرو بن نفيل كان يَعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماءً ، وأنبت لها من الأرض ، لم تذبحونها[(٧)] على غير اسم الله ؟! إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق : وقد كان زيد بن عمرو بن نفيل قد عزم على الخروج من مكة ، فضرب في الأرض يطلب الحنيفيةَ دينَ إبراهيم ، وكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما أبصرته قد نهض للخروج وأراده آذنت الخطّابَ بن نفيل . فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب الأوَل دين

---

(١) في أ ، وط : دودان بن أسعد بن أسد . وهي زيادة ليست في السيرة .
(٢) في ط : وابتغى .
(٣) كذا في ب . وهو الأشبه بالصواب . ومثله في مختصر تاريخ دمشق ، وسير أعلام النبلاء . وفي أ ، وط : ثباتا .
(٤) في ط : فإذا هم . ولا معنى لها .
(٥) في ب : على . . . والخبر في السيرة (١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) ، ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٣) ، وسير أعلام النبلاء (١/ ١٢٧) .
(٦) كذا في ب ، ومثله في الإصابة (١/ ٥٦٩) . وفي أ ، وط : عن .
(٧) في الأصول : تذبحوها . . . وهو خطأ . والحديث بتمامه أخرجه البخاري رقم (٣٨٢٦) في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل .

إبراهيم ويسأل عنه ، ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصلَ والجزيرة كلَّها ، ثم أقبل حتى أتى الشامَ ، فجال فيها حتى أتى راهباً ببيعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال له الراهب : إنك لتسأل عن دينٍ ما أنت بواجدٍ مَن يحملك عليه اليوم ، لقد دَرَسَ مَنْ عَلِمَهُ ، وذهب مَن كان يعرفه ، ولكنه قد أظَلَّ[1] خروج نبي وهذا زمانه . وقد كان شام[2] اليهودية والنصرانية فلم يرضَ شيئاً منها ، فخرج سريعاً حين قال له الراهب ما قال يريدُ مكةَ ، حتى إذا كان بأرض لخمٍ عدَوا عليه فقتلوه ، فقال ورقةُ يرثيه :

رَشَدْتَ وأَنْعَمْتَ ابنَ عَمْرٍو وإنما تجنَّبْتَ تَنُّوراً مِـن النـارِ حـاميـا
بِـدينـكَ ربّـاً لَيـسَ ربٌّ كمِثلِـه وتـركِـك أوثـانَ الطـواغـي كمـا هيـا
وقـد تُـدرِكُ الإنسـانَ رَحْمـةُ ربـه ولو كان تحتَ الأرض ستين واديا[3]

وقال محمد بن عثمان بن أبي شَيبة : حدّثنا أحمد بن طارق الوابِشي[4] حدّثنا عمرو بن عطية ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يتألّه في الجاهلية ، فانطلق حتى أتى رجلاً من اليهود ، فقال له : أحبُّ أن تُدخلني معك في دينك . فقال له اليهودي : لا أُدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من غضب الله . فقال : من غضب الله أفِرُّ ! فانطلق حتى أتى نَصْرانياً فقال له : أحب أن تُدخلني معك في دينك . فقال : لستُ أُدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من الضلالة . فقال : من الضلالة أفِرُّ ! قال له النصراني فإني أدلك[5] على دين إن تبعتَه اهتديتَ . قال : أيّ دين ؟ قال : دين إبراهيم . قال : فقال : اللهمّ إني أُشهدُك أني على دين إبراهيم ، عليه أحيا وعليه أموت . قال فذُكِر شأنُه للنبي ﷺ فقال : « هو أمةٌ وحدَه يوم القيامة »[6] .

وقد روى موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن ابن عمر نحو هذا[7] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا علي بن محمد بن عبد الله بن سيف القُرشي ، عن إسماعيل بن مجالد[8]

---

(١) في ب : أظلك . وكذلك في مختصر تاريخ دمشق . وفي السيرة : أظل زمان نبي يخرج .
(٢) شام : اختبر .
(٣) الخبر في السيرة (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) ، ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٤ ـ ١٦٥) ، وسير أعلام النبلاء (١/ ١٣٥).
(٤) الوابِشِي : نسبة إلى وابِش بن زيد . اللباب (٣/ ٣٤٣) .
(٥) في ب : فإني لأدلك .
(٦) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٥) . وقد خرّج الشيخ شعيب الأرناؤوط هذا الحديث في سير أعلام النبلاء (١/ ١٣٠) .
(٧) أخرجه البخاري رقم (٣٨٢٧) في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل . وأورده أبو الفرج في الأغاني (ثقافة) (٣/ ١٢٠ ـ ١٢١) .
(٨) في ط : إسماعيل عن مجالد عن الشعبي .

عن مجالد، عن الشَّعْبي، عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: قال زيد بن عمرو بن نفيل: شاممت اليهودية والنصرانية فكرهتهما[١]، فكنت بالشام وما والاها، حتى أتيتُ راهباً في صومعة[٢]، فذكرتُ له اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية. فقال له: أراكَ تريدُ دِين إبراهيم يا أخا أهل مكة، إنك لتطلب ديناً ما يوجَدُ اليوم أحدٌ يدين[٣] به، وهو دين أبيك إبراهيم، كان حنيفاً، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، كان[٤] يصلي ويسجُدُ إلى هذا البيت الذي ببلادك، فالحق ببلدك، فإن الله يبعثُ من قومك في بلدك من يأتي بدين إبراهيم الحنيفية، وهو أكرم الخلق على الله[٥].

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدّثني بعضُ آل زيد بن عمرو بن نفيل: إن زيداً كان إذا دخل الكعبة قال: لبيك حقاً حقاً، تَعبُّداً ورِقاً، عذت بما عاذ به إبراهيم وهو قائم، إذ قال إلّهي أنفي لك عان راغم، مهما تُجشّمني فإني جاشم، البِرَّ أبغي لا الخال، ليس مُهَجِّر كمن قال[٦].

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا المسعودي، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، عن أبيه، عن جده أن زيد بن عمرو ووَرَقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدينَ، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد بن عمرو: من أين أقبلتَ يا صاحب البعير؟ فقال من بنية إبراهيم، فقال: وما تلتمس؟ قال: ألتمس الدين. قال: ارجع فإنه يوشك أن يظهر في أرضك. قال:

فأما ورقة فتنصَّر. وأما أنا فعزمتُ على النصرانية فلم يوافقني، فرجع وهو يقول: [من مجزوء الرجز]

لبيــكَ حقّــاً حقــاً   تعبُّـــداً ورِقّـــا
البرَّ أبغي لا الخالْ   فهل مهجِّر كَمَن قال

آمنت بما آمن به إبراهيم، وهو يقول: أنفي لك عان راغم، مهما تجشّمني فإني جاشم، ثم يخر فيسجد. قال: وجاء ابنه، يعني سعيد بن زيد أحد العشرة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! إن أبي كما رأيتَ وكما بلغك، فاستغفرْ له، قال: «نعم فإنه يُبعث يومَ القيامة أمةً واحدة»[٧].

قال: وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة وهما يأكلان من سفرة لهما،

---

(١) في ب: النصرانية واليهودية وكرهتهما.
(٢) زاد في ب فوقفت عليه.
(٣) قوله: أحدٌ يدين. زيادة من ط وفي السير: ما يوجد اليوم فالحق ببلدك.
(٤) في ب: إنه كان.
(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ١٣٢).
(٦) الخال: الخيلاء والكبر. وقال، من القيلولة، وهي النوم عند الظهيرة. والتهجير السير في الهاجرة، في شدة الحر. السيرة (١/ ٢٣٠).
(٧) أشار إلى الخبر ابن حجر في فتح الباري (٧/ ١٤٣). وتقدم الحديث قبل قليل.

فدعواه لطعامهما ، فقال زيد بن عمرو : يا ابن أخي أنا لا آكل مما ذُبح على النُّصُب[١] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا محمد بن عمرو ، وحدّثني أبو بكر بن أبي سَبْرة ، عن موسى بن ميسرة ، عن ابن أبي مُليكة عن حُجير[٢] بن أبي إهاب ، قال : رأيتُ زيد بن عمرو وأنا عند صَنم بُوَانَةَ بعد ما رجع من الشام وهو يراقب الشمس ، فإذا زالت استقبلَ الكعبة فصلّى ركعة وسجدتين ثم يقول : هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا أعبد حجراً ، ولا أصلي له ، ولا آكل ما ذُبح له ، ولا أستقْسِم الأزلام ، وأنا أصلي إلى هذا[٣] البيت حتى أموت . وكان يحجّ فيقف بعرفة ، وكان يلبيّ فيقول : لبيكَ لا شريك لك ولا نِدّ لك ، ثم يدفع من عَرفة ماشياً وهو يقول : لبيك متعبِّداً مرقوقاً[٤] .

وقال الواقدي : حدّثني علي بن عيسى الحَكَمي ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة قال : سمعتُ زيدَ بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل ، ثم من بني عبد المطلب ، ولا أُراني أدركه ، وأنا أومن به وأصدّقه ، وأشهد أنه نبيٌّ ، فإن طالت بكَ مدة فرأيتَه فأقْرِئْه مني السلاَم ، وسأخبرك ما نعتُه حتى لا يخفَى عليك . قلتُ : هلم ! قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارقُ عَينَه حمرةٌ ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مَولده ومَبْعَثه ، ثم يخرجه قومُه منها ويَكْرَهُون ما جاء به ، حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمرُه ، فإياك أن تُخْدَع عنه ، فإني طُفْتُ البلادَ كلها أطلب دين إبراهيم ، فكان مَن أسألُ من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعتُّه لك ، ويقولون : لم يبق نبيٌّ غيرُه . قال عامر بن ربيعة : فلما أسلمت أخبرتُ رسول الله ﷺ قول زيد بن عمرو وأقرأته منه السلام ، فردّ عليه السلام وترحَّم عليه وقال : « قد رأيتُه في الجنةِ يَسْحَبُ ذُيولاً »[٥] .

وقال البخاري في صحيحه[٦] : ذكر زيد بن عمرو بن نفيل :

حدّثني محمد بن أبي بكر ، حدّثنا فُضَيل بن سليمان ، حدّثنا موسى بن عُقْبة ، حدثني سالم بن[٧] عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ لقي زيدَ بن عمرو بن نُفَيل بأسفل بَلْدَح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحيُ ،

---

(١) زاد في ب : وقد رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن المسعودي ، به .
وهو كذلك في المسند (١/ ١٨٩) ، وذكره الذهبي في السير (١/ ١٢٩) .
(٢) في ط : حجر . وهو خطأ .
(٣) في ط : وإنما أصلي لهذا .
(٤) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٥) ، وهو من طبقات ابن سعد (٣/ ٣٨٠) .
(٥) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٥ ـ ١٦٦) . وهو في طبقات ابن سعد (٣/ ٣٧٩) .
(٦) صحيح البخاري رقم (٣٨٢٦ و٣٨٢٧ و٣٨٢٨) في مناقب الأنصار ، باب (٢٤) .
(٧) في ط : عن . والتصحيح عن البخاري .

فقُدِّمَتْ إلى النبي ﷺ سفرةٌ ، فأبى أن يأكلَ منها . ثمَّ قال زيد : إني لستُ آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذُكر اسمُ اللهِ عليه ، وأنَّ زيدَ بن عمرو كان[١] يعيب على قريش ذبائحَهم ويقول : الشاةُ خَلَقها الله وأنزلَ لها من السماء الماء[٢] ، وأنبت لها من الأرض[٣] ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ، إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

قال موسى بن عقبة : وحدّثني سالم بن عبد الله ، ولا أعلمه إلا يحدث به عن ابن عمر[٤] : أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالماً من اليهود ، فسأله عن دينهم ، فقال : إني لَعلّي أن أدينَ دينكم فأخبِرْني . فقال : إنك[٥] لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . قال زيد : وما أَفِرُّ إلا من غضب الله تعالى ، ولا أحمِلُ من غضب الله شيئاً ولا أستطيعه ، فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال دين إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله . فخرج زيد ، فلقي عالماً من النصارى ، فذَكَر مثله ، فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من [لعنة الله . قال : ما أَفِرُّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ، ولا أستطيع[٦] ، فهل تدلّني][٧] على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن تكونَ حنيفاً . قال : وما الحنيفُ ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نَصْرانياً ولا يعبد إلا الله . فلما رأى زيدٌ قولَهم في إبراهيم خرج ، فلما برزَ رَفَع يديه فقال : اللهم إني أُشْهدُك أني على دين إبراهيم .

قال[٨] : وقال الليثُ : كتب إليَّ هشامُ بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : رأيت زيدَ بن عمرو بن نفيل قائماً مسنِداً ظهرَه إلى الكعبة يقول : يا معشرَ قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري . وكان يُحيي الموؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلْها أنا أكفيك مؤونتَها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعتْ قال لأبيها : إن شئتَ دفعتُها إليك ، وإن شئت كفيتُكَ مؤونتها .

انتهى ما ذكره البخاري .

وهذا الحديث الأخير قد أسنده الحافظ ابن عساكر من طريق أبي بكر بن أبي داود ، عن عيسى بن

---

(١) قوله : كان . زيادة من ب ، والبخاري .
(٢) في ط : ماء .
(٣) زاد في ب : الكلأ . وكذلك في الروض الأنف (١/ ٢٥٦) .
(٤) في ب : ولا أعلمه يحدث به إلا عن ابن عمر .
(٥) ليست في ب ، والبخاري . وفي ط : تأخذ نصيبك .
(٦) في ب : وإني لا أستطيع . ولفظ البخاري : وأنّى أستطيع .
(٧) سقطت هذه العبارة من ط .
(٨) صحيح البخاري رقم (٣٨٢٨) ، والخبر أيضاً في سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٨) .

حماد ، عن الليث ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أسماء ، فذكر نحوَه [(١)] .

وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء قالت : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسندٌ ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش إياكم والزِّنا فإنه يورثُ الفقر [(٢)] .

وقد ساق ابن عساكر هاهنا أحاديث غريبة جداً ، وفي بعضها نَكَارة شديدة . ثم أورد من طُرق متعددة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يُبْعَثُ يوم القيامة أمة وحده » [(٣)] . فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا يوسف بن يعقوب الصفّار ، حدّثنا يحيى بن سعيد الأموي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : سُئل رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يَستقبل القبلةَ في الجاهلية ويقول : إلَهي إلَه إبراهيم وديني دينُ إبراهيم ، ويسجد . فقال رسول الله ﷺ : « يُحْشَرُ ذاكَ أمةً وحدَه بيني وبينَ عيسى بن مريم » .

إسناده جيد حسن [(٤)] .

وقال الواقدي : حدثني موسى بنُ شيبة ، عن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت سعيد بن المسيِّب يذكر زيدَ بن عمرو بن نفيل فقال : توفي وقريشٌ تبني الكعبةَ قبل أن ينزل الوحيُ على رسول الله ﷺ بخمس سنين ، ولقد نزل به وإنه ليقول : أنا على دين إبراهيم ، فأسلم ابنه سعيد بن زيد واتَّبع رسولَ الله ﷺ ، وأتى عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله ﷺ فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : « غفر الله له ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم » [(٥)] . قال فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكرٌ منهم إلا ترحَّم عليه واستغفر له . ثم يقول سعيد بن المسيب : رحمه الله وغفر له . وقال محمد بن سعد ، عن الواقدي : حدثني زكريا بن يحيى السعدي ، عن أبيه قال : مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودُفن بأصل حِراء [(٦)] ، وقد تقدم أنه مات بأرض البلقاء من الشام لمَّا عَدَا عليه قومٌ من بني لخم فقتلوه بمكان يقال له : مَيْفعة [(٧)] . والله أعلم .

وقال الباغَنْدي ، عن أبي سعيد الأشَجّ ، عن أبي معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت :

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٦) . والسيرة (١/ ٢٢٥) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ١٣١ ـ ١٣٢) . وفي مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٧) : إياكم والربا .
(٣) في ب : وحده . مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٢ ـ ١٦٦) .
(٤) هكذا قال ، ومجالد ، وهو ابن سعيد ، ضعيف .
(٥) المصدر السابق (٩/ ١٦٦) . والإصابة (١/ ٥٧٠) .
(٦) المصدر السابق (٩/ ١٦٧) .
(٧) ميفعة : وراء بطن نخل إلى النقرة بناحية نجد ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . (عن حاشية في المغازي للواقدي : ٢/ ٧٢٦) . والخبر في الأغاني (ثقافة) (٣/ ١٢١) .

قال رسول الله ﷺ : « دخلتُ الجنَة فرأيتُ لزيدِ بنِ عَمْرو بن نُفَيل دَوْحَتَيْن »[(١)] .

وهذا إسناد جيد ، وليس هو في شيء من الكتب .

ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ما قدمناه في بدء الخلق من تلك القصيدة : [من الطويل]

إلى الله أُهدي مِدْحَتي وثَنائيا ... وقَوْلاً رضياً لا يني الدهرَ باقيا

إلى الملِكِ الأعلى الذي ليس فوقَه ... إلَه ولا ربٌّ يكونُ مدانيا

وقد قيل : إنها لأمية بن أبي الصلت[(٢)] . والله أعلم .

ومن شعره في التوحيد ما حكاه محمد بن إسحاق[(٣)] والزبير بن بكار وغيرهما : [من المتقارب]

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له الأرضُ تحملُ صخراً ثِقالا

دَحاها فلمّا استوتْ شَدّها ... سواءً وأرسَى عليها الجبالا

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له المزْنُ تحملُ عَذْباً زلالا

إذا هيَ سِيقت إلى بلدةٍ ... أطاعتْ فَصَبّت عليها سِجالا

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له الريحُ تُصرَف حالاً فحالا

وقال محمد بن إسحاق[(٤)] : حدّثني هشام بن عروة قال : رَوَى أبي أن زيدَ بن عمرو قال : [من الوافر]

أربٌّ واحدٌ أم ألفُ ربٍّ ... أَدِينُ إذا تُقُسِّمَتِ الأمورُ

عَزلْتُ اللاتَ والعزّى جميعاً ... كذلك يفعلُ الجَلْد الصَّبُورُ

فلا العُزَّى أَدينُ ولا ابنَتَيْها ... ولا صَنَمَيْ بني عمروٍ أزور

ولا هُبلاً أدين وكان ربّاً ... لنا في الدهرِ إذْ حِلمي يسير[(٥)]

عجبتُ ، وفي الليالي مُعجِباتٌ ... وفي الأيامِ يعرفُها البصيرِ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٦) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير : (١/ ٥٦٤) ، عن ابن عساكر ، وحَسَّنه .

(٢) ديوان أمية (٥٣٧) ، وقد أشار د . السطلي إلى اختلاف نسبة هذه الأبيات وقال : ومن المرجح أنها منحولة غير موثّقة .

(٣) السيرة (١/ ٢٣١) ، ولم يذكر البيت الخامس . وفي سير أعلام النبلاء (١/ ١٣٢ ـ ١٣٣) ، أربعة أبيات ، مع اختلاف في الرواية . وكذلك أورد صاحب الأغاني (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢) ، ثلاثة أبيات .

(٤) السيرة (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) والروض الأنف (١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) . وفي الأغاني (٣/ ١١٨ ـ ١١٩) سبعة أبيات ، وفي مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٧) ثمانية أبيات ، وفيها بعض اختلاف في الرواية وفي الأصنام (٢٢) ثلاثة أبيات .

(٥) في الأصول : ولا غنماً . ولم أجد لها وجهاً . وكذلك في مختصر تاريخ دمشق ، ولعله تحريف . وأثبت ما في سائر مصادر الأبيات .

بـــأَنّ اللهَ قـــد أفنـــى رجـــالاً كثيـــراً كـــان شـــأنهـــمُ الفُجـــور
وأبقَـــى آخـــريـــنَ ببِـــرِّ قـــوم فَيَـرْبُـلُ منهـمُ الطفـلُ الصغيـر(١)
وبينـا المـرءُ يعثـرُ ثـابَ يـومـاً كمـا يتـروَّحُ الغُصـنُ النضيـر(٢)
ولكـنْ أعبـدُ الـرحمـنَ ربـي ليغفـرَ ذنبـيَ الـربُّ الغفـور
فتقـوى اللهِ ربكـمُ احفظـوهـا متـى مـا تحفظـوهـا لا تَبُـوروا
تـرى الأبـرارَ دارُهُـمُ جِنـانٌ وللكفّـارِ حـاميـةً سَعِيـرُ
وخِـزْيٌ فـي الحياةِ وإن يمـوتـوا يُـلاقـوا مـا تضيـقُ بـه الصـدور

[هذا تمام ما ذكره محمد بن إسحاق من هذه القصيدة](٣) .

وقد رواه أبو القاسم البَغَوي ، عن مُصعب بن عبد الله ، عن الضحَّاك بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : قال هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال زيد بن عمرو بن نفيل : [من الوافر]

عـزلـتُ الجـنَّ والجِنّـانَ عنـي كـذلـك يفعـلُ الجَلْـد الصبـور(٤)
فـلا العـزّى أديـن ولا ابنتيهـا ولا صَنَمـي بنـي طَسْـمٍ أديـر
ولا غنمـاً أديـنُ وكـان ربّـاً لنـا فـي الـدهـر إذ حِلمـي صغيـر
أربّـاً واحـداً أم ألـفَ ربٍّ أديـنُ إذا تُقُسِّمـت الأمـورُ
ألـم تعلـم بـأن الله أفنـى رجـالاً كـان شـأنهـم الفجـور
وأبقـى آخـريـن بِبِـرِّ قـوم فيـربُـو مِنهُـمُ الطفـل الصغيـرُ
وبينـا المـرء يعثـر ثـاب يـومـا كمـا يتـروّحُ الغصـنُ النضيـر

قالت : فقال وَرَقة بن نوفل(٥) : [من الطويل]

رُشِدْتَ وأُنْعِمْتَ ابنَ عمروٍ وإنما تَجَنَّبْـتَ تَنُّـوراً مـن النـار حـاميـا
لـدينِـك ربّـاً ليـس ربٌّ كمثلـه وتـركِـك جِنَّـان الجبـال كمـا هيـا

---

(١) يربل : يشب ويعظم . (الروض) .
(٢) يتروح الغصن : أي ينبت ورقه بعد سقوطه . (الروض) .
(٣) سقط من ب .
(٤) وكذلك في الأغاني .
(٥) تقدم قبل قليل أن هذه الأبيات في رثاء زيد بن عمرو .
والأبيات : ١ ـ ٢ ، في ديوان أمية بن أبي الصلت (٥٤٢) والرابع من قصيدة تروى لأمية أيضاً في ديوانه (٥٣٨) والخامس من قصيدة ثالثة لأمية (٥٢٩) .

أقولُ إذا أَهبطتُ أرضاً مَخُوفةً ... حنانيْكَ لا تُظهر عليَّ الأعاديا
حَنانَيكَ إنَّ الجن كانَتْ رَجَاءَهُم ... وأنتَ إلَهي رَبُّنا ورَجائيا[١]
لَتُدْرِكنَّ المرءَ رحْمَةُ ربِّه ... وإن كان تحتَ الأرض سبعين واديا[٢]
أدينُ لربٍّ يَسْتجيبُ ولا أرَىٰ ... أدينُ لمن لا يسمعُ الدهْرَ واعيا
أقولُ إذا صليتُ في كل بيعةٍ ... تَبارَكْتَ قد أكثرتُ باسمِك داعيا

تقدم أن زيد بن عمرو بن نُفَيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش فتنصروا إلّا زيداً ، فإنه لم يدخل في شيء من الأديان ، بل بقي على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له ، متّبعاً ما أمكنه من دين إبراهيم على ما ذكرناه[٣] .

وأما وَرَقة بن نوفل فسيأتي خبره في أول المبعث[٤] .

وأما عثمان بن الحويرث ، فأقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر[٥] . وله خبر عجيب ذكره الأموي ؛ ومختصره أنه لما قدم على قيصر فشكى إليه ما لقي من قومه كتب له إلى ابن جَفْنة مَلك عرب الشام ليجهّز معه جيشاً لحرب قريش ، فعزم على ذلك فكتبتْ إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لما رأوا من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل ، فكساه ابن جَفنة قميصاً مصبوغاً مسموماً ، فمات من سمه[٦] ، فرثاه زيد بن عمرو بن نفيل بشعر ذكره الأموي تركناه اختصاراً . وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها . والله سبحانه وتعالى أعلم[٧] .

(١) في ديوان أمية : كنت .
(٢) في ديوان أمية : ألا لن تفوت المرء رحمة ربه .
(٣) في ب : فكان من أمره ما ذكرناه .
(٤) في الجزء الثالث من هذا الكتاب .
(٥) ذكره ابن حبيب في المحبر (١٧١) تنصر ومات على النصرانية من العرب .
(٦) في ب : فمات بسببه .
(٧) انتهى الخبر في النسخة الأحمدية (أ) هنا . ثم وردت صفحة مستقلة كتب عليها : الجزء الثاني من تجزئة (المؤلف) من تاريخ الإسلام المسمى بالبداية والنهاية ، تصنيف الشيخ الإمام الهمام ، العالم المفتي المحدث ، عماد الدين إسماعيل بن كثير رحمة الله عليه .
أما في النسخة (ب) فقد وصل الكلام مباشرة بخبر كعب بن لؤي ، وذكر قبله الخبر التالي : وأما عبيد الله بن جحش فرجع إلى مكة ، وكان من جملة من أسلم وهاجر إلى الحبشة ، ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ثم عاد إلى النصرانية بأرض الحبشة ـ قبّحه الله ـ ومات هناك ، فخلف على زوجته بعده رسول الله ﷺ ، كما سيأتي ذلك في موضعه إن شاء الله ، وبه الثقة ، وعليه التكلان .
ثم أورد خبر ما وقع من الحوادث في زمن الفترة بعد ذلك . أي هناك تقديم وتأخير في إيراد الأخبار .

ذكر شيء مما وقع من الحوادث[١] في زمن الفترة

فمن ذلك بنيان الكعبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم ، وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سنده ابنُ لَهِيْعَةَ وهو ضعيف[٢] ، وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام . كما تقدم[٣] .

وكذلك رواه سِمَاك بن حرب عن خالد بن عَرْعَرة عن علي بن أبي طالب قال : ثمّ تهدَّم فبنته العمالقةُ ، ثمّ تهدّم فبنته جُرْهم ، ثم تهدّم فبنته قريش[٤] .

قلت : سيأتي بناء قريش له ، وذلك قبل المبعث بخمس سنين ، وقيل بخمس عشرة سنة . وقال الزهري : كان رسول الله ﷺ قد بلغ الحلم . وسيأتي ذلك كلّه في موضعه إن شاء الله ، وبه الثقة .

ذكر كعب بن لؤي

روى أبو نُعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة ، عن محمد بن طلحة التَّيْمي ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي سلمة ، قال : كان كعبُ بن لُؤي يجمع قومَه يوم الجمعة ـ وكانت قريش تسمّيه العَرُوْبَة[٥] ـ فيخطبهم فيقول : أما بعد ، فاسمعوا وتعلّموا ، وافْهموا واعلموا ، ليل ساج ، ونهارٌ ضاح[٦] ، والأرض مِهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجومُ أعلام ، والأوّلون كالآخرين ، والأنثى والذكر ، والزوج إلى بلًى ما يهيج[٧] . فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أَصْهارَكم ، وثَمِّروا أموالكم . فهل رأيتم من هالكٍ رَجع ؟ أو ميت نُشِر ؟ الدارُ أمامكم ، والظنُّ غيرُ ما تقولون ، حَرَمُكم زَيِّنوه وعظّموه ، وتمسّكوا به ، فسيأتي له نبأ عظيم ؛ وسيخرجُ منه نبي كريم ، ثم يقول : [من الطويل]

نهارٌ وليلٌ كلّ يوم بحادثٍ سـواءٌ علينـا ليلُهـا ونهـارهـا

---

(١) في ط : شيء من الحوادث .

(٢) عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي ، قاضي مصر ، كان يدلس عن الضعفاء . توفي سنة (١٧٤هـ) . المجروحين (٢/ ١١ ـ ١٤) .

(٣) عند ذكر قصة بناء البيت العتيق في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) وهذا سنده ضعيف أيضاً فإن خالد بن عرعرة مجهول الحال . وانظر « مختصر تاريخ دمشق » لابن عساكر (١٨/ ٢٣) .

(٥) في دلائل النبوة لأبي نعيم : وكانت قريش تسمي يوم الجمعة عَروبة . وكذلك في القاموس المحيط .

(٦) ليل ساج : يروح ويجيء ، ونهار ضاح : ظاهر مضيء .

(٧) في ط : والروح وما يهيج إلى بلى . وفي دلائل النبوة : والزوج إلى بلى صائرين . ويهيج : يثور .

يـؤوبـان بـالحـدَّاث حتـى تـأوّبـا وبـالنعَـم الضّـافـي علينـا ستـورهـا
علـى غَفْلـةٍ يـأتـي النبـيُّ محمـدٌ فيخبـرُ أخبـاراً صـدوقـاً خبيـرهـا[١]

ثم يقول : والله لو كنتُ فيها ذا سمعٍ وبصرٍ ، ويَدٍ ورِجْل ، لتنصَّبْتُ[٢] فيها تنصُّبَ الجمل ، ولأَرْقَلْت فيها إرْقالَ الفَحْل[٣] . ثم يقول : [من البسيط]

يـا ليتَنـي شـاهِـداً نجـواءَ دعـوتـه حينَ العشيرةُ تبغي الحقَّ خِذلانا[٤]

قال : وكان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله ﷺ خمسمئة عام وستون سنة[٥] .

***

ذِكْر تجديد حفر زمزم

على يدي عبد المطلب بن هاشم ، التي[٦] كان قد درس رسمُها بعد طم جُرْهُم لها إلى زمانه . قال محمد بن إسحاق : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحِجر [إذ أُتيَ فأُمِرَ بحفر زمزم][٧] . وكان أول ما ابتدأ به عبد المطلب من حَفْرها ، كما حدّثني يزيد بن أبي حبيب المصري ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَني[٨] ، عن عبد الله بن زُرَيْر[٩] الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب يُحدّث حديث زمزم[١٠] حين أُمِرَ عبدُ المطلب بحفرها قال : قال عبد المطلب : إني لنائم في الحِجر ، إذ أتاني آتٍ فقال لي : احفر طيبة[١١] . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . قال : فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي

(١) في ط : صدوق .
(٢) تنصَّبَ : قام رافعاً رأسه .
(٣) في ط : ولأرقلت بها إرقال العجل . والإرقال : الإسراع .
(٤) في دلائل النبوة : فحواء .
(٥) دلائل النبوة (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧) ، وإسناده تالف فإن ابن زبالة ، كذاب ، كما في « التقريب » .
(٦) في ب : الذي .
(٧) سقطت من ط .
(٨) في ط : المزني . وهو تحريف . واليَزَني : نسبة إلى ذي يزن بطن من حمير . واشتهر بهذه النسبة مرثد بن عبد الله اليزني ، وهو مصري ، توفي سنة تسعين للهجرة . اللباب (٣/ ٤١١) .
(٩) في أ ، وط : رزين وهو سهو . وأثبت ما في ب ، والسيرة . وعبد الله بن زُرَيْر الغافقي المصري محدث ثقة ، رُمي بالتشيع . توفي سنة ثمانين للهجرة ، أو بعدها . تقريب التهذيب (١/ ٤١٥) .
(١٠) في ب : حفر زمزم .
(١١) سميت زمزم (طيبة) لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . الروض الأنف (١/ ١٦٧) .

فنمت ، فجاءني[١] فقال : احفر بَرَّة . قال : قلت : وما بَرَّة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمتُ ، فجاءني فقال : احفر المَضْنُونة[٢] . قال : قلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال : لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمّ[٣] ، تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفَرْث والدم ، عند نُقرة الغراب الأَعْصَم[٤] ، عند قرية النمل . قال : فلما بيّنَ لي شأنها ، ودلَّ على موضعها ، وعَرَف أنه قد صدق ، غَدا بمعوله ومعَه ابنُه الحارث بن عبد المطلب ، وليس له يومئذ ولد غيره ، فحفر ، فلما بدا لعبد المطلب الطّي[٥] كَبَّر ، فعرفَتْ قريشٌ أنه قد أدرك حاجته . فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً ، فأشرِكْنا معك فيها . فقال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصصتُ به دونكم ، وأُعْطيتُه من بينكم. قالوا له : فأنصفنا ، فإنا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم مَنْ شئتم أُحاكِمُكم إليه . قالوا : كاهنة بني سعد بن هُذَيْم . قال : نَعَم . وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطّلب ومعه نفرٌ من بني أمية ، وركب من كل قبيلة من قريش نفرٌ ، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز ، حتى إذا كانوا ببعضها نفد ماء عبد المطلب وأصحابه ، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا مَن معهم ، فأبَوا عليهم وقالوا : إنا بمفازة ، وإنا نخشى على أنفسنا مثلَ ما أصابكم . [فقال عبد المطلب : إني أرى أن يحفر كلُّ رجلٍ منكم حفرته لنفسه بما لكم][٦] الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابُه في حفرته ثمّ واروه حتى يكون آخرُهم رجلاً واحداً ، فضَيْعةُ رجلٍ واحدٍ أيسر من ضيعة ركبٍ جميعاً[٧] . فقالوا : نِعمّا أمرت به . فحفر كلّ رجل[٨] لنفسه حفرة ، ثمّ قعدوا ينتظرون الموت عطشاً . ثمّ إن عبد المطلب قال لأصحابه إن إلقاءنا بأيدينا[٩] هكذا للموت لا نضرِب في الأرض ، لا نبتغي لأنفسنا لَعَجْزٌ ، فعسى أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد ، ارتحلوا[١٠] فارتحلوا ، حتى إذا بَعَثَ عبدُ المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عينُ ماء عذبٍ ، فكبّر عبد المطلب ، وكبّر أصحابُه ، ثمّ نزل فشرب

---

(١) في ب : رجعت فنمت في مضجعي فجاءني . وقيل لزمزم (برّة) : لأنها فاضت للأبرار ، وغاضت عن الفجّار . (الروض الأنف) .

(٢) سميت زمزم (المضنونة) لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين . (الروض الأنف) .

(٣) لا تنزف : لا يفرغ ماؤها ، ولا يلحق قعرها . ولا تذم : لا توجد قليلة الماء .

(٤) الأعصم من الغربان : الذي في جناحيه بياض . الروض الأنف (١/ ١٦٩) ، ففيه تفسير مطول لهذا الخبر .

(٥) في ط : الطمي . وهو تحريف . والطي : الحجارة التي تبنى على جوانب البئر .

(٦) سقطت من ب . وفي أ : بكم .

(٧) كذا في أ . والسيرة . وفي ب ، وط : جميعه .

(٨) في ب : كل منهم .

(٩) في ط : لأصحابه ألقينا بأيدينا .

(١٠) زيادة من ب ، والسيرة .

وشرب أصحابُه ، واستسقوا حتى ملؤوا أسقيتَهم ، ثم دعا قبائل قريش وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال ، فقال : هلموا إلى الماء ، فقد سقانا الله . فجاؤوا ، فشربوا واستقوا كلّهم ، ثمّ قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا ، والله ما نخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سَقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو[١] الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبين زمزم[٢] .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم . قال ابن إسحاق : وقد سمعت مَنْ يُحدّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمرَ بحفر زمزم : [من الرجز]

ثُمَّ ادعُ بالماءِ الرِّوَى غيرِ الكَدِرْ يسقي حَجيجَ الله في كل مَبَرّ[٣]
ليس يُخافُ منه شيء ما عَمَرْ[٤]

قال : فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش ، فقال : تعلّموا أني قد أُمرت أن أحفر زمزم ؟ قالوا : فهل بُيِّن لك أين هي ؟ قال : لا ! قالوا : فارجع إلى مَضْجَعك الذي رأيتَ فيه ما رأيت ، فإن يكُ حقاً من الله يبين لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعودَ إليك فرجع ، فنام[٥] . فأُتي فقيل له :

احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لن تندم . وهي تراثٌ من أبيك الأعظم . لا تنزِف أبداً ولا تُذَم . تسقي الحجيج الأعظم . مثل نَعام حافل لم يُقْسَم . ينذر فيها ناذرٌ لِمُنْعم . تكون ميراثاً وعقداً مُحْكم . ليست لبعض ما قد تعلم . وهي بين الفَرْث والدم[٦] .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال : وأين هي ؟ قيل له : عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غداً . فالله أعلم أين ذلك كان . قال : فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره، زاد الأُموي : ومولاه أصرم[٧] ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغرابَ ينقر عندها بين الوثَنَيْن إسَاف ونائلة اللذين كانت قريش تَنْحَر عندهما ، فجاء بالمعوَل وقام ليحفر حيث أُمر ، فقامت إليه قريش وقالت[٨] والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين[٩] اللذين ننحر عندهما . فقال عبد المطلب لابنه

(١) في ب ، والسيرة : لهو .
(٢) السيرة (١/ ١٤٣ ـ ١٤٥) .
(٣) ماء رِوَى ، ورَواء : كثير .
(٤) ما عَمرَ : أي ما بقي .
(٥) في ط : ونام .
(٦) السيرة (١/ ١٤٥) .
(٧) من ب وط . والأموي هو يحيى بن سعيد بن أبان الأموي الكوفي الحنفي ، المتوفى سنة (١٩١هـ) . وله كتاب في مغازي رسول الله . كشف الظنون (٢/ ١٧٤٧) .
(٨) في ب : فقالوا ، وكذلك في السيرة .
(٩) زيادة من ب توافق نص السيرة .

الحارث : ذُدْ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضيّن لما أُمرتُ به . فلما عرفوا أنه غير نازع[١] خلّوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطّي ، فكبّر ، وعرف أنه قد صُدِق . فلما تمادى به[٢] الحفر وجد فيها غزالين من ذهب اللذين[٣] كانت جرهم قد دفنتهما ، ووجد فيها أسيافاً قَلَعِيَّةً وأدرعاً . فقالت له قريش : يا عبدَ المطّلب لنا معك في هذا شِرْك وحق . قال : لا ، ولكن هَلُمّ إلى أمر نَصَفٍ بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعلُ للكعبة قدحين ، ولي قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلّف قدحاه فلا شيء له . قالوا : أنصفت . فجعلَ للكعبة قدحين أصفرين ، وله أسودين ، ولهم أبيضين ، ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هُبل ، وهُبل أكبر أصنامهم ، ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد : أُعلُ هُبَل . يعني هذا الصنم . وقام عبد المطلب يدعو الله[٤] .

وذكر يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق أن عبد المطلب جعل يقول : [من الرجز]

لا هُمّ أنتَ الملِكُ المحمود ربي فأنتَ المُبدِئُ المعيد[٥]
وممسك الراسيةِ الجلمودِ مِن عندك الطارفُ والتليد
إن شئتَ ألهمتَ كما تريد لموضع الحِليةِ والحديد
فبيّن اليوم لما تريد إني نَذَرتُ العاهدَ المعهود
اجعله ربِّ لي فلا أعود

قال[٦] : وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حلية للكعبة فيما يزعمون . ثم إن عبد المطلب أقام سِقاية زمزم للحجاج .

وذكر ابن إسحاق وغيره أن مكة كان فيها بئار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ، ثم عدّدها

(١) نزع عن الأمر نزوعاً : كف وانتهى .
(٢) زيادة من ب ، ط ، والسيرة . وفي السيرة : عرفوا أنه قد صدق .
(٣) في ط : غزالتين . . اللتين .
(٤) السيرة (١/ ١٤٥ ـ ١٤٦) . والنص القادم ليس في السيرة ، لأنه من رواية يونس ، وإنما هذب ابن هشام رواية البكائي عن ابن إسحاق .
(٥) في ط : اللهم . . . أنت .
(٦) تتمة خبر ابن إسحاق .

ابن إسحاق[١] ، وسمّاها ، وذكر أماكنها من مكة ، وحافِرِيها ، إلى أن قال : فَعفَّت زمزمُ على البئار كلّها ، وانصرف الناس كلّهم[٢] إليها ، لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ما سواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم ، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلّها وعلى سائر العرب .

وقد ثبت في صحيح مسلم[٣] في حديث إسلام أبي ذرٍّ أن رسول الله ﷺ قال في زمزم : « إنّها لَطَعامُ طُعْمٍ ، وشِفاءُ سُقْمٍ » .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا عبد الله بن الوليد ، حدّثنا عبد الله بن المؤمَّل ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ماءُ زَمزم لما شُرِب منه » .

وقد رواه ابن ماجه[٥] من حديث عبد الله بن المؤمَّل ، وقد تكلّموا فيه ، ولفظُه : « ماء زمزم لما شرب له » .

ورواه سويد بن سعيد ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عبد الرحمن بن أبي الموالي ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : « ماء زمزم لما شُرِب له » . ولكن سويد بن سعيد ضعيف . والمحفوظ عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمَّل كما تقدم[٦] .

وقد رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعاً : « ماء زمزم لما شُرب له » . وفيه نظر[٧] . والله أعلم .

وهكذا روى ابن ماجه[٨] أيضاً والحاكم[٩] عن ابن عباس أنه قال لرجل : إذا شَرِبْتَ من زمزم فاستقبلِ الكعبةَ ، واذكرِ اسمَ الله ، وتنفّس ثلاثاً ، وتضَلَّع منها[١٠] ، فإذا فرغتَ فاحمد الله فإن رسول الله ﷺ قال : « إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتضلّعون من ماء زمزم » .

وقد ذُكِرَ عن عبد المطلب أنه قال : اللهم إني لا أُحِلُّها لمغتسل ، وهي لشارب حِلٌّ وبِلٌّ . وقد ذكره

---

(١) السيرة (١/ ١٤٧ ـ ١٥٠) .
(٢) ليست في ب ، ولا في السيرة .
(٣) صحيح مسلم رقم (٢٤٧٣) ، في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي ذر ، من حديث طويل .
(٤) المسند (٣/ ٣٧٢) .
(٥) سنن ابن ماجه رقم (٣٠٦٢) ، في المناسك ، باب الشرب من زمزم . وكذلك رواه أحمد (٣/ ٣٥٧) وهو حديث حسن . وأورد الحديث ابن حبان ، عن ابن المؤمل ، في المجروحين (٢/ ٢٨) ، وقال : لم يتابَع عليه .
(٦) وهو حديث حسن .
(٧) المستدرك (١/ ٤٧٣) وهو حديث حسن .
(٨) سنن ابن ماجه رقم (٣٠٦١) في المناسك ، باب الشرب من زمزم وإسناده ضعيف لضعف تابعيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر .
(٩) المستدرك (١/ ٣٧٢) وقد سقط منه تابعيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر .
(١٠) تضلَّع منها : أي أكثر من الشرب حتى يمتلئ جنبك وأضلاعك .

بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب ، والصحيح أنه عن عبد المطلب نفسه ، فإنه هو الذي جدّد حفر زمزم كما قدمنا والله أعلم . وقد قال الأموي في « مغازيه » : حدّثنا أبو عبيد ، أخبرني يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن حَرْملة ، سمعت سعيد بن المسيِّب يحدّث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم ، قال : لا أُحلُّها لمغتسل وهي لشارب حِلٌّ وبِلٌّ . وذلك أنه جَعَل لها حَوضين : حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء . فعند ذلك قال : لا أحلّها لمغتسلٍ لينزّه المسجدَ عن أن يُغْتَسَل فيه .

قال أبو عبيد : قال الأصمعي : قوله : (وبل) إتباع قال أبو عبيد[١] : والإتباع لا يكون بواو العطف ، وإنما هو كما قال معتمر بن سليمان إن (بل) بلغة حمير مُباح[٢] ، ثم قال أبو عبيد : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن عاصم بن أبي النجود ، أنه سمع زراً ، أنه سمع العباس يقول : لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حِلٌّ وبِلٌّ . وحدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدّثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن علقمة أنه سمع ابن عباس يقول ذلك ، وهذا صحيحٌ إليهما ، وكأنهما يقولان ذلك في أيامهما على سبيل التبليغ والإعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها ، فلا ينافي ما تقدم ، والله أعلم .

وقد كانت السقاية إلى عبد المطلب أيام حياته ، ثمّ صارت إلى ابنه أبي طالب مدةً ، ثمّ اتفق أنه أملق في بعض السنين ، فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر ، وصرفها أبو طالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق بالسقاية[٣] ، فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء ، فقال لأخيه العباس : أسلفني أربعة عشر ألفاً أيضاً إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك . فقال له العباس : بشرط إن لم تُعطني تترك السقاية لي أكْفِكَها . فقال : نعم . فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطي العباس ، فترك له السقاية ، فصارت إليه ، ثمّ من بعده صارت إلى عبد الله ولده ، ثمّ إلى علي بن عبد الله بن عباس ، ثمّ إلى داود بن علي ، ثم إلى سليمان بن علي ، ثم إلى عيسى بن علي ، ثم أخذها المنصور واستناب عليها مولاه أبا رزين . ذكره الأُموي .

***

ذكر نذر عَبد المطلب ذبح أحد ولده[٤]

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب فيما يزعمون نَذَر حين لقي من قريشٍ ما لقي

---

(١) ليست في ب .

(٢) في اللسان (بلل) : قال الأصمعي : كنت أرى أن (بلاً) إتباع لحل ، حتى زعم المعتمر بن سليمان أن (بلا) : مباح في لغة حمير . النهاية في غريب الحديث (١/ ١٥٤) .

(٣) في ب : الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالرفادة .

(٤) سقط من ط : ذكر وأحد من العنوان .

عند[١] حفر زمزم : لئن وُلِد له عشرةُ نفرٍ ثمّ بلغوا معه حتى يمنعوه لَيَنْحَرنّ[٢] أحدَهم لله عند الكعبة . فلما تكامل بنوه عشرة ، وَعَرف أنهم سيمنعونه ، وهم : الحارث ، والزبير ، وحَجل ، وضرار ، والمقوّم ، وأبو لَهب ، والعباس ، وحمزة ، وأبو طالب ، وعبد الله[٣] ، جمعهم ثمّ أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله عزّ وجلّ بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كلُّ رجلٍ منكم قِدْحاً ، ثمّ يكتبُ فيه اسمَه ، ثم ائتوني . ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبَل في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدَى للكعبة ، وكان عند هُبل قِدَاح سبعة ، وهي الأزلام التي يتحاكمون إليها إذا أعضل عليهم أمر من عَقْل أو نَسَب أو أمرٍ من الأمور جاؤوا فاستقسموا بها ، فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه[٤] .

والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقدح عند هُبل خرج القدح على ابنه عبد الله ، وكان أصغرَ ولده وأحبَّهم إليه ، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله ، وأخذ الشفرةَ ، ثمّ أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا : ما تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه . فقالت له قريش وبنوه أخوة عبد الله : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر فيه ، لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا[٥] .

وذكر يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق أن العباس هو الذي اجتذب عبدَ الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبحه ، فيقال : إنه شج وجهه شجاً لم يزل في وجهه إلى أن مات .

ثمّ أشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عَرّافة لها تابعٌ فيسألها عن ذلك ، ثمّ أنت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه فاذبحه ، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه مخرج قبلته . فانطلقوا حتى أتوا المدينةَ ، فوجدوا العرّافة وهي سَجَاح[٦] ـ فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق ـ بخيبر ، فركبوا حتى جاؤوها فسألوها ، وقصَّ عليها عبدُ المطلب خبرَه وخبرَ ابنه ، فقالت لهم : ارجعوا عني اليومَ حتى يأتيني تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها . فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ، ثمّ غدوا عليها فقالت لهم : قد جاءني الخبر ، كم الدِّيةُ فيكم ؟ قالوا : عشرٌ من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرِّبوا صاحبَكم وقرّبوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت على

---

(١) كذا في ب ، وط . وهو موافق للسيرة . وفي أ : حين .
(٢) في ط : ليذبحن .
(٣) لم يذكر ابن إسحاق أسماء العشرة .
(٤) السيرة (١/ ١٥١ ـ ١٥٢) .
(٥) السيرة (١/ ١٥٣) .
(٦) وفي الروض الأنف (١/ ١٧٧) : عن عبد الغني أن اسمها : قُطبة .

صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم . فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قرّبوا عبدَ الله وعشراً من الإبل ، ثمّ ضربوا فخرج القِدح على عبد الله ، فزادوا عشراً ثمّ ضربوا فخرج القِدح على عبد الله ، فزادوا عشراً . فلم يزالوا يزيدون عشراً عشراً ويخرج القِدحُ على عبد الله حتى بلغت الإبل مئة . ثمّ ضربوا فخرج القدح على الإبل . فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب ، وهو قائم عند هُبل يدعو الله : قد انتهى ، رضيَ ربُّك يا عبد المطلب . فعندها[١] زعموا أنه قال : لا ، حتى أضرب عليها بالقداح ثلاثَ مرات ، فضربوا ثلاثاً ويقع القِدح فيها على الإبل ، فنُحِرَت ثم تُرِكَت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا يُمْنَع . قال ابن هشام : ويُقال : ولا سَبُع[٢] .

ويقال[٣] : إنه لما بلغت الإبل مئة خرج على عبد الله أيضاً ، فزادوا مئة أخرى حتى بلغت مئتين ، فخرج[٤] القدح على عبد الله ، فزادوا مئة أخرى فصارت الإبل ثلاثمئة ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ، فنحرها عند ذلك عبد المطلب . والصحيح الأول . والله أعلم .

وقد روَى ابن جرير ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزُّهْري ، عن قبيصة بن ذُؤيب أن ابن عباس سألته امرأة أنها نَذَرت ذبح ولدها عند الكعبة ، فأمرها بذبح مئة من الإبل ، وذَكَر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألتْ عبدَ الله بن عمر فلم يفتها بشيء بل توقّف . فبلغ ذلك مروان بن الحكم ، وهو أمير المدينة فقال : إنهما لم يُصيبا الفُتيا ، ثم أمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ، ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الإبل . وأخذ الناس بقول مروان في ذلك[٥] . والله أعلم .

***

ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب الزُّهْرية

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدُ المطلّب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فمرّ به ـ فيما يزعمون ـ على امرأة من بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصي ، وهي أم قتال أخت ورَقَة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصي وهي عند الكعبة ، فنظرت إلى وجهه فقالت : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي . قالت : لك مثل

(١) قوله : فعندها ليس في ب . ولا السيرة .
(٢) السيرة (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥) .
(٣) في ب ، وط : وقد روي .
(٤) في ب : فزيدت الإبل حتى بلغت مئتين فضربوا فخرج .
(٥) في ط : بذلك . تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) .

الإبل التي نُحرت عنك وقَعْ عليّ الآن . قال : أنا مع أبي ولا أستطيع خِلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهْبَ بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤي بن غالب بن فهر ، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً[١] وشرفاً ، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب ، وهي يومئذ سيدةُ نساء قومها ، فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكَها مكانه[٢] ، فوقع عليها فحملت منه برسول الله ﷺ ، ثمّ خرج من عندها فأتى المرأة التي عَرَضت عليه ما عَرَضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليَّ اليومَ ما كنتِ عرضتِ[٣] بالأمس ؟ قالت له : فارقك النورُ الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك[٤] حاجة . وكانت تسمع من أخيها وَرَقَة بن نوفل ـ وكان قد تنصَّر واتَّبع الكتبَ ـ أنه كائن في هذه الأمة نبي[٥] ، فطمعت أن يكون منها ، فجعله الله تعالى في أشرف عنصر وأكرم محتد وأطيب أصل ، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنفال : ١٢٤] .

وسنذكر المولد مفصلاً .

ومما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر تتأسف على ما فاتها من الأمر الذي رامته ، وذلك فيما رواه البيهقي من طريق يونُس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق رحمه الله : [من الوافر]

عليكَ بآلِ زهرةَ حيثُ كانوا ... وآمنةَ التي حَمَلت غلاما
نرى المهديَّ حينَ نزا عليها ... ونوراً قد تَقَدّمه أماما

[إلى أن قالت][٦] : [من الوافر]

فكلُّ الخَلْق يرجوهُ جميعاً ... يسودُ الناسَ مهتدياً إماما
براه اللهُ من نورٍ صَفَاه ... فأذهبَ نورُه عنّا الظلاما
وذلكَ صُنْعُ ربك إذ حَباهُ ... إذا ما سارَ يوماً أو أقاما
فيهدي أهلَ مكةَ بعدَ كُفرٍ ... ويفرضُ بعدَ ذلكمُ الصِّياما

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي : حدّثنا علي بن حرب ، حدّثنا محمد بن عمارة القرشي ، حدّثنا مسلم بن خالد الزنجي ، حدّثنا ابن جُريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجَه مرَّ به على كاهنة من أهل تَبَالة مُتهوِّدة قد قرأت الكتب ،

---

(١) كذا في ب ، وهو موافق لنص السيرة . وفي أ : سناءً . وفي ط : سناً .
(٢) أُملك المرأة ، بالبناء للمجهول : تزوجها .
(٣) كذا في ب ، وط ، والسيرة . وفي أ : تعرضين .
(٤) في ب : اليوم حاجة . وكذلك في السيرة .
(٥) السيرة (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧) . ودلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٦٢ ـ ١٦٧) .
(٦) قوله : إلى أن قالت . زيادة من ب ، ط .

يقال لها : فاطمة بنت مُرّ الخثعمية ، فرأت نور النبوّة في وجه عبد الله ، فقالت : يا فتى هل لك أن تقع عليَّ الآن وأُعطيكَ مئة من الإبل ؟ فقال عبد الله : [من الرجز]

أمّا الحرامُ فالمماتُ دونَهُ ... والحِلُّ لا حِلَّ فأَسْتبينه
فكيفَ بالأمرِ الذي تبغينَه ... يحمي الكريمُ عِرضَه ودينه(١)

ثم مضى مع أبيه ، فزوّجه آمنةَ بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، فأقام عندها ثلاثاً . ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الكاهنة ، فأتاها . فقالت : ما صنعتَ بعدي ؟ فأخبرها . فقالت : والله ما أنا بصاحبة رِيبة ، ولكني رأيتُ في وجهك نوراً ، فأردتُ أن يكون فيَّ . وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت فاطمة تقول : [من الكامل]

إنّي رَأيتُ مَخِيْلةً لَمَعتْ ... فتلألأتْ بِحَنَاتِم القَطْرِ(٢)
فَلَمَأْتُها نُوْراً يُضيء له ... ما حولَه كإضاءةِ البَدرِ(٣)
ورجوتُها فخراً أبوءُ به ... ما كلُّ قادحِ زَنْدِه يُورِي
لله ما زُهريَّةٌ سلبت ... ثوبَيْك ما استَلبت وما تدري(٤)

وقالت فاطمة أيضاً : [من الطويل]

بني هاشمٍ قد غادرتْ من أخيكُمُ ... أمينةُ إذ للباهِ يَعْتَركانِ
كما غادرَ المصباحُ عند خُموده ... فتائلَ قد مِيثَت له بدِهانِ(٥)
وما كل ما يحوي الفتى من تِلادهِ ... بحزمٍ ولا ما فاتَه لِتَواني
فأَجملْ إذا طالبتَ أمراً فإنه ... سيكفيكَه جَدّانِ يعتلجانِ(٦)
سيكفيكه إما يدٌ مقفعلَّةٌ ... وإما يدٌ مبسوطةٌ ببنانِ(٧)
ولما حَوت منه أمينة ما حوت ... حوت منه فخراً ما لذلك ثانِ(٨)

وروى الإمام أبو نعيم الحافظ في كتاب « دلائل النبوة » من طريق يعقوب بن محمد الزهري ، عن

---

(١) قوله : يحمي الكريم عرضه ودينه . زيادة من ط والروض الأنف .
(٢) المَخِيلة : السحابة تخالها ماطرة . الحناتم : السحائب السود .
(٣) لمأتها : أبصرتها . وفي دلائل النبوة : فلمائها .
(٤) أورد الخبر كذلك أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ١٦٤ ـ ١٦٦) . وهو في الروض الأنف (١/ ١٨٠) .
(٥) ميثت : خُلطت .
(٦) الجد : الحظ .
(٧) في ط : مقفللة . ومقفعلة : متشنجة منقبضَة .
(٨) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/١٦٦) .

عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبي عَون[١] ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ، عن ابن عباس قال : إن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء ، فنزل على حَبْرٍ من اليهود ، قال : فقال لي رجلٌ من أهل الديور ، يعني أهل الكتاب : يا عبد المطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك ؟ قال : نعم إذا لم[٢] يكن عورة . قال : ففتح إحدى مَنْخَرَيّ فنظر فيه ، ثمّ نظر في الآخر فقال : أَشْهدُ أن في إحدى يديك مُلكاً ، وفي الأخرى نُبُوَّة ، وإنّا نجد ذلك في بني زُهْرة ، فكيف ذلك ؟ قلت : لا أدري . قال : هل لك من شاعة ؟ قلت : وما الشاعة ؟ قال : زوجة . قلت : أمّا اليوم فلا . قال : فإذا رجعت فتزوج فيهم . فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهْب بن عبد مناف بن زهرة ، فولدت حمزة وصفية ، ثمّ تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب ، فولدت رسول الله ﷺ فقالت قريش حين تزوّج عبد الله بآمنة : فَلَجَ ، أي : فاز وغلب عبد الله على أبيه عبد المطلب[٣] .

* * *

(١) هو مولى المسور بن مخرمة . وفي ط : ابن عون . وهو خطأ .
(٢) في ب : فقلت نعم ما لم يكن .
(٣) دلائل النبوة (١/ ١٦١ ـ ١٦٢) .

كتاب سيرة رسول الله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[١] . ولما سأل هِرَقْلُ ملكُ الروم لأبي سفيان تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال : كيف نَسَبُهُ فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسَب . قال : كذلك الرُّسُلُ تُبعث في أنساب قومها . يعني في أكرمها أحساباً وأكثرِها قبيلة صلواتُ الله عليهم أجمعين .

فهو سيِّد ولدِ آدم ، وفخرُهم في الدنيا والآخرة ، أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، محمد ، وأحمد ، والماحي الذي يُمْحَى به الكفر ، والعاقِبُ الذي ما بعدَهُ نَبِيّ ، والحاشِرُ الذي يُحْشَرُ الناس على قدميه[٢] ، والمُقَفِّي[٣] ، ونبيُّ الرحمة ، ونبيُّ التوبة ، ونبيُّ المَلْحَمة ، وخاتم النبيين ، والفاتح ، وطه ، ويٰس ، وعبد الله .

قال البيهقي[٤] : وزاد بعضُ العلماء فقال : سماه الله في القرآن رسولاً ، نبيّاً ، أُمِّيّاً[٥] ، شاهداً ، مُبَشِّراً ، نذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنِه وسراجاً منيراً ، ورَؤُوفاً رحيماً ، [ونذيراً مبيناً] ، ومُذَكِّراً . وجعله رحمةً ونعمةً وهادياً ، [وسمَّاه عبداً] .

وسنورد الأحاديث المرويَّة في أسمائه عليه [الصلاة و][٦] السلام في بابٍ نَعْقِدُهُ بعد فراغ السيرة ؛ فإنه قد وردت أحاديث كثيرة في ذلك ، اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران : البيهقيّ ، وأبو القاسم بن عساكر . وأفرد الناسُ في ذلك مصنفات[٧] حتى رام بعضُهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم . وأما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي المالكي شارحُ الترمذي بكتابه الذي سمَّاه الأَحْوَذِي[٨] ، فإنه ذكر من ذلك أربعة وستين[٩] اسماً . والله أعلم .

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٤) ، في الأصل « رسالاته » وقرأ ابن كثير وحفص بالتوحيد : رسالته ، وبالجمع قراءة الباقين . الكشف (١/ ٤٤٩ ، ٤٥٠) .

(٢) معناه : على عهده وزمنه ، أي ليس بعده نبي إلى يوم القيامة والحشر ؛ وقيل : يُحشر الناس أمامي وقُدَّامي ؛ أي يجتمعون إليَّ يوم القيامة . مشارق الأنوار(١/ ٢١٣) واللسان (حشر) .

(٣) المقفِّي : المولِّي الذاهب ، فكأن المعنى أنه آخر الأنبياء ، المتَّبع لهم ، فإذا قَفَّى فلا نبي بعده . اللسان (قفي) .

(٤) في دلائل النبوة (١/ ١٦٠) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) في (ح ، ط) : أمينا ، والمثبت من الدلائل .

(٦) ما بين معقوفين ليس في ح وهو في ط وهكذا في سائر هذا الجزء كلما ذكر عليه الصلاة والسلام .

(٧) في ط : مؤلفات .

(٨) واسمه الكامل « عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي » .

(٩) كذا ، والذي قاله ابن العربي في عارضة الأحوذي (١٠/ ٢٨١) هو : سبعة وستون اسماً . ذكرها وعدَّها وأحصاها .

وهو ابن عبد الله، وكان أصغرَ[١] أبيه عبد المطلب، وهو الذبيح الثاني المُفَدَّىٰ بمئةٍ من الإبل كما تقدَّم[٢].

قال الزُّهْرِيّ[٣] : وكان أجملَ رجالِ قريش .

وهو أخو الحارث ، والزُّبير ، وحمزة ، وضِرار ، وأبي طالب ـ واسمه عبد مناف ـ وأبي لهب ـ واسمه عبد العُزَّى ـ والمُقَوَّم ـ واسمه عبد الكعبة ـ وقيل : هما اثنان ، وحَجْل ـ واسمه المغيرة ـ والغَيْدَاق وهو كبير الجود ـ واسمه نوفل ـ ويقال : إنه حَجْل . فهؤلاء أعمامه عليه الصلاة والسلام .

وعماته ستٌّ وهنّ : أرْوَى ، وأُميمة ، وبَرَّة ، وصَفِيَّة ، وعاتِكة ، وأمُّ حكيم ـ وهي البيضاء ـ .

وسنتكلم على كلٍّ منهم فيما بعد إنْ شاء الله تعالى .

كلُّهم أولادُ عبد المطلب ـ واسمه شَيْبَة ـ يقال : لشيبةٍ كانت في رأسه ، ويقال له : شيبة الحَمْد لجوده . وإنما قيل له : عبد المطلب ، لأنَّ أباه هاشماً لما مرَّ بالمدينة في تجارته إلى الشام ، نزل على عمرو بن زيد بن لَبِيد بن حَرَام بن خِدَاش بن خِنْدِف بن عَدِيِّ بن النجَّار[٤] الخَزْرَجي النجَّاري ، وكان سيِّدَ قومه ، فأعجبَتْه ابنتُه سَلْمى ، فخطبها إلى أبيها فزوَّجها منه ، واشترط عليه مقامها عنده ؛ وقيل : بل اشترط عليه أنْ لا تلد إلا عنده بالمدينة ، فلمَّا رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة ، فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حُبْلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزَّة ، ووضعت سَلْمى ولدَها فسمَّتْه شَيْبَة ؛ فأقام عند أخواله بني عديِّ بن النجَّار سبعَ سنين ، ثم جاء عمُّه المطلب[٥] بن عبد مَنَاف ، فأخذه خُفْيَةً من أمه ، فذهب به إلى مكة . فلما رآه الناس ورأَوْهُ على الراحلة قالوا : من هذا معك ؟ فقال : عبدي ثم جاؤوا فهنَّؤوه به ، وجعلوا يقولون له : عبد المطلب لذلك ؛ فغلب عليه ، وساد في قريش سيادةً عظيمة ، وذهب بشرَفهم ورياستهم . فكان جماعُ أمْرِهم عليه ، وكانت إليه السِّقايةُ والرِّفادة بعد المطلب ، وهو الذي جدَّد حفر زَمْزَم بعدما كانت مَطْمومةً من عهد جُرْهُم ، وهو أوَّلُ من حَلَّى الكعبة بذهب في أبوابها من تينك الغزالتين[٦] اللتين من ذهب ، وجدهما في زمزم مع تلك الأسياف القَلَعية[٧] .

---

(١) فوقه في (ح) إحالة ، وفي الهامش : وَلَدِ ، وفوقها (خ) إشارة إلى رواية نسخة أخرى ، وهي رواية ط .
(٢) ص١١ ـ ١٣ من هذا الجزء .
(٣) قول الزهري في دلائل النبوة لأبي نعيم (ص٣٩) ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ٨٧) .
(٤) كذا في ح ، ط ونسبه في الجمهرة لابن الكلبي (ص٩٦) وجمهرة ابن حزم (ص١٤) هكذا : عمرو بن زيد بن لبيد بن خِدَاش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .
(٥) في ح : عبد المطلب ، وشطبت كلمة عبد بخط ضعيف ، وجاء محذوفاً في ط وهو الصواب .
(٦) في ح : تلك الغزالين والمثبت من ط .
(٧) « القلعية » : نسبة إلى القَلَعة ، بفتح القاف واللام ، وهي موضع بالبادية تنسب إليه السيوف ، اللسان (قلع) .

قال ابن هشام[١] : وعبد المطلب أخو أسد ، ونَضْلَة[٢] ، وأبي صَيْفي ، وحَيَّة ، وخالدة ، ورُقَيَّة ، والشِّفَاء ، وضعيفة .

كلُّهم أولاد هاشم ، واسمه عمرو ، وإنما سُمي هاشماً لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سِنيِّ المَحْل ، كما قال مطرود بن كعب الخُزَاعي في قصيدته ، وقيل للزِّبَعْرَىٰ والد عبد الله : [من الكامل]

عَمْرو الذي هَشَم الثريدَ لقومِهِ ورجالُ مكةَ مُسنِتون عِجافُ
سُنَّتْ إليْه الرِّحْلَتانِ كلاهما سَفَرُ الشتاءِ ورِحلةُ الأصياف[٣]

وذلك لأنه أول من سنَّ رِحْلتي الشتاءِ والصيف ، وكان أكبرَ ولد أبيه .

وحكى ابنُ جرير[٤] أنه كان تَوْأَمَ أخيه عبد شمس ، وأنَّ هاشماً خرج ورجلُه ملتصقةٌ برأس عبد شمس ، فما تخلَّصت حتى سال بينهما دم ، فتفاءل[٥] الناس بذلك أنْ يكون بين أولادهما حروب ، فكانت وقعة بني العباس مع بني أمية بن عبد شمس سنة ثنتين[٦] وثلاثين ومائة من الهجرة .

وشقيقهم الثالث المطلب ، وكان المطلب أصغرَ ولد أبيه ، وأمُّهم عاتكة بنت مُرَّة[٧] بن هلال .

ورابعهم نوفل ، من أم أخرى ، وهي واقِدَة بنت عمرو المازنيَّة . وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم ، وصارت إليهم الرياسة ، وكان يقال لهم : المُجِيرون ؛ وذلك لأنهم أخذوا لقومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم ليدخلوا في التجارات إلى بلادهم ، فكان هاشم قد أخذ أماناً من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشي الأكبر ملك الحبشة ، وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة ، وأخذ لهم المطلبُ أماناً من ملوك حمير . ولهم يقول الشاعر : [من الكامل]

يا أيها الرجلُ المحوِّلُ رَحْلَه ألاَّ نـزلـتَ بـآلِ عبـدِ منـافِ[٨]

---

(١) السيرة النبوية (١/ ١٠٧) بخلاف في اللفظ .
(٢) في ح ، ط : فضلة ، تصحيف ، والمثبت من الاشتقاق (ص ٦٩) .
(٣) البيتان في سيرة ابن هشام (١/ ١٣٦) وتاريخ الطبري (٢/ ٢٥١ ، ٢٥٢) وأمالي المرتضى (٢/ ٦٩) وجمهرة الكلبي ، وفي حاشيته (ص ٩٢ ، ٩٣) مصادر أخرى في تخريجه ، وفي البيت الأول إقواء .
(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٢٥٢) .
(٥) قد تقرأ في ح : فقال وكذا هي في ط وهو تصحيف ، ولإزالة اللبس كتبها الناسخ في الهامش بشكل واضح تحت كلمة بيان . ولفظ الطبري في تاريخه : فتُطُيِّر من ذلك ، فقيل تكون بينهما دماء . والفأل يكون فيما يحسن وما يسوء اللسان (فأل) .
(٦) كتب فوقها في (ح) : ثلاث ، وهو ما أُثبت في ط : وذِكْرُ من قتل من بني أمية ، ساقه ابن الأثير في الكامل (٥/ ٤٢٩ ، ٤٣٠) في حوادث سنة ١٣٢هـ .
(٧) في الاشتقاق (ص٣٧) : عاتكة بنت مُرّ إحدى بني سُلَيم .
(٨) الشاعر هو مطرود بن كعب الخزاعي كما تقدم في البيتين السابقين ، وهو من أبيات يبكي فيها عبد المطلب وبني =

وكان إلى هاشم السقايةُ والرِّفادَةُ[١] بعد أبيه ، وإليه وإلى أخيه المطلب نسَبُ ذوي القُرْبَى ، وقد كانوا شيئاً واحداً في حالتي الجاهلية والإسلام لم يفترقوا ، ودخلوا معهم في الشِّعْب ، وانخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل ، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته[٢] : [من الطويل]

جَزَى اللهُ عَنَّا عبدَ شمسٍ ونَوْفلاً عُقوبةَ شرٍّ عاجلاً غَيْرَ آجلِ

ولا يُعْرف بنو أبٍ تباينوا في الوفاة مثلهم ؛ فإنَّ هاشماً مات بغزَّةَ من أرض الشام ، وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بَسَلامَان[٣] من أرض العراق ، ومات المطلب ـ وكان يقال له : القمر لحُسْنه ـ بِرَيْمَان من طريق اليمن . فهؤلاء الأخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب . ولهم أخ خامس ليس بمشهور ، وهو أبو عمرو واسمه عبد[٤] ، وأصل اسمه عبد قُصَيّ ، فقال الناس عبد بن قُصَيّ ، دَرَج[٥] ولا عقب له . قاله الزُّبير بن بكَّار وغيره .

وأخوات ستّ ، وهنّ : تُماضِر ، وحَيَّة ، ورَيْطَة ، وقِلابة ، وأم الأخْثَم ، وأم سفيان .

كلُّ هؤلاء أولاد عبد مناف ، ومناف اسم صنم ، وأصل اسم عبد مناف : المغيرة . وكان قد رأَس في زمن والده ، وذهب به الشرفُ كلَّ مذهب ـ وهو أخو عبد الدار الذي كان أكبر ولد أبيه ، وإليه أوصى بالمناصب كما تقدَّم . وعبد العُزَّى ، وعَبْد ، وبرَّة ، وتَخْمُر ، وأمُّهم كلهم حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبْشِيَّة[٦] بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخُزَاعي ، وأبوها آخر ملوك خزاعة ، وولاة البيتِ منهم .

وكلُّهم أولاد قُصَيّ واسمه زيد .

وإنما سُمِّي بذلك ، لأن أمه تزوجت بعد أبيه بربيعة بن حَرَام بن عُذْرة[٧] ، فسافر بها إلى بلاده وابنُها صغير ، فسمي قصيّاً لذلك . ثم عاد إلى مكة وهو كبير .

= عبد مناف . انظر سيرة ابن هشام (١/ ١٧٨) والروض الأنف (١/ ٢٠٣) وفيهما : هلا نزلت بإبدال الهمزة هاءً ، وهو جائز كما في الجنى (ص ٥٠٩) .

(١) في ح : الوفادة ، وهو تصحيف ، والمثبت من ط . والرِّفادة شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية ، فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم ، فيشترون به للحاج الجُزُر والطعام والزبيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج . وأما السِّقاية فهي ما كانت قريش تسقيه الحجّاج من الزبيب المنبوذ في الماء . اللسان (رفد ، سقي) .

(٢) البيت في ديوانه (ص٨) والقصيدة بتمامها فيه (ص ٢ ـ ١٢) وفي سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٢ ـ ٢٨٠) .

(٣) سَلامان : ماء لبني شيبان على طريق مكة إلى العراق . معجم ما استعجم (٣/ ٧٤٥) .

(٤) في جمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٩٤) عُبيد .

(٥) درج فلان : مات وما ترك نسلاً . الأساس (درج) .

(٦) في ح ، ط : جبشي تصحيف والمثبت من الإكمال (٢/ ٤١٢) .

(٧) كذا في الأصول ، نسبَةُ إلى جده ، ولعل الصواب من عذرة ، واسم أبي حرام : ضِنَّة بن عبد كبير بن عذرة كما في الإكمال (٢/ ٤١٢) .

ولمَّ شَعَث قريش ، وجمعها من متفرِّقات البلاد ، وأزاح يدَ خُزَاعة عن البيت ، وأجلاهم عن مكة ورجع الحق إلى نصابه ، وصار رئيسَ قريش على الإطلاق ، وكانت إليه الرِّفادة[١] والسِّقاية ـ وهو سنَّها ـ والسِّدانة والحِجَابة واللواء ، ودارُه دار الندوة كما تقدم بَسْط ذلك كلِّه[٢] ـ ولهذا قال الشاعر[٣] : [من الطويل]

قُصَيٌّ ، لعَمْرِي كان يُدْعى مُجَمِّعاً ... بـه جَمـعَ اللهُ القبـائـلَ مـن فِهْـرِ

وهو أخو زُهْرَة ، كلاهما ابن كلاب أخي تَيْم ، ويَقَظة أبي مخزوم ، وثلاثتهم أبناء مُرَّة أخي عدي وهُصَيص ، وهم أبناء كعب ، وهو الذي كان يخطب قومه كلَّ جمعة ، ويبشِّرهم بمبعث رسول الله ﷺ . ويُنْشد في ذلك أشعاراً كما قدَّمنا[٤] ، وهو أخو عامر وسَامَةَ وخُزَيمة وسعد والحارث وعوف ، سبعتُهم أبناءُ لُؤَيّ أخي تَيْم الأَدْرَم ، وهما أبناء غالب أخي الحارث ومحارب ، ثلاثتُهم أبناء فِهْر ، وهو أخو الحارث ، وكلاهما ابن مالك ، وهو أخو الصَّلْت ، ويَخْلُد ، وهم بنو النَّضْر الذي إليه جماع قريش على الصحيح ، كما قدَّمنا الدليل عليه ، وهو أخو مالك ومِلْكَان وعبد مناة وغيرهم ، كلُّهم أولاد كِنانَة أخي أسد وأَسَدَة والهُوْن أولاد خُزَيمة ، وهو أخو هُذَيْل ، وهما ابنا مُدْرِكة ، واسمه عمرو أخو طابخة ، واسمه عامر ، وقَمَعَة ، ثلاثـتُهم أبناء إلياس ، وأخو إلياس هو عَيْلان والد قيس كلِّها ، وهما ولدا مُضَر أخي ربيعة . ويقال لهما : الصريحان من ولد إسماعيل ، وأخواهما أنمار وإياد تيامَنا[٥] ، أربعتهم أبناء نزار أخي قضاعة ـ في قول طائفةٍ ممن ذهب إلى أنَّ قُضاعة حجازيّة عدنانية ـ وقد تقدَّم بيانه[٦] ، كلاهما أبناء مَعَدِّ بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء ، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب ، ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[٧] : لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسَبٌ يتصل بهم . وصدق ابن عباس رضي الله عنه فيما قال وأزِيدُ فيما[٨] قال ؛ وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهي إليه بالآباء ، وكثير منهم بالأُمَّهات أيضاً ،

---

(١) في ح : الوفادة : وهو تصحيف من الناسخ ، وتقدمت في الصفحة السابقة .
(٢) في (٢/ ٢١٠) من (ط) في الفصل الأخير منه تحت عنوان خبر قصي بن كلاب وما كان من أمره .
(٣) هو حذافة بن غانم كما في جمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٨٧ ، ٨٨) وساقه البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٥٠) مع بيت آخر ونسبهما إلى حذافة بن غانم بن عامر القرشي ، وساقه أيضاً في أبيات (١/ ٦٦) لمحقق جمهرة الكلبي حاشية على الأبيات .
(٤) في (٢/ ٢٤٤) من (ط) تحت عنوان ذكر كعب بن لؤي .
(٥) « تيامنا » : أخذا ناحية اليمن . اللسان (يمن) .
(٦) في (٢/ ١٥٦ ، ١٥٧) من (ط) تحت عنوان ذكر أخبار العرب .
(٧) سورة الشورى الآية (٢٣) وقول ابن عباس في تفسير القرطبي (١٦/ ٢١) .
(٨) في ط : مما وفي ح : كما ، والمثبت من هامشها ، حيث ذكرت تحت كلمة : أصل ، إشارة إلى الأصل المقروء على نسخة المؤلف .

كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره في أُمَّهاته وأُمَّهات آبائه وأُمَّهاتهم ما يطول ذِكره . وقد حرَّره ابنُ إسحاق[١] رحمه الله والحافظُ ابن عساكر[٢] .

وقد ذكرنا في ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه ، وأنه من ولد إسماعيل لا محالة ؛ وإن اخْتُلف في كم بينهما أباً ؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم[٣] والله أعلم .

وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان إلى آدم ، وأوردنا قصيدة أبي العباس الناشئ المتضمِّنة ذلك[٤] ، كل ذلك في أخبار عرب الحجاز ولله الحمد .

وقد تكلَّم الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه على ذلك كلاماً مبسوطاً جيداً محرَّراً نافعاً .

وقد ورد في حديث انتسابه عليه السلام إلى عدنان ، وهو على المنبر ، ولكن الله أعلم بصحته كما قال الحافظ أبو بكر البيهقي[٥] : أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر[٦] بن حفص المقرئ ـ ببغداد ـ حدّثنا أبو عيسى بكَّار بن أحمد بن بكَّار ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى بن سعيد ـ إملاءً ـ سنة ست وتسعين ومئتين ، حدّثنا أبو جعفر محمد بن أبان القَلانسيّ ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القُدَامي ، حدثنا مالك بن أنس ، عن الزُّهْري ، عن أنس ، وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن هشام . قالا : بلغ النبيَّ ﷺ أنَّ رجالاً من كِنْدة يزعمون أنهم منه وأنه منهم ، فقال : « إنما كان يقولُ ذلك العباسُ وأبو سفيانَ بنُ حَرْب فيأمنا بذلك[٧] ، وإنَّا لن نَنْتَفيَ من آبائنا ، نحن بنو النَّضْرِ بن كِنَانة » .

قال : وخطب النبيُّ ﷺ فقال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيِّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنَانة بن خُزَيْمةَ بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَرَ بنِ نِزَار ؛ وما افترق الناسُ فِرْقتين إلا جعلني الله في خيرهما[٨] فأُخْرِجتُ من بين أبويّ ، فلم يُصِبْني شيءٌ من عُهْر الجاهلية ، وخرجتُ من نكاح ولم أخْرُج من سِفَاح من لَدُن آدمَ حتى انتهيتُ إلى أبي وأمي ؛ فأنا خيركم نفساً ، وخيركم أباً » .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١) وما بعدها .

(٢) في تاريخه الكبير (السيرة النبوية ـ القسم الأول ص ٣٦ وما بعدها) .

(٣) الجزء الثاني (ص١٩٥) من نسخة (ط) .

(٤) الجزء الثاني (ص/ ٢٣٩ ـ ٢٧٦) من نسخة (ط) .

(٥) في دلائل النبوة (١/ ١٧٤) .

(٦) في ح : عمرو ، وفي الدلائل : محمد ، وكلاهما تصحيف ، والصواب من تاريخ بغداد (١١/ ٣٢٩) والإكمال (٣/ ٢٨٩) وغاية النهاية (١/ ٥٢١) .

(٧) عبارة البيهقي في الدلائل : « . . . وأبو سفيان بن حرب ، إذا قدما المدينة ليأمنا بذلك »

(٨) في ح ، ط : خيرهما ، والمثبت من الدلائل .

وهذا حديث غريب جداً من حديث مالك ، تفرّد به القُدَامي وهو ضعيف[١] . ولكن سنذكر له شواهد من وجوه أُخَر .

فمن ذلك قوله : « خرجتُ من نكاح لا من سِفَاح » . قال عبد الرزاق[٢] : أخبرنا ابنُ عُيَيْنَة عن جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٨] قال : لم يصبْهُ شيء من ولادة الجاهلية . قال : وقال رسول الله ﷺ : « إني خرجتُ من نكاح ولم أخْرُجْ من سفاح » وهذا مرسلٌ جيد .

وهكذا رواه البيهقي[٣] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصَّغاني[٤] ، عن يحيى بن أبي بُكَيْر ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله أخرجني من النكاح ، ولم يُخْرِجْني من السفاح » .

وقد رواهُ ابن عَدِي[٥] موصولاً فقال : حدّثنا أحمد بن حفص ، حدّثنا محمد بن أبي عُمر العَدَنيّ المكيّ[٦] ، حدّثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال : أشهدُ على أبي حدّثني عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عليِّ بن أبي طالب ، أنَّ النبي ﷺ قال : « خرجتُ من نكاح ، ولم أخرُج من سِفَاح ، من لَدُنْ آدمَ إلى أنْ ولدني أبي وأمي ، ولم يُصْبني من سِفَاحِ الجاهليَّة شيءٌ » .

هذا غريبٌ من هذا الوجه ولا يكادُ يصحّ[٧] .

وقال هُشَيم : حدّثنا المديني عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاحٌ كنكاح الإسلام » .

---

(١) ذكره ابن حبان في المجروحين (٢/ ٣٩ ، ٤٠) .

(٢) قول عبد الرزاق في تفسير الطبري (١١/ ٧٦) . (طبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م) ويبدو أن هذا الحديث مروي في التفسير لعبد الرزاق . وروي بنحوه في المصنف ٧/ ٣٠٣ (١٣٢٧٣) كتاب الطلاق باب الدعوة ، عن ابن جريج عن جعفر به ، أن رسول الله ﷺ قال : « أخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » .

(٣) لم أجده في الدلائل .

(٤) في ح ، ط : الصنعاني وهو تصحيف ، والمثبت من اللباب (٢/ ٢٢٩ ، ٢٤٣) وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٢) .

(٥) لم أجد الحديث في الكامل لابن عدي ، وإنما أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/ ٤٠٢) من طريق ابن عدي .

(٦) في ح : محمد بن أبي عمر العدوي المالكي . وفي ط : محمد بن أبي عمرو العدني المكي ، والمثبت من الكامل لابن عدي والإكمال (٦/ ٤٠٣) والأنساب للسمعاني (٨/ ٤٠٨) ولسان الميزان (٥/ ١٠٣) وأبو عمر جده واسم أبيه يحيى ، وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٦) وتهذيب التهذيب (٩/ ٥١٨) .

(٧) أحمد بن حفص منكر الحديث (الكامل ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) ، ومحمد بن جعفر متكلّم فيه (الكامل ٦/ ٢٢٣٢ ، والميزان ٣/ ٥٠٠) ، وهو مرسل أيضاً ، فكلام المصنف صحيح .

وهذا أيضاً غريب ، أورده الحافظ ابن عساكر[١] ، ثم أسنده من حديث أبي هريرة ، وفي إسناده ضعف والله أعلم .

وقال محمد بن سعد[٢] : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن عمه الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ولدت من نكاحٍ غير سِفاح »[٣] .

ثم أورد ابن عساكر[٤] من حديث أبي عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] . قال : من نبيٍّ إلى نبيّ ، حتى أُخرجت نبيّاً . ورواه عن عطاء .

وقال محمد بن سعد[٥] : أخبرنا هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال : كتبتُ للنبيِّ ﷺ خمسمئة أُمّ ، فما وجدتُ فيهنَّ سِفَاحاً ولا شيئاً مما كان من أمْر الجاهلية .

وثبت في صحيح البخاري[٦] من حديث عمرو بن أبي عمرو ، عن سعيد المَقبُرِي ، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « بُعِثْتُ من خير قُرونِ بني آدم قرناً فقرناً ، حتى بُعِثتُ[٧] من القرن الذي كنتُ فيه » .

وفي صحيح مسلم[٨] من حديث الأوزاعي ، عن شدَّاد أبي عمار ، عن واثلة بن الأسْقع ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ اللهَ اصطفى من ولَدِ إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

وقال الإمام أحمد[٩] : حدّثنا أبو نُعيم عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وَدَاعة قال : قال العباس : بلغه ﷺ بعضُ ما يقول الناس ، فصَعِد المنبر فقال : « مَنْ أنا ؟ » قالوا : أنت رسولُ الله . قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إنَّ الله خَلقَ

---

(١) في تاريخه (السيرة النبوية ـ القسم الأول) (ص٢٠٢) .
(٢) في الطبقات (١/ ٦١) ، وإسناده ضعيف جداً ، فإن الواقدي متروك الحديث .
(٣) يمكن أن يكون هذا الحديث بهذه الشواهد التي ذكرها المؤلف ، من حديث علي ، وابن عباس وأبي هريرة ، وعائشة ، رضي الله عنهم ، حسناً لغيره .
(٤) في تاريخه (السيرة النبوية ـ القسم الأول) ص(٢٠٢) وفي إسناده ضعف .
(٥) في الطبقات (١/ ٦٠) ، وإسناده تالف فيه هشام الكلبي وأبوه وهما تالفان .
(٦) فتح الباري (٣٥٥٧) المناقب باب صفة النبي ﷺ .
(٧) لفظ البخاري : كنت .
(٨) هكذا نسبه إلى مسلم بهذا اللفظ ، وهو وهم ظاهر ، فهذا لفظ أحمد (٤/ ١٠٧) والترمذي (٣٦٠٥) وهو عندهما من رواية محمد بن مصعب القرقساني عن الأوزاعي ، وهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ، ولم يتابع في هذه الزيادة ، فهي ضعيفة ، والحديث صحيح دون هذه الزيادة . وقد رواه مسلم بدونها رقم (٢٢٧٦) والترمذي (٣٦٠٦) وأوله عندهما (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل . . .) .
(٩) في مسنده (١/ ٢١٠) برقم (١٧٨٨) .

الخَلْقَ فجعلَني في خيرِ خَلْقِه ، وجعلهم فرقتَيْن[(١)] فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خيرِ قبيلة ، وجعلهم بيوتاً ، فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيرُكم بيتاً وخيركم نَفْساً »[(٢)] .

صلوات الله وسلامه عليه دائماً أبداً إلى يوم الدين .

وقال يعقوبُ بن سفيان[(٣)] : حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله ، إنَّ قريشاً إذا التقَوْا ، لَقِيَ بعضُهم بعضاً بالبشاشة ، وإذا لَقُونا لَقُونا بوجوهٍ لا نعرفها . فغضب رسولُ الله ﷺ عند ذلك غضَباً شديداً ثم قال : « والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يدخلُ قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحِبَّكم لله ولرسوله » فقلت : يا رسول الله ، إنَّ قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم فجعلوا مَثَلك كَمَثَلِ نخلةٍ في كَبْوَةٍ من الأرض[(٤)] . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله يوم خَلَقَ الخَلْق جعلني في خيرهم ، ثم لما فرَّقهم جعلني في خيرِ [الفريقين ، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير]هم قبيلة ، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم ، فأنا خَيْرُهم نفساً وخيرُهم بيتاً » .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة[(٥)] عن ابن فُضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن [عبد المطلب بن] ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبي ﷺ ، فذكره بنحو ما تقدَّم ولم يذكر العباس .

وقال يعقوب بن سفيان[(٦)] : حدّثني يحيى بن عبد الحميد ، حدّثنا قيس بن عبد الله[(٧)] ، عن الأعمش عن عَبَايَة بن رِبْعيّ ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله قسم الخَلْق قسمين ، فجعلني في خيرهما قسماً ، فذلك قوله : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ . . . وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الواقعة : ٢٧ و٤١] فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خيرُ أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثاً ، فجعلني في خيرها ثُلثاً ، فذلك قوله :

---

(١) في (ح) فريقين : والمثبت من ط والمسند .

(٢) وأخرجه الترمذي (٣٥٣٢ و٣٦٠٨) : عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري عن سفيان ، وقال : هذا حديث حسن . قلنا : يزيد بن أبي زياد ضعيف وكان يضطرب فيه وكذلك اقتصر الترمذي على تحسينه .

(٣) في المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٥ ، ٤٩٧) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) قال شمر : قوله في كبوة . لم نسمع فيها من علمائنا شيئاً ، ولكنا سمعنا الكِبَا والكُبَة ، وهو الكناسة والتراب الذي يكنس من البيت : وقال ابن الأثير : فإن صحت الرواية بها فوجهه أن تطلق الكَبْوَة ، وهي المرة الواحدة من الكَسْح ، على الكساحة والكناسة . اللسان (كبو) .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١١٦٨٥) كتاب الفضائل باب ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ ، وما يأتي بين معقوفين منه .
وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٦١١) المناقب باب ما جاء في فضل النبي ﷺ بنحوه عن يوسف بن موسى القطان البغدادي عن عبيد الله بن موسى . وقال : هذا حديث حسن . أقول : وفي إسناده ضعف .

(٦) في المعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٨) .

(٧) كذا في ح ، ط : ولم أجد لقيس هذا رواية عن الأعمش ، واكتفى الفسوي بذكر اسمه ، وذكر المحقق في الحاشية أنه قيس بن الربيع ، وهو الصواب الذي نص عليه المزي في ترجمة يحيى بن عبد الحميد الحماني من تهذيب الكمال (٣١/ ٤٢٠) .

﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ [الواقعة : ٨] ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠] فأنا من السابقين ، وأنا خيرُ السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل ، فجعلني في خيرها قبيلة ، فذلك قوله : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] وأنا أتقى ولدِ آدمَ وأكرمُهم على الله ولا فخر ؛ ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً ، وذلك قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . فأنا وأهلُ بيتي مطهَّرون من الذنوب .

وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة(١) .

وروى الحاكم والبيهقي(٢) من حديث محمد بن ذكوان ـ خال ولد حماد بن زيد ـ عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر قال : إنا لقعودٌ بِفِنَاءِ النبيِّ ﷺ إذْ مرَّتْ به امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنةُ رسولِ الله ﷺ . قال أبو سفيان : مَثَلُ محمد في بني هاشم مَثَلُ الرَّيحانة في وسط النَّتْن . فانطلقتِ المرأةُ فأخبرتِ النبيَّ ﷺ فجاء رسولُ الله ﷺ يُعْرَف في وجهه الغَضَبُ فقال : « ما بالُ أقوالٍ تبلغُنُي عن أقوام : إنَّ الله خلق السمواتِ سبعاً ، فاختار العُلْيا منها فأسكنها مَنْ شاءَ من خلقه ، ثم خلق الخَلْق فاختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مُضَر ، واختار من مُضَر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ؛ فأنا من خيار إلى خيار ، فمَنْ أحبَّ العرب فبحبِّي أَحبَّهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » .

وهذا أيضاً حديثٌ غريب .

وثبت في الصحيح(٣) أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أنا سيِّدُ ولدِ آدم يومَ القيامةِ ولا فَخْر » .

وروى الحاكم والبيهقي(٤) أيضاً من حديث موسى بن عُبيدة ، حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل ، عن الزُّهْري عن أبي أسامة وأبي سلمة(٥) ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسولُ الله ﷺ : « قال لي جبريل : قلَّبت الأرض من مشارقها ومغاربها فلم أجدْ رجلاً أفضلَ من محمد ، وقلَّبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضلَ من بني هاشم » .

قال الحافظُ البيهقيّ(٦) : وهذه الأحاديث وإنْ كان في رواتها من لا يُحْتَجُّ به(٧) ،

(١) إسناده تالف قيس بن عبد الله لا نعرفه ، وإن كان محرفاً عن قيس بن الربيع ـ وهو الأرجح ـ فهو ضعيف كما هو مبين في تحرير التقريب (٣/ ١٨٦) ، وعباية بن ربعي شيعي ضعيف (الميزان ٢/ ٣٨٧) ومن المحتمل أن الأعمش أخذه عن موسى بن طريف (وهو كذاب كما في الميزان ٤/ ٢٠٨) عن عباية ، فدلسه .
(٢) الحاكم في المستدرك (٤/ ٧٣) والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٧١) . أقول : وإسناده ضعيف .
(٣) مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٤) في دلائل النبوة (١/ ١٧٦) والطبراني في « الأوسط » رقم (٦٢٨٥) وإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي .
(٥) في الدلائل : عن أبي سلمة فقط .
(٦) في الدلائل (١/ ١٧٦) .
(٧) في المطبوع من الدلائل : « يصح به » وهو تحريف .

فبعضها يؤكِّدُ بعضاً ، ومعنى جميعها يرجعُ إلى حديثِ واثلةَ بن الأسْقَع[١] ، والله أعلم .

قلت : وفي هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبيَّ ﷺ : [من الطويل]

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعَبْدُ مَنَافٍ سِرُّها وصَمِيمُهَا[٢]
فإنْ حُصِّلتْ أشرافُ عبدِ مَنافِها ... ففي هاشِمٍ أشرافُها وقَدِيمُهَا
وإنْ فَخَرتْ يوماً فإنَّ محمداً ... هو المُصْطَفى من سِرِّها وكريمُها
تداعَتْ قريشٌ غَثُّها وسَمينُها ... علينا فلم تَظْفَرْ وطاشَتْ حُلُومُها
وكُنَّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخُدودِ نُقِيمُها
ونَحْمي حِماها كلَّ يوم كَريهةٍ ... ونضربُ عن أحجارِها من يَرُومُها
بنا انتعشَ العُودُ الذَّوِيُّ وَإنَّما ... بأكنافنا تَنْدَىٰ وتَنْمىٰ أُرُومُها[٣]

وقال أبو السُّكَين[٤] زكريا بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور : حدَّثني عمُّ أبي ـ زَحْرُ بن حِصْن ـ عن جدِّه حُميد بن مُنْهِب قال : قال جَدِّي خُرَيم بن أوس : هاجرتُ إلى رسول الله ﷺ ، فقدِمْتُ عليه منصرفَهُ من تَبُوك ، فأسلمتُ ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله ، إني أريد أن أمتدحك . فقال رسول الله ﷺ : « قل لا يَفْضُضِ اللهُ فاك » . فأنشأ يقول[٥] : [من المنسرح]

من قبلها طِبْتَ في الظِّلال وفي ... مستودعٍ ، حيثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ[٦]
ثم هَبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ ... أنْتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطْفَةٌ تركبُ السَّفِينَ وقد ... ألْجَمَ نَسْراً وأهلَهُ الغَرَقُ

---

(١) في الدلائل بعد هذا : « وأبي هريرة » ، وهي زيادة مهمة .

(٢) سر الحسب : أوسطه ، يقال : فلان في سر قومه ، أي في أفضلهم . اللسان (سرر) .

(٣) قوله : الذَّوي ، من ذويَ يَذوى ـ وهي لغة ـ ذَبَلَ وضعف . وهو في (ح ، ط) « الذواء » ، والمثبت من الديوان . الأروم : جمع أرومة ، وهي الأصل . اللسان (أرم) . والأبيات في ديوان شيخ الأباطح ص٢٥ وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٩) . وإلى جانب البيت الأخير في القصيدة في ح ما نصه بلغ ، أي بلغ مقابلةً .

(٤) في (ط) : أبو السكن تصحيف ، والمثبت من ح ، وحاشية الإكمال (٢/ ٣١٥) رقم (٢) نقلاً عن عبد الغني .

(٥) الأبيات في تاريخ ابن عساكر ، السيرة النبوية ، القسم الأول (ص٢٠٩) والأسماء المبهمة للخطيب (ص٢٤٩) ومجمع الزوائد (٨/ ٢١٧ و٢١٨) وأورد ابن منظور أربعة منها في اللسان : (صلب ، خصف ، أفق ، نطق ، ظلل ، همن) . وعزيت الأربعة الأولى منها إلى حسان بن ثابت كما سيأتي ، وهي في ديوانه (١/ ٤٩٨ تحقيق وليد عرفات ط لندن ١٩٧١م) وأوردها القاضي عياض في الشفاء (١/ ١٦٧ ، ١٦٨ وزاد :

يا بَرْدَ نار الخليل ياسبباً ... لِعِصْمَة النار وهي تحترق

ورويت الأبيات بتمامها مع زيادات مشروحة في شرح المواهب (٣/ ٩٨ ـ ١٠٠) .

(٦) أي في الجنة حيث خصف آدم وحوَّاء ـ عليهما السلام ـ عليهما من ورق الجنة . أي يلزقان بعضه على بعض ليسترا به عورتهما ، أي يطابقان بعض الورق على بعض . اللسان (خصف) .

تُنْقَلُ من صَالَبٍ إلى رَحِمٍ إذا مضى عالَمٌ بَدَا طَبَقُ[١]
حتى احْتَوى بَيْتُكَ المُهَيْمِنُ من خِنْدِفَ علياءَ تحتها النُّطُقُ[٢]
وأنتَ لما وُلِدْتَ أشرقَتِ الْـ أرْضُ وضاءَتْ بنورِكَ الأُفُقُ[٣]
فنحن في ذلك الضِّياءِ وفي الْـ نُورِ وسُبْلَ الرشادِ نَخْتَرِقُ[٤]

وقد رُوي هذا الشعر لحسان بن ثابت ؛ فروى الحافظُ أبو القاسم بن عساكر[٥] من طريق أبي الحسن بن أبي الحديد ، أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر ، أخبرنا عبد السلام بن أحمد بن محمد[٦] القرشي ، حدّثنا أبو حَصِين محمد بن إسماعيل بن محمد التميمي ، حدّثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني ، حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن بَيَان[٧] ، حدثنا سلاَّم بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائني ، حدّثنا ورقاء بن عمر ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن عطاء ومجاهد ، عن ابن عباس قال : سألتُ رسول الله ﷺ فقلت : فداك أبي وأمي ، أين كنتَ وآدم في الجنة ؟ قال : فتبسَّم حتى بَدَتْ نواجذه ثم قال : « كنت في صُلْبه ورُكِبَ بي السفينة في صُلْب أبي ـ نوح ـ وقُذِف بي في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتقِ أبوايَ على سفاحٍ قطّ ، لم يزل الله ينقلُني من الأصلاب الحَسِيبة إلى الأرحام الطاهرة ، صفتي مَهْدي ، لا تتشعَّب شعبتانِ إلا كنتُ في خيرهما ، وقد أخذ الله بالنبوَّةِ ميثاقي ، وبالإسلام عهدي ، ونشر في التوراةِ والإنجيلِ ذِكري ، وبيَّن كلُّ نبيٍّ صفتي ، تشرق الأرضُ بنوري ، والغمامُ لوجهي وعلَّمني كتابه ـ ورُوي :

---

(١) أراد بالصالَب الصُّلْب . والطبق : القرن ، أراد : إذا مضى قرن ظهر قرن . اللسان (صلب ، طبق) . والصالب : بفتح اللام ، كذا ضبط في اللسان ضبط قلم ، وفي القاموس وشرحه بكسرها ضبط قلم أيضاً وذكر محقق التاج أن الكسر ضبط التكملة أيضاً .

(٢) « النُّطق » : جمع نطاق ، وهي أوساط الجبال العالية ، وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض ، أي نواحٍ وأوساط منها ، شبهت بالنطق التي يشد بها أوساط الناس ؛ ضربه مثلاً له في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته ، وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال ، وأراد ببيته شرفه . والمهيمن نعته ؛ أي حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف . اللسان (نطق ، همن) . وخندف هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي امرأة الياس بن مضر ، خرجت تسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين ؟ فسميت خندف ، والخندفة ضرب من المشي . جمهرة ابن الكلبي (ص٧٥ ، ٧٦) .

(٣) أنت الأفق ذهاباً إلى الناحية ؛ وضاءت لغة في أضاءت . اللسان (أفق) .

(٤) رواية ابن عساكر : تخترق . وسكَّن الباء من « سبل » ليستقيم الوزن ، وحقها الضم . وهذا من الضرائر الشعرية الضرائر (ص١٧١) .

(٥) في تاريخ ابن عساكر ـ السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٦) في ط : عبد السلام بن محمد بن أحمد ، والمثبت من (ح) وتاريخ ابن عساكر .

(٧) في ط : سنان وهو خطأ ، وفي تاريخ ابن عساكر : بُنان ، وكذا في الإكمال (١/ ٣٦٤) وذكر محققه في الحاشية : وقيل ابن بيان ، بفتح الموحدة تليها مثناة تحت مفتوحة مخففة . كما في التوضيح . وهو ما جاء في أصلنا (ح) .

في سحابه[١] - وشقَّ لي اسماً من أسمائه ، فذو العرش محمود وأنا محمد[٢] ، ووعدَني أنْ يَحْبُوني بالحَوْضِ والكوثر ، وأن يجعلَني أولَ شافعٍ وأول مُشَفَّع ، ثمّ أخرجني من خيرِ قرنٍ لأُمتي ، وهم الحمَّادون ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » . قال ابن عباس : فقال حسان بن ثابت في النبيِّ ﷺ[٣] : [من المنسرح]

من قَبْلَها طِبْتَ في الظِّلال وفي ... مستودَعٍ يَوْمَ يُخْصَفُ الوَرَقُ[٤]
ثـم سكنْـتَ البـلادَ لا بَشَـرٌ ... أنـتَ ولا نُطفَـةٌ ولا عَلَـقُ
مُطَهَّـرٌ تـركـبُ السَّفيـنَ وقـد ... أَلْجَـمَ نَسْـراً وأهلَـهُ الغَـرَقُ
تُنْقَلُ من صالَبٍ[٥] إلى رَحِمٍ ... إذا مضـى طَبَـقٌ بَـدَا طَبَـقُ

فقال النبيُّ ﷺ : « يَرْحَمُ الله حسَّان » فقال عليُّ بن أبي طالب : وجَبتِ الجنةُ لحسَّان وربِّ الكعبة . ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث غريب جداً - قلت : بل منكر جداً[٦] - والمحفوظ أنَّ هذه الأبيات للعباس رضي الله عنه . ثم أوردها من حديث أبي السُّكين زكريا بن يحيى الطائي كما تقدم .

قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مِرْداس السُّلَمي . فالله أعلم .

تنبيه : قال القاضي عياض في كتابه « الشفا »[٧] : وأما أحمد الذي أتى في الكتب ، وبشَّرت به الأنبياء ، فمنع اللهُ بحكمته أنْ يُسمَّى به أحدٌ غيره ، ولا يُدْعَى به مدعوٌّ قَبْلَهُ ، حتى لا يدخل لَبْسٌ على ضعيف القلب أو شكّ ؛ وكذلك محمد لم يُسَمَّ به أحدٌ من العرب ولا غَيْرُهم ، إلى أن شاع قُبَيل[٨] وجوده [ﷺ] وميلاده ، أنَّ نبيًّا يُبعث اسمُه محمد ؛ فسمَّى قومٌ قليلٌ من العرب أبناءهم بذلك ، رجاءَ أنْ يكون أحدُهم هو [و] ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] وهم : محمد بن أُحَيْحَة بن الجُلاح

---

(١) يعني : وعلَّمني كتابه في سحابه ، ورواية ابن عساكر : ورواني في سحابه ، وفي (ط) : وعلمني كتابه وزادني [شرفاً] في سمائه .
(٢) زادت (ط) : وأحمد ، وليست هذه الزيادة في (ح) ولا في تاريخ ابن عساكر .
(٣) انظر تخريج الأبيات (ص ٢٧) الحاشية (٤) من هذا الجزء .
(٤) كذا رواية البيت في (ح) وتاريخ ابن عساكر . وقد أصابه زحاف الخَبْل في أوله بحذف « من » .
(٥) في (ح) : صلبة ، وفي تاريخ ابن عساكر ، صلب ، والمثبت من اللسان والرواية التي في الصفحة السابقة .
(٦) أثبت في هامش (ح) بخط مغاير تحت كلمة فائدة ما يأتي : ذكر ابن عراق في « تنزيه الشريعة » أن ابن عساكر كثيراً ما يقتصر في وصف الحديث بالنكارة ، وهو عنده موضوع ، يعرف ذلك بمراجعة كتابه . انتهى .
قلت : هو علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الكناني المتوفى سنة ٩٦٣هـ في كتابه « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » .
(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٢٢٩ ، ٢٣٠) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٨) في ح ، ط : قبل ، والمثبت من الشفا .

الأوْسي ، ومحمد بن مَسْلَمة[١] الأنصاريّ ، ومحمد بن البراء البكري[٢] ، ومحمد بن سفيان بن مُجَاشِع ، ومحمد بن حُمْران الجُعْفِيّ ، ومحمد بن خُزَاعي السُّلَمي لا سابع لهم . ويقال : إنَّ أول من سُمِّي محمداً : محمد بن سفيان بن مجاشع ؛ واليَمَنُ تقول : بل محمد بن الْيُحمد من الأزْد . ثم إنَّ الله حمى كلَّ من تسمَّى به أن يَدَّعي النبوَّة أو يدَّعِيها له أحد ، أو يظهر عليه سببٌ يشكِّك أحداً في أمْرِه ، حتى تحقَّقت السِّمَتان[٣] له ﷺ [و] لم ينازَعْ فيهما .

هذا لفظه .

باب مولد رسول الله ﷺ تسليماً كثيراً

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين . لما رواه مسلم في صحيحه[٤] من حديث غَيْلان بن جَرِير سمع عبد الله بن معبد الزِّمَّاني ، عن أبي قتادة ، أن أعرابيّاً قال : يا رسول الله ! ما تقول في صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يوم وُلِدْتُ فيه ، وأُنْزِل عليَّ فيه » .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا موسى بن داود ، حدّثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حَنَش الصَّنْعاني ، عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، واستُنبئ يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ورفع الحَجَر الأسودَ يوم الاثنين . تفرّد به أحمد .

ورواه ابن عُفَير وابن بُكَير[٦] عن ابن لَهِيعة ، وزاد : نزلت سورة المائدة يوم الاثنين : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] .

وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به ، وزاد أيضاً : وكانت وقعة بدر يوم الاثنين . وممن قال هذا يزيد بن أبي حَبيب[٧] ، وهذا منكر جداً .

---

(١) في ح ، ط : سلمة ، والمثبت من الشفا وسيرة ابن هشام (١/ ٦٨٦) .

(٢) في ح ، ط : الكندي ، تحريف ، والمثبت من الشفا ، والإصابة (٣/ ٥٠٩) .

(٣) في ط : الشيمتان والمثبت من ح والشفا .

(٤) صحيح مسلم (١٩٧) الصيام باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر .

(٥) في مسنده ١/ ٢٧٧ رقم (٢٥٠٦) ، وإسناده ضعيف بطوله لضعف ابن لهيعة وعند مسلم عن أبي قتادة رقم (١١٦٢) (١٩٨) أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال : « فيه ولدت ، وفيه أنزل عليَّ » وعن عائشة عند البخاري رقم (١٣٨٧) وفيه أن أبا بكر قال لها : في أي يوم توفي رسول الله ؟ قالت : يوم الاثنين .

(٦) في (ح) : رواه ابن عفرا وأبو بكر ، وفي ط : ورواه عمرو بن عفير ، والمثبت هو الصواب إن شاء الله ، ورواية كل من سعيد بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير في تاريخ ابن عساكر السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٥٤) .

(٧) في ط : يزيد بن حبيب سقط منه لفظ أبي ، والمثبت من ح وهو يزيد بن سويد الأزدي أبو رجاء توفي سنة ١٢٨هـ ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/ ٣١) .

قال ابن عساكر[١] والمحفوظ أنَّ بدراً ونزول ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] يوم الجمعة . وصدق ابن عساكر .

وروى عبيد الله بن عمر عن كُريب ، عن ابن عباس : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين[٢] .

وهكذا روي من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين . وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد ﷺ يوم الاثنين .

وأبعدَ بل أخطأ من قال : ولد يوم الجمعة لسبعَ عشرَة خلَتْ من ربيع الأول . نقله الحافظ ابن دِحْية[٣] فيما قرأه من كتاب « إعلام الورى بأعلام الهدى » لبعض الشيعة . ثم شرع ابنُ دحية في تضعيفه ، وهو جدير بالتضعيف ، إذ هو خلاف النص . ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول ، فقيل : لليلتين خَلَتا منه . قاله ابنُ عبد البرّ في « الاستيعاب »[٤] ، ورواه الواقدي[٥] عن أبي معشر نَجِيح بن عبد الرحمن المدني .

وقيل : لثمانٍ خلَوْن منه حكاهُ الحُميدي[٦] عن ابن حزم . ورواه مالك ، وعُقَيْل ، ويونس بن يزيد ، وغيرهم ، عن الزُّهْري عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم ، ونقل ابنُ عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صحَّحوه ، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخُوَارِزْمي ، ورجَّحه الحافظ أبو الخطاب بن دحْية في كتابه « التنوير في مولد البشير النذير » .

وقيل : لعشر خلون منه . نقله ابنُ دِحْية في كتابه . ورواه ابنُ عساكر[٧] عن أبي جعفر الباقر ، ورواه مجالد عن الشعبي كما مر .

وقيل : لثنتي عَشْرة خلَتْ منه ، نصَّ عليه ابن إسحاق[٨] ؛ ورواه ابن أبي شيبة في « مصنفه »[٩] عن

---

(١) في تاريخه (السيرة النبوية ـ القسم الأول) ص٥٦ .

(٢) أخرجه ابن عساكر السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٥٥) .

(٣) هو عمر بن الحسن أبو الخطاب بن دحية الأندلسي الكلبي ، توفي سنة ٦٣٣هـ ، وكتابه الذي نقل منه المصنِّف هو التنوير في مولد البشير النذير كما سيأتي ، أو التنوير في مولد السراج المنير كما سيأتي في ترجمته (١٣/ ١٤٤ ، ١٤٥) من هذا الكتاب نسخة (ط) .

(٤) الاستيعاب (١/ ٣٠) بتحقيق البجاوي .

(٥) قول الواقدي هذا في طبقات ابن سعد (١/ ١٠٠) .

(٦) هو محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي المتوفى ٤٨٨هـ والغالب على الظن أن قوله هذا في كتابه بلغة المستعجل نسخة منه في أنقرة . تاريخ بروكلمان (٦/ ١٠٣ ـ ١٠٦) وأعلام الزركلي (٦/ ٣٢٧ ، ٣٢٨) وكشف الظنون (١/ ٢٥٢) ومقدمة جذوة المقتبس (ص٩) و(١٢/ ١٥٣) من هذا الكتاب (ط) .

(٧) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٦٢) .

(٨) قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٨) .

(٩) لم أجد هذا الحديث في مصنف ابن أبي شيبة ، وقد ذكر الهندي في كنز العمال (١٢/ ٤٤٤ ، ٤٤٥) أحاديث بنحوه=

عفَّان عن سعيد بن مِيناء عن جابر وابن عباس أنهما قالا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وفيه بُعث ، وفيه عُرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات . وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم .

وقيل : لسبعَ عشرة خلَتْ منه كما نقله ابن دِحْية عن بعض الشيعة .

وقيل : لثمانٍ بَقِين منه ، نقله ابنُ دحية من خط الوزير أبي رافع ابن الحافظ أبي محمد بن حزم ، عن أبيه . والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضين منه كما نقله عنه الحميدي وهو أثبت .

والقول الثاني : أنه ولد في رمضان ، نقله ابن عبد البر عن الزُّبير بن بكَّار ، وهو قولٌ غريبٌ جداً ، وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أُوحي إليه في رمضان بلا خلاف ، وذلك على رأس أربعين سنةً من عمره ، فيكون مولدُه في رمضان ، وهذا فيه نظر والله أعلم .

وقد روى خَيْثَمة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد ـ كُرْدُوس الواسطي ـ عن المعلَّى بن عبد الرحمن ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن الزُّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين في ربيع الأول ، وأُنزلت عليه النبوَّة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول ، وأُنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول .

وهذا غريب جداً ، رواه ابن عساكر(١) .

قال الزبير بن بكَّار : حملَتْ به أمُّه في أيام التشريق ، في شِعْب أبي طالب ، عند الجمْرة الوسطى ، وولد بمكة بالدار المعروفة بمحمد بن يوسف ـ أخي الحجَّاج بن يوسف ـ لثنتي عَشْرَة خلت من شهر رمضان .

ورواه الحافظ ابن عساكر(٢) من طريق محمد بن عثمان بن عقبة بن مكرم ، عن المسيّب بن شريك ، عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : حُمل برسول الله ﷺ في عاشوراء المحرَّم ، وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، سنة ثلاثٍ وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وذكر غيره أنَّ الخَيْزُران ـ وهي أمُّ هارون الرشيد ـ لما حجَّتْ أمرت ببناء هذه الدار مسجداً . فهو يعرف(٣) بها اليوم .

وذكر السُّهيلي(٤) أنَّ مولدَه عليه الصلاة والسلام ، كان في العشرين من نَيْسان ، وهذا أعدل الأزمانِ

= ورمز فيها إلى ابن عساكر، ولم يرمز في أي منها إلى ابن أبي شيبة . وأورده المؤلف في (٣/ ١٠٩) وقال: فيه انقطاع .

(١) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٥٥) وتمامه : وهاجر إلى المدينة في ربيع الأول وتوفي يوم الاثنين في ربيع الأول .

(٢) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٥٤) .

(٣) في ح : وتعرف بها اليوم .

(٤) قول السهيلي في الروض الأنف (١/ ١٨٤) بلفظ مختلف .

والفصول ، وذلك لسنة ثنتين وثمانين وثمانمئة لذي القرنين ، فيما ذكر أصحابُ الزِّيج . وزعموا أن الطَّالِعَ كان لعشرين درجةً من الجَدْي ، وكان المُشْتري وزُحَل مقترنَيْن في ثلاث دَرَج من العقرب وهي دَرَجَةٌ وَسْط السماء . وكان موافقاً من البروج الحَمَل ، وكان ذلك عند طلوع القمر أوَّلَ الليل .

نقله كلَّه ابنُ دِحْية والله أعلم .

قال ابن إسحاق[١] : وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل .

وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال إبراهيمُ بن المنذر الحِزَاميّ : وهو الذي لا يشكُّ فيه أحَدٌ من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام وُلد عام الفيل ، وبُعث على رأس أربعين سنةً من الفيل .

وقد رواه البيهقي[٢] من حديث أبي إسحاق السَّبيعي ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : ولد رسولُ الله ﷺ عام الفيل .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : حدَّثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمة ، عن أبيه ، عن جدِّه قيس بن مَخْرَمة ، قال : ولدتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عام الفيل ، كنا لِدَيْن[٤] .

قال : وسأل عثمانُ رضي الله عنه قَبَاثَ بن أَشْيَم أخا بني يَعْمَر بن لَيْث : أنتَ أكبرُ ، أمْ رسولُ الله ﷺ ؟ فقال : رسولُ الله ﷺ أكْبَرُ مني وأنا أقْدَمُ منه في الميلاد ، ورأيتُ خِثْيَ الفيلِ أخضرَ مُحِيلا[٥] . ورواه الترمذي[٦] والحاكم[٧] من حديث محمد بن إسحاق به .

قال ابن إسحاق[٨] : وكان رسول الله ﷺ عام عُكَاظ ابنَ عشرين سنة .

وقال ابن إسحاق[٩] : كان الفِجار بعد الفيل بعشرين سنة ، وكان بناءُ الكعبة بعد الفِجار بخمس عشرة سنة ، والمَبْعَث بعد بنائها بخمس سنين . وقال محمد بن جُبير بن مُطْعِم : كانت عُكاظ بعد الفيل بخمسَ عشرةَ سنة ، وبناء الكعبة بعد عُكاظ بعشر سنين ، والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة . وروى الحافظ

---

(١) قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٨) بلفظ مختلف .
(٢) في الدلائل (١/ ٧٥) .
(٣) قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٩) .
(٤) لفظ ابن إسحاق : فنحن لِدَان ، وفي رواية لابن عساكر ص٦٠ : لدتان ، واللِّدَة : التِرْب ، وهو الذي يولد معك في وقت واحد . تقول : هما لدان ، وهم لدات ، ولدون : انظر اللسان والتاج (ولد ، لدي) .
(٥) « خِثْيَ الفيل » : يعني روثه . و« محيل » : متغير . اللسان (خثي ، حول) .
(٦) في جامعه (٣٦١٩) في المناقب باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ وقال : حسن غريب .
(٧) المستدرك (٢/ ٦٠٣ و٣/ ٤٥٦) .
(٨) قول ابن إسحاق في المستدرك (٢/ ٦٠٣) وسيرة ابن هشام (١/ ١٨٦) .
(٩) سيرة ابن هشام (١/ ١٨٦) .

البيهقي[١] من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المديني ، حدّثنا الزُّبير بن موسى ، عن أبي الحويرث قال : سمعتُ عبد الملك بن مروان يقول لِقَبَاث بن أَشْيَم الكِنَاني ثمَّ اللَّيثي : يا قَبَاث ، أنتَ أكبرُ ، أمْ رسولُ الله ﷺ ؟ قال : رسول الله ﷺ أكبر مني ، وأنا أسنُّ ؛ ولد رسولُ الله ﷺ عام الفيل ، ووقفَتْ بي أُمِّي على رَوْث الفيل مُحِيلاً أعقله . وتُنُبِّئ رسولُ الله ﷺ على رأس أربعين سنة .

وقال يعقوب بن سفيان[٢] : [حدثنا أحمد بن الخليل] حدّثنا يحيى بن عبد الله بن بُكير ، حدّثنا نعيم ـ يعني ابنَ مَيْسَرة ـ عن بعضهم عن سُويد بن غَفَلَة قال : أنا لِدَةُ رسولِ الله ﷺ ، ولدتُ عامَ الفيل .

قال البيهقي[٣] : وقد رُوي عن سُويد بن غَفَلَة أنه قال : أنا أصغَرُ من رسولِ الله ﷺ بسنتين .

قال يعقوب[٤] : وحدّثنا إبراهيم بن المنذر : حدّثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، حدّثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان النَّوفلي ، عن أبيه ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم قال : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، وكانت بعده عُكاظ بخمسَ عشرةَ سنة ، وبُني البيت على رأس خمسٍ وعشرين سنة من الفيل ، وتنبَّأ رسولُ الله ﷺ على رأس أربعين سنة من الفيل .

والمقصود أنَّ رسولَ الله ﷺ ولد عامَ الفيل على قول الجمهور ، فقيل بعده بشهر، وقيل بأربعين يوماً ، وقيل بخمسين يوماً ـ وهو أشهر ـ وعن أبي جعفر الباقر، كان قدوم الفيل للنصف من المُحَرَّم، ومولد رسول الله ﷺ بعده بخمس وخمسين ليلة ، وقال آخرون : بل كان عامُ الفيل قبل مولد رسولِ الله ﷺ بعشر سنين . قاله ابن أَبْزَى . وقيل بثلاثٍ وعشرين سنة ، رواه شُعيب بن شعيب عن أبيه ، عن جَدِّه كما تقدم . وقيل بعد الفيل بثلاثين سنة ، قاله موسى بن عقبة عن الزُّهْري رحمه الله . واختاره موسى بن عُقْبة أيضاً رحمه الله .

وقال أبو زكريا العجلاني : بعد الفيل بأربعين عاماً . رواه ابن عساكر[٥] . وهذا غريبٌ جدّاً ، وأغربُ منه ما قال خليفة بن خيَّاط[٦] : حدّثني شعيب بن حَيَّان عن عبد الواحد بن أبي عمرو ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله ﷺ قبل الفيل بخمس عشرة سنة ، وهذا حديث غريب ومنكر وضعيف أيضاً[٧] .

قال خليفة بن خياط[٨] : والمجتمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل .

---

(١) في الدلائل (١/ ٧٧ ، ٧٨) وما بين معقوفين منه .

(٢) في المعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) وما بين معقوفين منه .

(٣) في الدلائل (١/ ٧٩) .

(٤) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٠) وهو القسم المفقود من كتابه .

(٥) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٦٣) .

(٦) في تاريخه (ص٥٣) .

(٧) لأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح باذام ، وقد قال الكلبي : « قال لي أبو صالح : كلُّ ما حدثتك كذب » (الميزان ١/ ٢٩٦).

(٨) في تاريخه (ص٥٣) .

صفة مولده الشريف عليه الصّلاة والسّلام

قد تقدَّم أنَّ عبد المطلب لما ذبح تلك الإبلَ المئة عن ولده عبد الله ، حين كان نَذَرَ ذَبْحَه فسلَّمه الله تعالى ، لما كان قدَّر في الأزل من ظهور النبيِّ الأُمِّيِّ ﷺ ، خاتم الرسل وسيِّدِ ولد آدم من صُلْبه ؛ فذهب كما تقدَّم ، فزوَّجه أشرفَ عَقِيلةٍ في قريش ، آمنةَ بنت وَهْبِ بن عبد مناف بن زُهْرَة الزُّهْرِيَّة . فحين دخل بها وأفْضَى إليها حملَتْ برسول الله ﷺ ، وقد كانت أُمُّ قِتَال رُقيقةُ بنت نَوْفل ـ أختُ وَرَقة بن نوفل ـ توسَّمَتْ ما كان بين عينَيْ عبد الله قبل أن يجامع آمنة من النور ، فودَّت أن يكون ذلك متصلاً بها لما كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد ﷺ ، وأنه قد أَزِف زمانُه ، فعرضت نفسها عليه . قال بعضهم : ليتزوجها ـ وهو أظهر والله أعلم ـ فامتنع عليها ، فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعته إياها كأنَّه تندَّم على ما كانت عرضَتْ عليه ، فتعرَّض لها لتعاوده ، فقالت : لا حاجة لي فيك . وتأسفَتْ على ما فاتها من ذلك ، وأنشدَت في ذلك ما قدَّمناه من الشعر الفَصِيح البليغ[١] .

وهذه الصِّيانة لعبد الله ليست له ، وإنما هي لرسولِ الله ﷺ ، فإنَّه كما قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] . وقد تقدَّم الحديث المرويُّ من طريق جَيِّدة : أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولدتُ من نكاح لا من سِفَاح »[٢] .

والمقصود أنَّ أُمَّهُ حين حملَتْ به توفي أبوه عبد الله وهو حَمْل في بطنِ أمه على المشهور .

قال محمد بن سعد[٣] : حدّثنا محمد بن عمر ـ هو الواقدي ـ حدّثنا موسى بن عبيدة الرَّبَذِي[٤] [عن محمد بن كعب] ، وحدّثنا سعيد بن أبي زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قالا : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في عِيرٍ من عِيَرَاتِ[٥] قريش يحملون تجارات . ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا ، فمرُّوا بالمدينة وعبدُ الله بن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال : [أنا] أتخلَّفُ عند أخوالي بني عَدِيٍّ بن النجّار . فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابُه فقدِمُوا مكة ، فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله ، فقالوا : خلَّفْناه عند أخواله بني عديٍّ بن النجّار وهو مريض . فبعث إليه

---

(١) (ص١٤) من هذا الجزء .

(٢) (ص٢٣) من هذا الجزء .

(٣) في الطبقات (١/ ٩٩) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) في ط : اليزيدي ، تصحيف ، والمثبت من ح والطبقات والإكمال (٤/ ١٤٢) وترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٥٦) .

(٥) في ح ، ط : عيران ، تصحيف ، والمثبت من الطبقات ، وعِيَرَات : كعنبات ، وقد تسكن ياؤه ، جمع عير ، وهي الإبل التي تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها . قال سيبويه : جمعوه بالألف والتاء لمكان التأنيث وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء . اللسان والتاج (عير) .

عبدُ المطلب أكبرَ ولدِهِ الحارث . فوجده قد توفِّي ، ودُفن في دار النابغة[١] ـ [وهو رجلٌ من بني عديٍّ بن النجار ، في الدار التي إذا دخلتَها فالدُّويرة عن يسارك ـ وأخبره أخوالهُ بمرضه وبقيامهم عليه ، وما وَلُوا من أمره ، وأنهم قبروه] ، فرجع إلى أبيه فأخبره ، فوَجَد[٢] عليه عبدُ المطلب وإخوتُه وأخواته وَجْداً شديداً ، ورسولُ الله ﷺ يومئذ حَمْل . ولعبد الله بن عبد المطلب يوم تُوفِّي خمسٌ وعشرون سنةً .

قال الواقدي[٣] : هذا هو أثبت الأقاويل في وفاة عبد الله وسِنِّه عندنا .

قال الواقدي[٣] : وحدّثني مَعْمَر عن الزُّهْري أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يمتارُ له تمراً فمات .

قال محمد بن سعد[٤] : وقد أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، وعن عَوَانة بن الحكم قالا : تُوفي عبد الله بن عبد المطلب بعدما أتى على رسول الله ﷺ ثمانيةٌ وعشرون شهراً ، وقيل سبعة أشهر .

وقال محمد بن سعد[٤] : والأول أثبت أنه تُوفي ورسولُ الله ﷺ حَمْل .

وقال الزُّبير بن بكَّار : حدّثني محمد بن حسن ، عن عبد السلام ، عن ابن خَرَّبُوذ قال : توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله ﷺ ابن شهرين ، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جَدُّه وهو ابنُ ثمان سنين ، فأوصى به إلى عَمِّه أبي طالب .

والذي رجَّحه الواقدي وكاتبه الحافظ محمد بن سعد ، أنه عليه الصلاة والسلام تُوفي أبوه وهو جنينٌ في بطن أُمِّه . وهذا أبلغ اليُتْم وأعلى مراتبه .

وقد تقدم في الحديث[٥] « ورؤيا أمي التي رأتْ حين حَملتْ بي كأنَّه خرج منها نورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشام » .

وقال محمد بن إسحاق[٦] : فكانت آمنة بنت وَهْب أمُّ رسولِ الله ﷺ تحدِّث أنها أُتيتْ حين حملَتْ برسولِ الله ﷺ فقيل لها : إنَّكِ قد حملْتِ بسيِّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولي : [من الرجز]

---

(١) كذا في ح ، ط : والطبقات وتاريخ ابن الأثير (٢/ ١٠) وفي تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٦) وقيل التابعة ، وبه جزم الزرقاني في شرح المواهب (١/ ١٣٢) وقال : بفوقية فموحدة فعين مهملة كما في الزهر الباسم .

(٢) وجد : حزِن ، ويقال بكسر الدال وضمها . التاج (وجد) .

(٣) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ٩٩) .

(٤) في الطبقات (١/ ١٠٠) .

(٥) تقدم الحديث في (٢/ ٨٥) من (ط) ، وانظر ما سيأتي ص٣٨ من هذا الجزء .

(٦) في سيرة ابن إسحاق (ص٢٢) وط حميد الله وأخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ٨٢) وابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٦٨) وابن إسحاق في المغازي والسير (ص٤٥) وابن هشام في السيرة (١/ ١٥٨) .

أُعِيــــذُهُ بــــالــــواحِــــدِي[١]
مــــن شَــــرِّ كُــــلِّ حــــاسِــــدِي
فــــي كــــلِّ بَــــرٍّ عَــــاهِــــدِي[٢]
وكُــــلِّ عَبْــــدٍ رائِــــدِي
[يَــــرُ]ودُ غَيْــــرَ رائــــدي[٣]
عبــــدُ الحميــــدِ المــــاجِــــدِي
حتى أراهُ وقـائـدَ المَشَـاهِـدِي[٤]

وآيةُ ذلك أنه يخرجُ معه نورٌ يملأ قصورَ بُصْرَى من أرض الشام ، فإذا وقع فسمِّيه محمداً ، فإنَّ اسمه في التوراة أحمد ، يَحْمَدُهُ أهلُ السماء وأهلُ الأرض ، واسمه في الإنجيل أحمد ، يحمدُهُ أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه في القرآن محمد[٥] .

وهذا وذاك يقتضي أنها رأتْ حين حملَتْ به عليه الصلاة والسلام ، كأنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام . ثم لما وضعَتْه رأتْ عياناً تأويلَ ذلك كما رأتْهُ قبل ذلك هاهنا . والله أعلم .

وقال محمد بن سعد[٦] : أنبأنا محمد بن عمر ـ هو الواقدي ـ حدّثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري (ح)[٧] وقال الواقدي : وحدّثنا موسى بن عُبيدة عن أخيه، ومحمد بن كعب القُرَظي (ح) وحدّثني عبد الله بن جعفر الزُّهري ، عن عمَّتِه أمِّ بكر بنت المِسْوَرِ ، عن أبيها ح وحدّثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المَدَني[٨] وزياد بن حَشْرَج ، عن أبي وَجْزَة. وحدّثنا معمر، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد (ح) وحدّثنا

---

(١) كذا في ح بإثبات ياء الوصل بعد حرف الروي في سائر الأبيات ، ويسميها العروضيون وصلاً لأنها تصل حركة حرف الروي المكسور ، كما في الوافي للتبريزي (ص٢٢٥) .
(٢) « البر » : ضد البحر وعاهد : اسم فاعل من عهد صفة لحاسد ، أي يتعهده بالحسد أينما سار ، كأنه لا ينفك عن حسده . شرح الموهب (١/ ١٢٩) . وفي سيرة ابن إسحاق (عامد) .
(٣) « الرائد » : الذي يتقدم بمكروه ، وهو طالب السوء . يرود : يطلبه له . غير رائد : غير طالب له الكلأ كناية عن أنه لا ينفعه بوجه . اللسان (رود) وشرح المواهب (١/ ١٢٩) . وما بين معقوفين من الدلائل وابن عساكر وفي سيرة ابن إسحاق : نزول غير زائد ، وهو تصحيف .
(٤) في ح : وسيرة ابن إسحاق والدلائل وابن عساكر : حتى أراه قد أتى المشاهد ، وفي نسخة ص : من الدلائل : حتى أراه قائد قد أتى المشاهد فكأنه ذكر الروايتين معاً ، فأثبت منه ما يقيم وزن البيت ويوجه معناه . ولا يخفى : أن البيتين الأخيرين من مشطور الرجز والباقي من منهوكه .
(٥) زاد البيهقي : فسمَّيْته كذلك .
(٦) في الطبقات (١/ ١٠١ ، ١٠٢) .
(٧) حرف الحاء في هذا الخبر يدل على تحويل السند .
(٨) في ح : المرني وقد تقرأ المدني وفي ط : المزني ، والمثبت من الطبقات ، ولم أقف على ترجمة له .

طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس ـ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ـ أنَّ آمنة بنت وَهب قالت : لقد علقتُ به ـ تعني رسولَ الله ﷺ ـ فما وجدْتُ له مَشَقَّةً حتى وضعتُه ، فلما فصل مني خرج معه نورٌ أضاء له ما بين المشرق وإلى المغرب ، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضةً من التراب ، فقبضها ورفع رأسه إلى السماء . وقال بعضهم : وقع جاثياً على ركبتيه ، رافعاً رأسه إلى السماء(١) ، وخرج معه نورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشام وأسواقُها حتى رأيتُ أعناق الإبل ببصرى .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي(٢) : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، أخبرنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن إسحاق(٣) ، حدّثنا أبو بِشْر(٤) مُبَشِّر بن الحسن ، حدّثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدّثنا عبد العزيز ابن عمران ، حدّثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه ، عن ابن أبي سُوَيد الثقفي ، عن عثمان بن أبي العاص ، حدّثتني أمّي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وَهْب رسولَ الله ﷺ ليلةَ ولدَتْه ، قالت : فما شيءٌ أنظرُ إليه في البيت إلا نُوِّر ، وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لَيَقَعْنَ عليّ .

وذكر القاضي عياض(٥) عن الشِّفَا(٦) أمِّ عبدِ الرحمن بن عوف ، أنها كانت قابِلَـتَه ، وأنها أُخبرت به حين سقَطَ على يديها واستهلّ ، سمعَتْ قائلاً يقول : يرحمكَ الله ، وأنه سطع نور منه نَوَّرَ رأتْ منه قصورَ الرُّوم(٧) .

قال محمد بن إسحاق(٨) : فلمَّا وضعَتْهُ بعثَتْ إلى عبد المطلب جاريتَها ـ وقد هلك أبوه وهي حُبْلَى ، ويقال : إنَّ عبدَ اللهِ هلك والنبيُّ ﷺ ابنُ ثمانيةٍ وعشرين شهراً ، فاللهُ أعلم أيَّ ذلك كان ـ فقالت : قد وُلد

---

(١) قوله : رافعاً رأسه إلى السماء ، محله في ح ، ط في آخر الحديث ، والمثبت من الطبقات .

(٢) في دلائل النبوة (١/ ١١٠ ، ١١١) ورواه الطبري في تاريخه (٢/ ١٥٦ ، ١٥٧) عن محمد بن سنان القزاز عن يعقوب بن محمد الزهري به ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٦٥) عن البيهقي ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٠) وقال : رواه الطبراني ، وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو متروك احترقت كتبه ، فحدث من حفظه ، فاشتد غلطه وكان عارفاً بالأنساب .

(٣) هو ابن خزيمة .

(٤) في ط : يونس بن مبشر بن الحسن تحريف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وتاريخ ابن عساكر وترجمته في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٦٨) .

(٥) في الشفا (١/ ٣٦٦) بلفظ مختلف .

(٦) « الشفا » : بالقصر والمدّ ، كما في الإكمال (٥/ ٧٦ ح١) .

(٧) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص٤٠) من طريق النضر بن سلمة عن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه وعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف كلاهما عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : كنت أنا ورسول الله ﷺ ترباً وكانت أمي الشفا فذكر الحديث .

(٨) قول ابن إسحاق في دلائل البيهقي ١/ ١١٢) وتاريخ ابن عساكر السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٦٨ ، ٦٩) وانظره بلفظ مختلف في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٩ ، ١٦٠) وطبقات ابن سعد (١/ ١٠٣) .

لك غلامٌ فانظرْ إليه ، فلمَّا جاءها أخبرَتْهُ وحدَّثَتْهُ بما كانتْ رأتْ حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسمِّيه . فأخذه عبدُ المطلب ، فأدخله على هُبَل في جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عزَّ وجلَّ ويقول : [من الرجز]

الحمـــدُ للهِ الـــذي أعطـــانـــي
هــذا الغــلامَ الطيِّــبَ الأرْدان[١]
قد سادَ في المَهْدِ على الغِلْمانِ
أُعِيــذُه بــالبيــتِ ذي الأرْكــانِ
حتـــى يكـــونَ بُلغـــةَ الفِتْيَـــانِ
حتـــى أراه بـــالـــغَ البُنْيـــانِ
أعيـــذُهُ مـــن كـــلِّ ذي شَنَـــآنِ
مـــن حـــاسدٍ مضطَـرِبِ العِنـان
ذي هِمَّـــةٍ ليـــس لـــه عَيْنـــانِ
حتـــى أراه رافـــعَ اللســـان[٢]
أنـتَ الـذي سُمِّيتَ فـي القـرآن
فـي كُتُـبٍ ثـابتـة المَبـانـي[٣]
أحمـدُ مكتـوبٌ علـى اللسـان

وقال البيهقي[٤] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ : أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم الدَّارَابْجِردي[٥] ـ بمرو ـ حدّثنا أبو عبد الله البوشَنْجي ، حدّثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبائري ، حدّثنا يونس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة بن زياد بن حارث الصُّدَّائي ـ بمصر ـ حدّثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : وُلِدَ رسولُ اللهِ ﷺ مَخْتُوناً مَسْرُوراً ، قال فأعجب ذلك جدَّه عبد المطلب وحظِيَ عنده وقال : ليكوننَّ لابني هذا شأن . فكان له شأن[٦] .

---

(١) « الأردان » : جمع رُدْن ، وهو أصل الكمّ . اللسان (ردن) وفي الأساس : كن طيب الأردان وإن لم تلبس الأردان . الأخيرة جمع رَدَن بالتحريك ، وهو الحرير والخز .
(٢) في تاريخ ابن عساكر : البنيان .
(٣) في ط : المثاني ، والمثبت من ح والدلائل .
(٤) في الدلائل : (١/ ١١٤) .
(٥) في ح : الدرايَرْدي ، وفي ط : الدرابودي ، والمثبت من دلائل البيهقي . ولم أقف على ترجمة له .
(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٠٣) من طريق يونس بن عطاء عن الحكم بن أبان ونقله عنه ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٢١٠) .

وهذا الحديث في صِحَّتِه نظر، وقد رواه الحافظ ابن عساكر[١] من حديث سفيان بن محمد المصِّيصي، عن هشيم، عن يونس بن عُبيد، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ كرامتي على الله أني وُلِدْتُ مَخْتُوناً ولم ير سوأتي أحد».

ثمَّ أورده[٢] من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به.

ثم أورده[٣] من طريق محمد بن محمد بن سليمان ـ هو الباغَنْدِي ـ حدّثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي، حدّثنا موسى بن أبي موسى المقدسي، حدّثني خالد بن سلمة، عن نافع، عن ابن عمر قال: ولد رسول الله ﷺ مسروراً مختوناً.

وقال أبو نعيم[٤]: حدّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي، حدّثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكي، حدّثنا سليمان بن سلمة الخَبَائري، حدّثنا يونس بن عطاء، حدّثنا الحكم بن أبان، حدّثنا عكرمة، عن ابن عباس، عن أبيه العباس قال: وُلد رسولُ الله ﷺ مختوناً مسروراً، فأَعجبَ ذلك جدَّهُ عبد المطلب وحَظِيَ عنده، وقال: ليكونَنَّ لابني هذا شأن. فكان له شأن.

وقد ادَّعى بعضُهم صِحَّتَه لما ورد له من الطرق، حتى زعم بعضُهم أنه متواتر، وفي هذا كُلِّهِ نظر.

ومعنى مختوناً: أي مقطوع الخِتان: ومسروراً: أي مقطوع السُّرَّةِ من بَطْنِ أُمِّه.

وقد روى الحافظُ ابن عساكر[٥] من طريق عبد الرحمن بن عُيينة البصري، حدّثنا عليُّ بن محمد المدائني السلمي، حدّثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه، عن أبي بكرة، أنَّ جبريل خَتَنَ النبي ﷺ حين طَهَّر قَلْبَه. وهذا غريبٌ جداً.

وقد رُوي أنَّ جدَّهُ عبد المطلب خَتَنَهُ وعمِلَ له دَعْوَةً جمع قريشاً عليها، والله أعلم.

وقال البيهقي[٦]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأني أحمد[٧] بن كامل القاضي ـ شفاهاً ـ أنَّ محمد بن إسماعيل حدَّثَه ـ يعني السلمي[٨] ـ حدّثنا أبو صالح [عبدُالله بن صالح قال:][٩] حدّثني معاوية بن صالح

---

(١) في تاريخه (ص٢١١).
(٢) (ص ٢١٢).
(٣) (ص ٢١٣).
(٤) في دلائل النبوة (١/ ١٥٤/ ٩٢).
(٥) ليس الخبر في تاريخ دمشق القسم الأول والثاني من طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق. وهو في طبعة دار الفكر ٣/ ٤١٠، وأخرجه الطبراني في الأوسط ٦/ ٧٠ (٥٨٢١).
(٦) في الدلائل (١/ ١١٣).
(٧) في ط: محمد تصحيف والمثبت من ح والدلائل وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٤٤).
(٨) في الدلائل: أن محمد بن إسماعيل السلمي حدثهم.
(٩) ما بين معقوفين من الدلائل.

عن أبي الحكم التَّنوخي . قال : كان المولُود إذا وُلد في قريش دفعوه إلى نسوةٍ من قريش إلى الصبح يَكْفَأْنَ عليه بُرْمَةً[١] ، فلما ولد رسولُ الله ﷺ دفعه عبد المطلب إلى نسوةٍ فكفأنَ عليه بُرْمَةً ، فلما أصبحن أَتَيْنَ فوجدنَ البُرْمَةَ قد انفلقت عنه باثنتين ، ووجدْنَهُ مفتوحَ العينين ، شاخصاً ببصره إلى السماء ، فأتاهُنَّ عبدُ المطلب ، فقلْنَ له : ما رأينا مولوداً[٢] مثله ، وجدناهُ قد انفلقتْ عنه البُرْمة ، ووجدناهُ مفتوح العينين[٣] ، شاخصاً ببصره إلى السماء . فقال : احْفَظْنَهُ فإنِّي أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يُصيبَ خيراً . فلما كان اليومُ السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً ، فلما أكلوا قالوا : يا عبدَ المطلب ، أرأيتَ ابنَكَ هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سمَّيْتَه ؟ قال سمَّيْتُه محمداً . قالوا : أفرَغِبْتَ به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردتُ أنْ يَحْمَدَهُ اللهُ في السماء وخَلْقُه في الأرض .

قال أهلُ اللغة : كُلُّ جامعٍ لصفاتِ الخير يُسَمَّى محمداً ، كما قال بعضُهم : [من الطويل]

إليك ـ أبيتَ اللعنَ ـ أعملْتُ ناقتي إلى الماجدِ القَرْمِ الكريمِ المحمَّدِ[٤]

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عزَّ وجلَّ أنْ سمَّوه محمداً لما فيه من الصفات الحميدة ، ليلتقيَ الاسمُ والفعل ، ويتطابق الاسمُ والمسمَّى في الصورة والمعنى ، كما قال عمُّهُ أبو طالب ، ويروى لحسَّان[٥] .

وشـقَّ لـه مـن اسمِـهِ ليُجلَّـهُ فذو العَرْشِ محمودٌ وهذا محمَّدُ

وسنذكرُ أسماءَهُ عليه الصلاة والسلام وشمائلَهُ ـ وهي صفاتُهُ الظاهرة وأخلاقُه الطاهرة ـ ودلائل نبوَّتِهِ وفضائلَ منزلَتِهِ في آخر السيرة إنْ شاء الله .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٦] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا أحمد بن شيبان الرَّمْلي ، حدّثنا أحمد بن إبراهيم الحَلَبي[٧] ، حدّثنا الهيثم بن جميل ، حدّثنا زهير ، عن محارب بن دثار ، عن عمرو بن يثربي ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله ، دعاني إلى الدخول في دِينك أمارةٌ لنبوَّتك ، رأيتُكَ في المَهْد تُنَاغي القمرَ وتشيرُ إليه بإصْبَعِك ، فحيثُ أشرتَ إليه مال . قال : « إنّي كنتُ أُحَدِّثه ، ويحدِّثُني ، ويُلْهيني عن البكاء ، وأسمعُ

---

(١) « يكفأن » : يَقْلِبْنَ . البُرْمَةُ : القدر . اللسان (كفأ ، برم) .

(٢) في ح : مولداً والمثبت من ط والدلائل .

(٣) في ح ، ط : مفتوحاً عينيه والمثبت من الدلائل .

(٤) القَرْم من الرجال : السيِّد المعظم . اللسان (قرم) وهذا البيت من شواهد اللسان (حمد) وروايته « إليك أبيت اللعن كان كلالها » وعزاه للأعشى ـ أعشى قيس ـ وهو في ديوانه (ص٢٨) وروايته : كان كلاهما .

(٥) ليس البيت في ديوان شيخ الأباطح وقد عزي لأبي طالب في خبر ساقه المعافى بن زكريا في الجليس (٢/ ٢٠٤) والبيت في ديوان حسان (١/ ٣٠٦) .

(٦) دلائل النبوة (٢/ ٤١) .

(٧) في ط : « الحبلي » وهو تحريف ، وما أثبتناه من الجرح والتعديل (٢/ ٤٠) وميزان الاعتدال (١/ ٨١) .

وَجْبَتَهُ[١] حين يسجدُ تحت العرش » . ثم قال : تفرَّد به الحَبَلي[٢] وهو مجهول[٣] .

فصل
فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام

قد ذكرنا في باب هواتف الجانّ ما تقدَّم[٤] من خُرورِ كثيرٍ من الأصنام ليلتئذٍ لوجوهها وسقوطها عن أماكنها ، وما رآه النجاشيُّ ملكُ الحبشة ، وظهور النور معه حتى أضاءت له قصورُ الشام حين ولد ، وما كان من سقوطِهِ جاثياً رافعاً رأسه إلى السماء ، وانفلاقُ تلك البُرْمَة عن وجهه الكريم ، وما شوهد من النور في المنزل الذي ولد فيه ، ودنوّ النجوم منهم وغير ذلك .

حكى السهيلي[٥] عن تفسير بَقِيِّ بن مَخْلَد الحافظ ، أنَّ إبليسَ رَنَّ أربعَ رنَّات[٦] : حين لُعِن ؛ وحين أُهبط ؛ وحين وُلد رسولُ الله ﷺ ؛ وحين أُنزلت الفاتحة .

قال محمد بن إسحاق[٧] : وكان هشام بن عروة يحدِّث عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان يهوديٌّ قد سكن مكة يتَّجِر بها ، فلما كانت الليلةُ التي وُلد فيها رسولُ الله ﷺ قال في مجلس من قريش : يا معشر قريش ، هل وُلد فيكم الليلةَ مولود ؟ فقال القوم : والله ما نعلمه . فقال : الله أكبر ، أما إذا[٨] أخطأكم فلا بأس ، انظروا واحفظوا ما أقولُ لكم : وُلد هذه الليلة نبيُّ هذه الأمَّةِ الأخيرة ، بين كتفيه علامةٌ فيها شعراتٌ متواتراتٌ كأنهنَّ عُرْفُ فرس ، لا يرضعُ ليلتين ، وذلك أنَّ عِفْريتاً من الجنِّ أدخل أُصبعه في فمه ، فمنعه الرضاع .

فتصدَّع القومُ من مجلسهم وهم يتعجَّبون من قوله وحديثه ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كلُّ إنسانٍ منهم أهله ، فقالوا : قد والله وُلد لعبد الله بن عبد المطلب غلامٌ سمَّوهُ محمداً ، فالتقى القوم فقالوا : هل سمعتم حديثَ اليهودي ؟ وهل بلغكم مَوْلِدُ هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاؤوا اليهوديَّ فأخبروه الخبر ؛

---

(١) وَجْبتُه : صوت سقوطه . ومنه حديث سعيد : لولا أصوات السافرة لسمعتم وجبة الشمس ؛ أي سقوطها مع المغيب . اللسان (وجب) .

(٢) في ط : « الليثي » وهو تحريف . والحَبَلي : أحمد بن إبراهيم .

(٣) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : « سألت أبي عنه وعرضت عليه حديثه ، فقال : لا أعرفه وأحاديثه باطلة موضوعة كلها ليس لها أصول ، يدل حديثه على أنه كذّاب » (٢/ ٤٠) .

(٤) كذا في (ح ، ط) وباب هواتف الجانّ سيأتي في (ص١٤٦) وذكر النجاشي في (ص١٧٠) وهذا يدل على أن باب هواتف الجانّ منتزع من مكانه ومقدم على موضعه ، ويؤكد ذلك أيضاً قول المؤلف في (ص١٤٦) موضع الحاشية (٧) : وسيأتي قول سطيح لعبد المسيح .

(٥) في الروض الأنف (١/ ١٨١) .

(٦) « الرنة » : الصيحة الشديدة والصوت الحزين . اللسان (رنن) .

(٧) قول ابن إسحاق في دلائل البيهقي (١/ ١٠٨) ومستدرك الحاكم (٢/ ٦٠١ ، ٦٠٢) .

(٨) كذا في ح ، ط وفي الدلائل والمستدرك : « إذْ » وهو أشبه بالصواب .

قال : فاذهبوا معي حتى أنظر إليه . فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة ، فقالوا[١] : أخرجي إلينا ابْنَكِ ، فأخرجَتْه ، وكشفوا له عن ظهره ، فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهوديُّ مَغْشياً عليه ؛ فلما أفاق قالوا له : مالك ويلك ؟ قال : قد ذَهبَتْ والله النبوَّةُ من بني إسرائيل ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ والله لَيَسْطُوَنَّ بكم سَطْوَةً يخرج خبرُها من المشرق والمغرب[٢] .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني صالح بن إبراهيم عن يحيى بن [عبد الله بن] عبد الرحمن بن أسعد بن زُرَارة قال : حدّثني منْ شئتَ من رجالِ قومي ممَّنْ لا أَتَّهِم عن حسَّان بن ثابت قال : إنِّي لغلامٌ يَفَعَةٌ ابن سبعِ سنين أو ثمانِ سنين ، أعقِلُ ما رأيتُ وسمعت ، إذا بيهوديٍّ في يثرب يَصْرُخ ذاتَ غداة : يا معشر يهودَ ؛ فاجتمعوا إليه ـ وأنا أسمع ـ فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قد طلع نجمُ أحمد الذي يولد به في هذه الليلة .

وروى الحافظُ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »[٤] من حديث أبي بكر بن عبد الله العامري ، عن سليمان بن سُحيم ورُبَيْح[٥] بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد [الخُدْري] عن أبيه قال : سمعت أبي مالك بن سنان يقول : جئتُ بني عبد الأشهل يوماً لأتحدَّث فيهم ، ونحن يومئذٍ في هُدْنَةٍ من الحرب ، فسمعت يوشع اليهوديَّ يقول : أظلَّ خروجُ نبيٍّ يقالُ له : أحمد ، يخرجُ من الحرم . فقال له خليفةُ بن ثعلبةَ الأشهلي كالمستهزئ به : ما صفته ؟ فقال : رجلٌ ليس بالقصير ولا بالطويل ، في عينيه حمرة ، يلبس الشَّمْلَة ، ويركب الحمار ، سيفُه على عاتقه ، وهذا البلد مُهاجَرُه . قال : فرجعت إلى قومي بني خُدْرَة ، وأنا يومئذ أتعجَّبُ مما يقول يوشع ، فأسمع رجلاً منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟! كلُّ يهودِ يثربَ يقولون هذا . قال أبي مالكُ بن سنان : فخرجتُ حتى جئتُ بني قُرَيظة ، فأجد جمعاً ، فتذاكروا النبيَّ ﷺ فقال الزبير بن باطا : [قد] طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبيٍّ أو ظهوره ، ولم يبق [أحد] إلا أحمد وهذا مُهاجَرُه . قال أبو سعيد : فلما قدم النبيُّ ﷺ [المدينة] أخبره أبي هذا الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أسلم الزبير وذووه[٦] من رؤساء اليهود ، إنما هم له تبع » .

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل والمستدرك : فقال : وهو أشبه بالصواب .
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠١ ، ٦٠٢) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : قلت : لا .
(٣) في سيرة ابن إسحاق (ص٦٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (ص١٦) وما يأتي بين معقوفين منهما . ومن تهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٩) في ترجمة صالح بن إبراهيم .
(٤) دلائل النبوة (١/ ٧٩/ ٤٠) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٥) في ط : ذريح وفي الدلائل رميح ، وكلاهما تصحيف والمثبت من ح ، والتصحيح من الإكمال (٤/ ١٨٨) وميزان الاعتدال (٢/ ٣٨) وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨) .
(٦) كذا في ط ، وفي ح ودلائل أبي نعيم ، وفي ط : لو أسلم الزبير لأسلم ذووه وهو الصواب .

وقال أبو نعيم[١] : حدّثنا عمر بن محمد ، حدّثنا إبراهيم بن السِّنْدي ، حدّثنا النَّضْرُ بن سلمة ، حدثنا إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت ، عن أُمِّ سعد بنت سعد بن الربيع سمعت زيد بن ثابت يقول : كان أحبار يهود بني قُرَيظة والنَّضِير يذكرون صفةَ النبيِّ ﷺ ، فلما طلع الكوكبُ الأحمر أخبروا أنه نبيّ ، وأنَّهُ لا نبيَّ بعدَه ، واسمه أحمد ، ومُهاجره إلى يثرب ، فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا .

وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه[٢] من طرق أُخرى ولله الحمد .

وقال أبو نعيم[٣] : حدّثنا أبو محمد بن حبان ، حدّثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، حدّثنا وهْبُ بن مُنَبِّه ، حدّثنا خالد عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أسامة بن زيد قال : قال زيد بن عمرو بن نُفيل : قال المُوبَذَان ـ حَبْرٌ من أحبار الشام ـ : قد خرج في بلدك نبيّ ـ أو هو خارج ـ قد خرج نجمُه ، فارجِعْ فصدِّقْهُ واتَّبِعْه .

ذكر ارتجاج الإيوان[٤]
وسقوطِ الشُرُفات وخمودِ النيران ورؤيا المُوبَذَان وغير ذلك من الدَّلالات

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه « هواتف الجِنَّان »[٥] : حدّثنا عليُّ بن حرب ، حدّثنا أبو أيوب يعلى بن عمران ـ من آل جرير بن عبد الله البجَلي ـ حدّثني مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه ـ وأتت عليه خمسون ومئة سنة ـ قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس[٦] إيوانُ كسرى وسقطَتْ منه أربعَ عشرةَ شُرْفَة ، وخمدَت نار فارس ، ولم تخمُدْ قبل ذلك بألفِ عام ، وغاضَتْ بُحيرة ساوَة[٧] ، ورأى المُوبَذَان[٨] إبلاً صِعَاباً تقودُ خيلاً عِراباً قد قطعتْ دِجْلة

(١) في المطبوع (١/ ٧٩/ ٣٩١) بغير هذا الإسناد وسيشير المؤلف إلى ذلك بعد سطور .
(٢) ما أشرت إليه في الحاشية السابقة هي إحدى هذه الطرق ، وهذا مما يدل على أن المطبوع هو المختصر لكتاب الدلائل .
(٣) في دلائل النبوة ١/ ٨٠ .
(٤) في ط : ارتجاس إيوان كسرى .
(٥) في ح ، ط : هواتف الجان والمثبت من كتاب الخرائطي وذيل كشف الظنون (٤/ ٧٢٩) والجنَّان جمع جانّ مثل حائط وحيطان . والنص فيه (ص١٧٩) .
(٦) فوقها في ح : ارتج ، وكتب فوقها حرف خ إشارة إلى أنها رواية نسخة ، وارتجس : اضطرب وتحرك حركة سمع لها صوت . اللسان (رجس) .
(٧) ساوه ، بعد الألف واو مفتوحة بعدها هاء ساكنة : مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط ، بينها وبين كل منهما ثلاثون فرسخاً . معجم البلدان (٣/ ١٧٩) (ساوه) .
(٨) « الموبذان للمجوس » : كقاضي القضاة للمسلمين . اللسان (موبذ) .

وانتشرت في بلادها . فلما أصبح كِسْرى أفزعَهُ ذلك ، فتصبَّر عليه تشجُّعاً ، ثم رأى أنه لا يدَّخِرُ ذلك عن مرازبته ؛ فجمعهم ولَبِس تاجَهُ وجلس على سريره ، ثم بعث إليهم ؛ فلمَّا اجتمعوا عنده قال : أتدرون فيما[1] بعثتُ إليكم ؟ قالوا : لا ، إلا أن يُخبِرَنا الملك . فبينما هم كذلك إذْ ورد عليهم كتابٌ بخُمودِ النيران ، فازداد غمّاً إلى غمِّه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله ، فقال المُوبَذَان : وأنا ـ أصلح الله الملك ـ قد رأيتُ في هذه الليلة رؤيا . ثم قصَّ عليه رؤياه في الإبل ، فقال : أيُّ شيءٍ يكونُ هذا يا مُوبَذان ؟ قال : حَدثٌ يكون في ناحية العرب ـ وكان أعلمَهم في أنفسهم ـ فكتب عند ذلك :

من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ؛ أمَّا بعد ، فوجِّه إليَّ برجلٍ عالمٍ بما أريدُ أنْ أسألَه عنه .

فوجَّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حَيَّان بن بُقَيْلة[2] الغسَّاني ؛ فلما ورد عليه قال له : ألك علمٌ بما أريد أن أسألك عنه ؟ فقال : لتخبرني ، أو ليسألني الملكُ عمَّا أحب ، فإنْ كان عندي منه علم ، وإلا أخبرتُه بمن يعلمه . فأخبره بالذي وجَّه به إليه فيه ؛ قال : علم ذلك عند خالٍ لي يسكنُ مشارفَ الشام يقال له : سَطِيح ، قال : فأتِهِ فاسألْهُ عما سألْتُكَ عنه ، ثم أنبِئْني بتفسيره . فخرج عبدُ المسيح ، حتى انتهى إلى سَطِيح ، وقد أشفى على الضَّريح ، فسلَّم عليه وكلَّمه ، فلم يردَّ إليه سَطِيحٌ جواباً ، فأنشأ يقول : [من الرجز]

أَصَـمٌّ أم يسمـعُ غِطْـريـفُ اليمـن[3]
أمْ فـازَ فـازْلَـمَّ بِـهِ شَـأْوُ العَنَـنْ[4]
يـا فـاصِـلَ الخُطَّةِ أعيَتْ مَنْ ومَـنْ[5]
أتـاكَ شيـخُ الحـيِّ مـن آلِ سَنَـنْ
وأُمُّـهُ مـن آلِ ذِئـبِ بْـنِ حَجَـنْ
أزرَقُ مَهْـمُ النـابِ صـرَّارُ الأذُن[6]

---

(١) كذا في ح بإثبات ألف ما ، وإثباتها قليل شاذ . انظر الخزانة (٦/ ٩٩) وما بعدها بتحقيق هارون .

(٢) في ح ، ط : نفيلة ، وفي الهواتف : حنان بن نفيلة ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الإكمال (١/ ٣٤٧) وتاريخ ابن عساكر واللباب (١/ ١٦٧) .

(٣) « الغطريف » : السيد .

(٤) فاز : هلك ، ويروى فاد ، وهو بمعناه . ازلمَّ : من ازلأمَّ ، وازلامَّ بالمد : إذا ولَّى مسرعاً . والشأو : الغاية والسبق . والعنن : الموت . ومعنى « ازلم به شأو العنن » : ذهب به غايةُ الموت وسَبْقُه ذهاباً سريعاً . منال الطالب (١/ ١٣٧) . والبيت في اللسان (زلم) .

(٥) « الفاصل » : الحاكم المبيِّن . الخُطَّة : الحالة والقضية . قوله : أعيت من ومن : أي إن هذه الخطة لصعوبتها أعجزت كل من جلَّ قدره في حلمه وحكمته ، فحذف الصلة التي لمن ومن ، كما حذفت في قولهم : بعد اللتيا والتي . منال الطالب (١/ ١٣٨) .

(٦) « الأزرق » : أراد به النمر لزرقة عينيه . مَهْم الناب : محدَّده ، ويروى : مهو ولا ممهى ومهمى وكلها بمعنى ، =

أبيـــضُ فَضْفَـــاضُ الـــرِّداءِ والبَـــدَنْ
رسـولُ قَيْـلِ العُجْـمِ يَسْـرِي للـوَسَـنْ[(١)]
تَجُـوبُ بـي الأرضَ عَلَنْـدَاةٌ شَجَـنْ[(٢)]
لا يَـرهَـبُ الـرَّعْـدَ ولا ريْـبَ الـزَّمَـنْ
تـرفَـعُ بـي وَجْنـاً وتَهْـوي بـي وَجَـنْ[(٣)]
حتـى أتـى عـاري الجـآجِـي والقَطَـنْ[(٤)]
تَلُفُّـهُ فـي الـرِّيـح بَـوْغَـاءُ الـدِّمَـنْ[(٥)]
كـأنمـا حُثْحِـثَ مـن حِضْنَـيْ ثَكَـنْ[(٦)]

قال : فلما سمع سَطيح شعره رفع رأسه يقول : عبدُ المسيح ، على جملٍ مُشيح ، أتى[(٧)] سطيح ، وقد أوفى على الضَّريح ، بعثك ملكُ بني ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخُمود النيران ، ورؤيا المُوبَذَان ، رأى إبلاً صعاباً ، تقودُ خيلاً عِراباً ، قد قطعَتْ دجلةَ ، وانتشرت في بلادها ، يا عبدَ المسيح ، إذا كثرتِ التِّلاوة ، وظهر صاحب الهِرَاوة ، وفاض وادي السماوة ، وغاضَتْ بُحيرة ساوَهْ ، وخمدَتْ نار فارس ، فليس الشام لسَطيح شاماً ، يملكُ منهم ملوكٌ ومَلِكات ، على عدد الشُّرُفات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت . ثم قضى سَطِيحٌ مكانَه ، فنهض عبدُ المسيح إلى راحلته وهو يقول : [من البسيط]

= ووقع في ح ومختصر ابن عساكر بم وفي ط نهم ، وأظنه تصحيف ـ والصرار الأذن : الذي نصب أذنه وسواها : منال الطالب (١/ ١٤٠) .

(١) « القيل » : من ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم . « الوسن » : النوم ، وأراد به رؤيا الموبذان . « يسري » : من السرى ، سير الليل . منال الطالب (١/ ١٣٨) والمعجم الوسيط .

(٢) « العلنداة » : الناقة الطويلة العظيمة . « شجن » : متداخلة الخَلْق كأنها شجرة متصلة الأغصان ؛ ويروى « شزن » بفتح الشين والزاي وضمهما : أي نشيطة . منال الطالب واللسان (علند ، شجن) .

(٣) الوَجَن ، بسكون الجيم وفتحها : الأرض الغليظة الصلبة . اللسان (وجن) ؛ ويروى : ترفعني وجناء تهوي من وجن ، والوجناء : الناقة القوية الصلبة . منال الطالب (١/ ١٣٩) .

(٤) في ح : والعطن ، والمثبت من ط واللسان ومنال الطالب . الجآجي : جمع جؤجؤ ، وهو الصدر . والقطن : جمع قطنة ، وهي ما بين الفخذين ؛ وقيل : الصواب بكسر الطاء . اللسان (قطن) . والعاري : الذي ذهب لحمه ، وشحمه ، فكأنه عري منه ، يعني أن سرعة السير قد هزله وأذهب سمنه . منال الطالب (١/ ١٣٩) .

(٥) « البوغاء » : التراب الناعم ؛ والدمن : ما تدمَّن منه ، أي تجمَّع وتلبَّد . اللسان (بوغ ، دمن) .

(٦) « حثحث » : حُث وأُسرع : ثكن : اسم جبل حجازي : الحضن . الجنب . ومعنى البيت أنه من كثرة التراب والغبار الذي أصاب جمله في سرعة سيره ، كأنه نمر هُيِّج وأعجل من جانبي هذا الجبل . اللسان (حثث ، ثكن) ومنال الطالب (١/ ١٤١) . وروي في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور : جَفنيْ ثكن .

(٧) كذا في ح ، ط : وفي مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور : إلى .

شَمِّرْ فإنَّك ماضي العَزْمِ شِمِّيرُ لا يُفْـزِعَنَّـكَ تفـريـقٌ وتَغْيِيـرُ[(١)]
إنْ يُمْسِ مُلْكُ بني ساسانَ أَفْرَطَهُمْ فإنَّ ذا الدَّهْرَ أَطْوَارٌ دَهَارِيرُ[(٢)]
فـرُبَّمـا رَبَّمـا أضْحَـوْا بمنـزلـةٍ يخافُ صَوْلَهُمُ الأُسْدُ المَهَاصِيرُ[(٣)]
منهمْ أخو الصَّرْحِ بَهْرَامٌ وإخْوتُهُ والهُـرْمُـزانُ وسـابُـورٌ وسـابـورُ[(٤)]
والناسُ أولادُ عَلَّاتٍ فمَنْ عَلِموا أنْ قد أَقَلَّ فمَحْقُورٌ ومَهْجُورُ[(٥)]
وَرُبَّ يَوْمٍ لهم ضَحْيَان ذي أَرَنٍ سُـدَّتْ بلهْـوهِـمُ فيـه المـزاميـرُ[(٦)]
وهـم بنـو الأمِّ إمَّـا إن رأوا نَشَبـاً فذاك بالغَيْبِ مَحفوظٌ ومَنْصُورُ[(٧)]
والخيرُ والشرُّ مَقْرُونانِ في قَرَنٍ فـالخيـرُ متَّبَـعٌ والشـرُّ مَحْـذُورُ[(٨)]

قال : فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سَطِيح ، فقال كسرى : إلى أنْ يملكَ منا أربعةَ عشرَ ملكاً كانت أمورٌ وأمور ، فملك منهم عشرة في أربعِ سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه .

ورواه البيهقي[(٩)] من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس عن علي بن حرب الموصلي بنحوه .

---

(١) ويروى : ماضي الهم ولا يفرغنك تشريد وتعزير . منال الطالب (١/ ١٣٤) .

(٢) « أفرطهم » : من أفرط الرجلُ القومَ : أي تقدَّمهم وتركهم وراءه . يريد زوال الملك عنهم . دهر دهارير : أي شديد ، كقولهم : ليلة ليلاء . منال الطالب (١/ ١٤٢) .

(٣) « المهاصير » : جمع مهصار ، والهصْر : أن تميل الشيء إليك وتكسره . أي أنها تكسر كلَّ ما ظفرت به . منال الطالب (١/ ١٤٣) ويروى : تهاب صوتهم مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/ ٣٠٢) .

(٤) « الصرح » : القصر ، وكل بناءٍ عالٍ . بهرام ، والهرمزان وسابور : من أسماء ملوكهم . منال الطالب (١/ ١٤٣) .

(٥) « أولاد العَلَّات » : الإخوة لأب وأمهات شتى . أقلَّ : افتقر وقلَّ ما بيده ، والمحقور : المُهان المطَّرَح . منال الطالب (١/ ١٤٣) .

(٦) رواية البيت في ح :

ورب قوم لهم صحبان ذي أذن بـدت تلهـوهـمُ فيـه المـزاميـر

وكذا في ط : وفيه : تلهيهم ، فجاء مصحفاً في أكثر من موضع ، وقد قوّمتُ روايته من تاريخ ابن عساكر حيث ساقه مع بيتين آخرين ، وسقط منه لفظ لهم . ويوم ضحيان : طلق ، والضحيان من كل شيء : البارز للشمس . وذو أرن : ذو نشاط . اللسان (ضحي ، أرن) .

(٧) « النشب » : المال . إمّا : هنا زائدة ، وتقديره : وهم بنو الأم إن رأوا ، ويروى : لمَّا أن رأوا بفتح أن . منال الطالب (١/ ١٤٣) .

(٨) « القرن » : الحبل يُشدُّ به البعيران معاً . منال الطالب (١/ ١٤٣) .

(٩) في دلائل النبوة (١/ ١٢٦ ـ ١٢٩) ورواه الطبري أيضاً : تاريخه (٢/ ١٦٦ ـ ١٦٨) وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص٤١ ، ٤٢) وابن عساكر في تاريخه : مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢) والسهيلي في الروض الأنف (١/ ١٩) وابن الأثير في منال الطالب (١/ ١٣٢ ـ ١٣٤) والأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٢٧٦) وابن منظور في اللسان (سطح) وابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ٢٨ و٢٩) وابن هشام في السيرة (١/ ١٥) ومعجم=

قلت : كان آخرَ ملوكهم الذي سُلب الملك منه يَزْدَجِرْدُ بنُ شَهْريار بن أَبْرَوَيْز بن هُرْمُز بن أَنُوشِرْوَان ، وهو الذي انشقَّ الإيوان في زمانه ، وكان لأسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومئة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم جيومَرْت[١] بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح .

حاشية :

أمَّا سَطِيح هذا ، فقال الحافظُ ابن عساكر في « تاريخه »[٢] : هو الرَّبِيع بن رَبِيعة بن مسعود بن مازن بن ذِئْب بن عَدِيٍّ بن مازن بن الأزْد ، ويقال : الربيع بن مسعود ، وأمه رويمة[٣] بنت سعد بن الحارث الحَجُوريّ . وذكر غير ذلك في نسبه .

قال : وكان يسكن الجابية ، ثم روي عن أبي حاتم السِّجْستاني قال : سمعتُ المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا : وكان من بعد لقمان بن عاد ، وولد في زمن سَيْل العَرِم ، وعاش إلى ملك ذي نُوَاس ، وذلك نحو من ثلاثين قرناً ، وكان مسكَنُهُ البحرين . وزعمَتْ عبد القيس أنه منهم ، وتزعم الأزْد أنه منهم ، وأكثر المحدِّثين يقولون : هو من الأزْد ، ولا ندري ممَّنْ هو ، غير أنَّ ولدَهُ يقولون :[٤] إنه من الأزْد .

وروي عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شيءٌ من بني آدم يشبه سَطيحاً ، إنما كان لحماً على وَضَم[٥] ، ليس فيه عظمٌ ولا عَصَب إلا في رأسه وعينَيْه وكفَّيه ، وكان يُطوى كما يُطوى الثوب من رِجلَيْه إلى عنقه . ولم يكن فيه شيءٌ يتحرَّك إلا لسانه . وقال غَيْرُه : إنه إذا غضِب انتفخ وجلس .

ثم ذكر ابنُ عباس أنه قدم مكَّةَ فتلقَّاه جماعةٌ من رؤسائها منهم عبدُ شمس وعبد مناف أبناءُ قُصَي ، فامتحنوه في أشياء ، فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عمَّا يكون في آخر الزمان ، فقال : خذوا مني ومن إلهام الله إيَّاي : أنتم الآن يا معشر العرب ، في زمان الهرم سواء بصائرُكم وبصائرُ العجم ، ولا علم عندكم ولا فَهَم ، ويَنْشُو[٦] من عَقِبكم دَهْم[٧] ، يطلبون أنواعَ[٨] العلْم ، يكسرون الصنَم ، يبلغون

= البلدان (ثكن) .

(١) في ط : خيومرت بالخاء المعجمة ، وفي ح بالحاء المهملة ، والمثبت من تاريخ الطبري (١/ ١٤٦ ، ١٤٧) والكامل لابن الأثير (١/ ٤٥ ، ٤٦) وفي الفارسية : كيومرث : اسم الإنسان الأول من أولاد آدم . أول ملوك البيشداديين . المعجم الذهبي (ص٤٨٩) .

(٢) قول ابن عساكر هذا في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/ ٢٩٥) .

(٣) في ح : روعة ، وفي ط : ردعا ، والمثبت من مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور .

(٤) في مختصر تاريخ ابن عساكر : أنهم .

(٥) « الوضم » : شرائح من جراد النخل . مختصر تاريخ ابن عساكر (٨/ ٢٩٧) .

(٦) « ينشو » : لغة في ينشأ . اللسان (نشو) .

(٧) « الدهم » : الجماعة الكثيرة . اللسان (دهم) .

(٨) في ح : انتزاع ، والمثبت من ط ومختصر تاريخ ابن عساكر .

الرَّدْم[١] ، يقتلون العُجْم ، يطلبون الغُنْم .

ثم قال : والباقي الأبَد ، والبالغ الأمَد ، ليخرجنَّ من ذا البلد ، نبيٌّ مهتدٍ ، يهدي إلى الرَّشَد ، [يرفُضُ يغوثَ والفَنَد][٢] ، يبرأ من عبادة الضَّدَد ، يعبدُ ربّاً انفرد ، ثم يتوفّاه الله محموداً ، ومن الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً ؛ ثم يلي أمرَهُ الصدِّيق ، إذا قضى صدَق ، وفي ردِّ الحقوق لا خَرِقٌ ولا نَزِق ، ثم يلي أمرَهُ الحَنِيف ، مجرِّبٌ غِطْريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف[٣] .

ثم ذكر عثمان ومَقْتَله ، وما يكونُ بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس ، وما بعد ذلك من الفتن والملاحم ، ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله .

وقد قدَّمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمن[٤] ، حين أخبره برؤياه قبل أن يُخبره بها ، ثم ما يكون في بلاد اليمن من الفتن وتغيُّر الدول ، حتى يعود إلى سيف بن ذي يَزَن ، فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومَنْ يقطعه ؟ قال : نبيٌّ زكي ، يأتيه الوَحْي ، من قِبَلِ العليّ ، قال : وممَّنْ هذا النبيّ ؟ قال : من ولد غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر ، يكون المُلْكُ في قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأوَّلون والآخِرون ، يسعدُ فيه المحسنون ، ويَشْقى فيه المسيؤون . قال : أحقٌّ ما تخبرني ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق[٥] إذا اتسق ، إنَّ ما أنبأتُكَ لَحَقّ . ووافقه على ذلك شِقّ ، سواء بسواء ، بعبارةٍ أُخرى كما تقدَّم . ومن شعر سَطِيح قوله : [من الطويل]

عليكم بتقوى الله في السرِّ والجَهْرِ ولا تُلبِسُوا صِدْقَ الأمانةِ بالغَدْرِ
وكونوا لجار الجُنْبِ حِصْناً وجُنَّةً إذا ما عَرَتْهُ النائباتُ من الدَّهْرِ[٦]

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ، ثم أورد ذلك المُعَافى بنُ زكريّا الجَريري فقال[٧] : وأخبارُ سَطِيحٍ كثيرة ، وقد جمعها غيرُ واحدٍ من أهل العلم . والمشهور أنَّهُ كان كاهناً ، وقد أخبر عن النبيِّ ﷺ وعن نَعْته ومَبْعثه . ورُوي لنا[٨] بإسنادٍ الله به أعلم أنَّ النبيَّ ﷺ سُئل عن سَطِيح فقال : « نبيٌّ ضيَّعَهُ قومُه » .

قلتُ : أما هذا الحديث فلا أصلَ له في شيءٍ من كتب الإسلام المعهودة ، ولم أرَهُ بإسنادٍ أصلاً ،

---

(١) « الردْم » : قرية بالبحرين . معجم البلدان (٣/ ٤٠) .
(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح ، والفند : الخطأ في الرأي والقول ، والكذب . اللسان (فند) .
(٣) تتمة الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢٩٩) .
(٤) (ص١٦٢ ، ١٦٣) من هذا الجزء (الطبعة القديمة) .
(٥) في ط : والقمر ، والمثبت من ح .
(٦) البيتان في مختصر تاريخ ابن عساكر (٨/ ٢٩٥) وروايته : ولا تلبسوا صدق الأمانة بالعذر .
(٧) قول المعافى ليس في الجزءين المطبوعين من الجليس (١ و٢) .
(٨) القائل هنا ابن عساكر كما في مختصر تاريخه (ص٢٩٦) .

ويُروى مثله في خبر خالد بن سنان العبسي[١] ولا يصحُّ أيضاً ، وظاهر هذه العبارات تدلُّ على علم جيِّدٍ لِسَطيح ، وفيها روائحُ التصديق ، لكنَّهُ لم يُدرِكِ الإسلام كما قال الجَريري . فإنه قد ذكرنا في هذا الأثر أنَّه قال لابن أخته : يا عبد المسيح ، إذا كَثُرَت التلاوة ، وظهر صاحب الهِرَاوة ، وفاض وادي السماوة ، وغاضَتْ بُحيرة ساوَهْ ، وخمدَتْ نارُ فارس ، فليس الشامُ لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوكٌ ومَلِكات ، على عدد الشُّرُفات ، وكلُّ ما هو آت آت . ثم قضى سطيح . وكان ذلك بعد مَوْلد رسول الله ﷺ بشهرٍ أو شَيْعِه[٢] ـ أي أقلَّ منه ـ وكانت وفاتُه بأطراف الشام مما يلي أرضَ العراق ـ فالله أعلم بأمْرِهِ وما صار إليه .

وذكر ابنُ طَرَار الجَريري[٣] أنه عاش سبعمئة سنة ؛ وقال غيره : خمسمئة سنة ، وقيل : ثلاثمئة سنة ، فالله أعلم .

وقد روى ابنُ عساكر[٤] أنَّ مَلِكاً سأل سَطِيحاً عن نسب غلامٍ اختُلف فيه ، فأخبره على الجَلِيَّة في كلام طويل ، مليحٍ فصيح ، فقال له الملك : يا سَطِيح ، ألا تُخبرني عن عِلمك هذا ؟ فقال : إنَّ علمي هذا ليس مني ، ولا بجَزْمٍ ولا بظني ، ولكن أخذْتُه عن أخٍ لي جِنِّي ، قد سمع الوَحْيَ بطورِ سَيْناء[٥] . فقال له : أرأيتَ أخاك هذا الجِنِّي ، أهو معك لا يفارقك ؟ فقال : إنه ليزولُ حيث أزول ، ولا أنطِقُ إلا بما يقول . وتقدَّم أنه وُلد هو وشِقُّ بن صَعْب بن يَشْكُر بن رُهْم بن قَسْر بن عَبْقَر[٦] الكاهن الآخر ، وُلدا في يومٍ واحد ، فحُملا إلى الكاهنة طريفة بنت الحسين الحِمْيَرِيَّة ، فتفَلَتْ في أفواههما ، فورثا منها الكهانة ، وماتت من يومها . وكان نصفَ إنسان ، ويقال : إن خالد بن عبد الله القَسْريّ من سُلالته ؛ وقد مات شِقٌّ قبل سَطِيح بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيَّان بن بُقَيْلة[٧] الغسَّانيّ النصراني ، فكان من المعمَّرين ،

---

(١) (٢/ ٢١١) (الطبعة القديمة) من البداية والنهاية .

(٢) « الشيع » : مقدار من العدد ، وقولهم : بشهر أو شيعه ، أي : ونحو من شهر ، مقداره ، أو قريباً منه . اللسان (شيع) . ووقع في ط : شية ، تصحيف ، والمثبت من ح .

(٣) ابن طرار الجريري : هو المعافى بن زكريا السابق ذكره ، وطرار اسم جده . والضبط من التاج (طرر) . وترجمته تأتي في وفيات سنة ٣٩٠ من هذا الكتاب .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/ ٢٩٦) .

(٥) في مختصر تاريخ ابن عساكر : بطور سنِّي .

(٦) في ح : شق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن يسر بن عقبة ، وهو تصحيف ، واضطرب تصحيفه في ط أيضاً ، وما أثبته من البيان والتبيين (١/ ٣٦١) والاشتقاق (ص٥١٦ ، ٥١٧) وجمهرة الأنساب (ص٣٨٨) والأغاني (٢٢/ ١) ط دار الكتب ومروج الذهب (٢/ ٣١٧ ، ٣٣٣) والإكمال (٧/ ١١٩) و(٦/ ٩٦) .

(٧) في ح ، ط : نفيلة ، انظر الحاشية (٢) من (ص٤٥) من هذا الجزء .

وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »(١) وقال : هو الذي صالح خالدَ بن الوليد على [الحِيْرَة](٢) وذكر له معه قصةً طويلة ، وأنَّه أكل من يده سمَّ ساعةٍ فلم يُصِبْهُ سوء ، لأنه لما أخذه في يدِهِ ، قال : بسم الله ، وبالله ، ربِّ الأرض والسماء ، الذي لا يضرُّ مع اسمِهِ داء(٣) . ثم أكله ، فتجلَّتْهُ غشية ، فضرب بذَقَنِهِ(٤) على صدره ، ثم عَرِق وأفاق رضي الله عنه . وذكر لعبد المسيح أشعاراً غير ما تقدم .

إلى هنا الحاشية

وقال أبو نعيم(٥) : حدّثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا عقبةُ بن مكرم ، حدّثنا المسيَّب بن شَريك ، حدّثنا محمد بن شريك ، عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : كان بِمَرِّ الظَّهران(٦) راهبٌ من الرُّهْبان يدعى عيصا من أهل الشام ، وكان متخفِّراً بالعاص بن وائل ، وكان الله قد آتاه علماً كثيراً ، وجعل فيه منافعَ كثيرةً لأهل مكة من طِيبٍ ورِفْقٍ وعِلْم ، وكان يلزم صومعةً له ، ويدخلُ مكة في كلِّ سنة ، فَيَلْقَى الناس ويقول : إنه يوشك أنْ يولد فيكم مولودٌ يا أهل مكة ، يَدينُ له العرب ، ويملك العجم ، هذا زمانه ، ومن أدركه واتَّبعه أصاب حاجته ، ومن أدركه فخالفه أخطأ حاجته ، وبالله ما تركتُ أرضَ الخُبْزِ(٧) والخمير والأمن ، ولا حلَلْتُ بأرض الجوع والبؤس والخوف إلاَّ في طلبه .

وكان لا يولد بمكة مولود إلا يُسأل عنه ، فيقول : ما جاء بَعْدُ . فيقال له : فصِفْه . فيقول : لا . ويكتم ذلك للذي قد علم أنه لاقٍ من قومه مخافةً على نفسه أن يكون ذلك داعيةً إلى أدنى ما يكونُ إليه من الأذى يوماً . ولما كان صبيحة اليوم الذي وُلد فيه رسولُ الله ﷺ خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصا ، فوقف في أصل صومعته ، ثم نادى : يا عيصا . فناداه : من هذا ؟ فقال : أنا عبد الله ، فأشرف عليه فقال : كن أباه ، فقد ولد ذلك المولودُ الذي كنتُ أحدِّثكم عنه يوم الاثنين ، ويُبعث يوم الاثنين ، ويموت يوم الاثنين . قال : فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود . قال : فما سمَّيتَه ؟ قال : محمداً . قال : والله لقد كنتُ أشتهي أن يكون هذا المولودُ فيكم أهلَ البيت ، لثلاث خصالٍ بها نعرفه ، منها : أنَّ نجمه طلع البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأنَّ اسمه محمد ، انطلقْ إليه فإنَّ الذي كنتُ أحدِّثكم عنه ابْنُك . قال :

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (١٠/ ٣١٠) ب (نسخة الظاهرية التي يرمز لها بحرف س) .
(٢) ما بين معقوفين ساقط من ح ، ط واستدركته من تاريخ ابن عساكر والجليس الصالح (١٤/ ٤٤٧) .
(٣) في ح : أذاً ، وفي ط : أذى ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر .
(٤) في ح ، ط : بيديه ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر والجليس الصالح .
(٥) لم أجده في دلائل النبوة لأبي نعيم ، وهو في تاريخ ابن عساكر السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٤٤ ، ٣٤٥) رواه بسنده عن أبي القاسم بن بشران عن أبي علي محمد بن أحمد بن الحسن بن الصواف عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة .
(٦) « الظهران » : واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها : مرّ ، تضاف إلى هذا الوادي ، معجم البلدان (٤/ ٦٣) .
(٧) كذا في ح وفي ط وتاريخ ابن عساكر : أرض الخمر .

فما يُدريك أنه ابني ؟ ولعله أنْ يولد في هذا اليوم مولودٌ غيره ؟ قال : قد وافق ابنك الاسم ، ولم يكنْ الله يشبِّه علمَهُ على العلماء ، فإنه حجَّة . وآيةُ ذلك أنه الآن وَجِع ، فيشتكي[١] أياماً ثلاثة . فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يُعافى ؛ فاحفظ لسانك ، فإنه لم يُحسَدْ أحدٌ حَسَدَهُ قطّ ، ولم يُبْغَ على أحدٍ كما يُبْغَى عليه ، إنْ تعشْ حتى يبدوَ مقالُه ، ثم يدعو ، لَظَهر[٢] لك من قومك ما لا تحتمله ، إلا على صبرٍ على ذُلّ ؛ فاحفظْ لسانك ودَارِ عنه . قال : فما عمره ؟ قال : إنْ طال عمره أو قَصُر لم يبلغِ السبعين ، يموت في وِترٍ دونها من السنين ، في إحدى وستين أو ثلاثٍ وستين ، في أعمار جُلِّ أمَّته .

قال : وحُمل برسولِ الله ﷺ في عاشوراء المُحَرَّم . وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلةً خلتْ من رمضان سنة اثنتين وعشرين[٣] من غزوةِ أصحاب الفيل .

هكذا رواه أبو نعيم ، وفيه غرابة .

ذكر مراضعه وحواضنه عليه الصلاة والسلام

كانت أم أيمن واسمها بَرَكَة تحضُنه ، وكانت ممن ورِثها عليه الصلاة والسلام من أبيه ، فلما كبر أعتقها وزوَّجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامةَ بن زيد رضي الله عنهم . وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاةُ عمِّه أبي لهب ثُوَيبة قبل حَلِيمة السعدية .

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[٤] من حديث الزُّهري عن عروة بن الزُّبير ، عن زينب بنت أم سَلمة عن أُمِّ حَبِيبة بنت أبي سفيان . قالت : يا رسولَ الله ، انْكِحْ أختي بنتَ أبي سفيان ـ ولمسلم عزَّة بنت أبي سفيان ـ فقال رسول الله ﷺ : « أوَ تُحبِّينَ ذلك » ؟ قلت : نعم ، لستُ لك بِمُخْلِيَة[٥] ، وأحَبُّ مَنْ شاركني في خيرٍ أُختي ، فقال النبيُّ ﷺ : « فإنَّ ذلك لا يَحِلُّ لي » قلت : فإنَّا نُحَدَّثُ أنك تريدُ أنْ تَنْكِحَ بنتَ أبي[٦] سلمة ـ وفي رواية دُرَّة بنت أبي سَلَمة ـ قال : « بنت أمِّ سَلَمة » ؟ قلت : نعم ،

---

(١) في (ح) : أنه الآن يشتكي وجع ، والمثبت من ط . وتاريخ ابن عساكر .
(٢) كذا في ح ، ط ، وفي تاريخ ابن عساكر : يظهر ، وهو أشبه بالصواب .
(٣) كذا في ح وط وتاريخ ابن عساكر : سنة ثلاث وعشرين . قلت : وفي سنة ولادته خلاف ، جمعه وساق أخباره الزرقاني في شرح المواهب (١/ ١٥٧) .
(٤) فتح الباري (٥١٠١) النكاح باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ، وصحيح مسلم (١٦ ـ ١٤٤٩) في الرضاع ، باب تحريم الربيبة وأخت المرأة .
(٥) « مخلية » : أي منفردة . مشارق الأنوار (١/ ٢٣٩) وفي اللسان (خلو) : لم أجدك خالياً من الزوجات غيري .
(٦) في ح : أم ، والمثبت من ط والبخاري ومسلم .

قال : « إنها لو لم تكنْ رَبيبتي في حَجْري ما حلَّتْ لي . إنها لابْنَةُ أخي من الرَّضاعة ، أرضعتني وأبا سَلَمة ثُويبةُ ، فلا تَعْرِضْنَ عليَّ بناتِكُنَّ ولا أخَوَاتِكُنَّ » .

زاد البخاري : قال عُرْوة : وثُويبةُ مولاةٌ لأبي لهب [أعتقها فأرضعَتْ رسولَ الله ﷺ ، فلمَّا مات أبو لهب](١) أُرِيهُ بعضُ أهله بِشَرِّ حِيْبَةٍ(٢) . فقال له : ماذا لقيتَ ؟ فقال : أبو لهب : لم ألقَ بعدكم خيراً ، غيرَ أني سُقِيتُ في هذه بعَتَاقتي ثُويبة(٣) . [وأشار إلى النُّقْرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع](٤) .

وذكر السهيلي وغيره(٥) : أن الرائي له هو أخوه العباس ، وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر . وفيه : إن أبا لهب قال للعباس : إنه ليخفَّف عليّ في مثل يوم الاثنين . قالوا : لأنه لما بشَّرته ثُويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتقها من ساعته ، فجوزي بذلك لذلك .

ذكر رَضَاعه عليه الصلاة والسلام
من حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة

قال محمد بن إسحاق(٦) : فاسْتُرضع له عليه الصلاة والسلام من حَلِيمة بنتِ أبي ذُؤيب ، واسمه عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن [فُصَيَّة بن نَصْر بن] سعد بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة(٧) بن قيس عيلان بن مضر .

قال : واسْمُ أبي رسولِ الله ﷺ الذي أرضعه - يعني زوج حليمة - الحارث بن عبد العُزَّى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة(٨) بن سعد بن بكر بن هوازن . وإخوتُه عليه الصلاة والسلام - يعني : من الرَّضاعة - عبد الله بن الحارث ، وأُنَيْسة بنت الحارث ، وحُذَافة(٩) بنت الحارث ، وهي الشَّيْماء ،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ح .

(٢) « بشر حيبة » : أي بشرٍّ حال . والحيبة : الهم والحزن . اللسان (حوب) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٩/ ١٤٥) وأجيب بأن الخبر مرسل ، أرسله عروة ، ولم يذكر من حدثه به ، وعلى تقدير أن يكون موصولاً ، فالذي في الخبر رؤيا منام ، فلا حجة فيه ، وانظر تتمة البحث فيه .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في صحيح البخاري . وهو في الطبقات (١/ ١٠٨) ودلائل البيهقي (١/ ١٤٩) .

(٥) الروض الأنف .

(٦) في سيرة ابن إسحاق (ص٢٥) والسيرة النبوية (١/ ١٦١) وتاريخ الطبري (٢/ ١٥٧) والروض الأنف (١/ ١٨٣) وما يأتي بين معقوفين منها جميعاً .

(٧) في ح ، ط : حفصة وهو تصحيف ، والمثبت من السيرة والطبري والروض والاشتاق (ص٢٦٦) .

(٨) قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة . السيرة (١/ ١٦١) .

(٩) في هامش ح : خدامة . وفوقها حرف خاء إشارة إلى رواية نسخة أخرى ، وقال السهيلي في الروض (١/ ١٨٦) : =

وذكروا أنها كانت تحضِن رسولَ الله ﷺ مع أمه[١] إذ كان عندهم .

قال ابن إسحاق[٢] : حدّثني جَهْم بن أبي جهم[٣] ، مولى لامرأة من بني تميم ، كانت عند الحارث بن حاطب ، وكان يقال له : مولى الحارث بن حاطب ، قال : حدّثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : حُدِّثتُ عن حليمة بنت الحارث أنها قالت : قدمتُ مكة في نسوة ـ [وذكر الواقدي[٤] بإسناده أنهنَّ كنَّ عشر نسوةٍ من بني سعد بن بكر ، يلتمسْنَ بها الرُّضعاء][٥] ـ من بني سعد نلتمسُ بها الرُّضعاءَ في سنةٍ شَهْباء[٦] ، فقدمتُ على أتانٍ لي قَمْراء كانت أذمَّت بالركب[٧] ، ومعي صبيٌّ لنا ، وشارف لنا والله ما تَبِضُّ بقطرة[٨] ، وما ننام ليلنا[٩] ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما نجد في ثديي ما يُغنيه ، ولا في شارفنا ما يغذِّيه ، ولكنَّا كنَّا نرجو الغيث والفرج ؛ فخرجتُ على أتاني تلك ، فلقد أذَمَّتْ بالركب حتى شَقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً . فقدِمنا مكة ، فوالله ما علمتُ منا امرأةً إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله ﷺ ، فتأباه ، إذا قيل إنَّه يتيم تركناه ، قلنا : ماذا عسى أنْ تصنعَ إلينا أُمُّه ؟ إنما نرجو المعروفَ من أبي الولد ، فأما أمُّه فماذا عسى أن تصنع إلينا ؟ فوالله ما بقي من صواحبي امرأةٌ إلا أخذت رَضِيعاً غيري . فلما لم نجد غيرَه ، وأجمعنا الانطلاق ، قلت لزوجي الحارث بن عبد العُزَّى : والله إني لأكره أنْ أرجعَ من بين صواحبي ليس معي رضيع . لأنطلقنَّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنَّه . فقال : لا عليك أنْ

= خذامة بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حذافة ، بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمر في كتاب النساء » .

(١) في السيرة : إذا .

(٢) في سيرة ابن إسحاق (ص٢٦) قوله هذا في سيرة ابن هشام (١/ ١٦٢) والطبري (٢/ ١٥٨) والدلائل للبيهقي (١/ ١٣٣) بألفاظ مقاربة .

(٣) في ح : جهيم بن أبي جهيم ، والمثبت من المصادر السابقة وميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦) وتعجيل المنفعة (ص٧٤) ، وقال فيه ابن حجر : مجهول ، وذكره ابن حبان في الثقات .

(٤) رواية الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١١٠) .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من ط ليست في ح .

(٦) « سنة شهباء » : إذا كانت مجدبة . اللسان شهب . وقال السهيلي في الروض (١/ ١٨٦) : قال ابن هشام : إنما هو المراضع . قال : وفي كتاب الله سبحانه : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾ . والذي قاله ابن هشام ظاهر ، لأن المراضع جمع مرضع ، والرضعاء : جمع رضيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين : أحدهما حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء ؛ والثاني أن يكون أراد بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ ، لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعاً يرضع معه ، فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعاً ، علماً بأن الرضيع لا بد له من مرضع » .

(٧) « أتان قمراء » : أي بيضاء . أذمت بالركب : أي حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها . اللسان والتاج (قمر ، ذمم) .

(٨) « الشارف » : الناقة المسنة . ما تبض : ما تدر ولا ترشح . اللسان (شرف ، بضض) .

(٩) في ح ، ط : ليلتنا ، والمثبت من مصادر التخريج .

تفعلي ، فعسى أنْ يجعلَ الله لنا فيه بركة . فذهبتُ فأخذتُه ، فوالله ما أخذته إلا أني لم أجدْ غيرَه ؛ فما هو إلاَّ أن أخذتُه فجئت به رَحْلي ، فأقبل عليه ثدياي بماشاء من لبن ، فشرب حتى رَوِي ، وشرب أخوه حتى رَوِي . وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل ، فحلب ما شَرِب وشربتُ حتى رَوينا ؛ فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبي حين أصبحنا : يا حليمة [والله][1] إني لأراك قد أخذتِ نَسَمَةً مباركة ، ألم تريْ ما بتنا به الليلةَ من الخير والبركة حين أخذناه ؟! فلم يزلِ الله عزَّ وجلَّ يَزيدُنا خيراً . ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعتْ أتاني بالرَّكْب حتى ما يتعلَّق بها حمار ، حتى إنَّ صواحبي ليقلن : ويلك يا بنتَ أبي ذؤيب ! هذه أتانك التي خرجتِ عليها معنا ؟ فأقول : نعم ، والله إنها لهي ، فقلن : والله إنَّ لها لشأناً! . حتى قدمنا أرضَ بني سعد ، وما أعلمُ أرضاً من أرض الله أجْدَبَ منها ، فإنْ كانتْ غنمي لتَسْرَحُ ثم تَرُوح شِبَاعاً لُبَّناً ، فنحلُب ما شئنا وما حوالينا ـ أو حولنا ـ أحدٌ تَبِضُّ له شاةٌ بقطرةِ لبن ، وإنَّ أغنامَهُم لتروحُ جياعاً ، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم ـ أو لرعيانهم ـ : ويحكم ، انظروا حيث تَسْرَحُ غنمُ بنتِ أبي ذؤيب فاسْرَحوا معهم . فيسرحون مع غنمي حيثُ تسرح ، فتروحُ أغنامُهم جياعاً ما فيها قطرةُ لبن ، وتروح أغنامي شِبَاعاً لُبَّناً ، نحلُب ما شئنا ؛ فلم يزلِ الله يُرينا البركة ونتعرَّفها حتى بلغ سنتيه ، فكان يَشِبُّ شباباً لا تَشِبُّه الغِلْمان ، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جَفْراً[2] ، فقدِمنا به على أُمِّه ونحن أضَنُّ شيءٍ به مما رأينا فيه من البركة ؛ فلما رأته أمه قالت لها : يا ظِئْر دعينا نرجع بابننا هذه السنة الأخرى ، فإنَّا نخشى عليه وَبَاءَ مكة . فوالله ما زلنا بها حتى قالت : فنعم . فسرَّحَتْه معنا ، فأقمنا به شهرَيْن أو ثلاثة ، فبينا هو خلفَ بيوتِنا مع أخٍ له من الرَّضاعة في بَهْمٍ لنا جاءنا أخوه ذلك يشتدّ[3] ، فقال : ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثيابٌ بيض ، فأضجعاه ، فشقَّا بطنه . فخرجتُ أنا وأبوه نشتدُّ نحوه ، فنجده قائماً مُمْتَقَعاً[4] لونه . فاعتنقه أبوه وقال : يا بني ما شأنك ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، أضجعاني وشقَّا بطني ، ثم استخرجا منه شيئاً ، فطرحاه ثم ردَّاه كما كان . فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليمة لقد خَشِيتُ أن يكون ابني قد أصيب ، فانطلقي بنا نردَّهُ إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوَّف .

قالت حليمة : فاحتملناه فلم تُرَعْ أمُّه إلا به ، فقدمنا [به][5] عليها فقالت : ما ردَّكما [به يا ظئر][5] فقد كنتما عليه حريصَيْن ؟ فقالا : لا والله ، إلاَّ أنَّ الله قد أدَّى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا : نخشى الإتلاف والأحداث ، نردُّه إلى أهله . فقالت : ما ذاك بكما ؟ فاصْدُقاني شأنكما . فلم تَدْعنا حتى

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح ، وهو في بعض مصادر التخريج وسيرة ابن إسحاق .

(٢) في اللسان (جفر) : وفي حديث حليمة ظئر النبي ﷺ ، قالت : كان يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر ، فبلغ ستاً وهو جفر . قال ابن الأثير : استجفر الصبي ، إذا قوي على الأكل .

(٣) « يشتد » : يعدو . اللسان (عدو) . وفي شرح المواهب (١/ ١٨٠) : يسرع في المشي .

(٤) « ممتقعاً » : متغيِّراً . وفي ط ومصادر التخريج : منتقعاً بالنون ، وهو بمعناه .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح ، وهو في بعض مصادر التخريج وسيرة ابن إسحاق .

أخبرناها خَبَره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟ كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، والله إنَّه لكائنٌ لابني هذا شأن ، ألا أخبرُكما خبره ، قلنا : بلى . قالت : حملتُ به فما حملتُ حملاً قطُّ أخفَّ منه ، فأُريتُ في النوم حين حملتُ به ، كأنه خرج مني نورٌ أضاءتْ له قصورُ الشام ، ثم وقع حين ولدْتُه وقوعاً ما يقعُه المولود ، معتمداً على يديه ، رافعاً رأسَه إلى السماء ، فدعاه عنكما .

وهذا الحديث قد روي من طريقٍ آخر ، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي[١] .

وقال الواقدي[٢] : حدثني معاذ بن محمد عن عطاء بن أبي رَبَاح ، عن ابن عباس قال : خرجتْ حليمةُ تطلب النبيَّ ﷺ وقد وجدَتِ البَهْم[٣] تَقيل ، فوجدَتْهُ مع أخته ، فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته : يا أُمَّهْ ، ما وجد أخي حَرّاً ، رأيتُ غمامةً تُظِلُّ عليه ، إذا وقف وقفتْ ، وإذا سار سارت [معه] حتى انتهى إلى هذا الموضع .

وقال ابن إسحاق[٤] : حدّثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدَان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا له : أخبرنا عن نفسك . قال : « نَعَمْ ، أنا دعوةُ أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأَتْ أُمِّي حين حملَتْ بي كأنَّه[٥] خرج منها نورٌ أضاءتْ له قصورُ الشام ، واستُرضِعتُ في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا في بَهْمٍ لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض ، معهما طَسْت من ذهب مملوءةٌ[٦] ثلجاً ، فأضجعاني فشقَّا بطني ، ثم استخرجا قلبي فشقَّاه ، فأخرجا منه عَلَقة سوداء ، فألقياها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج ، حتى إذا ألقياه ردَّاه كما كان ؛ ثم قال أحدُهما لصاحبه : زِنْهُ بعشرةٍ من أمته ، فوزنني بعشرةٍ فوزنتهم ، ثم قال : زِنْه بمئةٍ من أمته ، فوزنني بمئة فوزنتهم ، ثم قال : زِنْه بألفٍ من أُمته ، فوزنني بألف فوزنتُهم ؛ فقال : دَعْه عنك ، فلو وزنتَهُ بأُمَّته لوزنهم . وهذا إسنادٌ جيِّد قوي .

وقد روى أبو نعيم الحافظ في « الدلائل »[٧] من طريق عمر بن الصُّبح ـ وهو أبو نعيم ـ عن ثور بن يزيد ، عن مكحول ، عن شدَّاد بن أوس هذه القصة مطوَّلة جداً ، ولكنَّ عمر بن صُبح هذا متروكٌ كذاب

---

(١) على أنه ليس له إسناد صحيح .
(٢) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١٥٢) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٣) في الطبقات : وقد بدت البَهْم . والبَهْم : بفتح الموحدة جمع بهيمة وهي ولد الضأن . اللسان بهم .
(٤) في سيرة ابن إسحاق (ص٢٨) والسيرة النبوية (١/ ١٦٦) وتاريخ الطبري (٢/ ١٦٥) وأخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ١٤٥) والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٠٠) .
(٥) في ط ومصادر التخريج : أنه .
(٦) في ح : ملأنه ، وفي ط : مملوء ، والمثبت من مصادر التخريج ، لأن الطست مؤنثة . وهي من آنية الصُّفْر . اللسان (طست) .
(٧) لم أجد القصة بهذا الإسناد في دلائل أبي نعيم .

متَّهم بالوضع. فلهذا لم نذكر لفظ الحديث، إذْ لا يفرحُ به. ثم قال[١]: وحدّثنا أبو عمرو بن حمدان[٢]، حدثنا الحسن بن سفيان[٣]، حدّثنا عمرو بن عثمان، حدّثنا بَقِيَّةُ بن الوليد، عن بَحِير بن سَعْد[٤]، عن خالد ابن مَعْدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السُّلَمي، عن عُتْبة بن عَبْد أنه حدَّثه أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: «كانتْ حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقتُ أنا وابنٌ لها في بَهْمٍ لنا، ولم نأخذْ معنا زاداً، فقلت: يا أخي، اذهبْ فأْتنا بزادٍ من عند أُمِّنا. فانطلق أخي ومكثتُ عند البَهْمِ، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نَسْران، فقال أحدُهما لصاحبه: [أ]هو هو؟ قال: نعم. فأقبلا[٥] يبتدراني، فأخذاني فبطَحَاني للقفا، فشقَّا بطني ثم استخرجا قلبي فشقَّاه، فأخرجا منه عَلَقتَيْن سوداوَيْن، فقال أحدُهما لصاحبه: ائتني بماءِ ثلج، فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماءِ بَرَد، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسَّكِينة، فذرَّها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خِطْه، فخاطه[٦] وختم على قلبي بخاتم النبوَّة؛ فقال أحدُهما لصاحبه: اجعلْه في كِفَّة، واجعل ألفاً من أُمَّته في كِفَّة؛ فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أُشفق أنْ يخرَّ عليَّ بعضُهم؛ فقال: لو أنَّ أمته وُزنتْ به لمالَ بهم. ثم انطلقا فتركاني وفرقتُ فَرَقاً شديداً، ثم انطلقتُ إلى أمي فأخبرتُها بالذي لَقيت، فأشفقتْ أن يكون قد أُلبِسَ[٧] بي، فقالت: أعيذُكَ بالله. فرحَّلَتْ بعيراً لها وحملَتْني على الرَّحْل، وركبتْ خلْفي، حتى بلَغْنا إلى أُمِّي، فقالت: أديت أمانتي وذمتي وحدَّثتْها بالذي لَقِيت، فلم يَرُعْها، وقالت: إني رأيتُ خرج مني نور أضاءَتْ منه قصورُ الشام».

ورواه أحمد من حديث بقيَّة بن الوليد به[٨].

---

(١) لم أجد أيضاً القصة بهذا الإسناد في دلائل أبي نعيم، إلا أن فيه إشارة وروده فيه (١/ ٢٢٠) (ط عبد البر عباس ١٤٠٦هـ) قوله: «ورواه عبد الرحمن بن عمر [و] عن عتبة بن عبد... وقد تقدم ذكره. ولم أجده أيضاً.

(٢) سقطت اللفظة: بن من ح، وهي في ط، وأبو عمرو هذا هو محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن سنان الحيري، توفي ٣٧٦هـ ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩).

(٣) في ح، ط: الحسن بن نفير، وهو تصحيف، والمثبت من أسانيد أبي نعيم في كتابه الدلائل، وهو الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء الشيباني الخراساني النسوي. توفي سنة ٣٠٣هـ ترجمته ومصادرها في (١١/ ١٢٤ ـ ١٢٥) من هذا الكتاب (ط) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٧ ـ ١٦٢).

(٤) في ح: يحيى بن سعيد وفي ط: بحير بن سعيد، وكذا وقع في ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٤٣١) وهوتصحيف، والمثبت من الإكمال (١/ ١٩٧) والتبصير (١/ ٦٠).

(٥) في ح: فأقبل، والمثبت من ط: ومسند أحمد.

(٦) في مسند أحمد: حُصه، فحاصه، وهو بمعناه.

(٧) كذا في ح ومسند أحمد وفي ط: لبس، وجاء في اللسان (لبس) ما نصه: «وفي المولد والمبعث: فجاء الملك فشق قلبه، قال: فخفت أن يكون قد التبس بي، أي خولطت في عقلي، من قولك: في رأيه لَبْس أي اختلاط». وهي رواية الدارمي في سننه (١/ ٩) مقدمة، باب كيف كان شأن النبي ﷺ عن عتبة بن عبد.

(٨) مسند أحمد (٤/ ١٨٤)، وإسناده ضعيف، لضعف بقية لأنه يدلس تدليس التسوية وهو أمر قادح في عدالته، وقد عنعن هنا.

وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره عن بقية بن الوليد به .

وقد رواه ابنُ عساكر[١] من طريق أبي داود الطيالسي ، حدَّثنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي ، أخبرني عمرُ بن عروة بن الزُّبير[٢] قال : سمعتُ عروة بن الزُّبير يحدِّث عن أبي ذرٍّ الغفاري قال : قلت : يا رسول الله ! كيف علمتَ أنَّكَ نبيٌّ حين علمت ذلك ، واستيقنتَ أنك نبي ؟ قال : « يا أبا ذرّ ، أتاني ملكان وأنا ببعض بَطْحاء مكة ، فوقع أحدُهما على الأرض ، وكان الآخرُ بين السماء والأرض ، فقال أحدُهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال هو هو . قال : زِنْهُ برجلٍ ، فوزنني برجلٍ فرجحْتُه » وذكر تمامه ، وذكر شقَّ صدره وخياطته ، وجعل الخاتم بين كتفَيْه . قال : « فما هو إلا أنْ ولَّيَا عني ، فكأنما أُعاينُ الأمْرَ مُعَاينةً » .

ثم أورد ابنُ عساكر[٣] عن أُبَيٍّ بن كعب بنحو ذلك ، ومن حديث شدَّاد بن أوس بأبسطَ من ذلك[٤] .

وثبت في صحيحِ مسلم[٥] من طريق حَمَّاد بن سَلَمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ أتاهُ جبريلُ عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان[٦] ، فأخذَهُ فصَرَعَه ، فشقَّ عن قلبه[٧] ، فاستخرج القلب ، واستخرج منه عَلَقَةً سوداء فقال : هذا حظُّ الشيطانِ منك ، ثم غسَلَه في طَسْتٍ من ذهب بماءِ زمزم ، ثم لأَمَه ، ثم أعادَهُ في مكانه ؛ وجاء الغلمان يسعَوْن إلى أُمِّه ـ يعني ظِئْرَه ـ فقالوا : إنَّ محمداً قد قُتل فاستَقْبَلُوهُ وهو مُمْتَقَعُ[٨] اللَّون . قال أنس : وقد كنتُ أرى أثرَ ذلك المِخْيَط في صَدْره .

وقد رواه ابن عساكر[٩] من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، عن عبد رَبِّه بن سعيد ، عن[١٠] ثابت البُناني ، عن أنس ، أنَّ الصلاة فُرضت بمكة[١١] ، وأنَّ ملكَين أتيا رسولَ الله ﷺ فذهبا به إلى زمزم ،

---

(١) في تاريخ دمشق السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٧٢ ، ٣٧٣) وما يأتي بين معقوفين منه ومن ط .

(٢) جاء الاسم في ط مضطرباً : عمير بن عمر بن عروة بن الزبير ، والمثبت من ح وهو الصواب ، نَسَبه إلى جده الزبير ، وهو عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، يروي عن جده عروة ، ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ٤٦٩) . وساق الذهبي طرفاً من الحديث بهذا الإسناد في الميزان (١/ ٤١٢) في ترجمة جعفر بن عبد الله الحميدي وقال : فذكر حديثاً طويلاً لا يتابع عليه .

(٣) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٧٤ ـ ٣٧٥) .

(٤) المصدر السابق (ص٣٧٧ ـ ٣٨٣) .

(٥) صحيح مسلم (١٦٢) (٢٦١) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٦) في ح : الصبيان ، والمثبت من ط وصحيح مسلم .

(٧) في ح : بطنه ، والمثبت من ط وصحيح مسلم .

(٨) كذا في ح وط ، وفي صحيح مسلم : منتقع وهو بمعناه ؛ وقد مر (ص٥٥ ح٤) من هذا الجزء .

(٩) في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٧٢) وما يأتي بين معقوفين منه ومن ط .

(١٠) في ح : ابن ، والمثبت من ط .

(١١) في ح ، ط : بالمدينة وهو وهم ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر ورواية النسائي في السنن (١/ ٢٢٤) باب أين فرضت الصلاة من طريق سليمان بن داود عن ابن وهب به . ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة فرضت بمكة ليلة الإسراء . تفسير القرطبي (١٠/ ٢١٠) .

فشقَّا بطنه ، فأخرجا حِشْوَتَه[١] في طَسْتٍ من ذهب ، فغسلاه بماءِ زمزم ، ثم كَبَسا[٢] جَوْفَه حكمةً وعلماً ؟

ومن طريق ابن وَهْب أيضاً[٣] ، عن يعقوب بن عبد الرحمن الزُّهْري ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هاشم[٤] بن عُتْبَة بن أبي وقاص ، عن أنس قال : أُتي رسولُ الله ﷺ ثلاث ليال قال : خذوا خَيْرَهم وسيِّدَهم . فأخذوا رسولَ الله ﷺ فعُمِد به إلى زمزم ، فشُقَّ جوفُه ، ثم أُتي بتَوْرٍ[٥] من ذهب ، فغُسل جوفُه ، ثم مُلئ حكمةً وإيماناً .

وثبت[٦] من رواية سُليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس . وفي « الصحيحين » من طريق شريك بن أبي نَمِر ، عن أنس[٧] ، وعن الزُّهري ، عن أنس ، عن أبي ذَرّ[٨] . وقتادة عن أنس . عن[٩] مالك بن صعصعة عن النبيِّ ﷺ في حديث الإسراء[١٠] ، كما سيأتي[١١] قصة شرح الصدر ليلتئذ وأنَّه غُسل بماء زمزم ؛ ولا منافاةَ لاحْتمال وقوع ذلك مرتين ، مرَّةً وهو صغير ، ومرَّةً ليلةَ الإسراء ، ليتأهَّبَ للوفود إلى الملأ الأعلى ، ولمناجاةِ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ ، والمثول بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن إسحاق[١٢] : وكان رسولُ الله ﷺ يقولُ لأصحابه : « أنا أعْرَبُكم ، أنا قُرَشيٌّ واستُرْضِعتُ في بني سعد بن بكر » .

وذكر ابن إسحاق[١٣] : أنَّ حليمة لما استرجعته[١٤] إلى أُمِّه بعد فِطامه ، مرَّتْ به على ركبٍ من

(١) « حشوته » : بكسر الحاء المهملة وضمها : أمعاؤه ، وما في البطن من كبد وطحال وغير ذلك اللسان (حشو) . ورواية النسائي : حَشْوَه .

(٢) في ط : لبسا وهو تصحيف . كبسا جوفه : أي ستراه . قاله السندي في حاشيته على شرح السيوطي لسنن النسائي (١/ ٢٢٥) .

(٣) عند ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٧٣) وما يأتي بين معقوفين منه ومن ط .

(٤) في ط : عبد الرحمن بن عامر تصحيف ، والمثبت من ح وابن عساكر .

(٥) « التور » : الإناء . اللسان (تور) .

(٦) في صحيح مسلم (٢٦٠) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٧) فتح الباري في صفة النبي ﷺ (٣٥٧٠)، وفي التوحيد (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) (٢٦٢) .

(٨) فتح الباري في الصلاة (٣٤٩)، وفي ذكر بني إسرائيل (٣٣٤٢)، وفي الحج (١٦٣٦)، وفي أحاديث الأنبياء (٣٣٤٢)، ومسلم في الإيمان (١٦٣) .

(٩) في ط : « وعن »، وهو تحريف، وإنما رواه قتادة عن أنس عن مالك، عن النبي ﷺ .

(١٠) أخرجه البخاري مقطعاً في أربعة مواضع بعضها في بدء الخلق (٣٢٠٧)، وبعضها في الأنبياء (٣٣٩٣) و(٣٤٣٠) وفي بدء الخلق (٣٢٠٧)، ومسلم في الإيمان (١٦٤) (٢٦٤) (٢٦٥) .

(١١) (٣/ ١١٥ ، ١١٦) .

(١٢) في سيرة ابن هشام (١/ ١٦٧) .

(١٣) في المصدر السابق ، بألفاظ مقاربة .

(١٤) في ط : أرجعته .

النَّصَارى ، فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام وقلَّبوه وقالوا : إنا سنذهبُ بهذا الغلام إلى مَلِكنا ، فإنه كائنٌ له شأن . فلم تكَدْ تنفلتُ منهم إلا بعد جَهْد .

وذكر أنها لما ردَّته حين تخوَّفت عليه أنْ يكونَ أصابه عارض ، فلمَّا قَرُبَتْ من مكَّة افتقدَتْه فلمْ تجدْه فجاءتْ جدَّه عبدَ المطلب ، فخرج هو وجماعة في طلبه ، فوجده ورَقَةُ بن نَوْفلٍ ورجلٌ آخر من قريش ، فأتيا به جدَّه ، فأخذه على عاتقه ، وذهب فطاف به يعوِّذُهُ ويدعو له ، ثم ردَّه إلى أُمِّه آمنة .

وذكر الأموي[1] من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقَّاصي ـ وهو ضعيف ـ عن الزُّهْري ، عن سعيد بن المُسَيِّب قصةَ مولدِه عليه الصلاة والسلام ، ورضاعِه من حَلِيمة ، على غير سياق محمد بن إسحاق . وذكر أنَّ عبدَ المطلب أمر ابنَهُ عبدَ الله أن يأخذَهُ فيطوف به في أحياءالعرب ليجد[2] له مرضعة ، فطاف حتى استأجر حليمة على رَضاعه . وذكر أنه أقام عندها ستَّ سنين تُزيرُه جدَّه في كلِّ عام ، فلما كان من شقِّ صدره عندهم ما كان ، ردَّتْه إليهم ، فأقام عند أمه ، حتى [إذا][3] كان عمره ثماني سنين ، ماتت ، فكفَلَه جدُّهُ عبدُ المطلب ، فمات وله عليه الصلاة والسلام عَشْرُ سنين ، فكفَلَه عمَّاه شقيقا أبيه : الزُّبير وأبو طالب ، فلما كان له بضعَ عَشرَةَ سنة خرج مع عمِّه الزُّبير إلى اليمن . فذكر أنهم رأوا منه آياتٍ في تلك السَّفْرة ؛ منها أنَّ فَحْلاً من الإبل كان قد قطعَ بعضَ الطريق في وادٍ مَمَرُّهم عليه ، فلما رأى رسولَ الله ﷺ برك حتى حكَّ بكَلْكَلِه[4] الأرضَ ، فركبه عليه الصلاة والسلام . ومنها أنه خاض بهم سيلاً عَرِماً[5] فأيبسَهُ الله تعالى حتى جاوزوه . ثم مات عمُّه الزُّبير وله أربعَ عشرة سنة ، فانفرد به أبو طالب .

والمقصود أنَّ بركتَهُ عليه الصلاة والسلام حلَّت على حليمةَ السعْدِيَّة وأَهْلِها وهو صغير ، ثم عادتْ على هوازِنَ بكمالهم فواضِلُه[6] حين أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . فمَتُّوا[7] إليه برَضاعِه ، فأعتقهم وتحنَّن عليهم وأحسن إليهم ، كما سيأتي مفصَّلاً في موضعه إنْ شاء الله تعالى .

قال محمد بن إسحاق[8] في وقعة هوازن : عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده [عبد الله بن عمرو] قال : كنا مع رسول الله ﷺ بحُنَين ، فلما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وَفْدُ هوازن بالجِعْرَانة[9] وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أهلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ

---

(١) الأموي هو أبو محمد سعيد بن يحيى بن سعيد المتوفى (١٩١)هـ في كتابه المغازي .
(٢) في ط : ليتخذ .
(٣) زيادة ليست في ح ، ط : ويقتضيها السياق .
(٤) « الكلكل » : الصدر . اللسان (كلل) .
(٥) في ح : عرمرم والمثبت من ط ، والسيل العرم : السيل الذي لايطاق . والعرمرم : الكثير من كل شيء . اللسان (عرم) .
(٦) « الفواضل » : الأيادي الجميلة ، وفواضل المال : ما يأتيك من مرافقه وغلته . اللسان (فضل) .
(٧) « متوا » : توسلوا ، يقال : مت إليه بالشيء يمت متًّا : توسّل . اللسان (متت) .
(٨) في سيرة ابن هشام (٢/ ٤٨٨ ، ٤٨٩) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٩) ويقال : الجِعرَّانة بكسر العين المهملة وتشديد الراء المفتوحة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . =

عليك ، فامْنُنْ علينا مَنَّ الله عليك . وقام خطيبهم زهير بن صُرَد فقال : يا رسول الله . إنَّ ما في الحظائر[(١)] من السبايا خالاتُك وحواضنك اللاتي كن يكفُلْنك ، فلو أنَّا مَلَحْنا[(٢)] ابنَ أبي شَمِر ، أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجَوْنا عائدتَهما وعطفَهما ، وأنت خيرُ المكفولين . ثم أنشد : [من البسيط]

امْنُـنْ علينـا رسـولَ الله فـي كَـرَمٍ ... فـإنَّـك المـرءُ نَـرْجُـوهُ ونَـدَّخِـرُ
امْنُنْ على بَيْضَةٍ قد عاقَها[(٣)] قَدَرٌ ... ممـزَّقٌ شَمْلُهـا فـي دهـرهـا غِيَـرُ
أبقتْ لنا الدهرَ هتَّافاً على حَزَنٍ ... علـى قلـوبهـمُ الغَمَّـاءُ والغُمَـرُ[(٤)]
إنْ لَـمْ تُـداركهـا نَعْمـاءُ تَنْشُـرُهـا ... يا أرجحَ الناسِ حِلْماً حين يُخْتَبَرُ[(٥)]
امْنُنْ على نسوةٍ قد كنتَ ترضعُها ... إذْ فُوكَ يَمْلَـؤهُ مـن مَحْضِهـا دِرَرُ[(٦)]
امْنُنْ على نسوةٍ قد كنتَ ترضَعُها ... وإذْ يَـزينُـك مـا تـأتـي ومـا تَـذَرُ
لا تجعلنَّـا كمـن شـالـتْ نَعـامَتُـه ... واستَبْـقِ منّـا فـإنَّـا معشـرٌ زُهُـرُ[(٧)]
إنـا لنشكـرُ للنُّعمـى وإنْ كُفـرتْ ... وعنـدنـا بعـدَ هـذا اليـومِ مُـدَّخَـرُ

وقد رُويتْ هذه القصة من طريق عبد الله[(٨)] بن رُمَاحِس الكلبي الرملي ، عن زياد بن طارق الجُشَميّ ،

= معجم البلدان (٢/ ١٤٢) .

(١) في ح : الحضائر ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام ، والحظيرة : المحيط بالشيء ، سواء كان خشباً أو قصباً ، جمعها الحظائر . التاج (حظر) .

(٢) « ملحنا » : أرضعنا . الشرح من حاشية ح ، وكتب فوقه : ش صحاح ، يعني الشرح من صحاح الجوهري . وجاء في اللسان (ملح) : وفي حديث وفد هوازن : أنهم كلموا رسول الله ﷺ في سبي عشائرهم ، فقال خطيبهم : إنا لو كنا ملحنا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منزلك هذا منا لحفظ ذلك لنا ، وأنت خير المكفولين فاحفظ ذلك ؛ قال الأصمعي : في قوله ملحنا ، أي : أرضعنا لهما .

(٣) في ح : . بيضة أعثانها قدر ، والمثبت من ط ومصادر التخريج . والبيضة : من قولهم : بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم ، وعشيرتهم . التاج (بيض) .

(٤) « الغماء » : الكرْب . الغُمَر : جمع غَمْرة ، وهي الشدة ، كغمرة الهم والموت . اللسان (غمم ، غمر) . وقال الزرقاني في شرح المواهب : « والغَمَرُ : بفتح المعجمة وتكسر وميم مفتوحة وراء : الحقد » .

(٥) الشطر الأول مختل الوزن بهذه الرواية ، ويستقيم برواية الواقدي وهي : ألا تداركها ، أو رواية الخطيب البغدادي والسهيلي وابن عساكر وهي : تُداركهُمُ .

(٦) « دِرر » : أي الدفعات الكثيرة من اللبن . قاله الحلبي في السيرة الحلبية (٣/ ١٢٦) قلت : هو جمع دِرَّة بكسر الدال ، وهي كثرة اللبن وسيلانه . اللسان (درر) .

(٧) « شالت نعامة القوم » : خفت منازلهم منهم ، وذهب عزهم ، وتفرقت كلمتهم . اللسان (شول) .

(٨) كذا في ح والتاج رمحس ، وفي ط واللباب (٢/ ٣٦) ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٥/ ٤٧١) وميزان الاعتدال (٣/ ٦) .

عن أبي صُرَد زهير بن جَرْوَل[١] ـ وكان رئيسَ قومه ـ قال : لما أَسَرَنا رسولُ الله ﷺ يوم حُنين ، فبينا هو يَميزُ بين الرجال والنساء وثبتُ حتى قعدتُ بين يديه ، وأسمعتُه شعراً ، أذكره حين شبَّ ونشأ في هوازن حيث أرْضعوه : [من البسيط]

امْنُنْ علينا رسولَ الله في دَعَةٍ فإنَّك المرءُ نرجوهُ ونَنْتَظِرُ
امْنُنْ على بَيْضةٍ قد عاقها قَدَرٌ ممزَّقٌ شَمْلُها في دهرها غِيرُ
أبقت لنا الحربُ هتَّافاً على حَزَنٍ على قلوبهمُ الغَمَّاءُ والغُمَرُ
إنْ لم تُداركْها نعماءَ تنشرُها يا أرجحَ الناس حِلْماً حين يُختبر
امْنُنْ على نسوةٍ قد كنتَ ترضَعُها إذْ فُوك يملؤُهُ[٢] من مَحْضِها الدِّرَرُ
إذْ أنْتَ طفلٌ صغيرٌ كنتَ تَرضعها وإذْ يَزينُكَ ما تأتي وما تذَرُ
لا تجعلنَّا كمن شالَتْ نعامَتُهُ واسْتَبْقِ منا فإنَّا معشرٌ زُهُرُ
إنَّا لنشكُرُ للنُّعمى وإنْ كُفِرَتْ وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ
فألبسِ العَفْوَ مَن قد كنتَ تَرضعُه مِن أُمَّهاتِكَ إنَّ العفوَ مُشْتَهرُ
إنَّا نؤمِّلُ عفواً منك تُلْبسُهُ هذي البرِيَّةَ إذْ تعفو وتنتصرُ
فاعفو[٣] عفا الله عمَّا أنت رَاهبُه[٤] يومَ القيامة إذْ يُهْدى لك الظَّفَرُ

قال : فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم » فقالت [قريش : ما كان لنا فهو لله ولرسوله . وقالت][٥] الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ .

---

(١) كذا في ح ، ط : وفي المصادر السابقة : عن أبي جرول زهير بن صرد ، وقال السهيلي في الروض ٤/ ١٦٦ : وأما زهير الذي ذكره يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٨) فهو ابن صرد ، يكنى أبا صرد ، وقيل : أبا جرول . وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٩٠) : زياد بن طارق عن أبي جرول ؛ نكرة لا يُعرف . تفرد عنه عبيد الله بن رماحس .

(٢) في ح : يملؤها وفي ط : تملؤه ، والمثبت من مختصر تاريخ ابن عساكر .

(٣) في ط : فاغفر .

(٤) في ح : واهبه ، والمثبت من ط ومصادر التخريج ، وهي مغازي الواقدي (٣/ ٩٥٠ ، ٩٥١) وتاريخ بغداد (٧/ ١٠٦) والروض الأنف (٤/ ١٦٦) ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٥/ ١٧١ ، ١٧٢) وشرح المواهب للزرقاني (٤/ ٤) ما بعدها ، وفيه : راهبه ، بموحدة : خائفه . والسيرة الحلبية (٣/ ١٢٦) .

(٥) ما بين معقوفين استدركته من تاريخ بغداد ومختصر تاريخ ابن عساكر . والحديث أخرجه البخاري فتح (٤٣١٨) (٤٣١٩) في المغازي باب قول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ . . . ﴾ وفي الوكالة (٢٣٠٧) و(٢٣٠٨) باب إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع ، وفي العتق (٢٥٣٩) و(٢٥٤٠) باب من ملك من العرب رقيقاً ، وفي الهبة (٢٥٨٣) و(٢٥٨٤) باب من رأى أن الهبة الغائبة جائز ، وباب إذا وهب جماعة لقوم ، وفي الجهاد (٣١٣١) و(٣١٣٢) باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ، وفي الأحكام (٧١٧٦) و(٧١٧٧) ، باب العرفاء للناس ، وأخرجه أبو داود (٢٦٩٣) في الجهاد باب في فداء الأسير بالمال . ورواه أيضاً الواقدي في المغازي (٣/ ٩٤٩ ، ٩٥٠) مطولاً ، وكذا ابن سعد في الطبقات (١/ ١١٤ ، ١١٥) وابن الأثير في جامع الأصول رقم (٦١٧١) في غزوة حنين .

وسيأتي أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية ، وكانت ستة آلاف ما بين صبيٍّ وامرأة ، وأعطاهم أنعاماً وأناسيَّ كثيراً . حتى قال أبو الحسين بن فارس : فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمئة ألف ألف درهم . فهذا كلُّه من بركته العاجلة في الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة ؟ .

فصــــل

قال ابن إسحاق بعد ذِكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه آمنة بعد رَضاعة حليمة له(١) : فكان رسول الله ﷺ مع أُمه آمنةَ بنتِ وَهْب ، وجدِّه عبد المطلب في كَلاءَةِ الله وحِفْظه ، يُنبته الله نباتاً حسناً لِمَا يريدُ به من كرامته ، فلما بلغ ستَّ سنين توفيت أُمُّه آمنة بنت وَهْب .

قال ابن إسحاق(٢) : حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، أن أُمَّ رسولِ الله ﷺ آمنة توفيت وهو ابنُ ستِّ سنين بالأبْواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قدِمَتْ به على أخواله من بني عَدِيِّ بن النجَّار ، تُزيره إيَّاهم ، فماتتْ وهي راجعة به إلى مكة .

وذكر الواقديُّ بأسانيده(٣) ، أنَّ النبيَّ ﷺ خرجتْ به أمُّه إلى المدينة ومعها أمُّ أيمن وله ستُّ سنين ، فزارتْ أخوالَه . قالت أمُّ أيمن : فجاءني ذات يومٍ رجلان من يهودِ المدينة فقالا [لي](٤) : أخرجي إلينا أحمد ننظر إليه . فنظرا إليه وقلَّباه ، فقال أحدُهما لصاحبه : هذا نبيُّ هذه الأمة ، وهذه دارُ هِجْرته ، وسيكونُ بها من القتل والسَّبْي أمْرٌ عظيم . فلما سمعتْ أُمُّه خافتْ وانصرفت به ، فماتتْ بالأبواء وهي راجعة .

وقد قال الإمام أحمد(٥): حدَّثنا حسين بن محمد، حدّثنا أيُّوب بن جابر، عن سِماك، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن ابن(٦) بريدة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بوَدَّان(٧) قال: « مكانكم حتى آتيكم » فانطلق ثم جاءنا وهو ثقيل(٨) ، فقال : « إني أتيتُ قبر أُم محمد ، فسألتُ ربي الشفاعة - يعني لها - فمنعنيها ، وإني كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور فَزُوروها ، وكنت نهيتُكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ١٦٨) .

(٢) بهذا اللفظ في سيرة ابن هشام (١/ ١٦٨) وبلفظ مختلف في سيرة ابن إسحاق (ص٤٢) .

(٣) طبقات ابن سعد (١/ ١١٦) .

(٤) ما بين معقوفين ليس في ح وهو من ط .

(٥) في مسنده (٥/ ٣٥٦ ، ٣٥٧) .

(٦) وقع في المسند : أبي بريدة ، وهو تصحيف ، وهو سليمان بن بُريدة .

(٧) « وَدَّان » : قرية جامعة من نواحي الفُرْع ، بينها وبين هَرْش ستة أميال ، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال ، قريبة من الجحفة . معجم البلدان (٥/ ٣٦٥) .

(٨) في المسند : « سقيم » خطأ (وهي كما هنا في طبعة مؤسسة الرسالة ٣٨/ ١٢٤) وهو الصواب .

أيام ، فكُلوا وأمْسِكُوا ما بدا لكم ، ونهيتُكم عن الأشربة في هذه الأوعية فاشربوا ما بدا لكم »[١] .

وقد رواه البيهقي[٢] من طريق سفيان الثوري ، عن عَلْقَمة بن مَرْثَد[٣] ، عن سليمان بن بُرَيدة ، عن أبيه قال : انتهى النبيُّ ﷺ إلى رَسْم قبر فجلس ، وجلس الناسُ حوله ، فجعل يحرِّك رأسَه كالمخاطب ، ثم بكى ، فاستقبله عمر ، فقال : ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « هذا قبر آمنة بنت وَهْب ، استأذنتُ ربي في أنْ أزورَ قبرها فأذِن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فأبى عليّ ، وأدركتني رِقَّتها فبكيت » . قال : فما رأيتُ[٤] ساعةً أكثر باكياً من تلك الساعة .

تابعه محارب بن دِثَار عن ابن بُريدة عن أبيه .

ثم روى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن بَحْر بن نصر[٥] ، عن عبد الله بن وَهْب ، حدَّثنا ابن[٦] جُرَيج ، عن أيوب بن هانئ ، عن مَسْروق بن الأجْدَع ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر ، وخرَجْنا معه ، فأمَرَنا فجلسنا ، ثم تخطَّى القبورَ حتى انتهى إلى قبرٍ منها ، فناجاه طويلاً ، ثم ارتفع نَحيبُ رسولِ الله ﷺ باكياً ، فبكينا لبكاءِ رسول الله ﷺ ؛ ثم إنَّ رسول الله ﷺ أقبل إلينا ، فتلقاه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، ما الذي أبكاك ؟ لقد أبكانا وأفزعنا . فجاء فجلس إلينا فقال : « أفزَعكم بكائي » ؟ قلنا : نعم . قال : « إنَّ القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبرُ آمنة بنت وَهب ، وإني استأذنتُ ربي في زيارتها فأذِنَ لي فيه ، واستأذنتُ ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه . ونزل علي : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٣ ـ ١١٤] . فأخذني ما يأخذُ الولد للوالدة من الرِّقَّة ، فذلك الذي أبكاني .

غريبٌ ولم يخرجوه[٧] .

وروى مسلم[٨] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عُبيد ، عن يزيد بن كَيْسان ، عن أبي حَازِم ،

---

(١) إسناده ضعيف ، لضعف أيوب بن جابر ، لكن متنه صحيح من غير هذا الوجه (بشار) .

(٢) في دلائل النبوة (١/ ١٨٩) .

(٣) في ح ، ط : علقمة بن يزيد ، تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي والإكمال (٧/ ٢٣١) وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٨) .

(٤) في ط : رؤيت ، والمثبت من ح والدلائل .

(٥) في ح : محمد بن نصر . تصحيف ، والمثبت من ط والدلائل واللباب (١/ ٧٠) وتهذيب التهذيب (١/ ٤٢٠) .

(٦) سقطت اللفظة من ح .

(٧) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (١/ ١٩٠) .

(٨) في صحيحه (١٠٨) الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه .

عن أبي هريرة قال : زارَ النبيُّ ﷺ قبرَ أُمِّه فبكى وأَبْكى مَنْ حَوْلَه ، ثم قال : « استأذنتُ ربِّي في زيارة قبر أُمي فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها[١] فلم يأذن لي ، فَزُورُوا القبور تُذَكِّركم الموت »[٢] .

وروى مسلم[٣] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفّان ، عن حمّاد بن سَلَمة ، عن ثابت عن أنس أنَّ رجلاً قال : يا رسول الله ، أين أبي ؟ قال : « في النار » . فلما قفَّى[٤] دعاهُ فقال : « إنَّ أبي وأباك في النَّار » .

وقد روى البيهقي[٥] من حديث أبي نُعيم الفَضْل بن دُكَين ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزُّهري ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال : إنَّ أبي كان يصلُ الرَّحم ، وكان ، وكان ، فأين هو ؟ قال : « في النار » قال : فكأنَّ الأعرابيَّ وجد من ذلك فقال : يا رسول الله أين [أبي ؟ قال : « في النار » قال : أين][٦] أبوك ؟ قال : « حيثما مررتَ بقبرِ كافرٍ فبشره بالنار » . قال : فأسلم الأعرابيُّ بعد ذلك فقال : لقد كلَّفني رسولُ الله ﷺ تعباً ، ما مررت بقبر كافرٍ إلا بشَّرْتُه بالنار .

غريب ، ولم يخرِّجوه من هذا الوجه[٧] .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا أبو عبد الرحمن ، حدّثنا سعيد ـ هو ابن أبي أيوب ـ حدّثنا ربيعة بن سيف المَعَافري ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : بينما نحن نمشي مع رسول الله ﷺ إذْ بَصُر بامرأةٍ لا نظنُّ أنه عرفها ، فلما توسَّط[٩] الطريق وقف حتى انتهت إليه ، فإذا فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال : « ما أخرجكِ من بيتك يا فاطمة » ؟ فقالت : أتيتُ أهلَ هذا البيت فترحَّمْتُ[١٠] إليهم مَيِّتَهم وعزَّيتُهم . قال : « لعلك بلغتِ معهم الكُدَى » ؟ قالت : معاذَ الله أنْ أكون بلغْتُها معهم وقد سمعتُك تذكر في ذلك ما تذكر . قال : « لو بَلَغْتِها[١١] معهم ما رأيتِ الجنة حتى يراها جَدُّ أبيك » .

---

(١) سقطت اللفظة من ح .

(٢) وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٣)، وأحمد (٢/ ٤٤١) ابن ماجه في سننه (١٥٦٩) و(١٥٧٢) الجنائز باب ما جاء في زيارة قبور المشركين ، وأبو داود في سننه (٣٢٣٤) الجنائز باب في زيارة القبور ، والنسائي في سننه (٤/ ٩٠) الجنائز باب زيارة قبر المشرك ، وابن حبان (٣١٦٩) والحاكم (١/ ٣٧٥). وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم (٧/ ٤٦): رجاله كلهم ثقات فهو حديث صحيح بلا شك .

(٣) في صحيحه (٣٤٧) الإيمان باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار .

(٤) قفَّى : ولَّى قفاه منصرفاً . شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ٧٩) .

(٥) في دلائل النبوة (١/ ١٩١ ، ١٩٢) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من ط والدلائل ، وهو في ح .

(٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٧ ، ١١٨) وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

(٨) في مسنده (٢/ ١٦٨ ، ١٦٩) .

(٩) في مسند الإمام أحمد : « توجهنا الطريق » وما هنا أصح .

(١٠) كذا في ح ، ط وسنن النسائي ، وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وسنن البيهقي : فرحمت .

(١١) في ح ، ط : بلغتيها ، والمثبت من مسند الإمام أحمد وسنن النسائي .

ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي[(١)] من حديث ربيعة بن سيف بن ماتع المعافري الصنمي الإسكندري، وقد قال البُخاري[(٢)] : عنده مناكير . وقال النسائي[(٣)] : ليس به بأس، وقال مرة[(٤)] : صدوق، وفي نسخة[(٥)] ضعيف . وذكره ابنُ حِبَّان في الثقات ، وقال[(٦)] : كان يُخطئ كثيراً . وقال الدارقطني[(٧)] : صالح . وقال ابنُ يونس في تاريخ مصر[(٨)] : في حديثه مناكير ، توفي قريباً من سنة عشرين ومئة .

والمراد بالكُدَى : القبور ، وقيل : النَّوْح[(٩)] .

والمقصود أنَّ عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية ، خِلافاً لِفرْقةِ الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب ، على ما سيأتي في وفاة أبي طالب ، وقد قال البيهقي ـ بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه « دلائل النبوة »[(١٠)] : وكيف لا يكون أبواه وجدُّه عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا دينَ عيسى ابن مريم عليه السلام ، وكفرهم[(١١)] لا يقدح في نسبه عليه الصلاة والسلام ، لأنَّ أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يُسْلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديدُ العقد ولا مفارقتهن ، إذا كان مثله يجوز في الإسلام ، وبالله التوفيق . انتهى كلامه .

قلتُ : وإخباره ﷺ عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديثَ الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصُّمَّ يُمتحنون في العَرَصات يوم القيامة ، كما بسطناه سنداً ومتناً عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[(١٢)] [الإسراء : ١٥] فيكون منهم من يجيب

---

(١) الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٨ ، ١٦٩) وأبو داود في سننه (٣١٢٣) الجنائز باب في التعزية ، والنسائي في سننه (٤/ ٢٦ ، ٢٧) الجنائز باب النعي ، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٩٢) وفي إسناده ضعف .

(٢) في التاريخ الكبير (٣/ ٢٩٠) .

(٣) تهذيب الكمال (٩/ ١١٤) .

(٤) لم نقف على هذا القول .

(٥) المجتبى (٤/ ٢٨) .

(٦) الثقات (٦/ ٣٠١) .

(٧) سؤالات البرقاني للدارقطني (١٥٣) .

(٨) هو عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي ، مؤرخ ، محدث ، له تاريخان ، أحدهما كبير في « أخبار مصر وتاريخها » والثاني صغير في « ذكر الغرباء الواردين على مصر » توفي ٣٤٧هـ الأعلام (٣/ ٢٩٤) وكشف الظنون (١/ ٣٠٤) .

(٩) قال ابن منظور في تفسيره : أراد المقابر ، وذلك لأنه كانت مقابرهم في مواضع صلبة ، وهي جمع كُدْية ، ويروى بالراء [الكُرَى] وهي القبور جمع كُرْيه أو كُرْوَة ، من كريت الأرض وكروتها : إذا حفرتها ، كالحفرة . اللسان (كدي ، كرو) .

(١٠) دلائل النبوة (١/ ١٩٢ ، ١٩٣) .

(١١) في الدلائل : وأمرهم .

(١٢) يعني بسطه في التفسير (٣/ ٢٨) وما بعدها .

ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة ، ولله الحمد والمنة .

وأما الحديث الذي ذكره السُّهَيْلي ، وذكر أنَّ في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزِّنَاد ، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سأل ربَّه أن يُحيي أبويه ؛ فأحياهما وآمنا به ، فإنه حديثٌ منكرٌ جداً . وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى ، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضُه . والله أعلم .

فصـــل

قال ابن إسحاق(١) : وكان رسول الله ﷺ مع جدِّه عبد المطلب بن هاشم ـ يعني بعد موت أُمِّه آمنة بنت وهب ـ فكان يوضع لعبد المطلب فراشٌ في ظلِّ الكعبة ، وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له . قال : فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جَفْر(٢) حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخِّرُوه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني ، فوالله إنَّ له لشأناً . ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسرُّه ما يراه يصنع .

وقال الواقدي(٣) : حدّثني محمد بن عبد الله عن الزهري ، وحدّثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حمزة بن(٤) عبد الله ، وحدّثنا هاشم بن عاصم الأسلمي عن المنذر بن جَهْم ، وحدّثنا معمر عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد ، وحدّثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الحويرث ، وحدّثنا ابن أبي سَبْرَة ، عن سليمان بن سُحَيم ، عن نافع بن جُبير ـ دخل حديثُ بعض منهم في بعض ـ قالوا : كان رسول الله ﷺ يكون مع أُمِّه آمنةَ بنتِ وَهْب ، فلما تُوفيت قبضَهُ إليه جَدُّه عبد المطلب ، وضمَّهُ ورقَّ عليه(٥) رِقَّةً لم يرقَّها على ولده ، وكان يقرِّبُه منه ويُدْنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دعوا ابني إنه يُؤْنس(٦) ملكاً .

وقال قومٌ من بني مُدْلِج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإنَّا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في الحَجَر(٧)

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٤٢ ، ٤٣) وسيرة ابن هشام (١/ ١٦٨) .

(٢) « الجفر » : الصبي الممتلئ ، القوي على الأكل . السيرة الحلبية (١/ ١٣٣) .

(٣) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١١٧ ، ١١٨) .

(٤) في ح عن ، والمثبت من ط وطبقات ابن سعد .

(٥) كذا في الأصول وطبقات ابن سعد ، وليس في المعجمات تعدية للفعل (رق) بـ (على) وإنما « رق له » بمعنى رَحِمه .

(٦) في ط : يؤسس ، وفي الطبقات : ليُؤنِسُ ، والمثبت من ح وفي اللسان من حديث نجدة الحروري وابن عباس : حتى تُؤْنِس منه الرُّشدَ ؛ أي تعلم منه كمال العقل وسداد الفعل وحسن التصرف .

(٧) فوق اللفظة في ح إشارة (٢) ليست إشارة لَحَق ، وفي الهامش كُتب (المقام) وفوقها حرف (خ) إشارة إلى أنها رواية نسخة ، وهي رواية الطبقات و ط .

والمقام في المسجد الحرام ، هو الحَجَر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام حين رفع بناء البيت ؛ وقيل : هو الحجر=

منه . فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء ! فكان أبو طالب يحتفظ به . وقال عبد المطلب لأُمِّ أيمن ـ وكانت تحضُنه ـ : يا بَرَكَة ، لا تغفلي عن ابني ، فإنِّي وجدتُه مع غلمانقريب[١] من السدرة ، وإنَّ أهل الكتاب يزعمون أنَّ ابني نبيُّ هذه الأمة . وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول : عليَّ بابني ، فيُؤتى به إليه . فلمَّا حضرت عبدَ المطلب الوفاةُ أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته ، ثم مات عبد المطلب ودُفن بالحَجُون[٢] .

وقال ابن إسحاق[٣] : فلما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين هلك جدُّه عبد المطلب بن هاشم . ثم ذكر جمعَه بناتِهِ وأمْرَهُ إياهنَّ أن يرثينه ؛ وهن : أروى ، وأمية ، وبَرَّة ، وصفية ، وعاتكة ، وأمُّ حكيم البيضاء، وذكر أشعارهنَّ وما قُلْنَهُ في رثاء أبيهن ، وهو يسمعُ قبل موته ، وهذا أبلغ النَّوح . وبسط القول في ذلك .

وقد قال ابن هشام[٤] : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

قال ابن إسحاق[٥] : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولي زمزم والسقاية بعده ابنُه العباس ، وهو من أحدث إخوته سناً ، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وأقرَّها في يده رسولُ الله ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ[٦] بن عِمْران بن مخزوم . قال : فكان أبو طالب هو الذي يلي أمْرَ رسول الله ﷺ وكان إليه ومعه .

وقال الواقدي[٧] : أخبرنا مَعْمَر عن ابن [أبي][٨] نَجيح عن مجاهد ، وحدّثنا معاذ بن محمد الأنصاري ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وحدّثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ـ دخل حديث بعضهم في [حديث][٩] بعض ـ قالوا : لما توفي عبد المطلب قَبَض

= الذي وقف عليه حين غسلت زوج ابنه إسماعيل رأسه ، وقيل : بل كان راكباً فوضعت له حجراً من ذات اليمين فوقف عليه حتى غسلت شق رأسه الأيمن ثم صرفته إلى الشق الأيسر فرسخت قدماه فيه حال وقوفه عليه ؛ وقيل هو الحجر الذي وقف عليه حين أذن في الناس بالحج . وصفه في معجم البلدان (المقام ، ٥/ ١٦٤) .

(١) كذا في ح ، ط ، والوجه : قريباً بالنصب .

(٢) «الحجون» : جبل بأعلى مكة ، عنده مدافن أهلها ، على ميل ونصف . معجم البلدان (٢/ ٢٢٥) واللسان (حجن) .

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٤٥) وما بعدها وسيرة ابن هشام (١/ ١٦٩) وما بعدها .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٩) .

(٥) سيرة ابن إسحاق (ص٤٧) وسيرة ابن هشام (١/ ١٧٨ ، ١٧٩) .

(٦) في ح : عابد . وهو تصحيف ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والإكمال (٦/ ٩) .

(٧) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١١٩) .

(٨) ما بين معقوفين سقط من ح ، ط ، وأثبته من الطبقات .

(٩) ما بين معقوفين من ط وطبقات ابن سعد .

أبو طالب رسولَ الله ﷺ ، فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له ، وكان يحبُّه حبّاً شديداً لا يحبّه ولدَه ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه ، وصَبَّ به أبو طالب صبابةً لم يُصَبّ[١] مثلها بشيءٍ قط . وكان يخصُّه بالطعام ، وكان إذا أكل عيالُ أبي طالب جميعاً أو فُرَادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسولُ الله ﷺ شبعوا ، فكان إذا أراد أن يُغَدِّيَهم قال : كما أنتم حتى يأتيَ ولدي . فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فكانوا[٢] يُفضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا ، فيقول أبو طالب : إنَّك لمبارَك ، وكان الصبيان يُصبحون رُمْصاً شُعثاً ، ويُصبح رسول الله ﷺ دَهِيناً كَحيلاً .

وقال الحسن بن عرفة : حدّثنا عليُّ بن ثابت ، عن طلحة بن عمرو ، وسمعتُ عطاء بن أبي رباح ، سمعتُ ابن عباس يقول : كان بنو أبي طالب يُصبحون غُمْصاً رُمْصاً ، ويُصبح رسولُ الله ﷺ صَقِيلاً دَهِيناً[٣] وكان أبو طالب يُقرِّبُ إلى الصبيانِ صَحْفَتَهم[٤] أوَّلَ البُكْرَة ، فيجلسون وينتهبون ، ويكف رسولُ الله ﷺ يدَهُ فلا ينتهبُ معهم[٥] . فلما رأى ذلك عمُّه عزَلَ له طعامَهُ على حِدَة .

وقال ابن إسحاق[٦] : حدّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، أنَّ أباهُ حدَّثه أنَّ رجلاً من لِهْبٍ كان عائفاً[٧] ، فكان إذا قدِم مكة أتاهُ رجالٌ من قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف[٨] لهم فيهم ؛ قال : فأتى أبو طالب برسول الله ﷺ وهو غلام مع من[٩] يأتيه ؛ قال : فنظر إلى رسولِ الله ﷺ ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغَ قال : الغلام عليَّ به . فلما رأى أبو طالب حِرْصَهُ عليه غيَّبَهُ عنه ، فجعل يقول : ويلكم ، رُدُّوا عليَّ الغلامَ الذي رأيتُه آنفاً ، فوالله ِليكونَنَّ له شأن . قال : وانطلق به أبو طالب .

---

(١) « صبَّ به » : أحبَّه وكلف به ، جاء في الأساس (صبب) : هو صبٌّ بها : كلِفٌ ، وهي صبَّة به . وهو من الصبابة ورِقَّة الهوى .

(٢) في ح : فكان ، والمثبت من ط .

(٣) قال صاحب اللسان بعد سياق الحديث (رمص) : غَمِصت العين ورمِصَت من الغَمَص والرمص ، وهو البياض الذي تقطعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان ، والرَّمص : الرطب منه ، والغَمَص : اليابس ، والغُمْص والرُّمص : جمع أغمص وأرمص .

(٤) « الصحفة » : كالقصعة ، وهي تشبع الخمسة ونحوهم . اللسان (صحف) ، وحرف في ط إلى صفحتهم . وفي ح على الصواب .

(٥) « ينتهبون » : من الانتهاب وهو الأخذ . التاج (نهب) .

(٦) قول ابن إسحاق هذا في سيرة ابن هشام (١/ ١٧٩ ، ١٨٠) .

(٧) « بنو لِهْبْ » : قبيلة من الأزْد ، وهم أهل العِيافة والزَّجْر ، زعموا أنها أعيف العرب . والعائف : المتكهِّن الذي يعيف الطير فيزجرها بالحدس والظن فيتفاءَل بأسمائها وأصواتها وممرِّها . اللسان والتاج (لهب ، عيف) .

(٨) في ح : ويعاف . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .

(٩) في ح : ممن ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .

فصــل
في خروجِهِ عليه الصلاةُ والسلام مع عمِّه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بَحِيرَى الراهِب[١]

قال ابن إسحاق[٢] : ثم إنَّ أبا طالب خرج في ركبٍ تاجراً إلى الشام ، فلمَّا تهيَّأ للرحيل وأجمع السير صَبَّ به[٣] رسولُ الله ﷺ ـ فيما يزعمون ـ [فأخذ بزمام ناقته وقال : « يا عمّ ، إلى من تكلني ؟ لا أب لي ولا أُمّ » ؟] فَرَقَّ له أبو طالب وقال : والله لأخرجنَّ به معي ولا أفارقُهُ ولا يفارقُني أبداً . أو كما قال فخرج به [معه] ، فلما نزل الرَّكْبُ بُصْرَى[٤] من أرض الشام ، وبها راهبٌ يقال له : بَحِيرى في صومعةٍ له . وكان إليه عِلْمُ أهْلِ النَّصْرانية ، ولم يزلْ في تلك الصومعةِ منذُ قُطّ[٥] راهب فيها[٦] ، إليه[٧] يصيرُ علمهم عن كتاب [فيها][٨] فيما يزعمون ، يتوارثونَهُ كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام بِبَحِيرَى ، وكانوا كثيراً ما يمرُّون [به قبل ذلك] فلا يكلِّمُهم ولا يعرض لهم[٩] حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا قريباً من صومعته ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شيءٍ رآه وهو في صومعته . يزعمونَ أنَّهُ رأى رسولَ الله ﷺ في الرَّكب حين أقبلَ وغمامةٌ تُظِلُّه من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلُوا في ظلِّ شجرةٍ قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلَّتِ الشجرة ، وتهصَّرَتْ أغصانُ الشجرةِ على رسولِ الله ﷺ حتى استظلَّ تحتها[١٠] . فلما رأى ذلك بَحِيرَى نزل من صومعته ، وقد أمرَ بطعامٍ فَصُنع ، ثم أرسل إليهم فقال : إني

---

(١) مضت ترجمة بحيرى في الجزء الثاني وهي أيضاً في مختصر ابن منظور (٥/ ٥٤) والإصابة (١/ ١٧٦) وشرح المواهب (١/ ٢٣٤).

(٢) سيرة ابن إسحاق (ص٥٣) وما يأتي بين معقوفين منه . وأيضاً في سيرة ابن هشام (١/ ١٨٠) والروض (١/ ٢٠٥) وتاريخ الطبري (٢/ ٧٧) ومختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٢/ ٧) وشرح المواهب (١/ ٢٣٣) وما بعدها .

(٣) في سيرة ابن إسحاق صب له ـ أظنه تصحيفاً ـ وعند بعض الرواة : فضبَّ به . أي لزمه كما في شرح المواهب (١/ ٢٣٣) وقد مضى معناه (الصفحة السابقة ح١) من هذا الجزء .

(٤) « بُصْرى » : قصبة كورة حَوْران من أعمال دمشق ، فتحت صلحاً لخمس بقين من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ، وهي أول مدينة فتحت بالشام ، وردها عليه الصلاة والسلام مرتين . هذه إحداها ، والثانية في تجارة لخديجة مع ميسرة غلامها . معجم البلدان (١/ ٤٤١) ومختصر ابن منظور (٢/ ٥) وشرح المواهب (١/ ٢٣٤) وموقعها اليوم جنوبي دمشق ، وتبعد عنها مسافة ١٤٢كم تقريباً .

(٥) قُطُّ هنا بمعنى الزمان والدهر ، وهي مثلثة القاف . التاج (قطط) .

(٦) راهب كذا في ح ، ط ، ولفظة : فيها ، ساقطة من ح .

(٧) في ح : إليهم . والمثبت من ط .

(٨) في سيرة ابن إسحاق ومختصر ابن منظور : فيهم ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض الأنف .

(٩) في ح : إليهم . والمثبت من مصادر التخريج .

(١٠) « تهصَّرت » : أي تهدَّلت عليه ومالت ، من الهَصْر ، وهو عطف الغصن الرطب . اللسان (هصر) .

صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحبُّ أنْ تحضُروا كلُّكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحُرّكم . فقال له رجل منهم : والله يا بَحِيرى إنَّ لك لشأناً اليوم ، ما كنتَ تصنعُ هذا بنا وقد كُنَّا نمرُّ بك كثيراً ، فما شأنُكَ اليوم؟ قال له بَحِيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنَّكم ضَيْف ، وقد أحببتُ أنْ أُكرمكم وأصنعَ لكم طعاماً فتأكلوا منه كلُّكم . فاجتمعوا إليه وتخلَّف رسولُ الله ﷺ من بينِ القوم لحداثةِ سِنِّه في رِحالِ القوم تحت الشجرة ، فلما رآهم بَحِيري لم يرَ الصفةَ التي يعرفُ ويجدُ[1] عنده ، فقال : يا معشر قريش ، لا يتخلَّفَنَّ أحدٌ منكم عن طعامي . قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلَّفَ عنك أحدٌ ينبغي له أنْ يأتيكَ إلا غلامٌ وهو أحدَثُنا سِنّاً ، فتخلَّف في رحالنا . قال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضُرْ هذا الطعامَ معكم . قال : فقال رجلٌ من قريش مع القوم : واللاتِ والعُزَّى ، إنْ كان للؤْماً بنا أن يتخلَّف محمدُ بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعامٍ من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه [، ثم أقبلَ به] وأجلسه مع القوم ، فلما رآه[2] بَحِيرى جعل يلحظُه لحظاً شديداً ، وينظرُ إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدُها عندَهُ من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى وقال له : يا غلام ، أسألك بحقِّ اللات والعُزَّى إلا أخبرتني عمَّا أسألُكَ عنه . وإنما قال له بَحِيرى ذلك ، لأنه سمع قومَهُ يحلِفُون بهما ، فزعموا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له : « لا تسألني باللاتِ والعُزَّى شيئاً ، فواللهِ ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بُغْضَهما » . فقال له بَحِيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألُك عنه ؟ فقال له : « سلْني عمَّا بدا لك » . فجعل يسألُه عن أشياءَ من حاله من نومِهِ وهَيْئَتِهِ وأُموره . فجعل رسولُ الله ﷺ يُخْبِرُه ، فوافق[3] ذلك ما عند بَحِيرى من صفته . ثم نظر إلى ظهرِهِ فرأى خاتم النبوة بين كتفيه [على] موضعه من صفته التي عنده ، فلما فرغ أقبل على عمِّهِ أبي طالب فقال : ما هذا الغلامُ منك ؟ قال : ابني ، قال بَحِيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكونَ أبوه حيّاً ؟ قال : فإنَّهُ ابنُ أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمُّه حُبْلَى به . قال : صدقت ، ارجعْ بابن أخيك إلى بلَدِه ، واحْذَرْ عليه يهود . فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّهُ[4] شرّاً ، فإنَّهُ كائنٌ لابنِ أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسرعْ به إلى بلاده . فخرج به عمُّه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن إسحاق[5] : فزعموا فيما روى الناس أنَّ زُرَيْراً ، وثماماً[6] ، ودَريساً ـ وهم نفرٌ من أهْلِ الكتاب ـ قد كانوا رأَوا رسولَ الله ﷺ مثلما رأى بَحِيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب ، فأرادوهُ فردَّهم عنه بَحِيرى ، فذكَّرَهُم اللهَ وما يجدون في الكتابِ من ذِكره وصفته ، وأنهم إنْ أجمعوا لما

---

(١) في ح : يعرفه بها ، وفي ط : ويجده ، والمثبت من مصادر التخريج .
(٢) في ح : رأى . والمثبت من ط ومصادر التخريج .
(٣) في سائر المصادر فيوافق . وهو أشبه بالصواب .
(٤) في ح : إنْ . . ليتبعنه ، وفي سيرة ابن إسحاق : ليبغينه . والمثبت من ط وباقي المصادر .
(٥) سيرة ابن إسحاق (ص٥٥) وسيرة ابن هشام (١/ ١٨٣) والروض الأنف (١/ ٢٠٧) ومختصر ابن منظور (٢/ ٩) .
(٦) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن إسحاق وسائر مصادر تخريجه تماماً بالتاء المثناة من فوق .

أرادوا به لم يخلُصوا إليه ، حتى عرفوا ما قالَ لهم وصدَّقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه .

وقد ذكر يونس بن بُكير عن ابن إسحاق أنَّ أبا طالب قال في ذلك ثلاثَ قصائد[١] . هكذا ذكر ابنُ إسحاق هذا السياق من غير إسنادٍ منه ، وقد ورد نحوُهُ من طريقٍ مسندٍ مرفوع .

فقال الحافظ أبو بكر الخرائطي[٢] : حدّثنا عباس بن محمد الدُّوري ، حدّثنا قُرَاد أبو نوح ، حدّثنا يونس بن أبي إسحاق[٣] عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام [فخرج] معه رسولُ الله ﷺ في أشياخٍ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب ـ يعني بَحِيرى ـ هبَطُوا فحلُّوا رحالَهُم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرجُ ولا يلتفتُ إليهم . قال : فنزل وهم يحلُّون رحالهم ، فجعل يتخلَّلُهم حتى جاء فأخذ بيد النبيِّ ﷺ فقال : هذا سيِّدُ العالمين ـ وفي روايةِ البيهقي[٤] زيادة : هذا رسولُ ربِّ العالمين ، ابتعثه الله رحمة للعالمين ـ فقال له أشياخٌ من قريش : وما علمك[٥] ؟ فقال : إنَّكم حين أشرفتُمْ من العَقَبة لم يَبْقَ شجرةٌ ولا حجَرٌ إلَّا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدون إلَّا لنبيّ ، وإني أعرفه بخاتم النبوَّة أسفل من غُضْرُوف كَتِفِهِ . ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به ـ وكان هو في رِعْيَةِ الإبلِ ـ فقال : أرسِلُوا إليه ، فأقبل وغَمامةٌ تُظِلُّه . فلما دنا من القوم قال : انظروا إليه ، عليه غمامة . فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَيْءِ الشجرة ، فلما جلس مال فَيْءُ الشجرةِ عليه . قال : انظروا إلى فيءِ الشجرةِ مالَ عليه . قال : فبينما هو قائمٌ عليهم وهو يَنْشُدُهم ألَّا يذهبوا به إلى الرُّوم ، فإنَّ الرُّومَ إنْ رأَوْهُ عرفوهُ بالصِّفَةِ فقتلوه ؛ فالتفت فإذا هو بسبعةِ نفرٍ من الرُّوم قد أقبلوا . قال : فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا ، إنَّ هذا النبيَّ خارجٌ في هذا الشهر ، فلم يبقَ طريقٌ إلا بُعث إليه ناس ، وإنَّا أُخبرنا خَبَرُهُ إلى طريقكَ هذه . [قال فقال : هل خلَّفتم أحداً هو خيرٌ منكم ؟ قالوا : لا ، إنما أُخبرنا خَبَرَهُ][٦] إلى طريقك هذه . قال : أفرأيتم أمْراً أرادَ الله أنْ يقضِيَه ، هل يستطيعُ أحدٌ من الناس ردَّه ؟ فقالوا : لا . قال : فبايَعُوه وأقاموا معه عنده . قال : فقال الراهب : أَنْشُدُكم الله أيُّكم وليُّه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزَلْ يُناشده حتى رَدَّه ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وزوَّدَهُ الراهب من الكعك والزيت .

هكذا رواه الترمذي[٧] عن أبي العباس الفَضْلِ بن سَهْل الأعرج عن قُرَاد أبي نوح به .

---

(١) القصائد الثلاث في سيرة ابن إسحاق (ص٥٥ ـ ٥٧) .

(٢) في هواتف الجنان (ص٤٩) نسخة الظاهرية (ص١٩٤ المطبوعة) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) في الأصل : يونس عن أبي إسحاق ، وكذا في هواتف الجنان ، وهو تحريف ، والصواب من سنن الترمذي (٥/ ٢٥٠) وترجمة يونس بن أبي إسحاق في تهذيب التهذيب (١١/ ٤٣٣) وروايته فيه ثابتة عن أبي بكر بن أبي موسى ، كما ثبتت رواية قراد عنه في التهذيب أيضاً (٦/ ٢٤٧) واسم قراد : عبد الرحمن بن غزوان .

(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٢٤) .

(٥) بعد هذه اللفظة في نسخة الظاهرية من كتاب هواتف الجنان سقط بمقدار صفحة .

(٦) ما بين المعقوفين مكرر في الأصل (ح) .

(٧) جامع الترمذي (٣٦٢٠) المناقب باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ .

والحاكم[١] والبيهقي[٢] وابن عساكر[٣] ، من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم ، عن عباس بن محمد الدُّوري به .

وهكذا رواهُ غيرُ واحدٍ من الحفاظ ، من حديث أبي نَوْح عبدِ الرحمن بن غَزْوان الخُزاعي مولاهم ـ ويقال له[٤] الضَّبِّيّ ـ ويُعرف بقُرَاد ، سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرجَ لهم البخاري ؛ ووثَّقَهُ جماعةٌ من الأئمَّةِ والحُفَّاظ ، ولم أرَ أحداً جَرَّحَه ، ومع هذا في حديثِهِ هذا غرابة ؛ قال الترمذي : حسنٌ غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال عبَّاس الدُّوري : ليس في الدنيا أحد يحدث به غَيْرُ قُراد أبي نوح ، وقد سمعه منه أحمد بن حنبل رحمه الله ، ويحيى بن مَعين لغرابته وانفراده . حكاهُ البيهقيُّ[٥] وابن عساكر .

قلت : فيه من الغرابة أنه من مرسلاتِ الصحابة ، فإنَّ أبا موسى الأشعري إنما قدِم في سنةِ خَيْبَر سنة سبع من الهجرة ، ولا يُلتفتُ إلى قول ابن إسحاق في جَعْلِهِ له من المُهاجِرةِ إلى أرض الحبشةِ من مكة ، وعلى كُلِّ تقدير فهو مُرْسَل ؛ فإنَّ هذه القصة كانت ولرسولِ الله ﷺ من العمر فيما ذكره بعضُهم ثنتا عشرةَ سنة ، ولعل أبا موسى تلقَّاه من النبيِّ ﷺ فيكون أبلغ ، أو من بعضِ كبارِ الصحابة رضي الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة .

الثاني : أنَّ الغمامةَ لم تُذكر في حديثٍ أَصَحَّ من هذا .

الثالث : أنَّ قولَهُ : وبعث معه أبو بكر بلالاً ، إنْ كان عمره عليه الصلاة والسلام إذْ ذاك ثنتي عشرةَ سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمُر بلالٍ أقلُّ من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب ، اللهمَّ إلا أنْ يُقال : إنَّ هذا كان ورسولُ الله ﷺ كبيراً ؛ إمَّا بأنْ يكونَ سفرُه بعد هذا ؛ أو إنَّ القول[٦] بأنَّ عُمُرَهُ كان إذ ذاك ثنتيْ عشرةَ سنةً غيرُ محفوظ ، فإنَّهُ إنما ذكرَهُ مقيداً بهذا الواقدي[٧] .

وحكى السُّهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم[٨] .

---

(١) في المستدرك (٢/ ٦١٥ـ٦١٦) .
(٢) انظر الحاشية الخامسة من هذه الصفحة .
(٣) تاريخ دمشق (٣/ ٥ ـ ٨) .
(٤) ليست له في ح .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٦) .
(٦) في ط : إن كان القول . بزيادة كان ، وليست في ح .
(٧) هذا النقد قال به قبله الذهبي في السيرة (١/ ٥٨ ـ ٥٩) لذلك استنكره جداً ، والحمل فيه على أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان المعروف بقراد ، وينظر بلابد تعليقي على الترمذي (بشار) .
(٨) انظر قول السهيلي في الروض (١/ ٢٠٦) .

قال الواقدي[١] : حدّثني محمد بن صالح ، وعبد الله بن جعفر ، وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحُصَين ، قالوا : لما بلغ رسولُ الله ﷺ اثنتيْ عشرةَ سنةً خرج به عمُّه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ، ونزلوا بالراهب بَحِيرى ، فقال لأبي طالب في السرِّ[٢] ما قال ، وأمره أن يحتفظ به ، فردَّه معه أبو طالب إلى مكة .

[وشبَّ رسولُ الله ﷺ مع أبي طالب ، يَكْلَؤه الله ويحفظه ويحوطُه من أمور الجاهلية ومعايبها ، لما يريدُ من كرامته ، حتى بلغ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومه مروءةً ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمَهم مخالطةً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً وأمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم من الفحش والأذى][٣] . ما رُئي ملاحياً ولا ممارياً أحداً ، حتى سمَّاه قومُه الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة ، فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضُده حتى مات .

وقال محمد بن سعد[٤] : أخبرنا خالد بن خِدَاش[٥] ، حدّثنا معمر بن سليمان : سمعتُ أبي يحدِّث عن أبي مِجلَز أنَّ عبد المطلب أو أبا طالب ـ شكَّ خالد ـ قال : لما مات عبد الله عطف على محمد [ﷺ] فكان لا يسافر سفراً إلا كان معه فيه ، وإنه توجَّه نحو الشام ، فنزل منزلاً ، فأتاه فيه راهب فقال : إنَّ فيكم رجلاً صالحاً . [فقال : إن فينا من يَقْري الضيف ، ويفكُّ الأسير ، ويفعل المعروف . أو نحواً من هذا .] ثم قال : أين أبو هذا الغلام ؟ قال فقال : ها أنا ذا وَلِيُّه ـ أو قيل هذا وليُّه ـ قال : احتفظْ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام ، إنَّ اليهودَ حُسُد ، وإني أخشاهم عليه . قال : ما أنت تقول ذلك ، ولكنَّ الله يقوله . فردَّه . قال : اللهمَّ إني أستودِعُكَ محمداً . ثم إنه مات .

حكى السُّهيلي[٦] عن سِيَرِ الزهري أنَّ بَحِيرى كان حَبْراً من أحبار اليهود .

قلت : والذي يظهرُ من سياقِ القصَّة أنه كان راهباً نصرانياً . والله أعلم .

وعن المسعودي أنه كان من عبد القيس وكان اسمه جِرْجِيس[٧] .

وفي كتاب المعارف لابن قتيبة[٨] : سُمع هاتفٌ في الجاهلية قبل الإسلام بقليل يهتف ويقول : ألا إن

---

(١) انظر قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١٢٠ ، ١٢١) .
(٢) في ح : بالسر ، وفي الطبقات : في النبي ﷺ .
(٣) ما بين المعقوفين في سيرة ابن إسحاق بخلاف يسير ، وسيذكره المصنف في الصفحة التالية .
(٤) في الطبقات (١/ ١٢٠) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٥) في ط : خالد بن معدان ، والمثبت من ح وطبقات ابن سعد .
(٦) في الروض (١/ ٢٠٥) .
(٧) كذا في ح ، ط ، والضبط من شرح المواهب (١/ ٢٣٤) وفي الروض : سَرْجِس نقلاً عن المسعودي .
(٨) المعارف (ص٥٨) .

خير أهل الأرض ثلاثة : بَحِيرى ، ورِئَاب بن البراء الشَّنِّي ، والثالث المنتظر . وكان الثالثُ المنتظر هو رسول ﷺ . قال ابن قتيبة[١] : وكان قبرُ رِئَاب الشَّنيِّ وقبرُ ولدِه من بعده لا يزال يُرى عندهما طَشٌّ . وهو المطر الخفيف[٢] .

فصــل
في مَنْشَئِه عليه الصلاة والسلام ومَرْبَاه وكفاية الله له ، وحِيَاطته ، وكيف كان يتيماً فآواه وعائلاً فأغناه

قال محمد بن إسحاق[٣] : فشبَّ رسولُ الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطُهُ من أقذار الجاهلية لما يُريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومِهِ مروءةً ، وأحسنَهُمْ خُلقاً ، وأكرمهم حسباً ، وأحسنَهُمْ جِواراً ، وأعظمهم حِلْماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدَهُمْ من الفُحْش والأخلاق التي تُدَنِّسُ الرجال تنزُّهاً وتكرُّماً ، حتى ما اسمه في قومِهِ إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة . وكان رسولُ الله ﷺ ـ فيما ذُكر لي ـ يُحدِّثُ عما كان الله يحفظُهُ به في صِغَرِه وأمْر جاهليته أنَّهُ قال :

« لقد رأيتُني في غلمان من قريش ننقلُ[٤] الحجارةَ لبعض ما يلعَبُ به الغلمان ، كلنا قد تعرَّى وأخذ إزاره وجعله على رقبته فحمل[٥] عليه الحجارة ، فإني لأُقبل معهم كذلك وأُدْبر ، إذْ لَكَمني لاكمٌ ما أراه لكمةً وجيعةً ، ثم قال : شُدَّ عليك إزارك . قال : فأخذتُه فشددتُه عليّ ، ثم جعلتُ أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليَّ من بين أصحابي » .

وهذه القصة شبيهةٌ بما في الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقُلُ هو وعمُّه العباس ، فإنْ لم تكنْها فهي متقدِّمَةٌ عليها كالتوطئة لها . والله أعلم .

وقد قال عبد الرزاق[٦] : أخبرنا ابنُ جُرَيج ، أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع جابر بن عبد الله

---

(١) في المعارف (ص٥٨) بنحوه ، واللفظة في الروض : وقال القتبي .

(٢) كذا في ح ، ط ، وفي الروض واللسان (طشش) : المطر الضعيف وهو أشبه بالصواب .

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٥٧ ، ٥٨) ، والنص كما يبدو منقول من سيرة ابن هشام (١/ ١٨٣) فهو بألفاظه أشبه .

(٤) في ح : ننتقل .

(٥) في ط وسيرة ابن هشام : يحمل .

(٦) في المصنف (١١٠٣) الطهارة باب ستر الرجل إذا اغتسل ، وما بين معقوفين منه .

يقول : لما بُنيت الكعبة ذهب رسولُ الله ﷺ ينقل[١] الحجارة ، فقال العباسُ لرسولِ الله ﷺ : اجْعَلْ إزارَكَ على عاتقك من الحجارة ، ففعل ، فخرَّ إلى الأرض ، وطمحَتْ عيناه إلى السماء . ثم قام فقال : « إزاري [إزاري] » فَشَدَّ عليه إزاره . أخرجاه في « الصحيحين » من حديث عبد الرزاق[٢] . وأخرجاه أيضاً من حديث رَوْح بن عبادة عن زكرياء بن إسحاق عن عَمْرو بن دينار عن جابرٍ بنحوه[٣] .

وقال البيهقي[٤] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا محمد بن إسحاق الصاغاني ، حدّثنا محمد بن بُكَيْر الحَضْرَمي ، حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدَّشْتَكِيّ ، حدّثنا عمرو بن أبي قيس ، عن سِمَاك عن عِكْرِمة ، حدّثني ابنُ عباس عن أبيه ، أنه كان ينقُلُ الحجارة إلى البيت حين بَنَتْ قريشٌ البيت ، قال : وأفردت قريش رجلَيْن رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشِّيد[٥] . قال : فكنتُ أنا وابنُ أخي ، وكُنَّا نحمل على رقابِنا وأُزُرنا تحتَ الحجارة ، فإذا غشينا الناس ائْتَزَرْنا[٦] . فبينما أنا أمشي ومحمد [ﷺ] أمامي ، قال : فخرَّ وانبطحَ على وجهه ، فجئتُ أسعى ، وألقَيْتُ حَجَري وهو ينظرُ إلى السماء ، فقلت : ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره قال : « إني نُهيت أَنْ أمشيَ عُرْياناً » . قال : وكنت أكتمها الناسَ[٧] مخافةَ أَنْ يقولوا مجنون .

وروى البيهقي[٨] من حديث يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق[٩] ، حدّثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمة عن الحسن بن محمد بن عليِّ بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما هممْتُ بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهلية يهمُّون به من النساء إلا

(١) كذا في ح ، ط ، وفي المصنف : « ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة » .
(٢) فتح الباري (٣٨٢٩) مناقب الأنصار باب بنيان الكعبة ، وصحيح مسلم (٣٤٠) (٧٦) الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة .
(٣) فتح الباري (٣٦٤) الصلاة باب كراهية التعرِّي في الصلاة وغيرها ، وصحيح مسلم (٣٤٠) (٧٧) الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة .
(٤) في الدلائل (٢/ ٣٢ ، ٣٣) .
(٥) « الشِّيد » : كلُّ ما طُليَ به الحائط من جصٍّ أو بلاط . اللسان (شيد) .
(٦) في ح ودلائل البيهقي : اتزرنا ، والمثبت من ط ، قال في التاج (أزر) : ولا تقل اتَّزر بالمئزر بإدغام الهمزة في التاء ، ومنهم من جوزه ، والائتزار هو لبس الإزار وتشميره .
(٧) في ط : أكتمها من الناس ، وليست من في ح ولا في دلائل البيهقي ، وفعل كتم يتعدى إلى مفعولين كما في اللسان ، ويعدى أيضاً بمن يقال : كتمه عنه وكتمه إياه . اللسان (كتم) .
(٨) في الدلائل (٢/ ٣٣ ، ٣٤) .
(٩) والخبر أيضاً في سيرة ابن إسحاق (ص٥٨) .

ليلتين ، كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما . قلتُ ليلةً لبعض فتيان مكة ـ ونحن في رعاية غنمِ أهلنا[١] ـ فقلتُ لصاحبي أبْصِرْ لي غنمي حتى أدخلَ مكة ، أسمرُ فيها كما يسمرُ الفتيان . فقال : بلى . قال : فدخلتُ حتى [إذا][٢] جئتُ أوَّلَ دارٍ من دور مكة سمعتُ عَزْفاً بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : تزوَّج فلانٌ فلانة . فجلستُ أنظر ، وضَرَب الله على أذنيّ ، فوالله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعتُ إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلتُ شيئاً ، ثم أخبرته بالذي رأيت . ثم قلتُ له ليلةً أخرى : أبصِرْ لي غنمي حتى أسمُرَ [بمكة][٢] ففعل ، فدخلتُ ، فلما جئتُ مكة سمعتُ مثلَ الذي سمعتُ تلك الليلة ، فسألتُ ، فقيل : نكح فلانٌ فلانة ، فجلستُ أنظر ، وضرَبَ الله على أذنيّ ، فوالله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ؛ فرجعتُ إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلتُ : لا شيء ، ثم أخبرته الخبر . فوالله ما هممتُ ولا عدت بعدها لشيءٍ من ذلك ، حتى أكرمني الله عزَّ وجل بنبوته[٣] .

وهذا حديث غريب جداً ؛ وقد يكونُ عن عليٍّ نفسه ، ويكون قوله في آخره : « حتى أكرمني الله عزَّ وجلَّ بنبوَّته » مُقْحماً ، والله أعلم .

وشيخُ ابن إسحاق هذا ذكره ابنُ حِبَّان في « الثقات »[٤] . وزعم بعضُهم أنَّه من رجالِ « الصحيحيْنِ » ، قال شيخنا في تهذيبه[٥] : ولم أقف على ذلك . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي[٦] : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا الحسن بن علي بن عفان[٧] العامريّ ، حدّثنا أبو أُسامة ، حدّثنا محمد بن عمرو عن أبي سَلَمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب ، عن أسامةَ بن زيد ، عن زيد بن حارثة ، قال : كان صنمٌ من نُحاسٍ يُقال له : إسَاف ونائلة[٨] ، يتمسَّحُ به المشركون إذا طافوا . فطاف رسولُ الله ﷺ وطُفْتُ معه ، فلما مررْتُ مسحتُ به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تمسَّه » . قال زيد : فطُفْنا ، فقلت في نفسي : لأمسَّنَّه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ألم تُنْهَ » ؟ قال البيهقي : زاد [فيه][٩] غيره عن

---

(١) في ح ، ط : رعاء غنم أهلها ، والمثبت من الدلائل وسيرة ابن إسحاق .
(٢) ما بين معقوفين من الدلائل وسيرة ابن إسحاق .
(٣) وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الدلائل (١٢٨) (ط عبد البر عباس ١٤٠٦هـ) بطرق مختلفة عن محمد بن إسحاق به . وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٨٨ ، ٨٩) وفيه : قال ابن حجر : إسناده حسن متصل ، ورجاله ثقات وسبل الهدى (٢/ ٩٩ ، ١٠٠) .
(٤) الثقات لابن حبان (٩/ ٨٢) .
(٥) هو تهذيب الكمال للمزي ، (٢٥/ ٥٣٣) والتعليق عليه .
(٦) في الدلائل (٢/ ٣٤) .
(٧) في ح : عباس وهو تصحيف ، والمثبت من ط ودلائل البيهقي .
(٨) في دلائل البيهقي : إساف أو نائلة . وهو أشبه بالصواب . وانظر المحبَّر (ص٣١١) .
(٩) ما بين معقوفين من دلائل البيهقي .

محمد بن عمرو بإسناده : قال زيد : فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ، ما استلم صنماً [قطُّ][١] حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه[٢] .

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لِبَحِيرى حين سأله باللاتِ والعُزَّى : « لا تسألْني بهما فوالله ما أبغضتُ شيئاً بُغْضَهُما »[٣] .

فأما الحديث الذي قاله الحافظ أبو بكر البيهقي[٤] : أخبرنا أبو سعد المَالِيني ، أخبرنا أبو أحمد بن عَدِيٍّ الحافظ ، حدّثنا إبراهيم بن أسْباط ، حدّثنا عثمان بن أبي شَيبة ، حدّثنا جَرير ، عن سفيان الثوري ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل[٥] ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان النبيُّ ﷺ يشهدُ مع المشركين مشاهدَهم ، قال : فسمع مَلَكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهبْ بنا حتى نقومَ خلف رسولِ الله ﷺ . قال : كيف نقومُ وإنما عَهْدُه باستلام الأصنام قُبيل ؟ قال : فلم يَعُدْ بعد ذلك أن يشهدَ مع المشركين مشاهدَهم . فهو حديثٌ أنكره غيرُ واحدٍ من الأئمة على عثمانَ بن أبي شَيبة حتى قال الإمام أحمد فيه : لم يكنْ أخوهُ يتلفَّظ بشيءٍ من هذا[٦] .

وقد حكى البيهقي عن بعضهم[٧] أنَّ معناه أنه شهد مع من يستلم الأصنام ، وذلك قبلَ أن يُوحى إليه والله أعلم .

وقد تقدَّم في حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهودَ مَشَاهِد المشركين حتى أكرمه الله برسالته[٨] .

وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمُزْدَلِفَةِ ليلةَ عَرَفة ، بل كان يقف مع الناس بعَرَفات ، كما قال يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق : حدّثني عبد الله بن أبي بكر عن عثمان بن أبي سليمان ، عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم ، عن أبيه جُبير ، قال : لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ وهو على دين قومه ، وهو يقفُ على بعيرٍ له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقاً من الله عز وجل له .

قال البيهقي[٩] : معنى قوله : على دين قومه : ما كان بقي من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

---

(١) « قط » : ليست في « دلائل النبوة » للبيهقي .
(٢) وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٨٩) .
(٣) انظر ص٧١ من هذا الجزء .
(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥) .
(٥) في ح ، ط : محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل . وهو تحريف ، والمثبت من دلائل البيهقي وترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ١٣) وهو ابن أبي طالب الهاشمي أبو محمد المدني .
(٦) وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٨٧٧) عن عثمان بن أبي شيبة به ، وذكره ابن حجر في المطالب (٤٢٦١) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٣ و٨/ ٢٢٦) .
(٧) في دلائل النبوة (٢/ ٣٦) .
(٨) حديث زيد بن حارثة في الصفحة السابقة .
(٩) في دلائل النبوة (٢/ ٣٧) وما بين معقوفين منه .

[في حَجِّهم ومناكحهم وبيوعهم] ، ولم يُشرِكْ بالله قطّ ، صلواتُ الله وسلامه عليه دائماً .

قلت : ويُفهم من قوله هذا أيضاً ، أنه كان يقفُ بعَرَفات قبل أنْ يُوحى إليه . وهذا توفيق من الله له .

ورواه الإمام أحمد(١) عن يعقوب ، عن محمد بن إسحاق به . ولفظُه : رأيتُ رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه وإنه لواقفٌ على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم [منها](٢) توفيقاً من الله .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدّثنا سفيان ، عن عمرو ، عن(٤) محمد بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه قال : أضْلَلْتُ بعيراً لي بعرفة ، فذهبتُ أطلبُه ، فإذا النبيُّ ﷺ واقف ، فقلتُ : إنَّ هذا من الحُمس(٥) ، ما شأنُه هاهنا ؟ وأخرجاه(٦) من حديث سُفيان بن عُيينة به .

ذكْرُ شهودِهِ عليه الصّلاة والسّلام حربَ الفِجَار

قال ابن إسحاق(٧) : هاجت حربُ الفِجَار ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرين سنة ، وإنما سُمِّي يومَ الفِجار ، بما استحلّ فيه هذانِ الحيَّان ـ كنانة وقيس عَيْلان ـ من المحارم بينهم . وكان قائدَ قريشٍ وكنانة حَرْبُ بنُ أُمَيَّة بن عبد شمس . وكان الظَّفَر في أولِ النهار لقيس على كِنَانة ، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانةَ على قيس .

وقال ابن هشام(٨) : فلما بلغ رسولُ الله ﷺ أربعَ عشرةَ سنةً ـ أو خمسَ عشرةَ سنة ـ فيما حدّثني أبو عُبيدة النَّحْوي عن أبي عمرو بن العلاء : هاجَتْ حربُ الفِجار بين قريشٍ ومن معها من كِنانة ، وبين قيس عيلان ، وكان الذي هاجها أنَّ عُروة الرَّحَّال بن عُتْبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن

(١) في مسنده (٤/ ٨٢) .
(٢) ما بين معقوفين من مسند الإمام أحمد . ودفع من عرفات : أي ابتدأ السير ودفع نفسه منها . النهاية (٢/ ١٢٤ دفع) .
(٣) في مسنده (٤/ ٨٠) .
(٤) في مسند أحمد : عن عمرو بن محمد بن محمد بن جبير بن مطعم . وهو تحريف ، وعمرو هذا هو عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجمحي ، وروايته عن محمد بن جبير ، ورواية سفيان عنه ثابتة في تهذيب التهذيب في ترجمتهما .
(٥) « الحُمْس » : جمع الأحْمَس : وهم قريش ، ومَنْ ولدَتْ قريش ، وكنانة ، وجَدِيلة قيس ، سُمُّوا حُمساً لأنهم تحمَّسُوا في دينهم : أي تشددوا . والحماسة : الشجاعة ، كانوا يقفون بمُزْدَلِفة ولا يقفون بعرفة ، ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم ، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون . النهاية (١/ ٤٤٠) (حمس) .
(٦) يعني البخاري ومسلم في صحيحيهما ؛ فتح الباري (١٦٦٤) الحج باب الوقوف بعرفة ، وصحيح مسلم (١٥٣ ـ ١٢٢٠) (١٥٣) الحج باب الوقوف وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ .
(٧) قول ابن إسحاق هذا في سيرة ابن هشام (١/ ١٨٦) .
(٨) في السيرة (١/ ١٨٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز[(١)] لَطِيمةً ـ أي تجارة[(٢)] ـ للنعمان بن المنذر ، فقال [لَهُ] البَرَّاضُ بن قيس ـ أحدُ بني ضَمْرَة بن بكر بن عبدِ مناة بن كِنانة ـ أتجيزُها على كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخلق . فخرج فيها عُروة الرَّحَّال ، وخرج البَرَّاض يطلبُ غَفْلَته ، حتى إذا كان بتَيْمن ذي طَلَّال[(٣)] بالعالية غفَل عُروة ، فوثب عليه البَرَّاضُ فقتلَهُ في الشهر الحرام ، فلذلك سُمِّي الفِجَار ، وقال البرَّاض في ذلك :

[من الوافر]

وداهيـةٍ تَهُـمُّ النـاسَ قَبْلـي ... شدَدْتُ لها بني بَكْرٍ ضلوعي
هدمتُ بها بيوتَ بني كلابٍ ... وأرْضعتُ المواليَ بالضروع
رفعـتُ لـه بـذي طَـلَّالَ كَفِّـي ... فَخَرَّ يَميدُ كالجِذْع الصَّرِيعِ[(٤)]

وقال لَبِيدُ بن رَبيعةَ بن مالك بن جعفر بن كلاب : [من الوافر]

وأبْلِغْ ـ إنْ عرضتَ ـ بني كلابٍ ... وعـامـرَ والخُطُـوبُ لهـا مَـوَالـي
وأبْلِغْ ـ إنْ عرضتَ ـ بني نُمَيْرٍ ... وأخـوالَ القَتيـلِ بنـي هِـلالِ
بـأنَّ الـوافِـدَ الـرَّحَّـالَ أمْسَـى ... مُقيمـاً عنـدَ تَيْمِـنَ ذي طَـلالِ[(٥)]

---

(١) في ح : أجار والمثبت من ط ومصادر تخريجه ، وقد ورد في المحبَّر (ص ١٩٦) بالزاي المعجمة فأثبتها مصححاه بالراء المهملة ، وتبعهما محققو سيرة ابن هشام في ذلك (١/ ١٨٤) على الرغم من تظاهر الأصول في إعجامها كما في الأغاني (٢٢/ ٥٧) (ط دار الكتب) وجاء في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٢/ ٣١٢) : « . . . فطلب لها النعمان من يجيزها إلى عكاظ ليشتري له بثمنها طرائف اليمن . . . » وفي مجمع الأمثال للميداني (٢٨١٨) : « وكان النعمان يبعث إلى عكاظ بلطيمة كل عام تباع له هناك فقال : من يجيز لي لطيمتي هذه حتى يقدمها عكاظ ؟ » وكذا في المستقصى (١/ ٢٦٥ ، ٢٦٦) (١١٢٢) والكامل لابن الأثير (١/ ٥٩٠) وفي التاج (برض) (ط الكويت) : ثم قدم [يعني البراض] على النعمان وسأله أن يجعله على لطيمة يريد أن يبعث بها إلى عكاظ . وفي اللسان (جوز): أجازه : أنفذه وجوَّز لهم إبلهم : إذا قادها حتى تجوز « والمجيز » : العبد المأذون له في التجارة.

(٢) في النهاية (٤/ ٢٥١) (لطم) : « واللطيمة » : الجمال التي تَحْمل العِطْر والبَزّ ، غير الميرة .

(٣) سيأتي تعريفه في التعليق على أبيات لبيد الآتي ذكرها .

(٤) الأبيات مع الخبر في السيرة لابن هشام كما تقدم ، والأغاني (٢٢/ ٥٨) ومعجم البلدان (٤/ ٦١ ، ظلال) والروض الأنف (٢/ ٢١٠) وفيه : وألحقت الموالي بالضروع . جمع ضرع ، هو في معنى قولهم لئيم راضع ، أي : ألحقت الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع ، وأظهرت فسالتهم وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وصرحائهم .

(٥) أبيات لبيد في ديوانه (ص٢٧٦) وسيرة ابن هشام كما تقدم ، والأغاني (٢٢/ ٥٨) عدا الثاني ، ومعجم البلدان (٤/ ٦١ ، ٦٢) (ظلال) و ـ وكذا في الديوان ـ (٢/ ٦٨ تيمن) عدا الثاني ، وفيه : تيمن ذي ظلال : واد إلى جنب فدك في قول بعضهم ، والصحيح أنه بعالية نجد . والروض الأنف (١/ ٢١٠) وفيه : تيمن : بكسر الميم وفتحها ، ولم يصرفه لوزن الفعل والتعريف ، وعلق ياقوت على الأبيات بقوله : في هذا عدة اختلافات [يعني طلال] بعضهم يرويه بالطاء المهملة ، وبعضهم يرويه بتشديد اللام والظاء المعجمة ، وقد حكيناه عن السهيلي ، وبعضهم يرويه بتخفيف اللام والظاء المعجمة ، وأكثرهم قال : هو اسم موضع ، وقال قوم في قول البراض : إن ذا ظلال اسم سيفه ، قال السهيلي : وإنما خففه لبيد وغيره ضرورة . . . وقد اختار ياقوت إعجام الظاء وقواه .

قال ابن هشام[١] : فأتى آتٍ قريشاً فقال : إنَّ البرَّاضَ قد قتل عُرْوَةَ ، وهو[٢] في الشهر الحرام بعُكاظ ، فارتحلوا وهَوَازنُ لا تشعر بهم ، ثم بلغهم الخبر ، فاتبعوهم فأدركوهم قبلَ أنْ يدخُلوا الحَرَم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، فدخلوا الحرم ، فأمسكت هَوَازنُ عنهم ، ثم التقَوْا بعد هذا اليوم أياماً ، والقومُ متساندون[٣] على كلِّ قَبيلٍ من قريش وكِنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كلِّ قبيلٍ من قيس رئيسٌ منهم .

قال : وشهد رسولُ الله ﷺ بعدُ[٤] أيامَهم . أخرجه أعمامُه معهم . وقال رسولُ الله ﷺ : « كنتُ أُنبِّل على أعمامي » أيْ أرُدُّ عليهم نَبْلَ عدوِّهم إذا رمَوْهم بها[٥] .

قال ابنُ هشام[٦] : وحديثُ الفِجار أطولُ ممَّا ذكرت ، وإنما منعني من استقصائه قَطْعُه حديثَ سيرةِ رسولِ الله ﷺ .

وقال السُّهيلي[٧] : والفِجار ، بكسر الفاء على وزن قِتال . وكانت الفِجَارات في العرب أربعة ذكرهنَّ المسعودي[٨] . وآخرهن ، فِجَار البَرَّاض هذا . وكان القتال فيه في أربعة أيام ، يوم شَمْطَةَ[٩] ، ويوم العبلاء ، وهما عند عُكاظ ، ويوم الشَّرب[١٠] ـ وهو أعظمُها يوماً ـ وهو الذي حضَرَهُ رسولُ الله ﷺ وفيه قيَّدَ رئيسُ قريشٍ وبني كنانة ـ وهو حَرْبُ بن أمية ـ وأخوهُ سفيان أنفسَهما لئلا يَفِرَّا[١١] . وانهزمتْ يومئذٍ قيس إلا بني نصر[١٢] فإنهم ثبتوا . ويوم الحُرَيْرَة عند نخلة[١٣] .

ثم تواعدوا من العام المقبل إلى عكاظ ، فلما توافَوْا الموعد ركب عُتْبَةُ بنُ ربيعة جملَه ونادى :

---

(١) في السيرة (١/ ١٨٦) .
(٢) في السيرة : وهم .
(٣) « متساندون » : أي لم يجتمعوا على راية واحدة ، كل بني أب على راية ، ولم يكونوا تحت راية أمير واحد . اللسان (سند) .
(٤) كذا في ح وفي ط والسيرة : بعض .
(٥) وفي النهاية (٥/ ١٠ ، نبل) : يقال : نبَّلْتُ الرجل ، بالتشديد ، إذا ناولته النبل ليرمي .
(٦) في السيرة (١/ ١٨٧) وفي ط بزيادة : « طويل هو » ليست في ح ولا في السيرة .
(٧) في الروض (١/ ٢٠٩ و٢١١) على خلاف في اللفظ .
(٨) انظر مروج الذهب (٢/ ٢٧٧) .
(٩) « شَمْطَة » : رواه الأزهري بالظاءالمعجمة ، كما في معجم البلدان (شمطة ، ٣/ ٣٦٣) .
(١٠) « الشرب » : موضع قرب مكة ، وبه كانت وقعة الفجار العظمى . معجم البلدان (شرب ، ٣/ ٣٣٢) .
(١١) في الروض : وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كي لا يفروا ، فسُمُّوا العنابس . وكذا في معجم البلدان (شرب) .
(١٢) وقع في ط والروض بالضاد المعجمة ، وهو تصحيف ، وهم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، من قيس .
(١٣) « الحريرة » : كأنه تصغير حرة ، موضع بين الأبواء ومكة ، قرب نخلة . قاله ياقوت في معجم البلدان (حريرة ، ٢/ ٢٥٠) .

يا معشر مُضَر ، على ما[١] تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ قال : الصلح . قالوا : وكيف ؟ قال نَدِي[٢] قتلاكم ونرهنكم رهائنَ عليها ، ونعفو عن دِياتنا . قالوا : ومَنْ لنا بذلك ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال عُتْبَةُ بنُ ربيعة . فوقع الصلح على ذلك ، وبعثوا إليهم أربعينَ رجلاً ، فيهم حَكيم بن حِزام فلما رأتْ بنو عامر بن صَعْصَعة الرهن في أيديهم عفوا عن دمائهم[٣] وانقضتْ حرب الفجار .

وقد ذكر الأمَويُّ حروبَ الفِجَار وأيامَها واستقصاها مطوّلاً فيما رواه عن الأثرم ، وهو المغيرة بن علي ، عن أبي عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى ، فذكر ذلك .

فصـــل

في شهودِهِ عليه [الصلاة] والسلام حلف الفضول

قال الحافظ البيهقي[٤] : أخبرنا أبو سَعْد الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عَدِي الحافظ[٥] ، حدّثنا يحيى بن علي بن هاشم الخفَّاف ، حدَّثنا أبو عبد الرحمن الأذْرَمي ، حدَّثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهْرِي ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه ، [عن عبد الرحمن بن عوف] قال : قال رسول الله ﷺ : « شهدتُ مع عمومتي حِلْفَ المُطَيَّبين ، فما أُحِبُّ أنْ أنْكُثَه ـ أو كلمة نحوها ـ وأنَّ لي حُمْرَ النَّعَم » .

قال : وكذلك رواهُ بشرُ بن المفضل عن عبد الرحمن[٦] .

قال[٧] : وأخبرنا أبو نصر بن قتادة ، حدّثنا أبو عمرو بن مطر ، حدّثنا أبو بكر بن أحمد بن داود السِّمناني ، حدّثنا مُعَلَّى بن مهدي ، حدّثنا أبو عَوَانة عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما شهدتُ حِلْفاً لقريشٍ إلا حِلْفَ المَطَيَّبين ، وما أُحِبُّ أنَّ لي حُمْرَ النَّعَم وأني كنتُ نقَضْتُه » . قال : والمطيَّبُون : هاشم ، وأُمَيَّة ، وزُهْرَة ، ومَخْزُوم .

قال البيهقي : كذا روي هذا التفسير مُدْرَجاً في الحديث ، ولا أدري قائله ؛ وزعم بعضُ أهلِ السير أنه أراد حِلْفَ الفُضُول ، فإنَّ النبيَّ ﷺ لم يُدْرِكْ حلفَ المطيَّبين .

---

(١) إثبات ألف ما جائز في لغة بعض العرب . انظر الخزانة (٦/ ٩٩) (٢/ ٢٣٨) . وفي ط والروض : علام بحذفها .
(٢) « ودى القتيل » : أعطى أولياءه حقه . اللسان (ودي) .
(٣) في ط : دياتهم .
(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٣٧ ، ٣٨) وما سيأتي بين معقوفين منه ومن الكامل لابن عدي .
(٥) والحديث في الكامل في الضعفاء لابن عدي (٤/ ١٦١٠) أورده في ترجمة عبد الرحمن بن إسحاق .
(٦) وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٩٠ و١٩٣) عن بشر بن المفضل عن عبد الرحمن به ، وأبو يعلى الموصلي رقم (٨٤٥) وهو حديث صحيح .
(٧) يعني البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٨) .

قلت : هذا لا شك فيه ، وذلك أنَّ قريشاً تحالفوا بعد موت قُصَيّ ، وتنازعوا في الذي كان جعله قُصَيٌّ لابنه عبد الدار ، من السِّقاية ، والرِّفادة ، واللواء ، والندوة ، والحِجابة ، ونازعهم فيه بنو عبد مناف . وقامت مع كُلِّ طائفةٍ قبائلُ من قريش ، وتحالفوا على النُّصْرة لحِزْبهم ، فأحضر أصحابُ بني عبد مناف جَفْنَةً فيها طيب ، فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا ، فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة[١] . فسُمُّوا المُطَيَّبين كما تقدَّم ، وكان هذا قديماً ، ولكنَّ المُرَاد بهذا الحِلْف حلف الفُضُول ، وكان في دارِ عبد اللهِ بن جُدْعان كما رواه الحُميدي عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الله ، عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر[٢] ، قالا : قال رسولُ الله ﷺ : « لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفاً لو دُعيت به في الإسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردُّوا الفُضُول على أهلها وألَّا يعد[٣] ظالمٌ مظلوماً » .

قالوا : وكان حلفُ الفُضول قبل المَبْعَثِ بعشرين سنة ، في شهر ذي القعدة ، وكان بعد حرب الفِجار بأربعة أشهر . وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة . وكان حلف الفُضول أكرمَ حلفٍ سُمع به ، وأشرفَهُ في العرب ، وكان أول مَنْ تكلَّم به ودعا إليه الزُّبير بن عبد المطَّلب ، وكان سبَبُه أنَّ رجلاً من زُبيد قدِمَ مكَّة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصُ بنُ وائل[٤] ، فحبس عنه حقَّه ، فاستعدَى عليه الزُّبيديُّ الأحلافَ : عَبْدَ الدار ومخزوماً وجُمَح وسهماً وعَدِيَّ بن كعب ، فأَبَوْا أنْ يُعينوا على العاص بن وائل ، وزَبَرُوه ـ أي : انتهروه ـ فلمَّا رأى الزُّبيدي الشرّ ، أوفى على أبي قُبَيْس[٥] عند طلوع الشمس ، وقريش في أنديتهم حول الكعبة ، وأنشد[٦] : [من البسيط]

يـا آلَ فِهْـرٍ لمظلـومٍ بضـاعتَـه ... ببطـنِ مكـة نـائـي الـدارِ والنَّفَـرِ
ومُحْرِمٍ أشْعَثٍ لم يقضِ عُمْرَتَه ... يا للرِّجالِ وبين الحِجْرِ والحَجَرِ
إنَّ الحـرامَ لِمَـنْ تمَّـتْ كـرامَتُـه ... ولا حـرامَ لثـوبِ الفـاجـرِ الغَـدِرِ

فقام في ذلك الزُّبير بن عبد المطَّلب وقال : ما لهذا مُتَّرَك ؟ فاجتمعتْ هاشمٌ وزُهْرَة وتَيم بنُ مُرَّة في دار عبد الله بنِ جُدْعان ، فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا في ذي القَعْدَة ، في شهرٍ حَرَام ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونُنَّ يداً واحدةً مع المظلومِ على الظالم ، حتى يُؤَدَّى إليه حقُّه ، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً[٧] ، وما رَسَا ثَبِيرٌ

---

(١) في ط : بأركان البيت .
(٢) في ح : عن عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن أبي بكر . والمثبت من ط والروض (١/ ١٥٥) وسيأتي بسياق مختلف (ص٨٥) .
(٣) كذا في ح ، ط وفي الروض : يعز بالزاي المعجمة . قلت : لعله من الوعد والوعيد بالشر ، انظر اللسان (وعد) .
(٤) زاد السهيلي في الروض (١/ ١٥٦) وكان ذا قدر بمكة وشرف .
(٥) « أبو قبيس » : جبل مشرف على مسجد مكة معجم البلدان (قبيس ، ٤/ ٣٠٨) .
(٦) كذا في ح وفي ط : فنادى بأعلى صوته . وفي الروض : فصاح بأعلى صوته . والأبيات فيه .
(٧) يعني إلى الأبد ، وهذا القول من أمثالهم ، ساقه الجاحظ في الحيوان (٤/ ٤٧٠) والبيان والتبيين (٣/ ٧) والزمخشري=

وحِرَاء مكانَهما[١] ، وعلى التأسِّي في المَعاش . فسمَّتْ قُريش ذلك الحِلْف حِلْف الفُضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فصلٍ من الأمر . ثم مشَوْا إلى العاص بن وائل ، فانتزعوا منه سِلْعَةَ الزُّبيديّ ، فدفعوها إليه . وقال الزُّبير بنُ عبد المطَّلب في ذلك : [من الوافر]

حلفتُ لَنعقدَنْ حِلْفاً عليهم وإنْ كُنَّا جميعاً أهلَ دارِ
ونُسْميهِ[٢] الفُضُولَ إذا عَقدْنا يَعِزُّ بهِ الغريبُ لَدَى الجِوارِ[٣]
ويَعْلَمُ من حَوالَى البيتِ أنَّا أَبَاةُ الضَّيمِ نمنعُ كلَّ عارِ

وقال الزُّبير أيضاً : [من الكامل]

إنَّ الفُضولَ تعاقدوا وتحالفوا ألاَّ يُقيمَ بِبَطْنِ مكَّةَ ظالمُ
أمْرٌ عليهِ تعاقَدوا وتواثقوا فالجارُ والمُعْتَرُّ فيهم سالمُ[٤]

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث : أنَّ رجلاً من خَثْعَم قدِم مكةَ حاجّاً أو مُعْتَمِراً ، ومعه ابنةٌ له ، يقال لها : القَتُول من أوضَأ نساءِ العالمين ، فاغتصبها منه[٥] نُبَيْهُ بن الحجَّاج وغيَّبها عنه ، فقال الخثعمي : من يُعْدِيني على هذا الرجل ؟ فقيل له : عليك بحِلْف الفضول . فوقف عند الكعبة ونادى : يا لَحِلْفِ الفُضول . فإذا هم يُعْنِقُونَ إليه[٦] من كل جانب ، وقد انتضَوْا أسيافَهم يقولون : جاءك الغَوْث ، فمالكَ ؟ فقال : إنَّ نُبيهاً ظلمني في بنتي وانتزعها مني قَسْراً ، فساروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج إليهم ، فقالوا له : أخرجِ الجاريةَ ويحك ، فقد علمتَ من نحن ، وما تعاقدنا عليه . فقال : أفعل ، ولكن مَتِّعوني بها الليلة . فقالوا : لا والله ولا شَخْبَ لِقْحَة[٧] . فأخرجها إليهم وهو يقول : [من الخفيف]

راحَ صَحْبي ولم أُحَيِّ القَتُولا لم أُوَدِّعْهُمُ وَداعاً جميلاً
إذْ أجَدَّ الفضُول أن يمنعوها قد أراني ولا أخافُ الفضُولا[٨]

= في الأساس (صوف) والمستقصى (٢/ ٢٤٦) والميداني في مجمع الأمثال (٢/ ٢٣٠) وجاء في اللسان (صوف) : وصوف البحر شيء على شكل هذا الصوف الحيواني، واحدته صوفة؛ ومن الأبديات قولهم: لا آتيك ما بل بحر صوفة.

(١) « ثبير وحراء » : جبلان معروفان من جبال مكة ، معجم البلدان .

(٢) في ط والروض : نُسَمِّيه .

(٣) في ح ، ط : لذي الجوار ، والمثبت من الروض .

(٤) «المعترّ»: الفقير، والمتعرِّض للمعروف من غير أن يسأل. اللسان (عرر). والأبيات في الروض (١/ ١٥٦، ١٥٧).

(٥) ليست اللفظة في ح .

(٦) أي أتوا يهرعون إليه مسرعين . ومنه حديث أصحاب الغار « فانفرجت الصخرة فانطلقوا معانقين » أي : مسرعين ، من عانق مثل أعنق إذا سارع وأسرع . النهاية (٣/ ٣١٠) (عنق) .

(٧) « اللِّقْحة » : الناقة الحلوب ، غزيرة اللبن ؛ والشخب : ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة ، وصوت اللبن عند الحلب . اللسان والتاج (لقح ، شخب) يعني : ولا مقدار هذه الغمزة للضرع .

(٨) في ح : إذا وجد الفضول . والمثبت من ط والروض .

لا تخالي أنِّي عَشِيَّة راحَ الرَّكْـ ـبُ هُنتم علـيَّ أنْ لا يَـزُولا[١]

وذكر أبياتاً أُخر غيرَ هذه .

وقد قيل : إنما سُمِّي هذا حِلْفَ الفُضول لأنه أشبه حلفاً تحالفَتْهُ جُرْهُم على مثل هذا ، منْ نَصْرِ المظلوم على ظالمه ، وكان الداعي إليه ثلاثةٌ من أشرافهم ، اسمُ كُلِّ واحدٍ منهم فَضْل ، وهم : الفضل بن فَضَالة ، والفضل بن وَدَاعة ، والفضل بن الحارث[٢] . هذا قولُ ابن قتيبة . وقال غيره : الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاعة[٣] . وقد أوردَ السُّهَيلي هذا رحمه الله .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار[٤] : وتداعتْ قبائلُ من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا[٥] إلى دار عبدِ الله بن جُدْعان لشرفه وسِنِّه ، وكان حلفُهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطَّلب[٦] وأسد بن[٧] عبد العُزَّى ، وزُهْرَة بن كلاب ، وتَيْم بن مُرَّة . فتعاهدوا وتعاقدوا على أنْ لا يجدوا بمكَّةَ مظلوماً من أهلها وغيرهم[٨] ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا[٩] معه ، وكانوا على مَنْ ظلمه حتى يرُدَّ اللهُ عليه مظلمته ، فسمَّتْ قريش ذلك الحلف حلفَ الفُضول .

قال محمد بن إسحاق[١٠] : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنْفُذ التَّيْمي ، أنه سمع طَلْحَة بن عبد الله بن عَوْف الزُّهْريَّ يقول : قال رسول الله ﷺ : « لقد شهدتُ في دارِ عبد الله بن جُدْعان حِلْفاً ما أُحِبُّ أنَّ لي به حُمْرَ النَّعَم ، ولو أُدْعى به في الإسلام لأَجبت » .

قال ابنُ إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادِ اللَّيْثي ، أنَّ محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي[١١] ، حدثه أنه كان بين الحُسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عُتْبة بن أبي سُفْيان ـ والوليدُ يومئذٍ أمير المدينة ، أَمَّرَهُ عليها عمُّه معاوية بن أبي سفيان ـ منازعةٌ في مالٍ كان بينهما بذي المَرْوة[١٢] ، فكان الوليد تحاملَ على الحسين في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلفُ بالله لتنصفَنِّي

---

(١) في الروض : ألا أقولا . والأبيات فيه (١/ ١٥٧) .
(٢) في الروض : فُضيل بن الحارث . والمثبت من ح ، ط واللسان (حلف) .
(٣) في الروض : فُضيل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة .
(٤) انظر قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ١٣٣) والروض الأنف (١/ ١٥٥) .
(٥) كذا في ح وفي ط وسيرة ابن هشام : فاجتمعوا له في دار عبد الله .
(٦) في ح ، ط : وبنو عبد المطلب ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .
(٧) في ط : وبنو أسد ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .
(٨) في ح ، ط : وغيرها ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .
(٩) في السيرة والروض ؛ قاموا معه . وهو أشبه بالصواب .
(١٠) قول ابن إسحاق هذا في سيرة ابن هشام (١/ ١٣٤) والروض الأنف (١/ ١٥٥) .
(١١) ليست اللفظة في ح .
(١٢) « ذو المروة » : قرية بوادي القرى ، وقيل : بين خُشُب ووادي القرى . معجم البلدان (مرو) (٥/ ١١٦) .

من حَقّي أو لآخذنَّ سيفي ، ثم لأقومنَّ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ ثم لأدعونَّ بحِلْفِ الفُضول . قال : فقال عبد الله بن الزُّبير ـ وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال ـ : وأنا أحلف بالله ، لئن دعا به لآخذنَّ سيفي ثم لأقومنَّ معه حتى يُنصَف من حقّه أو نموتَ جميعاً . قال : وبلغتِ المِسْوَرَ بن مَخْرَمَة بنِ نوفل الزُّهْري ، فقال له مثل ذلك ، وبلغتْ عبدَ الرحمن بن عثمان بن عبيد الله[(١)] التَّيْمي فقال مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليدَ بنَ عُتْبة أنصف الحسين من حقّه حتى رَضِيَ .

فصـــل
في تزويجهِ عليه الصلاة والسلام خديجةَ بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ

قال ابن إسحاق[(٢)] : وكانت خَديجةُ بنتُ خُوَيلد امرأةً تاجرة ذاتَ شرفٍ ومال ، تستأجرُ الرجالَ على مالها مضاربةً[(٣)] ، فلما بلغها عن رسولِ الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعِظم أمانته ، وكَرَم أخلاقه ، بعثتْ إليه فعرضَتْ عليه أن يخرُج لها في مالٍ تاجراً إلى الشام ، وتعطيَهُ أفضلَ ما تُعطي غيرَهُ من التجار ، مع غلامٍ لها يقال له : مَيْسَرة ، فقبِلَهُ رسولُ الله ﷺ منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معها غلامُها ميسرة حتى نزل الشام ، فنزل رسولُ الله ﷺ في ظِلِّ شجرةٍ قريباً من صَوْمعةِ راهبٍ من الرُّهْبان ، فاطَّلعَ الراهبُ إلى مَيْسَرة ، فقال : من هذا الرجلُ الذي نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجلٌ من قريش ، من أهل الحَرَم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبيّ .

ثم باعَ رسولُ الله ﷺ سِلْعَته ـ يعني تجارته ـ التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتريَ . ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان مَيْسَرةُ ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجرةُ واشتدَّ الحرّ ، يرى ملَكَيْن يُظلاَّنِهِ من الشمس وهو يسير على بعيره؛ فلما قدم مكة على خَدِيجة بمالها باعتْ ما جاء به، فأضعف أو قريباً، وحدَّثها ميسرةُ عن قول الراهب ، وعمَّا كان يرى من إظلال الملَكَيْن إياه . وكانت خديجةُ امرأةً حازمةً شريفةً لَبيبة، مع ما أراد اللهُ بها من كرامتها[(٤)] . فلما أخبرها ميسرةُ ما أخبرها ، بعثَتْ إلى رسولِ الله ﷺ فقالت له ـ فيما يزعمون ـ يا بنَ عم، إني قد رغبتُ فيك لقرابتك وسِطَتِكَ[(٥)] في قومك، وأمانتك، وحُسْن خلقك، وصِدْق

---

(١) في ح : عبد الله ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض ، وعبد الرحمن هذا ، هو ابن أخي طلحة بن عبد الله كما في الإصابة .

(٢) في سيرة ابن إسحاق (ص٥٩) بألفاظ مقاربة، وانظره أيضاً في سيرة ابن هشام (١/ ١٨٧ ، ١٨٨) والروض (١/ ٢١٢).

(٣) زاد في السيرة : بشيء تجعله لهم ، والمضاربة أن تعطي مالاً لغيرك يتجر فيه على أن يكون الربح بينكما ، أو يكون له سهم معلوم من الربح . وهي مفاعلة من الضرب في الأرض والسير فيها للتجارة . اللسان (ضرب) .

(٤) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض : كرامته .

(٥) في سيرة ابن إسحاق : لقرابتك وشرفك في قومك وسطتك فيهم . والسِّطة : من وسط في حَسَبه : إذا حلّ في أكرمه ، فهو وسيط : إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً . اللسان (وسط) وفسر السهيلي بقوله : فلان أوسط القبيلة : أعرفها وأولاها بالصحيح .

حديثك. ثم عرضتْ نفسها عليه؛ وكانتْ أوسطَ نساءِ قريش نَسباً، وأعظمهنّ شرفاً، وأكثرهنّ مالاً. كلُّ قومِها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدِرُ عليه. فلما قالت ذلك لرسولِ الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمُّه حمزة حتى دخل على خُويلد بن أسَد، فخطَبَها إليه، فتزوَّجها عليه الصلاة والسلام.

قال ابن هشام(١): فأصْدَقَها عشرين بَكْرَةً(٢)، وكانتْ أوَّلَ امرأةٍ تزوَّجها، ولم يتزوَّجْ عليها غيرَها حتى ماتت.

قال ابن إسحاق(٣): فولدتْ لرسولِ الله ﷺ ولَدَهُ كُلَّهم إلا إبراهيم: القاسم ـ وبه كان يُكْنى ـ والطَّيِّب، والطاهر(٤)، وزينب، ورُقَيَّة، وأم كُلْثُوم، وفاطمة.

قال ابن هشام(٥): أكبَرُهم القاسم، ثم الطَّيِّب، ثم الطاهر، وأكبر بناته رُقَيَّة، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة.

قال البيهقي(٦) عن الحاكم: قرأتُ بخطِّ أبي بكر بن أبي خَيْثَمة، حدَّثنا مُصْعَبُ بن عبد الله الزُّبيري قال(٧): أكبر ولدِهِ عليه الصلاة والسلام القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم عبد الله، وبلغت خديجة خمساً وستين سنة، ويقال: خمسين، وهو أصح.

وقال غيره: بلغ القاسم أن يركبَ الدابَّةَ والنَّجيبة، ثم مات بعد النبوَّة.

وقيل: مات وهو رضيع، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ له مُرْضعاً في الجنة يستكمل رضاعه»(٨) والمعروف أنَّ هذا في حقِّ إبراهيم.

---

(١) في السيرة (١/ ١٩٠).
(٢) «البَكْر»: الفتي من الإبل، بمنزلة الغلام من الناس، والأنثى بَكْرَة. اللسان (بكر).
(٣) انظر قول ابن إسحاق في سيرة ابن إسحاق (ص٦١) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٠) والروض (١/ ٢١٤).
(٤) سياق ابن إسحاق وابن هشام يدل على أن الطاهر والطيب اثنان، وهذا خلاف ما ذهب إليه النسابون. قال ابن الكلبي في جمهرة النسب (ص١٢٥، ١٢٦) فولد النبي ﷺ: القاسم، وعبد الله، وهو الطيب، وهو الطاهر، اسم واحد، لأنه ولد بعدما أوحي إليه. وفي هامش أصل الجمهرة فائدة: الطيب والطاهر اسم ولد واحد، لأنه ولد بعد الوحي. وبنحو هذا سياق ابن حزم في جمهرة الأنساب (ص١٦) وبنحوه أيضاً عند السهيلي في الروض (١/ ٢١٤) وانظر زاد المعاد (١/ ١٠٣) وقول الزبير الآتي.
(٥) في السيرة (١/ ١٩٠).
(٦) في دلائل النبوة (٣/ ٧٠).
(٧) انظر نسب قريش لمصعب (ص٢١).
(٨) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٤٣٠، ٤٣١) وفي الحاشية، أخرجه البخاري عن سليمان بن حرب (٧٨) كتاب الأدب (١٠٩) باب من سمى بأسماء الأنبياء الحديث رقم (٦١٩٥) فتح الباري (١٠/ ٥٧٧) وفي الجنائز عن أبي الوليد. وأورده البيهقي أيضاً في (٧/ ٢٨٩) يرويه في حق إبراهيم ويقول لما مات إبراهيم، قال رسول الله ﷺ.

وقال يونس بن بكير : حدّثنا إبراهيمُ بن عثمان عن القاسم عن ابن عباس قال : وَلَدَتْ خَديجة لرسول الله ﷺ : غلامَيْن وأربعَ نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كُلثوم ، وزينب ، ورُقَيَّة .

وقال الزُّبير بن بكَّار : عبد الله هو الطَّيِّب وهو الطاهر ، سُمِّي بذلك لأنه وُلد بعد النبوَّة ، فماتوا قبل البعثة ، وأمَّا بناتُه فأدركْنَ البعثة ، ودخلْنَ في الإسلام وهاجرْنَ معه ﷺ .

قال ابن هشام(١) : وأمَّا إبراهيم فمن ماريَةَ القِبْطِيَّة التي أهداها له المُقَوْقِسُ صاحبُ إسْكندرية ، من حَفْن ، من كورة أَنْصِنَا(٢) .

وسنتكلَّمُ على ذِكر زوجاته وأولادِه عليه الصلاة والسلام في باب مفرد لذلك في آخر السيرة إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال ابن هشام(٣) : وكان عُمُر رسولِ الله ﷺ حين تزوَّج خَديجة خمساً وعشرين سنة ، فيما حدَّثني غيرُ واحدٍ من أهل العلم ، منهم أبو عمرو المدني . وقال يعقوبُ بن سفيان : كتبتُ عن إبراهيم بن المنذر ، حدّثني عمر بن أبي بكر المَوْصِلي(٤) ، حدّثني غيرُ واحدٍ أنَّ عمرو بن أسد زوَّج خديجة من رسولِ الله ﷺ وعمرُه خمسٌ وعشرون سنة وقريش تبني الكعبة .

وهكذا نقل البيهقيُّ عن الحاكم ، أنه كان عمرُ رسولِ الله ﷺ حين تزوَّج خديجة خمساً وعشرين سنة ، وكان عمرها إذْ ذاك خمساً وثلاثين ـ وقيل : خمساً وعشرين سنة ـ وقال البيهقي(٥) :

باب
ما كان يشتغلُ به رسولُ الله ﷺ قبل أن يتزوَّج خديجة

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدّثنا سويد بن سعيد ، حدثنا عمرو بن يحيى(٦) بن سعيد القرشي ، عن جدِّه سعيد ، عن أبي هريرة قال : قال

(١) في السيرة (١/ ١٩١) .
(٢) « حَفْن » : قرية من قرى صعيد مصر . وأنْصنا : كورة من كور مصر ، وهي مدينة أزلية من نواحي الصعيد شرقي النيل . معجم ما استعجم (١/ ١٩٩ و٢/ ٤٥٨) ومعجم البلدان (١/ ٢٦٥ و٢/ ٢٧٦) .
(٣) انظر قول ابن هشام في السيرة (١/ ١٨٧) بسياق مختلف .
(٤) في ح ، ط : المؤملي وكذا في أخبار القضاة (١/ ٢٦٨) في إسناد له ، والمثبت من دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٧١) وكما سيأتي في إسناده ، ومن ترجمته في الجرح والتعديل (٦/ ١٠٠) وميزان الاعتدال (٣/ ١٨٤) وفيه : روى عنه إبراهيم بن المنذر .
(٥) في الدلائل (٢/ ٦٥) .
(٦) في ط : عمرو بن أبي يحيى . تحريف والمثبت من ح ، وترجمته في ميزان الاعتدال (٣/ ٢٩٣) وتهذيب التهذيب (٨/ ١١٨) وفيه ثبتت روايته عن جده ، ورواية سويد عنه .

رسول الله ﷺ : « ما بعث اللهُ نبيّاً إلا راعِيَ غنم » . فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا رعَيْتُها لأهلِ مكةَ بالقَرَاريط » .

رواه البخاري[١] عن أحمد بن محمد المكي ، عن عمرو بن يحيى به .

ثم روى البيهقي[٢] من طريق الربيع بن بَدْر ـ وهو ضعيف[٣] ـ عن أبي الزُّبير عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « آجرتُ نفسي من خديجةَ سفرتَيْن بقَلُوص »[٤] .

وروى البيهقيُّ[٥] من طريق حمَّاد بن سَلَمة ، عن علي بن زيد ، عن عمَّار بن أبي عمار ، عن ابن عباس ، أنَّ أبا خديجةَ زوَّجَ رسولَ الله ﷺ وهو ـ أظنُّه قال ـ سكران .

ثمَّ قال البيهقي[٦] : أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القَطَّان أنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان[٧] ، قال : حدّثني إبراهيم بن المنذر ، حدَّثني عمر بن أبي بكر المَوْصلي[٨] ، حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه ، عن مقسم أبي القاسم[٩] مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أنَّ عبدَ الله بن الحارث حدَّثه أنَّ عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدَّث به الناس عن تزويج رسولِ الله ﷺ خديجة ، وما يُكثرون فيه ، يقول : أنا أعلم الناسِ بتزويجه إياها ، إني كنتُ له تِرْباً ، وكنت لهُ إلْفاً وخِدْناً[١٠] ، وإني خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ ذاتَ يوم ، حتى إذا كنا بالحَزْوَرَة[١١] أجَزْنا على

---

(١) في صحيحه ، فتح (٢٢٦٢) الإجارة باب رعي الغنم على قراريط . وفيه : « يعني كل شاة بقيراط ، يعني القيراط الذي هو جزء من الدينار أو الدرهم » . وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢١٤٩) كتاب التجارات باب الصناعات ، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٢٥) .
(٢) في الدلائل (٢/ ٦٥ ، ٦٦) .
(٣) قوله : وهو ضعيف ، ليس في دلائل البيهقي . فهو من قول المصنف . وتضعيف الربيع في ميزان الاعتدال (٢/ ٣٨ ، ٣٩) وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٩) .
(٤) « القلوص » : الفتيَّة من الإبل . اللسان (قلص) .
(٥) في الدلائل (٢/ ٧٣) .
(٦) في الدلائل (٢/ ٧١) .
(٧) الخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٣) في القسم المفقود منه ، وهو منقول عما هنا .
(٨) في ح ، ط : المؤملي ، والمثبت من الدلائل وحاشية (٣) من الصفحة السابقة .
(٩) في ح : مقسم بن القاسم . وفي ط : مقسم بن أبي القاسم . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٨) وهو مقسم بن بجرة ويقال : ابن نجدة أبو القاسم ويقال : أبو العباس مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل .
(١٠) « التِّرْب » : اللِّدَة ، وقد مضى شرحه (ص٣٣) في الحاشية (٤) من هذا الجزء . والخِدْن : الصديق . مختار الصحاح (خدن) . وزادت نسخة (ح) لفظة : وخرجنا بعد : وخدناً . فلعلها مصحفة عن كلمة أخرى والله أعلم .
(١١) « الحزورة » : بالفتح ثم السكون وفتح الواو ، وراء وهاء ، وهو في اللغة الرابية الصغيرة . وقال الدارقطني : كذا=

أخت خَدِيجةَ وهي جالسةٌ على أَدَمٍ تبيعها ، فنادتني ، فانصرفتُ إليها ووقف لي رسولُ الله ﷺ فقالت : أما لصاحبك[١] هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ قال عمار : فرجعتُ إليه فأخبرتُه فقال : « بلى لَعَمْري » فذكرتُ لها قولَ رسولِ الله ﷺ فقالتْ : اغْدُوا علينا إذا أصبحنا . فغدَوْنا عليهم ، فوجدناهم قد ذبحوا بقرة ، وألبسوا أبا خديجة حُلَّة ، وصُفِّرَتْ لحيته ، وكلَّمتْ أخاها ، فكلَّم أباها وقد سُقي خمراً ، فذكرتْ له رسولَ الله ﷺ ومكانَهُ ، وسألتهُ أن يزوِّجه ، فزوَّجه خديجة ، وصنعوا من البقرة طعاماً فأكلنا منه ، ونام أبوها ، ثم استيقظ صاحياً ، فقال : ما هذه الحُلَّة وما هذه الصُّفْرة[٢] وهذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التي كانت قد كلَّمتْ عمَّاراً : هذه حُلَّةٌ كساكها محمد بن عبد الله خَتَنُكَ ، وبقرة أهداها لك ، فذبحناها حين زوَّجْتَهُ خديجة . فأنكر أن يكون زوَّجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحِجر ، وخرج بنو هاشم برسولِ الله ﷺ ، فجاؤوه فكلَّموه ، فقال : أين صاحبُكم الذي تزعمون أني زوَّجْتُه خديجة ؟ فبرز له رسولُ الله ﷺ فلما نظر إليه قال : إنْ كنتُ زوَّجْته فسبيل ذاك ، وإنْ لم أكن فعلتُ فقد زوَّجته[٣] .

وقد ذكره الزُّهري في سيره ، أن أباها زوَّجها منه ، وهو سكران ، وذكر نحو ما تقدَّم . حكاه السُّهيلي[٤] .

قال المَوْصلي[٥] : المجتمع عليه أنَّ عمَّها عمرو بن أسد هو الذي زوَّجها منه[٦] . وهذا هو الذي رجَّحه السُّهيلي ، وحكاه[٧] عن ابن عباس وعائشة قالت : وكان خويلد قد مات قبل الفِجار ، وهو الذي نازع تُبَّعاً حين أراد أَخْذَ الحَجَر الأسود إلى اليمن ، فقام في ذلك خُويلد ، وقام معه جماعةٌ من قريش ، ثم رأى تُبَّعٌ في منامه ما رَوَّعَهُ ، فنزع عن ذلك وترك الحَجَر الأسود مكانه .

وذكر ابن إسحاق في آخر السيرة[٨] ، أن أخاها عمرو بن خُويلد هو الذي زوَّجها رسولَ الله ﷺ فالله أعلم .

= صوابه ، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو وهو تصحيف ؛ وكانت الحزورة سوق مكة ، وقد دخلت في المسجد لمَّا زيد فيه . معجم البلدان (٢/ ٢٥٥) .

(١) في ح ، ط : بصاحبك ، والمثبت من دلائل البيهقي .

(٢) في دلائل البيهقي النقيعة ، وهي ما ينحره الرجل إذا زُوِّج ، كما في اللسان (نقع) .

(٣) إسناده ضعيف جداً ، فإن عمر بن أبي بكر الموصلي متروك ذاهب الحديث كما قال أبو حاتم الرازي (الجرح والتعديل ٦/ الترجمة ٥٢٤) (بشار) .

(٤) في الروض (١/ ٢١٤) .

(٥) الخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٣) في القسم المفقود منه ، وهو منقول عما هنا .

(٦) قول الموصلي هذا ذكره البيهقي بعد سياق الخبر الآنف الذكر .

(٧) في الروض (١/ ٢١٣) بألفاظ مقاربة .

(٨) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٣) .

فصــل

قال ابن إسحاق[1] : وقد كانت خديجةُ بنت خُويلد ذكرت لورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ ـ وكان ابنَ عمِّها وكان ، نصرانياً قد تتبَّع الكتب وعَلِم من عِلْم الناس ـ ما ذكر لها غلامُها [ميسرة] من قول الراهب وما كان يرى منه ، إذْ كان الملَكان يُظِلَّانه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إنَّ محمداً لنبيُّ هذه الأمة ، قد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمة نبيٌّ يُنتظرُ ، هذا زمانه . أو كما قال : فجعل وَرَقَةُ يستبطئُ الأمر ويقول : حتى متى ؟ وقال في ذلك : [من الوافر]

لججتُ وكنتُ في الذِّكْرى لَجُوجا ... لِهَــمٍّ طــالمــا بعــثَ النَّشِيجــا
ووصْفٍ من خديجةَ بعدَ وصْفٍ ... فقـد طـال انتظـاري يـا خَـدِيجـا
ببطْـنِ المكَّتَيْـنِ علـى رَجـائـي ... حديثكِ أنْ أرى منهُ خُروجا[2]
بمـا خَبَّـرتِنـا مـن قـولِ قَـسٍّ ... مـنَ الـرُّهْبَـانِ أكْـرَهُ أنْ يَعُـوجـا[3]
بـأنَّ محمـداً سيســودُ قـومـاً ... ويخصـمُ مَـنْ يكـونُ لـه حَجيجـا
ويَظْهَـرُ فـي البـلادِ ضيـاءُ نـورٍ ... يُقيـمُ[4] بـه البَرِيَّـةَ أنْ تَمُـوجـا[5]
فيلقَـى مـن يحـاربُـه خَسـاراً ... ويَلقـى مـن يُسـالمُـهُ فُلُـوجـا[6]
فيـالَيْتِـي إذا مـا كـانَ ذاكُـم ... شهِـدْتُ وكُنـتُ أوَّلَهـم وُلُـوجـا
وُلُوجاً في الذي كرهَتْ قُريشٌ ... ولـو عجَّـتْ بمكَّتِهـا عَجِيجـاً
أُرجِّي في الذي كَرِهوا جميعاً ... إلى ذي العرشِ إن سَفَلُوا عُرُوجا
فـإنْ تَبْقَـوا[7] وأبـقَ تكـن أمـورٌ ... يَضِـجُّ الكـافـرون لهـا ضَجِيجـا
وإن أهلِـكْ فكـلُّ فتـى سيلقَـى ... مـن الأقـدار مَتْلَفـةً حَـرُوجـا[8]

---

(1) سيرة ابن إسحاق (ص94) وسيرة ابن هشام (1/ 191) والروض (1/ 216) وما يأتي بين معقوفين منها .

(2) قال السهيلي في الروض (1/ 218) : ثنَّى مكة وهي واحدة ، لأن لها بطاحاً وظواهر . . . على أن للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة وجمعها . . . وإنما يقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلد وأسفلها .

(3) « القَسُّ » : رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم . اللسان (قسس) .

(4) كذا في ح والسيرة والروض ، وفي ط : يقوم .

(5) قال السهيلي في شرحه : الضياء هو المنتشر عن النور . . . وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام ، وهي ذكر وقرآن ، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات ، هو الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن والذكر .

(6) « الفلوج » : الفوز والظفر . التاج (فلج) .

(7) في ط والسيرة والروض : يبقوا .

(8) « المتلفة » : المهْواة المشرفة على تلف ، دونها جبل أو غيره ، أو تكون بين جبلين . اللسان (تلف ، هوى) وفي=

وقال ورقة أيضاً فيما رواه يونس بن بُكير عن ابن إسحاق عنه[١] : [من الطويل]

أَتُبْكِرُ أمْ أنتَ العشيّةَ رائحُ ... وفي الصدر من إضْمارك الحُزْن قادحُ
لفُرقةِ قومٍ لا أُحبُّ فِراقَهم ... كأنَّكَ عنهم بعدَ يومَيْن نازِحُ
وأخبارِ صِدْقٍ خَبَّرَتْ عن محمدٍ ... يُخَبِّرُها عنهُ إذا غابَ ناصِحُ
فذاك[٢] الذي وجَّهْتِ يا خيرَ حُرَّة ... بغورٍ وبالنَّجْدَيْن حيثُ الصَحاصح[٣]
إلى سوقِ بُصرى في الرِّكابِ التي غَدتْ ... وهنّ من الأحمال قُعصٌ دوالِحُ[٤]
فَيُخبرنا عن كُلِّ خيرٍ بعِلْمِهِ ... وللحقِّ أبوابٌ لهنّ مفاتِحُ[٥]
بأنَّ ابنَ عبدِ الله أحمدَ مُرْسَلٌ ... إلى كُلِّ من ضُمَّتْ عليه الأباطِحُ
وظنّي به أنْ سوف يُبعث صَادِقاً ... كما أُرسل العَبْدانِ هودٌ وصالحُ
وموسَى وإبراهيمُ حتى يُرى له ... بَهاءٌ ومنشورٌ من الذِّكر واضحُ
ويتبَعُه حيا لؤيٍّ وغالبٍ[٦] ... شبابُهمُ والأشيَبُون الجحاجِحُ
فإنْ أبقَ حتى يُدرِكَ الناسُ دَهْرَهُ ... فإنِّي به مستبشرُ الودِّ فارحُ
وإلا فإني يا خَديجةُ فاعلمي ... عن ارضِكِ في الأرضِ العَرِيضة سائحُ

وزاد الأموي[٧] :

= (ح ، ط) : خروجا . أوله خاء معجمة ، والمثبت من السيرة والروض . قلت : لعل معناه : ضيِّقة ، من الحرج وهو الضيق . فيكون قوله : متلفة حروجاً . كناية عن القبر .

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٩٤ ، ٩٥) وأوردها السهيلي في الروض (١/ ٢٢٠) .
(٢) كذا في ح وفي ط : أتاك ، وفي الروض والاكتفا : فتاك .
(٣) في سيرة ابن إسحاق : « بغوري والنجدين » . والصحاصح : جمع صحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار . اللسان (صحح) .
(٤) في ح : والركاب . قعص : كذا في الأصول والسيرة والروض ، ولم يتجه لي معناه بهذا اللفظ . قلت لعله « نعص » بنون في أوله ، من النَّعَص ، وهو التمايل . والدوالح : جمع دالح ، وهو البعير [الذكر والأنثى سواء] إذا دلح ، وهو تثاقله في مشيه من ثقل الحمل . اللسان (نعص ، دلح) .
(٥) في ح : فواتح .
(٦) كذا في ح ، ط : وأظن الصواب فيه : حيا لؤي بن غالب . قال ابن حزم في جمهرة الأنساب ص١٢ : فولد لؤي بن غالب : كعب بن لؤي ، وفيه البيت والعدد ، وعامر بن لؤي ، وهذان الصريحان من ولد لؤي . وفي نسب قريش للمصعب (ص١٣) : فولد لؤي بن غالب كعباً وعامراً ، وهما البطاح . ويؤيد هذا ما جاء في رواية ابن إسحاق في السيرة والسهيلي في الروض : حيا لؤي جماعة .
(٧) ذكرت هذه الأبيات في هامش (ح) .

فمتَّبِعٌ دينَ الذي أسَّسَ البِنَا وكانَ له فضلٌ على الناسِ راجحُ
وأسَّسَ بُنْيانَاً بمكَّةَ ثابتاً تلألأَ فيه بالظلامِ المصابحُ
مَثاباً لأفناء القبائلِ كلِّها تَخُبُّ إليهِ اليَعْمُلاتُ الطلائحُ[١]
حَرَاجِيجُ أمثالُ القِدَاحِ من السُّرَى يُعَلَّقُ في أرساغِهِنَّ السَّرائحُ[٢]

ومن شعره فيما أورده له أبو القاسم السُّهَيْلي في « روضه »[٣] : [من البسيط]

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم : أنا النذيرُ فلا يغرُرْكُمُ أحَدُ
لا تعبُدُنَّ إلَهاً غيرَ خالِقِكم فإنْ دعَوْكم فقولوا بيْننا حَدَدُ[٤]
سُبْحان ذي العرشِ سُبْحاناً يدومُ له وقَبْلَنَا سبَّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ[٥]
مسخَّرٌ كلُّ ما تحتَ السماءِ له لا ينبغي أن يناوي ملكَهُ أحَدُ
لا شيء مما نَرى تبقى بَشاشَتُه يَبْقَى الإلَهُ ويُودي المالُ والولَدُ
لم تُغنِ عن هُرمُزٍ يوماً خَزائنُهُ والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلَدُوا
ولا سليمانُ إذْ تجري الرِّياحُ به والجِنُّ والإنْسُ فيما بينها ترِدُ[٦]
أينَ الملوكُ التي كانتْ لِعِزَّتِها من كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يَفِدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كَذبٍ لا بدَّ من وِردِه يوماً كما وَرَدُوا

ثم قال : هكذا نسبه أبو الفرج إلى وَرَقَة . قال : وفيه أبياتٌ تُنسب إلى أُميَّة بن أبي الصَّلْت .

قلت : وقد رَوينا عن أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه أنه كان يستشهد في بعض الأحيان بشيءٍ من هذه الأبيات ، فالله أعلم .

---

(١) « اليعملات الطلائح » : النوق السريعة التي جَهَدَها السير وأهزلها . « وتخبُّ » : من الخَبَب ، وهو السرعة في العدو . وفي ح : تخف . وهو بمعناه . اللسان (طلح ، عمل ، خبب) .
(٢) « حراجيج » : جمع حُرْجُوج وحُرْجيج ، وهي الناقة الطويلة . والسرائح : والسُّرُح : نعال الإبل ، وقيل سُيُور نعالها ، كل سير منها سريحة ، وقيل : السيور التي يُخصف بها . اللسان (حرج ، سرح) .
(٣) الروض الأنف (١/ ٢١٧) .
(٤) دعوة حَدَد ، محركة : أي باطلة . وأمر حَدَد : ممتنع باطل ، لا يحل أن يُرتكب . التاج (حدد) . ووقع في الروض : جدد ، بالجيم المعجمة .
(٥) « الجودي » : هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل . معجم البلدان (٢/ ١٧٩) . والجمد : بضمتين ، هو جبل لبني نصرٍ بنجد ، معجم البلدان (٢/ ١٦١) والأبيات فيه . ونسب هذا البيت لأمية بن أبي الصلت كما سيأتي ، وهو في ديوانه (ص٣٧٦) وتخريجه فيه .
(٦) كذا في ح ومعجم البلدان ، وفي ط والروض : مرد .

فصـــل
في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

ذكَرَ البيهقيُّ(١) بناءَ الكعبة قبل تزويجة عليه الصلاة والسلام خديجة . والمشهور أنَّ بناء قريش الكعبة بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بعشر سنين . ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمنِ إبراهيم كما قدمناه في قصته ، وأورد حديثَ ابنِ عباس المتقدِّم في « صحيح » البخاري(٢) وذكر ما ورد من الإسرائيليات في بنائه في زمن آدم ، ولا يصحُّ ذلك ، فإنَّ ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أولُ من بناه مبتدِئاً ، وأولُ مَنْ أسَّسه ، وكانت بقعتُه معظَّمة قبل ذلك ، معتنًى بها ، مشرَّفةً في سائر الأعصارِ والأوقات ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٦ ـ ٩٧] .

وثبت في « الصحيحين »(٣) عن أبي ذرّ قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، أيُّ مسجدٍ وُضع أوّل ؟ قال : « المسجدُ الحرام » قلتُ : ثم أيّ ؟ قال : « المسجدُ الأقصى » . قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » .

وقد تكلَّمنا على هذا فيما تقدَّم(٤) ، وأنَّ المسجد الأقصى أسَّسه إسرائيلُ وهو يعقوب عليه السلام .

وفي « الصحيحَيْن(٥) » : « إنَّ هذا البلد حرَّمَهُ اللهُ يومَ خَلَق السمٰواتِ والأرض ، فهو حرامٌ بحُرْمةِ اللهِ إلى يوم القيامة » .

وقال البيهقي(٦) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو عبد الله الصفَّار ، حدّثنا أحمد بن مِهْران ، حدّثنا عُبيد الله ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : كان البيتُ قبل الأرض بألفَيْ سنة ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ [الانشقاق : ٣] قال : من تحته مدّاً(٧) .

---

(١) ذِكْرُ بناء الكعبة في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٣ ـ ٦٤) .
(٢) حديث البخاري هذا تقدم في الجزء الأول ، عند ذكر مولد إسماعيل عليه السلام .
(٣) فتح الباري (٣٤٢٥) الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ وصحيح مسلم (٢ ـ ٥٢٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة .
(٤) تقدم في (١/ ١٦٢) من هذا الكتاب .
(٥) صحيح البخاري ، فتح (١٨٣٤) جزاء الصيد باب لا يحل القتال بمكة و(٣١٨٩) الجزية والموادعة باب إثم الغادر للبر والفاجر ، وصحيح مسلم (١٣٥٣) (٤٤٥) الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها .
(٦) في الدلائل (٢/ ٤٤) .
(٧) في ط : مدت . والمثبت من ح ودلائل البيهقي . والحديث أخرجه الحاكم أيضاً بهذا اللفظ في المستدرك (٢/ ٥١٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ! . أقول : وسيأتي كلام المصنف عليه .

قال : وقد تابعه منصور عن مجاهد .

قلت : وهذا غريبٌ جداً ، وكأنَّه من الزَّامِلَتَيْن اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك[١] ، وكان فيهما إسرائيليات يحدِّثُ منهما ، وفيهما منكراتٌ وغرائب .

ثم قال البيهقي[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي[٣] ، حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدّثنا أبو صالح الجُهني ، حدّثني ابنُ لهيعةَ ، عن يزيد ، عن أبي الخير[٤] ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بعث اللهُ جبريلَ إلى آدم وحوَّاء ، فقال لهما : ابْنِيا لي بيتاً . فخطَّ لهما جبريل ، فجعل آدم يَحْفِر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودي من تحته : حَسْبُكَ يا آدم . فلمَّا بَنَياه أوحى اللهُ تعالى إليه أنْ يطوفَ به ، وقيل له : أنت أولُ الناس ، وهذا أولُ بيت ، ثم تناسختِ القرون حتى حجَّه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رَفَعَ إبراهيمُ القواعِدَ منه » .

قال البيهقي : تفرَّد به ابنُ لَهيعة هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضعيف ، ووَقْفُهُ على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت ، والله أعلم .

وقال الربيع[٥] : أخبرنا الشافعي ، أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي لَبِيد ، عن محمد بن كعب القُرَظي ـ أو غيره ـ قال : حجَّ آدمُ فلقيتْهُ الملائكة فقالوا : برَّ نُسْكُكَ يا آدم ، لقد حجَجْنا قبلك بألفَيْ عام .

وقال يونس بن بُكير عن ابن إسحاق[٦] : حدّثني بَقِيَّة ـ أو قال : ثقةٌ من أهل المدينة ـ عن عُروة بن الزُّبير أنه قال : ما مِنْ نبيٍّ إلا وقد حجَّ البيت ، إلا ما كان من هود وصالح .

قلتُ : وقد قدَّمنا حجَّهما إليه[٧] . والمقصودُ الحجُّ إلى محلَّته ، وبُقْعَتِه ، وإنْ لم يكنْ ثَمَّ بناء ، والله أعلم .

---

(١) في ذلك أقوال وردت في الجزء الأول في قصة شعيب .

(٢) في الدلائل (٢/ ٤٤ ، ٤٥) .

(٣) في ط : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وهو محمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن جميل البغدادي المشهور بالجمال المتوفى سنة ٣٤٦هـ . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٤٧ـ ٥٤٨) .

(٤) في ح ، ط : يزيد بن أبي الخير . وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي . ويزيد هو ابن أبي حبيب ، وأبو الخير هو مرثد بن عبد الله اليزني ، ورواية كل منهما عن الآخر ثابتة في ترجمتهما في تهذيب التهذيب (١٠/ ٨٢ و١١/ ٣١٨) .

(٥) قول الربيع وإسناده في دلائل البيهقي (٢/ ٤٥) .

(٦) قول يونس عن ابن إسحاق ساقه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٥ ، ٤٦) .

(٧) في الجزء الأول عند قصة هود وصالح .

ثم أورد البيهقيُّ[(١)] حديثَ ابنِ عباس المتقدِّم في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتمامه ، وهو في « صحيح » البخاري .

ثم روى البيهقي[(٢)] من حديث سِمَاك بن حَرْب ، عن خالد بن عَرْعَرة قال : سأل رجلٌ عليّاً عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] أهو أولُ بيتٍ بُني في الأرض[(٣)] ؟ قال : لا ، ولكنَّهُ أولُ بيتٍ وُضع فيه البركةُ للناس والهدى ، ومقامُ إبراهيم ومَنْ دخله كان آمناً ، وإنْ شئتَ نبَّأتك كيف بناؤه ؛ إنَّ الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض . فضاقَ به ذَرْعاً ، فأرسل إليه السَّكِينةَ وهي ريحٌ خَجُوجٌ[(٤)] لها رأس ، فاتَّبع أحدُهما صاحبَه حتى انتهت[(٥)] ، ثم تطوقتْ في موضع البيت تطوُّقَ الحيَّة ، فبنى إبراهيم ، حتى [إذا] بلغ مكان الحجر قال لابنه : ابغني حجراً . فالتمس [ثَمَّ] حجراً حتى أتاه به ، فوجد الحجر الأسود قد رُكِّب ، فقال لأبيه : من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لا يتكل على بنائك ، جاء به جبريلُ من السماء . فأتمَّه[(٦)] .

قال[(٧)] : فمرَّ عليه الدهر فانهدم ، فبنَتْهُ العمالقة ، ثم انهدم فبنَتْهُ جُرْهُم ، ثم انهدم فبنته قريش ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ رجلٌ شابّ . فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه ، فقالوا : نُحَكِّمُ بيننا أولَ رجلٍ يخرج من هذه السكة ، فكان رسولُ الله ﷺ أولَ من خرج عليهم ، فقضى بينهم أن يجعلوه في مِرْط[(٨)] ، ثم ترفعُه جميعُ القبائل كلُّهم .

وقال أبو داود الطيالسي[(٩)] : حدّثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام[(١٠)] ، كلُّهم عن سِمَاك بن حَرْب عن خالد بن عرعرة ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما انهدم البيت بعد جُرْهُم بنَتْهُ قريش ، فلما أرادوا وضعَ الحجر تشاجروا ، مَنْ يضَعه ؟ فاتفقوا أن يضعه أولُ مَنْ يدخل من هذا الباب ، فدخل رسول الله ﷺ

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٦ _ ٥٢) .

(٢) في الدلائل (٢/ ٥٥) وما يأتي بين معقوفين منه ، وأخرج الخبر أيضاً الطبري في تفسيره (٣/ ٦٩ ، ٧٠) .

(٣) سياق الخبر في ح على هذا النحو : « ... سأل رجل علياً عن قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ ﴾ فيه البركة ﴿ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ أهو أول بيت في الأرض ؟ » . والمثبت من ط ودلائل البيهقي .

(٤) « الريح الخجوج » : الشديدة المرّ ، التي تلتوي في هبوبها ، الخوَّارة . اللسان (خجج) .

(٥) في تفسير الطبري : حتى انتهت إلى مكة .

(٦) وأخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٩ _ ٧١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٢ _ ٢٩٣) وأورده الأزرقي في تاريخ مكة (١/ ٢٤ ، ٢٥) .

(٧) يعني البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٦) بالسند نفسه .

(٨) « المِرْط » : كل ثوب غير مخيط . اللسان (مرط) .

(٩) في مسنده رقم (١١٣) وما يأتي بين معقوفين منه . وهو في منحة المعبود (٢/ ٨٦ ، ٢٣١٦) .

(١٠) في مسند الطيالسي : وقيس وسماك كلهم عن سماك ، والمثبت من ح ، ط وتهذيب الكمال (١٢/ ١١٧ ، ٢٨٢) في ترجمتي سماك وسلام ، ورواية سلام عن سماك ثابتة فيهما .

من باب بني شَيْبَة ، فأمر بثوب ، فوضع ، [فأخذ] الحجر [ووضعه] في وسطه ، وأمر كلَّ فَخِذٍ أنْ يأخذوا بطائفة من الثوب ، فرفعوه ، وأخذه رسولُ الله ﷺ فوضعه .

قال يعقوبُ بن سفيان[١] : أخبرني أصْبَغ بن فَرَج ، أخبرني ابنُ وَهْب عن يونس عن ابن شهاب قال : لما بلغ رسول الله ﷺ الحُلُم ، أجْمرَتِ امرأةٌ الكعبة[٢] فطارتْ شرارةٌ من مِجْمَرها في ثياب الكعبة فاحترقتْ ، فهدموها ، حتى إذا بنوها فبلغوا موضعَ الرُّكْن اختصمتْ قريش في الرُّكْن ، أيُّ القبائل تلي رفعه ؟ فقالوا : تعالوا نُحَكِّم أولَ مَنْ يطلع علينا ، فطلع عليهم رسول الله ﷺ وهو غلام عليه وشاحُ نَمِرة ، فحكَّموه ، فأمر بالركن فوضع في ثوب ، ثم أخرج سيدَ كلِّ قبيلةٍ فأعطاهُ ناحيةً من الثوب ، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن ، فكان هو يضعه ، فكان لا يزدادُ على السِّنِّ إلا رِضى ، حتى دعَوْهُ الأمين قبل أن ينزل عليه الوَحْي ، فطفِقُوا لا ينحرون جَزُوراً إلا التمسوه ، فيدعو لهم فيها .

وهذا سياقٌ حَسَن ، وهو من سِيَر الزُّهْري ، وفيه من الغرابة قوله : فلما بلغ الحُلُم . والمشهور أنَّ هذا كان ورسول الله ﷺ عمره خمسٌ وثلاثون سنة ، وهو الذي نصَّ عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عُقْبة : كان بناءُ الكعبة قبل المَبْعَث بخمس عشرة سنة . وهكذا قال مجاهد ، وعروة ، ومحمد بن جُبير بن مُطْعِم وغيرهم . فالله أعلم .

وقال موسى بن عُقْبة : كان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة .

قلت : وكان الفِجَار وحِلْفُ الفُضُول في سنةٍ واحدة ، إذْ كان عُمُر رسولِ الله ﷺ عشرين سنة[٣] ، وهذا يؤيِّدُ ما قال محمد بن إسحاق ، والله أعلم .

قال موسى بن عقبة[٤] : وإنما حمل قريشاً على بنائها أنَّ السُّيول كانت تأتي من فوقها ، من فوق الرَّدْم الذي صنعوه ، فأخرَّ به ، فخافوا أن يدخلها الماء . وكان رجلٌ يُقال له : مليح ، سرق طِيب الكعبة . فأرادوا أنْ يشيدوا بُنْيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلَها إلا مَنْ شاؤوا ، فأعدُّوا لذلك نفقةً وعُمَّالاً ، ثم غَدَوْا إليها ليهدموها على شَفَقٍ وحذَر ، أن يمنعَهُم [الله] الذي أرادوا . فكان أوَّل رجلٍ طلعها وهدم منها شيئاً الوليد بن المغيرة ، فلما رأوا الذي فعل الوليد تتابعوا فوضعوها ، فأعجبهم ذلك . فلما أرادوا أنْ يأخذوا في بنيانها ، أحضروا عُمَّالَهم فلم يقدرْ رجلٌ منهم أنْ يمضيَ أمامَهُ موضعَ قدم . فزعموا أنهم رأوا

---

(١) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٢) وهو في القسم المفقود منه ، اقتبسه المحقق من هنا .
(٢) « أجمرت الكعبة » : يعني بخرتها بالطيب وفي ط : جمرت ، وهو بمعناه ، يقال : أجمرتُ الثوب وجمَّرْتُه : إذا بخرته بالطيب ، اللسان (جمر) .
(٣) في ح ، ط : عشرون سنة .
(٤) قول موسى بن عقبة في عيون الأثر (١/ ٥١ ، ٥٢) وما يأتي بين معقوفين منه .

حيَّةً قد أحاطتْ بالبيت ، رأسُها عند ذنبها ، فأشفقوا منها شفقةً شديدة ، وخَشُواأن يكونوا قد وقعوا مما عمِلُوا في هَلَكة . وكانت الكعبة حرزَهم ومنعتَهم من الناس ، وشرفاً لهم . فلما سُقط في أيديهم ، والتبس عليهم أمْرُهم قام فيهم المغيرةُ بن عبد الله بن عمر[١] بن مَخْزوم ، فذكر ما كان من نُصْحه لهم وأمْرِه إياهم أنْ لا يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها، وأنْ يقتسموها أربعاً ، وأنْ لا يُدخلوا في بنائها مالاً حراماً .

وذكر أنهم لما عزموا على ذلك ذهبتِ الحيَّةُ في السماء وتغيَّبَتْ عنهم ، ورأوا أنَّ ذلك من الله عزَّ وجل . قال : ويقول بعض الناس : إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجْياد[٢] .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار[٣] : فلما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وثلاثين سنةً ، اجتمعتْ قريش لبناء الكعبة ، وكانو يهمُّون بذلك ليسقفوها ، ويهابون هَدْمها ، وإنما كانتْ رَضْماً[٤] فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أنَّ نفراً سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان يكون[٥] في بئرٍ في جَوْف الكعبة ؛ وكان الذي وجد عنده الكنز دُويك ، مولى لبني مُلَيح بن عمرو من خُزَاعة ، فقطعتْ قريش يده ، وتزعم قريش أنَّ الذين[٦] سرقوه وضعوه عند دويك . وكان البحر قد رمى بسفينةٍ إلى جُدَّة ، لرجلٍ من تجار الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خشَبَها فأعدُّوه لتسقيفها .

قال الأموي : كانت هذه السفينةُ لقيصر ملك الرُّوم ، تحمل له آلاتِ البناء من الرُّخام والخشَب والحديد ، سرَّحها قيصر مع بَاقُوم الرُّومي إلى الكنيسةِ التي أحرقها الفُرْس للحبشة ، فلما بلغتْ مرساها من جُدَّة بعث الله عليها ريحاً فحطَّمَتْها .

قال ابن إسحاق[٧] : وكان بمكة رجلٌ قِبْطِيٌّ نجَّار ، فتهيَّأ لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصلحها . وكانت حيَّةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرح فيها ما يُهدى إليها كلَّ يوم ، فتتشرَّقُ[٨] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزألَّتْ وكشَّتْ[٩] وفتحتْ فاها ، فكانوا

---

(١) في ح ، ط : المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، والمثبت من عيون الأثر (١/ ٥٢) وجمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٢٦٤) والمحبر (ص٨٤ ، ١٣٢ ، ١٣٩) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٤٤) .
(٢) أجياد : كأنه جمع جيد وهو العنق ، موضع بمكة يلي الصفا . معجم البلدان (١/ ١٠٥) .
(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٨٣، ٨٤) وفيه الخبر مطول ، ويبدو أن المصنف نقله من سيرة ابن هشام (١/ ١٩٢ ، ١٩٣) .
(٤) « الرَّضم » : صخور بعضها على بعض . النهاية (٢/ ٢٣١) (رضم) .
(٥) سقطت « يكون » من ط ، وهي ثابتة في ح وسيرة ابن هشام .
(٦) في ح : الذي .
(٧) سيرة ابن إسحاق (ص٨٣ ، ٨٤) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٣) .
(٨) في ح : فتتشرف وفي ط : فتشرف ، وفي سيرة ابن إسحاق : فتشرق ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض . والتشرّق ؛ الظهور للشمس حينما يدركها برد السحر . اللسان (شرق) والحيوان للجاحظ (٤/ ٣٩ ، ٦/ ٥٥) .
(٩) « احزألَّت » : ارتفعت واجتمعت . كشت الأفعى كشاً وكشيشاً : وهو صوت جلدها إذا حكت بعضها ببعض . اللسان (حزل ، كشش) .

يهابونها . فبينما هي يوماً تشرَّقُ على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عليها طائراً فاختطفها[١] ، فذهب بها . فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكونَ اللهُ تعالى قد رضي ما أرَدْنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا خشب ، وقد كفانا اللهُ الحيَّة .

وحكى السُّهيلي عن رَزين[٢] ، أنَّ سارقاً دخل الكعبة في أيام جُرْهُم ليسرق كنزها ، فانهار البئر عليه[٣] ، حتى جاؤوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنتْ هذه[٤] البئرَ حَيَّةٌ رأسُها كرأس الجَدْي ، وبطنها أبيض ، وظهرها أسود ، فأقامتْ فيها خمسمئة عام ، وهي التي ذكرها محمد بن إسحاق .

قال محمد بن إسحاق[٥] : فلما أجمعوا أمرهم لهدْمها وبنيانها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ـ وقال ابنُ هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم[٦] ـ فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يا معشر قريش ، لا تُدخلوا في بنيانها مِن كَسْبكم إلا طيِّباً ، لا يُدخَلُ فيها مَهْرُ بغيّ ، ولا بَيْعُ ربا ، ولا مَظْلَمة أحدٍ من الناس . والناسُ يَنْحَلُونَ هذا الكلام الوليدَ بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر[٧] بن مخزوم .

ثم رجَّح ابنُ إسحاق أنَّ قائل ذلك أبو وهب بن عمرو ، قال : وكان خالَ أبي النبيِّ ﷺ وكان شريفاً ممدَّحاً .

وقال ابن إسحاق[٨] : ثم إنَّ قريشاً تجزَّأتِ الكعبة ؛ فكان شِقُّ الباب لبني عبد مناف وزُهْرة ، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضمُّوا إليهم ، وكان ظهرُ الكعبة لبني جُمَح وسهم ، وكان شِقُّ الحِجْر لبني عبدِ الدَّار بن قُصَيّ ، ولبني أسد بن عبد العُزَّى ولبني عدي بن كعب ، وهو الحَطِيم .

ثم إنَّ الناسَ هابوا هَدْمَها وفرِقوا منه ، فقال الوليد بن المُغيرة : أنا أبدؤكم في هَدْمها ، فأخذ المِعْوَل

---

(١) في سيرة ابن إسحاق : طائراً لا يدرون ما هو ، فاختطفها من متشرَّقها .
(٢) في الروض (١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ و١٣٧) بألفاظ مقاربة .
(٣) لفظ السهيلي : فسقط عليه حجر فحبسه فيها .
(٤) في الأصل : هذا ، وهو تصحيف من الناسخ ، لأن البئر مؤنثة ، يدل عليها الضمير في قوله : « فأقامت فيها » الآتي .
(٥) سيرة ابن إسحاق (ص٨٤) بلفظ مختلف ، ويبدو أن المصنف نقله من سيرة ابن هشام (١/ ١٩٤) فاللفظ له .
(٦) قلت : وهو الصواب ، كما جاء في جمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٣٠٨) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٤١) .
(٧) في ح ، ط : عمرو ، والمثبت من سيرة ابن هشام وسيرة ابن إسحاق .
(٨) سيرة ابن إسحاق (ص٨٥) واللفظ لابن هشام (١/ ١٩٥) .

ثم قام عليها وهو يقول : اللهمَّ لَمْ تُرَعْ[١] اللهم إنا لا نريدُ إلا الخير . ثم هَدَم من ناحية الرُّكْنين ، فتربَّصَ الناسُ تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإنْ أُصيب لم نهدمْ منها شيئاً وردَدْناها كما كانت ، وإنْ لم يُصِبْهُ شيء فقد رضي الله ما صنعنا من هدمها . فأصبح الوليدُ غادياً على عمله ، فهدَمَ وهدمَ الناسُ معه ، حتى إذا انتهى الهَدْمُ بهم إلى الأساس ، أساسِ إبراهيم عليه السلام ، أَفْضَوْا إلى حجارةٍ خُضْر كالأسِنَّةِ آخِذٌ بعضُها بعضاً ـ ووقع في « صحيح » البخاري عن يزيد بن رُومَان : كأسْنِمَةِ الإبل[٢] ـ قال السُّهيلي : وأرى رواية السيرة ـ كالأسنة[٣] ـ وهماً ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] فحدّثني بعضُ مَن يروي الحديث ، أنَّ رجلاً من قريش ممن كان يهدِمُها ، أدخل عتلةً[٥] بين حجرين منها ليقلع بها أحدَهما ، فلما تحرَّكَ الحجر انتفضتْ[٦] مكة بأسْرِها . فانتهَوْا عن ذلك الأساس .

وقال موسى بن عقبة : وزعم عبد الله بن عباس ، أن أولية قريش كانوا يحدثون أنَّ رجلاً من قريش ، لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة انتهَوْا[٧] إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، عمد رجلٌ منهم إلى حجَرٍ من الأساس الأول ، فرفعه وهو لا يدري أنه من الأساس الأول ، فأبصر القومُ بُرْقَةً تحت الحجر ، كادت تلتمعُ بصرَ الرجل ، ونزا الحجر من يده فوقع في موضعه وفزع الرجل والبناة . فلما ستر الحجر عنهم ما تحته إلى مكانه عادوا إلى بنيانهم وقالوا : لا تحرِّكوا هذا الحجر ولا شيئاً بحذائه .

---

(١) قال السهيلي في الروض : (١/ ٢٢٥) : اللهم لم تُرَعْ : هي كلمة تقال عند تسكين الرُّوع ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولا رَوْعَ في هذا الموطن فيُنفى ، ولكن الكلمة تقتضي إظهار قصد البر ، فلذلك تكلموا بها ، وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الرَّوع الذي هو محال في حق الباري تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها . ويروى أيضاً « اللهم لم نزِغ » وهو جلي لا يشكل . أي لم نحل عن دينك . وهي رواية ابن هشام .

(٢) فتح الباري (١٥٨٦) الحج باب فضل مكة وبنيانها .

(٣) في ح ، ط : كالألسنة ، وهو تصحيف ، والمثبت من الروض (١/ ٢٢٨) ولفظه : وليست هذه رواية السيرة ، إنما الصحيح في الكتاب (كالأسنة) وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحاق والله أعلم .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص٨٥) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٥) واللفظ له .

(٥) « العتلة » : العصا الضخمة من حديد لها رأس مفلطح كقبيعة السيف ، تكون مع البناء يهدم بها الحيطان . وقبيعة السيف : ما كان على طرف مقبضه من فضة أو حديد ، وهي التي يُدخل القائم فيها . اللسان (عتل ، قبع) .

(٦) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام : تنقضت ، وفي السيرة الحلبية (١/ ١٤٢) : تنفضت أي تحركت ، وفي شرح المواهب (١/ ٢٤٦) : تنغصت . قلت : أظن الصواب فيه إن شاء الله تنغضت ، بالغين والضاد المعجمتين ، أي : تحركت ورجفت ، جاء في النهاية (٥/ ٨٧) (نغض) : وفي حديث ابن الزبير : إن الكعبة لما احترقت نغضت ، أي تحركت ووهت .

(٧) سقطت اللفظة من ط وهي في ح .

قال ابن إسحاق[١] : وحُدِّثت أنَّ قريشاً وجدوا في الرُّكْن كتاباً بالسريانية ، فلم يعرفوا ما هو ، حتى قرأه لهم رجلٌ من يهود ، فإذا هو : أنا الله ذو بَكَّة ، خلقتُها يوم خلقتُ السماواتِ والأرض ، وصورتُ الشمس والقمر ، وحفَفْتُها بسبعة أملاكٍ حُنفاء ، لا تزولُ حتى يزولَ أخشباها ـ قال ابنُ هشام : يعني جبلاها ـ مباركٌ لأهلها في الماء واللبن .

قال ابنُ إسحاق[٢] : وحُدِّثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : مكة [بيتُ] اللهِ الحرام ، يأتيها رِزْقُها من ثلاثة سُبُل ، لا يحلُّها أول من أهلها[٣] .

قال[٤] : وزعم ليثُ بن أبي سليم[٥] أنهم وجدوا [حجَراً] في الكعبة قبل مبعثِ النبيِّ ﷺ بأربعين سنة ـ إن كان ما ذُكر حقاً ـ مكتوباً فيه : مَنْ يزرعْ خيراً يحصدْ غِبْطة ، ومَنْ يزرعْ شرّاً يحصُدْ ندامة ، تعملون السيئات وتُجزَوْنَ الحسنات ؟! أجَل ، كما [لا] يُجْتَنى من الشَّوْك العِنَب[٦] .

وقال سعيد بن يحيى الأموي : حدّثنا المعتمر بن سليمان ، عن عبد الله بن بشر الرَّقيِّ ، عن الزهري ـ يرفع الحديث إلى النبيِّ ﷺ قال : « وجد في المقام ثلاثة أصفح ، في الصَّفْح الأول : إني أنا الله ذو بَكَّة صنعتُها يوم صنعت[٧] الشمس والقمر ، وحفَفْتُها بسبعةِ أملاك حُنفاء ، وباركتُ لأهلها في اللحم واللبن . وفي الصَّفْح الثاني : إني أنا الله ذو بَكَّة ، خلقت الرحم وشقَقْتُ لها من اسمي ، فمَنْ وصلها وصلْتُه ، ومن قطعها بَتَتُّه . وفي الصَّفْح الثالث : إني أنا الله ذو بكَّة ، خلقتُ الخيرَ والشرَّ وقدَّرْتُه ، فطوبى لمن أجرَيْتُ الخيرَ على يديه ، وويلٌ لمن أجريتُ الشرَّ على يديه » .

قال ابن إسحاق[٨] : ثم إنَّ القبائل من قريش جمعتِ الحجارة لبنائها ، كلُّ قبيلةٍ تجمع على حدة ، ثم بنَوْها ، حتى بلغ البناءُ موضعَ الرُّكْن ، فاختصموا فيه ، كلُّ قبيلة تريد أن ترفعَهُ إلى موضعه دون الأخرى ؛

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٨٦) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) واللفظ له .
(٢) سيرة ابن إسحاق (ص٨٦) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) وما يأتي بين معقوفين منه ، واللفظ له .
(٣) قال السهيلي في الروض (١/ ٢٢٧) : يريد ـ والله أعلم ـ ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير ، وحُصين بن نمير ، ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبي ربيعة :
ألا مـن لقلـب مُعنـى غَـزِلْ   بحـب المحلـة أُخـت المُحِـلْ
يعني بالمُحِلّ عبد الله بن الزبير لقتاله في الحرم .
(٤) القائل هو ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٥) وهو ضعيف .
(٦) وهو من أمثالهم : أي إذا ظلمت فاحذر الانتصار ، فإن الظلم لا يُكْسِبكَ إلا مثل فعلك . مجمع الأمثال للميداني (١/ ٨٦ ط محمد أبو الفضل إبراهيم مصر ١٩٧٧) والأمثال لأبي عبيد (ص٢٧٠) .
(٧) ساق الخبر السهيلي في الروض (١/ ٢٢٧) من طريق معمر بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال : بلغني أن قريشاً حين بنوا الكعبة وجدوا فيها . . . وذكر الحديث ، ولفظه : صغتها يوم صغت . . .
(٨) سيرة ابن إسحاق (ص٨٦ ـ ٨٨) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) واللفظ له .

حتى تحاوروا وتحالفوا ، وأعدُّوا للقتال ، فقرَّبتْ بنو عبد الدار جَفْنةً مملوءةً دماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عديٍّ بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديَهُمْ في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسُمُّوا لعقة الدم . فمكثتْ قريش على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا .

فزعم بعضُ أهل الرواية ، أن أباأمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر[١] بن مخزوم ـ وكان عامئذٍ أسنَّ قريش كلِّها ، قال : يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولَ مَنْ يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا ، فكان أولَ داخلٍ دخل رسولُ الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله ﷺ : « هَلُمَّ[٢] إليَّ ثوباً » فأُتي به ، وأخذ الرُّكْن فوضعه فيه بيدهِ ثم قال : « لتأخذْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوب ، ثم ارْفَعُوهُ جميعاً » ففعلوا ، حتى إذا بلغوا بـه موضعَه ، وضعَهُ هو بيده ﷺ . ثم بُني عليه . وكانت قريش تسمِّي رسول الله ﷺ الأمين .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عبد الصمد ، حدّثنا ثابت ـ يعني أبا زيد[٤] ـ حدّثنا هلال ـ يعني ابن خبَّاب[٥] ـ عن مجاهد عن مولاه ـ وهو السائب بن عبد الله ـ أنه حدّثه أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية قال : وكان لي حجر أنا نحتُّه ، أعبدُه من دون الله ، قال : وكنتُ أجيء باللبن الخاثر الذي أَنْفَسُه[٦] على نفسي فأصبُّهُ عليه ، فيجيءُ الكلبُ فيلحسه ، ثم يَشْغَرُ[٧] فيبول ، قال : فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر ، ولا يرى الحَجَر أحد ، فإذا هو وسط حِجَارنا[٨] مثل رأس الرجل ، يكاد يتراءى منه وجهُ الرجل ، فقال بطْنٌ من قريش : نحن نضعُهُ . وقال آخرون : نحن نضعه . فقالوا : اجعلوا بينكم حَكَماً . فقالوا : أوَّلُ رجلٍ يَطْلعُ من الفَجّ . فجاء رسولُ الله ﷺ فقالوا : أتاكم الأمين . فقالوا له فوضعه في ثوب ، ثم دعا بطونهم ، فرفعوا نواحيه ، فوضعه هو ﷺ .

---

(١) في ح ، ط : عمرو ، انظر ما مضى (ص ٩٨ حاشية ١) .
(٢) في ط : هلموا ، والمثبت من ح والسيرة . وهلمّ : بمعنى أقبل ، تقال للواحد والاثنين والجماعة .
(٣) في مسنده (٣/ ٤٢٥) .
(٤) في ح ، ط : أبا يزيد ، وهو تصحيف ، والمثبت من المسند ، وهو ثابت بن يزيد أبو زيد الأحول البصري . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠٥) وتهذيب التهذيب (٢/ ١٨) .
(٥) في ح ، ط : حبان وهو تصحيف ، والمثبت من المسند ، ترجمته في تهذيب التهذيب (١١/ ٧٧) وقد ضبطه ابن حجر في التقريب (٢/ ٣٢٣) بقوله : بمعجمة وموحدتين .
(٦) في ح ، ط : آنفه ، والمثبت من المسند ، يقال نفِسْتُ عليه الشيء أنفَسُه : إذا ضننْتَ به ولم تحب أن يصل إليه . اللسان (نفس) .
(٧) شغر الكلب : رفع إحدى رجليه ليبول . اللسان (شغر) .
(٨) في ط : أحجارنا ، وفي المسند حجارتنا ، وكل ذلك جمع حَجَر . اللسان (حجر) . ط دار المأمون ١٤٠٠هـ ـ دمشق .

قال ابن إسحاق[١] : وكانتِ الكعبة على عهد النبي ﷺ ثماني عشرة ذراعاً ، وكانت تُكْسى القَبَاطيّ[٢] ، ثم كُسيت بعدُ البُرود . وأول مَنْ كساها الديباج الحجَّاج بن يوسف[٣] .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحِجْر ـ وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام ـ قصَّرت بهم النفقة ، أي : لم يتمكَّنُوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم ، وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق ، وجعلوه مرتفعاً لئلا يدخل إليها كل أحد فَيُدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا .

وقد ثبت في « الصحيحيْن »[٤] عن عائشة رضي الله عنها ، أنَّ رسول الله ﷺ قال لها : « ألم تريْ أنَّ قومَكِ قصَّرَتْ بهم النَّفَقَة ، ولولا حِدْثانُ قومِكِ بكُفْر لنقضْتُ الكعبةَ ، وجعلتُ لها باباً شرقياً وبابا غربيّاً ، وأدخلتُ فيها الحِجْر » .

ولهذا لما تمكَّن ابنُ الزُّبير بناها على ما أشار إليه رسولُ الله ﷺ ، وجاءتْ في غاية البهاء والحُسْن والسناء كاملة على قواعد الخليل ، لها بابان ملصقان بالأرض شرقياً وغربياً ، يدخلُ الناس من هذا ويخرجونَ من الآخر . فلما قَتَل الحجَّاجُ ابنَ الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان ـ وهو الخليفة يومئذ ـ فيما صنعه ابنُ الزبير ، واعتقدوا أنَّهُ فعل ذلك من تلقاء نفسه . فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه ، فعمدوا إلى الحائط الشامي ، فحصوه[٥] وأخرجوا منه الحِجْر ، ورصُّوا حجارته في أرض الكعبة ، فارتفع بابُها[٦] ، وسدُّوا الغربي ، واستمرَّ الشرقيُّ على ما كان عليه ، فلما كان في زمن المهدي ـ أو ابنه المنصور ـ استشار مالكاً في إعادتها على ما كان صنعه ابنُ الزبير ، فقال مالكٌ رحمه الله : إني أكره أن يتَّخذها الملوك مَلْعَبة ، فتركها على ما هي عليه . فهي إلى الآن كذلك .

وأما المسجد الحرام : فأول من أخَّـرَ بُنيانَ البيوتِ من حول الكعبة عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدمها ، فلما كان عثمان اشترى دُوراً وزادها فيه ؛ فلما ولي ابنُ الزبير أحكم

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٩٨) .
(٢) « القباطي » : جمع قُبْطِيَّة ، وهي ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر ، وهي منسوبة إلى القِبْط على غير قياس . اللسان (قبط) .
(٣) ذكر السهيلي عن الزبير بن بكار في الروض (١/ ٢٢٤) أن ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج .
(٤) فتح الباري (١٢٦) العلم باب من ترك بعض الاختيار (١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦) الحج باب فضل مكة وبنيانها و(٣٣٦٨) الأنبياء باب (١٠) و(٤٤٨٤) التفسير باب قوله تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد » و(٧٢٤٣) التمني باب ما يجوز من اللوّ . وصحيح مسلم (١٣٣٣) (٣٩٨ ـ ٤٠٤) الحج باب نقض الكعبة وبنائها .
(٥) كذا في ح ، ط ولم يتجه لي معناه بهذا اللفظ . قلت : لعل معناه جعلوه مفتتاً كالحصى ، أو أن الصواب فيه : فحصْحَصُوه . من حَصْحَصَ التراب وغيره . إذا حرَّكته وفحصته يميناً وشمالاً . أو فحَصُوه من الفحص وهو البحث ، وفحص المطر التراب قلبه ونحّى بعضه عن بعض . اللسان (حصص ، فحص ، حصي) .
(٦) كذا في ح وفي ط : باباها .

بنيانه ، وحسَّن جدرانه وكبَّر[١] أبوابه ، ولم يوسِّع شيئاً آخر . فلما استبدَّ بالأمر عبدُ الملك بن مروان زاد في ارتفاع جُدْرانه ، وأمر بالكعبة فكُسيت الدِّيباج . وكان الذي تولَّى ذلك بأمره الحجَّاج بن يوسف .

وقد ذكرنا قصة بناء البيت ، والأحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] . وذكرنا ذلك مطوَّلا مستقصى ، فمن شاء كتبه هاهنا ولله الحمد والمِنة .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما فرغوا من البنيان ، وبنَوْها على ما أرادوا قال الزُّبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحيَّةِ التي كانت قريش تهابُ بنيان الكعبة لها : [من الوافر]

عجبتُ لِمَا تصوَّبتِ العُقابُ ... إلى الثعبانِ وهي لها اضطرابُ
وقد كانتْ يكونُ لها كشيشٌ ... وأحياناً يكونُ لها وِثابُ[٣]
إذا قُمنا إلى التأسيس[٤] شدَّت ... تُهيِّبُنا البناءَ وقد نهابُ[٥]
فلما أن خَشِينا الزَّجْرَ[٦] جاءتْ ... عُقابٌ تَتْلَئِبُّ لها انصبابُ[٧]
فضمَّتْهـا إليهـا ثـم خلَّـتْ ... لنا البنيانَ ليسَ له[٨] حِجاب
فقُمْنا حاشِدينَ إلى بناءٍ ... لنا منهُ القواعدُ والتُّرابُ
غداةَ يرفَّع التأسيسُ منه ... وليسَ على مَساوينا ثيابُ[٩]
أعزَّ به المليكُ بني لُؤَيٍّ ... فليسَ لأصلِهِ منهم ذَهابُ
وقد حشَدَتْ هناك بنو عَدِيٍّ ... ومُرَّةُ قد تقدَّمها كِلابُ

---

(١) كذا في ح وفي ط : أكثر .
(٢) سيرة ابن إسحاق (ص٨٩) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٨) والأبيات الآتية فيهما .
(٣) مضى معنى كشيش (ص٩٨ حاشية ٩) .
(٤) في سيرة ابن إسحاق البنيان .
(٥) كذا في ح ، ط : وفي سيرة ابن إسحاق يُهاب ، وفي سيرة ابن هشام تُهاب .
(٦) « الزجر » : المنع والنهي ، وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام : الرِّجز .
(٧) قال السهيلي في الروض (١/ ٢٢٩) : قوله تتلئب ، يقال : اتلأبّ على طريقه ، إذا لم يُعَرِّج يمنة ولا يسرة ، وكأنه منحوت من أصلين : من تلا ، إذا تبع ، وألبَبَ : إذا أقام ، وأبَّ أيضاً قريب من هذا المعنى . أب إبابة ، إذا استقام وتهيأ . وفي اللسان (تلأب) : اتلأب : استقام .
(٨) في ح ، ط : لها ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام .
(٩) ويروى : وليس على مُسَوِّينا ثياب ، كما في سيرة ابن هشام . والمسوِّي : أي مسوِّي البنيان . وأما مساوينا فيريد السوءات كما في الروض (١/ ٢٢٩) .

فَبَـوَّأَنـا المليـكُ بـذاكَ عِـزّاً   وعنـد اللهِ يُلْتَمَـسُ[١] الثـوابُ

وقد قدَّمنا في فصل ما كان الله يحفظ[٢] به رسول الله ﷺ من أقذار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس عمُّه ينقلانِ الحجارة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزارَه تحت الحجارة على كتفه نُهي عن خلْع إزاره ، فأعادَهُ إلى سيرته الأولى .

فصـــل

وذكر ابن إسحاق[٣] ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحُمْس ، وهو الشِّدَّة في الدِّين والصلابة . وذلك لأنهم عظَّموا الحَرَم تعظيماً زائداً ، بحيث التزموا بسببه أنْ لا يخرجوا منه ليلةَ عَرَفة ، وكانوا يقولون : نحن أبناءُ الحَرَم وقُطَّان بيتِ الله . فكانوا لا يقِفُون بعَرَفات ، مع عِلْمهم أنها من مشاعِرِ إبراهيم الخليل عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظامِ ما كانوا قرَّرُوه من البِدْعَةِ الفاسدة .

وكانوا لا يدَّخِرُونَ من اللَّبَنِ أَقِطاً[٤] ولا سمْناً ولا يَسْلَؤُون[٥] شَحْماً وهم حُرُم . ولا يدخلونَ بيتاً من شعر ، ولا يستظِلُّون إن استظلُّوا إلا ببيتٍ من أدم . وكانوا يمنعون الحَجيج والعُمَّار ـ ما داموا مُحْرِمين ـ أنْ يأكلوا إلا من طعام قريش ، ولا يطوفوا[٦] إلا في ثياب قريش ، فإنْ لم يجدْ أحدٌ منهم ثوبَ أحدٍ من الحُمْس ـ وهم قريش وما وَلَدُوا ، ومَنْ دخل معهم من كِنانة وخُزَاعة ـ طاف عُرْياناً ، ولو كانتِ امرأة ، ولهذا كانتِ المرأةُ إذا اتفق طوافُها لذلك وضعتْ يدها على فَرْجها وتقول : [من الرجز]

اليـومَ يَبْـدُو بعضُـه أو كلُّـه   ومـا بَـدَا منـه فـلا أُحِلُّـه[٧]

فإنْ تكرَّم أحدٌ ممن يجد ثوبَ أحمسي ، فطاف في ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف أن يُلْقِيَها فلا ينتفع بها بعد ذلك ، وليس له ولا لغيره أنْ يَمَسَّها . وكانت العربُ تسمِّي تلك الثياب اللُّقَى ، قال بعضُ الشعراء : [من الطويل]

كفى حَزَناً كَرِّي عليهِ كأنَّه   لُقًى بين أيدي الطائفين حَرِيمُ

(١) في ح نلتمس ، والمثبت من ط والسيرة .
(٢) في ط : يحوط ، والمثبت من ح . والفصل المذكور يقع في (ص٧٥) من هذا الجزء .
(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٨٠ ـ ٨٢) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٣) .
(٤) الأقط ، ويقال بتثليث الهمزة وسكون القاف : شيء يُتخذ من اللبن المخيض ، يُطبخ ثم يترك حتى يمصُل . اللسان (أقط) .
(٥) « سلأ السمن يَسْلَؤه » : طبخه وعالجه فأذاب زُبْدَه . اللسان (سلأ) .
(٦) كذا في ح ، ط ولعل الصواب : وألا يطوفوا .
(٧) في ط : وبعد هذا اليوم لا أُحِلُّه ، والمثبت من ح وسيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام .

قال ابن إسحاق[١] : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً ﷺ ، وأنزل عليه القرآن رداً عليهم فيما ابتدعوه فقال : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ أيْ جمهور العرب من عَرَفات ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٩] .

وقد قدَّمنا أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقفُ بعرفات[٢] قبل أن يُنزَّل عليه توفيقاً من الله له ، وأنزل الله عليه ردّاً عليهم فيما كانوا حرَّموا من اللِّباس والطعام على الناس : ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ . . . ﴾ الآية [الأعراف : ٣١ ـ ٣٢] .

وقال زياد البَكّائي عن ابن إسحاق : ولا أدري أكان ابتداعهم لذلك قبل الفيل أو بعده .

***

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٧٦) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٣) .

(٢) تقدم ذكر ذلك في الجزء الثاني من هذه الطبعة .

كتاب
مَبعث رسول الله ﷺ تسليماً كثيراً
وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن إسحاق[١] رحمه الله : وكانت الأحبار من اليهود ، والرُّهْبانُ من النصارى ، والكُهَّانُ من العرب[٢] قد تحدَّثوا بأمْرِ رسول الله ﷺ قبل مَبْعثه ، لما تقارب زمانه ؛ أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعمَّا وجدوا في كُتبهم من صفتِهِ وصِفةِ زمانه ، وما كان من عَهْد أنبيائهم إليهم فيه .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] الآية .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الفتح : ٢٩] الآية .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

وفي صحيح البخاري[٣] عن ابن عباس قال : « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنَنَّ به ولينصرنَّه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق : لئن بعث وهم أحياء ليؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه وليتبعُنَّه » .

يعلم من هذا أنَّ جميع الأنبياء بشَّرُوا به وأمروا باتباعه .

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص٦٢) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٤) .

(٢) في ح : وكانت الأحبار من اليهود والكهان من النصارى من العرب . وكذا في ط وفيها : ومن العرب . وما أثبتُّه من سيرة ابن هشام .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ في صحيح البخاري ، قال المؤلف رحمه الله في التفسير (١/ ٣٧٨) : قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه . ولم يعزه لأحد ، لا للبخاري ولا غيره ، ولعله خطأ من النساخ .

وقد قال إبراهيمُ عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ. . . ﴾ الآية [البقرة : ١٢٩] .

وقال الإمام أحمد(١) : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا الفرج بن فضالة ، حدّثنا لُقْمان بن عامر ، سمعتُ أبا أمامة قال : قلت : يا رسولَ الله ، ما كان بُدُوُّ(٢) أمْرِك . قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبُشْرى عيسى ، ورأتْ أُمِّي أنه يخرُجُ منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام » .

وقد روى محمد بن إسحاق(٣) ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ عنه مثله .

ومعنى هذا أنه أرادَ بُدُوَّ أمره بين الناس ، واشتهارَ ذِكْرِهِ وانتشارَه ، فذكر دعوةَ إبراهيمَ الذي تُنسب إليه العرب ، ثم بُشْرى عيسى الذي هو خاتمُ أنبياء بني إسرائيل كما تقدَّم . يدُلُّ هذا على أنَّ مَنْ بينهما من الأنبياء بشَّروا به أيضاً .

فأمَّا في الملأ الأعلى ، فقد كان أمْرُه مشهوراً مذكوراً معلوماً من قَبْلِ خلْقِ آدمَ عليه الصلاة والسلام كما قال الإمام أحمد(٤) : حدّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، حدّثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُويد الكلبي عن عبد الله(٥) بن هلال السُّلَمي ، عن العِرْباض بن سارية قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إني عند الله خاتمُ النبيِّين ، وإن آدمَ [عليه السلام] لمنجَدِلٌ في طينته ، وسأنبِّئُكم بأوَّلِ ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أُمِّي التي رأتْ ، وكذلك أمهاتُ النَّبيِّين(٦) يَرَيْن » .

وقد رواهُ الليث عن معاوية بن صالح(٧) وقال : إنَّ أمَّه رأتْ حين وضعَتْه نوراً أضاءت منه قصورُ الشام .

---

(١) في المسند (٥/ ٢٦٢) ، وهو حديث حسن .

(٢) كذا في ح وفي ط : بدء ، وفي المسند : أول بدء .

(٣) مضى ذكر هذا الحديث وتخريجه (ص ٥٦ حاشية ٤) من هذا الجزء .

(٤) في مسنده (٤/ ١٢٧) وما يأتي بين معقوفين منه . أقول : وهو حديث حسن ، دون قوله : (وكذلك أمهات النبيين يرين) .

(٥) قال بشار : هكذا سماه عبد الرحمن بن مهدي في روايته ، وهو خطأ صوابه : عبد الأعلى بن هلال ، نبه على ذلك عبد الله ابن الإمام أحمد في تعليق له على مسند أبيه عقب هذا الحديث (٤/ ١٢٨) .
وقد جاء هذا الاسم في ط « عبد الأعلى » على الصواب ، وهو وإن كان صواباً لكنه خطأ ، لأن عبد الرحمن بن مهدي سماه عبد الله .

(٦) في الأصل : المؤمنين ، والمثبت من المسند .

(٧) في المسند أيضاً (٤/ ١٢٧) وأخرجه ابن سعد (١/ ١٤٨) ، الطبري في تفسيره (٢٠٧٢) ، والطبراني في الكبير (١٨/ حديث (٦٣٠) ، من طرق عن الليث بن سعد ، وهو حديث صحيح .

وقال الإمامُ أحمد أيضاً[١] : حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا منصور بن سعد ، عن بُديل بن مَيْسرة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : قلتُ : يا رسول الله ؛ متى كنت[٢] نبيّاً ؟ قال : « وآدمُ بين الرُّوح والجَسَد » تفرد بهنَّ أحمد .

وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب « دلائل النبوة » من حديث أبي هريرة فقال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ـ يعني أبا القاسم البَغَوي ـ حدّثنا أبو هَمَّام [عن][٣] الوليد بن مسلم عن الأوزاعي ، حدّثني يحيى ، عن[٤] أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : سُئل رسولُ الله ﷺ : متى وجبتْ لك النبوَّة ؟ قال : « بين خلْق آدم ونفخ الروح فيه » .

ورواه من وجهٍ آخر عن الأوزاعي به . وقال : « وآدم مُنْجَدِلٌ في طينته » .

ورُوي عن البغوي[٥] أيضاً عن أحمد بن المقدام ، عن بقيَّة ، عن[٦] سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أبي هريرة ـ مرفوعاً ـ في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [الأحزاب : ٧] قال رسول الله ﷺ : « كنتُ أوَّلَ النبيين في الخَلْق وآخرَهُم في البعث » .

ومن حديث ابن مُزَاحم ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قيل : يا رسول الله ، متى كنتَ نبياً ؟ قال : « وآدمُ بين الرُّوحِ والجسد »[٧] .

وأما الكُهَّان من العرب ، فأتتهم به الشياطينُ من الجن فيما تسترِقُ من السمع ، إذْ كانتْ وهي

---

(١) في المسند (٥/ ٥٩) ، وإسناده صحيح .

(٢) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : كتبت .

(٣) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق ، إذ إن كنية الوليد بن مسلم « أبو العباس » لا « أبو همَّام » وأبو همَّام هذا هو الوليد بن شجاع السكوني ، وهو الذي يروي عن الوليد بن مسلم ويروي عنه أبو القاسم البغوي ، كما هو ثابت في تهذيب التهذيب (١١/ ١٣٥) .

(٤) وقع في ح : يحيى بن أبي سلمة وهو تصحيف ، والمثبت من ط ويحيى هو ابن أبي كثير الطائي مولاهم ، وأبو سلمة هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني .

(٥) البغوي هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز المتوفى ٣١٧هـ ؛ وقد صححه السيوطي في الجامع الصغير ، وقال المناوي في فيض القدير (٥/ ٥٣) : أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٤٩) عن قتادة مرسلاً ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال والديلمي . قلت : وأخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٥) من طريق بشر عن يزيد به . وسيأتي مروياً عن أبي نعيم (ص١٢٩ حاشية ١٠) من هذا الجزء ، وساقه المصنف أيضاً في تفسيره (٣/ ٤٦٩) .

(٦) في ح ، ط : بقية بن سعيد بن بشير وهو تصحيف ، وبقية هو ابن الوليد أبو يحمد الحمصي الكلاعي ، وروايته عن سعيد بن بشير ، ورواية سعيد عن قتادة ثابتة في ترجمة سعيد في تهذيب التهذيب (٤/ ٨ ، ٩) .

(٧) سيأتي سياق الحديث في ص(١٢٩ حاشية ٦) مروياً عن أبي نعيم في دلائل النبوة ، ولم أجده فيه ، إلا أن محقق دلائل أبي نعيم ساقه في مقدمته ص٢٥ وترجح لديه أن المطبوع من الدلائل هو المنتخب وليس الكتاب بتمامه .

لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهنُ والكاهنة لا يزالُ يقع منهما بعضُ ذكرِ أموره ، ولا يُلقي العرب لذلك[١] فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى . ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها ، فلما تقارب أمْرُ رسول الله ﷺ وحضر زمان مَبْعثه حُجبت الشياطينُ عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراقِ السمع فيها ، فرُمُوا بالنجوم ، فعرفت الجِنُّ[٢] أنَّ ذلك لأمرٍ حدث من أمر الله عزَّ وجلَّ .

قال : وفي ذلك أنزل اللهُ على رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١ و٢] إلى آخر السورة . وقد ذكرنا تفسير ذلك كلِّه في كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩ ـ ٣٠] الآيات ، ذكرنا تفسير ذلك كلِّه هناك .

قال محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس[٤] أنه حدَّث أنَّ أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رُمي بها ، هذا الحي من ثقيف ، وأنهم جاؤوا إلى رجلٍ منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بني عِلاج ، وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً[٥] ، فقالوا له : يا عمرو ، ألم تر ما حدث في السماء من القَذْف بهذه النجوم ؟ قال : بلى ، فانظروا ، فإنْ كانتْ معالمُ النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ، ويُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ، لما يصلح الناس في معايشهم هي التي يُرمى بها ، فهو والله طيُّ الدنيا ، وهلاكُ هذا الخلق ؛ وإنْ كانتْ نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها ، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو[٦] ؟ .

وقال ابن إسحاق[٧] : وحدّثني بعضُ أهل العلم أنَّ امرأةً من بني سهم ، يقال لها : الغَيْطلة ، كانت كاهنةً في الجاهلية ، جاءها صاحبُها ليلة من الليالي فأنْقَضَ[٨] تحتها ، ثم قال : أدْرِ ما أدْرِ[٩] ، يوم عَقْرٍ

(١) ليست اللفظة في ح وهي مثبتة من ط .
(٢) في ط : الشياطين .
(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٩٢) بألفاظ مقاربة وسيرة ابن هشام (١/٢٠٦) .
(٤) زاد ابن إسحاق في إسناده : [عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود] . ولم يزد ابن هشام هذه الزيادة في إسناده . قلت : لم أجد ليعقوب بن عتبة رواية عن عبيد الله في ترجمتهما في تهذيب المزي .
(٥) أثبتت اللفظة في هامش ح وسقطت من ط وفيها : وأمكرها .
(٦) في سيرة ابن إسحاق : فانظروا ما هو .
(٧) سيرة ابن إسحاق (ص٩١) وسيرة ابن هشام (١/٢٠٨) .
(٨) أنقض ، من النقيض ، وهو الصوت . النهاية (نقض) .
(٩) ذكر السهيلي رواية أخرى وهي : « وما بَدْر » ثم قال : وهي أبين من هذه . ووقع في سيرة ابن إسحاق : « أذن من أذن » وأظنه تصحيفاً .

ونحْر . فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلةً أخرى ، فأنْقَضَ تحتها ثم قال : شعوب ما شعوب ، تُصرع فيه كعبٌ لِجَنُوب[١] . فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن فانظروا ما هو . فما عرفوه حتى كانت وقعةُ بدر وأُحُد بالشِّعْب ، فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبته .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني علي بن نافع الجُرَشي أنَّ جَنْباً ـ بَطْناً من اليمن ـ كان لهم كاهنٌ في الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله ﷺ وانتشر في العرب ، قالت[٣] له جَنْب : انظرْ لنا في أمر هذا الرجل . واجتمعوا له في أسفل جَبَله ، فنزل إليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوسٍ له ، فرفع رأسَهُ إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيها الناس ، إنَّ الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهَّر قلبه وحشاه ، ومُكْثُه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتدَّ[٤] في جبله راجعاً من حيث جاء .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة سَوَاد بن قارِب ، وقد أخَّرناها إلى هواتف الجان[٥] .

فصل

قال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجالٍ من قومه قالوا : إنَّ مما دعانا إلى الإسلام ـ مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ـ أنْ كُنَّا نسمع من رجالٍ من يهود ـ وكنَّا أهلَ شِرْك ، أصحابَ أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علمٌ ليس لنا ، وكانت لا يزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نِلْنا منهم بعضَ ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمانُ نبيٍّ يُبعث الآن نقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرَم . فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسولَه ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعَّدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٨٩] .

وقال ورقاء عن ابن أبي نَجيح ، عن علي الأزدي : كانتِ اليهود تقول : اللهم ابعث لنا هذا النبيَّ يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به ـ أي يستنصرون به ـ رواه البيهقي[٧] .

---

(١) قال السهيلي في الروض (١/ ٢٣٩) : « كعب هاهنا هو كعب بن لؤي ، والذين صرعوا لجنوبهم ببدر وأُحد من أشراف قريش ، معظمهم من كعب بن لؤي ، وشعوب هاهنا أحسبه بضم الشين ، ولم أجده مقيداً ، وكأنه جمع شعب ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يدر ما قالت ، حتى قتل من قتل ببدر وأحد بالشعب » ، وقد ضبطه غيره بفتح الشين وجعله اسماً للمنيَّة ، انظر شرح « غريب السير » لابن أبي الركب (ص٥٦) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٠٩) والروض (١/ ٢٣٩ ، ٢٤٠) .

(٣) في ح : قال .

(٤) في سيرة ابن هشام : وأسند ، وهي أجود ، جاء في اللسان (سند) : وسند في الجبل وأسْند : رَقِي .

(٥) سيأتي باب هواتف الجان في (ص١٤٨) من هذا الجزء .

(٦) سيرة ابن إسحاق (ص٦٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١١) والروض (١/ ٢٤٥) .

(٧) الدلائل (٢/ ٧٥ ، ٧٦) .

ثم روى[١] من طريق عبد الملك بن هارون بن عَنْتَرة[٢] ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت اليهود بخيبر تقاتل غطَفَان ، فكلَّما التقَوْا هُزمت يهود خَيْبر ، فعاذتِ اليهود بهذا الدعاء فقالوا : اللهم إنّا نسألك بحقِّ محمدٍ النبيِّ الأمي[٣] ، الذي وعدتنا أن تخرجَهُ لنا في آخر الزمان إلاَّ نصرتنا عليهم . قال : فكانوا إذا التقَوْا دعَوْا بهذا الدعاء فهزموا غطَفَان ، فلمَّا بُعث النبيُّ ﷺ كفروا به ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآية [البقرة : ٨٩][٤] .

وروى عطيَّةُ عن ابن عباس نحوه[٥] . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً .

وقال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن لَبيد[٧] ، عن سَلَمة بن سَلامة بن وَقْش[٨] ـ وكان من أهل بَدْر ـ قال : كان لنا جارٌ من يهود في بني عبد الأشْهل ، قال : فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشْهَل ـ قال سَلَمة : وأنا يومئذٍ أحدثُ مَنْ فيه سِنًّاً ، على فروةٍ لي ، مضطجع فيها بفناء أهلي ـ فذكر القيامةَ والبَعْثَ والحساب والميزان والجنَّة والنار ، قال : فقال ذلك لقومِ أهلِ شِرْك ، أصحابِ أوثان ، لا يَرَوْنَ أنَّ بَعْثاً كائنٌ بعد الموت ؛ فقالوا له : ويحك يا فلان ، أو ترى هذا كائناً أنَّ الناس يُبعثون بعدَ موتهم إلى دارٍ فيها جنَّةٌ ونار ، يُجزَوْن فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يُحلف به ، ويودُّ أنَّ له بحظِّهِ من تلك النار أعظمَ تَنُّور في الدار يحمونه ثم يُدخلونه إياه ، فيُطبقونه عليه ، وأنْ ينجُو من تلك النار غداً . قالوا له : ويحك يا فلان ! فما آيةُ ذلك ؟ قال : نبيٌّ مبعوثٌ من نحو هذه البلاد ـ وأشار بيدِهِ إلى نحو مكةَ واليمن ـ قالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سنّاً ، فقال : إنْ يستنفِدْ هذا الغلام عمُرَه يدركْه . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث اللهُ رسولَهُ وهو حيٌّ بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بَغْياً وحسَداً ؛ قال : فقلنا له : ويحك يا فلان ؟ ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ولكن ليس به .

---

(١) في الدلائل أيضاً (٢/ ٧٦) .

(٢) في ح ، ط : عنبرة ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي والإكمال (٦/ ٣٠٢) .

(٣) لا يسأل الله إلا بالله ، ولا يسأل بحق أحد .

(٤) إسناده تالف ، فإن عبد الملك بن هارون بن عنترة كذّبه يحيى بن معين وابن حبان ، وقال أبو حاتم الرازي : متروك ذاهب الحديث ، وضعفه أحمد والدارقطني وغيرهما (الميزان ٢/ ٦٦٦) (بشار) .

(٥) وهذا إسناد ضعيف أيضاً ، فإن عطية وهو ابن سعد العوفي ضعيف (بشار) .

(٦) سيرة ابن إسحاق (٦٣ ، ٦٤) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٢) والروض (١/ ٢٤٥) .

(٧) في سيرة ابن إسحاق : محمد بن لبيد ، وهو تصحيف ، وزاد ابن هشام : أخي بني عبد الأشهل .

(٨) في ح ، ط : سلمة بن سلام . وهو تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام وتجريد الذهبي (١/ ٢٣٢) والإصابة (٢/ ٦٥) والتاج (وقش) والضبط منه .

رواه أحمد[١] عن يعقوب ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق[٢] . ورواه البيهقي[٣] عن الحاكم بإسناده ، من طريق يونس بن بُكير .

وروى أبو نعيم في « الدلائل »[٤] عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، عن سلمة[٥] قال : لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهوديٌّ واحد يقال له : يوشع ، فسمعتُه يقول ـ وإني لغلام في إزار : قد أظلَّكم خروجُ نبيٍّ يُبعث من نحو هذا البيت ـ ثم أشار بيده إلى بيت الله ـ فمَنْ أدركه فلْيصدِّقْه . فبُعث رسولُ الله ﷺ فأسلمنا ، وهو بين أظهرنا ، لم يُسلم حسداً وبغياً .

وقد قدَّمنا حديثَ أبي سعيد عن أبيه في أخبار يوشع هذا عن خروج رسولِ الله ﷺ وصفته ونعْته وإخبار الزُّبير بن باطا عن ظهور كوكب مولدِ رسولِ الله ﷺ[٦] .

قال ابن إسحاق[٧] : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بني قُرَيظة قال : قال لي : هل تدري عمَّ كان إسلام ثَعلبة بن سَعْيَة ، وأَسِيدِ بن سَعْية ، وأَسدِ بن عُبيد ـ نفرٍ من بني هَدْل ، إخوةِ بني قُرَيظة كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا سادَتهُم في الإسلام ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإنَّ رجلاً من اليهود من أرض الشام ، يقال له : ابن الهَيَّبان ، قدم علينا قبل الإسلام بسنين ، فحلَّ بين أظْهُرِنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قط ، لا يصلِّي الخَمْس أفضلَ منه ؛ فأقام عندنا ، فكنا إذا قَحَط عنا المطرُ قلنا له : اخرجْ يا ابنَ الهَيَّبان فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدِّموا بين يدي مَخْرَجكم صدقة . فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مُدَّين من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرجُ بنا إلى ظاهر حرتنا[٨] فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرحُ مجلسَه حتى يمر السحاب ونُسقَى ؛ قد فعل ذلك غيرَ مرَّة ولا مرتين ولا ثلاث . قال :

---

(١) في المسند (٣/ ٤٦٧) .

(٢) في ط : « ابن عباس » ، وهو خطأ جد ظاهر ، وأثبتنا ما في المسند ، وهو الصواب (بشار) .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٧٨) .

(٤) لم أجد الحديث فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، وقوله « عن عاصم » لا يصح فأين أبو نعيم من عاصم بن عمر ابن قتادة ، إلا أن يريد : « من طريق » .

(٥) في ط : « عن محمد بن سلمة » وهو غلط بيّن ، فلا يوجد مثل هذا الراوي الذي روى عنه محمود بن لبيد ، والصواب ما أثبتنا وهو سلمة بن سلامة بن وقش وانظر تهذيب الكمال (٢٧/ ٣١٠) (بشار) .

(٦) انظر حديث أبي سعيد المتقدم ص(٤٣) من هذا الجزء في موضع الحواشي ٤ ـ ٦ في المتن وقد زادت نسخة ط هنا ما نصه : ورواه الحاكم عن البيهقي (كذا وكأنه يريد : البيهقي عن الحاكم) من طريق يونس بن بكير عنه . وهذه الزيادة ليست في ح ، ولعلها أثبتت خطأً بنقل النظر إلى موضع الحاشية (٦) من الصفحة السابقة ، لذا أسقطتها من المتن لعدم صحتها .

(٧) سيرة ابن إسحاق (ص٦٤ ، ٦٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٣) والروض (١/ ٢٤٦) .

(٨) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض : حرَّتنا ، وحَرْث موضع من نواحي المدينة . معجم البلدان (٢/ ٢٣٨) .

ثم حضرَتْه الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يَهُود ، ما ترَوْنه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : أنت أعلم . قال : فإني إنما قدِمتُ هذه البلدة أتوكف[١] خروجَ نبيٍّ قد أظلَّ زمانه ، هذه البلدة مُهَاجَرُه ، فكنتُ أرجو أن يُبعث فأتبعه ، وقد أظلَّكم زمانُه ، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسَبْي الذَّرَاري ممَّنْ[٢] خالفه ، فلا يَمْنَعَنَّكم ذلك منه ، فلما بُعث رسولُ الله ﷺ وحاصر بني قُريظة قال هؤلاء الفتية ـ وكانوا شباباً أحداثاً ـ : يا بني قُرَيظة ، والله إنه للنَّبيُّ الذي عهِد إليكم فيه ابنُ الهَيَّبان . قالوا : ليس به ؛ قالوا : بلى والله إنه لهو بصفته . فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءَهم وأموالَهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أحبار[٣] يهود .

قلت : وقد قدَّمْنا في قدوم تُبَّع اليماني[٤] ، وهو أبو كَرِب تُبَّان أسعد إلى المدينة ، ومُحاصرته إيَّاها ، وأنه خرج إليه ذانك الحَبْرَان من اليهود فقالا له : إنه لا سبيل لك عليها ، إنها مهاجَرُ نبيٍّ يكونُ في آخرِ الزمان ؛ فثنَاهُ ذلك عنها .

وقد روى أبو نُعيم في الدلائل[٥] ، من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سَلام عن أبيه عن جدِّه . قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله [عزَّ وجلَّ] لما أراد هُدى زيدِ بن سَعْنَةَ[٦] قال زيد : لم يبق من علاماتِ النبوَّة شيء إلا وقد عرفتُها في وجْه محمدٍ ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أخبُرْهما منه : يسبقُ حِلْمُه جهلَه ، ولا يزيدُه شدَّة الجهلِ عليه إلا حِلْماً . قال : فكنتُ أتلطَّف له لأنْ أُخالطه فأعرفَ حِلمه وجهله .

فذكر قصة إسلافِهِ للنبيِّ ﷺ مالاً في ثمرة ، قال : فلما حلَّ الأجل[٧] أتيتُه فأخذتُ بمجامع قميصه وردائه ـ وهو في جنازة مع أصحابه ـ ونظرتُ إليه بوجه غليظ ، وقلت : يا محمد ، ألا تقضيني حقي ؟ فوالله ما علمتُكم بني عبد المطلب [إلاَّ] لمُطُل[٨] ، قال : فنظر إليَّ عمر وعيناه تدورانِ في وجهه كالفلك

---

(١) « يتوكف الخبر » : ينتظره ، ويسأل عنه ويتوقعه . اللسان (وكف) .

(٢) في ح ، ط : فيمن ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض .

(٣) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : أخبار بالخاء المعجمة .

(٤) انظر الجزء الثاني من الكتاب في قصة تبع أبي كرب .

(٥) الدلائل لأبي نعيم (١/ ٩١) وما يأتي بين معقوفين منه والخبر في الدلائل مطوَّل .

(٦) في ط : سَعْية . وهو على الصواب في ح والدلائل والروض ؛ والضبط من الإكمال (٥/ ٦٦) . قال السهيلي في الروض : (١/ ٢٤٩) : ويقال في اسمه سَعْية بالياء ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون . المؤتلف والمختلف (٣/ ١٣٨٧) .

(٧) في دلائل أبي نعيم : فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة .

(٨) مُطُل : بضم الميم والطاء : جمع مَطُول قياساً ، وهو من المَطْل : التسويف والمدافعة بالعِدَة والدين . اللسان (مطل) .

المستدير ، ثم قال : يا عدو الله ، أتقول لرسولِ الله ﷺ ما أسمع ؟! وتفعل ما أرى ؟! فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لَوْمه[١] لضربتُ بسيفي رأسك . ورسولُ الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكونٍ وتُؤَدَةٍ وتبسُّم ، ثم قال : « أنا وهو كنَّا أحوجَ إلى غيرِ هذا منك يا عمر : أن تأمرني بحُسْن الأداء ، وتأمرَهُ بحُسْنِ التِّبَاعة ، اذهبْ به يا عمر فاقْضِهِ حقه . وزد عشرين صاعاً من تمر »[٢] . فأسلم زيد بن سَعْنة رضي الله عنه ، وشهد بقيةَ المشاهد مع رسولِ الله ﷺ وتوفي عام تبوك ، رحمه الله .

ثم ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله إسلامَ سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه فقال[٣] : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادةَ الأنصاريّ ، عن محمود بن لَبيد ، عن عبد الله بن عباس قال : حدّثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنتُ رجلاً فارسياً من أهل أصْبهان ، من أهلِ قريةٍ يُقال لها : جَيّ[٤] ، وكان أبي دِهقَان[٥] قريتِهِ ، وكنتُ أَحَبَّ خلقِ الله إليه ، فلم يزل به حبُّه إيَّاي حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية ؛ واجتهدتُ في المجوسية ، حتى كنتُ قَطِن[٦] النارِ التي يوقدها ، لا يتركها تَخبو ساعة[٧] . قال : وكانتْ لأبي ضيعةٌ عظيمة ، قال : فشُغل في بُنْيان له يوماً ، فقال لي : يا بني ، إني قد شُغلت في بُنياني هذا اليومَ عن ضَيعتي ، فاذهبْ إليها فاطَّلعها ، وأمرني فيها ببعض ما يُريد ، ثم قال لي ولا تحتبس عني ، فإنك إن احْتبستَ عني كنتَ أهمَّ إليَّ من ضَيعتي ، وشغَلْتَني عن كلِّ شيءٍ من أمري . قال : فخرجتُ أريد ضيعتَه التي بعثني إليها ، فمررتُ بكنيسةٍ من كنائس النصارى ، فسمعتُ أصواتَهم فيها وهم يُصَلُّون ، وكنتُ لا أدري ما أَمْرُ الناس لحَبْسِ أبي إياي في بيته ، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظرُ ما يصنعون ، فلما رأيتُهم أعجبَتْني صلاتُهم ورغبتُ في أمرهم وقلت : هذا والله خيرٌ من الدِّين الذي نحن عليه ، فوالله ما بَرِحْتُهم حتى غَرَبتِ الشمس ، وتركتُ ضيعةَ أبي فلم آتهـا ، ثم قلت لهم : أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعتُ إلى أبي وقد بعث في طلبي ، وشغلتُهُ عن أمره كله ، فلما جئتُ قال : أيْ بُني ، أين كنت ؟ ألم أكنْ أعهدُ إليكَ ما عهدت ؟ قال : قلت : يا أبة ، مررتُ بأناسٍ يصلُّون في كنيسةٍ لهم ، فأعجبني ما رأيتُ من دينهم ، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غرَبَتِ الشمس . قال : أيْ بُني ، ليس في ذلك الدين خير ، دينُكَ ودينُ آبائك خيرٌ منه .

---

(١) في دلائل أبي نعيم : فوته .

(٢) في دلائل أبي نعيم : وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته .

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص٦٠ ـ ٧٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٤) والروض (٢٤٧) .

(٤) « جَيّ » : بالفتح ثم التشديد : اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة ، وهي الآن كالخراب منفردة ، وتسمى الآن عند العجم شهرستان ، وعندَ المحدثين المدينة . معجم البلدان (٢/ ٢٠٢) .

(٥) « الدِّهقان » : بكسر الدال وضمها : القوي مع التصرف مع حدة ، وزعيم فلاحي العجم ، ورئيس الإقليم ، ومن له عقار كثير ، فارسي معرّب . القاموس والمغرب (دهقن) .

(٦) قال شمر : قَطِن النار : خازنها وخادمها ، ويجوز أنه كان مقيماً عليها ، رواه بكسر الطاء . اللسان (قطن) .

(٧) زاد ابن إسحاق في سيرته هنا : فكنت كذاك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه .

قال : قلت : كلا والله ، إنه لخيرٌ من ديننا . قال : فخافني ، فجعل في رِجْلي قيداً ، ثم حبسني في بيته .

قال : وبعثتُ إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركْبٌ من الشام فأخبروني بهم . قال : فقدم عليهم ركبٌ من الشام ، فجاؤوني النصارى[(١)] فأخبروني بهم ، فقلت : إذا قضَوْا حوائجَهم وأرادوا الرَّجْعَة إلى بلادهم فآذِنوني قال : فلما أرادوا الرجعةَ إلى بلادهم أخبروني بهم ؛ فألقَيْتُ الحديدَ من رجلي ثم خرجتُ معهم حتى قدمتُ الشام ، فلما قدمتُها قلت : مَنْ أفضلُ أهلِ هذا الدِّين عِلْماً ؟ قالوا : الأُسْقُفُّ في الكنيسة . قال : فجئتُه فقلتُ له : إني قد رغبتُ في هذا الدِّين ، وأحببتُ أن أكونَ معك وأخدُمكَ في كنيستك ، وأتعلَّم منك ، فأصلِّي معك . قال : ادخُلْ . فدخلتُ معه ، فكان رَجُلَ سَوْء ، يأمرُهم بالصدقة ويرغِّبهم فيها ، فإذا جمعوا له شيئاً كنزَهُ لنفسه ، ولم يُعطِهِ المساكين ، حتى جمع سبع قِلالٍ من ذهبٍ ووَرِق . قال : وأبغضتهُ بُغْضاً شديداً لِمَا رأيته يصنع ، ثم مات ، واجتمعتْ له النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إنَّ هذا كان رجُلَ سوء ، يأمرُكم بالصدقة ويرغِّبكم فيها ، فإذا جئتموه بها كنزها لنفسه ، ولم يُعْطِ المساكين منها شيئاً . قال : فقالوا لي : وما عِلْمك بذلك . قال : فقلتُ لهم : أنا أدلُّكم على كَنْزه . قالوا : فدُلَّنا . قال : فأريتُهم موضِعَه ، فاستخرجوا سبع قِلال مملوءةً ذهباً ووَرِقاً ، فلما رأوها قالوا : لا ندفنُه أبداً . قال : فصلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاؤوا برجلٍ آخر فجعلوه موضعه .

قال سلمان : فما رأيتُ رجلاً لا يصلي الخمس ، أرى أنه أفضل منه ، أزهد في الدنياولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً . قال : فأحببتُه حُبّاً لم أُحِبَّ شيئاً قبلَه مثلَه . قال : فأقمتُ معه زمانا ، ثم حضرَتْهُ الوفاةُ فقلتُ له : إني قد كنتُ معك وأحببتُكَ حبّاً لم أُحِبَّهُ شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمْرِ الله تعالى ، فإلى من تُوصي بي ؟ وبمَ تأمُرني به ؟ قال : أيْ بُني ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه . لقد هلك الناس وبدَّلوا ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالمَوْصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه ، فالحَقْ به .

قال : فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحبِ المَوْصل[(٢)] ، فقلت : يا فلان ، إنَّ فلاناً أوصاني عند موته أنْ ألحقَ بك ، وأخبرني أنك على أمره . فقال لي : أقِمْ عندي . فأقمتُ عنده فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمْر صاحبه ، فلم يلبثْ أن مات ؛ فلما حضرَتْهُ الوفاةُ قلت له : يا فلان ، إنَّ فلاناً أوصى بي إليك ، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من تُوصي بي ؟ وبما[(٣)] تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنَّا عليه إلا رجلاً بنَصيبين[(٤)] وهو فلان ، فالحق به ؟

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : تجار من النصارى ، وهو أشبه بالصواب ، وفي سيرة ابن إسحاق : فقدم عليهم ناس من تجارهم ، فبعثوا إلي أنه قدم علينا تجار من تجارنا .

(٢) زاد ابن إسحاق في السيرة هنا : فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا .

(٣) كذا في ح وفي ط والسيرة : « وبم » وإثبات ألف ما المجرورة قليل شاذ . وانظر (ص٨٢ حاشية ١) من هذا الجزء .

(٤) نَصِيبين ، بفتح فكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح : مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى =

فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب نَصيبين ، فأخبرتُه خبري وما أمرني به صاحبي[١] . فقال : أقم عندي ، فأقمتُ عنده ، فوجدتُه على أمر صاحبيه ، فأقمتُ مع خيرِ رجل ، فوالله ما لَبِث أن نزل به الموت ، فلما حُضر قلت له : يا فلان ، إنَّ فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان[٢] إليك ، فإلى من تُوصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني ، والله ما أعلمهُ بَقِيَ أحدٌ على أمرنا آمرُكَ أنْ تأتيَهُ إلا رجلٌ بعَمُّورِيَّة[٣] من أرض الرُّوم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإنْ أحببتَ فأْته فإنَّه على أمرنا .

فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب عَمُّورية فأخبرتُه خبَري ، فقال : أقمْ عندي . فأقمتُ عند خيرِ رجل ، على هَدْي أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبتُ حتى كانتْ لي بقرات وغُنيمة . قال : ثم نزل به أمْرُ الله ، فلما حُضر قلت له : يا فلان ، إني كنتُ مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلانٌ إلى فلان ثم أوصى بي فلانٌ[٤] إليك ، فإلى مَنْ تُوصي بي أنت ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أيْ بُني ، والله ما أعلمُه أصبح أحدٌ على مثل ما كنَّا عليه من الناس آمرك أنْ تأتيَه ، ولكنه قد أظلَّ زمانُ نبيٍّ مبعوثٍ بدينِ إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجَرُه إلى أرض بين حرَّتين ، بينهما نَخل ، به علاماتٌ لا تخفى ، يأكلُ الهديَّة ، ولا يأكلُ الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوَّة ؛ فإنِ استطعتَ أن تلحقَ بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغُيِّب ، ومكثتُ بعمُّورية ما شاء الله أنْ أمكث ، ثم مرَّ بي نَفَرٌ من كلبٍ ، تجَّارٌ ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغُنيمتي هذه ، قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا واديَ القُرَى ظلموني ، فباعوني من رجلٍ يهودي عبداً ، فكنتُ عنده ، ورأيتُ النخلَ فرجوتُ أن يكون البلدَ الذي وصف لي صاحبي ، ولم يَحِقَّ في نفسي ؛ فبينا أنا عنده إذْ قَدِم عليه ابنُ عمٍّ له ، من بني قُرَيظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتُها بصفة صاحبي لها ، فأقمتُ بها ، وبُعث رسولُ الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر ، ممَّا أنا فيه من شغل الرِّقّ ؛ ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأسِ عَذْقٍ لسيدي أعمل فيه بعضَ العمل . وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابنُ عمٍّ له حتى وقف عليه فقال : يا فلان ، قاتل الله بني قَيْلَة ، والله إنهم لمجتمعون الآن بقُبَاء[٥] على رجلٍ قدم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبيّ . قال سلمان : فلما

= الشام، بينها وبين الموصل ستة أيام. معجم البلدان (٥/ ٢٨٨). وموقعها على الحدود الشمالية الشرقية من سورية.

(١) كذا في ح ، وفي ط : صاحباي ، وكذا في الروض ، وفي سيرة ابن هشام : صاحبه .

(٢) كذا في ح وسيرة ابن هشام والروض ، وزاد في ط : إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك .

(٣) عمُّوريَّة ، مشددة الميم والياء . قال الصاغاني : كذا ذكروا ، والقياس تخفيف الياء . هي في بلاد الروم . وهي التي غزاها المعتصم سنة ٢٢٣هـ . وعمورية أيضاً بليدة على شاطئ العاصي بين أفامية وشيزر . معجم البلدان (٤/ ١٥٨) والتاج (عمر) .

(٤) كذا في ح وسيرة ابن هشام والروض ، وزاد في ط : إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك .

(٥) « قباء » : يُمد ويقصر : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، وبها مسجد التقوى . معجم البلدان (٤/ ٣٠١ ، ٣٠٢) .

سمعتُها أخذتْني العُرَواءُ(١) حتى ظننتُ أني ساقط على سَيِّدي ، فنزلتُ عن النخلة ، فجعلتُ أقول لابن عمه : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال : فغضب سيِّدي فلكمني لكمةً شديدةً ، ثم قال : مالك ولهذا ؟! أقبلْ على عملك . قال : فقلت : لا شيء ، إنما أردتُ أن أستبينَهُ(٢) عمَّا قال .

قال : وقد كان عندي شيءٌ قد جمعتُه ، فلما أمسيتُ أخذتُه ، ثم ذهبتُ به إلى رسولِ الله ﷺ وهو بقُبَاء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالح ، ومعك أصحابٌ لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيءٌ كان عندي للصدَقة ، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم . قال : فقرَّبتُه إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « كُلوا » وأمسكَ يدَهُ فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة ؛ثم انصرفتُ عنه فجمعتُ شيئاً ، وتحوَّل رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ؛ ثم جئته [به](٣) فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هديَّة أكرمتُكَ بها . قال : فأكل رسولُ الله ﷺ منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه . قال : فقلتُ في نفسي : هاتان ثنتان . قال : ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ وهو ببقيع الغَرْقد ، قد تبع جنازةَ رجلٍ من أصحابه(٤) وعليَّ شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمتُ عليه . ثم استدبرتُه أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني رسولُ الله ﷺ استدبرته عَرَف أني أستثبت في شيءٍ وُصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرتُ إلى الخاتم فعرفتُه ، فأكْبَبْتُ عليه أقبِّلُه وأبكي ، فقال لي رسول الله ﷺ :« تحوَّل » فتحولتُ بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدَّثتك يا ابن عباس . فأُعجب رسولُ الله ﷺ أن يسمع ذاك أصحابه . ثم شَغَلَ سلمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسولِ الله ﷺ بَدْرٌ وأُحُد .

قال سلمان : ثم قال لي رسولُ الله ﷺ : « كاتِبْ يا سلمان » فكاتبتُ صاحبي على ثلاثمئة نخلة أُحْيِيها له بالفَقِير(٥) ، وأربعين أوقية . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أعينوا أخاكم » . فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين وَدِيَّة(٦) ، والرجل بعشرين ودِيَّة ، والرجل بخمس عشرة ودِيَّة ، والرجل بعشرة(٧) . يُعين الرجلُ بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمئة وَدِيَّة ؛ فقال لي رسول الله ﷺ : « اذهبْ يا سلمانُ ففقِّرْ

---

(١) في هامش ح : هي الرِّعْدة بنافض ، وقال ابن هشام في السيرة : والعرواء : الرِّعْدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عَرَق فهي الرُّحَضاء ، وكلاهما ممدود .
(٢) كذا في ح ، وفي ط وسيرة ابن هشام والروض : أستثبته .
(٣) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام .
(٤) هو كلثوم بن الهدم كما في الروض (١/ ٢٥٢) .
(٥) « الفقير » : حُفير يحفر حول الفسيلة إذا غُرست . اللسان (فقر) : وفيه : وفي الحديث : قال لسلمان : اذهب ففقِّر الفسيل ، أي احفر لها موضعاً تُغرس فيه .
(٦) « الوَدِيَّة » : واحدة الوَدِيّ : وهو فسيل النخل وصغاره . اللسان (ودي) .
(٧) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن هشام والروض : بعشر . قلت : تأنيث العدد جائز إذا كان المعدود ملحوظاً ، حاشية الخضري (٢/ ١٦٢) والنحو الوافي (٤/ ٥٤٥) .

لها ، فإذا فرغتَ فأتِني أكُنْ أنا أضَعُها بيدي » . قال : ففقَّرْتُ ، وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغتُ جئته فأخبرته ، فخرج رسولُ الله ﷺ معي إليها . فجعلنا نقرِّبُ إليه الوَدِيَّ ويضَعُه رسولُ الله ﷺ بيده ، حتى إذا فرَغْنا ـ فوالذي نفسُ سلْمان بيده ما ماتت ودية واحدة ـ فأدّيت النخل وبقي عليَّ المال . فأُتي النبيُّ ﷺ بمثل بَيْضة الدجاجة من ذهب ، من بعض المعادن ، فقال : « ما فعل الفارسيُّ المكاتَب » ؟ قال : فدُعيت له ، قال : « خذْ هذه فأدِّها ممَّا عليك يا سلْمان » قال : قلت : وأين تقعُ هذه مما عليَّ يا رسول ؟ قال : « خُذْها فإنَّ الله سيؤدِّي بها عنك » قال : فأخذتُها فوزنتُ لهم منها ـ والذي نفسُ سلمانَ بيده ـ أربعين أُوقيَّة ، فأوفيتهم حقَّهم [منها][1] وعَتَقَ سلْمان . فشهدتُ مع رسول الله ﷺ الخندق حُرّاً ، ثم لم يفُتْني معه مشهد .

قال ابن إسحاق[2] : وحدّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجلٍ من عبد القيس ، عن سلمان أنه[3] قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي عليَّ يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله ﷺ : فقلَّبها على لسانه ، ثم قال : « خُذْها فأوفِهم منها » فأخذتُها فأوفيتهم منها حقَّهم كلَّه ، أربعين أوقية .

وقال محمد بن إسحاق[4] : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، حدّثني مَنْ لا أتَّهم ، عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال : حُدِّثت عن سلمان أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره خَبَره : أن صاحب عَمُّورية قال له : ائتِ كذا وكذا من أرض الشام ، فإنَّ بها رجلاً بين غَيْضتَيْن يخرج كلَّ سنةٍ من هذه الغيضة مستجيزاً يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شُفي فاسألْهُ عن هذا الدِّين الذي تبتغي فهو يُخبرك عنه . قال سلمان : فخرجتُ حتى جئتُ حيثُ وصف لي ، فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك ، حتى خرج[5] لهم تلك الليلةَ مستجيزاً من إحدى الغيضتَيْن إلى الأخرى ، فغشيه الناسُ بمَرْضاهم ، لا يدعو لمريضٍ إلا شُفي ، وغلبوني عليه ، فلم أخلُصْ إليه حتى دخل الغيضةَ التي يريدُ أن يدخل إلا مَنْكِبَه ؛ قال : فتناولتُه فقال : من هذا ؟ والتفت إليّ قال : قلت : يرحمك الله ، أخبرني عن الحنيفيَّة دين إبراهيم . قال : إنك لتسألُ عن شيء ما يسأل عنه الناسُ اليوم ، قد أظلَّك زمانُ نبيٍّ يُبعثُ بهذا الدين من أهل الحَرم ، فأْتِهِ فهو يَحْمِلُكَ عليه .

ثم دخل فقال رسول الله ﷺ لسلمان : « لئنْ كنتَ صدقتني يا سلمان لقد لَقِيتَ عيسى بن مَرْيَم » .

هكذا وقع في هذه الرواية ، وفيها رجلٌ مُبْهَم ، وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة ؛ وقد قيل إنه الحسن بن عمارة ، ثم هو منقطع ، بل مُعْضلٌ بين عمر بن عبد العزيز وسلْمان رضي الله عنه .

---

(١) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام والروض .
(٢) سيرة ابن إسحاق (ص٧١) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٢١) والروض (١/ ٢٥٢) .
(٣) سقط من ح قوله : عن سلمان أنه ، وهو في ط وسيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض .
(٤) سيرة ابن إسحاق (ص٧٠ ، ٧١) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٢١ ، ٢٢٢) والروض (١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) .
(٥) في ح ، ط : يخرج ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض .

قوله : « لئن كنتَ صدقتني يا سلمان لقد لَقِيت عيسى بن مريم » غريبٌ جداً بل مُنْكَر ؛ فإنَّ الفترة أقلُّ ما قيل فيها أنها أربعمئة سنة ، وقيل ستمئة سنة بالشمسيَّة ، وسلمان أكثر ما قيل : إنه عاش ثلاثمئة وخمسين سنة .

وحكى العباس بن يزيد البَحْراني إجماع مشايخِهِ على أنه عاش مئتين وخمسين سنة . واختلفوا فيما زاد إلى ثلاثمئة وخمسين سنة . والله أعلم . والظاهر أنه قال : « لقد لَقِيت وصيَّ عيسى ابن مريم » فهذا ممكن بالصواب[١] .

وقال السُّهيلي[٢] : الرجل المُبْهم هو الحسن بن عُمَارة ، وهو ضعيفٌ [بإجماعٍ منهم] فإنْ صحَّ لم يكنْ فيه نكارة ؛ لأنَّ ابن جَرِير ذكر أنَّ المسيح نزل من السماء بعد ما رفع ، فوجد أُمه وامرأةً أخرى يبكيانِ عند جذع المصلوب ، فأخبرهما أنه لم يقتل ، وبعث الحواريين بعد ذلك . قال : وإذا جاز نزوله مرَّة جاز نزوله مراراً ، ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسِرُ الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويتزوَّج حينئذٍ امرأةً من بني جُذَام ، وإذا مات دُفن في حُجْرة روضةِ رسولِ الله ﷺ .

وقد روى البيهقي في كتاب « دلائل النبوة »[٣] قصةَ سلمان هذه ، من طريق يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق كما تقدَّم ، ورواها أيضاً[٤] عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن يحيى بن أبي طالب : حدّثنا عليُّ بن عاصم ، حدّثنا حاتم بن أبي صَغِيرة[٥] ، عن سِمَاك بن حَرْب ، عن زيد[٦] بن صُوحان أنه سمع سلمان يحدِّث كيف كان أول إسلامه ؛ فذكر قصةً طويلة ، وذكر أنه كان من رامَهُرْمُزَ[٧] ، وكان له أخٌ أكبر منه غنيّ ، وكان سلمانُ فقيراً في كنَفِ أخيه ، وأنَّ ابنَ دِهْقانها[٨] كان صاحباً له ، وكان يختلف معه إلى معلِّم لهم ، وأنه كان يختلف ذلك الغلام إلى عُبّاد من النصارى في كهفٍ لهم ، فسأله سلمان أنْ يذهبَ به معه إليهم ، فقال له : إنك غلام ، وأخشى أنْ تَنُمَّ عليهم فيقتلهم أبي . فالتزم له أن لا يكون منه شيءٌ

---

(١) قلت : وهي رواية الذهبي في السير (١/ ٥١٢) عن ابن إسحاق به .
(٢) الروض الأنف (١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) بألفاظ مقاربة ، وما يأتي بين معقوفين منه .
(٣) دلائل النبوة (٢/ ٩٢) .
(٤) في الدلائل أيضاً (٢/ ٨٢) .
(٥) في ح ، ط : صفرة ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتقريب التهذيب (١/ ١٣٧) وتهذيب التهذيب (٢/ ١٣٠) .
(٦) في ح ، ط : يزيد . والمثبت من دلائل البيهقي وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢٥) في ترجمته . قلت : أظن أن في السند انقطاعاً ، فوفاة سماك سنة ١٢٣هـ ووفاة زيد سنة ٣٦هـ ، وأخبار سلمان يرويها سماك عن أبي قدامة النعمان بن حميد عن زيد بن صوحان ، أو سماك عن رجل عن زيد ، انظر سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢٧) . وسماك ممن يضطرب في حديثه فيزيد في الإسناد أو ينقص ، انظر في ذلك شرح علل الترمذي (١/ ١٤١) .
(٧) « رامَهُرْمُز » : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . معجم البلدان (٣/ ١٧) والتاج (هرمز) .
(٨) مضى شرح معنى دهقان (ص١١٥ الحاشية ٥) .

يكرهه ، فذهب بِهِ معه . فإذا هم ستة أو سبعة ، كأنَّ الرُّوحَ قد خرجتْ منهم من العبادة ، يصومونَ النهار ويقومونَ الليلِ ، يأكلون الشجر وما وجدوا ، فذكر عنهم أنهم يؤمنونَ بالرُّسُلِ المتقدِّمين ، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وابنُ أَمَتِه ، أيَّدَهُ بالمعجزات . وقالوا له : يا غلام ، إنَّ لك ربّاً وإنَّ لك معاداً ، وإنَّ بين يديك جنةً وناراً ، وإنَّ هؤلاء القومَ الذين يعبدون النِّيرانَ أهلُ كفرٍ وضلالة ، لا يرضى الله بما يصنعون ، وليسوا على دين .

ثم جعل يتردَّدُ مع ذلك الغلام إليهم ، ثم لزمهم سلمانُ بالكليَّة ؛ ثم أجلاهم ملِكُ تلك البلاد ، وهو أبو ذلك الغلام الذي صحبه سلمان إليهم عن أرضه ، واحتبسَ الملكُ ابنَهُ عنده ، وعرض سلمان دِينَهم على أخيه الذي هو أكبر منه ، فقال : إني مشتغل بنفسي في طلب المعيشة ، فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسةَ المَوْصل ، فسلَّم عليهم أهلُها ثم أرادوا أن يتركوني عندهم ، فأبَيْتُ إلا صُحْبتَهم ؛ فخرجوا حتى أتَوْا وادياً بين جبال ، فتحدَّر إليهم رهبانُ تلك الناحية يسلِّمون عليهم ، واجتمعوا إليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ، ويسألونهم عني فيُثنون عليَّ خيراً . وجاء رجلٌ معظَّم فيهم ، فخطبهم ، فأثنى على الله بما هو أهلُه ، وذكَرَ الرُّسل وما أُيِّدوا به ، وذكر عيسى ابن مريم ، وأنه كان عبدَ الله ورسولَه ، وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر ، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه . قال : فكان يصومُ النهار ويقوم الليل ، من الأحد إلى الأحد ، فيخرج إليهم ويَعِظُهم ويأمرُهم وينهاهم ، فمكث على ذلك مُدَّةً طويلة ، ثم أراد أن يزور بيت المَقْدِس ، فصحبه سلمانُ إليه . قال : فكان فيما يمشي يلتفتُ إليَّ ويُقبل عليّ ، فيعِظُني ويُخبرني أنَّ لي رباً ، وأنَّ بين يديَّ جنةً وناراً وحساباً ، ويعلِّمني ويذكِّرُني نَحْوَ ما كان يُذكِّر القومَ يومَ الأحد . قال ـ فيما يقول لي ـ : يا سلمان ، إنَّ الله سوفَ يَبْعَثُ رسولاً اسمُه أحمد ، يخرج من تِهَامة[(١)] ، يأكل الهديَّة ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفَيْه خاتم ، وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب ، فأمَّا أنا فإني شيخٌ كبير ، ولا أحسبني أُدركه ، فإن أدركتَهُ أنتَ فصدِّقْه واتَّبعْه . قلت له : وإنْ أمرني بترك دينِكَ وما أنت عليه ؟ قال : وإنْ أمرك ، فإنَّ الحقَّ فيما يجيءُ به ، ورِضَى الرحمن فيما قال .

ثم ذكر قدومَهما إلى بيت المقدس ، وأنَّ صاحبه صلَّى فيه هاهنا وهاهنا ، ثم نام ، وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظِّلُّ مكان كذا أنْ يُوقظه ، فتركه سلمانُ حيناً آخر أزْيَدَ مما قال ليستريح ، فلما استيقظ ذَكَرَ الله ولامَ سلمانَ على تَرْك ما أمْرَهُ بهِ من ذلك . ثم خرجا من بيت المقدس ، فسأله مُقْعَدٌ فقال : يا عبد الله ، سألْتُكَ حين وصلت فلمْ تعطني شيئاً ، وها أنا أسألك ، فنظر فلم يجدْ أحداً ، فأخذ بيده وقال : قُمْ بسم الله ، فقامَ وليس به بأسٌ ولا قَلَبَة[(٢)] ، كأنما نَشِط من عِقَال[(٣)] ؛ فقال لي يا عبد الله ، احْمِلْ عليَّ متاعي حتى

---

(١) ويروى : ويخرج بتهامة وكلا الروايتين مثبت في ح .
(٢) يقال : ما به قَلَبَة : أي ألمٌ وعِلَّة يخشى عليه منها . التاج (قلب) .
(٣) جاء في اللسان (نشط) : ويقال للآخذ بسرعة في أي عمل كان ، وللمريض إذا بَرَأ . . . كأنما أُنْشِط من عقال ، نشط أي حُلّ ؛ قال ابن الأثير : وكثيراً ما يجيء في الرواية : كأنما نشط من عقال ، وليس بصحيح . النهاية (٥/ ٥٧) .

أذهبَ إلى أهلي فأبشِّرَهُم ، فاشتغلتُ به ، ثم أدركتُ الرجل فلم ألحقه ولم أدرِ أين ذهب ، وكلَّما سألتُ عنه قوماً قالوا : أمامك ، حتى لقيني ركبٌ من العرب من بني كلب ، فسألتهم ، فلما سمعوا لغتي أناخ رجلٌ منهم بعيرَه ، فحملني خلفه ، حتى أتَوْا بي بلادَهم . فباعوني ، فاشترَتْني امرأةٌ من الأنصار ، فجعلَتْني في حائطٍ لها ، وقدِم رسولُ الله ﷺ .

ثم ذكر ذهابَهُ إليه بالصَّدَقةِ والهديَّة ليستعلم ما قال صاحبُه ، ثم تطلَّب النظر إلى خاتم النبوَّة ، فلما رآه آمن من ساعته . وأخبر رسولَ الله خبرَهُ الذي جرى له . قال : فأمر رسولُ الله ﷺ أبا بكر الصديق ، فاشتراه من سيدته فأعتقه . قال : ثم سألتُه يوماً عن دين النصارى ، فقال : « لا خير فيهم » . قال : فوقع في نفسي من أولئك الذين صحِبْتُهم ، ومن ذلك الرجل الصالح الذي كان معي ببيت المقدس ، فدخلني من ذلك أمرٌ عظيم ، حتى أنزل الله على رسول الله ﷺ : ﴿ [لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ][1] وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ . فدعاني رسولُ الله ﷺ فجئتُ وأنا خائف ، فجلستُ بين يديه ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ الآيات [المائدة : ٨٢] ، ثم قال : « يا سلمان ، أولئك الذين كنتَ معهم وصاحِبُك لم يكونوا نَصارى ، كانوا مسلمين » فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لهو أمرني باتِّباعك ، فقلت له : فإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال : نعم فاتركه ، فإنَّ الحقَّ وما يرضي الله فيما يأمرك .

وفي هذا السياق غرابةٌ كثيرة ، وفيه بعضُ المخالفة لسياق محمد بن إسحاق ، وطريق محمد بن إسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً ، وأقرب إلى ما رواه البخاريُّ في صحيحه[2] ، من حديث معتمر بن سليمان بن طَرْخان التَّيْمي عن أبيه ، عن أبي عثمان النَّهْدي ، عن سلمانَ الفارسي ، أنَّهُ تداوَلَهُ بضعةَ عشرَ ، من ربٍّ إلى ربّ . أي : من معلِّم إلى معلِّم[3] ، ومُرَبٍّ إلى مثله ، والله أعلم .

قال السُّهيلي[4] : تداولَهُ ثلاثونَ سيداً ، من سَيِّد إلى سَيِّد . فالله أعلم .

وكذلك استقصى قصةَ إسلامِهِ الحافظُ أبو نعيم في « الدلائل »[5] ، وأورد لها أسانيدَ وألفاظاً كثيرة ، وفي بعضها أنَّ اسْمَ سيِّدتِه التي كاتبَتْه خُليسة[6] . فالله أعلم .

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح والآية في سورة المائدة الآية (٨٢) .

(٢) فتح الباري (٣٩٤٦) كتاب مناقب الأنصار باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٣) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٧٧) : أي من سيد إلى سيد ، وكأنه لم يبلغه حديث أبي هريرة في النهي عن إطلاق رب على السيد .

(٤) في الروض (١/ ٢٥١) .

(٥) (١/ ٢٥٨) وما بعدها .

(٦) في ح : حُليسة بحاء مهملة وضمة فوقها ، وفي ط : حلبسة ، وكلاهما تصحيف نبه عليه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢٧٩) في القسم الرابع من حرف الحاء ، ثم ساق ترجمتها في حرف الخاء المعجمة (٤/ ٢٨٦) وقصة بيع =

ذكر أخبار غريبة في ذلك

قال أبو نعيم في « الدلائل »(١) : حدّثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا محمد بن زكرياء الغَلابي ، حدّثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي السَّويَّة المِنْقَري ، حدّثنا عبَّاد بن كسيب ، عن أبيه ، عن أبي عِتْوَارة الخُزاعي عن سَعْر(٢) بن سوادة العامري قال : كنتُ عَسِيفاً لعقيلةٍ من عقائل الحيّ ، أركبُ لها الصَّعْبَ والذَّلول(٣) ، لا أبقي(٤) من البلاد مَطْرَحاً(٥) أرجو ربحاً في متجر إلا أتيتُه ، فانصرفتُ من الشام بحرثٍ وأثاث ، أريدُ به كُبَّة(٦) الموْسم ودهماءَ العرب ، فدخلتُ مكة بليلٍ مُسْدِف ، فأقمتُ حتى تعرَّى عني قميص الليل ، فرفعتُ رأسي ، فإذا قِبابٌ مُسَامِتَةٌ شَعَفَ الجبال ، مضروبة بأَنْطاع الطائف(٧) ، وإذا جُزُرٌ تُنحَر ، وأخرى تُساق ، وإذا أَكَلَةٌ وحَثَثَةٌ على الطهاة يقولون : ألا عَجِّلُوا ألا عجلوا . وإذا رجل يجهز على نشَز من الأرض ، ينادي : يا وَفْد الله ميِّلوا إلى الغَدَاء . وأُنَيْسَانٌ على مَدْرَجَةٍ يقول : يا وفد الله ، من طعِم فلْيَرُحْ إلى العشاء ، فجَهَرَني ما رأيت(٨) ، فأقبلتُ أريد عَميدَ القوم ، فعرف رجلٌ الذي بي ، فقال : أمامك . وإذا شيخ كأن في خدَّيه الأساريع(٩) ، وكأنَّ الشِّعرَى توقد من جبينه ، قد لاث على رأسه عِمامةً سوداء ، قد أبرز من ملائها جُمَّةً فَيْنَانة ، كأنها (سَاسَم(١٠)) ـ قال في بعض الروايات : تحته كرسيُّ سَاسَم ـ ومن دونها نُمْرُقةٌ ، بيده قضيب يتخصَّر(١١) به ، حوله مشايخُ جَلَسَةٌ جِلَّة ، نواكسُ الأذقان ، ما منهم أحد يفيض بكلمة . وقد كان نُمي إليَّ خَبرٌ من أخبار الشام ، أنَّ النبيَّ الأميَّ هذا أوانُ نُجومه ،

= سلمان أيضاً في سير أعلام النبلاء (١/ ٥١٩) وما بعدها .

(١) لم أجده في دلائل أبي نعيم طبعة حيدر أباد الدكن الهند ، ولا التي بتحقيق قلعه جي وعبد البر عباس ، وذكره ابن حجر في الإصابة مختصراً في ترجمة « سعر » .

(٢) في ح : سعيد ، وفي ط : سعير ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الإصابة في ترجمة سعر بن سوادة .

(٣) يقال : ركبوا كل صَعْب وذَلول في أمرهم : إذا بذلوا فيه الطاقة . والعسيف : الأجير . الأساس (ذلل) .

(٤) في ح : التَق ، أي : ألْتَاقُ ، من التاق بالمكان ، إذا لزمه وثبت فيه . والمثبت من ط .

(٥) في ط : مسرحاً ، والمثبت من ح ، والمطرح : المكان البعيد . المعجم الوسيط (طرح) .

(٦) « الكُبَّة » : الجماعة من الناس ، وفي حديث ابن مسعود : أنه رأى جماعة ذهبت فرجعت ، فقال : إياكم وكُبَّة السُّوق فإنها كبَّة الشيطان ، أي جماعة السوق ، واللفظة في ح : كبد الموسم ، أي وسطه ، وكبد كل شيء : وسطه ومعظمه . اللسان (كبب ، كبد) .

(٧) « أنطاع » : جمع نِطْع ، وهو البساط من الجلد . المعجم الوسيط (نطع) .

(٨) « جهرني الشيءُ » : راعني . اللسان (جهر) .

(٩) « الأساريع » : دود بيض الأجساد حمر الرؤوس . يكون في الرمل ، تشبه بها أصابع النساء ، ويقال : ثغر ذو أساريع : خطوط وطرائق ، وفي صفته ﷺ : كأن عنقه أساريع الذهب ، أي طرائقه . التاج (سرع) .

(١٠) في ط : سماسم ، والمثبت من ح ، والسَّاسَم : شجر أسود ، وقيل هو الأسود ، يتخذ منه السهام . والجُمَّةُ : مجتمع شعر الرأس ، ولاث العمامة على رأسه لفَّها . اللسان (سسم ، جمم ، لوث) .

(١١) في ط : متخصر .

فلما رأيته ظننتُه ذلك ، فقلت : السلامُ عليك يا رسول الله . فقال : مه مه ، كلا وكأنْ قد ، وليتني إيَّاه . فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقالوا : هذا أبو نَضْلة ، هذا هاشم بن عبد مَنَاف . فولَّيتُ وأنا أقول : هذا والله المجد لا مجد آلِ جفنة . يعني ملوكَ عرب الشام من غسان ، كان يقال لهم : آل جفنة ، وهذه الوظيفة التي حكاها عن هاشم هي الرِّفادة ، يعني إطعام الحجيج زمن الموسم(١) .

وقال أبو نعيم(٢) : حدّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدّثنا محمد بن أحمد بن أبي يحيى ، حدّثنا سعيد بن عثمان(٣) ، حدّثنا علي بن قتيبة الخراساني ، حدّثنا خالد بن إلياس ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعتُ أبا طالبٍ يحدِّث عن عبد المطلب قال : بينا أنا نائم في الحِجْر إذ رأيت رؤيا هالتني ، ففزِعْتُ منها فزعاً شديداً ، فأتيتُ كاهنةَ قريش ، وعليَّ مطرف خزّ ، وجُمَّتي تضربُ مَنْكِبي ، فلما نظرتْ إليّ عرفتْ في وجهي التغيير ، وأنا يومئذٍ سيِّد قومي ، فقالت : ما بال سيدنا قد أتانا متغيِّرَ اللَّون ؟ هل رابه من حَدَثان الدهر شيء ؟ فقلت لها : بلى ! وكان لا يكلِّمها أحدٌ من الناس حتى يُقَبِّل يدَها اليمنى ، ثم يضع يده على أُمِّ رأسها ثم يذكر حاجته ، ولم أفعل لأني كنت كبير قومي ؛ فجلستُ فقلت : إني رأيت الليلةَ وأنا نائم في الحِجْر ، كأنَّ شجرةً تنبت ، قد نال رأسها السماء ، وضربتْ بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيتُ نوراً أزهر منها ، أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً(٤) ؛ ورأيتُ العرب والعجم ساجدين لها ، وهي تزدادُ كلَّ ساعةٍ عِظَماً ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تخفى وساعة تزهر ، ورأيتُ رَهْطاً من قريش قد تعلَّقوا بأغصانها ، ورأيتُ قوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دَنَوْا منها أَخَّرَهم شابٌّ لم أر قطُّ أحسنَ منه وجهاً ، ولا أطيبَ منه ريحاً ، فيكسِرُ أظهرهم ، ويقلع أعينهم ؛ فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً ، فمنعني الشاب ، فقلت : لمن النصيب ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلَّقوا بها وسبقوكَ إليها . فانتبهتُ مذعوراً فزِعاً ، فرأيت وجه الكاهنة قد تغيَّر ، ثم قالت : لئن صدقَتْ رؤياك ليخرجَنَّ من صُلْبك رجلٌ يَملِكُ المشرق والمغرب ، ويَدين له الناس ثم قال ـ يعني عبد المطلب لأبي طالب ـ : لعلك تكونُ هذا المولود . قال : فكان أبو طالب يحدِّثُ بهذا الحديث [بعدما وُلد رسولُ الله ﷺ وبعد ما بُعث . ثم قال](٥) : كانت الشجرةُ والله أعلم أبا القاسم الأمين . فيقال لأبي طالب : ألا تؤمن ؟ فيقول : السُبَّة والعار(٦) .

---

(١) إسناده ضعيف ، عباد بن كسيب ، ذكره البخاري في تاريخه وقال (٦/ الترجمة ١٦٢٤) : « لا يصح حديثه » وينظر الميزان (٢/ ٣٧٥) (بشار) .

(٢) في الدلائل (١/ ٩٩) .

(٣) في ح : سعيد بن أبي عثمان .

(٤) في ح : سبعين مرة ضعفاً .

(٥) لفظ العبارة التي بين المعقوفين في الدلائل هكذا : « والنبي ﷺ قد خرج ويقول : كانت . . . » .

(٦) إسناده ضعيف جداً ، فإن خالد بن إلياس متروك ، وهو من رجال التهذيب (بشار) .

وقال أبو نعيم[(١)] : حدّثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا محمد بن زكرياء الغَلَابي ، حدّثنا العباس بن بكّار الضَّبِّي ، حدّثنا أبو بكر الهُذَلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال العباس : خرجتُ في تجارةٍ إلى اليمن في ركبٍ منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدِمتُ اليمن ، فكنتُ أصنع يوماً طعاماً ، وأنصرف بأبي سفيان وبالنَّفَر ، ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ إلى بيتي وترسل إليَّ غداءك ؟ فقلت : نعم . فانصرفتُ أنا والنفر إلى بيته ، وأرسلتُ إلى الغداء ، فلما تغدَّى القوم قاموا واحتبسني ، فقال : هل علمت يا أبا الفضل أنَّ ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ فقلت : أيُّ بني أخي ؟ فقال أبو سفيان : إياي تكتم ؟ وأيُّ بني أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد ؟ قلت : وأيُّهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبد الله . فقلت : قد فعل ؟ قال : بلى قد فعل . وأخرج كتاباً باسمه من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه : أخبرك أنَّ محمداً قام بالأبْطَح فقال : « أنا رسول ، أدعوكم إلى الله عزَّ وجل » فقال العبَّاس : قلت : أجدُه يا أبا حنظلةصادقاً[(٢)] . فقال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أحبُّ أن تقول مثل هذا ، إني لا أخشى أنْ يكونَ عليَّ ضَيْرٌ من هذا الحديث ، يا بني عبد المطلب ، إنه والله ما برحتْ قريش تزعم أنَّ لكم هَنَةً وهَنَة[(٣)] ، كلُّ واحدةٍ منهما غاية . لَنَشدْتُكَ يا أبا الفضل ، هل سمعتَ ذلك ؟ قلت : نعم ، قد سمعت . قال : فهذه والله شؤمتكم . قلت : فلعلَّها يُمْنَتُنا . قال : فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ[(٤)] حتى قدم عبد الله بنُ حُذَافةَ بالخبر وهو مؤمن . ففشا ذلك في مجالس اليمن ؛ وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدَّث فيه حَبْرٌ من أحبار اليهود ، فقال له اليهودي : ما هذا الخبر ؟ بلغني أنَّ فيكم عمَّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صدقوا ، وأنا عمُّه . فقال اليهودي : أخو أبيه ؟ قال : نعم . قال : فحدِّثني عنه . قال : لا تسألني ، ما أحبُّ أن يدَّعي هذا الأمر أبداً ، وما أحبُّ أن أعيبه ، وغَيْرُه خيرٌ منه . فرأى اليهوديُّ أنه لا يُغمض[(٥)] عليه ولا يحبُّ أن يَعِيبه . فقال اليهودي : ليس به بأس[(٦)] على اليهود ، وتوراة موسى . قال العباس : فناداني الحَبْر ، فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد ، وفيه أبو سفيان بن حرب والحبر ، فقلت للحبر : بلغني أنك سألتَ ابن عمي عن رجل منا زعم أنه رسول الله ﷺ فأخبرك أنه عمُّه ، وليس

---

(١) في دلائل (١/ ٢٠٣) ، وهو في السيرة الحلبية (١/ ١٨٥) مختصراً .

(٢) في ح ، ط والدلائل : صادق .

(٣) « الهَنَة » : تأنيث هن ، فهو كناية عن كل اسم جنس ؛ وفي حديث سطيح : ثم تكون هنات وهنات : أي شدائد وأمور عظام . اللسان (هنا) .

(٤) في ح : ليالي بإثبات الياء ، وهو جائز .

(٥) في ط : يغمس ، والمثبت من ح ، جاء في التاج (غمض) : وسمع الأمر فأغمض عنه وعليه ، يكنى به عن الصبر . ويقال : سمعت منه كذا وكذا فأغمضت منه وأغضيت ، إذا تغافلت عنه . وفي الأساس : التغميض عن الإساءة هو الإغضاء والتغافل .

(٦) كذا في ط وفي ح : ليس به لا بأس . . .

بعمه ، ولكن ابن عمه ، وأنا عمُّه وأخو أبيه . قال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : صدق ؟ قال : نعم صدق . فقلت : سلني فإن كذبتُ فليردَّ[١] عليّ . فأقبل عليّ . فقال : نشدتُكَ ، هل كان لابن أخيك صَبْوةٌ أو سفهة ؟ قلت : لا وإلَه عبد المطلب ، ولا كذَب ولا خان ، وإنه كان اسمُه عند قريش الأمين . قال : فهل كتب بيده ؟ قال العباس : فظننت أنه خيرٌ له أن يكتب بيده ، فأردتُ أن أقولها ، ثم ذكرتُ مكان أبي سفيان أنه يكذبني ويردُّ[٢] عليَّ ، فقلت : لا يكتب ، فوثب الحَبْر وترك رداءَهُ وقال : ذُبحت يهود ، وقُتلت يهود . قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا . قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إنَّ اليهود تفزع من ابن أخيك . قلت : قد رأيتَ ما رأيت . فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ؟ فإنْ كان حقّاً كنتَ قد سبقت ، وإنْ كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك . قال : لا أومن به حتى أرى الخيل في كَدَاء[٣] ، قلت : ما تقول ؟ قال : كلمةٌ جاءتْ على فمي ، إلا أني أعلم أنَّ الله لا يترك خيلاً تطلع من كَدَاء . قال العباس : فلما استفتح رسولُ الله ﷺ مكة ، ونظرنا إلى الخيل وقد طلعتْ من كداء ، قلت : يا أبا سفيان تذكر الكلمة . قال : إي والله إني لذاكرها ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام .

وهذا سياقٌ حسن عليه البهاء والنور ، وضياء الصدق ، وإن كان في رجاله من هو متكلَّمٌ فيه[٤] ، والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناهُ في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبي الصلْت[٥] ، وهو شبيهٌ بهذا الباب ، وهو من أغرب الأخبار وأحسن السياقات ، وعليه النور . وسيأتي أيضاً قصة أبي سفيان مع هرقل[٦] ملك الروم حين سأله عن صفات رسولِ الله ﷺ وأحواله ، واستدلاله بذلك على صدقه ونبوَّته ورسالته . وقال له : كنتُ أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظنُّ أنه فيكم ، ولو أعلم أني أخْلُص إليه لتجشَّمتُ لُقِيَّه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ولئن كان ما تقول حقاً ليملكنَّ موضع قدميَّ هاتين . وكذلك وقع ولله الحمد والمنة .

وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والأخبار عن الرهبان والأحبار والعرب ، فأكثر وأطنب ، وأحسن وأطيب ، رحمه الله ورضي عنه .

---

(١) في ح : فليرده .

(٢) في ح : ورادّ .

(٣) « كداء » : الثنية العليا بمكة ، مما يلي المقابر ، عند المحَصَّب . النهاية (٤/ ١٥٦) ومعجم البلدان (٤/ ٤٣٩) .

(٤) قال بشار : هكذا قال المصنف تهويناً ، مع أن العباس بن بَكَّار الضبي كذاب كما قال الدارقطني (الضعفاء والمتروكون ٤٢٣) وقبله قال ابن حبان في المجروحين (٢/ ١٩٠) : « يروي من العجائب . . . لا يجوز الاحتجاج به بحال ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار للخواص » .

(٥) انظر في الجزء الثاني من هذا الكتاب (ط) .

(٦) انظر ما سيأتي في الجزء الرابع من هذا الكتاب والعبارة في ح هكذا : وسيأتي قصته مع هرقل .

قصة عمرو بن مُرَّة الجُهَني

قال الطبراني[١] : حدّثنا عليُّ بن إبراهيم الخزاعي الأهوازي ، حدّثنا عبد الله بن داود بن دِلْهاث بن إسماعيل بن عبد الله بن مسرع[٢] بن ياسر بن سُويد ـ صاحب رسول الله ﷺ ـ حدّثنا أبي ، عن أبيه دِلْهاث ، عن أبيه إسماعيل أنَّ أباه عبد الله حدّثه عن أبيه ، أنَّ أباه ياسر بن سُويد حدّثه عن عمرو بن مُرَّة الجُهَني قال : خرجتُ حاجّاً في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في نومي وأنا بمكة ، نوراً ساطعاً خرج من الكعبة حتى وصل إلى جبل يَثْرِب ، وأشْعَرِ جُهينة[٣] ، فسمعت صوتاً بين النور وهو يقول : انقشعت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبُعث خاتم الأنبياء . ثم أضاء إضاءةً أخرى ، حتى نظرتُ إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن[٤] ، وسمعتُ صوتاً من النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكُسرت الأصنام ، ووُصِلَت الأرحام . فانتبهتُ فزعاً ، فقلت لقومي : والله ليحدُثَنَّ لهذا الحيِّ من قريش حَدَث ، وأخبرتهم بما رأيت فلما انتهينا إلى بلادنا جاء [الخبر][٥] أنَّ رجلاً يقال له : أحمد ، قد بُعث فأتيتُه فأخبرتُه بما رأيت ، فقال : « يا عمرو بن مُرَّة أنا النبيُّ المرسل إلى العباد كافة ، أدعوهم إلى الإسلام ، وآمرهم بحَقْن الدماء وصِلَة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحجِّ البيت ، وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهراً . فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار . فآمن بالله يا عمرو يُؤمنك الله من هَوْل جهنم » . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله ، آمنت بما جئت به من حلالٍ وحرام ، وإنْ رغَّم ذلك كثيراً من الأقوام[٦] . ثم أنشدتُه أبياتاً قلتُها حين سمعت به ، وكان لنا صنم ، وكان أبي سادناً به ، فقمتُ إليه فكسرته . ثمَّ لَحِقت بالنبيِّ ﷺ وأنا أقول : [من الطويل]

شهدتُ بأنَّ اللهَ حقٌّ وأنني لآلهةِ الأحجارِ أولُ تارِكِ

---

(١) رواية الطبراني في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦) والخبر ساقه ابن الجوزي في الوفا (١/ ٨١) والكاندهلوي في حياة الصحابة (١/ ٢٩٣) وما بعدها ، وسوف يسوقه المصنف في ص ١٧٩ موضع الحاشية (٣) في المتن مطولاً عن أبي نعيم ، عنه .

(٢) في ح : مشرع وفي ط : شريح . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من التجريد للذهبي (٢/ ٧٢) والإصابة (٣/ ٤٧٨) في القسم الثاني من حرف الميم (باب م ـ س) ثم من الجرح والتعديل (٥/ ٤٨) في ترجمة عبد الله والإصابة (٣/ ٦٤٨) في ترجمة ياسر .

(٣) « الأشعر » : جبل جهينة ينحدر على يَنْبُع من أعلاه ، وينبع من المدينة على سبع مراحل باتجاه البحر ؛ والأشعر والأجرد جبلا جهينة ، بين المدينة والشام . معجم البلدان (١/ ١٩٨ و٥/ ٤٥٠) .

(٤) « أبيض المدائن » : قصر الأكاسرة بالمدائن ، كان من عجائب الدنيا ، لم يزل قائماً إلى أيام المكتفي في حدود سنة ٢٩٠هـ . وهو الذي وصفه البحتري في سينيته الشهيرة . انظر معجم البلدان (١/ ٨٥) .

(٥) ما بين معقوفين من الوفا (١/ ٨١) .

(٦) كذا في ط ، وفي ح : الأقوال .

وشمَّرتُ عن ساقِ[١] الإزارِ مُهاجراً   إليكَ أجوبُ القَفْر بعد الدَّكَادِكِ[٢]
لأصحبَ خيرَ الناسِ نفساً ووالداً   رسولَ مَليكِ الناس فوقَ الحبائكِ[٣]

فقال النبيُّ ﷺ : « مرحباً بك يا عمرو بن مُرَّة » . فقلت : يا رسول الله ابعثْني إلى قومي ، لعل الله يمنُّ عليهم بي كما مَنَّ عليَّ بك . فبعثَني إليهم . وقال : « عليك بالرِّفْق ، والقول السديد ، ولا تكنْ فظّاً ، ولا متكبِّراً ولا حسوداً » .

فذكر أنه أتى قومه ، فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسولُ الله ﷺ فأسلموا كلُّهم ، إلا رجلاً واحداً منهم ، وأنه وفد بهم إلى رسولِ الله ﷺ ؛ فرحَّب بهم وحيَّاهم ، وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من الله[٤] على لسان رسول الله ﷺ ، بكتابٍ صادق ، وحقٍّ ناطق مع عمرو بن مُرَّة الجُهَني ، لجُهينة بن زيد : إنَّ لكم بطونَ الأرض وسهولَها ، وتلاعَ الأودية وظهورها ، تزرعون[٥] نباته ، وتشربون صافيه ، على أن تُقِرُّوا بالخُمُس ، وتصلُّوا صلاة الخَمْس ، وفي التِّيْعَةِ[٦] والصُّرَيمة [شاتانِ] إنِ اجتمعتا ، وإنْ تفرَّقتا [فـ]شاة شاة[٧] ، ليس على أهل المُثيرة[٨] صدقة ، ليس الوردة اللبقة[٩] . وشهد على نبيِّنا ﷺ مَنْ حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شمَّاس » .

---

(١) كذا في ح ، ط ، والصواب : ساقي . بالياء كما سيأتي (ص١٨٠) .
(٢) في النهاية واللسان : إليك أجُوب القُورَ بعد الدكاك ، وفيما سيأتي (ص١٨٠) إليه أدب الغور . . . » وفي طبقات ابن سعد : « الدعث بعد الدكاك » وفي الوفا ومجمع الزوائد . الدعث بعد الدكاك . والقور : جمع قارة وهي الجبل ، وقيل هو الصغير منه كالأكمة . وأما الغور : فكل منخفض من الأرض ؛ والدكادك : جمع دكداك ، وهو ما تلبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع كثيراً . النهاية (٢/ ١٢٨) (دكدك) و(٤/ ١٢٠) (قور) واللسان (غور) .
(٣) « الحبائك » : الطُّرُق ، واحدتها حَبيكة ، يعني بها السموات ، لأن فيها طرق النجوم . النهاية (١/ ٣٣٢) (حبك) . والأبيات في طبقات ابن سعد (١/ ٣٣٣) .
(٤) في الوفا (١/ ٨٣) : كتاب أمان من الله .
(٥) في الوفا (١/ ٨٣) والجمع وحياة الصحابة . ترعون . وهو أشبه بالصواب .
(٦) في ط : التليعة ، وفي المجمع « والسعة » وفي حياة الصحابة : الغُنيمة ، والمثبت من ح والنهاية (٣/ ٢٧) (صرم) وفيه ضُبطت التاء المثناة من فوق بالفتح ضبط قلم . والتصحيح من النهاية واللسان (تيع) ، وفيهما : التيعة ، بالكسر : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ، وكأن الجُملة التي للسعاة عليها سبيل ، من تاع يتيع إذا ذهب إليه ، كالخمس من الإبل والأربعين من الغنم .
(٧) « الصُّريمة » : تصغير الصِّرْمة ، وهي القطيع من الإبل والغنم ، قيل : هي من العشرين إلى الثلاثين والأربعين ، كأنها إذا بلغت هذا القدر تستقلُّ بنفسها فيقطعها صاحبها عن معظم إبله وغنمه . والمراد بها في الحديث من مئة وإحدى وعشرين شاة إلى المئتين ، إذا اجتمعت ففيها شاتان ، وإن كانت لرجلين وفرِّق بينهما ، فعلى كل واحد منهما شاة . النهاية (٣/ ٢٧) (صرم) ، وما بين معقوفين منه .
(٨) في ح ، ط : الميرة . والمثبت من مجمع الزوائد ، جاء في النهاية (١/ ٢٢٩) (ثور) : ومنه الحديث « أنه كتب لأهل جُرش بالحِمى الذي حماه لهم للفرس والراحلة والمثيرة » أراد بالمثيرة بقر الحَرْث لأنها تثير الأرض .
(٩) كذا في ط ، وفي ح : ليس للوردة اللبقةِ ، ولم أهتد إلى معناه أو وجه الصواب فيه . وفي الدلائل (١/ ١٢٣) : =

وذكر شعراً قاله عمرو بن مُرَّة في ذلك كما هو مبسوطٌ في المسند الكبير[١]، وبالله الثقة وعليه التكلان.

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧]. قال كثيرون من السلف: لما أخذ الله ميثاق بني آدم يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. أخذ من النبيِّين ميثاقاً خاصاً؛ وأكد مع هؤلاء الخمسة أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أوَّلُهم نوح وآخرهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين.

وقد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب «دلائل النبوة»[٢] من طرق، عن الوليد بن مسلم، حدّثنا الأوزاعي، حدّثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: سئل رسول الله ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ قال: «بين خَلْقِ آدمَ ونَفْخ الرُّوح فيه».

وهكذا رواه الترمذي من طريق الوليد بن مسلم، وقال: حسنٌ غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من هذا الوجه[٣].

وقال أبو نعيم[٤]: حدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي[٥]، حدّثنا أبو جعفر النُّفَيْلي، حدّثنا عمرو بن واقد، عن عروة بن رُويم، عن الصُّنَابِحي قال: قال عمر: يا رسول الله، متى جُعلت نبيّاً؟ قال: «وآدمُ مُنْجَدِلٌ في الطِّين».

ثم رواه[٦] من حديث نَصْر بن مُزَاحم، عن قيس بن الربيع، عن جابر الجُعْفي، عن الشعبي، عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله: متى كنتَ نبيّاً؟ قال: «وآدمُ بين الروح والجسَد».

وفي الحديث الذي أوردناه في قصة آدم حين استخرج الله من صُلْبه ذُرِّيَّته خصَّ الأنبياء بنورٍ بين أعينهم. والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه كان على قَدْر منازلهم ورُتَبِهم عند الله. وإذا كان الأمر كذلك، فنور محمدٍ ﷺ كان أظهرَ وأكبر وأعظمَ منهم كُلِّهم؛ وهذا تَنْويهٌ عظيم وتنبيهٌ ظاهرٌ على شَرَفِهِ وعُلُوِّ قَدْره.

= وليس للوارد التيعة وفي حاشية ط: كذا في الأصل، ولعله يريد أنه لا يؤخذ في الصدقة كرائم الأموال. والله أعلم.

(١) لعله يريد معجم الطبراني، وهو في القسم المفقود منه، والشعر ذكره أيضاً ابن الجوزي في الوفا (١/ ٨٤).

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٤٨).

(٣) جامع الترمذي (٣٦٠٩) المناقب باب في فضل النبي ﷺ. وأخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٩) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٣٠).

(٤) لم أجده في دلائل النبوة لأبي نعيم المطبوع من هذا الطريق، وهو فيه (١/ ٤٨) من طريق آخر عن العرباض بن سارية. كما سيأتي وأخرجه الحاكم من طريق العرباض أيضاً (٢/ ٦٠٠).

(٥) هو شيخ للطبراني ذكره في معجمه الصغير (١١٣٤)، ومعجمه الأوسط (٩٤٣٥) و(٩٤٣٦) و(٩٤٣٧) و(٩٤٣٨) و(٩٤٣٩) و(٩٤٤٠) و(٩٤٤١) و(٩٤٤٢) و(٩٤٤٣) و(٩٤٤٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: لا أعرفه (٧/ ١٤٦) (بشار).

(٦) ليس الحديث في دلائل أبي نعيم كما أسلفت في ص (١٠٩ حاشية ٧).

وفي هذا المعنى الحديث الذي قال الإمام أحمد[(١)] : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُويد الكلبي ، عن عبد الله بن هلال السلمي[(٢)] ، عن العِرْباض بن سارية . قال : قال رسول الله ﷺ : « إني عندَ الله لَخاتمُ النبيِّين ، وإنَّ آدم لمُنْجَدِلٌ في طينته ، وسأنبِّئُكم بأوَّل ذلك : دَعْوَةُ أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورُؤْيا أُمي التي رأتْ ، وكذلك أمهات النَّبيِّين[(٣)] يرين » .

ورواه اللَّيث[(٣)] ، وابن وهب ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، وزاد : « إنَّ أُمَّهُ رأتْ حين وضعَتْه نوراً أضاءَتْ منه قصورُ الشام » .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا منصور بن سعد[(٥)] ، عن بُدَيل ، عن عبد الله بن شَقيق، عن مَيْسَرة الفَجْر قال: قلت: يا رسولَ الله، متى كنتَ[(٦)] نبيّاً ؟ قال : « وآدمُ بينَ الرُّوح والجَسد » .

[إسناده جيد أيضاً[(٧)] . وهكذا رواه إبراهيم بن طَهْمان[(٨)] ، وحمَّاد بن زيد وخالد الحذَّاء عن بُدَيل بن مَيْسَرة به .

ورواهُ أبو نعيم[(٩)] عن محمد بن عمر بن سالم[(١٠)] ، عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي ، عن شيبان ، عن الحسن بن دينار[(١١)] ، عن عبد الله بن شقيق[(١٢)] ، عن ميسرة الفَجْر قال : قلت : يا رسول الله

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٢٧) وقد سبق للمؤلف أن ساقه ص(١٠٨) من هذا الجزء ، وهو حديث حسن ، دون قوله : (وكذلك أمهات النبيين يرين) وكانت أمهات المؤمنين والتصحيح من المسند .

(٢) في ط : « عبد الأعلى بن هلال السلمي » محرف ، فهو وإن كان صحيحاً لكنه خطأ لأن الذي في المسند من رواية عبد الرحمن بن مهدي « عبد الله » وهو مما أخطأ فيه عبد الرحمن بن مهدي ، فكتابته على الوجه الصحيح تفسد النص وتخالف الأصل ، وقد علقنا عليه قبل قليل (بشار) .

(٣) انظر ص(١٠٨) من هذا الجزء موضع الحاشية (٦) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٥٩) رقم الحديث (٢٠٤٧٤) .

(٥) في ح ، ط : منصور بن سعيد . والمثبت من المسند والجرح والتعديل (٨/ ١٧٢) وتهذيب المزي (٢٨/ ٥٢٧) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠٧) .

(٦) في المسند : كُتِبْتَ .

(٧) هكذا قال ، ولا أدري لم قال ذلك ، فإسناد الحديث صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابيِّهِ ميسرة الفجر ، وقد ذكره في الصحابة : البخاري ، والبغوي وابن السكن وابن قانع وغيرهم .

(٨) أخرجه ابن سعد (٧/ ٦٠) ، والطحاوي في شرح المشكل (٥٩٧٧) ، وابن قانع (٣/ ١٢٩) ، والحاكم (٢/ ٦٠٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٢٩) وغيرهم .

(٩) ليس في الدلائل وقد ساقه المحقق في مقدمته (ص٢٤ ، ٢٥) .

(١٠) في ط : « أسلم » محرف ، وهو محمد بن عمر بن محمد بن سالم المعروف بابن الجعابي المتوفى سنة ٣٥٥ ، وترجمته في تاريخ الخطيب (٤/ ٤٢ط . الدكتور بشار) .

(١١) في مقدمة الدلائل : الحسن بن زياد . وهو خطأ ، وهو الحسن بن دينار بن واصل ، ورواية شيبان بن فروخ عنه في تهذيب الكمال (١٢/ ٥٩٩) ، وهو كذاب معروف مترجم في الجرح والتعديل (٣/ الترجمة ٣٧) ، والكامل لابن عدي (٢/ ٧١٠) ، وضعفاء العقيلي (١/ ٢٢) ، والميزان للذهبي (١/ ٤٨٧) وغيرها (بشار) .

(١٢) في ط : عبد الله بن سفيان . والمثبت من مقدمة الدلائل ومصادر تخريج الحديث المروية من طريق عبد الله بن شقيق=

متى كنت[١] نبياً ؟ قال : « وآدمُ بين الرُّوح والجسد »][٢] .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه « دلائل النبوة »[٣] : حدّثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدّثنا الحسن بن سفيان ، حدّثنا هشام بن عمار ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، عن خُليد بن دَعْلج ، وسعيد عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ ﴾ [الأحزاب : ٧] قال : « كنتُ أوَّلَ النبيِّين في الخَلْق وآخرَهُمْ في البَعْث »[٤] .

ثم رواه من طريق هشام بن عمَّار ، عن بقيَّة ، عن سعيد بن بَشير[٥] ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله . [وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال مثله][٦] . وهذا أثبت وأصحّ ، والله أعلم .

وهذا إخبارٌ عن التنويه بذكرِهِ في الملأ الأعلى ، وأنَّه معروفٌ بذلك بينهم بأنه خاتمُ النبيِّين ، وآدم لم يُنفخ فيه الرُّوح ، لأنَّ عِلْمَ اللهِ تعالى بذلك سابقٌ قبل خلقِ السمواتِ والأرض لا محالة ، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى . والله أعلم .

وقد أورد أبو نُعيم[٧] من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همَّام ، عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه . « نحنُ الآخِرُون السابقونَ يومَ القيامة[٨] ، المقضي لهم قبل الخلائق ، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتابَ من قَبْلنا ، وأوتيناه من بعدهم » .

وزاد أبو نعيم في آخره : فكان ﷺ آخرَهُمْ في البعث ، وبه خُتمت النبوَّة . وهو السابق يوم القيامة . لأنه أولُ مكتوبٍ في النبوَّة والعَهْد .

ثم قال : ففي هذا الحديث الفضيلةُ لرسولِ الله ﷺ : لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم . ويحتملُ أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم اللهُ ملائكتَهُ ما سبق في علمه وقضائه من بعثتِهِ له في آخر الزمان .

= عن ميسرة .

(١) في مقدمة دلائل أبي نعيم : كتبت .

(٢) ليس ما بين المعقوفين في ح .

(٣) ليس في دلائل النبوة لأبي نعيم المطبوع .

(٤) مضى في ص (١٠٩) من هذا الجزء حيث روي الحديث عن البغوي .

(٥) في ح : يسير ، وفي ط : نسير ، والمثبت من (ص ١٠٩) من هذا الجزء في سياق الحديث عن البغوي وترجمة سعيد بن بشير في تهذيب التهذيب (٤/ ٨ ، ٩) .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في ح .

(٧) في دلائل النبوة (١/ ٤٩) .

(٨) إلى هنا في المطبوع من الدلائل ، وهذا يعزز ما ذهب إليه محقق الدلائل وسيرة ابن كثير من قبل من أن المطبوع من الدلائل هو المختصر .

وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه ولله الحمد .

وروى الحاكم في « مستدركه »[(١)] من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ـ وفيه كلام ـ عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدمُ الخطيئة قال : يا رب ، أسألُكَ بحقِّ محمد إلَّا[(٢)] غفرت لي . فقال الله : يا آدم ، كيف عَرفْتَ محمداً ولم أخلُقْهُ بعد ؟ فقال : يا رب ، لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخْتَ فيَّ من روحك ، رفعتُ رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله . فعلمتُ أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحبَّ الخَلْقِ إليك . فقال الله : صدقتَ يا آدمَ ، إنه لأحبُّ الخَلْقِ إليّ ، وإذ قد سألتني بحقه فقد غفرتُ لك ، ولولا محمد ما خلقتك » .

قال البيهقي : تفرَّد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف[(٣)] ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ٨١ ـ ٨٢] .

قال عليُّ بن أبي طالب وعبدُ الله بن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذَ عليه الميثاق ، لئن بُعث محمدٌ ﷺ وهو حيٌّ ليؤمنَنَّ به ولَينصُرَنَّه ، [وأمرَه أنْ يأخذَ الميثاق على أُمته ، لئن بُعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه][(٤)] .

وهذا تنويهٌ وتنبيهٌ على شرفِهِ وعظمته في سائر المِلَل ، وعلى ألسنة الأنبياء ، وإعلامٌ لهم ومنهم برسالته في آخر الزمان ، وأنه أكرمُ المرسلين وخاتمُ النبيِّين .

وقد أوضح أمره وكشف خبرَه وبيَّن سرَّه[(٥)] ، وجلَّى مجده[(٦)] ومولده وبلده ، إبراهيمُ الخليل في قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] فكان أوَّلُ بيانِ أمرِهِ على الجليَّة والوضوح بين أهلِ الأرض ، على لسان إبراهيم الخليل أكرم الأنبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهماوعلى سائر الأنبياء .

---

(١) مستدرك الحاكم (٢/ ٦١٥) .
(٢) في المستدرك : لما .
(٣) عقَّب عليه الذهبي بقوله قلت : بل موضوع ، وعبد الرحمن واهٍ .
(٤) ما بين المعقوفين مستدرك في هامش ح .
(٥) في ح : مسيره .
(٦) كذا في ط ، وفي ح : وحكى محتده .

ولهذا قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا الفرج ـ يعني ابن فَضَالة ، حدّثنا لقمان بن عامر [قال] : سمعتُ أبا أُمامة قال : قلت : يا نبيَّ الله ، ما كان بَدْءُ أمرِك ؟ قال : « دَعْوَةُ أبي إبراهيم ، وبُشرىٰ عيسى ، ورأتْ أُمي أنَّهُ يخرجُ منها نورٌ أضاءتْ منه قصورُ الشام » .

تفرَّد به الإمام أحمد ، ولم يخرِّجْهُ أحدٌ من أصحاب الكتب الستة[٢] .

وروى الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب المولد ، من طريق بقيَّةَ ، عن صفوان بن عمرو ، عن حُجْر ، عن أبي مريم[٣] أنَّ أعرابياً قال : يا رسول الله ، أيُّ شيءٍ كان أول أمْر نبوتك ؟ فقال : أخذَ اللهُ مني الميثاقَ كما أخذ من النبيِّينَ ميثاقَهم . ورأتْ أمُّ رسولِ الله ﷺ في منامها أنه خرج من بين رجلَيْها سراجٌ أضاءتْ له قصورُ الشام » .

وقال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار[٤] : حدّثني ثَوْر بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدَان ، عن أصحابِ رسولِ الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبِرْنا عن نفسك . قال : « دَعْوةُ أبي إبراهيم ، وبُشْرى عيسى . ورأت أمي حين حملَتْ[٥] كأنَّهُ خرجَ منها نورٌ أضاءَتْ له بُصرى من أرْضِ الشام » .

إسنادُه جيد أيضاً . وفيه بشارةٌ لأهل محلَّتنا ، أرضِ بُصْرى ، وأنها أوّلُ بُقْعَةٍ من أرض الشام خَلَص إليها نورُ النبوَّة ، ولله الحَمْدُ والمِنَّة ؛ ولهذا كانت أولَ مدينةٍ فُتحت من أرض الشام ، وكان فتحُها صُلْحاً في خلافةِ أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ـ كما سيأتي بيانُه ـ وقد قدِمَها رسولُ الله ﷺ مرّتين في صُحبة عَمِّه أبي طالب وهوابن اثنتي عشرة سنةً ، وكانت عندها قصة بَحِيرى الراهب كما بينَّاه ، والثانية ومعه مَيْسرة مولى خديجة في تجارةٍ لها . وبها مَبْرَك الناقةِ التي يقال لها : ناقة رسولِ الله ﷺ بركت عليه ، فأثَرُ ذلك فيها فيما يذكر ، ثم نُقل وبُني عليها مسجدٌ مشهور اليوم . وهي المدينةُ التي أضاءتْ أعناقُ الإبل عندها من نور النار التي خرجتْ من أرض الحجاز سنة أربعٍ وخمسين وستمائة ، وفق ما أخبر به رسولُ الله ﷺ في قوله : « تَخرُجُ نارٌ من أرضِ الحجاز ، تُضيءُ لها أعناق الإبل ببُصْرى » وسيأتي الكلامُ على ذلك في موضعه إنْ شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان[٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٦٢) ، وهو حديث حسن .
(٢) ليست لفظة الستة في ح .
(٣) في ط : مريق، وهو تصحيف، والمثبت من ح، وأبو مريم هو سنان الصحابي. وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٩٨) مطولاً .
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٦) والروض الأنف (١/ ١٨٨) .
(٥) في ط : حبلت .
(٦) انظر حوادث سنة ٦٥٤ من هذا الكتاب .

وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٧] الآية .

قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا إسماعيل ، عن الجُرَيْري ، عن أبي صخر العقيلي[٢] ، حدّثني رجلٌ من الأعراب قال : جلبت جلوبة إلى المدينة في حياةِ رسول الله ﷺ : فلما فرغتُ من بيعي[٣] قلت : لألقيَنَّ هذا الرجل ، فلأسمعنَّ منه . قال : فتلقَّاني بين أبي بكرٍ وعمر يمشون ، فتبعتُهم [في أقفائهم] حتى أتَوْا على رجلٍ من اليهود ، ناشر التوراة يقرؤها ، يُعَزِّي بها نفسه عن ابنٍ له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله[٤] . فقال رسول الله ﷺ : « أنْشُدُك بالذي أنزل التوراة ، هل تجدني في كتابك ، ذا صفتي ومَخْرَجي ؟ » فقال برأسه هكذا ـ أي لا ـ فقال ابنه : إي والذي أنزلَ التوراة إنَّا لَنَجِدُ في كتابنا صفَتَك ومَخْرَجك ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنك رسولُ الله . فقال : « أقيموا اليهوديَّ عن أخيكم » . ثم وَلِيَ جَنَنَهُ[٥] وكَفَنَهُ والصلاة عليه .

هذا إسنادٌ جيِّد ، وله شواهدُ في الصحيح عن أنس بن مالكٍ ، رضي الله عنه .

وقال أبو القاسم البغوي : حدّثنا عبد الواحد بن غياث ، أبو بَحْر ، حدّثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدّثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن الفَلَتان[٦] بن عاصم ، وذكر أن خاله قال : كنتُ جالساً عند النبي ﷺ إذْ شخَصَ بصَرُه إلى رجل ، فإذا يهوديٌّ عليه قميص وسراويل ونعلان ، قال : فجعل النبيُّ ﷺ يكلِّمه وهو يقول : يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : « أتشهدُ أني رسولُ الله » !؟ قال : لا . قال رسول الله ﷺ : أتقرأ التوراة قال : نعم . قال : « أتقرأ الإنْجيل » ؟ قال : نعم . قال : « والقرآن » ؟ قال : لا ، ولو تشاءُ قرأتُه . فقال النبيُّ ﷺ : « فبم تقرأ التوراة والإنجيل ، أتَجِدُني نبيّاً ؟ » قال : إنَّا نَجِدُ نَعْتَكَ ومَخْرَجَك ، فلمَّا خرجتَ رَجَوْنا أنْ تكونَ فينا ، فلما رأيناك عرفناك أنَكَ لَسْتَ به . قال رسولُ الله ﷺ : « ولمَ يا يهوديّ » ؟ قال : إنَّا نجدُه مكتوباً : يدخلُ من أُمَّتِهِ الجنَّةَ سبعونَ ألفاً بغير حساب ، ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤١١) وما يأتي بين معقوفين منه . والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، والحسن بن سفيان في مسنده من طريق سالم بن نوح عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن أبي صخر كما في الإصابة (٤/ ١٠٧).

(٢) ضبط في الكنى لمسلم ص١٣٢ ، بضم العين وفتح القاف ضبط قلم .

(٣) في المسند : بيعتي .

(٤) في ط : وأجملهم والمثبت من ح ومسند أحمد .

(٥) « الجنن » : القبر . واللفظة ساقطة من ط ، والعبارة في المسند « ثم ولي كفنه ، وحنَّطه وصلى عليه » .

(٦) في ط : الصلتان ، وفي ح : الغلتان ، بغين معجمة ، والمثبت من التجريد (٢/ ٨) والإصابة (٣/ ٢٠٩) والتاج (فلت) .

هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه ، ولم يُخَرِّجوه[١] .

وقال محمد بن إسحاق[٢] عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة : قال : أتى رسول الله ﷺ [بيتَ المِدْراس][٣] فقال : « أخْرِجُوا [إليَّ] أعْلَمَكم » فقالوا : عبد الله بن صوريا ، فخلا به رسولُ الله ﷺ ، فناشده بدينه ، وما أنعم الله به عليهم ، وأطعمهم من المَنِّ والسَّلوى ، وظلَّلهم به من الغمام : « أتَعْلَمُني رسولَ الله ﷺ » ؟ قال : اللهمَّ نعم . وإنَّ القومَ ليعرفونَ ما أعرف ، وإنَّ صفتَكَ ونعْتَك لَبيِّنٌ[٤] في التوراة ، ولكنهم حسدوك . قال : « فما يَمْنَعُكَ أنت » ؟ قال : أكره خلافَ قومي ، وعسى أن يتبعوكَ ويُسلموا فأسلم .

وقال سَلَمة بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : كتب رسولُ الله ﷺ إلى يهودِ خَيْبَر :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمدٍ رسولِ الله صاحب موسى ، وأخيه ، والمصدِّق بما جاء به موسى ، ألا إنَّ الله قال لكم : يا معشرَ يَهود وأهلَ التوراة ، إنَّكم تجدونَ ذلك في كتابكم : إنَّ محمداً ﴿ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ [كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾][٥] . وإنِّي أنْشُدُكم بالله ، وبالذي أُنزل عليكم ، وأنشُدكم بالذي أطْعَمَ مَنْ كان قبلَكُم من أسلافكم وأسباطكم المنَّ والسَّلْوَى ، وأنشُدكم بالذي أيبسَ البحرَ لآبائكم حتى أنْجَاكم من فرْعون وعمله ، إلاَّ أخبرتمونا ، هل تجدونَ فيما أنزلَ اللهُ عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإنْ كنتمُ لا تجدون ذلك في كتابكم ، فلا كُرْهَ عليكم ، قد تبيَّنَ الرُّشْدُ من الغَيِّ . وأدعوكم إلى اللهِ تعالى وإلى نبيِّه » ﷺ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يَسَار في كتاب « المبتدأ »[٦] ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن كعب الأحبار .

---

(١) رواه الحسن بن سفيان في مسنده وابن أبي شيبة وابن منده كما في الإصابة (٣/ ٢٠٩) وأخرجه بنحوه الطبراني والبيهقي وابن عساكر عن الفلتان كما في الخصائص للسيوطي (١/ ١٤) .

(٢) كذا في ح ، ولم أجد لمحمد بن إسحاق رواية عن سالم مولى عبد الله بن مطيع في ترجمتهما في تهذيب المزي ، وليس الخبر في سيرة ابن إسحاق أو سيرة ابن هشام ، وهو في الوفا لابن الجوزي (١/ ٥٠) من غير إسناد عن أبي هريرة .

(٣) ما بين معقوفين ساقط من ح ، ط فاستدركته من الوفا لابن الجوزي (١/ ٥٠) . وسيأتي معنى المدراس (ص١٣٦ ح٣) .

(٤) في ط : لمبين .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح وفيها لفظ : الآية ، وهي من سورة الفتح الآية (٢٩) .

(٦) لم أجده في سيرة ابن إسحاق المطبوع ، وهو بنحوه في دلائل النبوة لأبي نعيم عن أحمد بن السندي ثنا الحسن بن علويه ثنا إسماعيل بن عيسى قال : ثنا إسحاق بن بشر قال : ثنا سعيد بن بشير ، به .

وروى غيره[١] عن وهْب بن مُنَبِّه ، أنَّ بختنَصَّر بعد أنْ خرَّب بيتَ المَقْدِس ، واستذَلَّ بني إسرائيل بسبع سنين رأى في المنام رؤيا عظيمةً هالَتْه ، فجمع الكَهَنة والحُزَّار ، وسألهم عن رؤياه تلك . فقالوا ليقصَّها الملكُ حتى نخبرَهُ بتأويلها . فقال : إني أنسيتُها . وإنْ لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلتُكمْ عن آخركم . فذهبوا خائفين وَجِلين من وعيده . فسمع بذلك دانيالُ عليه السلام وهو في سجنه ، فقال للسَّجَّان : اذهبْ إليه فقل له : إنَّ هاهنا رجلاً عنده عِلْمُ رؤياك وتأويلُها . فذهب إليه ، فأعلمه ، فطلبه ، فلما دخل عليه لم يسجُدْ له ، فقال له : ما منعك من السجود لي ؟ فقال : إنَّ الله آتاني علماً وعلَّمني ، وأمرني أنْ لا أسجدَ لغيره . فقال له بختنَصَّر : إني أُحبُّ الذين يوفون لأربابهم بالعهود ، فأخبرْني عن رؤياي . قال له دانيال : رأيتَ صنماً عظيماً ، رِجْلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ووسطه من فضَّة ، وأسفله من نُحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخَّار ، فبينا أنتَ تنظر إليه ، قد أعجبك حسنُه وإحكامُ صنعتِه ، قذَفَهُ الله بحجرٍ من السماء ، فوقع على قِمَّة رأسهِ حتى طحنه ، واختلط ذهَبُه وفضَّته ، ونحاسه وحديده وفخَّاره ، حتى تخيَّل لك أنَّه لو اجتمع الإنس والجنُّ على أن يميزُوا بعضَهُ من بعض ، لم يقدروا على ذلك ؛ ونظرتَ إلى الحجر الذي قُذف به ، يَرْبُو ويَعْظُم وينتشر ، حتى ملأ الأرض كلَّها ، فصرتَ لا ترى إلا الحجر والسماء .

فقال له بختنَصَّر : صدقت ! هذه الرُّؤيا التي رأيتُها ، فما تأويلها ؟ فقال دانيال : أما الصنم فأُمَمٌ مختلفةٌ في أوَّل الزمان وفي وسطه وفي آخره ؛ وأما الحجَرُ الذي قُذف به الصنم فدِينٌ يَقْذِفُ الله به هذه الأممَ في آخر الزمان ، فيظهرَهُ عليها ، فَيَبْعَثُ اللهُ نبيّاً أُمِّيًّا من العرب ، فيدوِّخ به الأمم والأديان ، كما رأيتَ الحجرَ دوَّخ أصنافَ الصنم ، ويظهر على الأديانِ والأمم ، كما رأيتَ الحجر ظهر على الأرض كلِّها ؛ فيمحِّص الله به الحق ، ويُزْهقُ به الباطل ، ويَهْدي به أهلَ الضلالة ، ويعلِّم به الأمِّيِّين ، ويقوِّي به الضَّعَفة ، ويُعِزُّ به الأذلَّة ، وينصر به المستضعفين .

وذكر تمامَ القصة في إطلاق بختنَصَّر بني إسرائيل على يدي دانيال عليه السلام .

وذكر الواقدي بأسانيده عن المغيرة بن شعبة في قصة وفوده على المقوقس ملك الاسكندرية وسؤاله له عن صفات رسول الله ﷺ قريباً من سؤال هرقل لأبي سفيان صخر بن حرب ، وذكر أنه سأل أساقفة النصارى في الكنائس عن صفة رسول الله ﷺ وأخبروه عن ذلك ، وهي قصة طويلة ذكرها الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »[٢] .

وثبت في « الصحيح » أنَّ رسولَ الله مرَّ بمِدْرَاسِ[٣] اليهود فقال لهم : « يا معشر يَهُود ، أسلموا ، فوالذي نفسي بيده ، إنَّكم لتَجِدُون صفتي في كُتبكم . . . » الحديث .

(١) تاريخ الطبري (١/ ٥٥٤) .
(٢) دلائل أبي نعيم (١/ ٨٥) .
(٣) « المِدْراس » : بكسر أوله ، هو البيت الذي يدرس فيه اليهود كتابهم . فتح الباري (٦/ ٢٧١) .

وقال الإمام أحمد[١] : حدّثنا موسى بن داود ، حدّثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار قال : لَقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفات رسول الله ﷺ في التوراة . فقال : أجَلْ ، والله إنَّه لموصوفٌ في التوراة بصفته في القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] وحِرْزاً للأُميِّين ، أنت عَبْدي ورسولي ، سمَّيْتُكَ المُتوكِّل ، لستَ بفظٍّ ولا غَليظ[٢] ، ولا سَخَّابٍ بالأسواق[٣] ، ولا يدفعُ بالسَّيِّئةِ السيئة ، ولكنْ يعفو ويغفر ، ولن يَقْبِضَهُ اللهُ حتى يُقيموا المِلّة[٤] العَوْجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، يفتح به أعيُناً عُمْياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلْفاً .

ورواهُ البخاري[٥] عن محمد بن سِنان العَوَقي ، عن فُلَيح به . ورواه أيضاً[٦] عن عبد الله ـ قيل ابن رجاء ، وقيل ابن صالح[٧] ـ عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن علي[٨] ، ولفظه قريبٌ من هذا وفيه زيادة .

ورواه ابن جرير[٩] من حديث فُليح ، عن هلال ، عن عطاء ، وزاد : قال عطاء : فَلَقِيتُ كعباً فسألته عن ذلك ، فما اختلف حرفاً .

وقال في البيوع[١٠] : وقال سعيد عن هلال ، عن عطاء ، عن عبد الله بن سَلام .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي[١١] : أخبرناه أبو الحسين بن الفَضْل القطّان ، حدّثنا عبد الله بن جعفر ، حدّثنا يعقوب بن سفيان[١٢] ، حدّثنا أبو صالح ، حدّثنا الليث ، حدّثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٧٤) .

(٢) في ح ، ط : لا فظ ولا غليظ ، والمثبت من مسند الإمام أحمد ، وهو حديث صحيح .

(٣) في ط : ولا صخاب في الأسواق ، والمثبت من ح ومسند الإمام أحمد . والسخَّاب من السخب ، وهو رفع الصوت بالخصام ، ويقال بالصاد المهملة بدل السين . فتح الباري (٤/ ٣٤٣) .

(٤) كذا في ح ، ط : وفي المسند : حتى يقيم به الملة العوجاء . قال ابن حجر في الفتح : العوجاء : أي ملة العرب ، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام ، والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان .

(٥) فتح الباري (٢١٢٥) البيوع باب كراهية السَّخَب في الأسواق .

(٦) في فتح الباري (٤٨٣٨) التفسير باب إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . ومعلقاً ومسنداً ، وانظر فتح الباري (٤/ ٣٤٣) و(٨/ ٥٨٥) .

(٧) في فتح الباري : عبد الله بن مسلمة القعنبي ، وقال : كذا رواية أبي بكر وأبي علي بن السكن ، ووقع عند غيرهما « عبد الله » غير منسوب فتردد فيه أبو مسعود بين أن يكون ابن رجاء وابن صالح كاتب الليث . فتح الباري (٨/ ٥٨٥).

(٨) في ح ، ط : علويه ، والمثبت من البخاري وترجمته في تهذيب التهذيب (١١/ ٨٢) .

(٩) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٨٣) في تفسير الآية (١٥٧) من سورة الأعراف . والحديث من الطريق المذكور مع الزيادة المشار إليها موجودة في الطبقات (١/ ٣٦٢) .

(١٠) يعني البخاري في كتاب البيوع ، فتح الباري (٤/ ٣٤٣) .

(١١) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٧٦) .

(١٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٧٤) وهو في قسم النصوص المقتبسة من المجلد المفقود منه .

أبي هلال [عن هلال][١] بن أسامة ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن سَلام أنَّهُ كان يقول : إنَّا لنَجدُ صفةَ رسولِ الله ﷺ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] وحِرْزاً للأمِّيِّين ، أنت عَبْدِي ورسولي ، سمَّيْته المتوكِّل ، ليس بفظٍّ ولا غليظ ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، ولا يَجْزي السَّيئة مثْلَها ، ولكنْ يعفو ويتجاوز ، ولن يَقْبِضَهُ حتى يُقيم به المِلَّة العَوْجاء بأنْ يشهدوا أنْ لا إله إلا الله ، يفتح به أعْيُناً عُمْياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلْفاً .

وقال عطاء بن يسار : وأخبرني الليثي أنه سمع كعبَ الأحْبار يقولُ مثل ما قال ابنُ سلام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سَلام أشبه ، ولكنَّ الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان قد وجد يوم اليرموك زاملتَيْن من كُتب أهل الكتاب[٢] ، وكان يحدِّثُ عنهما كثيراً ؛ وليُعْلَمْ أنَّ كثيراً من السلف كانوا يُطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب ، فهي عندهم أعمُّ من التي أنزلها الله على موسى ، وقد ثبت شاهدُ ذلك من الحديث .

وقال يونس عن محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني محمد بن ثابت بن شُرَحبيل ، عن أم الدرداء[٤] قالت : قلت لكعب الأحبار : كيف تجدونَ صفةَ رسولِ الله ﷺ في التوراة ؟ قال : نجدُهُ محمد رسول الله ، اسمُهُ المتوكِّل ، ليس بفَظٍّ ولا غَليظ ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، وأُعطي المفاتيح ، فَيُبَصِّر الله به أعْيُناً عُوراً ، ويُسمع بهِ آذاناً وُقْراً ، ويُقيم به أَلْسُناً مُعْوجَّة ، حتى يشهدوا[٥] أنْ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شريكَ له ، يُعين به المظلوم ويمنعه .

وقد رُوي عن كعب من غير هذا الوجه[٦] .

وروى البيهقيُّ[٧] عن الحاكم ، عن أبي الوليد الفقيه ، عن الحسن بن سفيان ، حدّثنا عُقْبة[٨] بن مُكْرَم ، حدّثنا أبو قَطَن عمرو بن الهيثم ، حدّثنا حمزةُ الزيّات ، عن سُليمان الأعمش ، عن علي بن

---

(١) ما بين معقوفين من دلائل أبي نعيم (١/ ٣٧٦) وترجمة هلال بن علي بن أسامة في تهذيب التهذيب (١١/ ٨٢) .
(٢) في ذلك أقوال مضت في الجزء الأول في قصة شعيب من هذا الكتاب والصفحة (٩٥) من هذا الجزء .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٧٦ ، ٣٧٧) .
(٤) في ط : عن ابن أبي أوفى عن أم الدرداء ، وليست هذه الزيادة في ح أو دلائل البيهقي .
(٥) في دلائل البيهقي : يُشْهَد .
(٦) هذه الرواية في طبقات ابن سعد (١/ ٣٦٠) .
(٧) في دلائل النبوة (١/ ٣٨١) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٨) قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . قال بشار : هكذا قال الحاكم ولا يصح كلامه البتة ، فعقبة بن مكرم الذي روى عنه الحسن بن سفيان لم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة فضلاً عن مسلم ، وهو عقبة بن مكرم بن عقبة بن مكرم الضبي الهلالي الكوفي ، وقد ذكره المزي في التهذيب تمييزاً (٢٠/ ٢٢٦) له عن عقبة بن مكرم بن أفلح الصمي البصري (٢٠/ ٢٢٣) ، وهو الذي أخطأ فيه الحاكم فظنه هو الراوي عن الحسن بن سفيان مع أن نسبه ضبيباً .
(٨) في ح ، ط : عتبة ، وهو تصحيف ، والمثبت من الدلائل وتهذيب المزي (٢٠/ ٢٢٦) .

مُدْرك ، عن أبي زُرْعة ، عن أبي هريرة : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص : ٤٦] قال : نُودوا : يا أمَّةَ محمد ، استجَبْتُ لكُمْ قبلَ أنْ تدعُوني ، وأعطيتكُم قبل أنْ تسألوني .

وذكر وَهْبُ بن مُنَبِّه[١] أنَّ الله تعالى أوحى إلى داود في الزَّبُور : يا داود إنَّهُ سيأتي من بَعْدِك نبيٌّ اسْمُه أحمد ومحمد[٢] ، صادقاً سيِّداً ، لا أغضَبُ عليه أبداً ، ولا يعصيني[٣] أبداً ، وقد غفرتُ له قبلَ أن يعصِيَني ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّر ، وأمَّتُه مَرْحُومة ، أعطيتُهم من النوافِل مثلَ ما أعْطيتُ الأنبياء ، وفرضْتُ عليهم الفرائضَ التي افترضتُ على الأنبياءِ والرُّسُل ، حتى يأتوني يومَ القيامةِ ونورهُمْ مِثْلُ نورِ الأنبياء .

إلى أن قال : يا داود ، إني فضَّلْتُ محمداً وأُمَّتَه على الأمم كلها .

والعِلْمُ بأنه موجودٌ في كُتب أهل الكتاب مَعْلُومٌ من الدِّين ضَرُورةً ، وقد دلَّ على ذلك آياتٌ كثيرة في الكتاب العزيز تكلَّمنا عليها في مواضعها ولله الحمد .

فمن ذلك قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٢ ـ ٥٣] . وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧ ـ ١٠٨] . أي إنْ كان وَعدنا ربُّنا بوجودِ محمدٍ وإرساله لكائنٌ لا محالة ؛ فسبحان القدير على ما يشاء لا يُعجزُه شيء .

وقال تعالى إخباراً عن القِسِّيسينَ والرُّهْبان : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة : ٨٣] . وفي قصَّة النَّجاشي وسَلْمان وعبد الله بن سَلام وغيرِهم كما سيأتي شواهدُ كثيرةٌ لهذا المَعْنى ولله الحَمْدُ والمِنَّة .

وذكَرْنا في تضاعيف قصص الأنبياء ما تقدَّم الإشارة إليه من وصْفِهم لبعثةِ رسولِ الله ﷺ ونَعْته ، وبلد مولده ودار مُهاجَرِه ، ونعت أُمَّتِه في قصة موسى وشعيا وأرميا ودانيال وغيرهم ، وقد أخبر اللهُ تعالى عن آخر أنبياءِ بني إسرائيل وخاتمهم عيسى ابن مريم ، أنه قام في بني إسرائيل خَطيباً قائلاً لهم : ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] . وفي الإنجيل البِشارة بالفارقليط[٤] والمرادُ به محمد ﷺ .

---

(١) دلائل البيهقي (١/ ٣٨٠) .

(٢) كذا في ح ، ط ، وفي دلائل البيهقي : يسمى أحمد ومحمداً .

(٣) في ط : ولا يغضبني ، والمثبت من ح .

(٤) ويقال بالباء : البارقليط ، وهي رواية ح .

وروى البيهقي[١] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بُكير ، عن يونس بن عمرو ، عن العَيْزَار بن حُرَيث[٢] ، عن عائشةَ رضي الله عنها ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَكْتوبٌ في الإنجيل : لا فظٌّ ولا غَليظ ، ولا سَخَّابٌ في الأسواق ، ولا يَجْزي بالسيِّئةِ مِثْلَها ، بل يَعْفُو ويَصْفَح » .

وقال يعقوب بن سفيان[٣] : حدّثنا فيض البَجَلي ، حدّثنا سَلام بن مِسْكين ، عن مقاتل بن حَيَّان قال : أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى عيسى ابن مريم : جِدَّ في أمْري ، واسمع وأطِعْ يا بن الطاهر[٤] البِكْر البَتُول ، أنا خلقتُكَ من غير فَحْل فجعلتك آيةً للعالمين ؛ فإيَّاي فاعبُدْ ، فبين لأهل سوران بالسُّرْيانية ، بَلِّغْ من بين يديك أني أنا الحقُّ القائم الذي لا يزول[٥] ، صدِّقوا بالنبيِّ الأُمِّيِّ العربي ، صاحب الجمل والمِدْرَعة والعمامة ـ وهي التاج ـ والنعلَيْنِ والهِرَاوة ـ وهي القضيب ـ الجَعْدِ الرأس ، الصَّلْتِ الجبين[٦] ، المَقْرُونِ الحاجبيْن ، الأَنْجَلِ العينَيْن ، الأهدبِ الأشفار[٧] ، الأدعج العينين[٨] ، الأقْنَى الأنف[٩] ، الواضح الخدَّين ، الكثِّ اللِّحْية ، عَرَقُهُ في وَجْهه كاللُّؤْلُؤ ، ريح المسكَ يَنْفَحُ[١٠] منه ، كأنَّ عُنُقَهُ إبْريقُ فِضَّة ، وكأنَّ الذهب يَجْري في تَرَاقيه ، له شَعَراتٌ من لَبَّتِهِ إلى سُرَّته ، تجري كالقَضيب ، ليس في بطنه شَعَرٌ غيره ، شَثْن الكَفِّ والقَدَم[١١] ، إذا جاء مع الناس غمَرَهُم ، وإذا مشى كأنما يتقلَّعُ[١٢] من الصخر ويتحدَّر من صَبَب ، ذو النسل القليل ـ وكأنَّهُ أرادَ الذكورَ من صُلْبِه .

هكذا رواهُ البيهقي في « دلائل النبوَّة » من طريق يعقوب بن سفيان[١٣] .

---

(١) في دلائل النبوة (١/ ٣٧٧) .

(٢) في ح ، ط : حرب ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٠٣) في ترجمته والتقريب .

(٣) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٧٥) وهو في قسم النصوص المقتبسة من المجلد المفقود منه .

(٤) في ط : الطاهرة . جاء في اللسان (طهر) : والمرأة طاهِرٌ من الحيض وطاهرةٌ من النجاسة ومن العيوب .

(٥) في ط : أزول .

(٦) « الصلت الجبين » : الواسع الجبين ، الأبيض الجبين الواضح . التاج (صلت) .

(٧) « الأهدب الأشفار » : أي طويل شعر الأجفان . التاج (هدب) .

(٨) « الأدعج العينين » : يريد أن سواد عينيه كان شديد السواد ، وقيل : إن الدَّعج عنده : سواد العين مع شدة بياضها . التاج (دعج) .

(٩) « من القنى » : وهو ارتفاع في أعلى الأنف ، واحديداب في وسطه ، وسُبوغ في طرفه اللسان (قنا) .

(١٠) « نفَحَ الطِّيبُ » : إذا أرِجَ وفاح . التاج (نفح) وفي ط : ينضح ، ومعناه بنحوه .

(١١) أي أنهما تميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو الذي في أنامله غِلَظٌ بلا قصر ، ويُحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم . اللسان (شثن) .

(١٢) في ح ، ط : ينقلع ، والمثبت من دلائل النبوة ومختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٢/ ٤٦) .

(١٣) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٧٨) .

وروى البيهقيُّ[(١)] عن عمر[(٢)] بن الحكم بن رافع بن سِنَان، حدّثني بعض عمومتي وآبائي، أنهم كانتْ عندهم ورقةٌ يتوارثونها في الجاهلية، حتى جاء الله بالإسلام، وهي[(٣)] عندهم، فلما قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة ذكروها له، وأتوه بها مكتوبٌ فيها: بسم الله وقولُه الحق، وقولُ الظالمين في تباب. هذا الذِّكْر لأُمَّةٍ تأتي في آخرِ الزمان يغسلُون[(٤)] أطرافَهم، ويَأْتَزِرُون[(٥)] على أوساطهم، ويخوضون البحور إلى أعدائهم، فيهم صلاةٌ لوكانت في قوم نوحٍ ما أُهلكوا بالطُّوفان، وفي عادٍ ما أهلكوا بالرِّيح، وفي ثَمُودَ ما أُهلكوا بالصَّيْحَة. بسم الله، وقولُه الحَق، وقولُ الظالمين في تباب. ثم ذكرَ قصةً أخرى، قال: فعجب رسولُ الله ﷺ لما قُرئت عليه، لمَا فيها.

وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الأعراف[(٦)]: ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] قصةَ هشام بن العاص الأموي حين بعثَهُ الصديق، في سريةٍ إلى هِرَقْل يدعوهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، فذكر أنَّهُ أخرج لهم صُوَرَ الأنبياء في رُقعة، من آدم إلى محمدٍ صلواتُ الله عليه وسلامُه عليهم أجمعين، على النَّعْتِ والشَّكْلِ الذي كانوا عليه؛ ثم ذكر أنه لما أخرج صورةَ رسولِ الله ﷺ قام قائماً إكراماً له، ثم جلس وجعل ينظرُ إليها ويتأمَّلُها؛ قال: فقلنا له: من أين لك هذه الصورة؟ فقال: إنَّ آدمَ سأل ربَّهُ أن يُريَهُ الأنبياءَ من ذريته، فأنزل عليه صورَهم، فكان في خزانةِ آدم عليه السلام عند مَغْرِب الشمس، فاستخرجها ذو القرنين، فدفعها إلى دانيال. ثم قال: أما والله إنَّ نفسي قد طابتْ بالخروج من مُلْكي وأني كنتُ عبداً لأشَرِّكُمْ مَلَكَةً[(٧)] حتى أموت. ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرَّحَنا. فلما أتينا أبا بكرٍ الصِّدِّيق فحدثْناه بما رأينا وما أجازنا وما قال لنا، قال: فبكى وقال: مسكين لو أراد اللهُ به خيراً لفعل. ثم قال: أخبرنا رسولُ الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نَعْتَ محمدٍ عندهم.

رواهُ الحاكمُ بطوله فَلْيُكْتَب هاهنا من التفسير. ورواه البيهقي في دلائل النبوة[(٨)].

---

(١) في دلائل النبوة (١/ ٣٨٢).

(٢) في ح، ط: عثمان بن الحكم بن رافع، وهو تصحيف، والمثبت من دلائل البيهقي وتهذيب التهذيب في ترجمته (٧/ ٤٣٦، ٤٣٧).

(٣) في ط: وبقيت عندهم، والمثبت من ح ودلائل البيهقي.

(٤) في ط: ليبلون، وفي ح: يسلون، وفي دلائل البيهقي: يسبلون، والمثبت من الوفا لابن الجوزي.

(٥) في ح، ط: ويوترون، والمثبت من دلائل البيهقي والوفا.

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٣) في تفسير الآية.

(٧) يقال: فلان حَسَنُ المَلَكة، إذا كان حَسَن الصنيع إلى مماليكه، ومنه الحديث: «لا يدخل الجنة سيِّئ الملكة» وهو حديث ضعيف أي الذي يُسيء صُحْبَة المماليك. النهاية (٤/ ٣٥٨) (ملك).

(٨) دلائل النبوة (١/ ٣٨٥ ـ ٣٩٠) وقال ابن كثير بعد ذكر الخبر في تفسيره (٢/ ٢٥٣) وهكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة عن الحاكم إجازة، فذكره، وإسناده لا بأس به.

وقال الأموي[١] : حدّثنا عبد الله بن زياد ، عن ابن إسحاق قال : وحدّثني يعقوب بن عبد الله بن جعفر [بن عمرو][٢] بن أمية ، عن أبيه ، عن جدّه عمرو بن أمية قال : قدِمتُ برقيقٍ من عند النجاشي أعطانيهم فقالوا لي : يا عمرو لو رأينا رسولَ اللهِ لعرفناهُ من غير أن تُخْبِرَنا . فمرَّ أبو بكر فقلت : أهو هذا ؟ قالوا : لا . فمرَّ عمر فقلت : أهو هذا ؟ قالوا : لا ، فدخلنا الدار ، فمرَّ رسولُ الله ﷺ فنادَوْني : يا عمرو ، هذا رسولُ الله ﷺ فنظرت ، فإذا هو هو من غير أنْ يُخبرَهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم .

وقد تقدَّم إنذارُ سَبَأٍ لقومِهِ ، وبشارتُهُ لهم بوجودِ رسولِ الله ﷺ في شعرٍ أسلفناه في ترجمته[٣] فأغنى عن إعادته ، وتقدَّم قولُ الحبرَيْن من اليهود لِتُبَّعٍ اليَماني حين حاصَرَ أهلَ المدينة : إنها مُهَاجَرُ نبيٍّ يكونُ في آخر الزمان ، فرجع عنها ونظم شعراً يتضمن السلام على النبي ﷺ[٤] .

قصَّةُ سَيْفِ بنِ ذي يَزَن الحِمْيَرِي وبشارتُه بالنبيِّ الأمِّيّ

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه « هواتف الجِنَّان »[٥] : حدّثنا علي ابن حرب، حدّثنا أحمد بن عثمان بن حكيم[٦] ، حدّثنا عمرو بن بكر[٧] ـ هو ابن بكار القَعْنَبي ـ عن أحمد ابن القاسم عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن عبد الله بن عباس قال : لما ظهر سَيْفُ بن ذي يَزَن ـ قال أبو المنذر[٨] : واسمه النعمان بن قيس ـ على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسولِ الله ﷺ بسنتين أتته وفودُ العرب وشعراؤها تهنِّئُه وتمدحه ، وتذكر ما كان من حُسْن بلائه ، وأتاه فيمن أتاه وفود قريش ، فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله بن جُدْعان ، وخُويلد بن أسَد ،

---

(١) انظر ص(٦٠) من هذا الجزء ح١ .
(٢) ليس ما بين المعقوفين في ح وهو من ط .
(٣) انظر في الجزء الثاني من هذا الكتاب .
(٤) انظر في الشعر المشار إليه في الجزء الثاني عند قصة ربيعة بن نصر من هذا الكتاب .
(٥) في ح ، ط : هواتف الجان وما أثبته هو الاسم الصحيح كما سبقت الإشارة إليه (ص٤٤ ح٥) ، والنص هنا منقول منه (ص١٨٨) وما يأتي بين معقوفين منه ، وساق الخبر أيضاً أبو الفرج في الأغاني (١٧/ ٣١١) وما بعدها (ط دارالكتب) وابن عساكر مختصر ابن منظور (٢/ ٥٧ ـ ٦١) وابن الجوزي في الوفا (١/ ١٢٥ ـ ١٢٨) .
(٦) في هواتف الجنان : حدثنا عثمان بن حكيم .
(٧) في دلائل أبي نعيم : عمرو بن بكير ، ولم أقف على ترجمة له . وسيأتي بهذا اللفظ في الصفحة (١٤٥) في موضع الحاشية (١٢) .
(٨) في ح ، ط : ابن المنذر تصحيف ، والمثبت من الهواتف ، وهو هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وقوله هذا في نسب معد (٢/ ٥٤٥) .

في أناسٍ من وجوه قريش ، فقدِمُوا عليه صنعاء ، فإذا هو في رأسِ غُمْدان[١] الذي ذكره أمية بن أبي الصَّلْت : [من الطويل]

واشْرَبْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفقاً في رأسِ غُمدانَ داراً منك مِحْلالاً[٢]

فدخل عليه الآذن ، فأخبره بمكانهم ، فأذِن لهم ، فدنا عبد المطلب ، فاستأذنه في الكلام ، فقال له : إنْ كنتَ ممن يتكلَّم بين يدي [الملوك] فقد أذِنَّا لك . فقال له عبد المطلب : إنَّ الله قد أحلَّك أيها الملك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذِخاً ، وأنبتك مَنْبتاً طابتْ أَرُومَتُه ، وعزَّت جُرْثُومَتُه[٣] ، وثبت أصله ، وبَسَق فَرْعُه في أكرم موطن ، وأطيب مَعْدِن ، فأنتَ - أبيتَ اللَّعْن[٤] - ملكُ العرب ، وربيعها الذي تُخصب به البلاد ، ورأس العرب الذي له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومَعْقِلُها الذي يلجأ إليه العباد . سَلَفُكَ خير سلف ، وأنت لنا منهم خَيْرُ خَلَف ، فلن يَخْمُلَ[٥] مَنْ هم سَلَفُه ، ولن يَهْلِكَ من أنت خَلَفُه ؛ ونحن أيها الملك أهلُ حَرَم ، وَسَدَنَةُ بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشفك الكَرْبَ الذي فدَحَنا ، [فنحن] وَفْدُ التهنئة لا وفد المَرْزِئة[٦] .

قال : وأيُّهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . قال : ادْنُ . فأدناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال : مرحباً وأهلاً ، وناقة ورَحْلاً ، ومُستناخاً سهلاً ، وَمَلْكاً رِبَحْلاً[٧] يُعطي عطاءً جَزْلاً . قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهلُ الليل والنهار ، ولكم الكرامةُ ما أقمتم ، والحِبَاءُ[٨] إذا ظعنتم . ثم أُنهضوا إلى دارِ الكرامة والوفود ، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ولا يأذنُ لهم بالانصراف ، ثمّ انتبه لهم انتباهة ، فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلِسَه وأخلاه ثم قال : يا عبد المطلب ، إني مفضٍ[٩] إليك من سِرِّ عِلْمي ، ما إنْ لو يكون غيرك

---

(١) « غمدان » : قصر في صنعاء ، بناه ليشرح بن يحصب ، وقيل : بناه سليمان بن داود عليهما السلام ، وفي معجم البلدان (٤/ ٢١٠) وصف لهذا القصر .
(٢) البيت في ديوان أمية من قصيدة له (ص٤٥٨) والمحلال : التي يكثر فيها الحلول والإقامة .
(٣) « الجرثومة » : الأصل ، وكذلك الأرومة . اللسان (أرم ، جرثم) .
(٤) « أبيت اللعن » : كلمة كانت العرب تحيي بها ملوكها في الجاهلية ؛ معناه : أبيت أيها الملك أن تأتي ما تُلعن عليه . اللسان (لعن) .
(٥) في ح ، ط : يخمد ، والمثبت من هواتف الجنان .
(٦) « المرزئة » : المصيبة . اللسان (رزأ) .
(٧) « الملك الربحل » : الكثير العطاء . اللسان (ربحل) . وعبارة ح : مرحباً وأهلاً وسهلاً وناقة ورحلاً ، ومستناخاً وملكاً ربحلاً ، والمثبت من هواتف الجنان وط .
(٨) « الحِباء » : العطاء بلا مَنّ ولا جزاء . اللسان (حبو) .
(٩) في ح : مفوض ، وكذا في هواتف الجنان .

لم أبُحْ به ، ولكني رأيتك مَعْدِنَه ، فأطلعتكَ طَلِيعَه[١] ، فلْيكن عندك مطويّاً حتى يأذَنَ الله فيه ، فإنَّ الله بالغُ أمره ، إني أجد في الكتاب المكنون ، والعِلْم المخزونِ الذي اخترناه لأنفسنا واحتجنَّاهُ دونَ غيرنا خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس عامّةً ، ولرَهْطك كافةً ولك خاصة . فقال عبد المطلب : أيها الملك ، مثلك سَرَّ وبَرَّ ، فما هو فداؤك أهل الوبَر . زمراً بعد زُمَر ؟ قال : إذا ولد مولودٌ بتهامة ، غلامٌ بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزَّعامة إلى يوم القيامة . قال عبد المطلب : أبيتَ اللَّعَن ، لقد أُبْتُ بخير ما آبَ به وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته[٢] إياي ما أزدادُ به سروراً .

قال ابنُ ذي يَزَن : هذا حِينه الذي يولد فيه ، أو قد وُلد ، واسمه محمد ، يموت أبوه وأمُّه ، ويكفله جدُّه وعَمُّه . وَلَّدناه مراراً ، واللهُ باعثُه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً يُعِزُّ بهم أولياءَه ، ويُذِل بهم أعداءَه ، يضربُ بهم الناس عن عُرْض ، ويستبيحُ بهم كرائمَ الأرض ، يكسر الأوثان ، ويُخمِد النيران ، يعبد الرحمن، ويَدْحَر الشيطان، قوله فَصْل، وحكمه عَدْل، يأمر بالمعروف ويفعَلُه، وينهى عن المنكر ويُبطله. فقال عبد المطلب : أيها الملك عزَّ جدُّك وعلا كَعْبُك ، ودام ملكك، وطال عمرك؛ فهل الملكُ سارِّي[٣] بإفصاح ، فقد وضح لي بعض الإيضاح ؟ فقال ابن ذي يَزَن : والبيتِ ذي الحُجُب ، والعلاماتِ على النُّصُب[٤] ، إنك يا عبد المطلب ، لجَدُّه غير كذِب . فخرَّ عبد المطلب ساجداً ، فقال : ارفَعْ رأسَك ، ثَلَج صَدْرُك ، وعلا أمْرُكَ ، فقد أحسستَ شيئاً مما ذكرتُ لك . فقال : أيها الملك ، كان لي ابن ، وكنتُ به مُعْجَباً ، وعليه رفيقاً ، فزوّجته كريمةً من كرائم قومه ، آمنةَ بنت وَهْب ، فجاءتْ بغلام سمَّيْتُه محمداً ، فمات أبوه وأمُّه ، وكفَلْتُهُ أنا وعَمُّه . قال ابنُ ذي يَزَن : إنَّ الذي قلتُ لك كما قلت ، فاحتفظْ بابنك واحذَرْ عليه اليهود ، فإنهم له أعداءٌ ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، واطوِ ما ذكرتُ لك دون هؤلاء الرَّهْطِ الذين معك ، فإني لستُ آمَنُ أن تدخل لهم[٥] النَّفَاسَةُ من أن تكون لهم[٦] الرياسة ، فيطلبون له

---

(١) كذا في ح ، ط وهواتف الجنان ، وفي النهاية (٣/ ١٣٣) واللسان (طلع) : أطلعتك طِلْعَه ؛ أي : أعلمتُكَه ، الطِلْع بالكسر : اسم من اطلع على الشيء إذا علمه .

(٢) كذا في ط وفي ح : اساره . وفي هواتف الجنان والوفا : ساره ، وأظن الصواب : مُسَارَّتِهِ .

(٣) العبارة في ط هكذا : فهذا نجارى فهل الملك سار لي بإفصاح فقد أوضح . . . وفي ح هكذا : فهذا ساري بإفصاح فقد وضح ، والمثبت من هواتف الجنان والوفا لابن الجوزي وسارِّي : من سارَّه في أذنه مسارَّةً : إذا ناجاه وأعلمه بسرِّه . اللسان (سرر) .

(٤) في ح ، ط وهواتف الجنان : النقب ، والمثبت من الوفا لابن الجوزي ، ومختصر ابن منظور ، والنصب : جمع نصيبة ، وهي علامة تنصب للقوم . التاج (نصب) .

(٥) في ح : يدخل لهم ، وفي هواتف الجنان : تدخلهم .

(٦) في ط : لكم ، والمثبت من ح وهواتف الجنان .

الغوائل[١] ، وينصِبونَ له الحَبَائل ، فهم فاعلونَ أو أبناؤهم ، ولولا أني أعلم أنَّ الموت مجتاحي قَبْلَ مَبْعَثِه ، لسرتُ بخيلي ورَجِلي حتى أصيِّرَ يَثْربَ دارَ مُلْكي[٢] ، فإني أجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أنَّ بيثرب اسْتِحْكامَ أمْرِه ، وأهْلَ نصرته ، ومَوْضعَ قبره ؛ ولولا أني أقيهِ الآفات ، وأحْذَرُ عليه العاهات لأعلنتُ على حداثة سِنِّهِ أمْرَه ، ولأوطأتُ أسنانَ العرب عَقِبَه ، ولكني صارفٌ ذلك إليك ، من[٣] غير تقصيرٍ بمن معك . قال : ثم أمر لكلِّ رجلٍ منهم بعشرة أعْبُد وعشر إماءٍ وبمئةٍ من الإبل ، وحُلَّتين من البرود ، وبخمسةِ أرطالٍ من الذهب ، وعشرةِ أرطالِ فضَّة وكَرِشٍ مملوءٍ[٤] عَنْبَراً ، وأمَرَ لعبد المطلب بعشرةِ أضعافِ ذلك وقال له : إذا حالَ الحَوْل فأتني . فمات ابنُ ذي يَزَن قبل أن يحولَ الحول ؛ فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : لا يغبِطْني رجلٌ منكم بجزيلِ عطاء الملك ، فإنه إلى نفاد ، ولكنْ لِيَغْبِطْني بما يبقى لي ولعَقِبي من بعدي ، ذِكره وفخره وشرفه ، فإذا قيل له : متى ذلك ؟ قال : سيُعلم ولو بعد حين . قال : وفي ذلك يقول أُميَّة بن عبد شمس[٥] : [من الوافر]

جلبْنا النُّصح تَحْقُبُه[٦] المطايا ... على أكوارِ أجمالٍ ونُوقِ
مُغَلْغَلَةً مَرَافِقُها[٧] تَغَالَى ... إلى صنعاءَ من فجٍّ عَميقِ
تؤمُّ بنا ابنَ ذي يَزَن وتَفْري ... بذاتِ بُطُونها ذمَّ الطريق[٨]
وترعَى من مخايلِهِ بُروقاً ... مُوَاصِلَةَ الوميضِ إلى بُرُوقِ[٩]
فلما واصلتْ[١٠] صَنعاءَ حلَّتْ ... بدارِ المُلْكِ والحَسَب العريقِ

وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »[١١] من طريق عمرو بن بكير بن بكَّار القعنبي[١٢] .

---

(١) « الغوائل » : الدواهي . اللسان (غول) .

(٢) في ح ، ط : بيثرب ، وفي ط : مملكته ، والمثبت من هواتف الجنان .

(٣) في ح ، ط : عن ، والمثبت من هواتف الجنان والوفا لابن الجوزي .

(٤) كذا في ح ، ط والهواتف ، والصواب : مملوءة لأن الكرش مؤنثة .

(٥) ويروى الشعر لأمية بن أبي الصلت ، والأبيات في ديوانه (ص٤٢٤ ، ٤٢٥) .

(٦) كذا ضبط في هواتف الجنان ، ولعل الصواب في ضبطه : تُحْقَبُه ، ويروى تحمله كما في ديوان أمية .

(٧) في ح : مغلغلة مراتعها تعالى ، وفي ط : مقلقة ، وفي هواتف الجنان : مغلغلة مراقعها تعالى ، ورواية النهاية واللسان (غلل) : مغلغلة مغالقها تغالى ، والمثبت من الديوان والأغاني . والمغلغلة : المسرعة في سيرها ، والمرافق : جمع مرفق ، وهو المفصل بين الساعد والعضد ، وتغالى : تتغالى ، أي تسرع .

(٨) كذا في ح ، ط وهواتف الجنان ، ورواية الديوان والوفا : بطونَ خِفافِها أمُّ الطريق . وأم الطريق أعظمها . وهو أشبه بالصواب .

(٩) رواية الديوان : ونلمح من مخايله بروقاً .

(١٠) رواية الديوان وهواتف الجنان : واقعت .

(١١) الدلائل (١/ ١١٤ ـ ١١٩) .

(١٢) قال بشار : هذا من رواية الكلبي عن أبي صالح باذام، وقد قال أبو صالح له : كل ما حدثتك فهو كذب (الميزان ١/ ٢٩٦) .

ثم قال أبو نعيم[١] : أُخبرت عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد ربه[٢] بن محمد بن عبد العزيز ابن عفير بن[٣] عبد العزيز بن السفر بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن ، حدّثني أبي أبو يَزَن إبراهيم ، حدّثنا عمي أحمد بن محمد[٤] أبو رجاء[٥] به ، حدّثنا عمي محمد بن عبد العزيز ، حدّثني عبد العزيز بن عفير ، عن أبيه ، عن زرعة بن سيف بن ذي يزن الحميري قال : لما ظهر جدي سيف بن ذي يزن على الحبشة . وذكره بطوله[٦] .

وقال أبو بكر الخرائطي[٧] : حدّثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القُلُوسي ، حدّثنا العلاء بن الفضل بن أبي سَوِيَّة ، أخبرني أبي عن أبيه عبد الملك بن أبي سَوية ، عن جدِّه أبي سوية ، عن أبيه خليفة قال : سألت محمد بن عَدِي[٨] بن ربيعة بن سواءَة بن جُشَم[٩] بن سعد فقلت : كيف سمَّاك أبوك محمداً ؟ فقال : سألتُ أبي عمَّا سألتني عنه ، فقال : خرجتُ رابعَ أربعةٍ من بني تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جُنْدب بن العَنْبَر[١٠] ، ويزيد بن ربيعة بن كابِيَة[١١] بن

---

(١) ليس هذا القول في المطبوع من الدلائل وهو في دلائل البيهقي (٢/ ١٤٠٩) .
(٢) كذا في ح ، ط وفي دلائل البيهقي وميزان الاعتدال (١/ ٤٤) والإصابة (٢/ ٤٢٨) ترجمة عبد العزيز بن سيف : « إبراهيم بن عبد الله » .
(٣) في دلائل البيهقي : عن .
(٤) في دلائل البيهقي : أحمد بن حبيش وفي الإصابة : أحمد بن حسين .
(٥) كذا في ط ، وفي ح : رخي . قال الذهبي في الميزان : فهؤلاء لا يدرى من هم . وقال ابن حجر في الإصابة : ورجال هذا الإسناد مجاهيل .
(٦) وهذا إسناد تالف ، كلهم مجهولون لا يُدرى من هم ، كما بينه الإمام الذهبي في الميزان (١/ ٤٤) (بشار) .
(٧) في كتابه هواتف الجنان (ص١٩٣) والخبر ساقه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ١١٢ ، ١١٣) والبيهقي أيضاً في الدلائل(٢/ ١١٤) وابن عساكر في تاريخه مختصر ابن منظور (١٦/ ٣٠٥) وهو بتحقيقي وابن الجوزي في الوفا (١/ ٤٦ ، ٤٧) وابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٥١٣) والسيوطي في الخصائص (١/ ٢٣) . وانظر طبقات ابن سعد (١/ ١٦٩) والروض (١/ ١٨٢) ، في إسناده مجاهيل .
(٨) في ح ، ط : محمد بن عثمان . وهي تصحيف ، والمثبت من مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر والوفا لابن الجوزي والدلائل والإصابة .
(٩) في ح ، ط : خثعم ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل أبي نعيم والبيهقي ومختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر والإصابة ، وجمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٣٣٤) (ط العظم) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص٢١٥) .
(١٠) ليس : ابن العنبر في ح وفي ط : ابن العقيد . والمثبت من الهواتف ومختصر ابن منظور والإصابة . وجمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٣٦٣) ط العظم . وجمهرة الأنساب لابن حزم(ص٢٠٨) .
(١١) في ح ، ط والهواتف : كنانة ، والمثبت من الاشتقاق لابن دريد (ص٢٠٤) وجمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٣٧١ ـ ٣٧٣) ط العظم ، وجمهرة النسب لابن حزم (ص٢١١) .

حُرْقُوص[١] بن مازن ، ونحن نُريد ابنَ جفنة ملك غسَّان ، فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات ، فتحدَّثنا فسمع كلامنا راهب ، فأشرف علينا فقال : إنَّ هذه لغةٌ ما هي بلغةِ [أهلِ][٢] هذه البلاد . قلنا : نعم ، نحن قومٌ من مُضَر . قال : من أيِّ المُضَرِيِّين ؟ قلنا : من خِنْدِف . قال : أما إنه سيبعث [فيكم][٢] وشيكاً نبيٌّ خاتم النبيين ، فسارِعُوا إليه وخذوا بحظِّكم منه ترشُدوا . فقلنا له : ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد . قال : فرجعنا من عند ابن جَفْنَة ، فولد لكلِّ واحدٍ منا ابنٌ فسمَّاه محمداً . يعني أنَّ كلَّ واحدٍ منهم طمع في أن يكون هذا النبيُّ المبشَّر به ولدَه .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي[٣] : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، حدّثنا حازم بن عِقَال بن[٤] حبيب ابن المنذر بن أبي الحِصْن[٥] بن السمَوْأل بن عادياء ، [حدثني جامع بن خَيْران[٦] بن جُميع بن عثمان بن سماك بن أبي الحِصْن[٧] بن السمَوْأل بن عاديا][٨] قال : لما حضرتِ الأوسَ بنَ حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر الوفاةُ ، اجتمع إليه قَوْمُه من غسَّان فقالوا : إنه قد حضر من أمر الله ما ترى ، وقد كنَّا نأمُرك بالتزويج في شبابك فتأبى ، وهذا أخوك الخَزْرَج له خمسة بنين ، وليس لك ولـدٌ غير مالك . فقال : لن يَهْلِكَ هالك ترك مثل مالك ، إنَّ الذي يُخرج النارَ من الـوَثيمة[٩] ، قادرٌ أن يجعل لمالكٍ نَسْلاً ، ورجالاً بُسْلاً ، وكلٌّ إلى الموت . ثم أقبل على مالك وقال : أيْ بُني ، المنيَّة ولا الدنيَّة ، العقاب ولا العتاب ، التجلُّد ولا التلدُّد[١٠] ، القبر خيرٌ من الفقر ، إنَّه مَنْ قلَّ ذَلّ[١١] ؛ ومن كَرَمِ الكريم الدَّفْعُ عن الحريم ؛ والدَّهْر يومان ، فيوم لك ، ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطَرْ ، وإذا كان عليك فاصطبِرْ ، وكلاهما سينحسِر ، ليس يفلتُ منهما الملك المتوَّج ، ولا اللئيم المُعَلْهَج[١٢] ، سَلِّم ليومك حيَّاك ربك ، ثمّ أنشأ يقول : [من الطويل]

---

(١) في ح ، ط : حربوص . وهو تصحيف ، والمثبت من الهواتف والاشتقاق (ص٢٠٣) وجمهرة ابن الكلبي وابن حزم المذكورين في الحاشية السابقة والتاج (حرقص) .

(٢) ما بين معقوفين من الهواتف .

(٣) في كتابه هواتف الجنان (ص١٨٧) ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه مختصر ابن منظور (٢/ ٦٣) ، وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ٢٨ ، ٢٩) وساق الخبر أبو علي القالي في أماليه (١/ ١٠٢) بنحوه عن أبي بكر بن دريد عن ابن الكلبي .

(٤) انفردت ط بزيادة : عقال بن زهر بن حبيب .

(٥) في ط : أبي الحصين . والمثبت من ح والهواتف والإكمال (٢/ ٢٧٨) .

(٦) في ط : جابر بن جدان ، والمثبت من الهواتف والإكمال (٢/ ٢٧٨) .

(٧) في ط : سماك بن الحصين والمثبت من الهواتف والإكمال .

(٨) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٩) « الوثيمة » : الصخرة ، والحجر المكسور . النهاية واللسان (وثم) .

(١٠) « التلدُّد » : التلفُّت يميناً وشمالاً تحيُّراً . اللسان (لدد) . ووقع في مختصر ابن منظور . « التلذذ » وهو تصحيف .

(١١) انفردت ط بزيادة : من كرَّ فرَّ .

(١٢) في ح والهواتف : المعلج ، قلت : لعل الصواب فيه : العُلَّج . وهو الشديد من الرجال قتالاً ونطاحاً . والمثبت من=

شَهِـدتُ السبـايـا يـومَ آلِ مُحَـرِّقٍ وأدرك عُمْري[١] صيحةَ الله في الحِجْرِ
فلـم أرَ ذا مُلـكٍ مـن النـاسِ واحـداً ولا سُـوقـةً إلاَّ إلـى المـوتِ والقبـرِ
فعـلَّ الـذي أرْدَى ثمـوداً وجُـرهمـاً سَيُعقِبُ لي نَسْلاً على آخر الدهْر
تقـرُّ بهـم مـن آلِ عمـرو بـن عـامـرٍ عيونٌ لدى الداعي إلى طلَب الوِتْر[٢]
فإن لم تكُ الأيَّام[٣] أبلينَ جِدَّتي وشيَّبْـنَ رأسي والمشيبُ مع العُمْرِ
فـإنَّ لنـا ربًّـا عـلا فـوقَ عـرشِهِ عليماً بمايـأتي مـن الخَيْرِ والشرِّ
ألـم يـأتِ قـومـي أنَّ لله دعـوةً يفـوزُ بهـا أهـلُ السعـادة والبـرِّ
إذا بُعـث المبعـوثُ مـن آلِ غـالـبٍ بمكـةَ فيمـا بيـن مكـةَ والحِجْـرِ
هنـالـك فـابْغُـوا نَصْـرَهُ ببـلادكـم بنـي عـامـرٍ إنَّ السعـادةَ فـي النَّصْـرِ

قال : ثم قضى من ساعته[٤] .

باب في هواتف الجانّ
وما ألقته الجِنَّان على ألسنة الكهان ومسموعاً من الأوثان

وقد تقدَّم كلامُ شِقٍّ وسَطِيح لربيعة بن نصر ملك اليمن في البشارة بوجود رسولِ الله ﷺ[٥] . رسولٌ زكي ، يأتي إليه الوَحْي ، من قبل العلي . وسيأتي في المولد قول سَطِيح لعبد المسيح[٦] : إذا كثرتِ التلاوة ، وغاضت بحيرة ساوه ، وظهر صاحبُ الهِرَاوة ، يعني بذلك رسولَ الله ﷺ كما سيأتي بيانه مفصلاً .

وقال البخاري[٧] : حدّثنا يحيى بن سليمان الجُعْفي ، حدّثني ابنُ وَهْب ، حدّثني عُمر ـ وهو ابن محمد بن زيد ـ أن سالماً حدَّثه عن عبد الله بن عمر قال : ما سمعتُ عمر يقولُ لشيءٍ قطّ : إني لأظنُّه كذا

= ط والأمالي ، والمعلهج : الأحمق اللئيم والدعي الذي ليس بخالص النسب . التاج (علهج) .
(١) في ح ، ط : أمري ، والمثبت من الهواتف ومختصر ابن منظور والخصائص .
(٢) « الوِتْر » : الثأر . اللسان (وتر ، ذحل) .
(٣) كذا في ح ، ط ، وفي الهواتف ومختصر ابن منظور : فإن لم تكن الأيام .
(٤) إسناده تالف ، وعلامات الوضع بادية عليه (بشار) .
(٥) مضى هذا النص في الجزء الثاني من هذا الكتاب .
(٦) كذا في ح ، ط : وهذا يدل على تقدم هذا الباب لأن قول سطيح مضى في (ص٤٥) وانظر (ص٤٢ ح٤) .
(٧) فتح الباري (٣٨٦٦) مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وما يأتي بين معقوفين منه .

إلا كان كما يظُنّ . بينما عمر بن الخطاب جالسٌ إذْ مرَّ به رجلٌ جميل ، فقال [عمر :] لقد أخطأ ظني ، أو : إنَّ هذا على دينهِ في الجاهلية ، أو لقد كان كاهِنَهُم ، عليَّ الرَّجُل . فدعا به[١] فقال له ذلك ، فقال : ما رأيت كاليوم استَقْبَل به رجلاً مسلماً[٢] . قال : فإني أعزمُ عليك إلا ما أخبرتني . قال : كنتُ كاهِنَهُم في الجاهلية[٣] . قال : فما أعجبُ ما جاءَتْكَ به جِنّيَّتُك ؟ قال : بينما أنا يوماً في السُّوق ، جاءَتْني أعرفُ فيها الفَزَع ، فقالت : [من الرجز]

أَلَـمْ تـرَ الجِـنَّ وإبـلاسهـا[٤] ويأسَها من بعدِ إنكاسِها[٥] ؟

ولحُوقها بالقِلاصِ وأحْلاسِها[٦]

---

(١) كذا في ح ، وفي ط : فدعي به ، وفي فتح الباري : فدُعي له ، والرجل هو سواد بن قارب كما سيأتي وكما في فتح الباري .

(٢) رواية البخاري : استُقبل به رجل مسلم ، وقال ابن حجر في شرحه : في رواية النسفي وأبي ذر رجلاً مسلماً . ورأيته مجوداً بفتح تاء (استقبل) على البناء للفاعل وهو محذوف تقديره : أحد ، وضبطه الكرماني استُقبل بضم التاء ، وأعرب رجلاً مسلماً على أنه مفعول رأيت ، وعلى هذا فالضمير في قوله : به ، يعود على الكلام ، ويدل عليه السياق .

(٣) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٧٩ ، ١٨٠) : الكاهن الذي يتعاطى الخبر من الأمور المغيبة . . . ولقد تلطف سواد في الجواب إذ كان سؤال عمر عن حاله في كهانته إذ كان من أمر الشرك ، فلما ألزمه أخبره بآخر شيء وقع له لما تضمن من الإعلام بنبوة محمد ﷺ وكان سبباً لإسلامه . وقال في (١٠/ ٢١٦ ، ٢١٧) : والكهانة : ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب ، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة ، فيلقيه في أذن الكاهن . . . وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوة فيهم وهي على أصناف : منها ما يتلقونه من الجن ، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه ، إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين ، وأرسلت عليهم الشهب ، فبقي من استراقهم ما يتخطَّفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ . وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما ، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً حتى كاد يضمحل ولله الحمد ؛ ثانيها : ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً ، أو يطلع عليه من قرب لا من بعد ؛ ثالثها : ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس ، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه ؛ رابعها : ما يستند إلى التجربة والعادة ، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر ، وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطرق والنجوم ، وكل ذلك مذموم شرعاً . وورد في ذم الكهانة ما أخرجه أصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث أبي هريرة رفعه : « من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » . ثم ساق ابن حجر شواهد لهذا الحديث وأفاض .

(٤) « إبلاسها » : تحيُّرها ودَهَشها . النهاية (١/ ١٥٢/ بلس) .

(٥) « اليأس » : ضد الرجاء ، والإنكاس : الانقلاب ، قال ابن فارس : معناه أنها يئست من استراق السمع بعد أن كانت قد ألفته ، فانقلبت عن الاستراق قد يئست من السمع (فتح الباري ٧/ ١٨٠) .

(٦) « القِلاص » : جمع قُلُص ، وهو جمع قَلُوص ، وهي الفتية من النياق ، والأحلاس جمع حِلْس ، وهو ما يوضع =

قال عمر : صدق ، بينما أنا نائمٌ عند آلهتهم إذْ جاء رجلٌ بِعْجلٍ فذبحَهُ ، فصرخ به صارخٌ لم أسمعْ صارِخاً قطُّ أشدَّ صَوْتاً منه يقول : يا جَليح[١] ، أمْرٌ نَجِيح ، رجلٌ فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . فوثب القوم ، فقلت : لا أبْرَحُ حتى أعلمَ ما وراءَ هذا . ثمّ نادى : يا جليح ، أمرٌ نَجِيح ، رجلٌ فصيح يقول لا إله إلا الله ، فقمتُ فما نَشِبْنا أنْ قيل : هذا نبيّ . تفرّد به البخاري .

وهذا الرجل هو سَوَاد بن قارِب الأزْدي ، ويقال السَّدُوسي ، من أهل الشَّرَاة من جبال البَلْقاء[٢] له صحبة ووفادة .

قال أبو حاتم وابن مَنْدَه : روى عنه سعيد بن جبير ، وأبو جعفر محمد بن علي ، وقال البخاري : له صحبة .

وهكذا ذكره في أسماء الصحابة أحمد بن [هارون بن][٣] روح البَرْذَعي الحافظ ، والدَّارَقُطْني[٤] ، وغيرُهما .

وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد المِصْري[٥] : سَوَاد بن قارِب بالتخفيف .

وقال عثمان الوقَّاصي عن محمد بن كعب القُرَظي : كان من أشراف أهل اليمن . ذكره أبو نعيم في « الدلائل »[٦] .

وقد رُوي حديثُه من وجوهٍ أُخر مطوَّلة بأبسطَ من روايةِ البخاري[٧] .

= على ظهور الإبل تحت الرَّحْل . ووقع هذا القسيم (الشطر) غير موزون ؛ وفي رواية الباقر « ورحلها العيس بأحلاسها » وهذا موزون . فتح الباري (٧/ ١٨٠ ، ١٨١) .

(١) « جليح بوزن عظيم » : معناه الوقح المكافح بالعداوة ؛ قال ابن التين : يحتمل أن يكون نادى رجلاً بعينه ، ويحتمل أن يكون أراد من كان بتلك الصفة . قال ابن حجر : ووقع في معظم الروايات : يا آل ذريح ، وهم بطن مشهور من العرب . فتح الباري (٧/ ١٨١) وقال السهيلي في الروض (١/ ٢٤٢) : يا جليح : سمعت بعض أشياخنا يقول : هو اسم شيطان ، والجليح في اللغة ما تطاير من رؤوس النبات وخفّ نحو الفطر وشبهه .

(٢) في ح ، ط : السراة ، بالسين المهملة ، والمثبت من مختصر ابن منظور (١٠/ ٢١١) ومعجم البلدان (١/ ٤٨٩ البلقاء) و(٣/ ٣٣١ ، ٣٣٢ الشراة) والبلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، وبالبلقاء مدينة الشراة شراة الشام ، أرض معروفة وبها الكهف والرقيم فيما زعم بعضهم .

(٣) إضافة مفيدة لأنه منسوب إلى جده ، وهو البرديجي المتوفى سنة ٣٠١هـ صاحب كتاب طبقات الأسماء المفردة .

(٤) المؤتلف والمختلف (٣/ ١٢٣٣) .

(٥) راجع المؤتلف والمختلف لعبد الغني ، ص ٧١.

(٦) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١١١ ، ١١٢) (طبعة القلعجي ١٤٠٦هـ) .

(٧) ساق المصنف بعض هذه الوجوه فيما يأتي ، وأشرتُ إلى أماكنها ، وينضاف إليها دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٣٧ـ ١٤٢) ودلائل البيهقي (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٥٤) ومستدرك الحاكم (٣/ ٦٠٨ ـ ٦١٠) وذكر الخبر ابن حجر في الإصابة ترجمة سواد عن ابن أبي خيثمة والروياني من طريق أبي جعفر الباقر ، وابن عبد البر في الاستيعاب ، والهيثمي في =

وقال محمد بن إسحاق[١] : حدَّثني من لا أتَّهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان ، أنه حُدِّث أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله ﷺ إذْ أقبل رجلٌ من العرب داخل[٢] المسجد يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر قال : إنَّ الرجل لعلى شِرْكه ، ما فارقَهُ بعد ، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية . فسلَّم عليه الرجل ثم جلس ، فقال له عمر : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهل كنتَ كاهناً في الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ فيّ[٣] ، واستقبلْتني بأمرٍ ما أراك قلتَهُ لأحدٍ من رعيتك منذ وَليت ما وليت . فقال عمر : اللهم غَفْراً ، قد كنَّا في الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبُد الأصنام ، ونعتنق الأوْثان ، حتى أكرمنا الله برسولِهِ وبالإسلام . قال : نعم والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية . قال : فأخبِرْني ما جاء به صاحِبُك . قال : جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِه[٤] فقال : ألم تَرَ إلى الجِنِّ وإبْلاسها ، وإياسِها من دينها ، ولحوقها[٥] بالقِلاص وأحْلاسِها .

قال ابن إسحاق[٦] : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

[قال عبد الله بن كعب] : فقال عمر عند ذلك يحدِّث الناس : والله إني لعند وَثَنٍ من أوثان الجاهلية في نفَرٍ من قريش ، قد ذَبَحَ له رجلٌ من العرب عِجْلاً ، فنحن ننتظر أن يقسمَ لنا منه ، إذ سمعتُ من جَوْف العجل صوتاً ما سمعتُ صوتاً قطُّ أشدَّ منه ، وذلك قبل الإسلام بشهرٍ أو شَيْعِه يقول : يا ذَرِيح ، أمْرٌ نَجيح ، رجلٌ يصيح[٧] ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال رجل يصيح[٧] ، بلسان فصيح[٨] ، يقول : لا إله إلا الله . قال : وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشعر : [من السريع]

= مجمع الزوائد عن الطبراني (٨/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠) والسيوطي في الخصائص (١/ ١٠٢) والبغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب (٦/ ٢٧١ ـ ٢٧٥) وقال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٧٩) : وهذه الطرق يقوى بعضها ببعض .

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٠٩) والروض (١/ ٢٤٢) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٢) في السيرة والروض : داخلاً .

(٣) « خلتَ في » : من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت ، كقولهم في المثل : من يسمع يَخَل ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذفت الجملة كلها جاز لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ، ففي قولهم : من يسمع يخل . دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفي خلت فيّ دليل أيضاً ، وهو قوله : فيّ ، كأنه قال : خلت فيَّ الشر أو نحو هذا . الروض (١/ ٢٤٢) .

(٤) أي قَدْرَ شهر أو نحوه . غريب الحديث للخطابي (٢/ ٥٢١) .

(٥) في ح : وتخرقها ، والمثبت من ط .

(٦) في السيرة والروض : قال ابن هشام .

(٧) في ح : فصيح ، والمثبت من ط والسيرة والروض .

(٨) في ح : نصيح والمثبت من ط والسيرة والروض .

عَجِبْتُ للجِنِّ وإبْلاسِها وشدِّها العِيسَ بأحْلاسِها
تَهْوي إلى مكة تبغي الهُدَى ما مؤمنو[(١)] الجِنِّ كأنجاسِها

وقال الحافظ أبو يَعْلى المَوْصلي[(٢)] : حدّثنا يحيى بن حُجْر بن النعمان السَّامي[(٣)] ، حدّثنا علي بن منصور الأبناوي[(٤)] ، عن عثمان[(٥)] بن عبد الرحمن الوقَّاصي ، عن محمد بن كعب القُرَظي . قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس ، إذ مرَّ به رجل ، فقيل : يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المارّ ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سَوَاد بن قارب الذي أتاه رَئِيُّهُ بظهورِ رسولِ الله ﷺ ، قال : فأرسل إليه عمر ، فقال له : أنت سَواد بن قارِب ؟ قال : نعم . قال : فأنت على ما كنتَ عليه من كهانتك ؟ قال : فغضب ، وقال : ما استقبلني بهذا أحدٌ منذُ أسلمتُ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : يا سبحان الله ! ما كنا عليه من الشرك أعظمُ مما كنتَ عليه من كهانتك ! فأخبرني ما أنبأك رَئِيُّكَ بظهور رسولِ الله ﷺ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلةٍ بين النائم واليقظان إذْ أتاني رَئِيِّي فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب ، واسمعْ مقالتي ، واعقِلْ إنْ كنتَ تعقِل ، إنه قد بُعث رسولٌ من لُؤَيِّ بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ يقول : [من السريع]

عجبتُ للجِنِّ وتَطْلابها وَشدِّها العيسَ بأقْتابها[(٦)]
تهوي إلى مكّةَ تبغي الهُدى ما صادقُ الجِنِّ ككذَّابها
فارْحَلْ إلى الصِّفْوةِ مِن هاشمٍ ليسَ قُدَامَاها كأذنابها[(٧)]

قال : قلت : دعني أنام فإني أمسيتُ ناعساً . قال : فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله

---

(١) في ح : مومني .
(٢) الخبر في مسند أبي يعلى (١/ ٢٦٣) وهو في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) ، وأخرجه المعافى بن زكريا في الجليس الصالح(٢/ ٦٧) عن عبد الباقي بن قانع عن محمد بن زكريا الغلابي عن بشر بن حجر عن علي بن منصور به .
(٣) في ح ، ط : الشامي ، بالشين المعجمة ، وهوتصحيف ، والمثبت من الإكمال (٤/ ٥٥٧) والأنساب (٧/ ١٦) ودلائل البيهقي .
(٤) في ط والمطبوع من دلائل البيهقي : « الأنباري » وهو تحريف ، فقد قيده الحافظ معين الدين بن نقطة الحنبلي في إكمال الإكمال في باب « الأنباري والأبياري والأبناوي الأنماري » ، فقال : « وأما الأبناوي بعد الباء المعجمة بواحدة نون وبعد الألف واو فهو : . . . وعلي بن منصور الأبناوي ، حدث عن عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي بقصة سواد ابن قارب ، روى عنه بشر (هكذا وقع عنده ، وصوابه : يحيى) بن حجر بن النعمان السامي » (١/ ١٦٧) ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في التبصير (١/ ٣٦) ، وكذلك ذكره المزي في ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي من التهذيب (١٩/ ٤٢٦) .
(٥) في ط : محمد بن عبد الرحمن الوقاصي وفي ح : محمد بن عثمان الوقاصي ، وفي الحاشية : وجميعه تصحيف ، والمثبت من اللباب (٣/ ٣٧٠) وتهذيب المزي (١٩/ ٤٢٥) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٣٣) ودلائل البيهقي .
(٦) « الأقتاب » : جمع قَتَب ، وهو الرحْل الصغير على قدر سنام البعير . المعجم الوسيط (قتب) .
(٧) الصفوة ، مثلثة الصاد ، والكسر أفصح اللغات فيه ، صفوة الشيء : خياره وأخلصه . الجليس (٢/ ٧٠) .

وقال : قم يا سواد بن قارِب واسمعْ مقالتي ، واعقِل إن كنتَ تعقل ، إنه بُعث رسولٌ من لُؤيٍّ بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثمّ أنشأ يقول : [من السريع]

عجبتُ للجنّ وتَخبارِها ... وشَدِّها العِيسَ بأكْوارِها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجنِّ ككُفَّارِها
فارْحَلْ إلى الصِّفْوةِ من هاشمٍ ... بينَ رَوابيها وأحْجارِها

قال : قلت : دَعني أنام ، فإني أمسيتُ ناعساً . فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارِب ، فاسمعْ مقالتي ، واعقل إنْ كنت تعقل ، إنه قد بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول : [من السريع]

عجبتُ للجنِّ وتَحْساسِها[١] ... وشدِّها العيسَ بأحلاسها
تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى ... ما خيِّرُ الجنِّ كأنْجاسها
فارْحَلْ إلى الصِّفْوة من هاشمٍ ... واسمُ بعينيكَ إلى رأسِها

قال : فقمتُ وقلت : قد[٢] امتحن الله قلبي ، فرحَّلْتُ ناقتي ثم أتيت المدينة ـ يعني مكة ـ فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه حَوْلَه ، فدنوتُ فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال : هات ، فأنشأتُ أقول : [من الطويل]

أتاني نَجِيِّي بعدَ هدْءٍ ورقْدةٍ ... ولم يكُ فيما قد بلَوْتُ[٣] بكاذبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ ... أتاكَ رسولٌ من لُؤيِّ بنِ غالبِ
فشمَّرتُ عن ذيلي الإزارَ ووسَّطَتْ ... بيَ الذِّعْلِبُ الوَجْناءُ غُبْرَ السَّباسِبِ[٤]
فأَشهدُ أنّ الله لا شيءَ غيرُه ... وأنَّكَ مأمونٌ على كلِّ غائبِ
وأنَّكَ أدْنَى المرسلينَ وَسيلةً ... إلى الله يا بنَ الأكرمينَ الأطايبِ
فمُرْنا بما يأتيكَ يا خيرَ مَنْ مَشَى ... وإنْ كان فيما جاء شَيْبُ الذوائبِ
وكنْ لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ ... سِواكَ بِمُغْنٍ عن سَوَادِ بن قارِبِ

---

(١) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٨٠) : وتحساسها : بفتح المثناة وبمهملات ، أي : أنها فقدت أمراً فشرعت تفتش عليه .
(٢) ليست : قد في ح .
(٣) في ح : يكون ، وفي ط : والمثبت من الروايات الأخرى .
(٤) « الذِّعْلب » : الناقة السريعة . « الوجناء » : الغليظة الصلبة ، وقيل : العظيمة الوجنتين . « وغبر السباسب » : القفار والمفاوز التي لا يهتدى للخروج منها ، مفردها : غبراء سبسب . النهاية (٢/ ١٦١ ذعلب) و(٥/ ١٥٨ وجن) و(٣/ ٣٣٧ غبر) و(٢/ ٣٣٤ سبسب) . وقال المعافى : السباسب ، وهي الأقضية الواسعة من الأرض ، وهي ما كان قفراً أملس . الجليس (١/ ٧٠) .

قال : ففرح رسولُ الله ﷺ وأصحابُه بمقالتي فرحاً شديداً ، حتى رُئي الفرَحُ في وجوههم . قال : فوثب إليه عمرُ بن الخطاب فالتزمه وقال : قد كنتُ أشتهي أنْ أسمعَ هذا الحديثَ منك ، فهل يأتيك رَئيُّك اليوم ؟ قال : أمَّا منذُ قرأتُ القرآن فلا ، ونعم العِوَضُ كتابُ الله من الجِنّ .

ثم قال عمر : كنا يوماً في حيٍّ من قريش يقال لهم : آل ذَرِيح ، وقد ذبحوا عِجْلاً لهم والجزَّار يُعالجه ، إذ سمعنا صوتاً من جَوْفِ العجل ولا نرى شيئاً ، قال : يا آل ذريح ، أمرٌ نَجيح ، صائح يَصيح ، بلسانٍ فصيح ، يشهدُ أن لا إله إلاّ الله .

وهذا منقطعٌ من هذا الوجه ، ويشهد له روايةُ البخاري . وقد تساعدوا على أنَّ السامعَ الصوتَ من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه الذي جمعه في هواتف الجِنَّان[١] : حدّثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدِّب ، حدّثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، حدّثنا سعيد بن عبيد الله الوَصَّافي[٢] ، عن أبيه ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال : دخل سَوَادُ بن قارِب السَّدُوسي على عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه فقال : نشدتُكَ بالله يا سواد بن قارب ، هل تُحسن اليوم من كَهَانتك شيئاً ؟ فقال : سبحان الله يا أمير المؤمنينّ ! ما استقبلتَ أحداً من جُلَسائك بمثل ما استقبلتني به ! قال : سبحان الله يا سواد ! ما كنا عليه من شِرْكنا أعظمُ مما كنتَ عليه من كهانتكَ ؛ والله يا سواد ، لقد بلغني عنك حديثٌ إنه لعجَبٌ من العجَب ! [قال : إي والله يا أمير المؤمنين إنه لعجبٌ من العجب][٣] . قال : فحدِّثنيه . قال : كنتُ كاهناً في الجاهلية ، فبينا أنا ذات ليلةٍ نائمٌ إذْ أتاني نَجِيِّي ، فضربني برجله ، ثم قال : يا سَوَاد ، اسمعْ أقلْ لك . قلت : هات . قال : [من السريع]

عجِبْتُ للجِنِّ وأنجاسها ... ورَحْلِها العيسَ بأحْلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ما مؤمنوها مثلُ أرْجَاسها
فارحلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... واسمُ بعينيكَ إلى رأسها

قال : فنمتُ ولم أحفِل بقوله شيئاً ؛ فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله ثمّ قال لي : قم يا سَوَاد بن قارب ، اْسمع أقلْ لك . قلت : هات . قال : [من السريع]

عجِبْتُ للجِنِّ وتطلابها ... ورَحْلها[٤] العيسَ بأقتابها

---

(١) (ص١٤٨) وقد جاء في ح ، ط : هواتف الجان ، وما أثبته هو الصحيح . انظر (ص٤٤ ح٥).

(٢) في ط : الوصابي . والمثبت من ح والهواتف والإكمال (٧/ ٤٠٠) واللباب (٣/ ٣٦٨) . ضعفه أبو حاتم . الجرح والتعديل (٤/ ٣٨) وميزان الاعتدال (٢/ ١٥٠) ولسان الميزان (٣/ ٣٧) .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من ح وهو في ط والهواتف .

(٤) في ط : وشدها . والمثبت من ح والهواتف .

تهوي إلى مكة تبغي الهدى   ما صادقو الجِنِّ ككُذَّابها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشمٍ   ليس المقاديمُ كأذنابها

قال : فحرَّكَ قولُه مني شيئاً ، ونمت ؛ فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله ثمّ قال : يا سواد بن قارب ، أتعقِلُ أم لا تعقل ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : ظهر بمكة نبيٌّ يدعو إلى عبادة ربِّهِ(١) فالْحَقْ به ، اسمع أقل لك . قلت : هات ، قال : [من السريع]

عجبتُ للجنِّ وأخبارها(٢)   ورَحْلِها العيسَ بأكوارها
تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى   ما مؤمنوها مثل كُفَّارها(٣)
فارْحَلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ   بينَ روابيها وأَحجارها(٤)

قال : فعلمتُ أنَّ الله أرادَ بي خيراً ؛ فقمتُ إلى بُرْدة لي ، ففتقتُها ولبستُها ، ووضعتُ رجلي في غَرْز(٥) ركاب الناقة ، وأقبلتُ حتى انتهيتُ إلى النبي ﷺ فعرض عليَّ الإسلام ، فأسلمتُ ، وأخبرتُه الخبرَ . قال : « إذا اجتمع المسلمونَ فأخبِرْهم » . فلما اجتمع المسلمون قمت فقلت : [من الطويل]

أتاني نَجِيِّي بعدَ هدْءٍ ورَقْدةٍ   ولم يكُ فيما قد بَلَوتُ بكاذبِ
ثلاث ليالٍ قولُه كُلَّ ليلةٍ   أتاك رسولٌ من لُؤَيِّ بن غالبِ
فشمرتُ عن ذيلي الإزارَ ووسَّطَتْ   بيَ الذِّعلبُ الوَجْناءُ غُبْر السَّبَاسِبِ
وأعلمُ أنَّ الله لا ربَّ غيرُه   وأنَّك مأمونٌ على كلِّ غائبِ
وأنك أدنى المرسلينَ وسيلةً   إلى اللهِ يا بنَ الأكرمينَ الأطايبِ
فمُرْنا بما يأتيكَ يا خيرَ مرسَلٍ   وإنْ كان فيما جاءَ شَيْبُ الذوائبِ

قال : فسُرَّ المسلمون بذلك ، فقال عمر : هل تُحِسُّ اليومَ منها بشيء ؟ قال : أمَّا مُذْ(٦) علَّمني الله القرآنُ فلا .

وقد رواه محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، عن عمر بن حفص قال : لما ورد سَوَاد بن قارب على عمر قال: يا سَوَاد بن قارب، ما بقي من كهانتك ؟ فغضب وقال: ما أظنُّك يا أمير المؤمنين استقبلتَ أحداً من العرب بمثل هذا ، فلما رأى ما في وجهه من الغضَب ، قال : انظرْ سواد ، للَّذي كنَّا عليه قبلَ اليوم من

(١) في ح : عبادة الله .
(٢) في ط : وتنفارها .
(٣) في ح : ما مؤمنوها ككفارها ، وفي ط : ما مؤمنو الجن ككفارها . والمثبت من الهواتف .
(٤) في الهواتف : وأحبارها ، وفوقها إشارت تضبيب .
(٥) « الغرز » : ركاب الرحل ، من جلود مخروزة ، فإذا كان من حديد أو خشب فهو ركاب ، وغرز رجله في الغرز : وضعها فيه ليركب وأثبتها . اللسان (غرز) .
(٦) في ط : إذ ، والمثبت من ح والهواتف .

الشِّرْك أعظم . ثمّ قال : يا سواد ، حدّثني حديثاً كنتُ أشتهي أسمعه منك . قال : نعم ، بينا أنا في إبلٍ لي بالشراة(١) ليلاً وأنا نائم ، وكان لي نَجِيٌّ ، فأتاني(٢) فضربني برجله فقال لي : قم يا سواد بن قارب ، فقد ظهر بتهامة نبيٌّ يدعو إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم . فذكر القصة كما تقدم وزاد في آخر الشعر : [من الطويل]

وكُنْ لي شفيعاً يومَ لا ذو قرابةٍ ... سواكَ بمغنٍ عن سَوَاد بن قاربِ

فقال رسولُ الله ﷺ : « سِرْ في قومِكَ وقل هذا الشعر فيهم » .

ورواه الحافظ ابن عساكر(٣) من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربي ، عن عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير قال : أخبرني سواد بن قارب الأزْدي . قال : كنتُ نائماً على جبلٍ من جبال الشراة فأتاني آتٍ فضربني برجله . وذكر القصة أيضاً .

ورواه(٤) أيضاً من طريق محمد بن البراء عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء قال : قال سواد بن قارب : كنت نازلاً بالهند فجاءني رَئِيِّي ذات ليلة ، فذكر القصة .

وقال بعد إنشاد الشعر الأخير فضحك رسول الله ﷺ حتى بدتْ نواجذُه وقال : « أفلحتَ يا سَوَاد » .

وقال أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »(٥) : حدّثنا عبد الله بن جعفر(٦) ، حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن ، حدّثنا علي بن حرب ، حدّثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السّائب ، عن أبيه ، عن عبد الله العُمَاني(٧) قال : كان منا رجلٌ يقال له : مازن بن الغضوبة(٨) يَسْدُنُ صنماً بقريةٍ يقال لها : سمايا ، من عُمان ، وكانتْ تعظِّمه بنو الصامت وبنو خِطامة(٩) ومهرة ، وهم أخوال مازن ـ أمه(١٠) زينب بنت

---

(١) في ح ، ط : السراة بالسين المهملة .
(٢) في ط : وكان لي نجي من الجن أتاني .
(٣) مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (١٠/ ٢١١) .
(٤) لم أجد الرواية في تاريخ ابن عساكر لعدم توفر الأجزاء التي ضمت ترجمة (سواد) .
(٥) دلائل النبوة (١/ ١٤٢ ـ ١٤٥) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٥٨) عن علي بن حرب به ، وذكره ابن حجر في الإصابة (ترجمة مازن بن الغضوبة) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٧) والسيوطي في الخصائص (١/ ١٠٣) . ومن بداية هذا الخبر إلى موضع ح ١٧ من المتن متقدم في ط متأخر في ح ، يدل على ذلك أرقام صفحات ح في الهامش .
(٦) في ح ، ط : عبد الله بن محمد بن جعفر ، والمثبت من دلائل أبي نعيم ، وهو عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس أو عبد الله بن جعفر الجابري ، وأبو نعيم يروي عنهما . سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٥٣ و١٦/ ١٣٣) .
(٧) في دلائل أبي نعيم : المعافى .
(٨) في ح : المعصوبة . من غير إعجام ، وفي ط : العضوب بالعين المهملة ، وفي دلائل أبي نعيم : الغضوب ، وما أثبتناه من سائر المصادر المذكورة آنفاً وتجريد الذهبي (٢/ ٤٠) : وفي التاج (غضب) : وغضوبة بطن من العرب . ويسدن فهو سادن ، والسادن هو خادم الكعبة وبيت الأصنام . اللسان (سدن) .
(٩) في ح ، ط : حطامة . بالحاء المهملة والمثبت من دلائل أبي نعيم وجمهرة ابن دريد (٢/ ٢٣٢) والاشتقاق له (ص٢٧٤ ، ٤٤٦) ، والضبط من اللباب (١/ ٤٥٢) وضبط في الجمهرة والاشتقاق بضم الخاء المعجمة ضبط قلم .
(١٠) كذا في ط وفي دلائل أبي نعيم : أخوان مازن لأمه .

عبد الله بن ربيعة بن خويص[١] . أخبرني أحد بني نمران ـ قال مازن : فعتَرْنا ذات يوم عند الصنم عَتِيرة ـ وهي الذبيحة[٢] ـ فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول : يا مازن ، اسمعْ تُسَرّ ، ظَهرخيرٌ وبُطن شَرّ ، بُعث نبيٌّ من مُضَر ، بدينِ اللهِ الأكبر[٣] ، فدَع نَحيتاً من حجَر ، تَسْلَم من حَرِّ سَقَر . قال : ففزعتُ لذلك فزَعاً شديداً ، ثمّ عتَرْنا بعد أيام عَتيرةً أخرى ، فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول : أقبلْ إليَّ أقبل ، تسمعْ ما لا يُجهل ، هذا نبيٌّ مرسل ، جاء بحق مُنزَل ، فآمنْ به كي تُعْدَل ، عن حَرِّ نارٍ تُشعل ، وقودها الجَنْدل[٤] . قال مازن : إنَّ هذا لعجب ، وإنَّ هذا لخَيْرٌ يُرادُ بي .

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلت : ما الخبر وراءك ؟ فقال : ظهر رجلٌ يقال له : أحمد ، يقول لمن أتاه : أجيبوا داعيَ الله ، فقلت : هذا نبأ ما سمعتُ ، فثُرتُ إلى الصنم فكسرْتُه أجذاذاً[٥] ، وركبتُ راحلتي حتى قدمت على رسول الله ﷺ فشرح الله صدري للإسلام ، فأسلمت ، وقلت : [من البسيط]

كسّرْتُ باجِرَ أجْذاذاً وكانَ لنا ... رَبّاً نُطيفُ به ضُلاًّ بتَضْلالِ[٦]

بالهاشميِّ هَدانا مِن ضَلالتنا ... ولم يكُنْ دينُه منّي على بالِ

يا راكباً بلِّغنْ عَمْراً وإخوتَها[٧] ... إني لِمَنْ قال ربي باجِرٌ قالِ

يعني بعمرو بني الصامت وإخوتها خطامة[٨] . فقلت : يا رسول الله إني امرؤ[٩] مولَعٌ بالطرب ، وبالهَلُوك من النساء[١٠] وبشرب الخمر ، وألحَّتْ علينا السِّنُونَ فأذهبْنَ الأموال ، وأهْزَلْن الذَّراري ، وليس لي ولد ، فادْعُ الله أن يُذهب عني ما أجد ، ويأتينا بالحَيَا ، ويهب لي ولداً . فقال النبيُّ ﷺ : « اللهم أبدلْهُ بالطربِ قراءةَ القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالإثم وبالعُهْر عِفَّةً ، وآتِهِ بالحيا ، وهَبْ له ولداً » قال : فأذهبَ الله عني ما أجد ، وأُخصبتْ عُمـان ، وتـزوجتُ أربع حرائر ، وحفظت شَطْر

---

(١) كذا في ح ، ط وفي دلائل أبي نعيم : حويص . بالحاء المهملة ولم أقف على ترجمة له .
(٢) جاء في النهاية (٣/ ١٧٨/ عتر) العتيرة التي كانت تعترها الجاهلية ، فهي الذبيحة التي كانت تذبح للأصنام ، فيصب دمها على رأسها .
(٣) في ح : يدين الله أكبر .
(٤) « الجندل » : الحجارة . اللسان (جندل) .
(٥) في الدلائل : فسرت إلى الصنم فكسرته جذاذاً . والمثبت من ح والنهاية (١/ ٢٥٠/ جذذ) وأجذاذاً : أي قطعاً وكِسَراً ، واحدها جَذّ .
(٦) « باجر » : تكسر جيمه وتفتح ، ويروى بالحاء المهملة ، وكان في الأزد . النهاية (١/ ٩٧/ بجر) والأصنام لابن الكلبي (ص٦٣) . ويقال للباطل : ضُلٌّ بتضلال . اللسان (ضلل) .
(٧) في دلائل البيهقي : وإخوته .
(٨) انظر الصفحة السابقة ، الحاشية (٩) .
(٩) ليست اللفظة في ح .
(١٠) « الهلوك من النساء » : الفاجرة ، وقيل : هي المتساقطة على الرجال . النهاية (٥/ ٢٧١/ هلك) .

القرآن ، ووهب لي حَيَّان بن مازن ، وأنشأ[١] يقول : [من الطويل]

إليـكَ رسـولَ اللهِ خبَّـتْ مطيَّتـي ... تجوبُ الفيافي من عُمَانَ إلى العَرْجِ[٢]
لتشفعَ لي يا خيرَ من وطئ الثرى ... فيغفـر لـي ربـي فـأرجـعُ بـالفَلْـجِ[٣]
إلـى معشرٍ خـالفتُ فـي الله دينهم ... فلا رأْيُهُم رأيي ولا شرجُهم شَرْجي[٤]
وكنتُ امرأً بالخمر والعُهْر مُولَعاً ... شبابيَ حتى آذنَ الجسمُ بالنَّهْجِ[٥]
فبـدَّلنـي بـالخمرِ خَـوْفـاً وخشيـةً ... وبالعُهْر إحصاناً فحصَّن لي فَرْجي
فأصبحت هَمِّي في الجهادِ ونيَّتي ... فللـهِ مـا صَـوْمـي ولله مـا حجِّـي[٦]

قال : [فلما أتيت قومي أنَّبُوني وشتموني][٧] ، وأمروا شاعراً لهم فهجاني ، فقلت : إن رددْتُ عليه فإنما أهجو نفسي ؛ فرحلتُ عنهم فأتَتْني منهم زُلْفَةٌ عظيمة ، وكنتُ القيِّمَ بأمورهم ، فقالوا : يا بن عم ، عِبْنا عليك أمراً وكرهنا ذلك ، فإنْ أبيت ذلك فارجعْ وقُمْ بأمورنا ، وشأنك وما تدين به . فرجعتُ معهم وقلت : [من البسيط]

لَبُغْضُكُـمْ عنـدنـا مُـرٌّ مـذاقتُـه ... وبُغْضُنا عندكـمْ يا قـومَنا لَبَـنُ[٨]
لا يفطنُ الـدَّهْـرُ إن بُثَّـتْ معـايبُكـم ... وكلُّكـم حيـنَ يُثنـى عَيْبُنَـا فَطِـنُ
شـاعـرُنـا مُفْحَمٌ عنكـم وشـاعـركـم ... في جَدْبِنا مُبْلِغٌ في شتمِنا لَسِنُ[٩]
ما في القلوب عليكم فاعلموا وَغَرٌ[١٠] ... وفـي قلـوبِكُـمُ البغضـاءُ والإحَـنُ

قال مازن : فهداهم الله بعدُ إلى الإسلام[١١] جميعاً .

---

(١) في الدلائل لأبي نعيم والبيهقي : وأنشأت .
(٢) « العَرْج » : عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، تذكر مع السقيا . معجم البلدان (٤/ ٩٩) .
(٣) « الفَلْج » ، بفتح فسكون : الفوز والنصر . التاج (فلج) .
(٤) يقال : ليس هو من شرجه : أي من طبقته وشَكله . النهاية (٢/ ٤٥٦ شرج) .
(٥) « النَّهْج » : البِلَى . النهاية (٥/ ١٣٤ نهج) .
(٦) إلى هنا ينتهي الخبر في دلائل أبي نعيم ، وتتمته في دلائل البيهقي بنحوه .
(٧) ليس ما بين المعقوفين في ح .
(٨) في ح ودلائل البيهقي ومجمع الزوائد : لين بالياء ، والمثبت من ط .
(٩) « المفحَم » : العَيِيّ ، ومن لا يقدر يقول شعراً . وأفحمه الهمُّ : منعه قول الشعر . « والجَدْب » : العيب والذم . وفي ح ، ط : حدبنا . بالحاء المهملة ، ولا يصح وفي دلائل البيهقي : حربنا .
(١٠) « الوَغْر » بفتح فسكون ، ويُحرِّك : الحقد والضغن والعداوة . التاج (وغر) . وفي ح : رعب .
(١١) في ح : بالإسلام . وإلى هنا تنتهي القطعة المتقدمة في ط المتأخرة في ح .

وروى الحافظ أبو نعيم[١]، من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل[٢]، عن جابر بن عبد الله قال: إنَّ أول خبرٍ كان بالمدينة بمبعث رسولِ الله ﷺ أنَّ امرأةً بالمدينة كان لها تابعٌ من الجن، فجاء في صورة طائرٍ أبيض، فوقع على حائطٍ لهم، فقالت له: لِمَ لا تنزلُ إلينا فتحدِّثنا ونحدِّثك، وتخبرنا ونخبرك؟ فقال لها: إنه قد بُعث نبيٌّ بمكة حرَّم الزِّنا ومنع منا القرار[٣].

وقال الواقدي: حدّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن الزُّهري، عن علي بن الحسين قال: إنَّ أولَ خبرٍ قدم المدينة عن رسولِ الله ﷺ أنَّ امرأةً تُدعى فاطمة كان لها تابع، فجاءها ذات يوم، فقام على الجدار، فقالت: ألا تنزل؟ فقال: لا، إنه قد بُعث الرسول الذي حرَّم الزِّنا[٤].

وأرسله بعض التابعين[٥] أيضاً وسمَّاه بابن لوذان، وذكر أنه كان قد غاب عنها مدة، ثمّ لما قدم عاتَبَتْهُ فقال: إني جئتُ الرسولَ فسمعته يحرِّم الزِّنا، فعليك السلام.

وقال الواقدي: حدّثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: قال عثمان بن عفان: خرجنا في عير إلى الشام قبل أن يُبعث رسولُ الله ﷺ فلما كنا بأفواه الشام ـ وبها كاهنة ـ فتعرضَتْنا، فقالت: أتاني صاحبي فوقف على بابي، فقلت: ألا تدخل؟ فقال: لا سبيل إلى ذلك، خرج أحمد، وجاء أمْرٌ لا يُطاق. ثم انصرفتُ، فرجعتُ إلى مكة، فوجدتُ رسولَ الله ﷺ قد خرج بمكة يدعو إلى الله عزَّ وجل.

وقال الواقدي[٦]: حدّثني محمد بن عبد الله الزهري قال: كان الوحي يُسمع، فلما كان الإسلام مُنعوا، وكانتِ امرأةٌ من بني أسد يقال لها: سعيرة، لها تابع من الجن، فلما رأى الوحيَ لا يُستطاع، أتاها فدخل في صدرها، فضجَّ في صدرها، فذهب عقلُها، فجعل يقول من صدرها: وُضع العناق، ومُنع الرِّفاق، وجاء أمر لا يُطاق، وأحمد حرَّم الزِّنا.

---

(١) في دلائل النبوة (١/ ١٣١) وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص٩٢) رقم (١٢٢) وابن سعد في الطبقات (١/ ١٨٩، ١٩٠) عن عبد الله بن جعفر الرقي عن عبيد الله بن عمرو به والإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٥٦) عن أبي المليح به، وأخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٣) والخطيب في الأسماء المبهمة (ص٢٥٩) وسمَّى المرأة فيه بـ: فطيمة اليثربية، وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٠٣).

(٢) عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد، فهو ضعيف عند التفرد، وقد تفرد هنا (بشار).

(٣) في مسند الإمام أحمد: الفرار. بالفاء.

(٤) طبقات ابن سعد (١/١٦٧) فيه الخبر بنحوه من طرق عن الزهري وعن علي بن الحسين، وإسناده ضعيف، لإرساله.

(٥) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٣٢).

(٦) أخرجه ابن سعد بنحوه في الطبقات (١/ ١٦٧) عن علي بن محمد عن عبد الله بن محمد القرشي عن الزهري.

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي[١] : حدّثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر ، حدّثنا عُمارة بن زيد ، حدّثنا عيسى بن يزيد ، عن صالح بن كيسان ، عمن حدّثه ، عن مِرْداس بن قيس الدَّوْسي[٢] قال : حضرتُ النبيَّ ﷺ وقد ذُكرتْ عنده الكهانةُ ، وما كان من تعبيرها[٣] عند مخرجه فقلت : يا رسول الله ، قد كان عندنا في ذلك شيءٌ ، أُخبرك أنَّ جاريةً منّا يقال لها : الخَلَصة ، لم نعلم عليها إلا خيراً ، إذْ جاءتنا فقالت : يا معشر دَوْس ، العَجَب العَجَب لما أصابني! هل علمتم إلا خيراً ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قالت : إنِّي لفي غنمي ، إذْ غشيتني ظُلْمة ، ووجدتُ كحَسِّ الرجل مع المرأة ، فقد خَشِيتُ أن أكونَ قد حَبِلْت . حتى إذا دنتْ ولادتها ، وضعتْ غلاماً أغضف[٤] ، له أذنان كأُذُني الكلب ، فمكث فينا حتى إنَّه ليلعب مع الغلمان إذْ وثب وثبةً ، وألقى إزاره ، وصاح بأعلى صوته وجعل يقول : يا وَيْلَهُ يا وَيْلَهُ! يا عَوْلَهُ يا عَوْلَه[٥] ! يا ويل غَنْم ! يا ويل فهم ، من قابس النار . [من الرجز]

الخَيْـــلُ واللهِ وراءَ العَقَبَـــهْ   فيهـــنَّ فتيـــانٌ حِسَـــانٌ نَجَبَـــهْ

قال : فركبنا وأخذْنا للأداة[٦] ، وقلنا : يا ويلك ! ما ترى ؟ فقال : هل من جاريةٍ طامث ؟ فقلنا : ومن لنا بها ؟ فقال شيخٌ منا : هي واللهِ عندي ، عفيفة الأم ، فقلنا : فعجِّلْها ، فأُتي بالجارية ، وطلع الجبل ، وقال للجارية : اطرحي ثوبَكِ واخْرُجي في وجوههم . وقال للقوم : اتَّبعوا أثرها . وقال لرجلٍ منا يقال له : أحمر بن حابس ، فقال : يا أحمر بن حابس ، عليك أوَّلَ فارس . فحمل أحمر ، فطعن أولَ فارسٍ فصرعه ، وانهزموا فغنمناهم . قال[٧] : فابتنينا عليهم بيتاً وسمَّيناه ذا الخَلَصَة ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول ؛ حتى إذا كان مبعثُك يا رسول الله قال لنا يوماً : يا معشر دَوْس نزلت[٨] بنو الحارث بن كعب فاركبوا ، فركبنا ، فقال لنا : اكْدِسُوا الخيلَ كَدْساً[٩] ، [و][١٠]احشوا القوم رَمْساً ،

(١) في هواتف الجنان (ص١٥١/ ٤) وأخرجه ابن عساكر عن الخرائطي في السيرة النبوية (١/ ٣٦٥) وما يأتي بين معقوفين منهما ، وإسناده ضعيف ، واستغربه المصنف .

(٢) في ح ، ط السدوسي ، والمثبت من الهواتف وتاريخ ابن عساكر نسخة (د) والإصابة ترجمة مرداس بن قيس .

(٣) في ح ، ط : تغييرها . والمثبت من الهواتف وتاريخ ابن عساكر نسخة (د) والإصابة ترجمة مرداس بن قيس .

(٤) « الأغضف » : كل متثنٍّ متكسِّر مسترخ ، وكلب أغضف : إذا صار مسترخي الأذن لطولها وسعتها . اللسان (غضف) .

(٥) « الويل » : الحزن والهلاك والمشقة ، ومعنى النداء فيه : يا حزني ويا هلاكي ويا عذابي احضر ، فهذا وقتك وأوانك . وأما العَول : فهو من العويل والبكاءوالاستغاثة ، ولا يتكلم به إلا مع (ويله) . اللسان (ويل ، عول) .

(٦) كذا في ح ، ط : وفي الهواتف وابن عساكر : الأداة . وفي اللسان (أدا) : العرب تقول : أخذ هداته أي أداته ، على البدل . وأخذ للدهر أداته : من العُدَّة . ورجل مؤدٍ : ذو أداة : شاك في السلاح .

(٧) في ح والهواتف وابن عساكر : قالوا . والمثبت من ط .

(٨) في ح : يركب .

(٩) « كدست الخيل » : ازدحمت في سيرها فركب بعضها بعضاً . التاج والمعجم الوسيط (كدس) .

(١٠) كذا في ح ، ط والهواتف ، وأظن الصواب : واحثوا ، والرمس : تراب القبر .

الْقَوْهم[١] غُدَيَّة ، واشربوا الخمر عشيَّة . قال : فلقيناهم . فهزمونا وغلبونا ، فرجعنا إليه فقلنا : ما حالك ؟ وما الذي صنعتَ بنا ؟ فنظرنا إليه وقد احمرَّت عيناه وانتصبتْ[٢] أذناه وانبرم غضباناً[٣] حتى كاد أن ينفطر ، وقام ؛ فركبنا واغتفرنا هذه له ، ومكثنا بعد ذلك حيناً ، ثم دعانا فقال : هل لكم في غزوةٍ تهب لكم عِزّاً ، وتجعل لكم حِرْزاً ، ويكون في أيديكم كنزاً ؟ فقلنا : ما أحوجنا إلى ذلك! فقال : اركبوا فركبنا فقلنا : ما تقول ؟ فقال : بنو الحارث بن مسلمة ، ثم قال : [قفوا . فوقفنا ، ثم قال][٤] : عليكم بفَهْم . ثم قال : ليس لكم فيهم دم ، عليكم بمُضَر ، هم أربابُ خيلٍ ونَعَم . ثمّ قال : لا ، رَهْطُ دُريد بن الصِّمَّة ، قليلُ العدد ، وفيُّ الذِّمَّة . ثمّ قال : لا ، ولكن عليكم بكعب بن ربيعة ، واسكنوها ضيعة[٥] عامر بن صعصعة ، فليكن بهم الوقيعة قال : فلَقيناهم ، فهزمونا وفضحونا[٦] ، فرجعنا وقلنا : ويلك! ماذا تصنع بنا ؟ قال : ما أدري ، كذَبني الذي كان يصدُقني ؛ اسجنوني في بيتي ثلاثاً ، ثمّ ائتوني . ففعلنا به ذلك ، ثمّ أتيناه بعد ثالثة ففتحنا عنه ، فإذا هو كأنه جمرة[٧] نار ، فقال : يا معشر دَوْس ، حُرستِ السماء ، وخرج خير الأنبياء . قلنا : أين ؟ قال : بمكة وأنا مَيِّت ، فادفنوني في رأس جبل ، فإني سوف أضطرمُ ناراً ، وإنْ تركتموني كنتُ عليكم عاراً ، فإذا رأيتمُ اضطرامي وتلهُّبي ، فاقذفوني بثلاثةِ أحجار ، ثمّ قولوا مع كل حجر : باسمك اللهمّ . فإني أَهْدَى وأطْفَى[٨] . قال : وإنَّه مات ، فاشتعل ناراً ، ففعلنا به ما أمر ، وقذفناه بثلاثةِ أحجار ، نقول مع كلِّ حجر : باسمك اللهم . فخمد وطَفِئ ، وأقمنا حتى قدم علينا الحاج ، فأخبرونا بمبعثك يا رسول الله . غريب جداً .

وروى الواقدي[٩] عن ابن أبي ذئب ، عن مسلم بن جُنْدُب ، عن النَّضْر بن سفيان الهُذَلي ، عن أبيه ، قال : خرجنا في عيرٍ لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزَّرْقاء ومَعَان[١٠] قد عرَّسْنا من

---

(١) في ط : انفوهم والمثبت من ح والهواتف وابن عساكر .
(٢) في الهواتف : وابيضَّت .
(٣) في الهواتف : وانزمَّ غضباً . وغضباناً . كذا بالتنوين على لغة بني أسد في تأنيثه على غضبانة . ومن ثم صُرف . التاج (غضب) .
(٤) ليس ما بين المعقوفين في ح .
(٥) كذا في ح ، ط وفي الهواتف وابن عساكر : واشكروها صنيعة . وهو أشبه .
(٦) في هامش ح : خـ وقصمونا .
(٧) في ط : حجرة . والمثبت من ح والهواتف وابن عساكر .
(٨) يعني : أهدأ وأطفأ ، وهي رواية الهواتف وابن عساكر .
(٩) رواه ابن سعد عن الواقدي في الطبقات (١/ ١٦١) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٠٤) وقال أخرجه ابن سعد وأبو نعيم [ستأتي الإشارة إليه] وابن عساكر .
(١٠) « الزرقاء » : موضع بالشام بناحية مَعان . معجم البلدان (٣/ ١٣٧) وتقع إلى الشمال الشرقي من عمَّان . ومَعَان : بالفتح ، والمحدثون يقولونه بالضم : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء [عمَّان] . معجم البلدان (٥/ ١٥٣) وتقع إلى الشمال الشرقي من العقبة .

الليل[١] ، فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها النيام هُبُّوا ، فليس هذا بحينِ رُقاد ، قد خرج أحمد ، فطُرِّدت الجنُّ كلَّ مُطَّرَد .

ففزعنا ونحن رفقة حَزَاوِرَة[٢] ، كلُّهم قد سمع بهذا ، فرجعنا إلى أهلنا ، فإذا هم يذكرونَ اختلافاً بمكَّة بين قريش ، في نبيٍّ قد خرج فيهم ، من بني عبد المطلب اسمه أحمد . ذكره أبو نُعيم[٣] .

وقال الخرائطي[٤] : حدّثنا عبد الله بن محمد البَلَوي بمصر ، حدّثنا عُمارة بن زيد ، حدّثني عبد الله[٥] ابن العلاء، حدّثنا يحيى بن عروة، عن أبيه، أنَّ نفراً من قريش ، منهم وَرَقَةُ بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى ابن قُصَيّ ، وزيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وعُبيد الله[٦] بن جَحْش بن رئاب ، وعثمان بن الحُويرث ، كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه ، قد اتخذوا ذلك اليومَ من كلِّ سنةٍ عيداً ، كانوا يعظِّمونه وينحرون به الجَزُور[٧] ، ثم يأكلونَ ويشربونَ الخمر ، ويعكفُون عليه ؛ فدخلوا عليه في الليل فرأَوْه مكبوباً على وجهه ، فأنكروا ذلك ، فأخذوه فردُّوه إلى حاله ، فلم يلبثْ أن انقلب انقلاباً عنيفاً ، فأخذوه فردُّوه إلى حاله ، فانقلب الثالثة ، فلما رأوا ذلك اغتمُّوا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحُويرث : ما له قد أكثر التنكُّس؟ إنَّ هذا لأمرٍ قد حدث! وذلك في الليلة التي ولد فيها رسولُ الله ﷺ فجعل عثمان يقول : [من الطويل]

أيا صنمَ العيدِ الذي صُفَّ حولَهُ صَناديدُ وفدٍ من بعيدٍ ومن قُرْب
تنكَّستَ مغلوباً فما ذاكَ قُلْ لنا أذاكَ سفيهٌ أن تنكَّستَ للعَتْب[٨]
فإن كان من ذَنْبٍ أتينا فإننا نَبُوءُ بإقرارٍ ونُلْوي عن الذَّنْبِ
وإنْ كنتَ مغلوباً ونُكِّستَ صاغراً فما أنتَ في الأوثانِ بالسيِّدِ الربِّ

قال : وأخذوا الصنم فردُّوه إلى حاله ، فلما استوى هتف بهم هاتفٌ[٩] من الصنم بصوتٍ جهير ، وهو يقول : [من الطويل]

---

(١) « التعريس » : نزول المسافر آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة . النهاية (٣/ ٢٠٦/ عرس) .
(٢) في ط : حزورة ، وفي ح : حراورة بالراء المهملة ، وفي الطبقات : جرارة . والمثبت من دلائل أبي نعيم والخصائص للسيوطي والنهاية (١/ ٣٨٠/ حزور) وفيه: جمع حَزْوَر، وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع .
(٣) في دلائل النبوة (١/ ١٣٣) ، وإسناده ضعيف جداً .
(٤) في هواتف الجنان (ص١٥٧) وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (١/ ٣٤٢) عن الخرائطي .
(٥) كذا في ط وتاريخ ابن عساكر ، وفي ح والهواتف : عبيد الله وسيأتي بهذا اللفظ في (ص١٦٥) موضع الحاشية (٢) ولم أقف على ترجمته .
(٦) في ح ، ط : عبد الله تصحيف ، والمثبت من الهواتف وتاريخ ابن عساكر وسيرة ابن هشام (١/ ٢٢٢) والروض (١/ ٢٥٣) وجمهرة الأنساب (ص١٩١) والتاج (جحش) .
(٧) في الهواتف وابن عساكر : الجُزُر . والجَزُور : الناقة ، جمع جُزُر .
(٨) في تاريخ ابن عساكر : تكوست مقلوباً .
(٩) في ح : هتف به هاتفا . والمثبت من ط والهواتف وتاريخ ابن عساكر .

تـــردَّى لمـــولـــودٍ أنـــارتْ بنـــورِهِ جميعُ فِجاجِ الأرضِ في الشّرق والغربِ
وخـــرَّتْ لـــه الأوثـــانُ طُـــرّاً وأُرعـــدتْ قلوبُ ملوكِ الأرضِ طُـرّاً مـن الرُّعْـبِ
ونـارُ جميـعِ الفُـرْس بـاختْ وأظلمـت وقد بات شاهُ الفرسِ في أعظَم الكَرْبِ[1]
وصـدّتْ عـن الكُهَّـان بـالغيـبِ جِنُّهـا فـــلا مخبـــرٌ عنـــه بحـــقٍّ ولا كِـــذْبِ
فيـــالَ قُصَـــيٍّ ارجعـــوا عـــن ضـــلالِكـــم وهبُّـوا إلـى الإسـلام والمنـزلِ الـرَّحْـبِ

قال : فلما سمعوا ذلك خلَصُوا نَجِيّاً ، فقال بعضهم لبعض : تصادقوا ولْيَكْتُمْ بعضكم على بعض ، فقالوا : أجل . فقال لهم ورقة بن نوفل : تعلمون والله ما قومكم على دين ، ولقد أخطؤوا المحَجَّة[2] ، وتركوا دينَ إبراهيم ؛ ما حجَرٌ تُطيفونَ به ، لا يسمع ولا يُبصر ، ولا ينفع ولا يضرّ ! يا قوم ، التمسوا لأنفسكم الدين . قال : فخرجوا عند ذلك ، يضربون في الأرض ، ويسألون عن الحنيفيَّةِ ، دين إبراهيم عليه السلام .

فأمَّا ورقة بن نوفل فتنصَّر ، وقرأ الكتب حتى علم علماً ؛ وأما عثمان بن الحُويرث فصار[3] إلى قيصر فتنصَّر وحسنت منزلته عنده ؛ وأما زيد بن عمرو بن نُفيل فأراد الخروج فحُبس ، ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب في الأرض ، حتى بلغ الرقَّةَ من أرض الجزيرة ، فلقي بها راهباً عالماً فأخبره بالذي يطلب ، فقال له الراهب : إنك لتطلبُ ديناً ما تجدُ منْ يحملك عليه ، ولكنْ قد أظلَّكَ زمانُ نبيٍّ يخرج من بلدك ، يُبعث بدين الحنيفيَّة . فلما قال له ذلك رجع يريدُ مكَّة ، فغارت عليه لَخْمٌ فقتلوه ؛ وأما عُبيد الله بن جَحْش فأقام بمكة حتى بُعث النبيُّ ﷺ ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصَّر وفارق الإسلام ، فكان بها حتى هلك هنالك نصرانياً .

تقدم في ترجمة يزيد بن عمرو بن نُفيل له شاهد[4] .

وقال الخرائطي[5] : حدّثنا أحمد بن إسحاق بن صالح أبو بكر الوزَّان[6] ، حدّثنا عمرو بن عثمان ،

---

(١) « باخت النار » : سكنت وفترت . وأبختها : أطفأتها . الأساس والتاج (بوخ) .
(٢) في ح ، ط : الحجة . والمثبت من الهواتف . والمَحَجة : الطريق المستقيم .
(٣) في ط : فسار ، والمثبت من ح والهواتف .
(٤) ورد ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب .
(٥) في هواتف الجنان (ص١٦٠) وأخرجه ابن عساكر عن الخرائطي في تاريخه (ج عبادة ـ عبد الله بن ثوب) (ص٢٣٧ ، ٢٣٨) وإسناده تالف فإن محمد بن عبد العزيز بن عمر الزهري منكر الحديث (الميزان ٣/ ٦٢٨) ورواه ابن هشام عن بعض أهل العلم بالشعر في السيرة (٢/ ٤٢٧) ورواه السهيلي في الروض (٤/ ١٢٠) عن ابن أبي الدنيا بإسناده عن الزهري به ، وأسانيده كلها ضعيفة .
(٦) وقع في ط ومطبوعة الهواتف وتاريخ ابن عساكر : الوراق . وهو تصحيف ، والصواب من ح وأصل الهواتف والجرح والتعديل (٢/ ٤١) وتاريخ بغداد (٤/ ٢٨) والأنساب للسمعاني (ق٥٨٢ب) (ط : مرغوليوث ـ ليدن) .

حدّثني أبي ، حدّثني[1] عبد الله بن عبد العزيز ، حدّثني محمد بن عبد العزيز ، عن الزُّهْري عن عبد الرحمن بن أنس السُّلمي ، عن العباس بن مرداس ، أنَّه كان يُغير[2] في لِقاحٍ له نصفَ النهار ، إذْ طلعتْ عليه نعامةٌ بيضاء ، عليها راكبٌ عليه ثيابٌ بياض مثل اللَّبَن ، فقال : يا عبَّاس بن مِرْدَاس ، ألم ترَ أنَّ السماءَ قد كفَّتْ أحراسَها ، وأنَّ الحرب تجرَّعتْ أنفاسها ، وأنَّ الخيل وضعتْ أحلاسها[3] ، وأنَّ الدِّين[4] نزل بالبرِّ والتقوى ، يومَ الاثنين ليلةَ الثلاثا ، صاحب الناقة القَصْوا[5] . قال : فرجعتُ مَرْعوباً قد راعني ما رأيتُ وسمعت ، حتى جئتُ وثناً لنا يُدعى الضِّمار[6] ، وكنَّا نعبدُه ونُكلَّم من جَوْفه ؛ فكنستُ ما حوله ، ثمّ تمسَّحْتُ به وقبَّلْته ، فإذا صائحٌ ، من جوفه يقول : [من الكامل]

قـلْ للقبـائـلِ مـن سليـمٍ كُلِّهـا هلكَ الضِّمَارُ[6] وفازَ أهلُ المسجدِ
هلكَ الضِّمَارُ[6] وكان يعبدُ مَرَّةً قبـلَ الصـلاةِ مـع النبـيِّ محمَّـدِ
إنَّ الـذي ورِثَ النبـوَّةَ والهُـدَى بَعْدَ ابْنِ مريمَ من قريشٍ مهتدِ[7]

قال : فخرجتُ مَرْعُوباً حتى أتيتُ قومي ، فقصصتُ عليهم القصة ، وأخبرتُهم الخبر ، وخرجتُ في ثلاثمئة من قومي من بني حارثة إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فلما رآني رسولُ الله

---

(١) في ط : حدثنا ، والمثبت من ح والهواتف .

(٢) في ط : يعر . والمثبت من ح والهواتف وتاريخ ابن عساكر ، وفي رواية أخرى عند ابن عساكر (ص٢٣٨) : بغمرة ، وغمرة موضع بالحجاز في طريق مكة .

(٣) « أحلاس » : جمع حِلْس : وهو ما ولي ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرج . المعجم الوسيط (حلس) .

(٤) في ط : الذي ، والمثبت من ح والهواتف وتاريخ ابن عساكر .

(٥) القصوا : بألف من غير همز ، مراعاة للفاصلة في السجع كما في ح والقصواء : لقب ناقة رسول الله ﷺ ، والقصواء : الناقة التي قطع طرف أذنها ، ولم تكن ناقة النبي ﷺ قصواء ، وإنما كان هذا لقباً لها . وقيل : كانت مقطوعة الأذن . النهاية (٤/ ٧٥ قصو) . والعبارة كما يبدو مضطربة ، وكذا هي في الهواتف ، وكذا رواها ابن عساكر عن الخرائطي ، ولابن عساكر (ص٢٣٩) رواية أخرى عن سليمان بن الحسن عن عمرو بن عثمان به وفيها : « مع صاحب الناقة القصوى » وكذا في الرواية عند أبي نعيم الآتي ذكرها ، وبهذه الرواية يزول الاضطراب من رواية الخرائطي والله أعلم .

(٦) في ح ، ط وأصل الهواتف وأصول تاريخ ابن عساكر : الضماد ، بالدال المهملة والمثبت من السيرة النبوية والروض الأنف ومعجم البلدان (٣/ ٤٦٢) والتاج (ضمر) . وضبطه السهيلي في الروض وياقوت : ضَمَار . على وزن فَعَالِ . وضبطه صاحب التاج « ضِمار » بكسر أوله . وقال السهيلي : هو مثل حَذَام ورقاشِ ، ولا يكون مثل هذا البناء إلا في أسماء المؤنث ، وكانوا يجعلون آلهتهم إناثاً كاللات والعزى ومناة لاعتقادهم الخبيث في الملائكة أنها بنات . وفي ضمار لغة أهل الحجاز وبني تميم البناء على الكسر لا غير من أجل أن آخره راء ، وما لم يكن في آخره راء كخدام ورقاش فهو مبني في لغة أهل الحجاز ومعرب غير مجرى في لغة غيرهم ، كذلك قال سيبويه . الكتاب(٣/ ٢٧٨ ـ ٢٨١) (ط هارون) ، (٢/ ٤١) (ط بولاق) .

(٧) الأبيات في المصادر السابقة على خلاف في بعض الألفاظ .

ﷺ قال لي : « يا عباس ، كيف كان إسلامُك » ؟ فقصصت عليه القصة . قال : فسُرَّ بذلك ، وأسلمتُ أنا وقومي .

ورواهُ الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »[١] من حديث أبي بكر بن أبي عاصم ، عن عمرو بن عثمان به .

ثمّ رواهُ أيضاً[٢] من طريق الأصمعي ، حدّثني الوصافي ، عن منصور بن المعتمر ، عن قَبيصة بنِ عمرو بن إسحاق الخُزاعي ، عن العبَّاس بن مِرْداس السُّلَمي قال : [كان] أوّل إسلامي أنَّ مِرْداساً أبي لما حضرَتْهُ الوفاةُ أوصاني بصنم له يقال ضمار[٣] ، فجعلتُه في بيت وجعلتُ آتيهِ كُلَّ يوم مرَّة ، فلما ظهر النبيُّ ﷺ [إذْ] سمعتُ صوتاً مرسلاً في جَوْفِ اللَّيل راعني ، فوثبتُ إلى ضمار[٣] مستغيثاً ، وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول : [من الكامل]

قُـل للقبيلـة مـن سُلَيْـم كُلِّهـا ... هلك الأنيسُ وعاش أهلُ المسجدِ
أودى ضمار[٣] وكان يُعْبَدُ مرةً[٤] ... قبـل الكتـابِ إلـى النبـيِّ محمَّـدِ
إنَّ الـذي وَرِثَ النبـوَّةَ والهُـدى ... بعدَ ابنِ مَرْيمَ من قريشٍ مُهْتَدِ

قال : فكتمتُه[٥] الناسَ ، فلما رجع الناسُ من الأحزاب ، بينا أنا في إبلي بطرَفِ العَقيق من ذاتِ عِرْقٍ راقداً[٦] ، سمعتُ صوتاً ، وإذا برجلٍ على جناح نعامةٍ وهو يقول : النو رالذي وقعَ ليلةَ الثلاثاء مع صاحب الناقة العَضْباء[٧] في ديار إخوان بني العنقاء . فأجابه هاتفٌ من شماله وهو يقول : بَشِّرِ الجِنَّ وإبْلاسَها أنْ وضَعتِ المَطِيُّ أحلاسَها ، وكَلاتِ السماءُ أحراسَها . قال : فوثبتُ مذعُوراً ، وعلمتُ أنَّ محمداً مُرْسَل ، فركبتُ فرسي وأحثثتُ[٨] السيرَ حتى انتهيتُ إليه ، فبايعتُه ثم انصرفت إلى ضمار[٩] ، فأحرقتُه بالنار ، ثم رجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأنشدتُه شعراً أقول فيه : [من الطويل]

---

(١) ليست هذه الرواية في المطبوع من دلائل النبوة لأبي نعيم .

(٢) في الدلائل (١/١٤٦) وما يأتي بين معقوفين منه ، وذكره السيوطي في الخصائص ، وقال فيه : أخرجه ابن جرير والمعافى بن زكريا وابن الطراح في كتاب الشواعر بأسانيدهم . قال بشار : وهذه الأسانيد كلها غير معروفة وكثير منها مختلق ، وكذلك أكثر ما أورده الخرائطي في كتابه .

(٣) في ح ، ط وأصل الدلائل : ضماد . وسبقت الإشارة إليه في الصفحة السابقة ح٦ .

(٤) في الدلائل : مدة .

(٥) في ح : فكتمه .

(٦) « العقيق » : ببطن وادي ذي الحُلَيفة ، وهو الأقرب منها ، وهو الذي جاء فيه أنه مهلُّ أهل العراق من ذات عِرْق . معجم البلدان (٤/ ١٣٩/ العقيق) .

(٧) « العضباء » : ناقة النبي ﷺ ، وعضباء : أي مشقوقة الأذن ، ولم تكن مشقوقة الأذن . النهاية (٣/ ٢٥١/ عضب) .

(٨) في ط : واحتثث . وفي الدلائل : وأجشمت . والمثبت من ح .

(٩) في ح ، ط : وأصل الدلائل : ضماد .

لعمـرُكَ إنِّـي يـومَ أجعـلُ جـاهـلاً ضمـاراً لِـربِّ العـالميـنَ مُشـاركـا
وتَـرْكـي رسـولَ اللهِ والأوس حـولـه أولئـك أنصـارٌ لـه مـا أولئكـا
كتاركِ سهل الأرضِ والحَزْن يَبْتغي ليسلُكَ في وَعْثِ الأمورِ المسالكا
فـآمنـتُ بـالله الـذي أنـا عبـدُهُ وخالفتُ مَنْ أمسى يريد المهالكا
ووجَّهتُ وجهي نحو مكةَ قاصداً أبـايـعْ نبـيَّ الأكـرميـنَ المبـاركـا[١]
نبـيٌّ أتـانـا بعـدَ عيسـى بنـاطـقٍ مـن الحـقِّ فيـه الفَصْـلُ فيـه كـذلكـا
أميـنٌ علـى القـرآنِ أولُ شـافـعٍ وأولُ مبعـوثٍ يجيـبُ المـلائكـا
تلافى عُرى الإسلامِ بعدَ انتقاضها فـأحكمَهـا حتـى أقـام المنـاسكـا
عَنَيْتُـكَ يـا خيـرَ البـريَّـةِ كُلِّهـا توسطتَ في الفرعين والمجدِ مالِكا
وأنت المُصَفَّى من قريشٍ إذا سَمَتْ على ضُمْرِها تبقَى القُرُونَ المباركا[٢]
إذا انتسـبَ الحَيَّـانِ كعـبٌ ومـالـكٌ وجَدْناكَ مَحْضاً والنساءَ العَوَارِكا[٣]

قال الخرائطي[٤] : وحدّثنا عبد الله بن محمد البَلَوي بمصر ، حدّثنا عُمارة بن زيد ، حدّثنا إسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني شيخٌ من الأنصار يقال له : عبد الله بن محمود ، من آل محمد بن مَسْلَمة قال : بلغني أنَّ رجالاً من خثعم كانوا يقولون : إنَّ مما دعانا إلى الإسلام أنَّا كنَّا قوماً نعبد الأوثان ، فبينا نحن ذاتَ يومٍ عند وثنٍ لنا إذْ أقبل نفرٌ يتقاضَوْن إليه ، يرجون الفرجَ من عندهِ لشيءٍ شجَرَ بينهم ، إذْ هتف بهم هاتف يقول[٥] : [من الرجز]

يـا أيُّهـا النـاسُ ذوو الأجسـامِ مـن بيـنِ أشيـاخٍ إلـى غُـلامِ
مـا أنتـمُ وطـائـشُ الأحـلامِ ومسنـدُ الحُكـم إلـى الأصنـام
أكلُّكـم فـي حَيْـرة نيـام[٦] أمْ لا تـرَوْنَ مـا الـذي أمـامـي

---

(١) قوله : أبايع . بالجزم من غير جازم لضرورة الشعر انظر الضرائر .

(٢) في ح : على صمها سعى القرون المباركا . والمثبت من ط والدلائل ، وضُمر : جمع ضامر ، وهو الفرس ؛ والقرون : بفتح القاف : النفس . اللسان (ضمر ، قرن) .

(٣) كذا في ح ، ط والدلائل ، ولعل الصواب : العواتكا ، والعواتك ثلاث نسوة كن من أمهات النبي ﷺ إحداهن عاتكة بنت هلال ؛ والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال ، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال . فالأولى من العواتك عمة الثانية والثانية عمة الثالثة . النهاية (٣/ ١٨٠/ عتك) .

(٤) في هواتف الجنان (ص١٦٢) وأخرجه ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية ـ القسم الأول (ص٣٦٤) عن الخرائطي وأبو نعيم في الدلائل (١/ ١٤٥) بسنده عن ابن خربوذ المكي عن رجل من خثعم . وأخرجه الماوردي في أعلام النبوة (ص١٤٦) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٠٧) .

(٥) عبارة الخرائطي في الهواتف : إذْ هتف بهم هاتف من الصنم فجعل يقول .

(٦) كذا في ح ، ط والهواتف ، ورواية ابن عساكر : حيرةِ النيامِ . وهي أشبه بالصواب للتخلص من الإقواء .

من ساطعٍ يَجْلو دُجى الظلامِ قد لاحَ للناظرِ من تِهَامِ
ذاكَ نبيٌّ سيّدُ الأنامِ قد جاء بعد الكُفْرِ بالإسلامِ
أكرمَه الرحمنُ من إمامِ ومن رسولٍ صادقِ الكلامِ
أعدَلُ ذي حكمٍ من الحكَّامِ يأمرُ بالصلاةِ والصِّيامِ
والبِرِّ والصِّلاتِ[١] للأرحامِ ويزجُرُ الناسَ عن الآثامِ
والرِّجْسِ والأوثانِ والحَرَامِ من هاشمٍ في ذِرْوَةِ السَّنَامِ
مستعلناً في البلدِ الحرامِ

قال : فلما سمعنا ذلك تفرَّقْنا عنه ، وأتينا النبيَّ ﷺ فأسلمنا .

وقال الخرائطي[٢] : حدّثنا عبد الله البَلَوي ، حدّثنا عُمارة ، حدّثني عبد الله[٣] بن العلاء ، حدّثنا محمد ابن عكبر[٤] ، عن سعيد بن جُبير ، أنَّ رجلاً من بني تميم يقال له رافع بن عُمير ؛ وكان أهدى الناسِ للطريق ، وأسْرَاهم بليل ، وأهجمهم على هَوْل ؛ وكانت العربُ تُسَمِّيه لذلك دُعْمُوص العرب ، لهدايته وخرَاتَتِهِ[٥] ، وجَرَاءته على السير ، فذكر عن بُدُوِّ إسلامه قال : إني لأسيرُ برمْلِ عالِجٍ[٦] ذاتَ ليلة ، إذْ غلبني النوم، فنزلتُ عن راحلتي وأنَخْتُها ، وتوسَّدتُ ذراعَها ونمت ، وقد تعوَّذتُ قبل نومي فقلت : أعوذُ بعظيم هذا الوادي من الجِنّ ، من أنْ أوذَى أو أُهاج ، فرأيتُ في منامي رجلاً شاباً يرصُدُ ناقتي ، وبيده حربةٌ يريد أَن يضعها في نَحْرِها ؛ فانتبهتُ لذلك فزعاً ! فنظرتُ يميناً وشمالاً فلم أرَ شيئاً ، فقلت : هذا حُلْم ، ثمّ عدتُ فغفَوْت ، فرأيت في منامي مثلَ رؤياي الأولى ، فانتبهت ، فدرتُ حولَ ناقتي فلم أرَ شيئاً ، وإذا ناقتي ترعد ؛ ثمَّ غفَوْت فرأيتُ مثلَ ذلك ، فانتبهت ، فرأيتُ ناقتي تضطرب ،والتفت ، فإذا أنا برجلٍ شابٍّ ، كالذي رأيتُ في المنام بيده حربة ، ورجلٌ شيخٌ ممسِكٌ بيده يردُّهُ عنها وهو يقول : [من الكامل]

يا مالكَ بنَ مُهَلهلِ بنِ دِثارِ[٧] مهلاً فِدًى لك مِئْزَري وإزاري

---

(١) في ح : والصلة . والمثبت من ط والهواتف .
(٢) في الهواتف (ص١٦٤) وذكره ابن حجر في الإصابة (١/ ٤٩٨) عن الخرائطي بسنده مختصراً وقال : وفي إسناد هذا الخبر ضعف .
(٣) في أصل الهواتف : عبيد الله . انظر (ص١٦٢ ح٥) .
(٤) كذا في ح ، ط . وسقط من ط لفظ محمد ، وفي أصل الهواتف محمد بن عكير وكذا في الإصابة ، ولم أقف على ترجمة له ، وجزم محقق الهواتف أنه محمد بن بكير ولا أراه ، لأن ابن جبير قتله الحجاج سنة ٩٥هـ بينما توفي محمد بن بكير بعد ٢٢٠هـ كما في ترجمته في تهذيب التهذيب (٩/ ٨١) .
(٥) سقطت اللفظة من ط والهواتف . واللفظة مشتقة من الخِرِّيت ، وهو الدليل الحاذق والماهر الذي يهتدي لأَخْراتِ المفاوز وهي طرقها الخفيفة ومضايقها . التاج (خرت) .
(٦) « عالج » : رمال بين فيد والقُرَيَّات ، وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة (٤/ ٦٩ ، ٧٠) .
(٧) في الهواتف : إثار .

عن ناقةِ الإنْسيِّ لا تعرضْ لها واخترْ بها ما شئتَ من أثواري
ولقد بدَا لي منك ما لم أحتسِبْ ألا رعَيْـتَ قـرابتـي وذِمـاري[١]
تسمـو إليـه بحَـرْبـةٍ مسمـومـةٍ تَبّـاً لِفِعلـكَ يـا أبـا الغفّـارِ[٢]
لـولا الحيـاءُ وأنَّ أهلَـكَ جيـرةٌ لَعَلِمـتَ مـا كشَّفـت مـن أخبـاري

قال : فأجابه الشاب وهو يقول : [من الكامل]

أأردتَ أن تعلو وتخفضَ ذِكرنا في غيرِ مَرْزِئَةٍ أبا العَيْزار[٣]
ما كانَ فيهمْ سيِّدٌ فيما مضى إنَّ الخيـارَ هُـمُ بنـو الأخيـار
فاقصِدْ لقصدِك يا معكبرُ إنما كانَ المجيرُ مُهلهِلَ بنَ إثَار[٤]

قال : فبينما هما يتنازعان إذْ طلعت ثلاثة أثوارٍ من الوحش ، فقال الشيخ للفتى : قمْ يا بن أُختِ ، فخذْ أيَّها شئتَ فداءً لناقةِ جاري الإنسي . فقام الفتى ، فأخذ منها ثوراً وانصرف ؛ ثمّ التفتَ إليَّ الشيخُ فقال : يا هذا ، إذا نزلتَ وادياً من الأودية فخفتَ هَوْلَه فقل : أعوذُ بالله ربِّ محمدٍ من هَوْلِ هذا الوادي ، ولا تَعُذْ بأحدٍ من الجنّ فقد بطل أمْرُها . قال : فقلت له : ومَنْ محمد هذا ؟ قال : نبيٌّ عربيّ ، لا شرقيٌّ ولا غربي ، بُعث يوم الاثنين . قلت : وأنَّى مسكنُهُ ؟ قال : يثرب ذات النخل . قال : فركبتُ راحلتي حين بَرَق ليَ الصبح وجدَدْتُ السيرَ حتى تقحَّمْتُ المدينة ، فرآني رسولُ الله ﷺ فحدّثني بحديثي قبل أن أذكُرَ له منه شيئاً ، ودعاني إلى الإسلام فأسلمت . قال سعيد بن جُبير : وكنا نرى أنه هو الذي أَنْزَلَ الله فيه : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] .

وروى الخرائطي[٥] من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة[٦] ، عن داود بن الحُصَين[٧] ، عن عكرمة، عن ابن عباس عن علي قال: إذا كنتَ بوادٍ تخاف السَّبُعَ فقل: أعوذ بدانيال والجب من شَرِّ الأسد .

وروى البَلَوي[٨] عن عُمارة بن زيد ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني يحيى بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، عن ابن عباس قصة قِتالِ عليٍّ الجنَّ بالبئر ذات العلم التي بالجُحْفَة حين

---

(١) « ذِمار الرجل » : كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته ، وإن ضيعه لزمه اللوم . التاج (ذمر) .
(٢) كذا في ح ، ط ، وفي الهواتف : العقار .
(٣) « المرزئة » : المصيبة ، مثل الرُّزْء . التاج (رزأ) .
(٤) كذا في ح والهواتف ، وفي ط : دثار ؛ وفي الهواتف : يا معيكر .
(٥) في الهواتف ص(١٦٦) وليس هذا الخبر في ح .
(٦) في ط : إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة . وهو تحريف : والمثبت من الهواتف وتهذيب المزي (٨/ ٣٨٠) وهو ضعيف .
(٧) في ط : داود بن الحسين . وهو تحريف : والمثبت من الهواتف وتهذيب المزي (٨/ ٣٧٩) وتهذيب التهذيب (٣/ ١٨١) .
(٨) يرويه عنه الخرائطي في الهواتف (ص١٦٧) وليس الخبر في ح .

بعثَهُ رسول الله ﷺ يستقي لهم الماء ، فأرادوا مَنْعَه ، وقطعوا الدَّلْوَ فنزل إليهم . وهي قصة مطوَّلة منكرة جدّاً ، والله أعلم .

وقال الخرائطي[(١)] : حدّثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره ، حدّثنا سليمان بن بنتِ شُرَحبيل الدمشقي[(٢)] ، حدّثنا عبد القدوس بن الحجّاج[(٣)] ، حدّثنا مجالد[(٤)] بن سعيد ، عن الشعبي ، عن رجلٍ[(٥)] قال : كنتُ في مجلسِ عمرَ بنِ الخطاب ، وعنده جماعةٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ يتذاكرون فضائلَ القرآن ، فقال بعضهم : خواتيم سورةِ النحل ؛ وقال بعضهم : سورة يس . وقال علي : فأين أنتم عن فضيلةِ آية الكرسي ؟ أما إنها سبعون[(٦)] كلمة في كل كلمة سبعون[(٧)] بركة . قال : وفي القوم عمرو بن مَعْدِي كَرِب لا يُحيرُ جواباً . فقال : أين أنتم عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال عمر : حدِّثْنا يا أبا ثَوْر .

قال : بينا أنا في الجاهلية إذْ جهدني الجوع ، فأقحمتُ فرسي البرِّيّة فما أصبتُ إلاَّ بَيْضَ النَّعام ، فبينا أنا أسير إذا أنا بشيخٍ عربيٍّ في خيمة ، وإلى جانبه جاريةٌ كأنها شمسٌ طالعة ، ومعه غُنيمات له ، فقلت له : اسْتأْسِر[(٨)] ثَكِلَتْك أُمُّك . فرفع رأسه إليَّ وقال : يا فتى ، إنْ أردتَ قِرًى فانزِلْ ، وإنْ أردتَ معونةً أعنَّاك . فقلت له : أستأسر . فقال : [من الطويل]

عَرضْنا عَليكَ ٱلنزْلَ مِنَّا تكرُّماً ‏ ‏ فلم ترعوي جَهْلاً كفِعلِ الأشائم[(٩)]
وَجِئـتَ ببُهْتـانٍ وزُورٍ ودونَ مـا ‏ ‏ تمنّيتَه بالبيضِ حزَّ الغَلاصِم[(١٠)]

قال : ووثب إليَّ وثبةً وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأني مَثَلْتُ تحته ، ثم قال : أَقتُلك أم

---

(١) في الهواتف (ص١٧٤) وأخرجه ابن حذلم الدمشقي في حديثه عن شيوخه ، وأبو بكر أحمد بن مروان المالكي في كتابه : « المجالسة وجواهر العلم » وابن عساكر في ترجمة عمرو بن معديكرب . انظر شعر عمرو بن معدي كرب (ص٢١٤) .

(٢) هو سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون المعروف بابن بنت شرحبيل . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٦) ومصادر ترجمته فيه يضاف إليها مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٠/ ١٦٩) .

(٣) كذا في ح ، ط والهواتف وفي شعر عمرو : محمد بن عبد القدوس . وهو أشبه بالصواب .

(٤) في ح ، ط : خالد . تصحيف ، والمثبت من الهواتف وشعر عمرو ، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٩) ، وهو ضعيف .

(٥) في شعر عمرو : الشعبي قال : حدثنا مكحول عن رجل . وهو أشبه بالصواب .

(٦) في الهواتف : خمسون .

(٧) سقطت اللفظة من ط ، وهي من ح والهواتف .

(٨) « استأسر » : أي كن أسيراً لي . التاج (أسر) .

(٩) قوله : ترعوي بإثبات الياء من الضرائر الشعرية ، وهو جائز .

(١٠) في الهواتف : الحلاقم ؛ والغلاصم : جمع غلصمة ، وهي رأس الحلقوم ، وهو الموضع الناتئ في الحلق . اللسان (غلصم) وزاد في رواية ابن حذلم :

فبالأحرف اللاتي تمسَّكت حفظها ‏ ‏ دُحضـت لحـاك الله عـن أنـف راغـم

أُخَلِّي عنك ؟ قلتُ : بل خلِّ عني . قال : فخلَّى عني . ثم إنَّ نفسي جاذبتني بالمعاودة فقلت : استأسِرْ ثكلَتْك أمُّك . فقال : [من الوافر]

بِبِسمِ الله والرَّحْمنِ فُزْنا هُنالكَ والرحيمِ به قَهَرْنا
وما تُغْني جَلادَةُ ذي حِفَاظٍ إذا يَوْماً[١] لمعركةٍ برزنا

ثم وثب إليَّ[٢] وثبةً كأني مَثَلْتُ تحته ، فقال : أقتلُكَ أمْ أُخَلِّي عنك ؟ قال : قلت : بل خَلِّ عني . فخلَّى عني ، فانطلقتُ غيرَ بعيد ، ثم قلتُ في نفسي : يا عمرو أيقهرُك مِثْلُ هذا الشيخ !؟ واللهِ لَلْمَوْتُ خيرٌ لك من الحياة . فرجعتُ إليه فقلت له : استأسِرْ ، ثكلَتْك أمك . فوثب إليَّ وثبةً وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، فكأني مثلتُ تحتَه ، فقال : أقتلُكَ أم أخلِّي عنك ؟ قلت : بل خلِّ عني ، فقال : هيهات ، يا جاريةُ ائتيني بالمُدْية . فأتَتْه بالمدية ، فجزَّ ناصيتي ، وكانتِ العرب إذا ظَفِرَتْ برجلٍ فجزَّتْ ناصيتَه استعبدَتْه ، فكنتُ معه أخدُمه مُدَّةً . ثم إنَّهُ قال : يا عمرو ، أريد أن تركب معي البرِّيَّة ، وليس بي منك وجَل ، فإني ببسم الله الرحمن الرحيم لواثق . قال : فسرنا حتى أتينا وادياً أشِباً نَشِباً[٣] مَهُولاً مَغُولاً[٤] ، فنادى بأعلى صوته : بسم الله الرحمن الرحيم . فلم يبقَ طَيْرٌ في وَكْرِه إلا طار ، ثم أعادَ القول ، فلم يبقَ سَبُعٌ في مَرْبِضِه إلا هرب ، ثم أعاد الصوت فإذا نحن بحَبَشيٍّ قد خرج علينا من الوادي كالنخلة السَّحُوق ، فقال لي : يا عمرو ، إذا رأيتَنا قدِ اتَّخَذْنا[٥] فقل : غلَبَهُ صاحبي ببسم الله الرحمن الرحيم . قال : فلما رأيتُهما قدِ اتَّخذا قلت : غلَبَهُ صاحبي باللاتِ والعُزَّى ، فلم يصنعِ الشيخُ شيئاً ، فرجع إليَّ وقال : قد علمتُ أنَّكَ قد خالفتَ قولي . قلت : أجل ، ولستُ بعائد . فقال : إذا رأيتَنا قدِ اتَّخذنا فقل : غلبه صاحبي ببسم الله الرحمن الرحيم . قلت : أفعل ، فلما رأيتهما قد اتخذا ، قلت : غلبه

---

(١) في ح : قوم ، والمثبت من ط .

(٢) في ح ، ط : وثب لي ، والمثبت من الهواتف .

(٣) سقطت اللفظة من ط ، وهي مثبتة في ح والهواتف . والموضع الأشب : كثير الشجر . ونشب : لعل معناه نشبت وعلقت أشجاره والتفت . أو لعله هو من الإتباع اللسان (أشب ، نشب) .

(٤) « المَهُول » : أي فيه هَوْل ، وهو المخُوف . المغول : لعل معناه كثير الغيلان جمع غُول ، وهي جنس من الشياطين والجن ، كانت العرب تزعم أن الغُول في الفلاة تتراءى للناس فتتغوَّل ـ تتلون ـ في صور شتى ، وتضلهم عن الطريق وتهلكهم . اللسان (هول ، غول) .

(٥) في ح ، ط ومطبوعة الهواتف : اتحدنا . بالحاء والدال المهملتين ، والمثبت من أصل الهواتف ، وأصل عجيبة بسم الله الرحمن الرحيم من رواية ابن حذلم نسخة الظاهرية ، والمنشور في شعر عمرو بن معدي كرب (ص٢١٤) وفيه تابع محققه رواية البداية والنهاية بالإهمال ولا معنى له ، إذ جاء في الأساس (أحد) : اتحد الرجلان ، وبينهما اتحاد ، ولا معنى له في هذا السياق . وبالإعجام كما جاء في أصل الهواتف ، وأصل ابن حذلم هو الصواب ، من قولهم : ائتخذ القوم يأتخذون ائتخاذاً : إذا تصارعوا فأخذ كل منهم على مصارعه أُخْذَةً يعتقله بها ، وقد تليَّنُ وتدغم فيقال : اتَّخَذَ .

صاحبي ببسم الله الرحمن الرحيم . قال : فاتكأ عليه الشيخ فبعجَهُ بسيفه ، فاشتق[١] بطنه ، فاستخرج منه شيئاً كهيئةِ القِنْديل الأسود ، ثم قال : يا عمرو ، هذا غِشُّه وغِلُّه . ثم قال : أتدري مَنْ تلك الجارية ؟ قلت : لا . قال : تلك الفارعَةُ بنتُ السُّليل[٢] الجُرْهُمي ، وكان أبوها[٣] من خيارِ الجِنّ ، وهؤلاء أهلُها بنو عمِّها يغزونني منهم كلَّ عامٍ رجلٌ ينصرني الله عليه ببسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : قد رأيتَ ما كان مني إلى الحَبَشيّ ، وقد غلب عليَّ الجوعُ ، فأْتني بشيء آكلُه ، فأقحمتُ فرسي[٤] البرِّيَّة فما أصبتُ إلا بَيْضَ النَّعَام ، فأتيتُه به فوجدْتُه نائماً ، وإذا تحتَ رأسِهِ شيءٌ كهيئة الخشبة ، فاستللْتُه فإذا هو سيفٌ عَرْضُه شِبْر ، في سبعة أشبار ، فضربتُ ساقَيْهِ ضربةً أبنْتُ الساقَيْنِ مع القدمَيْن ، فاستوى على فَقَارِ ظَهْرِه وهو يقول : قاتلك الله ما أغدَرَكَ يا غدَّار! قال عمر : ثم ماذا صنعت ؟ قلتُ : فلم أزلْ أضربُه بسيفي[٥] حتى قطَّعْتُه إرْباً إرْباً . قال : فوجَمَ لذلك ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

بالغدرِ نلْتَ أخا الإسلام عن كَثَبٍ ... ما إنْ سمعتُ كَذَا[٦] في سالِفِ العَرَبِ
والعُجْـمُ تـأنـفُ ممـا جئتَـه كَـرَمـاً ... تَبّـاً لمـا جئتَـه فـي السيِّـد الأرِبِ[٧]
إنــي لأعجــبُ أنَّــى نِلْــتَ قِتْلَتَــهُ ... أم كيفَ جازاكَ عند الذَّنبِ لم تَتُبِ ؟
قَـرْمٌ عفـا عنـك مـرَّاتٍ وقـد عَلِقـت ... بالجسمِ منكَ يداهُ مَوْضِعَ العَطَبِ
لو كنتُ آخُذُ في الإسلام ما فعلوا ... في الجاهليَّةِ أهلُ الشِّرْكِ والصُّلُبِ[٨]
إذاً لنـالَتْـكَ مـنَ عَـدْلـي مُشَطَّبـةٌ[٩] ... تدعو[١٠] لذائِقها بالويْلِ والحَرَبِ[١١]

قال : ثم ما كانَ من حالِ الجارية ؟ قلت : ثم إني أتيتُ الجارية ، فلمَّا رأتْني قالت : ما فعل الشيخ ؟ قلتُ : قتلَهُ الحَبَشِيُّ . فقالت : كذبتَ ، بل قتلتَهُ أنتَ بغَدْرِك . ثم أنشأت تقول : [من الخفيف]

---

(١) في الهواتف : فانشق .
(٢) في ح : السهيل . وفي الهامش : السليل . وفوقها خ إشارة إلى رواية أخرى ، والمثبت من ط والهواتف والضبط منه .
(٣) وكان أبوها ساقط من ط .
(٤) في ح ، ط : بفرسي ، والمثبت من الهواتف .
(٥) في الهواتف : بسيفه . وهو أشبه بالصواب .
(٦) في هامش أصل الهواتف : بذا . وفوقها خ إشارة إلى رواية في نسخة أخرى . ورواية ابن حذلم في شعر عمرو : بذا أيضاً .
(٧) « الأرِب » : الحاذق الكامل ، والماهر البصير . التاج والمعجم الوسيط (أرب) .
(٨) كذا على لغة من قال : « أكلوني البراغيث » الكتاب (٢/ ٤٠) ط هارون (١/ ٢٣٦ ط بولاق) .
(٩) سيف مشطب كمعظم : فيه شطب ، أي طرائق في متنه . التاج (شطب) .
(١٠) في ح : تدعا ، وفي الهواتف : يدعى .
(١١) « الحَرَب » : نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له ، والهلاك . التاج والمعجم الوسيط (حرب) .

عينُ[١] جُودي للفارسِ المِغْوارِ ثـم جُـودي بـواكفـاتٍ غِـزارِ
لا تَمَلِّي البكاءَ إذْ خانكِ الدَّهْـ ـرُ بـوافـي حقيقـةٍ صبَّـارِ
وتقـيٍّ وذي وَقـارٍ وحِلْـمٍ وعـديـلِ الفَخَـارِ يـومَ الفَخـارِ
لهفَ نفسي على بقائِكَ عمرٌو أسلمتْـكَ الأعمـارُ لـلأقـدار
ولعمـري لـو لـم تَـرُمْـهُ بغَـدْرٍ رُمـتَ ليثـاً بصـارمٍ بتَّـارِ[٢]

قال : فأحفظَني قولُها ، فاستللتُ سيفي ، ودخلتُ الخيمةَ لأقتُلَها ، فلم أرَ في الخيمة أحداً ، فاستقتُ الماشية وجئتُ إلى أهلي .

وهـذا أثرٌ عجيب . والظاهر أنَّ الشيخ كان من الجانِّ ، وكان ممن أسلم وتعلَّم القرآن . وفيما تعلَّمه : بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتعوَّذُ بها .

وقال الخرائطي[٣] : حدَّثنا عبد الله بن محمد البَلَويّ ، حدّثنا عُمارة بن زيد قال : حدّثني عبد الله[٤] ابن العلاء ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن جدَّته أسماءَ بنتِ أبي بكر قالت : كان زيدُ بن عمرو بن نُفَيل ، ووَرَقَةُ بن نَوْفَل يذكرانِ أنَّهما أتيا النجاشيَّ بعد رجوع أبرَهة من مكة . قالا : فلما دخلنا عليه قال لنا : اصْدُقاني أيها القرشيَّان ، هل وُلد فيكم مولودٌ أرادَ أبوهُ ذَبْحَه ، فضُربَ عليه بالقداح فسَلِم ، ونُحرت عنه إبلٌ كثيرة ؟ قلنا : نعم . قال : فهل لكما علم به ما فَعَل ؟ قلنا : تزوَّج امرأةً يقال لها : آمنة بنت وَهْب ، تركها حاملاً وخرج . قال : فهل تعلمان ولد أمْ لا ؟ قال ورقةُ بن نوفل : أُخبرك أيها الملك أني ليلةً قد بتُّ عند وثَنٍ لنا ، كنَّا نُطيف به ، ونعبده ، إذْ سمعتُ من جَوْفه هاتفاً يقول : [من الوافر]

وُلـد النبـيُّ فـذلَّـتِ الأمـلاكُ ونأى الضَّلالُ وأَدْبَرَ الإشْراكُ

ثمّ انتكس الصنَمُ على وجهه ، فقال زيد بن عمرو بن نُفَيل : عندي كخبره أيها الملك . قال : هات . قال : إني في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه ، خرجتُ من عند أهلي وهم يذكرون حَمْلَ آمنةَ ، حتى أتيتُ جبلَ أبي قُبيس أريد الخُلُوَّ فيه لأمرٍ رابني ، إذْ رأيتُ رجلاً نزل من السماء ، له جناحان أخضران ، فوقف على أبي قُبيس ، ثم أشرف على مكة فقال : ذَلَّ الشيطانُ وبطَلَتِ الأوثان ، ووُلد الأمين . ثم نشر ثوباً معه ، وأهوى به نحو المَشْرِق والمغرب ، فرأيتُه قد جلَّلَ ما تحت السمـاء ، وسطع نورٌ كاد أن يختطف بصري ، وهالني ما رأيت . وخفق الهاتفُ بجناحَيْه حتى سقط على الكعبة ؛ فسطع له نـورٌ أشرقت له تِهَامة ، وقال : ذَكتِ[٥] الأرضُ وأدَّتْ ربيعَها . وأومأ إلى الأصنام التي كانت على الكعبة

---

(١) في ط : يا عين ، وفي الهواتف : عيني ، والمثبت من ح .
(٢) في ح : لصارم ، وفي ط : كصارم ، والمثبت من الهواتف .
(٣) في هواتف الجنان (ص١٨٣) ، وإسناده تالف فعمارة بن زيد كذاب (الميزان ٣/ ١٧٧) .
(٤) في أصل الهواتف : عبيد الله ، وانظر ص (١٦٢) ح٥ وص (١٦٧) ح٣ .
(٥) في الهواتف : زلت . وهما بمعنى .

فسقطتْ كلُّها . قال النجاشي : ويحكما . أخبركما عمَّا أصابني ، إنِّي لنائم في الليلةِ التي ذكرتما في قُبَّة ، وقتَ خَلْوتي ، إذ خرجَ عليَّ من الأرض عُنق ورأس ، وهو يقول : حلَّ الويل بأصحاب الفيل ، رمَتْهُم طَيْرٌ أبابيل ، بحجارةٍ من سِجِّيل ، هلك الأشرمُ المعتدي المجرم ، وولد النبيُّ الأمي ، المكي الحَرَمي ، مَنْ أجابه سَعِد ، ومن أباه عند . ثم دخل الأرض فغاب ، فذهبتُ أصيح فلم أُطق الكلام ، ورُمْتُ القيام ، فلم أطقِ القيام ، فقرَعتُ القُبَّة بيدي ؛ فسمع بذلك أهلي ، فجاؤوني ، فقلت : احجبُوا عني الحبشة . فحجبوهم عني ، ثم أُطلق عن لساني ورجلي[١] .

وروى الحافظ أبو القاسم بنُ عساكر في « تاريخه »[٢] في ترجمة الحارث بن هانئ بن المُدْلِج بن المِقْداد بن زَمْل بن عمرو العُذْري ، عن أبيه ، عن جدِّه عن أبيه ، عن زَمْل بن عمرو العُذْري قال : كان لبني عُذْرَة صنمٌ يقالُ له : حمام ، وكانوا يُعَظِّمونه ، وكان في بني هند بن حَرَام بن ضِنَّة[٣] بن عبد بن كبير[٤] بن عُذْرة ، وكان سادِنُه رجلاً يقال له : طارق ، وكانوا يَعْترونَ عنده[٥] ، فلما ظهر رسولُ الله ﷺ سمعنا صوتاً يقول : يا بني هند بن حَرَام . ظهر الحق وأودى حمام ، ودفع الشركَ الإسلام . قال : ففزعنا لذلك وهالَنا ، فمكثنا أياماً ، ثمّ سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق يا طارق ، بُعث النبيُّ الصادق ، بوَحْيٍ ناطق ، صدع صادع بأرض تِهامَة ، لناصريه السلامة ، ولخاذليه الندامَة ، هذا الوداع مني إلى يوم القيامَة . قال زَمْل : فوقع الصنم لوجهه . قال زَمْل : فابتعتُ راحلةً ورحلت ، حتى أتيتُ النبيَّ ﷺ مع نفَرٍ من قومي وأنشدته شعراً قلتُه : [من الطويل]

إليكَ رسولَ اللهِ أعملتُ نَصَّها ... وكلَّفتُها حَزْناً وغَوراً من الرَّمْلِ[٦]

لأنصرَ خيرَ الناسِ نصراً مؤزَّراً ... وأعقِدَ حَبْلاً من حِبالك في حَبْلي

وأشهَدَ أنَّ اللهَ لا شيءَ غيرُهُ ... أدينُ به ما أثقلتْ قدمي نعلي[٧]

---

(١) جاء في ط بعد هذا الخبر مانصه : وسيأتي إن شاء الله تعالى في قصة المولد رؤيا كسرى في سقوط أربع عشرة شرفة من إيوانه ، وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه ، وتفسير سطيح لذلك على يدي عبد المسيح . ولا وجود لهذا النص في ح ، وقد مرت قصة المولد ورؤيا كسرى في هذا الجزء ، وهذا يدل على إنزاله في غير موضعه في ط ، لذا آثرت إنزاله إلى الحاشية .

(٢) أورد الخبر ابن منظور في مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ١٦٨) ، وإسناده مجاهيل .

(٣) في ح : صبية ، وفي ط : ضبة ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الإكمال (٥/ ٢١٥) .

(٤) في ح ، ط ومختصر تاريخ ابن عساكر : كثير ؛ والمثبت من جمهرة ابن الكلبي (٢/ ١٩٦) وجمهرة ابن حزم (ص٣١٥) والإكمال (٢/ ٤١٢ و٥/ ٢١٥) . وقد ذكر ابن ماكولا وابن حجر من يسمى كبيراً إلا أنه لم يعدا هذا منهم . الإكمال (٧/ ١٦٠) والتبصير (٣/ ١١٨٧) .

(٥) « عَتَر الشاة والظبية ونحوهما يعترها » : ذبحها ، والعتيرة : أول ما يُنتج ، كانوا يذبحونها لآلهتهم . اللسان (عتر) .

(٦) في ح : وكلفتها خوفاً وفوراً ؛ وفي المختصر : أكلفها حزناً وفوراً ؛ والمثبت من ط .

(٧) في ح : ما أثقلت قدمي رجلي . والمثبت من ط والمختصر . والشعر ظاهر الوضع .

قال : فأسلمتُ وبايعتُه . وأخبرناه بما سمعنا فقال : « ذاك من كلامِ الجِنّ » . ثم قال : « يا معشر العرب إنِّي رسولُ اللهِ إليكم وإلى الأنام كافة ، أدعوهم إلى عبادةِ اللهِ وحده ، وأني رسولُه وعبدُه ، وأنْ يحجُّوا البيت ، ويصوموا شهراً من اثني عشرَ شهراً ، وهو شهرُ رمضان ، فمَنْ أجابني فله الجنة نُزُلا ، ومن عصاني كانت النار له مُنْقلبا » . قال : فأسلَمْنا وعقد لنا لواءً . وكتب لنا كتاباً نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ رسولِ اللهِ لزَمْلِ بن عمرو ومَنْ أسلم معه خاصّة ، إني بعثته إلى قومه عامداً[١] ، فمن أسلم ففي حِزْب الله ورسوله . ومن أبى فله أمانٌ شهرين . شهد عليُّ بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري » ثمّ قال ابنُ عساكر : غريبٌ جداً . وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه : حدّثني محمد بن سعيد ـ يعني عمَّه ـ قال محمد بن المنكدر : إنه ذُكر لي عن ابن عباس قال : هتف هاتفٌ من الجِنّ على أبي قُبيس فقال : [من الخفيف]

قبّحَ اللهُ رأيكُمْ آلَ فِهْرٍ ... ما أدقَّ العقول والأفهام[٢]
حِينَ تُغْضي لِمَنْ يعيبُ عَلَيها ... دينَ آبائِها الحماةِ الكرام
حالفَ الجنُّ جنُّ بُصرى عليكم ... ورجالُ النّخيلِ والآطام
توشِكُ الخيلُ أن تَرَوْها نهاراً ... تقتلُ القومَ في حرام تَهَام[٣]
هَلْ كريمٌ مِنْكُم لَهُ نفسُ حرٍّ ... مَاجِدِ الوالدَيْن والأعمام[٤]
ضَارِبٌ ضربَةً تكونُ نكالاً ... ورواحاً من كُربةٍ واغتمام

قال ابنُ عباس : فأصبح هذا الشعر حديثاً لأهل مكة يتناشدونه بينهم . فقال رسول الله ﷺ : « هذا شيطانٌ يكلِّمُ الناسَ في الأوثان يقالُ له : مِسْعَر ، واللهُ مُخْزِيه » فمكثوا ثلاثةَ أيّام ، فإذا هاتفٌ يهتفُ على الجبل يقول : [من الرجز]

نحنُ قتلْنا في ثلاثٍ مِسْعرا
إذْ سفَّهَ الجنَّ وسنَّ المُنْكرا
قنَّعتُه سيفاً حُساماً مُشْهَرا
بشتمِهِ نبيَّنا المُطَهَّرا

فقال رسولُ الله ﷺ : « هذا عِفْريتٌ من الجِنّ ، اسمه سمج ، آمَنَ بي سمَّيتهُ عبد الله ، أخبرني أنه

---

(١) كذا في ح ، ط وفي مختصر ابن منظور : عامة ، وهو أشبه بالصواب .
(٢) كذا في ح ، ط : ولعل الصواب : يا أدقَّ . . . جاء في الأساس (دقق) : ويقال للذين يمنعون الخير ويشحون : لقد أدقت بكم أخلاقكم ، من أدق الرجل إذا اتبع الدقيق من الأمور .
(٣) في ح : مصل . . . بهام ، وما أثبته أشبه بالصواب فـ بهام لا معنى لها في البيت ، وتهام نسبة إلى تهامة ، اسم مكة ، على غير قياس ، اللسان (تهم) . ورواية ط : أن تردها تهادى .
(٤) كذا في ح ، ط ، ورواية الشطر الثاني في ح : ماجد الجدَّين .

في طلبه ثلاثةَ أيام » . فقال عليّ : جزاهُ الله خيراً يا رسول الله .

وقد روى الحافظُ أبو نُعيم في « الدلائل »[1] قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدّثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب الصفَّار ، حدّثنا عباس بن الفرج الرِّياشيّ ، حدّثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حَوْشب عن ابن عباس ، عن سعد بن عُبادَة قال : بعثني رسولُ الله ﷺ إلى حَضْرَمَوت في حاجةٍ قبل الهجرة ، حتى إذا كنتُ في بعض الطريق ساعةً من الليل ، فسمعت هاتفاً يقول : [من الوافر]

أبا عَمرٍو تأوَّبَني[2] السُّهودُ ... وراحَ النـومُ وامتنـعَ الهُجُـودُ
لِذكْرِ عِصابةٍ سلفوا وبادُوا ... وكـلُّ الخَلْـقِ قَصْـرُهُـمُ يَبِيـدُ
تـولَّـوْا واردِيـنَ إلـى المنـايـا ... حِيـاضـاً ليس مَنْهَلُهـا الـورودُ
مضَوْا لِسبيلهمْ وبَقِيتُ خَلْفاً ... وَحيـداً ليـسَ يُسعِفُنـي وحيـدُ
سُـدًى لا أستطيعُ عِـلاجَ أمرٍ ... إذا مـا عـالَـجَ الطفـلُ الـوليـدُ
فَـلأْيـاً مـا بَقِيـتُ إلـى أنـاسٍ ... وقـدْ بـاتَـتْ بمَهْلِكهـا ثَمُـودُ
وعادٌ والقرونُ بذي شَعُوبٍ ... سـواءٌ كلُّهـم أرِمٌ حَصِيـدُ[3]

قال : ثم صاح به آخر : يا خرعب ، ذهب بك العجب[4] ، إنَّ العجب كل[5] العجب بين زهرة ويثرب . قال : وما ذاك يا شاصب[6] ؟ قال نبيُّ السلام ، بُعث بخير الكلام ، إلى جميع الأنام ، فأخرج من البلد الحرام إلى نَخيلٍ وآطام . قال : ما هذا النبيُّ المرسل ، والكتابُ المنزل ، والأمِّيُّ المفضَّل ؟ قال : رجلٌ من ولد لُؤَيِّ بنِ غالب بن فِهْرِ بن مالك بن النَّضْرِ بن كِنَانة . قال : هيهات ، فات عن هذا سِنِّي ، وذهب عنه زَمَني ، لقد رأيْتُني والنضرَ بنَ كنانةَ نرمي غَرضاً واحداً ، ونشربُ حَلباً بارداً ، ولقد خرجتُ به من دُومة[7] ، في غداة شبمة ، وطلع مع الشمس وغرب معها ، يروي ما يسمع ويُثبت ما يُبصر . ولئن كان هذا من ولده لقد سُلَّ السيف ، وذهب الخوف ، ودُحِضَ الزِّنا ، وهَلَك الرِّبا . قال :

---

(١) الخبر في دلائل (١/ ١١٣) برقم (١١٨) ، وإسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب .
(٢) في ح ، ط : ناوَبَني ، ولا يستقيم به الوزن : وفي طبعة مصطفى عبد الواحد : تناوبني ، والمثبت من الدلائل ، ومعناه : راجعني.
(٣) « شعوب » : اسم المنيَّة ، سميت به لأنها تفرِّق . التاج (شعب) وأرم الشيء أرماً فهو أرِم : إذا فني وبلي . اللسان والوسيط (أرم) .
(٤) في ح : اللعب .
(٥) سقطت اللفظة من ح .
(٦) في ط : شاحب ، والمثبت من ح والدلائل .
(٧) في ط : دوحة .

فأخبرني ما يكون ؟ قال ذهبتِ الضرَّاء والبؤس والمجاعة[١] ، والشدة والشجاعة ، إلا بقيَّةً في خُزاعة . وذهبتِ الضرَّاءُ والبُوس ، والخلُق المَنْقُوس[٢] إلا بقية من الخَزْرَج والأوْس ، وذهبتِ الخُيَلاءُ والفَخْر[٣] ، والنميمة والغَدْر ، إلا بقيةً في بني بكر - يعني ابن هوازن - وذهب الفعلِ المُنْدِم ، والعمل المُؤْثم ، إلا بقيةً في خَثْعَم . قال : أخبرني ما يكون ؟ قال : إذا غُلبتِ التَّرَّة[٤] ، وكُظِمتِ الجِرَّة[٥] ، فاخْرُجْ من بلاد الهِجْرَة ، وإذا كُفَّ السلام ، وقُطعتِ الأرحام ، فاخرُجْ من البلد الحرام . قال : أخبرني ما يكون ؟ قال : لولا أُذُنٌ تسمع ، وعينٌ تلمع لأخبرتُكَ بما تفزَع . ثم قال : [من الخفيف]

لا منـامٌ هَـدَّأتَـه بنعيـمٍ يا ابنَ غوطٍ ولا صباحٌ أتانا[٦]

قال : ثم صرصر[٧] صرصرةً كأنها صرصرةُ حُبْلى ، فذهب الفجر ، فذهبتُ لأنظر ، فإذا عَظَايَةٌ وثعبان ميتان .

قال : فما علمتُ أنَّ رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث .

ثمّ رواه عن محمد بن جعفر ، عن إبراهيم بن علي ، عن النضر بن سلمة ، عن حسان بن عبادة بن موسى ، عن عبد الحميد بن بَهْرَام ، عن شَهْر ، عن ابن عباس ، عن سعد بن عُبَادة قال : لما بايعنا رسولَ الله ﷺ ليلةَ العَقَبة خرجتُ إلى حَضْرَموت لبعض الحاج ، قال : فقضَيْتُ حاجتي ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ ببعض الطريق نمت ، ففزِعْتُ من الليل بصائح يقول : [من الوافر]

أبا عمرٍو تأوَّبَني[٨] السُّهُودُ وراحَ النـومُ وانقطـعَ الهجـودُ

وذكر مثله بطوله .

وقال أبو نعيم : حدّثنا عمر[٩] بن محمد بن جعفر ، حدّثنا إبراهيم بن علي ، حدّثنا النَّضْر بن سلمة ،

---

(١) في ح : المخادعة .
(٢) « المنقوس » : من قولهم : نقس بين القوم : أفسد ، ورجل نقس : يعيب الناس ويلقِّبهم . التاج (نقس) ، وفي ط : المنفوس بالفاء .
(٣) في ح : الفقر .
(٤) في ط : البرة ، والمثبت من ح والتُّرَّة ، بضم التاء : ضبط القاموس ، وفي اللسان بفتحها ، وهي الجارية الرعناء الحسناء . التاج (ترر) .
(٥) يقال : كظم فلان على جِرَّته : إذا لم يسكت على ما في جوفه حتى تكلم به . الأساس (كظم) .
(٦) رواية العجز في ح : . . . عوط . . . أمانا .
(٧) سقطت اللفظة من ح .
(٨) انظر الصفحة السابقة ، حاشية ٢ .
(٩) سقط عمر بن . من ط ، وهو في ح برسم : محصر بن ، وما أثبتُّه من دلائل أبي نعيم ، حيث ورد هذا الإسناد في الصفحات (٩١ و١٢١ و١٧٠ و١٧١) من الجزء الأول من الدلائل وترجمته في ذكر أخبار أصبهان (١/ ٣٥٨) وسند الخبر الذي سيأتي بعد التالي ، وقد أورده ابن عساكر ، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٥/ ٣١٨ ، ٣١٩) .

حدّثنا أبو غزيّة[١] محمد بن موسى ، عن العطّاف بن خالد الوابصيّ[٢] ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : سمعتُ تميماً الداريَّ يقول : كنتُ بالشام حين بُعث النبيُّ ﷺ ، فخرجتُ لبعضِ حاجتي ، فأدركني الليل ، فقلت : أنا في جِوارِ عظيم هذا الوادي الليلة . قال : فلما أخذتُ مضجعي إذا أنا بمنادٍ يُنادي ـ لا أراه ـ عُذْ بالله ، فإنَّ الجنَّ لا تُجيرُ أحداً على الله . فقلت : أيم الله تقول[٣] ؟ فقال : قد خرج رسولُ الأمِّيِّين رسولُ الله ، وصلَّينا خلفه بالحَجُون ، فأسلمنا واتَّبَعْناه ، وذهب كَيْدُ الجِنّ ، ورُميَتْ بالشُّهب ، فانطلِقْ إلى محمد رسولِ ربِّ العالمين فأسلِم . قال تميم : فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى دير أيُّوب ، فسألتُ راهباً وأخبرتُه الخبر ، فقال الراهب : قد صدَقُوكَ ، يخرجُ من الحرم ومهاجَرُهُ الحرم ، وهو خيرُ الأنبياء فلا تُسْبَق إليه . قال تميم : فتكلَّفْتُ الشخوصَ حتى جئتُ رسولَ الله ﷺ فأسلمت .

وقال حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الله بن يزيد الهُذَلي ، عن عبد الله بن ساعدة الهُذَلي ، عن أبيه ، قال : كُنَّا عند صنَمِنا سُوَاع ، وقد جلَبْنا إليه غنماً لنا مئتي شاة ، قد أصابها جَرَب ، فأدْنَيْتُها منه لِتطَلُّبِ بركتِه ، فسمعتُ منادياً من جَوْف الصَّنَم يُنادي : قد ذهب كَيْدُ الجِنّ ، ورُمينا بالشُّهب ، لنبيٍّ اسمُهُ أحمد . قال : فقلت : غَوَيْتُ والله ، فصرَفْتُ وَجْهَ غنَمي مُنْجِداً إلى أهلي[٤] ، فخبَّرَني بظهورِ النبيِّ ﷺ .

ذكرَهُ أبو نُعيم هكذا معلَّقاً[٥] ، ثم قال[٦] :

حدّثنا عمر بن محمد بن جعفر ، حدّثنا إبراهيم بن السِّنْديّ ، حدّثنا النَّضْر بن سلَمة ، حدّثنا محمد بن سلمة[٧] المَخْزومي ، حدّثنا يحيى بن سليمان ، عن حكيم بن عطاء الظفري[٨] ـ من بني سُليم من ولد راشد بن عبد ربِّه ـ عن أبيه ، عن جدِّه ، عن راشد بن عبد رَبِّهِ قال : كان الصَّنَمُ الذي يُقال له : سُوَاع بالمَعْلاة من رُهاط[٩] ، تَدينُ له هُذَيل وبنو ظفر بن سُليم ، فأرسلَتْ بنو ظَفَر راشدَ بن عبد ربِّهِ بهديَّةٍ من

---

(١) سقطت اللفظة من ح .

(٢) في ط : الوصابي . تصحيف ، والمثبت من تهذيب الكمال للمزي (٢٠/ ١٣٨) وتهذيب التهذيب لابن حجر ، نسبه إلى وابصة بن خالد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي ، أحد أجداده .

(٣) في تاريخ ابن عساكر : أيم تقول . وهو بمعنى : أي شيء تقول ؟ انظر مختصر تاريخ دمشق والتاج (أيم) .

(٤) في ح : أهله . والمثبت من ط ، وفي الإصابة : منحدراً .

(٥) ليس الخبر في دلائل أبي نعيم المطبوع ، وقد أورده ابن حجر في الإصابة في ترجمة ساعدة ، وذكر لرواية أبي نعيم له في الدلائل ، وقال : وإسناده ضعيف .

(٦) يعني أبا نعيم في الدلائل (١/ ١٥٠) ، وإسناده فيه مجاهيل .

(٧) في ط : مسلمة ، تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل والجرح والتعديل (٧/ ٢٧٦) .

(٨) في دلائل أبي نعيم : الصقري ، وفي الإصابة : السلمي . ولم أقف على ترجمة له فيما لدي من المصادر ، والمثبت هنا من الإصابة ، وهو أشبه بالصواب ، لأنه من بني ظفر بن سليم كما سيأتي .

(٩) « المعلاة » : بالفتح ثم السكون : موضع بين مكة وبدر . ورُهاط : بضم أوله : موضع على ثلاثة ليال من مكة ، وقال قوم : وادي رهاط في بلاد هذيل . وكان أول من اتخذ سواعاً من ولد إسماعيل حين فارقوا دين إسماعيل هذيل بن مدركة . معجم البلدان (٣/ ١٠٧ و٢٧٦ ، و٥/ ١٥٨) والأصنام (ص ٩ ، ١٠) .

سليم إلى سُوَاع ، قال راشد : فأُلْقيتُ مع الفَجْرِ إلى صنمٍ قِبَلَ صنمِ سُواع ، فإذا صارخٌ يصرخ من جَوْفِهِ : العجَب كلَّ العَجَب ، من خروج نبيٍّ من بني عبد المطلب ، يُحرِّم الزِّنا والرِّبا والذَّبْحَ للأصنام ، وحُرستِ السماء ، ورُمينا بالشُّهُب ، العجَب كلَّ العجَب . ثم هتف صنمٌ آخَرُ من جوفه : تُرِكَ الضِّمَارُ[1] وكان يُعبد ، خرج النبيُّ أحمد ، يُصَلِّي الصلاة ، ويأمرُ بالزكاةِ والصِّيام ، والبِرِّ والصِّلاتِ للأرحام . ثم هتف من جوفِ صنمٍ آخَرَ هاتفٌ يقول : [من الكامل]

إنَّ الذي ورثَ النبوَّةَ والهُدَى ... بَعْدَ ابنِ مَرْيَمَ من قريشٍ مهتدِ
نبيٌّ أتى يُخبِرُ بما قد سبق ... وبما يكونُ اليومَ حقاً أو غد[2]

قال راشد : فألفَيْتُ سُواعاً مع الفجر وثَعْلَبانِ يلحسانِ ما حولَه ، ويأكلان ما يُهدى له ، ثم يَعُوجانِ عليه بِبَوْلهما ، فعند ذلك يقولُ راشدُ بن عبدِ ربِّه[3] : [من الطويل]

أربٌّ يَبُـولُ الثُّعْلُبـانُ بـرأسِـه ... لقد ذلَّ مَنْ بالَتْ عليه الثعالبُ

وذلك عند مَخْرَج النبي ﷺ ومهاجَرِه إلى المدينة ، وتسامع الناسُ به ، فخرج راشدٌ حتى أتى النبيَّ ﷺ المدينةَ ومعه كلبٌ له ، واسم راشدٍ يومئذٍ ظالم ، واسْمُ كلبِهِ راشد ، فقال له النبيُّ ﷺ : « ما اسمك ؟ » قال : ظالم . قال : « ما اسْمُ كَلْبِك ؟ » قال : راشد . قال « اسمك راشِد ، واسم كلبك ظالم » وضحِك النبيُّ ﷺ ، وبايعَ النبيَّ ﷺ وأقامَ بمكة معه ، ثم طلبَ من رسولِ الله ﷺ قَطِيعةً برُهاط ـ ووصفَها له ـ فأقطعَهُ رسولُ الله ﷺ بالمَعْلاة من رُهَاط ، شَأْوَ الفَرَس[4] ، ورَمْيَتَهُ ثلاثَ مرَّاتٍ بحَجَر ، وأعطاهُ إدَاوة[5] مملوءةً من ماءٍ ، وتفَلَ فيها وقال له : « فرِّغْها في أعلى القَطيعة ولا تمنع الناسَ فُضُولَها » ففعل ، فجعلَ الماءُ معيناً يجري[6] إلى اليوم ، فغرس عليها النخل .

---

(١) « الضمار » : صنم كان في ديار سليم بالحجاز معجم البلدان (٣/ ٤٦٢) وفي التاج (ضمر) : ضِمار صنم عبده العباس بن مرداس السلمي ورهطه .

(٢) كذا في ح ، ط : والبيت مضطرب الوزن في صدره ، وصواب قافيته غدا ، ونثر نثراً في دلائل أبي نعيم ، وروايته : نبي يخبر بما سبق وبما يكون في غد . وسقطت : قد من ط ، وفي خبر عباس بن مرداس في السيرة الحلبية (١/ ٢٣٤) سبق البيت الأول بيتان وهما :

قـل للقبـائـل مـن قـريـش كلِّهـا ... هلـك الضمـار وفـاز أهـل المسجـد
هلـك الضمـار وكـان يعبـد مـدَّة ... قبـل الصـلاة علـى النبـي محمـد

(٣) البيت ينسب لعباس بن مرداس وهو في ديوانه ، وينسب أيضاً لغاوي بن ظالم السلمي وأبي ذر الغفاري . اللسان (ثعلب) . والثعلبان : ذكر الثعالب ، والثعلب يطلق على الذكر والأنثى .

(٤) « شأو الفرس » : شوطها ومداها . اللسان (شأو) .

(٥) « الإداوة » : إناء صغير يُحمل فيه الماء . (المعجم الوسيط) .

(٦) كذا في ط ، وفي ح : محمر . وعلَّق الناسخ على الهامش ما نصه : لعله يجري ، وفي دلائل أبي نعيم : مجمة ، وأظن الصواب فيه : يجمُّ ؛ بمعنى يكثر . والله أعلم . اللسان (جمم) .

ويقال : إنَّ رُهَاط كلَّهَا تشربُ منه ، فسمَّاها الناسُ ماء الرسولِ ﷺ ؛ وأهلُ رُهاط يغتسلون بها . وبلغَتْ رَمْيَةُ راشدٍ الرَّكيب ، الذي يقال له : رَكيب الحَجَر[١] وغدا راشدٌ على سُوَاعٍ فكسره .

وقال أبو نعيم[٢] : حدّثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا علي بن إبراهيم الخُزاعيُّ الأهوازيّ ، حدّثنا أبو محمد عبدُ الله بن داود بن دِلْهاث بن إسماعيل بن مُسْرِع[٣] بن ياسر بن سويد صاحبِ رسولِ الله ﷺ حدّثنا أبي عن أبيه دِلْهاث ، عن أبيه إسماعيل ، أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع بن ياسر أنَّ أباه ياسراً حدَّثه عن عمرو بن مُرَّة الجُهني أنه كان يحدِّث قال : خرجتُ حاجّاً في جماعةٍ من قومي في الجاهلية ، فرأيتُ في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة ، حتى أضاء في جبلِ يثربَ وأشْعر جُهينة[٤] ، فسمعتُ صوتاً في النور وهو يقول : انقشعتِ الظلماء ، وسطَعَ الضياء ، وبُعث خاتمُ الأنبياء ، ثم أضاء إضاءةً أخرى حتى نظرتُ إلى قصورِ الحيرة وأبيضِ المدائن[٥] ، فسمعتُ صوتاً في النُّور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكُسرتِ الأصنام ، ووُصلتِ الأرحام . فانتبهتُ فزِعاً ! فقلت لقومي : والله ليحدثَنَّ في هذا الحيِّ من قريش حدَث ، وأخبرتُهم بما رأيت ؛ فلما انتهينا إلى بلادِنا جاءنا رجلٌ فأخبرنا أنَّ رجلاً يقالُ له : أحمد قد بُعث ، فأتيتُه فأخبرتُه بما رأيت ، فقال : « يا عمرو بن مُرَّة إني المُرْسَل إلى العبادِ كافَّةً ، أدعوهم إلى الإسلام ، وآمُرُهمْ بحَقْن الدِّماء ، وصِلَة الأرحام ، وعبادةِ الله ، ورَفْضِ الأصنام ، وحجِّ البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشرَ شهراً ، فمَنْ أجاب فله الجنَّة ، ومن عصَى فله النار ؛ فآمِن يا عمرو بنَ مُرَّة يُؤَمِّنْكَ اللهُ من نار جهنَّم » . فقلت : أشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . آمنتُ بكلِّ ما جئتَ به من حلالٍ وحرام ، وإنْ أرْغَمَ ذلك كثيراً من الأقوام ؛ ثم أنشدتُه أبياتاً قلتُها حين سمعتُ به وكان لنا صنم ، وكان أبي سادِناً له ، فقمتُ إليه فكسرته ، ثم لحِقْتُ النبيَّ ﷺ وأنا أقول : [من الطويل]

شهـــدتُ بـــأنَّ اللهَ حـــقٌّ وأنَنـــي ... لآلِهــــةِ الأحجــــارِ أولُ تــــارِكِ

---

(١) « الركيب » : المَشَارة بالفتح : الساقية أو الجدول بين الدبرتين ، أو هي ما بين الحائطين من النخيل والكرم ، وقيل هي ما بين النهرين من الكرم ؛ أو المزرعة . التاج (ركب) .

(٢) إسناد الخبر في الدلائل (١/ ١٢١) مختلف عما هنا ، وهو في مجمع الزوائد عن الطبراني (٨/ ٢٤٤) والوفا (١/ ٨١) .

(٣) في ح : سرع ، تصحيف ، والمثبت من ط والإصابة في ترجمته في القسم الثاني منه ، ولسان الميزان (٦/ ٢٠) وقال عنه : مجهول . ويبدو أنه سقط اسم عبد الله بن أبي إسماعيل وابن مسرع كما سيأتي في إسناده . والإسناد للطبراني في معجمه الكبير (٢٢/ ٢٧٧) إلا أنني لم أقع على الخبر فيما طبع منه ، وكذلك هو في المعجم الأوسط (٤٢٢٠) ، وهو إسناد من المجاهيل .

(٤) مضى تعريف الأشعر في ص (١٢٧) ح(٣) .

(٥) مضى تعريف أبيض المدائن في ص (١٢٧) ح(٤) .

فشمَّرْتُ عن ساقي إزاراً مُهاجِراً إليكَ أدِبُّ الغَوْرَ بعدَ الدَّكَادِكِ[١]
لأصحبَ خيرَ الناسَ نفساً ووالداً رسولَ مليكِ الناسِ فوقَ الحَبَائِكِ[٢]

فقال النبيُّ ﷺ : « مرحباً بك يا عَمْرَو بن مُرّة »[٣] . فقلت : يا رسولَ الله ، بأبي أنت وأمي ابعثْ بي إلى[٤] قومي لعلَّ اللهَ أنْ يَمُنَّ بي عليهم كما مَنَّ بكَ عليّ . فبعثني إليهم وقال : « عليك بالقولِ السَّدِيد ، ولا تكنَّ فَظّاً ولا متكبِّراً ولا حَسُوداً » فأتيتُ قومي فقلت لهم : يا بني رِفاعة ، ثم يا بني جُهَينة ، إني رسولٌ من رسولِ الله إليكم ، أدعوكم إلى الجنَّة ، وأُحَذِّركمُ النَّار ، وآمرُكُمْ بحَقْنِ الدِّمَاء ، وصلةِ الأرحام ، وعبادةِ الله ، ورفض الأصنام ، وحجِّ البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهرٌ من اثنيْ عشرَ شهراً ؛ فمن أجابَ فله الجنَّة ، ومن عَصَى فله النار ؛ يا معشرَ جُهينة ، إنَّ الله ـ وله الحمد ـ جعلكم خيارَ مَنْ أنتم منه ، وبغَّضَ إليكم في جاهليَّتِكم ما حُبِّبَ إلى غيركم من الرَّفَث ـ لأنهم كانوا يجمعونَ بين الأُخْتَين ، ويَخْلُفُ الرجلُ على امرأةِ أبيه ـ والتِّراتِ[٥] في الشهر الحرام ؛ فأجيبوا هذا النبيَّ المرسل ﷺ من بني لُؤَيِّ بن غالب ، تنالوا شرفَ الدنيا وكرامةَ الآخرة ، سارعوا وسارعوا في ذلك ، تكنْ في ذلك لكم فضيلةٌ عند الله . فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال : يا عمرَو بن مُرَّة ، أمَرَّ اللهُ عليك عَيْشَك ! أتأمرُنا أنْ نرفُضَ آلهتنا ، ونُفَرِّقَ جماعتنا بمخالفةِ دينِ آبائنا إلى ما يدعُو هذا القرشيُّ من أهل تهامة ؟ لا ، ولا مَرْحباً ولا كرامة ، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

إنَّ ابنَ مُرَّة قد أتى بمقالةٍ ليستْ مقالةَ من يُريدُ صَلاحا
إني لأحسِبُ قولَهُ وفعالَهُ يوماً وإنْ طالَ الزمانُ رياحا
أتسفِّهُ الأشياخَ ممَّنْ قدْ مَضَى مَن رامَ ذلكَ لا أصابَ فَلاحا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب مني ومنك أمَرَّ الله عيشه ، وأبْكَمَ لسانه ، وأكْمَهَ بصرَه . قال عمرو بن مُرّة : واللهِ ما مات حتى سقط فُوه ، وكان لا يجدُ طعمَ الطعام ، وعمِيَ وخرِس .

وخرج عمرو بن مُرَّة ومَنْ أسلمَ من قومه حتى أتوا النبي ﷺ ، فرحَّبَ بهم وحيَّاهم[٦] ، وكتب لهم كتاباً هذه[٧] نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من اللهِ على لسانِ رسولِ اللهِ ، بكتابٍ

---

(١) مضى التعليق على ذلك في ص(١٢٨) ح(٢) .
(٢) مضى التعليق على ذلك في ص(١٢٨) ح(٣) .
(٣) سقط : بن مرة من ح .
(٤) في ح : على .
(٥) يعني : وبغض إليكم الترات ، وهي جمع تِرَة ، وهي الذَّحْل ، من قولهم : وترْتَهُ ، أي أدركته بمكروه ، والموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه . اللسان (وتر) .
(٦) في ط : وحباهم .
(٧) في ح : هذا .

صادق ، وحقٍّ ناطق ، مع عمرو بن مُرَّة الجُهَنيِّ لجُهينة بن زيد ، إنَّ لكم بُطُونَ الأرض وسُهولَها ، وتِلاعَ الأوديةِ وظهورَها ، ترعَوْن نباتَه ، وتشربونَ صافيه ، على أنْ تُقِرُّوا بالخُمس ، وتصلُّوا الصلواتِ الخَمْس ، وفي التِّيعَةِ والصُّريمة شاتان[1] إنِ اجتمعتا ، وإنْ تفرَّقتا[2] فشاةٌ شاة . ليس على أهل المُثيرة[3] صدَقة ، ليس الوردة اللبقة » . وشهد من حضرَنا من المسلمين بكتابِ قيس بن شماس رضي الله عنهم .

وذلك حين يقول عمرو بن مرة : [من الطويل]

ألـم تـرَ أنّ اللهَ أظهـرَ دِينَـهُ ... وبَيَّـنَ بُـرْهـانَ القُـرانِ لعـامـرِ
كتـابٌ مـنَ الـرحمـنِ نـورٌ لجَمْعِنـا ... وأحْـلافِنـا فـي كُـلِّ بـادٍ وحَـاضـرِ
إلى خيرِ من يَمْشي على الأرض كلِّها ... وأفضلِهـا عنـد اعْتكـارِ الضَّـرائـرِ[4]
أطعنـا رسـولَ اللهِ لمَّـا تقطَّعَـتْ ... بطونُ الأعادي بالظُّبَى والخَواطِرِ[5]
فنحنُ قبيلٌ قد بُني المجدُ حولَنا ... إذا اجتُلبت في الحرب هامُ الأكابرِ
بنـو الحَـرْبِ نَقْـريها بـأيدٍ طـويلـةٍ ... وبيـضٍ تـلالا فـي أكُـفِّ المغـاوِرِ
ترى حوله الأنصارَ تحمي أميرَهم[6] ... بِسُمـر العـوالـي والصِّفَـاح البـواتِـر
إذا الحـربُ دارت عنـد كـلِّ عظيمـةٍ ... ودارت رحـاهـا بـاللُّيُـوثِ الهـواصِـرِ
تبلَّـجَ منـهُ اللَّـونُ وازداد وجهـه ... كَمِثْـلِ ضيـاء البـدْرِ بيـنَ الـزواهـرِ

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه : حدّثنا عبد الله ، حدّثنا أبو عبد الله ، حدّثنا المُجَالد بن سعيد والأجْلَح عن الشعبيّ ، حدّثني شيخٌ من جُهينةَ قال : مرض رجلٌ منا مرضاً شديداً فثَقُلَ ، حتى حفرنا له قبرَه ، وهيأنا أمْرَه ، فأُغمي عليه ثم فتح عينيه ، وأفاق فقال : أحفرتُمْ لي ؟ قالوا : نعم . قال : فمـا فعل القُصَل[7] ـ وهو ابنُ عمٍّ له ـ قلنا : صالح ، مرَّ آنفاً يسألُ عنك . قال : أما إنَّه يُوشك أنْ يُجعل في حفرتي ، إنه أتاني آتٍ حين أُغمي عليَّ فقال : ابكِ هُبَل ، أما ترى حُفْرَتَك

---

(١) مضى التعليق على ذلك في ص(١٢٨) ح(٦ و٧) .
(٢) في ح : إن اجتمعا ، وإن تفرقا ، والمثبت من النهاية وط .
(٣) في ح ، ط : الميرة . والمثبت مما سبق ص(١٢٨) ح(٨) .
(٤) « الاعتكار » : الازدحام والكثرة ، وهي هنا بمعنى الاختلاط ، والضرائر : الأمور المختلفة ، كضرائر النساء لا يتفقن . قال ابن الأثير (٣/ ٢٨٤) : ويروى باللام . النهاية (عكر ، ضرر) .
(٥) « الظبى » : جمع ظبة ، وهي حد السيف . والخواطر : جمع خاطر وهو المتبختر ، من الخطران عند الصولة والنشاط ، وهو التصاول والوعيد . انظر اللسان (خطر ، ظبي) . ولفظ ح : الضبار الخواطر .
(٦) في الوفا : يحمون سربه .
(٧) الضبط من تبصير المنتبه (٣/ ١٠٨٠) .

تنْتَثَل[١] ، وأمُّك قد كادت تَثْكَل ؟ أرأيتَكَ إن حوَّلْناها عنك بالمِحْوَل ، ثم ملأناها بالجَنْدَل ، وقذفنا فيها القُصَل ، الذي مَضَى فأجزأك ، وظنَّ أنْ لن يفعل ؟ أتشكرُ لربِّكَ وتُصلّ ، وتدَعُ دينَ مَنْ أشرك وضَلّ ؟ قال : قلت : نعم . قال : قُمْ ، قد برئت . قال : فبرئَ الرجل . ومات القُصَل فجُعل في حُفْرته .

قال الجُهَنِيُّ : فرأيتُ الجُهنيَّ بعد ذلك يصلِّي ويسبُّ الأوثانَ ويقَعُ فيها[٢] .

وقال الأموي : حدّثنا عبد الله قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجلس يتحدَّثون عن الجن ، فقال خُريم بن فاتك الأسدي : ألا أحدِّثك كيف كان إسلامي ؟ قال : بلى . قال : إني يوماً في طلب ذَوْدٍ لي ، أنا منها على أَثَر ، تنصَبُّ وتصعد[٣] ، حتى إذا كنت بأبْرَقِ العَزَّاف[٤] ، أنختُ راحلتي وقلت : أعوذُ بعظيم هذه البلدة ، أعوذ برئيس هذا الوادي ، فإذا بهاتف يهتف بي : [من الرجز]

ويحكَ ، عُذْ باللهِ ذي الجلالِ والمجدِ والعلياءِ والإفضالِ
ثم اتلُ آياتٍ من الأنفال ووحِّدِ اللهَ ولا تبالي

قال : فذُعرت ذُعْراً شديداً ، ثمَّ رجعتُ إلى نفسي فقلت : [من الرجز]

يا أيُّها الهاتفُ ما تقولُ ؟ أرَشَدٌ عندكَ أمْ تَضْليلُ ؟
بيِّنْ هداكَ اللهُ ما الحَوِيلُ[٥]

قال : فقال : [من الرجز]

هذا رسولُ الله ذو الخيراتِ بيَثْربٍ يَدْعُو إلى النَّجاةِ
يأمر بالبرِّ وبالصَّلاةِ ويَرْدَعُ الناسَ عن الهَنَاتِ[٦]

قال : قلت له : والله لا أبرَحُ حتى آتيَهُ وأؤمنَ به ، فنصبتُ رِجْلي في غَرْزِ[٧] راحلتي وقلت : [من الرجز]

أرشِدْني أرشِدْني هُديتا[٨] لا جُعتَ ما عشتَ ولا عَرِيتا

---

(١) يقال : نثلوا حفرة فلان وانتثلوها : أي حفروا قبره . الأساس واللسان (نثل) .
(٢) إسناده ضعيف لجهالة من روى عنه الشعبي .
(٣) « تنصبّ » : تنحدر . انظر اللسان (صبب) .
(٤) في ح ، ط : العراق . وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر ومعجم البلدان (١/٦٨) وفيه : أبرق العزاف : ماء لبني أسد بن خزيمة ، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة ، يجاء من حومانة الدراج إليه . قالوا : وإنما سمي العزاف ، لأنهم يسمعون عزيف الجن .
(٥) « ما الحويل » : ما الحيلة ؟ والحويل : الحذق وجودة النظر ، والقدرة على دقة التصرف . اللسان (حول) .
(٦) في ط : ويزع ، وكلاهما بمعنى ، وهو الزجر والنهي والكف .
(٧) « الغرز » : ركاب الرَّحْل ، من جلد مخروز ، يعتمد عليه في الركوب . المعجم الوسيط (غرز) .
(٨) كذا في ح ، ط ، والبيت مضطرب الوزن ، ورواية أبي نعيم في الدلائل أشبه بالصواب وهي : أرشدني رُشْداً بها هُديتا .

ولا بـرحـتَ سيِّـداً مُقِيتـا　　لا تُـؤثـرِ الخيـرَ الـذي أُتيتـا
على جميعِ الجِنِّ ما بَقِيتا

فقال : [من الرجز]

صـاحبَـكَ اللهُ وأدَّى رَحْلَكـا　　وعظَّـمَ الأجْـرَ وعـافـى نَفْسَكـا
آمِـنْ بـه أفلَـجَ ربِّـي حقَّكـا　　وانْصُـرْهُ أعـزَّ ربِّـي نصْـرَكـا[١]

قال : قلت : مَنْ أنتَ عافاك الله ؟ حتى أخبرَهُ إذا قدِمتُ عليه ؟ فقال : أنا ملك بن ملك ، وأنا نَقيبُه على جِنِّ نَصِيبين . وكُفيت إبلَكَ حتى أضُمَّها إلى أهلك إنْ شاء الله . قال : فخرجتُ حتى أتيتُ المدينةَ يوم الجُمعة والناسُ أرسالٌ إلى المسجد ، والنبيُّ ﷺ على المنبر كأنه البدْر يخطُب الناس ، فقلت : أُنيخ على باب المسجد حتى يُصلي ، وأدخلُ عليه فأسلِّم وأُخْبره عن إسلامي ؛ فلما أنختُ خرج إليَّ أبو ذرٍّ فقال : مرحباً وأهلاً وسهلاً ، قد بَلَغَنا إسلامُك ، فادخُلْ فصلِّ . ففعلتُ ، ثم جئتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرني بإسلامي . فقلت : الحمد لله . قال : « أما إنَّ صاحِبَك قد وفَى لك ، وهو أَهْلُ ذلك ، وأدَّى اللهُ إبلَك إلى أهلك »[٢] .

وقد رواه الطبراني في ترجمة خُرَيم بن فاتك من « معجمه الكبير » قائلاً[٣] : حدَّثنا الحسين بن إسحاق التُّسْتَرِيُّ[٤] ، حدّثنا محمد بن إبراهيم الشامي ، حدَّثنا عبد الله بن موسى الإسكندري ، حدَّثنا محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرةَ قال : قال خُرَيْمُ بن فاتِك لعمرَ بن الخطاب : يا أميرَ المؤمنين ، ألا أخبرك كيف كان بُدُوُّ إسلامي ؟ قال : بلى ، فذكره ، غيرَ أنه قال : فخرج إليَّ أبو بكرٍالصدِّيق فقال : ادخلْ ، فقد بلغَنا إسلامُك . فقلت : لا أُحْسِنُ الطُّهُور . فعلَّمَني ، فدخلتُ المسجد ، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ كأنه البدْرُ وهو يقول : « ما من مسلمٍ توضَّأ فأحْسَنَ الوُضُوء ، ثم صلَّى صلاةً يَحْفَظُها ويَعْقِلُها إلا دَخَلَ الجنَّة » فقال لي عمر : لتأتيَنِّي على هذا ببيِّنة أو لأُنكِّلَنَّ بك . فشهِدَ لي شيخَ قُريش عثمانُ بن عفَّان ، فأجازَ شهادَتَه .

---

(١) كذا في ح ، وفي ط : وانصره نصراً عزيزاً نصركا . وكلاهما مضطرب الوزن ، ولعل الصواب : وانصره نصراً عزَّ ربي نصركا . ورواية الدلائل : وانصر نبياً عزَّ ربي نصركا .

(٢) الخبر بنحوه في دلائل أبي نعيم (١/ ١٣٦) وأخرجه ابن عساكر مختصر ابن منظور (٨/ ٤١ ، ٤٢) . وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٥١ ، ٢٥٢) . قال بشار : وإسناده معضل . وانظر رواية الطبراني التالية ، فهي من رواية محمد بن إبراهيم الشامي الكذاب .

(٣) المعجم الكبير رقم (٤١٦٥) .

(٤) في ح ، ط : اليسيري ، والمثبت من المعجم الكبير والمعجم الصغير ، والسير (١٤/ ٥٧) .

ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة[١] ، عن محمد بن تيم[٢] ، عن محمد بن خليفة ، عن محمد بن الحسن ، عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك : حدثني بحديثٍ يعجبني[٣] . فذكر مثل السياق الأول سواء .

وقال أبو نعيم[٤] : حدَّثنا سليمان بن أحمد ، حدَّثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي ، حدَّثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شُرَحْبيل ، حدَّثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن أبي عمرو السَّيْبَاني[٥] ، عن عبد الله بن الدَّيلمي قال : أتى رجلٌ ابنَ عباس فقال : بلغنا أنك تذكرُ سَطِيحاً ، تزعم أنَّ الله خلقه ، لم يخلقْ من بني آدم شيئاً يشبهه ؟ قال : نعم ، إنَّ الله خلق سَطيحاً الغسَّانيَّ لحماً على وضَم[٦] ، ولم يكن فيه[٧] عظمٌ ولا عصَب إلا الجُمْجُمة ، والكفَّان . وكان يُطْوَى من رجلَيْهِ إلى تَرْقُوَتهِ كما يُطوى الثوب ، ولم يكن فيه شيءٌ يتحرَّك إلا لسانه . فلما أراد الخروجَ إلى مكة حُمل على وَضَمِه فأُتِي به مكة ، فخرج إليه أربعةٌ من قريش : عبد شمس وهاشم ابنا عبد مَنَاف بن قُصَيّ ، والأحوصُ بن فهر ، وعقيل بن أبي وقاص ، فانتمَوْا إلى غير نسَبِهم وقالوا : نحن أناسٌ من جُمَح ، أتيناك ، بلَغَنا قدومُك ، فرأينا أنَّ إتياننا إيَّاك حق لك واجبٌ علينا ، وأهْدَى إليه عقيل صفيحةً هنديَّة ، وصَعْدَة رُدَيْنيَّة ، فوضعت على باب البيت الحرام[٨] لينظروا ، أهل يراها سَطيحٌ أمْ لا ؟ فقال : يا عقيل ، ناولْني يدَك . فناولَه يدَه فقال :

---

(١) المعجم الكبير رقم (٤١٦٦) وفيه : محمد بن عفان ، وهو تحريف ، وترجمته في السير (١٤/ ٢١) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢١) قال فيه الذهبي : لم يصح .

(٢) في المعجم الكبير والمستدرك : محمد بن تسنيم الحضرمي . ولم أقف على ترجمة له ، وفي الميزان (٣/ ٤٩٤) : محمد بن تسنيم الوراق . قال الذهبي : لم أدر ما حاله ووافقه الحافظ في لسان الميزان .

(٣) في المعجم : تعجبني به .

(٤) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٥٢) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ٣٣) وقال : وأخرجه ابن عساكر . وهو في مختصره لابن منظور (٨/ ٢٩٧) .

(٥) في ح ، ط : الشيباني . بالشين المعجمة ، وكذا في الدلائل ، وهو تصحيف ، والمثبت من الإكمال (٥/ ١١١) والأنساب (٧/ ٢١٥) والتقريب (٢/ ٣٥٥) وفيه : روايته عن الصحابة مرسلة .

(٦) « الوضم » : شرائح من جرائد النخل . هذا الشرح من رواية ابن عساكر ، وفي النهاية (٥/ ١٩٩) : الوضم : الخشبة التي يوضع عليها اللحم ، تقيه من الأرض . ومنه حديث عمر رضي الله عنه : إنما النساء لحم على وضم ، إلا ما ذُبَّ عنه . قال الأزهري : إنما خص اللحم على الوضم وشبه به النساء ، لأن من عادة العرب ، إذا نحر بعير لجماعة يقتسمون لحمه أن يقلعوا شجراً ويوضم بعضه على بعض ، ويُعضَّى اللحم ـ يفرَّق ـ ويوضع عليه ، ثم يُلقى لحمه عن عراقه ، ويقطَّع على الوضم ، هبراً للقَسْم ، وتؤجَّج النار ، فإذا سقط جمرها اشتوى من حضر شيئاً بعد شيء على ذلك الجمر ، لا يمنع منه أحد ، فإذا وقعت المقاسم حوَّل كل واحد قسمه عن الوضم إلى بيته ، ولم يعرض له أحد . فشبَّه عمر النساء وقلَّة امتناعهن على طلابهن من الرجال باللحم ما دام على الوضم .

(٧) زاد في ح هنا : . . . لحماً ولا عصب ولم يكن فيه .

(٨) في ح : فوضعت على باب الحرم .

يا عقيل ، والعالِمِ الخفيَّة ، والغافر الخطيَّة ، والذِّمَّةِ الوفيَّة ، والكعبةِ المبنيَّة ، إنك للجائي بالهديَّة ، الصفيحةِ الهندية ، والصعدةِ الرُّدَينيَّة . قالوا : صدقتَ يا سَطيح ، فقال والآتي[١] بالفَرَح ، وقوسِ قُزَح ، وسائرِ القُرَّح[٢] ، واللَّطيم المُنْبَطِح[٣] ، والنَّخْلِ والرُّطَب والبَلَح ، إنَّ الغراب حيثُ مرَّ سَنَح ، فأخبر أنَّ القومَ ليسوا من جُمَح ، وأنَّ نسبَهُم من قريشٍ ذي البُطَح . قالوا : صدقتَ يا سَطيح ، نحن أهلُ البيت الحرام ، أتيناك لنزوركَ لما بَلَغنا من عِلْمِك ، فأخبِرْنا عمَّا يكونُ في زماننا هذا ، وما يكون بعده ، فلعل أنْ يكونَ عندك في ذلك عِلْم . قال : الآن صدقتم ، خذوا مني ومن إلهام اللهِ إيَّاي ، أنتم يا معشر العرب في زمان الهرَم ، سواءٌ بصائركم وبصائر العَجَم ، لا علم عندكم ولا فَهْم ، ويَنْشَؤُ من عَقِبكم ذوو فَهْم[٤] ، يطلبون أنواعَ العلم ، فيكسرون الصَّنَم ، ويبلغون الرَّدْم[٥] ، ويقتلون العُجْم ، يطلبون الغُنْم . قالوا : يا سَطيح ، فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذي الأركان ، والأمن والسكان[٦] لَيَنْشَؤُنَّ من عقبكم وُلْدان ، يكسرون الأوثان ، ويُنكرون[٧] عبادة الشيطان ، ويوحِّدُونَ الرحمن ، وينشُرون دينَ الدَّيَّان ، يُشرفون البنيان ، ويستفتون الفتيان[٨] . قالوا : يا سطيح ، من نَسْلِ مَنْ يكونُ أولئك ؟ قال : وأشرفِ الأشراف ، والمُحصي للإسراف ، والمزعزِعِ الأحْقَاف[٩] ، والمضعِفِ الأضعاف ، لَيَنْشَؤُنَّ الآلاف ، من عبدِ شمسٍ وعبدِ مَناف ، نُشوءاً يكون فيه اختلاف . قالوا : يا سوءتاهُ يا سَطيح ممَّا تخبرنا من العلم بأمرهم ! ومن أيِّ بلدٍ يخرج أولئك ؟ فقال : والباقي الأبَد ، والبالغِ الأمَد ، ليخرجَنَّ من ذا البلد ، فتىً يَهْدي إلى الرَّشَد ، يرفضُ يَغُوثَ والفَنَد[١٠] ، يبرَأُ من عبادة الضدَد ، يعبدُ ربّاً انفرد ، ثم يتوفاه الله محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً . ثم يلي أمره الصدِّيق إذا قضى صدق ، في ردِّ الحقوق لا خرِقٌ ولا نزِق ؛ ثم يلي أمره الحَنيف ، مُجَرِّبٌ غِطْريف ، ويترك قولَ العنيف[١١] . قد ضاف المضيف . وأحكم التحنيف . ثم يلي أمره داعياً لأمره مجرِّباً[١٢] . فتجتمع له جموعاً

---

(١) في ح والدلائل وابن عساكر : والآتِ والمثبت من ط .

(٢) كذا في ح ، ط وأظن رواية الخصائص وابن عساكر أشبه بالصواب ، وهي : والسابق القرَّح . والقرح : جمع قارح ، وهي من ذي الحافر ما استتم الخامسة ، والسابق هو الأول في الخيل في السباق . اللسان (قرح ، سبق) .

(٣) « اللطيم » : هو التاسع من سوابق النخيل ، وذلك أنه يلطم وجهه فلا يدخل السرادق . اللسان (لطم) .

(٤) في ح : دونهم ، وفي تاريخ ابن عساكر والخصائص : دَهْم . وهم الجماعة الكثيرة .

(٥) « الرَّدْم » : قرية بالبحرين . (معجم البلدان) .

(٦) في تاريخ دمشق والخصائص : والسلطان .

(٧) في تاريخ دمشق والخصائص : ويتركون .

(٨) كذا في ط وفي الدلائل : ويقتنون القيان ، وسقطت العبارة من ح ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : ويسبقون العميان .

(٩) « الأحقاف » : جمع حقف ، وهو أصل الرمل وأصل الجبل وأصل الحائط . اللسان (حقف) .

(١٠) « يغوث » : من أصنام الجاهلية ، والفند : الخطأ في الرأي والقول ، والكذب .

(١١) زاد في رواية ابن عساكر هنا : يعني عمر .

(١٢) كذا في الدلائل وط ، وحُرِّف في ح إلى : دراعاً لأمره محرماً ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : دارع لأمره =

وعُصَباً[١] ، فيقتلونه نِقمةً عليه وغضَباً ، فيؤخذ الشيخ فيذبَحُ إرْباً ، فيقوم به رجالٌ خُطَبا ، ثم يلي أمره الناصر[٢] ، ويخلطُ الرأيَ برأي النّاكر[٣] ، يظهر في الأرض العساكر ؛ ثم يلي بعدَهُ ابنه ، يأخذُ جَمْعَه ، ويُقلُّ حمدَه ، ويأخذُ المالَ ويأكلُ وَحْدَه ، ويَكْثُر المالُ بعقبِه[٤] من بعده ؛ ثم يلي من [بعده عدةُ ملوك ، لا شكَّ ، الدَّمُ فيهم مسفوك ، ثم][٥] بعدهم الصُّعْلوك ، يطويهم كطيِّ الدُّرْنُوك[٦] ثم يلي من بعده عظهور[٧] ، يُقْصي الخلق[٨] ويُدْني مُضَر ، يفتتح الأرضَ افتتاحاً منكراً ، ثم يلي قصيرُ القامة ، بظهره علامة يموت موتاً وسلامة ؛ ثم يلي قليلاً باكر ، يترك الملك بائر[٩] ، يلي أخوه بسنَّته سائر ، يختص بالأموال والمنابر ، ثم يلي من بعدِهِ أخْوَج ، صاحبُ دنيا ونعيم ، مُخَلَّج[١٠] ، يُثاوِرُه معاشرُه وذووه ، ينهضونَ إليه يخلعونَهُ بأخذِ الملك ويقتلونَه ، ثم يلي أمْرَهُ من بعده السابع ، يترك الملك مُخلَّى ضائع ، تثوَّرَ في ملكه كالمُشَوَّهِ جائع ، عند ذلك يطمعُ في الملك كلُّ عُرْيان ، ويلي أمْرَهُ اللَّهْفان ، يُوطئ[١١] نزاراً جمعَ قحطان ، إذا التقيا بدمشق جمعان ، بين بَنْيان[١٢] ولُبْنان ، يُصنَّف اليمن يومئذ صنفان : صنف المَسَرَّة[١٣] ، وصنف المخذول ، لا ترى إلا حباء محلول[١٤] . وأسيراً مغلول[١٤] . بين القراب والخيول . عند ذلك تخرب المنازل [وتسلب الأرامل][١٥] ، وتُسقطُ الحوامل ، وتظهر الزلازل ،

= مجرِّب . وهو أشبه بالصواب .

(١) كذا في ح ، ط والدلائل ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : فيجتمع له جموع وعصب . وهو الصواب .

(٢) زاد رواية ابن عساكر : معاوية .

(٣) في تاريخ دمشق : ماكر .

(٤) في الدلائل : ويكنز المال لعقبه .

(٥) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٦) « الدرنوك » : ضرب من البسط ، له خمل قصير ، أو هو الطنافس . اللسان (درنك) ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : يطؤهم كوطأة الدرنوك .

(٧) كذا في ح ، ط ولا معنى له ، وأظن الصواب فيه : غضوَّر . ومعناه الأسد كما في التاج (غضر) ، ورواية تاريخ دمشق والخصائص : عضوض . من كان فيه عسف وظلم ، وهو أشبه بالصواب .

(٨) في ح ، ط : الحق . والمثبت من تاريخ دمشق والخصائص .

(٩) كذا في ح ، ط ويظهر على العبارة الاضطراب والتحريف ، والصواب ما جاء في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢٩٩) : ثم يلي بُلْبُل ماكر ، يترك الملك مُخَلَّى بائر . والبلبل من الرجال الخفيف .

(١٠) « مخلج » : السمين ، فلحمه يضطرب . اللسان (خلج) .

(١١) في ح ، ط : يرضي . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق .

(١٢) « بنيان » : قرية باليمامة ينزلها بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . معجم البلدان (١/ ٥٠٢) ورواية تاريخ دمشق : بيسان . وهو أشبه بالصواب .

(١٣) كذا في ح ، وفي ط : المشورة ، وفي مختصر تاريخ دمشق المسوِّرة .

(١٤) كذا في ح ، ط والصواب : محلولا . . . مغلولا .

(١٥) ما بين المعقوفين سقط من ح .

وتطلبُ الخلافةَ وائل ، فتغضب نزار ، فتُدْني العبيدَ والأشرار ، وتُقْصي الأمثال والأخيار ، وتغلو الأسعارُ في صفَرِ الأصفار ، يُغَلُّ كلُّ جبّار ، ثم يسيرون إلى خنادق وأنها ذاتُ أشعارٍ وأشجار ، تصد له الأنهار[١] ، ويهزمهم أوَّلَ النهار ، تظهر الأخيار ، فلا ينفعهم نومٌ ولا قرار . حتى يدخل مصراً من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار . ثم يجيء الرُّماة ، تلف مشاة ، لقتل الكماة ، وأسر الحماة ، وتهلك الغواة ، هنالك يدرك في أعلى المياه . ثم يبور الدِّين ، وتُقلب الأمور ، ويكفر الزَّبُور ، وتُقطع الجسور ، فلا يفلت إلا مَنْ كان في جزائر البُحور ، ثم تبور الحُبوب ، وتظهر الأعاريب ، ليس فيهم مَعِيب[٢] ، على أهل الفسوق والريب ، في زمان عَصِيب ، لو كان للقوم حَيَا ، وما تُغْني المُنى . قالوا : ثم ماذا يا سَطيح ؟ قال : ثم يظهر رجلٌ من أهل اليمن كالشَّطَن ، يُذْهِبُ الله على رأسه الفتن .

وهذا أثرٌ غريب كتبناهُ لغرابته ، وما تضمَّنَ من الفتن والملاحم . وقد تقدَّم قصة شِقٍّ وسَطِيحٍ مع ربيعة بن نصر ، ملك اليمن ، وكيف بشَّر بوجود رسولِ الله ﷺ وكذلك تقدَّم قصة سَطِيح مع ابن أُخته عبد المسيح حين أرسله ملك بني ساسان ، لارتجاسِ الإيوان ، وخُمود النيران ، ورؤيا الموبذان . وذلك ليلةَ مولدِ الذي نسخ بشريعته سائرَ الأديان[٣] .

باب كيف بدأ الوحي
إلى رسول الله ﷺ ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم

كان ذلك وله ﷺ من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير[٤] عن ابن عباس وسعيد بن المسيِّب : أنه كان عمرُه إذْ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة .

قال البخاري[٥] : حدّثنا يحيى بن بُكَير ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : أوَّلُ ما بُدئَ به رسول الله ﷺ من الوَحْي الرُّؤْيا الصالحة[٦] في النَّوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءتْ مثلَ فَلَقِ الصُّبْح ، ثمّ حُبِّبَ إليه الخَلاء ، فكان يخلو بغارِ حِراء فيَتَحنَّثُ فيه ـ وهو التعبُّد ـ الليالِيَ ذواتِ العدَد ، قبل أنْ ينزِعَ إلى أهله ، ويتزوَّدُ لذلك ، ثم يرجع إلى خديجةَ فيتزوَّدُ

---

(١) في مختصر تاريخ دمشق : يعمِدُ لهم الأغيار .
(٢) في مختصر تاريخ دمشق : مُعين . وهو أشبه بالصواب .
(٣) تأمل هذه الأخبار فأكثرها مختلقة وإنما ساقها المصنف لغرابتها وليجمع كل ما قيل في هذا الموضوع ، فكن على حذر (بشار) .
(٤) يعني الطبري في تاريخه (٢/ ٢٩٢) .
(٥) فتح الباري رقم (٦٩٨٢) كتاب التعبير باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة .
(٦) وفي رواية : الصادقة . كما في الفتح وط .

لمثلها ، حتى جاءه[(١)] الحقُّ وهو في غار حِرَاءٍ ، فجاءه الملَكُ فقال : اقْرَأْ . فقال : « ما أنا بقارئ » قال : فأخذني فغطَّني[(٢)] حتى بَلَغ مني الجَهْد ، ثمّ أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلتُ : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطّني الثانيةَ حتى بلغ مني الجَهْد ، ثمّ أرسلني ، فقال : اقْرَأْ ، فقلتُ : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثمّ أرسلني فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] ، فرجع بها رسولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فؤادُهُ ، فدخل على خديجة بنتِ خُويلد ، فقال : « زَمِّلُوني زَمِّلُوني » فزمَّلُوهُ حتى ذهب عنه الرَّوْع ، فقال لخديجة ـ وأخبَرها الخَبَر ـ : « لقد خَشِيتُ على نفسي » . فقالت خديجة : كلا والله ، لا يُخْزِيك اللهُ أبداً ، إنَّك لتصِلُ الرَّحِم ، وتَقْرِي الضَّيف ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتَكْسِبُ المَعْدُوم ، وتُعينُ على نوائب الحقّ .

فانطلقتْ به خديجةُ حتى أتتْ ورقةَ بنَ نَوْفَل بن أسد بنِ عبد العُزَّى ابنَ عمِّ خديجة ؛ وكان امرءاً قد تنصَّرَ في الجاهلية ، وكان يكتبُ الكتابَ العِبْرَاني[(٣)] ، فيكتب من الإنجيل بالعِبْرانيَّةِ ما شاءَ الله أنْ يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِي ، فقالت له خديجة : يا ابنَ عمّ ، اسمَعْ من ابنِ أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خَبَر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس[(٤)] الذي كان ينزِلُ على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً[(٥)] ، ليتني أكونُ حيّاً إذْ يُخْرِجُكَ قومُك . فقال رسول الله ﷺ : « أو مُخرِجيَّ هم ؟ » فقال : نعم ، لم يأتِ أحدٌ بمثلِ ما جئتَ به إلا عُودي ، وإنْ يُدركني يومُكَ أنْصُرْك نصراً مُؤَزَّراً . ثم لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أنْ تُوفِّيَ ، وفَتَر الوَحْيُ فترةً .

حتى حزنَ رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ حُزْناً غدا منه مِراراً كي يتردَّى من رؤوس شواهِقِ الجبال ، فكلّما أوْفَى بذِرْوَةِ جبلٍ لكي يُلقي نفسَه تبدَّى له جِبْرِيلُ فقال : يا محمد ، إنَّك رسولُ الله حقاً فيسكنُ لذلك جَأْشُه ، وتَقِرُّ نفسُه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترةُ الوَحْي غَدا كمثلِ ذلك . قال : فإذا أوفى بِذِرْوةِ جبلٍ تبدَّى له جبريلُ فقال لهُ مثل ذلك .

---

(١) في الرواية الثانية المشار إليها في الحاشية (٢) السابقة والتي عند البخاري هي : حتى فَجِئَهُ الحق . ويبدو لي أن ابن كثير نقل هذه الأخيرة ، لأنه خصها بالشرح كما سيأتي (ص١٩٣) .

(٢) قال ابن حجر في الفتح (١/ ٢٤) : وفي رواية الطبري بتاء مثناة من فوق ، كأنه أراد ضمني وعصرني ، والغط : حبس النفس ، ومنه غطه في الماء ، أو أراد غمني ومنه الخنق . ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن : فأخذ بحلقي . اهـ .

(٣) قال ابن حجر في الفتح (١/ ٢٥) : وفي رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية . ولمسلم : فكان يكتب الكتاب العربي . والجميع صحيح ، لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية .

(٤) « الناموس » : صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره ، كما جزم به البخاري في أحاديث الأنبياء . انظر الفتح (٦/ ٤٢٢ و١/ ٢٦) وموضع الحاشية (٥) في المتن ص(١٩٦) من هذا الجزء .

(٥) يا ليتني فيها جذع : كذا في رواية الأصيلي ، وعند الباقين : جذعاً . بالنصب على أنه خبر كان المقدرة . قاله الخطابي . فتح الباري (١/ ٢٦) .

هكذا وقع مطوَّلاً في بابِ التعبير من البخاري[١] .

قال ابنُ شهاب[٢] : وأخبرني أبو سَلَمَة بنُ عبدِ الرحمن ، أنَّ جابرَ بنَ عبدِ الله الأنصاريَّ قال ـ وهو يحدِّثُ عن فَتْرةِ الوحي ـ فقالَ في حديثه : « بينا أنا أمشي ، إذْ سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعتُ بَصَري فإذا الملَكُ الذي جاءَني بحِرَاء جالسٌ على كُرْسيٍّ بينَ السماءِ والأرض . فرُعِبْتُ منه ، فرجعتُ فقلت : زَمِّلُوني ، زَمِّلوني ، فأنزل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر : ١ ـ ٥] فَحمِيَ الوَحْيُ وتَتَابَع » . ثمّ قال البخاري : تابعَهُ عبدُ الله بن يوسف ، وأبو صالح ـ يعني عن اللَّيث ـ وتابعه هِلالُ بنُ رَدَّاد ، عن الزُّهْري . وقال يونس ومعمر : بوادِرُه .

وهذا الحديث قد رواهُ الإمامُ البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع منه[٣] ، وتكلَّمنا عليه مطولاً في أول شرح البخاري في كتاب بَدْء الوحي إسناداً ومتناً . ولله الحمد والمِنَّة .

وأخرجه مسلم في « صحيحه »[٤] من حديث اللَّيث به ، ومن طريق يونس ومَعْمَر ، عن الزُّهْري كما علَّقَهُ البخاري عنهما ، وقد رمزنا في الحواشي على زياداتِ مسلم ورواياتِه ، ولله الحمدُ ، وانتهى سياقُهُ إلى قول ورقة : أنصرْكَ نصراً مُؤَزَّراً .

فقول أمِّ المؤمنين عائشة : أوَّلُ ما بُدِئ به من الوحي الرؤيا الصادِقة ، فكان لا يَرَى رؤيا إلا جاءتْ مثل فَلَقِ الصُّبْح ، يُقَوِّي ما ذكَرَهُ محمد بن إسحاق[٥] بن يسار ، عن عُبيد بن عُمير اللَّيثي ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « فجاءني جِبْريلُ وأنا نائم بنَمَطٍ من ديباج فيه كتاب[٦] . فقال : اقرأ . فقلتُ : ما اقرأُ ؟ فغتَّني ، حتى ظننت أنَّه الموت ، ثم أرسلني » وذكر نحوَ حديثِ عائشة سواء .

فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعدَهُ من اليَقَظَة ، وقد جاء مصرَّحاً بهذا في مغازي موسى بن عُقْبَةَ عن الزُّهري ، أنه رأى ذلك في المنام ثمّ جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظُ أبو نُعيم الأصبهاني في كتابه « دلائل النبوة »[٧] : حدّثنا محمد بن أحمد بن الحسن ،

---

(١) جمع ابن كثير في هذه الرواية بين روايتين عند البخاري في كتاب بدء الوحي وكتاب التعبير كما أشرت آنفاً والزيادة في الحديث من قوله : حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا إلى آخرهِ من بلاغات الزهري رقم (٦٩٨٢) في التعبير وليست موصولة ، فهي منقطعة .

(٢) يعني الزهري كما في الحديث السابق وبسنده المذكور آنفاً وهو في البخاري رقم (٤) كتاب بدء الوحي .

(٣) أرقامه في فتح الباري (٣٢٣٨ ، ٤٩٢٢ ، ٤٩٢٣ ، ٤٩٢٤ ، ٤٩٢٥ ، ٤٩٢٦ ، ٤٩٥٤ ، ٦٢١٤) .

(٤) صحيح مسلم (٢٥٢ ـ ١٦٠) الإيمان باب بدء الوحي ، ورقم (٢٥٣ و٢٥٤) .

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٦) والروض (١/ ٢٦٨) .

(٦) « النمط » : ضرب من البسط له خَمْل رقيق ، أو ثوب من صوف ملوَّن له خمل رقيق . النهاية (٥/ ١١٩) والتاج (نمط) .

(٧) ليس في المطبوع منه .

حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا مِنْجَاب[١] بن الحارث ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس ، قال : إنَّ أولَ ما يُؤتى به الأنبياءُ في المنام ، حتى تهدأ قلوبُهم ، ثم ينزِلُ الوحي بَعْدُ . وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسِه ، وهو كلامٌ حسن ، يؤيِّدُه ما قبله ويؤيده ما بعده .

ذكر عمرِه ﷺ وقت بعثتِه وتاريخها

قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا محمد بن أبي عدي ، عن داودَ بن أبي هند ، عن عامر الشَّعْبي : أنَّ رسولَ الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابنُ أربعين سنة ، فقرن بنبوَّتِهِ إسرافيل ثلاثَ سنين ، فكان يعلِّمُه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضتْ ثلاثُ سنين قرن بنبوته جِبريل ، فنزل القرآنُ على لسانه عشرين سنة ، عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاثٍ وستينَ سنة .

فهذا إسنادٌ صحيح إلى الشعبي ، وهو يقتضي أنَّ إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ، ثمّ جاءَهُ جبريل[٣] .

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا يُنافي هذا ، فإنه يجوز أنْ يكونَ أول أمره الرُّؤْيا ، ثم وُكِّل به إسرافيلُ في تلك المُدَّة التي كان يخلو فيها بِحرَاء ، فكان يُلقي إليه الكلمة بسرعة ، ولا يقيمُ معه ، تدريجاً له وتمريناً ، إلى أن جاءه جبريل ، فعلَّمه بعدما غطَّه ثلاثَ مرَّات ، فحكَتْ عائشةُ ما جرى له مع جِبْريلَ ، ولم تحكِ ماجرى له مع إسرافيلَ اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا يحيى عن هشام[٥] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أُنزل على النبي ﷺ

---

(١) في ط : جناب . تصحيف ، والمثبت من ح ، ورواية منجاب عن عبد الله بن الأجلح ، ورواية ابن أبي شيبة عنه ثابتة في ترجماتهم في السير (١٤/ ٢١) وتهذيب الكمال (١٤/ ٧٩) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٩٧) .

(٢) أخذه المصنف من دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٣٢) الذي رواه عن ابن بشران ، عن ابن السماك ، عن حنبل بن إسحاق ، عن الإمام أحمد . وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٩١) عن المعلى بن أسد العمي ، أخبرنا وهيب بن خالد عن داود به . وقال ابن سعد بعد إيراده الخبر : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبي ﷺ ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون : لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى أن قبض ﷺ اهـ .

(٣) لكنه مرسل ، فلا يحتج به (بشار) .

(٤) في المسند (١/ ٢٢٨) .

(٥) في ط : « يحيى بن هشام » ، وهو تحريف والصواب ما أثبتناه من المسند ، ويحيى هو ابن سعيد القطان ، وهشام هو ابن حسان (بشار) .

وهو ابن ثلاثٍ وأربعين ، فمكث بمكةَ عشراً وبالمدينة عشراً ، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين[١] .

وهكذا روى يحيى بن سعيد، عن سعيد[٢] بن المسيِّب . ثمّ رواهُ أحمد[٣]، عن غُنْدر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وهو ابنُ أربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين . ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنة .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا عفّان ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، أخبرنا عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس قال : أقام النبيُّ ﷺ بمكة خمسَ عشرةَ سنةً ، سبعَ سنين يرَى الضَّوءَ ويسمع الصوت ، وثماني سنين يُوحَى إليه ، وأقام بالمدينة عشرَ سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسولُ الله ﷺ يرى عجائبَ قبلَ بعثتِه ، فمن ذلك ما في صحيح مسلم[٥] عن جابر بن سَمُرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعْرِفُ حَجَراً بمكةَ كان يُسَلِّم عليَّ قبلَ أنْ أُبْعَث ، إني لأعْرِفُه الآن » . انتهى كلامُه .

وإنما كان رسولُ الله ﷺ يُحِبُّ الخَلاءَ والانفرادَ عن قومه، لِمَا يراهم عليهِ من الضَّلال المُبين، من عبادةِ الأوثان والسجود للأصنام ، وقويَتْ مَحبَّتُه للخَلْوَة عند مقاربة إيحاء الله إليه ، صلواتُ الله وسلامه عليه .

وقد ذكر محمد بن إسحاق[٦] عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العَلاء بن جارية[٧] ـ قال : وكان واعية ـ عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله ﷺ يخرجُ إلى حِرَاء في كلِّ عام شهراً من السنة يتنسَّكُ فيه ـ وكان مِنْ نُسُكِ قريشٍ في الجاهلية ـ يُطْعِمُ مَنْ جاءَهُ من المساكين ، حتى إذا انصرف من مجاورتِهِ ، لم يدخلْ بيتَهُ حتى يطوفَ بالكعبة .

---

(١) هذا مما أخطأ فيه يحيى بن سعيد القطان على جلالة قدره ، فقد خالفه يزيد بن هارون عند ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٣) و(١٤/ ٢٩١) ، والنضر بن شميل عند البخاري (٣٦٢١) ، وابن أبي عدي عند الترمذي (٣٦٢١) وروح بن عبادة عند أحمد (١/ ٣٧١) وغيرهم فرووه عن هشام : « وهو ابن أربعين » ، وهو الصحيح الذي عليه الجمهور (بشار) . وانظر الذي بعده .

(٢) في ط : « وسعيد » خطأ ، والصواب ما أثبتنا ، والرواية في دلائل النبوة للبيهقي من طريق الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب (١/ ١٣٢) (بشار) .

(٣) في المسند (١/ ٢٣٦ و٢٤٩) .

(٤) في المسند (١/ ٢٧٩) وأخرجه أيضاً عن حسن عن حماد به في (١/ ٢٩٤) وعن أبي كامل عن حماد به في (١/ ٣١٢) .

(٥) صحيح مسلم (٢ ـ ٢٢٧٧) الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ .

(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٤) والروض (١/ ٢٦٦) ويرويه ابن كثير هنا بالمعنى . سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٥ و٢٣٦) عن وهب بن كيسان كما سيأتي .

(٧) في ح ، ط : حارثة . تصحيف ، والمثبت من التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٤٢١) والإصابة في ترجمة جده العلاء وسيرة ابن هشام .

وهكذا رُوي عن وهب بن كيسان ، أنَّهُ سمع عُبيد بن عُمير يحدِّثُ عبد الله بن الزبير مثل ذلك ، وهذا يدلُّ على أن هذا كان من عادة المتعبِّدين في قريش ، أنهم يجاورون في حِرَاء للعبادة ، ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة[١] :

وثورٍ ومَنْ أرْسَى ثَبيراً مكانَهُ وراقٍ ليرْقَى في حِرَاءَ ونازِلِ

هكذا صوَّبه على رواية هذا البيت ، كما ذكره السُّهيلي وأبو شامة وشيخُنا الحافظ أبو الحجَّاج المِزِّي رحمهم الله ، وقد تصحَّف على بعض الرواة فقال فيه : وراقٍ ليرقى في حر ونازل ـ وهذا ركيك ومخالف للصواب . والله أعلم .

وحِرَاء يُقْصَر ويُمَدُّ ، ويُصرف ويُمنع ، وهو جبلٌ بأعلى مكة ، على ثلاثةِ أميالٍ منها ، عن يسار المارِّ إلى منى ، له قُلَّةٌ مشرفةٌ على الكعبة منحنية ، والغار في تلك المحنيَّة ، وما أحسن ما قال رُؤْبَة بن العَجَّاج[٢] :

فــلا وربِّ الآمِنــاتِ القُطَّــنِ وربِّ رُكـنٍ مـن حِـرَاءَ مُنْحني

وقوله في الحديث : والتحنُّث : التعبد ، تفسيرٌ بالمعنى ، وإلاَّ فحقيقة التحنُّث من حيثُ البِنْيَة فيما قاله السُّهيلي[٣] : الدخول في الحِنْث ، ولكنْ سمعتُ ألفاظاً قليلةً في اللغة معناها الخروجُ من ذلك الشيء ، فتحنَّثَ : أي خرج من الحِنْث ، وتحوَّب ، وتحرَّج ، وتأثَّم ، وتهجَّد ، وهو تَرْكُ الهُجود ، وهو النوم للصلاة ، وتنجَّس وتقذَّر ، أوردها أبو شامة .

وقد سُئل ابنُ الأعرابي عن قوله يتَحَنَّث ، أي يتعبَّد ؟ فقال : لا أعرف هذا ، إنما هو يتحنَّف من الحنيفيَّة دينِ إبراهيم عليه السلام .

قال ابنُ هشام[٤] : والعربُ تقول : التحنُّث والتحنُّف ، يُبْدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جَدَث ، وجَدَف[٥] ، كما قال رُؤْبة[٦] :

لو كان أحجاري مع الأَجْدَافِ

يريد الأجداث . قال : وحدَّثني أبو عُبيدة أنَّ العرب تقول : فُمَّ في موضع ثُمَّ .

قلت : ومن ذلك قول بعضِ المفسرين وفُومها أنَّ المراد ثومها .

---

(١) وهي قصيدة نشرت في ديوان شيخ الأباطح والبيت فيه (ص٣) وروايته : وعير وراق في حراء ونازل .

(٢) ديوان رؤبة (ص١٦٣) والبيتان هما ١١٣ و١١٦ من القصيدة ، وفيه : ورب وجه من حراء منحني .

(٣) الروض (١/ ٢٦٧) وقد نقل عنه ابن كثير بالمعنى .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٥) .

(٥) زاد ابن هشام في سيرته : يريدون القبر .

(٦) ديوان رؤبة (ص١٠٠) رقم البيت (٤٠) وروايته : لو كان أحجارٌ .

وقد اختلف العلماءُ في تعبُّده عليه السلام قبل البعثة ، هل كان على شرعٍ أم لا ؟ وما ذلك الشرع ؟ فقيل شرع(١) نوح ، وقيل شرع(١) إبراهيم . وهو الأشبه الأقوى ، وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل : كلُّ ما ثبت أنه شرعٌ عنده اتَّبعه وعمل به ، ولبسطِ هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أُخر في أصول الفقه والله أعلم .

وقوله : حتى فجئَهُ الحقُّ وهو بغارِ حِرَاء(٢) ؛ أي جاء بغتةً على غير موعد كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ الآية [القصص : ٨٦] .

وقد كان نزولُ صَدْر هذه السورة الكريمة وهي ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] . وهي أولُ ما نزل من القرآن كما قرَّرْنا ذلك في « التفسير »(٣) ، وكما سيأتي أيضاً في يوم الاثنين كما ثبتَ في صحيح مسلم(٤) عن أبي قتادة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئل عن صوم يومِ الاثنين ؟ فقال : « ذاك يومٌ وُلدتُ فيه ، ويومٌ أُنْزِلَ عليَّ فيه » .

وقال ابن عباس(٥) : وُلد نبيُّكم محمدٌ ﷺ يومَ الاثنين ، ونُبِّئَ يومَ الاثنين .

وهكذا قال عُبيد بن عُمير ، وأبو جعفر الباقر ، وغيرُ واحدٍ من العلماء : إنه عليه الصلاة والسلام أوحي إليه يوم الاثنين . وهذا ما لا خلافَ فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك في شهر ربيع الأول كما تقدَّم عن ابن عباس وجابر أنَّه وُلد عليه السلام ، في الثاني عشرَ من ربيعِ الأول يوم الاثنين ، وفيه بُعث ، وفيه عُرج به إلى السماء . والمشهور أنه بُعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان ، كما نص على ذلك عُبيد بن عُمير ، ومحمد بن إسحاق وغيرهما .

قال ابن إسحاق مستدلاً على ذلك(٦) بما قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] فقيل في ثاني عشرة .

وروى الواقديُّ بسنده(٧) عن أبي جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداءُ الوحي إلى رسول الله ﷺ يومَ الاثنين ، لسبعَ عشرةَ ليلةً خلَتْ من رمضان .

وقيل : في الرابع والعشرين منه .

---

(١) سقطت اللفظة من ح .
(٢) يعني في حديث البخاري المتقدم (ص١٨٨) ح(١) .
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٧) تفسير سورة اقرأ .
(٤) تقدم الحديث في (ص٣٠) في موضع الحاشية (٤) من هذا الجزء .
(٥) حديث ابن عباس وتخريجه في ص(٣٠ ح٥) من هذا الجزء ، وسيأتي في ص (٤٤٠) .
(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٩) والروض (١/ ٢٧٥) .
(٧) طبقات ابن سعد (١/ ١٩٤) .

قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدّثنا عمران أبو العوّام ، عن قتادة ، عن أبي المَليح ، عن واثِلَةَ بنِ الأسْقَع ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أُنْزِلَتْ صُحف إبراهيم في أولِ ليلةٍ من رمضان ، وأُنْزلت التوراةُ لستٍّ مضَيْنَ من رمضان ، والإنجيل لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلتْ من رمضان ، وأُنزل القرآن[٢] لأربعٍ وعشرين خلَتْ من رمضان » .

وروى ابنُ مردويه في « تفسيره » ، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه ؛ ولهذا ذهب جماعةٌ من الصحابة والتابعين ، إلى أنَّ ليلةَ القدر ليلةُ أربعٍ وعشرين .

وأما قول جبريل (اقْرَأْ) فقال : « ما أنا بقارئ » فالصحيح أنَّ قوله « ما أنا بقارئ » نَفْيٌ ، أيْ لستُ ممن يُحسن القراءة . وممن رجَّحه النووي ، وقَبْلَه الشيخ أبو شامة ؛ ومَنْ قال : إنها استفهامية ، فقوله بعيد ، لأنَّ الباء لا تزاد في الإثبات . ويؤيد الأولَ روايةُ أبي نعيم[٣] من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله ﷺ ـ وهو خائف يُرْعَد ـ : « ما قرأتُ كتاباً قطُّ ولا أُحْسِنُه ، وما أكتبُ وما أقرأ » فأخذَهُ جبريل فَغَتَّهُ غتّاً شديداً ، ثم تركه فقال له : اقرأ . فقال محمد ﷺ : « ما أرى شيئاً أقرؤه ، وما أقرأ ، وما أكتب » ـ يُروى فغطَّني كما في الصحيحين وغتَّني ، ويُروى قد غتَّني ، أي : خنقَني « حتى بلغَ مني الجهد » يُروى بضمِّ الجيم وفتحها وبالنَّصْب وبالرفع ـ وفعل به ذلك ثلاثاً .

قال أبو سليمان الخطابي[٤] : وإنما فعل ذلك به ليبلُوَ صَبْرَه ، ويُحسنَ تأديبَهُ ، فيرتاضَ لاحتمالِ ما كلَّفه به من أعباء النبوَّة ؛ ولذلك كان يَعْتَريه مثلُ حالِ المَحْموم ، وتأخذُه الرُّحَضَاء ـ أي : البُهْر والعَرَق ـ .

وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمور : منها أنْ يستيقظ لعظَمَةِ ما يُلقَى إليه بعد هذا الصَّنيع المُشِقِّ على النفوس ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] ولهذا كان عليه الصلاةُ والسلامُ إذا جاءَهُ الوَحْيُ يَحْمَرُّ وَجْهُه ، ويَغطُّ كما يَغطُّ البَكْرُ من الإبل[٥] ، ويتفصَّدُ جَبينُهُ عَرقاً في اليوم الشديد البَرْد .

وقوله[٦] : فرجع بها رسولُ الله ﷺ إلى خديجة يَرْجُفُ فؤادُه . وفي رواية : بَوَادِرُه ، جمع بادِرَة ، قال أبو عبيدة : وهي لحمة بين المنكب والعُنق . وقال غيره : هو عروقٌ تضطرب عند الفَزَع ، وفي

---

(١) مسند أحمد (٤/ ١٠٧) . قال بشار : وإسناده ضعيف ، فقد تفرد به عمران بن داور القطان ، وهو ممن لا يحتمل تفرده لضعفه كما بيناه مفصلاً في تحرير التقريب (٣/ ١١٤) ، ولكن له شاهد من حديث ابن عباس مرفوعاً ، أخرجه ابن عساكر من طريق علي بن أبي طلحة ، فهو به حسن انظر (مختصر تاريخ ابن عساكر) (٣/ ٣٥٨) .

(٢) في المسند : الفرقان .

(٣) ليس الخبر في المطبوع من الدلائل .

(٤) لم أجد قول الخطابي في كتابيه معالم السنن وغريب الحديث .

(٥) « يغط » : من الغطيط ، وهو الصوت الذي يخرج مع نَفَس النائم ، وهو ترديده حيث لا يجد مساغاً . والبَكْر : الفتيُّ من الإبل . النهاية واللسان (غطط ، بكر) .

(٦) أي في الحديث الذي أورده آنفاً .

بعض الروايات ترجُف بآدِله ، واحدتها بأدَلَة . وقيل بأدل ، وهو ما بين العُنق والتَّرْقُوة ، وقيل : أصْلُ الثَّدْي ، وقيل : لحم الثَّدْيَيْن ، وقيل غير ذلك .

فقال : « زَمِّلُوني زَمِّلُوني » فلما ذهب عنه الرَّوْعُ قال لخديجة : « ما لي ؟ أيُّ شيءٍ عَرَضَ لي ؟ » وأخبرها ما كان من الأمر . ثمّ قال : « لقد خَشِيتُ على نفسي » ، وذلك أنه شاهَدَ أمراً لم يَعْهَدْهُ قبل ذلك ، ولا كان في خَلَدِه ، ولهذا قالت خديجة : أبْشِرْ ، كلا والله لا يُخْزِيكَ اللهُ أبداً . قيل من الخِزْي ، وقيل من الحُزن ، وهذا لعلمها بما أجرى اللهُ به جميلَ العوائدِ في خَلْقِهِ ، أي : مَنْ كان متصفاً بصفات الخير لا يَخْزَى في الدنيا ولا في الآخرة . ثم ذكرتْ له من صفاتِه الجليلةِ[١] ما كان من سجاياه الحسنة . فقالت : إنك لتصِلُ الرَّحِم ، وتَصْدُقُ الحديث ـ وكان مشهوراً بذلك صلواتُ الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق ـ وتحمِلُ الكَلَّ ؛ أي : عن غيرك ، تُعطي صاحبَ العَيْلَةِ[٢] ما يُريحُهُ من ثِقَلِ مُؤْنَةِ عِيالِه ـ وتَكْسِبُ المَعْدُوم ، أي تسبقُ إلى فعل الخير ، فتبادر إلى إعطاء الفقير ، فتكسب حسنَتَه قبل غيرك . ويسمَّى الفقيرُ مَعْدُوماً لأنَّ حياتَهُ ناقصة ، فوجودُهُ وعَدَمُه سواء ، كما قال بعضهم[٣] : [من الخفيف]

ليس مَن مات فاستراحَ بمَيْتٍ إنَّمـا الميْـتُ مَيِّـتُ الأحْيَـاءِ

وقال أبو الحسن التّهامي ، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم : [من الخفيف]

عُـدَّ ذا الفقـرِ ميِّتـاً ، وكُسَـاهُ كَفَنـاً بـاليـاً ، ومـأواهُ قَبْـرا[٤]

وقال الخطابي[٥] : الصواب : وتكسب المعدوم ، أي : تبذلُ إليه ، أو يكون : وَتكسِبُ المعدمَ تعطيه مالاً يعيشُ به . واختار شيخُنا الحافظ أبو الحجاج المِزِّي أنَّ المراد بالمعدوم هاهنا المال المُعْطى ، أي : يُعطي المال لمن هو عادِمُه . ومن قال : إن المراد تَكْسِبُ باتِّجارِكَ المالَ المعدوم ، أو النفيس ، القليل النظير ، فقد أَبْعَدَ النُّجْعَة ، وأَغْرَقَ في النَّزْع[٦] ، وتكلَّف ما ليس له به علم ، وإنَّ مثل هذا لا يُمدَحُ به غالباً ، وقد ضعَّف هذا القول عياضٌ والنووي وغيرُهما ، والله أعلم .

---

(١) في ح : الجميلة .

(٢) « العَيْلَة » : الفقر والحاجة .

(٣) هو عدي بن الرعلاء الغساني ، قاله في عدة أبيات أوردها الحافظ ابن عساكر في ترجمته ، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٦/ ٣٠٦) وتخريجها فيه وفي الحماسة الشجرية (١/ ١٩٤) .

(٤) البيت من قصيدة في ديوان أبي الحسن التهامي (ص٣٧) يمدح بها الشريف أبا عبد الله محمد بن الحسين النصيبي المتوفى سنة ٤٠٨هـ .

(٥) لم أجد قول الخطابي في كتابيه معالم السنن وغريب الحديث .

(٦) النُّجعة في الأصل : طلب الكلأ ومساقط الغيث ، وأبعد : اشتط وذهب بعيداً . والمراد هنا : أي اشتط في طلب هذا المعنى . وأغرق في النزع : أي أغرق النازع في قوسه ، أي استوفى مدها ليصيب هذا المعنى البعيد ، وهو يضرب مثلاً للغلو والإفراط . التاج (نجع ، بعد ، غرق) .

وتَقْري الضَّيْف - أي : تُكرِمُه في تقديم قِرَاه ، وإحسان مأواه . وتُعينُ على نوائب الحق . ويُروى : الخير . أي : إذا وقعتْ نائبةٌ لأحدٍ في خير أعنتَ فيها ، وقمتَ مع صاحبها حتى يجد سِدَاداً من عَيْش ، أو قِوَاماً من عيش ، وقوله : ثم أخذَتْهُ فانطلقتْ به إلى ابن عمِّها وَرَقَة بن نوفل ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِي . وقد قدَّمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نُفَيل رحمه الله(١) ، وأنَّهُ كان ممنْ تنصَّر في الجاهلية ففارقهم ، وارتحل إلى الشام ، هو وزيد بن عمرو ، وعثمان بن الحُوَيرث ، وعُبيد الله بن جَحْش ، فتنصَّرُوا كلُّهم ، لأنهم وجدوه أقربَ الأديانِ إذْ ذاك إلى الحق ، إلا زيد بن عمرو بن نُفيل فإنه رأى فيه دَخَلاً وتخبيطاً(٢) وتبديلاً وتحريفاً وتأويلاً . فأبَتْ فِطْرَتُه الدخولَ فيه أيضاً ، وبشَّروه : الأحبارُ والرهبانُ(٣) بوجودِ نبيٍّ قد أزِفَ زمانُه ، واقتربَ أوَانُه ، فرجع يتطلَّبُ ذلك ، واستمرَّ على فطرته وتوحيده ، لكن اخترمَتْهُ المنيَّةُ قبلَ البِعْثَةِ المحمدية ؛ وأدركها ورقةُ بن نوفل ، وكان يتوسَّمُها في رسول الله ﷺ كما قدَّمنا بما كانتْ خديجةُ تَنْعَتُه له وتصفُه له ، وما هو منطوٍ عليه من الصفات الطاهرة الجميلة ، وما ظهر عليه من الدلائل والآيات ، ولهذا لما وقع ما وقع أخذتْ بيدِ رسولِ الله ﷺ وجاءتْ به إليه ، فوقفت به عليه ، وقالت : ابنَ عمّ(٤) ، اسمعْ من ابنِ أخيك . فلما قصَّ عليه رسولُ الله ﷺ خَبَر ما رأى قال ورقة : سُبُّوح سُبُّوح ! هذا الناموسُ الذي أُنزل على موسى - [والناموسُ في اللغة : هو الرسول في الخير ؛ والجاسوس : هو الرسول في الشر - وقال : الذي أنزله على موسى](٥) ، ولم يذكُر عيسى ، وإنْ كان متأخِّراً بعد موسىٰ ، لأنه كانت شريعتُه مُتَمِّمَةً ومكمِّلةً لشريعةِ موسى عليهما السلام ، ونسختْ بعضَها على الصحيح من قول(٦) العلماء . كما قال : ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران : ٥٠] . وقولُ ورَقَةَ هذا كما قالت الجن : ﴿ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٣٠] .

ثم قال ورقة : يا ليتني فيها جَذَعاً(٧) . أي : يا ليتني أكونُ اليومَ شابّاً متمكِّناً من الإيمان والعِلْم النافِع والعملِ الصالح ، يا ليتني أكون [اليوم شابّاً متمكِّناً](٨) حَيّاً حين يُخرجك قومُك ، يعني حتى أخرجَ معك

---

(١) ط (٢/ ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

(٢) الدَّخَل ، محركة : الفساد والعيب والرِّيبة . والتخبيط : من الخبط في الظلام ، وهو السير على غير هدى : اللسان (دخل ، خبط) .

(٣) كذا في ح ، ط ، وهو على لغة من قال : أكلوني البراغيث .

(٤) في ح : أي عم .

(٥) ما بين المعقوفين مستدرك في هامش ح .

(٦) في ح : قولي .

(٧) انظر (ص١٨٨ ح٥) .

(٨) ما بين المعقوفين مستدرك في هامش ح .

وأنصرَكَ . فعندها قال رسول الله ﷺ : « أوَ مُخرِجيَّ هُمْ ؟ » قال السُّهَيْلي[١] : وإنما قال ذلك ، لأن فراقَ الوطن شديدٌ على النفوس . فقال : نعم ، إنَّهُ لم يأتِ أحدٌ بمثلِ ما جئتَ به إلا عُودي ، وإنْ يُدْركني يومُك أَنْصُرْكَ نصراً مؤزَّراً . أي : أنصركَ نصراً عَزيزاً أبداً .

وقوله : ثم لم ينشَبْ ورقَةُ أنْ تُوُفي ، أي : تُوفِّي بعدَ هذه القصة بقليل[٢] رحمه الله ورضي عنه ، فإنَّ مثلَ هذا الذي صَدَر عنه ، تصديقٌ بما وجد ، وإيمانٌ بما حَصَل من الوحي ، ونيَّةٌ صالحة للمستقبل .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا حسن ، عن ابن لَهيعة ، حدّثني أبو الأسود ، عن عروة ، عن عائشة ، أنَّ خديجةَ سألتْ رسولَ الله ﷺ عن ورقَةَ بن نَوْفَل فقال : « قَدْ رأيتُهُ [في المنام] فرأيتُ عليه ثيابَ بَيَاضٍ ، فأحسَبُهُ لو كانَ من أهلِ النارِ لَمْ يَكُنْ عليه ثيابُ بَيَاض » .

وهذا إسنادٌ حسن[٤] ، لكنْ رواهُ الزُّهْري وهشام عن عروة مرسلاً . فالله أعلم .

وروى الحافظُ أبو يَعْلَى[٥] عن سُرَيج[٦] بن يونس ، عن إسماعيل ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئل عن ورَقَةَ بن نَوْفل فقال : [قد رأيتُهُ فرأيتُ عليه ثيابَ بَيَاضٍ][٧] ، أبْصَرْتُهُ في بُطْنَانِ الجنَّةِ وعليه السُّنْدُس »[٨] . وسُئلَ عن زيد بن عمرِو بنِ نُفيل فقال : « يُبْعَثُ يومَ القيامةِ أُمَّةً وَحْدَه »[٩] . وسئل عن أبي طالب [هل تَنْفَعُهُ نُبوَّتُك ؟] فقال : « [نعم] أخْرَجْتُهُ من غَمْرَةٍ من جهنم إلى ضَحْضَاحٍ منها » . وسئل عن خَدِيجة ـ لأنَّها ماتَتْ قَبْلَ الفَرائِضِ وأحكامِ القرآن ـ فقال : « أبْصَرْتُها على نَهرٍ في الجنَّة ، في بيتٍ من قَصَب ، لا صَخَب فيه ولا نَصَب » . إسنادٌ حَسَن[١٠] ، ولبعضه شواهِدُ في الصَّحِيح . والله أعلم .

---

(١) الروض الأنف (١/ ٢٧٦) .
(٢) ليست اللفظة في ح .
(٣) مسند أحمد (٦/ ٦٥) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) هكذا قال رحمه الله ، ومن أين يأتيه الحسن وهو من رواية ابن لهيعة وهو ضعيف ، بل الصواب ما ذكره المصنف بعد هذا أن الزهري رواه مرسلاً (أخرجه عبد الرزاق ٩٧٠٩) . وروى الترمذي (٢٢٨٨) بإسناد ضعيف جداً فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي ـ وهو متروك ـ عن الزهري عن عروة عن عائشة ، وضَعّفه . ولكن صححه الحاكم (٤/ ٣٩٣) فتعقبه الذهبي لظهور ضعفه الشديد . والخلاصة أنه لا يعرف إلا مرسلاً . (بشار) .
(٥) مسند أبي يعلى رقم (٢٨١) و(٢٠٤٧) .
(٦) في ح ، ط : شريح تصحيف ، والمثبت من مسند أبي يعلى والإكمال (٤/ ٢٧٢) وتهذيب الكمال (١٠/ ٢٢١) .
(٧) ما بين المعقوفين ليس في مسند أبي يعلى .
(٨) في مسند أبي يعلى : عليه سندس ، وفيه تقديم السؤال عن أبي طالب ثم عن خديجة ثم عن ورقة ثم عن زيد ، وما يأتي بين معقوفين منه .
(٩) زاد أبو يعلى : بيني وبين عيسى .
(١٠) هكذا قال رحمه الله وفي إسناده مجالد بن سعيد ليس بالقوي وتغير في آخر عمره كما قال الحافظ ابن حجر في =

وقال الحافظ أبو بكر البزّار[(١)] : حدّثنا عُبيد بن إسماعيل ، حدّثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : قال رسول الله ﷺ : « لاتَسُبُّوا وَرَقَة ، فإني رأيتُ له جنَّةً أو جنَّتَيْنِ » .

وكذا رواه ابنُ عساكر[(٢)] من حديث أبي سعيد الأشجّ ، عن أبي معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ وهذا إسنادٌ جيد . ورُوي مرسلاً ، وهو أشبه .

وروى الحافظان : البيهقيّ وأبو نُعيم في كتابيهما « دلائل النبوة »[(٣)] ، من حديث يونس بن بُكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن عمرو بن شرحبيل ، أنَّ رسول الله ﷺ قال لخديجة : « إني إذا خلَوْتُ وحدي سمعتُ نداءً ، وقد خَشِيت والله أنْ يكون لهذا أمر » . قالت : معاذَ الله ، ما كان ليفعل ذلك بك ، فوالله إنك لَتُؤَدِّي الأمانة ، وتصِلُ الرَّحِم ، ، وتَصْدُق الحديث ، فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثم ذكرتْ له خديجةُ ، فقالت : يا عَتِيق[(٤)] ، اذهبْ مع محمدٍ إلى وَرَقة . فلما دخل رسولُ الله ﷺ أخذ بيده أبو بكر فقال : انطلقْ بنا إلى ورقة . قال : « ومنْ أخبرك ؟ » قال : خديجة ، فانطلقا إليه فقصَّا عليه . فقال رسول الله ﷺ : « إني إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً خَلْفي : يا محمد ، يا محمد ، فأنطلقُ هارباً في الأرض » . فقال له : لا تفعلْ ، إذا أتاك فاثْبُتْ ، حتى تسمعَ ما يقولُ لك ، ثم ائْتني فأخْبرني . فلما خلا ناداه : يا محمد قُلْ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قُلْ لا إله إلا الله . فأتى وَرَقة ، فذكرَ له ذلك ، فقال له ورقة : أبْشِرْ ، ثم أبشر . فأنا أشهدُ أنك الذي بشَّرَ بك[(٥)] ابنُ مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبيٌّ مُرسل ، وأنَّك ستؤمر بالجهاد بعد يومِك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدَنَّ معك . فلما توفي [ورقة] قال رسولُ الله ﷺ : « لقد رأيتُ القَسَّ في الجنة عليه ثياب الحرير[(٦)] ، لأنه آمن بي وصدَّقني » يعني ورقة .

هذا لفظ البيهقي ، وهو مرسل ، وفيه غرابة ، وهو كونُ الفاتحةِ أولَ ما نزل ، وقد قدَّمنا من شعره ما يدلُّ على إضمارِ الإيمان وعَقْدِهِ عليه وتأكده عنده ، وذلك حين أخبرته خديجةُ ما كان من أمره مع

= التقريب ، وقال البخاري : كان يحيى بن سعيد يضعفه ، وكان عبد الرحمن بن مهدي لا يروي عنه شيئاً ، وكان أحمد بن حنبل لا يراه شيئاً يقول : ليس بشيء ، وضعفه ابن سعد ، والجوزجاني ، وأبو داود ، والترمذي ، والدارقطني ، والنسائي في أصح الروايات عنه وغيرهم . كما هو مبين في تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢١ ـ ٢٢٥) وتعليقنا عليه (بشار) .

(١) مجمع الزوائد (٩/ ٤١٦) وقال الهيثمي : رواه البزار متصلاً ومرسلاً ، وزاد في المرسل « كان بين أخي ورقة وبين رجل كلام ، فوقع الرجل في ورقة ليغضبه والباقي بنحوه ، ورجال المسند والمرسل رجال الصحيح » .

(٢) ليس الخبر في قسمي السيرة ١ و٢ من تاريخ ابن عساكر المطبوع بمجمع اللغة العربية بدمشق وهو في (٦٣/ ٢٤) .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٥٨) وما يأتي بين معقوفين منه ، ولم أجد في المطبوع من دلائل أبي نعيم .

(٤) سقطت اللفظة من ح .

(٥) في الدلائل : به .

(٦) في ح : حَبَر وهو جمع حِبَرَة ، ضرب من برود اليمن ، والمثبت من ط والدلائل .

غلامها ميسرة ، وكيف كانت الغمامة تظلِّله في هَجير القَيْظ . فقال ورقةُ في ذلك أشعاراً قدَّمناها قبل هذا ، منها قوله : [من الوافر]

لَجِجْتُ وكنتُ في الذّكرى لَجُوجاً لأمرٍ طالما بعث النَّشِيجا
ووصفٍ من خديجةَ بعدَ وصفٍ فقد طالَ انتظاري يا خَديجا
ببطنِ المكَّتَيْنِ على رجائي حديثَكِ أنْ أرى منهُ خُروجا
بما خبَّرْتِنا من قولِ قَسٍّ من الرُّهْبان أكرهُ أنْ يَعُوجا
بأنَّ محمداً سيسودُ قوماً ويَخْصِمُ مَنْ يكونُ له حَجيجا
ويُظهرُ في البلادِ ضياءَ نورٍ يقيمُ به البريَّةَ أنْ تَعُوجا(١)
ويلقى مَنْ يُحاربُهُ خَساراً ويَلقى مَنْ يسالمه فُلُوجا(٢)
فياليتي إذا ما كانَ ذاكم شَهِدتُ وكنتُ أوَّلَهُم وُلُوجا
ولو كانَ الذي كرهتْ قريشٌ ولو عَجَّتْ بمكَّتِها عَجيجا
أُرَجِّي بالذي كرهوا جَميعاً إلى ذي العرشِ إذ سَفَلُوا عُروجا
فإن يَبْقَوا وأبْقَ تكنْ أمورٌ يَضِجُّ الكافرونَ لها ضَجِيجاً(٣)

وقال أيضاً في قصيدته الأخرى : [من الطويل]

وأخبارِ صدقٍ خَبَّرَتْ عن محمَّدٍ يخبِّرُها عنهُ إذا غابَ ناصحُ
بأنَّ ابنَ عبدِ الله أحمدَ مرسلٌ إلى كلِّ من ضُمَّتْ عليه الأباطح
وظنِّي به أنْ سوفَ يُبْعَثُ صادِقاً كما أُرسِلَ العَبْدانِ هودٌ وصالح
وموسى(٤) وإبراهيمُ حتى يُرى له بهاءٌ ومنشورٌ من الذِّكْرِ(٥) واضح
ويتبعُه حيًّا لؤيِّ بنِ غالبٍ(٦) شبابُهمُ والأشْيَبُونَ الجحاجح
فإنْ أبقَ حتى يدركَ الناسُ دهرَهُ فإنِّي إذاً مستبشرُ الودِّ فارِحُ
وإلا فإنِّي يا خديجةُ فاعلمي عن ٱرضِكِ في الأرضِ العَرِيضة سائح(٧)

---

(١) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن هشام (١/ ١٩٢) : تموجا . وهو أشبه ، لأن عوِجَ من باب تعب بمعنى التوى فمضارعه يَعْوَج .
(٢) فلج فلوجاً من باب قعد : ظفِر بما طلب . المصباح (فلج) .
(٣) في ح : بها . والأبيات في سيرة ابن هشام (١/ ١٩١ ، ١٩٢) .
(٤) هذه رواية ط والروض ، وفي ح : ونوح وإبراهيم .
(٥) في ط : منشور من الحق .
(٦) في الروض : ويتبعه حيا لؤي جماعة .
(٧) الأبيات في الروض (١/ ٢٢٠ ، ٢٢١) .

وقال يونس بن بُكير عن ابن إسحاق قال ورَقَة[١] : [من الطويل]

فإنْ يكُ حقاً يا خديجةُ فاعلمي حديثُكَ إيَّانا فأحمدُ مرسَلُ
وجبريلُ يأتيه وميكالُ معْهُما من اللهِ وحيٌ يشرحُ الصَّدْرَ مُنْزَل
يفوزُ به مَن فازَ فيها بتوبةٍ ويشقى به العاني الغريرُ المضلَّل[٢]
فريقان منهمْ فِرْقةٌ في جِنانِهِ وأُخرى بأجْوازِ الجحيم تُغَلَّلُ[٣]
إذا ما دَعوا بالويلِ فيها تتابعتْ مقامعُ في هاماتهمْ ثمَّ تُشْعَلُ
فسُبحانَ من يُهوي الرياحَ بأمره ومن هو في الأيام ما شاءَ يفعل
ومَن عرشُه فوق السمواتِ كلِّها وأقضاؤه[٤] في خَلْقِه لا تُبدَّل

وقال ورقة أيضاً[٥] : [من البسيط]

يا لَلرِّجالِ وصَرْفِ الدهر والقدَرِ وما لشيءٍ قضاهُ اللهُ من غيرِ
حتى خديجةُ تدعوني لأُخبرَها أمراً أراهُ سيأتي الناسَ من أُخُرِ
وخبَّرَتْني بأمرٍ قد سمعتُ به فيما مضى من قديم الدهرِ والعُصُر
بأنَّ أحمدَ يأتيهِ ويخبرُه جبريلُ أنَّكَ مبعوثٌ إلى البَشَر
فقلتُ علَّ الذي ترجينَ يُنجزُه لكِ الإلٰهُ فرجِّي الخيرَ وانتظري
وأرسليه إلينا كي نُسائلَهُ عن أمرِهِ ما يرى في النوم والسَّهَر
فقالَ ـ حين أتانا ـ مَنطِقاً عَجَباً يَقِفُّ منه أعالي الجِلْدِ والشَّعَرِ
إني رأيتُ أمينَ اللهِ واجَهَني في صورةٍ أُكملتْ من أعظم الصور
ثم استمر فكاد[٦] الخوفُ يَذْعَرُني مما يسلِّم مِنْ حولي من الشجر
فقلتُ ظنِّي وما أدري أيصدُقني أنْ سوفَ يُبْعَثُ يتلو مُنْزَل السُّور
وسوف أُنبيك[٧] إن أعلنتَ دعوتَهُم من الجهادِ بلا مَنٍّ ولا كَدَر

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من « الدلائل » وعندي في صحتها عن ورقةَ نظر ، والله أعلم .

[وقال ابن إسحاق : حدّثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ـ وكان

(١) الأبيات في دلائل البيهقي (٢/ ١٥٠) .
(٢) في دلائل البيهقي : ويشقى بها العاتي الغوي المضلل . وهو أشبه ، ويحتمل : العاني إذا كان أسيراً للأهواء .
(٣) الجَوْز من كل شيء وسطه وجمعه أجواز . وتُغَلَّل : تدخل فيها . اللسان (جوز ، غلل) .
(٤) كذا في ح ، ط والدلائل للبيهقي .
(٥) الأبيات في دلائل البيهقي (٢/ ١٥٠) .
(٦) في ح : فكان .
(٧) في ح : أبليك ، وفي ط : يبليك . والمثبت من الدلائل .

واعية ـ عن بعض أهل العلم ، أنَّ رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوّة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى يحسر البيوت عنه[١] ، ويُفضي إلى شعاب مكة وبُطونِ أوديتها ، فلا يمرُّ بحجرٍ ولا شجر إلَّا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلَّا الشجرَ والحجارة ، فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكثَ ، ثمَّ جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان][٢] .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدّثني وَهْبُ بن كَيْسان مولى آلِ الزُّبير قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزبير وهو يقول لِعُبيد بن عُمير بن قتادةَ اللَّيثي : حدِّثنا يا عُبيد كيف كان بُدوُّ ما ابتُدئَ به رسولُ الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبريل . قال : فقال عُبيد ـ وأنا حاضر ، يحدِّثُ عبدَ الله بنَ الزبير ومن عندَهُ من الناس ـ : كان رسول الله ﷺ يجاور في حِرَاء في كلِّ سنةٍ شهراً . قال : وكان ذلك مما تحنَّثُ[٤] به قريش في الجاهلية ، والتحنُّث التبرُّر[٥] .

فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قَضَى جِوارَهُ من شهرِه ذلك ، كان أولُ ما يبدأ به إذا انصرف من جِوارِه الكعبة ، قبل أنْ يدخلَ بيتَه فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجِعُ إلى بيته ، حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثَهُ فيها ، وذلك الشهر رمضان ، خرج إلى حِرَاء كما كان يخرج لجواره ، ومعه أهلُه ، حتى إذا كانتِ الليلةُ التي أكرمَهُ الله فيها برسالته ، ورحِمَ العبادَ به[٦] جاءه جبريلُ بأمر الله تعالى . قال رسولُ الله ﷺ : « فجاءني وأنا نائم بنَمَطٍ من ديباج[٧] ، فيه كتاب فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتَّني حتى ظننتُ أنه الموت[٨] ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتَّني حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما اقرأ ؟ فقال : فغتَّني حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلتُ : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا اقتداءً منه أنْ يعود لي بمثل ما صنع بي . فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] . قال :

---

(١) في ط : لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب . والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .
(٢) سقط الخبر من ح وهو في ط وسيرة ابن هشام (١/ ٢٣٤) والروض (١/ ٢٦٦) وفيهما : عبد الملك بن عبيد الله . تصحيف ، وقد تقدمت الإشارة إلى ترجمته في (ص١٩١) ح(٧) .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) والروض (١/ ٢٦٧ ، ٢٦٨) .
(٤) في ط : يحبب ، وفي ح بإهمال الحروف ، والمثبت من السيرة والروض .
(٥) ومن معانيه أيضاً التعبُّد كما مر (ص١٩٢ في المتن) .
(٦) في السيرة والروض : بها .
(٧) انظر (ص١٨٧) ح(٢) .
(٨) الغت والغط سواء ، كأنه أراد عصرني عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة ، كما يجد من يُغمس في الماء قهراً . النهاية (غتت) .

فقرأتُها ، ثم انتهى وانصرف عني وهببتُ من نَوْمي فكأنما كتب في قلبي كتاباً[١] . قال فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وسطٍ من الجبل ، سمعتُ صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فرفعتُ رأسي إلى السماء ، فأنظر[٢] ، فإذا جبريلُ في صورةِ رجلٍ صافٍّ قدمَيْه في أُفقِ السماء يقول : يا محمد أنت رسولُ الله وأنا جبريل . فوقفت أنظر إليه . فما أتقدَّم وما أتأخر ، وجعلتُ أصرِف وجهي عنه في آفاق السماء ، فما أنظر في ناحيةٍ منها إلا رأيتُه كذلك ، فما زلتُ واقفاً ما أتقدَّم أمامي وما أرجعُ ورائي حتى بعثَتْ خديجةُ رُسلَهَا في طلبي ، فبلغوا [أعلى][٣] مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ؛ ثم انصرف عني .

وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي حتى أتيتُ خديجة فجلستُ إلى فَخذها مُضيفاً إليها[٤] فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رُسلي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ . ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشِرْ يا ابن العم واثْبُتْ ، فوالذي نفسُ خديجةَ بيده ، إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامتْ فجمعتْ عليها ثيابها ، ثم انطلقتْ إلى ورقةَ بنِ نوفل ، فأخبرتْهُ بما أخبرها به رسولُ الله ﷺ فقال ورقة : قُدُّوس قدُّوس ، والذي نفسُ ورقةَ بيدِه ، لئن كنتِ صدقْتِني يا خديجة ، لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنَّه لنبيُّ هذه الأمة ، وقولي له فَلْيَثْبُتْ .

فرجعتْ خديجةُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرتْه بقولِ ورقة ، فلما قضى رسولُ الله ﷺ جِوارَهُ وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبةِ فطاف بها ، فلَقِيَهُ ورقةُ بن نوفل وهو يطوفُ بالكعبةِ ، فقال : يا ابنَ أخي ، أخبرني بما رأيتَ وسمعت . فأخبره ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده ، إنَّكَ لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءكَ الناموسُ الأكبرُ الذي جاء موسى ، ولتكذَّبَنَّهْ ، ولتؤذَيَنَّهْ ، ولتخرجَنَّهْ ، ولتقاتَلَنَّهْ ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم لأنصرَنَّ الله نصراً يعلمه . ثم أدنى رأسَهُ منه فقبَّل يافوخَه[٥] ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله .

وهذا الذي ذكره عُبيد بن عُمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعدَهُ من اليقظة كما تقدم من قولِ عائشة رضي الله عنها : فكان لا يرى رؤيا إلا جاءتْ مثلَ فَلَقِ الصُّبح[٦] . ويحتمل أنَّ هذا المنام كان بعدَ ما رآه

---

(١) انظر ما تقدم (ص١٨٩) والروض للسهيلي (١/ ٢٦٨/ ٢٦٩) .

(٢) في السيرة والروض : أنظر وهو أشبه .

(٣) ما بين معقوفين من السيرة والروض .

(٤) مضيفاً إليها : من أضاف إليه : إذا مال ودنا . التاج (ضيف) راجع الخشني .

(٥) « اليافوخ » : الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل أو الليّن منه قبل أن يتلاقى العظمان ، معنى وسط الرأس . التاج (أفخ) وقال السهيلي في الروض (١/ ٢٧٤) : لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يشتد وإنما يقال له الغاذية .

(٦) انظر ما تقدم (ص١٨٩) .

في اليقظة صبيحةَ ليلتئذ ، ويحتمل أنه كان بعده بمدَّة . والله أعلم[١] .

وقال موسى بن عُقْبَة[٢] ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيِّب قال : وكان فيما بلغنا أولُ ما رأى يعني رسولَ الله ﷺ أن اللهَ تعالى أراه رؤيا في المنام ، فشق ذلك عليه ، فذكرها لامرأته خديجةَ فعصمها الله عن التكذيب ، وشرح صدرَها للتصديق ، فقالت : أبشرْ فإنَّ الله لم يصنعْ بك إلا خيراً ، ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها ، فأخبرها أنه رأى بطنَهُ شُقَّ ، ثم غُسل وطُهِّر ، ثم أعيد كما كان . قالت : هذا والله خيرٌ فأبشرْ ، ثم استعلَنَ له جبريل وهو بأعلى مكة ، فأجلسه على مجلسٍ كريم مُعْجب ، كان النبيُّ ﷺ يقول : « أجلسني على بساطٍ كهيئةِ الدُّرْنوك[٣] ، فيه الياقوت واللُّؤْلُؤ » . فبشَّرَهُ برسالةِ اللهِ عزَّ وجلّ ، حتى اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ فقال له جبريل : اقرأ . فقال : كيف أقرأ ؟ فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] .

قال : ويزعم ناسٌ أنَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ أولُ سورةٍ نزلَتْ عليه ، والله أعلم .

قال[٤] : فقبل رسولُ الله ﷺ رسالةَ ربِّه واتَّبع ما جاءه به جبريل من عند الله ، فلما انصرف مُنقلباً إلى بيته ، جعل لا يمرُّ على شجرٍ ولا حجرٍ إلا سلَّم عليه ، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً ، قد رأى أمراً عظيماً ، فلما دخل على خديجة قال : أرأيتكِ التي كنتُ أُحدِّثُك أني رأيتُه في المنام ؟ فإنَّهُ جبريلُ استعلَنَ إليّ ، أرسله إليَّ ربِّي عزَّ وجل » . وأخبرها بالذي جاءَهُ من الله وما سمع منه ، فقالت : أبشرْ ، فوالله لا يفعلُ اللهُ بك إلا خيراً ، واقْبَلِ الذي جاءك من أمرِ الله ، فإنه حقّ ، وأبشرْ ، فإنَّكَ رسولُ الله حقاً .

ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعُتْبَةَ بنِ ربيعةَ بنِ عبد شمس نصرانياً من أهل نِينوى[٥] ، يقال له عَدَّاس ، فقالت له : يا عدَّاس ، أُذَكِّرك بالله إلا ما أخبرتني هل عندك علمٌ من جبريل ، فقال : قدُّوسٌ قدُّوس ، ما شأنُ جبريلَ يُذكَرُ بهذه الأرض التي أهلُها أهلُ الأوثان ! فقالت : أخبرْني بعلْمك فيه : قال : فإنَّهُ أمينُ الله بينه وبين النبيِّيْن ، وهو صاحبُ موسى وعيسى عليهما السلام .

فرجعتْ خديجةُ من عنده ، فجاءت ورقةَ بنَ نوفل ، فذكرت له ما كان من أمر النبي ﷺ وما ألقاه إليه

---

(١) انظر ما تقدم ص (١٨٩) .

(٢) أورده البيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٤٢) عن موسى بن عقبة ، وبه أيضاً ذكره السيوطي في الخصائص (١/ ٩٣) وذكر تخريج أبي نعيم به أيضاً ولم أجده فيه .

(٣) «الدرنوك » : سِتْرٌ له خَمْل . النهاية (درنك) .

(٤) يعني سعيد بن المسيب .

(٥) « نينوى » : هي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل . معجم البلدان (٥/ ٣٣٩) وجاء في التاج (عدس) عن الروض للسهيلي : أن عداساً حين سمع رسولَ الله ﷺ يذكر يونس بن متى عليه السلام قال : والله لقد خرجت منها ـ يعني نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متّى ، فمن أين عرفت متّى وأنت أُمِّي وفي أُمّة أُمِّيّة ؟ فقال ﷺ : هو أخي ، كان نبياً وأنا نبي .

جبريل . فقال لها ورقة : يا بُنَيَّةَ أخي ، ما أدري لعلَّ صاحبَكِ النبيُّ الذي ينتظرُ أهلُ الكتاب ، الذي يجدونَهُ مكتوباً عندهم في التوراةِ والإنجيل ، وأُقسمُ بالله لئن كان إيَّاه ، ثم أظهر دعواهُ وأنا حيٌّ لأبلينَّ اللهَ في طاعةِ رسولِه وحسنِ مؤازرته[١] ، للصبر[٢] والنصر . فمات ورقةُ رحمه الله .

قال الزهري : فكانت خديجة أولَ مَنْ آمن بالله وصدَّق رسوله ﷺ .

قال الحافظ البيهقي بعد إيرادِهِ ما ذكرناه[٣] ؛ والذي ذُكر فيه من شَقِّ بطنه ، يحتمل أن يكونَ حكايةً منه لما صُنع به في صباه ـ يعني شقَّ بطنه عند حليمة ـ ويحتمل أن يكون شُقَّ مرَّةً أخرى ثم ثالثة حين عُرجَ به إلى السماء . والله أعلم .

وقد ذكر الحافظُ ابن عساكر في ترجمةِ ورَقَة[٤] بإسناده إلى سليمان بن طَرْخان التَّيْميِّ قال : بلغَنا أنَّ الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأسِ خمسينَ سنةً من بناءِ الكعبة[٥] ، وكان أول شيء اختصَّهُ به من النبوَّة والكرامة رؤيا كان يراها ، فقصَّ ذلك على زوجته خديجةَ بنت خُويلد ، فقالت له : أبشرْ ، فوالله لا يفعَلُ اللهُ بك إلا خيراً . فبينما هو ذات يوم في حِرَاء ، وكان يفرُّ إليه من قومِهِ إذْ نَزَل عليه جِبْريل ، فدنا منه ، فخافه رسولُ الله ﷺ مخافةً شديدة ، فوضع جبريلُ يدَهُ على صدره ومن خلفه بين كتفَيْه . فقال : اللهم احْطُطْ وِزْرَه ، واشرَحْ صدره ، وطهِّرْ قلبه ، يا محمد أبْشِرْ ! فإنك نبيُّ هذه الأمة ، اقرأْ . فقال له نبيُّ الله وهو خائفٌ يُرْعَد : « ما قرأتُ كتاباً قطُّ ولا أُحْسِنُه ، وما أكتبُ وما أقرأ » فأخذه جبريلُ فغتَّهُ غتّاً شديداً ، ثم تركه ثم قال له : اقرأْ . فأعادَ عليه مثلَه ، فأجلسه على بساطٍ كهيئةِ الدُّرْنُوك ، فرأى فيه من صفائِهِ وحسنِه كهيئةِ اللُّؤْلُؤِ والياقوت ، وقال له : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ الآيات ، ثم قال له : لا تخفْ يا محمد ، إنَّكَ رسولُ الله . ثم انصرف وأقبل على رسول الله ﷺ همُّه فقال : « كيف أصنعُ وكيف أقولُ لقومي ؟ » ثم قام رسولُ الله ﷺ وهو خائف ، فأتاه جبريل من أمامِه وهو في صورته[٦] ، فرأى رسولُ الله ﷺ أمراً عظيماً ملأ صَدْرَه ، فقال له جبريل : لا تخفْ يا محمد ، جبريلُ رسولُ الله ، جبريلُ رسولُ الله إلى أنبيائِهِ ورُسُله ؛ فأيقنْ بكرامةِ الله ، فإنك رسولُ الله ﷺ ، فرجع رسولُ الله ﷺ لا يمرُّ على شجرٍ ولا حجر إلا هو ساجدٌ يقول : السلامُ عليك يا رسولَ الله . فاطمأنَّتْ نفسُه ، وعرفَ كرامةَ الله إياه ، فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرتْ ما بوجهِهِ من تغيُّر لونه ، فأفزَعَها ذلك ، فقامتْ إليه : فلما دنَتْ منه جعلتْ تمسَحُ عن وجهه

---

(١) « لأبلين » : لأخبرَنَّ ، وأصله من قولهم : أبليت فلاناً يميناً : إذا حلفت له بيمين طيَّبتَ بها نفسه . اللسان (بلو) .
(٢) كذا في ح ، ط وفي الدلائل : الصبر من غير لام .
(٣) الدلائل (٢/ ١٤٦) .
(٤) في تاريخ ابن عساكر (٦٣/ ١٧) ، وهو خبر ضعيف .
(٥) إن كان يريد بناء قريش فهذا لا يصح لأن رسول الله ﷺ شهدها كما هو معروف في كتب السيرة ، وإن كان يريد أول بنائها ، فهذا بعيد جداً (بشار) .
(٦) في ط : صعرته . تحريف .

وتقول : لعلك لبعض ما كنتَ ترى وتسمع قبلَ اليوم ! فقال : « يا خديجة ، أرأيت الذي كنتُ أرى في المنام ، والصوتَ الذي كنتُ أسمع في اليَقَظة وأُهالُ منه ، فإنَّهُ جبريلُ قد استعلن لي ، وكلَّمني وأقرأني كلاماً فزِعْتُ منه ، ثم عاد إليّ ، فأخبرني أنّي نبيُّ هذه الأمة ، فأقبلتُ راجعاً فأقبلتُ على شجرٍ وحجارة ، فقلْنَ : السلامُ عليكَ يا رسول الله » فقالتْ خديجة : أبشرْ ، فواللهِ لقد كنتُ أعلم أنَّ الله لنْ يفعلَ بك إلا خيراً ، وأشهدُ أنَّك نبيُّ هذه الأمةِ الذي تنتظرُهُ اليهود ، قد أخبرني به ناصحٌ ، غُلامي وبَحِيرَى الراهب[١] ، وأمرني أن أتزوَّجَك منذُ أكثرَ من عشرين سنة .

فلم تزَلْ برسولِ الله ﷺ حتى طعِمَ وشرب وضحِك ، ثم خرجتْ إلى الراهب وكان قريباً من مكة ، فلما دنتْ منه وعرفها قال : ما لكِ يا سيدةَ نساءِ قريش ؟ فقالت : أقبلتُ إليك لتخبرَني عن جبريل ، فقال : سبحان اللهِ ربِّنا القدُّوس ! ما بالُ جبريلَ يُذكَرُ في هذه البلادِ التي يَعبُدُ أهلُها الأوثان ؟ جبريلُ أمينُ اللهِ ، ورسُولُه إلى أنبيائه ورسُلِه ، وهو صاحبُ موسى وعيسى . فعرفتْ كرامةَ اللهِ لمحمد ، ثم أتتْ عبداً لِعُتْبَةَ بنِ ربيعةَ يقالُ له : عدَّاس ، فسألَتْهُ ، فأخبرها بمثلِ ما أخبرها به الراهب وأزيد ، قال : جبريلُ كان مع موسى حين أَغْرَق اللهُ فِرْعَوْنَ وقومه ، وكان معه حين كلَّمه الله على الطُّور ، وهو صاحبُ عيسى بن مريمَ الذي أيَّدَهُ الله به .

ثم قامتْ من عنده فأتت ورقَةَ بنَ نوفل ، فسألَتْهُ عن جبريل ، فقال لها مثلَ ذلك ، ثم سألها : ما الخبر ؟ فأحلفتهُ أنْ يكتُم ما تقولُ له ، فحلف لها ، فقالت له : إنَّ ابنَ عبد الله ذكر لي ـ وهو صادق ، أحلفُ بالله ما كذَبَ ولا كُذِّبَ ـ أنه نزل عليه جبريلُ بحراء وأنه أخبره أنه نبيُّ هذه الأمة ، وأقرأه آياتٍ أُرسل بها . قال : فَذُعِرَ ورقَةُ لذلك وقال : لئنْ كان جبريلُ قد استقرَّتْ قدماهُ على الأرض ، لقد نزل على خيرِ أهل الأرض ، وما نزل إلا على نبيّ ، وهو صاحبُ الأنبياء والرسل ، يُرْسله الله إليهم ، وقد صدَّقْتُكِ عنه ، فأرسلي إليَّ ابنَ عبد الله أسأله وأسمعُ من قوله وأحدِّثُه ، فإني أخافُ أنْ يكونَ غيرَ جبريل ، فإنَّ بعضَ الشياطينِ يتشبَّهُ به لِيُضِلَّ به بعضَ بني آدم ويفسِدَهم ، حتى يصيرَ الرجلُ بعدَ العقلِ الرضيّ ، مُدَلَّهاً مجنوناً .

فقامت من عنده وهي واثقةٌ بالله أنْ لا يفعلَ بصاحبها إلاَّ خيراً ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرَتْهُ بما قال ورقَة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[٢] الآيات . فقال لها : « كلا والله ، إنَّه لجبريل » فقالت له : أُحِبُّ أن تأتيَهُ فتخبرَه ، لعلَّ الله أنْ يَهْدِيَه . فجاءَهُ رسولُ الله ﷺ فقال له ورقة : هذا الذي جاءك ، جاءك في نورٍ أو ظُلْمة ؟ فأخبره رسولُ اللهِ ﷺ عن صفةِ جبريل وما رآه من عظمتِه وهيئته[٣] ، وما أوحاهُ إليه . فقال ورقة : أشهدُ أنَّ هذا جبريل ، وأنَّ هذا كلامُ الله ، فقد أمرك

---

(١) أين لقيت سيدتنا خديجة بحيرى الراهب حتى يخبرها ؟ (بشار) .
(٢) القلم الآيتان (١ و٢) وسقط لفظ (ن) من ح .
(٣) سقطت اللفظة من ط .

بشيءٍ تبلِّغُه قومَك وإنه لأمر نبوة ، فإنْ أُدْرِكْ زمانَك أتَّبِعْك . ثم قال : أبشرِ ابنَ عبد المطلب بما بشَّرك اللهُ به . قال : وفشا[١] قولُ ورقةَ وتصديقُه لرسولِ الله ﷺ فشقَّ ذلك على الملأ من قومه . قال وفتَر الوحْي ، فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ، ولكنَّ الله قلاهُ . فأنزل الله ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾ و ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ بكمالهما[٢] .

وقال البيهقي[٣] : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدّثنا يونس ، عن ابن إسحاق [قال :] حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزُّبير ، أنه حدَّثه عن خديجةَ بنتِ خُويلد أنها قالت لِرسولِ الله ﷺ فيما تُثَبِّتُهُ فيما أكرمه الله به من نبوَّته : يا ابنَ عمّ ، تستطيع أنْ تخبرَني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ فقال : « نعم » فقالت : إذا جاءك فأخبرني . فبينا رسولُ الله ﷺ عندها إذْ جاء جبريل فرآه رسولُ الله ﷺ فقال : « يا خديجة ، هذا جبريل » قالت : أتراهُ الآن ؟ قال : « نعم » قالت : فاجْلِسْ إلى شِقِّي الأيمن ، فتحوَّل فجلس ، فقالت : أتراه الآن ؟ قال : « نعم » قالت : فتحوَّلْ فاجلسْ في حِجْري فتحوَّل فجلس في حِجْرها ، فقالت : هل تراهُ الآن ؟ قال : « نعم » فتحسَّرَتْ رأسَها فشالَتْ خمارَها ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في حجرها ، فقالَتْ هل تراهُ الآن ؟ قال : « لا » قالت : ما هذا بشيطان ، إنَّ هذا الملكُ يا ابنَ عمّ ، فاثْبُتْ وأبْشِرْ . ثم آمنتْ به وشهدت أنَّ ما جاء به هو الحقّ .

قال ابن إسحاق[٤] فحدثتُ عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال : قد سمعتُ أمي فاطمةَ بنتَ الحسين تحدِّثُ بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنِّي سمعتُها تقول : أدخلَتْ رسولَ الله ﷺ بينها وبين دِرْعِها فذهب عند ذلك جبريلُ عليه السلام .

قال البيهقي[٥] : وهذا شيءٌ كان من خديجةَ تصنَعُه تستَثْبِتُ به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً ، فأما النبيُّ ﷺ فقد كان وَثِقَ بما قال له جبريلُ وأراه من الآيات التي ذكرناها مرَّةً بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه ﷺ تسليماً .

وقد قال مسلم في « صحيحه »[٦] : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا يحيى بن أبي بكير ، حدّثنا إبراهيم بن طَهْمان ، حدّثني سماكُ بن حَرْب عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : « إني لأعرِفُ حجراً بمكة كان يُسَلِّمُ عليَّ قبلَ أنْ أُبْعَث ، إني لأعرفُهُ الآنَ » .

وقال أبو داود الطيالسي[٧] : حدثنا سليمان بن معاذ ، عن سِمَاك بن حَرْب ، عن جابر بن سَمُرَة ، أنَّ

(١) في ط : وذاع .
(٢) هما سورتا الضحى والشرح ورقمهما (٩٣ و٩٤) .
(٣) في الدلائل (٢/ ١٥١) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) لا يزال ينقل من دلائل البيهقي (٢/ ١٥٢) .
(٥) عقب الحديث السابق .
(٦) صحيح مسلم (٢٢٧٧) (٢) كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .
(٧) مسند الطيالسي رقم (٧٨١) في مسند جابر . وأخرجه الترمذي عن الطيالسي به في جامعه (٣٦٢٤) المناقب باب في=

رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ بمكة لحجراً كان يسلِّم عليّ لياليَ بُعثت ، إني لأعرفُه إذا مرَرْتُ عليه » .

وروى البيهقي[١] من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّيِّ الكبير ، عن عباد بن عبد الله ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله شجرٌ ولا جبلٌ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

وفي رواية[٢] : لقد رأيتُني أدخلُ معه الوادي ، فلا يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلَّا قال : السلام عليك يا رسول الله وأنا أسمعُه .

فصــل

قال البخاري في روايتِهِ المتقدِّمة[٣] : ثم فتر الوحْيُ حتى حزِن النبيُّ ﷺ فيما بلَغَنا حُزْناً غدا[٤] منه مراراً كي يتردَّى من رؤوس شواهقِ الجبال ، فكلما أوفى بِذِرْوَةِ جبلٍ لكي يُلقي نفسَه تبدَّى لهُ جبريلُ فقال : يا محمد ، إنَّك رسولُ الله حقاً فيسكنُ لذلك جأْشُه وتَقِرُّ نفسُه ، فيرجع ، فإذا طالتْ عليه فترةُ الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذِرْوَةِ جبل تبدَّى له جبريلُ ، فقال له مثل ذلك .

وفي الصحيحين[٥] من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزُّهري قال : سمعتُ أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدِّث عن جابر بن عبد الله قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يحدِّث عن فترةِ الوَحْي قال : « فبينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعتُ بصري[٦] فإذا الملَكُ الذي جاءني بحِرَاء قاعدٌ على كُرْسيٍّ بين السماء فجُئِثْتُ[٧] منه فَرَقاً[٨] حتى هَوَيْتُ إلى الأرض ، فجئتُ أهلي فقلت : زَمِّلُوني زَمِّلوني

= آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو كما قال من أصل سماك بن حرب .

(١) في الدلائل (٢/ ١٥٣ ، ١٥٤) وأخرجه أيضاً الترمذي في سننه رقم (٣٦٣٠) المناقب باب (٦) عن عباد بن يعقوب عن الوليد بن أبي ثور عن عباد بن أبي يزيد عن علي وقال : هذا حديث غريب . أقول : يعني ضعيف .

(٢) عند البيهقي أيضاً في الدلائل (٣/ ١٥٤) .

(٣) المتقدمة ص(١٨٧ موضع الحاشية ٥) ، وقول البخاري هذا رقم (٦٩٨٢) . وقال ابن حجر (١٢/ ٣٥٩) : والذي عندي أن هذه الزيادة خاصة برواية معمر ، والزيادة في الحديث من قوله : حتى حزن إلى آخره ، من بلاغات الزهري ، وليست موصولة فهي منقطعة .

(٤) قال ابن حجر (١٢/ ٣٦٠): عدا بعين مهملة من العدو، وهو الذهاب بسرعة، ومنهم من أعجمها من الذهاب غدوة .

(٥) فتح الباري رقم (٤٩٢٥) تفسير سورة المدثر (٧٤) باب وثيابك فطهر ، وصحيح مسلم (٢٥٥ ـ ١٦١) الإيمان باب بدء الوحي .

(٦) زادت نسخة ط : قبل السماء . وليست هذه الزيادة في هذا الحديث عن البخاري ، وإنما هي في الحديث الذي يليه رقم (٤٩٢٦) .

(٧) « جئثت منه » : أي : ذعرت وخفت ، ويروى : جثثت ، وقيل معناه قُلعت من مكاني . وقال الحربي : أراد جُئثت ـ وهي رواية ح والصحيحين ـ فجعل مكان الهمزة ثاءً . النهاية (جأث ـ جثث) .

(٨) في ح فزعاً وفي البخاري « رعباً » .

فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر : ١ ـ ٥] . قال : « ثم حَمِيَ الوحْيُ وتتابع .

فهذا كان أولَ ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي ، لا مطلقاً ، ذاك قوله ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وقد ثبتَ عن جابر أنَّ أوَّلَ ما نزل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ واللائق حَمْلُ كلامِه ما أمكن على ما قلناه ، فإنَّ في سياقِ كلامه ما يدلُّ على تقدُّم مجيء الملَكِ الذي عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً إليه . ثم قوله : يحدِّثُ عن فترة الوحي ، دليلٌ على تقدُّم الوحي على هذا الإيحاء والله أعلم .

وقد ثبت في الصحيحين[١] من حديث عليِّ بن المبارك ، وعند مسلم عن[٢] الأوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال : سألتُ أبا سَلَمة بنَ عبد الرحمن : أيُّ القرآنِ أُنزِلَ قبلُ ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ فقلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ فقال : سألتُ جابرَ بن عبدِ الله : أيُّ القرآنِ أُنزل قبلُ ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ فقلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ؟ فقال : قال رسولُ الله ﷺ : « إني جاورتُ بحِرَاء شهراً ، فلما قضَيْتُ جِواري نزلتُ فاستبطَنْتُ الوادي ، فنُوديتُ ، فنظرتُ بين يديَّ وخَلْفي وعن يميني وعن شِمالي فلم أر شيئاً ، ثم نظرتُ إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء ، فأخذَتْني رِعْدَة ـ أو قال وحشة[٣] ـ فأتيتُ خديجةَ ، فأمرتُهم يُدَثِّروني ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ .

وقال في رواية[٤] : « فإذا الملَكُ الذي جاءني بحِرَاء جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض ، فجَئِثْتُ منه » .

وهذا صريحٌ في تقدُّم إتيانِهِ إليه ، وإنزالِهِ الوحيَ من الله عليه كماذكرناه والله أعلم .

ومنهم من زعم أنَّ أولَ ما نزل بعد فترةِ الوحي سورة ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ إلى آخرها . قاله محمد بن إسحاق[٥] .

وقال بعضُ القراء[٦] : ولهذا كبَّرَ رسولُ الله ﷺ في أولها فرَحاً وهوقولٌ بعيد ، يردُّه ما تقدَّم من روايةِ صاحِبَي الصحيح من أنَّ أولَ القرآنِ نزولاً بعد فترةِ الوحي : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ ولكنْ نزلتْ سورةُ والضحى بعد فترةٍ أُخرى كانت لياليَ يسيرة ، كما ثبت في الصحيحَيْن[٧] وغيرهما من حديث الأسود بن

---

(١) فتح الباري (٤٩٢٢) تفسير سورة المدثر (٧٤) وصحيح مسلم (١٦١) (٢٥٧) الإيمان باب بدء الوحي .
(٢) في ط : « وعند مسلم والأوزاعي » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، فقد رواه مسلم عن زهير بن حرب ، عن الوليد ابن مسلم ، عن الأوزاعي . (بشار) .
(٣) في صحيح مسلم رجفة .
(٤) وهي رواية البخاري رقم (٤٩٢٥) باب وثيابك فطهر .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤١) والروض (١/ ٢٨١) .
(٦) النشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٥ ، ٤٠٦) .
(٧) فتح الباري (٤٩٥٠) تفسير سورة والضحى (٩٣) باب ما ودعك ربك . وصحيح مسلم (١٧٩٧) (١١٥) الجهاد =

قيس عن جُندُب بن عبد الله البَجَلي قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقمْ ليلةً أو ليلتَيْنِ أو ثلاثاً فقالت امرأة[١] : ما أرى شيطانك إلاَّ تركك فأنزل الله ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ .

وبهذا الأمر حصل الإرسالُ إلى الناس ، وبالأول حصلتِ النبوة . وقد قال بعضُهم : كانت مدَّة الفترة قريباً من سنتَيْن أو سنتين ونصفاً ، والظاهر والله أعلم أنها المدَّةُ التي اقترن معه ميكائيل ، كما قال الشعبي وغيرُه[٢] ، ولا ينفي هذا تقدُّم إيحاءِ جبريل إليه أولاً : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ ثم [حصلتِ الفترةُ التي اقترن معه ميكائيل ، ثم][٣] اقترن به جبريلُ بعد نزولِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ ثم حَمِيَ الوَحْيُ بعدَ هذا وتتابع ـ أي : تدارك شيئاً بعد شيء ـ وقام حينئذٍ رسول الله ﷺ في الرسالة أتمَّ القيام ، وشمَّرَ عن ساقِ العَزْم ، ودعا إلى الله القريبَ والبعيد ، والأحرار والعبيد ، فآمن به حينئذٍ كلُّ لبيبٍ مُجيبٍ[٤] سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كلُّ جبارٍ عنيد ، فكان أولَ من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكرٍ الصديق ، ومن الغلمان عليُّ بن أبي طالب ، ومن النساء خَديجةُ بنتُ خُويلد زوجتُه عليه السلام ، ومن الموالي مولاه زيد بنُ حارثةَ الكلبي رضي الله عنهم وأرضاهم . وتقدَّم الكلام على إيمانِ ورَقَةَ بنِ نوفل بما وَجَدَ من الوحي[٥] ، ومات في الفترة رضي الله عنه .

فصل[٦]

في منع الجانّ ومَرَدةِ الشياطين من استراقِ السَّمْعِ حين أُنزل القرآن لئلا يختطف أحد منهم ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليِّهِ فيلتبس الأمر ويختلط الحقّ

فكان من رحمةِ الله وفضله ولطفه بخلقه أنْ حجَبَهم عن السماء ، كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله : ﴿ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدًا ﴾ [الجن : ٨ ـ ١٠] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠ـ٢١٢] .

= والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين . وفيهما بألفاظ متقاربة .

(١) قال ابن حجر في الفتح (٨/ ٧١٠) : هي أم جميل بنت حرب ، امرأة أبي لهب .

(٢) قول الشعبي تقدم في ص (١٩٠) في المتن وفيه : إسرافيل لا ميكائيل .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من ط .

(٤) في ط : نجيب .

(٥) انظر ص (١٩٦) .

(٦) في الهامش ما نصه : بلغ مقابلة .

قال الحافظ أبو نعيم[١] : حدّثنا سليمان بن أحمد ـ وهو الطبراني ـ حدّثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، حدّثنا محمد بن يوسف الفِرْيابي ، حدّثناإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان الجنُّ يصعَدُون إلى السماء يستمعون الوحي ، فإذا سمعوا الكلمةَ زادوا فيها تسعاً ، فأما الكلمة فتكونُ حقّاً ، وأمَّا ما زادوا فيكون باطلاً ، فلما بُعث النبيُّ ﷺ مُنعوا مقاعِدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكنِ النجومُ يُرْمَى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : هذا لأمرٍ قد حدث في الأرض ، فبعث جنودَه فوجدوا رسول الله قائماً يصلِّي بين جبلَيْن ، فأتوْه فأخبروه فقال : « هذا الأمْرُ الذي قد حَدَث في الأرض » .

وقال أبو عوانة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : انطلق رسولُ الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سُوق عكاظ ، وقد حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرسلَتْ عليهم الشُّهُب ، فرجعتِ الشياطينُ إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيلَ بيننا وبين خبرِ السماء ، وأُرسلتْ علينا الشُّهُب ، فقالوا : ما ذاك إلا من شيءٍ حدَث ، فاضْرِبُوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها ، [فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء . فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها][٢] ، فمرَّ النَّفَرُ الذين أخذوا نحو تهامة ـ وهو بنَخْل[٣] ـ عامدين إلى سُوق عُكَاظ ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن ، استمعوا له فقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبرِ السماء ، فرجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١ ـ ٢] . فأوحى الله إلى نبيِّه ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن : ١] الآية . أخرجاه في الصحيحيْن[٤] .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة[٥] : حدّثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : إنه لم تكن قبيلةٌ من الجنِّ إلا ولهم مقاعدُ للسمْع ، فإذا نزل الوحي سمعتِ الملائكة صوتاً كصوتِ الحديدة ألقيتها على الصَّفَا ، قال : فإذا سمعتْهُ[٦] الملائكةُ خرُّوا سجَّداً فلم يرفعوا رؤوسَهُمْ

---

(١) لم أجده في المطبوع من الدلائل ، وهو عند الطبراني في المعجم الكبير رقم (١٢٤٣١) فيما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده (١/ ٢٧٤) من طريق إسرائيل به ، والترمذي في جامعه (٣٣٢٤) تفسير سورة الجن من طريق الفريابي به وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) ما بين معقوفين ساقط من ح ، ط فاستدركته من صحيح مسلم واللفظ له .

(٣) في فتح الباري « بنخلة » وقال فيه ابن حجر(٨/ ٦٧٤) : موضع بين مكة والطائف . قال البكري : على ليلة من مكة ، وهي التي ينسب إليها بطن نخل . وقع في رواية مسلم بنخل بلا هاءٍ والصواب إثباتها .

(٤) فتح الباري (٤٩٢١) تفسير سورة ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴾ ، وصحيح مسلم (١٤٩ ـ ٤٤٩) الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن . وأخرجه أيضاً عن أبي عوانة به الترمذي في جامعه (٣٣٢٣) التفسير (٧٠) باب ومن سورة الجن وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) في المصنف (١٨٣٩١) المغازي باب ما رأى النبي ﷺ قبل النبوة .

(٦) في ح ، ط : سمعت ، والمثبت من المصنف .

حتى ينزل ، فإذا نزل قال بعضُهم لبعض : ماذا قال ربُّكم ؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا : الحق وهو العليُّ الكبير ، وإنْ كان مما يكون في الأرض من أمر الغَيْبِ أو موتٍ أو شيءٍ مما يكون في الأرض تكلَّموا به فقالوا : يكون كذا وكذا ، فتسمَعُه الشياطين فينزلونه على أوليائهم ، فلما بُعث النبيُّ محمد ﷺ دُحِروا بالنجوم ، فكان أولَ مَنْ علم بها ثقيف ، فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه ، فيذبح كلَّ يومٍ شاة وذو الإبل ينحَرُ[١] كلَّ يوم بعيراً ، فأسرع الناس في أموالهم ، فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا فإنْ كانت النجومُ التي يُهتدَى بها ، وإلاّ فإنه لأمرٍ حدث . فنظروا فإذا النجومُ التي يُهتدى بها كما هي لم يَزُلْ منها شيء[٢] ، فكفُّوا ، وصرف الله الجِنَّ ، فسمعوا القرآن ، فلما حضروه قالوا : أنصتوا . وانطلقتِ الشياطين إلى إبليسَ فأخبروه ، فقال : هذا حدَثٌ حدَثَ في الأرض ، فأْتُوني من كلِّ أرضٍ بتربة ، فأتَوْهُ بتربةِ تهامة ، فقال . . هاهنا الحدث .

[ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب][٣] .

وقال الواقدي : حدّثني أسامة بن زيد بن أسلم عن عمرو بن عبد الله العبسي[٤] ، عن كعب قال : لم يُرْمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى تنبَّأ رسولُ الله ﷺ فرُمي بها ، فرأت قريشٌ أمراً لم تكن تراه ، فجعلوا يُسَيِّبُونَ أنعامهم ويعتقون أرقَّاءَهم يظنُّون أنه الفَنَاء ، فبلغ ذلك من فعلهم أهلَ الطائف ففعلتْ ثقيفٌ مثل ذلك ، فبلغ عبدَ يا ليل بنَ عمرو ما صنعتْ ثقيف . قال : ولم فعلتُم ما أرى ؟ قالوا : رُمي بالنجوم ، فرأيناها تهافَتُ من السماء . فقال : إنَّ إفادةَ المال بعد ذهابه شديد ، فلا تعجلوا وانظروا ، فإنْ تكنْ نجوماً تُعرف فهو عندنا من فناء الناس ، وإن كانت نجوماً لا تعرف فهو لأمر قد حدث . فنظروا فإذا هي لا تُعرف ، فأخبروه فقال : الأمر فيه مُهْلَةٌ بعدُ ، هذا عند ظهور نبي . فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله ، فجاءَهُ عبدُ يا ليل فذاكره أمر النجوم ، فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله يدَّعي أنه نبيٌّ مرسل . فقال عبدُ يا ليل : فعند ذلك رُمي بها[٥] .

وقال سعيد بن منصور عن خالد ، عن[٦] حصين ، عن عامر الشعبي قال : كانت النجومُ لا يُرمى بها

---

(١) في ح ، ط : فينحر . والمثبت من المصنف .

(٢) في المصنف : لم يرم منها بشيء .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ح وقد أورده البيهقي في الدلائل بألفاظ مقاربة (٢/ ٢٤٠) .

(٤) كذا في ح وفي ط : عمر بن عبدان العبسي . ولم أقف على ترجمة له ، والخبر ساقه أبو الفرج بن الجوزي في الوفا (١/ ١٧٤) وروى فيه عن أبي بن كعب .

(٥) إسناده تالف ، الواقدي متروك ، وأسامة بن زيد بن أسلم ضعيف ، وشيخه عمرو بن عبد الله العبسي مجهول . (بشار) .

(٦) في ح ، ط : خالد بن حصين . تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي (٢/ ٢٤١) ومما ثبت من رواية خالد بن عبد الله الواسطي ، عن حصين بن عبد الرحمن في تهذيب الكمال للمزي في ترجمتيهما ، ورواية سعيد بن منصور عن خالد .

حتى بُعث رسول الله ﷺ فسيَّبوا أنعامَهم ، وأعتقوا رقيقهم . فقال عبدُ يا ليل : انظروا ، فإنْ كانتِ النجومُ التي تُعرف فهو عند فناء الناس ، وإن كانت لا تعرف فهو لأمرٍ قد حدث . فنظروا فإذا هي لا تُعرف . قال : فأمسكوا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروجُ النبيِّ ﷺ .

وروى البيهقي[١] والحاكم من طريق العَوْفي عن ابن عباس قال : لم تكن سماءُ الدنيا تحرسُ في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه ، فلعل مرادَ مَنْ نَفَى ذلك أنها لم تكنْ تُحْرَسُ حراسةً شديدة ، ويجب حمل ذلك على هذا ، لما ثبت في الحديث[٢] من طريق عبد الرزاق ، عن معمر عن الزُّهْري عن علي بن الحسين ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : بينا رسولُ الله ﷺ جالسٌ إذْ رُمي بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رُمي بهذا ؟ » قال : كنا نقول : مات عظيم ، وولد عظيم ، فقال : « لا ولكن » . فذكر الحديث كما تقدَّم عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق ولله الحمد[٣] .

وقد ذكر ابن إسحاق في « السيرة »[٤] قصة رمي النجوم وذكر عن كبير ثَقِيف أنه قال لهم في النظر في النجوم : إنْ كانت أعلامُ السماء أو غيرها[٥] ، ولكن سماه عمرو بن أمية . فالله أعلم .

وقال السُّدِّي : لم تكن السماء تُحرس إلا أن يكونَ في الأرض نبيٌّ أو دِينٌ للهِ ظاهر ، وكانتِ الشياطينُ قبل محمد ﷺ قد اتخذتِ المقاعد في سماءِ الدنيا ، يستمعون ما يحدثُ في السماء من أمر ، فلما بَعَثَ الله محمداً ﷺ نبيّاً رُجموا ليلةً من الليالي ، ففزِعَ لذلك أهلُ الطائف ، فقالوا : هلك أهلُ السماء لما رأوا من شدَّةِ النار في السماء ، واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقَّاءهم ، ويُسَيِّبون مواشيَهم ، فقال لهم عبدُ يا ليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر أهلِ الطائف أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا[٦] في معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرة[٧] في أمكنتها فلم يهلك أهلُ السماء ، وإنما هو[٨] من ابن أبي كبشة ، وإنْ أنتم لم ترَوْها فقد أُهلك أهل السماء ، فنظروا فرأوها ، فكفُّوا عن أموالهم ، وفزِعَتِ الشياطين في تلك الليلة ، فأتَوا إبليس فقال : ائتوني من كلِّ أرضٍ بقبضةٍ من تراب . فأتَوْه ، فشمَّ فقال : صاحبُكم بمكة . فبعث سبعةَ نفَرٍ من جنِّ نَصِيبين ، فقدموا مكة ، فوجدوا رسولَ الله ﷺ في المسجد الحرام يقرأُ القرآن ،

---

(١) دلائل البيهقي (٢/ ٢٤١) ، وإسناده ضعيف لضعف العوفي واسمه عطية ، وما قبله مجاهيل .
(٢) كما في دلائل البيهقي (٢/ ٢٣٨) وبنحوه أخرجه مسلم (٢٢٢٩) (١٢٤) في السلام باب تحريم الكهانة من طريق صالح عن ابن شهاب به . وبنحوه أورده ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق به .
(٣) انظر ما تقدم (١/ ١٥) وما بعدها .
(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١١٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٦) والروض (١/ ٢٣٦) .
(٥) في السيرة والروض : فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها . . .
(٦) في ح : إلى .
(٧) في ح : مستمرة .
(٨) في ح : هذا .

فدنَوْا منه حِرْصاً على القرآن حتى كادت كلاكِلُهم تصيبُه ، ثم أسلموا ، فأنزل الله أمْرَهم على نبيِّه ﷺ .

وقال الواقدي(١) : حدّثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم ـ يعني إسحاق ـ عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : لما بُعث رسولُ الله ﷺ أصبح كلُّ صنم منكّساً ، فأتت الشياطينُ فقالوا له : ما على الأرض من صنم إلاّ وقد أصبح منكّساً . قال : هذا نبيٌّ قد بُعث ، فالتمسوه في قرى الأرياف ، فالتمسوه فقالوا : لم نجده . فقال : أنا صاحبه . فخرج يلتمسه ، فنودي عليك بحَبَّةِ القلب(٢) ـ يعني مكة ـ فالتمسه بها فوجده بها عند قَرْن الثعالب(٣) ، فخرج إلى الشياطين فقال : إني قد وجدتُه معه جبريل ، فما عندكم ؟ قالوا : نزيِّن الشهواتِ في أعيُنِ أصحابه ، ونحبِّبها إليهم قال : فلا آسى إذاً .

وقال الواقدي(٤) : حدّثني طلحةُ بن عمرو ، عن ابنِ أبي مُليكة ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما كان اليوم الذي تنبّأ فيه رسولُ الله ﷺ مُنعتِ الشياطينُ من السماء ، ورُموا بالشهب ، فجاؤوا إلى إبليس فذكروا ذلك له ، فقال : أمرٌ قد حدث ، هذا نبيٌّ قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مَخْرَجَ بني إسرائيل . قال : فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا : ليس بها أحد . فقال إبليس : أنا صاحبُه فخرج في طلبه بمكة ، فإذا رسولُ الله ﷺ بحِرَاء منحدراً معه جبريل فرجع(٥) إلى أصحابه فقال : قد بُعث أحمد ومعه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحبِّبُها إلى الناس قال : فذاك إذاً .

قال الواقدي(٦) : وحدّثني طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كانت الشياطين يستمعون الوحي ، فلما بُعث محمد ﷺ مُنعوا ، فشكَوْا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر فَرَقِيَ فوق أبي قُبيس ـ وهو أولُ جبلٍ وُضع على وجه الأرض ـ فرأى رسولَ الله ﷺ يصلِّي خلف المقام ، فقال : اذهب فاكسرْ عُنقه . فجاء يخطِرُ وجبريل عنده ، فركضَه جبريل ركضةً طرحَهُ في كذا وكذا ، فولّى الشيطانُ هارباً .

ثم رواه الواقدي(٧) وأبو أحمد الزبيري كلاهما عن رباح بن أبي معروف ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال : فركضَهُ برجله فرماه بِعَدَن .

---

(١) لم أجده فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات وأورده أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢٩٤) وأبو الفرج بن الجوزي في الوفا (١/ ١٧٦) . وذكره أيضاً السيوطي في الخصائص (١/ ١١٠) .
(٢) في ط : بجنبة الباب ، والمثبت من ح والدلائل والوفا .
(٣) قرن الثعالب ، هو قرن المنازل : ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة . معجم البلدان (٤/ ٣٣٢) .
(٤) لم أجده فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات وأورده أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢٩٥) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١١١) .
(٥) في ح : فدفع . ومعناه : انتهى إلى أصحابه .
(٦) أورده أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢٩٦) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١١٢) .
(٧) ذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١١٢) .

فصـــل
في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ

قد تقدم كيفيةُ ما جاءَهُ جبريلُ في أول مرة ، وثاني مرة أيضاً .

وقال مالك[١] عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنَّ الحارثَ بن هشام سأل رسولَ الله ﷺ قال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوَحْيُ ؟ فقال : « أحياناً يأتيني مثلَ صَلْصَلَةِ[٢] الجرَس ـ وهو أشدُّهُ عليّ ـ فيفصِمُ عني وقد وعَيْتُ ما قال ، وأحياناً يتمثَّلُ لي الملَكُ رجلاً يُكلِّمُني فأعِيَ ما يقول » . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيتُه ﷺ ينزل عليه الوحيُ في اليوم الشديدِ البَرْد فيفصِمُ عنه وإنَّ جبينَهُ ليتفَصَّدُ عَرَقاً .

أخرجاه في الصحيحَيْن من حديث مالكٍ به[٣] .

ورواه الإمام أحمد[٤] عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة به نحوه .

وكذا رواه عَبْدَة بن سليمان ، وأنس بن عياض ، عن هشام بن عروة ، وقد رواه أيوب السختياني عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال : سألتُ رسول الله ﷺ فقلت : كيف يأتيك الوحي ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة .

وفي حديث الإفك[٥] قالت عائشة : فوالله ما رام رسولُ الله ﷺ ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أُنزل عليه ، فأخَذَهُ ما كان يأخذُهُ من البُرَحَاء ، حتى إنه كان يتحدَّرُ منه مثلُ الجُمَان من العَرَق ، وهو في يومٍ شاتٍ من ثقلِ الوحي الذي نزل عليه .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا عبدُ الرزاق ، أخبرني يونس بن سُليم قال : أملى عليَّ يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن[٧] عبد الرحمن بن عبدٍ القارِيّ : سمعتُ عمر بن الخطاب يقول : كان

---

(١) الموطأ (١/ ٢٠٢) القرآن باب ما جاء في القرآن .

(٢) في ح ، ط : صلصة تصحيف ، والمثبت من الموطأ . والصلصلة في الأصل : صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين . فتح الباري (١/ ٢٠) .

(٣) فتح الباري (١/ ١٨) بدء الوحي باب حدثنا عبد الله بن يوسف . وصحيح مسلم (٢٣٣٣) الفضائل باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي .

(٤) في مسنده (٦/ ١٥٨) .

(٥) انظر حديث الإفك مخرَّجاً فيما سيأتي في الجزء الرابع .

(٦) في مسنده (١/ ٣٤) ، وإسناده ضعيف لجهالة يونس بن سليم .

(٧) في ح ، ط : عروة بن عبد الرحمن ، وهو تصحيف ، والمثبت من المسند . وما يأتي بين معقوفين منه .

إذا نزل على رسولِ الله ﷺ الوَحْي ، يُسمع عند وجهه [دَوِيٌّ] كدَوِيِّ النَّحْل ، وذكر تمام الحديث في نزول ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] .

وكذا رواه الترمذي والنسائي[١] من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائي : منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه .

وفي صحيح مسلم وغيره[٢] من حديث الحسن ، عن حِطَّانَ بنِ عبد الله الرَّقاشي ، عن عُبادة بن الصامت قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كُرِب لذلك وتربَّد وجهه - وفي رواية وغمض عينَيْه - وكنا نعرفُ ذلك منه .

وفي الصحيحين[٣] حديث زيد بن ثابت حين نزلت ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [فلما شكا ابنُ أمِّ مَكْتُوم ضرارَتَه نزلت][٤] ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ . قال : وكانت فخذُ رسولِ الله ﷺ على فَخِذي وأنا أكتب ، فلما نزل الوحي كادَتْ فخِذُه تَرُضُّ فَخِذي .

وفي صحيح مسلم[٥] من حديث همَّام بن يحيى ، عن عطاء ، عن يَعْلى بن أمية قال : قال لي عمر : أَيَسُرُّك أنْ تنظُرَ إلى رسولِ الله ﷺ وهو يُوحَى إليه ؟ فرفع [عمرُ] طرفَ الثوب عن وجهه وهو يُوحَى إليه بالجِعْرَانة[٦] ، فإذا هو محمرُّ الوَجْه ، وهو يَغِطُّ كما يَغِطُّ البَكْر[٧] .

وثبت في الصحيحَيْن[٨] من حديث عائشة لما نزل الحِجَاب ، وأنَّ سَوْدَةَ خرجتْ بعد ذلك إلى المَنَاصِع[٩] ليلاً ، فقال عمر : قد عرفناكِ يا سَوْدَة . فرجعتْ إلى رسولِ الله ﷺ فسألَتْهُ وهو جالسٌ يتعشَّى

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٣) ، و(٣١٧٣ م) ، والنسائي في الصلاة من سننه الكبرى (١٤٣٩) عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق به . وتنظر تحفة الأشراف (٧/ ٢٦٧ - ٢٦٨) حديث (١٠٥٩٤) بتحقيقنا (بشار) .
(٢) صحيح مسلم (١٦٩٠) (١٢) الحدود باب حد الزنى . وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣١٧) به .
(٣) صحيح البخاري (٢٨٣٢) الجهاد باب قول الله عز وجل ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ [النساء : ٩٥] ، و(٤٥٩٢) التفسير باب لا يستوي القاعدون ، وصحيح مسلم (١٨٩٨) في الإمارة باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين .
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من ح ، وهو مروي بالمعنى وبألفاظ مقاربة لما جاء في البخاري .
(٥) صحيح مسلم (١١٨٠) (٦) الحج باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة . وما يأتي بين معقوفين منه .
(٦) مضى التعريف بها في ص(٦٠ ح٩) .
(٧) « البَكْر » : الفتي من الإبل ، وغَطَّ : صوَّت في شقشقته ، فإن لم يكن له شقشقة فهو هدير ، وغطَّ النائم غطيطاً : تردَّد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله . المصباح (غطط) .
(٨) فتح الباري (٤٧٩٥) التفسير باب ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ وصحيح مسلم (٢١٧٠) (١٧) في السلام باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان .
(٩) « المناصع » : هي المواضع التي يُتخلَّى فيها لقضاء الحاجة ، واحدُها مَنْصَع ، لأنه يُبرز إليها ويُظهر . النهاية (٥/ ٦٥/ نصع) .

والعَرْقُ في يده(١) ، فأوْحَى الله إليه والعَرْقُ في يده ، ثم رفع رأسه فقال : « إنَّهُ قد أُذِنَ لكُنَّ أنْ تَخْرُجْنَ لحاجَتِكُنَّ » .

فدلَّ هذا على أنه لم يكنِ الوحْيُ يُغَيِّبُ عنه إحساسَهُ بالكُلِّيَّة ، بدليلِ أنه جالس لم يسقُطْ ولم يسقطِ العَرْقُ أيضاً من يده صلواتُ الله وسلامه دائماً عليه .

وقال أبو داود الطيالسي(٢) : حدّثنا عباد بن منصور ، حدّثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا أنزل(٣) عليه الوَحْي تربَّدَ لذلك جسدهُ ووجههُ ، وأمسك عن أصحابه ، ولم يكلِّمْه أحدٌ منهم .

وفي مسند أحمد(٤) وغيره من حديثِ ابن لَهِيعة ، حدّثني يزيدُ بنُ أبي حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو قلت : يا رسولَ الله ، هل تُحِسُّ بالوَحْي ؟ قال : « نعم ، أسمع صَلاصِلَ ثم أسْبُتُ(٥) عند ذلك ، وما من مرَّةٍ يُوحَى إليَّ إلا ظننتُ أنَّ نفسي تَفِيضُ منه »(٦) .

وقال أبو يعلى المَوْصلي(٧) : حدّثنا إبراهيم بن الحجاج ، حدّثنا عبد الواحد بن زياد ، حدّثنا عاصم ابن كُليب ، حدّثنا أبي عن خاله الفَلَـتَان(٨) بن عاصم قال : كُنا عند رسولِ الله ﷺ وأُنزل عليه ، وكان إذا أُنزل عليه دامَ بصَرُه ، ومفتوحةً عيناه(٩) ، وفرَّغَ سمعَهُ وقَلْبَهُ لما يأتيهِ من الله عزَّ وجل(١٠) .

وروى أبو نعيم(١١) من حديث قتيبة ، حدّثنا عليُّ بن غُرَاب ، عن الأحوص بن حكيم ، عن أبي

---

(١) « العرق » : بفتح العين وإسكان الراء : وهو العظم الذي عليه بقية اللحم . شرح النووي لصحيح مسلم (١٤/ ١٥١) .

(٢) مسند الطيالسي (٢٦٦٧) .

(٣) في ح : نزل .

(٤) مسند أحمد (٢/ ٢٢٢) ، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة .

(٥) كذا في ح ، وفي ط : أثبت ، وفي مسند أحمد : أسكت . وأسبت من السَّبْت ، وهو الراحة والسكون أو من القطع وترك الأعمال . النهاية (سبت/ ٢/ ٣٣١) .

(٦) « فاض الرجل » : مات ؛ وفاضت نفسه : خرجت . اللسان (فيض) . وفي ط تفيظ ، وهما بمعنى .

(٧) مسند أبي يعلى (١ ـ ١٥٨٣) من حديث الفلتان . وقد خرجه الحافظ ابن حجر في ترجمة الفلتان في الإصابة فقال : رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى في مسنديهما وابن حبان في صحيحه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩) وقال رواه أبو يعلى والبزار بنحوه والطبراني بنحوه ، ورجال أبي يعلى ثقات .

(٨) في ح بمهملات ، وفي ط : العليان ، وفي مجمع الزوائد (الغلبان) وهو تصحيف ، والمثبت من مسند أبي يعلى الإصابة في ترجمة الفلتان .

(٩) كذا في ح ، وفي مسند أبي يعلى ومجمع الزوائد والإصابة من غير واو ، وفي ط : وعيناه مفتوحة .

(١٠) لم أجده فيما طبع من الدلائل وأورده السيوطي في الخصائص (١/ ١٢٠) .

(١١) تتمته في مسند أبي يعلى : قال : فكنا نعرف ذلك منه ، فقال للكاتب : اكتب ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . . . =

عوانة[١] ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي صُدِّع ، وغَلَّف رأسه بالحِنّاء .

هذا حديث غريب جداً .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا أبو معاوية شيبان ، عن ليث ، عن شَهْرِ بن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : إني آخذةٌ بزمام العَضْباء ناقةِ رسولِ الله ﷺ ، إذْ نزلت[٣] عليه المائدةُ كلّها ، وكادت من ثقلها تَدُقُّ عَضُدَ الناقة .

وقد رواه أبو نعيم[٤] من حديث الثوري عن ليث بن أبي سُليم به .

وقال الإمام أحمدُ أيضاً[٥] : حدثنا حسن ، حدّثنا ابن لَهِيعة ، حدّثني حُيَيُّ[٦] بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : أُنْزلتْ على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تَحْمِله ، فنزل عنها .

وروى ابنُ مَرْدويه من حديث صباح بن سهل ، عن عاصم الأحول : حدّثتني أمُّ عمرو عن عمها ، أنه كان في مسيرٍ مع رسول الله ﷺ فأُنزلتْ عليه سورةُ المائدة ، فاندقَّ عُنق الراحلة من ثِقْلِها .

وهذا غريبٌ من هذا الوجه[٧] . ثمّ قد ثبت في الصحيحَيْن[٨] نزولُ سورةِ الفتح على رسول الله ﷺ مَرْجِعَهُ من الحُدَيبية ، وهو على راحلته ، فكأنَّه[٩] يكون تارة وتارة بحسب الحال . والله أعلم .

وقد ذكرنا أنواع الوَحْي إليه ﷺ في أول شرح البخاري وما ذكره الحَليمي وغيره من الأئمة رضي الله عنهم .

= ﴿ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٩٥] قال : فقام الأعمى فقال : يا رسول الله ، ما ذنبنا ؟ فأنزل الله ، فقلنا للأعمى : إنه ينزل على النبي ﷺ فخاف أن يكون ينزل عليه شيء من أمره فبقي قائماً يقول : أعوذ بغضب رسول الله . قال : فقال النبي ﷺ للكاتب : « اكتب ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ » .

(١) في ح : عن أبي عون ، ولم يتبين لي وجه الصواب فيهما .

(٢) في مسنده (٦/ ٤٥٥) . قال بشار : وإسناده ضعيف لضعف ليث ، وهو ابن أبي سليم ، وشيخه شهر بن حوشب .

(٣) في المسند : أنزلت .

(٤) لم أجده فيما طبع من الدلائل وقد ذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٢٠) عن أبي نعيم ، وإسناده ضعيف مثل سابقه .

(٥) في مسنده (٢/ ١٧٦) ، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة .

(٦) في ط : جبر بن عبد الله ، تصحيف ، والمثبت من ح والمسند والإكمال (٢/ ٥٨١) .

(٧) صباح بن سهل منكر الحديث (الميزان ٢/ ٣٠٥) .

(٨) سيأتي من سياق البخاري في غزوة الحديبية (٣/ ١٧٧) ط .

(٩) في ط : فكان .

فصـــل

قال الله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٦ ـ ١٩] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] وكان هذا في الابتداء ، كان عليه الصلاة والسلام من شِدَّةِ حِرْصِه على أخْذِهِ من المَلَكِ ما يوحيه إليه عن الله عزَّ وجلَّ ليساوقه في التلاوة ، فأمرَهُ الله تعالى أنْ يُنْصِتَ لذلك حتى يَفْرُغ من الوحي ، وتكفَّلَ له أن يجمعَهُ في صدرِه ، وأن يُيَسِّرَ عليه تلاوتَه وتبليغَه ، وأن يُبَيِّنَهُ له ، ويفسِّرَهُ ويوضِّحَه ، ويُوقفه على المرادِ منه . ولهذا قال : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] وقال : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ ﴾ أي في صدرك ﴿ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ أي وأنْ تقرأهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ أي تَلاهُ عليكَ المَلَكُ ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٨] أي فاستمِعْ له وتدبَّرْهُ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٩] وهو نظيرُ قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .

وفي الصحيحين(١) من حديث موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان رسولُ الله ﷺ يُعالجُ من التنزيلِ شدَّة ، فكان يحرِّكُ شفتَيْه ، فأنزلَ اللهُ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قال : جَمْعَهُ في صدْرك ، ثم تقرَأُهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ فاستمعْ له وأنصتْ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ قال : فكان إذا أتاه جبريلُ أطْرَقَ ، فإذا ذهبَ قرأَهُ كما وعدَهُ الله عزَّ وجلَّ .

فصـــل

قال ابن إسحاق(٢) : ثم تتابع الوحيُ إلى رسولِ الله ﷺ وهومصدِّقٌ بما جاءَهُ منه ، قد قبله بقَبُوله ، وتحملَّ منه ما حمله على رضا العبادِ وسخطهم ، وللنبوَّةِ أثقالٌ ومُؤْنة ، لا يحملُها ولا يستضلعُ بها(٣) إلا أهلُ القوة والعَزْم من الرسل ، بعون الله وتوفيقه ، لما يَلْقَوْن من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاؤا به عن الله عزَّ وجلَّ ، فمضى رسولُ الله ﷺ على ما أمر الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى .

قال ابن إسحاق(٤) : وآمنتْ خديجةُ بنت خُويلد وصدَّقتْ بما جاءه من الله ، ووازرَتْهُ على أمره ، وكانت أوَّلَ مَنْ آمنَ بالله ورسوله وصدَّق بما جاء منه ، فخفَّفَ الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً

---

(١) فتح الباري (٤٩٢٩) التفسير (٧٥) سورة القيامة باب فإذا قرآناه فاتبع قرآنه . وصحيح مسلم (٤٤٨) الصلاة باب الاستماع للقراءة .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٠) والروض (١/ ٢٧٦) .

(٣) كذا في ط وفي ح : يستظلع ، وفي سيرة ابن هشام والروض يستطيع ، ولعل الصواب : يضطلع . من اضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة ، يقال : اضطلع بحمله أي قوي عليه ونهض به . انظر اللسان (ضلع) .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٠) والروض (١/ ٢٧٧) .

يكرهه ، مِن ردٍّ عليه ، وتكذيبٍ له فيحزنه ذلك ، إلا فرّج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفّفُ عنه ، وتصدِّقه وتهوِّن عليه أمر الناس ، رضي الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أُمرتُ أنْ أُبَشِّرَ خديجةَ ببيتٍ من قصَب ، لا صَخَب فيه ولا نصَب » .

وهذا الحديث مخرَّجٌ في الصحيحَيْن[٢] من حديث هشام .

قال ابنُ هشام : القصَب هاهنا : اللُّؤْلُؤ المجوَّف .

قال ابن إسحاق[٣] : وجعل رسولُ الله ﷺ يذكر[٤] ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله .

وقال موسى بن عقبة عن الزُّهْري : كانت خديجةُ أولَ من آمن بالله وصدَّق رسوله ، قبل أن تُفرَض الصلاة .

قلت : يعني الصلواتِ الخمس ليلةَ الإسراء . فأمَّا أَصْلُ الصلاة فقد وجب في حياةِ خديجةَ رضي الله عنها كما سنبيِّنهُ .

وقال ابن إسحاق[٥] : وكانت خديجةُ أولَ من آمن بالله ورسوله ، وصدَّق بما جاء به .

ثم إنَّ[٦] جبريل أتى رسولَ الله ﷺ حين افتُرِضتْ عليه الصلاة فهمَزَ له بِعَقبه في ناحيةِ الوادي فانفجرتْ له عينٌ من ماء زَمْزَم ، فتوضَّأ جبريلُ ومحمد عليهما السلام ، ثم صلَّى ركعتَيْن وسجد أربع سجدات ، ثم رجع النبيُّ ﷺ قد أقرَّ الله عينَه ، وطابتْ نفسُه ، وجاءه ما يُحبُّ من الله ، فأخذ يدَ خديجة حتى أتى بها إلى العين ، فتوضَّأ كما توضَّأ جبريل ، ثم ركع ركعتَيْن وأربع سجدات ، ثم كان هو وخديجة يصلِّيان سرّاً .

قلت : صلاةُ جبريلَ هذه غيرُ الصلاة التي صلاها به عند البيت مرَّتيْن ، فبيَّن له أوقاتِ الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فإنَّ ذلك كان بعد فرضيَّتها ليلة الإسراء ، وسيأتي بيانُ ذلك إنْ شاء الله وبه الثقة ، وعليه التكلان[٧] .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤١) والروض (١/ ٢٧٧) .
(٢) فتح الباري (٣٨١٧) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ وصحيح مسلم (٢٤٣٢) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٣) .
(٤) في ط : يذكر جميع . وليست هذه الزيادة في ح ولا في سيرة ابن هشام .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٠) والروض (١/ ٢٧٧) .
(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٤) والروض (١/ ٢٨٣) بنحوه .
(٧) سيأتي في ص(٣٥١، ٣٥٢) من هذا الجزء .

فصــل
في ذكر أول من أسلم من متقدِّمي الإسلام من الصحابة رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق[١] : ثم إنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهم[٢] يصلِّيان ، فقال علي : يا محمد ما هذا ؟ قال : « دينُ الله الذي اصطفى لنفسه ، وبعث به رُسُلَه ، فأدعوكَ إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته وكفرٍ باللاتِ والعُزَّى » فقال علي : هذا أمْرٌ لم أسمعْ به قبل اليوم ، فلستُ بقاضٍ أمراً حتى أحدِّث به أبا طالب . فكره رسولُ الله ﷺ أنْ يُفشيَ عليه سرَّهُ قبل أن يستعلن أمْرُه . فقال له : « يا علي ، إذ لم تُسْلِم[٣] فاكتُمْ » . فمكث عليٌّ تلك الليلة ، ثمَّ إنَّ الله أوقع في قلب عليٍّ الإسلامَ ، فأصبح غادياً إلى رسولِ الله ﷺ حتى جاءه فقال : ماذا عرضتَ عليَّ يا محمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « تشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، وتكفر باللاتِ والعُزَّى ، وتبرأُ من الأنداد » ففعل عليٌّ وأسلم ، ومكث يأتيه على خوفٍ من أبي طالب ، وكتم عليٌّ إسلامه ولم يظهره .

وأسلم ابنُ حارثة ـ يعني زيداً ـ فمكثا[٤] قريباً من شهر يختلف عليٌّ إلى رسول الله ﷺ ، وكان مما أنعم الله به على عليّ أنه كان في حَجْر رسولِ الله ﷺ قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق[٥] : حدَّثني ابنُ أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال : وكان من نعمة الله على عليّ أنَّ قريشاً أصابتهم أزْمةٌ شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثيرة[٦] ، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ : « يا عباس ، إنَّ أخاكَ أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزْمة ، فانطلقْ حتى نخفِّفَ عنه من عياله » فأخذ رسولُ الله ﷺ عليّاً فضمَّهُ إليه ، فلم يزلْ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً ، فاتَّبَعَهُ عليٌّ وآمن به وصدَّقه .

وقال يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق[٧] : حدّثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي ـ من أهل الكوفة ـ حدّثني إسماعيلُ بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جدِّه عفيف ـ وكان عفيف أخا الأشعث بن

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص١٣٧) .
(٢) كذا في ح ، وفي ط : وهما ، وعند ابن إسحاق : بيومين فوجدهما . وهو أشبه بالصواب .
(٣) جاء في حاشية ط ما نصه : في المصرية : إذ لم تسمع فاكتم . قلت : وما هو مثبت من ح وسيرة ابن إسحاق .
(٤) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن إسحاق : فمكث . وهو أشبه بالصواب .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٦) والروض (١/ ٢٨٥) بأوعب مما هنا .
(٦) في السيرة والروض : كثير .
(٧) في سيرة ابن إسحاق (ص١٣٧) وما يأتي بين معقوفين منه ، وساقه الذهبي في الميزان (١/ ٢٢٣) وروى نحوه سعيد بن خثيم الهلالي بسنده إلى إسماعيل ولم يصححهما البخاري قاله الذهبي .

قيس لأمه[١] ـ أنه قال : كنتُ امرأً تاجراً ، فقدمتُ مِنىً أيام الحجّ ، وكان العباس بن عبد المطلب امرأً تاجراً ، فأتيتُه أبتاع منه وأبيعه ، قال : فبينا نحن إذْ خرج رجلٌ من خِباءٍ يصلِّي ، فقام تجاه الكعبة ، ثم خرجتِ امرأةٌ فقامتْ تصلِّي ، وخرج غلامٌ فقام يصلِّي معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدِّين ؟ إنَّ هذا الدِّين ما ندري ما هو ؟ فقال [العباس] : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أنَّ الله أرسله ، وأنَّ كنوز كسرى وقيصر ستُفتح عليه ، وهذه امرأته خديجةُ بنت خُويلد آمنتْ به ، وهذا الغلام ابنُ عمِّه عليُّ بن أبي طالب آمن به .

قال عفيف : فليتني كنتُ آمنت يومئذ ، فكنت أكون ثانياً .

وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق[٢] ، وقال في الحديث : إذْ خرج رجلٌ من خِباءٍ قريب منه ، فنظر إلى السماء ، فلما رآها قد مالت قام يُصلِّي . ثم ذكر قيامَ خديجةَ وراءه .

وقال ابنُ جرير[٣] : حدّثني محمد بن عبيد المحاربي ، حدّثنا سعيد بن خُثيم ، عن أسد بن عَبْدَةَ البجَلي ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف[٤] . قال : جئت في[٥] الجاهلية إلى مكة ، فنزلتُ على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلَّقتْ في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شابٌّ فرمى ببصره إلى السماء ، ثمّ استقبل الكعبة فقام مستقبلَها ، فلم يلبثْ حتى جاء غلامٌ فقام عن يمينه ، فلم يلبثْ حتى جاءتِ امرأةٌ فقامتْ خلفهما ، فركع الشابُّ ، فركع الغلامُ والمرأة ؛ فرفع الشابّ فرفع الغلام والمرأة ، فخرَّ الشابُّ ساجداً فسجدا معه ، فقلت : يا عباس ، أمرٌ عظيم ! فقال : أمر عظيم ! فقال أتدري[٦] مَنْ هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدري[٦] من الغلام ؟ قلت : لا ، قال : هذا عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أتدري[٦] مَنْ هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلتُ : لا ، قال : هذه خديجةُ بنتُ خويلد زوجةُ ابنِ أخي ، وهذا حدثني أنَّ ربَّك ربَّ السماء والأرض ، أمره بهذا الذي تراهم عليه ، وايْمُ الله ما أعلم على ظهر الأرض كُلِّها أحداً على هذا الدِّين غير هؤلاء الثلاثة .

وقال ابن جرير[٧] : حدّثني ابنُ حُميد ، حدّثنا عيسى بن سَوادة بن الجَعْد ، حدّثنا محمد بن المنكدِر

---

(١) المعترضة ما بين الخطين ليست في سيرة ابن إسحاق ولا الميزان .
(٢) ميزان الاعتدال (١/ ٢٢٣) حيث ساقه عن إبراهيم هذا .
(٣) ابن جرير الطبري في تاريخه (٢/ ٣١١) وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٧) عن يحيى بن الفرات القزاز عن سعيد بن خثيم به .
(٤) قوله « عن عفيف » سقط من ط ولا يصح إلا به ، فأثبتناه من تاريخ الطبري .
(٥) في ح : من ، وفي ط : زمن . والمثبت من تاريخ الطبري .
(٦) في ح : أتدرون ، والمثبت من ط وتاريخ الطبري .
(٧) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٢) .

وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي ، قالوا : عليٌّ أوَّل من أسلم . قال الكلبي : أسلم وهو ابنُ تسعِ سنين .

وحدّثنا[١] ابن حُميد ، حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : أولُ ذَكَر آمنَ برسول الله ﷺ وصلّى معه وصدَّقه عليُّ بنُ أبي طالب ، وهو ابنُ عشر سنين ، وكان في حَجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

قال الواقدي[٢] : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : أسلم عليٌّ وهو ابنُ عشر سنين[٣] .

قال الواقدي[٤] : وأجمع أصحابنا على أنَّ علياً أسلم بعد ما تنبَّأَ رسولُ الله ﷺ بسنة .

وقال محمد بن كعب : أول من أسلم من هذه الأمة خديجةُ ، وأول رجلين أسلما أبو بكر وعليٌّ ، وأسلم عليٌّ قبل أبي بكر ، وكان عليٌّ يكتم إيمانه خوفاً من أبيه ، حتى لَقِيَهُ أبوه قال : أسلمت ؟ قال : نعم ! قال : وازِرِ ابنَ عمك وانصُرْه . قال : وكان أبو بكر الصديق أولَ من أظهر الإسلام .

وروى ابنُ جرير في تاريخه[٥] من حديث شعبة ، عن أبي بَلْج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أوَّلُ من صلَّى عليٌّ .

وحدثنا عبد الحميد بن بحر[٦] ، حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عَقيل ، عن جابر ، قال : بُعث النبيُّ ﷺ يوم الاثنين ، وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء .

وروى[٧] من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة ـ رجلٍ من الأنصار ـ سمعتُ زيد بن أرقم يقول : أولُ من أسلم مع رسول الله ﷺ عليُّ بن أبي طالب . قال : فذكرتُه للنَّخَعيِّ فأنكره وقال : أبو بكر أولُ من أسلم .

ثم قال[٨] : حدّثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا العلاء ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبَّاد بن عبد الله ،

---

(١) القائل هو ابن جرير الطبري أيضاً في تاريخه (٢/ ٣١٢) بأوعب مما هنا .
(٢) قول الواقدي فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢١) وفيما نقله الطبري في تاريخه (٢/ ٣١٤) .
(٣) في ح ، ط : إبراهيم عن نافع ، وهو تحريف ، والمثبت من الطبقات والطبري وترجمتي إبراهيم بن نافع وعبد الله بن أبي نجيح في تهذيب الكمال .
(٤) قول الواقدي في تاريخ الطبري (٢/ ٣١٤) .
(٥) تاريخ الطبري (٢/ ٣١٠) .
(٦) في ح ، ط : عبد الحميد بن يحيى ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ الطبري (٢/ ٣١٠) وترجمته في الكامل لابن عدي (٥/ ١٩٥٩) ولسان الميزان (٣/ ٣٩٥) ، وهو ضعيف يسرق الحديث .
(٧) يعني الطبري في تاريخه (٢/ ٣١٠) .
(٨) يعني الطبري وما يأتي بين معقوفين منه .

سمعتُ علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصِّدِّيق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذبٌ مُفْتَرٍ ، صلَّيتُ مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين .

وهكذا رواه ابن ماجَهْ(١) ، عن محمد بن إسماعيل الرازي ، عن عُبيد الله بن موسى العَبْسي(٢) ـ وهو شيعيٌّ من رجال الصحيح ـ عن العلاء بن صالح الأزدي الكوفي ـ وثقوه ، ولكن قال أبو حاتم : كان من عتْق(٣) الشيعة ـ وقال عليُّ بن المَديني : روى أحاديث مناكير . والمِنْهال بن عمرو ثقة ، وأما شيخُه عباد بن عبد الله ـ وهو الأسدي الكوفي ـ فقد قال فيه عليُّ بن المَديني : هو ضعيفُ الحديث . وقال البخاري : فيه نظر . وذكره ابن حِبَّان في الثقات .

وهذا الحديث منكر بكلِّ حال ، ولا يقولُه عليٌّ رضي الله عنه ، وكيف يمكن أنْ يصلِّيَ قبل الناس بسبع سنين ؟ هذا لا يتصوَّرُ أصلاً ، والله أعلم .

وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصدِّيق ، والجمعُ بين الأقوال كلِّها أنَّ خديجة أولُ من أسلم من النساء ، وظاهر السياقات ـ وقبل الرجال أيضاً ـ وأولُ مَنْ أسلم من الموالي زَيْد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان عليُّ بن أبي طالب . فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذْ ذاك أهلَ البيت . وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفعَ [من إسلام](٤) من تقدَّم ذِكْرهم إذْ كان صدراً معظَّما ، ورئيساً في قريش مكرَّماً ، وصاحبَ مال وداعيةً إلى الإسلام . وكان محبَّباً متألَّفاً يبذلُ المالَ في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله .

قال يونس عن ابن إسحاق(٥) ثمّ إنَّ أبا بكر الصديق لقي رسولَ الله ﷺ فقال : أحقٌّ ما تقول قريشٌ يا محمد ؟ مِن تَرْكك آلهتنا ، وتسفيهكَ عقولَنا ، وتكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « بلى إني رسولُ الله ونبيُّه ، بعثني لأُبلِّغ رسالتَه ، وأدعوكَ إلى الله بالحق ، فوالله إنَّه للحَقُّ ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالاة على طاعته » وقرأ عليه القرآن ، فلم يُقِرَّ ولم يُنكر . فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد ، وأَقرَّ بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدِّق .

---

(١) في سننه (١٢٠) المقدمة باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١١١ ، ١١٢) من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي إسحاق عن المنهال به . وقال الذهبي : ولا هو بصحيح ، بل حديث باطل . وانظر ما قاله الذهبي في الميزان (٢/ ٣٦٨) في ترجمة عباد بن عبد الله .

(٢) في ط : الفهمي ، وفي ح : الغمسى . وكلاهما تحريف ، والمثبت من أنساب السمعاني (٨/ ٣٦٧) وترجمته في الميزان (٣/ ١٦) .

(٣) في ح : عتيق .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٥) سيرة ابن إسحاق (ص١٣٩) .

قال ابن إسحاق[١] : حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « ما دَعْوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانتْ عنده كَبْوَةٌ وتردُّدٌ ونظَر ، إلا أبا بكر ما عَكَمَ عنه حين ذكرتُه ، ولا تردَّد فيه » .

عكم : أي تَلَبَّثَ[٢] .

وهذا الذي ذكره ابنُ إسحاق في قوله : فلم يُقِرَّ ولم ينكرْ ، فإنَّ ابنَ إسحاقَ وغيرَهُ ذكروا أنَّهُ كان صاحبَ رسول الله ﷺ قبل البعثة ، وكان يعلم من صِدْقِه وأمانتِه وحسنِ سجيَّته وكرم أخلاقه ، ما يمنعه من الكذب على الخَلْق . فكيف يكذبُ على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له أنَّ الله أرسله بادر إلى تصديقِه ولم يتلعثم ، ولا عَكَم ، وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي أفردناهُ في سيرته ، وأوردنا[٣] فضائله وشمائله وأتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً ، وأوردنا ما رواه كلٌّ منهما عن النبيِّ ﷺ من الأحاديث ، وما رُوي عنه من الآثار والأحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاثَ مجلدات ، ولله الحمدُ والمِنَّة .

وقد ثبت في صحيح البخاري[٤] عن أبي الدرداء في حديثٍ ما كان بين أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما من الخصومة ، وفيه . فقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الله بعثني إليكم ، فقلتم كذبتَ ، وقال أبو بكرٍ : صدَقَ . وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو[٥] لي صاحبي ؟ » فما أُوذي بعدها .

وهذا كالنص على أنه أولُ من أسلم رضي الله عنه .

وقد روى الترمذي وابنُ حبَّان[٦] من حديث شعبة عن سعيد الجُرَيري ، عن أبي نَضْرَة ، عن

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص١٣٩) .

(٢) في سيرة ابن إسحاق : عتم . ومعناهما متقارب ، وفي النهاية (عكم/ ٣/ ٢٨٥) ما عكم عنه : أي ما تحبّس وما انتظر ولا عدل .

(٣) في ح : وأوردت .

(٤) فتح الباري (٣٦٦١) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » .

(٥) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٥) : قال أبو البقاء : إن حذف النون من خطأ الرواة ، لأن الكلمة ليست مضافة فيها ألف ولام ، وإنما يجوز الحذف في هذين الموضعين . ووجَّهها غيره بوجهين : أحدهما أن يكون « صاحبي » مضافاً وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور عناية بتقديم لفظ الإضافة ، وفي ذلك جمع بين إضافتين إلى نفسه تعظيماً للصديق ، ونظيره قراءة ابن عامر ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ بنصب أولادهم وخفض شركائهم وفصل بين المضافين بالمفعول ، والثاني أن يكون استطال الكلام فحذف النون كما يحذف من الموصول المطول . اهـ .

(٦) في جامع الترمذي (٣٦٦٧) المناقب باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما . والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٦٨٦٣) إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة باب ذكر البيان بأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال . قال بشار : وهو حديث معلول رفعَهُ عقبة بن خالد عن شعبة ، وخالفه عبد الرحمن بن مهدي فرواه عن شعبة ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، قال : قال أبو بكر . قال الترمذي : وهذا أصح . وكذلك قال ابن أبي حاتم في العلل =

أبي سعيد ، قال : قال أبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه : ألستُ أحقَّ الناسِ بها ، ألستُ أولَ منْ أسلم ، ألستُ صاحبَ كذا ؟

وروى ابنُ عساكر[١] من طريق بهلول بن عبيد ، حدّثنا أبو إسحاق السَّبيعي عن الحارث ، سمعتُ عليّاً يقول : أولُ من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلَّى مع النبي ﷺ من الرجال عليُّ بن أبي طالب .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرقم قال : أولُ من صلَّى مع النبي ﷺ أبو بكر الصدِّيق .

رواه أحمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة وقال الترمذي حسنٌ صحيح[٢] .

وقد تقدَّم روايةُ ابنِ جرير ، من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم . قال : أولُ من أسلم عليُّ بن أبي طالب . قال عمرو بن مرة : فذكرتُه لإبراهيم النَّخعي فأنكره وقال : أولُ من أسلم أبو بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه[٣] .

وروى الواقدي بأسانيده[٤] عن أبي أروى الدوسي وأبي سَلَمَة بنِ[٥] عبد الرحمن في جماعةٍ من السلف : أوَّلُ من أسلم أبو بكر الصدِّيق .

وقال يعقوب بن سفيان[٦] : حدّثنا أبو بكر الحميدي ، حدّثنا سفيان بن عيينة ، عن مالك بن مغول ، عن رجلٍ قال : سئل ابنُ عباس : مَن أوَّلُ مَنْ آمن ؟ فقال : أبو بكر الصدِّيق ، أما سمعتَ قول حسَّان :

إذا تذكَّرْتَ شَجْواً من أخي ثقةٍ ... فـاذْكُـرْ أخـاكَ أبـا بكـرٍ بمـا فَعـلا
خيـرَ البـريّـةِ أوفـاهـا وأعـدَلَهـا ... بعـدَ النبـيِّ وأولاهـا بمـا حَمـلا
والتاليَ الثانيَ المحمودَ مَشْهَدُه ... وأوَّلَ الناسِ منهم صدَّقَ الرُّسُلا

= (٢/ ٣٨٨) ، وقال الدارقطني في العلل (١/ ٢٣٥) س ٣٧ : « وكذلك رواه ابن عُلية وابن المبارك وعدة عن شعبة مرسلاً ، وهو الصحيح » . وانظر بلا بد تعليقي على جامع الترمذي ، وراجع العلل له (٦٩٠) .

(١) نقله عن ابن عساكر المتقي الهندي في كنز العمال (٣٥٦٦٩) فضل الصديق رضي الله عنه ، وهو في مختصر ابن منظور لتاريخ دمشق (١٣/ ٤٣) .

(٢) مسند أحمد (٤/ ٣٦٨ و٣٧٠) وجامع الترمذي (٣٧٣٥) المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب . ولفظه : أول من أسلم علي . قال عمرو بن مرة : فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال : أول من أسلم أبو بكر الصديق . وأما لفظ أحمد فكرواية ابن جرير الآتي ذكرها ، وفضائل الصحابة للنسائي (٣٤) .

(٣) مضى في الصفحة التي قبلها ، وهو عند الترمذي فلا معنى لهذه الإحالة .

(٤) رواية الواقدي هذه في طبقات ابن سعد (٣/ ١٧١ ، ١٧٢) .

(٥) في ح ، ط : أبو مسلم . وهو تصحيف ، والمثبت من طبقات ابن سعد .

(٦) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٤) وهذا الخبر في القسم المفقود منه ، ومقتبس من هنا .

عـــاشَ حميـــداً لأمْـــرِ اللهِ متَّبعـــاً بأمرِ صاحبِهِ الماضي وما انتَقَلا[١]

وقد رواه أبو بكر بنُ أبي شيبة[٢] : حدّثنا شيخٌ لنا ، عن مجالد ، عن عامر قال : سألتُ ابنَ عباس ـ أو سئل ابنُ عباس ـ أيُّ الناس أولُ إسلاماً ؟ قال : أما سمعتَ قولَ حسان بن ثابت ؟ فذكره .

وهكذا رواه الهيثمُ بنُ عدي عن مجالد ، عن عامر الشعبي : سألتُ ابن عباس فذكره .

وقال أبو القاسم البغوي[٣] حدّثني سُرَيج بن يونس ، حدّثنا يوسف بن الماجشون[٤] قال : أدركتُ مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكُّون أنَّ أولَ القوم إسلاماً أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

قلت : وهكذا قال إبراهيم النَّخَعي ، ومحمدُ بن سيرين ، وسعد بن إبراهيم ، وهو المشهور عن جمهور أهل السنة .

وروى ابنُ عساكر[٥] عن سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن الحنفية ، أنهما قالا : لم يكنْ أوَّلَهم إسلاماً ، ولكن كان أفضلَهُمْ إسلاماً . قال سعد : وقد آمن قبله خمسة .

وثبت في صحيح البخاري[٦] من حديث همَّام بن الحارث ، عن عمار بن ياسر ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ وما معه إلا خَمْسَةُ أعْبُدٍ وامرأتان وأبو بكر .

وروى الإمام أحمد[٧] وابنُ ماجه[٨] من حديث عاصم بن أبي النَّجُود ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود ، قال : أولُ من أظهر الإسلام سبعة : رسولُ الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمَّار ، وأمُّه سُمَيَّة ، وصُهَيب ، وبلال ، والمِقْداد . فأمَّا رسولُ الله ﷺ فمنعَهُ اللهُ بعمِّه ، وأمَّا أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأمَّا سائرهم فأخذَهُم المشركون فألبسوهم أدْرَاعَ الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بِلالاً فإنَّهُ هانتْ عليه نفسُهُ في الله ، وهانَ على قومه ، فأخذوه ، فأعْطَوْهُ الوِلْدَان فجعلوا يطوفونَ به في شعابِ مكةَ وهو يقول : أحدٌ أحَد .

وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلاً .

---

(١) الأبيات في ديوان حسان (١/ ١٢٥) بألفاظ مقاربة ، وتخريجها فيه .
(٢) في المصنف (١٨٤٣٣) المغازي باب إسلام أبي بكر رضي الله عنه .
(٣) أظنه في معجم الصحابة الموجود منه جزءان هما العاشر والحادي عشر في الرباط (٣٤١ك) الأعلام (٤/ ١١٩) .
(٤) هو يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون .
(٥) مختصر ابن منظور لتاريخ دمشق (١٣/ ٤٣) .
(٦) فتح الباري (٣٦٦٠) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » .
(٧) في مسنده (١/ ٤٠٤) .
(٨) في سننه (١٥٠) المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، فضل سلمان وأبي ذر والمقداد ، وهو حديث صحيح .

فأمّا ما رواه ابنُ جرير قائلاً[(١)] : أخبرنا ابنُ حُميد ، حدّثنا كنانة بن جَبَلة[(٢)] عن إبراهيم بن طَهْمان عن حجّاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن محمد بن سعد بن أبي وقّاص ، قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أوّلَكُم إسلاماً ؟ قال : لا! ولقد أسلم قَبْلَهُ أكثرُ من خمسين ، ولكن كانَ أفْضَلَنا إسلاماً ؛ فإنّهُ حديثٌ منكر إسناداً ومتناً .

قال ابنُ جرير[(٣)] : وقال آخرون : كان أولَ من أسلم زيدُ بنُ حارثة . ثمّ روى من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب ، سألتُ الزهري : مَنْ أولُ من أسلم من النساء ؟ قال خديجة : قلت : فمن الرجال ؟ قال : زيد بن حارثة .

وكذا قال عروة وسليمانُ بنُ يسار ، وغيرُ واحدٍ : أولُ من أسلم من الرجال زيد بن حارثة . وقد أجاب أبو حنيفة رضي الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأنَّ أولَ مَنْ أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن الغلمان عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن إسحاق[(٤)] : فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عزَّ وجل ، وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه ، مُحَبّاً[(٥)] سهلاً ، وكان أنسبَ قريشٍ لقريش ، وأعلم قريشٍ بما كان فيها من خير وشر ؛ وكان رجلاً تاجراً ، ذا خُلُقٍ ومعروف ، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر ، لعلمهِ وتجارتِه وحُسْنِ مجالسته . فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثِقَ به من قومه ممن يغشاهُ ويجلس إليه ، فأسلم على يديه فيما بلغني الزُّبيرُ بنُ العوّام ، وعثمانُ بن عفّان ، وطلحةُ بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقّاص ، وعبد الرحمنِ بنُ عوف ، رضي الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسولِ الله ﷺ ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحقِّ الإسلام[(٦)] فآمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام ، فصدَّقوا[(٧)] رسولَ الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله .

وقال محمد بن عمر الواقدي[(٨)] : حدّثني الضحاك بن عثمان ، عن مَخْرَمَة بنِ سليمان الوالبيّ ، عن

---

(١) في تاريخه (٢/ ٣١٦) .
(٢) في ح ، ط : حبلة ، بالحاء المهملة ، والمثبت من الطبري وتهذيب الكمال (٢٥/ ٩٨) ، وقد جعل ابن ماكولا وغيره « جبلة » الجادة ، وأحصوا ما سواه فلم يذكروا كنانة هذا .
(٣) في تاريخه (٢/ ٣١٦) .
(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١٤٠) .
(٥) في السير : محبَّباً .
(٦) زاد ابن إسحاق هنا : وبما وعدهم من كرامة فآمنوا . . .
(٧) في السير : فصلوا وصدقوا .
(٨) قول الواقدي هذا في طبقات ابن سعد (٣/ ٢١٤ ، ٢١٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٦٦) .

إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : قال طلحةُ بن عُبيد الله : حضرتُ سوق بصرى ، فإذا راهبٌ في صَوْمعتِه يقول : سلوا أهلَ المَوْسِم ، أفيهم رجلٌ من أهل الحرم ؟ قال طلحة : قلتُ : نعم ! أنا ، فقال : هل ظهر أحمدُ بعد ؟ قلتُ : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبدِ الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرجُ فيه ، وهو آخر الأنبياء ، مَخْرَجُه من الحرَم ، ومُهاجَرُه إلى نَخْلٍ وحَرَّةٍ وسباخ ، فإياك أنْ تُسبَقَ إليه . قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال ، فخرجتُ سريعاً حتى قدمت مكة ، فقلت : هل كان من حديث[1] ؟ قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين ، قد تنبَّأ ، وقد تبعه أبو بكرِ بنُ أبي قُحافَة . قال : فخرجتُ حتى قدمت على أبي بكر ، فقلت : أتبعتَ هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلقْ إليه فادخلْ عليه فاتبعْهُ ، فإنه يدعو إلى الحقّ . فأخْبَرَهُ طلحةُ بما قال الراهب . فخرج أبو بكرٍ بطلحةَ فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة ، وأخبر رسولَ الله ﷺ بما قال الراهب ، فسُرَّ بذلك ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفلُ بن خُويلد بن العَدَوِيَّة ـ وكان يُدْعَى أَسَدَ قريش ـ فشدَّهما في حبلٍ واحد ، ولم يمنَعْهما بنو تَيم ، فلذلك سُمِّي أبو بكر وطلحةُ القرينَيْن .

وقال النبي ﷺ : « اللَّهم اكْفِنا شرَّ ابنِ العدَوِيَّة » رواه البيهقي[2] .

وقال الحافظ أبو الحسن خيثمةُ بن سليمان الأطرابُلسي[3] : حدّثنا عُبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضي المَصِّيصة[4] ، حدّثنا أبو بكر عبد الله بن عُبَيْد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى ابن طلحة بن عبيد الله ، حدّثني أبي عبيد الله ، حدّثني عبد الله بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : حدّثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسولَ الله ﷺ وكان له صديقاً في الجاهلية ، فلقيه فقال : يا أبا القاسم ، فقدتَ من مجالس قومك، واتَّهموك بالعيبِ لآبائها وأمهاتها . فقال رسولُ الله ﷺ : « إني رسولُ الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ [رسولُ الله ﷺ من] كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحدٌ أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر ، ومضى أبو بكرٍ فراح لعثمان[5] بن عفَّان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان[6] بن مظعون ، وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، فأسلموا رضي الله عنهم .

---

(١) في الطبقات : ودلائل البيهقي : حَدَث .
(٢) في دلائل النبوة (٢/ ١٦٧) وإسناده ضعيف .
(٣) في فضائل الصديق مجموع(٦٢) في الظاهرية ق (٣) أ ، ب ، وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) كذا ضبطه الأزهري وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى ، وتفرَّد الجوهري وخالد الفارابي بتخفيف الصادين ، والأول أصح . معجم البلدان (٥/ ١٤٤ ، ١٤٥) .
(٥) كذا في ح ، ط وفي فضائل الصديق : وراح بعثمان . وهو أشبه بالصواب .
(٦) في فضائل الصديق : ثم جاء الغد عثمان . بالرفع وهكذا الكنى بعدها بالرفع .

قال عبد الله بن محمد : فحدّثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لما اجتمع أصحابُ النبي ﷺ وكانوا ثمانيةً وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكرٍ على رسولِ الله ﷺ في الظُّهور ، فقال : « يا أبا بكر إنَّا قليل » . فلم يزلْ أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسولُ الله ﷺ وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد ، كلُّ رجلٍ في عشيرته ، وقام أبو بكرٍ في الناس خطيباً ورسولُ الله ﷺ جالس ، فكان أوَّلَ خطيبٍ دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ وثار المشركون على أبي بكرٍ وعلى المسلمين ، فضُربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووُطئ أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتَيْن[١] ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يُعرف وجهه من أنفه وجاءت بنو تَيْم يتعادَوْن ، فأجلتِ المشركينَ عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكرٍ في ثوب حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكُّون في موته ، ثمّ رجعتْ بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة . فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلّم آخر النهار فقال : ما فعل رسولُ الله ﷺ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أُمِّ الخير : انْظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلَتْ به ألحَّتْ عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله مالي علم بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أمِّ جميل بنتِ الخطَّاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أمَّ جميل ، فقالت : إنَّ أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنتِ تُحبِّينَ أنْ أذهب معك إلى ابنك ؟ قالت : نعم ، فمضت معها حتى وجدتْ أبا بكر صريعاً دَنِفاً ، فدنت أمُّ جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إنَّ قوماً نالوا هذا منك لأهلُ فسقٍ وكُفْر ، وإني لأرجو أنْ ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسولُ الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمُّك تسمع ، قال : فلا شيءَ عليك منها[٢] . قالت : سالمٌ صالح . قال : فأين هو ؟ قالت : في دار أبي[٣] الأرقم . قال : فإنَّ لله عليَّ أنْ لا أذوقَ طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ . فأمهلتا حتى إذا هدأتِ الرِّجل ، وسكن الناس، خرجتا به يتَّكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسولِ الله ﷺ، قال: فأكبَّ عليه رسولُ الله ﷺ فقبَّله وأكبَّ عليه المسلمون ، ورقَّ له رسولُ الله ﷺ رقَّةً شديدة . فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي بَرَّةٌ بوالديها[٤] ، وأنت مبارك فادْعُها إلى الله وادْعُ الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسولُ الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمتْ ، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً هم تسعةٌ وثلاثون رجلاً ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضُرب

---

(١) في ح وفضائل الصديق : مخصوفين ، والمثبت من ط .
(٢) في فضائل الصديق : فيها .
(٣) سقطت كلمة أبي من ح ، والمثبت من فضائل الصديق ، وهي في ط : ابن .
(٤) في ح ، ط : بولدها . والمثبت من فضائل الصديق .

أبو بكر ، فدعا رسولُ الله ﷺ لعمر بن الخطاب ـ أو [(١)]لأبي جهل بن هشام ـ فأصبح عمر وكانتِ الدعوةُ يوم الأربعاء ، فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبَّرَ رسولُ الله ﷺ وأهلُ البيت تكبيرةً سُمعت بأعلى مكة ، وخرج أبو الأرقم ـ وهو أعمى كافر ـ وهو يقول : اللهمَّ اغفرْ لبني عبد[(٢)] الأرقم فإنَّه كفر . فقام عمر فقال : يا رسول الله ، على ما نُخفي دينَنا ونحن على الحق ، ويَظْهر دينُهم وهم على الباطل ؟ قال : « يا عمر إنَّا قليل قد رأيتَ ما لَقينا » فقال عمر : فوالذي بعثك بالحق ، لا يبقى مجلسٌ جلستُ فيه بالكفر إلا أظهرتُ فيه الإيمان ، ثمّ خرج ، فطاف بالبيت ، ثمّ مرَّ بقريش وهي تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبَوْت ؟ فقال عمر : أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله . فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل أصبعَيْه في عينيه ، فجعل عتبة يصيح ، فتنحَّى الناس ، فقام عمر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا[(٣)] منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيُظهِرُ الإيمان ، ثمّ انصرف إلى النبيِّ ﷺ وهو ظاهرٌ عليهم فقال : ما عليك[(٤)] بأبي وأمي ، والله ما بقي مجلسٌ كنتُ أجلسُ فيه بالكفر إلا أظهرتُ فيه الإيمان غير هائب ولا خائف ، فخرج رسولُ الله ﷺ وخرج عمرُ أمامه ، وحمزةُ بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلَّى الظُّهْر مؤمناً[(٥)] ، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده [فصلَّى] ، ثم انصرف إلى النبيِّ ﷺ .

والصحيح أنَّ عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة ، وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إنْ شاء الله . وقد استقصَيْنا كيفية إسلام أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادِها ، وبسطنا القول هنالك ولله الحمد .

وثبت في صحيح مسلم[(٦)] من حديث أبي أمامة ، عن عمرو بنِ عَبَسَةَ السُّلَميِّ رضي الله عنه قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ في أوَّلِ ما بُعث وهو بمكة ، وهو حينئذٍ مُستخفي[(٧)] ، فقلت : ما أنت ؟ قال : « أنا نبيّ » فقلت : وما النبيّ ؟ قال : « رسولُ الله » قلت : الله أرسلك ؟ قال : « نعم » . قلت : بما أرسلك ؟ قال : « بأن تعبدَ الله وحده [لا شريك له][(٨)] وتكسر الأصنام ، وتوصل[(٩)] الأرحام » قال

---

(١) في فضائل الصديق : ولأبي جهل من غير همزة .
(٢) في ح : غير . وفي ط : عبيد ، والمثبت من فضائل الصديق .
(٣) في ط : بشريف ممن دنا منه . والمثبت من ح وفضائل الصديق .
(٤) في فضائل الصديق : ما علمتك .
(٥) في فضائل الصديق : معلناً وهو أشبه .
(٦) صحيح مسلم (٨٣٢) صلاة المسافرين باب إسلام عمرو بن عبسة بألفاظ مقاربة .
(٧) كذا في ح ، ط والوجه : مستخف ، وفي صحيح مسلم : « فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً » .
(٨) سقط ما بين المعقوفين من ح .
(٩) كذا في ح ، ط : والوجه : وتصل . وفي صحيح مسلم : أرسلني بصلة الأرحام .

قلت : نِعْمَ ما أرسلكَ به ! فمن معك على هذا ؟ قال : حُرٌّ وعَبْد ـ يعني أبا بكر وبلالاً ـ [قال : فكان عَمْرٌو يقول : لقد رأيتُني وأنا رُبُعُ الإسلام][(١)] قال : فأسلمت ، قلت : فأتبعُكَ يا رسول الله ؟ قال : « لا ، ولكنِ الْحَقْ بقومك ، فإذا أُخبرتَ أنّي قد خرجتُ فاتبعْني » .

ويقال : إنَّ معنى قوله عليه السلام « حُرٌّ وعبد » اسم جنس ، وتفسير ذلك بأبي بكرٍ وبلال فقط فيه نظر ، فإنه قد كان جماعةٌ قد أسلموا قبل عمرو بن عَبَسة ، وقد كان زيدُ بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً ، فلعلَّه أخبر أنه رُبُع الإسلام بحسَبِ علمه ، فإنَّ المسلمين كانوا إذ ذاك يستترون[(٢)] بإسلامهم ، لا يطَّلع على أمرهم كثيرُ أحدٍ من قراباتهم ، دع الأجانب ، دعْ أهل البادية من الأعراب والله أعلم .

وفي صحيح البخاري[(٣)] من طريق أبي أسامة عن هاشم بن هاشم ، عن سعيد بن المُسَيِّب قال : سمعتُ سعدَ بن أبي وقَّاصٍ يقول : ما أسلم أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، ولقد مكثتُ سبعةَ أيام ، وإني لَثُلُثُ الإسلام .

أمَّا قول : ما أسلم أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه فسهل ، ويُروى إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، وهو مشكل ، إذ يقتضي أنه لم يسبقْهُ أحدٌ بالإسلام . وقد علم أنَّ الصدِّيق وعلياً وخديجة وزيدَ بنَ حارثةَ أسلموا قبله ، كما قد حَكَى الإجماعَ على تقدُّم إسلام هؤلاء غَيْرُ واحد ، منهم ابنُ الأثير . ونص أبو حنيفةَ رضي الله عنه على أنَّ كلاًّ من هؤلاء أسلم قبل أبناءِ جنسه . والله أعلم . وأما قولُه : ولقد مكثتُ سبعة أيام وإنِّي لَثُلُث الإسلام ، فمشكل ، وما أدري على ماذا يُوضع عليه إلا أن يكونَ أخبر بحسَب ما عَلِمه ، والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسيّ[(٤)] : حدّثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله ـ وهو ابنُ مسعود ـ قال : كنتُ غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبةَ بن أبي مُعيط بمكة . فأتى عليَّ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ـ وقد فرَّا من المشركين ـ فقال ـ أو فقالا ـ : « عندك يا غلام لبنٌ تسقينا ؟ » قلت : إني مؤتمَن ، ولستُ بساقيكما . فقال : « هل عندك من جَذَعَةٍ[(٥)] لم يَنْزُ عليها الفحلُ بعد ؟ قلت : نعم . فأتيتُهما بها ، فاعتقلها أبو بكر ، وأخذ رسولُ الله ﷺ الضَّرْعَ ودعا ، فَحفِلَ الضَّرْع ، وأتاه أبو بكر بصخرةٍ مُنْقَعِرَة[(٦)] ، فحَلَبَ فيها ثم شرب هو وأبو بكر ، ثم سَقَياني ، ثم قال للضرع : « اقْلِصْ » فَقَلَص ، فلما كان بعدُ ،

---

(١) سقط ما بين المعقوفين من ح ، وجاء في النهاية (ربع/٢/١٨٦) : وفي حديث عمرو بن عبسة : لقد رأيتني وإني لرُبُع الإسلام . أي رابع أهل الإسلام ، تقدمني ثلاثة وكنت رابعهم .

(٢) في ط فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون . والمثبت من ح .

(٣) فتح الباري (٣٨٥٨) مناقب الأنصار باب إسلام سعد بن أبي وقاص .

(٤) في مسنده (٣٥٣) .

(٥) الجذعة من الضأن : الفتية التي تمَّ لها سنة أو نحوها . النهاية (١/ ٢٥٠/ جذع) .

(٦) في ط : متقعرة ، والمثبت من ح ومسند الطيالسي ومسند أحمد . وفي رواية عند أحمد منقورة .

أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : علِّمني من هذا القولِ الطيِّب ـ يعني القرآن ـ فقال : « إنك غلامٌ مُعَلَّم » فأخذت من فيهِ سبعينَ سورةً ما يُنازعُني فيها أحد .

وهكذا رواهُ الإمام أحمد[١] ، عن عفَّان ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الحسن بن عَرَفَة عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النَّجُود[٢] به .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو عبد الله بن بُطَّة[٤] الأصبهاني ، حدّثنا الحسن بن الجَهْم ، حدّثنا الحسين بن الفرج ، حدّثنا محمد بن عمر ، حدّثني جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير ، [عن أبيه ـ أو][٥] عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ قال : كان إسلامُ خالد بن سعيد بن العاص قديماً ، وكان أولَ إخوته أسلم ، وكان بُدُوُّ إسلامه أنه رأى في المنام أنه وُقف به على شفير النار ، فذكر من سعتها ما الله أعلم به ، ويرى في النوم كأنَّ أباه[٦] يدفعه فيها ، ويرى رسولَ الله ﷺ آخذاً بحَقْوَيْه لا يقع ، ففزع من نومه فقال : أحلف بالله إنَّ هذه لرؤيا حقّ ؛ فَلَقِيَ أبا بكر بن أبي قُحافة ، فذكر ذلك له ، فقال : أُريدَ بك خير ، هذا رسولُ الله ﷺ فاتَّبعه ، فإنك ستتبعُه وتدخل معه في الإسلام ، والإسلام يَحْجُزكَ أنْ تدخلَ فيها ، وأبوك واقعٌ فيها ، فلقي رسولَ الله ﷺ وهو بأجْياد ، فقال : يا رسولَ الله ، يا محمد ، إلى ما[٧] تدعو ؟ قال : « أدعوك[٨] إلى الله وحدَهُ لا شريكَ له ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، وتخلعَ ما أنت عليه من عبادةِ حجرٍ لا يسمع ولا يُبصر ولا يضُرّ ولا ينفع ، ولا يدري من عَبَدَهُ ممن لا يعبدُه » . قال خالد : فإني أشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأشهدُ أنَّك رسولُ الله ، فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بإسلامه ، وتغيَّب خالد ، وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل في طلبه ، فأتي به ، فأنَّبَهُ وضربه بمِقْرَعةٍ في يده حتى كسرها على رأسه ، وقال : والله لأمنعنَّكَ القُوت . فقال خالد : إنْ منعتني فإنَّ الله يرزقُني ما أعيش به . وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه[٩] ويكون معه .

---

(١) مسند أحمد (١/ ٣٧٩ ، ٤٦٢) .
(٢) ساق هذه الرواية البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٧٢) .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ١٧٢) .
(٤) بضم الباء الموحدة ، قيّده الذهبي في المشتبه (٨٤) ، وابن ناصر الدين في توضيحه (١/ ٥٥٦) وهو محمد بن أحمد بن بُطة المتوفى بأصبهان سنة ٣٤٤هـ (بشار) .
(٥) ليس ما بين المعقوفين في دلائل البيهقي .
(٦) في ح : كأن آت أتى يدفعه ، وفي ط : كان آتٍ أتاه . والمثبت من دلائل البيهقي .
(٧) في الدلائل : إلى من . وإثبات ألف ما المجرورة قليل شاذ كما في الخزانة (٦/ ٩٩) .
(٨) في الدلائل : أدعو .
(٩) كذا في ح ، ط وفي الدلائل : يلزمه وهو أشبه بالصواب . وإلى جانب السطر في ح كلمة : بلغ . يعني بلغ مقابلة .

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عمّ النبيّ ﷺ

قال يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق[١] : حدّثني رجلٌ ممن أسلم ـ وكان واعية ـ أنَّ أبا جهل اعترض رسولَ الله ﷺ عند الصفا ، فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهُ من العَيْب لدينه ، فذُكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس ، فضربه بها ضربةً شجَّه منها شَجَّةً مُنْكَرةً ، وقامت رجالٌ من قريش من بني مَخْزوم إلى حمزة لينصُروا أبا جهلٍ منه ، وقالوا : ما نراك يا حمزة إلا قد صبَوْت ؟ قال حمزة : ومَنْ يمنعني وقد استبانَ لي منه ما أشهد[٢] أنَّه رسولُ الله ﷺ وأنَّ الذي يقولُ حقّ ، فوالله لا أنزعُ ، فامنعوني إنْ كنتُم صادقين . فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة ، فإني والله لقد سببتُ ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً .

فلما أسلم حمزة عرفتْ قريشٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد عزَّ وامتنع ، فكفُّوا عما كانوا يتناولون منه .

وقال حمزة في ذلك شعراً[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم رجع حمزةُ إلى بيته ، فأتاهُ الشيطانُ فقال : أنت سيِّدُ قريش أتَّبعْتَ هذا الصابئ وتركتَ دينَ آبائك ، للْمَوْتُ خيرٌ لك مما صنعت . فأقبل على حمزةَ بَثُّهُ وقال : ما صنعت ؟ اللهمَّ إنْ كان رُشْداً فاجعلْ تصديقَهُ في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعتُ فيه مَخْرَجاً . فباتَ بليلةٍ لم يبتْ بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح ، فغدا على رسولِ الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إني قد وقعتُ في أمرٍ ولا أعرف المخرجَ منه ، وإقامةُ مثلي على ما لا أدري ما هو ، أرُشْدٌ أم هو غيٌّ شديد ؟ فحدِّثْني حديثاً فقد اشتهيتُ يا ابن أخي أنْ تحدِّثَني ، فأقبل رسولُ الله ﷺ فذكرَهُ ووعَظَهُ ، وخوَّفه وبشَّره ، فألْقَى الله في قلبهِ الإيمان بما قال رسولُ الله ﷺ . فقال : أشهد أنك الصادقُ شهادةَ الصِّدْق ، فأَظْهِرْ يا ابن أخي دينَك ، فوالله ما أُحبُّ أن لي ما أظلَّته السماء ، وأني على دينيَ الأول . فكان حمزةُ ممن أعزَّ الله به الدين .

وهكـذا رواهُ البيهقيُّ[٥] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس بن بُكير به .

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص١٧١) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٩١) ، ونقله عن ابن إسحاق البيهقي في الدلائل (٢/ ٢١٣) باختصار وابن كثير هنا ينقله عن البيهقي كما سيأتي .

(٢) في سيرة ابن إسحاق والدلائل : أنا أشهد . . .

(٣) ذكر ابن إسحاق في السيرة (ص١٧٣) والسهيلي في الروض (٢/ ٤٩ و٥٠) الأبيات المعزوَّة إلى حمزة رضي الله عنه .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١٧٢) .

(٥) في الدلائل (٢/ ٢١٣ ، ٢١٤) .

ذكر إسلام أبي ذَرٍّ رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي(١) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ، حدّثنا الحسين بن محمد بن زياد ، حدّثنا عبد الله بن الرومي ، حدّثنا النضر بن محمد ، حدّثنا عكرمة بن عمار عن أبي زُمَيل سِماك بن الوليد ، عن مالك بن مرثد ، عن أبيه ، عن أبي ذرّ ، قال : كنت رُبُعَ الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثةُ نفرٍ وأنا الرابع(٢) ، أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، أشهد أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرأيتُ الاستبشارَ في وجه رسول الله ﷺ .

هذا سياقٌ مختصر .

وقال البخاري : إسلام أبي ذَرّ(٣) : حدّثنا عمرو بن عباس ، حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن المثنى عن أبي جمْرَة(٤) ، عن ابن عباس ، قال : لما بلغ أبا ذر مبعثُ رسولِ الله ﷺ قال لأخيه : اركبْ إلى هذا الوادي فاعْلَمْ لي عِلْمَ هذا الرجلِ الذي يزعم أنه نبيٌّ يأتيه الخبَرُ من السماء ، فاسمعْ من قولِهِ ثم ائْتِني ، فانطلق الآخر(٥) حتى قدِمَهُ وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذرٍّ فقال له : رأيته يأمُرُ بمكارم الأخلاق ، وكلاماً ما هو بالشِّعر . فقال : ما شفيتني مما أردتُ . فتزوَّدَ وحملَ شَنَّةً فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس رسولَ الله ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسألَ عنه ، حتى أدركه بعضُ الليل اضطجع(٦) ، فرآه عليّ فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبِعَهُ ولم يسألْ واحدٌ منهما صاحبَهُ عن شيءٍ حتى أصبح ،ثم احتمل قِرْبَتَه وزادَهُ إلى المسجد ، وظلَّ ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمرَّ به عليٌّ فقال : أما آن للرجل أن يعلمَ مَنْزِلَه ؟ فأقامه ، فذهب به معه ، لا يسأل واحدٌ منهما صاحبَه عن شيء حتى إذا كان يومُ الثالث ، فعاد عليٌّ مثل ذلك ، فأقام معه فقال : ألا تحدِّثُني بالذي أقدمك؟ قال : إنْ أعطيتَني عهداً وميثاقاً لَتُرشِدَنِّي فعلتُ . ففعل ، فأخبره . قال : فإنَّهُ حَقّ وإنه رسولُ الله ﷺ فإذا أصبحتَ فاتْبَعْني فإني إنْ رأيتُ شيئاً أخافُ عليكَ قمتُ كأنِّي أُريقُ الماء ، وإنْ مضيتُ فاتْبَعْني حتى تدخُلَ مَدْخَلي ، ففعل ، فانطلق يَقْفُوهُ حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبيُّ ﷺ : « ارجِعْ إلى قومِكَ فأخْبِرْهم حتى يأتيك أمري » فقال : والذي بعثك بالحق

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٢١٢) .

(٢) مضى معنى ربع الإسلام (ص٢٣١ ح١) .

(٣) يعني باب إسلام أبي ذر ، فتح الباري (٣٨٦١) مناقب الأنصار باب إسلام أبي ذر الغفاري .

(٤) في ح ، ط : أبي حمزة . والمثبت من البخاري ، وقال ابن حجر في الفتح : هو بالجيم نصر بن عمران .

(٥) كذا في ح ، ط : وهي رواية الكشميهني كما في الفتح (٧/ ١٧٤) ، وفي البخاري : الأخ . وهو أخوه أنيس كما سيأتي .

(٦) ليست هذه الكلمة في البخاري .

لأَصْرُخَنَّ بها بين ظَهْرَانَيْهم . فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ، ثم قام [القوم] فضربوه حتى أضجعوه[١] ، فأتى العباس فأكبَّ عليه فقال : وَيْلَكم ! ألستم تعلمون أنه من غِفَار ، وأنَّ طريق تجارتكم إلى الشام ؟ فأنقذه منهم . ثم عاد من الغدِ بمثلها ، فضربوه وثاروا إليه ، فأكبَّ العباس عليه .

هذا لفظ البخاري .

وقد جاء إسلامُه مبسوطاً في صحيح مسلم[٢] وغيره ، فقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا يزيد بن هارون ، حدّثنا سليمان بن المغيرة ، حدّثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت ، قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار ـ وكانوا يُحِلُّونَ الشهرَ الحرام ـ أنا وأخي أنيس وأُمُّنا ، فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذي مالٍ وذي هيئة ، فأكرمنا خالُنا وأحسن إلينا ، فحَسَدنا قومُه ، فقالوا له : إنَّك إذا خرجت عن أهلك خَلَفَك إليهم أنيس ، فجاء خالنا فَنَثَى ما قيل له[٤] فقلت له : أمَّا ما مضى من معروفك فقد كدَّرْتَه ، ولا جِمَاعَ لنا فيما بعد[٥] . قال : فقرَّبْنا صِرْمَتَنا[٦] ، فاحتمَلْنا عليها ، وتغَطَّى خالُنا بثَوْبه ، وجعل يبكي قال : فانطلَقْنا حتى نزلنا حَضْرَةَ[٧] مكة ، قال فنافر أُنَيْسٌ عن صِرْمَتِنا[٨] وعن مثلها فأتيا الكاهن فخيَّر أُنيساً . فأتانا بصِرْمتنا ومثلِها ، وقد صلَّيتُ يا بن أخي قبلَ أنْ ألقى رسولَ الله ﷺ ثلاثَ سنين ، قال : قلت : لمن ؟ قال : لله ، قلت : فأين توجَّهُ ؟ قال : حيث وجَّهني الله . قال : وأُصلِّي عشاءً حتى إذا كان من آخر الليل أُلْقيتُ كأني خِفَاء[٩] حتى تعلوني الشمس . قال : فقال أُنيس : إنَّ لي حاجةً بمكة فألقني[١٠] حتى آتيك . قال :

---

(١) في البخاري : أوجعوه . وما بين معقوفين منه .

(٢) صحيح مسلم (٢٤٧٣) فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه .

(٣) في مسنده (٥/ ١٧٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) في مسند أحمد : فنثى عليه ما قيل له ، وفي النهاية (نثي/ ٥/ ١٦) : فنثى علينا الذي قيل له . أي أظهره إلينا وحدثنا به .

(٥) أي : لا اجتماع لنا . النهاية (جمع/ ١/ ٢٩٧) .

(٦) « الصِّرْمة » : القطعة من الإبل ، وهي ما بين عشرة إلى بضع عشرة ، وقيل : أكثر من ذلك إلى الخمسين . اللسان (صرم) .

(٧) أي بقربها ، الحضرة : قرب الشيء ، ولفظ الإمام أحمد ومسلم : بحَضْرَة .

(٨) معناه : تراهن هو وآخر أيهما أفضل ، وكان الرهن صرمة ذا وصرمة ذاك ، فأيهما أفضل أخذ الصرمتين ، فتحاكما إلى الكاهن فحكم بأن أُنيساً أفضل وهو معنى قوله فخير أنيساً أي جعله الخيار والأفضل . قاله النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٧) . وفي النهاية (نفر/ ٥/ ٩٣) : وفي حديث أبي ذر نافر أخي أنيسٌ فلاناً الشاعر وتنافر الرجلان : إذا تفاخرا ثم حكَّما بينهما واحداً ، أراد أنهما تفاخرا أيهما أجود شعراً .

(٩) « الخِفاء » : الكِساء ، وكل شيء غطيت به شيئاً فهو خفاء . النهاية (خفي/ ٢/ ٥٧) .

(١٠) كذا في ح ، ط وفي مسند أحمد وصحيح مسلم : فاكفني .

فانطلق ، فراثَ عليّ[١] ، ثم أتاني فقلت : ما حبسك ؟ قال لَقيتُ رجلاً يزعُم أنَّ الله أرسله على دينك ، قال : فقلت ما يقولُ الناسُ له ؟ قال : يقولون إنه شاعرٌ وساحر [وكاهن . قال :] وكان أُنيس شاعراً . قال : فقال : لقد سمعتُ الكُهّان ، فما يقولُ بقولهم ، وقد وضعتُ قولَهُ على أَقْراءِ الشعر[٢] ، فوالله ما يلتئم لسانُ أحدٍ أنَّهُ شعر ، ووالله إنَّه لصادق وإنهم لكاذبون . قال : فقلت له : هل أنت كافيَّ[٣] حتى أنطلق [فأنظر] ؟ قال : نعم ، وكنْ من أهل مكةَ على حَذَر ، فإنهم قد شَنِفُوا له[٤] ، وتجهَّموا له . قال : فانطلقتُ حتى قدمتُ مكة فتَضعَّفْتُ رجلاً منهم فقلت[٥] : أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابئ ؟ قال : فأشار إليّ ، فمالَ أهلُ الوادي عليَّ بكلِّ مَدَرةٍ وعَظْم ، حتى خرَرْتُ مغشيّاً علي ، فارتفعتُ حين ارتفعت كأني نُصُبٌ أحمر ، فأتيتُ زمزم فشربْتُ من مائها ، وغسلتُ عني الدم ، ودخلتُ بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يا بن أخي ثلاثينَ من بين يومٍ وليلةٍ ، ما لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم ، فسمِنْتُ حتى تكسَّرت عُكَنُ بَطْني[٦] ، وما وجدتُ على كَبْدي سَخْفَةَ جُوع[٧] قال : فبينا أهلُ مكة في ليلةٍ قمراءَ إضْحِيان[٨] ، وضرب الله على أصْمِخةِ[٩] أهل مكة ، فما يطوف بالبيت غيرُ امرأتين ، فأتتا عليَّ وهما تدعوان إساف ونائلة . فقلت : أنكِحوا أحدَهما الآخر : فما تناهما ذلك[١٠] ، [قال : فأتتا عليَّ] فقلت : وهنٌ[١١] مثلُ الخشبة ، غيرَ أنِّي لم أَكْنِ . قال : فانطلقتا تولولان وتقولان : لو كان هاهنا أحدٌ من أنفارنا . قال : فاستقبلهما رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال : « ما لكما » فقالتا : الصابئُ بين الكعبة

---

(١) « راث » : أي أبطأ . شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٨) .

(٢) « أقراء الشعر » : أي طرقه وأنواعه . المصدر السابق .

(٣) في ح : كاتمي ، والمثبت من ط ومسند أحمد .

(٤) في ح ، ط : شنعوا ، والمثبت من مسند أحمد والنهاية (شنف/ ٢/ ٥٠٥) وفيه : في إسلام أبي ذر : فإنهم قد شنفوا له . أي أبغضوه . وفي مسند أحمد : وقال عفان : شيفوا له ، وقال بهز : سبقوا له ، وقال أبو النضر : شفوا له .

(٥) يعني نظرت إلى أضعفهم فسألته ، لأن الضعيف مأمون الغائلة غالباً . شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٨) .

(٦) « العُكَن » : الأطواء في البطن من السِّمَن ، واحدتها : عُكْنة . اللسان (عكن) .

(٧) « سخفة » : هي بفتح السين المهملة وضمها وإسكان الخاء المعجمة ؛ وهي رقة الجوع وضعفه وهزاله . شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٨ ، ٢٩) .

(٨) « إضحيان » : مضيئة ، ويقال : ليلة إضحيان وإضحيانة . شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٢٩) .

(٩) في ح : وصرت على أسحمه ، وفي ط : وضرب على أشحمة ، والمثبت من مسند الإمام أحمد والنهاية (صمخ/ ٣/ ٥٢) وفيه : هي جمع قلة للصِّماخ ، وهو ثقب الأذن ، ويقال بالسين ، وهي رواية مسلم أي أن الله أنامهم .

(١٠) في صحيح مسلم : « فما تناهتا عن ذلك » .

(١١) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٩) : الهنُ والهنة بتخفيف نونهما هو كناية عن كل شيء ، وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج والذكر ، فقال لهما : ومثل الخشبة بالفرج ، وأراد بذلك سب إساف ونائلة وغيظ الكفار بذلك .

وأستارها . قالا : « ما قال لكما ؟ » قالتا : قال لنا كلمةً تملأُ الفم . قال : وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلمَ الحجَر ، وطاف بالبيت ، ثم صلَّى . قال فأتيتُه فكنتُ أوَّلَ من حيَّاهُ بتحيَّةِ أهلِ الإسلام . فقال : « عليك السلامُ ورحمةُ الله من أنت ؟ » قال : قلت من غفار ، قال : فأهوى بيده فوضعها على جبهته . قال : فقلت في نفسي . كرهَ أنِ انتميتُ إلى غفار . قال : فأردتُ أن آخذَ بيده فقدَعَني[١] صاحبُهُ ، وكان أعلم به مني ، قال : متى كنتَ هاهنا ؟ قال : قلت : كنتُ هاهنا منذُ ثلاثين ، من بين ليلةٍ ويوم . قال : فمَنْ كان يُطعمك ؟ قلت : ما كان لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم ، فسمنتُ حتى تكسرتْ عُكَنُ بطني ، وما وجدتُ على كبدي سَخْفَةَ جُوع . قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها مباركة ، إنها طعامُ طُعْمٍ[٢] » . قال : فقال أبو بكر : ائذَنْ لي يا رسول الله في طعامِهِ اللَّيلة . قال : ففعل ، قال : فانطلق النبيُّ ﷺ [وانطلق أبو بكر] وانطلقتُ معهما حتى فتح أبو بكرٍ باباً ، فجعل يقبضُ لنا من زبيب الطائف ، قال : فكان ذلك أولَ طعامٍ أكلتُه بها ، فلبثتُ ما لبثت . فقال رسولُ الله ﷺ : « إني قد وُجِّهتُ إلى أرضٍ ذاتِ نَخْلٍ ولا أحْسَبُها إلا يثْرب ، فهل أنت مبلِّغٌ عني قومكَ لعلَّ اللهَ ينفعُهم بك ويأجُرُكَ فيهم ؟ » . قال : فانطلقتُ حتى أتيتُ أخي أُنيساً . قال : فقال لي : ما صنعت ؟ قال : قلتُ : صنعتُ أني أسلمتُ وصدَّقت . قال : فما بي رغبةٌ عن دينك ، فإني قد أسلمتُ وصدَّقت . ثم أتينا أُمَّنا فقالت : ما بي رغبةٌ عن دينكما ، فإني قد أسلمتُ وصدَّقت ، فتحمَّلنا حتى أتينا قومنا غفاراً . قال : فأسلم بعضُهم قبلَ أنْ يقدَمَ رسولُ الله ﷺ المدينة ، وكان يؤمُّهُمْ خُفَافُ بن إيماءَ بنِ رَحَضَة[٣] الغفاريّ ، وكان سيِّدَهم يومئذ ، وقال بقيَّتُهم : إذا قدِم رسولُ الله ﷺ أسلمْنا . قال : فقدِمَ رسولُ الله ﷺ فأسلم بقيَّتُهم . قال : وجاءتْ أسْلَمُ فقالوا : يا رسول الله ، إخوانُنا نسلم على الذي أسلموا عليه . [فأسلموا] ، فقال رسولُ الله ﷺ « غِفَارُ غفرَ اللهُ لها ، وأسْلَمُ سالَمَها الله » .

ورواه مسلم عن هُدْبَة[٤] بن خالد ، عن سليمان بن المغيرة به نحوه .

وقد روى قصة إسلامه على وجهٍ آخر وفيه زيادات غريبة . فالله أعلم . وتقدَّم ذِكْرُ إسلام سلمان الفارسي في كتاب البِشَاراتِ بمبعثه عليه الصلاة والسلام[٥] .

---

(١) في ط : فقذفني . والمثبت من ح ومسند أحمد وصحيح مسلم والنهاية (قدع/ ٤/ ٢٤) وفيه : أي كفَّني .

(٢) قال النووي : أي تشبع شاربها كما يشبعه الطعام . شرح صحيح مسلم (١٦/ ٣٠) .

(٣) وقع في ح ، ط : رخصة . وكذا في الإصابة في ترجمة خفاف ، والمثبت من مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم وشرحه للنووي (١٦/ ٣١) وقال في ضبطه : إيماء ممدود والهمزة في أوله مكسورة على المشهور وحكى القاضي فتحها أيضاً وأشار إلى ترجيحه وليس براجح ؛ ورحضة براءٍ وحاءٍ مهملة وضاد معجمة مفتوحات . وكذا ضبطه صاحب التاج (رحض) .

(٤) هو هدَّاب كما في صحيح مسلم (٢٤٧٣) فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر . ويقال له : هُدْبَة كما في تقريب التهذيب (٢/ ٣١٥) .

(٥) وردت قصة إسلام سلمان في (ص١١٥) وما بعدها من هذا الجزء .

ذكر إسلام ضِمَاد

روى مسلم والبيهقي[١] من حديث داودَ بن أبي هند ، عن عمرِو بن سعيد ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس . قال : قدم ضِمَادٌ مكة وهو رجلٌ من أزْدِ شَنُوءة ، وكان يَرْقِي من هذه الرياح[٢] ، فسمع سفهاء من سفهاء الناس يقولون : إنَّ محمداً مجنون . فقال : أين[٣] هذا الرجل لعلَّ الله أنْ يشفيَهُ على يدي ؟ فلقيتُ محمداً فقلت : إني أرقِي من هذه الرياح ، وإنَّ اللهَ يَشْفي على يدي ، مَنْ شاء ، فهَلُمّ . فقال محمد : « إنَّ الحمد لله نحمَدُه ونستعينُه ، من يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له ، أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له » ثلاثَ مرَّات . فقال : والله لقد سمعتُ قولَ الكهنة ، وقول السَّحَرة ، وقول الشعراء ، فما سمعتُ مثل هؤلاء الكلمات ، فهلمَّ يدك أبايعْكَ على الإسلام . فبايعه رسولُ الله ﷺ فقال له : « وعلى قومك ؟ » فقال : وعلى قومي . فبعث النبيُّ ﷺ جيشاً[٤] فمرُّوا بقوم ضِمَاد ، فقال صاحبُ الجيش للسرية : هل أصبتُم من هؤلاء القوم شيئاً ؟ فقال رجلٌ منهم : أصبتُ منهم مِطْهَرة . فقال : رُدَّها عليهم فإنهم قومُ ضِمَاد .

وفي رواية فقال له ضماد : أعِدْ عليَّ كلماتك هؤلاء ، فلقد بلغْنَ قاموس البحر[٥] .

وقد ذكر أبو نعيم في « دلائل النبوة »[٦] إسلام من أسلم من الأعيان فصلاً طويلاً واستقصى ذلك استقصاءً حسناً رحمه الله وأثابه .

وقد سرد ابنُ إسحاق أسماء من أسلم قديماً من الصحابة رضي الله عنهم ، قال[٧] : ثمّ أسلم أبو عُبيدة ، وأبو سَلَمة ، والأرقم بن أبي الأرقم[٨] ، وعثمان بن مَظْعُون ، وعُبيدة بن الحارث ،

---

(١) صحيح مسلم (٨٦٨) الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ؛ ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٢٣) واللفظ له .

(٢) في صحيح مسلم : الريح . وقال النووي في شرحه (٦/ ١٥٧) : والمراد بالريح هنا الجنون ومس الجن ، في غير رواية مسلم : يرقي من الأرواح ، أي الجن سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس فهم كالروح والريح .

(٣) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل : آتي .

(٤) في ح : جيش ، وفي الدلائل وصحيح مسلم : سرية .

(٥) في ح : قابوس البحر . وفي صحيح مسلم : ناعوس البحر ، والمثبت من ط ، وقال النووي في شرحه (٦/ ١٥٧) : ضبطناه بوجهين أشهرهما ناعوس بالنون والعين ، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا ، والثاني قاموس بالقاف والميم ، وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم اهـ . ثم ذكر روايات أخرى ومعناها ؛ وقاموس البحر : قعره أو لجته التي تضطرب أمواجها .

(٦) في الجزء الثاني في مواضع متفرقة منه .

(٧) سيرة ابن إسحاق (ص١٤٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٥٢) والروض (١/ ٢٩٠) . واللفظ مختصر من سيرة ابن هشام .

(٨) وقع في سيرة ابن إسحاق : وعبد الله بن الأرقم المخزومي . سقط منه لفظ أبو ، إذ هو أبو عبد الله الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي . الإصابة .

وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنتُ الخطَّاب ، وأسماءُ بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر - وهي صغيرة - وقُدَامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، وخَبَّاب بن الأرتّ ، وعُمير[١] بن أبي وقَّاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القاريّ ، وسَلِيط بن عمرو ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، [وامرأته أسماء بنت سلمة[٢] بن مُخَرِّبَة التميميَّة[٣] وخُنَيْس بن حُذافة ، وعامر بن ربيعة][٤] ، وعبد الله بن جَحْش ، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامرأته أسماء بنت عُمَيس ، وحاطب بن الحارث ، وامرأته [فاطمة بنت المُجَلِّل ، وأخوه حطَّاب بن الحارث ، وامرأته][٥] فُكَيهة ابنة يَسَار ، ومعمر بن الحارث بن معمر الجُمَحي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوفٍ[٦] .

وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صُبيرة[٧] بن سعيد بن سهم ، والنَّحَّام ، واسمُه نُعيم بن عبد الله بن أَسِيد ، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر ، وخالد بن سعيد ، وأمينة ابنةُ خلف بن سعد بن عامر بن بياضة بن خُزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حُذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عَرِين بن ثعلبة التميمي ، حليفُ بني عدي ، وخالد بن البُكير ، وعامر بن البُكير ، وعاقل بن البُكير ، وإياس بن البُكير بن عبد يا ليل بن ناشب بن غِيَرَة ، من بني سعد بن ليث ، وكان اسمُ عاقلٍ غافلاً فسمَّاه رسول الله ﷺ عاقلاً ، وهم حلفاء بني عدي بن كعب ، وعمار بن ياسر ، وصُهيب بن سنان . ثم دخل الناسُ أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن إسحاق[٨] : ثم أمر الله رسوله ﷺ بعد ثلاثِ سنين من البعثة بأنْ يصدَع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين .

قال[٩] : وكان أصحابُ رسولِ الله ﷺ إذا صلَّوْا ذهبوا في الشِّعاب واستخفَوْا بصلاتهم من قومهم . فبينا سعدُ بن أبي وقاص في نفرٍ يُصلُّون بشعاب مكة إذْ ظهر عليهم بعضُ المشركين فناكروهم وعابوا عليهم

---

(١) في ح : وعمرو .
(٢) في سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام : سلامة وكلاهما سميت به كما في ترجمتها في الإصابة .
(٣) في ط : مخرمة التيمي . وهو تصحيف : والمثبت من المؤتلف والمختلف للدارقطني (٤/ ٢١٥٢) والمصادر في حاشيته وسيرة ابن هشام .
(٤) سقط ما بين المعقوفين من ح .
(٥) سقط ما بين المعقوفين من ح ، ط فاستدركته من سيرة ابن هشام وترجمتيهما في الإصابة .
(٦) في ح ، ط : المطلب بن أزهر بن عبد مناف . والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام وترجمته في الإصابة ، وفيه وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف » .
(٧) في ط : صبيرة . بياءين ، وقد تقرأ في ح : جبيرة ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض والاشتقاق لابن دريد (ص١٢٥) .
(٨) سيرة ابن إسحاق (ص١٤٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٢) والروض (٢/ ٣) .
(٩) يعني ابن إسحاق في السيرة (ص١٤٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٣) والروض (٢/ ٣) .

ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعدٌ رجلاً من المشركين بلَحْي جملٍ فشجَّه ، فكان أول دمٍ أُهريق في الإسلام .

وروى الأمويُّ في مغازيه ، من طريق الوقَّاصي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه . فذكر القصة بطولها وفيه : أنَّ المشجوج هو عبد الله بن خَطَل لعنه الله .

باب
أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام ، وأمرِهِ له بالصبر والاحتمال والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذِّبين بعد قيام الحجةِ عليهم ، وإرسال الرسول الأعظم إليهم وذِكْر ما لقي من الأذيَّةِ منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ[1] جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء : ٢١٤ ـ ٢٢٠] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص : ٨٥] أي إنَّ الذي فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادُّك إلى دار الآخرة وهي المعاد ، فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ ـ ٩٣] .

والآيات والأحاديث في هذا كثيرةٌ جداً . وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير ، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ . وأوردْنا أحاديث جَمَّةً في ذلك ، فمن ذلك . قال الإمام أحمد[2] : حدّثنا عبد الله بن نُمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس قال : لما أنزل اللهُ [عزَّ وجلَّ] ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أتى النبيُّ ﷺ الصَّفَا فصعِدَ عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناسُ إليه بين رجلٍ يجيء إليه ، وبين رجلٍ يبعث رسولَه . فقال رسولُ الله ﷺ : « يا بني عبد المطلب ، يا بني فِهْر ، يا بني كعب ، أرأيتم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بسفح هذا الجبل ، تريدُ أنْ تُغِيرَ عليكم ، صدَّقتموني ؟ » قالوا : نعم ! قال : « فإني نَذِيرٌ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد » فقال أبو لهب ـ لعنه الله[3] ـ تبًّا لك سائرَ اليوم أما دعوْتَنا إلا لهذا ؟ فأنزل الله عز وجل

---

(١) في ح : واخفظ .

(٢) في مسنده (١/ ٣٠٧) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) ليست الجملة المعترضة في مسند أحمد .

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] وأخرجاه[١] من حديث الأعمش به نحوه .

وقال أحمد[٢] : حدثنا معاويةُ بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عبد الملك بن عُمير ، عن موسى بن طلحة ، قال : لما نزلتْ هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسولُ الله ﷺ قريشاً فعمَّ وخصَّ فقال : « يا معشر قريش ، أنقذوا أنْفُسَكُمْ من النار ، يا معشر بني كعب [بن لُؤَي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد مناف] أنقذوا أنفسَكم من النار ، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمةُ بنتَ محمد أنقذي نفسَكِ من النار ، فإني والله لا أَمْلِكُ لكم من اللهِ شيئاً ، إلا أنَّ لكم رَحِماً سأبُلُّها بِبلالِها[٣] .

ورواه مسلم[٤] من حديث عبد الملك بن عُمير ، وأخرجاه في الصحيحين[٥] ، من حديث الزُّهْري ، عن سعيد بن المُسَيِّب وأبي سَلَمَة ، عن أبي هريرة ، وله طُرُقٌ أُخَرُ عن أبي هريرة في مسند أحمد وغيره[٦] .

وقال أحمدُ أيضاً : [٧]حدثنا وكيع ، حدَّثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمَّا نزل ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قام رسولُ الله ﷺ فقال : « يا فاطمةُ بنتَ محمد ، يا صَفِيَّةُ بنتَ عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب لا أَمْلِكُ لكم من الله شيئاً ، سَلُوني من مالي ما شِئْتُمْ » .

ورواه مسلمٌ أيضاً[٨] .

وقال الحافظ أبو بكرٍ البيهقيُّ في الدلائل[٩] : أخبرنا محمد بن عبد [الله] الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني مَنْ سمع عبد الله بن الحارث بن نَوْفل ـ واستكتمني اسمه ـ عن ابن عباس ، عن عليِّ بن أبي طالب ، قال : لما نزلتْ هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ

---

(١) يعني البخاري ومسلم ، فتح (٤٩٧٢) التفسير سورة ١١١ باب قوله : (وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب) . وصحيح مسلم (٢٠٨) الإيمان باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين .

(٢) في مسنده (٢/ ٣٦٠) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً . والبلال جمع بلل ؛ وقيل : هو كل ما بلَّ الحلق من ماءٍ أو لبن أو غيره . النهاية (١/ ١٥٣/ بلل) .

(٤) صحيح مسلم (٢٠٤) الإيمان باب في قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين .

(٥) فتح الباري (٢٧٥٣) الوصايا باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ، وصحيح مسلم (٢٠٦) الإيمان باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين .

(٦) مسند أحمد (٢/ ٣٣٣ و٥١٩) وجامع الترمذي (٣١٨٥) التفسير باب ٢٧ ومن سورة الشعراء وسنن النسائي (٣٦٤٤) الوصايا باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين .

(٧) في مسنده (٦/ ١٨٧) .

(٨) صحيح مسلم (٢٠٥) الإيمان باب في قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين .

(٩) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٧٨ ، ١٧٩) وما يأتي بين معقوفين منه . وساقه أيضاً ابن الجوزي في الوفا (١/ ١٨٤) .

جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قال رسولُ الله ﷺ : « عرَفْتُ أنّي إنْ بادَيْتُ[١] بها قومي رأيتُ منهم ما أكره فصمتُّ ، فجاءني جبريلُ عليه السلام فقال : يا محمد ، إنْ لم تفعل ما أمَرَكَ به رَبُّكَ عذَّبَكَ بالنار » . قال [علي] : فدعاني فقال : « يا عليّ إنَّ الله قد أمرني أن أُنذِرَ عشيرتي الأقربين [فعرفتُ أني إنْ باديتهم بذلك رأيتُ منهم ما أكره ، فصمتُّ من ذلك ، ثم جاءني جبريل فقال : يا محمد ، إن لم تفعل ما أُمرت به عذبك ربُّك] ، فاصْنَعْ لنا يا علي [رِجل] شاة على صاعٍ من طعام ، وأعِدَّ لنا عُسَّ لبنٍ[٢] ، ثم اجمعْ لي بني عبد المطلب » . ففعلت فاجتمعوا له يومئذٍ وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون ، فيهم أعمامه أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث ، فقدَّمتُ إليهم تلك الجَفْنَة فأخذ رسولُ الله ﷺ منها حِذْيَةً[٣] فشقَّها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال : « كلُوا بسم الله » . فأكل القوم حتى نَهِلُوا عنه ، ما نرَى إلا آثارَ أصابعِهم ، والله إنْ كان الرجلُ ليأكلُ مثلَها . ثم قال رسولُ الله ﷺ : « اسْقِهِمْ يا عليّ »[٤] . فجئتُ بذلك القَعْب ، فشربوا منه حتى نَهِلُوا جميعاً ، وايمُ الله إنْ كان الرجل منهم ليشربُ مثله ، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم ، بدَرَهُ أبو لهب ـ لعنه الله ـ إلى الكلام فقال : لهدَّ ما سحركم صاحبكم ؟ فتفرَّقُوا ولم يكلِّمْهُمْ رسولُ الله ﷺ . فلمَّا كان من الغد قال رسول الله ﷺ : « يا عليُّ عُدْ لنا بمثلِ الذي كنتَ صنعتَ لنا بالأمسِ من الطعام والشراب ، فإنَّ هذا الرجلَ قد بَدَرَني إلى ما سمعتَ قبلَ أنْ أكلِّمَ القوم » ففعلتُ ، ثم جمعتُهم له . فصنع رسولُ الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نَهِلُوا عنه ، ثم سقَيْتُهم من ذلك القَعْب حتى نهِلوا عنه ، وايمُ الله إنْ كان الرجلُ ليأكلُ مثلها ويشربُ مثلها . ثم قال رسول الله ﷺ : « يا بني عبد المطَّلِب ، إنِّي والله ما أعلمُ شاباً من العرب جاء قومَهُ بأفضلَ ممَّا جئتُكم به ، إني قد جئتُكُم بأمْرِ الدُّنيا والآخرة » .

هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق عن شيخ أبهم اسمَهُ ، عن عبد الله بن الحارث به .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير[٥] ، عن محمد بن حُميد الرازي ، عن سلمة بن الفضل الأبرش ، عن محمد بن إسحاق عن عبد الغفار أبي مريم بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، عن علي ، فذكر مثله . وزاد بعد قوله : « وإني قد جئتُكم بخيرِ الدنيا والآخرة ، وقد أمَرَني الله أنْ أدْعُوَكم إليه ، فأيُّكم يؤازرُني على هذا الأمر على أنْ يكونَ أخي » وكذا وكذا . قال : فأحجم

---

(١) « باداه » : بارزه ، وكاشفتُ الرجل وباديته وجاليته بمعنى ، ومنه الحديث أنه أمر أن يُبَادِي الناسَ بأمره ؛ أي يظهره لهم . الأساس والنهاية (بدي) .

(٢) « العس » : القدح الكبير . المصباح (عسس) .

(٣) « الحذية » : القطعة من اللحم كالحِذْوة . اللسان (حذا) واوية يائية .

(٤) في ح ، ط تكرار بمقدار خمسة أسطر ونصف ، لعلها سهو من الناسخ .

(٥) في تاريخه تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٣١٩) .

القومُ عنها جميعاً ، وقلتُ وإني[١] لأحدَثُهم سنّاً وأرْمَصُهم عيناً ، وأعظمُهم بطناً ، وأحْمَشُهُمْ ساقاً : أنا يا نبيَّ الله أكونُ وزيرَكَ عليه . فأخَذَ برقبتي فقال : « إنَّ هذا أخي وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا » . قال : فقام القوم يَضْحَكُونَ ويقولونَ لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

تفرَّد به عبدُ الغفَّار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذَّابٌ شيعي ، اتهمه عليُّ بن المَديني وغيرُه بوَضْع الحديث . وضعفه الباقون[٢] .

ولكنْ روى ابنُ أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي عن عبد الله بن عبد القدُّوس ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : قال علي : لما نزلتْ هذه الآية : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] قال لي رسول الله ﷺ : « اصنَعْ لي رِجلَ شاة بِصَاعٍ من طعام ، وإناء لبن ، وادْعُ لي بني هاشم » . فدعَوْتُهم وإنَّهم يومئذٍ لأربعونَ غيرَ رجلٍ ، أو أربعونَ ورجلَ ، فذكر القصة نحو ما تقدَّم ، إلى أن قال : وبدرهم[٣] رسولُ الله ﷺ الكلام . فقال : « أيكم يَقْضي عني دَيْني ويكونُ خليفتي في أهلي ؟ » قال : فسكتوا وسكتَ العباسُ خشية أنْ يُحيط ذلك بماله ، قال : وسكتُّ أنا لسِنِّ العباس . ثم قالها مرَّةً أخرى فسكتَ العباس ، فلما رأيتُ ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال : « أنت ؟ » قال : وإنِّي يومئذٍ لأسْوَؤهم هيئةً ، وإني لأعْمَشُ العينَيْن ، ضَخْمُ البطن ؛ حَمِشُ الساقين .

وهذه الطريق فيها شاهدٌ لما تقدَّم ، إلا أنه لم يذكرِ ابنَ عباس فيها . فالله أعلم .

وقد روى الإمام أحمدُ في « مسنده »[٤] ، من حديث عبَّاد بن عبد الله الأسدي ، وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدَّم ـ أو كالشاهد له ـ والله أعلم[٥] .

ومعنى قوله في هذا الحديث : مَن يقضي عني دَيْني ويكونُ خليفتي في أهلي : يعني إذا متُّ ، وكأنه ﷺ خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه ، فاستوثق مَنْ يقوم بعدَهُ بما يُصلح أهله ، ويقضي عنه ؛ وقد أمَّنَهُ الله من ذلك في قوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ [وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾][٦] الآية .

---

(١) في ح ، ط : ولأني ، والمثبت من تاريخ الطبري .

(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٠) .

(٣) في ح : بدأهم .

(٤) مسند أحمد (١/ ١١١ و١٥٩) .

(٥) قال بشار : كلا الحديثين ضعيف ، فعباد بن عبد الله الأسدي ضعيف ، وفي الثاني ربيعة بن ناجذ مجهول تفرد بالرواية عنه أبو صادق الأزدي ولم يذكره في الثقات سوى ابن حبان والعجلي ، وقال الذهبي في الميزان (٢/ ٤٥) : « لا يكاد يعرف ، وعنه أبو صادق بخبر منكر فيه : علي أخي ووارثي » ، وقال في المغني : فيه جهالة ، وينظر كتابنا تحرير التقريب (١/ ٣٩٨) .

(٦) سقط ما بين المعقوفين من ح والآية (٦٧) من سورة المائدة .

والمقصود أنَّ رسولَ الله ﷺ استمرَّ يَدْعُو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً ، وسِرّاً وجِهاراً ، لا يصرِفُه عن ذلك صارف ، ولا يردُّه عن ذلك رادّ ، ولا يصدُّه عنه ذلك صادّ ، يتبع الناس في أنديتهم ، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم ، ومواقف الحج . يدعو مَنْ لَقِيَهُ مِنْ حُرٍّ وعَبْد ، وضعيفٍ وقويّ ، وغنيٍّ وفقير ، جميعُ الخَلْق في ذلك عنده[١] شَرْعٌ سَوَاء . وتسلَّط عليه وعلى من اتَّبعَهُ من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذيّة القولية[٢] والفعلية ، وكان من أشدِّ الناس عليه عمُّه أبو لهب ـ واسمه عبد العُزَّى بن عبد المطلب ـ وامرأتُه أمُّ جميل أَرْوَى بنتُ حَرْب بن أمية ، أختُ أبي سفيان . وخالفه في ذلك عمُّه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسولُ الله ﷺ أحبَّ خلقِ الله إليه طبعاً ، وكان يَحْنُو عليه ويُحسن إليه ، ويُدَافع عنه ويحامي ، ويخالف قومَهُ في ذلك ، مع أنَّه على دينهم وعلى خَلَّتهم[٣] ، إلا أنَّ الله تعالى قد امتحن قَلْبَهُ بحبِّهِ حباً طبعيّاً[٤] لا شرعياً . وكان استمرارُه على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذْ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وَجَاهةٌ ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه . ولاجترؤوا عليه ، ولمدُّوا أيديَهُم وألسنتهم بالسوء إليه ، وربك يخلقُ ما يشاء ويختار . وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً ، فهذانِ العَمَّانِ كافران ، أبو طالب وأبو لهب ، ولكن هذا يكونُ في القيامة في ضَحْضاحٍ من نار ، وذلك في الدَّرْكِ الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورةً في كتابه تُتْلَى على المنابر ، وتُقرأ في المواعظ والخُطَب ، تتضمَّن أنه سيَصْلى ناراً ذات لهب ، وامرأتُه حمَّالة الحَطَب .

قال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا إبراهيم بنُ أبي العباس ، حدّثنا عبد الرحمن بنُ أبي الزناد ، عن أبيه قال : أخبر[ني] رجلٌ يقال له : ربيعة بن عِبَاد من بني الدِّيل[٦] ـ وكان جاهلياً فأسلم ـ قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المَجَاز وهو يقول : « يا أيُّها الناس قولوا لا إلٰه إلا الله تُفْلِحُوا » والناسُ مجتمعون عليه ، ووراءه رجلٌ وضيءُ الوجه ، أَحْوَلُ ذو غَدِيرتَيْن يقول : إنَّه صابئ كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألتُ عنه [فذكروا لي نسبَ رسولِ الله ﷺ] فقالوا : هذا عمُّه أبو لهب .

---

(١) ليست اللفظة في ح .

(٢) في ح : القوية ، ووضع فوقها : خ وأثبت الناسخ إلى جانب السطر في الهامش ما نصه : القولية . وإلى جانبها كلمة صح .

(٣) « الخلة » : بفتح الخاء : الخصلة . وبضم الخاء : الصداقة المختصة لا خلل فيها تكون في عفاف وفي دعارة . القاموس (خلل) .

(٤) في ح : طبعاً .

(٥) في المسند (٤/ ٣٤١) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٦) نسبته في الإكمال (٦/ ٦١/ الدؤلي) وفي الإصابة : الديلي ، وكلاهما جائز .

ثم رواه هو والبيهقي[١] من حديث عبد الرحمن بن أبي الزِّناد بنحوه .

وقال البيهقيُّ أيضاً[٢] حدّثنا أبو طاهر الفقيه ، حدّثنا أبو بكر محمد بن الحسن[٣] القطّان ، حدّثنا أبو الأزهر ، حدّثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدّثنا محمد بن عمرو[٤] ، عن محمد بن المنكدر ، عن ربيعةَ الدِّيلي .

قال : رأيتُ رسول الله ﷺ بذي المجاز يتبع الناسَ في منازلهم ، يدعوهم إلى الله ، ووراءَهُ رجلٌ أحْوَل ، تَقِدُ وجنتاهُ وهو يقول : [أيُّها الناس لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دينكم ودينِ آبائكم . قلتُ : من هذا ؟ قيل : هذا أبو لهب .

ثمّ رواه[٥] من طريق شعبة عن الأشعث بن سُليم ، عن رجل من كنانة . قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ بسوق ذي المَجاز وهو يقول][٦] : « يا أيُّها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجلٌ خلْفَه يَسْفي عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس ، لا يغرَّنّكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللاتِ والعُزَّى .

كذا قال أبو جهل ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته ، وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى[٧] .

وأمّا أبو طالب فكان في غاية الشفَقَة والحُنُوِّ الطبيعي كما سيظهر من صنائعه وسجاياه ، واعتماده فيما يُحامي به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

قال يونس بن بُكير ، عن طلحة بن يحيى بن عبيد الله ، عن موسى بن طلحة[٨] ، أخبرني عقيل بن أبي طالب قال : جاءتْ قريش إلى أبي طالب فقالوا : إنَّ ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانْهَهُ

---

(١) في المسند (٤/ ٣٤١) والدلائل (٢/ ١٨٥ ، ١٨٦) .

(٢) في الدلائل (٢/ ١٨٥) وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٩٢) عن محمد بن بشار عن عبد الوهاب عن محمد بن عمرو به .

(٣) في الدلائل : الحسين . وهو اسم أبيه ، والحسن جده ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣١٨) وتذكرة الحفاظ (٣/ ٨٤٢) .

(٤) في ح ، ط : محمد بن عمر ، والمثبت من الدلائل ومن ترجمته في تهذيب الكمال (٢٦/ ٢١٢) وهو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي .

(٥) يعني البيهقي في الدلائل (٢/ ١٨٦) .

(٦) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٧) انظر مقتل أبي لهب في الجزء الرابع .

(٨) في ح ، ط : طلحة بن يحيى عن عبد الله بن موسى بن طلحة . وهو تحريف ، والمثبت من ترجمة طلحة في تهذيب الكمال (١٣/ ٤٤١) والتاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٥١) ودلائل النبوة (٢/ ١٨٦) .

عنا . فقال : يا عقيل ، انطلقْ فأْتِني بمحمد ، فانطلقتُ إليه ، فاستخرجته من كِنْس[١] ـ أو قال خِنْس ـ يقول : بيت صغير ، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر ، فلما أتاهم قال : إنَّ بني عمِّك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم ، فانْتَهِ عن أذاهم . فحلَّق[٢] رسولُ الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا : نعم! قال : « فما أنا بأقدر [على] أن أدعَ ذلك منكم على أن تشتعلوا[٣] منها بشعلة » . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابنُ أخي قطّ ، فارجعوا .

رواه البخاري في التاريخ[٤] عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير .

ورواه البيهقي[٥] عن الحاكم عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار عنه به ـ وهذا لفظه ـ .

ثمّ روى البيهقي[٦] من طريق يونس عن ابن إسحاق ، حدّثني يعقوب بن عتبة[٧] بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أنَّ قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي ، إنَّ قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا ، فأبْقِ عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أُطيق أنا ولا أنت ؛ فاكفُفْ عن قومك ما يكرهون من قولك . فظنَّ رسول الله ﷺ أن قد بَدَا لعمِّه فيه ، وأنَّه خاذلُه ومُسْلِمُه ، وضعُفَ عن القيام معه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عمّ ، لو وضعتِ الشمسُ في يميني والقمر في يساري ما تركتُ هذا الأمر حتى يُظهرهُ الله أو أهلكَ في طلبه » ثم استعبر رسولُ الله ﷺ فبكى ، فلما ولَّى قال له حين رأى ما بلغ الأمْرُ برسول الله ﷺ : يا ابن أخي ، فأقبَلَ عليه ، فقال : امضِ على أمرك وافْعَلْ ما أحببت ، فوالله لا أُسْلِمُك لشيءٍ أبداً[٨] .

قال ابن إسحاق[٩] : ثم قال أبو طالب في ذلك : [من الكامل]

والله لـنْ يَصِلوا إليـكَ بِجَمْعِهـم ... حتـى أُوسَّـدَ فـي التـرابِ دَفينـا
فامضي لأمرِكَ ما عليكَ غضاضةٌ ... أبشـرْ وقـرَّ بـذاكَ منـكَ عيـونـا
ودعوتَني وعلمتُ أنك ناصحي ... فلقدْ صدقتَ وكنتَ قِدْمُ أمينا[١٠]

---

(١) كذا في ح ، ط بالنون ، وكذا في أصل الدلائل ؛ قال ابن الأثير في النهاية (كبس/ ٤/ ١٤٣) بعد سياق الحديث : الكِبْس بالكسر : بيت صغير . ويروى بالنون ، من الكناس ، وهو بيت الظبي اهـ .
(٢) في هامش ح : فحدّق ، لعلها رواية نسخة .
(٣) في التاريخ للبخاري : تشعلوا منها شعلة ، وفي الدلائل : تستشعلوا منها شعلة .
(٤) التاريخ الكبير (٧/ ٥١) .
(٥) دلائل النبوة (٢/ ١٨٦) .
(٦) في الدلائل أيضاً (٢/ ١٨٧ ، ١٨٨) سيأتي .
(٧) في الدلائل : عقبة ، تصحيف .
(٨) الخبر بنحوه في سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٦) .
(٩) دلائل النبوة (٢/ ١٨٨) والأبيات فيه .
(١٠) في الدلائل : قبل أمينا .

وعرضتَ ديناً قد عرفتُ بأنه ... من خيرِ أديانِ البريةِ دينا
لولا الملامةُ أو حِذاري سُبَّةً ... لوجدتَني سمحاً بذاك مُبينا

ثم قال البيهقي : وذكر ابن إسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً[١] ؛ وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ الله تعالى عصَمَهُ بعمِّه مع خلافِهِ إيَّاه في دينه ، وقد كان يعصِمُه حيث لا يكون عمُّه بما شاء لا معقِّب لحكمه .

وقال يونس بن بكير ، عن[٢] محمد بن إسحاق : حدّثني رجلٌ من أهل مصر قديماً منذ بضعٍ وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قصةٍ طويلة جرتْ بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ ، فلما قام رسولُ الله قال أبو جهل بن هشام : يا معشر قريش ، إنَّ محمداً قد أبى إلا ما ترَوْن ، من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسبِّ آلهتنا ، وإني أُعاهد الله لأجلسنَّ له غداً بحجر ، فإذا سجد في صلاته فضختُ به رأسه[٣] ، فليصنع بعد ذلك بنو عبدِ منافٍ ما بَدَا لهم . فلما أصبح أبو جهلٍ ـ لعنه الله ـ أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان قبلته الشام ، فكان إذا صلَّى صلَّى بين الركنين الأسودِ واليَماني ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسولُ الله ﷺ يصلِّي ، وقد غدَتْ قريش ، فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهلٍ الحَجَر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منبهتاً ، ممتقعاً لونه ، مرعوباً قد يَبِستْ يداه على حَجَره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجالٌ من قريش ، فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمتُ إليه لأفعل ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دنَوْت منه عَرَض لي دونه فحلٌ من الإبل ، والله ما رأيت مثلَ هامته ، ولا قَصَرَتِه[٤] ، ولا أنيابه لفحلٍ قط ، فهمَّ أن يأكلني .

قال ابنُ إسحاق[٥] : فذُكر لي أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ذلك جبريل ، لو دنا مني لأخذه »[٦] .

وقال البيهقي[٧] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو النضْر الفقيه ، حدّثنا عثمان الدارمي ، حدّثنا عبد الله بن صالح ، حدّثنا الليث بن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبان بن صالح ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن عباس بن عبد المطلب . قال : كنتُ يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل ـ لعنه الله ـ فقال : إنَّ لله عليَّ إنْ رأيتُ محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ؛ فخرجتُ

---

(١) ساق ابن هشام شيئاً منها في السيرة (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩) .

(٢) في ط : حدثني محمد بن إسحاق ، والمثبت من ح ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٩٠) والخبر فيه عن الحاكم الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به .

(٣) هذه رواية ط ودلائل البيهقي ، وأما رواية ح فهكذا : وإني أعاهد الله لأجلس له عند الحِجْر ، فإذا سجد فضخت رأسه . . .

(٤) « قصرته » : أي عنقه وأصل رقبته .

(٥) دلائل البيهقي (٢/ ١٩١) .

(٦) في ط : ولو دنا منه ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

(٧) في دلائل النبوة (٢/ ١٩١) .

على رسول الله ﷺ حتى دخلتُ عليه فأخبرتُه بقول أبي جهل ، فخرج غضباناً[١] ، حتى جاء المسجد ، فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط فقلت : هذا يومُ شرّ ، فأتزرْتُ ثم اتّبعته ، فدخل رسولُ الله ﷺ فقرأ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ ، فلما بلغ شأن أبي جهل ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ ـ ٧] فقال إنسانٌ لأبي جهل : يا أبا الحكم ، هذا محمد ! فقال أبو جهل : ألا ترَوْنَ ما أرى ؟ والله لقد سدَّ أُفُقَ السماء عليّ ، فلما بلغ رسولُ الله ﷺ آخر السورة سجد .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة قال : قال ابنُ عباس : قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمداً يُصلّي عند الكعبة لأطأنَّ على عُنقه . فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال : « لو فعل لأخذَتْهُ الملائكةُ عِياناً » .

ورواهُ البخاريُّ[٣] عن يحيى ، عن عبد الرزاق به .

قال داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مرَّ أبو جهل بالنبيِّ ﷺ وهو يصلِّي فقال : ألم أنهك أنْ تصلِّيَ يا محمد ؟ لقد علمتَ ما بها أحد أكثر نادياً مني . فانتهره النبيُّ ﷺ . فقال جبريل : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق : ١٧ ـ ١٨] والله لو دعا ناديه لأخذَتْهُ زبانيةُ العذاب .

رواه أحمد والترمذي وصحّحه النسائي[٤] من طريق داود به .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا إسماعيلُ بن يزيد أبو يزيد[٦] ، حدّثنا فرات ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً عند الكعبة يصلِّي لآتينَّهُ حتى أطأ على عنقه . قال فقال : « لو فعل لأخذَتْهُ الزبانيةُ عياناً » .

وقال أبو جعفر بن جرير[٧] : حدّثنا ابن حميد ، حدّثنا يحيى بن واضح ، حدّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن الوليد بن العَيْزار ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن عاد محمدٌ يصلِّي عند المقام لأقتلنَّه . فأنزل الله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ حتى بلغ من الآية [﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ

---

(١) كذا في ح ، ط والدلائل بالتنوين وهو جائز على لغة بني أسد . النحو الوافي (٤/ ٢١٧) والتاج (غضب) .
(٢) في مسنده (١/ ٣٦٨) .
(٣) فتح الباري (٤٩٥٨) التفسير سورة ٩٦ باب كلا لئن لم ينته . قلت : وأخرجه به أيضاً الترمذي في الجامع (٣٣٤٨) التفسير باب ومن سورة اقرأ باسم ربك (٩٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٩١ ، ١٩٢) .
(٤) مسند أحمد (١/ ٢٥٦) وجامع الترمذي (٣٣٤٩) باب ومن سورة اقرأ باسم ربك (٩٦) والسنن الكبرى للنسائي (١١٠٦١) و(١١٦٨٤) .
(٥) في مسنده (١/ ٢٤٨) .
(٦) في ح ، ط : أبو زيد . والمثبت من مسند أحمد وترجمته في تعجيل المنفعة (ص٣٨) .
(٧) في تفسيره ـ تفسير الطبري ـ (١٥/ ٢٥٦) في تفسير سورة العلق (٩٦) . وما يأتي بين معقوفين منه .

كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾][1] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ فجاء النبيُّ ﷺ يصلِّي ، فقيل [له] : ما يمنعك ؟ قال : قد اسودَّ ما بيني وبينه من الكتائب . قال ابن عباس : والله لو تحرَّك لأخذتْهُ الملائكة والناسُ ينظرون إليه .

وقال ابن جرير[2] : حدّثنا ابن عبد الأعلى ، حدّثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن نعيم بن أبي هند ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يُعَفِّر محمدٌ وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ! قال فقال : واللاَّتِ والعزَّى ، لئن رأيتُه يصلِّي كذلك لأطأنَّ على رقبته ، ولأعفرنَّ وجهه بالتراب . فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلِّي ليطأ على رقبته . قال : فما فَجِئَهُمْ منه إلا وهو ينكُصُ على عَقِبَيْه ، ويتَّقي بيديه ، قال : فقيل له : ما لك ؟ قال : إنَّ بيني وبينه خَنْدقاً من نار وهوْلاً وأجنحة . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « لو دنا منِّي لاختطفَتْه الملائكة عضواً عضواً » . قال وأنزل اللهُ تعالى ـ لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ـ ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ إلى آخر السورة .

وقد رواهُ أحمد ومسلم والنَّسائي وابن أبي حاتم والبيهقي[3] من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به .

وقال الإمام أحمد[4] : حدّثنا وهب بن جرير ، حدّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله قال : ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ دعا على قريش ، غيرَ يوم واحد ، فإنه كان يصلِّي ورهْطٌ من قريش جلوس ، وسَلا جَزُورٍ قريبٌ منه . فقالوا : من يأخذ هذا السَّلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة بن أبي مُعيط : أنا ، فأخذَهُ فألقاه على ظهره ، فلم يزلْ ساجداً حتى جاءتْ فاطمةُ فأخذَتْهُ عن ظهره ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهمَّ عليك بهذا[5] الملأ من قريش ، اللهم عليك بعتبةَ بن ربيعة ، اللهمَّ عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، اللهمَّ عليك بعقبة بن أبي مُعيط ، اللهم عليك بأبيٍّ بن خلف ـ أو أمية بن خلف ـ » شعبة الشاكّ قال عبد الله : فلقد رأيتُهم قُتلوا يوم بدرٍ جميعاً ، ثم سُحبوا إلى القَليب غيرَ أُبَيّ ـ أو أمية بن خلف ـ فإنَّه كان رجلاً ضخماً فتقطع .

وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه ، ومسلم من طرق عن أبي إسحاق به[6] .

والصواب أمية بن خلف ، فإنَّه الذي قُتل يوم بدر ، وأخوه أُبَيّ إنما قُتل يوم أحد كما سيأتي بيانه

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٢) هو ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٥٦) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٧٠) وصحيح مسلم (٢٧٩٧) (٣٨) صفات المنافقين وأحكامهم والنسائي في التفسير من سننه الكبرى (١١٦٨٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٨٨ ، ١٨٩) .

(٤) في مسنده (١/ ٤١٧) .

(٥) ليست اللفظة في مسند أحمد .

(٦) صحيح البخاري في الطهارة (٢٤٠) ، وفي الصلاة (٥٢٠) وفي الجهاد (٢٩٣٤) ، وفي الجزية (٣١٨٥) وفي مبعث النبي ﷺ (٣٨٥٤) ، وفي المغازي (٣٩٦٠) ، ومسلم في الجهاد (١٧٩٤) (١٠٧) و(١٠٨) و(١٠٩) و(١١٠) .

ـ والسَّلى هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة . وفي بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميلُ على بعض ، أي يميل هذا على هذا من شدَّة الضحك لعنهم الله . وفيه أن فاطمة لما ألقَتْه عنه أقبلتْ عليهم فسبَّتْهم ، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه ﷺ دعا على الملأ منهم جملةً ، وعيَّن في دعائه سبعة . وقع في أكثر الروايات تسميةُ ستةٍ منهم : وهم عُتْبة ، وأخوه شَيْبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبو جهل بن هشام ، وعقبة بن أبي مُعَيط ، وأمية بن خلف .

قال أبو إسحاق[1] : ونسيتُ السابع .

قلتُ : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري[2] .

قصة الإراشي[3]

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق[4] حدّثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي . قال : قدم رجل من إراش بإبلٍ له إلى مكة ، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها ، فأقبل الإراشيُّ حتى وقف على نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد ، فقال : يا معشر قريش مَنْ رجلٌ يُعْديني على أبي الحكم بن هشام ، فإني غريبٌ وابنُ سبيل ، وقد غلبني على حقِّي ؟ فقال أهل المجلس : ترى ذلك [الرجل] ـ وهم يهوونَ به[5] إلى رسول الله لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ـ اذهب إليه ، فهو يعديك عليه . فأقبل الإراشيُّ حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فقام معه ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجلٍ ممن معهم : اتبعْه فانظر ما يصنع ؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ قال : « محمد ، فاخرُجْ » فخرجَ إليه وما في وجهه قطرةُ دم ، وقد انتقع لونه . فقال : « أعْطِ هذا الرجل حقَّه » . قال : لا تبرَحْ حتى أُعطيه الذي له . قال : فدخل فخرج إليه بحقِّه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسولُ الله ﷺ . وقال للإراشي : « الحقْ لشأنك » . فأقبل الإراشيُّ حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً ، فقد أخذتُ[6] الذي لي .

---

(١) في ح ، ط : ابن إسحاق . وهو تصحيف ، والصواب من صحيح مسلم في الحديث المشار إليه في الحاشية السابقة رقمه ١٠٩ .

(٢) فتح الباري (٥٢٠) الصلاة باب المرأة تطرح عن المصلِّي شيئاً من الأذى .

(٣) « الإراشي » : نسبة إلى إراش ، بالكسر والشين المعجمة ، موضع حكاه ياقوت في معجم البلدان (١/ ١٣٤) . وإراش أيضاً : هو ابن لِحْيان بن الغوث ، وقيل : هو ابن عمرو بن الغوث ، وهو والد أنمار ، أبو بجيلة من خثعم . انظر التاج (أرش) وإراشة أيضاً من بني وائل بن قاسط . انظر الاشتقاق ص٣٣٥ .

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٩٣) عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به .

(٥) في ح ، ط : يهزون به إلى رسول الله . والمثبت من دلائل النبوة للبيهقي وما بين معقوفين منه .

(٦) كذا في ط وفي ح والدلائل : أخذ من غير تاء .

وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحُه فقال : « أعط هذا الرجل حقَّه » . فقال : نعم ! لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه . ثم لم يلبث أنْ جاء أبو جهل فقالوا له : ويلك ما لك ؛ فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟ فقال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرَبَ عليَّ بابي وسمعتُ صوته فملئتُ رُعْبا ، ثم خرجتُ إليه وإنَّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيتُ مثل هامته ، ولا قَصَرَته ولا أنيابه لفحلٍ قط ، فوالله لو أبيت لأكلني .

فصــل

وقال البخاري(١) : حدّثنا عياش بن الوليد ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم التيميّ ، حدّثني عُروة بن الزُّبير [قال] : سألتُ ابن [عمرو] العاص فقلت : أخبرْني بأشدِّ شيءٍ صنعه المشركون برسولِ الله ؟ قال : بينما النبيُّ ﷺ يصلِّي في حِجْر الكعبة ، إذْ أقبل عليه عقبة بن أبي مُعيط ، فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر : ٢٨] الآية .

تابعه ابنُ إسحاق قال : أخبرني يحيى بن عروة ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الله بن عمرو . وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال : قيل لعمرو بن العاص . وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة : حدثني عمرو بن العاص .

قال البيهقي(٢) : وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة .

انفرد به البخاري ، وقد رواه في أماكن من صحيحه(٣) ، وصرَّح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه ، لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدُّم هذه القصة .

وقد روى البيهقي(٤) ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس عن محمد بن إسحاق : حدّثني يحيى بن عروة ، عن أبيه عروة قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :

---

(١) في صحيحه ، فتح الباري (٣٨٥٦) مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٢) في الدلائل (٢/ ٢٧٦) بعد سياق حديث البخاري .

(٣) فتح الباري (٣٦٧٨) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ، وفي مبعث النبي ﷺ (٣٨٥٦) و(٤٨١٥) التفسير سورة المؤمن ٤٠ .

(٤) في الدلائل (٢/ ٢٧٥) وأخرجه ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة النبوية (١/ ٢٨٩) به .

ما أكثرُ ما رأيتَ قريشاً أصابتْ من[1] رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتُهم وقد اجتمع أشرافُهم يوماً في الحِجْر ، فذكروا رسولَ الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفَّه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعاتنا ، وسبَّ آلهتنا ، وصرنا منه على أمرٍ عظيم ـ أو كما قال ـ قال : فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت ، فغمزوه ببعض القول ، فعرفتُ ذلك في وجه رسولِ الله ﷺ فمضى ، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتُها في وجهه ، فمضى ، فمر بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فقال : « أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح » . فأخذت القوم كلمتُه حتى ما منهم من رجل إلا وكأنّما على رأسه طائروقع حتى إنَّ أشدَّهم فيه وصاةً قبل ذلك ليرفَؤُه[2] حتى إنه ليقول : انصرفْ أبا القاسم راشداً ، فما كنت بجهول .

فانصرف رسولُ الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم ، فقال بعضُهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسولُ الله ﷺ فوثبوا إليه وثبةَ رجلٍ واحد ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عَيْبِ آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : « نعم ، أنا الذي أقولُ ذلك » ولقد رأيتُ رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائِه ، وقام أبو بكر يَبْكي دونه ويقول : ويلكم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر : ٢٨] ثم انصرفوا عنه . فإنَّ ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغتْ منه قط .

فصــل

في تأليب الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ، واجتماعهم بعمِّه أبي طالب القائم في منعه ونصرته ، وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم ، فأَبى عليهم ذلك بحول الله وقوته .

قال الإمام أحمد[3] : حدّثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد أُوذيتُ في الله وما يُؤذَى أحد ، وأُخفت في الله وما يُخاف أحد ، ولقد أتت عليَّ ثلاثون[4] من بين يوم وليلة ، وما لي ولبلالٍ ما يأكلُه ذو كَبِد إلا ما يُواري إبْطُ بلال » .

وأخرجه الترمذيّ وابنُ ماجَه[5] من حديث حماد بن سلمة به ، وقال الترمذي : حسنٌ صحيح .

---

(١) ليست اللفظة في ح ولا في الدلائل ، وهي في سيرة ابن هشام .

(٢) « يرفؤه » : أي يسكِّنُه ويرفق به ويدعو له . النهاية واللسان (ارفأ) وفيهما : إن أشدهم فيه وضاءة ؟ .

(٣) في مسنده (٣/ ١٢٠) .

(٤) في المسند : ثلاثة .

(٥) جامع الترمذي (٢٤٧٢) صفة القيامة باب ٣٤ وسنن ابن ماجه (١٥١) المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، فضائل سلمان وأبي ذر والمقداد . ولفظ الأخير « ولقد أتت عليَّ ثالثة » .

وقال محمد بن إسحاق[١] : وحَدِبَ على رسولِ الله ﷺ عَمُّهُ أبو طاب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسولُ الله ﷺ على أمر الله ، مظهراً لدينه لا يردُّه عنه شيء . فلما رأتْ قريش أنَّ رسولَ الله ﷺ لا يُعْتِبُهم من شيءٍ أنكروه عليه ، من فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأَوْا أنَّ عمَّه أبا[٢] طالب قد حَدِبَ عليه وقام دونه ، فلم يُسْلِمْهُ لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب ، عتبةُ وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصّي ، وأبو سفيان صَخْر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البَخْتَري ـ واسمه العاصُ ابن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ ، والأسود بن المطَّلب بن أسد بن عبد العُزَّى ، وأبو جهل ـ واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعْد[٣] بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي ، والعاص بن وائل بن سُعيد بن سهم .

قال ابن إسحاق[٤] : أو من مشى منهم فقالوا : يا أبا طالب ، إنَّ ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا ، وعاب ديننا وسفَّه أحلامنا ، وضلَّلَ آباءنا ، فإما أن تكفَّه عنا وإما أن تُخلِّيَ بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه ؟ فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردَّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسولُ الله ﷺ على ما هو عليه ، يُظهر دين الله ويدعو إليه ، ثم شَرِيَ[٥] الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا . وأكثرت قريش ذِكر رسول الله ﷺ بينها فتذامروا[٦] فيه ، وحضَّ بعضهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مشَوْا إلى أبي طالب مرَّةً أخرى . فقالوا : يا أبا طالب ، إنَّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهَهُ عنا ، وإنَّا والله لا نصبر على هذا من شَتْم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفَّه عنا أو ننازله وإياك في ذلك ، حتى يَهْلِكَ أحدُ الفريقين ـ أو كما قالوا ـ ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتهم ، ولم يطِبْ نفساً بإسلامِ رسولِ الله ﷺ ولا خِذْلانِه .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أنَّ قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي إنَّ قومك قد جاؤوني فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له ، فأبق عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أُطيق . قال : فظنَّ رسولُ الله ﷺ أنه

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٤) والروض (٢/ ٤) .
(٢) في ح ، ط : أبو طالب ، والمثبت من سيرة ابن هشام .
(٣) في ح ، ط : سعيد ، والمثبت من سيرة ابن هشام وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٦٤) .
(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١٤٨) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٥) والروض (٢/ ٤) .
(٥) في ح ، ط : سرى بالسين المهملة ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض والنهاية لابن الأثير (شري) وفيه : عظم وتفاقم ولجُّوا فيه . وجاء في الروض (٢/ ٩) فشري الأمر عند ذلك : أي انتشر الشر .
(٦) في ح : فتوامروا ، وتذامروا : تحاضُّوا . والقوم يتذامرون ، أي يحضُّ بعضهم بعضاً على الجد . اللسان (ذمر) .
(٧) سيرة ابن إسحاق (ص١٥٤) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٦) والروض (٢/ ٥) .

قد بَدَا لعمِّهِ فيه بَدْوٌ[١] ، وأنَّه خاذله ومُسْلِمُه ، وأنَّه قد ضعُف عن نصرته والقيام معه ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري[٢] على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركتُه » قال : ثم استعبر رسولُ الله ﷺ فبكى ثم قام ، فلما ولَّى ناداه أبو طالب . فقال : أَقْبِلْ يا بن أخي ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : اذهب يا بن أخي ، فقلْ ما أحببت ، فوالله لا أسلمتُك لشيءٍ أبداً .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم إنَّ قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبَى خِذْلانَ رسولِ الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته ، مشَوْا إليه بعُمارة بنِ الوليد بن المغيرة فقالوا له ـ فيما بلغني ـ : يا أبا طالب ، هذا عُمارة بن الوليد أنهد[٤] فتًى في قريش وأجمله ، فخُذْهُ فلك عَقْلُه ونَصْرُه ، واتخذْه ولداً فهو لك ، وأَسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودينَ آبائك ، وفرَّق جماعة قومِك ، وسفَّه أحلامنا فنقتله ، فإنما هو رجلٌ برجل ! قال : والله لبئس ما تسومونني ؟ أتعطونني ابنكم أغذوه لكم ، وأُعطيكم ابني فتقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال فقال المُطْعِمُ بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك وجهِدوا على التخلُّص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ؟ فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنَّك قد أجمعتَ خِذْلاني ومظاهرةَ القوم عليّ ، فاصنَعْ ما بدا لك ـ أو كما قال ـ فحقب الأمر[٥] ، وحميت الحرب ، وتنابذ القوم ، وبادَى[٦] بعضُهم بعضاً . فقال أبو طالب عند ذلك يعرِّضُ بالمُطْعِمِ بن عديّ ويعمُّ مَنْ خذله من بني عبد مناف ومَنْ عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم[٧] : [من الطويل]

---

(١) كذا في ح ، ط وفي مصادر الخبر « بَدَآء » يقال : بدا له في الأمر ، بَدْواً وبداً وبداءً : أي تغيَّر له من أمره ، أي ظهر له رأي . انظر اللسان (بدو) والروض (٢/٨) .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/٨) : خصَّ الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة وخصَّ القمر بالشمال لأنها الآية الممحوَّة ، وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نجوم . فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر . قال : كنت مع الآية الممحوة ، اذهب فلا تعمل لي عملاً . وكان عاملاً له فعزله ، فقتل الرجل في صفين مع معاوية واسمه حابس بن سعد . وخصَّ رسول الله ﷺ النيرين حين ضرب المثل بهما ، لأن نورهما محسوس والنور الذي جاء به من عند الله ـ وهو الذي أرادوه على تركه ـ هو لا محالة أشرف من النور المخلوق ، قال الله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ فاقتضت بلاغة النبوة لما أرادوه على ترك النور الأعلى أن يقابله بالنور الأدنى ، وأن يخص أعلى النيرين ، وهي الآية المبصرة بأشرف اليدين ، وهي اليمين ، بلاغة لا مثلها ، وحكمة لا يجهل اللبيب فضلها . اهـ.

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص١٥٢) وسيرة ابن هشام (١/٢٦٦) والروض (٢/٥) .

(٤) في ح : أبهى . ومعنى أنهد ، أي : أقوى وأجلد . الروض (٢/٨) .

(٥) « حقب الأمر » : يريد اشتد . الروض (٢/٩) .

(٦) في ح ، ط : نادى بالنون ، والمثبت من مصادر الخبر .

(٧) القصيدة في ديوان شيخ الأباطح (ص٢١ ـ ٢٣) على خلاف في بعض ألفاظها وأبياتها ومطلعها : =

ألا قُـلْ لعمـرٍو والـوليـدِ ومُطعِـم ... ألا ليـتَ حظّي مـن حيـاطتكـم بَكْـرُ(١)
مـن الخُـورِ حَبْحَـابٌ كثيـرٌ رُغـاؤهُ ... يُـرَشُّ علـى السـاقيـن مـن بـولِـهِ قَطْـرُ(٢)
تخلَّـفَ خلـفَ الـوِرْدِ ليـسَ بـلاحـقٍ ... إذا مـا عـلا الفَيفـاءَ قيـلَ لـه وَبْـرُ(٣)
أرى أخـوَيْنـا مـن أبينـا وأُمِّنـا ... إذا سُئـلا قـالا إلـى غيـرِنـا الأمـرُ
بلـى لهمـا أمـرٌ ولكـنْ تجـرْجَمـا ... كما جَرجمتْ من رأسِ ذي عَلَقَ الصخرُ(٤)
أخُـصُّ خصـوصـاً عبـدَ شمـسٍ ونَـوفـلاً ... همـا نَبـذَانـا مثـلَ مـا نُبـذ الجمـرُ(٥)
همـا أغمـزا للقـومِ فـي أخـويهِمـا ... فقـد أصبحـا منهـم أكفُّهمـا صِفـرُ(٦)
همـا أشـركـا فـي المجـدِ مَـنْ لا أبـا لَـهُ ... مـن النـاسِ إلا أنْ يُـرَسَّ لـه ذِكْـرُ(٧)
وتَيْـمٌ ومخـزومٌ وزُهـرةُ منهـمُ ... وكـانُـوا لنـا مـولًـى إذا بُغـيَ النَّصْـرُ
فـواللهِ لا تنفـكُّ منَّـا عـداوةٌ ... ولا منهـمُ مـا قـام مِـنْ نسلِنـا شَفْـرُ(٨)

قال ابن هشام(٩) : وتركنا منها بيتين أقذع فيهما .

= ألا ليت حظي من حياطة نصركم ... بأن ليس لي نفع لديكم ولا ضرُّ
وسار برملي فاطر الناب جاشم ... ضعيف القصيرى لا كبير ولا بكرُ
وقال في شرحه : جاشم : متكاره على السير ، والقصيرى : أضعف الأضلاع .

(١) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٠) : أي : إن بكراً من الإبل أنفع لي منكم ، فليته لي بدلاً من حياطتكم كما قال طرفة في عمرو بن هند : [من الوافر]
فليـت لنـا مكـان الملـك عمـرو ... رغـوثـاً حـول قبّتنـا تخـور
(٢) « الخور » : الضعاف : والحبحاب بالحاء : الصغير . وفي حاشية كتاب الشيخ أبي بحر : جبجاب بالجيم ، وفسره فقال : هو الكثير الهدر . الروض (٢/ ١٠) .
(٣) أي يشبه الوَبْر لصغره ؛ والوبر : دويبّة على قدر السنَّوْر . ويحتمل أن يكون أراد أن يصغر في العين لعلو المكان وبعده . الروض (٢/ ١٠) والنهاية (وبر) .
(٤) رواية السهيلي في الروض : كما جرجمت من راس ذي علقٍ صخر وقال : وترك صرف علق إما لأنه جعله اسم بقعة ، وإما لأنه اسم علم ، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر . . . ثم قال : ولو رُوي : من رأس ذي علق الصخر . بحذف التنوين لالتقاء الساكنين لكان حسناً . الروض (٢/ ١٠ ، ١١) وقوله : جرجمت أي : سقط وتهدّم . ورواية الديوان : ترجما . . . كما رجمت . وقال : الترجم القول بالظن .
(٥) في ح : الخمر .
(٦) أغمز في الرجل إغمازاً : استضعفه وعابه وصغَّر شأنه اللسان (غمز) .
(٧) أي إلا أن يذكر ذكراً خفيّاً ، من رسَّ له الخبر : ذكره له . اللسان (رسس) .
(٨) في ط : ولا منكم ما دام من نسلنا شفر . والمثبت من ح . وشَفْر : أحد . يقال : ما بالدار شَفْر وشُفْر : أي أحد . اللسان شفر .
(٩) ليست اللفظة في ح .

فصــل
في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق(١) : ثم إنَّ قريشاً تذامروا(٢) بينهم على مَنْ في القبائل من منهم(٣) أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبتْ كلُّ قبيلة على مَنْ فيها من المسلمين يعذِّبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسولَ الله ﷺ بعمِّه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من مَنْع رسولِ الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ـ إلا ما كان من أبي لهب عدو الله ـ فقال(٤) في ذلك يمدحهم ويحرِّضهم على ما وافقوه عليه من الحدب والنُّصْرَة لرسولِ الله ﷺ : [من الطويل]

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لِمَفْخَرٍ فعبدُ منافٍ سرُّها وصَمِيمُها
وإنْ حُصِّلتْ أشرافُ عبدِ منافِها ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإنْ فخرَتْ يوماً فإنَّ محمداً هو المصطفى من سرِّها وكريمها
تداعتْ قريشٌ غَثُّها وسمِينُها علينا فلم تظفر وطاشَتْ حُلومُها(٥)
وكنّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الرقابِ نُقِيمُها
ونحمي حِماها كلَّ يوم كريهةٍ ونضربُ عن أحجارِها مَنْ يرومها(٦)
بنا انتعش العُودُ الذَّوَاءُ وإنما بأكنافِنا تندَى وتَنْمي أرومُها

فصــل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ ، وما تعنَّتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخَرْق العادات على وجه العِنَاد ، لا على سبيل(٧) الهدى والرشاد . فلهذا لم يُجابوا إلى كثيرٍ مما طلبوا ، ولا ما إليه رغبوا ، لعلْم الحقِّ سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمرُّوا في طغيانهم يعمهون ، ولظلُّوا

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٨) .
(٢) في الأصل ح : توامروا ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .
(٣) سقطت اللفظة من ط .
(٤) أي أبو طالب .
(٥) هذه رواية ط وسيرة ابن هشام للبيت ، أما رواية ح فهكذا :
تداعت علينا غثها وسمينها فلم يظفروا شيئاً وطاشت حلومها
(٦) قال السهيلي في الروض (٢/ ١١) : ونضرب عن أحجارها من يرومها ، أي ندفع عن حصونها ومعاقلها ، وإن كانت الرواية : أجحارها ، بتقديم الجيم فهو جمع جحر ، والجحر هنا مستعار ، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها .
(٧) في ط : على وجه طلب الهدى . . .

في غيّهم وضلالهم يتردَّوْن . قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ [قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ](١) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٩ ـ ١١١] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٦ ـ ٩٧] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ [وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا](٢) ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ [أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا](٣) بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٠ ـ ٩٣] . وقد تكلّمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير ولله الحمد .

وقد روى يونس وزياد عن ابن إسحاق(٤) عن بعض أهل العلم ـ وهو شيخٌ من أهل مصر يقال له : محمد بن أبي محمد ـ عن سعيد بن جُبير ، وعكرمة عن ابن عباس قال : اجتمع عِلْيَةٌ(٥) من أشراف قريش ـ وعدَّد أسماءهم ـ بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمدٍ فكلِّموه ، وخاصِمُوه حتى تُعْذِروا فيه . فبعثوا إليه : إن أشرافَ قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك ، فجاءهم رسولُ الله ﷺ سريعاً وهو يظنُّ أنه قد بدا لهم في أمره بَدَاء(٦) ، وكان حريصاً يحبُّ رُشْدَهم ويَعِزُّ عليه عَنَتُهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد ، إنَّا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنَّا والله لا نعلمُ رجلاً من العرب أدْخَلَ على قومه ما أدخلتَ على قومك ، لقد شتمتَ الآباء ، وعِبْتَ الدِّين ، وسفَّهْتَ الأحلام ، وشتمتَ الآلهة ، وفرَّقْتَ الجماعة ، وما بقي من قبيح إلا وقد جِئْتَه فيما بيننا وبينك ؛ فإنْ كنتَ إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لَكَ من أموالنا حتى تكونَ أكثرَنا مالاً ، وإنْ كنتَ إنما تطلب الشَّرَف فينا سوَّدْناك علينا ، وإنْ كنتَ تريدُ مُلْكاً ملَّكناكَ علينا ، وإنْ كان هذا الذي يأتيك [بما يأتيك](٧) رَئِيّاً تراه قد غلب عليك ـ وكان يسمُّون التابعَ من الجنّ الرَّئِيّ ـ فربما كان ذلك ؛ بذلنا أموالنا في طلب الطبِّ حتى نُبْرِئَكَ منه أو نُعْذِرَ فيك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ما بي ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ح وأثبت محله : « إلى قوله » .
(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح وأثبت محله لفظ : الآية وهي الآية ٥٩ من سورة الإسراء .
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ح وأثبت محله : « إلى قوله » .
(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١٩٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٩٥) والروض (٢/ ٣٦) .
(٥) في ح : جماعة .
(٦) مضى شرح معناه ص ٢٥٤ ح١ .
(٧) ليس ما بين معقوفين في ح ولا سيرة ابن هشام ولا الروض ، وهو في سيرة ابن إسحاق .

أموالكم ، ولا الشَّرَفَ فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكنَّ اللهَ بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عليَّ كتاباً ، وأمرني أنْ أكونَ لكم بشيراً ونذيراً ، فبلَّغتكم رسالةَ ربِّي ونصحتُ لكم ، فإنْ تقبلوا مني ما جئتُكم به فهو حظُّكم من[١] الدنيا والآخرة ، وإنْ تردُّوه عليّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » ـ أو كما قال رســول الله ﷺ ـ فقالوا : يا محمد ، فإنْ كنتَ غيرَ قابلٍ منَّا ما عرَضْنا عليك فقد علمتَ أنَّه ليس أحدٌ من الناس أضيقَ بلاداً ، ولا أقلَّ مالاً[٢] ، ولا أشدَّ عيشاً منَّا . فسَلْ لنا ربَّك الذي بعثك بما بعثك به ، فَلْيُسَيِّرْ عنَّا هذه الجبالَ التي قد ضيَّقت علينا ، ولْيَبْسُطْ لنا بلادنا ، وليجر[٣] فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعثْ لنا مَنْ مَضَى من آبائنا ، وليكُنْ فيمن[٤] يبعث لنا منهم قصيُّ بن كلاب ، فإنَّه كان شيخاً صدوقاً ، فنسألَهم عمَّا تقول أحقٌّ هو أم باطل ؟ فإنْ فعلت ما سألناك وصدَّقوك صدَّقناك وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول . فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « ما بهذا بُعثت ، إنما جئتُكم من عند الله بما بعثني به فقد بلَّغْتُكم ما أُرسلتُ به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوا عليَّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فإنْ لم تفعل لنا هذا فخُذْ لنفسك فسلْ ربَّك أن يبعث لنا ملَكاً يصدِّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لنا[٥] جِناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويُغنيك عمَّا نراك تبتغي ، فإنَّك تقومُ في الأسواق وتلتمس المعايش كما نلتمسُه ، حتى نعرف فضلَ منزلتك من ربِّك إنْ كنتَ رسولاً كما تزعم . فقال لهم : « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسألُ ربَّه هذا ، وما بُعثتُ إليكم بهذا ، ولكنَّ الله بعثني بشيراً ونذيراً ، فإنْ تقبلوا ما جئتُكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة . وإن تردُّوه عليَّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فأسقطِ السماء كما زعمت أنَّ ربَّك إن شاء فعل ، فإنَّا لن نؤمن لك إلا أنْ تفعل . فقال : « ذلك إلى الله إنْ شاء فعل بكم ذلك » فقالوا : يا محمد ، ما علم ربُّك أنَّا سنجلسُ معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدَّم إليك ويعلمك ما تُراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبلْ منك ما جئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلِّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمنُ بالرحمن أبداً ؛ فقد أعْذَرْنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركُك وما فعلت بنا حتى نهلكَكَ أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهم[٦] بناتُ الله ، وقال قائلُهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله[٧] والملائكة قَبيلاً .

---

(١) في سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام والروض : في .
(٢) في سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام والروض : ماءً . وهو أشبه بالصواب .
(٣) في سيرة ابن هشام والروض : وليفجِّرْ .
(٤) في ح ، ط : فيما . والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام والروض .
(٥) في سيرة ابن هشام والروض : لك .
(٦) في ط وسيرة ابن هشام والروض : وهي وفي سيرة ابن إسحاق : وهن والمثبت من ح .
(٧) في ح : حتى يأتينا الله .

فلما قالوا ذلك قام رسولُ الله ﷺ عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ـ وهو ابنُ عمته عاتكة بنت عبد المطلب ـ فقال : يا محمد عرَضَ عليك قومُك ما عرضوا فلم تقبلْه . ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتَك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوِّفُهم به من العذاب . فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلَّما ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيَها وتأتيَ معك بنسخةٍ منشورة ، ومعك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ؛ وايْمُ الله ، لو فعلتَ ذلك لظننتُ أني لا أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسولُ الله ﷺ إلى أهله حزيناً أسِفاً لما فاتَهُ بما طمع فيه من قومه حين دعَوْه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه .

وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلسُ ظلم وعُدْوانٍ وعِنَاد ، ولهذا اقتضتِ الحكمة الإلَهية ، والرحمةُ الربَّانية ، ألاَّ يجابوا إلى ما سألوا ، لأن[1] الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب ؛ كما قال الإمام أحمد[2] : حدّثنا عثمان بن محمد ، حدّثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : سأل أهلُ مكةَ رسولَ الله ﷺ أنْ يجعل لهم الصَّفا ذهباً ، وأنْ يُنَحِّيَ عنهم الجبال فيزْدَرِعوا ، فقيل له : إنْ شئت أن تَسْتَأنِيَ بهم ، وإنْ شئتَ أن تؤتيَهُمُ الذي سألوا ، فإنْ كفروا هلَكُوا كما أهلكتُ مَنْ قبلهم من القرون . فقال[3] : « لا ، بل أستأني بهم » . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ [وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ][4] ﴾ الآية .

وهكذا رواه النسائي[5] من حديث جرير .

وقال أحمد[6] : حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا سفيان عن سَلَمة بن كُهَيْل ، عن عمران بن حَكَم[7] ، عن ابن عباس قال : قالت قريشٌ للنبيِّ ﷺ : ادْعُ لنا ربَّك يجعل لنا الصَّفَا ذهباً ونؤمنُ بك . قال :

(١) في ح : سألوه لأنه ، والمثبت من ط .
(٢) في مسنده (١/ ٢٥٨) .
(٣) في ط : من قبلهم الأمم قال ، والمثبت من ح .
(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح ، والآية هي رقم (٥٩) من سورة الإسراء .
(٥) في التفسير (٣١٠) وهو في سننه الكبرى (١١٢٩٠) .
(٦) في مسنده (١/ ٢٤٢) .
(٧) في ح ، ط : حكيم ، والمثبت من مسند أحمد ؛ قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد (٤/ ٢٦) ما نصه : هكذا هو في الأصلين ، والظاهر أن أصل الرواية : عن عمران أبي الحكم . فأخطأ أحد الرواة فقال : عن عمران بن الحكم ، وليس في الرواة الذين رأينا تراجمهم من يسمَّى عمران بن الحكم . والصواب عمران بن الحارث أبو الحكم .

« وتفعلون »[(١)] قالوا : نعم . قال : فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إنَّ ربَّكَ يقرأُ عليك السلام ويقول لك : إنْ شئتَ أصبح الصَّفا لهم ذهباً . فمَنْ كفر منهم بعد ذلك أعذِّبُه عذاباً لا أعذِّبه أحداً من العالمين ، وإنْ شئتَ فتحتُ لهم باب الرحمة والتوبة ، قال : « بل باب التوبة والرحمة » .

وهذان إسنادان جيِّدان ، وقد جاء مرسلاً عن جماعةٍ من التابعين ، منهم سعيد بن جُبير وقتادة وابن جُريج وغير واحد .

وروى الإمام أحمد والترمذي[(٢)] ، من حديث عبد الله بن المبارك حدّثنا يحيى بن أيُّوب ، عن عُبيد الله بن زَحْر ، عن علي بن يَزيد ، عن القاسم ، عن[(٣)] أبي أمامة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « عَرَضَ عليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ أن يجعلَ لي بطحاءَ مكَّةَ ذهباً ، فقلت : لا ياربِّ ، [ولكن] أشبع يوماً وأجوع يوماً ـ أو نحو ذلك ـ فإذا جعتُ تضرَّعْتُ إليك وذكرتُك ، وإذا شبعتُ حَمِدْتُك وشكرتك » لفظ أحمد . وقال الترمذي : هذا حديثٌ حسن ، وعليُّ بن يزيد يُضعَّف في الحديث .

وقال محمد بن إسحاق[(٤)] : حدّثني شيخٌ من أهل مصر ـ قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثتْ قريشٌ النَّضْرَ بن الحارث وعُقْبة بن أبي مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما : سلوهم عن محمد وصفوا[(٥)] لهم صفته وأخبروهم[(٥)] بقوله ، فإنَّهم أهلُ الكتاب الأول ، وعندهم علْمُ ما ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجا حتى قدِمَا المدينة ، فسألا أحبارَ يَهُود عن رسولِ الله ﷺ ووصفوا لهم أمْرَهُ وبعضَ قوله ، وقالا : إنَّكم أهلُ التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهم أحبارُ يهود : سلوه عن ثلاثٍ نأمرُكم بهنّ ، فإنْ أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ مرسَل ، وإنْ لم يفعلْ فالرجل متقوِّل ، فرَوْا فيه رأْيَكم : سلوهُ عن فتيةٍ ذهبوا في الدَّهْر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنَّه قد كان لهم حديثٌ عجيب ؛ وسلوه عن رجل طوَّاف بلغ[(٦)] مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان [نَبَؤُه][(٧)] ؛ وسلوه عن الروح ما هو[(٨)] ؟ فإنْ أخبركم بذلك فهو نبيٌّ فاتَّبِعُوه ، وإنْ لم يخبرْكم فإنَّه رجلٌ متقوِّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

---

(١) في ح ، ط : وتفعلوا ، والمثبت من مسند أحمد .

(٢) مسند أحمد (٥/ ٢٥٤) وجامع الترمذي (٢٣٤٧م) الزهد باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه وفي إسناده ضعف .

(٣) في ح : القاسم بن أبي أسامة . والمثبت من مسند أحمد والترمذي ، وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٤) في سيرة ابن إسحاق (ص٢٠١) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٠٠) والروض (٢/ ٣٩) .

(٥) في ط وسيرة ابن هشام والروض : وصفا . . . وأخبراهم ، والمثبت من ح وسيرة ابن إسحاق .

(٦) في ط : طاف ، والمثبت من ح .

(٧) ما بين معقوفين من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام .

(٨) في ط وسيرة ابن هشام والروض : ما هي ، والمثبت من ح والسير والمغازي . والروح : مذكر وقد يؤنث . اللسان (روح) .

فأقبل النَّضْر وعُقبة حتى قدما على قريش فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمَرَنا أحبارُ يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها ، فجاؤوا رسولَ الله ﷺ فقالوا : يا محمد ، أخبِرْنا فسألوه عما أمروهم به . فقال لهم رسول الله ﷺ : « أخبرُكم غداً بما سألتُم عنه » ، ولم يستثن . فانصرفوا عنه ، ومكثَ رسولُ الله ﷺ خمسَ عشرةَ ليلةً لا يُحْدِثُ له في ذلك وَحْياً ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهلُ مكة وقالوا : وعَدَنا محمدٌ غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيءٍ مما سألناه عنه ، وحتى أحْزَنَ رسولَ الله ﷺ مكْثُ الوحي عنه ، وشقَّ عليه ما يتكلَّم به أهلُ مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عزَّ وجلَّ بسورة الكهف ، فيها معاتبته إياه على حُزْنه عليهم ، وخبر[١] ما سألوه عنه ، من أمر الفتية والرجل الطوَّاف ، وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وقد تكلَّمنا على ذلك كلِّه في التفسير مطولاً ، فمن أراده فعليه بكشفه من هناك .

ونزل قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف : ٩] ثم شرَعَ في تفصيلِ أمرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء[٢] تحقيقاً لا تعليقاً في قوله : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٣ ـ ٢٤] ثم ذكر قصة موسى لتعلُّقها بقصة الخضِر ، ثم ذي القرنَيْن ، ثم قال : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف : ٨٣] ثم شرح أمره وحكى خَبَره .

وقال في سورة سبحان : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] أي : خَلْقٌ عجيبٌ من خلْقه ، وأمْرٌ من أمْرِه ، قال لها : كوني فكانت . وليس لكم الاطلاع على كل ما خلَقَه ، وتفسير كيفيته[٣] . في نفس الأمر . يصعُب عليكم بالنسبة إلى قدرةِ الله تعالى وحكمته ، ولهذا قال : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] وقد ثبت في الصحيحَيْن[٤] أنَّ اليهود سألوا عن ذلك رسولَ الله ﷺ بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية ـ فإمَّا أنها نزلَتْ مرَّةً ثانية ، أو ذَكرها جواباً[٥] ـ وإن كان نزولُها متقدِّماً ، ومن قال : إنها إنما نزلتْ بالمدينة واستثناها من سورة سُبْحَان ، ففي قوله نظر ، والله أعلم .

قال ابنُ إسحاق[٦] : ولما خَشِيَ أبو طالبٍ دَهْمَ العرَبِ أن يركبوهُ مع قومه قال قصيدَته التي تعوَّذَ فيها

---

(١) في ط : فأخبراهم . والمثبت من ح وسيرة ابن إسحاق .
(٢) في ح : الأنبياء ، تصحيف .
(٣) في ط : وتصوير حقيقته ، والمثبت من ح .
(٤) فتح الباري (٤٧٢١) التفسير [سورة : ١٧] باب ويسألونك عن الروح ، وصحيح مسلم (٢٧٩٤) (٣٢) صفات المنافقين باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح .
(٥) في ح : أو ذكرنا جوابها .
(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٢) والروض (٢/ ١٣) وفي سيرة ابن هشام (ص١٥٦) سبعة الأبيات الأولى من القصيدة . =

بحرَمِ مكَّة وبمكانه منها ، وتودَّدَ فيها أشرافَ قومه ، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم في شعرِهِ أنَّه غير مسلمٍ لرسولِ الله ﷺ ، ولا تاركه لشيءٍ أبداً حتى يهلِكَ دونه . فقال : [من الطويل]

ولمــا رأيـتُ القــومَ لا وُدَّ فيهــمُ … وقـد قطعـوا كـلَّ العُـرَى والـوسـائـلِ
وقـد صـارَحُـونـا بـالعَـدَاوةِ والأذى … وقـد طـاوَعُـوا أمـرَ العـدوِّ المُـزايـلِ
وقـد حـالَفُـوا قـومـاً علينـا أَظِنَّـةً … يَعَضُّـونَ غيظـاً خَلْفنـا بـالأنـامـلِ
صبرتُ لهم نفسي بسمراءَ سَمْحةٍ … وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقاولِ[١]
وأحضرتُ عند البيت رَهْطي وإخوتي … وأمسكـتُ مـن أثـوابِـهِ بـالـوصـائـلِ
قيـامـاً معـاً مُستقبليـنَ رِتـاجَـه … لدى حيث يَقضي حَلفَه كلُّ نافلِ[٢]
وحيـثُ يُنيـخ الأشعـرونَ ركـابهـم … بمُفْضَى السيولِ من إسافٍ ونائلِ
مـوسّمـةَ الأعضـادِ أو قَصَـرَاتِهـا … مخيَّسـةً بيـن السَّـديـسِ وبـازِلِ[٣]
تـرى الـوَدْعَ فيهـا والـرخـامَ وزينـةً … بـأعنـاقهـا معقـودةً كـالعثـاكـلِ[٤]
أَعُوذُ بربِّ الناس من كلِّ طاعنٍ … علينـا بسـوءٍ أو مُلـحٍّ بـبـاطـلِ[٥]
ومـن كـاشـحٍ يسعـى لنـا بمَعيبـةٍ … ومن مُلحِقٍ في الدين ما لم نحاولِ[٦]
وثَـوْرٍ ومـن أرسـى ثَبيـراً مكـانَـهُ … وراقٍ ليـرقـى فـي حِـرَاءَ ونـازلِ[٧]

= والقصيدة في ديوان شيخ الأباطح (ص٢ ـ ١٢) .

(١) « المقاول »: الملوك . جمع مِقْول . اللسان (قول) . وأراد بالمقاول آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكاً، ولا كان فيهم من ملك ، بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل : هل كان في آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابن ذي يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش ، يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بعامين . الروض (٢/ ٢٢) .

(٢) رواية الشطر الأول في السير والمغازي : عكوفاً معاً مستقبلين وتارة . وفي ح : يستقبلون .

(٣) قال السهيلي في الروض (٢/ ٢٢) : وقوله : موسمة الأعضاد ، يعني معلمة بسمة في أعضادها ، ويقال لذلك الوسم السطاع والخباط في الفخذ ، والرقمة أيضاً في العضد ، ويقال للوسم في الكشح : الكشاح ، ولما في قَصَرَةِ العنق العلاط . وقصراتها : جمع قصرة ، وهي أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاد . والمخيَّسة : المذلَّلة التي لم تسرَّح ، ولكنها خُيِّست للنحر أو القَسْم . والسَّديس من الإبل : ما دخل في السنة الثامنة . والبازل : الذي خرج نابه وذلك في السنة التاسعة . الروض (٢/ ٢٢) واللسان (خيس ، سدس ، بزل) ولفظ ح : محبَّسة .

(٤) « الوَدْع » : بالسكون والفتح : خرزات تنظم ويتحلَّى بها النساء والصبيان . والرخام : أي ما قطع من الرخام ، فنظم ، وهو حجر أبيض ناصع . والعثاكل : أراد العثاكيل ، فحذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاض : وفيها العصافر ، أراد : العصافير . الروض (٢/ ٢٢) .

(٥) هكذا في ح ، ط وسيرة ابن هشام والروض : ولعل الصواب : ملجٍّ بالجيم .

(٦) في ح : لنا بمعشة . . ما لم يجادل .

(٧) قال السهيلي في الروض (٢/ ٢٤) : وأصح الروايتين فيه : وراق لبرٍّ في حراءَ ونازلِ . قال البرقي : هكذا رواه ابن إسحاق وغيره وهو الصواب .

وبـالبيـتِ حـقِّ البيـت مـن بطـن مكـةٍ ... وبـــالله إنَّ اللهَ ليـــس بغــافـــلِ
وبـالحجَـرِ المسـودِّ إذْ يمسحـونـه ... إذا اكتنفـوهُ بـالضُّحَـى والأصـائـلِ(١)
ومـوطـئِ إبـراهيـمَ فـي الصخـر رطبـةً ... علـى قـدمَيْـه حـافيـاً غيـرَ نـاعـلِ(٢)
وأشـواطِ بيـن المـروَتَيْـن إلـى الصَّفَـا ... ومـا فيهمـا مـن صـورةٍ وتمـاثِـلِ(٣)
ومـن حـجَّ بيـتَ الله مـن كـلِّ راكـبٍ ... ومـن كـلِّ ذي نَـذْرٍ ومـن كـلِّ راجـلِ
وبـالمشعَـرِ الأقصـى إذا عمـدوا لـه ... إلالَ إلـى مُفْضَـى الشِّـراجِ القـوابـلِ(٤)
وتَـوقـافِهِـم فـوقَ الجبـال عشيَّـةً ... يُقيمـون بـالأيـدي صـدورَ الـرواحـلِ
وليلـةِ جمـعٍ والمنـازلِ مـن مِنَـى ... وهـل فـوقَهـا مـن حُـرمـةٍ ومنـازلِ
وجمـعٍ إذا مـا المقـرُبـات أجَـزْنَـه ... سِراعاً كما يخرُجْنَ من وقع وابلِ(٥)
وبـالجمـرةِ الكُبـرى إذا صَمـدوا لهـا ... يـؤمُّـون قَـذْفـاً رأسَهـا بـالجنـادلِ
وكنـدةَ إذْ هـم بـالحِصَـابِ عشيَّـةً ... تُجِيـزُ بهـم حجَّـاجُ بكـرِ بـن وائـلِ(٦)
حليفـانِ شـدَّا عَقْـدَ مـا احتلفـا لـه ... وردَّا عليـه عـاطفـاتِ الـوسـائـلِ
وحَطْمِهِـمُ سُمـرَ الصِّفـاح وسَـرْحَـه ... وشِبْـرِقَـه وخَـدَ النعـامِ الجـوافـلِ(٧)

---

(١) رواية الروض : وبالحجر الأسود . دلّ عليه قوله : «وقوله : وبالحجر الأسود ، فيه زحاف يسمى الكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك . اهـ . أما روايته في المتن فقد جاءت المسودّ . وقوله : إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل : جمع أصيلة ، والأصل جمع أصيل . ورواية ح : إذا كشفوه .

(٢) وقوله : وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة ، يعني موضع قدميه حين غسلت كنته (زوج ابنه) رأسه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها في أن يطالع تركته بمكة ، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال ؛ غيرة من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آية . قال الله سبحانه : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مقاماً بدلاً من آيات قال : المقام جمع مقامة ، وقيل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه . الروض (٢/ ٢٥) .

(٣) بين المروتين : كنحو ما تقدم في بطن المكتين لما ورد مثنى من أسماء المواضع ، وهو واحد في الحقيقة . وتماثل : أراد تماثيل ، كمفاتح ومفاتيح . الروض (٢/ ٢٥) .

(٤) « المشعر الأقصى » : عَرَفَة ، وإلال ككتاب وسحاب : جبل عرفة ، وسمِّي إلالاً لأن الحجيج إذا رأوه ألُّوا في السير ، أي اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف . والشراج : جمع شرج ؛ وهو مسيل الماء ، والقوابل : المتقابلة . الروض (٢/ ٢٥ ، ٢٦) وروايته إلالاً . معجم البلدان (١/ ٢٤٢ ، ٢٤٣) .

(٥) ليس هذا البيت في ح .

(٦) « الحِصَاب » : موضع رمي الجمار بمنى . معجم البلدان (٢/ ٢٦٢) .

(٧) « الصفاح » : جمع صفح ؛ وهو سطح الجبل . والسمر : يجوز أن يكون أراد به السمر يقال فيه : سمُر وسمْر بضم الميم وسكونها ، ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين ، غير أن هذا النقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح=

فهل بعدَ هذا من مَعَاذٍ لعائذٍ وهل من مُعيذٍ يتقي اللهَ عادلِ(١)
يُطاع بنا العِدَى وودُّوا لو أنَّنَا تُسَدُّ بنا أبوابُ تُرْكٍ وكابُلِ(٢)
كذبتم وبيتِ الله نترك مكةً ونظعنُ إلاَّ أمرُكم في بلابِلِ(٣)
كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمداً ولمَّا نُطاعنْ دُونَه ونناضلِ(٤)
ونسلمه حتى نصرَّعَ حوله ونَذهلَ عن أبنائِنا والحلائلِ
وينهضَ قومٌ بالحديد إليكمُ نهوضَ الروايا تحتَ ذاتِ الصلاصلِ(٥)
وحتى نرى ذا الضِّغْنِ يركبُ رَدْعَهُ من الطَّعنِ فعل الأنكبِ المتحاملِ(٦)
وإنا لعمرُ الله إنْ جدَّ ما أرى لتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثلِ
بكفَّيْ فتًى مثلِ الشهابِ سَمَيْدَعٍ أخي ثقةٍ حامي الحقيقةِ باسلِ
شهوراً وأياماً وحَوْلاً مُجَرَّماً علينا وتأتي حِجَّةٌ بعدَ قابلِ(٧)
وما تَرْكُ قومٍ ـ لا أبا لكَ ـ سيِّداً يحوطُ الذِّمارَ غيرَ ذَرْبٍ مُوَاكِلِ(٨)
وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ثِمَالَ اليتامى عِصْمَةً للأراملِ(٩)

= أو الذم ، نحو حسن وقبح . كما قال : « وحسن ذا أدبا » . وجائز أن يراد بالسمر هاهنا جمع أسمر وسمراء ويكون وصفاً للبنات ، والشجر يوصف بالدهمة إذا كان مخضرّاً . والسَّرْح : جمع سَرْحة ، وهي الشجرة العظيمة . وقوله : وشبرقه ؛ وهو نبات يقال ليابسه : الحِلَّة ، ولرطبه الشبرق . والوَخْد : السير السريع . والجوافل : الذاهبة المسرعة . الروض (٢/ ٢٦) واللسان (وخد ، جفل ، سرح) .

(١) في ح : وهل من مقيل .

(٢) في ط : يطاع بنا أمر العِدَا ودّ أننا ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام .

(٣) « البلابل والبلبال » : شدة الهم والوسواس في الصدور وحديث النفس . اللسان (بلل) .

(٤) في ح : نقاتل ، بدل : نطاعن . وقد تقدم شرح البيت .

(٥) في ح : وننهض قوماً . الروايا : هي الإبل تحمل الماء ، واحدتها : راوية . والصلاصل : المزادات لها صلصلة بالماء . الروض (٢/ ٢٦) .

(٦) ركب فلان رَدْعَه : إذا خرَّ لوجهه على دمه ، وطعنه فركب ردعه ، أي مقاديمه وعلى ما سال من دمه ، وقيل : ركب ردعه ، أي خرَّ صريعاً لوجهه على دمه وعلى رأسه وإن لم يمت بعد ، غير أنه كلما همَّ بالنهوض ركب مقاديمه فخر لوجهه. والأنكب: من المنكب، وهو الميل في الشيء وعن الحق، وهي صفة المتطاول الجائر قال رجل من فقعس:

فهلا أعدُّوني لمثلي تفاقدوا إذا الخصم أبزى مائل الرأي أنكب

اللسان (ردع ، نكب) .

(٧) في ح ، ط : محرماً بالحاء المهملة ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، والسنة المجرَّمة : التامَّة التي انقضت . اللسان (جرم) .

(٨) في ح : يحوط الذمار من غير ثوب ثواكل » ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض (٢/ ٢٦) وجاء فيه : وهو مخفف من ذَرِب ، والذرب اللسان : الفاحش المنطق ، والمواكل : الذي لا جدَّ عنده فهو يكل أموره إلى غيره .

(٩) « ثمال اليتامى » : أي: يثملهم ويقوم بهم، والثِّمال : هو الغياث والملجأ والمطعم في الشدائد . الروض (١/ ٢٦)=

يلوذُ به الهُلاَّك من آلِ هاشمٍ ... فهمْ عندَهُ في نعمةٍ وفواضلِ[(١)]
لعمري لقد أجْرَى أسيدٌ وبكرُهُ ... إلى بُغضنا وجزَّآنا لآكلِ[(٢)]
وعثمانُ لم يَرْبَعْ علينا وقُنْفُذٌ ... ولكنْ أطاعا أمرَ تلك القبائلِ
أطاعا أُبَيّاً وابنَ عبدِ يَغوثِهم ... ولم يرقُبا فينا مقالةَ قائلِ
كما قد لقينا من سُبَيْعٍ ونوفلٍ ... وكلٌّ تولَّى مُعرِضاً لم يجامِلِ
فإنْ يُلْفَيا أو يُمْكنِ اللهُ منهما ... نَكِلْ لهما صاعاً بصاعِ المكايل
وذاك أبو عمرٍو أبَى غيرَ بُغضنا ... ليُظْعِننا في أهلِ شاءٍ وجاملِ[(٣)]
يناجي بنا في كلِّ مُمْسَى ومُصْبَحٍ ... فناجِ أبا عمرو بنا ثم خَاتِلِ
ويؤلي لنا باللهِ ما إنْ يغشُّنا ... بلى قد نراهُ جهرةً غيرَ حائلِ[(٤)]
أضاقَ عليه بغضُنا كلَّ تَلْعَةٍ ... من الأرض بينَ أخشُبٍ فمَجَادِلِ[(٥)]
وسائلْ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْتنا ... بسعيك فينا مُعْرِضاً كالمخاتلِ[(٦)]
وكنتَ امرأً ممَّنْ يُعاشُ برأيِهِ ... ورحمتِهِ فينا ولستَ بجاهلِ
فعتبةُ لا تسمعْ بنا قولَ كاشحٍ ... حسودٍ كذوبٍ مبغضٍ ذي دَغَاوِلِ[(٧)]
ومرَّ أبو سفيانَ عنّيَ مُعْرِضاً ... كما مرَّ قَيْلٌ من عظام المَقَاوِلِ
يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وبَرْدِ مياهِهِ ... ويزعُمُ أني لستُ عنكم بغافلِ[(٨)]

= واللسان (ثمل) .

(١) في ح وسيرة ابن هشام : فهم عنده في رحمة . والمثبت من ح .

(٢) أسيد هو ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، وبكره : هو عتاب ابنه كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٢) .

(٣) « الشاء والشوى » : اسم للجمع مثل الباقر والبقير ، ولا واحد لشاء والشوى من لفظه ، وإذا قالوا في الواحد : شاة ، فليس من هذا ، لأن لام الفعل في شاة هاء بدليل قولهم في التصغير : شويهة ، وفي الجمع شياه . والجامل : اسم جمع بمنزلة الباقر . الروض (٢/ ٢٦) .

(٤) في ط : خائل بالخاء المعجمة ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ، والحائل : الحاجز بين الشيئين .

(٥) في ح : حرشب . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام ، وقوله : أخشُب : أراد الأخاشب ، وهي جبال مكة ، وجاء به على أخشب لأنه في معنى أجبُل ، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك ؛ والمجادل : جمع مِجْدَل ، وهو القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام أو العراق ؛ والفاء في قوله : فمجادل . تعطي الاتصال بخلاف الواو . . . تقول : مطرنا بين مكة فالمدينة ، إذا اتصل المطر من هذه إلى هذه ؛ ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى . الروض(٢/ ٢٦ ، ٢٧) .

(٦) في ح : بسعيك في تفريقنا كالمخاتل ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .

(٧) « الدغاول » : الدواهي : لا واحد لها ، والغوائل أيضاً . تاج العروس (غول) .

(٨) في ح : يحن إلى نجد .

ويخبـرُنـا فعـلَ المنـاصـح أنَّـهُ شفيقٌ ويُخْفي عارماتِ الدواخِلِ(١)
أمُطْعِمُ لم أخْذُلكَ في يوم نَجْدَةٍ ولا مُعْظِـمٍ عنـدَ الأمـور الجـلائـلِ
ولا يـومَ خَصْـمٍ إذْ أتـوكَ ألـدَّةٍ أولي جَدَلٍ بين الخصوم المَسَاجِلِ(٢)
أمُطْعِـمُ إنَّ القـومَ سـامُـوكَ خُطَّـةً وإنِّي متى أوكـلْ فلسـتُ بـوائلِ(٣)
جزى الله عنَّا عبدَ شمسٍ ونَوْفلاً عقـوبـةَ شـرٍّ عـاجـلاً غيـر آجـلِ
بميـزانِ قسـطٍ لا يُخِسُّ شَعيـرةً لـه شـاهـدٌ مـن نفسِه غيرُ عـائلِ(٤)
لقـد سفهـتْ أحـلامُ قـومٍ تبـدَّلـوا بنـي خَلَـفٍ قيضـاً بنـا والغيـاطلِ(٥)
ونحـن الصَّميـمُ مـن ذُؤابـةِ هـاشـمٍ وآل قُصـيٍّ فـي الخطـوبِ الأوائـلِ
وسهـمٍ ومخـزوم تمـالَـوْا وألَّبـوا علينا العِدَى من كل طِمْلٍ وخاملِ(٦)
فعبـدُ منـافٍ أنتـمُ خيـرُ قـومِكـم فلا تُشركوا في أمركم كلَّ واغِلِ
لعمـري لقـد وَهَنْتُـمُ وعَجَـزْتُـمُ وجئتُـمْ بـأمـرٍ مخطـئٍ للمَفَـاصـلِ(٧)
وكنتـم حـديثـاً حَطْـبَ قِدْرٍ وأنتـمُ ألان حِطَـابُ أَقْـدُرٍ ومَـراجـلِ(٨)
لِيهـنِ بنـي عبـدِ المنـافِ عقـوقُنـا وخـذلانُنـا وتـركُنـا فـي المعـاقـلِ

(١) « العارمات » : الشديدات . الدواخل : جمع داخلة ، وهي النيَّة والطويَّة والمذهب . اللسان والتاج (عرم ، دخل) .

(٢) في ح : أشدَّة بدل ألدَّة . وفي ط : من الخصوم . وكذا في سيرة ابن هشام ، والمثبت من ح . والمساجل : يروى بالجيم وبالحاء ، فمن رواه بالجيم فهو من المساجلة في القول ، وأصله في استقاء الماء بالسجل وصبه ، فكأنه جمع مساجل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، أو جمع مِسْجل بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه المساحل بالحاء فهو جمع مسحل ، وهو اللسان ، وليس بصفة للخصوم ، إنما هو مخفوض بالإضافة ؛ أي خصماء الألسنة . الروض (٢/ ٢٧) .

(٣) « ساموك » : كلَّفوك . الوائل : الناجي . اللسان (سوم ، وآل) .

(٤) « لا يخسُّ » : لا ينقص . ورواية ط : لا يخيس ، ويروى في غير السيرة : يحص بالصاد والحاء مهملة من حص الشعر : إذا أذهبه ، والعائل من قولهم : عال في الميزان : إذا نقص أو زاد . اللسان والتاج (خسس ، عول) والروض (٢/ ٢٧) .

(٥) « قيضاً » : أي معاوضة : ومنه قول النبي ﷺ لذي الجوشن : « إن شئت قايضتك به المختار من دروع بدر » فقال : ما كنت لأقيضه اليوم بشيء ، يعني فرساً له . والغياطل : بنو سهم ، لأن أمهم الغيطلة . الروض (٢/ ٢٧) .

(٦) « الطمل » : اللص والرجل الفاحش والفقير . الروض (٢/ ٢٧) .

(٧) في ح : أدهنتم ، بدل : وهنتم .

(٨) في ط : ألان أحطاب ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ؛ قال السهيلي في الروض (٢/ ٢٦) : وقوله : وكنتم زماناً حطب قدر : حطب اسم للجمع مثل ركب وليس بجمع ، لأنك تقول في تصغيره : حطيب وركيب . وقوله : حطاب أقدر هو جمع حاطب فلا يصغر ، إلا أن تردَّه إلى الواحد فتقول : حويطبون ، ومعنى البيت : أي كنتم متفقين لا تحطبون إلا لقدر واحدة ، فأنتم الآن بخلاف ذلك . اهـ .

فـإنْ نـكُ قـومـاً نَبْتَئِـرْ مـا صنعتُـمُ ... وتحتلبـوهـا لَقْحَـةً غيـرَ بـاهـلِ[1]
[وسائطُ كانتْ في لؤيِّ بن غالبٍ ... نفـاهـم إلينا كـلُّ صَقْـرٍ حُـلاَحِـلِ
ورهطُ نُفَيلٍ شرُّ من وَطِئَ الحَصَى ... وألأَمُ حـافٍ مـن معـدٍّ ونـاعِـلِ][2]
فـأَبلـغ قُصَيًّـا أنْ سينشَـرُ أمْـرُنـا ... وبشِّـرْ قصيًّـا بعـدنـا بـالتخـاذُلِ
ولـو طـرقـتْ ليـلاً قصيًّـا عظيمـةٌ ... إذا مـا لجـأنـا دونهـم فـي المـداخـل
ولو صَدَقوا ضرباً خِلال ديارِهم ... لكنَّـا أُسًـى عنـدَ النِّسَـا والمطـافـلِ[3]
فكـلُّ صـديـقٍ وابـن أُختٍ نـودُّه ... لعمري وجدنا غَيْبَهُ غيرَ طائـلِ[4]
سوى أنَّ رَهْطاً من كلابِ بنِ مرّة ... بـراءٌ إلينـا مـن مَعقَّـةِ خـاذلِ[5]
[وهُنَّـا لهـمْ حتـى تبـدَّدَ جمعُهـم ... ويُحْسَـر عنَّـا كـلُّ بـاغٍ وجـاهـلِ
وكـان لنـا حـوضُ السقـايـةِ فيهـمُ ... ونحن الكُدَى من غالبٍ والكواهلِ
شبـابٌ مـن المطَيَّبيـن وهـاشـم ... كبِيض السيوفِ بين أيدي الصياقلِ
فمـا أدركـوا ذَحْلاً ولا سَفكُـوا دمـاً ... ولا حـالفـوا إلا شِـرَار القبـائـل
بضـربٍ تـرى الفتيـانَ فيـه كـأنهـم ... ضـواري أُسـودٍ فـوقَ لحـم خـرادِل
بنـي أمـةٍ محبـوبـةٍ هِنْـدكِيَّـةٍ ... بنـي جُمَـحٍ عُبَيْـد قيـس بـن عـاقـل
ولكنّنـا نَسْـلٌ كـرامٌ لسـادةٍ ... بهـم نُعِـيَ الأقـوامُ عنـد البـواطـل]
ونِعم ابنُ أُختِ القومِ غير مكذَّبٍ ... زهيـرٌ حسـامـاً مفـرَداً مـن حمـائـل
أشـمُّ مـن الشُّـمِّ البهـاليـلِ يَنْتَمـي ... إلى حسَب في حَوْمةِ المجدِ فاضل
لعمـري لقـد كُلِّفتُ وَجْداً بـأحمـدٍ ... وإخوته دَأْبَ المحبِّ المُواصلِ[6]
فمـن مثلُـه فـي النـاسِ أيُّ مُـؤَمَّـلٍ ... إذا قـاسَـهُ الحُكَّـامُ عنـد التفـاضـلِ

---

(١) في ط وسيرة ابن هشام : نتَّئر ، والمثبت من ح وأثبتها الناسخ في هامشها وكتب فوقها كلمة : صح ، ومعنى نبتئر : من ابتأر الشيء إذا خبأه وادَّخره . اللسان (بأر) وقال صاحب الروض (٢/ ٢٧) : وقوله لقحة غير باهل : الباهل : الناقة التي لا صرار على أخلافها ، فهي مباحة الحليب .

(٢) ما بين معقوفين ساقط من نسخ البداية والنهاية ، وبعض نسخ سيرة ابن هشام ، وهو مثبت في بعضها فأثبته هنا ناشر المطبوعة نقلاً عن سيرة ابن هشام فتبعناه في ذلك .

(٣) في ط وسيرة ابن هشام : خلال بيوتهم . . . النساء المطافل ، والمثبت من ح ، والأسى : جمع أسوى . والمطافل : ذوات الأطفال ، واحدها مطفل . اللسان (أسو ، طفل) .

(٤) في ط وسيرة ابن هشام : وابن أخت نعده . . . وجدنا غبَّه .

(٥) « براء » : بفتح الباء وكسرها ، فبالكسر جمع بريء مثل كريم وكرام ، وأما بَراء فمصدر مثل سلام . الروض (٢/ ٢٨) .

(٦) بعد هذا البيت في سيرة ابن هشام بيت آخر هو :

فـلا زال فـي الـدنيـا جمـالاً لأهلهـا ... وزينـاً لمـن والاه ربُّ المشـاكـلِ

حليمٌ رشيد عادلٌ غيرُ طائس ... يوالي إلَهاً ليس عنه بغافل
كريمُ المساعي ماجدٌ وابنُ ماجدٍ ... له إرثُ مجدٍ ثابتٌ غيرُ ناصِلِ[١]
وأيَّدَهُ ربُّ العبادِ بنصره ... وأظهرَ ديناً حقُّه غيرُ زائلِ
فواللهِ لولا أنْ أجيءَ بسُبَّةٍ ... تجرُّ على أشياخِنا في المحافِل
لكنّا تَبِعناه على كلِّ حالةٍ ... من الدهر جدّاً غير قولِ التهازل
لقد عَلِموا أنَّ ابنَنا لا مكذَّبٌ ... لدينا ولا يُعنى بقولِ الأباطل
فأصبح فينا أحمدٌ في أرومةٍ ... تُقَصِّرُ عنها سَورةُ المتطاول[٢]
حَدِبْتُ بنفسي دونَهُ وحمَيْتُه ... ودافعتُ عنه بالذُّرَا والكلاكلِ[٣]

قال ابن هشام[٤] : هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر يُنكر أكثرها .

قلت : هذه قصيدةٌ عظيمةٌ بليغة جدّاً لا يستطيعُ أن يقولها إلا من نُسبت إليه ، وهي أفحل من المعلَّقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردها الأموي في مغازيه مطوّلة بزياداتٍ أُخَرَ . والله أعلم.

فصل

قال ابن إسحاق[٥] : ثمّ إنهم عدَوْا على من أسلم واتَّبع رسولَ الله ﷺ من أصحابه فوثبَتْ كلُّ قبيلةٍ على مَنْ فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذِّبونهم[٦] بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاءِ مكةَ إذا اشتدَّ الحرّ؛ مَنِ استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم مَنْ يُفتن من شدَّةِ البلاءِ الذي يُصيبهم، ومنهم من يَصْلُبُ لهم ويعصمه الله منهم ؛ فكان بلال مولى أبي بكر لبعض بني جُمَح ، مولَّداً من مولَّديهم ، وهو بلال بن رَبَاح ، واسمُ أُمِّه حَمَامة ، وكان صادقَ الإسلام طاهِرَ القلب ، وكان أميةُ بن خلف يُخرِجُه إذا حميتِ الظَّهيرة ثم يأمر بالصخرَةِ العَظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ﷺ ، وتعبد اللاتَ والعُزَّى . فيقول : ـ وهو في ذلك ـ أحَدٌ أحد .

---

(١) هذا البيت والذي يليه ليسا في سيرة ابن هشام ، وفيها تقديم وتأخير في بعض الأبيات . وغير ناصل : لا يزول .
(٢) « السَّورة » : الوَثْبة والرفعة في المجد والمنزلة . اللسان والأساس (سور) .
(٣) زاد ابن هشام بعدها هذين البيتين :
رجال كرام غير ميلٍ نماهمُ ... إلى الخير آباءٌ كرام المحاصل
فإن تك كعب من لؤي صقيبة ... فلا بد يوماً مرة من تزايل
(٤) في السيرة (٢/ ٨٠) .
(٥) سيرة ابن إسحاق (ص١٩٠) وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٧) والروض (٢/ ٦٧) .
(٦) ما بعد هذه اللفظة ساقط من سيرة ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق[١] : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه قال : كان ورَقَةُ بن نَوْفَل يمرُّ به وهو يعذَّب لذلك وهو يقول : أحَدٌ أحَد ، فيقول [ورقة :][٢] أحَد أحَد واللهِ يا بلال ، ثم يُقْبِلُ على أميَّة بن خلف ومَنْ يصنع ذلك به من بني جُمح فيقول : أحلفُ بالله ، لئنْ قتلتموه على هذا لأتَّخِذَنَّهُ حَنَاناً[٣] .

قلت : قد استشكل بعضُهم هذا من جهة أنَّ ورَقَة توفِّي بعد البعْثة في فترة الوحي ، وإسلام مَنْ أسلم إنما كان بعد نزول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ فكيف يمرُّ ورَقَةُ ببلال ، وهو يعذَّب ؟ [وفيه نظر .

ثم ذكر ابنُ إسحاق[٤] مرور أبي بكرٍ ببلال وهو يعذَّب][٥] ، فاشتراه من أمية بعبدٍ له أسود فأعتقه وأراحَهُ من العذاب . وذكر مشتراه لجماعةٍ ممن أسلم من العَبيد والإماء ، منهم بلال ، وعامر بن فُهيرة ، وأم عُبَيس[٦] ، [وزِنِّيرة][٧] التي أُصيب بصَرُها ، ثم ردَّه الله تعالى لها ، والنهديَّة وابنتها اشتراها من بني عبد الدار بعثَتْهما سيدتُهما تطحنانِ لها فسمعها وهي تقول لهما : والله لا أعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر : حِلاًّ[٨] يا أمَّ فلان ، فقالت : حلَّ أنت ، أفسدْتَهما فأعتِقْهما . قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتُهما وهما حُرَّتان ، أرْجِعا إليها طحينها . قالتا : أو نفرُغُ منه يا أبا بكر ثم نردُّه إليها ؟ قال : أو ذلك إنْ شئتما .

واشترى جاريةَ بني مؤمَّل ـ حي من بني عَدِيّ ـ كان عمر يضربها على الإسلام .

قال ابن إسحاق[٩] : فحدّثني محمد بن عبد الله بن أبي عَتِيق ، عن عامر بن عبد الله بن الزُّبير ، عن

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص١٩٠) وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٨) والروض (٢/ ٦٧) .

(٢) ما بين معقوفين من سيرة ابن إسحاق .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٤٥٢) : « الحنان » : الرحمة والعطف ، والحنان الرزق والبركة . وكان ورقة على دين عيسى عليه السلام . وهلك قبيل مبعث النبي ﷺ ؛ لأنه قال للنبي ﷺ : إن يدركني يومك لأنصرنك نصراً مؤزَّرًا . وفي هذا نظر ، فإن بلالاً ما عُذب إلا بعد أن أسلم . اهـ .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص١٩١) وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٨) والروض (٢/ ٦٨) .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح ولعله سقط من انتقال النظر بين كلمة : يعذب الأولى والثانية .

(٦) في ح ، ط والروض : عميس . تصحيف ، والمثبت من السير والمغازي وسيرة ابن هشام والإصابة في ترجمتها في الكنى .

(٧) ما بين معقوفين سقط من ح ، ط وأثبته من مصادر الخبر . قال السهيلي في الروض (٢/ ٧٨) : وأول اسمها زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فِعِّيلة ، هكذا صحَّت الرواية في الكتابة ، والزنيرة : واحدة الزنانير ، وهي الحصا الصغار ، قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول فيها : زنيرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ، ولا تعرف زنيرة في النساء . اهـ .

(٨) في ح ، ط وسيرة ابن هشام : حل وفي السير والمغازي : أجل ، والمثبت من الروض . قال ابن الأثير في النهاية (حلل) : وفي حديث أبي بكر أنه قال لامرأة حلفت أن لا تعتق مولاة لها ، فقال لها : حِلاً أمَّ فلان ، واشتراها وأعتقها . أي تحلَّلي من يمينك ، وهو منصوب على المصدر .

(٩) في السير والمغازي (ص١٩١ ، ١٩٢) وسيرة ابن هشام (٢/ ٣١٩) والروض (٢/ ٦٨) .

بعض أهله ، قال : قال أبو قحافةَ لابنه أبي بكر : يا بني إنِّي أراك تُعْتِقُ ضعافاً ، فلو أنك إذْ فعلتَ ما فعلت أعتقتَ رجالاً جُلْداً ، يمنعونك ويقومون دونك ؟ قال : فقال أبو بكر : يا أبة ، إنِّي إنما أريدُ ما أريد . قال : فيتحدَّث أنه ما أنزل هؤلاءِ الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥ ـ ٧] إلى آخر السورة .

وقد تقدَّم ما رواه الإمام أحمد وابنُ ماجه(١) من حديث عاصم بن بَهْدَلة ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود قال : أول من أظهر الإسلامَ سبعةٌ ، رسولُ الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمُّهُ سُمَيَّة ، وصُهَيب ، وبلال ، والمِقْدَاد ؛ فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه ، و[أما] أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذَهُم المشركون فألبسوهم أدراعَ الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً فإنَّه هانتْ عليه نفسُهُ في الله تعالى ، وهان على قومه ، فأخذوه ، فأعطَوْه الولدان فجعلوا يطوفون به في شِعَابِ مكة وهو يقول : أحدٌ أحدٌ .

ورواه الثَّوْري عن منصور عن مجاهد مرسلاً .

قال ابنُ إسحاق(٢) : وكانتْ بنو مَخْزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهلَ بيت إسلام ـ إذا حميتِ الظهيرة يعذِّبونهم برَمْضَاء مكة ، فيمرُّ بهم رسولُ الله ﷺ فيقول ـ فيما بلغني ـ : « صبراً آلَ ياسر ، مَوْعِدُكُمُ الجنَّة » .

وقد روى البيهقيُّ(٣) عن الحاكم ، عن إبراهيم بن عِصْمَة العدل ، حدَّثنا السَّرِيُّ بنُ خُزيمة ، حدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدَّثنا هشام بن أبي عبد الله(٤) ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بعمَّارٍ وأهله وهم يُعَذَّبون فقال : « أبشرُوا آلَ عمَّار وآل ياسر(٥) ، فإنَّ موعدَكُمُ الجنَّة » .

فأما أمُّه فيقتلونها فتأبى إلا الإسلام(٦) .

وقال الإمام أحمد(٧) : حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال : أول شهيدٍ كان في

---

(١) انظر ما تقدم (ص٢٢٦) موضع الحاشية (٧ و٨) وما يأتي بين معقوفين من ثم ، وعاصم بن بهدلة هو ابن أبي النجود .
(٢) في المغازي والسير وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٩ ، ٣٢٠) والروض (٢/ ٦٨) .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٢٨٢) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٨) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٣) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة .
(٤) في ح ، ط : هشام بن أبي عبيد الله ، والمثبت من دلائل النبوة ومستدرك الحاكم وترجمته في تهذيب الكمال (٣٠/ ٢١٥) .
(٥) في دلائل النبوة : أو آل ياسر .
(٦) كذا وردت هذه العبارة في ح ، ط ، وليس في دلائل البيهقي .
(٧) كذا في الأصول ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٨٢) عن الحسين بن بشران قال : أخبرنا أبو عمرو بن السماك=

الإسلام استشهد أمُّ عمَّار سُمَيَّة ، طعنها أبو جهل بحَرْبةٍ في قُبُلها[(١)] وهذا مرسل .

قال محمد بن إسحاق[(٢)] : وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغْري بهم في رجالٍ من قريش ، إذا سمع برجل قد أسلم له شرفٌ ومَنَعَة أنَّبه[(٣)] وخَزاه وقال : تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ، لنسفهنَّ حِلْمك ، ولَنُفَيِّلَنَّ[(٤)] رأيَك ، ولنضعَنَّ شرفَك . وإنْ كان تاجراً قال : والله لنكسدَنَّ تجارتك ، ولنهلكنَّ مالك . وإن كان ضعيفاً ضربه وأغْرَى به ، لعنه الله وقبَّحه .

قال ابنُ إسحاق[(٥)] : وحدَّثني حكيم بن جُبير ، عن سعيد بن جُبير قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحابِ رسولِ الله ﷺ من العذاب ما يُعذَرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ! إنْ كانوا ليضربون أحدَهم ويُجيعونه ويُعطشونه ، حتى ما يقدر أنْ يستويَ جالساً من شدَّة الضُّرِّ الذي به ، حتى يُعطِيهمْ ما سألوه من الفِتْنَة ، حتى يقولوا له : اللات والعُزَّى إلَهان من دونِ الله ؟ فيقول : نعم ! [وحتى إنَّ الجُعَلَ ليمرُّ بهم فيقولون له : أهذا الجُعَل إلَهك من دون الله ؟ فيقول : نعم] افتداءً منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ [وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ][(٦)] ﴾ الآية ، فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والتعذيب[(٧)] البليغ ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته .

وقال الإمام أحمد[(٨)] : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن خَبَّاب بن

= قال : حدثنا حنبل بن إسحاق قال : حدثني أبو عبد الله أحمد بن حنبل (في المطبوع : أبو عبد الله يزيد بن أحمد ، وهو تحريف) قال : حدثنا وكيع به فذكره . قلت : لم أجد الخبر في مسند أحمد ولا في فضائل الصحابة له ، وذكره صاحب الكنز (٣٧٥٩٧) ورمز إلى أبي بكر بن أبي شيبة في مصنفه وهو فيه (١٧٦١٩) عن وكيع به ، ولم يرمز صاحب الكنز إلى الإمام أحمد ؛ وساقه ابن حجر في ترجمة سمية في الإصابة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن مجاهد وقال : وهو مرسل صحيح السند . قال بشار : هذا من حديث ابن السماك ، وهو يروي عن أحمد بواسطة حنبل ، ولا علاقة له بالمسند .

(١) في ح ، ط : قلبها . والمثبت من دلائل النبوة والاستيعاب .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٠) والروض (٢/ ٦٨) .

(٣) في ح : أباه . تصحيف ، والمثبت من ط .

(٤) في ط : ولنفلِّين . تصحيف ، والمثبت من ح . وهو من فيَّلْتُ رأيه ، إذا خطَّأته وضعَّفتَه . انظر اللسان والأساس (فيل) .

(٥) في المغازي والسير (ص١٩٢) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٢٠) والروض (٢/ ٦٩) وما بين معقوفين في هذا الخبر من هذه المصادر سقط من الأصول بسبب انتقال النظر .

(٦) ما بين المعقوفين ليس في ح وهو من ط حرفت فيه بعض الكلمات والآية هي رقم (١٠٦) من سورة النحل .

(٧) في ط : والعذاب .

(٨) في مسنده (٥/ ١١١) رقم (٢٠٩٦٦) .

الأرَتّ . قال : كنتُ رجلاً قَيْناً ، وكان لي على العاص بن وائل دَيْن ، فأتَيْتُه أتقاضاه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفُرَ بمحمد . فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تُبعث . قال : فإني إذا متُّ ثم بُعثت جئتني ولي ثمَّ مالٌ وولد فأعطيك[1] . فأنزل الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [مريم : ٧٧ ـ ٨٠] .

أخرجاه في الصحيحين[2] وغيرهما من طرق عن الأعمش به .

وفي لفظِ البخاري[3] : كنتُ قَيْناً بمكة ، فعملتُ للعاص بن وائل سيفاً ، فجئتُ أتقاضاه فذكر الحديث .

وقال البخاري[4] : حدَّثنا الحُميدي ، حدَّثنا سفيان ، حدَّثنا بَيَان[5] وإسماعيل قالا : سمعنا قيساً يقول : سمعتُ خَبَّاباً يقول : أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو متوسِّدٌ بردةً[6] وهو في ظلِّ الكعبة ، وقد لَقينا من المشركين شدَّة ، فقلت : [يا رسول الله] ، ألا تدعو الله [لنا] ؟ فقعدَ وهو مُحْمَرٌّ وجْهُهُ فقال : « قد كان مَنْ كان قبلَكم ليُمشطُ بأمشاطِ الحديد ما دُون عظامِه من لحمٍ أوْ عَصَب ، ما يصرِفُه ذلك عن دينه ، ويوضَعُ المنشار[7] على مفرِق رأسه فيُشَقُّ باثنين ، ما يَصْرِفُه ذلكَ عن دينه ، ولَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوْت ما يخافُ إلا اللهَ عزَّ وجلّ » زاد بَيَان : « والذئبَ على غنمه » .

وفي رواية[8] : « ولكنكم تستعجلون » انفرد به البخاري دون مسلم .

وقد رُوي من وجهٍ آخر عن خَبَّاب ، وهو مختصرٌ من هذا . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[9] : حدّثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، وابن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن

---

(١) في مسند أحمد : فأعطيتك .

(٢) فتح الباري (٢٠٩١) بيوع باب ذكر القين والحداد ، وصحيح مسلم (٢٧٩٥) (٣٥) و(٣٦) صفات المنافقين باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح .

(٣) فتح الباري (٤٧٣٣) التفسير سورة ١٩ باب أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً .

(٤) فتح الباري (٣٨٥٢) مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة . وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) في ح ، ط : بنان . تصحيف ، والمثبت من فتح الباري وترجمته في تهذيب الكمال (٤/ ٣٠٣) وهو بنان بن بشر الأحمسي البجلي ، وإسماعيل هو ابن أبي خالد ، وقيس هو قيس بن أبي حازم كما ذكر ابن حجر في الفتح .

(٦) في ح ، ط : ببردة ، والمثبت من فتح الباري .

(٧) كذا في ح ، ط : وفي البخاري والفتح : بميشار . وقال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٦٦) (الميشار) بكسر الميم وسكون التحتانية بهمز وغير همز ، تقول : وشرت الخشبة وأشرتها ، ويقال فيه بالنون ، وهي أشهر في الاستعمال .

(٨) فتح الباري (٣٦١٢) مناقب باب علامات النبوة في الإسلام .

(٩) في مسنده (٥/ ١١٠) رقم (٢٠٩٦١) .

أبي إسحاق ، عن سعيد بن وَهْب ، عن خبّاب قال : شكَوْنا إلى النبيِّ ﷺ شدَّةَ الرَّمْضَاء [فما أشكانا ـ يعني في الصلاة ـ وقال ابنُ جعفر : فلم يُشْكِنا .

وقال أيضاً(١) : حدثنا سليمان بن داود ، حدّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعتُ سعيد بن وَهْبٍ يقول : سمعت خَبَّاباً يقول : شكونا إلى رسولِ الله ﷺ الرَّمْضَاء](٢) فلم يُشْكِنا .

قال شعبة : يعني في الظُّهر(٣) .

ورواه مسلم والنَّسائي والبيهقي(٤) من حديث أبي إسحاق السَّبيعي ، عن سعيد بن وَهْب ، عن خَبَّاب قال : شكَوْنا إلى رسولِ الله ﷺ حَرَّ الرَّمْضاء ـ زاد البيهقي في وجوهنا وأكُفِّنا ـ فلم يُشْكِنا(٥) .

وفي رواية(٦) : شكونا إلى رسولِ الله ﷺ الصلاة في الرَّمضاء فلم يُشْكنا .

ورواهُ ابنُ ماجة(٧) عن علي بن محمد الطَّنَافِسِيّ ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مُضَرِّب(٨) العَبْدي ، عن خباب قال : شكونا إلى رسولِ الله ﷺ حَرَّ الرَّمْضاء فلم يُشْكِنا .

والذي يقع لي ـ والله أعلم ـ أنَّ هذا الحديث مختصرٌ من الأول ، وهو أنهم شكَوْا إليه ﷺ ما يَلْقَوْن من المشركين من التعذيب بحرِّ الرَّمْضَاء ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتَّقون بأكفِّهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره ، وسألوا منه ﷺ أن يدعُوَ الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم ، فوعدهم ذلك ولم ينجزْه لهم في الحالة الرَّاهنة ، وأخبرهم عمَّن كان قبلهم أنهم كانوا يلقَوْن من العذاب ما هو أشدُّ مما أصابهم ، ولا يصرفُهم ذلك عن دينهم ، ويبشِّرُهم أنَّ الله سيتِمُّ هذا الأمر ويُظهره ويُعلنه وينشره وينصُره في الأقاليم والآفاق ، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حَضْرَمَوت لا يخافُ إلا اللهَ عز وجل والذئبَ على غنمه ، ولكنكم تستعجلون ، ولهذا قال : شكَوْنا إلى رسول الله ﷺ حرَّ الرمضاء في وجوهنا وأكُفِّنا فلم يُشْكِنا ، أي : لم يدْعُ لنا في الساعة الراهنة . فمن استدلَّ بهذا الحديث على عدَمِ الإبراد أو على وجوب مباشرة المصلِّي بالكفِّ كما هو أحد قولي الشافعي ، ففيه نظر . والله أعلم .

---

(١) يعني الإمام أحمد في مسنده (٥/ ١٠٨) رقم (٢٠٩٥٠) .
(٢) ما بين المعقوفين سقط من ح .
(٣) في ط : الظهيرة . والمثبت من ح ومسند الإمام أحمد .
(٤) صحيح مسلم (١٨٩ ـ ٦١٩) مساجد باب استحباب تقديم الظهر في أول الوقت ، وسنن النسائي (٤٩٧) مواقيت باب أول وقت الظهر ، وسنن البيهقي (٢/ ١٠٥) كتاب الصلاة باب الكشف عن الجبهة في السجود .
(٥) قوله : لم يُشْكِنا : أي لم يُزِل شكوانا . شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ١٢١) .
(٦) وهي رواية مسلم السابقة .
(٧) في سننه (٦٧٥) الصلاة باب وقت صلاة الظهر .
(٨) وقع في سنن ابن ماجه : مضرَّب . براء مشددة مفتوحة ، والصواب براء مشددة مكسورة كما في التقريب (١/ ١٤٥) وكتب الضبط الأخرى .

باب
مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحُجَّة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإنْ أظهروا المخالفة عِناداً وحسداً وبَغْياً وجُحوداً

قال إسحاقُ بن راهويه : حدَّثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيُّوب السَّخْتِياني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى رسولِ الله ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رقَّ له ، فبلَغَ ذلك أبا جهل ، فأتاهُ فقال : يا عم ، إنَّ قومك يريدون[١] أنْ يجمعوا لك مالاً . قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيتَ محمداً لتعرض ما قِبَله ، قال : قد علمتْ قريشٌ أنِّي من أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولاً يبلُغ قومَك أنَّك منكرٌ له . قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجلٌ أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برَجَزِه ، ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجِنّ ، والله ما يُشبه الذي يقولُ شيئاً من هذا ، ووالله إنَّ لقوله الذي يقوله حلاوةً ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنَّهُ لمثمرٌ أعلاه ، مُغْدِقٌ أسفله ، وإنَّهُ لَيَعْلُو ولا يُعْلى ، وإنَّه لَيحْطِمُ ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومُك حتى تقولَ فيه ، قال : قف عني[٢] حتى أفكِّر فيه . فلما فكَّر قال : إنْ هذا إلا سحرٌ يُؤثَر يَأْثُرُهُ عن غيره . فنزلتْ : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ [المدثر : ١١ ـ ١٣] الآيات .

هكذا رواهُ البيهقي[٣] عن الحاكم ، عن عبد الله بن محمد الصَّنْعاني بمكَّة ، عن إسحاق به .

وقد رواهُ حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة مرسلاً . فيه أنه قرأ عليه ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

وقال البيهقي[٤] : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار[٥] ، عن يونس بن بُكَير[٦] ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ـ أو عكرمة عن ابن عباس ـ أنَّ الوليد بن المغيرة اجتمع ونفرٌ من قريش ، وكان ذا سِنٍّ فيهم ، وقد حَضَر المواسم[٧] فقال : إنَّ وفود

---

(١) في دلائل البيهقي (٢/ ١٩٨) : يرون .
(٢) كذا في ح ، ط ، وفي دلائل النبوة : فدعني ، وهو أشبه بالصواب .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ١٩٨) .
(٤) في دلائل النبوة (٢/ ١٩٩) .
(٥) قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » : أحمد بن عبد الجبار العُطَاردي ، ضعيف ، وسماعه للسيرة صحيح .
(٦) قال الحافظ في « التقريب » : صدوق يخطئ .
(٧) في ح : الموسم .

العرب ستقدمُ عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا ، فيكذِّب بعضُكم بعضاً ، ويردُّ قولُ بعضكم بعضاً . فقيل : يا أبا عبد شمس ، فقُلْ ، وأقِمْ لنا رأياً نقومُ به . فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمع . فقالوا : نقولُ كاهن ؟ فقال ما هو بكاهن ، رأيتُ الكُهَّان ، فما هو بزَمْزَمة الكُهَّان . فقالوا : نقول مجنون ؟ فقال ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخَنْقِه ولا تَخَالُجِهِ ولا وسوسته . فقالوا : نقول شاعر ؟ فقال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر بِرَجَزِه وهَزَجِه وقَرِيضه ومَقْبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول هو ساحر ؟ قال ما هو بساحر ، قد رأينا السُّحَّار وسِحْرَهم ، فما هو بنَفْثِه ولا بعَقْدِه . قالوا : فما نقولُ يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إنَّ لقوله لحلاوة ، وإنَّ أصله لمُغْدق ، وإنَّ فَرْعَهُ لجنيّ[(١)] ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف[(٢)] أنه باطل ؛ وإنَّ أقربَ القول لأنْ تقولوا ساحر ، فتقولوا[(٣)] : هو ساحرٌ يفرِّقُ بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته . فتفرَّقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون للناس حين قدِموا المَوْسم ، لا يمرُّ بهم أحَدٌ إلا حذَّرُوهُ إيَّاه ، وذكروا لهم أمره ، وأنزل الله في الوليد : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ [المدثر : ١١ ـ ١٣] الآيات . وفي أولئك النَّفرِ : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩١ ـ ٩٣] .
قلت : وفي ذلك قال الله تعالى إخباراً عن جهلهم وقِلَّةِ عقلهم ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥] فحارُوا ماذا يقولون فيه ، فكلُّ شيءٍ يقولونه باطل ، لأن مَنْ خرج عن الحق مهما قاله أخطأ .

قال الله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٤٨ ، الفرقان : ٩] .

وقال الإمام عبد بن حُميد في مسنده[(٤)] ؛ حدثني أبو بكر بن أبي شيبة[(٥)] ، حدثنا عليُّ بن مُسْهِر عن الأجْلَح ـ هو ابن عبد الله الكِنْدِي ـ عن الذَّيَّال بن حَرْمَلَة الأسَدِي ، عن جابر بن عبد الله قال : اجتمع قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمَكم بالسِّحْر والكهانةِ والشعر ، فَلْيأتِ هذا الرجل الذي[(٦)] فرَّق جماعتنا وشتَّتَ أمرنا ، وعابَ ديننا فلْيُكلِّمْه ولينظرْ ماذا يردُّ عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً غيرَ عتبة بن ربيعة .

---

(١) في ح : وإنّ لفرعه ، وفي دلائل النبوة : إن فرعه لجنًى .
(٢) في ح : أعرف .
(٣) كذا في ح ، ط والدلائل ، ولعل الصواب : فتقولون .
(٤) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٨٥) وخرّجه بقوله : لأبي بكر وأبي يعلى وعبد بن حميد . اهـ ، وفي الطبعة الجديدة بإسناده رقم (٤٢٢٩) . وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك (٢/٢٥٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وذكره الهيثمي في المجمع ١٩/٦ ، ٢٠ وقال رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات .
(٥) في مصنفه (١٨٤٠٩) كتاب المغازي باب في أذى قريش للنبي ﷺ .
(٦) في ح : الذي قد فرق ، وليست هذه الزيادة في ط ولا في مصنف أبي بكر بن أبي شيبة .

فقالوا : أنت يا أبا الوليد . فأتاهُ عتبةُ فقال : يا محمد أنت خيرٌ أمْ عبدُ الله ؟ فسكت رسولُ الله ﷺ . فقال : أنت خيرٌ أمْ عبد المطلب ؟ فسكت رسولُ الله ﷺ . قال : فإنْ كنتَ تزعم أنَّ هؤلاء خيرٌ منك فقد عبدُوا الآلهة التي عِبْتَ ، وإنْ كنت تزعمُ أنك خيرٌ منهم فتكلَّم حتى نسمع قولك ، إنَّا والله ما رأينا سَخْلَةً[١] قطُّ أشأم على قومه منك ، فرَّقتَ جماعتنا ، وشتَّتَّ أمرنا ، وعِبتَ ديننا ، وفضَحْتَنا في العرب حتى لقد طار فيهم أنَّ في قريش ساحراً ، وأنَّ في قريش كاهناً ؛ والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبْلى[٢] أن يقوم بعضُنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ؛ أيها الرجل ، إنْ كان إنما بك الحاجة جمَعْنا لك حتى تكون أغْنَى قريش رجلا ، وإنْ كان إنما بك الباءَة[٣] فاخْتَرْ أي نساءِ قريش شئت فلنزوجك عَشْراً . فقال رسول الله ﷺ : « أفرغتَ[٤] ؟ » قال : نعم . فقال رسولُ الله ﷺ : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴾ إلى أنْ بلغ ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١ ـ ١٣] . فقال عتبة : [حَسْبُك][٥] ما عندك غير هذا ؟ قال : « لا » فرجع إلى قُريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركتُ شيئاً أرى أنَّكم تكلِّمونه إلا كلَّمتُه [به][٦] . قالوا : فهل أجابك ؟ فقال نعم . ثم قال : لا والذي نصَبَها بنيَّة ، ما فهمتُ شيئاً مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقةً مثل صاعقةِ عادٍ وثمود . قال : ويلك يكلِّمُك الرجلُ بالعربية لا تدري ما قال ؟! قال : لا والله ما فهمتُ شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة .

وقد رواه البيهقي[٧] وغيره عن الحاكم وغيره[٨] ، عن الأصم ، عن عباس الدُّوري ، عن يحيى بن مَعِين ، عن محمد بن فُضَيل ، عن الأجْلَح به ، وفيه كلام[٩] ، وزاد : وإنْ كنتَ إنما بك الرِّياسة عقَدْنا ألويتنا لك ، فكنتَ رأساً ما بَقيت .

وعنده أنه لما قال : ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١٣] أمسك عتبةُ

---

(١) في النهاية : سخل ، السخل : المولود المحبب إلى أبويه . وهو في الأصل ولد الغنم .
(٢) كذا في ط ومصنف ابن أبي شيبة وفي ح بإهمال الحروف ، وفي المطالب العالية : صيحة الخيل . وهو أشبه بالصواب .
(٣) في ح ، ط : الباه ، والمثبت من مصنف ابن أبي شيبة والمطالب .
(٤) في ح ، ط : فرغت من غير همزة ، والمثبت من مصادر الخبر .
(٥) الزيادة من المصنف والمطالب .
(٦) الزيادة من المصنف والمطالب .
(٧) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤) .
(٨) ليست اللفظة في ط وأثبتها من ح .
(٩) يعني الأجلح ، وقد ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي وابن سعيد والجوزجاني والساجي وابن حبان وابن الجارود ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به . واختلف فيه قول ابن معين بين ثقة وصويلح ، كما بيناه في تحرير التقريب (١/ ١٠٦) (بشار) .

على فيه وناشدَهُ الرَّحِمَ أنْ يَكُفَّ عنه ؛ ولم يخرجْ إلى أهله واحتَبَسَ عنهم . فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ، ما نرى عتبة إلا صَبَأ إلى محمدٍ وأعجبَهُ طعامُه ، وما ذاك إلا من حاجةٍ أصابَتْه ، انطلقوا بنا إليه ، فأتوه ، فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا[1] إلا أنَّك صبَوْتَ إلى محمد وأعجبَك أمْرُه ، فإنْ كان بك حاجة جمَعْنا لك من أموالنا ما يُغنيك عن طعام محمد . فغضِبَ وأقسم بالله لا يكلِّمُ محمداً أبداً . وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ، ولكنّي أتيتُه ـ وقص عليهم القصة ـ فأجابني بشيءٍ والله ما هو بسحرٍ ولا بشعر ولا كَهانة ، قرأ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١ ـ ١٣] فأمسكتُ بفيه وناشدتُه الرحمَ أنْ يكُفّ ، وقد علمتم أنَّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفتُ أنْ ينزلَ عليكم العذاب .

ثم قال البيهقي[2] ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس[3] ، عن محمد بن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم ، عن محمد بن كعب قال : حُدِّثتُ أنَّ عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً حليماً ـ قال ذات يوم وهو جالسٌ في نادي قريش ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ وَحْدَه في المسجد : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى هذا [فأُكلِّمَهُ] فأعرضَ عليه أموراً لعلَّه يقبلُ بعضَها ويكفُّ عنا ؟ قالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه[4] من المال والمُلْك وغير ذلك[5] ، حتى إذا فَرَغ عتبة قال له النبيُّ ﷺ : « أفرغْتَ[6] يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم . قال : « اسمَعْ مني » قال : أفعل . فقال رسولُ الله ﷺ :

---

(١) في الدلائل : حسبنا وهو أشبه بالصواب .

(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) هو يونس بن بكير .

(٤) في ط : على رسول الله ﷺ . بدل عليه ، والمثبت من ح والدلائل .

(٥) زادت نسخة ط ما سيأتي ، وليست هذه الزيادة في ح ولا في دلائل النبوة للبيهقي ، ويبدو أن هذه الزيادة هي التي اختصرها البيهقي من حديث عتبة ، فأعادها بعض النساخ دون أن ينتبه إلى ذلك ، والزيادة هي قوله : وقال زياد بن إسحاق : فقال عتبة : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا . . وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون . . فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه وكلمه . فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا بن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب ، وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفَّرت به من مضى من آبائهم . فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا الوليد أسمع » . قال : يا بن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه . أو كما قال له .

(٦) في الدلائل : أفرأيتَ ، ولعله تصحيف .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت : ١ ـ ٣] فمضى رسولُ الله ﷺ يقرؤها ، فلما سمع بها عتبةُ أنصتَ لها وألْقَى بيديه خلْفَه ـ أو خلْفَ ظهره ـ معتمداً عليهما يسمع منه ، حتى انتهى رسولُ الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها ثم قال : « سمعتَ يا أبا الوليد ؟ » قال : سمعتُ . قال : « فأنتَ وذاك » فقام عتبةُ إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغيرِ الوَجْه الذي ذهب به . فلما جلسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنِّي والله قد سمعتُ قولاً ما سمعتُ مثله قط ، والله ما هو بالشعر [ولا السِّحْر] ولا الكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، خلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونَنَّ لقوله الذي سمعتُ نبأٌ ، فإن تُصِبْهُ العرب فقد كُفيتموهُ بغيركم ، وإنْ يظهرْ على العرب فملْكُه ملْكُكم ، وعِزُّه عِزُّكم ، وكنتم أسعدَ الناسِ به . قالوا : سحَرَكَ والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم .

ثم ذكر يونس عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقي(١) : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الأدَمي بمكة ، حدثنا أبو أيوب أحمد بن بِشْر الطَّيَالسي ، حدثنا داود بن عمرو الضَّبِّي ، حدثنا المثنى بن زُرْعَة عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لما قرأ رسولُ الله ﷺ على عتبة بن ربيعة ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم ، أطيعوني في هذا الأمر اليوم ، واعْصُوني فيما بعده ، فوالله لقد سمعتُ من هذا الرجل كلاماً ما سمعتْ أُذناي كلاماً مثله ، وما درَيْتُ ما أردُّ عليه .

وهذا حديثٌ غريبٌ جدّاً من هذا الوجه .

ثم روى البيهقي(٢) عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس(٣) ، عن ابن إسحاق : حدثني الزُّهْري قال : حُدِّثتُ أنَّ أبا جهلٍ وأبا سفيان والأخنس بن شُريق خرجوا ليلةً ليسمعوا من رسولِ الله ﷺ ، وهو يصلِّي بالليل في بيته ، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً ليستمع منه ، وكلٌّ لا يعلمُ بمكانِ صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطَلَع الفجر تفرَّقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً .

ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلةُ الثانية عاد كلُّ رجلٍ منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طَلَع الفجرُ تفرَّقوا ، فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرَّة .

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٥) .

(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٦) .

(٣) هو يونس بن بكير ، وهو أحد رواة سيرة ابن إسحاق .

ثم انصرفوا ، فلما كانتِ الليلةُ الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسَه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرحُ حتى نتعاهد أن لا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا . فلما أصبح الأخنس بن شُرَيق أخَذَ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيانَ في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعتَ من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعتُ أشياءَ أعرفُها وأعرفُ ما يُرادُ بها . فقال الأخنس : وأنا والذي حلفتَ به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيُكَ فيما سمعتَ من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت! تنازَعْنا نحن وبنو عبد مَنَافٍ الشَّرَف ، أطعموا فأطعَمْنا ، وحمَلوا فحملنا ، وأعطَوْا فأعطَيْنا ، حتى إذا تجاثَيْنا على الرُّكب ، وكنَّا كفَرَسَيْ رِهان قالوا : منا نبيٌّ يأتيهِ الوَحْيُ من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع[1] به أبداً ولا نصدِّقُه . فقام عنه الأخنس بن شُريق .

ثم قال البيهقي[2] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس ، حدثنا أحمد ، حدثنا يونس ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن المغيرة بن شعبة قال : إنَّ أوَّلَ يوم عرفتُ رسولَ الله ﷺ أنِّي [كنتُ] أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزِقَّة مكة ، إذْ لَقِينا رسول الله ﷺ ، فقال رسولُ الله ﷺ لأبي جهل : « يا أبا الحكم ، هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله » . فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنتَ مُنْتهٍ عن سَبِّ آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهدَ أنك قد بلَّغْت ؟ فنحن نشهد أنْ قد بلغت ، فوالله لو أني أعلمُ أنَّ ما تقول حقٌّ لاتَّبعتُك . فانصرف رسول الله ﷺ وأقبلَ عليَّ فقال : والله إني لأعلم أن ما يقولُ حق ، ولكنَّ بني قُصَيٍّ[3] قالوا : فينا الحِجَابة . فقلنا : نعم ؛ ثم قالوا : فينا السقاية ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا الندوة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللِّواء . فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمْنا . حتى إذا تحاكَّت الرُّكب قالوا : منَّا نبيّ . واللهِ لا أفعل .

وقال البيهقي[4] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر ، قالا[5] : أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدّثنا محمد بن خالد ، حدّثنا أحمد بن خالد[6] ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق قال : مرَّ النبيُّ ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان ، وهما جالسان ، فقال أبو جهل : هذا نبيُّكم يا بني عبد شمس .

---

(١) في الدلائل : لا نؤمن . وهو أشبه بالصواب .
(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٧) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٣) في ح : ولكن شيء أن بني قصي . وزادت ط بين معقوفين [يمنعني] بعد : ولكن . وما أثبتُّه من الدلائل .
(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٢٨٤) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٥) قوله : وأبو بكر سقط من ط وهو في ح والدلائل وزاد الدلائل « القاضي » .
(٦) في ح ، ط : أحمد بن خلف وهو تحريف ، والمثبت من دلائل البيهقي وترجمة كل من محمد بن خالد بن خَلِيٍّ الكَلاعي وأحمد بن خالد بن موسى الوهبي في تهذيب الكمال (١/ ٢٩٩) المطبوع أو (٣/ ١١٩٣) (مصورة المخطوطة) .

قال أبو سفيان : وتعجَبُ أنْ يكون منّا نبيّ ؟ فالنبيُّ يكون فيمنْ [هو] أقلّ منا وأذلّ . فقال أبو جهل : أعجب أن يخرج غلامٌ من بين شيوخ نبياً ، ورسولُ الله ﷺ يسمع . فأتاهما فقال : « أما أنتَ يا أبا سفيان ، فمالله ورسولِهِ غضِبت ، ولكنك حَميتَ للأصل ؛ وأمّا أنت يا أبا الحكم ، فوالله لتضحكَنَّ قليلاً ولتبكيَنَّ كثيراً » فقال : بئسما تَعِدُني يا ابن أخي من نبوَّتِك .

هذا مرسلٌ من هذا الوجه وفيه غرابة .

وقولُ أبي جهلٍ ـ لعنه الله ـ كما قاله الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤١ ـ ٤٢] .

وقال الإمام أحمد(١) : حدّثنا هُشَيم ، حدّثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : نزلَتْ هذه الآيةُ ورسولُ الله ﷺ متوارٍ بمكة : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء : ١١٠] قال : كان إذا صلَّى بأصحابه رفَعَ صوتَهُ بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن وسبُّوا من أنزلَهُ ومَنْ جاء به ، قال : فقال الله تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي بقراءَتك فيسمعَ المشركونَ فيَسُبُّوا القرآن ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء : ١١٠] عن أصحابك ، فلا تُسْمِعْهمُ القرآن حتى يأخذوه عنك ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ .

وهكذا رواه صاحبا الصحيح(٢) من حديث أبي بشر جعفر بن أبي وَحْشيَّة به(٣) .

وقال محمد بن إسحاق(٤) : حدَّثني داودُ بن الحُصَين عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا جهر بالقرآن ـ وهو يصلِّي ـ تفرَّقوا عنه وأبَوْا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعضَ ما يتلو ، وهو يصلِّي ، استرق السمع دونهم فرَقاً منهم ، فإنْ رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، فإنْ خَفضَ رسولُ الله ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ فيتفرّقوا عنك ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ فلا يسمع من أرادَ أن يسمعَها ممن يَسْتَرِقُ ذلك ، لعلّه يَرْعَوي إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

---

(١) في مسنده (١/ ٢١٥) .

(٢) البخاري في فتح الباري (٤٧٢٢) التفسير سورة الإسراء باب ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ ، و(٧٤٩٠) التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ ، ومسلم في صحيحه (٤٤٦) (١٤٥) الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة .

(٣) في ط : جعفر بن أبي حية . وهو تحريف ، والمثبت من ح وفتح الباري وترجمته في تهذيب الكمال (٥/ ٥) وهو جعفر بن إياس .

(٤) في السير والمغازي (ص٢٠٦) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٤) والروض (٢/ ٤٧) على خلاف في نهاية الخبر .

باب
هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ ، من مكة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

قد تقدم ذِكْر[١] أذيَّةِ المشركين للمستضعفين من المؤمنين ، وما كانوا يعاملونهم به من الضَّرْب الشديد ، والإهانة البالغة ، وكان الله عز وجل قد حجرهم عن رسوله ﷺ ، ومنعه بعمِّه أبي طالب ، كما تقدَّمَ تفصيلُه ولله الحمد والمنة .

وروى الواقدي[٢] أنَّ خروجهم إليها في رجب سنة خمسٍ من البعْثَة ، وأن أولَ من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا[٣] إلى البحر ، ما بين ماشٍ وراكب ، فاستأجروا سفينةً بنصف دينار إلى الحبشة[٤] ، وهم عثمان بن عفان ، وامرأته رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حُذيفة بن عتبة ، وامرأته سهلة بنت سُهيل ، والزُّبَير بن العوَّام ، ومُصْعَب بن عُمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية ، وعثمان بن مَظْعون ، وعامر بن ربيعة العَنْزي ، وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُهْم ، وحاطب بن عمرو ، وسُهيل بن بَيْضاء ، وعبد الله بن مسعود ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابنُ جرير[٥] : وقال آخرون : بل كانوا اثنين وثمانينَ رجلاً ، سوى نسائهم وأبنائهم ؛ وعمار بن ياسر ـ فشَكَّ[٦] ـ فإنْ كان فيهم فقد كانوا ثلاثةً وثمانينَ رجلاً .

وقال محمد بن إسحاق[٧] : فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما يُصيبُ أصحابَهُ من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عزَّ وجلَّ ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعَهُمْ مما هم فيه من البلاء . قال لهم : « لـو خرَجْتُمْ إلى أرض الحبشة ، فإنَّ بها مَلِكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرضُ صِدْق ، حتى يجعلَ الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحابِ رسولِ الله ﷺ

---

(١) سقطت اللفظة من ح .
(٢) طبقات ابن سعد (١/ ٢٠٤) .
(٣) في ح : أتوا . بدل : انتهوا .
(٤) لفظ الواقدي في الطبقات : ووفق الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار .
(٥) يعني الطبري في تاريخه (٢/ ٣٣٠) .
(٦) عبارة الطبري هكذا : وهو يُشَكُّ فيه ، وفي ط : نشك ، والمثبت من ح .
(٧) في السير والمغازي (ص٢١٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٢١) والروض (٢/ ٦٩) .

إلى أرض الحبشة مخافةَ الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم . فكانتْ أولَ هجرةٍ كانتْ في الإسلام .

وكان أولَ من خرج من المسلمين عثمانُ بن عفان ، وزوجتُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ .

وكذا روى البيهقي(١) من حديث يعقوب بن سفيان ، عن عباس العَنْبَرِيّ ، عن بشر بن موسى ، عن الحسن بن زياد البُرْجُمي ، حدثنا قتادة قال : إنَّ أولَ من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمانُ بن عفان رضي الله عنه ، سمعتُ النَّضْرَ بن أنس يقول : سمعت أبا حمزة ـ يعني أنس بن مالك ـ يقول : خرج عثمان بنُ عفَّان ومعه امرأتهُ رُقَيَّة بنتُ رسولِ الله ﷺ إلى أرض الحبشة ، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهم ، فقدمتِ امرأةٌ من قريش فقالت : يا محمد ، قد رأيتُ خَتَنَك ومعه امرأته . قال : « على أيِّ حال رأيتِهما ؟ » .

قالت : رأيتُه قد حمل امرأتَهُ على حمارٍ من هذه الدَّبَّابَة(٢) ، وهو يسوقها . فقال رسولُ الله ﷺ : « صَحِبَهُما الله ، إنَّ عثمانَ أولُ من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام » .

قال ابن إسحاق(٣) : وأبو حذيفة [بن عتبة ، وزوجته سَهْلة بنت سُهيل بن عمرو ـ وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة](٤) ـ والزُّبير بن العوَّام ، ومُصْعَب بن عُمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سَلَمة ابن عبد الأسد ، وامرأتُه أمُّ سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ـ وولدت له بها زينب ـ وعثمان بن مَظْعُون ، وعامر بن ربيعة ـ حليف آلِ الخطَّاب ، وهو من بني عَنْز بن وائل وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة ، وأبو سَبْرَة ابن أبي رُهْم العامري، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ـ ويقال : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ـ وهو أوَّلُ مَنْ قدِمها فيما قيل ـ وسُهيل بن بَيْضاء .

فهؤلاء العشرة أولُ مَنْ خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني .

قال ابنُ هشام(٥) : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعضُ أهل العلم .

قال ابن إسحاق(٦) : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس وولدت له بها عبد الله بن جعفر ؛ وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عقبة أنَّ الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسولِ الله ﷺ إلى الشِّعْب، وفي هذا نظر . والله أعلم . وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في

---

(١) في الدلائل (٢/ ٢٩٧) .

(٢) أي الضعاف التي تدِبّ في المشي ولا تسرع . النهاية لابن الأثير (دبب) .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٢) والروض (٢/ ٧٠) وهو تتمة الخبر المروي في الصفحة السابقة ، السير والمغازي (ص٢٢٣) .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٣) .

(٦) السير والمغازي (ص٢٢٦) وسيرة ابن هشام ـ واللفظ له ـ (١/ ٣٢٣) والروض (٢/ ٧٠) .

الهجرة الثانية إليها . وذلك بعد عَوْدِ بعض من كان خرج أولاً ، حين بلغهم أنَّ المشركين أسلموا وصلَّوا ، فلما قدموا مكة ـ وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون ـ فلم يجدوا ما أُخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة .

وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وهي الهجرة الثانية ـ كما سيأتي بيانُه .

قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانياً . وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرَّعِيل الأول أظهر كما سيأتي بيانه . والله أعلم . لكنه كان في زمرةٍ ثانية من المهاجرين أولاً ، وهو المقدَّم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره ، كما سنوردُه مبسوطاً .

ثم إنَّ ابن إسحاق سرد الخارجين[١] صحبةَ جعفرٍ رضي الله عنهم . وهم عمرو بن سعيد بن العاص ، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرِّث بن شِقّ الكِنَاني . وأخوه خالد ، وامرأتُه أُمينة[٢] بنت خلف بن أسعد الخُزَاعي . وولدت له بها سعيداً ، وأُخْتَهُ[٣] أَمَة التي تزوَّجها بعد ذلك الزُّبير ، فولدت له عمراً وخالداً . قال : وعبد الله بن جَحْش بن رئاب ، وأخوه عُبيد الله ، ومعه امرأته أمّ حَبيبة بنت أبي سفيان ، وقيس بن عبد الله من بني أسد بن خُزَيمة ، وامرأته بَرَكة بنت يَسار مولاة أبي سفيان ، ومُعَيقيب بن أبي فاطمة ، وهو من موالي آلِ سعيد بن العاص[٤] . قال ابن هشام : وهو من دَوْس .

قال[٥] : وأبو موسى [الأشعري] عبدُ الله بن قيس[٦] حليفُ آلِ عتبة بن ربيعة ـ وسنتكلَّم معه في هذا ـ وعتبة بن غَزْوان ، ويزيد بن زَمَعة بن الأسود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطُليب بن عُمير بن وهب بن أبي كثير[٧] بن عبد ، وسُويبط بن سعد بن حَرْمَلة ، وجَهْم بن قيس العَبْدَرِي[٨] ، ومعه امرأته أم حَرْمَلة بنت عبد الأسود بن جذيمة[٩] ، وولداه عمرو بن جَهْم وخزيمة[١٠] بن جهم ، وأبو الرُّوم ابن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفِرَاس بن النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة ، وعامر بن أبي وقَّاص أخو سعد ، والمطَّلب بن أزهر بن عبد عوف الزُّهْري ، وامرأته رَمْلَة بنتُ أبي عوف بن

---

(١) السير والمغازي (ص٢٢٦ ـ ٢٢٨) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٢٣) واللفظ له .
(٢) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٣٢٣) : ويقال همينة . نقل ذلك ابن حجر في الإصابة في ترجمتها .
(٣) سقطت اللفظة من ط ، وهي مستدركة في هامش ح .
(٤) لفظ ابن هشام في السيرة النبوية هكذا : وهؤلاء آل سعيد بن العاص ، سبعة نفر .
(٥) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٤) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٦) زادت نسخة ح : من بني أسد بن خزيمة وامرأته بركة . وهذه الزيادة أقحمها الناسخ سهواً .
(٧) كذا في ط والروض (٢/ ٧١) والاستيعاب والإصابة في ترجمته ؛ وفي ح والسير والمغازي وسيرة ابن هشام « كبير » بالموحدة . ولم تذكره كتب ضبط الأسماء ـ كالإكمال والتبصير وغيرها ـ فيما أحصته من هذا الرسم .
(٨) في ح ، ط : العبدوي ، تحريف ، وهو منسوب إلى عبد الدار كما في السيرة .
(٩) في ط : خزيمة ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ، ولم أقف على نص يضبطه .
(١٠) في ح : جذيمة ، تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن هشام والإصابة في ترجمته .

ضَبَيْرَة[١] ؛ وولدت بها عبد الله . وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمقداد بن الأسود ، والحارث ابن خالد بن صَخر التَّيْمي ، وامرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبيلة[٢] ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة . وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة ، وشماس بن عثمان بن الشَّريد المخزومي ـ قال وإنما سمي شَمَّاساً لحُسْنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان ـ وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، وأخوه عبد الله، وهشام بن أبي حُذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة ؛ ومُعَتِّب بن عوف بن عامر ـ ويقال له عيهامة[٣] ـ وهو من حلفاء بني مخزوم. قال : وقدامة وعبد الله أخوا عثمانَ بن مَظْعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون، وحاطب بن الحارث بن معمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المجلَّل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه حطَّاب[٤] ، وامرأته فُكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وامرأته حسَنة ، وابناهُ منها جابر وجُنَادة ، وابنها من غيره ، وهو شُرَحْبيل بن عبد الله ـ [أحد الغَوْث بن مُرّ ، أخي تميم بن مُرّ][٥] ، وهو الذي يقال له : شُرَحْبيل بن حَسَنة ـ وعثمان بن ربيعة بن أُهبان بن وَهْب بن حُذَافة بن جمح ، وخُنَيس بن حُذَافة بن قيس بن عدي ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سَعْد[٦] بن سهم ، وهشام بن العاص ابن وائل بن سُعيد[٧]، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي ، وأخوه عبد الله ، وأبو قيس بنُ الحارث بن قيس بن عدي، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد أبناء الحارث[٨] بن قيس بن عدي [وأخو بشربن الحارث بن قيس بن عدي][٩] لأمِّه، وهو سعيد بن عمرو التميمي؛ وعُمير بن رئاب بن حُذيفة بن

---

(١) في ح : صبيرة بالصاد المهملة . ذكر محقق الاشتقاق لابن دريد في حاشية رقم (٣) ص (١٢٥) معلقاً على هذا الاسم ما نصه : رسم في الأصل بالضاد المعجمة وتحتها حرف صاد مهملة ، وفوق الحرف كلمة : معاً ، إشارة إلى أنه بالصاد والضاد معاً .

(٢) في سيرة ابن هشام والروض : جبلة .

(٣) كذا في ح، ط : وسيرة ابن هشام، وفي السير والمغازي : عيهلة، وفي الإصابة ميعانة . ولم أقف على نص يضبطه .

(٤) في ح ، ط : خطاب بالخاء المعجمة ، والمثبت من سيرة ابن هشام والإكمال (٣/ ١٦٣) .

(٥) ليس ما بين المعقوفين في ح ، وتحرّف في ط إلى : أحد الغوث بن مزاحم بن تميم ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٦) في ح ، ط وأصول ابن هشام : سعيد وهو تحريف ، والمثبت من جمهرة الأنساب لابن حزم ص(١٦٥) وترجمته في الإصابة .

(٧) غيَّر محققو سيرة ابن هشام أصول السيرة من سُعيد إلى سعد وهو خطأ لأن هشاماً وعمراً هما ابنا سُعيد لا سَعْد . جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٦٣) .

(٨) بعده في ط : وسعيد . ولا وجود له في ح وهو الصواب كما يدل عليه سياق ابن هشام في السيرة .

(٩) ما بين المعقوفين ليس في ط وهو من ح ولكن بتحريف الكلمة الأولى إلى : وأبو والتصحيح من سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٨) .

مُهشِّم بن سُعَيد[١] بن سهم ، وحليفٌ لبني سَهْم : وهو مَحْمِيةُ بن جَزْء الزُّبَيدي ، ومعمر بن عبد الله العدوي ، وعروة بن عبد العُزَّى ، وعدي بن نَضْلة بن عبد العزَّى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مَخْرمة العامري ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسَليط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سَوْدَة بنت زَمْعَة ، ومالك بن زَمْعَة[٢] ، وامرأته عمرة بنت السَّعْدِيّ ، وأبو حاطب بن عمرو العامريُّون وحليفُهم سعد بن خولة ـ وهو من اليمن ـ وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرَّاح الفِهري ، وسهيل بن بَيْضاء ـ وهي أمُّه ـ واسمها دعد بنت جَحْدَم بن أميَّة بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ، وهو سهيل بن وَهْب بن ربيعة بن هلال بن ضَبَّة[٣] بن الحارث ، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن [هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث][٤] ، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن [أُهَيب بن ضبَّة بن الحارث][٥] ويقال : بل [ربيعة بن][٣] هلال بن مالك بن ضبَّة ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غَنْم بن زُهير[٦] ، وسعد[٧] بن عبد قيس بن لَقِيط ، وأخوه الحارث الفهريون .

قال ابن إسحاق[٨] : فكان جميعُ من لَحِق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها ـ ثلاثةً وثمانين رجلاً إنْ كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يُشَكُّ فيه .

قلت : وذِكْرُ ابن إسحاق أبا موسى الأشعري فيمَنْ هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريبٌ جداً . وقد قال الإمام أحمد[٩] : حدثنا حسن بن موسى ، سمعتُ حُدَيجاً[١٠] أخا زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق

---

(١) غيَّر محققو سيرة ابن هشام أصول السيرة من : سُعيد إلى سعد وهو خطأ لأن عميراً من ولد سُعَيد لا من ولد سعد جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٦٣ و١٦٤) وترجمته في الإصابة .

(٢) في ح ، ط : ربيعة ، تحريف ، والمثبت من سيرة ابن هشام وجمهرة أنساب العرب (ص١٦٦) وترجمته في الإصابة .

(٣) في ح وسيرة ابن هشام : هلال بن أهيب بن ضبة . وأظنه تحريفاً ، والصواب : هلال بن مالك بن ضبة . كما في جمهرة ابن حزم (ص١٧٧) وترجمة سهل وسهيل ابني بيضاء في الإصابة .

(٤) ليس ما بين المعقوفين في ح والمثبت من ط وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٠) وفيه : أهيب بدل : مالك . وقد نبه ابن هشام على هذا الخلاف .

(٥) ما بين معقوفين سقط من ح ، ط استدركته من سيرة ابن هشام لأنه بيَّن فيه الخلاف بين مالك وأهيب ، وما جعلته خارج المعقوفين هو من ح .

(٦) زادت ط هنا لفظ : أخوات . أو أخوان . وليست هذه الزيادة في ح ولا في سيرة ابن هشام ، وهي إقحام من النساخ ليزيلوا الاضطراب بين النسخ المشار إليه آنفاً .

(٧) في ط : سعيد ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٧٨) ، ويبدو أن ثمة اختلافاً فيه فقد أورده ابن حجر في الإصابة في رسم : سعد وعزا إلى رسم : سعيد . وترجمه فيه .

(٨) في السير والمغازي (ص٢٢٨) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٠) ـ واللفظ له ـ والروض (٢/ ٧٥) .

(٩) في مسنده (١/ ٤٦١) .

(١٠) في ح ، ط : خديجاً بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد والإكمال (٢/ ٣٩٦) .

عن عبد الله بن عتبة ، عن ابن مسعود قال : بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ إلى النجاشي ، ونحن نَحْوٌ من ثمانين رجلاً ، فيهم عبد الله بن مسعود ، وجعفر ، وعبد الله بن عُرْفُطَة ، وعثمان بن مَظْعون ، وأبو موسى ، فأتَوُا النجاشيّ ، وبعثتْ قريش عمرَو بن العاص وعُمارةَ بن الوليد بهديَّة ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : إنَّ نفراً من بني عمِّنا نزلوا أرضك ورَغِبوا عنَّا وعن مِلَّتنا . قال فأين هم ؟ قالا : في أرضك ، فابعثْ إليهم . فبعَثَ إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكُم اليوم فاتَّبعوه ، فسلَّم ولم يسجُد ، فقالوا له : ما لك لا تسجدُ للملك ؟ قال إنَّا لا نسجدُ إلاَّ لله عزَّ وجلَّ ، قال وما ذاك ؟ قال إنَّ اللهَ بعثَ إلينا رسولاً ، فأمرنا أنْ لا نسجدَ لأحَدٍ إلاَّ لله عزَّ وجلَّ ، وأمرَنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو : فإنَّهم يخالفونكَ في عيسى بنِ مريم ، قال : ما تقولونَ في عيسى بن مريم وأمِّه ؟ قال : نقول كما قال الله : هو كلمة الله ورُوحُه ، ألقاها إلى العذراءِ البَتُول ، التي لم يمسَّها بشَر ، ولم يَفْرِضْها ولد[1] . قال : فرفع عُوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشةِ والقِسِّيسينَ والرُّهْبان ، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى[2] هذا ، مرحباً بكم وبمن جئتُم من عنده ، أشهدُ أنَّه رسولُ الله ﷺ ـ وأنَّه الذي نجِدُ في الإنجيل ، وأنه الرسولُ الذي بشَّرَ به عيسى بن مريم ، انزلوا حيثُ شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتَيْتُه حتى أكونَ أنا الذي[3] أحملُ نعلَيْه . وأمر بهديَّة الآخرين فرُدَّتْ إليهما ، ثم تعجَّل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً ، وزعم أنَّ النبيَّ ﷺ استغفر له حين بلغَهُ موتُه .

وهذا إسنادٌ جيد قوي ، وسياقٌ حسن[4] . وفيه ما يقتضي أنَّ أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، إنْ لم يكن ذِكْره مدرجاً من بعض الرواة والله أعلم . وقد رُوي عن أبي إسحاق السَّبيعي من وجهٍ آخر .

فقال الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »[5] : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدَّثنا محمد بن زكرياء

---

(١) كذا في ح ، ط ومسند أحمد ، وفي النهاية لابن الأثير (فرض) : وفي صفة مريم عليها السلام : لم يفترضها ولد . أي لم يؤثر فيها ولم يحزَّها ، يعني قبل المسيح عليه السلام . وجاء في اللسان : والفرْض : الحزُّ في الشيء والقطع . وسيأتي في موضع الحاشية (٩) من الصفحة التالية .

(٢) في المسند : ما يسوى .

(٣) ليست اللفظة في ح ولا المسند .

(٤) قال بشار : هكذا جَوَّد المصنف إسناده ، وحَسَّنه الحافظ في الفتح (٧/ ١٨٩) ، وفي إسناده حُدَيْج بن معاوية ضعفه أبو زرعة الرازي وأبو داود والنسائي وابن سعد وابن ماكولا ، وقال البخاري : يتكلمون في بعض حديثه ، وقال ابن حبان في المجروحين : منكر الحديث كثير الوهم على قلة روايته ، وقال الدارقطني : يغلب عليه الوهم ، ولم يحسن القول فيه سوى أحمد ، وقال أبو حاتم : محله الصدق ، في بعض حديثه وهم ، يكتب حديثه . يعني للاعتبار في الشواهد والمتابعات . فمثل هذا لا يحتمل التفرد (وتنظر ترجمته في تهذيب الكمال (٥/ ٤٨٨ ـ ٤٩٠) ، وتحرير التقريب ١/ ٢٥٦) .

(٥) دلائل النبوة (١/ ٣٣٠) وليس فيه من هذه الأسانيد إلا الأخير ، وأما الأول هذا فقد رواه أبو نعيم في الحلية =

الغَلابي[(١)] ، حدَّثنا عبد الله بن رجاء ، حدّثنا إسرائيل ح وحدَّثنا سليمان بن أحمد ، حدّثنا [محمد بن زكريا ، حدَّثنا الحسن][(٢)] بن علَّويه القطَّان ، حدَّثنا عباد[(٣)] بن موسى الخُتَّلي ، حدّثنا إسماعيل بن جعفر ، حدّثنا إسرائيل ح [(٤)]وحدَّثنا أبو أحمد ، حدَّثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه ، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهويه ـ حدَّثنا عبيد الله[(٥)] بن موسى ، حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى . قال : أمرنا رسولُ الله ﷺ أنْ ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرضِ النجاشيّ ، فبلغ ذلك قريشاً ، فبعثوا عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشيِّ هدية ، وقدما على النجاشي فأتياه بالهدية ، فقبلها ، وسجدَا له ، ثم قال عمرو بن العاص : إنَّ ناساً من أرضنا رَغِبوا عن ديننا وهم في أرضك . قال لهم النجاشي : في أرضي ؟ قالا : نعم ! فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلَّمْ منكم أحد ، أنا خطيبُكم اليوم ، فانتهينا إلى النجاشي ، وهو جالسٌ في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعُمارة عن يساره . والقسِّيسُونَ جلوسٌ سماطَيْن . وقد قال لهم عمرو وعُمارة : إنهم لا يسجدون لك . فلما انتهينا بدرَنا مَنْ عندَهُ من القسِّيسينَ والرُّهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجدُ إلا لله عز وجل . [فلما انتهينا إلى النجاشي قال : ما منعك أن تسجد ؟ قال : لا نسجدُ إلا لله][(٦)] . فقال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال : إنَّ الله بعث فينا رسولاً ـ وهو الرسولُ الذي بشَّرَ به عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام[(٧)] : ﴿ مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴾ فأمرنا أنْ نعبدَ اللهَ ولا نشركَ به شيئاً ، [ونقيمَ الصلاة][(٨)] ، ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهانا عن المنكر . فأعْجَبَ النجاشيَّ قولُه ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص ، قال : أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم ، فقال النجاشي لجعفر : ما يقولُ صاحبُكم في ابن مريم ؟ قال : يقول فيه قول الله : هو رُوْحُ الله وكلمته ، أخرجه من العذراء البَتُول التي لم يَقْرَبْها بشر ، ولم يَفْتَرِضْها ولد[(٩)] : فتناول النجاشيُّ عُوداً من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسِّيسينَ والرُّهْبان ، ما يزيدُ[(١٠)] هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزْنَ هذه .

= (١/ ١١٤) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣١) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(١) الغَلَابي بالتخفيف كما في اللباب (٢/ ٣٩٥) .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح وبدلاً عنه : سليمان .

(٣) في ح : عباس بن موسى . وهو تحريف .

(٤) هذا الإسناد في دلائل أبي نعيم المشار إليه في الحاشية (١) .

(٥) في دلائل أبي نعيم : عبد الله . تحريف ، والمثبت من ح وترجمته في سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٥٣) وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٥٣) .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في ح ولا دلائل أبي نعيم ولا الحلية ، وانفردت به ط .

(٧) زاد في الحلية : قال . والآية (٦) من سورة الصف .

(٨) ليس ما بين المعقوفين في ح .

(٩) في ح ، ط : يفرضها ، والمثبت من الحلية (١/ ١١٥) .

(١٠) في ح ، ط : ما يزيدون ، والمثبت من الحلية .

مرحباً بكم وبمن جئتُم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي بشَّرَ به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيتُه حتى أقبِّل نعلَيْه ؛ امكثوا في أرضي ما شئتم ، وأمر لنا بطعام وكسوة وقال : ردُّوا على هذَيْن هديتَهما .

وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عُمارة رجلاً جميلاً ، وكانا أقبلا في البحر ، فشربا ومع عمرو امرأتُه ، فلما شربا قال عمارة لعمرو مُرِ امرأتك فلْتقبِّلني . فقال له عمرو : ألا تستحي ؟ فأخذ عُمارة عَمْراً فرَمَى به في البحر ، فجعل عمرو : يناشد عمارة حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرٌو في ذلك . فقال عمرو للنجاشي : إنك إذا خرجت خَلَفَ[(١)] عُمارةُ في أهلك[(٢)] ، فدعا النجاشيُّ بعمارة ، فنفخ في إحليله ، فطار مع الوحش .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل[(٣)] من طريق أبي علي الحسن بن سلام السوَّاق ، عن عبيد الله بن موسى ، فذكر بإسناده مثلَه ، إلى قوله : فأمر لنا بطعامٍ وكسوة . قال : وهذا إسنادٌ صحيح ، وظاهرهُ يدلُّ على أنَّ أبا موسى كان بمكة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة ، عن جدِّه أبي بُردة ، عن أبي موسى : أنهم بلغهم مَخْرَجُ رسولِ الله ﷺ وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضعٍ وخمسين رجلاً في سفينة ، فألْقَتْهم سفينتُهم إلى النجاشيِّ بأرضِ الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبي طالبٍ وأصحابَهُ عندهم[(٤)] ، فأمره[(٥)] جعفر بالإقامة ، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسولِ الله ﷺ زمنَ خيبر . قال : وأبو موسى شهِدَ ما جرى بين جعفر وبين النجاشي ، فأخبر عنه . قال : ولعلَّ الراوي وهَم في قوله : أمرنا رسولُ الله ﷺ أن ننطلق ؛ والله أعلم .

وهكذا رواه البخاري في باب هجرة الحبشة[(٦)] : حدَّثنا محمد بن العلاء ، حدَّثنا أبو أسامة ، حدَّثنا بُرَيْدُ[(٧)] بن عبد الله عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : بلَغَنا مَخْرَجُ النبيِّ ﷺ ونحن باليمن ، فركبنا سفينةً ، فألقَتْنا سفينتُنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافَقْنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأقمنا معه حتى قدِمْنا ، فوافَيْنا[(٨)] النبيَّ ﷺ حين افتتح خَيْبَر ، فقال النبيُّ ﷺ : « لكم أنتم أهلَ السفينةِ هجرتان » . وهكذا

(١) في ط : خلفك ، والمثبت من ح ومن دلائل أبي نعيم .
(٢) في ح : في الملك .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٩٩) .
(٤) في دلائل البيهقي : عنده .
(٥) في دلائل البيهقي : فأمرهم .
(٦) فتح الباري (٣٨٧٦) مناقب الأنصار باب هجرة الحبشة .
(٧) في ح ، ط : يزيد . وهو تصحيف ، والمثبت من فتح الباري وترجمته في تهذيب الكمال (٤/ ٥٠) .
(٨) كذا في ح ، ط وفي فتح الباري : فوافقنا .

رواه مسلم[١] عن أبي كُريب وأبي عامر عبد الله بن بَراد [بن يوسف بن أبي بُردة بن أبي موسى][٢] كلاهما عن أبي أسامة به ، ورروياه في مواضع أُخر مطولاً . والله أعلم .

وأما قصة جعفر مع النجاشي فإنَّ الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من « تاريخه »[٣] من رواية نفسه ، ومن رواية عمرو بن العاص . وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم . وأم سلمة كما سيأتي . فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً . رواها ابن عساكر عن أبي القاسم [السمرقندي ، عن أبي الحسين بن النقُّور ، عن أبي طاهر المخلِّص ، عن أبي القاسم][٤] البَغوي ، قال : حدَّثنا أبو عبد الرحمن الجُعْفي ، عن عبد الله بن عمر[٥] بن أبان ، حدَّثنا أسد بن عمرو البَجَلي ، عن مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه . قال : بعثتْ قريشٌ عمرَو بن العاص وعُمارةَ بن الوليد بهديَّةٍ من أبي سفيان إلى النجاشي . فقالوا له ـ ونحن عنده ـ : قد صار إليك ناسٌ من سَفِلَتِنا وسفهائنا ، فادْفَعْهم إلينا . قال : لا ، حتى أسمعَ كلامهم . قال : فبعث إلينا فقال : ما يقولُ هؤلاء ؟ قال : قلنا هؤلاء قوم يعبدونَ الأوثان ، وإنَّ الله بعث إلينا رسولاً فآمنا به وصدَّقناه . فقال لهم النجاشي : أعبيدٌ هم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دَيْن ؟ قالوا : لا . قـال : فخـلُّوا سبيلَهم . قال : فخرجْنا من عنده ، فقال عمرو بن العاص : إنَّ هؤلاء يقولونَ في عيسى غيرَ ما تقول ، قال : إنْ لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدَعْهم في أرضي ساعةً من نهار . فأرسل إلينا ، فكانتِ الدعوةُ الثانية أشدَّ علينا من الأولى . قال : ما يقولُ صاحبُكم في عيسى ابن مريم ؟ قلنا : يقول : هو رُوْحُ الله وكلمتُه ألقاها إلى عذراء بَتُول ، قال : فأرسل ، فقال : ادعوا لي فلاناً القسّ ، وفلاناً الراهب . فأتاهُ ناسٌ منهم فقال : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقالوا : أنت أعلمنا ، فما تقول ؟ قال النجاشي ـ وأخذ شيئاً من الأرض ـ قال : ما عَدَا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال أيؤذيكم أحد ؟ قالوا : نعم ، فنادى منادٍ : مَنْ آذى أحداً منهم فأغرموه أربعةَ دراهم . ثم قال : أيكفيكُم ؟ قلنا : لا ، فأضعفها . قال : فلما هاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وظهر [بها قلنا له : إنَّ رسولَ الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة][٦] ، وقتل الذين كنَّا حدثناك عنهم ، وقد أردْنا الرحيلَ إليه ،فزوِّدْنا[٧] قال : نعم ! فحملنا وزوَّدنا . ثم قال : [أخبرْ صاحبَك بما صنعتُ إليكم ، وهذا صاحبي معكم أشهدُ أنْ لا إله إلا الله

---

(١) في صحيحه (٢٥٠٢) (١٦٩) فضائل الصحابة باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس .
(٢) ما بين معقوفين ليس في ح .
(٣) سقطت ترجمة جعفر من النسخ المتبقية من تاريخ ابن عساكر والتي تحتفظ بها خزانة مجمع اللغة العربية بدمشق إلا أنها لم تسقط من مختصر ابن منظور للتاريخ ، وهذا الخبر بالذات لم يذكره ابن منظور في مختصره .
(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح .
(٥) في ح : عمرو .
(٦) ما بين المعقوفين سقط من ح .
(٧) في ط : فردنا . والمثبت من ح .

وأنَّهُ رسولُ الله ، وقل له يستغفر لي . قال](١) جعفر : فخرجْنا حتى أتينا المدينة ، فتلقَّاني رسولُ الله ﷺ واعتنقني ، ثم قال : « ما أدْري أنا بفتحِ خيبرَ أفرحُ أمْ بقدومِ جعفر ؟ »(٢) . ووافق ذلك فتحَ خيبر ، ثم جلس ، فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسلْه ما صنَعَ به صاحبُنا ؟ فقال : نعم ، فعل بنا كذا وكذا وحمَلَنا وزوَّدَنا ، وشهد أنْ لا إله إلا الله وأنك رسول الله . وقال لي : قل له يستغفر لي . فقام رسولُ الله ﷺ فتوضأ ، ثم دعا ثلاثَ مرَّات : « اللهمَّ اغْفِرْ للنجاشي » فقال المسلمون : آمين . ثم قال جعفر : فقلتُ للرسول : انطلقْ فأخبرْ صاحبَك بما رأيتَ من رسولِ الله ﷺ .

ثم قال ابن عساكر : حسنٌ غريب .

وأما رواية أمِّ سلمة فقد قال يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق(٣) : حدَّثني الزُّهْري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام ، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها . أنها قالت : لما ضاقت علينا مكة ، وأُوذيَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ وفُتنوا ورأوا ما يصيبُهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأنَّ رسول الله ﷺ لا يستطيعُ دفعَ ذلك عنهم ، وكان رسولُ الله ﷺ في مَنَعةٍ من قومه ومن عمِّه ، لا يصلُ إليه شيء مما يكره ومما ينالُ أصحابُه ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « إنَّ بأرضِ الحَبَشَةِ مَلِكاً لا يُظلم أحدٌ عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه » فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخيرِ دارٍ إلى خير جار ، آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظلماً .

فلما رأتْ قريشٌ أنا قد أصَبْنا داراً وأمْناً ، [غاروا مِنَّا](٤) ، فاجتمعوا على أنْ يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردَّنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيَّؤوا له هدية على حدة ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بِطْرِيقٍ هديتَهُ قبل أن تتكلَّموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، فإن استطعتم أن يردَّهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا . فقدما عليه فلم يبقَ بطريقٌ من بطارقته إلا قدَّموا إليه هديته ، فكلَّموه فقالوا له : إنما قدِمنا على هذا الملك في [سفهاء من](٥) سفهائنا ، فارقوا أقوامهم في دينهم ، ولم يدخلوا في دينكم . فبعثنا قومهم ليردَّهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلَّمناه فأشيروا عليه بأن يفعل . فقالوا : نفعل . ثم قدَّموا إلى النجاشي هداياه ،

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٢) سيأتي تخريج الحديث في (ص٢٩٦ ح٤) .

(٣) السير والمغازي (ص٢١٣) واللفظ له ، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٤) والروض (٢/ ٨٧) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٠١) عن الحاكم وأحمد بن الحسن القاضي وأبي سعيد بن أبي عمرو عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس به . وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٩٤) عن محمد بن أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن جرير عن محمد بن إسحاق به .

(٤) ليس ما بين المعقوفين في مصادر الخبر .

(٥) ما بين معقوفين من مصادر الخبر .

وكان من أحبِّ ما يُهْدُون إليه من مكة الأدَم ـ وذكر موسى بن عُقبة أنَّهم أهدَوْا إليه فرساً وجُبَّةَ ديباج ـ فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك ، إنَّ فتية منا سفهاء فارقوا دينَ قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدينٍ مبتدَعٍ لا نعرفُه ، وقد لجؤوا إلى بلادك ، فبَعَثَنا إليك فيهم عشائرُهم ، آباؤهم وأعمامُهم وقومُهم لتردَّهم عليهم ، فإنهم أعْلَى بهم عيناً[١] ، [فقالت بطارقته : صدقوا أيها الملك ، لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عيناً][٢] ، فإنهم لن[٣] يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك . فغضب ثم قال : لا لعمر الله ، لا أردُّهم عليهم حتى أدعوَهم ، فأكلمهم وأنظر ما أمْرُهم ، قوم لجؤوا إلى بلادي ، واختاروا جِوَاري على جوار غيري ، فإنْ كانوا كما يقولون رددتُهم عليهم ، وإنْ كانوا على غير ذلك منعتُهم ولم أدخلْ بينهم وبينهم ، ولم أنعم عيناً .

[وذكر موسى بن عقبة أنَّ أمراءَه أشاروا عليه بأن يردَّهم إليهم . فقال : لا والله ! حتى أسمع كلامهم ، وأعلم على أيِّ شيءٍ هم عليه ؟ فلما دخلوا عليه سلَّموا ولم يسجدوا له ، فقال : أيُّها الرَّهْط ، ألا تحدِّثوني ، ما لكم لا تحيُّوني كما يُحَيِّيني مَنْ أتانا من قومكم ؟! فأخبروني ماذا تقولونَ في عيسى وما دينكم ؟ أنَصَارَى أنتم ؟ قالوا : لا . قال : أفيهودُ أنتم ؟ قالوا : لا . قال : فعلى دينِ قومكم ؟ قالوا : لا . قال : فما دينُكم ؟ قالوا : الإسلام . قال : وما الإسلام ؟ قالوا : نعبدُ الله لا نشركُ به شيئاً . قال : مَنْ جاءكم بهذا ؟ قالوا : جاءنا به رجلٌ من أنفسنا ، قد عرفْنا وجهه ونسَبَه ، بعثه الله إلينا كما بعث الرُّسلَ إلى مَنْ قبلنا ، فأمَرَنا بالبِرِّ والصدَقة ، والوفاء ، وأداءِ الأمانة . ونهانا أن نعبدَ الأوثان ، وأمَرَنا بعبادةِ الله وَحْدَه لا شريك له ، فصدَّقْناه ، وعرَفْنا كلامَ الله ، وعلمنا أنَّ الذي جاءَ به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومُنا ، وعادوا النبيَّ الصادقَ وكذَّبوه ، وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادةِ الأوثان ، ففرَرْنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا . قال : والله إنَّ هذا لمن المِشْكاة التي خرج منها أمْر موسى . قال جعفر : وأمَّا التحيَّة فإنَّ رسولَ الله ﷺ أخبرَنا أنَّ تحيَّةَ أهلِ الجنة السلام ، وأمَرَنا بذلك فحيَّيْناكَ بالذي يُحَيِّي بعضُنا بعضاً . وأما عيسى ابنُ مريم فعبدُ الله ورسولُه وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، وابنُ العذراء البَتُول . فأخَذَ عوداً وقال : والله ما زاد ابنُ مريم على هذا وزن هذا العُود . فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعتِ الحبشةُ لتخلعنَّك . فقال : والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً . وما أطاعَ اللهُ الناسَ فيَّ حين ردَّ عليَّ ملكي فأطع[٤] الناسَ في دين الله . معاذ الله من ذلك . وقال يونس عن ابن إسحاق :][٥] .

فأرسل إليهم النجاشيُّ فجمعهم ، ولم يكن شيءٌ أبغضَ لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة

---

(١) « أعلى بهم عيناً » : أي أبصرُ بهم وأعلمُ بحالهم . اللسان (علو) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر الخبر .

(٣) في السير ودلائل البيهقي : لم .

(٤) كذا ، والصواب : فأطيع ، كما سيأتي (ص٢٩٥ س٣) .

(٥) هنا تتمة الخبر ، وما بين معقوفين ليس في ح ولا في مصادر الخبر المشار إليها في الحاشية (٤) من الصفحة السابقة .

من أن يسمعَ كلامهم . فلما جاءهم رسولُ النجاشي اجتمع القومُ فقالوا : ماذا تقولون ؟ فقالوا : وماذا نقول ، نقول والله ما نعرف . وما نحن عليه من أمْرِ ديننا ، وما جاء به نبيُّنا ﷺ كائنٌ من ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلِّمُه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له النجاشي : ما هذا الدينُ الذي أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ، ولا نصرانيَّة . فقال له جعفر : أيها الملك ، كنَّا قوماً على الشِّرْك نعبدُ الأوثان ، ونأكلُ المَيْتة ، ونُسيءُ الجِوار ، ونستحلُّ[١] المحارم ، بعضُنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا نحلُّ شيئاً ولا نحرِّمه ، فبعث الله إلينا نبيّاً من أنفسنا ، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى أنْ نعبد الله وحدَهُ لا شريكَ له ونَصِلَ الأرحام ونحميَ[٢] الجوار ونصلِّيَ للهِ عزَّ وجلَّ ، ونصومَ له ، ولا نعبدَ غيرَه .

وقال [زياد عن ابن إسحاق : فدعانا إلى الله لنوحِّدَه ونعبده ونخلعَ ما كنا نعبدُ نحن وآباؤنا من دونه من الحجـارة والأوثان، وأمرنا بصدْقِ الحديث ، وأداءِ الأمانة ، وصِلَةِ الأرْحام ، وحسن الجوار ، والكفِّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقَوْل الزُّور ، وأكْلِ مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبدَ الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قال ـ فعدُّوا عليه أمورَ الإسلام ـ فصدَّقْناه وآمنَّا به ، واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبَدْنا الله وحده لا شريك له ولم نشركْ به شيئاً ، وحرَّمْنا ما حرَّم علينا ، وأحْلَلْنا ما أحلَّ لنا ، فعَدَا علينا قومُنا فعذَّبُونا ليفتنونا عن ديننا ويردُّونا إلى عبادةِ الأوثان عن عبادة الله ، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث ؛ فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقُوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجْنا إلى بلادِك واخترناك على مَنْ سواك ورغبنا في جوارِك ورجَوْنا أن لا نُظْلَم عندك أيها الملك .

قالت[٣] : فقال النجاشي][٤] : هل معك شيءٌ مما جاء به ؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحفَ حوله . فقال له جعفر : نعم . قال : هلمَّ فاتْلُ عليَّ مما جاء به ، فقرأ عليه صدراً من كهيعص ، فبكى والله النجاشي حتى اخضلَّتْ لحيتُه ، وبكتْ أساقفتُه حتى أخْضَلُوا مصاحفهم . ثم قال : إنَّ هذا الكلام ليخرج من المشْكاة التي جاء بها موسى[٥] ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردُّهم عليكم ولا أُنْعِمُكم عيناً[٦] . فخرجْنا من عنده وكان أتقى الرجلَيْن فينا عبد الله بن أبي ربيعة ؛ فقال عمرو بن

(١) في ح : ونحل ، وفي ط : يستحل ، والمثبت من السير والدلائل .
(٢) في مصادر الخبر : ونحسن .
(٣) يعني أم سلمة كما جاء في أول الخبر .
(٤) ما بين المعقوفين ليس في مصادر الخبر المذكورة في ح(٣) ص(٢٩٠) .
(٥) في بعض نسخ سيرة ابن هشام ودلائل البيهقي : عيسى .
(٦) أي : لا أجعل أعينكم تقرُّ بهم . يقال : نعم ونعمة عين : أي : قرة عين ، يعني أقرُّ عينك بطاعتك واتباع أمرك . اللسان (نعم) .

العاص : والله لآتينَّه غداً بما أستأصل به خضراءهم ، ولأخبرنَّه أنهم يزعمون أنَّ إلّهه الذي يعبد عيسى ابن مريم عبد . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فإنَّهم وإن كانوا خالفونا فإنَّ لهم رحماً ولهم حقاً . فقال : والله لأفعلن !.

فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً . فأرسلْ إليهم فسلْهم عنه . فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلُها ، فقال بعضُنا لبعض : ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم[(١)] عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذي قاله الله فيه ، والذي أمرَنا نبيُّنا أن نقوله فيه ، فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال : ما تقولونَ في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر : نقولُ هو عبد الله ورسوله وروحُه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول . فدلَّى النجاشيُّ يده إلى الأرض ، فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال : ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العُوَيد . فتناخرتْ بطارقته . فقال : وإن تناخرتُم والله ! اذهبوا فأنتم سُيُومٌ في الأرض ـ السُّيُوم : الآمنون في الأرض[(٢)] ـ مَنْ سبَّكم غَرِم ، من سبَّكم غرِم ، من سبَّكم غرِم ـ ثلاثاً ـ ما أُحِبُّ أنَّ لي دَبْراً وأني آذَيْتُ رجلاً منكم ـ والدَّبْرُ بلسانهم الذهب .

وقال زياد عن ابن إسحاق : ما أُحِبُّ أنَّ لي دَبْراً من ذهب ؛ قال ابن هشام : ويقال : دَبْراً[(٣)] ، وهو الجبل بلغتهم ـ ثم قال النجاشي : فوالله ما أخذ اللهُ مني الرِّشْوَة حين ردَّ عليَّ مُلْكي ، ولا أطاعَ الناسَ فيَّ فأطيع الناس فيه . رُدُّوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها ، واخْرُجا من بلادي : فخرجا مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به .

قالت : فأقمنا مع خير جارٍ في خير دار ، فلم ينشَبْ أنْ خرجَ عليه رجلٌ من الحبشة ينازعُه في مُلْكه ، فوالله ما علمنا حُزناً حزنًا قطُّ هو أشدَّ منه ، فرَقاً من أن يظهر ذلك الملكُ عليه ، فيأتي ملكٌ لا يعرفُ من حقِّنا ما كان يعرفه ، فجعلْنا ندعو الله ونستنصرُه للنجاشي فخرج إليه سائراً ، فقال أصحابُ رسولِ الله ﷺ [بعضهم لبعض][(٤)] : مَنْ رجلٌ يخرجُ فيحضر الوقعة حتى ينظرَ على مَنْ تكون ؟ وقال الزُّبير ـ وكان من أحدثهم سِنّاً ـ : أنا . فنفَخُوا له قِرْبَةً فجعلها في صدره ، فجعل يسبحُ عليها في النِّيل حتى خرج من شِقِّه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة ، فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشيُّ عليه . فجاءنا الزُّبير ، فجعل يُليحُ لنا بردائه ويقول : ألا فأبشروا ، فقد أظهر الله النجاشيّ . قلت : فوالله ما علمنا فرِحْنا

---

(١) في ح ، ط : يسألكم ، والمثبت من مصادر الخبر .

(٢) في النهاية لابن الأثير (سيم) : امكثوا فأنتم سيوم . أي آمنون : كذا جاء تفسيره في الحديث ، وهي كلمة حبشية ، وتروى بفتح السين . وقيل : سيوم جمع سائم ، اي تسومون في بلدي كالغنم السائمة لا يعارضكم أحد . اهـ . وفي ح والسير والمغازي : شيوم . بالشين المعجمة .

(٣) في ط : زبراً ، وفي ح : زيراً ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن هشام (١/٣٣٨) والنهاية لابن الأثير (دبر) .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح وهو من دلائل البيهقي .

بشيءٍ قطُّ فرَحَنا بظهور النجاشيّ ؛ ثم أقمنا عندَهُ حتى خرج من خرج منَّا [راجعاً][١] إلى مكة ، وأقام من أقام .

قال الزُّهري : فحدثتُ هذا الحديث عروة بن الزُّبير عن أمِّ سلمة . فقال عروة : أتدري ما قولُه ما أخذ الله مني الرِّشْوة حين ردَّ عليَّ مُلْكي فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فِيَّ فأطيع الناس فيه ؟ فقلت لا ، ما حدَّثني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أمِّ سلمة . فقال عروة : فإنَّ عائشة حدثَتْني أنَّ أباه كان مَلِكَ قومِه ، وكان له أخٌ له من صُلْبه اثنا عشر رجلاً ، ولم يكنْ لأبي[٢] النجاشي ولدٌ غيرَ النجاشي ، فأدارتِ الحبشةُ رأيَها بينها فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملَّكنا أخاه فإنَّ له اثني عشر رجلاً من صُلْبه فتوارثوا الملك ، لبقيتِ الحبشة عليهم دَهْراً طويلاً لا يكون بينهمُ اختلاف ، فغدَوْا[٣] عليه فقتلوه وملَّكوا أخاه . فدخل النجاشي لعمِّه حتى غلب عليه ، فلا يدبِّر أمْرَهُ غيرُه ، وكان لبيباً حازماً من الرجال ، فلما رأتِ الحبشةُ مكانَهُ من عمِّه قالوا : قد غلب هذا الغلام على أمر عمِّه ، فما نأمن أنْ يملِّكه علينا ، وقد عرف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدَعْ منَّا شريفاً إلا قتله ، فكلِّموه فيه فلْيقتله أو ليخرجنه من بلادنا ، فمشَوْا [إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفتَ أنَّا قتلنا][٤] أباه وجعلناكَ مكانه ، وإنَّا لا نأمنُ أنْ يُمَلَّك علينا فيقتلنا ، فإمَّا أنْ تقتله وإمَّا أن تخرجَهُ من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتلُه اليوم ! بل أُخرجُه من بلادكم .

فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجَّار قذفه في سفينة بستمئة درهم أو بسبعمئة[٥] ، فانطلق به فلما كان العشي هاجَتْ سحابةٌ من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطَّرُ تحتها فأصابته صاعقةٌ فقتلَتْه ، ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون ليس في أحدٍ منهم خير ، فمرجَ على الحبشة أمْرُهم[٦] ، فقال بعضُهم لبعض : تعلمون والله إنَّ مَلِكَكم الذي لا يُصلح أمرَكم غيرُه للَّذي بعتُمْ بالغَدَاة ، فإنْ كان لكم بأمْرِ الحبشةِ حاجة فأدركوه قبل أن يذهب .

فخرجوا في طلبه ، فأدركوه فردُّوه ، فعقدوا عليه تاجَه ، وأجلسوه على سريره وملَّكوه . فقال التاجر : ردُّوا عليَّ مالي كما أخذتُمْ مني غلامي ، فقالوا : لا نُعطيك . فقال : إذاً والله لأكلمنَّه . فمشى إليه فكلَّمه فقال : أيُّها الملك ، إني ابتعتُ غلاماً فقبض مني الذينَ باعونيه[٧] ثمنه ، ثم عدَوْا على غلامي

(١) الزيادة من السير والمغازي والدلائل .
(٢) في ح ، ط : لأب ، والمثبت من السير والمغازي والدلائل .
(٣) في ط والدلائل : فعدوا . بالعين المهملة .
(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح وهو من دلائل البيهقي .
(٥) في ح : أو تسع مئة .
(٦) أي التبس واختلط . اللسان (مرج) .
(٧) في ط : الذي باعوه ، والمثبت من ح .

فنزعوه من يدي ولم يردُّوا عليَّ مالي . فكان أولَ ما خُبر به من صلابةِ حُكمه وعَدْله أن قال : لتردُّنَّ عليه ماله . أو لتجعلنَّ يدَ غلامِهِ في يده ، فليذهبنَّ به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيه ماله فأعْطَوْه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله مني الرِّشوَة فآخذَ الرشوة حين ردَّ عليَّ ملْكي ، وما أطاع الناسَ فيّ فأطيع الناسَ فيه .

وقال موسى بن عقبة[١] : كان أبو النجاشي ملكَ الحبشة ، فمات والنجاشيُّ غلامٌ صغير ، فأوصى إلى أخيه : أنْ إليك ملكُ قومك حتى يبلغَ ابني ، فإذا بلغ فله الملك . فرغب أخوه في الملك ، فباع النجاشيَّ من بعض التجَّار ، فمات عمُّه من ليلته وقَضَى ، فردَّتِ الحبشةُ النجاشيَّ حتى وضعوا التاجَ على رأسه .

هكذا ذكره مختصراً ، وسياقُ ابن إسحاق أحسنُ وأبْسَطُ ، فالله أعلم .

والذي وقع في سياقِ ابنِ إسحاق ، إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، والذي ذكره موسى بن عقبة والأموي وغيرُ واحدٍ أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة ، وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسولُ الله ﷺ حين تضاحكوا يوم وُضع سَلا الجَزُورِ على ظهره ﷺ وهو ساجدٌ عند الكعبة .

وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الأشعري . والمقصود أنَّهما حين خرجا من مكة كانت زوجةُ عمرٍو معه ، وعُمارة كان شابّاً حسناً ، فاصطحبا في السفينة ، وكان عُمارة طمِعَ في امرأةِ عمرٍو بن العاص ، فألقى عَمْراً في البحر ليُهْلكه فسبح حتى رجع إليها . فقال له عُمارة : لو أعلم أنك تُحسن السباحة لما ألْقَيْتُكَ ، فحقد عمرٌو عليه ، فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي ، وكان عمارة قد توصَّل إلى بعضِ أهلِ النجاشي ، فوشى به عمرٌو فأمر به النجاشيُّ فسُحر حتى ذهب عقلُه وساح في البرِّيَّة مع الوحوش .

وقد ذكر الأموي قصةً مطوَّلة جداً وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصَّده بعضُ الصحابة ومسكه ، فجعل يقول : أرسلني وإلا متّ . فلما لم يرسله مات من ساعته . فالله أعلم .

وقد قيل : إنَّ قريشاً بعثتْ إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرَّتين : الأولى مع عمرو بن العاص وعمارة ، والثانية مع عمرو ، وعبد الله بن أبي ربيعة . نص عليه أبو نُعيم في « الدلائل »[٢] والله أعلم . وقد قيل : إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر ؛ قاله الزهري ، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يُجبهم النجاشيُّ رضي الله عنه وأرضاه إلى شيءٍ مما سألوا . فالله أعلم .

[وقد ذكر زياد عن ابن إسحاق[٣] : أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشيِّ

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٩٥) .
(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٣٣١) .
(٣) السير والمغازي (ص٢٢١) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٣) والروض (٢/ ٨٦) .

أبياتاً يحضُّه فيها على العَدْل وعلى الإحسان إلى مَنْ نزل عنده من قومه : [من الطويل]

ألا ليتَ شعري كيفَ في النأْي جعفرٌ وعمرٌو وأعداءُ العدوِّ الأقاربُ
وما[١] نالت افعالُ النجاشيِّ جعفراً وأصحابَهُ أو عاقَ ذلك شاغِبُ
تعلَّم[٢] - أبيتَ اللعنَ - أنك ماجدٌ كريمٌ فلا يَشقى إليكَ المُجانب
تعلَّمْ بأنَّ اللهَ زادك بسطةً وأسبابَ خير كلُّها بكَ لازِبُ][٣]

وقال يونس عن ابن إسحاق[٤] : حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير . قال : إنما كان يكلِّم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه .

والمشهور أن جعفراً هو المترجم رضي الله عنه .

وقال زياد البكَّائي عن ابن إسحاق[٥] : حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها . قالت : لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور .

ورواه أبو داود[٦] عن محمد بن عمرو الرازي عن سَلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق به : لما مات النجاشيُّ رضي الله عنه كنا نتحدَّث أنه لا يزال يُرَى على قبرِهِ نور .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق[٧] : حدَّثني جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : اجتمعتِ الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقتَ ديننا وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيَّأ لهم سُفُناً وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هُزمت[٨] فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإنْ ظفرتُ فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، ويشهدُ أن عيسى عبدُه ورسولُه وروحُه وكلمتُه ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قَبَائه عند المنكِبِ الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفُّوا له . فقال : يا معشر الحبشة ألستُ أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف أنتم بسيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة . قال : فما بكم[٩] ؟ قالوا : فارقتَ ديننا ، وزعمتَ أنَّ عيسى عبد[١٠]. قال : فما تقولون أنتم في

(١) في مصادر الخبر : وهل نالت .
(٢) في ط : ونعلم . والمثبت من مصادر الخبر .
(٣) ما بين معقوفين ليس في ح .
(٤) السير والمغازي (ص٢١٧ ، ٢١٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٠٦) .
(٥) السير والمغازي (ص٢١٩) وسيرة ابن هشام والروض (٢/ ٩٠) .
(٦) في سننه (٢٥٢٣) الجهاد باب في النور يُرى عند قبر الشهيد ، وإسناده ضعيف .
(٧) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٠) والروض (٢/ ٩٠) .
(٨) في ح : هربت .
(٩) في سيرة ابن هشام : فما بالكم ، وفي الروض : فما لكم .
(١٠) في ط : عبده ورسوله ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .

عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله . فقال النجاشي ـ ووضع يدَهُ على صدره على قبائه ـ : وهو يشهدُ أنَّ عيسى ابنُ مريم . لم يزد على هذا ، وإنما يعني على ما كَتَب ، فرَضُوا وانصرفوا . فبلغ [ذلك][١] رسول الله ﷺ ، فلما مات النجاشيُّ صلى عليه واستغفر له .

وقد ثبت في الصحيحين[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ نعى النجاشيَّ في اليومِ الذي ماتَ فيه ، وخرَجَ بهم إلى المصلَّى ، فصفَّ بهم وكبَّرَ أربعَ تكبيرات .

وقال البخاري : موت النجاشي[٣] : حدّثنا أبو الربيع ، حدّثنا ابن عُيينة ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ ـ حين مات النجاشي ـ : « مات اليومَ رجلٌ صالح ، فقوموا فصلُّوا على أخيكم أصْحَمة » .

ورُوي ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد ، وفي بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفي رواية مصحمة[٤] . وهو أصحمة بن أبجر[٥] وكان عبداً صالحاً لبيباً زكياً[٦] ، وكان عادلاً عالماً رضي الله عنه وأرضاه .

وقال يونس عن إسحاق[٧] : اسم النجاشي مصحمة ـ وفي نسخة صحَّحَها البيهقي أصحم ـ وهو بالعربية عطيَّة قال : وإنما النجاشي اسم الملك : كقولك كسرى ، هرقل .

---

(١) زيادة من مصادر الخبر .

(٢) فتح الباري (١٣٣٣) الجنائز باب التكبير على الجنازة أربعاً . وصحيح مسلم (٦٢ ـ ٩٥١) الجنائز باب في التكبير على الجنازة .

(٣) يعني في باب موت النجاشي من كتاب مناقب الأنصار ، فتح الباري (٣٨٧٧) .

(٤) قال ابن حجر في الفتح (٣/٢٠٣) : وقع في جميع الطرق التي اتصلت لنا من البخاري : أصحمة . بمهملتين بوزن أفعلة مفتوح العين في المسند والمعلق معاً ، وفيه نظر لأن إيراد المصنف يشعر بأن يزيد خالف محمد بن سنان ، وأن عبد الصمد تابع يزيد ، ووقع في مصنف ابن أبي شيبة عن يزيد : صحمة ، بفتح الصاد وسكون الحاء ، فهذا متجه ، ويتحصل منه أن الرواة اختلفوا في إثبات الألف وحذفها . وحكى الإسماعيلي أن في رواية عبد الصمد « أصخمة » بخاء معجمة وإثبات الألف ، قال : وهو غلط فيحتمل أن يكون هذا محل الاختلاف الذي أشار إليه البخاري . وحكى كثير من الشراح أن رواية يزيد ورفيقه : صحمة بالمهملة بغير ألف ، وحكى الكرماني أن في بعض النسخ في رواية محمد بن سنان : أصحبة . بموحدة بدل الميم . اهـ .

(٥) كذا في ح وأصول المطبوعة وصحَّحه ناشرها بـ « بحر » محتجاً بالقاموس ، إلا أن الزَّبيدي شارحه قال (صحم) : كذا في النسخ ، والصواب ابن أبجر . اهـ . ثم ساق الخلاف في أصحمة كما بينته عن ابن حجر في الحاشية السابقة ، وزاد في اختلاف الروايات فيه قوله : صمخة . بتقديم الميم على الخاء ، وقيل غير ذلك مما استوعبه شراح البخاري . وسيأتي برسم : أبجر ص(٣٠١) نقلاً عن البيهقي .

(٦) ليست اللفظة في ح .

(٧) دلائل البيهقي (٢/ ٣١٠) .

قلت : كذا[١] ولعله يريد به قيصر ، فإنه عَلَمٌ لكلِّ مَنْ ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الرُّوم ، وكسرى علمٌ على مَنْ ملَكَ الفرس ، وفرعون علمٌ لمن ملك مصر كافة[١] ، والمقوقس لمن ملك الاسكندريَّة ، وتُبَّع لمن مَلَك اليمن والشِّحْر[٢] ، والنجاشِي لمن مَلَك الحبشة ، وبطليموس لمن مَلَك اليونان وقيل الهند ، وخاقان لمن ملَكَ التُّرْك .

وقال بعضُ العلماء إنما صُلِّي عليه لأنه كان يكتُم إيمانه من قومه ، فلم يكن عنده يوم مات مَنْ يصلِّي عليه ، فلهذا صلَّى عليه ﷺ . قالوا : فالغائب إنْ كان قد صُلِّي عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلدٍ أخرى ؟ ولهذا لم يصلَّ على النبيِّ ﷺ في غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم ، وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم يُنقَلْ أنه صُلِّي على أحدٍ منهم في غير البلدة التي صُلِّي عليه فيها فالله أعلم .

قلت : وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاةَ على النجاشي ، دليلٌ على أنه إنما مات بعد فتح خَيْبَر[٣] التي قدِم بقيةُ المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر ، ولهذا رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « والله ما أدري بأيِّهما أنا أسرُّ ، بفتح خَيْبَر أمْ بقدُوم جعفر بن أبي طالب »[٤] . وقدموا معهم بهدايا وتُحَف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبيِّ ﷺ وصحبتهم أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريِّين رضي الله عنهم ، ومع جعفر وهدايا النجاشي ابن أخي النجاشي ذو مخبر أو ذو مخمر[٥] ، أرسله ليخدُمَ النبيَّ ﷺ عوضاً عن عمِّه رضي الله عنهما وأرضاهما .

وقال السهيلي[٦] : توفي النجاشي في رجب سنة تسعٍ من الهجرة ، وفي هذا نظر . والله أعلم .

وقال البيهقي[٧] : أخبرنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطُّوسي ، حدثنا أبو العباس

---

(١) ليست اللفظة في ح .
(٢) « الشِّحْر » : الشّطّ وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن . قال الأصمعي : هو بين عَدَن وعُمان . معجم البلدان (٣/ ٣٢٧) .
(٣) كذا في الأصول ، ولعل الصواب : في السنة التي .
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٤) عن أنس بن سالم الخولاني وأحمد بن خالد بن مسرح قالا : حدّثنا الوليد بن عبد الملك بن مسرح حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا مسعر عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه ، وأخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥/ ١٨٨٤) عن أحمد بن حفص ، حدثنا بكر بن عبد الوهاب حدثنا عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه ؛ وأخرجه البيهقي في السنن (٧/ ١٠١) النكاح باب ما جاء في قبلة ما بين العينين عن أبي القاسم زيد بن أبي هاشم العلوي وأبي القاسم عبد الواحد بن محمد بن النجار المقرئ بالكوفة قالا : أنبأ أبو جعفر محمد بن علي بن دحم حدثنا إبراهيم بن إسحاق القاضي حدثنا قبيصة عن سفيان عن الأجلح عن الشعبي . مرسلاً . وأخرجه ابن عساكر كما تقدم .
(٥) في ط : ذو نخترا أو ذو مخمرا . والمثبت من ح .
(٦) في الروض (٢/ ٩٤) .
(٧) في الدلائل (٢/ ٣٠٧) .

محمد بن يعقوب ، حدثنا هلال بن العلاء الرَّقِّي ، حدثنا أبي العلاءُ بن هلال[١] ، حدثنا أبي[٢] هلالُ بن العلاء عن أبيه ، عن أبي غالب ، عن أبي أُمامة قال : قدِم وَفْدُ النجاشي على رسولِ الله ﷺ فقام يخدُمهم ، فقال أصحابُه : نحن نكفيك [يا رسول الله][٣] . فقال : « إنهم كانوا لأصحابي مُكْرِمين ، وإني أُحبُّ أنْ أكافئَهم » .

ثم قال[٤] : وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي ، حدّثنا هلال بن العلاء ، حدَّثنا أبي ، حدَّثنا طلحة بن زيد[٥] ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي قتادة قال : قدم وفدُ النجاشي على رسولِ الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ يخدُمهم ، فقال أصحابُه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابنا[٦] مُكْرِمين ، وإنِّي أُحبُّ أنْ أكافئهم » . تفرَّدَ به طلحة بن زيد عن الأوزاعي[٧] .

وقال البيهقي[٨] : حدَّثنا أبو الحسين بن بِشْران، حدَّثنا أبو عمرو بن السماك، حدَّثنا حنبلُ بن إسحاق، حدَّثنا الحُميدي ، حدَّثنا سفيان ، حدَّثنا عمرو قال : لما قدم عمرُو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرجْ إليهم ، فقالوا : ما شأنه ما له لا يخرج ؟ فقال عمرو : إنَّ أصْحَمَةَ يزعم أنَّ صاحبَكم نبيّ .

قال ابن إسحاق[٩] : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، وردهم النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شَكِيمة لا يُرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحابُ رسولِ الله ﷺ وبحَمْزَة حتى غاظوا[١٠] قريشاً ، فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنَّا نقدِرُ على أنْ نصلِّي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه .

قلت : وثبت في صحيح البخاري[١١] عن ابنِ مسعود أنه قال : ما زلنا أعِزَّةً منذُ أسْلَمَ عمر[١٢] .

---

(١) في ط : العلاء بن مدرك ، وهو تحريف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وترجمته في تهذيب التهذيب .
(٢) في ط : أبو والمثبت من ح والدلائل .
(٣) ليس ما بين المعقوفين في ح أو الدلائل .
(٤) يعني البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٠٧) .
(٥) في الدلائل : يزيد تحريف ، والمثبت من ح ، ط وترجمته في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٩٥) .
(٦) في ح : لأصحابي .
(٧) وهو متروك ، بل قال أحمد وعلي وأبو داود : كان يضع الحديث (بشار) .
(٨) في الدلائل أيضاً (٢/ ٣٠٧) .
(٩) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٢) والروض (٢/ ٩٥) .
(١٠) كذا في ط ، وفي ح : غاروا براء مهملة ، وفي سيرة ابن هشام والروض : غازوا .
(١١) فتح الباري (٣٦٨٤) فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب . و(٣٨٦٣) مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب .
(١٢) في ط : « عمر بن الخطاب » ، وليست في ح ولا في صحيح البخاري الذي ينقل منه المصنف .

وقال زياد البكَّائي[١] : حدَّثني مِسْعَر بن كِدَام ، عن سعد بن إبراهيم قال : قال ابنُ مسعود : إنَّ إسلامَ عمر كان فتحاً ، وإنَّ هجرتَه كانتْ نصراً ، وإنَّ إمارته كانت رحمة ، ولقد كنَّا وما نصلِّي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان إسلامُ عمر بعد خروج مَنْ خرج من أصحاب رسولِ الله ﷺ إلى الحبشة .

حدَّثني[٣] عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمِّه أمِّ عبد الله بنت أبي حَثْمة قالت : والله إنَّا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامرٌ في بعض حاجتنا ، إذْ أقبل عمر فوقف عليَّ وهو على شِرْكه ؛ فقالت : وكنَّا نلقى منه أذى لنا وشدَّةً علينا قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أمَّ عبد الله . قلت : نعم والله ، لنخرجنَّ في أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا ؟ حتى يجعل اللهُ لنا مخرجاً . قالت : فقال : صحِبَكُم الله ورأيتُ له رِقَّةً لم أكنْ أراها . ثم انصرفَ وقد أحزنه ـ فيما أرى ـ خروجُنا . قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله لو رأيتَ عمر آنفاً ورقَّته وحُزْنَهُ علينا . قال : أطمعتِ في إسلامه ؟ قالت : قلت نعم! قال : لا يُسلم الذي رأيتِ حتى يُسلم حمار الخطَّاب . قالت : يَأْساً منه لما كان يُرى من غِلْظَتِه وقسوته على الإسلام .

قلت : هذا يردُّ قولَ من زعم أنه كان تمام الأربعينَ من المسلمين ، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ، اللهم إلا أنْ يُقال : إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين ؛ ويؤيد هذا ما ذكره ابنُ إسحاق هاهنا في قصة إسلام عمر وحده رضي الله عنه ، وسياقها فإنه قال[٤] : وكان إسلام عمر فيما بلغني أنَّ أختَهُ فاطمة بنت الخطَّاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل كانت قد أسلمت وأسلم زوجُها سعيد بن زيد، وهم مستخفُون بإسلامهم من عُمر ، وكان نُعيم بن عبد الله النحَّام ـ رجلٌ من بني عَدِيّ ـ قد أسلم أيضاً مستخفياً بإسلامه من قومه ، وكان خَبَّابُ بن الأرَتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقرئها القرآن ، فخرج عمرُ يوماً متوشِّحاً سيفه يريدُ رسولَ الله ﷺ ورَهْطاً من أصحابه ، فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصَّفا ، وهم قريبٌ من أربعينَ من بين رجالٍ ونساءٍ ، ومع رسولِ الله ﷺ عمُّه حمزة وأبو بكر بن أبي قُحَافة الصدِّيق ، وعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، في رجالٍ من المسلمين ممن كان أقام مع رسولِ الله ﷺ بمكة ولم يخرُجْ فيمن خرج إلى أرض الحَبَشة ، فلقِيَهُ نُعيم بن عبد الله فقال : أين تريد يا عمر ؟ قال : أريدُ محمداً هذا الصابئ الذي فرَّقَ أمْرَ قريش ، وسفَّه أحلامها وعاب دينها وسبَّ آلهتها فأقتله . فقال له نُعيم : والله لقد غرَّتْك نفسُك يا عمر ، أترى بني عبد مَنَاف تاركيك تمشي

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٢) .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٢١) .
(٣) المتكلم هو ابن إسحاق ، والخبر في سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٢) .
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣) والروض (٢/ ٩٥) .

على الأرض وقد قتلتَ محمدا ؟ أفلا ترجعُ إلى أهل بيتك فتقيمَ أمْرَهم ؟ قال : وأيَّ أهل بيتي ، قال : خَتَنك وابن عمِّك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة ، فقد والله أسلما وتابعا محمداً ﷺ على دينه ، فعليك بهما .

فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب[١] بن الأرتّ ، معه صحيفةٌ فيها ﴿ طه ﴾ يُقرِئُها إياها ، فلما سمعوا حِسَّ عمر تغيَّب خبَّابٌ في مُخْدَعٍ لهم[٢] ـ أو في بعض البيت ـ وأخذَتْ فاطمةُ بنتُ الخطاب الصحيفةَ فجعلَتْها تحت فَخِذِها ، وقد سمع عمرُ حين دنا إلى الباب قراءةَ خبَّاب عليها ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة[٣] التي سمعتُ ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئاً . قال : بلى والله ، لقد أُخبرتُ أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبَطَش بخَتَنِه سعيد بن زيد . فقامت إليه أختُه فاطمةُ بنتُ الخطَّاب لتكفَّه عن زوجها فضربها فشجَّها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختَنُه : نعم قد أسلَمْنا وآمنا بالله ورسوله فاصنَعْ ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأختِهِ من الدَّم ندم على ما صنع وارْعَوَى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفةَ التي كنتم تقرؤونَ آنفاً أنظرْ ما هذا الذي جاء به محمد ؟ ـ وكان عمر كاتباً ـ فلما قال ذلك قالتْ له أختُه إنا نخشاك عليها . قال : لا تخافي وحلَفَ لها بآلهته ليرُدَّنَّها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعَتْ في إسلامه ، فقالت : يا أخي ، إنك نَجَسٌ على شِرْكك ، وإنَّه لا يمسُّه إلا المُطَهَّرُون . فقام عمر فاغتسل ، فأعطَتْهُ الصحيفة ، وفيها ﴿ طه ﴾ فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمَه . فلما سمع ذلك خبَّاب بن الأرتّ خرج إليه فقال له : والله يا عمر ، إنِّي لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوةِ نبيِّه ﷺ ، فإني سمعتُه أمسِ وهو يقول : « اللهمَّ أيِّدِ الإسلامَ بأبي الحكم بن هشام ، أو بعمرَ بنِ الخطَّاب » . فاللهَ اللهَ يا عمر . فقال عند ذلك : فدُلَّني يا خبابُ على محمدٍ حتى آتيَهُ فأُسلم . فقال له خباب : هو في بيتٍ عند الصَّفا ، معه نفرٌ من أصحابه .

فأخذ عمر سيفه فتوشَّحه ثم عمد إلى رسولِ الله ﷺ وأصحابه ، فضرَبَ عليهمُ الباب . فلما سمعوا صوْتَه قام رجلٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ فنظر من خَلَلِ الباب ، فإذا هو بعمر متوشِّحٌ بالسيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فَزِعٍ فقال : يا رسولَ الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشِّحاً بالسيف ، فقال حمزة : فأْذَنْ له ، فإنْ كان جاء يريدُ خيراً بذَلْناه ، وإنْ كان يريدُ شرّاً قتلناهُ بسيفه . فقال رسولُ الله ﷺ : « ايذنْ له » فأذِنَ له الرجل ونهض إليه رسولُ الله ﷺ حتى لَقيهُ في الحُجْرَة ، فأخذ بحُجْزتِه أو بمجمع ردائه ثم جذَبهُ جذبةً شديدة فقال : « ما جاء بك يا ابنَ الخطاب ؟ فوالله ما أرى أنْ تنتهيَ حتى ينزلَ اللهُ بك قارعة » . فقال عمر : يا رسول الله جئتُك لأومنَ بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله . قال : فكبَّر رسولُ الله ﷺ

---

(١) في سيرة ابن هشام : إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب .

(٢) « المخدع » : هو البيت الصغير الذي يكون داخل البيت ، وتضم ميمه وتفتح . اللسان (خدع) .

(٣) في ح : الهمهمة . وفي الهامش : الهينمة . وفوقها (خ) إشارة إلى رواية نسخة ، والهمهمة والهينمة : الكلام الخفي لا يفهم . النهاية لابن الأثير (همهم ، هينم) .

تكبيرة ، فعرف أهلُ البيت أنَّ عمر قد أسلم . فتفرَّق أصحابُ رسولِ الله من مكانهم وقد عزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعلموا أنهما سيمنعان رسولَ الله ﷺ ، وينتصفون بهما من عدوِّهم .

قال ابن إسحاق[١] : فهذا حديثُ الرواةِ من أهل المدينة عن إسلام عمرَ حين أسلم رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني عبد الله بن أبي نَجيح المكي عن أصحابه : عَطَاء ومجاهد وعمن روى ذلك . أنَّ إسلام عمر فيما تحدَّثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنتُ للإسلام مُبَاعداً وكنتُ صاحبَ خمرٍ في الجاهليَّة أُحِبُّها وأشربها[٣] ، وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجالٌ من قريش بالحَزْوَرَة[٤] فخرجتُ ليلةً أُريدُ جلسائي أولئك فلم أجدْ فيه منهم أحداً ، فقلت : لو أني جئتُ فلاناً الخمَّار لعلِّي أجد عنده خمراً فأشربَ منها . فخرجتُ فجئتُه فلم أجدْه قال : فقلت : لو أنِّي جئتُ الكعبة فطُفْتُ سبعاً أو سَبْعَيْن ، قال : فجئتُ المسجد ، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلِّي ، وكان إذا صلَّى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الرُّكْنَين : الأسود واليماني . قال : فقلت حين رأيتُه : واللهِ لو أنِّي استمعتُ لمحمدٍ الليلةَ حتى أسمعَ ما يقول ، فقلت : لئن دنوتُ منه لأستمع منه لأُرَوِّعَنَّه ، فجئتُ من قِبَلِ الحِجْر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلتُ أمشي رويداً ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلِّي يقرأ القرآن ، حتى قمتُ في قبلتِه مستقبلَهُ ، ما بيني وبينه إلا ثيابُ الكعبة قال : فلما سمعتُ القرآن رقَّ له قلبي وبكَيْتُ ودَخَلني الإسلام ، فلم أزَلْ في مكاني قائماً حتى قَضَى رسولُ الله ﷺ صلاتَه ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حُسين ـ وكان مسكنه في الدار الرَّقْطَاء التي كانت بيد معاوية ـ . قال عمر : فتبعتُه حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزْهر أدركتُه . فلما سمع [رسول الله ﷺ][٥] حِسِّي عرفني ، فظنَّ أني إنما اتبعتُه لأُوذِيَه ، فَنَهَمني[٦] ، ثم قال : « ما جاءَ بك يا ابنَ الخطَّاب هذه الساعة » قال : قلت : جئتُ لأومنَ بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله . قال : فحمد الله رسولُ الله ﷺ ثم قال : « قد هَدَاكَ الله يا عمر » ثم مسَح صَدْري ودعا لي بالثبات ثم انصرفتُ ودخلَ رسولُ الله ﷺ بيتَه .

قال ابنُ إسحاق : فالله أعلم أيّ ذلك كان .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٦) والروض (٢/ ٩٦) .
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٦) والروض (٢/ ٩٧) .
(٣) في سيرة ابن هشام والروض : وأُسرُّ بها .
(٤) « الحزورة » : بالفتح ثم السكون وفتحت الواو ، وراء وهاء ؛ هو في اللغة الرابية الصغيرة وجمعها حزاور ، وقال الدارقطني : كذا صوابه ، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو وهو تصحيف ، وكانت الحزورة سوق مكة وقد دخلت المسجد لمَّا زيد فيه . معجم البلدان (٢/ ٢٥٥) .
(٥) الزيادة من سيرة ابن هشام .
(٦) أي زجرني وصاح بي . النهاية لابن الأثير (نهم) .

قلت : وقد استقصيتُ كيفيَّة إسلام عمر رضي الله عنه وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطوَّلاً في أول سيرتِه التي أفردْتُها على حدة ولله الحمد والمنَّة .

قال ابن إسحاق[(١)] : وحدَّثني نافع مولى ابنِ عمر عن ابن عمر . قال : لما أسلم عمر قال : أيُّ قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجمحي ، فغدا عليه ، قال عبد الله : وغدوتُ أتبع أثره وأنظر ما يفعل ـ وأنا غلامٌ أعقِلُ كلَّ ما رأيت ـ حتى جاءه فقال له : أعلمتَ يا جميلُ أني أسلمتُ ودخلتُ في دينِ محمد ﷺ ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجُرُّ رداءَه واتَّبعه عمر ، واتبعتُه أنا حتى قام على باب المسجد ، صرَخَ بأعلى صوته : يا معشر قريش ـ وهم في أنديتهم حول الكعبة ـ ألا إنَّ ابنَ الخطَّاب قد صبَأ . قال : يقول عمر من خلفه : كذَب ، ولكنِّي قد أسلمْتُ وشهدتُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ، وثاروا إليه ، فما برِح يقاتلُهم ويقاتلونه حتى قامتِ الشمس على رؤوسهم . قال : وطَلَح[(٢)] فقعد ، وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بَدَا لكم ، فأحلفُ بالله أنْ لو قد كنَّا ثلاثمئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال : فبينما هم على ذلك إذْ أقبل شيخٌ من قريش ، عليه حُلَّةٌ حِبَرَة ، وقميصٌ مُوَشًّى ، حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : صَبَأ عمر . قال : فمه ؟ رجلٌ اختارَ لنفسه أمْراً فماذا تريدون ؟ أترون بني عديٍّ يُسلمون لكم صاحبَهم هكذا ؟ خلُّوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشِط عنه . قال : فقلت لأبي بعد أنْ هاجر إلى المدينة : يا أبة من الرجلُ الذي زَجَر القومَ عنك بمكةَ يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك أيْ بُني العاصُ بن وائل السهمي .

وهذا إسنادٌ جيِّدٌ قويّ ، وهو يدلُّ على تأخُّر إسلام عمر ، لأنَّ ابنَ عمر عُرض يومَ أُحُد وهو ابنُ أربعَ عشرةَ سنة ، وكانت أُحُد في سنة ثلاثٍ من الهجرة ، وقد كان مميِّزاً يوم أسلم أبوه ، فيكون إسلامهُ قبل الهجرة بنحوٍ من أربع سنين ، وذلك بعد البِعْثة بنحْوِ تسعِ سنين والله أعلم .

وقال البيهقي[(٣)] حدَّثنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبَّار ، حدَّثنا يونس ، عن ابن إسحاق قال : ثم قدِم على رسولِ الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة ـ أو قريبٌ من ذلك ـ من النصارى حين ظهر خبَرُه من أرض الحبشة ، فوجدوه في المجلس ، فكلَّموه وساءلوه ، ورجالٌ من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مساءلتهم رسولَ الله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم رسولُ الله ﷺ إلى الله عزَّ وجلّ ، وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا فاضَتْ أعينُهم من الدَّمْع ، ثمَّ استجابوا له وآمنوا به وصدَّقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهلٍ في نفرٍ من قريش فقال : خيَّبكم الله مِنْ ركْب بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينِكم ترتادون لهم ، فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئنَّ مجالسكم عنده حتى فارقتُم دينكم وصدَّقتموهُ بما قال لكم ! ما نعلم ركباً أحمقَ منكم

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٨) والروض (٢/ ٩٧) .

(٢) « طَلَحَ » : أي أعْيَا . النهاية (طلح) .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٣٠٦) .

ـ أو كما قال ـ قالوا لهم : لا نجاهلكم ، سلام عليكم ، لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم لا نألُوَن[١] أنفسنا خيراً . فيقال : إنَّ النَّفرَ من نصارى نجران ؛ والله أعلم أيّ ذلك كان . ويقال : والله أعلم : إنَّ فيهم نزلت هذه الآيات : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٢ ـ ٥٥] .

فصــل

قال البيهقي في « الدلائل »[٢] : باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ، ثم روى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس ، عن ابن إسحاق قال : هذا كتابٌ من رسول الله ﷺ إلى النجاشي : [« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي] الأصحم عظيم الحبشة ، سلامٌ على من اتّبع الهُدَى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له . لم يتَّخذْ صاحبةً ولا ولداً ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله ؛ وأدعوك بدعاية الله ، فإنِّي أنا رسولُه ، فأسلمْ تَسْلَمْ ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] فإنْ أبيْتَ فعليكَ إثْمُ النَّصارَى من قومِك » .

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة ، وفي ذِكْره هاهنا نظر ، فإن الظاهرَ أنَّ هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحبِ جعفرٍ وأصحابه ، وذلك حين كتَبَ إلى ملوكِ الأرض يدعوهم إلى الله عزَّ وجلّ قُبيل الفتح ، كما كتب إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرُّوم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشي .

قال الزُّهْري : كانت كتبُ النبيِّ ﷺ إليهم واحدة يعني نسخةً واحدة ، وكلُّها فيها هذه الآية وهي من سورة آلِ عمران ، وهي مدنيَّة بلا خلاف ، فإنَّهُ من صَدْر السورة ، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وَفْد نَجْرَان كما قرَّرْنا ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة . فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول ، وقوله فيه إلى النجاشي الأصحم ، لعلَّ الأصحم مقحمٌ من الراوي بحسب ما فهم . والله أعلم .

وأنسب من هذا هاهنا ما ذكره البيهقي[٣] أيضاً عن الحاكم ، عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه

---

(١) في الدلائل : لا نألوا .

(٢) دلائل النبوة (٢/ ٣٠٨) وما يأتي بين معقوفين منه ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٣) كتاب التاريخ من كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٣٠٩) .

ـ بمرو ـ حدَّثنا حماد بن أحمد ، حدَّثنا محمد بن حُميد ، حدَّثنا سَلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق قال : بعث رسولُ الله ﷺ عمرو بن أمية الضَّمْري إلى النجاشي في شأنِ جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتاباً : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ رسول الله إلى النجاشي الأصْحم ملكِ الحَبَشة ، سلامٌ عليك ، فإني أحمد إليك الله الملكَ القدُّوس المؤمنَ المُهَيْمنَ ، وأشهدُ أنَّ عيسى روحُ الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم البَتُول[١] الطيبة الحصينة ، فحملتْ بعيسى ، فخلقَهُ من رُوحه ونَفْخَتِه ، كما خلَقَ آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحدَهُ لا شريكَ له ، والموالاة على طاعَتِه وأنْ تَتَّبِعَني فتؤمنَ بي وبالذي جاءني ، فإني رسولُ الله ، وقد بعثتُ إليك ابنَ عمِّي جعفراً ، ومعه نفرٌ من المسلمين ، فإذا جاؤوك فأقِرَّهم ودع التجَبُّر فإنِّي أدعوك وجنودَك إلى الله عزَّ وجلَّ ، وقد بلَّغْتُ ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتَّبع الهُدى » .

فكتب النجاشي إلى رسولِ الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمدٍ رسولِ الله من النجاشي ، الأصحم بن أبجر ، سلامٌ عليك يا نبيَّ الله ، من الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا هو الذي هدَاني إلى الإسلام ، فقد بلغني كتابُكَ يا رسول الله فيما ذكرتَ من أمْرِ عيسى ، فَوَربِّ السماءِ والأرض إنَّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفْنا ما بُعثتَ به إلينا ، وقَرَيْنا ابنَ عمِّك وأصحابَه ، فأشهدُ أنَّكَ رسولُ الله صادقاً ومصدَّقاً وقد بايعتك[٢] وبايعتُ ابنَ عمِّك ، وأسلمتُ على يديه لله ربِّ العالمين ، وقد بعثتُ إليك يا نبيَّ الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر ، فإنِّي لا أمْلِكُ إلا نفسي ، وإنْ شئتَ أنْ آتيكَ فعلتُ يا رسولَ الله ، فإنِّي أشهدُ أنَّ ما تقولُ حقّ[٣] .

فصل

في ذِكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ وتحالفهم فيما بينهم عليهم ، على أن لا يبايعوهم ولا يُناكحوهم حتى يُسلموا إليهم رسولَ الله ﷺ ، وحَصْرهم إيَّاهم في شِعْبِ أبي طالب مدَّةً طويلة ، وكتاباتهم بذلك صحيفةً ظالمة فاجرة ، وما ظهر في ذلك كلِّه من آياتِ النبوَّة ودلائل الصدق

قال موسى بن عقبة عن الزهري[٤] : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا ، حتى بلغ

---

(١) زادت ط : الطاهرة . وليست هذه الزيادة في ح أو الدلائل .
(٢) في ح : تابعتك . وكذا في إحدى نسخ الدلائل .
(٣) إسناده ضعيف لضعف محمد بن حميد الرازي ، فضلاً عن إرساله .
(٤) الدلائل للبيهقي (٢/ ٣١١) .

المسلمين الجهد ، واشتدَّ عليهم البلاء واجتمعت[(١)] قريشٌ في مكْرها أنْ يقتلوا رسولَ الله ﷺ علانيةً . فلما رأى أبو طالب عملَ القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أنْ يُدْخِلوا رسولَ الله ﷺ شِعْبَهُمْ ، وأمرهم أنْ يمنعوه ممن أرادوا قتله . فاجتمع على ذلك مسلمُهم وكافرُهم ، فمنهم من فعله حميَّةً ، ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً ؛ فلما عرفتْ قريش أنَّ القوم قد منعوا رسول الله ﷺ ، وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يُسلموا رسولَ الله ﷺ للقَتْل ، وكتبوا في مكْرهم صحيفةً وعهوداً ومواثيق ، لا يقبلوا[(٢)] من بني هاشم صُلْحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم[(٣)] رأفة حتى يسلموه للقتل .

فلبث بنو هاشم في شِعْبهم ثلاثَ سنين ، واشتدَّ عليهم البلاءُ والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا[(٤)] لهم طعاماً يقدم مكة ، ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشترَوْه يريدون بذلك أنْ يدركوا سفكَ دمِ رسول الله ﷺ ؛ فكان أبو طالب إذا أخذ الناسُ مضاجعَهم أمر رسولَ الله ﷺ فاضطجع على فراشِه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالاً له ، فإذا نامَ الناسُ أمر أحدَ بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسولِ الله ﷺ وأمر رسولَ الله ﷺ أنْ يأتيَ بعضَ فُرشِهم فينامَ عليه ؛ فلما كان رأس ثلاثِ سنين تلاوم رجالٌ من بني عبد مناف ومن [بني][(٥)] قصي ، ورجالٌ سواهم من قريش قد ولدَتْهم نساءٌ من بني هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرَّحِم واستخفُّوْا بالحق ، واجتمع أمرُهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغَدْر والبراءةِ منه ، وبعث الله على صحيفتهم الأرَضَة[(٦)] فلَحِسَتْ كلَّ ما كان فيها من عهدٍ وميثاق .

ويقال : كانتْ معلَّقةً في سقف البيت ، فلم تتركِ اسماً لله فيها إلا لَحِسَتْه ، وبقي ما كان فيها من شِرْكٍ أو ظلم أو قطيعة رحم ؛ وأطلع اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ على الذي صنع بصحيفتهم ، فذكر ذلك رسولُ الله ﷺ لأبي طالب . فقال أبو طالب : لا والثواقب[(٧)] ما كذبني . فانطلق يمشي بعصابةٍ من بني عبد المطلب حتى أتى المسجدَ وهو حافلٌ من قريش ، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك ، وظنُّوا أنهم خرجوا من شدَّة البلاء ، فأتَوْهم ليعطوهم رسول الله ﷺ . فتكلم أبو طالب فقال : قد حدَثَتْ أمورٌ بينكم لم نذكُرْها لكم ، فأْتُوا بصحيفتِكم التي تعاهدْتُم عليها فلعلَّه أن يكونَ بيننا وبينكم صُلْح . وإنما قال ذلك خشيةَ أنْ ينظروا في الصحيفة قبل أنْ يأتوا بها . فأتَوْا بصحيفتهم معجَبينَ بها ، لا يشكُّون أنَّ رسولَ الله ﷺ

---

(١) في ط : وجمعت ، والمثبت من ح والدلائل .
(٢) كذا في ح ، ط ودلائل البيهقي .
(٣) في الدلائل : به .
(٤) كذا في جميع الأصول والدلائل بحذف نون الرفع ، وهي لغة .
(٥) الزيادة من الدلائل .
(٦) « الأرضة » : دويبة ، أو دودة تأكل (تلحس) الخشب ونحوه . المعجم الوسيط (أرض) .
(٧) في ح : الثوابت ، والمثبت من ط والدلائل ؛ والثواقب : جمع ثاقب ، وهو النجم المضيء ، أو ما ارتفع من النجوم . اللسان (ثقب) .

مدفوعاً[١] إليهم فوضعوها بينهم وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يَجْمَعُ قومكم ، فإنما قطع بيننا وبينكم رجلٌ واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم . فقال أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيَكم أمراً لكم فيه نَصَف[٢] ، إنَّ ابن أخي أخبرني ـ ولم يكذبْني ـ أنَّ الله بريءٌ من هذه الصحيفةِ التي في أيديكم ، ومحا كلَّ اسم هو له فيها ، وترك فيها غَدْرَكم وقطيعتكم إيانا وتظاهرَكم علينا بالظُّلْم ، فإنْ كان الحديثُ الذي قال ابنُ أخي كما قال فأفيقوا ، فوالله لا نُسْلِمُه أبداً حتى نموت من عند[٣] آخرنا ، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناهُ إليكم فقتلتموه أو استحييتم .

قالوا : قد رَضِينا بالذي تقول ، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها ، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا : والله إنْ كان هذا قطُّ إلا سحرٌ من صاحبكم . فارتكسوا وعادوا بشرِّ ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدَّة على رسولِ الله ﷺ والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه[٤] . فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب : إنَّ أولى بالكذب والسحر غيرُنا ، فكيف ترَوْن ؟ فإنَّا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقربُ إلى الجبْتِ والسِّحْر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتُكم ، وهي في أيديكم طمس [الله][٥] ما كان فيها من اسمه ، وما كان فيها من بغي تركه ، أفنحن السَّحَرَةُ أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النَّفَرُ من بني عبد مناف وبني قُصَيّ ورجالٌ من قريش ولدتْهم نساءٌ من بني هاشم ، منهم أبو البَخْتَري والمُطْعِم بن عدي ، وزُهير بن أبي أمية بن المغيرة ، وزَمَعَة بن الأسود ، وهشام بن عمرو ؛ وكانت الصحيفةُ عنده وهو من بني عامر بن لُؤَيّ ـ في رجالٍ من أشرافهم ووجوههم ـ نحن بُرَآءُ مما في هذه الصحيفة . فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمر قُضي بليل . وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرَّؤوا منها ونقضُوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي[٦] .

قال البيهقي[٧] : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ ـ يعني من طريق ابنِ لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير ـ يعني كسياق موسى بن عقبة رحمه الله ـ وقد تقدَّم عن موسى بن عقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشِّعب عن أمر رسول الله ﷺ لهم في ذلك . فالله أعلم[٨] .

---

(١) كذا في ح ، ط والدلائل ، والوجه : مدفوع .
(٢) « النَّصَف » : من الإنصاف وهو العدل ، قال ابن الأعرابي : أنصف ؛ إذا أخذ الحق وأعطى الحق ، والاسم النَّصف والنصَفة محركتين ، وتفسيره أن تعطيه من الحق كالذي تستحقه لنفسك . التاج (نصف) .
(٣) في ح ، ط : عندنا ، والمثبت من الدلائل .
(٤) في الدلائل : والشدة على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين رهطه ، والقيام بما تعاهدوا عليه .
(٥) الزيادة من الدلائل .
(٦) القصيدة ستأتي .
(٧) في الدلائل (٢/ ٣١٤) .
(٨) انظر قول موسى بن عقبة في ص(٢٨٢) .

قلت : والأشبه أنَّ أبا طالب إنما قال قصيدته اللاَّميَّة التي قدَّمنا ذِكرها بعد دخولهم الشعب أيضاً فذِكْرُها هاهنا أنسب . والله أعلم .

ثم روى البيهقي(١) من طريق يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : لما مضى رسولُ الله ﷺ على الذي بعث به [وقامَتْ بنو هاشم وبنو المطلب دونه ، وأبَوْا أن يُسْلموه وهم من خلافه على مِثْلِ ما قومُهم عليه ، إلا أنهم أنِفُوا أن يُستذلُّوا ويُسْلِموا أخاهم لمن فارقه من قومه . فلما فعلتْ ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفتْ قريش أنْ لا سبيلَ إلى محمد ، اجتمعوا على أن](٢) يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفةً في ذلك وعلَّقوها بالكعبة ، ثم عدَوْا على مَنْ أسلم فأوثقوهم وآذَوْهم ، واشتدَّ عليهم البلاء وعظمتِ الفتنة وزُلْزِلُوا زِلْزالاً شديداً .

ثم ذكر القصةَ بطولها في دخولهم شِعْبَ أبي طالب وما بلَغُوا فيه من فتنة الجهْد الشديد ، حتى كان يسمعُ أصواتُ صبيانِهم يتضاغَوْنَ من وراء الشِّعْب من الجوع ، حتى كره عامَّةُ قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة ، وذكر(٣) أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرَضة فلم تدَعْ فيها اسماً هو لله إلا أكلَتْه وبقي فيها الظلم والقَطِيعة والبُهْتان ، فأخبر اللهُ تعالى بذلك رسولَ الله ﷺ فأُخبر بذلك عمُّه أبو طالب ، ثم ذكر بقيَّة القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم .

وقال ابنُ هشام(٤) عن زيد عن محمد بن إسحاق : فلما رأت قريش أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا فيها أمْناً وقراراً ، وأنَّ النجاشِي قد منَعَ مَنْ لجأ إليه منهم ، وأنَّ عمر قد أسلم فكان هو وحمزةُ مع رسولِ الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يَفْشُو في القبائل اجتمعوا وأتَمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب(٥) على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه(٦) في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علَّقوا الصحيفة في جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بنُ عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . قال ابنُ هشام : ويقال : النَّضْر بن الحارث ، فدعا عليه رسولُ الله ﷺ فشلَّ بعضُ أصابعه .

---

(١) في الدلائل (٢/ ٣١٤) .

(٢) سقط ما بين المعقوفين من ح وتقويمه من الدلائل .

(٣) في ح ، ط : وذكروا . والمثبت من الدلائل ، والذي ذكر هو محمد بن إسحاق كما تقدم .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٠) والروض (٢/ ١٠١) .

(٥) في ح ، ط : وبني عبد المطلب ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٦) في ح ، ط : كتبوا ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

وقال الواقدي : كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العَبْدَري[١] .

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن إسحاق ، وهو الذي شَلَّتْ يدُه فما كان ينتفع بها ، وكانت قريش تقول بينها : انظروا إلى منصور بن عكرمة .

قال الواقدي[٢] : وكانت الصحيفة معلقة في جوف الكعبة .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما فعلتْ ذلك قريش انحازتْ بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شِعْبِهِ واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبدُ العُزَّى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم .

وحدَّثني حسين بن عبد الله ، أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا ، فقال : يا ابنة عتبة ، هل نصرتُ اللاتَ والعُزَّى وفارقتُ مَنْ فارقها وظاهر عليها[٤] ؟ قالت : نعم ! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحاق[٣] : وحُدِّثتُ أنه كان يقول ـ في بعض ما يقول ـ يَعِدُني محمد أشياءَ لا أراها يزعم أنها كائنةٌ بعد الموت ، فماذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يدَيْه فيقول : تبًّا لكما ، لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فأنزل الله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] .

قال ابن إسحاق[٥] : فلما اجتمعتْ على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب : [من الطويل]

ألا أبلِغَا عنِّي على ذاتِ بيننا ... لُؤَيًّا وخُصَّا من لُؤَيٍّ بني كَعْبِ[٦]
ألم تعلموا أنا وجدْنا محمداً ... نبيًّا كموسى خُطَّ في أولِ الكُتْبِ[٧]
وأنَّ عليه في العبادِ محبةً ... ولا خير ممَّنْ خصَّهُ اللهُ بالحُبِّ[٨]

---

(١) في ط : العبدوي ، والمثبت من ح والإكمال (٦/ ٣٤٩) .
(٢) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ٢٠٩) .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥١) والروض (٢/ ١٠٢) .
(٤) في سيرة ابن هشام والروض : فارقهما وظاهر عليهما .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٢) والروض (٢/ ١٠٢) والشعر فقط في السير والمغازي ص(١٥٧) .
(٦) هذه رواية ط وسيرة ابن هشام والروض . ورواية ح :
ألا بلِّغا عني قريشاً وبيتنا ... لؤيًّا وخصًّا من لؤي بني كعب
وفي السير : . . . على ذات نايها ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض وقال السهيلي فيه (٢/ ١٠٩) : « ذات بيننا وذات يده وما كان نحوه : صفة لمحذوف مؤنث ، كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم ، كما قال الله سبحانه : ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ، فكذلك إذا قلت ذات يده ، يريد أمواله أو مكتسباته .
(٧) رواية ح : نبياً كما قد خط . . . ، وفي الهامش : كموسى ، وفوقها حرف : خ إشارة إلى رواية نسخة .
(٨) قال السهيلي : معلقاً على الشطر الثاني في الروض (٢/ ١١٠) : وهو مشكل جداً لأن « لا » في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا منوناً تقول : لا خيراً من زيد في الدار ، و لا شرًّا من فلان ، وإنما تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير =

وأن الـذي ألصقْتُـمُ مـن كتـابكـم لكم كائنٌ نحساً كراغيةِ السَّقْبِ(١)
أفيقـوا أفيقـوا قبـل أنْ يُحفَـرَ الثَّـرَى ويصبحَ من لم يجنِ ذنباً كذي الذنْب
ولا تَتْبَعُـوا أمـرَ الـوشـاةِ وتقطعـوا أواصـرَنـا بعـدَ المـودَّة والقُـرْبِ(٢)
وتستَجلِبـوا حَـرْبـاً عَـوانـاً وربمـا أمَرَّ على مَن ذاقه حَلَبُ الحرب(٣)
فلسنـا وربِّ البيـتِ نُسْلـم أحمـداً لعزَّاءَ من حضِّ الزمانِ ولا كَرْب(٤)
ولمـا تَبِـنْ منَّـا ومنكُـم سـوالـفٌ وأيـدٍ تبـارَتْ بـالقسـاسِيَـةِ الشُّهْـبِ(٥)
بمعتـركٍ ضَيْـقٍ تـرى كِسَـرَ القَنَـا بهِ والنسورَ الطُّخْمَ يعْكُفْنَ كالشَّرْبِ(٦)
كـأن مَجَـالَ الخيـل فـي حَجَـراتِـهِ ومعمعةَ الأبطالِ معركةُ الحرب(٧)
أليـس أبـونـا هـاشـمٌ شُـدَّ أزْرُهُ وأوصَـى بنيـهِ بـالطِّعـانِ وبـالضَّـرْبِ
ولسنـا نمـلُّ الحـربَ حتـى تملَّنـا ولا نشتكي ما قد ينوبُ من النَّكْبِ
ولكنَّنـا أهـلُ الحفـائـظِ والنُّهـى إذا طـارَ أرواحُ الكمـاةِ مـن الرُّعْـبِ

= موصول بما بعده كقوله تعالى: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ لأن عليكم ليس من صلة التثريب، لأنه في موضع الخبر؛ وأشبه ما يقال في بيت أبي طالب أن خير مخفف من « خيِّر » كهيِّن وميِّت وفي التنزيل ﴿ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠] هو مخفف من خيِّرات. وقوله « ممن من متعلقة بمحذوف، كأنه قال: لا خير أخير ممن خصه الله، وخير أخير: لفظان من جنس واحد فحسُن الحذف استثقالاً لتكرار اللفظ كما حسُن ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ و ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ لما في تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان... وفيه يجوز وجه آخر، وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة لأن خيراً من زيد إنما معناه: أخير من زيد، وكذلك شر من فلان، إنما أصله: أشر على وزن أفعل، وحذف الهمزة تخفيفاً، وأفعل لا ينصرف، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونوِّن، فإذا توهمتها غير ساقطة التفاتاً إلى أصل الكلمة لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر. اهـ.

(١) في ح: لصَّقتُم... لراعية الشعب. قال السهيلي في الروض (٢/١١١): وقوله كراغية السقب: يريد ولد الناقة التي عقرها قدار، فرغا ولدها، فصاح برغائه كل شيء له صوت فهلكت ثمود عند ذلك، فضربت العرب ذلك مثلاً في كل هلكة اهـ.

(٢) في ح: وتقطعوا عناصرنا...

(٣) جاء في الأساس (حلب): هذا فَيْءُ المسلمين وحَلَبُ أسيافهم. وذاقوا حلب أمرهم: أي وباله. وفي سيرة ابن هشام « جلب » بالجيم.

(٤) « العزَّاء »: الشدة من مرض أو موت أو غير ذلك. الأساس (عزز).

(٥) قال السهيلي في الروض: (٢/١١١): وقوله بالقساسية الشهب: يعني السيوف، نسبها إلى قساس، وهو مَعْدن حديد لبني أسد، وقيام اسم للجبل الذي فيه المعدن. ورواية ط والسيرة: وأيد أُتِرَّتْ. أي قطعت. وما أثبتُه رواية ح.

(٦) « النسور الطخم »: هي السود الرؤوس، قاله صاحب العين، وقال أيضاً: الطخمة سواد في مقدَّم الأنف. الروض (٢/١١١).

(٧) « الحَجَرات »: النواحي مفردها، حجرة، وهي الناحية. اللسان (حجر).

قال ابن إسحاق[١] : فأقاموا على ذلك سنتَيْن أو ثلاثاً حتى جُهدوا ، ولم يصلْ إليهم شيءٌ إلا سرّاً مستخفياً به مَنْ أراد صِلَتَهُمْ من قريش . وقد كان أبو جهل بنُ هشام ـ فيما يذكرون ـ لَقِي حَكيمَ بنَ حِزَام بن خُويلد بن أسد معه غلامٌ يحمل قمحاً ، يُريد به عمَّتهُ خَدِيجة بنت خُويلد ، وهي عند رسولِ الله ﷺ في الشِّعْب ، فتعلَّق به وقال : أتذهبُ بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فجاءه أبو البَخْتَرِيِّ بنُ هشام بن الحارث بن أسد فقال : ما لك وله ؟ فقال : يحمِلُ الطعام إلى بني هاشم . فقال له أبو البختريّ : طعامٌ كان لعمَّتِه عنده بعثتْ به إليه أتمنعه أنْ يأتيَها بطعامها ؟ خلِّ سبيلَ الرجل . قال : فأبَى أبو جهل لعنه الله حتى نالَ أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختريِّ لَحْيَ بعيرٍ فضربه ، فشجَّهُ ووطِئَهُ وطْئَاً شديداً ، وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ وأصحابَه فيشمتون بهم ، ورسولُ الله ﷺ على ذلك يدعو قومَهُ ليلاً ونهاراً وسِرّاً وإعلاناً وجهاراً مُبَاديا لأمر[٢] الله تعالى ، لا يتقي فيه أحداً من الناس .

فجعلت قريشٌ حين منعَهُ الله منها وقام عمُّه وقومُه من بني هاشم وبني عبد المطلب[٣] دونه وحالُوا بينهم وبين ما أرادوا من البَطْش به ، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه وجعل القرآنُ ينزلُ في قريش بأحداثهم وفيمن نَصَبَ لعداوته ، منهم من سُمّي لنا ، ومنهم من نزل القرآن في عامَّةِ مَنْ ذكر الله من الكفار .

فذكر ابن إسحاق[٤] أبا لهب ونزولَ السورةِ فيه ، وأُميَّة بن خلف ونزول قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : ١] السورة بكمالها فيه . والعاص بن وائل ونزول قوله : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم : ٧٧] فيه . وقد تقدَّم شيءٌ من ذلك . وأبا جهل بن هشام وقولهُ للنبيِّ ﷺ لتتْرُكَنَّ سبَّ آلهتِنا أو لنسبَّنَّ آلهتك ، ونزول قول الله فيه ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] الآية . والنَّضْر بن الحارث بن كَلَدة بن علقمة[٥] ، وجلوسه بعد النبي ﷺ في مجالسه حيث يتلو القرآن ، ويدعو إلى الله ، فيتلو عليهم النضْرُ شيئاً من أخبار رستم واسفنديار ، وما جرى بينهما من الحروب في زمنِ الفرس ، ثم يقول : والله ما محمدٌ بأحسنَ حديثاً مني ، وما حديثُه

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٣) والروض (٢/ ١٠٣) .

(٢) في ط : منادياً بأمر الله ، والمثبت من ح .

(٣) في السيرة والروض : وبني المطلب .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٦ ـ ٣٦٠) .

(٥) زادت ط بين معترضتين ما نصه : ومنهم من يقول علقمة بن كلدة قاله السهيلي . وليست هذه الزيادة في ح ولعلها من النساخ لأن السهيلي أثبت نص ابن هشام كما هو ثم علق عليه بقوله الروض (٢/ ١١٥) : وقال في نسبه : كلدة بن علقمة ، وغيره من النساب يقول : علقمة بن كلدة ، وكذلك ألفيته في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر عن الوليد . اهـ . جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٢٦) .

إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها . فأنزلَ اللهُ تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] وقوله : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الجاثية : ٧] .

قال ابن إسحاق[١] : وجلس رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغنا[٢] ـ يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النَّضْر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غيرُ واحدٍ من رجال قريش ، فتكلَّم رسولُ الله ﷺ فعرض له النضر ، فكلَّمه رسولُ الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨ ـ ١٠٠] . ثم قام رسولُ الله ﷺ ، وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيّ حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قامَ النضْرُ بن الحارث لابن عبد المطَّلبِ آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمدٌ أنَّا وما نعبدُ من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنَّم . فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى : أما والله لو وجدتُه لخصَمْتُه ، فسلوا محمداً أكلُّ ما[٣] يُعبَدُ من دون الله حَصَب جهنم مع من عَبَدَه ؟ فنحن نعبدُ الملائكة ، واليهود تعبدُ عُزَيْراً ، والنصارى تعبدُ عيسى . فعجِبَ الوليدُ ومَنْ كان معه في المجلس من قول ابن الزِّبَعْرَى ! ورأَوْا أنه قد احتجَّ وخاصم . فذُكِر ذلك لرسولِ الله ﷺ . فقال : « كلُّ مَن أحبَّ أن يُعبد من دونِ الله فهو مع مَنْ عبدَهُ في النَّار ، إنَّهم إنما يعبدُون الشياطين ومن أمَرَتْهُم بعبادته » . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١ ـ ١٠٢] أيْ : عيسى وعُزَير ومَنْ عُبد من الأحبار والرُّهْبان الذين مضَوْا على طاعةِ الله تعالى . ونزّل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بناتُ الله ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦] . والآيات بعدَها ونزّل في إعجاب المشركين بقول ابن الزِّبَعْرَى ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٧ ـ ٥٨] وهذا الجدل الذي سَلَكُوه باطلٌ وهم يَعْلَمُون ذلك لأنهم قومٌ عَرَبٌ ومِنْ لُغتِهم أنَّ ما لما لا يعقل ، فقوله : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] إنما أُريدَ بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانتْ صورَ أصنام ، ولا يتناولُ ذلك الملائكةَ الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيحَ ، ولا عُزيراً ، ولا أحداً من الصالحين لأنَّ اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنًى . فهم يعلمون أنَّ ما ضربوه بعيسى بن مريم من المَثَل جدلٌ باطلٌ كما قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ . ثم قال : ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي عيسى ﴿ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ أي بنبوَّتنا ﴿ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الزخرف : ٥٩] أي دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٣٥٨) والروض (٢/١٠٦) .

(٢) في سيرة ابن هشام والروض : فيما بلغني .

(٣) في ط : أكل من بعده . والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .

خلقنا حواءَ من ذكرٍ بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلَقْنا سائر بني آدم من ذكرٍ وأنثى كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي أَمَارةً ودليلاً على قُدْرتنا الباهرة ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [مريم : ٢١] نرحم بها مَنْ نشاء .

وذكر ابن إسحاق[١] : الأخنس بن شَريق ونزول قوله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم : ١٠] الآيات ، وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال : أينزَّلُ على محمدٍ وأُترك وأنا كبيرُ قريش وسيِّدُها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عُمير[٢] الثقفي سيد ثقيف فنحن عظيما القريتين . ونزل قوله فيه ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٢] والتي بعدها .

وذكر[٣] أُبيَّ بن خلف حين قال لعقبة بن مُعَيط : ألم يَبْلُغْني أنك جالستَ محمداً وسمعتَ منه ، وَجْهي من وجهك حرام إلا أنْ تتْفُلَ في وجهه . ففعل ذلك عدوُّ الله عقبةُ لعنَهُ الله ، فأنزل الله ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان ٢٧ ـ ٢٨] والتي بعدها . قال : ومشى أُبيُّ بن خلف بعظمٍ بالٍ قد أرمَّ[٤] فقال : يا محمد ، أنت تزعمُ أن الله يبعث هذا بعدما أرمّ . ثم فتَّهُ بيده ثم نفخَهُ في الرِّيح نحو رسول الله ﷺ . فقال : « نعم ، أنا أقولُ ذلك ، يبعثُهُ الله وإيَّاك بعدَما تكونانِ هكذا ، ثم يُدخلكَ النار » . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨ ـ ٧٩] إلى آخر السورة .

قال : واعترضَ رسولَ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ وهو يطوف عند باب الكعبة ـ الأسودُ بن المغيرة ، وأميَّةُ بن خلف ، والعاص بن وائل فقالوا : يا محمد ، هَلُمَّ فلنعبُدْ ما تعبد ، وتعبدُ ما نعبد ، فنشترك نحن وأنتَ في الأمر . فأنزل الله فيهم ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الكافرون : ١ ـ ٢] إلى آخرها .

ولما سمع أبو جهل بشجرة الزَّقُّوم . قال : أتدرون ما الزَّقُّوم ؟ هو تمر يثرب[٥] بالزُّبْد . ثم قال : هلمُّوا فلنتزقَّمْ . فأنزلَ الله تعالى ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٣ ـ ٤٤] .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٠) والروض (٢/ ١٠٧) .

(٢) في ح : عمرو بن عمرو وفي أصل ط : عمرو بن عمر والمثبت من سيرة ابن هشام (١/ ٣٦١) واختلف فيمن نزلت هذه الآية ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ من بني ثقيف ؛ فقيل : نزلت بأبي مسعود عروة بن مسعود ، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ، أو مسعود بن عمرو بن عمر الثقفي ، أو كنانة بن عمرو بن عمير . تفسير الطبري (١٣/ ٦٥) وتفسير ابن كثير(٧/ ٣٧٤ ، ٣٧٥) في تفسير آية ٣١ من سورة الزخرف .

(٣) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٦١) .

(٤) « أرمَّ » : بلي ؛ وفي السيرة : ارفتَّ . ومعناه تحطم وتكسَّر . اللسان (رمم ، رمُت) .

(٥) في ط : يضرب ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض . قال السهيلي في الروض (٢/ ١١٨) .

قال[١] : ووقف الوليد بن المغيرة فكلّم رسولَ الله ﷺ ورسول الله ﷺ يكلِّمُه وقد طَمِع في إسلامه فمرَّ به ابنُ أمِّ مكتوم ـ عاتكة بنت عبد الله بن عَنْكَثَة[٢] ـ الأعمى ، فكلَّم رسولَ الله ﷺ ، وجعل يستقرئه القرآن ، فشقَّ ذلك عليه حتى أضْجَرَه ، وذلك أنه شغَلَهُ عمَّا كان فيه من أمْرِ الوليدِ وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً ، وتركه فأنزل الله تعالى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ إلى قوله ﴿ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ [عبس : ١ ـ ٤١] .

وقد قيل : إنَّ الذي كان يحدِّث رسولَ الله ﷺ حين جاءه ابنُ أمِّ مكتوم أميةُ بن خلف . فالله أعلم .

ثم ذكر ابنُ إسحاق[٣] مَنْ عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم إسلامُ أهلِ مكة ، وكان النقلُ ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت في الصحيح وغيره أنَّ رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين ، وأنزل الله عليه ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ [النجم : ١ ـ ٢] يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد . فسجد مَنْ هناك مِنَ المسلمين والمشركين والجنِّ والإنس ، وكان لذلك سببٌ ذكرهُ كثيرٌ من المفسِّرين عند قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢] وذكروا قصة الغَرانيق[٤] ، وقد أحببنا الإضرابَ عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها مَنْ لا يضَعُها على مواضيعها ، إلا أنَّ أصلَ القصة في الصحيح .

قال البخاري[٥] : حدَّثنا أبو معمر ، حدَّثنا عبد الوارث ، حدَّثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : سَجَدَ النبيُّ ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجنُّ والإنس .

انفرد به البخاري دون مسلم .

وقال البخاري[٦] : حدَّثنا محمد بن بشار ، حدَّثنا غُنْدَر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعتُ الأسود ، عن عبد الله قال : قرأ النبيُّ ﷺ والنجم بمكة ، فسجد فيها وسجد مَنْ معه غيرَ شيخٍ أخذَ كفّاً من حصاً ـ أو تراب ـ فرفعه إلى جَبْهَتِهِ وقال : يكفيني هذا ، فرأيتُه بعد [ذلك] قُتل كافراً .

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث شعبة[٧] .

---

(١) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٣) والروض (٢/ ١٠٨) .

(٢) ليس ما بين المعترضتين في ح ولا في سيرة ابن هشام ، وهو في الروض وترجمته في الإصابة عمرو بن أم مكتوم ويقال : اسمه عبد الله .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٥) وما بعدها .

(٤) قصة الغرانيق باطلة .

(٥) فتح الباري (٤٨٦٢) التفسير باب فاسجدوا لله واعبدوا .

(٦) فتح الباري (١٠٦٧) سجود القرآن باب ما جاء في سجود القرآن وسنتها . وما يأتي بين معقوفين منه .

(٧) صحيح مسلم (٥٧٦) (١٠٥) المساجد ومواضع الصلاة باب سجود التلاوة ، وسنن أبي داود (١٤٠٦) الصلاة باب=

وقال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا إبراهيم ، حدَّثنا رباح ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن عكرمة بن خالد ، عن جعفر بن عبد المطلب بن أبي وَدَاعَة ، عن أبيه قال : قرأ رسولُ الله ﷺ بمكة سورةَ النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعتُ رأسي وأبَيْتُ أنْ أسجد ـ ولم يكن أسلم يومئذ المطلب ـ فكان بعد ذلك(٢) لا يسمعُ أحداً يقرؤها إلا سجد معه .

وقد رواهُ النَّسائي(٣) عن عبد الملك بن عبد الحميد ، عن أحمد بن حنبل به .

وقد يجمع بين هذا والذي قبلَه بأنَّ هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذي استثناهُ ابنُ مسعود لم يسجد بالكُلِّيَّة . والله أعلم .

والمقصود أنَّ الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعةً لرسولِ الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ، ولم يبق نزاعٌ بينهم . فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرةَ الحبشة بها ، فظنُّوا صحة ذلك ، فأقبل منهم طائفةٌ طامعين بذلك ، وثبتتْ جماعةٌ ، وكلاهما محسِنٌ مُصيبٌ فيما فعل ، فذكر ابن إسحاق(٤) أسماء مَنْ رجعَ ، منهم : عثمان بن عفان ، وامرأتُه رُقَيَّة بنتُ رسولِ الله ﷺ ، وأبو حُذَيفة ابن عُتبة بن رَبيعة ، وامرأته سَهْلَة بنت سُهَيل ، وعبد الله بن جَحْش بن رِئَاب ، وعُتْبَة بن غَزْوان ، والزُّبير بن العوَّام ، ومُصعب بن عُمير ، وسُوَيبط بن سعد ، وطُلَيب بن عمر ، وعبد الرحمن بن عَوْف والمِقْدَاد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأتُهُ أم سلمة بنت أبي أُمَيَّة بن المغيرة ، وشَمَّاس بن عثمان ، وسَلَمة بن هشام ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ـ وقد حُبسا بمكة حتى مضت بدرٌ وأُحُد(٥) والخندق ـ وعمَّار بن ياسر ـ وهو ممَّنْ شُكَّ فيه أَخَرَجَ إلى الحبشة أمْ لا . ومُعَتِّب بن عوف ، وعثمان بن مَظْعون ، وابنه السائب ، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخُنَيْس بن حُذَافة ، وهشام بن العاص بن وائل ـ وقد حُبس بمكة إلى بعد الخندق ـ وعامر بن ربيعة ، وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة ، وعبد الله بن مَخْرَمة ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ـ وقد حُبس حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بَدْرا ـ وأبو سَبْرَة بن أبي رُهْم ، وامرأته أم كلثوم بنت سُهيل ، والسكران بن عمرو بن عبد شَمْس ، وامرأتُه سَوْدَة بنت زمعة ـ وقد ماتَ بمكة قبل الهجرة ، وخَلَف على امرأته رسولُ الله ﷺ ـ وسعد بن خَوْلَة ، وأبو عُبيدة بن الجرَّاح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسُهَيل بن بَيْضاء ، وعمرو بن أبي سَرْح ، فجميعُهم ثلاثةٌ وثلاثونَ رجلاً رضي الله عنهم .

= من رأى فيها السجود ، وسنن النسائي (٩٥٩) الافتتاح باب السجود في والنجم .

(١) في مسنده (٣/ ٤٢٠) رقم (١٥٤٠٣ ـ ١٥٤٠٤) .

(٢) ليست اللفظة في مسند أحمد .

(٣) سنن النسائي (٩٥٨) الافتتاح باب السجود في والنجم ، وهو حديث صحيح .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٥) وما بعدها .

(٥) في ح ، ط : مضت بدراً واحداً ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

وقال البخاري[(١)] : وقالت عائشة : قال رسولُ الله ﷺ : « أُريتُ دارَ هجرتِكُمْ ذاتَ نخلٍ بينَ لابتَيْن » فهاجر مَنْ هاجر قِبَلَ المدينة ، ورجَعَ عامَّةُ مَنْ كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة ، فيه عن أبي موسى وأسماء رضي الله عنهما عن النبي ﷺ .

وقد تقدَّم حديثُ أبي موسى وهو في الصحيحيْن[(٢)] ، وسيأتي حديثُ أسماء بنت عُمَيس بعد فتح خيبر حين قَدِمَ مَنْ كان تأخَّر من مهاجرةِ الحَبَشةِ إنْ شاء الله وبه الثقة[(٣)] .

وقال البخاري[(٤)] : حدَّثنا يحيى بن حمَّاد : حدَّثنا أبو عَوَانة ، عن سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنَّا نسلِّمُ على النبيِّ ﷺ وهو يصلِّي ، فيرُدُّ علينا ، فلما رجعنا من عند النَّجاشي سلَّمنا عليه فلم يرُدَّ علينا ، فقلنا : يا رسول الله ، إنَّا كنَّا نسلِّمُ عليك فتردُّ علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي لم تردَّ علينا ؟ قال : « إنَّ في الصلاة شُغْلاً » .

وقد روى البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي من طرُق أُخَر عن سليمان بن مهران عن الأعمش به[(٥)] ؛ وهو يقوِّي تأويل مَنْ تأوَّل حديثَ زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين[(٦)] : كنا نتكلَّم في الصلاة حتى نزلَ قوله : ﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] فأُمِرْنا بالسُّكوت ونُهينا عن الكلام .

على أنَّ المراد جنس الصحابة ، فإنَّ زيداً أنصاريٌّ مدنيّ ، وتحريمُ الكلام في الصلاة ثَبَتَ بمكة ، فتعيَّنَ الحَمْلُ على ما تقدَّم . وأمَّا ذكْرُه الآية وهي مدنيَّة فمشكل ، ولعلَّه اعتقدَ أنَّها المحرِّمة لذلك ، وإنما كان المحرِّم له غيرُها معها ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[(٧)] : وكان ممن دخل معهم بِجِوَارٍ ؛ عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد في جوارِ خاله أبي طالب ، فإنَّ أُمَّهُ بَرَّة بنتُ عبد المطَّلب . فأما عثمان بن

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٨٦) مناقب الأنصار باب هجرة الحبشة . هكذا رواه هنا معلقاً مجزوماً ، وأخرجه موصولاً في باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة (٣٩٠٥) عن عائشة في حديث طويل . وأخرجه أيضاً في (٢٢٩٧) الكفالة باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده .

(٢) تقدم حديث أبي موسى في ص(٢٨٨ ح٦) ، وروايته التامة في فتح الباري (٣٨٧٦) مناقب الأنصار باب هجرة الحبشة ، وصحيح مسلم (٢٥٠٢) (١٦٩) فضائل الصحابة باب فضائل جعفر بن أبي طالب .

(٣) سيأتي في (٤/ ٢٠٥) ط .

(٤) فتح الباري (٣٨٧٥) مناقب الأنصار باب هجرة الحبشة .

(٥) فتح الباري (١١٩٩) العمل في الصلاة باب ما ينهى من الكلام في الصلاة و(١٢١٦) باب لا يرد السلام في الصلاة ، وصحيح مسلم (٥٣٨) (٣٤) المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ، وسنن أبي داود (٩٢٣) الصلاة باب رد السلام في الصلاة ، وسنن النسائي (١٢٢١) السهو باب الكلام في الصلاة .

(٦) فتح الباري (١٢٠٠) العمل في الصلاة باب ما ينهى من الكلام في الصلاة ، و(٤٥٣٤) التفسير باب وقوموا لله قانتين ، وصحيح مسلم (٥٣٩) (٣٥) المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة .

(٧) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٩) .

مظعون فإنَّ صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدَّثني عمن حدَّثه عن عثمان قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحابُ رسولِ الله ﷺ من البلاء وهو يروح ويغدو في أمانٍ من الوليد بن المغيرة قال : والله إنَّ غُدُوِّي ورَوَاحي في جوار رجلٍ من أهل الشِّرْك ، وأصحابي وأهلُ ديني يَلْقَوْنَ من البلاء والأذى في الله ما لا يُصيبني لنقصٌ كبير[1] في نفسي . فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس ، وفَتْ ذِمَّتُك ، وقد رددتُ إليك جِوارَك . قال : لِمَ يا ابنَ أخي ؟ لعلَّه آذاك أحدٌ من قومي ! قال : لا ، ولكنِّي أرضَى بجوارِ الله عزَّ وجلَّ ، ولا أريد أن أستجيرَ بغيره . قال : فانطلقْ إلى المسجد فارْدُدْ عليَّ جوارِي علانيةً كما أجَرْتُكَ علانيةً . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يردُّ عليَّ جواري . قال : صَدَقَ ، قد وجدْتُه وفيّاً كريم الجِوار ، ولكنِّي قد أحببتُ أنْ لا أستجيرَ بغيرِ الله فقد رددتُ عليه جِواره . ثمَّ انصرف عثمان رضي الله عنه ولَبيدُ بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلسٍ من قريش يُنشدِهُم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد : [من الطويل]

* ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ *

فقال عثمان : صَدَقْت . فقال لَبيد :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ[2] *

فقال عثمان : كذبت ، نعيمُ الجنَّةِ لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قريش ، والله ما كان يُؤذَى جليسُكُم ، فمتى حدَثَ هذا فيكم ؟ فقال رجلٌ من القوم : إنَّ هذا سَفِيه في سفهاءَ معه قد فارقوا دينَنا ، فلا تَجِدَنَّ في نفسك من قوله . فردَّ عليه عثمان حتى شَرِيَ أمْرُهما[3] ، فقام إليه ذلك الرجل ولطَمَ عَيْنَه فخضَّرَها والوليد بن المغيرة قريب يَرَى ما بلغ عثمان . فقال : أما والله يا ابن أخي إنْ كانت عينُك عمَّا أصابها لغَنِيَّة ، ولقد كنت في ذمَّةٍ منيعة . قال يقول عثمان : بل والله ، إنَّ عيني الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختَها في الله ، وإني لفي جوارِ مَنْ هو أعزُّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلمَّ يا بن أخي إلى جوارِك فعُدْ . قال : لا .

قال ابن إسحاق[4] : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد ، فحدَّثني أبي إسحاقُ بن يسار ، عن سَلَمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ، أنه حدَّثه أنَّ أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجالٌ من بني مَخْزوم فقالوا له : يا أبا طالب، هلاَّ[5] منعت منا ابنَ أخيك محمداً فما لك ولصاحبنا تمنعه منَّا ؟ قال : إنَّه استجار بي ، وهو ابنُ أُختي ، وإنْ أنا لم أمنعِ ابنَ أختي لم أمنع ابن أخي . فقام أبو لهب فقال : يا معشر

---

(١) في ح ، ط : كثير ، والمثبت من سيرة ابن هشام .
(٢) البيت في شرح ديوان لبيد (ص ٢٥٦) من قصيدة يرثي فيها النعمان بن المنذر ، وتخريجه فيه(ص٣٨٩) .
(٣) « شري أمرهما » : أي عظم وتفاقم ولجُوا فيه . النهاية لابن الأثير (شري) .
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧١) والروض (٢/ ١٢١) .
(٥) في سيرة ابن هشام : لقد منعت . . .

قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهنَّ أو لنقومنَّ معه في كلِّ ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . قالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتيبة[١] . وكان لهم وليّاً وناصراً على رسولِ الله ﷺ فأبقَوْا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقولُ ما يقول ، ورجا أن يقوم معه في شأنِ رسولِ الله ﷺ ، فقال أبو طالب يُحرِّضُ أبا لهبٍ على نصرتِه ونصرةِ رسولِ الله ﷺ[٢] :

[من الطويل]

وإنَّ امــــرءاً أبـــــو عُتَيْبـــــة عمُّـــــهُ ... لفـي روضـةٍ مـا إنْ يُسَـامُ المظـالمـا

أقــول لــهُ ، وأيــنَ منــه نَصِيحتــي ... أبــا مُعْتــبٍ ثبِّــتْ سَــوادك قــائمـا

ولا تقبلَــنَّ الــدهــرَ مــا عشــتَ خُطَّــةً ... تُسَــبُّ بهــا إمَّــا هبطْــتَ المــواسمـا

ووَلِّ سبيــلَ العجــز غيــرَك منهــمُ ... فــإنـك لــم تُخلــقْ علــى العجــزِ لازمـا

وحاربْ فإنَّ الحربَ نِصْفٌ ولن ترى ... أخا الحرب يُعطى الخَسْفَ حتى يسالما

وكيــفَ ولــم يَجْنُــوا عليــكَ عظيمــةً ... ولــم يخــذلــوك غــانمــاً أو مُغــارمــا

جــزى اللهُ عنَّــا عبــدَ شمــسٍ ونَــوْفَــلاً ... وتَيْمــاً ومخــزومــاً عُقُــوقــاً ومَــأثمــا

بتفــريقهــمْ مــن بعــدِ وُدٍّ وأُلفــةٍ ... جمــاعتَنــا كيمــا ينــالــوا المحــارِمــا

كــذبتــم وبيــتِ اللهِ نُبْــزَى محمــداً ... ولما ترَوْا يوماً لدى الشِّعْبِ قائماً[٣]

قال ابن هشام : وبقى منها بيتٌ تركناه .

ذكر عَزْم الصدِّيق على الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق[٤] : وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدَّثني محمد بن مسلم الزُّهْري ، عن عروة ، عن عائشة حين ضاقَتْ عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى ، استأذنَ رسولَ الله ﷺ في الهجرة فأذِنَ له ، فخرج أبو بكرٍ رضي الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً ـ أو يومين ـ لقيَهُ ابنُ الدُّغُنَّة[٥] أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو

(١) في ط وسيرة ابن هشام : عتبة ، والمثبت من ح .
(٢) لم أجد الأبيات في ديوان شيخ الأباطح .
(٣) انظر صدر هذا البيت في (ص٢٦٤ موضع ح٤) .
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٢) والروض (٢/ ١٢١) .
(٥) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٣٣) : ابن الدغنة : بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة ، وعند الرواة بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون ؛ قال الأصيلي وقرأه لنا المروزي بفتح الغين . وقيل : إن ذلك لاسترخاء في لسانه والصواب الكسر ، وثبت بالتخفيف والتشديد من طريق ، وهي أمه وقيل أم أبيه وقيل دابته ، ومعنى الدغنة المسترخية وأصلها الغمامة الكثيرة المطر .

يومئذ سيد الأحابيش[(١)] فقال[(٢)] : أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرَجني قومي وآذَوْني وضيَّقُوا عليَّ قال : ولم ؟ فوالله إنَّك لتزيِّنُ العشيرة ، وتُعين على النوائب ، وتفعل المعروف ، وتكسِبُ المعدوم ؛ ارجعْ فإنك في جِوَارِي . فرجع حتى إذا دخل مكة قام ابنُ الدُّغُنَّة فقال : يا معشر قريش ، إني قد أجرتُ ابنَ أبي قُحافة فلا يعرِضْ له[(٣)] أحدٌ إلا بخير . قالت : فكفُّوا عنه . قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جُمَح ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكى . قالت : فيقف عليه الصبيانُ والعبيد والنساء يَعْجَبُون لما يَرَوْنَ من هيئته ! قالت : فمشى رجالٌ من قريش إلى ابنِ الدُّغُنَّة فقالوا : يا ابنَ الدُّغُنَّة ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ليؤذِيَنا ، إنه رجلٌ إذا صلَّى وقرأ ما جاء به محمد يَرقّ ، وكانت له هيئة ، ونحن نتخوَّف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يَفْتِنَهم ، فأْتِهِ فمُرْهُ بأن يدخل بيته فليصنَعْ فيه ما شاء . قالت : فمشى ابن الدُّغُنَّة إليه فقال : يا أبا بكر ، إني لم أُجِرْكَ لتؤذيَ قومَك . وقد[(٤)] كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذَّوْا بذلك منك ، فادْخُلْ بيتك فاصنع فيه ما أحببت . قال : أَوَ أردّ عليك جوارك وأرْضَى بجوارِ الله ؟ قال : فارْدُدْ عليَّ جواري . قال : قد رَدَدْتُه عليك . قالت : فقام ابنُ الدُّغُنَّة فقال : يا معشر قريش ، إنَّ ابنَ أبي قُحَافة قد ردَّ علي جواري فشأنكم بصاحبكم .

وقد روى الإمام البخاري هذا الحديث متفرداً به ، وفيه زياداتٌ حسنة ، فقال[(٥)] : حدَّثنا يحيى بن بُكير ، حدَّثنا الليث ، عن عُقَيل ، قال ابن شهاب[(٦)] : فأخبرني عروة بن الزُّبير أنَّ عائشة زوجَ النبيِّ ﷺ قالت : لم أعْقِلْ أبويَّ[(٧)] قط إلا وهما يَدِينان الدِّين ، ولم يَمُرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرَفي النهار بُكْرَةً وعشيَّة ، فلما ابتُليَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِمَاد ، لَقِيَهُ ابنُ الدُّغُنَّة ـ وهو سيدُ القارَة ـ فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي

---

(١) في ح : القارَة ، وسيأتي ، والقارة : قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة كما في جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٨٨ ، ١٩٠) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٧٣) وفتح الباري (٧/ ٢٣٣) .

(٢) زادت ط ما نصه : قال الواقدي : اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر من عبد مناة بن كنانة . وقال السهيلي : اسمه مالك . قلت : جعلتُ هذه الزيادة في الحاشية لأنها ليست في ح ، من جهة ولا يعقل أن تكون من ابن إسحاق لتقدمه على الواقدي والسهيلي من جهة أخرى ، ثم إن ابن كثير ينقل عن ابن إسحاق وهو ما جاء في سيرة ابن هشام الذي أحلت عليه في أول الخبر . وقول السهيلي هذا في الروض (٢/ ١٢٧) أما قول الواقدي فلم أجده في طبقات ابن سعد . ولعل هذه الزيادة كانت تعليقاً في الحاشية على الكتاب فأدخلها بعض النساخ إلى المتن . والله أعلم .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٣) : فلا يعترض إليه .

(٤) في ح : أي قد وفي سيرة ابن هشام : إنهم قد . وهو أشبه .

(٥) فتح الباري (٣٩٠٥) مناقب الأنصار باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة ، وساقه مختصراً في (٤٧٦) الصلاة باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس .

(٦) في ط : قال ابن هشام . تحريف ، والمثبت من ح وفتح الباري . وعُقيل هو ابن خالد بن عقيل الأيلي الأموي مولى عثمان ، ترجمته في تهذيب التهذيب ، يروي عن ابن شهاب الزهري وعنه الليث بن سعد .

(٧) في ح ، ط : أبواي ، والمثبت من فتح الباري .

فأريد أنْ أسيحَ في الأرض فأعبدَ ربِّي . فقال ابنُ الدغنَّة : فإنَّ مثلكَ يا أبا بكر لا يخرجُ ولا يُخرَجُ مثله ، إنك تَكْسِبُ المعدوم ، وتَصِلُ الرَّحِم ، وتحمِلُ الكَلّ ، وتَقْري الضيف ، وتُعينُ على نوائب الحق . وأنا لك جارٌ فاعبُدْ ربَّك ببلدك . فرجع وارتحل معه ابنُ الدُّغُنَّة ، وطافَ ابنُ الدغنَّة عشيةً في أشراف قريش فقال لهم : إنَّ أبا بكر لا يَخْرُجُ مثلُه ولا يُخرج ، أتُخْرِجون رجلاً يكسِبُ المعدوم ، ويصلُ الرَّحِم ، ويحمِلُ الكَلَّ ، ويَقْري الضيف ، ويُعين على نوائب الحق ؟ فلم تُكذِّبْ قريشٌ بجوارِ ابنِ الدغنَّة وقالوا لابن الدُّغُنَّة : مُرْ أبا بكر فلْيعبُدْ ربَّه في داره ويصلِّ فيها ولْيقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلنْ به ، فإنا نخشى أنْ يفتِنَ نساءنا وأبناءنا . فقال ابنُ الدغنَّة ذلك لأبي بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبُدُ ربَّه في داره ، ولا يستعلنُ بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره ، ثم بَدَا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفِناءِ دارِه ، وكان يصلِّي فيه ويقرأ القرآن ، فيتقذَّفُ[1] عليه نساءُ المشركينَ وأبناؤهم [وهم] يعجبونَ منه وينظرون إليه . وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً لا يملكُ عينيْهِ إذا قرأ القرآن ، فأفزَعَ ذلك أشرافَ قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغُنَّة فقدِم عليهم ، فقالوا : إنَّا كنَّا أجرْنا أبا بكر بجوارك على أن يعبُدَ ربَّه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفِناء داره ، فأعلن بالصلاة والقراءةِ فيه ، وإنَّا قد خَشِينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا فانْهَهُ ، فإنْ أحبَّ على أنْ يقتصرَ أنْ يعبُدَ ربَّه في دارِه فعل ، وإنْ أبَى إلا أنْ يُعلن ذلك فسلْه أن يرُدَّ عليك ذِمَّتكَ ، فإنَّا قد كرِهنا نخفرك ، ولسنا مُقرِّين لأبي بكرٍ الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابنُ الدغُنَّة إلى أبي بكر فقال : قد علمتَ الذي قد عاقدتُ عليه قريش ، فإمَّا أن تقتصرَ على ذلك وإمَّا أنْ تردَّ إليَّ ذمَّتي ، فإنِّي لا أحبُّ أن تسمعَ العربُ أنِّي أُخفرتُ في رجلٍ عقدتُ له . فقال أبو بكر : فإني أرُدُّ عليك جوارك وأرضى بجوارِ الله عزَّ وجلَّ .

ثم ذكر تمامَ الحديث في هجرة أبي بكرٍ رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتي مبسوطاً[2] .

قال ابنُ إسحاق[3] : وحدَّثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق قال : لقيه ـ يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابنِ الدُّغُنَّة ـ سَفيهٌ من سفهاء قريش وهو عامدٌ إلى الكعبة ، فحَثَا على رأسه تراباً ، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة ـ أو العاص بن وائل ـ فقال له أبو بكر رضي الله عنه : ألا ترى ما يصنعُ هذا السَّفيه ؟ فقال : أنت فعلتَ ذلك بنفسك . وهو يقول : أي ربِّ ما أَحْلَمَكَ ! أي ربِّ ما أحلمك ! أي رب ! ما أحلمك !

---

(١) في ح : وكان نساء المشركين ، والمثبت من النسخة المصرية بدلالة ط ، وفتح الباري ، وما يأتي بين معقوفين منه ، قال ابن حجر (٧/ ٢٣٤) : قوله فيتقذف ، بالمثناة والقاف والذال المعجمة الثقيلة ، تقدم في الكفالة بلفظ : فيتقصف . أي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر ، وأطلق يتقصف مبالغة . قال الخطابي : هذا هو المحفوظ ، وأما يتقذف فلا معنى له إلا أن يكون من القذف أي يتدافعون فيقذف بعضهم بعضاً فيتساقطون عليه فيرجع إلى معنى الأول .

(٢) سيرد في ص(٤٤٨) موضع الحاشية (١) من هذا الجزء .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٤) والروض (٢/ ١٢٢) .

فصـــل

كلُّ هذه القصص ذكرها ابنُ إسحاق معترضاً بها بين تعاقُدِ قريش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصْرهم إياهم في الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها ، وهي أمورٌ مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعيُّ رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيالٌ على ابن إسحاق .

ذكر نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق[١] : هذا وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ، ثمَّ إنَّه قام في نقضِ الصحيفة نفرٌ من قريش ، ولم يُبْلِ فيها أحدٌ أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حُبَيْب[٢] بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابنَ أخي نَضْلَةَ بن هاشم بن عبد مناف لأُمه ، وكان هشام لبني هاشم واصلاً ، وكان ذا شرفٍ في قومه ، فكان ـ فيما بلغني ـ يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشِّعْب ليلاً ، قد أوقره طعاماً ، حتى إذا بلغ به فمَ الشِّعْب خلَع خِطَامه من رأسه ثم ضرب على جَنْبَيْه فدخل الشعبَ عليهم . ثم يأتي به قد أوقره بزًّا[٣] فيفعل به مثل ذلك .

ثم إنَّه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر[٤] بن مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب . فقال : يا زهير ، أقد رضيتَ أنْ تأكلَ الطعام وتلبس الثياب وتَنْكِحَ النساء وأخوالُك حيثُ علمتَ لا يُباعون ولا يُبتاع منهم ، ولا يَنكحون ولا يُنكح إليهم ؟ أمَا إنِّي أحْلِفُ بالله لو كانوا أخوالَ أبي الحكم بن هشام ثم دعوتَهُ إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجلٌ واحد ، والله لو كان معي رجلٌ آخر لقمتُ في نَقْضِها . قال : قد وجدت رجلاً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : ابْغِنَا ثالثاً . فذهب إلى المُطْعِم بن عدي فقال له : يا مُطْعِم أقد رضيتَ أن يَهْلِكَ بَطْنان من بني عبْد مناف وأنت شاهدٌ على ذلك موافق لقريش فيه ، أما

---

(١) السير والمغازي (ص١٦٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٧٤) ـ واللفظ له ـ والروض (٢/ ١٢٢) .

(٢) اختلف في ضبطه : حُبَيْب بياء مخففة أم : حُبَيِّب بالتثقيل . انظر الإكمال (٢/ ٢٩٥) وحاشية المعلمي اليماني عليه رقم (٣) ص(٢٩٦ ، ٢٩٧) .

(٣) قال السهيلي في الروض : (٢/ ١٢٧) : بزًّا ، بالزاي المعجمة ، وفي غير نسخة الشيخ أبي بحر : براً ؛ وفي رواية يونس : بزًّا أو براً على الشك من الراوي .

(٤) في ح ، ط : عمرو ، والمثبت من السير والمغازي وسيرة ابن هشام .

والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنَّهم إليها منكم سراعاً ، قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجلٌ واحد ، قال : قدْ وجدتُ لك ثانياً . قال : مَنْ ؟ قال أنا ؟ قال : ابْغِنَا ثالثاً . قال : قد فعلتُ . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية . قال : ابْغِنا رابعاً .

فذهب إلى أبي البَخْتَرِيِّ بن هشام فقال نحو ما قال للمُطْعِم بن عَدِي ؛ فقال : وهل تجد أحداً يُعِينُ على هذا ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والمُطْعِم بن عَدِيّ وأنا معك . قال : ابْغِنَا خامساً . فذهب إلى زَمَعَةَ بنِ الأسودِ بن المطلب بن أسد فكلَّمه وذكر له قرابتَهم وحقَّهم . فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه مِنْ أحد ؟ قال : نعم . ثم سمَّى القوم . فاتعدوا خَطْمَ الحَجُون[١] ليلاً بأعلى مكة . فاجتمعوا هنالك وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقُضُوها . وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أوَّلَ مَنْ يتكلَّم . فلما أصبحوا غدَوْا إلى أنديتهم ، وغدا زهيرُ بن أبي أمية عليه حُلَّة ، فطاف بالبيت سبعاً ثمَّ أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنأكلُ الطعامَ ، ونَلْبَسُ الثياب ، وبنو هاشم هَلْكَى لا يبتاعونَ ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفةُ القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل ـ وكان في ناحيةِ المسجد ـ : والله لا تُشَقّ . قال : زَمَعَةُ بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابَها حين كُتبت . قال أبو البَخْتَري : صدق زَمَعة ، لا نرضى ما كُتب فيها ولا نُقِرُّ به . قال المُطْعِم بن عدي : صدقتما وكذبَ مَنْ قال غيرَ ذلك ، نَبْرأُ إلى الله منها ومما كُتب فيها . قال هشام بن عمرو نَحْواً من ذلك . قال أبو جهل : هذا أمْرٌ قد قُضِيَ بليل ، تُشوور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالسٌ في ناحيةِ المسجد ، وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقَّها فوجد الأرَضَة قد أكلَتْها إلا « باسمكَ اللهمّ » وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عكرمة ، فشَلَّتْ يدُهُ فيما يزعمون .

قال ابن هشام[٢] : وذكر بعضُ أهل العلم أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي طالب : « يا عم ، إنَّ الله قد سلَّط الأرَضَة على صحيفةِ قريش ، فلم تدَعْ فيها اسماً هو لله إلا أثبتَتْه فيها ، ونفت منها الظُّلم والقطيعة والبُهْتان » . فقال : أرَبُّك أخبرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد . ثمَّ خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إنَّ ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا ، فهلمَّ صحيفتكم ، فإنْ كانتْ كما قالوا فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإنْ كان كاذباً دفعتُ إليكم ابنَ أخي . فقال القوم : قد رَضِينا . فتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسولُ الله ﷺ فزادهم ذلك شرًّا ، فعند ذلك صنع الرَّهْطُ من قريش في نَقْض الصحيفة ما صنعوا .

---

(١) « الحجون » : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها ، وقال السكري : مكان من البيت على ميل ونصف . وقال الأصمعي : الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين . معجم البلدان (٢/ ٢٢٥) وخطمُه : مقدمة أنفه ، اللسان (خطم) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٧) والروض (٢/ ١٢٤) .

قال ابن إسحاق[١] : فلما مُزِّقتْ وبطلَ ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمْر أولئك القوم الذين قاموا في نَقْض الصحيفةِ يمدحُهم : [من الطويل]

ألا هـل أتَـى بَحْـرِيِّنـا صُنْـعُ ربِّنـا ... علـى نـأيهـم واللهُ بـالنـاسِ أرْوَدُ[٢]
فيُخبِـرَهـم أنَّ الصحيفـة مُـزِّقـت ... وأنْ كـلُّ مـا لـم يـرضـهُ اللهُ مُفْسَـدُ
تـراوحهـا إفْـكٌ وسِحْـرٌ مجمَّـع ... ولم يُلْفَ سِحْر آخرَ الدهرِ يصعد[٣]
تـداعـى لهـا مَـن ليس فيهـا بقـرقـرٍ ... فطـائـرُهـا فـي رأسِهـا يتـردَّدُ[٤]
وكـانـت كفـاءً وقعـةً بـأثيمـةٍ ... ليُقطـعُ منهـا سـاعـدٌ ومقلَّـدُ[٥]
ويظعـنُ أهـل المَكَّتيـن فيهـربـوا ... فـرائصُهـم مـن خشيـةِ الشرِّ تُـرْعَـدُ
ويتـرك حـرَّاثٌ يقلِّـب أمْـرَهُ ... أَيُتْهِـمُ فيهـم عنـدَ ذاك ويُنْجِـدُ[٦]
[وتصعـد بيـن الأخشبَيْـنِ كتيبـةٌ ... لها حُدُجٌ سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهَدُ][٧]
فمَـنْ ينْشَ مـن حُضَّـارِ مكـةَ عِـزَّةً ... فعـزّتنـا فـي بطـنِ مكَّـة أتلـد[٨]
نشـأنـا بهـا والنـاسُ فيهـا قـلائـلٌ ... فلـم ننفكِـكْ نـزدادُ خيـراً ونُحمـدُ

---

(١) السير والمغازي (ص١٦٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٧٧) والروض (٢/ ١٢٤) .
(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٢٨) : بحريِّنا : يعني الذين بأرض الحبشة نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . . . أرود : أي أرفق ؛ ومنه : رويدك ، أي رفقاً ، جاء بلفظ التصغير لأنهم يريدون به تقليلاً ؛ أي أرفق قليلاً ، اهـ .
(٣) في ح : ترى أوجهاً ، وفي السيرة والمغازي : تداعى لها ، وفي ح ، ط : يلف سحراً . والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .
(٤) « من ليس فيها بقرقر » : أي ليس بذليل ، لأن القرقر : الأرض الموطوءة التي لا يمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به : ليس بذي هزل ، لأن القرقرة الضحك . وقوله : وطائرها في رأسها يتردد : أي حظها من الشؤم والشر ، وفي التنزيل : ﴿ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ .
(٥) في سيرة ابن هشام والروض : رقعة بأثيمة .
(٦) في ط : أيتهم فيها . والمثبت من ح والسيرة والروض .
(٧) سقط البيت من ح ويبدو أنه سقط من المصرية أيضاً لأنه وضع بين معقوفين في ط . وأثبتناه من السيرة والروض ، وشرحه السهيلي (٢/ ١٢٨) نقلاً عن حاشية الكناني بقوله : لعل « حُدُج » بضم الحاء والدال جمع « حِدْج » وهو من مراكب النساء ونظير سِتْر وسُتُر ، فيكون المعنى : إن الذي يقوم لها مقام الحدُج سهم وقوس ومرهد . ثم قال : وفي العين : الحَدْج : حسك القطب ما دام رطباً ، فيكون الحدج في البيت مستعاراً من هذا ، أي لها حسك ، ثم فسره فقال : سهم وقوس ومِرْهد ، وهكذا في الأصل بالراء وكسر الميم ، فيحتمل أن يكون مقلوباً من مرهد : مفعل من رهد الثوب إذا مزقه ، ويعني به رمحاً أو سيفاً ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرهيد ، وهو الناعم ، أي ينعم صاحبه بالظفر . وفي بعض النسخ : مزهد بفتح الميم والزاي ، فإن صحت الرواية به فمعناه : مزهد في الحياة وحرص على الممات . والله أعلم . اهـ .
(٨) في السيرة والروض : مكة عزُّه .

ونُطعِـمُ حتـى يتـركَ النـاسُ فضلَهـم ... إذا جَعلت أيدي المُفيضينَ تُرعَدُ[١]

جزى الله رهطاً بالحَجُون تجمَّعوا[٢] ... علـى مَـلأٍ يَهـدي لحـزمٍ ويُـرشـد

قعوداً لدىٰ خَطْم الحجُونِ كأنهم ... مَقَـاولـةٌ بـل هـم أعـزُّ وأمجـدُ[٣]

أعـانَ عليهـا كـلُّ صقـرٍ كـأنـه ... إذا ما مشى في رَفْرَفِ الدِّرْع أحْرَدُ[٤]

جَرِيءٌ على جَلِّ[٥] الخطوبِ كأنه ... شهـابٌ بكفَّـيْ قـابـسٍ يتـوقَّـدُ

من الأكرمينَ من لؤيِّ بن غالبٍ ... إذا سيـمَ خسفـاً وجهُـه يتـربَّـدُ[٦]

طويلُ النِّجادِ خارجٌ نصفُ ساقِهِ ... علـى وجهـه يَسقـي الغمـامُ ويُسْعِـدُ

عظيـمُ الـرمـادِ سيّـدٌ وابـنُ سيّـدٍ ... يحُضُّ على مقرى الضيوفِ ويحشِدُ

ويبنـي لأبنـاءِ العشيـرةِ صـالحـاً ... إذا نحـنُ طُفنـا فـي البـلادِ ويمهَـدُ

ألـظَّ بهـذا الصلـحِ كـلُّ مُبـرَّأٍ[٧] ... عظيـمِ اللـواءِ أمـرُه ثـمّ يُحمـدُ

قضوا ما قضوا في ليلِهم ثم أصبَحوا ... علـى مَهَـلٍ وسـائـرُ النـاس رُقَّـدُ

همُ رجعوا سهلَ بن بيضاءَ راضياً ... وسُـرَّ أبـو بكـرٍ بهـا ومحمَّـد

متى شُركَ الأقوامُ في حلِّ أمرنا ... وكنَّـا قـديمـاً قبلَهـا نتـودَّدُ[٨]

وكنّـا قـديمـاً لا نُقِـرُّ ظُـلامـةً ... ونـدركُ مـا شِئنـا ولا نتشـدَّدُ

فيالَ قُصَيٍّ هل لكُم في نفوسِكم ... وهـلْ لكُـمُ فيمـا يجـيءُ بـه غَـدُ

فـإنـي وإيـاكُـم كمـا قـالَ قـائـلٌ ... لـديـكَ البيـانُ لـو تكلّمـتَ أسـودُ[٩]

---

(١) « ترعد » : يعني أيدي المفيضين بالقداح في الميسر ، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا سخي . . . يريد أبو طالب أنهم يطعمون إذا بخل الناس . والميسر هي الجزور التي تقسم ؛ يقال : يسرت إذا قسمت . الروض (٢/ ١٢٩) .

(٢) في السيرة والروض : تبايعوا .

(٣) مضى شرح المقاول (ص٢٦٢ ح١) . وخطم الحجون (ص٣٢٢ ح١) .

(٤) « رفرف الدرع » : فضولها ، وقيل في معنى : رفرف خضر : فضول الفرش والبسط ، وهو قول ابن عباس ، وعن علي أنها المرافق ، وعن سعيد بن جبير : الرفارف رياض الجنة . والأحرد : الذي في مشيه تثاقل ، وهو من الحرَد ، وهو عيب في الرِّجل .

(٥) في السيرة والروض : جُلَّى .

(٦) في ح : ابن لؤي .

(٧) « ألظَّ » : من الإلظاظ ، وهو الإلحاح كما في مختار الصحاح (لظظ) ، وفي ط والسيرة والروض : كل مبرَّأ . والمثبت من ح .

(٨) في السيرة والروض : جل أمرنا بالجيم ، وتقرأ في ح : متى يشرك لكنها من غير نقط .

(٩) « أسود » : اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة ، فذهبت مثلاً . الروض (٢/ ١٢٩) . وقد زادت (ط) بعد هذا البيت ما نقلتُه هنا عن السهيلي في الروض ، وزادت فيه قوله : أي يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا عمن قتلته .

ثمَّ ذكر ابن إسحاق[١] شعر حسان يمدحُ المُطْعِمَ بن عديّ ، وهشامَ بن عمرو لقيامهما في نقضِ الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة .

وقد ذكر الأموي هاهنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أوردَهُ ابنُ إسحاق .

وقال الواقدي : سألتُ محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز : متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالا : في السنة العاشرة ـ يعني من البعثة ـ قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفي هذه السنة بعد خروجهم توفي أبو طالب عمُّ رسولِ الله ﷺ ، وزوجتُه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيانُ ذلك إن شاء الله تعالى .

فصــل

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصاً كثيرة تتضمَّنُ نَصْبَ عداوة قريش لرسولِ الله ﷺ ، وتنفير أحياءِ العرب والقادمين إلى مكة لحجٍّ أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهار الله المعجزاتِ على يديه دلالةً على صدقه فيما جاءهم به من البيناتِ والهدى ، وتكذيباً لهم فيما يرمونه من البغي والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقوُّل ، واللهُ غالبٌ على أمره ، فذكر قصةَ الطفيل بن عمرو الدَّوْسي مرسلة[٢] ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دَوْس ، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشرافُ قريش وحذَّروه من رسول الله ﷺ ونهَوْهُ أن يجتمع به أو يسمع كلامه ؛ قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمعَ منه شيئاً ولا أكلِّمه ، حتى حشَوْتُ أُذنيَّ حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفاً[٣] ، فرَقاً من أنْ يبلُغَني شيءٌ من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه . قال : فغدوتُ إلى المسجد فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصلِّي عند الكعبة ؛ قال : فقمتُ منه قريباً فأبَى اللهُ إلا أن يُسمِعَني بعضَ قوله ، قال : فسمعتُ كلاماً حسناً . قال : فقلتُ في نفسي : واثكل أُمِّي ، والله إني لرجلٌ لبيبٌ شاعر ما يَخْفَى عليَّ الحسَنُ من القبيح ، فما يمنعُني أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلتُه ، وإنْ كان قبيحاً تركته .

قال : فمكثتُ حتى انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى بيته فاتبعتُه ، حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه فقلت : يا محمد ، إنَّ قومك قالوا لي كذا وكذا ـ الذي قالوا ـ قال : فوالله ما بَرِحوا بي يُخَوِّفونني أمرَك حتى سددتُ أُذنيَّ بكُرْسُفٍ لئلا أسمع قولك ، ثم أبَى اللهُ إلا أن يُسمعني قولك ، فسمعتُ قولاً حسناً ، فاعرضْ عليَّ أمرك . قال : فعرض عليَّ رسولُ الله ﷺ الإسلام وتلا عليَّ القرآن ، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٠) والروض (٢/ ١٢٥) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٢) والروض (٢/ ١٣٠) .

(٣) « الكرسف » : القطن . النهاية لابن الأثير (كرسف) .

أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدلَ منه . قال : فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق وقلت : يا نبيَّ الله ، إني امرؤٌ مطاعٌ في قومي ، وأنا[١] راجعٌ إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادْعُ اللهَ أنْ يجعلَ لي آيةً تكونُ لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه . قال فقال : « اللهمَّ اجعلْ له آية » .

قال : فخرجتُ إلى قومي ، حتى إذا كنت بثنيَّةٍ تطلعُني على الحاضِر[٢] ، وقع بين عينيّ نورٌ مثلُ المِصْباح . قال فقلت : اللهمَّ في غير وَجْهي ، فإني أخشى أن يظنُّوا أنَّها[٣] مثلة وقعَتْ في وجهي لفراقي دينَهم . قال : فتحوَّل فوقع في رأسِ سَوْطي قال : فجعل الحاضرُ يتراءَوْن ذلك النورَ في رأس سَوْطي كالقنديل المعلَّق وأنا أتهبَّطُ[٤] عليهم من الثنيَّة حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

فلما نزلتُ أتاني أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فقلت : إليك عني يا أبة فلستُ منك ولستَ مني . قال : ولمَ يا بني ؟ قال : قلت : أسلمتُ وتابعتُ دين محمد ﷺ قال : أي بني ، فدينك ديني[٥] . فقلت : فاذهبْ فاغتسلْ وطهِّرْ ثيابك ثم ائتني حتى أعلِّمك مما عُلِّمت . قال : فذهبَ فاغتسل وطهَّر ثيابه ، ثمَّ جاء فعرضتُ عليه الإسلام فأسلم .

قال ثم أتتني صاحبتي فقلت : إليكِ عني ، فلستُ منكِ ولستِ مني . قالت : لم بأبي أنت وأُمِّي ؟ قال : قلت : فرَّق بيني وبينكِ الإسلام ، وتابعتُ دينَ محمد ﷺ قالت : فديني دينُك . قال : فقلت فاذهبي إلى حنا[٦] ذي الشَّرَى فتطهَّري منه ـ وكان ذو الشرى صنماً لدَوْس ، وكان الحمى حِمى حمَوْهُ له ، به وشَلٌ[٧] من ماءٍ يهبط من جبل ـ قالت : بأبي أنتَ وأُمِّي ، أتخشى على الصبيَّة من ذي الشَّرَى شيئاً ؟ قال : قلت : لا ، أنا ضامنٌ لذلك . قال : فذهبَتْ فاغتسلتْ ثمَّ جاءتْ ، فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمتْ .

ثم دعوتُ دَوْساً إلى الإسلام فأبطؤوا عليَّ ، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ بمكة . فقلتُ : يا رسول الله ، إنه قد غلبني على دوسٍ الزِّنا فادْعُ اللهَ عليهم . قال : « اللهمَّ اهدِ دَوْساً ، ارْجِعْ إلى قومك فادْعُهم وارْفُقْ

---

(١) في ط : وإني .

(٢) « الحاضر » : القوم النزول على ماءٍ يقيمون به ولا يرحلون عنه . ويقال للمناهل المَحَاضر ، للاجتماع والحضور عليها . النهاية لابن الأثير (حضر) .

(٣) في ح ، ط : يظنوا بها ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٤) « أتهبَّط » : أي أتحدَّر . هكذا جاء في الرواية وهو بمعنى نهبط وأهبط . النهاية لابن الأثير (هبط) .

(٥) في ح : ديني دينك ، وفي السيرة : فديني دينك .

(٦) في ط : حمى ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض . قال السهيلي (٢/١٣٦) : حنا ذي الشرى ، وقد قال ابن هشام : هو حمى ، وهو موضع حموه لصنمهم ذي الشرى ، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون تبدل من الميم ، كما قالوا : حلان وحلام للجَدي . ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن محنية الوادي ، وهو ما انحنى منه . اهـ .

(٧) « الوشل » : القليل من الماء ، وما بين معترضين هو قول ابن هشام كما في سيرته .

بهم » . قال : فلم أزلْ بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدرٌ وأحدٌ والخندق ، ثم قدمتُ على رسولِ الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ، ورسولُ الله ﷺ بخيبر ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين ـ أو ثمانين بيتاً ـ من دَوْس ، فلحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزلْ مع رسولِ الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة . فقلت : يا رسول الله ، ابعثْني إلى ذي الكفَّيْن ، صنم عمرو بن حُمَمَة حتى أُحرقه .

قال ابن إسحاق[1] : فخرج إليه فجعل الطفيل وهو يُوقدُ عليه النار يقول : [من الرجز]

يا ذا الكَفَينِ لستُ من عُبَّادكا[2]
ميـلادُنـا أقْـدَمُ مـن ميـلادكـا
* إني حشَوْتُ النارَ في فؤادكا *

قال : ثم رجع رسولُ الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قُبض رسولُ الله ﷺ ، فلما ارتدَّتِ العرب خرج الطُّفيل مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طُليحة ومن أرض نَجْدٍ كلِّها ، ثمَّ سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطُّفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجِّهٌ إلى اليمامة فقال لأصحابه : إنِّي قد رأيتُ رؤيا فاعْبُروها لي ؛ رأيتُ أنَّ رأسي حُلق وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيَتْني امرأةٌ فأدخلَتْني في فَرْجها ، وأرى ابني يطلُبني طلباً حثيثاً ، ثم رأيتُه حُبس عني ؟ قالوا : خيراً ، قال : أمَّا أنا والله فقد أوَّلْتُها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أمَّا حلْق رأسي فوضْعُه ، وأما الطائر الذي خرج منه فرُوحي ، وأمَّا المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تُحفَرُ لي فأُغَيَّبُ فيها . وأما طلَبُ ابني إيَّاي ثم حَبْسه عني ، فإنِّي أراه سيجتهد أنْ يصيبه ما أصابني . فقُتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة ، وجُرح ابنُه جراحة شديدة ، ثم استَبَلَّ منها ، ثمَّ قُتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصةَ الطُّفيل بن عمرو مرسلةً بلا إسناد . ولخبره شاهدٌ في الحديث الصحيح . قال الإمام أحمد[3] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا سفيان ، عن أبي الزِّنَاد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : لما قدم الطفيل وأصحابُه على رسولِ الله ﷺ قال : إنَّ دَوْساً قد استعصَتْ قال : « اللهمَّ اهْدِ دوساً وأْتِ بِهِمْ » .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٥) والروض (٢/ ١٣٢) .
(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٣٦) : أراد : الكفَّين ، بالتشديد ، فخفف للضرورة ، غير أن في نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى « ذا الكفين » وخفف الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف في غير الشعر . فإن صحَّ هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تثنية كفاء ، ومن كفأت الإناء .
(٣) في المسند (٢/ ٤٤٨) رقم (٩٧٤٦) .

رواه البخاري[١] عن أبي نعيم ، عن سفيان الثوري .

وقال الإمام أحمد[٢] حدَّثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قدِم الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسي وأصحابُه فقالوا : يا رسول الله ، إنَّ دَوْساً قد عَصَتْ وأبَتْ فادْعُ اللهَ عليها . قال أبو هريرة : فرفَع رسولُ الله ﷺ يدَيْه فقلت : هلكَتْ دَوْس . فقال : « اللهمَّ اهْدِ دَوساً ، وأتِ بهم »[٣] .

إسناد جيد ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا سليمان بن حرب ، حدَّثنا حماد بن زيد ، عن حجَّاج الصوَّاف ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أنَّ الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسي أتى النبيَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، هل لك في حصن حصين[٥] ومنعة ؟ ـ قال : حصنٌ كان لدَوْسٍ في الجاهلية ـ فأبَى ذلك رسولُ الله ﷺ للذي ذخَر اللهُ للأنصار ، فلما هاجرَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطُّفيل بن عمرو ، وهاجر معه رجلٌ من قومه ، فاجتوَوُا المدينة ، فمرض فجزِع ، فأخذ مشاقص [له] فقطع بها براجمه فشخبَتْ يداه فما رقأ الدم حتى مات ؛ فرآه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئةٍ حسنة ، ورآه مغطِّياً يديه ، فقال له : ما صنع ربُّك بك ؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيِّه ﷺ . قال : فما لي أراك مغطِّياً يديك ؟ قال : قيل لي لن نُصلحَ[٦] منك ما أفسدت . قال : فقصَّها الطُّفَيل على رسولِ الله ﷺ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهمَّ وليدَيْه فاغْفِرْ » .

رواه مسلم[٧] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وإسحاق بن إبراهيم ، كلاهما عن سليمان بن حرب به .

فإنْ قيل : فما الجمعُ بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحَيْنِ[٨] من طريق الحسن عن جُندب قال : قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن كانَ قبلكم رجلٌ به جُرْح فَجزع ، فأخذَ سكِّينا ، فحزَّ بها يده فما رَقَأ الدمُ حتى مات ، فقال الله عزَّ وجل : عبدي بادرني بنفسه ، فحرَّمْتُ عليه الجنة » .

فالجواب من وجوه : أحدها أنه قد يكون ذاك مشركاً وهذا مؤمن ، ويكون قد جعل هذا الصنيع سبباً مستقلاً في دخوله النار وإنْ كان شركُه مستقلاً ، إلا أنه نبَّه على هذا لتعتبر أمته .

---

(١) فتح الباري(٣٤٩٢) المغازي باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي .
(٢) في المسند (٢/ ٥٠٢) رقم (١٠٤٧٤) .
(٣) في المسند : وأت بها .
(٤) في المسند (٣/ ٣٧٠) وما سيأتي بين معقوفين منه .
(٥) في المسند : حصينة .
(٦) في ط : يصلح ، والمثبت من مسند أحمد وصحيح مسلم .
(٧) في صحيحه (١١٦) (١٨٤) الإيمان باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر .
(٨) فتح الباري (٣٤٦٣) أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ـ واللفظ له ـ وصحيح مسلم (١١٣) (١٨٠) و(١٨١) الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه .

الثاني : قد يكون ذاك عالماً بالتحريم ، وهذا غير عالم لحداثة عهده بالإسلام .

الثالث : قد يكون ذاك فعله مستحلاً له ، وهذا لم يكن مستحلاً بل مخطئاً .

الرابع : قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصِد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك .

الخامس : قد يكون ذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كبرَ ذنْبِه المذكور فدخل النار ، وهذا قد يكون كثير الحسنات ، فقاومتِ الذنب فلم يلج النار بل غُفر له بالهجرة إلى نبيِّه ﷺ .

ولكنْ بقي الشَّيْنُ في يده فقط ، وحسُنَتْ هيئة سائره فغطَّى الشينَ منه ، فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطِّياً يدَيْه قال له : ما لك ؟ قال : قيل لي : لن نُصلح[١] منك ما أفسدت ، فلما قصَّها الطفيل على رسولِ الله ﷺ دعا له فقال : « اللهمَّ وليديهِ فاغْفِرْ » أي : فأصْلِحْ منها ما كان فاسداً . والمحقَّق أنَّ الله استجابَ لرسولِ الله ﷺ في صاحب الطفيل بن عمرو .

قصَّة أعشى[٢] بن قيس

قال ابن هشام[٣] : حدَّثني خلاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسي وغيرُه من مشايخ بَكْر بن وائل ـ من أهل العلم ـ أنَّ أعشى بن[٢] قيس بن ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن علي بن بَكْر بن وائل خرج إلى رسول الله ﷺ يُريدُ الإسلام ، فقال يمدح النبيَّ ﷺ : [من الطويل]

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلةَ أرمَدَا ... وبتَّ كما باتَ السَّلِيمُ مسهَّدا
وما ذاك من عِشْقِ النساءِ وإنما ... تناسيتَ قبلَ اليوم صُحْبَةَ مَهْدَدا[٤]
ولكن أرى الدهرَ الذي هو خائنٌ[٥] ... إذا أصلحتْ كفَّاي عادَ فأفسدا
كُهولاً وشُبَّاناً فقدتُ وثروةً ... فللهِ هذا الدهرُ كيفَ تردَّدا
وما زلتُ أبغي المالَ مُذْ أنا يافعٌ ... وليداً وكهلاً حين شِبْتُ وأمْرَدا
وأبتذلُ العيسَ المراقيلَ تَغْتَلي[٦] ... مسافةَ ما بين النُّجَير فصَرْخَدا

---

(١) في ط : يصلح ، والمثبت من مسند أحمد وصحيح مسلم .
(٢) في سيرة ابن هشام : بني قيس ، وكله صحيح .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٦) . والأبيات في ديوان الأعشى (ص١٣٥) .
(٤) في ط والديوان : خلة مهددا ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام .
(٥) في الديوان : خاتر .
(٦) في ح ، ط : تعتلي . بالعين المهملة ، والمثبت من السيرة والديوان وأساس البلاغة ، والبيت فيه (غلي) ، وتغتلي : من الاغتلاء وهو الإسراع .

ألا أيُّهـذا السـائلـي أيـنَ يَمَّمَـتْ فـإنَّ لهـا فـي أهـل يثـربَ مَـوْعِـدا
فـإنْ تسـألـي عنـي فيـا رُبَّ سـائـلٍ حَفِيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا
أجـدَّتْ بـرجلَيْهـا النَّجـاءَ وراجعـتْ يـداهـا خِنـافـاً ليِّنـاً غيـرَ أحـردا[١]
وفيهـا إذا مـا هجَّـرَتْ عجـرفيَّـةٌ إذا خلـتَ حـربـاءَ الظهيـرةِ أصيـدا[٢]
وآليـتُ لا آوِي لهـا مـن كـلالـةٍ ولا من حَفى حتى تُلاقي محمَّدا[٣]
متى ما تُناخي عند بابِ ابن هاشمٍ تُـراحـي وتلقَـيْ مـن فـواضلـه نَـدَى
نبـيٌّ يـرى مـا لا تَـرَوْن وذِكـرُه أغـارَ لَعمـري فـي البـلاد وأنجـدَا
لـه صـدقـاتٌ مـا تُغِـبُّ ونـائـلٌ فليـسَ عَطـاءُ اليـوم مـانعَـهُ غـدا
أجِـدَّكَ لـم تسمـعْ وصـاةَ محمـدٍ نبـي الإلَـهِ حيـثُ أوصـى وأشهـدا
إذا أنتَ لم ترحل بزادٍ من التُّقى ولاقيتَ بعد الموتِ مَن قد تزوَّدا
نـدمـتَ علـى أن لا تكـونَ كمثلِـهِ فتـرصـدَ لـلأمـر الـذي كـان أرصـدا
فـإيـاكَ والميتـاتِ لا تقـرَبَنَّهـا ولا تـأخـذنْ سهمـاً حـديـداً لِتَفْصِـدَا
وذا النُّصُـب المنصـوبِ لا تَنْسُكَنَّـهُ ولا تعبـدِ الأوثـانَ واللهَ فـاعْبُـدا
ولا تقـربَـنَّ جـارةً كـان سِـرُّهـا[٤] عليكَ حراماً فانكحَنْ أو تأبَّدَا[٥]
وذا الـرحِـمِ القُـربـى فـلا تقطعنَّـهُ لعـاقبـةٍ ولا الأسيـرَ المقيَّـدا
وسبِّحْ على حينِ العشية والضحى[٦] ولا تَحَمـدِ الشيطـانَ واللهَ فـاحْمَـدا
ولا تَسْخَرَنْ من بائسٍ ذي ضَرارةٍ ولا تحسبـنَّ المـالَ للمـرءِ مُخْلِـدا

---

(١) في ح : النجاة . وفي ط : النجاد . والمثبت من السيرة والديوان . وخنافاً من خنفت الناقة تخنف بيديها في السير ، إذا مالت بهما نشاطاً . وليناً غير أحردا : أي تفعل ذلك من غير حرد في يديها ، أي اعوجاج . الروض (٢/ ١٣٧) .

(٢) يكون الجمل عجرفيَّ المشي ، وفيه تعجرف وعجرفية وعجرفة : قلة مبالاة لسرعته . القاموس (عجرف) . والأصيد المائل العنق ؛ ولما كانت الحرباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت في وسط السماء في أول الزوال كالأصيد ، وذلك أحرُّ ما تكون الرمضاء . يصف ناقته بالنشاط وقوة المشي في ذلك الوقت . الروض (٢/ ١٣٧) .

(٣) في ح والديوان : حتى تزور محمدا . وآليت لا آوي لها من كلالة ولا من حفى : أي لا أرقُّ لها ولا أرحمها ويروى : ولا من جنى . وهما بمعنى كما في الروض (٢/ ١٣٧) .

(٤) في سيرة ابن هشام : ولا تقربن حرة ، وفي ح : كان أمرها .

(٥) قوله : فالله فاعبدا ، وقف على النون الخفيفة بالألف ، وكذلك فانكحن أو تأبدا ، ولذلك كتبت في الخط بألف ، لأن الوقف عليها بالألف ، وقد قيل في مثل هذا ، إنه لم يرد النون الخفيفة ، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين ، وزعموا أنه معروف في كلام العرب . الروض (٢/ ١٣٨) .

(٦) في السيرة والديوان : العشيات .

قال ابن هشام : فلما كان بمكة ـ أو قريب منها ـ اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريدُ رسولَ الله ﷺ لِيُسلم . فقال له : يا أبا بَصير ، إنَّهُ يُحرِّم الزِّنا . فقال الأعشى : والله إنَّ ذلك لأمرٌ ما لي فيه من أَرَب . فقال : يا أبا بصير ، إنَّه يحرِّمُ الخمر . فقال الأعشى : أمَّا هذه فوالله إنَّ في نفسي منها لَعُلالات ، ولكني منصرفٌ فأتروَّى منها عامي هذا ، ثمَّ آتيه فأسلم . فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يَعُدْ إلى النبيِّ ﷺ .

هكذا أورد ابنُ هشام هذه القصة هاهنا ، وهو كثيرُ المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخَذُ به ابنُ هشام رحمه الله ، فإنَّ الخمر إنما حُرِّمت بالمدينة بعد وقعة بني النَّضِير كما سيأتي بيانه ، فالظاهر أنَّ عَزمَ الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة ، وفي شعره ما يدلُّ على ذلك وهو قوله : [من الطويل]

ألا أيُّهذا السائلي أين يممتْ فإنَّ لها في أهلِ يثربَ مَوْعِدا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخِّرَ ذِكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ، ولا يُوردَها هاهنا . والله أعلم .

قال السُّهيلي(١) : وهذه غفلةٌ من ابنِ هشام ومَنْ تابعه ، فإنَّ الناس مجمعون على أنَّ الخمر لم ينزل تحريمُها إلا في المدينة بعد أُحُد .

وقد قال(٢) : وقيل : إنَّ القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة بن ربيعة .

وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبلٌ إلى رسولِ الله ﷺ . قال وقوله : ثمَّ آته فأُسلم ـ لا يخرجُه عن كفره بلا خلاف . والله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق(٣) هاهنا قصة الإراشي وكيف استعدى إلى رسول الله ﷺ من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه ، وكيف أذلَّ اللهُ أبا جهلٍ وأرغم أنفَه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة ، وقد قدَّمنا ذلك في ابتداءِ الوحي وما كان من أذيَّة المشركين عند ذلك(٤) .

---

(١) في الروض (٢/ ١٣٦) .

(٢) يعني السهيلي في الروض .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٩) والروض (٢/ ١٣٣) .

(٤) مضى الخبر (ص٢٥٠) .

قصّة مصارعة رُكانة
وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلتْ ﷺ

قال ابن إسحاق[١]: وحدَّثني أبي إسحاقُ بن يسار قال: وكان رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف أشدَّ قريش[٢] فخلا يوماً برسولِ الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فقال له رسولُ الله ﷺ: « يا رُكانة، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ » قال: إني لو أعلم أنَّ الذي تقولُ حق لاتَّبعتُك. فقال له رسول الله ﷺ: « أفرأيت إنْ صرعتُك، أتعلم أنَّ ما أقولُ حقّ ؟ » قال: نعم. قال: « فقُمْ حتى أُصارعَك ». قال: فقام رُكانةُ إليه فصارعه، فلما بطش به رسولُ الله ﷺ أضْجعه لا يملك من نفسه شيئاً ثم قال: عُدْ يا محمد، فعاد فصرعه. فقال: يا محمد، والله إنَّ هذا للعجب! أتصرعني ؟ قال: « وأعجب من ذلك إنْ شئت أُريكه إن اتقيت الله واتبعتَ أمري ». قال: وما هو ؟ قال: « أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني ». قال: فادْعُها. فدعاها فأقبلتْ حتى وقفتْ بين يديْ رسولِ الله ﷺ فقال لها: ارجعي إلى مكانك فرجعتْ إلى مكانها.

قال: فذهب رُكانةُ إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف، ساحِرُوا بصاحِبكم أهلَ الأرض، فوالله ما رأيتُ أسحرَ منه قطّ. ثمَّ أخبرَهم بالذي رأى والذي صنَع.

هكذا روى ابنُ إسحاق هذه القصة مرسلةً بهذا البيان. وقد روى أبو داود والترمذي[٣] من حديث أبي الحسن العسقلاني، عن أبي جعفر بن محمد بن رُكانة، عن أبيه، أنَّ رُكانة صارع النبيَّ ﷺ فصرعه النبيُّ ﷺ. ثمَّ قال الترمذي: غريبٌ ولا نعرف أبا الحسن ولا ابنَ رُكانة[٤].

قلت: وقد روى أبو بكر الشافعي بإسنادٍ جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن يزيد بن رُكانة صارَعَ النبيَّ ﷺ فصرعه النبيُّ ﷺ ثلاث مرَّات، كل مرة على مئةٍ من الغنم، فلما كان في الثالثة قال: يا محمد، ما وَضَع ظهري إلى الأرض أحَدٌ قبلك، وما كان أحدٌ أبغض إليَّ منك. وأنا أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله. فقام عنه رسولُ الله ﷺ وردَّ عليه غَنَمه.

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلتْ، فسيأتي في كتاب دلائل النبوة بعد السيرةِ من طُرقٍ جيدةٍ صحيحة[٥]، في مرَّات متعدِّدة إنْ شاء الله وبه الثقة.

---

(١) السير والمغازي (ص٢٧٦) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٩٠) واللفظ له، والروض (٢/ ١٣٤).
(٢) في ح، ط: قريشاً، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض.
(٣) سنن أبي داود (٤٠٧٨) اللباس باب في العمائم، وسنن الترمذي (١٧٨٤) اللباس باب العمائم على القلانس.
(٤) عبارة الترمذي: « هذا حديث غريب (يعني: ضعيف) وإسناده ليس بالقائم ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني ولا ابن ركانة ».
(٥) سيأتي في (٦/ ١٢٣) من ط.

وقد تقدَّم عن أبي الأشدين[١] أنه صارعَ النبيَّ ﷺ فصرعَهُ رسولُ الله ﷺ .

ثم ذكر ابن إسحاق[٢] قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة ، فأسلموا عن آخرهم ، وقد تقدَّم ذلك بعد قصة النجاشي ولله الحمد والمنة[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان رسولُ الله ﷺ إذا جلس في المسجد يجلسُ إليه المستضعفون من أصحابه : خَبَّاب، وعمَّار، وأبو فُكيهة يسار[٥] مولى صفوان بن أُمية ، وصُهيب . وأشباههم من المسلمين هَزِئت بهم قريش ، وقال بعضُهم لبعض : هؤلاء أصحابُه كما ترَوْن ، أهؤلاء منَّ اللهُ عليهم من بيننا بالهدى والحق[٦] ، لو كان ما جاء به محمدٌ خيراً ما سبقَنا هؤلاء إليه ، وما خصَّهم اللهُ به دوننا . فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٢ ـ ٥٤] .

قال : وكان رسولُ الله ﷺ كثيراً ما يجلسُ عند المَرْوَة إلى مبيعة غلام[٧] نصراني يقال له : جَبْر ، عبدٌ لبني الحَضْرَمي . وكانوا يقولون : والله ما يعلِّم محمداً كثيراً ممـا يأتي به إلا جَبْر ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] .

ثم ذكر[٨] نزولَ سورةِ الكوثر في العاص بن وائل ، حين قال في رسولِ الله ﷺ : إنه أبتر ، أي : لا عَقِبَ له ، فإذا ماتَ انقطع ذِكْرُه . فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ٣] أي : المقطوع الذِّكْر [بعده ، ولو خلَّف أُلوفاً من النَّسْل والذُّرِّيَّة وليس الذِّكر][٩] والصيتُ ولسان الصدق بكثرةِ الأولاد والأنسال والعَقِب ، وقد تكلَّمنا على هذه السورة في التفسير ولله الحمد .

---

(١) كذا في ح ، ط ولم يتقدم لهذه الكنية ذِكر ، فلعل الصواب : « أشد قريش » أو في النص سقطاً أو تصحيفاً .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩١) والروض (٢/ ١٣٥) .

(٣) مضى الخبر في (ص٣٠٣ ح٣) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٢) والروض (٢/ ١٣٥) .

(٥) في ط : ويسار ، والمثبت من ح والسيرة وترجمته في الإصابة ، ويقال في اسمه : أفلح . أيضاً .

(٦) في ط : ودين الحق والمثبت من ح والسيرة .

(٧) في ح : ميعه ، والمثبت من سيرة ابن هشام . قال السهيلي في الروض (٢/ ١٣٩) : المبيعة : مفعلة مثل المعيشة ، وقد يجوز أن يكون مفعلة بضم العين وهو قول الأخفش .

(٨) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٣) .

(٩) ليس ما بين المعقوفين في ح .

وقد رُوي عن أبي جعفر الباقر : أنَّ العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم بن النبيِّ ﷺ ، وكان قد بلغ أنْ يركب الدابَّة ويسير على النَّجِيبة[١] .

ثم ذكر[٢] نزول قوله : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [الأنعام : ٨] وذلك بسبب قول أُبيّ بن خلف ، وزَمَعة بن الأسود ، والعاص بن وائل ، والنضر بن الحارث : لولا أنزل عليكَ مَلكٌ يكلِّمُ الناسَ عنك .

قال ابنُ إسحاق[٣] : ومرَّ رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ بالوليدِ بن المغيرة وأميةَ بن خلف وأبي جهل بن هشام ، فهمزوه واستهزؤوا به ، فغاظه ذلك ، فأنزل الله تعالى في ذلك منْ أمرِهم ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠ ، والأنبياء : ٤١] .

قلت : وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ[٤] مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر : ٩٥] .

قال سفيان عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : المستهزؤن الوليدُ بن المغيرة ، والأسود بن عبد يَغُوث الزُّهْري ، والأسود بن المطلب أبو زمعة[٥] ، والحارث بن غَيْطَلَة[٦] ، والعاص بن وائل السَّهْمي ، فأتاهُ جبريلُ فشكاهم إليه رسولُ الله ﷺ فأراهُ الوليد ، فأشار جبريل إلى أنمله[٧] وقال : كُفيتَه ؛ ثم أراه الأسودَ بن المطلب ، فأومأ إلى عُنقه وقال : كُفيته ، ثم أراه الأسود بن عبد يَغُوث فأومأ إلى رأسه وقال : كُفيتَه ؛ ثم أراهُ الحارث بن غَيْطَلَة[٦] ، فأومأ إلى بطنه وقال : كُفيتَه ؛ ومرَّ به العاصُ بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال : كُفيتَه . فأما الوليد فمرَّ برجُلٍ من خُزاعة وهو يَرِيشُ نَبْلاً له فأصاب أنمله[٧] فقطعها ؛ وأمَّا الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قُروح فماتَ منها ، وأما الأسود بن المطَّلب فعَمِيَ . وكان سببُ ذلك أنه نزل تحت سَمُرَةٍ فجعل يقول : يا بَنِيَّ ألا تدفعون عني قد قُتلت . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً ! وجعل يقول : يا بَنِيَّ ألا تمنعون عني قد هلكت ، هاهو ذا الطَّعْنُ بالشوك

---

(١) هذه الرواية في الدر المنثور (٨/ ٦٥٢) وذكر السيوطي أن البيهقي أخرجها في الدلائل غير أني لم أجدها فيه .
(٢) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٥) .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٥) والروض (٢/ ١٤١) .
(٤) في ح ، ط : ولقد استهزئ برسل ، والمثبت من سورة الأنعام الآية (٣٤) .
(٥) في ح : أبو ربيعة تصحيف ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام (١/ ٤٠٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣١٦) والاشتقاق (ص٩٤) .
(٦) في ح : عنطل ، وفي ط : عيطل ، وفي دلائل البيهقي : عنطلة ، وكلها تصحيف ، والمثبت من جمهرة الأنساب لابن حزم (ص١٦٥) والتاج (غطل) وسيأتي في موضع آخر من الدلائل على الصواب . وسيأتي من رواية ابن إسحاق على أنه الحارث بن الطلاطلة من خزاعة لا من بني سهم . وذكر الروايتين الطبري في تفسيره (١٤/ ٧٠ ، ٧١) .
(٧) في دلائل النبوة : أبجله . والأبجل عِرْق غليظ في اليد بإزاء الأكحل . القاموس (بجل) .

في عينيّ . فجعلوا يقولون : ما نَرَى شيئاً ! فلم يزل كذلك حتى عَمِيَتْ عيناه . وأما الحارث بن غيطلة فأخذه الماءُ الأصفر في بطنه حتى خرج خُرْؤه من فيه فمات منها . وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شِبْرِقة حتى امتلأت منها فمات منها .

وقال غيرُه في هذا الحديث : فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شِبْرِقَة ـ يعني شَوْكَة ـ فدخلتْ في أخمصِ قدمه شوكة فقتلَتْه . رواهُ البيهقي[١] بنحوٍ من هذا السياق .

وقال ابن إسحاق[٢] : وكان عظماءُ المستهزئين كما حدَّثني يزيد بن رُومان عن عروة بن الزُّبير خمسةَ نَفَر ، وكانوا ذوي أسنانٍ وشرفٍ في قومهم ؛ الأسود بن المطلب أبو زَمَعة ، دعا عليه رسولُ الله ﷺ فقال : « اللهمَّ أعْم بصَرَه وأثْكِلْهُ ولَدَه » . والأسود بن عبد يَغُوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطُّلاطِلَة . وذكر أنَّ الله تعالى أنزل فيهم ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٩٤ ـ ٩٦] . وذكر أنَّ جبريلَ أتى رسولَ الله ﷺ وهم يطوفونَ بالبيت ، فقام وقام رسولُ الله ﷺ إلى جَنْبه ، فمرَّ به الأسود بن المطلب فرَمَى في وجهه بورقةٍ خضراء فعَمِي ، ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنُه فمات منه حَبَناً[٣] . ومرَّ به الوليدُ بن المغيرة فأشار إلى أثَرِ جُرحٍ بأسفلِ كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجلٍ يَرِيشُ نَبْلاً له من خزاعة ، فتعلَّق سهمٌ بإزاره فخدشه خَدْشاً يسيراً ، فانتقض بعد ذلك فمات . ومر به العاصُ بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمارٍ له يريد الطائف ، فربض به على شِبْرِقةٍ فدخلت في أخمص رِجلِهِ شوكةٌ فقتلَتْه . ومرَّ به الحارث بن الطُّلاطلة فأشار إلى رأسه فامتحض قَيْحاً فقتله .

ثم ذكر ابنُ إسحاق[٤] : أنَّ الوليد بنَ المغيرة لما حضره الموتُ أوصى بنيه الثلاثةَ وهم : خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أي بَنِيَّ ، أوصيكم بثلاث ، دمي في خُزَاعة فلا تُطِلُّوه ، والله إني لأعلم أنهم منه بُرَآء ولكني أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم . ورِبايَ في ثَقِيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعُقْري[٥] عند أبي أُزَيهر الدَّوسيّ فلا يفوتنَّكم به ـ وكان أبو أُزَيْهر قد زوَّج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه فلم يُدْخِلْها عليه حتى مات ،

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٨) وأخرجه الطبراني في الأوسط بسند حسن والضياء في المختارة عن ابن عباس كما في الدر المنثور (٥/ ١٠١) في تفسير الآية . وذكره أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) في السيرة والمغازي (ص٢٧٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٤٠٨) والروض (٢/ ١٦٣) والطبري في التفسير (١٤/ ٧٠) ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢٠١) عن حبيب بن الحسن ، حدثنا محمد بن يحيى المروزي ، حدثنا أحمد بن محمد حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق به .

(٣) « الحَبَن » : داء في البطن ، يعظم منه ويرم . القاموس (حبن) . ووقع في ح ، ط : « فاستسقى باطنه » والمثبت من السيرة .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٠) والروض (٢/ ١٦٣) .

(٥) « العقر » : دية الفرج المغصوب . قاله السهيلي في الروض (٢/ ١٦٨) .

وكان قد قبض عُقْرَها منه ، وهو صَدَاقُها ـ فلما مات الوليد وثَبَتْ بنو مخزوم على خُزَاعة يلتمسون منهم عَقْلَ الوليد ، وقالوا : إنما قتله سَهْمُ صاحبكم ، فأبَتْ عليهم خُزَاعة ذلك حتى تقاولوا أشعاراً ، وغَلُظَ بينهم الأمر . ثم أعطَتْهم خزاعةُ بعض العَقْل واصطلحوا وتحاجزوا .

قال ابن إسحاق[١] : ثم عَدَا هشامُ بن الوليد على أبي أُزَيهر وهو بسوق ذي المَجَاز فقتله ، وكان شريفاً في قومه . وكانت ابنته تحت أبي سفيان ـ وذلك بعد بدر ـ فعمد يزيدُ بن أبي سفيان فجمع الناس لبني مخزوم وكان أبوه غائباً ، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنعَ ابنُه يزيد فلامه على ذلك [وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنه : أعمدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضاً في رجل من دوس][٢] ؟ وكتب حسان بنُ ثابت قصيدةً له يُحَرِّض[٣] أبا سفيان في دم أبي أُزيهر ، فقال : بئس ما ظنَّ حسان أن يقتل بعضُنا بعضاً وقد ذهب أشرافُنا يوم بَدْر . ولما أسلم خالدُ بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ سأله في رِبا أبيه من أهل الطائف .

قال ابن إسحاق[٤] : فذكر لي بعضُ أهل العلم أنَّ هؤلاء الآيات نزلْنَ في ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨] وما بعدها .

قال ابن إسحاق[٤] : ولم يكنْ في بني أُزَيهِر ثأرٌ نعلمه حتى حجَزَ الإسلامُ بين الناس ، إلا أنَّ ضِرار بن الخطاب بن مِرْداس الأسلمي خرج في نفرٍ من قريشٍ إلى أرض دَوْس ، فنزلوا على امرأةٍ يُقال لها : أم غيلان مولاة لدوس ، وكانت تمشُط النساء وتجهز العرائس ، فأرادتْ دَوْس قتلَهم بأبي أُزيهر فقامتْ دونه أُمُّ غَيْلان ونسوةٌ كُنَّ معها حتى منعَتْهم .

قال السهيلي[٥] : يقال : إنها أدخلته بين درعها وبدنها .

قال ابنُ هشام[٦] : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أَتَتْهُ أمُّ غَيْلان وهي ترى أنَّ ضراراً أخوه ، فقال لها عمر : لستُ بأخيه إلا في الإسلام ، وقد عرفتُ منَّتك عليه ، فأعطاها على أنها بنتُ سَبيل .

قال ابنُ هشام : وكان ضرارُ بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أُحُد فجعل يضربُه بعَرْض الرمح ويقول : انج يا ابنَ الخطاب لا أقتلك . فكان عمر يعرفُها له بعد الإسلام رضي الله عنهما .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٣) والروض (٢/ ١٦٤) .
(٢) سقط ما بين المعقوفين من ح .
(٣) في ط : يحض . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .
(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٤) والروض (٢/ ١٦٥) .
(٥) في الروض (٢/ ١٦٨) والقول فيه لضرار ؟
(٦) في السيرة النبوية (١/ ٤١٥) والروض (٢/ ١٦٦) .

فصـــل

وذكر البيهقيُّ[(١)] هاهنا دعاءَ النبي ﷺ على قريش حين استعصَتْ عليه بسبعٍ مثل سبع يوسف ، وأورَدَ ما أخرجاه في « الصحيحَيْن »[(٢)] من طريق الأعمش ، عن مسلم بن صُبيح ، عن مسروق ، عن ابن مسعود . قال : خمسٌ [قد] مضَيْن ؛ اللِّزَام[(٣)] ، والرُّوم ، والدُّخان ، والبَطْشَة ، والقمر .

وفي روايةٍ عن ابن مسعود . قال[(٤)] : إنَّ قريشاً ، لما استعصَتْ على رسولِ الله ﷺ وأبطؤوا عن الإسلام . قال اللهمَّ أَعِنِّي عليهم بسبعٍ كسبعِ يوسُف » قال : فأصابتهم سَنَةٌ فحصَّتْ[(٥)] كلَّ شيء ، حتى أكلوا الجِيفَ والميتة وحتى إنَّ أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجُوع . ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] قال : فعادوا فكفروا فأُخِّروا إلى يوم القيامة ـ أو قال : فأُخِّروا إلى يوم بَدْر ـ قال عبد الله : إنَّ ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يُكشفُ عنهم ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٦] قال : يوم بَدْر .

وفي روايةٍ عنه ، قال[(٦)] : لما رأى رسولُ الله ﷺ من الناس إدْباراً قال : « اللهمَّ سبع كسبعِ يوسف » فأخذتْهُمْ سَنةٌ حتى أكلوا المَيْتَةَ والجلودَ والعظام . فجاءَهُ أبو سفيان وناسٌ من أهل مكة فقالوا : يا محمد ، إنك تزعمُ أنَّكَ بُعثتَ رحمةً وإنَّ قومَكَ قد هَلَكُوا ، فادْعُ اللهَ لهم . فدعا رسولُ الله ﷺ فسقُوا الغيثَ ، فأطبقَتْ عليهم سبعاً فشكا الناسُ كثرة المطَر . فقال : « اللهمَّ حوالَيْنا ولا علينا » فانحدَرَتِ السحابة[(٧)] عن رأسه ، فسُقي الناسُ حولَهم .

قال : لقد مضَتْ آيةُ الدُّخان ـ وهو الجوع الذي أصابهم ـ وذلك قوله ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] وآيةُ الروم ، والبطشة الكبرى ، وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بَدْر .

---

(١) في الدلائل (٢/ ٣٢٤) .

(٢) أورده في الدلائل (٢/ ٣٢٧) وهو في فتح الباري (٤٨٢٥) التفسير سورة الدخان باب يوم نبطش البطشة الكبرى . وصحيح مسلم (٢٧٩٨) (٤١) صفات المنافقين باب الدخان ، وما سيأتي بين معقوفين منهما .

(٣) المراد به قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾ أي : يكون عذابهم لازماً . قالوا : وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر ، وهي البطشة الكبرى . مكمل إكمال الإكمال للسنوسي (٧/ ١٩٨ ، ١٩٩) .

(٤) دلائل البيهقي (٢/ ٣٢٥) واللفظ له والحديث في فتح الباري (٤٨٢٣) التفسير سورة الدخان باب (أنى لهم الذكرى) . و(٤٨٠٩) التفسير سورة ص باب (وما أنا من المتكلفين) .

(٥) في ح ، ط : « حتى فصت » ، والمثبت من دلائل البيهقي وصحيح البخاري ، وحصتْ كل شيء : أي أذهبته ، والحص : إذهاب الشعر عن الرأس بحلق أو مرض . النهاية (حصص) .

(٦) في دلائل البيهقي (٢/ ٣٢٦) وهي رواية البخاري كما سيأتي ، فتح الباري (٢/ ٥١٠) (١٠٢٠) الاستسقاء باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط .

(٧) في ط : فانجذب السحاب . وفي ح : فانحدت ، والمثبت من الدلائل وصحيح البخاري في الفتح .

قال البيهقي[١] : يريد ـ والله أعلم ـ البطشةَ الكبرى والدخان وآية اللزام ، كلُّها حصلَتْ ببدر . قال : وقد أشار البخاري[٢] إلى هذه الرواية .

ثمَّ أورد[٣] من طريق عبد الرزَّاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء أبو سفيان إلى رسولِ الله ﷺ يستغيثُ من الجوع ، لأنهم لم يجدوا شيئاً ، حتى أكلوا العِلْهزَ بالدَّم[٤] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٦] قال : فدعا رسولُ الله ﷺ حتى فرَّج الله عنهم .

ثم قال الحافظ البيهقي[٥] : وقد رُوي في قصة أبي سفيان ما دلَّ على أنَّ ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتَيْن ، والله أعلم .

فصـــل

ثمَّ أورد البيهقي[٦] قصة فارس والرُّوم ، ونزولَ قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم : ١ ـ ٥] .

ثم رَوَى[٦] من طريق سفيانَ الثوري ، عن حَبيب بن أبي عَمْرَة[٧] ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان المسلمون يُحِبُّون أنْ يظهرَ الرُّوم على فارس لأنهم أهلُ كتاب ، وكان المشركون يحبُّونَ أن تظهر فارسُ على الروم لأنهم أهلُ أوثان ؛ فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر فذكر [ذلك][٨] أبو بكر للنبيِّ ﷺ فقال : « أمَا إنَّهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلاً إنْ ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإنْ ظهَرْنا كان لنا كذا وكذا . [فجعل بينهم أجل خمس سنين ، فلم يظهروا]

---

(١) في الدلائل (٢/ ٣٢٧) .

(٢) مضى في الصفحة السابقة ح٦ .

(٣) يعني البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٢٨) .

(٤) في ط : العهن . والمثبت من ح والدلائل ، وقوله : بالدم مستدرك في هامش ح . والعلهز : هو شيء يتخذونه في سني المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . وقيل : كانوا يخلطون فيه القِرْدان . ويقال للقراد الضخم « عِلْهِز » . وقيل : العلهز شيء ينبت ببلاد بني سُليم له أصل كأصل البَرْدِي . النهاية لابن الأثير (علهز) .

(٥) في الدلائل (٢/ ٣٢٩) .

(٦) في الدلائل (٢/ ٣٣٠) .

(٧) في ح : حبيب عن أبي عمرو ، وفي ط : حبيب بن أبي عمرو ، وكلاهما تحريف ، والمثبت من الدلائل وترجمته في تهذيب الكمال (٥/ ٣٨٦) .

(٨) في ط : فذكره ، والمثبت من ح والدلائل ، وما بين معقوفين في هذا الخبر منه .

فذكر ذلك أبو بكر للنبيِّ ﷺ فقال : « ألا جَعَلْتَهُ ـ أُراهُ[١] قال ـ دون العشر » . فظهرتِ الرُّوم بعد ذلك .

وقد أورَدْنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المُبَاحث ـ أي : المراهن ـ لأبي بكر أمية بن خلف ، وأن الرَّهْن كان على خمس قلائص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصدِّيق عن أمر رسولِ الله ﷺ وفي الرَّهن . وأنَّ غلبة الروم على فارس كان يوم بَدْر ـ أو كان يوم الحُديبية ـ فالله أعلم .

ثم روى[٢] من طريق الوليد بن مسلم ، حدَّثنا أُسَيد[٣] الكلابي أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدِّث عن أبيه قال : رأيتُ غَلَبَة فارس الروم ، ثم رأيتُ غلبة الروم فارس ، ثم رأيتُ غلبة المسلمين فارسَ والرُّوم وظهورَهم على الشام والعراق ، كل ذلك في خمسَ عشرةَ سنة .

فصـــل
في الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هناك إلى السماوات وما رأى هنالك من الآيات

ذكر ابنُ عساكر أحاديثَ الإسراء في أوائل البِعْثَة[٤] ، وأما ابن إسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحوٍ من عشر سنين[٥] .

وروى البيهقي[٦] من طريق موسى بن عقبة ، عن الزهري أنه قال : أُسري برسولِ الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة . قال : وكذلك ذكره ابنُ لَهيعة عن أبي الأسود عن عروة .

ثم روى [عن][٧] الحاكم عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بُكير ، عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السُّدِّيِّ أنه قال : فُرض على رسولِ الله ﷺ الخَمْس ببيت المقدس ، ليلة أُسري به قبل مُهَاجَرِهِ بستةَ عشرَ شهراً .

فعلى قول السدِّيّ يكون الإسراءُ في شهر ذي القعدة، وعلى قول الزُّهْرِيّ وعروة يكون في ربيع الأول .

---

(١) في ح : أداه ، وفي ط : أداة . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الدلائل .

(٢) أي البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٣٤) بسنده إلى يعقوب بن سفيان ، وهو في كتابه المعرفة والتاريخ (١/ ٢٧٩) وأخرجه ابن الأثير أيضاً في أسد الغابة في ترجمة الزبير بن عبد الله (٢/ ١٩٦) بسنده إلى يعقوب أيضاً .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ٣١١) وأدرجه تحت من اسمه : أسيد بالتصغير ، وكذا ذكره ابن عساكر في تاريخه (٣/ ٢٥) (نسخة الظاهرية) ثم قال : ويقال : أسيد أي بفتح أوله وساق الخبر .

(٤) تاريخ ابن عساكر (١/ ٥٦٦) نسخة الظاهرية .

(٥) السير والمغازي (ص٢٩٥) .

(٦) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٤) .

(٧) زيادة يقتضيها السياق ، والذي روى البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٥٥) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدَّثنا عفَّان[١] ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر وابن عباس قالا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين ، الثاني عشر من ربيع الأول ، وفيه بُعث ، وفيه عُرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات .

فيه انقطاع[٢] . وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته[٣] وقد أورد حديثاً لا يصحُّ سنَدُه، ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب، والله أعلم . ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب ، وهي ليلة الرغائب التي أُحدثت فيها الصلاة المشهورة ، ولا أصل لذلك ، والله أعلم . وينشد بعضُهم في ذلك :

ليلةَ الجمعةِ عُرِّج بالنبي ... ليلةَ الجمعةِ أوّل رجب[٤]

وهذا الشعر عليه ركاكة ، وإنما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به .

وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك مستقصاةً عند قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] فلتُكتَبْ من هناك على ما هي عليه من الأسانيد والعَزْو ، والكلام عليها ومعها ففيها مَقْنَعٌ وكفاية ، ولله الحمدُ والمِنَّة .

ولنذكُر ملخَّصَ كلامِ ابنِ إسحاق رحمه الله فإنَّه قال بعد ذكر ما تقدَّم من الفصول[٥] : ثم أُسْرِيَ برسولِ الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ـ وهو بيت المقدس من إيلياء ـ وقد فشا الإسلامُ بمكة في قريش وفي القبائل كلِّها .

وقال : وكان من الحديث فيما بلغني عن مَسْرَاهُ ﷺ عن ابن مسعود ، وأبي سعيد ، وعائشة ، ومعاوية ، وأم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنهم، والحسن بن أبي الحسن، وابن شهاب الزُّهْرِي وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث، كلٌّ يحدِّثُ عنه بعضَ ما ذُكر لي من أمره وكان في مسراه وما ذُكر لي منه بلاءٌ وتمحيص وأمرٌ من أمْرِ الله [عزَّ وجلَّ] في قدرته[٦] وسلطانه ، فيه عبرةٌ لأولي الألباب ، وهدًى ورحمةٌ وثباتٌ لمن آمَنَ وصدَّق وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كيف شاء وكما شاء لِيُرِيَهُ من آياته ما أراد ، حتى عايَنَ ما عاين من أمْرِهِ وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يُريد .

---

(١) في ط : عثمان ، والمثبت مما تقدم ص(٣٢) سطر (١) من هذا الجزء ، حيث أورد المؤلف الحديث .
(٢) يعني : بين عفان وسعيد بن مينا .
(٣) يسمى السيرة النبوية ، أو الدرة المضية في السيرة النبوية لعبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي ، وهو مخطوط . معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ (ص١١٠ و١١٦) .
(٤) كذا في ط وزادت ح بين الشطرين ﷺ ، وفي الشطر الثاني : ليلة جمعة .
(٥) السير والمغازي (ص٢٩٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٩٦) والروض (٢/ ١٤١) .
(٦) في ط : وقدرته ، والمثبت من مصادر الخبر عند ابن إسحاق وما بين معقوفين منها .

وكان عبدُ الله بن مسعود ـ فيما بلغني ـ يقول : أُتي رسولُ الله ﷺ بالبُرَاق ـ وهي الدابَّةُ التي كانتْ تُحمل عليها الأنبياء قبلَه ، تضَعُ حافرَها في موضع منتهى طَرْفِها ـ فحُمل عليها ، ثمَّ خرج به صاحبُه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نَفَرٍ من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلَّى بهم ثم أُتي بثلاثةِ آنيةٍ من لبنٍ وخمرٍ وماءٍ .

فذكر أنه شرِب إناءَ اللبن ، فقال لي جبريل : هُديتَ وهدِيَتْ أُمتك .

وذكر ابنُ إسحاق في سياق الحسن البصري مرسلاً[١] أنَّ جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فأركبَهُ البُرَاق وهو دابةٌ أبيض ، بين البَغْلِ والحمار ، وفي فخذيه جناحان يَحْفِزُ بهما رجلَيْه ، يضع حافره في منتهى طَرْفه . ثم حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتُني ولا أفوته .

قلت : وفي الحديث وهو عن قتادة ، فيما ذكره ابنُ إسحاق[٢] أنَّ رسولَ الله ﷺ لما أراد ركوب البُرَاق شَمَسَ به[٣] ، فوضع جبريلُ يدَهُ على مَعْرَفَتِه ثم قال : ألا تستحي يا بُراق مما تصنع ، فوالله ما ركبكَ عبدٌ لله قبلَ محمدٍ أكرمُ عليه منه . قال : « فاستحى حتى ارفضَّ عرَقاً ثم قرَّ[٤] حتى ركبتُه » .

قال الحسن في حديثه : فمضَى رسولُ الله ﷺ ومضى معه جبريلُ حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نَفَرٍ من الأنبياء ، فأمَّهم رسولُ الله ﷺ فصلَّى بهم ، ثم ذكر اختيارَهُ إناءَ اللبن على إناء الخمر وقول جبريل له : هُديت وهديَتْ أُمَّتُك ، وحُرِّمَتْ عليكم الخمر .

قال : ثم انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى مكة فأصبح يُخبر قريشاً بذلك ، فذكر أنه كذَّبه أكثرُ الناس ، وارتدَّتْ طائفةٌ بعد إسلامها ، وبادر الصدِّيقُ إلى التصديق وقال : إني لأصدِّقُه في خبر السماء بُكْرَةً وعشيَّة ، أفلا أصدِّقه في بيت المقدس ؟ وذكر أنَّ الصدِّيقَ سأله عن صفة بيتِ المقدس ، فذكرها له رسولُ الله ﷺ قال : فيومئذٍ سُمِّي أبو بكر الصدِّيق .

قال الحسن : وأنزل الله في ذلك ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] الآية .

وذكر ابنُ إسحاق[٥] فيما بلغَهُ عن أُم هانئ أنها قالت : ما أُسريَ برسولِ الله ﷺ إلا من بيتي ، نام عندي تلك الليلة بعدما صلَّى العشاءَ الآخرة ، فلما كان قُبيل الفَجْر أهَبَّنا[٦] ، فلما كان الصُّبْح وصلَّينا معه ، قال : « يا أُمَّ هانئ لقد صلَّيتُ معكم العشاء الآخرة في هذا الوادي ، ثم جئتُ بيتَ المقدس

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٧) والروض (٢/ ١٤٢) .
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٨) والروض (٢/ ١٤٢) .
(٣) « شمست الدابة والفرس » : شردت وجمحَتْ ومنعَتْ ظهرها فلا تستقر لحدتها وشغبها . اللسان (شمس) .
(٤) في ح : تقدم . وفوقها : قرَّ .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٢) والروض (٢/ ١٤٤) .
(٦) في ح : أنبهنا ، أي أيقظنا ، وهما بمعنى .

فصلَّيتُ فيه ، ثم قد صلَّيتُ الغَدَاة معكم الآن كما ترَيْن » . ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطرَفِ ردائه ، فقلت : يا نبيَّ الله لا تحدِّثْ بهذا الحديث الناسَ فيكذِّبوك ويُؤذوك . قال : « والله لأحدِّثنَّهموه » . فأخبرهم فكذَّبوه . فقال : وآيةُ ذلك أنِّي مرَرْتُ بعِيرِ بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفرَهُمْ حِسُّ الدابَّة ، فندَّ لهم بعِيرٌ فدلَلْتُهم عليه وأنا متوجِّهٌ إلى الشام ، ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ بضَجَنَان[1] مررتُ بعيرِ بني فلان ، فوجدتُ القومَ نياماً ولهم إناءٌ فيه ماء قد غطَّوا عليه بشيء ، فكشفتُ غطاءه وشربتُ ما فيه ، ثم غطَّيْتُ عليه كما كان . وآية ذلك أنَّ عِيرَهم تُصَوِّبُ الآنَ من ثنيَّة التنعيم البَيْضَاء يقدُمها جمَلٌ أوْرَق[2] ، عليه غِرَارتان ، إحداهما سوداء والأخرى بَرْقاء[3] . قال : فابتدروا القومَ بالثنيَّة[4] ، فلم يلقَهُمْ أول من الجمل الذي وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر صلواتُ الله وسلامُه عليه .

وذكر يونس بن بكير ، عن أسباط ، عن إسماعيل السُّدِّي ، أنَّ الشمسَ كادتْ أن تغرُبَ قبل أن يقدُمَ ذلك العِير[5] ، فدعا الله عزَّ وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم . قال : فلم تحتبس الشمسُ على أحدٍ إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون . رواه البيهقي[6] .

قال ابن إسحاق[7] : وأخبرني من لا أتهم عن أبي سعيدٍ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لما فرغتُ مما كان في بيت المقدس أُتي بالمِعْرَاج ولم أر شيئاً قط أحسنَ منه وهو الذي يمدُّ إليه ميِّتُكم[8] عينيه إذا حُضر ، فأصعدني فيه صاحبي حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماء يقال له : باب الحَفَظَة ، عليه بريدٌ[9] من الملائكة يقال له : إسماعيل ، تحت يده اثنا عشر ألف ملك ، تحت يد كلِّ مَلَكٍ منهم اثنا عشر ألف مَلَك . قال : يقول رسولُ الله ﷺ إذا حدَّث بهذا الحديث : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] .

ثم ذكر بقيةَ الحديث ، وهو مطوَّلٌ جداً ، وقد سقناه بإسنادِهِ ولفظه بكماله في التفسير ، وتكلَّمنا عليه ، فإنه من غرائب الأحاديث وفي إسنادِهِ ضَعْف .

---

(١) « ضَجَنَان » : بالتحريك ونونين ، جُبَيل على بريد من مكة ، وقيل بينه وبين مكة خمسة وعشرون ميلاً . معجم البلدان (٣/ ٤٥٣) .

(٢) الأورق من كل شيء : ما كان لونه لون الرماد ، ومن الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . اللسان (ورق) .

(٣) « برقاء » : مؤنث أبرق ، وهو كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض . القاموس (برق) .

(٤) في ط وسيرة ابن هشام : فابتدر القومُ الثنية .

(٥) كذا في ح ، ط قلت : الصواب أن يقول : قبل أن تقدم تلك العير . لأن العير مؤنثة كما في اللسان ، وهي القافلة أو الإبل التي تحمل الميرة ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ . ويبدو أن اللفظ هنا لابن كثير نقلها عن البيهقي بتصرف كما سيأتي .

(٦) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٠٤) : بنحوه عن الحاكم عن أبي العباس الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس به أقول : ويونس بن بكير صدوق يخطئ .

(٧) سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٣) والروض (٢/ ١٥٤) .

(٨) في ح : يمتد إليه منكم . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض .

(٩) البريد هنا : الرسول . وفي السيرة والروض : ملك من الملائكة .

وكذا في سياق حديث أمِّ هانئ ، فإنَّ الثابت في الصحيحين[(١)] ، من روايةِ شَرِيك بن أبي نَمِر ، عن أنس أنَّ الإسراء كان من المسجد من عند الحِجْر ، وفي سياقه غَرَابَةٌ أيضاً من وجوه قد تكلَّمنا عليها هناك ، ومنها قوله : قبلَ أنْ يُوحَى إليه[(٢)] . والجوابُ أنَّ مجيئهم أولَ مرَّةٍ كان قبل أن يُوحَى إليه ، فكانتْ تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ، ثم جاءه الملائكة ليلةً أخرى ولم يقل في ذلك ، وذلك قبل أن يُوحَى إليه بل جاؤوا بعد ما أوحي إليه ، فكان الإسراءُ قطعاً بعد الإيحاء ، إمَّا بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون ، وهو الأظهر ؛ وغسل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلاً ثانياً ـ أو ثالثا ـ على قوله أنه مطلوب إلى الملأ الأعلى والحضرة الإلَهية ، ثم ركب البُرَاق رِفْعَةً له وتعظيماً وتكريماً ، فلما جاء بيتَ المقدس ربطه بالحَلْقة التي كانت تربط بها الأنبياء ، ثم دخل بيت المقدس ، فصلَّى في قبلته تحيَّةَ المسجد .

وأنكر حُذيفة رضي الله عنه دخولَهُ إلى بيت المقدس وربْطَه الدَّابَّة وصلاته فيه ، وهذا غريب ؛ والنصُّ المُثْبتُ مقدَّمٌ على النافي .

ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم ، أكان قبل عُروجه إلى السماء كما دلَّ عليه ما تقدَّم أو بعد نزوله منها كما دلَّ عليه بعضُ السياقات ، وهو أنسبُ كما سنذكره على قولين ، فالله أعلم .

وقيل : إنَّ صلاته بالأنبياء كانتْ في السماء ، وهكذا تخَيُّرُه بين[(٣)] الآنية ، اللبن والخمر والماء ، هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح ؟ والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نُصب له المعراج ـ وهو السُّلَّم ـ فصعِدَ فيه إلى السماء ، ولم يكنِ الصُّعود على البُراق كما قد يتوهَّمُه بعضُ الناس ، بل كان البُراق مربوطاً على باب مسجدِ بيتِ المقدس ليرجع عليه إلى مكة . فصعِدَ من سماءٍ إلى سماءٍ في المِعْرَاج حتى جاوز السابعة ، وكلما جاء سماءً تلقَّتْهُ منها مقرَّبوها ومَنْ فيها من أكابر الملائكة والأنبياء . وذكَرَ أعيان من رأى[(٤)] من المرسلين ، كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية ، وإدريس في الرابعة[(٥)] ، وموسى في السادسة ـ على الصحيح ـ وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخلُه كلَّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبَّدون فيه صلاةً وطوافاً ،

---

(١) فتح الباري (٣٥٧٠) المناقب باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ، وصحيح مسلم (١٦٢) (٢٦٦) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٢) وهذه العبارة في رواية البخاري المشار إليها في الحاشية السابقة ، وقد زادت نسخة ط بعد قوله : وذلك .

(٣) في ط : من .

(٤) في ط : رآه .

(٥) كذا ، لم يذكر الثالثة ولا الخامسة ، وفي سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٦ ، ٤٠٧) من حديث أبي سعيد الخدري أنه رأى في الثالثة يوسف بن يعقوب ، وفي الخامسة هارون بن عمران .

ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، ثم جاوز مراتِبَهُم كلَّهم حتى ظهر لمستوى يسمعُ فيه صَرِيفَ الأقلام ، ورُفعت لرسولِ الله ﷺ سِدْرَةُ المُنْتَهى ، وإذا ورَقُها كآذان الفِيلَة ، ونَبِقُها كقِلالِ هَجَر[١] ، وغشيها عند ذلك أمورٌ عظيمة ، ألوانٌ متعدِّدة باهرة ، وركبتها الملائكةُ مثل الغِرْبان على الشجرة كثرةً ، وفَرَاش من ذهب ، وغشيها من نور الربِّ جلَّ جلاله ، ورأى هنالك[٢] جبريلَ عليه السلام له ستمئة جناح ما بين كلِّ جناحَيْن كما بين السماءِ والأرض وهو الذي يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٣-١٧] أي ما زَاغَ يميناً ولا شمالاً ، ولا ارتفع عن المكان الذي حُدَّ له النظر إليه . وهذا هو الثباتُ العظيم والأدب الكريم ، وهذه الرؤيا الثانية لجبريلَ عليه السلام على الصفة التي خلقَهُ الله تعالى عليها ، كما نقلَهُ ابنُ مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين . والأولى هي قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ٥ ـ ١٠] وكان ذلك بالأبْطَح ، تدلَّى جبريلُ على رسولِ الله ﷺ ساداً عِظَمُ خَلْقِهِ ما بين السماءِ والأرض ، حتى كان بينه وبينه قابَ قوسَيْن أو أدْنَى ، هذا هو الصحيحُ في التفسير كما دلَّ عليه كلامُ أكابرِ الصحابةِ المتقدِّم ذِكرُهم رضي الله عنهم .

فأمَّا قولُ شريك عن أنس في حديث الإسراء[٣] : ثمَّ دنا الجبَّارُ ربُّ العِزَّةِ فتدلَّى فكان قابَ قوسين أو أدنى فقد يكونُ من فَهْم الراوي فأقحمه في الحديث . والله أعلم .

وإنْ كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة [بل هو شيءٌ آخر غير ما دلَّتْ عليه الآيةُ الكريمة][٤] . والله أعلم .

وفرض الله سبحـانه وتعالى على عبده محمدٍ ﷺ وعلى أمته الصلواتِ ليلتئذ خمسين صـلاةً في كلِّ يـوم وليلة ، ثم لم يزَلْ يختلفُ بين موسى وبين ربِّهِ عزَّ وجل حتى وضعها الربُّ جلَّ جلاله وله الحمدُ والمِنَّـة إلى خمس وقد قـال : « هي خمسٌ وهي خمسون ، الحسنةُ بعشرِ أمثالهـا »[٥] فحصل له التكليم

---

(١) « النَّبِق » : ثمر السِّدر ، واحدته : نَبِقَة ، وأشبه شيء به العُنَّاب قبل أن تشتد حمرته . وهَجَر : قرية قريبة من المدينة ، وليست هَجَر البحرين ؛ وكانت تعمل بها القِلال ، تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء ؛ مفردها : قُلَّة وهي الجرَّة الضخمة . النهاية لابن الأثير والقاموس (نبق ، قلل) .

(٢) في ط : هناك .

(٣) هذا القول رواه البخاري فتح (٧٥١٧) التوحيد باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ وهذا الحديث ، اضطرب فيه شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، وساء حفظه ولم يضبط ولذلك ضعفه العلماء لاضطراب شريك فيه ، قال البيهقي : في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله عز وجل ، وحمل الآية على جبريل أصح . قال بشار : وتعقب الحافظ ابن حجر في الفتح المواضع التي أخطأ فيها شريك وفصّل فيها .

(٤) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٢)(٢٥٩) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ وهو عند البخاري بنحوه المشار إليه في الحاشية (٣) من هذه الصفحة .

من الربِّ عزَّ وجل ليلتئذ ، وأئمة السُّنَّة كالمطبقين على هذا .

واختلفوا في الرؤية ، فقال بعضُهم رآه بفؤادِه مرَّتين ، قاله ابن عباس وطائفة ، وأطلق [ابن عباس][1] وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد ، وممن أطلق الرؤية أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما ، وصرَّح بعضُهم بالرؤية بالعينين ، واختاره ابنُ جرير وبالغ فيه ، وتبِعَهُ على ذلك آخرون من المتأخرين .

وممن نصَّ على الرؤية بعيني رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيليُّ عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووي في فتاويه[2] .

وقالت طائفة : لم يقع ذلك لحديث أبي ذرّ في صحيح مسلم[3] : قلت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نورٌ أنَّى أراه » . وفي رواية[4] : « رأيت نوراً » .

قالوا : ولم يكن رؤية الباقي بالعين الفانية ؛ ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما رُوي في بعض الكتب الإلهَية : يا موسى إنه لا يراني حيٌّ إلا مات ، ولا يابسٌ إلا تدَهْدَه . والخلاف في هذه المسألة مشهورٌ بين السلف والخَلَف ، والله أعلم .

ثم هبط رسولُ الله ﷺ إلى بيت المقدس ، والظاهر أنَّ الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة كما هي عادة الوافدين ، لا يجتمعون بأحد قبل الذي طُلبوا إليه ، ولهذا كان كلَّما مرَّ على واحدٍ منهم يقولُ له جبريل ـ عندما يتقدم ذاك للسلام عليه ـ : هذا فلان ، فسلِّم عليه ، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعودِهِ لما احتاج إلى تعرُّفٍ بهم مرة ثانية . ومما يدلُّ على ذلك أنه قال : « فلما حانتِ الصلاةُ أمَمْتُهُمْ »[5] . ولم يحِنْ وقتٌ إذْ ذاك إلى صلاة الفجر فتقدَّمهم إماماً بهم عن أمر جبريلَ فيما يرويه عن ربِّه عز وجل ؛ فاستفاد بعضُهم من هذا أنَّ الإمام الأعظم يقدَّمُ في الإمامة على ربِّ المنزِل ، حيثُ كان بيت المقدس محلَّتهم ودارَ إقامتهم ؛ ثم خرج منهم فركب البُرَاق وعاد إلى مكة ، فأصبح بها وهو في غايةِ الثبات والسَّكينةِ والوَقَار .

وقد عايَنَ في تلك الليلة من الآيات والأمور التي لو رآها ـ أو بعضها ـ غيرُه لأصبح مندهشاً أو طائشَ العقل ، ولكنه ﷺ أصبح واجماً ـ أي: ساكناً ـ يَخْشَى إنْ بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه ، فتلطَّف بإخبارهم أولاً بأنه جاء بيتَ المقدس في تلك الليلة ، وذلك أنَّ أبا جهل لعنه الله ـ رأى رسولَ الله

---

(١) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٢) الروض الأنف للسهيلي (٢/١٥٦) وفتاوى الإمام النووي (ص١٥) المسمَّى : المنثورات « أو المسائل المنثورة » .

(٣) صحيح مسلم (٢٩١ ، ٢٩٢ـ١٧٨) الإيمان باب في قوله عليه السلام : نور أنى أراه .

(٤) هي رقم (٢٩٢) المشار إليها في الحاشية السابقة .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٨ ـ ١٧٢) الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال .

ﷺ في المسجد الحرام وهو جالسٌ واجم ، فقال : « إنِّي أُسْرِيَ بيَ الليلةَ إلى بيتِ المَقْدِس » . قال : إلى بيت المقدس !؟ قال : « نعم » . قال : أرأيتَ إنْ دعَوْتُ قومَك لك لتخبرَهم أتخبرُهم بما أخبرتني به ؟ قال : « نعم » . فأراد أبو جهل جمعَ قريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسولُ الله ﷺ جمعهم ليخبرَهم ذلك ويبلغهم . فقال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديتهم فقال : أخْبِرْ قوْمَكَ بما أخبرتني به . فقصَّ عليهم رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى وأنه جاء بيتَ المقدس هذه الليلة وصلَّى فيه ؛ فمن بين مصفِّقٍ وبين مصفِّر تكذيباً له واستبعاداً لخبره . وطار الخبرُ بمكة ، وجاءَ الناسُ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه فأخبروه أنَّ محمداً ﷺ يقول كذا وكذا . فقال : إنكم تكذبونَ عليه . فقالوا : والله إنه ليقولُه . فقال : إنْ كان قالَهُ فلقَدْ صَدَق . ثم جاء إلى رسولِ الله ﷺ وحوله مشركو[1] قريش ، فسأله عن ذلك ، فأخبره ، فاستعلمه عن صفاتِ بيتِ المقدس ليَسْمَع المشركون ويعلموا صِدْقَهُ فيما أخبرهم به[2] .

وفي الصحيح[3] : أنَّ المشركين هم الذين سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك . قال : « فجعلتُ أخبرُهم عن آياته فالتبس عليَّ بعض الشيء[4] ، فجلَّى الله لي بيتَ المقدس حتى جعلتُ أنظرُ إليه دون دارِ عُقيل وأنعته لهم » . فقال : أما الصفة فقد أصاب .

وذكر ابنُ إسحاق ما تقدَّم[5] من إخباره لهم بمرورِهِ بعيرهم وما كان من شربه ماءهم ، فأقام الله عليهم الحُجَّة واستنارت لهم المَحَجَّة ، فآمن مَنْ آمن على يقينٍ من ربِّه ، وكفر من كفر بعد قيام الحُجَّةِ عليه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠]، أي : اختباراً لهم وامتحاناً .

قال ابنُ عباس : هي رؤيا عين أُريها رسولُ الله ﷺ وهذا مذهب جمهور السَّلَف والخَلَف من أنَّ الإسراء كان ببدَنِه ورُوحه صلواتُ الله وسلامُه عليه ، كما دلَّ على ذلك ظاهرُ السِّياقات ، من رُكوبه وصعوده في المِعْرَاج وغير ذلك . ولهذا قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١] والتسبيحُ إنما يكونُ عند الآياتِ العظيمةِ الخارقة ، فدلَّ

---

(١) في ح ، ط : وحوله مشركي .

(٢) الحديث أخرجه بنحوه الإمام أحمد في مسنده : (١/ ٣٠٩) رقم (٢٨٢٠) عن ابن عباس وإسناده صحيح ، وذكره المؤلف في التفسير عن الإمام أحمد وقال : وأخرجه النسائي من حديث عوف بن أبي جميلة وهو الأعرابي به (وهو في التفسير ٣٠٥ وسننه الكبرى ١١٢٨٥) . ورواه البيهقي (في الدلائل ٢/ ٣٦٣ و٣٦٤) من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي أحد الأئمة الثقات ، وهو في مجمع الزوائد (١/ ٦٤) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) يعني البخاري ، انظر فتح الباري (٣٨٨٦) مناقب الأنصار باب حديث الإسراء و(٤٧١٠) التفسير سورة بني إسرائيل (١٧) باب قوله : أسرى بعبده ليلاً .

(٤) في مسند أحمد : بعض النعت . ولا ذكر لهذه العبارة في البخاري ، مما يدل على أنه اقتبس هذا النص في مسند أحمد ، وأنه استشهد بالصحيح في ذكر أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ فحسب .

(٥) تقدم حديث أم هانئ .

على أنه بالرُّوح والجَسَد ، والعبدُ عبارةٌ عنهما ، وأيضاً فلو كان مناماً لما بادَرَ كُفَّارُ قريشٍ إلى التكذيب به والاستبعاد له ، إذْ ليس في ذلك كبيرُ أمْرٍ ، فدلَّ على أنه أخبرهم بأنه أُسْرِيَ به يقظَةً لا مناماً . وقولُه في حديث شَرِيك عن أنس : « ثم استيقظت فإذا أنا في الحِجْر »[١] معدودٌ في غلطاتِ شريك ، أو محمولٌ على أنَّ الانتقالَ من حالٍ إلى حال يُسمَّى يقظَةً كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهبَ رسولُ الله ﷺ [إلى][٢] الطائف فكذَّبوه ، قال : « فرجعتُ مهموماً ، فلم أستفِقْ إلا بقَرْنِ الثعالب » . وفي حديث أبي أُسيد حين جاء بابنِهِ إلى رسولِ الله ﷺ ليحنِّكَهُ فوضعه على فَخِذِ رسول الله ﷺ واشتغل رسولُ الله ﷺ بالحديث مع الناس ، فرَفَعَ أبو أُسيد ابنَه ، ثم استيقظ رسولُ الله ﷺ فلم يجدِ الصبي ، فسأل عنه ، فقالوا : رفع ، فسمَّاهُ المنذر[٣] . وهذا الحمل أحسن من التغليط . والله أعلم .

وقد حكى ابنُ إسحاق فقال[٤] : حدَّثني بعضُ آلِ أبي بكرٍ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين أنها كانت تقول : ما فُقدَ جسدُ رسولِ الله ﷺ ولكن الله أسْرَى برُوحِه .

قال[٥] : وحدَّثني يعقوب بن عتبة ، أنَّ معاوية كان إذا سُئل عن مَسْرَى رسولِ الله ﷺ قال كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابنُ إسحاق[٥] : فلم يُنكَرْ ذلك من قولهما ، لقول الحسن : إنَّ هذه الآية نزلَتْ في ذلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] وكما قال إبراهيمُ عليه السلام : ﴿ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] وفي الحديث : « تنامُ عيني وقلبي يَقْظان »[٦] .

قال ابنُ إسحاق[٧] : فالله أعلم أي ذلك كان ، قد جاءه وعايَنَ فيه ما عاينَ من أمر الله تعالى ، على أيِّ

---

(١) هو الحديث المشار إليه فيما تقدم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، والحديث سيأتي .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ، فتح الباري (٦١٩١) الأدب باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ، وصحيح مسلم (٢٩ ـ ٢١٤٩) الآداب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته .

(٤) في السير والمغازي (ص٢٩٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٩٩) والروض (٢/ ١٤٣) .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٠) والروض (٢/ ١٤٣) .

(٦) رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٠) وهو قطعة من حديث عائشة رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ولفظهم : « إن عيني تنامان ولا ينام قلبي » : فتح الباري (١١٤٧) التهجد باب قيام النبي ﷺ (٢٠١٣) صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان ، وصحيح مسلم (٧٣٨) (١٢٥) صلاة المسافرين باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ . وسنن أبي داود (١٣٤١) الصلاة باب في صلاة الليل ، وجامع الترمذي (٤٣٩) الصلاة باب ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ . وأورده البخاري من حديث جابر فتح (٧٢٨١) الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ بلفظ : « إن العين نائمة والقلب يقظان » .

(٧) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٠) والروض (٢/ ١٤٣) .

حاله كان ، نائماً أو يقظاناً[(١)] ، كل ذلك حقٌّ وصدق .

قلت : وقد توقَّف ابنُ إسحاق في ذلك وجوَّز كلًّا من الأمرَيْن من حيث الجملة ، ولكنَّ الذي لا يُشكُّ فيه ولا يتمارى أنه كان يقظاناً[(٢)] لا محالة لما تقدَّم ، وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أنَّ جسده ﷺ ما فُقِد ، وإنما كان الإسراءُ برُوحه أن يكونَ مناماً كما فهمه ابنُ إسحاق ، بل قد يكون وقع الإسراءُ بروحه حقيقةً [وهو يقظان لا نائم ، وركب البُرَاقَ وجاء بيت المقدس ، وصعِدَ السمواتِ وعاين ما عاين حقيقة][(٣)] ، ويقظةً لا مناماً . لعل هذا مُرَادُ عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها ، ومرادُ مَنْ تابعها على ذلك . لا ما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام . والله أعلم .

تنبيه : ونحن لا نُنْكِرُ وقوعَ منامٍ قبل الإسراء طِبْقَ ما وقع بعد ذلك ، فإنَّه ﷺ كان لا يرَى رؤيا إلا جاءَتْ مثل فَلَقِ الصُّبْح ، وقد تقدَّم مثلُ ذلك في حديث بَدْء الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظةً مناماً قبله ليكون ذلك من باب الإرْهاص والتَّوْطئة والتثبُّت والإيناس . والله أعلم .

وقد[(٤)] اختلف العلماءُ في أنَّ الإسراء والمعراج : هل كانا في ليلةٍ واحدة ؟ أو كلٌّ في ليلةٍ على حِدَة ؟ فمنهم من يزعم أنَّ الإسراء في اليقظة ، والمعراجَ في المنام . وقد حكى المهلَّبُ بن أبي صُفْرَة في شرحه البخاري[(٥)] عن طائفةٍ أنهم ذهبوا إلى أنَّ الإسراء [كان][(٦)] مرتين ؛ مرَّةً برُوحه مناماً ، ومرةً ببدنه ورُوحه يقظةً ، وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السُّهَيْلي ، [عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه . قال السُّهيلي][(٧)] : وهذا القول يجمع الأحاديث فإنَّ في حديث شَرِيك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه ، وتنامُ عيناه ولا ينامُ قلبه ، وقال في آخره : « ثم استيقظتُ فإذا أنا في الحِجْر »[(٨)] وهذا منام ، ودلَّ غيرُه على اليقظة .

ومنهم من يدَّعي تعدُّدَ الإسراء في اليقظةِ أيضاً ، حتى قال بعضُهم : إنها أربعُ إسراءات . وزعم بعضُهم أنَّ بعضَها كان بالمدينة ، وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : يقظان . وهو أشبه بالصواب لأن مؤنثه : يقظى . إلا أن بعضهم أجازها على لغة بعض العرب .

(٢) مضى التعليق عليها في الحاشية السابقة .

(٣) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٤) في ط : ثم قد . والمثبت من ح .

(٥) هو المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأندلسي المريِّي المتوفَّى سنة ٤٣٥هـ ـ وهو غير الأزدي البصري قائد الكتائب ـ صنف شرحاً لصحيح البخاري ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٩) .

(٦) زيادة يقتضيها السياق منقولة من قول السهيلي في الروض (٢/ ١٤٩) الذي سيشير إليه المؤلف .

(٧) ما بين المعقوفين ليس في ح وأظنه مقحماً من قبل النساخ ، لأن السهيلي لم يذكر شيخه أبا بكر في هذا الموضع من الروض (٢/ ١٤٩) حيث عقد فصلاً : أكان الإسراء يقظة أم مناماً . وإن المؤلف هنا ينقل قول السهيلي بمعناه لا بلفظه ، ولفظ السهيلي : وهذا القول هو الذي يصح ، وبه تتفق معاني الأخبار . اهـ .

(٨) هو الحديث المشار إليه في الصفحة السابقة .

ما وقع في روايات وحديث الإسراء بالجمع المتعدد[١] فجعل ثلاثَ إسراءات ، مرةً من مكة إلى البيت المقدَّس فقط على البُرَاق ، ومرةً من مكة إلى السماء على البراق أيضاً لحديث حُذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات .

فنقول : إنْ كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلافُ الروايات فقد اختلف لفظُ الحديث في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ، ومَنْ أراد الوقوف على ذلك فلينظرْ فيما جمعناه مستقصياً في كتابنا التفسير عند قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] وإن كان إنما حمله أنَّ التقسيم انحصر في ثلاثِ صفات بالنسبة إلى بيتِ المقدس وإلى السموات فلا يلزم من الحَصْرِ العقلي الوقوعُ كذلك في الخارج إلا بدليل . والله أعلم .

والعجب أنَّ الإمام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذِكْرِهِ موتَ أبي طالب ، فوافق ابنَ إسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر ، وخالفَهُ في ذكره بعد موت أبي طالب ، وابنُ إسحاق أخَّرَ ذِكر موت أبي طالب على الإسراء ، فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان .

والمقصود أنَّ البخاري فرَّق بين الإسراء وبين المِعْرَاج ، فبوَّبَ لكلِّ واحدٍ منهما باباً على حِدَة فقال[٢] :

بابُ حديثِ الإسراءِ وقول الله سبحانَهُ وتعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ حدَّثنا يحيى بن بُكير ، حدَّثنا الليث ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب ، حدَّثني أبو سَلَمة بنُ عبد الرحمن قال : سمعتُ جابرَ بن عبد الله أنه سمع رسولَ الله يقول : « لما كذَّبَتْني قُريش قمتُ[٣] في الحِجْر ، فجلَّى اللهُ لي بيتَ المقدس ، فطفِقْتُ أُخبِرهُم[٤] عن آياتهِ وأنا أنظُرُ إليه » .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث [الزهري ، عن أبي سَلَمة ، عن جابر به[٥] .

ورواه مسلم والنسائي[٦] من حديث][٧] عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه[٨] .

---

(١) في ح : بالمتعدد .
(٢) فتح الباري (٧/ ١٩٦) .
(٣) في ح ، ط : كنت في الحجر ، والمثبت من فتح الباري .
(٤) في ح ، ط : أحدثهم . والمثبت من فتح الباري .
(٥) صحيح مسلم (١٧٠) (٢٧٦) الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، وجامع الترمذي (٣١٣٣) التفسير باب سورة بني إسرائيل ، والنسائي في التفسير (٣٠٢) وهو في سننه الكبرى (١١٢٨٢) ، وبه أخرجه الإمام أحمد أيضاً في المسند (٣/ ٣٧٧) .
(٦) في ط : « مسلم والنسائي والترمذي » ، وهو خطأ ، فإن الترمذي لم يخرج الحديث من هذا الوجه ، ولا ذكره أحد بما فيهم المزي في تحفة الأشراف (١٠/ ٣٥٣ حديث ١٤٩٦٥ من طبعتنا) . ولا أشك أن لفظة « الترمذي » مقحمة من النساخ ، فإنها قد أقحمت في غير موضعها ، ذلك أن من عادة المؤلف تقديم الترمذي على النسائي عند الإحالة ، كما في الذي قبله (بشار) .
(٧) سقط ما بين المعقوفين من ح .
(٨) صحيح مسلم (١٧٢) (٢٧٨) الإيمان باب ذكر المسيح عيسى بن مريم والمسيح الدجال ؛ وهو في التفسير من السنن=

ثم قال البخاري باب حديث المِعْراج[١] : حدَّثنا هُدْبَةُ بن خالد ، حدَّثنا همَّام ، حدَّثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، أنَّ النبيَّ ﷺ حدَّثهم عن ليلةِ أُسريَ به . قال : « بينما أنا في الحَطِيم ـ وربما قال في الحِجْر ـ مضطجعاً إذْ أتاني آتٍ فقدَّ ـ قال : وسمعته يقول : فشقَّ[٢] ـ ما بين هذه إلى هذه » فقلتُ : للجارود ـ وهو إلى جنبي ـ : ما يَعني به ؟ قال : من ثُغْرَةِ[٣] نَحْرِه إلى شِعْرَتِه، وسمعتُه يقول: من قَصِّـه[٤] إلى شِعرته . « فاستخرج قلبي ، ثـم أُتيتُ بطسْتٍ من ذهب مملوءةٍ إيماناً فغُسل قلبي ، ثم حُشِيَ ثم أُعيد ، ثم أُتيتُ بدابَّةٍ دون البَغْل وفوق الحمار ، أبيض » ـ فقال له الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس نعم ـ « يضَعُ خَطْوَهُ عند أقْصَى طَرْفِهِ ؛ فحُملْتُ عليه ، فانطلق بي جبريل[٥] حتى أتى السماءَ الدنيا فاستفتحَ ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعمَ المجيءُ جاء ! فَفَتح ، فلما خَلَصتُ فإذا فيها آدم فقال : هذا أبوك آدمُ فسلِّم عليه . فسلَّمت عليه ، فردَّ السلام ثم قال : مرحباً بالابنِ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعِدَ بي إلى السماءِ الثانية ، فاستفتح قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيءُ جاء ! ففَتح ، فلما خلَصْتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلِّمْ عليهما . فسلمتُ عليهما ، فردَّا ثم قالا : مرحباً بالأخِ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعِدَ بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعمَ المجيءُ جاء ! ففتح ، فلما خلصتُ إذا يوسُف ، قال : هذا يُوسف فسلِّم عليه فسلمتُ عليه ، فردَّ ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعِدَ بي حتى أتى السماءَ الرابعة فاستفتح ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟

= الكبرى (١١٢٨٤) و(١١٤٨٠) .

(١) فتح الباري (٣٨٨٧) .

(٢) في ط : إذ أتاني آت فقال وسمعته يقول فشق . وفي ح : فقال مال وضرب على اللفظة الثانية ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من صحيح البخاري في الفتح ، قال ابن حجر يشرحه (٧/ ٢٠٤) : القائل قتادة والمقول عنه أنس ، ولأحمد : « قال قتادة سمعت أنساً يقول : فشق » .

(٣) في ح : ثعر ، وفي ط : نقرة . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من صحيح البخاري ، قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٠٤) : وهي الموضع المنخفض بين الترقوتين .

(٤) « قصه » : أي رأس صدره . فتح الباري (٧/ ٢٠٤) .

(٥) في ط : جبرائيل . وفي كل المواضع ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .

قال : محمد . قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيءُ جاء ففتح ، فلما خلصتُ إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلِّم عليه فسلمتُ عليه فردَّ . ثم قال : مرحباً بالأخِ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعِدَ بي حتى أتى السماءَ الخامسة ، فاستفتح قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعمَ المجيءُ جاء ! فلما خلصتُ إذا هارون ، قال : هذا هارونُ فسلِّم عليه . فسلمتُ عليه . فردَّ ، ثم قال : مرحباً بالأخِ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعِدَ بي حتى أتى السماءَ السادسة ، فاستفتح ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومَنْ معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيءُ جاء ! فلما خلصتُ إذا موسى ، قال : هذا موسى فسلِّمْ عليه . فسلمتُ عليه ، فردَّ ، ثم قال : مرحباً بالأخِ الصالح والنبيِّ الصالح . فلما تجاوزتُ بكى ، فقيل له : ما يُبكيك ؟ قال : أبكي لأنَّ غلاماً بُعث بعدي يدخُل الجنةَ من أمته أكثرُ ممن يدخلُها من أمتي .

ثم صعِدَ بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعثَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيءُ جاء ! فلما خلصتُ إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلِّمْ عليه ، فسلَّمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابنِ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم رُفعتْ لي سِدْرَةُ المُنْتَهى ، [فإذا نَبِقُها مثل قِلالِ هَجَر ، وإذا ورقُها مثلُ آذان الفِيَلَة . قال : هذه سِدْرَة المنتهى][(١)] وإذا أربعةُ أنهار ؛ نهرانِ ظاهران ، ونهرانِ باطنان ، فقلتُ : ما هذا[(٢)] ، يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ؛ وأمَّا الظاهرانِ فالنيلُ والفرات ، ثم رُفع لي البيتُ المعمور ـ [يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك][(٣)] ـ ثم أُتيت بإناءٍ من خمر وإناءٍ من لَبَن وإناءٍ من عَسَل ، فأخذتُ اللَّبَن ، فقال : هي الفطرة التي أنت عليها وأُمَّتُك . ثم فرضت علي الصلاة خمسينَ صلاة[(٤)] كلَّ يوم ، فرجعتُ فمررتُ على موسى فقال : بما[(٥)] أُمِرت ؟ قال : أُمرتُ بخمسين صلاة كلَّ يوم . قال : إنَّ أمتك لا تستطيعُ خمسينَ صلاةً كل يوم ، وإني والله قد جرَّبتُ الناسَ قبلك ، وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت من ح وصحيح البخاري .

(٢) في فتح الباري : « ما هذان » .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في صحيح البخاري ، وهو زيادة من رواية الكشميهني أشار لها ابن حجر في الفتح (٧/ ٢١٥) .

(٤) في ح ، ط : ثم فرض علي الصلوات خمسون ، والمثبت من الفتح .

(٥) إثبات ألف ما المجرورة قليل شاذ ، وجائز في بعض لغة العرب ، انظر الخزانة (٦/ ٩٩) .

المعالجة ؛ فارجعْ إلى ربّك فاسْأَلْهُ التخفيفَ لأمتك . فرجعتُ ، فوضع عني عشراً . فرجعتُ إلى موسى فقال مثله ، فرجعتُ فوضعَ عني عشراً . فرجعتُ إلى موسى فقال مثله ، فرجعتُ فوضع عني عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعتُ فأُمرت بعشر صلواتٍ كل يوم ، فرجعت ، فقال مثله فرجعتُ فأُمرتُ بخمس صلواتٍ كلَّ يوم ، فرجعتُ إلى موسى فقال : بم[١] أمرت ؟ فقلت : أمرت بخمس صلواتٍ كلَّ يوم . قال : إنَّ أُمَّتك لا تستطيعُ خمسَ صلواتٍ كلَّ يوم ، وإنِّي قد جرَّبتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة ، فارجِعْ إلى ربِّك فاسألْه التخفيفَ لأُمتك . قال : سألتُ ربِّي حتى استحيَيْتُ ، ولكنْ أرضى وأُسَلِّم . قال : فلما جاوزتُ نادَى منادٍ : أمضَيْتُ فريضتي ، وخفَّفْتُ عن عبادي » .

هكذا روى البخاري هذا الحديث هاهنا . وقد رواه في مواضع أُخر من صحيحه ومسلم والترمذي والنسائي من طرق ، عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة[٢] .

ورويناه من حديث أنس بن مالك ، عن أبي بن كعب ، ومن حديث أنس عن أبي ذر . ومن طرقٍ كثيرة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ . وقد ذكرنا ذلك مستقصًى بطُرقِه وألفاظِه في التفسير[٣] ، ولم يقع في هذا السياق ذكرُ بيت المقدس ، وكان بعضُ الرواة يحذفُ بعضَ الخبر للعلم به ، أو ينساه ، أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارةً فيسوقُه كلَّه ، وتارة يحدِّث مُخاطِبَه بما هو الأنفعُ له[٤] .

ومَنْ جعل كلَّ روايةٍ إسراءٍ على حِدَة كما تقدَّمَ عن بعضهم فقد أبعد جدّاً . وذلك أنَّ كلَّ السياقاتِ فيها السلامُ على الأنبياء ، وفي كل منها يُعرِّفه بهم ، وفي كلِّها يفرضُ عليه الصلوات . فكيف يمكن أن يدَّعي تعدُّدَ ذلك ؟ هذا في غاية البُعْد والاستحالة . والله أعلم .

ثم قال البخاري[٥] : حدَّثنا الحُميدي ، حدَّثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] . قال : هي رُؤْيا عَيْن ، أُريها رسولُ الله ﷺ ليلةَ أُسري بهِ إلى بيتِ المقدس ؛ والشجرة الملعونةَ في القرآن . قال : هي شجرة الزَّقُّوم[٦] .

---

(١) في فتح الباري : بما .
(٢) فتح الباري (٣٢٠٧) بدء الخلق باب ذكر الملائكة وفي الأنبياء (٣٣٩٣) و(٣٤٣٠) ، وصحيح مسلم (١٦٤) و(٢٦٤) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ ، وجامع الترمذي (٣٣٤٦) التفسير باب ومن سورة ألم نشرح ، وسنن النسائي (٤٤٨) الصلاة باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين .
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٩) وما بعد عند سورة الإسراء .
(٤) في ط : وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده ، والمثبت من ح .
(٥) فتح الباري (٣٨٨٨) مناقب الأنصار باب المعراج .
(٦) زادت نسخة ح هنا ما نصه : انفرد به البخاري ، وليس كذلك ، فقد رواه الترمذي عن ابن أبي عمر ، حدَّثنا سفيان به .

فصـــل

ولما أصبح رسولُ الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبريل عند الزوال فبيَّن له كيفية الصلاة وأوقاتها، وأمرَ رسولُ الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا فصلى به جبريل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمون بالنبي ﷺ وهو يقتدي بجبريل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر: «أمَّني جبريل عند البيت مرَّتين»(١). فبين له الوقتَيْن الأول والآخِر. فهما وما بينهما الوقت الموسع، ولم يذكر توسعةً في وقت المغرب.

وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبُرَيدة وعبد الله بن عمرو، وكلُّها في صحيح مسلم(٢). وموضع بسط ذلك في كتابنا الأحكام ولله الحمد.

فأما ما ثبتَ في صحيح البخاري(٣) عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: فُرضتِ الصلاةُ أولَ ما فُرضتْ ركعتَيْن، فأُقِرَّتْ صلاةُ السَّفَر، وزيدَ في صلاةِ الحَضَر.

وكذا رواهُ الأوزاعي، عن الزهري(٤)، ورواه الشعبي، عن مسروق عنها(٥)؛ وهذا مشكل من جهةِ أنَّ عائشة كانتْ تتمُّ الصلاةَ في السفر، وكذا عثمان بن عفان، وقد تكلَّمنا على ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١].

قال البيهقي(٦): وقد ذهب الحسَنُ البصريّ إلى أنَّ صلاة الحَضَر أول ما فُرضتْ أربعاً. كما ذكرَهُ مرسلاً من صلاته ﷺ صبيحةَ الإسراء الظهرَ أربعاً، والعصرَ أربعاً، والمغرب ثلاثاً يجهر في الأُولَيَيْنِ والعشاءَ أربعاً يجهر في الأولَيَيْن، والصبح ركعتين يَجْهَرُ فيهما. قلت: فلعلَّ عائشةَ أرادتْ أنَّ الصلاةَ

---

(١) رواه أبو داود في السنن (٣٩٣) الصلاة باب ما جاء في المواقيت، والترمذي في الجامع (١٤٩) الصلاة باب ما جاء في مواقيت الصلاة، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٣٣ و٣٥٤) وابن خزيمة في صحيحه (٣٢٥) الصلاة باب ذكر مواقيت الصلاة الخمس، والدارقطني في السنن (١/ ٢٥٨) الصلاة باب إمامة جبريل، وغيرهم.

(٢) يضاف إليها حديث أبي مسعود الأنصاري وهي مروية في صحيح مسلم (١/ ٤٢٥ ـ ٤٣٠) الأرقام (٦١٠ ـ ٦١٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب أوقات الصلوات الخمس.

(٣) فتح الباري (٣٩٣٥) مناقب الأنصار باب التاريخ من أين أرخوا التاريخ. وهذه الرواية هي المشار إليها عن معمر. ولفظها يختلف عن اللفظ الذي ساقه المؤلف وهو من طريق صالح بن كيسان عن عروة به، وهو في صحيح البخاري فتح (٣٥٠) الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، وهي رواية مسلم في صحيحه (١ ـ ٦٨٥) صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة المسافرين وقصرها، وأخرجه مالك في الموطأ (٨) قصر الصلاة في السفر باب قصر الصلاة في السفر، والنسائي في السنن (٤٥٤) الصلاة باب كيف فرضت الصلاة.

(٤) وهي رواية النسائي المشار إليها في الحاشية السابقة، وأخرجه البيهقي بنحوه في الدلائل (٢/ ٤٠٦).

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣٠٥) الصلاة باب ذكر فرض الصلوات الخمس من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي به.

(٦) في دلائل النبوة (٢/ ٤٠٧).

كانتْ قبل الإسراء تكون ركعتين ، ثم لما فُرِضتِ الخمس فُرضت حَضَراً على ما هي عليه ، ورُخِّص في السفر أنْ يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً ، وعلى هذا لا يَبْقَى إشكال بالكليَّة . والله أعلم .

فصـــل
انشقاق القمر في زمان النبيِّ ﷺ

وجعل الله آية على صدقِ رسولِ الله ﷺ فيما جاء به من الهُدَى ودينِ الحق حيث كان وَفْقَ إشارته الكريمة[(١)] ، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٍ مُّسۡتَقِرٌّ ﴾ [القمر : ١ ـ ٣] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه ﷺ ، وجاءَتْ بذلك الأحاديثُ المتواترة ، من طُرقٍ متعدِّدة ، تفيد القَطْعَ عند مَنْ أحاط بها ونظر فيها . ونحن نذكرُ من ذلك ما تيسَّر إنْ شاء الله ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلان . وقد استقصَيْنا[(٢)] ذلك في كتابنا التفسير فذكرنا الطُّرقَ والألفاظ محرَّرةً ، ونحن نشير هاهنا إلى أطرافٍ من طُرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته . وذلك مَرْويٌّ عن أنس بن مالك ، وجُبير بن مطعم ، وحُذيفة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين .

أما أنس فقال الإمام أحمد[(٣)] : حدَّثنا عبدُ الرزاق ، حدَّثنا معمر ، عن [الزهري ، عن] قتادة ، عن أنس بن مالك قال : سألَ أهلُ مكةَ النبيَّ ﷺ آيةً ، فانشقَّ القمرُ بمكةَ مرَّتَيْن . فقال : ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ .

ورواه مسلم[(٤)] عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق به . وهذا من مرسلاتِ الصحابة ؛ والظاهر أنه تلقَّاه عن الجمِّ الغفير من الصحابة ، أو عن النبيِّ ﷺ ، أو عن الجميع .

وقد روى البخاري ومسلم[(٥)] هذا الحديث من طريق شَيْبان ؟ زاد البخاري : وسعيد بن أبي عَروبة ، وزاد مسلم[(٦)] : وشعبة ، ثلاثتهم ، عن قتادة ، عن أنس : أنَّ أهلَ مكة سألوا رسولَ الله ﷺ أنْ يُريَهُمْ آيةً ، فأراهُم القمرَ شِقَّتَيْنِ ، حتى رأوْا حِرَاء بينهما . لفظ البخاري[(٧)] .

---

(١) في ط : كان ذلك وقت إشارته الكريمة ، والمثبت من ح .
(٢) في ط : تقصينا .
(٣) في المسند (٣/ ١٦٥) رقم (١٢٦٢٤) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) في صحيحه (٢٨٠٢) (٤٦) صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر .
(٥) فتح الباري (٣٦٣٧) المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية . ورواية مسلم هي المشار إليها في الحاشية السابقة .
(٦) هي رقم (٢٨٠٢) (٤٧) من الكتاب والباب المشار إليه في الحاشية (٤) .
(٧) هذا اللفظ في الفتح (٣٨٦٨) مناقب الأنصار باب انشقاق القمر . قال ابن حجر في قوله : حتى يروا حراء بينهما : أي : بين الفرقتين .

وأما جُبير بن مُطْعم ، فقال الإمامُ أحمد[1] : حدَّثنا محمد بن كثير ، حدَّثنا سليمان بن كثير ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعم ، عن أبيه قال : انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فصار فِرْقَتين ، فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحرَنَا محمد ! فقالوا : إنْ كان سحَرَنا فإنه لا يستطيعُ أن يسحَرَ الناسَ كُلَّهم .

تفرَّد به أحمد[2] .

وهكذا رواه ابنُ جرير[3] ، من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به .

وقد رواه البيهقي[4] من طريق إبراهيم بن طَهْمان وهُشيم كلاهما عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن جُبير بن محمد بن جُبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن جدِّه به ، فزاد رجلاً في الإسناد[5] .

وأما حُذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم في « الدلائل »[6] من طريق عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن[7] فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ ألا وإنَّ الساعة قد اقتربتْ ، ألا وإنَّ القمرَ قدِ انشقّ [على عهد رسول الله ﷺ][8] ، ألا وإنَّ الدُّنيا قد آذنَتْ بفراق ، ألا وإنَّ اليوم المِضْمار[9] وغداً السِّبَاق[10] . فلما كانت الجمعةُ الثانية انطلقتُ مع أبي إلى الجُمعة ، فحمدَ الله وقال مثله وزاد : ألا وإنَّ السابقَ مَنْ سبقَ إلى الجنة[11] . فلما كنَّا في الطريق قلتُ لأبي : ما يعني بقوله : غداً السباق ؟ قال : مَنْ سبَقَ إلى الجنة .

---

(١) في المسند (٤/ ٨١ ـ ٨٢) .

(٢) وإسناده ضعيف لانقطاعه ، فإن حصين بن عبد الرحمن لم يسمع هذا الحديث من محمد بن جبير بن مطعم ، بينهما جبير بن محمد بن جبير كما سيأتي بعد قليل ، وجبير هذا مجهول . وقد رواه من هذا الوجه : الترمذي (٣٢٨٩) ، والطبراني في الكبير (١٥٥٩) ، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٦٨) . (بشار) .

(٣) يعني الطبري في تفسيره (٢٧/ ٨٦) في تفسير سورة القمر .

(٤) في الدلائل (٢/ ٢٦٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٧١) في تفسير الآية وقال : أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير والحاكم وأبو نعيم والبيهقي عن جبير .

(٥) وهذا هو الأشبه كما بينه الإمام الدارقطني في العلل (٤/ الورقة ١٠٤) ، وقال البيهقي : أقام إسناده إبراهيم بن طهمان وهشيم وأبو كريب والمفضل بن يونس عن حصين .

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٧٢) وقال : أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم عن أبي عبد الرحمن السلمي قال خطبنا حذيفة . . . الحديث .

(٧) ليست اللفظة في ح .

(٨) ما بين معقوفين من الدر المنثور .

(٩) في ح والدر المنثور : الضمار ، والمثبت من ط والنهاية لابن الأثير وشرحه فيه : أي اليوم العمل في الدنيا للاستباق في الجنة . والمضمار : الموضع الذي تضمَّرُ فيه الخيل ، ويكون وقتاً للأيام التي تضمَّر فيها .

(١٠) إلى هنا في الدر المنثور .

(١١) في ط : الجمعة ، والمثبت من ح .

وأما ابنُ عباس ، فقال البخاري[(١)] : حدَّثنا يحيى بن بُكَيْر[(٢)] ، حدَّثنا بكر ، عن جعفر ، عن عِرَاك بن مالك ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة ، عن ابن عباس ، قال : إنَّ القمر انْشَقَّ في زمانِ النبيِّ ﷺ .

ورواه البخاري أيضاً ومسلم[(٣)] من حديث بكر ـ وهو ابنُ مُضَر[(٤)] ـ عن جعفر [ـ هو ابن ربيعة ـ عن عِرَاك به .

وقال ابنُ جرير[(٥)] : حدَّثنا ابن مثنى ، حدَّثنا عبد الأعلى ، حدَّثنا داود بن أبي هند ، عن[(٦)] ابن عباس][(٧)] قوله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ . قال : قد مضى ذلك ، كان قبلَ الهجرة ، انشقَّ القمر حتى رأوا شِقَّيْه .

وهكذا رواهُ العَوْفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو من مرسلاته .

وقال الحافظ أبو نعيم[(٨)] : حدَّثنا سليمان بن أحمد ، حدَّثنا بكر بن سهل[(٩)] ، حدَّثنا عبد الغني بن سعيد ، حدَّثنا موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جُرِيج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وعن مقاتل عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ ، قال ابن عباس : اجتمعَ المشركون إلى رسولِ الله ﷺ ، منهم الوليدُ بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، وزَمَعة بن الأسود ، والنضْر بن الحارث ، ونظراؤهم ، فقالوا للنبي ﷺ : إنْ كنت صادقاً فشُقَّ لنا القمر فرقتَيْن ، نصفاً على أبي قُبيس ونصفاً على قُعيقعان . فقال لهم النبيُّ ﷺ : « إنْ فعلتُ تؤمنوا ؟ » قالوا : نعم ـ وكانت ليلة بَدْر ـ فسأل اللهَ عزَّ وجل أنْ يُعطيَهُ ما سألوا ، فأمسى القمرُ قد مَثُلَ[(١٠)] نصفاً على أبي قُبيس ، ونصفاً على قُعيقِعان ، ورسولُ الله ﷺ يُنادي : « يا أبا سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، اشْهَدُوا » .

---

(١) فتح الباري (٤٨٦٦) التفسير سورة القمر (٥٤) باب وانشق القمر .
(٢) في ط : يحيى بن كثير ، وهو تصحيف ، والمثبت من ط وصحيح البخاري في الفتح .
(٣) فتح الباري (٣٨٧٠) مناقب الأنصار باب انشقاق القمر ، وصحيح مسلم (٢٨٠٣) (٤٨) صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر .
(٤) في ح، ط: ابن نصر، وهو تصحيف، والمثبت من صحيح البخاري ومسلم وترجمته في تهذيب الكمال (٧/ ٢٢٧).
(٥) يعني الطبري في تفسيره (٢٧/ ٨٦) في تفسير سورة القمر .
(٦) كذا في ح ، وزادت مطبوعة تفسير الطبري : عن علي قبل ابن عباس ، وأظنه تصحيفاً ، والصواب : عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .
(٧) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت في ح .
(٨) في دلائل النبوة (١/ ٣٦٨) وإسناده ضعيف لضعف بكر بن سهيل ، وشيخه عبد الغني بن سعيد الثقفي (الميزان ٢/ ٦٤٢) .
(٩) في ط : سهيل ، تصحيف ، والمثبت من ح ودلائل أبي نعيم ، وترجمته في الميزان ولسان الميزان .
(١٠) في ح : فانشق القمر نصفاً . . . وفي ط : فأمسى القمر قد سلب نصفاً . . . ، والمثبت من دلائل النبوة لأبي نعيم .

ثم قال أبو نعيم(١) : وحدَّثنا سليمان بن أحمد ، حدَّثنا الحسن بن العباس الرازي ، عن الهيثم بن النعمان(٢) ، حدَّثنا إسماعيل بن زياد ، عن ابن جُريج ، عن عطاء عن ابن عباس ، قال : انتهى أهلُ مكة إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا : هل من آيةٍ نعرف بها أنك رسولُ الله ؟ فهبط جبرائيل فقال : يا محمد ، قل لأهل مكَّةَ أَنْ يحتفلوا هذه الليلة فسَيَرَوْا آيةً إن انتفعوا بها . فأخبرهم رسولُ الله ﷺ بمقالة جبرائيل فخرجوا [ليلة الشق](٣) ، ليلة أربعَ عشرة ، فانشقَّ القمرُ بنصفَيْن ، نصفاً على الصَّفَا ونصفاً على المَرْوَة ، فنظروا ، ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ، ثمَّ أعادوا النظر فنظروا ، ثمَّ مسحوا أعينهم ثمَّ نظروا ، فقالوا : يا محمد ما هذا إلا سحرٌ ذاهب(٤) فأنزل الله : ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ .

ثمَّ روى(٥) عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : جاءت أحبارُ اليهود إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا : أرِنا آيةً حتى نؤمن بها . فسأل ربَّهُ فأراهم القمرَ قدِ انشق فصار نصفين(٦) أحدهما على الصَّفَا ، والآخر على المَرْوَة ، قَدْرَ ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ، ثمَّ غاب . فقالوا : هذا سحرٌ مستمر(٧) .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٨) : حدَّثنا أحمد بن عمرو البزَّار(٩) ، حدَّثنا محمد بن يحيى القُطَعي ، حدَّثنا محمد بن بكر ، حدَّثنا ابن جُريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابنِ عباس ، قال : كَسَفَ القمَرُ على عهد رسولِ الله ﷺ فقالوا : سحر القمر . فنزلَتْ : ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾ [القمر : ١ ـ ٢] .

وهذا إسنادٌ جيِّد ، وفيه أنه كَسَفَ تلك الليلة ، فلعلَّه حصل له انشقاقٌ في ليلةِ كُسوفه ، ولهذا خَفِيَ أمْرُه على كثيرٍ من أهل الأرض ، [ولعلَّ ذلك في بعض ليالي الشتاء حيث يكون أكثر الناس في البيوت ، أو ستره غَيْمٌ عن كثير من الأرض](١٠) ، ومع هذا قد شوهد ذلك في كثيرٍ من بقاعِ الأرض .

ويقال : إنه أُرِّخ ذلك في بعضِ بلاد الهند ، وبُني بناء تلك الليلة وأُرِّخ بليلةِ انشقاق القمر .

---

(١) ليست هذه الرواية في المطبوع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، قال بشار : وإسنادها تالف ، فإسماعيل بن زياد كذاب .
(٢) في ط : العمان . والمثبت من ح ولم أقف على ترجمة له .
(٣) ليس ما بين المعقوفين في ح .
(٤) في ط : واهب . وفي المطبوع بتحقيق عبد الواحد : راهب ، والمثبت من ح .
(٥) يعني أبا نعيم في دلائل النبوة (١/ ٣٦٩) .
(٦) في ط : انشق بجزأين . والمثبت من ح .
(٧) في ط : مفترى ، والمثبت من ح والدلائل .
(٨) في المعجم الكبير (١١٦٤٢) .
(٩) في ح ، ط : الرزاز ، وهو تصحيف ، والمثبت من معجم الطبراني وترجمة البزار في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٥٤) .
(١٠) ما بين المعقوفين مثبت في هامش ح بإشارة لَحَق في المتن .

وأما ابنُ عمر فقال الحافظ البيهقي[١] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدَّثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا العباس بن محمد الدُّوري ، حدَّثنا وهب بن جرير ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في قوله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ قال : وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ ، انشق فِلْقَتَيْن[٢] ، فِلْقَة من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل ، فقال النبيُّ ﷺ : « اللهمَّ اشْهَدْ » .

رواه مسلم والترمذي من طرق[٣] ، [عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد][٤] ، به .

قال مسلم[٥] : كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود .

وقال الترمذي[٦] : هذا حديثٌ حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا سفيان ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود ، قال : انشقَّ القمَرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ شقتَيْن حتى نظروا إليه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « اشهدوا » .

وهكذا أخرجاه[٨] من حديث سفيان ـ وهو ابنُ عيينة ـ به .

ومن[٩] حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن مسعود[١٠] قال : انشقَّ القمرُ ونحنُ مع رسولِ الله ﷺ بمنى ، فقال النبيُّ ﷺ : « اشهَدُوا » وذهبَتْ فِرْقَةٌ نحو الجبل . (لفظ

---

(١) في الدلائل (٢/ ٢٦٧) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٧١) فقال : وأخرج مسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم والبيهقي وأبو نعيم في الدلائل . . . فذكر الحديث .
(٢) لفظ الدر المنثور : فرقتين . . . فرقة . . . وفرقة .
(٣) صحيح مسلم (٢٨٠١) صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر ، وجامع الترمذي (٢١٨٢) في الفتن ، و(٣٢٨٨) في التفسير تفسير سورة القمر .
(٤) ما بين المعقوفين سقط من ط واستعيض عنه بلفظ : به وهو مثبت في ح .
(٥) يعني أنه ساق الإسناد ثم قال : مثلَ ذلك . صحيح مسلم (٢٨٠١) ، وحديث ابن مسعود برقم (٢٨٠٠) .
(٦) يعني بعد رواية الحديث رقم (٢١٨٢) .
(٧) في المسند (١/ ٣٧٧) رقم (٣٥٨٣) .
(٨) يعني البخاري ومسلم ، فتح الباري (٣٦٣٦) المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية . وصحيح مسلم (٢٨٠٠) (٤٣) صفات المنافقين باب انشقاق القمر .
(٩) فتح الباري (٣٨٦٩) مناقب الأنصار باب انشقاق القمر ، وصحيح مسلم (٢٨٠٠) (٤٤) صفات المنافقين باب انشقاق القمر .
(١٠) في ح : عن أبي معمر عن عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود ، وكذا في ط غير : سخبرة . ففيها : سمرة . ويبدو أنه مقحم من قبل الناسخ فأسقطته وأثبت ما جاء في البخاري ومسلم .

البخاري) ، ثم قال البخاري : وقال أبو الضُّحَى[(١)] عن مسروق عن عبد الله « [انشقَّ] بمكة » . وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه .

وقد أسند أبو داود الطيالسي حديثَ أبي الضُّحى عن مسروق [ذلك في « مسنده[(٢)] » فقال : حدثنا أبو عوانة عن المغيرة ، عن أبي الضحى ، عن مسروق][(٣)] ، عن عبد الله بن مسعود . قال : انشقَّ القمر على عهدِ رسولِ الله ﷺ ، فقالت قريش : هذا سِحْرُ ابنِ أبي كبشة ، فقالوا : انظروا[(٤)] ما يأتيكم به السُّفَّار ، فإنَّ محمداً لا يستطيعُ أن يسحَرَ الناسَ كلَّهم . قال : فجاء السُّفَّار فقالوا ذلك .

وقال البيهقي[(٥)] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس ، حدَّثنا العباسُ بن محمد الدُّوريّ ، حدَّثنا سعيد بن سليمان ، حدَّثنا هُشيم ، حدَّثنا مغيرة ، عن أبي الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : انشقَّ القمرُ بمكةَ حتى صار فِرْقَتَيْن ، فقال كفَّار قريش لأهل مكة : هذا سِحْر ، سحركم به ابنُ أبي كَبْشَة ، انظروا السُّفَّار ، فإنْ كانوا رأَوْا ما رأيتم فقد صدق ، وإنْ كانوا لم يرَوْا مثل ما رأيتم فهو سِحْرٌ سحركم به . قال : فسُئل السُّفَّار ، قال : وقد قدِموا من كلِّ وجهة[(٦)] ، فقالوا : رأينا .

وهكذا رواه [ابنُ جرير[(٧)] من حديث المغيرة ، وزاد : فأنزل الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ .

رواهُ][(٨)] أبو نعيم من حديث جابر[(٩)] عن الأعمش ، عن أبي الضُّحى ، عن مسروق عن عبد الله ، به .

وقال الإمام أحمد[(١٠)] : حدَّثنا مؤمَّل ، حدَّثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ قال : انشقَّ القمَرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ حتى رأيتُ الجبل من بينِ فُرْجَتَي القمر .

---

(١) في ط : أبو الضحاك . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح البخاري ، وما سيأتي بين معقوفين منه .
(٢) في مسنده (٢٩٥) .
(٣) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو في ح .
(٤) في مسند أبي داود : انتظروا .
(٥) في الدلائل (٢/٢٦٧) .
(٦) في الدلائل : وجه .
(٧) يعني الطبري في تفسيره (٢٧/ ٨٥) تفسير سورة القمر .
(٨) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت في ح .
(٩) في ح : جرير . وأثبت ما في ط ، وليست هذه الرواية فيما طبع من دلائل أبي نعيم ، وقد روى كل من جابر بن نوح الحماني وجرير بن حازم وجرير بن عبد الحميد عن الأعمش ، فالله أعلم أيهم المقصود في هذه الرواية . وترجمة الأعمش في تهذيب الكمال (١٢/ ٧٦ ـ ٩١) .
(١٠) في المسند (١/٤١٣) .

وهكذا رواه ابنُ جرير[١] من حديث أسباط ، عن سماك به .

وقال الحافظ أبو نعيم[٢] : حدَّثنا أبو بكر الطَّلْحي ، حدَّثنا أبو حَصِين محمد بن الحسين الوادِعي ، حدَّثنا يحيى الحِمَّاني ، حدَّثنا يزيد ، عن عطاء ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنَّا مع النبيِّ ﷺ بمنى فانشقَّ القمر ، حتى صار فِرْقَـتَيْن فتوارت فِرْقةٌ خلْف الجَبَل ، فقال النبيُّ ﷺ : « اشهدوا ، اشهدوا »[٣] .

وقال أبو نعيم[٤] : حدَّثنا سليمان بن [أحمد ، حدَّثنا جعفر بن محمد القلانسي ، حدَّثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا الليث بن][٥] سعد ، حدَّثنا هشام بن سعد ، عن عتبة ، عن عبد الله بن عتبة ، عن ابن مسعود ، قال : انشقَّ القمَر ونحن بمكَّة ، [فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة][٥] .

وحدَّثنا[٦] أحمد بن إسحاق ، حدَّثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، حدَّثنا محمد بن حاتم ، حدَّثنا معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله ، قال : انشقَّ القمرُ بمكَّة ، فرأيتُه فِرْقَتَيْن .

ثم روى[٤] من حديث علي بن سعيد بن مسروق ، حدَّثنا موسى بن عمير ، عن منصور بن المعتمر ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : رأيتُ القمرَ واللهِ منشقاً باثنتَيْن بينهما حِرَاء .

وروى أبو نعيم[٤] من طريق السُّدِّي الصغير ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . قال : انشقَّ القمر فِلْقَتَيْن . فِلْقَةٌ ذهبَتْ ، وفلقةٌ بقيتْ . قال ابنُ مسعود : لقد رأيتُ جبلَ حِرَاء بين فِلْقَتي القمر ، فذهبَتْ فِلْقَة . فتعجَّب أهلُ مكَّة من ذلك وقالوا : هذا سحرٌ مصنوع ، سيذهب . وقال ليث بن أبي سُليم ، عن مجاهد . قال : انشقَّ القمَرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فصار فرقتَيْن ، فقال النبيُّ ﷺ لأبي بكر : « اشْهَدْ[٧] يا أبا بكر » . وقال المشركون : سحرَ القمرَ حتى انشقَّ .

فهذه طرقٌ متعدِّدةٌ ، قويَّةُ الأسانيد ، تفيد القَطْع لمن تأمَّلها وعرف عدالة رجالها . وما يذكُره بعضُ القُصَّاص من أنَّ القمر سقط إلى الأرض حتى دَخَلَ في كُمِّ النبيِّ ﷺ وخرج من الكُمِّ الآخر فلا أصلَ له ،

---

(١) يعني الطبري في تفسير سورة القمر التفسير (٢٧/ ٨٥) .

(٢) ليست هذه الرواية فيما طبع من دلائل أبي نعيم ، وقد ذكرها السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٧١) فقال : وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق علقمة عن ابن مسعود . . . فذكر الحديث .

(٣) في الدر المنثور : اشهدوا مرة واحدة .

(٤) لم أجد هذه الرواية فيما طبع من الدلائل ولا في الدر المنثور .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٦) القائل أبو نعيم في الدلائل (١/ ٣٦٧) .

(٧) في ط : فاشهد ، والمثبت من ح .

وهو كذبٌ مُفْترى ليس بصحيح . والقمر حين انشقّ لم يزايلِ السماء ، غيرَ أنه حين أشار إليه النبيُّ ﷺ انشقَّ عن إشارته ، فصار فرقتَيْن ، فسارَت واحدة حتى صارت من وراء حِراء ، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابنُ مسعود أنه شاهد ذلك . وما وقع في رواية أنس في مسند أحمد(١) : فانشق القمر بمكة مرّتين فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتَيْن . والله أعلم .

فصــل
وفاة أبي طالب عمِّ رسول الله ﷺ

ثم من بعده خديجة بنت خُويلد زوجة رسولِ الله ﷺ ورضي الله عنها . وقيل : بل هي تُوفِّيت قبله والمشهور الأول . وهما المُشْفِقان ، هذاك(٢) في الظاهر وهذه في الباطن ؛ هذاك كافر ، وهذه مؤمنة صِدِّيقة رضي الله عنها وأرضاها .

قال ابنُ إسحاق(٣) : ثم إنَّ خديجة وأبا طالب هَلَكا في عام واحد ، فتتابعَتْ على رسولِ الله ﷺ المصائب بهُلْكِ خديجة ، وكانت له وزيرَ صِدْق على الإسلام(٤) ، يسكنُ إليها ، وبهُلْكِ عمِّه أبي طالب ، وكان له عَضُداً وحِرْزاً في أمره ، ومَنَعةً وناصراً على قومه . وذلك قبلَ مُهَاجره إلى المدينة بثلاثِ سنين ، فلما هَلَكَ أبو طالب ، نالتْ قريش من رسولِ الله ﷺ من الأذى ما لم تكنْ تطمَعُ به في حياة أبي طالب حتى اعترضَهُ سفيهٌ من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تُراباً . فحدَّثني هشامُ بن عروة ، عن أبيه ، قال : فدخل رسولُ الله ﷺ بيتَه والترابُ على رأسه ، فقامتْ إليه إحدى بناته ، فجعلتْ تغسلُه وتبكي ، ورسولُ الله ﷺ يقول : « لا تبكي يا بُنَيَّة ، فإنَّ الله مانعٌ أباك » . ويقول بين ذلك : « ما نالَتْني قريش شيئاً أكرهه(٥) حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك : أنَّ أحدهم ربما طرح الأذى في بُرْمَتِهِ(٦) ﷺ إذا نُصِبَتْ له . قال : فكان إذا فعلوا ذلك كما حدَّثني عمر بن عبد الله ، عن عروة ، يخرج بذلك الشيء على العود ، فيقف [به](٧) على بابه ثم يقول : « يا بني عبد مناف ، أيُّ جوارٍ هذا » ؟! ثم يلقيه في الطريق .

---

(١) هي الرواية المتقدمة (ص٣٥٤) موضع الحاشية (٣) .
(٢) في ط : وهذان المشفقان هذا . والمثبت من ح .
(٣) السير والمغازي (ص٢٤٣) وسيرة ابن هشام (١/٤١٦) والروض (٢/١٦٦) .
(٤) في ط : الابتلاء . والمثبت من ح ومصادر الخبر .
(٥) في سيرة ابن هشام : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه . وهو أشبه بالصواب .
(٦) البُرْمَة : القدر . النهاية لابن الأثير .
(٧) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام (١/٤١٦) .

قال ابن إسحاق[(١)] : ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشاً ثِقَلُه قالت قريش بعضُها لبعض : إنَّ حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فَشَا أمْرُ محمدٍ في قبائل قريش كلِّها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فلْيأخُذْ لنا على ابنِ أخيه ولْيُعْطِهِ منَّا ، فإنا والله ما نأمن أن يبتزُّونا أمْرَنا .

قال ابنُ إسحاق : وحدثني العبّاسُ بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله ، عن ابن عباس قال : لما مشَوْا إلى أبي طالب وكلَّموه ـ وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة ، وشَيْبَة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأُميَّة بن خلف ، وأبو سفيان بن حَرْب ، في رجالٍ من أشرافهم ـ فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منَّا حيثُ قد علمت ، وقد حضَرَكَ ما ترى وتخوَّفنا عليك وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابنِ أخيك فادْعُه فخُذْ لنا منه وخذْ له منَّا ، ليكفَّ عنا ولنكفَّ عنه ، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه . فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يا ابن أخي ، هؤلاء أشرافُ قومك قد اجتمعوا لك[(٢)] ، ليعطوك وليأخذوا منك . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « نعم[(٣)] ، كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتَدينُ لكم بها العَجَم » . فقال أبو جهل : نعم ، وأبيك وعشر كلمات . قال : « تقولون لا إله إلا الله وتخلعونَ ما تعبدونَ من دونه » . قال : فصفَّقوا بأيديهم ، ثم قالوا : يا محمد أتريدُ أن تجعلَ الآلهة إلَهاً واحداً ؟! إنَّ أمرك لعَجَب ! قال : ثم قال بعضُهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضُوا على دينِ آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا .

قال : فقال أبو طالب : والله يا ابنَ أخي ، ما رأيتك سألتَهم شَطَطا . قال : فطمع رسولُ الله ﷺ فيه[(٤)] ، فجعل يقول له : « أي عم ، فأنتَ فقُلْها أستحلَّ لك بها الشفاعةَ يوم القيامة » فلما رأى حِرْصَ رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي ، والله لولا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظنَّ قُريش أني إنما قلتُها جَزعاً من الموت لقلتُها ، لا أقولُها إلا لأسُرَّك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموتُ نظر العباسُ إليه يحرِّكُ شفتَيْه ، فأصْغَى إليه بإذنه ، قال : فقال : يا ابنَ أخي ، والله لقد قال أخي الكلمةَ التي أمرتَهُ أنْ يقولَها . قال فقال رسولُ الله ﷺ : « لم أسمَعْ »[(٥)] .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤١٧) والروض (٢/ ١٦٦) .
(٢) في ط : إليك ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .
(٣) في ط : يا عم ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .
(٤) في السيرة والروض : فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه .
(٥) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٧٠) معلقاً على هذا الحديث : شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعدما أسلم لكانت مقبولة ، ولم يرد بقوله « لم أسمع » لأن الشاهد العدْل إذا قال : سمعت وقال من هو أعدل منه : لم أسمع ، أُخذ بقول من أثبت السماع ، لأن عدم السماع يحتمل أسباباً منعت الشاهد من السمع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم ، مع أن الصحيح من الأثر قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ وانظر ما نقله المؤلف عن السهيلي (ص٣٦٦ الآتية السطر الأول) .

قال : وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط ﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾ [ص : ١ ـ ٢] الآيات .

وقد تكلَّمنا على ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة .

وقد استدلَّ بعضُ مَنْ ذهب من الشيعة وغيرُهم من الغُلاة إلى أنَّ أبا طالبٍ مات مسلماً بقولِ العباس في هذا الحديث : يا ابنَ أخي ، لقد قال أخي الكلمةَ التي أمرتَهُ أنْ يقولها ـ يعني لا إله إلا الله ـ والجواب عن هذا من وجوه .

أَحَدُها أنَّ في السَّنَدِ مُبْهَماً لا يُعرف حالُه ، وهو قولُه : عن بعضِ أهلِه . وهذا إبهامٌ في الاسم والحال ، ومثله يتوقف فيه لو انفرد ؛ وقد روى الإمام أحمد والنسائي وابنُ جرير[(١)] نحواً من هذا السياق من طريق أبي أسامة ، عن الأعمش ، حدثنا عبّاد[(٢)] ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فذكره ولم يذكر قولَ العباس .

ورواه الثوري أيضاً عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة الكوفي ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس ، ورواه الترمذي وحسَّنه والنسائي وابنُ جرير أيضاً[(٣)] .

ولفظ الحديث من سياق البيهقي[(٤)] فيما رواه من طريق الثوري ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمارة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبَّاس ، قال : مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبيُّ ﷺ وعند رأسِ أبي طالب مَجْلسُ[(٥)] رجل ، فقام أبو جهل كي يمنعه ذاك . وشكَوْه إلى أبي طالب ، فقال : يا ابن أخي ، ما تريدُ من قومك ؟ فقال : « يا عم إنما أريد منهم كلمةً تَذِلُّ لهم بها العرب ، وتؤدِّي إليهم بها الجزيةَ العجم ، كلمة واحدة » . قال ؛ ما هي ؟ قال : « لا إله إلا الله » قال : فقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص : ٥] قال : ونزل فيهم ﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴾ [ص : ٧] .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٢٧) والنسائي في التفسير في سننه الكبرى (١١٤٣٧) وتفسير الطبري (٢٣/ ١٢٥) سورة ص .

(٢) هكذا سماه أبو أسامة حماد بن أسامة ، كما في رواية لأحمد (١/ ٢٢٨) والنسائي وابن جرير التي خرجت في الهامش السابق . وقد صَرَّح أحمد في موضع آخر (١/ ٣٦٢) أنه ابن جعفر . وسماه أبو أحمد الزبيري في روايته عن سفيان عن الأعمش : يحيى بن عباد (جامع الترمذي ٣٢٣٢) ، وسماه يحيى بن سعيد في روايته عن سفيان عن الأعمش يحيى بن عمارة ، كما سيأتي . وهو مجهول بكل حال ، فقد تفرد الأعمش بالرواية عنه ، ولم يوثقه أحد . (بشار) .

(٣) جامع الترمذي في التفسير (٣٢٣٢) و(٣٢٣٢م)، والنسائي في التفسير في الكبرى (١١٤٣٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٢٥) . (بشار) .

(٤) في الدلائل (٢/ ٣٤٥) ، وهو من رواية محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان .

(٥) في ط : فجلس ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

ثم قد عارضه ـ أعني سياقَ ابنِ إسحاق ـ ما هو أصحُّ منه ، وهو ما رواه البخاري قائلاً[١] : حدثنا محمود ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزُّهري ، عن ابن المُسَيِّب ، عن أبيه رضي الله عنه ، أنَّ أبا طالب لما حضرَتْهُ الوفاةُ دخلَ عليه النبيُّ ﷺ وعنده أبو جهل ، فقال : « أيْ عم ، قُلْ لا إله إلا الله ، كلمةً أحاجُّ لكَ بها عند الله » . فقال أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، ترغب[٢] عن ملَّةِ عبدِ المطلب ؟ فلم يزالا يكلمانِهِ حتى قال آخر شيءٍ[٣] كلمهم به : على مِلَّةِ عبدِ المطلب . فقال النبيُّ ﷺ : « لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك » . فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] ونزلت ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

ورواه مسلم[٤] عن إسحاق بن إبراهيم وعبد بن حُميد[٥] عن عبد الرزاق .

وأخرجاهُ[٦] أيضاً من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبيه بنحوه ، وقال فيه : فلم يزَلْ رسولُ الله ﷺ يعرضُها عليها ويَعُودان له بتلك المقالة[٧] ، حتى قال آخرَ ما قال : هو على مِلَّةِ عبد المطلب . وأبى أنْ يقول لا إله إلا الله ؛ فقال النبيُّ ﷺ : « أمَا [والله] لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك » . فأنزل الله ـ يعني بعد ذلك ـ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ ﴾ [التوبة : ١١٣] ونزل في أبي طالب ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذي[٨] والنسائي[٩] ، من حديث يزيد بن كَيْسَان ، عن

(١) فتح الباري (٣٨٨٤) مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب .

(٢) في ط : أترغب ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .

(٣) في ط : ما كلمهم . والمثبت من ح وصحيح البخاري .

(٤) في صحيحه (٢٤) (٤٠) الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت .

(٥) في ح سقط قوله : وعبد بن حميد عن ، وفي ط : إسحاق بن إبراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق . والمثبت من صحيح مسلم .

(٦) فتح الباري (١٣٦٠) الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ، وصحيح مسلم (٢٤) (٣٩) الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت . وما سيأتي بين معقوفين منه .

(٧) هذا لفظ البخاري ، أما لفظ مسلم فهكذا : ويُعيدُ له تلك المقالة .

(٨) مسند أحمد (٢/ ٤٣٤ و٤٤١) وصحيح مسلم (٢٥) (٤١) و(٤٢) الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ، وجامع الترمذي (٣١٨٨) التفسير سورة القصص . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٤٥) عن أحمد بن سلمة عن عبد الله بن هاشم عن أبي أسامة عن يزيد بن كيسان به .

(٩) هكذا عزاه المصنف ـ إن صحت النسخ ـ إلى النسائي ، وهو وهم منه أو من النساخ فإن النسائي لم يخرج هذا الحديث من طريق يزيد بن كيسان ، ولا ذكره المزي في التحفة (٩/ ٤٥١ حديث ١٣٤٤٢ بتحقيقنا) . وقد أخرجه من طريق يزيد : الطبري في تفسيره (٢٠/ ٩٢) ، وابن حبان (٦٢٧٠) ، وابن مندة في الإيمان (٣٨) و(٣٩) ، والواحدي في أسباب النزول (٢٢٨) إضافة إلى من ذكروا في الهامش السابق . (بشار) .

أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : لما حضرتْ وفاةُ أبي طالب أتاه رسولُ الله ﷺ فقال : « يا عماه ، قُلْ لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن تعيِّرَني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جَزَع الموت لأقرَرْتُ بها عينَك ، ولا أقولُها إلا لأقرَّ[١] بها عينك . فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

وهكذا قال عبد الله بن عباس وابنُ عمر ومجاهد والشعبي وقتادة : إنها نزلتْ في أبي طالب حين عَرَض عليه رسولُ الله ﷺ أن يقول لا إله إلا الله فأبى أن يقولها ، وقال : هو على مِلَّة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو على ملةِ عبد المطلب .

ويؤكد هذا كلَّه ما قال البخاري[٢] : حدَّثنا مُسَدَّد ، حدَّثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عُمير ، حدثنا عبد الله بنُ الحارث قال : حدثنا العباسُ بن عبد المطلب أنه قال : قلت للنبيِّ ﷺ : ما أغنيتَ عن عمِّك ، فإنَّهُ كان يَحُوطُكَ ويَغْضَب لك[٣] ؟ قال : « هو في ضَحْضَاحٍ من نار ، ولولا أنا لكانَ في الدَّرْك الأسفل من النار » .

ورواه مسلم في صحيحه[٤] من طرق عن عبد الملك بن عُمير به .

وأخرجاه في الصحيحَيْن[٥] ، من حديث اللَّيث ، حدثني ابنُ الهادِ عن عبد الله بن خَبَّاب ، عن أبي سعيدٍ أنه سمع النبيَّ ﷺ وذُكر عنده عمُّه فقال : « لعله تنفعُه شفاعتي يومَ القيامة ، فيُجْعَل في ضَحْضاحٍ من النارِ يبلغُ كَعْبَيْه يَغْلي منهُ دماغُه » . (لفظ البخاري) .

وفي رواية[٦] : « يغلي منه أمُّ دِماغِهِ » .

وروى مسلم[٧] عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة ، عن عفَّان ، عن حمَّاد بن سَلَمة ، عن ثابت ، عن أبي عثمان ، عن ابنِ عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أهْوَنُ أهْلِ النارِ عذاباً أبو طالب ، مُنْتَعِلٌ بنعلَيْن[٨] يَغْلِي منهما دماغُه » .

---

(١) هكذا ذكر هذه اللفظة الحافظ ابن كثير ، وعزاها إلى مسلم وغيره ، ولم نجدها عند أحد غير ابن كثير ، وقد ذكرها في تفسيره أيضاً (٦/ ٢٤٦) ، وإنما تتابعت الروايات بلفظ « لأقررتُ بها عينك » .

(٢) فتح الباري (٣٨٨٣) مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب .

(٣) في هامش ح : لغضبك . وسقطت : لك من المتن .

(٤) صحيح مسلم (٢٠٩) (٣٥٧) الإيمان باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه .

(٥) فتح الباري (٣٨٨٥) مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب ، وصحيح مسلم (٢١٠) (٣٦٠) الإيمان باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه .

(٦) هي رواية البخاري ، فتح (٦٥٦٤) الرقاق باب صفة الجنة والنار .

(٧) في صحيحه (٢١٢) (٣٦٢) الإيمان باب أهون أهل النار عذاباً .

(٨) زادت ط : من نار . وليست هذه الزيادة في ح ولا في صحيح مسلم . أقول : وإنما هي عند أحمد (٣/ ٧٨) رقم (١١٦٧٨) وهي زيادة صحيحة .

وفي مغازي يونس بن بُكير[(١)] : « يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » . ذكره السُّهيلي[(٢)] .

وقال الحافظ أبو بكر البزّار في « مسنده »[(٣)] حدَّثنا عمر[(٤)] ـ هو ابن إسماعيل بن مُجَالد ـ حدَّثنا أبي عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ، قال : سُئل رسولُ الله ﷺ ـ أو قيل له ـ هل نفعتَ أبا طالب ؟ قال : « أخرجتُه من النار إلى ضَحْضَاحٍ منها » . تفرّد به البزّار .

قال السُّهيلي[(٥)] : وإنما لم يقبلِ النبيُّ ﷺ شهادةَ العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأنَّ العباس كان إذْ ذاك كافراً غيرَ مقبول الشهادة .

قلت : وعندي أنَّ الخبر بذلك ما صحَّ لضعفِ سنده كما تقدَّم . ومما يدلُّ على ذلك أنه سأل النبيَّ ﷺ بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدَّم ، وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا ينفعُ نفساً إيمانُها ، والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي[(٦)] : حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعتُ ناجية بن كعب يقول : سمعت[(٧)] عليّاً يقول : لما تُوفي أبي أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : إنَّ عمَّك قد توفي . فقال : « اذهبْ فَوارِه » فقلت : إنَّه مات مشركاً . فقال : « اذهبْ فوارِه ، ولا تحدثنَّ شيئاً حتى تأتِيَني[(٨)] » . ففعلتُ ثم أتيتُه ، فأمرني أنْ أغتسل .

ورواه النسائي[(٩)] ، عن محمد بن المثنى ، عن غُنْدَر[(١٠)] ، عن شعبة .

ورواه أبو داود والنسائي[(١١)] من حديث سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجيةَ ، عن علي : لما ماتَ أبو طالب قلت : يا رسول الله ، إنَّ عمَّك الشيخَ الضَّالَّ قد مات فَمَنْ يُواريه ؟ قال : « اذْهَبْ فوارِ أباك ،

---

(١) السير والمغازي (ص٢٣٩) ولفظه : يغلي من وهجهما دماغه حتى يسيل على قوائمه .
(٢) في الروض (٢/ ١٧٠) .
(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٥) وقال : رواه البزار ، وفيه من لم أعرفه .
(٤) في ط : عمرو ، تصحيف ، والمثبت من ح وترجمته في تهذيب الكمال (٢١/ ٢٧٤) .
(٥) في الروض (٢/ ١٧٠) .
(٦) في مسنده (١٢٠) .
(٧) في مسند الطيالسي : شهدت .
(٨) في ط : تأتي ، والمثبت من ح ومسند الطيالسي .
(٩) في السنن (١٩٠) الطهارة باب الغسل من مواراة المشرك . أقول : وهو حديث صحيح .
(١٠) في سنن النسائي : عن محمد . قلت : محمد هو ابن جعفر يعرف بغندر . ترجمته في التهذيب .
(١١) سنن أبي داود (٣٢١٤) الجنائز باب الرجل يموت له قرابة مشرك ، وسنن النسائي (٢٠٠٦) الجنائز باب مواراة المشرك . أقول : وهو حديث صحيح .

ولا تحدثَنَّ شيئاً حتى تأتيني » فأتيتُه[١] ، فأمرني فاغتسلت ، ثم دعا لي[٢] بدعواتٍ ما يسرُّني أنَّ لي بهنَّ ما على الأرض من شيء .

وقال الحافظ البيهقي[٣] : أخبرنا أبو سعد الماليني ، حدَّثنا أبو أحمد بن عديّ ، حدَّثنا محمد بن هارون بن حُميد ، حدَّثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رِزْمَة ، حدَّثنا الفضل ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أنَّ النبيَّ ﷺ عارَضَ[٤] جنازة أبي طالب فقال : « وصلَتْكَ رَحِم ، وجُزيتَ خيراً يا عم » .

قال : وروي عن أبي اليمَان الهوزني ، عن النبي ﷺ مرسلاً وزاد : « ولم يقُمْ على قبره » . قال : وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخُوَارَزْمي تكلَّموا فيه .

قلت : قد روى عنه غيرُ واحدٍ ، منهم الفضل بن موسى السِّينَاني[٥] ومحمد بن سلام البِيكَنْدي ، ومع هذا قال ابنُ عدي[٦] : ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل مَنْ روى عنه ليست بمستقيمة .

وقد قدَّمنا ما كان يتعاطاهُ أبو طالب من المحاماة والمُحَاجَّة والممانعة عن رسولِ الله ﷺ والدفعِ عنه وعن أصحابه ، وما قاله فيه من الممادح والثناء ، وما أظهره له ولأصحابه من المودَّة والمحبَّة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها ، وما تضمنَتْه من العَيْب والتنقُّصِ لمن خالفه وكذَّبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية ، التي لا تُدانى ولا تُسامَى ولا يمكن عربياً مقاربتُها ولا معارضتُها ، وهو في ذلك كلِّه يعلم أنَّ رسول الله ﷺ صادقٌ بارٌّ راشد ، ولكنْ مع هذا لم يؤمنْ قلبُه . وفرْقٌ بين علم القلب وتصديقه كما قرَّرْنا ذلك في شرح كتابِ الإيمان من صحيح البخاري ؛ وشاهدُ ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] وقال تعالى في قوم فرعون : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل : ١٤] وقال موسى لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٢] وقولُ بعضِ السلف في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ ﴾ [الأنعام : ٢٦] أنها نزلتْ في أبي طالب حيث كان يَنْهَى الناسَ عن أذيَّة رسولِ الله ﷺ ويَنْأَى هو عمَّا جاء به الرسولُ من الهُدَى ودينِ الحق . فقد رُوي عن ابنِ عباس ، والقاسم بن

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سنن النسائي : فواريته ثم جئت فأمرني . . وفي سنن أبي داود : فذهبت فواريته وجئته فأمرني .

(٢) إلى هنا في سنن أبي داود والنسائي ، وزاد النسائي قوله : وذكر دعاءً لم أحفظه .

(٣) في الدلائل (٢/ ٣٤٩) .

(٤) في ط : عاد من . وهو تصحيف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

(٥) نسبة إلى سينان إحدى قرى مرو كما في اللباب (٢/ ١٦٩) ، ووقع في ح : الشيباني . تصحيف ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٣) .

(٦) الكامل لابن عدي (١/ ٢٥٩) .

مُخَيْمرة ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر . والله أعلم .

والأظهر والله أعلم الرواية الأخرى عن ابن عباس ؛ وهم ينهَوْنَ الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحَّاك وغير واحد ـ وهو اختيارُ ابنِ جرير ـ وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذمِّ المشركين حيث كانوا يصدُّون الناسَ عن اتِّباعه ولا ينتفعون هم أيضاً به .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٥ و٢٦] وهذا اللفظ وهو قوله ﴿ وَهُمْ ﴾ يدلُّ على أنَّ المراد بهذا جماعة ، وهم المذكورونَ في سياقِ الكلام في قوله : ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٦] يدلُّ على تمامِ الذَّم . وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة ، بل كان يصُدُّ الناسَ عن أذيَّةِ رسولِ الله ﷺ وأصحابِه بكلِّ ما يقدِرُ عليه من فعالٍ ومقال ، ونفسٍ ومال . ولكنْ مع هذا لم يقدِّرِ الله له الإيمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة ، والحُجَّة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا اللهُ عنه من الاستغفار للمشركينَ لاستغفرْنا لأبي طالب وترحَّمنا عليه .

فصـــل
في موت[1] خديجة بنت خُوَيْلِد

وذكرِ شيءٍ من فضائلها ومناقبها رضي الله عنها وأرْضاها ، وجعل جناتِ الفردوس مُنْقَلَبها ومَثْواها . وقد فعل ذلك لا محالةَ بخبرِ الصادقِ المصدوق حيث بشَّرَها ببيتٍ في الجنَّة من قصَب ، لا صَخَبَ فيه ولا نصَب .

قال يعقوب بن سفيان[2] : حدَّثنا أبو صالح ، حدَّثنا الليث ، حدَّثني عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : قال عروة بن الزُّبير : وقد كانت خديجةُ توفِّيت قبل أنْ تُفرض الصلاة .

ثمَّ روى من وجهٍ آخر عن الزُّهري أنه قال : توفِّيت خديجة بمكة قبل خروجِ رسولِ الله ﷺ إلى المدينة ، وقبل أنْ تفرض الصلاة .

وقال محمد بن إسحاق[3] : ماتتْ خديجةُ وأبوطالب في عام واحد .

وقال البيهقي[4] : بلغني أنَّ خديجة توفيت بعد موتِ أبي طالب بثلاثة أيام . ذكره أبو عبد الله بن مَنْدَه

(١) في ح : وفاة .

(٢) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٥) وهو من الجزء المفقود نقله المحقق من هنا .

(٣) السير والمغازي (ص٢٤٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٤١٦) والروض (٢/ ١٦٦) .

(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٢) .

في كتاب المعرفة[١] ، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ .

قال البيهقي[٢] : وزعم الواقدي أنَّ خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عامَ خرجوا من الشِّعْب ، وأنَّ خديجة توفيتْ قبل أبي طالب بخمسٍ وثلاثين ليلة .

قلت : مرادُهم قبل أن تُفرض الصلواتُ الخمس ليلةَ الإسراء ، وكان الأنسب بنا أن نذكرَ وفاةَ أبي طالب وخديجة قبلَ الإسراء كما ذكرَهُ البيهقي وغير واحد ، ولكنْ أخَّرْنا ذلك عن الإسراء ، لمقصدٍ ستطلع عليه بعد ذلك ، فإنَّ الكلام به ينتظم ، ويتسق الباب كما تقفُ على ذلك إنْ شاء الله[٣] .

وقال البخاري[٤] : حدَّثنا قُتيبة ، حدَّثنا محمد بن فُضيل بن غَزْوان ، عن عُمارة عن أبي زُرْعة ، عن أبي هريرة ، قال : أتى جبريل إلى رسولِ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، هذه خديجةُ قد أتتْ معها إناءٌ فيه إدامٌ - أو طعامٌ أو شراب - فإذا هي أَتَتْك فاقرَأْ عليها السلام من ربِّها ومنِّي ، وبشِّرْها ببيتٍ في الجنَّة من قَصَب ، لا صَخَب فيه ولا نَصَب .

وقد رواه مسلم[٥] من حديث محمد بن فُضَيل به .

وقال البخاري[٦] : حدَّثنا مُسَدَّد ، حدَّثنا يحيى ، عن إسماعيل قال : قلتُ لعبد الله بن أبي أَوْفَى : بشَّرَ النبيُّ ﷺ خديجة ؟ قال : نعم ، ببيتٍ من قَصَب ، لا صَخَبَ فيهِ ولا نَصَب .

ورواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به[٧] .

قال السهيلي[٨] : وإنما بشَّرها ببيتٍ في الجنة من قصَب - يعني قصَبَ اللُّؤلؤ - لأنها حازَتْ قَصْبَ السَّبَق إلى الإيمان ، لا صَخَب فيه ولا نصَب ، لأنها لم ترفعْ صوتَها على النبي ﷺ ، ولم تُتْعِبْهُ يوماً من الدَّهْر ، فلم تصخَبْ عليه يوماً ، ولا آذته أبداً .

وأخرجاه في الصحيحَيْن[٩] من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها أنها

---

(١) يعني كتاب معرفة الصحابة ، منه نسخة خطية في الظاهرية رقم ٣٤٤ حديث .
(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٣) بنحوه .
(٣) العبارة في ح هكذا : لمقصدٍ سيُطَّلع عليه بعد ذلك ، فإن الكلام ينتظم ، ويتسق السياق .
(٤) فتح الباري (٣٨٢٠) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة .
(٥) صحيح مسلم (٢٤٣٢) (٧١) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .
(٦) فتح الباري (٣٨١٩) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة .
(٧) فتح الباري (١٧٩٢) العمرة باب متى يحل المعتمر ، وصحيح مسلم (٢٤٣٣) (٧٢) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .
(٨) في الروض (١/ ٢٧٩) بنحوه .
(٩) فتح الباري (٣٨١٦) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة ، وصحيح مسلم (٢٤٣٥) (٧٤) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

قالت : ما غِرْتُ على امرأةٍ للنبي ﷺ ما غرتُ على خَدِيجة ، وهلكَتْ قبل أن يتزوَّجني ـ لِمَا كنتُ أسمعهُ يذكرُها ، وأمرَهُ اللهُ أنْ يُبَشِّرَها ببيتٍ[١] من قصب . وإنْ كان ليذبَحُ الشاةَ فيُهْدِي في خلائلها منها ما يسَعُهنّ . (لفظ البخاري) .

وفي لفظٍ[٢] عن عائشة : ما غِرْتُ على امرأةٍ ما غرْتُ على خديجة من كثرة ذِكْرِ رسولِ الله ﷺ إياها . قالت : وتزوَّجني بعدها بثلاثِ سنين ، وأمرَهُ ربُّه ـ أو جبريل ـ أن يُبشِّرَها ببيتٍ في الجنَّة من قصَب .

وفي لفظٍ له[٣] قالت : ما غِرتُ على أحدٍ من نساء النبيِّ ﷺ ما غرتُ على خديجة ـ وما رأيتُها ـ ولكنْ كان [النبيُّ ﷺ] يُكثر ذكرَها ، وربما ذبح الشاةَ فيقطِّعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائقِ خديجة ، فربما قلت [له] : كأنه لم يكن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجة ! فيقول : « إنها كانت وكانت ، وكان لي منها وَلَد » .

ثم قال البخاري : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا عليُّ بن مُسْهِر عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذنَت هالَةُ بنتُ خُويلد : ـ أخت خديجة ـ على رسولِ الله ﷺ فعرَفَ استئذانَ خديجة ، فارتاعَ [لذلك] فقال : « اللهمَّ هالة » . فغِرْتُ فقلت ما تذكرُ من عجوزٍ من عجائز قريش ، حمراء الشِّدْقين هلكَتْ في الدهر ، أبدلك اللهُ خيراً منها .

وهكذا رواه مسلم[٤] عن سُويد بن سعيد ، عن عليِّ بن مُسْهِر به .

وهذا ظاهرٌ في التقريرِ على أنَّ عائشةَ خيرٌ من خديجة ، إمَّا فضلاً وإما عِشْرَةً . إذْ لم يُنكرْ عليها ولا ردَّ عليها ذلك ، كما هو ظاهرُ سياقِ البخاري رحمه الله ولكن قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا مؤمَّل أبو عبد الرحمن ، حدَّثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الملك ـ هو ابنُ عُمير ـ عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت : ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ يوماً خديجةَ فأطنبَ في الثناء عليها ، فأدركني ما يُدركُ النساءَ من الغيرة ، فقلت : لقد أعقبكَ اللهُ يا رسول الله ، من عجوزٍ من عجائزِ قريش حمراء الشدقين . قال : فتغيَّرَ وجهُ رسولِ الله ﷺ تغيُّراً لم أرَهُ تغيَّر عند شيءٍ قط إلا عند نزول الوَحْي ، أو عند المَخِيلة[٦] حتى يعلم ، رحمةٌ أو عذاب[٧] .

وكذا رواهُ عن بَهْزِ بن أسد وعفَّان[٨] بن مسلم ، كلاهما عن حمَّاد بن سَلَمَة ، عن عبد الملك بن

---

(١) زادت ط هنا : في الجنة . وليست هذه الزيادة في ح ولا في صحيح البخاري في هذه الرواية .
(٢) هي الرواية التالية للرواية السابقة رقم (٣٨١٧) في صحيح البخاري .
(٣) يعني للبخاري وهي الرواية التالية للرواية السابقة رقم (٣٨١٨) . وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) في صحيحه (٢٤٣٧) (٧٨) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .
(٥) في المسند (٦/ ١٥٤) .
(٦) « المخيلة » : السحابة التي تحسبها ماطرة ، أو هي الخليقة بالمطر . النهاية والقاموس (خيل) .
(٧) يعني أهي رحمةٌ أو عذاب ؛ ووقعت في ط : عذاباً بالنصب خطأً ، والمثبت من ح ومسند أحمد .
(٨) في ط : عثمان ، تصحيف ، والمثبت من ح ومسند أحمد وترجمته في تهذيب التهذيب .

عُمير به . وزاد بعد قوله : حمراء الشدقَيْن ؛ هلكتْ في الدهر الأول . قال : فتمعَّرَ وجهُه تمعُّراً ما كنتُ أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخِيلة ، حتى ينظر ، أرحمةٌ أو عذاب .

تفرَّد به أحمد . وهذا إسنادٌ جيِّد .

وقال الإمام أحمد(١) أيضاً عن [علي] بن إسحاق أخبرنا عبد الله [قال] : أخبرنا مجالد عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : كان النبيُّ ﷺ إذا ذكرَ خديجةَ أثْنَى عليها بأحسن(٢) الثناء . قالت : فغِرْتُ يوماً فقلت : ما أكثرَ ما تذكرُها حمراء الشدقين(٣) قد أبدلك الله خيراً منها . قال : « ما أبدلني اللهُ خيراً منها ، قد آمنتْ بي إذْ كفرَ بي الناس ، وصدَّقَتْني إذْ كذَّبني الناس ، وواستني(٤) بمالها إذْ حرَمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذْ حرمني أولادَ النساء » .

تفرَّد به أحمد أيضاً ، وإسنادهُ لا بأس به ، ومجالد روى له مسلم متابعةً ، وفيه كلامٌ مشهور ، والله أعلم . ولعل هذا أعني قوله : « ورزقني الله ولدَها إذْ حرمني أولاد النساء » كان قبل أن يُولد إبراهيم بنُ النبيِّ ﷺ من مَاريَة ، وقبل مَقْدَمها بالكلِّيَّة ، وهذا متعيِّن ، فإنَّ جميع أولادِ النبيِّ ﷺ كما تقدَّم وكما سيأتي من خديجة إلا إبراهيم فإنَّهُ من ماريَةَ القبطيَّة المصرية رضي الله عنها .

وقد استدلَّ بهذا الحديث جماعةٌ من أهل العلم على تفضيل خديجةَ على عائشة رضي الله عنها وأرضاها . وتكلَّم آخرون في إسناده ، وتأوَّله آخرون على أنها كانتْ خيراً عشرةً ، وهو محتملٌ أو ظاهر . وسببه أنَّ عائشة سَمَتْ بشبابها وحسنها وجميل عشرتها ، وليس مرادها بقولها : قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكِّي نفسها وتفضِّلها على خديجة ، فإنَّ هذا أمرٌ مَرْجِعه إلى الله عزَّ وجلَّ كما قال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٩] الآية .

وهذه مسألةٌ وقع النزاعُ فيها بين العلماء قديماً وحديثاً وبجانبها طرقٌ يقتصر عليها أهل التشيُّع وغيرهم ، لا يعدِلون بخديجةَ أحداً من النساء ، لسلام الربِّ عليها ، وكونِ ولدِ النبيِّ ﷺ جميعهم - إلا إبراهيم - منها . وكونِه لم يتزوَّج عليها حتى ماتتْ إكراماً لها ، وتقدُّم(٥) إسلامها ، وكونها من الصدِّيقات ، ولها مقامُ صدْقٍ في أول البِعْثَة . وبذلَتْ نفسَها ومالَها لرسولِ الله ﷺ .

وأمَّا أهلُ السُّنَّة ، فمنهم من يَغْلُو أيضاً ويُثبتُ لكلٍّ واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكنْ

---

(١) في المسند (٦/ ١١٧ ، ١١٨) وما بين معقوفين منه .

(٢) في المسند : فأحسن .

(٣) في المسند : الشدق .

(٤) في ط : وآستني . وكلاهما بمعنى ، والمثبت من ح والمسند .

(٥) في ط : وتقدير . والمثبت من ح .

تحملُهم قوةُ التسنُّن على تفضيلِ عائشةَ لكونها ابنةَ الصدِّيق ، ولكونها أعلمَ من خديجة فإنه لم يكنْ في الأُمم مثل عائشة في حفظِها وعلمِها وفصاحتها وعقلِها ، ولم يكنِ الرسولُ يحبُّ أحداً من نسائه كمحبَّتِه إيَّاها ، ونزلَتْ براءتُها من فوق سبعِ سمٰوات ، وروَتْ بعده عنه عليه السلام علماً جمًّا كثيراً طيِّباً مبارَكاً فيه ، حتى قد ذكر كثيرٌ من الناس الحديثَ المشهور « خُذُوا شَطْرَ دينِكُمْ عن الحُمَيْرَاء »[١] . والحق أنَّ كلاًّ منهما لها من الفضائل[٢] ما لو نظر الناظرُ فيه لبَهَرَهُ وحيَّرَهُ ، والأحسن التوقُّف في ذلك وردُّ علم ذلك إلى الله عزَّ وجل . ومن ظهر له دليلٌ يقطَعُ به ، أو يغلِبُ على ظنِّه في هذا الباب ، فذاك الذي يجبُ عليه أن يقول بما عنده من العلم ، ومن حصل له توقُّفٌ في هذه المسألة أو في غيرها فالطريقُ الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول : الله أعلم .

وقد روى الإمامُ أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي[٣] من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « خيرُ نسائِها مريم بنتُ عمران ، وخير نسائها خديجةُ بنتُ خويلد » أي : خير زمانهما[٤] .

وروى شعبة عن معاوية بن قرة ، عن أبيه قرة بن إياس رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « كَمَلَ من الرجال كثير ، ولم يكمُلْ من النساء إلا[٥] ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأةُ فرعون ، وخديجة بنت خُويلد ؛ وفضلُ عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائرِ الطعام » .

رواه ابنُ مردويه في تفسيره . وهذا إسنادٌ صحيح إلى شعبة وبعدَه . قالوا : والقَدْر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة ، أنَّ كلاًّ منهن كفَلَتْ نبيّاً مرسلاً وأحسنتِ الصُّحْبة في كفالتها وصدَّقَتْه . فآسيةُ ربَّتْ موسى وأحسنتْ إليه ، وصدَّقَتْه حين بُعث ؛ ومريم كفَلَتْ ولدَها أتمَّ كفالة وأعظمَها ، وصدَّقته حين أُرسل ؛ وخديجة رَغِبتْ في تزويج رسولِ الله ﷺ بها وبذلَتْ في ذلك أموالها كما تقدَّم وصدَّقته حين نَزَل عليه الوَحْي من الله عزَّ وجلَّ . وقولَه « وفضل عائشة على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعام » هو ثابتٌ في الصحيحَيْن[٦] من طريق شعبة أيضاً عن عمرو بن مُرَّة ، عن مرَّة الطيِّب الهَمْداني ، عن أبي موسى

---

(١) حديث غريب جداً بل هو منكر ، قال الذهبي : هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها إسناد . كشف الخفا (١/ ٤٤٩) .

(٢) في ح : والحق أن لكل منهما فضائل .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٤) وفتح الباري (٣٨١٥) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة ، وصحيح مسلم (٦٩ ـ ٢٤٣٠) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين ، وسنن الترمذي (٣٨٧٧) المناقب باب فضل خديجة رضي الله عنها ، وهو في السنن الكبرى (٨٣٥٤) .

(٤) قال القرطبي : الضمير عائد على غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة ، يعني به الدنيا . وقال الطيبي : الضمير الأول يعود على الأمة التي كانت فيها مريم والثاني على هذه الأمة . فتح الباري (٧/ ١٣٥) .

(٥) في ح : غير ثلاث .

(٦) فتح الباري (٣٤١١) أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [التحريم : ١١] ، =

الأشعري قال : قال رسولُ الله ﷺ : « كَمَلَ من الرجالِ كثير ، ولم يَكْمُلْ من النساءِ إلا آسِيَةُ امرأةُ فِرْعَون ، ومريمُ بنتُ عمران ؛ وإنَّ فضلَ عائشة على النساءِ كفضْل الثريدِ على سائر الطعام » والثَّريد : هو الخبز واللَّحْم جميعاً ، وهو أفخر طعامِ العَرَب كما قال بعضُ الشعراء :

إذا ما الخبزُ تَأْدِمُهُ بلحْمٍ فذاكَ ، أمانة الله ، الثريدُ

ويحتمل[1] قوله : « وفضلُ عائشةَ على النساءِ » أنْ يكون عامّاً[2] فيعم النساء المذكورات وغيرَهنَّ ، ويحتمل أن يكون مخصوصاً[3] فيما عداهن ، ويَبْقى الكلامُ فيها وفيهنّ موقوفاً يحتملُ التسوية بينهن ، فيحتاج من رجَّح واحدةً منهنّ على غيرِها إلى دليلٍ خارج[4] ، والله أعلم .

فصـــل
في تزويجه ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها بعائشة بنت الصديق وسودة بنت زَمَعَة رضي الله عنها

والصحيح أنَّ عائشةَ تزوَّجها أولاً كما سيأتي ، قال البخاري في تزويج عائشة[5] : حدَّثنا مُعَلَّى بنُ أسد ، حدَّثنا وُهيب عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ قال لها : « أُريتكِ في المنام مرَّتَيْن ، أرَى أنَّكِ في سَرَقةٍ من حَرِير[6] ، ويقول : هذه امرأتك ، فاكشفْ عنها ، فإذا هي أنتِ ، فأقول : إن كان[7] هذا من عند الله يُمْضِه » .

قال البخاري باب نكاح الأبكار[8] : وقال ابنُ أبي مُليكة : قال ابنُ عباس لعائشة : لم ينكحِ النبيُّ ﷺ بكراً غيرَكِ : حدَّثنا[9] إسماعيل بن عبد الله ، حدَّثني أخي[10] ، عن سليمان بن بلال ، عن هشام بن

= وصحيح مسلم (٢٤٣١) (٧٠) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

(١) في ط : ويحمل والمثبت من ح .

(٢) في ط : محفوظاً فيعم ، والمثبت من ح .

(٣) في ط : عاماً فيما ، والمثبت من ح .

(٤) « الخارج » : الظاهر المحسوس . وفي ط : من خارج . والمثبت من ح .

(٥) فتح الباري (٣٨٩٥) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة .

(٦) سَرَقة : أي قطعة ، أي يريه صورتها . (فتح الباري ٧/ ٢٢٤) .

(٧) في صحيح البخاري : إن يك ، وفي رواية له : إن يكن .

(٨) فتح الباري (٩/ ١٢٠) النكاح باب نكاح الأبكار ـ في أول الباب ، وهو طرفٌ من حديث وصله البخاري في تفسير سورة النور . قاله ابن حجر في الفتح .

(٩) هنا يبدأ الحديث رقم (٥٠٧٧) في الموضع المشار إليه في الحاشية السابقة .

(١٠) هو عبد الحميد . قاله ابن حجر في الفتح .

عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قلتُ يا رسولَ الله : أرأيتَ لو نزلتَ وادياً وفيه شجرةٌ قد أُكل منها ، ووجدتَ شجرةً لم يُؤكلْ منها ، في أيِّها كنتَ تُرْتِعُ بعيرك ؟ قال : « في التي لم يرتَعْ منها » تعني[١] أنَّ النبيَّ ﷺ لم يتزوَّجْ بكراً غيرها .

انفرد به البخاري ثم قال[٢] : حدَّثنا عُبيد بنُ إسماعيل ، حدَّثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال لي رسولُ الله ﷺ « أُريتك في المنام [مرَّتين ، إذا رجلٌ يحملك في سرَقَةٍ من حرير ، فيقول : هذه امرأتك . فأكشفُها فإذا هي أنتِ ، فأقول : إنْ كان[٣] هذا من عند الله يُمضِه » .

ورواه مسلم[٤] من طريق هشام بن عروة به .

ورواه البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج[٥] : حدَّثنا مُسَدَّد ، حدَّثنا حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « أُريتُكِ في المنام][٦] يَجِيءُ[٧] بكِ المَلَكُ في سَرَقَةٍ من حَرير فقال لي : هذه امرأتُك . فكشفتُ عن وجهكِ الثوبَ فإذا أنتِ هي[٨] ، فقلت إنْ يكُ[٩] هذا من عند الله يُمْضِه » .

وفي رواية[١٠] : « أُريتُكِ في المنام ثلاثَ ليالٍ » .

وعند الترمذي[١١] : أنَّ جبريلَ جاءَهُ بصورتِها في خِرْقَةٍ من حَرير خَضْرَاء فقال : هذه زوجتُك في الدنيا والآخرة .

وقال البخاري باب تزويج الصغار من الكبار[١٢] : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، حدَّثنا الليث عن يزيد ،

---

(١) في الفتح : يعني .
(٢) في صحيحه فتح (٥٠٧٨) النكاح باب نكاح الأبكار .
(٣) في صحيح البخاري : إن يكن .
(٤) في صحيحه (٢٤٣٨) (٧٩) فضائل الصحابة باب في فضل عائشة .
(٥) فتح الباري (٥١٢٥) النكاح باب النظر إلى المرأة قبل التزويج .
(٦) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت في ح .
(٧) في ط : فيجيء ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .
(٨) في ح : فإذا هي أنت . والمثبت من ط وصحيح البخاري .
(٩) في ط : يكن ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .
(١٠) وهي رواية مسلم المشار إليها في ح(١٦) .
(١١) في الجامع (٣٨٨٠) المناقب باب فضل عائشة رضي الله عنها . قال بشار : واقتصر الترمذي على تحسينه واستغرابه وقال: لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمرو بن علقمة، وقد روى عبد الرحمن بن مهدي هذا الحديث عن عبد الله ابن عمرو بن علقمة بهذا الإسناد مرسلاً، ولم يذكر فيه عن عائشة ثم أشار إلى حديث عروة عن عائشة المتقدم في الصحيحين .
(١٢) فتح الباري (٥٠٨١) النكاح باب تزويج الصغار من الكبار .

عن عِرَاك ، عن عروة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دينِ الله وكتابِه ، وهي لي حلال » .

هذا الحديث ظاهر سياقه كأنَّهُ مرسل وهو عند البخاري والمحقِّقين متَّصل ، لأنه من حديث عروةَ عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا من أفراد البخاري رحمه الله .

وقال يُونس بن بُكير[١] : عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : تزوَّج رسولُ الله ﷺ عائشة بعد خديجة بثلاثِ سنين ، وعائشةُ يومئذ ابنة ستِّ سنين ، وبَنَى بها وهي ابنةُ تسع . ومات رسولُ الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانية عشرة سنة .

وهذا غريب . وقد روى البخاري[٢] عن عُبيد بن إسماعيل عن أبي أُسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : تُوفِّيتْ خديجةُ قبل مَخْرَجِ النبيِّ ﷺ [إلى المدينة] بثلاثِ سنين ، فلبث سنتَيْن ـ أو قريباً من ذلك ـ ونكَحَ عائشة وهي بنتُ ستِّ سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين . وهذا الذي قاله عروة مرسلٌ في ظاهر السِّيَاق كما قدَّمنا ولكنَّهُ في حُكْمِ المتَّصِل في نفس الأمر . وقوله تزوَّجها وهي ابنة ستِّ سنين وبنى بها وهي ابنة تسع سنين ، ما لا خلافَ فيه بين الناس ـ وقد ثبت في الصِّحاح وغيرها ـ وكان بناؤه بها عليه السلام في السنةِ الثانية من الهجرة إلى المدينة . وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحوٍ من ثلاث سنين ففيه نظر . فإنَّ يعقوب بن سفيان الحافظ قال[٣] : حدَّثنا الحجّاج ، حدَّثنا حماد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوَّجني رسولُ الله ﷺ متوفَّى خديجة قبل مخرجِهِ من مكة وأنا ابنة سبع ـ أو ست ـ سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألعبُ في أرجوحة وأنا مُجَمَّمَة ، فهيَّأنني وصنَّعْنَني ، ثمَّ أَتَيْنَ بي إلى رسولِ الله ﷺ وأنا ابنة تسع سنين .

فقوله في هذا الحديث : متوفَّى خديجة يقتضي أنه على أثر ذلك قريباً ، اللهمَّ إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفَّى خديجة ، فلا ينفي ما ذكره يونسُ بن بكير وأبو أسامةَ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، والله أعلم .

وقال البخاري[٤] : حدَّثنا فروة بنُ أبي المَغْرَاء ، حدَّثنا عليُّ بن مُسْهِر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : تزوَّجني النبيُّ ﷺ وأنا بنتُ ستِّ سنين ، فقدِمنا المدينة ، فنزَلْنا في بني الحارث بن الخزرج ، فَوُعِكْتُ فتمزَّق شعري[٥] ، وقد وفَتْ لي جُمَيْمَة[٦] ، فأتتني أمي أمُّ رُومان ـ وإنِّي

---

(١) السير والمغازي (ص٢٥٥) .
(٢) فتح الباري (٣٨٩٦) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة ، وما سيأتي بين معقوفين منه .
(٣) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٦٨) وهو من الجزء المفقود نقله المحقق من هنا .
(٤) فتح الباري (٣٨٩٤) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة .
(٥) « فتمزق » : أي تقطَّع ، ورواية الكشميهني : فتمرق . بالراء المهملة ، أي انتتف . فتح الباري (٧/ ٢٢٤) .
(٦) كذا في ط والنهاية لابن الأثير (جمم) ، وفي ح : ولي جُميمة ، وفي صحيح البخاري : فوفى جُميمة . قال ابن=

لفي أُرْجُوحةٍ ومعي صواحبُ لي ـ فصرخَتْ بي ، فأتيتُها ما أدري ما تريدُ مني ، فأخذتْ بيدي حتى أوقفَتني على باب الدار ، وإني لأنْهَجُ[١] ، حتى سكن بعضُ نفسي ، ثمَّ أخذتْ شيئاً من ماءٍ فمسَحَتْ به[٢] وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدَّار ، فإذا نسوةٌ من الأنصار في البيت فقلن : على الخير والبركة ، وعلى خير طائر . فاسلَمَتْني إليهن ، فأصلَحْنَ من شأني ، فلم يَرُعْني إلا رسولُ الله ﷺ ضُحىً ، فأسلمَتْني إليه ، وأنا يومئذٍ بنتُ تسع سنين .

وقال الإمامُ أحمد في مسند عائشةَ أمِّ المؤمنين[٣] : حدَّثنا محمد بن بشر ، حدَّثنا محمد بن عمرو[٤] حدثنا أبو سلمة ويحيى . قالا : لما هلكَتْ خديجةُ جاءتْ خولةُ بنت حكيم امرأةُ عثمانَ بنِ مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوَّج ؟ قال : « مَنْ ؟ » قالت : إنْ شئتَ بكراً ، وإنْ شئت ثيِّباً ، قال : « فمَنِ البِكْر » قالت : ابنة أحبِّ خلقِ الله إليك عائشة ابنة أبي بكر . قال : « ومَن الثَّيِّب » ؟ قالت : سَوْدَة بنتُ زَمْعَة . قد آمنتْ بكَ واتبعتك على ما تقول . قال : « فاذْهبي فاذكُريهما عليّ » فدخلتْ بيتَ أبي بكرٍ فقالت : يا أمَّ رُومان ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ، قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطُبُ عليه عائشة . قالتْ : انتظري أبا بكرٍ حتى يأتي . فجاء أبو بكر فقالت : يا أبا بكر ، ماذا أدخل اللهُ عليكم من الخير والبركة! قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسولُ الله ﷺ أخطُب عليه عائشة قال : وهل تصلُح له ؟ إنما هي ابنةُ أخيه ، فرجعتْ إلى رسولِ الله ﷺ فذكرَتْ ذلك له قال : « ارْجِعي إليه فقولي له : أنا أخوكَ وأنتَ أخي في الإسلام ، وابنتُكَ تصلُح لي » فرجعَتْ فذكرتْ ذلك له ، قال : انتظري ، وخرج . قالت أمُّ رُومان : إنَّ مُطْعِمَ بن عَدي قد كان ذكرها على ابنه ، ووالله ما وَعَدَ وعداً قطُّ فأخلَفَه لأبي بكر[٥] . فدخل أبو بكرٍ على مطعم بن عَدِي وعنده امرأتُه أم الصَّبي[٦] . فقالت : يا ابن أبي قُحَافة لعلك مُصْبِي[٧] صاحبَنا مُدخلُه في دينِك الذي أنتَ عليه إنْ تزوَّج إليك ؟ فقال أبو بكر للمُطْعِم بن عدي : أقولُ هَذِهِ تَقُولُ ، قَالَ : إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ . فخرج من عنده وقد أذهب اللهُ ما كان في نفسِه من عِدَته التي وعدَه ، فرجع فقال لخولة : ادعي لي رسولَ الله ﷺ فدعَتْه فزوَّجها إيَّاه ، وعائشة يومئذ

= حجر : فوفى . أي كثر ، وفي الكلام حذف تقديره : ثم فصلت من الوعك فتربَّى شعري فكثر ؛ وقولها : جميمة . مصغَّر الجُمَّة ، وهي مجتمع شعر الناصية ، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جُمَّة ، وإذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة . فتح الباري (٧/ ٢٢٤) .

(١) « أنهج الرجل » : إذا أصابه البَهَر والربو من الجري والتعب ، وهو علو النَّفَس . مشارق الأنوار (٢/ ٢٩) .

(٢) في ط : فمست ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .

(٣) مسند أحمد (٦/ ٢١٠) .

(٤) في ط : محمد بن بشر ، حدثنا بشر ، حدثنا محمد بن عمر . زيادة من الناسخ ليست في ح ولا في مسند أحمد .

(٥) في ط : ووالله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه . والمثبت من ح والمسند .

(٦) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : أم الفتى .

(٧) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : مصبٍ .

بنت ستِّ سنين . ثم خرجتْ فدخلتْ على سَوْدَة بنتِ زَمَعة فقال : ما أدخل الله عليكِ من الخيرِ والبركة ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسولُ الله ﷺ أخطُبك عليه ، قالت : ودِدْتُ ، ادخلي إلى أبي[(١)] فاذكري ذلك له ـ وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السِّنّ ، قد تخلَّف عن الحج ـ فدخلتْ عليه فحييته[(٢)] بتحيَّة الجاهلية ، فقال : مَنْ هذه ؟ قالت : خولةُ بنت حكيم . قال : فما شأنُك ؟ قالت : أرسلني محمد بن عبد الله أخطُب عليه سَوْدَة . فقال : كفؤٌ كريم ، ماذا تقولُ صاحبتُك ؟ قال : تحبُّ ذلك . قال : ادعيها لي . فدعَتْها ، قال : أيْ بُنَيَّة إنَّ هذه تزعم أنَّ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطُبك وهو كفؤٌ كريم ، أتحبِّينَ أن أزوِّجَكِ به ؟ قالت : نعم . قال : ادعيهِ لي . فجاء رسولُ الله ﷺ فزوَّجها إياه . فجاء أخوها عبد بن زَمَعَة من الحجّ فجعل[(٣)] يَحْثِي على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أنْ تزوَّج رسولُ الله ﷺ سودةَ بنتَ زَمَعة . قالت عائشة : فقدِمنا المدينة فنزلْنا في بني الحارث بن الخَزْرَج في السُّنْح[(٤)] . قالت فجاء رسولُ الله ﷺ فدخل بيتَنا واجتمع إليه رجالٌ من الأنصار ونساءٌ ، فجاءَتْني أُمِّي وإني[(٥)] لفي أُرجوحةٍ بين عِذْقَيْن ، يُرجَح بي ، فأنزلَتْني من الأُرجوحة ولي جُميمة ، ففرَقَتْها ، ومسحَتْ وجهي بشيءٍ من ماءٍ ، ثم أقبلتْ بي تقودني حتى وقفتْ بي عند الباب وإني لأنْهج[(٦)] حتى سكن من نَفَسي ، ثم دخلَتْ بي فإذا رسولُ الله ﷺ جالسٌ على سريرٍ في بيتنا وعنده رجالٌ ونساءٌ من الأنصار ، فأجلسَتْني في حَجْرِه[(٧)] ثم قالت : هؤلاء أهلك فباركَ الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك . فوثب الرجالُ والنساء فخرجوا ، وبنَى بي رسولُ الله ﷺ في بيتنا ما نُحِرتْ عليَّ جَزُور ، ولا ذُبحتْ عليَّ شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عُبادة بجَفْنَةٍ كان يرسلُ بها إلى رسولِ الله ﷺ إذا دار إلى نسائه[(٨)] ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين .

وهذا السياق كأنه مرسل ، وهو متصل لما رواه البيهقي[(٩)] من طريق أحمد بن عبد الجبار ، حدَّثنا عبد الله بن إدريس الأوْدِي[(١٠)] عن محمد بن عمرو ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قالت

---

(١) في ط : إلى أبي بكر . خطأ من الناسخ ، والمثبت من ح ومسند أحمد .
(٢) كذا في ح ، ط والمسند ، والوجه : فحيَّتْهُ .
(٣) في ط : فجاء . والمثبت من ح والمسند .
(٤) السُّنح : تقع في طرف من أطراف المدينة ، بينها وبين منزل النبي ﷺ ميل . معجم البلدان (٣/ ٢٦٥) .
(٥) في ط : وأنا ، والمثبت من ح والمسند .
(٦) مضى معناه في الصفحة السابقة ح١ .
(٧) في ط : حجرة . بهاء معجمة باثنتين ، والمثبت من ح والمسند .
(٨) كذا في ط والمسند ، وفي ح : زار نساءه ، وفي الأساس (دور) : فلان يدور على أربع نسوة ويطوف عليهن : أي يسوسهن ويرعاهن .
(٩) في دلائل النبوة (٢/ ٤١١) .
(١٠) في ط : الأزدي ، تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل وتوضيح المشتبه (١/ ٢٨١) .

عائشة : لما ماتتْ خديجةُ جاءت خَوْلة بنت حكيم فقالت : يا رسولَ الله ، ألا تزوَّج ؟ قال : « ومن » ؟ قالت : إنْ شئتَ بكراً وإنْ شئتَ ثيِّباً . قال : « مَنِ البِكْرُ ومَن الثيِّب » ؟ قالت : أما البِكْر فابنةُ أحبِّ خلقِ الله إليك عائشة ، وأما الثيِّب فسَوْدَة بنت زَمَعة ، قد آمنتْ بك واتبعَتْك . قال : « فاذكريهما عليَّ » وذكر تمام الحديث نحو ما تقدَّم .

وهذا يقتضي أنَّ عَقْدَهُ على عائشة كان متقدِّماً على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكنَّ دخوله على سَوْدَة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخَّرَ إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدَّم وكما سيأتي .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا أسود ، حدَّثنا شريك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما كبِرَت سَوْدَةُ وهبَتْ يَوْمَها لي ، فكان رسولُ الله ﷺ يَقْسِم لي بيومها مع نسائه . قالت : وكانتْ أولَ امرأةٍ تزوَّجها بعدي .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا أبو النَّضْر ، حدَّثنا عبد الحميد ، حدَّثني شهر ، حدَّثني عبد الله بن عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ خطب امرأةً من قومه يقالُ لها سَوْدَة وكانت مُصْبِيَة ، كان لها خمس صِبْيَة ـ أو ستة ـ من بعلٍ لها مات . فقال رسولُ الله ﷺ : « ما يَمْنَعُكِ مني ؟ » قالت : والله يا نبيَّ الله ، ما يمنعُني منك[٣] أن لا تكونَ أحبَّ البريَّةِ إليَّ ، ولكنِّي أُكْرِمُك أن يَضْغُوَ هؤلاء الصبية عند رأسِكَ بُكْرةً وعشيَّة . قال : « فهل منَعَكِ مني شيءٌ غيرُ ذلك ؟ » قالت : لا والله ، قال رسولُ الله ﷺ : « يرحمكِ الله ، إنَّ خيرَ نساءٍ ركبنَ أعجاز الإبل ، صالحُ نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على بعلٍ بذاتِ يده » .

قلت : وكان زوجَها قبل رسول الله ﷺ السكران بن عمرو ، أخو سُهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدَّم[٤] ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضي الله عنه .

وهذه السياقات كلُّها دالَّةٌ على أنَّ العَقْد على عائشة كان متقدِّما على العَقْد بسَوْدَة ، وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل ، ورواه يونس ، عن الزُّهْري . واختار ابن عبد البرِّ أنَّ العَقْد على سَوْدة قبلَ عائشة ، وحكاه عن قتادة وأبي عُبيد . قال : ورواه عقيل عن الزُّهْري .

فصــل

قد تقدم ذِكر موت أبي طالب عمِّ رسولِ الله ﷺ ، وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفِّه ، ومُدَافعاً عنه بكلِّ ما يقدِرُ عليه من نفس ومال ومقال وفعال ، فلما مات اجترأ سفهاءُ قريش على رسولِ الله ﷺ ونالوا منه

(١) في المسند (٦/ ٦٨) رقم (٢٤٢٧٦) ورواه بنحوه البخاري رقم (٢٥٩٣) .
(٢) في المسند (١/ ٣١٨) وهو حديث حسن .
(٣) في ط : أن يمنعوا ، تصحيف ، والمثبت من ح ومسند أحمد .
(٤) تقدّم ذلك في الخبر (ص٢٨٥) .

ما لم يكونوا يَصِلُون إليه ولا يقدرون عليه . كما قد رواه البيهقي(١) عن الحاكم ، عن الأصم ، حدَّثنا محمد بن إسحاق الصَّغَاني(٢) ، حدَّثنا يوسف بن بهلول ، حدَّثنا عبد الله بن إدريس ، حدَّثنا محمد بن إسحاق عمن حدثه ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيهٌ من سُفَهاء قريش ، فألقَى عليه تراباً ، فرجع إلى بيته ، فأتتِ امرأةٌ من بناته ، تمسَحُ عن وجهه التراب وتبكي ، فجعل يقول : « أيْ بُنَيَّة لا تبكين(٣) ، فإنَّ الله مانعُ أباك » ويقول ما بين ذلك : « ما نالتْ قريشٌ شيئاً أكْرَهُه حتى مات أبو طالب »(٤) .

وقد رواه زياد البكَّائي عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مرسلاً . والله أعلم .

وروى البيهقي(٥) أيضاً عن الحاكم وغيره(٦) ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ما زالتْ قريشٌ كاعِّينَ(٧) حتى مات أبو طالب » .

ثم رواهُ(٨) عن الحاكم ، عن الأصم ، عن عباس الدُّوري ، عن يحيى بن مَعِين ، حدَّثنا عقبة المجدَّر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « ما زالتْ قريشٌ كاعَّةً حتى توفي أبو طالب » .

وقد روى الحافظ أبو الفرج بن الجوزي بسنده(٩) عن ثعلبة بن صُعَير ، وحَكيم بن حِزام أنهما قالا : لما تُوفِّي أبو طالب وخديجة ـ وكان بينهما خمسة أيام(١٠) ـ اجتمع على رسول الله ﷺ مصيبتان ، ولزم بيته ، وأقلَّ الخروج ، ونالتْ منه قريشٌ ما لم تَكُنْ تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب ، فجاءه فقال :

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٠) .
(٢) في ح ، ط : الصنعاني . تصحيف ، والمثبت من الدلائل وترجمته في تذكرة الحفاظ (٥٩٨) وفيه : الصاغاني .
(٣) كذا في ح ، ط والدلائل .
(٤) زادت ط هنا ما نصه : ثم شرعوا . وهو زيادة من الناسخ لا وجود لها في الدلائل ، ولا في ح .
(٥) في الدلائل (٢/ ٣٤٩) وهو حديث حسن يشهد له الذي بعده بطرقه .
(٦) هو أبو سعيد بن أبي عمرو شيخ البيهقي كما في الدلائل .
(٧) في النهاية لابن الأثير : ما زالت قريش كاعَّة . الكاعَّة : جمع كاعّ ، وهو الجبان ، يقال : كَعَّ الرجل عن الشيء ويكعُّ كعّاً فهو كاعٌ ، إذا جبن عنه وأحجم ، أراد أنهم كانوا يجبنون عن أذى النبي ﷺ في حياة أبي طالب ، فلما مات اجترؤوا عليه .
(٨) في دلائل البيهقي (٢/ ٣٤٩ ، ٣٥٠) ورواه الطبراني في الأوسط رقم (٥٩٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٢) وهو حديث حسن بطرقه .
(٩) لعله في كتابه المختار من أخبار المختار (مخطوط) وقد أورده في الوفا بأحوال المصطفى (١/ ٢١٠) من غير إسناد ، وفيه « صقير » وهو تصحيف .
(١٠) في الوفا : وكان بينهما شهر وخمسة أيام .

يا محمد ، امضِ لما أردتَ وما كنتَ صانعاً إذْ كان أبو طالب حيّاً فاصنَعْه ، لا واللات[١] لا يُوصَل إليك حتى أموت . وسبَّ ابنُ الغَيْطَلة رسولَ الله ﷺ فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فولَّى يَصِيح : يا معشر قريش صَبَأ أبو عتبة . فأقبلَتْ قريش حتى وقفوا على أبي لَهَب فقال : ما فارقتُ دينَ عبد المطلب ، ولكني أَمْنَعُ ابنَ أخي أنْ يُضام حتى يمضيَ لما يُريد . فقالوا : لقد أحسنت وأجملت ووصلْتَ الرَّحِم . فمكث رسولُ الله ﷺ كذلك أياماً يأتي ويذهب لا يعرِضُ له أحدٌ من قريش ، وهابوا أبا لهب إذْ جاء عُقبة بن أبي مُعَيْط وأبو جهل[٢] إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابنُ أخيك أين مُدْخَلُ أبيك ؟ فقال له أبو لهب : يا محمد ، أين مُدْخَل عبد المطلب ؟ قال : « مع قومه » . فخرج إليهما فقال : قد سألتُه فقال مع قومه . فقالا : يزعم أنه في النار . فقال : يا محمد ، أيدخل عبدُ المطلب النار ؟ فقال رسولُ الله ﷺ[٣] : « ومَنْ ماتَ على ما مات عليه عبدُ المطلب دخل النار » فقال أبو لهب ـ لعنه الله ـ : والله لا بَرِحْتُ لك[٤] عدوّاً أبداً وأنت تزعم أنَّ عبد المطلب في النار . واشتدَّ عند ذلك أبو لهب وسائرُ قريش عليه .

قال ابن إسحاق[٥] : وكان النفر الذين يؤذون رسولَ الله ﷺ في بيته : أبو لهب ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن الحمراء ، وابن الأَصْدَاء الهُذَلي ـ وكانوا جيرانَه ـ لم يُسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص . وكان أحدهم ـ فيما ذُكر لي ـ يطرح عليه رَحِم الشاة وهو يصلِّي ، وكان أحدُهم يطرحُها في بُرْمتِه إذا نُصبتْ له ، حتى اتخذ رسولُ الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلَّى ، فكان إذا طرَحُوا شيئاً من ذلك يحملُه على عُودٍ ثم يقف به على بابه ثم يقول : « يا بني عبدِ مناف ، أيُّ جوارٍ هذا » ؟! ثم يُلقيه في الطريق .

قلت : وعندي أنَّ غالبَ ما رُوي مما تقدَّم من طَرْحِهم سَلا الجَزُور بين كتفيه وهو يصلِّي كما رواه ابنُ مسعود ، وفيه أنَّ فاطمة جاءتْ فطرحَتْهُ عنه وأقبلتْ عليهم فشتمَتْهُمْ ، ثم لما انصرف رسولُ الله ﷺ دعا على سبعةٍ منهم كما تقدَّم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال[٦] دونه أبو بكر الصديق قائلاً : أتقتلون رجلاً أنْ يقول : ربِّيَ الله ! . وكذلك عَزْم أبي جهل ـ لعنه الله ـ على أن يَطَأ على عُنقه وهو يصلِّي فحيل بينه وبين ذلك ، وما أشبه ذلك كان بعد وفاةِ أبي طالب والله أعلم . فذكرها هاهنا أنسب وأشبه .

(١) زادت ح : والعزى . وليست هذه الزيادة في الوفا ولا في ط .
(٢) زادت ح : لعنهما الله . وليست هذه الزيادة في الوفا ولا في ط .
(٣) زاد في الوفا : نعَمْ ومن مات . . .
(٤) زادت ط هنا : إلا . وليست هذه الزيادة في الوفا ولا في ط .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٤١٥) والروض (٢/ ١٦٦) .
(٦) في ح : قام .

فصــل
في ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله فردوا عليه ذلك ولم يقبلوه منه فرجع عنهم إلى مكة

قال ابن إسحاق(١) : فلما هلك أبو طالب نالت قريشٌ من رسولِ الله ﷺ من الأذى ما لم تكنْ تنالُ منه في حياة عمِّه أبي طالب ، فخرج رسولُ الله ﷺ إلى الطائف يلتمسُ من ثقيف النُّصْرَة والمَنَعة بهم من قومه . ورجاءَ أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى ، فخرج إليهم وحدَه ؛ فحدَّثني يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظي قال : لما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى الطائف عَمَد إلى نفرٍ من ثقيف هم سادةُ ثقيف وأشرافُهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبْد يا ليل ، ومسعود ، وحبيب بن عمرو بن عُمير بن عَوْف بن عُقْدَة بن غِيَرة بن عوف بن ثَقيف . وعند أحدهم امرأةٌ من قريش ، من بني جُمَح ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلَّمهم لما جاءهم له من نُصرته على الإسلام والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم ـ هو يَمْرُطُ ثيابَ الكعبة(٢) ـ : إنْ كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وَجَد الله أحداً أرسله غيرَك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلِّمك أبداً ؛ لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظمُ خَطَراً من أنْ أرُدَّ عليك الكلام ، ولئن كنتَ تكذِبُ على الله ما ينبغي لي أنْ أكلِّمَك . فقام رسولُ الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خَيْر ثقيف ، وقد قال لهم ـ فيما ذُكر لي ـ : « إنْ فعلتم ما فعلتم فاكتُموا عليّ(٣) » وكره رسولُ الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيُذْئِرَهُم(٤) ذلك عليه . فلم يفعلوا ، وأغْرَوْا به سفهاءهم وعَبيدَهم يسبُّونه ويَصِيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوهُ إلى حائطٍ لعتبة بنِ ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثَقيف مَنْ كان يتبعه . فعَمَد إلى ظلِّ حَبَلةٍ(٥) من عِنب ، فجلس فيه وابنا ربيعةَ ينظران إليه ويريانِ ما لَقي من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسولُ الله ﷺ ـ فيما ذُكر لي ـ المرأةَ التي من بني جُمَح ، فقال لها : « ماذا لَقِينا من أحْمائك »(٦) ؟!

فلما اطمأنَّ قال ـ فيما ذُكر ـ : « اللهمَّ إليك أشكو ضَعْفَ قُوَّتي ، وقِلَّة حيلتي ، وهَوَاني على الناس » ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربِّي ، إلى مَنْ تَكِلُني ؟! إلى بعيدٍ

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٩) والروض (٢/ ١٧٢) .

(٢) في الأساس (مرط) : فلان يمرط ما يجده ويمترطه : يجمعُه . ويقال : مرَّط الثوب ، قصَّر كُمَّيْه فجعله مِرْطاً . القاموس (مرط) .

(٣) في سيرة ابن هشام : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني .

(٤) يقال : أذأرتُ الرجل بصاحبه : أي حرَّشتُه وأوْلَعْتُه به وجرَّأتُه عليه . الصحاح (ذأر) .

(٥) « الحَبَلة » : الكرمة ، والحَبَل : شجر العنب . الروض (٢/ ١٧٧) والقاموس (حبل) .

(٦) إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد .

يتجَهَّمُني ، أم إلى عدوٍّ ملَّكْتَهُ أمْرِي ؟ إنْ لم يكنْ بك غضبٌ عليَّ فلا أُبالي ، ولكنْ عافيتُك هي أوسعُ لي ، أعوذُ بنورِ وجهك الذي أشرقتْ له الظلمات[١] ، وصَلَح عليه أمْرُ الدنيا والآخرة ، من أنْ تُنْزل بي غضَبَك ، أو يَحِلَّ عليَّ سَخَطُك ، لك العُتْبَى حتى ترضى ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بك »[٢] .

قال : فلما رآه ابنا ربيعةَ عتبةُ وشيبةُ ، وما لَقِيَ تحركتْ له رَحِمُهما ، فدَعَوْا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدَّاس فقالا له : خُذْ قِطْفاً من هذا العِنَب فضَعْهُ في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عدَّاس ، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسولِ الله ﷺ ثم قال له : كُلْ . فلما وضع رسولُ الله ﷺ يده فيه قال : « بسم الله » . ثم أكل ، فنظر عدَّاسٌ في وجهه ثم قال : واللهِ إنَّ هذا الكلامَ ما يقولُه أهلُ هذه البلاد! فقال له رسولُ الله ﷺ : « ومن أهلِ أيِّ بلادٍ أنتَ يا عدَّاس وما دينُك » ؟ قال : نَصْرَاني ، وأنا رجلٌ من أهلِ نِينَوَى . فقال رسولُ الله ﷺ : « من قريةِ الرجلِ الصالح يُونُس بن متَّى » . فقال له عدَّاس : وما يُدريك ما يونسُ بن متى ؟ فقال رسولُ الله ﷺ ذلك أخي ، كان نبيّاً وأنا نبيّ . فأكبَّ عدَّاس على رسولِ الله ﷺ يقبِّلُ رأسَه ويدَيْه وقدمَيْه[٣] .

قال : يقولُ ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أمَّا غلامك فقد أفسدَهُ عليك . فلما جاءهما عدَّاس قالا له : ويلك يا عدّاس ، ما لك تقبِّلُ رأسَ هذا الرجل ويدَيْه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيءٌ خيرٌ من هذا ، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلا نبيّ ! قالا له : ويحك يا عداس ، لا يصرفنَّك عن دينك ، فإنَّ دينَكَ خيرٌ من دينه .

وقد ذكر موسى بن عُقبة نحواً من هذا السياق ، إلا أنه لم يذكرِ الدُّعاء ، وزاد : وقعد له أهلُ الطائف صفَّين على طريقه ، فلما مرّ جعلوا لا يرفعُ رجلَيْه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدْمَوْه ، فخلص منهم وهما يسيلانِ بالدماء ، فعمد إلى ظلِّ نخلةٍ وهو مكروب ، وفي ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله . ثم ذكر قصة عدَّاس النصراني كنحو ما تقدَّم .

وقد روى الإمام أحمد[٤] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، حدَّثنا مروان بن معاوية الفَزَاريّ ، عن عبد الله

---

(١) معنى الوجه وإشراق الظلمات : أما الوجه إذا جاء ذكره في الكتاب والسنة فهو ينقسم في الذكر إلى موطنين : موطن تقرّب واسترضاء بعمل كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ وكقوله ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ، فالمطلوب في هذا الموطن : رضاه وقبوله للعمل ، وإقباله على العبد العامل ؛ وأصله أن من رضي عنك أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ولم يرك وجهه . والموطن الثاني : ما ظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، والوجه لغة ما ظهر من الشيء معقولاً كان أو محسوساً ، تقول : هذا وجه المسألة ، ووجه الحديث ، أي الظاهر إلى رأيك منه . الروض (٢/ ١٧٨) .

(٢) ذكر دعاء الطائف هذا الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٣٥) وفيه تدليس ابن إسحاق . فالحديث ضعيف .

(٣) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٧٩) : وزاد التميمي فيها أنَّ عدَّاساً حين سمعه يذكر يونس بن متَّى قال : والله لقد خرجت منها ـ يعني نينوى ـ وما فيها عشرة يعرفون ما متَّى ، فمن أين عرفت أنت متَّى ، وأنت أمي ، وفي أمة أمِّيَّة ؟ .

(٤) في مسنده (٤/ ٣٣٥) .

ابن عبد الرحمن الطائفي ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جَبَل[١] العَدَوانيّ ، عن أبيه ، أنه أبصر رسولَ الله ﷺ في مَشْرِق ثقيف ، وهو قائم على قوس ـ أو عصا ـ حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، فسمعته يقول : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ [الطارق : ١] . حتى ختمها . قال : فوعَيْتُها في الجاهليّة وأنا مشرك ، ثم قرأتُها في الإسلام .

قال : فدعتني ثقيفٌ فقالوا : ماذا سمعتَ من هذا الرجل ؟ فقرأتُها عليهم ، فقال مَنْ معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنَّا نعلم ما يقولُ حقّاً لاتبعناه .

وثبت في الصحيحَيْن[٢] من طريق عبد الله بن وَهْب ، أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزُّبير أنَّ عائشة حدَّثَته أنها قالَتْ لرسولِ الله ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليكَ من يومِ أُحُد ؟ قال : « ما لقيتُ من قومك كانَ أشدَّ منه يومُ العقبة[٣] ، إذْ عرضتُ نفسي على ابنِ عَبْدِ يا ليلَ بن عبدِ كُلال ، فلم يُجِبْني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وَجْهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْنِ الثعالب ، فرفعتُ رأسي ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني ، فنظرتُ فإذا فيها جِبْريلُ عليه السلام ، فناداني فقال : إنَّ الله قد سمع قولَ قَوْمِك لك ، وما ردُّوا عليك ، وقد بعث إليك مَلَك الجِبال ، لتأمُرَهُ بما شئتَ فيهم . ثم ناداني مَلَكُ الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال : يا محمد[٤] ، إنَّ الله قد سمع قولَ قومِكَ لك ، وأنا مَلَك الجبال قد بعثني إليك ربُّك لتأمرني بما شئت ، إنْ شئتَ تطبق عليهم الأخْشَبَيْن[٥] ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبُدَ اللهَ لا يُشرك به شيئاً » .

فصــل

وقد ذكر محمد بن إسحاق[٦] سماع الجن لقراءة رسولِ الله ﷺ وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنَخْلَة وصلَّى بأصحابه الصُّبْح ، فاستمع الجنُّ الذين صُرفوا إليه قراءته هنالك .

---

(١) قال ابن حجر في الإصابة في ترجمة خالد بن أبي جبل : بفتح الجيم والموحَّدة ، ووقع في رواية البخاري وابن البرقي : جيل . بكسر الجيم بعدها تحتانية ساكنة ، ورجَّح ابن ماكولا الأول والخطيب الثاني .

(٢) فتح الباري (٣٢٣١) بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين ، وصحيح مسلم (١٧٩٥) (١١١) الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين .

(٣) كذا في ح ، ط ، ولفظ البخاري هكذا : لقد لقيتُ من قومك ما لقيت ، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة » . وكذا رواية مسلم إلا أنه ليس فيه قوله : « ما لقيت » ، وكذلك هي في إحدى روايات البخاري ، كما يظهر من إشارة في النسخة اليونينية .

(٤) زادت ط هنا ما نصه : قد بعثني الله وليست هذه الزيادة في ح ولا في الصحيحين .

(٥) « الأخشبان » : جبلا مكة ، أبو قبيس والذي يقابله وكأنه قُعيقعان ، وقال الصغاني : بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقعان ، ووهم من قال ثور كالكرماني ، وسُمِّيا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما . فتح الباري (٦/ ٣١٦) .

(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٤٢١) والروض (٢/ ١٧٣) .

قال ابنُ إسحاق : وكانوا سبعةَ نَفَر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

قلت : وقد تكلَّمنا على ذلك مستقصىً في التفسير ، وتقدَّم قطعةٌ من ذلك . والله أعلم .

ثم دخل رسولُ الله ﷺ مكة مَرْجِعَهُ من الطائف في جوار المُطْعِم بن عدي ، وازداد قومُه عليه حَنَقاً وغيظاً وجرأة وتكذيباً ، وعناداً ، والله المستعانُ وعليه التُّكْلان .

وقد ذكر الأموي في « مغازيه » أنَّ رسولَ الله ﷺ بعث عبد الله بن أُريقط إلى الأخنس بن شَرِيق يطلبُ منه أن يُجيرَهُ بمكة . فقال : إنَّ حليفَ قريش لا يُجيرُ على صَميمها . ثم بعثه إلى سُهيل بن عمرو ليجيرَهُ فقال : إنَّ بني عامرِ بنِ لُؤي لا تجيرُ على بني كعب بن لؤي . فبعثه إلى المُطِعِم بن عدي ليجيرَه فقال : نعم ، قل له فلْيأَتِ .

فذهب إليه رسولُ الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة ـ أو سبعة ـ متقلدي السيوف جميعاً ، فدخلوا المسجد وقالوا لرسولِ الله ﷺ : طُفْ واحْتَبَوْا بحمائل سيوفهم في المطاف ، فأقبل أبو سفيان إلى مُطْعِم . فقال : أمجيرٌ أو تابع[(١)] ؟ قال : لا بلْ مُجير . قال إذاً لا تُخْفَر . فجلس معه حتى قَضَى رسولُ الله ﷺ طوافه ؛ فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو سفيان إلى مجلسه . قال : فمكث أياما ثم أذن الله له في الهجرة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة تُوفِّي مطعم بن عدي بعدَهُ بيسير ، فقال حسانُ بن ثابت : والله لأرْثِيَنَّه فقال فيما قال[(٢)] : [من الطويل]

فلو كانَ مَجْدٌ يُخلِدُ اليومَ واحداً ... من الناس نجَّى مَجْدُهُ اليومَ مُطْعِما
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عِبادَك ما لبَّى مُحِلٌّ وأحرما
فلو سُئلَتْ عنه مَعَدٌّ بأسرها ... وقَحْطانُ أو باقي بقيَّةِ جُرْهُما
لقالوا هو المُوفي بخُفْرَةِ جارِهِ ... وذِمَّتِهِ يوماً إذاً ما تجشَّما[(٣)]
وما تطلعُ الشمسُ المنيرةُ فوقهم ... على مثلِهِ فيهم أعزَّ وأكرَما[(٤)]
إباءً إذا يأبى وأليَنَ شيمةٍ ... وأنومَ عن جارٍ إذا الليلُ أظلما

قلتُ : ولهذا قال النبيُّ ﷺ يوم أُسَارَى بَدْر : « لو كانَ المَطْعِمُ بنُ عَدِي حيّاً ثمَّ سألني في هؤلاء النَّتْنى لوهبتُهُمْ له »[(٥)] .

---

(١) في ديوان حسان : أمجير أم مانع . والخبر في مقدمة القصيدة .
(٢) القصيدة في ديوان حسان (١/ ١٩٩) والخبر في مقدمة القصيدة . وتخريجها فيه .
(٣) كذا في ط ، وفي ح : تحتما . وفي الديوان : تذمَّما وهو أشبه .
(٤) في ح : المنيرة عندهم . . . أعزَّ وأعظما .
(٥) انظر الحديث في الجزء التالي .

فصـــل
في عَرْض رسول الله ﷺ نفسَهُ الكريمة على أحياء العرب في مواسم الحج أن يؤوه وينصروه ، ويمنعوه ممن خالفه وكذَّبه ، فلم يجبه أحد منهم لما ذخره الله للأنصار من الكرامة العظيمة رضي الله عنهم

قال ابنُ إسحاق(١) : ثم قدم رسولُ الله ﷺ مكة وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه من خِلافه وفراقِ دينه ، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسولُ الله ﷺ يعرضُ نفسه في المواسم ـ إذا كانت ـ على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله عزَّ وجلّ ، ويُخبرهم أنه نبيٌّ مُرْسَل ، ويسألهم أنْ يصدِّقوه ويمنعوه حتى يبيِّنَ عن الله ما بعثَهُ به .

قال ابن إسحاق(٢) : فحدَّثني من أصحابنا من لا أتَّهم ، عن زيد بن أسلم ، عن ربيعة بن عباد الدُّؤَلي ـ ومن حدَّثه أبو الزناد عنه ـ وحدَّثني حُسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس قال : سمعتُ ربيعة بن عبَّاد يحدِّثه أبي ، قال : إني لغلامٌ شابٌّ مع أبي بمنى ، ورسولُ الله ﷺ يقفُ على منازلِ القبائل من العرب فيقول : « يا بني فلان ، إني رسولُ الله إليكم ، أمرَكم أن تعبدوا اللهَ ولا تُشْرِكوا به شيئاً ، وأنْ تَخْلَعُوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنْداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدِّقوا بي ، وتمنعوني حتى أُبَيِّنَ عن الله ما بعثني به » . قال : وخلفَهُ رجلٌ أحول وَضِيء له غَدِيرتان ، عليه حُلَّةٌ عَدَنيَّة ، فإذا فرغ رسولُ الله ﷺ من قوله وما دعا إليه . قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إنَّ هذا إنما يدعوكم إلى أنْ تسلخوا اللاتَ والعُزَّى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجِنّ من بني مالك بن أُقَيْش ، إلى ما جاء به من البِدْعَةِ والضَّلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . قال : فقلت لأبي : يا أبتِ ، من هذا الرجلُ الذي يتبعه ويردُّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمُّه عبد العُزَّى بن عبد المطلب أبو لهب .

وقد روى الإمام أحمد(٣) هذا الحديث عن إبراهيم بن أبي العباس ، حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه ، أخبرني رجلٌ يقال له : ربيعة بن عبَّاد ، من بني الدِّيل ـ وكان جاهلياً فأسلم(٤) ـ قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في الجاهلية ، في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيُّها الناس ، قولوا لا إلٰه إلا الله تُفْلِحوا » والناسُ مجتمعونَ عليه ، ووراءهُ رجلٌ وَضِيءُ الوجه أحول ، ذو غَدِيرتين يقول : إنَّه صابئ كاذب ـ يتبعه حيثُ ذهب ـ فسألتُ عنه(٥) فقالوا : هذا عمُّه أبو لهب .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٢) والروض (٢/ ١٧٣) .
(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٢) والروض (٢/ ١٧٣) .
(٣) في مسنده (٤/ ٣٤١) .
(٤) قوله : فأسلم . ليس في مسند أحمد .
(٥) زاد مسند أحمد هنا قوله : فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ .

ورواه البيهقي[١] من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن المُنْكَدِر ، عن ربيعة الدُّئلي : رأيتُ رسولَ الله ﷺ بسوقِ ذي المَجَاز يَتْبَعُ الناسَ في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءَهُ رجلٌ أحْوَل تَقِدُ وَجْنتاه وهو يقول : أيُّها الناس لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دينكم ودينِ آبائكم . قلت : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا أبو لهب .

وكذا رواه أبو نعيم في « الدلائل »[٢] من طريق ابن أبي ذئب ، وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه .

ثم رواه البيهقي[٣] من طريق شعبة عن الأشعث بن سُليم ، عن رجلٍ من كنانة ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ بسوقِ ذي المَجَاز وهو يقول : « يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تُفْلِحُوا » . وإذا رجلٌ خلفَهُ يَسْفِي عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس ، لا يغرَّنَّكم هذا عن دينِكم ، فإنما يريدُ أن تتركوا عبادةَ اللاتِ والعُزَّى .

كذا قال في هذا السياق أبو جهل . وقد يكون وهماً ، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا ، وتارة يكون ذا وأنهما كانا يتناوبَانِ على إيذائه ﷺ .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني ابنُ شهاب الزُّهري أنه ﷺ أتى كِنْدَةَ في منازلهم ، وفيهم سيِّدٌ لهم يقال له مُلَيح ، فدعاهم إلى اللهِ عزَّ وجل وعَرَض عليهم نفسه فأبَوْا عليه .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني محمد بن عبد الرحمن بن حُصين أنه أتى كلباً في منازلهم إلى بطنٍ منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسَه حتى إنه ليقول : « يا بني عبد الله ، إنَّ الله قد أحسن اسم أبيكم » . فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

وحدَّثني بعضُ أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ أتى بني حَنِيفة في منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرَضَ عليهم نفسَه ، فلم يكنْ أحدٌ من العربِ أقبحَ ردّاً عليه منهم .

وحدَّثني الزُّهري أنه أتى بني عامر بن صَعْصعة ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجلٌ منهم يقال له بَيْحَرة بن فراس : والله لو أني أخذتُ هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العربَ . ثم قال له : أرأيتَ إنْ نحنُ تابعناك[٥] على أمرك ، ثم أظهرك الله على من يخالفك ، أيكونُ لنا الأمر من بعدك ؟ قال : « الأمر لله يضَعُه حيثُ يشاء » . قال فقال له : أفَنُهدِفُ نحورَنا للعرب دونَك[٦] ، فإذا أظهرك الله كان الأمر

(١) في الدلائل (٢/ ١٨٥) .
(٢) ليس فيما طبع منه .
(٣) في الدلائل (٢/ ١٨٦) .
(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٤) والروض (٢/ ١٧٤) .
(٥) في إحدى نسخ سيرة ابن هشام : بايعناك .
(٦) أي أنجعلها هدفاً لسهامهم ؟ والهدف : الغرض . الروض (٢/ ١٨١) .

لغيرنا ؟! لا حاجة لنا بأمرك . فأبَوْا عليه . فلما صدرَ الناسُ رجعتْ بنو عامر إلى شيخٍ لهم ، قد كان أدركه السنّ ، حتى لا يقدِرُ أنْ يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدَّثوه بما يكونُ في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عمَّا كان في مَوْسِمهم فقالوا : جاءنا فتًى من قريش ، ثم أحد بني عبد المطلب يزعمُ أنه نبيّ يدعونا إلى أنْ نمنعه ونقومَ معه ، ونخرج به إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخ يده على رأسِه ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تَلافٍ ؟ هل لذُنَابَاها من مَطْلب[١] ؟ والذي نفسُ فلانٍ بيده ما تقوَّلها إسماعيليٌّ قطّ[٢] ، وإنها لحق ، فأين رأيُكم كان عنكم ؟!

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : فكان رسولُ الله ﷺ في تلك السنين يعرضُ نفسه على قبائل العرب في كلِّ موسم ، ويكلِّم كلَّ شريفِ قوم ، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يُؤْووه ويمنعوه ويقول : « لا أُكْرِهُ أحداً منكم على شيء ، مَنْ رَضِيَ منكم بالذي أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أُكْرِهْه ، إنما أُريدُ أن تُحرزوني مما يُرادُ بي من القتل حتى أُبَلِّغ رسالة رَبِّي ، وحتى يقضيَ الله لي ولمن صحبني بما شاء » . فلم يقبله[٣] أحدٌ منهم ، وما يأتي أحداً من تلك القبائل إلا قال : قومُ الرجلِ أعلم به ، أترَوْنَ أنَّ رجلاً يُصلحنا وقد أفسد قومَهُ ولفظوه ؟! وكان ذلك مما ذَخَرَهُ اللهُ للأنصار وأكرمَهُمْ به[٤] .

وقد روى الحافظ أبو نعيم[٥] من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموي ، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس عن العباس ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منَعة ، فهل أنت مُخْرِجي إلى السُّوق غداً حتى تُعَرِّفني[٦] منازلَ قبائلِ الناس » وكانتْ مجمعَ العرب . قال : فقلت : هذه كِنْدَةُ ولفّها[٧] ، وهي أفضلُ مَنْ يحجُّ البيت من اليمن ، وهذه منازلُ بكر بن وائل ، وهذه منازلُ بني عامر بن صعصعة ، فاختَرْ لنفسك ؟ قال فبدأ بكِنْدَةَ فأتاهم فقال : « ممنِ القوم ؟ » قالوا : من أهل اليمن . قال : « من أيِّ اليمن ؟ » قالوا : من كِنْدَة . قال : « من أيِّ كِنْدَة ؟ » قالوا : من بني عمرو بن معاوية . قال : « فهل لكم إلى خير ؟ » قالوا : وما هو ؟ قال : « تشهدونَ أنْ لا إله إلا الله ، وأن محمَداً رسول الله ، وتقيمون الصلاة ، وتؤمنون بما جاء من عند الله » .

---

(١) « هل لها من تلافٍ » : أي تدارك . وقوله هل لذناباها من مطلب : مثل ضُرب لما فاته منها ، وأصله : من ذنَابَى الطائر : إذا أفلت من الحبالة ، فطلب الأخذ بذناباه . الروض (٢/ ١٨١) .

(٢) أي ما ادعى النبوة كاذباً أحد من بني إسماعيل . الروض (٢/ ١٨١) .

(٣) في ح : يصحبه . وإلى جانبها في الهامش : يقبله . وفوقها : (خ) إشارة إلى رواية نسخة .

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤١٤) عن موسى بن عقبة ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/ ٣٨٩) عن الطبراني ، حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن لهيعة عن الأسود عن عروة بن الزبير فذكره .

(٥) ليس فيما طبع من دلائل النبوة وسيأتي شطر من هذا الخبر مثبت في الدلائل يشار إليه في موضعه .

(٦) في ط : حتى نقرّ في ، والمثبت من ح .

(٧) ليست اللفظة في ح .

قال عبد الله بن الأجلح : وحدثني أبي عن أشياخِ قومه أنَّ كندةَ قالت له : إن ظفِرْتَ تجعلْ لنا المُلْكَ من بعدك ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ المُلْكَ لله يجعلُه حيثُ يشاء » فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتَنا به .

وقال الكلبي فقالوا : أجئتنا لتصدَّنا عن آلهتنا وننابذ العَرَب . الحَقْ بقومك فلا حاجةَ لنا بك . فانصرف من عندِهم ، فأتَى بكر بن وائل فقال : « ممنِ القوم ؟ » قالوا : من بكر بن وائل . فقال : « من أيِّ بكر بن وائل » ؟ قالوا : من بني قيس بن ثعلبة . قال : « كيف العدَدُ ؟ قالوا : أكثر من الثرَى[١] . قال : « فكيف المنعة » ؟ قالوا : لا مَنَعة ، جاوَرْنا فارس ، فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم . قال : « فتجعلون لله عليكم إنْ هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم ، أن تسبِّحوا الله ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين ، وتكبروه أربعاً وثلاثين » قالوا : ومن أنت ؟ قال : « أنا رسولُ الله » . ثم انطلق فلما ولَّى عنهم قال الكلبي : وكان عمُّه أبو لهب يتبعه فيقول للناس : لا تقبلوا قولَه . ثم مرَّ أبو لهب فقالوا : هل تعرفُ هذا الرجل ؟ قال : « نعم ، هذا في الذِّرْوَة منَّا ، فعن أيِّ شأنِهِ تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا : يزعم أنه رسولُ الله ، قال : ألا لا ترفعوا بقوله رأساً[٢] فإنَّه مجنون ، يَهْذي من أُمِّ رأسه . قالوا : قد رأينا ذلك حين ذكر من أمرِ فارس ما ذكر .

قال الكلبي[٣] : فأخبرني عبدُ الرحمن العامري[٤] : عن أشياخٍ من قومه قالوا : أتانا رسولُ الله ﷺ ونحن بسوقِ عُكاظ ، فقال : « ممنِ القوم ؟ » قلنا : من بني عامر بن صَعْصَعة . قال : « من أيِّ بني عامرِ بن صعصعة ؟ قالوا : بنو كعب بن ربيعة . قال : « كيف المَنَعةُ ؟ قلنا : لا يُرامُ ما قِبَلنا ، ولا يُصْطلى بنارنا . قال : فقال لهم : « إنِّي رسولُ الله ﷺ وأتيتُكم لتمنعوني حتى أبلِّغ رسالةَ ربِّي ، ولا أُكْرِهُ أحداً منكم على شيءٍ » . قالوا : ومن أيِّ قريشٍ أنت ؟ قال : « من بني عبد المطلب » قالوا : فأين أنت من عبد مَنافَ ؟ قال : « هم أولُ مَنْ كذَّبني وطردني » . قالوا : ولكنَّا لا نطردُك ولا نؤمنُ بك ، وسنمنعُك حتى تبلِّغ رسالةَ ربِّك . قال : فنزلَ إليهم والقوم يتسوَّقون ، إذْ أتاهم بَيْحَرة[٥] بن فراس القُشيري فقال : مَنْ هذا الرجل أراه عندكم أنكره ؟ قالوا : محمد بن عبد الله القُرَشي . قال : فما لكم وله ؟ قالوا : زعم لنا أنه رسولُ الله فطلب إلينا أن نمنعَهُ حتى يبلِّغ رسالةَ ربِّه . قال : ماذا ردَدْتُم عليه ؟ قالوا بالرَّحْبِ والسَّعَة ، نُخرِجُك إلى بلادنا ونمنعُك ما نمنع به أنفسنا . قال بَيْحَرَة[٥] : ما أعلم أحداً من

---

(١) في ط : كثير مثل الثرى .

(٢) في ط : لا ترفعوا برأسه قولاً ، والمثبت من ح .

(٣) قول الكلبي من هنا إلى نهاية الخبر في دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٣٨٠) يبدو أن مختصر المطبوع حذف الشطر الأول منه كما أشار محققه .

(٤) في ط : المعايري ، والمثبت من ح ودلائل النبوة .

(٥) في الدلائل : بجرة . والمثبت من ح ومما سلف (ص٣٨٢) نقلاً عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ، ومما ذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة سميِّه بيحرة بن عامر .

أهل هذه السوق يرجعُ بشيءٍ أشرَّ من شيءٍ ترجعون به بدءاً ، ثم[١] لتنابذوا الناسَ وترميكم العربُ عن قوسٍ واحدة ، قومُه أعلم به لو آنسوا منه خيراً لكانوا أسعدَ الناس به ، أتعمدون إلى رَهيقِ قومٍ[٢] قد طردَهُ قومُه وكذَّبوه فتؤوونَه وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيتُم . ثم أقبل على رسولِ الله ﷺ فقال : قمْ فالْحَقْ بقومِك ، فوالله لولا أنك عند قومي لضربتُ عنقك . قال : فقام رسولُ الله ﷺ إلى ناقته فركبها ، فغمزَ الخبيثُ بَيْحَرَةُ شاكِلتَها فقَمَصَتْ[٣] برسولِ الله ﷺ فألْقَتْه . وعند بني عامر يومئذ ضُبَاعة ابنة عامر بن قُرْط ، كانتْ من النسوةِ اللاتي أسلَمْنَ مع رسولِ الله ﷺ بمكة ، جاءتْ زائرةً إلى بني عمِّها ، فقالت : يا آل عامر ـ ولا عامرَ لي ـ أيُصنعُ هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحدٌ منكم ؟ فقام ثلاثةُ نفر من بني عمها إلى بَيْحَرَة واثنين أعاناه ، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم رجلاً فجلَدَ به الأرض ، ثم جلس على صدره ، ثم علَوْا وجوهَهم لطماً ، فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهمَّ باركْ على هؤلاء والْعَنْ هؤلاء » قال : فأسلم الثلاثةُ الذين نصروه ، وقُتلوا شهداء وهم ؛ غطيف وغطفان ابنا سهل[٤] ، وعروة ـ أو عذرة[٥] ـ بن عبد الله بن سلمة رضي الله عنهم .

وقد روَى هذا الحديثَ بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في « مغازيه » ، عن أبيه به . وهلك الآخرون لعناً وهم : بَيْحَرة بن فراس ، وحَزْن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عُبَادة ، أحد بني عقيل ، لعنهم الله لعناً كثيراً . وهذا أثرٌ غريب كتبناه لغرابته والله أعلم[٦] .

وقد روى أبو نُعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة عامر بن صَعْصعة وقبيح ردِّهم عليه . وأغْرَبُ من ذلك وأطول ما رواه أبو نُعيم والحاكم والبيهقي[٧] ـ والسياق لأبي نعيم رحمهم الله ـ من حديث أبان بن عبد الله البَجَلي عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، حدَّثني عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرِض نفسه على قبائل العرب خرج ـ وأنا معه وأبو بكر ـ إلى مِنًى حتى دَفَعْنَا إلى مجلسٍ من مجالسِ العرب ، فتقدَّم أبو بكرٍ رضي الله عنه فسلَّم ، وكان أبو بكر مقدَّماً في كلِّ خير ، وكان رجلاً نسَّابة فقال : ممنِ القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : وأيِّ ربيعةَ

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل : ثم بدأتم لتنابُذِ الناس .

(٢) « الرهيق » : السفيه . النهاية لابن الأثير . ووقع في ط : زهيق . تصحيف ، وسقطت لفظة قوم . والمثبت من ح والدلائل .

(٣) « الشاكلة من الفرس » : الجلد الذي في عرض الخاصرة والثَّفِنة وهو مدخل الفخذ في الساق . وقمصت : هو أن ترفع يديها وتطرحهما معاً وتعجن برجليها . اللسان والتاج (شكل ، قمص) .

(٤) كذا في ط ، وفي ح : سهيل ، وفي دلائل أبي نعيم : غطريف وغطفان ابنا سهل . ولم أقف لهما على ترجمة .

(٥) في ح : عزرة ولم أقف له على ترجمة .

(٦) هو من رواية الكلبي الكذاب .

(٧) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٣٧٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٢٢) وتاريخ ابن عساكر في ترجمة دغفل انظر مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٨/ ١٩٩) .

أنتم ؟ أَمِنْ هامها أم من لَهَازِمِها[١] ؟ قالوا : بل من هامتها العظمى . قال أبو بكر : فمن أيِّ هامتها العظمى أنتم ؟ فقالوا : ذُهْل الأكبر . قال لهم أبو بكر : منكم عَوْف الذي كان يقال لهم : لا حُرَّ بوادي عَوْف[٢] ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم بِسْطَام بن قيس بن مسعود أبو اللواء ومنتَهَى الأحياء ؟ قالوا لا . قال فمنكم الحَوْفَزان[٣] بن شريك ، قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم جسَّاس بن مُرَّة بن ذُهْل ، حامي الذِّمَار ومانع الجـار ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم المُزْدَلِف صاحبُ العِمَامة الفَرْدَة[٤] ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أخوالُ الملوك من كِنْدَة ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أصهار الملوك من لَخْم ؟ قالوا : لا . فقال لهم أبو بكرٍ رضي الله عنه : فلستم بذُهْل الأكبر ، بل أنتم ذُهْل الأصغر . قال : فوثب إليه منهم غلامٌ يُدْعَى دَغْفَل بن حنظلة الذُّهْلي ـ حين بَقَلَ وَجْهُه[٥] ـ فأخذ بزِمام ناقةِ أبي بكرٍ وهو يقول : [من الرجز]

إنّ علَى سائِلِنا أن نسألَهْ والعبءُ لا نعرفُهُ أوْ نحمِلَهْ

يا هذا، إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتُمْك شيئاً، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت؟ قال: رجلٌ من قريش. فقال الغلام : بخ بخ ! أهل السُّؤْدُدِ والرياسة ، قادمةُ العرب وهداتُها[٦] ، فمن أنت من قريش ؟ فقال له : رجلٌ من بني تَيْم بن مُرَّة . فقال له الغلام : أمكنتَ واللهِ الرامي من سواءِ الثُّغْرَة[٧] ؟ أفمنكم قُصَيُّ بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلِّبين عليها ، وأجْلَى بقيَّتَهم ، وجمعَ قومَهُ من كل أَوْبٍ حتى أوطنهم مكة ، ثم استولى على الدار ونزَّل قريشاً منازلَها ، فسمَّتْهُ العربُ بذلك مُجَمِّعاً ، وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

أليسَ أبوكم كان يُدعى مُجَمِّعاً بـه جَمَـع اللهُ القبـائـلَ مـن فِهْـرِ

فقال أبو بكر : لا . قال : فمنكم عبدُ مناف الذي انتهتْ إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال

(١) أي من أشرافها أو من أوساطها ؛ واللهازم : أصول الحنكين ، واحدتها لِهْزِمة ، فاستعارها لوسط النسب والقبيلة . اللسان (لهزم) .

(٢) أي لا سيِّد يناوئه ، وهو من أمثالهم ، يعني أنه يقهر من حلَّ بواديه ؛ يضرب للعزيز الذي يذلُّ له الأعزّاء . وعوف هو ابنُ مُحَلِّم بن ذهل بن شيبان . مجمع الأمثال (٢/ ٢٣٦) والمستقصى (٢/ ٢٦٢ و١/ ٤٣٧) واللسان (عوف) .

(٣) سمِّي بذلك لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته ، فعرج من تلك الحفزة . وكل ما قلعته فقد حفزته . اللسان (حفز) والاشتقاق لابن دريد (ص٣٥٨) .

(٤) سمِّي المزدلف لاقترابه إلى الأقران وإقدامه عليهم . اللسان (زلف) وقال ابن دريد في الاشتقاق (ص٣٥٨) : لأنه قال لقومه وهو في حرب : ازدلفوا قيد رمحي . أي اقتربوا .

(٥) « بَقَل وجهه » : أي أول ما نبتت لحيته . اللسان (بقل) . وترجمة دغفل هذا في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/ ١٩٨) والخبر فيه .

(٦) في ح والدلائل : وأزمة العرب ، والمثبت من ط . والقادم والقادمة : الرأس . القاموس (قدم) . وصحفت « هداتها » في ط والمثبت من الدلائل .

(٧) « سواء الثُّغْرَة » : أي وسط الثغرة ، وهي نقرة النحر فوق الصدر . اللسان (ثغر) .

أبو بكر : لا . قال : فمنكم عمرو بن عبد مناف ، هاشم الذي هَشَم الثريدَ لقومه ، وأهل مكة مسنتون ، ففيه يقول الشاعر[١] : [من الكامل]

عَمْرو العُلا هشَمَ الثريدَ لقومِهِ ... ورجالُ مكّةَ مُسْنِتونَ عجافُ
سَنُّوا إليه الرحلتَيْن كِلَيْهما ... عندَ الشتاءِ ورحلةَ الأصْيافِ
كانت قريشٌ بيضةً فتفلَّقَتْ ... فالمُحُّ خالِصُهُ لعبدِ مَنَافِ[٢]
الرائِشينَ وليس يُعْرَفُ رائشٌ ... والقائلينَ هلُمَّ للأضياف[٣]
والضاربين الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ... والمانعينَ البَيْضَ بالأسياف[٤]
للهِ درُّكَ لو نزلتَ بدارِهم ... منعُوكَ من أَزْلٍ ومن إقْراف[٥]

فقال أبو بكر : لا . قال : فمنكم عبد المطلب شَيْبَةُ الحَمْد ، وصاحب عِيرِ[٦] مكة ، ومطعم طيرِ السماء ، والوحوش والسباع في الفلا ، الذي كأنَّ وجهه قمَرٌ يتلألأ في الليلةِ الظلماء ؟ قال : لا . قال : أفمِنْ أهلِ الإفاضة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الحِجَابَة أنت ؟ قال : لا . قال أفمن أهلِ النَّدْوَة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل السِّقَاية أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الرِّفَادَةِ أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن المفيضين [بالناسِ][٧] أنت ؟ قال : لا . ثم جذَبَ أبو بكرٍ رضي الله عنه زِمام ناقتِهِ من يده ، فقال له الغلام : [من الرجز]

صادَفَ دَرْءُ السَّيلِ دَرْءاً يدْفَعُهْ ... يَهيضُهُ حيناً وحيناً يَصْدَعُهْ[٨]

ثم قال : أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبَّرْتُك أنك من زَمَعَاتِ قريش ولست من

---

(١) قيل : هو عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، وقيل غيره . سيرة ابن هشام (١/ ١٣٦) والروض (١/ ١٦١) .
(٢) في ح ، ط : فالمخ بالخاء المعجمة ، والمثبت من دلائل أبي نعيم والروض الأنف (١/ ١٦١) وكلاهما بمعنى ، وهو الخالص من كل شيء ، وبالمهملة : صُفْرة البيض . القاموس (محح ، مخخ) .
(٣) « الرائش » : من قولهم : رِشْتُ فلاناً : قوَّيتُ جناحه بالإحسان إليه فارتاش وتريَّش ، قال النابغة : [من البسيط]

كم قد أحَلَّ بدار الفقر بعد غِنًى ... قوماً وكم راشَ قوماً بعد إقتارِ
يَريش قوماً ويبري آخرين بهم ... لله من رائشٍ عمرٌو ومن بارِ

أساس البلاغة (ريش) .
(٤) « الكبش هنا » : قائد الكتيبة في الحرب ؛ وبَيْضُه : ما عليه من حديد وسلاح . والبَيْض الثانية : ساحة القوم ، وحوزة كل شيء . القاموس والأساس (كبش ، بيض) .
(٥) « الأزْل » : ضيق العيش . يقال : أزِلوا حتى هزلوا : أي حُبسوا وضُيِّق عليهم . والإقراف : أن يأتيهم وهم مرضى فيصيبه ذلك . أساس البلاغة (أزل ـ قرف) .
(٦) في الدلائل : بئر مكة .
(٧) من الدلائل : وفي ح : أفمن الصفين أنت .
(٨) يقال للسيل إذا أتاك من حيث لا تحتسبه : سيلٌ دَرْء ، أي يدفع هذا ذاك ، وذاك هذا . وقوله يهيضه حيناً وحيناً يصدعه : أي يكسره مرة ويشقُّه أخرى . اللسان (درأ ، هيض) والبيتان فيهما . ووقع في ط في القافية : يرفعه . تصحيف .

الذوائب(١) . قال : فأقبل إلينا رسولُ الله ﷺ يتبسَّم . قال عليّ : فقلت له : يا أبا بكر لقد وقَعْتَ من الأعرابيِّ على باقِعَة(٢) . فقال : أجل يا أبا الحسن ، إنه ليس من طامَّةٍ إلا وفوقها طامَّة ، والبلاءُ مُوَكَّلٌ بالقول(٣) .

قال : ثمَّ انتهينا إلى مجلسٍ عليه السَّكينةُ والوقار ، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات ، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم ـ قال علي : وكان أبو بكر مقدَّماً في كلِّ خَيْر ـ فقال لهم أبو بكر : ممِن القَوْم ؟ قالوا : من بني شيبان بن ثعلبة . فالتفت إلى رسولِ الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي ، ليس بعد هؤلاء من عِزٍّ في قومهم ـ وفي رواية : ليس وراء هؤلاء عذر(٤) من قومهم ، وهؤلاء [غرر في قومهم ، وهؤلاء](٥) غرر الناس ـ وكان في القوم مَفْروق بن عمرو ، وهانئ بن قَبيصة ، والمُثَنَّى بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروقُ بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بياناً ولساناً(٦) ، وكانت له غَدِيرتان تسقطان على صدره ؛ فكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العددُ فيكم ؟ فقال له : إنا لنزيدُ على ألف ، ولن يُغلب ألفٌ من قِلَّة . فقال له : فكيف المَنَعَةُ فيكم ؟ فقال : علينا الجهد ، ولكل قوم جدّ . فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوِّكم ؟ فقال مفروق : إنا أشد ما نكونُ غضباً حين نُلْقَى(٧) ، وأشد ما نكونُ لقاءً حين نغضب ، وإنَّا لنؤثرُ الجيادَ على الأولاد ، والسلاحَ على اللِّقاح ، والنصرُ من عند الله ، يديلُنا مرَّة ، ويُديل علينا(٨) . لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : إنْ كان بلغكم أنَّه رسول الله ﷺ فها هو ذا . فقال مفروق : قد بَلَغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال : إلى ما تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدَّم رسولُ الله ﷺ فجلس ، وقام أبو بكرٍ يُظِلُّه بثوبه ، فقال ﷺ : « أدعوكم إلى شهادةِ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ له وأنِّي رسولُ الله ، وأن تؤووني وتمنعوني وتنصروني ، حتى أؤديَ عن الله الذي أمرني به ، فإنَّ قريشاً قد تظاهرتْ على أمْرِ الله ، وكذَّبتْ رسولَه ، واستغنَتْ بالباطل عن الحق ، والله هو الغنيُّ الحميد » . قال له : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًۭٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًۭا ﴾ إلى قوله ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١ ـ ١٥٣] فقال له مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا

(١) أي ليست من أشرافهم : والزَّمَعَة في الأصل : التَّلْعَة الصغيرة ، أو هي ما دون مسايل الماء من جانبي الوادي . النهاية لابن الأثير (زمع) .
(٢) « الباقعة » : الرجل الداهية ، والذكي العارف الذي لا يفوته شيء . اللسان (بقع) .
(٣) وفي رواية : والبلاء موكَّلٌ بالمنطق . فذهب مثلاً ، وأبو بكر أول من قاله ، مجمع الأمثال (١/ ١٧) .
(٤) كذا في ط وفي ح : غرر . وليس ما بين المعترضتين في الدلائل .
(٥) ما بين المعقوبين ليس في ح .
(٦) في مختصر تاريخ ابن عساكر : جمالاً ولساناً .
(٧) في ح : نلتقي . والمثبت من الدلائل ، وسقطت اللفظة وما قبلها وما بعدها من ط .
(٨) « يديلنا » : ينصرنا .

قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهلِ الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسولُ الله ﷺ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] فقال له مفروق : دعوتَ والله يا قرشيّ[١] إلى مكارمِ الأخلاق ومحاسنِ الأعمال ، ولقد أفِكَ قومٌ كذَّبوكَ وظاهروا عليك ـ وكأنَّه أحبَّ أن يشركه في الكلام هانئُ بن قَبيصة فقال ـ : وهذا هانئُ بن قَبيصة شيخُنا وصاحبُ ديننا .

فقال له هانئ : قد سمعتُ مقالتَك يا أخا قريش ، وصدَّقْتُ قولك ، وإني أرى أنَّ تركَنا ديننا واتِّباعَنا إيَّاك على دينِك لمجلسٍ جلستَهُ إلينا ليس له أولٌ ولا آخر ، لم نتفكَّرْ في أمرك ، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه زلَّةٌ في الرأي ، وطَيْشةٌ في العقل ، وقلَّة نظرٍ في العاقبة ، وإنما تكونُ الزَّلَّةُ مع العَجَلة ، وإنَّ من ورائنا قوماً نكرَهُ أن نعقِد عليهم عَقْداً ؛ ولكنْ ترجع ونرجع ، وتنظر وننظر ـ وكأنَّه أحبَّ أن يشركه في الكلام المثنَّى بنُ حارثة فقال ـ : وهذا المثنَّى شيخُنا وصاحبُ حَرْبنا .

فقال المثنى : قد سمعتُ مقالتَك واستحسنتُ قولَك يا أخا قريش ، وأعجبني ما تكلَّمتَ به . والجوابُ هو جوابُ هانئ بن قَبيصة ، وترْكنا دينَنا واتِّباعنا إياك على ديننا لمجلسٍ جلستَهُ إلينا ، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْنِ[٢] أحدُهما اليمامة ، والآخر السماوة[٣] . فقال له رسول الله ﷺ : « وما هذان الصَّرَيَان » ؟ فقال له : أما أحدُهما فطُفُوف[٤] البَرِّ وأرضُ العرب ، وأما الآخر فأرضُ فارس وأنهارُ كسرى وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدَثاً ، ولا نُؤْوِي مُحدِثاً . ولعلَّ هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك ؛ فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنبُ صاحبه مغفور ، وعُذرُه مقبول ، وأما ما كان يلي بلادَ فارس ، فذنبُ صاحبِه غيرُ مغفور ، وعذرُهُ غيرُ مقبول ؛ فإن أردت أن ننصرَكَ ونمنعك مما يلي العرب فعلْنا . فقال رسول الله ﷺ : « ما أسأتُمُ الرَّدّ ، إذْ أفصحتُمْ بالصدق ، إنه لا يقوم بدين الله إلا مَنْ حاطَهُ من جميع جوانبه » . ثم قال رسولُ الله ﷺ : « أرأيتُم إنْ لم تَلْبَثُوا إلا يسيراً حتى يمنحَكم اللهُ بلادَهم وأموالهم ويفرشَكُم بناتِهم ، أتسبِّحون الله وتقدِّسونه ؟ » فقال له النعمان بن شريك : اللهمَّ وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسولُ الله ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦] ثم نهض رسولُ الله ﷺ قابضاً على يد أبي بكر . قال علي : ثم التفتَ إلينا رسولُ الله ﷺ فقال : يا علي أيَّةُ أخلاقٍ للعربِ كانت في الجاهليَّة ؟ ما أشرفها! بها يتحاجَزون فيما بينهم في الحياة الدنيا » .

---

(١) في ط : يا أخا قريش ، والمثبت من ح والدلائل .

(٢) « الصَّرَيان » : تثنية صَرًى وهو الماء المجتمع الذي يحضره الناس . ورواية ح : صِيرَيْن تثنية صِير ، وهو بمعناه وبهما وردت الرواية في النهاية لابن الأثير (صير ، صري) ووقع في رواية ابن منظور في مختصر ابن عساكر : ضرَّتين .

(٣) في النهاية لابن الأثير : اليمامة والسمامة . وفي مختصر ابن منظور : الشأمة .

(٤) « الطُّفوف » : جمع طَفّ ، وهو ساحل البحر وجانب البرّ . النهاية لابن الأثير (طفف) .

قال : ثم دفعنا إلى مجلسِ الأوْسِ والخَزْرَج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبيَّ ﷺ .

قال عليّ : وكانوا صدُقاً صُبُراً ، فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بذلك ، مما رأى من معرفة أبي بكرٍ رضي الله عنه بأنسابهم .

قال : فلم يلبَثْ رسولُ الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال : « ادعوا لإخوانكم من ربيعة ، فقد أحاطت بهم اليوم أبناء فارس » ثم دخل منزله ، فلم يلبَثْ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم : « احْمَدُوا الله كثيراً[١] فقد ظفِرتِ اليومَ أبناءُ ربيعةَ بأهل فارس ، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبي نُصروا » . قال : وكانت الوقعة بقُرَاقر إلى جَنْب ذي قار ، وفيها يقول الأعشى[٢] : [من الطويل]

فِدًى لبني ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ ناقتي ... وراكبُها عند اللِّقاء وقَلَّتِ
هُمُو ضربوا بالحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... مُقَدِّمةَ الهامُرْزِ حتَّى تولَّتِ
فللهِ عينا مَنْ رأى من فوارسٍ ... كذُهلِ بنِ شيبان بها حينَ ولَّتِ[٣]
فَثَاروا وثُرْنا والمودَّة بينَنا ... وكانت علينا غَمْرةً فَتجَلَّتِ[٤]

هذا حديثٌ غريبٌ جداً ، كتبناه لما فيه من دلائلِ النبوّة ومحاسنِ الأخلاق ، ومكارم الشِّيَم ، وفصاحةِ العرب وقد ورد هذا من طريقٍ أخرى ، وفيه أنهم لما تحاربوا وفارس والتقَوْا معهم بقُرَاقِر ـ مكانٍ قريبٍ من الفُرات ـ جعلوا شعارَهم اسم محمد ﷺ فنُصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام .

وقال الواقدي[٥] : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسولُ الله ﷺ في منازلنا بمنى ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التي تَلِي مسجد الخَيْف ، وهو على راحلته مُرْدِفاً خلفه زيدَ بن حارثة ، فدعانا ، فوالله ما استجَبْنا له ولا خُيِّر لنا . قال : وقد كنَّا سمعنا به وبدعائه في المواسم ، فوقف علينا يدعونا ، فلم نستجبْ له ، وكان معنا ميسرةُ بنُ مسروق العَبْسي ، فقال لنا : أحلفُ بالله لو قد صدَّقنا هذا الرجل وحَملْنَاهُ حتى نحلَّ به وسطَ بلادِنا لكان الرأي . فأحلف بالله ليظهرنَّ أمْرُهُ حتى يبلغ كلَّ مبلغ . فقال القوم : دعنا منك لا تعرِّضنا لما لا قِبَلَ لنا به . وطمع رسولُ الله ﷺ في ميسرة ، فكلَّمه فقال

---

(١) في ح : احمدوا الله تعالى فقد ظهرت .
(٢) الأبيات في ديوان الأعشى ميمون بن قيس (٢٥٩) بتحقيق د . محمد حسين هيكل .
(٣) رواية هذا البيت وبيتين من بعده في الديوان هكذا :
فلله عيناً من رأى من عصابة ... أشدَّ على أيدي السُّعاةِ من التي
أتتهم من البطحاء يبرق بَيْضُها ... وقد رفعت راياتها فاستقلَّتِ
فثاروا وثرنا والمنية بيننا ... وهاجت علينا غمرةٌ فتجلَّتِ
(٤) رواية ح للشطر الثاني هكذا : وكانت علينا جمرة فتولت .
(٥) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٣٨٧) بسنده عن الواقدي . أقول : الواقدي : متروك مع سعة علمه . كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب .

ميسرة : ما أحسنَ كلامَكَ وأنورَه ! ولكنَّ قومي يخالفونني وإنما الرجلُ بقومه ، فإذا لم يعضُدوه فالعِدَى أبْعَدُ[١] . فانصرف رسولُ الله ﷺ ، وخرج القوم مبادرينَ[٢] إلى أهليهم .

فقال لهم ميسرة : ميلوا بنا إلى[٣] فَدَك ، فإنَّ بها يهود ، نسائلهم عن هذا الرجل . فمالوا إلى يهود ، فأخرجوا سِفْراً لهم فوضعوه ، ثم درسوا ذِكْرَ رسولِ الله ﷺ النبيِّ الأميِّ العربي ، يركبُ الحمار ويَجْتَزِئ بالكِسْرَة ، وليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجَعْد القَطَط ولا بالسَّبَط ، في عينيه حُمْرَة ،مشرق[٤] اللَّون . فإنْ كان هو الذي دعاكم فأجيبوه وادْخُلوا في دينه ، فإنا نحسُده ولا نَتَّبِعُه ، ولنا منه في مواطن[٥] بلاءٌ عظيم ، ولا يَبْقَى أحدٌ من العرب إلا اتَّبعه وإلا قاتله[٦] ، فكونوا ممن يتَّبِعُه . فقال ميسرة : يا قوم ، إنَّ[٧] هذا الأمر بيِّن ، فقال القوم نرجعُ إلى الموسم ونلقاه .

فرجعوا إلى بلادهم وأبَى ذلك عليهم رجالُهم ، فلم يتَّبعْهُ أحدٌ منهم ، فلما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة مهاجراً وحجَّ حجَّة الوداع لَقِيَهُ ميسرةُ فعرفه . فقال : يا رسولَ الله ، والله ما زلتُ حريصاً على اتِّباعك من يوم أنختَ بنا حتى كان ما كان ، وأبَى الله إلا ما ترى من تأخُّر إسلامي ، وقد مات عامَّةُ النفر الذين كانوا معي فأين مدخَلُهم يا رسول الله ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « كُلُّ مَنْ مات على غير دين الإسلام فهو في النار » فقال : الحمد لله الذي أنقذني . فأسلم وحسُن إسلامه ، وكان له عند أبي بكرٍ مكان .

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدي قصصَ القبائل واحدةً واحدة ، فذكر عَرْضَهُ عليه السلام نفسَه على بني عامر وغسان ، وبني فَزَارة ، وبني مُرَّة ، وبني حنيفة ، وبني سُليم ، وبني عبس ، وبني نضر بن هوازن ، وبني ثعلبة بن عُكَابة ، وكِنْدة وكَلْب وبني الحارث بن كعب ، وبني عُذْرَة وقيس بن الخَطيم وغيرهم . وساق أخبارَها مطوَّلةً ، وقد ذكرنا من ذلك طَرَفاً صالحاً ولله الحمدُ والمنة .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا أسودُ بن عامر ، أنا إسرائيل ، عن عثمان ـ يعني ابن المغيرة ـ عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان النبيُّ ﷺ يعرضُ نفسَه على الناس بالموقف فيقول : « هل مِنْ رجلٍ يحمِلُني إلى قومه ؟ فإنَّ قريشاً قد منعوني أنْ أبلِّغ كلامَ ربي عزَّ وجل » فأتاه رجلٌ من هَمْدان فقال : « ممن أنت ؟ » قال الرجل : من هَمْدان . قال : « فهل عند قومِك من مَنَعة ؟ » قال :

---

(١) « العِدَى » : بالكسر ، الغرباء والأجانب والأعداء ، وأما بالضم فهم الأعداء خاصة . النهاية لابن الأثير (عدي) .
(٢) في ط والدلائل : صادرين ، والمثبت من ح .
(٣) في ط : ميلوا نأتي . والمثبت من ح والدلائل .
(٤) في الدلائل : مشرب .
(٥) في ط : وإنا [منه] في مواطن . وفي ح : وليأتيه بلاء . والمثبت من الدلائل .
(٦) في الدلائل : إلا اتبعه أو قاتله وهو أشبه بالصواب .
(٧) في ط : ألا [إن] هذا الأمر ، وفي ح : إلى هذا الأمر ، والمثبت من الدلائل .
(٨) في المسند (٣/ ٣٩٠) رقم (١٥١٣٠) .

نعم . ثم إنَّ الرجل خَشِيَ أن يُخْفِرَهُ[١] قومُه ، فأتَى رسولَ الله ﷺ فقال : آتيهم فأُخبرُهم ثم آتيكَ من عام قابِل . قال : « نعم » فانطلق وجاء وَفْدُ الأنصار في رجب .

وقد رواهُ أهل السُّنَنِ الأربعة من طرق عن إسرائيل به ، وقال الترمذي : حسنٌ صحيح[٢] .

فصل

قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله ﷺ بيعةً بعد بيعة ثم بعد ذلك تحوَّل إليهم رسولُ الله ﷺ إلى المدينة فنزل بين أظهرهم كما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة

حديث سويد بن صامت الأنصاري

وهو سويد بن الصامت بن عطيَّة بن حَوْط بن حُبَيِّب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وأمُّه ليلى بنت عمرو النجَّاريَّة ، أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم ، فسويد هذا ابنُ خالة عبدِ المطلب جدِّ رسولِ الله ﷺ .

قال محمد بن إسحاق بن يسار[٣] : وكان رسولُ الله ﷺ على ذلك من أمره ، كلَّما اجتمع له الناسُ بالمَوْسم أتاهم يدعو القبائلَ إلى الله وإلى الإسلام ويعرضُ عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ، ولا يسمع بقادمٍ يقدم مكةَ من العرب ، له اسمٌ وشرف إلا تصدَّى له فدعاه إلى الله تعالى ، وعرَض عليه ما عنده .

قال ابنُ إسحاق[٤] : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سُويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عَوْف مكة حاجّاً ـ أو معتمراً ـ وكان سُويد إنما يُسمِّيه قومُه فيهم الكامل ، لجَلَدِه وشعرِه وشرَفه ونسبه ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقاً ولو تَرَى مقالَتَهُ بالغَيْب ساءَكَ ما يَفْرِي[٥]

---

(١) في المسند : يحقره ، وأخفرتُه : نقضتُ عهدَه ؛ ويحقره : يستهين به . التاج (خفر ، حقر) .

(٢) في سنن أبي داود (٤٧٣٤) السنة باب في القرآن ، وسنن الترمذي (٢٩٢٥) فضائل القرآن باب (٢٤) حدثنا محمد بن إسماعيل ، وسنن ابن ماجه (٢٠١) المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ، وسنن النسائي الكبرى ، في النعوت (٧٧٢٧) . وأخرجه الدارمي (٣٣٥٧) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (١٣) و(٢٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٢/ ٦١٣) كتاب التاريخ .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٥) والروض (٢/ ١٧٤) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٥) والروض (٢/ ١٧٥) .

(٥) في ح : من يفري .

مقالتُه كالشَّهْدِ[١] ما كان شاهداً وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغْرةِ النَّحْرِ[٢]
يسـرُّك بـاديـهِ وتحـتَ أديمـهِ نَميمةُ غِشٍّ تَبْتَري عَقَبَ الظَّهرِ[٣]
تُبيـن لـك العينـانِ مـا هـو كـاتـمٌ مـن الغِـلِّ والبغضـاءِ بـالنظـر الشَّـزْرِ
فَـرِشْني بخيرٍ طـالمـا قـد بَـرَيْتَنـي وخيرُ الموالي من يَريشُ ولا يَبري[٤]

قال[٥] : فتصدَّى له رسولُ الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله والإسلام ، فقال له سويد : فلعلَّ الذي معك مثلُ الذي معي . فقال له رسولُ الله ﷺ : « وما الذي معك ؟ » قال : مجلَّة لُقْمان[٦] ـ يعني حكمة لقمان ـ فقال رسولُ الله ﷺ : « اعرِضْها عليَّ » فعرضها عليه فقال : « إنَّ هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضلُ من هذا ؛ قرآنٌ أنزله الله عليّ ، هو هُدًى ونُور » فتلا عليه رسولُ الله ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام . فلم يَبْعُدْ منه وقال : إنَّ هذا القول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدِم المدينة على قومه ، فلم يلبَثْ أن قَتَلَتْهُ الخزرج ؛ فإن كان رجالٌ من قومه ليقولون : إنَّا لنراه قُتل وهو مسلم . وكان قتلُه قبل بُعَاث .

وقد رواه البيهقي[٧] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق بأخصرَ من هذا .

إسلام إياس بن معاذ

قال ابن إسحاق[٨] : وحدَّثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ عن محمود بن لَبيد ، قال : لما قدم أبو الحَيْسَر أنسُ بن رافع مكة ومعه فتيةٌ من بني عبد الأشْهَل ، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحِلْفَ من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسولُ الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم فقال : « هل لكم في خيرٍ مما جئتم له ؟ » فقالوا : وما ذاك ؟ قال : « أنا رسولُ الله إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليَّ الكتاب » . ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياسُ بن معاذ ـ وكان غلاماً حدَثاً ـ : يا قوم ، هذا والله خيرٌ مما جئتم له . فأخذ أبو الحَيْسَر أنسُ بن

---

(١) في ح : كالشحم .
(٢) « المأثور » : يعني به السيف ، ومأثور : من الأثر ، وهو فِرَنْد السيف . الروض (٢/ ١٨٥) .
(٣) في ط : تميمة غش . والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .
(٤) في ح : وشر الموالي ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض .
(٥) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٧) والروض (٢/ ١٧٥) .
(٦) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٨٣) : ولقمان كان نوبياً من أهل أيلة ، وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا ، وابنه الذي ذكر في القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره ، وقد قيل في اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان بن عاد الحميري . اهـ .
(٧) في دلائل النبوة (٢/ ٤١٩) .
(٨) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٧) والروض (٢/ ١٧٥) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٢٠) .

رافع حفنةً من تراب البَطْحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغيرِ هذا . قال : فصمَتَ إياس ، وقام رسولُ الله ﷺ عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعةُ بُعَاث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبَثْ إياسُ بن معاذ أنْ هلك . قال محمود بن لَبيد : فأخبرني مَنْ حضرَهُ[١] من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلّلُ الله ويكبّرُه ويحمَدُه ، ويسبّحُه حتى مات . فما كانوا يشكُّون أنه قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسولِ الله ﷺ ما سمع .

قلتُ : كان يومُ بُعَاث ـ وبُعَاث موضعٌ بالمدينة ـ كانت فيه وقعةٌ عظيمة قُتل فيها خلقٌ كثير من أشرافِ الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبقَ من شيوخهم إلا القليل .

وقد روى البخاري في صحيحه[٢] عن عُبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة[٣] ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان يوم بُعَاث يوماً قدَّمَهُ الله لرسوله ، فقدِمَ[٤] رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وقد افترق مَلَؤهم ، وقُتلَتْ سَرَواتُهم[٥] .

وقال[٦] أبو زرعة الرازي في كتابه « دلائل النبوة » باب إسلام رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء : حدَّثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد[٧] بن هانئ الشَّجري[٨] ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق[٩] ، حدَّثني عبيد[١٠] بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدِما مكة ، فلما هبطا من الثنيَّة رأيا رجلاً تحت شجرة ـ قال : وهذا قبل خروج الستة من

---

(١) في ط : حضرني ، وفي ح : حضر ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٢) فتح الباري (٣٧٧٧) مناقب الأنصار باب مناقب الأنصار .

(٣) في ط : عن أبي أمامة . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح البخاري في الفتح .

(٤) في ح ، ط : قدم والمثبت من صحيح البخاري .

(٥) « الملأ » : عِلْيَةُ القوم وأشرافهم . وفي ط : قتل سراتهم . وفي ح : قتلت سراتهم ، والمثبت من صحيح البخاري . قال ابن حجر في الفتح (٧/ ١١١) : سرواتهم : أي خيارهم ، والسروات جمع سراة بفتح المهملة وتخفيف الراء ، والسراة جمع سَرِيّ وهو الشريف .

(٦) من هنا يبدأ سقط من نسخة ط وزيادة في ح تنتهي بنهاية هذا الفصل وهذا الخبر أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٩).

(٧) في ح : « إبراهيم بن محمد بن يحيى » مقلوب ، والصواب ما أثبتناه من المستدرك (٤/ ١٤٩) وتهذيب الكمال (٢/ ٢٣٠) ، والجرح والتعديل (٢/ ١٤٧) وغيرها . (بشار) .

(٨) في ح : « السِّجْزي » ، مصحف ، والصواب ما أثبتنا ، نسب كذلك لأنه كان ينزل الشجرة بذي الحليفة ، كما في أنساب السمعاني (٨/ ٦٣) ، وتهذيب الكمال (٢/ ٢٣١) ، وهي على ستة أميال من المدينة وتعرف اليوم بآبار علي . (بشار) .

(٩) قوله : « عن ابن إسحاق » ليس في المستدرك ، وما هنا أصح ، فرواية يحيى بن محمد بن عباد الشجري عن ابن إسحاق عند الترمذي ، ونص عليها المزي في التهذيب (٣١/ ٥٢١) ، ولا تصح روايته عن عبيد بن يحيى . (بشار) .

(١٠) في المستدرك : « عبد » محرف ، وما أثبتناه من تهذيب الكمال (٢٨/ ١٢١) . (بشار) .

الأنصار ـ قال : فلما رأيناه كلمناه[(١)] قلنا : نأتي هذا الرجل نستودعه راحلتينا حتى نطوف بالبيت ، فجئنا فسلَّمنا عليه تسليم أهل الجاهلية ، فردَّ علينا تسليم أهل الإسلام ، وقد سمعتُ بالنبي [ﷺ][(٢)] قال : فأنكرنا ، فقلنا : من أنت ؟ قال : « انزلوا » . فنزلنا فقلنا : أين هذا الرجل الذي يدَّعي ما يدَّعي ويقول ما يقول ؟ قال : « أنا هو » . قلنا : فاعْرِضْ علينا الإسلام . فعرض وقال : « من خلق السماوات والأرض والجبال ؟ » قلنا : خلقهنَّ الله . قال : « من خلقكم » ؟ قلنا : الله . قال : « فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدون ؟ » قلنا : نحن . قال : « الخالق أحقُّ بالعبادة أو المخلوق ؟ » قلنا : الخالق . قال : « فأنتم أحق أن تعبدوا ربكم ، وأنتم عملتموهن ، والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه ، وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله ، وصلةِ الرَّحِم ، وترك الولدان[(٣)] العدوان وإن غضب الناس » فقالا : لو كان هذا الذي تدعو إليه باطلاً لكان من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق ، فأمسك راحلتينا حتى نأتي البيت ، فجلس عنده معاذ بن عفراء . قال رافع : وجئت البيت فطفت وأخرجت سبعة قداح ، وجعلت له بينها قدحاً فاستقبلت وقلت : اللهمَّ إن كان ما يدعو إليه محمد حقاً فأخرج قدَحَه سبع مرات ، فضربتُ بها سبع مرات ، فصحت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، فاجتمع الناسُ علي وقالوا : مجنون رجلٌ صبأ . فقلت : رجلٌ صبأ ! بل رجل مؤمن . ثم جئت إلى النبي ﷺ بأعلى مكة ، فلما رآني معاذ بن عفراء قال : لقد جئتَ بوجهٍ ما ذهبت به . [قال][(٤)] رافع : فجئت وآمنت ، وعلَّمنا رسول الله ﷺ سورة يوسف [و][(٤)] اقرأ باسم ربك الذي خلق ، ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فلما كنا بالعَقيق قال معاذ : إني لم أطْرُقْ ليلاً قط ، فبتْ بنا حتى نصبح . فقلت : أبيتُ ومعي ما معي من الخير !؟ ما كنتُ لأفعل . وكان رافع إذا خرج سفراً ثم قدم عرض قومه .

إسنادٌ حسن[(٥)] وسياقٌ حسَن[(٦)] .

---

(١) في ح : « وترك الولدان العدوان » ، وفي المستدرك : فلما رأيناه كلمناه قلنا . كما أثبتناه .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) كذا في ح ، ولكن كلمة الولدان مقحمة من الناسخ وليست في المستدرك .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) قال بشار : هكذا قال ، ومن أين يأتيه الحسن ويحيى بن محمد بن عباد بن هانئ الشجري ضعيف ، كما قال أبو حاتم وغيره . وقال الذهبي متعقباً تصحيح الحاكم لهذا الحديث في المستدرك : « يحيى الشجري صاحب مناكير » ، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : ضعيف .

(٦) إلى هنا ينتهي السقط المشار إليه في الحاشية (٦) من الصفحة السابقة .

باب
بُدُوّ إسلام الأنصار رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق : فلما أراد اللهُ إظهار دينه وإعزازَ نبيِّه ، وإنجاز موعده له ، خرج رسولُ الله ﷺ في الموسم الذي لقيَهُ فيه النَّفَر من الأنصار فعرض نفسَه على قبائل العرب كما كان يصنعُ في كلِّ مَوْسم ، فبينا هو عند العقبة لَقِيَ رَهْطاً من الخزرج أراد الله لهم خيراً .

فحدَّثني عاصمُ بن عمر بن قتادة ، عن أشياخٍ من قومه قالوا : لما لقيهم رسولُ الله ﷺ قال لهم : « من أنتم ؟ » قالوا : نفرٌ من الخزرج . قال : « أمِن موالي يَهُود ؟ » قالوا : نعم . قال : « أفلا تجلسونَ أكلِّمكم ؟ » قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهمُ القرآن . قال : وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أنَّ يهودَ كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهلَ كتابٍ وعِلْم ، وكانوا هم أهلَ شِرْكٍ وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزَوْهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ قالوا : إنَّ نبيًّا مبعوثٌ الآن قد أظلَّ زمانُه نتَّبعه ، نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرَم . فلمَّا كلَّم رسولُ الله ﷺ أولئك النَّفر ودعاهم إلى الله ، قال بعضُهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله إنه النبيُّ الذي توعَّدكم به يهود ، فلا يسبِقُنَّكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدَّقوه وقبلوا منه ما عرَض عليهم من الإسلام وقالوا له : إنا قد ترَكْنا قومَنا ، ولا قومَ بينهم من العداوة والشرِّ ما بينهم ، وعسى أن يجمعَهُم اللهُ بك ، فسنقدَم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإنْ يجمَعْهم الله عليك فلا رجلَ أعزُّ منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدَّقوا .

قال ابن إسحاق[(١)] : وهم ـ فيما ذُكر لي ـ ستة نفر ، كلُّهم من الخزرج ، وهم أبو أمامة أسعدُ بن زُرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار[(٢)] ، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجّار ـ وهو ابن عَفْراء ـ النجّاريان ، ورافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق الزُّرَقي ، وقُطْبَة بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سواد[(٣)] بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن علي بن أَسَد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزْرَج السَّلَمي ثم من بني سواد ،

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٩) والروض (٢/ ١٧٦) .

(٢) زادت نسخة ط هنا ما نصه : قال أبو نعيم : وقد قيل : إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج . ومن الأوس أبو الهيثم بن التيهان . وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء والله أعلم ، وهذه الزيادة ليست في ح ويبدو لي أنها حاشية كانت في إحدى النسخ فأدخلها النساخ في المتن ، إذ ليس من عادة المؤلف أن يقحم رواية ما في رواية أخرى وخاصة إذا كانت من سيرة ابن هشام .

(٣) قال ابن هشام بعد أن ساق قول ابن إسحاق في السيرة (١/ ٤٣٠) : عمرو بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له غَنْم . اهـ قلت : وكتب الأنساب تؤيد ما ذهب إليه ابن هشام ؛ انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٣٥٨ ، ٣٥٩) وترجمة قطبة بن عامر في الإصابة .

وعقبة بن عامر بن نابي بن زَيْد بن حَرَام بن كَعب بن سَلِمة السَّلَمي أيضاً ، ثم من بني حَرَام . وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سِنان بن عُبيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة السَّلَمي أيضاً ، ثم من بني عُبيد رضي الله عنهم .

وهكذا روي عن الشعبي والزُّهري وغيرهما[١] ، أنهم كانوا ليلتئذٍ ستةَ نفرٍ من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة[٢] فيما رواهُ عن الزُّهْري وعروة بن الزُّبير ، أنَّ أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم ؛ معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زُرارة ، ورافع بن مالك ، وذكوان ـ وهو ابن عبد قيس ـ وعُبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وعُويم بن ساعدة . فأسلموا وواعدُوه إلى قابل . فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ معاذَ بن عَفْرَاء ، ورافع بن مالك ، أن ابعَثْ إلينا رجلاً يفقِّهُنا . فبعث إليهم مصعب بن عمير ، فنزل على أسعد بن زُرَارة وذكر تمامَ القصة كما سيوردُها ابنُ إسحاق أتمَّ من سياقِ موسى بن عقبة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما قدِموا المدينةَ إلى قومهم ذكروا لهم رسولَ الله ﷺ ودعَوْهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبقَ دارٌ من دُور الأنصار إلا وفيها ذكْرُ رسولِ الله ﷺ حتى إذا كان العامُ المقبل وافَى المَوْسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم : أبو أمامة أسعدُ بن زُرارة المتقدِّم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدِّم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عَفْراء ، ورافع بن مالك المتقدِّم أيضاً . وذَكْوَان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق الزُّرَقي .

قال ابنُ هشام[٤] : وهو أنصاريٌّ مهاجريّ .

وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزْمَة بن أصْرم البَلَوِيّ ، والعباس بن عُبَادة بن نَضْلَة بن مالك بن العَجْلان بن يزيد بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العَجْلاني ، وعقبة بن عامر بن نابي المتقدِّم ، وقُطْبَة بن عامر بن حَديدة المتقدم ؛ فهؤلاء عشرةٌ من الخزرج ، ومن الأوس اثنان وهما : عُويم بن ساعدة . وأبو الهيثم مالك بن التيِّهان .

قال ابنُ هشام[٥] : التَّيِّهان يخفَّفُ ويُثقَّل كمَيْتٍ ومَيِّت .

---

(١) في ح : وعندهما .

(٢) دلائل البيهقي (٢/ ٤٣٠ ، ٤٣١) .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٠) والروض (٢/ ١٧٧) .

(٤) في السيرة (١/ ٤٣١) .

(٥) في السيرة (١/ ٤٣٣) .

قال السُّهيلي[(١)] : أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، اسْمُه مالك بن مالك بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زَعُوراء بن جُشَم[(٢)] بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . قال : وقيل إنه أَرَاشيّ وقيل بَلَوي . وهذا لم ينسُبْهُ ابنُ إسحاق ولا ابنُ هشام .

قال : والهيثم فَرْخُ العقاب ، وضرْبٌ من النبات[(٣)] .

والمقصود أنَّ هؤلاء الاثني عشر رجلاً شهدوا المَوْسِم عامئذ ، وعزموا على الاجتماع برسولِ الله ﷺ فلَقُوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعةَ النساء وهي العقبةُ الأولى .

وروى أبو نُعيم[(٤)] أنَّ رسول الله ﷺ قرأ عليهم من قوله في سورة إبراهيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] إلى آخرها .

وقال ابن إسحاق[(٥)] : حدَّثني يزيد بن أبي حَبيب ، عن مَرْثد بن عبد الله اليَزَني ، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنَابحي ، عن عُبادَة بنِ الصامت قال : كنتُ فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسولَ الله ﷺ على بَيْعة النساء ، وذلك قبل أن يُفترض الحرب ، على أن لا نُشرك بالله شيئاً ، ولا نَسْرق ولا نَزْني ، ولا نقتل أولادَنا ، ولا نأتي ببُهْتانٍ نَفْتريه بين أيدينا وأرجُلنا ولا نعصيه في معروف . فإنْ وفَّيتُمْ فلكم الجنَّة ، وإنْ غَشِيتم من ذلك شيئاً فأمْرُكم إلى الله ، إنْ شاء عذَّب وإنْ شاء غفَر .

وقد روى البخاري ومسلم[(٦)] هذا الحديث من طريق اللَّيث بن سعد عن يزيد بن أبي حَبيب به نحوه .

قال ابنُ إسحاق[(٧)] : وذكر ابنُ شهاب الزُّهري عن عائذ الله بن عبد الله أبي إدريس الخَوْلاني أنَّ عُبادَةَ بن الصامت حدَّثه قال : بايعنا رسولَ الله ﷺ ليلة العقبةِ الأولى أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرِق ولا نزني ولا نقتلَ أولادنا ، ولا نأتي ببُهْتانٍ نفتريهِ بين أيدينا وأرجُلنا ، ولا نعصيهِ في معروف ، فإنْ وفَيْتم فلكم الجنَّة ، وإنْ غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحدِّه في الدُّنيا ، فهو كفَّارةٌ له ، وإن سُترتم عليه إلى يوم القيامة فأمْرُكم إلى الله ، إنْ شاء عذَّب ، وإن شاء غَفَر .

---

(١) في الروض (٢/ ١٩٤ ، ١٩٥) .

(٢) في ح : عمر بن رعور بن جبير ، وفوق جبير خيثم ، وفي ط والروض : عامر بن زعون بن جشم . وكلاهما فيه تصحيف ، والمثبت من الاشتقاق لابن دريد (ص٤٤٣) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص٣٤٠) .

(٣) في الروض : ضرب من العشب فيما ذكر أبو حنيفة .

(٤) في الدلائل (١/ ٤٠٠) .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٣) والروض (٢/ ١٨٥) .

(٦) فتح الباري (٣٨٩٣) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ ، وصحيح مسلم (١٧٠٩) (٤٤) الحدود باب الحدود كفارات لأهلها .

(٧) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٤) والروض (٢/ ١٨٥) .

وهذا الحديث مخرَّجٌ في الصحيحَيْن[١] وغيرهما من طُرق عن الزُّهري به نحوه ، وقوله : على بيعة النساء ـ يعني على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحُدَيبية ـ وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا بعجيب ، فإنَّ القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما مَوْطنٍ كما بيَّناه في سيرته وفي التفسير ، وإنْ كانت هذه البيعة وقعَتْ عن وَحْيٍ غيرِ مَتْلُوّ ، فهو أظهر والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما انصرف عنه القوم بعث رسولُ الله ﷺ معهم مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدَّار بن قُصَي ، وأمرَهُ أنْ يُقرئهم القرآن ، ويعلِّمهم الإسلام ويفقِّههم في الدين .

وقد روى البيهقي[٣] عن ابن إسحاق قال : فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ رسولَ الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم .

وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدّم ، إلا أنه جعل المرةَ الثانية هي الأولى .

قال البيهقي[٤] : وسياق ابن إسحاق أتمّ .

وقال ابن إسحاق[٥] : فكان عبد الله بن أبي بكر يقول : لا أدري ما العقبةُ الأولى . ثم يقول ابنُ إسحاق : بلى لعمري قد كانت عَقَبة وعَقَبة . قالوا كلُّهم : فنزل مصعبٌ على أسعد بن زُرارة فكان يسمَّى بالمدينة المقرئ .

قال ابن إسحاق[٦] : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوْس والخَزْرَج كرِه بعضُهم أن يؤمَّه بعضٌ رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدَّثني محمد بن أبي أُمامة بن سَهْل بن حُنيف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك قال : كنت قائدَ أبي حين ذهبَ بصرُهُ ، فكنتُ إذا خرجتُ به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلَّى على أبي أمامة أسعد بن زُرَارة قال : فمكث حيناً على ذلك لا يسمع الأذانَ للجمعة إلا صلَّى عليه واستغفرَ له . قال : فقلتُ في نفسي والله إنَّ هذا لي لَعَجْزٌ : ألا أسأله ، فقلت : يا أبت ما لك إذا سمعتَ الأذانَ للجمعة صلَّيتَ على أبي أمامة ؟ فقال : أيْ بُنَيّ ، كان أولَ مَنْ جمَّع بنا بالمدينة في هَزْم

---

(١) فتح الباري (٣٨٩٢) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ ، وصحيح مسلم (١٧٠٩) (٤١) الحدود باب الحدود كفارات لأهلها .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٤) والروض (٢/ ١٨٥) .

(٣) في الدلائل (٢/ ٤٣٧) .

(٤) في الدلائل (٢/ ٤٣٣) .

(٥) قول ابن إسحاق هذا في الدلائل للبيهقي (٢/ ٤٣٨) .

(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٤) والروض (٢/ ١٨٥) .

(٧) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٥) والروض (٢/ ١٨٥) .

النَّبِيت[(١)] من حَرَّة بني بَيَاضة في نقيعٍ يقال له نَقيع الخَضِمات[(٢)] . قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلاً .

وقد روى هذا الحديث أبو داود وابنُ ماجَه[(٣)] من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله . وقد روى الدارقطني[(٤)] عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجُمعة . وفي إسناده غرابة ، والله أعلم .

وقال ابن إسحاق[(٥)] : وحدَّثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِيب[(٦)] ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم أنَّ أسعد بن زُرارة خرج بمصعب بن عُمير يُريد به دارَ بني عبد الأشهل ، ودارَ بني ظَفَر ، وكان سعدُ بن معاذ ابنَ خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظَفَر على بئرٍ يقالُ له بئر مَرَق ، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجالٌ ممن أسلم ، وسعدُ بن معاذ وأُسيد بن الحُضَير يومئذٍ سيِّدا قومِهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِكٌ على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأُسيد: لا أبا لك ، انطلقْ إلى هذين الرجلَيْن اللذين قد أتيا دارَينا ليسفِّها ضعفاءنا ، فازْجُرْهُما ، وانههما أن يأتيا دارَينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتُك ذلك ، هو ابنُ خالتي ولا أجد عليك مقدَّماً .

قال : فأخذ أُسيد بن حُضَير حَرْبَتَه ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعدُ بن زُرارة قال لمصعب : هذا سيِّدُ قومه وقد جاءك ، فاصْدُقِ الله فيه ، قال مصعب : إنْ يجلسْ أكلِّمْهُ . قال : فوقف عليهما متشتِّماً فقال : ما جاء بكما إلينا تسفِّهانِ ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ـ وقال موسى بن عقبة : فقال له غلام : أتيتنا في دارنا بهذا الوحيد الغريب الطريد ليُسَفِّه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه ـ قال ابنُ

---

(١) في ح : هزم الحرم . والمثبت من ط والسيرة والروض وقال السهيلي فيه (٢/ ١٩٦) : هزم النبيت جبل على بريد من المدينة .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٩٦) : بقيع : بالباء وجدته في نسخة الشيخ أبي بحر وكذلك وجدته في رواية يونس عن ابن إسحاق وذكره البكري في كتاب معجم ما استعجم من أسماء البقع أنه نقيع بالنون ذكره في باب النون والقاف . . . وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٤/ ١٧٧) : وأما نقيع الخضمات بقرب المدينة فبالنون ، كذا قيده الحازمي وغيره ، ونقل الحازمي أن الخطابي قال : من قاله بالباء فقد أخطأ ، وهو قرية بقرب المدينة على ميل من منازل بني سلمة . وقال ياقوت في معجم البلدان (٢/ ٣٧٧) : فكأنه جمع خَضِمة ، وهي الماشية التي تخضم فكأنه سمي بذلك للخِصْب فيه .

(٣) سنن أبي داود (١٠٦٩) الصلاة باب الجمعة في القرى ، وسنن ابن ماجه (١٠٨٢) إقامة الصلاة باب في فرض الجمعة . وأخرجه أيضاً عن ابن إسحاق الدارقطني في السنن (٢/ ٥) الجمعة باب ذكر العدد في الجمعة . أقول : وهو حديث حسن .

(٤) لم أجده في كتاب السنن للدارقطني .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٥) والروض (٢/ ١٨٦) .

(٦) وقع في سيرة ابن هشام والروض : معيقب . والمثبت من ط وتهذيب الكمال للمزي وتهذيب التهذيب والتقريب لابن حجر والجرح والتعديل .

إسحاق : فقال له مصعب : أو تجلسُ فتسمع ، فإنْ رضيتَ أمْراً قَبِلْتَه ، وإنْ كرهتَهُ كُفَّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت . قال : ثم ركز حَرْبَته وجلس إليهما ، فكَلَّمه مُصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يُذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم في إشراقه وتسهُّله . ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتُم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهَّر ، وتطهِّر ثوبَيْك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ، فقام فاغتسل ، وطهَّر ثوبيه وتشهَّد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتَيْن ، ثم قال لهما : إنَّ ورائي رجلاً إن اتبعَكما لم يتخلَّفْ عنه أحدٌ من قومه ، وسأُرسله إليكما الآن ، سعدَ بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعدٍ وقومه وهم جلوسٌ في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن مُعاذ مُقْبلاً ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلَّمتُ الرجلَيْن ، فوالله ما رأيتُ بهما بأساً . وقد نهيتُهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدِّثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِرُوك[(١)] ، قال : فقام سعدُ بن معاذ مُغْضَباً مبادراً تخوُّفاً للذي ذكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغْنَيْتَ شيئاً ، ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنَّينِ عرف أن أُسيداً إنما أراد أن يسمعَ منهما ، فوقف عليهما متشتِّماً ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا مني ، أتغشانا في دارَينا بما نكره ؟ ـ قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيدٌ من ورائه قومُه ، إنْ يتَّبعْك لا يتخلَّفْ عنك منهم اثنان ـ قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإنْ رضِيتَ أمراً ورغبتَ فيه قَبِلْتَه ، وإنْ كرهتَه عَزَلنا عنكَ ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن ـ [وذكر موسى بنُ عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف][(٢)] ـ قال : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهُّله . ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهَّرُ وتطهِّرُ ثوبَيْك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال : فقام فاغتسل ، وطهَّر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أُسيد بن الحُضير .

فلما رآه قومُه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيِّدُنا وأفْضَلُنا رأياً وأيمننا نَقِيبةً . قال : فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

قال : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة ، ورجع أسعد[(٣)]

---

(١) في ح ، ط : ليحقروك ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، والإخفار نقض العهد والغدر . اللسان (خفر) .

(٢) ليس ما بين المعقوفين في سيرة ابن هشام .

(٣) في ط : سعد . تصحيف ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

ومصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة فأقام[١] عنده يدعو[٢] الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخَطْمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوْسُ الله ، وهم من الأوس بن حارثة ، وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأَسْلَت واسمه صَيْفي ـ [وقال الزُّبير بن بكَّار : اسمه الحارث ، وقيل عبيد الله واسم أبيه الأسلت عامر بن جُشَم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس . وكذا نسبه ابن الكلبي أيضاً] ـ وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الأَسْلَت هذا ذكر له ابنُ إسحاق أشعاراً ربَّانيةً[٣] حسنة ، تقرب من أشعار أمية بن أبي الصَّلْت الثقفي .

قال ابن إسحاق فيما تقدم[٤] : ولما انتشر أمر رسولِ الله ﷺ في العرب ، وبلغ البلدان ذُكر بالمدينة ، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلمَ بأمر رسولِ الله ﷺ حين ذُكر ، وقبل أن يُذكر من هذا الحيِّ من الأوس والخزرج ، وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود . فلما وقع أمره[٥] بالمدينة وتحدَّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الأسْلت أخو بني واقف[٦] ـ وكان يحبُّ قريشاً ، وكان لهم صِهْراً . كانت تحته أرْنَبُ بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ ، وكان يُقيم عندهم السنين بامرأته ـ قال قصيدةً يُعَظِّم فيها الحُرْمة ، وينهَى قريشاً فيها عن الحرب ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويذكِّرهم بلاءَ الله عندهم ودَفْعَهُ عنهم الفيل وكَيْدَه ، ويأمرهم بالكفِّ عن رسول الله ﷺ : [من الطويل]

أيـا راكبـاً إمَّـا عـرَضْـتَ فبلِّغَـنْ ... مُغَلْغَلـةً عنّـي لُـؤَيَّ بـنَ غـالـبِ[٧]
رسـولَ امـرِئٍ قـد راعَـه ذاتُ بينكـم ... علـى النَّـأْيِ محـزونٍ بـذلـك نـاصِـبِ

---

(١) في ط : فأقاما . تصحيف ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .
(٢) في ط : يدعوان . تصحيف ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .
(٣) في ط : بائية ، والمثبت من ح .
(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٢) والروض (٢/ ١٧) .
(٥) في السيرة والروض : ذكره .
(٦) زادت نسخة ط هنا ما نصه : قال السهيلي : هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عمرو بن غنم بن عدي بن النجار ، قال : وهو الذي أنزل فيه وفي عمر ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ الآية . قال ابن إسحاق : قلت : إن إثبات هذه الزيادة خَلْطٌ شنيع وغفلةٌ فاضحة ، لأن أبا قيس بن الأسلت تقدم اسمه ونسبه قبل أسطر ، أما أبو قيس صرمة بن أبي أنس فشاعر آخر ذكره ابن هشام في السيرة (١/ ٥١٠) وساق السهيلي نسبه المذكور في هذه الزيادة في الروض (٢/ ٢٨٧) . ومن فضل الله تعالى أن هذه الزيادة ليست في ح ولعلها من تعليق أحد القراء أو النساخ والله أعلم .
(٧) « المغلغلة من الرسائل » : المحمولة من بلد إلى بلد . القاموس (غلل) وفي الروض (٢/ ٢٩) : الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها .

وقــد كــان عنــدي للهمــوم مُعَــرَّسٌ ... ولــم أقـضِ منهـا حـاجتـي ومـآربـي[(١)]
نُبيتكــم شَــرْجَيْــنِ ، كــلَّ قبيلــة ... لهـا أزْمَـلٌ مـن بيـنِ مُـذْكٍ وحـاطِـب[(٢)]
أعيــذُكُــم بــالله مــن شــرِّ صُنْعِكــم ... وشــرِّ تَبــاغيكــم ودسِّ العقــارب
وإظهــارِ أخــلاقٍ ونجــوى سقيمــةٍ ... كـوَخْـزِ الأشَـافـي وقْعُهـا حـقٌّ صـائـب[(٣)]
فــذكِّــرْهُــمُ بــالله أوَّلَ وَهْلَــةٍ ... وإحـلالِ إحـرام الظِّبــاء الشـوازِب[(٤)]
وقــلْ لهــمُ واللهُ يُحكــم حُكْمَــهُ ... ذَرُوا الحربَ تذهبْ عنكمُ في المَرَاحِب[(٥)]
متــى تبعثــوهــا تبعثــوهــا ذَميمــةً ... هـي الغُـولُ لـلأقْصَيْـنَ أو لـلأقـارِبِ[(٦)]
تُقَطِّــعُ أرحــامــاً وتُهلــكُ أمَّــةً ... وتَبْـرِي السَّـدِيـفَ مـن سَنَـامٍ وغـارِبِ[(٧)]
وتستبــدلــوا بــالأتْحَمِيَّــةِ بعــدَهــا ... شَليــلاً وأصْــداءً ثيــابَ المحــارب[(٨)]
وبــالمسـكِ والكـافـورِ غُبْـراً سَـوابغـاً ... كــأنَّ قَتيــرَيْهــا عيــونُ الجنــادِبِ[(٩)]
فــإيــاكُــم والحــربَ لا تَعْلَقَنَّكُــم ... وحَـوْضـاً وخيـمَ المـاء مُـرَّ المشـارب
تــزَيَّــنُ لــلأقــوام ثــم يَــرَوْنهــا ... بعــاقبــةٍ إذْ بَيَّنَــتْ أمَّ صــاحــب[(١٠)]

---

(١) « المُعَرَّس » : المكان الذي ينزله المسافرون آخر الليل للاستراحة . القاموس (عرس) .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ٣٠) : نبيتكم شرجين : أي فريقين مختلفين ، ونبئتكم لفظ مشكل وفي حاشية الشيخ : نبيتكم شرجين ، وهو بيِّنٌ في المعنى ، وفيه زحاف خرم ، ولكن لا يعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ التبيت في هذا البيت فبعيد من معناه . والأزمل : الصوت ، والمذكي : الذي يوقد النار ، والحاطب : الذي يحطب لها . ضرب هذا مثلاً لنار الحرب كما قال الآخر : [من الوافر]

أرى خلل الرماد وميضَ جمرٍ ... ويـوشـك أن يكـون لهـا ضـرامُ
فـإن النـار بـالعـوديـن تُـذْكـى ... وإن الحــرب أولهــا الكــلامُ

(٣) « الإشفَى » : المِثْقب يخرز به . جمعه أشافي . القاموس (شفى) .

(٤) أي : إن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشوازب التي تأتيه من بُعْد لتأمن فيه فهي شازبة ، أي ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم ، وإحرام الظباء : كونها في الحرم ، يقال من دخل في الشهر الحرام ، أو في البلد الحرام : مُحْرِم . الروض (٢/ ٣٠) .

(٥) « المراحب » : جمع مَرْحَب وهو من الأمكنة الواسع الفسيح انظر اللسان (رحب) .

(٦) « الغول » : الهلاك . الروض (٢/ ٣٠) والشطر الأول من البيت صدر بيت في معلقة زهير : [من الطويل]

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضـرَ إذا ضـريتمـوهـا فتضـرم

(٧) « السَّديف » : شحم السنام ، والغارب : ما بين السنام والعنق . وتبري : تُهْزِل . القاموس (سدف ، غرب ، برى) .

(٨) « الأتحمية » : ثياب رقاق تصنع باليمن . والشليل : درع قصيرة . والأصداء : جمع صدأ الحديد . الروض (٢/ ٣٠) .

(٩) « القتير » : حلق الدرع ، شبهها بعيون الجراد . الروض (٢/ ٣٠) .

(١٠) قال السهيلي في الروض (٢/ ٣٠) : هو كقول عمرو بن معديكرب : [من الكامل] =

تحـرَّقُ لا تُشْـوِي ضعيفـاً وتنتحـي ... ذوي العِزِّ منكم بالحُتوف الصوائب(١)
ألم تعلموا ما كان في حَرْبِ داحِسٍ ... فتعتبروا أو كانَ في حَرْب حاطِبِ
وكم ذا أصابتْ من شريفٍ مُسَوَّدٍ ... طـويـل العِمـاد ضيفُـه غيـرُ خـائـب
عظيـمِ رمـادِ النـارِ يُحمَـد أمـرُه ... وذي شيمةٍ مَحْضٍ كريمِ المَضَارب(٢)
ومـاءٍ هُـريـقَ فـي الضَّـلال كـأنمـا ... أذاعَتْ به ريحُ الصَّبَا والجَنَائبِ(٣)
يخبِّـركـم عنهـا امـرؤٌ حـقّ عـالـمٍ ... بـأيـامهـا والعلـمُ علـمُ التجـارب
فبيعوا الحِرَاب مِلْمُحارِبِ واذكروا ... حِسَـابكـم واللهُ خيـرُ محـاسـب
ولـيُّ امـرئٍ فـاختـارَ دينـاً فـلا يَكُـنْ ... عليكـم رقيبـاً غيـرَ ربِّ الثـواقـب(٤)
أقيمـوا لنـا دينـاً حَنيفـاً فـأنتمـو ... لنـا غـايـةٌ ، قـد يُهتـدَى بـالـذوائب
وأنتـم لهـذا النـاسِ نُـورٌ وعِصْمـةٌ ... تـؤمُّـون والأحـلامُ غيـرُ عـوازب
وأنتم إذا ما حُصِّلَ الناسُ جوهرٌ ... لكـم سُـرَّةُ البطحـاء شُـمُّ الأرانـبِ
تصـونـون أجسـامـاً كِـرامـاً عتيقـةً ... مهـذَّبـة الأنسـابِ غيـرَ أشـائـب
يرى طالبُ الحاجات نحو بيوتكم ... عصـائـبَ هَلْكَـى تهتـدي بعصـائـب
لقـد علـمَ الأقـوامُ أنَّ سَـرَاتكـم ... على كل حالٍ خيرُ أهلِ الجباجب(٥)
وأفضلُـه رأيـاً وأعـلاه سُنّـةً ... وأقـولُـه للحـقِّ وسْـط المـواكـب

=

الحـرب أول مـا تكـون فتيـة ... تسعـى بـزينتهـا لكـلِّ جهـولِ
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ... ولـت عجـوزاً غيـر ذات خليـل
شمطـاء جـزت رأسهـا فتنكـرت ... مكـروهـة للشـم والتقبيـل

فقوله أم صاحب : أي عجوزاً كأم صاحب لك ، إذ لا يصحب الرجلَ إلا رجلٌ في سنه .

(١) « لا تُشوي » : لا تخطئ في قتلها . وتنتحي : تقصد . القاموس (شوي ، نحي) .

(٢) « كريم المضارب » : وفي حاشية الشيخ : لعله الضرائب . يريد جميع ضريبة (الطبيعة) ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم . الروض (٢/ ٣١) .

(٣) ويروى في الصلال جمع صَلَّة ، وهي الأرض التي لا تمسك الماء . أي رب ماءٍ هريق في الضلال من أجل السراب ، لأنه لا يهريق ماء من أجل السراب إلا ضال غير مميز بمواضع الماء . وأذاعت به : أي بدَّدته فلم ينتفع به . وهذا مثل ضربه للنظر في عواقب الأمور . ويروى : وما أهريق في أمر . ومعناه والذي أهريق في أمر الضلال ، فوصل ألف القطع ضرورة . الروض (٢/ ٣١) .

(٤) أي هو وليُّ امرئٍ اختار ديناً ، والفاء زائدة . الروض (٢/ ٣١) .

(٥) « الجباجب » : منازل منى ، وقيل هي حفر بمنى يجمع فيها دم البُدْن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها . الروض (٢/ ٣١) .

فقـومـوا فصلُّـوا ربَّكـم وتمسَّحـوا بأركان هذا البيتِ بينَ الأخاشب[١]
فعنـدكـمُ منـهُ بـلاءٌ ومِصْـدَقٌ غداةَ أبي يَكسومَ هادي الكتائب[٢]
كتيبتُـه بـالسَّهْـل تُمسـي ورَجْلـه على القاذفاتِ في رؤوسِ المناقب[٣]
فلما أتاكم نصرُ ذي العرش ردَّهم جنودُ المليك بين سافٍ وحاصب[٤]
فـولَّـوا سِراعـاً هـاربيـن ولـم يَـؤُبْ إلـى أهلـه مِلحُبْـشِ غيـرُ عصـائـب
فإنْ تهلِكوا نهلِكْ وتَهلِكْ مواسمٌ يُعاشُ بها ، قولُ امرئٍ غيرِ كاذب[٥]

وحَرْب داحس الذي[٦] ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة ، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيدة معمرُ بن المثنَّى وغيره : أنَّ فرساً يقال له داحس ، كانت لقيس بن زهير بن جَذِيمة بن رواحة الغَطَفاني ، أجراه مع فرسٍ لحُذَيفة بن بَدْر بن عمرو بن جَوَيَّة[٧] الغَطَفاني أيضاً ، يقال لها الغَبْراء ، فجاءتْ داحِسُ سابقاً ، فأمر حُذيفةُ من ضرب وجهها ، فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حَمَلُ بنُ بَدْر فلطم مالكاً ، ثم إنَّ أبا جُنيدب العَبْسي لقي عوفَ بن حُذيفة فقتله ، ثم لقي رجلٌ من بني فزارة مالكاً فقتله ، فشبَّتِ الحرب بين بني عبس وفَزارة ، فقُتل حذيفةُ بن بدر وأخوه حَمَلُ بن بدر وجماعاتٌ آخرون ، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطُها وذكرها .

قال ابن هشام[٨] : ويُقال : أَرسل قيسٌ داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفةُ الخطَّار والحَنْفاء ، والأول أصحّ . قال : وأما حَرْبُ حاطب فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . كان قَتَل يهودياً جاراً للخَزْرَج ، فخرج إليه يزيد[٩] بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن [مالك بن كعب][١٠]

---

(١) « الأخاشب » : جمع أخشب ، وهو الجبل الخشن العظيم . والأخشبان : جبلا مكة أبو قبيس والأحمر . القاموس : (خشب) .
(٢) « أبو يكسوم » : صاحب الفيل المذكور في التنزيل . القاموس (كسم) .
(٣) كذا في ح ، ط : القاذفات . ولعل الصواب : القُذُفات . وهي ما أشرف من رؤوس الجبال واحدتها قُذْفة كغُرْفَة . والمناقب : الجبل فيه ثنايا . اللسان (قذف ، نقب) .
(٤) « السافي » : الذي يرمي بالتراب ، والحاصب الذي يقذف بالحصباء . الروض (٢/ ٣١) .
(٥) في هامش ح عند نهاية القصيدة ما نصه : بلغ مقابلة على الأصل المعتمد الموقوف بشيخو .
(٦) كذا في ح ، ط والحرب مؤنثة وقد تذكَّر .
(٧) في ط : جؤبة ، وفي سيرة ابن هشام : جؤيَّة . والمثبت من الإكمال (٢/ ١٧٠) من غير همز .
(٨) في سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٧) والروض (٢/ ٢٠) .
(٩) في ط : زيد . والمثبت من السيرة وشرح القاموس مادة فسحم .
(١٠) ليس ما بين المعقوفين في سيرة ابن هشام ولا الروض ولا جمهرة الأنساب لابن حزم (ص٣١٢ ، ٣١٣) في ترجمته ، ولعله زيدَ وهماً .

ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن فُسْحُم[١] في نفرٍ من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعتِ الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ سُويد بن الصامت الأوسي ، قتله المُجَذَّر بن ذياد ، حليفُ بني عوف بن الخزرج ؛ ثم كانت بينهم حروب يطول ذِكْرُها أيضاً .

والمقصود أن أبا قيس بن الأسْلَت مع علْمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام ، فأسلم من أهلها بشرٌ كثير ولم يبق دارٌ ـ أي محلة ـ من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غيرَ دارِ بني واقف قبيلةِ أبي قيس ، ثبَّطهم عن الإسلام ، وهو القائل أيضاً : [من الوافر]

أربَّ النـاسِ أشيـاءٌ ألَمَّـتْ ... يُلَفُّ الصَّعْبُ منها بالذَّلُولِ
أربَّ النـاس أمَّـا إذْ ضَلَلْنـا ... فَيَسِّـرْنـا لمعـروفِ السبيـلِ[٢]
فلـولا ربُّنـا كنَّـا يهـوداً ... وما دينُ اليهودِ بذي شُكولِ[٣]
ولـولا ربُّنـا كنَّـا نصـارَى ... مع الرُّهبانِ في جَبَلِ الجَلِيلِ[٤]
ولكنَّـا خُلقنـا إذْ خُلقنـا ... حنيفـاً دينُنـا عـن كـلِّ جيـلِ
نسوقُ الهَدْيَ ترسفُ مُذْعِناتٍ ... مكشَّفةَ المناكبِ في الجلُولِ[٥]

وحاصلُ ما يقول أنه حائرٌ فيما وقع من الأمر الذي قد سمعه من بعثةِ رسول الله ﷺ فتوقَّف الواقفيُّ في ذلك مع علمه ومعرفته . وكان الذي ثبَّطَه عن الإسلام أولاً عبدُ الله بن أُبيٍّ بن سَلُول ، بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر به يهود ، فمنعه عن الإسلام .

قال ابنُ إسحاق : ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وحْوَحٌ .

وأنكر الزُّبير بن بكَّار أن يكون أبو قيس أسلم . وكذا الواقدي[٦] ، قال :

---

(١) في ط : قسحم . بالقاف تصحيف ، والمثبت من القاموس وشرحه : وفسحم أُمُّه ، ومعناه : الواسع الصدر .

(٢) في ح ، ط : إمَّا أن ضللنا . والمثبت من السيرة والروض .

(٣) أراد جمع شَكْل، وشَكْل الشيء ـ بالفتح ـ هو مثله، والشِّكل بالكسر: الدَّلُّ والحُسْن، فكأنه أراد أن دين اليهود بدع ، فليس له شكول أي : ليس له نظير في الحقائق ؛ ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول . الروض (٢/ ٢٠٠) .

(٤) الجليل بالجيم الثُّمام ، وهذا الجبل من جبال الشام معروف . الروض (٢/ ٢٠٠) .

(٥) « ترسف » : تمشي مشي المقيَّد . الجلول : مفردها جل وهو ما تلبسه الدابة لتصان به . القاموس (رسف ، جلل) . والأبيات في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٨) والروض (٢/ ١٨٧) وما عدا الأول برواية مختلفة في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٨٥) .

(٦) رواية الواقدي بأطول مما هنا في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٨٣ ـ ٣٨٥) .

كان عزَمَ على الإسلام أولَ ما دعاه رسولُ الله ﷺ ، فلامَهُ عبدُ الله بن أُبَيّ ، فحلف لا يسلم إلى حَوْل فمات في ذي القعدة .

وقد ذكر غيرُه فيما حكاه ابنُ الأثير في كتابه : « أُسْد الغابة »(١) أنه لما حضرَهُ الموتُ دعاهُ النبيُّ ﷺ إلى الإسلام فسُمع(٢) يقول : لا إله إلا الله .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدَّثنا حسن بن موسى ، حدَّثنا حماد بن سَلَمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار ، فقال : « يا خال ، قُلْ لا إله إلا الله » فقال : أخالٌ أمْ عَمّ ؟ قال : « لا ، بلْ خال » قال : فخير لي أنْ أقولَ لا إله إلا الله ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « نعم » .

تفرَّد به أحمد رحمه الله تعالى .

وذكر عكرمةُ وغيرُه أنه لما تُوفِّي أراد ابنُه أن يتزوَّج امرأتَهُ كُبَيشة بنت مَعْن بن عاصم ، فسألَتْ رسولَ الله ﷺ في ذلك ، فأنزل الله ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ الآية(٤) .

وقال ابن إسحاق(٥) وسعيدُ بن يحيى الأموي في « مغازيه » : كان أبو قيس هذا قد ترهَّب في الجاهلية ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة ، وتطهَّر من الحائض من النساء ، وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً، لا يدخل عليه فيه حائضٌ ولا جُنُب . وقال : أعْبُد إلّه إبراهيم حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسولُ الله ﷺ المدينة فأسلم ، فحسُن إسلامه ، وهو شيخٌ كبير ، وكان قوَّالاً بالحق ، معظِّماً لله في جاهليَّته ، يقولُ في ذلك أشعاراً حِساناً وهو الذي يقول : [من الطويل]

يقـول أبـو قيـسٍ وأصبـحَ غـاديـاً ... ألا ما استطعتُم من وَصَاتيَ فافعلوا

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٢٧٨) .

(٢) في ح : فسمعه ، والمثبت من ط وأسد الغابة .

(٣) في مسنده (٣/ ١٥٤) رقم (١٢٥٠١) وهو حديث صحيح .

(٤) سورة النساء الآية (٢٢) . قلت : رواية عكرمة في تفسير الطبري (٤/ ٣١٨) تقول : إن الآية نزلت في أبي قيس نفسه خلف على أم عبيد بنت ضمرة ، كانت تحت الأسلت أبيه . أما رواية غيره التي تعزوها لابنه قيس فقد أخرجها البيهقي في سننه (٧/ ١٦١) عن عدي بن ثابت الأنصاري . وأخرجها أيضاً الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٦٨) وذكر رواية عكرمة أيضاً ابن حجر في الإصابة ترجمة كبشة هذه إذ يقال لها كبشة وكبيشة وقال : أخرجه أبو موسى المستغفري .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٥١٠) قلت : ابن إسحاق يسوق هذا الخبر بعد هجرة النبي ﷺ ويعزو الشعر إلى أبي قيس صِرْمة بن أبي أنس لا إلى أبي قيس بن الأسلت ، ولا أدري سبب هذا الخلط بين الشاعرين والذي نبهت عليه سابقاً ، وإني لأستبعد أن يكون وضع هذه الفقرة هنا من صنع ابن كثير بدلالة ذكره اسم صرمة في الصفحة الآتية بعد هذه ، فحق هذه الأشعار إذاً أن يكون محلُّها فيما سيأتي بعد الهجرة كما ساقها ابن هشام في السيرة (١/ ٥١٠ ـ ٥١٢) . وربما كانت قد سقطت من هناك فأعيد وضعها إلى هنا على يد أحد النساخ والله أعلم .

فـأُوصيكـمُ بـاللهِ والبـرِّ والتُّقَـى وأعـراضِكـم ، والبـرُّ بـالله أولُ
وإنْ قومُكم سادوا فلا تَحْسُدُنَّهُمْ وإنْ كنتمُ أهلَ الرِّياسةِ فاعدِلوا
وإنْ نزلتْ إحدى الدواهي بقومكم فـأنفسَكـم دونَ العشيـرة فـاجعلـوا
وإن نـابَ غُـرْمٌ فـادحٌ فـازْفقُـوهـمُ وما حَمَّلوكم في المُلِمَّاتِ فاحملوا
وإن أنتـمُ مَعَّـرْتُـمُ[١] فتعفَّفـوا وإنْ كان فضلُ الخيرِ فيكم فأفضلوا

وقال أبو قيس أيضاً : [من الخفيف]

سبِّحـوا اللهَ شـرقَ كـلِّ صبـاحٍ طلعـتْ شمسُـه وكـلِّ هـلالِ
عـالـمُ السـرِّ والبيـانِ جميعـاً ليـس مـا قـال ربُّنـا بضـلالِ
ولـه الطيـرُ تستـريـد وتـأوي فـي وكـورٍ مـن آمنـاتِ الجبـالِ[٢]
ولـه الـوحـشُ بـالفَـلاةِ تـراهـا فـي حِقـافٍ وفـي ظلالِ الـرمـالِ[٣]
ولـه هـوَّدَتْ يهـودُ ودانَـتْ كـلَّ ديـنٍ مخـافـةً مـن عُضـالِ
ولـه شمَّـس النصـارى وقـامُـوا كـلَّ عيـدٍ لـربِّهـم واحتفـالِ[٤]
ولـه الـراهـبُ الحبيـسُ تـراه رَهْـنَ بـؤسٍ وكـان نـاعـمَ بـالِ[٥]
يـا بنـيَّ الأرحـامَ لا تقطَعـوهـا وصِلُـوهـا قصيـرةً مـن طِـوال[٦]
واتَّقـوا اللهَ فـي ضِعـاف اليتـامـى وبمـا[٧] يُستحَـلُّ غيـرُ الحـلال
واعلمـوا أنَّ لليتيـم وليّـاً عـالمـاً يَهتـدي بغيـر سـؤال
ثـم مـالَ اليتيـم لا تـأكلُـوه إنَّ مـالَ اليتيـم يـرعـاه والـي

---

(١) في ط : أمعزتم ، وفي السيرة : أمعرتم . براء مهملة ومعناه : افتقرتم ، والمثبت من ح وهو بمعناه .
(٢) « تستريد » : تطلب مواضع الكلأ . القاموس (كلأ) .
(٣) « الحقاف » : جمع حِقْف ، وهو ما اعوجَّ من الرمل . القاموس (حقف) .
(٤) « شمَّس النصارى » : يعني دين الشماسة ، وهم الرهبان لأنهم يشمِّسون أنفسهم ، يريدون تعذيب النفوس بذلك في زعمهم . الروض (٢/ ٢٨٨) .
(٥) في ط : أنعم . والمثبت من ح وسيرة ابن هشام .
(٦) قصيرة من طوال : فيحتمل تأويلين أحدهما : أن يريد صِلوا قصرها من طولكم ، أي : كونوا أنتم طوالًا بالصلة والبر إن قصرت هي . وفي الحديث : « أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً » . أراد الطول بالصدقة والبر ، فكانت صفة زينب بنت جحش . والتأويل الآخر أن يريد مدحاً لقوله بأن أرحامهم قصيرة النسب ، ولكنها من قوم طوال كما قال :

أحب من النسوان كل طويلة لهـا نسـب فـي الصـالحيـن قصيـر

الروض الأنف (٢/ ٢٨٨)
(٧) في السيرة : ربما . وهو أشبه .

يـا بَنـيَّ التُّخُـومَ لا تَجْـزِلـوهـا إنَّ جَـزْلَ التُّخـومِ ذو عُقَّـال[١]
يـا بنـيَّ الأيـامَ لا تـأمنـوهـا واحـذَروا مَكـرهـا ومَـرَّ الليـالـي
واعلمـوا أنَّ مُـرَّهـا لِنفـادِ الْـ خلْـقِ مـا كـان فـي جـديـدٍ وبـال
واجمعـوا أمـرَكـم علـى البـرِّ والتَّقْـ ـوى وتَـرْكِ الخَنـا وأخـذِ الحـلال

قال ابن إسحاق[٢] : وقال أبو قيس صرمة[٣] أيضاً يذكرُ ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصَّهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم . [من الطويل]

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حجَّةً يُـذكِّـر لـو يَلقـى صَـديقـاً مُـواتيـا

وسيأتي ذِكرها بتمامها فيما بعد إنْ شاء الله وبه الثقة .

قصة بيعة العقبة الثانية[٤]

قال ابن إسحاق[٥] : ثم إنَّ مصعب بن عُمير رجع إلى مكة ، وخرج مَنْ خرج من الأنصار من المسلمين مع حُجَّاج قومهم من أهل الشِّرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبةَ من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم [ما أراد] من كرامته ، والنَّصر لنبيِّه ، وإعزاز الإسلام وأهله [وإذلال الشِّرك وأهله] .

فحدَّثني معبد بن كعب بن مالك أنَّ أخاه عبد الله بن كعب ـ وكان من أعلم الأنصار ـ حدَّثه أنَّ أباه كعباً حدَّثه ـ وكان ممن شهد العقبة وبايع رسولَ الله ﷺ بها ـ قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا من المشركين ، وقد صلَّينا وفقهنا ومعنا البراءُ بن معرور سيِّدُنا وكبيرُنا ، فلما وجَّهنا لسفرنا ، وخرجْنا من المدينة قال البراء : يا هؤلاء ، إني قد رأيتُ رأياً ، والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ أن لا أدعَ هذه البنيَّة مني بظَهْرٍ ـ يعني الكعبة ـ وأنْ أصلِّي إليها . قال : فقلنا والله ما بلغنا أن نبيَّنا ﷺ يصلِّي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . فقال : إنِّي لمصلٍّ إليها ، قال : فقلنا له : لكنَّا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرتِ الصلاةُ صلَّينا إلى الشام وصلَّى هو إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة . قال وقد كنَّا عبنا

---

(١) « التخوم » : حدود البلاد والقرى ، والعقال : ما يمنع الرَّجْلَ من المشي ويعقلها . يريد أن الظُّلم يخلف صاحبه ويعقله عن السباق ، ويحبسه في مضايق الاحتقاق . الروض (٢/ ٢٨٨) وفي السيرة والروض : لا تخزلوها . . . خزل . بالخاء المعجمة ، ومعناه : لا تقطعوها ، وكلا الروايتين بمعنى .
(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٥١٢) والروض (٢/ ٢٥٥) .
(٣) سقطت هذه اللفظة من ح وهي في ط وسيرة ابن هشام . ولعل سقوطها من ح عن عمد لتوافق سياق الأبيات لأبي قيس بن الأسلت . كما تقدم في الصفحة السابقة .
(٤) سقطت هذه اللفظة من ح .
(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٨) والروض (٢/ ١٨٧) وما يأتي بين معقوفين منهما .

عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك ، فلما قدمنا مكة قال لي : يا ابن أخي ، انطلقْ بنا إلى رسولِ الله ﷺ حتى أسأله عما صنعتُ في سفري هذا ، فإنه قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيتُ من خلافِكم إيَّايَ فيه . قال : فخرجنا نسألُ عن رسولِ الله ﷺ ـ وكنَّا لا نعرفُه ولم نره قبل ذلك ـ فلَقِينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسولِ الله ﷺ قال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . فقال : هل تعرفانِ العباسَ بن عبد المطلب عمَّه ؟ قال : قلنا نعم ـ وقد كنَّا نعرفُ العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً ـ قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العباس . قال : فدخلنا المسجد وإذا العباسُ جالسٌ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ معه ، فسلَّمنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسولُ الله ﷺ للعباس : « هل تعرفُ هذيْن الرجلَيْن يا أبا الفضل ؟ » قال : نعم هذا البراءُ بن مَعْرُور سيدُ قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قولَ رسولِ الله ﷺ : « الشاعر » ؟ قال : نعم . فقال له البراءُ بن معرور : يا نبيَّ الله ، إني خرجتُ في سفري هذا ، قد هداني الله تعالى للإسلام ، فرأيتُ أن لا أجعلَ هذه البنيَّة مني بظَهْر ، فصلَّيتُ إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : « قد كنتَ على قبلةٍ لو صبرتَ عليها » قال : فرجع البراءُ إلى قبلةِ رسولِ الله ﷺ فصلَّى معنا إلى الشام . قال : وأهله يزعمون أنه صلَّى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها[١] ومعنا عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام أبو جابر ، سيدٌ من سادتنا، أخذناه وكنَّا نكتم مَنْ معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلَّمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيدٌ من ساداتنا ، وشريفٌ من أشرافنا ، وإنا نرغبُ بك عما أنت فيه أن تكون حَطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسولِ الله ﷺ إيَّانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً .

وقد روى البخاري[٢] : حدَّثني إبراهيم ، حدَّثنا هشام ، أنَّ ابن جُرَيج أخبرهم ، قال عطاء : قال جابر : أنا وأبي وخالي[٣] من أصحاب العقبة .

قال عبد الله بن محمد : قال ابنُ عيينة : أحدُهم البراءُ بن مَعْرور .

---

(١) في ط : فيها ، والمثبت من ح والسيرة .
(٢) في صحيحه ، فتح الباري (٣٨٩١) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة .
(٣) رواية البخاري : خالاي . وقال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٢٢) : ووقع عند ابن التين : وخالي . بغير ألف وتشديد التحتانية وقال : لعل الواو واو المعية أي مع خالي ، ويحتمل أن يكون بالإفراد بكسر اللام وتخفيف الياء . وقال الدمياطي : أم جابر هي أنيسة بنت غنمة بن عدي ، وأخواها ثعلبة وعمرو وهما خالا جابر ، وقد شهدا العقبة الأخيرة ؛ وأما البراء فليس من أخوال جابر ، قلت (القائل ابن حجر) : لكن من أقارب أمه وأقارب الأم يسمون أخوالاً مجازاً .

وحدثنا علي بن المَدِيني[١] ، حدثنا سفيان قال : كان عمرٌو يقول : سمعتُ جابرَ بن عبد الله يقول : شهِدَ بي خالايَ العقبة .

وقال الإمامُ أحمد[٢] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن ابن خُثَيم ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، قال : مكث رسول الله ﷺ بمكةَ عشر سنين يتبعُ الناسَ في منازلهم ، بعُكاظ ومَجَنَّة ، وفي المواسم يقول : « مَنْ يُؤويني ؟ مَنْ يَنْصُرُني ؟ حتى أبلِّغَ رسالةَ ربِّي وله الجنَّة » [فلا يجدُ أحداً يؤويه ولا ينصره][٣] ، حتى إنَّ الرجلَ ليخرجُ من اليمن أو من مضر[٤] ـ كذا قال فيه ـ فيأتيه قومه [وذوو رحمه] فيقولون : احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمشي[٥] بين رحالهم[٦] ، وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثَنا الله إليه من يثرب ، فآويناه وصدَّقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ، ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم يبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رهطٌ من المسلمين يُظهرون الإسلام ، ثم ائتمروا جميعاً ، فقلنا : حتى متى نتركُ رسولَ الله ﷺ يُطردُ في جبال مكة ويخاف ؟ فرحل إليه منَّا سبعونَ رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعبَ العقبة ، فاجتمعنا عندها[٧] ، من رجل ورجلَيْن حتى توافَيْنا فقلنا : يا رسولَ الله ، علامَ نبايُعك ؟ قال : « تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العُسْر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنْ تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمتُ عليكم مما تمنعون منه أنفسَكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة » . فقمنا إليه [فبايعناه] ، وأخذ بيده أسعدُ بن زُرارة ـ وهو من أصغرهم ـ وفي رواية البيهقي : وهو أصغر السبعينَ إلا أنا[٨] . فقال : رويداً يا أهلَ يثرب ، فإنَّا لم نضربْ إليه أكبادَ الإبل إلا ونحنُ نعلم أنه رسولُ الله ﷺ ، وأنَّ إخراجَهُ اليوم مفارقةُ العرب[٩] كافَّة ، وقتلُ خياركم و[أن] تعضَّكم السيوف ، فإما أنتم قومٌ تصبرونَ على ذلك فخذوه وأجرُكم على الله ، وإمَّا أنتم قوم تخافونَ من أنفسكم خيفة فذروه[١٠] . فبيِّنوا ذلك ، فهو أعذَرُ لكم عند الله . قالوا : أمطْ عنَّا[١١] يا أسعد

---

(١) وهي الرواية الثانية للحديث عند البخاري فتح (٣٨٩٠) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة .
(٢) في مسنده (٣/ ٣٢٢) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٣) ليس ما بين المعقوفين في ح ولا في مسند أحمد في هذه الرواية ، وهو من الرواية الثانية عند أحمد والبيهقي الآتي ذكرها .
(٤) في ح : مصر . بصاد مهملة .
(٥) في ط : ويمضى . والمثبت من ح ومسند أحمد .
(٦) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : رجالهم بجيم .
(٧) في مسند أحمد : عليه .
(٨) ما بين معترضين من رواية البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٤٣) . وقوله : إلا أنا . يعني جابرٌ وهو راوي الخبر .
(٩) في ط : مناوأة للعرب . والمثبت من ح ومسند أحمد .
(١٠) كذا في ط ، وفي مسند أحمد : جبينة ، وسقطت الكلمتان من ح .
(١١) في ط : أبط تصحيف ، والمثبت من ح والمسند ، وفي النهاية لابن الأثير : أمط عنا : أي ابْعُدْ .

فوالله لا ندَعُ هذه البيعة أبداً ، ولا نُسلَبُها[١] أبداً . قال : فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذَ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنَّة .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً ـ والبيهقي[٢] من طريق داود بن عبد الرحمن العطَّار ، زاد البيهقي عن الحاكم ـ بسنده إلى يحيى بن سليم ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم عن أبي الزُّبير[٣] ، به نحوه . وهذا إسناد على شرط مسلم[٤] ولم يخرِّجوه .

[وقال البزار[٥] : وروى غيرُ واحدٍ عن ابنِ خُثَيم ولا نعلمه يُروى عن جابر إلا من هذا الوجه][٦] .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا سليمان بن داود ، حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، عن موسى بن عُقْبة[٨] ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، قال : كان العباسُ آخذاً بيد رسولِ الله ﷺ ورسولُ الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسولُ الله ﷺ : « أخذتُ وأعطَيْت » .

وقال البـزَّار[٩] : حدَّثنا محمد بن معمر ، حدَّثنا قَبِيصة ، حدَّثنا سفيان ـ هو الثوري ـ عن جابر ـ يعني الجُعْفي ـ وداود[١٠] ـ وهو ابنُ أبي هند ـ عن الشعبي ، عن جابر ـ يعني ابنَ عبد الله ـ قال : قال رسولُ الله ﷺ للنقباء من الأنصار : « تُؤْوُوني وتمنعوني ؟ » قالوا : نعم ، فما لنا ؟ قال : « الجنَّة » .

ثم قال[١١] : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد عن جابر .

ثم قال ابنُ إسحاق[١٢] ، عن معبد ، عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك ، قال : فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلثُ الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسولِ الله ﷺ نتسلَّلُ تسلُّلَ القَطَا مُسْتَخفين ، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتانِ من نسائنا :

---

(١) في ح : ولا نستقيلها ، وهي رواية البيهقي وفيه : نستقبلها . بالموحّدة تصحيف .
(٢) مسند أحمد (٣/ ٣٣٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٤٢) .
(٣) في ط : عن أبي إدريس . تحريف ، والمثبت من ح ومسند أحمد ودلائل البيهقي .
(٤) في ط : « إسناد جيد على شرط مسلم » ، وما أثبتناه من ح ، وهو الأصوب .
(٥) قول البزار هذا في كشف الأستار للهيثمي (٢/ ٣٠٨) وأخرجه أيضاً فيه (١٧٥٦) الهجرة والمغازي باب البيعة على الحرب .
(٦) ليس ما بين المعقوفين في ح ، ولعلها ملاحظة كتبت على الهامش فدخلت النص .
(٧) في المسند (٣/ ٣٩٦) ، وإسناده حسن .
(٨) في ط : موسى بن عبد الله . تحريف ، والمثبت من ح ومسند أحمد وترجمة موسى بن عقبة في تهذيب الكمال (٢٩/ ١١٥) .
(٩) في كشف الأستار (١٧٥٥) الهجرة والمغازي باب البيعة على الحرب .
(١٠) في ط : عن داود . تحريف ، والمثبت من ح وكشف الأستار .
(١١) يعني البزار .
(١٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤١) .

نُسَيبة بنتُ كعب أمُّ عمارة ، إحدى نساء بني مازن بن النجَّار ، وأسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي ، إحدى نساء بني سَلِمة ، وهي أمُّ مَنيع .

وقد صرَّح ابنُ إسحاق في روايةِ يونس بن بُكير عنه بأسمائهم وأنسابهم ، وما ورد في بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين ، فالعرب كثيراً ما تحذف الكسر .

وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة[١] : كانوا سبعين رجلاً ، وامرأة واحدة . قال : منهم أربعون من ذوي أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم . قال : وأصغرهم أبو مسعود ، وجابر بن عبد الله .

[وقول محمد بن إسحاق : إنهم خمسة وسبعون أثبت][٢] .

قال كعب بن مالك[٣] : فاجتمعنا في الشِّعب ننتظرُ رسولَ الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دينِ قومه ، إلا أنه أحبَّ أن يحضُرَ أمرَ ابنِ أخيه ويتوثَّق له ، فلما جلس كان أوَّل متكلِّم العباسُ بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج ـ قال : وكانتِ العرب إنما يسمُّون هذا الحيَّ من الأنصار الخزرجَ خزرجَها وأَوْسَها ـ : إنَّ محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزٍّ من قومه ، ومنَعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم واللحوقَ بكم ، فإنْ كنتم ترَوْن أنكم وافُونَ له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك ؛ وإن كنتم ترَوْن أنكم مُسْلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدَعُوه ، فإنه في عزٍّ ومنَعَةٍ من قومه وبلده . قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلَّم يا رسول الله ، فخذْ لنفسك ولربِّك ما أحببت .

قال : فتكلَّم رسولُ الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغَّب في الإسلام . قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعونَ منه نساءكم وأبناءكم » قال : فأخذ البراءُ بن معرور بيده ثم قال : نعم . فوالذي بعثك بالحق لنمنعنَّك مما نمنعُ منه أُزُرَنا[٤] : فبايعنا يا رسولَ الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحَلْقة[٥] ، ورثناها كابراً عن كابر . قال : فاعترض القولَ والبراءُ يكلِّم رسولَ الله ﷺ أبو الهيثم بن التَّيِّهان فقال : يا رسول الله ، إنَّ بيننا وبين الرجـال حبالاً وإنَّا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيتَ إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسَّم رسولُ الله ﷺ ثم قال : « بل الدَّمَ الدَّم ، والهَدْمَ

---

(١) روايتهما في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٥٤) .
(٢) سقط ما بين المعقوفين من ط .
(٣) رجع الحديث إلى رواية ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤١) .
(٤) « أُزرنا » : أي نساءنا وأهلنا ، كنَّى عنهنّ بالأزر . وقيل أراد أنفسنا ، وقد يكنَّى عن النفس بالإزار ، ومنه حديث عمر : كتب إليه من بعض البعوث أبيات في صحيفة منها :

ألا أبلـغ أبـا حفـص رسـولاً فـدىً لـك مـن أخـي ثقـة إزاري

أي أهلي ونفسي . النهاية لابن الأثير (١/ ٤٥) .
(٥) « الحلقة » : أي السلاح . النهاية لابن الأثير (١/ ٤٢٧) .

الهَدْم[١] ، أنا منكم وأنتم مني ، أحاربُ مَن حاربتم وأسالمُ مَنْ سالمتم » .

قال كعب : وقد قال رسولُ الله ﷺ : « أخرجوا إليَّ منكم اثني عَشَر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم » . فأخرجوا منهم اثني عشر نَقِيباً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

قال ابن إسحاق[٢] : وهم أبو أمامة أسعد بن زُرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس [بن عمرو بن امرئ القيس][٣] بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العَجْلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خَنْساء بن سنان بن عُبيد بن عدي بن غَنْم بن كعب بن سلمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن [أبي] حَزيمة[٤] بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج .

فهؤلاء تسعةٌ من الخزرج ، ومن الأوس ثلاثة وهم : أُسَيد بن حُضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن خَيْثَمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر[٥] بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

---

(١) « الهَدْم » : يُروى بسكون الدال وفتحها ، فالهدَم بالتحريك : القَبْر ، يعني أني أُقبر حيث تقبرون ، أو هو كحديث الآخر : « المحيا محياكم والممات مماتكم » أي لا أفارقكم . والهدْم بالسكون والفتح أيضاً : هو إهدار دم القتيل ، يُقال : دماؤهم بنيهم هَدْم : أي مُهْدَرة . والمعنى : إن طُلب دَمُكم فقد طُلب دمي ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي لاستحكام الأُلْفَة بيننا ، وهو قول معروف للعرب ، يقولون : دمي دمك وهدمي هدمك ، وذلك عند المعاهدة والنصرة . النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٥١) والروض (٢/ ٢٠٢) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٣) والروض (٢/ ١٨٩) .

(٣) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام والروض .

(٤) في ط : خزيمة تصحيف ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام وشرح السيرة لأبي ذر ، والإكمال (٣/ ١٤١) وضبطه : أوله حاء مهملة مفتوحة بعدها زاي مكسورة وقال : أبو ثابت أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة وأحد النقباء الاثني عشر .

(٥) في ط : زنير ، وفي السيرة والروض : زبير . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من ح والإكمال (٤/ ١٦٧) وضبطه فيه : زنبر بفتح الزاي وبعدها نون ساكنة وباء مفتوحة .

قال ابنُ هشام[١] : وأهلُ العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان بدَلَ رفاعة هذا .

وهو كذلك في رواية يونس ، عن ابن إسحاق . واختاره السُّهيلي وابنُ الأثير في « أسد الغابة »[٢] .

ثم استشهد ابنُ هشام[٣] على ذلك بما رواه عن أبي زيد الأنصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر هذه الليلة ـ ليلة العقبة الثانية ـ حين قال : [من الطويل]

أبلغْ أبَيّاً أنَّهُ فالَ رأيُه ... وحان غداةَ الشِّعبِ والحَيْنُ واقعُ[٤]
أبَى اللهُ ما منَّتْكَ نفسُك إنه ... بمرصادِ أمرِ الناس راءٍ وسامعُ
وأبلغْ أبا سفيانَ أنْ قد بدا لَنا ... بأحمد نورٌ من هُدى الله ساطعُ
فلا ترغَبَنْ في حشدِ أمرٍ تُريده ... وألِّبْ وجمِّعْ كلَّ ما أنت جامعُ
ودونَك فاعلمْ أنّ نقضَ عهودنا ... أباه عليكَ الرهطُ حينَ تتابعوا
أباهُ البراءُ وابنُ عمرو كلاهما ... وأسعدُ يأباه عليكَ ورافعُ
وسعدٌ أباه الساعديُّ ومنذِرٌ ... لأنفِك إنْ حاولتَ ذلك جادِعُ
وما ابنُ ربيعٍ إن تناولتَ عهدَه ... بمُسْلِمِهِ لا يطمعَنْ ثَمَّ طامعُ
وأيضاً فلا يعطيكهُ ابنُ رَواحة ... وإخفارُه من دونه السمُّ ناقع
وفاءً به ، والقوقليّ بنُ صامتٍ ... بمندوحةٍ عمَّا تُحاولُ يافع[٥]
أبو هيثم أيضاً وفيٌّ بمثلها ... وفاءً بما أعطى من العهدِ خانع
وما ابنُ حُضيرٍ إنْ أردتَ بمَطْمَعٍ ... فهل أنتَ عن أُحموقةِ الغي نازع
وسعدُ أخو عمرو بن عوف فإنه ... ضَروحٌ لما حاولتَ مِلأمرِ مانع[٦]
أولاكَ نجومٌ لا يُغِبُّك منهمُ ... عليكَ بنحسٍ في دُجى الليل طالع

قال ابنُ هشام[٧] : فذكر فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان ولم يذكُرْ رفاعة .

قلت : وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة ، والله أعلم .

وروى يعقوبُ بن سفيان عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك ، قال : كان الأنصار ليلة

---

(١) في السيرة النبوية (١/ ٤٤٥) والروض (٢/ ١٩٠) .
(٢) أسد الغابة (٥/ ٢٨٠) .
(٣) في السيرة (١/ ٤٤٥) والروض : (١٩٠) .
(٤) فال رأيه : ضعف وأخطأ . والحَيْن : الهلاك والمِحنة . القاموس (فيل ، حين) .
(٥) « القوقلي » : نسبة إلى قوقل وهو أبو بطن من الأنصار سمِّي به لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو بيثرب قال له قَوْقِلْ في هذا الجبل وقد أمنت ، أي : ارتقِ . وهم القواقلة . القاموس (قوقل) .
(٦) « الضَّرُوح » : الدفوع المنوع . القاموس (ضرح) وفي ح : للأمر .
(٧) في السيرة (١/ ٤٤٥) والروض (٢/ ١٩١) .

العقبة سبعين[١] رجلاً ، وكان نقباؤهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وحدثني شيخٌ من الأنصار أن جبريل عليه السلام كان يُشير إلى رسول الله ﷺ إلى مَنْ يجعله نقيباً ليلة العقبة ، وكان أُسيد بن حُضير أحد النقباء تلك الليلة . رواه البيهقي[٢] .

وقال ابنُ إسحاق[٣] : فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أنَّ رسولَ الله ﷺ قال للنقباء : « أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيلٌ على قومي » . قالوا : نعم .

وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ القوم لما اجتمعوا لبيعةِ رسولِ الله ﷺ قال العباس بن عُبادة بن نَضْلَة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخَزْرج ، هل تدرون علامَ[٤] تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنكم تبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس ، فإنْ كنتم ترَوْن أنكم إذا نُهكتْ أموالُكم مُصِيبةً وأشرافُكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إنْ فعلتم خزْيُ الدنيا والآخرة ، وإنْ كنتم ترون أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه على نَهْكَةِ الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خيرُ الدنيا والآخرة . قالوا : فإنا نأخذُه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا ؟ قال : « الجنَّة » قالوا : ابْسُطْ يدَك . فبسط يده فبايعوه .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عبادة ذلك ليشدَّ العقد في أعناقهم .

وزعم عبد الله بن أبي بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخِّر البيعة تلك الليلة ، رجاءَ أن يحضُرَها عبد الله بن أُبَي بن سَلُول سيِّدُ الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أيّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق[٥] : فبنو النجّار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زُرارة كان أوَّلَ مَنْ ضرب على يده . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التَّيِّهان .

قال ابن إسحاق[٦] : وحدَّثني معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله ، عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسولِ الله ﷺ البرَاءُ بن مَعْرور ، ثم بايع القوم .

وقال ابنُ الأثير في « أسد الغابة »[٧] : وبنو سلمة يزعمون أنَّ أول من بايعه ليلتئذٍ كعب بن مالك .

وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم[٨] من حديث الزُّهْري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ،

---

(١) في ط : سبعون . والمثبت من ح ودلائل البيهقي .
(٢) في الدلائل (٢/ ٤٥٣) .
(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٦) والروض (٢/ ١٩١) .
(٤) في ح : على ما .
(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٧) والروض (٢/ ١٩١) .
(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٧) والروض (٢/ ١٩١) .
(٧) انظر الكامل (٢/ ١٠٠) .
(٨) فتح الباري (٣٨٨٩) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة ، وصحيح مسلم (٥٣ ـ ٢٧٦٩) التوبة=

عن أبيه ، عن كعب بن مالك ، في حديثه حين تخلَّف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أُحبُّ أنَّ لي بها مَشْهَدَ بدْر ، وإنْ كانتْ بَدْرٌ أذْكَرَ في الناسِ منها[(١)] .

وقال البيهقي[(٢)] : أخبرنا أبو الحسين بن بُشران ، أخبرنا أبو عمرو بن السمَّاك ، حدَّثنا حنبل بن إسحاق ، حدَّثنا أبو نُعيم[(٣)] ، حدَّثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي قال : انطلق رسولُ الله ﷺ معه العباس عمُّه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : « ليتكلَّمْ متكلِّمُكم ولا يطل[(٤)] الخُطْبَة ، فإنَّ عليكم من المشركين عيناً ، وإنْ يعلموا بكم يفضحوكم » فقال قائلهم ـ وهو أبو أمامة ـ : سلْ يا محمد لربِّكَ ما شئت ، ثم سلْ لنفسك بعد ذلك ما شئت . ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك ؟ قال : « أسألكم لربِّي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسَكم » قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : « لكم الجنة » . قالوا : فلك ذلك .

ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد[(٥)] ، عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن أبي مسعود الأنصاري فذكره ، قال : وكان أبو مسعود أصغرَهم .

وقال أحمد[(٦)] : عن يحيى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال : فما سمع الشِّيبُ والشُّبَّانُ خطبةً مثلها .

وقال البيهقي[(٧)] : أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش ، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام ، أخبرنا محمد بن يحيى الذُّهْلي ، أخبرنا عمرو بن عثمان الرَّقِّي ، حدّثنا زهير ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن إسماعيل بن عُبيد[(٨)] بن رفاعة عن أبيه قال : قدمتْ روايا خَمْر ، فأتاها عبادةُ بن الصامت فخرقها وقال : إنَّا بايعنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط

= باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه .
(١) في ط : وإن كانت بدراً كثير في الناس منها . تصحيف وتحريف ، والمثبت من ح وصحيحي البخاري ومسلم .
(٢) في الدلائل (٢/ ٤٥٠) .
(٣) زاد البيهقي : الفضل بن دُكين .
(٤) كذا في ح ، ط وفي الدلائل ومسند أحمد : ولا يطيل : وله وجه .
(٥) يعني عند البيهقي ، وهي من رواية عبد الله عن أبيه في المسند (٤/ ١٢٠) ، وهي رواية ضعيفة لضعف مجالد ، والأصح أنها مرسلة عن الشعبي ، كما تقدم ، وكما في المسند أيضاً (٤/ ١٢٠) . (بشار) .
(٦) المسند (٤/ ١٢٠) وهو مرسل صحيح .
(٧) في الدلائل (٢/ ٤٥١) .
(٨) في ط : إسماعيل بن عبيد الله . وكلاهما صحيح إذ يقال له عُبيد وعبيد الله ، والمثبت من ح والدلائل وترجمته في تهذيب الكمال للمزي (٣/ ١٥١) .

والكسل ، والنفقة في العُسْر واليُسْر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أنْ نقولَ في الله لا تأخذنا فيه لومةُ لائم ، وعلى أن ننصرَ رسولَ الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب ممّا نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فهذه بيعةُ رسولِ الله ﷺ التي بايعناهُ عليها .

وهذا إسنادٌ جيِّدٌ قويّ ولم يخرِّجوه .

وقد روى يونس[1] عن ابن إسحاق : حدَّثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جدِّه عبادة بن الصامت . قال : بايَعْنا رسولَ الله ﷺ بيعةَ الحَرْب على السمع والطاعة في عُسْرنا ويُسْرنا ، ومَنْشَطِنا ومكرهِنا ، وأثرة علينا ، وأنْ لا ننازعَ الأمْرَ أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنَّا لا نخافُ في الله لومةَ لائم .

قال ابن إسحاق[2] في حديثه عن معبد بن كعب، عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك، قال: فلمَّا بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطانُ من رأس العَقَبة بأنفذ صوتٍ سمعتُه قطّ: يا أهلَ الجَبَاجِب، ـ والجباجب المنازل ـ هل لكم في مُذَمَّم والصُّبَّاء معه قد اجتمعوا على حربكم . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « هذا أزَبُّ العَقَبة ، هذا ابنُ أزَيَب » ـ قال ابنُ هشام : ويقال ابن أُزْيَب ـ : « أتسمع أي عدوَّ الله ؟ أما والله لأتفرَّغَنَّ لك » ثم قال رسولُ الله ﷺ : « ارْفَضُّوا إلى رحالِكم » . قال فقال العباس بن عُبادة بن نَضْلَة : يا رسول الله، والذي بعثك بالحق إنْ شئتَ لنميلَنَّ على أهلِ منىً غداً بأسيافنا . قال : فقال رسولُ الله ﷺ: « لم نُؤْمَرْ بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم » . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا فيها حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غدَتْ علينا جِلَّةُ قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حَرْبنا . وإنه والله ما مِنْ حيٍّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشبَ الحربُ بيننا وبينهم منكم . قال : فانبعث مَنْ هناك من مشركي قومنا يحلفون ما كان من هذا شيءٌ وما علمناه . قال : وصدقوا لم يعلموا . قال : وبعضنا ينظرُ إلى بعض . قال : ثم قام القومُ وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المَخْزُومي وعليه نعلانِ له جَديدان . قال : فقلت له كلمة ـ كأني أريدُ أن أشركَ القومَ بها فيما قالوا ـ : يا أبا جابر ، أما تستطيعُ أنْ تتَّخذ وأنت سيدٌ من سادتنا مثل نعلَيْ هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إليّ . قال : والله لتنتعلنَّهما ، قال : يقول أبو جابر : مَهْ أحفظتَ والله الفتى ، فارْدُدْ إليه نعلَيْه . قال : قلت والله لا أردُّهما . فألٌ والله صالح ، لئن صدق الفألُ لأسْلُبَنَّه .

قال ابن إسحاق[3] : وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتَوْا عبدَ الله بن أُبَيّ بن سَلُول فقالوا مثل

(١) هذه الرواية أيضاً عن البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٥٢) .
(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٧) والروض (٢/ ١٩٢) .
(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٨) والروض (٢/ ١٩٢) .

ما ذكر كعب من القول فقال لهم : إنَّ هذا الأمر جَسيم ما كان قومي ليتفرقوا[١] على مثل هذا وما علمتُه كان . قال : فانصرفوا عنه . قال : ونفر الناسُ من مِنى فتنطَّسَ القومُ الخبر[٢] ، فوجدوه قد كان ، فخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذَاخِر[٣] ، والمنذرَ بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخَزْرَج ، وكلاهما كان نقيباً . فأمَّا المنذر فأعجزَ القومَ ، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربَطُوا يديه إلى عُنقه بنِسْع رَحْله[٤] ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكَّة يضربونه ويجذبونه بجُمَّتِه ـ وكان ذا شعرٍ كثير ـ قال سعد : فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليَّ نفرٌ من قريش فيهم رجلٌ وضِيءٌ أبيض ، شَعْشَاع[٥] ، حلْوٌ من الرِّجال ، فقلت في نفسي : إن يكُ عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا . فلما دنا مني رفع يدَه فلكمني لكمةً شديدة ، فقلتُ في نفسي : لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، قال : فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذْ أوَى لي[٦] رجلٌ ممن معهم ، قال : ويحك ، أما بينك وبين أحدٍ من قريش جِوَارٌ ولا عَهْد ؟ قال : قلتُ بلى والله ، لقد كنتُ أُجِيرُ لجبيرِ بن مُطْعِم تجَّاره ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي . وللحارث بن حَرْب بن أمية بن عبد شمس . فقال : ويحك ، فاهتِفْ باسم الرجلَيْن ، واذكر ما بينك وبينهما ، قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما : إنَّ رجلاً من الخزرج الآن يضربُ بالأبْطَح ليهتف بكما . قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة. قالا : صدق والله إنْ كان ليجير لنا تجَّارنا ويمنعهم أن يُظلموا ببلده ؛ قال فجاءا فخلَّصا سعداً من أيديهم، فانطلق. وكان الذي لَكَم سعداً سُهيل بن عمرو . قال ابن هشام : وكان الذي أوى له أبو البَخْتَري بن هشام .

وروى البيهقي[٧] بسنده عن عبد المجيد بن أبي عَبْس بن جَبْر[٨] عن أبيه قال : سمعتْ قريشٌ قائلاً

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : ليتفوَّتوا عليَّ بمثل هذا ، وهو من قولهم : تفوَّت فلانٌ على فلان في كذا ، وافتات عليه : إذا انفرد برأيه دونه في التصرف فيه . النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٧٧/ فوت) .

(٢) أي أكثروا البحث عنه ؛ والتنطُّس : تدقيق النظر . الروض (٢/ ٢٠٤) .

(٣) جاء في معجم البلدان (١/ ١٢٧) : قال ابن إسحاق : لما وصل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح دخل من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة وضربت هناك قبته اهـ .

(٤) « النِّسْع » : سَيْرٌ يُنسج عريضاً على هيئة أعِنَّه النِّعال تُشَدُّ به الرحال ، والقطعة منه نِسْعة ، وسمِّي نسعاً لطوله . القاموس (نسع) .

(٥) « الشعشاع » : الطويل الحسن . القاموس (شعشع) .

(٦) « أوى له » : رقَّ له . القاموس (أوي) .

(٧) في الدلائل (٢/ ٤٢٨) .

(٨) في ح ، ط : عن عيسى بن أبي عيسى بن جبير . وهو تحريف ، وفي دلائل البيهقي : حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : حدثنا عبد الحميد بن أبي عيسى بن خير ـ كذا قال ـ وهو عبد الحميد بن أبي عبس بن محمد بن خير عن أبيه قال . . . وفيه تحريف كثير أيضاً . والصواب إن شاء الله هو ما أثبتُّه من تاريخ البخاري (٦/ ١١١) والجرح والتعديل (٦/ ٦٤) والإكمال (٦/ ٨٩) رسم « عَبْس » وميزان الاعتدال (٢/ ٦٥١) ولسان الميزان (٤/ ٥٥) ويبدو أن التحريف ابتدأ من الكلبي أو ممن رووا عنه ، فلذلك علَّق البيهقي بقوله : كذا قال . ثم صحح =

يقول في الليل على أبي قُبَيس : [من الطويل]

فإن يُسْلِمِ السَّعدانِ يصبحْ محمدٌ ... بمكّةَ لا يخشى خِلافَ المُخالفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : من السَّعْدانِ ؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هُذيم ؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلاً يقول : [من الطويل]

أيا سعدُ سعدَ الأوسِ كُن أنت ناصراً ... ويا سعدُ سعدَ الخزرجين الغطارِفِ

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنّيا ... على اللهِ في الفِردوسِ مُنْيَةَ عارفِ

فإنَّ ثوابَ اللهِ للطالبِ الهدى ... جِنانٌ من الفردوس ذاتُ رفارفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ ، وسعد بن عُبَادة .

فصل

قال ابن إسحاق[(١)] : فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسولَ الله ﷺ ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها . وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم : عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سَلِمة وأشرافِهم ، وكان قد اتخذ صنماً من خشب في داره يقال له مناة ، كما كانتِ الأشراف يصنعون ، يتخذُه[(٢)] إلَهاً ، يعظِّمه ويُطَهِّرُه ، فلما أسلم فتيانُ بني سَلِمة ؛ ابنه معاذ ، ومعاذ بن جبل كانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرٍو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سَلِمة ، وفيها عِذَرُ الناس منكَّساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم ! مَنْ عدا على إلَهنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسُه ، حتى إذا وجده غسله وطَهَّرَهُ وطيَّبه ثم قال : أما والله لو أعلم مَنْ فعل بك هذا لأخْزِيَنَّه فإذا أمسى ونام عمرو عَدَوْا عليه ففعلوا مثل ذلك . فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهِّره ويطيبه ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقَوْه يوماً فغسله وطهَّره ، ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه ثم قال له : إني والله ما[(٣)] أعلم مَنْ يصنعُ بك ما أرى ، فإنْ كان فيك خيرٌ فامتنعْ ، فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو عدَوْا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلْباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألْقَوْه في بئرٍ من آبار بني سَلِمة فيها عِذَرٌ من عِذَر الناس ، وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكَّساً

= الاسم ، غير أن محقق الدلائل لم يعر هذا التصحيح اهتمامه فبقيت بعض الأسماء محرفة كما كتبها النساخ أو أخرجتها لنا المطبعة . وذكر أبو عبس في الإصابة في الكنى محرفاً أيضاً إلى : أبو عبيس .

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٥٢) والروض (٢/ ٢٠٥) .

(٢) في ح : يصنعون شجرة ، وفي السيرة تتخذه إلهاً تعظمه وتطهِّره .

(٣) في ح : لا .

مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه ، وكلَّمه مَنْ أسلم من قومه فأسلم برحمةِ الله ، وحسُن إسلامه ، فقال حين أسلم ، وعرَفَ من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله الذي أنقذَهُ مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول : [من الرجز]

والله ِلــو كنــتَ إلَهــاً لــم تكُــنْ
أنــتَ وكلــبٌ وسْــطَ بئــرٍ فــي قَــرَنْ
أُفٍّ لملقــاكَ إلَهــاً مُسْتَــدَنْ
الآنَ فتَّشنــاك عــن ســوء الغَبَــن(١)
الحمــدُ لله العلــيِّ ذي المِنَــنْ
الــواهــبِ الــرزَّاقِ ديَّــان الــدِّيَــنْ(٢)
هــو الــذي أنقــذنــي مــن قبــل أنْ
أكــونَ فــي ظلمــة قبــرٍ مُــرْتَهَــنْ(٣)

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية وجملتهم على ما ذكره ابن إسحاق رحمه الله ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان

فمن الأوس أحدَ عشرَ رجلاً ؛ أُسيد بن حُضير أحدُ النقباء ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان بدريٌّ أيضاً ، وسلمة بن سلامة بن وَقْش بدري ، وظُهير بن رافع ، وأبو بُرْدَة بن نيار(٤) بدري ، ونُهير بن الهيثم بن نابي بن مَجْدَعة بن حارثة ، وسعدُ بن خَيْثمة أحدُ النقباء بدريّ وقتل بها شهيداً ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر(٥) نقيبٌ بَدْريّ ، وعبد الله بن جُبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك بدري ، وقُتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرُّماة ، ومَعْنُ بن عدي بن الجَدّ بن عَجْلان بن الحارث بن ضُبيعة البَلَوِيّ ، حليفٌ للأوس ، شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً ، وعُويم بن ساعدة شهد بدراً وما بعدها .

---

(١) « مستدن » : قال أبو ذر في شرح السيرة : ذليل مستعبد . وقال السهيلي في الروض (٢/ ٢١٤) : من السدانة وهي خدمة البيت وتعظيمه . والغَبَن في الرأي اهـ . وفي القاموس : الضعف .

(٢) « الدِّيَن » : جمع دينة ، وهي العادة . ويجوز أن يكون أراد بالدين : الأديان ، أي هو ديَّان أهل الأديان . الروض (٢/ ٢١٤) .

(٣) زادت سيرة ابن هشام هذا البيت :

بأحمد المهدي النبيِّ المُرْتَهنْ

(٤) في ط : دينار تحريف ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والقاموس (نير) .

(٥) في ح : زبير . وفي ط : زنير . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من السيرة وتبصير المنتبه .

ومن الخَزْرَج اثنانِ وستونَ رجلاً ؛ أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدراً وما بعدها ، ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً . ومعاذ بن الحارث ، وأخواه عَوف ومُعَوِّذ وهم بنو عَفْراء بدريُّون ، وعُمارة بن حَزْم شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة ؛ وأسعد بن زرارة أبو أمامة أحدُ النقباء مات قبل بَدْر ، وسهل بن عَتيك بدري ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدري ، وأبو طلحة زيد بن سهل بدري ، وقيسُ بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر ، وعمرو بن غَزِيَّة ، وسعد بن الرَّبيع أحدُ النقباء شهد بدراً وقُتل يوم أحد ، وخارجة بن زيد شهد بدراً وقتل يوم أحد ، وعبدُ الله بن رواحة أحد النقباء شهد بدراً وأُحُداً والخندق ، وقتل يوم مُؤْتة أميراً ، وبَشِير بن سَعْد بدري ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه[1] الذي أُرِيَ النداء [للصلاة][2] وهو بدري ، وخلاد بن سُويد بدريٌّ أُحُديٌّ خَنْدَقيٌّ ، وقتل يوم بني قُرَيْظة شهيداً ، طُرحت عليه رَحًى فشدخَتْه ، فيقال إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ له لأجْرَ شهيدَيْن »[3] وأبو مسعود عُقْبَة بن عمرو البدري ـ قال ابن إسحاق : وهو أحدَثُ مَنْ شهد العقبة سِنّاً ولم يشهد بدراً ، وزياد بن لَبِيد بدري ، وفروة بن عمرو بن وَدْفة[4] بدريّ ، وخالد بن قيس بن مالك بدري ، ورافع بن مالك أحد النقباء ، وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ، وهو الذي يقال له مهاجري أنصاري لأنه أقام عند رسولِ الله ﷺ بمكة حتى هاجر منها وهو بدريٌّ قُتل يوم أُحُد ، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدري ، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدريٌّ أيضاً ، والبراء بن مَعْرور أَحَدُ النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سَلِمة ، وقد مات قبل مَقْدَم النبيِّ ﷺ المدينة ، وأوصى له بثلُث ماله ، فردَّه رسول الله ﷺ على وَرَثَتِه ، وابنهُ بِشْر بن البَرَاء وقد شهد بدراً وأحداً والخندق وماتَ بخَيْبَر شهيداً من أكْلِه مع رسولِ الله ﷺ من تلك الشاة المَسْمومة رضي الله عنه ، وسِنَان بن صَيْفيِّ بن صَخْر بدري ، والطُّفيل بن النعمان بن خَنْساء بدري ، قتل يوم الخندق ، ومعقل بن المنذر بن سَرْح بدري ، وأخوه يزيد بن المنذر بدري ، ومسعود بن زيد[5] بن سُبيع ، والضحاك بن

---

(١) كذا في ح ، ط وأصول سيرة ابن هشام وفي الاستيعاب في الإصابة : عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله .
(٢) من سيرة ابن هشام (١/ ٤٥٩) .
(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٣١) عن أحمد بن إبراهيم قال : أخبرنا أبو فضالة الفرج بن فضالة عن عبد الخبير بن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده فذكره . أقول : وإسناده ضعيف .
(٤) في سيرة ابن هشام : وذفة . ويقال : وَدْفَة . وضبطه ابن حجر في آخر ترجمته في الإصابة بقوله : ضبطه الداني في كتاب أطراف الموطأ له بفتح الواو وسكون الدال المهملة بعدها قاف . قال : وهي الروضة . قلت : والصحيح هو ضبط ابن هشام لأنه ليس في المعجمات : ودقة . بالقاف بمعنى الروضة إنما هو : وَدْفة . والذال المعجمة لغة فيه . وبهذا ضبطه ابن دريد في الاشتقاق (ص٤٦١) قال : والوَذَفَة زعموا : الروضة . ويقال : استوذفتُ الإناء إذا استقطرت ما فيه . وقال السهيلي في الروض (٢/ ٢١٥) : وَدْفة بدال مهملة وهو الأصح .
(٥) في السيرة : يزيد والمثبت من ح ، ط والإصابة في ترجمته .

حارثة بن زيد بن ثعلبة بدري ، ويزيد بن خِذَام بن سُبيع[(١)] ، وجبَّار بن صَخْر [بن أمية][(٢)] بن خنساء بن سنان بن عُبيد بدري ، والطفيل بن مالك بن خنساء بدري ، وكعب بن مالك ، وسليم بن عمرو[(٣)] بن حَديدة بدري، وقُطْبة بن عامر بن حَديدة بدري ، وأخوه أبو المنذر يزيد بدريٌّ أيضاً ، وأبو اليَسَر كعب بن عمرو بدري ، وصَيْفيّ بن سَوَاد بن عبَّاد ، وثعلبة بن غَنَمة بن عدي بن نابي بدري واستشهد بالخندق ، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدي ، وعَبْس بن عامر بن عدي بدري ، وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي ، وعبد الله بن أُنَيس حَليفٌ لهم من قضاعة ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام أحد النقباء بدري ، واستشهد يوم أحد ، وابنه جابر بن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجَمُوح بدري ، وثابت بن الجِذْع بدري ، وقتل شهيداً بالطائف ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بدري ، وخَديج بن سلامة حليفٌ لهم من بَلِيّ ، ومعاذ بن جَبَل ، شهد بدراً وما بعدها ومات بطاعون عَمَوَاس في خلافة عمر بن الخطاب ، وعُبادة بن الصامت أحد النقباء شهد بدراً وما بعدها ، والعباس بن عُبَادة بن نَضْلَة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها[(٤)] فكان يقال له مهاجري أنصاري أيضاً ، وقتل يوم أحدٍ شهيداً ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثَعلبة بن خَزْمة[(٥)] بن أصْرم حليفٌ له من بَلِيّ ، وعمرو بن الحارث بن كِنْدَة[(٦)] ، ورفاعة بن عمرو بن زيد بدري ، وعُقبة بن وهب بن كَلَدة ، حليفٌ لهم بدري ، وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجريٌّ أنصاريٌّ أيضاً ، وسعدُ بن عُبَادة بن دُلَيْم أحدُ النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيبٌ بدري أُحُديّ ، وقُتل يوم بئر معونة أميراً ، وهو الذي يُقال له : « أعْنَقَ لِيَمُوت »[(٧)] وأما المرأتان فأمُّ عُمارة نُسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجّار المازنيَّة النجَّارية . قال ابن إسحاق : وقد كانتْ شهدتِ الحربَ مع رسولِ الله ﷺ وشهدتْ معها أختُها وزوجُها زيد بن عاصم [بن كعب ، وابناها

(١) في الإصابة في ترجمة يزيد : يزيد بن خدام بن سبيع بموحدة مصغَّراً قال ابن حجر : واختلف النسخ في مغازي موسى بن عقبة ، ففي بعضها كذلك وفي بعضها حرام وفي بعضها خدارة .

(٢) زيادة من السيرة وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص٣٥٩) .

(٣) في ط : عامر ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ، وكلاهما صحيح كما قال ابن حجر في الإصابة : عمرو أو عامر .

(٤) يعني حتى هاجر مع رسول الله ﷺ .

(٥) ويقال فيه : خَزَمة بالتحريك . الروض (٢/ ٢١٥) .

(٦) في السيرة والروض : لبدة . وأظنه تصحيفاً .

(٧) في ط : أعتق بمثناة من فوق تصحيف ، والصواب بالنون كما جاء في ح وسيرة ابن هشام . والقائل هو الرسول ﷺ ، أخرجه البيهقي في الدلائل باب غزوة بئر معونة (٣/ ٣٤٢) بسنده عن موسى بن عقبة ، وفيه : أعتق مصحَّف . قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٣١٠/ عنق) : ومنه الحديث أنه بعث سرية ، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى بني سليم فانتحى له عامر بن الطفيل فقتله ، فلما بلغ النبي ﷺ قتله قال : أعنق ليموت . أي إن المنية أسرعت به وساقته إلى مصرعه . اهـ . وكذا ذكره الزمخشري في الفائق (٣/ ٧٢) وقال : أعنق : من العَنَق ، وهو سيرٌ فسيح .

حَبيب(١) وعبد الله ، وابنها حَبيب هذا هو الذي قتله مُسيلمة الكذَّاب](٢) حين جعل يقول له : أتشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله ؟ فيقول نعم ، فيقول : أتشهدُ أني رسولُ الله ؟ فيقول : لا أسمع فجعل يقطِّعُه عضواً عضواً حتى مات في يديه ، لا يزيدُه على ذلك ؛ فكانت أمُّ عُمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قُتل مسيلمة ورجعتْ وبها اثنا(٣) عشر جرحاً من بينِ طعنةٍ وضربة رضي الله عنها وأرضاها ، والأخرى أمُّ مَنيع أسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة رضي الله عنها .

باب
بُدُوِّ الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزُّهْري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ـ وهو يومئذ بمكة ـ للمسلمين : « قد أُريتُ دار هجرتِكم ، أريتُ سَبْخَةً ذاتَ نَخْلٍ بين لابَتَيْنِ »(٤) فهاجر مَنْ هاجر قِبَلَ المدينة حينَ ذَكَر رسولُ الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة [بعضُ] مَنْ كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين .

رواه البخاري(٥) .

وقال أبو موسى عن النبي ﷺ : « رأيتُ في المنام أني أهاجرُ من مكَّةَ إلى أرضٍ بها نخل ، فذهب وَهَلي(٦) إلى أنها اليمامةُ أو هَجَر ، فإذا هي المدينة يَثْرِب » .

وهذا الحديث قد أسندَهُ البخاري في مواضع أخر بطوله ، ورواه مسلم كلاهما عن أبي كُريب(٧) ، زاد مسلم : وعبد الله بن بَرَّاد(٨) كلاهما عن أبي أسامة ، عن بُرَيد(٩) بن عبد الله بن أبي بُرْدة عن جدِّه أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، عن النبي ﷺ الحديث بطوله .

---

(١) في ط : خبيب . بخاء معجمة وهو تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن هشام وترجمته في الإصابة بحاء مهملة وبوزن عَظِيم .
(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .
(٣) في ح ، ط : اثني عشر جرحاً .
(٤) وهما الحَرَّتان ، والحرَّة أرض حجارتها سود . فتح الباري (٧/ ٢٣٤) .
(٥) فتح الباري (٢٢٩٧) الكفالة باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وما مر بين معقوفين منه .
(٦) وَهَلتُ بالفتح أهِلُ وهلاً : إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره مثل وهمت . فتح الباري (١٢/ ٤٢٢) .
(٧) أخرجه البخاري فتح (٧/ ٢٢٦) مناقب الأنصار أول باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه وأخرجه أيضاً في (٣٦٢٢) المناقب باب علامات النبوة (٧٠٣٥) التعبير باب إذا رأى بقراً تنحر ، وصحيح مسلم (٢٠ ـ ٢٢٧٢) الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ .
(٨) في ط : مراد . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح مسلم والإكمال (١/ ٢٤٤) .
(٩) في ح ، ط : يزيد تصحيف ، والمثبت من صحيح مسلم والإكمال (١/ ٢٢٧) .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[١] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السِّياري بمَرْو ، وحدثنا إبراهيم بن هلال ، حدثنا العامري ، عن علي بن الحسن بن شقيق ، حدَّثنا عيسى بن عُبيد الكِنْدي ، عن غيلان بن عبد الله العامري ، عن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير ، عن جرير ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إن الله أوحَى إليَّ : أيَّ هؤلاء البلاد الثلاث نزلتَ فهيَ دارُ هجرتك ؛ المدينة ، أو البحرَيْن ، أو قِنَّسْرِين » قال أهلُ العلم : ثم عزَمَ له على المدينة فأمر أصحابَهُ بالهجرة إليها .

هذا حديثٌ غريبٌ جداً ، وقد رواهُ الترمذي في المناقب من جامعه[٢] منفرداً به عن أبي عمار الحسين بن حُريث ، عن الفضل بن موسى ، عن عيسى بن عُبيد ، عن غيلان بن عبد الله العامريّ ، عن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير ، عن جرير ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الله أوحَى إليَّ : أيَّ هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دارُ هجرتك ؛ المدينة ، أو البَحْرَين ، أو قِنَّسْرين » . ثم قال : غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث الفضل ، تفرَّد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامري هذا ذكره ابن حِبَّان في « الثقات »[٣] إلا أنه قال : روى عن أبي زرعة حديثاً منكراً في الهجرة[٤] ، والله أعلم .

قال ابنُ إسحاق[٥] : لما أذن الله تعالى في الحرب [بقوله : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج : ٣٩ ـ ٤٠] الآية . فلما أذنَ الله في الحرب][٦] وبايعه هذا الحيُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ، ولمن اتبعه ، وأوَى إليهم من المسلمين ، أمر رسولُ الله ﷺ أصحابَهُ من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال : « إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنونَ بها » فخرجوا أرسالاً ، وأقام رسولُ الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فكان أولَ من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسولِ الله ﷺ من المهاجرينَ من قريش من بني مخزوم ، أبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأسَد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذَتْهُ قريش مَرْجِعَهُ من الحبشة فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها .

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٤٥٨) .

(٢) جامع الترمذي (٣٩٢٣) المناقب باب في فضل المدينة .

(٣) الثقات (٧/ ٣١١) .

(٤) قال بشار : هو شبه الموضوع .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٨) والروض (٢/ ٢١١) .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في سيرة ابن هشام .

قال ابن إسحاق[١] : فحدَّثني أبي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سَلَمة ، عن جدَّته أمِّ سلمة قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروجَ إلى المدينة رحلَ لي بعيرَه ، ثم حملني عليه ، وجعل معي ابني سلمةَ بن أبي سلمة في حَجْري ، ثم خرج يقود بي بعيرَه ، فلما رأتْهُ رجالُ بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسُك غلبتَنا عليها ، أرأيت صاحبتنا[٢] هذه علامَ نتركُكَ تسيرُ بها في البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رَهْطُ أبي سلمة فقالوا : لا والله لا نتركُ ابننا عندها إذْ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يدَه ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففُرِّق بيني وبين ابني وبين زوجي . قالت : فكنت أخرجُ كلَّ غداة فأجلسُ في الأبْطَح ، فما أزالُ أبكي حتى أُمسي ـ سنةً أو قريباً منها ـ حتى مرَّ بي رجلٌ من بني عمِّي أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرَحِمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون[٣] من هذه المسكينة ؟ فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت : فقالوا لي الحَقي بزوجك إنْ شئت . قالت : فردّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني . قالت : فارتحلتُ بعيري ، ثم أخذتُ ابني فوضعتُه في حَجْري ، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة . قالت : وما معي أحدٌ من خلق الله . [قالت : فقلت : أتبلَّغ بمن لَقيتُ حتى أقدم على زوجي .] حتى إذا كنتُ بالتَّنْعيم[٤] لقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال : إلى أين يا ابنة أبي أميَّة ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معي أحدٌ إلا الله وبُنَيّ هذا . فقال : والله ما لك من مَترك . فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صحبتُ رجلاً من العرب قطّ ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخَ بي ثم استأخَرَ عني ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحطَّ عنه ، ثم قيَّدَه في الشجر ، ثم تنحَّى إلى شجرةٍ فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرَّواح قام إلى بعيري فقدَّمه فرحَله ثم استأخر عني وقال : اركبي . فإذا ركبتُ فاستويتُ على بعيري أتَى فأخذ بخطامه ، فقادني حتى ينـزل بي ، فلم يـزلْ يصنعُ ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُبَاء قال : زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً ـ فادْخُليها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً إلى مكَّة . فكانت تقول : ما أعلمُ أهلَ بيتٍ في الإسلام أصابهم ما أصابَ آلَ أبي سَلَمة ، وما رأيتُ صاحباً قطُّ كان أكرم من عثمانَ بن طلحة .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٩) والروض (٢/ ٢١١) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٢) في السيرة والروض : صاحبتك .

(٣) كذا في ط والسيرة ، وفي ح بمهملات . قلت : لعل الصواب : تحرَّجُون . من قولهم : تحرَّج من كذا : إذا تأثم . اللسان (حرج) .

(٤) « التنعيم » : موضعٌ بمكة في الحِلّ ، وهو بين مكة وسَرِف ، على فرسخين من مكة وقيل على أربعة . معجم البلدان (٢/ ٤٩) .

أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري هذا بعد الحُديبية ، وهاجر هو وخالدُ بن الوليد معاً ، وقتل يوم أحد أبوه وإخوته ؛ الحارث وكلاب ومُسافع ، وعمه عثمان بن أبي طلحة . ودَفَع إليه رسولُ الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابنِ عمه شيبة والد بني شيبة مفاتيحَ الكعبة ، أقرَّها عليهم في الإسلام كما كانتْ في الجاهليَّة ، ونزل في ذلك قولُه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] .

قال ابن إسحاق[(١)] : ثم كان أوّلَ من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامرُ بن ربيعة حليفُ بني عدي ، معه امرأتُه ليلى بنتُ أبي حَثْمَة العدويَّة ، ثم عبدُ الله بن جحش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبْرَة بن مرَّة بن كبير[(٢)] بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ، حليفُ بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد أبي أحمد[(٣)] .

وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر ، وكان يطوفُ مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمُّه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، فغُلِّقَتْ دارُ بني جحش هجرةً ، فمرَّ بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مُصْعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة تخفِقُ أبوابُها يَبَاباً ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفَّس الصُّعَداء وقال : [من البسيط]

وكلّ دارٍ وإنْ طالتْ سلامتُها ... يوماً ستدركُها النَّكْباءُ والحُوبُ[(٤)]

قال ابنُ هشام : وهذا البيت لأبي دُوَاد الإيادي في قصيدةٍ له ـ [قال السُّهيلي[(٥)] : واسم أبي دُوَاد حنظلة بن شرقي وقيل جارية][(٦)(٧)] ـ ثم قال عتبة : أصبحت دارُ بني جحش خلاءً من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكي عليه من قُلِّ بن قُلٍّ[(٨)] ثم قال ـ يعني للعباس ـ : هذا من عمل ابنِ أخيك هذا ، فرَّق جماعتنا ، وشتَّت أمْرَنا ، وقطعَ بيننا .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٠) والروض (٢/ ٢١٢) .
(٢) في سيرة ابن هشام والروض : كثير . وهو تصحيف ، صوابه من الإكمال (٧/ ١٦٠) .
(٣) زادت نسخة ط هنا ما نصه : اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل : ثمامة . قال السهيلي : والأول أصح . وليست هذه الزيادة في ح وربما كانت هذه الزيادة من تعليقات على الكتاب فأدخلها النساخ في المتن والله أعلم .
(٤) الحُوب : التوجُّع .
(٥) في الروض (٢/ ٢١٦) .
(٦) ما بين المعقوفين ليس في ح . ولعله من تعليقات على الأصل ثم أدخله النساخ في المتن . انظر الحاشية السابقة .
(٧) في ط : حارثة . وهو تصحيف ، والمثبت من الروض (٢/ ٢١٦) والخزانة (٩/ ٥٩٠) والإكمال (٢/ ٣) وفيها : جارية بن الحجاج .
(٨) في ط : فل بن فل بالفاء، وهو تصحيف، والمثبت من السيرة وفيه: قال ابن هشام: القُلّ: الواحد . قال لبيد بن ربيعة: [من المنسرح]

كل بني حرة مصيرهم ... قلٌّ وإن أكثرتْ من العَدَدِ

قال ابن إسحاق[١] : فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقُبَاء على مُبَشِّر بن عبد المنذر ، ثم قدم المهاجرون أرسالا . قال : وكان بنو غَنْم بن دُودان أهلَ إسلام قد أوْعَبوا إلى المدينة هجرةً ، رجالُهم ونساؤهم[٢] ، وهم عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب ، وأرْبد بن حُمَيِّر[٣] ومُنقذ بن نُبَاتة ، وسعيد بن رقيش ، ومُحرز بن نَضْلَة ، وزيد بن رُقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن مِحْصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثَقْف بن عمرو ، وربيعة بن أكثم . والزُّبير بن عبيدة ، وتمَّام بن عُبيدة ، وسَخْبَرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش .

ومن نسائهم زينبُ بنتُ جَحْش ، وحَمْنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجُدَامة[٤] بنت جَنْدَل ، وأم قيس بنت مِحْصَن ، وأمّ حبيب بنت ثُمَامة ، وآمنة بنت رُقيش ، وسَخْبَرَة بنت تميم .

قال أبو أحمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة[٥] : [من الطويل]

ولمـا رأتنـي أمُّ أحمـدَ غـاديـاً ... بذمَّةِ مَنْ أخشى بغيبٍ وأرهَبُ
تقـولُ فـإمَّـا كنـتَ لا بـدَّ فـاعـلاً ... فيمِّـمْ بنـا البلـدانَ ولْنَنْـأ يثـربُ
فقلـتُ لهـا مـا يثـربٌ بمظَنَّـةٍ[٦] ... وما يشأ الرحمنُ فالعبدُ يركب
إلى اللهِ وجْهي والرسولِ ومن يُقِمْ ... إلـى الله يـومـاً وجهَـه لا يُخَيَّـب
فكَمْ قد تركنا من حميم مُناصحٍ ... ونـاصحـةٍ تبكـي بـدمـعٍ وتنـدُب
تـرى أن وتـراً نـائيـاً عـن بـلادنـا ... ونحن نرى أنَّ الرغائبَ نطلُب
دعوتُ بني غَنْم لحقْنِ دمائهم ... وللحـقِّ لمـا لاح للنـاس مَلْحَـبُ
أجـابـوا بحمـدِ الله لمـا دعـاهُـمُ ... إلى الحقِّ داعٍ والنجاحِ فأوعبوا
وكنَّا وأصحاباً لنا فارقوا الهُدَى ... أعـانـوا علينـا بـالسـلاح وأجْلبـوا
كفَـوجَيْـن أمَّـا مِنْهُمـا فمـوفَّـقٌ ... على الحقِّ مهديٌّ وفوجٌ معذَّبُ

---

(١) في السيرة لابن هشام (١/ ٤٧١) والروض (٢/ ٢١٣) .
(٢) « أوعب بنو فلان » : جلَوْا أجمعون . اللسان (وعب) .
(٣) في ط : جُميرة . وسقط من ح ، وفي سيرة ابن هشام : ابن حُمَيِّرة ، ويقال ابن حُمَيْرَة . والمثبت من الإكمال (٢/ ٥١٧) والإصابة وقال ابن حجر فيه : أربد بن جُبير ، وقيل ابن حمزة ، وقيل ابن حُمَيِّر مصغَّراً مثقَّلاً ، وبهذا الأخير جزم ابن ماكولا .
(٤) في سيرة ابن هشام : جذامة . بالذال المعجمة ، تصحيف ، والصواب بالمهملة من القاموس . وانظر الروض (٢/ ٢١٨) .
(٥) الأبيات في السيرة لابن هشام (١/ ٤٧٣) والروض (٢/ ٢١٣) .
(٦) في سيرة ابن هشام والروض : بل يثرب اليوم وجهنا .

طَغَوا وتمنَّوا كِذبةً وأزلَّهم ... عن الحقِّ إبليسٌ فخابوا وخيّبوا
ورعنا إلى قول النبيّ محمدٍ ... فطابَ ولاةُ الحق منا وطُيِّبوا
نمُتُّ بأرحامٍ إليهم قريبةٍ ... ولا قُرْبَ بالأرحام إذ لا تُقَرَّبُ
فأيُّ ابنِ أختٍ بعدنا يأمننّكم ... وأيَّةُ صِهْرٍ بعد صهري يرقَّب
ستعلم يوماً أيُّنا إذ تزايلوا ... وزُيِّل أمرُ الناسِ للحقِّ أصوبُ

قال ابن إسحاق(١) : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة . فحدَّثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، قال : اتَّعدنا لما أردتُ الهجرةَ إلى المدينة أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص ؛ التَّناضب من أضاةِ بني غِفَار فوق سَرِف(٢) ، وقلنا : أيُّنا لم يُصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه . قال : فأصبحتُ أنا وعياش عند التَّناضب(٣) ، وحُبس هشام وفُتن فافتتن ؛ فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش ـ وكان ابنَ عمِّهما وأخاهما لأمِّهما ـ حتى قدما المدينة ورسولُ الله ﷺ بمكة ، فكلَّماه وقالا له : إنَّ أمك قد نذرَتْ أن لا يمسَّ رأسها مشط حَتَّى تراك ، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك ، فرقَّ لها ، فقلت له : إنه والله إنْ يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحْذَرْهم ، فوالله لو قد آذى أمَّك القملُ لامتشطَتْ ، ولو قد اشتدَّ عليها حرُّ مكة لاستظلَّتْ . قال فقال : أبرُّ قسم أُمِّي ولي هنالك مالٌ فآخذه . قال : قلت والله إنَّك لتعلمُ أني لمِن أكثرِ قريشٍ مالاً ، فلك نصفُ مالي ولا تذهبْ معهما . قال : فأبَى عليَّ إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت : أمَّا إذْ فعلت ما فعلت ، فخُذْ ناقتي هذه فإنَّها ناقة نَجِيبة ذَلُول فالْزَمْ ظهرَها ، فإنْ رابكَ من أمر القوم رَيْبٌ فانْجُ عليها .

فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخي ، والله لقد استغلظتُ بعيري هذا ، أفلا تُعْقِبُني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . فأناخ وأناخا ليتحوَّل عليها ، فلما استوَوْا بالأرض عدَوَا عليه فأوثقاهُ رباطاً ، ثم دخلا به مكة ، وفتَناهُ فافتتن .

قال عمر : فكنَّا نقول لا يقبلُ اللهُ ممنِ افتتن توبةً . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم ، حتى قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ، وأنزل الله : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٣ ـ ٥٥] . قال عمر : فكتبتها بيدي ، وبعثتُ بها إلى هشام بن العاص . قال هشام : فلما أتتني جعلتُ اقرؤها بذي

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٤) والروض (٢/ ٢١٩) .
(٢) أضاءة بني غفار : على عشرة أميال من مكة ، والأضاة : الغدير ، كأنها مقلوب من وضأة ، واشتقاقه من الوضاءة بالمد وهي النظافة . الروض (٢/ ٢٢٧) .
(٣) الضبط من معجم البلدان (٢/ ٤٧) وبعضهم يضمُّ الضاد وهو موضع قرب مكة .

طُوَى[١] أُصَعِّد بها فيه وأُصَوِّب أخرى ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهِّمْنيها ، فألقى الله في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا وفيما كنَّا نقولُ في أنفسنا ، ويقال فينا . قال : فرجعتُ إلى بعيري فجلستُ عليه فلحقتُ برسولِ الله ﷺ بالمدينة .

وذكر ابنُ هشام[٢] أنَّ الذي قدم بهشام بن العاص ، وعياش بن أبي ربيعة إلى المدينة ؛ الوليد بن الوليد بن المغيرة ، سرقهما من مكة وقدِم بهما يحملهما على بعيره وهو ماشٍ معهما ، فعثر فدميَتْ أصبعُه فقال : [من الرجز]

هل أنتِ إلا أصبعٌ دَميتِ   وفي سبيلِ الله ما لَقِيتِ

وقال البخاري[٣] : حدَّثنا أبو الوليد ، حدَّثنا شعبة ، أنبأنا أبو إسحاق ، سمع البراء قال : أَوَّلُ مَنْ قدم علينا مصعبُ بن عُمير وابنُ أمِّ مكتوم ، ثم قدم علينا عمَّار وبلال .

وحدَّثني محمد بن بشَّار ، حدَّثنا غُنْدَر ، حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعتُ البراء بن عازِب قال : أولُ مَنْ قدِم علينا مصعبُ بن عمير وابنُ أُمِّ مَكْتُوم ، وكانا يقرئانِ الناسَ ، فقدِمَ بلالٌ وسعدٌ وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نَفَراً من أصحاب النبيِّ ﷺ ، ثم قدم النبيُّ ﷺ فما رأيتُ أهلَ المدينة فرحوا بشيءٍ فرحَهم برسولِ الله ﷺ حتى جعل الإماءُ يقلن : قدم رسولُ الله ﷺ . فما قدم حتى قرأت : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ في سورٍ من المفصَّل .

ورواهُ مسلم في « صحيحه »[٤] من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب بنحوه وفيه التصريح بأنَّ سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسولِ الله ﷺ المدينة .

وقد زعم موسى بن عقبة ، عن الزهري ، أنه إنما هاجر بعد رسولِ الله ﷺ والصواب ما تقدَّم .

قال ابن إسحاق[٥] : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر ، وخُنيس بن حُذَافة السهمي زوج ابنته حفصة ، وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، وواقد بن عبد الله التميمي حليفٌ لهم ، وخَوْليُّ بن أبي خَوْليّ ، ومالك بن أبي خَوْلي حليفانِ لهم من بني عِجْل، وبنو البُكير إياس وخالد وعاقل وعامر وحلفاؤهم من بني

---

(١) ذو طُوَى : موضع عند مكة . معجم البلدان (٤/ ٤٥) .
(٢) في السيرة (١/ ٤٧٦) .
(٣) في صحيحه فتح (٣٩٢٤) مناقب الأنصار باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .
(٤) كذا ، ولم أجده في صحيح مسلم ولا ذكره المزي في تحفة الأشراف في حديث إسرائيل عن أبي إسحاق ، فهو وهم بلا ريب . والرواية التي فيها التصريح بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم الرسول ﷺ ساقها أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٤) عن عفان حدثنا شعبة عن أبي إسحاق به . ورواه أيضاً في (٤/ ٢٩١) عن محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي إسحاق به .
(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٦) والروض (٢/ ٢٢٠) .

سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر[١] في بني عمرو بن عوف بقباء .

قال ابنُ إسحاق[٢] : ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم ، فنزل طلحةُ بن عبيد الله وصُهيب بن سنان على خُبيب بن إساف أخي بَلْحارث بن الخزرج بالسُّنْح[٣] . ويقال بل نزل طلحة على أسعد بن زُرَارة .

قال ابن هشام[٤] : وذُكر لي عن أبي عثمان النَّهْديّ أنه قال : بلغني أنَّ صُهيباً حين أراد الهجرة قال له كفَّارُ قريش : أتيتنا صُعْلوكاً حَقيراً فكثُر مالك عندنا وبلغتَ الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكونُ ذلك . فقال لهم صُهيب : أرأيتم إنْ جعلتُ لكم مالي أتخلُّون سبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإني قد جعلتُ لكم مالي . فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال : « رَبِحَ صُهيب ، رَبِحَ صُهيب » وقد قال الحافظ البيهقي[٥] : حدَّثنا الحافظ أبو عبد الله ـ إملاءً ـ أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال ، أخبرنا عبدان الأهوازي ، حدَّثنا زيد بن الحَرِيش[٦] ، حدَّثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدَّثنا[٧] حصين بن حذيفة بن صيفي بن صُهيب ، حدَّثني أبي وعمومتي ، عن سعيد بن المُسَيِّب ، عن صهيب ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أريتُ دارَ هجرتكم سَبَخَةً بين ظهرانيْ حرَّتَيْن ، فإمَّا أن تكون هَجَر أو تكون يثرب » قال : وخرج رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنتُ قد هممت معه بالخروج فصدَّني فتيانٌ من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقومُ لا أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطْنه ـ ولم أكن شاكياً ـ فناموا . فخرجتُ ولحقني منهم ناسٌ بعدما سرت بريداً[٨] ليردُّوني ، فقلت لهم : هل لكم أن أعطيَكم أواقي[٩] من ذهب وتخلُّوا سبيلي ، وتوفون لي ؟ ففعلوا . فتبعتُهم[١٠] إلى مكة فقلت : احفروا تحت أُسْكُفَّة الباب فإنَّ تحتها أواقي[٩] ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحُلَّتَيْن ، وخرجتُ حتى قدمت على رسولِ الله ﷺ قُباء قبل أن يتحوَّل منها ، فلما رآني قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » ـ ثلاثاً ـ فقلت : يا رسول الله ، ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام .

قال ابن إسحاق[١١] : ونزل حمزةُ بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مَرْثَد كَنَّاز بن

---

(١) في ط : زنير وفي ح زبير : والمثبت من الإكمال (٤/ ١٦٧) .
(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٧) والروض (٢/ ٢٢٠) .
(٣) « السُّنْح » : موضع قرب المدينة . القاموس (سنح) .
(٤) السيرة (١/ ٤٧٧) والروض (٢/ ٢٢٠) .
(٥) في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٢) .
(٦) في ط : الجريش بالجيم تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل والإكمال (٢/ ٤٢٢) .
(٧) في ح : انا .
(٨) في ط : يريدوا . تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل .
(٩) في ح : أواني . والمثبت من ط والدلائل .
(١٠) في الدلائل : فسقتهم .
(١١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٨) والروض (٢/ ٢٢٠) .

الحُصَين[١] وابنه مرثد الغنويّان حليفا حمزة ، وأنَسَة وأبو كبشة موليا رسولِ الله ﷺ على كلثوم بن الهِدْم أخي بني عمرو بن عوف بقُباء ، وقيل على سعد بن خيثمة ، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة . [والله أعلم][٢] . قال : ونزل عُبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحُصين ومِسْطَح بن أُثَاثَة وسُويبط بن سعد بن حُريملة أخو بني عبد الدار وطُليب بن عُمير أخو بني عبد بن قصي وخَبَّاب مولى عتبة بن غَزْوان على عبد الله بن سلمة أخي بَلْعَجْلان بقُباء .

ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجالٍ من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزُّبير بن العوام وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم على منذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحَة بن الجُلاح بالعُصْبة دار بني جَحْجَبَى ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حُذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة .

قال[٣] ابنُ إسحاق ، وقال الأموي : على خُبيب بن إساف أخي بني حارثة .

ونزل عتبة بن غزوان على عبَّاد بن بِشْر بن وَقْش في بني عبد الأشْهَل ؛ ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسَّان بن ثابت في دار بني النجَّار .

قال ابنُ إسحاق[٤] : ونزل العُزَّابُ من المهاجرين على سَعْد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عَزَباً والله أعلم أيَّ ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان[٥] : حدَّثني أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زُرارة بن مُصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، حدَّثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : قدمنا من مكة فنزلنا العُصْبة ، ونزل عمر بن الخطَّاب وأبو عبيدة بن الجرَّاح وسالم مولى أبي حذيفة ، فكان يؤمُّهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآنا .

فصل

في سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة

قال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] أرشده الله وألهمه أن يدعوَ بهذا الدُّعاء [و] أن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً ومخرجاً

---

(١) في السيرة والروض : حِصْن . وكلاهما صحيح كما في القاموس (كنز) .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح ولا في السيرة .

(٣) كذا في ح ، ط ولعل الصواب : قاله . يعني القول السابق وهو موجود في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٩) فتكون هذه العبارة ملحقة عندئذ بالفقرة السابقة .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٠) والروض (٢/ ٢٢١) .

(٥) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٦٧) وهو في القسم المفقود من الكتاب ونقله المحقق من هنا .

عاجلاً ، فأذن له تعالى في الهجرةِ إلى المدينة النبويّة حيث الأنصار والأحباب فصارت له داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال أحمد بن حنبل[١] وعثمان بن أبي شيبة[٢] ، عن جرير ، عن قابوس بن أبي ظَبْيَان[٣] ، عن أبيه ، عن ابن عباس : كان رسول الله ﷺ بمكة ، فأمر بالهجرة وأُنزل عليه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] .

وقال قتادة : ﴿ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ المدينة ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ الهجرة من مكة ﴿ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ كتاب الله وفرائضه وحدوده .

قال ابنُ إسحاق[٤] : وأقام رسولُ الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذَن له في الهجرة ولم يتخلَّفْ معه بمكة إلا من حُبس أو فُتن ، إلا عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذنُ رسولَ الله ﷺ في الهجرة فيقول له : « لا تَعْجَلْ لعلَّ اللهَ يجعلُ لك صاحباً » فيطمع أبو بكر أن يكونه .

فلما رأتْ قريشٌ أنَّ رسول الله ﷺ قد صار له شيعةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منَعةً ، فحذِرُوا خروجَ رسولِ الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ـ وهي دارُ قصيّ بن كلاب التي كانت قريشٌ لا تقضي أمراً إلا فيها ـ يتشاورونَ فيما يصنعون في أمر رسولِ الله ﷺ حين خافوه .

قال ابن إسحاق[٤] : فحدَّثني من لا أَتَّهمُ من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جَبْر[٥] وغيره ممن لا أَتَّهم ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما اجتمعوا لذلك واتَّعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمرِ رسولِ الله ﷺ غدَوْا في اليوم الذي اتَّعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزَّحْمة ، فاعترضهم إبليسُ لعنه الله في هيئة شيخٍ جليل عليه بتٌّ[٦] له فوقف على باب الدار ، فلما رأوه

---

(١) في مسنده (١/ ٢٢٣) رقم (١٩٤٨) .

(٢) أخرجه من طريق عثمان : الحاكم (٣/ ٣) وعنه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥١٦) . ورواه الترمذي (٣١٣٩) عن أحمد بن منيع عن جرير ، والطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٨) عن سفيان بن وكيع ومحمد بن حميد الرازي عن جرير ، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٧٢) من طريق الحسين بن سيار عن جرير ، وصححه الترمذي مع ضعف قابوس بن أبي ظبيان . (بشار) .

(٣) في ح : طهمان . تصحيف ، والمثبت من ط وتقريب التهذيب لابن حجر في ترجمة قابوس .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٠) والروض (٢/ ٢٢١) .

(٥) زادت ح ، ط : عن عبد الله بن عباس . وليست هذه الزيادة في السيرة وهي مقحمة على النص فحذفتُها .

(٦) « البتُّ » : كساء غليظ مربّع ، وقيل طيلسان من خز ويجمع على بتوت . النهاية لابن الأثير (بتت/ ١/ ٩٢) . وفي السيرة وط : بتله . وأظنه تصحيفاً من وصل التاء باللام .

واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نَجْد ، سمع بالذي اتعدتم له فحضرَ معكم ليسمعَ ما تقولون ، وعسى أن لا يُعْدِمَكم منه رايأ ونُصْحاً . قالوا : أجل فادخلْ . فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرافُ قريش : عتبة ، وشيبة ، وأبو سفيان وطعيمة بن عدي ، وجُبير بن مُطْعِم بن عدي ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والنضْر بن الحارث وأبو البَخْتَرِيّ بنُ هشام ، وزَمَعَة بن الأسود ، وحَكيم بن حِزَام ، وأبو جَهل بن هشام ونُبيه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج وأمية بن خلف ، ومَنْ كان منهم[١] وغيرهم ممن لا يعدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إنَّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتَّبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً . قال : فتشاوروا ، ثم قال قائلٌ منهم ـ[قيل إنه أبو البَخْتَرِي بنُ هشام][٢] ـ : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم ترَّبصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زهيراً والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجَنَّ أمرُه من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأي .

فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وأُلْفَتَنا كما كانت . قال الشيخ النجديّ : لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوةَ منطقِه ، وغلبته على قلوب الرجال ، بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ[٣] أنْ يحلّ على حيٍّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم بين أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أو تروا[٤] فيه رأياً غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إنَّ لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كلِّ قبيلةٍ فتًى شابًّا جَليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كلَّ فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يَعْمِدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجلٍ واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه ؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمُهُ في القبائل جميعها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً . فرضوا منا بالعقل فعقَلْناه لهم . قال : يقول الشيخُ النجدي : القولُ ما قال الرجل ، هذا الرأي ، ولا رأي غيره : فتفرَّقَ القومُ على ذلك وهم مجمعون له .

---

(١) في السيرة : معهم .
(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .
(٣) في السيرة : ما أمنتم .
(٤) في السيرة : دبِّروا ، والمثبت من ط .

فأتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ فقال له : لا تبتْ هذه الليلةَ على فراشكَ الذي كنتَ تَبيتُ عليه . قال : فلما كانت عَتَمةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسولُ الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : « نمْ على فراشي وتَسَجَّ بِبُرْدِي هذا الحَضْرَميِّ الأخضر ، فنمْ فيه ، فإنه لن يخلُصَ إليك شيءٌ تكرهه منهم » وكان رسولُ الله ﷺ ينامُ في بُرْده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التي ذكرها ابنُ إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعليّ وسُراقة ابن مالك بن جُعْشُم وغيرهم دخل حديثُ بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدَّم[١] .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدَّثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القُرَظي قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال ـ وهم على بابه ـ : إنَّ محمداً يزعم أنكم إنْ تابعتموه على أمره ، كنتم ملوكَ العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم جنانٌ كجنانِ الأردُنّ ، وإنْ لم تفعلوا كان فيكم ذَبْح ، ثم بُعثتم بعد موتكم ، ثم جُعلتْ لكم نارٌ تُحرَقون فيها .

قال : فخرج رسولُ الله ﷺ فأخذ حَفْنَةً من تراب في يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم » وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرَوْنَه ، فجعل ينثر ذلك الترابَ على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [يس : ١ ـ ٩] ولم يبق منهم رجلٌ إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكنْ معهم فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمداً ، فقال : خيَّبَكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ! أفما ترَونَ ما بكم ؟ قال : فوضع كلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلَّعون فيرَوْنَ علياً على الفراش متسجِّياً بِبُرْدِ رسولِ الله ﷺ فيقولون : والله إنَّ هذا لمحمدٌ نائماً ، عليه بُرْدُه ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام عليٌّ من الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي كان حدَّثنا .

قال ابنُ إسحاق[٣] : فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانو أجمعوا له قولُه تعالى : ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] وقولُه : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور : ٣٠ ـ ٣١] .

قال ابنُ إسحاق : فأذِنَ اللهُ لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة .

---

(١) رواية الواقدي هذه وأسانيده في طبقات ابن سعد (١/ ٢٢٧) وما بعدها .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٣) والروض (٢/ ٢٢٢) .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٤) والروض (٢/ ٢٢٣) .

باب
هجرةِ رسولِ الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكةَ إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه

وذلك أولُ التاريخ الإسلامي كما اتفق عليه الصحابةُ في الدولة العُمَرية كما بيَّناه في سيرة عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين(١) .

قال البخاري(٢) : حدَّثنا مَطَرَ بنُ الفَضْل ، حدثنا رَوْح ، حدثنا هشام ، حدثنا عكرمة عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ النبيُّ ﷺ لأربعينَ سنةً ، فمكث بمكَّة(٣) ثلاثَ عشرةَ [سنةً] يُوحى إليه ، ثم أُمر بالهِجْرَة فهاجر عشرَ سنينَ ، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنة .

وقد كانت هجرتُه عليه السلام في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام ، وذلك في يوم الاثنين كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس(٤) أنه قال : ولد نبيُّكم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ونُبِّئ يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين(٥) .

قال محمد بن إسحاق(٦) : وكان أبو بكر حين استأذنَ رسولَ الله ﷺ في الهجرة فقال له : لا تعجَلْ لعلَّ الله أن يجعلَ لك صاحباً ؛ قد طمع بأن يكون رسولُ الله ﷺ إنما يعني نفسَه ، فابتاعَ راحلتَيْنِ فحبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك .

قال الواقدي(٧) : اشتراهما بثمانمئة درهم .

قال ابن إسحاق(٨) : فحدَّثني مَنْ لا أتَّهم عن عروة بن الزُّبير ، عن عائشة أمِّ المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطئُ رسولُ الله ﷺ أن يأتيَ بيتَ أبي بكر أحدَ طرفي النهار ، إمَّا بُكْرَة ، وإمَّا عشِيَّة ، حتى إذا كان اليومُ الذي أَذِن الله فيه لرسوله في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظَهْرَيْ قومه ، أتانا رسولُ الله ﷺ

---

(١) أفرد المؤلف لعمر رضي الله عنه مصنفاً سمَّاه سيرة عمر ، أشار إليه في ص(٢٣٠) ، وذكر اتفاق الصحابة في الدولة العمرية على التأريخ الهجري في ص(٤٧٨) من هذا الجزء .

(٢) في صحيحه ، فتح (٣٩٠٢) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وما بين معقوفين منه .

(٣) في ط : فيها . بدل : بمكة ، وهو تصحيف ، والمثبت من ح والبخاري .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٧٧) رقم (٢٥٠٦) .

(٥) لفظ ابن عباس في المسند هكذا : ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين . وتقدم ص(٣٠) وإسناده ضعيف بطوله ، ولبعض فقراته شواهد ، وقد تقدم الكلام عليه صفحة (٣٠) .

(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٤) والروض (٢/ ٢٢٣) .

(٧) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ٢٢٨) وزاد : من نَعَم بني قُشير .

(٨) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٤) والروض (٢/ ٢٢٣) .

بالهاجرة ، في ساعةٍ كان لا يأتي فيها . قالت : فلما رآهُ أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدَث ! قالت : فلما دخل تأخَّر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسولُ الله ﷺ وليس عند رسول الله ﷺ[١] أحدٌ إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أخْرِجْ عني مَنْ عِنْدَك » قال : يا رسول الله ! إنما هما ابنتاي ، وما ذاك فداك أبي وأمي ؟ قال : « إن الله قد أذِنَ لي في الخروج والهجرة » قالت : فقال أبو بكر : الصُّحْبَة يا رسولَ الله ؟ قال : « الصُّحبة » قالت : فوالله ما شعرتُ قطُّ قبل ذلك اليوم أنَّ أحداً يبكي من الفَرَح حتى رأيتُ أبا بكر يومئذٍ يبكي . ثم قال : يا نبيَّ الله ، إنَّ هاتين راحلتينِ كنتُ أعددتهما لهذا ، فاستأجَرَا عبد الله بن أرقد[٢] ـ قال ابنُ هشام : ويقال عبد الله بن الأُرَيْقط ـ رجلاً من بني الدُّئلِ بن بكر ، وكانت أمُّه من بني سهم بن عمرو ، وكان مشركاً يدلُّهما على الطريق ودفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابنُ إسحاق[٣] : ولم يعلم ـ فيما بلغني ـ بخروج رسولِ الله ﷺ أحدٌ حين خرج إلا عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآلُ أبي بكر ؛ أمَّا عليّ فإنَّ رسولَ الله ﷺ أمره أن يتخلَّف حتى يؤدِّي عن رسولِ الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسولُ الله ﷺ وليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صِدْقِه وأمانته .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما أجمع رسولُ الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبي قُحَافة فخرجا من خوخةٍ لأبي بكر في ظهر بيته .

وقد روى أبو نُعيم[٤] من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق . قال : بلغني أنَّ رسولَ الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال : « الحمد لله الذي خلقني ولم أكُ شيئاً ، اللهم أعنِّي على هول الدنيا ، وبوائق الدهر ، ومصائب الليالي والأيام ، اللهم اصحبني في سفري ، واخْلُفني في أهلي ، وبارِكْ لي فيما رزقتني ، ولك فذلِّلْني ، وعلى صالح خُلقي فقوِّمْني ، وإليك ربِّ فحبِّبْني ، وإلى الناس فلا تكِلْني ، ربَّ المستضعفين وأنت ربِّي ، أعوذُ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض ، وكُشفت به الظلمات ، وصَلَح عليه أمْرُ الأولين والآخرين ، أنْ تُحلَّ عليَّ غَضَبَك ، وتنزل بي سخطَك ، أعوذ بك من زوالِ نعمتك ، وفجأة نقمتِك ، وتحوُّل عافيتك وجميعِ سخطك . لك العُتْبَى عندي خير ما استطعت ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

---

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام : وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء . . .

(٢) كذا في ح ، ط ، وقال ابن حجر في ترجمته في الإصابة : عبد الله بن أريقط ، ويقال أريقد بالدال بدل الطاء المهملتين ، وهو بقاف بصيغة التصغير اهـ .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥) والروض (٢/ ٢٢٤) .

(٤) لم أجده في دلائل أبي نعيم . أقول : الحديث ضعيف ، لأنه عن ابن إسحاق بلاغاً ، فهو منقطع .

قال ابنُ إسحاق[١] : ثم عمدا إلى غارٍ بثَوْر ـ جبلٍ بأسفلِ مكة ـ فدخلاه ، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمَّع لهما ما يقولُ الناسُ فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فُهَيرة مولاه أنْ يرعى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما إذا أمسى في الغار . فكان عبد الله بن أبي بكر يكونُ في قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرونَ به ، وما يقولون في شأن رسولِ الله ﷺ وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامرُ بن فُهيرة يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنمَ أبي بكر فاحتلبا وذبحا . فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامرُ بن فُهيرة أثَرَهُ بالغنم يُعَفِّى عليه . وسيأتي في سياقِ البخاري ما يشهد لهذا .

وقد [حكى ابنُ جرير[٢] عن بعضهم أنَّ رسولَ الله ﷺ سبق الصديقَ في الذهاب إلى غار ثور ، وأمر عليّاً أنْ يدلَّه على مسيره ليلحقه ، فلحقه في أثناءِ الطريق .

وهذا غريبٌ جداً ، وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً][٣] .

قال ابنُ إسحاق[٤] : وكانت أسماءُ بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما . قالت أسماء[٥] : ولما خرج رسولُ الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت : قلت لا أدري والله ، أين أبي ؟ قالت : فرفع أبو جهلٍ يدَه ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدِّي لطمةً طرح منها قُرْطي ثم انصرفوا .

قال ابنُ إسحاق[٦] : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير أنَّ أباه حدَّثه عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسولُ الله ﷺ ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كلَّه معه ، خمسة آلاف درهم ـ أو ستة آلاف درهم ـ فانطلق بها معه ، قالت : فدخل علينا جدِّي أبو قُحَافة ـ وقد ذهب بصره ـ فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؟ قالت : قلت كلا يا أبة ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : وأخذت أحجاراً فوضعْتُها في كُوَّةٍ في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعتُ عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبة ضَعْ يدك على هذا المال . قالت فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغٌ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكن أردتُ أنْ أسكِّن الشيخ بذلك .

---

(١) يتابع هنا الخبر السابق عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥) ويختلف هنا من سيرة ابن هشام في تقديم وتأخير بعض الفقر .

(٢) في تاريخه تاريخ الطبري (٢/ ٣٧٤) .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥) والروض (٢/ ٢٢٤) .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٧) والروض (٢/ ٢٢٥) .

(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٨) والروض (٢/ ٢٢٥) .

وقال ابنُ هشام(١) : وحدَّثني بعضُ أهل العلم أنَّ الحسن بن أبي الحسن البصري قال : انتهى رسولُ الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر قبل رسولِ الله ﷺ ، فلمس الغار لينظرَ أفيه سَبُعٌ أو حيَّة ، يَقِيَ رسولَ الله ﷺ بنفسه .

وهذا فيه انقطاعٌ من طرفيه .

وقد قال أبو القاسم البغوي : حدَّثنا داود بن عمرو الضبيِّ ، حدثنا نافع بن عمر الجمحي عن ابنِ أبي مُليكة ، أنَّ النبيَّ ﷺ لما خرج هو وأبو بكرٍ إلى ثَوْر ، فجعل أبو بكرٍ يكون أمامَ النبيِّ ﷺ مرَّة . وخلفَهُ مرَّة ، فسأله النبيُّ ﷺ عن ذلك فقال : إذا كنتُ خلفك خشيتُ أنْ تُؤْتَى من أمامك ، وإذا كنتُ أمامَك خشيتُ أن تُؤتَى من خلفك . حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر : كما أنتَ حتى أُدخل يدي فأُحِسَّهُ وأَقُصَّه ، فإنْ كانتْ فيه دابَّةٌ أصابَتني قبلك . قال نافع : فبلغني أنه كان في الغار جُحْرٌ فألقم أبو بكر رِجْلَهُ ذلك الجُحْر تخوُّفاً أن يخرج منه دابَّةٌ أو شيءٌ يؤذي رسولَ الله ﷺ .

وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أُخر في سيرة الصدِّيق رضي الله عنه(٢) .

وقال البيهقي(٣) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق ، أنا موسى بن الحسن بن(٤) عباد ، ثنا عفَّان بن مسلم ، ثنا السريُّ بن يحيى ثنا محمد بن سيرين ، قال : ذكر رجالٌ على عهد عمر ، فكأنهم فضَّلوا عمر على أبي بكر ، فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلةٌ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر ، وليومٌ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر ؛ لقد خرج رسولُ الله ﷺ ليلةَ انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشي ساعةً بين يديه ، وساعة خلفه ، حتى فطِن رسولُ الله ﷺ فقال : « يا أبا بكر ! ما لك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي ؟ » فقال : يا رسولَ الله ! أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرَّصَد فأمشي بين يديك . فقال : « يا أبا بكر لو كان شيءٌ أحببتَ أن يكون بك دوني ؟ » قال : نعم ، والذي بعثك بالحق [ما كانت لتكن من ملمّةٍ إلاَّ أحببتُ أنْ تكونَ لي دونك] ، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسولَ الله حتى أستبرِئَ لك الغار ؛ فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الجِحَرَة فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزلْ يا رسول الله . فنزل . ثم قال عمر : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خيرٌ من آل عمر .

وقد رواه البيهقي(٥) من وجه آخر عن عمر وفيه : أنَّ أبا بكر جعل يمشي بين يدي رسول الله ﷺ تارة ،

---

(١) في السيرة (١/ ٤٨٦) والروض (٢/ ٢٢٤) .

(٢) أفرد المؤلف لأبي بكر رضي الله عنه مصنفاً سمَّاه سيرة أبي بكر ، وقد أشار إليه في ص٢٢٧ من هذا الجزء .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٤٧٦) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) في ط : أنا موسى بن الحسن ثنا عباد ثنا عفان . وهو تصحيف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧٨) .

(٥) في الدلائل (٢/ ٤٧٧) .

وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حفيَتْ رجلا رسولِ الله ﷺ حمله الصدِّيقُ على كاهله ، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الأجحرة[١] كلَّها ، وبقي منها جحرٌ واحد ، فألقمه كعبه فجعلتِ الأفاعي تنهَشُه ودموعُه تسيل ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « لا تحزَنْ إنَّ الله معنا » .

وفي هذا السياق غرابةٌ ونَكَارة .

ثم قال البيهقي[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : ثنا أبو العباس الأصم ، ثنا عباس الدُّوري ، ثنا أسود بن عامر شاذان ، ثنا إسرائيل عن الأسود ، عن جندب بن عبد الله ، قال : كان أبو بكر مع رسولِ الله ﷺ في الغار ، فأصاب يدَه حجَرٌ فقال : [من الرجز]

إنْ أنتِ إلا أصبعٌ دَميتِ وفي سَبيل الله ما لَقيتِ

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرني عثمان الجَزَري أنَّ مِقْسِماً مولى ابنِ عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] قال : تشاورتْ قريشٌ ليلةً بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوَثَاق ، يريدون النبيَّ ﷺ . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فأطْلَعَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ على ذلك ، فبات عليٌّ على فراش النبيِّ ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبيُّ ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركونَ يحرسُون علياً يحسَبونه النبيَّ ﷺ . فلما أصبحوا ثاروا عليه[٤] ، فلما رأوا علياً ردَّ الله مَكْرَهم . فقالوا : أين صاحبُك هذا ؟ فقال : لا أدري . فاقتصُّوا[٥] أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط[٦] عليهم ، فصعَّدوا [في] الجبل فمرُّوا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال .

وهذا إسنادٌ حسن[٧] ، وهو من أجود ما رُوي في قصة نسْجِ العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله رسولَه ﷺ .

[وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر[٨] : حدَّثنا بشَّارُ الخفَّاف

---

(١) كذا في ح ، ط والصواب فيه : سدّ تلك الجِحَرَة . وليست العبارة في دلائل البيهقي بهذا اللفظ .
(٢) في الدلائل (٢/ ٤٨٠) .
(٣) في مسنده (١/ ٣٤٨) رقم (٣٢٥١) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) في المسند : إليه .
(٥) في ط : فاقتفوا . والمثبت من ح والمسند .
(٦) في المسند : خُلِّط . وهو أشبه .
(٧) من أين يأتيه الحسن وفي إسناده عثمان الجزري وهو ضعيف ، وهو غير عثمان بن عمرو بن ساج المذكور في التهذيب ، وانظر تخريجه والكلام عليه مفصلاً في تعليقنا على تاريخ الخطيب (١٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) .
(٨) مسند أبي بكر ص ١٤٠ وما يأتي بين معقوفين منه .

حدثنا جعفر بن[١] سليمان ، حدَّثنا أبو عمران الجَوْني ، حدَّثنا المُعَلَّى بن زياد عن الحسن البصري قال : انطلق النبيُّ ﷺ وأبو بكر إلى الغار فدخلا فيه ، فجاء العنكبوت فنسجتْ على باب الغار ، وجاءت قريشٌ يطلبون النبيَّ ﷺ ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نَسْجَ العنكبوت قالوا : لم يدخلْ أحد ، وكان النبيُّ ﷺ قائماً يصلِّي ، وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي ﷺ : فداك أبي وأمي هؤلاء قومُك يطلبونك ، أما والله ما على نفسي أبكي[٢] ، ولكن مخافة أنْ أرى فيك ما أكره . فقال له النبيُّ ﷺ : « يا أبا بكر ، لا تخَفْ[٣] إنَّ اللهَ معنا » .

وهذا مرسلٌ عن الحسن ، وهو حسن بحاله[٤] من الشاهد[٥] ، وفيه زيادةُ صلاة النبيِّ ﷺ في الغار . وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر صلَّى ، وروى هذا الرجل ـ أعني أبو[٦] بكر أحمد بن علي القاضي[٧] ـ عن عمرو الناقد ، عن خلف بن تميم ، عن موسى بن مُطَير[٨] عن أبيه عن أبي هريرة أنَّ أبا بكرٍ قال لابنه : يا بني ، إذا حدث في الناس حدثٌ فأتِ الغارَ الذي اختبأتُ فيه أنا ورسولُ الله ﷺ فكُنْ فيه ، فإنَّه سيأتيك رزقُك فيه بُكْرَةً وعَشِيًا[٩]] .

وقد نظم بعضُهم هذا في شعرِه حيث يقول : [من الخفيف]

نَسْجُ داودَ ما حمى صاحبَ الغا رِ وكان الفخارُ للعنكبوتِ

وقد ورد أنَّ حمامتَيْن عشَّشَتَا على بابه أيضاً ، وقد نظم ذلك الصَّرْصَرِيُّ في شعره حيث يقول[١٠] :

فعمَّى عليه العنكبوتُ بنسْجِهِ وظلَّ على البابِ الحمامُ يَبيضُ

والحديث بذلك رواهُ الحافظ ابنُ عساكر[١١] من طريق يحيى بن محمد بن صاعد ، حدَّثنا عمرو بن علي ، حدثنا عون بن عمرو أبو عمرو القَيْسي ـ ويُلَقَّب عُوين ـ حدَّثني أبو مصعب المكِّي ، قال : أدركتُ زيد بن أرقم والمغيرةَ بن شعبة وأنس بن مالك ، يذكرون أنَّ النبيَّ ﷺ ليلة الغار ، أمرَ اللهُ شجرةً فخرجتْ

---

(١) في ح ، ط : جعفر وسليمان ، وهو تصحيف ، والمثبت من مسند أبي بكر .
(٢) في ط : أئل . وكذا في ح إلا أنها من غير همز ، والمثبت من مسند أبي بكر .
(٣) كذا في ح ، ط ، في مسند أبي بكر : لا تحزن .
(٤) في ط : بما له .
(٥) بشار بن موسى الخفاف ضعيف جداً لا يصلح حديثه للشواهد والمتابعات . (بشار) .
(٦) كذا في ح ، ط والصواب : أبا .
(٧) مسند أبي بكر (ص١١٧) ، وانظر رواية البزار (ص٤٤٧ ح٣) .
(٨) في ح ، ط : مطر تصحيف ، والمثبت من مسند أبي بكر وميزان الاعتدال (٤/ ٢٢٣) .
(٩) في مسند أبي بكر : فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية ، وسيأتي قول المؤلف بتضعيف الرواية .
(١٠) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري أبو زكريا جمال الدين الصرصري المتوفى سنة ٦٥٦هـ له ديوان شعر صغير مخطوط و « المنتقى من مدائح الرسول » أعلام الزركلي (٨/ ١٧٧) .
(١١) الرواية في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢/ ١٧٨) .

في وَجْهِ النبيِّ ﷺ تسترُه ، وأنَّ الله بعث العنكبوتَ فنسجَتْ ما بينهما ، فسترَتْ وجه رسولِ الله ﷺ ، وأمرَ اللهُ حمامتَيْن وحشيَّتَيْن فأقبلتا(١) تدِفَّان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة ، وأقبلَ فتيانُ قريش من كلِّ بطنٍ منهم رجل ، معهم عِصِيُّهم وقِسِيُّهم وهراواتُهم ، حتى إذا كانوا من رسولِ الله ﷺ قَدْرَ مئتي ذراع قال الدليل ـ وهو سُرَاقةُ بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجي ـ : هذا الحَجَر ثم لا أدري أين وضع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطئ منذ الليلة ، حتى إذا أصبحنا . قال : انظروا في الغار . فاستبقه القومُ حتى إذا كانوا من النبيِّ ﷺ قَدْرَ خمسين ذراعاً ، فإذا الحمامتان ، فرَجَعَ . فقالوا : ما ردَّكَ أن تنظر في الغار ؟ قال : رأيتُ حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفتُ أنْ ليس فيه أحد . فسمعَها النبيُّ ﷺ فعرف أنَّ الله قد دَرَأ عنهما بهما ، فشمَّت(٢) عليهما ـ أي برَّك عليهما ـ وأحْدَرهما(٣) الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى .

وهذا حديث غريبٌ جدّاً من هذا الوجه . قد رواه الحافظ أبو نُعيم(٤) من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره ، عن عَوْن بن عمرو ـ وهو الملقَّب بِعُوَين ـ بإسناده مثله .

وفيه أن جميعَ حمام مكة من نسل تينك الحمامتَيْن .

وفي هذا الحديث أنَّ القائف الذي اقتفى لهم الأثر سراقةُ بن مالك المُدْلجي .

وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، أنَّ الذي اقتفى لهم الأثر كُرْز بن علقمة .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا(٥) الأثر والله أعلم . وقد قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] يقول تعالى مُؤَنِّباً لمنْ تخلَّف عن الجهاد مع الرسول : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾ أنتم فإنَّ الله ناصِرُه ومؤيِّدُه ومظفِّره كما نصرَهُ ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من أهلِ مكة هارباً ليس معه غيرُ صاحبه وصديقِه أبي بكر ، ليس معه غيره ، ولهذا قال : ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ أي : وقد لجأا إلى الغارِ فأقاما فيه ثلاثةَ أيام ليسْكُنَ الطلبُ عنهما ، وذلك لأنَّ المشركين حين فقدوهما كما تقدَّم ذهبوا في طلبهما كلَّ مذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن ردَّهما ـ أو أحدَهما ـ مئةً من الإبل ، واقتصُّوا آثارهما حتى اختلط عليهم ، وكان الذي يقتصُّ الأثر لِقُرَيش سُرَاقة بن مالك بن

---

(١) في ح : ومختصر ابن منظور : فأقبلا يدفَّان حتى وقعا ، والمثبت من ط وتدفان : تحركان أجنحتهما .

(٢) في س : فسمَّت . بالسين وكلاهما صحيح ، وقال ابن الأثير : والمعجمة أعلاهما وهو من الدعاء بالخير والبركة النهاية (٢/ ٣٩٧ و٤٩٩) .

(٣) في مختصر ابن منظور : فأخذهما .

(٤) في دلائل النبوة (٢/ ٤١٩) .

(٥) في ح : اقتصّا .

جُعْشُم كما تقدَّم ، فصعَّدوا [في] الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمرُّون على باب الغار ، فتُحاذي أرجلُهم لبابِ الغار ولا يرَوْنَهما ، حفظاً من الله لهما كما قال الإمامُ أحمد[١] : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا همام ، أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أنَّ أبا بكرٍ حدَّثه ، قال : قلتُ للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أنَّ أحدَهم نظر إلى قدَمَيْه لأبصَرَنا تحت قدميه فقال : « يا أبا بكر ، ما ظنُّك باثْنَيْن اللهُ ثالثُهما » .

وأخرجَهُ البخاري ومسلم في صحيحَيْهما[٢] من حديث همَّام به .

وقد ذكر بعض أهلِ السِّير أنَّ أبا بكرٍ لما قال ذلك ، قال النبيُّ ﷺ : « لو جاؤنا من هاهنا لذهبنا من هاهنا » فنظر الصدِّيق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتَّصَل به ، وسفينةٌ مشدودة إلى جانبه .

وهذا ليس بمنكَرٍ من حيثُ القدرة العظيمة ، ولكنْ لم يردْ ذلك بإسنادٍ قويٍّ ولا ضعيف ، ولسنا نُثْبِتُ شيئاً من تِلْقاءِ أنفسنا ، ولكن ما صحَّ أو حَسُنَ سنَدُه قُلْنا به . والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزَّار[٣] : حدَّثنا الفضلُ بن سهل ، حدثنا خلف بن تميم ، حدثنا موسى بن مُطَير القُرشي ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أنَّ أبا بكرٍ قال لابنه : يا بني ، إنْ حدَث في الناس حَدثٌ فأتِ الغار الذي رأيتني اختبأتُ فيه أنا ورسولُ الله ﷺ فكُنْ فيه ، فإنَّه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية[٤] .

ثم قال البزَّار : لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مُطَير هذا ضعيفٌ متروك ، وكذَّبه يحيى بن معين فلا يُقْبَلُ حديثه والله أعلم .

وقد ذكر يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق أنَّ الصدِّيق قال في دخولهما الغار ، وسَيْرهما بعد ذلك وما كان من قصة سُرَاقة كما سيأتي شعراً فمنه قوله : [من البسيط]

قال النبيُّ ـ ولم أجزَعْ ـ يوقِّرني ... ونحنُ في سُدُفٍ[٥] من ظُلمة الغارِ
لا تخشَ شيئاً فإنَّ الله ثالثُنا ... وقد توكَّل لي منهُ بإظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن إسحاق فذكرها مطوَّلةً جدّاً ، وذكر معها قصيدة أخرى[٦] والله أعلم .

---

(١) في مسنده (١/ ٤) رقم (١١) .
(٢) فتح الباري (٣٦٥٣) فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم ؛ وصحيح مسلم (١ ـ ٢٣٨١) فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر .
(٣) مسند البزار (١٠٢) .
(٤) في ح : بكرة وعشيا .
(٥) في دلائل النبوة لأبي نعيم (٢/ ٤٣٢) في سدنة .
(٦) لأبي بكر أيضاً ومطلعها : =

وقد روى ابنُ لَهِيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير ، قال : فمكث رسولُ الله ﷺ بعد الحج ـ يعني الذي بايع فيه الأنصار ـ بقية ذي الحجَّة والمحرَّم وصفر ، ثم إنَّ مشركي قريش أجمعوا أمْرَهم ومكرهم على أن يقتلوا رسولَ الله ﷺ أو يحبسوه ، أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك ، فأنزل عليه : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الأنفال : ٣٠] الآية . فأمر عليّاً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كلِّ وجه يطلبونهما .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه » ، وأنَّ خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلاً .

وقد تقدَّم عن الحسن البصري فيما ذكره ابنُ هشام التصريح بذلك أيضاً .

وقال البخاري(١) : حدَّثنا يحيى بن بُكير ، حدّثنا اللَّيث ، عن عُقَيل ، قال ابنُ شهاب : فأخبرني عروةُ بن الزبير ، عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ قالت : لم أعقِلْ أبويَّ قطُّ إلا وهما يَدِينانِ الدِّين ، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طَرَفي النهارِ بُكْرَةً وعَشِيَّة ، فلما ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحوَ أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِمَاد لقيه ابنُ الدُّغُنَّة وهو سيِّد القارة . فذكرتْ ما كان من ردِّهِ لأبي بكر إلى مكة وجِوارَهُ له كما قدمناه عند هجرة الحبشة ، إلى قوله فقال أبو بكر : فإني أردُّ عليك جوارك وأرضَى بجوارِ الله . قالت : والنبيُّ ﷺ يومئذ بمكة . فقال النبيُّ ﷺ للمسلمين : « إني أُريتُ دارَ هجرتكم ذاتَ نخلٍ بين لابَتَيْن وهما الحرَّتان . فهاجر مَنْ هاجر قبل المدينة ، ورجعَ بعض(٢) من كان هاجر قِبَلَ الحبشة إلى المدينة ، وتجهَّزَ أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسولُ الله ﷺ : « على رِسْلِكَ ، فإني أرجو أنْ يُؤذَنَ لي » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : « نعم » فحَبَسَ أبو بكر نفسهُ على رسولِ الله ﷺ ليصحَبَه ، وعلفَ راحلتَيْن كانتا عنده ورقَ السَّمُر ـ وهو الخَبَط ـ أربعة أشهر . [وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر](٣) ـ قال ابنُ شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يوماً جلوسٌ في بيت أبي بكر في حرِّ الظهيرة ، فقال قائلٌ لأبي بكر : هذا رسولُ الله ﷺ متقنِّعاً في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها . فقال أبو بكر : فداءٌ له أبي وأُمِّي ، واللهِ ما جاء به في هذه الساعة إلا أمْر . قالت : فجاء رسولُ الله ﷺ فاستأذن ، فأذِنَ له ، فدخل ، فقال النبيُّ ﷺ : « أخْرِجْ مَنْ عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلُكَ بأبي أنت يا رسول الله . قال : فإنه قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصُّحْبَة بأبي أنت وأمي ؟ قال النبيُّ ﷺ « نعم » قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين . فقال رسولُ الله ﷺ : « بالثمن » . قالت عائشة : فجهَّزناهما أحثَّ الجَهَاز(٤) ، فصنعنا لهما

= ألم ترني صاحبتُ أيمن صاحب علـى واضـح مـن سُنَّـة الحق منهـج

(١) البخاري (٢٢٩٨) في الحوالة : باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ والمناقب (٣٩٠٦) باب هجرة النبي ﷺ .

(٢) في فتح الباري : ورجع عامة من كان هاجر .

(٣) ليس ما بين المعقوفين في صحيح البخاري « فتح » .

(٤) « أحث » : بالمهملة والمثلثة أفعل تفضيل من الحث وهو الإسراع ، وفي رواية لأبي ذر : أحب . بالموحدة ، =

سُفْرَةً في جِرَاب ، فقطعتْ أسماءُ بنت أبي بكر قطعةً من نطاقها فربطَتْ به على فم الجِرَاب ، فبذلك سُمِّيت ذات النطاقَيْن . قالت : ثم لحق رسولُ الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبلِ ثَوْر ، فمكثا فيه ثلاثَ ليال ، يبيتُ عندهما عبدُ الله بن أبي بكر وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ لَقِن ، فيُدْلج من عندهما بسَحَر ، فيُصبح مع قريش بمكة كبائت ، لا يسمع أمراً يُكادان به إلا وَعَاه ، حتى يأتيَهما بخبرِ ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامرُ بن فُهَيرة مولى أبي بكر مِنْحَةً[١] من غَنَم ، فيريحها عليهما حين يذهب ساعةً من العشاء ، فيبيتانِ في رِسْل[٢] ـ وهو لَبَنُ مِنْحَتِهما ورَضِيفُهما[٣] ـ حتى يَنْعِقَ بهما[٤] عامرُ بن فُهيرة بغَلَس ، يفعل ذلك في كلِّ ليلة من تلك الليالي الثلاث . واستأجر رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِّيْل[٥] وهو من بني عبد بن عَدِي هاديا خِرِّيتاً ـ والخِرِّيت : الماهر بالهداية[٦] ـ قد غَمَس حِلْفاً[٧] في آل العاص بن وائل السَّهْمي وهو على دين كُفَّار قريش فأَمِنَاه فدفعا إليه راحلتَيْهما ، وواعداه غارَ ثَوْر بعد ثلاث ليال براحلتَيْهما صُبْحَ ثلاثِ ليال[٨] . وانطلق معهما عامرُ بن فُهيرة والدليل فأخذ بهم طريقَ السواحل .

قال ابنُ شهاب[٩] : فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المُدْلِجيّ ـ وهو ابنُ أخي سُرَاقة ـ أنَّ أباه أخبره أنه سمع سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم . يقول : جاءنا رُسل كُفَّارِ قريش يجعلونَ في رسولِ الله ﷺ وأبي بكر دِيَةَ كلِّ واحدٍ منهما لمن قَتَله أو أسره ؛ فبينما أنا جالسٌ في مجلسٍ من مجالسِ قومي بني مُدْلج إذْ أقبلَ رجلٌ منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : يا سُراقة إني رأيت آنفا أَسْوِدَةً بالسَّاحل[١٠] ، أراها محمداً وأصحابَه . قال سراقة : فعرفتُ أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنَّك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا

= والأول أصح . والجهاز بفتح الجيم وقد تكسر : ما يُحتاج إليه في السفر . فتح الباري (٧/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

(١) « المِنْحَة » : أن يعطيه ناقة أو شاة ، ينتفع بلبنها ويُعيدها ، وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفها زماناً ثم يردُّها . النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٦٤) .

(٢) « الرِّسْل » : اللبن الطَّرِي . قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٣٧) .

(٣) « الرَّضيف » : اللبن المرضوف ، أي الذي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته ، وهو بالرفع ويجوز الجر . فتح الباري (٧/ ٢٣٧) ووقع في ط : ورضيعهما . تصحيف .

(٤) « ينعق بهما » : أي يسمعهما صوته إذا زجر غنمه . قاله ابن حجر في الفتح ، وهي رواية أبي ذر ، وأما رواية ط والصحيح فـ : حتى ينعق بها . أي يصيح بغنمه .

(٥) « الدِّيل » : بكسر الدال وسكون التحتانية ، وقيل بضم أوله وكسر ثانيه مهموز . فتح الباري (٧/ ٢٣٧) .

(٦) هذا التفسير مدرج في الخبر من كلام الزُّهري بيَّنه ابن سعد . فتح الباري (٧/ ٢٣٨) .

(٧) أي كان حليفاً ، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم في دم أو خلوق أو في شيء يكون فيه تلويث فيكون ذلك تأكيداً للحلف . فتح الباري (٧/ ٢٣٨) .

(٨) ليست اللفظة في صحيح البخاري .

(٩) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٤٠) : هو موصولٌ بإسناد حديث عائشة السابق . وهو في الفتح (٣٩٠٦) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ .

(١٠) « أسودةً » : أي أشخاصاً . فتح الباري (٧/ ٢٤١) .

بأعْيُننا ، ثم لبثتُ في المجلس ساعة ، ثم قمتُ فدخلتُ فأمَرْتُ جاريتي أن تخرُجَ بفرسي وهي من وراءِ أكَمَةٍ فتحبسَها عليَّ ، وأخذتُ رُمْحي فخرجتُ به من ظَهْر البيت ، فخططت بزُجِّهِ الأرضَ وخفَضْتُ عالِيَه[(١)] ، حتى أتيتُ فرسي فركبتُها فرفَعْتُها تُقَرِّبُ بي[(٢)] حتى دنوتُ منهم ، فعثرَتْ بي فرسي فخرَرْتُ عنها ، فقُمتُ فأهوَيْتُ يدي إلى كنانتي فاستخرَجْتُ منها الأزلام فاستقسمتُ بها : أضرُّهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبتُ فرسي وعصَيْتُ الأزلام فجعل فرسي يُقَرِّبُ بي ، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسولِ الله ﷺ وهو لا يلتفِتُ ، وأبو بكرٍ يُكثر الالتفات ساخَتْ يدا فرسي في الأرض[(٣)] ، حتى بلغتا الرُّكْبَتَيْن ، فخررتُ عنها فقمتُ فأهويت ، ثم زجرتُها فنهضَتْ ، فلم تكد تُخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها غبارٌ[(٤)] ساطعٌ في السماء مثل الدخان ، فاستقسمتُ بالأزلام ، فخرج الذي أكره ؛ فناديتُهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبتُ فرسي حتى جئتُهم ، ووقع في نفسي حين لَقِيتُ ما لقيتُ من الحَبْس عنهم أنْ سيظهرُ أمْرُ رسولِ الله ﷺ ، فقلتُ له : إنَّ قومك قد جعلوا فيك الدِّيَة . وأخبرتُهم أخبارَ ما يريدُ الناسُ بهم ، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع فلم يَرْزَآني ولم يسألاني إلا أن قال[(٥)] : أخْفِ عنَّا . فسألتُه أن يكتُبَ لي كتابَ أمْنٍ ، فأمر عامر بن فُهَيرة فكتب في رقعةٍ من أدَم . ثم مضَى رسولُ الله ﷺ .

[وقد روى محمد بن إسحاق[(٦)] ، عن الزُّهْري ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُم ، عن أبيه ، عن عمه سُرَاقة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أولَ ما خرج من منزله ، فخرج السهمُ الذي يكره لا يضرُّه ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكل ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذي يكره لا يضرُّه . حتى ناداهم بالأمان . وسأل أن يكتب له كتاباً يكون أمارةَ ما بينَه وبين رسولِ الله ﷺ ؛ قال : فكتب لي كتاباً في عَظْم ـ أو رقعة أو خِرْقَة ـ وذكر أنه جاء به إلى رسول الله ﷺ وهو بالجِعِرَّانة[(٧)] مرجعه من الطائف ، فقال له : « يوم وفاءٍ وبرّ ، ادْنُهْ » فدنَوْتُ منه وأسلمتُ .

---

(١) « الزُّج » : الحديدة التي في أسفل الرمح . وخفضت : أي أمسكه بيده وجرَّ زُجَّه على الأرض فخطها به لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه ، لأنه كره إن تبعه منهم أحد فيشركوه في الجعالة . فتح الباري (٧/ ٢٤١) .

(٢) « فرفعتها » : أي أسرعت بها السير . وتقرّب بي : من التقريب ، وهو السير دون العدو وفوق العادة ، وقيل : أن ترفع الفرس يديها معاً وتضعهما معاً . فتح الباري (٧/ ٢٤١) وصحفت العبارة في ط إلى : فدفعتها ففرت بي ، وهي على الصواب في ح .

(٣) « ساخت » : غاصت . فتح (٧/ ٢٤١) .

(٤) لفظ البخاري في الفتح : عُثَان . بضم المهملة بعدها مثلثة خفيفة ، أي دخان . قال معمر : قلت لأبي عمرو بن العلاء : ما العثان ؟ قال : الدخان من غير نار ، وفي رواية الكشميهني : غبار بمعجمة ثم موحدة ثم راء . قاله ابن حجر .

(٥) في ط : قالا ، والمثبت من ح والبخاري .

(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٩) والروض (٢/ ٢٢٥) .

(٧) مضى التعريف بالجعرانة وضبطها ص(٦٠ ح٩) .

قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جُعْشُم . وهذا الذي قاله جيد .

ولما رجع سُرَاقة جعل لا يلقى أحداً من الطلب إلا ردَّه وقال : كُفيتم هذا الوجه ، فلما ظهر أنَّ رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة . جعل سُراقة يقصُّ على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبيِّ ﷺ وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه . فخاف رؤساءُ قريش معرَّته ، وخَشَوْا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثيرٍ منهم ، وكان سُراقة أميرَ بني مُدْلِج ورئيسَهم ، فكتب أبو جهل ـ لعنه الله ـ إليهم : [من الطويل]

بني مدلج إني أخافُ سفيهَكم سُرَاقَةُ مستغوٍ لنصرِ محمدِ
عليكم به ألا يفرِّق جمعَكم فيصبحَ شتَّى بعد عِزٍّ وسؤدُدِ

قال فقال سُراقة بن مالك يُجيب أبا جهل في قوله هذا : [من الطويل]

أبا حكم واللهِ لو كنتَ شاهداً لأمرِ جوادي إذ تسُوخُ قوائمُهْ
عجبتَ ولم تشكُكْ بأنَّ محمداً رسولٌ وبرهانٌ فمن ذا يقاومُهْ
عليكَ فكُفَّ القومَ عنه فإنني إخالُ لنا يوماً ستبدو معالمه
بأمرٍ تودُّ النصرَ فيه فإنهم وإنّ جميعَ الناسِ طرّاً مُسالمه

وذكر هذا الشعر الأموي في مغازيه بسنده عن ابن إسحاق ، وقد رواه أبو نعيم[(١)] بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق ، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمَّن كفراً بليغاً][(٢)] .

وقال البخاري[(٣)] بسنده إلى ابن شهاب : فأخبرني عروةُ بن الزبير ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لَقِيَ الزبير في ركبٍ من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكَسَا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ ثيابَ بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسولِ الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدُونَ كلَّ غداةٍ إلى الحرَّة فينتظرونه حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أوَوْا إلى بيوتهم أوفى رجلٌ من اليهود على أُطُمٍ من آطامِهم لأمرٍ ينظرُ إليه ، فبصُر برسولِ الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضِين[(٤)] ، يزولُ بهم السراب[(٥)] ، فلم يملكِ اليهوديُّ أنْ قال بأعلى صوتِه : يا معشرَ العرب هذا جدُّكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقَّوْا رسولَ الله ﷺ بظهر الحَرَّة ، فعدل بهم ذاتَ اليمينِ حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهرِ ربيعٍ الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسولُ الله ﷺ صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسولَ الله ﷺ يُحيِّي أبا بكر حتى أصابتِ الشمسُ رسولَ الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّلَ عليه

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٤٣٥) .
(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .
(٣) فتح الباري (٧/ ٢٣٩) .
(٤) أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها الزبير . فتح (٧/ ٢٤٣) .
(٥) أي يزول السراب من النظر بسبب عروضهم له . فتح (٧/ ٢٤٣) .

بردائه، فعرف الناسُ رسولَ الله ﷺ عند ذلك، فلبثَ رسولُ الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعَ عشرةَ ليلة، وأُسِّسَ[١] المسجدُ الذي أُسِّسَ على التقوى، وصلَّى فيه رسولُ الله ﷺ، ثم ركب راحلته، وسار يمشي معه الناسُ حتى بركَتْ عند مسجد رسولِ الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلِّي فيه يومئذٍ رجالٌ من المسلمين، وكان مِرْبداً للتمر، لسُهيلٍ وسهل، غلامَيْن يتيمين في حَجْر أسعد بن زُرَارة، فقال رسولُ الله ﷺ حين بركَتْ به راحلته: « هذا إنْ شاء الله المنزل »، ثم دعا رسولُ الله ﷺ الغلامَيْن فساوَمَهُما بالمِرْبَدِ ليتَّخِذَهُ مسجداً، فقالا: بل نهَبُه لكَ يا رسول الله، فأبى رسولُ الله ﷺ أنْ يقبلَهُ منهما هِبَةً حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً. فطفِق رسولُ الله ﷺ ينْقُلُ معهم اللَّبنَ في بُنْيانه، وهو يقول حين ينقلُ اللَّبِنَ: [من الرجز]

هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيْبَرْ   هــذا أبــرُّ رَبَّنــا وأطْهــرْ[٢]

ويقول: [من الرجز]

لا هُمَّ إنَّ الأجرَ أجرُ الآخرَهْ   فـارْحَـم الأنصـارَ والمُهـاجـرَهْ

فتمثَّل بشعرِ رجلٍ من المسلمين لم يُسَمَّ لي[٣].

قال ابن شهاب: ولم يبلُغْنا في الأحاديث أنَّ رسولَ الله ﷺ تمثَّل ببيتِ شعرٍ تامّ غير هذه الأبيات.

هذا لفظُ البخاري وقد تفرَّد بروايتِهِ دونَ مسلم، وله شواهد من وجوهٍ أُخَر، وليس فيه قصةُ أمِّ معبد الخزاعيَّة، ولنذكُر هنا ما يناسب ذلك مرتباً أوَّلاً فأوَّلاً.

قال الإمامُ أحمد[٤]: حدَّثنا عمرو بن محمد أبو سعيد الْعَنْقَزِيُّ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البَرَاء بن عازب، قال: اشترى أبو بكر من عازب سَرْجاً بثلاثةَ عشرَ درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مُرِ البراءَ فلْيحملْهُ إلى منزلي. فقال: لا، حتى تحدِّثنا كيف صنعتَ حين خرجَ رسولُ الله ﷺ وأنت معه؟ فقال أبو بكر: خرجنا فأدْلجنا فأحْثَثْنا يومنا وليلتَنا حتى أظهرنا، وقام قائمُ الظهيرة، فضربتُ بصري[٥] هل أرى ظِلاًّ نأوي إليه، فإذا أنا بصخرةٍ فأهويتُ إليها فإذا بقيةُ ظِلِّها، فسوَّيْتُه لرسولِ الله ﷺ وفرشتُ له فروةً وقلت: اضْطَجِعْ يا رسولَ الله فاضطجع، ثم خرجتُ أنظر هل أرى أحداً من الطلب، فإذا أنا بِرَاعي

---

(١) الضبط من صحيح البخاري.

(٢) « الحِمال »: المحمول من اللَّبن. أبرُّ: عند الله أي أبقى ذُخْراً من حمال خيبر، أي التي يحمل منها التمر والزبيب ونحو ذلك. قال ابن حجر: ووقع في بعض النسخ في رواية المستملي: الجمال. بفتح الجيم، وقوله: ربنا. منادى مضاف. اهـ فتح (٧/ ٢٤٦).

(٣) قال ابن حجر: قال غير الزهري: إن الشعر المذكور لعبد الله بن رواحة فكأنه لم يبلغه. وما في الصحيح أصح وهو قوله: شعر رجل من المسلمين، وفي الحديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصاً الرجز في الحرب والتعاون على سائر الأعمال الشاقة اهـ.

(٤) في مسنده (١/ ٣) وما يأتي بين معقوفين منه.

(٥) في المسند: ببصري.

غنم ، فقلتُ : لمن أنت يا غلام ؟ فقال لرجلٍ من قريش . فسمَّاه . فعرفتُه ، فقلت : هل في غنمكَ من لَبَن ؟ قال : نعم . قلت : هل أنت حالبٌ لي ؟ قال : نعم ! فأمرتُه ، فاعتقل شاةً منها ثم أمرتُه فنفض ضَرْعَها من الغبار ، ثم أمرتُه فنفض كفَّيه من الغبار ، ومعي إداوةٌ على فمها خِرْقَة ، فحلب لي كُثْبَةً[١] من اللَّبَن فصببْتُ ـ [يعني الماء] ـ على القدَحِ حتى برد أسفله ، ثم أتيتُ رسولَ الله ﷺ فوافَيْتُه وقد استيقظ ، فقلت : اشرَبْ يا رسول الله فشرِبَ حتى رضيتُ ، ثم قلت : هل آنَ[٢] الرحيلُ ؟ فارتحلنا والقومُ يطلبوننا ، فلم يُدْركْنا أحد منهم إلا سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم على فرسٍ له ، فقلت : يا رسولَ الله هذا الطلب قد لحِقَنا ؟ قال : « لا تحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا » حتى إذا دنا منَّا ، فكان بيننا وبينه قَدْرُ رمحٍ أو رمحين ـ أو قال : رمحين أو ثلاثة ـ قلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا ؟ وبكَيْت ، قال : لمَ تبكي ؟ قلت : أما والله ما على نفسي أبكي ، ولكنْ أبكي عليك . فدعا عليه رسولُ الله ﷺ فقال : « اللهمَّ اكفِنَاهُ بما شئت » فساخَتْ قوائمُ فرسه إلى بطنها في أرض صَلْد ، ووثب عنها وقال : يا محمد ، قد علمتُ أنَّ هذا عملك ، فادعُ الله أنْ يُنجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعَمِّيَنَّ على مَنْ ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذْ منها سهماً فإنك ستمرُّ بإبلي وغنمي بموضع كذا وكذا فخُذْ منها حاجتك . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « لا حاجة لي فيها » ودعا له رسولُ الله ﷺ فأطلق ورَجَع إلى أصحابه ؛ ومَضَى رسولُ الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقَّاه الناسُ فخرجوا في الطرق وعلى الأناجير[٣] واشتدَّ الخدم والصبيانُ في الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسولُ الله ﷺ ، جاء محمد . قال : وتنازَعَ القومُ أيُّهم ينزلُ عليه ، قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « أنزِلُ الليلة على بني النجّار أخوالِ عبدِ المطلب لأُكْرِمَهُمْ بذلك » فلما أصبح غدا حيث أُمر .

قال البراء : أولُ مَنْ قدم علينا من المهاجرين مُصعب بن عُمير أخو بني عبدِ الدار ، ثم قدِم علينا ابنُ أمِّ مكتوم الأعمى أحد[٤] بني فهر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرينَ راكباً ، فقلنا ما فعل رسولُ الله ؟ قال : هو على أثري ، ثم قدم رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ معه . قال البراء : ولم يقدَمْ رسولُ الله ﷺ حتى قرأتُ سُوراً من المفصَّل .

أخرجاهُ في الصحيحَيْن من حديث إسرائيل بدون قولِ البراء : أول من قدم علينا إلخ . فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به[٥] .

---

(١) « الكُثْبَة » : كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك . النهاية لابن الأثير (٤/ ١٥١) .

(٢) في المسند : أنى وفي طبعة شاكر : آنى . ووقع في ح : أتى . وفوقها « ن » .

(٣) في ح : في الطرق وفي الأناجير . والمثبت من المسند ، وفي النهاية لابن الأثير (١/ ٢٦) : في السوق وعلى الأجاجير والأناجير . وفيه : الإجَّاء والإنجاز : السطح وجمعه أجاجير وأناجير .

(٤) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : أخو .

(٥) فتح الباري (٣٦١٥) المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ، وصحيح مسلم (٧٥ ـ ٢٠٠٩) الزهد والرقائق باب في=

وقال ابنُ إسحاق[١] : فأقام رسولُ الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر ، وجعلتْ قريشٌ فيه حين فقدوه مئة ناقة لمن ردَّه عليهم[٢] ، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجره ببعيرَيْهما وبعيرٍ له ، وأتتهما أسماءُ بنتُ أبي بكر بسُفْرتهما ، ونسيتْ أن تجعل لها عِصاما ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلِّق السُّفرة فإذا ليس فيها عصام ، فتحل نِطَاقها فتجعله عصاماً ثم علَّقتها به . فكان يقال لها ذات النطاقَيْن لذلك .

قال ابنُ إسحاق[٣] : فلما قرَّب أبو بكر الراحلتين إلى رسولِ الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال : اركَبْ فداكَ أبي وأمي ، فقال رسول الله ﷺ : « إني لا أركبُ بعيراً ليس لي » قال : فهي لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي . قال : « لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتَها به ؟ » قال : كذا وكذا . قال « أخذتُها بذلك » قال : هي لك يا رسول الله .

وروى الواقديُّ بأسانيده[٤] أنه عليه السلام أخذ القصواء ، قال وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمئة درهم .

وروى ابن عساكر[٥] من طريق أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : وهي الجَدْعاء وهكذا حكى السُّهيلي[٦] عن ابن إسحاق أنها الجدعاء . والله أعلم .

قال ابنُ إسحاق[٧] : فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامرَ بن فُهيرة مولاه خلفه ليخدمَهما في الطريق . فحُدِّثت عن أسماء أنها قالت : لما خرج رسولُ الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل ؛ فذكر ضربَهُ لها على خدِّها لَطْمةً طرح منها قُرْطها من أذنها كما تقدَّم . قالت : فمكثنا ثلاث ليالٍ ما ندري أين وجهُ رسولِ الله ﷺ حتى أقبل رجلٌ من الجِنّ من أسفل مكة يتغنَّى بأبياتٍ من شعرٍ غناءَ العرب ، وإنَّ الناس ليتَّبعونه ، يسمعون صوته وما يرَوْنه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول : [من الطويل]

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائِهِ رفيقَيْـن حـلاَّ خيمتـي أمِّ مَعْبَـدِ
همـا نـزلا بـالبـرِّ ثـم تـروَّحـا فـأفلـحَ مـن أمسـى رفيـقَ محمـدِ

= حديث الهجرة . قلت : أما قول البراء فقد أخرجه البخاري من طريق شعبة عن أبي إسحاق في الفتح (٣٩٢٥) مناقب الأنصار باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٦) والروض (٢/ ٢٢٤) .
(٢) زاد ابن هشام هنا ما حذفه ابن كثير لتقدمه .
(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٦) والروض (٢/ ٢٢٤) .
(٤) طبقات ابن سعد (١/ ٢٢٨) .
(٥) مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٢/ ٣٥٧) .
(٦) في الروض (٢/ ٢٣٠) .
(٧) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٧) والروض (٢/ ٢٢٥) .

ليهْـنِ بنـي كعـبٍ مكـانُ فتـاتهـم ومقعـدُهـا للمـؤمنيـنَ بمَـرْصَـدِ

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيثُ وَجْهُ رسولِ الله ﷺ ، وأنَّ وجهه إلى المدينة .

قال ابنُ إسحاق[١] : وكانوا أربعة ؛ رسولُ الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقد ، كذا يقول ابن إسحاق ، والمشهور عبد الله بن أُرَيقط الدُّئلي . وكان إذ ذاك مشركاً .

قال ابن إسحاق[٢] : ولما خرج بهما دلُيلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفلَ مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفلَ من عُسْفان ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَجٍ[٣] ، ثم استجاز بهما حتى عارَضَ الطريقَ بعد أن أجاز قُدَيداً ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخَرَّار[٤] ثم أجاز بهما ثنيَّةَ المَرَة ، ثم سلك بهما لَقْفاً[٥] ، ثم أجاز بهما مَدْلَجة لَقْف ، ثم استبطن بهما مَدْلَجة مِجَاج[٦] ثم سلك بهما مَرْجِحَ مجاج ، ثم تبطَّن بهما مَرْجحَ من ذي الغَضَوين[٧] ، ثم بطن ذي كَشْر[٨] ، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد ، ثم على الأجْرَد ، ثم سلك بهما ذا سَلَم من بطن أعداء مَجْلجة تِعْهِن[٩] ، ثم على العَبَابيد[١٠] ، ثم أجاز بهما القاحَة[١١] ثم هبط بهما العَرْج وقد أبطأ عليهم بعضُ ظَهْرِهم ، فحمل رسول الله ﷺ رجلٌ من أسلم يقال له أوس بن حُجْر على جمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود بن هُنيدة ، ثم خرج بهما دليلُهما من العَرْج ، فسلك بهما ثنية العائر عن يمين رَكوبة ـ ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام ـ حتى هبط بهما بطن رئم ، ثم قدم

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٨) والروض (٢/ ٢٢٥) .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩١) والروض (٢/ ٢٣٦) .

(٣) « أمج » : بلد من أعراض المدينة . معجم البلدان (١/ ٢٤٩) .

(٤) « الخرار » : واد من أودية المدينة معجم البلدان (٢/ ٣٥٠) .

(٥) ويقال : لفتاً وتكسر اللام ، الروض (٢/ ٢٤٤) .

(٦) اختلف في ضبطه فقيل : مِجَاج ، ومِجَاح ، ومُجَاح ، ومَجاج وقال السهيلي في الروض (٢/ ٢٤٤) : وقد ألفيت شاهداً لرواية ابن إسحاق في لقف ، وفيه ذكر مجاح بالحاء المهملة بعد الجيم وهو قول محمد بن عروة بن الزبير :

لعـن الله ابـن لقـف مسيـلاً ومجـاحـاً ومـا أحـب مجـاحـاً
لقيـت نـاقتـي بـه وبلقـف بلـداً مجـدبـاً وأرضـاً شحـاحـاً

وانظر معجم البلدان (٥/ ٥٥) .

(٧) في ح ، ط : العَضَوين . بالعين المهملة ـ وهي رواية كما قال ابن هشام ، والمثبت من السيرة والروض ومعجم البلدان (٤/ ٢٠٦) .

(٨) في ح ، ط : ذي كشد . بالدال المهملة ، والمثبت من السيرة والروض ومعجم البلدان (٤/ ٤٦٢) .

(٩) قيل فيه : تِعْهِن وتَعْهِن وتُعهن . معجم البلدان (٢/ ٣٥) .

(١٠) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٤٩١) : ويقال : العبابيب .

(١١) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٤٩١) : ويقال : الفاجَّة . بالفاء والجيم .

بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلةً خلَتْ من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضَّحاء وكادت الشمس تعتدل .

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحواً من ذكر هذه المنازل ، وخالفه في بعضها . والله أعلم[١] .

قال أبو نعيم[٢] : حدَّثنا أبو حامد بن جبلة ، حدَّثنا محمد بن إسحاق ـ هو[٣] السرَّاج ـ حدَّثنا محمد ابن عبَّاد بن موسى العُكْلي[٤] ، حدَّثني أبي موسى بن عبَّاد ، حدَّثني عبد الله بن يَسَار[٥] ، حدَّثني إياس ابن مالك بن الأوس الأسلمي عن أبيه . قال : لما هاجر رسولُ الله ﷺ وأبو بكر مرُّوا بإبلٍ لنا بالجُحْفة ، فقال رسولُ الله ﷺ : « لمن هذه الإبل ؟ » فقالوا : لرجلٍ من أسلم . فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سلمت إنْ شاء الله » فقال : « ما اسمك ؟ » قال : مسعود . فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سعدت إنْ شاء الله » . قال فأتاهُ أبي فحمله على جملٍ يقال له ابن الرداء[٦] .

قلت : وقد تقدَّم عن ابن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين .

والظاهر أنَّ بين خروجِه عليه السلام من مكة ودخولِه المدينة خمسة عشر يوماً ، لأنه أقام بغار ثَوْر ثلاثةَ أيام ، ثم سلك طريق الساحل ، وهي أبعدُ من الطريق الجادّ ، واجتاز في مروره على أُمِّ معْبَد بنت كعب ، من بني كعب بن خُزَاعة .

قال ابن هشام: وقال يونس عن ابن إسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف[٧] بن مَعْبَد بن ربيعة بن أصْرَم .

وقال الأموي : هي عاتكة بنت تبيع حليف بني مُنقذ بن ربيعة بن أصْرَم بن ضَبيس بن حَرَام بن حُبْشيَّة ابن كعب بن عمرو[٨] ، ولهذه المرأة من الولد مَعْبَد ونضرة وحنيدة بنو أبي معبد ، واسمه أكثم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم بن ضَبيس ، وقصته مشهورة مرويَّة من طرق يشدُّ بعضُها بعضا .

وهذه قصة أُمِّ معبد الخُزَاعيَّة :

---

(١) لم أجد هذه الرواية فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم .

(٢) لم أجد هذه الرواية فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، وهي في الإصابة في ترجمة أوس بن عبد الله ومالك بن أوس ، وفي الخصائص الكبرى للسيوطي (١/ ١٩٠) .

(٣) في ط : عن السرَّاج . والمثبت من ح .

(٤) في ط : محمد بن عبادة بن موسى العجلي . تصحيف ، والمثبت من ح وأنساب السمعاني (٩/ ٣٣) .

(٥) في ح ، ط : سيار تصحيف ، والمثبت من الإصابة .

(٦) في ح : ابن الردِّي .

(٧) كذا في ح ، ط وفي الإصابة والروض : عاتكة بنت خالد ، وهو أشبه بالصواب .

(٨) أصاب النسب في مختلف المصادر تصحيف وتحريف كثير . انظر الاشتقاق لابن دريد (ص٤٧٤ و٤٧٣) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٢٣٨) والروض (٢/ ٢٣٥) وأثبتُّ ما ظننته أقرب للصواب فيها .

قال يونس عن ابن إسحاق[١] : فنزل رسولُ الله ﷺ بخيمة أمِّ معبد ، [واسمها عاتكة بنت خَلَف بن معبد بن ربيعة بن أصرم][٢] فأرادوا القِرَى ، فقالت : والله ما عندنا طعامٌ ولا لنا مِنْحَة[٣] ولا لنا شاةٌ إلا حائل ، فدعا رسولُ الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضَرعها بيده ، ودعا الله وحلبَ في العُسّ حتى أرْغَى وقال : « اشربي يا أمَّ مَعْبَد » فقالت : اشرَبْ فأنت أحقُّ به ، فردَّهُ عليها فشربَتْ ، ثم دعا بحائلٍ أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بحائلٍ أخرى ففعل بها مثل ذلك فسَقَى دليله ، ثم دعا بحائلٍ أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروَّح .

وطلبتْ قريش رسولَ الله ﷺ حتى بلغوا أمَّ معبد ، فسألوا عنه فقالوا : أرأيت محمداً من حليته كذا كذا ؟ فوصفوه لها . فقالت : ما أدري ما تقولون ، قدِمَنا فتًى حالبُ الحائل . قالت قريش : ذاك الذي نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار[٤] : حدّثنا محمد بن معمر ، حدّثنا يعقوب بن محمد ، حدّثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : لما خرج رسولُ الله ﷺ وأبو بكر مهاجرَيْن فدخلا الغار ، إذا في الغار جُحْر ، فألْقَمَه أبو بكر عَقِبَه حتى أصبح مخافَةَ أن يخرُجَ على رسول الله ﷺ منه شيءٌ ، فأقاما في الغار ثلاثَ ليال ، ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أمِّ معبد ، فأرسلَتْ إليه أمُّ معبد : إني أرى وجوهاً حساناً ، وإنَّ الحيَّ أقوى على كرامتكم منِّي ، فلما أمْسَوْا عندها بعثَتْ مع ابنٍ لها صغير بشفرةٍ وشاة . فقال رسولُ الله ﷺ : « اردُدِ الشفرةَ وهاتِ لنا فَرَقاً » ـ يعني القَدَح[٥] ـ فأرسلتْ إليه أن لا لَبَنَ فيها ولا وَلَد . قال : « هاتِ لنا فَرَقاً » فجاءت بفرقٍ فضرَب ظهرها فاجترَّتْ ودرَّت ، فَحَلب فملأ القدح ، فشرِبَ وسَقَى أبا بكر ، ثم حلب فبعث به إلى أمِّ معبد .

ثم قال البزَّار : لا نعلمه يُروى [بهذا اللفظ] إلاَّ بهذا الإسناد ، وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدَّث عنه إلاَّ يعقوب بن محمد ، وإن كان معروفاً في النسب .

وروى الحافظ البيهقي[٦] من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني ، سمعتُ عبد الرحمن بن أبي ليلى [يحدث] عن أبي بكر الصديق . قال : خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ من مكة ، فانتهينا إلى حيٍّ من أحياء العرب ، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى بيت مُنْتَحياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة ، فقالت : يا عبد الله ، إنما أنا امرأة وليس

---

(١) رواية ابن إسحاق هذه في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٩٣) .
(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .
(٣) « المنحة » : الناقة .
(٤) كشف الأستار للهيثمي (١٧٤٢) الهجرة والمغازي باب الهجرة إلى المدينة وما يأتي بين معقوفين منه .
(٥) « الفَرَق » : مكيال يسع ثلاثة آصُع عند أهل الحجاز . النهاية لابن الأثير .
(٦) في دلائل النبوة (٢/ ٤٩١) .

معي أحد ، فعليكما بعظيم الحيِّ إنْ أردتم القِرَى . قال : فلم يُجِبْها وذلك عند المساء ، فجاء ابنٌ لها بأعْنُزٍ يسوقُها ، فقالت : يا بني انطلقْ بهذه العَنْز والشَّفْرَة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمِّي اذْبَحَا هذه وكُلا وأطعمانا فلما جاء قال له النبيُّ ﷺ : « انطلق بالشفرة وجئني بالقَدَح » قال : إنها قد عزَبَتْ وليس بها لبن ، قال انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبيُّ ﷺ ضَرْعَها ، ثم حلب حتى مَلأَ القَدَح ، ثم قال : « انطلقْ به إلى أمِّك » فشربت حتى رويَتْ ، ثم جاء به فقال : « انطلقْ بهذه وجئْني بأخرى » ففعل بها كذلك ، ثم سَقَى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبيُّ ﷺ فبتنا ليلتنا ، ثم انطلقنا .

فكانت تسمِّيه المُبارَك . وكَثُرَتْ غنمُها حتى جلبَتْ جَلْباً إلى المدينة ، فمرَّ أبو بكرٍ فرأى ابنَها فعرَفَه فقال : يا أُمَّهْ ، هذا الرجل الذي كان مع المُبَارك . فقامت إليه فقالت : يا عبد الله ، من الرجلُ الذي كان معك ؟ قال : أو ما تدرين من هو ؟ قالت : لا ، قال : هو نبيُّ الله . قالت : فأدخلني عليه . قال : فأدخَلَها ، فأطعمها رسولُ الله ﷺ وأعطاها ـ زاد ابنُ عبدان في روايته : ـ قالت : فدُلَّني عليه ، فانطلقتْ معي وأهدَتْ لرسولِ الله شيئاً من أقِطٍ ومتاعِ الأعراب . قال : فكساها وأعطاها . قال : ولا أعلمه إلا قال وأسلمَتْ .

إسنادُ حسن .

وقال البيهقي : هذه القصة شبيهةٌ بقصةِ أُمِّ معبد ، والظاهر أنها هي والله أعلم .

وقال البيهقي[١] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدثنا الحسن[٢] بن مُكرم ، حدَّثني أبو أحمد بشر بن محمد السُّكَّري ، حدثنا عبد الملك بن وهب المَذْحِجي ، حدثنا الحُرُّ بن الصَّيَّاح[٣] عن أبي مَعْبَد الخُزَاعي أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج ليلةَ هاجر من مكة إلى المدينة ، هو وأبو بكرٍ وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر ، ودليلُهم عبد الله بن أُرَيْقِط اللَّيثي ، فمرُّوا بخيمتي أمِّ معبد الخزاعيَّة ، وكانت أمُّ معبد امرأةً بَرْزَةً[٤] جَلْدَةً تحتبي وتجلس بفناء الخيمة

---

(١) سقطت هذه الرواية من دلائل النبوة المطبوع للبيهقي وقد تسرَّع محققه (٢/ ٤٩٤) في الحاشية فذكر أن البيهقي لم يعرج على قصة أم معبد ، ولو أنه أمعن النظر في المتن وما هو مثبت هنا لما قال ذلك . قال البيهقي في (٢/ ٤٩٣) : فيحتمل أن يكون أولاً أي التي في كِسْر الخيمة ، كما روينا في حديث أم معبد ، ثم رجع ابنها بأعنز ، كما روينا في حديث ابن أبي ليلى ، ثم لما أتى زوجها وصفته له والله أعلم . فدل هذا على أن البيهقي روى حديث أم معبد قبل رواية ابن أبي ليلى ولو فتشت عنه قبلها لما وجدته وهذا يعني أنه سقط من النسخ التي اعتمدها في التحقيق والله أعلم . وقد ساق الحاكم إسناد هذه الرواية في المستدرك (٣/ ١١) .

(٢) في المستدرك : الحسين بن مكرم . تصحيف ، ترجمته في تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٢) وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩٢) .

(٣) في ط : أبجر بن الصباح ، وفي ح : الحر بن الصباح . وكذا في المستدرك وكله تصحيف والمثبت من ترجمته في تهذيب الكمال (٥/ ٥١٤) والإكمال (٥/ ١٦١) .

(٤) « البَرْزَة » : الكَهْلَة التي لا تحتجب احتجاب الشوابّ ، وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدثهم . النهاية لابن الأثير (١/ ١١٧) .

فتُطعِمُ وتَسْقي ، فسألوها هل عندهـا لحمٌ أو لبنٌ يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك . وقالت : لـو كان عندنا شيءٌ مـا أعوزكم القِرَى ؛ وإذا القومُ مُرْمِلُون مُسْنِتُون . فنظر رسولُ الله ﷺ فإذا شاةٌ في كِسْرِ خيمتها فقال : « ما هذه الشاةُ يا أمَّ معبد ؟ » فقالت : شاةٌ خلَّفَها الجَهْدُ عن الغَنَم قال : « فهل بهـا من لبن ؟ » قالت : هي أجهدُ من ذلك قال : « تأذنينَ لي أن أحْلِبَها ؟ » قالت : إنْ كان بها حَلَبٌ فاحْلبها . فدعا رسولُ الله ﷺ بالشاة ، فمسحَها وذكر اسْمَ الله ، ومسَحَ ضَرْعَها وذكر اسم الله ودعا بإناءٍ لها يُرْبِضُ الرَّهْط[1] فتفَاجَّتْ ودَرَّتْ واجْتَرَّتْ[2] ، فحلب فيه ثجاً حتى عَلاهُ البَهاءُ[3] فسقاها وسقى أصحابه ، فشربوا عَللاً بعد نَهَل ، حتى إذا رَوُوا شرب آخِرهم وقال : « ساقي القومِ آخرهم » . ثم حلب فيه ثانياً عَوْداً على بَدْء ، فغادره عندها ثم ارتحلوا . قال : فقلَّما لبث حتى جاء زوجُها أبو معبد يسوق أعْنُزاً عِجافاً يتساوَكْنَ هَزْلَى[4] ، لا نِقْيَ بهنّ[5] ، مُخُّهنَّ قليل ، فلما رأى اللبن عَجب وقال من أين هذا اللبن يا أمَّ معبد ولا حلوبةَ في البيت والشاءُ عازب ؟ فقالت : لا والله ، إنه مرَّ بنا رجلٌ مبارك ، كان من حديثه كيت وكيت . فقـال : صِفيه لي ، فوالله إني لأراهُ صاحبَ قريش الذي تطلب . فقالت : رأيتُ رجلاً ظاهر الوَضَاءة ، حَسَن الخلق ، مليح الوجه ، لم تعبه ثَجْلَة[6] ، ولم تُزْرِ به صَعْلَة[7] ، قسيمٌ وسيم ، في عينيه دَعَج ، وفي أشفـاره وَطَف ، وفي صوته صَحَل[8] ، أحْوَرُ[9] أكحل أزَجُّ أقْرَن ، في عُنقه سَطع وفي لحيته كَثَاثَة . إذا صمَتَ فعليه الوَقَار ، وإذا تكلَّم سما وعلاهُ البهاء ، حُلْو المَنْطِق ، فَصْلٌ لا نـزْرَ ـ قليل ـ ولا هَذْرَ ـ كثير ـ كأنَّ منطقه خَرَزات نَظْمٍ يَتَحَدَّرْن ، أبْهَى الناسِ وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب ؛ رَبْعَة ، لا تَشْنَؤه[10] عينٌ من طول ، ولا تقتحمـه عينٌ من قِصَـر ، غُصْنٌ بين غُصنَيْنِ ، فهو أنْضَرُ الثلاثةِ منظراً ، وأحسنهم قدّاً ، له رُفقاء يَحُفُّون به ، إنْ قال أنصتوا لقوله ، وإنْ أمَرَ تبادروا لأمره . مَحْفُودٌ مَحْشُود ، لا عابِسٌ ولا معتد فقال ـ يعني بعلُها ـ : هذا والله صاحبُ قريش الذي تطلب ، ولو صادفتُه لالتمستُ أنْ أصحبه ، ولأجْهَدَنّ إنْ وجدتُ إلى ذلك سبيلاً . قال : وأصبح صوتٌ

---

(١) « يُرْبِض الرهط » : أي يُرويهم ويُثْقِلُهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض . النهاية لابن الأثير (٢/ ١٨٤) .

(٢) « تفاجَّت » : من التفاجّ وهو المبالغة في تفريج ما بين الرجلين . النهاية لابن الأثير (٣/ ٤١٢) .

(٣) « الثجّ » : اللبن السائل الكثير . ووقع في ح ،ط : حتى ملأه إليها . وهو تصحيف ، والمثبت من المستدرك والنهاية لابن الأثير (١/ ١٦٩) وفيه : أراد بَهَاء اللبن ، وهو وَبيص رغوته أي بريقها .

(٤) أراد أنها تتمايل من ضعفها . النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٢٥) .

(٥) « النِّقْي » : المخ . النهاية لابن الأثير .

(٦) « الثَّجْلَة » : ضِخَمُ البطن . النهاية لابن الأثير (١/ ٢٠٨) .

(٧) « الصَّعْلَة » : صِغَرُ الرأس ؛ وهي أيضاً الدقَّة والنحول في البدن . النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٢) .

(٨) « الوَطَف » : طول شعر الأجفان . والصَّحَل : كالبُحَّة وألا يكون حادَّ الصوت . النهاية لابن الأثير .

(٩) في ط : أحول ، والمثبت من ح .

(١٠) « لا تشنؤه » : أي لا يُبغَض لفرط طوله . هذه رواية ح والمستدرك والنهاية لابن الأثير . وفي الفائق للزمخشري (١/ ٨١) : لا يائس من طول . وفي ط : لا تنساه . تصحيف . وتقتحمه : تزدريه كما في الفائق .

بمكة عالٍ بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرَوْن من يقول وهو يقول : [من الطويل]

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائِهِ رفيقَيْنِ حلاَّ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ
هما نَزَلا بالبرِّ وارتحلا به[1] فأفلح مَنْ أمسى رفيقَ محمدِ
فيالَ قصيّ ما زَوَى اللهُ عنكمُ به من فَعالٍ لا تُجارَى وسُؤْدُدِ
سلوا أختكم عن شاتِها وإنائها فإنّكم إنْ تسألوا الشاةَ تَشْهَدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبتْ له بصريحٍ ضرّةُ الشاةِ مُزْبِدِ[2]
فغادره رهناً لديها لحالبٍ يدرُّ لها في مصدرٍ ثم مَوْرِدِ[3]

قال وأصبح الناس ـ يعني بمكة ـ وقد فقدوا نبيَّهم ، فأخذوا على خيمتَيْ أمِّ معبد حتى لحقوا برسولِ الله ﷺ .

قال وأجابه حسان بن ثابت : [من الطويل]

لقد خابَ قومٌ زال عنهم نبيُّهم وقد سُرَّ مَنْ يَسْرِي إليهم ويَغْتدي[4]
ترحّلَ عن قوم فزالتْ عقولُهم وحلَّ على قوم بنورٍ مجدَّدِ
[هداهم به بعد الضلالة ربُّهم وأرشدَهم من يتْبَعِ الحقَّ يرشُدِ][5]
وهل يستوي ضُلاَّلُ قوم تسفَّهوا عَمًى وهداةٌ يهتدون بمهتدِ
نبيٌّ يَرَى ما لا يرى الناسُ حَوْلَهُ ويتلو كتابَ الله في كلِّ مَشْهدِ
وإنْ قال في يومٍ مقالةَ غائبٍ فتصديقُها في اليوم أو في ضُحى الغدِ
ليهنِ أبا بكرٍ سعادةُ جدِّه بصُحْبته ، من يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ
ويَهْنِ بني كعبٍ مكانُ فتاتِهم ومقعدُها للمسلمينَ بمَرْصَدِ

قال ـ يعني عبد الملك بن وَهْب ـ : فبلغني أنَّ أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبيِّ ﷺ .

وهكذا رواه الحافظُ أبو نعيم[6] من طريق عبد الملك بن وهب المَذْحِجِيّ فذكر مثله سواء وزاد في آخره قال عبد الملك : بلغني أنَّ أمَّ معبد هاجرتْ وأسلمت ولحقت برسولِ الله ﷺ .

---

(١) في الفائق ودلائل أبي نعيم : هما نزلاها بالهدى واهتدت بهم .
(٢) في ح : لديه بضرع ضرة الشاة مُزْبِدِ .
(٣) في الفائق ودلائل أبي نعيم : يرددها في مصدر ثم مورد .
(٤) ويروى : غاب عنهم نبيهم وقُدّس من يسري . ديوان حسان (١/ ٤٦٤) ودلائل أبي نعيم (٢/ ٤٣٩) .
(٥) سقط هذا البيت من ح ، ط فأثبتُّه من مصادر الخبر .
(٦) ليست هذه الرواية فيما طبع من دلائل النبوة ؛ غير أنَّ ما ذكره من قول عبد الملك مثبت في الدلائل (٢/ ٤٣٩) .

ثم رواه أبو نعيم[١] من طُرق عن مُكْرَم بن مُحْرِز الكعبي الخُزَاعي[٢] ، عن أبيه محرز بن مَهْدي عن حِزام بن هشام بن حُبيش بن خالد عن أبيه عن جدِّه حُبيش بن خالد صاحبِ رسولِ الله ﷺ ، أنَّ رسول الله ﷺ حين خرج[٣] من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فُهيرة ودليلُهم[٤] عبد الله بن أريقط الليثي ، فمرُّوا بخيمتَيْ أُمِّ معبد ، وكانتِ امرأةً بَرْزة جلدةً تحتبي بفناء القُبَّة .

وذكر مثل ما تقدَّم سواء .

قال : وحدَّثَنَاهُ[٥] ـ فيما أظنّ ـ محمد بن أحمد بن علي بن مَخْلد ، حدثنا محمد بن يونس بن موسى ـ يعني الكُدَيمي ـ حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ، حدثنا محمد بن سليمان بن سَلِيط الأنصاري ، حدثني أبي عن أبيه سَليط البدري قال : لما خرج رسولُ الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فُهيرة وابنُ أُريقط يدلُّهم على الطريق ، مرَّا بأمِّ معبد الخُزَاعية وهي لا تعرفه فقال لها : « يا أمَّ معبد هل عندك من لبن ؟ » قالت : لا والله إنَّ الغنم لعازِبَة . قال : « فما هذه الشاة ؟ » قالت : خلَّفها الجَهْدُ عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدَّم .

ثم قال البيهقي[٦] : يحتمل أن هذه القصص كلَّها واحدة .

ثم ذكر قصةً شبيهة بقصة شاة أمِّ معبد الخزاعية فقال[٧] : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ـ إملاءً ـ حدَّثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن غالب ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا عُبيد[٨] الله بن إياد بن لَقِيط ، حدثنا إياد بن لَقِيط عن قيس بن النعمان قال : لما انطلق النبيُّ ﷺ وأبو بكر مستخفين ، مرُّوا بعبدٍ يرعى غنماً فاستسقياه اللبن فقال : ما عندي شاة تُحلب ، غيرَ أنَّ هاهنا عناقاً حملَتْ أولَ الشتاء ، وقد أخْدَجَتْ[٩] وما بقي لها لبن ، فقال : « ادْعُ بها » . فدعا بها ، فاعتقلها النبيُّ ﷺ ومسح

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٤٣٦) .

(٢) في ح، ط : بكر بن محرز الكلبي الخزاعي . وهو تصحيف، والمثبت من دلائل النبوة وأنساب السمعاني (١٠/ ٤٤٣) . قال بشار : وهو بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء وتخفيفها ، قيده الدارقطني في المؤتلف (٤/ ٢١٥٣) والأمير في الإكمال (٧/ ٢٨٦) ، وتوهم محقق الأنساب فقيده بالتثقيل .

(٣) في ح ، ط : أخرج . والمثبت من دلائل أبي نعيم .

(٤) في ح ، ط : ودليلهما . والمثبت من دلائل أبي نعيم .

(٥) وليست هذه الرواية أيضاً فيما طبع من الدلائل لأبي نعيم ، وذكرها ابن حجر في الإصابة في ترجمة سَليط الأنصاري .

(٦) في الدلائل (٢/ ٤٩٢ و٤٩٣) بألفاظ مقاربة .

(٧) في الدلائل (٢/ ٤٩٧) .

(٨) في ح ، ط : عبد الله تصحيف ، والمثبت من الدلائل والتاريخ الكبير (٥/ ٣٧٣) . وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣١٧) .

(٩) خدجتِ الناقة : إذا ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تامَّ الخلق ؛ وأخدجَتْهُ : إذا ولدته ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل . النهاية لابن الأثير (٢/ ١٢) .

ضَرْعَها ، ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بِمِجَنّ ، فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب . فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيتُ مثلك قط . قال : « أو تراك تكتمُ عليَّ حتى أخبرك ؟ » قال : نعم . قال : « فإني محمدٌ رسولُ الله » فقال : أنت الذي تزعم قريشٌ أنه صابئ ؟ قال : « إنهم ليقولون ذلك » قال : فأشهد أنك نبيّ ، وأشهد أنَّ ما جئت به حَقّ ، وأنه لا يفعل ما فعلتَ إلا نبيّ ، وأنا مُتَّبِعُك . قال : « إنك لا تستطيعُ ذلك يومك هذا ، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتِنا » ورواه أبو يعلى المَوْصلي[١] عن جعفر بن حُميد الكوفي عن عبد الله بن إياد بن لَقِيط به .

وقد ذكر أبو نعيم هاهنا[٢] قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدَّثنا عبد الله بن جعفر حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود[٣] ، حدثنا حمَّاد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنتُ غلاماً يافعاً أرْعَى غنماً لعقبة بن أبي مُعَيط بمكة ، فأتى رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ـ وقد فرَّا من المشركين ـ فقال : « يا غلام ، عندك لبنٌ تَسْقِينا ؟ » فقلت : إني مؤتَمن ولستُ بساقيكما ، فقالا : هل عندك من جَذَعة لم ينْزُ عليها الفحلُ بعد ؟ قلت : نعم فأتيتهُما بها ، فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسولُ الله ﷺ الضَّرْع ، فدعا فحفَل الضَّرْع ، وجاء أبو بكر بصخرة منقعرة[٤] فحلب فيها . ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني ، ثم قال للضرع : « اقْلِصْ » فقلَصَ . فلما كان بعدُ[٥] أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : علِّمني من هذا القول الطيِّب ـ يعني القرآن ـ فقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّك غلامٌ مُعَلَّم » فأخذت من فيه سبعين سورةً ما يُنازعني فيها أحد .

فقوله في هذا السياق وقد فرَّا من المشركين ليس المرادُ منه وقتَ الهجرة ، إنما ذلك في بعضِ الأحوال قبل الهجرة . فإنَّ ابنَ مسعود ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدَّم ، وقصتُه هذه صحيحة ثابتةٌ في الصحاح وغيرِها . والله أعلم .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد[٦] : حدثنا مصعب بن عبد الله[٧] ـ هو الزُّبيري ـ حدثني أبي ، عن فائد

---

(١) ذكره السيوطي في الخصائص فقال : أخرج أبو يعلى والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم عن قيس بن النعمان . . . فذكره . وهو في مسند أبي يعلى رقم (٥٣١١) من حديث ابن مسعود .

(٢) في دلائل النبوة (٢٣٣) وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٧٩) عن أبي بكر بن عياش عن عاصم به وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١٨٥٠) عن عفان عن حماد به ، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٨٤٥٥) عن علي بن عبد العزيز وأبي مسلم الكش عن حجاج بن المنهال عن حماد به ؛ وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٧١) عن أبي بكر بن فورك عن عبد الله بن جعفر به .

(٣) يعني الطيالسي في مسنده (٣٥٣) .

(٤) في المصنف لابن أبي شيبة : منقعرة ـ أو منقرة ، وفي معجم الطبراني : مقعرة .

(٥) في دلائل أبي نعيم : الغد .

(٦) في ح : « وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله » ولا يصح البتة ، وما أثبتناه هو الصواب ، فالحديث من زيادة عبد الله على مسند أبيه (٤/ ٧٤) ، وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن مصعب الزبيري .

(٧) في ط ، ح : عبد الله بن مصعب . تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد .

مولى عبادل قال : خرجتُ مع إبراهيم بن عبد الرحمن إلى ابن سعد[(١)] حتى إذا كنَّا بالعَرْج أتى ابنُ سعد ـ وسعد هو الذي دلَّ رسولَ الله ﷺ على طريق رَكُوبة[(٢)] ـ فقال إبراهيم : أخبرني ما حدَّثك أبوك ؟ قال ابنُ سعد : حدثني أبي أنَّ رسولَ الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر ـ وكانت لأبي بكرٍ عندنا بنت مُسترضعة ـ وكان رسولُ الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغائر من رَكُوبة[(٣)] ، وبه لصَّانِ من أسلم يقال لهما المهانان ؛ فإنْ شئت أخذنا عليهما . فقال النبيُّ ﷺ : « خذ بنا عليهما » . قال سعد : فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدها يقول لصاحبه : هذا اليماني . فدعاهما رسولُ الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا : نحن المهانان فقال : « بل أنتما المكرمان » وأمرهما أن يقدَما عليه المدينة فخرجْنا حتى إذا أتينا[(٤)] ظاهر قُباء فتلقَّى[(٥)] بنو عمرو بن عوف فقال رسولُ الله ﷺ : « أين أبو أمامة أسعد بن زُرَارة ؟ » فقال سعد بن خيثمة : إنه أصاب قبلي يا رسول الله ، أفلا أخبره ذلك[(٦)] ؟ ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء ، فالتفت رسولُ الله إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر هذا المنزل . رأيتني أنزل إلى[(٧)] حياضٍ كحياض بني مُدْلج . انفرد به أحمد .

فصــل
في دخوله عليه الصلاة والسلام المدينة وأينَ استقرَّ منزلُه بها وما يتعلَّقُ بذلك

قد تقدَّم الكلامُ فيما رواهُ البخاري عن الزهري عن عروة أنَّ النبيَّ ﷺ دخل المدينة عند الظهيرة[(٨)] .

قلت : ولعلَّ ذلك كان بعد الزوال ، لما ثبت في الصحيحَيْن[(٩)] من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، عن أبي بكر ، في حديث الهجرة قال : فقدمنا ليلاً فتنازعه القومُ أيُّهم ينزلُ عليه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أَنزلُ على بني النجّار أخوالِ عبد المطَّلب أُكْرِمُهم بذلك » وهذا والله أعلم إمَّا أن يكون يومَ قدومِه إلى قُباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حرِّ الظهيرة ، وأقام

(١) عبارة المسند هكذا : خرجتُ مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة فأرسل إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى . . .

(٢) « رَكُوبة » : ثنية بين مكة والمدينة عند العَرْج . معجم البلدان (٣/ ٦٤) .

(٣) في ح : العامر من ركونة وفي ط : الغامر ، والمثبت من مسند أحمد وسيرة ابن هشام (١/ ٤٩٢) وقال ابن هشام : ثنية العائر . . . ويقال ثنية الغائر بالمهملة والمعجمة ، ونقله ياقوت في معجم البلدان (٤/ ٧٣) .

(٤) في ح : فخرجا حتى إذا أتيا ، والمثبت من ط ومسند أحمد .

(٥) في ط : فتلقاه ، والمثبت من ح ومسند أحمد .

(٦) في مسند أحمد لك ، والمثبت من ح ، ط .

(٧) في مسند أحمد : على .

(٨) تقدم في (ص٤٥١) موضع الحاشية (٣) .

(٩) رواية الصحيحين تقدمت الإشارة إليها في المتن (ص٤٥٣) .

تحت تلك النخلة ، ثم سار بالمسلمين فنزل قُباء وذلك ليلاً ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلاً . لأنَّ العشيَّ من الزوال ؛ وإمَّا أن يكون المرادُ بذلك لما رحل من قُباء كما سيأتي ، وسار ، فما انتهى إلى بني النجَّار إلا عشاءً كما سيأتي بيانُه ، والله أعلم .

وذكر البخاري[١] عن الزهري عن عروة أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقباء ، وأقام فيهم بِضْع عشرةَ ليلة ، وأسَّسَ مسجد قُباء في تلك الأيام ، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلتُه في مكان مسجده ، وكان مِرْبَداً لغلامين يتيمَيْن وهما سَهْل وسُهيل ، فابتاعه منهما واتخذه مسجداً . وذلك في دار بني النجَّار رضي الله عنهم .

وقال محمد بن إسحاق[٢] : حدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عُوَيم[٣] بن ساعدة قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب[٤] النبيِّ ﷺ قالوا : لما بلغنا مخرجُ النبيِّ ﷺ من مكة وتوكَّفنا قدومَه ، كنا نخرجُ إذا صلينا الصُّبح إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظرُ النبيَّ ﷺ ، فوالله ما نبْرَحُ حتى تغلبنا الشمسُ على الظلال فإذا لم نجدْ ظلاًّ دخلنا ـ وذلك في أيامٍ حارَّة ـ حتى إذا كان اليومُ الذي قدِم فيه رسولُ الله ﷺ جلسنا كما كنَّا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسولُ الله ﷺ حين دخلنا البيوت ، فكان أولَ من رآه رجلٌ من اليهود [وقد رأى ما كنَّا نصنع ، وأنَّا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ] فصرخ بأعلى صوته : يا بني قَيْلَة[٥] ، هذا جدُّكم قد جاء . فخرجْنا إلى رسولِ الله ﷺ وهو في ظلِّ نخلة ومعه أبو بكر في مثل سِنِّه ، وأكثرنا لم يكنْ رأى رسولَ الله ﷺ قبل ذلك . ورَكِبَهُ الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظلُّ عن رسولِ الله ﷺ ، فقام أبو بكر فأظلَّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

وقد تقدَّم مثلُ ذلك في سياقِ البخاري[٦] وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدثنا هشام ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : إني لأسعى في الغلمان يقولون : جاء محمد ؛ فأسعى ولا أرى شيئاً ، ثم يقولون : جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً ، قال : حتى جاء رسولُ الله ﷺ وصاحبُه أبو بكر ، فكَمَنَا[٨] في بعض حِرَار[٩] المدينة ، ثم

---

(١) تقدم في (ص٤٥١) موضع الحاشية (٣) .
(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٢) والروض (٢/ ٢٣٦) وما سيأتي بين معقوفين منهما .
(٣) وقع في سيرة ابن هشام والروض : عويمر . وهو تصحيف ، انظر ترجمة عبد الرحمن وترجمة أبي عويم في الإصابة وفيه ساق ابن حجر طرف الحديث .
(٤) في ح : رجال من قومي عن النبي ﷺ . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والإصابة .
(٥) « قيلة » : هي أم الأوس والخزرج . القاموس (قيل) .
(٦) تقدم في (ص٤٥١) موضع الحاشية (٣) .
(٧) في مسنده (٣/ ٢٢٢) رقم (١٣٢٥١) وهو صحيح .
(٨) في ح : فمكنا . وأثبتنا ما في ط ، وهو الذي في الطبعة الجديدة من مسند أحمد (٢١/ ٤٠) . .
(٩) في ح ، ط : خراب تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد .

بعَثَا رجلاً من أهلِ البادية يؤذنُ بهما الأنصار ، فاستقبلهما زهاءُ خمسمئةٍ من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار : انطلقا آمنَيْن مطاعَيْن . فأقبل رسولُ الله ﷺ وصاحبُه بين أظهرهم ، فخرج أهلُ المدينة حتى إنَّ العَوَاتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن : أيُّهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به . قال أنس : فلقد رأيتُه يوم دخل علينا ويوم قبض . فلم أر يومين شبيهاً بهما .

ورواهُ البيهقي[١] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصَّنْعاني ، عن أبي النَّضْر هاشم ابن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت عن أنس بنحوه ـ أو مثله ـ وفي الصحيحَيْن[٢] من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، عن أبي بكرٍ في حديث الهجرة ، قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر ، جاء رسول الله الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله ، فلما أصبح انطلق وذهب حيث أُمر .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عمرو الأديب ، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي ، سمعتُ أبا خليفة يقول : سمعت ابنَ عائشة يقول : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة جعل النساءُ والصبيان يقلن : [من مجزوء الرمل]

طلعَ البدرُ علينا ... من ثَنِيَّات الوَدَاع

وجبَ الشُّكْرُ علينا ... ما دعا لله داع[٤]

قال محمد بن إسحاق[٥] : فنزل رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون يعني حين نزل بُقباء ـ على كلثوم بن الهِدْم أخي بني عمرو بن عَوف ، ثم أحدِ بني عُبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثَمة ، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهِدْم : إنما كان رسولُ الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهِدْم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزَباً لا أهل له ، وكان يقالُ لبيته بيت العزَّاب والله أعلم . ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خُبيب بن إساف أحدِ بني الحارث بن الخزرج بالسُّنح ؛ وقيل على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج .

قال ابن إسحاق[٦] : وأقام عليُّ بن أبي طالب بمكة ثلاثَ ليالٍ وأيامها حتى أدَّى عن رسول الله ﷺ

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٧) .
(٢) فتح الباري (٣٦٥٢) فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم ، وصحيح مسلم (٧٥ـ ٢٠٠٩) الزهد باب في حديث الهجرة .
(٣) في الدلائل (٢/ ٥٠٦) .
(٤) وإسناده ضعيف . والصواب أن ذلك كان عند رجوعه من تبوك ، ولذلك قال ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ٥٥١) وبعض الرواة يهم في هذا ، ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة وهو وهم ظاهر ، لأن ثنيات الوداع ، إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام .
(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٣) والروض (٢/ ٢٣٧) .
(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٣) والروض (٢/ ٢٣٧) .

الودائع التي كانت عنده ، ثم لحق برسولِ الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهِدْم . فكان عليٌّ بنُ أبي طالب إنما كانت إقامته بقُباء ليلةً أو ليلتين . يقول : كانت بقباء امرأةٌ لا زوجَ لها ، مسلمة ، فرأيتُ إنساناً يأتيها من جَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه ، فيعطيها شيئاً معه فتأخذه ، فاسترَبْتُ بشأنه فقلت لها : يا أمة الله ، مَنْ هذا الذي يضرب عليك بابكِ كلَّ ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو ؟ وأنت امرأةٌ مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهلُ بن حُنَيف . وقد عرف أني امرأةٌ لا أحد لي ، فإذا أمسى عدا على أوثانِ قومه فكسرها ، ثم جاءني بها فقال : احتطبي بهذا ، فكان عليٌّ رضي الله عنه يأثرُ ذلك من شأنِ سَهْل بن حُنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق(١) : فأقام رسولُ الله ﷺ بقُباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسَّس مسجده ؛ ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك .

وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثماني عشرة ليلة .

قلت : وقد تقدَّم فيما رواه البخاري(٢) من طريق الزُّهري عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضعَ عشرة ليلةً ، وحكى موسى بن عقبة عن مُجَمِّع بن يزيد بن جارية(٣) أنه قال : أقام رسولُ الله ﷺ فينا ـ يعني في بني عمرو بن عَوْف بقُباء ـ اثنتين وعشرين ليلة .

وقال الواقدي : ويقال : أقام فيهم أربع عشرة ليلة . فالله أعلم .

قال ابنُ إسحاق(٤) : فأدركتْ رسولَ الله ﷺ الجمعةُ في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي ـ وادي رانُونَاء ـ فكانت أولَ جمعةٍ صلاها بالمدينة .

فأتاه عِتْبان بن مالك وعباس بن عُبادة بن نَضْلَة ، في رجالٍ من بني سالم فقالوا : يا رسول الله ، أقِمْ عندنا في العدد والعُدَّة والمنعة . قال « خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة » لناقته ، فخلُّوا سبيلَها فانطلقتْ حتى إذا وازت(٥) دار بني بَيَاضَة تلقَّاه زياد بن لبيد وفَرْوةُ بن عمرو ، في رجالٍ من بني بياضة فقالوا : يا رسول الله ! هلمَّ إلينا إلى العدد والعُدَّة والمَنَعة ؟ قال : « خلُّوا سبيلها فإنَّها مأمورة » فخلوا سبيلها . فانطلقتْ حتى إذا مرَّت بدار بني ساعدة اعترضه سعدُ بن عُبادة والمنذر بن عمرو ، في رجالٍ من بني

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٤) والروض (٢/ ٢٣٧) .
(٢) تقدم في (ص٤٥١) موضع الحاشية (٣) .
(٣) في ح ، ط : حارثة ، تصحيف ، والمثبت من الإكمال (٢/ ٤) وتقريب التهذيب .
(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٤) والروض (٢/ ٢٣٧) .
(٥) في ح : وارت ، وفي سيرة ابن هشام : وازنت . والمثبت من ط .

ساعدة ، فقالوا : يا رسول الله ، هلّم إلينا في العدد والعُدَّة والمنعة . قال : « خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة » فخلَّوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا وازت[١] دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعدُ بن الرَّبيع وخارجةُ بن زيد وعبد الله بن رَوَاحة ، في رجالٍ من بني الحارث[٢] بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلينا إلى العدد والعُدَّة والمَنَعة . قال : « خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة » فخلَّوا سبيلَها ، فانطلقت حتى إذا مرَّت بدار عديِّ بن النجّار ـ وهم أخواله دِنْياً ـ أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سَليط بن قيس وأبو سَليط أُسَيْرَة بن خارجة[٣] في رجالٍ من بني عديِّ بن النجّار ، فقالوا : يا رسول الله ! هلمَّ إلى أخوالك إلى العدد والعُدَّة والمنعة ؟ قال : « خلُّوا سبيلها فإنَّها مأمورة » فخلوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا أتتْ دارَ بني مالك بن النجّار بركَتْ على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكان يومئذٍ مِرْبداً لغلامَيْن يتيمَيْن من بني مالك بن النجار ، وهما سَهْل وسُهيل ابنا عمرو ، وكانا في حَجْر معاذ بن عَفْرَاء .

قلت : وقد تقدَّم في روايةِ البخاري[٤] من طريق الزُّهري عن عروة أنهما كانا في حَجْر أسعد بن زرارة ، والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة[٥] أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ في طريقه بعبد الله بن أُبيِّ بن سلُول وهو في بيت . فوقف رسولُ الله ﷺ ينتظر أن يدعوَهُ إلى المنزل ـ وهو يومئذٍ سيد الخزرج في أنفسهم ـ فقال عبد الله انظر الذين دعَوْك فانزلْ عليهم . فذكر ذلك رسولُ الله ﷺ لنفر من الأنصار ، فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه : لقد مَنَّ الله علينا بك يا رسول الله ! وإنا نريد أن نعقِدَ على رأسه التاج ونملِّكه علينا .

قال موسى بن عقبة[٦] : وكانتِ الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركبَ رسولُ الله ﷺ من بني عمرو بن عوف فمشَوْا حولَ ناقته لا يزال أحدُهم ينازعُ صاحبه زمام الناقة شُحّاً على كرامة رسولِ الله ﷺ وتعظيماً له ، وكلما مرَّ بدارٍ من دور الأنصار دعَوْهُ إلى المنزل فيقول ﷺ : « دعوها فإنها مأمورة ، فإنما أنزلُ حيث أنزلني الله » فلما انتهتْ به إلى دار أبي أيوب بَرَكتْ به على الباب ، فنزل ، فدخل بيت أبي أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

---

(١) في ح : وارت ، وفي سيرة ابن هشام : وازنت . والمثبت من ط .
(٢) في ح : من بلحارث .
(٣) كذا في (ح ، ط) وفي سيرة ابن هشام : أسيرة بن أبي خارجة ، وفي الإكمال (١/ ٧٨) : أُسيرة بن عمرو من بني عدي بن النجار .
(٤) تقدم في أول الصفحة (٤٥٢) .
(٥) في الحديث الذي رواه عنه البيهقي بسنده في دلائل النبوة (٢/ ٤٩٩) .
(٦) في الحديث الذي رواه عنه البيهقي بسنده في دلائل النبوة (٢/ ٥٠١) .

وقال ابنُ إسحاق[(١)] : لما بركتِ الناقةُ برسول الله ﷺ لم ينزلْ عنها حتى وثبت فسارَتْ غيرَ بعيد ، ورسول الله ﷺ واضعٌ لها زمامها لا يَثْنِيها به ، ثم التفتَتْ خَلْفَها فرجعَتْ إلى مَبْرَكها أولَ مرَّة فبركتْ فيه ، ثم تحَلْحَلَتْ ورَزَمَتْ[(٢)] ووضعَتْ جِرانها ، فنزل عنها رسولُ الله ﷺ . فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله ، فوضعه في بيته ونزل عليه رسولُ الله ﷺ ، وسأل عن المِرْبد : لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله ! لسهل وسُهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه ، فاتَّخذهُ مسجداً . فأمر به رسولُ الله ﷺ أن يُبنى ، ونزل رسولُ الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسولُ الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار .

وستأتي قصةُ بناء المسجد قريباً إن شاء الله .

وقال البيهقي في « الدلائل »[(٣)] : وقال أبو عبد الله : أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر[(٤)] الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن مَخْلد الدُّوري ، حدثنا محمد بن سليمان بن إسماعيل بن أبي الورد ، حدثنا إبراهيم بن صِرْمَة ، حدثنا يحيى بن سعيد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس . قال : قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ، فلما دخلنا[(٥)] جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : إلينا يا رسول الله ! فقال : « دعوا الناقة فإنها مأمورة » فبركت على باب أبي أيوب ، فخرجت جوَارٍ من بني النجّار يضربنَ بالدُّفوف وهنَّ يقلْن :

نحنُ جوارٍ من بني النجّار يـا حبّـذا محمـدٌ مـن جـارِ

فخرج إليهم رسولُ الله ﷺ فقال : « أتحبونني ؟ » فقالوا : إي والله يا رسول الله . فقال : وأنا والله أحبُّكم ، وأنا والله أحبُّكم ، وأنا والله أحبُّكم » .

هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه لم يَرْوِهِ أحدٌ من أصحاب السنن ، وقد خرَّجه الحاكم في مستدركه[(٦)] كما يروى[(٧)] .

---

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٥) والروض (٢/ ٢٣٨) .

(٢) في سيرة ابن هشام : زمَّتْ . تصحيف ، وفي النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٢٠) : تلحلحت وأرْزَمَتْ أي صوَّتت ، والإرزام : الصوت لا يفتح به الفم ، وفيه أيضاً : الناقة الرازم : أي ذات رُزام ، التي لا تتحرَّك من الهُزَال ، رزَمتْ فهي رازم . وفي اللسان (لحح) : تلحلحت عند بيت أبي أيوب ووضعت جِرانها : أي أقامت وثبتت ، وأصله من قولك ألحَّ يُلحُّ . ووقع في ح ، ط والسيرة : تحلحلت وهو خلاف المعنى .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٠٨) .

(٤) في ح ، ط : عمرو . تصحيف ، والمثبت من الدلائل وترجمته ـ وهو الدارقطني ـ في السير (١٦/ ٤٤٩) .

(٥) في الدلائل : دخل . وهو أشبه بالصواب .

(٦) لم أجده في مستدرك الحاكم .

(٧) هكذا في ح ، ط ، ولعله يريد : كما يروى من طريق أخرى ، ثم ساقه من وجه آخر وهو الآتي (بشار) .

ثم قال البيهقي[(١)] : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمي ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن[(٢)] بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ، حدثنا عمر بن الحسن الحلبي ، حدثنا أبو خيثمة المصيصي ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عَوْف الأعرابي ، عن ثمامة عن أنس ، قال : مرَّ النبيُّ ﷺ بحيٍّ من بني النجار ، وإذا جوارٍ يضربن بالدفوف يقلْن : [من الرجز]

نحن جوارٍ من بني النجَّارِ   يا حَبَّذا محمدٌ من جار

فقال رسولُ الله ﷺ « يعلم الله أن قلبي يحبُّكم »[(٣)] .

ورواه ابن ماجه[(٤)] عن هشام بن عمَّار ، عن عيسى بن يونس به[(٥)] .

وفي صحيح البخاري[(٦)] عن أبي معمر عن عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : رأى النبيُّ ﷺ النساءَ والصِّبيانَ مقبلين ـ حسبتُ أنه قال من عُرْس ـ فقام النبيُّ ﷺ مُمْثِلاً[(٧)] فقال : « اللهمَّ أنتم من أحبِّ الناسِ إليّ » قالها ثلاث مرَّات .

وقال الإمام أحمد[(٨)] : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، حدثني عبد العزيز بن صُهيب ، حدثنا أنس بن مالك ، قال : أقبل رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وهو مردفٌ أبا بكر ، وأبو بكر شيخٌ يعرف ، ورسولُ الله ﷺ شابٌّ لا يعرف ، قال : فيلقى الرجلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجلُ الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني[(٩)] السبيل . فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق ، وإنما يعني سبيلَ الخير . فالتفت أبو بكر ، فإذا هو بفارسٍ قد لحقهم فقال : يا نبي الله ، هذا فارسٌ قد لحق بنا . فالتفت رسولُ الله ﷺ فقال : « اللهمَّ اصْرَعْهُ » فصرعتْه فرسُه ، ثم قامت تُحَمْحم ، ثم قال : مُرْني يا نبيَّ الله بما شئت . فقال : « قفْ مكانك ولا تتركنَّ أحداً يلحقُ بنا » . قال : فكان أولَ النهار جاهداً على

---

(١) الدلائل (٢/ ٥٠٨) .
(٢) في الدلائل : عبد الله بن سليمان . ولم أقف على ترجمة له .
(٣) في الدلائل : يحبُّكنَّ . وهو أشبه .
(٤) في السنن (١٨٩٩) وأخرجه الخطيب في تاريخه (١٥ / ٥٩ ط . د. بشار) ، وهو حديث صحيح .
(٥) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢٠) من طريق ثابت عن أنس (بشار) .
(٦) فتح الباري (٣٧٨٥) مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إلي .
(٧) قال ابن حجر في الفتح (٩/ ٢٤٨) : مُمْثلاً . بضم أوله وسكون الميم الثانية بعدها مثلثة مكسورة وقد تفتح ، وضُبط أيضاً بفتح الميم الثانية وتشديد المثلثة والمعنى قائماً منتصباً ، قال ابن التين : كذا وقع في البخاري ، والذي في اللغة : مَثُل بفتح أوله وضم المثلثة وبفتحها قائماً يمثل بضم المثلثة مثولاً فهو ماثل إذا انتصب قائماً . قال عياض : وجاء هنا ممثِّلاً يعني بالتشديد أي مكلِّفاً نفسه ذلك .
(٨) في مسنده (٣/ ٢١١) رقم (١٣١٣٨) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٩) في المسند : يهديني إلى السبيل .

رسولِ الله ﷺ ، وكان آخرَ النهار مَسْلَحةً له(١) . قال : فنزل رسولُ الله ﷺ جانب الحرَّة ، ثم بعث إلى الأنصار ، فجاؤا فسلَّموا عليهما وقالوا : اركبا آمنين مطاعين(٢) . فركب رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ، وحفُّوا حولهما بالسلاح ، وقيل في المدينة : جاء نبيُّ الله ﷺ فاستشرفوا نبيَّ الله ﷺ ينظرون إليه ويقولون : جاء نبيُّ الله ﷺ . قال : فأقبل يسيرُ حتى نزل(٣) إلى جانب جار أبي أيوب ، قال : فإنه ليحدث أهله(٤) إذْ سمع به عبدُ الله بن سلام وهو في نخلٍ لأهله ، يَخْتَرِفُ لهم(٥) ، فعجل أن يضع الذي يخترف فيها ، فجاء وهي معه ، فسمع من نبيِّ الله ﷺ ، فرجع إلى أهله ، فقال نبيُّ الله ﷺ : « أيُّ بيوتِ أهلنا أقرب » ؟ فقال أبو أيوب : أنا يا نبيَّ الله ، هذه داري ، وهذا بابي . قال : « فانطلق فهيِّئ لنا مَقيلاً » فذهب فهيَّأ [لهما مقيلاً] ثم جاء فقال : يا رسولَ الله ! قد هيَّأتُ مقيلاً ، قوما على بركة الله فقيلا . فلما جاء نبيُّ الله ﷺ جاء عبد الله بن سَلام فقال : أشهدُ أنك نبيُّ الله حقاً ، وأنك جئتَ بحق ، ولقد علمت يهودُ أني سيِّدهم وابنُ سيدِهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادْعُهم فسَلْهم ، فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « يا معشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله فوالذي لا إله إلا الله إنكم لتعلمونَ أني رسولُ الله حقاً ، وأني جئت بحق ، أسْلِمُوا » . فقالوا : ما نعلمه ـ ثلاثاً ـ .

وكذا رواه البخاري(٦) منفرداً به عن محمد ـ غير منسوب ـ عن عبد الصمد به .

قال ابن إسحاق(٧) : وحدَّثني يزيد بن أبي حَبيب عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَني ، عن أبي رُهْم السَّمَاعي ، حدَّثني أبو أيوب ، قال : لما نزل عليَّ رسولُ الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفْل ، وأنا وأمُّ أيُّوب في العُلْو ، فقلت له : بأبي أنتَ وأُمِّي يا رسولَ الله ! إني أكره وأُعْظِمُ أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فاظْهَرْ أنت فكُنْ في العُلْو وننزل نحن فنكون في السُّفْل . فقال : « يا أبا أيُّوب ! إنَّ أرفقَ بنا وبمن يَغْشانا أن أكون في سُفْل البيت » فكان رسولُ الله ﷺ في سُفله وكنّا فوقه في المَسْكن ؛ فلقد انكسر حُبٌّ لنا فيه ماءٌ ، فقمتُ أنا وأم أيوب بقَطيفةٍ لنا ، ما لنا لحافٌ غيرها ننشفُ بها الماء ، تخوُّفاً أن يقطُرَ على رسولِ الله ﷺ منه شيءٌ فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا ردَّ علينا فَضْلَه تيمَّمْتُ أنا وأمُّ أيوب مَوْضِعَ يده

---

(١) أي بمثابة المسلحة ، وهو المكان الذي يراقَبُ منه العدوّ يقيم فيه القوم ذوو السلاح لئلا يطرقهم على غفلة . انظر النهاية لابن الأثير (سلح) .
(٢) في المسند : مطمئنَّين .
(٣) في المسند : جاء إلى جانب .
(٤) في المسند : أهلها . وهو أشبه .
(٥) يخترف لهم : يجني لهم من ثماره . القاموس (خرف) .
(٦) فتح الباري (٣٩١١) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .
(٧) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٨) والروض (٢/ ٢٣٩) .

فأكلنا منه ، نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلةً بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً ـ أو ثُوماً ـ فردَّه رسولُ الله ﷺ فلم أرَ ليده فيه أثراً . قال : فجئتُه فزِعاً فقلت : يا رسولَ الله ! بأبي أنت وأمي ، رددتَ عشاءك ولم أر فيه موضِعَ يدك ؟ فقال « إني وجدتُ فيه ريحَ هذه الشجرة ، وأنا رجلٌ أُنَاجِي ، فأما أنتم فكلُوه » . قال : فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعدُ .

وكذلك رواهُ البيهقي[١] من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حَبيب عن أبي الحسن ـ أو أبي الخير ـ مرثد بن عبد الله اليَزَني عن أبي رُهْم ، عن أبي أيوب . . . فذكره .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة[٢] ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن الليث .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو عمرو الحيري ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي حدثنا أبو النعمان ، حدثنا ثابت بن يزيد[٤] ، حدثنا عاصم الأحول ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أفلح مولى أبي أيوب ، عن أبي أيوب ، أنَّ رسولَ الله ﷺ نزل عليه فنزل في السُّفل وأبو أيُوب في العُلْو ، فانتبه أبو أيوب [ليلةً] فقال : نمشي فوق رأسِ رسولِ الله ﷺ! فتنحَّوا فباتوا في جانب ، ثم قال للنبيِّ ﷺ ـ يعني في ذلك ـ فقال : « السُّفْل أرْفَقُ بنا » فقال : لا أعلو سقيفةً أنت تحتها . فتحوَّل رسول الله ﷺ في العُلْو ، وأبو أيوب في السفل ، فكان يصنع لرسولِ الله ﷺ طعاماً ، فإذا جيءَ به سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابع رسولِ الله ﷺ ، فصنع له طعاماً فيه ثوم ، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع رسولِ الله ﷺ فقيل له : لم يأكل . ففَزِعَ وصَعِدَ إليه فقال : أحرام ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « لا ، ولكني أكرهه » قال : فإني أكره ما تكره ـ أو ما كرهت ـ قال : وكان النبيُّ ﷺ يأتيه المَلَكُ .

رواه مسلم[٥] عن أحمد بن سعيد به .

وثبَتَ في الصحيحين عن أنس بن مالك[٦] قال : جيءَ رسولُ الله ﷺ ببَدْرٍ[٧] ـ وفي رواية بقِدْر ـ فيه خَضِرات من بقُول ، [فوجَدَ لها ريحاً][٨] قال : فسأل فأخبر بما فيها [من البقول فقال : « قَرِّبوها » فقرَّبوها إلى بعض أصحابه][٨] فلما رآهُ كَرِهَ أكْلَها ، قال : « كُل ، فإني أُناجي مَنْ لا تُناجي » .

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٥١٠) .
(٢) في مصنفه (٤٥٤١) العقيقة باب من يكره أكل الثوم .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٩) وما سيأتي بين معقوفين منه .
(٤) في الدلائل : ثابت بن زيد . تصحيف ، وأبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسي .
(٥) في صحيحه : (١٧١ ـ ٢٠٥٣) الأشربة باب إباحة أكل الثوم .
(٦) كذا في ح ، ط وهو وهم والذي في الصحيحين : عن جابر بن عبد الله . فتح الباري (٧٣٥٩) الاعتصام باب الأحكام التي تعرف بالدلائل ، وصحيح مسلم (٥٦٤) (٧٣) المساجد باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً .
(٧) أي طبق ، شبه بالبدر لاستدارته . النهاية لابن الأثير .
(٨) ما بين معقوفين من الصحيحين .

وقد روى الواقدي[١] أنَّ أسعد بن زُرارة لما نزل رسولُ الله ﷺ في دار أبي أيوب أخذ بخطام ناقة رسولِ الله ﷺ فكانت عنده ؛ وروَى عن زيد بن ثابت أنه قال : أولُ هديةٍ أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئتُ بها ، قصعةٌ فيها خبز مثرود بلبنٍ وسمن ، فقلت : أرسلتْ بهذه القصعة أُمِّي . فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعةُ سعد بن عُبادة ثريد وعُرَاق لحم ، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسولِ الله ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون الطعام[٢] يتناوبون ، وكان مقامُه في دار أبي أيوب سبعةَ أشهر ، قال : وبعث رسولُ الله ﷺ - وهو نازل في دار أبي أيوب - مولاه زيدَ بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخمسمئة درهم ليجيئا بفاطمةَ وأمِّ كلثوم ابنتَيْ رسولِ الله ﷺ ، وسودةَ بنتِ زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رُقَيَّةُ قد هاجرتْ مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها - بمكة - أبي العاص بن الربيع ؛ وجاءت معهم أمُّ أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيالِ أبي بكر وفيهم عائشةُ أمُّ المؤمنين ، ولم يدخل بها رسولُ الله ﷺ بعد .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفَّار ، حدَّثنا خلف بن عمرو العُكْبَري ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عطاف بن خالد ، حدثنا صدِّيق بن موسى[٤] عن عبد الله بن الزُّبير أنَّ رسولَ الله ﷺ قدم المدينة ، فاستناخت به راحلتُه بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يا رسول الله ! المنزل . فانبعثت به راحلتُه فقال : « دعوها فإنها مأمورة » ثم خرجتْ به حتى جاءتْ موضع المنبر فاستناخت ، ثم تخلَّلتِ [الناس][٥] ، وثمَّ عريشٌ كانوا يعرِشونه ويعمُرونه ويتبرَّدون فيه ، فنزل رسولُ الله ﷺ عن راحلته فيه فأوى إلى الظل ، فأتاه أبو أيوب فقال : يا رسولَ الله ! إنَّ منزلي أقربُ المنازلِ إليك فأَنقُلْ رحلك إليّ ؟ قال : « نعم » . فذهب برحلِه إلى المنزل ، ثم أتاه رجلٌ فقال : يا رسول الله ! أين تحل ؟ قال : « إن الرجلَ مع رحله حيثُ كان » وثبت رسولُ الله ﷺ في العريش اثنتي عشرةَ ليلةً حتى بنى المسجد .

وهذه مَنْقَبةٌ عظيمةٌ لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه ، حيث نزل في داره رسولُ الله ﷺ . وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، أنه لما قدم أبو أيوب البصرة - وكان ابنُ عباس نائباً عليها من جهة عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه - فخرج له ابنُ

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٢٣٧) .

(٢) في ح : السلاح . والمثبت من ط وطبقات ابن سعد .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٩) .

(٤) صديق بن موسى بن عبد الله بن الزبير ضعيف ، وترجمته في الميزان (٢/ ٣١٤) ولسان الميزان (٣/ ١٨٩) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص١٢٣) .

(٥) في ح ، ط : تحللت بالحاء المهملة ، والمثبت من الدلائل وما بين معقوفين منه .

عباس عن داره [حتى أنزله فيها كما أنزل رسولَ الله ﷺ في داره][(١)] ، وملّكه كلَّ ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصراف أعطاهُ ابنُ عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً . وقد صارت دارُ أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح . فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وصلَّح ما وَهَى من بُنيانها ووهَبها لأهل بيتٍ فقراء من أهل المدينة .

وكذلك نزولُه عليه السلام في دار بني النجّار واختيار الله له ذلك منقبةٌ عظيمة لهم ، وقد كان في المدينة دورٌ كثيرة تبلغ تسعاً ، كلُّ دار محلّة مستقلةٌ بمساكنها ونخيلها وزروعِها وأهلِها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلّتهم وهي كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسولِ الله ﷺ دار بني مالك بن النجّار .

وقد ثبت في الصحيحين[(٢)] من حديث شعبة ، سمعتُ قتادة عن أنس بن مالك . قال : قال رسولُ الله ﷺ : « خيرُ دورِ الأنصار بنو النجّار ، ثم بنو عبد الأشْهَل ، ثم بنو الحارث بن الخَزْرَج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كلِّ دورِ الأنصار خير » فقال سعدُ بن عُبادة : ما أُرى النبيَّ ﷺ إلا قد فضَّل علينا . فقيل : قد فضَّلكم على كثير . هذا لفظ البخاري .

وكذلك رواه البخاري ومسلم[(٣)] من حديث أنس وأبي سَلَمة عن أبي أُسَيْد مالك بن ربيعة . ومن حديث عباس[(٤)] بن سهل ، عن أبي حُميد ، عن النبيِّ ﷺ بمثله سواء .

زاد في حديث أبي حُميد ؛ فقال أبو أُسَيد لسعد بن عبادة[(٥)] : ألم تر أنَّ النبيَّ ﷺ خيَّرَ الأنصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعدٌ النبيَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ! خيَّرت دورَ الأنصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أو ليس بحَسْبكم أن تكونوا من الأخيار »[(٦)] .

بل قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرفُ والرفعةُ في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] وقال رسولُ الله ﷺ :

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٢) فتح الباري (٣٧٨٩) مناقب الأنصار باب فضل دور الأنصار ، وصحيح مسلم (٢٥١١) (١٧٧) فضائل الصحابة باب في خير دور الأنصار .

(٣) الأحاديث التي تلي الحديث السابق ذكره مخرجة في البخاري ومسلم .

(٤) في ح ، ط : عبادة بن سهل . تصحيف ، والمثبت من فتح الباري (٧/ ١١٥) والحديث فيه رقم (٣٧٩١) .

(٥) كذا في ح ، ط وفي البخاري : فلحقنا سعد بن عبادة فقال : أبا أُسَيد ، ألم تر . . وهو أشبه بالصواب .

(٦) رواية البخاري : من الخيار .

« لولا الهِجْرَة لكنتُ امْرءاً من الأنصار ، ولو سَلَكَ الناسُ وادياً وشِعْباً لسلَكْتُ واديَ الأنصارِ وشِعْبَهم ، الأنصارُ شعار ، والناسُ دِثار[١] » .

وقال : « الأنصارُ كَرِشي وعَيْبَتي »[٢] .

وقال : « أنا سلْمٌ لمن سالمهم ، وحربٌ لمن حاربَهم »[٣] .

وقال البخاري[٤] : حدَّثنا حجَّاج بن مِنهال ، حدثنا شعبة ، حدَّثني عديُّ بن ثابت قال : سمعتُ البراءَ بن عازب يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ ـ أو قال : قال رسولُ الله ﷺ ـ : « الأنصار لا يُحبُّهم إلا مؤمن ، ولا يُبغضُهم إلا منافق . فمن أحبَّهم أحبَّه الله ، ومن أبغضهم أبغضَه الله » .

وقد أخرجه بقيةُ الجماعةِ إلا أبا داود من حديث شعبةَ به[٥] .

وقال البخاريُّ أيضاً[٦] : حدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة عن عبد الله بن عبد الله بن جَبْر[٧] ، عن أنس بن مالك ، عن النبيِّ ﷺ قال : « آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار ، وآيةُ النِّفاق بغضُ الأنصار » .

ورواه البخاري أيضاً عن أبي الوليد الطيالسي[٨] ، ومسلم[٩] ، من حديث خالد بن الحارث ، وعبد الرحمن بن مَهْديّ ، أربعتُهم عن شعبة به .

والآيات والأحاديث في فضائلِ الأنصار كثيرةٌ جداً . وما أحسنَ ما قال أبو قيس صرمةُ بن أبي أنس المتقدِّم ذكْرُه[١٠] أحد شعراءِ الأنصار في قدوم رسولِ الله ﷺ إليهم ونصرهم إياه ، ومواساتهم له ولأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، فتح الباري (٤٣٣٠) المغازي باب غزوة الطائف ، وصحيح مسلم (١٣٩ ـ ١٠٦١) الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .

(٢) أخرجه الشيخان ، فتح الباري (٣٨٠١) مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ : « اقبلوا من محسنهم » ، وصحيح مسلم (٢٥١٠) (١٧٦) فضائل الصحابة باب من فضائل الأنصار .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٦٢) وهو جزء من حديث طويل رواه بسنده إلى كعب بن مالك وقد تقدم .

(٤) في فتح الباري (٣٧٨٣) مناقب الأنصار باب حب الأنصار من الإيمان .

(٥) وأخرجه مسلم (٧٥) (١٢٩) الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان . وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٩٠٠) المناقب باب في فضل الأنصار وقريش ، وابن ماجه (١٦٣) ، والنسائي (٢٢٩) .

(٦) فتح الباري (٣٧٨٤) مناقب الأنصار باب حب الأنصار من الإيمان .

(٧) في ط : عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير . وهو تصحيف ، والمثبت من ح وفتح الباري .

(٨) في ط : أضاف الناشر [و] فقال : والطيالسي ظناً منه أنه أبو داود ، وليست الواو في البخاري ولا في ح ، وأبو الوليد هو هشام بن عبد الملك الطيالسي تجد ترجمته ومصادرها في السير (١٠/ ٣٤١) .

(٩) صحيح مسلم (٧٤) (١٢٨) الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان .

(١٠) تقدم ذكره وشعره في (ص٤٠٦ و٤٠٧) وما بعدها .

قال ابن إسحاق[١] : وقال أبو قيس صِرْمةُ بن أبي أنس أيضاً يذكرُ ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصّهم به من رسوله عليه السلام : [من الطويل]

ثَوَى في قريشٍ بضعَ عشْرة حِجَّة ... يـذكِّـر لـو يَلْقَـى صـديقـاً مُـواتيـا
ويعـرضُ فـي أهـلِ المـواسـم نفسَـه ... فلـم يـرَ مـن يُـؤْوي ولـم يَـرَ داعيـا
فلمـا أتـانـا واطمـأنَّتْ بـه النَّوَى[٢] ... وأصبـح مسـروراً بِطَيْبَـةَ راضيـا
وألفى صديقاً واطمأنتْ به النَّوَى ... وكـانَ لـه عَـوْنـاً مـن الله بـاديـا
يقـصُّ لنـا مـا قـالَ نـوحٌ لقـومـه ... وما قال موسى إذ أجابَ المناديا
فأصبحَ لا يَخْشَى من الناسِ واحداً ... قريباً ولا يخشى من الناس نائيا[٣]
بـذلنـا لـه الأمـوالَ مـن حِـلِّ مـالنـا ... وأنفُسنـا عنـدَ الـوَغَـى والتـآسيـا
نُعادي الذي عادَى من الناس كلِّهم ... جميعاً ولو كانَ الحبيبَ المواسيا[٤]
ونعلــمُ أنَّ اللهَ لا شـــيء غيـــره ... وأن كتـابَ الله أصبـحَ هـاديـا[٥]
أقـولُ إذا صلَّيـتُ فـي كـلِّ بيعـةٍ ... حَنـانَيْـكَ لا تُظْهِـرْ علينـا الأعـاديـا
أقـول إذا جـاوزتُ أرضـاً مُخيفـةً ... تبـاركـتَ اسـمَ الله أنـتَ المـواليـا
فَطـأْ مُعـرضـاً إنَّ الحتـوفَ كثيـرةٌ ... وإنـك لا تُبقـي لنفسـك بـاقيـا
فوالله ما يدري الفتى كيف سعيُهُ ... إذا هـو لـم يجعـلْ لـه اللهَ واقيـا
ولا تحفـلُ النخـلُ المعيمـةُ ربَّهـا[٦] ... إذا أصبحـتْ رَيّـاً وأصبـحَ نـاويـا

ذكرها ابنُ إسحاق وغيرُه ، ورواها عبد الله بن الزُّبير الحُميدي وغيره ، عن سفيان بن عُيينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن عجوزٍ من الأنصار قالت : رأيتُ عبدَ الله بن عباس يختلفُ إلى صِرْمة بن قيس يروي هذه الأبيات . رواه البيهقي[٧] .

فصـــل

وقد شرفت المدينة أيضاً بهجرته عليه السلام إليها ، وصارتْ كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين ،

---

(١) في سيرة ابن هشام : (١/ ٥١٢) والروض (٢/ ٢٥٥) .
(٢) في السيرة والروض : فلما أتانا أظهر الله دينه . وهو أشبه بالصواب .
(٣) في ح : باغيا .
(٤) في السيرة والروض : المصافيا . وقد قُدّم هذا البيت فيهما على التالي له .
(٥) في السيرة والروض : ونعلم أن الله أفضلُ هاديا .
(٦) في ح : ولا نجعل النحل المقيمة ريها ، والمثبت من ط والسيرة .
(٧) في الدلائل (٢/ ٥١٣) .

ومَعْقلاً وحِصْناً منيعاً للمسلمين ، ودارَ هَدْيٍ للعالمين ، والأحاديثُ في فَضْلها كثيرةٌ جداً ، لها موضعٌ آخر نوردها فيه إن شاء الله .

وقد ثبَتَ في الصحيحَيْن(١) من طريق خُبيب [بن] عبد الرحمن بن يَسَاف ، عن حفص(٢) بن عاصم ، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الإيمانَ لَيأرِزُ إلى المدينةِ كما تأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها »(٣) .

ورواه مسلمٌ أيضاً(٤) عن محمد بن رافع عن شَبَابة، عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبيِّ ﷺ نحوه .

وفي الصحيحَيْن أيضاً(٥) ، من حديث مالك ، عن يحيى بن سعيد ، أنه سمع أبا الحُباب سعيدَ بن يَسَار ، سمعتُ أبا هريرة يقول : قال رسولُ الله ﷺ : « أُمرتُ بقَرْيةٍ تأكل القُرَى(٦) ، يقولون : يثرب ، وهي المدينة ، تَنْفي(٧) الناس كما ينفي(٧) الكِيرُ خَبَثَ الحديد » .

وقد انفرد الإمامُ مالكٌ عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة .

وقد قال البيهقي(٨) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله قالا : حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو موسى الأنصاري ، ثنا سعد(٩) بن سعيد ، حدَّثني أخي عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « اللهم إنك أخرجتني من أحبِّ البلاد إليّ ، فأسكني أحبَّ البلادِ إليك » فأسكنه الله المدينة .

وهذا حديثٌ غريبٌ جدّاً ، والمشهور عن الجمهور أنَّ مكةَ أفضلُ من المدينة ، إلا المكان الذي ضمَّ

---

(١) فتح الباري (١٨٧٦) فضائل المدينة باب الإيمان يأرز إلى المدينة . وصحيح مسلم (١٤٧) (٢٣٣) الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ، وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٢) في ح ، ط والدلائل (٢/ ٥٢٠) : جعفر بن عاصم . وهو تصحيف ، والمثبت من الصحيحين . ووقع في ح ، ط : حبيب . تصحيف أيضاً ، تجد ترجمته في تهذيب الكمال (٨/ ٢٢٧) .

(٣) « يأرزُ » : ينضمُّ ويجتمع . فتح الباري (٤/ ٩٣) .

(٤) صحيح مسلم (١٤٦) الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً .

(٥) فتح الباري (١٨٧١) فضائل المدينة باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس ، وصحيح مسلم (١٣٨٢) (٤٨٨) الحج باب المدينة تنفي شرارها . وأخرجه أيضاً مالك في الموطأ (٢/ ٨٨٧) الجامع باب ما جاء في سكن المدينة .

(٦) قال النووي في شرح صحيح مسلم (٩/ ١٥٤) : ذكروا في معنى أكلها القرى وجهين : أحدهما أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر ، فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها . والثاني : معناه أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة وإليها تساق غنائمها .

(٧) في ط : تنقي . . . ينقي . بالقاف تصحيف ، والمثبت من ح والصحيحين .

(٨) في الدلائل (٢/ ٥١٩) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣) .

(٩) في ح ، ط : سعيد بن سعيد ، وهو تصحيف ، والمثبت من الدلائل ومستدرك الحاكم ، وترجمته في تهذيب الكمال (١٠/ ٢٦١) وأخوه هو عبد الله بن سعيد المَقْبري .

جسدَ رسولِ الله ﷺ ، وقد استدلَّ الجمهور على ذلك بأدلَّةٍ يطولُ ذِكْرُها هاهنا ومحلُّها ، ذكرناها في كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى .

وأشهرُ دليلٍ لهم في ذلك ما قال الإمام أحمد[١] : حدثنا أبو اليَمَان ، حدثنا شعيب عن الزُّهري ، أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنَّ عبد الله بن عديِّ بنِ الحمراء أخبره ، أنَّه سمع النبيَّ ﷺ وهو واقفٌ بالحَزْوَرَة في سوقِ مكَّة يقول : « والله إنَّكِ لخيرُ أرضِ الله ، وأحبُّ أرضِ اللهِ إليّ ، ولولا أني أُخرجتُ منكِ ما خرَجتُ » .

وكذا رواه أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان عن الزُّهري به[٢] .

وهكذا رواهُ الترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَهْ[٣] من حديث الليث ، عن عَقِيل ، عن الزُّهري به . وقال الترمذي : حسنٌ صحيح . وقد رواه يونس عن الزُّهري به . ورواهُ محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، وحديث الزُّهْريِّ عندي أصحّ .

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر عن الزُّهري ، عن أبي سَلَمَة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة . قال : وقف رسولُ الله ﷺ على الحَزْوَرَة فقال : « علمتُ أنَّكِ خيرُ أرضِ الله وأحبُّ الأرض إلى الله ، ولولا أنَّ أهلَكِ أخرجوني منكِ ما خرجتُ » .

وكذا رواهُ النسائي من حديث معمر به[٥] . قال الحافظُ البيهقي[٦] : وهذا وهم من معمر ، وقد رواهُ بعضُهم عن محمد بن عمرو ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة ، وهو أيضاً وهم ، والصحيح رواية الجماعة .

وقال أحمدُ أيضاً[٧] : حدثنا إبراهيم بنُ خالد حدثنا رباح ، عن معمر ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهري ، عن أبي سَلمة ، عن بعضهم أنَّ رسولَ الله ﷺ قال وهو في سوق الحَزْوَرة : « والله إنكِ لخيرُ أرضِ الله ، وأحبُّ الأرض إلى الله ولولا أني أُخرجتُ منكِ ما خَرَجت »[٨] .

---

(١) في مسنده (٤/ ٣٠٥) رقم (١٨٧١٥) .
(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٠٥) رقم (١٧٨١٦) .
(٣) جامع الترمذي (٣٩٢٥) المناقب باب في فضل مكة ، وسنن ابن ماجه (٣١٠٨) المناسك باب فضل مكة . وهو في السنن الكبرى والنسائي (٤٢٥٢) .
(٤) في مسنده (٤/ ٣٠٥) رقم (١٨٧١٧) وهو حديث صحيح .
(٥) في فضائل مكة من سننه الكبرى (٤٢٥٤) .
(٦) في الدلائل (٢/ ٥١٨) .
(٧) في مسنده (٤/ ٣٠٥) .
(٨) وهذا من أوهام معمر أيضاً حيث رواه عن أبي سلمة « عن بعضهم » ، والصواب : عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي ، كما تقدم (بشار) .

ورواه الطبراني عن أحمد بن خُليد الحلبي ، عن الحُميدي ، عن الدَّراوَرْدِي[١] ، عن ابنِ أخي الزُّهري ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عدي بن الحمراء به . فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم . والله أعلم .

ذكر ما وقع في السنة الأولى من الهجرة النبوية من الحوادث والوقائع العظيمة[٢]

اتفق الصحابةُ رضي الله عنهم في سنة ست عشرة ـ وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثماني عشرة ـ في الدولة العُمَريَّة على جعل ابتداءِ التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة ، وذلك أنَّ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رُفع إليه صكٌّ ـ أي : حُجَّةٌ ـ لرجلٍ على آخر وفيه ؛ إنه يحلُّ عليه في شعبان . فقال عمر : أيُّ شعبان ؟ أشعبانَ هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضعِ تاريخ يتعرَّفون به حُلولَ الدُّيُون وغير ذلك ، فقال قائل : أرِّخوا كتاريخ الفُرْس . فكره ذلك ، وكانتِ الفرسُ يؤرِّخون بملوكهم واحداً بعد واحد . وقال قائل : أرِّخُوا بتاريخ الروم . وكانوا يؤرِّخون بملك اسكندر بن فِلْبُس المقدوني فكره ذلك . وقال آخرون : أرِّخوا بمولد رسولِ الله ﷺ . وقال آخرون : بل بمَبْعَثِه . وقال آخرون : بل بهِجْرَته ، وقال آخرون : بل بوفاتِه عليه السلام . فمالَ عمرُ رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهورِه واشتهاره . واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخاريُّ في « صحيحه »[٣] : التاريخ ومتى أرَّخوا التاريخ . حدَّثنا عبد الله بن مسلمة[٤] حدثنا عبد العزيز عن أبيه ، عن سهل بن سعد قال : ما عدُّوا من مَبْعَثِ النبيِّ ﷺ ولا من وفاته ، ما عدُّوا إلا من مَقْدَمِه المدينة .

وقال الواقدي : حدَّثنا ابنُ أبي الزِّناد عن أبيه ، قال : استشار عمر في التاريخ ، فأجمعوا على الهجرة .

وقال أبو داود الطيالسي ، عن قرَّة بن خالد السَّدُوسي[٥] ، عن محمد بن سيرين قال : قام رجلٌ إلى عمر فقال : أرِّخوا . فقال : ما أرِّخوا ؟ فقال : شيءٌ تفعله الأعاجم ، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا .

---

(١) في ح : الداروردي .

(٢) في ط : وقائع السنة الأولى من الهجرة .

(٣) فتح الباري (٧/ ٢٦٧) كتاب مناقب الأنصار باب التاريخ من أين أرخوا التاريخ .

(٤) في ح ، ط : مسلم . تصحيف ، والمثبت من البخاري وتهذيب الكمال في ترجمته .

(٥) في ح : فروة بن خالد السدي . تصحيف ، والمثبت من ترجمته في سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٥) ولم أجد الخبر في مسند أبي داود الطيالسي ، وقد أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٣٨٩) عن أمية بن خالد عن أبي داود الطيالسي به .

فقال عمر : حسنٌ ، فأرِّخوا . فقالوا : من أيِّ السنينَ نبدأ ؟ فقالوا : من مبعثه . وقالوا : من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا : وأيُّ الشهور نبدأ ؟ قالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم فهو مَصْرَف الناسِ من حجِّهم ، وهو شهرٌ حرام . فاجتمعوا على المحرَّم .

وقال ابن جرير[١] : حدَّثنا قتيبة ، حدثنا نوح بن قيس الطَّاحي[٢] ، عن عثمان بن مِحْصَن ، أنَّ ابنَ عباس كان يقول في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر : ١ ـ ٢] هو المحرَّم فجر السنة .

ورُوي عن عبيد بن عُمير[٣] ، قال : إنَّ المحرَّم شهرُ الله ، وهو رأسُ السنة يُكسى البيت ، ويؤرِّخ به الناس ، ويُضرب فيه الوَرِق .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا روح بن عبادة ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار قال : إنَّ أولَ مَنْ ورَّخ الكتب يعلى بن أمية باليمن ، وأنَّ رسولَ الله ﷺ قدِم المدينة في ربيع الأول ، وأنَّ الناس أرَّخوا لأول السنة .

وروى محمد بن إسحاق[٥] عن الزُّهري ، وعن محمد بن صالح عن الشعبي ، أنهما قالا : أرَّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم، ثم أرخوا من بنيان إبراهيم وإسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي . ثم أرخوا من الفيل ، ثم أرَّخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة ـ أو ثماني عشرة ـ وقد ذكرنا هذا الفصل محرَّراً بأسانيده وطُرقه في السيرة العُمَرِيَّة[٦] ولله الحمد ، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وجعلوا أولها من المحرَّم فيما اشتهر عنهم ، وهذا قول جمهور الأئمة .

وحكى السُّهيليُّ وغيره عن الإمام مالك أنه قال : أول السنة الإسلامية ربيع الأول لأنه الشهر الذي هاجر فيه رسولُ الله ﷺ .

[وقد استدلَّ السُّهيلي على ذلك في موضع آخر بقوله تعالى : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة : ١٠٨] أي من أولِ حُلولِ النبيِّ ﷺ المدينة ، وهو أولُ يومٍ من التاريخ كما اتفق الصحابةُ على أولِ سني التاريخ عام الهجرة][٧] .

---

(١) لم أجد هذا الخبر في تفسير الطبري وهو في تاريخه (٢/ ٣٩٠) وجاء في الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٤٩٨) في تفسير الآية : وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس في قوله ﴿ والفجر ﴾ قال : هو المحرم أول فجر السنة .

(٢) في ط : الطائي ، وهو تصحيف ، والمثبت من ح والمؤتلف والمختلف للدارقطني (٣/ ١٤٩٢) وتاريخ الطبري .

(٣) هذه الرواية في تاريخ الطبري أيضاً (٢/ ٣٩٠) بنحوه .

(٤) هذه الرواية أيضاً أخرجها الطبري (٢/ ٣٩٠) عن أحمد بن ثابت الرازي عن أحمد به ، ولم أجدها في مسند أحمد .

(٥) أخرجه الطبري عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق به بأتم مما هاهنا .

(٦) هذه الرواية في تاريخ الطبري أيضاً (٢/ ٣٩٠) بنحوه .

(٧) استدلال السهيلي هذا في الروض (٢/ ٢٤٦) .

ولا شكَّ أنَّ هذا الذي قاله الإمامُ مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لأن أولَ شهورِ العرب المحرَّم ، فجعلوا السنةَ الأولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها المحرَّم كما هو المعروف لئلا يختلط النظام . والله أعلم .

فنقول وبالله المستعان : استهلت سنة الهجرة المباركة ورسولُ الله ﷺ مقيمٌ بمكة ، وقد بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية كما قدَّمنا في أوسط أيام التشريق ، وهي ليلةُ الثاني عشر من ذي الحجَّة قبل سنة الهجرة ، ثم رجع الأنصار وأذن رسولُ الله ﷺ للمسلمينَ في الهجرةِ إلى المدينة ، فهاجر مَنْ هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكةَ مَنْ يمكنه الخروج إلا رسولُ الله ﷺ ، وحبَس أبو بكرٍ نفسَه على رسولِ الله ﷺ ليصحبَه في الطريق كما قدَّمنا ، ثم خرجا على الوَجْه الذي تقدَّم بسطُه ، وتأخر عليُّ بن أبي طالب بعد النبيِّ ﷺ بأمرِه ليؤدِّي ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقُباء(١) . فقدِم رسولُ الله ﷺ يوم الإثنين قريباً من الزَّوال وقد اشتدَّ الضَّحَاءُ(٢) .

قال الواقدي وغيرُه : وذلك لليلتَيْن خَلَتا من شهر ربيع الأول .

وحكاه ابنُ إسحاق إلا أنه لم يعرِّج عليه ، ورجَّح أنه لثنتي عشرةَ ليلةً خلَتْ منه ، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور .

وقد كانت مدةُ إقامته عليه السلام بمكة بعد البِعْثة ثلاثَ عشرةَ سنةً في أصحِّ الأقوال ، وهو روايةُ حماد بن سلمة عن أبي جَمْرَة الضُّبَعي(٣) عن ابن عباس ، قال : بُعث رسولُ الله ﷺ لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

وهكذا روى ابنُ جرير(٤) عن محمد بن مَعْمَر ، عن رَوْح بن عبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه قال : مكث رسولُ الله ﷺ بمكة ثلاثَ عشرةَ .

وتقدَّم أنَّ ابن عباس كتب أبياتَ صِرْمَة بن أبي أنس بن قيس(٥) : [من الطويل]

ثَوَى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً   يـذكِّـرُ لـو يَلْقَـى صـديقـاً مُـوَاتيـا

---

(١) في ح : ثم يلحق به .

(٢) « الضحاء » : قريباً من نصف النهار ، وأما الضَّحْوَة فهو ارتفاع أول النهار ، والضُّحى بالضم والقصر : فوقه . النهاية (٣/ ٧٦) .

(٣) في ح ، ط : عن أبي حمزة الضبي . وهو تصحيف ، والمثبت من تهذيب الكمال في ترجمة حماد (٧/ ٢٥٦) والتبصير لابن حجر (١/ ٤٥٤) وأبو جمرة هو نصر بن عمران . وقد أخرج هذه الرواية الطبري في تاريخه (٢/ ٣٨٤) عن محمد بن خلف عن آدم عن حماد به .

(٤) في تاريخه (٢/ ٣٨٥) .

(٥) مضت الأبيات ص(٤٧٥) .

وقال الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه استشهد بقول صِرْمة :

ثَوَى في قريشٍ بضعَ عشرةً حجَّةً يـذكِّـر لـو يلقـى صـديقـاً مـواتيـا

وهكذا رواهُ ابنُ جرير[١] ، عن الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن الواقدي خمسَ عشرةَ حجَّة ، وهو قولٌ غريبٌ جداً ؛ وأغرب منه ما قال ابنُ جرير[٢] :

حُدِّثت عن روح بن عبادة ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : نزل القرآنُ على رسولِ الله ﷺ ثمانيَ سنين بمكة ، وعشراً بالمدينة . وكان الحسن يقول : عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة .

وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسنُ البصري من أنه أقام بمكة عشرَ سنين ؛ ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيدُ بن المُسَيِّب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم ، وهو روايةٌ عن ابن عباس رواها أحمدُ بن حنبل[٣] عن يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : أُنزل على النبيِّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعين ، فمكث بمكة عشراً .

وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال[٤] : قُرن إسرافيل برسولِ الله ﷺ ثلاث سنين يُلقي إليه الكلمة والشيء ـ وفي رواية يسمع حسَّه ولا يرى شخصَه ، ثم كان بعد ذلك جبريل . وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا ، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشراً ، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي . والله أعلم .

فصل

ولما حلَّ الرِّكابُ النبويُّ بالمدينة ، وكان أولَ نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف ، وهي قُبَاء كما تقدم فأقام بها ـ أكثر ما قيل ـ ثنتين وعشرين ليلة ، وقيل ثماني عشرة ليلة . وقيل بضع عشرة ليلة . وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال .

والأشهر ما ذكره ابنُ إسحاق[٥] وغيرُه ، أنه عليه السلام أقام فيهم بقُباء من يوم الإثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسَّس في هذه المُدَّة المختلف في مقدارها ـ على ما ذكرناه ـ مسجدَ قباء . [وقد ادَّعى السُّهَيلي أنَّ رسولَ الله ﷺ أسَّسه في أولِ يومٍ قدم إلى قُباء ، وحمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ

---

(١) في تاريخه (٢/ ٣٨٦) .
(٢) في تاريخه (٢/ ٣٨٧) .
(٣) في مسنده (١/ ٢٢٨) رقم (٢٠١٧) وهو حديث صحيح .
(٤) مضى الخبر .
(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٤) .

أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة : ١٠٨] وردَّ قول من أعربها من تأسيس أولِ يوم][1] ، وهو مسجدٌ شريفٌ فاضلٌ نزل فيه قولُه تعالى : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] كما تكلمنا على تقرير ذلك في التفسير وذكرنا الحديث الذي [في صحيح مسلم[2] أنه مسجد المدينة والجواب عنه . وذكرنا الحديث الذي][1] رواه الإمامُ أحمد[3] : حدّثنا حُسين[4] بن محمد ، حدثنا أبو أُوَيْس[5] ، حدثنا شُرَحْبِيل عن عُويم بن ساعدة ، أنه حدثه أنَّ رسولَ الله ﷺ أتاهم في مسجد قُباء فقال : « إنَّ اللهَ قد أحْسَنَ عليكم الثَّناء في الطُّهور في قصة مسجدكم ، فماهذا الطُّهورُ الذي تطَّهرون به ؟ » قالوا : والله يا رسول الله ! ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيرانٌ من اليهود ، فكانوا يغسِلُونَ أدبارهم من الغائط فغسَلْنا كما غسلوا .

وأخرجه ابنُ خُزيمةَ في صحيحه[6] وله شواهد أُخر .

ورُوي عن خُزيمة بن ثابت ، ومحمد بن عبد الله بن سلام ، وابنِ عباس .

وقد روى أبو داود والترمذي ، وابن ماجه[7] ، من حديث يونس بن الحارث ، عن إبراهيم بن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « نزلت هذه الآيةُ في أهْلِ قُبَاء : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] قال : كانوا يَسْتَنْجُونَ بالماءِ فنزلَتْ فيهم هذه الآية » . ثم قال الترمذي : غريبٌ من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيفٌ والله أعلم .

وممن قال بأنه المسجدُ الذي أُسِّسَ على التقوى ما رواهُ عبدُ الرزَّاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح وقد سبق أن أشير إلى ذلك ص(٤٧٩) موضع الحاشية (٧) وقول السهيلي هذا في الروض (٢/ ٢٤٦) فأظن هذه الزيادة من عمل النساخ والله أعلم .

(٢) صحيح مسلم (١٣٩٨) (٥١٤) الحج باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ . وأيضاً تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٦) في تفسير الآية .

(٣) مسند أحمد (٣/ ٤٢٢) رقم (١٥٤٢٤) .

(٤) في ح ، ط : حسن بن محمد . تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد وترجمته في تهذيب الكمال (٦/ ٤٧١) وهو الحسين بن محمد بن بهرام التميمي المؤدب المروزي توفي سنة ٢١٤هـ .

(٥) في ح ، ط : أبو إدريس . تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد وترجمته في تهذيب الكمال (١٥/ ١٦٦) وهو عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحي، توفي سنة ١٦٧هـ ، وهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد.

(٦) صحيح ابن خزيمة (٨٣) الوضوء أبواب الاستنجاء بالماء باب ذكر ثناء الله عز وجل على المتطهرين بالماء . قال بشار : وإسناده ضعيف ، لضعف أبي أويس ، وشرحبيل بن سعد ، وفي سماع شرحبيل من عويم نظر كما قال الحافظ ابن حجر (٤/ ٣٢٢) .

(٧) سنن أبي داود (٤٤) الطهارة باب في الاستنجاء بالماء ، وجامع الترمذي (٣١٠٠) التفسير باب من سورة التوبة ، وسنن ابن ماجه (٣٥٧) الطهارة باب الاستنجاء بالماء .

عروة بن الزُّبير . ورواه علي بنُ أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وحُكي عن الشعبي ، والحسنِ البصري ، وقتادة ، وسعيد بن جُبير ، وعطية العَوْفي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم .

وقد كان النبيُّ ﷺ يزورُه فيما بعدُ ويصلِّي فيه ، وكان يأتي قُباء كلَّ سبت ، تارةً راكباً وتارةً ماشياً . وفي الحديث : « صلاةٌ في مسجد قُباء كَعُمْرَة »[١] .

وقد ورد في حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذي أشار للنبي ﷺ إلى موضع قبلةِ مسجد قباء ، فكان هذا المسجد أولَ مسجد بني في الإسلام بالمدينة ، بل أول مسجدٍ جُعل لعموم الناس في هذه المِلَّة . واحترَزْنا بهذا عن المسجد الذي بناه الصدِّيق بمكة ، عند باب دارِه يتعبَّدُ فيه ويصلِّي ، لأنَّ ذاك كان لخاصَّةِ نفسه ، لم يكن للناس عامةً . والله أعلم .

وقد تقدَّم إسلامُ سلمانَ في البشارات ، أنَّ سلمانَ الفارسيّ لما سمع بقدوم رسولِ الله ﷺ إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً ، فوضعه بين يديه ، وهو بقُباء ، قال : هذا صدقة . فكفَّ رسولُ الله ﷺ فلم يأكُلْه ، وأمر أصحابَهُ فأكلُوا منه ، ثم جاء مرةً أخرى ومعه شيءٌ فوضعه وقال : هذه هديَّة . فأكل منه وأمر أصحابَهُ فأكلوا . تقدَّم الحديث بطوله[٢] .

فصـــل
في إسلام عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه

قال الإمامُ أحمد[٣] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن زُرارة ، عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه[٤] ، فكنتُ فيمن انجفل ، فلما تبيَّنتُ وجهه عرفتُ أنه ليس بوجه كذَّاب ، فكان أولُ شيءٍ سمعتُه يقول : « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلُّوا بالليل والناسُ نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٤) الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء ، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٧٣) الصلاة باب في الصلاة في مسجد قباء و(١٢٥٧٠) الفضائل باب في مسجد قباء ، كلاهما عن أسيد بن ظهير الأنصاري وقال الترمذي : حسن صحيح (كما في تحقيق الدكتور بشار ، وانظر تعليقه عليه) ، وأخرجه ابن ماجه في السنن عن أُسيد أيضاً (١٤١١) إقامة الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء وكذا البيهقي في السنن (٥/ ٢٤٨) الحج باب إتيان مسجد قباء والصلاة فيه ؛ وأخرجه ابن ماجه برقم (١٤١٢) في الباب نفسه والنسائي في السنن (٦٩٩) المساجد باب فضل مسجد قباء كلاهما عن سهل بن حنيف بلفظ « من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قُباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة » . وكذا أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ١٢) في كتاب الهجرة .

(٢) مضى الحديث (ص١١٣ ـ ١١٧) ؛ وقد أشار ناشر ط في الحاشية هنا إلى الأسطر الثلاثة الأخيرة أنها لم تذكر في النسخة الحلبية يعني ح ، وهذه النسخة بين يدي لا نقص فيها فلعله أراد أن يقول : المصرية ؛ فوَهَم .

(٣) في مسنده (١/ ٤٥١) .

(٤) في المسند : عليه ، وفي النهاية : قِبَلَه ، ومعناه : ذهبوا مسرعينَ نحوه . النهاية لابن الأثير (١/ ٢٧٩) .

ورواه الترمذي وابنُ ماجه[١] من طرق ، عن عوف الأعرابي ، عن زُرارة بن أوفى به عنه . وقال الترمذي : صحيح .

ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبيِّ ﷺ ورآه أولَ قدومه حين أناخ بقُباء في بني عمرو بن عوف .

وتقدَّم في رواية عبد العزيز بن صُهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبي أيوب بعد[٢] ارتحاله من قُباء إلى دار بني النجار كما تقدم ؛ فلعله رآه أولَ ما رآه بقُباء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجّار . والله أعلم .

وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس . قال : فلما جاء النبيُّ ﷺ جاء عبدُ الله بن سَلام فقال أشهدُ أنَّك رسولُ الله وأنك جئت بحقّ ، وقد علمت يهودُ أنِّي سيِّدُهم وابنُ سيِّدِهم ، وأعلمُهم وابنُ أعْلَمِهم ، فادْعُهم فسلْهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ، فإنهم إنْ يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيّ . فأرسل نبيُّ الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه . فقال لهم : « يا معشرَ اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمونَ أنِّي رسولُ الله حقّاً وأني جئتُكم بحقّ فأسلموا » قالوا : ما نعلمه ـ قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاثَ مرار ـ قال : « فأيُّ رجلٍ فيكم عبدُ الله بنُ سَلام » ؟ قالوا : ذاكَ سيدُنا وابنُ سيدِنا ، وأعلمُنا وابن أعلِمنا . قال : « أفرأيتُم إنْ أسلم » قالوا : حاش لله ما كان ليُسلم . قال : « يا ابن سَلام اخْرُج عليهم » فخرج فقال : يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبتَ . فأخرجهم رسولُ الله ﷺ .

هذا لفظه[٣] .

وفي رواية[٤] : فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا : شرُّنا وابنُ شرِّنا ، وتنقَّصُوه . فقال : يا رسول الله هذا الذي كنتُ أخاف .

وقال البيهقي[٥] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصم ، حدّثنا محمد بن إسحاق الصَّغَاني[٦] ، حدثنا عبد الله بن بكر[٧] ، حدثنا حُميد عن أنس ، قال : سمع عبد الله بن سَلام بقدوم النبيِّ ﷺ ـ وهو في أرض له ـ فأتى النبيَّ ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلا نبيّ ؛ ما أولُ أشراطِ الساعة ؟

---

(١) جامع الترمذي (٢٤٨٥) صفة القيامة باب (٤٢) وسنن ابن ماجه (٣٢٥١) الأطعمة باب إطعام الطعام .
(٢) في ط : عند .
(٣) يعني البخاري في (٧/ ٢٤٩ ، ٢٥٠) .
(٤) للبخاري في الفتح (٣٩٣٨) مناقب الأنصار باب ٥٠ .
(٥) في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٨) .
(٦) في ح، ط : الصنعاني . تصحيف ، والمثبت من الدلائل وسير أعلام النبلاء في ترجمته (١٢/ ٥٩٢) ومصادرها فيه .
(٧) في ط : عبد الله بن أبي بكر . تصحيف ، والمثبت من ط ودلائل البيهقي وترجمته في تهذيب الكمال (١٤/ ٣٤٠) .

وما أولُ طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنة ؟ وما ينزعُ الولد[١] إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهنَّ جبريلُ آنفاً » قال : جبريل ؟! قال : « نعم » قال : عدوُّ اليهود من الملائكة . ثم قرأ ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٩٧] ، « أما أول أشراطِ الساعة : فنارٌ تخرجُ على الناس من المشرقِ تسوقهم إلى المغرب ؛ وأمَّا أولُ طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنة فزيادةُ كبد حُوت ، وإذا[٢] سبق ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ نزع الولدُ ، وإذا سبق ماءُ المرأةِ نزَعَتْ » فقال : أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنك رسولُ الله ﷺ ؛ يا رسول الله ! إنَّ اليهودَ قومٌ بُهْتٌ[٣] وإنهم إنْ يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهَتُوني ، فجاءت اليهود ، فقال : « أيُّ رجلٍ عبدُ الله فيكم ؟ » قالوا : خيرُنا وابنُ خيرِنا ، وسيدُنا وابنُ سيدِنا . قال : « أرأيتم إنْ أسلمَ ؟ » قالوا : أعاذهُ الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله . قالوا : شرُّنا وابنُ شرِّنا . وانتقصوه . قال : هذا الذي كنتُ أخافُ يا رسولَ الله .

ورواه البخاري[٤] عن عبد الله بن مُنير ، عن عبد الله بن بكر به ، ورواه[٥] عن حامد بن عمر ، عن بشر بن المفضل ، عن حميد ، به .

قال محمد بن إسحاق[٦] : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله ، عن رجلٍ من آل عبد الله ابن سَلام . قال : كان من حديث عبد الله بن سَلام حين أسلم ـ وكان حَبْراً عالماً ـ قال : لما سمعتُ برسولِ الله ﷺ وعرفتُ صفته واسمه وهيئته والذي كنَّا نتوكَّف له[٧] ، فكنتُ مُسِرّاً لذلك ، صامتاً عليه حتى قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة ، فلما قدم نزل بقُباء في بني عمرو بن عَوف ، فأقبل رجلٌ حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأسِ نخلةٍ لي أعمل فيها ، وعمتي خالدةُ بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسولِ الله ﷺ كبَّرْتُ ، فقالت عمتي حين سمعتْ تكبيري : لو كنت سمعتَ بموسى بن عمران ما زدتَ ! قال : قلتُ لها : أي عَمَّة ، والله هو أخو موسى بنِ عمران ، وعلى دينِه بُعثَ بما بُعث به . قال فقالت له : يا ابنَ أخي أهو الذي كنَّا نُخبرُ به أنه يُبعث مع نفسِ الساعة ؟ قال قلتُ لها : نعم . قالت : فذاك إذاً .

قال : فخرجتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأسلمتُ ثم رجعتُ إلى أهل بيتي ، فأمرتُهم فأسلموا ، وكتمتُ

---

(١) في ط : وما بال الولد . . . والمثبت من ح والدلائل .
(٢) في ط : وأما الولد إذا سبق ، والمثبت من ح والدلائل والبخاري .
(٣) « بُهْت » : جمع بَهُوت وهو من بناء المبالغة في البُهْت : وهو الكذب والافتراء . مثل صَبُور وصُبُر . ثم سُكّن تخفيفاً . النهاية لابن الأثير (١/ ١٦٥) .
(٤) فتح الباري (٤٤٨٠) التفسير باب قوله من كان عدوّاً لجبريل من سورة البقرة .
(٥) فتح الباري (٣٩٣٨) مناقب الأنصار باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه .
(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٥١٦) إلا أنه لم يذكر إسناده ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٣٠) عن علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي عن أحمد بن عُبيد الصفار عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن الضحاك بن الحارث عن عبد الله بن الأجلح عن محمد بن إسحاق به .
(٧) « توكف الخبر » : انتظر وَكْفَه ، أي وقوعه . النهاية لابن الأثير .

إسلامي من اليهود وقلت : يا رسول الله ! إنَّ اليهودَ قومٌ بُهْت ، وإني أحبُّ أنْ تُدخلَني في بعضِ بيوتِك فتغيِّبَني عنهم ، ثم تسألُهم عني فيخبروك كيف أنا فيهم ، قبلَ أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إنْ يعلموا بذلك بهَتُوني وعابوني . وذكر نحو ما تقدَّم .

قال : فأظهرتُ إسلامي وإسلامَ أهلِ بيتي ، وأسلمتْ عمتي خالدة بنت الحارث .

وقال يونس بن بُكير[1] : عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، حدثنا محدِّثٌ عن صفيةَ بنتِ حُيَيّ قالت : لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني ، لم ألقهما في ولد لهما قط[2] أهش إليهما إلا أخذاني دونه ، فلما قدم رسولُ الله ﷺ قُباء ـ قرية بني عمرو بن عوف ـ غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلِّسين[3] ، فوالله ما جاآنا إلا مع مغيب الشمس ، فجاآنا فاترَيْن كسلانَيْن ساقطَيْن يمشيانِ الهُوَينى ، فهششتُ إليهما كما كنتُ أصنع ، فوالله ما نظر إليّ واحدٌ منهما ، فسمعتُ عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : تعرفه بنعته[4] وصفته ؟ قال : نعم والله . قال : فماذا في نفسك منه ؟ قال : عداوتُه والله ما بَقِيت .

وذكر موسى بن عقبة[5] عن الزهري أنَّ أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم ، أطيعوني ، فإنَّ الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه . فانطلق أخوه حيي بن أخطب ـ وهو يومئذ سيدُ اليهود ، وهما من بني النَّضِير ـ فجلس إلى رسولِ الله ﷺ وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه ـ وكان فيهم مُطاعاً ـ فقال : أتيتُ من عندِ رجلٍ والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر : يا ابن أمّ ، أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعدَه لا تَهْلِك . قال : لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان ، واتبعه قومُه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه جُدَيُّ بن أخطب[6] ، فلا أدري ما آل إليه أمرُه ، وأما أخوه حُيَيُّ بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوةَ النبيِّ ﷺ وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبَه لعنه الله حتى قُتل صبراً بين يدي رسولِ الله ﷺ يوم قَتَل مقاتلة بني قُرَيظة كما سيأتي إن شاء الله .

---

(١) قول يونس هذا في دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٣٣) أخرجه بإسناده عنه به .
(٢) في الدلائل : لم ألقهما قط مع ولد لهما أهش . . .
(٣) في ح : بغلس .
(٤) في الدلائل : بعينه .
(٥) خبر موسى بن عقبة هذا في دلائل البيهقي (٢/ ٥٣٢) ذكره بإسناده إلى ابن شهاب الزهري .
(٦) في ط : واسمه حيي بن أخطب . تصحيف والمثبت من ح والمؤتلف والمختلف للدارقطني (١/ ٥٢٦) والإكمال (٢/ ٦٢) ولم يذكرا كنيته ، وفي سيرة ابن هشام (١/ ٥١٤) ثلاثة : حيي بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر بن أخطب وجُدي بن أخطب .

فصـــل

ولما ارتحل عليه السلام من قُباء وهو راكبٌ ناقته القَصْواء ، وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف ، فصلّى بالمسلمين الجُمعةَ هنالك ، في وادٍ يقالُ له وادي رانُوناء[١] ، فكانت أولَ جمعةٍ صلاها رسولُ الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقاً لأنه والله أعلم لم يكن يتمكّن هو وأصحابه بمكّة من الاجتماع حتى يُقيموا بها جمعةً ذات خطبةٍ وإعلان بموعظة ، وما ذاك إلا لشدَّة مخالفةِ المشركين له ، وأذيَّتهم إياه .

ذكر خطبة رسول الله ﷺ يومئذ

قال ابن جرير[٢] : حدَّثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابنُ وهب ، حدثنا[٣] سعيدُ بن عبد الرحمن الجُمَحي أنه بلغه عن خطبة النبيِّ ﷺ في أولِ جمعةٍ صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف رضي الله عنهم : « الحمد لله أحمده وأستعينُه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفُره ، وأعادي مَنْ يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أرسله بالهدى ودينِ الحقِّ والنورِ والموعظة على فترةٍ من الرُّسل ، وقلّةٍ من العلم ، وضلالةٍ من الناس ، وانقطاعٍ من الزمان ، ودنوٍّ من الساعة ، وقُرْبٍ من الأجل ؛ مَنْ يطعِ اللهَ ورسولَه فقد رَشَد ؛ ومن يعصِهما فقد غَوَى وفرَّط ، وضلَّ ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خيرُ ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحُضَّه على الآخرة . وأن يأمرَهُ بتقوى الله . فاحذروا ما حذَّركم اللهُ من نفسِه . ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرى . وإنه تقوى لمن عَمِل به على وَجَلٍ ومَخَافة ، وعون صدق على ما تَبْغُونَ من أمرِ الآخرة ، ومَنْ يُصلح الذي بينَهُ وبين الله من أمر السرِّ والعلانية ، لا ينوي بذلك إلا وَجْهَ الله يكن له ذِكراً في عاجلِ أمره وذُخْراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرءُ إلى ما قدَّم ، وما كان من سوى ذلك يودُّ لو أنَّ بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذِّركُم الله نفسَه والله رؤوفٌ بالعباد . والذي صدَّق قوله ، وأنجز[٤] وعده ، لا خُلْفَ لذلك ، فإنَّهُ يقولُ تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق : ٢٩] واتقوا الله في عاجل أمرِكم وآجلِه ، في السِّرِّ والعلانية ، فإنَّه ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق : ٥] ، ومن يتَّقِ اللهَ فقد فازَ فَوْزاً عَظيماً ؛ وإنَّ تقوى الله تُوَقِّي مَقْتَه ، وتوقِّي عُقوبتَه ، وتوقِّي سُخْطَه ؛ وإنَّ تقوى الله تُبَيِّضُ الوجه[٥] ، وتُرْضي الربَّ ، وترفع

---

(١) في ط : رانواناء . تصحيف ، والمثبت من هامش ح ومعجم البلدان (٣/ ١٩) وقال فيه : بوزن عاشوراء وخابوراء .

(٢) في تاريخه (٢/ ٣٩٤) .

(٣) في ط : عن وفي الطبري : حدثني .

(٤) في ح : ونجز ، وكذا في بعض نسخ الطبري .

(٥) في الطبري : الوجوه .

الدرجة ، خُذُوا بحظِّكم ولا تفرِّطوا في جَنْب الله ، قد علَّمكم الله كتابَه ، ونَهَج لكم سبيله ليعلمَ الذينَ صدَقوا وليعلمَ الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسنَ الله إليكم وعادُوا أعداءه وجاهِدُوا في اللهِ حقَّ جهادِه هو اجتباكم وسمَّاكم المسلمين ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢] ولا قوَّة إلا بالله ، فأكثرُوا ذكْرَ الله واعملوا لما بعد الموت[١] فإنه مَنْ أصلح ما بينهُ وبين الله يَكْفِهِ ما بينه وبين الناس ، ذلك بأنَّ الله يقضي على الناس ولا يقضُون عليه ، ويملكُ من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

هكذا أورده ابنُ جرير ، وفي السند إرْسال .

وقال البيهقي[٢] : باب ـ أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ حين قدم المدينة ـ .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبَّار ، حدثنا يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني المغيرة[٣] بن عثمان بن محمد بن عثمان بن الأخنس بن شَرِيق ، عن أبي سَلَمة بنِ عبد الرحمنِ بنِ عوف قال : كانتْ أول خطبةٍ خطبها رسولُ الله ﷺ بالمدينة أنْ قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ثم قال : « أما بعدُ أيها الناس ، فقدِّموا لأنفسكم ، تعلَمنَّ والله ليُصْعقَنَّ أحدكم ثم ليدعَنَّ غنمه ليس لها راعٍ ، ثم ليقولَنَّ له ربُّه ـ ليس له ترجمان ولا حاجب يحجُبه دونه ـ : ألم يأتك رسولي فبلَّغك ، وآتيتُك مالاً وأفضلت عليك ، فما قدَّمتَ لنفسك ؟ فينظر يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر قُدَّامه فلا يرى غير جهنَّم ، فمن استطاع أن يَقيَ وجهه من النار ولو بشقٍّ تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمةٍ طيبة ، فإنَّ بها تُجزى الحسنةُ عشرَ أمثالها إلى سبعمئة ضعف ، والسلامُ على رسول الله[٤] ورحمة الله وبركاته .

ثم خطب رسولُ الله ﷺ مرَّةً أخرى فقال : « إنَّ الحمد لله أحمدُه وأستعينه ، نعوذُ بالله من شرور أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له][٥] ، إنَّ أحسن الحديثِ كتابُ الله ، قد أفلح مَنْ زَيَّنَهُ الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكُفْر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أَحْسَنُ الحديث وأبلغُه ، أحبُّوا مَن أحبَّ الله ، أحبوا الله من كلِّ قلوبكم [ولا تملُّوا كلامَ الله وذِكْرَه ، ولا تَقْسُ عنه قلوبُكم][٥] فإنه من كلٍّ يختار الله

---

(١) في الطبري : اليوم .

(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٤) وأخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٥٠٠) .

(٣) المغيرة هذا لم أقف له على ترجمة في كتب العلم ، لكن من أقربائه ، إن وجد : أبو سفيان بن سعيد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي المدني ، ابن أخت أم حبيبة زوج النبي ﷺ ، وهو مترجم في التهذيب (٣٣/ ٣٦١) (بشار) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠١) : والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(٥) ما بين معقوفين من الدلائل وسيرة ابن هشام .

ويصطفى ، فقد سمَّاه خِيرتَهُ من الأعمال وخيرته[١] من العباد، والصالح من الحديث ومن كلٍّ ما أُوتي الناسُ من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حقَّ تقاته ، واصْدُقوا الله صالحَ ما تقولون بأفواهِكم وتحابُّوا بروحِ الله بينكم إنَّ الله يغضَبُ أن يُنكَثَ عهدُه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وهذه الطريق أيضاً مرسلة إلا أنها مقوِّيةٌ لما قبلها وإن اختلفتِ الألفاظ .

فصـــل
في بناء مسجده الشريف في مدة مقامه عليه [الصلاة] والسلام بدار أبي أيوب رضي الله عنه

وقد اختُلف في مدة مقامه بها ، فقال الواقدي : سبعة أشهر ، وقال غيره : أقلّ من شهر . والله أعلم.

قال البخاري[٢] : حدثنا إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبدُ الصمد قال : سمعتُ أبي يحدِّث فقال : حدثنا أبو التَّيَّاح يزيد بن حُميد الضُّبَعي[٣] ، حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة نزلَ في عُلْوِ المدينة ، في حيٍّ يقال لهم : بنو عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربعَ عشرةَ ليلةً ، ثم أرسلَ إلى ملأ بني النجَّار فجاؤوا متقلِّدي سيوفهم ، قال : وكأنِّي أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ على راحلته وأبو بكر رِدْفَه ، ومَلأ بني النجَّارِ حولَه ، حتى أَلْقَى[٤] بفناءِ أبي أيوب ، قال : فكان يصلِّي حيثُ أدركَتْه الصلاة ، ويصلِّي في مرابضِ الغنم . قال : ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى مَلأ بني النجَّار ، فجاؤوا فقال : « يا بني النجَّار ثامنوني بحائطِكم هذا[٥] » فقالوا : لا والله لا نطلبُ ثمنَهُ إلا إلى الله . قال : فكان فيه ما أقولُ لكم ، كانت فيه قبورُ المشركين ، وكانت فيه خِرَبٌ ، وكان فيه نخل ، فأمر رسولُ الله ﷺ بقبور المشركين فنُبشتْ ، وبالخِرَبِ فسُوِّيتْ ، وبالنخل فقُطِع . قال : فصفُّوا النخلَ قبلةَ المسجد ، وجعلوا عِضَادَتَيْهِ حجارة . قال : فجعلوا ينقلُون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسولُ الله ﷺ معهم يقول[٦] :

اللهمَّ إنه لا خيرَ إلا خَيْرُ الآخرة ، فانصرِ الأنصارَ والمهاجرة .

---

(١) في الدلائل والسيرة : ومصطفاه من العباد .

(٢) فتح الباري (٣٩٣٢) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

(٣) في ط : الضبي . تصحيف ، والمثبت من ح والبخاري في الفتح .

(٤) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٦٦) : ألقى : أي نزل ، أو المراد ألقى رحله .

(٥) « ثامنوني » : أي قرروا معي ثمنه ، أو ساوموني بثمنه ، تقول : ثامنت الرجل في كذا ، إذا ساومته . فتح الباري (٧/ ٢٦٦) .

(٦) في الفتح : ورسول الله ﷺ معهم يقولون : وكتب قولهم في البخاري كما يكتب الشعر في شطرين . وفي رواية أخرى وهي الآتي ذكرها :

اللهمَّ لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجره

وانظر قول ابن هشام ص(٤٩٢ ح٢) .

وقد رواه البخاري في مواضعَ أخر ومسلم[١] من حديث أبي عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد .

وقد تقدَّم في صحيح البخاري[٢] ، عن الزهري ، عن عروة ، أنَّ المسجد الذي كان مِرْبَداً ـ وهو بَيْدَرُ التمر ـ ليتيمَيْن كانا في حَجْر أسعد بن زُرارة وهما سَهْل وسُهيل ، فساومهما فيه رسول الله ﷺ فقالا : بل نهَبُه لك يا رسول الله ! فأبَى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً . قال : وجعل رسولُ الله ﷺ يقول وهو ينقل معهم التراب : [من الرجز]

هذا الحِمالُ لا حمالَ خَيْبَرْ   هــذا أبَــرُّ رَبَّنــا وأطْهَــرْ

ويقول : [من الرجز]

لاهُمَّ إنَّ الأجْرَ أجْرُ الآخِرَهْ   فـارْحَـم الأنْصـارَ وَالمُهـاجِـرَهْ

وذكر موسى بن عُقْبَة أنَّ أسعد بن زُرَارة عوَّضَهما منه نخلاً له في بني بَيَاضة ، قال : وقيل ابتاعه منهما رسولُ الله ﷺ .

قلت : وذكر محمد بن إسحاق[٣] أن المِرْبَدَ كان لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عَفْراء وهما سهل وسُهيل ابنا عمرو ، فالله أعلم .

وروى البيهقي[٤] من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا ، حدّثنا الحسن بن حماد الضبي ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، قال : لما بنى رسولُ الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن ، حتى اغبرَّ صَدْرُه ، فقال : « ابنوهُ عَرِيشاً كعريشِ موسى » فقلت للحسن : ما عريشُ موسى ؟ قال : إذا رفع يديه بلغ العريش ـ يعني السقف ـ .

وهذا مرسل .

ورَوَى[٥] من حديث حمَّاد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن يعلى بن شداد بن أوس ، عن عُبادة ، أنَّ الأنصار جمعوا مالاً فأتَوْا به النبيَّ ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، ابنِ هذا المسجدَ وزَيِّنْه ، إلى متى نصلِّي تحت هذا الجريد ؟ فقال : « ما بي رغبةٌ عن أخي موسى ، عريشٌ كعريشِ موسى » .

---

(١) فتح الباري (٤٢٨) الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويُتخذ مكانها مساجد وفي الحج (١٨٨٦) والبيوع (٩٠٦) ، وفي موضعين من الوصايا (٢٧٧١) و(٢٧٧٤) و(٢٧٧٩) ؛ وصحيح مسلم (٥٢٤) (٩) المساجد باب ابتناء مسجد النبي ﷺ .

(٢) تقدم الخبر ص(٤٥١ ، ٤٥٢) .

(٣) تقدم حديث ابن إسحاق في أول ص(٤٦٨) .

(٤) دلائل البيهقي (٢/ ٥٤٢) .

(٥) يعني البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٤٢) .

وهذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه .

وقال أبو داود(١) : حدَّثنا محمد بن حاتم ، حدَّثنا عبيد(٢) الله بن موسى ، عن شَيْبَان(٣) ، عن فراس ، عن عطيَّة ، عن ابن عمر ، أنَّ مسجد النبيِّ ﷺ كانت سَوَاريه على عهد رسول الله ﷺ من جُذوع النَّخل ، أعلاهُ مُظَلَّلٌ بجريدِ النخل ، ثم إنها نَخِرَتْ(٤) في خلافة أبي بكر ، فبناها بجذوع وبجريدِ النخل ، ثم إنها نَخِرَتْ(٤) في خلافة عثمان فبناها بالآجُرّ ، فلم تزَلْ(٥) ثابتةً حتى الآن .

وهذا غريب .

وقد قال أبو داودَ أيضاً(٦) : حدَّثنا مجاهد بن موسى ، حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، حدَّثني أبي ، عن صالح(٧) ، حدثنا نافع عن ابن عمر أخبره ، أنَّ المسجد كان على عهد رسولِ الله ﷺ مبنيًّا باللَّبِن ، وسقفُه الجَريد ، وعمدُهُ خشب النخْل ، فلم يزد فيه أبو بكرٍ شيئاً وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد النبي ﷺ باللَّبن والجَرِيد ، وأعاد عمده خشباً ؛ وغيَّرَهُ عثمان رضي الله عنه ، وزاد فيه زيادةً كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة(٨) وجعل عمدَهُ من حجارةٍ منقوشة وسَقَفَهُ بالسَّاج(٩) .

وهكذا رواه البخاري(١٠) عن علي بن المَدِيني ، عن يعقوب بن إبراهيم به .

قلت : زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأوِّلاً قوله ﷺ « مَنْ بَنَى للهِ مسجداً ولو كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بنى الله له بيتاً في الجنة »(١١) ووافقه الصحابةُ الموجودون على ذلك ولم يُغَيِّرُوه بعده ، فيُستدل بذلك على

(١) في السنن (٤٥٢) الصلاة باب في بناء المسجد ، وإسناده ضعيف ، كما قال المصنف .
(٢) في ط : عبد الله ، تصحيف ، والمثبت من ح وسنن أبي داود وترجمته في تهذيب الكمال (٢/ ٨٨٩) وهو أبو محمد الكوفي .
(٣) في ح ، ط : سنان ، تصحيف ، والمثبت من سنن أبي داود وترجمته في تهذيب الكمال (١٢/ ٥٩٢) . وهو شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم توفي سنة ١٦٤هـ .
(٤) في ط : تخربت . تصحيف ، والمثبت من ح وسنن أبي داود . ومعنى نخرت : بليت وتفتت . القاموس (نخر) .
(٥) في ط : فما زالت . والمثبت من ح والسنن .
(٦) في السنن (٤٥١) الصلاة باب في بناء المسجد .
(٧) في ح ، ط : عن أبي صالح . وهو تحريف ، والمثبت من سنن أبي داود وترجمته في تهذيب الكمال (١٣/ ٧٩) وهو صالح بن كيسان المدني يروي عن نافع مولى ابن عمر ، وعنه إبراهيم بن سعد عن إبراهيم .
(٨) قال الخطابي في معالم السنن (١/ ٢٥٦) : القصة : شيء يشبه الجصّ وليس به . وقال أبو داود في آخر الحديث : القصة : الجصّ .
(٩) « الساج » : نوع من الخشب يؤتى به من الهند . فتح الباري (١/ ٥٤٠) .
(١٠) فتح الباري (٤٤٦) الصلاة باب بنيان المسجد .
(١١) أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان بسنده إلى أبي ذر ، الإحسان (١٦١٠) وقال الأستاذ شعيب في حاشيته : إسناده =

الراجح من قول العلماء أنَّ حكم الزيادة حكم المزيد ، فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشدِّ الرحال إليه ؛ وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامعِ دمشق ، زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبَهُ على المدينة ، وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانُه في وقته ، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارتِ الرَّوضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

قال ابن إسحاق[1] : ونزل رسولُ الله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، وعمل فيه رسولُ الله ﷺ ليرغِّب المسلمين في العمل فيه ؛ فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه . فقال قائل من المسلمين : [من الرجز]

لئنْ قَعدْنا والنبيُّ يعمَلُ ... لذاك منَّا العمل المُضلَّلُ

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون : [من الرجز]

لا عيشَ إلا عيشُ الآخرَهْ ... اللهم ارحمِ الأنصارَ والمُهاجرهْ[2]

فيقول رسولُ الله ﷺ : « لا عيش إلا عيشُ الآخرة ، اللهم ارحمِ المهاجرينَ والأنصار » .

قال : فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللَّبِن فقال : يا رسول الله ! قتلوني ، يحملون عليَّ ما لايحملون . قالت أمُّ سلمة : فرأيتُ رسولَ الله ﷺ ينفُضُ وَفْرَتَهُ بيده ـ وكان رجلاً جَعْداً ـ وهو يقول : « وَيْحَ ابنِ سُميَّة ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئةُ الباغية » .

وهذا منقطعٌ من هذا الوجه ، بل هو مُعْضَلٌ بين محمد بن إسحاق وبين أمِّ سلمة ، وقد وصله مسلم في صحيحه[3] من حديث شعبة عن خالد الحذَّاء عن سعيد والحسن ـ يعني ابني أبي الحسن البصري ـ عن أمِّهما خيرة مولاة أمِّ سلمة ، عن أمِّ سلمة قالت : قال رسولُ الله ﷺ : « تقتلُ عماراً الفئةُ الباغية » .

ورواه[4] من حديث ابنِ عُلَيَّة عن ابن عَوْن ، عن الحسن ، عن أمِّه ، عن أمِّ سلمة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعمار وهو ينقلُ الحجارة : « ويحٌ لك يا ابنَ سُمَيَّة ، تقتُلكَ الفئةُ الباغية » .

= صحيح ، وهو في مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٣١٠) وأخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ١٣٨) والبيهقي في السنن (٢/ ٤٣٧) بإسنادهم عن أبي ذر ، والطيالسي في مسنده (٤٦١) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٤٨٥) والقضاعي في مسند الشهاب (٤٧٩) والطبراني في الصغير (٢/ ١٢٠) والبزار (٤٠١) والبيهقي (٢/ ٤٣٧) من طرق عن الأعمش به . وتقدم من حديث عمر . . . ومن حديث عثمان . اهـ .

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٦) .

(٢) قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

(٣) صحيح مسلم (٢٩١٦) (٧٢) الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت .

(٤) يعني مسلماً في صحيحه برقم (٢٩١٦) (٧٣) وابن عُليّة هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم .

وقال عبد الرزاق[(١)] : أخبرنا معمر عن[(٢)] الحسن يحدِّث عن أمه ، عن أمِّ سلمة قالت : لما كان رسولُ الله ﷺ وأصحابُه يبنون المسجد ، جعل أصحابُ النبيِّ ﷺ يحمل كلُّ واحدٍ لَبِنةً لَبِنة ، وعمار يحمل لَبِنتَيْن ، لبنةً عنه ولبنةً عن النبيِّ ﷺ فمسح ظهره[(٣)] . وقال « ابنَ سُميَّة ، للناسِ أجْر ، ولك أجْرَان ، وآخر زادِكَ شربةٌ من لبن ، وتقتُلك الفئةُ الباغية » .

وهذا إسنادٌ على شرط الصحيحَيْن[(٤)] .

وقد أورد البيهقي[(٥)] وغيرُه من طريق جماعةٍ عن خالد الحذَّاء ، عن عكرمة ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ قال : كنا نحملُ في بناءِ المسجد لبنةً لبنة ، وعمار يحمل لبنتَيْن لبنتَيْن ، فرآه النبيُّ ﷺ ، فجعل ينفُض الترابَ عنه ويقول : « وَيْحَ عمار تقتلُه الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النار » قال : يقول عمار : أعوذُ بالله من الفِتَن .

لكن روى هذا الحديث الإمامُ البخاري[(٦)] عن مُسَدَّد ، عن عبد العزيز بن المختار ، عن خالد الحذَّاء ؛ وعن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهَّاب الثقفي ، عن خالد الحذَّاء به ؛ إلا أنه لم يذكر قوله « تقتلك الفئة الباغية »[(٧)] .

---

(١) في المصنف (٢٠٤٢٦) باب أصحاب النبي ﷺ .
(٢) في المصنف : معمر عمن سمع الحسن يحدث ، قال بشار : الصحيح ، فإن معمراً لم يحدث عن الحسن .
(٣) في المصنف : فقام النبي ﷺ فمسح ظهره .
(٤) كيف يكون على شرط الشيخين ؟ فإن كان ما أورده المصنف صحيحاً ، فإن معمراً لم يحدث عن الحسن ، بل رأى جنازته وهو صغير ، وذكر أنه طلب العلم سنة مات الحسن ، كما رواه عبد الرزاق عنه (تاريخ البخاري الصغير ٢/ ١١٥ ، والجرح والتعديل ٨/ الترجمة ١١٦٥) ، ولم تذكر كتب العلم رواية له عن الحسن ، ولا ذكر ذلك المزي في التهذيب . وإن كان ما جاء في مصنف عبد الرزاق هو الصواب ، أعني بينهما رجل مجهول ـ وهو الأرجح ـ فلا يصح هذا الإسناد لجهالة من روى عنه معمر . (بشار) .
(٥) في دلائل النبوة (٢/ ٥٤٦) .
(٦) فتح الباري (٤٤٧) الصلاة باب التعاون في بناء المسجد، و(٢٨١٢) الجهاد باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله .
(٧) هذا هو الصواب ، وكذلك ذكر المزي هذا الحديث ولم يذكر فيه عبارة « تقتله الفئة الباغية » (تحفة الأشراف ٣/ ٤١٥ حديث ٤٢٤٨ بتحقيقي) وكذا ذكر البيهقي في الدلائل أن البخاري تركها . أما وجود العبارة في المطبوع من الفتح في الموضعين (٤٤٧) و(٢٨١٢) فهو من تصرف الناشرين ، ولم يحسنوا صنعاً . ويلاحظ أن إشارة قد وضعت في النسخة اليونينية من صحيح البخاري على هذه العبارة فكتب في أولها « لا » وفي آخرها « إلى » أي : احذف هذه العبارة ، فالأصح أن هذه العبارة مقحمة من بعض الروايات ، وأن الروايات المتقنة الأصيلة قد خلت منها ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٥٤٢) « واعلم أن هذه الزيادة لم يذكرها الحميدي في الجمع وقال : إن البخاري لم يذكرها أصلاً ، وكذا قال أبو مسعود (الدمشقي) . قال الحميدي : ولعلها لم تقع للبخاري أو وقعت فحذفها عمداً ، قال : وقد أخرجها الإسماعيلي والبرقاني في هذا الحديث . قلت (ابن حجر) : ويظهر لي أن البخاري حذفها عمداً وذلك لنكتة خفية وهي أن أبا سعيد الخدري اعترف أنه لم يسمع هذه الزيادة من النبي ﷺ فدل على أنها في هذه=

قال البيهقي[١] : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم[٢] من طريق عن أبي نَضْرَة عن أبي سعيد قال : أخبرَني مَنْ هو خيرٌ مني أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفرُ الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « بُؤْسَ ابنِ سُمَيَّة تقتُلكَ فئةٌ باغية » .

وقد رواه مسلمٌ أيضاً[٣] من حديث شعبة عن أبي مَسْلَمة[٤] ، عن أبي نَضْرَة عن أبي سعيد ، قال : حدَّثني مَنْ هو خيرٌ منِّي ـ أبو قتادة ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعمارِ بن ياسر : « بؤساً لك يا ابنَ سُمَيَّة تقتلك الفئة الباغية » .

وقال أبو داود الطَّيالسي[٥] : حدَّثنا وهيب عن داود بن أبي هند ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناسُ يحملون لَبنةً لَبنة ، وعمار ـ ناقِةٌ من وَجَعٍ كانَ به ـ فجعل يحملُ لبنتَيْن لبنتَيْن . قال أبو سعيد : فحدَّثني أصحابي أنَّ رسولَ الله ﷺ كان ينفضُ الترابَ عن رأسه ويقول : « وَيْحَك ابنَ سُميَّة تقتلك الفئةُ الباغية » .

قال البيهقي[٦] : فقد فرَّق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه . قال ويُشبه أن يكون قولُه الخندق وَهْماً ، أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق . والله أعلم .

قلت : حَمْلُ اللبن في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم . وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلواتُ الله وسلامه عليه عن عمَّار أنه تقتُله الفئةُ الباغية ، وقد قتله أهلُ

= الرواية مدرجة ، والرواية التي بينت ذلك ليست على شرط البخاري . وقد أخرجها البزار من طريق داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد فذكر الحديث في بناء المسجد ، وحملهم لبنة لبنة وفيه : فقال أبو سعيد : فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله ﷺ أنه قال : ياابن سمية تقتلك الفئة الباغية . . . وهذا الإسناد على شرط مسلم وقد عين أبو سعيد من حدثه بذلك ، ففي مسلم والنسائي من طريق أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : حدثني من هو خير مني أبو قتادة ، فذكره ، فاقتصر البخاري على القدر الذي سمعه أبو سعيد من النبي ﷺ دون غيره ، وهذا دال على دقة فهمه وتبحره في الاطلاع على علل الحديث . » انتهى كلام الحافظ .
قلت : فهذا من أقوى دليل على أن الحافظ ابن حجر يؤيد أن هذه العبارة ليست في الصحيح ، فكيف يكتبها في « الفتح » ؟ لكن الناشرين كتبوا المتن من مكان وكتبوا الحواشي من النسخ الخطية ، وخلاصة القول أن ما ذكره المصنف ابن كثير هو الصواب ، وأن العبارة ينبغي أن تحذف من المطبوع من صحيح البخاري (بشار) .

(١) في الدلائل (٢/ ٥٤٨) .

(٢) صحيح مسلم (٧١ ـ ٢٩١٥) الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت .

(٣) وهي الرواية التي تلي الرواية السابقة برقم (٧٢) .

(٤) في ح ، ط : عن أبي مسلم . وهو تصحيف ، والمثبت من صحيح مسلم وترجمته في تهذيب الكمال (١١/ ١١٤) وهو سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدي الطاحي البصري .

(٥) مسند الطيالسي (٢١٦٨) .

(٦) في دلائل النبوة (٢/ ٥٤٩) .

الشام في وقعة صِفِّين وعمَّار مع علي وأهلِ العراق كما سيأتي بيانُه وتفصيلُه في موضعه . وقد كان عليٌّ أحقَّ بالأمر من معاوية . ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بُغاةً تكفيرُهم كما يحاوله جهلَةُ الفرقة الضالَّة من الشِّيعة وغيرهم ، لأنهم وإنْ كانوا بغاةً في نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطَوْه من القتال وليس كلُّ مجتهدٍ مصيباً ، بل المصيبُ له أجران والمخطئ له أجر ، ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية ـ (لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة) ـ فقد افترى في هذه الزيادة على رسولِ الله ﷺ ، فإنه لم يقلْها إذ لم تُنقل من طريقٍ تُقبل . والله أعلم .

وأما قولُه : يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فإنَّ عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الأُلفة واجتماع الكلمة . وأهلُ الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون مَنْ هو أحقُّ به ، وأن يكون الناسُ أوزاعاً على كلِّ قُطْرٍ إمامٌ برأسه ، وهذا يؤدِّي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة ، فهو لازمُ مذهبهم وناشئٌ عن مسلكهم ، وإنْ كانوا لا يقصدونه . والله أعلم . وسيأتي تقريرُ هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعةِ صفين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحُسْنِ تأييده وتوفيقه ، والمقصود هاهنا إنما هو قصة بناء المسجدِ النبوي على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقي في « الدلائل »[١] : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، حدثنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا عبيد بن شريك ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حَشْرَج بن نُبَاتة ، عن سعيد بن جُمْهَان ، عن سَفينة مولى رسولِ الله ﷺ ، قال : [لما بنى رسول الله ﷺ المسجد] جاء أبو بكر بحجرٍ فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجرٍ فوضعه ، ثم جاء عمر بحجرٍ فوضعه ، فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء ولاةُ الأمْرِ بعدي » .

ثم رواه[١] من حديث يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني ، عن حَشْرَج ، عن سعيد ، عن سَفينة . قال : لما بنى رسولُ الله ﷺ المسجد وضع حجراً . ثم قال : « ليضعْ أبو بكر حجراً إلى جنب حجري ، ثم ليضعْ عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم ليضع عثمانُ حجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسولُ الله ﷺ : « هؤلاء الخلفاء من بعدي » .

وهذا الحديث بهذا السياق غريبٌ جداً .

والمعروف ما رواه الإمامُ أحمد[٢] عن أبي النَّضْر ، عن حَشْرَج بن نُباتة العبسي ؛ وعن بَهْز وزيد بن الحُبَاب ؛ وعبد الصمد وحماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جُمْهان عن سفينة قال سمعت رسولَ الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون من بعد ذلك المُلْك » ثم قال سفينة : أمسك ؛ خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتا عشر سنة ، وخلافة علي ست سنين .

---

(١) (٢/ ٥٥٣) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٢) في المسند : (٥/ ٢٢٠ ، ٢٢١) رقم (٢١٨١٦) .

هذا لفظ أحمد ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي[١] من طرق عن سعيد بن جُمْهَان ، وقال الترمذي : حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً عَضُوضاً » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بني مِنْبَرٌ يخطب الناس عليه ، بل كان النبيُّ ﷺ يخطب الناس وهو مستند إلى جِذْعٍ عند مصلاهُ في الحائط القبلي ، فلما اتُّخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتي بيانه في موضعه وعدل إليه ليخطُب عليه ، فلما جاوز ذلك الجِذْع خار ذلك الجذعُ وحَنَّ حنين النُّوق العِشَار لما كان يسمع من خُطَب الرسولِ عليه السلام عنده ، فرجع إليه النبي ﷺ فاحتضَنَهُ حتى سكن كما يسكنُ المولودُ الذي يسكت ، كما سيأتي تفصيل ذلك من طرقٍ[٢] عن سهل بن سعدِ الساعدي ، وجابر بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وأمِّ سلمة رضي الله عنهم . وما أحسن ما قال الحسنُ البصري : بعدَ ما روَى هذا الحديث عن أنس بن مالك : يا معشر المسلمين ، الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه ، أو ليس الرجالُ الذين يرجونَ لقاءه أحقَّ أن يشتاقوا إليه ؟!

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف

قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا يحيى ، عن[٤] أنيس بن أبي يحيى ، حدَّثني أبي قال : سمعتُ أبا سعيدٍ الخُدْرِيَّ قال : اختلف رجلانِ : رجلٌ من بني خُدْرَة ، ورجلٌ من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ، فقال الخدري : هو مسجدُ رسولِ الله ﷺ وقال العَمْرِي هو مسجدُ قُبَاء ، فأتَيَا رسولَ الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد » لمسجدِ رسول الله ﷺ وقال : « في ذلك خيرٌ كثير » يعني مسجدَ قُباء .

ورواه الترمذي[٥] عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبي يحيى الأسلمي به ، وقال : حسنٌ صحيح .

وروى الإمام أحمد[٦] عن إسحاق بن عيسى ، عن الليث بن سعد ، والترمذي والنسائي[٧] جميعاً عن

---

(١) سنن أبي داود (٤٦٤٦) السنة باب في الخلفاء ، وجامع الترمذي (٢٢٢٦) الفتن باب ما جاء في الخلافة ، والنسائي في المناقب من سننه الكبرى (٨١٥٥) .
(٢) سيرد في الجزء التالي .
(٣) في المسند (٣/ ٢٣) رقم (١١١٢١) .
(٤) في ط : يحيى بن أنيس بن أبي يحيى . وهو تحريف ، والمثبت من ح والمسند .
(٥) في الجامع (٣٢٣) الصلاة باب ما جاء في المسجد الذي أُسّس على التقوى ، وهو حديث صحيح كما قال .
(٦) في المسند (٣/ ٨) رقم (١٠٩٨٧) .
(٧) جامع الترمذي (٣٠٩٩) تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة ؛ وسنن النسائي (٦٩٧) مساجد باب ذكر المسجد الذي=

قتيبة عن الليث عن عمرانَ بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه ، قال : تمارى رجلانِ في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ؛ وذكر نحو ما تقدَّم .

وفي صحيح مسلم[١] من حديث حُميد الخرَّاط عن أبي سلمة بنِ عبد الرحمن ، أنه سأل عبد الرحمن ابن أبي سعيد : كيف سمعتَ أباكَ يقول في المسجد الذي أُسِّس على التقوى ؟ فقال : قال أبي : أتيتُ رسولَ الله ﷺ فسألته عن المسجد الذي أسِّسَ على التقوى ؟ فأخذ كفّاً من حَصْبَاء ، فضربَ بهِ الأرض ، ثم قال : « هو مَسْجِدُكم هذا » .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثناوكيع ، حدثنا ربيعة بن عثمان التَّيْمي[٣] عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد قال : اختلف رجلانِ على عهدِ رسولِ الله ﷺ في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجدُ رسولِ الله ﷺ وقال الآخر : هو مسجد قُباء ، فأتَيَا رسولَ الله ﷺ فسألاه فقال : « هو مسجدي هذا » .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا أبو نعيم ، حدَّثنا عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أُبَيِّ بن كعب ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « المسجد الذي أُسِّس على التقوى مسجدي هذا » .

فهذه طرقٌ متعدِّدة لعلها تقرِّب من إفادة القَطْع بأنه مسجدُ الرسولِ ﷺ ، وإلى هذا ذهب عمر وابنُه عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المُسَيِّب ، واختاره ابنُ جرير . وقال آخرون : لا منافاة بين نزولِ الآية في مسجدِ قُباء كما تقدَّم بيانُه ، وبين هذه الأحاديث ، لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة من ذلك ، لأنَّ هذا أحد المساجد الثلاثة التي تُشَدُّ الرِّحالُ إليها كما ثبت في الصحيحَيْن[٥] من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لا تشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثةِ مساجد ؛ مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس » .

وفي صحيح مسلم[٦] عن أبي سعيد عن النبيِّ ﷺ قال : « لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها .

= أسس على التقوى ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح من حديث عمران .

(١) صحيح مسلم (١٣٩٨) (٥١٤) الحج باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ .

(٢) في المسند (٥/ ٣٣١) رقم (٢٢٧٠٤) .

(٣) في ط : التميمي . تصحيف ، والمثبت من ح ومسند أحمد وترجمته في تهذيب الكمال (٩/ ١٣٢) .

(٤) في المسند (٥/ ١١٦) رقم (٢١٠٠٥) .

(٥) فتح الباري (١١٨٩) مسجد مكة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، وصحيح مسلم (١٣٩٧) (٥١١) الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد .

(٦) صحيح مسلم (٨٢٧) (٤١٥) الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره .

وثبت في الصحيحَيْن(١) أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجدَ الحَرَام » .

وفي مسند الإمام أحمد(٢) بإسناد حسن زيادةٌ حسنة وهي قوله « فإن ذلك أفضل » .

وفي الصحيحَيْن(٣) من حديث يحيى القطّان ، عن خُبَيْب ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي هُريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما بينَ بيتي ومنبري رَوْضَةٌ من رياضِ الجنَّة ، ومنبري على حَوْضي » .

والأحاديثُ في فضائل هذا المسجدِ الشريف كثيرةٌ جداً ، وسنوردُها في كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير إنْ شاء الله ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلان ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الإمامُ مالكٌ وأصحابُه إلى أنَّ مسجدَ المدينة أفضلُ من المسجد الحرام ، لأنَّ ذاك بناهُ إبراهيم ، وهذا بناه محمدٌ ﷺ ، ومعلومٌ أنَّ محمداً أفضلُ من إبراهيمَ عليه السلام . وقد ذهب الجمهورُ إلى خلاف ذلك ، وقرَّروا أنَّ المسجد الحرام أفضلُ لأنه في بلدٍ حرَّمَهُ الله يوم خلق السمواتِ والأرض ، وحرَّمه إبراهيمُ الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره ، ولبَسْط هذه المسألة موضعٌ آخر وبالله المستعان .

فصـــل

وبُني لرسولِ الله ﷺ حول مسجده الشريف حُجَرٌ لتكون مساكنَ له ولأهله ، وكانتْ مساكنَ قصيرةَ البناء قريبةَ الفِناء قال الحسن بن أبي الحسن البصري ـ وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أمِّ سَلَمة ـ لقد كنتُ أنالُ أطولَ سقفٍ في حُجَرِ النبيِّ ﷺ بيدي .

قلت : إلا أنه قد كان الحسن البصري شكلاً ضَخْما طُوَالا رحمه الله .

وقال السُّهيلي في « الرَّوض »(٤) : كانت مساكنُه عليه السلام مبنيَّةً من جَريد عليه طين ، وبعضها من حجارةٍ مرضومة(٥) وسقوفها كلُّها من جَريد . ثم(٦) حكَى عن الحسن البصري ما تقدَّم .

---

(١) فتح الباري (١١٩٠) مسجد مكة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، وصحيح مسلم (١٣٩٤) (٥٠٦) الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة .

(٢) لعل الرواية المذكورة في المسند (٣/ ٣٤٣) عن جابر والزيادة فيه هكذا « وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة » . ولم أجد هذه الزيادة فيما روي من طريق الإمام أحمد في مسنده .

(٣) فتح الباري (١١٩٦) فضل الصلاة في مسجد مكة باب فضل ما بين القبر والمنبر ، وصحيح مسلم (١٣٩١) (٥٠٢) الحج باب ما بين القبر والمنبر .

(٤) (٢/ ٢٤٨) بنحوه وبألفاظ مقاربة .

(٥) زاد السهيلي في الروض : بعضها فوق بعض . وهو تفسير المرضومة .

(٦) في ط : وقد حكى ، والمثبت من ح ويعني بالذي حكى السهيليّ . وما يأتي ين معقوفين من الروض .

قال : وكانتْ حُجَرُه [أكسيةً] من شعرٍ مربوطةٍ بخشب من عَرْعَر[١] .

قال[٢] : وفي تاريخ البخاري أنَّ بابه عليه السلام كان يُقْرَع بالأظافير ، فدلَّ على أنه لم يكن لأبوابه حَلَق . قال : وقد أُضيفت الحُجَر كلُّها بعد موت أزواج رسولِ الله ﷺ إلى المسجد .

قال الواقدي وابنُ جَرير وغيرهما[٣] : ولما رجع عبد الله بن أُريقط الدُّئَلي إلى مكة بعث معه رسولُ الله ﷺ وأبو بكر زيدَ بن حارثة وأبا رافع موليا رسولِ الله ﷺ ليأتوا بأهاليهم من مكة ، وبعثا معهم بجِمْلَيْن وخمسمئة درهم ليشتروا بها إبلاً من قُدَيد ؛ فذهبوا فجاؤوا ببنتي النبيِّ ﷺ فاطمة وأم كلثوم وزوجتَيْه سودةَ وعائشةَ ، وأمِّها أمّ رُومان وأهلِ النبيِّ ﷺ وآلِ أبي بكر صحبةَ عبد الله بن أبي بكر ، وقد شَرَّدَ بعائشة وأمِّها أمّ رُومان الجمَلُ في أثناء الطريق ، فجعلتْ أمُّ رُومان تقول : واعروساه ! وابنتاه ! قالت عائشة : فسمعتُ قائلاً يقول : أرسلي خِطامَه ، فأرسلتْ خطامه فوقف بإذن الله وسلَّمَنا الله عزَّ وجلَّ . فقَدِموا فنزلوا بالسُّنْح[٤] . ثم دخل رسولُ الله ﷺ بعائشةَ في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتي ، وقدمتْ معهم أسماءُ بنتُ أبي بكر امرأةُ الزبيرِ بن العوّام وهي حاملٌ مُتمٌّ بعبد الله بن الزُّبير كما سيأتي بيانُه في موضعه من آخر هذه السنة .

فصـــل
فيما أصابَ المهاجرين من حُمَّى المدينة رضي الله عنهم أجمعين

وقد سلم الرسول منها بحول الله وقوته ودعا الله فأزاحها عن مدينته .

قال البخاري[٥] : حدَّثنا عبد الله بن يوسف[٦] ، ثنا مالك عن[٧] هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسولُ لله ﷺ المدينة وُعِكَ[٨] أبو بكرٍ وبلال ، قالت : فدخلتُ عليهما فقلت : يا أبةِ كيف تَجِدُك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت : وكان أبو بكر إذا أخذَتْهُ الحُمَّى يقول : [من الرجز]

كُلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ في أهلِهِ[٩] والموتُ أدْنَى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

---

(١) « العَرْعَر » : شجر السَّرْو . القاموس (عرعر) .
(٢) يعني السهيلي في الروض .
(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٦٢ ، ٦٣) وتاريخ الطبري (٢/ ٤٠٠) .
(٤) تقدم تعريف السُّنح (ص٣٧٧ ح٤) .
(٥) فتح الباري (٣٩٢٦) مناقب الأنصار باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .
(٦) في ط : عبد الله بن وهب بن يوسف . تحريف ، والمثبت من ح وصحيح البخاري في الفتح .
(٧) في ح ، ط : مالك بن هشام . تحريف ، والمثبت من صحيح البخاري .
(٨) « وُعِك » : أصابه الوعك وهي الحُمَّى . فتح الباري .
(٩) « مصبَّحٌ » : أي مصاب بالموت صباحاً ، أو يقال له وهو مقيم بأهله : صبَّحَكَ اللهُ بالخير وقد يفجؤه الموت في بقية=

وكان بلال إذا أقلع عنه الحُمَّى يرفع عَقِيرَتَهُ ويقول : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْرِي هل أبيتَنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذخِرٌ وجليلُ[١]
وهـل أرِدَنْ يـومـاً ميـاهَ مَجنَّـةٍ وهل يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وطَفيلُ[٢]

قالت عائشة : فجئتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه فقال : « اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كحُبِّنا مكة أو أشدّ ، وصحِّحْهَا ، وباركْ لنا في صاعِها ومُدِّها ، وانْقُلْ حُمَّاها فاجْعَلْها بالجُحْفة » .

ورواه مسلم[٣] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام مختصراً .

وفي رواية البخاري[٤] له عن أبي سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، فذكره ، وزاد بعد شعرِ بلال : ثم يقول بلال : اللهمَّ الْعَنْ عُتبةَ بن ربيعة ، وشيبةَ بن ربيعة ، وأُميَّة بن خَلَف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوَبَاء . فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كحُبِّنا مكةَ أو أشدّ ، اللهمَّ بارِكْ لنا في صاعِها وفي مُدِّها[٥] وصحِّحها لنا ، وانقُلْ حُمَّاها إلى الجُحْفَة » قالت : وقدمنا المدينة وهي أوْبأ أرضِ الله ، وكان بُطْحانُ يجري نَجْلاً[٦] ـ تعني ماءً آجناً ـ .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق[٧] : حدثني هشام بن عروة وعمر[٨] بن عبد الله بن عروة [عن عروة] بن الزبير عن عائشة قالت : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوْبأ أرض الله من الحُمَّى فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسُقْم ، وصرف الله ذلك عن نبيِّه . قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فُهَيرة وبلال موليا أبي بكر في بيتٍ واحد ، فأصابَتْهُمُ الحُمَّى ، فدخلتُ عليهم أعودهم وذلك قبل أن يُضرب علينا الحِجَاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدَّةِ الوَعْك ، فدنَوْتُ من أبي بكرٍ فقلت : كيف تَجِدُك يا أبة ؟ فقال : [من الرجز]

كلُّ امرىءٍ مصبَّحٌ في أهلِهِ والموتُ أدْنَى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

= النهار . الفتح (٧/ ٢٦٢) .

(١) « الإذْخِر » : حشيش طيب الريح أطول من الثيل ، واحدته إذْخِرَة . اللسان (ذخر) . وجليل : نبت ضعيف يُحشى به خَصَاص البيوت وغيرها (فتح الباري) .

(٢) مجنة موضعٌ على أميال من مكة ، (قد تكسر ميمه) . وشامَةٌ وطفيلُ : جبلان ، قال الخطابي : كنت أحسب أنهما جبلان حتى ثبت عندي أنهما عينان . فتح الباري (٧/ ٢٦٣) .

(٣) صحيح مسلم (١٣٧٦) (٤٨٠) الحج باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها .

(٤) فتح الباري (١٨٨٩) فضائل المدينة باب ١٢ بعد باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة . وما يأي بين معقوفين منه .

(٥) في الفتح : في صاعِنا وفي مدِّنا .

(٦) « بُطحان » : وادي المدينة .

(٧) سيرة ابن هشام (١/ ٥٨٨) والروض (٣/ ١٠) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٨) وقع في الروض : وعمرو بن عبد الله بن فروة . تحريف .

قالت : فقلت : والله ما يَدْري أبي ما يقولُ . قالت : ثم دنوتُ إلى عامر بن فُهيرة فقلت : كيف تَجِدُك يا عامر ؟ قال : [من الرجز]

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقِهِ   إنَّ الجَبَانَ حَتْفُهُ من فَوْقِهِ
كُلُّ امرئٍ مجاهدٌ بطَوْقِهِ   كالثورِ يَحْمي جِلدَهُ بِرَوْقِهِ[1]

قالت : فقلت : والله ما يدري عامرٌ ما يقول . قالت : وكان بلال إذا أدركته الحُمَّى اضْطَجَعَ بفِناءِ البيت ثم رفع عَقِيرَته فقال : [من الطويل]

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً   بفَخٍّ وحَوْلي إذْخِرٌ وجَليلُ[2]
وهل أرِدَنْ يوماً مياهَ مَجَنَّةٍ   وهل يَبْدُوَنْ لي شامةٌ وطَفِيلُ

قالت عائشة : فذكرتُ لرسولِ الله ﷺ ما سمعتُ منهم وقلت : إنهم ليَهْذُونَ وما يعقلون من شِدَّةِ الحُمَّى . فقال : « اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة ، كما حَبَّبْتَ إلينا مكة أو أشدّ ، وبارِكْ لنا في مُدِّها وصاعها ، وانقُلْ وباءَها إلى مَهْيَعَة » ومَهْيَعة هي الجُحْفَة .

وقال الإمامُ أحمد[3] : حدَّثنا يونس ، حدثنا ليث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة اشتكى أصحابُه واشتكى أبو بكر وعامرُ بن فُهيرة مولى أبي بكر وبلال ، فاستأذنتْ عائشةُ رسولَ الله ﷺ في عيادتهم فأذن لها ، فقالت لأبي بكر : كيف تجدك ؟ فقال : [من الرجز]

كلُّ امرئٍ مصبَّحٌ في أهلِهِ   والموتُ أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وسألت عامراً فقال : [من الرجز]

إني وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقِهِ   إنَّ الجَبَانَ حَتْفُهُ من فَوْقِهِ

وسألتُ بلالاً فقال : [من الطويل]

يا ليتَ شعري هل أبيتَنَّ ليلةً   بفَخٍّ وحولي إذْخِرٌ وجَليلُ[4]

فأتَتْ رسولَ الله ﷺ فأخبرَتْه ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حبَّبْتَ إلينا مكة أو أشدّ ، اللهم باركْ لنا في صاعها وفي مُدِّها ، وانقُلْ وباءها إلى مَهْيَعَة » . وهي الجُحْفَة فيما زعموا .

---

(١) « الرَّوْق » : القرن . اللسان (روق) . بطوقه : بطاقته . قاله ابن هشام في السيرة .
(٢) « فخ » : موضع بمكة . القاموس المحيط .
(٣) في مسنده (٦/ ٦٥) وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) وقع في مسند أحمد : بفج . بالجيم وهو تصحيف . انظر معجم البلدان (٤/ ٢٣٧) وما سبق .

وكذا رواه النَّسائي عن قُتيبة عن الليث به[١] .

ورواهُ الإمام أحمد[٢] من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله .

وقال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصمّ ، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ وهي أوْبأ أرضِ الله ، وواديها بُطحان نَجْل . قال هشام : وكان وباؤها معروفاً في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي وَبِيئاً فأشرف عليها[٤] الإنسان قيل له أن ينهقَ نَهيقَ الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضرَّهُ وباءُ ذلك الوادي . وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة : [من الطويل]

لعمري لئنْ عَشَّرْتُ[٥] من خيفةِ الرَّدَى نهيـقَ الحمـارِ إننـي لَجـزوعُ

وروى البخاري[٦] من حديث موسى بن عُقْبة ، عن سالم ، عن أبيه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « رأيتُ كأنَّ امرأةً سوداءَ ثائرةَ الرأس ، خرجَتْ من المدينة حتى قامت بمَهْيَعَة ـ وهي الجُحْفَة ـ فأولتُها أنَّ وباءَ المدينة نُقل إلى مَهْيَعَة ـ وهي الجُحْفَة ـ » .

هذا لفظ البخاري ولم يخرِّجه مسلم ، ورواه الترمذي وصحَّحه ، والنَّسائي وابنُ ماجَهْ[٧] من حديث موسى بن عقبة .

وقد روى حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة ، [عن أبيه] ، عن عائشة قالت : قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وهي وبيئة[٨] ، فذكر الحديث بطوله إلى قوله : « وانقل حُمَّاها إلى الجُحْفَة » . قال هشام : فكان المولود يولد بالجُحْفَة فلا يبلغُ الحلم حتى تصرَعَهُ الحُمّى .

رواه البيهقي في « دلائل النبوة »[٩] .

---

(١) أخرجه في الحج من سننه الكبرى (٤٢٧٢) ، وفي الطب منها (٧٥١٩) ، وهو حديث صحيح .
(٢) في المسند (٦/ ٢٣٩ ، ٢٤٠) .
(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٥٦٧) .
(٤) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل : عليه .
(٥) في ح ، ط : عبرت . وهو تصحيف ، والمثبت من الدلائل ، والبيت لعروة بن الورد وهو في ديوانه ص(٩٥) وساقه صاحبا اللسان والتاج في (عشر) ؛ وعشَّر الحمار تعشيراً : تابع النهيق عشراً .
(٦) في صحيحه فتح (٧٠٣٨) و(٧٠٣٩) و(٧٠٤٠) التعبير باب المرأة السوداء وباب المرأة الثائرة الرأس .
(٧) جامع الترمذي (٢٢٩٠) الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ وسنن ابن ماجه (٣٩٢٤) تعبير الرؤيا باب تعبير الرؤيا والنسائي في تعبير الرؤيا من سننه الكبرى (٧٦٥١) .
(٨) في دلائل النبوة : وبئة .
(٩) (٢/ ٥٦٨) وما ورد بين معقوفين منه .

وقال يونس عن ابن إسحاق : قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وهي وبيئة[١] ، فأصاب أصحابَهُ بها بلاءٌ وسُقْم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيِّه ﷺ .

وقد ثبت في الصحيحَيْن[٢] عن ابن عباس قال : قدم رسولُ الله ﷺ وأصحابه [صبيحة رابعة ـ يعني مكة ـ عام عمرة القضاء][٣] ، فقال المشركون : إنه يقدمُ عليكم وَفْدٌ قد وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِب ؛ فأمرهم رسولُ الله ﷺ أن يَرْمُلوا وأن يمشوا ما بين الرُّكْنَيْن ، ولم يمنَعْهُ أن يرملوا الأشواطَ كلها إلا الإبقاءُ عليهم .

قلت : وعمرة القضاء كانت في سنةٍ سبعٍ في ذي القَعْدَة ، فإما أن يكون تأخَّر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رُفع وبقي آثارٌ منه قليل . أو أنهم بَقُوا في خُمَارٍ ما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المُدَّة . الله أعلم .

وقال زياد عن ابن إسحاق[٤] : وذكر ابنُ شهاب الزُّهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ رسولَ الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابُه أصابَتْهُمُ حُمَّى المدينة حتى جهدوا مرضاً ، وصرف الله ذلك عن نبيِّهِ ﷺ حتى كانوا وما يصلُّون إلا وهم قعود ، قال فخرج رسولُ الله ﷺ وهم يصلُّون كذلك فقال لهم : « اعلموا أنَّ صلاة القاعد على النِّصْفِ من صلاة القائم » . فتجشَّمَ المسلمونَ القيامَ على ما بهم من الضعف والسُّقْم التماسَ الفَضْل .

فصـــل

في عقده عليه الصلاة السلام الألْفَة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وقرَّرهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قَيْنُقَاع وبنو النَّضِير وبنو قُرَيظة ، وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بُخْت نَصَّر حين دوَّخ بلادَ المَقْدِس فيما ذكره الطَّبَري[٥] . ثم لما كان سيل العرم وتفرَّقَتْ سَبَأ شَذَر مَذَر نزل الأوسُ والخزرج المدينةَ عند اليهود ، فحالفوهم وصاروا يتشبَّهون بهم لما يرَوْن لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الأنبياء ، لكن مَنَّ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام وخَذَلَ أولئك لحسَدهم وبَغْيهم واستكبارهم عن اتِّباع الحقّ .

---

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٥٦٨) : وهي أوبأ أرض الله من الحمى . والمصنف ينقل عنه .

(٢) فتح الباري (١٦٠٢) الحج باب كيف كان بدءُ الرَّمَل (٤٢٥٦) المغازي باب عمرة القضاء ، وصحيح مسلم (١٢٦٦) (٢٤٠) الحج باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٥٦٠) والروض (٣/ ١٠) .

(٥) تاريخ الطبري (١/ ٥٣٨ ، ٥٣٩) .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عفَّان ، حدثنا حمَّاد بنُ سَلَمة ، حدثنا عاصم الأحول عن أنس بن مالك ، قال : حالَفَ رسولُ الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارِ أنس بن مالك .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبخاري ومسلم وأبو داود[٢] من طُرقٍ متعدِّدة عن عاصم بن سليمان الأحول عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسولُ الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا نصر بن باب ، عن حجاج ـ هو ابنُ أرطاة ـ قال : وحدَّثنا سُريج ، حدثنا عبَّاد عن حجَّاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أنَّ النبيَّ ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهُمْ[٤] ، وأن يَفْدوا عانِيَهُم بالمعروف ، والإصلاح بين المسلمين .

قال أحمد : وحدَّثنا سُريج ، حدثنا عبَّاد عن حجَّاج ، عن الحكم عن مِقْسَم[٥] عن ابن عباس مثله .

تفرَّد به الإمام أحمد .

وفي صحيح مسلم[٦] عن جابر : كتب رسولُ الله ﷺ على كل بَطْنٍ عُقُولَهُ[٧] .

وقال محمد بن إسحاق[٨] : كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادَعَ فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتابٌ من محمد النبيِّ ﷺ[٩] بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثْرِب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، أنهم أُمَّةٌ واحدةٌ من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهم ، يتعاقَلُونَ بينهم وهم يَفْدُونَ عانِيَهُمْ بالمعروف والقِسط ، وبنو عوف على رِبْعَتِهم يتعاقلون مَعَاقِلَهُم الأولى ، وكلُّ طائفة تَفْدي عانِيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين .

---

(١) في مسنده (٣/ ٢٨١) .

(٢) مسند أحمد (٣/ ١١١) و(١٤٥) وفتح الباري (٢٢٩٤) في الكفالة ، و(٦٠٨٣) الأدب باب الإخاء والحلف ، (٧٣٤٠) الاعتصام باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ، وصحيح مسلم (٢٥٢٩) (٢٠٤) و(٢٠٥) فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه ، وسنن أبي داود (٢٩٢٦) الفرائض باب في الحلف .

(٣) في المسند (١/ ٢٧١ و٢/ ٢٠٤) .

(٤) «يعقلون معاقلهم » : أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها . والمَعَاقل : الدِّيات جمع مَعْقُلة . النهاية لابن الأثير (عقل) .

(٥) في ط : قاسم . تحريف ، والمثبت من ح وترجمته في تهذيب التهذيب ، وهو مقسم بن بجرة .

(٦) صحيح مسلم (١٥٠٧) (١٧) العتق باب النهي عن بيع الولاء وهبته .

(٧) في ط : عقولة . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح مسلم . والعقول : الديات .

(٨) سيرة ابن هشام (١/ ٥٠١) والروض (٢/ ٢٤٠) وما يأتي بين معقوفين منهما ، وأخرجه أبو عبيد في الأموال (ص٢٠٢) عن يحيى بن بكير وعبد الله بن صالح كلاهما عن الليث بن سعد عن عُقيل بن خالد عن ابن شهاب أنه قال : بلغني أن رسول الله ﷺ كتب بهذا الكتاب . . فذكره .

(٩) في ط : النبي الأمي . وفي ح : النبي بين . . والمثبت من سيرة ابن هشام .

ثم ذكر كلَّ بَطْنٍ من بطونِ الأنصار ، وأهلَ كلِّ دارٍ بني ساعدة ، وبني جُشَم ، وبني النجار ، وبني عمرو بن عوف ، وبني النَّبيت ، إلى أن قال : وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً[١] بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فِدَاءٍ وَعَقْل[٢] ، ولا يحالف مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونه ، وإن المؤمنين المتقين على مَنْ بَغَى منهم أو ابتغى دَسِيعَةَ[٣] ظُلْم أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديَهُمْ عليه جميعهم ولو كان ولدَ أحدِهم ، ولا يقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافر ، ولا يُنصر كافر على مؤمن ، وإنَّ ذِمَّةَ الله واحدة ، يُجير عليهم أدناهم ، وإنَّ المؤمنين بعضُهم مواليَ بعض دون الناس ، وإنَّ مَنْ تبعنا من يهود فإنَّ له النَّصْر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرَ عليهم ، وإنَّ سِلْمَ المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمنٌ دون مؤمن في قتالٍ في سبيل الله إلا على سواءٍ وعَدْل بينهم ؛ وإنَّ كلَّ غازيةٍ غزَتْ معنا يَعْقُبُ بعضُها بعضاً[٤] ، وإن المؤمنين يُبِيءُ[٥] بعضُهم بعضاً بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هَدْيٍ وأقْوَمِه ، وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه من اعْتَبَط[٦] مؤمناً قَتْلاً عن بَيِّنَةٍ فإنَّه قَوَدٌ به إلى أن يرضى وليُّ المقتول ، وإنَّ المؤمنين عليه كافة ، ولا يحلُّ لهم إلا قيامٌ عليه ، وإنه لا يحل لمؤمنٍ أقرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدِثاً ولا يُؤويه ، وأنه من نَصَره أو آواه فإنَّ عليه لعنة الله وغضَبَه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْل ؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيءٍ فإنَّ مرده إلى الله عزَّ وجل ، وإلى محمد ﷺ وإنَّ اليهود يتفقونَ مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإنَّ يهودَ بني عَوف أمَّة مع المؤمنين ، لليهود دينُهم وللمسلمين دينُهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظَلَم وأَثِم فإنه لا يُوتِغُ[٧] إلا نفسَه وأهلَ بيته ، وإنَّ ليهود بني النجّار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جُشَم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطنة[٨] مثل ما ليهود بني عوف ، وإنَّ بطَانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن

---

(١) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٥٠٢) : المُفْرَح : المثقل بالدَّين والكثير العيال .

(٢) في السيرة : في فداء أو عقل .

(٣) في ط : دسيسة . تصحيف ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والنهاية لابن الأثير وفيه (٢/ ١١٧) : أي طلب دفعاً على سبيل الظلم ، فأضافه إليه ، وهي إضافة بمعنى من . ويجوز أن يراد بالدسيعة العطية : أي ابتغى منهم أن يدفعوا إليه عطية على وجه ظُلْمهم .

(٤) أن يكون الغزو بينهم نُوَباً ، فإذا خرجت طائفة ثم عادت لم تكلَّف أن تعود ثانية حتى تعقبها أخرى غيرها . النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٦٧) .

(٥) في ح : يبوء . والمثبت من السيرة وط ، وجاء في اللسان (بوء) : باءَ دَمُهُ بوءاً وبواءً : عَدَلَهُ ، وأباءَهُ وباوَأَهُ : إذا قُتل به وصار دمه بدمه . والبَواء السَّواء . وفلان بَوَاءُ فلان : أي كفؤه إن قتل به اهـ .

(٦) في ح ، ط : اغتبط . تصحيف ، والمثبت من السيرة ، وجاء في النهاية لابن الأثير (٣/ ١٧٢/ عبط) : أي قتله بلا جنايةٍ كانت منه ولا جريرة توجب قتله ، فإن القاتل يقاد به ويقتل . وكل من مات بغير عِلَّة فقد اعتُبِط .

(٧) « لا يوتغ » : أي لا يُهلك . النهاية (وتغ) .

(٨) كذا في ط وفي ح : سطنه بالسين المهملة ، وفي السيرة والروض : الشُّطَّيبة . وفي الأموال لأبي عبيد : وإن بني الشَّطْبَة بطن من جفنة . ولم أقف عليه .

محمد [ﷺ] ، ولا يَتَحَجَّرُ[١] على ثأرٍ جُرْح ، وإنه مَنْ فَتَكَ فبنفسه ، إلا من ظُلم ، وإن الله على أثر[٢] هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتُهم ، وإن بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة ، وإنَّ بينهم النصحَ والنَّصيحة والبرَّ دون الإثم ، وإنَّه لم يأثم امرؤ بحَليفه ، وإنَّ النصرَ للمظلوم ، [وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين] وإنَّ يثرب حرام جَوْفُها[٣] لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتجارٍ[٤] يُخاف فسادُه فإن مرَدَّه إلى الله وإلى محمدٍ رسولِ الله ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرِّه ، وإنه لا تُجارُ قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النَّصْر على مَنْ دَهِم يثرب ، وإذا دُعُوا إلى صُلْح يصالحونه ويَلْبَسونه فإنهم يصالحونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا مَنْ حارب في الدين على كل أناس[٥] حصَّتهم من جانبهم الذي قِبَلهم ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالمٍ أو آثم ، وإنه من خرج آمنٌ ، ومن قعد آمنٌ بالمدينة إلا من ظَلَم أو أثم ، وإنَّ الله جارٌ لمن برَّ واتَّقى » .

كذا أوردهُ ابنُ إسحاق بنحوه . وقد تكلَّم عليه أبو عُبيد القاسمُ بن سلام رحمه الله في كتاب الغَريب وغيره[٦] بما يطول ذكره .

فصل

في مؤاخاة النبيِّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار ليرتفق المهاجريُّ بالأنصاريّ

كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر : ٩] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ[٧] أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٣٣] .

---

(١) في ط : ينحجر . بالنون والواو المهملة وفي السيرة والروض : ينحجز بالزاي ، والمثبت من ح ، والمعنى والله أعلم : أن القتيل يؤخذ بحقه ، وأن القاتل يلقى جزاءه ولا يمكن السكوت عنه . فقد جاء في النهاية (حجر/ ١/ ٣٤٢) : « لما تحجَّر جُرْحه ، أي اجتمع والتأم وقرب بعضه من بعض » .

(٢) كذا في ح ، ط وفي السيرة والروض : على أبرِّ هذا . أي على الرضا .

(٣) في ط : حرفها ، وفي ح : خوفها ، والمثبت من السيرة والروض والأموال ، وفيه : حرَمٌ جَوْفها .

(٤) في ح : استحبار . والمثبت من ط والسيرة والروض .

(٥) في ح : إنسان . والمثبت من ط والسيرة والروض .

(٦) انظر تخريج الخبر في الحاشية (٣) ص(٥٠٤) .

(٧) في الأصول ﴿ عاقدَتْ ﴾ ، وهي رواية البخاري ؛ وبها قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿ عَقَدتْ ﴾ بغير ألف . انظر السبعة لابن مجاهد ص(٢٣٣) والكشف للقيسي (١/ ٣٨٨) .

قال البخاري[١] : حدَّثنا الصَّلْتُ بن محمد ، حدثنا أبو أسامة ، عن إدريس ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ قال : وَرَثة ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ كان المهاجرون لما قَدِموا المدينة يَرِثُ المهاجريُّ الأنصاريّ دونَ ذوي رَحِمه للأخوَّةِ التي آخى النبيُّ ﷺ بينهم ، فلما نزلتْ ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ نُسِخَتْ ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ من النَّصرِ والرِّفَادةِ والنَّصِيحة ، وقد ذهب الميراثُ ، ويوصي له .

وقال الإمام أحمد[٢] : قُرئ على سفيان ، سمعتُ عاصماً عن أنس قال : حالف النبيُّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا . قال سفيان : كأنَّه يقول آخى .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : وآخَى رسولُ الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : ـ فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ : « تآخُوا في اللهِ أخوَيْنِ أخوين » ثم أخذ بيد عليِّ بن أبي طالب فقال : « هذا أخي » فكان رسولُ الله ﷺ سيِّدُ المرسلين ، وإمامُ المتقين ، ورسولُ ربِّ العالمين ، الذي ليس له خَطيرٌ[٤] ولا نَظير من العباد ، وعليُّ بن أبي طالب أخوَينِ ؛ وكان حمزةُ بنُ عبد المطلب أسَدُ الله وأسدُ رسولِه وعمُّ رسولِ الله ﷺ وزيدُ بن حارثة مولى رسولِ الله ﷺ أخوَيْن ، وإليه أوْصَى حمزةُ يومَ أُحُدٍ [حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت] ؛ وجعفرُ بن أبي طالب ذو الجناحَيْنِ [الطيَّار في الجنة] ومُعاذُ بن جَبَل أخوَيْن ـ قال ابنُ هشام : كان جعفر يومئذٍ غائباً بأرضِ الحبشة ـ قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر ، وخارجةُ بن زيد الخزرجي أخوَيْن ؛ وعمر بن الخطاب ، وعِتْبان بن مالك أخوَيْنِ ؛ وأبو عبيدة ، وسعد بن معاذ أخوين ؛ وعبدُ الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع أخوين ؛ والزبير بن العوَّام ، وسلَمَةُ بنُ سَلامة بن وَقْش أخَوَيْن ، ويقال : بل كان الزُّبير وعبدُ الله بن مسعود أخَوَيْن ؛ وعثمانُ بن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر النجَّاري أخوين ؛ وطلحة بن عُبيد الله ، وكعب بن مالك أخوَيْن ؛ وسعيد بن زيد ، وأُبَيُّ بن كعب أخَوَين ؛ ومُصْعَب بن عُمير ، وأبو أيُّوب أخَوَيْن ؛ وأبو حُذَيْفة بن عتبة ، وعبَّاد بن بِشْر أخوَين ؛ وعمَّار ، وحُذيفة بن اليَمَان العَبْسي حليف بني عبدِ الأشْهَل أخوين ؛ ويقال : بل كان عمَّار وثابت بن قيس بن شمَّاس أخوَيْن .

قلت : وهذا السند[٥] من وجهين . قال : وأبو ذر بُرَيْر بن جُنَادة[٦] والمنذر بن عمرو

---

(١) في صحيحه فتح (٤٥٨٠) التفسير باب ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ . . . ﴾ الآية .

(٢) في المسند (٣/ ١١١) رقم (١٢٠٢٨) ، وإسناده صحيح .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٤) والروض (٢/ ٢٤٢) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٤) في ح : خَطَر . وهما بمعنى . الخَطَر : المِثْل في العُلُوّ والقَدْر ، ولا يكون في الشيء الدُّون كالخَطير كأمير ؛ وفي الحديث « ألا هل مشمِّرٌ للجنة فإن الجنة لا خطر لها » أي لا مثل لها . انظر التاج والنهاية لابن الأثير (خطر) .

(٥) في ح : وهذا النسب .

(٦) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٥٠٦) : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذر جندب بن جنادة .

المُعْنِقُ[1] ليموت أخَوَيْن ، وحاطب بن أبي بَلْتَعة وعُويم بن ساعدة أخوَيْن ؛ وسلمان ، وأبو الدرداء أخوين ؛ وبلال ، وأبو رُوَيْحة عبد الله بن عبد الرحمن الخَثْعَمي ثم أحد الفَزَع[2] أخوين .

قال : فهؤلاء ممن سُمِّي لنا ممن كان رسولُ الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم .

قلت : وفي بعض ما ذكره نظر ؛ أمَّا مؤاخاة النبيِّ ﷺ وعلي فإنَّ من العلماء من يُنكر ذلك ويمنع صحته ؛ ومستندُه في ذلك أنَّ هذه المؤاخاة إنما شُرعت لأجل ارتفاق بعضِهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاةِ النبيِّ ﷺ لأحدٍ منهم ، ولا مهاجريّ لمهاجريٍّ آخر ، كما ذكره من مؤاخاةِ حمزةَ وزيد بن حارثة ، اللهمَّ إلا أن يكون النبيُّ ﷺ لم يجعل مصلحةَ عليٍّ إلى غيره ، فإنه كان ممن يُنفق عليه رسولُ الله ﷺ من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدَّم عن مجاهد وغيره . وكذلك يكونُ حمزة قد التزم بمصالحِ مولاهم زيدِ بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار . والله أعلم .

وهكذا ذِكْرُه لمؤاخاةِ جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فإنَّ جعفر بن أبي طالب إنما قدِم في فتح خيبر في أول سنة سبعٍ كما سيأتي بيانُه ، فكيف يؤاخي بينه وبين معاذ بن جبل أولَ مقدَمه عليه السلام إلى المدينة ؟ اللهم إلا أنْ يقال : إنه أرصد لإخوته إذا قدم حين يقدم ، وقوله : وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواهُ الإمام أحمد[3] : حدثنا عبدُ الصمد ، حدثنا حمَّاد ، حدثنا ثابت عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ آخى بين أبي عبيدةَ بن الجرَّاح وبين أبي طلحة . وكذا رواه مسلم[4] منفرداً به عن حجَّاج بنِ الشَّاعِر ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به . وهذا أصحُّ مما ذكره ابنُ إسحاق من مؤاخاةِ أبي عُبيدة وسعد بن معاذ . والله أعلم .

وقال البخاري[5] باب كيف آخى النبيُّ ﷺ بين أصحابه ؛ وقال عبدُ الرحمن بن عوف : آخى النبيُّ ﷺ بيني وبين سعد بن الرَّبيع لما قدِمنا المدينة . وقال أبو جُحَيْفة : آخى النبيُّ ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما .

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان عن حُميد ، عن أنس قال : قدم عبدُ الرحمن بن عوف فآخَى النبيُّ ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فعَرَض عليه أنْ يُناصِفَه أهلَهُ وماله . فقال عبدُ الرحمن : بارك اللهُ لكَ في أهلِكَ ومالك ، دُلَّني على السُّوق . فربح شيئاً من أقط وسمن ، فرآه النبيُّ ﷺ بعد أيام

---

(١) في ح ، ط : المعتق . تصحيف ، والمثبت من السيرة والروض . وهو لقبه لأنه لما بلغ النبي مقتله قال : أعنق ليموت . أي إن المنية أسرعت به وساقته إلى مصرعه . انظر النهاية (عنق) وما سيأتي .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ٢٥٢) : الفَزَع : هو ابن شَهْرَان بن عِفْرِس بن حلف بن أفتل ، وأفتل هو خثعم ، وانظر المؤتلف والمختلف للدارقطني (٤/ ١٨١٨) .

(٣) في المسند (٣/ ١٥٢) رقم (١٢٤٨٤) .

(٤) في صحيحه (٢٥٢٨) (٢٠٣) فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي ﷺ .

(٥) في صحيحه فتح (٣٩٣٧) مناقب الأنصار .

وعليه وضرٌ من صُفْرَة[١] ، فقـال النبيُّ ﷺ : « مَهْيَم يا عبد الرحمن ؟ »[٢] قال : يا رسول الله ! تزوجْتُ امرأةً من الأنصار . قال : « فما سُقْتَ فيها ؟ » قال : وَزْنَ نواةٍ من ذَهَب ، فقال النبيُّ ﷺ : « أَوْلِمْ ولو بشاة » .

تفرَّد به من هذا الوَجْه .

وقد رواهُ أيضاً في مواضعَ أخر ، ومسلم من طرقٍ عن حُميد به[٣] .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدثنا عفان ، حدثنا حماد، حدثنا ثابت وحُميد عن أنس، أنَّ عبد الرحمن بنَ عوف قدم المدينة فآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فقال له سعد : أي أخي أنا أكثرُ أهلِ المدينة مالاً ، فانظُرْ شَطْرَ مالي فخذه ، وتحتي امرأتان فانظُرْ أيُّهما أعجبُ إليك حتى أُطَلِّقها . فقال عبدُ الرحمن : بارَكَ اللهُ لك في أهـلك ومـالك ، دُلُّوني على السُّوق . فدلُّوه ، فذهب فاشترى وباعَ فربح ، فجاء بشيءٍ من أقطٍ وسَمن ؛ ثم لبث ما شاء الله أنْ يَلْبَث فجاء وعليه رَدْعُ زَعْفَران[٥] فقال رسول الله ﷺ : « مَهْيَمْ ؟ » فقال : يا رسول الله ! تزوجتُ امرأةً ، قال : « ما أصدقتَها ؟ » قال : وزنَ نَوَاةٍ من ذهب . قال : « أوْلِمْ ولو بشاة » . قال عبد الرحمن : فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوتُ أن أصيبَ ذهباً وفضة[٦] .

وتعليقُ البخاري هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريبٌ ، فإنه لا يُعرَفُ مسنداً[٧] إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقَّاه عنه . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدثنا يزيد ، أخبرنا حُميد عن أنس ، قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ! ما رأينا مثل قومٍ قدِمْنا عليهم أحسن مواساةً في قليل ، ولا أحسنَ بَذْلاً من[٩] كثير ! لقد كفوْنا المؤونة

---

(١) « وضر من صفرة » : أي لَطْخٌ من خَلُوق أو طيبٌ له لون ، وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته ، والوضر : الأثر من غير الطيب . النهاية لابن الأثير (وضر) .

(٢) « مَهْيَمْ » : أي ما أمرك وما شأنك ؟ وهي كلمة يمانية . النهاية لابن الأثير (مهيم/ ٤/ ٣٧٨) .

(٣) فتح الباري (٢٠٤٩) البيوع باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ ﴾ [الجمعة : ١٠] . وصحيح مسلم (١٤٢٧) (٧٩) النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد .

(٤) في المسند (٣/ ٢٧١) .

(٥) « رَدْعُ زعفران » : لَطْخٌ منه . القاموس (ردع) ، ووقع في ط : ودع . تصحيف .

(٦) في المسند : أو فضة . وهو أشبه .

(٧) جاء في هامش ح فوق قوله : مسنداً . ما نصُّه : هذا غريب ! بل رواه البخاري موصولاً في أول البيوع فراجعه تجده عن عبد الرحمن . قلت : هذا صحيح ، انظر فتح الباري (٢٠٤٨) كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ . . . ﴾ [الجمعة : ١٠] ،

(٨) في المسند (٣/ ٢٠٠) .

(٩) في المسند : في . وهو أشبه .

وأشركونا في المَهْنأ ، حتى لقد خشينا[١] أن يذهبوا بالأجر كُلِّه . قال : « لا ! ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » .

هذا حديثٌ ثلاثيُّ الإسناد على شرط الصحيحَيْن ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابتٌ في الصحيح من[٢] .

وقال البخاري[٣] : أخبرنا الحكم بن نافع أخبرنا شُعيب ، حدثنا أبو الزِّنَاد عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قالت الأنصار [للنبيِّ ﷺ] : اقْسِمْ بيننا وبين إخواننا النَّخيل . قال : « لا » قالوا : تكفونَنا المؤونة[٤] ونَشْرَكُكُم في الثمرة . قالوا : سمعنا وأطعنا .

تفرد به .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رسولُ الله ﷺ للأنصار : « إنَّ إخوانَكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » فقالوا : أموالنا بيننا قطائع . فقال رسول الله ﷺ : « أو غيرَ ذلك ؟ » . قالوا : وما ذاك يا رسول الله؟ قال: « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونَهم وتقاسمونهم الثَّمَر » قالوا: نعم[٥].

وقد ذكرنا[٦] ما ورد من الأحاديث والآثار في فضائل الأنصار وحُسْن سجاياهم عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الآية .

فصــل

في موت أبي أُمامة أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجَّار أحد النقباء الاثني عشر ليلةَ العقبة على قومه بني النجار ، وقد شهد العقباتِ الثلاث وكان أولَ مَنْ بايع رسولَ الله ﷺ ليلةَ العقبة الثانية في قول ، وكان شابّاً ، وهو أول من جَمَّع بالمدينة في نقيع الخَضِمات في هزم النَّبيت كما تقدَّم[٧] .

قال محمد بن إسحاق[٨] : وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زُرارة والمسجد يُبنى ، أَخَذَتْهُ الذُّبحة ـ أو الشَّهْقَة[٩] ـ .

---

(١) في المسند : حسبنا . وهنا أجود .
(٢) كذا بياض في كل من ط وح .
(٣) في صحيحه فتح (٢٣٢٥) الحرث والمزارعة باب إذا قال اكفني مؤونة النخل ، وما يأتي بين معقوفين منه .
(٤) « المؤونة » : العمل في البساتين من سقيها والقيام عليها . فتح الباري (٥/٨) .
(٥) أخرجه الطبراني في التفسير (٢٨/٤٧) في تفسير سورة الحشر الآية (٩) وذكره المصنف أيضاً في تفسير الآية .
(٦) ص(٤٧٣، ٤٧٤) من هذا الجزء .
(٧) في هذا الجزء (ص٤٠٣، ٤٠٤) .
(٨) في سيرة ابن هشام (١/٥٠٧) والروض (٢/٢٤٣) .
(٩) « الذبحة » : كهُمَزة وعِنَبَة وكِسْرة وصُبْرَة : وجع يعرض في الحلق من الدم ؛ وقيل : هي قُرْحة تظهر فيه فينسدُّ معها=

وقال ابنُ جرير في « التاريخ »[١] : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن معمر ، عن الزُّهري ، عن أنس أنَّ رسولَ الله ﷺ كَوَى أسعد بن زُرارة في الشَّوْكة . رجاله ثقات .

قال ابن إسحاق[٢] : حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بئس الميتُ أبو أمامة ليهود ومنافقي العرب ، يقولون لو كان نبيّاً لم يَمُتْ صاحبُه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً » .

وهذا يقتضي أنه أول مَنْ مات بعد مقدَم النبيِّ ﷺ ، وقد زعم أبو الحسن بنُ الأثير في « أسد الغابة »[٣] : أنه مات في شوال بعد مقدم النبي ﷺ بسبعة أشهر . فالله أعلم .

وذكر محمد بن إسحاق[٤] عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنَّ بني النجّار سألوا رسولَ الله ﷺ أنْ يقيمَ لهم نقيباً بعد أبي أمامة أسعد بن زُرارة ؛ فقال : « أنتم أخْوَالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبُكم » وكره أن يخصَّ بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بني النجّار الذي يعتدُّون به على قومهم أنْ كان رسولُ الله ﷺ نقيبَهم .

قال ابن الأثير[٥] : وهذا يردُّ قول أبي نعيم وابن مَنْدَه في قولهما أنَّ أسعد بن زرارة كان نقيباً على بني ساعدة ، إنما كان على بني النجار ، وصدق ابن الأثير فيما قال .

وقد قال أبو جعفر بن جرير في « التاريخ »[٦] : كان أولَ مَنْ تُوفِّي بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين ـ فيما ذُكر ـ صاحب منزله كلثومُ بنُ الهِدْم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات . ثم توفِّي بعده أسعدُ بن زُرارة وكانت وفاتُه في سنة مقدمِهِ قبل أن يَفْرُغَ بناءُ المسجد بالذّبْحَة أو الشَّهْقَة .

قلت : وكلثوم بن الهِدْم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأَوْسي وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسولِ الله ﷺ المدينة ، ولما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ونزل بقُبَاء نزل في منزل هذا في الليل ، وكان

= وينقطع النفس فتقتل . والشهقة : الصَّيْحَة . النهاية لابن الأثير (ذبح) واللسان (شهق) .

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٩٨) .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٧) والروض (٢/ ٢٤٣) .

(٣) أسد الغابة (١/ ٧١) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٧) والروض .

(٥) أسد الغابة (١/ ٧١ ، ٥٢) .

(٦) تاريخ الطبري (٢/ ٣٩٧) .

يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الرَّبيع رضي الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دارِ بني النجّار كما تقدَّم .

قال ابن الأثير[١] : وقد قيل إنه أولُ مَنْ مات من المسلمين بعد مقدَم رسولِ الله ﷺ ، ثم بعده أسعد بن زُرارة .

ذكره الطبري[٢] .

فصـــل
في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أولَ مولود ولد في الإسلام من المهاجرين كما أنَّ النعمان بن بشير أولُ مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضي الله عنهما . وقد زعم بعضُهم أنَّ ابن الزُّبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الأسود[٣] .

ورواهُ الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثْمَة عن أبيه عن جده .

وزعموا أنَّ النعمان ولد قبل ابن الزبير بستة أشهر على رأس أربعةَ عشرَ شهراً من الهجرة ، والصحيحُ ما قدَّمنا .

قال البخاري[٤] : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء أنَّها حملَتْ بعبدِ الله بن الزُّبير ، قالت : فخرجتُ وأنا مُتِمٌّ ، فأتيتُ المدينة ، فنزلتُ بقُباء ، فولدْتُهُ بقباء ، ثم أتيتُ به رسولَ الله ﷺ فوضعه في حَجْره ، ثم دعا بتمرةٍ فمضَغَها ثم تفل في فيه ، فكان أولَ شيءٍ دخلَ جوفَه ريقُ رسولِ الله ﷺ ثم حنَّكه بتمرة ، ثم دعا له وبرَّكَ عليه . فكان أولَ مولودٍ ولد في الإسلام .

تابعَهُ خالد بن مَخْلَد عن عليِّ بن مُسْهِر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أسماء أنها هاجرَتْ إلى النبيِّ ﷺ وهي حُبْلى .

حدثنا[٥] قُتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أوَّلُ مولودٍ وُلد في الإسلام عبدُالله بن الزُّبير ، أتوْا به النبيَّ ﷺ فأخذ النبيُّ ﷺ تمرةً فلاكَها ثم أدخلها في فيه ، فأولُ ما دخل بطنَهُ ريقُ النبيِّ ﷺ .

فهذا حُجَّةٌ على الواقدي وغيره لأنه ذكر أنَّ النبيَّ ﷺ بعث مع عبد الله بن أُرَيْقط لما رجع إلى مكة

(١) في أسد الغابة (٤/ ٢٥٢) .
(٢) في تاريخه (٢/ ٣٩٧) .
(٣) أبو الأسود هو محمد بن عبد الرحمن كما في تاريخ ابن عساكر ص٣٩٢ في ترجمة عبد الله بن الزبير .
(٤) في صحيحه فتح (٣٩٠٩) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .
(٥) يتابع المصنف نقل التالي من صحيح البخاري ورقمه (٣٩١٠) .

زيدَ بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيالِ أبي بكر ، فقدِموا بهم إثر هجرةِ النبيِّ ﷺ وأسماء حامل مُتِمّ ، أي مُقْرِبٌ قد دَنَا وَضْعُها لولدها ، فلما ولدَتْه كبَّر المسلمون تكبيرةً عظيمة فرحاً بمولده ، لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، فأكذب الله اليهود فيما زعموا .

فصــل

وبنى رسولُ الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة

قال الإمام أحمد[١] : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أُميَّة ، عن عبد الله بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوَّجني رسولُ الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأيُّ نساءِ رسولِ الله ﷺ كان أحظى عنده مني ؟! وكانت عائشةُ تستحبُّ أن تُدخل نساءها في شوال .

ورواهُ مسلم والترمذي والنسائي وابنُ ماجَهْ من طرق عن سفيان الثوري به[٢] . وقال الترمذي : حسنٌ صحيحٌ لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري .

فعلى هذا يكون دخولُه بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعةِ أشهر ـ أو ثمانية أشهر ـ وقد حكى القولين ابنُ جرير[٣] ، وقد تقدَّم في تزويجه عليه السلام بسَوْدَة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة وأن دخوله بها كان بالسُّنح نهاراً[٤] ، وهذا خلاف ما يعتادُه الناسُ اليوم ، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال ردٌّ لما يتوهَّمُه بعضُ الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين ، وهذا ليس بشيء لما قالَته عائشة رادَّةً على من توهَّمه من الناس في ذلك الوقت : تزوَّجني في شوَّال ، وبنى بي في شوال ـ أي دخل بي ـ في شوال ، فأيُّ نسائه كان أحْظَى عنده مني ؟ فدلَّ هذا على أنها فهمَتْ منه عليه السلام أنها أحبُّ نسائِهِ إليه ، وهذا الفهم منها صحيح ، لما دلَّ على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديثُ الثابتُ في صحيح البخاري[٥] عن عمرو بن العاص ، قلت يا رسول الله : أيُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » .

---

(١) في المسند (٦/ ٢٠٦) .

(٢) صحيح مسلم (١٤٢٣) (٧٣) النكاح باب استحباب التزوج والتزويج في شوال . وجامع الترمذي (١٠٩٣) النكاح باب ما جاء في الأوقات التي يستحب فيها النكاح . وسنن النسائي (٣٣٧٧) النكاح باب البناء في شوال . وسنن ابن ماجه (١٩٩٠) النكاح باب متى يستحب البناء بالنساء .

(٣) في تاريخ الطبري (٢/ ٣٩٨) .

(٤) تقدم الخبر ص(٣٧٦ ، ٣٧٧) .

(٥) فتح الباري (٣٦٦٢) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » .

فصــل

قال ابن جرير[١] : وفي هذه السنة ـ يعني السنة الأولى من الهجرة ـ زيد في صلاة الحَضَر ـ فيما قيل ـ ركعتان ، وكانت صلاةُ الحضر والسفرِ ركعتين ، وذلك بعد مقدم النبيِّ ﷺ المدينة بشهرٍ في ربيع الآخر لمُضِيِّ ثنتي عشرةَ ليلة منه[٢] . وقال[٤] : وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

قلت : قد تقدم[٣] الحديث الذي رواه البخاري من طريق معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرَّت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . ورُوي من طريق الشعبي عن مسروق عنها .

وقد حكى البيهقي[٤] عن الحسن البصري أن صلاة الحضر أول ما فُرضت فُرضت أربعاً . والله أعلم .

وقد تكلَّمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النساء : ١٠١] الآية .

فصــل
في الأذان ومشروعيته عند مقدمه عليه السلام المدينة النبوية

قال ابن إسحاق[٥] : فلما اطمأنّ رسولُ الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع الأنصار استحكم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامتِ الحدود وفُرض الحلالُ والحرام وتبوَّأ الإسلامُ بين أظهرهم ، وكان هذا الحيُّ من الأنصار هم الذين تبوَّءوا الدارَ والإيمان وقد كان رسولُ الله ﷺ حين قدِمها إنما يجتمع الناسُ إليه للصلاة لحين مواقيتها بغيرِ دَعْوة ، فهمَّ رسولُ الله ﷺ أن يجعل بُوقاً كبوقِ يهود الذي يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالنَّاقوس فنُحت ليُضرب به للمسلمين للصلاة ؛ فبينا هم على ذلك رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرَج النداءَ ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلةَ طائف ، مرَّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران يحملُ ناقوساً في يده ، فقلت : يا عبد الله أتبيعُ هذا الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : ألا أدلُّكَ على خيرٍ من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول ، الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٠) .
(٢) في ط : مضت . والمثبت من ح وتاريخ الطبري ، وفي نسخة منه : مضت منه .
(٣) تقدم في حديث الإسراء .
(٤) السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٣٦٢) .
(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٨) والروض (٢/ ٢٥٣) .

محمداً رسول الله ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح ، حيَّ على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال : « إنها لرؤيا حق إنْ شاء الله ، فقمْ مع بلال فألقِها عليه فليؤذِّن بها ، فإنه أنْدَى صوتاً منك »[١] . فلما أذَّن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج إلى رسولِ الله ﷺ وهو يجرُّ رداءَه وهو يقول : يا نبيَّ الله ، والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثلَ الذي رأى . فقال رسولُ الله : فلله الحمد .

قال ابنُ إسحاق[٢] : حدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه .

وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجَهْ وابنُ خزيمة[٣] من طرق عن محمد بن إسحاق به . وصحَّحه الترمذي وابنُ خزيمة وغيرُهما .

وعند أبي داود أنه علمه الإقامة قال : ثم تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهدُ أن لا إله إلا الله ، أشهد أنَّ محمداً رسول الله ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح ، قد قامتِ الصلاةُ قد قامتِ الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

وقد[٤] روى ابنُ ماجَهْ هذا الحديث عن أبي عُبيد محمد بن عُبيد بن ميمون عن محمد بن سَلَمة الحرَّاني عن ابنِ إسحاق كما تقدَّم ، ثم قال[٥] : قال أبو عُبيد : وأخبرني أبو بكر الحَكَميّ أنَّ عبد الله بن زيد الأنصاري قال في ذلك : [من الخفيف]

أحمدُ الله ذا الجلالِ وذا الإكْـ ـرام حَمْداً على الأذانِ كثيرا[٦]
إذْ أتـانـي بـه البشيـرُ مـن اللهِ فـأَكـرِمْ بـه لـديَّ بَشيـرا
فـي ليـالٍ والَـى بهـنَّ ثـلاثٍ كلَّمـا جـاء زادنـي تـوقيـرا

---

(١) « أندى » : أرفع وأعلى وأبعد . وقيل : أحسن وأعذب . النهاية لابن الأثير (ندي) .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٩) والروض (٢/ ٢٥٣) .

(٣) سنن أبي داود (٤٩٩) الصلاة باب كيف الأذان . وجامع الترمذي (١٨٩) الصلاة باب ما جاء في بدء الأذان . وسنن ابن ماجه (٧٠٦) الأذان باب بدء الأذان . وصحيح ابن خزيمة (٣٦٣) جماع أبواب الأذان والإقامة باب ذكر الدليل على أن من كان أرفع صوتاً وأجهر كان أحق بالأذان .

(٤) تأخر هذا الحديث في ح إلى ما بعد قول المصنف : والله أعلم . في تعليقه على حديث الإسراء الذي رواه السهيلي .

(٥) سنن ابن ماجه (٧٠٦) وهو حديث صحيح كما قال الترمذي ، فإن ابن إسحاق قد صرح بالسماع فانتفت شبهة تدليسه ، وقد صححه جماعة من الأئمة إضافة للترمذي منهم : البخاري والنووي والذهبي . أما ما ساقه أبو عبيد من الشعر عن الحكمي بعد الحديث فإسناده منقطع ، كما هو ظاهر ، فلا يصح سنده (بشار) .

(٦) رواية البيت في ح ، ط هكذا :

الحمد لله ذي الجلال وذي الإكرام

ولا يستقيم به الوزن ، والمثبت من سنن ابن ماجه ، وإعجام : كثيراً منه ومن ح .

قلت : وهذا الشعر غريب ، وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاثَ ليالٍ حتى أخبر به رسولَ الله ﷺ فالله أعلم .

ورواه الإمام أحمد[١] من حديث محمد بن إسحاق ، قال : وذكر الزُّهري عن سعيد بن المُسَيِّب عن عبد الله بن زيد به ، نحو روايةِ ابنِ إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي ، ولم يذكر الشعر .

وقال ابنُ ماجَهْ[٢] : حدَّثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي ، حدثنا أبي عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن سالم عن أبيه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ استشار الناسَ لما يهمُّهُمْ من الصلاة[٣] ، فذكروا البوق فكَرِهَهُ من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوسَ فكرِهَهُ من أجل النَّصارى . فأري النداء تلك الليلة رجلٌ من الأنصار يُقال له عبد الله بن زيد وعمرُ بن الخطاب ، فطرَقَ الأنصاريُّ رسولَ الله ﷺ ليلاً ، فأمر رسولُ الله ﷺ بلالاً فأذَّن به .

قال الزُّهري : وزادَ بلالٌ في نداءِ صلاةِ الغَداة ، الصلاةُ خيرٌ من النَّوْم . مرَّتَيْن[٤] . فأقرَّها رسولُ الله ﷺ فقال عمر : يا رسول الله ، رأيت مثلَ الذي رأى ولكنَّه سبقني .

وسيأتي تحريرُ هذا الفصل في باب الأذان من كتاب الأحكام الكبير إن شاء اللهُ تعالى وبه الثقة .

فأما الحديث الذي أورَدَهُ السُّهيلي بسنده[٥] من طريق البزَّار : حدّثنا محمد بن عثمان بن مخلد ، حدثنا أبي ، عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليِّ بن أبي طالب ، فذكر حديث الإسراء وفيه : فخرج ملكٌ من وراء الحِجاب ، فأذَّن بهذا الأذان ، وكلما قال كلمةً صدَّقَهُ الله تعالى ، ثم أخذ الملَكُ بيد محمد ﷺ فقدَّمه فأمَّ أهلَ[٦] السماء وفيهم آدَمُ ونوح .

ثم قال السُّهيلي : وأخلِقْ بهذا الحديثِ أنْ يكون صحيحاً لما يعضُدُه ويُشَاكِلُه من حديث الإسراء .

فهذا الحديث ليس كما زعم السُّهيلي أنه صحيح بل هو مُنْكر ، تفرَّد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تُنسب إليه الفِرْقَةُ الجاروديَّة وهو من المُتَّهمين[٧] . ثم لو كان هذا قد سمعه رسولُ الله ﷺ ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهِجْرَة في الدعوةِ إلى الصلاة . والله أعلم .

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٤٢ ، ٤٣) رقم (١٦٤٢٩) .

(٢) في سننه (٧٠٧) الأذان باب بدء الأذان ، وإسناده ضعيف بسبب شيخ ابن ماجه فإنه مجمع على تضعيفه . على أن متن الحديث صحيح من حديث ابن عمر فهو في الصحيحين البخاري (٦٠٤) ، ومسلم (٣٧٧) .

(٣) في سنن ابن ماجه : يُهمُّهُمْ إلى الصلاة .

(٤) ليس لفظ : مرتين في سنن ابن ماجه .

(٥) في الروض (٢/ ٢٨٥) وكشف الأستار (٣٥٢) الصلاة باب بدء الأذان .

(٦) في ح ، ط : فأمَّ بأهل ، والمثبت من الروض وكشف الأستار .

(٧) ميزان الاعتدال (٢/ ٩٣) .

قال ابن هشام[١] : وذكر ابنُ جريج قال : قال لي عطاء : سمعتُ عُبيد بن عُمير يقول : ائتمر النبيُّ ﷺ وأصحابُه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينا عمر بن الخطاب يُريد أن يشتريَ خشبَتَيْن للناقوس إذْ رأى عمرُ في المنام : لا تجعلوا الناقوسَ ، بل أذِّنوا للصلاة . فذهب عمرُ إلى النبيِّ ﷺ ليُخبره بما رأى وقد جاء النبيَّ ﷺ الوحيُ بذلك ، فما راعَ عمرَ إلا بلالٌ يؤذِّن ؟ فقال رسولُ الله ﷺ حين أخبره بذلك « قد سبقك بذلك الوَحْي » .

وهذا يدلُّ على أنه قد جاء الوحيُ بتقريرِ ما رآه عبدُ الله بن زَيْد بن عبد ربه ، كما صرَّح به بعضُهم . والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأةٍ من بني النجّار قالت : كان بيتي من أطول بيتٍ حول المسجد ، فكان بلال يؤذِّنُ عليه للفجر كلَّ غَدَاة فيأتي بسَحَر ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطَّى ثم قال : اللهمَّ [إنِّي] أحمدك وأستعينك على قريش أن يُقيموا دينك . قالت : ثم يؤذِّن ؛ قالت : والله ما علمتُه كان تركها ليلةً واحدة ـ يعني هذه الكلمات . ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به[٢] .

فصـــل
في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابنُ جرير[٣] : وزعم الواقديّ أنَّ رسولَ الله ﷺ عقَدَ في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجَرِه لحمزة بن عبد المطَّلب لواءً أبيض في ثلاثينَ رجلاً من المهاجرين ليعترض لعِيراتِ قُريش[٤] ، وأنَّ حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمئة رجلٍ من قريش ، فحجز بينهم مَجْديُّ بن عمرو ، ولم يكن بينهم قتال . قال : وكان الذي يحمل لواءَ حمزةَ أبو مرثد الغَنَويّ .

فصـــل
في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال ابنُ جرير[٣] : وزعم الواقديُّ أيضاً أنَّ النبيَّ ﷺ عقَدَ في هذه السنة على رأسِ ثمانيةِ أشهر في

---

(١) في السيرة (١/ ٥٠٩) والروض (٢/ ٢٥٣) وما يأتي بين معقوفين منهما .
(٢) سنن أبي داود (٥١٩) الصلاة باب الأذان فوق المنارة ، وهو حديث حسن .
(٣) في تاريخه تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٢) .
(٤) « عِيَرَات » : جمع عِير ، قال سيبويه : جمعوه بالألف والتاء لمكان التأنيث وحرَّكوا الياء لمكان الجمع بالتاء . وقد قال بعضهم : عِيْرات . بالإسكان اللسان (عير) .

شوال ، لعُبيدة بن الحارث لواءً أبيض وأمرَهُ بالمسير[١] إلى بطن رابغٍ . وكان لواؤه مع مِسْطَح بن أُثَاثة ، فبلغ ثنيَّة المَرَة وهي بناحيةِ الجُحْفَة[٢] في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاريّ ، وأنهم التقوْا هم والمشركين على ماءٍ يُقالُ له أحياء ، وكان بينهم الرَّمي دون المُسَايفة[٣] . قال الواقدي : وكان المشركون مئتين عليهم أبو سفيان صَخْر بن حَرْب وهو الثابت[٤] عندنا ؛ وقيل : كان عليهم مِكْرَز بن حَفْص .

فصل

قال الواقدي[٥] : وفيها ـ يعني في السنة الأولى في ذي القَعْدَة ـ عقد رسولُ الله ﷺ لسعدِ بن أبي وقَّاص إلى الخرَّار لواءً أبيض يحملُه المقدادُ بن الأسود ؛ فحدَّثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد [عن أبيه] . قال : خرجتُ في عشرين رجلاً على أقدامنا ـ أو قال أحد وعشرين رجلاً ـ فكنا نكمُنُ النهارَ ونسير الليل حتى صبَّحنا الخرَّار صُبْح خامسة ، وكان رسولُ الله ﷺ قد عهد إليَّ أن لا أجاوز الخرَّار ، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم . قال الواقدي : كانت العير ستين ، وكان مَنْ مع سعد كلُّهم من المهاجرين .

قال أبو جعفر بن جرير[٦] رحمه الله وعندَ ابنِ إسحاق رحمه الله أنَّ هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلُّها في السنة الثانيةِ من الهِجْرَة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابنِ إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر رحمه الله لمن تأمَّله كما سنوردُه في أول كتابِ المغازي في أولِ السنةِ الثانيةِ من الهجرة وذلك تِلْو ما نحنُ فيه إنْ شاء الله تعالى ، أو يحتمل أن يكون مرادُه أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى ، وسنزيدُها بسطاً وشرحاً إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى . والواقدي رحمه الله عنده زياداتٌ حسنة ، وتاريخٌ محرَّرٌ غالباً فإنه من أئمةِ هذا الشأن الكبار وهو صدوقٌ في نفسه مِكْثار كما بسطْنَا القولَ في عدالته وجَرْحِه في كتابنا الموسوم « بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » ولله الحمدُ والمِنَّة .

فصل

وممن ولد في هذه السنة المباركة ـ وهي الأولى من الهجرة ـ عبدُ الله بن الزُّبير ، فكان أولَ مولودٍ ولد

---

(١) في ح : بالسير . وكذا في إحدى نسخ الطبري .
(٢) الجُحْفة : على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام . معجم البلدان (٢/ ١١١) .
(٣) في ط : المسابقة . والمثبت من تاريخ الطبري . والمسايفة : التضارب بالسيف .
(٤) في ط : المثبت . والمثبت من ح .
(٥) قول الواقدي في تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٣) وما يأتي بين معقوفين منه ، الخبر في مغازي الواقدي (١/ ٢) .
(٦) في تاريخه تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٣) .

في الإسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أمِّ المؤمنين ابنتَي الصدِّيق رضي الله عنهما ، ومن الناس من يقول : ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون عبد الله بن الزبير أولَ مولودٍ ولد بعد الهجرة من المهاجرين ، ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة والظاهر الأول ، كما قدَّمنا بيانه ولله الحمد والمِنَّة[1] ، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى .

قال ابنُ جرير[2] : وقد قيل : إنَّ المختارَ بن أبي عُبيد وزياد بن سُمَيَّة وُلدا في هذه السنة[3] . فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة الأولى من الصحابة ؛ كلثوم بن الهِدْم الأوسي الذي نزل رسول الله ﷺ في مسكنه بقُباء إلى حين ارتحل منها إلى دارِ بني النجَّار كما تقدَّم ، وبعده ـ فيها ـ أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيبُ بني النجَّار ، توفي ورسولُ الله ﷺ يبني المسجد كما تقدَّم رضي الله عنهما وأرضاهما .

قال ابن جرير[4] : وفي هذه السنة ـ يعني الأولى من الهجرة ـ مات أبو أُحَيحة بمالِهِ بالطائف ، ومات الوليد بن المغيرة والعاصُ بن وائل السَّهْمي فيها بمكة .

قلت : وهؤلاء ماتوا على شِرْكهم لم يُسلموا لله عزَّ وجل[5] .

(١) في ص(٥١٢) .
(٢) في تاريخه (٢/ ٤٠٢) .
(٣) أشار ناشر ط في الحاشية إلى أنه في الأصلين : السنة الثانية ، غير أنني لم أجد كلمة : الثانية في ح .
(٤) في تاريخه (٢/ ٣٩٨) .
(٥) في هامش ح ما نصه : بلغ مقابلة على أصل معتمد وقف . . . حسب الطاقة .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ
وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ
شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾

ذكر ما وقع في السَّنة الثانية من الهجرة من الحوادث

وقع فيها كثير من المغازي والسَّرَايا ، ومن أعظمها وأجلّها بدر الكبرى ، التي كانت في رمضان منها ، وقد فرّق الله بها بين الحقّ والباطل ، والهدى والغيّ .

وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث ، فنقول وبالله المستعان :

كتاب المغازي

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب « السيرة »[١] ، بعد ذكره أحبار[٢] اليهود ، ونصبهم العداوة للإسلام وأهله ، وما نزل فيهم من الآيات : فمنهم ؛ حييّ بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر ، وجديّ ، وسلاّم بن مشكم ، وكنانة بن الرَّبيع بن أبي الحقيق ، وسلاّم بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع الأعور ، تاجر أهل الحجاز ، وهو الذي قتله الصحابة بأرض خيبر ـ كما سيأتي ـ والرّبيع بن الرّبيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف ، وهو من طيّئ ، ثم أحد بني نبهان ، وأمّه من بني النّضير ـ وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع ، كما سيأتي ـ وحليفاه الحجّاج بن عمرو ، وكردم بن قيس ، لعنهم الله ، فهؤلاء من بني النّضير .

ومن بني ثعلبة بن الفطيون[٣] ؛ عبد الله بن صوريا ، ولم يكن بالحجاز أحد أعلم بالتوراة منه ـ قلت : وقد قيل : إنّه أسلم .

وابن صلوبا ، ومخيريق ـ وقد أسلم يوم أحد كما سيأتي ـ وكان حَبْرَ قومه[٤] .

ومن بني قينقاع ؛ زيد بن اللّصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن شيحان[٥] ، وعزيز بن أبي

---

(١) تنبيه : كتاب « السيرة النبوية » لابن إسحاق لا يعرف مكان وجوده كاملاً فيما أعلم ، والذي نشر منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ثم بتحقيق الدكتور سهيل زكّار ، إنما هو قطعة منه ليس فيها الموطن الذي نقل عنه المؤلف رحمه الله ، وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٤) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) في (آ) : « أخبار » والمثبت من (ط) وهو مناسب للسياق .

(٣) انظر شرح الإمام السُّهَيلي لها في « الروض الأنف » (٤/ ٣٩٧) .

(٤) في (آ) : « خير قومه » وفي (ط) « حبر قومه » وهو الصواب .

(٥) كذا في (آ) و(ط) : « شيحان » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « سيحان » بالسين .

عزيز ، وعبد الله بن صيف[١] ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونعمان بن أضا ، وبحريّ بن عمرو ، وشأس[٢] بن عديّ ، وشأس[٢] بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمرو[٣] ، وسكين بن أبي سكين ، وعديّ بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن صيف ، وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد ، وأزار بن أبي أزار .

قال ابن هشام : ويقال : آزر بن آزر[٤] .

ورافع بن حارثة [ورافع بن حريملة][٥] ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام .

قلت : وقد تقدّم إسلامه[٦] ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق : وكان حبرهم[٧] وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلمّا أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله[٨] .

قال ابن إسحاق[٩] : ومن بني قريظة ؛ الزّبير بن باطا بن وهب ، وعزّال بن شمويل ، وكعب بن أسد ـ وهو صاحب عقدهم الذي نقضوه عام الأحزاب ـ وشمويل بن زيد [وجبل بن عمرو بن سكينة ، والنّحّام بن زيد ، وكردم[١٠] بن كعب ، ووهب بن زيد] ونافع بن أبي نافع ، وعديّ بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رميلة ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهوذا .

قال : ومن بني زريق ؛ لبيد بن أعصم ، وهو الذي سحر رسول الله ﷺ[١١] .

---

(١) قال ابن هشام : ويقال : « ابن ضيف » .
(٢) في (آ) : « شأش » وفي (ط) « شاش » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف .
(٣) في (آ) و(ط) : « بن عمير » وهو خطأ ، وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف .
(٤) في (آ) و(ط) : « ابن أبي آزر » . وفي « السيرة النبوية » و« الروض الأنف » (٤/ ٣٠٦) : « آزر بن آزر » وأثبته عنهما .
(٥) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) وأثبته عن (ط) فقط .
(٦) يعني إسلام (عبد الله بن سَلَام) رضي الله عنه .
(٧) في (آ) : « وكان خيرهم » وأثبت لفظ (ط) .
(٨) انظر ترجمته وما جاء حول قصة إسلامه رضي الله عنه في « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) وتعليقي عليه ، طبع دار ابن كثير .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٥ ـ ٥١٦) .
(١٠) كذا في (آ) و(ط) في هذا الموطن : « كردم » وفي « السيرة النبوية » : « قردم » بالقاف . وما بين الحاصرتين عن (ط) وحدها .
(١١) قلت : وقد روى حديث سحرِ (لبيد بن أعصم اليهودي) لرسول الله ﷺ البخاري (٥٦٦٦) ومسلم (٢١٨٩) من =

ومن يهود بني حارثة ؛ كنانة بن صوريا .

ومن يهود بني عمرو بن عوف ؛ قردم بن عمرو .

ومن يهود بني النجّار ؛ سلسلة بن برهام .

قال ابن إسحاق[١] : فهؤلاء أحبار يهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه ، رضي الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين [كانوا][٢] يكثرون الأسئلة لرسول الله ﷺ ، على وجه التّعنّت والعناد والكفر . قال : وأصحاب النّصب لأمر الإسلام ليطفئوه ، إلاّ ما كان من عبد الله بن سلام ، ومخيريق .

ثم ذكر إسلام عبد الله بن سلام ، وإسلام عمّته خالدة[٣] ، كما قدّمناه ، وذكر إسلام مخيريق يوم أحد[٤] ، كما سيأتي ، وأنّه قال لقومه ، وكان يوم السبت : يا معشر يهود ، والله إنّكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقّ . قالوا : إنّ اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج [حتى أتى رسول الله][٥] ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد ويصنع فيها ما أراه الله[٦] ، وكان كثير الأموال ، ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه ، قال : فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني : « مخيريق خير يهود »[٧] .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق[٨] من مال إلى هؤلاء [الأضداد] من اليهود ، من المنافقين من الأوس والخزرج ، فمن الأوس ؛ زويّ بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصّامت الأنصاريّ ، وفيه نزل : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٤] وذلك أنّه قال حين تخلّف عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقاً ، لنحن شرّ من الحمير[٩] . فنماها ابن امرأته عمير بن سعد

= حديث عائشة رضي الله عنها . انظر تفاصيل ذلك وشرحه والتعليق عليه في « جامع الأصول » لابن الأثير (٥/ ٦٥ ـ ٦٧) بتحقيق والدي وأستاذي فضيلة المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٦) وقد ذكر كلام ابن إسحاق باختصار .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة مني يقتضيها سياق الكلام .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٦ ـ ٥١٧) واسمها (خالدة بنت الحارث) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٨) .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٦) في (آ) و(ط) : ((يرى فيها ما أراه الله)) وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف في نقله .

(٧) رواه ابن سعد في « الطبقات » (١/ ٥٠١ و٥٠٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٢٢٩) من طريق الواقدي ، وهو متروك .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٩) .

(٩) في (ط) : ((لنحن شرّ من الحمر)) .

إلى رسول الله ﷺ ، فأنكر الجلاس ذلك وحلف ما قال ، فنزل فيه ذلك . قال[١] : وقد زعموا أنّه تاب وحسنت توبته ، حتى عرف منه الإسلام والخير . قال : وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذي قتل المجذّر بن ذياد البلويّ ، وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين ، وكان منافقاً ، فلمّا التقى الناس ، عدا عليهما فقتلهما ، ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام[٢] : وكان المجذّر قد قتل أباه سويد بن الصّامت في بعض حروب الجاهلية ، فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد . كذا قال ابن هشام .

وقد ذكر ابن إسحاق أنّ الذي قتل سويد بن الصَّامت إنّما هو معاذ بن عفراء ، قتله [غيلةً] في غير حرب ، قبل يوم بعاث ، رماه بسهم فقتله . وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد ، قال : لأنّ ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ؛ ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله ، فيما بلغني عن ابن عباس : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٦][٣] . إلى آخر القصة قال : وبِجَادُ بن عثمان بن عامر ، ونبتل بن الحارث ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « من أحبّ أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا »[٤] . وكان جسيماً ، أدلم[٥] ، ثائر شعر الرأس ، أحمر العينين ، أسفع الخدّين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ، ثم ينقله إلى المنافقين ، وهو الذي قال : إنّما محمد أذن ؛ من حدّثه بشيء صدّقه . فأنزل الله فيه : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ الآية [التوبة : ٦١][٦] .

قال : وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وثعلبة بن حاطب ، ومعتِّب بن قشير ، وهما اللّذان عاهدا الله ﴿ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ [التوبة : ٧٥][٧] ، ثم نكثا ، فنزل فيهما ذلك .

ومعتِّب هو الذي قال يوم أحد : ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] . فنزل فيه

---

(١) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٠) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٠) وما بين الحاصرتين مستدرك منه .

(٣) رواه النسائي (٧/ ١٠٧) بنحوه ، وهو حديث صحيح .

(٤) ذكره ابن هشام في « السيرة النبوية » (١/ ٥٢١) ولفظه عنده : ((من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث)) .

(٥) الأدلم من الرجال : الطويل الأسود . « لسان العرب » (دلم) .

(٦) رواه ابن أبي حاتم بسند حسن .

(٧) رواه الطبري في « تفسيره » وغيره ، وهو ضعيف جداً .

الآية[١] ، وهو الذي قال يوم الأحزاب : كأنّ محمداً يعدنا أنّا نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ، فأنزل الله فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢][٢] .

قال ابن إسحاق[٣] : والحارث بن حاطب .

قال ابن هشام : ومعتّب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ـ وهما من بني أميّة بن زيد ـ من أهل بدر ، وليسوا من المنافقين ، فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم . قال : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أميّة بن زيد ، في أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق[٤] : وعبّاد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف وبَحْزَج ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وعمرو بن خذام[٥] ، وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطّاف ، وابناه يزيد[٦] ومجمّع ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضّرار ، وكان مجمّع غلاماً حدثاً ، قد جمع أكثر القرآن ، وكان يصلّي بهم فيه ، فلمّا خرّب مسجد الضّرار ـ كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك ـ وكان في أيام عمر ، سأل أهل قباء عمر أن يصلّي بهم مجمّع ، فقال : لا والله ، أو ليس إمام المنافقين في مسجد الضّرار؟ فحلف بالله ماعلمت بشيء من أمرهم . فزعموا أنّ عمر تركه فصلّى بهم . قال : ووديعة بن ثابت ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وهو الذي قال : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة : ٦٥] فنزل فيه ذلك .

قال : وخذام بن خالد ، وهو الذي أخرج مسجد الضّرار من داره .

قال ابن هشام مستدركاً على ابن إسحاق في منافقي بني النّبيت من الأوس : وبشر ورافع ابنا زيد .

قال ابن إسحاق[٧] : ومربع بن قيظيّ ، وكان أعمى ، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه[٨] وهو ذاهب إلى أحد : لا أحلّ لك ، إن كنت نبيّا ، أن تمرّ في حائطي . وأخذ في يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنّي لا أصيب بها غيرك لرميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال

(١) رواه ابن أبي حاتم ، وإسناده حسن .
(٢) أخرجه جويبر عن ابن عباس ، وجويبر ضعيف جداً .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٢) .
(٥) في (آ) : « حزام » وفي (ط) : « عمرو بن حرام » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » .
(٦) كذا في (آ) و(ط) : « يزيد » وفي « السيرة » : « زيد » . وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الإصابة » (٣/ ٦٥٣) في رسم « يزيد » وذكر الخلاف في الاسمين ، وقال : الصواب أنهما أخوان .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٣ـ٥٢٥) .
(٨) الحائط : البستان .

رسول الله ﷺ : « دعوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر »[(١)] .

وقد ضربه سعد بن زيد الأشهليّ بالقوس فشجّه . قال : وأخوه أوس بن قيظيّ ، وهو الذي قال : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ . قال الله : ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٣][(٢)] .

قال : وحاطب بن أميّة بن رافع ، وكان شيخاً جسيماً ، قد عسا[(٣)] في جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له : يزيد بن حاطب . أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بني ظفر ، فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت ، فجعلوا يقولون : أبشر بالجنّة يا بن حاطب .

قال : فنجم[(٤)] نفاق أبيه ، فجعل يقول : أجل ، جنّة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال : وبشير بن أبيرق [وهو][(٥)] أبو طعمة ، سارق الدّرعين ، الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ الآيات [النساء : ١٠٧][(٦)] .

قال : وقزمان ، حليف لبني ظفر ، الذي قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لمّا آلمته الجراحة ، قتل نفسه ، وقال : والله ما قاتلت إلاّ حميّة على قومي ، ثم مات ، لعنه الله[(٧)] .

قال ابن إسحاق[(٨)] : ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلاّ أنّ الضحّاك بن ثابت كان يتّهم بالنّفاق وحبّ يهود . فهؤلاء كلّهم من الأوس .

قال ابن إسحاق[(٩)] : ومن الخزرج ؛ رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، [وعمرو بن قيس] ، وقيس بن عمرو بن سهل ، والجدّ بن قيس ، وهو الذي قال : ﴿ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ﴾ [التوبة : ٤٩][(١٠)]

---

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » : « . . . أعمى البصيرة » .

(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير الطبري ، وابن المنذر والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٣٥ـ٤٣٦) عن عروة بن الزبير وغيره مرسلاً .

(٣) أي : كبر وأسن . انظر « لسان العرب » (عسو) .

(٤) أي : ظهر .

(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » .

(٦) رواه الترمذي بنحوه رقم (٣٠٣٦) وهو حديث حسن .

(٧) انظر « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني عند شرحه للحديث رقم (٤٢٠٢) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٥) .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٦ ، ٥٢٧) .

(١٠) قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : رواه أبو نعيم وابن مردويه من طريق الضحّاك عن ابن عباس ، ورواه ابن مردويه من حديث عائشة بسند ضعيف أيضاً ، ومن حديث جابر بسند فيه مبهم .

وعبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وكان رأس المنافقين ـ ورئيس الخزرج والأوس أيضاً ، كانوا قد أجمعوا على أن يملّكوه عليهم في الجاهلية ، فلمّا هداهم الله للإسلام قبل ذلك ، شرِق اللعين بريقه(١) ، وغاظه ذلك جداً ـ وهو الذي قال : ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون : ٨](٢) .

وقد نزلت فيه آيات كثيرة جدّاً ، وفيه وفي وديعة ـ رجل من بني عوف ـ ومالك بن أبي قوقل ، وسويد ، وداعس ، وهم من رهطه ، نزل [قوله تعالى] : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾ الآيات [الحشر : ١٢](٣) . حين مالوا في الباطن إلى بني النّضير .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق(٤) مَنْ أسلم من أحبار اليهود على سبيل التّقيّة ، فكانوا كفاراً في الباطن ، فأتبعهم بصنف المنافقين ، وهم من شرّهم ؛ سعد بن حنيف ، وزيد بن اللّصيت ، وهو الذي قال حين ضلّت ناقة رسول الله ﷺ : يزعم محمد أنّه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته! فقال رسول الله ﷺ : « والله لا أعلم إلّا ما علّمني الله ، وقد دلّني الله عليها ، فهي في هذا الشّعب ، قد حبستها شجرة بزمامها » . فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك(٥) .

قال : ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حُرَيملة ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات ـ فيما بلغنا ـ : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » .

ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي هبّت الريح الشديدة يوم موته ، عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك ، فقال : « إنّها هبّت لموت عظيم من عظماء الكُفَّار » فلمّا قدموا المدينة ، وجدوا رفاعة قد مات في ذلك اليوم(٦) .

وسلسلة بن بِرهام ، وكنانة وابن صوريا . فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود .

قال(٧) : فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ، ويسمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون

---

(١) أي غص به . انظر « النهاية » لابن الأثير (٢/ ٤٦٥ـ٤٦٦) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٠٠) .
(٣) رواه ابن إسحاق وابن المنذر وأبو نعيم في « الدلائل » عن ابن عباس .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨) .
(٥) ورواه الواقدي في « المغازي » (٢/ ٤٢٣) ، عن ابن رومان وعاصم بن عمر بن قتادة بنحوه ، والبيهقي في « الدلائل » (٤/ ٥٩ـ٦٠) ، عن موسى بن عقبة مرسلاً .
(٦) وذكره الواقدي في « المغازي » (٢/ ٤٢٢ـ٤٢٣) ، عن رافع بن خديج وجابر بن عبد الله ، وابن إسحاق في « سيرته » في غزوة بني المصطلق عن شيوخه الثلاثة مرسلاً ، وسيأتي عند المصنِّف .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٨ـ٥٢٩) .

ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس ، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدّثون بينهم ، خافضي أصواتهم ، قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ ، فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً ، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس ، أحد بني النّجّار ، وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية ، فأخذ برجله ، فسحبه حتى أخرجه [من المسجد][١] ، وهو يقول ، لعنه الله : أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجّاريّ فلبّبه بردائه ، ثم نتره[٢] نتراً شديداً ، ولطم وجهه ، فأخرجه من المسجد وهو يقول : أفّ لك منافقاً خبيثاً .

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان طويل اللحية ، فأخذ بلحيته ، وقاده بها قوداً عنيفاً ، حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعاً ، فلدمه[٣] بهما لدمة في صدره خرّ منها . قال : يقول : خدشتني يا عمارة . فقال عمارة : أبعدك الله يا منافق ، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك ، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ .

وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النّجّار ـ وكان بدريّاً ـ إلى قيس بن عمرو بن سهل ـ وكان شابّاً ، وليس في المنافقين شابّ سواه ـ فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه [من المسجد] .

وقام رجل من بني خدرة إلى رجل يقال له : الحارث بن عمرو ـ وكان ذا جمّة ـ فأخذ بجمّته ، فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مرّ به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث[٤] . فقال : إنّك أهل لذلك أي عدوّ الله ؛ لما أنزل فيك ، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ ؛ فإنّك نجس .

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زويّ بن الحارث ، فأخرجه إخراجاً عنيفاً وأفّف[٥] منه ، وقال : غلب عليك الشيطان وأمرُه .

ثم ذكر ابن إسحاق[٦] ما نزل فيهم من الآيات[٧] من سورة « البقرة » ، ومن سورة « التوبة » ، وتكلّم على تفسير ذلك ، فأجاد وأفاد ، رحمه الله .

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٢) نتره : جذبه .
(٣) أي ضربه ببطن كفه . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٩) وما بين الحاصرتين في النص تكملة منه .
(٤) كذا في (آ) و(ط) : ((يا أبا الحارث)) والذي في « السيرة النبوية » لابن هشام : ((يا بن الحارث)) .
(٥) أي تَضَجَّر . انظر « لسان العرب » (أفف) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٣٠ـ٥٧٢) .
(٧) في (آ) : ((من القرآن)) وأثبت لفظ (ط) .

ذكر
أول المغازي ، وهي غزوة الأبواء ، ويقال لها : غزوة ودّان

وأول البعوث ، وهو بعث حمزة بن عبد المطلب ، أو عبيدة بن الحارث ، كما سيأتي في [المغازي] .

قال البخاريّ(١) : كتاب المغازي ، قال ابن إسحاق : أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء ، ثم بواط ، ثم العشيرة .

ثم روى(٢) عن زيد بن أرقم ، أنّه سئل : كم غزا رسول الله ﷺ ؟ قال : تسع عشرة . شهد منها سبع عشرة ، [أوّلهن] العسيرة ، أو العشيرة ، وسيأتي الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة ، إن شاء الله وبه الثقة(٣) .

وفي « صحيح البخاريّ »(٤) ، عن بريدة ، قال : غزا [مع](٥) رسول الله ﷺ ستّ عشرة غزوة .

ولمسلم عنه(٦) ، أنّه غزا مع رسول الله ﷺ ستّ عشرة غزوة .

وفي رواية له عنه(٧) ، أنّ رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمان منهنّ .

وقال الحسين بن واقد(٨) ، عن ابن بريدة ، عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمان ؛ يوم بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وقديد ، وخيبر ، ومكة ، وحنين ، وبعث أربعاً وعشرين سريّة .

وقال يعقوب بن سفيان(٩) : حدّثنا محمد بن عثمان الدّمشقيّ التّنوخيّ ، ثنا الهيثم بن حميد ، أخبرني النّعمان ، عن مكحول ، أنّ رسول الله ﷺ غزا ثماني عشرة غزوة ، قاتل في ثمان غزوات ؛ أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكّة ، ثم حنين والطائف .

---

(١) انظر « فتح الباري » (٧/ ٢٧٩) .
(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٣٩٤٩) .
(٣) انظر ص (٢٢) من هذا الجزء .
(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٤٧٣) .
(٥) زيادة من « صحيح البخاري » .
(٦) انظر « صحيح مسلم » رقم (١٨١٤) (١٤٧) .
(٧) رواها مسلم رقم (١٨١٤) (١٤٦) وابن أبي شيبة في « المغازي » رقم (١١٣) .
(٨) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٥٩) .
(٩) هو في « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/ ٣٠٠) مرسلاً .

قوله : بئر معونة ، بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد ، كما سيأتي .

قال يعقوب[(١)] : حدّثنا سلمة بن شبيب ، ثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزّهريّ ، سمعت سعيد بن المسيّب يقول : غزا رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة . وسمعته مرة أخرى يقول : أربعاً وعشرين . فلا أدري أكان ذلك وهماً ، أو شيئاً سمعه بعد ذلك .

وقد روى الطّبرانيّ ، عن الدّبريّ[(٢)] ، عن عبد الرزّاق ، عن معمر ، عن الزّهريّ قال : غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين غزوة .

وقال عبد بن حميد في « مسنده » :[(٣)] حدّثنا سعيد بن سلّام ، ثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزّبير ، عن جابر ، قال : غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة .

وقد روى الحاكم[(٤)] (من طريق هشام ، عن قتادة أنّ مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين ، ثم قال الحاكم[(٥)]) : لعلّه أراد السّرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت في « الإكليل » على الترتيب ، بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المئة .

قال: وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى ، أنّه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر السّرايا والبعوث دون الحروب نيّفاً وسبعين ، وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جدّاً ، وحمله كلام قتادة على ما قال ، فيه نظر .

وقد روى الإمام أحمد[(٦)] ، عن أزهر بن القاسم الراسبيّ ، عن هشام الدّستوائيّ ، عن قتادة أنّ مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون ؛ أربع وعشرون بعثاً ، وتسع عشرة غزوة ، خرج في ثمانٍ منها بنفسه ؛ بدرٍ ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وقديد ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين .

وقال موسى بن عقبة[(٧)] ، عن الزّهريّ : هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها ؛ يوم بدر في رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق ـ وهو يوم الأحزاب وبني قريظة ـ في شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان من سنة خمس ، ثم قاتل يوم

---

(١) انظر « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) مرسلاً ، وعبد الرزاق في المصنف (٩٦٥٩) مرسلاً أيضاً .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عبّاد الدّبَري ، راوي كتب عبد الرزاق عنه ، وروى عنه الطبراني وغيره ، وكان صدوقاً . مات سنة (٢٨٥) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٣/ ٢٥٦) .

(٣) هو في ((المنتخب من مسند عبد بن حميد)) رقم (١٠٦٥) .

(٤) وأخرجه البيهقي أيضاً في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٦٢) .

(٥) انظر « فتح الباري » (٧/ ٢٨١) .

(٦) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٦٢) وانظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٢/ ٥ـ٦) .

(٧) ورواه من طريقه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٣٠٢ ، ٣٠٣) والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) وأصله في البخاري رقم (٤٠٢٦) .

خيبر سنة ستّ ، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين ، وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان ، ثم حجّ أبو بكر سنة تسع ، ثم حجّ رسول الله ﷺ حجّة الوداع سنة عشر ، وغزا ثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، قال : وكانت أول غزوة غزاها الأبواء .

وقال حنبل بن إسحاق[١] ، عن هلال بن العلاء[٢] ، عن عبد الله بن جعفر الرّقّيّ ، عن مطرّف بن مازن اليمانيّ ، عن معمر ، عن الزّهريّ[٣] قال : أول آية نزلت في القتال : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾ الآية [الحج : ٣٩] بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر يوم الجمعة ، لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال : ثم غزا بني النّضير ، ثم غزا أحداً في شوال ـ يعني من سنة ثلاث ـ ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع ، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ستّ ، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان ، وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ الأبواء ، ثم العشيرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بني سليم ، ثم غزوة الأبواء[٤] ، ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصّفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة ، ثم ذكر البعوث . هكذا كتبته من تاريخ الحافظ ابن عساكر[٥] ، وهو غريب جداً ، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتّباً .

وهذا الفنّ مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتّهيّؤ له ، كما رواه محمد بن عمر الواقديّ ، عن عبد الله بن عمر بن عليّ ، عن أبيه ، سمعت عليّ بن الحسين يقول : كنا نعلّم مغازي النبيّ ﷺ كما نعلّم السورة من القرآن .

قال الواقديُّ[٦] : وسمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمّي الزّهريّ يقول في علم المغازي : علم الآخرة والدنيا .

وقال محمد بن إسحاق[٧] ، رحمه الله ، في « المغازي » بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه ، من تعيين

---

(١) هو حنبل بن إسحاق أبو علي ، ابن عمّ الإمام أحمد بن حنبل ، وكان ثقة ثبتاً صدوقاً ، من أعلام الحنابلة الكبار ، مات سنة (٢٧٣) هـ . انظر ترجمته ومصادرها في « المنهج الأحمد » (١/ ٢٦٤) و« شذرات الذهب » (٣/ ٣٠٧) بتحقيقي ، وإشراف والدي وأستاذي فضيلة المحدّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .

(٢) في (آ) و(ط) : « حنبل بن هلال ، عن إسحاق بن العلاء » وهو خطأ ، والصواب ما أثبته .

(٣) انظر « مغازي الزهري » ص (١٠٥) .

(٤) كذا في (آ) و(ط) وهي مكررة في السياق ، ولعلها : « بواط » . انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٤٦٣) .

(٥) لم أجده في نسخ « تاريخ دمشق » المخطوطة والمطبوعة المتوافرة عندي على كثرتها ، ويبدو أنه مما سقط منها وهو كثير ، وذكره ابن منظور في « مختصره » (٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩) .

(٦) وأخرجهما من طريقه الخطيب البغدادي في « الجامع » رقم (١٥٩١) و(١٥٨٩) والواقدي متروك .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٠ ، ٥٩١) وقد أخرجه من طريقه بنحوه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠) .

رؤوس الكفر من اليهود والمنافقين ، لعنهم الله أجمعين ، وجمعهم في أسفل سافلين : ثم إنّ رسول الله ﷺ تهيّأ لحربه ، وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوّه ، وقتال من أمره به ممن يليه [من المشركين] .

قال : وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الإثنين حين اشتدّ الضّحاء ، وكادت الشمس تعتدل ، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة ، فأقام بقية شهر ربيع الأول ، وشهر ربيع الآخر ، وجماديين ، ورجباً ، وشعبان ، وشهر رمضان ، وشوّالاً ، وذا القعدة ، وذا الحجّة ، وولي [تلك] الحجّة المشركون ، والمحرّم .

ثم خرج رسول الله ﷺ غازياً في صفر ، على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عبادة .

قال ابن إسحاق(١) : حتى بلغ ودّان ، وهي غزوة الأبواء .

قال ابن جرير(٢) : ويقال لها : غزوة ودّان أيضاً ، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه منهم مخشيّ بن عمرو الضّمريّ ، وكان سيدهم في زمانه ذلك ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام(٣) : وهي أول غزوة غزاها ، عليه السلام .

قال الواقديّ(٤) : وكان لواؤه ـ عليه السلام ـ مع عمّه حمزة ، وكان أبيض .

قال ابن إسحاق(٥) : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف بن قصيّ في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنيّة المرة ، فلقي [بها] جمعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلاّ أنّ سعد بن أبي وقّاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله في الإسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية ، وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانيُّ حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازنيّ حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ، ولكنّهما خرجا ليتوصّلا بالكفار .

قال ابن إسحاق : وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩١) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٠٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩١) .
(٤) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٢/ ٨) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩١ـ٥٩٢) .

وروى ابن هشام ، عن أبي عمرو[١] بن العلاء ، عن أبي عمرو المدنيّ أنّه قال : كان عليهم مكرز بن حَفْصٍ .

قلت : وقد تقدّم عن حكايةِ الواقديّ قولان ؛ أحدهما أنه مكرز ، والثاني أنه أبو سفيان صخر بن حرب ، وأنه رجّح أنه أبو سفيان ، فالله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق[٢] القصيدة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق في هذه السّريّة التي أولها : [من الطويل]

أمن طيف سلمى بالبطاح الدّمائث ... أرقتَ وأمرٍ في العشيرة حادثِ
ترى من لؤيّ فرقة لا يصدّها ... عن الكفر تذكير ولا بعثُ باعثِ
رسولٌ أتاهم صادقٌ فتكذّبوا ... عليه وقالوا لستَ فينا بماكثِ
إذا ما دعوناهم إلى الحقّ أدبروا ... وهرّوا هريرَ المُجْحَرات اللواهثِ

القصيدة إلى آخرها .

وذكر[٣] جواب عبد الله بن الزِّبعرى في مناقضتها التي أولها : [من الطويل]

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث ... بكيتَ بعين دمعها غير لابثِ
ومن عجب الأيام والدَّهر كلّه ... له عجب من سابقات وحادث
لجيش أتانا ذي عرام يقوده ... عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث
لنترك أصناما بمكّة عكّفاً ... مواريث موروث كريم لوارث

وذكر تمام القصيدة ، وما منعنا من إيرادها بتمامها إلا أنّ الإمام عبد الملك بن هشام ، رحمه الله ـ وكان إماماً في اللغة ـ ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين .

قال ابن إسحاق[٤] : وقال سعد بن أبي وقّاص في رميته تلك فيما يذكرون : [من الوافر]

ألا هل أتى رسول الله أنّي ... حميتُ صحابتي بصدور نبلي
أذود بها أوائلهم ذياداً ... بكلّ حزونة وبكلّ سهلِ
فما يعتدّ رام في عدوٍّ ... بسهم يا رسول الله قبلي
وذلك أنّ دينك دين صدق ... وذو حقّ أتيتَ به وفضلِ
ينجّي المؤمنون به ويخزى ... به الكُفَّار عند مقام مهلِ
فمهلاً قد غويتَ فلا تعبني ... غويَّ الحيّ ويحك يا بن جهلِ

---

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » (١/ ٢٣) : « ابن أبي عمرو » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٢ـ٥٩٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٣ـ٥٩٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٤ـ٥٩٥) .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد .

قال ابن إسحاق : فكانت راية عبيدة ـ فيما بلغنا ـ أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين . وقد خالفه الزّهريّ وموسى بن عقبة[(١)] والواقديّ[(٢)] ، فذهبوا إلى أنّ بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن الحارث ، والله أعلم .

وسيأتي في حديث سعد بن أبي وقّاص أن أول أمراء السّرايا عبد الله بن جحش الأسديّ .

قال ابن إسحاق[(٣)] : وبعض العلماء يَزْعُمُ أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة ، وهكذا حكى موسى بن عقبة ، عن الزّهريّ[(٤)] .

فصل

قال ابن إسحاق[(٥)] : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر[(٦)] من ناحية العيص ، في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقي أبا جهل بن هشام [بذلك الساحل] في ثلاثمئة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجديّ بن عمرو الجهنيّ ، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن إسحاق[(٧)] : وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين ، وذلك أنّ بعثه وبعث عبيدة كانا معاً ، فشبّه ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزّهريّ[(٨)] ، أنّ بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونصّ على أنّ بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء ، فلما قفل ، عليه السلام ، من الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين ، وذكر نحو ما تقدّم . وقد تقدّم عن الواقديّ أنّه قال : كانت سريّة حمزة في رمضان من السنة الأولى ، وبعدها سريّة عبيدة في شوّال منها ، والله أعلم .

وقد أورد ابن إسحاق[(٩)] ، عن حمزة ، رضي الله عنه ، شعراً يدلّ على أن رايته أول راية عقدت في

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨) من طريقهما .
(٢) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٥) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٥) .
(٦) سيف البحر : ساحله . انظر « لسان العرب » (سيف) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٥ـ ٥٩٦) .
(٨) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨ ـ ٩) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٦) .

الإسلام ، لكن قال ابن إسحاق : فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال لم يكن يقول إلا حقّاً ، فالله أعلم أيّ ذلك كان ، فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول ، والقصيدة هي قوله : [من الطويل]

ألا يا لقومي للتّحلّم والجهلِ ... وللنقص من رأي الرجال وللعقلِ
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ ... لهم حرمات من سوامٍ ولا أهلِ
كأنا تبلناهم ولا تبل عندنا ... لهم غير أمر بالعفاف وبالعدلِ
وأمر بإسلام فلا يقبلونه ... وينزل منهم مثل منزلة الهزلِ
فما برحوا حتى انتدبتُ لغارةٍ ... لهم حيث حلّوا أبتغي راحة الفضلِ
بأمر رسول الله أول خافقٍ ... عليه لواء لم يكن لاح من قبلي
لواء لديه النصر من ذي كرامةٍ ... إلهٍ عزيزٍ فعله أفضل الفعل
عشيّة ساروا حاشدين وكلّنا ... مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلمّا تراءينا أناخوا فعقّلوا ... مطايا وعقّلنا مدى غرض النّبل
وقلنا لهم حبل الإله نصيرنا ... وما لكمُ إلا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغياً ... فخاب وردّ الله كيد أبي جَهْلِ
وما نحن إلا في ثلاثين راكباً ... وهم مئتان بعد واحدة فضل
فيال لؤيّ لا تطيعوا غواتكم ... وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل
فإني أخاف أن يصبّ عليكمُ ... عذاب فتدعوا بالندامة والثّكل

قال[١] : فأجابه أبو جهل بن هشام ـ لعنه الله ـ فقال :

عجبت لأسباب الحفيظة والجهل ... وللشاغبين بالخلاف وبالبَطل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا ... عليه ذوي الأحساب والسّؤدُد الجَذْلِ

ثم ذكر تمامها .

قال ابن هشام[٢] : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة ـ رضي الله عنه ـ ولأبي جهل ـ لعنه الله ـ .

غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول ـ يعني من السنة الثانية ـ يريد قريشاً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٦ ـ ٥٩٨) .

قال ابن هشام[(١)] : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

وقال الواقديّ[(٢)] : استخلف عليها سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ في مئتي راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقّاص ، وكان مقصده أن يعترض لعير قريش ، وكان فيه أمية بن خلف ومئة رجل ، وألفان وخمسمئة بعير .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

[غزوة العُشيرة]

ثم غزا قريشاً . يعني بذلك الغزوة التي يقال لها : غزوة العشيرة ، وبالمهملة ، والعشير وبالمهملة ، والعشيراء وبالمهملة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .

قال الواقديّ[(٣)] : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال : وخرج ، عليه السلام ، يتعرّض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن إسحاق[(٤)] : فسلك على نقب بني دينار ، ثم على فيفاء الخَبَار[(٥)] ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها : ذات الساق ، فصلّى عندها ، فثمّ مسجده ، فصنع له عندها طعام ، فأكل منه وأكل الناس معه ، فرسوم أثافيّ البرمة[(٦)] معلوم هنالك ، واستقي له من ماء يقال له : المشيرب . ثم ارتحل فترك الخلائق بيسار ، وسلك شعبةَ عبد الله ، ثم صبّ لليسار حتى هبط يليل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضّبوعة ، ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بِصُخَيْراتِ اليمام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع ، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة ، ووادع فيها بني مُدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقد قال البخاريّ[(٧)] : حدثنا عبد الله ، ثنا وهب ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : كنت إلى جنب

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٨) .
(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٢/ ٨) .
(٣) انظر « الطبقات » لابن سعد (٢/ ٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٨ ـ ٥٩٩) .
(٥) قال الفيروزابادي : الخَبَار : موضع قريب من المدينة ، وكان على طريق رسول الله ﷺ حين خرج يريد قريشاً قبل وقعة بدر . انظر « المغانم المطابة » ص (١٢٧) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .
(٦) كذا في (آ) و(ط) : ((فرسوم أثافي البرمة)) وفي « السيرة النبوية » : ((فموضع أثافي البرمة)) .
(٧) رواه « البخاري » رقم (٣٩٤٩) .

زيد بن أرقم ، فقيل له : كم غزا النبيّ ﷺ من غزوة؟ قال : تسع عشرة . قال : كم غزوت أنت معه؟ قال : سبع عشرة غزوة . قلت : فأيُّهنَّ كان[١] أول؟ قال : العشير ، أو العسيرة . فذكرت لقتادة ، فقال : العشيرة . وهذا الحديث ظاهر في أنّ أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين . وبهما مع حذف التاء . وبهما مع المد ، اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبيّ ﷺ زيد بن أرقم ؛ العشيرة ، وحينئذ لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم ، وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث ، والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق[٢] : ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ ما قال ، فحدّثني[٣] يزيد بن محمد بن خثيم ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، حدّثني أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، فلما نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً ، فصالح بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، فوادعهم ، فقال لي عليّ بن أبي طالب : هل لك يا أبا اليقظان أن نأتي هؤلاء النفر من بني مدلج ، يعملون في عين لهم ، ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم ، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه ، فوالله ما أهبّنا[٤] إلاّ رسول الله ﷺ [يحرّكنا] بقدمه فجلسنا ، وقد تترّبنا من تلك الدّقعاء ، [فيومئذ] قال رسول الله ﷺ لعليّ : « يا أبا تراب » . لما عليه من التراب ، فأخبرناه بما كان من أمرنا ، فقال : « ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . فقال : « أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والّذي يضربك يا عليّ على هذه ـ ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه ـ حتى يبلّ[٥] منها هذه » . ووضع يده على لحيته . وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وله شاهد من وجه آخر في تسمية عليّ أبا تراب ، كما في « صحيح البخاريّ »[٦] أنّ عليّاً خرج مغاضباً فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه ، فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه ، فقالت : خرج مغاضباً ، فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ، ويقول : « قم أبا ترابٍ ، قم أبا تُرابٍ » .

---

(١) كذا في (آ) و(ط) : وفي جميع نسخ « البخاري » : ((فأيهم كانت)) . قال ابن مالك والصواب ؛ ((فأيُّها أو أيُّهن)) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٩) .
(٣) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢ ـ ١٣) .
(٤) أهبَّنا : أيقظنا من النوم .
(٥) في (آ) : « تبل » وأثبت لفظ (ط) .
(٦) رواه البخاري (٤٤١) و(٦٢٨٠) .

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق[١] : ثم لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشرة ، حتى أغار كرز بن جابر الفهريّ على سرح[٢] المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له : سفوان من ناحية بدر ، وهي غزوة بدر الأولى ، وفاته كرز فلم يدركه .

وقال الواقديّ[٣] : وكان لواؤه مع عليّ بن أبي طالب .

قال ابن هشام ، والواقديّ : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق[٤] : فرجع رسول الله ﷺ ، فأقام جمادى ورجباً وشعبان ، وقد كان بعث رسول الله ﷺ بين يدي ذلك سعداً في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرّار من أرض الحجاز .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أنّ بعث سعد هذا كان بعد حمزة ، ثم رجع ولم يلق كيداً . هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً ، وقد تقدّم ذكر الواقديّ لهذه البعوث الثلاثة ، أعني بعث حمزة في رمضان ، وبعث عبيدة في شوال ، وبعث سعد في ذي القعدة ، كلّها في السنة الأولى .

وقد قال الإمام أحمد[٥] : حدّثني عبد المتعال بن عبد الوهّاب ، حدثني يحيى بن سعيد . قال عبد الله ابن الإمام أحمد : وحدّثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأمويّ ، حدّثنا أبي ، ثنا المجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن سعد بن أبي وقّاص قال : لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة ، جاءته جهينة فقالوا : إنك قد نزلت بين أظهرنا ، فأوثق حتى نأتيك وتؤمّنّا . فأوثق لهم فأسلموا . قال : فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مئة ، وأمرنا أن نغير على حيّ من بني كنانة إلى جنب جهينة ، فأغرنا عليهم ، وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة ، فمنعونا ، وقالوا : لم تقاتلون في الشهر الحرام؟! فقال بعضنا لبعض : ما ترون؟ فقال بعضنا : نأتي نبيّ الله ﷺ فنخبره . وقال قوم : لا ، بل نقيم ههنا . وقلت أنا في أناس معي : لا ، بل نأتي عير قريش فنقتطعها . وكان الفيء إذ ذاك : من أخذ شيئاً فهو له . فانطلقنا إلى العير ، وانطلق أصحابنا إلى النبيّ ﷺ ، فأخبروه الخبر ، فقام غضبان محمرّ الوجه فقال : « أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرّقين؟ إنّما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لأبعثنّ عليكم رجلاً ليس بخيركم ، أصبركم على الجوع والعطش » . فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسديَّ ، فكان أول أمير في الإسلام .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠١) .
(٢) السرح : المال يُسام في المرعى من الأنعام . « لسان العرب » (سرح) .
(٣) انظر « الطبقات » لابن سعد (٢/ ٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٠ ـ ٦٠١) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٧٨) وإسناده ضعيف .

وقد رواه البيهقيّ في « الدلائل »[(١)] من حديث يحيى بن أبي زائدة ، عن مجالد به نحوه ، وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون في الشهر الحرام؟! : فقالوا : نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام[(٢)] .

ثم رواه[(٣)] من حديث أبي أسامة ، عن مجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك ، عن سعد بن أبي وقّاص ، فذكر نحوه ، فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك ، وهذا أنسب ، والله أعلم .

وهذا الحديث يقتضي أنّ أول أمراء السّرايا عبد الله بن جحش الأسديّ ، وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق ، أنّ أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب[(٤)] ، وللواقديّ[(٥)] حديث زعم أنّ أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب ، والله أعلم .

باب سريّة عبد الله بن جحش التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى ، وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، والله على كلّ شيء قدير

قال ابن إسحاق[(٦)] : وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسديَّ في رجب مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وهم ؛ أبو حذيفة بن عتبة ، وعكّاشة بن محصن بن حرثان ، حليف بني أسد بن خزيمة ، وعتبة بن غزوان ، حليف بني نوفل ، وسعد بن أبي وقّاص الزّهريّ ، وعامر بن ربيعة الوائليّ ، حليف بني عديّ ، وواقد بن عبد الله بن عبد منافٍ بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التّميميّ ، حليف بني عديّ أيضاً ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث ، حليف بني عديّ أيضاً ، وسهيل بن بيضاء الفهريّ ، فهؤلاء سبعة ثامنهم[(٧)] أميرهم عبد الله بن جحش ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٤) .
(٢) وهي كذلك في « المسند » للإمام أحمد (١/ ١٧٨) .
(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٩٥) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٠٥) .
(٥) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٢/ ٦) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠١ ـ ٦٠٢) .
(٧) كذا في (آ) و(ط) وهو خطأ من المؤلف رحمه الله ، وذلك أنه ذكرهم ثمانية وعدَّهم سبعة ؛ فإن ابن إسحاق أدخل في أسماء الثمانية بعد أبي حذيفة بن عتبة ، عبدَ الله بن جحش ، فمجموع من ذكرهم ابن إسحاق تسعة ، فلما ذكرهم المصنّف دون أميرهم عبد الله ، حسب أن الباقي سبعة ، ظنّاً منه أن مجموع من ذكرهم ابن إسحاق ثمانية ، لذلك أتى المؤلف رحمه الله برواية ابن إسحاق القادمة ليبيِّن الاضطراب الحادث بين الروايتين ـ في ظنّه ـ فقال : « فالله أعلم » .

وقال يونس[١] ، عن ابن إسحاق : كانوا ثمانية ، وأميرهم التاسع ، فالله أعلم ، وستأتي تسميتهم على خلاف ما قال ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق[٢] : وكتب له كتاباً ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً ، فلمّا سار بهم يومين فتح الكتاب ، فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطّائف ، فترصّد بها قريشاً وتعلّم لنا من أخبارهم » . فلمّا نظر في الكتاب قال : سمعاً وطاعة . وأخبر أصحابه بما في الكتاب ، وقال : قد نهاني أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأمّا أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ .

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلّف منهم أحد ، وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له : بحران . أضلّ سعد بن أبي وقّاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلّفا في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه ، حتى نزل نخلةً ، فمرّت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً[٣] ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرميّ .

قال ابن هشام : واسم الحضرميّ عبد الله بن عبّاد الصّدفيّ .

قال السّهيليّ[٤] : وقيل غير ذلك في نسبه وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّ ، وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلمّا رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكّاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا : عمّار لا بأس عليكم منهم . وتشاور الصحابة فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب ، فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلنّ الحرم فليمتنعنّ به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنّهم في الشهر الحرام . فتردّد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبد الله التّميميّ عمرو بن الحضرميّ بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابُه بالعير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أنّ عبد الله قال لأصحابه : إنّ لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس . فعزله وقسم الباقي بين أصحابه ، وذلك قبل أن ينزل الخمس .

---

(١) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٨ ـ ٢٠) من طريقه .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠١ ـ ٦٠٤) .
(٣) الأدم : الجلود . واحدها أديم . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (١/ ١٨٩) .
(٤) انظر « الروض الأنف » : (٥/ ٧٩ ـ ٨٠) .

قال[١] : لمّا نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش . كما قاله .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » . فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ، فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ ، أسقط في أيدي القوم ، وظنّوا أنّهم قد هلكوا وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحلّ محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدّم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . فقال من يردّ عليهم من المسلمين ممّن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان . وقالت يهود ، تفائل بذلك على رسول الله ﷺ : عمرو بن الحضرميّ قتله واقد بن عبد الله ؛ عمرو عمرت الحرب ، والحضرميّ حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم ، فلمّا أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ[٣] : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢١٧][٤] أي ؛ إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ ﴾ أي : قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ ﴾ الآية .

قال ابن إسحاق[٥] : فلمّا نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشّفق[٦] ، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : « لا نفديكموهما حتّى يقدم صاحبانا ـ يعني سعد بن أبي وقّاص ، وعتبة بن غزوان ـ فإنّا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم » . فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله ﷺ . فأمّا الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ، فمات بها كافراً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٣ ـ ٦٠٤) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٣٦٨ ـ ٣٧٢) .
(٤) ورواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٩/ ١١) وحسّنه الحافظ ابن حجر في « العجاب في بيان الأسباب » وسيأتي عند المصنف من رواية ابن أبي حاتم .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥) .
(٦) الشفق : الخوف .

قال ابن إسحاق[١] : فلمّا تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة : ٢١٨] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء .

قال ابن إسحاق[٢] : والحديث في ذلك عن الزّهريّ ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير . وهكذا ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه » ، عن الزّهريّ[٣] ، وكذا روى شعيب[٤] ، عن الزّهريّ ، عن عروة نحواً من هذا ، وفيه : وكان ابن الحضرميّ أوّل قتيل بين المسلمين والمشركين .

وقال عبد الملك بن هشام[٥] : هو أوّل قتيل قتله المسلمون ، وهذه أوّل غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أوّل من أسره المسلمون .

قلت : وقد تقدّم فيما رواه الإمام أحمد[٦] ، عن سعد بن أبي وقّاص أنّه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الإسلام .

وقد ذكرنا في « التفسير »[٧] لما أورده ابن إسحاق شواهد [مسندة] .

فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدّميّ حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدّثني الحضرميّ ، عن أبي السّوّار ، عن جندب بن عبد الله أنّ رسول الله ﷺ بعث رهطاً ، وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجرّاح ـ أو عبيدة بن الحارث ـ فلمّا ذهب ينطلق بكى صبابةً[٨] إلى رسول الله ﷺ ، فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحشٍ ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا ، وقال : « لا تكرهنّ أحداً على السّير معك من أصحابك » . فلمّا قرأ الكتاب استرجع ، وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله . فخبّرهم الخبر ، وقرأ عليهم الكتاب فرجع رجلان وبقي بقيّتهم ، فلقوا ابن الحضرميّ ، فقتلوه ، ولم يدروا أنّ ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٢) انظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٦٠٥) .
(٣) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٠ ـ ٢١) .
(٤) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٦) تقدم في ص٢٤ .
(٧) ذكره المؤلف في « تفسيره » (١/ ٣٦٨) بسند ابن أبي حاتم ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١/ ٢٥٠) إلى ابن أبي حاتم وغيره .
(٨) أي : شوقاً .

المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام . فأنزل الله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ الآية [البقرة : ٢١٧] .

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السّدّيّ الكبير في « تفسيره »[١] : عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ وذلك أنّ رسول الله ﷺ بعث سريّة ، وكانوا سبعة نفر ، عليهم عبد الله بن جحشٍ ، وفيهم عمار بن ياسرٍ ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وسعد بن أبي وقاصٍ ، وعتبة بن غزوان ، وسهل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعيّ ، حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب لابن جحشٍ كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل[٢] ، فلمّا نزل بطن ملل فتح الكتاب ، فإذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة . فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص ؛ فإنّني موص وماض لأمر رسول الله ﷺ ، فسار ، وتخلّف عنه سعد وعتبة ؛ أضلاّ راحلة لهما ، فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بنِ كيسان ، والمغيرة بن عثمان ، وعبد الله بن المغيرة . فذكر قتل واقد لعمرو بن الحضرميّ ، ورجعوا بالغنيمة والأسيرين ، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون ، وقال المشركون : إن محمداً يزعم أنّه يتّبع طاعة الله ، وهو أول من استحلّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا في رجب . وقال المسلمون : إنّما قتلناه في جمادى .

قال السّدّيّ : وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب ، وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

قلت : لعل جمادى كان ناقصاً فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رئي تلك الليلة ، فالله أعلم .

وهكذا روى العوفيّ ، عن ابن عباس أنّ ذلك كان في آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ، ولم يشعروا[٣] .

وكذا تقدّم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم .

وقد تقدّم في سياق ابن إسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب ، وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة ، دخل أولئك في الحرم ، فيتعذّر عليهم ذلك ، فأقدموا عليهم عالمين بذلك .

---

(١) وذكره المصنف في « تفسيره » (١/٣٦٨) بسنده عن السُّدِّي . ورواه الطبري في « تفسيره » (٢/٣٤٩) عن السُّدي .

(٢) ملل : اسم موضع على بعد ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة من ناحية مكة بين الحرمين . انظر « معجم البلدان » (٤/٦٣٧) و« المغانم المطابة » ص (٣٩١) .

(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (١/٣٦٩) و« تفسير الطبري » (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) .

وكذا قال الزُّهريُّ ، عن عروة . رواه البيهقيّ[١] ، فالله أعلم أيُّ ذلك كان .

قال الزُّهريُّ ، عن عروة : فبلغنا أنَّ رسول الله ﷺ ، عقل[٢] ابن الحضرميِّ ، وحرّم الشهر الحرام كما كان يحرّمه ، حتى أنزل الله « براءة » رواه البيهقيّ[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : فقال أبو بكر الصدِّيق في غزوة عبد الله بن جحش جواباً للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام .

قال ابن هشامٍ[٥] : هي لعبد الله بن جحشٍ : [من الطويل]

تعدّون قتلاً في الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرّشد راشدُ
صدودكمُ عمَّا يقول محمد ... وكفر به والله راءٍ وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهلَه ... لئلا يُرى لله في البيت ساجد
فإنّا وإن عيّرتمونا بقتله ... وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسدُ
سقَينا من ابن الحضرميّ رماحنا ... بنخلةَ لمّا أوقد الحرب واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غُلّ من القدّ عاند[٦]

فصل
في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

قال بعضهم : كان ذلك في رجب من سنة ثنتين . وبه قال قتادة وزيد بن أسلم ، وهو رواية عن محمد بن إسحاق[٧] .

وقد روى أحمد[٨] عن ابن عباس ما يدلّ على ذلك ، وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتي .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢١) .
(٢) قال ابن الأثير : العقل : الدِّيَة ، وأصله : أن القاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدِّية من الإبل ، فعقلها في فناء أولياء المقتول ؛ أي شدها في عقلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه ، فسميت الدِّية عقلا بالمصدر . « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٢٧٨) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٨) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٦) عاند : سائل بالدم لا ينقطع . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٣) .
(٧) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (١/ ٢٤٢) ، وتفسير « الطبري » (٢/ ٣ ـ ٥) و« دلائل النبوة » (٢/ ٥٧٥) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٢٥) ، وهو حديث صحيح .

والله أعلم . وقيل : في شعبان منها . قال ابن إسحاق : بعد غزوة عبد الله بن جحش . ويقال : صرفت القِبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة(١) .

وحكى هذا القول ابن جرير(٢) ، من طريق السّدّيّ بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة .

[وبه] قال الجمهور الأعظم ؛ إنّها صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة . ثم حكى(٣) عن محمد بن سعد ، عن الواقديّ أنّها حوّلت يوم الثلاثاء النصف من شعبان(٤) ، وفي هذا التحديد نظرٌ ، والله أعلم .

وقد تكلّمنا على ذلك مستقصى في « التفسير »(٥) عند قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ(٦) ﴾ [البقرة : ١٤٤] . وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطّغام(٧) على ذلك ؛ لأنّه أول نسخ وقع في الإسلام . هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النّسخ عند قوله(٨) : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ ننسأها(٩) نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

وقد قال البخاريّ(١٠) : حدّثنا أبو نعيم ، سمع زهيراً ، عن أبي إسحاق ، عن البراء أنّ النبيّ ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً [أو سبعة عشر شهراً] ، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ، وأنّه صلّى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر ، وصلّى معه قوم فخرج رجل ممّن كان معه ، فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله ، لقد صلّيت مع النبيّ ﷺ قِبَل مكة . فداروا كما هم قِبَل البيت ، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٠٦) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/٤١٦) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/٤١٦) .
(٤) انظر « شذرات الذهب » (١/١١٤) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (١/٢٧٨ ـ ٢٨٠) .
(٦) هكذا في (آ) و(ط) بالتاء ، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي . انظر « حجّة القراءات » لابن مجاهد ص (١١٦ ـ ١١٧) .
(٧) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم . انظر « لسان العرب » (طغم) .
(٨) انظر « التفسير » للمؤلف (١/٢١٤ ـ ٢١٨) .
(٩) هكذا في (آ) و(ط) وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وقرأ الباقون : (نُنسها) . انظر « تفسير » القرطبي (١/٦٧ ـ ٦٨) و« حجة القراء السبعة » لابن مجاهد (١٠٩ ـ ١١٠) .
(١٠) رواه « البخاري » (٤٤٨٦) .

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

ورواه مسلم[١] من وجه آخر .

وقال ابن أبي حاتم[٢] : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا الحسن بن عطيّة ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : كان رسول الله ﷺ قد صلّى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان يحبّ أن يوجّه نحو الكعبة فأنزل الله : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . قال : فوجّه نحو الكعبة . وقال السّفهاء من الناس ، وهم اليهود : ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . فأنزل الله : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

وحاصل الأمر أنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، كما رواه الإمام أحمد[٣] ، عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما ، فصلّى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة ، واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً . وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية . والله أعلم .

وكان عليه السلام ، يحبّ أن تصرف قبلته نحو الكعبة قبلة إبراهيم ، وكان يكثر الدعاء والتّضرّع والابتهال إلى الله ، عزّ وجلّ ، فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك ، فأنزل الله عز وجل[٤] : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾ الآية .

فلمّا نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك . كما رواه النّسائيّ[٥] ، عن أبي سعيد بن المعلّى ، وأنّ ذلك كان وقت الظّهر .

وقال بعض الناس[٦] : نزل تحويلها بين الصلاتين . قاله مجاهد وغيره .

ويؤيّد ذلك ما ثبت في « الصحيحين »[٧] ، عن البراء أنّ أول صلاة صلّاها ، عليه السلام ، إلى الكعبة بالمدينة ، العصر . والعجب أنّ أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصّبح من اليوم الثاني .

كما ثبت في « الصحيحين »[٨] ، عن ابن عمر قال : بينما النّاس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم

---

(١) رواه « مسلم » (٥٢٥) .
(٢) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢٧٤) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٢٥) وهو حديث صحيح .
(٤) انظر « تفسير الطبري » (٢/ ١٩ ـ ٢٤) و« تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٨) .
(٥) رواه النسائي (٢/ ٥٥) (٧٣١) وفي السنن الكبرى (١١٠٠٤) وإسناده ضعيف .
(٦) انظر « تفسير الطبري » (٢/ ١٤٩) .
(٧) رواه البخاري (٤٠) ، ومسلم (٥٢٥) مع إبهام الصلاة .
(٨) رواه البخاري (٤٠٣) ومسلم (٥٢٦) .

آتٍ ، فقال : إنّ رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة .

وفي « صحيح مسلم »[١] ، عن أنس بن مالك نحو ذلك .

والمقصود أنّه لمّا نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس ، طعن طاعنون من السفهاء والجهلة الأغبياء ، وقالوا : ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أنّ ذلك من الله ؛ لما يجدونه من صفة محمد ﷺ في كتبهم ؛ من أنّ المدينة مهاجره ، وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال[٢] : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ ﴾ الآية [البقرة : ١٤٤] . وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كلّه عن سؤالهم ، وتعنّتهم ، فقال[٣] : ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] أي ؛ هو المالك المتصرّف الحاكم الذي لا معقّب لحكمه ، الذي يفعل ما يشاء في خلقه ، ويحكم ما يريد في شرعه ، وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ويضلّ من يشاء عن الطريق القويم ، وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرِّضا والتَّسليم .

ثم قال تعالى[٤] : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي ؛ خياراً ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي : وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم ، وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء بعد التي كان يصلّي بها موسى فمن قبله من المرسلين ، كذلك جعلناكم خيار الأمم ، وخلاصة العالم ، وأشرف الطَّوائف ، وأكرم التَّالد والطَّارف[٥] ؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس ؛ لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم ، كما ثبت في « صحيح البخاريّ »[٦] ، عن أبي سعيد مرفوعاً مِن استشهاد نوح بهذه الأمّة يوم القيامة . وإذا استشهد بهم نوح مع تقدّم زمانه ، فمن بعده بطريق الأولى والأحرى .

ثم قال تعالى مبيّناً حكمته في حلول نقمته بمن شكّ وارتاب بهذه الواقعة ، وحلول نعمته على من صدّق وتابع هذه الكائنة ، فقال[٧] : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ .

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٢٧) .
(٢) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٨٠) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .
(٤) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) .
(٥) التالد والطارف : القديم والحديث من المال .
(٦) رواه « البخاري » (٣٣٣٩) .
(٧) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) .

قال ابن عباس[(١)] : إلاّ لنرى ﴿ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ أي : وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقعِ كبيرة المحلّ شديدة الأمر ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ ﴾ أي ؛ فهم مؤمنون بها مصدّقون لها ، لا يشكّون ولا يرتابون بل يرضون ويسلِّمون ، ويؤمنون ، ويعملون ؛ لأنّهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم .

وقوله[(٢)] : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ ﴾ أي : بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدّاً يطول استقصاؤها ، وذلك مبسوط في « التفسير »[(٣)] ، وسنزيد ذلك بياناً في كتابنا « الأحكام الكبير »[(٤)] .

وقد روى الإمام أحمد[(٥)] : حدّثنا عليّ بن عاصم ، حدّثنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عمر[(٦)] بن قيس ، عن محمد بن الأشعث ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ـ يعني في أهل الكتاب ـ : « إنّهم لم يحسدونا على شيءٍ كما يحسدوننا على يوم الجمعة الّتي هدانا الله لها[(٧)] وضلُّوا عنها[(٨)] ، وعلى القبلة الّتي هدانا الله لها وضلُّوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين » .

فصل

في فرضية صوم شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر[(٩)]

قال ابن جرير[(١٠)] : وفي هذه السنة فرض شهر رمضان . وقد قيل : إنّه فرض في شعبان منها . ثم حكى[(١١)] أنّ رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسألهم عنه ، فقالوا : هذا يومٌ نجّى الله فيه موسى ، فقال : « نحن أحقّ بموسى [منكم] » فصامه ، وأمر الناس

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (٢/ ١٣ ـ ١٤) و« تفسير القرطبي » (٢/ ١٥٦) .
(٢) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢٧٨) .
(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢٧٣ ـ ٢٨٠) .
(٤) قلت : وهو مما لم يتمه رحمه الله . قال ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (٨/ ٣٩٩) بتحقيقي عند تعداد مؤلفاته : ((وشرع في أحكام كثيرة حافلة كتب منها مجلدات إلى الحج)) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥) وهو حديث صحيح .
(٦) في (آ) و(ط) : « عمرو » . والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » . وانظر « تهذيب الكمال » (٢/ ٤٨٤) .
(٧) في (آ) : « إليها » والمثبت من (ط) .
(٨) لفظ : ((عنها)) سقط من (ط) .
(٩) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١١٤) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(١٠) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٧) .
(١١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٧) .

بصيامه . وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين »[١] عن ابن عباسٍ .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ الآية [البقرة : ١٨٣ ـ ١٨٥] .

وقد تكلّمنا على ذلك في « التفسير »[٢] بما فيه كفايةٌ من إيراد الأحاديث المتعلّقة بذلك ، والآثار المرويّة في ذلك ، والأحكام المستفادة منه ، ولله الحمد .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا أبو النّضر ، حدّثنا المسعوديّ ، حدّثنا عمرو بن مرّة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل قال : أحيلت الصلاة ثلاثة أحوالٍ ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوالٍ . فذكر أحوال الصلاة ، قال : وأمّا أحوال الصيام ، فإنّ رسول الله ﷺ قدم المدينة ، فجعل يصوم من كلّ شهرٍ ثلاثة أيامٍ ، وصام عاشوراء ، ثم إنّ الله ، عزّ وجلّ ، فرض عليه الصيام ، وأنزل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً ، فأجزأ ذلك عنه .

ثم إنّ الله ، عزّ وجلّ ، أنزل الآية الأخرى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ، ورخّص فيه للمريض والمسافر ، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصّيام ، فهذان حولان . قال : وكانوا يأكلون ، ويشربون ، ويأتون النّساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا ، ثم إنّ رجلاً من الأنصار يقال له : صرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى ، فجاء إلى أهله فصلّى العشاء ، ثم نام ، فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فأصبح صائماً ، فرآه رسول الله ﷺ قد جهد جهداً شديداً ، فقال : « ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً ؟ » فأخبره . قال : وكان عمر قد أصاب من النساء[٤] بعدما نام ، فأتى رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له ، فأنزل الله ، عزّ وجلّ : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ورواه أبو داود في « سننه » ، والحاكم في « مستدركه » من حديث المسعوديّ نحوه[٥] .

---

(١) رواه البخاري (٢٠٠٤) ومسلم (١١٣٠) .
(٢) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٣٠٥ ـ ٣١٣) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٤٦) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٤) بعده في « مسند الإمام أحمد » : « من جارية أو من حُرَّة » .
(٥) رواه أبو داود (٥٠٧) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٢٧٤) .

وفي « الصحيحين »(١) من حديث الزّهريّ ، عن عروة ، عن عائشة أنّها قالت : كان عاشوراء يصام ، فلمّا نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر .

وللبخاريّ(٢) عن ابن عمر وابن مسعودٍ مثله ، ولتحرير هذا موضعٌ آخر من « التفسير »(٣) ، ومن « الأحكام الكبير » وبالله المستعان .

قال ابن جريرٍ(٤) : وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل : إنّ رسول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيومٍ أو يومين ، وأمرهم بذلك .

قال : وفيها صلّى النبيّ ﷺ صلاة العيد ، وخرج بالناس إلى المصلّى ، فكان أوّل صلاة عيدٍ صلاّها ، وخرجوا بين يديه بالحربة ، وكانت للزّبير ، وهبها له النّجاشيّ ، فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد .

قلت : وفي هذه السّنة ، فيما ذكره غير واحدٍ من المتأخّرين ، فرضت الزّكاة ذات النّصب ، كما سيأتي تفصيل ذلك كلّه بعد وقعة بدرٍ ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثّقة ، وعليه التّكلان ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم .

غزوة بدرٍ العظمى

يوم الفرقان يوم التقى الجمعان(٥)

قال الله تعالى(٦) : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

وقال الله تعالى(٧) : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٠٠١) ومسلم رقم (١١٢٥) .

(٢) رواه البخاري (١٨٩٢) عن ابن عمر ، و(٤٥٠٣) عن ابن مسعود . ورواه أيضاً مسلم في (١١٢٦) و(١١٢٧) عنهما .

(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٣٠٥ ـ ٣٢٥) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٨) .

(٥) قال ابن أبي شيبة في « المغازي » رقم (١٢٠) : ((كانت بدر لسبع عشرة من رمضان في يوم جمعة)) ثم أورد رواية أخرى عقبها برقم (١٢١) ولفظها : ((وكانت بدر يوم الاثنين لسبع عشرة من رمضان)) .

(٦) انظر « التفسير » للمؤلف (٢/ ٩٢ ـ ٩٣) .

(٧) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٥٣ ـ ٥٥٨) .

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال : ٥ ـ ٨] وما بعدها إلى تمام القصّة من سورة «الأنفال»، وقد تكلّمنا عليها هنالك[١]، وسنورد هاهنا في كلّ موضعٍ ما يناسبه .

قال ابن إسحاق[٢]، رحمه الله، بعد ذكره سريّة عبد الله بن جحشٍ: ثم إنّ رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حربٍ مقبلاً من الشّام في عيرٍ لقريشٍ عظيمةٍ، فيها أموالٌ وتجارةٌ، وفيها ثلاثون رجلاً أو أربعون، منهم مخرمة بن نوفلٍ، وعمرو بن العاص .

قال موسى بن عقبة[٣]، عن الزّهريّ: كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرميّ بشهرين . قال: وكان في العير ألف بعيرٍ، تحمل أموال قريشٍ بأسرها إلّا حويطب بن عبد العزّى، فلهذا تخلّف عن بدرٍ .

قال ابن إسحاق[٤]: فحدّثني محمد بن مسلم بن شهابٍ، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكرٍ، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزّبير، وغيرهم من علمائنا، عن ابن عباسٍ، كلٌّ قد حدّثني بعض الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدرٍ، قالوا: لمّا سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشّام، ندب المسلمين إليهم وقال: «هذه عير قريشٍ فيها أموالهم، فاخرجوا إليها؛ لعلّ الله ينفّلكموها» فانتدب الناس، فخفّ[٥] بعضهم وثقل بعضٌ؛ وذلك أنّهم لم يظنّوا أنّ رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وكان أبو سفيان، حين دنا من الحجاز، يتحسّس[٦] الأخبار، ويسأل من لقي من الرّكبان؛ تخوّفاً على أموال الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الرّكبان؛ أنّ محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمروٍ الغفاريّ، فبعثه إلى مكّة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمروٍ سريعاً إلى مكّة .

قال ابن إسحاق[٧]: فحدّثني من لا أتّهم، عن عكرمة، عن ابن عباسٍ، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزّبير، قالا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطّلب، قبل قدوم ضمضمٍ إلى مكّة بثلاث ليالٍ، رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطّلب، فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبةٌ، فاكتم عليّ ما أحدّثك . قال لها: وما رأيت؟

---

(١) انظر القصة بتمامها وما يتعلّق بها، في «التفسير» للمؤلف (٣/ ٥٥٣ ـ ٥٧٣) ولتمام الفائدة راجع «المغازي» لابن أبي شيبة رقم (١٢٧) .
(٢) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٠٦) .
(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٠٢) وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» في «المغازي» منه ص(١٠٣) .
(٤) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧) .
(٥) في (آ): «فخفف» والمثبت من (ط) .
(٦) في (آ): «يتجسس» . وتحسّس الخبر: تَطلّبه وتبحّثه، والتحسُّس شبه التسمُّع والتبصُّر . «لسان العرب» (حسس) .
(٧) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٠٧ ـ ٦٠٩) و«تاريخ الطبري» (٢/ ٤٢٨) .

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا ، يالغدر[١] ، لمصارعكم في ثلاثٍ . [فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله ، مثل[٢] به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا ، يا لغدر ، لمصارعكم في ثلاثٍ] . ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيسٍ[٣] ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكّة ولا دارٌ إلاّ دخلتها منها فلقةٌ[٤] . قال العباس : والله إنّ هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتميها ، لا تذكريها لأحدٍ .

ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له واستكتمه إيّاها ، فذكرها الوليد لأبيه[٥] عتبة ، ففشا الحديث حتى تحدّثت به قريشٌ . قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهلٍ بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة ، فلمّا رآني أبو جهلٍ قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلمّا فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال أبو جهلٍ : يا بني عبد المطّلب [متى حدثت فيكم هذه النّبيّة؟! قال : قلت : وما ذاك؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة . قال : قلت : وما رأت؟ قال : يا بني عبد المطّلب] أما رضيتم أن يتنبّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم؟! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنّه قال : انفروا في ثلاثٍ . فسنتربّص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول ، فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيءٌ ، نكتب عليكم كتاباً ؛ أنّكم أكذب أهل بيتٍ في العرب . قال العباس : فوالله ما كان منّي إليه كبير شيءٍ ، إلاّ أنّي جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً . قال : ثمّ تفرّقنا ، فلمّا أمسيت لم تبق امرأةٌ من بني عبد المطّلب إلاّ أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النّساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة [لشيءٍ] ممّا سمعت؟! قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان منّي إليه من كبيرٍ ، وايم الله لأتعرّضنّ له ، فإذا عاد لأكفيكنّه . قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديدٌ مغضبٌ ، أرى أنّي قد فاتني منه أمرٌ أحبّ أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنّي لأمشي نحوه ، أتعرّضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللّسان ، حديد النّظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ[٦] . قال : قلت في نفسي : ما له ، لعنه الله ، أكلّ هذا فرقٌ منّي أن أشاتمه؟! وإذا هو قد سمع ما لم

---

(١) قال السهيلي في « الروض الأنف » (٥/١١٦) : هكذا هو بضم الغين والدال ؛ جمع غَدُورٍ . . . أي إن تخلَّفْتم فأنتم غُدُرٌ لقومكم .

(٢) أي : قام منتصباً . انظر « القاموس المحيط » (مثل) .

(٣) أبو قبيس : هو اسم الجبل المشرف على مكة ، وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما . انظر « معجم البلدان » (١/ ٨٠) .

(٤) الفِلْقة : القطعة .

(٥) في (آ) و(ط) : « لابنه » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » ، و« تاريخ الطبري » .

(٦) أي يسرع .

أسمع ؛ صوت ضمضم بن عمرو الغفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي ، واقفاً على بعيره ، قد جدع بعيره ، وحوّل رحله ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللّطيمة اللّطيمة[١] ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمدٌ في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . قال : فشغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر ، فتجهّز الناس سراعاً وقالوا : أيظنّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرميّ؟! والله ليعلمنّ غير ذلك .

وذكر موسى بن عقبة[٢] رؤيا عاتكة ، كنحوٍ من سياق ابن إسحاق . قال[٣] : فلمّا جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصّفة ، خافوا من رؤيا عاتكة ، فخرجوا على الصّعب والذّلول .

قال ابن إسحاق[٤] : فكانوا بين رجلين ؛ إمّا خارج وإمّا باعثٍ مكانه رجلاً ، وأوعبت قريشٌ[٥] ، فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ ، إلاّ أنّ أبا لهب بن عبد المطّلب بعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، قد أفلس بها .

قال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني ابن أبي نجيح ، أنّ أميّة بن خلفٍ كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبي معيطٍ وهو جالسٌ في المسجد بين ظهراني قومه ، بمجمرةٍ يحملها ، فيها نارٌ ومجمرٌ[٧] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليٍّ ، استجمر ، فإنّما أنت من النّساء . قال : قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به . قال : ثم تجهّز ، وخرج مع الناس . هكذا قال ابن إسحاق في هذه القصّة .

وقد رواها البخاريّ[٨] على نحوٍ آخر ، فقال : حدّثني أحمد بن عثمان ، حدّثنا شريح بن مسلمة ، ثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، حدّثني عمرو بن ميمونٍ ، أنّه سمع عبد الله بن مسعودٍ حدّث عن سعد بن معاذٍ أنّه كان صديقاً لأميّة بن خلفٍ ، وكان أميّة إذا مرّ بالمدينة ، نزل على سعد بن معاذٍ ، وكان سعدٌ إذا مرّ بمكّة نزل على أميّة ، فلمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة ، انطلق سعد بن معاذٍ معتمراً ، فنزل على أميّة بمكّة ، فقال لأميّة : انظر لي ساعة خلوةٍ ؛ لعلّي أطوف بالبيت . فخرج به قريباً

---

(١) اللطيمة : الجِمال التي تحمل العِطر والبزَّ ، غير الميرة . والمعنى أدركوها . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ٢٥١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤) .
(٣) أي موسى بن عقبة . انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ١٠٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٩ ـ ٦١٠) .
(٥) أي خرجوا بأجمعهم . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٥/ ٢٠٦) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٠) . قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ٢٨٤) : بيَّن ابن إسحاق ـ في روايتنا هذه ـ الصفة التي كاد بها أبو جهل أمية حتى خالف رأي نفسه في ترك الخروج من مكة .
(٧) المجمرة : ما يُوضع فيه الجمر مع البَخُور . والمجمَر : العود يُتبخر به . انظر « لسان العرب » (جمر) .
(٨) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٠) .

من نصف النّهار ، فلقيهما أبو جهلٍ ، فقال : يا أبا صفوان ، من هذا معك؟ قال : هذا سعدٌ . قال له أبو جهلٍ : ألا أراك تطوف بمكّة آمناً ، وقد آويتم الصّباة[١] ، وزعمتم أنّكم تنصرونهم وتُعينونهم ، أما والله ، لولا أنّك مع أبي صفوان ، ما رجعت إلى أهلك سالماً . فقال له سعدٌ ، ورفع صوته عليه : أما والله ، لئن منعتني هذا ، لأمنعنّك ما هو أشدّ عليك منه ؛ طريقك على المدينة . فقال له أميّة : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم ، فإنّه سيّد أهل الوادي ، قال سعدٌ : دعنا عنك يا أميّة ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّهم قاتلوك » . قال : بمكّة؟ قال : لا أدري . ففزع لذلك أميّة فزعاً شديداً ، فلمّا رجع إلى أهله قال : يا أمّ صفوان ، ألم تري ما قال لي سعدٌ؟ قالت : وما قال لك؟ قال : زعم أنّ محمداً أخبرهم أنّهم قاتليّ ، فقلت له : بمكّة؟ قال : لا أدري . فقال أمية : والله لا أخرج من مكّة . فلمّا كان يوم بدرٍ ، استنفر أبو جهلٍ الناس فقال : أدركوا عيركم ، فكره أميّة أن يخرج ، فأتاه أبو جهلٍ فقال : يا أبا صفوان ، إنّك متى يراك الناس قد تخلّفت وأنت سيّد أهل الوادي ، تخلّفوا معك . فلم يزل به أبو جهلٍ حتى قال : أمّا إذ غلبتني[٢] ، فوالله لأشترينّ أجود بعيرٍ بمكّة . ثم قال أميّة : يا أمّ صفوان ، جهّزيني . فقالت له : يا أبا صفوان ، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربيّ؟ قال : لا ، وما أريد أن أجوز معهم إلّا قريباً . فلمّا خرج أميّة ، أخذ لا ينزل منزلاً إلّا عقل بعيره ، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدرٍ .

وقد رواه البخاريّ في موضعٍ آخر[٣] ، عن أحمد بن إسحاق ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق به نحوه . تفرّد به البخاريّ[٤] .

وقد رواه الإمام أحمد[٥] ، عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيدٍ ، كلاهما عن إسرائيل ، وفي رواية إسرائيل : قالت له امرأته : والله إنّ محمداً لا يكذب .

قال ابن إسحاق[٦] : ولمّا فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ، ذكروا ما كان[٧] بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنّا نخشى أن يأتونا من خلفنا . وكانت الحرب التي كانت بين قريشٍ وبين بني بكرٍ ، في ابنٍ لحفص بن الأخيف من بني عامر بن لؤيٍّ ؛ قتله رجلٌ من بني بكرٍ بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح ، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفصٍ ، فقتل عامراً وخاض بسيفه في

---

(١) يقصد رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرين من مكة إلى المدينة . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٧/ ٢٨٣) : ((الصباة ؛ بضم المهملة وتخفيف الموحدة ، جمع صابئ بموحدة مكسورة ثم تحتانية خفيفة بغير همزة ، وهو الذي ينتقل من دين إلى دين)) .

(٢) في (آ) و(ط) : « عبتني » وأثبت لفظ « صحيح البخاري » .

(٣) رواه البخاري (٣٦٣٢) .

(٤) في (آ) و(ط) : « محمد بن إسحاق » والتصحيح من « صحيح البخاري » .

(٥) في « المسند » (١/ ٤٠٠) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦١٠ ـ ٦١١) .

(٧) في (ط) : « ما كانوا » .

بطنه ، ثم جاء من الليل فعلّقه(١) بأستار الكعبة ، فخافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم .

قال ابن إسحاق(٢) : فحدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير ، قال : لمّا أجمعت قريشٌ المسير ، ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكرٍ ، فكاد ذلك أن يثنيهم ، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة [بن مالك] بن جعشم المدلجيّ ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيءٍ تكرهونه . فخرجوا سراعاً .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى(٣) : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٧ ـ ٤٨] . غرّهم ـ لعنه الله ـ حتى ساروا ، وسار معهم منزلةً منزلةً ، ومعه جنوده وراياته ، كما قاله غير واحدٍ منهم ، فأسلمهم لمصارعهم ، فلمّا رأى الجدّ والملائكة تنزل للنصر ، وعاين جبريل ، نكص على عقبيه ، وقال : إنّي بريءٌ منكم ، إنّي أرى ما لا ترون ، إنّي أخاف الله . وهذا كقوله [تعالى](٤) : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦] .

وقد قال [الله] تعالى(٥) : ﴿ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ الْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] . فإبليس ـ لعنه الله ـ لمّا عاين الملائكة يومئذٍ تنزل للنصر ، فرّ ذاهباً ، فكان أوّل من هرب يومئذٍ ، بعد أن كان هو المشجّع لهم ، المجير لهم ، كما غرّهم ووعدهم ومنّاهم ، وما يعدهم الشّيطان إلاّ غروراً .

وقال يونس(٦) عن ابن إسحاق : خرجت قريشٌ على الصّعب والذّلول ، في تسعمئةٍ وخمسين مقاتلاً ، معهم مئتا فرسٍ يقودونها ، ومعهم القيان يضربن بالدّفوف ، ويغنّين بهجاء المسلمين ، وذكر المطعمين لقريشٍ يوماً يوماً .

وذكر الأمويّ(٧) أنّ أوّل من نحر لهم ، حين خرجوا من مكّة ، أبو جهلٍ ؛ نحر لهم عشراً ، ثم نحر لهم أميّة بن خلفٍ بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيل بن عمروٍ بقديدٍ عشراً ، ومالوا من قديدٍ إلى مياهٍ نحو

---

(١) أي سيف عامر .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٢) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (٤/ ١٦ ـ ١٩) .
(٤) انظر « تفسير ابن كثير » (٨/ ١٠١ ـ ١٠٢) .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (٥/ ١٠٩) .
(٦) وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٢) .
(٧) وأخرجه الواقدي في « المغازي » (١/ ١٤٤) عن موسى بن عقبة ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٩ ـ ١١٠) .

البحر ، فظلّوا فيها وأقاموا بها يوماً ، فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعاً ، ثم أصبحوا بالجحفة ، فنحر لهم يومئذٍ عتبة بن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأبواء ، فَنَحَر لهم نبيهٌ ومنبّهٌ ابنا الحجّاج عشراً ، ونحر لهم العباس بن عبد المطّلب عشراً ، ونحر لهم على ماء بدرٍ أبو البختريّ عشراً ، ثم أكلوا من أزوادهم .

قال الأمويّ : [حدّثنا أبي] حدّثنا أبو بكرٍ الهذليّ قال : كان مع المشركين ستّون فرساً وستّمئة درعٍ ، وكان مع رسول الله ﷺ فرسان وستّون درعاً .

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيرهم من مكّة ، ومسيرهم إلى بدرٍ . وأمّا رسول الله ﷺ فقال ابن إسحاق[1] : وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان ، في أصحابه ، واستعمل ابن أمّ مكتومٍ على الصلاة بالناس ، وردّ أبا لبابة من الرّوحاء ، واستعمله على المدينة ، ودفع اللّواء إلى مصعب بن عميرٍ ، وكان أبيض ، وبين يدي رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ؛ إحداهما مع عليّ بن أبي طالبٍ ، يقال لها : العقاب . والأخرى مع بعض الأنصار .

قال ابن هشامٍ[2] : كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذٍ .

وقال الأمويّ : وكان معهم فرسان كانت مع الحباب بن المنذر .

قال ابن إسحاق[3] : وجعل رسول الله ﷺ على السّاقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النّجّار .

وقال الأمويّ[4] : وكان معهم فرسان ، على إحداهما مصعب بن عميرٍ ، وعلى الأخرى الزّبير بن العوّام ، ومرّةً سعد بن خيثمة ، ومرةً المقداد بن الأسود .

وقد روى الإمام أحمد[5] ، من حديث أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غير المقداد .

وروى البيهقيّ[6] ، من طريق ابن وهبٍ ، عن أبي صخرٍ ، عن أبي معاوية البجليّ[7] ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ أنّ عليّاً قال له : ما كان معنا إلاّ فرسان ؛ فرسٌ للزّبير ، وفرسٌ للمقداد بن الأسود . يعني يوم بدرٍ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٢ ـ ٦١٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣) .
(٤) وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١١٠) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٢٥ ، ١٣٨) وهو حديث صحيح .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٩) .
(٧) في (آ) و(ط) : « البلخي » . والتصحيح من « دلائل النبوة » . وانظر « تهذيب الكمال » (٣٤/ ٣٠٣) .

قال الأمويّ[١] : حدّثنا أبي ، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالدٍ عن البهيّ[٢] قال : كان مع رسول الله ﷺ يوم بدرٍ فارسان ؛ الزّبير بن العوّام على الميمنة ، والمقداد بن الأسود على الميسرة .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها[٤] ، فكان رسول الله ﷺ وعليٌّ ومرثد بن أبي مرثدٍ يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة[٥] يعتقبون بعيراً . كذا قال ابن إسحاق ، رحمه الله تعالى .

وقد قال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا عفان ، عن حمّاد بن سلمة ، حدّثنا عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيشٍ ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : كنّا يوم بدرٍ كلّ ثلاثةٍ على بعيرٍ ؛ كان أبو لبابة وعليٌّ زميلَي رسول الله ﷺ . قال : فكانت عقبة[٧] رسول الله ﷺ ، فقالا : نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتما بأقوى منّي ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وقد رواه النّسائيّ[٨] عن الفلاّس ، عن ابن مهديٍّ ، عن حمّاد بن سلمة به .

قلت : ولعلّ هذا كان قبل أن يردّ أبا لبابة من الرّوحاء ، ثم كان زميلاه عليٌّ ومرثدٌ بدل أبي لبابة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٩] : حدّثنا محمد بن جعفرٍ ، حدّثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى[١٠] ، عن سعد بن هشامٍ ، عن عائشة : أنّ رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدرٍ . وهذا على شرط « الصحيحين » . وإنّما رواه النّسائيّ[١١] ، عن أبي الأشعث ، عن خالد بن الحارث ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة به .

قال شيخنا الحافظ المزّيّ في « الأطراف »[١٢] : وتابعه سعيد بن بشيرٍ[١٣] ، عن قتادة ، وقد رواه

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » ، « المغازي » ص (٧٩) .
(٢) في (آ) و(ط) : « التيمي » . والتصحيح من « تهذيب الكمال » (٣/ ٧٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣) .
(٤) أي يتعاقبونها في الركوب واحداً بعد واحد . انظر « لسان العرب » (عقب) .
(٥) وهو من موالي رسول الله ﷺ انظر ترجمته في « أسد الغابة » (١/ ١٥٦) و« الإصابة » (١/ ١٣٥) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤١١) وهو حديث حسن من أجل عاصم بن بهدلة .
(٧) أي جاءت نَوْبَتُه ووقت ركوبه . انظر « لسان العرب » (عقب) .
(٨) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٨٠٧) .
(٩) في « المسند » (٦/ ١٥٠) وهو حديث صحيح .
(١٠) في (آ) و(ط) : « زرارة بن أبي أوفى » وهو خطأ . والتصحيح من « تهذيب الكمال » (٩/ ٣٣٩) .
(١١) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٨٠٩) .
(١٢) يعني « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » والنقل منه (١١/ ٤١٠) .
(١٣) في (آ) و(ط) : « سعيد بن بشر » والتصحيح من « تحفة الأشراف » وانظر « تهذيب الكمال » (١٠/ ٣٤٩) .

هشامٌ ، عن قتادة ، عن زرارة ، عن أبي هريرة[١] ، فالله أعلم .

وقال البخاريّ[٢] : حدّثنا يحيى بن بكيرٍ ، ثنا اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، أنّ عبد الله بن كعبٍ قال : سمعت كعب بن مالكٍ يقول : لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها ، إلّا في غزوة تبوك ، غير أنّي تخلّفت عن غزوة بدرٍ ، ولم يعاتب الله أحداً تخلّف عنها ، إنّما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريشٍ ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعادٍ ، تفرّد به .

قال ابن إسحاق[٣] : فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكّة على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذي الحليفة ، ثم على أولات الجيش ، ثم مرّ على تُربان ، ثم على ملَلٍ ، ثم على غَميس الحَمام ، ثم على صخيرات اليمامة ، ثم على السّيالة ، ثم على فجّ الرّوحاء ، ثم على شنوكة ، وهي الطريق المعتدلة ، حتى إذا كان بعرق الظّبية ، لقي رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : سلّم على رسول الله ﷺ . قال : أوَفيكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا : نعم . فسلّم عليه ثم قال : لئن كنت رسول الله ، فأخبرني عمّا في بطن ناقتي هذه . قال له سلمة بن سلامة بن وقشٍ : لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل عليّ ، فأنا أخبرك عن ذلك ؛ نزوت عليها ، ففي بطنها منك سخلةٌ . فقال رسول الله ﷺ : « مه ، أفحشت على الرجل » . ثم أعرض عن سلمة ، ونزل رسول الله ﷺ سجسج ، وهي بئر الرّوحاء ، ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ، ترك طريق مكّة بيسارٍ وسلك ذات اليمين على النّازية ، يريد بدراً ، فسلك في ناحيةٍ منها ، حتى إذا جزع وادياً[٤] يقال له : رُحْقَان[٥] بين النّازية وبين مضيق الصّفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصبّ منه ، حتى إذا كان قريباً من الصّفراء ، بعث بسبس بن عمروٍ الجهني ، حليف بني ساعدة ، وعديّ بن أبي الزّغباء ، حليف بني النّجار إلى بدرٍ ، يتجسّسان له الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حربٍ وعِيره .

وقال موسى بن عقبة[٦] : بَعَثَهما قبل أن يخرج من المدينة ، فلمّا رجعا فأخبراه بخبر العير ؛ استنفر الناس إليها ، فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظاً ، فقد بعثهما مرّتين ، والله أعلم .

---

(١) انظر « السنن الكبرى » للنسائي (٨٨١٠) .

(٢) رواه البخاري (٣٩٥١) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣-٦١٤) .

(٤) جزع الوادي : أي قطَعه ولا يكون إلا عَرَضاً . « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٢٦٩) .

(٥) في (آ) و(ط) : ((وحقان)) وهو خطأ ، والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٤) و« المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص(١٥٤) .

(٦) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٢) .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله[١] : ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدّمهما ، فلمّا استقبل الصّفراء ، وهي قريةٌ بين جبلين ، سأل عن جبليها : ما أسماؤهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما : مُسلحٌ . وللآخر : مُخرئٌ ، وسأل عن أهلهما ، فقيل : بنو النار ، وبنو حراقٍ ، بطنان من غفارٍ . فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما ، فتركهما والصّفراء بيسارٍ ، وسلك ذات اليمين ، على وادٍ يقال له : ذفران ، فجزع فيه ثم نزل ، وأتاه الخبر عن قريشٍ ومسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريشٍ ، فقام أبو بكرٍ الصدّيق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمروٍ فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ، فوالّذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى بِرك الغُماد[٢] ، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له [به] . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا عليّ أيّها الناس » . وإنّما يريد الأنصار ، وذلك أنّهم كانوا عدد الناس ، وأنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنّا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمّتنا ، نمنعك ممّا نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله ﷺ يتخوّف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره ، إلاّ ممّن دهمه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍّ من بلادهم . فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذٍ : والله لكأنّك تريدنا يارسول الله . قال : « أجل » . قال : فقد آمنّا بك ، وصدّقناك ، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطّاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحقّ ، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلّف منا رجلٌ واحدٌ ، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً ، إنّا لصبُرٌ في الحرب ، صدُقٌ عند اللقاء ، لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسر على بركة الله . قال : فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعدٍ ونشّطه ، ثم قال : « سيروا وأبشروا ، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم » . هكذا ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله[٣] .

وله شواهد من وجوهٍ كثيرةٍ ، فمن ذلك ما رواه البخاريّ في « صحيحه »[٤] : حدّثنا أبو نعيمٍ ، حدّثنا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٤) ولفظ ((به)) الذي بين الحاصرتين مستدرك منها .

(٢) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل : بلد بأقصى اليمن ، وقيل : هو في أقاصي هجر ، انظر « معجم البلدان » (١/ ٥٨٩) و« الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري ص (٨٦) بتحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس . وقال السهيلي في « الروض الأنف » (٢/ ٦٥) : « وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة بالحبشة » .

(٣) ولتمام الفائدة راجع « زاد المعاد » لابن القيم (٣/ ١٥٤ ـ ١٥٥) بتحقيق الشيخين الفاضلين شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٤) رواه البخاري (٣٩٥٢) .

إسرائيل ، عن مخارقٍ ، عن طارق بن شهابٍ قال : سمعت ابن مسعودٍ يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه ، أحبّ إليّ ممّا عدل به ؛ أتى النبيّ ﷺ وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبيّ ﷺ أشرق وجهه وسرّه ، انفرد به البخاريّ دون مسلمٍ ، فرواه في مواضع من « صحيحه » ، من حديث مخارقٍ به[١] . ورواه النّسائيّ[٢] من حديثه ، وعنده : جاء المقداد يوم بدرٍ على فرسٍ . . . فذكره .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عبيدة ، هو ابن حميدٍ ، عن حميدٍ الطويل ، عن أنسٍ قال : استشار النبيّ ﷺ مخرجه إلى بدرٍ ، فأشار عليه أبو بكرٍ ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم ، فقال بعض الأنصار : إيّاكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار . فقال بعض الأنصار : يا رسول الله[٤] ، إذاً لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى بِرْك الغُماد لاتبعناك ، وهذا الإسناد ثلاثيٌّ صحيح على شرط الصحيح .

وقال أحمد أيضاً[٥] : حدّثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنس بن مالكٍ أنّ رسول الله ﷺ شاور حيث بلغه إقبال أبي سفيان . قال : فتكلّم أبو بكرٍ فأعرض عنه ، ثم تكلّم عمر فأعرض عنه ، فقال سعد بن عبادة : إيّانا يريد رسول الله ﷺ ، والّذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بِرك الغماد لفعلنا . فندب رسول الله ﷺ الناس . قال : فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ، ووردت عليهم روايا[٦] قريشٍ ، وفيهم غلامٌ أسود لبني الحجّاج فأخذوه ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه ، فيقول : ما لي علمٌ بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل بن هشامٍ ، وعتبة بن ربيعة ، [وشيبة] ، وأميّة بن خلفٍ . فإذا قال ذلك ضربوه ، فإذا ضربوه ، قال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه قال : ما لي بأبي سفيان علمٌ ، ولكن هذا أبو جهلٍ وعتبة وشيبة وأُميّة [في الناس][٧] فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ، ورسول الله ﷺ قائمٌ يصلي ، فلمّا رأى ذلك انصرف فقال : « والذي نفسي بيده إنّكم لتضربونه إذا صدقكم ، وتتركونه إذا كذبكم . قال : وقال

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٩) .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١١١٤٠) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٨٨) .

(٤) كذا في (آ) و(ط) وفي « المسند » : « فقال قائل الأنصار : تستشيرنا يا نبي الله؟ » .

(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .

(٦) الروايا : جمع راوِيَة ، والراوية : البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء . انظر « لسان العرب » (روي) .

(٧) ما بين الحاصرتين مستدرك من « مسند الإمام أحمد » .

رسول الله ﷺ : « هذا مصرع فلان غداً » . يضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا . فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ .

ورواه مسلم[١] ، عن أبي بكرٍ ، عن عفّان به نحوه .

وقد روى ابن أبي حاتمٍ في « تفسيره » ، وابن مردويه[٢] ، واللفظ له ، من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيبٍ ، عن أسلم ، عن أبي عمران ، أنّه سمع أبا أيوب الأنصاريّ يقول : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : « إنّي أخبرت عن عير أبي سفيان أنّها مقبلةٌ ، فهل لكم أن نخرج قِبَل هذه العير ، لعلّ الله يغنمناها؟ » . فقلنا : نعم . فخرج وخرجنا ، فلمّا سرنا يوماً أو يومين ، قال لنا : « ما ترون في القوم، فإنّهم قد أخبروا بمخرجكم؟ » . فقلنا : لا والله ، ما لنا طاقةٌ بقتال القوم ، ولكنّا أردنا العير . ثم قال : « ما ترون في قتال القوم؟ » . فقلنا مثل ذلك . فقال المقداد بن عمروٍ : إذاً لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . قال : فتمنّينا معشر الأنصار لو أنّا قلنا مثل ما قال المقداد، أحبّ إلينا من أن يكون لنا مالٌ عظيمٌ . قال : فأنزل الله ، عزّ وجلّ، على رسوله : ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال : ٥] . وذكر تمام الحديث .

وروى ابن مردويه أيضاً[٣] ، من طريق محمد بن عمروٍ بن علقمة بن وقّاصٍ اللّيثيّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، حتى إذا كان بالرّوحاء ، خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال أبو بكرٍ : يا رسول الله ، بلغنا أنّهم بكذا وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال عمر مثل قول أبي بكرٍ ، ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال سعد بن معاذٍ : يا رسول الله ، إيّانا تريد ، فوالّذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قطّ ، ولا لي بها علمٌ ، ولئن سرت حتى تأتي بِرك الغماد من ذي يمنٍ ، لنسيرنّ معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكم متّبعون ، ولعلّك أن تكون خرجت لأمرٍ وأحدث الله إليك غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت . فنزل القرآن على قول سعدٍ : ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ الآيات .

---

(١) رواه مسلم (١٧٧٩) .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١٦٣) ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وابن مردويه . وانظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٥٥) وفي سنده ابن لهيعة ، وفيه كلام .

(٣) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٨٥٠٧) ، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة به ، وذكره المصنف في « التفسير » (٣/ ٥٥٥) بسند ابن مردويه . والسيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١٦٣) ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن مردويه ، وفي سنده محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، وهو صدوق له حسن الحديث ، على أن والده عمرو بن علقمة مجهول ، كما هو مبين في « تحرير التقريب » .

وذكره الأمويّ في « مغازيه »[١] ، وزاد بعد قوله : وخذ من أموالنا ما شئت : وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منّا كان أحبّ إلينا ممّا تركت ، وما أمرت به من أمرٍ ، فأمرنا تبعٌ لأمرك ، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غُمدان[٢] ، لنسيرنّ معك .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفران ، فسلك على ثنايا يقال لها : الأصافرُ ، ثم انحطّ منها إلى بلدٍ يقال له : الدّبة[٤] . وترك الحنّان بيمينٍ ، وهو كثيبٌ عظيمٌ كالجبل العظيم ، ثم نزل قريباً من بدرٍ ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه .

قال ابنُ هشامٍ : هو أبو بكرٍ .

قال ابن إسحاق[٥] : ـ كما حدّثني محمد بن يحيى بن حَبّان ـ : حتى وقف على شيخٍ من العرب ، فسأله عن قريشٍ وعن محمدٍ وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممّن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « إذا أخبرتنا أخبرناك » . فقال : أو ذاك بذاك؟ قال : « نعم » . قال الشيخ : فإنّه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به رسول الله ﷺ ـ وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به قريشٌ ـ فلمّا فرغ من خبره قال : ممّن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ : « نحن من ماءٍ » . ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : ما من ماءٍ؟ أمن ماء العراق؟ قال ابن هشامٍ : يقال لهذا الشيخ : سفيان الضّمريّ .

قال ابن إسحاق[٦] : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، فلمّا أمسى بعث عليّ بن أبي طالبٍ ، والزّبير بن العوّام ، وسعد بن أبي وقّاصٍ ، في نفرٍ من أصحابه إلى ماء بدرٍ ، يلتمسون الخبر له ، كما حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير[٧] ، فأصابوا راويةً لقريشٍ ، فيها أسلم غلام بني الحجّاج ، وعريضٌ أبو يسارٍ غلام بني العاص بن سعيدٍ ، فأتوا بهما ، فسألوهما ، ورسول الله ﷺ قائمٌ يصلّي ، فقالوا : نحن سقاة قريشٍ ، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ،

---

(١) انظر « سبل الهدى والرشاد » (٤/ ٤٢ ، ٤٣) .
(٢) غمدان : قصبة صنعاء باليمن ، كان الضحاك بناه على اسم الزهرة ، وخرّبه عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فصار تلاً عظيماً . انظر « الروض المعطار » ص (٤٢٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٥ ـ ٦١٦) ، و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٥) .
(٤) في (آ) و(ط) : « الدِّية » ، والتصحيح من هامش (ط) و« السيرة النبوية » و« تاريخ الطبري » . والدبة : بلد بين الأصافر وبدر . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٥٤٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٦) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) وهو مرسل .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٦ ـ ٦١٧) .
(٧) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٦) ، و« دلائل البيهقي » (٣/ ٤٢ ـ ٤٣) .

فضربوهما ، فلمّا أذلقوهما[١] قالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما ، وركع رسول الله ﷺ ، وسجد سجدتيه وسلّم ، وقال : « إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما! صدقا والله ، إنّهما لقريشٍ ، أخبراني عن قريشٍ » . قالا : هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى . والكثيب : العقنقل[٢] . فقال لهما رسول الله ﷺ : « كم القوم؟ » قالا : كثيرٌ . قال : « ما عدّتهم؟ » . قالا : لا ندري . قال : « كم ينحرون كلّ يوم؟ » . قالا : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً . فقال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين التّسعمئة إلى الألف » . ثم قال لهما : « فمن فيهم من أشراف قريشٍ؟ » . قالا : عتبة بن رَبيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختريّ بن هشام ، وحكيم بن حزامٍ ، ونوفل بن خويلدٍ ، والحارث بن عامرٍ بن نوفلٍ ، وطعيمة بن عديّ بن نوفلٍ ، والنّضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشامٍ ، وأميّة بن خلفٍ ، ونبيهٌ ومنبّهٌ ابنا الحجّاج ، وسهيل بن عمروٍ ، وعمرو بن عبد ودٍّ . قال : فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان بسبس بن عمروٍ ، وعديّ بن أبي الزّغباء[٤] قد مضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تلٍّ قريبٍ من الماء ، ثم أخذا شنّاً[٥] لهما يستقيان فيه ، ومجديّ بن عمروٍ الجهنيّ على الماء ، فسمع عديٌّ وبسبسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنّما تأتي العير غداً أو بعد غدٍ ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك . قال مجديٌّ : صدقت . ثم خلّص بينهما . وسمع ذلك عديٌّ وبسبسٌ ، فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ ، وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدّم العير حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمروٍ : هل أحسست أحداً؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلاّ أنّي قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التّلّ ، ثم استقيا في شنٍّ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما ففتّه ، فإذا فيه النّوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجه عيره عن الطريق ، فساحل بها[٦] وترك بدراً بيسارٍ ، وانطلق حتى أسرع ، وأقبلت قريشٌ ، فلمّا نزلوا الجحفة ، رأى جهيم بنُ الصّلت بن مخرمة ابن المطّلب بن عبد منافٍ رؤيا ، فقال : إنّي رأيت[٧] فيما يرى النائم ، وإنّي لبين النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجلٍ قد أقبل على فرسٍ ، حتى وقف ومعه بعيرٌ له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشامٍ ، وأميّة بن خلفٍ ، وفلانٌ ، وفلانٌ . فعدّ رجالاً ممّن قتل يوم بدرٍ من

---

(١) أذلقوهما : بالغوا في ضربهما وآذوهما . انظر « شرح غريب السيرة » لأبي ذر الخشني (٢/ ٣٤) .
(٢) العقنقل : الرمل المتراكم . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦١٧ ـ ٦١٨) .
(٤) تصحفت في (آ) إلى « الرغباء » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » .
(٥) الشن : القربة . انظر « مختار الصحاح » (شنن) .
(٦) فساحل بها : أي أخذها إلى طريق الساحل .
(٧) لفظ « رأيت » سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .

أشراف قريشٍ ، ثم رأيته ضرب في لبّة بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خباءٌ من أخبية العسكر إلاّ أصابه نضحٌ من دمه . فبلغت أبا جهلٍ ، لعنه الله ، فقال : هذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني المطّلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق(١) : ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجّاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشامٍ : والله لا نرجع حتى نرد بدراً ـ وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوقٌ كلّ عامٍ ـ فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا . وقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهبٍ الثّقفيّ ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بالجحفة : يا بني زهرة ، قد نجّى الله لكم أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفلٍ ، وإنّما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبنها وارجعوا ، فإنّه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعةٍ ، لا ما يقول هذا . قال : فرجعوا ، فلم يشهدها زهريٌّ واحدٌ ؛ أطاعوه وكان فيهم مطاعاً ، ولم يكن بقي بطنٌ من قريشٍ إلاّ وقد نفر منهم ناسٌ ، إلاّ بني عديٍّ ، لم يخرج منهم رجلٌ واحدٌ ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحدٌ . قال : ومضى القوم ، وكان بين طالب بن أبي طالبٍ ـ وكان في القوم ـ وبين بعض قريشٍ محاورةٌ ، فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشمٍ ، وإن خرجتم معنا ، أنّ هواكم مع محمدٍ . فرجع طالبٌ إلى مكة مع من رجع ، وقال في ذلك : [من الرجز]

لاهُـمّ إمّـا يغـزونّ طـالـبْ في عصبةٍ محالفٌ(٢) محاربْ
في مِقنبٍ(٣) من هذه المقانبْ فليكن المسلوب غير السّالبْ
وليكن المغلوب غير الغالبْ

قال ابن إسحاق(٤) : ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ، خلف العقنقل وبطن الوادي ، وهو يليل ، بين بدرٍ وبين العقنقل ، الكثيب الذي خلفه قريشٌ ، والقليب ببدرٍ ، في العدوة الدّنيا من بطن يليل إلى المدينة .

قلت : وفي هذا قال الله تعالى(٥) : ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ ﴾ أي ؛ من ناحية الساحل . ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٨ ـ ٦١٩) .
(٢) في (ط) : « مخالف » .
(٣) المقنب : جماعة الخيل مقدار ثلاثمئة أو نحوها . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٩ ـ ٦٢٠) .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (٤/ ١٠ ـ ١٢) .

مَفْعُولًا ﴾ الآيات [الأنفال : ٤٢] . وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهساً[١] ، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماءٌ ، لبّد لهم الأرض[٢] ، ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشاً منها ماءٌ لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

قلت : وفي هذا قوله تعالى[٣] : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال : ١١] . فذكر أنّه طهّرهم ظاهراً وباطناً ، وأنّه ثبّت أقدامهم ، وشجّع قلوبهم ، وأذهب عنهم تخذيل الشيطان ، وتخويفه للنفوس ووسوسته للخواطر ، وهذا تثبيت الباطن والظاهر ، وأنزل النصر عليهم من فوقهم ، في قوله[٤] : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ . أي : على الرءوس ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ . أي : لئلاّ يستمسك منهم السلاح . ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ [الأنفال : ١٢ - ١٤] .

قال ابن جريرٍ[٥] : حدّثني هارون بن إسحاق ، ثنا مصعب بن المقدام ، ثنا إسرائيل ، ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ قال : أصابنا من الليل طشٌّ من المطر[٦] ، يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدرٍ ، فانطلقنا تحت الشجر والحجَف ، نستظلّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ ، يعني قائماً يصلّي[٧] ، وحرّض على القتال .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا عبد الرحمن بن مهديٍّ ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائمٌ ، إلاّ رسول الله ﷺ تحت شجرةٍ يصلّي ويبكي حتى أصبح . وسيأتي هذا الحديث مطوّلاً . ورواه النّسائيّ[٩] ، عن بندارٍ ، عن غندرٍ ، عن شعبة به .

---

(١) الدهس : قيل : هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملاً ، وليس بتراب ولا طين . انظر « لسان العرب » (دهس) .
(٢) لبّد الأرض : جعلها قوية لا تسوخ فيها الأرجل . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ٢٢٤) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » : (٣/ ٥٦٢ ـ ٥٦٥) .
(٤) انظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٦٥ ـ ٥٦٧) .
(٥) انظر تفسير الطبري (٩/ ١٩٤ ـ ١٩٥) و« تاريخه » (٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٦) .
(٦) طش المطر : الضعيف القليل منه « النهاية » .
(٧) أي يدعو الله تعالى .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٢٥) وهو حديث صحيح .
(٩) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٢٣) . عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة به . وكذا في « جامع المسانيد » للمصنف (١٩/ ١٠٥) و« تحفة الأشراف » (٧/ ٣٥٧ و٣٥٨) وليس عن بندار (وهو محمد بن بشار) عن غندر كما في (آ) و(ط) هنا .

وقال مجاهدٌ[١] : أنزل عليهم المطر ، فأطفأ به الغبار ، وتلبّدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدرٍ ، ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلّي إلى جذم شجرةٍ هناك ، ويكثر في سجوده أن يقول : « يا حيّ يا قيّوم » . يكرّر ذلك ويلظّ به ، عليه السلام[٢] .

قال ابن إسحاق[٣] : فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بدرٍ ، نزل به .

قال ابن إسحاق[٤] : فحُدّثت عن رجالٍ من بني سلِمة ، أنّهم ذكروا أنّ الحباب بن المنذر بن الجموح قال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله ، ـ ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرّأي والحرب والمكيدة ؟ قال : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » . قال : يا رسول الله ، فإنّ هذا ليس بمنزلٍ ، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم فننزله ، ثم نغوّر[٥] ما وراءه من القلب[٦] ، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ « لقد أشرت بالرّأي » .

قال الأمويّ[٧] : حدّثنا أبي ، قال : وزعم الكلبيّ ، عن أبي صالحٍ ، عن ابن عباسٍ قال : بينا رسول الله ﷺ يجمع الأقباص ، وجبريل عن يمينه ، إذ أتاه ملكٌ من الملائكة ، فقال : يا محمد ، إنّ الله يقرأ عليك السلام . فقال رسول الله ﷺ : « هو السّلام ، ومنه السلام ، وإليه السلام » . فقال الملك : إنّ الله يقول لك : إنّ الأمر هو الذي أمرك به الحباب بن المنذر . فقال رسول الله ﷺ : « ياجبريل ، هل تعرف هذا ؟ » . فقال : ما كلُّ أهل السماء أعرف ، وإنّه لصادقٌ ، وما هو بشيطانٍ .

---

(١) وأخرجه عنه الطبري في « تفسيره » (٩/ ١٩٦) .
(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٤٤٧) والحاكم في « المستدرك » (١/ ٢٢٢) من حديث علي ، رضي الله عنه وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٠) . و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٠) وإسناده ضعيف لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق والرجال من بني سلمة ، وقد وصله الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) من حديث الحباب ، وفي سنده مجاهيل . قال الذهبي في تلخيصه : قلت : حديث منكر ، وسنده ـ سكت عنه ، ولعله يريد وسنده (واهٍ) أو نحوه ، ورواه الأموي من حديث ابن عباس كما في « البداية » (٥/ ٨٢) وفيه الكلبي ، وهو كذاب .
(٥) قال أبو ذر الخشني : من رواه بالغين المعجمة فمعناه نذهبه وندفنه ، ومن رواه بالعين المهملة ـ وهو لفظ رواية الطبري ـ فمعناه نفسده . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٥) .
(٦) القُلُب : جمع قَلِيب ، وهو البئر قبل أن تُطوى ـ أي تبنى بالحجارة ـ فإذا طُويت فهي الطَّوِيّ . انظر « لسان العرب » (قلب) .
(٧) أورده المؤلف مختصراً في « تفسيره » (٣/ ٥٦٤) .

فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم ، نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغوّرت ، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه ، فملىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

وذكر بعضهم أنّ الحباب بن المنذر لمّا أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ ، نزل ملكٌ من السماء ، وجبريل عند النبيّ ﷺ ، فقال الملك : يا محمد ، ربّك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إنّ الرأي ما أشار به الحباب . فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل ، فقال : ليس كلّ الملائكة أعرفهم ، وإنّه مَلكٌ وليس بشيطانٍ . وذكر الأمويّ ، أنّهم نزلوا على القليب الذي يلي المشركين نصف الليل ، وأنّهم نزلوا فيه ، واستقوا منه ، وملؤوا الحياض حتى أصبحت ملاءً ، وليس للمشركين ماءٌ .

قال ابن إسحاق[١] : فحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، أنّه حدّث أنّ سعد بن معاذٍ قال : يا نبيّ الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونعدّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدوّنا ، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ؛ جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا[٢] ، فقد تخلّف عنك أقوامٌ ما نحن بأشدّ حبّاً لك منهم ، ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ، ما تخلّفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخيرٍ ، ثم بني لرسول الله ﷺ عريشٌ كان فيه .

قال ابن إسحاق[٣] : وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت ، فأقبلت ، فلمّا رآها رسول الله ﷺ تَصوّب[٤] من العقنقل ، وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي ، قال : « اللهمّ هذه قريشٌ قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادّك وتكذّب رسولك ، اللهمّ فنصرك الذي وعدتني ، اللهمّ أحنهم[٥] الغداة » . وقد قال رسول الله ﷺ وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم ، وهو على جملٍ له أحمر : « إن يكن في أحدٍ من القوم خيرٌ ، فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا » .

قال[٦] : وقد كان خفاف بن إيماء بن رحضة ، أو أبوه إيماء بن رحضة الغفاريّ ، بعث إلى قريشٍ ابناً له بجزائر[٧] أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نمدّكم بسلاحٍ ورجال ، فعلنا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه ، أن وصلتك رحم ، وقد قضيت الذي عليك ، فلعمري إن كنّا إنّما نقاتل الناس ، ما بنا ضعفٌ عنهم ، وإن كنا إنّما نقاتل الله ، كما يزعم محمدٌ ، فما لأحدٍ بالله من طاقةٍ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٠ ـ ٦٢١) . و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٠) .
(٢) عبارة : « من قومنا » ليست في « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢١) .
(٤) أي : تَتَصوَّبُ .
(٥) أحنهم : أهلكهم . والحَيْن : الهلاك . انظر « لسان العرب » (حين) .
(٦) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢١) .
(٧) جمع جزور ، وهو ما يصلح لأن يُذبح من الإبل . انظر « لسان العرب » (جزر) .

قال[١] : فلمّا نزل الناس ، أقبل نفرٌ من قريشٍ حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ ، فيهم حكيمُ بنُ حِزَامٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوهم » . فما شرب منه رجلٌ يومئذٍ إلاّ قتل ، إلاّ ما كان من حكيم بن حزامٍ ، فإنّه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجّاني يوم بدرٍ .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ ثلاثمئةٍ وثلاثة عشر رجلاً ، كما سيأتي بيان ذلك في فصلٍ نعقده بعد الوقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم ، إن شاء الله .

ففي « صحيح البخاريّ »[٢] ، عن البراء قال : كنّا نتحدّث أنّ أصحاب بدرٍ ثلاثمئةٍ وبضعة عشر ، على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النّهر ، وما جاوزه معه إلاّ مؤمنٌ .

وللبخاريّ أيضاً[٣] عنه قال : استُصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ ، وكان المهاجرون يوم بدرٍ نيّفاً على ستين ، والأنصار نيّفاً وأربعين ومئتين .

وروى الإمام أحمد[٤] ، عن نصر بن بابٍ[٥] ، عن حجّاجٍ ، عن الحكم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ أنه قال : كان أهل بدرٍ ثلاثمئةٍ وثلاثة عشر رجلاً ، وكان المهاجرون ستةً وسبعين ، وكان هزيمة أهل بدرٍ لسبع عشرة مضين ، يوم الجمعة ، في شهر رمضان .

وقال الله تعالى[٦] : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ الآية [الأنفال : ٤٣] . وكان ذلك في منامه تلك الليلة . وقيل : إنه نام في العريش ، وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فدنا القوم منهم ، فجعل الصدّيق يوقظه ، ويقول : يا رسول الله ، دنوا منّا ، فاستيقظ . وقد أراه الله إياهم في منامه قليلاً . ذكره الأمويّ[٧] . وهو غريبٌ جداً . وقال تعالى[٨] : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال : ٤٤] . فعندما تقابل الفريقان ، قلّل الله كلاً منهما في أعين الآخرين ، ليجترىء هؤلاء على هؤلاء ، وهؤلاء على هؤلاء ؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارضاً لقوله

---

(١) أي : ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٢) .
(٢) رواه البخاري (٣٩٥٩) .
(٣) رواه البخاري (٣٩٥٦) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٨) وإسناده ضعيف لضعف نصر بن باب الخراساني ، والحجاج مدلس ، وهو ابن أرطاة ، لكنه حديث حسن بشواهده .
(٥) في (آ) : « رئاب » وانظر « الجرح والتعديل » (٨/ ٤٦٩) .
(٦) انظر « التفسير » للمؤلف (٤/ ١٣) .
(٧) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٦٧) .
(٨) انظر « تفسير ابن كثير » (٤/ ١٣ ـ ١٤) .

تعالى في سورة « آل عمران »(١) : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ . فإنّ المعنى في ذلك ، على أصحّ القولين ، أنّ الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلي عدد الكافرة ، على الصحيح أيضاً ، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة(٢) أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا ، فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إيّاهم عند المواجهة قليلاً ، ثم أيّد المؤمنين بنصره ، فجعلهم في أعين الكافرين على الضِّعف منهم ، حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا ، ولهذا قال : ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ .

قال إسرائيل(٣) ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة(٤) ، عن عبد الله : لقد قُلّلوا في أعيننا يوم بدرٍ ، حتى إنّي لأقول لرجلٍ إلى جنبي : أتراهم سبعين ؟ فقال : أراهم مئةً .

قال ابن إسحاق(٥) : وحدّثني أبي إسحاق بن يسارٍ ، وغيره من أهل العلم ، عن أشياخٍ من الأنصار قالوا : لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عميربن وهبٍ الجمحيّ ، فقالوا : احزر(٦) لنا القوم أصحاب محمدٍ . قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمئة رجلٍ ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ؛ أللقوم كمين أو مددٌ . قال : فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكن قد رأيت ، يا معشر قريشٍ ، البلايا(٧) تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت النّاقع ، قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأٌ إلاّ سيوفهم ، والله ما ما أرى أن يقتل رجلٌ منهم حتى يقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فروا رأيكم . فلمّا سمع حكيم بن حزامٍ ذلك ، مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، إنّك كبير قريشٍ وسيّدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخيرٍ إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرميّ . قال : قد فعلت ، أنت عليّ بذلك ، إنّما هو حليفي ، فعليّ عقله وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظليّة(٨) ـ يعني أبا جهل ـ فإنّي لا أخشى أن يشجُر أمر الناس غيره . ثم قام عتبة خطيباً ، فقال : يا معشر قريشٍ ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه ؛ لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجلٍ يكره النظر إليه ؛ قتل

---

(١) الآية (١٣) منها . انظر « تفسير ابن كثير » (٢/ ١٢ ـ ١٤) .
(٢) في (ط) : « المسابقة » .
(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ١٣) .
(٤) في (ط) : « عن أبي عبيد وعبد الله » وهو خطأ .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٢ ـ ٦٢٤) و« تاريخ الطبري » (٤١١ ـ ٤٤٢) .
(٦) حزر الشيء حزراً : قدّره بالتخمين . انظر « المعجم الوسيط » (حزر) .
(٧) البلايا : جمع بلية ، وهي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت ـ صاحب الناقة ـ فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٥) .
(٨) قال ابن هشام في « السيرة النبوية » (١/ ٦٢٣) : والحنظلية أُمُّ أبي جهل ، وهي أسماء بنت مخرِّبة .

ابن عمّه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا ، وخلّوا بين محمدٍ وبين سائر العرب ، فإن أصابوه ، فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ، ألفاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون . قال حكيمٌ : فانطلقت حتى جئت أبا جهلٍ ، فوجدته قد نثل درعاً له ، فهو يهنئها ، فقلت له : يا أبا الحكم ، إنّ عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا . فقال : انتفخ والله سحره[١] حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكُم الله بيننا وبين محمدٍ ، وما بعتبة ما قال ، ولكنّه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزورٍ ، وفيهم ابنه ، فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرميّ ، فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فانشد خفرتك[٢] ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرميّ فاكتشف ثم صرخ : واعمراه واعمراه . قال : فحميت الحرب ، وحقب[٣] أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشرّ ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة . فلمّا بلغ عتبة قول أبي جهلٍ : انتفخ والله سحره . قال : سيعلم مصفّر استه[٤] من انتفخ سحره ، أنا أم هو .

ثم التمس عتبة بيضةً ؛ ليدخلها في رأسه ، فما وجد في الجيش بيضةً تسعه ؛ من عظم رأسه ، فلمّا رأى ذلك اعتجر[٥] على رأسه ببردٍ له .

وقد روى ابن جريرٍ[٦] ، من طريق مسوّر بن عبد الملك اليربوعيّ ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم ، إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزامٍ يستأذن . قال : ائذن له . فلمّا دخل قال : مرحباً يا أبا خالدٍ ، ادن . فحال له عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله فقال : حدّثنا حديث بدرٍ . فقال : خرجنا حتى إذا كنّا بالجحفة رجعت قبيلةٌ من قبائل قريشٍ بأسرها ، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التي قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قلت : إنّكم لا تطلبون من محمدٍ إلّا دم ابن الحضرميّ ، وهو حليفك ، فتحمّل بديته ، ويرجع الناس . فقال : أنت عليّ بذلك ، واذهب إلى ابن الحنظليّة ، يعني أبا جهلٍ ، فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمّك ؟ فجئته فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابن الحضرميّ واقفٌ على رأسه وهو يقول : فسخت عقدي من عبد شمسٍ ، وعقدي اليوم إلى بني مخزومٍ . فقلت له : يقول لك

---

(١) أي : رِئَتُه ، يقال ذلك للجبان . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٢/ ٣٤٦) .
(٢) قال السهيلي : أي اطلُب من قريش الوفاء بخُفرتهم لك . انظر « الروض الأنف » (٥/ ١٢٥) .
(٣) يقال : حقب الأمر . إذا اشتدَّ . انظر « لسان العرب » (حقب) .
(٤) قال الزبيدي في « تاج العروس » (صفر) : يقال في الشتم : هو مصفر استه . أي ضرّاط .
(٥) اعتجر ، معناه تعمم بغير تلحٍّ ، أي لم يجعل تحت لحيته منها شيئاً . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٦) .
(٦) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٣) .

عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم [عن ابن عمّك][1] بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره . قال حكيمٌ : فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلاّ يفوتني من الخبر شيءٌ ، وعتبة متّكىءٌ على إيماء بن رحضة الغفاريّ ، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهلٍ والشّرّ في وجهه ، فقال لعتبة : انتفخ سحرك ؟ فقال له عتبة : ستعلم . فسلّ أبو جهلٍ سيفه ، فضرب به متن فرسه . فقال إيماء بن رحضة : بئس الفأل هذا . فعند ذلك قامت الحرب .

وقد صفّ رسول الله ﷺ أصحابه وعبّأهم أحسن تعبئةٍ ، فروى التّرمذيّ[2] ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : صفّنا رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ليلاً .

وروى الإمام أحمد[3] ، من حديث ابن لهيعة : حدّثني يزيد بن أبي حبيبٍ ، أنّ أسلم أبا عمران حدّثه ، أنّه سمع أبا أيوب يقول : صَفَفنا يوم بدرٍ ، فبدرت منّا بادرةٌ أمام الصفّ ، فنظر إليهم النبيّ ﷺ فقال : « معي معي » . تفرّد به أحمد . وهذا إسنادٌ حسنٌ .

وقال ابن إسحاق[4] : وحدّثني حَبّان بن واسع بن حبّان ، عن أشياخ من قومه ، أنّ رسول الله ﷺ عدّل صفوف أصحابه يوم بدرٍ ، وفي يده قدحٌ[5] يعدّل به القوم ، فمرّ بسواد بن غزيّة حليف بني عديٍّ بن النّجّار ، وهو مستنتلٌ[6] من الصفّ ، فطعن في بطنه بالقدح وقال :« استوِ يا سواد » . فقال : يا رسول الله ، أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ، فأقدني . فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، فقال : « استقد » . قال : فاعتنقه فقبّل بطنه ، فقال : « ما حملك على هذا يا سواد ؟ » . قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك ، أن يمسّ جلدي جلدك . فدعا له رسول الله ﷺ بخيرٍ وقاله[7] .

قال ابن إسحاق[8] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء ، قال : يا رسول الله ، ما يضحك الربّ من عبده ؟ قال : « غمسه يده في العدوّ حاسراً » . فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه ، فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه .

---

(١) زيادة من « تاريخ الطبري » .
(٢) رواه الترمذي (١٦٧٧) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٤٢٠) والراوي عن ابن لهيعة هو عبد الله بن المبارك ، ولذلك حسّنه المصنف .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٦) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٦) وفي سنده جهالة .
(٥) القِدْح : السهم .
(٦) أي : متقدِّم .
(٧) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « وقاله له » .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨) .

قال ابن إسحاق[1] : ثم عدّل رسول الله ﷺ الصّفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكرٍ ، ليس معه فيه غيره .

وقال ابن إسحاق وغيره[2] : وكان سعد بن معاذٍ ، رضي الله عنه ، واقفاً على باب العَرِيش متقلّداً بالسيف ، ومعه رجالٌ من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أن يدهمه العدوّ من المشركين . والجنائب النّجائب مهيّأةٌ لرسول الله ﷺ ، إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة ، كما أشار به سعد بن معاذٍ .

وقد روى البزّار في « مسنده »[3] من حديث محمد بن عقيلٍ ، عن عليٍّ أنّه خطبهم فقال : يا أيّها الناس ، من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين . فقال : أما إنّي ما بارزني أحدٌ إلاّ انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكرٍ ؛ إنّا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً ، فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ ؛ لئلاّ يهوي إليه أحدٌ من المشركين ؟ فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلاّ أبو بكرٍ ، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحدٌ ، إلاّ أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس . قال : ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريشٌ ؛ فهذا يجؤه ، وهذا يتلتله ، ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلاّ أبو بكرٍ ؛ يضرب هذا ويجأ هذا ، ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول : ربّي الله . ثم رفع عليٌّ بردةً كانت عليه ، فبكى حتى اخضلّت لحيته ثم قال : أنشدكم الله ، أَمؤمن آل فرعون خيرٌ أم هو ؟ فسكت القوم فقال عليٌّ : فوالله ، لساعةٌ من أبي بكرٍ ، خيرٌ من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ؛ ذاك رجلٌ يكتم إيمانه ، وهذا رجلٌ أعلن إيمانه ، ثم قال البزّار : لا نعلمه يروى إلاّ من هذا الوجه .

فهذه خصوصيّةٌ للصدّيق حيث هو مع الرسول ﷺ في العريش ، كما كان معه في الغار ، رضي الله عنه وأرضاه ، ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرّع والدّعاء ، ويقول فيما يدعو به : « اللهمّ إنّك إن تَهلك هذه العصابةُ ، لا تعبد بعدها في الأرض » . وجعل يهتف بربّه ، عزّ وجلّ ، ويقول : « اللهمّ أنجز لي ما وعدتني ، اللهمّ نصرك » . ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرّداء عن منكبيه ، وجعل أبو بكرٍ ، رضي الله عنه ، يلتزمه من ورائه ، ويسوّي عليه رداءه ، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال : يا رسول الله ، بعض مناشدتك ربّك ، فإنّه سينجز لك ما وعدك[4] . هكذا حكى السّهيليّ عن قاسم بن ثابتٍ أنّ الصدّيق إنّما قال : بعض مناشدتك ربّك . من باب الإشفاق ؛ لما رأى من نصبه في الدّعاء والتضرّع ، حتى سقط الرّداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يا رسول الله ، أي ؛ لم تتعب نفسك هذا التعب ، والله قد وعدك

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٦ ـ ٦٢٧) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) . و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٩) .

(٣) « البحر الزخار » رقم (٧٦١) ، وهو في « كشف الأستار » برقم (٢٤٨١) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣/ ٤٧) : رواه البزار وفيه من لم أعرفه .

(٤) رواه بنحوه مسلم رقم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

بالنصر ، وكان ، رضي الله عنه ، رقيق القلب ، شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ[١] .

وحكى السّهيليّ عن شيخه أبي بكر بن العربيّ[٢] أنّه قال : كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف ، والصدّيق في مقام الرجاء ، وكان مقام الخوف في هذا الوقت يعني أكمل . قال : لأنّ لله أن يفعل ما يشاء ، فخاف أن لا يعبد في الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادةٌ .

قلت : وأمّا قول بعض الصّوفيّة : إنّ هذا المقام ، في مقابلة ما كان يوم الغار . فهو قولٌ مردودٌ على قائله ؛ إذ لم يتدبّر هذا القائل عور[٣] ما قال ، ولا لازمه ، ولا ما يترتّب عليه ، والله أعلم[٤] .

هذا وقد تواجه الفئتان ، وتقابل الفريقان ، وحضر الخصمان ، بين يدي الرحمن ، واستغاث بربّه سيّد الأنبياء ، وضجّ الصّحابة بصنوف الدّعاء ، إلى ربّ الأرض والسماء ، سامع الدعاء وكاشف البلاء ، فكان أوّل من قتل من المشركين ، الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ . قال ابن إسحاق[٥] : وكان رجلاً شرساً سيّىء الخلق فقال : أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم ، أو لأهدمنّه ، أو لأموتنّ دونه ، فلمّا خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطّلب ، فلمّا التقيا ضربه حمزة ، فأطنّ[٦] قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره ، تشخب رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد ـ زعم ـ أن يبرّ يمينه ، واتّبعه حمزة ، فضربه حتى قتله في الحوض .

قال الأمويّ[٧] : فحمي عند ذلك عتبة بن ربيعة ، وأراد أن يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فلمّا توسّطوا بين الصّفّين ، دعوا إلى البراز ، فخرج إليهم فتيةٌ من الأنصار ثلاثةٌ ، وهم : عوفٌ ومعوّذٌ ابنا الحارث ، وأمّهما عفراء ، والثالث عبد الله بن رواحة ، فيما قيل ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهطٌ من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم من حاجةٍ . وفي روايةٍ[٨] : فقالوا : أكفاءٌ كرامٌ ، ولكن أخرجوا

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٥/ ١٣٠) .

(٢) وهو الحافظ المحدِّث الكبير ، عالم أهل الأندلس في عصره ، المتوفى سنة (٥٤٦هـ) . انظر ترجمته ومصادرها في « شذرات الذهب » (٦/ ٢٣٢) .

(٣) العور : الشَّين والقُبح . انظر « لسان العرب » (عور) .

(٤) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٧/ ٢٨٩) : قال الخطابي : لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربّه من النبي ﷺ في تلك الحال ؛ بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم ؛ لأنه كان أول مشهد شهده ، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال ؛ لتسكن نفوسهم عند ذلك ؛ لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال له أبو بكر ما قال ، كفّ عند ذلك وعلم أنه استجيب له ؛ لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٥) .

(٦) أطنَّ قدمه : قطعها . انظر « القاموس المحيط » (طنن) .

(٧) انظر الخبر بنحوه في « المغازي » للواقدي (١/ ٦٨) .

(٨) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٥) و« دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٧٢) .

إلينا من بني عمّنا . ونادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال النبيّ ﷺ : « قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا عليّ »[١] .

وعند الأمويّ ، أنّ النّفر من الأنصار لمّا خرجوا ، كره ذلك رسول الله ﷺ ؛ لأنّه أول موقفٍ واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه، فأحبّ أن يكون أولئك من عشيرته، فأمرهم بالرّجوع، وأمر أولئك الثلاثة بالخروج.

قال ابن إسحاق[٢] : فلمّا دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ وفي هذا دليلٌ أنّهم كانوا ملبّسين ، لا يُعرفون من السلاح ، فقال عبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال عليٌّ : عليٌّ . قالوا : نعم ، أكفاءٌ كرامٌ . فبارز عبيدة ، وكان أسنّ القوم ، عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز عليٌّ الوليد بن عتبة ، فأمّا حمزة ، فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأمّا عليٌّ ، فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكرّ حمزة وعليٌّ بأسيافهما على عتبة ، فذفّفا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه ، رضي الله عنه .

وقد ثبت في الصحيحين[٣] ، من حديث أبي مجلزٍ ، عن قيس بن عبادٍ ، عن أبي ذرٍّ أنّه كان يقسم قسماً أنّ هذه الآية : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج : ١٩] نزلت في حمزة وصاحبيه ، وعتبة وصاحبيه ، يوم برزوا في بدرٍ . هذا لفظ البخاريّ في تفسيرها .

وقال البخاريّ[٤] : حدّثنا حجّاج بن منهالٍ ، حدّثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، ثنا أبو مجلزٍ ، عن قيس بن عبادٍ ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ ، أنّه قال : أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن ، عزّ وجلّ ، في الخصومة يوم القيامة .

قال قيسٌ : وفيهم نزلت : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ قال : هم الذين بارزوا يوم بدرٍ ؛ عليٌّ وحمزة وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة . تفرّد به البخاريّ .

وقد أوسعنا الكلام عليها في « التفسير »[٥] بما فيه كفايةٌ ، ولله الحمد والمنّة .

وقال الأمويّ : حدّثنا معاوية بن عمروٍ ، عن أبي إسحاق ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن عبد الله البهيّ قال : برز عتبة وشيبة والوليد ، وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعليٌّ ، فقالوا : تكلّموا نعرفكم. فقال حمزة، أنا أسد الله، وأسد رسول الله ﷺ، أنا حمزة بن عبد المطّلب . فقال: كفءٌ كريمٌ.

---

(١) رواه أبو داود مختصراً رقم (٢٦٦٥) وهو حديث صحيح .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٥) .
(٣) رواه البخاري (٤٧٤٣) ومسلم (٣٠٣٣) .
(٤) رواه البخاري (٤٧٤٤) .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (٥/ ٤٠١) .

وقال عليٌّ : أنا عبد الله ، وأخو رسول الله ﷺ . وقال عبيدة : أنا الذي في الحلفاء . فقام كلّ رجلٍ إلى رجلٍ ، فقاتَلوهم فقتلهم الله . فقالت هند في ذلك : [من المتقارب]

أعينيّ جودا بدمعٍ سَرِبْ　　على خير خِندفَ[1] لم ينقلبْ
تداعى له رهطه غدوةً　　بنو هاشمٍ وبنو المطّلبْ
يذيقونه حدّ أسيافهم　　يَعُلّونه بعد ما قد عطِبْ

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة .

قلت : وعبيدة هذا ، هو ابن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ ، ولمّا جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ ، فأفرشه[2] رسول الله ﷺ قدمه ، فوضع خدّه على قدمه الشريفة وقال : يا رسول الله ، لو رآني أبو طالبٍ ، لعلم أنّي أحقّ بقوله : [من الطويل]

ونُسلِمه[3] حتى نُصرّعَ حوله　　ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل[4]

ثم مات ، رضي الله عنه ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أنّك شهيدٌ » . رواه الشافعيّ ، رحمه الله .

وكان أوّل قتيلٍ من المسلمين في المعركة ، مِهجعٌ مولى عمر بن الخطاب ؛ رمي بسهمٍ فقتله .

قال ابن إسحاق[5] : فكان أوّل من قتل ، ثم رمي بعده حارثة بن سراقة ، أحد بني عديٍّ بن النّجّار ، وهو يشرب من الحوض ، بسهمٍ فأصاب نحره فمات .

وثبت في « الصحيحين »[6] عن أنسٍ ، أنّ حارثة بن سراقة قتل يوم بدرٍ ، وكان في النّظّارة[7] ، أصابه سهمٌ غربٌ فقتله ، فجاءت أمّه فقالت : يا رسول الله ، أخبرني عن حارثة ، فإن كان في الجنّة صبرت ، وإلّا فليرينّ الله ما أصنع . يعني من النّياح ، وكانت لم تحرَّم بعد[8] . فقال لها رسول الله ﷺ : « ويحك ، أهبلت ، إنّها جنانٌ ثمانٍ ، وإنّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

قال ابن إسحاق[9] : ثم تزاحف الناس ، ودنا بعضهم من بعضٍ .

---

(١) خندف : لقب ليلى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة نسب إليها بعض قبائل العرب ، ومنهم قريش . انظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ص (١٠ ـ ١١ ـ ٤٧٩ ـ ٤٨٠) .
(٢) في (آ) و(ط) : « فأشرفه » والمثبت من هامش (ط) نقلاً عن « السيرة الحلبية » وهو أصحُّ .
(٣) أي ولا نسلمه .
(٤) جمع حليلة وهي الزوجة .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٧) .
(٦) رواه البخاري (٢٨٠٩ و٣٩٨٢ و٦٥٥٠ و٦٥٦٧) ليس الحديث في « صحيح مسلم » .
(٧) عبارة « وكان في النظارة » ليست في البخاري ، وهي عند أحمد في « المسند » (٣/ ١٢٤) .
(٨) أي النياحة .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٥) .

وقال(١) : أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : « إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنّبل » .

وفي « صحيح البخاريّ »(٢) ، عن أبي أسيدٍ قال : قال لنا رسول الله يوم بدرٍ : « إذا أكثبوكم - يعني المشركين - فارموهم واستبقوا نبلكم » .

وقال البيهقيّ(٣) : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق ، حدّثني [عمر بن] عبد الله [بن عروة بن عروة] بن الزّبير ، قال : جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدرٍ : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله . وشعار الأوس : يا بني عبيد الله . وسمّى خيله : خيل الله .

قال ابن هشامٍ(٤) : كان شعار الصحابة يوم بدرٍ : أحدٌ أحدٌ .

قال ابن إسحاق(٥) : ورسول الله ﷺ في العريش ، معه أبو بكرٍ ، رضي الله عنه ، يعني وهو يستغيث الله ، عزّ وجلّ ، كما قال الله تعالى(٦) : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٩ - ١٠] .

قال الإمام أحمد(٧) : حدّثنا أبو نوحٍ قرادٌ ، ثنا عكرمة بن عمّارٍ ، ثنا سماكٌ الحنفيّ أبو زُميلٍ ، حدّثني ابن عباسٍ ، حدّثني عمر بن الخطاب ، قال : لمّا كان يوم بدرٍ ، نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمئةٍ ونيّفٌ ، ونظر إلى المشركين ، فإذا هم ألفٌ وزيادةٌ ، فاستقبل النبيّ ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال : « اللهمّ أنجز لي ما وعدتني ، اللهمّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، فلا تعبد بعد في الأرض أبداً » .

قال : فما زال يستغيث ربّه ويدعوه ، حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءَه فردّه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا رسول الله ، كفاك مناشدتك ربّك ، فإنّه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ وذكر تمام الحديث كما سيأتي .

---

(١) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٥ - ٦٢٦) .
(٢) رواه البخاري (٣٩٨٤) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٧٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٤) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٦ - ٦٢٧) .
(٦) انظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٥٨ - ٥٦٢) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠) وهو حديث حسن .

وقد رواه مسلمٌ ، وأبو داود ، والتّرمذيّ ، وابن جريرٍ ، وغيرهم[١] ، من حديث عكرمة بن عمّارٍ اليمانيّ ، وصحّحه عليّ بن المدينيّ ، والتّرمذيّ .

وهكذا قال غير واحدٍ عن ابن عباسٍ ، والسّدّيّ ، [وابن] جريجٍ ، وغيرهم ؛ أنّ هذه الآية نزلت في دعاء النبيّ ﷺ يوم بدرٍ[٢] .

وقد ذكر الأمويّ وغيره ، أنّ المسلمين عجّوا إلى الله ، عزّ وجلّ ، في الاستغاثة بجنابه ، والاستعانة به . وقوله تعالى : ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ أي ؛ ردفاً لكم ومدداً لفئتكم . رواه العوفيّ عن ابن عباسٍ ، وقاله مجاهدٌ ، وابن كثيرٍ ، وعبد الرحمن بن زيدٍ ، وغيرهم[٣] .

وقال أبو كدينة ، عن قابوسٍ ، [عن أبيه][٤] ، عن ابن عباسٍ : ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ : وراء كلّ مَلَكٍ ملكٌ . وفي روايةٍ عنه بهذا الإسناد : ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ بعضهم على أثر بعضٍ[٥] . وكذا قال أبو ظبيان ، والضّحّاك ، وقتادة . وقد روى علي بن أبي طلحة الوالبيّ ، عن ابن عباسٍ قال : وأمدّ الله نبيّه ﷺ والمؤمنين بألفٍ من الملائكة ، وكان جبريل في خمسمئةٍ مجنّبةٍ ، وميكائيل في خمسمئةٍ مجنّبةٍ[٦] ، وهذا هو المشهور .

ولكن قال ابن جريرٍ[٧] : حدّثني المثنّى ، حدّثنا إسحاق ، ثنا يعقوب بن محمدٍ الزّهريّ ، حدّثني عبد العزيز بن عمران ، عن الزّمْعيّ[٨] ، عن أبي الحويرث ، عن محمد بن جبيرٍ ، عن عليٍّ قال : نزل جبريل في ألفٍ من الملائكة عن ميمنة النبيّ ﷺ ، وفيها أبو بكرٍ ، ونزل ميكائيل في ألفٍ من الملائكة عن ميسرة النبيّ ﷺ ، وأنا في الميسرة .

ورواه البيهقيّ في « الدّلائل »[٩] من حديث محمد بن جبيرٍ عن عليٍّ ، فزاد : ونزل إسرافيل في ألفٍ من الملائكة ، وذكر أنّه طعن يومئذٍ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر[١٠] أنّه نزلت ثلاثة آلافٍ من الملائكة . وهذا غريبٌ ، وفي إسناده ضعفٌ ، ولو صحّ لكان فيه تقويةٌ لما تقدّم من

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣) وأبو داود (٢٦٩٠) والترمذي (٣٠٨١) والطبري في « تفسيره » (٩/ ١٨٩) .
(٢) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٨٩ ـ ١٩٠) . و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٥٩) .
(٣) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩٠ ـ ١٩١) . و« التفسير » (٣/ ٥٦٠) .
(٤) سقط من (آ) و(ط) واستدركته من « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٠) و« تفسير الطبري » (٩/ ١٩١) .
(٥) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩١) . و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٦٠) .
(٦) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩٥) . و« التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٠) .
(٧) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩٢) .
(٨) في (آ) و(ط) : « الربعي » والتصحيح من « تهذيب الكمال » (٢٩/ ١٧١) .
(٩) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٥٥) .
(١٠) أي عليٌّ ، رضي الله عنه .

الأقوال ، ويؤيّدها قراءة من قرأ : بألفٍ من الملائكة مردَفين[١] بفتح الدال ، والله أعلم .

وقال البيهقيّ[٢] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، ثنا محمد بن سنانٍ القزّاز ، ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو عليٍّ الحنفيّ ، حدّثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهبٍ ، أخبرني إسماعيل بن عون بن عبيد الله بن أبي رافعٍ ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالبٍ ، عن أبيه عن جدّه ، عن عليٍّ قال : لمّا كان يوم بدرٍ ، قاتلت شيئاً من قتالٍ ، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل . قال : فجئت فإذا هو ساجدٌ يقول : يا حيّ يا قيُّوم ، يا حيّ يا قيّوم . لا يزيد عليها ، فرجعت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجدٌ يقول ذلك أيضاً ، فذهبت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجدٌ يقول ذلك أيضاً ، حتى فتح الله على يده .

وقد رواه النّسائيّ في « اليوم والليلة »[٣] ، عن بندارٍ ، عن عبيد الله بن عبد المجيد أبي عليّ الحنفيّ به .

وقال الأعمش[٤] ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : ما سمعت مناشداً ينشد أشدّ من مناشدة محمدٍ ﷺ يوم بدرٍ ، جعل يقول : اللهمّ إنّي أنشدك عهدك ووعدك ، اللهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد ، ثم التفت وكأنّ شقّ وجهه القمر ، وقال :كأنّي أنظر إلى مصارع القوم عشيّة . رواه النسائيّ من حديث الأعمش به[٥] . وقال : لمّا التقينا يوم بدرٍ ، قام رسول الله ﷺ يصلّي ، فما رأيت مناشداً ينشد حقّاً له ، أشدّ مناشدةً من رسول الله ﷺ . . . وذكره .

وقد ثبت إخباره ، عليه الصلاة والسلام ، بمواضع مصارع رؤوس المشركين يوم بدرٍ ، في « صحيح مسلم » عن أنس بن مالكٍ ، كما تقدّم[٦] .

وسيأتي في « صحيح مسلم » أيضاً عن عمر بن الخطاب .

ومقتضى حديث ابن مسعودٍ ، أنّه أخبر بذلك يوم الوقعة ، وهو مناسبٌ .

وفي الحديثين الآخرين عن أنسٍ وعمر ، ما يدلّ على أنّه أخبر بذلك قبل ذلك بيومٍ ، ولا مانع من الجمع بين ذلك ، بأن يخبر به قبل ذلك بيومٍ وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعةٍ يوم الوقعة ، والله أعلم .

---

(١) وهي قراءة نافع . انظر « حجة القراءات » ص (٣٠٧) .
(٢) « دلائل النبوة » (٣/ ٤٩) والحاكم في « المستدرك » (١/ ٢٢٢) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (٦١١) وفي « السنن الكبرى » (١٠٤٤٧) .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٠) .
(٥) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٤٤٢) .
(٦) رواه مسلم رقم (١٧٧٩) .

وقد روى البخاريّ[١] ، من طرقٍ ، عن خالدٍ الحذّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، أنّ النبيّ ﷺ قال وهو في قبّةٍ له يوم بدرٍ : اللهمّ أنشدك عهدك ووعدك ، اللهمّ إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً ، فأخذ أبو بكرٍ بيده وقال : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربّك . فخرج وهو يثب في الدّرع ، وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر : ٤٥ـ٤٦] . وهذه الآية مكيةٌ .

وقد جاء تصديقها يوم بدرٍ ، كما رواه ابن أبي حاتم[٢] : حدّثنا أبي ، ثنا أبو الرّبيع الزّهرانيّ ، ثنا حمّادٌ ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : لمّا نزلت ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ قال عمر : أيّ جمعٍ يهزم ؟! وأيّ جمعٍ يغلب ؟! قال عمر : فلمّا كان يوم بدرٍ ، رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدّرع وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ ، فعرفت تأويلها يومئذٍ[٣] .

وروى البخاريّ[٤] ، من طريق ابن جريجٍ ، عن يوسف بن ماهان ، سمع عائشة تقول : نزّل على محمدٍ ﷺ بمكّة وإنّي لجاريةٌ ألعب : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ .

وقال ابن إسحاق[٥] : وجعل رسول الله ﷺ يناشد ربّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهمّ إن تهلك هذه العصابة اليوم ، لا تعبد . وأبو بكرٍ يقول : يا نبيّ الله ، بعض مناشدتك ربّك ، فإنّ الله منجزٌ لك ما وعدك . وقد خفق النبيّ ﷺ خفقةً وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكرٍ ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النّقع . يعني الغبار .

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم وقال : والّذي نفس محمدٍ بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ ، فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبرٍ ؛ إلاّ أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمراتٌ يأكلهنّ : بخٍ بخٍ أفما بيني وبين أن أدخل الجنّة إلاّ أن يقتلني هؤلاء ؟! قال : ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل ، رحمه الله .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا هاشمٌ ، ثنا سليمان ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : بعث رسول الله ﷺ بسبسة[٧] عيناً ؛ ينظر ما صنعت عِير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحدٌ غيري وغير النبيّ ﷺ ـ قال : لا أدري ما استثنى من بعض نسائه ـ قال : فحدّثه الحديث . قال : فخرج رسول الله ﷺ فتكلّم فقال : إنّ لنا

---

(١) رواه البخاري (٢٩١٥ و٣٩٥٣ و٤٨٧٥ و٤٨٧٧) .

(٢) ذكره المؤلف في « تفسيره » (٧/ ٤٥٧) .

(٣) وهو مرسل .

(٤) رواه البخاري (٤٨٧٦) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٧) .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٣٦) .

(٧) في (ط) : « بَسْبَسا » ، وهو بموحدتين مفتوحتين بينهما مهملة ساكنة ثم مهملة مفتوحة . وفي « صحيح مسلم » : « بُسَيْسَة » بموحدة مصغراً ، وانظر « الإصابة » (١/ ٢٨٨) و« شرح صحيح مسلم » للنووي (١٣/ ٤٤) .

طلبةً ، فمن كان ظهره حاضراً ، فليركب معنا . فجعل رجالٌ يستأذنونه في ظهورهم في علو المدينة ، قال : لا ، إلاّ من كان ظهره حاضراً . وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدرٍ ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يتقدّمنّ أحدٌ منكم إلى شيءٍ ، حتى أكون أنا أُوذنه » . فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنّةٍ عرضها السماوات والأرض » . قال : يقول عمير بن الحمام الأنصاريّ : يا رسول الله ، جنّةٌ عرضها السماوات والأرض ؟ قال : « نعم » . قال : بخٍ بخٍ . فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قول : بخٍ بخٍ ؟ » . قال : لا والله يا رسول الله ، إلاّ رجاء أن أكون من أهلها . قال : « فإنّك من أهلها » . قال : فأخرج تمراتٍ من قرَنه[1] ، فجعل يأكل منهنّ ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنّها حياةٌ طويلةٌ . قال : فرمى ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل ، رحمه الله .

ورواه مسلم[2] ، عن أبي بكر بن أبي النّضر[3] ، وجماعةٍ ، عن أبي النّضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة به .

وقد ذكر ابن جريرٍ[4] أنّ عميراً قاتل وهو يقول ، رضي الله عنه : [من الرجز]

ركضاً إلى الله بغير زادِ   إلاّ التّقى وعمل المعادِ
والصّبر في الله على الجهادِ   وكلّ زادٍ عرضة النّفادِ
غير التّقى والبرّ والرّشادِ

وقال الإمام أحمد[5] : حدّثنا حجّاجٌ ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : لمّا قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها ، فاجتويناها ، وأصابنا بها وعكٌ ، وكان رسول الله ﷺ يتخبّر عن بدرٍ ، فلمّا بلغنا أنّ المشركين قد أقبلوا ، سار رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، وبدرٌ بئرٌ ، فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين منهم ؛ رجلاً من قريشٍ ، ومولىً لعقبة بن أبي معيط ، فأمّا القرشيّ فانفلت ، وأمّا المولى فأخذناه[6] ، فجعلنا نقول له : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثيرٌ عددهم ، شديدٌ بأسهم . فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : « كم

---

(١) القرَن : جعبة من جلود تشق ويجعل فيها النُّشّاب ، وهو النبل . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/٥٥) .
(٢) رواه مسلم (١٩٠١) .
(٣) في (آ) و(ط) : « عن أبي بكر بن أبي شيبة » والتصحيح من « صحيح مسلم » وانظر « تهذيب الكمال » (٣٣/١٤٩) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/٤٤٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/١١٧) وهو حديث صحيح .
(٦) في (آ) و(ط) : « فوجدناه » والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » .

القوم ؟ » . قال : هم والله كثيرٌ عددهم ، شديدٌ بأسهم . فجهد النبيّ ﷺ أن يخبره كم هم ، فأبى ، ثم إنّ النبيّ سأله : « كم ينحرون من الجزر ؟ » فقال : عشراً كلّ يومٍ . فقال النبيّ ﷺ : « القوم ألفٌ ، كلّ جزورٍ لمئةٍ وتبعها » . ثم إنّه أصابنا من الليل طشٌّ من مطرٍ ، فانطلقنا تحت الشجر والحجَف ؛ نستظلّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربّه ويقول : « اللهمّ إنّك إن تهلك هذه الفئةُ ؛ لا تعبد » . فلمّا طلع الفجر نادى « الصلاة عباد الله » . فجاء الناس من تحت الشجر والحجَف ، فصلّى بنا رسول الله ﷺ ، وحرّض على القتال ، ثم قال : « إنّ جمع قريشٍ تحت هذه الضّلع[1] الحمراء من الجبل » . فلمّا دنا القوم منّا وصافقناهم ، إذا رجلٌ منهم على جملٍ له أحمر ، يسير في القوم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عليّ ، ناد لي حمزة ـ وكان أقربهم من المشركين ـ من صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة ، وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : يا قوم ، اعصبوها اليوم برأسي ، وقولوا : جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أنّي لست بأَجْبَنكم . فسمع ذلك أبو جهلٍ فقال : أنت تقول ذلك ؟ والله لو غيرك يقوله ؛ لأعضضته ، قد ملأت رئتُك جوفَك رعباً . فقال : إيّاي تعيّر يا مصفّر استه ؟ ستعلم اليوم أيّنا الجبان . فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد ؛ حميّةً ، فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتيةٌ من الأنصار شببةٌ[2] . فقال عُتْبةُ : لا نُريدُ هؤلاءِ ، ولكنْ يُبارِزُنا مِن بني عَمِّنا مِن بني عبدِ المُطَّلِب . فقال رسولُ الله ﷺ : قُمْ يا علـيُّ ، وقُم يا حمزةُ ، وقُم يا عُبيدة بن الحارث بن المُطّلب . فقتل الله عُتبة وشيبة ابني ربيعة ، والوليد بن عُتبة ، وجُرح عُبيدةُ ، فقتلنا منهم سبعين ، وأسرنا سبعين ، وجاء رجلٌ من الأنصار قصيرٌ بالعباس بن عبد المُطّلب أسيراً ، فقال العباسُ : يا رسول الله ، إنّ هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجلٌ أجلحُ ، من أحسن الناس وجهاً ، على فرسٍ أبلق ، ما أراه في القوم . فقال الأنصاريُّ : أنا أسرتُه يا رسول الله . فقال : اسكُت ، فقد أيّدك الله بملكٍ كريمٍ . قال : فأسرنا من بني عبد المُطّلب ؛ العباس ، وعقيلاً ، ونوفل بن الحارث . هذا سياقٌ حسنٌ ، وفيه شواهدُ لما تقدّم ولما سيأتي . وقد تفرّد بطُوله الإمامُ أحمدُ .

وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به[3] .

ولمّا نزل رسولُ الله ﷺ ، من العريش ، وحرّض الناس على القتال ، والناسُ على مصافّهم صابرين ، ذاكرين الله كثيراً ، كما قال الله تعالى آمراً لهم[4] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الآية [الأنفال : ٤٥] .

وقال الأُمويُّ : حدّثنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، عن أبي إسحاق قال : قال الأوزاعيُّ : كان يُقالُ : قلّما ثبت

---

(١) الضِّلَع : جبيل منفرد صغير . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٩٦) .
(٢) في (ط) : « مشبية » و« شَبَبَة » : جمع شاب وفي « مسند الإمام أحمد » : « سِتَّة » .
(٣) رواه أبو داود رقم (٢٦٦٥) وهو حديث صحيح .
(٤) انظر « تفسير » المؤلف (٤/ ١٤ ـ ١٥) .

قومٌ قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس ، أو يغُضّ طرفه ، ويذكُر الله ، رجوتُ أن يسلم من الرِّياء .

وقال عُتبةُ بنُ ربيعة يوم بدرٍ لأصحابه : ألا ترونهم ، يعني أصحاب النبيّ ﷺ ، جُثيّاً على الرُّكب ، كأنّهم حرسٌ يتلمّظُون كما تتلمّظُ الحيّاتُ(١) ، أو قال : الأفاعي .

قال الأُمويُّ في « مغازيه » : وقد كان النبيُّ ﷺ ، حين حرّض المُسلمين على القتال ، قد نفل كُلّ امرئٍ ما أصاب ، وقال : « والّذي نفسي بيده ، لا يُقاتلُهم اليوم رجُلٌ [فيُقتلُ] صابراً مُحتسباً ، مُقبلاً غير مُدبرٍ ، إلّا أدخله الله الجنّة » . وذكر قصّة عُمير بن الحُمام ، كما تقدّم .

وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببدنه ، وكذلك أبو بكرٍ الصدّيقُ ، كما كانا في العريش يُجاهدان بالدُّعاء والتّضرُّع ، ثُم نزلا ، فحرّضا وحثّا على القتال ، وقاتلا بالأبدان ؛ جمعاً بين المقامين الشريفين .

قال الإمامُ أحمدُ(٢) : حدّثنا وكيعٌ ، حدّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مُضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : لقد رأيتُنا يوم بدرٍ ، ونحنُ نلُوذُ برسول الله ﷺ ، وهو أقربُنا إلى العدُوّ ، وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأساً .

ورواه النّسائيُّ(٣) ، من حديث أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن عليٍّ قال : كُنّا إذا حمي البأسُ ولقي القومُ ، اتّقينا(٤) برسول الله ﷺ .

وقال الإمامُ أحمدُ(٥) : حدّثنا أبو نُعيمٍ ، حدّثنا مسعرٌ ، عن أبي عونٍ ، عن أبي صالح الحنفيّ ، عن عليٍّ قال : قيل لعليٍّ ولأبي بكرٍ ، رضي الله عنهما ، يوم بدرٍ : مع أحدكما جبريلُ ، ومع الآخر ميكائيلُ ، وإسرافيلُ ملَكٌ عظيمٌ ، يشهدُ القتال ولا يُقاتلُ ، أو قال : يشهدُ الصّفّ .

وهذا يُشبهُ ما تقدّم من الحديث ؛ أنّ أبا بكرٍ كان في الميمنة ، ولمّا تنزّل الملائكةُ يوم بدرٍ تنزيلاً ، كان جبريلُ على أحد المُجنّبتين في خمسمئةٍ من الملائكة ، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكرٍ الصدّيق ، وكان ميكائيلُ على المُجنّبة الأُخرى في خمسمئةٍ من الملائكة ، فوقَفُوا في الميسرة ، وكان عليُّ بنُ أبي طالبٍ فيها .

وفي حديثٍ رواه أبو يعلى(٦) ، من طريق محمد بن جُبير بن مُطعمٍ ، عن عليٍّ قال : كنتُ أمتحُ(٧) على القليب يوم بدرٍ ، فجاءت ريحٌ شديدةٌ ، ثم أُخرى ثُم أُخرى ، فنزل ميكائيلُ في ألفٍ من الملائكة ،

---

(١) أي : تخرج لسانها .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٨٦) ، وهو حديث صحيح .
(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٣٩) .
(٤) كذا في (آ) و(ط) وفي « السنن الكبرى » : « بعثنا » وجاء في هامشها في النسخ : « ألفينا » .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٤٧) وهو حديث حسن .
(٦) رواه أبو يعلى في « مسنده » رقم (٤٨٩) . وقد ذكره المصنف هنا بمعناه وفي إسناده ضعف .
(٧) متح الماء : نزعه واستخرجه .

فوقف على يمين رسول الله ﷺ وهناك أبو بكرٍ ، وإسرافيلُ في ألفٍ في الميسرة وأنا فيها ، وجبريلُ في ألفٍ . قال : ولقد طعنتُ يومئذٍ حتى بلغ [الدّمُ][١] إبطي .

وقد ذكر صاحبُ « العقد »[٢] وغيرُه، أنّ أفخر بيتٍ قالته العربُ، قولُ حسان بن ثابتٍ: [من الكامل]

وبِبئر[٣] بدرٍ إذ يكُفُّ مطيّهُم[٤] جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ

وقد قال البخاريُّ[٥] : حدّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيم ، حدّثنا جريرٌ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن مُعاذ بن رفاعة بن رافعٍ الزُّرقيّ ، عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدرٍ ، قال : جاء جبريلُ إلى رسول الله ﷺ فقال : ما تعُدُّون أهل بدرٍ فيكم ؟ قال : « من أفضل المُسلمين » . أو كلمةً نحوها . قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . انفرد به البخاريُّ .

وقد قال الله تعالى[٦] : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ يعني الرؤوس ﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] .

وفي « صحيح مسلم »[٧] من طريق عكرمة بن عمّارٍ ، عن أبي زُمَيلٍ ، حدّثني ابنُ عباسٍ قال : بينما رجلٌ من المُسلمين [يومئذ][٨] يشتدُّ في أثر رجلٍ من المُشركين أمامه ، إذ سمع ضربةً بالسّوط فوقه ، وصوت الفارس يقولُ : أقدم حيزُومُ . إذ نظر إلى المُشرك أمامه قد خرّ مُستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم [أنفُه][٩] وشُقّ وجهُه كضربة السّوط ، فاخضرّ ذلك أجمعُ ، فجاء الأنصاريُّ فحدّث ذاك رسول الله ﷺ، فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثّالثة » . فقتلوا يومئذٍ سبعين ، وأسرُوا سبعين .

قال ابنُ إسحاق[١٠] : [و] حدّثني عبدُ الله بنُ أبي بكر بن حزمٍ ، عمّن حدّثه عن ابن عباسٍ ، عن رجُلٍ من بني غفارٍ قال : حضرتُ أنا وابنُ عمٍّ لي بدراً ، ونحنُ على شِركنا ، فإنّا لفي جبلٍ ننتظرُ الوقعة على من تكونُ الدّبرةُ[١١] ، فننتهبُ ، فأقبلت سحابةٌ ، فلمّا دنت من الجبل ، سمعنا منها حمحمة الخيل ،

---

(١) تكملة من « مسند أبي يعلى » .
(٢) انظر « العقد الفريد » (٦/١٠٦) .
(٣) كذا في (آ) و(ط) وفي « العقد الفريد » : « بيوم » .
(٤) كذا في (آ) و(ط) وفي « العقد الفريد » : « يرد وجوههم » .
(٥) رواه البخاري (٣٩٩٢) .
(٦) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٢ ـ ٥٦٦) .
(٧) رواه مسلم (١٧٦٣) .
(٨) تكملة من « صحيح مسلم » .
(٩) تكملة من « صحيح مسلم » والخطم : الأثر على الأنف .
(١٠) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٣) . ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٢) .
(١١) الدبرة : الهزيمة في القتال . انظر « المعجم الوسيط » (دبر) .

وسمعنا فارساً يقولُ : أقدم حيزومُ . فأمّا صاحبي فانكشف قناعُ قلبه ، فمات مكانه ، وأمّا أنا فكدتُ أن أهلك ، ثُم انتعشتُ[١] بعد ذلك .

وقال ابنُ إسحاق[٢] : وحدّثني عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ ، عن بعض بني ساعدة ، عن أبي أُسيدٍ مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدراً ، قال بعد أن ذهب بصرُه : لو كنتُ اليوم ببدرٍ ومعي بصري ؛ لأريتُكم الشّعب الذي خرَجَت منه الملائكةُ ، لا أشُكُّ فيه ولا أتمارى .

فلمّا نزلت الملائكةُ ورآها إبليسُ، وأوحى الله إليهم[٣] : ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال : ١٢].

وتثبيتُهم أنّ الملائكة كانت تأتي الرّجُل في صورة الرجل يعرفُه ، فيقولُ له : أبشرُوا فإنّهم ليسوا بشيءٍ ، والله معكم ، كُرُّوا عليهم .

ولمّا رأى إبليسُ الملائكة ، ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ [الأنفال : ٤٨] وهو في صورة سُراقة ، وأقبل أبو جهلٍ يُحرّضُ أصحابه ويقولُ : لا يهُولنّكم خذلانُ سُراقة إيّاكم ، فإنّه كان على موعدٍ من محمدٍ وأصحابه . ثُمّ قال : واللاّت والعُزّى ، لا نرجعُ حتى نُفرّق محمداً وأصحابه في الجبال ، فلا تقتُلُوهم وخُذُوهُم أخذاً .

وقال الواقديُّ[٤] : حدّثني ابنُ أبي حبيبة ، عن داود بن الحُصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : كان الملَكُ يتصوّرُ في صورة من يعرفُون ، فيقولُ : إنّي قد دنوتُ منهم وسمعتُهم يقولون : لو حملُوا علينا ما ثبتنا ، ليسوا بشيءٍ ، إلى غير ذلك من القول ، فذلك قولُه : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الآية .

وروى البيهقيُّ[٥] ، من طريق سلامة ، عن عُقيلٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن أبي حازمٍ ، عن سهل بن سعدٍ قال : قال أبو أُسيدٍ ، بعدما ذهب بصرُه : يا بن أخي ، والله لو كنتُ أنا وأنت ببدرٍ ، ثُم أطلق اللهُ بصري ، لأريتُك الشّعب الذي خرجت علينا منه الملائكةُ ، من غير شكٍّ ولا تمارٍ .

وروى البخاريُّ[٦] ، عن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهّاب ، عن خالدٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، أنّ رسول الله ﷺ قال يوم بدرٍ : « هذا جبريلُ آخذٌ برأس فرسه ، وعليه أداةُ الحرب » .

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « تماسكت » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٣) . ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٢ ـ ٥٣) عن ابن إسحاق بسياق أطول من هذا .
(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٢ ـ ٥٦٧) .
(٤) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٧٩) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٥٣) .
(٦) رواه البخاري (٣٩٩٥) .

وقال الواقديُّ[١] : حدّثنا ابنُ أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، وأخبرني موسى بنُ محمد بن إبراهيم التّيميُّ ، عن أبيه ، وحدّثني عائذُ[٢] بنُ يحيى ، عن أبي الحُويرث ، عن عُمارة بن أُكيمة اللّيثيّ[٣] ، عن عكرمة ، عن حكيم بن حزامٍ ، قالوا : لمّا حضر القتالُ ورسولُ الله ﷺ رافعٌ يديه ، يسألُ الله النصر وما وعده ، يقولُ : « اللهمّ إن ظهروا على هذه العصابة ، ظهر الشّركُ ، ولا يقُومُ لك دينٌ » . وأبو بكرٍ يقولُ : والله لينصرنّك الله ، وليُبيّضنّ وجهك . فأنزل الله ألفاً من الملائكة مُردفين ، عند أكتاف[٤] العدُوّ ، قال رسولُ الله ﷺ : « أبشر يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ مُعتجرٌ بعمامة صفراء ، آخذٌ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلمّا نزل إلى الأرض تغيّب عنّي ساعةً ، ثُمّ طلع وعلى ثناياهُ النّقعُ[٥] ، يقولُ : أتاك نصرُ الله إذ دعوته » .

وروى البيهقيُّ[٦] ، عن أبي أُمامة بن سهلٍ ، عن أبيه قال : يا بُنيّ ، لقد رأيتُنا يوم بدرٍ وإنّ أحدنا ليُشيرُ إلى رأس المُشرك ، فيقعُ رأسُه عن جسده ، قبل أن يصل إليه السيفُ .

وقال ابنُ إسحاق[٧] : حدّثني والدي ، حدّثني رجالٌ من بني مازنٍ ، عن أبي واقدٍ اللّيثيّ قال : إنّي لأتبعُ رجلاً من المشركين لأَضْرِبَهُ ، فوقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفتُ أنّ غيري قد قتله .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن عيسى بن عبد الله التّيميّ ، عن الرّبيع بن أنسٍ قال : كان النّاسُ يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم ، بضربٍ فوق الأعناق وعلى البنان ، مثل سمة النّار وقد أُحرق به[٨] .

وقال ابنُ إسحاق[٩] : حدّثني من لا أتّهمُ ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ قال : كان سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائمَ بيضاً قد أرخوها على ظهورهم ، إلاّ جبريل فإنّه كانت عليه عمامةٌ صفراءُ .

وقد قال ابنُ عباسٍ[١٠] : لم تُقاتل الملائكةُ في يومٍ سوى يوم بدرٍ من الأيام ، وكانوا يكُونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً ، لا يضربون .

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٣ ـ ٥٤) ، ورواه الواقدي في « مغازيه » (١/ ٨١) بروايات عديدة .
(٢) في (آ) و(ط) : « عابد » والتصحيح من « تهذيب الكمال » (١٧/ ٤١٤ ـ ٤١٥) .
(٣) بعده في م : « عن عكرمة » . وهو خطأ .
(٤) وفي « مغازي الواقدي » : « أكناف » .
(٥) النقع : الغبار . انظر « لسان العرب » (نقع) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٥٦) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٣٣) ، وإسناده ضعيف .
(٨) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١٧٢) إلى ابن أبي حاتم .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٣) .
(١٠) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٣٤) .

وقال الواقديُّ(١) : حدثني عبدُ الله بنُ موسى بن أبي أُميّة ، عن مُصعب بن عبد الله ، عن مولىً لسُهيل بن عمروٍ ، سمعتُ سُهيل بن عمروٍ يقولُ : لقد رأيتُ يوم بدرٍ رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلقٍ(٢) ، بين السماء والأرض مُعلِمين ، يقتُلون ويأسرُون ، وكان أبو أُسيدٍ يُحدّثُ بعد أن ذهب بصرُه قال : لو كنتُ معكم الآن ببدرٍ ومعي بصري ، لأريتُكم الشّعب الذي خرجت منه الملائكةُ ، لا أشُكُّ ولا أمتري .

قال(٣) : وحدّثني خارجةُ بنُ إبراهيم ، عن أبيه قال : قال رسولُ الله ﷺ لجبريل : « مَن القائلُ يوم بدرٍ من الملائكة : أقدم حيزُومُ ؟ » . فقال جبريلُ : « يا محمدُ ، ما كُلّ أهل السماء أعرفُ » .

قلتُ : وهذا الأثرُ مُرسلٌ ، وهو يرُدُّ قول من زعم أنّ حيزُوم اسمُ فرس جبريل ، كما قاله السُّهيليُّ وغيرُه(٤) ، والله أعلمُ .

وقال الواقديُّ(٥) : حدّثني إسحاقُ بنُ يحيى ، عن حمزة بن صُهيبٍ ، عن أبيه قال : فما أدري كم يدٍ مقطُوعةٍ ، وضربةٍ جائفةٍ لم يدم كلمُها ، قد رأيتُها يوم بدرٍ .

وحدثني(٦) محمدُ بنُ يحيى ، عن أبي عُفَير(٧) ، عن رافع بن خديجٍ ، عن أبي بُردة بن نيارٍ قال : جئتُ يوم بدرٍ بثلاثة أرؤُسٍ ، فوضعتُهنّ بين يدي رسول الله ﷺ فقلتُ : أمّا رأسان فقتلتُهما ، وأمّا الثالثُ فإنّي رأيتُ رجلاً طويلاً قتله(٨) ، فأخذتُ رأسه . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك فُلانٌ من الملائكة » .

وحدّثني(٩) موسى بنُ محمد بن إبراهيم ، عن أبيه قال : كان السائبُ بنُ أبي حُبيشٍ يُحدّثُ في زمن عُمر يقولُ : والله ما أسرني أحدٌ من الناس . فيقالُ : فمن ؟ يقولُ : لمّا انهزمت قُريشٌ ، انهزمتُ معها ، فأدركني رجلٌ أبيضُ(١٠) طويلٌ ، فأوثقني رباطاً ، وجاء عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ فوجدني مربوطاً ، فنادى في العسكر(١١) : من أسر هذا ؟ [فليس أحدٌ يزعم أنه أسرني](١٢) ، حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال :

---

(١) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٦) .
(٢) البَلَق : سواد وبياض ، وكذا (البُلْقة) يقال : فرس أبلق وفرس بلقاء . « مختار الصحاح » (بلق) .
(٣) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٧) .
(٤) انظر « الروض الأنف » (٥/ ١٣٨ ـ ١٣٩) .
(٥) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٨) .
(٦) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٨ ـ ٧٩) .
(٧) في (آ) و(ط) : « أبي عقيل » . والتصحيح من « المغازي » مصدر المؤلف في نقله ، وانظر « الإكمال » لابن ماكولا (٦/ ٢٢٦) ، و« المشتبه في أسماء الرجال » للذهبي (٢/ ٤٨٧) .
(٨) في « المغازي » للواقدي : ((ضربه)) .
(٩) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٩) .
(١٠) في (ط) : « أشعر » . وما جاء في (آ) موافق لما في « المغازي » .
(١١) في « المغازي » : « المعسكر » .
(١٢) تكملة استدركتها من « المغازي » مصدر المؤلف .

« من أسرك ؟ » . قلتُ : لا أعرفُه . وكرهتُ أن أُخبره بالذي رأيتُ . فقال رسولُ الله ﷺ : « أسرك ملَكٌ من الملائكة ، اذهب يا بن عوفٍ بأسيرك » .

وقال الواقديُّ[١] : حدثني عائذُ بنُ يحيى ، حدثنا أبو الحُويرث ، عن عُمارة بن أُكيمة ، عن حكيم بن حِزامٍ قال : لقد رأيتُنا يوم بدرٍ ، وقد وقع [بوادي خَلْصٍ][٢] بجادٌ[٣] من السماء قد سدّ الأُفُق ، فإذا الوادي يسيلُ نَمْلاً[٤] ، فوقع في نفسي أنّ هذا شيءٌ من السماء أُيّد به محمدٌ ، فما كانت إلّا الهزيمةُ ، ولقي الملائكة .

وقال إسحاقُ بنُ راهويه[٥] : حدّثنا وهبُ بنُ جرير بن حازمٍ ، حدثني أبي عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبي ، عن جُبير بن مُطعمٍ قال : رأيتُ قبل هزيمة القوم ، والناسُ يقتتلون ، مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود ، فلم أشُكّ أنّها الملائكةُ ، فلم يكُن إلّا هزيمةُ القوم .

ولمّا تنزّلت الملائكةُ للنصر ، ورآهم رسولُ الله ﷺ حين أغفى إغفاءةً ثم استيقظ ، وبشّر بذلك أبا بكرٍ وقال : « أبشر يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ يقُودُ فرسه ، على ثناياه النّقعُ » . يعني من المعركة ، ثم خرج رسولُ الله ﷺ من العريش في الدّرع ، فجعل يُحرّضُ على القتال ، ويُبشّرُ الناس بالجنة ، ويُشجّعُهم بنزول الملائكة ، والناسُ بعدُ على مصافّهم لم يحملوا على عدوّهم ، حصل لهم السكينة والطُّمأنينةُ ، وقد حصل النُّعاسُ الذي هو دليلٌ على الطمأنينة والثبات والإيمان ، كما قال[٦] : ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ[٧] ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ ﴾ [الأنفال : ١١] .

وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أُحُدٍ بنصّ القرآن ، ولهذا قال ابنُ مسعودٍ[٨] : النعاسُ في المصافّ من الإيمان ، والنعاسُ في الصلاة من النِّفاق .

وقال الله تعالى[٩] : ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١٩] .

---

(١) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٨٠) .
(٢) تكملة استدركتها من « المغازي » مصدر المؤلف .
(٣) البجاد : الكساء . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٩٦) .
(٤) في م : « نهلاً » .
(٥) وذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٢/ ٢١١ _ ٢١٢) وعزاه إلى إسحاق بن راهويه ، وقال : هذا إسناد حسن إن كان إسحاق بن يسار سمعه من جبير .
(٦) انظر التفسير (٣/ ٥٦٢ _ ٥٦٣) .
(٧) في (آ) و(ط) : « يُغَشِّيكُمُ » بضم الياء وتشديد الشين ونصب « النعاس » وهي قراءة ابن عامر وأهل الكوفة وفي قراءة أبي عمرو وابن كثير : « إذا يغشاكم » . انظر « حجة القراءات » ص (٣٠٨) .
(٨) انظر « تفسير الطبري » (٤/ ١٤١ و٩/ ١٩٣) .
(٩) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٧٢ _ ٥٧٣) .

قال الإمامُ أحمدُ[١] : حدثنا يزيدُ بنُ هارون ، ثنا محمدُ بنُ إسحاق ، حدثني الزُّهريُّ ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أنّ أبا جهلٍ قال حين التقى القومُ : اللهمّ أقْطَعُنا للرّحم ، وآتانا بما لا نعرفُ ، فأحنه الغداة . فكان هو المُستفتِح .

وكذا ذكره ابنُ إسحاق في « السيرة »[٢] .

ورواه النسائيُّ[٣] ، من طريق صالح بن كيسان ، عن الزُّهريّ .

ورواه الحاكمُ[٤] ، من حديث الزُّهريّ أيضاً ، ثم قال : صحيحٌ على شرط الشيخين ، ولم يُخرجاه .

وقال الأُمويُّ[٥] : حدثنا أسباطُ بنُ محمدٍ القرشيُّ ، عن مُطرّفٍ ، عن عطية في قوله : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ . قال : قال أبو جهلٍ : اللهم انصُر أعزّ الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ .

وقال عليُّ بنُ أبي طلحة[٦] ، عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٧] . قال : أقبلت عِيرُ أهل مكة تُريدُ الشام ، فبلغ ذلك أهل المدينة ، فخرجوا ومعهم رسولُ الله ﷺ يُريدون العيـر ، فبلغ ذلك أهل مكة ، فأسرعوا إليها ؛ لكيلا يغلب عليها النبيُّ ﷺ وأصحابُه ، فسبقت العيرُ رسول الله ﷺ ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يُحبُّون أن يلقَوُا العير ، وسار رسولُ الله ﷺ بالمسلمين يُريد القوم ، وكره القومُ مسيرهم لشوكة القوم ، فنزل النبيُّ ﷺ والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رَملةٌ دِعصةٌ[٧] ، فأصاب المسلمين ضعفٌ شديدٌ ، وألقى الشيطانُ في قلوبهم الغيظ ، يُوسوسُهم : تزعُمون أنّكم أولياءُ الله وفيكم رسولُه ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم كذا ؟! فأمطر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهّروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، فصار الرملُ لبداً ، ومشى الناسُ عليه والدوابُّ ، فساروا إلى القوم ، وأمدَّ[٨] الله نبيّه ﷺ والمؤمنين بألفٍ من الملائكة ، فكان جبريلُ في خمسمئةٍ من الملائكة مُجنّبةً ، وميكائيلُ في خمسمئةٍ من الملائكة مُجنّبةً ، وجاء إبليسُ في جندٍ من الشياطين ومعه رايتُه[٩] ، وهم في صورة رجالٍ من بني مُدلجٍ ، والشيطانُ في

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٤٣١) ، وهو حديث صحيح .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٨) .
(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١١٢٠١) .
(٤) « المستدرك » (٢/ ٣٢٨) .
(٥) وأخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٠٨) .
(٦) وأخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٨٦) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٧٨ ـ ٧٩) بلفظه .
(٧) الدعصة : المستدير من الرمل . انظر « لسان العرب » (دعص) .
(٨) في (ط) : و« أيد » .
(٩) في (ط) : « ذريته » .

صورة سُراقة بن مالكٍ بن جُعشُمٍ ، وقال الشيطانُ للمشركين : ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٨] . فلمّا اصطفّ الناسُ قال أبو جهلٍ : اللهم أولانا بالحقّ فانصُره . ورفع رسولُ الله ﷺ يديه فقال : « يا ربّ ، إن تهلك هذه العصابةُ فلن تُعبد في الأرض أبداً » . فقال له جبريلُ : خُذ قُبضةً من التراب . فأخذ قُبضةً من التراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحدٍ إلّا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه ترابٌ من تلك القُبضة ، فولّوا مدبرين ، وأقبل جبريلُ إلى إبليس ، فلمّا رآه ، وكانت يدُه في يد رجلٍ من المشركين ، انتزع إبليسُ يده ثم ولّى مدبراً وشيعتُه ، فقال الرجلُ : يا سُراقةُ ، أما زعمت أنّك لنا جارٌ ؟ قال : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٨] . وذلك حين رأى الملائكة . رواه البيهقيُّ في « الدلائل » .

وقال الطّبرانيُّ[١] : ثنا مسعدةُ بنُ سعدٍ العطّارُ ، ثنا إبراهيمُ بنُ المُنذر الحزاميُّ ، ثنا عبدُ العزيز بنُ عمران ، ثنا هشامُ بنُ سعدٍ ، عن عبد ربّه بن سعيد بن قيسٍ الأنصاريّ ، عن رفاعة بن رافعٍ قال : لمّا رأى إبليسُ ما تفعلُ الملائكةُ بالمشركين يوم بدرٍ ، أشفق أن يخلُص [القتلُ] إليه ، فتشبّث به الحارثُ بنُ هشامٍ وهو يظُنُّ أنّه سُراقةُ بنُ مالكٍ ، فوكز في صدر الحارث فألقاه ، ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر ، ورفع يديه فقال : اللهم إنّي أسألُك نظرتك إيّاي . وخاف أن يخلُص القتلُ إليه . وأقبل أبو جهلٍ فقال : يا معشر الناس ، لا يهُولنّكم[٢] خذلانُ سُراقة بن مالكٍ ، فإنّه كان على ميعادٍ من محمدٍ ، ولا يهُولنّكم قتلُ شيبة وعُتبة والوليد ، فإنّهم قد عجّلُوا ، فواللّات والعُزّى لا نرجعُ حتى نفرقهم بالجبال[٣] ، فلا أُلفينّ رجلاً منكم قتل رجلاً ، ولكن خُذُوهم أخذاً حتى تعرّفوهم سوء صنيعهم ، من مُفارقتهم إيّاكم ، ورغبتهم عن اللّات والعُزّى . ثم قال أبو جهلٍ مُتمثّلاً : [من الرجز]

ما تنقمُ الحربُ الشّمُوسُ منّي ... بازلُ عامين حديثٌ سنّي

لمثل هذا ولدتني أُمّي

وروى الواقديُّ[٤] ، عن موسى بن يعقوب الزّمْعيّ ، [عن عمّه][٥] ، عن أبي بكر بن أبي سليمان بن[٦] أبي حثمة ، سمعتُ مروان بن الحكم يسألُ حكيم بن حزامٍ عن يوم بدرٍ ، فجعل الشيخُ يكرهُ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » رقم (٤٥٥٠) وما بين الحاصرتين زيادة منه . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٧٧) : وقال : فيه عبد العزيز بن عمران . وهو ضعيف .

(٢) في « المعجم الكبير » : « يهزمنكم » .

(٣) في (آ) و « معجم الطبراني » : « نفرنهم بالجبال » . وأثبت لفظ (ط) .

(٤) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٩٥) ، وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٧٩ ـ ٨٠) ، من طريق الواقدي به .

(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « المغازي » و« دلائل النبوة » .

(٦) في (آ) و(ط) : « عن » . وأثبت لفظ « المغازي » .

ذلك ، فألحّ عليه ، فقال حكيمٌ : التقينا فاقتتلنا ، فسمعتُ صوتاً وقع من السماء إلى الأرض ، مثل وقع الحصاة في الطّست ، وقبض النبيُّ ﷺ القبضةَ الترابَ ، فرمى بها فانهزمنا .

قال الواقديُّ[١] : وحدّثنا إسحاقُ بنُ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعيرٍ ، سمعتُ نوفل بن مُعاوية الدّيليّ يقولُ : انهزمنا يوم بدرٍ ونحن نسمعُ صوتاً كوقع الحصى في الكأس[٢] ، في أفئدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشدّ الرعب علينا .

وقال الأُمويُّ[٣] : ثنا أبي ، [ثنا ابنُ إسحاق] ، حدّثني الزُّهريُّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعيرٍ ، أنّ أبا جهلٍ حين التقى القومُ قال : اللهم أقطعُنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرفُ ، فَأَحِنْهُ الغداة . فكان هو المستفتح . فبينما هم على تلك الحال ، وقد شجّع الله المسلمين على لقاء عدوّهم ، وقلّلهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسولُ الله ﷺ خفقةً في العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ مُعتجرٌ بعمامته ، آخذٌ بعنان فرسه يقُودُه ، على ثناياه النّقعُ ، أتاك نصرُ الله وعِدَتُه » . وأمر رسولُ الله ﷺ فأخذ كفّاً من الحصى بيده ، ثم خرج فاستقبل القوم فقال : « شاهت الوجوهُ » . ثُم نفخهم[٤] بها ، ثم قال لأصحابه : « احملُوا » . فلم تكُن إلّا الهزيمةُ ، فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم .

وقال زيادٌ ، عن ابن إسحاق[٥] : ثم إنّ رسول الله ﷺ أخذ حَفنةً من الحصباء ، فاستقبل بها قريشاً ثم قال : « شاهت الوجوهُ » . ثُم نفخهم بها ، وأمر أصحابه فقال : « شُدُّوا » . فكانت الهزيمةُ ، فقتل الله من قتل من صناديد قريشٍ ، وأسر من أسر من أشرافهم .

وقال السُّدّيُّ الكبيرُ : قال رسولُ الله ﷺ لعليٍّ يوم بدرٍ : « أعطني حصىً من الأرض » . فناوله حصىً عليه ترابٌ ، فرمى به في وجوه القوم ، فلم يبق مشركٌ إلّا دخل في عينيه من ذلك التراب شيءٌ ، ثم ردفهم المسلمون يقتُلونهم ويأسرُونهم ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ وهكذا قال عُروةُ ، وعكرمةُ ، ومجاهدٌ ، ومحمدُ بنُ كعبٍ ، ومحمدُ بنُ قيسٍ ، وقتادةُ ، وابنُ زيدٍ ، وغيرُهم ؛ أنّ هذه الآية نزلت في ذلك يوم بدرٍ . وقد فعل ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مثل ذلك في غزوة حُنينٍ ، كما سيأتي في موضعه ، إذا انتهينا إليه إن شاء الله ، وبه الثقةُ .

وذكر ابنُ إسحاق[٦] ، أنّ رسول الله ﷺ لمّا حرّض أصحابه على القتال ، ورمى المشركين بما رماهم به من التراب ، وهزمهم الله تعالى ، صعِد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكرٍ ، ووقف سعدُ بنُ مُعاذٍ ومن معه

---

(١) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٩٥) .
(٢) في (ط) : « الطاس » .
(٣) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٨) .
(٤) في (ط) : « ثم نفحهم » .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) .

من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوفُ ؛ خيفة أن تكُرّ راجعةٌ من المشركين إلى النبيّ ﷺ .

قال ابنُ إسحاق[١] : ولمّا وضع القومُ أيديهم يأسرُون ، رأى رسولُ الله ﷺ ، فيما ذُكر لي ، في وجه سعد بن مُعاذٍ الكراهية لما يصنعُ الناسُ ، فقال له : « كأنّي بك يا سعدُ تكرهُ ما يصنعُ القومُ ؟ » . قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعةٍ أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخانُ في القتل أحبّ إليّ من استبقاء الرجال .

قال ابنُ إسحاق[٢] : وحدثني العباسُ بنُ عبد الله بن معبَدٍ ، عن بعض أهله ، عن عبد الله بن عباسٍ ، أنّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه يومئذٍ : « إنّي قد عرفتُ أنّ رجالاً من بني هاشمٍ وغيرهم قد أُخرجُوا كرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشمٍ فلا يقتُله ، ومن لقي أبا البَختريّ بن هشامِ بن الحارث بن أسدٍ فلا يقتُله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ـ ﷺ ـ فلا يقتُله ، فإنه إنّما خرج مستكرهاً » . فقال أبو حُذيفة بنُ عُتبة بن ربيعة : أنقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترُكُ العباس ، والله لئن لقيتُه لألحمنّه بالسيف . فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعُمر : « يا أبا حفصٍ ، قال عُمرُ : والله إنّه لأولُ يومٍ كنّاني فيه رسولُ الله ﷺ بأبي حفصٍ ، أيُضربُ وجهُ عمّ رسول الله بالسيف ؟ » . فقال عمرُ : يا رسول الله ، دعني فلأضربْ عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق . فقال أبو حُذيفة : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قُلتُ يومئذٍ ، ولا أزالُ منها خائفاً إلاّ أن تُكفّرها عنّي الشهادةُ ، فقُتل يوم اليمامة شهيداً ، رضي الله عنه .

مقتلُ أبي البختريّ بن هشامٍ

قال ابنُ إسحاق[٣] : وإنّما نهى رسولُ الله ﷺ عن قتل أبي البختريّ ؛ لأنّه كان أكفّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، كان لا يُؤذيه ولا يبلُغُه عنه شيءٌ يكرهُه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة ، فلقيه المُجذّرُ بنُ ذيادٍ البلويُّ حليفُ الأنصار فقال له : إنّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك . ومع أبي البختريّ زميلٌ له خرج معه من مكة ، وهو جُنادةُ بنُ مُليحة ، وهو من بني ليثٍ . قال : وزميلي ؟ فقال له المُجذّرُ : لا والله ، ما نحنُ بتاركي زميلك ، ما أمرنا رسولُ الله إلاّ بك وحدك . قال : لا والله ، إذاً لأمُوتنّ أنا وهو جميعاً ، لا يتحدّثُ عنّي نساءُ قريش مكّة أنّي تركتُ زميلي حرصاً على الحياة .

وقال أبو البختريّ وهو يُنازلُ المُجذّر : [من الرجز]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨ ـ ٦٢٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠) .

لـن يَتْـرُكَ[١] ابـنُ حُـرّةٍ زميلَـهُ حتـى يمُـوتَ أو يـرى سبيلَـهُ

قال : فاقتتلا . فقتله المُجذَّرُ بنُ ذيادٍ ، وقال في ذلك : [من الرجز]

إمّـا جهلـتَ أو نسيـت نسبـي فـأثبـتِ النّسبـة أنّـي مـن بلـي
الطّـاعنيـن بـرمـاح اليـزنـي[٢] والطّاعنين[٣] الكبش[٤] حتى يَنْحَني
بشّـر بيُتـمٍ مَـن أبـوه البَختـريّ أو بشّـرن بمثلهـا منّـي بنـي
أنـا الـذي يقـالُ أصلـي من بلـي أطعُـنُ بـالصّعـدة[٥] حتـى تنثنـي
وأعبـطُ القِـرن بعضـبٍ مشـرفـي أُرزمُ للمـوت كـإرزام المـرِي
فلا يَرى مُجذّراً يفري فري

ثم أتى المُجذَّرُ رسول الله ﷺ فقال : والذي بعثك بالحقّ ، لقد جَهِدْتُ عليه أن يستأسر فآتيك به ، فأبى إلّا أن يُقاتلني ، فقاتلتُه فقتلتُه .

فصل
[في مقتل أُميّة بن خلفٍ][٦]

قال ابنُ إسحاق[٧] : وحدّثني يحيى بنُ عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه ، وحدّثنيه أيضاً عبدُ الله ابنُ أبي بكرٍ وغيرُهما ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : كان أُميّةُ بنُ خلفٍ لي صديقاً بمكّة ، وكان اسمي عبد عمروٍ ، فسمِّيْتُ[٨] حين أسلمتُ : عبد الرحمن ، فكان يلقاني إذ نحنُ بمكّة فيقولُ : يا عبد عمروٍ ، أرغبتَ عن اسمٍ سمّاكه أَبُوكَ[٩] ؟ قال : فأقولُ : نعم . قال : فإنّي لا أعرفُ الرحمن ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعُوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبُني باسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرفُ . قال : وكان إذا دعاني : يا عبد عمروٍ ، لم أُجبه . قال : فقلتُ له : يا أبا عليٍّ ، اجعل ما شئت . قال : فأنت عبدُ الإله .

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « لن يُسلم » .
(٢) اليزني : نسبة إلى ذي يزن ، ملك من ملوك اليمن .
(٣) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « والضاربين » .
(٤) الكبش : سيد القوم . انظر « مختار الصحاح » (كبش) .
(٥) الصعدة : عصا الرّمح ، ثم سمي الرمح صعدة . « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٧) .
(٦) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣١) .
(٨) كذا في (آ) و« السيرة النبوية » لابن هشام و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٥١) : « فسميت » ، وفي (ط) : « فتسمّيت » .
(٩) كذا في (آ) و(ط) : « أبوك » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « أبواك » .

قال : قلتُ : نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله . فأُجيبُه فأتحدّثُ معه ، حتى إذا كان يومُ بدرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع ابنه عليٍّ ، وهو آخذٌ بيده . قال : ومعي أدراعٌ لي قد استلبتُها ، فأنا أحملُها ، فلمّا رآني قال : يا عبد عمروٍ . فلم أُجبه . فقال : يا عبد الإله . فقلتُ : نعم . قال : هل لك فيّ ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك ؟ قال : قلتُ : نعم ، ها الله [ذا][1] . قال : فطرحتُ الأدراعَ من يدي ، وأخذتُ بيده وبيد ابنه ، وهو يقولُ : ما رأيتُ كاليوم قطُّ ، أما لكم حاجةٌ في اللَّبن[2] ؟ ثُم خرجت أمشي بهما .

قال ابنُ إسحاق[3] : حدّثني عبدُ الواحد بنُ أبي عونٍ ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : قال لي أُميّةُ بنُ خلفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذٌ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجلُ منكم ، المُعلَمُ بريشة نعامةٍ في صدره ؟ قال : قلتُ : حمزةُ . قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبدُ الرحمن : فوالله إنّي لأقُودُهما إذ رآه بلالٌ معي ؛ وكان هو الذي يُعذّبُ بلالاً بمكّة على [ترك][4] الإسلام ، فلمّا رآه قال : رأسُ الكُفر أُميّةُ بنُ خلفٍ ، لا نجوتُ إن نجا . قال : قلتُ : أي بلالُ ، أسيريَّ ؟ . قال : لا نجوتُ إن نجا . قال : ثُم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكفر أُميّةُ بن خلفٍ ، لا نجوتُ إن نجا . فأحاطُوا بنا حتى جعلُونا في مثل المَسَكَةِ[5] ، فأنا أذُبُّ عنه . قال : فأخلف رجلٌ السيف ، فضرب رجل ابنه فوقع ، وصاح أُميّةُ صيحةً ما سمعتُ بمثلها قطُّ . قال : قلتُ : انجُ بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أُغني عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما[6] بأسيافهم حتى فرغُوا منهما . قال : فكان عبدُ الرحمن يقولُ : يرحمُ الله بلالاً ، فجعني بأدراعي وبأسيريّ .

وهكذا رواه البخاريُّ في « صحيحه »[7] قريباً من هذا السّياق ، فقال في الوكالة : حدّثنا عبدُ العزيز ، هو ابنُ عبد الله ـ حدّثنا يوسفُ ـ هو ابنُ الماجشُون عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوفٍ ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الرحمن بن عوفٍ قال : كاتبتُ أُميّة بن خلفٍ كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي[8] بمكة ، وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلمّا ذكرتُ الرحمن قال : لا أعرفُ الرحمن ، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهليّة . فكاتبتُه عبد عمروٍ ، فلمّا كان يومُ بدرٍ ، خرجتُ إلى جبلٍ لأُحرزه حين نام الناسُ ، فأبصره

---

(١) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » لابن هشام ، وفي « تاريخ الطبري » : « هلم إذاً » .
(٢) قال ابن هشام : يريد باللبن : أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن . انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٣١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٢) .
(٤) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٢) .
(٥) أي : جعلونا في حلقة كالسوار ، وأحدقوا بنا . « النهاية » (٤/ ٣٣١) .
(٦) أي : قطعوا لحمهما . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) .
(٧) رواه البخاري رقم (٢٣٠١) .
(٨) الصاغية : بصاد مهملة وغين معجمة ، خاصة الرجل . عن « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني (٥/ ٢٤٨) .

بلالٌ ، فخرج حتى وقف على مجلسٍ من الأنصار فقال : أُميّةُ بنُ خلف ؟! لا نجوتُ إن نجا أُميّةُ ، فخرج معه فريقٌ من الأنصار في آثارنا ، فلمّا خشيتُ أن يلحقُونا ، خلّفتُ لهم ابنه لأشغلهم فقتلُوه ، ثم أتوا حتى تبعُونا ، وكان رجُلاً ثقيلاً ، فلمّا أدركُونا قلتُ له : ابرُك . فبرك فألقيتُ عليه نفسي لأمنعه ، فتخلّلُوه بالسُّيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدُهم رجلي بسيفه . فكان عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ يُرينا ذلك الأثر[١] في ظهر قدمه .

سمع يوسفُ صالحاً ، وإبراهيمُ أباه . تفرّد به البخاريُّ من بينهم كلّهم .

وفي مُسند رفاعة بن رافعٍ[٢] ، أنّه هو[٣] الذي قتل أُميّة بن خلفٍ .

مقتلُ أبي جهلٍ ، لعنه الله

قال ابنُ هشامٍ[٤] : وأقبل أبو جهلٍ يومئذٍ يرتجزُ [وهو يقاتل][٥] ويقولُ : [من الرجز]

ما تَنْقِمُ الحربُ العوانُ منّي بازلُ عامين حديثٌ سنّي
لمثل هذا ولدتني أُمّي

قال ابنُ إسحاق[٦] : ولمّا فرغ رسولُ الله ﷺ من عدُوّه ، أمر بأبي جهلٍ أن يُلتمس في القتلى ، وكان أوّلُ من لقي أبا جهلٍ ، كما حدّثني ثورُ بنُ زيدٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، وعبدُ الله بنُ أبي بكرٍ أيضاً قد حدّثني ذلك ، قالا : قال مُعاذُ بنُ عمروٍ بن الجمُوح أخو بني سلمة : سمعتُ القوم ، وأبو جهلٍ في مثل الحرجة[٧] ، وهم يقُولون : أبو الحكم لا يُخلَصُ إليه . فلمّا سمعتُها جعلتُه من شأني ، فصمدتُ[٨] نحوه ، فلمّا أمكنني ، حملتُ عليه فضربتُه ضربةً أطنّت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبّهتُها حين طاحت ، إلّا بالنّواة تطيحُ من تحت مرضخة النّوى حين يُضربُ بها . قال : وضربني ابنُه عكرمةُ على عاتقي ، فطرح يدي فتعلّقت بجلدةٍ من جنبي ، وأجهضني القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامّة يومي وإنّي لأسحبُها خلفي ، فلمّا آذتني وضعتُ عليها قدمي ، ثُم تمطّيتُ بها عليها حتى طرحتُها ـ قال ابنُ

---

(١) لفظ « الأثر » سقط من (ط) وانفردت به (آ) .
(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤٥٣٥) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٨٢) وعزاه للطبراني ، وقال : وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو ضعيف .
(٣) أي : رافع بن مالك والد رفاعة .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٤) .
(٥) زيادة من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥) .
(٧) قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتفّ .
(٨) أي : قصدت .

إسحاق[١] : ثُم عاش بعد ذلك حتى كان زمنُ عثمان ، ثُم مرّ بأبي جهلٍ ، وهو عقيرٌ[٢] ، مُعوّذُ بنُ عفراء فضربه حتى أثبته ، وتركه وبه رمقٌ ، وقاتل مُعوّذٌ حتى قُتل ، فمرّ عبدُ الله بنُ مسعودٍ بأبي جهلٍ ، حين أمر رسولُ الله ﷺ أن يُلتمس في القتلى ، وقد قال لهم رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ : « انظُرُوا ، إن خفي عليكم في القتلى ، إلى أثر جُرحٍ في رُكبته ، فإنّي ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدُبةٍ لعبد الله بن جُدعان ونحنُ غُلامان ، وكنتُ أشفّ منه بيسيرٍ ، فدفعتُه فوقع على رُكبتيه فجُحش في إحداهما جحشاً لم يزل أثرُه به . قال ابنُ مسعودٍ : فوجدتُه بآخر رمقٍ فعرفتُه ، فوضعتُ رجلي على عُنُقه ، قال : وقد كان ضبث[٣] بي مرّةً بمكّة ، فآذاني ولكزني ، ثُم قلتُ له : هل أخزاك الله يا عدُوّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ؟! قال : أعمَدُ من رجُلٍ قتلتُموه ، أخبرني لمن الدّائرةُ اليوم ؟ قال : قلتُ : لله ولرسوله .

قال ابنُ إسحاق[٤] : وزعم رجالٌ من بني مخزُومٍ ، أنّ ابن مسعودٍ كان يقولُ : قال لي[٥] : لقد ارتقيتَ مُرتقىً صعباً يا رُويعي الغنم . قال : ثُم احتززتُ رأسه ، ثُم جئتُ به رسول الله ﷺ فقلتُ : يا رسول الله ، هذا رأسُ عدوّ الله .

فقال : « الله الذي لا إله غيرُه ؟ » . وكانت يمينَ رسول الله ﷺ ، فقلتُ : نعم ، والله الذي لا إله غيرُه . ثُم ألقيتُ رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله . هكذا ذكر ابنُ إسحاق ، رحمه الله .

وقد ثبت في «الصحيحين»[٦] ، من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشُون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوفٍ، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : إنّي لواقفٌ يوم بدرٍ في الصفّ ، فنظرتُ عن يميني وشمالي ، فإذا أنا بين غُلامين من الأنصار حديثةٍ أسنانُهما ، فتمنّيتُ أن أكُون بين أَظلَعَ منهما ، فغمزني أحدُهما فقال : يا عمّ ، أتعرفُ أبا جهلٍ ؟ فقلتُ : نعم ، وما حاجتُك إليه ؟ قال : أُخبرتُ أنّه يسُبُّ رسول الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه ، لا يُفارقُ سوادي سوادَه حتى يموت الأعجلُ منّا .

فتعجّبتُ لذلك ، فغمزني الآخرُ فقال لي أيضاً مثلها ، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهلٍ وهو يجُولُ في الناس ، فقلتُ : ألا تريان ؟ هذا صاحبُكم الذي تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما ، فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبيّ ﷺ فأخبراه فقال : « أيُّكما قتله ؟ » . قال كُلٌّ منهما : أنا قتلتُه . قال : « هل مسحتُما سيفيكُما ؟ » . قالا : لا . قال : فنظر النبيُّ ﷺ في السيفين فقال : « كلاكُما قتله » . وقضى بسلبه لمُعاذ بن عمرٍو بن الجمُوح ، والآخرُ مُعاذُ ابنُ عفراء .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦) .
(٢) أي : جريح .
(٣) ضبث : قبض .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٦) ، و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٥٥) .
(٥) يعني أبو جهل ، لعنه الله .
(٦) رواه البخاري (٣١٤١) ومسلم (١٧٥٢) .

وقال البخاريّ[١] : حدّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيم ، ثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عن أبيه ، عن جدّه قال : قال عبدُ الرحمن : إنّي لفي الصّفّ يوم بدرٍ ، إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السّنّ ، فكأنّي لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدُهما سراً من صاحبه : يا عمّ ، أرني أبا جهلٍ . فقلتُ : يا بن أخي ، وما تصنعُ به ؟ قال : عاهدتُ الله إن رأيتُه ، أن أقتُله أو أموت دونه . فقال لي الآخرُ سراً من صاحبه مثله . قال : فما سرّني أنّي بين رجُلين مكانهما ، فأشرتُ لهما إليه ، فشدّا عليه مثل الصّقرين حتى ضرباه ، وهما ابنا عفراء .

وفي « الصحيحين »[٢] أيضاً ، من حديث سُليمان التّيميّ ، عن أنس بن مالكٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « من ينظُرُ ما صنع أبو جهلٍ ؟ » . قال ابنُ مسعودٍ : أنا يا رسول الله . فانطلق ، فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد . قال : فأخذ بلحيته . قال : فقلتُ : أنت أبو جهلٍ ؟ فقال : وهل فوق رجلٍ قتلتُموه . أو قال : قتله قومُه .

وعند البخاريّ[٣] ، عن أبي أُسامة ، عن إسماعيل ، عن قيسٍ[٤] ، عن ابن مسعودٍ ، أنّه أتى أبا جهلٍ فقال : قد أخزاك الله ؟[٥] فقال : هل أعمَد من رجلٍ قتلتُموه .

وقال الأعمشُ[٦] ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة ، عن عبد الله قال : انتهيتُ إلى أبي جهلٍ وهو صريعٌ وعليه بيضةٌ ومعه سيفٌ جيّدٌ ، ومعي سيفٌ رديءٌ ، فجعلتُ أنقُفُ رأسه بسيفي وأذكُرُ نقفاً كان ينقُفُ رأسي بمكّة ، حتى ضعُفتْ يدُه ، فأخذتُ سيفه ، فرفع رأسه فقال : على من كانت الدّائرةُ ؛ لنا أو علينا ؟ ألستَ رُويعينا بمكّة ؟ قال : فقتلتُه ثُم أتيتُ النّبيَّ ﷺ فقلتُ : قتلتُ أبا جهلٍ . فقال : « الله الذي لا إله إلاّ هو ؟ » . فَاسْتَحْلَفَني ثلاث مرّاتٍ ، ثُم قام معي إليهم فدعا عليهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[٧] : حدّثنا وكيعٌ ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة قال : قال عبدُ الله : انتهيتُ إلى أبي جهلٍ يوم بدرٍ وقد ضُربت رجلُه [وهو صريع][٨] ، وهو يذُبُّ الناس عنه بسيفٍ له ، فقلتُ : الحمدُ لله الذي أخزاك الله يا عدُوّ الله . قال : هل هو إلاّ رجلٌ قتله قومُه ، قال : فجعلتُ

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٨) .
(٢) رواه البخاري (٣٩٦٢) و(٣٩٦٣) و(٤٠٢٠) ومسلم (١٨٠٠) .
(٣) رواه البخاري (٣٩٦١) .
(٤) في (آ) و(ط) : « عن إسماعيل بن قيس » وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري » .
(٥) في (ط) : « هل أخذاك الله ؟ » .
(٦) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨٤٧٠) ، من طريق الأعمش به ، وإسناده ضعيف .
(٧) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٤٤) ، وإسناده ضعيف .
(٨) زيادة من « مسند الإمام أحمد » .

أتناولُه بسيفٍ لي غير طائلٍ ، فأصبتُ يده ، فندر[١] سيفُه ، فأخذتُه فضربتُه حتى قتلتُه . قال : ثُم خرجتُ حتى أتيتُ النبيّ ﷺ كأنّما أُقَلُّ من الأرض ، فأخبرتُه فقال : « الله الذي لا إله إلاّ هو ؟ » . فردّدها ثلاثاً . قال : قلتُ : الله الذي لا إله إلاّ هو . قال : فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال : « الحمدُ لله الذي قد أخزاك الله يا عدُوّ الله ، هذا كان فرعون هذه الأُمّة » .

وفي روايةٍ أُخرى : قال ابنُ مسعودٍ : فنفَلني سيفه .

وقال أبو إسحاق الفزاريُّ[٢] ، عن الثّوريّ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة ، عن ابن مسعودٍ قال : أتيتُ رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، فقلتُ : قد قتلتُ أبا جهلٍ . فقال : « الله الذي لا إله إلاّ هو ؟ » . فقلتُ : الله الذي لا إله إلاّ هو . مرّتين أو ثلاثاً . قال : فقال النبيُّ ﷺ : « الله أكبرُ ، الحمدُ لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » . ثُم قال : « انطلق فأرنيه » . فانطلقتُ فأريتُه فقال : « هذا فرعونُ هذه الأُمّة » .

ورواه أبو داود ، والنّسائيُّ . من حديث أبي إسحاق السّبيعيّ به[٣] .

وقال الواقديُّ : وقف رسولُ الله ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال : « رحم الله ابني عفراء ، فهما شُركاءُ في قتل فرعون هذه الأُمّة ورأس أئمّة الكُفر » . فقيل : يا رسول الله ، ومن قتله معهما ؟ قال : « الملائكةُ ، وابنُ مسعودٍ قد شرك في قتله » رواه البيهقيُّ[٤] .

وقال البيهقيُّ[٥] : أخبرنا الحاكمُ ، أخبرنا الأصمُّ ، حدّثنا أحمدُ بنُ عبد الجبار ، حدّثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن عنبسة بن الأزهر ، عن أبي إسحاق قال : لمّا جاء رسولَ الله ﷺ البشيرُ يوم بدرٍ بقتل أبي جهلٍ ، استحلفه ثلاثة أيمانٍ بالله الذي لا إله إلاّ هو ، لقد رأيتَه قتيلاً ؟ فحلف له ، فخرّ رسولُ الله ﷺ ساجداً .

ثُم روى البيهقيُّ[٦] ، من طريق أبي نُعيمٍ ، عن سلمة بن رجاءٍ ، عن الشّعثاءِ ؛ امرأةٍ من بني أسدٍ ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، أنّ رسول الله ﷺ صلّى ركعتين ؛ حين بُشّر بالفتح ، وحين جيء برأس أبي جهلٍ .

وقال ابنُ ماجه[٧] : حدّثنا أبو بشرٍ بكرُ بنُ خلفٍ ، حدّثنا سلمةُ بنُ رجاءٍ قال : حدّثتني شعثاءُ ، عن

---

(١) أي : سقط .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٤٤) ، وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أبو داود (٢٧٠٩) والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٧٠) وهو حديث حسن .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٨ـ٨٩) .
(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٩) .
(٦) في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٩) .
(٧) رواه ابن ماجه (١٣٩١) ، وإسناده ضعيف .

عبد الله بن أبي أوفى ، أنّ رسول الله ﷺ صلّى يوم بُشّر برأس أبي جهلٍ ركعتين .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا[(١)] : حدّثنا أبي ، حدّثنا هُشيمٌ[(٢)] ، أخبرنا مُجالدٌ ، عن الشّعبيّ ، أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إنّي مررتُ ببدرٍ فرأيتُ رجلاً يَخْرُجُ من الأرض ، فيضربُه رجلٌ بمقمعةٍ معه حتى يغيب في الأرض ، ثُم يخرُجُ فيفعلُ به مثل ذلك مراراً . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك أبو جهل بنُ هشامٍ يُعذّبُ إلى يوم القيامة » .

وقال الأُمويُّ في « مغازيه » : سمعتُ أبي ، ثنا المُجالدُ بنُ سعيدٍ ، عن عامرٍ قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : إنّي رأيتُ رجلاً جالساً في بدر ، ورجلٌ يضربُ رأسه بعمودٍ من حديدٍ ، حتى يغيب في الأرض . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك أبو جهلٍ ، وُكّل به ملَكٌ يفعلُ به كلّما خرج ، فهو يتجلجلُ[(٣)] فيها إلى يوم القيامة »[(٤)] .

وقال البخاريُّ[(٥)] : حدّثنا عُبيدُ بنُ إسماعيل ، ثنا أبو أُسامة ، عن هشامٍ ، عن أبيه قال : قال الزُّبيرُ : لقيتُ يوم بدرٍ عُبيدة بن سعيدٍ بن العاص ، وهو مُدجّجٌ لا يُرى منه إلاّ عيناه ، وهو يُكنى أبا ذات الكرش ، فقال : [أنا][(٦)] أبو ذات الكرش . فحملتُ عليه بعنَزةٍ ، فطعنتُه في عينه فمات . قال هشامٌ : فأُخبرتُ أنّ الزُّبير قال : لقد وضعتُ رجلي عليه ، ثُم تمطّيتُ فكان الجهد أن نزعتُها ، وقد انثنى طرفاها . قال عُروةُ : فسأله إيّاها رسولُ الله ﷺ فأعطاه [إيّاها][(٧)] ، فلمّا قُبض رسولُ الله ﷺ أخذها ، ثُم طلبها أبو بكرٍ ، فأعطاه ، فلمّا قُبض أبو بكرٍ سألها إيّاه عمرُ ، فأعطاه إيّاها ، فلمّا قُبض عمرُ أخذها ، ثُم طلبها عثمانُ منه ، فأعطاه إيّاها ، فلمّا قُتل عثمانُ وقعت عند آل عليٍّ ، فطلبها عبدُ الله بنُ الزُّبير ، فكانت عنده حتى قُتل .

وقال ابنُ هشامٍ[(٨)] : حدّثني أبو عُبيدة وغيرُه من أهل العلم بالمغازي ، أنّ عُمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومرّ به : إنّي أراك كأنّ في نفسك شيئاً ، أراك تظُنُّ أنّي قتلتُ أباك ، إنّي لو قتلتُه لم أعتذر إليك من قتله ، ولكنّي قتلتُ خالي العاص بن هشام بن المُغيرة ، فأمّا أبوك فإنّي مررتُ به وهو

---

(١) ورواه أيضاً البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٩-٩٠) ، وإسناده ضعيف .
(٢) في (آ) و(ط) : « هشام » وهو خطأ ، والصواب ما أثبته وانظر « تهذيب الكمال » (٣٠/ ٢٧٢) و(٢٧/ ٢١٩) .
(٣) أي : يغوص في الأرض حين يخسف به . انظر « النهاية » (١/ ٢٨٤) .
(٤) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه البخاري (٣٩٩٨) .
(٦) لفظ « أنا » سقط من (آ) وأثبته من (ط) .
(٧) لفظ « إياها » سقط (آ) وأثبته من (ط) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٦ ـ ٦٣٧) .

يبحثُ بحث الثّور برَوقه(١) ، فحِدتُ عنه ، وقصد له ابنُ عمّه عليٌّ فقتله .

قال ابنُ إسحاق(٢) : وقاتل عُكّاشةُ بنُ محصن بن حُرثان الأسديُّ ، حليفُ بني عبد شمسٍ ، يوم بدرٍ بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسولَ الله ﷺ فأعطاه جذْلاً من حطبٍ فقال : « قاتل بهذا يا عُكّاشةُ » فلمّا أخذه من رسول الله ﷺ هزّه ، فعاد سيفاً في يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيفُ يُسمّى العون ، ثُم لم يزل عنده يشهدُ به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طُليحةُ الأسديُّ أيام الرّدّة ، وأنشد طُليحةُ في ذلك قصيدةً ، منها قولُه : [من الطويل]

عشيّة غادرتُ ابنَ أقرم ثاوياً وعُكّاشةَ الغنميَّ عند مجال

وقد أسلم بعد ذلك طُليحةُ ، كما سيأتي بيانُه .

قال ابنُ إسحاق(٣) : وعُكّاشةُ هو الذي قال ، حين بشّر رسولُ الله ﷺ أُمّته بسبعين ألفاً يدخُلُون الجنة بغير حسابٍ(٤) ولا عذابٍ : ادعُ الله أن يجعلني منهم . قال : « اللهمّ اجعله منهم » . وهذا الحديثُ مُخرّجٌ في الصّحاح والحسان وغيرها(٥) .

قال ابنُ إسحاق(٦) : وقال رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ : « منّا خيرُ فارسٍ في العرب » . قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : « عُكّاشةُ بنُ مِحصَنٍ » فقال ضرارُ بنُ الأزور الأسديُّ : ذاك رجلٌ منّا يا رسول الله . قال : « ليس منكم ولكنّهُ منّا(٧) » . للحلف .

وقد روى البيهقيُّ(٨) عن الحاكم ، من طريق محمد بن عُمر الواقديّ ، حدّثني عمرُ بنُ عثمان الجَحْشيُّ(٩) عن أبيه ، عن عمّته قالت : قال عُكّاشةُ بنُ مِحصَنٍ : انقطع سيفي يومَ بدرٍ ، فأعطاني رسولُ الله ﷺ عُوداً ، فإذا هو سيفٌ أبيضُ طويلٌ ، فقاتلتُ به حتى هزم الله المُشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك .

---

(١) الروق : القرن . انظر « القاموس المحيط » (روق) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٣٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨) .
(٤) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٣٥) طبع دار ابن كثير .
(٥) رواه البخاري (٥٧٠٥) و(٥٧٥٢) و(٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨) .
(٧) لفظ « منّا » سقط من (آ) وأثبته من (ط) .
(٨) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٩٩) .
(٩) تحرفت في (ط) إلى : « الخشني » والصواب ما جاء في (آ) .

وقال الواقديُّ[١] : وحدّثني أسامةُ بنُ زيدٍ ، عن داود بن الحُصين ، عن رجالٍ من بني عبد الأشهل عدّةٍ قالوا : انكسر سيفُ سلمة بن حريشٍ يوم بدرٍ ، فبقي أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسولُ الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طابٍ ، فقال : « اضرب به » . فإذا هو[٢] سيفٌ جيّدٌ ، فلم يزل عنده حتى قُتل يوم جسر أبي عُبيدٍ[٣] .

ردُّه ، عليه السلامُ ، عين قتادة

قال البيهقيُّ في « الدلائل »[٤] : أخبرنا أبو سعدٍ المالينيُّ ، أخبرنا أبو أحمد بنُ عديٍّ ، حدّثنا أبو يعلى ، حدّثنا يحيى الحِمَّاني ، ثنا عبدُ الرحمن بنُ سليمان ، ابنُ الغسيل ، عن عاصم بن عُمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن جدّه قتادة بن النُّعمان ، أنّه أُصيبت عينُه يوم بدرٍ ، فسالت حدقتُه على وجنته ، فأرادوا أن يقطعُوها ، فسألوا رسول الله ﷺ فقال : « لا » . فدعاه فغمز حدقته براحته ، فكان لا يدري أيَّ عينيه أُصيبت .

وفي روايةٍ[٥] : فكانت أحسن عينيه .

وقد روينا عن أمير المؤمنين عُمر بن عبد العزيز ، أنّه لمّا أخبره بهذا الحديث عاصمُ بنُ عمر بن قتادة ، وأنشد مع ذلك : [من الطويل]

أنا ابنُ الذي سالتْ على الخدّ عَيْنُهُ فـرُدّت بكـفّ المُصطفـى أيّمـا ردّ[٦]

فقال عمرُ بنُ عبد العزيز ، رحمه الله ، عند ذلك مُنشداً قول أُميّة بن أبي الصّلت في سيف بن ذي يزن ، فأنشده عمرُ في موضعه : حقّاً . [من البسيط]

تلك المكارمُ لا قَعبان من لبنٍ شيبـا بمـاءٍ فعـادا بعـدُ أبـوالا

---

(١) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٩٣ ـ ٩٤) .
(٢) لفظ ((هو)) سقط من (ط) .
(٣) وجسر أبي عبيد هذا على مرحلتين من الكوفة وبه جرت معركة شهيرة بين المسلمين والفرس سنة (١٤هـ) وقيل سنة (١٣هـ) . انظر « معجم البلدان » (٢/ ١٤٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٦٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٩٩ ـ ١٠٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٧) .
(٦) البيت في « شذرات الذهب » (١/ ١٨٠) وفيه : « . . . أحسن الرَّدِّ » .

فصلٌ
قصةٌ أُخرى شبيهةٌ بها

قال البيهقيُّ[١] : أنا أبو عبد الله الحافظُ ، أنا محمدُ بنُ صالحٍ ، أنا الفضلُ بنُ محمدٍ الشّعرانيُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ المنذر ، أخبرنا عبدُ العزيز بنُ عمران ، حدّثني رفاعةُ بنُ يحيى ، عن مُعاذ بن رفاعة بن رافعٍ ، عن أبيه رفاعة بن رافع بن مالكٍ ، عن أبيه قال : لمّا كان يومُ بدرٍ تجمّع الناسُ على أُميّة[٢] بن خلفٍ ، فأقبلتُ إليه ، فنظرتُ إلى قطعةٍ من درعه قد انقطعت من تحت إبطه . قال : فطعنتُه بالسيف فيها طعنةً قَطَعَتْهُ[٣] ، ورُميتُ بسهمٍ يوم بدرٍ ، ففُقئت عيني فبصق فيها رسولُ الله ﷺ ودعا لي ، فما آذاني منها شيءٌ . وهذا غريبٌ من هذا الوجه ، وإسنادُه جيّدٌ ، ولم يُخرجُوه[٤] .

ورواه الطّبرانيُّ من حديث إبراهيم بن المُنذر .

قال ابنُ هشامٍ[٥] : ونادى أبو بكرٍ ابنه عبد الرحمن وهو يومئذٍ مع المشركين لم يُسلم بعدُ ، فقال : أين مالي يا خبيثُ ؟ فقال عبدُ الرحمن : [من الرجز]

لم يبق إلا شكّةٌ ويعبُوبْ   وصارمٌ يقتُلُ ضُلاّل الشّيبْ

يعني لم يبق إلاّ عُدّةُ الحرب ، وحِصانٌ ـ وهو اليعبُوبُ ـ يقاتلُ عليه شيوخ الضلالة ، هذا يقولُه في حال كفره .

وقد روينا في « مغازي الأمويّ » أنّ رسول الله ﷺ جعل يمشي يوم بدرٍ هو وأبو بكرٍ الصّدّيقُ بين القتلى ، ورسولُ الله ﷺ يقولُ : [من الطويل]

نُفلّــقُ هــامــاً . . . .

فيقولُ الصديقُ[٦] :

. . . مــن رجــالٍ أعــزّةٍ   علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٠) .
(٢) في (آ) و(ط) : « أبي » . والتصحيح من « دلائل النبوة » .
(٣) لفظ « قطعته » سقط من (ط) .
(٤) انظر « المستدرك على الصحيحين » (٣/ ٢٣٢) ، وقال الحافظ الذهبي في تلخيصه : عبد العزيز بن عمران ضعّفوه .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٣٨) .
(٦) يكمل أبو بكر رضي الله عنه ما قاله رسول الله ﷺ من شعر حصين بن الحمام . انظر « الشعر والشعراء » (٢/ ٦٤٨) .
والحديث ذكره المؤلف في « تفسيره » (٣/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) .

ذكر طرح رؤوس الكفر في بئرٍ [يومَ][1] بدرٍ

قال ابن إسحاق[2] : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : لمّا أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب[3] ، طرحوا فيه إلاّ ما كان من أميّة بن خلفٍ ، فإنّه انتفخ في درعه فملأها ، فذهبوا ليخرجوه فتزايل[4] [لحمه][5] ؛ فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة ، فلمّا ألقاهم في القليب وقف عليهم [رسول الله ﷺ][6] فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربي حقّاً » . قال : فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلّم قوماً موتى ؟! فقال : « لقد علموا أنّ ما وعدهم ربّهم حقٌّ » . قالت عائشة : والناس يقولون : « لقد سمعوا ما قلت لهم » . وإنما قال رسول الله ﷺ : « لقد علموا » .

قال ابن إسحاق[7] : وحدثني حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ ، قال : سمع أصحاب النبيّ ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول : « يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أميّة بن خلفٍ ، ويا أبا جهل بن هشامٍ ـ فعدّد من كان منهم في القليب ـ هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » . فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد جيّفوا ؟! فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني » .

وقد رواه الإمام أحمد[8] ، عن ابن أبي عديٍّ ، عن حميدٍ ، عن أنسٍ ، فذكر نحوه ، وهذا على شرط الشيخين .

قال ابن إسحاق[9] : وحدّثني بعض أهل العلم أنّ رسول الله ﷺ قال : « يا أهل القليب ، بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيّكم ؛ كذّبتموني وصدّقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ، هل وجدتم ماوعدكم ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً » .

قلت : وهذا ممّا كانت عائشة أمّ المؤمنين ، رضي الله عنها ، تتأوّله من الأحاديث ـ كما قد جمع ما

---

(١) سقط لفظ « يوم » في (آ) وأثبته من (ط) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩) .
(٣) القليب : البئر . « القاموس المحيط » (قلب) .
(٤) تزايل : تفرق . عن حاشية « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨) .
(٥) سقط لفظ « لحمه » من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨) .
(٦) ما بين الحاصرتين تكملة لازمة من « السيرة النبوية » (١/ ٦٣٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٩) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٠٤) ، وهو حديث صحيح .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٩) .

كانت تتأوّله من الأحاديث في جزءٍ وتعتقد أنّه معارضٌ لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] . وليس هو بمعارضٍ له ، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم ؛ للأحاديث الدّالة نصّاً على خلاف ما ذهبت إليه ، رضي الله عنها وأرضاها .

وقال البخاريّ[١] : حدّثنا عبيد بن إسماعيل ، حدّثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : ذكر عند عائشة ، رضي الله عنها ، أنّ ابن عمر رفع إلى النبيّ ﷺ : « إنّ الميّت يعذّب في قبره ببكاء أهله » . فقالت : وَهَل[٢] ، رحمه الله ، إنّما قال رسول الله ﷺ : « إنّه ليعذّب بخطيئته وذنبه ، وإنّ أهله ليبكون عليه الآن » . قالت[٣] : وذاك مثل قوله : إنّ رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدرٍ من المشركين ، فقال لهم ما قال ، قال : « إنّهم ليسمعون ما أقول » . وإنّما قال : « إنّهم الآن ليعلمون أنّ ما كنت أقول لهم حقٌّ » . ثم قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [النمل : ٨٠] . ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] تقول : حين تبوّؤوا مقاعدهم من النار .

وقد رواه مسلمٌ[٤] عن أبي كريبٍ ، عن أبي أسامة به .

وقد جاء التصريح بسماع الميّت بعد دفنه في غير ما حديثٍ[٥] ، كما سنقرّر ذلك في كتاب الجنائز من « الأحكام الكبير » إن شاء الله .

ثم قال البخاريّ[٦] : حدّثني عثمان ، ثنا عبدة ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : وقف النبيّ ﷺ على قليب بدرٍ ، فقال : « هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ » . ثم قال : « إنّهم الآن يسمعون ما أقول لهم » . وذكر لعائشة فقالت : إنّما قال النبيّ ﷺ : « إنّهم الآن ليعلمون أنّ الذي كنت أقول لهم هو الحقّ » . ثم قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ حتى قرأت الآية .

وقد رواه مسلمٌ عن أبي كريبٍ ، عن أبي أسامة ، وعن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيعٍ ، كلاهما عن هشام بن عروة[٧] .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٨) .
(٢) لفظ « وَهَلَ » سقط من (ط) .
(٣) رواه البخاري (٣٩٧٩) .
(٤) رواه مسلم (٩٣٢) .
(٥) كقوله ﷺ : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان » رواه البخاري رقم (١٣٣٨) و(١٣٧٤) ومسلم رقم (٢٨٧٠) (٧٠) و(٧١) وأبو داود (٣٢٣١) والنسائي (٧/ ٩٧) ، من حديث أنس رضي الله عنه .
(٦) رواه البخاري (٣٩٨٠) و(٣٩٨١) .
(٧) رواه مسلم (٩٣٢) .

وقال البخاريّ[١] : حدّثنا عبد الله بن محمدٍ ، سمع روح بن عبادة ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنس بن مالكٍ ، عن أبي طلحة ، أنّ رسول الله ﷺ أمر يوم بدرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلاً من صناديد قريشٍ ، فقذفوا في طويٍّ من أطواء[٢] بدرٍ خبيثٍ مخبثٍ ، وكان إذا ظهر على قومٍ أقام بالعَرْصة ثلاث ليالٍ ، فلما كان ببدرٍ اليوم الثالث ، أمر براحلته فشدّ عليها رحلها ، ثم مشى واتّبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلّا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الرّكيّ[٣] ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ؛ يا فلان بن فلانٍ ، ويا فلان بن فلانٍ : « أيسرّكم أنّكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً ، فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ » . فقال عمر : يا رسول الله ، ما تكلّم من أجسادٍ لا أرواح فيها ؟ فقال النبيّ ﷺ : « والذي نفس محمدٍ بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

قال قتادة[٤] : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ؛ توبيخاً ، وتصغيراً ، ونقمةً ، وحسرةً ، وندماً .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلّا ابن ماجه ، من طرقٍ ، عن سعيد بن أبي عروبة[٥] .

ورواه الإمام أحمد[٦] ، عن يونس بن محمدٍ المؤدّب ، عن شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة قال : حدّث أنس بنُ مالكٍ . فذكر مثله ، فلم يذكر أبا طلحة ، وهذا إسنادٌ صحيحٌ ، ولكنّ الأول أصحّ وأظهر ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أنّ رسول الله ﷺ ترك قتلى بدرٍ ثلاثة أيامٍ حتى جيّفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أميّة بن خلفٍ ، يا أبا جهل بن هشامٍ ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً » . قال : فسمع عمر صوته فقال : يا رسول الله ، أتناديهم بعد ثلاثٍ ؟ وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ . فقال : « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطعون أن يجيبوا » .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٦) .
(٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : الأطواء : جمع طويّ وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار . « فتح الباري » (٧/ ٣٠٢) .
(٣) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : الركي ، بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد آخره : البئر قبل أن تطوى . « فتح الباري » (٧/ ٣٠٢) .
(٤) يعني راوي الحديث .
(٥) رواه مسلم (٢٨٧٥) وأبو داود (٢٦٩٥) والترمذي (١٥٥١) والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٥٧) .
(٦) رواه « المسند » (٣/ ١٤٥) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٨٧) .

ورواه مسلمٌ[١] ، عن هدبة بن خالدٍ ، عن حمّاد بن سلمة به .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال حسان بن ثابتٍ[٣] : [من الوافر]

عـرفـتُ ديـار زينـب بـالكثيـبِ ... كخـطّ الـوحي في الـورق القشيـبِ
تـداولَهـا الـرِّيـاح وكـلُّ جَـونٍ ... مـن الـوسمـيّ منهمـرٍ سكـوبِ
فـأمسـى رسمهـا خلَقـاً وأمسـت ... يبـابـاً بعـد سـاكنهـا الحبيـب
فـدع عنـك التـذكّـر كـلّ يـومٍ ... وردّ حـرارة القلـب[٤] الكئيـب
وخبّـر بـالـذي لا عيـب فيـه ... بصـدقٍ غيـرِ إخبـار الكـذوب
بمـا صنـع المليـك غـداة بـدرٍ ... لنـا فـي المشـركيـن مـن النصيـب
غـداة كـأنّ جمعهـمُ حـراءٌ ... بـدت أركـانـه جُنْـح الغـروب
فـلاقينـاهـمُ منـا بجمـعٍ ... كـأسـد الغـاب مُـرْدَانٍ وشُيـب
أمـام محمـدٍ قـد وازروه ... علـى الأعـداء فـي لفْـح الحـروب
بـأيـديهـمْ صـوارم مـرهفـاتٌ ... وكـلّ مجـرّبٍ خـاطـي الكعـوب
بنـو الأوس الغطـارفُ وازرتْهـا ... بنـو النّجّـار فـي الـدّيـن الصّليـب
فغـادرنـا أبـا جهـلٍ صـريعـاً ... وعتبـةَ قـد تـركنـا بـالجبـوب
وشيبـة قـد تـركنـا فـي رجـالٍ ... ذوي حسـبٍ إذا نسبـوا حسيـب
ينـاديهـم رسـول الله لمّـا ... قـذفنـاهـم كبـاكـب فـي القليـب
ألـم تجـدوا كـلامـي كـان حقّـاً ... وأمـر الله يـأخـذ بـالقلـوبِ
فمـا نطقـوا ولـو نَطقُـوا لقـالـوا ... صـدقـتَ وكنـت ذا رأي مصيـب

قال ابن إسحاق[٥] : ولمّا أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا في القليب ، أُخذ عتبة بن ربيعة فسحب في القليب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيّر لونه ، فقال : « يا أبا حذيفة[٦] ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيءٌ » . أو كما قال رسول الله ﷺ ، فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ،

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٤) ، وفيه : « هَدَّاب بن خالد » وكان يعرف بالاسمين معاً . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٤/ ٣٥) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠) .

(٣) انظر « ديوانه » (١/ ٨٢) بتحقيق الدكتور وليد عرفات .

(٤) في « ديوان حسّان » : « الصدر » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٠ ـ ٦٤١) .

(٦) في (ط) : « يا حذيفة » وهو خطأ ، وما جاء في (آ) هو الصواب .

فكنت أرجو أن يهديَه ذلك للإسلام ، فلمّا رأيتُ ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحزنني ذلك . فدعا له رسول الله ﷺ بخيرٍ ، وقال له خيراً .

وقال البخاريّ(١) : حدّثنا الحميديّ ، حدثنا سفيان ، ثنا عمروٌ ، عن عطاءٍ ، عن ابن عباسٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا ﴾ قال : هم والله كُفَّار قريشٍ . قال عمرو : هم قريشٌ ، ومحمدٌ ﷺ نعمة الله ، ﴿ وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] . قال : النار يوم بدرٍ .

قال ابن إسحاق(٢) : وقال حسّان بن ثابتٍ(٣) : [من البسيط]

قومي الذين همُ آووا نبيّهم ... وصدّقوه وأهل الأرض كفّار
إلّا خصائص أقوامٍ همُ سلفٌ ... للصالحين من الأنصار أنصارُ
مستبشرين بقسم الله قولهمُ ... لمّا أتاهم كريم الأصل مختار
أهلاً وسهلاً ففي أمنٍ وفي سعةٍ ... نعم النبيّ ونعم القَسم والجار
[فأنزلوه بدارٍ لا يخاف بها ... من كان جارهم داراً هي الدار](٤)
وقاسموه بها الأموال إذ قدموا ... مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا إلى بدرٍ لحينهمُ ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلّاهمُ بغرورٍ ثم أسلمهمْ ... إنّ الخبيث لمن والاه غرّار
وقال إنّي لكم جارٌ فأوردهم ... شرّ الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولّوا عن سَراتهمُ ... من منجدين ومنهم فرقةٌ غاروا

وقال الإمام أحمد(٥) : حدثنا يحيى بن أبي بكيرٍ(٦) وعبد الرزاق قالا : حدثنا إسرائيل ، [عن سماك بن حربٍ](٧) ، عن عِكْرِمَة(٨) ، عن ابن عباسٍ قال : لمّا فرغ رسول الله ﷺ من القتلى ، قيل له : عليك العِير ، ليس دونها شيءٌ . فناداه العباس وهو في الوثاق : إنّه لا يصلح لك . قال : « لم ؟ » قال : لأنّ الله وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعدك .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٤) .
(٣) انظر « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦) .
(٤) هذا البيت سقط من (آ) واستدرك من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٤) .
(٥) رواية يحيى في « المسند » (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١/ ٣١٤) وروايته سماك عن عكرمة فيها اضطراب .
(٦) في (آ) و(ط) : « يحيى بن أبي بكر » وهو خطأ من النسّاخ ، والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » .
(٧) سقط من النسخ ، والمثبت من « المسند » .
(٨) هو عكرمة البَرْبَريّ ، أبو عبد الله ، مولى ابن عباس وراويته . مات سنة (١٠٥) هـ . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣٢) و« شذرات الذهب » (٢/ ٣٢) بتحقيقي .

وقد كان جملة من قتل من سَراة الكُفَّار يوم بدرٍ سبعين ، هذا مع حضور ألفٍ من الملائكة ، وكان قدر الله السابق فيمن بقي منهم ؛ أن سَيُسْلِمُ منهم بشرٌ كثيرٌ ، ولو شاء الله لسلّط عليهم ملكاً واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلّيّة ، وقد كان في الملائكة جبريل ، الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوطٍ وكنّ سبعاً ، فيهن من الأمم والدوابّ والأراضي والمزروعات ، ما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهنّ حتى بلغ بهنّ عَنان السماء على طرف جناحه ، ثم قلبهنّ منكّساتٍ ، وأتبعهنّ بالحجارة التي سوِّمت لهم ، كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوطٍ فيما تقدم(١) .

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين ، وبيّن تعالى حكمه في ذلك فقال : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۛ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾ الآية [محمد : ٤] .

وقال تعالى : ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ ﴾ الآية [التوبة : ١٤ ـ ١٥] .

فكان قتل أبي جهلٍ على يدي شابٍّ من الأنصار ، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعودٍ ، ويمسك بلحيته ، ويصعد على صدره حتى قال له : لقد ارتقيت مرتقىً صعباً يا رويعي الغنم ، ثم بعد هذا حزّ رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ، فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صَاعِقةٌ ، أو أن يسقط عليه سقف منزله ، أو يموت حتف أنفه ، والله أعلم .

وقد ذكر ابن إسحاق(٢) فيمن قتل يوم بدرٍ مع المشركين ممن كان مسلماً ، ولكنّه خرج معهم تقيّةً منهم؛ لأنّه كان فيهم مضطهداً قد فتنوه عن إسلامه ، جماعةً ؛ منهم : الحارث بن زمعة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه ، [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة](٣) ، وعليّ بن أميّة بن خلفٍ ، والعاص بن منبّه بن الحجّاج . قال : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٩٧] . وكان جملة الأسارى يومئذٍ سبعين أسيراً ، كما سيأتي الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله ، منهم من آل رسول الله ﷺ ؛ عمّه العباس بن عبد المطّلب ، وابن عمّه عقيل بن أبي طالبٍ ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

وقد استدلّ الشافعيّ والبخاريّ(٤) وغيرهما بذلك ، على أنّه ليس كلّ من ملَك ذا رحمٍ محرمٍ يعتق

---

(١) انظر ما تقدم من كلام المؤلف على قوم لوط في الجزء الأول من الكتاب .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤١) .
(٣) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤١) .
(٤) انظر « فتح الباري » (٥/ ١٦٧ ـ ١٦٨) .

عليه ، وعارضوا به حديث الحسن ، عن سمرة في ذلك[١] ، فالله أعلم .

وكان فيهم أبو العاص بن الرّبيع بن عبد شمس بن أميّة ، زوج زينب بنت النبيّ ﷺ[٢] .

فصل

وقد اختلف الصحابة في الأسارى ؛ أيقتلون أو يفادون ؟ على قولين ، كما قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عليّ بن عاصمٍ ، عن حميدٍ ، عن أنسٍ ، وذكر رجلاً ، عن الحسن قال : استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدرٍ ، فقال : « إنّ الله ، عزّ وجلّ ، قد أمكنكم منهم » . قال : فقام عمر فقال : يا رسول الله ، اضرب أعناقهم . قال : فأعرض عنه النبيّ ﷺ ، ثم عاد النّبيُّ ﷺ فقال : « أيها الناس ، إنّ الله قد أمكنكم منهم ، وإنما هم إخوانكم بالأمس » . [قال][٤] : فقام عمر فقال : يا رسول الله ، اضرب أعناقهم . فأعرض عنه النبيّ ﷺ ، ثم عاد النبيّ ﷺ فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكرٍ الصّدّيق ، فقال : يا رسول الله ، نرى[٥] أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال : فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغمّ ، فعفا عنهم ، وقبل منهم الفداء . قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ الآية [الأنفال : ٦٨] انفرد به أحمد .

وقد روى الإمام أحمد[٦] ـ واللفظ له ـ ومسلمٌ ، وأبو داود ، والترمذيّ وصحّحه ، وكذا عليّ بن المدينيّ ، وصحّحه من حديث عكرمة بن عمّارٍ ، حدّثنا سماكٌ الحنفيّ أبو زُمَيلٍ ، حدّثني ابن عباسٍ ، حدّثني عمر بن الخطاب ، قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدرٍ ، وهم ثلاثمئةٍ ونيّفٌ ، ونظر إلى المشركين ، فإذا هم ألفٌ وزيادةٌ ، فذكر الحديث كما تقدّم إلى قوله : فقُتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر منهم سبعون رجلاً . واستشار رسول الله ﷺ أبا بكرٍ وعليّاً وعمر ، فقال أبو بكرٍ : يا رسول الله ، هؤلاء بنو العمّ والعشيرة والإخوان ، وإنّي أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه قوةً لنا على الكُفّارِ ، وعسى أن يهديهم الله ، فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا بن الخطّاب ؟ » قال : قلت : والله

---

(١) وقد رواه أحمد في « المسند » (٥/ ١٥ و١٨ و٢٠) وأبو داود (٣٩٤٩) والترمذي (١٣٦٥) والنسائي في « السنن الكبرى » (٤٨٩٨) و(٤٩٠٢) ، وهو حديث صحيح .

(٢) قال ابن العماد الحنبلي : ولما أسلم لم يجدِّد له النبي ﷺ نكاحه على بنته ، بل أبقاهما على نكاحهما . انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٥٢) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٤٣) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٨٧) وفي سنده علي بن عاصم بن صهيب الواسطي ، صدوق يخطئ ويصرُّ ، ولكن للحديث شاهد من حديث ابن عمر وابن مسعود ، فهو حديث حسن لغيره .

(٤) زيادة من : « مسند الإمام أحمد » .

(٥) كذا في (آ) و(ط) : « نرى » والذي في « مسند الإمام أحمد » : « إن ترى » .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠) ومسلم (١٧٦٣) وأبو داود (٢٦٩٠) والترمذي (٣٠٨١) .

ما أرى ما رأى أبو بكرٍ ، ولكن أرى أن تمكّنني من فلانٍ ـ قريبٍ لعمر ـ فأضرب عنقه ، وتمكّن عليّاً من عقيلٍ فيضرب عنقه ، وتمكّن حمزة من فلانٍ أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنّه ليست في قلوبنا هوادةٌ للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهويَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكرٍ ، ولم يهوَ ما قلت ، وأخذ منهم الفداء ، فلمّا كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبيّ ﷺ وأبي بكرٍ وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدتُ بكاءً بكيت ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لِلّذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء ، قد عُرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشّجرة » ـ لشجرةٍ قريبةٍ ـ وأنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تكون[١] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ من الفداء ، ثم أحلّ لهم الغنائم ، وذكر تمام الحديث .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبي عبيدة[٣] ، عن عبد الله[٤] قال : لما كان يوم بدرٍ ، قال رسول الله ﷺ : « ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ » قال : فقال أبو بكرٍ : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأن بهم ؛ لعلّ الله أن يتوب عليهم .

قال : وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك وكذّبوك ، قرّبهم فاضرب أعناقهم . قال : وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه[٥] عليهم ناراً . فقال العباس : قطعت رحمك . قال : فدخل رسول الله ﷺ ولم يردّ عليهم شيئاً ، فقال ناسٌ : يأخذ بقول أبي بكرٍ . وقال ناسٌ : يأخذ بقول عمر . وقال ناسٌ : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، فخرج عليهم فقال : « إنّ الله ليُلين قلوب رجالٍ فيه حتّى تكون ألين من اللّبن[٦] ، وإنّ الله ليشدّ قلوب رجالٍ فيه حتّى تكون أشدّ من الحجارة ، وإنّ مثلك يا أبا بكرٍ ، كمثل إبراهيم ، عليه السلام ، قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . ومثلك يا أبا بكرٍ كمثل عيسى ، قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وإنّ مثلك يا عمر كمثل نوحٍ ، قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ وإنّ مثلك يا عمر كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ أنتم عالةٌ ، فلا يبقينّ أحدٌ إلاّ بفداءٍ أو ضربة عنقٍ . قال عبد الله : فقلت : يا رسول الله ، إلا سهيل بن

---

(١) كذا في (آ) « تكون » بالتاء وهي قراءة أبي عمرو ، وقرأ الباقون « يكون » بالياء وهو ما جاء في (ط) انظر « حجة القراءات » لابن مجاهد ص (٣١٣) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٨٣ و٣٨٤) ، وإسناده ضعيف .

(٣) في « ط » : « عبيدة » . وهو خطأ وما جاء في (آ) موافق لما في « مسند الإمام أحمد » وهو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود الهذلي . انظر « تهذيب الكمال » (١٤/ ٦١) .

(٤) يعني (ابن مسعود) وإذا أطلق (عبد الله) عند المُحدِّثين فالمعني بذلك (عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) .

(٥) في « مسند الإمام أحمد » : « أضرم » .

(٦) في (ط) : « من اللين » .

بيضاء[١] ؛ فإنّي قد سمعته يذكر الإسلام . قال : فسكت . قال : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارةٌ من السماء من ذلك اليوم ، حتى قال : « إلاّ سهيل بن بيضاء » . قال : فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تكون[٢] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ﴾ إلى آخر الآيتين ، وهكذا رواه الترمذيّ ، والحاكم من حديث أبي معاوية[٣] ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه ابن مردويه[٤] من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك ، وقد روي عن أبي أيوب الأنصاريّ بنحوه[٥] .

وقد روى ابن مردويه ، والحاكم في « المستدرك »[٦] من حديث عبيد الله بن موسى ، حدّثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجرٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابن عمر ، قال : لمّا أسر الأسارى يوم بدرٍ أسر العباس فيمن أسر ، أسره رجلٌ من الأنصار ، قال : وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه ، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال : « إنّي لم أنم الليلة من أجل عمّي العبّاس ، وقد زعمت الأنصار أنّهم قاتلوه » . قال عمر : أفآتيهم ؟ قال : « نعم » . فأتى عمر الأنصار ، فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال لهم عمر : فإن كان لرسول الله رِضىً ؟ قالوا : فإن كان له رضىً فخذه . فأخذه عمر ، فلمّا صار في يده ، قال له عمر : يا عباس ، أسلم فوالله لأن تسلم أحبّ إليّ من أن يسلم الخطّاب ، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك .

---

(١) قال العلاّمة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله في تعليقه على « مسند الإمام أحمد » بتحقيقه (٥/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) : « الصواب سهل بن بيضاء ، وهو أخو سهيل لأبيه وأمه ، قال ابن سعد : أسلم بمكة وكتم إسلامه ، فأخرجته قريش معها في نفير بدر ، فشهد بدراً مع المشركين ، فأسر يومئذ ، فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلي بمكة ، فخلى عنه ، والذي روى هذه القصة في سهيل بن بيضاء قد أخطأ ، سهيل بن بيضاء أسلم قبل عبد الله بن مسعود ، ولم يستخف بإسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً مع رسول الله ﷺ مسلماً ، لا شك فيه ، فغلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه ، لأن سهيلاً أشهر من أخيه سهل ، والقصة في سهل » . انظر « طبقات ابن سعد » (٤/ ٢١٣) ، و« الإصابة » (٣/ ١٩٤) .

(٢) تقدم التعليق عليها . انظر ص(٩٥) .

(٣) رواه الترمذي رقم (١٧١٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٢١ ـ ٢٢) ، وإسناده ضعيف .

(٤) ذكره المؤلف في « التفسير » (٤/ ٣٣) من حديث عبد الله بن عمر ، والسيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٠٣) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنهما .

(٥) ذكره المؤلف في « التفسير » (٤/ ٣٣) .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٠٢) ، وعزاه لابن مردويه . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٩) بنحوه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : هو على شرط مسلم ، وفي سنده إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي الكوفي ، قال الحافظ ابن حجر : صدوق لين الحفظ ، وهو ممن يعتبر به في المتابعات حسبُ ، ولم يتابع .

قال : واستشار رسول الله ﷺ أبا بكرٍ ، فقال أبو بكرٍ : عشيرتك ؛ فأرسلهم ، واستشار عمر ، فقال : اقتلهم . ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تكون[١] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية . ثم قال الحاكم[٢] : هذا حديثٌ صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وروى الترمذيّ ، والنّسائيّ ، وابن حبان[٣] في « صحيحه »[٤] من حديث سفيان الثّوريّ ، عن هشام بن حسّان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن عليٍّ قال : جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ ، فقال : خيّر أصحابك في الأسارى ، إن شاؤوا الفِدَاء وإن شاؤوا القتل ، على أن يقتل عاماً قابلاً منهم مثلهم . قالوا : الفداء ويقتل منا ، وهذا حديثٌ غريبٌ جدّاً ، ومنهم من رواه مرسلاً ، عن عبيدة ، والله أعلم .

وقد قال ابن إسحاق[٥] ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاءٍ ، عن ابن عبّاسٍ في قوله : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يقول : لولا أنّي لا أعذّب من عصاني ، حتى أتقدّم إليه ، لمسّكم فيما أخذتم عذابٌ عظيمٌ .

وهكذا روي عن ابن أبي نجيحٍ ،عن مجاهدٍ أيضاً[٦] ، واختاره ابن إسحاق[٧] وغيره .

وقال الأعمش[٨] : سبق منه أن لا يعذّب أحداً شهد بدراً ، وهكذا روي عن سعد بن أبي وقّاصٍ ، وسعيد بن جبيرٍ ، وعطاء بن أبي رباحٍ[٩] .

وقال مجاهدٌ والثّوريّ[١٠] : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ أي : لهم بالمغفرة .

وقال الوالبي[١١] ، عن ابن عباسٍ : سبق في أمّ الكتاب الأول ، أنّ المغانم وفداء الأسارى حلالٌ لكم ، ولهذا قال بعده : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال : ٦٩] .

---

(١) انظر التعليق على ص(٩٥) .
(٢) بعده في (ط) : « في صحيحه » .
(٣) في (آ) و(ط): « ابن ماجه » وهو سبق قلم من النسّاخ والصواب ما أثبته، وعبارة في «صحيحه» انفردت بها (آ) .
(٤) رواه الترمذي (١٥٦٧) والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٦٢) وابن حبان في « الإحسان » رقم (٤٧٩٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٧٥ ـ ٦٧٦) .
(٦) رواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤٧) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٧٦) .
(٨) وقد ذكره المصنف في « التفسير » (٤/ ٣٤) .
(٩) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) عن سعد ، وعن سعيد بن جبير ، الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤٦) ، وذكره عن عطاء بن أبي رباح المؤلف في « تفسيره » (٤/ ٣٤) .
(١٠) ذكره عن مجاهد ، السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٠٣) ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وعن الثوري ، المؤلف في « تفسيره » (٤/ ٣٤) .
(١١) ذكره المؤلف في « التفسير » (٤/ ٣٤) .

وهكذا روي عن أبي هريرة ، وابن مسعودٍ ، وسعيد بن جبيرٍ ، وعطاءٍ ، والحسن ، وقتادة ، والأعمش ، واختاره ابن جريرٍ[١] .

وقد ترجّح هذا القول بما ثبت في « الصحيحين »[٢] عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي ؛ نصرت بالرّعب مسيرة شهرٍ ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحدٍ قبلي ، وأعطيت الشّفاعة ، وكان النّبيّ يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى النّاس عامّةً » .

وروى الأعمش ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ : « لم تحلّ الغنائم لسود الرّؤوس غيرنا »[٣] .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ ﴾ ، فأذن الله تعالى في أكل الغنائم ، وفداء الأسارى .

وقد قال أبو داود : حدّثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشيّ[٤] ، ثنا سفيان بن حبيبٍ ، ثنا شعبة ، عن أبي العنبس ، عن أبي الشّعثاء ، عن ابن عباسٍ ، أنّ رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدرٍ أربعمئة[٥] . وهذا كان أقلّ ما فودي به أحدٌ منهم من المال ، وأكثر ما فودي به الرجل منهم أربعة آلاف درهمٍ .

وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ ﴾ الآية [الأنفال : ٧٠] .

وقال الوالبيّ[٦] ، عن ابن عباسٍ : نزلت في العباس ، ففادى نفسه بالأربعين أوقيّةً من ذهبٍ .

قال العباس : فآتاني الله أربعين عبداً ـ يعني كلّهم يتّجر له ـ قال : وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله ، جلّ ثناؤه .

وقال ابن إسحاق[٧] : حدّثني العباس بن عبد الله بن معبدٍ[٨] ، عن بعض أهله ، عن ابن عباسٍ ،

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٠/ ٤٤ ـ ٤٦) .
(٢) رواه البخاري (٣٣٥) و(٤٣٨) و(٣١٢٢) مختصراً ، ومسلم (٥٢١) .
(٣) رواه الترمذي (٣٠٨٥) وقال : حسن صحيح ، وهو كما قال .
(٤) في (آ) و(ط) : « العبسي » . والتصحيح من « سنن أبي داود » وانظر « تهذيب الكمال » (١٧/ ٣٨٢) .
(٥) رواه أبو داود (٢٦٩١) ، وهو حديث صحيح دون جملة « أربعمئة » .
(٦) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤٩) .
(٧) ورواه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٥٠٦) والطبري في « تاريخه » (٢/ ٤٦٣) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤١) .
(٨) في (آ) و(ط) : « مغفل » والتصحيح من هامش (ط) و« تاريخ الطبري » و« دلائل النبوة » . وانظر « تهذيب الكمال » (١٤/ ٢١٩) .

قال : لمّا أمسى رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، والأسارى محبوسون بالوثاق بات النبيّ ﷺ ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه : ما لك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال : « سمعت أنين عمّي العباس في وثاقه » فأطلقوه ، فسكت ، فنام رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[١] : وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمئة أوقيّةٍ من ذهبٍ .

قلت : وهذه المئة كانت عن نفسه ، وعن ابني أخويه عقيلٍ ونوفلٍ ، وعن حليفه عتبة بن عمروٍ أحد بني الحارث بن فهرٍ ، كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادّعى أنّه كان قد أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « أمّا ظاهرك فكان علينا ، والله أعلم بإسلامك وسيجزيك » فادّعى أنّه لا مال عنده ، قال : « فأين المال الّذي دفنتَه أنت وأمّ الفضل ، وقلت لها : إن أصبت في سفري فهذا لبنيّ ، الفضل وعبد الله وقثم ؟ » . فقال : والله إنّي لأعلم أنّك رسول الله ، إنّ هذا شيءٌ ما علمه إلا أنا وأمّ الفضل . رواه ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيحٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابن عباسٍ[٢] .

وثبت في « صحيح البخاريّ »[٣] من طريق موسى بن عقبة ، قال الزّهريّ : حدّثني أنس بن مالكٍ قال : إنّ رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا : ائذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه . فقال : « لا والله لا تذرون منه درهماً » .

قال البخاريّ[٤] : وقال إبراهيم بن طهمان ، عن عبد العزيز بن صهيبٍ ، عن أنسٍ ، أنّ النّبيّ ﷺ أتي بمالٍ من البحرين ، فقال : « انثروه في المسجد » فكان أكثر مالٍ أتي به رسول الله ﷺ ؛ إذ جاءه العباس ، فقال : يا رسول الله ، أعطني ؛ إنّي فاديت نفسي وفاديت عقيلاً ، فقال : « خذ » . فحثا في ثوبه ثم ذهب يقلّه ، فلم يستطع ، فقال : مر بعضهم يرفعه إليّ . قال : « لا » . قال : فارفعه أنت عليّ . قال : « لا » . فنثر منه ثم ذهب يقلّه ، فلم يستطع . فقال : مر بعضهم يرفعه إليّ . قال : « لا » . قال : فارفعه أنت عليّ : قال : « لا » . فنثر منه ، ثم احتمله على كاهله ثم انطلق ، فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا ؛ عجباً من حرصه ، فما قام رسول الله [ﷺ] وثمّ منها درهمٌ .

وقال البيهقيّ[٥] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس ، عن أسباط بن نصرٍ ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السّدّيّ ، قال : كان فداء العباس وابني أخويه ؛ عقيل بن أبي طالبٍ ونوفل بن الحارث بن عبد المُطّلِبِ ، كلّ رجلٍ أربعمئة دينارٍ ، ثم توعّد تعالى الآخرين ، فقال : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧١] .

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤١) ، عن ابن إسحاق به .

(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٣) ، عن ابن إسحاق به .

(٣) رواه البخاري (٢٥٣٧) و(٣٠٤٨) و(٤٠١٨) .

(٤) رواه البخاري معلقاً (٤٢١) و(٣٠٤٩) و(٣١٦٥) بصيغة الجزم .

(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٠) .

فصلٌ

والمشهور أنّ الأسارى يوم بدرٍ كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين ، كما ورد في غير ما حديثٍ مما تقدّم ، وسيأتي إن شاء الله ، وكما في حديث البراء بن عازبٍ في « صحيح البخاريّ »[١] أنّهم قتلوا يوم بدرٍ سبعين ، وأسروا سبعين .

وقال موسى بن عقبة : قتل يوم بدرٍ من المسلمين من قريشٍ ستةٌ ، ومن الأنصار ثمانيةٌ ، وقتل من المشركين تسعةٌ وأربعون ، وأسر منهم تسعةٌ وثلاثون . هكذا رواه البيهقيّ عنه[٢] . قال : وهكذا ذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين .

ثم قال[٣] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : واستشهد من المسلمين يوم بدرٍ أحد عشر رجلاً ؛ أربعةٌ من قريشٍ ، وسبعةٌ من الأنصار ، وقتل من المشركين بضعةٌ وثلاثون[٤] رجلاً .

وقال في موضعٍ آخر : وكان مع رسول الله ﷺ أربعةٌ وأربعون[٥] أسيراً ، وكانت القتلى مثل ذلك .

ثم روى البيهقيّ[٦] ، من طريق أبي صالحٍ كاتب اللّيث ، عن اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن الزّهريّ ، قال : وكان أوّل قتيلٍ من المسلمين ؛ مِهجعٌ مولى عمر ، ورجلٌ من الأنصار ، وقتل يومئذٍ من المشركين زيادةٌ على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك . قال[٧] : ورواه ابن وهبٍ ، عن يونس بن يزيد ، عن الزّهريّ ، عن عروة بن الزُّبير .

قال البيهقيّ : وهو الأصحّ فيما رويناه في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم . ثم استدلّ على ذلك بما ساقه هو[٨] والبخاريّ أيضاً من طريق أبي إسحاق ، عن البراء بن عازبٍ ، قال : أمّر رسول الله ﷺ على الرّماة يوم أحدٍ عبد الله بن جبيرٍ ، فأصابوا منا سبعين ، وكان النبيّ ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدرٍ أربعين ومئةً ؛ سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٦) .
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٢) .
(٣) يعني البيهقي فيما رواه في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٣) .
(٤) كذا في (آ) : « ثلاثون » ، وفي (ط) : « عشرون » ، وفي « دلائل النبوة » : « وأربعون » .
(٥) في (آ) و(ط) : « أربعون » وأثبت لفظ « دلائل النبوة » .
(٦) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .
(٧) يعني البيهقي فيما رواه في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٤) .
(٨) يعني في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٤) .

قلت : والصحيح أنّ جملة المشركين كانوا ما بين التّسعمئة إلى الألف ، وقد صرّح قتادة[١] بأنّهم كانوا تسعمئةٍ وخمسين رجلاً ، وكأنّه أخذه من هذا الذي ذكرناه ، والله أعلم .

وفي حديث عمر المتقدّم[٢] ، أنّهم كانوا زيادةً على الألف . والصحيح الأول ؛ لقوله عليه السلام : « القوم ما بين التسعمئة إلى الألف »[٣] .

وأمّا الصحابة يومئذٍ فكانوا ثلاثمئةٍ وبضعة عشر رجلاً ، كما سيأتي التنصيص على ذلك ، وعلى أسمائهم ، إن شاء الله .

وتقدّم في حديث الحكم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ أنّ وقعة بدرٍ كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان . وقاله أيضاً عروة بن الزبير ، وقتادة ، وإسماعيل السّدّيّ الكبير ، وأبو جعفرٍ الباقر[٤] .

وروى البيهقيّ[٥] من طريق قتيبة ، عن جريرٍ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله بن مسعودٍ في ليلة القدر ، قال : تحرَّوها لإحدى عشرة بقين ؛ فإنّ صبيحتها يوم بدرٍ .

قال البيهقيّ[٦] : وروي عن زيد بن أرقم ، أنّه سئل عن ليلة القدر ، فقال : ليلة تسع عشرة . ما شكّ . وقال : يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .

قال البيهقيّ[٧] : والمشهور عن أهل المغازي أنّ ذلك لسبع عشرة ليلةً مضت من شهر رمضان .

ثم قال البيهقيّ[٨] : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، حدّثنا أبو عمرو بن السّمّاك ، حدّثنا حنبل بن إسحاق ، ثنا أبو نعيمٍ ، ثنا عمرو بن عثمان ، سمعت موسى بن طلحة يقول : سئل أبو أيوب الأنصاريُّ عن يوم بدرٍ ، فقال : إمّا لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت أو لإحدى عشرة بقيت ، وإما لسبع عشرة بقيت . وهذا غريبٌ جدّاً .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر[٩] في ترجمة قُباث بن أشيم اللّيثيّ ، من طريق الواقديّ وغيره بإسنادهم إليه ، أنّه شهد يوم بدرٍ مع المشركين ، فذكر هزيمتهم مع قلّة أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : وجعلت

---

(١) فيما ذكره الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٢٧٨) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠) وإسناده صحيح .
(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٢ ـ ٤٣) ضمن سياق حديث طويل .
(٤) وقد أخرج أقوالهم البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨) .
(٦) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٨) .
(٧) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٨) .
(٨) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩) .
(٩) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) (المخطوط) .

أقول في نفسي : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلّا النساء ، والله لو خرجت نساء قريشٍ بأكمتها[١] ، ردّت محمداً وأصحابه ، فلمّا كان بعد الخندق ، قلت : لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمدٌ ، وقد وقع في نفسي الإسلامُ . قال : فقدِمتها ، فسألت عنه فقالوا : هو ذاك في ظلّ المسجد في ملأ من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه ، فسلّمت ، فقال : « يا قباث بن أشيم ، أنت القائل يوم بدرٍ : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النّساء ؟ » فقلت : أشهد أنّك رسول الله ؛ فإنّ هذا الأمر ما خرج منّي إلى أحدٍ قطّ ، ولا ترمرمت[٢] به إلّا شيئاً حدّثت به نفسي ، فلولا أنّك نبيٌّ ما أطلعك الله[٣] عليه ، هلمّ أبايعك على الإسلام ؛ فأسلمت .

فصلٌ

وقد اختلفت الصحابة ، رضي الله عنهم ، يوم بدرٍ في المغانم من المشركين يومئذٍ ؛ لمن تكون منهم ، وكانوا ثلاثة أصنافٍ ، حين ولّى المشركون ؛ ففرقةٌ أحدقت برسول الله ﷺ ، تحرسه خوفاً من أن يرجع أحدٌ من المشركين إليه ، وفرقةٌ ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون ، وفرقةٌ جمعت المغانم من متفرّقات الأماكن ، فادّعى كلّ فريقٍ من هؤلاء أنّه أحقّ بالمغنم من الآخرين ؛ لما صنع من الأمر المهمّ .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره ، عن سليمان بن موسى ، عن مكحولٍ ، عن أبي أُمَامَة الباهليّ ، قال : سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال : فينا أصحابَ بدرٍ نزلت حين اختلفنا في النّفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله ﷺ ، فقسمه بين المسلمين عن بواءٍ ، يقول : على السواءِ[٥] . وهكذا رواه أحمد[٦] ، عن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق به .

ومعنى قوله : على السواء . أي : ساوى فيها بين الذين جمعوها ، وبين الذين اتّبعوا العدوّ ، وبين

---

(١) في الأصل : « أكمها » . وفي م : « بالها » .

(٢) هكذا في (آ) وترمرم : حَرَّك فاه للكلام ولم يتكلم . وفي (ط) « ولا تزمزمت » بزاءين ، وكذلك هو عند ابن الأثير في « النهاية » (٢/ ٣١٣) ، وقال : الزمزمة : صوت خفي لا يكاد يُفهم .

(٣) سقط لفظ الجلالة من (ط) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٢) .

(٥) في (آ) و(ط) : « عن سواء » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « على السواء » وهو الصواب وقد أثبتناه عنه ، ويؤكد ذلك شرح المؤلف الآتي بعد قليل .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٢٢) . وهو حديث حسن لغيره .

الذين ثبتوا تحت الرايات ، لم يخصّص بها فريقاً منهم ممّن ادّعى التّخصيص بها ، ولا ينفي هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه ، كما قد يتوهّمه بعض العلماء ؛ منهم أبو عبيدٍ[(١)] وغيره ، والله أعلم .

بل قد تنفّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقّار من مغانم بدرٍ .

قال ابن جريرٍ[(٢)] : وكذا اصطفى جملاً لأبي جهلٍ ، كان في أنفه برةٌ[(٣)] من فضّةٍ ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : ثنا معاوية بن عمروٍ ، ثنا [أبو إسحاق][(٥)] ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيّاش[(٦)] بن أبي ربيعة ، عن سليمان بن موسى ، عن أبي سلّامٍ ، عن أبي أمامة ، عن عبادة بن الصّامت قال : خرجنا مع النبيّ ﷺ ، فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدوّ ، فانطلقت طائفةٌ في آثارهم يهزِمون ويَقتُلون ، وأكبّت طائفةٌ على العسكر[(٧)] يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفةٌ برسول الله ﷺ ؛ لا يصيب العَدُوُّ منه غِرّةً ، حتى إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلى بعضٍ ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها [وجمعناها][(٨)] وليس لأحدٍ فيها نصيبٌ . وقال الذين خرجوا في طلب العدوّ : لستم بأحقّ بها[(٩)] منّا ، نحن نفينا منها العدوّ وهزمناهم . وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : خفنا أن يصيب العدوّ منه غِرّةً ؛ فاشتغلنا به . فنزلت : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١] . فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدوّ نفّل الرّبع ، فإذا أقبل راجعاً نفّل الثّلث ، وكان يكره الأنفال .

وقد روى التّرمذيّ وابن ماجه[(١٠)] من حديث الثوريّ ، عن عبدالرحمن بن الحارث آخره . وقال الترمذيّ : هذا حديثٌ حسنٌ .

---

(١) في (ط) : « عبيدة » . وانظر « كتاب الأموال » لأبي عبيد ص (٣٨٢ ـ ٣٨٨) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٧٩) .
(٣) البرة : حَلْقة تجعل في لحم الأنف . قاله ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ١٢٢) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) . وهو حديث حسن لغيره .
(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « مسند الإمام أحمد » ومكانه في (ط) : « ثنا ابن إسحاق » .
(٦) في (آ) و(ط) : « ابن عباس » وهو تصحيف ، والصواب ما أثبته ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٧/ ٣٧) .
(٧) في (ط) : « على المغنم » .
(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من « مسند الإمام أحمد » .
(٩) في (آ) و(ط) : « به » . وأثبت لفظ « مسند الإمام أحمد » .
(١٠) رواه الترمذي (١٥٦١) ، وابن ماجه (٢٨٥٢) ، وهو حديث حسن .

ورواه ابن حبّان في « صحيحه » ، والحاكم في « مستدركه » من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم : صحيحٌ على شرط مسلمٍ ، ولم يخرجه[١] .

وقد روى أبو داود ، والنّسائيّ ، وابن حبّان ، والحاكم[٢] من طرقٍ ، عن داود بن أبي هندٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : لمّا كان يوم بدرٍ ، قال رسول الله ﷺ : « من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا » . فتسارع في ذلك شبّان الرّجال ، وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلمّا كانت الغنائم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم ، فقال الشّيوخ : لا تستأثروا علينا ؛ فإنّا كنّا ردءاً لكم ، ولو انكشفتم لفئتم إلينا . فتنازعوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها هاهنا ، ومعنى الكلام أنّ الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله ، يحكمان فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . ثم ذكر ما وقع في قصة بدرٍ ، وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الآية [الأنفال : ٤١] فالظاهر أنّ هذه الآية مبيّنةٌ لحكم الله في الأنفال ، الذي جعل مردّه إليه وإلى رسوله ﷺ ، فبيّنه تعالى ، وحكم فيها بما أراد تعالى ، وهو قول ابن[٣] زيدٍ[٤] ، وقد زعم أبو عبيدٍ القاسم بن سلّامٍ[٥] ، رحمه الله ، أنّ رسول الله ﷺ قسم غنائم بدرٍ على السّواء بين الناس ، ولم يخمّسها ، ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدّم ، وهكذا روى الوالبيّ ، عن ابن عباسٍ ، وبه قال مجاهدٌ ، وعكرمة والسّدّيّ ، وفي هذا نظرٌ ، والله أعلم ؛ فإنّ سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها ، كلّها في غزوة بدرٍ ، فيقتضي [أنّ][٦] ذلك نزل جملةً في وقتٍ واحدٍ غير متفاصلٍ بتأخّرٍ يقتضي نسخ بعضه بعضاً ، ثم في « الصحيحين »[٧] عن عليٍّ ، رضي الله عنه ، أنّه قال في قصة شارفيه اللّذين اجتبّ أسنمتهما حمزة : إنّ

---

(١) رواه ابن حبان (٤٨٥٥) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦) .

(٢) رواه أبو داود (٢٧٣٧) والنسائي في « السنن الكبرى » (١١١٩٧) وابن حبان (٥٠٩٣) « الإحسان » والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) ، وهو حديث صحيح .

(٣) في (ط) : « أبي » . والتصحيح من « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٤٩) و« الطبري » (٩/ ١٧٨) فهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٧/ ١١٤) .

(٤) يعني أن ابن زيد قال بأن آية : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ . . . ﴾ محكمة وليست منسوخة كما قال أبو عبيد في كتابه « الأموال » ص(٣٨٤) .

(٥) انظر « كتاب الأموال » ص(٣٨٤) .

(٦) لفظ « أن » سقط من (آ) وأثبته من (ط) لتمام المعنى .

(٧) رواه البخاري (٢٣٧٥) و(٣٠٩١) ومسلم (١٩٧٩) .

إحداهما كانت من الخمس يوم بدرٍ . ما يردّ صريحاً على أبي عبيدٍ ؛ أنّ غنائم بدرٍ لم تخمّس ، والله أعلم . بل خمّست كما هو قول البخاريّ وابن جريرٍ ، وغيرهما ، وهو الصحيح الراجح ، والله أعلم .

فصلٌ

في رجوعه ، عليه السلام ، من بدرٍ إلى المدينة ، وما كان من الأمور في مسيره إليها مؤيّداً منصوراً عليه من ربّه أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدّم أنّ الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

وثبت في « الصحيحين »[(١)] أنّه كان إذا ظهر على قومٍ أقام بالعرْصة ثلاثة أيامٍ ، وقد أقام عليه الصلاة والسلام ، بعرْصة بدرٍ ثلاثة أيامٍ كما تقدّم ، وكان رحيله منها ليلة الإثنين ، فركبَ ناقته ووقف على قليب بدرٍ ، فقرّع أولئك الذين سحبوا إليه كما تقدّم ذكره ، ثم سار ، عليه الصلاة والسلام ، ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة ، وقد بعث ، عليه الصلاة والسلام ، بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنّصر والظّفر على من أشرك بالله وجحده وبه كفر ؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة ، والثاني زيد بن حارثة إلى السّافلة .

قال أسامة بن زيدٍ : فأتانا الخبر حين سوّينا [التّراب][(٢)] على رقيّة بنت رسول الله ﷺ ، وكان زوجُها عثمان بن عفّان ، رضي الله عنه ، قد احتبس عندها يمرّضها بأمر رسول الله ﷺ ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدرٍ .

قال أسامة : فلمّا قدم أبي زيد بن حارثة جئته وهو واقفٌ بالمصلّى ، وقد غشيه الناس ، وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشامٍ ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختريّ العاص بن هشامٍ ، وأُمَيَّةُ بن خلفٍ ، ونُبَيهٌ ومنبّهٌ ابنا الحجّاج .

قال : قلت : يا أبت ، أحقٌّ هذا ؟ قال : إي والله يا بنيّ .

وروى البيهقيّ[(٣)] ، من طريق حمّاد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيدٍ : أنّ النبيّ ﷺ خلّف عثمان وأسامة بن زيدٍ على بنت رسول الله ﷺ ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة

---

(١) رواه البخاري (٣٠٦٥) و(٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥) .

(٢) لفظ « التراب » سقط من (آ) واستدركته من (ط) .

(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٣٠) .

رسول الله ﷺ بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الهيعة ، فخرجت فإذا زيدٌ قد جاء بالبشارة ، فوالله ما صدّقت حتى رأينا الأسارى ، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه .

وقال الواقديّ[١] : صلّى رسول الله ﷺ مرجعه من بدرٍ العصر بالأثيل ، فلمّا صلّى ركعةً تَبَسَّمَ ، فسئل عن تبسّمه ، فقال : « يُرى[٢] ميكائيل وعلى جناحه النّقع ، فتبسّم إليّ ، وقال : إنّي كنت في طلب القوم . وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدرٍ ، على فرسٍ أنثى معقود الناصية ، قد عصم ثنيّته[٣] الغبار ، فقال : يا محمد ، إنّ ربي بعثني إليك ، وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى ، هل رضيت ؟ قال : « نعم » .

قال الواقدي[٤] : قالوا : وقدّم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأُثيل ، فجاءا يوم الأحد حين اشتدّ الضّحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادي على راحلته : يا معشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج ، وأبو جهلٍ ، وقتل زمعة بن الأسود ، وأميّة بن خلفٍ ، وأسر سهيل بن عمروٍ . قال عاصم بن عديٍّ : فقمت إليه ، فنحوته[٥] ، فقلت : أحقّاً يا بن رواحة ؟ فقال : إي والله ، وغداً يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرّنين . ثم تتبّع دور الأنصار بالعالية يبشّرهم داراً داراً ، والصّبيان يشتدّون[٦] معه يقولون : قتل أبو جهلٍ الفاسق . حتى إذا انتهى إلى دار بني أميّة ، وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء ، يبشّر أهل المدينة ، فلمّا جاء المصلّى صاح على راحلته : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج ، وقتل أميّة بن خلفٍ ، وأبو جهلٍ ، وأبو البختريّ ، وزمعة بن الأسود ، وأسر سهيل بن عمروٍ ذو الأنياب ، في أسرى كثيرٍ . فجعل بعض الناس لا يصدّقون زيداً ، ويقولون : ما جاء زيد بن حارثة إلا فلاًّ[٧] ، حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا ، وقدم زيدٌ حين سوّينا على رقيّة بنت رسول الله ﷺ التّراب[٨] بالبقيع ، وقال رجلٌ من المنافقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه . وقال آخر لأبي لبابة : قد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون فيه أبداً ، وقد قتل علية أصحابه ، وقتل[٩] محمدٌ ، وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيدٌ لا يدري ما يقول من الرّعب ، وجاء فَلاًّ . فقال أبو لبابة : يكذّب الله

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ١١٣) .
(٢) في « المغازي » و« دلائل النبوة » : « مرَّ بي » .
(٣) في (ط) : « ثنييه » .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ١١٤) .
(٥) أي : قصدته .
(٦) في (ط) : « ينشدون » .
(٧) الفل : المنهزم .
(٨) لفظ « التراب » من (ط) .
(٩) في (ط) : « قتل » بلا واو .

قولك . وقالت اليهود : ما جاء زيدٌ إلّا فَلًّا . قال أسامة : فجئت حتى خلوت بأبي ، فقلت : أحقٌّ ما تقول ؟ فقال : إي والله حقٌّ ما أقول يا بنيّ . فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق ، فقلت : أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لنقدّمنّك إلى رسول الله إذا قدم ، فليضربنّ عنقك . فقال : إنّما هو شيءٌ سمعته من الناس يقولونه . قالوا : فجيء بالأسرى ، وعليهم شُقران مولى رسول الله ﷺ ، وكان قد شهد معهم بدراً ، وهم تسعةٌ وأربعون رجلًا ، الذين أُحصوا .

قال الواقديّ[١] : وهم سبعون في الأصل ، مجتمعٌ عليه ، لا شكّ فيه . قال : ولقي رسول الله ﷺ إلى الرّوحاء رؤوس الناس يهنّئونه بما فتح الله عليه .

فقال له أُسيد بن الحضير : يا رسول الله ، الحمد لله الذي أظفرك ، وأقرّ عينك ، والله يا رسول الله ، ما كان تخلّفي عن بدرٍ وأنا أظنّ أنّك تلقى عدوّاً ، ولكن ظننت أنّها عِيرٌ ، ولو ظننت أنّه عدوٌّ ما تخلّفت . فقال له رسول الله ﷺ : « صدقت » .

قال ابن إسحاق[٢] : ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عقبة بن أبي معيطٍ ، والنّضر بن الحارث ، وقد جعل على النّفل عبد الله بن كعبٍ بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النّجّار ، فقال راجزٌ من المسلمين ـ قال ابن هشامٍ : يقال : إنّه هو عديّ بن أبي الزّغباء ـ : [من الرجز]

أقم لها صدورها يا بسبس ... ليس بذي الطّلح لها معرَس
ولا بصحراءِ غميرٍ محبس ... إنّ مطايا القوم لا تحبَّسُ
فحملها على الطريق أكيس ... قد نصر الله وفرّ الأخنس

قال : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصّفراء نزل على كثيبٍ بين المضيق وبين النّازية ، يقال له : سيَرٌ . إلى سرحةٍ به ، فقسم هنالك النّفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السّواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالرّوحاء لقيه المسلمون يهنّئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقشٍ ، كما حدّثني عاصم بن عمر ، ويزيد بن رومان : ما الذي تهنّئوننا به ؟ والله إن لقينا إلا عجائز صُلعاً كالبدن المعقّلة فنحرناها ، فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال : « أي ابن أخي ، أولئك الملأ » . قال ابن هشامٍ[٣] : يعني الأشراف والرُّؤساء .

---

(١) انظر « المغازي » (١/١١٦ ـ ١١٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٤) .

مقتل النّضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيطٍ
لعنهما الله

قال ابن إسحاق[١] : حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصّفراء قتل النّضر بن الحارث ، قتله عليّ بن أبي طالبٍ ، كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعِرق الظّبية[٢] قتل عقبة بن أبي معيطٍ .

قال ابن إسحاق[٣] : فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله : فمن للصّبية يا محمّد ؟ قال : « النّار » . وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوفٍ ، كما حدّثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسرٍ . وكذا قال موسى بن عقبة في « مغازيه »[٤] ، وزعم أنّ رسول الله ﷺ لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره . قال : ولمّا أقبل إليه عاصم بن ثابتٍ ، قال : يا معشر قريشٍ ، علام أُقتل من بين من هاهنا ؟ قال : على عداوتك الله ورسوله .

وقال حمّاد بن سلمة[٥] ، عن عطاء بن السّائب ، عن الشّعبيّ ، قال : لمّا أمر النبيّ بقتل عقبة ، قال : أتقتلني يا محمد من بين قريشٍ ؟ قال : « نعم! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجدٌ خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها ، فما رفعها حتّى ظننت أنّ عينيَّ ستَنْدُران[٦] ، وجاء مرّةً أخرى بسلا شاةٍ فألقاه على رأسي وأنا ساجدٌ ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي » .

قال ابن هشامٍ[٧] : ويقال : بل قتل عقبة عليّ بن أبي طالبٍ، فيما ذكره الزّهريّ وغيره من أهل العلم.

قلت : كان هذان الرجلان من شرّ عباد الله ، وأكثرهم كُفْرَاً ، وعناداً ، وبغياً ، وحسداً ، وهجاءً للإسلام وأهله ، لعنهما الله ، وقد فعل .

قال ابن هشامٍ[٨] : فقالت قُتيلة بنت الحارث، أخت النّضر بن الحارث في مقتل أخيها : [من الكامل]

يـا راكبـاً إنّ الأثيـل مظنّـةٌ   من صبح خامسةٍ وأنت موفّق
أبلـغ بهـا ميتـاً بـأنّ تحيّـةً   ما إن تزال بها النّجائب تخفق

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٤٤) .
(٢) موضع بين مكة والمدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٢٣٩) و(٢٦٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٤) .
(٤) ورواه عنه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١١٧) .
(٥) ذكره البلاذري في « أنساب الأشراف » (١/ ١٤٨) .
(٦) أي : تسقطان .
(٧) انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٤٤) .
(٨) في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي (٢/ ٤٢) : « قال ابن إسحاق » وجاء في هامشها مايلي : « في (آ) و(ر) : قال ابن هشام » .

منّـي إليـك وعبـرةً مسفـوحـةً جـادت بـوابلها وأخـرى تخنـقُ[١]
هـل يسمعـنّ النّضـر إن ناديتـه أم كيـف يسمـع ميّـتٌ لا ينطـقُ
أَمحمـدٌ يـا خيـر ضنءٍ[٢] كـريمـةٍ مـن قـومهـا والفحـل فحـلٌ معـرقُ
مـا كـان ضـرّك لـو مننـت وربّمـا مـنّ الفتـى وهـو المغيـظ المحنـقُ
أو كنـت قـابـل فـديـةٍ فلينفقـن بـأعـزّ مـا يغلـو بـه مـا ينفـقُ
والنّضـر أقـرب مـن أسـرت قـرابـةً وأحقّهـم إن كـان عتـقٌ يعتـقُ
ظلّـت سيـوف بنـي أبيـه تنـوشـه لله أرحـامٌ هنـالـك تشقـقُ
صبـراً يقـاد إلـى المنيّـة متعبـاً رسـف المقيّـد وهـو عـانٍ مـوثـق

قال ابن هشامٍ[٣] : ويقال ، والله أعلم : إنّ رسول الله ﷺ لمّا بلغه هذا الشّعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد تلقّى رسولَ الله ﷺ بهذا الموضع أبو هندٍ مولى فروة بن عمروٍ البياضيّ حجّامه ، عليه الصلاة والسلام ، ومعه زقٌّ خمرٍ مملوءٌ حيساً ـ وهو التّمر والسّويق بالسّمن ـ هديةً لرسول الله ﷺ فقبله منه ، ووصّى به الأنصار .

قال ابن إسحاق[٥] : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيومٍ .

قال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني نبيه بن وهبٍ أخو بني عبد الدّار أنّ رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه ، وقال : « استوصوا بهم خيراً » . قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عميرٍ لأبيه وأمّه ، في الأسارى ، قال أبو عزيزٍ : مرّ بي أخي مصعب بن عميرٍ ورجلٌ من الأنصار يأسرني ، فقال : شدّ يديك به ؛ فإنّ أمّه ذات متاعٍ لعلّها تفديه منك . قال أبو عزيزٍ : فكنت في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدرٍ ، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التّمر ؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع في يد رجلٍ منهم كسرة خبزٍ إلا نفحني بها ، فأستحيي فأردّها فَيَرُدُّها عليّ ما يمسّها .

قال ابن هشامٍ[٧] : وكان أبو عزيزٍ هذا صاحب لواء المشركين ببدرٍ بعد النّضر بن الحارث ، ولمّا قال

---

(١) هذا البيت لم يرد في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي ، فليستدرك .
(٢) في (ط) : « ضي » . والضنء من كل شيء : نَسْلُهُ .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٤) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٤) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٥) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٦) .

أخوه مصعبٌ لأبي اليَسَرِ ، وهو الذي أسره ، ما قال ، قال له أبو عزيزٍ : يا أخي ، هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعبٌ : إنّه أخي دونك . فسألت أمّه عن أغلى ما فدي به قرشيٌّ ، فقيل لها : أربعة آلاف درهمٍ . فبعثت بأربعة آلاف درهمٍ ففدته بها .

قلت : أبو عزيزٍ هذا اسمه زرارة ، فيما قاله ابن الأثير في « غابة الصحابة »[١] ، وعدّه خليفة بن خيّاطٍ في أسماء الصحابة[٢] . وكان أخا مصعب بن عميرٍ لأَبَوَيْهِ[٣] ، وكان لهما أخٌ آخر لأبويهما ، وهو أبو الرّوم بن عُمَيْرٍ ، وقد غلط من جعله قتل يوم أحدٍ كافراً ، ذاك أبو عزّة ، كما سيأتي في موضعه . والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] : حدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، أنّ يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، قال : قدم بالأُسارى حين قُدم بهم ، وسودة بنت زمعة زوج النبيّ ﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوفٍ ومعوِّذٍ ابني عفراء . قال : وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب . قال : تقول سودة : والله إنّي لعندهم إذ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أتي بهم . قالت : فرجعت إلى بيتي ، ورسول الله ﷺ فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمروٍ في ناحية الحجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحبلٍ . قالت : فلا والله ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أي أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ، ألا متّم كراماً ؟ فوالله ما أنبهني إلّا قول رسول الله ﷺ من البيت : « يا سودة ، أعلَى الله وعلى رسوله تحرّضين » ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحقّ ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت ، ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكمّيّته ، إن شاء الله .

ذكر فرح النّجَاشيّ ، رضي الله عنه ، بوقعة بدرٍ

قال الحافظ البيهقيّ[٥] : أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفيّ ببغداد ، ثنا أحمد بن سلمان النّجّاد ، ثنا عبد الله بن أبي الدّنيا ، حدّثني حمزة بن العباس ، ثنا عبدان بن عثمان ، ثنا عبد الله بن المبارك ، أنا عبدُ الرحمن بن يزيد بن[٦] جابرٍ ، عن عبد الرحمن ـ رجلٍ من أهل صنعاء ـ قال :

---

(١) يريد « أسد الغابة في معرفة الصحابة » والنقل في المطبوع منه بدار الشعب بالقاهرة (٦/ ٢١٣) .
(٢) انظر « طبقات خليفة » (١/ ٣٣) .
(٣) في (آ) و(ط) : « لأبيه » . والذي في « أسد الغابة » (٦/ ٢١٣) : « لأبويه » وهو ما أثبته لانسجامه مع السياق .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٥) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤) .
(٦) في (ط) : « عن » . وهو خطأ .

أرسل النّجاشيّ ذات يومٍ إلى جعفر بن أبي طالبٍ وأصحابه ، فدخلوا عليه وهو في بيتٍ عليه خُلْقانُ ثيابٍ ، جالسٌ على التراب ، قال جعفرٌ : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلمّا أن رأى ما في وجوهنا قال : إنّي أبشّركم بما يسرّكم ؛ إنّه جاءني من نحو أرضكم عينٌ لي ، فأخبرني أنّ الله قد نصر نبيّه ، وأهلك عدوّه ، وأُسر فلانٌ وفلانٌ ، وقتل فلانٌ وفلانٌ ، التقوا بوادٍ يقال له : بدرٌ . كثير الأراك ، كأنّي أنظر إليه ، كنت أرعى به[1] لسيّدي - رجلٍ من بني ضمرة - إبله . فقال له جعفرٌ : ما بالك جالساً على التراب ليس تحتك بساطٌ ، وعليك هذه الأخلاق[2] ؟ قال : إنّا نجد فيما أنزل الله على عيسى : إنّ حقاً على عباد الله أنْ يحدثوا لله تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمةٍ . فلمّا أحدث الله لي نصر نبيّه ﷺ ، أحدثت له هذا التواضع .

فصلٌ
في وصول خبر مصاب أهل بدرٍ إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق[3] : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريشٍ الحيسمان بن عبد الله الخزاعيّ ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكَم بن هشامٍ ، وأميّة بن خلفٍ ، وزمعة بن الأسود ، ونبيهٌ ومنبّهٌ ، وأبو البختريّ بن هشامٍ . فلمّا جعل يعدّد أشراف قريشٍ ، قال صفوان ابن أميّة : والله إن يعقل هذا ، فسلوه عنّي . فقالوا : ما فعل صفوان بن أميّة ؟ قال : هو ذاك جالساً في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحقّقوه قطّعت النساء شعورهنّ ، وعقرت خيولٌ كثيرةٌ ورواحل .

وذكر السّهيليّ[4] عن كتاب « الدلائل » لقاسم بن ثابتٍ أنّه قال : لما كانت وقعة بدرٍ سمع أهل مكة هاتفاً من الجنّ يقول : [من الطويل]

أزار الحنيفيّــون بــدراً وقيعــةً   سينقضّ منها ركن كسرى وقيصرا
أبـادت رجـالاً مـن لـؤيٍّ وأبـرزت   خـرائـد يضـربـن التـرائـب حسّـرا
فيـا ويـح مـن أمسـى عـدوّ محمـدٍ   لقد جار عن قصد الهدى وتحيّرا

(١) سقط من : (ط) .
(٢) في (آ) و(ط) : « الأخلاط » وما أثبته هو الصواب ، والأخلاق : جمع الخلَق ، وهو البالي من الثياب .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٦) .
(٤) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباسٍ ، عن عكرمة مولى ابن عباسٍ قال : قال أبو رافعٍ مولى رسول الله ﷺ : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، [وأسلمت][٢] أمّ الفضل ، وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ متفرّقٍ في قومه ، وكان أبو لهبٍ قد تخلّف عن بدرٍ فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ؛ لم يتخلّف رجلٌ إلّا بعث مكانه رجلاً ، فلمّا جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدرٍ من قريشٍ ، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزّاً . قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إنّي لجالسٌ فيها أنحت أقداحي ، وعندي أمّ الفضل جالسةً ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهبٍ يجرّ رجليه بشرٍّ ، حتى جلس على طنب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينا هو جالسٌ إذ قال الناس : هذا أبو سفيان ـ واسمه المغيرة ـ بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال : فقال أبو لهبٍ : هلمّ إليّ ، فعندك لعمري الخبر . قال : فجلس إليه والناس قيامٌ عليه فقال : يا بن أخي ، أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلّا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بلقٍ بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيءٌ . قال أبو رافعٍ : فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال : فرفع أبو لهبٍ يده فضرب وجهي ضربةً شديدة . قال : وثاورته[٣] ، فاحتملني وضرب بي الأرض ، ثم برك عليّ يضربني ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أمّ الفضل إلى عمودٍ من عمد الحجرة فأخذته ، فضربته به ضربةً فلعت[٤] في رأسه شجّةً منكرةً ، وقالت : أَستضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولّياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .

زاد يونس ، عن ابن إسحاق[٥] : فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثاً ، ما دفناه حتى أنتن ، وكانت قريشٌ تتّقي هذه العدسة كما تتّقى الطاعون ، حتى قال لهما رجلٌ من قريش : ويحكما ، ألا تستحيان! إنّ أباكما قد أنتن في بيته ، لا تدفنانه ؟! فقالا : إنّا نخشى عدوى هذه القرحة . فقال : انطلقا فأنا أعينكما عليه . فوالله ما غسّلوه إلّا قذفاً بالماء عليه من بعيدٍ ، ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة ، فأسندوه إلى جدارٍ ثم رضموا عليه بالحجارة .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٦ ـ ٦٤٧) .
(٢) لفظ « وأسلمت » لم يرد في (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .
(٣) أي : « بادرته » .
(٤) في (آ) و(ط) : « فبلغت » . والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام ، وفلَعَتْ : شقت .
(٥) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) .

قال يونس ، عن ابن إسحاق[١] : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنّها كانت لا تمرّ على مكان أبي لهبٍ هذا إلّا تستّرت بثوبها حتى تجوزَ .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدثني يحيى بن عبّادٍ [بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عَبّاد] ، عن أبيه[٣] قال : ناحت قريشٌ على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فَيَبْلُغَ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم[٤] ؛ لا يأرب عليكم محمدٌ وأصحابه في الفداء .

قلت : وكان هذا من تمام ما عَذّب الله به أحياءهم في ذلك الوقت ، وهو تركهم النّوح على قتلاهم ؛ فإنّ البكاء على الميت مما يُبِلُّ فؤاد الحزين .

قال ابن إسحاق[٥] : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثةٌ من ولده ؛ زمعة ، وعقيلٌ ، والحارث ، وكان يحبّ أن يبكي على بنيه . قال : فبينما هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل ، فقال لغلامٍ له ، وكان قد ذهب بصره : انظر هل أحلّ النّحب ؟ هل بكت قريشٌ على قتلاها ؟ لعلّي أبكي على أبي حكيمة ـ يعني ولده زمعة ـ فإنّ جوفي قد احترق . قال : فلمّا رجع إليه الغلام قال : إنّما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضلّته . قال : فذاك حين يقول الأسود : [من الوافر]

أتبكي أن أضلَّ لها بعيرٌ ... ويمنعها من النوم السّهود
فلا تبكي على بكرٍ ولكن ... على بدرٍ تقاصرتِ الجدود
على بدرٍ سراة بني هُصيصٍ ... ومخزومٍ ورهط أبي الوليد
وبكّي إن بكيت على عقيلٍ[٦] ... وبكّي حارثاً أسد الأسود
وبكّيهم ولا تَسَمي[٧] جميعاً ... وما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد سادَ بعدهمُ رجالٌ ... ولولا يوم بدرٍ لم يسودوا[٨]

---

(١) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨) .
(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٧) .
(٤) في (ط) : « تستأنسوا » . واستأنى به : انتظر به . « لسان العرب » (أنى) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٨) .
(٦) كذا في (آ) و(ط) : « أبا عقيل » وفي « السيرة النبوية » : « على عقيل » ولعله أصحُ .
(٧) أي : لا تسأمي .
(٨) في بعض هذه الأبيات إقواء .

فصل
في بعث قريشٍ إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم

قال ابن إسحاق[١] : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضُبيرة السّهميّ ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ له بمكّة ابناً كيّساً تاجراً ذا مالٍ ، وكأنّكم به قد جاء في طلب فداء أبيه » . فلمّا قالت قريشٌ : لا تعجلوا بفداء أسراكم ؛ لا يأرب عليكم محمدٌ وأصحابه . قال المطّلب بن أبي وداعة ـ وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى ـ صدقتم ، لا تعجلوا ، وانسلّ من الليل ، وقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهمٍ ، فانطلق به .

قلت : وكان هذا أول أسيرٍ فُدي ، ثم بعثت قريشٌ في فداء أسراهم ، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرٍو ، وكان الذي أسره مالك بن الدّخشم ، أخو بني سالم بن عوفٍ ، فقال في ذلك : [من المتقارب]

أسـرتُ سُهيـلاً فـلا أبتغـي   أسيـراً بـه مـن جميـع الأُمـمْ
وخنـدف تعلـم أن الفتـى   فتـاهـا سهيـلٌ إذا يُظلـمْ
ضربت بذي الشفر حتى انثنى   وأكرهت نفسي على ذي العلَمْ

قال ابن إسحاق[٢] : وكان سهيلٌ رجلاً أعلَم[٣] من شفته السُّفْلى .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدثني محمد بن عمرو بن عطاءٍ أخو بني عامرٍ بن لؤيٍّ ، أنّ عمر بن الخطّاب قال لرسول الله ﷺ : دعني أنزع ثنيّة سهيل بن عمروٍ يدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطنٍ أبداً . فقال رسولُ الله ﷺ : « لا أمثّل به فيمثّل الله بي وإن كنت نبيّاً » .

قلت : وهذا حديثٌ مرسلٌ ، بل معضلٌ .

قال ابن إسحاق[٥] : وقد بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا : « إنّه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمّه » .

قلت : وهذا هو المقام الذي قامه سهيلٌ بمكة ، حين مات رسول الله ﷺ وارتدّ من ارتدّ من العرب ، ونجم النّفاق بالمدينة وغيرها ، فقام بمكة فخطب الناس ، وثبّتهم على الدين الحنيف ، كما سيأتي في موضعه .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٨ ـ ٦٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩) .
(٣) الأعلم : المشقوق الشفة . « لسان العرب » (علم) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩) .

قال ابن إسحاق(١) : فلمّا قاولهم فيه مكرزٌ وانتهى إلى رضائهم قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رِجلي مكان رجله وخلّوا سبيله ، حتى يبعث إليكم بفدائه . فخلّوا سبيل سهيلٍ وحبسوا مكرزاً عندهم . وأنشد له ابن إسحاق في ذلك شعراً(٢) أنكره ابن هشامٍ(٣) ، فالله أعلم .

[قال ابن إسحاق(٤) : وحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ قال : وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب .

قال ابن إسحاق(٥) : وكانت أمّه بنت عقبة بن أبي معيطٍ .

قال ابن هشام(٦) : بل كانت أمّه أخت أبي معيطٍ . قال ابن هشام : وكان الذي أسره عليّ بن أبي طالبٍ](٧) .

قال ابن إسحاق(٨) : وحدثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، [قال] : فقيل لأبي سفيان : افد عمراً ابنك . قال : أيجمع عليّ دمي ومالي ؟ قتلوا حنظلة وأفدي عمراً ؟! دَعُوه في أيديهم يُمْسِكُوه ما بدا لهم . قال : فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة ، إذ خرج سعد بن النّعمان بن أُكّالٍ ، أخو بني عمرو بن عوفٍ ، ثم أحد بني معاوية معتمراً ، ومعه مريّةٌ(٩) له ، وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالنّقيع(١٠) ، فخرج من هنالك معتمراً ، [ولا يخشى الذي صنع به](١١) ، لم يظنَّ أنّه يحبس بمكة ، إنّما جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحدٍ جاء حاجّاً أو معتمراً إلّا بخيرٍ ، فعدا عليه أبو سفيان بن حربٍ بمكة ، فحبسه بابنه عمروٍ ، وقال في ذلك : [من الطويل]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩ ـ ٦٥٠) .

(٢) قلت : وهي قوله ـ كما في « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) ـ : [من الطويل]

فديت بأزواد ثمان سبا فتىً ... ينال الصميمَ غُرْمُها لا المواليا
رهنت يدي والمال أيسر من يدي ... عليَّ ولكني خشيت المخازيا
وقلت سهيلٌ خيرُها فاذهبوا به ... لأبنائنا حتى نُدير الأمانيا

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٦) في « السيرة النبوية » (١/ ٦٥٠) .

(٧) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٥٠ ـ ٦٥١)

(٩) مريّة : تصغير امرأة .

(١٠) في (آ) و(ط) : « البقيع » . والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) . والنقيع : موضع قرب المدينة . انظر « معجم البلدان » (٤/ ٨٠٨) .

(١١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » .

أرهط ابن أُكّالٍ أجيبوا دعاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإنّ بني عمرٍو لئامٌ أذلّةٌ لئن لم يفكّوا[١] عن أسيرهم الكبلا

قال : فأجابه حسّان بن ثابتٍ يقول[٢] : [من الطويل]

لو كان سعدٌ يوم مكة مطلقاً[٣] لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا
بعضبٍ حسامٍ أو بصفراءَ نبعةٍ تحنّ إذا ما أُنبضت تحفز النّبلا

قال : ومشى بنو عمرو بن عوفٍ إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكّوا به صاحبهم ، فأعطاهم النبيّ ﷺ فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى سبيل سعدٍ .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الرّبيع بن عبد العزّى بن عبد شمس بن أميّة ، ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب .

قال ابن هشامٍ[٥] : وكان الذي أسره خراش بن الصّمّة أحد بني حرامٍ .

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانةً وتجارةً ، وكانت أمّه هالة بنت خويلدٍ أخت خديجة بنت خويلدٍ ، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوّجه بابنتها زينب ، وكان لا يخالفها ، وذلك قبل الوحي ، وكان عليه السلام ، قد زوّج ابنته رقيّة أو أمّ كلثومٍ من عتبة بن أبي لهبٍ ، فلمّا جاء الوحي قال أبو لهبٍ : اشغلوا محمداً بنفسه . وأمر ابنه عتبة فطلّق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول ، فتزوّجها عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ومشوا إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبتك ونحن نزوّجك بأيّ امرأةٍ من قريشٍ شئت . قال : لا والله إذاً ؛ لا أفارق صاحبتي ، وما أحبّ أنّ لي بامرأتي امرأةً من قريشٍ . وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صهره ، فيما بلغني .

قلت : الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره ثابتٌ في « الصحيح »[٦] كما سيأتي .

قال ابن إسحاق[٧] : وكان رسول الله ﷺ لا يُحلّ بمكة ، ولا يحرّم مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبي العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرّق بينهما .

---

(١) في (ط) : « يكفوا » .
(٢) انظر « ديوان حسان » (١/ ٤٣٥) .
(٣) في « ديوان حسان » : « خافكم » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢) .
(٦) رواه « البخاري » (٣١١٠) و(٣٧٢٩) و« مسلم » (٢٤٤٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٢) .

قلت : إنّما حرّم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية ، سنة ستٍّ من الهجرة ، كما سيأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق(١) : حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لمّا بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمالٍ ، وبعثت فيه بقلادةٍ لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها . قالت : فلمّا رآها رسول الله ﷺ ، رقّ لها رقّةً شديدةً ، وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردّوا عليها الذي لها ، فافعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها .

قال ابن إسحاق(٢) : فكان ممّن سمّي لنا ممّن منّ عليه رسول الله ﷺ من الأسارى بغير فداءٍ ؛ من بني أميّة أبو العاص بن الرّبيع ، ومن بني مخزومٍ المُطَّلِبُ بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزومٍ ، أسره بعضُ بني [الحارث](٣) بن الخزرج ، فترك في أيديهم حتى خلّوا سبيله ، فلحق بقومه .

قال ابن إسحاق(٤) : وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أن يخلّيَ سبيل زينب ، يعني أن تهاجر إلى المدينة ، فوفّى أبو العاص بذلك ، كما سيأتي .

وقد ذكر ذلك ابن إسحاق هاهنا فأخّرناه ؛ لأنّه أنسب ، والله أعلم .

وقد تقدّم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عمّ النبيّ ﷺ نفسه وعقيلاً ونوفلاً ابني أخويه بمئة أوقيّةٍ من الذهب .

وقال ابن هشامٍ(٥) : كان الذي أسره(٦) أبو أيوب خالد بن زيدٍ .

قال ابن إسحاق(٧) : وصيفيّ بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ ، ترك في أيدي أصحابه ، فأخذوا عليه ليبعثنّ لهم بفدائه ، فخلّوا سبيله ، ولم يف لهم ، فقال حسّان بن ثابتٍ في ذلك(٨) : [من الطويل]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٩) .
(٣) لفظ « الحارث » سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » (١/ ٦٥٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٩) .
(٦) في (آ) و(ط) : أسر أبي العاص ، وهو خطأ ، لأن الذي أسر أبا العاص هو خراش بن الصِّمَّة ، كما تقدم في الصفحة التي قبلها .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٠) وفي « ديوان حسّان » (٢/ ١٣٠) : « صيفي بن عابد » .
(٨) انظر « ديوان حسان » (١/ ١٤٩) .

وما كان صيفيٌّ ليوفي أمانةً(١) قفا ثعلبٍ أعيا ببعض الموارد

قال ابن إسحاق(٢) : وأبو عزّة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أُهيب بن حذافة بن جمح ، كان محتاجاً ذا بناتٍ ، قال : يا رسول الله ، لقد عرفت ما لي من مالٍ ، وإنّي لذو حاجةٍ وذو عيالٍ ؛ فامنن عليّ . فمنّ عليه رسول الله ﷺ ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً ، فقال أبو عزّة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك :

[من الطويل]

مَن مبلغٌ عني الرسول محمداً بأنّك حقٌّ والمليك حميد
وأنت امرؤٌ تدعو إلى الحقّ والهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤٌ بوّئت فينا مباءةٌ لها درجاتٌ سهلةٌ وصعود
فإنّك من حاربته لمحاربٌ شقيٌّ ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذُكّرتْ بدراً وأهله تَأَوَّبَ(٣) ما بي حسرةٌ وقعود

قلت : ثم إنّ أبا عزّة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله ، فرجع إليهم ، فلمّا كان يوم أحدٍ أسر أيضاً ، فسأل من النبيّ ﷺ أن يمنّ عليه أيضاً ، فقال النبيّ ﷺ : « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول : خدعت محمداً مَرَّتَيْنِ » . ثم أمر به ، فضربت عنقه(٤) ، كما سيأتي في غزوة أحدٍ .

ويقال : إنّ فيه قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرّتين »(٥) .

وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلّا منه ، عليه الصلاة والسلام .

قال ابن إسحاق(٦) : وحدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عروة بن الزّبير قال : جلس عمير بن وهبٍ الجمحيّ مع صفوان بن أميّة في الحجر ، بعد مصاب أهل بدرٍ بيسيرٍ ، وكان عمير بن وهبٍ شيطاناً من شياطين قريشٍ ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقَون منه عناءً وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عميرٍ في أسارى بدرٍ .

قال ابن هشامٍ(٧) : وكان الذي أسره رفاعة بن رافعٍ ، أحد بني زريقٍ .

قال ابن إسحاق(٨) : فحدّثني محمد بن جعفرٍ ، عن عروة قال ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ،

---

(١) في « الديوان » : « بذمة » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٠) .
(٣) من الأوب وهو الرجوع .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) .
(٥) رواه « البخاري » (٦١٣٣) و« مسلم » (٢٩٩٨) ، والحديث ليس خاصاً بأبي عزّة .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٦١) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦١) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦١ ـ ٦٦٣) .

فقال صفوان : والله إنْ[١] في العيش بعدهم خيرٌ . قال له عميرٌ : صدقت والله ، أما والله لولا دَينٌ عليّ ليس عندي قضاؤه ، وعيالٌ أخشى عليهم الضّيعة بعدي ، لركبت إلى محمدٍ حتى أقتله ، فإنّ لي فيهم[٢] علّةً ؛ ابني أسيرٌ في أيديهم . قال : فاغتنمها صفوان بن أميّة ، فقال : عليّ دَينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أُواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيءٌ ويعجز عنهم . فقال له عميرٌ : فاكتم عنّي شأني وشأنك . قال : سأفعل . قال : ثم أمر عميرٌ بسيفه فشحذ له وسمّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفرٍ من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدرٍ ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوّهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهبٍ ، وقد أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيفَ ، فقال : هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهبٍ ، ما جاء إلّا لشرٍّ ، وهو الذي حرّش بيننا ، وحزرنا[٣] للقوم يوم بدرٍ . ثم دخل عمر[٤] على رسول الله ﷺ فقال : يا نبيّ الله ، هذا عدوّ الله عمير بن وهبٍ ، قد جاء متوشّحاً سيفه . قال : « فأدخله عليّ » . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّبه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ ، فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ؛ فإنّه غير مأمونٍ . ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلمّا رآه رسول الله ، وعمر آخذٌ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ، ادن يا عمير » . فدنا ثم قال : أنعم صباحاً . وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله : « قد أكرمنا الله بتحيةٍ خيرٍ من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهلِ الجنة » . قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهدٍ . قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهذا الأسيرِ الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » قال : قبّحها الله من سيوفٍ ، وهل أغنت شيئاً ؟ قال : « اصدقني ، ما الذي جئت له ؟ » قال : ما جئت إلّا لذلك . قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أميّة في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريشٍ ، ثم قلت : لولا دَينٌ عليّ وعيالٌ عندي لخرجت حتى أقتل محمداً . فتحمّل لك صفوان بن أميّة بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك » . فقال عميرٌ : أشهد أنّك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزّل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنّي لأعلم ما أتاك به إلّا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحقّ ، فقال رسول الله ﷺ : « فقّهوا أخاكم في دينه ، وعلّموه القرآن ، وأطلقوا أسيره » . ففعلوا . ثم قال : يا رسول الله ، إنّي كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحبّ أن تأذن لي فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ؛ لعلّ الله يهديهم ، وإلّا آذيتهم في دينهم كما

(١) في (ط) : « ما أن » . و« إن » هنا بمعنى « ما » النافية .
(٢) في « السيرة النبوية » : « قِبَلهم » .
(٣) حزر : قدر بالتخمين .
(٤) لفظ « عمر » سقط من : (ط) .

كنتُ أوذي أصحابك في دينهم . قال : فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهبٍ يقول : أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيامٍ ، تنسيكم أيام[١] بدرٍ .

وكان صفوان يسأل عنه الرّكبان ، حتى قدم راكبٌ فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلّمه أبداً ، ولا ينفعه بنفعٍ أبداً .

قال ابن إسحاق[٢] : فلمّا قدم عميرٌ مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالفه أذىً شديداً ، فأسلم على يديه ناسٌ كثيرٌ .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهبٍ ، أو الحارث بن هشامٍ ، هو الذي رأى عدوّ الله إبليس ، حين نكص على عقبيه يوم بدرٍ ، وفرّ هارباً ، وقال : إنّي بريءٌ منكم ، إنّي أرى ما لا ترون . وكان إبليس يومئذٍ في صورة سراقة بن مالك بن جعشمٍ أمير مدلجٍ .

فصل

ثم إنّ الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله ، تكلّم على ما نزل من القرآن في قصة بدرٍ ، وهو من أول سورة « الأنفال » إلى آخرها ، فأجاد وأفاد[٣] ، وقد تقصّينا الكلام على ذلك في كتابنا « التفسير »[٤] فمن أراد الاطّلاع على ذلك فلينظره ثمّ ، ولله الحمد والمنّة .

فصل

ثم شرع ابن إسحاق في تَسْمِيَةِ من شهد بدراً من المسلمين[٥] ، فسرد أسماء من شهدها من المهاجرين أولًا ، ثم أسماء من شهدها[٦] من الأنصار أوسها وخزرجها ، إلى أن قال[٧] : فجميع من شهد بدراً من المسلمين ؛ من المهاجرين والأنصار ؛ من شهدها [منهم] ومن ضرب له بسهمه وأجره ، ثلاثمئة رجلٍ وأربعة عشر رجلًا ؛ من المهاجرين ثلاثةٌ وثمانون ، ومن الأوس أحدٌ وستون رجلًا ، ومن الخزرج مئةٌ وسبعون رجلًا . وقد سردهم البخاريّ في « صحيحه »[٨] مرتّبين على حروف

---

(١) في (ط) : « وقعة » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٦ ـ ٦٧٧) .
(٤) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٤٥ ـ ٥٩٩) و(٤/ ٣ ـ ٤٣) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٧٧ ـ ٧٠٦) ولفظ « منهم » مستدرك منه .
(٦) سقط من : (ط) .
(٧) انظر « سيرة ابن إسحاق » ص (٢٨٨) وانظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٧٠٦) .
(٨) انظر « صحيح البخاري » ، باب تسمية من سمي من أهل بدر . . ، من كتاب « المغازي » . « فتح الباري » (٧/ ٣٢٦) بعد الحديث رقم (٤٠٢٧) .

المعجم ، بعد البداءة برسول الله ﷺ ثم بأبي بكرٍ ، وعمر[١] ، وعثمان ، وعليٍّ ، رضي الله عنهم .

وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتّبين على حروف المعجم[٢] ، وذلك من كتاب « الأحكام الكبير » للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المَقْدِسِيِّ ، وغيره ، بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيِّد ولد آدم محمدٍ رسول الله ﷺ .

حرف الألف

أُبيّ بن كعبٍ النّجّاريّ سيِّد القُرّاء ، الأرقم بن أبي الأرقم ، وأبو الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ المخزوميّ . أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان ، أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنمٍ . كذا قال موسى بن عقبة[٣] .

وقال الأمويّ : سوادُ بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عديّ . شكّ فيه . وقال سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحاق[٤] : سواد بن زريق بن ثعلبة .

وقال ابن عائذٍ : سواد بن زيدٍ[٥] . أسير بن عمروٍ الأنصاريّ أبو سليطٍ . وقيل : أسير بن عمروٍ بن أميّة بن لوذان بن سالم بن ثابتٍ الخزرجيّ . ولم يذكره موسى بن عقبة .

أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسيّ . كذا سماه موسى بن عقبة[٦] . وسماه الأمويّ في « السيرة » أُنَيْساً[٧] .

[قلت : وأنس بن مالكٍ خادم النبيّ ﷺ ، لما روى عمر بن شبّة النّميريّ[٨] ، حدّثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، عن أبيه ، عن ثمامة بن أنس قال : قيل لأنس بن مالكٍ : أشهدت بدراً ؟ قال : وأين أغيب عن بدرٍ لا أمّ لك ؟! .

---

(١) اسم « عمر » رضي الله عنه ، سقط من : (ط) .

(٢) وقد ذكرهم بترتيب آخر ابن سَيِّد الناس في « عيون الأثر » (١/ ٤١٧ ـ ٤٣٢) طبع دار ابن كثير .
وقد صنَّف العالم الحموي (محمد الحسن السَّمان الحموي) صاحب « فيض المنعم من صحيح مسلم » مصنَّفاً في ذكرهم لازال مخطوطاً ويحتفظ به مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدُبي .

(٣) يعني تسمية « أسود بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد بن غنم » فقط . وقد ذكر هذا القول معزواً لابن عقبة ، ابنُ الأثير في « أسد الغابة » (١/ ١٠٣) وابنُ حجر في « الإصابة » (١/ ٧٣ ـ ٧٤) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٨) .

(٥) وذكره بهذه التسمية ابنُ حجر في « الإصابة » (١/ ٧٤) ، ولم يعزها لأحد .

(٦) انظر « أسد الغابة » (١/ ١٥٠) .

(٧) في (ط) والأموي في السيرة أنيس ، وهو خطأ .

(٨) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٣٦١) .

وقال محمد بن سعدٍ[١] : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، ثنا أبي ، عن مولىً لأنس بن مالكٍ ، أنّه قال لأنسٍ : شهدت بدراً ؟ قال : لا أمّ لك ، وأين أغيب عن بدرٍ ؟! قال محمد بن عبد الله الأنصاريّ : خرج أنس بن مالكٍ مع رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، وهو غلامٌ يخدمه .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجّاج المزّيّ في « تهذيبه »[٢] : هكذا قال الأنصاريّ ، ولم يذكر ذلك أحدٌ من أصحاب المغازي] .

أنس بن معاذ [بن أنس] بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمروٍ بن مالك بن النّجار . أنسة الحبشيّ مولى رسول الله ﷺ . أوس بن ثابت بن المنذر النّجاريّ . أوس بن خَوْلِيٍّ بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن [الخزرج الخزرجيّ . وقال موسى بن عقبة : أوس بن عبد الله بن الحارث] بن خوليٍّ . أوس بن الصّامت الخزرجيّ أخو عبادة بن الصّامت . إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكرٍ حليف بني عديّ بن كعبٍ .

حرف الباء

بجير بن أبي بجيرٍ حليف بني النّجّار . بحّاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمّارة البلويّ حليف الأنصار ، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمروٍ بن سعيد[٣] بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنيّ حليف بني ساعدة ، وهو أحد العينين[٤] هو وعديّ بن أبي الزّغباء كما تقدّم . بشر ابن البراء بن معرورٍ الخزرجيّ الذي مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجيّ والد النّعمان بن بشيرٍ . ويقال : إنّه أول من بايع الصّدّيق . بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الأوسيّ ، ردّه عليه الصلاة والسلام ، من الرّوحاء واستعمله على المدينة ، وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

تميم بن يَعار بن قيس بن عديّ بن أميّة بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج . تميمٌ مولى خراش بن الصّمّة . تميمٌ مولى بني غنم بن السّلم . وقال ابن هشامٍ[٥] : هو مولى سعد بن خيثمة .

---

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٣٦١) .
(٢) انظر « تهذيب الكمال » (٣/ ٣٦٨) .
(٣) في « الاستيعاب » (١/ ١٩٠) و« جمهرة أنساب العرب » ص (٤٤٤) و« أسد الغابة » (١/ ٢١٣) و« الإصابة » (١/ ٢٨٨) : « سعد » .
(٤) يعني أنه كان هو وعدي عينين يترقبان موعد نزول عِير أبي سفيان ببدر ، قبيل الغزوة .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٠) .

حرف الثاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عديّ بن العجلان . ثابت بن ثعلبة ـ ويقال لثعلبة هذا : الجذع ـ بن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة . ثابت بن خالد بن النّعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النّجار النّجاريّ . ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عديّ بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجّار النجّاريّ . ثابت بن عمرو بن زيد بن عديّ بن سَوادِ بن مالك بن غنم بن مالك بن النجّار النجّاريّ . ثابت بن هزّالٍ الخزرجيّ . ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس . ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالكٍ النجّاريّ . ثعلبة بن عمرو بن محصنٍ الخزرجيّ . ثعلبة بن عتمة بن عديّ بن نابي السّلميّ . ثقف بن عمروٍ ، من بني حجر آل بني سليمٍ ، وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسدٍ .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النّجّار النّجّاريّ . جابر بن عبد الله بن رئاب بن النّعمان بن سنان بن عبيد بن عديّ بن غنم بن كعب بن سَلمة السّلميّ ، أحد الذين شهدوا العقبة .

[قلت : فأمّا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرامٍ السّلميّ أيضاً ، فذكره البخاريّ فيهم في مسندٍ[١] ، عن سعيد بن منصورٍ ، عن أبي معاويةَ ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابرٍ قال : كنت أميح[٢] لأصحابي الماء يوم بدرٍ . وهذا الإسناد على شرط مسلمٍ ، لكن قال محمد بن سعدٍ[٣] : ذكرت لمحمد بن عمر ـ يعني الواقديّ ـ هذا الحديث ، فقال : هذا وهمٌ من أهل العراق . وأنكر أن يكون جابرٌ شهد بدراً .

وقال الإمام أحمد بن حنبلٍ[٤] : حدثنا روح بن عبادة ، ثنا زكريا بن إسحاق ، ثنا أبو الزّبير ، أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوةً ، ولم أشهد بدراً ولا أحداً ، منعني أبي ، فلمّا قتل أبي يوم أحدٍ ، لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ عن غزاةٍ .

ورواه مسلمٌ[٥] ، عن أبي خيثمة عن روحٍ][٦] .

---

(١) لعله في كتابه « المصنّف في أسماء الصحابة » الذي ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١/ ٨٩) .

(٢) في (ط) : « أمتح » .

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (١١/ ٢١٧) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٢٩) .

(٥) رواه « مسلم » (١٨١٣) .

(٦) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) .

جبّار بن صخرٍ السلميّ . جبر بن عتيكٍ الأنصاريّ . جبير بن إياسٍ الخزرجيّ .

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافعٍ الخزرجيّ . الحارث بن أوس بن معاذٍ ، ابن أخي سعد بن معاذٍ الأوسيّ . الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أميّة بن زيد بن مالك بن الأوس ، ردّه عليه الصلاة والسلام ، من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره . الحارث بن خزمة بن عديٍّ بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، حليفٌ لبني زعورا بن عبد الأشهل . الحارث بن الصّمّة الخزرجيّ ، ردّه عليه الصلاة والسلام ؛ لأنّه كسر من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره . الحارث بن عرفجة الأوسيّ . الحارث بن قيس بن خالدٍ[١] أبو خالدٍ الخزرجيّ . الحارث بن النّعمان بن أميّة الأنصاريّ . حارثة بن سراقة النّجّاريّ ، أصابه سهمٌ غربٌ وهو في النّظّارة ، فرفع إلى الفردوس . حارثة بن النّعمان بن رافعٍ الأنصاريّ . حاطب بن أبي بلتعة اللّخميّ ، حليف بني أسد بن عبد العزّى بن قصيٍّ . حاطب بن عمرو بن عبيد بن أميّة الأشجعيّ ، من بني دهمان . هكذا ذكره ابن هشامٍ[٢] عن غير ابن إسحاق .

وقال الواقديّ[٣] : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودٍّ .

وكذا ذكره ابن عائذٍ في « مغازيه » .

وقال ابن أبي حاتمٍ[٤] : حاطب بن عمرو بن عبد شمسٍ . سمعته من أبي ، وقال : هو رجل مجهولٌ .

الحباب بن المنذر الخزرجيّ . ويقال : كان لواء الخزرج معه يومئذٍ . حبيب بن أسود مولى بني حرامٍ من بني سلِمة . وقال موسى بن عقبة[٥] : حبيب بن سعدٍ . بدل « أسود » .

وقال ابن أبي حاتمٍ[٦] : حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج . أنصاريّ بدريّ . حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه الأنصاريّ أخو عبد الله بن زيد الذي أري النّداء[٧] . الحصين بن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ . حمزة بن عبد المطلب بن هاشمٍ عمّ رسول الله ﷺ .

---

(١) في (ط) : « خلدة » وانظر « أسد الغابة » (١/ ٤١١) و(٦/ ٨١) و« الإصابة » (١/ ٥٩٣) و« سيرة ابن هشام » (١/ ٧٠٠) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٨) وليس عنده : « الأشجعي من بني دهمان » .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ١٥٦) .

(٤) انظر « الجرح والتعديل » (٣/ ٣٠٣) .

(٥) انظر « الاستيعاب » (١/ ٣١٩) .

(٦) انظر « الجرح والتعديل » (٣/ ٩٦) .

(٧) أي : الأذان .

حرف الخاء

خالد بن البكير أخو إياسٍ المتقدّم . خالد بن زيدٍ أبو أيوب النّجّاريّ . خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاريّ . خارجة بن الحميّر ، حليف بني خنساء من الخزرج ، وقيل : اسمه حمزة[١] بن الحميّر . وسمّاه ابن عائذٍ : أبا خارجة[٢] ، فالله أعلم . خارجة بن زيدٍ الخَزْرَجيّ صهر الصّدّيق . خبّاب بن الأرتّ ، حليف بني زهرة ، وهو من المهاجرين الأوّلين ، وأصله من بني تميم ، ويقال : من خزاعة . خبّابٌ مولى عتبة بن غزوان ، من المهاجرين الأوّلين . خراش بن الصّمّة السّلميّ . خبيب بن إساف [بن عنبة][٣] الخَزْرَجيّ . خريم بن فاتكٍ . ذكره البخاريّ[٤] فيهم . خليفة بن عديٍّ الخزرجيّ . خليد بن قيس بن النّعمان بن سنان بن عبيدٍ [الأنصاريّ السّلميّ][٥] . خنيس بن حذافة بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهمٍ بن عمرو بن هصيصٍ بن كعب بن لؤيّ السّهميّ . قتل يومئذٍ فتأيّمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب . خوّات بن جبيرٍ الأنصاريّ ، ضرب له بسهمه وأجره ، ولم يشهدها بنفسه . خوليّ بن أبي خَوْلِيٍّ ! العجليّ حليف بني عديّ . من المهاجرين الأوّلين . خلّاد بن رافعٍ . وخلّاد بن سويدٍ . وخلّاد بن عمرو بن الجموح الخزرجيّون .

حرف الذّال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجيّ . ذو الشّمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامرٍ ، من خزاعة ، حليفٌ لبني زهرة ، قتل يومئذٍ شهيداً .

قال ابن هشامٍ[٦] : واسمه عميرٌ ، وإنّما قيل له : ذو الشّمالين ؛ لأنّه كان أعسر .

حرف الرّاء

رافع بن الحارث الأوسيّ . رافع بن عُنجَدة . قال ابن هشامٍ[٧] : هي أمّه . رافع بن المعلّى بن لوذان الخزرجيّ قتل يومئذٍ . ربعيّ بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجدّ بن عجلان بن ضبيعة . وقال موسى بن عقبة : ربعيّ بن أبي رافعٍ . ربيع بن إياسٍ الخزرجيّ . ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن

---

(١) في (ط) : « حارثة » .
(٢) في (آ) و(ط) : « خارجة » والتصحيح من « المشتبه » (١/ ٢٥١) و« تبصير المنتبه » (١/ ٤٥٦) .
(٣) ما بين الحاصرتين سقط من : (آ) . وانظر « أسد الغابة » (٢/ ١١٨) و« الإصابة » (٢/ ٢٦١) .
(٤) انظر « التاريخ الكبير » (٣/ ٢٢٤) .
(٥) ما بين الحاصرتين سقط من : (آ) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨١) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٨) .

لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، حليفٌ لبني عبد شمس بن عبد منافٍ ، وهو من المهاجرين الأوّلين . رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجيّ . رفاعة بن رافعٍ الزّرقيّ ، أخو خلّاد بن رافعٍ . رفاعة بن عبد المنذر بن زنبرٍ الأوسيّ أخو أبي لبابة . رِفاعةُ بن عمرو بن زيدٍ الخزرجيّ .

حرف الزّاي

الزّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيٍّ ، ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريّه . زياد بن عمروٍ . وقال موسى بن عقبة[١] : زياد بن الأخرس بن عمروٍ الجهنيّ . وقال الواقديّ : زياد بن كعبٍ بن عمروٍ بن عديٍّ بن عمرو بن رفاعة بن كليبٍ بن مودوعة[٢] بن عديّ بن عمرو بن الرُّبْعي[٣] بن رشدان بن قَيْسٍ بن جهينة . زياد بن لبيد الزّرقيّ . زيد[٤] بن المزيّن بن قيسٍ الخزرجيّ . زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عديّ بن عجلان بن ضبيعة . زيد بن حارثة شراحيل[٥] مولى رسول الله ﷺ ، رضي الله عنه . زيد بن الخطّاب بن نُفَيْلٍ أخو عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنهما . زيد بن سهل بن الأسود بن حرامٍ النّجّاريّ أبو طلحة ، رضي الله عنه .

حرف السّين

سالم بن عميرٍ الأوسيّ . سالم بن عوفٍ الخزرجيّ . [سالم بن معقلٍ مولى أبي حذيفة[٦] . السّائب بن عثمان بن مظعونٍ الجمحيّ . شهد[٧] مع أبيه . سبرة بن فاتكٍ . ذكره البخاريّ . سبيع بن قيس بن عيشة الخزرجيّ . سراقة بن عمروٍ النّجّاريّ . سراقة بن كعبٍ النّجّاريّ أيضاً . سعد بن خولة مولى بني عامرٍ بن لؤيٍّ ، من المهاجرين الأوّلين . سعد بن خيثمة الأوسيّ ، قتل يومئذٍ شهيداً . سعد بن الرّبيع الخزرجيّ الذي قتل يوم أحدٍ شهيداً . سعد بن زيد بن مالك الأوسيّ . [وقال الواقدي][٨] سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجيّ . سعد بن سهيل بن عبد الأشْهل النّجّاريّ . سعد بن عبيدٍ الأنصاريّ . سعد بن

(١) انظر « الاستيعاب » (٢/ ٥٣٣) و« أسد الغابة » (٢/ ٢٧٣) .
(٢) في (آ) : « بردعة » وفي (ط) : « برذعة » والتصحيح من « أسد الغابة » وانظر « الإصابة » (٢/ ٥٨٦) .
(٣) في (ط) : « الزبعري » . وانظر « أسد الغابة » (٢/ ٢٧٣) و« تبصير المنتبه » (٢/ ٥٩٢) .
(٤) في (آ) و(ط) : « زياد » والتصحيح من « الاستيعاب » (٢/ ٥٥٨) و« أسد الغابة » (٢/ ٣٠٠) و« الإصابة » (٢/ ٦٢٠) وعندهم جميعاً وسماه الواقدي « يزيد » .
(٥) في (ط) : « شرحبيل » .
(٦) سقط من : (آ) وأثبته من (ط) .
(٧) يعني شهد بدراً .
(٨) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) وأثبته من (ط) .

عثمان بن خلدة الخزرجيّ أبو عبادة . وقال ابن عائذٍ : أبو عبيدة . سعد بن معاذٍ الأوسيّ . كان لواء الأوس معه . سعد بن عبادة بن دليمٍ الخزرجيّ . ذكره غير واحدٍ ؛ منهم عروة ، والبخاريّ ، وابن أبي حاتمٍ ، والطّبرانيّ فيمن شهد بدراً ، ووقع في « صحيح مسلمٍ »[١] ما يشهد بذلك حين شاور النبيّ ﷺ في ملتقى النّفير من قريشٍ ، فقال سعد بن عبادة : كأنّك تريدنا يا رسول الله ، الحديث . والصحيح أنّ ذلك سعد بن معاذٍ ، والمشهور[٢] أنّ سعد بن عبادة ردّه من الطريق ، قيل : لاستنابته على المدينة . وقيل : لدغته حيّةٌ ، فلم يتمكّن من الخروج إلى بدرٍ . حكاه السّهيليّ عن ابن قتيبة[٣] ، فالله أعلم .

سعد بن أبي وقّاصٍ مالك بن أهيبٍ الزّهريّ ، أحد العشرة . سعد بن مالكٍ أبو سهلٍ . قال الواقديّ[٤] : تجهّز ليخرج ، فمرض فمات قبل الخروج . سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيلٍ العدويّ ، ابن عمّ عمر بن الخطاب ، يقال : قدم من الشام بعد مرجعهم من بدرٍ ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره . سفيان بن بشر بن عمروٍ الخزرجيّ . سلمة بن أسلم بن حريشٍ الأوسيّ . سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة . سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة . سليمٌ بن الحارث النّجاريّ . سليم بن عمروٍ السّلميّ . سليم بن قيس بن فهدٍ الخزرجيّ . سليم بن ملحان ، أخو حرام بن ملحان النجّاريّ . سماك بن أوس بن خرشة ، أبو دجانة . ويقال : سماك بن خرشة . سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجيّ . وهو أخو بشير بن سعدٍ المتقدّم . سهل بن حنيفٍ الأوسيّ . سهل بن عتيكٍ النجّاريّ . سهل بن قيسٍ السّلميّ . سهيل[٥] بن رافعٍ النجّاريّ . الذي كان له ولأخيه موضع المسجد النبويّ كما تقدّم . سهيل بن وهبٍ الفهريّ ، وهو ابن بيضاء ، وهي أمّه . سنان بن أبي سنان بن محصن بن حرثان ، من المهاجرين ، حليف بني عبد شمس بن عبد منافٍ . سنان بن صيفيٍّ السّلميّ . سواد بن زريق بن زيدٍ الأنصاريّ[٦] . وقال الأمويّ : سواد بن رزامٍ . سواد بن غزيّة بن أُهيبٍ البلويّ . سويبط بن سعد بن حرملة العبدريّ . سويد بن مخشيٍّ أبو مخشيٍّ الطّائيّ ، حليف بني عبد شمسٍ ، وقيل : اسمه أربد[٧] بن حميرٍ[٨] .

---

(١) انظر « مسلم » (١٧٧٩) .

(٢) اختُلِف في شهود سعد بن عبادة بدراً . انظر « الاستيعاب » (٢/ ٥٩٤) و« أسد الغابة » (٢/ ٣٥٦) و« الإصابة » (٣/ ٦٦) .

(٣) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٢٩٦) .

(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٠١) .

(٥) في (آ) : « سهل » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب . وانظر « الاستيعاب » (٢/ ٦٣٣) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٨) .

(٧) في (آ) و(ط) : « أزيد » وفي « أسد الغابة » (١/ ٧٢) و« الإصابة » (١/ ٤٢) و« تبصير المنتبه » (١/ ٤٦٥) : « أربد » .

(٨) في (آ) : « حميرة » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .

حرف الشّين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسديّ ، أسد خزيمة ، حليف بني عبد شمسٍ ، من المهاجرين الأوّلين . شمّاس بن عثمان المخزوميّ .

قال ابن هشام[١] : واسمه عثمان بن عثمان ، وإنّما سمّي شمّاساً ؛ لحسنه وشبهه شمّاساً كان في الجاهليّة . شقران مولى رسول الله ﷺ .

قال الواقديّ[٢] : لم يسهم له ، وكان على الأسرى ، فأعطاه كلّ رجلٍ ممّن له في الأسرى[٣] شيئاً ، فحصل له أكثر من سهمٍ .

حرف الصّاد

صهيب بن سنانٍ الرّوميّ ، من المهاجرين الأوّلين . صفوان بن وهب بن ربيعة الفهريّ ، أخو سهيل بن بيضاء ، قتل شهيداً يومئذٍ . صخر بن أميّة بن خنساء السّلميّ .

حرف الضّاد

ضحّاك بن حارثة بن زيدٍ السّلميّ . ضحّاك بن عبد عمروٍ النجّاريّ . ضمرة بن عمروٍ الجهنيّ . وقال موسى بن عقبة[٤] : ضمرة بن كعب بن عمروٍ حليف الأنصار ، وهو أخو زياد بن عمروٍ .

حرف الطّاء

طلحة بن عبيد الله التّيميّ ، أحد العشرة ، قدم من الشام بعد مرجعهم من بدرٍ ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره . طفيل بن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ ، من المهاجرين ، وهو أخو حصينٍ وعبيدة . طفيل بن مالك بن خنساء السّلميّ . طفيل بن النّعمان بن خنساء السّلميّ ، ابن عمّ الذي قبله . طُليب بن عمير بن وهب بن أبي[٥] كثير[٦] بن عبد بن[٧] قصيٍّ . ذكره الواقديّ[٨] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٣) .
(٢) انظر « المغازي » (١/ ١٥٣) .
(٣) لفظ « الأسرى » سقط من (آ) .
(٤) انظر « الاستيعاب » (٢/ ٧٤٩) و« أسد الغابة » (٣/ ٦٢) .
(٥) سقط من (ط) وانظر « الاستيعاب » (٢/ ٧٧٢) و« الإصابة » (٣/ ٥٤٠) .
(٦) في (آ) و(ط) : « كبير » والتصحيح من « الاستيعاب » و« الإصابة » .
(٧) سقط من : (ط) . وانظر « الاستيعاب » و« الإصابة » .
(٨) انظر « المغازي » (١/ ١٥٤) .

حرف الظّاء

ظُهير بن رافعٍ الأوسيّ . ذكره البخاريّ[١] .

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّ ، الذي حمته الدّبر[٢] حين قتل بالرّجيع . عاصم بن عديٍّ بن الجدّ بن عجلان ، ردّه عليه السلام من الرّوحاء ، وضرب له بسهمه وأجره . عاصم بن قيس بن ثابتٍ الخزرجيّ . عاقل بن البكير ، أخو إياسٍ وخالدٍ وعامرٍ . عامر بن أميّة بن زيد بن الحسحاس النجّاريّ . عامر بن الحارث الفهريّ . كذا ذكره سلمة ، عن ابن إسحاق ، وابن عائذٍ . وقال موسى بن عقبة وزيادٌ ، عن ابن إسحاق : عمرو بن الحارث[٣] . عامر بن ربيعة بن مالكٍ العنزي ، حليف بني عديٍّ ، من المهاجرين . عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلويّ القضاعيّ ، حليف بني مالك بن سالم بن غنمٍ .

قال ابن هشامٍ[٤] : ويقال : عمرو[٥] بن سلمة . عامر بن عبد الله بن الجرّاح [بن هلال بن أُهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهرٍ ، أبو عبيدة بن الجرّاح][٦] ، أحد العشرة ، من المهاجرين الأوّلين . عامر بن فهيرة مولى أبي بكرٍ . عامر بن مخلّدٍ النجّاريّ . عائذ بن ماعص بن قيسٍ الخزرجيّ . عبّاد بن بشر بن وقشٍ الأوسيّ . عبّاد بن قَيْس بن عامرٍ الخزرجيّ . عبّاد بن قَيْس بن عيشة الخزرجيّ ، أخو سبيعٍ المتقدّم . عبادة[٧] بن الخشخاش القضاعيّ . عبادة بن الصّامت الخزرجيّ . عبادة[٨] بن قيس بن كعب بن قيسٍ . عبد الله بن أميّة بن عرفطة . عبد الله بن ثعلبة بن خزمة ، أخو بحّاثٍ المتقدّم . عبد الله بن جحش بن رئابٍ[٩] الأسديّ . عبد الله بن جبير بن النّعمان الأوسيّ . عبد الله بن الجدّ بن قيسٍ السّلميّ . عبد الله بن حقّ بن أوس السّاعديّ . وقال موسى بن عقبة ، والواقديّ ، وابن عائذٍ : عبد ربٍّ

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠١٢) و(٤٠١٣) .
(٢) الدَّبْر : جماعة النحل والزنابير . انظر « القاموس المحيط » (دبر) .
(٣) انظر الاختلاف في اسمه في « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٣) .
(٥) في (ط) : « عمر » .
(٦) سقط من : (آ) وأثبته من (ط) . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ١٢٨) و« الإصابة » (٣/ ٥٨٦) .
(٧) في (ط) : « عبّاد » .
(٨) في (ط) : « عبّاد » .
(٩) في (آ) : « ريان » . وانظر « الاستيعاب » (٣/ ٨٧٧) و« أسد الغابة » (٣/ ١٩٤) و« الإصابة » (٤/ ٣٥) .

ابن حقٍّ . وقال ابن هشامٍ[١] : عبد ربّه بن حقٍّ . عبد الله بن الحميّر ، حليفٌ لبني حرامٍ ، وهو أخو خارجة بن الحميّر من أشجع . عبد الله بن الرّبيع بن قيسٍ الخزرجيّ . عبد الله بن رواحة الخزرجيّ . عبد الله بن زيد بن عبد ربّه بن ثعلبة[٢] الخزرجيّ ، الذي أري النّداء . عبد الله بن سرَاقة العدويّ . لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقديّ ولا ابن عائذٍ ، وذكره ابن إسحاق وغيره[٣] . عبد الله بن سلمة بن مالكٍ العجلانيّ[٤] ، حليف الأنصار . عبد الله بن سهل[٥] بن رافعٍ ، أخو بني زعورا . عبدُ الله بن سهيل بن عمروٍ ، خرج مع أبيه والمشركين ، ثم فرّ من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم . عبد الله بن طارق بن مالكٍ القضاعيّ ، حليف الأوس . عبد الله بن عامرٍ ، من بليٍّ ، ذكره ابن إسحاق[٦] . عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول الخزرجيّ ، وكان أبوه رأس المنافقين . عبد الله بن عبد الأسد بن هلالٍ بن عبد الله بن عمر[٧] بن مخزومٍ ، أبو سلمة ، زوج أمّ سلمة ، قتل يومئذٍ[٨] . عبد الله بن عبد مناف بن النّعمان السّلميّ . عبد الله بن عبسٍ . عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد[٩] بن تيم بن مرّة بن كعبٍ ، أبو بكرٍ الصّدّيق ، رضي الله عنه . عبد الله بن عرفطة بن عديٍّ الخزرجيّ . عبد الله بن عمرو[١٠] بن حرامٍ السّلميّ ، أبو جابرٍ . عبد الله بن عمير بن عديٍّ الخزرجيّ . عبد الله بن قيس بن خالدٍ النجّاريّ . عبد الله بن قيس بن صخر بن حرامٍ السّلميّ . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجّار ، جعله النبيّ ﷺ مع عديٍّ بن أبي الزّغباء على النّفل يوم بدرٍ . عبد الله بن مخرمة بن عبد العُزّى ، من المهاجرين الأوّلين . عبد الله بن مسعودٍ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٦) . وهو قول ابن إسحاق ، وإنما سكت عليه ابن هشام ولم يذكر قولاً آخر بعده .

(٢) كذا في (آ) و(ط) وفي « المغازي » للواقدي (١/ ١٦٦) و« سيرة ابن هشام » (١/ ٦٩٢) و« أسد الغابة » (٣/ ٢٤٧) : « عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه » . وفي « الإصابة » (٤/ ٩٧) : « عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد . . » ثم قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : كذا نسبه أبو عمر ـ انظر « الاستيعاب » (٣/ ٩١٢) ـ فزاد في نسبه ثعلبة ، والمعروف إسقاطه . انتهى من « الإصابة » ، وليس عند ابن عبد البر « ثعلبة » الأخير .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٤) و« الإصابة » (٤/ ١٠٥) حيث أشار الحافظ ابن حجر إلى أن ابن إسحاق والزبير وخليفة اتفقوا على شهوده بدراً . وقال عقب ذلك : واختلف على موسى بن عقبة في شهوده بدراً .

(٤) في (آ) و(ط) : « العجلان » والتصحيح من « الاستيعاب » (٣/ ٩٢٣) و« أسد الغابة » (٣/ ٢٦٦) .

(٥) في (آ) : « سهيل » وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٢٦٩) و« الإصابة » (٤/ ١٢٢) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٦) .

(٧) في (ط) : « عمرو » وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٢٩٤) و« الإصابة » (٤/ ١٥٢) .

(٨) والصواب أنه شهد أحداً ، وأن وفاته كانت في جمادى الآخرة سنة أربع بعد انتقاض جرح أصابه بأحد . وهو قول الجمهور ـ كما نقله الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٤/ ١٥٤) .

(٩) قوله : « ابن سعد » سقط من : (آ) . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٣٠٩) و« الإصابة » (٤/ ١٦٩) .

(١٠) في (ط) : « عمر » وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٣٤٦) و« الإصابة » (٤/ ١٨٩) .

الهذليّ ، حليف بني زهرة ، من المهاجرين الأوّلين . عبد الله بن مظعونٍ الجمحيّ ، من المهاجرين الأولين . عبد الله بن النّعمان بن بُلدُمة السّلميّ . عبد الله بن أُنَيْسَة[١] بن النّعمان السّلميّ . عبد الرحمن ابن جبر بن عمروٍ ، أبو عبسٍ[٢] الخزرجيّ . عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة ، أبو عقيلٍ القُضاعيُّ البلويّ . عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلابٍ الزّهريّ ، أحد العشرة ، رضي الله عنهم . عبس بن عامر بن عديٍّ السّلميّ ، عبيد بن التّيهان ، أخو أبي الهيثم بن التّيهان ، ويقال : « عتيكٌ » بدل « عبيدٍ » . عبيد[٣] بن ثعلبة من بني غنم بن مالكٍ . عبيد[٤] بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو بن عامرٍ . عبيد بن أبي عبيدٍ . عبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ ، أخو الحصين والطّفيل ، وكان أحد الثلاثةِ الذين بارزوا يوم بدرٍ ، فقطعت يده ، ثم مات بعد المعركة ، رضي الله عنه . عتبان بن مالك بن عمروٍ الخزرجيّ . عتبة بن ربيعة بن خالدٍ بن معاوية البهرانيّ ، حليف بني أميّة بن لوذان . عتبة بن عبد الله بن صخرٍ السّلميّ . عتبة بن غزوان بن جابرٍ ، من المهاجرين الأوّلين . عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد منافٍ الأمويّ ، أمير المؤمنين ، أحد الخُلَفاء الأربعة وأحد العشرة ، تخلّف على زوجته رقيّة بنت رسول الله ﷺ يمرّضها حتى ماتت ، فضرب له بسهمه وأَجره . عثمان بن مظعونٍ الجمحيّ أبو السّائب ، أخو عبد الله وقدامة ، من المهاجرين الأوّلين . عديّ بن أبي الزّغباء الجهنيّ ، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ وبسبس بن عمروٍ بين يديه عيناً . عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان . عصيمة ، حليفٌ لبني الحارث بن سوادٍ ، من أشجع ، وقيل : من بني أسد بن خزيمة . عطيّة بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجيّ . عقبة بن عامر بن نابي السّلميّ . عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجيّ ، أخو سعد بن عثمان . عقبة بن عمروٍ ، أبو مسعودٍ البدريّ . وقع في « صحيح البخاريّ »[٥] أنّه شهد بدراً ، وفيه نظرٌ عند كثيرٍ من أصحاب المغازي[٦] ؛ ولهذا لم يذكروه . عقبة بن وهب بن ربيعة الأسديّ ، أسد خزيمة حليفٌ لبني عبد شمسٍ ، وهو أخو شجاع بن وهبٍ ، من المهاجرين الأوّلين . عقبة بن وهب بن كَلدة ، حليف بني غطفان . عكّاشةبن محصنٍ الغنميّ ، من المهاجرين الأوّلين ، وممّن لا حساب عليه . عليّ بن أبي طالبٍ الهاشميّ ، أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذٍ ، رضي الله عنه . عمّار بن ياسرٍ العنسيّ المذحجيّ ، من المهاجرين الأولين . عمارة بنُ حزم بن زيدٍ النجّاريّ . عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الشيخين المقتدى بهما ، رضي الله عنهما . عمرو بنُ إياسٍ من أهل اليمن ، حليفٌ لبني

---

(١) كذا في (ط) : « ابن أنيسة » ، وهو الصواب وفي (آ) : « ابن هنسة » .
(٢) في (آ) : « عنس » . وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .
(٣) في (آ) : « عبيد الله » . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٥٣٥) و« الإصابة » (٤/ ٤٠٨) .
(٤) في (آ) : « عبيد الله » . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٥٣٩) و« الإصابة » (٤/ ٤١١) .
(٥) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠٠٧) .
(٦) انظر ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني حول هذا الموضوع في « فتح الباري » (٧/ ٣١٨ ـ ٣١٩) .

لوذان بن عمرو بن سالمٍ ، وقيل : هو أخو ربيعٍ وودقة . عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عديٍّ بن مالك بن عديٍّ بن عامرٍ ، أبو حكيمٍ . عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهرٍ الفهريّ . عمرو بن سراقة العدويّ ، من المهاجرين ، عمرو بن أبي سرحٍ الفهريّ ، من المهاجرين . وقال الواقديّ ، وابن عائذٍ : « معمرٌ » بدل « عمروٍ » . عمرو بن طلق بن زيد بن أميّة بن سنان بن كعب بن غنمٍ وهو في بني حرامٍ . عمرو بن الجموح بن حرامٍ الأنصاريّ . عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنمٍ . ذكره الواقديّ والأمويّ عمرو بن قيس بن مالك بن عديٍّ[1] [بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي][2] بن عامرٍ ، أبو خارجة . ولم يذكره موسى بن عقبة . عمرو بن عامر بن الحارث الفهريّ . ذكره موسى بن عقبة . عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسيّ . عمرو بن معاذٍ الأوسيّ ، أخو سعد بن معاذٍ . عمير بن الحارث بن ثعلبة ، ويقال : عمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السّلميّ . عمير بن حرام بن الجموح السّلميّ . ذكره ابن عائذٍ والواقديّ . عمير بن الحمام بن الجموح ، ابن عمّ الذي قبله ، قتل يومئذٍ شهيداً . عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازنٍ ، أبو داود المازنيّ . عمير بن عوفٍ ، مولى سهيل بن عمروٍ . وسمّاه الأمويّ وغيره عمرو بن عوفٍ . وكذا وقع في « الصحيحين »[3] في حديث[4] بعث أبي عبيدة إلى البحرين . عُمَيرُ بن مالك بن أهيبٍ الزّهريّ ، أخو سعد بن أبي وقّاصٍ ، قتل يومئذٍ شهيداً . عنترة مولى بني سليمٍ ، وقيل : إنّه منهم . فالله أعلم . عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النجّاريّ ، وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجّاريّة ، قتل يومئذٍ شهيداً . عويم بن ساعدة الأنصاريّ من بني أميّة بن زيدٍ . عياض بن غنمٍ الفهريّ ، من المهاجرين الأوّلين ، رضي الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غنّام بن أوسٍ الخزرجيّ . ذكره الواقديّ[5] ، وليس بمجمعٍ عليه .

---

(١) بعده في (آ) و(ط) : « بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي » والتصحيح في « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٤) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٤) وانفردت به (ط) .

(٣) انظر « صحيح البخاري » (٣١٥٨) و(٤٠١٥) و(٦٤٢٥) و« صحيح مسلم » (٢٩٦١) وقال الحافظ في « فتح الباري » (٦/ ٢٦٢) : وكأنه كان يقال فيه بالوجهين ، وقد فرق العسكري بين عمير بن عوف وعمرو بن عوف ، والصواب الوحدة .

(٤) لفظ « حديث » سقط من : (آ) .

(٥) انظر « المغازي » (١/ ١٧٢) .

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجيّ . فروة بن عمرو بن ودقة الخزرجيّ .

حرف القاف

قتادة بن النّعمان الأوسيّ . قدامة بن مظعونٍ الجمحيّ ، من المهاجرين ، أخو عثمان وعبد الله . قطبة بن عامر بن حديدة السّلميّ . قيس بن السّكن النّجّاريّ . قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيدٍ المازنيّ ، كان على الساقة يوم بدرٍ . قيس بن محصن بن خالدٍ الخزرجيّ . قيس بن مخلّد بن ثعلبة النّجّاريّ .

حرف الكاف

كعب بنُ حمارٍ ، وَيُقالُ : جمّازٍ[١] . ويقال : حمّان[٢] . وقال ابن هشامٍ[٣] : من غبشان ، ويقال : كعب بن مالك بن ثعلبة بن جمّازٍ . وقال الأمويّ : كعب بن ثعلبة بن حبالة بن غنمٍ الغسّانيّ ، من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة . كعب بن زيد بن قيسٍ النّجّاريّ . كعب بن عمروٍ ، أبو اليسر السّلميّ . كلفة بن ثعلبة ، أحد البكّائين . ذكره موسى بن عقبة . كنّاز بن حصين بن يربوعٍ ، أبو مرثدٍ الغنويّ ، من المهاجرين الأوّلين .

حرف الميم

مالك بن الدّخشم ، ويقال[٤] : ابن الدّخشن الخزرجيّ . مالك بن أبي خوليٍّ الجعفيّ ، حليف بني عديٍّ . مالك بن ربيعة ، أبو أسيدٍ الساعديّ . مالك بن قدامة الأوسيّ . مالك بن عمروٍ ، أخو ثقف بن عمروٍ ، وكلاهما مهاجريّ ، وهما من حلفاء بني تميم بن دودان بن أسدٍ . مالك بن مسعودٍ الخزرجيّ . مالك بن نميلة . وقال الواقديّ[٥] : مالك بن ثابت بن نميلة المزنيّ ، حليفٌ لبني عمرو بن عوفٍ . مبشّر ابن عبد المنذر بن زنبرٍ الأوسيّ ، أخو أبي لبابة ورفاعة ، قتل يومئذٍ شهيداً . المجذّر بن ذيادٍ[٦] البلويّ ، مهاجريٌّ . محرز بن عامرٍ النّجّاريّ . محرز بن نضلة الأسديّ ، حليف بني عبد شمسٍ ، مهاجريٌّ ،

---

(١) انظر « الاستيعاب » (٣/ ١٣١٢) و« أسد الغابة » (٤/ ٤٧٣) .
(٢) انظر « الإصابة » (٥/ ٥٩١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٦) .
(٤) انظر « الإصابة » (٥/ ٧٢١) .
(٥) انظر « المغازي » (١/ ١٦١) .
(٦) في (آ) و(ط) : « زياد » والتصحيح من « الاشتقاق » لابن دُريد ص(٥٥٠) .

محمد بن مسلمة ، حليف بني عبد الأشهل . مدلجٌ ، ويقال : مدلاج بن عمروٍ . أخو ثقف بن عمروٍ ، مهاجريٌّ . مرثد بن أبي مرثدٍ الغنويّ . مسطح بن أثاثة بن عبّاد بن المطّلب بن عبد منافٍ ، من المهاجرين الأوّلين ، وقيل : اسمه عوفٌ . مسعود بن أوسٍ الأنصاريّ النّجّاريّ . مسعود بن خلدة الخزرجيّ . مسعود بن ربيعة القاريّ ، حليف بني زهرة ، مهاجريٌّ . مسعود بن سعدٍ ـ ويقال : ابن عبد سعدٍ ـ ابن عامر بن عديٍّ بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث . مسعود بن سعد بن قيسٍ الخزرجيّ . مصعب بن عميرٍ العبدريّ ، مهاجريٌّ ، كان معه اللّواء يومئذٍ . معاذ بن جبلٍ الخزرجيّ . معاذ بن الحارث النّجّاريّ ، وهذا هو ابن عفراء ، أخو عوفٍ ومعوّذٍ . معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجيّ . معاذ بن ماعصٍ الخزرجيّ ، أخو عائذٍ . معبد بن عبّاد بن قشير بن الفدم(١) بن سالم(٢) بن غنمٍ ، ويقال : معبد بن عبادة بن قيسٍ . وقال الواقديّ(٣) : « قشعرٌ » بدل « قشيرٍ » . وقال ابن هشامٍ(٤) : قشغرٌ . أبو حميضة . معبد بن قيس بن صخرٍ السّلميّ ، أخو عبد الله بن قيسٍ . معتّب بن عبيد بن إياسٍ البلويّ القضاعيّ . معتّب بن عوفٍ الخزاعيّ ، حليف بني مخزومٍ ، من المهاجرين . معتّب بن قشيرٍ الأوسيّ . معقل بن المنذر السّلميّ . معمر بن الحارث الجمحيّ ، من المهاجرين . معن بن عديٍّ الأوسيّ . معوّذ بن الحارث النّجّاريّ ، وهو ابن عفراء ، أخو معاذٍ وعوفٍ . معوّذ بن عمرو بن الجموح السّلميّ ، لعله أخو معاذ بن عمروٍ . المقداد بن عمروٍ البهرانيّ ، وهو المقداد بن الأسود ، من المهاجرين الأوّلين ، وهو ذو المقال المحمود الذي تقدّم ذكره ، وكان أحد الفرسان يومئذٍ . مليل بن وبرة الخزرجيّ . المنذر بن عمروٍ بن خنيسٍ السّاعديّ . المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجيّ . المنذر بن محمد بن عقبة الأنصاريّ ، من بني جَحْجَبَى . مهجعٌ مولى عمر بن الخطاب ، أصله من اليمن ، وكان أول قتيلٍ من المسلمين يومئذٍ .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفرٍ وهو(٥) كعبٌ . نعمان بن عبد عمروٍ النّجّاريّ ، وهو أخو الضّحّاك . نعمان بن عمرو بن رفاعة النّجّاريّ . نعمان بن عصر [ابن الرّبيع](٦) بن الحارث ، حليفٌ

---

(١) في (آ) : « القذم » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) بعده في « أسد الغابة » (٥/ ٢٢٠) و« الإصابة » (٦/ ١٦٦) : « بن مالك بن سالم » .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ١٦٧) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٣) .

(٥) في (آ) و(ط) : « بن » والتصحيح من « الأنساب » للسمعاني (٤/ ١٠١) و« أسد الغابة » (٥/ ٣١٤) .

(٦) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) و(ط) واستدركته من « الاستيعاب » (٤/ ١٤٨٧) و« أسد الغابة » (٥/ ٣٣٦) و« الإصابة » (٦/ ٤٤٨) .

لبني الأوس . نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجيّ ، ويقال له : قوقلٌ . نعمان بن يسارٍ[١] ، مولىً لبني نعمان بن سنان بن[٢] عبيدٍ ، ويقال : نعمان بن سنانٍ . نوفل بن عبد الله بن نضلة الخزرجيّ .

حرف الهاء

هانئ بن نيارٍ ، أبو بردة البلويّ ، خال البراء بن عازبٍ . هلال بن أميّة الواقفيّ ، وقع ذكره في أهل بدرٍ في « الصحيحين »[٣] ، في قصة كعب بن مالكٍ ، ولم يذكره أحدٌ من أصحاب المغازي . هلال بن المعلّى الخزرجيّ ، أخو رافع بن المعلّى .

حرف الواو

واقد بن عبد الله التّميميّ ، حليف بني عديٍّ ، من المهاجرين . وديعة بن عمرو بن جرادٍ الجهنيّ . ذكره الواقديّ[٤] وابن عائذٍ . ودقة[٥] بن إياس بن عمروٍ الخزرجيّ ، أخو ربيع بن إياسٍ . وهب بن سعد بن أبي سرحٍ ، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذٍ والواقديّ ، في بني عامر بن لؤيٍّ[٦] ، ولم يذكره ابن إسحاق .

حرف الياء

يزيد بن الأخنس بن جناب[٧] بن حبيب بن جرّة السّلميّ ، قال السّهيليّ[٨] : شهد هو وأبوه وابنه ـ يعني بدراً ـ ولا يعرف لهم نظيرٌ في الصحابة ، ولم يذكرهم ابن إسحاق ولا الأكثرون ، لكن شهدوا معه بيعة الرِّضوان . يزيد بن الحارث بن قيسٍ الخزرجيّ ، وهو الذي يقال له : ابن فُسحم . وهي أمّه ، قتل يومئذٍ شهيداً ببدرٍ . يزيد بن عامر بن حديدة ، أبو المنذر السّلميّ . يزيد بن المنذر بن[٩] سرحٍ السّلميّ ، وهو أخو معقل بن المنذر .

---

(١) ليس له ترجمة بهذا الاسم في « الاستيعاب » و« أسد الغابة » و« الإصابة » .
(٢) لفظ « ابن » سقط من (ط) .
(٣) انظر « صحيح البخاري » (٤٤١٨) و« صحيح مسلم » (٢٧٦٩) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٦٢) .
(٥) في (ط) : « ورقة » . قال الحافظ في « الإصابة » (٦/ ٦٠٢) : اختلف في ضبطه ؛ فقيل بالفاء ، وقيل بالقاف ، والأكثر على أنه بالدال .
(٦) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد » (٣/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) و« المغازي » للواقدي » (١/ ١٥٦) .
(٧) في (آ) : « حبان » ولا يوجد هذا الاسم في نسب يزيد بن الأخنس في « أسد الغابة » (٥/ ٤٧٤) .
(٨) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٣٠٠) .
(٩) لفظ « ابن » سقط من : (آ) .

باب الكنى

أبو أُسيدٍ مالك بن ربيعة ، تقدّم . أبو الأعور بن الحارث بن ظالمٍ النّجّاريّ ، وقال ابن هشامٍ[1] : أبو الأعور الحارث بن ظالمٍ . وقال الواقديّ[2] : أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالمٍ . أبو بكرٍ الصدِّيق عبد الله بن عثمان ، تقدّم . أبو حبّة بن عمرو بن ثابتٍ ، أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوفٍ الأنصاريّ . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، من المهاجرين ، وقيل : اسمه مهشّمٌ . أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة ابن عفراء . أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجّاريّ . أبو سبرة بن[3] أبي رهم بن عبد العزّى ، من المهاجرين . أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو عكّاشة ، ومعه ابنه سنانٌ ، من المهاجرين . أبو الضّيّاح[4] النّعمان ـ وقيل : عمير ـ ابن ثابت بن النّعمان بن أميّة بن امرئ القيس بن ثعلبة ، رجع من الطريق ، وقتل يوم خيبر ، رجع لجرحٍ أصابه من حجرٍ فضرب له بسهمه . أبو عرفجة ، من حلفاء بني جحجبى . أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ . أبو لبابة بشير بن عبد المنذر ، تقدّم . أبو مرثدٍ الغنويّ كنّاز بن حصينٍ ، تقدّم . أبو مسعودٍ البدريّ عقبة بن عمرٍو ، تقدّم . أبو مليل بن الأزعر بن زيدٍ الأوسيّ .

فصل

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلاثمئةٍ وأربعة عشر رجلاً[5] ، منهم رسول الله ﷺ ، كما قال البخاريّ[6] : ثنا عمرو بن خالدٍ ، ثنا زهيرٌ ، ثنا أبو إسحاق ، سمعت البراء بن عازبٍ يقول : حدّثني أصحاب محمدٍ ﷺ ، ورضي عنهم ، ممّن شهد بدراً ، أنّهم كانوا عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ؛ بضعة عشر وثلاثمئةٍ . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلّا مؤمنٌ .

ثمّ رواه البخاريّ من طريق إسرائيل وسفيان الثّوريّ ، عن أبي إسحاق ، عن البراء نحوه[7] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٥) .

(٢) انظر « المغازي » (١/ ١٦٤) .

(٣) في (آ) و(ط) : « مولى » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٥) و« الاستيعاب » (٤/ ١٦٦٦) و« أسد الغابة » (٦/ ١٣٤) .

(٤) في (ط) : « الصياح » وبعده في (آ) و(ط) : « بن » .

(٥) وقال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ١٨٨) بعد أن ذكر ما تقدم مما قاله المؤلف : « من المهاجرين ستة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون ، ومن الخزرج مئة وسبعون ، وإنما قَلَّ عدد الأوس عن الخزرج ، وإن كان أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء ، لأن منازلهم كانت في حوالي المدينة ، وجاء النّفير بغتة » .

(٦) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٧) .

(٧) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٨) و(٣٩٥٩) .

قال ابن جريرٍ[(١)] : وهذا قول عامّة السّلف ؛ أنّهم كانوا ثلاثمائةٍ وبضعة عشر رجلاً .

وقال البخاريّ[(٢)] أيضاً : ثنا محمودٌ ، ثنا وهبٌ ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : استصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ ، وكان المهاجرون يوم بدرٍ نيّفاً على ستين ، والأنصار نيّفاً وأربعين ومئتين . هكذا وقع في هذه الرواية .

وقال ابن جريرٍ[(٣)] : ثنا محمد بن عبيدٍ المحاربيّ ، ثنا أبو مالكٍ الجنبيّ ، عن الحجّاج ـ وهو ابن أرطاة ـ عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباسٍ ، قال : كان المهاجرون يوم بدرٍ سبعين رجلاً ، وكان الأنصار مئتين وستةً وثلاثين رجلاً ، وكان حامل راية النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالبٍ ، وحامل راية الأنصار سعد بن عبادة . وهذا يقتضي أنّهم كانوا ثلاثمئةٍ وستة رجالٍ .

قال ابن جريرٍ[(٤)] : وقيل : كانوا ثلاثمئةٍ وسبعة رجالٍ .

قلت : وقد يكون هذا عدّ معهم النبيّ ﷺ ، والأوّل عدّهم بدونه ، فالله أعلم .

وقد تقدّم[(٥)] عن ابن إسحاق أنّ المهاجرين كانوا ثلاثةً وثمانين رجلاً ، وأنّ الأوس أحدٌ وستون رجلاً ، والخزرج مئةٌ وسبعون رجلاً ؛ وسردهم . وهذا مخالفٌ لما ذكره البخاريّ ، ولما روي عن ابن عباسٍ ، فالله أعلم .

وفي « الصحيح »[(٦)] عن أنسٍ ، أنّه قيل له : شهدت بدراً ؟ فقال : وأين أغيب ؟

وفي « سنن أبي داود » عن سعيد بن منصورٍ ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان طلحة بن نافعٍ ، عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرامٍ أنّه قال : كنت أميح أصحابي الماء يوم بدرٍ ، وهذان لم يذكرهما البخاريّ ولا الضّياء ، فالله أعلم .

قلت : وفي الذين عدّهم ابن إسحاق في أهل بدرٍ من ضرب له بسهمٍ في مغنمها مع أنّه[(٧)] لم يحضرها ، تخلّف عنها لعذرٍ أذن له في التّخلّف بسببه ، وكانوا ثمانيةً أو تسعةً ، وهم ؛ عثمان بن عفان ، تخلّف على رقيّة بنت رسول الله ﷺ يمرّضها حتى ماتت ، فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٢) .
(٢) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٦) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣١) وفي (ط) : « حدثني » .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٢) .
(٥) تقدم في الصفحة التي قبلها (١٢٠) .
(٦) ذكره الحافظ في « الفتح » (٧/ ٢٩٢) وعزاه للإمام أحمد ، وذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٣/ ٣٩٧) وعزاه لابن سعد في « طبقاته » .
(٧) في (ط) : « وأنه » .

زيد بن عمرو بن نفيلٍ ، كان بالشام ، فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله ، كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره ، وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر ، ردّه رسول الله ﷺ من الرّوحاء حين بلغه خروج النّفير من مكة ، فاستعمله على المدينة ، وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أميّة ، ردّه رسول الله ﷺ أيضاً من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصّمّة ، كسر بالرّوحاء فرجع ، فضرب له بسهمه ـ زاد الواقديّ[١] : وأجره ـ وخوّات بن جبيرٍ ، لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الضّيّاح بن ثابتٍ ، خرج مع رسول الله ﷺ ، فأصاب ساقه[٢] فصيل حجرٍ[٣] ، فرجع ، وضرب له بسهمه وأجره . قال الواقديّ[٤] : وسعد بن[٥] مالكٍ ، تجهّز ليخرج فمات . وقيل : إنّه مات بالرّوحاء . فضرب له بسهمه وأجره .

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذٍ أربعة عشر رجلًا ، من المهاجرين ستةٌ وهم ؛ عبيدة بن الحارث بن المطلب ، قطعت رجله فمات بالصّفراء[٦] ، رحمه الله ، وعمير بن أبي وقّاصٍ ، أخو سعد بن أبي وقّاصٍ الزّهريّ ، قتله العاص بن سعيدٍ[٧] ، وهو ابن ستّ عشرة سنةً ، ويقال[٨] : إنّه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره فبكى ، فأذن له في الذّهاب ، فقتل ، رضي الله عنه . وحليفهم ذو الشّمالين بن عبد عمروٍ الخزاعيّ ، وصفوان بن بيضاء ، وعاقل بن البكير الليثيّ ، حليف بني عديٍّ ، ومهجعٌ مولى عمر بن الخطاب ، وكان أول قتيلٍ قتل من المسلمين يومئذٍ . ومن الأنصار ثمانيةٌ وهم ؛ حارثة بن سراقة ، رماه حبّان بن العرقة بسهمٍ ، فأصاب حنجرته ، فمات ، ومعوّذٌ وعوفٌ ابنا عفراء ، ويزيد بن الحارث ـ ويقال : ابن فُسحمٍ ـ وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلّى بن لوذان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشّر بن عبد المنذر ، رضي الله عن جميعهم .

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدّم . قال ابن إسحاق : وكان معهم فَرسان ؛ على أحدهما

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ١٦٣) .
(٢) في (آ) : « رأسه » .
(٣) الفصيل من الحجر : القطعة منه . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٤٥١) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٦٨) .
(٥) في (آ) و(ط) : « أبو » .
(٦) الصفراء : وادٍ قرب المدينة ، كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج ، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة ، وبينه وبين بدر مرحلة . انظر « معجم البلدان » (٣/ ٣٩٩) و« المغانم المطابة » ص (٢١٩) .
(٧) كذا في (آ) و(ط) . والذي في « المغازي » (١/ ١٤٥) : « عمرو بن عبد » . وفي « الاستيعاب » (٣/ ١٢٢١) و« طبقات ابن سعد » (٣/ ١٤٩ ، ١٥٠) و« أسد الغابة » (٤/ ٢٩٩) و« الإصابة » (٤/ ٧٢٥) : « عمرو بن عبد ود » . ولعل المصنف تابع السهيلي في « الروض الأنف » (٥/ ٢٩٧) حيث عزاه إلى الواقدي . والذي في « طبقات ابن سعد » عن الواقدي : « عمرو بن عبد ود » كما سبق .
(٨) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠) .

المقداد بن الأسود ، واسمها بعزجة ـ ويقال : سبحة ـ وعلى الأخرى الزّبير بن العوّام ، واسمها اليعسوب . وكان معهم لواءٌ يحمله مصعب بن عميرٍ ، ورايتان ؛ يحمل إحداهما للمهاجرين عليّ بن أبي طالبٍ ، والتي للأنصار يحملها سعد بن عبادة ، وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الأنصار سعد بن معاذٍ .

وأمّا جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم : إنّهم كانوا ما بين التّسعمئة إلى الألف ؛ وقد نصّ عروة وقتادة أنّهم كانوا تسعمئةٍ وخمسين رجلاً . وقال الواقديّ[١] : كانوا تسعمئةٍ وثلاثين رجلاً . وهذا التحديد يحتاج إلى دليلٍ ، وقد تقدّم في بعض الأحاديث أنّهم كانوا أزيد من ألفٍ ، فلعلّه عدد أتباعهم معهم . والله أعلم .

وقد تقدّم في الحديث الصحيح عند البخاريّ[٢] ، عن البراء أنّه قتل منهم سبعون ، وأسر سبعون . وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالكٍ في قصيدةٍ له : [من الكامل]

فأقام بالعَطَن المعطّن منهمُ سبعون عتبةُ منهمُ والأسود

وقد حكى الواقديّ[٣] الإجماع على ذلك ، وفيما قاله نظرٌ ؛ فإنّ موسى بن عقبة وعروة بن الزّبير قالا خلاف ذلك ، وهما من أئمة هذا الشأن ، فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما ، وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح ، والله أعلم .

وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابن إسحاق وغيره[٤] ، وحرّر ذلك الحافظ الضّياء في « أحكامه » جيّداً ، وقد تقدّم في غضون سياقات القصة ذكر أوّل من قتل منهم ، وهو الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ ، وأول من فرّ وهو خالد بن الأعلَم الخزاعيّ ـ أو العقيليّ ـ حليف بني مخزومٍ ، وما أفاده ذلك ؛ فإنه أسر ، وهو القائل في شعره : [من الطويل]

ولسنا على الأعقاب تدمى كُلُومُنَا ولكن على أقدامنا يقطر الدَّم

فما صدق في ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيطٍ ، والنّضر بن الحارث ، قتلا صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الأسارى ، وقد اختلف في أيّهما قتل أولاً على قولين ، وأنّه ، عليه الصلاة والسلام ، أطلق جماعةً من الأسارى مجّاناً بلا فداءٍ ، منهم ؛ أبو العاص بن الربيع الأمويّ ، والمطّلب بن حنطب بن الحارث المخزوميّ ، وصيفيّ بن أبي رفاعة كما تقدّم ، وأبو عزّة الشاعر ، ووهب بن عميرٍ بن

(١) الذي في « المغازي » (١/ ٣٩) : « خرجوا بتسعمئة وخمسين » .
(٢) رواه البخاري (٣٩٨٦) .
(٣) ذكر الواقدي في « المغازي » الذي بين أيدينا (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤) أقوالاً مختلفة في عدد قتلى وأسرى المشركين ، ولم يذكر فيها إجماعاً ولا اتفاقاً .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٨ ـ ٧١٥) و(٢/ ٣ ـ ٨) .

وهبٍ الجمحيّ ، كما تقدّم ، وفادى بقيّتهم ، حتى عمّه العباس أخذ منه أكثر ممّا أخذ من سائر الأسرى ؛ لئلّا يحابيه لكونه عمّه ، مع أنّه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه ، فأبى عليهم ذلك وقال : لا تتركوا منه درهماً ، وقد كان فداؤه متفاوتاً ، فأقلّ ما أخذ أربعمئةٍ ، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقيّةً من ذهبٍ . قاله موسى بن عقبة . وأخذ من العباس مئة أوقيّةٍ من ذهبٍ ، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه ، كما قال الإمام أحمد[1] : ثنا عليّ بن عاصمٍ قال : قال داود : ثنا عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : كان ناس من الأسرى يوم بدرٍ لم يكن لهم فداءٌ ، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة . قال : فجاء غلامٌ يوماً يبكي إلى أبيه ، فقال[2] : ما شأنك ؟ فقال : ضربني معلّمي . فقال : الخبيث يطلب بذحل بدرٍ[3] ، والله لا تأتيه أبداً . انفرد به أحمد ، وهو على شرط السّنن ، وتقدّم بسط ذلك كلّه ، ولله الحمد والمِنَّةُ .

فصل
في فضل من شهد بدراً من المسلمين

قال البخاريّ[4] في هذا الباب : ثنا عبد الله بن محمدٍ ، ثنا معاوية بن عمروٍ ، ثنا أبو إسحاق ، عن حميدٍ ، سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدرٍ ، فجاءت أمّه إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى فترى[5] ما أصنع . فقال : « ويحك ، أو هبلت ، أوَ جنّةٌ واحدةٌ هي ؟ إنّها جنانٌ كثيرةٌ ، وإنّه في جنّة الفردوس » . تفرّد به البخاريّ من هذا الوجه .

وقد روي من غير هذا الوجه من حديث ثابتٍ وقتادة ، عن أنسٍ ، وأنّ حارثة كان في النّظّارة ، وفيه : « إنّ ابنكِ أصاب الفردوس الأعلى » . وفي هذا تنبيهٌ عظيمٌ على فضل أهل بدرٍ ؛ فإنّ هذا الذي لم يكن في بحبحة[6] القتال ولا في حومة الوغى ، بل كان من النّظّارة من بعيدٍ ، وإنّما أصابه سهمٌ غربٌ ، وهو يشرب من الحوض ، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس ، التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ، ومنه تفجّر أنهار الجنة ، التي أمر الشارع أمّته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها ، فإذا كان هذا حال هذا ، فما ظنّك بمن كان واقفاً في نحر العدوّ ، وعدوّهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٧) ، وهو حديث حسن .
(٢) في (آ) : « أمه فقالت » .
(٣) في (آ) : « بدخل بدر » وفي (ط) : « يدخل بدرا » والتصحيح من « المسند » والذحل : الثأر . انظر « لسان العرب » (ذحل) .
(٤) رواه « البخاري » (٣٩٨٢) و(٦٥٥٠) .
(٥) في (آ) و(ط) : « فترى » وفي « صحيح البخاري » : « ترى » .
(٦) في (ط) : « بحيحة » .

ثم روى البخاريّ ومسلمٌ جميعاً[١] ، عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الله بن إدريس ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السّلميّ ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ ، قصّة حاطب بن أبي بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأنّ عمر استأذن رسول الله ﷺ في ضرب عنقه ؛ فإنّه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : « قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ولفظ البخاريّ : « أليس من أهل بدرٍ ؟! ولعلّ الله اطّلع على أهل بدرٍ ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة » أو : « قد غفرت لكم » . فدمعت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم .

وروى مسلمٌ[٢] ، عن قتيبة ، عن الليث ، عن أبي الزّبير ، عن جابرٍ ، أنَّ عبداً لحاطبٍ جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً ، فقال : يارسول الله ، ليدخلنّ حاطبٌ النار . فقال رسول الله ﷺ : « كذبت ، لا يدخلها ؛ فإنّه شهد بدراً والحديبية » .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا سليمان بن داود ، ثنا أبو بكر بن عيّاشٍ ، حدّثني الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابرٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يدخل النّار رجلٌ شهد بدراً أو الحُديبية » . تفرّد به أحمد ، وهو على شرط مسلمٍ .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا يزيد ، أنبأنا حمّاد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النّجود ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « إنّ الله اطّلع على أهل بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ورواه أبو داود[٥] ، عن أحمد بن سنانٍ ، وموسى بن إسماعيل ، كلاهما عن يزيد بن هارون به .

وروى البزّار في « مسنده »[٦] ثنا محمد بن مرزوقٍ ، ثنا أبو حذيفة ، ثنا عكرمة ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّي لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله » . ثم قال : لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلّا من هذا الوجه . قلت : وقد تفرّد البزّار بهذا الحديث ، ولم يخرجوه ، وهو على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقال البخاريّ[٧] في باب شهود الملائكة بدراً : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا جريرٌ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن معاذ بن رفاعة بن رافعٍ الزّرقيّ ، عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدرٍ ـ قال : جاء جبريل إلى

---

(١) رواه « البخاري » (٣٩٨٣) و« مسلم » (٢٤٩٤) .
(٢) رواه « مسلم » (٢٤٩٥) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٥) رواه أبو داود (٤٦٥٤) ، وهو حديث صحيح .
(٦) هو في « كشف الأستار » (٢٧٦١) وقال في « المجمع » (٩/ ١٦١) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .
(٧) رواه « البخاري » (٣٩٩٢) .

النبيّ ﷺ ، فقال : ما تعدّون أهل بدرٍ فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » ـ أو كلمةً نحوها ـ قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . انفرد به البخاريّ .

فصل

في قدوم زينب بنت الرسول ﷺ ، مهاجرةً[١] من مكة إلى المدينة (بعد وقعة بدرٍ بشهرٍ ، بمقتضى ما كان شرط زوجها أبو العاص للنبيّ ﷺ ، كما تقدّم)[٢]

قال ابن إسحاق[٣] : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلّي سبيله ـ يعني كما تقدّم ـ بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : « كونا ببطن يأجج[٤] حتى تمرّ بكما زينب ، فتصحباها فتأتياني بها » . فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بدرٍ بشهرٍ ـ أو شيعه ـ فلمّا قدم أبو العاص مكة أمرها باللّحوق بأبيها ، فخرجت تجهّز .

قال ابن إسحاق[٥] : فحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، قال : حدّثت عن زينب أنّها قالت : بينا أنا أتجهّز لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : يابنة محمدٍ ، ألم يبلغني أنّك تريدين اللّحوق بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردت ذلك . فقالت : أي ابنة عمّ ، لا تفعلي ، إن كانت لك حاجةٌ بمتاعٍ مما يرفق بك في سفرك أو بمالٍ تتبلّغين به إلى أبيك ، فإنّ عندي حاجتك فلا تضطني[٦] منّي ؛ فإنّه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولكنّي خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

قال ابن إسحاق[٧] : فتجهّزت ، فلمّا فرغتْ من جهازها قدّم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها ، وهي في هودجٍ لها ، وتحدّث بذلك رجالٌ من[٨] قريشٍ ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى ، والفهريّ[٩] ، فروّعها هبّارٌ بالرّمح ، وهي في الهودج ، وكانت حاملاً ـ

---

(١) لفظ « مهاجرة » سقط من : (ط) .
(٢) ما بين القوسين لم يرد في (ط) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٣) .
(٤) يأجج : موضع بمكة .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٥٣ ـ ٦٥٤) .
(٦) في (ط) : « تضطبني » ومعنى : « لا تضطني » أي لا تنقبضي مني » .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥) .
(٨) لفظ « من » لم يرد في (آ) وأثبته من (ط) .
(٩) في (آ) و(ط) : « ابن عبد العُزى الفهري » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام .

فيما يزعمون ـ فطرحت [ذا بطنها][١] ، وبرك حموها كنانة ، ونثر كنانته ، ثم قال : والله لا يدنو منّي رجلٌ إلّا وضعت فيه سهماً . فتكركر الناس عنه[٢] .

وأتى أبو سفيان في جلّةٍ من قريشٍ ، فقال : أيّها الرجل ، كفّ عنّا نبلك حتى نكلّمك . فكفّ ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنّك لم تصب ؛ خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانيةً ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمدٍ ، فيظنّ الناس إذ خرجتَ بابنته إليه علانيةً على رؤوس الناس من بين أظهرنا ، أنّ ذلك عن ذلٍّ أصابنا ، وأنّ ذلك منّا ضعفٌ ووهنٌ ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجةٍ ، وما لنا من ثؤرةٍ[٣] ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات وتحدّث الناس أن قد رددناها ، فسلّها سرّاً وألحقها بأبيها . قال : ففعل . وقد ذكر ابن إسحاق[٤] أنّ أولئك النّفر الذين ردّوا زينب لمّا رجعوا إلى مكة قالت هند تذمّهم على ذلك : [من الطويل]

أفـي السّلـم أعيـارٌ جفـاءً وغلظـةً   وفي الحرب أشباه النّساء العَوَارِكِ[٥]

وقد قيل : إنّها قالت ذلك للذين رجعوا من بدرٍ ، بعد ما قتل منهم الذين قتلوا .

قال ابن إسحاق[٦] : فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها ليلاً على رسول الله ﷺ .

وقد روى البيهقيّ في « الدلائل »[٧] من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزّبير ، عن عروة ، عن عائشة ، فذكر قصّة خروجها وردّهم لها ووضعها ما في بطنها ، وأنّ رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه ؛ لتجيء معه ، فتلطّف زيدٌ ، فأعطاه راعياً من مكة ، فأعطى الخاتم لزينب ، فلمّا رأته عرفته ، فقالت : من دفع إليك هذا ؟ قال : رجلٌ في ظاهر مكة . فخرجت زينب ليلاً ، فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة . قال : فكان رسول الله ﷺ يقول : « هي أفضل بناتي أصيبت فيّ » . قال : فبلغ ذلك عليّ بن الحسين بن زين العابدين ، فأتى عروة فقال : ما حديثٌ بلغني أنك تحدّثه[٨] ؟ فقال عروة : والله ما أحبّ أنّ لي ما بين المشرق والمغرب وأنّي أنتقص فاطمة حقّاً هو لها ، وأمّا بعد فلك[٩] أن لا أُحَدِّث به أبداً .

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » .
(٢) أي : رجعوا . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ١٦٦) .
(٣) أي : طلب ثأر .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٦) .
(٥) العوارك : الحُيَّض من النساء .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٦) .
(٧) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧) .
(٨) في (آ) : « بحدثته » وفي (ط) : « تحدثته » والتصحيح من « دلائل النبوة » .
(٩) في (آ) و(ط) : « وأما بعد ذلك » والتصحيح من « دلائل النبوة » .

قال ابن إسحاق[١] : فقال في ذلك عبد الله بن رواحة[١] ، أو أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوفٍ ـ قال ابن هشام : هي لأبي خيثمة ـ : [من الطويل]

أتاني الذي لا يقدر النَّاس قدره لزينب فيهم من عقوقٍ ومأثمِ
وإخراجها لم يخز فيها محمدٌ على مأقطٍ وبيننا عطر منشمِ
وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضمٍ ومن حربنا في رغم أنفٍ ومندمِ
قرنَّا ابنه عمراً ومولى يمينه بذي حلَقٍ جلد الصّلاصل محكمِ
فأقسمت لا تنفكّ منّا كتائبٌ سراةُ خميسٍ من لُهامٍ مسوّمِ
نروع قريش الكفر حتى نعلّها بخاطمةٍ فوق الأنوف بميسمِ
ننزّلهم أكناف نجدٍ ونخلةٍ وإن يُتهموا بالخيل والرّجل نتهمِ
يد الدهر حتى لا يعوّج سربنا ونلحقهم آثار عادٍ وجرهمِ
ويندم قومٌ لم يطيعوا محمداً على أمرهم وأيّ حينِ تندّمِ
فأبلغ أبا سفيان إمّا لقيتَه لئن أنت لم تخلص سجوداً وتسلمِ
فأبشر بخزيٍ في الحياة معجّلٍ وسربال قار خالداً في جهنّمِ

قال ابن إسحاق[٢] : ومولى يمين أبي سفيان الذي عناه الشاعر ، هو عامر بن الحضرميّ .
وقال ابن هشامٍ : إنّما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرميّ ، فأمّا عامر بن الحضرميّ ، فإنّه قتل يوم بدرٍ .

قال ابن إسحاق[٣] : وقد حدّثني يزيد بن أبي حبيبٍ ، عن بكير بن عبد الله بن الأشجّ ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن أبي إسحاق الدّوسيّ ، عن أبي هريرة قال : بعث النبيّ ﷺ سريّةً أنا فيها ، فقال : « إن ظفرتم بهبّار بن الأسود ، والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرّقوهما بالنّار » . فلما كان الغد بعث إلينا ، فقال : « إنّي قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما[٤] ، ثم رأيت أنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يحرق بالنار إلّا الله ، عزّ وجلّ ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما » . تفرّد به ابن إسحاق ، وهو على شرط السّنن[٥] ولم يخرجوه .

وقال البخاريّ[٦]: ثنا قتيبة، ثنا اللّيث ، عن بكيرٍ ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن أبي هريرة ، رضي الله

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٥ ـ ٦٥٦) والأبيات في « ديوانه » ص(١٣٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٧) .
(٤) في (آ) و(ط) : « أخذتموها » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٥) في (آ) : « الشيخين » . وهو خطأ من الناسخ ، يقول المؤلف بعده : « ولم يخرّجوه » ويقصدُ أصحاب السنن .
(٦) رواه « البخاري » (٣٠١٦) .

عنه ، أنّه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في بعثٍ ، فقال : « إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار » . ثم قال حين أردنا الخروج : « إنّي أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً ، وإنّ النار لا يعذّب بها إلّا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما » .

وقد ذكر ابن إسحاق[١] أنّ أبا العاص أقام بمكة على كفره ، واستمرّت زينب عند أبيها بالمدينة ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارةٍ لقريشٍ ، فلمّا قفل من الشام لقيته سريّةٌ ، فأخذوا ما معه ، وأعجزهم هرباً ، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته ، فلمّا خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح ، وكبّر ، وكبّر الناس ؛ صرخت من صُفّة النساء : أيها الناس ، إنّي قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلّم رسول الله ﷺ ، أقبل على الناس ، فقال : « أيّها الناس ، هل سمعتم الذي سمعت ؟ » . قالوا : نعم . قال : « أما والذي نفس محمدٍ بيده ما علمت بشيءٍ [من ذلك][٢] حتى سمعت ما سمعتم ، وإنّه يجير على المسلمين أدناهم » . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، فدخل على ابنته زينب فقال : « أي بنيّة ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصنّ إليك ؛ فإنّك لا تحلّين له » . قال : وبعث رسول الله ﷺ ، فحثّهم على ردّ ما كان معه ، فردّوه بأسره لا يفقد منه شيئاً ، فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكّة ، فأعطى كلّ إنسانٍ ما كان له ، ثم قال : يا معشر قريشٍ ، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مالٌ لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفيّاً كريماً . قال : فإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلّا تخوّف أن تظنّوا أنّي إنّما أردت أن آكل أموالكم ، فلمّا أدّاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[٣] : فحدّثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، قال : ردّ عليه رسول الله ﷺ ، زينب على النكاح الأوّل ، ولم يحدث شيئاً . وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد[٤] ، وأبو داود ، والترمذيّ ، وابن ماجه من حديث محمد بن إسحاق[٥] ، وقال الترمذيّ : ليس بإسناده بأسٌ ، ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ، ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين .

وقال السّهيليّ[٦] : لم يقل به أحدٌ من الفقهاء ، فيما علمت .

وفي لفظٍ : ردّها عليه رسول الله ﷺ ، بعد ستّ سنين .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٧ ـ ٦٥٨) .
(٢) تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٨ ـ ٦٥٩) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢١٧) وهو حديث حسن بشواهده .
(٥) رواه أبو داود (٢٢٤٠) والترمذي (١١٤٣) وابن ماجه (٢٠٠٩) وهو حديث حسن بشواهده .
(٦) انظر مسند أحمد (٣/ ٣٦٩) .

وفي روايةٍ : بعد سنتين بالنّكاح الأوّل . رواه ابن جريرٍ[١] ،

وفي روايةٍ : لم يحدث نكاحاً[٢] .

وهذا الحديث قد أشكل على كثيرٍ من العلماء ؛ فإنّ القاعدة عندهم أنّ المرأة إذا أسلمت وزوجها كافرٌ ، فإن كان قبل الدخول تعجّلت الفرقة ، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدّة ، فإن أسلم فيها استمرّ على نكاحها ، وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها ، وزينب ، رضي الله عنها ، أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ ، وهاجرت بعد بدرٍ بشهرٍ ، وحرّم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ستٍّ ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمانٍ ، فمن قال : ردّها عليه بعد ستّ سنين . أي من حين هجرتها ، فهو صحيحٌ ، ومن قال : بعد سنتين . أي : من حين حرّمت المسلمات على المشركين ، صحيحٌ أيضاً ، وعلى كلّ تقديرٍ ، فالظاهر انقضاء عدّتها في هذه المدة التي أقلّها سنتان من حين التحريم أو قريبٌ منها ، فكيف ردّها عليه بالنّكَاح الأوّل ؟ فقال قائلون : يحتمل أنّ عدّتها لم تنقض ، وهذه قصة عين يتطرّق إليها الاحتمال . وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأوّل الذي رواه أحمد والترمذيّ ، وابن ماجه[٣] من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدّه أنّ رسول الله ﷺ ردّ بنته على أبي العاص بن الربيع بمهرٍ جديدٍ ونكاحٍ جديدٍ .

قال الإمام أحمد : هذا حديثٌ ضعيفٌ واهٍ ، ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيبٍ ، إنّما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزميّ ، والعرزميّ لا يساوي حديثه شيئاً ، والحديث الصحيح الذي روي أنّ النّبيّ ﷺ أقرّهما على النكاح الأوّل .

وهكذا قال الدارقطنيّ[٤] : لا يثبت هذا الحديث ، والصواب حديث ابن عباسٍ أنّ رسول الله ﷺ ردّها بالنكاح الأوّل .

وقال الترمذيّ[٥] : هذا حديثٌ في إسناده مقالٌ ، والعمل عليه عند أهل العلم أنّ المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنّه أحقّ بها ما كانت في العدّة ، وهو قول مالكٍ ، والأوزاعيّ ، والشافعيّ ، وأحمد ، وإسحاق .

وقال آخرون : بل الظاهر انقضاء عدّتها ، ومن روى أنّه جدّد لها نكاحاً فضعيفٌ ، ففي قضية زينب ، والحالة هذه ، دليلٌ على أنّ المرأة إذا أسلمت وتأخّر إسلام زوجها حتى انقضت عدّتها فنكاحها لا ينفسخ

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٧٢) .
(٢) رواه الترمذي (١١٤٣) ، وحَسَّنه .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٠٧ و٢٠٨) والترمذي (١١٤٢) وابن ماجه (٢٠١٠) ، وإسناده ضعيف .
(٤) انظر « سنن الدارقطني » (٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) .
(٥) وذلك عقب حديث عمرو بن شعيب السابق ، وانظر أيضاً قول البيهقي في « السنن الكبرى » (٧/ ١٨٨) .

بمجرّد ذلك ، بل تبقى بالخيار ؛ إن شاءت تزوّجت غيره ، وإن شاءت تربّصت وانتظرت إسلام زوجها أيّ وقتٍ كان ، وهي امرأته ما لم تتزوّج ، وهذا القول فيه قوةٌ ، وله حظٌّ من جهة الفقه ، والله تعالى أعلم .

ويستشهد لذلك بما ذكره البخاريّ(١) حيث قال : نكاح من أسلم من المشركات وعدّتهن . حدّثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا هشامٌ ، عن ابن جريجٍ . وقال عطاءٌ ، عن ابن عباسٍ : كان المشركون على منزلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين ؛ كانوا مشركي أهل حربٍ يقاتلونهم ويقاتلونه ، ومشركي أهل عهدٍ لا يقاتلهم ولا يقاتلونه ، وكان إذا هاجرت امرأةٌ من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر ، فإذا طهرت حلّ لها النكاح ، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردّت إليه ، وإن هاجر عبدٌ منهم أو أمةٌ فهما حران ولهما ما للمهاجرين ، ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهدٍ . هذا لفظه بحروفه ، فقوله : فكان إذا هاجرت امرأةٌ من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر . يقتضي أنّها كانت تستبرئ بحيضةٍ ، لا تعتدّ بثلاثة قروءٍ ، وقد ذهب قومٌ إلى هذا . وقوله : فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردّت إليه . يقتضي أنّه ، وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدّة ، أنّها تردّ إلى زوجها الأوّل ما لم تنكح زوجاً غيره ، كما هو الظّاهر من قصة زينب بنت النبيّ ﷺ ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، والله أعلم .

فصلٌ

فيما قيل من الأشعار في غزوة بدرٍ العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق(٢) ، عن حمزة بن عبد المطلب ، وأنكرها ابن هشامٍ : [من الطويل]

ألم تر أمراً كان من عجب الدّهر ... وللحَين أسبابٌ مبيّنة الأمرِ
وما ذاك إلّا أنّ قوماً أفادهم ... فخانوا تواصٍ بالعقوق وبالكفرِ
عشيّة راحوا نحو بدرٍ بجمعهم ... فكانوا رهوناً للرّكيّة من بدر
وكنّا طلبنا العِير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنويّةٌ ... لنا غير طعنٍ بالمثقّفة السّمرِ
وضربٍ ببيضٍ يختلي الهام حدّها ... مشهّرة الألوان بيّنة الأثر
ونحن تركنا عتبة الغيّ ثاوياً ... وشيبة في قتلى تجرجمُ في الجفر
وعمروٌ ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشُقّت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساءٍ من لؤيّ بن غالبٍ ... كرام تفرّعن الذّوائب من فهر
أولئك قومٌ قتّلوا في ضلالهم ... وخلّوا لواءً غير محتضر النّصر

(١) رواه « البخاري » (٥٢٨٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٨ ـ ٩) .

لـواءَ ضـلالٍ قـاد إبليـس أهلـه فخـاس بهـم إنّ الخبيـث إلى غـدرِ
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً برئت إليكم ما بيَ اليوم من صبر
فـإنـي أرى مـا لا تـرون وإنّنـي أخـاف عقـاب الله والله ذو قسـر
فقـدّمهـم للحيـن حتـى تـورّطـوا وكـان بمـا لـم يخبر القـوم ذا خبر
فكـانـوا غـداة البئـر ألفـاً وجمعنا ثـلاث مئيـنٍ كـالمسـدّمـة الـزّهـر
وفينـا جنـود الله حيـن يمـدّنـا بهم في مقامٍ ثَمّ مستوضح الذّكرِ
فشـدّ بهـم جبريـل تحـت لـوائنا لـدى مـأزقٍ فيـه منـايـاهـمُ تجـري

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشامٍ ، أخي أبي جهلٍ عمرو بن هشامٍ ، تركناها عمداً .

وقال عليّ بن أبي طالبٍ ـ وأنكرها ابن هشامٍ[1] ـ : [من الطويل]

ألـم تـر أنّ الله أبلـى رسـولـه بـلاءَ عـزيـزٍ ذي اقتـدارٍ وذي فضـلِ
بمـا أنـزل الكفّـار دار مـذلّـةٍ فـلاقـوا هـوانـاً مـن إسـارٍ ومـن قتـل
فـأمسـى رسـول الله قـد عـزّ نصـره وكـان رسـول الله أُرسـل بـالعـدل
فجـاء بفـرقـانٍ مـن الله منـزلٍ مبيّنـةٌ آيـاتـه لـذوي العقـل
فـآمـن أقـوامٌ بـذاك وأيقنـوا فـأمسـوا بحمـد الله مجتمعـي الشمـل
وأنكـر أقـوامٌ فـزاغـت قلـوبهـم فـزادهـمُ ذو العـرش خبـلاً على خبـل
وأمكـن منهـم يـوم بـدرٍ رسـولـه وقـومـاً غضـابـاً فعلهـم أحسـن الفعـل
بـأيـديهـمُ بيـضٌ خفـافٌ عصـوا بهـا وقـد حـادثـوهـا بـالجـلاء وبـالصّقـل
فكـم تـركـوا مـن نـاشـئٍ ذي حميّـةٍ صـريعـاً ومـن ذي نجـدةٍ منهـم كهـل
تبيـت عيـون النـائحـات عليهـمُ تجـود بـإسبـال الـرّشـاش وبـالـوبـل
نـوائـح تنعـى عتبـة الغـيّ وابنـه وشيبـة تنعـاه وتنعـى أبـا جهـل
وذا الرّجل تنعى وابن جدعان فيهم مسلّبـةً حـرّى مبيّنـة الثُكـل
ثـوى منهـمُ فـي بئـر بـدرٍ عصـابـةٌ ذوو نجداتٍ في الحروب وفي المحل
دعـا الغـيّ منهـم مـن دعـا فـأجـابـه وللغـيّ أسبـابٌ مـرمّقـة الـوصـل
فـأضحَـوا لَـدى دار الجحيـم بمعـزلٍ عن الشّغب والعدوان في أسفل السُّفْل

وقد ذكر ابن إسحاق نقيضتها من الحارث بن هشامٍ أيضاً ، تركناها قصداً .

وقال كعب بن مالكٍ[2] : [من الطويل]

---

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » (٢/ ١١ ـ ١٢) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص(١٦٦ ـ ١٦٧) بتحقيق د . سامي مكي العاني ، طبع عالم الكتب ببيروت .

عجبت لأمر الله والله قادرُ ... على ما أراد ليس لله قاهرُ
قضى يوم بدرٍ أن نلاقيَ معشراً ... بغوا وسبيل البغي بالناس جائرُ
وقد حشدوا واستنفروا من يليهمُ ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا ... بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامرُ
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقلٌ منهم عزيزٌ وناصرُ
وجمع بني النجّار تحت لوائه ... يمشّون في الماذيِّ والنّقع ثائرُ
فلمّا لقيناهم وكلٌّ مجاهد ... لأصحابه مستبسل النّفس صابرُ
شهدنا بأنّ الله لا ربّ غيره ... وأنّ رسول الله بالحقّ ظاهرُ
وقد عرّيت بيضٌ خفافٌ كأنها ... مقابيس يزهيها لعينيك شاهرُ
بهنّ أبدنا جمعهم فتبدّدوا ... وكان يلاقي الحَين من هو فاجرُ
فكبّ أبو جهلٍ صريعاً لوجهه ... وعتبة قد غادرنَه وهو عاثرُ
وشيبة والتّيميّ غادرن في الوغى ... وما منهم إلّا بذي العرش كافرُ
فأمسوا وَقود النار في مستقرّها ... وكلّ كفورٍ في جهنم صائرُ
تلظّى عليهم وهي قد شبّ حميها ... بزبر الحديد والحجارة ساجرُ
وكان رسول الله قد قال أقبلوا ... فولّوا وقالوا إنّما أنت ساحرُ
لأمرٍ أراد الله أن يَهلكوا به ... وليس لأمرٍ حمّه الله زاجرُ

وقال كعبٌ[(١)] في يوم بدرٍ : [من الطويل]

ألا هل أتى غسّانَ في نأي دارها ... وأخبرُ شيءٍ بالأمور عليمها
بأن قد رمتنا عن قسيّ عداوة ... معدٌّ معاً جهّالها وحليمها
لأنّا عبدنا الله لم نرج غيره ... رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها
نبيٌّ له في قومه إرث عزّةٍ ... وأعراق صدقٍ هذّبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كأنّنا ... أسود بقاءٍ لا يرجّى كليمها
ضربناهمُ حتى هوى في مكرّنا ... لمنخر سوءٍ من لؤيٍّ عظيمها
فولّوا ودسناهم ببيضٍ صوارمٍ ... سواءٌ علينا حلفها وصميمها

وقال كعبٌ[(٢)] أيضاً : [من الوافر]

لعمر أبيكما يا بَنَي لؤيٍّ ... على زهوٍ لديكم وانتخاءِ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(٢٠٨) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٥) .

لمـا حـامـت فـوارسكـم ببـدرٍ ولا صبـروا بـه عنـد اللقـاءِ
وردنــاه بنــور الله يجلــو دجــى الظّلمــاء عنّــا والغطــاء
رســول الله يقــدمنـا بــأمــرٍ مــن امــر الله أحكــم بــالقضــاء
فمــا ظفــرت فــوارسكــم ببــدرٍ ومــا رجعــوا إليكــم بــالسّــواء
فــلا تعجــل أبــا سفيــان وارقُــب جيــاد الخيــل تطلُــع مــن كــداء
بنصــر الله روحُ القــدس فيهــا وميكـــالٌ فيـــا طيـــب المـــلاء

وقال حسّان بن ثابتٍ[١] ـ قال ابن هشام: ويقال : هي لعبد الله بن الحارث السّهميّ ـ : [من البسيط]

مستشعـري حلـق المـاذيّ يقـدمهـم جلـد النّحيـزة مـاضٍ غيـر رعـديـدِ
أعنـي رسـول إلـه الخلـق[٢] فضّلـه علـى البـريّـة بـالتقـوى وبـالجـودِ
وقـد زعمتـم بـأن تحمـوا ذِمـاركـمُ ومـاء بـدرٍ زعمتـم غيـر مـورودِ
ثـمّ وردنـا ولـم نسمـع[٣] لقـولكـمُ حتـى شـربنـا رواءً غيـر تصـريـدِ
مستعصميـن بحبـلٍ غيـر منجـذمٍ مستحكـمٍ مـن حبـال الله ممـدودِ
فينـا الـرسـول وفينـا الحـقّ نتبعـه حتـى الممـات ونصـرٌ غيـر محـدودِ
وافٍ ومـاضٍ شهـابٌ يستضـاء بـه بـدرٌ أنـار علـى كـلّ الأمـاجيـدِ

وقال حسان بن ثابتٍ أيضاً[٤] :

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكةٍ إبارتُنا الكفّار[٥] في ساعة العسرِ
قتلنـا سـراة القـوم عنـد مجـالنـا[٦] فلـم يـرجعـوا إلّا بقـاصمـة الظّهـر
قتلنـا أبـا جهـلٍ وعتبـة قبلـه[٧] وشيبـة يكبـو لليـديـن وللنّحـر[٨]
قتلنـا سُـويـداً ثـم عتبـة بعـده وطعمـة أيضـاً عنـد ثـائـرة القتـر
فكـم قـد قتلنـا مـن كـريـمٍ مـرزَّإٍ لـه حسـبٌ فـي قـومـه نـابِهُ الـذّكـر

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٢٨) مع تقديم وتأخير .
(٢) في « ديوانه » : « أعني الرسول فإن الله » .
(٣) في « ديوانه » : « ولم نُهدد » .
(٤) الأبيات في «ديوانه» (١/ ١٤٢) وفيها تداخل ونقص وخلاف عما في كتابنا و«السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٢١ ـ ٢٢ .
(٥) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « قَتَلْنَا مِنَ الكُفَّار . . . » .
(٦) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « عند رحالهم » .
(٧) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « بعده » .
(٨) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « وشيبة أيضاً عند نائرة الصَّبر » .

تركناهمُ للعاويات[١] ينبنهم ... ويصلون ناراً بعد حامية القعر
لعمرك ما حامت فوارس مالكٍ ... وأشياعهم يوم التقينا على بدر

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، في يوم بدرٍ ، وفي قطع رجله في مبارزته هو وحمزة وعليٍّ مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ، وأنكرها ابن هشامٍ : [من الطويل]

ستبلغ عنّا أهل مكة وقعةٌ ... يهبّ لها من كان عن ذاك نائيا
بعتبة إذ ولّى وشيبة بعده ... وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فإن تقطعوا رِجلي فإنّيَ مسلمٌ ... أرجّي بها عيشاً من الله دانيا
مع الحور أمثال التّماثيل أخلصت ... من الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعت بها عيشاً تعرّقت صفوه ... وعاجلته حتى فقدتُ الأدانيا
فأكرمني الرحمن من فضل منّه ... بثوبٍ من الإسلام غطّى المساويا
وما كان مكروهاً إليّ قتالهم ... غداة دعا الأكفاء من كان داعيا
ولم يبغ إذ سالوا النبيّ سواءنا ... ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهمُ كالأسد تخطر بالقنا ... نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا ... ثلاثتنا حتى أُزيروا المنائيا

وقال ابن إسحاق[٢] : وقال حسّان بن ثابتٍ[٣] أيضاً ؛ يذمّ الحارث بن هشامٍ على فراره يوم بدرٍ ، وتركه قومه لا يقاتل دونهم : [من الكامل]

تبلت فؤادَك في المنام خريدةٌ ... تشفي الضّجيع ببارِدٍ بسّامِ
كالمسك تخلطه بماء سحابةٍ ... أو عاتقٍ كدم الذّبيح مدام
نفج الحقيبة بوصها متنضّدٌ ... بلهاء غير وشيكة الأقسام
بنيت على قطنٍ أجمّ كأنّه ... فُضُلاً إذا قعدت مداك رخام
وتكاد تكسل أن تجيء فراشَها ... في جسم خرعبةٍ وحسن قوام
أمّا النهار فلا أفتّر ذكرها ... والليل توزعني بها أحلامي
أقسمت أنساها وأترك ذِكرها ... حتى تغيّب في الضريح عظامي
يا من لعاذلةٍ تلوم سفاهةً ... ولقد عصيت على الهوى لوّامي
بكرت عليّ بسحرةٍ بعد الكرى ... وتقاربٍ من حادث الأيام

(١) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « للخامعات تنوبهم » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/١٦ ـ ١٨) .
(٣) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » ص(٢٩) .

زعمت بأنّ المرء يكرب عمره ... عدمٌ لمعتكرٍ من الأصرام
إن كنت كاذبةَ الذي حدّثتِني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبّة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرّةٍ ولجام
تذر العناجيج الجياد بقفرةٍ ... مرّ الدّموك بمحصدٍ ورجام
ملأت به الفرجين فارمدّت به ... وثوى أحبّته بشرّ مقام
وبنو أبيه ورهطه في معركٍ ... نصر الإله به ذوي الإسلام
طحنتهمُ والله ينفذ أمره ... حربٌ يشبّ سعيرها بضرام
لولا الإله وجريها لتركنه ... جزر السباع ودسنه بحوام
من بين مأسورٍ يشدّ وثاقه ... صقرٍ إذا لاقى الأسنّة حام
ومجدّلٍ لا يستجيب لدعوةٍ ... حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذلّ المبيّن إذ رأى ... بيض السيوف تسوق كلّ همام
بيدَيْ أغرّ إذا انتمى لم يخزه ... نسب القصار سميدعٍ مقدام
بيضٌ إذا لاقت حديداً صمّمت ... كالبرق تحت ظلال كلّ غمام

قال ابن هشامٍ[١] : تركنا في آخرها ثلاثة أبياتٍ أقذع فيها . [من الكامل]

قال ابن هشامٍ[٢] : فأجابه الحارث بن هشامٍ ، أخو أبي جهلٍ عمرو بن هشامٍ فقال : [من الكامل]

القوم أعلم ما تركت قتالهم ... حتى حبوا مهري بأشقر مزبد
وعرفت أنّي إن أقاتل واحداً ... أُقْتَلْ ولا ينكي عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبّة فيهمُ ... طمعاً لهم بعقاب يومٍ مفسد

وقال حسان[٣] أيضاً : [من الكامل]

يا حار قد عوّلت غير معوّلٍ ... عند الهياج وساعة الأحسابِ
إذ تمتطي سرُح اليدين نجيبةً ... مرطى الجراء طويلة الأقرابِ
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ... ترجو النّجاء وليس حين ذهابِ
ألّا عطفت على ابن أمّك إذ ثوى ... قعص الأسنّة ضائع الأسلابِ
عجل المليك له فأهلك جمعه ... بشنار مخزيةٍ وسوء عذابِ

وقال حسّان[٤] أيضاً : [من الوافر]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨) برواية : « الله أعلم ما تركت » .
(٣) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٢٩٨) و« السيرة النبوية » (٢/ ١٩ ـ ٢٠) .
(٤) انظر « ديوان حسان » (١/ ١٨٠) و« السيرة النبوية » (٢/ ١٩) .

لقد علمتْ قريشٌ يوم بدرٍ غداة الأسر والقتل الشديدِ
بأنّا حين تشتجر العوالي حماةُ الحرب يوم أبي الوليدِ
قتلنا ابنيْ ربيعة يوم سارا إلينا في مضاعفة الحديدِ
وفرّ بها حكيمٌ يوم جالت بنو النّجّار تخطر كالأسودِ
وولّت عند ذاك جموع فهرٍ وأسلمها الحويرث من بعيدِ
لقد لاقَيْتُمُ ذلًّا وقتلاً جهيزاً نافذاً تحت الوريدِ
وكلّ القوم قد ولّوا جميعاً ولم يلووا على الحسب التّليدِ

وقالت هند بنت أُثاثة بن عبّاد بن المطّلب ، ترثي عبيدة بن الحارث بن المطلب : [من الطويل]

لقد ضمّن الصّفراءُ مجداً وسؤدداً وحلماً أصيلاً وافر اللّبّ والعقلِ
عبيدة فابكيه لأضياف غربةٍ وأرملةٍ تهوي لأشعث كالجذل
وبكّيه للأقوام في كلّ شتوةٍ إذا احمرّ آفاق السماء من المحل
وبكّيه للأيتام والرّيح زفزفٌ وتشبيب قدرٍ طالما أزبدت تغلي
فإن تصبح النّيران قد مات ضَوْؤها فقد كان يذكيهنّ بالحطب الجزل
لطارق ليلٍ أو لملتمس القرى ومستنبحٍ أضحى لديه على رسل

وقال الأمويّ في « مغازيه » : حدّثني سعيد بن قطنٍ ، قال : قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر بدراً : [من الطويل]

ألمّا تكن رؤياي حقّاً ويأتكم بتأويلها فلٌّ من القوم هاربُ
رأى فأتاكم باليقين الذي رأى بعينيه ما تفري السيوف القواضب
فقلتم ولم أكذب كذبت وإنّما يكذّبني بالصّدق من هو كاذب
وما جاء إلّا رهبة الموت هارباً حكيمٌ وقد أعيت عليه المذاهب
أقامت سيوف الهند دون رؤوسكم وخطّيّةٌ فيها الشّبا والثّعالب
كأن حريقُ النار لمعَ ظباتها إذا ما تعاطتها اللّيوث المشاغب
ألا بأبي يوم اللقاء محمداً إذا عضّ من عُون الحروب الغوارب
مرى بالسيوف المرهفات نفوسكم كفاحاً كما تمري السحاب الجنائب
فكم بردت أسيافه من مليكةٍ وزعزع وردٌ بعد ذلك صالب
فما بال قتلى في القليب ومثلهم لدى ابن أخي أسرى له ما تضارب
فكانوا نساء أم أتى لنفوسهم من الله حَينٌ ساق والحَين حالب
فكيف رأى عند اللقاء محمداً بنو عمّه والحرب فيها التجارب
ألم يغشكم ضرباً لوقعه الـ ـجبان وتبدو بالنهار الكواكب

حلفت لئن عادوا لنصطلينّهم بحاراً تردّى تجربتْها المقانب
كأنّ ضياء الشمس لمع ظباتها لها من شعاع النور قرنٌ وحاجب

وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأمويّ : [من الطويل]

هلّا صبرتم للنبيّ محمدٍ ببدرٍ ومن يغشى الوغى حقّ صابرِ(١)
ولم ترجعوا عن مرهفاتٍ كأنّها حريقٌ بأيدي المؤمنين بواترُ
ولم تصبروا للبيض حتى أُخذتمُ قليلاً بأيدي المؤمنين المساعر
ووليّتم نفراً وما البطل الذي يقاتل من وقع السلاح بنافرِ
أتاكم بما جاء النبيّون قبله وما ابن أخي البرّ الصّدوق بشاعرِ
سيكفي الذي ضيّعتمُ من نبيّكم وينصره الحيّان عمروٌ وعامرُ

وقال طالب بن أبي طالبٍ يمدح رسول الله ﷺ ويرثي أصحاب القليب من قريشٍ الذين قتلوا يومئذٍ من قومه ، وهو بعد على دين قومه إذ ذاك : [من الطويل]

ألا إنّ عيني أنفدت دمعها سكباً تبكّي على كعبٍ وما إن ترى كعبا
ألا إنّ كعباً في الحروب تخاذلوا وأرداهمُ ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكي للملمّات غدوةً فيا ليت شعري هل أرى لهمُ قربا
فيا أخوينا عبد شمسٍ ونوفلاً فدى لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تصبحوا من بعد ودٍّ وألفةٍ أحاديث فيها كلّكم يشتكي النّكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ وحرب أبي يكسوم إذ ملؤوا الشّعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا
فما إن جنينا في قريشٍ عظيمةً سوى أنْ حمينا خير من وطئ التّربا
أخا ثقةٍ في النائبات مُرَزَّأً كريماً نثاه لا بخيلاً ولا ذربا
يطيف به العافون يغشَون بابه يؤمّون نهراً لا نزوراً ولا صربا
فوالله لا تنفكّ نفسي حزينةً تململ حتى تصدقوا الخزرج الضّربا

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق(٢) أشعاراً من جهة المشركين قويّة الصّنعة ، يرثون بها قتلاهم يوم بدرٍ ، فمن ذلك قول ضرار بن الخَطّاب بن مرداسٍ أخي بني محارب بن فهرٍ ، وقد أسلم بعد ذلك ، والسّهيليّ في « روضه » يتكلّم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك : [من الطويل]

(١) من بعض هذه الأبيات إقواء .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣ ـ ١٤) .

عجبت لفخر الأوس والحَيْن دائرٌ ... عليهم غداً والدّهر فيه بصائرُ
وفخرِ بني النّجّار أن كان معشرٌ ... أصيبوا ببدر كلّهم ثمّ صائر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنّا رجالٌ[١] بعدهم سنغادر
وتردي بنا الجرد العناجيج وسْطَكُم ... بني الأوس حتى يشفيَ النّفسَ ثائر
ووسط بني النجّار سوف نكرّها ... لها[٢] بالقنا والدّارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم ... وليس لهم إلّا الأمانيَّ ناصر
وتبكيهمُ من أهل يثرب نسوةٌ ... لهنّ بها ليلٌ عن النّوم ساهر
وذلك أنّا لا تزال سيوفنا ... بهنّ دمٌ ممّن يحاربن مائر
فإن تظفروا في يوم بدرٍ فإنّما ... بأحمدَ أمسى جدّكم وهْو ظاهر
وبالنّفر الأخيار هم أولياؤه ... يحامون في اللأْواءِ والموت حاضر
يعدّ أبو بكرٍ وحمزة فيهمُ ... ويدعى عليٌّ وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتّجت في ديارها ... بنو الأوس والنّجّار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤيِّ بن غالبٍ ... إذا عُدّت الأنساب كعبٌ وعامر
هم الطّاعنون الخيل في كلّ معركٍ ... غداة الهياج الأطيبون الأكاثر[٣]

فأجابه كعب بن مالكٍ بقصيدته التي أسلفناها[٤] ، وهي قوله : [من الطويل]

عجبت لأمر الله والله قادرُ ... على ما أراد ليس لله قاهرُ

قال ابن إسحاق[٥] : وقال أبو بكرٍ واسمه شدّاد بن الأسود بن شَعوب .

قلت : وقد ذكر البخاريّ[٦] أنّه خلف على امرأة أبي بكرٍ الصدّيق ، حين طلّقها الصديق ، وذلك لمّا[٧] حرّم الله المشركات على المسلمين ، واسمها أمّ بكرٍ : [من الوافر]

تُحَيِّي بالسّلامة أمّ بكرٍ ... وهل لي بعد قومي من سلام
فماذا بالقليب قليبِ بدرٍ ... من القينات والشَّرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدرٍ ... من الشّيزى تكلّل بالسّنَام[٨]

---

(١) في الأصول (رجالًا) وهو خطأ صححه عن « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٢) في (آ) : « بها » وأثبت لفظ (ط) .
(٣) في (ط) : « الأكابر » .
(٤) انظر ص(١٤٨ ـ ١٤٩) من هذا الجزء .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢ / ٢٩) .
(٦) رواه البخاري رقم (٣٩٢١) .
(٧) لفظ « لما » سقط من (ط) .
(٨) والسّنام : لحم ظهر البعير . انظر « لسان العرب » (سنم) .

وكم لك بالطّويّ طويّ بدرٍ … من الحومات[١] والنَّعم المُسام
وكم لك بالطويّ طويّ بدرٍ … من الغايات والدّسُع العظام[٢]
وأصحاب الكريم أبي عليٍّ … أخي الكأس الكريمة والنّدَام
وإنّك لو رأيت أبا عقيلٍ … وأصحاب الثنّيّة من نَعام
إذاً لظلِلت من وجدٍ عليهم … كأمّ السّقب[٣] جائلة المرام
يخبّرنا الرسول لسوف نحيا … وكيف حياة أصداءٍ وهام

قلت : وقد أورد البخاريّ بعضها في « صحيحه »[٤] ليعرف به حال قائلها .

قال ابن إسحاق[٥] : وقال أُميّة بن أبي الصّلت[٦] ، يرثي من قتل من قريشٍ يوم بدرٍ : [من مجزوء الكامل]

ألّا بكيتِ على الكرا … م بني الكرام أولي الممادحْ
كبُكا الحمام على فرو … ع الأيْك في الغصن الجوانح
يبكين حرّى مستكيـ … ـناتٍ يرحن مع الرّوائح
أمثالهنّ الباكيا … ت المعولات من النّوائح
من يبكهم يبكي على … حزْنٍ ويصدق كلّ مادح
ماذا ببدرٍ والعقنـ … ـقل من مرازبةٍ جحاجح
فمدافع البرقين فالـ … ـحنّان من طرف الأواشح
شُمطٍ وشبّانٍ بهالـ … ـيلٍ مغاويرٍ وحاوح
ألّا ترون لما أرى … ولقد أبان لكلّ لامح
أن قد تغيّر بَطْنُ مكّة … فهي موحشة الأباطح
من كلّ بطريقٍ لبطـ … ـريق نقيّ الودّ واضح
دعموص أبواب الملو … ك وجائبٍ للخرق فاتح
ومن السّراطمة الخلا … جمة الملاوثة المناجح

---

(١) في (آ) : « الحرمات » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » .
(٢) هذا البيت تقدم في (آ) إلى ما قبل البيت الذي قبله وترتيب الأبيات في (ط) كما أثبته موافق لترتيبها في « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٣) السقب : ولد الناقة .
(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم (٣٩٢١) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠ ـ ٣٢) .
(٦) الأبيات في « ديوان أمية بن أبي الصَّلت » ص(٣٤٨) صنعة د. عبد الحفيظ السطلي ، مع تقديم وتأخير .

القـــائليـــن الفــاعليـ ـــن الآمـريـن بكـلّ صـالـح
المطعميـــن الشّحـــم فـــو ق الخبـز شحمـاً كـالأنـافخْ
نقـل الجفـان مـع الجفـا ن إلـى جفـانٍ كـالمنـاضـح
ليســت بــأصفــارٍ لمــن يعفـــو ولا رحٍّ رحـــارح
للضّيـــف ثـــم الضيـــف بعـ ـد الضيف والبسط السّلاطح
وهـــب المئيـــن مـــن المئيـ ـن إلـى المئيـن من اللّواقح
ســـوق المـؤبّـــل للمـؤبّـ ـل صـادراتٍ عـن بـلادح
لكـــرامهـــم فـــوق الكـــرا م مـــزيّـــةٌ وزن الـــرّواجـــح
كتثـــاقـــل الأرطـــال بـــالـ ـقسطاس بـالأيـدي الموائح
خـــذلتهـــمُ فئـــةٌ وهـــم يحمـون عـورات الفضـائـح
الضّـــاربيـــن التّقـــدميّـ ـــة بـــالمهنّـــدة الصّفـــائـــح
ولقـــد عنـــانـــي صـــوتهـــم مـن بيـن مستسـقٍ وصـائح
لله درّ بنـــــــــــــي علـ ـــيٍ أيّـم منهـم ونـاكـح
إن لـــم يغيـــروا غـــارةً شعـواء تجحـر كـلّ نـابـح
بـــالمقـــربـــات المبعـــدا ت الطّامحات مع الطّوامح
مُـــرداً علـــى جـــردٍ إلـــى أُسـدٍ مكـالبـةٍ كـوالـح
ويـــلاقِ قـــرنٌ قـــرنـــه مشـي المصـافـح للمصـافح
بـــزَهـــاء ألـــفٍ ثـــمّ ألـ ـــفٍ بيـن ذي بـدنٍ ورامـح

قال ابن هشامٍ[١] : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ .

قلت : هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس ، الذي حمله كثرة جهله وقلّة عقله ، على أن مدح المشركين وذمّ المؤمنين ، واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشامٍ ، وأضرابه من الكفرة اللئّام ، والجهلة الطّغام ، ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله ، وحبيبه وخليله ، فَخر البشر ، ومَن وجهه أنور من القمر ، ذي العِلم الأكمل ، والعقل الأشمل ، ومِن صاحبه الصدّيق المبادر إلى التصديق ، والسابق إلى الخيرات ، وفعل المكرمات ، وبذل الألوف والمئات ، في طاعة ربّ الأرض والسماوات ، وكذلك بقيّة أصحابه الغرّ الكرام ، الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والإسلام ، رضي الله عن جميعهم ، ما اختلط الضّياء والظلام ، وما تعاقبت الليالي والأيام ، وقد تركنا أشعاراً كثيرةً أوردها ابن إسحاق ، رحمه الله ، خوف الإطالة وخشية الملالة ، وفيما أوردنا كفايةٌ ، ولله الحمد والمنّة .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢) .

وقد قال الأمويّ في « مغازيه »[١] : سمعت أبي ، ثنا[٢] سليمان بن أرقم ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهليّة .

قال سليمان : فذكر ذلك للزّهريّ فقال : عفا عنه إلّا قصيدتين ؛ كلمة أميّة التي ذكر فيها أهل بدرٍ ، وكلمة الأعشى التي يذكر فيها الأحوص .

وهذا حديثٌ غريب ، وسليمان بن أرقم هذا متروكٌ[٣] ، والله أعلم .

فصل

في ذكر غزوة بني سُلَيمٍ سنة ثنتين من الهجرة النبويّة

قال ابن إسحاق[٤] : وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدرٍ في عَقِيْب[٥] شهر رمضان ، أو في شوالٍ ، ولمّا قدم المدينة لم يقم بها إلّا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه يريد بني سليمٍ .

قال ابن هشامٍ[٦] : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاريّ ، أو ابن أمّ مكتومٍ الأعمى .

قال ابن إسحاق[٧] : فبلغ ماءً من مياههم يقال له : الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كَيْداً ، فأقام بها بقيّة شوالٍ وذا القعدة ، وأفدى في إقامته تلك جُلّ تلك[٨] الأسارى من قريشٍ .

فصل

غزوة السّويق في ذي الحجّة منها ، وهي غزوة قرقرة الكُدْر[٩]

قال السّهيليّ[١٠] : والقَرقرة : الأرض الملساء ، والكُدْر : طيرٌ في ألوانها كدرةٌ .

---

(١) وذكره ابن عدي في « الكامل في الضعفاء » (٣/ ١١٠٥) .
(٢) في (ط) : « حدثنا » .
(٣) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : « ضعيف » . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٦٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٠) و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) طبع دار ابن كثير .
(٥) في (ط) : « عقب » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) .
(٨) لفظ « تلك » الثاني هذا لم يرد في (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .
(٩) مكان هذا العنوان في (ط) : « فصل غزوة بني سليم سنة اثنتين من الهجرة » وهو السابق لهذا في (آ) كما هو مثبت .
(١٠) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٤٠٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وكان أبو سفيان ـ كما حدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، ويزيد بن رومان ، ومن لا أتّهم ـ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ورجع فَلُّ قريشٍ من بدرٍ ، نذر أن لا يمسّ رأسه ماءٌ من جنابةٍ حتى يغزو محمداً ، فخرج في مئتي راكبٍ من قريشٍ لتبرّ يمينه ، فسلك النّجديّة حتى نزل بصدر قناةٍ إلى جبلٍ يقال له : ثيبٌ[٢] . من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النّضير تحت الليل ، فأتى حُيَيّ بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له وخافه ، فانصرف عنه إلى سلّام بن مشكمٍ ، وكان سيّد بني النّضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له ، فقراه وسقاه ، وبَطَن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريشٍ ، فأتوا ناحيةً منها يقال لها : العريض ، فحرّقوا في أصوارٍ من نخلٍ بها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرثٍ لهما ، فقتلوهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم .

قال ابن هشامٍ[٣] : واستعمل على المدينة أبا لبابة بَشير بن عبد المنذر .

قال ابن إسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، ووجد أصحابُ رسول الله ﷺ أزواداً كثيرةً قد ألقاها المشركون يتخفّفون منها وعامّتها سويقٌ ، فسمّيت غزوة السّويق . قال المسلمون : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون هذه لنا غزوةً ؟ قال : « نعم » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ، ويمدح سلّام بن مشكمٍ اليهوديّ :

[من الطويل]

وإنّي تخيّرت المدينة واحداً ... لحلفٍ فلم أندم ولم أتلوّمِ
سقاني فروّاني كُمَيتاً مُدامةً ... على عجَلٍ منّي سلام بن مشكم
ولمّا تولّى الجيش قلت ولم أكن ... لأُفرحه : أبشر بغزوٍ ومغنم
تأمّل فإنّ القوم سرٌّ وإنّهم ... صريح لؤيٍّ لا شماطيط جُرهم
وما كان إلّا بعض ليلة راكبٍ ... أتى ساعياً من غير خلّة معدم

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤ ـ ٤٥) .
(٢) في (ط) : « نيب » وما جاء في (آ) هو الصواب ، وانظر لتمام الفائدة تعليق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٨٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩١) .

فصل

في دخول علي بن أبي طالبٍ ، رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدرٍ ، لما رواه البخاريّ ومسلمٌ[(١)] ، من طريق الزّهريّ ، عن عليٍّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليٍّ ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ قال : كانت لي شارفٌ من نصيبي من المغنم يوم بدرٍ ، وكان النبيّ ﷺ أعطاني شارفاً ممّا أفاء الله عليه من الخمس يومئذٍ ، فلمّا أردت أن أبتنيَ بفاطمة بنت النبيّ ﷺ ، واعدت رجلاً صوّاغاً في بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخرٍ ، فأردت أن أبيعه من الصّوّاغين فأستعين به في وليمة عرسي ، فبينا أنا أجمع لشارفيّ من الأقتاب والغرائر والحبال ، وشارفايَ مناختان إلى جنب حجرة رجلٍ من الأنصار ، حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشارفيّ قد أُجبّت أسنمتها ، وبُقرت خواصرهما ، وأُخذ من أكبادهما ، فلم أملك عينيّ حين رأيت المنظر ، فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطّلب ، وهو في هذا البيت ، وهو في شَربٍ من الأنصار ، وعنده قَينةٌ وأصحابه ، فقالت في غنائها : [من الوافر]

ألا يا حمزُ للشّرف النّواء

فوثب حمزة إلى السيف ، فأجبّ أسنمتهما[(٢)] ، وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما . قال عليٌّ : فانطلقت حتى أدخل على النبيّ ﷺ وعنده زيد بن حارثة ، فعرف النبيّ ﷺ الذي لقيت فقال : « ما لك ؟ » . فقلت : يا رسول الله ، ما رأيت كاليوم ، عدا حمزة على ناقتيّ فأجبّ أسنمتهما ، وبقر خواصرهما ، وها هو ذا في بيتٍ معه شَربٌ ، فدعا النبيّ ﷺ بردائه فارتداه ، ثم انطلق يمشي ، واتّبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة ، فاستأذن عليه فأذن له ، فطفق النبيّ ﷺ يلوم حمزة فيما فعل ، فإذا حمزة ثمِلٌ محمرّةٌ عيناه ، فنظر حمزة إلى النبيّ ﷺ ، ثم صعّد النّظر فنظر إلى ركبتيه ، ثم صعّد النظر فنظر إلى وجهه ، ثم قال حمزة : وهل أنتم إلّا عبيدٌ لأبي ؟ فعرف النبيّ ﷺ أنّه ثمِلٌ ، فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى ، فخرج وخرجنا معه ، هذا لفظ البخاريّ في كتاب المغازي .

وقد رواه في أماكن أُخر من « صحيحه » بألفاظٍ كثيرةٍ ، وفي هذا دليلٌ على ما قدّمناه من أنّ غنائم بدرٍ قد خمّست ، لا كما زعمه أبو عبيدٍ القاسم بن سلّامٍ في كتاب « الأموال »[(٣)] ، من أنّ الخمس إنّما نزل بعد

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٠٣) ومسلم رقم (١٩٧٩) .
(٢) في (آ) : « أسنمتها » .
(٣) انظر « كتاب الأموال » ص (٣٨٤) .

قسمتها ، وقد خالفه في ذلك جماعةٌ ؛ منهم البخاريّ وابن جريرٍ ، وبيّنّا غلطه في ذلك في « التفسير »[١] وفيما تقدّم ، والله أعلم .

وكان هذا الصّنع من حمزة وأصحابه ، رضي الله عنهم ، قبل أن تحرّم الخمر ، بل قد قُتل حمزة يوم أحدٍ ، كما سيأتي ، وذلك قبل تحريم الخمر ، والله أعلم .

وقد يَستدلّ بهذا الحديث من يرى أنّ عبارة السّكران مسلوبةٌ لا تأثير لها ؛ لا في طلاقٍ ، ولا إقرارٍ ، ولا غير ذلك ، كما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، كما هو مقرّرٌ في كتاب « الأحكام » .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا سفيان ، عن ابن[٣] أبي نجيحٍ ، عن أبيه ، عن رجلٍ سمع عليّاً يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته ، فقلت : ما لي من شيءٍ ، فكيف ؟ ثم ذكرت صلته وعائدته ، فخطبتها إليه ، فقال : « هل لك من شيءٍ ؟ » . قلت : لا . قال : « فأين درعك الحطميّة التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » . قال : هي عندي . قال : « فأعطنيها » . قال : فأعطيتها إياه . هكذا رواه أحمد في « مسنده » ، وفيه رجلٌ مبهمٌ .

وقد قال أبو داود[٤] : حدّثنا إسحاق بن إسماعيل الطّالقانيّ ، ثنا عبدة ، ثنا سعيدٌ ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : لما تزوّج عليٌّ فاطمة ، رضي الله عنهما ، قال له رسول الله ﷺ : « أعطها شيئاً » . قال : ما عندي شيءٌ . قال : « أين دِرعك الحُطَميّة ؟ » .

ورواه النسائيّ[٥] ، عن هارون بن إسحاق ، عن عبدة بن سليمان ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن أيوب السّختيانيّ به .

وقال أبو داود[٦] : حدّثنا كثير بن عبيدٍ الحمصيّ ، ثنا أبو حيوة ، عن شعيب بن أبي حمزة ، حدثني غيلان بن أنسٍ من أهل حمصٍ ، حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، عن رجلٍ من أصحاب النبيّ ﷺ ، أنّ عليّاً لما تزوّج فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، أراد أن يدخل بها ، فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئاً ، فقال : يا رسول الله ، ليس لي شيءٌ ، فقال له النبيّ ﷺ : « أعطها درعك » ، فأعطاها درعه ، ثم دخل بها .

---

(١) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٤٩) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٨٠) وهو حديث حسن ، يشهد له الذي بعده .
(٣) لفظ « ابن » سقط من (آ) وأثبته من (ط) وهو الصواب .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢١٢٥) ، وهو حديث صحيح .
(٥) رواه النسائي (٣٣٧٦) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أبو داود رقم (٢١٢٦) وهو حديث حسن ، يشهد له الذي قبله .

وقال البيهقيّ في « الدلائل »(١) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ(٢) ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصمّ ، ثنا أحمد بن عبد الجبّار ، ثنا يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق ، حدّثني عبد الله بن أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عن عليٍّ قال : خَطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت مولاةٌ لي : هل علمت أنّ فاطمة قد خُطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ قلت : لا . قالت : فقد خُطبت ، فما يمنعك أن تأتيَ رسول الله ﷺ فيزوّجك ؟ فقلت : وعندي شيءٌ أتزوج به ؟ فقالت : إنّك إن جئت رسول الله ﷺ زوّجك . قال : فوالله ما زالت تُرجّيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ ، فلما أن قعدت بين يديه أُفحمت ، فوالله ما استطعت أن أتكلّم جلالةً وهيبةً ، فقال رسول الله ﷺ : « ما جاء بك ، ألك حاجةٌ ؟ » . فسكتّ ، فقال : « ما جاء بك ، ألك حاجةٌ ؟ » . فسكتّ ، فقال : « لعلّك جئت تخطب فاطمة » . فقلت : نعم . فقال : « وهَلْ عندك من شيءٍ تستحلّها به » . فقلت : لا والله يا رسول الله . فقال : « ما فعلت درعٌ سلّحتُكها ؟ » فوالذي نفس عليٍّ بيده ، إنّها لحُطَميّةٌ ما قيمتها أربعة دراهم ، فقلت : عندي . فقال : « قد زوّجتكها ، فابعث إليها بها فاستحلّها بها » . فإن كانت لَصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق(٣) : فولدت فاطمة لعليٍّ حسناً ، وحسيناً ، ومحسّناً ، مات صغيراً ، وأمّ كلثومٍ ، وزينب .

ثم روى البيهقيّ(٤) من طريق عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عليٍّ قال : جهّز رسول الله ﷺ فاطمة في خَميلٍ وقِربةٍ ووسادة أدُمٍ حشوها إذخرٌ .

ونقل البيهقيّ عن كتاب « المعرفة » لأبي عبد الله بن منده ، أنّ علياً تزوّج فاطمة بعد سنةٍ من الهجرة ، وابتنى بها بعد ذلك بسنةٍ أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياق حديث الشّارفين ، يقتضي أنّ ذلك عقب وقعة بدرٍ بيسيرٍ ، فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية ، والله أعلم .

فصل

في ذكر جُمَلٍ من الحوادث الواقعة سنة ثنتين من الهجرة

تقدّم ما ذكرناه من تزويجه ، عليه الصلاة والسلام ، بعائشة أمّ المؤمنين ، رضي الله عنها ، وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة ، وقد تضمّن ذلك وفيات أعيانٍ من المشاهير من المؤمنين والمشركين ،

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٦٠) .
(٢) يعني الحاكم صاحب « المستدرك على الصحيحين » .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٣١) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٦١) .

فكان ممّن توفّي فيها : الشهداء يوم بدرٍ ، وهم أربعة عشر ، ما بين مهاجريٍّ وأنصاريٍّ ، تقدّم تسميتهم ، والرؤساء من مشركي قريشٍ ، وقد كانوا سبعين رجلاً على المشهور .

وتوفّي بعد الوقعة بيسيرٍ أبو لهبٍ عبد العزّى بن عبد المطلب ، لعنه الله ، كما تقدّم . ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، بما أحلّ الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين ، وجدوا رقيّة بنت رسول الله ﷺ قد توفّيت ، وساووا عليها التراب ، وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرّضها بأمر النبيّ ﷺ له بذلك ، ولهذا ضرب له بسهمه في مغانم بدرٍ ، وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوّجه بأختها الأخرى أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان : ذو النّورين ، ويقال : إنّه لم يُغْلِق أحدٌ على ابنتي نبيٍّ ، واحدةً بعد الأخرى غيره ، رضي الله عنه وأرضاه .

وفيها حوّلت القبلة ، كما تقدّم[١] ، وزيد في صلاة الحضر على ما سلف .

وفيها فرض الصِّيام صيام رمضان ، كما تقدم .

وفيها فرضت الزكاة ذات النُّصُب ، وفرضت زكاة الفطر .

وفيها خضع المشركون من أهل المدينة ، واليهود الذين هم بها ؛ من بني قينقاع وبني النّضير وبني قريظة ، ويهود بني حارثة ، وصانعوا المسلمين ، وأظهر الإسلام طائفةٌ كثيرةٌ من المشركين واليهود ، وهم في الباطن منافقون ؛ منهم من هو على ما كان عليه ، ومنهم من انحلّ بالكلّيّة ، فبقي مذبذباً ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما وصفهم الله في كتابه .

قال ابن جرير[٢] : وفيها كتب رسول الله ﷺ المعاقل ، وكانت معلّقةً بسيفه .

قال ابن جريرٍ[٣] : وقيل : إنّ الحسن بن عليٍّ ولد فيها .

قال : وأما الواقديّ فإنّه زعم أنّ ابن أبي سبرة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبي جعفرٍ ، أنّ عليّ بن أبي طالبٍ بنى بفاطمة في ذي الحجّة منها . قال : فإن كانت هذه الرواية صحيحةً ، فالقول الأوّل باطلٌ .

* * *

(١) انظر « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٨ ـ ٦٢) بتحقيق شيخيَّ المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، والمحقِّق الشيخ شعيب الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٨٦) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٨٥) .

سنة ثلاث من الهجرة

في أوّلها كانت غزوة نجدٍ ، ويقال لها : غزوة ذي أمرّ[(١)] .

قال ابن إسحاق[(٢)] : فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السّويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجّة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمرّ .

قال ابن هشام[(٣)] : واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجدٍ صفَراً كلّه أو قريباً من ذلك ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

وقال الواقديّ[(٤)] : بلغ رسولَ الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محاربٍ تجمّعوا بذي أمرّ يريدون حربه ، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة ليلةً خلت من ربيعٍ الأول سنة ثلاثٍ ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فغاب أحد عشر يوماً ، وكان معه أربعمئةٍ وخمسون رجلاً ، وهربت منه الأعراب في رؤوس الجبال ، حتى بلغ ماءً يقال له : ذو أمرّ فعسكر به ، وأصابهم مطرٌ كثيرٌ ، فابتلّت ثياب رسول الله ﷺ ، فنزل تحت شجرةٍ هناك ، ونشر ثيابه لتجفّ ، وذلك بمرأىً من المشركين ، واشتغل المسلمون في شؤونهم ، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم ، يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث . فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمدٍ . فذهب ذلك الرجل ، ومعه سيفٌ صقيلٌ ، حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال : « الله » . ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ، فقال : « من يمنعك مني ؟ » . قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثّر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه ، فلمّا رجع إلى أصحابه ، فقالوا : ويلك ، ما لك ؟ فقال : نظرت إلى رجلٍ طويلٍ فدفع في صدري ، فوقعت لظهري ، فعرفت أنه ملَكٌ ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكثّر عليه جمعاً ، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام . قالوا : ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) انظر ما قاله شيخنا العلّامة حمد الجاسر رحمه الله في ضبطه لاسم هذا الموقع فيما علّقه على « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٢٣ ـ ٢٤) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٣) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٦) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٤) .

(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٩٤) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٤) .

ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ ﴾ الآية [المائدة : ١١] .

قال البيهقيّ(1) : وسيأتي في غزوة ذات الرّقاع قصةٌ تشبه هذه ، فلعلّهما قصتان .

قلت : إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً ؛ لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم ، بل استمر على دينه ، ولكن عاهد النبيّ ﷺ أن لا يقاتله ، والله أعلم .

غزوة الفُرُع(2) من بُحران(3)

قال ابن إسحاق(4) : فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كلّه ، أو إلّا قليلاً منه ، ثم غزا يريد قريشاً .

قال ابن هشام(5) : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ . قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُحران ، وهو معدنٌ بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام بها شهر ربيعٍ الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقال الواقديّ(6) : إنما كانت غيبته ، عليه السلام ، عن المدينة عشرة أيامٍ ، فالله أعلم .

خبر يهود بني قينقاع من أهل المدينة

وقد وزعم الواقديّ(7) أنها كانت في يوم السبت ، النصف من شوالٍ سنة ثنتين من الهجرة، فالله أعلم . وهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ .

قال ابن إسحاق(8) : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع .

قال : وكان من حديثهم أنّ رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم ، ثم قال : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريشٍ من النّقمة وأسلموا ؛ فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مرسلٌ ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم » . قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنّا قومك ! لا يغرّنّك أنّك لقيت قوماً لا عِلم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصةً ، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس » .

---

(1) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ١٦٩) .
(2) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٣١٥_٣١٦) .
(3) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٥٠) .
(4) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٥٠) .
(5) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٦) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٥) .
(6) انظر « المغازي » (١/ ١٩٧) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٥) .
(7) انظر « المغازي » (١/ ١٧٦) .
(8) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٤) .

قال ابن إسحاق[١] : فحدثني مولىً لزيد بن ثابتٍ ، عن سعيد بن جبيرٍ ، أو عن[٢] عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلّا فيهم : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ يعني أصحاب بدرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ وقريشٍ : ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران : ١٢ـ١٣] .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ بني قينقَاع كانوا أول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدرٍ وأحدٍ .

قال ابن هشام[٤] : فذكر عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسْوَر بن مخرمة ، عن أبي عونٍ ، قال : كان من أمر بني قينقاع أنّ امرأةً من العرب قدمت بجلبٍ لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغٍ هناك منهم ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلمّا قامت انكشفت سوأتها ؛ فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجلٌ من المسلمين على الصّائغ فقتله ، وكان يهوديّاً ، فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فأُغضب[٥] المسلمون ، فوقع الشرّ بينهم وبين بني قينقاع .

قال ابن إسحاق[٦] : فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في مواليّ ـ وكانوا حلفاء الخزرج ـ قال : فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، أحسن في مواليّ . قال : فأعرض عنه . قال : فأدخل يده في جيب درع النبيّ ﷺ ـ قال ابن هشام[٧] : وكان يقال لها : ذات الفضول ـ فقال له رسول الله ﷺ : « أرسلني » . وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُلَلاً ، ثم قال : « ويحك أرسلني » . قال : لا والله لا أُرسلك حتى تحسن في مواليّ ؛ أربعمئة حاسرٍ وثلاثمئة دارعٍ ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداةٍ واحدةٍ ، إني والله امرؤٌ أخشى الدّوائر . قال : فقال له رسول الله ﷺ : « هم لك » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٤) .
(٢) في (آ) و(ط) : « وعن » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٧ ـ ٤٨) .
(٥) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « مغضب » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٥) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩) .

قال ابن هشام[١] : واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في محاصرته إياهم أبا لبابة بَشير بن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلةً .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني أبي ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصَّامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ ، تشبّث بأمرهم عبد الله بن أُبيٍّ ، وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصَّامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان من بني عوفٍ ، لهم من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أُبيّ ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرّأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولّى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفَّار وولايتهم . قال : ففيه وفي عبد الله بن أبيٍّ نزلت القصة من المائدة : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ الآيات ، حتى قوله : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ﴾ يعني عبد الله بن أُبيٍّ ، إلى قوله : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥١ ـ ٥٦] يعني عبادة بن الصَّامت . وقد تكلّمنا على ذلك في « التفسير »[٣] .

سريّـة زيد بن حارثة

[رضي الله عنه]

قال يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق : وكانت بعد وقعة بدرٍ بستة أشهرٍ .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان من حديثها أنّ قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام ، حين كان من وقعة بدرٍ ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجارٌ ، فيهم أبو سفيان ، ومعه فضةٌ كثيرةٌ ، وهي عُظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائلٍ ، يقال له : فُرات بن حيّان ـ يعني العجليّ ، حليف بني سهمٍ ـ ليدلّهم على تلك الطريق .

قال ابن إسحاق[٥] : فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ، فلقيهم على ماءٍ يقال له : القَرَدة . من مياه نجدٍ ، فأصاب تلك العِير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ ، فقال في ذلك حسان بن ثابتٍ[٦] : [من الطويل]

دعوا[٧] فلجات الشام قد حال دونها ... جـلادٌ كـأفـواه المخـاض الأواركِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٥) .
(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ١٢٣ ـ ١٣١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٦) .
(٦) الأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٨٥) .
(٧) في « ديوان حسَّان بن ثابت » : « ذروا » .

بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربّهم وأنصاره حقّاً وأيدي الملائكِ
إذا سلكت للغور من بطن عالجٍ[١] فقولا لها ليس الطريق هنالِكِ

قال ابن هشامٍ[٢] : وهذه الأبيات في قصيدةٍ لحسان ، وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث .

وقال الواقديّ[٣] : كان خروج زيد بن حارثة في هذه السّريّة مستهلّ جمادى الأولى على رأس ثمانيةٍ وعشرين شهراً من الهجرة ، وكان رئيس هذه العِير صفوان بن أميّة ، وكان سبب بعثه زيد بن حارثة ؛ أنّ نعيم بن مسعودٍ قدم المدينة ومعه خبر هذه العِير ، وهو على دين قومه ، واجتمع بكنانة بن أبي الحُقَيق في بني النّضير ، ومعهم سليط بن النّعمان وكان أسلم ، فشربوا وكان ذلك قبل أن تحرّم الخمر ، فتحدّث بقضية العير نعيم بن مسعودٍ ، وخروج صفوان بن أميّة فيها ، وما معه من الأموال ، فخرج سليطٌ من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ ، فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم ، فأخذوا الأموال ، وأعجزهم الرّجال ، وإنما أسروا رجلاً أو رجلين وقدموا بالعير ، فخمّسها رسول الله ﷺ ، فبلغ خمسها عشرين ألفاً ، وقسّم أربعة أخماسها على السّريّة ، وكان فيمن أسر الدليل فُرات بن حيّان ، فأسلم ، رضي الله عنه .

قال ابن جرير[٤] : وزعم الواقديّ أنّ في ربيعٍ من هذه السنة تزوّج عثمان بن عفان أمّ كلثومٍ بنت رسول الله ﷺ ، وأُدخلت عليه في جمادى الآخرة منها .

مقتل كعب بن الأشرف اليهوديّ

وكان من بني طيّئٍ ، ثم أحد بني نبهان ، ولكنّ أُمّه من بني النّضير . هكذا ذكره ابن إسحاق[٥] قبل جلاء بني النّضير ، وذكره البخاريّ[٦] والبيهقيّ[٧] بعد قصة بني النّضير ، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق لما سيأتي ، فإن بني النّضير إنما كان أمرها بعد وقعة أحدٍ ، وفي محاصرتهم حرّمت الخمر ، كما سنبيّنه بطريقه إن شاء الله .

قال البخاريّ في « صحيحه »[٨] : قتل كعب بن الأشرف ، حدّثنا عليّ بن عبد الله ، حدّثنا سفيان ، عن عمرو : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ : « مَن لكعب بن الأشرف ؛ فإنّه قد آذى

---

(١) رواية هذه الشطرة في « ديوان حسّان بن ثابت » : « إذا هبطت حوران من رمل عالجٍ » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ١٩٧) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٩١) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٧) .
(٦) في « صحيحه » رقم (٤٠٣٧) .
(٧) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٨٧) .
(٨) رقم (٤٠٣٧) .

الله ورسوله ؟ » . فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله ، أتحبّ أن أقتله ؟ قال : « نعم » . قال : فأذن لي أن أقول شيئاً . قال : « قل » . فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقةً ، وإنّه قد عنّانا ، وإني قد أتيتك أستسلفك . قال : وأيضاً والله لتملّنّه . قال : إنّا قد اتبعناه ، فلا نحبّ أن ندعه حتى ننظر إلى أيّ شيءٍ يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا . قال : نعم ، ارهنوني . قلت : أيّ شيءٍ تريد ؟ قال : ارهنوني نساءكم . فقالوا : كيف نرهنك نساءنا ، وأنت أجمل العرب . قال : فارهنوني أبناءكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنا ؛ فيسبّ أحدهم ، فيقال : رهن بوسقٍ أو وسقين . هذا عارٌ علينا ، ولكن نرهنك اللأْمَةَ . قال سفيان : يعني السلاح . فواعده أن يأتيه ليلاً ، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة ، وهو أخو كعبٍ من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصن ، فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير عمروٍ : قالت : أسمع صوتاً كأنّه يقطر منه الدم . قال : إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ، إن الكريم لو دعي إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب . قال : ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، قيل لسفيان : سمّاهم عمروٌ ؟ قال : سمّى بعضهم . قال عمروٌ : جاء معه برجلين . وقال غير عمروٍ : أبو عبس بن جبرٍ والحارث بن أوسٍ وعبّاد بن بشرٍ ـ قال عمروٌ : جاء معه برجلين فقال : إذا ما جاء ، فإني نائلٌ[(١)] بشَعره فأشمّه ، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه . وقال مرّةً : ثم أشمّكم . فنزل إليهم متوشّحاً وهو ينفح منه ريح الطّيب ، فقال : ما رأيت كاليوم ريحاً . أي : أطيب . وقال غير عمروٍ : قال : عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب . قال عمروٌ : فقال : أتأذن لي أن أشمّ رأسك ؟ قال : نعم . فشمّه ثم أشمّ أصحابه ، ثم قال : أتأذن لي ؟ قال : نعم . فلما استمكن مِنْهُ ، قال : دونكم . فقتلوه ، ثم أتوا النبيّ ﷺ فأخبروه .

وقال محمد بن إسحاق[(٢)] : كان من حديث كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيّئٍ ثم أحد بني نبهان ، وأمّه من بني النّضير ، أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدرٍ ، حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، قال : والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم ، لَبطن الأرض خيرٌ من ظهرها . فلما تيقّن عدوّ الله الخبر ، خرج إلى مكة ، فنزل على المطّلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السّهميّ ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد منافٍ فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرّض على قتال رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ، ويندب من قتل من المشركين يوم بدرٍ . فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها : [من الكامل]

طحنتْ رحى بدرٍ لمهلك أهله ... ولمثـل بـدرٍ تستهـلّ وتـدمـعُ

وذكر جوابها من حسان بن ثابتٍ[(٣)] ، رضي الله عنه ، ومن غيره ، ثم عاد إلى المدينة فجعل يشبّب بنساء المسلمين ، ويهجو النبيّ ﷺ وأصحابه .

---

(١) في (ط) : « مائلٌ » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٧) .
(٣) ومما جاء في جواب حسَّان بن ثابت رضي الله عنه عليه كما في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٣) وهي في « ديوانه » (١/٤٢٦ ـ ٤٢٧) مع بعض الخلاف وانظر تعليق محققه عليها :
=

وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بني النّضير ، أو فيهم ، قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء ، وركب إلى قريشٍ فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك الله ، أديننا أحبّ إلى الله أم دين محمدٍ وأصحابه ؟ وأيّنا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحقّ ؟ إنّا نطعم الجزور الكوماءَ ، ونسقي اللبن على الماء ، ونطعمهم ما هبّت الشّمال . فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلاً . قال : فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥١ ـ ٥٢] .

قال موسى ومحمد بن إسحاق(١) : وقدم المدينة فجعل يعلن بالعداوة ويحرّض الناس على الحرب ، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ ، وجعل يشبّب بأمّ الفضل بنت الحارث ، وبغيرها من نساء المسلمين حتى آذاهم .

قال ابن إسحاق(٢) : فقال رسول الله ﷺ كما حدّثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة : « من لي بابن الأشرف ؟ » . فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله . قال : « فافعل إن قدرت على ذلك » . قال : فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلّا ما يُعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له : « لم تركت الطعام والشراب ؟ » . فقال : يا رسول الله ، قلت لك قولًا لا أدري هل أفي لك به أم لا ؟ قال : « إنما عليك الجهد » . قال : يا رسول الله ، إنه لا بدّ لنا من أن نقول . قال : « فقولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حلٍّ من ذلك » . قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسِلكان بن سلامة بن وقشٍ ، وهو أبو نائلة ، أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرَّضاعة ، وعبّاد بن بشر بن وقشٍ ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذٍ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبسٍ بن جبرٍ أخو بني حارثة . قال : فقدّموا بين أيديهم إلى عَدُوِّ الله كعبٍ سلكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدّث معه ساعةً ، تناشدا شعراً ـ وكان أبو نائلة يقول الشعر ـ ثم قال : ويحك يا بن الأشرف ، إني قد جئتك لحاجةٍ أريد ذكرها لك فاكتم عني . قال : أفعل . قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ؛ عادتْنا العرب ، ورمتنا عن قوسٍ واحدةٍ ، وقطعت عنّا السّبل ، حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا . فقال كعب بن

=
أبكـي لكعـب ثـم عُـلَّ بعبـرة	منـه وعـاش مجـدَّعـاً لا يسمـعُ
ولقـد رأيـت ببطـن بـدرٍ منهـمُ	قتلـى تسُـحّ لهـا العيـون وتـدمـعُ
فابكي فقد أبكيت عبداً راضعاً	شبـه الكُليـب إلـى الكليبـة يتبـعُ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسَّان .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٧) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٧) .

الأشرف : أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له سِلكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثّق لك ، وتحسن في ذلك . قال : ترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتَبيعهم ، وتحسن في ذلك ، ونرهنك من الحلْقة ما فيه وفاءٌ . وأراد سِلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا بها ، فقال : إن في الحلْقة لوفاءً . قال : فرجع سلكان إلى أصحابه ، فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا ، فيجتمعو إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[١] : فحدّثني ثور بن زيدٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ثم وجّههم وقال : « انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم » . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته في ليلةٍ مقمرةٍ ، فانطلقوا حتى انتَهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهدٍ بعرسٍ ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : أنت امرؤٌ محاربٌ ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشرّ . قال : يقول لها كعبٌ : لو دعي الفتى لطعنةٍ أجاب . فنزل فتحدّث معهم ساعةً وتحدّثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يا بن الأشرف أن نتماشى إلى شِعب العجوز ، فنتحدّث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشَون فمشوا ساعةً ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ، ثم شمّ يده ، فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قطّ . ثم مشى ساعةً ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنّ ، ثم مشى ساعةً ، ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوّ الله . فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغْنِ شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مِغولاً في سيفي فأخذته ، وقد صاح عدوّ الله صيحةً لم يبق حولنا حصنٌ إلّا أُوقدت عليه نارٌ . قال : فوضعته في ثنّته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدوّ الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذٍ بجرحٍ في رجله أو في رأسه ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بني أُمية بن زيدٍ ، ثم على بني قريظة ، ثم على بعاثٍ ، حتى أسندنا في حرّة العُرَيض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوسٍ ، ونزفه الدَّم ، فوقفنا له ساعةً ، ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه ، فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائمٌ يصلي ، فسلّمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا ، وقد خافت يهود لوقعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهوديٌّ إلّا وهو خائفٌ على نفسه .

قال ابن جريرٍ[٢] : وزعم الواقديّ أنهم جاؤوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[٣] : وفي ذلك يقول كعب بن مالكٍ : [من الوافر]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٨) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري (٢/ ٤٩١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٧) .

فغـودر منهـم كعـبٌ صـريعـاً فـذلّـت بعـد مصرعـه النّضيـر
علـى الكفّيـن ثـم وقـد علتْـه بـأيـدينـا مشهّـرةٌ ذكـور
بـأمـر محمـدٍ إذ دسّ ليـلاً إلـى كعـبٍ أخـا كعـبٍ يسيـر
فمـا كـره فـأنـزلـه بمكـرٍ ومحمـودٌ أخـو ثقـةٍ جسـور

قال ابن هشام(١) : وهذه الأبيات في قصيدةٍ له في يوم بني النّضير ستأتي .

قلت : كان قتل كعب بن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدرٍ ، ثم إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبي الحُقيق بعد وقعة أحدٍ ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، وبه الثقة .

وقد أورد ابن إسحاق شعر حسان بن ثابت(٢) : [من الكامل]

لله درّ عصـابـةٍ لاقَيتَهـم يابن الحُقيق وأنت يابن الأشرف
يسْـرون بـالبيـض الخفَـاف إليكـمُ مـرُحاً كـأُسدٍ في عَـرِيـنٍ مغـرف
حتـى أتـوكـم فـي محـلّ بـلادكـم فسقـوكـمُ حتفـاً ببيـضٍ ذفّـف
مستنصيـريـن لنصـر ديـن نبيّهـم مستصغـريـن لكـلّ أمـرٍ مجحـفِ

قال محمد بن إسحاق(٣) : وقال رسول الله ﷺ : « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » . فوثب عند ذلك محيّصة بن مسعودٍ الأوسيّ على ابن سنينة ـ رجلٍ من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم ـ فقتله ، وكان أخوه حويّصة بن مسعودٍ أسنّ منه ، ولم يسلم بعد ، فلمّا قتله جعل حويّصة يضربه ويقول : أي عدوّ الله ، أقتلتَه ؟ أما والله لربّ شحمٍ في بطنك من ماله . قال محيّصة : فقلت : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويّصة ، وقال : والله لو أمرك محمدٌ بقتلي لتقتلني ؟! قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها . قال : فوالله إن دِيناً بلغ بك هذا لعجبٌ ، فأسلم حويّصة .

قال ابن إسحاق(٤) : حدّثني بهذا الحديث مولىً لبني حارثة ، عن ابنة محيّصة ، عن أبيها .

وقال في ذلك محيّصة : [من الطويل]

يلـوم ابـنُ أمّ لـو أمـرت بقتلـه لطبّقـت ذِفـراه بـأبيـضَ قـاضـب
حسامٍ كلون الملح أُخلص صقله متـى مـا أُصـوّبـه فليـس بكـاذب
ومـا سـرّنـي أنّـي قتلتـك طـائعـاً وأنّ لنـا مـا بيـن بصـرى ومـأرب

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٧ ـ ٥٨) و« ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٤١١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٨) .

وحكى ابن هشام[١] : عن أبي عبيدة ، عن أبي عمروٍ المدنيّ أنّ هذه القصة كانت بعد مقتل بني قريظة ، وأن المقتول كان كعب بن يهوذا ، فلمّا قتله محيّصة عن أمر رسول الله ﷺ ، يوم بني قريظة ، قال له أخوه حويّصة ما قال ، فردّ عليه محيّصة بما تقدّم ، فأسلم حويّصة يومئذٍ ، فالله أعلم .

تنبيهٌ : ذكر البيهقيّ والبخاريّ قبله خبر بني النّضير قبل وقعة أحدٍ ، والصواب إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي ، وبرهانه أنّ الخمر حرّمت ليالي حصار بني النّضير ، وثبت في « الصحيح »[٢] أنّه اصطبح الخمرَ جماعةٌ ممّن قتل يوم أحدٍ شهيداً ، فدلّ على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً ، وإنما حرّمت بعد ذلك ، فتبيّن ما قلناه من أن قصة بني النّضير بعد وقعة أحدٍ[٣] ، والله أعلم .

تنبيهٌ آخر : خبر يهود بني قينقاع بعد وقعة بدرٍ كما تقدّم ، وكذلك قتل كعب بن الأشرف اليهوديّ على يدي الأوس ، وخبر بني النّضير بعد وقعة أحدٍ كما سيأتي ، وكذلك مقتل أبي رافعٍ اليهوديّ تاجر أهل الحجاز ، على يدي الخزرج على المشهور ، وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الأحزاب وقصة الخندق ، كما سيأتي .

غزوة أُحدٍ في شوالٍ سنة ثلاثٍ

فائدةٌ ذكرها المؤلف في تسمية أحدٍ :

قال : سمّي أحدٌ أحداً ؛ لتوحّده من بين تلك الجبال[٤] .

وفي « الصحيح »[٥] : « أحدٌ جبلٌ يحبّنا ونحبّه » .

قيل : معناه أهله . وقيل : لأنّه كان يبشّره بقرب أهله إذا رجع من سفره ، كما يفعل المُحبُّ . وقيل : على ظاهره ، كقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة : ٧٤] .

وفي الحديث عن أبي عبس بن جبرٍ[٦] : « أحدٌ يحبّنا ونحبّه ، وهو على باب الجنة ، وعِيرٌ[٧] يبغضُنا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٩) .
(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٢٨١٥) و(٤٠٤٤) و(٤٦١٨) .
(٣) قلت : وكذا ذكرها المؤلف في كتابه « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ص(١٥٧ ـ ١٥٨) فرتّب الكلام عليها فيما جرى بعد غزوة أحد ، وقد سبقه إلى ذلك ابن سيد الناس في « عيون الأثر » (٢/ ٧٣) .
(٤) وقد ذكر الفيروزابادي مثل كلام المؤلف وزاد عليه في كتابه الهام « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(١٠) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٤٨١) ومسلم رقم (١٣٦٥) .
(٦) ذكره الهيثمي في « كشف الأستار عن زوائد البزّار » رقم (١١٩٩) وفي « مجمع الزوائد » (٤/ ١٢) وقال : وفيه من لم أعرفه .
(٧) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

ونبغضه ، وهو على بابٍ من أبواب النار » . قال السّهيليّ مقوّياً لهذا الحديث : وقد ثبت أنّه ، عليه الصلاة والسلام ، قال : « المرء مع من أحبّ » . وهذامن غريب صنع السهيليّ ؛ فإن هذا الحديث إنّما يراد به الناس ، ولا يسمّى الجبل امرأً .

وكانت هذه الغزوة في شوالٍ سنة ثلاثٍ . قاله الزّهريّ ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، ومالكٌ[1] .

قال ابن إسحاق : للنصف من شوالٍ .

وقال قتادة : يوم السبت الحادي عشر منه .

قال مالكٌ : وكانت الوقعة في أول النهار ، وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ الآيات وما بعدها إلى قوله : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران : ١٢١ ـ ١٧٩] .

وقد تكلّمنا على تفاصيل ذلك في كتابنا » بما فيه كفايةٌ . ولله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ملخّص الوقعة ممّا ساقه محمد بن إسحاق ، وغيره من علماء هذا الشأن .

قال ابن إسحاق رحمه الله : وكان من حديث أحدٍ ، كما حدّثني محمد بن مسلمٍ الزهريّ ، ومحمد بن يحيى بن حبّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذٍ ، وغيرهم من علمائنا ، كلّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث عن يوم أحدٍ ، وقد اجتمع حديثهم كُلُّه فيما سقت ، قالوا ـ أو من قال منهم ـ : لمّا أصيب يوم بدرٍ من كفّار قريشٍ أصحابُ القليب ، ورجع فُلُّهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حربٍ بعِيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهلٍ ، وصفوان بن أُمية ، في رجالٍ من قريشٍ ممّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدرٍ ، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العِير من قريشٍ تجارةٌ ، فقالوا : يا معشر قريشٍ ، إن محمداً قد وتَرَكم وقتل خياركم ؛ فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأرنا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق[2] : ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

---

(١) وأكده ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد في هدي خير العباد » (٣/ ١٧٢ ـ ١٧٣) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠١) .

قالوا : فأجمعت قريشٌ لحرب رسول الله ﷺ ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العِير ، بأحابيشها[١] ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وكان أبو عزّة عمرو بن عبد الله الجمحيّ قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، وكان فقيراً ذا عيالٍ وحاجةٍ ، وكان في الأسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزّة ، إنّك امرؤٌ شاعرٌ ، فأعنّا بلسانك واخرج معنا . فقال : إن محمداً قد منّ عليّ ، فلا أريد أن أُظاهر عليه . قال : بلى ، فأعنّا بنفسك ، فلك الله إن رجعت أن أُعينك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي ، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسرٍ ويسرٍ . فخرج أبو عزّة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول : [من الرجز]

أيا بني عبد مناة الرُّزّامْ ... أنتم حماةٌ وأبوكمُ حامْ
لا يعدوني نصركم بعد العامْ ... لا تسلموني لا يحلّ إسلامْ

قال : وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرّضهم ويقول : [من الرجز]

يا مال مال الحسب المقدَّمِ ... أنشد ذا القربى وذا التّذمّمِ
من كان ذا رحمٍ ومن لم يرحمِ ... الحِلْفَ وسْط البلد المحرّمِ
عند حطيم الكعبة المعظّمِ

قال : ودعا جبير بن مطعمٍ غلاماً حبشيّاً ، يقال له : وحشيٌّ . يقذف بحربةٍ له قذف الحبشة ، قلّما يخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عمّ محمدٍ بعمّي طُعيمة بن عديٍّ ، فأنت عتيقٌ . فخرجت قريشٌ بحدّها وحديدها وجدّها وأحابيشها ، ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظّعن ؛ التماس الحفيظة وأن لا يفرّوا ، وخرج أبو سفيان صخر بن حربٍ ، وهو قائد الناس ، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة ، وخرج عكرمة بن أبي جهلٍ بزوجته ابنة عمّه أمّ حكيمٍ بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج عمّه الحارث بن هشامٍ بزوجته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عميرٍ الثّقفيّة ، وخرج عمرو بن العاص برَيْطة بنت منبّه بن الحجّاج ، وهي أمّ ابنه عبد الله بن عمروٍ . وذكر غيرهم ممّن خرج بامرأته ، قال : وكان وحشيٌّ كلما مرَّ بهند بنت عتبة ، أو مرّت به ، تقول : ويهاً أبا دسمة ، اشف واشتف ـ يعني تُحرِّضه على قتل حمزة بن عبد المطلب ـ فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبلٍ ببطن السّبخة من قناةٍ على شفير الوادي مقابل المدينة ، فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، قال لهم : « إنّي قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقراً تذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثَلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينةٍ ، فأوّلتها المدينة » . وهذا الحديث رواه البخاريّ ومسلمٌ[٢] جميعاً ، عن أبي كريبٍ ، عن أبي أُسامة ، عن بريد بن عبد الله بن أبي

---

(١) انظر التعريف بهم في حاشية « زاد المعاد » (٣/ ١٧٢) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٢٢) ومسلم رقم (٢٢٧٢) .

بـردة ، عن أبي بـردة ، عن أبي موسى الأشعريّ ، عن النبيّ ﷺ قال : « رأيت في المنام أنّي أهاجر من مكة إلى أرضٍ بهـا نخلٌ، فذهب وهَلي إلى أنّها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب ، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحدٍ، ثم هززته أخرى، فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقراً، والله خيرٌ، فإذا هم النّفر من المؤمنين يوم أحدٍ ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصّدق الذي آتانا الله[١] بعد يوم بدرٍ » .

وقال البيهقيّ[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصمّ ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهبٍ ، أخبرني ابن أبي الزّناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباسٍ ، قال : تنفّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقَار يوم بدرٍ . قال ابن عباسٍ : وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحدٍ ؛ وذلك أنّ رسول الله ﷺ لمّا جاءه المشركون يوم أحدٍ ، كان رأيه أن يقيم بالمدينة ، فيقاتلهم فيها ، فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدراً : تخرج بنا يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحدٍ . ورجَوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدرٍ ، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته ، ثم ندموا وقالوا : يا رسول الله ، أقم ، فالرّأي رأيك . فقال لهم : « ما ينبغي لنبيٍّ أن يضع أداته بعدما لبسها ، حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه » . قال : وكان قال لهم يومئذٍ قبل أن يلبس الأداة : « إنّي رأيت أنّي في درعٍ حصينةٍ ، فأوّلتها المدينة ، وأنّي مردفٌ كبشاً ، فأوّلته كبش الكتيبة ، ورأيت أنّ سيفي ذا الفقَار فُلّ ، فأوّلته فَلّاً فيكم ، ورأيت بقراً تذبح ، فبقرٌ ، والله خيرٌ » . ورواه التّرمذيّ وابن ماجه ، من حديث عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن أبيه به[٣] .

وروى البيهقيّ[٤] من طريق حمّاد بن سلمة ، عن عليٍّ بن زيدٍ ، عن أنسٍ مرفوعاً ، قال : « رأيت فيما يرى النائمُ كأنّي مردفٌ كبشاً ، وكأن ظبة سيفي انكسرت ، فأوّلت أنّي أقتل كبش القوم ، وأوّلت كسر ظبة سيفي قتل رجلٍ من عترتي » . فقتل حمزة ، وقتل رسول الله ﷺ طلحة ، وكان صاحب اللّواء .

وقال موسى بن عقبة : ورجعت قريشٌ فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب ، وسار أبو سفيان بن حربٍ في جمع قريشٍ ، وذلك في شوالٍ من السنة المقبلة من وقعة بدرٍ ، حتى نزلوا ببطن

---

(١) لفظ الجلالة لم يرد في (ط) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢٠٤) .

(٣) رواه الترمذي رقم (١٥٦١) وابن ماجه رقم (٢٨٠٨) ، وهو حديث حسن ، في سنده ابن أبي الزناد ، قال الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) (٢/ ٥٧٦) وقد مشاه جماعة وعدّلوه ، وهو إن شاء الله حسن الحال في الرواية .

(٤) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٠٥) ، وإسناده ضعيف ، والصحيح أن الذي قتل طلحة ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الوادي الذي قِبَل أُحدٍ ، وكان رجالٌ من المسلمين لم يشهدوا بدراً ، ندموا على ما فاتهم من السابقة ، وتَمَنَّوا لقاء العدوّ ؛ ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدرٍ ، فلمّا نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أُحدٍ ، فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدراً بقدوم العدوّ عليهم ، وقالوا : قد ساق الله علينا أمنيّتنا . ثم إنّ رسول الله ﷺ أُري ليلة الجمعة رؤيا ، فأصبح ، فجـاءه نفرٌ من أصحابه فقال لهم : « رأيت البارحة في منامي بقراً تذبح ، والله خيرٌ ، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبيه ـ أو قال : « به فلولٌ » ـ فكرهته ، وهما مصيبتان ، ورأيت أنّي في درعٍ حصينةٍ ، وأنّي مردفٌ كبشاً » فلمّا أخبرهم رسول الله ﷺ برؤياه ، قالوا : يا رسول الله ، ماذا أوّلتَ رؤياك ؟ قال : « أَوّلْتُ البقر الذي رأيت نفراً فينا وفي القوم ، وكرهت ما رأيت بسيفي » . ويقول رجالٌ : كان الذي رأى بسيفه ، الذي أصاب وجهه ؛ فإن العدوّ أصاب وجهه يومئذٍ ، وقصموا رباعيته وخرقوا شفته ، يزعمون أنّ الذي رماه عتبة بن أبي وقّاص ، وكان البقر مَن قتل من المسلمين يومئذٍ . وقال : « أوّلت الكبش أنّه كبش كتيبة العدوّ يقتله الله ، وأوّلت الدّرع الحصينة المدينة ، فامكثوا واجعلـوا الذّراريّ في الآطـام ، فإن دخل علينا القوم في الأزقّة ، قاتلناهم ورُموا من فـوق البيوت » . وكانـوا قد سكّوا أزقّة المدينة بالبنيان حتى كانت كالحصن . فقال الذين لم يشهدوا بدراً : كنّا نتمنّى هذا اليوم وندعو الله ، فقد ساقه الله إلينا وقرّب المسير . وقال رجالٌ من الأنصار : متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شِعبنا ؟ وقال رجالٌ : ماذا نمنع إذا لم نمنع الحرث يزرع ؟ وقال رجالٌ قولاً صدقوا به ومضوا عليه ، منهم حمزة بن عبد المطلب ، قال : والذي أنزل عليك الكتاب لنجالدنّهم . وقال نعمان بن مالك بن ثعلبة ، وهو أحد بني سالمٍ : يا نبيّ الله ، لا تحـرمنا الجنّة ، فـوالذي نفسي بيده لأدخلنّها . فقال لـه رسول الله ﷺ : « بم ؟ » . قال : لأنّي أحبّ الله ورسوله ، ولا أفرّ يوم الزّحف . فقال له رسول الله ﷺ : « صدقت » . واستُشهد يومئذٍ . وأبى كثير من الناس إلّا الخروج إلى العدوّ ، ولم يتناهـوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه ، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك ، ولكن غلب القضاء والقدر ، وعامّة من أشار عليه بالخروج رجالٌ لم يشهدوا بدراً ، قد علموا الذي سبق لأصحاب بدرٍ من الفضيلة ، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ الجمعة ، وعظ الناس وذكّرهم وأمرهم بالجدّ والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بلأمته فلبسها ، ثم أذّن في الناس بالخروج ، فلمّا رأى ذلك رجالٌ من ذوي الرأي ، قالوا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة ، وهو أعلم بالله وما يريد ، ويأتيه الوحي من السماء ، فقالوا : يا رسول الله ، امكث كما أمرتنا . فقال : « ما ينبغي لنبيٍّ إذا أخذ لأمة الحرب وأذّن بالخروج إلى العدوّ ، أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلّا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدوّ ، وانظروا ما آمركم به فافعلوه » . قال : فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ، فسلكوا على البدائع ، وهم ألف رجلٍ ، والمشركون ثلاثة آلافٍ ، فمضى رسول الله ﷺ حتى نزل بأحدٍ ، ورجع عنه عبد الله بن أُبيّ بن سلول في ثلاثمئةٍ ، فبقي رسول الله ﷺ، في سبعمئةٍ .

قال البيهقيّ[١] : هذا هو المشهور عند أهل المغازي ؛ أنّهم بقوا في سبعمئة مقاتلٍ . قال : والمشهور عن الزّهريّ أنّهم بقوا في أربعمئة مقاتلٍ ، كذلك رواه يعقوب بن سفيان[٢] ، عن أصبغ ، عن ابن وهبٍ ، عن يونس ، عن الزّهريّ . وقيل عنه بهذا الإسناد : سبعمئةٍ ، فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ، وكان معهم مئة فرسٍ ، وكان لواؤه مع طلحة بن عثمان . قال : ولم يكن مع المسلمين فرسٌ واحدةٌ . ثم ذكر الوقعة كما سيأتي تفصيلها ، إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : لمّا قصّ رسول الله ﷺ رؤياه على أصحابه قال لهم : « إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدَعوهـم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقامٍ ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » . وكان رأي عبد الله بن أُبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ في أن لا يخرج إليهم ، فقال رجالٌ من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحدٍ وغيره ممّن كان فاته بدرٌ : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنّا جبُنّا عنهم وضعفنا . فقال عبد الله بن أُبيٍّ : يا رسول الله ، لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ قطُّ إلّا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلّا أصبنا منه . فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأْمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من بني النجّار يقال له : مالك بن عمروٍ . فصلّى عليه ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك . فلمّا خرج عليهم قالوا : يا رسول الله ، إن شئت فاقعد . فقال : « ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل » . فخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه .

قال ابن هشامٍ[٤] : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ .

قال ابن إسحاق[٥] : حتى إذا كان بالشّوط بين المدينة وأُحدٍ ، انخزل عنه عبد الله بن أُبيٍّ بثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ، وما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيّها الناس ؟! فرجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النِّفَاق والرِّيب ، واتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرامٍ السّلميّ ، والد جابر بن عبد الله ، فقال : يا قوم ، أذكّركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيّكم عند ما حضر من عدوّهم . قالوا : لو نعلم أنّكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أنّه يكون قتالٌ . فلمّا استعصوا عليه وأبوا إلّا الانصراف ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيّه .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢٢٠) .

(٢) انظر « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٢٨٢) للفسوي .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٣) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٤) والعبارة فيه : « واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٤) .

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٧] يعني ، أنّهم كاذبون في قولهم : لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم . وذلك لأنّ وقوع القتال أمره ظاهرٌ بيّنٌ واضحٌ ، لا خفاء به ولا شكّ فيه ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ ﴾ الآية [النساء : ٨٨] . وذلك أن طائفةً قالت : نقاتلهم . وقال آخرون : لا نقاتلهم . كما ثبت وبُيّن في « الصحيح »(١) .

وذكر الزّهريّ أن الأنصار استأذنوا حينئذٍ رسول الله ﷺ في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة ، فقال : « لا حاجة لنا فيهم » .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أنّ بني سلمة وبني حارثة ، لما رجع عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه ، همّتا أن تفشلا ، فثبّتهما الله تعالى . ولهذا قال : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] .

قال جابر بن عبد الله : ما أُحبّ أنها لم تنزل ، والله يقول : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ ﴾ . كما هو ثابتٌ في « الصحيحين » عنه(٢) .

قال ابن إسحاق(٣) : ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذبّ فرسٌ بذَنبه ، فأصاب كلّاب سيفٍ فاستلّه فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف : « شِم سيفك ـ أي أغمده ـ فإنّي أرى السيوف ستُسلّ اليوم » . ثم قال النبيّ ﷺ لأصحابه : « مَن رجلٌ يخرج بنا على القوم من كثَبٍ ـ أي من قربٍ ـ من طريقٍ لا يمرّ بنا عليهم ؟ » . فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرّة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به في مالٍ لمربع بن قيظيٍّ ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ، فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، قام يحثي في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله ، فإنّي لا أحلّ لك أن تدخل في حائطي .

قال ابن إسحاق(٤) : وقد ذُكر لي أنّه أخذ حفنةً من ترابٍ في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنّي لا أصيب بها غيرك يا محمد ، لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » . وقد بدر إليه سعد بن زيدٍ أخو بني عبد الأشهل ، قبل نهي رسول الله ﷺ ، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه ، ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشّعب من

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٥٨٩) و« صحيح مسلم » رقم (٢٧٧٦) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٥١) ومسلم (٢٥٠٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٥) .

أُحدٍ ، في عُدْوة الوادي إلى الجبل ، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحدٍ ، وقال : « لا يقاتلنّ أحدٌ حتى نأمره بالقتال » . وقد سرّحت قريشٌ الظّهر والكراع في زروعٍ كانت بالصّمغة من قناة للمسلمين ، فقال رجلٌ من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال ، أتُرعى زروعُ بني قيلة ولما نضارب ؟! وتعبَّأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمئة رجلٍ ، وأمّر على الرّماة يومئذٍ عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو معلَّم يومئذ بثيابٍ بيضٍ ، والرّماة خمسون رجلاً ، فقال : « انضح الخيل عنا بالنّبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك ، لا نؤتينّ من قِبلك » وسيأتي شاهد هذا في « الصحيحين » إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق[1] : وظاهرَ رسول الله ﷺ بين درعين ـ يعني لبس درعاً فوق درعٍ ـ ودفع اللّواء إلى مصعب بن عميرٍ ، أخي بني عبد الدار .

قلت : وقد ردّ رسول الله ﷺ جماعةً من الغلمان يوم أحدٍ ، فلم يمكّنهم من حضور الحرب لصغرهم ؛ منهم عبد الله بن عمر ، كما ثبت عنه في « الصحيحين » قال : عُرضتُ على النبيّ ﷺ يوم أحدٍ فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة ، فأجازني . وكذلك ردّ يومئذٍ أسامة بن زيدٍ ، وزيد بن ثابتٍ ، والبراء بن عازبٍ ، وأسيد بن ظهيرٍ ، وعَرابة بن أوس بن قيظيٍّ ، ذكره ابن قتيبة في « المعارف »[2] وأورده السّهيليّ[3] . قال : وهو الذي يقول فيه الشّمّاخ[4] : [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلقّاها عَرابة باليمين

ومنهم سعد ابن حبتة ، ذكره السّهيليّ أيضاً ، وأجازهم كلّهم يوم الخندق ، وكان قد ردّ يومئذٍ سمرة بن جندبٍ ورافع بن خديجٍ ، وهما ابنا خمس عشرة سنةً ، فقيل : يا رسول الله ، إنّ رافعاً رامٍ . فأجازه . فقيل : يا رسول الله ، فإنّ سمرة يصرع رافعاً . فأجازه .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله[5] : وتعبّأتْ قريشٌ ، وهم ثلاثة آلافٍ ، ومعهم مئتا فرسٍ قد جنّبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشامٍ . وقال رسول الله ﷺ : « من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ » . فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بني ساعدة فقال : وما حقّه يا رسول الله ؟ قال : « أن تضرب به في العدوّ حتى ينحني » . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقّه . فأعطاه إياه . هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٦٦) .
(٢) انظر « المعارف » ص(٣٣٠) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٤٥٣) .
(٤) البيت في « ديوان الشمّاخ » ص(٣٣٦) طبع دار المعارف بمصر .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٦) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا يزيد وعفان قالا : حدّثنا حمّادٌ ، هو ابن سلمة ، أخبرنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أنّ رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحدٍ فقال : « من يأخذ هذا السيف ؟ » . فأخذه قومٌ فجعلوا ينظرون إليه ، فقال : « من يأخذه بحقّه ؟ » . فأحجم القوم ، فقال أبو دجانة سماكٌ : أنا آخذه بحقّه . فأخذه ففلق به هام المشركين .

ورواه مسلمٌ[٢] ، عن أبي بكرٍ ، عن عفّان به .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، وكان له عصابةٌ حمراء يعلم بها عند الحرب ، يعتصب بها فيعلم الناس أنه سيقاتل . قال : فلمّا أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبختر بين الصّفين .

قال : فحدّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ، عن رجلٍ من الأنصار من بني سلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر : « إنها لمشيةٌ يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللّواء من بني عبد الدار يحرّضهم على القتال : يا بني عبد الدار ، قد ولّيتم لواءنا يوم بدرٍ ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قِبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفُونا لواءنا ، وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه . فهمّوا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلّم إليك لواءنا ! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع . وذلك أراد أبو سفيان .

قال : فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعضٍ ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدّفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرّضن على القتال ، فقالت هند فيما تقول : [من الرجز]

ويْهاً بني عبد الدار   ويْهاً حماة الأدبار
ضرباً بكلّ بتّار

وتقول أيضاً : [من مجزوء الرجز]

إن تُقبلوا نعانق   ونفرش النّمارق
أو تدبروا نفارق   فراقَ غيرِ وامق

قال ابن إسحاق[٥] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامرٍ عبد عمرو بن صيفيّ بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاماً من الأوس ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٢٣) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٧٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٦) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٧) .

وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر . وكان يعِد قريشاً أن لو قد لقي قومه ، لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس ، كان أول من لقيهم أبو عامرٍ في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامرٍ . قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق . وكان يسمّى في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق . فلما سمع ردّهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ . ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق[١] : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس .

قال ابن هشام[٢] : وحدّثني غير واحدٍ من أهل العلم ، أنّ الزّبير بن العوّام قال : وجدتُ في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة : وقلت : أنا ابن صفيّة عمّته ومن قريشٍ ، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه أبا دجانة وتركني ، والله لأنظرنّ ما يصنع . فاتّبعته فأخرج عصابةً له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت . وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب ، فخرج وهو يقول : [من الرجز]

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسّفح لدى النخيلِ
أن لا أقوم الدهر في الكَيّول أَضربْ بسيف الله والرسولِ

وقال الأمويّ : حدّثني أبو عبيدٍ في حديث النبيّ ﷺ[٣] ؛ أن رجلاً أتاه وهو يقاتل ، فسأله سيفاً يقاتل به ، فقال : « لعلك إن أعطيتك ، تقاتل في الكَيّول ؟ » . قال : لا . فأعطاه سيفاً ، فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذي عاهدني خليلي أن لا أقوم الدهر في الكَيّول

وهذا حديثٌ يروى عن شعبة ، ورواه إسرائيل ، كلاهما عن أبي إسحاق ، عن هنيدة بن خالدٍ أو غيره يرفعه . الكيّول يعني مؤخّر الصفوف ، سمعته من عدّةٍ من أهل العلم ، ولم أسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث .

قال ابن إسحاق[٤] : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله ، وكان في المشركين رجلٌ لا يدع جريحاً إلا ذفّف عليه ، فجعل كلّ منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة ، فاتّقاه بدرقته[٥] ، فعضّت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٨) .
(٣) وذكره أبو عبيد في كتابه « غريب الحديث » (٢/ ٢٤٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٩) .
(٥) أي : بترسه .

على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال الزّبير : فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقد رواه البيهقيّ في « الدلائل »(١) من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزّبير بن العوّام بذلك .

قال ابن إسحاق(٢) : قال أبو دجانة : رأيت إنساناً يُحمش الناس حمشاً شديداً ، فصمدت له ، فلمّا حملت عليه السيف وَلْوَلَ ، فإذا امرأةٌ ، فأكرمتُ سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأةً .

وذكر موسى بن عقبة أنّ رسول الله ﷺ لما عرضه ، طلبه منه عمر ، فأعرض عنه ، ثم طلبه منه الزّبير ، فأعرض عنه ، فوجدا في أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه الثالثة ، فطلبه أبو دجانة ، فدفعه إليه ، فأعطى السيف حقّه . قال : فزعموا أنّ كعب بن مالكٍ قال : كنت فيمن جرح من المسلمين ، فلمّا رأيت مَثْل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاوزت ، فإذا رجلٌ من المشركين جمع اللأْمة يحوز المسلمين ، وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم . قال : وإذا رجلٌ من المسلمين قائمٌ ينتظره وعليه لأمته ، فمضيت حتى كنت من ورائه ، ثم قمت أقدُر المسلم والكافر ببصري ، فإذا الكافر أفضلهما عدّةً وهيئةً . قال : فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا ، فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربةً بالسيف فبلغت ورِكه ، وتفرّق فرقتين ، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دجانة .

مقتل حمزة ، رضي الله عنه

قال ابن إسحاق(٣) : وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتَل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف [بن عبد الدار] ، وكان أحد النّفر الذين يحملون اللواء .

وكذلك قتَل عثمانَ بنَ أبي طلحة ، وهو حامل اللواء ، وهو يقول : [من الرجز]

إن علـى أهـل اللـواء حقـا أن يخضبوا الصّعدة أو تندقّا

فحمل عليه حمزة فقتله ، ثم مرّ به سباع بن عبد العزّى الغبشانيّ ، وكان يكنى بأبي نيارٍ ، فقال حمزة : هلمّ [إليّ] يابن مقطّعة البُظور . وكانت أمّه أمّ أنمارٍ مولاة شريق بن عمرو بن وهبٍ الثّقفيّ ، وكانت ختّانةً بمكة ، فلمـا التقيـا ضربه حمزة فقتله ، قال وحشيٌّ غلام جبيرٍ بن مطعم : والله إنّي لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه ما يُليق شيئاً ، مثل الجمل الأورق ، إذ قد تقدّمني إليه سباعٌ ، فقال حمزة : هلمّ إليّ يا بن مقطّعة البظور . فضربه ضربةً فكأنما أخطأ رأسه ، وهززت حربتي ، حتى إذا رضيتُ منها دفعتُها عليه ، فوقعت في ثنّته(٤) حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوي ، فغلب فوقع ، وأمهلته

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٣٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٩) .
(٤) أي : ما بين السُّرَّة والعانة من أسفل البطن .

حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ، ثم تنحّيت إلى العسكر ، ولم يكن لي بشيءٍ حاجةٌ غيره .

(وقال أبو بكر بن أبي عاصمٍ : حدّثني عبد الوهّاب بن نجدة ، حدّثنا بقيّة ، عن بحيرٍ ، عن خالد بن معدان ، عن أبي بلالٍ ، عن عبد الله بن السائب ، أنّ رسول الله ﷺ كان يوم الشّعب آخر أصحابه ، ولم يكن بينه وبين العدوّ غير حمزة يقاتل العدوّ ، فرصده وحشيٌّ فقتله ، وقد قتل الله بيد حمزة من الكُفَّار أحداً وثلاثين ، وكان يدعى أسد الله)[١] .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني عبد الله بن الفضل بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن جعفر بن عمرو بن أميّة الضّمريّ قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عديٍّ بن الخيار ، أخو[٣] بني نوفل بن عبد منافٍ ، في زمان معاوية ، فأدربنا[٤] مع الناس ، فلما مررنا بحمص ، وكان وحشيٌّ مولى جبيرٍ قد سكنها وأقام بها ، فلمّا قدمناها قال عبيد الله بن عديٍّ : هل لك في أن نأتي وحشياً ، فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجلٌ ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحياً تجدا رجلاً عربياً ، وتجدا عنده بعض ما تريدان ، وتصيبا عنده ما شئتما من حديثٍ تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه [ودعاه] . قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسةٍ له ، وإذا شيخٌ كبيرٌ مثل البغاث ، وإذا هو صاحٍ لا بأس به ، فلمّا انتهينا إليه سلّمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عديّ فقال : ابنٌ لعديّ بن الخيار أنت ؟ قال : نعم . قال : أما والله ما رأيتُك منذ ناولتُك أمّك السّعديّة التي أرضعتك بذي طوى ، فإنّي ناولتُكها وهي على بعيرها ، فأخذتْك بعُرضيك ، فلمعت لي قدماك حين رفعتُك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفتَ عليّ فعرفتُهما . قال : فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدّثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتلته ؟ فقال : أما إنّي سأحدّثكما كما حدّثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك ؛ كنت غلاماً لجبيرٍ بن مطعمٍ ، وكان عمُّه طعيمة بن عديٍّ قد أصيب يوم بدرٍ ، فلمّا سارت قريشٌ إلى أُحدٍ قال لي جبيرٌ : إن قتلت حمزة عمّ محمدٍ بعمّي طُعَيْمَة[٥] ، فأنت عتيقٌ . قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشيّاً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلّما أخطئ بها شيئاً ، فلمّا التقى الناس خرجتُ أنظر حمزة وأتبصّره ، حتى رأيته في عرض الناس كأنّه الجمل الأورق ، يهدّ الناس بسيفه هدّاً ما يقوم له شيءٌ ، فوالله إني لأتهيّأ له ، أريده وأستتر منه بشجرةٍ أو بحجرٍ ليدنو مني ، إذ تقدّمني إليه سباع بن عبد العزّى ،

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ط) وانفردت به (آ) ، والحديث إسناده ضعيف ، وفي متنه شذوذ ففيه أن حمزة قتل الله بيده واحداً وثلاثين ، وعدد من قتل في أحد لا يتجاوز بضعاً وعشرين ، وأن حمزة قتل منهم أربعة .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٠) .

(٣) في (ط) : « أحد » وهو خطأ ، وما جاء في (آ) موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٤) أي : دخلنا الدَّرب .

(٥) لفظ « طُعَيْمَة » لم يرد في (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام ، وهو مما انفردت به (آ) .

فلمّا رآه حمزة قال : هلمّ إليّ يابن مقطّعة البظور . قال : فضربه ضربةً كأنما أخطأ رأسه . قال : وهززت حربتي ، حتى إذا رضيتُ منها ، دفعتُها عليه ، فوقعت في ثنّته حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوءَ نحوي فغُلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتي ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجةٌ ، إنما قتلته لأُعتق ، فلمّا قدمت مكة عتقت ثم أقمت ، حتى [إذا] افتتح رسول الله ﷺ مكة ، هربت إلى الطّائف فكنت بها ، فلما خرج وفدُ الطّائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا ، تعيّت عليّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام ، أو باليمن ، أو ببعض البلاد ، فوالله إني لفي ذلك من همّي ، إذ قال لي رجلٌ : ويحك ! إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحقّ . قال : فلمّا قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يَرُعْه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحقّ ، فلما رآني قال[١] : « أوحشيٌّ ؟ » . قلت : نعم يارسول الله . قال : « اقعد فحدّثني كيف قتلت حمزة » . قال : فحدّثته كما حدّثتكما ، فلمّا فرغت من حديثي قال : « ويحك ! غيّب عني وجهك فلا أرينّك » . قال : فكنت أتنكّب رسول الله ﷺ حيث كان ؛ لئلاّ يراني ، حتى قبضه الله عز وجلّ ، فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذّاب صاحب اليمامة ، خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً في يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيّأت له ، وتهيّأ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فهززت حربتي ، حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشدّ عليه الأنصاريّ بالسيف ، فربُّك أعلم أيّنا قتله ، فإن كنت قتلتُه ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقتلت شرّ الناس .

قلت : الأنصاريّ هو أبو دجانة سماك بن خرشة ، كما سيأتي في مقتل أهل اليمامة مع مسيلمة .

وقال الواقديّ في « الرّدّة » : هو عبد الله بن زيد بن عاصمٍ المازنيّ .

وقال سيف بن عمر[٢] : هو عديّ بن سهلٍ ، وهو القائل : [من المتقارب]

ألم تر أني ووحشيّهم   قتلتُ مسيلمةَ المفتتَنْ
ويسألني الناس عن قتله   فقلت ضربتُ وهذا طعنْ

والمشهور أنّ وحشيّاً هو الذي بدره بالضربة ، وذفّف عليه أبو دجانة ؛ لما روى ابن إسحاق[٣] ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن ابن عمر ، قال : سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول : قتله العبد الأسود .

---

(١) في (ط) : « قال لي » .
(٢) في (ط) : « سيف بن عمرو » .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .

وقد روى البخاريّ[١] قصة مقتل حمزة ، من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضّمريّ قال : خرجت مع عبيد الله بن عديٍّ بن الخيار . فذكر القصة كما تقدّم . وذكر أن عبيد الله بن عديٍّ كان معتجراً عمامةً ، لا يَرى منه وحشيٌّ إلا عينيه ورجليه ، فذكر من معرفته له ما تقدّم ، وهذه قيافةٌ عظيمةٌ ـ كما عرف مجزّزٌ المدلجيّ أقدام زيدٍ وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما[٢] ـ وقال في سياقته : فلمّا أن صفّ الناس للقتال ، خرج سباعٌ فقال : هل من مبارزٍ ؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال له : يا سباع ، يا بن أمّ أنمارٍ مقطّعة البظور ، أتحادُّ الله ورسوله ؟ ثم شدّ عليه ، فكان كأمس الذاهب . قال : وكمنتُ لحمزة تحت صخرةٍ ، فلما دنا مني رميته بحربتي ، فأضعها في ثنّته حتى خرجت من بين وركيه . قال : فكان ذلك آخر العهد به . إلى أن قال : فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكَذّاب ، قلت : لأخرج إلى مسيلمة لعلّي أقتله فأكافئ به حمزة . قال : فخرجت مع الناس ، فكان من أمره ما كان . قال : فإذا رجلٌ قائمٌ في ثلمة جدارٍ ، كأنّه جملٌ أورق ، ثائر الرأس . قال : فرميته بحربتي ، فأضعها بين ثديَيه حتى خرجت من كتفيه . قال : ووثب إليه رجلٌ من الأنصار فضربه بالسيف على هامته . قال عبد الله بن الفضل : فأخبرني سليمان بن يسارٍ ، أنّه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جاريةٌ على ظهر البيت : وا أميراه[٣] ، قتله العبد الأسود .

قال ابن هشامٍ[٤] : فبلغني أن وحشيّاً لم يزل يُحَدّ في الخمر حتى خُلع من الدّيوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت أنّ الله لم يكن ليدع قاتل حمزة .

قلت : وتوفّي وحشيّ بن حربٍ أبو دَسْمة ـ ويقال : أبو حرب ـ بحمص ، وكان أول من لبس الثياب المدلوكة .

قال ابن إسحاق[٥] : وقاتل مصعب بن عميرٍ دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قمِئة [الليثيّ] ، وهو يظنّ أنّه رسول الله [ﷺ] ، فرجع إلى قريشٍ فقال : قتلت محمداً .

قلت : وذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »[٦] ، عن سعيد بن المسيّب أنّ الذي قتل مصعباً هو أُبيّ بن خلفٍ ، فالله أعلم .

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠٧٢) .
(٢) وذلك فيما رواه البخاري رقم (٣٥٥٥) و(٣٧٣١) و(٦٧٧٠) و(٦٧٧١) ومسلم رقم (١٤٥٩) .
(٣) كذا في (آ) : « وا أميراه » وفي (ط) : « وا أمير المؤمناه » وفي « صحيح البخاري » : « وا أمير المؤمنين » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٦) وذكره البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢١١) .

قال ابن إسحاق(١) : فلمّا قُتل مصعب بن عميرٍ ، أعطى رسول الله ﷺ اللّواء عليّ بن أبي طالبٍ .

وقال يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق : كان اللواء أولاً مع عليّ بن أبي طالبٍ ، فلمّا رأى رسول الله ﷺ لواء المشركين مع بني عبد الدار قال : « نحن أحقّ بالوفاء منهم » أخذ اللواء من عليٍّ فدفعه إلى مصعب بن عميرٍ ، فلما قُتل مصعبٌ أعطى اللواء عليَّ بن أبي طالبٍ .

قال ابن إسحاق(٢) : وقاتَل عليّ بن أبي طالبٍ ورجالٌ من المسلمين .

قال ابن هشام(٣) : وحدّثني مسلمة بن علقمة المازنيّ قال : لمّا اشتد القتال يوم أُحدٍ ، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ، وأرسل إلى عليٍّ أن قدّم الرّاية ، فتقدّم عليٌّ وهو يقول : أنا أبو القصم . فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين ، أن هل لك يا أبا القُصَم في البِراز من حاجةٍ ؟ قال : نعم . فبرزا بين الصفّين ، فاختلفا ضربتين ، فضربه عليٌّ فصرعه ، ثم انصرف ولم يُجْهِز عليه ، فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته ، فعطفتْني عليه الرّحمُ ، وعرفت أنّ الله قد قتله .

[وقد فعل ذلك عليٌّ ، رضي الله عنه ، يوم صفّين مع بُسر بن أبي أرطاة ، لما حمل عليه ليقتله ، أبدى له عن عورته فرجع عنه ، وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه عليٌّ في بعض أيام صفّين ، أبدى عن عورته فرجع عليٌّ أيضاً .

ففي ذلك يقول الحارث بن النّضر : [من الطويل]

أفي كلّ يومٍ فارسٌ غير منتهٍ ... وعورتُه وسْط العجاجة باديه
يكُفّ لها عنه عليٌّ سِنانه ... ويضحك منها في الخَلاء معاويهْ

وذكر يونس ، عن ابن إسحاق(٤) ، أن طلحة بن أبي طلحة العبدريّ حامل لواء المشركين يومئذٍ دعا إلى البِراز ، فأحجم الناس عنه ، فبرز إليه الزبير بن العوّام ، فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الأرض ، فألقاه عنه وذبحه بسيفه ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ قال : « إنّ لكلّ نبيٍّ حوارياً ، وحواريّ الزبير »(٥) . وقال : « لو لم يبرز إليه ؛ لما رأيت من إحجام الناس عنه » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٤) وأورده البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٢٧) عن يونس به ، إلا أنه لم يسم الرجل الذي دعا للبراز .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٧١٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو عند الترمذي رقم (٣٧٤٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانظر « جامع الأصول » لابن الأثير (٩/ ٥ ـ ٦) بتحقيق والدي وأستاذي المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى وأدام النفع به .

وقال ابن إسحاق[١] : قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعدُ بن أبي وقاصٍ ، وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلح ، فقتَل مسافع بن طلحة بن أبي طلحة وأخاه الجُلاس ، كلاهما يشعره سهماً ، فيأتي أمّه سلافة ، فيضع رأسه في حِجرها ، فتقول : يا بنيّ ، من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول : خذها وأنا ابن أبي الأقلح . فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصمٍ ، أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصمٌ قد عاهد الله أن لا يمسّ مشركاً أبداً ، ولا يمسّه . ولهذا حماه الله منهم يوم الرّجيع ، كما سيأتي .

قال ابن إسحاق[٢] : والتقى حنظلة بن أبي عامر ـ واسمه عمرٌو ، ويقال : عبد عمرو بن صيفيّ . وكان يقال لأبي عامرٍ في الجاهلية : الراهب . لكثرة عبادته ، فسماه رسول الله ﷺ : الفاسق ؛ لمَّا خالف الحقّ وأهله ، وخرج من المدينة هرباً من الإسلام ، ومخالفةً للرسول ، عليه السلام ، وحنظلة الذي يُعْرَفُ بحنظلة الغسيل ؛ لأنّه غسّلته الملائكة ، كما سيأتي ـ هو وأبو سفيان صخر بن حربٍ ، فلمّا علاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود ، وهو الذي يقال له : ابن شَعوب . فضربه شدّادٌ فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ صاحبكم لتغسّله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه » . فسُئلت صاحبته ـ قال الواقديّ : هي جميلة بنت عبد الله بن أُبيّ بن سلول ، وكانت عروساً عليه تلك الليلة ـ فقالت : خرج وهو جنبٌ حين سمع الهاتفة . فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسّلته الملائكة » .

وقد ذكر موسى بن عقبة أنّ أباه ضرب برجله في صدره وقال : ذنبان أصبتهما ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرّحم ، برّاً بالوالد .

قال ابن إسحاق[٣] : وقال شدّاد بن الأسود في قتله حنظلة : [من الرجز]

لأحميــنّ صــاحبــي ونفســي ... بطعنــةٍ مثــلِ شُعــاع الشمــسِ

وقال ابن شَعوب : [من الطويل]

ولولا دفاعي يا بن حربٍ ومشهدي ... لأُلفيـتُ يـوم النّعـف غيـر مجيـبِ
ولولا مَكرِّي المهرَ بالنّعف قرقرت ... عليــه ضِبــاعٌ أو ضِــراءُ كَليــب

وقال أبو سفيان : [من الطويل]

ولـو شئـتُ نجّتنـي كمَيـتٌ طِمـرّةٌ ... ولـم أحمـلِ النّعمـاءَ لابـن شَعـوب
ومازال مُهري مزجر الكلب منهمُ ... لــدُنْ غـدوةٍ حتـى دنـت لِغُـروب
أقــاتلهــم وأدّعــي يــا لغــالــبٍ ... وأدفعهــم عنــي بــركــن صليــبِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٥) .

فبكّـي ولا تـرعـي مقـالـة عـاذلٍ ... ولا تسـأَمـي مِـن عَبـرةٍ ونحيـبِ
أبـاك وإخـوانـاً لـه قـد تتـابعـوا ... وحـقّ لهـم مـن عيـرةٍ بنصيـب
وسلّى الذي قد كان في النّفس أَنَّني ... قتلـت مـن النّجّـار كـلّ نجيـب
ومِن هاشمٍ قَرماً كريماً ومُصعباً ... وكـان لـدى الهيجـاء غيـرَ هَيـوب
فلـو أننـي لـم أشـفِ نفسـيَ منهـمُ ... لكانت شجىً في القلب ذاتَ نُدوب
فـآبـوا وقـد أودى الجلابيـبُ منهـمُ ... بهـم خـدَبٌ مـن مُعبـطٍ[١] وكئيـب
أصـابهـمُ مَـن لـم يكـن لـدمـائهـم ... كِفـاءً ولا فـي خَطّـةٍ بضـريـب

فأجابه حسان بن ثابتٍ[٢] :

ذكرتَ القُروم الصِّيد من آل هاشمٍ ... ولسـتَ لـزُورٍ قلتَـه بمصيـبِ
أتعجـبُ أن أقصـدتَ حمـزةَ منهـمُ ... نجيبـاً وقـد سمّيتَـه بنجيـبِ
ألـم يقتلـوا عَمـراً وعتبـةَ وابنَـه ... وشيبـةَ والحجّـاجَ وابـنَ حبيـبِ
غـداةَ دعـا العـاصـي عليّـا فـراعـه ... بضـربـة عضـبٍ بلّـه بخضيـبِ

فصل

قال ابن إسحاق[٣] : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده فحسّوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها .

وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه [عبّاد] ، عن عبد الله بن الزّبير ، عن الزبير قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها ؛ مشمّراتٍ هوارب ، ما دون أخذهنّ قليلٌ ولا كثيرٌ ، إذ مالت الرُّمَاة على العسكر حين كشفنا القوم عنه ، وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من خلفنا ، وصرخ صارخٌ : ألا إنّ محمداً قد قتل . فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنو منه أحدٌ منهم . قال : فحدّثني بعض أهل العلم ، أنّ اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثيّة ، فرفعته لقريشٍ ، فلاثوا به ، وكان اللواء مع صؤابٍ ، غلامٍ لبني أبي طلحة ، حبشيٍّ ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللّواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه ، وهو يقول :

اللهمّ هل أعزرتُ ؟ يعني اللهمّ هل أعذرتُ ؟ .

---

(١) في « السيرة النبوية » : « معطب » .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٤٤٦) و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٧) .

فقال حسان بن ثابتٍ في ذلك[١] :

فخرتم باللّواء وشرُّ فخرٍ ... لواءٌ حين ردّ إلى صُؤابِ
جعلتم فخركم فيه لعبدٍ ... وألأمِ مَن يطا عفر التّرابِ
ظننتم والسّفيه له ظنونٌ ... وما إن ذاك من أمر الصّوابِ
بأنّ جِلادنا يوم التقينا ... بمكة بيعكم حمر العيابِ
أقرّ العين أن عصبت يداه ... وما إن تعصبان على خضابِ

وقال حسان بن ثابت [أيضاً] في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم[٢] :

إذا عضلٌ سيقت إلينا كأنّها ... جَداية[٣] شِركٍ[٤] معلَمات الحواجبِ
أقمنا لهم طعناً مبيراً منكّلاً ... وحزناهمُ بالضرب من كلّ جانبِ
فلولا لواء الحارثيّة أصبحوا ... يباعون في الأسواق بيع الجلائبِ

قال ابن إسحاق : فانكشف المسلمون ، وأصاب منهم العدوّ ، وكان يوم بلاءٍ وتمحيصٍ ، أكرم الله فيه من أكرم بالشّهادة ، حتى خلص العدوّ إلى رسول الله ﷺ ، فدثّ بالحجارة حتى وقع لشقّه ، فأصيبت رباعيته ، وشجّ في وجهه ، وكلمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقّاصٍ .

فحدّثني حميدٌ الطّويل[٥] ، عن أنس بن مالكٍ قال : كسرت رباعِية النبيّ ﷺ يوم أحدٍ ، وشجّ في وجهه ، وجعل الدّم يسيل في وجهه ، فجعل يمسح الدّم ويقول : « كيف يفلح قومٌ خضبوا وجه نبيّهم وهو يدعوهم إلى الله » ؟ فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

قال ابن جريرٍ في « تاريخه »[٦] : حدّثنا محمد بن الحسين ، حدّثنا أحمد بن المفضّل[٧] ، حدّثنا أسباطٌ ، عن السُّدّيِّ قال : أتى ابن قمئة الحارثيّ ، فرمى رسول الله ﷺ بحجرٍ ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشجّه في وجهه فأثقله ، وتفرّق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق طائفةٌ فوق الجبل إلى الصّخرة ، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس : « إليّ عباد الله ، إليّ عباد الله » . فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحدٌ إلّا طلحة وسهل بن حنيفٍ ، فحماه طلحة ، فرمي بسهمٍ في يده فيبست يده ، وأقبل أُبيّ بن خلفٍ الجمحيّ ، وقد حلف ليقتلنّ النبيّ ﷺ فقال : « بل أنا أقتله » .

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٦٧) و« السيرة النبوية » (٢/ ٧٨) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٢٧) و« السيرة النبوية » (٢/ ٧٩) .
(٣) الجداية : الغزال الصغير .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٩) .
(٥) سيأتي الحديث بعد صفحات من هذا الجزء ص١٩٩ ـ ٢٠٠ .
(٦) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥١٩) .
(٧) في (ط) : « أحمد بن الفضل » ، محرف .

فقال : يا كذاب ، أين تفرّ ؟ . فحمل عليه ، فطعنه النبيّ ﷺ في جيب الدّرع ، فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخور خُوار الثّور ، فاحتَمَلوه وقالوا : ليس بك جراحةٌ ، فما يجزعك ؟ قال : أليس قال : « لأقتلنّك » ؟ لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتهم . فلم يلبث إلّا يوماً أو بعض يومٍ حتى مات من ذلك الجرح ، وفشا في الناس أنّ رسول الله ﷺ قد قُتل ، فقال : بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أُبيّ ، فيأخذ لنا أمنةً من أبي سفيان ، يا قوم ، إنّ محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلُوكم . فقال أنس بن النضر : يا قوم ، إن كان محمدٌ قد قتل ، فإن ربّ محمدٍ لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمدٌ ﷺ ، اللهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء . ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل ، وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس ، حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلمّا رأوه وضع رجلٌ سهماً في قوسه ، فأراد أن[1] يَرْميه ، فقال : « أنا رسول الله » . ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ ، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى [أنّ] في أصحابه من يمتنع [به] ، فلمّا اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ، ذهب عنهم الحزْن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عزّ وجلّ ، في الذين قالوا : إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٤][2] فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلمّا نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه ، وهمّهم أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس لهم أن يعلونا ، اللهمّ إن تقتل هذه العصابة ، لا تعبد في الأرض » . ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذٍ : اعل هبل ، حنظلة بحنظلة ، ويوم أحدٍ بيوم بدر . وذكر تمام القصّة . وهذا غريبٌ جداً ، وفي بعضه نكارةٌ ، والله أعلم[3] .

قال ابن هشامٍ[4] : وزعم ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيدٍ [عن أبيه ، عن أبي سعيدٍ] أنّ عتبة بن أبي وقّاصٍ رمى رسول الله ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السّفلى ، وجرح شفته السّفلى ، وأنّ عبد الله بن شهابٍ الزّهريّ شجّه في جبهته[5] ، وأنّ [عبد الله] بن قمئة جرح وجنته ، فدخلت حلْقتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله ﷺ في حفرةٍ من الحفر التي عمل أبو عامرٍ ؛ ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فأخذ عليّ بن أبي طالبٍ بيده ﷺ ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومصّ مالك بن سنانٍ ، أبو أبي سعيدٍ ، الدّم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده[6] ، فقال : « من مسّ دمه دمي لم تصبه النّار » .

---

(١) قوله : « فأراد أن » لم يرد في (ط) .
(٢) أورد ناسخ (ط) الآية إلى قوله تعالى : ﴿ . . . مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ وأتممها ناسخ (آ) .
(٣) في (ط) : « وفيه نكارة » فقط .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٠) .
(٥) في (آ) : « في وجهه » وما جاء في (ط) موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام مصدر المؤلف .
(٦) أي : ابتلعه .

قلت: وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ لمّا وقع لشقّه أُغمي عليه، فمرّ به سالمٌ مولى أبي حذيفة، فأجلسه ومسح الدم عن وجهه، فأفاق وهو يقول: «كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيّهم وهو يدعوهم إلى الله»؟ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية. رواه ابن جريرٍ، وهو مرسلٌ، وسيأتي بسط هذا في فصل وحده.

قلت: كان أول النهار للمسلمين على الكُفَّار[1]، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٢ - ١٥٣].

قال الإمام أحمد[2]: ثنا سليمان بن داود، أنا عبد الرحمن بن أبي الزّناد، عن أبيه، عن عبيد الله، عن ابن عباسٍ أنّه قال: ما نصر الله في موطنٍ كما نصر يوم أحدٍ. قال: فأنكرنا ذلك، فقال: بيني وبين من أنكر [ذلك] كتاب الله، إن الله يقول في يوم أحدٍ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ يقول ابن عباسٍ: والحسّ القتل. ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ إلى قوله: ﴿[وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ] وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإنما عنى بهذا الرّماة، وذلك أنّ النبيّ ﷺ أقامهم في موضعٍ، ثم قال: «احموا ظهورنا[3]، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا نغنم فلا تَشركونا». فلمّا غنم النبيّ ﷺ وأباحوا عسكر المشركين، أكبّ الرّماة جميعاً، فدخلوا في العسكر ينهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ، فهم هكذا - [وشبّك] بين [أصابع] يديه - والتبسوا[4]، فلمّا أخلّ الرّماة تلك الخَلَّة[5] التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبيّ ﷺ، فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا، وقتل من المسلمين ناسٌ كثيرٌ[6]، وقد كان لرسول الله ﷺ

---

(١) انظر «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (٣/ ١٧٦) بتحقيق والدي الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، وزميله الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨٧).

(٣) في (آ): «احمو ظهرنا» وأثبت لفظ (ط)، وهو الموافق لما في «المسند».

(٤) في (آ): «وانتشبوا» وأثبت لفظ (ط).

(٥) أي: ولما ترك الرُّماة مركزهم. جاء في «مختار الصحاح» (خلل): «أخلَّ الرجل بمركزه تركه».

(٦) وقال الإمام ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٣/ ١٧٦) بتحقيق الشيخين الفاضلين شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت: «وكان الدولة أول النهار للمسلمين على الكُفَّار، فانهزم عدوّ الله، وولّوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرُّماة هزيمتهم، تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وقالوا: يا قوم الغنيمة، فذكّرهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ، فلم يسمعوا، وظنّوا أن ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخلّوا بالثغر، وكرَّ فرسان المشركين، فوجدوا الثغر خالياً، قد خلا من الرُّماة، فجازوا منه، وتمكنوا حتى أقبل آخرهم، فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون».

وأصحابه أول النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعةٌ أو تسعةٌ ، وجال المسلمون جولةً نحو الجبل ، ولم يبلغوا ـ حيث يقول الناس ـ الغار ، إنما كانوا تحت المهراس[(١)] ، وصاح الشيطان : قتل محمدٌ . فلم يشكّ فيه أنّه حقٌّ ، فما زلنا كذلك ما نشكّ أنّه حقٌّ ، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السّعدين ، نعرفه بتكفُّئه إذا مشى . قال : ففرحنا كأنّه لم يصبنا ما أصابنا . قال : فرقي نحونا وهو يقول : « اشتدّ غضب [الله] على قومٍ دمّوا وجه رسول الله » . ويقول مرّةً أخرى : « اللهمّ [إنّه] ليس لهم أن يعلونا » . حتى انتهى إلينا فمكث ساعةً ، فإذا أبو سفيان يَصيح في أسفل الجبل : [اعْلُ هُبَلْ] مرّتين ، يعني آلهته أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب : ألا أُجيبه ؟ قال : « بلى » . قال : فلمّا قال : اعل هبل . قال : الله أعلى وأَجَلُّ . [فقال أبو سفيان : يا بن الخطّاب ، قد أنعمت عينُها فعاد عنها . أو : فعال عنها . فقال : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله ﷺ ، وهذا أبو بكرٍ ، وها أنا ذا عمر . قال :] فقال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والأيام دول ، وإنّ الحرب سجال . قال : فقال عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . قال : إنّكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا إذن وخسرنا .

ثم قال أبو سفيان : [أما] إنكم [سوف] تجدون في قتلاكم مُثْلَةً ، ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا . قال : ثم أدركته حميّة الجاهليّة فقال : أما إنّه إن كان ذلك لم نكرهه . وقد رواه ابن أبي حاتمٍ ، والحاكم في « مستدركه » والبيهقيّ في « الدلائل »[(٢)] من حديث سليمان بن داود الهاشميّ به . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وهو من مرسلات ابن عباسٍ ، وله شواهد من وجوهٍ كثيرةٍ ، سنذكر منها ما تيسّر ، إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التّكلان ، [وهو المستعان] .

قال البخاريّ[(٣)] : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لقينا المشركين يومئذٍ وأجلس النبيّ ﷺ جيشاً من الرّماة ، وأمّر عليهم عبد الله بن جبيرٍ ، وقال : « لا تبرحوا ؛ إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا [فلا] تعينونا » . فلما لقيناهم[(٤)] هربوا ، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل ، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهنّ ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة . فقال عبد الله : عهد [إليّ] النبيّ ﷺ : أن لا تبرحوا . فأبوا ، فلمّا أبوا صرفت وجوههم ، فأصيب سبعون قتيلاً ، وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمدٌ ؟ فقال : « لا تجيبوه » .

---

(١) المهراس : ماء بجبل أحد . قاله الفيروزابادي في « المغانم المطابة » ص(٣٩٦) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في « التفسير » (١٦٤٤) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٢٩٦) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٦٩) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٤٣) .

(٤) في (ط) : « فلما لقينا » .

فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال : « لا تجيبوه » . فقال : أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ فقال : إن هؤلاء قد قُتلوا[١] ، فلو كانوا أحياءً لأجابوا . فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت يا عدوّ الله ، والله قد أبقى الله لك ما يحزنك[٢] . فقال أبو سفيان : اعل هبل . فقال النبيّ ﷺ : « أجيبوه » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجلُّ » . فقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم . فقال النبيّ ﷺ : « أجيبوه » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » . قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والحرب سجال ، وستجدون في القوم مثلةً لم آمر بها ولم تسؤني ، وهذا من أفراد البخاريّ دون مسلمٍ .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدثّنا حسن بن موسى[٤] ، حدّثنا زهيرٌ ، حدثنا أبو إسحاق ، أن البرَاء بن عازبٍ قال : جعل رسول الله ﷺ على الرّماة يوم أحدٍ ، وكانوا خمسين رجلاً ، عبد الله بن جبيرٍ . قال : ووضعهم موضعاً ، وقال : « إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا ، حتى أرسل إليكم ، [وإن رأيتمونا ظهرنا على العدوّ وأوطأناهم ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم] » . قال : فهزموهم . قال : فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل ، قد بدت أسوقهنّ وخلاخلهنّ رافعاتٍ ثيابهنّ . فقال أصحاب عبد الله [بن جبيرٍ] : الغنيمة ، أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبيرٍ : أَفَنَسيتم[٥] ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : إنّا والله لنأتينّ الناس فلنصيبنّ من الغنيمة . فلمّا أتوهم صرفت وجوههم ، فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً ، فأصابوا منا سبعين [رجلاً] .

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدرٍ أربعين ومئةً ؛ سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً ، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمدٌ ؟ أفي القوم محمدٌ ؟ أفي القوم محمدٌ ؟ ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ ثم أقبل على أصحابه ، فقال : أمّا هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدوّ الله ، إنّ الذين عددت لأحياءٌ كلّهم ، وقد أبقى الله[٦] لك ما يسوءك . فقال : يومٌ بيوم بدر ، والحرب

---

(١) في (ط) : « إن هؤلاء قتلوا » .
(٢) لفظ (ط) : « والله قد أبقى الله عليك ما يخزيك » .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٩٣) ، وإسناده صحيح .
(٤) في (ط) : « حدثنا موسى » وهو خطأ ، وانظر « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ٢٨١) .
(٥) في (ط) : « أنسيتم » .
(٦) في (ط) : « وقد بقي لك » .

سجال ، إنكم ستجدون في القوم مثلةً لم آمر بها ولم تسؤني ، ثم أخذ يرتجز : [مجزوء الرجز]

اعل هبل اعل هبل

فقال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونه ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجلُّ » . قال : إنّ العزّى لنا ، ولا عزّى لكم . قال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونه ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم » .

ورواه البخاريّ[١] من حديث زهيرٍ ، وهو ابن معاوية[٢] ، مختصراً ، وقد تقدّم روايته له مطولةً من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا عفان ، ثنا حمّاد بن سلمة ، أنا ثابتٌ وعليّ بن زيدٍ ، عن أنس بن مالكٍ أن المشركين لما رهقوا النبيّ ﷺ وهو في سبعةٍ من الأنصار ورجلين من قريشٍ ، قال : « من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ » . فجاء رجلٌ من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلما رهقوه أيضاً قال : « من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ » . حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » .

ورواه مسلمٌ[٤] ، عن هدبة بن خالدٍ ، عن حمّاد بن سلمة به .

وقال البيهقيّ في « الدلائل »[٥] بإسناده ، عن عُمَارة بن غزيّة ، عن أبي الزُّبير ، عن جابرٍ قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحدٍ ، وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيدِ الله ، وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال : « ألا أحدٌ لهؤلاء ؟ » . فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « كما أنت يا طلحة » . فقال رجلٌ من الأنصار : فأنا يا رسول الله . فقاتل عنه ، وصعِد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ، ثم قتل الأنصاريّ فلحقوه ، فقال : « ألا رجلٌ لهؤلاء ؟ » . فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله ، فقال رجلٌ من الأنصار : فأنا يا رسول الله . فأذن له . فقاتل مثل قتاله وقتال صاحبه ، ورسول الله ﷺ وأصحابه يصعدون ، ثم قُتل فلحقوه ، فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله الأول ، ويقول طلحة : أنا يا رسول الله . فيحبسه فيستأذنه رجلٌ من الأنصار للقتال ، فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه إلا طلحة بن عُبيد الله ، فغشوهما ، فقال رسول الله ﷺ : « من لهؤلاء يا طلحة ؟ » . فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله ، فقال : حسّ . فقال رسول الله ﷺ : « لو قلتَ : بسم الله ، أو ذكرت اسم الله ؛

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٩٨٦) و(٤٠٦٧) و(٤٥٦١) .
(٢) هو زهير بن مُعَاوية بن حُدَيج أبو خيثمة الجُعْفي الكُوفي . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ٤٢٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٨٦) .
(٤) رواه مسلم رقم (١٧٨٩) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٣٦) .

لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك ، حتى تلج بك في جوّ السماء » . ثم صعِد رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، وهم مجتمعون .

وروى البخاريّ(١) ، عن أبي بكرٍ عبد الله بن أبي شيبة ، عن وكيعٍ ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازمٍ قال : رأيت يد طلحة شلّاء ؛ وقى بها النبيّ ﷺ يوم أحدٍ .

وفي « الصحيحين »(٢) من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي عثمان النهديِّ قال : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن غير طلحة وسعدٍ ، عن حديثهما .

وقال الحسن بن عرفة(٣) : حدّثنا مروان بن معاوية ، عن هاشم بن هاشم الزهريّ ، سمعت سعيد بن المسيّب يقول : سمعت سعد بن أبي وقّاصٍ يقول : نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحدٍ ، وقال : « ارم ، فداك أبي وأمي » .

وأخرجه البخاريّ(٤) ، عن عبد الله بن محمدٍ ، عن مروان به .

وفي « صحيح البخاريّ »(٥) من حديث عبد الله بن شدّادٍ ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ قال : ما سمعت النبيّ ﷺ جمع أبويه لأحدٍ إلا لسعد بن مالكٍ ، فإني سمعته يقول يوم أحدٍ : « يا سعد ، ارم فِداك أبي وأمي » .

وقال محمد بن إسحاق(٦) : حدّثني صالح بن كيسان ، عن بعض آل سعدٍ ، عن سعد بن أبي وقّاصٍ ، أنه رمى يوم أحدٍ دون رسول الله ﷺ . قال سعدٌ : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النّبل ويقول : « ارم ، فِداك أبي وأمي » . حتى إنه ليناولني السهم ليس له نصلٌ فأرمي به .

وثبت في « الصحيحين »(٧) من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه [عن جده ، عن سعد بن أبي وقّاص] ، قال : رأيت يوم أحدٍ عن يمين النبيّ ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثيابٌ بيضٌ ، يقاتلان عنه أشدّ القتال ، ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعني جبريل وميكائيل ، عليهما السلام .

وقال أحمد(٨) : ثنا عفّان ، ثنا حمادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٠٦٣) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٦٠) و(٤٠٦١) ، ومسلم رقم (٢٤١٤) .
(٣) هو في « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٣٩) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٠٥٥) .
(٥) رقم (٢٩٠٥) و(٤٠٥٨) و(٤٠٥٩) و(٦١٨٤) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٢) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤٠٥٤) ومسلم رقم (٢٣٠٦) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) ، وإسناده صحيح .

رسول الله ﷺ يوم أحدٍ ، والنبيّ ﷺ خلفه يتترّس به ، وكان رامياً ، وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول : هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا يصيبك سهمٌ ، نحري دون نحرك . وكان أبو طلحة يشور نفسه[١] بين يدي رسول الله ﷺ ويقول : إني جلدٌ يا رسول الله ، فوجّهني في حوائجك ، ومرني بما شئت .

وقال البخاريّ[٢] : حدّثنا أبو معمرٍ ، حدّثنا عبد الوارث ، حدّثنا عبد العزيز ، عن أنسٍ قال : لما كان يوم أحدٍ انهزم الناس عن النبيّ ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مجوّبٌ عليه بحجفةٍ له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النّزع ، كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمرّ معه بجعبةٍ من النّبل فيقول : انثرها لأبي طلحة . قال : ويشرف النبيّ ﷺ ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي ، لا تشرفْ يُصِبكَ سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك ، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكرٍ ، وأمّ سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما ، تَنْقُزان القِرب على متونهما ، تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً .

قال البخاريّ[٣] : وقال لي خليفة : حدّثنا يزيد بن زريعٍ ، حدّثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن أنسٍ ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشّاه النّعاس يوم أحدٍ حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقط وآخذه ، ويسقط فآخذه . هكذا ذكره البخاريّ معلّقاً بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٤ ـ ١٥٥] .

قال البخاريّ[٤] : ثنا عبدان[٥] ، ثنا أبو حمزة ، عن عثمان بن موهبٍ قال : جاء رجلٌ حجّ البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قريشٌ . قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه فقال : إني سائلك عن شيءٍ أتحدّثني ؟ قال : أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أنّ عثمان بن

---

(١) أي : يعرضها على القتل .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٦٤) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٠٦٨) تعليقاً .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٠٦٦) .
(٥) وهو لقبه ، واسمه « عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي روّاد العَتَلي المروزي أبو عبد الرحمن » .

عفَّان فرّ يوم أحدٍ ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيّب عن بدرٍ فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنّه تخلّف عن بيعة الرّضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فكبّر . قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبيّن لك عما سألتني عنه ؛ أما فراره يوم أحدٍ ، فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيّبه عن بدرٍ ؛ فإنه كان تحته بنت النبيّ ﷺ وكانت مريضةً ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن لك أجر رجلٍ ممّن شهد بدراً وسهمه » وأما تغيّبه عن بيعة الرّضوان ؛ فإنه لو كان أحدٌ أعزّ ببطن مكة من عثمان بن عفَّان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرّضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكَّة ، فقال النبيّ ﷺ بيده اليمنى : « هذه يد عثمان » . فضرب بها على يده ، فقال : « هذه لعثمان » . اذهب بهذا الآن معك .

وقد رواه البخاريّ أيضاً في موضعٍ آخر ، والترمذيّ من حديث أبي عوانة[١] ، عن عثمان بن عبد الله بن موهبٍ به .

وقال الأمويّ في « مغازيه »[٢] : عن ابن إسحاق ، حدّثني يحيى بن عبّادٍ ، عن أبي ، عن جدّه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أوجب طلحة » . حين صنع ما صنع برسول الله ﷺ ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المنقّى دون الأعوص ، وفرّ عثمان بن عفَّان ، وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان رجلان[٣] من الأنصار ، حتى بلغوا الجلعب ، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص ، فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم : « لقد ذهبتم فيها عريضةً » .

والمقصود أن أُحداً وقع فيها أشياء مما وقع في بدرٍ ، منها ؛ حصول النّعاس حال التحام الحرب ، وهذا دليلٌ على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتمام توكّلها على خالقها وبارئها .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدرٍ : ﴿ إِذْيغشاكم ٱلنُّعَاسَ[٤] أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ الآية [الأنفال : ١١] وقال هاهنا : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ يعني المؤمنين الكمّل ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النّعاس في الحرب من الإيمان ، والنّعاس في الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا : ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ الآية [آل عمران : ١٥٤] .

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ استنصر يوم أحدٍ كما استنصر يوم بدرٍ بقوله : « إن تشأ لا تعبد في الأرض » . كما قال الإمام أحمد[٥] : ثنا عبد الصّمد وعفَّان ، قالا : ثنا حمّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحدٍ : « اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض » .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٩٦٨) والترمذي رقم (٣٧٠٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق (٣١١) .
(٣) في (ط) : « رجل » .
(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو .
(٥) في « المسند » (٣/ ١٥٢) .

ورواه مسلمٌ[١] ، عن حجّاج بن الشاعر ، عن عبد الصّمد ، عن حمّاد بن سلمة به .

وقال البخاريّ[٢] : ثنا عبد الله بن محمدٍ ، ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجلٌ للنبيّ ﷺ يوم أحدٍ : أرأيت إن قتلت أين أنا ؟[٣] قال : « في الجنة » فألقى تمراتٍ في يده ثم قاتل حتى قتل .

ورواه مسلمٌ والنسائيّ[٤] من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيهٌ بقصة عمير بن الحمام التي تقدّمت في غزوة بدرٍ ، رضي الله عنهما وأرضاهما .

فصلٌ فيما لقي النبيّ ﷺ يومئذٍ من المشركين قبّحهم الله

قال البخاريّ[٥] : ما أصاب النبيّ ﷺ من الجراح يوم أُحدٍ : حدّثنا إسحاق بن نصرٍ ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن همّام بن منبّهٍ ، سمع أبا هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتدّ غضب الله على قوم فعلوا بنبيه - يشير إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله » .

ورواه مسلمٌ[٦] من طريق عبد الرزاق .

حدّثنا[٧] مخلد بن مالكٍ ، حدّثنا يحيى بن سعيدٍ الأمويّ ، حدثنا ابن جريجٍ ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن عكرمة عن ابن عباسٍ قال : اشتد غضب الله على من قتله النبيّ ﷺ في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قومٍ دمّوا وجه نبيّ الله .

وقال أحمد[٨] : ثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أن رسول الله ﷺ قال يوم أحدٍ ، وهو يسلت الدم عن وجهه ، وهو يقول : « كيف يفلح قومٌ شجّوا نبيّهم وكسروا رباعيته ، وهو يدعوهم إلى الله ؟! » .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٧٤٣) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٠٤٦) .
(٣) في (ط) : « فأين أنا » .
(٤) رواه مسلم رقم (١٨٩٩) والنسائي رقم (٣١٥٤) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٠٧٣) .
(٦) في « صحيحه » رقم (١٧٩٣) .
(٧) القول للإمام البخاري ، والحديث في صحيحه رقم (٤٠٧٤) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٥٣) .

فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

ورواه مسلمٌ(١) عن القعنبيّ ، عن حمّاد بن سلمة به .

ورواه الإمام أحمد(٢) ، عن هشيمٍ ويزيد بن هارون ، عن حميدٍ ، عن أنسٍ أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحدٍ ، وشجّ في جبهته حتى سال الدَّم على وجهه ، فقال : « كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيّهم وهو يدعوهم إلى ربّهم ؟! » . فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ الآية .

وقال البخاريّ(٣) : ثنا قتيبة ، ثنا يعقوب ، عن أبي حازمٍ ، أنه سمع سهل بن سعدٍ وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ ، [فقال : أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ] ، ومن كان يسكب الماء ، وبما دووي . قال : كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله ، وعليٌّ يسكب عليه الماء بالمجنّ ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدَّم إلا كثرةً أخذت قطعةً من حصيرٍ ، فأحرقتها [وألصقتها] ، فاستمسك الدَّم ، وكُسرت رباعيته يومئذٍ ، وجرح وجهه ، وكسرت البيضة على رأسه .

وقال أبو داود الطيالسيّ في « مسنده »(٤) : ثنا ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرني عيسى بن طلحة ، عن أمّ المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان أبو بكرٍ إذا ذكر يوم أحدٍ بكى ثم قال : ذاك يومٌ كلّه لطلحة ، ثم أنشأ يحدّث قال : كنت أول من فاء يوم أحدٍ ، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه . وأُراه قال : يحميه . قال : فقلت : كن طلحة . حيث فاتني ما فاتني ، فقلت : يكون رجلاً من قومي أحبّ إليّ ، وبيني وبين المشرق رجلٌ لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ، وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجرّاح ، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته ، وشجّ في وجهه ، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر ، قال رسول الله ﷺ : « عليكما صاحبكما » . يريد طلحة ، وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله ، قال : وذهبتُ لأنزع ذاك من وجهه ، فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحقّي لما تركتني . فتركته ، فكره أن يتناولهما بيده ، فيؤذي رسول الله ﷺ ، فأزم عليهما بفيه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقعت ثنيّته مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع ، فقال : أقسمت عليك بحقّي لما تركتني . قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، فوقعت ثنيّته الأخرى مع الحلقة ، فكان أبو عبيدة ، رضي الله عنه ، من أحسن الناس هتماً ، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار ، فإذا به بضعٌ وسبعون من بين طعنةٍ ورميةٍ وضربةٍ ، وإذا قد قطعت أصبعه ، فأصلحنا من شأنه .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٩١) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/٩٩ و٢٠١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٠٧٥) .
(٤) رقم (٦) .

وذكر الواقديّ[١] عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جبيرٍ قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً ، فنظرت إلى النّبل تأتي من كلّ ناحيةٍ ، ورسول الله ﷺ وسطها ، كلّ ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهابٍ الزُّهريّ يقول يومئذٍ : دلّوني على محمد ، لا نجوت إن نجا . ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحدٌ ثم جاوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان بن أميّة ، فقال : والله ما رأيته ، أحلف بالله إنه منا ممنوعٌ ، خرجنا أربعةً ، فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله ، فلم نخلص إليه .

قال الواقديّ[٢] : والثابت عندنا[٣] أن الذي رمى [في] وجنتي رسول الله ﷺ ابن قمئة ، والذي رمى في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقّاص ـ وقد تقدّم عن ابن إسحاق نحو هذا ـ وأن الرّباعية التي كسرت له ، عليه الصلاة والسلام ، هي اليمنى السّفلى .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني صالح بن كيسان ، عمّن حدّثه ، عن سعد بن [أبي] وقّاصٍ قال : ما حرصت على قتل أحدٍ قطُّ ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقّاصٍ ، وإن كان ما علمت[٥] لسيّئ الخلق ، مبغّضاً في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على من دمّى وجه رسوله » .

وقال عبد الرزاق[٦] : أنا معمرٌ ، عن الزّهريّ ، وعن عثمان الجزريّ ، عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقّاصٍ يوم أحدٍ حين كسر رباعيته ودمّى وجهه فقال : « اللهم لا تُحل عليه الحول حتى يموت كافراً » . فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار .

وقال أبو سليمان الجُوزجانيّ : ثنا محمد بن الحسن ، حدّثني إبراهيم بن محمدٍ ، حدّثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حزمٍ ، عن أبيه ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيفٍ ، أن رسول الله ﷺ داوى وجهه يوم أحدٍ بعظمٍ بالٍ .

هذا حديثٌ غريبٌ رأيته في أثناء كتاب « المغازي » للأمويّ في وقعة أحدٍ .

ولمّا نال عبد الله بن قمئة من رسول الله ﷺ ما نال ، رجع وهو يقول : قتلت محمداً . وصرخ الشيطان أزبّ العقبة يومئذٍ بأبعد صوتٍ : ألا إن محمداً قد قتل . فحصل بهتَةٌ عظيمةٌ في المسلمين ، واعتقد كثيرٌ من الناس ذلك ، وصمّموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ،

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ٢٣٧) .
(٢) انظر « المغازي » (١/ ٢٤٤) .
(٣) في (ط) : « ثبت عندي » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٦) وفيه مجهول .
(٥) في (آ) : « وإن كان ما علمته » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٦) .
(٦) في « المصنّف » (٥/ ٢٩٠) .

منهم أنس بن النّضر وغيره ممن سيأتي ذكره ، وقد أنزل الله تعالى التّسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْءَاخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤ ـ ١٥١] . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا « التفسير »(١) ولله الحمد .

وقد خطب الصدِّيق ، رضي الله عنه ، في أول مقامٍ قامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ الآية . قال : فكأنّ الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحدٌ إلا يتلوها .

وروى البيهقيّ في « دلائل النبوة »(٢) من طريق ابن نجيحٍ ، عن أبيه قال : مرّ رجلٌ من المهاجرين يوم أحدٍ على رجلٍ من الأنصار ، وهو يتشحّط في دمه ، فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل ؟ فقال الأنصاريّ : إن كان محمدٌ ﷺ قد قتل فقد بلّغ الرسالة ، فقاتلوا عن دينكم . فنزل [قوله تعالى] : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الآية ، ولعل هذا الأنصاريّ هو أنس بن النّضر ، رضي الله عنه ، وهو عمّ أنس بن مالكٍ .

قال الإمام أحمد(٣) : ثنا يزيد ، ثنا حميدٌ ، عن أنسٍ أن عمّه غاب عن قتال بدرٍ فقال : غبت عن أول قتالٍ قاتله النبيّ ﷺ للمشركين ، لئن أشهدني الله قتالاً للمشركين ليرينّ الله(٤) ما أصنع . فلما كان يوم أحدٍ انكشف المسلمون ، فقال : [اللهم] إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم ، فلقيه سعد بن معاذٍ دون أحدٍ ، فقال سعدٌ : أنا معك . قال سعدٌ : فلم أستطع أصنع ما صنع . فوجد فيه بضعٌ وثمانون من بين ضربةٍ بسيف ، وطعنةٍ برمحٍ ، ورميةٍ بسهمٍ . قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/١٠٨) وما بعدها .
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/٢٤٨) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/٢٠١) .
(٤) لفظ الجلالة لم يرد في (ط) .

ورواه الترمذيّ عن عبد بن حميدٍ ، والنسائيّ عن إسحاق بن راهويه ، كلاهما عن يزيد بن هارون به[١] ، وقال الترمذيّ : حسنٌ .

قلت : بل على شرط « الشيخين »[٢] من هذا الوجه .

وقال أحمد[٣] : حدثني ، بهزٌ وثنا هاشمٌ [قالا] : ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابتٍ[٤] قال : قال أنسٌ : عَمِّي - قال هاشمٌ : أنس بن النّضر - سمّيت به ، ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدرٍ . قال : فشقّ عليه ، وقال : أول مشهدٍ شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ! لئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرينّ الله ما أصنع . قال : فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحدٍ . قال : فاستقبل سعد بن معاذٍ ، فقال له أنسٌ : يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة ، أجده دون أحدٍ . قال : فقاتلهم حتى قتل ، فوجد في جسده بضعٌ وثمانون من ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ . قال : فقالت أخته عمتي الرّبيّع بنت النّضر : فما عرفت أخي إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

ورواه مسلمٌ[٥] عن محمد بن حاتمٍ ، عن بهز بن أسدٍ . ورواه الترمذيّ والنسائيّ[٦] من حديث عبد الله بن المبارك ، وزاد النسائيّ : وأبي داود ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذيّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أبيّ بن خلفٍ ، أخو بني جمح ، قد حلف وهو بمكة ليقتلنّ رسول الله ﷺ ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلْفتُه قال : « بل أنا أقتله إن شاء الله » . فلما كان يوم أحدٍ أقبل أبيّ في الحديد مقنّعاً ، وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمدٌ ، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عميرٍ ، أخو بني عبد الدّار ، يقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عميرٍ ، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أُبيّ بن خلفٍ من فرجةٍ بين سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه بحربته ، فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دمٌ ، فأتاه أصحابه فاحتملوه ، وهو يخور خُوار الثّور ، فقالوا له : ما أجزعك ! إنما هو خدشٌ . فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « أنا أَقتُلُ أبياً » . ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون . فمات إلى النار ، فسحقاً لأصحاب السّعير[٧] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٢٠١) والنسائي في « السنن الكبرى » (١١٤٠٣) .
(٢) في (ط) : « على شرط الصحيحين » وكلاهما بمعنى .
(٣) رواه أحمد في مسنده ٣/ ١٩٤ .
(٤) يعني (ثابت بن أسلم البناني) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ١٩٥) .
(٥) رواه مسلم رقم (١٩٠٣) .
(٦) رواه الترمذي رقم (٣٢٠٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٢٩١) .
(٧) وانظر « زاد المعاد » لابن القيم (٣/ ١٨٨) و« الفصول في سيرة الرسول ﷺ » لابن كثير ص(١٤٩) .

وقد رواه موسى بن عقبة في « مغازيه » ، عن سعيد بن المسيّب نحوه .

وقال ابن إسحاق[(١)] : لما أسند رسول الله ﷺ في الشّعب ، أدركه أُبيّ بن خلفٍ وهو يقول : لا نجوتُ إن نجوتَ . فقال القوم : يا رسول الله ، يعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « دعوه » . فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصّمّة ، فقال بعض القوم ، فيما ذكر لي ، فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضةً ، تطايرنَ عنه تطاير الشُّعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنةً تدأدأ منها[(٢)] عن فرسه مراراً .

وذكر الواقديّ[(٣)] ، عن يونس بن محمدٍ ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، عن أبيه نحو ذلك .

قال الواقديّ[(٤)] : وكان ابن عمر يقول : مات أبيّ بن خلفٍ ببطن رابغٍ ، فإني لأسير ببطن رابغٍ بعد هويٍّ من الليل ، فإذا أنا بنارٍ تأجّج ، فهبتها ، وإذا رجلٌ يخرج منها في سلسلةٍ يجتذبها يهيّجه العطش ، فإذا رجلٌ يقول : لا تسقه ؛ فإنّه قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أُبيّ بن خلفٍ .

وقد ثبت في « الصحيحين »[(٥)] كما تقدم من طريق عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن همامٍ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله » . ورواه البخاريّ من طريق ابن جريجٍ ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ : اشتد غضب الله على من قتله رسول الله في سبيل الله .

وقال البخاريّ[(٦)] : وقال أبو الوليد ، عن شعبة ، عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً قال : لما قتل أَبِي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبيّ ﷺ ينهونني ، والنبيّ ﷺ لم ينه . وقال النبيّ ﷺ : « لا تبكه ـ أو ما تبكيه ـ مازالت الملائكة تظلّه بأجنحتها حتى رفع » . هكذا ذكر هذا الحديث هاهنا معلّقاً ، وقد أسنده في الجنائز ، عن بندارٍ ، عن غندرٍ ، عن شعبة .

ورواه مسلمٌ والنسائيُ[(٧)] من طرقٍ ، عن شعبة به .

وقال البخاريّ[(٨)] : ثنا عبدان ، أنا عبد الله [بن المبارك] ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٤) .
(٢) قال ابن هشام في « السيرة النبوية » (٢/ ٨٤) : « تدأدأ . . . تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج » .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٢٥١) .
(٤) وذكره ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ١٨٨) بنحوه .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٠٧٤) ومسلم رقم (١٧٩٣) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٠٨٠) معلقاً .
(٧) رواه مسلم رقم (٢٤٧١) والنسائي رقم (١٨٤٤) .
(٨) رواه البخاري رقم (٤٠٤٥) .

أبيه إبراهيم ، أن عبد الرحمن بن عوفٍ أُتي بطعامٍ ، وكان صائماً ، فقال : قتل مصعب بن عميرٍ وهو خيرٌ مني ، كفّن في بردةٍ إن غطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غطّي رجلاه بدا رأسه ـ وأراه قال : وقتل حمزة وهو خيرٌ مني ـ ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ـ أو قال : أعطينا من الدنيا ما أعطينا ـ وقد خشينا[١] أن تكون حسناتنا عجّلت لنا . ثم جعل يبكي حتى ترك الطّعام . انفرد به البخاريّ .

وقال البخاريّ[٢] : حدّثنا أحمد بن يونس ، حدّثنا زهيرٌ ، حدّثنا الأعمش ، عن شقيقٍ ، عن خبّاب بن الأرتّ قال : هاجرنا مع النبيّ ﷺ ونحن نبتغي وجه الله ، فوجب أجرنا على الله ، فمنا من مضى ـ أو : ذهب ـ لم يأكل من أجره شيئاً ؛ كان منهم مصعب بن عميرٍ ، قتل يوم أحدٍ ، فلم يترك إلاّ نمرةً ، كنا إذا غطّينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطّي بها رجلاه خرج رأسه ، فقال لنا النبيّ ﷺ : « غطّوا بها رأسه ، واجعلوا على رجليه الإذخر » . ومنا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدِبُها .

وأخرجه بقية الجماعة[٣] إلا ابن ماجه ، من طرقٍ عن الأعمش به .

وقال البخاريّ[٤] : ثنا عبيد الله بن سعيدٍ ، ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما كان يوم أحدٍ هزم المشركون ، فصرخ إبليس ، [لعنة الله عليه] : أي عباد الله أخراكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم ، فبصر حذيفة ، فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال : [أي] عباد الله ، أَبي أبي . [قال] : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة : يغفر الله لكم .

قال عروة : فوالله مازالت في حذيفة بقيّة خيرٍ حتى لقي الله ، عزّ وجلّ .

قلت : كان سبب ذلك ؛ أن اليمان وثابت بن وقشٍ كانا في الآطام مع النساء ؛ لكبرهما وضعفهما ، فقالا : إنَّه لم يبق من آجالنا إلا ظِمءُ حمارٍ . فنزلا ليحضرا الحرب ، فجاء طريقهما ناحية المشركين ؛ فأما ثابتٌ فقتله المشركون ، وأما اليمان فقتله المسلمون خطأً ، وتصدَّق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ، ولم يعاتب أحداً منهم ؛ لظهور العذر في ذلك .

فصلٌ

قال ابن إسحاق[٥] : وأصيبت يومئذٍ عين قتادة بن النّعمان[٦] حتى سقطت على وجنته ، فردّها رسول الله ﷺ بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما .

---

(١) في (آ) : « خشيت » .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٨٢) .
(٣) رواه مسلم رقم (٩٤٠) وأبو داود رقم (١٢٨٧٦) والترمذي رقم (٣٨٥٣) والنسائي رقم (١٩٠٢) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٠٦٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٨) .
(٦) قال ابن حجر العسقلاني : مات سنة (٢٣) هـ على الصحيح . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ١٧٩) .

وفي الحديث ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحدٍ حتى سالت على خدّه، فردّها رسول الله ﷺ مكانها، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى(١) .

وروى الدارقطنيّ(٢) بإسنادٍ غريب عن مالكٍ ، عن محمد بن عبد الله بن أبي صَعْصَعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن أخيه قتادة بن النّعمان قال : أصيبت عيناي يوم أحدٍ فسقطتا على وجنتيّ ، فأتيت بهما رسول الله ﷺ فأعادهما مكانهما ، وبصق فيهما فعادتا تبرقان .

والمشهور الأول : أنه إنما أصيبت عينه الواحدة . ولهذا لمّا وفد بعض ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلاً(٣) : [من الطويل]

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينُه ... فرُدّت بكفّ المصطفى أحسن الرّدِّ
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عينٍ ويا حسن ما خدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك(٤) : [من البسيط]

تلك المكارم لا قَعبانِ من لبنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بعد أبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته ، رضي الله عنه .

فصلٌ

قال ابن هشام(٥) : وقاتلت أمّ عُمَارة نسيبة بنت كعبٍ المازنيّة يوم أحدٍ ، فذكر سعيد بن أبي زيدٍ الأنصاريّ ، أنّ أمّ سعدٍ بنت سعد بن الرّبيع كانت تقول : دخلت على أمّ عُمَارة فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك . فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاءٌ فيه ماءٌ ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه ، والدّولة والرّيح للمسلمين ، فلمّا انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فقمت أباشر القتال ، وأذبّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليّ . قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غَورٌ ، فقلت لها : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة أقمأه الله ، لمّا ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلّوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عميرٍ ، وأناسٌ ممّن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنّ عدوّ الله كانت عليه درعان .

---

(١) ذكره بنحوه ابن عبد البرّ في « الاستيعاب » (٢/ ١٢٧٥) والسهيلي في « الروض الأنف » (٦/ ٣٣) .
(٢) ذكره السهيلي في « الروض الأنف » (٦/ ٣٣) وعزاه للدارقطني .
(٣) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٨٠) بتحقيقي .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨١) .

قال ابن إسحاق[١] : وترّس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه ، يقع النّبل في ظهره ، وهو منحنٍ عليه ، حتى كثر فيه النّبل .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقّت سِيتها[٢] ، فأخذها قتادة بن النّعمان ، فكانت عنده .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدّثني القاسم بن عبد الرحمن [بن رافعٍ] أخو بني عديّ بن النجّار قال : انتهى أنس بن النّضر عمّ أنس بن مالكٍ إلى عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيد الله ، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : فما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ، وبه سمّي أنس بن مالكٍ .

فحدّثني[٤] حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ قال : لقد وجدنا بأنس بن النَّضر يومئذٍ سبعين ضربةً ، فما عرفه إلاّ أخته ، عرفته ببنانه[٥] .

قال ابن هشامٍ[٦] : وحدّثني بعض أهل العلم ، أنّ عبد الرحمن بن عوفٍ أصيب فوه يومئذٍ ، فهتم وجرح عشرين جراحةً أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فعرج .

فصلٌ

قال ابن إسحاق[٧] : وكان أول من عرف رسول الله ﷺ ـ بعد الهزيمة وقول الناس : قُتل رسول الله ﷺ. كما ذكر لي الزّهريّ ـ كعب بن مالكٍ، قال: رأيت عينيه تزهران من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ . فأشار إليّ[٨] رسول الله ﷺ أن أنصت.

قال ابن إسحاق[٩] : فلمّا عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشّعب ، معه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٢) .
(٢) أي : طرفها .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .
(٥) أي : من أطراف أصابعه . قال الرازي في « مختار الصحاح » . (بنن) : « البنانة : واحدة البنان ، وهي أطراف الأصابع » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .
(٨) لفظ « إليّ » سقط من (ط) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .

أبو بكرٍ الصدّيق ، وعمر بن الخطّاب ، وعليّ بن أبي طالبٍ ، وطلحة بن عبيد الله ، والزّبير بن العوّام ، والحارث بن الصّمّة ، ورهطٌ من المسلمين ، فلمّا أسند رسول الله ﷺ في الشّعب أدركه أبيّ بن خلفٍ ، فذكر قتله عليه الصلاة والسلام أُبياً كما تقدّم .

قال ابن إسحاق(١) : وكان أبيّ بن خلفٍ ـ كما حدّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ـ يلقى رسول الله ﷺ بمكّة فيقول : يا محمد ، إنّ عندي العودَ ؛ فرساً أعلفه كلّ يومٍ فَرْقاً من ذُرةٍ ، أقتلك عليه . فيقول رسول الله ﷺ : « بل أنا أقتلك ، إن شاء الله » . فلمّا رجع إلى قريشٍ ، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبيرٍ ، فاحتقن الدم ، فقال : قتلني والله محمدٌ . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إنْ بك بأسٌ . قال : إنّه قد كان قال لي بمكّة : « أنا أقتلك » فوالله لو بصق عليّ لقتلني . فمات عدوّ الله بسرفٍ(٢) ، وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق(٣) : فقال حسان بن ثابتٍ في ذلك(٤) : [من الوافر]

لقد ورث الضّلالة عن أبيه ... أُبيّ يوم بارزه الرّسولُ
أتيت إليه تحمل رِمّ عظمٍ ... وتوعده وأنت به جهولُ
وقد قتلت بنو النجّار منكم ... أميّة إذ يغوّث يا عقيلُ
وتبّ ابنا ربيعة إذ أطاعا ... أبا جهلٍ لأمّهما الهَبُولُ
وأفلت حارثٌ لمّا شغلنا ... بأسر القوم أُسرته فليلُ

وقال حسان بن ثابتٍ أيضاً(٥) : [من الوافر]

ألا من مبلغٌ عني أُبيّا ... لقد أُلقيت في سحق السّعيرِ
تمنّى بالضّلالة من بعيدٍ ... وتقسم إن قدرت مع النّذورِ
تمنّيك الأماني من بعيدٍ ... وقول الكُفر يرجع في غرورِ
فقد لاقتك طعنة ذي حفاظٍ ... كريم البيت ليس بذي فجورِ
له فضلٌ على الأحياء طُرّا ... إذا نابت ملمّات الأمورِ

قال ابن إسحاق(٦) : فلمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشّعب ، خرج عليّ بن أبي طالبٍ حتى ملأ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٤) .
(٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل سبعة ، وقيل تسعة ، وقيل اثني عشرة . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٢٥٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٨٤ ـ ٨٥) .
(٤) انظر « ديوانه » (١/ ١٥٨) .
(٥) انظر « ديوانه » (١/ ٤٩٠) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٥) .

درقته ماءً من المهراس ، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدّم ، وصبّ على رأسه وهو يقول : « اشتدّ غضب الله على من دمّى وجه نبيّه » . وقد تقدّم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية .

قال ابن إسحاق[١] : فبينا رسول الله ﷺ في الشّعب ، معه أولئك النّفر من أصحابه ، إذ علت عاليةٌ من قريشٍ الجبل .

قال ابن هشامٍ : فيهم خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : « اللهمّ إنّه لا ينبغي لهم أن يعلونا » . فقاتل عمر بن الخطّاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض النبيّ ﷺ إلى صخرةٍ من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن رسول الله ﷺ وظاهر بين درعين ، فلمّا ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها ، فحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزُّبير [عن الزبير] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذٍ : « أوجب طلحة » . حين صنع برسول الله ﷺ يومئذٍ ما صنع .

قال ابن هشام[٢] : وذكر عمر مولى غُفْرَة[٣] أن رسول الله ﷺ صلّى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصبته ، وصلّى المسلمون خلفه قعوداً .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجلٌ أتيٌّ[٥] لا يُدرى من هو ، يقال له : قُزمان . فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر له : « إنّه لمن أهل النّار » . قال : فلمّا كان يوم أحدٍ قاتل قتالاً شديداً ، فقتل وحده ثمانيةً أو سبعةً من المشركين ، وكان ذا بأسٍ ، فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفرٍ . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان ، فأبشر . قال : بماذا أبشّر ؟ فوالله إنْ قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت . قال : فلمّا اشتدّت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه . وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر ، كما سيأتي ، إن شاء الله .

قال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا عبد الرّزاق ، حدّثنا معمرٌ ، عن الزّهريّ ، عن ابن المسيّب ، عن أبي

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٧) .
(٣) واسمه (عمر بن عبد الله المدني) ويعرف بمولى غُفْرة ، وهو ضعيف كثير الإرسال ، وهذا الخبر من مرسلاته . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٧٨) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٨) .
(٥) أي : غريب .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٠٩) .

هريرة قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر ، فقال لرجلٍ ممّن يدّعي الإسلام : « هذا من أهل النار » . فلمّا حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً ، فأصابته جراحةٌ ، فقيل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت : « إنّه من أهل النار » . فإنّه قاتل اليوم قتالاً شديداً ، وقد مات . فقال النبيّ ﷺ : « إلى النَّار » . فكاد بعض القوم أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك ، إذ قيل : فإنّه لم يمت ، ولكن به جراحٌ شديدةٌ . فلمّا كان من الليل لم يصبر على الجراح ، فقتل نفسه ، فأُخبر النبيّ ﷺ بذلك فقال : « الله أكبر ، أشهد أنّي عبد الله ورسوله » . ثم أمر بلالاً فنادى في الناس : « إنّه لا يدخل الجنَّة إلا نفسٌ مسلمةٌ ، وإنّ الله يؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[١] من حديث عبد الرّزاق به .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان ممّن قتل يوم أحدٍ مخيريق ، وكان أحد بني ثعلبة ابن الفِطْيَون ، فلمَّا كان يوم أحد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمدٍ عليكم لحقٌّ . قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم . فأخذ سيفه وعدّته وقال : إن أُصبت فمالي لمحمدٍ يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : « مخيريق خير يهود » .

قال السّهيليُّ[٣] : فجعل رسول الله ﷺ أموال مخيريق ـ وكانت سبع حوائط ـ أوقافاً بالمدينة . قال محمد بن كعبٍ القرظيُّ : وكانت أول وقفٍ بالمدينة .

وقال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذٍ ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة ، أنّه كان يقول : حدّثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يصلّ قطّ ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أُصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقشٍ .

قال الحصين : فقلت لمحمود بن لبيدٍ[٥] : كيف كان شأن الأُصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلمّا كان يوم أحدٍ بدا له ، فأسلم ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في عُرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . قال : فبينما رجالٌ من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة ، إذا هم به ، فقالوا : والله إنّ هذا لَلأصيرمُ ، ما جاء به ؟! لقد تركناه وإنّه لمنكرٌ لهذا الحديث ! فسألوه فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؛ أحدبٌ على قومك ، أم رغبةٌ في الإسلام ؟ فقال : بل رغبةٌ في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ ، فقاتلت حتى أصابني ما أصابني .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٠٦٢) ومسلم رقم (١١١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٨) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٠) .
(٥) هو (محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي المدني ، أبو نُعَيم صحابي صغير ، وجلُّ روايته عن الصحابة . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣٥٣) .

فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : « إنّه لمن أهل الجنَّة » .

قال ابن إسحاق(١) : وحدّثني أبي ، عن أشياخٍ من بني سلمة قالوا : كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعةٌ مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلمّا كان يوم أحدٍ أرادوا حبسه ، وقالوا : إنّ الله قد عذرك . فأتى رسول الله ﷺ وقال : إنّ بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنَّة . فقال رسول الله ﷺ : « أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك » . وقال لبنيه : « ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعلّ الله أن يرزقه الشهادة » . فخرج معه فقتل يوم أحدٍ ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق(٢) : ووقعت هند بنت عتبة ـ كما حدّثني صالح بن كيسان ـ والنّسوة اللاتي معها ، يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدّعن الآذان والأنوف ، حتى اتّخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً(٣) وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقِرطتها وحشياً ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها .

وذكر موسى بن عقبة ، أنّ الذي بقر عن كبد حمزة وحشيٌّ ، فحملها إلى هند ، فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق(٤) : ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت : [من الرجز]

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سُعرِ
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمّه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري ... شفيتَ وحشيُّ غليل صدري
فشكر وحشيٍّ عليّ عمري ... حتى ترمّ أعظمي في قبري

قال : فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدرٍ وبعد بدر ... يا بنت(٥) وقّاعٍ عظيم الكفر
صبّحك الله غداة الفجر ... ملهاشميّين(٦) الطّوال الزّهر
بكلّ قطّاعٍ حسامٍ يفري ... حمزة ليثي وعليٌّ صقري

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٠) وهذه رواية ضعيفة فيها مجاهيل .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣١٢) .
(٣) الخدم ، جمع خَدَمة ، وهي الخلخال .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق (٢/ ٩١) .
(٥) في (آ) : « يا ابنة » وما جاء في (ط) موافق لما في « السيرة النبوية » .
(٦) أي : من الهاشميين .

إذْ رام شيبٌ وأبوك غدري فخضّبا منه ضواحي النّحر
ونذرك السّوء فشرُّ نذر

قال ابن إسحاق(١) : وكان الحليس بن زبان أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذٍ سيّد الأحابيش ، مرّ بأبي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزجّ الرّمح ويقول : ذق عُقق . فقال الحليس : يا بني كنانة ، هذا سيد قريشٍ يصنع بابن عمّه ما ترون لحماً(٢) . فقال : ويحك ! اكتمها عنّي ؛ فإنّها كانت زلّةً .

قال ابن إسحاق(٣) : ثم إنّ أبا سفيان ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت فعال ، إن الحرب سجال ، يومٌ بيوم بدر ، اعل هبل . أي أظهر : دينك . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « قم يا عمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجلُّ ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار » . فقال له أبو سفيان : هلمّ إليّ يا عمر . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « ائته فانظر ما شأنه » . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتَلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنّه ليسمع كلامك الآن . قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبرّ .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مَثْلٌ ، والله ما رضيت وما سخطت وما نهيتُ ولا أمرت . قال : ولمّا انصرف أبو سفيان نادى : إنّ موعدكم بدرٌ العام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجلٍ من أصحابه : « قل : نعم ، هو بيننا وبينك موعدٌ » .

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالبٍ ، فقال : « اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنّهم يريدون مكّة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده إن أرادوها ، لأسيرنّ إليهم فيها ثم لأُناجزنّهم » . قال عليٌّ : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجّهوا إلى مكة .

ذكر(٤)

دعاء النبيّ ﷺ بعد الوقعة يوم أحدٍ

قال الإمام أحمد(٥) : ثنا مروان بن معاوية الفَزَاريُّ ، ثنا عبد الواحد بن أيمن المكّيّ ، عن ابن رفاعة

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٣) .
(٢) يريد أنه ميت لا يقدر على الانتصار .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣١٢) .
(٤) لفظ « ذكر » لم يرد في (ط) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٢٤) ورجاله ثقات ، وقد صححه العلماء كما في السنة لابن أبي عاصم (٣٨١)=

الزّرقيّ ، عن أبيه قال : لما كان يوم أحدٍ وانكفأ المشركون ، قال رسول الله ﷺ : « استووا حتى أُثني على ربي ، عزّ وجلّ » . فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : « اللهم لك الحمد كُلُّه ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مُضلَّ لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرّب لما باعدت ، ولا مبعّد لما قرّبت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم إني أسألك النّعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة[١] ، والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائذٌ بك من شرّ ما أعطيتنا وشرّ ما منعتنا ، اللهم حبّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكُفْرَ والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفّنا مسلمين ، وأحينا مسلمين وألحقنا بالصّالحين ، غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذّبون رسلك ويصدّون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحقّ » .

ورواه النسائيّ في « اليوم والليلة »[٢] ، عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن عبد الواحد ابن أيمن ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه به .

فصلٌ

قال ابن إسحاق[٣] : وفرغ الناس لقتلاهم ، فحدّثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازنيّ ، أخو بني النجّار ، أن رسول الله ﷺ قال : « من رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ » فقال رجلٌ من الأنصار : أنا . فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمقٌ ، قال : فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات . فقال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الرّبيع يقول لك : جزاك الله عنّا خير ما جزى نبياً عن أمّته . وأبلغ قومك عنّي السّلام ، وقل لهم : إن سعد بن الرّبيع يقول لكم : إنّه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيّكم ، ومنكم عينٌ تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات . قال : فجئت النبيّ ﷺ فأخبرته خبره .

قلت : كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن مسلمة ، فيما ذكره محمد بن عمر الواقديّ[٤] ، وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه ، فلما قال : إن رسول الله أمرني أن أنظر خبرك . أجابه بصوتٍ ضعيفٍ ، وذكره .

= وفي الأدب المفرد للبخاري (٦٩٩) والحاكم (٣/ ٢٣ و٢٤) وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٦/ ١٢٢) رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح ، وأما تضعيفه فهو تهويلات الذهبي ـ رحمه الله ـ .

(١) العيلة : الفقر .

(٢) رواه النسائي في « في اليوم والليلة » (٦٠٩) « السنن الكبرى » رقم (١٠٤٤٥) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣١٣) .

(٤) انظر « المغازي » (١/ ٢٩٢) .

وقال الشيخ أبو عمر في « الاستيعاب »(١) : كان الرجل الذي التمس سعداً أُبيّ بن كعبٍ . فالله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النّقباء ليلة العقبة ، رضي الله عنه ، وهو الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوفٍ .

قال ابن إسحاق(٢) : وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي ، قد بقر بطنه عن كبده ، ومثّل به ؛ فجُدع أنفه وأذناه ، فحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفيّة ، وتكون سنّةً من بعدي ، لتركته حتى يكون في بطون السّباعِ وحواصل الطّير ، ولئن أظهرني الله على قريشٍ في موطنٍ من المواطن لأمثّلنّ بثلاثين رجلاً منهم » . فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ ، وغيظه على من فعل بعمّه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدّهر لنمثّلنّ بهم مثلةً لم يمثّلها أحدٌ من العرب .

قال ابن إسحاق(٣) : فحدّثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ ، عن محمد بن كعبٍ ، وحدّثني من لا أتّهم ، عن ابن عباسٍ أن الله عزّ وجلّ ، أنزل في ذلك : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٦ ـ ١٢٧] الآية ، قال : فعفا رسول الله ﷺ ، وصبر ، ونهى عن المثلة .

قلت : هذه الآيات مكّيّةٌ ، وقصة أحدٍ بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم هذا مع هذا ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق(٤) : وحدّثني حميدٌ الطويل ، عن الحسن ، عن سمرة قال : ما قام رسول الله ﷺ في مقامٍ قطُّ ففارقه حتى يأمر بالصّدقة ، وينهى عن المثلة .

وقال ابن هشام(٥) : ولما وقف النبيّ ﷺ على حمزة قال : « لن أُصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً قطُّ أغيظ إليّ من هذا » . ثم قال : « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوبٌ في أهل السماوات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله » . قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخوي رسول الله ﷺ من الرّضاعة ؛ أرضعتهم ثلاثتهم ثُويبة مولاةٌ أبي لهبٍ .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدّثنا سليمان بن داود الهاشميّ ، أنبأنا عبد الرحمن ، يعني ابن أبي الزّناد ،

---

(١) انظر « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٢/ ٥٩٠) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٥) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٦) وفي سند هذه الرواية مجاهيل فهي ضعيفة .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٦) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٦) .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٦٥) ، والبيهقي في (دلائل النبوة) بمعناه (٣/ ٢٩٠) من طريق آخر مرسلاً ، فهو حديث حسن .

عن هشامٍ ، عن عروة قال : أخبرني أبي الزُّبيرُ أنه لمّا كان يوم أحدٍ أقبلت امرأةٌ تسعى ، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى . قال : فكره النبيّ ﷺ أن تراهم ، فقال : « المرأةَ المرأةَ » . قال الزُّبير : فتوسّمت أنّها أمي صفية ، قال : فخرجت أسعى إليها ، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى ، قال : فلدمت في صدري ، وكانت امرأةً جلدة ، قالت : إليك ، لا أرض لك . قال : فقلت : إن رسول الله ﷺ عزم عليكِ . قال : فوقفت ، وأخرجت ثوبين معها ، فقالت : هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة ، فقد بلغني مقتله ، فكفّنوه فيهما . قال : فجئنا بالثوبين لنكفِّن فيهما حمزة ، فإذا إلى جنبه رجلٌ من الأنصار قتيلٌ ، قد فُعل به كما فعل بحمزة . قال : فوجدنا غضاضةً وحياءً أن نكفِّن حمزة في ثوبين والأنصاريّ لا كفن له ، فقلنا : لحمزة ثوبٌ وللأنصاريّ ثوبٌ ، فقدّرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر ، فأقرعنا بينهما ، فكفّنّا كلّ واحدٍ منهما في الثوب الذي طار له(١) .

ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أُحدٍ

قال ابن إسحاق(٢) : وحدّثني من لا أتّهم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ قال : أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجّي ببردةٍ ، ثم صلّى عليه فكبّر سبع تكبيراتٍ ، ثم أُتي بالقتلى يوضعون إلى حمزة ، فصلّى عليهم وعليه معهم ، حتى صلّى عليه ثنتين وسبعين صلاةً . وهذا غريبٌ وسنده ضعيفٌ .

قال السّهيليّ(٣) : ولم يقل به أحدٌ من علماء الأمصار .

وقد قال الإمام أحمد(٤) : ثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، ثنا عطاء بن السّائب ، عن الشّعبيّ ، عن ابن مسعودٍ قال : إن النساء كنّ يوم أُحدٍ خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين ، فلو حلفتُ يومئذٍ رجوت أن أبرّ : إنه ليس أحدٌ منا يريد الدنيا ، حتى أنزل الله : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . فلمّا خالف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أُمروا به ، أُفرد رسول الله ﷺ في [تسعة] ؛ سبعةٍ من الأنصار ورجلين(٥) من قريشٍ ، وهو عاشرهم ، فلمّا رهِقوه قال : « رحم الله رجلاً ردّهم عنّا » . (قال : فقام رجلٌ من الأنصار فقاتل ساعةً حتى قتل ، فلما رهِقوه أيضاً قال: «رحم الله رجلاً ردّهم عنا»)(٦) . فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ

---

(١) كذا في (آ) و(ط) : « الذي طار له » أي قدر له . وفي « المسند » : « الذي صار له » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٧) .

(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٢) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٦٣) ، وإسناده ضعيف .

(٥) في (ط) : « واثنين » .

(٦) ما بين القوسين سقط من (ط) .

لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا »[١] . فجاء أبو سفيان فقال : اعل هبل . فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : الله أعلى وأجل » . فقالوا : الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم . فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » . ثم قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدرٍ ، يومٌ لنا ويومٌ علينا ، ويومٌ نُساء ويومٌ نُسرّ ، حنظلة بحنظلة ، وفلانٌ بفلانٍ . فقال رسول الله ﷺ : « لا سواء ، أما قتلانا فأحياءٌ يرزقون ، وقتلاكم في النّار يعذّبون » . قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثْلةٌ ، وإن كانت لعن غير ملأٍ منّا ، ماأمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرّني . قال : فنظروا ، فإذا حمزة قد بُقر بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها ، فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : « أأكلتْ منه شيئاً ؟ » قالوا : لا . قال : « ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النّار » . قال : فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلَّى عليه ، وجيء برجلٍ من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلّى عليه ، فرفع الأنصاريّ وترك حمزة ، ثم جيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلَّى عليه ، ثم رفع وترك حمزة ، حتى صلّى عليه يومئذٍ سبعين صلاةً . تفرّد به أحمد . وهذا إسنادٌ فيه ضعفٌ أيضاً من جهة عطاء بن السائب ، فالله أعلم .

والذي رواه البخاريّ[٢] أثبت ، حيث قال : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا اللّيث ، عن ابن شهابٍ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالكٍ ، أنّ جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحدٍ في ثوبٍ واحدٍ ، ثم يقول : « أيُّهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ » . فإذا أشير له إلى أحدهما[٣] قدّمه في اللّحد وقال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة » . وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصلّ عليهم ، ولم يغسّلوا . تفرّد به البخاريّ دون مسلمٍ .

ورواه أهل « السنن »[٤] من حديث اللّيث بن سعدٍ به .

وقال أحمد[٥] : ثنا محمدٌ ، يعني ابن جعفرٍ ، ثنا شعبة ، سمعت عبد ربّه يحدّث عن الزُّهريّ ، عن ابن جابرٍ ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبيّ ﷺ أنه قال في قتلى أُحدٍ : « فإنّ كلّ جرحٍ أو كلّ دمٍ يفوح مسكاً يوم القيامة » ولم يصلّ عليهم .

وثبت أنه صلّى [عليهم] بعد ذلك بسنين عديدةٍ قبل وفاته بيسيرٍ ، كما قال البخاريّ[٦] : ثنا محمد بن عبد الرّحيم ، ثنا زكريا بن عديٍّ ، أنا [ابن] المبارك ، عن حيوة ، عن يزيد بن أبي حبيبٍ ،

---

(١) في (آ) : « ما أنصفتما أصحابنا » وأثبت لفظ (ط) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٧٩) .
(٣) في « صحيح البخاري » : « فإذا أشير إلى أحدٍ » .
(٤) رواه أبو داود رقم (٣١٣٨) و(٣١٣٩) والترمذي رقم (١٠٣٦) والنسائي رقم (١٩٥٤) وابن ماجه رقم (١٥١٤) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٩) ، وهو حديث صحيح .
(٦) في « صحيحه » رقم (٤٠٤٢) .

عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامرٍ قال : صلّى رسول الله ﷺ على قتلى أحدٍ بعد ثماني سنين ، كالمودّع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : « إني بين أيديكم فرطٌ ، وأنا عليكم شهيدٌ ، وإنّ موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكني[1] أخشى عليكم الدُّنيا أن تنافسوها » . قال : فكان آخر نظرةٍ نظرتها إلى رسول الله ﷺ .

ورواه البخاريّ في مواضع أخر ، ومسلمٌ ، وأبو داود ، والنّسائيّ[2] ، من حديث يزيد بن أبي حبيبٍ به نحوه .

وقال الأمويّ : حدّثني أبي ، ثنا الحسن بن عُمارة ، عن حبيب بن أبي ثابتٍ قال : قالت عائشة : خرجنا من السّحَر مخرج رسول الله ﷺ إلى أحدٍ نستطلع الخبر ، حتى إذا طلع الفجر إذا رجلٌ محتجرٌ ينشد[3] ويقول :

« لبّث قليلاً يشهد[4] الهيجا حمل »

قالت : فنظرنا فإذا أسيد بن حضيرٍ ، ثم مكثنا بعد ذلك ، فإذا بعيرٌ قد أقبل ، عليه امرأةٌ بين وَسقين . قالت : فدنونا منها ، فإذا هي امرأة عمرو بن الجموح ، فقلنا لها : ما الخبر ؟ قالت : دفع الله عن رسول الله ﷺ واتّخذ من المؤمنين شهداء ، ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾ ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخي وزوجي .

وقال ابن إسحاق[5] : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه[6] ، وكان أخاها لأبيها وأمّها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزّبير بن العوّام : « القَها فأرجعها ؛ لا ترى ما بأخيها » . فقال لها : يا أمّه ، إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي . قالت : ولم وقد بلغني أنه مُثّل بأخي ، وذلك في الله ؟! فما أرضانا ما كان من ذلك ، لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله . فلما جاء الزُّبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك ، قال : « خلّ سبيلها » . فأتته فنظرت إليه ، وصلّت عليه ، واسترجعت واستغفرت .

قال ابن إسحاق[7] : ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن ، ودفن معه ابن أُخته عبد الله بن جحشٍ ـ وأمّه

---

(١) في (آ) : « ولكن » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٤٤) و(٣٥٩٦) و(٤٠٨٥) و(٦٤٢٦) و(٦٥٩٠) ومسلم رقم (٢٢٩٦) وأبو داود رقم (٣٢٢٣) و(٣٢٢٤) والنسائي رقم (١٩٥٣) .

(٣) في (ط) : « يشتد » والمثل في « معجم الأمثال العربية » لصديقي وزميلي الفاضل الأستاذ رياض عبد الحميد مراد (٤/ ٩٦) ومصادره مذكورة فيه .

(٤) في « معجم الأمثال العربية » : « يلحق » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٧) .

(٦) يعني إلى حمزة رضي الله عنه وأرضاه .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٧) وقد ذكر الخبر باختصار .

أُميمة بنت عبد المطلب ـ وكان قد مُثّل به ، غير أنه لم يبقر عن كبده ، رضي الله عنهما .

قال السّهيليّ[١] : وكان يقال له : المجدّع في الله . قال : وذكر سعدٌ أنه هو وعبد الله بن جحشٍ دعوا بدعوةٍ فاستجيبت لهما ؛ فدعا سعدٌ أن يلقى فارساً من المشركين فيقتله ويستلبه ، فكان ذلك ، ودعا عبد الله بن جحشٍ أن يلقاه فارسٌ فيقتله ويجدع أنفه في الله . فكان ذلك .

وذكر الزُّبير بن بكّارٍ أن سيفه يومئذٍ انقطع ، فأعطاه رسول الله ﷺ عُرجوناً[٢] ، فصار في يد عبد الله بن جحشٍ سيفاً يقاتل به ، ثم بيع في تركة بعض ولده بمئتي دينارٍ . وهذا كما تقدّم لعكّاشة في يوم بدرٍ .

وقد تقدّم في « صحيح البخاريّ » أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، بل في الكفن الواحد ، وإنما أرخص لهم في ذلك ؛ لما بالمسلمين من الجراح التي يشقّ معها أن يحفروا لكلّ واحدٍ واحداً ، ويقدّم في اللّحد أكثرهما أخذاً للقرآن ، وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللّحد الواحد ، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرامٍ ، والد جابرٍ ، وبين عمرو بن الجموح ؛ لأنهما كانا متصاحبين ، ولم يغسّلوا[٣] ، بل تركهم بجراحهم ودمائهم ، كما روى ابن إسحاق[٤] ، عن الزّهريّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعيرٍ ، أنّ رسول الله ﷺ لمّا أشرف على القتلى يوم أحدٍ قال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، إنه ما من جريحٍ يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دمٍ ، والريح ريح مسكٍ » . قال : وحدّثني عمّي موسى بن يسارٍ ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم ﷺ : « ما من جريحٍ يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون الدّم ، والرّيح ريح المسك » . وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين »[٥] من غير هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا عليّ بن عاصمٍ ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ قال : أمر رسول الله ﷺ يوم أحدٍ بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود ، وقال : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .

ورواه أبو داود وابن ماجه[٧] من حديث عليٍّ بن عاصمٍ به .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٤) .

(٢) جاء في « مختار الصّحاح » (عرجن) : « العرجون : أصل العذق الذي يَعْوَجّ ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً » .

(٣) يعني الشهداء جميعاً .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٨) .

(٥) رواه البخاري رقم (٢٣٧) و (٢٨٠٣) و (٥٥٣٣) ومسلم رقم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٧) ، وإسناده ضعيف .

(٧) رواه أبو داود رقم (٣١٣٤) وابن ماجه رقم (١٥١٥) ، وإسناده ضعيف .

وقال الإمام أبو داود في « سننه »[١] : حدّثنا القعنبيّ ، أنّ سليمان بن المغيرة حدّثهم ، عن حميد بن هلالٍ ، عن هشام بن عامرٍ أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحدٍ فقالوا : قد أصابنا قرحٌ وجهدٌ ، فكيف تأمرنا ؟ فقال : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد[٢] » . قيل : يا رسول الله ، فأيّهم يقدّم ؟ قال : « أكثرهم قرآناً » .

ثم رواه[٣] من حديث الثوريّ ، عن أيوب ، عن حميد بن هلالٍ ، عن هشام بن عامرٍ ، فذكره ، وزاد : « وأعمقوا » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : « ادفنوهم حيث صُرعوا » .

وقد قال الإمام أحمد[٥] : ثنا عليّ بن إسحاق ، ثنا عبد الله وعتّابٌ ، أنا عبد الله ، أنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المدينيّ ، حدثني أبي ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحدٍ ، فأرسلنني[٦] أخواتي إليه بناضحٍ لهن ، فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل ، فادفنه في مقبرة بني سلمة . قال : فجئته وأعوانٌ لي ، فبلغ ذلك نبيّ الله ﷺ وهو جالسٌ بأحدٍ ، فدعاني فقال : « والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوته » فدفن مع أصحابه بأحدٍ ، تفرّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا محمد بن جعفرٍ ، ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيسٍ ، عن نُبيحٍ ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتلى أحدٍ حملوا من مكانهم ، فنادى منادي النبيّ ﷺ أن ردّوا القتلى إلى مضاجعهم .

وقد رواه أبو داود والنسائيّ[٨] من حديث الثّوريّ ، والترمذيّ من حديث شعبة[٩] ، والنسائيّ أيضاً وابن ماجه[١٠] من حديث سفيان بن عيينة ، كلّهم عن الأسود بن قيسٍ به .

وقال أحمد[١١] : ثنا عفّان ثنا أبو عوانة ، ثنا الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزيّ[١٢] ، عن جابر بن

---

(١) رقم (٣٢١٥) ، وهو حديث صحيح .
(٢) لفظ « الواحد » لم يرد في « سنن أبي داود » .
(٣) في « سننه » رقم (٣٢١٦) ، وهو حديث صحيح .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٦) ، وإسناده ضعيف .
(٦) في (ط) : « فأرسلني » .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٧) ، وهو حديث صحيح .
(٨) رواه أبو داود رقم (٣١٦٥) والنسائي رقم (٢٠٠٤) ، وهو حديث صحيح .
(٩) رواه الترمذي رقم (١٧١٧) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) رواه النسائي رقم (٢٠٠٣) وابن ماجه رقم (١٥١٦) ، وهو حديث صحيح .
(١١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٧) ، وهو حديث صحيح .
(١٢) في (ط) : « . . كلهم عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي . . . » .

عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين ليقاتلهم ، وقال لي أبي عبد الله : يا جابر ، لا عليك أن تكون في نظّاري أهل المدينة ، حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا ، فإني والله لولا أني أترك بناتٍ لي بعدي ، لأحببت أن تقتل بين يديّ . قال : فبينا أنا في النّظّارين ، إذ جاءت عمتي بأبي وخالي ، عادلتهما على ناضحٍ ، فدخلتْ بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا ، إذ لحق رجلٌ ينادي : ألا إنّ النبيّ ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى ، فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت . فرجعنا بهما ، فدفنّاهما حيث قتلا ، فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، إذ جاءني رجلٌ فقال : يا جابر بن عبد الله ، والله لقد أثار أباك عمّال معاوية ، فبدا فخرج طائفةٌ منه . فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنتُه ، لم يتغيّر إلا ما لم يدع القتل ، أو القتيل . ثم ساق الإمام أحمد قصة وفائه دين أبيه ، كما هو ثابتٌ في « الصحيحين »[١] .

وروى البيهقيّ[٢] ، من طريق حمّاد بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن أبي الزّبير ، عن جابر بن عبد الله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحدٍ ، بعد أربعين سنةً ، استصرخناهم إليهم ، فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً .

وفي رواية ابن إسحاق ، عن جابرٍ قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس .

وذكر الواقديّ[٣] ، أن معاوية لمّا أراد أن يجري العين ، نادى مناديه : من كان له قتيلٌ بأُحدٍ فليشهد . قال جابرٌ : فحفرنا عنهم ، فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائمٌ على هيئته ، ووجدت جاره في قبره عمرو بن الجموح ، ويده على جرحه فأزيلت عنه ، فانبعث جرحه دماً . ويقال : إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك ، رضي الله عنهم أجمعين ، وذلك بعد ستٍّ وأربعين سنةً من يوم دفنوا .

وقد قال البخاريّ[٤] : ثنا مسدّدٌ ، ثنا بشر بن المفضّل ، ثنا حسينٌ المعلّم ، عن عطاءٍ ، عن جابرٍ قال : لما حضر أحدٌ ، دعاني أبي من الليل فقال لي : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتَل من أصحاب النبيّ ﷺ ، وإني لا أترك بعدي أعزّ علي منك ، غير نفس رسول الله ﷺ ، وإنّ عليّ ديناً فاقض ، واستوص بأخواتك خيراً . فأصبحنا فكان أول قتيلٍ ، فدفنت معه آخَر في قبره ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخَر ، فاستخرجته بعد ستة أشهرٍ ، فإذا هو كيوم وضعته ، هُنَيَّةً غير أُذنه .

وثبت في « الصحيحين »[٥] من حديث شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابرٍ أنه لما قتل أبوه ،

---

(١) هو في « صحيح البخاري » رقم (٢١٢٧) و(٢٣٩٥) و(٢٣٩٦) و(٤٠٥٣) ولم نجده في « صحيح مسلم » بهذا اللفظ .

(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٩١) وليس عنده جملة « بعد أربعين سنة » .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ٢٦٧) .

(٤) رواه البخاري رقم (١٣٥١) .

(٥) رواه البخاري رقم (٤٠٨٠) تعليقاً ، وموصولاً رقم (١٢٤٤) ومسلم رقم (٢٤٧١) (١٣٠) .

جعل يكشف عنه الثوب ويبكي ، فنهاه الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « تبكيه أو لا تبكيه ، لم تزل الملائكة تظلّه بأجنحتها حتى رفعتموه »[(١)] .

وفي روايةٍ ، أن عمّته هي الباكية .

وقال البيهقيّ[(٢)] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكرٍ أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا محمد بن إسحاق ، حدّثنا فيض بن وثيقٍ البصريّ ، حدّثنا أبو عبادة الأنصاريّ ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لجابرٍ : « يا جابر ، ألا أبشّرك ؟ » قال : بلى ، بشّرك الله بالخير . فقال : « أشعرتَ أن الله أحيا أباك فقال : تمنّ عليّ عبدي ما شئت أعطكه . قال : ياربّ ، ما عبدتك حقّ عبادتك ، أتمنّى عليك أن تردّني إلى الدنيا ، فأُقتل مع نبيّك ، وأقتل فيك مرةً أخرى . قال : إنه قد سلف مني أنّه إليها لا يرجع » .

وقال البيهقيّ[(٣)] : أنا أبو الحسن محمد بن أبي المعروف الإسفرايينيّ ، ثنا أبو سهلٍ بشر بن أحمد ، أنا أحمد بن الحسين بن نصرٍ ، ثنا عليّ بن المدينيّ ، حدّثنا موسى بن إبراهيم [بن كثيرٍ] بن بشير بن الفاكه الأنصاريّ ، قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصّمّة الأنصاريّ ثم السّلميّ قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إليّ رسول الله ﷺ فقال : « ما لي أراك مهتمّاً ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، قتل أبي ، وترك ديناً وعيالاً . فقال : « ألا أخبرك ؟ ما كلّم الله أحداً إلا من وراء حجابٍ ، وإنه كَلّم أباك كفاحاً ، وقال له يا عبدي ، سلني أعطك . فقال : أسألك أن تردّني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً . فقال : إنه قد سبق مني [القول] إنّهم إليها لا يرجعون . قال : ياربّ ، فأبلغ من ورائي » . فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الآية [آل عمران : ١٦٩] .

وقال ابن إسحاق[(٤)] : وحدّثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيلٍ ، سمعت جابراً يقول : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا أبشّرك يا جابر ؟ » قال : قلت : بلى . قال : « إنّ أباك حيث أصيب بأحدٍ ، أحياه الله ، ثم قال له : ما تحبّ يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أي ربِّ ، أحبّ أن تردّني إلى الدنيا ، فأقاتل فيك ، فأقتل مرّةً أخرى » .

وقد رواه أحمد[(٥)] ، عن عليّ بن المدينيّ ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن عليّ بن ربيعة السّلميّ ، عن عبد الله بن محمد بن عقيلٍ ، عن جابرٍ ، وزاد : فقال الله : « إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون » .

---

(١) هي عند البخاري رقم (١٢٤٤) وعند مسلم رقم (٢٤٧١) (١٢٩) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٩٨) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٩٨) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٢٠) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٦١) ، وإسناده حسن .

وقال أحمد[١] : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، إذا ذُكر أصحاب أحدٍ : « أما والله لوددت أني غودرت مع أصحاب نحصِ الجبل » . يعني سفح الجبل ، تفرّد به أحمد .

وقد روى البيهقيّ[٢] ، من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن قطن بن وهبٍ ، عن عبيد بن عميرٍ ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مرَّ على مصعب بن عُمير وهو مقتولٌ على طريقه ، فوقف عليه ، فدعا له ثم قرأ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الآية [الأحزاب : ٢٣] . قال: «أشهد أنّ هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، فأتوهم وزوروهم ، والذي نفسي بيده ، لا يسلّم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة ؛ إلا ردّوا عليه » . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وروي عن عبيد بن عميرٍ مرسلاً .

وروى البيهقيّ[٣] من حديث موسى بن يعقوب ، عن عبّاد بن أبي صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : كان النبيّ ﷺ يأتي قبور الشهداء ، فإذا أتى فرضة الشّعب[٤] قال : « السلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدّار » . ثم كان أبو بكرٍ بعد النبيّ ﷺ يفعله ، وكان عمر بعد أبي بكرٍ يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله .

قال الواقديّ[٥] : كان النبيّ ﷺ يزورهم كلّ حولٍ ، [فإذا تفوّه][٦] الشّعبَ يقول : « السلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدّار » . ثم كان أبو بكرٍ يفعل ذلك كلّ حولٍ ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم ، فتبكي عندهم وتدعو لهم ، وكان سعدٌ يسلّم ، ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسلّمون على قومٍ يردّون عليكم . ثم حكى زيارتهم ، عن أبي سعيدٍ ، وأبي هريرة ، وعبد الله ابن عمر ، وأمّ سلمة ، رضي الله عنهم .

وقال ابن أبي الدّنيا[٧] : حدّثني إبراهيم ، حدثني الحكم بن نافعٍ ، ثنا العطّاف بن خالدٍ ، حدّثتني خالتي قالت : ركبت يوماً إلى قبور الشهداء ـ وكانت لا تزال تأتيهم ـ فنزلت عند حمزة ، فصلّيت ما شاء الله أن أصلّي ، وما في الوادي داعٍ ولا مجيبٌ ، إلا غلاماً قائماً آخذاً برأس دابّتي ، فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي : السلام عليكم . قالت : فسمعت ردّ السلام عليّ يخرج من تحت الأرض ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٧٥) ، وإسناده حسن .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٤) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٠٦) .
(٤) أي : جانبه .
(٥) انظر « المغازي » (١/ ٣١٣) .
(٦) في (ط) فإذا بلغ نقرة .
(٧) في كتابه « من عاش بعد الموت » ص(٤٠) .

أعرفه كما أعرف أن الله عزّ وجلّ خلقني ، وكما أعرف الليل من النهار ، فاقشعرّت كلّ شعرةٍ مني .

وقال محمد بن إسحاق[١] ، عن إسماعيل بن أميّة ، عن أبي الزّبير ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ قال : قال النبيّ ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يوم أحدٍ ، جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خضرٍ ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهبٍ معلّقةٍ في ظلّ العرش ، فلمّا وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن مقيلهم قالوا : من يبلّغ إخواننا عنا أنّا أحياءٌ في الجنة نرزق ؛ لئلا ينكلوا عن الحرب ، ولا يزهدوا في الجهاد ؟ فقال الله عزّ وجلّ : أنا أبلّغهم عنكم » . فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

وروى مسلمٌ والبيهقيّ[٢] من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروقٍ قال : سألنا عبد الله بن مسعودٍ عن هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أرواحهم كطيرٍ خضرٍ[٣] ، تسرح في أيّها شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلّقةٍ بالعرش » . قال : « فبينما هم كذلك ، إذ اطّلع عليهم ربّك اطّلاعةً ، فقال : سلوني ما شئتم . فقالوا : يا ربّنا ، وما نسألك ونحن نسرح في الجنّة في أيّها شئنا ؟! فلمّا رأوا أن لن يُتركوا من أن يسألوا ، قالوا : نسألك أن تردّ أرواحنا إلى أجسادنا في الدّنيا ، نقتل في سبيلك » . قال : « فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تُركوا » .

فصلٌ
في عدد الشّهداء

قال موسى بن عقبة[٤] : جميع من استشهد يوم أحدٍ من المهاجرين والأنصار ، تسعةٌ وأربعون رجلاً .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاريّ[٥] عن البراء ، أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً ، فالله أعلم .

وقال قتادة ، عن أنسٍ[٦] : قتل من الأنصار يوم أحدٍ سبعون[٧] ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون .

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١١٩) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٨٨٧) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٠٣) واللفظ له .
(٣) في (ط) : « أرواحهم في جوف طير خضر » .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٨٠) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٣٩٨٦) .
(٦) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠٧٨) .
(٧) انظر « الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص(١٥٠) .

وقال حمّاد بن سلمة ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أنه كان يقول : قارب السبعين يوم أحدٍ ، ويوم بئر معونة ، ويوم مؤتة ، ويوم اليمامة .

وقال مالكٌ[١] ، عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاريّ ، عن سعيد بن المسيّب : قتل من الأنصار يوم أحدٍ سبعون ، ويوم اليمامة سبعون ، ويوم جسر أبي عبيدٍ سبعون . وهكذا قال عكرمة ، وعروة ، والزهريّ ، ومحمد بن إسحاق ، في قتلى أحدٍ . ويشهد له قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾ [آل عمران : ١٦٥] يعني أنهم قتلوا يوم بدرٍ سبعين وأسروا سبعين .

وعن ابن إسحاق[٢] : قتل من الأنصار يوم أحدٍ خمسةٌ وستون ، أربعةٌ من المهاجرين ؛ حمزة ، وعبد الله بن جحشٍ ، ومصعب بن عميرٍ ، وشمّاس بن عثمان ، والباقون من الأنصار ، وسرد أسماءَهم على قبائلهم ، وقد استدرك عليه ابن هشامٍ زيادةً على ذلك خمسةً آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشامٍ ، وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلاً .

وعن عروة : كان الشهداء يوم أحدٍ أربعةً ـ أو قال : سبعةً ـ وأربعين .

وقال موسى بن عقبة : تسعةٌ وأربعون .

قال موسى : وقتل من المشركين يومئذٍ ستة عشر رجلاً . وقال عروة : تسعة عشر . وقال ابن إسحاق : اثنان وعشرون .

وقال الرّبيعُ[٣] ، عن الشافعيّ : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزّة الجمحيِّ ، وقد كان في الأسارى يوم بدرٍ ، فمنّ عليه رسول الله ﷺ بلا فديةٍ ، واشترط عليه ألاّ يقاتله ، فلمّا أسر يوم أحدٍ قال : يا محمد ، امنن عليّ لبناتي ، وأعاهد أن لا أقاتلك . فقال له رسول الله ﷺ : « لا أدعك تمسح عارضيك بمكّة ، وتقول : خدعت محمداً مرتين » . ثم أمر به فضربت عنقه . وذكر بعضهم أنه يومئذٍ قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين » .

فصـــل

قال ابن إسحاق[٤] : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فلقيتْه حمنةُ بنت جحشٍ ، كما ذكر لي ، فلما لقيت الناسَ ونعي إليها أخوها عبد الله بن جحشٍ ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عميرٍ ، فصاحت

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٢٦) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٨٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٨) .

وولولت ، فقال رسول الله ﷺ : « إن زوج المرأة منها لبمكان » . لما رأى من تثبّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

وقد قال ابن ماجه(١) : ثنا محمد بن يحيى ، ثنا إسحاق بن محمدٍ الفَرْوي ، ثنا عبد الله بن عمر ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحشٍ ، عن أبيه ، عن حمنة بنت جحشٍ أنه قيل لها : قُتل أخوك . فقالت : رحمه الله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . قالوا : قتل زوجك . قالت : واحزناه . فقال رسول الله ﷺ : « إن للزوج من المرأة لشعبةً ، ما هي لشيءٍ » !

قال ابن إسحاق(٢) : وحدّثني عبد الواحد بن أبي عونٍ ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقّاصٍ قال : مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينارٍ ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحدٍ ، فلما نعوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أمّ فلانٍ ، هو بحمد الله كما تحبّين . قالت : أرُونيه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كلّ مصيبةٍ بعدك جللٌ .

قال ابن هشامٍ : الجَلل يكون من القليل ومن الكثير ، وهو هاهنا من القليل .

قال امرؤ القيس(٣) : [من المتقارب]

لقتـل بنـي أسـدٍ ربّهـم ألا كلّ شيءٍ خلاه جلل

أي : صغيرٌ وقليلٌ .

قال ابن إسحاق(٤) : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنيّة ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم » . وناولها عليّ بن أبي طالبٍ سيفه فقال : وهذا فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت صدقت القتال ، لقد صدقه معك سهل بن حُنيفٍ وأبو دُجانة » .

وقال موسى بن عقبة في موضعٍ آخر : ولما رأى رسول الله ﷺ سيف عليٍّ مخضّباً بالدّماء قال : « لئن كنتَ أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، والحارث بن الصّمّة ، وسهل بن حنيفٍ » .

وروى البيهقيُّ(٥) ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : جاء عليّ بن أبي طالبٍ بسيفه يوم أحدٍ وقد انحنى فقال لفاطمة : هاكِ السّيف حميداً ؛ فإنها قد شفتْني .

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٥٩٠) وإسناده ضعيف .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٩) .
(٣) انظر « ديوانه » ص(٢٦١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٠) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٣) .

فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت أجدت الضرب بسيفك ، لقد أجاده سهل بن حنيفٍ ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابتٍ ، والحارث بن الصّمّة » .

قال ابن هشامٍ[١] : وسيف رسول الله ﷺ هذا هو ذو الفقَار .

قال : وحدّثني بعض أهل العلم ، عن ابن أبي نجيحٍ قال : نادى منادٍ يوم أحدٍ : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا عليٌّ[٢] .

قال : وحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لعليٍّ : « لا يصيب المشركون منّا مثلها حتى يفتح الله علينا » .

قال ابن إسحاق[٣] : ومرّ رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل ، فسمع البكاء والنّوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله ﷺ ، فبكى ثم قال : « لكنّ حمزة لا بواكي له » . فلما رجع سعد بن معاذٍ ، وأُسيد بن الحضير إلى دار بني عبد الأشهل ، أمرا نساءهم أن يتحزّمن ، ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله ﷺ .

فحدّثني[٤] حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حنيفٍ ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال : لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهنَّ وهنَّ على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : « ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتنّ بأنفسكن » . قال : ونهى رسول الله يومئذٍ عن النّوح . فيما قال ابن هشامٍ .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق منقطعٌ ، ومنه مرسلٌ .

وقد أسنده الإمام أحمد فقال : ثنا زيد بن الحباب ، حدّثني أسامة بن زيدٍ ، حدّثني نافعٌ ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ لما رجع من أحدٍ ، فجعل نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهنّ ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « ولكنّ حمزة لا بواكي له » . قال : ثم نام فاستنبه ، وهنّ يبكين ، قال : « فهنَّ اليوم إذا يبكين يندبن حمزة ؟! » . وهذا على شرط مسلمٍ[٥] .

وقد رواه ابن ماجه[٦] ، عن هارون بن سعيدٍ ، عن ابن وهبٍ ، عن أسامة بن زيدٍ اللّيثيّ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ مرّ بنساء بني عبد الأشهل يبكين هلكاهنّ يوم أحدٍ ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٠) .

(٢) قوله ﷺ : « ولا فتى إلا عليّ » سقط من (ط) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٩) .

(٤) القائل ابن إسحاق .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٠) ، قال ابن القطان الفاسي عن أسامة بن زيد الليثي لم يحتج به مسلم إنما أخرج له استشهاداً ، والحديث حسن .

(٦) رواه ابن ماجه رقم (١٥٩١) ، وهو حديث حسن .

« لكنّ حمزة لا بواكي له » فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : « ويحهنّ! ما انقلبن بعدُ ؟! مروهنّ فلينقلبن ، ولا يبكين على هالكٍ بعد اليوم » .

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله ﷺ أزقَّة المدينة ، إذا النّوح والبكاء في الدّور ، فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم . فقال : « لكنّ حمزة لا بواكي له » . واستغفر له ، فسمع ذلك سعد بن معاذٍ ، وسعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبلٍ ، وعبد الله بن رواحة ، فمشَوا إلى دورهم ، فجمعوا كلّ نائحةٍ وباكيةٍ كانت بالمدينة فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عمّ النبيّ ﷺ ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا أن الذي جاء بالنّوائح عبد الله بن رواحة ، فلما سمع رسول الله ﷺ قال : « ما هذا ؟ » فأُخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم ، فاستغفر لهم ، وقال لهم خيراً ، وقال : « ما هذا أردت ، وما أحبّ البكاء » ونهى عنه .

وهكذا ذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواءً .

قال موسى بن عقبة[١] : وأخذ المنافقون ، عند بكاء المسلمين ، في المكر والتّفريق عن رسول الله ﷺ وتحزين المسلمين ، وظهر غشّ اليهود ، وفارت المدينة بالنّفاق فَور المرجل ، وقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ، ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنّه طالب ملكٍ ؛ تكون له الدّولة وعليه . وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم . فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق ، وتعزية المسلمين ؛ يعني فيمن قتل منهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٢١] الآيات كلّها ، كما تكلّمنا على ذلك في « التفسير »[٢] ولله الحمدُ والمنّة .

ذكر
خروج النبيّ ﷺ بأصحابه ، على ما بهم من القرح والجراح ، في أثر أبي سفيان ؛ إرهاباً له ولأصحابه حتى بلغ حمراء الأسد[٣] وهي على ثمانية أميالٍ من المدينة

قال موسى بن عقبة[٤] بعد اقتصاصه وقعة أحدٍ وذِكره رجوعه ، عليه الصلاة والسلام ، إلى المدينة :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/٢١٦) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ٩٠) وما بعدها ، و(٤/ ٦٩) وما بعدها .
(٣) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص(١١٩ ـ ١٢٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢١٧) .

وقدم رجلٌ من أهل مكة على رسول الله ﷺ ، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه ، فقال : نازلتُهم فسمعتهم يتلاومون ؛ يقول بعضهم لبعضٍ : لم تصنعوا شيئاً ؛ أصبتم شوكة القوم وحدّهم ، ثم تركتموهم ، ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوسٌ يجمعون لكم ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه ، وبهم أشدُّ القَرح ، بطلب العدوّ ؛ ليسمعوا بذلك ، وقال : « لا ينطلقنّ معي إلّا من شهد القتال » . فقال عبد الله بن أُبيّ : أنا راكبٌ معك . فقال : « لا » . فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء ، فانطلقوا ، فقال الله في كتابه العزيز : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] .

قال : وأذن رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته .

قال : وطلب رسول الله ﷺ العدوّ حتى بلغ حمراء الأسد .

وهكذا روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواءً .

وقال محمد بن إسحاق في « مغازيه » : وكان يوم أحدٍ يوم السبت النّصف من شوّالٍ ، فلما كان الغد من يوم الأحد لستّ عشرة ليلةً مضت من شوّالٍ ، أذّن مُؤَذِّنُ رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدوّ ، وأذّن مؤذّنه ألّا يخرجنّ أحدٌ إلّا من حضر يومنا بالأمس ، فكلّمه جابر بن عبد الله ، فأذن له .

قال ابن إسحاق[(١)] : وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدوّ ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ؛ ليظنّوا به قوةً ، وأنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله[(٢)] : فحدّثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابتٍ ، عن أبي السّائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال : شهدت أحداً أنا وأخٌ لي فرجعنا جريحين ، فلما أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ ، قلت لأخي وقال لي : أتفوتنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا من دابّةٍ نركبها ، وما منّا إلا جريحٌ ثقيلٌ ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غُلب حملته عقبةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميالٍ ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال ابن هشامٍ : وقد كان استعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ .

قال ابن إسحاق[(٣)] : حدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، أن معبد بن أبي معبدٍ الخزاعيّ ، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نصحٍ لرسول الله ﷺ بتهامة ، صفقهم معه ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبدٌ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠١ ـ ١٠٢) .

يومئذٍ مشركٌ ، مرّ برسول الله ﷺ وهو مقيمٌ بحمراء الأسد ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم . ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حربٍ ومن معه بالرّوحاء ، وقد أجمعوا الرّجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟! لنكرّنّ على بقيتهم فلنفرغنّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمدٌ قد خرج في أصحابه ، يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قطُّ ؛ يتحرّقون عليكم تحرّقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنَق عليكم شيءٌ لم أر مثله قطُّ . قال : ويلك ما تقول ؟ قال : واللهِ ما أُراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم ؛ لنستأصل شأفتهم . قال : فإني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلتُ فيه أبياتاً من شعرٍ . قال : وما قلتَ ؟ قال: قلتُ[1] : [من البسيط]

كادت تهدّ من الأصوات راحلتي … إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردي بأسدٍ كرام لا تنابلةٍ … عند اللقاء ولا ميلٍ معازيل
فظلت عدواً أظنّ الأرض مائلةً … لمّا سموا برئيسٍ غير مخذول
فقلت : ويل ابن حربٍ من لقائكمُ … إذا تغطمطت البطحاء بالجيل
إني نذيرٌ لأهل البسل ضاحيةً … لكلّ ذي إربةٍ منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخشٍ قنابلُه[2] … وليس يُوصف ما أنذرت بالقيل

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومرّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة . قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلّغون عني محمداً رسالةً أرسلكم بها إليه وأحمّل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظٍ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه ، فأخبروه أنّا قد أجمعنا السّير إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيتهم . فمرّ الرّكب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . وكذا قال الحسن البصريّ .

وقد قال البخاريُّ[3] : ثنا أحمد بن يونس ـ أُراه قال : ـ ثنا أبو بكرٍ ، عن أبي حَصينٍ ، عن أبي الضّحى ، عن ابن عباسٍ : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ . قالها إبراهيم ، عليه السلام ، حين أُلقي في النار ، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] تفرّد بروايته البخاريّ .

وقد قال البخاريُّ[4] : حدّثنا محمد بن سَلَامٍ، حدّثنا أبو معاوية ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشة ،

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٣) .
(٢) في « السيرة النبوية » : لابن هشام « تنابلة » .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٥٦٣) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٠٧٧) .

رضي الله عنها ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] . قالت لعروة : يابن أُختي ، كان أبواك منهم ؛ الزُّبير ، وأبو بكرٍ ، رضي الله عنهما ، لمّا أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحدٍ وانصرف عنه المشركون ، خاف أن يرجعوا ، فقال : « من يذهب في إثرهم ؟ » فانتدب منهم سبعون رجلاً ، فيهم أبو بكرٍ والزُّبير . هكذا رواه البخاريّ .

وقد رواه مسلمٌ مختصراً(١) من أوجهٍ ، عن هشامٍ .

وهكذا رواه سعيد بن منصورٍ وأبو بكرٍ الحميديّ جميعاً ، عن سفيان بن عيينة(٢) .

وأخرجه ابن ماجه(٣) من طريقه ، عن هشام بن عروة به .

ورواه الحاكم في « مستدركه »(٤) من طريق أبي سعيدٍ المؤدّب ، عن هشام بن عروة به ، ورواه من حديث البهيّ ، عن عروة ، وقال في كلّ منهما : صحيحٌ ، ولم يخرجاه . كذا قال .

وهذا السياق غريبٌ جداً ؛ فإن المشهور عند أصحاب المغازي ، أنّ الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كلّ من شهد أحداً ، وكانوا سبعمئةٍ ، كما تقدّم ، قتل منهم سبعون ، وبقي الباقون .

وقد روى ابن جريرٍ(٥) من طريق العوفيّ ، عن ابن عباسٍ قال : إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرّعب يوم أحدٍ ، بعد الذي كان منه ، فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة أحدٍ في شوّالٍ ، وكان التّجّار يقدَمون في ذي القعدة المدينة ، فينزلون ببدرٍ الصّغرى في كلّ سنةٍ مرةً ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحدٍ ، وكان أصاب المسلمين القَرح ، واشتكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، واشتدّ عليهم الذي أصابهم ، وإن رسول الله ﷺ ندب الناس لينطلقوا معه ويتّبعوا ما كانوا متّبعين ، وقال : « إنما يرتحلون الآن فيأتون الحجّ ، ولا يقدرون على مثلها حتى عامٍ قابلٍ » . فجاء الشيطان يخوّف أولياءه ، فقال : إنّ الناس قد جمعوا لكم . فأبَى عليه الناس أن يتّبعوه ، فقال : « إني ذاهبٌ ، وإن لم يتّبعني أحدٌ » . فانتدب معه أبو بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٌّ ، وطلحةُ ، والزُّبير ، وسعدٌ ، وعبد الرحمن بن عوفٍ ، وأبو عبيدة ، وابن مسعود ، وحذيفة ، في سبعين رجلاً ، فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصّفراء ، فأنزل الله : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وهذا غريبٌ أيضاً .

وقال ابن هشامٍ(٦) : ثنا أبو عبيدة ، أن أبا سفيان بن حربٍ لمّا انصرف يوم أُحد أراد الرّجوع إلى

---

(١) رقم (٢٤١٨) .
(٢) رواه سعيد بن منصور في « سننه » (٣/ ١١٢٥) والحميدي في « مسنده » (٢٦٣) .
(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٢٤) .
(٤) (٢/ ٢٩٨) و(٣/ ٢٩) .
(٥) انظر « تفسير الطبري » (٤/ ١٧٧) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٤) .

المدينة ، فقال لهم صفوان بن أميّة : لا تفعلوا ؛ فإن القوم قد حرِبوا[١] ، وقد خشينا أن يكون لهم قتالٌ غيرُ الذي كان ، فارجعوا . فرجعوا ، فقال النبيّ ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همّوا بالرّجعة : « والذي نفسي بيده ، لقد سُوّمت لهم حجارةٌ ، لو صبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب » . قال : وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة ، معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمسٍ ، جدّ عبد الملك بن مروان لأُمِّه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزّة الجمحيّ ، وكان رسول الله ﷺ قد أسره ببدرٍ ثم منّ عليه ، فقال : يا رسول الله ، أقلني . فقال : « لا والله ، لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير » . فضرب عنقه .

قال ابن هشامٍ[٢] : وبلغني عن ابن المسيّب أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابتٍ » . فضرب عنقه .

وذكر ابن هشامٍ[٣] أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاثٍ ، فبعث إليه رسول الله ﷺ بعدها زيد بن حارثة وعمّار بن ياسرٍ ، وقال : « ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقتلاه » . ففعلا ، رضي الله عنهما .

قال ابن إسحاق[٤] : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة كان عبد الله بن أُبيٍّ ، كما حدّثني الزهريّ ، له مقامٌ يقومه كلّ جمعةٍ ، لا ينكَر له ، شرفاً في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، وهو يخطب الناس ، قال فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم ، أكرمكم الله به ، وأعزّكم به فانصروه وعزّروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحدٍ ما صنع ، ورجع الناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس أي عدوّ الله ، والله لست لذلك بأهلٍ ، وقد صنعت ما صنعت . فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشدّد أمره . فلقيه رجالٌ من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلكَ ، ما لك ؟ قال : قمت أشدّد أمره فوثب إليّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويعنّفونني ، لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشدّد أمره . قالوا : ويلك ، ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ . قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

ثم ذكر ابن إسحاق[٥] ما نزل من القرآن في قصة أحدٍ من سورة « آل عمران » ، من عند قوله : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٢١] . قال : إلى تمام ستين آيةً . وتكلّم عليها، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا « التفسير » بما فيه كفايةٌ. ثم شرع ابن إسحاق في

---

(١) أي : اشتد غضبهم . انظر « لسان العرب » (حرب) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٦) .

ذكر شهداء أحدٍ، وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم، كما جرت عادته ، فذكر من المهاجرين أربعةً ؛ حمزة ، ومصعب بن عميرٍ ، وعبد الله بن جحشٍ ، وشمّاس بن عثمان ، رضي الله عنهم ، ومن الأنصار إلى تمام خمسةٍ وستين رجلاً ، واستدرك عليه ابن هشامٍ خمسةً آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشامٍ ، ثم سمّى ابن إسحاق من قتل من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلاً ، على قبائلهم أيضاً .

قلت : ولم يؤسَر من المشركين سوى أبي عزّة الجمحيّ ، كما ذكره الشافعيّ وغيره ، وقتله رسول الله ﷺ صبراً بين يديه ؛ أمر الزُّبيرَ - ويقال : عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح - فضرب عنقه .

فصل

فيما تقاول به المؤمنون والكُفَّارُ في وقعة أحدٍ من الأشعار

وإنما نورد شعر الكُفَّار لنذكر جوابها من شعر الإسلام[١] ليكون أبلغ في وقعها من الأسماع والأفهام ، وأقطع لشبهة الكفرة[٢] الطَّغَام .

قال الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله : وكان مما قيل من الشعر يوم أحدٍ ، قول هُبيرة بن أبي وهبٍ المخزوميّ - وهو على دين قومه من قريشٍ - : [من البسيط]

ما بال همّ عَميدٍ بات يطرقني ... بالودّ من هندَ إذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هندٌ وتعذُلُني ... والحرب قد شغلت عنّي مواليها
مهلاً فلا تعذُليني إنّ من خُلُقي ... ما قد علمتِ وما إن لستُ أخفيها
مساعفٌ لبني كعبٍ بما كلفوا ... حمّال عبءٍ وَأَثْقَالٍ أعانيها
وقد حملت سلاحي فوق مشتَرفٍ ... ساطٍ سبوح إذا يجري يُبَاريها
كأنه إذْ جرى عَيرٌ بفدفدةٍ ... مكدّمٌ لاحقٌ بالعُون يحميها
من آل أعوج يرتاح النّديُّ له ... كجذع شعراء مستعلٍ مراقيها
أعددتُه ورقاق الحدّ منتخلاً ... ومارناً لخطوبٍ قد ألاقيها
هذا وبيضاء مثل النّهي محكمةً ... نِيطَتْ عليّ فما تبدو مساويها
سقنا كنانة من أطراف ذي يمنٍ ... عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة : أنّى تذهبون بنا ... قلنا : النّخيل ، فأمّوها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجرّ[٣] من أُحدٍ ... هابت معدٌّ فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضراباً وطعناً صادقاً خذِماً ... مما يرون وقد ضمّت قواصيها

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٢٩) .
(٢) في (آ) : « الكُفّار » وأثبت لفظ (ط) .
(٣) الجرّ : أصل الجبل .

ثمّتَ رحنا كأنّا عارضٌ بردٌ ... وقام هام بني النجّار يبكيها
كأنّ هامهم عند الوغى فلقٌ ... من قيض رُبدٍ نفته عن أداحيها
أو حنظلٌ ذعذعتْه الرّيح في غصنٍ ... بالٍ تعاوره منها سوافيها
قد نبذل المال سَحّا لا حساب له ... ونطعنُ الخيل شزراً في مآقيها
وليلةٍ يصطلي بالفرث جازرها ... يختصّ بالنّقرى المثرين داعيها
وليلةٍ من جمادى ذات أنديةٍ ... جربى جُماديّةٍ قد بثّ أسريها
لا ينبَح الكلب فيها غير واحدةٍ ... من القريس ولا تسري أفاعيها
أَوقدتُ فيها لذي الضّرّاء جاحمةً ... كالبرق ذاكية الأركان أحميها
أورثني ذاكمُ عمرٌو ووالده ... من قبله كان بالمثني يغاليها
كانوا يبارون أنواء النجوم فما ... دنّت عن السّورة العليا مساعيها

قال ابن إسحاق(١) : فأجابه حسان بن ثابتٍ ، رضي الله عنه ، فقال ـ قال ابن هشامٍ : وتروى لكعب بن مالكٍ ولغيره . قلت : وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر ، والله أعلم ـ : [من البسيط]

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم ... إلى الرّسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحيةً ... فالنّار موعدها والقتل لاقيها
جمعتموهم أحابيشاً بلا حسبٍ ... أئمة الكُفْر غرّتكم طواغيها
ألّا اعتبرتم بخيل الله إذ قَتلت ... أهل القليب ومن ألقينه فيها
كم من أسيرٍ فككناه بلا ثمنٍ ... وجزِّ ناصيةٍ كنا مواليها

قال ابن إسحاق(٢): وقال كعب بن مالكٍ، يجيب هُبيرة بن أبي وهبٍ المخزوميّ أيضاً: [من الطويل]

ألا هل أتى غسّان عنا ودونهم ... من الأرض خرقٌ سيره متنعنعُ
صحارٍ وأعلامٌ كأنّ قتامها ... من البعد نقعٌ هامدٌ متقطّع
تظلّ به البُزل العراميس رزّحاً ... ويخلو به غيث السنين فيمرع
به جيف الحسرى يلوح صليبها ... كما لاح كتّان التّجار الموضّع
به العين والآرام يمشين خلفةً ... وبيض نعامٍ قيضه يتفلّع
مُجالدنا عن ديننا كلّ فخمةٍ ... مذرّبةٍ فيها القوانس تلمع
وكلّ صموتٍ في الصّوان كأنها ... إذا لبست نِهيٌ من الماء مترع

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣١) والأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ١٦٦) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣٢) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص(١٨٠ ـ ١٨٥) .

ولكن ببدرٍ سائلوا من لقيتمُ ... من النَّاس والأنباءُ بالغيب تنفع
وإنّا بأرض الخوف لو كان أهلها ... سوانا لقد أجلوا بليلٍ فأقشعوا
إذا جاء منّا راكبٌ كان قوله ... أعدّوا لما يزجي ابن حربٍ ويجمع
فمهما يهمّ الناس مما يكيدنا ... فنحن له من سائر الناس أوسع
فلو غيرنا كانت جميعاً تكيده الـ ... ـبريّة قد أعطوا يداً وتوزّعوا
نجالد لا تبقى علينا قبيلةٌ ... من الناسِ إلا أن يهابوا ويفظعوا
ولمّا ابتنوا بالعرض قالت سراتنا ... علام إذا لم نمنع العرض نزرع
وفينا رسول الله نتبع أمره ... إذا قال فينا القول لا نتطلّع
تدلّى عليه الرّوح من عند ربّه ... ينزّل من جوّ السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصرنا ... إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع
وقال رسول الله لمّا بدوا لنا ... ذروا عنكم هول المنيّات واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقرّباً ... إلى مليكٍ يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكّلوا ... على الله إنّ الأمر لله أجمع
فسرنا إليهم جهرةً في رحالهم ... ضحيّا علينا البيض لا نتخشّع
بملمومةٍ فيها السَّنَوَّر والقنا ... إذا ضربوا أقدامها لا تورّع
فجئنا إلى موجٍ من البحر وسطه ... أحابيش منهم حاسرٌ ومقنّع
ثلاثة آلافٍ ونحن نصيّةٌ ... ثلاث مِئِينٍ إن كثرنا وأربع
نغاورهم تجري المنيّة بيننا ... نشارعهم حوض المنايا ونشرع
تهادى قسيّ النّبع فينا وفيهم ... وما هو إلّا اليثربيّ المقطّع
ومنجوفةٌ حِرميّةٌ صاعديّةٌ ... يذرُّ عليها السّمّ ساعة تصنع
تصوب بأبدان الرّجال وتارةً ... تمرّ بأعراض البصار تقعقع
وخيلٌ تراها بالفضاء كأنّها ... جراد صباً في قرّة يتريّع
فلمّا تلاقينا ودارت بنا الرّحا ... وليس لأمرٍ حمّه الله مدفع
ضربناهمُ حتى تركنا سَراتهم ... كأنّهمُ بالقاع خُشْبٌ مُصَرَّع
لَدُنْ غُدوةً حتى استفقنا عشيّةً ... كأن ذكانا حرّ نارٍ تلفّع
وراحوا سراعاً موجعين كأنهم ... جهامٌ هراقت ماءه الريح مقلع
ورحنا وأخرانا بطاءٌ كأننا ... أسودٌ على لحمٍ ببيشة ظلّع
فنلنا ونال القوم منا وربما ... فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع
ودارت رحانا واستدارت رحاهمُ ... وقد جعلوا كُلٌّ من الشرّ يشبع
ونحن أناسٌ لا نرى القتل سُبّةً ... على كلّ من يحمي الذّمار ويمنع

جلادٌ على ريب الحوادث لا نرى ... على هالكٍ عيناً لنا الدّهرَ تدمع
بنو الحرب لا نعيا بشيءٍ نقوله ... ولا نحن مما جرّت الحرب نجزع
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفُحّشٍ ... ولا نحن من أظفارها نتوجّع
وكنّا شهاباً يتّقي الناس حرّه ... ويفرج عنه من يليه ويسفع
فخرت عليّ ابن الزّبعرى وقد سرى ... لكم طلبٌ من آخر الليل متبع
فسل عنك في عليا معدٍّ وغيرها ... من الناس مَنْ أخزى مقاماً وَأَشْنَعُ
ومن هو لم يترك له الحرب مفخراً ... ومن خدّه يوم الكريهة أضرع
شددنا بحول الله والنصر شدّةً ... عليكم وأطراف الأسنّة شرّع
تكرّ القنا فيكم كأن فروعها ... عزالي مزادٍ ماؤها يتهزّع
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر ... بذكر اللّواء فهو في الحمد أسرع
فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا ... أبى الله إلاّ أمره وهو أصنع

[قال ابن إسحاق[١] : وقال عبد الله بن الزّبعري في يوم أحدٍ ، وهو يومئذٍ مشركٌ بعد : [من الرمل]

يا غُرَابَ البينِ أسمعتَ فقُلْ ... إنّما تنطقُ شيئاً قد فُعِلْ
إنّ للخير وللشرّ مدى ... وكلا ذلك وجهٌ وقَبلْ
والعطيّات خساسٌ بينهم ... وسواءٌ قبر مثرٍ ومقلْ
كلّ عيشٍ ونعيمٍ زائلٌ ... وبنات الدّهر يلعبن بكلْ
أبلغنْ حسّان عنّي آيةً ... فقريض الشّعر يشفي ذا الغُللْ
كم ترى بالجرّ من جمجمةٍ ... وأكفّ قد أُتِرّت ورجلْ
وسرابيلَ حسانٍ سريت ... عن كماةٍ أهلكوا في المنتزلْ
كم قتلنا من كريمٍ سيّدٍ ... ماجد الجدّين مِقْدام بطلْ
صادق النّجدة قرمٍ بارعٍ ... غير ملتاثٍ لدى وقع الأسلْ
فسل المهراس ما ساكنه ... بين أقحافٍ وهامٍ كالحجلْ
ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسلْ
حين حكّت بقباءٍ بركها ... واستحرّ القتل في عبد الأشلْ
ثم خفّوا عند ذاكم رُقّصاً ... رقص الحفّان يعلو في الجبلْ
فقتلنا الضّعف من أشرافهم ... وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدلْ
لا ألوم النّفس إلاّ أنّنا ... لو كررنا لفعلنا المفتعلْ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣٦) والأبيات في « ديوان عبد الله بن الزبعرى » (٤١) وما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته عن (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .

بسيوف الهند تعلو هامهم علَلاً تعلوهمُ بعد نهل

قال ابن إسحاق[١] : فأجابه حسَّان بن ثابتٍ ، رضي الله عنه : [من الرمل]

ذهبت بابن الزّبعرى وقعةٌ كان منّا الفضل فيها لو عدلْ
ولقد نلتم ونلنا منكمُ وكذاك الحرب أحياناً دولْ
نضعُ الأسياف في أكتافكم حيث نهوي علَلاً بعد نهلْ
نخرج الأصبح من أستاهكم كسُلاح[٢] النّيب يأكلن العصلْ
إذ تولّون على أعقابكم هرَّباً في الشّعب أشباه الرّسلْ
إذ شددنا شدّةً صادقةً فأجأناكم إلى سفح الجبلْ
بخناطيل كأمذاق الملا من يلاقوه من الناس يهلْ
ضاق عنا الشّعب إذ نجزعه وملأنا الفرط منه والرِّجَلْ[٣]
برجالٍ لستمُ أمثالهم أُيِّدوا جبريل نصراً فنزلْ
وعلونا يوم بدرٍ بالتّقى طاعة الله وتصديق الرّسلْ
وقتلنا كلّ رأسٍ منهمُ وقتلنا كلّ جحجاحٍ رفلْ
وتركنا في قريشٍ عورةً يوم بدرٍ وأحاديث المثلْ
ورسول الله حقاً شاهدٌ يوم بدرٍ والتّنابيل الهبلْ
في قريشٍ من جموعٍ جمّعوا مثل ما يجمع في الخصب الهملْ
نحن لا أمثالكم ولد استها نحضر البأس إذا البأس نزلْ

قال ابن إسحاق[٤] : وقال كعبٌ يبكي حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحدٍ ، رضي الله عنهم : [من المتقارب]

نشجتَ وهل لك من منشجٍ وكنت متى تذّكر تلججِ
تذكُّر قومٍ أتاني لهم أحاديث في الزمن الأعوجِ
فقلبك من ذكرهم خافقٌ من الشّوق والحزن المنضجِ
وقتلاهمُ في جنان النعيم كرام المداخل والمخرجِ
بما صبروا تحت ظلّ اللّواء لواء الرسول بذى الأضوجِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/١٣٧) والأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/٦٧ ـ ٦٨) .
(٢) السُّلاح بالضم : النَّجْوُ .
(٣) جمع رِجلة ، وهي المطمئن من الأرض .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/١٣٨) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص(١٥٧ ـ ١٥٨) .

غـــداة أجـــابـــت بـــأسيـــافهـــا　　جميعـــاً بنـــو الأوس والخـــزرجِ
وأشيـــاع أحمـــد إذ شـــايعـــوا　　علـــى الحـــقّ ذي النـــور والمنهـــجِ
فمـــا بـــرحـــوا يضـــربـــون الكمـــاة　　ويمضـــون فـــي القسطـــل المـــرهـــجِ
كـــذلـــك حتـــى دعـــاهـــم مليـــكٌ　　إلـــى جنّـــةٍ دوحـــة المـــولـــجِ
كحمـــزة لمَّـــا وفـــى صـــادقـــاً　　بـــذي هبّـــةٍ صـــارمٍ سلجـــجِ
فَكُلّهـــم مـــات حُـــرَّ البـــلاء　　علـــى مِلَّـــة الله لـــم يخْـــرَجِ
فـــلاقـــاه عبـــد بنـــي نـــوفـــلٍ　　يبـــربـــر كـــالجمـــل الأدعـــجِ
فـــأوجـــره حـــربـــةً كـــالشّهـــاب　　تلهّـــب فـــي اللَّهـــب المـــوهَـــجِ
ونعمـــان أوفـــى بميثـــاقـــه　　وحنظلـــة الخيـــر لـــم يحنـــجِ
عـــن الحـــقّ حتـــى غـــدت روحـــه　　إلـــى منـــزلٍ فـــاخـــر الـــزّبـــرجِ
أولئـــك لا مـــن ثـــوى منكـــمُ　　مـــن النـــار فـــي الـــدّرك المـــرتـــجِ

قال ابن إسحاق(١) : وقال حسّان بن ثابتٍ يبكي حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحدٍ ـ وهي على رويّ قصيدة أُمية بن أبي الصّلت في قتلى المشركين يوم بدرٍ .

قال ابن هشامٍ : ومن [أهل العلم بالشعر من] ينكر هذه لحسان ، والله أعلم ـ : [من مجزوء الرجز]

يـــا مـــيّ قـــومـــي فـــانـــدُبـــنْ　　بسُحيـــرةٍ شجـــو النّـــوائـــحْ
كـــالحـــامـــلات الـــوقـــر بـــالثّقْـ　　ـــل الملحّـــات الـــدّوالـــحْ
المعـــولات الخـــامشـــا　　ت وجـــوه حـــرّاتٍ صحـــائـــحْ
وكـــأنّ سيـــل دمـــوعهـــا الـ　　أنصـــاب تخضـــب بـــالـــذّبـــائـــحْ
ينقضـــن أشعـــاراً لهـــنْ　　ـــن هنـــاك بـــاديـــة المســـائـــحْ
وكـــأنّهـــا أذنـــاب خيـ　　ـــلٍ بـــالضّحـــى شمـــسٍ روامـــح
مـــن بيـــن مشـــزورٍ ومَجْـ　　ـــزورٍ يـــذعـــذع بـــالبـــوارح
يبكيـــن شجـــواً مسلبـــا　　تٍ كـــدّحتهـــنّ الكـــوادح
ولقـــد أصـــاب قلـــوبهـــا　　مجـــلٌ لـــه جلـــبٌ قـــوارح
إذ أقصـــد الحـــدثـــان مَـــن　　كنّـــا نـــرجّـــي إذ نشـــايـــح
أصحـــاب أُحْـــد غـــالهـــم　　دهـــرٌ ألـــمّ لـــه جـــوارح
مـــن كـــان فـــارسنـــا وحـــا　　مِيَنـــا إذا بعـــث المســـالـــح
يـــا حمـــز لا والله لا　　أنســـاك مـــا صـــرّ اللّقـــائـــح

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢ / ١٥١) والأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١ / ٤٥٠ ـ ٤٥٢) .

لمنـــاخ أيتـــام وأضـ ـيـاف وأرملـةٍ تـلامـح
ولمـا ينـوب الـدّهـرُ فـي حـربٍ لحـربٍ وهـي لاقـحْ
يـا فـارسـاً يـا مـدرهـاً يـا حمز قد كنت المصامحْ
عنـا شـديـدات الخطـوب إذا ينـوب لهـن فـادحْ
ذكّـرتنـي أسـد الـرسـو ل وذاك مـدرهنـا المنـافـحْ
عنـا وكـان يعـدّ إذ عـدّ الشّـريفـون الجحـاجـحْ
يعلـو القمـاقـم جهـرةً سبـط اليـديـن أغـرّ واضـح
لا طـائـشٌ رعـشٌ ولا ذو علّـةٍ بـالحمـل آنـحْ
بحـرٌ فليـس يغـبّ جـا راً منـه سيـبٌ أو منـادحْ
أودى شبـاب أولـي الحفـا ئـظ والثّقيلـون المـراجـح
المطعمـون إذا المشـا تـي مـا يصفّفهـنّ نـاضـح
لحـم الجـلاد وفـوقـه مـن شحمـه شطـبٌ شـرائـح
ليـدافعـوا عـن جـارهـم مـا رام ذو الضّغـن المكـاشـح
لهفـي لشبـانٍ رُزِئـ ـنـاهـم كـأنهـم المصـابـحْ
شـمّ بطـارقـةٍ غطـا رفـةٍ خضـارمـةٍ مسـامـح
المشتـرون الحمـد بـالأ مـوال إنّ الحمـد رابـحْ
والجـامـزون بلجمهـم يـومـاً إذا مـا صـاح صـائـح
مـن كـان يُـرمـى بـالنّـوا قـر مـن زمـانٍ غيـر صـالـح
مـا إن تـزال ركـابـه يـرسمـن فـي غُبـرٍ صحـاصـح
راحـت تبـارى وهـو فـي ركـبٍ صـدورهـمُ رواشـح
حتـى تَـؤُوبَ لـه المعـا لـي ليـس مـن فـوز السّفـائـح
يـا حمـز قـد أوحـدتنـي كـالعـود شـذّبـه الكـوافـح
أشكـو إليـك وفـوقـك التّـ ـرب المكـوّر والصّفـائـح
مـن جنـدلٍ يلقيـه فوقك إذ أجاد الضّرح ضارح
فـي واسـعٍ يحشـونـه بـالتُّـرْب سـوّتـه المماسـح
فعـزاؤنـا أنّـا نقـو ل وقـولنـا بـرحٌ بـوارح
مـن كـان أمسـى وهـو عمْـ ـمـا أوقـع الِحـدثـان جـانـح
فليـأتنـا فلتبـك عيـ ـنـاه لهلكـانـا النّـوافـح
القـائليـن الفـاعليـ ـن ذوي السّماحة والممادح
مـن لا يـزال نـدى يـديـ ـه لـه طـوال الـدّهـر مـائـحْ

قال ابن هشام[١] : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال كعب بن مالكٍ يبكي حمزة وأصحابه : [من الكامل]

طرقتْ همومك فالرّقاد مسهّدُ ... وجزعت أن سلخ الشباب الأغيدُ
ودعت فؤادك للهوى ضمريّةٌ ... فهواك غوريٌّ وصحوك منجدُ
فدع التّماديَ في الغواية سادراً ... قد كنت في طلب الغواية تفندُ
ولقد أنى لك أن تناهى طائعاً ... أو تستفيق إذا نهاك المرشد
ولقد هددت لفقد حمزة هدّةً ... ظلّت بنات الجوف منها ترعد
ولو انّه فجعت حراء بمثله ... لرأيت راسيَ صخرها يتبدّد
قرمٌ تمكّن في ذؤابة هاشمٍ ... حيث النّبوّة والنّدى والسّؤدُد
والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت ... ريحٌ يكاد الماء منها يجمد
والتارك القرن الكميّ مجدّلاً ... يوم الكريهة والقنا يتقصّد
وتراه يرفُل في الحديد كأنه ... ذو لبدةٍ شثن البراثن أربد
عمّ النبيّ محمدٍ وصفيّه ... ورد الحِمام فطاب ذاك المورد
وأتى المنيّة معلماً في أسرةٍ ... نصروا النبيّ ومنهمُ المستشهدُ
ولقد إخال بذاك هنداً بشّرت ... لتميت داخل غصّةٍ لا تبرد
مما صبحنا بالعقنقل قومها ... يوماً تغيّب فيه عنها الأسعد
وببئر بدرٍ إذ يردّ وجوههم ... جبريل تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبيّ سراتهم ... قسمين يقتل من يشاء ويطرد
فأقام بالعطن المعطّن منهمُ ... سبعون عتبة منهم والأسودُ
وابن المغيرة قد ضربنا ضَرْبَةً ... فوق الوريد لها رشاشٌ مزبد
وأميّة الجمحيّ قوّم ميله ... عضبٌ بأيدي المؤمنين مهنّد
فأتاك فَلّ المشركين كأنّهم ... والخيل تثفنهم نعامٌ شرّد
شتّان من هو في جهنّم ثاوياً ... أبداً ومن هو في الجنان مخلّد

قال ابن إسحاق[٣] : وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة وأصحابه يوم أحدٍ ـ قال ابن هشامٍ : وأنشدنيها أبو زيدٍ لكعب بن مالكٍ ، فالله أعلم ـ : [من الوافر]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٥٥) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٥٦) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ١٦٢) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص(٢٠٠ ـ ٢٠١) .

بكت عيني وحُقّ لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويلُ
على أسد الإله غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أصيب به الرسولُ
أبا يعلى لك الأركان هدّت ... وأنت الماجد البرّ الوصول
[عليك سلام ربّك في جنانٍ ... مخالطها نعيمٌ لا يزول]
ألا يا هاشم الأخيار صبراً ... فكل فعالكم حسنٌ جميل
رسول الله مصطبرٌ كريمٌ ... بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغٌ عني لؤيّا ... فبعد اليوم دائلةٌ تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا ... وقائعنا بها يُشفى الغليل
نسيتم ضربنا بِقَلِيب بدرٍ ... غداة أتاكمُ الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهلٍ صريعاً ... عليه الطير حائمةً تجول
وعتبة وابنه خرَّا جميعاً ... وشيبة عضّه السيف الصّقيل
ومتركنا أميّة مجلعبّاً ... وفي حيزومه لدْنٌ نبيل
وهام بني ربيعة سائلوها ... ففي أسيافنا منها فلول[١]
ألا يا هند فابكي لا تملّي ... فأنت الواله العبرى الهبول
ألا يا هند لا تبدي شماتاً ... بحمزة إنّ عزّكمُ ذليلُ

قال ابن إسحاق[٢] : وقالت صفيّة بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب ـ وهي أمّ الزّبير ، عمّة النبيّ ﷺ ، ورضي الله عنهم أجمعين ـ : [من الطويل]

أسائلةٌ أصحاب أُحْدٍ مخافةً ... بنات أبي من أعجمٍ وخبيرِ
فقال الخبير إنّ حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزيرِ
دعاه إله الحقّ ذو العرش دعوةً ... إلى جنةٍ يحيا بها وسرورِ
فذلك ما كنا نرجّي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصيرِ
فوالله لا أنساك ما هبّت الصَّبا ... بكاءً وحزناً محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مِدرها ... يذود عن الإسلام كلّ كفور
فيا ليت شِلوي عند ذاك وأعظمي ... لدى أضبعٍ تعتادني ونسور
أقول وقد أعلى النّعيّ عشيرتي ... جزى الله خيراً من أخٍ ونصيرِ

(١) تأخر هذا البيت في (آ) إلى ما بعد البيت الذي بعده .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٧) .

قال ابن إسحاق[١] : وقالت نُعْمُ امرأة شمّاس بن عثمان تبكي زوجها : [من البسيط]

يا عين جودي بفيضٍ غير إبساسِ ... على كريمٍ من الفتيان لبّاس
صعب البديهة ميمونٍ نقيبته ... حمّال ألويةٍ ركّاب أفراس
أقول لمَّا أتى الناعي له جزعاً ... أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي
وقلت لمّا خلت منه مجالسه ... لا يبعد الله منا قرب شمّاس

قال : فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوعٍ يعزّيها فقال : [من البسيط]

إقْنَيْ حياءك في سترٍ وفي كرمٍ ... فإنّما كان شمّاسٌ من الناس
لا تقتلي النّفس إذ حانت منيّته ... في طاعة الله يوم الرَّوع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبري ... فذاق يومئذٍ من كأس شمّاس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ، حين رجعوا من أحدٍ : [من الطويل]

رجعتُ وفي نفسي بلابل جمّةٌ ... وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي
من أصْحابِ بدرٍ من قريشٍ وغيرهم ... بني هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب
ولكنّني قد نلت شيئاً ولم يكن ... كما كنت أرجو في مسيري ومركبي

وقد أورد ابن إسحاق في هذا أشعاراً كثيرةً ، تركنا كثيراً منها ، خشية الإطالة وخوف الملالة ، وفيما ذكرنا كفايةٌ ، ولله الحمد .

وقد أورد الأمويّ في « مغازيه » من الأشعار أكثر ممّا ذكره ابن إسحاق ، كما جرت عادته ، ولا سيّما هاهنا ، فمن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابتٍ أنّه قال في غزوة أحد ـ فالله أعلم ـ : [من الرمل]

طاوَعوا الشيطان إذ أخزاهم ... فاستبان الخزي فيهم والفشل
حين صاحوا صيحةً واحدةً ... معْ أبي سفيان قالوا اعل هبل
فأجبناهم جميعاً كلّنا ... ربّنا الرحمن أعلى وأجلّ
أُثبتوا نسقيكموها مُرّةً ... من حياض الموت والموت نهل
واعلموا أنّا إذا ما نضّجت ... عن حيال الموت قدرٌ تشتعل

وكأنّ هذه الأبيات قطعةٌ من جوابه لعبد الله بن الزّبعرى[٢] ، والله أعلم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨) .
(٢) وقد تقدمت في ص (٢٣٦) من هذا الجزء .

آخر الكلام على وقعة أحدٍ

فصلٌ

قد تقدّم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسّرايا ، ومن أشهرها وقعة أحدٍ ، وكانت في النصف من شوالٍ منها ، وقد تقدّم بسطها ، ولله الحمد .

وفيها في أحدٍ توفّي شهيداً أبو يعلى ، ويقال : أبو عمارة . أيضاً ؛ حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ، الملقّب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبيّ ﷺ[١] ، هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، أرضعتهم كلّهم ثويبة مولاة أبي لهبٍ ، كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه[٢] ، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل ، رضي الله عنه ، فإنّه كان من الشجعان الأبطال ، ومن الصدّيقين الكبار ، وقتل معه يومئذٍ تمام السبعين ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال مصعبٌ الزّبيريّ : ولد ليعلى بن حمزة خمسة بنين ، كلّهم انقرضوا . وكانت له بنتٌ لها : عُمارة .

قلت : وهي التي تناولها عليٌّ ، وقال لفاطمة : دونك ابنة عمّك ، فاختصم في حضانتها عليٌّ وزيد بن حارثة وجعفرٌ ، فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالتها امرأة جعفرٍ ، وقال : « الخالة بمنزلة الأمّ »[٣] .

وفيها عقد عثمان بن عفّان عقده[٤] على أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، بعد وفاة أختها رُقَيّة ، وكان عقده عليها في ربيع الأول منها ، وبنى بها في جمادى الآخرة منها ، كما تقدّم ، فيما ذكره الواقديّ .

وفيها ، قال ابن جريرٍ[٥] : ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ بن أبي طالبٍ . قال : وفيها علقت بالحسين ، رضي الله عنهم أجمعين .

***

---

(١) أي شاركه الرَّضاع .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٦٤٥) و(٥١٠٠) ومسلم رقم (١٤٤٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في رضاع النبي ﷺ وحمزة رضي الله عنه ، والبخاري رقم (٥١٠١) و(٥١٠٦) و(٥١٠٧) و(٥١٢٣) و(٥٣٧٢) ومسلم رقم (١٤٤٩) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها ، في رضاعه ﷺ وأبي سلمة بن عبد الأسد .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٥١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ورواه أحمد في « المسند » (١/ ١١٥) وأبو داود رقم (٢٢٨٠) من حديث علي رضي الله عنه .

(٤) لفظ « عقده » لم ترد في (ط) .

(٥) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٣٧) .

سنة أربع من الهجرة النبويّة

في المحرّم منها كانت سريّة أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسديّ ، فانتهى إلى ماءٍ يقال له : قطنٌ .

قال الواقديّ[(١)] : ثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيدٍ اليربوعيّ ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره ، قالوا : شهد أبو سلمة أحداً ، فجرح جرحاً على عضده ، فأقام شهراً يداوى ، فلمّا كان هلال[(٢)] المحرّم على رأس خمسةٍ وثلاثين شهراً من الهجرة ، دعاه رسول الله ﷺ فقال : « اخرج في هذه السّريّة ، فقد استعملتك عليها » . وعقد له لواءً وقال : « سر حتى أرض بنى أسدٍ ، فأغرعليهم » . وأوصاه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، وخرج معه في تلك السّرية خمسون ومئةٌ ، فانتهى إلى أدنى قطنٍ ، وهو ماءٌ لبني أسدٍ ، وكان هناك طليحة الأسديّ وأخوه سلمة ابنا خويلدٍ ، وقد جمعا خلقاً من بني أسدٍ ليقصدوا حرب النبيّ ﷺ ، فجاء رجلٌ منهم إلى النبيّ ﷺ فأخبره بما تمالؤوا عليه ، فبعث معه أبا سلمة في سريّته هذه ، فلما انتهوا إلى أرضهم ، تفرّقوا وتركوا نعَماً كثيراً لهم من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كلّه أبو سلمة ، وأسر منهم معه ثلاثة مماليك ، وأقبل راجعاً إلى المدينة ، فأعطى ذلك الرجل الأسديّ الذي دلّهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صفيّ النبيّ ﷺ ؛ عبداً ، وخمّس الغنيمة ، وقسمها بين أصحابه ، ثم قدم المدينة .

قال عمر بن عثمان : فحدّثني عبد الملك بن عميرٍ ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوعٍ ، عن عمر بن أبي سلمة قال : كان الذي جرح أبي أبو أسامة الجشميّ ، فمكث شهراً يداويه فبرأ ، فيما نرى ، وبعثه رسول الله ﷺ في المحرّم ـ يعني من سنة أربع ـ إلى قطنٍ ، فغاب بضع عشرة ليلةً ، فلمّا دخل المدينة انتقض به جرحه ، فمات لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى .

قال عمر : واعتدّت أمي حتى خلت أربعة أشهرٍ وعشر ، ثم تزوّجها رسول الله ﷺ ودخل بها في ليالٍ بقِين من شوّالٍ ، وكانت أمي تقول : ما بأسٌ بالنكاح في شوال والدخول فيه ، وقد تزوّجني رسول الله ﷺ في شوّالٍ وأعرس بي فيه[(٣)] .

---

(١) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٣٤٠) .

(٢) لفظ « هلال » لم يرد في (ط) .

(٣) في (ط) : « قد تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى فيه » .

قال : وماتت أمّ سلمة في ذي القعدة سنة تسعٍ وخمسين . رواه البيهقيّ[(١)] .

قلت : سنذكر في أواخر هذه السنة في شوّالها تزويج النبيّ ﷺ بأمّ سلمة ، وما يتعلّق بذلك من ولاية الابن أمّه في النّكاح ، ومذاهب العلماء في ذلك ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

غزوة الرّجيع[(٢)]

قال الواقديّ : وكانت في صفرٍ ـ يعني سنة أربعٍ ـ بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ليخبروه . قال : والرّجيع على سبعة أميالٍ من عُسفان .

قال البخاريّ[(٣)] : ثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا هشام بن يوسف ، عن معمرٍ ، عن الزّهريّ ، عن عمرو بن أبي سفيان الثّقفيّ ، عن أبي هريرة قال : بعث النبيّ ﷺ سريّةً عيناً ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابتٍ ، وهو جدّ عاصم بن عمر بن الخطّاب ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكّة ، ذكروا لحيٍّ من هذيلٍ يقال لهم : بنو لحيان ، فتبعوهم بقريبٍ من مئة رامٍ ، فاقتصّوا آثارهم ، حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمرٍ تزوّدوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم ، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابه لجؤوا إلى فدفدٍ ، وجاء القوم فأحاطوا بهم ، فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ؛ ألاّ نقتل منكم رجلاً . فقال عاصمٌ : أمّا أنا فلا أنزل في ذمة كافرٍ ، اللهم أخبر عنا رسولك . فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفرٍ با لنّبل ، وبقي خبيبٌ وزيدٌ ورجلٌ آخر ، فأعطوهم العهد والميثاق ، فلمّا أعطوهم العهد والميثاق ، نزلوا إليهم ، فلمّا استمكنوا منهم ، حلّوا أوتار قسيّهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذي معهما : هذا أول الغدر . فأبى أن يصحبهم ، فجرّوه ، عالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل ، فقتلوه ، وانطلقوا بخبيبٍ وزيدٍ حتى باعوهما بمكة ، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفلٍ ، وكان خبيبٌ هو قتل الحارث يوم بدرٍ ، فمكث عندهم أسيراً ، حتى إذا أجمعوا قتله ، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدّ بها فأعارته . قالت : فغفلت عن صبيٍّ لي ، فدرج إليه حتى أتاه ، فوضعه على فخذه ، فلمّا رأيته فزعت فزعةً عرف ذلك مني ، وفي يده الموسى ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله . وكانت تقول : ما رأيت أسيراً قطُّ خيراً من خبيبٍ ، لقد رأيته يأكل من قطف عنبٍ وما بمكة يومئذٍ ثمرةٌ ، وإنه لموثَقٌ في الحديد ، وما كان إلا رزقاً رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال : دعوني أصلّي ركعتين . ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أنّ ما بي جزعٌ من الموت لزدت . فكان

---

(١) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣١٩) .

(٢) انظر « الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص (١٥٣ ـ ١٥٤) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٨٦) .

أوّل من سنّ الركعتين عند القتل هو ، ثم قال : اللهمّ أحصهم عدداً واقتلهم بدداً . ثم قال : [من الطويل]

ولستُ أبالي حين أُقتل مسلماً ... على أيّ شقٍّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع

قال : ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قريشٌ إلى عاصمٍ ؛ ليؤتَوا بشيءٍ من جسده يعرفونه ، وكان عاصمٌ قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدرٍ ، فبعث الله عليه مثل الظُّلّة من الدَّبْر ، فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا منه على شيءٍ .

وقال البخاريّ[١] : ثنا عبد الله بن محمدٍ ، ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله يقول : الذي قتل خبيباً هو أبو سِروعة .

قلت : واسمه عقبة بن الحارث ، وقد أسلم بعد ذلك ، وله حديثٌ في الرّضاع ، وقد قيل : إن أبا سِروعة وعقبة أخوان ، فالله أعلم .

هكذا ساق البخاريّ في كتاب المغازي من « صحيحه » قصة أصحاب الرّجيع .

ورواه أيضاً في التوحيد وفي الجهاد[٢] ، من طرقٍ ، عن الزهريّ ، عن عَمْرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثَّقفي حليف بني زهرة ، ومنهم من يقول : عُمَر بن أبي سفيان . والمشهور عَمْرٌو .

وفي لفظٍ للبخاريّ[٣] : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهطٍ سريّةً عيناً ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح . وساق نحوه .

وقد خالفه محمد بن إسحاق ، وموسى بن عقبة وعروة بن الزّبير في بعض ذلك ، ولنذكر كلام ابن إسحاق ؛ ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف ، على أنّ ابن إسحاق إمامٌ في هذا الشأن ، وغير مدافعٍ ، كما قال الشافعيّ ، رحمه الله : من أراد المغازي فهو عِيالٌ على محمدٍ بن إسحاق .

قال محمد بن إسحاق[٤] ، رحمه الله : ثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدم على رسول الله ﷺ بعد أحدٍ رهطٌ من عضلٍ والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقّهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلّموننا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستةً من أصحابه وهم ؛ مَرثد بن أبي مرثدٍ الغنويّ ، حليف حمزة بن عبد المطلب ـ قال ابن إسحاق : وهو أمير القوم ـ وخالد بن البكير اللّيثيّ ، حليف بني عديٍّ ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أخو بني عمرو بن عوفٍ ، وخبيب بن عديٍّ ، أخو بني جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوفٍ ، وزيد بن الدّثنة ، أخو بني

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٨٧) .
(٢) من « صحيحه » رقم (٧٤٠٢) و(٣٠٤٥) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣٠٤٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٩) .

بياضة بن عامرٍ ، وعبد الله بن طارقٍ ، حليف بني ظَفرٍ . رضي الله عنهم . هكذا قال ابن إسحاق أنّهم كانوا ستةً ، وكذا ذكر موسى بن عقبة[١] ، وسمّاهم كما قال ابن إسحاق .

وعند البخاريّ أنهم كانوا عشرةً ، وعنده أنّ أميرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[٢] : فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرّجيع ـ ماءٍ لهذيلٍ بناحية الحجاز ، من صدور الهدأة ـ غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرع القوم ـ وهم في رحالهم ـ إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكن عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . فأما مرثدٌ وخالد بن البكير وعاصم بن ثابتٍ فقالوا : والله لا نقبل من مشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً . وقال عاصم بن ثابتٍ : [من الرجز]

ما عِلّتي وأنا جلدٌ نابل ... والقوس فيها وَتَرٌ عنابل
تزلّ عن صفحتها المعابل ... الموت حقّ والحياة باطل
وكلّ ما حمّ الإله نازل ... بالمرء والمرء إليه آيل
إن لم أقاتلكم فأمّي هابل

وقال عاصمٌ أيضاً : [من الرجز]

أبو سليمان وريش المقعد ... وضالةٌ مثل الجحيم الموقد
إذا النّواجي افترشت لم أرعد ... ومجنأٌ من جلد ثورٍ أجرد
ومؤمنٌ بما على محمد

وقال أيضاً : [من الرجز]

أبو سليمان ومثلي رامى ... وكان قومي معشراً كراما

قال : ثم قاتل حتى قتل ، وقتل صاحباه ، فلمّا قتل عاصمٌ ، أرادت هذيلٌ أخذ رأسه ؛ ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شُهَيدٍ[٣] ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحدٍ ؛ لئن قدرت على رأس عاصمٍ ، لتشربنّ في قِحفه الخمر ، فمنعته الدّبْر ـ هكذا ذكره البخاريّ بعد وصول خبيبٍ وزيد بن الدّثنة إلى مكة . وهذا الذي ذكره ابن إسحاق أنسب ـ قال : فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فنأخذه . فبعث الله الوادي ، فاحتمل عاصماً فذهب به ، وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً أن لا يمسّه مشركٌ ، ولا يمسّ مشركاً أبداً ؛ تنجّساً ، فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدّبْر منعته :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٩) .
(٣) في (آ) و(ط) : « سهيل » .

يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصمٌ نذر أن لا يمسه مشركٌ ، ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته .

قال ابن إسحاق(١) : وأما خبيبٌ وزيد بن الدّثنة وعبد الله بن طارقٍ فلانوا ورقّوا ورغبوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظّهران ، انتزع عبد الله ابن طارقٍ يده من القِران ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره بالظّهران ، وأما خبيب بن عديٍّ ، وزيد بن الدّثنة ، فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشامٍ : فباعوهما من قريشٍ بأسيرين من هذيلٍ كانا بمكّة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيباً حجير بن أبي إهابٍ التّميميّ ، حليف بني نوفلٍ لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفلٍ ، وكان أبو إهابٍ أخا الحارث بن عامرٍ لأمّه ؛ ليقتله بأبيه . قال : وأما زيد بن الدّثنة فابتاعه صفوان بن أمية ؛ ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له يقال له : نسطاسٌ . إلى التّنعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهطٌ من قريشٍ ، فيهم أبو سفيان بن حربٍ ، فقال له أبو سفيان حين قدّم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحبّ أنّ محمداً عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال : والله ما أحبّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأني جالسٌ في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمدٍ محمداً . قال : ثم قتله نسطاسٌ . قال : وأما خبيب بن عديّ ، فحدّثني عبد الله بن أبي نجيحٍ ، أنه حدّث عن ماويّة مولاة حجير بن أبي إهابٍ ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيبٌ عندي ، حبس في بيتي ، فلقد أطّلعت عليه يوماً ، وإنّ في يده لقِطفاً من عنبٍ مثل رأس الرّجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل .

قال ابن إسحاق(٢) : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي نجيح أنهما قالا : قالت : قال لي حين حضره القتل : ابعثي إليّ بحديدةٍ أتطهّر بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاماً من الحيّ الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت . قالت : فوالله إن هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه ، فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجلٍ . فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ، ثم قال : لعمرك ما خافت أمّك غدري [حين] بعثتك بهذه الحديدة إليّ ، ثمّ خلّى سبيله .

قال ابن هشامٍ : ويقال : إنّ الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصمٌ : ثم خرجوا بخبيبٍ ، حتى جاءوا به إلى التّنعيم ليصلُبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدَعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمّهما وأحسنهما ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٢) .

ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنّوا أني إنما طوّلت جزعاً من القتل ، لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيبٌ أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .

قال : ثم رفعوه على خشبةٍ ، فلمّا أوثقوه قال : اللهمّ إنّا قد بلّغنا رسالة رسولك ، فبلّغه الغداة ما يصنع بنا . ثم قال : اللهمّ أحصهم عدداً ، واقتلهم بَدَداً ، ولا تغادر منهم أحداً . ثم قتلوه . وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذٍ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيبٍ ، وكانوا يقولون : إنّ الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه ، زلّت عنه .

فائدةٌ : قال السّهيلّي[١] : وإنّما صارت الركعتان سنّةً ـ يعني عند القتل ـ لأنها فعلت في زمان النبيّ ﷺ ، فأقرّ عليها ، واستحسنت من صنيعه . قال : وقد صلاّها زيد بن حارثة في حياة النبيّ ﷺ . ثم ساق[٢] بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن معينٍ ، عن يحيى بن عبد الله بن بكيرٍ ، عن اللّيث بن سعدٍ قال : بلغني أنّ زيد بن حارثة استأجر من رجلٍ بغلاً من الطائف ، واشترط عليه المكري أن ينزله حيث شاء ، فمال به إلى خربةٍ ، فإذا بها قتلى كثيرةٌ ، فلمّا همّ بقتله قال له زيدٌ : دعني حتى أصلّي ركعتين . فقال : صلّ ركعتين ، لطالما صلّى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً . قال : فصلّيت ثم جاء ليقتلني ، فقلت : يا أرحم الراحمين . فإذا صارخٌ يقول : لا تقتله . فهاب وذهب ينظر ، فلم ير شيئاً ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين . فسمع أيضاً الصوت يقول : لا تقتله . فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت : يا أرحم الراحمين . فإذا أنا بفارسٍ على فرسٍ ، في يده حربةٌ في رأسها شُعْلةٌ من نارٍ ، فطعنه بها حتى أنفذه فوقع ميتاً . ثم قال : لمّا دعوتَ الله في المّرة الأولى كنت في السماء السابعة ، ولمّا دعوته في المّرة الثانية كنت في السماء الدّنيا ، ولمّا دعوته في الثالثة أتيتك . قال السّهيليّ : وقد صلاّها حجر بن عديٍّ بن الأدبر حين حمل إلى معاوية من العراق ، ومعه كتاب زياد بن أبيه ، وفيه أنّه خرج عليه وأراد خلعه ، وفي الكتاب شهادة جماعةٍ من التابعين ، منهم الحسن وابن سيرين ، فلمّا دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال : أوَ أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله ، فصلّى ركعتين قبل قتله ، رحمه الله . قال : وقد عاتبت معاوية عائشة في قتله ، فقال : إنّما قتله من شهد عليه . ثم قال : دعيني وحجراً ، فإنّي سألقاه على الجادّة يوم القيامة . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : حين غاب عنّي مثلك من قومي .

وفي « مغازي موسى بن عقبة »[٣] : أنّ خبيباً وزيد بن الدّثنة قتلا في يومٍ واحدٍ ، وأنّ رسول الله ﷺ سمع يوم قتلا وهو يقول : « وعليكما ـ أو عليك ـ السلام ، خبيبٌ قتلته قريشٌ » .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ١٩٢) .

(٢) يعني السهيلي .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٢٦) .

وذكر أنّهم لمّا صلبوا زيد بن الدّثنة ، رموه بالنّبل ليفتنوه عن دينه ، فما زاده إلاّ إيماناً وتسليماً . وذكر عروة وموسى بن عقبة أنّهم لمّا رفعوا خبيباً على الخشبة ، نادَوه يناشدونه : أتحبّ أنّ محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ، ما أحبّ أن يفديني بشوكةٍ يشاكها في قدمه . فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدّثنة . فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : زعموا أنّ عمرو بن أمية دفن خبيباً .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عبادٍ ، عن عقبة بن الحارث قال : سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيباً ؛ لأنّي كنت أصغر من ذلك ، ولكنّ أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة ، فجعلها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطّاب استعمل سعيد بن عامر بن حِذْيم الجمحيّ على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشيةٌ وهو بين ظهري القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجلَ مصابٌ . فسأله عمر في قَدمةٍ قدمها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأسٍ ، ولكنّي كنت فيمن حضر خبيب بن عديّ حين قتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلسٍ قطّ إلاّ غشي عليّ . فزادته عند عمر خيراً .

وقد قال الأمويّ : حدّثني أبي قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أنّ عمر قال : من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ نسيج وحده فلينظر إلى سعيد بن عامرٍ .

قال ابن هشامٍ[٣] : أقام خبيبٌ في أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه .

وقد روى البيهقيّ ، من طريق إبراهيم بن إسماعيل ، حدّثني جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جدّه عمرو بن أمية ، أنّ رسول الله ﷺ كان بعثه عيناً وحده ، قال : جئت إلى خشبة خبيبٍ فرقيت فيها وأنا أتخوّف العيون ، فأطلقتُه فوقع إلى الأرض ، ثم اقتحمت فانتبذت قليلاً ، ثم التفتّ فلم أر شيئاً ، فكأنّما ابتلعته الأرض ، فلم تذكر لخبيبٍ رمّةٌ حتى الساعة .

ثم روى ابن إسحاق[٤] ، عن محمد بن أبي محمدٍ ، عن سعيدٍ أو عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : لمّا قتل أصحاب الرّجيع قال ناسٌ من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لا هم أقاموا في أهليهم ، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم . فأنزل الله فيهم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة : ٢٠٤] . وما بعدها . وأنزل الله في أصحاب السّريّة :

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٤) .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

قال ابن إسحاق : وكان ممّا قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيبٍ حين أجمعوا على قتله ـ قال ابن هشامٍ : ومن الناس من ينكرها له ـ : [من الطويل]

لقد جمّع الأحزاب حولي وألّبوا … قبائلهم واستجمعوا كلّ مجمعِ
وكلّهم مبدي العداوة جاهدٌ … عليّ لأنّي في وثاقٍ مضيّع
وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهم … وقرّبتُ من جذعٍ طويلٍ ممنّع
إلى الله أشكو غربتي ثم كُربتي … وما أرصد الأعداءُ لي عند مَصْرَعي
فذا العرش صبّرني على ما يُراد بي … فقد بضّعوا لحمي وقد ياس مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأْ … يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع
وقد خيّروني الكفر والموت دونه … وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حِذار الموت إنّي لميّتٌ … ولكن حذاري جحم نارٍ ملفّع
فوالله ما أرجو إذا متّ مسلماً … على أيّ جنبٍ كان في الله مضجعي(١)
فلست بمبدٍ للعدوّ تخشّعاً … ولا جزعاً إنّي إلى الله مرجعي

وقد تقدّم في « صحيح البخاريّ » بيتان من هذه القصيدة ، وهما قوله : [من الطويل]

فلست أبالي حين أقتل مسلماً … على أيّ شقٍّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ … يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع

وقال حسان بن ثابتٍ(٢) يبكي خبيباً ، فيما ذكره ابن إسحاق : [من البسيط]

ما بال عينك لا ترقا مدامعها … سحّا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيبٍ فتى الفتيان قد علموا … لا فشلٍ حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيّبةً … وجنّة الخُلد عند الحور في الرُّفُق
ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم … حين الملائكة الأبرار في الأفق
فيم قتلتم شهيد الله في رجلٍ … طاغٍ قد اوعث في البلدان والرُّفَق

قال ابن هشامٍ : تركنا بعضها ؛ لأنه أقذع فيها .

وقال حسان(٣) يهجو الذين غدروا بأصحاب الرّجيع من بني لحيان ، فيما ذكره ابن إسحاق : [من البسيط]

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « مصرعي » كما سيأتي في رواية البخاري .
(٢) انظر « ديوانه » (١/ ٢١٣) .
(٣) انظر « ديوانه » (١/ ١٧١) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٩) .

إن سرك الغدر صِرفاً لا مزاج له ... فأت الرّجيع فسل عن دار لحيان
قومٌ تواصوا بأكل الجار بينهم ... فالكلب والقرد والإنسان مثلان
لو ينطق التّيس يوماً قام يخطبهم ... وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شان

وقال حسان بن ثابتٍ[1] أيضاً يهجو هذيلاً وبني لحيان على غدرهم بأصحاب الرّجيع ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين : [من الطويل]

لعمري لقد شانت هذيل بن مدركٍ ... أحاديث كانت في خُبيبٍ وعاصمِ
أحاديث لحيانٍ صَلَوْا بقبيحها ... ولحيان جرّامون شرّ الجرائم
أناسٌ همُ من قومهم في صميمهم ... بمنزلة الزّمعان دُبْر القوادم
همُ غدروا يوم الرّجيع وأسلمت ... أمانتهم ذا عفّةٍ ومكارم
رسول رسول الله غدراً ولم تكن ... هذيلٌ توقّى منكرات المحارم
فسوف يرون النصر يوماً عليهمُ ... بقتل الذي تحميه دون الحرائم
أبابيل دبرٍ شُمّسٍ دون لحمه ... حمت لحم شهّادٍ عظام الملاحم
لعلّ هذيلاً أن يروا بمصابه ... مصارع قتلى أو مقاماً لماتم
ونوقع فيها وقعةً ذات صولةٍ ... يوافي بها الرّكبان أهل المواسم
بأمر رسول الله إنّ رسوله ... رأى رأي ذي حزمٍ بلحيان عالم
قُبيّلةٌ ليس الوفاء يُهمّهم ... وإن ظلموا لم يدفعوا كفّ ظالم
إذا الناس حلّوا بالفضاء رأيتهم ... بمجرى مسيل الماء بين المخارم
محلّهمُ دار البوار ورأيهم ... إذا نابهم أمرٌ كرأي البهائم

وقال حسان ، رضي الله عنه ، أيضاً[2] يمدح أصحاب الرّجيع ، ويسمّيهم في شعره كما ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله تعالى : [من الكامل]

صَلّى الإله على الذين تتابعوا ... يوم الرّجيع فأُكرموا وأُثيبوا
رأس السّريّة مرثدٌ وأميرهم ... وابن البكير أمامهم وخُبيبُ
وابنٌ لطارق وابن دثنة منهمُ ... وافاه ثمّ حِمامه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم ... كسب المعالي إنه لكسوب
منع المقادة أن ينالوا ظهره ... حتى يجالد إنه لنجيب

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥١٣) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٧٩) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٣) .

قال ابن هشام[١] : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسَّان .

سريّة عمرو بن أُميّة الضّمريّ ، على إثر مقتل خُبيبٍ[٢]

قال الواقديّ[٣] : حدّثني إبراهيم بن جعفرٍ عن أبيه ، وعبد الله بن أبي عبيدة ، عن جعفر بن عمر بن أُمية الضمري ، وعبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عونٍ ، وزاد بعضهم على بعضٍ ، قالوا : كان أبو سفيان بن حربٍ قد قال لنفرٍ من قريشٍ بمكة : ما أحدٌ يغتال محمداً ؟ فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا ؟ فأتاه رجلٌ من العرب فدخل عليه منزله ، وقال له : إن أنت قوّيتني خرجت إليه حتى أغتاله ، فإني هادٍ بالطريق خرّيتٌ ، معي خنجرٌ مثل خافية النّسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعيراً ونفقةً ، وقال : اطو أمرك ؛ فإني لا آمن أن يسمع هذا أحدٌ فينميه إلى محمدٍ . قال : قال العربيّ : لا يعلمه أحدٌ . فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً ، وصبّح ظهر الحرّة صبح سادسةٍ ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ ، حتى أتى المصلّى ، فقال له قائلٌ : قد توجّه إلى بني عبد الأشهل . فخرج الأعرابيّ يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل ، فعقل راحلته ، ثم أقبل يؤمّ رسول الله ﷺ فوجده في جماعةٍ من أصحابه ، يحدّث في مسجده ، فدخل ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه :

« إنّ هذا الرجل يريد غدراً ، والله حائلٌ بينه وبين ما يريده » . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « أنا ابن عبد المطلب » . فذهب يُجنئُ على رسول الله ﷺ كأنه يسارّه ، فجبذه أسيد بن حضيرٍ وقال : تنحّ عن رسول الله ﷺ . وجذب بداخلة إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال : يا رسول الله ، هذا غادرٌ . فأسقط في يد الأعرابيّ ، وقال : دمي دمي يا محمد . وأخذه أسيد بن حضيرٍ يلبّبه ، فقال له النبيّ ﷺ : « اصدقني ، ما أنت وما أقدمك ؟ فإن صدقتني نفعك الصّدق ، وإن كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به » . قال العربيّ : فأنا آمنٌ ؟ قال : « فأنت آمنٌ » . فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له ، فأمر به فحبس عند أسيد بن حضيرٍ ، ثم دعا به من الغد فقال : « قد آمنتك ، فاذهب حيث شئت ، أوَ خيرٌ لك من ذلك ؟ » . قال : وما هو ؟ فقال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله » . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله ، والله يا محمد ، ما كنت أفرَق [من] الرجال ، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ، ثم اطّلعتَ على ما هممت به مما سبقت به الرّكبان ، ولم يطّلع عليه أحدٌ ، فعرفت أنك ممنوعٌ وأنك على حقٍّ ، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان . فجعل النبيّ ﷺ يتبسّم ، وأقام أياماً ، ثم استأذن النبيّ ﷺ فخرج من عنده ولم يسمع له بذكرٍ .

وقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضّمريّ ولسلمة بن أسلم بن حريشٍ : « اخرجا حتى تأتيا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٣) .
(٢) قوله : « على إثر مقتل خبيب » لم يرد في (ط) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٤٢) .

أبا سفيان بن حربٍ ، فإن أصبتما منه غرّةً فاقتلاه » . قال عمرٌو : فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج ، فقيّدنا بعيرنا ، وقال لي صاحبي : يا عمرو ، هل لك في أن نأتي مكّة ، فنطوف بالبيت أسبوعاً ونصلي ركعتين ؟ فقلت : إني أعرَف بمكة من الفرس الأبلق ، وإنهم إن رأوني عرفوني ، وأنا أعرف أهل مكة ؛ إنهم إذا أمسوا انفجعوا بأفنيتهم ، فأبى عليّ فانطلقنا ، فأتينا مكّة فطفنا أسبوعاً[1] وصلّينا ركعتين ، فلمّا خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرّفني وقال : عمرو بن أمية! وأخبر أباه ، فنذر بنا أهل مكّة فقالوا : ما جاء عمرٌو في خيرٍ . وكان عمرٌو فاتكاً في الجاهلية ، فحشد أهل مكة وتجمّعوا ، وهرب عمرٌو وسلمة ، وخرجوا في طلبهما ، واشتدّوا في الجبل . قال عمرٌو : فدخلت غاراً فتغيّبت عنهم حتى أصبحت ، وباتوا يطلبوننا في الجبل ، وعمّى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا ، فلما كان الغد ضحوةً ، أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التّيميّ يختلي لفرسه حشيشاً ، فقلت لسلمة بن أسلم : إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكّة ، وقد أقصروا عنا . فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا . قال : فخرجت إليه فطعنته طعنةً تحت الثّدي بخنجري ، فسقط وصاح ، فأسمع أهل مكّة ، فأقبلوا بعد تفرّقهم ، ودخلت الغار ، وقلت لصاحبي : لا تتحرّك . فأقبلوا حتى أتوه ، وقالوا : من قتلك ؟ قال : عمرو بن أُمية الضّمريّ . فقال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت لخيرٍ . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا ، فإنه كان بآخر رمقٍ فمات ، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم ، فحملوه ، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى خرجنا ، فقال صاحبي : يا عمرو بن أُمية ، هل لك في خبيب بن عديٍّ ننزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصلوبٌ ، حوله الحرس . فقلت : أمهلني وتنحّ عني ، فإن خشيت شيئاً فانح إلى بعيرك فاقعد عليه ، فأت رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ودعني ، فإني عالمٌ بالمدينة . ثم اشتددت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري ، فما مشيت به إلاّ عشرين ذراعاً حتى استيقظوا ، فخرجوا في أثري فطرحت الخشبة ، فما أنسى وقعها دب[2] ـ يعني صوتها ـ ثم أهلت عليه التُّراب برجلي ، فأخذت طريق الصّفراء ، فأعيوا ورجعوا ، وكنتُ لا أُدرك مع بقاء نَفَسي، فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبيّ ﷺ فأخبره، وأقبلت حتى أشرفت على الغميم ، غميم ضجَنان ، فدخلت في غارٍ معي قوسي وأسهمي وخنجري ، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجلٌ من بني بكرٍ من بني الدّيل ، أعور طويلٌ ، يسوق غنماً ومعزى، فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجلٌ من بني بكرٍ . فقال : وأنا من بني بكرٍ . ثم اتّكأ ورفع عقيرته يتغنّى ويقول : [من الوافر]

فلست بمسلمٍ ما دمت حياً ... ولست أدين دين المسلمينا

فقلت في نفسي : والله إني لأرجو أن أقتلك . فلمّا نام قمت إليه ، فقتلته شرّ قِتلةٍ قتلتها أحداً قطُّ ، ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثتهما قريشٌ يتجسّسان الأخبار ، فقلت : استأسرا . فأبى أحدهما ، فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر ، فشددته وثاقاً ، ثم أقبلت به إلى

(١) في (ط) : « سبعاً » .
(٢) في (ط) : « فما أنسى وجيبها » .

النبيّ ﷺ ، فلما قدمت المدينة رآني صبيانٌ وهم يلعبون ، وسمعوا أشياخهم يقولون : هذا عمرٌو . فاشتدّ الصِّبيان إلى النبيّ ﷺ فأخبروه ، وأتيته بالرجل قد ربطت إبهاميه بوَتر قوسي ، فلقد رأيت النبيّ ﷺ وهو يضحك ، ثم دعا لي بخيرٍ . وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيامٍ . رواه البيهقيّ(١) .

وقد تقدّم أن عَمْراً لما أهبط خبيباً لم ير له رِمّةً ولا جسداً ، فلعله دفن مكان سقوطه . والله أعلم ، وهذه السّريّة إنما استدركها ابن هشامٍ على ابن إسحاق ، وساقها بنحوٍ من سياق الواقديّ لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السّرية جبّار بن صخرٍ ، فالله أعلم ، ولله الحمد .

سرية بئر مَعُونَة

وقد كانت في صفرٍ منها ، وأغرب مكحولٌ(٢) ، رحمه الله ، حيث قال(٣) : إنها كانت بعد الخندق(٤) .

قال البخاريّ(٥) : ثنا أبو معمرٍ ، ثنا عبد الوارث(٦) حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالكٍ قال : بعث النبيُّ ﷺ(٧) سبعين رجلاً لحاجةٍ يقال لهم : القرّاء . فعرض لهم حيّان من بني سليمٍ ـ رِعلٌ وذكوان ـ عند بئرٍ يقال لها : بئر معونة . فقال القوم : والله ما إيّاكم أردنا ، وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبيّ ﷺ . فقتلوهم ، فدعا النبيّ ﷺ عليهم شهراً في صلاة الغداة ، وذاك بدء القنوت ، وما كنا نقنت .

ورواه مسلمٌ(٨) ، من حديث حمّاد بن سلمة ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، بنحوه .

ثم قال البخاريّ(٩) : ثنا عبد الأعلى بن حمّادٍ ، ثنا يزيد بن زريعٍ ، ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن أنس بن مالكٍ أن رِعلاً وذكوان وعصيّة وبني لحيان استمدّوا رسول الله ﷺ على عدوٍّ ، فأمدَّهم بسبعين من الأنصار ، كنا نسمّيهم القرّاء في زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنّهار ، ويصلّون بالليل ، حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ النبيّ ﷺ ، فقنت شهراً يدعوفي الصّبح على أحياءٍ من أحياء العرب ؛

---

(١) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٣٣) .
(٢) هو مكحول الشامي أبو عبد الله ، فقيه ثقة كثير الإرسال ، من كبار رواة الحديث ، مات سنة بضع عشرة ومئة . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٤١٥) و« شذرات الذهب » (٢/ ٦٦) .
(٣) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/ ٣٠٠) .
(٤) قلت : رتّبها قبل الخندق أيضاً ، ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ٢٢١) حيث قال : ومِمن قال : « وفي هذا الشهر بعينه ، وهو صفر من السنة الرابعة ، كانت وقعة بئر معونة . . . » .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٠٨٨) .
(٦) في (آ) : « عبد الرازق » وهو خطأ ، وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .
(٧) في (ط) : « بعث رسول الله ﷺ » .
(٨) في « صحيحه » رقم (٦٧٧) (١٤٧) .
(٩) رواه البخاري رقم (٤٠٩٠) .

على رِعلٍ وذكوان وعصيّة وبني لحيان . قال أنسٌ : فقرّأنا فيهم قرآناً ، ثم إنّ ذلك رفع : « بلّغوا عنا قومنا أنّا لقينا ربّنا فرضي عنّا وأرضانا » .

ثم قال البخاريّ[1] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا همّامٌ ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، حدّثني أنس بن مالكٍ أن النبيّ ﷺ بعث خاله حراماً ـ أخاً لأمّ سليم ـ في سبعين راكباً ، وكان رئيس المشركين عامر بن الطّفيل خيّر رسول الله ﷺ بين ثلاث خصال ، فقال : يكون لك أهل السهل ، ولي أهل المدر ، أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غطفان بألفٍ وألفٍ . فطعن[2] عامرٌ في بيت أمّ فلانٍ ، فقال : غدّةٌ كغدّة البكر في بيت امرأةٍ من آل فلانٍ ، ائتوني بفرسي ، فمات على ظهر فرسه ، فانطلق حرامٌ ، أخو أمّ سليمٍ ، وهو رجلٌ أعرج ، ورجلٌ من بني فلانٍ ، فقال : كونا قريباً حتى آتيهم ، فإن آمنوني كنتم قريباً ، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم . فقال : أتؤمنوني حتى أُبلّغ رسالة رسول الله ﷺ ؟ فجعل يحدّثهم ، وأومؤوا إلى رجلٍ فأتاه من خلفه فطعنه . قال همّام : أحسبه قال : حتى أنفذه بالرّمح . فقال : الله أكبر ، فزت وربّ الكعبة . فلحق الرجل ، فقتلوا كلُّهم غير الأعرج ، وكان في رأس جبلٍ ، فأنزل الله علينا ، ثم كان من المنسوخ : « إنا قد لقينا ربّنا فرضي عنا وأرضانا » . فدعا النبيّ ﷺ عليهم ثلاثين صباحاً ؛ على رِعلٍ وذَكوان وبني لحيان وعصيّة الذين عصوا الله ورسوله .

وقال البخاريّ[3] : ثنا حِبّان ، ثنا عبد الله ، أخبرني معمرٌ ، حدّثني ثمامة بن عبد الله بن أنسٍ ، أنه سمع أنس بن مالكٍ يقول : لما طعن حرام بن ملحان ـ وكان خاله ـ يوم [بئر] معونة قال بالدّم هكذا ؛ فنضحه على وجهه ورأسه ، ثم قال : فزت وربّ الكعبة .

وروى البخاريّ[4] ، عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، أخبرني أبي قال : لما قتل الذين ببئر معونة ، وأُسر عمرو بن أُمية الضّمريّ ، قال له عامر بن الطّفيل : من هذا ؟ فأشار إلى قتيلٍ ، فقال له عمرو بن أُمية : هذا عامر بن فُهيرة . قال : لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء ، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . فأتى النبيّ ﷺ خبرهم ، فنعاهم فقال : « إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد سألوا ربّهم ، فقالوا : ربّنا أخبر عنّا إخواننا بما رضينا عنك ، ورضيت عنا ، فأخبرهم عنهم » .

وأصيب يومئذٍ فيهم عروة بن أسماء بن الصّلت ، فسمّي عروة به ، ومنذر بن عمرو ، وسمّي به منذراً .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٩١) .
(٢) أي : أصيب بمرض الطاعون ، وأم فلان هي سلول بنت شيبان امرأة أخيه .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٩٢) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٠٩٣) .

هكذا وقع في رواية البخاريّ مرسلاً عن عروة .

وقد رواه البيهقيّ[١] من حديث يحيى بن سعيدٍ ، عن أبي أسامة ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشة ، فساق من حديث الهجرة ، وأدرج في آخره ما ذكره البخاريّ هاهنا ، فالله أعلم .

وروى الواقديّ[٢] ، عن مصعب بن ثابتٍ ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، فذكر القصة ، وشأن عامر بن فهيرة ، وإخبار عامر بن الطّفيل أنه رفع إلى السّماء ، وذكر أنّ الذي قتله جبّار بن سُلمى الكلابيّ ، قال : ولما طعنه بالرّمح قال : فزت وربّ الكعبة . ثم سأل جبّارٌ بعد ذلك : ما معنى قوله : فزت ؟! قالوا : يعني بالجنَّة ، فقال : صدق والله ، ثم أسلم جبّارٌ بعد ذلك لذلك .

وفي « مغازي موسى بن عقبة »[٣] ، عن عروة أنه قال : لم يوجد جسد عامر بن فُهيرة ، يرون أن الملائكة وارته .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق[٤] : فأقام رسول الله ﷺ ، يعني بعد أحدٍ ، بقية شوّالٍ وذا القعدة وذا الحجّة والمحرّم ، ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفرٍ على رأس أربعة أشهرٍ من أُحدٍ ، فحدثني أبي إسحاق بن يسارٍ ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشامٍ ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزمٍ ، وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براءٍ عامر بن مالك بن جعفرٍ ملاعب الأسنّة على رسول الله ﷺ بالمدينة ، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجدٍ يدعونهم إلى أمرك ، رجوتُ أن يستجيبوا لك . فقال ﷺ : « إني أخشى عليهم أهل نجدٍ » . فقال أبو براءٍ : أنا لهم جارٌ . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ، المعنق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ؛ فيهم الحارث بن الصّمّة ، وحرام بن ملحان ، أخو بني عديّ بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصّلت السّلميّ ، ونافع بن بُديل بن ورقاء الخزاعيّ ، وعامر بن فُهيرة ، مولى أبي بكرٍ ، في رجالٍ من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامرٍ وحرّة بني سليمٍ ، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدوّ الله عامر بن الطّفيل ، فلمّا أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامرٍ ، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم ، وقالوا : لن نخفر أبا براءٍ ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً . فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليمٍ ، عصيّة ورعلاً وذكوان والقارة ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلمّا رأوهم أخذوا أسيافهم ، ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن

---

(١) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٥٢) .
(٢) انظر « الواقدي » (١/ ٣٤٧) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٤٢) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٣٨) .

آخرهم ، إلاّ كعب بن زيدٍ أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمقٌ ، فارتثّ من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق ، وكان في سرح القوم عمرو بن أُمية الضّمريّ ، ورجلٌ من الأنصار من بني عمرو بن عوفٍ ، فلم ينبئهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم حول العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً . فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفةٌ ، فقال الأنصاريّ لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر . فقال الأنصاريّ : لكني لم أكن لأرغب بنفسي عن موطنٍ قتل فيه المنذر بن عمروٍ ، وما كنت لأخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قتل ، وأخذ عمرٌو أسيراً ، فلمّا أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامرُ بن الطّفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبةٍ كانت على أمّه ، فيما زعم . قال : وخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامرٍ حتى نزلا في ظِلٍّ هو فيه ، وكان مع العامريّين عهدٌ من رسول الله ﷺ وجوارٌ لم يعلمه عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممّن أنتما ؟ قالا : من بني عامرٍ ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما ، وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بني عامرٍ فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلمّا قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ ، أخبره بالخبر ، فقال رسول الله : « لقد قتلت قتيلين ، لأدينّهما » . ثم قال رسول الله ﷺ : « هذا عمل أبي براءٍ ، قد كنت لهذا كارهاً متخوّفاً » . فبلغ ذلك أبا براءٍ فشقّ عليه إخفار عامرٍ إيّاه ، وما أصاب من [أصحاب رسول الله ﷺ] بسببه وجواره .

فقال حسّان بن ثابتٍ(١) في إخفار عامرٍ أبا براءٍ ، ويحرّض بني أبي براءٍ على عامرٍ : [من الوافر]

بنـي أمّ البنيـن ألـم يـرعكـم ... وأنتـم مـن ذوائـب أهـل نجـدِ
تهكّـم عـامـرٍ بـأبـي بـراءٍ ... ليخفـره ومـا خطـأٌ كعمـد
ألا أبلـغ ربيعـة ذا المسـاعـي ... فما أحدثت في الحَدَثان بعدي
أبـوك أبـو الحـروب أبـو بـراءٍ ... وخـالـك مـاجـدٌ حَكَـمُ بـن سعـدِ

قال ابن هشامٍ(٢) : أمّ البنين ، أمّ أبي براءٍ ، وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

قال : فحمل ربيعة بن عامر بن مالكٍ على عامر بن الطّفيل ، فطعنه في فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، وقال : هذا عمل أبي براءٍ ، إن أمت فدمي لعمّي فلا يتبعنّ به ، وإن أعش فسأرى رأيي . وذكر موسى بن عقبة ، عن الزّهريّ نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان أمير القوم المنذر بن عمروٍ ، وقيل : مرثد بن أبي مرثدٍ .

---

(١) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٢٣٢) مع تقديم وتأخير وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٨) .

وقال حسان بن ثابت[١] يبكي قتلى بئر معونة ـ فيما ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله ، والله أعلم ـ : [من الوافر]

على قتلى معونة فاستهلّي ... بـدمـع العيـن سَحّـا غيـر نـزرِ
على خيل الرّسول غداة لاقَوا ... ولاقتهـم منـايـاهـم بقـدر
أصـابهـم الفنـاء بعقـد قـومٍ ... تُخـوّن عقـد حبلهـمُ بغـدر
فيـا لهفـي لمنـذر إذ تـولّـى ... وأعنــق فــي منيّتــه بصبــر
وكائن قد أصيب غداة ذاكم ... من أبيض ماجدٍ من سرّ عمرو

غزوة بني النَّضير[٢]

وهي التي أنزل الله فيها سورة « الحشر »

في « صحيح البخاريّ »[٣] عن ابن عباسٍ ، أنه كان يسمّيها سورة بني النّضير .

وحكى البخاريّ[٤] عن الزّهريّ ، عن عروة أنه قال : كانت بنو النّضير بعد بدرٍ بستة أشهرٍ قبل أحدٍ .

وقد أسنده ابن أبي حاتمٍ في « تفسيره »[٥] عن أبيه ، عن عبد الله بن صالحٍ ، عن اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن الزّهريّ به .

وهكذا روى حنبل بن إسحاق ، عن هلال بن العلاء ، عن عبد الله بن جعفرٍ الرّقّيّ ، عن مطرّف بن مازنٍ اليمانيّ ، عن معمرٍ ، عن الزّهريّ ، فذكر غزوة بدرٍ في سابع عشر رمضان سنة اثنتين ، قال : ثم غزا بني النّضير ، ثم غزا أحداً في شوالٍ سنة ثلاثٍ ، ثم قاتل يوم الخندق في شوالٍ سنة أربعٍ .

وقال البيهقيّ[٦] : وقد كان الزّهريّ يقول : هي قبل أحدٍ . قال : وذهب آخرون إلى أنّها بعدها ، وبعد بئر معونة أيضاً .

قلت : هكذا ذكره ابن إسحاق كما تقدّم ؛ فإنّه بعد ذكره بئر معونة ، ورجوع عمرو بن أميّة ، وقتله ذينك الرجلين من بني عامرٍ ، ولم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله ﷺ ، ولهذا قال له رسول الله ﷺ : « لقد قتلت رجلين ، لأدينّهما » .

---

(١) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٢٠٧) . و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٩) .
(٢) انظر « عيون الأثر » (٢/ ٧٣) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٥٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٢٩) و(٤٨٨٣) .
(٤) رواه البخاري تعليقاً في المغازي : باب حديث بني النضير ، قبل الحديث (٤٠٢٨) .
(٥) وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ١٨٧) لابن أبي حاتم وغيره .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٥٤) .

قال ابن إسحاق[١] : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النّضير يستعينهم في دية ذَيْنَكَ القتيلين من بني عامر ، اللذين قتلهما عمرو بن أُمية ، للعهد الذي كان رسول الله ﷺ قد أعطاهما ، وكان بين بني النّضير وبين بني عامرٍ عقدٌ وحلفٌ ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ قالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت . ثم خلا بعضهم ببعضٍ فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ ورسول الله ﷺ إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعدٌ ـ فمن رجلٌ يعلو على هذا البيت ، فيلقي عليه صخرةً ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحّاش بن كعبٍ ، فقال : أنا لذلك . فصعِد ليلقي عليه صخرةً كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه ، فيهم أبو بكرٍ وعمر وعليّ ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث[٢] النبيّ ﷺ أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً [من المدينة] ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلاً المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدي[٣] : فبعث رسول الله ﷺ إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهل النّفاق يثبّتونهم ويحرّضونهم على المقام ، ويعِدونهم النَّصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم ، وحمي حييّ بن أخطب ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ، ونابذوه بنقض العهود ، فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .

قال الواقديُّ[٤] : فحاصرهم[٥] خمس عشرة ليلةً .

وقال ابن إسحاق[٦] : وأمر النبيّ ﷺ بالتهيّؤ لحربهم والمسير إليهم . قال ابن هشامٍ : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ ، وذلك في شهر ربيعٍ الأول .

قال ابن إسحاق[٧] : فسار حتى نزل بهم ، فحاصرهم ستّ ليالٍ ، ونزل تحريم الخمر حينئذٍ[٨] ، وتحصّنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادَوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ قال : وقد كان رهطٌ من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أُبيّ ، ووديعة ومالكٌ وسويدٌ وداعسٌ ، قد بعثوا إلى بني

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٠) .
(٢) أي استبطأ .
(٣) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٣٦٦) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ٣٧٤) .
(٥) في (ط) : « فحاصروهم » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٠) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩١) .
(٨) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١١٩) وتعليقي عليه .

النَّضير ؛ أن اثبتوا وتمنّعوا ، فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم . فتربّصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليَهم ويكفّ عن دمائهم ، على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة[١] ، ففعل .

وقال العوفيّ عن ابن عباسٍ : أعطى كلّ ثلاثةٍ منهم بعيراً يعتقبونه ، وسقاءً . رواه البيهقيّ[٢] .

وروى[٣] من طريق يعقوب بن محمدٍ الزُّهريّ ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن محمدٍ بن مسلمة ، أنّ رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النّضير ، وأمره أن يؤجّلهم في الجلاء ثلاث ليالٍ .

وروى البيهقيّ[٤] وغيره أنه كانت لهم ديونٌ مؤجّلةٌ ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ضعوا وتعجّلوا » وفي صحته نظرٌ ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٥] : فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خيبر ؛ سلاّم بن أبي الحُقيق ، وكنانة بن الرَّبيع بن أبي الحقيق ، وحييّ بن أخطب . فلمّا نزلوها دان لهم أهلها .

فحدّثني[٦] عبد الله بن أبي بكرٍ أنه حدّث أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدّفوف والمزامير ، والقيان يعزفن خلفهم ، بزهاءٍ وفخرٍ ما رئي مثله لحيٍّ من الناس في زمانهم . قال : وخلّوا الأموال لرسول الله ﷺ ـ يعني النخيل والمزارع ـ فكانت له خاصةً ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيفٍ وأبا دجانة ذكَرا فقراً فأعطاهما . وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصِّمّة . حكاه السّهيليّ[٧] .

قال ابن إسحاق[٨] : ولم يسلم من بني النّضير إلا رجلان ؛ وهما يامين بن عمير بن كعبٍ ، ابن عمّ عمرو بن جحّاشٍ ، وأبو سعد بن وهبٍ ، فأحرزا أموالهما .

قال ابن إسحاق : وقد حدّثني بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين : « ألم تر ما لقينا من ابن

---

(١) أي : السلاح .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٥٩) .
(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦٠) .
(٤) في « السنن الكبرى » (٦/ ٢٨) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٥٢) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩١) .
(٦) القائل ابن إسحاق رحمه الله .
(٧) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٢٣٣) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٢) .

عمّك ، وما همّ به من شأني ؟ » فجعل يامين لرجلٍ جُعلاً على أن يقتل عمرو بن جحّاشٍ فقتله ، لعنه الله .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة « الحشر » بكمالها ، يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سَلَّطَ عليهم به رسوله ﷺ ، وما عمل به فيهم .

ثم شرع ابن إسحاق يفسّرها ، وقد تكلّمنا عليها بطولها مبسوطةً في كتابنا « التفسير »(١) ولله الحمد .

قال الله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الحشر : ١ ـ ٥] .

سبّح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة ، وأخبر أنه يسبّح له جميع مخلوقاته العلويّة والسّفليّة ، وأنه العزيز وهو منيع الجناب ، فلا ترام عظمته وكبرياؤه ، وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدّر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم من اليهود ، الذين شاقّوا الله ورسوله ، وجانبوا رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المقتضي لقتالهم ، كما تقدّم ، حتى حاصرهم المؤيّد بالرعب والرّهب مسيرة شهرٍ ، ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ستّ ليالٍ ، فذهب بهم الرعب كلّ مذهبٍ ، حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم ، وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلّت به ركابهم ، على أنهم لا يستصحبون شيئاً من السلاح ؛ إهانةً لهم واحتقاراً ، فجعلوا ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ . ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم هذا الجلاء ، وهو التّسيير والنّفي من جوار الرسول ﷺ من المدينة ، لأصابهم ما هو أشدّ منه من العذاب الدنيويّ ، وهو القتل ، مع ما ادّخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدّر لهم . ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم ، وترك ما بقي منه لهم ، وأن ذلك كلّه سائغٌ ، فقال : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ وهو جيّد التمر ﴿ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ إن الجميع قد أُذن فيه شرعاً وقدراً ، فلا حرج عليكم فيه ، ولنعم ما رأيتم من ذلك ، وليس هو بفسادٍ ، كما قاله شرار العباد ، إنما هو إظهارٌ للقوة ، وإخزاءٌ للكفرة الفجرة .

وقد روى البخاريّ ومسلم(٢) ، جميعاً عن قتيبة ، عن اللّيث ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، أنّ رسول الله ﷺ حرّق نَخل بني النّضير ، وقطع ، وهي البويرة(٣) ، فأنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ .

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٨ / ٨١) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٨٨٤) ومسلم رقم (١٧٤٦) .

(٣) وهي تصغير البئر التي يُستقى منها الماء . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٦٦) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .

وعند البخاريّ[١] ، من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النّضير وقطع ، وهي البويرة ، ولها يقول حسان بن ثابتٍ[٢] : [من الوافر]

وهان على سراة بني لؤيٍّ حريقٌ بالبُويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول[٣] : [من الوافر]

أدام الله ذلك من صنيعٍ وحرّق في نواحيها السعير
ستعلم أيّنا منها بنزهٍ وتعلم أيّ أرضينا تضير

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالكٍ[٤] يذكر إجلاء بني النّضير وقتل كعب بن الأشرف ، فالله أعلم : [من الوافر]

لقد خزيت بغدرتها الحبور كذاك الدّهر ذو صرفٍ يدورُ
وذلك أنهم كفروا بربٍّ عظيمٍ أمره أمرٌ كبيرُ
وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً وجاءهمُ من الله النذيرُ
نذيرٌ صادقٌ أدّى كتاباً وآياتٍ مبيّنةً تنيرُ
فقالوا ما أتيت بأمر صدقٍ وأنت بمنكرٍ منا جديرُ
فقال بلى لقد أدّيت حقاً يصدّقني به الفهم الخبيرُ
فمن يتبعه يهد لكلّ رشدٍ ومن يكفر به يُجْزَ الكفورُ
فلمّا أُشربوا غدراً وكفراً وجدّ بهم عن الحقّ النّفورُ
أرى الله النبيّ برأي صدقٍ وكان الله يحكم لا يجورُ
فأيّده وسلّطه عليهم وكان نصيره نعم النصيرُ
فغودر منهم كعبٌ صريعاً فذلّت بعد مصرعه النّضيرُ
على الكفّين ثَمّ وقد علته بأيدينا مشهّرةٌ ذُكورُ
بأمر محمدٍ إذ دسّ ليلاً إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسيرُ
فما كَره فأنزله بمَكرٍ ومحمودٌ أخو ثقةٍ جسورُ
فتلك بنو النّضير بدار سوءٍ أبارهمُ بما اجترموا المبيرُ
غداة أتاهمُ في الزّحف رهواً رسول الله وهو بهم بصيرُ

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٣٢٦) و(٤٠٣٢) .
(٢) انظر « ديوانه » (١/ ٢١٠) ولفظ صدر البيت فيه : « لهان . . . » .
(٣) البيتان في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٢) مع بعض الخلاف في ألفاظهما .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص (١٦٨ ـ ١٦٩) . وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٩) .

وغسّان الحماة مؤازروه ... على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السّلم ويحكم فصدّوا ... وخالف أمرهم كذبٌ وزور
فذاقوا غبّ أمرهم وبالاً ... لكلّ ثلاثةٍ منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاعٍ ... وغودر منهمُ نخلٌ ودور

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها لسِمَاكٍ اليهوديّ ، فتركناها قصداً .

قال ابن إسحاق(١) : وكان ممّا قيل في بني النّضير ، قول ابنِ لُقَيمٍ العبسيّ ، ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريفٍ الأشجعيّ : [من الطويل]

أهلي فداءٌ لامرئٍ غير هالكٍ ... أحلّ اليهود بالحسيّ المزنّم
يقيلون في جمر الغضاة وبدّلوا ... أهيضب عودى بالوديّ المكمّم
فإن يك ظنّي صادقاً بمحمدٍ ... تروا خيله بين الصّلا ويرمرم
يؤمّ بها عمرو بن بهثة إنّهم ... عدوّ وما حيّ صديقٌ كمجرم
عليهنّ أبطالٌ مساعيرُ في الوغى ... يهزّون أطراف الوشيج المقوّم
وكلّ رقيق الشّفرتين مهنّدٍ ... تورثن من أزمان عادٍ وجرهم
فمن مبلغٌ عني قريشاً رسالةً ... فهل بعدهم في المجد من متكرّم
بأنّ أخاهم فاعلمُنّ محمداً ... تليد النّدى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحقّ تجسم أموركم ... وتسمو من الدّنيا إلى كلّ معظم
نبيٌّ تلاقته من الله رحمةٌ ... ولا تسألوه أمر غيبٍ مرجّم
فقد كان في بدرٍ لعمريَ عبرةٌ ... لكم يا قريشاً والقليب الملمّم
غداة أتى في الخزرجيّة عامداً ... إليكم مطيعاً للعظيم المكرّم
معاناً بروح القدس ينكي عدوّه ... رسولاً من الرحمن حقّاً بمعلم
رسولاً من الرحمن يتلو كتابه ... فلمّا أنار الحقّ لم يتلعثم
أرى أمره يزداد في كلّ موطنٍ ... علوّاً لأمرٍ حمّه الله محكم

قال ابن إسحاق(٢) : وقال عليّ بن أبي طالبٍ ـ وقال ابن هشامٍ : قالها رجلٌ من المسلمين ، ولم أر أحداً يعرفها لعليٍّ ـ : [من المتقارب]

عرفت ومن يعتدل يعرفِ ... وأيقنت حقاً ولم أصدفِ
عن الكلم المحكم الآي(٣) من ... لدى الله ذي الرّأفة الأرأف

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٦) .
(٣) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « اللاء » .

رسائل تدرس في المؤمنين بهنّ اصطفى أحمد المصطفي
فأصبح أحمد فينا عزيزاً عزيز المقامة والموقف
فيا أيّها الموعدوه سفاهاً ولم يأت جوراً ولم يعنف
ألستم تخافون أدنى العذاب وما آمِنُ الله كالأخوف
وأن تُصرعوا تحت أسيافه كمصرع كعبٍ أبي الأشرف
غداة رأى الله طغيانه وأعرض كالجمل الأجنف
فأنزل جبريل في قتله بوحيٍ إلى عبده ملطف
فدسّ الرسول رسولاً له بأبيض ذي هبّةٍ مرهف
فباتت عيونٌ له معولاتٌ متى ينع كعبٌ لها تذرف
وقلن لأحمد ذرنا قليلاً فإنّا من النّوح لم نشتف
فخلّاهمُ ثم قال اظعنوا دحوراً على رغم الآنف
وأجلى النّضير إلى غربةٍ وكانوا بدارٍ ذوي زخرف
إلى أذرعاتٍ رِدافاً وهم على كلّ ذي دبَرٍ أعجف

وتركنا جوابها أيضاً من سَمَّاكٍ اليهوديّ قصداً .

ثم ذكر تعالى حكم الفيء ، وأنه حكم بأموال بني النّضير لرسول الله ﷺ ، وملّكها له ، فوضعها رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى ، كما ثبت في « الصحيحين » عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنّه قال : كانت أموال بني النّضير ممّا أفاء الله على رسوله ﷺ ، ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركابٍ ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّةً ، فكان يعزل نفقة أهله سنةً ، ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدّةً في سبيل الله ، عزّ وجلّ .

ثم بينّ تعالى حكم الفيء ، وأنّه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسانٍ على منوالهم وطريقتهم : ﴿ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] .

قال الإمام أحمد : حدّثنا عارمٌ وعفّان ، قالا : حدّثنا معتمرٌ ، سمعت أبي يقول : حدّثنا أنس بن مالكٍ ، عن نبيّ الله ﷺ ، أن الرجل كان يجعل له من ماله النّخلات ، أو كما شاء الله ، حتى فتحت عليه قريظة والنّضير . قال : فجعل يردّ بعد ذلك . قال : وإنّ أهلي أمروني أن آتي النبيّ ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبيّ الله ﷺ أعطاه أمّ أيمن ، أو كما شاء الله . قال : فسألت النبيّ ﷺ فأعطانيهنّ ، فجاءت أمّ أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول : كلا والله الذي لا إله إلاّ هو ، لا يعطيكهنّ وقد أعطانيهنّ . أو كما قالت . فقال النبيّ ﷺ : « لك كذا وكذا » . وتقول : كلا والله . قال: ويقول : « لك كذا وكذا » . وتقول : كلاّ والله . قال : ويقول : « لك كذا وكذا » . حتى أعطاها ـ حسبته

قال ـ عشرة أمثاله . أو قال : قريباً من عشرة أمثاله . أو كما قال . أخرجاه بنحوه من طرقٍ ، عن معتمرٍ به .

ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا لبني النّضير في الباطن ، كما تقدّم ، ووعدهم النصر ، فلم يكن من ذلك شيءٌ ، بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم ، وغرّوهم من أنفسهم ، فقال : ﴿ ۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر : ١١ ـ ١٢] . ثم ذمّهم تعالى على جُبنهم ، وقلّة علمهم ، وخفّة عقلهم النافع ، ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين قال للإنسان : ﴿ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦ـ١٧] .

قصّة عمرو بن سعدى القرظيّ
حين مرّ على ديار بني النّضير وقد صارت يباباً(١) ، ليس بها داعٍ ولا مجيب

وقد كانت بنو النّضير أشرف من بني قريظة ، حتى حداه ذلك على الإسلام ، وأظهر صفة رسول الله ﷺ من التوراة .

قال الواقديّ : ثنا إبراهيم بن جعفرٍ ، عن أبيه قال : لمّا خرجت بنو النّضير من المدينة ، أقبل عمرو بن سعدى ، فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها ، وفكّر ثم رجع إلى بني قريظة ، فوجدهم في الكنيسة ، فنفخ في بوقهم ، فاجتمعوا ، فقال الزّبير بن باطا : يا أبا سعيدٍ ، أين كنت منذ اليوم لم نرك ؟ وكان لا يفارق الكنيسة ، وكان يتألّه في اليهوديّة ، قال : رأيت اليوم عبراً قد عبّرنا بها ؛ رأيت منازل إخواننا خاليةً بعد ذلك العزّ والجلد ، والشّرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم ، وملكها غيرهم ، وخرجوا خروج ذُلٍّ ، ولا والتوراة ما سلّط هذا على قومٍ قطُّ لله بهم حاجةٌ ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزّهم ، ثم بيّته في بيته آمناً ، وأوقع بابن سُنينة سيّدهم ، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم ، وهم أهل جدِّ يهود ، وكانوا أهل عدّةٍ وسلاحٍ ونجدةٍ ، فحصرهم ، فلم يخرج إنسانٌ منهم رأسه حتى سباهم ، وكلّم فيهم ، فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم ، قد رأيتم ما رأيتم ، فأطيعوني وتعالوا نتّبع محمداً ، فوالله إنّكم لتعلمون أنّه نبيٌّ ، قد بشّرنا به وبأمره ابن الهيّبان أبو عميرٍ وابن حراشٍ ، وهما أعلم يهود ، جاءانا يتوكّفان قدومه ، وأمرانا باتباعه ، جاءانا من بيت المقدس ، وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ، ودفنّاهما بحرّتنا هذه . فأسكت القوم ، فلم يتكلّم منهم متكلّمٌ ، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخوفهم بالحرب والسّباء والجلاء . فقال الزّبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته في التي نزلت على

---

(١) أي : خراباً .

موسى ، ليس في المثاني الذي أحدثنا . قال : فقال له كعب بن أسدٍ : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتّباعه ؟ قال : أنت . قال كعبٌ : فلم ، والتوراة ما حلت بينك وبينه قطّ ؟! قال الزَّبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا ، فإن اتّبَعته اتّبعناه ، وإن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعبٍ . فذكر ما تقاولا في ذلك ، إلى أن قال كعبٌ : ما عندي في أمره إلّا ما قلت ، ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً . رواه البيهقيّ[١] .

غزوة بني لحيان
التي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان

هاهنا ذكرها البيهقيّ في « الدلائل »[٢] ، وإنّما ذكرها ابن إسحاق ، فيما رأيت ، من طريق ابن هشامٍ[٣] ، عن زيادٍ عنه ، في جمادى الأولى من سنة ستٍّ من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة ، وهو أشبه ممّا ذكره البيهقيّ ، والله أعلم ، فلنؤخّرها إلى هناك .

وقال الحافظ البيهقيّ[٤] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس الأصمّ ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار قال : حدّثنا يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق قال : حدّثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزمٍ وغيره ، قالوا : لمّا أصيب خبيبٌ وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ؛ ليصيب من بني لحيان غرّةً ، فسلك طريق الشام ؛ ليري أنّه لا يريد بني لحيان ، حتى نزل بأرضهم ، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أنّا هبطنا عسفان ؛ لرأت قريشٌ أنا قد جئنا مكة » . فخرج في مئتي راكبٍ حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم ، ثم انصرفا ، فذكر أبو عياشٍ الزّرقيّ أنّ رسول الله ﷺ صلّى بعسفان صلاة الخوف .

وقد قال الإمام أحمد[٥] : ثنا عبد الرّزاق ، ثنا الثّوريّ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، عن أبي عيّاشٍ قال : كنّا مع رسول الله ﷺ بعسفان ، فاستقبلنا المشركون ، عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلّى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصبنا غرّتهم . ثم قالوا : تأتي عليهم الآن صلاةٌ هي أحبّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم . قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء : ١٠٢] . قال : فحضرت ، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح ، فصففنا خلفه صفّين ، ثم ركع ، فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد بالصفّ الذي

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢٧٩) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦٤) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٥٩) ، وإسناده صحيح .

يليه، والآخرون قيامٌ يحرسونهم، فلمّا سجدوا وقاموا جلس الآخَرون فسجدوا في مكانهم، ثم تقدّم هؤلاء إلى مصافّ هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصافّ هؤلاء. قال: ثم ركع فركعوا جميعاً، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد النبيّ والصفّ الذي يليه والآخرون قيامٌ يحرسونهم، فلمّا جلسوا جلس الآخرون، فسجدوا؛ ثم سلّم عليهم، ثم انصرف. قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين؛ مرةً بعسفان ومرةً بأرض بني سليمٍ. ثم رواه أحمد(١)، عن غندرٍ، عن شعبة، عن منصورٍ به نحوه. وقد رواه أبو داود(٢) عن سعيد بن منصورٍ، عن جرير بن عبد الحميد، والنسائيّ(٣) عن الفلاّس، عن عبد العزيز بن عبد الصمد، [و] عن محمد بن المثنى وبندارٍ، عن غندرٍ، عن شعبة، ثلاثتهم عن منصورٍ به. وهذا إسنادٌ على شرط «الصحيحين» ولم يخرجه واحدٌ منهما، لكن روى مسلمٌ(٤) من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية، عن أبي الزّبير، عن جابرٍ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة، فقاتلوا قتالاً شديداً، فلمّا أن صلّي الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلةً لاقتطعناهم. فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك، وذكر لنا رسول الله ﷺ قال: «وقالوا: إنّه ستأتيهم صلاةٌ هي أحبّ إليهم من الأولاد». فذكر الحديث كنحو ما تقدّم.

وقال أبو داود الطّيالسيّ(٥): حدّثنا هشامٌ، عن أبي الزّبير، عن جابر بن عبد الله قال: صلّى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخلٍ، فهمّ به المشركون، ثُمَّ قالوا: دعوهم؛ فإنّ لهم صلاةً بعد هذه الصلاة هي أحبّ إليهم من أبنائهم. قال: فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره، فصلّى بأصحابه العصر، فصفّهم صفّين؛ رسول الله ﷺ بين أيديهم، والعدوّ بين يدى رسول الله ﷺ، فكبّر وكبّروا جميعاً، وركعوا جميعاً، ثم سجد الذين يلونه، والآخَرون قيامٌ، فلمّا رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون، ثم تقدّم هؤلاء وتأخر هؤلاء، فكبّروا جميعاً، وركعوا جميعاً، ثم سجد الذين يلونهم، والآخرون قيامٌ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون.

وقد استشهد البخاريّ في «صحيحه»(٦) برواية هشامٍ هذه، عن أبي الزُّبير، عن جابرٍ.

وقال الإمام أحمد(٧): ثنا عبد الصمد، ثنا سعيد بن عُبيدٍ الهُنائيّ، ثنا عبد الله بن شقيقٍ، حدّثنا أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعُسفان، فقال المشركون: إنّ لهؤلاء صلاةً هي أحبّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ـ وهي العصر ـ فأجمعوا أمركم، فميلوا عليهم ميلةً واحدةً. وإنّ جبريل أتى

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٦٠).
(٢) رواه أبو دواد في «السنن» رقم (١٢٣٦).
(٣) رواه النسائي في «المجتبى» (٣/ ١٧٧).
(٤) في «صحيحه» رقم (٨٤٠).
(٥) في «مسنده» رقم (١٧٣٨).
(٦) رقم (٤١٣٠) تعليقاً.
(٧) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٥٢٢)، وإسناده حسن.

رسول الله ﷺ ، فأمره أن يقسم أصحابه شطرين ، فيصلّي ببعضهم ، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ؛ ثم تأتي الأُخرى فيصلون معه ، ويأخذ هؤلاء حِذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعةٌ ركعةٌ مع رسول الله [ﷺ] ، ولرسول الله [ﷺ] ركعتان .

ورواه التّرمذيّ والنسائيّ[١] من حديث عبد الصمد به ، وقال الترمذيّ : حسنٌ صحيحٌ .

قلت : إن كان أبو هريرة شهد هذا ، فهو بعد خيبر ، وإلّا فهو من مرسلات الصحابيّ ، ولا يضرّ ذلك عند الجمهور ، والله أعلم .

ولم يذكر في سياق حديث جابرٍ عند مسلمٍ ، ولا عند أبي داود الطيالسيّ ، أمر عُسفان ولا خالد بن الوليد ، لكنّ الظاهر أنّها واحدةٌ . بقي الشأن في أنّ غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ، فإنّ من العلماء ، منهم الشافعيّ ، من يزعم أنّ صلاة الخوف إنّما شرعت بعد يوم الخندق ؛ فإنّهم أخّروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ، ولو كانت صلاة الخوف مشروعةً إذ ذاك ، لفعلوها ولم يؤخّروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازي : إنّ غزوة بني لحيان التي صلّى فيها صلاة الخوف بعُسفان ، كانت بعد بني قريظة .

وقد ذكر الواقديّ[٢] بإسناده ، عن خالد بن الوليد قال : لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان ، فوقفت بإزائه وتعرّضت له ، فصلّى بأصحابه الظهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليه ، ثم لم يعزم لنا ، فأطلعه الله على ما في أنفسنا من الهمّ به ، فصلّى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف .

قلت : وعمرة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ستٍّ[٣] بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتي .

وفي سياق حديث أبي عيّاشٍ الزّرقيّ ، ما يقتضي أنّ آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عُسفان ، فاقتضى ذلك أنّها أول صلاة خوفٍ صلّاها ، والله أعلم[٤] .

وسنذكر ، إن شاء الله تعالى ، كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله ، وبه الثقة ، وعليه التّكلان .

غزوة ذات الرِّقَاع[٥]

قال ابن إسحاق[٦] : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النّضير شهري ربيعٍ وبعض

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٣٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٩٢٣) .

(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤٥) .

(٣) وقال ابن قيم الجوزية : قال نافع : كانت سنة ست في ذي القعدة ، وهذا هو الصحيح ، وهو قول الزّهري ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم . انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٥٥) .

(٤) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٢٥) .

(٥) وتسمى غزوة نجد أيضاً . انظر « عيون الأثر » (٢/ ٧٩) و« زاد المعاد » (٣/ ٢٢٤) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٥٨) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٣) .

جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محاربٍ وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذرٍّ .

قال ابن هشامٍ : ويقال : عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل نخلاً ، وهي غزوة ذات الرّقاع .

قال ابن هشام : لأنهم رقّعوا فيها راياتهم ، ويقال : لشجرةٍ هناك اسمها ذات الرّقاع . وقال الواقديّ : بجبلٍ فيه بقعٌ حمرٌ وسودٌ وبيضٌ . وفي حديث أبي موسى : إنما سمّيت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم [من] الخِرَق من شدّة الحرّ . قال ابن إسحاق : فلقي بها جمعاً من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حربٌ ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلّى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف .

وقد أسند ابن هشامٍ[١] حديث صلاة الخوف هاهنا عن عبد الوارث بن سعيدٍ التّنّوريّ ، عن يونس بن عبيدٍ ، عن الحسن عن جابر بن عبد الله ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن أبي الزّبير ، عن جابرٍ ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر . ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجدٍ ولا ذات الرّقاع ، ولم يتعرّض لزمانٍ ولا مكانٍ . وفي كون غزوة ذات الرّقاع ـ التي كانت بنجدٍ ، لقتال بني محاربٍ وبني ثعلبة بن غطفان ـ قبل الخندق نظرٌ . وقد ذهب البخاريّ إلى أنّ ذلك كان بعد خيبر ، واستدلّ على ذلك ، بأنّ أبا موسى الأشعريّ شهدها ، كما سيأتي ، وقدومه إنّما كان ليالي خيبر صحبة جعفرٍ وأصحابه ، وكذلك أبو هريرة ، وقد قال : صلّيت مع رسول الله ﷺ في غزوة نجدٍ صلاة الخوف . ومما يدل على أنّها بعد الخندق أنّ ابن عمر إنّما أجازه رسول الله ﷺ في القتال أول ما أجازه يوم الخندق .

وقد ثبت [عنه] في « الصحيح »[٢] أنّه قال : غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجدٍ ، فذكر صلاة الخوف .

وقول الواقديّ[٣] : إنّه عليه السلام خرج إلى ذات الرّقاع في أربعمئةٍ ، ويقال : سبعمئةٍ ، من أصحابه ليلة السبت ، لعشرٍ خلون من المحرم سنة خمسٍ . فيه نظرٌ ، ثم لا يحصل به نجاةٌ من أنّ صلاة الخوف إنّما شرعت بعد الخندق ؛ لأنّ الخندق كان في شوالٍ سنة خمسٍ على المشهور ، وقيل : في شوالٍ سنة أربعٍ . فتحصّل على هذا القول مخلصٌ من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (٩٤٢) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٣٩٦) .

قصة
غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق[١] في هذه الغزوة : حدّثني عمرو بن عبيدٍ ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ، أن رجلاً من بني محاربٍ يقال له : غورثٌ ، قال لقومه من غطفان ومحاربٍ : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتِك به . قال : فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ ، وسيف رسول الله ﷺ في حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : « نعم » . فأخذه فاستلّه ثم جعل يهزّه ويهمّ ، فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : « لا ، وما أخاف منك ؟ » قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : « لا ، يمنعني الله منك » . ثم عمد إلى سيف النبيّ ﷺ ، فردّه عليه ، فانزل الله ، عزّ وجلّ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني يزيد بن رُومان ، أنها [إنما] أنزلت في عمرو بن جحَاشٍ أخي بني النّضير ، وما همّ به .

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورثٍ هذا ، عن عمرو بن عبيدٍ القدَريّ ، رأس الفرقة الضَّالة ، وهو وإن كان لا يتّهم بتعمّد الكذب في الحديث ، إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه ؛ لبدعته ودعائه إليها .

وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين » من غير هذا الوجه ، ولله الحمد .

وقد أورد الحافظ البيهقي[٣] هاهنا طُرقاً لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهي ثابتة في « الصحيحين »[٤] من حديث الزهريّ ، عن سنان بن أبي سنانٍ وأبي سلمة ، عن جابرٍ أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجدٍ ، فلما قفل رسول الله ﷺ ، أدركته القائلة في وادٍ كثير العضاه ، فتفرّق الناس يستظلّون بالشجر ، وكان رسول الله ﷺ تحت ظلّ شجرةٍ ، فعلّق بها سيفه ، قال جابرٌ : فنمنا نومةً ، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا ، فأجبناه ، وإذا عنده أعرابيٌّ جالسٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ هذا اخترط سيفي وأنا نائمٌ ، فاستيقظت وهو في يده صلتاً ، فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فشام السيف وجلس » . ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك .

وقد رواه مسلمٌ[٥] أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفّان ، عن أبانٍ ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٦) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٧٣) .
(٤) رواها البخاري رقم (٤١٣٥) ومسلم رقم (٨٤٣) (١٣) و(١٤) .
(٥) رواه مسلم رقم (٨٤٣) .

عن أبي سلمة ، عن جابرٍ قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرِّقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركناها لرسول الله ﷺ ، فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلّقٌ بشجرةٍ ، فأخذ سيف رسول الله ﷺ فاخترطه ، وقال لرسول الله ﷺ : تخافني ؟ قال : « لا » قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : « الله يمنعني منك » . قال : فتهدّده أصحاب رسول الله ﷺ ، فأغمد السيف وعلّقه . قال : ونودي بالصلاة ، فصلّى بطائفةٍ ركعتين ، ثم تأخّروا وصلّى بالطائفة الأخرى ركعتين . قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعاتٍ وللقوم ركعتان .

وقد علّقه البخاريّ[١] بصيغة الجزم ، عن أبانٍ به .

قال البخاريّ : وقال مسدّدٌ ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشرٍ : إنّ اسم الرجل غورث بن الحارث .

وأسند البيهقيّ[٢] ، من طريق أبي عوانة ، عن أبي بشرٍ ، عن سليمان بن قيسٍ ، عن جابرٍ قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخلٍ ، فرأوا من المسلمين غِرّةً ، فجاء رجلٌ منهم يقال له : غورث بن الحارث .

حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال : من يمنعك مني ؟ قال : « الله » . فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال : « من يمنعك مني ؟ » . فقال : كن خير آخذٍ . قال : « تشهد أن لا إله إلا الله ؟ » .

قال : لا ، ولكن أعاهدك على أن لا أُقاتلك ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك . فخلّى سبيله ، فأتى أصحابه ، فقال : جئتكم من عند خير الناس . ثم ذكر صلاة الخوف ، وأنه صلّى أربع ركعاتٍ ، بكلّ طائفةٍ ركعتين . وقد أورد البيهقيّ هنا طرق صلاة الخوف بذات الرّقاع ، عن صالح بن خوّات بن جبيرٍ ، عن سهل بن أبي حثمة ، وحديث الزهريّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه في صلاة الخوف بنجدٍ ، وموضع ذلك كتاب « الأحكام » والله تعالى أعلم .

قصة
الذي أُصيبت امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني عمّي صدقة بن يسارٍ[٤] ، عن عقيل بن جابرٍ ، عن جابر بن

(١) رقم (٤١٣٦) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٨) .
(٤) قال أبو ذر الخشني : ذِكر « عمي » في هذا الحديث خطأ ، وصدقة هذا جزري سكن بمكة . وليس بعم محمد بن إسحاق . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ١٩١) .

عبد الله الأنصاريّ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرّقاع من نخلٍ ، فأصاب [رجلٌ] امرأة رجلٍ من المشركين ، فلمّا انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر ، حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمدٍ دماً . فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً ، فقال : « من رجلٌ يكلؤنا ليلتنا ؟ » فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصار . فقالا : نحن يا رسول الله . قال : « فكُونا بفم الشّعب من الوادي » . وهما عمار بن ياسرٍ ، وعبّاد بن بشرٍ ، فلمّا خرجا إلى فم الشّعب قال الأنصاريّ للمهاجريّ : أيّ الليل تحبّ أن أكفيكه ؛ أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله . فاضطجع المهاجريّ فنام ، وقام الأنصاريّ يصلّي . قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل ، عرف أنه ربيئة القوم ، فرمى بسهمٍ فوضعه فيه ، فانتزعه ووضعه ، وثبت قائماً . قال : ثم رمى بسهمٍ آخر فوضعه فيه . قال : فانتزعه ، فوضعه وثبت قائماً . قال : ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهبّ صاحبه ، فقال : اجلس فقد أُثبتّ . قال : فوثب الرجل ، فلمّا رآهما الرجل ، عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجريّ ما بالأنصاريّ من الدماء ، قال : سبحان الله! أفلا أهببتني أول ما رماك ؟! قال : كنت في سورةٍ أقرؤها ، فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفدها ، فلما تابع عليّ الرّمي ركعت فآذنتك ، وايم الله لولا أن أضيّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه ، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها .

هكذا ذكره ابن إسحاق في « المغازي » .

وقد رواه أبو داود(١) ، عن أبي توبة ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقديّ(٢) ، عن عبد الله العمريّ ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمدٍ ، عن صالح بن خوّاتٍ ، عن أبيه حديث صلاة الخوف بطوله قال : وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في محالّهم نسوةً ، وكان في السبي جاريةٌ وضيئةٌ ، وكان زوجها يحبّها ، فحلف ليطلبنّ محمداً ، ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلّص صاحبته . ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق .

قال الواقديّ(٣) : وكان جابر بن عبد الله يقول : [بينا] أنا مع رسول الله ﷺ ، إذ جاء رجلٌ من أصحابه بفرخ طائرٍ ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه ، فأقبل إليه أبواه أو أحدهما ، حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه ، فرأيت أنَّ الناس عجبوا من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا الطائر ؟! أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمةً لفرخه ، فوالله لربّكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه » .

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٩٨) ، وهو حديث حسن .
(٢) انظر « المغازي » (١/٣٩٦) .
(٣) انظر « المغازي » (١/٣٩٨) .

قصة

جمل جابرٍ في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق[١] : حدّثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرّقاع من نخلٍ ، على جملٍ لي ضعيفٍ ، فلمّا قفل رسول الله ﷺ جعلت الرّفاق تمضي ، وجعلت أتخلّف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : « ما لك يا جابر ؟ » قلت : يا رسول الله ، أبطأ بي جملي هذا . قال : « أنخه » . قال : فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : « أعطني هذه العصا من يدك » . أو : « اقطع عصاً من شجرةٍ » . ففعلت فأخذها رسول الله ﷺ فَنَخَسَهُ بها نَخَسَاتٍ ، ثم قال : اركب ، فركبتُ ، فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقةً فقال لي : « أتبيعني جملك هذا يا جابر ؟ » قال : قلت : بل أهبه لك . قال : « لا ، ولكن بعنيه » .

قال : قلت : فسُمنيه . قال : « قد أخذتُه بدرهمٍ » . قال : قلت : لا ، إذاً تغبنني يا رسول الله . قال: « فبدرهمين » . قال: قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ ، حتى بلغ الأوقيّة . قال : فقلت : أفَقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . قلت : فهو لك . قال : « قد أخذته » . ثم قال : « يا جابر ، هل تزوّجت بعد ؟ » قال : قلت : نعم يا رسول الله . قال : « أثيّبا أم بكراً ؟ » قال : قلت : بل ثيّبا . قال : « أفلا جاريةً تلاعبها وتلاعبك ؟ » . قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبي أُصيب يوم أحدٍ ، وترك بناتٍ له سبعاً ، فنكحت امرأةً جامعةً ، تجمع رؤوسهن ، فتقوم عليهن. قال: « أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو قد جئنا صراراً ، أمرنا بجزورٍ فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك ، وسمعتْ بنا فنفضت نمارقها » .

قال : فقلت : والله يا رسول الله ، ما لنا من نمارق . قال : « إنّها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيّساً » . قال : فلمّا جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزورٍ فنحرت ، فأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلمّا أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا . قال : فحدّثتُ المرأة الحديث ، وما قال لي رسول الله ﷺ . قالت : فدونك ، فسمعٌ وطاعةٌ . فلمّا أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ، ثم جلست في المسجد قريباً منه . قال : وخرج رسول الله ﷺ ، فرأى الجمل فقال : « ما هذا ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، هذا جملٌ جاء به جابرٌ . قال : « فأين جابرٌ ؟ » . فدعيت له . قال : فقال : « يابن أخي ، خذ برأس جملك ، فهو لك » . قال : ودعا بلالاً فقال : « اذهب بجابرٍ فأعطه أُوقيّة » . قال : فذهبت معه ، فأعطاني أوقيّةً ، وزادني شيئاً يسيراً . قال : فوالله مـا زال ينمي عندي ويُرى مكانه من بيتنا ، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعني يوم الحرّة . وقد أخرجه صاحبا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٠٦) .

« الصحيح » من حديث عبيد الله بن عمر العمريّ ، عن وهب بن كيسان ، عن جابرٍ بنحوه .

(قال السّهيليّ[1] : في هذا الحديث إشارةٌ إلى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله ؛ أنّ الله أحيا [والده] وكلّمه ، فقال له : « تمنّ عليّ » . وذلك أنّه شهيدٌ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ [التوبة : ١١١] وزادهم على ذلك في قوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ [يونس : ٢٦] . ثم جمع لهم بين العوض والمعوّض ، فردّ عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم ، فقال : ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] . والرّوح للإنسان بمنزلة المطيّة ، كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال : ولذلك اشترى رسول الله [ﷺ] من جابرٍ جمله وهو مطيّته فأعطاه ثمنه ، ثم ردّه عليه وزاده مع ذلك . قال : ففيه تحقيقٌ لما كان أخبره [به] ، عن أبيه . وهذا الذي سلكه السهيليّ ههنا إشارةٌ غريبةٌ وتخيّلٌ بديعٌ . والله سبحانه وتعالى أعلم)[2] .

وقد ترجم الحافظ البيهقيّ في كتابه « دلائل النبوة »[3] على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال : باب ما ظهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه . وهذا الحديث له طرقٌ عن جابرٍ وألفاظٌ كثيرةٌ ، وفيه اختلافٌ كثيرٌ في كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائقٌ بكتاب البيع من « الأحكام » والله أعلم .

وقد جاء تقييده بهذه الغزوة ، وجاء تقييده بغيرها ، كما سيأتي ، ومُسْتَبْعَد تعداد ذلك ، والله أعلم .

غزوة بدرٍ الآخرة

وهي بدرٌ الموعد[4] ، التي تواعدوا إليها من أحدٍ ، كما تقدم .

قال ابن إسحاق[5] : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة ذات الرّقاع ، أقام بها بقية جمادى [الأولى] وجمادى الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول . قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ بدراً ، وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة ، حتى نزل مجنّة من ناحية الظّهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسفان . ثم بدا له في الرجوع ، فقال : يا معشر قريشٍ ، إنه لا يصلحكم إلاّ عامٌ خصيبٌ ، ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عامُ جدبٍ ، وإني راجعٌ فارجعوا . فرجع الناس ، فسمّاهم أهل مكة جيش السَّوَيق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السّويق .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/٢٤٨) .
(٢) ما بين القوسين ورد في حاشية الأصل (آ) وما بين الحاصرتين سقط منه وأثبته من (ط) .
(٣) (٣/ ٣٨١) .
(٤) وقال المؤلف في « الفصول في سيرة الرسول » ص(١٦٣) : « وهذه الغزوة تسمى بدراً الثالثة ، وبدر الموعد » .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٩) .

قال : وأتى مخشيّ بن عمرو الضّمريّ ، وقد كان وادع النبيّ ﷺ في غزوة وَدّان على بني ضمرة ، فقال : يا محمد ، أجئت للقاء قريشٍ على هذا الماء ؟ قال : « نعم يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك ، حتى يحكم الله بيننا وبينك » . قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك من حاجةٍ . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ولم يلق كيداً .

قال ابن إسحاق[1] : وقد قال عبد الله بن رواحة ـ يعني في انتظارهم أبا سفيان ، ورجوعه بقريشٍ عامه ذلك ـ قال ابن هشامٍ : وقد أنشدنيها [أبو] زيدٍ لكعب بن مالكٍ[2] : [من الطويل]

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد ... لميعاده صدقاً وما كان وافيا
فأُقسم لو لاقيتنا فلقيتنا ... لأُبْتَ ذَميماً وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه ... وعَمْراً أبا جهلٍ تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أُفٍّ لدينكم ... وأمركم السَّيْءِ الذي كان غاويا
فإني وإن عنّفتموني لقائلٌ ... فِدىً لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره ... شهاباً لنا في ظلمة الليل هادياً

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابتٍ في ذلك[3] : [من الطويل]

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلادٌ كأفواه المخاض الأواركِ
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربّهم ... وأنصاره حقاً وأيدي الملائكِ
إذا سلكت للغَور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالكِ
أقمنا على الرّسّ النّزوع ثمانياً ... بأرعن جرّارٍ عريض المباركِ
بكلّ كميتٍ جَوزه نصف خلقه ... وقُبٍّ طوالٍ مشرفات الحواركِ
ترى العرفج العاميّ تذري أصوله ... مناسم أخفاف المطيّ الرّواتكِ
فإن نلق في تطوافنا والتماسنا ... فرات بن حيّانٍ يكن رهن هالك
وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده ... يزد في سواد لونُه لونُ حالكِ
فأبلغ أبا سفيان عني رسالةً ... فإنك من غرّ الرجال الصّعالك

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ـ وقد أسلم فيما بعد ذلك ـ : [من الطويل]

أحسان إنّا يا بن آكلة الغفا ... وجدّك نغتال الخروق[4] كذلكِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٠) .
(٢) انظر « ديوانه » ص (٢٢٢) .
(٣) انظر « ديوانه » (١/ ٨٥) وفيها بعض الخلاف عما في كتابنا بألفاظها وترتيبها .
(٤) في هامش « السيرة النبوية » : « الغفا : التمر . يري أنهم أهل نخيل وتمر . ونغتال : نقطع . والخروق : جمع خرق وهو الفلاة الواسعة » .

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا ولو وألت منا بشدٍّ مدارك
إذا ما انبعثنا من مناخٍ حسبتَه مُدَمَّنَ أهل الموسم المتعارك
أقمتَ على الرّسّ النّزوع تريدنا وتتركنا في النخل عند المدارِكِ
على الزرع تمشي خيلنا وركابنا فما وطئت ألصقنه بالدَّكادك
أقمنا ثلاثاً بين سلعٍ وفارعٍ بجرد الجياد والمطيّ الرّواتك
حسبتم جلاد القوم عند فنائكم كمأخذكم بالعين أرطال آنُك
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها على نحو قول المعصم المتماسك
سعدتم بها وغيركم كان أهلها فوارس من أبناء فهر بن مالكِ
فإنك لا في هجرة إن ذكرتَها ولا حرمات دينها أنت ناسكُ

قال ابن هشامٍ[(١)] : تركنا منها أبياتاً ؛ لاختلاف قوافيها .

وقد ذكر موسى بن عقبة[(٢)] ، عن الزهريّ ، وابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزّبير ، أن رسول الله ﷺ استنفر الناس لموعد أبي سفيان ، وانبعث المنافقون في الناس يثبّطونهم ، فسلّم الله أولياءه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، وأخذوا معهم بضائع ، وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان ، وإلاّ اشترينا من بضائع موسم بدرٍ . ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنّةَ ورجوعه ، وفي مقاولة الضّمريّ ، وعرض النبيّ ﷺ المنابذة فأبى ذلك .

قال الواقديُّ[(٣)] : خرج رسول الله ﷺ إليها في ألفٍ وخمسمئةٍ من أصحابه ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وكان خروجه إليها في مستهلِّ ذي القعدة . يعني سنة أربعٍ . والصحيح قول ابن إسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ، ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان ، لكن قال : في سنة ثلاثٍ . وهذا وهمٌ ؛ فإنّ هذه تواعدوا إليها من أحدٍ ، وقد كانت أحدٌ في شوالٍ سنة ثلاثٍ كما تقدّم ، والله أعلم .

قال الواقديّ[(٤)] : فأقاموا ببدرٍ مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢١٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٨٤) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٣٨٧) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ٣٨٨) .

فصلٌ

في جملٍ من الحوادث الواقعة سنة أربعٍ من الهجرة

قال ابن جريرٍ[١] : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفَّان ، رضي الله عنه ـ قلت : من رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ ـ وهو ابن ست سنين ، فصلّى عليه رسول الله ﷺ ، ونزل في حفرته والده عثمان بن عفَّان ، رضي الله عنه .

قلت : وفيه توفّي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مخزومٍ القرشيّ المخزوميّ[٢] ، وأمّه برّة بنت عبد المطلب ، عمّة رسول الله ﷺ ، وكان رضيع رسول الله ﷺ ؛ ارتضعا من ثويبة مولاة أبي لهبٍ ، وكان إسلام أبي سلمة وأبي عبيدة وعثمان بن عفان[٣] والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحدٍ ، وقد هاجر هو وزوجته أمّ سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة ، وقد ولد لهما بالحبشة أولادٌ ، ثم هاجر من مكَّة إلى المدينة ، وتبعته أمّ سلمة إلى المدينة كما تقدّم ، وشهد بدراً وأحداً ، ومات من آثار جرحٍ جرحه بأُحدٍ ، رضي الله عنه وأرضاه ، له حديثٌ واحدٌ في الاسترجاع عند المصيبة ، سيأتي في سياق تزويج رسول الله ﷺ بأمّ سلمة قريباً .

قال ابن جريرٍ[٤] : وفي ليالٍ خلون من شعبان ولد الحسين بن عليّ من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ورضي الله عنهم .

قال[٥] : وفي شهر رمضان من هذه السنة ، تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلاليّة .

وقد حكى أبو عمر بن عبد البرّ[٦] ، عن عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ أنه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث ، ثم استغربه وقال : لم أره لغيره ، وهي التي يقال لها : أمّ المساكين . لكثرة صدقاتها عليهم وبرّها لهم وإحسانها إليهم ، وأصدقها ثنتي عشرة أوقيّةً ونشّاً ، ودخل بها في رمضان ، وكانت قبله عند الطّفيل بن الحارث فطلّقها .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٥٥) .

(٢) ترجمته في « أسد الغابة » (٦/ ١٥٢) .

(٣) كذا في (آ) و(ط) ، والصحيح هنا والله أعلم ، ذكر عثمان بن مظعون ، لا عثمان بن عفَّان ، لأن عثمان بن مظعون ، هو الذي هاجر إلى الحبشة ، انظر « الإصابة » (٢/ ٤٦٤) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٥٥) .

(٥) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٥٥) و« شذرات الذهب » (١/ ١١٩) .

(٦) في « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٤/ ١٨٥٤) .

قال أبو عمر بن عبد البرّ[١] ، عن عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد منافٍ .

قال ابن الأثير في « الغابة »[٢] : وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحشٍ ، فقتل عنها يوم أحدٍ .

قال أبو عمر : ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله ﷺ ، وقيل : لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثةً حتى توفّيت ، رضي الله عنها .

وقال الواقديّ[٣] : في شوالٍ من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أمّ سلمة بنت أبي أميّة .

قلت : وكانت قبله عند زوجها ، أبي أولادها ، أبي سلمة بن عبد الأسد ، وقد كان شهد بدراً وأحداً كما تقدّم ، وجرح يوم أحدٍ ، فداوى جرحه شهراً حتى برأ ، ثم خرج في سريةٍ ، فغنم منها نَعَماً ومغنماً جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ، ثم انتقض عليه جرحه ، فمات لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، فلما حلّت في شوالٍ خطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها بنفسه الكريمة ، وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً ، فتذكر أنها امرأةٌ غيرى ؛ أي شديدة الغيرة ، وأنها مُصبيةٌ ؛ أي لها صبيانٌ يشغلونها عنه ، ويحتاجون إلى مؤنةٍ ، تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقال : « أما الصّبية فإلى الله وإلى رسوله ـ أي نفقتهم ـ ليس إليك ، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها » . فأذنت في ذلك ، وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم ، فزوّج النبيّ ﷺ . تعني : قد رضيت وأذنت . فتوهّم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد ، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بيّنت فيه الصواب في ذلك ، ولله الحمد والمنة ، وأن الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة ، وهو أكبر ولدها ، وساغ هذا ؛ لأن أباه ابن عمّها ، فللابن ولاية أمّه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوّة بالإجماع . وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض البنوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعيّ وحده ، وخالفه الثلاثة ؛ أبو حنيفة ومالكٌ وأحمد بن حنبلٍ ، رحمهم الله ، ولبسط هذا موضعٌ آخر يذكر فيه ، وهو كتاب النّكاح من « الأحكام الكبير » ، إن شاء الله .

قال الإمام أحمد[٤] : ثنا يونس ، ثنا ليث ، يعني ابن سعدٍ ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرٍو ، عن المطلب ، عن أمّ سلمة قال : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً فسررت به ؛ قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبةٌ ، فيسترجع عند مصيبته ، ثم يقول : اللهم أجُرني في مصيبتي ، واخلف لي خيراً منها . إلا فعل به » . قالت

---

(١) انظر « الاستيعاب » (٤/ ١٨٥٤) .
(٢) يعني في « أسد الغابة » والنقل فيه (٧/ ١٢٩) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٣٤٤) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٧) ، والمطلب روايته عن الصحابة مرسلة ، إلا أمثال أنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، وسلمة بن الأكوع ومن كان قريباً من طبقتهم ، ولكن يشهد للحديث ما بعده .

أمّ سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفّي أبو سلمة استرجعت ، وقلت : اللهم أجُرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها . ثم رجعت إلى نفسي ، قلت : من أين لي خيرٌ من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدّتي استأذن عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي ، فغسلت يديّ من القرظ ، وأذنت له ، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليفٌ ، فقعد عليها ، فخطبني إلى نفسي ، فلمّا فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ، ما بي أن لا تكون بك الرّغبة ، ولكني امرأةٌ فيّ غيرةٌ شديدةٌ ؛ فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذّبني الله به ، وأنا امرأةٌ قد دخلت في السنّ ، وأنا ذات عيالٍ . فقال : « أمّا ما ذكرتِ من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السنّ ؛ فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي » . قالت : فقد سلّمت لرسول الله ﷺ . فقالت أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه ؛ رسول الله ﷺ .

وقد رواه الترمذيّ والنسائيّ[(١)] ، من حديث حمّاد بن سلمة ، عن ثابتٍ ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أمّه أمّ سلمة ، عن أبي سلمة به ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وفي رواية للنسائي[(٢)] عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة . ورواه ابن ماجه[(٣)] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن قدامة الجمحيّ ، عن أبيه ، عن عمر بن أبي سلمة به .

وقال ابن إسحاق[(٤)] : ثم انصرف رسول الله ﷺ ـ يعني من بدرٍ الموعد ـ راجعاً إلى المدينة ، فأقام بها حتى مضى ذو الحجّة ، وولي تلك الحجّة المشركون ، وهي سنة أربعٍ .

وقال الواقديّ[(٥)] : وفي هذه السنة ـ يعني سنة أربع ـ أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابتٍ أن يتعلّم كتاب يهود .

قلت : فثبت عنه في « الصحيح »[(٦)] أنه قال : تعلّمته في خمسة عشر يوماً ، والله أعلم .

* * *

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٥١١) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٠٩٠٩) و(١٠٩١٠) ، وهو حديث صحيح بطرقه وانظر مسند أحمد (٤٤/ ٢٧١) .
(٢) في الكبرى (١٠٩١١) .
(٣) في « السنن » رقم (١٥٩٨) ، وهو حديث صحيح بطرقه .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .
(٥) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٦١) .
(٦) روى البخاري أصله برقم (٧١٩٥) تعليقاً ولم يذكر عدد الأيام فيه ، وقد وصله في « تاريخه الكبير » ، ورواه أبو داود رقم (٣٦٤٥) والترمذي رقم (٢٧١٥) وقال : حسن صحيح وهو كما قال .

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجَنْدَل(١)

في ربيع الأول [منها]

قال ابن إسحاق(٢) : ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل(٣) .

قال ابن هشام(٤) : في ربيع الأول ـ [يعني] من سنة خمس ـ واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري .

قال ابن إسحاق(٥) : ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن إسحاق .

وقد قال محمد بن عمر الواقدي(٦) بإسناده ، عن شيوخه ، عن جماعة من السَّلَف قالوا : أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أداني الشام ، وقيل له : إن ذلك مما يفزع قيصر وذكر له [أن] بدومة الجندل جمعاً كثيراً(٧) ، وأنهم يظلمون من مر بهم ، وكان بها(٨) سوق عظيم ، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ، ويكمُن النهار ، ومعه دليل له من بني عذرة يقال له : مذكور . هادٍ خِرِّيت(٩) ، فلما دنا من دومة الجَنْدَل أخبره دليله بسوائم بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ، فأصاب من أصاب ، وهرب من هرب في كل [وجه] ، وجاء الخبرُ أهلَ دومة الجندل فتفرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم ، فلم يجد بها(١٠) أحداً ، فأقام بها

---

(١) انظر « عيون الأثر » (٢/ ٨٣) و« زاد المعاد » (٣/ ٢٢٨) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٦٣) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .
(٣) دومة الجندل : على سبع مراحل من دمشق ، بينها وبين مدينة الرسول ﷺ . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٤٨٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .
(٦) انظر « المغازي » (١/ ٤٠٢) .
(٧) في (آ) : « كبيراً » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .
(٨) في (ط) : « لها » .
(٩) الخِرِّيت : الماهر . انظر « النهاية » (٢/ ١٩) .
(١٠) في (ط) : « فيها » .

أياماً ، وبثَّ السرايا ، ثم رجعوا ، وأخذ محمد بن مسلمة رجلاً منهم ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه ، فقال : هربوا أمس . فعرض عليه رسول الله ﷺ [الإسلام] ، فأسلم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

قال الواقدي[١] : وكان خروجه ، عليه السلام ، إلى دومة الجندل في ربيع الأول[٢] سنة خمس .

قال : وفيه[٣] توفيت أم سعد بن عبادة ، وابنها مع رسول الله ﷺ[٤] في هذه الغزوة .

وقد قال أبو عيسى الترمذي في « جامعه »[٥] : ثنا محمد بن بشار ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب : أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر .

وهذا مرسل جيد[٦] ، وهو يقتضي أنه ، عليه السلام ، غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه ، على ما ذكره الواقدي ، رحمه الله .

غزوة الخندق
وهي غزوة الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة « الأحزاب » ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ٤٠٢) .
(٢) في (ط) : « في ربيع الآخر » .
(٣) يعني في شهر ربيع الأول من سنة خمس من الهجرة النبوية .
(٤) يعني : وابنها غائب مع رسول الله ﷺ .
(٥) رقم (١٠٣٨) .
(٦) فهو ضعيف .

كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩ ـ ٢٧] ، وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات في « التفسير »[١] ، ولله الحمد والمنّة .

ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التّكلان .

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة . نصَّ على ذلك ابن إسحاق ، وعروة بن الزُّبير ، وقتادة ، والبيهقي ، وغير واحد من العلماء ، سلفاً وخلفاً[٢] .

وقد روى موسى بن عقبة ، عن الزُّهري ، أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع ، وكذلك قال الإمام مالك بن أنس ، فيما رواه أحمد بن حنبل ، عن موسى بن داود ، عنه[٣] .

قال البيهقي[٤] : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة ؛ لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس .

ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أُحد واعدوا المسلمين إلى بدر العام القابل ، فذهب النبي ﷺ وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع[٥] ، ورجع أبو سفيان بقريش لجدب ذلك العام ، فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعيَّن أن الخندق في شوال من سنة خمس[٦] ، والله أعلم .

وقد صرَّح الزُّهري[٧] بأن الخندق كانت بعد أُحد بسنتين ، ولا خلاف أن أُحداً في شوال سنة ثلاث ،

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلِّف (٦/ ٣٨٤) .
(٢) قلت : ومنهم ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٠) والذهبي في « الإعلام بوفيات الأعلام » ص (٢٢) وابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(٣) قلت : وهو ما رجّحه الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٩٥) .
(٥) انظر ص (٢٧٤) من هذا الجزء .
(٦) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٠) .
(٧) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/ ٢٨٥) .

إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة التالية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها ، كما حكاه البيهقي ، وبه قال يعقوب بن سفيان الفَسَوي ، وقد صرّح بأن بدراً في الأولى ، وأحداً في سنة ثنتين ، وبدراً الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع . وهذا مخالف لقول الجمهور ؛ فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة . وعن مالك : من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة ، والله أعلم .

والصحيح قول الجمهور أن أُحداً في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة ، والله أعلم .

فأما الحديث المتفق عليه في « الصحيحين »[١] من طريق عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : « عُرضتُ على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزني ، وعُرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني » .

فقد أجاب عنه جماعة من العلماء ، منهم البيهقي[٢] بأنه عُرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة ، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة[٣] .

قلت : ويحتمل أنه أراد أنّه لما عرض عليه [في] يوم الأحزاب ، كان قد استكمل خمس عشرة سنة ، التي يجاز لمثلها الغِلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلّغ نافعٌ عمرَ بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا لفرق بين الصغير والكبير ، ثم كتب به إلى الآفاق ، واعتمد على ذلك جمهور العلماء ، والله أعلم .

وهذا سياق القصة ، مما ذكره ابن إسحاق وغيره :

قال ابن إسحاق[٤] : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس ، فحدثني يزيد بن رُومان ، عن عُروة ، ومن لا أتّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القُرظي ، والزُّهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، وبعضهم يُحَدِّث ما لا يحدِّث بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ـ منهم : سلاّم بن أبي الحُقيق النّضري ، وحُييّ بن أخطب النّضري ، وكِنَانَة بن الرَّبيع بن أبي الحُقيق ، وهَوْذَة بن قيس الوائلي ، وأبو عَمَّار الوائلي ، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل ، وهم الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٦٤) و(٤٠٩٧) ومسلم رقم (١٨٦٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٩٦) .
(٣) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٤) .

خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفَدِيننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحقِّ منه . فهم الذين أنزل الله عليهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥١ ـ ٥٢]
فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتَّعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب النَّبي ﷺ وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، في بني فزارة ، والحارث بن عوف [بن] أبي حارثة المُرِّي ، في بني مُرَّة ، ومِسْعَر بن رُخيلة بن نُويرة بن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خُلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة .

قال ابن هشام[١] : يقال : إن الذي أشار به سلمان .

قال الطَّبري والسُّهيلي[٢] : أوّل من حفر الخنادق منوشهر بن إيرج بن أفريدون ، وكان في زمن موسى ، عليه السلام .

قال ابن إسحاق[٣] : فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون ، وتخلَّف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف ، ومنهم من يَنْسَلُّ خفية بغير إذنه ولا علمه ، عليه الصلاة والسلام .

وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ [بَيْنَكُمْ] كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النور : ٦٢ ـ ٦٤] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٤) وانظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٢) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (١/ ٣٧٩) و« الروض الأنف » (٦/ ٣٠٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٦) .

قال ابن إسحاق[١] : فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له : جُعيل . سمَّاه رسول الله ﷺ عَمراً ، فقالوا فيما يقولون : [من الرجز]

سمَّاه من بعد جُعَيْلٍ عَمْرا ... وكان للبائس يوماً ظهرا[٢]

وكانوا إذا قالوا : عَمرا . قال معهم رسول الله ﷺ : « عَمراً » . وإذ قالوا : ظهراً . قال لهم : « ظهراً » .

وقد قال البخاري[٣] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنساً ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال : « اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة » . فقالوا مجيبين له : [من الرجز]

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

وفي « الصحيحين »[٤] من حديث شعبة ، عن معاوية بن قُرّة ، عن أنس ، نحوه .

وقد رواه مسلم[٥] من حديث حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن ثابت ، وحُميد ، عن أنس ، بنحوه .

وقال البخاري[٦] : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون التراب على متونهم ، ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

قال : يقول النبي ﷺ يجيبهم : « اللهم [إنه] لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة » . قال : ويؤتون بملء كفي من الشعير ، فيصنع [لهم] بإهالة سنِخة توضع بين يدي القوم والقوم جياع ، وهي بشعة في الحلق ، ولها ريح منتن .

وقال البخاري[٧] : ثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ، وهم يحفرون ، ونحن ننقل التراب على أكتادنا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٧) .
(٢) ظهراً : أي قوة .
(٣) رواه البخاري رقم (٢٨٣٤) و(٤٠٩٩) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٧٩٥) و(٦٤١٣) ومسلم رقم (١٢٧) و(١٨٠٥) .
(٥) في « صحيحه » رقم (١٨٠٥) (١٣٠) .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٨٣٥) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤٠٩٨) .

ورواه مسلم[١] ، عن القَعْنَبيّ ، عن عبد العزيز ، به .

وقال البخاري[٢] : ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : كان النبيُّ ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنُه ـ أو اغبرّ بطنه ـ يقول : [من الرجز]

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغَوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته : « أبينا ، أبينا » .

ورواه مسلم[٣] ، من حديث شعبة به .

ثم قال البخاري[٤] : ثنا أحمد بن عثمان ، ثنا شريح بن مَسْلَمة ، حدثني إبراهيم بن يوسف ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخَنْدَق رسول الله ﷺ ، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الترابُ جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة[٥] ، وهو ينقل من التراب يقول : [من الرجز]

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغَوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

ثم يمدُّ صوته بآخرها .

وقال البيهقي في « الدلائل »[٦] : أنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفّار ، ثنا إسماعيل بن الفضل البلخي[٧] ثنا إبراهيم بن يوسف البلخي ، ثنا المسيّب بن شريك ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، [أن] رسول الله ﷺ ضرب في الخندق وقال : [من الرجز]

بسم الله وبه هُدِينا ... ولو عَبَدْنا غيرَه شَقِيْنَا
يا حبذا ربّاً وحبَّ دِيْنَاً

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٠٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤١٠٤) .
(٣) رواه مسلم رقم (١٨٠٣) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٠٦) .
(٥) انظر « ديوانه » ص(١٣٩) بتحقيق د . وليد قصّاب .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٤) .
(٧) في (ط) : « البجلي » وهو تحريف .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[(١)] : ثنا سليمان ، ثنا شعبة ، عن معاوية بن قُرَّة ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال ، وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خير إلا خير الآخرة ، فأصلح الأنصار والمهاجرة » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[(٢)] من حديث غُنْدَر[(٣)] ، عن شُعبة .

قال ابن إسحاق[(٤)] : وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتني ، فيها [من الله] تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ ، وتحقيق نبوّته ، عاين ذلك المسلمون ، فمن ذلك أن جابر بن عبد الله كان يُحدّث أنه اشتدت عليهم في حفر الخندق كُدْيَة[(٥)] ، فشكَوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناءٍ من ماءٍ ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكُدْيَة ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحقّ لانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأساً ولا مسحاة . هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً ، عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه .

وقد قال البخاري[(٦)] ، رحمه الله : [حدثنا خلَّاد بن يحيى] ، ثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه قال : أتيت جابراً فقال : إنَّا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كَيْدة[(٧)] شديدة ، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كُدية عرضت في الخندق . فقال : « أنا نازل » . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذَواقاً ، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب ، فعاد كثيباً أهيل أو أهيم ، فقلت : يا رسول الله ، ائذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر ، فَعِنْدي شيء ؟ قالت : عندي شعير وعَنَاق[(٨)] . فذبحت العناق ، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البُرمة ، ثم جئت النبي ﷺ ، والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج ، فقلت : طُعيم[(٩)] لي ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال : « كم هو ؟ » . فذكرت له ، قال : « كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة و[لا] الخبز من التنُّور حتى آتي » . فقال : « قوموا » . فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحكِ ، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت :

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢١٠) .
(٢) رواه البخاري رقم (٦٤١٣) ومسلم رقم (١٨٠٥) .
(٣) وهو لقبه ، واسمه (محمد بن جعفر الهذلي البصري) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٢٢٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٧) .
(٥) الكدية : القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٠١) .
(٧) وهي القطعة الشديدة الصلبة من الأرض وانظر « فتح الباري » (٧/ ٣٩٦) .
(٨) العناق : الأنثى من ولد الماعز .
(٩) الطُعَيم : تصغير طعام .

نعم . فقال : « ادخلوا ولا تضاغطوا »[١] . فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمِّر البُرمة والتنُّور إذا أخذ منه ، ويقرّب إلى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر [الخبز] ويغرف حتى شبعوا ، وبقي بقية ، قال : « كلي هذا وأهدِي ، فإنَّ الناس أصابتهم مجاعة » . تفرَّد به البخاري .

وقد رواه الإمام أحمد[٢] ، عن وكيع ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه أيمن الحبشي مولى بني مخزوم ، عن جابر بقصة الكُدية وربط الحجر على بطنه الكريم .

ورواه البيهقي في « الدلائل »[٣] عن الحاكم[٤] ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بكير ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر ، بقصة الكُدية والطعام ، وطوله أتم من رواية البخاري ؛ قال فيه : لما علم النبي ﷺ بمقدار الطّعام قال للمسلمين جميعاً : « قوموا إلى جابر » . فقاموا ، قال : فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله ، وقلت : جاء بالخَلق على صاع من شعير وعناق ! ودخلت على امرأتي أقول : افتضحتِ ؛ جاءكِ رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين . فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت : الله ورسوله أعلم . قال : فكشفت عني غمّاً شديداً . قال : فدخل رسول الله ﷺ فقال : « خذي ودعيني من اللحم » . وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ، ثم يخمِّر هذا ويخمِّر هذا ، فما زال يقرِّب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ، ويعود التنّور والقِدْرُ أملأ ما كانا ، ثم قال رسول الله ﷺ : « كلي وأهدي » . فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع .

وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبة[٥] ، عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر ، به ، وأَبْسَطُ أيضاً ، وقال في آخره : وأخبرني أنهم كانوا ثمانمئة أو قال : ثلاثمئة . وقال يونس بن بكير ، عن هشام بن سعد ، عن أبي الزّبير ، عن جابر ، فذكر القصة بطولها في الطعام فقط ، وقال : وكانوا ثلاثمئة .

ثم قال البخاري[٦] : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا حنظلة بن أبي سفيان ، أخبرنا سعيد بن ميناء ، سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حُفر الخندق رأيت من النبي ﷺ خَمَصَاً [شديداً] ، فانكفأت إلى امرأتي ، فقلت : هل عندك شيء ؟ [فإني] رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً . فأخرجت إليّ جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بُهيمة داجن فذبحتها ، وطحنت [الشعير] ، ففرغت إلى فراغي ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه . فجئته

---

(١) أي : لا تزاحموا .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٠٠) .
(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٥) .
(٤) يعني صاحب « المستدرك على الصحيحين » وهو شيخ البيهقي .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٢٢) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٠٢) وما بين الحاصرتين تكملة منه .

فساررته فقلت : يا رسول الله ، [ذبحنا] بهيمة لنا ، وطحنَّا صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله ﷺ فقال : « يا أهل الخندق ، إن جابراً قد صنع سُؤْراً[١] ، فحي هلاً بكم » . فقال رسول الله ﷺ : « لا تُنزلنَّ برمتكم ، ولا تخبزُنَّ عجينكم حتى أجيء » . فجئت ، وجاء رسول الله ﷺ يقدُمُ الناس ، حتى جئت امرأتي فقالت : بك وبك ، فقلت : قد فعلتُ الذي قلتِ . فأخرجت لنا عجيناً ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : « ادع خَبَّازة فلتخبز معك ، واقدحي من بُرمتكم ولا تنزلوها » . وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن بُرمتنا لتغطّ كما هي ، وإنّ عجيننا كما هو .

[ورواه مسلم[٢] ، عن حجّاج بن الشاعر ، عن أبي عاصم ، به نحوه] .

وقد روى محمد بن إسحاق[٣] هذا الحديث ، وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه ، فقال : حدثني سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ، وكانت عندي شُويهة غير جدِّ سمينة . قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ . قال : وأمرتُ امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحتُ تلك الشاة فشويناها لرسول الله ﷺ ، فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق . قال : وكنا نعمل فيه نهاراً ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا . قال : فقلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شُويهة[٤] كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأنا أحب أن تنصرف معي إلى منزلي . قال : وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده . قال : فلما أن قلت ذلك قال : « نعم » . ثم أمر صارخاً ، فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال : فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل معه الناس[٥] ، فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرّك وسمى الله تعالى ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه[٦] من طريق سعيد بن ميناء ؛ عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، عنه ، عن جابر مثله سواء .

---

(١) أي : طعاماً . وهي من الألفاظ الفارسية المعرَّبة .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٠٣٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٨) .
(٤) الشويهة : تصغير شاة . انظر « مختار الصحاح » (شوه) .
(٥) في (ط) : « وأقبل الناس معه » .
(٦) في « مسنده » (٣/ ٣٧٧) ، وإسناده حسن .

قال محمد بن إسحاق[١] : وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حُدِّث أن ابنةً لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : دعتني أمي عَمْرَة بنت رواحة ، فأعطتني حَفنة من تمرٍ في ثوبي ، ثم قالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . قالت : فأخذتها وانطلقت بها ، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي ، فقال : « تعالي يا بُنية ، ما هذا معك ؟ » . قالت : قلت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال : « هاتيه » . قالت : « فصببته في كفي رسول الله ﷺ ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا[٢] بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : « اصرخ في أهل الخندق أن هَلُمَّ إلى الغداء » . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هكذا رواه ابن إسحاق ، وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي[٣] من طريقه ، ولم يزد .

قال ابن إسحاق[٤] : وحُدِّثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ [صخرة] ، ورسول الله ﷺ قريب مني ، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب [به] ضربة لمعت تحت المعول بُرْقَةٌ ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته بُرْقَةٌ أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت بُرْقَةٌ أخرى . قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول [وأنت تضرب ؟] قال : « أوَ قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ » قال : قلت : نعم . قال : « أما الأولى ، فإن الله فتح عليّ بها اليمن ، وأما الثانية ، فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة ، فإن الله فتح عليّ بها المشرق » .

قال البيهقي[٥] : وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في « مغازيه » ، وذكره أبو الأسود ، [عن] عروة .

ثم روى البيهقي[٦] من طريق محمد بن يونس الكديمي ، وفي حديثه نظر .

لكن رواه ابن جرير في « تاريخه »[٧] عن محمد بن بشار بُنْدَار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٨) .
(٢) في (آ) : « دعا » وأثبت لفظ (ط) ودحا : بسط ووسع . انظر « النهاية » (٢/ ١٠٦) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٢٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٩) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٨) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٨) .
(٧) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٦٧) .

عثمة ، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَني ، عن أبيه ، عن جدِّه ، فذكر حديثاً فيه أن رسول الله ﷺ خطَّ الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً .

قال : واحتق[1] المهاجرون والأنصار في سلمان ، فقال رسول الله ﷺ : « سلمان منَّا أهل البيت » . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا ، وسلمان ، وحذيفة ، والنعمان بن مُقَرِّن ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا حتى إذا بلغنا الندى ، ظهرت لنا صخرة بيضاء مَرْوَة ، فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم ، فكبَّر رسول الله ﷺ تكبير فتح ، وكبَّر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله ﷺ ، وسألوه عن ذلك النور ، فقال : « لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثانية أضاءت قصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء ، كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا » . واستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله ، موعود صادق . قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ . [الأحزاب : ٢٢] وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرَّزوا ؟! فنزل فيهم : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢] . وهذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني[2] : ثنا هارون بن ملول ، ثنا أبو عبد الرحمن ، ثنا عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : لما أمر النبيُّ ﷺ بالخندق فَخُنْدق على المدينة ، قالوا : يا رسول الله ، إنا وجدنا صفاة[3] لا نستطيع حفرها ، فقام النبي ﷺ ، وقمنا معه ، فلما أتاها أخذ المعول ، فضرب به ضربة وكبَّر ، فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط ، فقال : [« فتحت فارس » . ثم ضرب أخرى فكبَّر ، فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط ، فقال :] « فتحت الروم » . ثم ضرب أخرى فكبَّر ، فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط ، فقال : « جاء الله بحِمْيَر أعواناً وأنصاراً » .

وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف ، فالله أعلم .

---

(١) أي : تخاصم .
(٢) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦ / ١٣١) وعزاه للطبراني بإسنادين في أحدهما حُيي بن عبد الله وثقه ابن معين وضعّفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
(٣) أي : صخرة .

وقال الطبراني[١] أيضاً : ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني سعيد بن محمد الجرمي ، ثنا أبو تُميلة ، ثنا نُعَيم بن سعيد العبدي أن عكرمة حدث عن ابن عباس ، قال : احتفر رسول الله ﷺ الخندق ، وأصحابه قد شَدُّوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال : « هل دللتم على رجل يطعمنا أَكلة ؟ » قال رجل : نعم . قال : « إما لا فتقدَّم فدلنا عليه » . فانطلقوا إلى [بيت] الرجل ، فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه ، فأرسلت امرأته أن جئ ؛ فإن رسول الله ﷺ قد أتانا . فجاء الرجل يسعى وقال : بأبي وأمي . وله معزة ومعها جديها ، فوثب إليها ، فقال النبي ﷺ : « الجدي من ورائها » . فذبح الجدي ، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت ، فأدركت القِدر ، فثردت قصعتها ، فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فوضع رسول الله ﷺ أصبعه فيها ، وقال : « بسم الله ، اللهم بارك فيها ، اطعموا » . فأكلوا منها حتى صدروا ، ولم يأكلوا منها إلا ثلثها ، وبقي ثلثاها ، فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه ، أن اذهبوا وسرِّحوا إلينا بعدَّتكم . فذهبوا ، فجاء أولئك العشرة ، فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربَّة البيت ، وسمت عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : « اذهبوا بنا إلى سلمان » . وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوني فأكون أول من ضربها » . فقال : « بسم الله » . فضربها فوقعت فلقة ثلثها ، فقال : « الله أكبر ، قصور الروم[٢] ورّب الكعبة » . ثم ضرب أخرى فوقعت فِلقة ، فقال : « الله أكبر ، قصور فارس ورب الكعبة » . فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا ، وهو يعدنا قصور فارس والرُّوم .

ثم قال الحافظ البيهقي[٣] : أنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفَّار ، ثنا محمد بن غالب بن حرب ، ثنا هوذة ، ثنا عوف ، عن ميمون بن أستاذ الزهري[٤] ، حدثني البراء بن عازب الأنصاري ، قال : لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة ، لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآها أخذ المعول وقال : « بسم الله » . وضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال : « الله أكبر ، أُعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله » . ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض » . ثم ضرب الثالثة ، فقال : « بسم الله » . فقطع [بقية] الحجر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة » .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/٣٧٦) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/١٣٢) وعزاه للطبراني ، وقال : ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ونعيم العبدي وهما ثقتان .
(٢) في (ط) : « أكبر قصور الشام » .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/٤٢١) .
(٤) في « دلائل النبوة » : « الزهراني » .

وهذا حديث غريب أيضاً ، تفرَّد به ميمون بن أستاذ هذا ، وهو بصري روى عن البراء ، وعبد الله بن عمرو ، وعنه حُميد الطويل ، والجريري ، وعوف الأعرابي .

قال أبو حاتم[١] ، عن إسحاق بن منصور ، عن ابن معين : كان ثقة . وقال علي بن المديني : كان يحيى بن سعيد القطَّان لا يحدِّث عنه .

وقال النسائي[٢] : ثنا عيسى بن يونس ، ثنا ضمرة ، عن أبي زرعة السَّيباني ، عن أبي سكينة ـ رجلٍ من المحرَّرين ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، قال لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر ، فقام النبي ﷺ وأخذ المعول ، ووضع رداءه ناحية الخندق ، وقال : « ﴿ وَتَمَّتْ كلمات[٣] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١١٥] » . فندر ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر ، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ، ثم ضرب الثانية ، وقال : « ﴿ وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ » . فندر الثلث الآخر وبرقت برقة ، فرآها سلمان ، ثم ضرب الثالثة ، وقال : « ﴿ وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ » . فندر الثلث الباقي ، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس ، فقال سلمان : يا رسول الله ، رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة . قال رسول الله ﷺ : « يا سلمان ، رأيتَ ذلك ؟ » . قال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله . قال : « فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني » . فقال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنِّمنا ذراريهم ، ونخرِّب بأيدينا بلادهم . فدعا بذلك ، قال : « ثم ضربت الضربة الثانية ، فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها ، حتى رأيتها بعيني » . قالوا : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ، ونخرب بأيدينا بلادهم . فدعا ، ثم قال : « ثم ضربت الضربة الثالثة ، فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى ، حتى رأيتها بعيني » . ثم قال رسول الله ﷺ : « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » . هكذا رواه النسائي مطولاً . وإنما روى منه أبو داود[٤] : « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » . عن عيسى بن محمد الرملي ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو السَّيباني ، به .

ثم قال ابن إسحاق[٥] : وحدثني من لا أتَّهم ، عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار

---

(١) انظر « الجرح والتعديل » لابنه ٨/ الترجمة ١٠٥١ .

(٢) رواه النسائي رقم (٣١٧٦) ، وهو حديث حسن .

(٣) قرأها بالجمع كلمات : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر وقرأ الباقون ، ومنهم عاصم : كلمة بالإفراد .

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٣٠٢) ، وهو حديث حسن .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٩) .

في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتِحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة ، إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك .

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً ، وقد وصل من غير وجه ، ولله الحمد .

فقال الإمام أحمد[(١)] : ثنا حجَّاج ، حدثنا ليث ، حدثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بعثت بجوامع الكلم ، ونصرتُ بالرُّعب ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعت في يدي » .

وقد رواه البخاري[(٢)] منفرداً به ، عن يحيى بن بكير ، وسعيد بن عفير ، كلاهما عن الليث ، به ، وعنده ، قال أبو هريرة : فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها .

وقال الإمام أحمد[(٣)] : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نُصرت بالرُّعب ، وأوتيت جوامع الكَلِم ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فَتُلَّت[(٤)] في يدي » .

وهذا إسناد جيد قوي على شرط مسلم ولم يخرجوه .

وفي « الصحيحين »[(٥)] : « إذا هَلَكَ قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هَلَكَ كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتُنفِقُنَّ كنوزهما في سبيل الله » .

وفي الحديث الصحيح[(٦)] : « إن الله زوى لي الأرض ؛ مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أُمتي ما زُوي لي منها » .

فصـــل

قال ابن إسحاق[(٧)] : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٥٥) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٩٧٧) و(٧٠١٣) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٠١) .
(٤) أي : ألقيت .
(٥) رواه البخاري رقم (٣١٢٠) و(٣٦١٨) ومسلم رقم (٢٩١٨) .
(٦) رواه مسلم رقم (٢٨٨٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٩) .

من رومة[١] ، بين الجُرف[٢] وزَغَابَةَ[٣] ، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تِهَامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أُحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[٤] في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب : ١٠] .

قال البخاري[٥] : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا عبدة ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، عن عائشة : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ قالت : ذلك يوم الخندق .

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الأحزابُ حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم .

قال ابن إسحاق[٦] : وخرج حُيي بن أخطب النَّضري حتى أتى كعب بن أسد القُرظي صاحب عقدهم وعهدهم ، فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حُيي ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه : ويحك يا كعب ! افتح لي . قال : ويحك يا حُيي! إنك امرؤ مشؤوم ، وإني قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً . قال : ويحك ! افتح لي أُكلّمك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت دوني إلا خوفاً على جشيشتك[٧] أن آكل معك منها . فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتك بعزّ الدّهر وبحر طام ٍ. قال : وما ذاك ؟ قال : جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتُهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتُهم بذَنب نَقَمى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال كعب : جئتني والله بذلِّ الدهر ، وبجهام[٨] قد هراق ماؤه ، يَرْعَد ويُبْرق ، وليس فيه شيء ، ويحك يا حيي ! فدعني وما أنا عليه ؛ فإني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقاً .

---

(١) وهي بئرٌ في عقيق المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٤٠) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله .

(٢) الجُرْف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٨٨) .

(٣) زغابة : موضع قريب من المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(١٧١) .

(٤) سلع : موضع بقرب المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(١٨٣) .

(٥) رواه البخاري رقم (٤١٠٣) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٠) .

(٧) الجشيشة : نوع من أنواع الطعام . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٢٧٣) .

(٨) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

وقد تكلم عمرو بن سعد القُرظي فأحسنَ ، فيما ذكره موسى بن عقبة[١] ، ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ، ومعاقدتهم إياه على نصره ، وقال : إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوَّه .

قال ابن إسحاق[٢] : فلم يزل حُيي بكعب يفتل في الذروة والغارب حتى سمح له ـ يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ ، وفي محاربته مع الأحزاب ـ على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً ؛ أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

قال موسى بن عقبة : وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حُيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم . يعني لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً . قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرافهم . فنازلهم حُيي على ذلك ، فعند ذلك نقضوا العهد ، ومزّقوا الصحيفة التي كان فيها العهد ، إلا بني سَعْيَة أَسد ، وأَسِيد ، وثعلبة ، فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين ، بعث سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سَيِّد الأوس ، وسعد بن عُبَادة ، وهو يومئذ سَيِّد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوَّات بن جبير ، فقال : « انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم ، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ، ولا تفتُّوا في أعضاد المسلمين ، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس » . قال : فخرجوا حتى أتوهم .

قال موسى بن عقبة[٤] : فدخلوا معهم حصنهم ، فدعوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف ، فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم ؟! يريدون بني النَّضير ، ونالوا من رسول الله ﷺ ، فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم ، فأغضبوه ، فقال له سعد بن معاذ : إنا والله ما جئنا لهذا ، ولمَا بيننا أكبر من المشاتمة . ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة ، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النَّضير أو أَمَرَّ منه . فقالوا : أكلت أير أبيك . فقال : غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن .

وقال ابن إسحاق[٥] : نالوا من رسول الله ﷺ ، [وقالوا] : مَنْ رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حِدّة ، فقال له سعد بن عُبَادة : دع عنك مشاتمتهم ، لِما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلّموا

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢١) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠٣) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٢) .

عليه ، وقالوا : عضل والقارة . أي : كغدرهم بأصحاب الرَّجيع ، خُبَيب وأصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين » .

قال موسى بن عقبة(١) : ثم تقنَّع رسول الله ﷺ بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة ، فاضطجع ومكث طويلاً ، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأته عن بني قريظة خير ، ثم إنه رفع رأسه فقال : « أبشروا بفتح الله ونصره » . فلما أن أصبحوا ، دنا القوم بعضهم من بعض ، وكان بينهم رمي بالنبل والحجارة . وقال سعيد بن المسيِّب : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد » .

قال ابن إسحاق(٢) : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، [ونجم النفاق] ، حتى قال معتِّب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وحتى قال أوس بن قيظي : يا رسول الله ، [إن] بيوتنا عورة من العدوِّ ـ وذلك عن ملأ من رجال قومه ـ فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا ؛ فإنها خارج من المدينة .

قلت : وهؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٢ ـ ١٣] .

قال ابن إسحاق(٣) : فأقام رسول الله ﷺ ـ يعني مرابطاً ـ وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة ، قريباً من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيا بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله ﷺ ـ كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، ومن لا أتَّهم ، عن الزُّهري ـ إلى عُيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المُرِّي ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصُّلح إلا المراوضة ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك ، بعث إلى السَّعدين ، فذكر لهما ذلك ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : « بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما » . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلا قِرىً أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي ﷺ : « أنت وذاك » . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق(١) : فقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال ، إلا أنَّ فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس ، أحد بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطّاب بن مرداس ، أحد بني محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهيئوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون مَن الفرسان اليوم . ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمَّموا مكاناً من الخندق ضيقاً ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم ، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ودٍّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق ، خرج معلماً ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال له : يا عمرو ، إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلّتين إلا أخذتها منه . قال : أجل. قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فإني أدعوك إلى النزال . قال له : لم يا بن أخي ، فوالله ما أحب أن أقتلك . قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك . فحمي عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على عليٍّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي ، رضي الله عنه ، وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق(٢) : وقال علي بن أبي طالب في ذلك :

نَصَرَ الحجارَة من سَفَاهَة رأيه ... ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ
فصددتُ حين تركته متجدِّلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي
وعَفَفْتُ عن أثوابه ولو انني ... كنت المقطّر بزّني أثوابي
لا تحسبُنَّ الله خاذلَ دينه ... ونبيّه يا معشر الأحزابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعليٍّ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٥) .

قال ابن هشام : وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال في ذلك حسان بن ثابت[١] :
[من المتقارب]

فَـرَّ وألقـى لنـا رُمْحَـهُ   لعلـك عكـرم لـم تفعـلِ
ووليت تعدو كعدو الظليـ   ـم ما أن تحور عن المعدلِ
ولم تلق ظهرك مستأنساً   كـأن قفـاك قفـا فُـرعـلِ

قال ابن هشام : الفراعل : صغار الضباع .

وذكر الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة »[٢]، عن ابن إسحاق في موضع آخر غير « السيرة » قال : خرج عمرو بن عبد ودٍّ وهو مقنع بالحديد ، فنادى : من يبارز ؟ فقام علي بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : « إنه عمرو ، اجلس » . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنِّبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ، أفلا تُبرزون إلي رجلاً ؟ فقام علي فقال : أنا يا رسول الله . فقال : « اجلس » . ثم نادى الثالثة فقال : [من مجزوء الكامل]

ولقـد بححـت مـن النـدا   ء بجمعكم هل من مبارزْ
ووقفـت إذ جَبُـنَ المشجـ   ـع موقف القرن المناجزْ
ولـذاك إنـي لـم أزل   متسـرعـاً قِبـل الهـزاهـزْ
إن الشَّجَـاعَـة فـي الفتـى   والجُود مـن خيـر الغـرائـزْ

قال : فقام علي ، رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله ، أنا . فقال : « إنه عمرو » . فقال : وإن كان عَمراً . فأذن له رسول الله ﷺ ، فمشى إليه ، حتى أتى وهو يقول : [من مجزوء الكامل]

لا تعجلـنَّ فقـد أتـا   ك مجيب صوتك غير عاجزْ
فـي نيَّـةٍ وبصيـرةٍ   والصِّدق مَنْجى كل فَـائزْ
إنـي لأرجـو أن أُقيـ   ـم عَليك نائحةَ الجنَائزْ
مـن ضـربـة نجـلاء يبـ   ـقى ذِكْرُهَا عند الهَزَاهِزْ

فقال له عمرو: من أنت ؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال: غيرك يابن أخي ، ومن أعمامك من هو أسنُّ منك ، فإني أكره أن أُهريق دمك . فقال له عليٌّ : لكني والله لا أكره أن أهريق دمك فغضب ، فنزل وسلَّ سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو عليٍّ مغضباً ، واستقبله عليٌّ بدرقته ، فضربه عمرو في الدَّرقة فقدها وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشجه ، وضربه عليٌّ على حبل عاتقه فسقط ، وثار العجاج ، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن علياً قد قتله . فثمّ علي يقول : [من الكامل]

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥٠٩) و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٦) .
(٢) (٣/ ٤٣٨) .

أعليَّ تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخّروا أصحابي
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي ومصمّم في الرأس ليس بنابي

إلى أن قال :

عبَد الحجارة من سَفَاهَة رأيه وعبـدت ربّ محمـد بصـوابِ

إلى آخرها .

قال : ثم أقبل عليٌّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطّاب : هلا استلبته درعه ، فإنه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقاني بسوأته ، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه . قال : وخرجتْ خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق .

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عنه البيهقي(١) ، أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقِّه ، فمات في الخندق ، وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال : « هو لكم ، لا نأكل ثمن الموتى » .

وقال الإمام أحمد(٢) : ثنا نصر بن باب ، ثنا حجَّاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين ، فأُعطوا بجيفته مالاً ، فقال رسول الله ﷺ : « ادفعوا إليهم جيفته ، فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية » . فلم يقبل منهم شيئاً .

وقد رواه البيهقي(٣) من حديث حمَّاد بن سلمة، عن حجاج، هو ابن أرطاة، عن الحكم، عن مقسم ، عن ابن عباس : أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا بجسده ونعطيك اثني عشر ألفاً . فقال رسول الله ﷺ : « لا خير في جسده ولا في ثمنه » . وقد رواه الترمذي(٤) ، من حديث سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، وقال : غريب.

وقد ذكر موسى بن عقبة ، أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قتل ، وعرضوا عليه الدية ، فقال : « إنه خبيث خبيث الدية ، فلعنه الله ولعن ديته ، فلا أرب لنا في ديته ، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه » .

وذكر يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يسأل المبارزة ، فخرج إليه الزبير بن العوام ، فضربه ، فشقه باثنتين ، حتى فلَّ في سيفه فَلاًّ ، وانصرف وهو يقول : [من السريع]

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٣٨) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٨) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٤٠) .
(٤) رواه الترمذي في « جامعه » رقم (١٧١٥) .

إني امرؤ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأمي

وقد ذكر ابن جرير[١] أن نوفلاً لما تورط في الخندق ، رماه الناس بالحجارة ، فجعل يقول : قِتلة أحسن من هذه يا معشر العرب . فنزل إليه علي فقتله ، وطلب المشركون رمته من رسول الله ﷺ بالثمن ، فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ، ومكّنهم من أخذه إليهم . وهذا غريب من وجهين .

وقد روى البيهقي[٢] ، من طريق حمّاد بن زيد ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم ، ومعي عُمر بن أبي سلمة ، فجعل يطأطئ لي فأصعد على ظهره ، فأنظر . قال : فنظرت إلى أبي وهو يحمل مرة هاهنا ومرة هاهنا ، فما يرتفع له شيء إلا أتاه ، فلما أمسى جاءنا إلى الأطم ، قلت : يا أبت ، رأيتك اليوم وما تصنع . قال : ورأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : فدىً لك أبي وأمي .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ، قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فمرَّ سعد وعليه درع مقلّصة ، قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يرقد بها ويقول : [من الرجز]

لبِّث قليلاً يشهد الهيجا حمَلْ لا بأس بالموت إذا حان الأجلْ

فقالت له أمه : الحق بنيَّ ، فقد والله أخرت . قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي . قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل .

قال ابن إسحاق[٤] : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : رماه حبان بن قيس بن العرِقة ، أحد بني عامر بن لؤي ، فلما أصابه قال : خذها مني وأنا ابن العرِقة . فقال له سعد : عرّق الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنتَ وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولاتمتني حتى تقر عيني من بني قريظة .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٧٤) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٠٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٦) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٧) .

قال ابن إسحاق[١] : وحدثني من لا أتَّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي ، حليف بني مخزوم . وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً ، قاله لِعِكْرِمَة بن أبي جهل :

أعكرم هلا لمتني إذ تقول لي ... فداك بآطام المدينة خالدُ
ألست الذي ألزمت سعداً مرشة ... لها بين أثناء المرافق عاند
قضى نحبه منها سعيد فأعولت ... عليه مع الشمط العذارى النواهِدُ
وأنت الذي دافعت عنه وقد دعا ... عُبيدة جمعاً منهم إذ يكابد
على حين ما هم جائر عن طريقه ... وآخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن إسحاق[٢] : والله أعلم أي ذلك كان . قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

قلت : وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة ، أقر الله عينه ؛ فحكم فيهم بقدرته وتيسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك ، كما سيأتي بيانه ، فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ، حتى قال له رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة »[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عَبَّاد ، قال : كانت صفية بنت عبد الله في فارعٍ حصن حسَّان بن ثابت ، قال : وكان حسَّان معنا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ ، فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . قال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً ، احتجزت ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل فاسلبه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال : ما لي بسلبه حاجة يا بنة عبد المطلب .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٢٧) .
(٣) رواه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري ورواه النسائي في الكبرى رقم (٨٢٢٣) بزيادة « من فوق سبع سموات » وهي زيادة صحيحة بلفظ « لقد حكمت فيهم بحكم الملك » ورواية كتابنا : رواها ابن إسحاق مرسلة وابن قدامة المقدسي في « العلو » مرسلة ، فهي ضعيفة بهذا اللفظ .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٢٨) .

حكى السهيلي[١] عن بعضهم أنه قال : كان حسان جباناً شديد الجبن . قال : وأنكر آخرون ذلك ، وطعنوا في الخبر ، فقالوا : هو منقطع . قالوا : وقد كان يهاجي المشركين من الشعراء ؛ كابن الزِّبعرى ، وضرار بن الخطاب ، وغيرهما ، فلم يعيِّره واحد منهم بالجبن . قال : وممن أنكر ذلك الشيخ أبو عمر النمري . قالوا : وبتقدير صحة هذا الخبر ، لعله كان منقطعاً في الآطام لعلة عارضة . ومال إلى هذا السهيلي . والله أعلم .

قال موسى بن عقبة[٢] : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن بين كتائبهم ، فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية ، حتى لا يدري الرجل أتم صلاته أم لا . قال : ووجَّهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة ، فقاتلوهم يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر ، دنت الكتيبة ، فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا ، فانكفأت الكتيبة مع الليل ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « شغلونا عن صلاة العصر ، ملأ الله بطونهم وقلوبهم ـ وفي رواية : وقبورهم ـ ناراً » . فلما اشتد البلاء ، نافق ناس كثير ، وتكلموا بكلام قبيح ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب ، جعل يبشرهم ويقول : « والذي نفسي بيده ليفرَّجن عنكم ما ترون من الشدة ، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً ، أن يدفع الله إليَّ مفاتيح الكعبة ، وليهلكنَّ الله كسرى وقيصر ، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

وقد قال البخاري[٣] : ثنا إسحاق ، ثنا روح ، ثنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة ، عن علي ، عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق : « ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً ؛ كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » . وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي ، به .

ورواه مسلم والترمذي[٤] من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي حسان الأعرج ، عن عبيدة ، عن علي ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ثم قال البخاري[٥] : حدثنا المكي بن إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس ، فجعل يسب كفار قريش ، وقال : يا رسول الله ، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب . قال النبي ﷺ : « والله ما صليتها » . فنزلنا مع رسول الله ﷺ بطحان ، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها ، فصلى العصر بعدما غربت

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٣٢٤) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠١) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١١١) .
(٤) رواه مسلم رقم (٦٢٧) والترمذي رقم (٢٩٨٤) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١١٢) .

الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، به[١] .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قاتل النبي ﷺ عدواً ، فلم يفرغ منهم حتى أخر العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك ، قال : « اللهم مَن حبسنا عن الصلاة الوسطى ، فاملأ بيوتهم ناراً واملأ قبورهم ناراً » . ونحو ذلك . تفرد به أحمد ، وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي ، وهو ثقة ، يصحح له الترمذي وغيره .

وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث . وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا ؛ لصحة الحديث ، وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كمال هو مذهب مكحول والأوزاعي ، وقد بوب البخاري على ذلك[٣] ، واستدل بهذا الحديث ، وبقوله ﷺ يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة ، كما سيأتي : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » . وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ، ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ، ولم يعنِّف واحداً من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستَر سنة عشرين في زمن عمر ، حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس ؛ لعذر القتال واقتراب فتح الحصن .

وقال آخرون من العلماء ، وهم الجمهور ، منهم الشافعي : هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك ، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك ، فلهذا أخروها يومئذ . وهو مشكل ، فإن ابن إسحاق وجماعة ذهبوا إلى أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بعسفان ، وقد ذكرها ابن إسحاق ، وهو إمام في المغازي ، قبل الخندق ، وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق ، فالله أعلم .

وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً . كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس ، فهو مشكل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير ، مع شدة حرصهم على المحافظة على الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت العشاء .

قال الإمام أحمد[٤] : حدثنا يزيد وحجاج قالا : حدثنا ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هَوِيٌّ من الليل ، حتى

---

(١) رواه البخاري (٥٩٦) ومسلم (٦٣١) والترمذي (١٨٠) والنسائي (١٣٦٥) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠١) ، وإسناده صحيح .

(٣) انظر « صحيح البخاري » قبل رقم (٩٤٥) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٦٧) وإسناده صحيح .

كفينا ، وذلك قوله : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . قال : فدعا رسول الله ﷺ بلالاً ، فأمره فأقام ، فصلى الظهر كما كان يصليها في وقتها ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك ، وذلك قبل أن يُنزَّل ـ قال حجاج : في صلاة الخوف ـ : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٩] .

وقد رواه النسائي(١) ، عن الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن ابن أبي ذئب ، به : قال : شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس . فذكره .

وقال أحمد(٢) : ثنا هشيم ، ثنا أبو الزبير ، عن نافع بن جبير ، عن أبي عُبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن أربع صلوات ، حتى ذهب من الليل ما شاء الله . قال : فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلَّى الظهر ، ثم أقام فصلَّى العصر ، ثم أقام فصلَّى المغرب ، ثم أقام فصلَّى العشاء .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار(٣) : ثنا محمد بن معمر ، ثنا مؤمَّل ، يعني ابن إسماعيل ، حدثنا حمَّاد ، يعني ابن سلمة ، عن عبد الكريم ، يعني ابن أبي المخارق ، عن مجاهد ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ شُغل يوم الخندق عن صلاة الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام ، فصلَّى الظهر ، ثم أمره فأذَّن وأقام ، فصلى العصر ، ثم أمره فأذَّن وأقام ، فصلى المغرب ، ثم أمره فأذَّن وأقام ، فصلى العشاء ، ثم قال : « ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » . تفرَّد به البزَّار ، وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله .

فصل

في دعائه [عليه] السلام على الأحزاب

وكيف صرفهم الله تعالى ، بحوله وقوته ؛ استجابة لرسوله ﷺ(٤) ، وصيانة لحوزته الشريفة ، فزلزل قلوبهم ، ثم أرسل عليهم الرِّيح الشديدة ؛ فزلزل أبدانهم .

---

(١) في « السنن الكبرى » رقم (٦٦٠) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٧٥) وهو حديث حسن .
(٣) في « كشف الأستار » (٣٦٥) وإسناده ضعيف .
(٤) في (آ) : « عليه السلام » وأثبت لفظ (ط) .

قال الإمام أحمد[١] : ثنا أبو عامر ، ثنا الزُّبير - يعني ابن عبد الله - ثنا رُبيح بن أبي سعيد [الخدري] ، عن أبيه قال : قلنا [يوم الخندق] : يا رسول الله ، هل من شيء نقوله ؟ [فقد] بلغت القلوب الحناجر . قال : « نعم ، اللهم استر عوراتِنا وآمن روعاتِنا » . قال : فصرف[٢] الله وجوه أعدائه بالرِّيح ، فهزمهم الله بالرّيح .

وقد رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره »[٣] عن أبيه ، عن أبي عامر ، وهو العَقَديُّ[٤] ، عن الزّبير بن عبد الله مولى عثمان بن عَفَّان ، عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد . فذكره ، وهذا هو الصواب .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا حسين ، [عن] ابن أبي ذئب ، عن رجل من بني سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه ، وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ، ولم يصل . قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلّى .

وثبت في « الصحيحين »[٦] من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » .

وفي رواية[٧] : « اهزمهم وانصرنا عليهم » .

وروى البخاري[٨] ، عن قُتيبة ، عن اللَّيث ، عن سعيد المَقْبُري ، عن أبيه ، عن أبي هُريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا إله إلا الله وحده ، أعزّ جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » .

وقال ابن إسحاق[٩] : وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه في ما وصف الله من الخوف والشدة ؛ لتظاهر

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣) وإسناده ضعيف وفيه سقط ، فَرُبيح هو ابن عبد الرحمن ابن أبي سعيد الخدري ، يروي عن أبيه عن جده ، كما سيأتي في الحديث الذي بعده .
(٢) في (ط) : « فضرب » .
(٣) وذكره السيوطي في « الدّر المنثور » (٥/ ١٨٥) وعزاه لابن أبي حاتم .
(٤) هو أبو عامر عبد الملك بن عمرو القيسي العقدي . مات سنة أربع - أو خمس - ومئتين . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٣٨٦) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٣) وإسناده ضعيف .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٩٣٣) و(٤١١٥) و(٦٣٩٢) و(٧٤٨٩) ومسلم رقم (١٧٤٢) .
(٧) وهي عند البخاري رقم (٢٩٦٦) و(٣٠٢٥) وعند مسلم رقم (١٧٤٢) (٢٠) .
(٨) في « صحيحه » رقم (٤١١٤) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٩) .

عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم . قال : ثم إن نُعَيْم بن مسعود بن عامر بن أُنيف [بن ثعلبة] بن قنفذ بن هلال بن خُلاَوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت . فقال رسول الله ﷺ : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فَخَذِّلْ عَنَّا إن استطعت ، فإن الحرب خُدْعَة » . فخرج نُعَيم بن مسعود حتى أتى بني قُريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم وُدِّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتَّهم . فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه . قالوا : لقد أشرت بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم وُدِّي لكم وفراقي محمداً ، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليَّ حقاً أن أبلغكموه ؛ نصحاً لكم ، فاكتموه عني . قالوا : نفعل . قال : تعلَّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنَّا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم ، فنُعطيَكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُناً من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس إليَّ ، ولا أراكم تتَّهموني . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتَّهم . قال : فاكتموا عنِّي . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذّرهم ما حذّرهم ، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقال لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخفّ والحافر ، فأعدُّوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدَثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ؛ ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى إن ضرَّسَتكم[1] الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلادنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدَّثكم نُعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين

(١) أي : إن نالت منكم . انظر « شرح غريب ألفاظ السيرة » للخشني (٣/ ٨) .

انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نُعيم بن مسعود لَحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم ، وخلَّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً . فأبوا عليهم ، وخذَّل الله بينهم ، وبعث الله الرِّيح في ليلة[١] شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق[٢] من قصة نُعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة . وقد أورده عنه البيهقي في « الدلائل »[٣] ، فإنه ذكر ما حاصله أن نُعيم بن مسعود كان يُذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله ﷺ ذات يومٍ عشاءً ، فأشار إليه أن تعال ، فجاء فقال : « ما وراءك ؟ » . فقال : إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك ، فقالت بنو قريظة : نعم . فأرسلوا إلينا بالرُّهُن . وقد ذكر ، كما تقدم ، أنهم إنما نقضوا العهد على يدي حُيي بن أخطب ، بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : « إني مُسِرٌّ إليك شيئاً فلا تذكره » . قال : « إنهم قد أرسلوا إليَّ يدعونني إلى الصُّلح وأَرُدُّ بني النضير إلى دورهم وأموالهم » . فخرج نُعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان ، وقال رسول الله ﷺ : « الحرب خُدْعَة ، وعسى أن يصنع الله لنا » . فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه ، واتفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم ، فاعتلت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة ، فأوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن [تكون] قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه الصلح على أن يردَّ بني النضير إلى المدينة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق[٥] : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم يا بن أخي قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجتهد . قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ هوياً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : « مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « في ليالٍ » .
(٢) في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٩) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣١) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣١) .

القوم ثم يرجع » فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة « أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة » . فما قام رجل من القوم ؛ من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم يقم أحد دعاني ، فلم يكن لي بُدٌّ من القيام حين دعاني ، فقال : « يا حُذيفة ، اذهب فادخل في القوم ، فانظر ماذا يفعلون ، ولا تحدثنَّ شيئاً حتى تأتينا » . قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والرّيح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ مَن جليسه . قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخفّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ؛ ما تطمئن لنا قِدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا ، فإني مرتحل . ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليَّ : « لا تُحدثْ شيئاً حتى تأتيني » . ثم شئت ؛ لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مِرط لبعض نسائه مراجل ، فلما رآني أدخلني إلى رجليه ، وطرح عليَّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم . وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجَّاج في « صحيحه »(١) من حديث الأعمش ، عن إبراهيم بن يزيد التّيمي ، عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركتُ رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت . فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقُرّ ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ » فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله ، ثم قال : « يا حُذيفة ، قم فأتنا بخبر القوم » فلم أجد بُدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال : « ائتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليَّ » . قال : فمضيت كأنما أمشي في حَمَّام حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يَصْلِي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه ، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تذعرهم عليَّ » . ولو رميته لأصبته ، فرجعت كأنما أمشي في حَمَّام ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فأصابني البَرْد حين رجعت وقُررت ، فأخبرت رسول الله ﷺ ، وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ : « قم يا نومان » .

وقد روى الحاكم ، والحافظ البيهقي في « الدلائل »(٢) هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عَمَّار ، عن محمد بن عبد الله الدُّؤَليّ ، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ ، فقال جلساؤه : أمَا والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنّوا

---

(١) رقم (١٧٨٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٥١) .

ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعود ، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل منا ، نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها ، في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ، ويقولون : إن بيوتنا عورة . وما هي بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمئة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً ، حتى أتى عليَّ ، وما عليَّ جُنَّةٌ من العدو ولا من البرد إلا مِرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي . قال : فأتاني وأنا جاثٍ على ركبتي فقال : « من هذا ؟ » فقلت : حذيفة . فقال : « حذيفة! » . فتقاصرتُ بالأرض ، فقلت : بلى يا رسول الله . كراهية أن أقوم . قال : « قم » . فقمت ، فقال : « إنه كائن في القوم خبر ، فأتني بخبر القوم » . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قُرّاً . قال : فخرجت ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » . قال : فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قُرّاً في جوفي إلا خرج من جوفي ، فما أجد منه شيئاً . قال : فلما ولَّيت قال : « يا حذيفة ، لا تُحْدِثَنَّ في القوم شيئاً حتى تأتيني » . قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقَّد ، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ، ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل . ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش ، فأضعه على كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تُحدثنَّ فيهم شيئاً حتى تأتيني » . فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ، ثم إني شجَّعت نفسي حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر ، يقولون : يا آل عامر ، الرحيل الرحيل ، لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم ، الريح تضربهم بها ، ثم خرجت نحو رسول الله ﷺ ، فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من ذلك ، إذ أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك مُعْتَمِّين ، فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه . قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلِّي ، فوالله ما عدا أن رجعت ؛ راجعني القُرُّ وجعلت أُقَرْقِفُ ، فأومأ إليَّ رسول الله ﷺ بيده ، وهو يصلي ، فدنوت منه فأسبل عليَّ شملته ، وكان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه أمر صلى ، فأخبرته خبر القوم ؛ أخبرته أني تركتهم يرحلون . قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ يعني الآيات كلها إلى قوله : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٩ ـ ٢٥] .

أي صرف الله عنهم عدوهم بالرِّيح التي أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله إليهم . ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ أي ؛ لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم ، بل صرفهم القوي العزيز بحوله وقوته .

لهذا ثبت في « الصحيحين »[١] عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » ، وفي قوله : ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ . إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم . وهكذا وقع ، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين ، كما قال محمد بن إسحاق[٢] ، رحمه الله : فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق ؛ قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم » . قال : فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك ، حتى فتح الله عليه مكة .

وهذا بلاغ من [ابن] إسحاق .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : ثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثني أبو إسحاق ، سمعت سليمان بن صُرَدٍ ، رضي الله عنه ، يقول : قال رسول الله ﷺ : « الآن نغزوهم ولا يغزونا » . وهكذا رواه البخاري ، من حديث إسرائيل وسفيان الثوري ، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي ، عن سليمان بن صُرَد ، به[٤] .

قال ابن إسحاق[٥] : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ستة ؛ ثلاثة من بني عبد الأشهل ، وهم : سعد بن معاذ ـ وستأتي وفاته مبسوطة ـ وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، والطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غَنَمة الجشميان السلميان ، وكعب بن زيد النجاري ، أصابه سهم غرب فقتله . قال : وقتل من المشركين ثلاثة ، وهم : مُنَبِّه بن عثمان بن عبيد بن السبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ، اقتحم الخندق بفرسه فتورَّط فيه فقتل هناك ، وطلبوا جسده بثمن كبير كما تقدم ، وعمرو بن عبد ودٍّ العامري ، قتله علي بن أبي طالب .

قال ابن هشام[٦] : وحدثني الثقة أنه حُدِّث عن الزُّهري ، أنه قال : قتل عليٌّ يومئذ عمرو بن عبد ودٍّ وابنه حسل بن عمرو .

قال ابن هشام : يقال : عمرو بن عبد ودٍّ . ويقال : عمرو بن عبدٍ .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١١٤) ومسلم رقم (٢٧٢٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٦٢) ، وإسناده صحيح .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٠٩) و(٤١١٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٢) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٣) .

فصل
في غزوة بني قُريظة[١]

وما أحلَّ الله تعالى بهم من البأس الشديد ، مع ما ادخر[٢] الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم ، وذلك لكفرهم ونقضهم العهود والمواثيق[٣] التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وممالأتهم الأحزاب عليه ، فما أجدى ذلك عنهم شيئاً ، وباؤوا بغضب من الله ورسوله، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥ ـ ٢٧] .

قال البخاري[٤] : ثنا محمد بن مقاتل ، ثنا عبد الله ، ثنا موسى بن عقبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة ، يبدأ فيكبّر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون ، لربّنا حامدون ؛ صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

وقال محمد بن إسحاق[٥] ، رحمه الله : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريلُ رسول الله ﷺ ، كما حدثني الزهري ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رِحَالةٌ ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . فقال جبريل : ما وضعتِ الملائكة السلاح بعدُ ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم . فأمر رسول الله ﷺ مؤذّناً فأذن [في] الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّين العصر إلا في بني قُريظة .

قال ابن هشام[٦] : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

---

(١) انظر خبرها في « عيون الأثر » (٢/ ١٠٣) ، و « زاد المعاد » (٣/ ١١٧) ، و « الفصول في سيرة الرسول » ص(١٧١) ، و « شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) بتحقيقي .

(٢) في (ط) : « مع ما أعدّ » .

(٣) لفظ « والمواثيق » انفردت به (آ) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤١١٦) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٣) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .

وقال البخاري[(١)] : ثنا [عبد الله] بن أبي شيبة ، ثنا ابن نُمَير[(٢)] ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل ، أتاه جبريل فقال : قد وضعتَ السلاح ، والله ما وضعناه ، فاخرج إليهم . قال : « فإلى أين ؟ » قال : هاهنا . وأشار إلى بني قُريظة . فخرج النبي ﷺ إليهم .

وقال أحمد[(٣)] : وثنا حسن ، ثنا حمّاد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل ، وجاء جبريل ، فرأيته من خلل البيت قد عصب رأسه الغبار ، فقال : يا محمد ، أوَضعتم أسلحتكم ؟ فقال[(٤)] : « وضعنا أسلحتنا » فقال[(٥)] : إنّا لم نضع أسلحتنا بعدُ ، انهد إلى بني قريظة .

ثم قال البخاري[(٦)] : ثنا موسى ، ثنا جرير بن حازم ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك قال : كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم ، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة .

ثم قال البخاري[(٧)] : ثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، ثنا جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « لا يُصَلّينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة » . فأدرك بعضَهم العصرُ في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيَها . وقال بعضهم : بل نصلي ؛ لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبيّ ﷺ فلم يعنِّف واحداً منهم .

وهكذا رواه مسلم[(٨)] ، عن عبد الله بن محمد بن أسماء ، به .

وقال الحافظ البيهقي[(٩)] : ثنا أبو عبد الله الحافظ[(١٠)] ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن خالد بن خَلِيٍّ ، ثنا بشر بن شعيب ، عن أبيه ، ثنا الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب ، وضع عنه اللأْمة واغتسل واستجمر ، فتبدى له جبريل ، عليه السلام ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١١٧) .
(٢) في (آ) : « ابن أبي نمير » وهو خطأ ، واسمه (عبد الله بن نمير الهمداني الكوفي أبو هشام) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٢٧٣) و (٤/ ٣٣١) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٨٠) ، وهو حديث صحيح .
(٤) القائل رسول الله ﷺ جواباً على سؤال جبريل عليه السلام .
(٥) القائل جبريل عليه السلام تعقيباً على جواب رسول الله ﷺ .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١١٨) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤١١٩) .
(٨) رواه مسلم رقم (١٧٧٠) .
(٩) في « دلائل النبوة » (٤/ ٧ ـ ٨) .
(١٠) يعني الحاكم صاحب « المستدرك على الصحيحين » .

فقال : عَذِيرك من محارب ، ألا أراك قد وضعتَ اللأمة وما وضعناها بعدُ . قال : فوثب النبي ﷺ فزعاً ، فعزم على الناس أن لا يصلّوا صلاة العصر حتى يأتوا بني قريظة . قال : فلبس الناس السلاح ، فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، فاختصم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلّي حتى نأتيَ بني قريظة ، فإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ ، فليس علينا إثم . وصلى طائفة من الناس احتساباً ، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس ، فصلَّوها حين جاؤوا بني قريظة احتساباً ، فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين .

ثم روى البيهقي[١] من طريق عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ كان عندها ، فسلَّم علينا رجل ونحن في البيت ، فقام رسول الله ﷺ فزعاً ، وقمت في أثره ، فإذا بدِحية الكلبي ، فقال : « هذا جبريل ، أمرني أن أذهب إلى بني قريظة ، وقال : قد وضعتم السلاح ، لكنا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد » . وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق . فقال رسول الله ﷺ فزعاً ، وقال لأصحابه : « عزمت عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة » . فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : إن رسول الله ﷺ لم يرد أن تدَعوا الصلاة . فصلّوا . وقالت طائفة : والله إنَّا لفي عزيمة رسول الله ﷺ ، وما علينا من إثم . فصلت طائفة إيماناً واحتساباً ، وتركت طائفة إيماناً واحتساباً ، ولم يعنِّف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين ، وخرج رسول الله ﷺ فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة ، فقال : « هل مرَّ بكم أحد ؟ » فقالوا : مرَّ علينا دِحْيَة الكلبي[٢] على بغلة شهباء ، تحته قطيفة ديباج . فقال : « ذلك جبريل ، أُرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب » . فحاصرهم النبيّ ﷺ ، وأمر أصحابه أن يستروه بالحجف[٣] حتى يسمعهم كلامه ، فناداهم : « يا إخوة القردة والخنازير » . فقالوا : يا أبا القاسم ، لم تكن فحاشاً . فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، وكانوا حلفاءه ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم ونساؤهم . ولهذا الحديث طرق جديدة ، عن عائشة وغيرها .

وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ ، من هو ؟ بل الإجماع على أن كلاًّ من الفريقين مأجور ومعذور ، غير معنّف ؛ فقالت طائفة من العلماء : الذين أخّروا الصلاة عن وقتها المقدّر لها ، حتى صلّوها في بني قُريظة ، هم المصيبون ؛ لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاصٌّ ، فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعاً .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/٨) .

(٢) وذلك لأن جبريل عليه السلام غالباً ما كان ينزل بصورته رضي الله عنه . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : « يأتيني جبريل في صورة دحية » وانظر « المسند » للإمام أحمد (٢/١٠٧) و « مجمع الزوائد » (٩/٣٧٨) ، و « الإصابة » (٣/١٩١) .

(٣) الحَجَفُ : جمع حجفة : الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . انظر « مختار الصحاح » (حجف) .

قال أبو محمد بن حزم الظّاهري في كتابه[١] « السيرة »[٢] : وعلم الله أنا لو كنّا هناك ، لم نصلِّ العصر إلا في بني قُريظة ، ولو بعد أيام . وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية الموصلة[٣] إلى الأخذ بالظّاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلّوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم ، هم المصيبون ؛ لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة ، لا تأخير الصلاة ، فعملوا بمقتضى الأدلّة الدالة على أفضلية[٤] الصلاة في أول وقتها ، مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنّفهم ، ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها الذي حوِّلت إليه يومئذ ، كما يدَّعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخّروا ، فعذروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون[٥] بالقضاء ، وقد فعلوه . وأما على قول من يجوِّز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما فهمه البخاري ، حيث احتجّ على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من أخّر ، ولا على من قدّم أيضاً ، والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق[٦] : وقَدَّم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ومعه رايته[٧] ، [إلى بني قُريظة] وابتدرها الناس .

وقال موسى بن عقبة في « مغازيه »[٨] ، عن الزهري : فبينما رسول الله ﷺ في مغتسله ، كما يزعمون ، قد رَجَّلَ أحد شقيه ، أتاه جبريل على فرس عليه لأْمَتُهُ ، حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله ﷺ ، فقال له جبريل : غفر الله لك ، أوَقد وضعتَ السلاح ؟ قال : « نعم » . فقال جبريل : لكنا لم نضعه منذ نزل بك العدو ، وما زِلْتُ في طلبهم حتى هزمهم الله . ويقولون : إن على وجه جبريل لأثر الغبار . فقال له جبريل : إن الله قد أمرك بقتال بني قُريظة ، فَأَنَا عامد إليهم بمن معي من الملائكة ؛ لأُزلزل بهم الحصون ، فاخْرُجْ بالناسِ . فخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل ، فمرّ على مجلس بني غَنْمٍ وهم ينتظرون رسول الله ﷺ ، فسألهم فقال : « مرَّ عليكم فارس آنفاً ؟ » قالوا : مرَّ علينا دِحْيَةُ الكلبي على فرس أبيض ، تحته نمط أو قطيفة من ديباج ، عليه اللأْمَةُ .

---

(١) في (ط) : « في كتاب » .
(٢) انظر « جوامع السيرة » لابن حزم ص(١٩٢) بتحقيق العالمين الفاضلين د . إحسان عباس ، ود . ناصر الدين الأسد ، ومراجعة العلاّمة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله .
(٣) لفظ « الموصلة » لم يرد في (ط) .
(٤) في (آ) : « وعلى فضيلة » وأثبت لفظ (ط) .
(٥) في (آ) : « وأكثر ما كانوا يؤمروا » وأثبت لفظ (ط) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .
(٧) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « برايته » وما بين الحاصرتين تكملة منها .
(٨) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١١) .

فذكروا أن رسول الله ﷺ ، قال : « ذاك جبريل » . وكان رسول الله ﷺ يُشَبِّهُ دِحْيَةَ الكلبي بجبريل ، فقال : « الحقوني ببني قريظة ، فصلّوا فيهم العصر » . فقاموا ومن شاء الله من المسلمين ، فانطلقوا إلى بني قريظة ، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق ، فذكروا الصلاة ، فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة ؟! وقال آخرون : هي الصلاة . فصلى منهم قوم ، وأخَّرت طائفة الصلاة حتى صلَّوها في بني قُريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله ﷺ من عجَّل منهم الصلاة ومن أخّرها ، فذكروا أن رسول الله ﷺ لم يعنّف واحداً من الفريقين . قال : فلما رأى علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله ، فإن الله كافيك اليهود . وكان عليٌّ قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه ، رضي الله عنهن ، فكره عليٌّ أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « لم تأمرني بالرجوع ؟ » فكتمه ما سمع منهم ، فقال : « أظنُّك سمعت لي منهم أذى ، فامض فإن أعداء الله لو قد رأوني ، لم يقولوا شيئاً مما سمعت » . فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم ، وكانوا في أعلاه ، نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم ، حتى أسمعهم ، فقال : « أجيبوا يا معشر يهود ، يا إخوة القردة ، قد نزل بكم خزي الله ، عز وجل » . فحاصرهم رسول الله ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ، وردَّ الله حُيَي بن أخطب ، حتى دخل حصن بني قُريظة ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، واشتد عليهم الحصار ، فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر ، وكانوا حلفاء الأنصار ، فقال أبو لبابة : لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله ﷺ . فقال له رسول الله ﷺ : « قد أذنتُ لك » . فأتاهم أبو لبابة فبكوا إليه وقالوا : يا أبا لبابة ، ماذا ترى وماذا تأمرنا ؟ فإنه لا طاقة لنا بالقتال . فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه ، وأمرَّ عليه أصابعه ، يريهم أنما يراد بكم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سُقط في يده ، ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة ، فقال : والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أحدث لله توبة نصوحاً ، يعلمها الله من نفسي . فرجع إلى المدينة ، فربط يديه إلى جِذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة ، فقال رسول الله ﷺ ، كما ذكر[١] ، حين راث[٢] عليه أبو لبابة : « أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ؟ » قالوا : يا رسول الله ، قد والله انصرف من عند الحصن ، وما ندري أين سلك . فقال رسول الله ﷺ : « قد حدث لأبي لبابة أمر ، ما كان عليه » . فأقبل رجل من عند المسجد فقال : يا رسول الله ، قد رأيت أبا لبابة ارتبط بحبل إلى جذع من جذوع المسجد . فقال رسول الله ﷺ : « لقد أصابته بعدي فتنة ، ولو جاءني لاستغفرت له ، وإذ قد فعل هذا فلن أُحَرِّكه من مكانه حتى يقضيَ الله فيه ما يشاء » .

وهكذا رواه ابن لهيعة[٣] ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة .

---

(١) قوله : « كما ذكر » لم يرد في (ط) .

(٢) أي : أبطأ . وفي (ط) : « حين غاب » .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١٤) .

وكذا ذكره محمد بن إسحاق في « مغازيه »[١] في مثل سياق موسى بن عقبة ، عن الزُّهري ، ومثل رواية أبي الأسود ، عن عُرْوَة .

قال ابن إسحاق[٢] : ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم ، يقال لها : بئر أُنا[٣] ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وقد كان حُيَي بن أخطب دخل معهم حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ؛ وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً ، فخذوا بما شئتم منها . قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونُصَدِّقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لَنبي مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم عليَّ هذه ، فهلمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف ، لم نترك وراءنا ثَقَلاً ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإنْ نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإنْ نظهر فلعمري لنَجِدَنَّ النساء والأبناء . قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ! قال : فإن أبيتم عليَّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أَمَّنُونا فيه ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّة . قالوا : أنفسد سبتنا ونُحدِث فيه ما لم يُحدِث فيه مَن كان قبلنا ، إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخفَ عنك من المسخ . فقال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً . ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف ـ وكانوا حلفاء الأوس ـ نستشيره في أمرنا . فأرسله رسول الله ﷺ ، فلما رأوه ، قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فَرَقَّ لهم ، وقالوا : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : « نعم » . وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما ، حتى عرفت أني قد خُنْتُ الله ورسوله ﷺ . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله ﷺ حتَّى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت . وعَاهَدَ الله ؛ أن لا أطأ بني قُريظة أبداً ، ولا أُرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .
(٣) قال الفيروزابادي في « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٣٠) : بئر أُنا : بضم الهمزة ، وتخفيف النون ، كهنا ، وقيل بالفتح ، والتشديد ، كحتَّى ، وقيل : أنِّي ، بالفتح ، وكسر النون المشدَّدة بعده ياء .
وقال السمهودي في « وفاء الوفا » (٢/ ١٢٥) : وهي غير معروفة اليوم .

قال ابن هشام(١) : وأنزل الله ، فيما قال سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

قال ابن هشام(٢) : أقام مرتبطاً ست ليال ، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة ، فتحله حتى يتوضأ ويصلي ثم يرتبط ، حتى نزلت توبته في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

وقول موسى بن عقبة : إنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به ، أشبه ، والله أعلم .

وذكر ابن إسحاق(٣) أن الله أنزل توبته على رسوله ﷺ من آخر الليل ، وهو في بيت أُمِّ سلمة ، فجعل يتبسّم(٤) ، فسألته أُمُّ سلمة ، فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة ، فاستأذنته أن تبشّره ، فأذن لها فخرجت فبشّرته ، فثار الناس إليه يبشّرونه ، وأرادوا أن يحلّوه من رباطه فقال : والله لا يحلني منه إلا رسول الله ﷺ . فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الفجر حلَّه من رباطه ، رضي الله عنه وأرضاه .

قال ابن إسحاق(٥) : ثم إنَّ ثعلبة بن سَعْية ، وأُسَيد بن سَعْيَةَ ، وأسد بن عُبيد ، وهم نفر من بني [هَدْلٍ] ، ليسوا من بني قُريظة ولا النّضير ، نسبُهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ . وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعدى القرظي ، فمر بحرس رسول الله ﷺ ، وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : [أنا] عمرو بن سُعْدى . [وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً] . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني [إقالة] عثرات الكرام . ثم خلّى سبيله ، فخرج على وجهه ، حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْرَ أين توجه من الأرض إلى يومه هذا . فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال : « ذاك رجل نجّاه الله بوفائه » . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برُمَّة فيمن أُوثق [من بني قريظة] ، فأصبحت رُمَّته ملقاة ، ولم يُدر أين ذهب ، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة ، والله أعلم أيُّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق(٦) : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله ، إنهم [كانوا] موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمتَ . يعنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله بن أُبي ، كما تقدم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٧) .
(٤) في (ط) : « يبتسم » .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٨) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢٣٩) .

قال ابن إسحاق[١] : فلما كلّمته الأوس قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الأوس ، ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « فذلك إلى سعد بن معاذ » وكان رسول الله ﷺ [قد جعل سعد بن معاذ] في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها : رُفيدة . في مسجده ، وكانت تداوي الجرحى ، فلما حكَّمه في بني قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطَّؤوا له بوسادة من أَدَم ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإنَّ رسول الله ﷺ إنما ولاَّك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكثروا [عليه] قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجالَ بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ؛ عن كلمته التي سمع منه ، فلمَّا انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيِّدكم » . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار . وأما الأنصار فيقولون : قد عمَّ رسول الله ﷺ المسلمين . فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولاَّك أمر مواليك لتحكم فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم [فيهم] لما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ ؛ إجلالاً له ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتُسبى الذَّراري والنساء .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو[٣] بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقّاص اللّيثي قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعةٍ »[٤] .

وقال ابن هشام[٥] : حدثني من أثق به من أهل العلم ، أنَّ علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان . وتقدم هو والزبير بن العوَّام ، وقال : والله لأذوقنَّ ما ذاق حمزةُ أو أقتحم حصنهم . فقالوا : يا محمد ، ننزل على حكم سعد بن معاذ .

وقد قال الإمام أحمد[٦] : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت أبا أُمامة بن سهل ، سمعت أبا سعيد الخدري ، قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ . قال : فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد ، فأتاه على حمار ، فلمَّا دنا قريباً من المسجد ، قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٠) .
(٣) في (ط) : « عن عبد الرحمن بن عمر . . . » .
(٤) وهو مرسل ، وكذلك رواه ابن قدامة المقدسي في « العلو » مرسلاً .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٠) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٢) .

سَيِّدكم[١] ، أو : خيركم » . ثم قال : « إن هؤلاء نزلوا على حُكمك » . قال : تُقْتَلُ مقاتلتهم وتسبى ذُرِّيتهم . قال : فقال رسول الله ﷺ : « قضيت بحكم الله » . وربما قال : « قضيت بحكم الملِك » . وفي رواية[٢] : « المَلَكِ » أخرجاه في « الصحيحين »[٣] من طرق عن شعبة .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا حُجَينٌ ويونس ، قالا : ثنا اللَّيث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أنه قال : رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ ، فقطعوا أكحله ، فحسمه[٥] رسول الله ﷺ بالنار ، فانتفخت يده ، فحسمه أخرى[٦] ، فانتفخت يده فنزفه ، فلما رأى ذلك ، قال : اللهم لا تخرج نفسي حتى تقرَّ عيني من بني قريظة . فاستمسك عرقه ، فما قطر قطرةً حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه ، فحكم أن تقتل رجالهم ، وتسبى نساؤهم ، وذراريهم ، يستعين بهم المسلمون ، فقال رسول الله ﷺ : « أصبت حكم الله فيهم » وكانوا أربعمئة ، فلمَّا فرغ من قتلهم ، انفتق عرقه فمات .

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً[٧] ، عن قتيبة ، عن اللَّيث به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد[٨] : ثنا ابن نُمير ، عن هشام ، أخبرني أبي ، عن عائشة ، قالت : لمَّا رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، ووضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار ، فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها ، اخرج إليهم . قال رسول الله ﷺ : « فأين ؟ » قال : هاهنا . وأشار إلى بني قريظة ، فخرج رسول الله ﷺ إليهم . قال هشام : فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي ﷺ ، فردَّ الحكم فيهم إلى سعد ، قال : فإنِّي أحكم أن تقتل المقاتلة ، وتسبى النساء والذُّرِّيَّة ، وتقسم أموالهم . قال هشام : قال أبي : فأُخبرت أن رسول الله ﷺ قال : « لقد حكمت فيهم بحكم الله » .

وقال البخاري[٩] : ثنا زكريا بن يحيى ، ثنا عبد الله بن نمير ، ثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : أُصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له : حِبَّان بن العَرِقة ، رماه في الأكحل ، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، وضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار ، فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعته ، اخرج

(١) في (ط) : « قوما لسيدكم » .
(٢) هي في « المسند » أيضاً (٣/ ٢٢) ، لكن عن عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة .
(٣) رواه البخاري رقم (٦٢٦٢) ومسلم رقم (١٧٦٨) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٥٠) .
(٥) أي : كواه .
(٦) في (آ) و (ط) : « . . فانتفخت يده فنزفه ، فحسمه أخرى . . . » وأثبت لفظ « مسند الإمام أحمد » .
(٧) رواه الترمذي (١٥٨٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٧٩) ، وهو حديث صحيح .
(٨) في « المسند » (٦/ ٥٦) وهو حديث صحيح .
(٩) رواه البخاري رقم (٤١٢٢) .

إليهم . قال النبي ﷺ : « فأين ؟ » فأشار إلى بني قُريظة ، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه ، فردَّ الحكم إلى سعد ، قال : فإنِّي أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة ، وأن تسبى النساء والذُّرِّيَّة ، وأن تقسم أموالهم . قال هشام : فأخبرني أبي ، عن عائشة ، أن سعداً قال : اللهم إنَّك تعلم أنه ليس أحد أحبَّ إليَّ أن أجاهدهم فيك ، من قوم كذَّبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإني أظنّ أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء ، فأبقني له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب ، فافجرها واجعل موتي فيها . فانفجرت من لبَّته[1] فلم يرُعهم ، وفي المسجد خيمة من بني غِفَار ، إلاّ الدَّمُ يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو[2] جرحه دماً ، فمات منها .

وهكذ رواه مسلم[3] من حديث عبد الله بن نُمير ، به .

قلت : كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا تمتني حتى تقرَّ عيني من بني قريظة ، فاستجاب الله له ، فلما حكم فيهم ، وأقرَّ الله عينه أتمَّ قرارٍ ، دعا ثانياً بهذا الدعاء ، فجعلها الله له شهادة ، رضي الله عنه وأرضاه . وسيأتي ذكر وفاته قريباً ، إن شاء الله .

وقد رواه الإمام أحمد[4] من وجه آخر ، عن عائشة مطولاً جداً ، وفيه فوائد ، فقال : ثنا يزيد ، أنبأ محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جدِّه علقمة بن وقّاص قال : أخبرتني عائشة ، قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس ، فسمعت وئيد الأرض ورائي ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنَّة . قالت : فجلست إلى الأرض ، فمرَّ سعد وعليه درع من حديد ، قد خرجت منها أطرافه ، فأنا أتخوَّف على أطراف سعد . قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمرَّ وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

لَبِّثْ قليـلاً يُـدرك الهيجـا حَمَـلْ   مَا أَحْسَنَ الموتَ إذا حَانَ الأَجَلْ

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة ، فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيهم عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه تسبغة[5] له ؛ تعني المغفر ، فقال عمر : ما جاء بك ، والله إنكِ لجريئة ، وما يؤمنكِ أن يكون بلاءٌ أو يكون تحوُّز . فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها ، فرفع الرجل التسبغة[6] عن وجهه ، فإذا هو طلحة بن عبيد الله ، فقال : يا عمر ، ويحك ، إنك قد أكثرت منذ اليوم ،

---

(١) اللَّبَّة : موضع القلادة من الصدر انظر « فتح الباري » (٧/ ٤١٥) .
(٢) أي : يسيل .
(٣) رواه مسلم رقم (١٧٦٩) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ١٤١) .
(٥) في (ط) : « سبغة » وما جاء في (آ) هو الصواب . وانظر « لسان العرب » (سبغ) .
(٦) في (ط) : « السبغة » .

وأين التحوُّز أو الفرار إلَّا إلى الله عزَّ وجلَّ ؟ قالت : ويرمي سعداً رجل من قريش ، يقال له : ابن العَرِقة . وقال : خذها وأنا ابن العَرِقَة . فأصاب أكحله فقطعه ، فدعا الله سعد ، فقال : اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة . قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية . قالت : فرقأ كَلْمُهُ ، وبعث الله الرِّيح على المشركين ، ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . فلحق أبو سفيان ومن معه بتِهَامة ، ولحق عُيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصّنوا في صياصيهم[١] ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وأمر بقبَّة من أَدَمٍ فضربت على سعد في المسجد . قالت : فجاءه جبريل ، وإنَّ على ثناياه لنقعَ الغبار ، فقال : أقد وَضَعْتَ السلاح ؟ لا والله ما وضعتِ الملائكة السلاح بعدُ ، اخرج إلى بني قُريظة فقاتلهم . قالت : فلبس رسول الله ﷺ لأْمَتَهُ ، وأذَّن في الناس بالرَّحيل أن يخرُجوا ، فمرَّ على بني غَنْم ، وهم جيران المسجد حوله ، فقال : « من مرَّ بكم ؟ » قالوا : مرَّ بنا دِحْيَةُ الكلبيُّ . وكان دِحْيَةُ الكلبيُّ تشبه لحيته وسنُّه ووجهه جبريل ، عليه السلام ، فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلمَّا اشتد حصرهم واشتدَّ البلاء ، قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ﷺ . فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر ، فأشار إليهم أنَّه الذَّبح ، قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله ﷺ : « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » . فأُتي به على حمار عليه إكاف من ليف ، قد حمل عليه وحفَّ به قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، حلفاؤك ومواليك وأهل النِّكاية ومن قد علمت . قالت : ولا يرجع إليهم شيئاً ، ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه ، فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم . ـ قال : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيِّدكم فأنزلوه » . قال عمر : سيدنا الله . ـ قال : « أنزلوه » . فأنزلوه ، قال رسول الله ﷺ : « احكم فيهم » . فقال سعد : فإنِّي أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتُسبى ذراريهم ، وتقسم أموالهم . فقال رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله » . ثم دعا سعد ، فقال : اللهمَّ إن كنتَ أبقيت على نبيِّك ﷺ من حرب قريش شيئاً ، فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم ، فاقبضني إليك . قالت : فانفجر كلْمُه ، وكان قد برئ حتى لا يرى منه إلَّا مثل الخرص ، ورجع إلى قبَّته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ . قالت عائشة : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر . قالت : فوالذي نفس محمد بيده ، إنِّي لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] . قال علقمة : فقلت : يا أُمَّه ، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنَّه إذا وجد ، فإنَّما هو آخذ بلحيته .

وهذا الحديث إسناده جيد[٢] ، وله شواهد من وجوه كثيرة . وفيه التَّصريح بدعاء سعد مرتين ؛ مرَّة

(١) أي : في حصونهم .

(٢) عمرو بن علقمة مجهول ، لكن الحديث له شواهد كما قال المصنف رحمه الله ، دون قوله : كانت عينه لا تدمع على أحد، فهي مخالفة لما رواه البخاري (١٣٥٣) عن رسول الله ﷺ أن عينيه دمعتا عند وفاة ابنه إبراهيم .

قبل حكمه في بني قريظة ، ومرة بعد ذلك كما قلناه أولاً ، ولله الحمد والمنَّة ، وسنذكر كيفية وفاته[١] ودفنه وفضله في ذلك ، رضي الله عنه وأرضاه ، بعد فراغنا من القصة .

قال ابن إسحاق[٢] : ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث ، امرأة من بني النَّجّار . ـ قلت : هي نسيبة بنت الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذّاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز . ثم خرج إلى سوق المدينة ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، فخُرج بهم إليه أرسالاً ، وفيهم عدوُّ الله حييُّ بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستُّمئة أو سبعمئة ، والمكثِّر لهم يقول : كانوا ما بين الثمانمئة والتِّسعمئة .

قلت : وقد تقدَّم فيما رواه اللَّيث ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أنَّهم كانوا أربعمئة ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[٣] : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذْهَبُ بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً : يا كعب ، ما تُراه يُصنع بنا ؟ قال : أفي كلِّ موطن لا تعقلون ! ألا ترون الداعي لا ينزع ! وأنَّه من ذهب به منكم لا يرجع ، هو والله القتل . فلم يزل ذلك الدَّأب حتى فرغ منهم ، وأُتي بحييِّ بن أخطب وعليه حلَّة له فُقّاحيَّة ، قد شقَّها عليه من كلِّ ناحية قدر أُنملةٍ ؛ لئلاّ يُسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، فلمَّا نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنَّه من يخذل الله يخذل . ثم أقبل على الناس فقال : أيُّها الناس ، إنَّه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوَّال الثَّعلبيُّ : [من الطويل]

لعمرك ما لام ابنُ أخطب نفسه ... ولكنَّه من يخذُل الله يُخذَلِ
لجاهد حتى أبلغ النَّفس عُذرها ... وقَلْقَل يبغي العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

وقد ذكر ابن إسحاق[٤] قصة الزَّبِير بن باطا ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان قد منَّ يوم بعاث على ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وجزَّ ناصيته ، فلمَّا كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفني يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك ؟ فقال له ثابت : أُريد أن أُكافئك . فقال : إنَّ الكريم يجزي [الكريم] . فذهب ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلقه ؛ فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره ، فقال : شيخ كبير لا أهل [له] ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ فذهب إلى رسول الله ﷺ فاستطلق له امرأته وولده ، فأطلقهم له ، ثم جاءه ، فأخبره فقال : أهل [بيت] بالحجاز لا مال [لهم] ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلق مال الزَّبِير بن باطا ، فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره ، فقال له : يا ثابت ، ما فعل

---

(١) أي وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٢) .

الذي كان وجهه مرآة صينيَّة تتراءى فيها عذارى الحيّ ؟ يعني كعب بن أسد . قال : قتل . قال : فما فعل سيِّد الحاضر والبادي حُييُّ بن أخطب ؟ قال: قتل. قال : فما فعل مقدِّمتنا إذا شددنا[١] وحاميتنا إذا فررنا ؛ عزَّال بن شموأل ؟ قال : قتل . قال : فما فعل المجلسان ؟ يعني بني كعب بن قُريظة وبني عمرو بن قُريظة . قال : ذهبوا قتلوا . قال : فإنِّي أسألك يا ثابت ، بيدي عندك ، إلاَّ ألحقتني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فيلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبَّة . فقدَّمه ثابت فضربت عنقه ، فلمَّا بلغ [أبا بكر] الصدِّيق قوله : ألقى الأحبَّة . قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلَّداً .

قال ابن إسحاق : « فيلة » . بالفاء [والياء المثنَّاة من أسفل] .

وقال ابن هشام[٢] : بالقاف والباء الموحَّدة .

وقال ابن هشام : الناضح : البعير الذي يستقي الماء لسقي النَّخل .

وقال أبو عُبيدة : معناه إفراغة دلو .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل [كلِّ] من أنبت منهم ، فحدَّثني شعبة بن الحجَّاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطيَّة القرظيِّ قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كلُّ من أنبت [منهم] ، وكنت غلاماً ، فوجدوني لم أُنبت فخلَّوا سبيلي .

ورواه أهل « السنن الأربعة[٤] » ، من حديث عبد الملك بن عُمير ، عن عطية القرظيِّ نحوه .

وقد استدلَّ به من ذهب من العلماء إلى أنَّ إنبات الشَّعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ ، بل هو بلوغ في أصحِّ قولي الشافعيِّ .

ومن العلماء من يفرِّق بين صبيان أهل الذِّمَّة ، فيكون بلوغاً في حقِّهم دون غيرهم ؛ لأن المسلم قد يتأذَّى بذلك المقصد .

وقد روى ابن إسحاق[٥] ، عن أيوب بن عبد الرحمن ، أنَّ سلمى بنتَ قيس أُمَّ المنذر استطلقت من رسول الله ﷺ رفاعة بن سِمْوالَ ، وكان قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله ، إن رفاعة يزعم أنَّه سيصلِّي ويأكل لحم الجمل . فأجابها إلى ذلك فأطلقه .

---

(١) في (آ) : « شردنا » وأثبت لفظ (ط) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٤) .
(٤) هو عند أبي داود رقم (٤٤٠٤) و(٤٤٠٥) وعند الترمذي رقم (١٥٨٤) وعند النسائي في « المجتبى » رقم (٤٩٩٦) وعند ابن ماجه رقم (٢٥٤١) و(٢٥٤٢) ، وهو حديث صحيح .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لم يقتل من نسائهم إلَّا امرأة واحدة . قالت : والله إنَّها لعندي تحدَّث معي تضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ما لك ؟ قالت : أُقتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثتُه . قالت : فانطلق بها فضربت عنقها . وكانت عائشة ، تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها ؛ طِيب نفسها وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنَّها تُقتل .

وهكذا رواه الإمام أحمد[٢] ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، به .

قال ابن إسحاق[٣] : هي التي طرحت الرَّحا على خلَّاد بن سويد فقتلته . يعني فقتلها رسول الله ﷺ به[٤] . قاله ابن إسحاق في موضع آخر ، وسمَّاها نُباتة[٥] امرأة الحكم القرظيِّ .

قال ابن إسحاق[٦] : ثم إنَّ رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعدما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم ؛ سهمين للفرس ، وسهماً لراكبه ، وسهماً للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين .

قال : وكان أول فيء وقعت فيه السُّهمان وخُمِّس .

قال ابن إسحاق[٧] : وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد ، فابتاع بها خيلاً وسلاحاً ، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بني عمرو ابن قريظة ، وكان عليها حتى توفِّي عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها الإسلام فامتنعت ، ثم أسلمت بعد ذلك ، فسرَّ رسول الله ﷺ بإسلامها ، وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوَّجها ، فاختارت أن تستمرَّ على الرِّقِّ ليكون أسهل عليها ، فلم تزل عنده حتى توفي ، عليه الصلاة والسلام .

ثم تكلم ابن إسحاق[٨] على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب . وقد ذكرنا ذلك مستقصىً في تفسيرها[٩] ، ولله الحمد والمنَّة .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٢) .
(٢) في « المسند » (٦/ ٢٧٧) ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٢٦٧١) وهو حديث حسن .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٢) والكلام له لا لابن إسحاق ، ولعله له في موطن آخر ، والله أعلم .
(٤) قال الإمام الشافعي ـ فيما نقله البيهقي : « قد جاء الخبر أن رسول الله ﷺ قتل القرظية » ولم يصح خبر على أي معنى قتلها ، وقد يحتمل أن تكون أسلمت ثم ارتدت ولحقت بقومها فقتلها لذلك ، ويحتمل غيره » (السنن الكبرى ٩/ ٨٢ ، ومعرفة السنن (١٨٠١٨) .
(٥) كذا في (آ) و(ط) : « نباتة » وفي « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ص (١٧٥) : « وبَنَانَة » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٤) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٥) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٥) .
(٩) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ٣٨٤) .

وقد قال ابن إسحاق(١) : واستُشهد من المسلمين يوم بني قريظة خلاَّد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجيُّ ، طرحت عليه رحاً فشدخته شدخاً شديداً ، فزعموا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ له لأجر شهيدين » .

قلت : كان الذي ألقى عليه الرَّحا ، تلك المرأة التي لم يُقتل من بني قُريظة امرأة غيرها ، كما تقدَّم ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق(٢) : ومات أبو سنان بن محصن بن حُرثان من بني أسد بن خزيمة ، ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرتهم اليوم .

* * *

وفاة سعد بن معاذ(٣) رضي الله عنه

قد تقدَّم أن حبَّان بن العَرِقة ، لعنه الله ، رماه بسهم فأصاب أكحله ، فحسمه رسول الله ﷺ كيّاً بالنار ، فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله أن لا يميته حتى يقرَّ عينه من بني قريظة ، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهود والمواثيق والذِّمام ، ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلمَّا ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة ، وباءت(٤) بنو قريظة بسواد الوجه والصَّفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وسار إليهم رسول الله ﷺ ليحاصرهم كما تقدَّم ، فلمَّا ضيَّق عليهم وأخذهم من كل جانب ، أنابوا إلى أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما أراه الله ، فردَّ الحكم فيهم إلى رئيس الأوس ، وكانوا حلفاءهم في [الجاهليَّة] ، وهو سعد بن معاذ ، فرضوا بذلك ، ويقال : بل نزلوا ابتداءً(٥) على حكم سعد ؛ لما يرجون من حنوِّه عليهم وإحسانه وميله إليهم ، ولم يعلموا بأنَّهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير ؛ لشدَّة إيمانه وصدِّيقيَّته ، رضي الله عنه وأرضاه ، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، وكان في خيمة في المسجد النبويِّ ، فجيء به على حمار تحته إكافٌ قد وطِّئ تحته لمرضه ، ولمَّا قارب خيمة الرسول ﷺ أمر عليه السلام من هناك بالقيام له ، قيل : لينزَّل من شدَّة مرضه . وقيل : توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ؛ ليكون أبلغ في نفوذ حكمه ، والله أعلم ، فلمَّا حكم فيهم بالقتل والسَّبي ، وأقرَّ الله عينه وشفى صدره منهم ، وعاد إلى خيمته من المسجد النبويِّ صحبة رسول الله ﷺ ، دعا الله عزَّ وجلَّ ، أن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .
(٣) ترجمته ومصادرها في « سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٧٩) ، و « الإعلام بوفيات الأعلام » ص(٢٢) ، و « شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(٤) في (آ) : « وفازت » وأثبت لفظ (ط) .
(٥) في (آ) : « ابتداءة » وأثبت لفظ (ط) .

تكون له شهادة ، واختار الله له ما عنده ، فانفجر جرحه من الليل ، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[١] : فلمَّا انقضى شأن بني قُريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

حدَّثني معاذ بن رفاعة الزُّرقيُّ ، قال : حدَّثني من شئت من رجال قومي ، أنَّ جبريل أتى رسول الله ﷺ ، حين قبض سعد بن معاذ ، من جوف الليل ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميِّت الذي فتحت له أبواب السماء ، واهتزَّ له العرش[٢] ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجرُّ ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات ، رضي الله عنه . هكذا ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله .

وقد قال الحافظ البيهقيُّ في « الدلائل »[٣] : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدَّثنا أبي وشعيب بن اللَّيث ، قالا : حدَّثنا اللَّيث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن معاذ بن رِفَاعة ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات ففتحت له أبواب السماء ، وتحرَّك له العرش ؟ قال : فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ . قال : فجلس رسول الله ﷺ على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال : « سبحان الله » مرَّتين ، فسبَّح القوم . ثم قال : « الله أكبر ، الله أكبر » . فكبَّر القوم . فقال رسول الله ﷺ : « عجبت لهذا العبد الصالح ، شُدِّد عليه في قبره ، حتى كان هذا حين فُرِّج له » .

وروى الإمام أحمد والنَّسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، ويحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن : « سبحان الله لهذا العبد الصالح الذي تحرَّك له عرش الرحمن ، وفتحت له أبواب السماء ، شدِّد عليه ، ثم فرَّج الله عنه »[٤] .

وقال محمد بن إسحاق[٥] : حدَّثني معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله قال : لمَّا دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ ، سبَّح رسول الله ﷺ ، فسبَّح الناس معه ، ثم كبَّر فكبَّر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، ممَّ سبَّحت ؟ قال : « لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرَّجه الله عنه » .

وهكذا رواه الإمام أحمد[٦] ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، به .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٠) .
(٢) روى البخاري رقم (٣٨٠٣) ، ومسلم رقم (٢٤٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩) .
(٤) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٧) واللفظ له، والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٢٢٤)، وهو حديث حسن.
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥١) .
(٦) في « المسند » (٣/ ٣٦٠) ، وإسناده حسن .

قال ابن هشام(١) : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ للقبر ضمَّة ، لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ » .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد(٢) : حدَّثنا يحيى ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إن للقبر ضغطة ، ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ » . وهذا الحديث سنده على شرط « الصحيحين » إلاَّ أن الإمام أحمد رواه عن غندر ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إنسان ، عن عائشة ، به(٣) .

وقد رواه الحافظ البزَّار(٤) ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : [حدَّثنا عبد الأعلى بن حمَّاد ، حدَّثنا داود بن عبد الرحمن ، حدَّثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال :] قال رسول الله ﷺ : « لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف مَلك إلى الأرض ، لم يهبطوا قبل ذلك ، ولقد ضمَّه القبر ضمَّة » . قال : ثم بكى نافع .

وهذا إسناد جيد ، لكن قال البزَّار : رواه غيره ، عن عبيد الله ، عن نافع مرسلاً .

ثم رواه البزَّار(٥) ، عن سليمان بن سيف ، عن أبي عتَّاب ، عن مسكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ، ما وطئوا الأرض قبلها » . وقال حين دفن : « سبحان الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد » .

قال البزَّار(٦) : [حدَّثنا] إسماعيل بن حفص ، حدَّثنا محمد بن فضيل ، حدَّثنا عطاء بن السَّائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتزَّ العرش لحبِّ لقاء الله سعد بن معاذ . قال : فقال : إنَّما يعني السَّرير . ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يوسف : ١٠٠] . قال : تفسَّخت أعواده . قال : ودخل رسول الله ﷺ قبره فاحتبس ، فلمَّا خرج قيل له : يا رسول الله ، ما حبسك ؟ قال : « ضمَّ سعد في القبر ضمَّة ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٢) .
(٢) في « المسند » (٦/ ٥٥) ، وهو حديث حسن .
(٣) يشير المؤلف إلى وجود اختلاف في إسناد الحديث على شعبة ، فإن غندراً ، وهو محمد بن جعفر من أوثق الناس في شعبة ، قد أبهم الراوي عن شعبة . وأما يحيى بن سعيد القطان فرواه عن شعبة ولم يذكر الواسطة بين نافع وشعبة . ورواه سبعة من أصحاب شعبة عنه عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن امرأة ابن عمر صفية عن عائشة فسموا هذا المبهم ، ورواية السبعة هذه هي التي صوَّبها الإمام الدارقطني في كتاب « العلل » (٥/ الورقة ١٠٨) (بشار) .
(٤) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٦٩٩) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٣٠٨) وعزاه للبزار بإسنادين ، وقال : « ورجال أحدهما رجال الصحيح » .
(٥) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٦٩٨) .
(٦) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٦٩٧) .

فدعوت الله فكشف عنه » . قال البزّار : تفرّد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلّم فيه [١] .

وقد ذكر البيهقي [٢] ، رحمه الله ، بعد روايته ضمّة سعد ، رضي الله عنه ، في القبر ، أثراً غريباً فقال : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار ، حدّثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدّثني أُميّة بن عبد الله أنّه سأل بعض أهل سعد : ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا أنّ رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال : « كان يقصّر في بعض الطُّهور من البول » .

وقال البخاريُّ [٣] : حدّثنا محمد بن المثنّى ، حدّثنا الفضل بن مساور ، حدّثنا أبو عوانة عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : سمعت النبيَّ ﷺ يقول : « اهتزَّ العرش لموت سعد بن معاذ » .

وعن الأعمش [٤] ، حدّثنا أبو صالح ، عن جابر ، عن النبيِّ ﷺ مثله ، فقال رجل لجابر : فإن البراء بن عازب يقول : اهتزَّ السَّرير . فقال : إنّه كان بين هذين الحيّين ضغائن ، سمعت النبيَّ ﷺ يقول : « اهتزَّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » .

ورواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن إدريس ، وابن ماجه ، عن عليِّ بن محمد ، عن أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش ، به . وليس عندهما زيادة قول الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر [٥] .

وقال أحمد [٦] : ثنا عبد الرزاق ، [عن] ابن جريج ، أخبرني أبو الزُّبير ، أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ [يقول] وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم : « اهتزَّ لها عرش الرحمن » .

ورواه مسلم [٧] ، عن عبد بن حميد ، والتِّرمذيُّ ، عن محمود بن غيلان ، كلاهما عن عبد الرزاق ، به .

وقال الإمام أحمد [٨] : ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا عوف ، ثنا أبو نضرة ، سمعت أبا سعيد ، عن النبيِّ ﷺ : « اهتزَّ العرش لموت سعد بن معاذ » .

ورواه النسائيُّ [٩] ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى ، به .

---

(١) هكذا قال ، وعطاء بن السائب ثقة ، لكنه اختلط ، ورواية محمد بن فضيل عنه بعد الاختلاط ، فانظر تحرير تقريب التهذيب (٣/ ١٤) (بشار) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٠) .
(٣) رواه البخاري رقم (٣٨٠٣) .
(٤) القائل البخاري عطفاً على الرواية السابقة لها .
(٥) رواه مسلم رقم (٢٤٦٦) ، وابن ماجه رقم (١٥٨) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٥) .
(٧) رواه مسلم رقم (٢٤٦٦) ، والترمذي رقم (٣٨٤٨) .
(٨) في « المسند » (٣/ ٢٣) ، وهو حديث صحيح .
(٩) في « السنن الكبرى » رقم (٨٢٢٥) ، وهو حديث صحيح .

وقال أحمد[١] : ثنا عبد الوهَّاب ، عن سعيد ، قال قتادة : ثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال وجنازته موضوعة : « اهتزَّ لها عرش الرحمن » .

ورواه مسلم[٢] عن محمد بن عبد الله الرُّزِّيِّ ، عن عبد الوهَّاب ، به .

وقد روى البيهقيُّ[٣] من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن البصريِّ قال : اهتزَّ عرش الرحمن فرحاً بروحه .

وقال الحافظ البزَّار[٤] : ثنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبد الرَّزاق[٥] ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : [لما] حملت جنازة سعد قال المنافقون : ما أخفَّ جنازته . وذلك لحكمه في بني قريظة ، فسئل رسول الله ﷺ فقال : « لا ، ولكنَّ الملائكة كانت تحمله » . إسناد جيد .

وقال البخاريُّ[٦] : ثنا محمد بن بشّار ، ثنا غندر ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : أُهديت للنبيِّ ﷺ حلَّة حرير ، فجعل أصحابه يمسُّونها ، ويعجبون من لينها ، فقال : « أتعجبون من لين هذه ، لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين » .

ثم قال : رواه قتادة والزهريُّ ، سمعنا أنساً ، عن النبيِّ ﷺ .

وقال أحمد[٧] : ثنا عبد الوهَّاب ، عن سعيد ، هو ابن أبي عَرُوبَة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أنَّ أُكَيْدِر دُومة أهدى إلى رسول الله ﷺ جُبَّة ، وذلك قبل أن ينهى عن الحرير ، فلبسها ، فعجب الناس منها ، فقال : « والذي نفس محمد بيده ، لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه » . وهذا إسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرجوه ، وإنَّما ذكره البخاريُّ تعليقاً[٨] .

وقال أحمد[٩] : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن عمرو ، حدَّثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ ـ قال محمد : وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم ـ قال : دخلت على أنس بن مالك فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ . فقال : إنَّك بسعد لشبيه . ثم بكى وأكثر البكاء ،

---

(١) في « المسند » (٣/ ٢٣٤) .
(٢) رقم (٢٤٦٧) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٨) .
(٤) ورواه الترمذي أيضاً رقم (٣٨٤٩) وقال : حسن صحيح غريب ، وعبد بن حميد (١١٩٥) ، وابن حبان (٧٠٣٢) ، والطبراني في الكبير (٥٣٤٢) .
(٥) هو في مصنفه (٢٠٤١٤) .
(٦) رواه البخاري رقم (٣٨٠٢) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٣٤) .
(٨) في « صحيحه » رقم (٢٦١٦) .
(٩) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٢١) .

وقال : رحمة الله على سعد ، كان من أعظم الناس وأطولهم . ثم قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أُكَيْدِر دُومة ، فأرسل إلى رسول الله ﷺ بجُبَّة من ديباج ، منسوج فيها الذهب ، فلبسها رسول الله ﷺ ، فقام على المنبر ، أو جلس ، فلم يتكلّم ، ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجُبَّة ، وينظرون إليها ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون منها ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة أحسن ممّا ترون » .

وهكذا [رواه] الترمذيُّ والنَّسائيُّ(١) ، من حديث [محمد بن] عمرو به ، وقال الترمذيُّ : حسن صحيح .

قال ابن إسحاق(٢) ، بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ : وفي ذلك يقول رجل من الأنصار : [من الطويل]

وما اهتزَّ عرش الله من موت هالك … سمعنا به إلاَّ لسعدٍ أبي عمرو

قال : وقالت أمُّه ـ يعني كُبيشةَ بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدريَّة الخزرجيَّة ـ حين احتمل سعد على نعشه تندبه : [من مجزوء الرجز]

ويل امِّ سعد سعدا … صرامة وحدّا
وسُؤدداً ومجدا … وفارساً معدا
سدَّ به مسدا … [يقدُّ هاماً قدّا]

قال : يقول رسول الله ﷺ : « كلُّ نائحة تكذب إلاَّ نائحة سعد بن معاذ » .

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، وكان قدوم الأحزاب(٣) في شوَّال سنة خمس كما تقدَّم ، فأقاموا قريباً من شهر ، ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بني قُريظة فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد ، فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجَّة من سنة خمس ، والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق(٤) : إنَّ فتح بني قريظة كان في ذي القعدة وصدر ذي الحجَّة . قال : وولي تلك الحجَّة المشركون .

قال ابن إسحاق(٥) : وقال حسَّان بن ثابت(٦) يرثي سعد بن معاذ ، رضي الله عنه : [من الطويل]

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٧٢٣) ، و« النسائي » رقم (٥٣١٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٢) .
(٣) في (ط) : « إذا كان قدوم الأحزاب » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٩) .
(٦) انظر « ديوانه » (١/ ٤١٥) .

لقد سَجَمَتْ[١] من دمع عينيَ عبرةٌ وحُقَّ لعيني أن تفيضَ على سعدِ
قتيلٌ ثوى في معرك فجعتْ بهِ عيون ذواري الدمع دائمة الوَجدِ
على مِلَّة الرحمن وارث جَنَّةٍ مع الشُّهداء وَفْدُهَا أَكْرَمُ الوفدِ
فإن تك قد ودَّعتَنا وتركتنا[٢] وأمسيتَ في غبراءَ مظلمةِ اللَّحدِ
فأنت الذي يا سعد أُبت بمشهد كريم وأثواب المكارم والحمدِ
بحكمك في حيَّي قُريظة بالذي قضى الله فيهم ماقضيتَ على عمدِ
فوافق حكمَ الله حكمُكَ فيهمُ ولم تعفُ إذ ذكِّرت ما كان من عهدِ
فإن كان ريب الدَّهر أمضاك في الألى[٣] شَروا هذه الدنيا بجنَّاتها[٤] الخُلْدِ
فنعمَ مَصِيرُ الصَّادقين إذا دُعُوا إلى الله يوماً للوجاهةِ والقَصْدِ

***

فصل
فيما قيل من الأشعار في الخندق وبني قُرَيْظَةَ

قال البخاريُّ[٥] : ثنا حجَّاج بن منهال ، ثنا شعبة ، ثنا عديُّ بن ثابت ، أنه سمع البَرَاء بن عازب قال : قال النبيُّ ﷺ لحسَّان : « اهجهم ـ أو هاجهم ـ وجبريل معك » .

قال البخاريُّ[٦] : وزاد إبراهيم بن طَهْمَان ، عن الشَّيبانيِّ ، عن عديِّ بن ثابت ، عن البَرَاء بن عازب قال : قال النبيُّ ﷺ يوم قُريظة لحسَّان بن ثابت : « اهج المشركين ، فإنَّ جبريل معك » .

وقد رواه البخاريُّ أيضاً ، ومسلم والنَّسائيُّ[٧] ، من طرق ، عن شعبة ، بدون الزيادة التي ذكرها البخاريُّ يوم بني قُريظة .

قال ابن إسحاق[٨] ، رحمه الله : وقال ضرار بن الخَطَّاب بن مرداس ، أخو بني مُحَارب بن فهر في يوم الخندق ـ قلت : وذلك قبل إسلامه ـ : [من الوافر]

---

(١) « الديوان » : « سفحت » .
(٢) « الديوان » : « عن مودة » .
(٣) « الديوان » : « في الأولى » .
(٤) في « الديوان » : « بجناته » .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٢٣) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٢٤) .
(٧) رواه البخاري رقم (٦١٥٣) ، ومسلم رقم (٢٤٨٦) ، و« النسائي » رقم (٦٠٢٤) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .

ومشفقــةٍ تظــنُّ بنــا الظُّنــونــا وقــد قُــدنــا عَــرنــدسـةً طَحُــونَــا
كــأنَّ زُهــاءهــا أُحُــدٌ إذا مــا بــدت أركــانُــه للنــاظــرينَــا
تــرى الأبــدان فيهــا مُسبغــات علــى الأبطــال واليَلَــبَ الحصينَــا
وجُــرداً[1] كــالقــداح مســوَّمــات نــؤمُّ بهــا الغُــواة الخــاطئينَــا
كــأنَّهــمُ إذا صــالــوا وصلنــا ببــاب الخنــدقيــن مصــافحــونَــا
أُنــاس لا نــرى فيهــم رشيــداً وقــد قــالــوا ألسنــا راشــدينَــا
فــأحجــرنــاهــمُ شهــراً كــريتــاً[2] وكنَّــا فــوقهــم كــالقــاهــرينَــا
نــراوحهــم ونغــدو كــلَّ يــوم عليهــم فــي السِّــلاح مــدجَّجينَــا
بــأيــدينــا صــوارم مُــرهفــات نقــدُّ بهــا المفــارق والشُّــؤونَــا
كــأنَّ وميضهــنَّ معــرَّيــاتٍ إذا لاحــت بــأيــدي مصلِتينَــا
وميــض عقيقــة لَمعــت بليــلٍ تــرى فيهــا العقــائــق مستبينَــا
فلــولا خنــدقٌ كــانــوا لــديــه لــدمَّــرنــا عليهــم أجمعينَــا
ولكــن حــال دونهــمُ وكــانــوا بــه مــن خــوفنــا متعــوِّذينا
فــإن نــرحــل فــإنَّــا قــد تــركنــا لــدى أبيــاتكــم سعــداً رهينــا
إذا جــنَّ الظّــلام سمعــت نَــوْحَــى علــى سعــد يــرجِّعــن الحنينــا
وســوف نــزوركــم عمَّــا قــريــبٍ كمــا زرنــاكــم متــوازرينَــا
بجمــع مــن كنــانــة غيــر عُــزْلٍ كــأُســد الغــاب إذ حَمَــتِ العــرينَــا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة ، رضي الله عنه[3] ، فقال : [من الوافر]

وســائلــةٍ تُســائــل مــا لقينــا ولــو شهــدت رأتنــا صــابــرينَــا
صبــرنــا لا نــرى لله عِــدلاً علــى مــا نــابنــا متــوكِّلينَــا
وكــان لنــا النَّبــيُّ وزيــرَ صــدقٍ بــه نعلــو البــريَّــة أجمعينَــا
نقــاتــل معشــراً ظلمــوا وعقُّــوا وكــانــوا بــالعــداوة مُــرصــدينَــا
نعــاجلهــم إذا نهضــوا إلينــا بضــرب يُعْجِــلُ المُتَســرِّعينَــا
تــرانــا فــي فضــافــضَ ســابغــات كغــدران المَــلاَ متســربلينَــا
وفــي أيمــاننــا بيــض خِفَــافٌ بهــا نشفــي مــراح الشــاغبينَــا
ببــاب الخنــدقيــن كــأنَّ أُســداً شــوابكهــنَّ يحميــن العــرينَــا

---

(١) في (آ) : « وخوداً » وأثبت لفظ (ط) ، و« السيرة النبوية » لابن هشام ، والجرد : الخيل العتاق .
(٢) الكريت : التام الكامل .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص (٢١٥) .

فــوارسنــا إذا بكــروا وراحــوا ... علــى الأعــداء شــوســاً معلِمينَــا
لننصـــر أحمـــداً والله حتـــى ... نكــون عبــاد صــدق مخلصينَــا
ويعلــم أهــل مكَّــة حيــن ســاروا ... وأحــزابٌ أتــوا متحــزِّبينَــا
بــأنَّ الله ليــس لــه شــريــك ... وأنَّ الله مــولــى المــؤمنينَــا
فــإمــا تقتلــوا سعــداً سَفــاهــاً ... فــإنّ الله خيــر القــادرينَــا
سيــدخلــه جنــانــاً طيِّبــات ... تكــون مُقــامــة للصَّــالحينَــا
كمــا قــد ردَّكــم فــلاًّ شــريــداً ... بغيظكــمُ خــزايــا خــائبينَــا
خــزايــا لــم تنــالــوا ثَــمَّ خيــراً ... وكــدتــم أن تكــونــوا دامــرينَــا
بــريــح عــاصــف هبَّــت عليكــم ... فكنتــم تحتهــا متكمِّهينَــا

قال ابن إسحاق[١] : وقال عبد الله بن الزِّبعرى السَّهميُّ[٢] في يوم الخندق ـ قلت : وذلك قبل أن يُسْلِم ـ : [من الكامل]

حيِّ الـدِّيـار محَـا معـارف رسمهـا ... طــولُ البلــى وتــراوح الأحقــابِ
فكـأنمـا كتـب اليهـودُ رسـومهـا ... إلا الكنيــف ومعقــد الأطنــابِ
قفـراً كـأنَّـك لـم تكـن تلهـو بهـا ... فــي نعمــة بــأوانــس أتــرابِ
فـاترك تـذكُّـر مـا مضـى مـن عيشة ... ومحلَّــة خلَــق المقــام يبــابِ
واذكـر بـلاء معـاشـر واشكـرهـمُ ... ســاروا بــأجمعــه مــن الأنصــابِ
أنصـابِ مَكَّـة عـامـديـن ليثـربٍ ... في ذي غياطل جحفل جبجابِ[٣]
يـدَع الحُـزون[٤] منـاهجـاً معلـومـة ... فــي كــلِّ نشــز ظــاهــر وشعــابِ
فيهـا الجيـاد شـوازب مجنـوبـة[٥] ... قــبُّ البطــون لــواحــق الأقــرابِ
مـن كـلِّ سَلهبـة[٦] وأجـرد سلهـب ... كــالسِّيــد بــادر غفلــة الــرُّقَّــابِ
جيــشٌ عيينــةُ قــاصــد بِلــوائــه ... فيــه وصخــر قــائــد الأحــزابِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٧) .
(٢) الأبيات في « شعر عبد الله بن الزِّبعرى » ص(٢٩) جمع وتقديم الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري ، مع بعض الخلاف اليسير .
(٣) « الجبجاب » : الكثير .
(٤) « الحزون » : جمع حزن ، وهو ما ارتفع من الأرض ، « والمناهج » :جمع منهج ، وهو الطريق الواضح « والنشز » : المرتفع من الأرض .
(٥) أي مقودة ، والشوازب والقب واللواحق كلها بمعنى ضامرات ، والأقراب جمع قرب ، وهو الحاصرة .
(٦) « السلهبة » : الطويل ، « والسيِّد » : الذئب .

قرمان[١] كالبدرين أصبح فيهما غيث الفقير ومعقل الهرَّابِ
حتَّى إذا وردوا المدينة وارتدوا للموت كلَّ مجرَّب قضَّابِ
شهراً وعشراً قاهرين محمداً وصحابه في الحرب خير صحابِ
نادوا برحلتهم صبيحة قلتمُ كدنا نكون بها مع الخيَّابِ
لولا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى لطيرٍ سُغَّبٍ وذئابِ

قال : فأجابه حسان بن ثابت[٢] ، رضي الله عنه ، فقال : [من الكامل]

هل رسمُ دارسةِ المقام يباب متكلِّم لمحاور بجوابِ
قفرٌ عفا رِهَم السَّحاب رُسومه وهبوب كلِّ مُطلَّة مربابِ[٣]
ولقد رأيت بها الحلول يزينُهُمْ بيض الوجوه ثواقب الأحسابِ
فدع الدِّيار وذكر كلِّ خريدة بيضاء آنسة الحديث كَعابِ
واشك الهموم إلى الإله وما ترى من معشر ظلموا الرسول غضابِ
ساروا بجمعهمُ إليه وألَّبوا أهل القرى وبوادي الأعرابِ
جيشٌ عيينة وابن حرب فيهمُ متخمِّطون[٤] بحلبة الأحزابِ
حتى إذا وردوا المدينة وارتجَوا قتل الرسول ومغنم الأسلابِ
وغدوا علينا قادرين بأيدهم[٥] رُدُّوا بغيظهمُ على الأعقابِ
بهبوب معصفة تفرِّق جمعهم وجنود ربِّك سيد الأربابِ
فكفى الإله المؤمنين قتالهم وأثابهم في الأجر خير ثوابِ
من بعد ما قنطوا ففرَّق جمعهم تنزيل نصر مليكنا الوهَّابِ
وأقرَّ عين محمد وصحابه وأذلَّ كلَّ مكذِّب مرتابِ
عاتي الفؤاد موقَّع[٦] ذي ريبة في الكفر ليس بطاهر الأثوابِ
علِق الشقاءُ بقلبه ففؤاده في الكفر آخر هذه الأحقابِ

قال : وأجابه كعب بن مالك[٧] ، رضي الله عنه ، أيضاً فقال : [من الكامل]

أبقى لنا حدَث الحروب بقيَّة من خير نِحلة ربِّنا الوهَّابِ

---

(١) القرم : السيد .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٨٠) .
(٣) الدائمة الثابتة ، والرِّهم : جمع رِهمة ، وهو المطر .
(٤) أي مختلطون .
(٥) الأيد : القوة .
(٦) أي : ذو عيب .
(٧) الأبيات في « ديوانه » ص (١٥١) .

بيضاء مشرفة الذُّرى ومعاطناً حمَّ الجذوع غزيرة الأحلابِ
كاللُّوب يُبْذَلُ جمُّها وحفيلها للجار وابن العمِّ والمنتابِ
ونزائعاً[1] مثل السِّراح نمى بها علف الشَّعير وجزَّة المقضابِ
عري الشَّوى منها وأردف نحضها جرد المتون وسائر الآرابِ
قوداً تراحُ إلى الصِّياح إذا غدت فعل الضِّراء تراح للكَلَّابِ[2]
وتحوط سائمة الديار وتارة تُردي العدا وتؤوب بالأسلابِ
حوشَ الوحوش مُطارة عند الوغى عبس اللِّقاء مبينة الإنجابِ
علفت على دعة فصارت بُدَّناً دُخس[3] البضيع خفيفة الأقصابِ
يغدون بالزَّغف المضاعف شكُّه وبمترصاتٍ في الثِّقاف صيابِ
وصوارمٍ نزع الصَّياقل علْبها[4] وبكلِّ أروع ماجد الأنسابِ
يصل اليمين بمارن متقارب وُكلت وقيعته إلى خبَّابِ
وأغرَّ أزرق في القناة كأنَّه في طُخية[5] الظَّلماء ضوءُ شهابِ
وكتيبة ينفي القِرانَ قتيرُها وتردُّ حدَّ قواحز[6] النُّشَّابِ
جأوى[7] ململمة كأنَّ رماحها في كلِّ مجمعة ضريمة غابِ
تأوي إلى ظلِّ اللِّواء كأنَّه في صعدة الخطِّيِّ فيء عقابِ
أعيت أبا كرب وأعيت تبَّعاً وأبت بسالتها على الأعرابِ
ومواعظ من ربِّنا نُهدى بها بلسان أزهر طيِّب الأثوابِ
عرضت علينا فاشتهينا ذكرها من بعد ما عرضت على الأحزابِ
حِكماً يراها المجرمون بزعمهم حرجاً ويفهمها ذوو الألبابِ
جاءت سخينة كي تغالب ربَّها فليغلبنَّ مغالب الغلَّابِ

قال ابن هشام[8] : حدَّثني من أثق به ، حدَّثني عبد الملك بن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله ﷺ قال له لمَّا سمع منه هذا البيت : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

---

(١) النزائع : الخيل العربية التي نزعت من الأعداء . والسِّراح ، جمع سرحان ، وهو الذئب .
(٢) الكلاب : الصائد صاحب الكلاب .
(٣) كثيرة اللحم .
(٤) أي : صلابتها .
(٥) الطخية : شدة السواد .
(٦) قواحز النشاب : أي السهام المرتفعة .
(٧) الجأواء : التي يخالط سوادها حمرة .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦١) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك » ص(١٩٤ ـ ١٩٧) .

قلت : ومراده بسخينة : قريش ، وإنما كانت العرب تسمِّيهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السُّخن ، الذي لا يتهيَّأ لغيرهم غالباً من أهل البوادي ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[١] : وقال كعب بن مالك أيضاً : [من الكامل]

من سرَّه ضرب يمعمع[٢] بعضه ... بعضاً كمعمعة الأَباء[٣] المحرَقِ
فليأت مأسدة تسنُّ سيوفها ... بين المذاد وبين جزع الخندقِ
دربوا بضرب المعلِمين وأسلموا ... مهجات أنفسهم لربِّ المشرقِ
في عصبة نصر الإله نبيَّه ... بهمُ وكان بعبده ذا مرفقِ
في كلِّ سابغة يحطُّ فضولها ... كالنِّهي[٤] هبَّت ريحه المترقرقِ
بيضاءَ محكمة كأنَّ قتيرها ... حدق الجنادب[٥] ذات شكٍّ موثقِ
جدلاء يحفزها نجاد مهنَّد ... صافي الحديدة صارم ذي رونقِ
تلكم مع التَّقوى تكون لباسنا ... يوم الهياج وكلَّ ساعة مصدقِ
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... قدماً ونُلحقها إذا لم تلحقِ
فترى الجماجم ضاحياً هاماتها ... بَلْهَ الأكفَّ كأنها لم تُخلقِ
نلقى العدوَّ بفخمة ململمة ... تنفي الجموع كقصد رأس المُشرقِ
ونعدُّ للأعداء كلَّ مقلَّص ... وَرْدٍ ومحجول القوائم أبلقِ
تردي بفرسان كأنَّ كماتهم ... عند الهياج أسود طلٍّ مُلْثِقِ
صدق يعاطون الكماة حتوفهم ... تحت العماية بالوشيج المزهقِ
أمر الإله بربطها لعدوِّه ... في الحرب إن الله خير موفِّقِ
لتكون غيظاً للعدوِّ وحُيَّطاً ... للدار إن دلفت خيول النزَّقِ
ويعيننا الله العزيز بقوة ... منه وصدق الصبر ساعة نلتقي
ونطيع أمر نبيِّنا ونجيبه ... وإذا دعا لكريهة لم نُسبقِ
ومتى ينادِ إلى الشدائد نأتها ... ومتى نر الحومات فيها نعنقِ
من يتَّبع قول النبيِّ فإنه ... فينا مطاع الأمر حقُّ مصدَّقِ
فبذاك ينصرنا ويظهر عزَّنا ... ويصيبنا من نيل ذاك بمرفقِ
إن الذين يكذِّبون محمداً ... كفروا وضلُّوا عن سبيل المتَّقي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦١) .
(٢) المعمعة : صوت التهاب النار وحريقها .
(٣) الأباء واحدتها أباءة وهي القصبة .
(٤) النهي : الغدير من الماء .
(٥) الجنادب : الجراد .

قال ابن إسحاق(١) : وقال كعب بن مالك(٢) أيضاً : [من الطويل]

لقد علم الأحزاب حين تألَّبوا ... علينا وراموا ديننا ما نُوادعُ
أضاميم من قيس بن عيلان أَصْفَقَتْ ... وخندف لم يدروا بما هو واقعُ
يذودوننا عن ديننا ونذودهم ... عن الكفر والرحمن راءٍ وسامعُ
إذا غايظونا في مقام أعاننا ... على غيظهم نصر من الله واسعُ
وذلك حفظ الله فينا وفضله ... علينا ومن لم يحفظ الله ضائعُ
هدانا لدين الحقِّ واختاره لنا ... ولله فوق الصانعين صنائعُ

قال ابن هشام(٣) : وهذه الأبيات في قصيدة له . يعني طويلة .

قال ابن إسحاق(٤) : وقال حَسَّان بن ثابت(٥) في مقتل بني قُريظة : [من الوافر]

لقد لقيت قريظة ما سآها ... وما وجدت لذلٍّ من نصيرِ
أصابهمُ بلاء كان فيه ... سوى ما قد أصاب بني النَّضيرِ
غداة أتاهمُ يهوي إليهم ... رسول الله كالقمر المنيرِ
له خيل مجنَّبة تعادى ... بفرسان عليها كالصقورِ
تركناهم وما ظفروا بشيء ... دماؤهمُ عليها كالعبيرِ
فهم صرعى تحوم الطير فيهم ... كذاك يُدان ذو العند الفجورِ
فأنذر مثلها نصحاً قريشاً ... من الرحمن إن قبلت نذيري

قال : وقال حسَّان بن ثابت(٦) أيضاً في بني قريظة : [من الوافر]

تفاقد معشر نصروا قريشاً ... وليس لهم ببلدتهم نصيرُ
همُ أوتوا الكتاب فضيَّعوه ... وهم عمي من التوراة بورُ
كفرتم بالقُرانِ وقد أتيتم ... بتصديق الذي قال النذيرُ
فهان على سراة بني لؤيّ ... حريق بالبويرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال : [من الوافر]

أدام الله ذلك من صنيعٍ ... وحرَّق في طوائفها السعيرُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٣) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص (١٨٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧١) .
(٥) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٢٨) .
(٦) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢١٠) .

ستعلـــم أيُّنـا منهـا بنُــزه ... وتعلـــم أيَّ أَرْضَينـا تضيـــرُ
فلـو كـان النَّخيـل بهـا ركـابـاً ... لقـالـوا لا مقـام لكـم فسيـروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدَّم في « صحيح البخاريِّ » بعض هذه الأبيات .

وذكر ابن إسحاق[1] جواب حسَّان في ذلك لجبل بن جوَّال الثعلبيِّ ، تركناه قصداً .

قال ابن إسحاق[2] : وقال حَسَّان بن ثابت[3] أيضاً يبكي سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بني قُريظة :

[من الطويل]

ألا يا لقومي هل لما حمَّ دافع ... وهل ما مضى من صالح العيش راجعُ
تذكَّرت عصراً قد مضى فتهافتت ... بنات الحشا وانهلَّ مني المدامعُ
صبابة وجد ذكَّرتنيَ إخوةً ... وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت ... منازلهم فالأرض منهم بلاقعُ
وفَوا يوم بدر للرسول وفوقهم ... ظلال المنايا والسيوف اللَّوامعُ
دعا فأجابوهُ بحقٍّ وكلُّهم ... مطيع له في كلِّ أمر وسامعُ
فما نكلوا حتى توالَوا جماعة ... ولا يقطع الآجال إلاّ المصارعُ
لأنهمُ يرجون منه شفاعة ... إذا لم يكن إلا النبيون شافعُ
فذلك يا خير العباد بلاؤنا ... إجابتنا لله والموتُ ناقعُ
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا ... لأولنا في ملة الله تابعُ
ونعلم أن الملك لله وحده ... وأن قضاء الله لا بد واقعُ

* * *

مقتل أبي رَافِعٍ سَلّام بن أبي الحُقَيق اليهودي
لعنه الله

وكان في قصر له في أرض خيبر ، وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز[4]

قال ابن إسحاق[5] : ولما انقضى شأن الخندق وأمرُ بني قريظة ، وكان سلاَّم بن أبي الحُقَيق ـ وهو

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٠) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٦٧) مع بعض الخلاف .
(٤) مكان هذه الفقرة كاملة في (ط) : « مقتل أبي رافع اليهودي » فقط .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٣) .

أبو رافع ـ فيمن حزَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف ، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلاَّم بن أبي الحُقيق وهو بخيبر ، فأذن لهم .

قال ابن إسحاق[١] : فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله [بن كعب] بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار ؛ [الأوس] والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول [الفحلين] ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام . فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك . قال : ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . قال : فتذاكروا مَن رجل لرسول الله ﷺ في العداوة [كابن الأشرف] ، فذكروا ابن أبي الحُقيق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر ، عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أُنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعيّ ، وخزاعيُّ بن أسود ، حليف لهم من أسلم ، فخرجوا ، وأمَّر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا ، حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا دار ابن أبي الحُقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلاَّ أغلقوه على أهله . قال : وكان في علِّيَّة ، له إليها عجلة . قال : فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أُناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . قال : فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة ؛ تخوُّفاً أن يكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، فنوَّهت بنا ، فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلُّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قُبطيَّة ملقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكفُّ يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أُنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطني قطني . أي حسبي حسبي . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيِّئ البصر . قال : فوقع من الدَّرجة ، فوثئت يده وثئاً شديداً ، وحملناه حتى نأتيَ به منهراً من عيونهم فندخل فيه ، فأوقدوا النيران ، واشتدُّوا في كلِّ وجه يطلبوننا ، حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدوَّ الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس ، قال : فوجدتها ـ يعني امرأته ـ ورجال يهود حوله ، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدِّثهم وتقول : أما سمعت صوت ابن عتيك ثم أَكْذَبْتُ [نفسي] وقلت : أنَّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أكبَّت عليه تنظر في وجهه ، فقالت : فاظ وإله يهود . فما سمعت كلمة كانت ألذَّ على نفسي منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا الخبر ، فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ ، فأخبرناه بقتل عدوِّ الله ، واختلفنا عنده في قتله ، كلُّنا يدَّعيه . قال :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٣) .

فقال : « هاتوا أسيافكم » . فجئنا بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أُنيس : « هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام » . قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت[1] في ذلك : [من الكامل]

لله درُّ عِصـــابـــة لاقيتُهُـــمْ ... يابن الحُقَيق وأنت يا بن الأشرف
يَسْرُون بـالبيـض الخِفـاف إليكـمُ ... مُـرحـاً كـأُسـد فـي عـريـن مُغـرف
حتـى أتَـوكـم فـي محـلِّ بـلادكـم ... فسقَـوكُـم حتفـاً ببيـضٍ ذُفَّـف
مستبصـريـن لنصـر ديـن [نبيِّهـم] ... مستصغـريـن لكـلِّ أمـر مُجحـف

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله .

وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاريُّ[2] : ثنا إسحاق بن نصر ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : بعث النبيُّ ﷺ رهطاً إلى أبي رافع ، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله .

ثم قال البخاريُّ[3] : ثنا يوسف بن موسى ، ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهوديِّ رجالاً من الأنصار ، وأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ، ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلمَّا دنوا منه ، وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرحهم ، قال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم ، فإني منطلق ومتلطِّف للبوَّاب ؛ لعلِّي أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنَّع بثوبه كأنه يقضي حاجته ، وقد دخل الناس ، فهتف به البوَّاب : يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمنت ، فلمَّا دخل الناس أغلق الباب ، ثم علَّق الأغاليق على وَدٍّ . قال : فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يُسمَر عنده ، وكان في علاليَّ له ، فلمَّا ذهب عنه أهل سمره ، صَعِدت إليه ، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ من داخل ، فقلت : إنِ القوم نذِروا بي لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله . فانتهيت إليه ، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ، لا أدري أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيت شيئاً ، وصاح فخرجت من البيت ، فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأُمِّك الويل ، إنَّ رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف . قال : فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه ، حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أني قتلته ، فجعلت أفتح

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (٢/٢١١) ، وانظر « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر (٢/١٨٠) بتحقيقي بالاشتراك مع الأساتذة : د . حسام الدين فرفور ، رياض عبد الحميد مراد ، د . نزار أباظة ، بإشراف أستاذنا العلاَّمة الدكتور شاكر الفحَّام ، طبع دار الفكر بدمشق .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٣٨) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٣٩) .

الأبواب باباً باباً ، حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي ، وأنا أُرى أني قد انتهيت إلى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب ، فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته . فلمَّا صاح الديك ، قام الناعي على السُّور فقال : أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز . فانطلقت إلى أصحابي ، فقلت : النَّجاء ، فقد قتل الله أبا رافع . فانتهيت إلى النبيِّ ﷺ فحدَّثته ، فقال لي : « ابسط رِجلك » . فبسطت رجلي فمسحها ، فكأنما لم أشتكها قطُّ .

ثم قال البخاريُّ[1] : ثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأوديُّ ، ثنا شريح ، ثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم ، فانطلقوا حتى دنَوا من الحصن ، فقال لهم عبد الله بن عتيك : امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر. قال: فتلطَّفت حتى أدخل الحصن، ففقدوا حماراً لهم، فخرجوا بقبس يطلبونه . قال : فخشيت أن أُعرف . قال : فغطَّيت رأسي ، وجلست كأني أقضي حاجة ، فقال البواب : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أُغلقه . فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن ، فتعشَّوا عند أبي رافع ، وتحدَّثوا حتى ذهبت ساعة من الليل ، ثم رجعوا إلى بيوتهم ، فلمَّا هدأت الأصوات ولا أسمع حركة ، خرجت . قال : ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوَّة ، فأخذتُه ففتحت به باب الحصن . قال : قلت : إن نذِر بي القوم انطلقت على مَهَل ، ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلَّقتها عليهم من ظاهر ، ثم صعِدت إلى أبي رافع في سلَّم ، فإذا البيت مظلم ، قد طفئ سراجه ، فلم أدر أين الرجل ؟ فقلت : أبا رافع . قال : من هذا؟ قال: فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح ، فلم تغن شيئاً . قال : ثم جئت كأني أُغيثه ، فقلت: ما لك أبا رافع ؟ وغيَّرت صوتي . قال : ألا أُعجبك ، لأُمِّك الويل ، دخل عليَّ رجل فضربني بالسيف . قال : فعمدت إليه أيضاً فأضربه أخرى فلم تغن شيئاً ، فصاح وقام أهله ، ثم جئت وغيَّرت صوتي كهيئة المغيث ، فإذا هو مستلق على ظهره ، فأضع السيف في بطنه ثم أنكفئ عليه ، حتى سمعت صوت العظم ، ثم خرجت دهشاً ، حتى أتيت السُّلَّم أريد أن أنزل ، فأسقط منه فانخلعت رِجلي ، فعصبتها ثم أتيت أصحابي أحجل ، فقلت : انطلقوا فبشِّروا رسول الله ﷺ ، فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية ، فلمَّا كان في وجه الصبح صعِد الناعية فقال : أنعى أبا رافع . قال : فقمت أمشي ما بي قلَبة ، فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشَّرته . تفرد به البخاريّ بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة .

قلت : يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة ، انفكَّت قدمه ، وانكسرت ساقه ، ووثئت رِجله ويده ، فلمَّا عصبها استكنَّ ما به ؛ لما هو فيه من الأمر الباهر ، ولما أراد المشي أعين على ذلك ؛ لما هو فيه من الجهاد النافع ، ثم لما وصل إلى رسول الله ﷺ واستقرَّت نفسه ، ثاوره الوجع في

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٤٠) .

رجله ، فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ ، ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ، ولم يبق بها وجع يتوقَّع حصوله في المستقبل ، جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدَّمت ، والله أعلم .

هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »(١) مثل سياق محمد بن إسحاق ، وسمَّى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق ، وإبراهيم ، وأبو عُبيد .

ثم قال : قال الزُّهريُّ : قال ابن كعب(٢) : فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر ، فقال : « أفلحت الوجوه » قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله ، قال : « أفتكتموه ؟ » قالوا : نعم ، قال : « ناولني السّيف » فسلَّه فقال : « أجل هذا طعامه في ذُباب السيف » .

***

مقتل خالد بن سُفْيَان بن نُبَيح الهُذَلي(٣)

ذكره الحافظ البيهقيُّ في « الدلائل »(٤) تِلو مقتل أبي رافع .

قال الإمام أحمد(٥) : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن ابن عبد الله بن أُنيس ، عن أبيه قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال : « إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبيح الهُذَليَّ يجمع لي الناس ليغزوني ، وهو بعُرَنَةَ(٦) ، فأْته فاقتله » . قال : قلت : يا رسول الله ، انعته لي حتى أعرفه . قال : « إذا رأيته وجدت له قُشعريرة » . قال : فخرجت متوشِّحاً سيفي حتى وقعت عليه ، وهو بعُرَنَةَ مع ظُعُنٍ يرتاد لهنّ منزلاً ، حين(٧) كان وقت العصر ، فلمَّا رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القُشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة ، فصلَّيت وأنا أمشي نحوه ؛ أومئ برأسي للركوع والسجود ، فلمَّا انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إنّا في ذلك . قال : فمشَيت معه شيئاً ، حتى إذ أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُكبَّات عليه ، فلمَّا قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال : « أفلح الوجه » . قال : قلت : قتلته يا رسول الله .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨) .

(٢) في (آ) و(ط) : « أُبي بن كعب » .

(٣) انظر « زاد المعاد » لابن القيم (٣/ ٢١٨) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٤٠) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٩٦) ، وفي إسناده ضعف .

(٦) قال ياقوت : عُرَنَةُ : بوزن هُمزة وضُحكة وهو الذي يضحك من الناس فيكون في القياس الكثير . . . واد بحذاء عرفات ، . . . وقيل مسجد عرفة والمسيل كله . عن « معجم البلدان » (٤/ ١١١) .

(٧) في (آ) و(ط) : « وحين » والتصحيح من « دلائل النبوة » للبيهقي مصدر المؤلف .

قال : « صدقت » . قال : ثم قام معي رسول الله ﷺ ، فدخل في بيته فأعطاني عصاً فقال : « أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس » . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ماهذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرني أن أمسكها . قالوا : أو لا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال : « آية بيني وبينك يوم القيامة ، إنَّ أقلَّ الناس المتخصِّرون يومئذ » . قال : فقرنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه ، حتى إذا مات أُمر بها فضمَّت في كفنه ، ثم دفنا جميعاً .

ثم رواه الإمام أحمد[١] ، عن يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر [بن الزُّبير] ، عن بعض ولد عبد الله بن أُنيس ـ أو قال : عن عبد الله بن عبد الله بن أُنيس ـ عن عبد الله بن أُنيس ، فذكر نحوه .

وهكذا رواه أبو داود[٢] ، عن أبي معمر ، عن عبد الوارث ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن ابن عبد الله بن أُنيس ، عن أبيه ، فذكر نحوه .

ورواه الحافظ البيهقيُّ[٣] ، من طريق محمد بن سلمة[٤] ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه فذكره .

وقد ذكر نحوه عُروة بن الزبير ، وموسى بن عقبة في « مغازيهما » مرسلة ، فالله أعلم .

قال ابن هشام[٥] : وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سُفيان : [من الطويل]

تَرَكْتُ ابن ثَورٍ كالحُوار وحولَهُ ... نوائحُ تَفْري كلَّ جَيب مقدَّدِ
تناولتُه والظُّعن خلفي وخلفَه ... بأبيض من ماء الحديد مُهَنَّدِ
عَجُوم لهام الدَّارعين كأنه ... شهاب غضىً من مُلهب متوقِّدِ
أقولُ له والسَّيفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ ... أنا ابنُ أُنيسٍ فارساً غير قُعدُدِ
أنا ابنُ الذي لم يُنْزِلِ الدَّهْرَ قِدْرَهُ ... رحيبُ فناءِ الدَّارِ غيرُ مزنَّد
وقلت له خُذْهَا بضربة ماجدٍ ... حنيفٍ على دين النبيِّ محمدِ
وكنتُ إذا هَمَّ النَّبيُّ بكَافِرٍ ... سَبَقْتُ إليه باللِّسان وباليدِ

قلت : عبد الله بن أُنيس بن أسعد بن حرام ، أبو يحيى الجُهَنيُّ ، صحابيٌّ مشهور كبير القدر ، كان

---

(١) في « المسند » (٣/٤٩٦) ، وفي إسناده ضعف .
(٢) في « سننه » رقم (١٢٤٩) ، وفي إسناده ضعف .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/٤٢) .
(٤) في (آ) : « من طريق محمد بن مسلمة » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٦٢٠) .

فيمن شهد العقبة ، وشهد أُحداً والخندق وما بعد ذلك ، وتأخَّر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور ، وقيل : توفِّي سنة أربع وخمسين[١] ، والله أعلم .

وقد فرَّق عليُّ بن المدينيِّ ، وخليفة بن خيَّاط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاريِّ[٢] ، الذي روى عن النبيِّ ﷺ أنه دعا يوم أحد بإداوة فيها ماء ، فخنث فمها وشرب منها ، كما رواه أبو داود والترمذيُّ[٣] ، من طريق عبد الله العمريِّ ، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . ثم قال الترمذيُّ : وليس إسناده يصحُّ ، وعبد الله العمريُّ ضعيف من قبل حفظه .

***

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي وإسلامه[٤]

قال محمد بن إسحاق[٥] ، بعد مقتل أبي رافع : وحدَّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد[٦] مولى حبيب بن أبي أوس الثَّقفيِّ ، عن حبيب بن أبي أوس ، حدَّثني عمرو بن العاص ، مِن فيه ، قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً منكراً ، وإني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشيِّ فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشيِّ ، فإنّا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن مَن قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إنّ هذا لرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نُهدي له . وكان أحبَّ ما يهدى إليه من أرضنا الأَدَمُ[٧] ، فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده ، إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمريُّ ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أُمية ، لو قد دخلتُ على النجاشيِّ فسألته إيَّاه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحباً بصديقي ، هل أهديت لي من بلادك

---

(١) وقال ابن حجر العسقلاني : « ومات بالشام في خلافة معاوية ، سنة أربع وخمسين ، ووهم من قال سنة ثمانين » . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ١٩٢) .

(٢) انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ١٩٢) .

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٧٢١) ، والترمذي رقم (١٨٩١) .

(٤) لفظ « وإسلامه » لم يرد في (ط) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٦) .

(٦) في (آ) : « وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي حبيب ، عن راشد . . . » وهو وهم من ناسخها ، والله أعلم ، وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي ، طبع دار ابن كثير .

(٧) الأدم : الجلد .

شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيُّها الملك ، قد أهديت لك أَدَماً كثيراً . قال : ثم قرَّبتُه إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيُّها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ؛ فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ثم مدَّ يده ، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقَّت الأرض لدخلت فيها فرَقاً منه . ثم قلت له : أيُّها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه . قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟! قال : قلت : أيُّها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو! أطعني واتَّبعه ، فإنَّه والله لعلى الحقِّ ، وليظهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى بن عِمْرَان على فرعون وجنوده . قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام المِيسم ، وإنَّ الرجل لنبيّ ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى ؟ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على النبيِّ ﷺ ، فتقدَّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخَّر . قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا عمرو ، بايع فإن الإسلام يجبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها » . قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق[(١)] : وقد حدَّثني من لا أتَّهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرى السَّهميُّ[(٢)] : [من الطويل]

أَنْشُدُ عُثمان بن طلحة حِلْفَنَا ... ومُلقى نِعَال القومِ عند المُقبَّلِ
وما عَقَدَ الآباءُ من كلِّ حِلفة ... وما خالدٌ من مثلها بمحلَّلِ
أمفتاحَ بيتٍ غير بيتكَ تبتغي ... وما يبتغى من مَجْدِ بيتٍ مؤثَّلِ
فلا تأمننَّ خالداً بعد هذه ... وعثمان جاءا بالدُّهيم المعضَّلِ

قلت : كان إسلامهم بعد الحُديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين ، كما سيأتي بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب ، ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله تعالى ؛ لأن أول ذهاب عمرو بن العاص إلى النجاشيِّ كان بعد وقعة الخندق ، والظاهر أنه ذهب في بقيَّة سنة خمس ، والله أعلم .

* * *

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٨) .
(٢) الأبيات في « شعر عبد الله بن الزبعرى » ص (٤٤) .

فصل
في تزويج النَّبيِّ ﷺ بأُم حَبيبة بنت أبي سُفْيَان(١)

ذكر البيهقيُّ(٢) بعد وقعة الخندق من طريق الكلبيِّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ [الممتحنة : ٧] . قال : هو تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت أمَّ المؤمنين ، وصار معاوية خال المؤمنين .

ثم قال البيهقيُّ(٣) : أنبأ أبو عبد الله الحافظ ، ثنا علي بن عيسى(٤) ، ثنا أحمد بن نجدة ، ثنا يحيى بن عبد الحميد ، أنبأ ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزُّهريِّ ، عن عُرْوَة ، عن أُمِّ حبيبة ، أنها كانت عند عبيد الله بن جحش ، وكان رحل إلى النجاشيِّ فمات ، وأن رسول الله ﷺ تزوَّج بأُمِّ حبيبة وهي بأرض الحبشة ، وزوَّجها إيّاه النجاشيُّ ، ومَهَرَهَا أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهَّزها من عنده ، وما بعث إليها رسول الله ﷺ بشيء . قال : وكان مهور أزواج النبيِّ ﷺ أربعمئة .

قلت : الصحيح أن مهور أزواج النبيِّ ﷺ كانت ثنتي عشرة أوقيَّة ونشّاً ، والأوقيَّة أربعون درهماً ، والنَّشُّ : النصف ، وذلك يعدل خمسمئة درهم .

ثم روى البيهقيُّ(٥) ، من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانياً ، فَخَلَفَ على زوجته أُمِّ حبيبة رسول الله ﷺ ، زوَّجها منه عثمان بن عفَّان ، رضي الله عنه .

قلت : أمّا تنصُّر عبيد الله بن جَحْش فقد تقدَّم بيانه ، وذلك على أثر ما هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة ؛ استزلَّه الشيطان فزيَّن له دين النَّصارى ، فصار إليه حتى مات ، عليه لعنة الله ، وكان يلقى المسلمين فيقول لهم : أبصرنا وصأصأتم(٦) . وقد تقدَّم شرح ذلك في هجرة الحبشة . وأما قول عُروة : إنَّ عثمان زوَّجها منه فغريب ؛ لأن عثمان كان قد رجع إلى مَكَّة قبل ذلك ، ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رُقيَّة كما تقدَّم ، والله أعلم .

---

(١) ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٥٥) بتحقيقي ، وقوله : « بنت أبي سفيان » لم يرد في (ط) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٥٩) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٠) .
(٤) سقط من (ط) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٠) وهي رواية ضعيفة لضعف ابن لهيعة .
(٦) أي : أبصرنا أمرنا ولم تبصروا أمركم . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٣٠) .

والصحيح ما ذكره يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عَمِّها خالد بن سعيد بن العاص .

قلت : وكان وكيل رسول الله ﷺ في قبول العقد أَصْحَمَة النجاشيُّ ملك الحبشة ، كما قال يونس ، عن محمد بن إسحاق : حدَّثني أبو جعفر محمد بن عليِّ بن الحسين قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أُميَّة الضَّمريَّ إلى النجاشيِّ ، فزوَّجه أمَّ حَبيبة بنت أبي سفيان ، وساق عنه أربعمئة دينار .

وقال الزُّبير بن بكَّار[١] : حدَّثني محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن إسماعيل بن عمرو ، أن أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشيِّ جارية يقال لها : أَبرهة . كانت تقوم على ثيابه ودهنه ، فاستأذنت عليَّ فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أُزوِّجكِه . فقلت : بشَّرك الله بالخير . وقالت : يقول لك الملك : وكِّلي من يزوِّجك . قالت : فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص ، فوكَّلته ، وأَعطيت أَبرهة سوارين من فضَّة ، وخدمتين[٢] من فضة كانتا عليَّ ، وخواتيم من فضة كانت في كلِّ أصابع رجليَّ ؛ سروراً بما بشَّرتني به ، فلما أن كان من العشيِّ أمر النجاشيُّ جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا ، وخطب النجاشيُّ وقال : الحمد لله ، الملك القدُّوس السلام ، المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشَّر به عيسى ابن مريم ، أمَّا بعد ، فإن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار . ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ، فتكلَّم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله ، أحمده وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون ، أمّا بعد ، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وزوَّجته أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله ﷺ . ودفع النجاشيُّ الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال : اجلسوا ، فإن من سنة الأنبياء إذا تزوَّجوا أن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرَّقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أُمية خارجاً من عند النجاشيِّ بعد الخندق إنما كان في قضية أُمِّ حبيبة ، فالله أعلم .

لكن قال الحافظ البيهقيُّ[٣] : ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه ، عليه السلام ، بأُمِّ حبيبة كان في سنة ستّ ، وأن تزويجه بأُمِّ سلمة كان في سنة أربع .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦١) .
(٢) أي : خلخالين .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٢) .

قلت : وكذا قال خليفة ، وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنَّى ، وابن البرقيِّ : إن تزويج أُمِّ حبيبة كان في سنة ستّ . وقال بعض الناس : سنة سبع .

قال البيهقي : وذهب ابن إسحاق إلى أنه ﷺ تزوج بأُم حبيبة قبل أُمِّ سلمة .

قال البيهقيُّ : وهو أشبه .

قلت : قد تقدَّم تزويجه ، عليه السلام ، بأُمِّ سلمة في أواخر سنة أربع ، وأمَّا أُمُّ حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ، ويحتمل أن يكون بعده ، وكونه بعد الخندق أشبه ؛ لما تقدَّم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أُمية عند النجاشيِّ ، فهو في قضيتها ، والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الأثير في « الغابة »(١) عن قتادة ، أن أمَّ حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ وتزوَّجها . وحَكَى عن بعضهم أنه تزوَّجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح ، واحتجَّ هذا القائل بما رواه مسلم(٢) من طريق عكرمة بن عمَّار اليماميِّ(٣) ، عن أبي زميل سماك بن الوليد ، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ، ثلاث أعطنيهن . قال : « نعم » . قال : تؤمِّرني على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : « نعم » . قال : وعندي أحسن العرب وأجملهم أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان أزوِّجكها . . . الحديث بتمامه .

قال ابن الأثير : وهذا الحديث مما أُنكر على مسلم ؛ لأن أبا سُفيان لما جاء يجدِّد العقد قبل الفتح ، دخل على ابنته أمِّ حبيبة فثنت عنه فراش النبيِّ ﷺ ، فقال : والله ما أدري أرغبتِ بي عنه ، أو به عني ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله ﷺ ، وأنت رجل مشرك . فقال : والله لقد أصابك بعدي يا بنيَّة شرّ .

وقال ابن حزم : هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمَّار . وهذا القول منه لا يتابع عليه .

وقال آخرون : أراد أن يجدِّد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه .

وقال بعضهم : لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه . وهذه كلُّها ضعيفة ، والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوِّجه ابنته الأخرى عزَّة ، لما رأى في ذلك من الشرف له ، واستعان بأختها أُمِّ حبيبة كما في « الصحيحين »(٤) ، وإنما وهم الراوي هذا بتسميته أُمَّ حبيبة ، وقد أفردنا لذلك جزءاً مفرداً .

قال أبو عبيد القاسم بن سلَّام : توفِّيت أُمُّ حبيبة سنة أربع وأربعين(٥) .

---

(١) انظر « أسد الغابة » (٧/ ١١٦) .

(٢) في « صحيحه » رقم (٢٥٠١) .

(٣) في (ط) : « اليماني » وهو خطأ ، وانظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣١) .

(٤) رواه البخاري رقم (٥١٠١) و(٥١٠٦) و(٥٣٧٢) ومسلم رقم (١٤٤٩) .

(٥) وهو ما جزم به ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (١/ ٢٣٦) بتحقيقي .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : توفِّيت قبل معاوية بسنة ، وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين .

* * *

تزويجه ، عليه السلام ، بزينب بنت جَحش(١)

وهي بنت أُميمة بنت عبد المطلب ، عمَّة رسول الله ﷺ ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه .

قال قتادة ، والواقدي ، وبعض أهل المدينة : تزوَّجها ، عليه السلام ، سنة خمس . زاد بعضهم : في ذي القعدة .

قال الحافظ البيهقيُّ : تزوَّجها بعد بني قُريظة .

وقال خليفة بن خيَّاط ، وأبو عبيدة معمر بن المثنَّى ، وابن منده : تزوَّجها سنة ثلاث . والأول أشهر ، وهو الَّذي سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ .

وقد ذكر غير واحد من المفسِّرين ، والفقهاء ، وأهل التاريخ في سبب تزويجه إيَّاها ، عليه السلام ، حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في « مسنده »(٢) تركنا إيراده قصداً ؛ لئلاَّ يضعه بعض من لا يفهم على غير موضعه ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧ ـ ٣٨] .

وقد تكلَّمنا على ذلك في « التفسير »(٣) بما فيه كفاية .

فالمراد بالَّذي أنعم الله عليه ـ هاهنا ـ زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ ، أنعم الله [عليه] بالإسلام ، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق ، وزوَّجه بابنة عمَّته زينب بنت جحش .

قال مُقاتل بن حيَّان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخِمَاراً ، وملحفةً ودرعاً ، وخمسين مُدّاً من طعام ، وعشرة أمداد من تمر ، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما ، فجاء زوجها يشكوها إلى رسول الله ﷺ ، فجعل صلى الله عليه وسلم يقول له : « اتق الله وأمسك عليك زوجك » . قال الله : ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ .

---

(١) ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٥٣) بتحقيقي .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٤٩) .
(٣) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ٤١٩) .

قال علي بن الحسين زين العابدين ، والسُّدِّيُّ : كان الله قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه ، فهو الذي كان في نفسه ، عليه السلام . وقد تكلم كثير من السَّلف بآثار غريبة ، وبعضها فيه نظر ، تركناها قصداً .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ وذلك أنَّ زيداً طلَّقها ، فلما انقضت عدتها ، بعث إليها رسول الله ﷺ ، يخطبها إلى نفسها ، ثم تزوجها ، وكان الذي زوَّجها منه ربُّ العالمين تبارك وتعالى[١] ، كما ثبت في « صحيح البخاري »[٢] عن أنس بن مالك ، أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : زوجكنَّ أهاليكنَّ ، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات .

وفي رواية[٣] من طريق عيسى بن طَهْمَان ، عن أنس قال : كانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول : أنكحني الله من السماء .

وفيها أنزلت آية الحجاب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٣] .

وروى البيهقي[٤] من حديث حَمَّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : جاء زيد يشكو زينب ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « اتق الله ، وأمسك عليك زوجك » . قال أنس : فلو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه ، فكانت تفخر على أزواج النَّبيِّ ﷺ تقول : زوَّجكن أهاليكنَّ ، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات . ثم قال : رواه البخاري ، عن أحمد ، عن محمد بن أبي بكر المقدَّمي ، عن حمَّاد بن زيد .

ثم روى البيهقيُّ[٥] من طريق عَفَّان ، عن حَمَّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : جاء زيد يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش ، فقال النبي ﷺ : « أمسك عليك أهلك » . فنزلت : ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ . ثم قال : [رواه] البخاري[٦] ، عن محمد بن عبد الرحيم ، عن معلَّى بن منصور ، عن حَمَّاد مختصراً .

وقال ابن جرير : ثنا ابن حميد ، ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي ﷺ : إنِّي لأدِلُّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدِلُّ بهنَّ ؛ أنَّ جدِّي وجدَّك واحد ـ تعني عبد المطَّلب ، فإنه أبو أبي النبي ﷺ وأبو أُمِّها أُميمة بنت عبد المطلب ـ وأني أنكحنيك الله ، عزَّ وجلَّ ، من السماء ، وأن السفير جبريل ، عليه السلام .

---

(١) قلت : واعتبر الإمام ابن القيم ذلك من خواصّها . انظر « زاد المعاد » (١/ ١٠٥) .

(٢) رواه البخاري رقم (٧٤٢٠) .

(٣) وهي عند البخاري رقم (٧٤٢١) وعند النسائي في « السنن الكبرى » (١١٤١١) باللفظ الذي ساقه المؤلف رحمه الله .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٥) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٦) .

(٦) وهو في « صحيحه » رقم (٤٧٨٧) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا هاشم ـ يعني ابن القاسم أبا النَّضر ـ ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدَّة زينب ، قال النبيُّ ﷺ لزيد : « اذهب فاذكرها عليَّ » . فانطلق حتى أتاها وهي تخمِّر عجينها . قال : فلمَّا رأيتها ، عَظمت في صدري ، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أنَّ رسول الله ﷺ ذكرها ، فولَّيتها ظهري ، ونكصت على عقبيَّ وقلت : يا زينب ، أبشري ، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربِّي ، عزَّ وجلَّ . فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن . قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ ، أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس ، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطَّعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتَّبعتُه ، فجعل يتَّبع حُجَر نسائه يسلِّم عليهنَّ ، ويقلن : يا رسول الله ﷺ ، كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري أنا أخبرته أنَّ القوم[٢] قد خرجوا ، أو أُخبر . قال : فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقى السِّتر بيني وبينه ، ونزل الحجاب ، ووعِظ القوم بما وعِظوا به ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الآية .

وكذا رواه مسلم والنسائي[٣] من طرق ، عن سليمان بن المغيرة .

* * *

ذكر

نزول الحِجَاب صَبيحة عُرْسِهَا[٤] الذي ولي الله عقد نكاحه

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأَخواتها من أُمَّهَات المؤمنين ، وذلك وفق الرأي العُمَريِّ .

قال البخاريُّ[٥] : ثنا محمد بن عبد الله الرَّقاشيُّ ، ثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، ثنا أبو مجلز ، عن أنس بن مالك قال : لما تزوَّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطَعِمُوا ثم جلسوا يتحدَّثون ، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلمَّا رأى ذلك قام ، فلمّا قام ، قام من قام ، وقعد ثلاثة نفرٍ ، وجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٩٥) .
(٢) في (ط) : « والقوم » .
(٣) رواه مسلم رقم (١٤٢٨) والنسائي رقم (٣٢٥١) .
(٤) يعني زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها ، وقوله : « الذي ولي الله عقد نكاحه » لم يرد في (ط) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٧٩١) .

انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٣] .

وقد رواه البخاري في مواضع أُخر ومسلم والنسائي[١] ، من طرق عن معتمر .

ثم رواه البخاريُّ[٢] منفرداً به من حديث أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس ، بنحوه .

وقال البخاري[٣] : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : بُنيَ على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فَأُرْسِلْتُ على الطعام داعياً ، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبيَّ الله ، ما أجد أحداً أدعوه . قال : « فارفعوا طعامكم » . وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي ﷺ ، فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » . قالت : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهلك ، بارك الله لك ؟ فتقرَّى[٤] حُجَر نسائه كلِّهن ، يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقُلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي ﷺ ، فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون ، وكان النبي ﷺ شديد الحياء ، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة ، فما أدري آخْبَرْتُهُ ، أم أُخبر أن القوم خرجوا ؟ فخرج حتى إذا وضع رجله في أُسكفَّة الباب[٥] داخلة[٦] وأخرى خارجة ، أرخى السِّتر بيني وبينه ، وأُنزلت آية الحجاب . تفرَّد به البخاريُّ من هذا الوجه .

ثم رواه[٧] منفرداً به أيضاً ، عن إسحاق ـ هو ابن منصور ـ عن عبد الله بن بكر السَّهميِّ ، عن حميد ، عن أنس ، بنحو ذلك ، وقال : رجلان ، بدل : ثلاثة ، فالله أعلم .

قال البخاريُّ[٨] : وقال إبراهيم بن طَهْمَان ، عن الجَعْد أبي عثمان ، عن أنسٍ ، فذكر نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم[٩] : ثنا أبي ، ثنا أبو المظفَّر ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان اليشكريِّ ، عن أنس بن مالك ، قال : أَعْرَس رسول الله ﷺ ببعض نسائه ، فصنعت أُمُّ سُلَيم حَيْساً ثم

---

(١) هو عند البخاري رقم (٦٢٣٩) و(٦٢٧١) وعند مسلم رقم (١٤٢٨) (٩٢) وعند النسائي في « السنن الكبرى » (١١٤٢٠) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٧٩٢) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٧٩٣) .
(٤) أي : تتبع .
(٥) أي : عتبته . انظر « مختار الصحاح » (سكف) .
(٦) لفظ « داخلة » سقط من (ط) .
(٧) يعني البخاري في « صحيحه » رقم (٤٧٩٤) .
(٨) في « صحيحه » رقم (٥١٦٣) تعليقاً .
(٩) وذكره المؤلف في « تفسير القرآن العظيم » (٦/ ٤٤٢) .

وضعته في تَوْر[١] ، فقالت : اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره أنَّ هذا مِنَّا له قليل . قال أنس : والناس يومئذ في جهد ، فجئت به فقلت : يا رسول الله بعثتْ بهذا أمُّ سُلَيم إليك ، وهي تقرئك السلام وتقول : أخبره أن هذا منّا له قليل . فنظر إليه ثم قال : « ضعه » . فوضعتُه في ناحية البيت ، ثم قال : « اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً » فسمَّى رجالاً كثيراً . قال : « ومن لقيتَ من المسلمين » . فدعوت من قال لي ، ومن لقيت من المسلمين ، فجئت والبيت والصُّفة والحُجْرَة ملأى من الناس ، فقلت : يا أبا عثمان ، كم كانوا ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمئة . قال أنس : فقال لي رسول الله ﷺ : « جئ به » . فجئت به إليه ، فوضع يده عليه ودعا ، وقال : « ما شاء الله » . ثم قال : « ليتحلَّق عشرة عشرة ، ويُسَمُّوا ، وليأكل كلُّ إنسان مما يليه » . فجعلوا يسمُّون ويأكلون حتى أكلوا كلُّهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ارفعه » . قال : فجئت فأخذت التَّوْر فنظرت ، فما أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته . قال : وتخلَّف رجال يتحدَّثون في بيت رسول الله ﷺ ، وزوج رسول الله ﷺ التي دخل بها معهم مولِّية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث ، فشقُّوا على رسول الله ﷺ ، وكان أشدَّ الناس حياءً ، ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً ، فقام رسول الله ﷺ ، فخرج فسلَّم على حجره وعلى نسائه ، فلمَّا رأوه قد جاء ظنُّوا أنهم قد ثقَّلوا عليه ، ابتدروا الباب فخرجوا ، وجاء رسول الله ﷺ ، حتى أرخى السِّتر ، ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً ، وأنزل الله عليه القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا [فَسْـَٔلُوهُنَّ] مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣ ـ ٥٤] . قال أنس : فقرأهن عليَّ قبل الناس ، وأنا أَحْدَثُ الناس بهن عهداً .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي[٢] جميعاً ، عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه مسلم أيضاً[٣] ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزَّاق ، عن معمر ، عن الجعد أبي عثمان ، به .

وقد روى هذا الحديث البخاريُّ والترمذيُّ والنسائيُّ[٤] ، من طرق ، عن بيان أبي بشر الأحمسيِّ الكوفيِّ ، عن أنس ، بنحوه .

---

(١) أي : في إناء . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١ / ١٩٩) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٤٢٨) (٩٤) والترمذي رقم (٣٢١٨) والنسائي رقم (٣٣٨٧) .
(٣) في « صحيحه » رقم (١٤٢٨) (٩٥) .
(٤) رواه البخاري رقم (٥١٧٠) والترمذي رقم (٣٢١٩) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٤١٧) .

ورواه ابن أبي حاتم(١) من حديث أبي نَضْرَةَ العَبْدي ، عن أنس ، بنحوه ، ولم يخرجوه .

ورواه ابن جرير(٢) ، من حديث عمرو بن سعيد ، ومن حديث الزهري ، عن أنس ، بنحو ذلك .

قلت : كانت زينب بنت جحش ، رضي الله عنها ، من المهاجرات الأُوَل ، وكانت كثيرة الخير والصَّدقة ، وكان اسمها أولاً بَـرَّة فسمَّاها النبيُّ ﷺ زينب ، وكانت تُكنَّى بأُمِّ الحكم ، قالت عائشة ، رضي الله عنها : ما رأيت امرأة قطُّ خيراً في الدِّين من زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرَّحم ، وأعظم أمانة وصدقة .

وثبت في « الصحيحين »(٣) كما سيأتي في حديث الإفك ، عن عائشة أنها قالت : وسأل رسول الله ﷺ عنِّي زينب بنت جحش ، وهي التي كانت تُسَاميني من نساء النبي ﷺ ، فعصمها الله بالورع ، فقالت : يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري ، ما علمت إلاَّ خيراً .

وقال مسلم بن الحجاج في « صحيحه »(٤) : ثنا محمود بن غيلان ، ثنا الفضل بن موسى السِّينانيُّ ، ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، [عن عائشة بنت طلحة] ، عن عائشة أمِّ المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : « أسرعكنَّ لُحوقاً بي أطولكن يداً » . قال : فكنّا نتطاول أَيُّنا أطول يداً . قالت : فكانت زينب أطولنا يداً ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدَّق . انفرد به مسلم .

قال الواقديُّ وغيره من أهل السِّير والمغازي والتَّواريخ(٥) : توفِّيت سنة عشرين من الهجرة ، وصلَّى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، ودفنت بالبقيع ، وهي أول امرأة صُنِعَ لها النَّعش .

***

---

(١) وذكره المؤلف في « تفسير القرآن العظيم » (٦/ ٤٤٣) .
(٢) انظر « تفسير الطبري » (٢٢/ ٣٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٧٥٠) ومسلم رقم (٢٧٧٠) .
(٤) رقم (٢٤٥٢) .
(٥) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٨/ ١١٥) ، و« تاريخ الطبري » (٤/ ١١٣) ، و« شذرات الذهب » (١/ ١٧١) بتحقيقي .

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي[١] : يقال : في المحرم منها كانت سرية محمد بن مسلمة قِبَلَ نجد ، وأسروا فيها ثُمامة بن أُثال اليمامي .

قلت : لكن في سياق ابن إسحاق ، عن سعيد المقبريِّ ، عن أبي هريرة ، أنه شهد ذلك ، وهو إنما هاجر بعد خيبر ، فتؤخَّر إلى ما بعدها ، والله أعلم .

وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لِحْيَان ، على الصحيح .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان فتح بني قُريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجَّة ، وولي تلك الحجَّة المشركون . يعني في سنة خمس كما تقدَّم . قال : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجَّة والمحرَّم وصفراً وشهري ربيع ، وخرج في جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرَّجيع ، خُبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غِرَّةً .

قال ابن هشام[٣] : واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم ، والمقصود أنه ، عليه السلام ، لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه ، فتحصَّنوا في رؤوس الجبال فمال إلى عُسْفَان فلقي بها جمعاً من المشركين ، وصلَّى بها صلاة الخوف .

وقد تقدَّم ذِكر هذه الغزوة في سنة أربع ، وهنالك ذكرها البيهقيُّ ، والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق ، فإنّ صلاة الخوف على المشهور إنما فُعلت بعد يوم الخندق .

وقد ثبت أنه صلَّى بعُسْفَان يوم بني لحيان ، فلتكتب هاهنا ، وتحوَّل من هناك اتِّباعاً لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده ، كما قال الشافعيُّ رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق .

وقد قال كعب بن مالك[٤] في غزوة بني لحيان : [من الطويل]

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٧٨) .
(٢) انظر (٢/ ٢٧٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٩) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص(١٩٤) .

لَوَ أنَّ بني لحيان كانوا تناظروا ... لقُوا عُصَباً في دارهم ذات مَصْدَقِ
لقُوا سَرَعاناً يملأ السَّرب رَوعه ... أمام طَحونٍ كالمجرَّة فيلقِ
ولكنَّهم كانوا وِباراً تتبَّعت ... شِعابَ حجارٍ غير ذي متنفَّقِ

***

غَزْوَة ذي قرد

قال ابن إسحاق(١) : ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقم بها إلاّ ليالي قلائل ، حتى أغار عُيينة بن حصن [بن حذيفة] بن بدر الفَزَاريُّ ، في خيل من غطفان على لقاح النبيِّ ﷺ بالغابة ، وفيها رجلٌ من بني غِفَار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللِّقاح .

قال ابن إسحاق(٢) : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ومن لا أتَّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ كلٌّ قد حدَّث في غزوة ذي قَرَدٍ بعض الحديث ـ أنه كان أول من نذِر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلميُّ ، غدا يريد الغابة متوشِّحاً قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عُبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ(٣) نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سَلْعٍ(٤) ، ثم صرخ : واصباحاه . ثم خرج يشتدُّ في آثار القوم ، وكان مثل السَّبُع ، حتى لحق بالقوم ، فجعل يردّهم بالنَّبل ويقول إذا رمى : [من مجزوء الرجز]

خُذْهَا [و] أنا ابنُ الأكوعْ ... اليومُ يوم الرُّضَّعْ

فإذا وجِّهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرَّمي رمى ، ثم قال :

خُذْهَا [و] أنا ابن الأكوعْ ... اليومُ يوم الرُّضَّعْ

قال : فيقول قائلهم أُوَيْكِعُنا(٥) هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : « الفَزَعَ الفَزَعَ » . فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ ، فكان أول من انتهى إليه من الفُرسان المقداد بن الأسود ، ثم عبَّاد بن بشر ، وسعد بن زيد ، وأُسيد بن ظهير ـ يشكُّ فيه ـ وعُكَّاشة بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) .
(٣) قال الفيروزابادي : وهي ثنية مشرفة على المدينة ، يطأها من يريد مكة ، وقيل : من يريد الشام . « المغانم المطابة » ص(٨٠) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله تعالى وأحسن إليه .
(٤) قال الفيروزابادي : سلع : جُبيل بسوق المدينة . وقال الأزهري : موضع بقرب المدينة . « المغانم المطابة » ص(١٨٣) .
(٥) أي : يخوفنا ، أو يصرفنا عن غايتنا .

محصن ، ومحرز بن نضلة ، أخو بني أَسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربعيٍّ ، أخو بني سلمة ، وأبو عيَّاش عُبيد بن زيد بن صامت ، أخو بني زريق . قال : فلمَّا اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ ، أَمَّر عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : « اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس » . وقد قال النبيُّ ﷺ لأبي عيَّاش فيما بلغني عن رجال من بني زريق : « يا أبا عيَّاش ، لو أَعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم . قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني ، فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عيَّاش معاذ بن ماعص ، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدَة ، وكان ثامناً . قال : وبعض الناس يعدُّ سَلَمَةَ بن الأكوع ثامناً ، ويطرح أُسيد بن ظهير ، فالله أعلم أيُّ ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارساً ، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، وكان يقال له : الأخرم . ويقال له : قُمير . وكانت [الفرس] التي تحته لمحمود بن مسلمة ـ وكان يقال للفرس : ذو اللِّمَّة . فلما انتهى إلى العدوِّ قال لهم : قفوا معشر بني اللَّكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يُقدر عليه حتى وقف على أَرِيَّة من بني عبد الأشهل ، أي : رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق[١] : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره .

قال ابن هشام[٢] : وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قتل معه أيضاً وقَّاص بن مجزِّز المدلجيُّ .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدَّثني بعض من لا أَتَّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن محرزاً كان على فرس لعُكَّاشة بن محصن يقال لها : الجَنَاح ، فقتل محرز واستلبت الجَنَاح ، فالله أعلم .

قال[٤] : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حَبيب بن عُيينة وغشَّاه برده ، ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين ـ قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم ـ فإذا حبيبٌ مسجّى ببُرد أبي قتادة ، فاسترجع الناس ، وقالوا : قتل أبو قتادة . فقال رسول الله ﷺ : « ليس بأبي قتادة ، ولكنه قتيل لأبي قتادة ، ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه » . قال : وأدرك عُكَّاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرُّمح فقتلهما جميعاً واستنقذوا بعض اللِّقاح . قال : وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فأقام عليه يوماً وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرَّحتني في مئة رجل لاستنقذت بقية السَّرح وأخذت بأعناق

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٣) وقد نقل المؤلف عنها بتصرف .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٤) .
(٤) القائل (ابن إسحاق) . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) .

القوم . فقال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ : « إنهم الآن ليُغبَقون في غطفان » . فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه في كل مائة رجل جزوراً ، وأقاموا عليها ، ثم رجع قافلاً حتى قدم المدينة .

قال : وأقبلت امرأة الغفاريِّ على ناقة من إبل النبيِّ ﷺ ، حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلمَّا فرغت قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجّاني الله عليها . قال : فتبسَّم رسول الله ﷺ ثم قال : « بئس ما جزيتِها أن حملك الله عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها ، إنه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقة من إبلي ، فارجعي إلى أهلك على بركة الله » .

قال ابن إسحاق[(١)] : والحديث في ذلك عن أبي الزُّبير المكِّيِّ ، عن الحسن البصريِّ . هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكره من الإسناد والسِّياق .

وقد قال البخاريُّ[(٢)] : رحمه الله ، بعد قصة الحُديبية وقبل خيبر : غزوة ذي قَرَد ، وهي الغزوة التي أغاروا على لِقَاح النبيِّ ﷺ قبل خيبر بثلاث ، ثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذَّن بالأولى ، وكانت لقاح النبيِّ ﷺ ترعى بذي قرد ، قال : فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف ، فقال : أُخذت لقاح النبيِّ ﷺ . فقلت : من أخذها ؟ قال : غطفان . قال : فصرخت ثلاث صرخات : يا صباحاه . قال : فأسمعت ما بين لابتي المدينة ، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء ، فجعلت أرميهم بنبلي ، وكنت رامياً ، وأقول : أنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضَّع . وأرتجز حتى استنقذت اللِّقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة . قال : وجاء النبيُّ ﷺ والناس فقلت : يا رسول الله ، قد حميت القوم الماء ، وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة . فقال : « يابن الأكوع ملكت فَأَسْجِحْ[(٣)] » . ثم رجعنا ، ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم[(٤)] ، عن قتيبة ، به ، ورواه البخاريُّ[(٥)] ، عن أبي عاصم النَّبيل ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن مولاه سلمة ، بنحوه .

وقال الإمام أحمد[(٦)] : ثنا هاشم بن القاسم ، ثنا عكرمة بن عمَّار ، حدَّثني إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحُديبية مع رسول الله ﷺ ، فخرجت أنا ورباح غلام النبيِّ ﷺ بظهر رسول الله ﷺ ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله ، كنت أريد أن أندِّيَه مع الإبل ، فلمَّا كان بغلَسٍ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٥) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤١٩٤) .
(٣) أي : اعف .
(٤) في « صحيحه » رقم (١٨٠٦) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٣٠٤١) من طريق مكي بن إبراهيم بن بشير التميمي البلخي أبو السكن .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٥٢) وهو حديث صحيح . وانظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

أغار عبد الرحمن بن عُيينة على إبل رسول الله ﷺ ، فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل ، فقلت : يا رباح ، اقعد على هذا الفرس فألحقه بطلحة ، وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أُغير على سرحه . قال : وقمت على تلّ فجعلت وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه . قال : ثم اتَّبعت القوم ، معي سيفي ونبلي ، فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين يكثر الشَّجر . فإذا رجع إليَّ فارس جلست له في أصل شجرة ، ثم رميت ، فلا يُقبل عليَّ فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم ، وأنا أقول : أنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرُّضَّع . قال : فألحق برجل منهم فأرميه ، وهو على راحلته فيقع سهمي في الرَّجل حتى انتظم كتفه ، فقلت :

خُـذْهَـا وأنـا ابـن الأكـوعِ اليـوم يـوم الـرُّضَّـعِ

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنَّبل ، فإذا تضايقت الثَّنايا علوت الجبل فردَيتهم بالحجارة ، فما زال ذاك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز ، حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله ﷺ إلاَّ خلَّفته وراء ظهري ، فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً ، وأكثر من ثلاثين بردة يستخفُّون منها ، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة ، وجمعت على طريق رسول الله ﷺ ، حتى إذا امتدَّ الضُّحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاريُّ مدداً لهم ، وهم [في] ثنيَّة ضيِّقة ، ثم علوت الجبل ، فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقِينا [من هذا] البرح ، ما فارقنا بسحر حتى الآن ، وأخذ كلَّ شيء في أيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عُيينة : لولا أنَّ هذا يرى أنَّ وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم إليه نفر منكم . فقام إليه نفر منهم أربعة ، فصعِدوا في الجبل ، فلمَّا أسمعتُهم الصوت قلت : أتعرفونني ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن الأكوع ، والذي كرَّم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم : إنْ أَظُن . قال : فما برحتُ مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ ، يتخلَّلون الشجر ، وإذا أولهم الأخرم الأسديُّ ، وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول [الله ﷺ] وعلى أثر أبي قتادة المقداد بن الأسود الكنديُّ ، فولَّى المشركون مدبرين ، وأنزل من الجبل فآخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أخرم ، انذر القوم ـ يعني احذرهم ـ فإني لا آمن أن يقتطعوك ، فاتَّئد حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه . قال : يا سلمة ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أنَّ الجنة حقّ والنار حقّ ، فلا تحل بيني وبين الشهادة .

قال : فخلَّيت عَنَانَ فرسه ، فيلحق بعبد الرحمن بن عُيينة ، ويعطف عليه عبد الرحمن ، فاختلفا طعنتين، فعقر الأخرم بعبد الرحمن ، وطعنه عبد الرحمن فقتله ، فتحوَّل عبد الرحمن على فرس الأخرم ، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة ، وقتله أبو قتادة ، وتحوَّل أبو قتادة على فرس الأخرم ، ثم إني خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبيِّ ﷺ شيئاً ، ويعرضون قبل غيبوبة الشَّمس إلى شِعْبٍ فيه ماءٌ يقال له : ذو قرد . فأرادوا أن يشربوا منه ، فأبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه ، واشتدوا في الثنيَّة ثنيَّةِ ذي بئر ، وغربت الشمس ، وألحق رجلاً فأرميه فقلت :

خـذهـا وأنـا ابـن الأَكـوع　　الـيـوم يـوم الـرُّضَّـعِ

قال : فقال : يا ثُكل أمِّ أكوع بُكرةَ . فقلت : نعم ، أي عدوَّ نفسه . وكان الذي رميته بكرة ، وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهمان ، ويخلفون فرسين فجئت [بهما] أسوقهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ، ذو قرد ، وإذا بنبيِّ الله ﷺ في خمسمئة ، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خَلَفْتُ ، فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، خلِّني فأنتخب من أصحابك مائة ، فآخذ على الكُفَّار بالعشوة ، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال : « أكنتَ فاعلاً ذلك يا سلمة ؟ » قال : قلت : نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله ﷺ ، حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ، ثم قال : « إنهم يُقْرَون الآن بأرض غطفان » . فجاء رجل من غطفان فقال : مَرُّوا على فلان الغطفانيِّ ، فنحر لهم جزوراً ، فلمَّا أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة ، فتركوها وخرجوا هراباً ، فلمَّا أصبحنا قال رسول الله ﷺ : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجَّالتنا سلمة » . فأعطاني رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً ، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة ، فلمَّا كان بيننا وبينها قريب من ضحوة ، وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق ، جعل ينادي : هل من مسابق ؟ ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً ، وأنا وراء رسول الله ﷺ مردفي ، فقلت له : أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله ﷺ . قال : قلت يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، خلِّني فلأسابق الرجل . قال : « إن شئت » . قلت : اذهب إليك . فطفر عن راحلته وثنيت رجليَّ فطفرت عن الناقة ، ثم إني ربطت عليه شرفاً أو شرفين ، يعني استبقيت من نفسي ، ثم إني عدوت حتى ألحقه ، فأَصُكُّ بين كتفيه بيدي ، قلت : سبقتك والله . أو كلمة نحوها . قال : فضحك وقال : إن أظنُّ . حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم(١) ، من طرق ، عن عكرمة بن عمَّار ، بنحوه ، وعنده : سبقتُه إلى المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر . ولأحمد هذا السياق .

ذكر البخاريُّ والبيهقيُّ هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر ، وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق ، والله أعلم ، فينبغي تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإنَّ خيبر كانت في صفر منها .

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبيِّ ﷺ ونذرت نحرها لنجاتها عليها ، فقد أوردها ابن إسحاق(٢) بروايته ، عن أبي الزبير ، عن الحسن البصريِّ مرسلاً ، وقد جاء متَّصلاً من وجوه أخر .

قال الإمام أحمد(٣) : ثنا عفَّان ، ثنا حمَّاد بن زيد ، ثنا أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أبي المُهَلَّب ،

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٨٠٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٥) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٤٣٠) .

عن عِمْرَان بن حُصين قال : كانت العضباء لرجل من بني عقيل ، وكانت من سوابق الحاجِّ ، [فأسر الرجل][١] ، فأخذت العضباء معه . قال : فمرَّ به رسول الله ﷺ وهو في وثاق ، ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة فقال : يا محمد ، علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاجّ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف» . قال : وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبيِّ ﷺ . وقال فيما قال : وإني مسلم . فقال رسول الله ﷺ : « لو قلتها وأنت تملك أمرك ، أفلحت كلَّ الفلاح » . قال : ومضى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إني جائع فأطعمني ، وإني ظمآن فاسقني . فقال رسول الله ﷺ : « هذه حاجتك » . ثم فدي بالرجلين ، وحبس رسول الله ﷺ العضباء لرحله . قال : ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة ، فذهبوا [به] ، وكانت العضباء فيه ، قال : وأسروا امرأة من المسلمين . قال : وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبلهم بأفنيتهم . قال : فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نوَّموا ، فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء ، فأتت على ناقة ذلول مجرَّسة[٢] فركبتها ، ثم وجَّهتها قبل المدينة . قال : ونذرت إنِ اللهُ أنجاها عليها لتنحرنَّها ، فلمَّا قدمت المدينة عرفت الناقة ، فقيل : ناقة رسول الله ﷺ . قال : وأُخبر رسول الله ﷺ بنذرها ، أو أتته فأخبرته ، فقال : « بئس ما جزيتها » أو : « بئس ما جزتها أن أنجاها الله عليها لتنحرنَّها » . قال : ثم قال رسول الله ﷺ : « لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » .

ورواه مسلم[٣] ، عن أبي الرَّبيع الزَّهرانيِّ ، عن حمَّاد بن زيد ، به .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قَرَد قول حسان بن ثابت ، رضي الله عنه[٥] : [من الكامل]

لولا الذي لاقت ومسَّ نُسورها ... بجنوب سايةَ أمس في التَّقوادِ
للقينكم يحملن كلَّ مدجَّج ... حامي الحقيقة ماجدِ الأجدادِ
ولسرَّ أولاد اللَّقيطة أننا ... سِلْم غداة فوارس المقدادِ
كنّا ثمانية وكانوا جحفلاً ... لجِباً فشُكُّوا بالرِّماح بدادِ
كنا من القوم الذين يلونهم ... ويقدِّمون عنان كلِّ جوادِ
كلاَّ وربِّ الراقصات إلى منى ... يقطعن عرض مخارم الأطوادِ
حتى نبيل الخيل في عرصاتكم ... ونؤوب بالملَكات والأولادِ
رهواً بكلِّ مقلَّص وطِمرَّة ... في كلِّ معترك عطفن وواد

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) و(ط) واستدركته من « مسند الإمام أحمد » .
(٢) أي : مدربة في الركوب .
(٣) في « صحيحه » رقم (١٦٤١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٥) .
(٥) الأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٢٧٦) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

أفنـى دوابـرهـا ولاح متـونهـا ... يـومٌ تقـاد بـه ويـوم طـرادِ
فكـذاك إنَّ جيـادنـا ملبـونـةٌ ... والحـرب مشعلـة بـريـح غـوادِ
وسيـوفنـا بيـض الحـدائـد تجتلـي ... جنـن الحـديـد وهـامـة المـرتـادِ
أخـذ الإلـه عليهـم لحـرامـه ... ولعـزَّة الـرحمـن بـالأسـدادِ
كـانـوا بـدار نـاعميـن فبـدِّلـوا ... أيـام ذي قَـرَد وجـوه عنـادِ

قال ابن إسحاق[١] : فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله ﷺ على حسان ، وحلف لا يكلِّمه أبداً ، وقال : انْطَلَقَ إلى خيلي وفوارسي فجعَلها للمقداد ، فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الرَّوِيّ اسم المقداد ، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد[٢] : [من الرجز]

إذا أردتـم الأشـدَّ الجلـدا ... أو ذا غنـاءٍ فعليكـم سعـدا
سعد بن زيد لا يهدُّ هدّاً

قال : فلم تقع منه بموقع .

وقال حسان بن ثابت[٣] في يوم ذي قرد : [من المتقارب]

أظـنَّ عُيينـةُ إذ زارهـا ... بـأن سـوف يهـدم فيهـا قُصُـورا
فـأُكـذبـتَ مـا كنـت صـدَّقتـه ... وقلتـم سنغنـم أمـراً كبيـرا
فعفـت المـدينـة إذ زرتهـا ... وآنسـت لـلأُسـد فيهـا زئيـرا
وولَّـوا سـراعـاً كشـدِّ النَّعـام ... ولـم يكشفـوا عـن ملـطٍّ حصيـرا
أميـر علينـا رسـول المليـ ... ـك أحبـب بـذاك إلينـا أميـرا
رسـول نصـدِّق مـا جـاءه ... ويتلـو كتـابـاً مضيئـاً منيـرا

وقال كعب بن مالك[٤] في يوم ذي قرد ، يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين : [من الطويل]

أيحسـب أولاد اللَّقيطـة أننـا ... على الخيل لسنا مثلهم في الفوارسِ
وإنـا أُنـاس لا نـرى القتـل سُبَّـة ... ولا ننثني عنـد الـرِّمـاح المـداعسِ
وإنا لنقري الضَّيف من قمع الذُّرى ... ونضرب رأس الأبلخ[٥] المتشاوسِ
نـردُّ كُمـاة المعلَميـن إنـا انتخـوا ... بضـرب يسلِّـي نخـوة المتقـاعـسِ
بكـلِّ فتـى حـامـي الحقيقـة مـاجـد ... كـريـم كسِـرحـان العِضَـاهِ مخـالـسِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٧) .
(٢) الأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٦٩) مع بعض الخلاف .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص (١٧٦ ـ ١٧٧) مع بعض الخلاف اليسير .
(٥) أي : المتكبر .

يـذودون عـن أحسـابهـم وتِـلادهـم ببيـض تقـدُّ الهـام تحـت القـوانـسِ
فسـائـل بنـي بـدر إذا مـا لقيتهـم بمـا فعـل الإخـوان يـوم التَّمـارسِ
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتمُ ولا تكتموا أخباركم في المجالسِ
وقـولـوا زللنـا عـن مخالـب خـادر به وحَر في الصدر ما لم يمارسِ

* * *

غَزْوَةُ بني المُصْطَلِقْ من خُزَاعَة

قال البخاريُّ : وهي غزوة المُرَيْسِيع[١] .

قال محمد بن إسحاق[٢] : وذلك في سنة ستّ . وقال موسى بن عقبة : سنة أربع . وقال النُّعمان بن راشد ، عن الزُّهريِّ : كان حديث الإفك في غزوة المريسيع . هكذا حكاه البخاريُّ ، عن مغازي موسى بن عقبة ؛ أنَّها كانت في سنة أربع[٣] .

والذي حكاه البيهقيُّ[٤] عنه وعن عروة ؛ أنَّها كانت في شعبان ، سنة خمس .

وقال الواقديُّ[٥] : كانت لليلتين من شعبان ، سنة خمس ، في سبعمئة من أصحابه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار[٦] ، بعدما أورد قصة ذي قَرَد : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ، ورجباً ، ثم غزا بني المُصْطَلِقْ من خُزَاعَة في شعبان ، سنة ستّ .

قال ابن هشام[٧] : واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغفاريَّ ، ويقال : نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيثيُّ .

قال ابن إسحاق[٨] : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبَّان ، كُلّ قد حدَّثني بعض حديث بني المُصْطَلِقْ ، قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أنَّ بني المُصْطَلِقْ يجمعون

---

(١) المُرَيْسِيع : اسم ماءٍ من ناحية قُديد إلى الساحل . قاله الفيروزابادي في « المغانم المطابة » ص(٣٨٠) . وانظر خبر هذه الغزوة في « الروض الأنف » (٦/ ٣٩٩) ، و« زاد المعاد » (٣/ ٢٢٩) ، و« عيون الأثر » (٢/ ١٣٤) ، و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٧٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٩) .
(٣) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٧/ ٤٣٠) : « كذا ذكره البخاري ، وكأنه سبق قلم ، أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٤٥) .
(٥) انظر « المغازي » (١/ ٤٠٤) ولم يرد فيه ذكر لقوله : « في سبعمئة » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٩) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٠) .

له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضِرَار ، أبو جُويرية بنت الحارث التي تزوَّجها رسول الله ﷺ بعد هذا ، فلمَّا سمع بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماءٍ من مياههم يقال له : المُرَيْسِيع ، من ناحية قُديد إلى الساحل ، فتزاحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفَّل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

وقال الواقديُّ[(١)] : خرج رسول الله ﷺ لليلتين خلتا من شعبان ، سنة خمس من الهجرة ، في سبعمئة من أصحابه إلى بني المصطلق ، وكانوا حلفاء بني مدلج ، فلمَّا انتهى إليهم ، دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصِّدِّيق ، ويقال : إلى عمّار بن ياسر . وراية الأنصار إلى سعد بن عُبادة ، ثم أمر عمر بن الخطَّاب ، فنادى في الناس ، أن قولوا : لا إله إلا الله ، تمنعوا بها أنفسكم ، وأموالكم . فأبوا ، فتراموا بالنَّبل ، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين ، فحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، ولم يقتل من المسلمين إلَّا رجل واحد .

وثبت في « الصحيحين »[(٢)] من حديث عبد الله بن عون ، قال : كتبت إلى نافع أسأله عن الدُّعاء قبل القتال ، فقال : قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارُّون ، وأنعامهم تُسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى سبيهم ، فأصاب يومئذ ـ أحسبه قال : ـ جُويرية بنت الحارث[(٣)] . وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك ، وكان في ذلك الجيش .

قال ابن إسحاق : وقد أُصيب رجل من المسلمين ، يقال له : هشام بن صُبابة . أصابه رجل من الأنصار ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأً .

وذكر ابن إسحاق[(٤)] أنَّ أخاه مِقْيَس بن صُبابة قدم من مكة مظهراً للإسلام ، فطلب دية أخيه هشام من رسول الله ﷺ ؛ لأنَّه قتل خطأً ، فأعطاه ديته ، ثم مكث يسيراً ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع مرتدّاً إلى مكة ، وقال في ذلك : [من الطويل]

شَفَى النفس أن قد بات بالقاع مُسْنَداً ... يُضـرِّج[(٥)] ثَـوبيـه دمـاءُ الأخـادعِ

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ٤٤٠) .
(٢) رواه البخاري رقم (٢٥٤١) ومسلم رقم (١٧٣٠) .
(٣) هي أم المؤمنين جُويرية بنت الحارث المصطلقية ، سباها النبي ﷺ في غزوة المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق ، في سنة خمس ، وقيل سنة ست ، وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلقي ، وقيل : صفوان بن مالك ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شمّاس ، فكاتبها ، فقضى عنها النبي ﷺ كتابها ثم أعتقها وتزوجها ، وكان اسمها برَّة ، فغيّره النبي ﷺ وسماها جويريَة ، وماتت في ربيع الأول سنة ست وخمسين ، ولها خمس وستون سنة ، رضي الله عنها وأرضاها . انظر ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٥٦) بتحقيقي .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٣) .
(٥) أي : يلطّخ . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٣/ ٤١) .

وكانت همومُ النفس من قبل قتله ... تُلِـمُّ فتحميني وطـاء المضـاجـعِ
حللت بـه وِتْرِي وأدركـت ثُؤرتـي ... وكنـت إلـى الأوثـان أوّل راجـع
ثـأرت بـه فِهـراً وحمَّلـت عقلـه ... سَراة بنـي النَّجّار أربـابَ فَـارعِ[١]

قلت : ولهذا كان مِقْيَسُ هذا من الأربعة الذين أهدر رسول الله ﷺ يوم الفتح دماءهم ، وإن وجدوا مُعلَّقين بأستار الكعبة .

قال ابن إسحاق[٢] : فبينا الناس[٣] على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطَّاب أجير له من بني غِفَار ، يقال له : جهجاه بن مسعود ، يقود فرسه ، فازدحم جهجاه ، وسنان بن وبر الجهنيُّ ، حليف بني عوف بن الخزرج ، على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنيُّ : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبيٍّ بن سلول ، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم ؛ غلامٌ حدث ، فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نَافرونا ، وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعُدُّنا وجلابيب قريش[٤] هذه ، إلاَّ كما قال الأول : سَمِّنْ كلبك يأكلك[٥] ، أما والله ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ؛ أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله ، لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم ؛ لتحَّولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوِّه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مر به عبّاد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : « فكيف يا عمر ، إذا تحدَّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لا ، ولكن أذِّن بالرحيل » . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلَّغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلَّمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل . حَدَباً[٦] على ابن أُبيٍّ ودفعاً عنه . فلمَّا استقلَّ رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أُسيد بن حضير ، فحيَّاه بتحية النبوة وسلَّم عليه ، وقال : يا رسول الله ، والله

---

(١) وقال السهيلي في « الروض الأنف » نقلاً عن ابن إسحاق : « وقال مِقَيس بن صُبابة أيضاً : [من البسيط]
جلَّلتـه ضربـة بـاءت لهـا وشـلٌ ... من ناقع الجوف يعلوه وينصرم
فقلـت والمـوت تغشاه أسِرّتـه ... لا تـأمنـن بنـي بكـر إذا ظُلمـوا »
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٠) .
(٣) كذا في (آ) و(ط) : « فبينا الناس . . . » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « فبينا رسول الله ﷺ » .
(٤) وهو لقب لمن كان أسلم من المهاجرين ، لقّبهم بذلك المشركون . انظر « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤٠) .
(٥) وعند بعضهم : « أسمن كلبك يأكلك » وهو مثل مشهور من أمثال العرب . انظر مصادره في « معجم الأمثال العربية » لصديقي الفاضل الأستاذ رياض عبد الحميد مراد (٤/ ٥٣) .
(٦) أي : تحنناً . انظر « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤٠) .

لقد رحتَ في ساعة منكرة ، ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله ﷺ : « أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟ » قال : أيُّ صاحب يا رسول الله ؟ قال : « عبد الله بن أُبيٍّ » . قال : وما قال ؟ قال : « زعم أنَّه إن رجع إلى المدينة ؛ أخرج الأعزُّ منها الأذلَّ » . قال : فأنت والله يا رسول الله ، تخرجه إن شئت ، هو والله الذَّليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنَّ قومه لينظمون له الخرز ليتوِّجُوه ، فإنَّه ليرى أنَّك قد استلبته مُلكاً . ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مسَّ الأرض ، فوقعوا نياماً ، وإنَّما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ؛ من حديث عبد الله بن أُبيٍّ ، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس ، وسلك الحجاز ، حتى نزل على ماءٍ بالحجاز فُوَيق النَّقيع ، يقال له : بقعاء . فلمَّا راح رسول الله ﷺ ، هبَّت على الناس ريح شديدة ، فآذتهم وتخوَّفوها ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تخوَّفوها ؛ فإنَّما هبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار » . فلمَّا قدموا المدينة وجدوا رِفَاعة بن زيد بن التَّابوت ، أحد بني قينقاع ، وكان عظيماً من عظماء يهود ، وكهفاً للمنافقين ، مات ذلك اليوم[١] . وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، والواقديُّ .

وروى مسلم[٢] ، من طريق الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر نحو هذه القصة ، إلاَّ أنه لم يسمِّ الذي مات من المنافقين ، قال : هبَّت ريح شديدة والنبيُّ ﷺ في بعض أسفاره ، فقال : « هذه لموت منافق » . فلمَّا قدمنا المدينة ، إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين .

قال ابن إسحاق[٣] : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين ؛ في ابن أبيٍّ ، ومن كان على مثل أمره ، فأخذ رسول الله ﷺ[٤] بأذن زيد بن أرقم ، وقال : « هذا الذي أوفى الله بأذنه » .

قلت : وقد تكلَّمنا على تفسيرها بتمامها ؛ في كتابنا « التفسير »[٥] بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم ، ولله الحمد والمنَّة ، فمن أراد الوقوف عليه ، أو أحبَّ أن يكتبه هاهنا ، فليطلبه من هناك ، وبالله التوفيق .

قال ابن إسحاق[٦] : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنَّه بلغني أنَّك تريد قتل عبد الله بن أُبيٍّ ، فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرَّ بوالده منّي ،

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٨٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٢) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٠٣) .
(٤) في « الروض الأنف » : « فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ » .
(٥) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٨/ ١٥١) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٢) .

وإنّي أخشى أن تأمر [به غيري] فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيٍّ يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : « بل نترفَّق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا » .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث ؛ كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه ويعنّفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطَّاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : « كيف ترى يا عمر ، أما والله لو قتلتُه يوم قلت لي : اقتُله . لأرعدت له آنُف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » . فقال عمر : قد والله علمت ؛ لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري .

وقد ذكر عكرمة ، وابن زيد ، وغيرهما ، أنَّ ابنه عبد الله ، رضي الله عنه ، وقف لأبيه عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول عند مضيق المدينة فقال : قف ، فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ في ذلك ، فلمَّا جاء رسول الله ﷺ استأذنه في ذلك ، فأذن له ، فأرسله حتى دخل المدينة .

قال ابن إسحاق(١) : وأُصيب يومئذ من بني المُصْطَلق ناس ، وقتل عليُّ بن أبي طالب منهم رجلين ؛ مالكاً وابنه .

قال ابن هشام(٢) : وكان شعار المسلمين : يا منصور ، أَمِتْ أَمِتْ .

قال ابن إسحاق(٣) : وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً ، فقسمهم في المسلمين .

وقال البخاريُّ(٤) : ثنا قتيبة بن سعيد ، أخبرني إسماعيل بن جعفر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن محمد بن يحيى بن حبَّان ، عن ابن محيريز ، أنَّه قال : دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخُدري فجلست إليه ، فسألته عن العزل ، فقال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق ، فأصبنا سَبْياً من سبي العرب ، فاشتهينا النساء ، واشتدَّت علينا العُزُوبة ، وأحببنا العزل ، وقلنا : نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، قبل أن نسأله . فسألناه عن ذلك فقال : « ما عليكم أن لا تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلاَّ وهي كائنة » وهكذا رواه(٥) .

قال ابن إسحاق(٦) : وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة ، عن عائشة قالت : لمَّا قسم رسول الله ﷺ سبايا بني

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٣٨) .
(٥) يعني البخاري في كتاب المغازي من « صحيحه » ورواه بمواضع أخرى من « صحيحه » بألفاظ أخرى مختلفة عن ألفاظ روايته هذه .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .

المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شمَّاس ، أو لابن عمٍّ له ، فكاتبتْه على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاَّحة ، لا يراها أحد إلاَّ أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ لتستعينه في كتابتها . قالت : فوالله ، ما هو إلاَّ أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها[١] ، وعرفت أنَّه سيرى منها ما رأيت . فَدَخَلَتْ عليه فقالت : يا رسول الله ، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيِّد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعتُ في السهم لثابت بن قيس بن شمَّاس ، أو لابن عمٍّ له ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابتي . قال : « فهل لك في خير من ذلك ؟ » قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أقضي عنك كتابتك ، وأتزوَّجك ؟ » . قالت : نعم ، يا رسول الله . قال : « قد فعلت » . قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوَّج جُويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ . فأرسلوا ما بأيديهم . قالت : فلقد أعتق بتزويجه إيَّاها مئة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

ثم ذكر ابن إسحاق[٢] قصة الإفك بتمامها في هذه الغزوة ، وكذلك البخاريُّ[٣] ، وغير واحد من أهل العلم، وقد حرَّرتُ طرق ذلك كلِّه في تفسير سورة النُّور[٤] ، فليلحق بكماله إلى هاهنا . وبالله المستعان .

وقال الواقديُّ[٥] : ثنا حرام ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : قالت جُويرية بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبيِّ ﷺ بثلاث ليال ، كأنَّ القمر يسير من يثرب ، حتى وقع في حَجْري ، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس ، حتى قدم رسول الله ﷺ ، فلمَّا سُبينا رجوت الرُّؤيا . قالت : فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوَّجني ، والله ما كلَّمته في قومي ، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم ، وما شعرت إلاَّ بجارية من بنات عمِّي تخبرني الخبر ، فحمدت الله تعالى .

قال الواقديُّ[٦] : ويقال : إنَّ رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق أربعين من بني المصطلق .

وذكر موسى بن عقبة[٧] ، عن بني المصطلق أنَّ أباها طلبها وافتداها ، ثم خطبها منه رسول الله ﷺ فزوَّجه إيَّاها .

* * *

---

(١) قلت : والكره هنا من باب غيرة المرأة من المرأة وخوفها منها على زوجها .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٧) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤١٤١) و(٤٧٥٠) .

(٤) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ١٧) .

(٥) انظر « المغازي » (١/ ٤١١) .

(٦) انظر « المغازي » (١/ ٤١٢) .

(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي » (٤/ ٥١) .

قصة الإفْكِ[١]

وهذا سياق محمد بن إسحاق لحديث الإفك .

قال ابن إسحاق[٢] : حدَّثني الزُّهريُّ ، عن علقمة بن وقّاص ، وسعيد بن المسيِّب ، وعُرْوَة بن الزُّبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة . قال الزُّهريُّ : كلّ[٣] قد حدَّثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدَّثني القوم .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، [عن عمرة بنت عبد الرحمن] ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكلّ قد دخل في حديثها ، عن هؤلاء جميعاً ، يحدِّث بعضهم ما لم يحدِّث صاحبه ، وكلّ كان عنها ثقة ، فكلُّهم حدَّث عنها بما سمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتُهن خرج سهمها ، خرج بها معه ، فلمَّا كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهنَّ معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ . قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العُلَق[٥] ، لم يهبّجهنَّ[٦] اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحِّلون لي ، ويحملونني فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدُّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت : فلمَّا فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، وجَّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعضَ الليل ، ثم أذَّن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقد لي ، فيه جَزع ظفارِ ، فلمَّا فرغت انسلَّ من عنقي ، ولا أدري ، فلمَّا رجعت إلى الرَّحل ذهبت ألتمسه في عنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرَّحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يرحِّلون لي البعير ، وقد كانوا فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنُّون أنّي فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدُّوه على البعير ، ولم يشكُّوا أنّي فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر ، وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفَّفت بجلبابي ، ثم اضطجعت في

---

(١) الإفك : الكذب . انظر « مختار الصحاح » (أفك) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٧) .
(٣) في (ط) : « وكل » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٧) .
(٥) العلق : جمع علقة ، وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء . قاله الخشني في « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤١) .
(٦) في (آ) و(ط) : « لم يهجهن » وأثبت لفظ « الروض الأنف » (٦/ ٤٣٦) وانظر التعليق عليه في هذا الموضع ففي ذلك فائدة إن شاء الله .

مكاني ، وعرفت أن لو افتُقدت لرُجع إليَّ . قالت : فوالله إنِّي لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطَّل السُّلميُّ ، وقد كان تخلَّف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليَّ ، وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب ، فلمَّا رآني قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله ﷺ وأنا متلفّفة في ثيابي . قال : ما خلَّفكِ ، يرحمكِ الله ؟ قالت : فما كلَّمته . ثم قرَّب إليَّ البعير ، فقال : اركبي . واستأخر عني . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلمَّا اطمأنّوا طلع الرجل يقود بي ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، وارتجَّ العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ، ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، لا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويَّ ، لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ، إلاَّ أنّي قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي ؛ كنت إذا اشتكيت رحمني ، ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليَّ وعندي أُمّي تمرِّضني قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وجدت في نفسي فقلت : يا رسول الله ـ حين رأيت ما رأيت من جفائه لي ـ لو أذنت لي فانتقلت إلى أمّي فمرَّضتني ؟ قال : « لا عليك » . قالت : فانتقلت إلى أُمّي ، ولا علم لي بشيء ممَّا كان ، حتى نقِهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنّا قوماً عرباً ، لا نتَّخذ في بيوتنا هذه الكُنف التي تتَّخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنَّما كنا نخرج في فسح المدينة ، وإنَّما كانت النساء يخرجن في كلّ ليلة في حوائجهنَّ ، فخرجتُ ليلة لبعض حاجتي ومعي أُمُّ مسطح ، ابنة أبي رُهم بن المطَّلب . قالت : فوالله ، إنَّها لتمشي معي ، إذ عثرت في مِرطها فقالت : تعس مسطح . ومسطح لقب ، واسمه عوف . قالت : فقلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين ، وقد شهد بدراً . قالت : أوَما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني [بالذي] كان من قول أهل الإفك . قلت : أوَقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي . قالت : وقلت لأُمّي : يغفر الله لك ، تحدَّث الناس بما تحدَّثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ؟ قالت : أي بُنيَّة ، خَفِّضي[(١)] عليك الشأن ، فوالله لقلَّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها ، لها ضرائر ، إلاَّ كثَّرن ، وكثَّر الناس عليها . قالت : وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحقّ ، والله ما علمت عليهم إلاَّ خيراً ، ويقولون ذلك لرجل ؛ والله ما علمت منه إلاَّ خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلاَّ وهو معي » . قالت : وكان كِبْر ذلك عند عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول ، في رجال من الخزرج ، مع الذي قال مسطح ، وحمنة بنت جحش ؛ وذلك أنَّ أُختها زينب بنت جحش [كانت] عند

---

(١) في (آ) : « خففي » وأثبت لفظ (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .

رسول الله ﷺ ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني(١) في المنزلة عنده غيرها ، فأمَّا زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلاَّ خيراً ، وأمَّا حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارُّني لأختها ، فشقيت بذلك ، فلمَّا قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أُسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس ، نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا أمرك ، فوالله إنَّهم لأهلٌ أن تضرب أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك [يُرى] رجلاً صالحاً ، فقال : كذبت ، لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلاَّ أنَّك قد عرفت أنَّهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أُسيد [بن حضير] : كذبت لعمر الله ، ولكنَّك منافق تجادل عن المنافقين . قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوس والخزرج شرّ ، ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليَّ . قالت : فدعا عليّ بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأمَّا أسامة فأثنى خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلاَّ خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأمَّا عليّ فإنَّه قال : يا رسول الله ، إنَّ النساء لكثير ، وإنَّك لقادر على أن تستخلف ، وسل الجارية فإنَّها ستصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بَرِيرة ليسألها . قالت : فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : اصدقي رسول الله ﷺ . قالت : فتقول : والله ما أعلم إلاَّ خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلاَّ أنّي كنت أعجن عجيني ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتي الشاة فتأكله . قالت : ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي وهي تبكي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ، إنَّه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتَّقي الله ، وإن كنتِ قد قارفت سوءاً مما يقول الناس ، فتوبي إلى الله ؛ فإنَّ الله يقبل التوبة عن عباده . قالت : فوالله إن هو إلاَّ أن قال لي ذلك ، فقلص(٢) دمعي ، حتى ما أحسّ منه شيئاً ، وانتظرت [أبويَّ] أن يجيبا عنِّي رسول الله ﷺ ، فلم يتكلَّما . قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر في نفسي ، وأصغر [شأناً] من أن يُنَزِّل الله فيّ قرآناً يُقرأ به ويصلَّى به ، ولكنّي كنت أرجو أن يُرى النبيّ ﷺ في نومه شيئاً يكذّب به الله عني ؛ لما يعلم من براءتي ، أو يخبر خبراً ، وأمَّا قرآناً ينزل فيّ ، فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك . قالت : فلمَّا لم أر أبويَّ يتكلَّمان ، قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ فقالا : والله ما ندري بماذا نجيبه . قالت : ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام . قالت : فلمَّا استعجما عليّ ، استعبرت فبكَيت ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله ممَّا ذكرت أبداً ، والله إنّي لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنّي منه بريئة ، لأقولنَّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون ، لا تصدِّقونني . قالت : ثم التمست اسم يعقوب ، فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] . قالت : فوالله ما برح رسول الله ﷺ [مجلسه] حتى تغشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه ،

---

(١) أي : تنازعني .
(٢) أي : ارتفع .

فسجّي بثوبه، ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه ، فأمَّا أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت وما باليت ، قد عرفت أنّي بريئة ، وأنَّ الله غير ظالمي ، وأمَّا أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ ، حتى ظننت لتخرجنَّ أنفسهما ؛ فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس : قالت : ثم سُرِّي عن رسول الله ﷺ، فجلس وإنَّه ليتحدَّر من وجهه مثل الجمان[١] في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : أبشري يا عائشة، قد أنزل الله، [عزَّ وجلَّ] ، براءتك . قالت : قلت : الحمد لله[٢] . ثم خرج إلى الناس فخطبهم [وتلا عليهم] ما أنزل الله، عزَّ وجلَّ، من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أُثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممَّن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدَّهم .

وهذا الحديث مخرَّج في « الصحيحين »[٣] عن الزُّهريِّ .

وهذا السياق فيه فوائد جمَّة ، وذكر حدّ القذف لحسان ومن معه رواه أبو داود في « سننه »[٤] .

قال ابن إسحاق[٥] : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه : [من الطويل]

لقد ذاق حسّان الذي كان أهله … وحَمْنَةُ إذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطَوا برجم الغيب زوج نبيِّهم … وسَخطةَ ذي العرش الكريم فأُتْرِحوا
وآذَوا رسول الله فيها فجُلِّلوا … مخازي تبقى عمّموها وفُضِّحوا
وصبّت عليهم محصدات كأنَّها … شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح

وقد ذكر ابن إسحاق[٦] أن حسان بن ثابت قال شعراً[٧] ، يهجو فيه صفوان بن المعطَّل وجماعة من قريش ممَّن تخاصم على الماء من أصحاب جهجهاه كما تقدَّم ، أوَّله : [من البسيط]

أمسى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا … وابنُ الفُريعة أمسى بيضةَ البلد
قد ثكلت أمُّه من كنت صاحبه … أو كان منتشباً في بُرثن الأسد
ما لقتيلي الذي أغدو فآخذه … من دية فيه يعطاها ولا قوَد
ما البحر حين تهبُّ الرِّيح شامِيَة … فيغطئلّ ويرمي العبر بالزَّبد
يوماً بأغلب منِّي حين تبصرني … ملغيظ أفري كفري العارض البرد

---

(١) قال الخشني : الجمان : حب من فضة يصنع على مثال الدُّرِّ . انظر « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤٢) .

(٢) في (آ) : « لحمد الله » وأثبت لفظ (ط) .

(٣) رواه البخاري رقم (٢٦٦١) و(٤١٤١) و(٤٧٥٠) ومسلم رقم (٢٢٧٠) (٥٦) .

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٤٧٥)وهو حديث حسن يشهد له حديث عمرة عن عائشة الذي قبله رقم (٤٤٧٤) فإنه يقوى بها ، فهو حسن .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٧) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٤) .

(٧) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٢٨٤) مع بعض الفارق الطفيف في ألفاظها .

أمَّا قريش فإني لا أسالمها ... حتى ينيبوا من الغيّات للرَّشد
ويتركوا اللاّت والعزّى بمعزلة ... ويسجدوا كلُّهم للواحد الصمد
ويشهدوا أنَّ ما قال الرسول لهم ... حقّ فَيُوفوا بحقّ الله والوُكد

قال : فاعترضه صفوان بن المعطّل ، فضربه بالسيف وهو يقول : [من الطويل]

تلقَّ ذُباب السيف عنّي فإنَّني ... غلامٌ إذا هُوجيت لستُ بشاعرِ

وذكر[١] أن ثابت بن قيس بن شمَّاس أخذ صفوان حين ضرب حسَّان ، فشدَّه وَثاقاً ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسَّان بالسيف . فقال عبد الله : هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت ؟ قال : لا . فأطلقه ، ثم أتوا كلّهم رسول الله ﷺ ، فقال ابن المعطَّل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب فضربته . فقال رسول الله ﷺ : « يا حسّان ، أتشوَّهت على قومي إذ هداهم الله » . ثم قال : « أحسن يا حسان فيما أصابك » . فقال : هي لك يا رسول الله . فعوَّضه منها بيرحاء التي تصدَّق بها أبو طلحة ، وجارية قبطيَّة ، يقال لها : سيرين . جاءه منها ابنه عبد الرحمن[٢] .

قال : وكانت عائشة تقول : سُئل [عن] ابن المعطَّل ، فوجد رجلاً حصوراً[٣] ما يأتي النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيداً ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم قال حسان بن ثابت[٥] ، يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة : [من الطويل]

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ ... وتصبح غَرْثَى من لحوم الغوافلِ
عقيلة حيّ من لؤيّ بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غير زائلِ
مهذَّبة قد طيّب الله خِيمها ... وطهَّرها من كلّ سوءٍ وباطلِ
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتمُ ... فلا رفعتْ سوطي إليّ أناملي
وكيف وودِّي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافلِ
له رَتَب عالٍ على الناس كلِّهم ... تقاصر عنه سَورة المتطاولِ
فإنَّ الذي قد قيل ليس بلائط ... ولكنَّه قول امرئ بي ماحلِ

وقد زاد يونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق قبل البيت الأوَّل :

---

(١) يعني ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٥) .
(٢) انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٣١٤) ، و« شذرات الذهب » (٢/ ٣١٤) بتحقيقي .
(٣) الحصور : وأما في حق يحيى عليه السلام أنه كان حصوراً ، يعني لا يأتي النساء ، فغلط بل هذه نقيصة وعيب ، ولا يليق بالأنبياء ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، كأنه حصر عنها .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٦) .
(٥) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥١٠) وانظر « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » (٢/ ١٤٦) بتحقيقي بالاشتراك مع عدد من الأصدقاء الأفاضل ، وإشراف أستاذنا العلاَّمة الدكتور شاكر الفحّام ، طبع دار الفكر بدمشق .

رأيتــكِ وليغفــر لــك الله حُــرَّة / مـن المحصنات غير ذات غـوائـلِ
حصــان رزان مــا تُــزنّ بــريبــة / وتصبح غرثى من لحوم الغوافلِ
وإنَّ الــذي قــد قيــل ليــس بــلائــط / بك الدَّهر بل قيل امرئ متماحلِ
فـإن كنـت أهجـوكـم كمـا بلَّغـوكـمُ / فـلا رجعـت سـوطـي إلـيَّ أنـامـلـي
فكيـف وودّي مـا حييـت ونصـرتـي / لآل رسـول الله زيـن المحـافـلِ
وإنَّ لهـم عـزّاً يـرى النـاس دونـه / قصـاراً وطـال العـزّ كـلّ التّطـاولِ

ولِيُكتب هاهنا الآيات من سورة النُّور ، وهي من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور : ١١ ـ ٢٦] . وما أوردناه هنالك من الأحاديث ، والطُّرق ، والآثار عن السَّلف والخلف[1] ، وبالله التوفيق .

***

غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَة[2]

وقد كانت في ذي القعدة سنة ستّ بلا خلاف . وممَّن نصَّ على ذلك الزُّهريُّ ، ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، وغيرهم ، وهو الذي رواه ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُروة أنها كانت في ذي القعدة سنة ستّ .

وقال يعقوب بن سفيان[3] : ثنا إسماعيل بن الخليل ، عن عليّ بن مسهر ، أخبرني هشام بن عُروة ، عن أبيه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الحُديبية في رمضان ، وكانت الحُديبية في شوّال ، وهذا غريب جدّاً عن عُروة .

وقد روى البخاريُّ ومسلم[4] جميعاً ، عن هُدْبَة ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، أن أنس بن مالك أخبره أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمَرٍ ، كلُّهنَّ في ذي القعدة [إلاَّ العُمْرَة التي مع حجَّته ؛ عمرة من الحُديبية في ذي القعدة] وعُمرة من العام المقبل في ذي القعدة ، وعُمْرَة من الجِعْرَانَة[5] في ذي القعدة ، حيث قسم غنائم حنين ، وعمرة مع حجَّته . وهذا لفظ البخاريّ .

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ١٧ ـ ٣٥) .
(٢) انظر خبرها في « المغازي » لابن أبي شيبة ص(٢٧٠) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٥٢) ، و« زاد المعاد » (٣/ ٢٥٥) ، و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٨٤) .
(٣) انظر « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٢٨٧) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٤٨) ، ومسلم رقم (١٢٥٣) .
(٥) الجِعْرَانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٣٣٦) .

وقال ابن إسحاق[(١)] : ثم قام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان وشوَّالاً ، وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيثيّ .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب ، أو يصدُّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهَدْيَ ، وأحرم بالعُمْرَة ؛ ليأمن الناسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ، ومعظّماً له .

قال ابن إسحاق[(٢)] : وحدَّثني محمد بن مُسلم بن شِهَاب الزُّهريّ ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ، ومَرْوان بن الحَكَم ، أنَّهما حدَّثاه قَالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحُديبية ، يريد زِيارة البيت لايريد قتالاً ، وساق معه الهَدْيَ سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمئة رجل ، وكانت كلّ بدنة عن عشرة نفرٍ ، وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول : كُنَّا أصحاب الحُديبية أربع عشرة مئة .

قال الزهريُّ[(٣)] : وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان بعُسْفَان لقيه بِشْرُ[(٤)] بن سُفيان الكَعبيّ فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العُوذُ المَطَافِيل ، قد لبسوا جلود النّمور ، وقد نزلوا بذي طُوىً[(٥)]، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، قد قدَّموها إلى كُرَاع الغَمِيم[(٦)] . قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلَّوا بيني وبين سائر العرب؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظنّ قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السَّالفة». ثم قال: «من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ » .

قال ابن إسحاق : فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله . قال : فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل[(٧)] بين شعاب ، فلمَّا خرجوا منه ، وقد شقَّ ذلك على المسلمين ، فأفضَوا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٠٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٠٨ـ٣٠٩) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/٤٥٣) .
(٤) وقال ابن هشام في « السيرة النبوية » (٢/٣٠٩) : « ويقال : بُسْر » . وهو الصواب ، فقد أورده ابن عبد البرّ في « الاستيعاب » ، وابن الأثير في « أُسد الغابة » ، وابن حجر العسقلاني في « الإصابة » في رسم (بُسْر) ولم يذكروا فيه خلافاً .
(٥) ذو طُوىً : موضع قرب مكة .
(٦) كراع الغميم : موضع في الحجاز بين مكة والمدينة . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/١١٥٣) .
(٧) الأجرل : الكثير الحجارة .

إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله ﷺ : « قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه » . فقالوا ذلك ، فقال : « والله إنها للحطّة [١] التي عرضت على بني إسرائيل ، فلم يقولوها » .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : « اسلكوا ذات اليمين » بين ظهري الحَمْضِ في طريق تخرجه على ثنيّة المرار ، مهبط الحُديبية من أسفل مكّة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلمّا رأت خيل قريش قَتَرَةَ الجيش [٢] قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك في ثنيّة المُرَار [٣] بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت . فقال : « ما خلأت ، وما هو لها بخُلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعونني قريش اليوم إلى خُطّة [٤] يسألونني فيها صلة الرَّحم ، إلا أعطيتهم إيّاها » . ثم قال للناس : « انزلوا » . قيل له : يا رسول الله ، ما بالوادي ماء ننزل عليه . فأخرج سهماً من كنانته ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به في قليب من تلك القُلُب ، فغرزه في جوفه ، فجاش بالرَّواء ، حتى ضرب الناس عنه بعطن [٤] .

قال ابن إسحاق [٥] : فحدَّثني بعض أهل العلم ، عن رجال من أسلم ، أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب ، سائق بدن رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلتُ بسهم رسول الله ﷺ . فالله أعلم أيّ ذلك كان . ثم استدلّ ابن إسحاق للأول بأن جارية من الأنصار جاءت البئر ، وناجية في أسفله يميح ، فقالت : [من الرجز]

يا أيُّها المائح دَلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا
يُثنون خيراً ويُمجّدونكا

فأجابها فقال :

قـد علمـت جـاريـةٌ يمـانيـهْ أنّي أنا المائح واسمي ناجيه
وطعنــة ذات رشـاش واهيــه طعنتهـا عنـد صـدور العـاديـه

قال الزهريّ في حديثه : فلمّا أطمأنّ رسول الله ﷺ ، أتاه بُديل بن ورقاء ، في رجال من خزاعة ، فكلّموه وسألوه ما الذي جاء به ، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظّماً لحرمته .

---

(١) قال الله تعالى لهم ﴿ وقولو حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ أي احطط عنا ذنوبنا وخطايانا ، فاستهزؤوا وقالوا حبة في شعرة .
(٢) أي : غباره .
(٣) ثنية المُرَار : موضع عند الحُديبية من نواحي مكة . عن تعليق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » ص(٨٥) بتصرف .
(٤) أي : خصلة . والعطن : مبرك الإبل حول الماء .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٠) .

ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت .

فاتّهموهم وجبّهوهم وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالاً ؛ فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تحدّث بذلك عنا العرب . قال الزّهريّ : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ ؛ مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بني عامر بن لؤيّ ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : « هذا رجل غادر » . فلمّا انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلّمه ، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة ، أو ابن زبّان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال : « إنَّ هذا من قوم يتألّهون ، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه » . فلمّا رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محلّه ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ ؛ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابي لا علم لك . قال ابن إسحاق : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن الحُليس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أَيُصَدُّ عن بيت الله من جاءه معظّماً له ؟ والذي نفس الحُليس بيده لتخلُنّ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه ، كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزّهريّ في حديثه[١] : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثّقفيّ ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم ؛ من التّعنيف ، وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد ـ وكان عُرْوَة لسُبَيْعَة بنت عبد شمس ـ وقد سمعتُ بالذي نابكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، [ثم] جئتكم ، حتى آسيتكم بنفسي . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتّهم . فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضّها بهم ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النّمور ، يعاهدون الله ، لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وايم الله لكأنّي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً . قال : وأبو بكر الصِّدِّيق ، رضي الله عنه ، خلف رسول الله ﷺ ، فقال : امصص بظر اللاّت ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : « هذا ابن أبي قُحَافَة » . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلّمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد . قال : فجعل يقرع يده ، إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ ، قبل ألاّ تصل إليك . قال : فيقول عروة : ويحك ، ما أفظّك

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١١) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٥٧) .

وأغلظك . قال : فتبسّم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمّد ؟ قال : « هذا ابن أخيك ، المغيرة بن شعبة » . قال : أي غدر ، وهل غَسَلْتُ سَوْءَتَكَ إلاَّ بالأمس ؟!

قال الزّهريّ : فكلّمه رسول الله ﷺ ، بنحو ممّا كلّم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عند رسول الله ﷺ ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلاّ ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلاّ أخذوه ، فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنّجاشيّ في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قطّ مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً ، فَرَوا رأيكم .

قال ابن إسحاق(١) : وحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعيّ ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له ، يقال له : الثّعلب . ليبلّغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق(٢) : وحدّثني بعض من لا أتّهم ، عن عكرمة ، [عن ابن عباس] أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين ، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله [ﷺ] ؛ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأُخذوا [أخذاً] ، فأُتي بهم رسول الله ﷺ ، فعفا عنهم وخلّى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنّبل ، ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيّاها وغلظتي عليها ، ولكني أدلّك على رجل أعزّ بها مني ، عثمان بن عفان . فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظّماً لحرمته ، فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلَّغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعُظماء قريش ، فبلَّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين بلّغ رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل .

قال ابن إسحاق(٣) : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : « لا نبرح حتى نناجز القوم » . ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة ، فكانت بيعة الرّضوان تحت الشجرة ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٤ـ ٣١٥) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٥٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٥ـ ٣١٦) .

فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألاّ نفرَّ . فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلاّ الجدّ بن قيس ، أخو بني سلمة ، وكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنّي أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته ، [قد] ضبأ إليها ، يستتر من الناس ، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من [أمر] عثمان باطل .

قال ابن هشام[(١)] : فذكر وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشّعبيّ أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرّضوان أبو سنان الأسديّ .

قال ابن هشام[(٢)] : وحدّثني من أثق به ، عمّن حدّثه بإسناد له ، عن ابن أبي مُلَيكَة ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد الضعيف ثابت في « الصحيحين »[(٣)] .

قال ابن إسحاق[(٤)] : قال الزّهريّ : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤيّ إلى رسول الله ﷺ وقالوا : ائت محمداً وصالحه ، ولا يكن في صلحه إلاّ أن يرجع عن عامه هذا ، فوالله لا يتحدّث العرب أنه دخلها عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ ، تكلّم فأطال الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلمّا التأم الأمر ولم يبق إلاّ الكتاب ، وثب عمر فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟! قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟! قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟! قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدَّنيَّة في ديننا ؟! قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزه ، فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ألست برسول الله ؟! قال : « بلى » . قال : أوَلسنا بالمسلمين ؟! قال : « بلى » . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟! قال : « بلى » . قال : فعلام نعطي الدّنيّة في ديننا ؟! قال : « أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيّعني » . فكان عمر ، رضي الله عنه يقول : ما زلت أصوم ، وأتصدّق ، وأصلّي ، وأعتق ، من الذي صنعت يومئذ ؛ مخافة كلامي الذي تكلّمت يومئذ ، حتى رجوت أن يكون خيراً . قال : ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال : « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم » . قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهمّ . قال :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣١٦) ، و« الروض الأنف » (٦/٤٦١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣١٦) .
(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٩٩) ، ومسلم رقم (١٨٥٦) (٦٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣١٦) .

فقال رسول الله ﷺ : « اكتب : باسمك اللهمّ » . فكتبها ، ثم قال : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . [قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . قال : فقال رسول الله ﷺ : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو »] اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهنّ الناس ، ويكفّ بعضهم عن بعض ، [على] أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممّن مع محمد لم يردّوه عليه ، وأنّ بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقد محمد [وعهده] دخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ـ فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ـ وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ؛ السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها .

قال : فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح ؛ لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلمّا رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه ، دخل [على] الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل ، قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، وقال : يا محمد ، قد لجّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : « صدقت » . فجعل ينتره بتلبيبه ويجرّه ، يعني ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أُردّ إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم . فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنّا لا نغدر بهم » . قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : [اصبر] يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه . قال : فضنّ الرجل بأبيه ، ونفذت القضية . فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب ، أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ، ورجالاً من المشركين ؛ أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص ـ وهو [يومئذ] مشرك ـ وعليّ بن أبي طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة . وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحلّ ، وكان يصلّي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذي حلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعيّ ، فلمّا رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق ، تواثبوا ينحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : حلق رجال يوم الحديبية وقصّر آخرون ، فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : « والمقصّرين » . قالوا : يا رسول الله فلم ظاهرت التّرحيم للمحلّقين دون المقصّرين ؟ قال : « لم يشكّوا » .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدّثني مجاهد ، عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية ـ في هداياه ـ جملاً لأبي جهل ، في رأسه برة من فضّة ؛ ليغيظ بذلك المشركين . هذا سياق محمد بن إسحاق ، رحمه الله ، لهذه القصة ، وفي سياق البخاريّ ـ كما سيأتي ـ مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق ، كما ستراها إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ، ونذكر ما في الأحاديث الصّحاح والحسان ما فيه شاهد ، في كلّ موطن بحسبه ، إن شاء الله تعالى ، وعليه التّكلان ، وهو المستعان .

قال البخاريّ[٢] : ثنا خالد بن مخلد ، ثنا سليمان بن بلال ، ثنا صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية ، فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلّى لنا رسول الله ﷺ الصبح ، ثم أقبل [بوجهه] علينا فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . [فقال] : « قال الله تعالى : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ؛ فأمّا من قال : مطرنا برحمة الله ، وبرزق الله ، وبفضل الله . فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأمّا من قال : مطرنا بنجم كذا . فهو مؤمن بالكوكب كافر بي » . وهكذا رواه في غير موضع من « صحيحه » . ومسلم من طرق[٣] . وقد روى عن الزّهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن أبي هريرة .

وقال البخاريّ[٤] : ثنا عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : تعدّون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرّضوان يوم الحُديبية ، كنا مع النبيّ ﷺ أربع عشرة مئة ، والحُديبية بئر ، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ ، فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء من ماءٍ ، فتوضّأ ثم مضمض ودعا ، ثم صبّه فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا . انفرد به البخاريّ .

وقال ابن إسحاق[٥] في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] : صلح الحُديبية .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٩) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤١٤٧) .

(٣) رواه مسلم (٧١) (١٢٥) و(٧٢) (١٢٦) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤١٥٠) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٢٢) .

قال الزهريّ : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلمّا كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلّهم بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلَّم أحد في الإسلام ـ يعقل شيئاً ـ إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزّهريّ أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة رجل في قول جابر ، ثم خرج [عام فتح مكة] بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

وقال البخاريّ[١] : ثنا يوسف بن عيسى ، ثنا ابن فضيل ، ثنا حصين ، عن سالم ، عن جابر ، قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضَّأ منها ، ثم أقبل الناس نحوه ، فقال رسول الله ﷺ : « ما لكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ماء نتوضّأ به ولا [ما] نشرب إلاّ ما في ركوتك . قال : فوضع النبيّ ﷺ يده في الرّكوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون . قال : فشربنا وتوضّأنا . فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : [لو] كنا مئة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مئة .

وقد رواه البخاريّ أيضاً ، ومسلم[٢] من طُرق ، عن حُصَين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر ، به .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا الصّلت بن محمد ، ثنا يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قلت لسعيد بن المسيّب : بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مئة . فقال لي سعيد : حدّثني جابر : كانوا خمس عشرة مئة ، الذين بايعوا النبيّ ﷺ يوم الحُديبية . تابعه أبو داود[٤] : حدّثنا قُرّة ، عن قتادة . تفرّد به البخاريّ .

ثم قال البخاريّ[٥] : ثنا عليّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً ، قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : « أنتم خير أهل الأرض » . وكنا ألفاً وأربعمئة ، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة .

وقد رواه البخاريّ أيضاً ، ومسلم[٦] من طُرق ، عن سُفيان بن عُيينة به .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١٥٢) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣٥٧٦) ، ومسلم رقم (١٨٥٦) (٧٣) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١٥٣) .
(٤) يعني (الطَّيَالسي) صاحب « المسند » واسمه (سُلَيمان بن داود البصري الطّيَالسي) المتوفى سنة (٢٠٤)هـ ، وكان يسرد من حفظه ثلاثين ألف حديث ، رحمه الله . انظر « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي (٣/ ٢٥) بتحقيقي .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٥٤) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٨٤٠) ، و« مسلم » رقم (١٨٥٦) (٧١) .

وهكذا رواه اللَّيث بن سعد ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أن عبداً لحاطب جاء يشكوه فقال : يا رسول الله ، ليدخلنّ حاطب النار . فقال رسول الله ﷺ : « كذبت ، لا يدخلها ؛ فإنه شهد بدراً والحديبية » . رواه مسلم[١] .

وعند مسلم[٢] أيضاً من طرق [عن] ابن جُريج ، أخبرني أبو الزّبير ، أنه سمع جابراً يقول : أخبرتني أمّ مبشّر[٣] أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة : « لا يدخل أحدٌ النَّار ، إن شاء الله ، من أصحاب الشجرة ، الذين بايعوا تحتها » . فقالت حَفْصَةُ : بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حَفْصَةُ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] فقال رسول الله ﷺ : « قد قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] » .

قال البخاريّ[٤] : وقال عبيد الله بن معاذ : ثنا أبي ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، حدّثني عبد الله بن أبي أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمئة ، وكانت أَسْلَم ثُمُن المهاجرين . تابعه محمد بن بشّار ، حدّثنا أبو داود ، حدّثنا شعبة . هكذا رواه البخاريّ معلّقاً ، عن عبيد الله .

وقد رواه مسلم[٥] ، عن عُبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شُعبة ، وعن محمد بن المثنّى ، عن أبي داود ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن النّضر بن شُمَيل ، كلاهما عن شُعبة ، به .

ثم قال البخاريّ[٦] : ثنا عليّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، عن الزّهريّ ، عن عُرْوَة ، عن مروان والمِسْوَر بن مخرمة قالا : خرج النّبيّ ﷺ عام الحُديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه ، فلمّا كان بذي الحُليفة قلّد الهديَ ، وأشعر ، وأحرم منها . تفرّد به البخاريّ ، وسيأتي هذا السياق بتمامه .

والمقصود أن هذه الروايات كلّها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق ؛ من أن أصحاب الحديبية كانوا سبعمئة ، وهو ـ والله أعلم ـ إنما قال ذلك تفقّهاً من تلقاء نفسه ؛ من حيث إنّ البدن كنّ سبعين بدنةً ، وكلّ منها عن عشرة ، على اختياره ، فيكون المهلّون سبعمئة ، ولا يلزم أن يهدي كلّهم ، ولا أن يحرم كلّهم أيضاً ؛ فقد ثبت أن رسول الله ﷺ بعث طائفة منهم ، فيهم أبو قتادة ، ولم يُحْرِم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحِمَار الوحشيّ ، فَأَكل منه هو وأصحابه ، وحملوا منه إلى رسول الله ﷺ في أثناء الطريق ، فقال : « أمنكم أحد أمره أن يحمل عليها ، أو أشار إليها ؟ » قالوا : لا . قال : « فكلوا ما بقي من لَحْمِهَا » .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٩٦) (١٦٣) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٩٦) (١٦٣) .
(٣) هي أم مُبَشّر بنت البراء بن معرور الأنصارية ، وهي امرأة زيد بن حارثة ، وكانت من كبيرات الصحابيات . انظر « جامع الأصول » (١٥/ ٣٧٥) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٥٥) تعليقاً .
(٥) رواه مسلم رقم (١٨٥٧) (٧٥) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٥٧) و(٤١٥٨) .

وقد قال البخاري[١] : ثنا سعيد بن الربيع ، ثنا عليُّ بن المبارك ، عن يحيى ، عن عبد الله بن أبي قتادة ، أن أباه حدَّثه قال : انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحُديبية ، فأحرم أصحابه ولم أُحرم .

وقال البخاريُّ : ثنا محمد بن رافع ، ثنا شَبَابَة [بن سَوَّار الفَزَارِيُّ] ، ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ، ثم أتيتها بعد فلم أعرفها .

ثنا[٢] موسى ، ثنا أبو عوانة ، ثنا طارق ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه ، أنه كان ممن بايع تحت الشجرة ، فرجعنا إليها العام المقبل ، فَعُمِّيَتْ علينا .

وقال البخاريُّ[٣] أيضاً : ثنا محمود ، ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن عبد الرحمن ، قال : انطلقت حاجّاً فمررت بقوم يصلُّون ، فقلت : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة ، حيث بَايَعَ النبيُّ ﷺ بيعة الرِّضوان ، فأتيت سعيد بن المسيِّب فأخبرته ، فقال سعيد : حدَّثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة . قال : فلمَّا كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها . ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم ؟ فأنتم أعلم .

ورواه البخاريُّ ومسلم[٤] من حديث الثوري وأبي عَوَانة وشَبَابَةَ عن طارق .

وقال البخاري[٥] : ثنا إسماعيل ، حدّثني أخي ، عن سليمان ، عن عمرو بن يحيى ، عن عبّاد بن تميم قال : لما كان يوم الحرّة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن زيد : عَلامَ يبايع ابن حنظلة الناس ؟ قيل له : على الموت . فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ . وكان شهد معه الحُديبية .

وقد رواه البخاريّ أيضاً ، ومسلم[٦] من طرق ، عن عمرو بن يحيى ، به .

وقال البخاريّ[٧] : ثنا قتيبة [بن سعيد] ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبيد قال : قلت لسلمة بن الأَكْوَع : على أيّ شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحُديبية ؟ قال : على الموت .

ورواه مسلم[٨] من حديث يزيد بن أبي عُبيد .

---

(١) رواه البخاري رقم (١٨٢٢) .
(٢) القائل الإمام البخاري في « صحيحه » رقم (٤١٦٤) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١٦٣) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٦٤) و(٤١٦٥) ، ومسلم رقم (١٨٥٩) (٧٧) و(٧٨) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٦٧) .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٩٥٩) ، ومسلم رقم (١٨٦١) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤١٦٩) .
(٨) رواه مسلم رقم (١٨٦٠) .

وفي « صحيح مسلم »[(١)] عن سلمة أنه بايع ثلاث مرّات ؛ في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم .

وفي « صحيح مسلم »[(٢)] عن معقل بن يسار ، أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس . وكان أول من بايع رسول الله ﷺ يومئذ أبو سِنَان ، وهو وهب بن محصن ، أخو عُكَّاشة بن مِحْصَن ، وقيل : سِنَان بن أبي سِنَان .

وقال البخاريّ[(٣)] : ثنا شجاع بن الوليد ، سمع النّضر بن محمد ، ثنا صَخْرُ بن الربيع ، عن نافع قال : إن الناس يتحدّثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحُديبية أرسل عبد الله إلى فرس له ، عند رجل من الأنصار ، أن يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يَدْري بذلك ، فبايعه عبد الله ، [ثم ذهب إلى الفَرَس ، فجاء به إلى عمر ، وعمر يَستلئمُ للقتال ، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة][(٤)] . قال : فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ ، وهي التي يتحدّث[(٥)] الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وقال هشام بن عمّار : ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا عمر بن محمد العُمَريّ ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبيّ ﷺ يوم الحُديبية تفرّقوا في ظلال الشجر ، فإذا الناس مُحْدقُون بالنّبيّ ﷺ ، فقال : يا عبد الله ، انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ ؟ فوجدهم يبايعون ، فبايع ثم رجع إلى عمر ، فخرج فبايع . تفرّد به البخاريّ[(٦)] من هذين الوجهين .

* * *

ذكر[(٧)]

سياق البخاريّ لعُمْرَة الحُديبية

قال في كتاب المغازي[(٨)] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا سفيان ، سمعت الزّهريّ حين حدّث هذا الحديث ، حفظت بعضه ، وثبَّتني مَعْمَر ، عن عُرْوَة بن الزّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومَرْوَان بن الحَكم ، يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبيّ ﷺ عام الحُديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه ،

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٠٧) .

(٢) رواه مسلم رقم (١٨٥٧) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤١٨٦) .

(٤) ما بين القوسين سقط من (ط) .

(٥) في (ط) : « تحدث » .

(٦) في « صحيحه » رقم (٤١٨٧) تعليقاً .

(٧) لفظ « ذكر » لم يرد في (ط) .

(٨) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤١٧٨) و(٤١٧٩) .

فلمّا أتى ذا الحُليفة قلّد الهدي وأشهره ، وأحرم منها بعمرة ، وبعث عيناً له من خُزَاعَة ، وسار النبيّ ﷺ حتى إذا كان بغُدَير الأَشْطَاط[١] أتاه عينه ، قال : إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً ، وقد جمعوا لك الأحابيش ، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك . فقال : « أشيروا أيها الناس عليّ ، أترون أن أميل إلى عيالهم ، وذراريّ هؤلاء الذين يريدون أن يصدّونا عن البيت؟ فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين » . قال أبو بكر : يا رسول الله ، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب [أحد] فتوجّه له ، فمن صدّنا عنه قاتلناه . قال : « امضوا على اسم الله » . هكذا رواه هاهنا ، ووقف ، ولم يزد شيئاً على هذا .

وقال في كتاب الشّهادات[٢] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا عبد الرزّاق ، أنبأ مَعْمَر ، أخبرني الزّهريّ ، أخبرني عُرَوة بن الزّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومَروان بن الحكم ، يصدّق كلّ واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحُديبية ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال النبيّ ﷺ : « إن خالد بن الوليد بالغميم ، في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين » . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش ، فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبيّ ﷺ حتى إذا كان بالثّنيّة التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ . فألحّت ، فقالو : خَلأَتِ القَصْواء ، خلأت القصواء . فقال رسول الله ﷺ : « ما خَلأت القصواء ، وما ذاك لها بخُلُق ، ولكن حبسها حابس الفيل » . ثم قال : « والذي نفسي بيده لا يسألوني خطّة يعظّمون فيها حرمات الله [إلا أعطيتهم إيّاها] » . ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحُديبية ، على ثَمَد قليل الماء يَتَبَرَّضُه الناس تبرّضاً ، فلم يلبّثه الناس حتى نزحوه ، وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرّيّ حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن وَرْقَاء الخُزَاعيّ ، في نفر من قومه من خُزَاعة ـ وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تِهَامة ـ فقال : إني تركت كعب بن لؤيّ ، وعامر بن لؤيّ ، نزلوا أعداد مياه الحُديبية ، معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت . فقال النبيّ ﷺ : « إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم ، فإن شاؤوا مادَدْتُهم مدة ، ويخلّوا بيني وبين الناس ، [فإن أظهر ، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس] فعلوا ، وإلاّ فقد جمُّوا ، وإن هم أبوا ، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذنّ أمر الله » . قال بديل : سأبلّغهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشاً ، فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدّثهم بما قال رسول الله ﷺ ، فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ، ألستم

---

(١) غدير الأشطاط : موضع قرب عُسفان . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٨١) .
(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٢٧٣١) و(٢٧٣٢) في الشروط ، لا في الشهادات .

بالوالد؟ قالوا : بلى . قال : أولست بالولد؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتّهموني؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ ، فلمّا بلّحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا : بلى . قال : فإنّ هذا قد عرض لكم خطّة رشد اقبلوها ودعوني آته . فقالوا : ائته . فأتاه ، فجعل يكلّم النبيّ ﷺ ، فقال النبيّ ﷺ نحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت [بأحد] من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى ، فإني والله لا أرى وجوهاً ، [وإني لأرى] أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك . فقال له أبو بكر : امصص بظر اللاّت ، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ قال : من ذا؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها ، لأجبتك . قال : وجعل يكلّم النبيّ ﷺ ، فكلما تكلّم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ، ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف ، وقال [له] : أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا؟ قالوا : المغيرة بن شعبة . فقال : أي غدر ، ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبيّ ﷺ : « أمّا الإسلام فأقبل ، وأمّا المال فلست منه في شيء » . ثم إن عروة [جعل] يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه ، قال : فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له . فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ؛ وفدت على قيصر وكسرى والنّجاشيّ ، والله إن رأيت ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخّم نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بني كنانة : دعوني آته . فقالوا : ائته . فلمّا أشرف على النبيّ ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : « هذا فلان ، وهو من قوم يعظّمون البدن فابعثوها له » . فبعثت له ، واستقبله الناس يلبّون ، فلمّا رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت . [فلمّا رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلّدت وأشعرت ، فما أرى أن يصدّوا عن البيت] . فقام رجل منهم يقال له : مكرز بن حفص . فقال : دعوني آته . قالوا : ائته . فلمّا أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ : « هذا مكرز ، وهو رجل فاجر » . فجعل يكلّم النبي ﷺ ، [فبينما هو يكلّمه] إذ جاء سهيل بن عمرو .

قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ : « [لقد] سُهِّلَ لَكُمْ [من] أَمرِكُمْ » . قال معمر : قال الزهريّ في حديثه : فجاء سهيل فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبيّ ﷺ الكاتب ، فقال النبيّ ﷺ : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » . فقال سهيل : أمّا الرحمن ، فوالله ما أدري ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهمّ ، كما كنت تكتب . فقال

المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبيّ ﷺ : « اكتب باسمك اللهمّ » . ثم قال : « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك [عن] البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله ﷺ : « والله إني لرسول الله وإن كذّبتموني ، اكتب محمد بن عبد الله » .

[قال الزهـريّ] : وذلك لقوله : « لا يسألوني خطّة يعظّمون فيها حُرُمَات الله ، إلاّ أعطيتهم إيّاها » . فقال له النبيّ ﷺ : « على أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به » . قال سهيل : والله لا تتحدّث العرب أنا أُخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب ، فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منّا رجل ، وإن كان على دينك ، إلاّ رددته إلينا . قال المسلمون : سبحان الله كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد ، أول من أقاضيك عليه أن تردّه إليّ . فقال النبي ﷺ : « إنا لم نقض الكتاب بعد » . قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . فقال النبيّ ﷺ : « فأجزه لي » . قال : ما أنا بمجيزه لك . قال : « بلى ، فافعل » . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أُردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ ـ وكان قد عذّب عذاباً شديداً في الله ـ قال : فقال عمر ، رضي الله عنه : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ألست نبيّ الله حقّاً؟ قال : « بلى » . قلت : ألسنا على الحقّ ، وعدوّنا على الباطل؟ قال : « بلى » . قلت : [فلم] نعطي الدّنيّة في ديننا إذاً؟ . قال : « إني رسول الله ، ولست أعصيه وهو ناصري » . قلت : أولست كنت تحدّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال : « بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ » [قال] : قلت : لا . قال : « فإنك آتيه ومطوّف به » . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبيّ الله حقّاً؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحقّ ، وعدوّنا على الباطل؟ . قال : بلى . [قال] : قلت : فلم نعطي الدّنيّة في ديننا إذاً؟ قال : أيها الرجل ، إنه لرسول الله ، وليس يعصي ربّه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحقّ . قلت : أليس كان يحدّثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال : بلى ، أفاخبرك أنك تأتيه العام؟ فقلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوّف به .

قال الزهريّ : قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً . قال : فلمّا فرغ من قضيّة الكتاب ، قال رسول الله ﷺ [لأصحابه] : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلمّا لم يقم منهم أحد دخل على أمّ سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أمّ سلمة : يا نبيّ الله ، أتحبّ ذلك؟ اخرج ثم لا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلّم أحداً منهم حتى فعل ذلك ؛ نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلمّا رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً . ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله

[تعالى] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ [فَٱمْتَحِنُوهُنَّ] ﴾ حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة : ١٠] فطلّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشِّرك ، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبيّ ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير - رجل من قريش - وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً . فاستلّه الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد ، لقد جرّبت به ، [ثم جرّبت به] ، ثم جرّبت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه . فأمكنه منه ، فضربه حتى برد ، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ [حين رآه] : « لقد رأى هذا ذُعراً » . فلمّا انتهى إلى النبيّ ﷺ قال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبيّ الله ، قد والله أوفى الله ذمتّك ، قد رددتني إليهم ، ثم أنجاني الله منهم . فقال النبيّ ﷺ : « ويلُ امِّه ، مسعرَ حرب ، لو كان له أحد » . فلما سمع ذلك عرف أنه سيردّه إليهم ، فخرج حتى أتى سِيف البحر . قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعِير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبيّ ﷺ تناشده الله والرّحم لما أرسل [إليهم] ، فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبيّ ﷺ [إليهم] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ [مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ] ﴾ حتى بلغ ﴿ [ٱلْحَمِيَّةَ] حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح : ٢٤ - ٢٦] . وكانت حميّتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبيّ الله ، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا السياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهريّ ، فقد رواه عن الزهريّ جماعة ؛ منهم سفيان بن عيينة ، ومعمر ، ومحمد بن إسحاق ، كلّهم عن الزهريّ ، عن عروة ، عن مروان ، ومسور ، فذكر القصة .

وقد رواه البخاريّ[1] في أول كتاب الشّروط ، عن يحيى بن بكير ، عن اللَّيث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فذكر القصة . وهذا هو الأشبه ؛ فإن مروان ، ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقال البخاريّ : ثنا الحسن بن إسحاق ، ثنا محمد بن سابق ، ثنا مالك بن مِغْوَل ، سمعت أبا حصين قال : قال أبو وائل : لمّا قدم سهل بن حنيف من صفّين أتيناه نستخبره ، فقال : اتّهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا

(١) في « صحيحه » رقم (٢٧١١) و(٢٧١٢) .

أسيافنا على عواتقنا لأمر يفظعنا إلا أسهلنَ بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ، ما نسدّ منها خُصماً[١] إلا انفجر علينا خصم ، ما ندري كيف نأتي له .

وقال البخاريّ : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنبا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره ، و [كان] عمر بن الخطّاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : ثكلتك أمّك [يا] عمر ، نزّرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كلّ ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحرّكت بعيري ثم تقدّمت [أمام] المسلمين ، وخشيت أن ينزل فيّ قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن . فجئت رسول الله ﷺ فسلّمت عليه فقال : « لقد أُنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس » . ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] .

قلت : وقد تكلّمنا على سورة « الفتح » بكمالها في كتابنا « التفسير »[٢] بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة ، ومن أحبّ أن يكتب ذلك هاهنا[٣] فليفعل .

* * *

فصل
في ذكر السّرايا والبعوث التي كانت في سنة ستّ من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي ، عن الواقديّ قال : في ربيع الأول منها أو الآخر ، بعث رسول الله ﷺ عكّاشة بن محصن ، في أربعين رجلاً إلى [الغَمْر][٤] فهربوا منه ، ونزل على مياههم ، وبعث في آثارهم ، وأخذ منهم مائتي بعير ، فاستاقها إلى المدينة .

وفيها كان بعث [أبي] عُبيدة بن الجرّاح إلى ذي القصّة ، في أربعين رجلاً أيضاً ، فساروا ليلتهم مشاة ، حتى أتوها في عماية الصّبح ، فهربوا منه في رؤوس الجبال ، فأسر منهم رجلاً ، فقدم به على رسول الله ﷺ فأسلم .

وبعث محمد بن مسلمة في عشرة نفر ، فكمن القوم لهم حتى ناموا ، [فقتل] أصحاب محمد بن مسلمة كلّهم ، وأفلت هو جريحاً .

---

(١) الخُصم : الجانب .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٧/ ٤٥٣) .
(٣) في (ط) : « هنا » .
(٤) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) و(ط) واستدركته من « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٨٣) .

• وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالحموم ، فأصاب امرأة من مُزَيْنَة ، يقال لها : حَليمة ، فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سُليم ، فأصابوا منها نعماً ، وشاءً وأسراء[١] ، وكان فيهم زوج حليمة هذه ، فوهبها[٢] رسول الله ﷺ لزوجها ، وأطلقهما .

• وفيها كان بَعْثُ زيد بن حارثة أيضاً ، في جمادى الأولى إلى بني ثَعْلَبة ، في خمسة عشر رجلاً ، فهربت منه الأعراب ، فأصاب من نَعَمهم عشرين بعيراً ، ثم رجع بعد أربع ليالٍ .

• وفيها خرج زَيْدُ بن حارثة في جمادى الأولى إلى العِيص .

قال : وفيها أُخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الرَّبيع ، فاستجار بزَينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته ، وقد ذكر ابن إسحاق قصّته حين أُخذت العِير التي كانت معه ، وقتل أصحابه ، وفرّ هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ قد هاجرت بعد بدر ، فلمّا جاء المدينة استجار بها ، فأجارته بعد صلاة الصّبح ، فأجاره لها رسول الله ﷺ ، وأمر الناس بردّ ما أخذوا من عِيره ، فردّوا كلّ شيء كانوا أخذوه منه ، حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلمّا رجع بها إلى مكة ، وأدّى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع ، أسلم وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة ، فردّ عليه رسول الله ﷺ زوجته[٣] بالنّكاح الأول ، ولم يُحْدِث نكاحاً ولا عقداً ، كما تقدّم بيان ذلك . وكان بين إسلامه وهجرتها ستّ سنين ، ويروى سنتان . وقد بيّنّا أنه لا منافاة بين الروايتين ؛ وأنّ إسلامه تأخّر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفّار بسنتين ، وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح ، لا كما تقدم من كلام الواقديّ ، من أنّه سنة ستّ ، والله أعلم .

وذكر الواقدي في هذه السنة ، أنّ دِحْيَة بن خليفة الكلبيّ أقبل من عند قيصر ، وقد أجازه بأموال وخِلَعٍ ، فلمّا كان بحِسْمَى[٤] لقيه ناس من جذام ، فقطعوا عليه الطريق ، فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أيضاً ، رضي الله عنه .

قال الواقديّ[٥] : حدّثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة قال : خرج عليّ ، رضي الله عنه ، في مائة رجل إلى أن نزل إلى حيّ من بني سعد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أنّ لهم جَمْعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ، فسار إليهم باللّيل ، وكمن بالنهار ، وأصاب عيناً لهم ، فأقرّ له أنه بعث إلى خيبر ، يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر .

---

(١) في (آ) و(ط) : « وأسروا » .
(٢) في (ط) : « فوهبه » وهو خطأ .
(٣) يعني « زينب » .
(٤) حِسْمى : أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وأهل تبوك يرون جبل حِسْمَى في غربتهم ، وفي شرقهم شرورى . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٤٠٣) .
(٥) انظر « المغازي » (٢/ ٥٦٢) .

قال الواقديّ ، رحمه الله تعالى : وفي سنة ستّ ، في شعبان منها ، كانت سريّة عبد الرحمن [بن] عوف ، إلى دومة الجندل ، وقال له رسول الله ﷺ : « إن هم أطاعوا فتزوّج بنت ملكهم » . فأسلم القوم ، وتزوّج عبد الرحمن بنت ملكهم ؛ تُماضِر بنت الأصبغ الكلبية ، وهي أمّ أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

قال الواقديّ : في شوال سنة ستّ كانت سريّة كرز بن جابر الفهريّ إلى العرنيّين الذين قتلوا راعيَ رسول الله ﷺ ، واستاقوا النّعم ، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر ، في عشرين فارساً ، فردّوهم .

فكان من أمرهم ما أخرجه البخاريّ ، ومسلم[١] ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أنّ رهطاً من عكل وعرينة ـ وفي رواية : من عكل أو عرينة ـ أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول [الله] ، إنّا أناس أهل ضَرْعٍ ، ولم نكن أهل ريف ، فاستوخمنا المدينة . فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراعٍ ، وأمرهم أن يخرجوا فيها ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا ، حتى إذا كانوا ناحية الحرّة قتلوا راعيَ رسول الله ﷺ ، واستاقوا الذّود ، وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبيّ ﷺ في طلبهم ، فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ، وتركهم في ناحية الحرّة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب بعد ذلك حضّ على الصّدقة ، ونهى عن المثلة .

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة، ورواه جماعة عن أنس بن مالك .

وفي رواية مسلم[٢] ، عن معاوية بن قرّة ، عن أنس ، أنّ نفراً من عرينة أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة المُومُ ـ وهو البِرْسَام[٣] ـ فقالوا : هذا الوجع قد وقع يا رسول الله، فلو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل . قال : « نعم ، فاخرجوا فكونوا فيها » . فخرجوا فقتلوا الرّاعيين ، وذهبوا بالإبل ، وعنده شباب من الأنصار قريب من عشرين ، فأرسلهم إليهم ، وبعث معهم قائفاً يقتصّ أثرهم ، فأُتي بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم .

وفي « صحيح البخاريّ »[٤] من طريق أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس ، أنه قال : قدم رَهْطٌ من عُكل فأسلموا ، واجتَوَوُا المدينة ، فأَتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال : « الحقوا بالإبل ، واشربوا من أبوالها وألبانها » . فذهبوا فكانوا فيها ما شاء الله ، فقتلوا الراعي ، واستاقوا الإبل ، فجاء الصّريخ إلى رسول الله ﷺ ، [فأرسل في طلبهم] فلم ترتفع الشمس حتى أُتي بهم ، فأمر بمسامير فأحميت فكواهم

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤١٩٢) و(٥٧٢٧) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٦٧١) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١٦٧١) .
(٣) ويعرف في أيامنا بداء ذات الجنب ، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٣٣) (٣٠١٨) و(٦٨٠٤) و(٦٨٠٥) .

بها ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وألقاهم في الحرّة يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا ولم يحسمهم .

وفي رواية عن أنس ، قال[١] : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش .

قال أبو قِلابة[٢] : فهؤلاء قتلوا ، وسرقوا ، وكفروا بعد إيمانهم ، وحاربوا الله ورسوله .

وقد روى البيهقيّ[٣] من طريق عُثمان بن أبي شَيبة ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن محمد بن عبيد الله ، عن أبي الزّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ لما بعث في آثارهم قال : « اللهمّ عمّ عليهم الطّريق ، واجعلها عليهم أضيق من مَسك حمل » . قال : فعمّى الله عليهم السبيل فأُدرِكوا ، فأُتي بهم رسول الله ﷺ ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسَمَل أعينهم .

وفي « صحيح مسلم »[٤] : إنما سملهم ؛ لأنهم سَمَلوا أَعْيُنَ الرّعاء .

* * *

فصل

فيما وقع من الحوادث في هذه السنة أعني سنة ستّ من الهجرة

● فيها نزل فرض الحجّ[٥] ، كما قرّره الشافعيّ ، رحمه الله ، زمن الحُديبية ، في قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] . ولهذا ذهب إلى أن الحجّ على التّراخي لا على الفور ؛ لأنه صلّى الله عليه وسلّم لم يحجّ إلاّ في سنة عشر . وخالفه الثلاثة ؛ مالك وأبو حنيفة وأحمد ، فعندهم أن الحجّ يجب على كلّ من استطاعه على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله [تعالى] : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ . وإنما في هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا « التفسير » ، ولله الحمد والمنة ، بما فيه كفاية .

● وفي هذه السنة حرّمت المسلمات على المشركين ؛ تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحُديبية

---

(١) يعني البخاري رقم (٥٦٨٥) .

(٢) وذلك عقب نص الحديث رقم (٢٣٣) المتعلق بقصتهم من « صحيح البخاري » .

(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٨٨) .

(٤) رقم (١٦٧١) (١٤) .

(٥) والصحيح في السنة التاسعة أو العاشرة ، وأما الآية الكريمة : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ فإنها وإن كانت قد نزلت سنة ست عام الحُديبية ، فليس فيها فرضية الحج ، وإنما فيها الأمر بإتمامه ، وإتمام العُمرة بعد الشروع فيها ، وذلك لا يقتضي وجوب الابتداء . وانظر « زاد المعاد » لابن قيم الجوزية (٢/ ١٠١) بتحقيق والدي وأستاذي المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، وزميله وأستاذي المحدِّث الشيخ شعيب الأرناؤوط ـ نفع الله بهما ـ طبع مؤسسة الرسالة .

على أنه : لا يأتيك منا أحد ، وإن كان على دينك ، إلا رددته علينا . فنزل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ الآية [الممتحنة : ١٠] .

• وفي هذه السنة كانت غزوة المُرَيْسِيع[١] ، التي كانت فيها قضيّة الإفك ، ونزول براءة أمّ المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، كما تقدّم .

• وفيها كانت عُمْرَة الحُديبية ، وما كان من صدّ المشركين لرسول الله ﷺ ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب عشر سنين ، فأمن الناس فيهن بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال ، وقد تقدّم كلّ ذلك مبسوطاً في أماكنه ، ولله الحمد والمنّة ، وولي الحجّ في هذه السنة المشركون .

• قال الواقديّ[٢] : وفيها في ذي الحجّة منها بعث رسول الله ﷺ ستة نفرٍ مصطحبين حاطب بن أبي بَلْتَعَة ، إلى المُقوقس صاحب الإسكندريّة ، وشُجاع بن وهب ، من بني أَسد بن خُزيمة ، شهد بدراً ، إلى الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ ، يعني ملك عرب النّصارى [بالشام] ، ودِحْيَةَ بن خليفة الكلبيّ ، إلى قَيْصَر ، وهو هِرَقْل ملك الرُّوم ، وعبد الله بن حُذَافَة السّهميّ إلى كِسْرى ملك الفرس ، وسَلِيط بن عمرو العَامريّ إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفيّ ، وعمرو بن أُمية الضّمريّ ، إلى النجاشيّ ملك النّصارى بالحبشة ، وهو أصمحة بن أبجر[٣] .

* * *

---

(١) وتسمى أيضاً (غزوة بني المصطلق) . انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٢٣) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٤) نقلاً عن الواقدي .
(٣) انظر تفاصيل ذلك والتعليق عليه في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ، بتحقيقي .

سنة سبع من الهجرة النبوية

غزوة خَيبر في أوّلها

قال شعبة ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، في قوله : ﴿ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾ [الفتح : ١٨] . قال : خيبر .

وقال موسى بن عقبة[١] : لمّا رجع رسول الله ﷺ من الحُديبية مَكَثَ بالمدينة عشرين يوماً[٢] ، أو قريباً من ذلك ، ثم خرج إلى خيبر ، وهي التي وعده الله إيّاها .

وحكى موسى ، عن الزهريّ ، أنّ افتتاح خيبر في سنة ستّ . والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع كما قدّمنا .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ، حين رجع من الحُديبية ، ذا الحجّة وبعض المحرّم ، ثم خرج في بقيّة المحرّم إلى خيبر .

وقال يونس بن بُكَير[٤] ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهريّ ، عن عُرْوَة ، عن مروان والمِسْوَر ، قالا : انصرف رسول الله ﷺ عام الحُديبية ، فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجّة ، فأقام بها حتى سار إلى خيبر [في المحرَّم] ، فنزل بالرّجيع ؛ وادٍ بين خيبر وغطفان ، فتخوّف أن تُمدّهم غطفان ، فبات حتى أصبح ، فغدا إليهم .

قال البيهقيّ : وبمعناه رواه الواقديّ عن شيوخه ، في خروجه في أوّل سنة سبع من الهجرة .

وقال عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق ، حدّثني عبد الله بن أبي بكر قال : كان افتتاح خيبر في عقب المحرّم ، وقدم النبيّ ﷺ في آخر صفر .

قال ابن هشام[٥] : واستعمل على المدينة نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيثيّ .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥) .
(٢) في « دلائل النبوة » : « ليلة » .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٨) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١٩٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٨) .

وقد قال الإمام أحمد(١) : ثنا عفَّان ، ثنا وهيب ، ثنا خُثَيم ـ يعني ابن عِرَاك ـ عن أبيه أنّ أبا هُريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبيّ ﷺ بخيبر ، وقد استخلف سِبَاع بن عُرْفُطَةَ ـ يعني الغِطَفَانيّ ـ على المدينة . قال : فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصّبح في الركعة الأولى بـ ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم : ١] وفي الثانية : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : ١] فقلت في نفسي : ويل لفلان ، إذا اكتال اكتال بالوافي ، وإذا كال كال بالنّاقص . قال : فلمّا صلّى زوّدَنا شيئاً حتى أتينا خيبر ، وقد افتتح النّبيّ ﷺ خيبر . قال : فكلّم المسلمين ، فأشركونا في سهامهم .

وقد رواه البيهقيّ(٢) ، من حديث سليمان بن حرب ، عن وهيب ، عن خُثَيم بن عِرَاك ، عن أبيه ، عن نفر من بني غِفَار قالوا : إنّ أبا هُريرة قدم المدينة . . . فذكره .

قال ابن إسحاق(٣) : وكان رسول الله ﷺ ، حين خرج من المدينة إلى خيبر ، سلك على عِصر ، فبُني له فيها مسجد ، ثم على الصّهباء ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بوادٍ يقال له : الرّجيع . فنزل بينهم وبين غطفان ؛ [ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ ، فبلغني أنّ غطفان] لمّا سمعوا بذلك جمعوا ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلةً ، سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسّاً ، ظنّوا أنّ القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أموالهم وأهليهم ، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر .

وقال البخاريّ(٤) : ثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشير أنّ سويد بن النّعمان أخبره أنّه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر ، حتى إذا كانوا بالصّهباء ، وهي من أدنى خيبر ، صلّى العصر ، ثم دعا بالأزواد ، فلم يُؤت إلا بالسّويق ، فأمر به فثُرّي ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ، ثم صلى ولم يتوضّأ .

وقال البخاريّ(٥) : ثنا عبد الله بن مسلمة ، ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن سَلَمَة بن الأَكْوَع قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ، ألا تُسمعنا من هُنَيْهَاتِكَ ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم ، يقول : [من الرجز]

لاهُمّ(٦) لولا [أنتَ] ما اهْتَدَينَا ... ولا تَصَدّقْنَا ولا صَلَّيْنَا
فاغفر فِدَاءً لَكَ ما اتّقينا ... وثَبّتِ الأَقْدَامَ إن لاقينا

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٤٥) ، وهو حديث صحيح .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ١٩٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٠) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤١٩٥) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤١٩٦) .
(٦) عند البخاري : « اللهم » وهو المشهور ، وهو كذلك في « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٢) .

وألقيَـنْ[١] سكينـة علينـا إنّـا إذا صيـح بنـا أَبَيْنَـا

وبالصّياح عوّلوا علينا

فقال رسولُ الله ﷺ : « من هذا السَّائق ؟ » قالوا : عامر بن الأكوع . قال : « يرحمه الله » . فقال رجل من القوم : وجبت يا نبيّ الله ، لولا أمتعتنا به . فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مَخْمَصَةٌ شديدة ، ثم إنّ الله فتحها عليهم ، فلمّا أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم ، أوقدوا نيراناً كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ : « ما هذه النّيران ؟ على أيّ شيء تُوقدون ؟ » قالوا : على لحم . قال : « على أيّ لحم ؟ » قالوا : لحم الحمر الإنسيّة . قال النبيّ ﷺ : « أهريقُوها واكسروها » . فقال رجل : يا رسول الله ، أو نهريقها ونغسلها ؟ فقال : « أو ذاك » . فلمّا تصافّ الناس كان سيف عامر قصيراً ، فتناول به ساق يهوديّ ليضربه ، فيرجع ذباب سيفه ، فأصاب عين ركبة عامرٍ فمات منه ، فلمّا قفلوا قال سلمة : رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي ، قال : « ما لك ؟ » قلت : فداك أبي وأمّي ، زعموا أنّ عامراً حبط عمله . قال النبيّ ﷺ : « كذب من قاله ، إنّ له لأجرين » ـ وجمع بين إصبعيه ـ « إنّه لجاهِدٌ مُجَاهِدٌ ، قلّ عربيّ مشى بها مثله » .

ورواه مسلم[٢] من حديث حاتم بن إسماعيل ، وغيره ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن سلمة ، به نحوه . ويروى : « نشأ بها مثله » .

قال السّهيليّ[٣] : ويروى : « قلّ عربيّ مشابهاً مثله » . ويكون منصوباً على الحاليّة من نكرة ، وهو سائغ ؛ إذا دلّت على تصحيح معنى ، كما جاء في الحديث : فصلّى وراءه رجال قياماً .

وقد روى ابن إسحاق[٤] قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال : حدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيميّ ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلميّ أنّ أباه حدّثه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عمّ سلمة بن عمرو بن الأكوع : « انزل يا بن الأكوع ، فخذ لنا من هَناتك » . قال : فنزل يرتجز لرسول الله ﷺ فقال : [من الرجز]

والله لَـولا الله مَـا اهْتَـدَيْنَـا ولا تَصَـدَّقْنَـا وَلاَ صَلَّيْنَـا

إنّـا إذا قَـومٌ بَغَـوا علينـا وإن أرادوا فتنــةً أبَيْنَـا

فَـأَنْـزِلَـنْ سَكِيْنَـةً علينـا وثبّـت الأَقْـدَامَ إنْ لاقَيْنَـا

(١) في « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٢) : « وأنزلن » .
(٢) في « صحيحه » رقم (١٨٠٢) (١٢٣) و(١٨٠٢) الذي بعد (١٩٣٩) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٥٧٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٨ـ ٣٢٩) .

فقال رسول الله ﷺ : « يَرْحَمُكَ ربُّك » . فقال عمر بن الخطّاب : وجبت يا رسول الله ، لو أمتعتنا به . فقُتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخاريّ .

قال ابن إسحاق(١) : وحدّثني من لا أتّهم ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلميّ ، عن أبيه ، عن أبي معتّب بن عمرو أنّ رسول الله ﷺ لمّا أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : « قفوا » . ثم قال : « اللهمّ ربّ السموات وما أظللن ، وربّ الأرضين وما أقللن ، وربّ الشّياطين وما أضللن ، وربّ الرّياح وما أذرين ، فإنّا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرّها ، وشرّ أهلها ، وشرّ ما فيها ، أقدموا بسم الله » . وهذا حديث غريب جدّاً من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ البيهقيّ(٢) ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن العطارديّ ، عن يونس بن بكير ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمّع ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي مروان الأسلميّ ، عن أبيه ، عن جدّه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، حتى إذا كنّا قريباً وأشرفنا عليها ، قال رسول الله ﷺ للناس : « قفوا » . فوقف الناس ، فقال : « اللهم ربّ السموات السبع وما أظللن ، وربّ الأرضين السبع وما أقللن ، وربّ الشياطين وما أضللن ، فإنّا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرّ هذه القرية ، وشرّ أهلها ، وشرّ ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال ابن إسحاق(٣) : وحدّثني من لا أتّهم ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغِر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ حتى [إذا] أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ، وركبت خلف أبي طلحة ، وإنّ قدمي لتمسّ قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عُمَّال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلمّا رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه . فأدبروا هرّاباً ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » .

قال ابن إسحاق(٤) : ثنا هارون ، عن حميد ، عن أنس ، بمثله .

وقال البخاريّ(٥) : ثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا مالك ، عن حميد الطَّويل ، عن أنس بن مالك ، أنّ رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً ، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يَقْرَبْهُم حتى يصبح ، فلمّا أصبح خرجت اليهود

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٩) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٠٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٣٠) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤١٩٧) .

بمساحيهم ومكاتلهم ، فلمّا رأوه قالوا : محمد واللهِ ، محمد والخميس . فقال رسول الله ﷺ : « خربت خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحةِ قوم فساء صباح المنذَرين » . تفرّد به دون مسلم .

وقال البخاريّ[١] : حدّثنا صدقة بن الفضل ، حدّثنا ابن عيينة ، حدّثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك قال : صبّحْنا خيبر بكرة ، فخرج أهلها بالمساحي ، فلمّا بَصُروا بالنبيّ ﷺ قالوا : محمد والله ، محمد والخميس . فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » . قال : فأصبنا من لحوم الحمر ، فنادى منادي النبيّ ﷺ : إنّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر ؛ فإنها رجس . تفرّد به البخاريّ دون مسلم .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا عبد الرزاق ، ثنا مَعْمَر ، عن قتادة ، عن أنس قال : لمّا أتى النبيُّ ﷺ خَيْبَرَ ، فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم و[معهم] مساحيهم ، فلمّا رأوه ومعه الجيش ، نَكَصُوا فرجعوا إلى حِصْنِهِمْ ، فقال النَّبيّ ﷺ : « الله أكبر ، خَرِبَتْ خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » . تفرّد به أحمد ، وهو على شرط « الصحيحين » .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : [صلّى النَّبيّ] ﷺ الصّبح قريباً من خيبر بغَلس ، ثم قال : « الله أكبر خَرِبَتْ خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » . فخرجوا يسعَون في السّكك ، فقتل النبيّ ﷺ المقاتلة ، وسبى الذّرّيّة ، وكان في السّبي صفية ، فصارت إلى دحية الكلبيّ ، ثم صارت إلى النبيّ ﷺ ، فجعل عتقها صداقها . قال عبد العزيز بن صهيب لثابت : يا أبا محمد ، أأنت قلت لأنس : ما أصدقها ؟ فحرّك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرّد به دون مسلم .

وقد أورد البخاريّ ومسلم[٤] النّهي عن لحوم الحمر الأهليّة من طرق تُذكر في كتاب « الأحكام » .

وقد قال الحافظ البيهقيّ[٥] : أنبأ أبو طَاهِر الفقيه ، أنبأ حاجب بن أحمد الطّوسيّ ، ثنا محمد بن حماد الأبيورديّ ، ثنا محمد بن الفضيل ، عن مسلم الأعور الملائيّ ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويتّبع الجنائز ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، وكان يوم قريظة والنّضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن ليف ، وتحته إكاف من ليف .

وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذيّ ، عن عليّ بن حُجر ، عن عليّ بن مسهر ، وابن ماجه ، عن

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤١٩٨) .
(٢) في « المسند » (٣/ ١٦٤) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٠) .
(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم (٣١٥٥) و(٤٢١٥) و(٤٢١٦) ومسلم رقم (١٩٣٧) و(١٤٠٧) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٠٤) .

محمد بن الصّبّاح ، عن سفيان ، وعن عمرو بن رافع ، عن جرير ، كلّهم عن مسلم ، وهو ابن كيسان الملائيّ الأعور الكوفيّ ، عن أنس ، به[١] . وقال الترمذيّ : لا نعرفه إلا من حديثه ، وهو يضعّف .

قلت : والذي ثبت في « الصحيح » عند البخاريّ[٢] عن أنس ، أنّ رسول الله ﷺ أجرى في زقاق خيبر ، حتى انحسر الإزار عن فخذه . فالظاهر أنّه كان يومئذ على فرس ، لا على حمار . ولعلّ هذا الحديث ـ إن كان صحيحاً ـ محمول على أنه ركبه في بعض الأيّام وهو محاصرها ، والله أعلم .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا محمد بن سعيد الخزاعيّ ، ثنا زياد بن الرَّبيع ، عن أبي عمران الجونيّ قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة ، فرأى طيالسة[٤] ، فقال : كأنّهم الساعة يهود خيبر .

وقال البخاريّ[٥] : ثنا عبد الله بن مسلمة ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : كان عليّ بن أبي طالب تخلّف عن رسول الله ﷺ في خيبر ، وكان رِمداً فقال : أنا أتخلّف عن النبيّ ﷺ ؟ فلحق به ، فلمّا بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : « لأعطينّ الراية غداً ـ أو : ليأخذنّ الراية غداً ـ رجل يحبّه الله ورسوله ، يُفتح عليه » . فنحن نرجوها . فقيل : هذا عليّ . فأعطاه ، ففُتح عليه .

ورواه البخاريّ أيضاً ومسلم[٦] ، عن قتيبة ، عن حاتم ، به .

ثم قال البخاريّ[٧] : ثنا قتيبة ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد ، أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحبّ اللهَ ورسوله ، ويحبّه اللهُ ورسوله » . قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم ؛ أيّهم يُعطاها ؟ فلمّا أصبح الناس غدَوا على النبيّ ﷺ ، كلّهم يرجو أن يعطاها ، فقال : « أين عليّ بن أبي طالب ؟ » فقالوا : هو يا رسول الله ، يشتكي عينيه . قال : فأرسلوا إليه ، فأُتي به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له ، فبَرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال عليّ : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال ﷺ : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من أن يكون لك حُمُر النّعم » .

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٠١٧) ، وابن ماجه رقم (٢٢٩٦) و(٤١٧٨) ، كما بيّنه الترمذي .
(٢) رقم (٣٧١) وانظر « صحيح مسلم » رقم (١٣٦٥) (٨٤) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٨) .
(٤) الطيالسة : جمع طيلسان ، من لباس العجم ، وهو فارسي معرَّب . انظر « المصباح المنير » (طلس) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٩) .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٩٧٥) و(٣٧٠٢) ومسلم رقم (٢٤٠٧) .
(٧) في « صحيحه » رقم (٤٢١٠) .

وقد رواه مسلم والنّسائيّ جميعاً ، عن قُتيبة ، به[١] .

وفي « صحيح مسلم » والبيهقيّ[٢] من حديث سُهَيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللهَ ورسوله ، ويحبّه اللهُ ورسوله يفتح الله عليه» . قال عمر : فما أحببت الإمارة قطّ إلا يومئذ . فدعا عليّاً فبعثه ، ثم قال : « اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ، ولا تلتفت » . قال عليّ : على ما أقاتل الناس ؟ قال : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم ، إلا بحقّها ، وحسابهم على الله » لفظ البيهقيّ .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا مصعب بن المقدام ، وحجين بن المثنّى قالا : ثنا إسرائيل ، ثنا عبد الله بن عصمة العجليّ ، سمعت أبا سعيد الخدريّ ، رضي الله عنه ، يقول : إنّ رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزّها ، ثم قال : « من يأخذها بحقّها ؟ » فجاء فلان فقال : أنا . قال : « أمط » . ثم جاء رجل ، فقال : « أمط » . ثم قال النبيّ ﷺ : « والذي كرّم وجه محمد ، لأعطينّها رجلاً لا يفرّ ، هاك يا عليّ » . فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك ، وجاء بعجوتهما ، وقديدهما . تفرّد به أحمد ، وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة . وعبد الله بن عصمة ـ ويقال : ابن عُصَمَ ـ هذا يكنّى بأبي علوان العجليّ ، وأصله من اليمامة ، سكن الكوفة ، وقد وثّقه ابن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال أبو حاتم : شيخ .

وذكره ابن حبّان في « الثّقات »[٤] وقال : يخطئ كثيراً .

وذكره في « الضّعفاء » وقال[٥] : يُحَدِّث عن الأثبات ممّا لا يشبه حديث الثّقات ، حتى يسبق إلى القلب أنّها موهومة أو موضوعة .

وقال يونس بن بكير[٦] ، عن محمد بن إسحاق : حدّثني بُريدة بن سُفْيان بن فَرْوَة الأسلميّ ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأَكْوَع [رضي الله عنه] قال : بعث النبيّ ﷺ أبا بكر ، رضي الله عنه ، إلى بعض حُصُون خيبر ، فقاتل ثم رجع ، ولم يكن فتح ، وقد جَهد ، ثم بعث عمر ، رضي الله عنه ، فقاتل ثم رجع ، ولم يكن فتح ، فقال رسول الله ﷺ : « لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّه اللهُ ورسوله ، ويحبّ اللهَ ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار » . قال سلمة : فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وهو يومئذ أرمد ، فتفل في عينيه ، ثم قال : « خذ الراية وامض بها ، حتى يفتح الله

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٠٦) ، والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨١٤٩) و(٨٥٨٧) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٠٥) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٠٦) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٦) ، وإسناده ضعيف بسبب عبد الله بن عصمة العجلي . وانظر كلام المصنف عليه .
(٤) انظر « كتاب الثقات » (٥/ ٥٧) .
(٥) في « كتاب المجروحين » (٢/ ٥) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) .

عليك » . فخرج بها والله يأنِح[١] ، يهرول هرولة ، وإنّا لخلفه نتّبع أثره ، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطّلع يهوديّ من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا عليّ بن أبي طالب . فقال اليهوديّ : علَيتم وما أُنزل على موسى . فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقيّ[٢] : أنبأ الحاكم ، أنبأ الأصمّ ، أنبأ العُطَارديّ ، عن يونس بن بُكير ، عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، أخبرني أبي قال : لمّا كان يوم خيبر ، أخذ اللواء أبو بكر ، فرجع ولم يُفتح له ، وقتِل محمود بن مسلمة ، فرجع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « لأدفعنّ لوائي غداً إلى رجل يحبّ اللهَ ورسوله ، ويحبّه اللهُ ورسوله ، لن يرجع حتى يفتح له » فبتنا طيّبة نفوسنا أنّ الفتح غداً ، فصلّى رسول الله ﷺ صلاة الغداة ، ثم دعا باللّواء وقام قائماً ، فما منّا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلّا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى تطاولتُ أنا لها ، ورفعت رأسي ؛ لمنزلة كانت لي منه ، فدعا عليّ بن أبي طالب ، وهو يشتكي عينيه . قال : فمسحها ، ثم دفع إليه اللّواء ففُتح له . فسمعت عبد الله بن بريدة يقول : حدّثني أبي أنّه كان صاحب مرحب . قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أولُ حصون خيبر فتحاً حصنَ ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، أُلقيت عليه رحى منه فقتلته .

ثم روى البيهقيّ[٣] عن يونس بن بُكَير ، عن المسيّب بن مَسْلَمة الأزديّ ، ثنا عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشّقيقة ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلمّا نزل خيبر أخذته الشّقيقة ، فلم يخرج إلى الناس ، وإنّ أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشدّ من القتال الأوّل ، ثم رجع ، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : « لأعطينّها غداً رجلاً يحبّ اللهَ ورسوله ويحبّه اللهُ ورسوله ، يأخذها عنوة » . وليس ثمّ عليّ ، فتطاولتْ لها قريش ، ورجا كلّ رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح ، وجاء عليّ [بن أبي طالب] على بعير له حتى أناخ قريباً ، وهو أرمد قد عصب عينه بشقّة برد قِطْريّ ، فقال رسول الله ﷺ: « ما لك ؟ » قال : رمدت بعدك . قال : « ادن مني » . فتفل في عينه ، فما وجِعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها ، وعليه جبّة أُرجوان حمراء ، قد أخرج خملها ، فأتى مدينة خيبر ، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانيّ ، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خيبرُ أنّي مَرْحَبُ ... شاكٍ سِلاحي بطلٌ مُجَرّبُ
إذا اللّيوث أَقْبَلَتْ تَلَهّبُ ... وأَحْجَمَتْ عن صَوْلَةِ المُغلَّبِ[٤]

---

(١) أي : حملها مثقلاً بها .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٠) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٠) .
(٤) في البيت إقواء .

فقال عليّ ، رضي الله عنه : [من الرجز]

أَنَا الذي سَمَّتني أُمّي حَيْدَرَه كَلَيْث غَابَاتٍ شَديد القَسْوَره
أكيلكم بالصّاع كيل السَّنْدَرَهْ

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدره عليّ بضربة ، فقدّ الحجر والمغفر ورأسه ، ووقع في الأضراس ، وأخذ المدينة[١] .

وقد روى الحافظ البزّار[٢] ، عن عبّاد بن يعقوب ، عن عبد الله بن بكير ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قصة بعثِ أبي بكر ، ثم عمر يوم خيبر ، ثم بعثِ عليّ ، فكان الفتح على يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة ، وفي إسناده من هو متّهم بالتّشيّع . والله أعلم .

وقد روى مسلم والبيهقيّ[٣] واللفظ له ، من طريق عِكْرِمَة بن عَمّار ، عن إياس بن سَلَمة بن الأَكْوَع ، عن أبيه ، فذكر حديثاً طويلاً ، وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة . قال : فلم نمكث إلا ثلاثاً ، حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر ، فجعل يقول : [من الرجز]

والله لَولا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ مِنْ فَضْلِكَ مَا استَغْنَيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِيْنَةً عَلَيْنَا
وَثبّت الأَقْدَامَ إنْ لاَقَيْنَا

قال : فقال رسول الله ﷺ : « من هذا القائل ؟ » فقالوا : عامر . فقال : « غفر لك ربّك » . قال : وما خصّ رسول الله ﷺ قطّ أحداً [به] إلا استُشهد . فقال عمر وهو على جمل : لولا متّعتنا بعامر . قال : فقدمنا خيبر ، فخرج مرحب وهو يخطِر بسيفه ويقول[٤] : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أَنّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاح بَطَلٌ مجربُ
إِذَا الحُروبُ أَقْبَلَتْ تَلهّبُ

قال : فبرز له عامر ، رضي الله عنه ، وهو يقول : [من الرجز]

قد عَلِمَتْ خيبرُ أَنّي عَامِرُ شَاكي السِّلاح بَطَلٌ مُغَامِرُ

قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر ، فذهب يسفّل له ، فرجع على نفسه ،

---

(١) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٥) .
(٢) انظر « كشف الأستار » (٢٥٤٥) وفيه حكيم بن جبير ، وهو ضعيف
(٣) رواه مسلم رقم (١٨٠٧) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٢٠٧) .
(٤) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٣) .

فقطع أكحله وكانت فيها نفسه . قال سلمة : فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : بطلَ عمل عامر ؛ قتل نفسه . قال : فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال : « ما لك ؟ » فقلت : قالوا : إنّ عامراً بطل عمله . فقال : « من قال ذلك ؟ » فقلت : نفر من أصحابك . فقال : « كذب أولئك ، بل له الأجر مرتين » . قال : وأرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ [رضي الله عنه] يدعوه وهو أرمد ، وقال : « لأعطينّ الراية اليوم رجلاً يحبّ اللهَ ورسوله » . قال : فجئت به أقوده . قال : فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ ، فأعطاه الرّاية ، فبرز مرحب وهو يقول : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أنّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاح بَطَلٌ مُجَرّبُ
إذا الحُروب أَقْبَلَتْ تلهّبُ

قال : فبرز له عليّ وهو يقول : [من الرجز]

أنا الذي سمّتني أمّي حَيْدَرَه كليث غاباتٍ كريهِ المنظره
أوفيهم بالصّاع كيل السّندرة[1]

قال : فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله ، وكان الفتح .

هكذا وقع في هذا السياق أنّ عليّاً هو الذي قتل مرحباً اليهوديّ ، لعنه الله .

وقال أحمد[2] : ثنا حسين بن حسن الأشقر ، حدّثني ابن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن جدّه ، [عن] عليّ قال : لما قتلتُ مرحباً جئت برأسه إلى رسول الله ﷺ .

وقد روى موسى بن عقبة[3] ، عن الزهريّ أن الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة .

وكذلك قال محمد بن إسحاق[4] : حدّثني عبد الله بن سهل ، أحد بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهوديّ من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أنّي مَرْحَب شَاكي السِّلاح بَطَلٌ مُجَرّبُ
أطعُن أحياناً وحيناً أضربُ إذا اللّيـوث أقبلـت تحـرّب
إنّ حِمَايَ لَلْحِمَى لا يُقْرَبُ

قال : فأجابه كَعْبُ بن مَالك[5] : [من الرجز]

---

(١) السَّنْدَرَة : ضرب من الكيل .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١١١) وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢١٤) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢١٥) .
(٥) الأبيات في « ديوانه » ص(١٥٤) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

قَـدْ عَلِمَـتْ خيبـرُ أَنّـي كَعْـبُ   مُفَـرِّجُ الغمّـا جـريء صُلـبُ
إذ شُبّـت الحَرْبُ تلتهـا الحـرب   مَعْـيَ حُسـامٌ كـالعقيـقِ عَضـبُ
يطـأْكُمـو حتـى يَـذلّ الصّعـب   نعطي الجـزاء أو يفـيء النّهـبُ[1]
بكفّ ماضٍ ليس فيه عَتبُ

قال : وجعل مرحب يرتجز ، ويقول : هل من مبارز ؟ [فقال رسول الله ﷺ] : « من لهذا ؟ » فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول [الله] ، أنا والله الموتور الثائر ، قتلوا أخي بالأمس . فقال : « قم إليه ، اللهم أعنه عليه » . قال : فلمّا دنا أحدهما من صاحبه دخلتْ بينهما شجرة عُمْريّة[2] ، من شجر العُشَر[3] ، فجعل كلّ واحد منهما يلوذ من صاحبه بها ، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع [صاحبه] بسيفه ما دونه منها ، حتى برز كلّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرّجل القائم ، ما فيها فَنن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتّقاه بالدّرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضّت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله . وقد رواه الإمام أحمد[4]، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .

قال ابن إسحاق[5] : وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجز حين ضربه وقال : [من الرجز]

قَـدْ عَلِمَـتْ خَيْبَـرُ أَنّي مـاضِ   حُلْـوٌ إِذَا شئـتُ وَسُـمّ قـاضِ

وهكذا رواه الواقديّ[6] ، عن جابر وغيره من السَّلَف ، أن [محمد بن مسلمة] هو الذي قتل مرحباً ، وذكر الواقديّ أن محمداً قطع رجلي مرحب ، فقال له : أجهز عليّ . فقال : لا ، ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة . فمر به عليّ وقطع رأسه ، فاختصما في سلبه إلى رسول الله ﷺ ، فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته . قال : وكان مكتوباً على سيفه : [من مجزوء الرجز]

هَـذَا سيـف مَـرْحَـبْ   مَـن يـذقـه يَعْطَـبْ

ثم ذكر ابن إسحاق[7] أن أخا مَرْحَب ، وهو ياسر ، خرج بعده وهو يقول : هل من مبارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له ، فقالت أمّه صفية بنت عبد المطلب : يُقتلُ ابني يا رسول الله . فقال :

---

(١) هذه الشطرة لم ترد في (ط) .
(٢) في (آ) : « عمورية » والعمرية : القديمة .
(٣) شجر العُشَر : شجر له صمغ .
(٤) في مسنده (٣/ ٣٨٥) ، وإسناده حسن .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٥) .
(٦) انظر « المغازي » (٢/ ٦٥٦) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٤) .

« بل ابنك يقتله إن شاء الله » . فالتقيا فقتله الزبير . [قال] : فكان الزّبير ـ إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً ـ يقول : والله ما كان صارماً ، ولكني أكرهته .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهله ، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله ﷺ [برايته] ، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل منهم من يهود ، فطرح تُرسه من يده ، فتناول عليّ باب الحصن ، فترّس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتُني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما استطعنا أن نقلبه . وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر .

ولكن روى الحافظ البيهقي[١] ، والحاكم من طريق مُطَّلب بن زياد ، عن ليث بن أبي سُليم ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر ، أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعِد المسلمون عليه فافتتحوها ، وأنه جرّب بعد ذلك ، فلم يحمله أربعون رجلاً . وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة ، عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً ، وكان جهدهم أن أعادوا الباب .

وقال البخاريّ[٢] : ثنا مكّيّ بن إبراهيم ، ثنا يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتْها يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة . فأتيت النبيّ ﷺ فنفث فيه ثلاث نفَثات ، فما اشتكيت حتى الساعة .

ثم قال البخاريّ[٣] : حدّثنا عبد الله بن مسلمة ، حدّثنا ابن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل قال : التقى النبيّ ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا ، فمال كلّ قوم إلى عسكرهم ، وفي المسلمين رجل لا يدَع من المشركين شاذّة ولا فاذّة إلّا اتّبعها فضربها [بسيفه] ، فقيل : يا رسول الله ، ما أجزأ أحدٌ ما أجزأ فلان . قال : « إنه من أهل النار » . فقالوا : أيّنا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لأتّبعنّه ، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه . حتى جرح فاستعجل الموت ، فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فجاء الرجل إلى النبيّ ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : « وما ذاك ؟ » فأخبره ، فقال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل الجنة » .

رواه أيضاً[٤] عن قتيبة ، عن يعقوب ، عن أبي حازم ، عن سهل ، فذكر مثله أو نحوه .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٢) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٠٣) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٧) .
(٤) يعني البخاري في « صحيحه » رقم (٢٨٩٨) و(٤٢٠٢) .

وقال [البخاريّ][١] : ثنا أبو اليَمَان ، ثنا شعيب ، عن الزهريّ ، أخبرني سعيد بن المسيّب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر ، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممّن معه يدّعي الإسلام : « هذا من أهل النار » . فلمّا حضر القتال قاتل الرجل أشدّ القتال ، حتى كثرت به الجراحة ، حتى كاد بعض الناس يرتاب ، فوجد الرجل ألم الجراحة ، فأهوى بيده إلى كنانته ، فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه ، فاشتدّ رجال من المسلمين فقالوا : يا رسول الله ، صدّق الله حديثَك ، انتحر فلان فقتل نفسه . فقال : « قم يا فلان ، فأذِّن أنه لا يدخل الجنة إلّا مؤمن ، وأنّ الله يؤيّد الدين بالرجل الفاجر » .

وقد روى موسى بن عقبة[٢] قصة العبد الأسود ؛ الذي رزقه الله الإيمان والشّهادة في ساعةٍ واحدةٍ ، وكذلك رواها ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، قالا : وجاء عبد حبشيّ أسود ، من أهل خيبر ، كان في غنم لسيده ، فلمّا رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ . فوقع في نفسه ذكر النبي ﷺ ، فأقبل بغنمه حتى عمَد لرسول الله ﷺ ، فقال : إلى ما تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الإسلام ؛ أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، وأن لا تعبد إلا الله » . قال : فقال العبد : فماذا يكون لي إن شهدتُ بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله ﷺ : « الجنة إن متّ على ذلك » . فأسلم العبد فقال : يا نبيّ الله ، إن هذه الغنم عندي أمانة . فقال رسول الله ﷺ : « أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصباء ، فإن الله سيؤدّي عنك أمانتك » . ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها ، فعرف اليهوديّ أن غلامه قد أسلم . فقام رسول الله ﷺ فوعظ الناس ، فذكر الحديث في إعطائه الراية عليّاً ، ودنوّه من حصن اليهود وقتلِه مرحباً ، وقتل مع عليّ ذلك العبد الأسود ، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم ، فأُدخل في الفُسطاط ، فزعموا أن رسول الله ﷺ اطّلع في الفسطاط ، ثم اطّلع على أصحابه فقال : « لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ، قد كان الإسلام من نفسه حقّاً ، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين » .

وقد روى الحافظ البيهقيّ[٣] من طريق ابن وهب ، عن حيوة بن شريح ، عن ابن الهاد ، عن شرحبيل ابن سعد ، عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر ، فخرجت سريّة ، فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها ، فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود ، وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة .

ثم قال البيهقيّ[٤] : أنبأ محمد بن محمد بن مَحْمِش الفقيه[٥] ، أنبأ أبو بكر القطّان ، أنبأ أبو الأزهر ،

---

(١) رقم (٤٢٠٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٩) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢١) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢١) .
(٥) انظر « شذرات الذهب » (٥/ ٦٠) .

أنبأ مؤمّل بن إسماعيل ، أنبأ حمّاد ، أنبأ ثابت ، عن أنس ، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني رجل أسود اللون ، قبيح الوجه ، منتن الريح ، لا مال لي ، فإن قاتلتُ هؤلاء حتى أقتل ، أدخلِ الجنة ؟ قال : « نعم » . فتقدّم فقاتل حتى قتل ، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول ، فقال : « لقد حسّن الله وجهك ، وطيّب ريحك ، وكثّر مالك » . و[قال] : « لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبّته عنه ؛ يدخلان فيما بين جلده وجبّته » .

ثم روى البيهقيّ[1] ، من طريق ابن جُريج ، أخبرني عِكْرِمَة بن خالد ، عن [ابن] أبي عمّار ، عن شدّاد بن الهاد ، أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فآمن به واتّبعه ، فقال : أهاجر معك . فأوصى به النبيّ ﷺ بعض أصحابه ، فلمّا كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ ، فقسمه وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلمّا جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله ﷺ . فقال : ما على هذا اتّبعتك ، ولكني اتّبعتك على أن أُرمى هاهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال : « إن تصدق الله يصدقك » . ثم نهضوا إلى قتال العدّو ، فأُتي به رسول الله ﷺ يحمل ، وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبيّ ﷺ : « هو هو ؟ » قالوا : نعم . قال : « صدق الله فصدقه » . وكفّنه النبيّ [في جبّة النبيّ] ﷺ ، ثم قدّمه فصلّى عليه ، فكان ممّا ظهر من صلاته : « اللهم هذا عَبْدُكَ خرج مهاجراً في سبيلك ، قتل شهيداً ، أنا عليه شهيد » .

وقد رواه النسائيّ[2] ، عن سويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن جريج ، به نحوه .

***

فصل

قال ابن إسحاق[3] : وتدنّى رسول الله ﷺ الأموال ، يأخُذُها مالاً مالاً ، ويفتتحها حِصناً حصناً ، وكان أول حصونهم فُتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ؛ أُلقيت عليه رحى منه فقتلته ، ثم القموص حصن أبي الحُقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ؛ منهن صَفِيّة بنت حُييّ بن أخطب ، وكانت عند كِنَانَة بن الرّبيع بن أبي الحُقَيق ، وبنتا عمّ لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفيّة لنفسه ، وكان دِحْيَة بن خَليفة قد سأل رسول الله ﷺ صفيّة ، فلمّا اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمّها . قال : وفشت السَّبَايا من خيبر في المسلمين ، وأكل الناس لحوم الحمر . فذكر نهي رسول الله ﷺ إياهم عن أكلها .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢٢) .
(٢) رواه النسائي (٤/ ٦١) ، وهو حديث صحيح .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٣٠) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٠٠) .

وقد اعتنى البخاريّ بهذا الفصل ؛ فأورد النهي عنها من طرق جيدة ، وتحريمُها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وهو مذهب الأئمة الأربعة . وقد ذهب بعض السَّلف ـ منهم ابن عَبَّاس ـ إلى إباحتها ، وتنوّعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها ، فقيل : [لأنها كانت ظَهراً يستعينون بها في الحمولة . وقيل : لأنها لم تكن خُمّست بعد . وقيل] : لأنها كانت تأكل العَذِرة ، يعني جلاّلة .

والصحيح أنه نُهي عنها لذاتها ؛ فإن في [الأثر] الصحيح[١] أنه نادى [منادي] رسول الله ﷺ : إنَّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر ؛ فإنها رجس . فأكفؤُوها والقدور تفور بها[٢] ، وموضع تقرير ذلك في كتاب « الأحكام » .

قال ابن إسحاق[٣] : حدّثني سلاّم بن كِرْكِرَة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ـ ولم يشهد جابر خيبر ـ أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل . وهذا الحديث أصله ثابت في « الصحيحين »[٤] من حديث حمّاد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عليّ ، عن جابر ، رضي الله عنه ، قال : نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ، ورخّص في الخيل . لفظ البخاريّ .

قال ابن إسحاق[٥] : وحدّثنا عبد الله بن أبي نجيح ، عن مكحول أن النبيّ ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع ؛ عن إتيان الحَبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهليّ ، وعن أكل كلّ ذي ناب من السّباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم . وهذا مرسل .

وقال ابن إسحاق : وحدّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى تُجيب ، عن حنش الصّنعانيّ قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصاريّ المغرب ، فافتتح قريةً من قرى المغرب يقال لها : جَرْبة . فقام فينا خطيباً فقال : أيها الناس ، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فينا يوم خيبر ؛ قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « لا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر [أن يسقي ماءَه زرع غيره » يعني إتيان

---

(١) رواه أحمد في « مسنده » (٣/ ١١١) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٩٤٠) من حديث أنس .

(٢) قال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ٣٠٣) : « وهذا مقدم على قول من قال من الصحابة : إنما حرَّمها ، لأنها كانت ظهرَ القوم وحمولتهم ، فلما قيل له : فنيَ الظهرُ وأُكلت الحُمر ، حَرَّمها ، وعلى قول من قال : إنما حرَّمها ، لأنها لم تخمس ، وعلى قول من قال : إنما حرمها لأنها كانت حول القرية ، وكانت تأكل العَذرة ، وكل هذا في « الصحيح » لكن قول رسول الله : « إنها رجسٌ » مقدم على هذا كله ، لأنه من ظنِّ الراوي ، وقوله بخلاف التعليل بكونها رجساً » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣١) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢١٩) و(٥٥٢٤) ومسلم رقم (١٩٤١) (٣٦) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٣١) .

الحَبَالى من السّبي « ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر] أن يصيب امرأة من السّبي حتى يستبرئها ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم ، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردّها فيه ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه » .

وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن إسحاق ، به(١) .

ورواه الترمذيّ(٢) ، عن عمر بن حفص الشّيبانيّ(٣) ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن ربيعة بن سُليم ، عن بشر بن عبيد الله ، عن روُيفع بن ثابت ، مختصراً ، وقال : حسن .

وفي « صحيح البخاريّ »(٤) عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهليّة وعن أكل الثّوم . وقد حكى ابن حزم ، عن عليّ وشريك بن الحنبل ، أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثّوم النِّيْءِ .

والذي نقله الترمذيّ(٥) عنهما الكراهة . فالله أعلم .

وقد تكلّم الناس في الحديث الوارد في « الصحيحين »(٦) من طريق الزهريّ ، عن عبد الله والحسن ابني محمد ابن الحنفيّة ، عن أبيهما ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الأهليّة . هذا لفظ « الصحيحين » من طريق مالك وغيره ، عن الزهريّ ، وهو يقتضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر ، وهو مشكل من وجهين :

أحدهما ، أن يوم خيبر لم يكن ثَمّ نساء يتمتّعون بهنّ ؛ إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسِّباء عن نكاح المتعة .

الثاني ، أنه قد ثبت في « صحيح مسلم »(٧) عن الربيع بن سَبْرة بن مَعْبَد ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ أذن لهم في المتعة زمن الفتح ، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها ، وقال : « إن الله قد حرّمها إلى يوم القيامة » . فعلى هذا يكون قد نهى عنها ، ثم أذن فيها ، ثم حرّمت ؛ فيلزم النّسخ مرتين ، وهو بعيد . ومع هذا فقد نصَّ الشافعيّ على أنه لا يعلم شيئاً أُبيح ثم حرّم ، ثم أبيح ثم حرّم ، غير نكاح المتعة ،

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/١٠٨ ـ ١٠٩) وأبو داود رقم (٢١٥٨) و(٢١٥٩) من طريق ابن إسحاق وإسناده حسن.
(٢) رقم (١١٣١) ، وهو حديث حسن كما ذكر الترمذي ونقله المصنف .
(٣) في الأصول : حفص بن عمر ، والمثبت من الترمذي .
(٤) رقم (٤٢١٥) .
(٥) رقم (١٨٠٨) و(١٨٠٩) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٢١٦) و(٥١١٥) و(٦٩٦١) ومسلم رقم (١٤٠٧) .
(٧) رقم (١٤٠٦) .

وما حداه على هذا ، رحمه الله ، إلا اعتماده على هذين الحديثين ، كما قدّمناه .

وقد حكى السهيليّ[١] وغيره ، عن بعضهم أنه ادّعى أنها أبيحت ثلاث مرات ، وحرّمت ثلاث مرات . وقال آخرون : أربع مرات . وهذا بعيد جدّاً . والله أعلم . واختلفوا ؛ أيّ وقت أول ما حرّمت ؟ فقيل : في خيبر . وقيل : في عمرة القضاء . وقيل : في عام الفتح . وهو الذي يظهر ، وقيل : في أوطاس . وهو قريب من الذي قبله . وقيل : في تبوك . وقيل : في حجّة الوداع ، رواه أبو داود[٢] .

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث عليّ ، رضي الله عنه ، بأنه وقع فيه تقديم وتأخير .

وإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام الأحمد[٣] : حدّثنا سفيان ، عن الزهريّ ، عن الحسن وعبد الله ابني محمد ، عن أبيهما ـ وكان حسن أرضاهما في أنفسهما ـ أن عليّاً قال لابن عباس : إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر . قالوا : فاعتقد الراوي أن قوله : « خيبر » . ظرف للمنهيّ عنهما ، وليس كذلك ، إنما هو ظرف للنّهي عن لحوم الحمر ، فأمّا نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفاً ، وإنما جمعه معه ؛ لأن عليّاً ، رضي الله عنه ، بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ، ولحوم الحمر الأهلية ، كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين عليّ : إنك امرؤ تائهٌ ، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقده في ذلك من الإباحة ، وإلى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجّاج المزّيّ ، تغمّده الله برحمته ، آمين . ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب إليه من إباحة الحمر والمتعة ، أما النهي عن الحمر ، فتأوّله بأنها كانت حَمولتهم ، وأما المتعة ، فإنما كان يبيحها عند الضّرورة في الأسفار ، وحمل النهي على ذلك في حال الرّفاهية والوجدان ، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ، ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز ، إلى زمن ابن جريج ، وبعده . وقد حكي عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس ، وهي ضعيفة ، وحاول بعض من صنّف في الخلاف نقل رواية عن الإمام أحمد بمثل ذلك ، ولا يصحّ أيضاً ، والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب « الأحكام » ، وبالله المستعان .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنّى الحصون والأموال، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدّثه بعضُ أَسْلَم أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: والله يا رسول الله، لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء . فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إيّاه ، فقال : « اللهم إنك قد عرفتَ حالهم ، وأن

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٥٥٧) .
(٢) رواه أبو داود رقم (٢٠٧٢) ، وهو شاذ ، والصحيح أن تحريم المتعة كان يوم الفتح كما أشار إليه المصنف .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٧٩) ، وأخرجه البخاري رقم (٥١١٥) ومسلم (١٤٠٧) من طريق سفيان وهو ابن عيينة به .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٢) .

ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إيّاه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عندهم ، وأكثرها طعاماً وودكاً » . فغدا الناس ففتح عليهم حصن الصّعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه .

قال ابن إسحاق[١] : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهَوا إلى حصنهم الوطيح ، والسّلالم ، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر : يا منصور ، أمت أمت .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني بريدة بن سفيان الأسلميّ ، عن بعض رجال بني سلمة ، عن أبي اليَسَر كعب بن عمرو قال : إنّا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشيّة ، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود ، تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله ﷺ : « من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ » قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله . قال : « فافعل » . قال : فخرجت أشتدّ مثل الظّليم ، فلمّا نظر إليّ رسول الله ﷺ مولّياً قال : « اللهم أمتعنا به » . قال : فأدركت الغنم وقد دخلت أُولاها الحصن ، فأخذت شاتين من أُخراها فاحتضنتهما تحت يديّ ، ثم جئت بما أشتدّ ، كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليَسَر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتاً ، وكان إذا حدّث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أُمتعوا بي لعمري ، حتى كنت من آخرهم [موتاً] .

وقال الحافظ البيهقيّ في « الدلائل »[٣] : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانيّ ، ثنا أبو سعيد بن الأعرابيّ ، ثنا سعدان بن نصر ، ثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النّهديّ ، أو عن أبي قلابة قال : لما قدم النبيّ ﷺ خيبر قدم والثمرة خضِرة ، قال : فأسرع الناس فيها ، فَحُمُّوا ، فشكوا ذلك إليه ، فأمرهم أن يقرّسوا[٤] الماء في الشّنان ، ثم يحدروا عليهم بين أذاني الفجر ، ويذكروا اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عُقُل . قال البيهقيّ : ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولاً ، وعنه : بين صلاتي المغرب والعشاء .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا يحيى وبهز ، قالا : ثنا سليمان بن المغيرة ، ثنا حميد بن هلال ، ثنا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٥) .
(٣) (٤/ ٢٤٢) .
(٤) أي : أن يبرِّدوه .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٨٦) ، وهو حديث صحيح .

عبد الله بن مغفّل ، قال : دُلِّيَ جراب من شحم يوم خيبر . قال : فالتزمته ، فقلت : لا أعطي أحداً منه شيئاً . قال : فالتفتّ فإذا رسول الله ﷺ يتبسّم .

وقال أحمد(١) : ثنا عفان ، ثنا شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن مغفّل ، قال : كنا محاصرين قصر خيبر ، فأُلقي إلينا جراب فيه شحم ، فذهبت آخذه ، فرأيت النبيّ ﷺ فاستحييت . وقد أخرجه صاحبا « الصحيح » من حديث شعبة .

ورواه مسلم(٢) أيضاً عن شيبان بن فرّوخ ، عن سليمان بن المغيرة ، به نحوه .

وقال ابن إسحاق(٣) : وحدّثني من لا أتّهم ، عن عبد الله بن مُغَفَّل المزنيّ ، قال : أصبت من فيء خيبر جراب شحم . قال : فاحتملته على عنقي إلى رحلي وأصحابي . قال : فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته ، وقال : هلمّ هذا ؛ حتى نقسمه بين المسلمين . قال : وقلت : لا والله لا أعطيكه . قال : وجعل يجاذبني الجراب. قال : فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسّم ضاحكاً ، ثم قال لصاحب المغانم : [« لا أبا لك] ، خلّ بينه وبينه » . قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه . وقد استدلّ الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك ؛ في تحريمه شحوم ذبائح اليهود ـ ما كان حراماً عليهم ـ على غيرهم من المسلمين ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ [المائدة : ٥] . قال : لكم . قال : وليس هذا من طعامهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديث ، وفيه نظر ، وقد يكون هذا الشّحم ممّا كان حلالاً لهم . والله أعلم .

وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يُخمّس .

ويَعْضُدُ ذلك ما رواه الإمام أبو داود(٤) : ثنا محمد بن العلاء ، ثنا أبو معاوية ، ثنا [أبو] إسحاق الشّيبانيّ ، عن محمد بن أبي مجالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قلتُ : هل كنتم تخمّسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبنا طعاماً يوم خيبر ، فكان الرجل يجيء ، فيأخذ منه قدر ما يكفيه ، ثم ينصرف ، تفرّد به أبو داود ، وهو حسن(٥) .

* * *

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٥٥) .
(٢) رقم (١٧٧٢) (٧٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٩) .
(٤) رقم (٢٧٠٤) .
(٥) هكذا قال ، ولو قال « صحيح » لكان أحسن ، فقد رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) عن هشيم عن أبي إسحاق الشيباني ، به ، ورجال إسناده رجال الصحيح .

ذكر
قصّة صَفِيَّة بنت حُيَي بن أخطب النّضرية(١)
رضي الله عنها

وكان من شأنها أنه لما أَجلى رسول الله ﷺ يهود بني النّضير من المدينة ، كما تقدّم ، فذهب عامّتهم إلى خيبر ، وفيهم حُيَيّ بن أخطب ، وبنو أبي الحُقَيق ، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم ، وكانت صَفِيّة إذ ذاك طفلة دون البُلوغ ، ثم لمّا تأهّلت للتّزويج ، تزوّجها بعض بني عمّها ، فلما زُفّت إليه وأُدخلت عليه بنى بها ، ومضى على ذلك ليالٍ ، رأت في منامها كأنّ قمر السماء قد سقط في حَجْرِهَا ، فقصّت رؤياها على ابن عَمِّهَا ، فلطم وجهها ، وقال : أتتمنّين مَلِكَ يَثْرِبَ أن يَصير بَعْلَكِ . فما كان إلا مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إيّاهم ، وكانت صَفِيَّة في جملة السّبي ، وكان زوجها في جملة القَتْلَى . ولمّا اصطفاها رسول الله ﷺ ، وصارت في حوزه وملكه ، كما سيأتي ، وبنى بها ، بعد استبرائها [وحِلّها] ، وجد أثر [تلك] اللَّطمة في خدّها ، فسألها : « ما شأنها ؟ » فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصَّالحة ، رضي الله عنها وأرضاها .

قال البخاريّ(٢) : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : صلى النبيّ ﷺ الصُّبْحَ قريباً من خيبر بغلس ثم قال : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا [بساحة] قومٍ فساء صباح المنذَرين » فخرجوا يسعون في السّكك ، فقتل النبيّ ﷺ المقاتلة وسبى الذُّرِّية ، وكان من السّبي صَفِيَّةُ ، فصارت إلى دِحْيَةَ الكلبيّ ، ثم صارت إلى النَّبيِّ ﷺ ، فجعل عِتْقَهَا صَدَاقَها .

ورواه مسلم(٣) أيضاً من حديث حماد بن زيد ـ وله طرق ـ عن أنس .

وقال البخاريّ(٤) : ثنا آدم ، ثنا شُعبة ، عن عبد العزيز بن صهيب [قال] : سمعت أنس بن مالك يقول : سبى النبيّ ﷺ صَفِيَّة ، فأعتقها وتزوّجها . قال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها فأعتقها . تفرّد به البخاريّ من هذا الوجه .

---

(١) ترجمتها في « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٤/١٨٧١) ، و« الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين » ص(٤٥) ، و« جامع الأصول » (١٢/٢٥٩) ، و« أسد الغابة » (٧/١٦٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢/٢٣١) ، و« الإصابة في تمييز الصحابة » (٤/٣٤٦) ، و« شذرات الذهب » (١/٢٤٥) ، و« أعلام النساء » (٢/٣٣٣) .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٠٠) .

(٣) رواه مسلم رقم (١٣٦٥) (٨٤ ـ ٨٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢٠١) .

وقال البخاريّ[١] : ثنا عبد الغفّار بن داود ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن . [ح] وثنا أحمد [بن عيسى] ثنا ابن وهب ، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ ، عن عمرو مولى المطّلب ، عن أنس بن مالك قال : قدمنا خيبر ، فلمّا فتح الله [عليه] الحصن ، ذُكر له جمال صَفِيَّة بنت حُييّ بن أَخْطَب ، وقد قتل زوجها ، وكانت عروساً ، فاصطفاها النبيّ ﷺ لنفسه ، فخرج بها حتى بلغ بها سدّ الصّهباء حلّت ، فبنى بها رسول الله ﷺ ، ثم صنع حَيْساً في نطع صغير ، ثم قال لي : « آذن من حولك » . فكانت تلك وليمته على صفية ، ثم خرجنا إلى المدينة ، فرأيت النبيّ ﷺ يحوّي لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب . تفرّد به دون مسلم .

وقال البخاريّ[٢] : ثنا سعيد بن أبي مريم ، ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، أخبرني حميد أنه سمع أنساً يقول : أقام رسول الله ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال ، يُبنى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمته ، وما كان فيها من خبز و[لا] لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت ، فألقى عليها التمر والأقِط والسّمن ، فقال المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه . فلمّا ارتحل وطّأ لها خلفه ، ومدّ الحِجَاب . انفرد به البُخاريّ .

وقال أبو داود[٣] : ثنا مسدّد ، ثنا حمّاد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : صارت صفية لدِحية الكلبيّ ، ثم صارت لرسول الله ﷺ .

وقال أبو داود[٤] : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، [قال] : ثنا ابن عليّة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس قال : جمع السّبي - يعني بخيبر - فجاء دحية فقال : يا رسول الله ، أعطني جارية من السّبي . قال : « اذهب فخذ جارية » . فأخذ صفيّة بنت حييّ ، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبيّ الله ، أَعطيت [دِحْيَةَ] - قال يعقوب : صفيّة بنت حييّ سيدة قريظة والنّضير ؟ - ما تصلح إلا لك . قال : « ادع بها » . فلمّا نظر إليها النبيّ ﷺ قال : « خذ جارية من السّبي غيرها » . وإن رسول الله ﷺ أعتقها وتزوّجها .

وأخرجاه[٥] من حديث ابن عُليّة .

وقال أبو داود[٦] : ثنا محمد بن خلاد الباهليّ ، ثنا بهز بن أسد ، ثنا حمّاد بن سلمة ، ثنا ثابت ، عن

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٢١١) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢١٣) .
(٣) رواه أبو داود رقم (٢٩٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢٩٩٨) .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٧١) ، ومسلم رقم (١٣٦٥) في النكاح .
(٦) رواه أبو داود رقم (٢٩٩٧) ، وهو حديث صحيح .

أنس قال : وقع في سهم دِحْيَة جَارِيَةٌ جميلة ، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أمّ سُليم تصنعها وتهيّئها . قال حمّاد : وأحسبه قال : وتعتدّ في بيتها ـ صفية بنت حُييّ . تفرّد به أبو داود .

قال ابن إسحاق[١] : فلما افتتح رسول الله ﷺ القموص ، حصن بني أبي الحُقيق ، أُتي بصَفية بنت حييّ بن أخطب وبأُخرى[٢] معها ، فمرّ بهما بلال ـ وهو الذي جاء بهما ـ على قتلى من قتلى يهود ، فلمّا رأتهم التي مع صفية ، صاحت ، وصكّت وجهها ، وحثَت التراب على رأسها ، فلمّا رآها رسول الله ﷺ قال : « أعزبوا[٣] عني هذه الشيطانة » . وأمر بصَفِيَّة فحِيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه . وقال رسول الله ﷺ لبلال ـ فيما بلغني ـ [حين رأى بتلك اليهودية ما رأى] : « أنُزعتْ منكَ الرحمة يا بلال حتى تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما ! » . وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق ، أن قمراً وقع في حَجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلّا أنك تمنّين مَلِكَ الحجاز محمداً . فلطم وجهها لطمةً خَضَّر عينها منها . فأُتي بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها : « ما هذا ؟ » فأخبرته الخبر .

قال ابن إسحاق[٤] : وأُتي رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كَنْزُ بني النّضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فأتى رسول الله ﷺ رجل من اليهود ، فقال لرسول الله ﷺ : إني رأيت كنانة يَطيف بهذه الخرِبة كلّ غداة . فقال رسول الله ﷺ لكنانة : « أرأيت إن وجدناه عندك أقتلُكَ ؟ » قال : نعم . فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقي ، فأبى أن يؤدّيه ، فأمر به رسول الله ﷺ الزّبير بن العَوَّام فقال : « عذّبه حتى تستأصل ما عنده » . وكان الزبير يقدح بزَنْدٍ في صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

***

فصل

قال ابن إسحاق[٥] : وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنَيهم الوطيح والسُّلالم ، حتى [إذا]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٦) .
(٢) في (ط) : « وأخرى » .
(٣) أي : أبعدوا .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٧) .

أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيّرهم[١] و[أن] يحقن دماءهم ، ففعل ، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلّها ؛ الشّقّ ، والنّطاة ، والكتيبة ، وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنَين ، فلمّا سمع [بهم] أهل فدك [قد صنعوا ما صنعوا] بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم ، ويخلّوا له الأموال ، ففعل .

[وكان ممّن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيّصة بن مسعود ، أخو بني حارثة] فلمّا نزل أهل خيبر [على ذلك] سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم [في الأموال] على النصف [وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها] فصالحهم [رسول الله ﷺ على النصف] على أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، وعامل أهل فَدَك بمثل ذلك .

***

فصل

في فتح حصونها[٢] وقسم أرضها

قال الواقديّ[٣] : لما تحوّلت اليهود من حصن ناعم وحصن الصّعب بن معاذ إلى قلعة الزَّبير ، حاصره رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له : غزّال . فقال : يا أبا القاسم ، تؤمّنني على أن أدلّك على ما تستريح به من أهل النّطاة ، وتخرج إلى أهل الشّقّ ، فإن أهل الشّقّ قد هلكوا رُعباً منك ؟ قال : فأمّنه رسول الله ﷺ على أهله وماله ، فقال له اليهوديّ : إنك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك ، إنّ لهم تحت الأرض دُبُولاً يخرجون بالليل فيشربون منها ، ثم يرجعون إلى قلعتهم . فأمر رسول الله ﷺ بقطع دُبولهم ، فخرجوا فقاتلوا أشدّ القتال ، وقتل من المسلمين يومئذ [نفر] وأصيب من اليهود عشرة ، وافتتحه رسول الله ﷺ ، وكان آخر حصون النّطاة ، وتحوّل إلى الشّقّ ، وكان به حصون ذوات عُدَد ، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أُبيّ ، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها : سُمْوَان[٤] ، فقاتل عليها أهل الحصن أشدّ القتال ، فخرج منهم رجل يقال له : عزول . فدعا إلى البِراز ، فبرز إليه الحباب بن المنذر ، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ، ووقع السيف من يده ، وفرّ اليهوديّ راجعاً ، فاتّبعه الحباب فقطع عُرقوبه ، وبرز منهم آخر ، فقام إليه رجل من المسلمين ، فقتله اليهوديّ ، فنهض إليه

---

(١) في (آ) : « يسترهم » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام ، ويسيرهم : يجليهم .
(٢) أي : خيبر .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٦٦٦) .
(٤) في « المغازي » : « سمران » .

أبو دُجانة فقتله وأخذ سلبه ، وأحجموا عن البِراز ، فكبّر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، وأمامهم أبو دجانة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتقحّموا الجُدُر كأنهم الظباء ، حتى صاروا إلى حصن النّزار بالشّقّ ، وتمنّعوا أشدّ الامتناع ، فزحف إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فتراموا ، ورمى معهم رسول الله ﷺ بيده الكريمة ، حتى أصاب نبلُهم ثيابَه ، عليه الصلاة والسلام . فأخذ عليه السلام كفّاً من الحصا فرمى حصنهم بها ، فرجف بهم حتى ساخ في الأرض ، وأخذهم المسلمون أخذاً باليد .

وقال الواقديّ(١) : ثم تحوّل رسول الله ﷺ إلى أهل الكَتيبة والوَطِيح والسُّلَالم ؛ حِصنَي بني أبي الحُقيق ، وتحصَّنوا أشدَّ التَّحصُّن ، وجاء إليهم كلُّ فَلٍّ كان قد انهزم من النَّطاة والشِّقِّ ، فتحصَّنوا معهم في القموص ـ وهو في الكتيبة ، وكان حصناً منيعاً ـ وفي الوطيح والسُّلالم ، وجعلوا لا يطلعون من حصونهم ، حتى همَّ رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق عليهم ، فلمَّا أيقنوا بالهلكة ـ وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً ـ نزل إليه ابن أبي الحُقيق ، فصالحه على حقن دمائهم ويُسيِّرهم ، ويخلُّون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض ، والأموال ، والصَّفْرَاء ، والبيضاء ، والكراع والحَلْقة ، وعلى البزّ ، إلا ما كان على ظهر الإنسان ، يعني لباسهم ، فقال رسول الله ﷺ : « وبرئت منكم ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله إن كتمتم شيئاً » فصالحوه على ذلك .

قلت : ولهذا لما كتموا وكذبوا وأخفَوا ذلك المسك الذي كان فيه أموال جزيلة ، تبيَّن أنه لا عهد لهم ، فقتل ابن أبي الحقيق وطائفة من أهله ، بسبب نقض العهود منهم والمواثيق .

وقال الحافظ البيهقيُّ(٢) : أنبأ أبو الحسن عليُّ بن محمد المقرىء الإسفرايينيُّ بها(٣) ، ثنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، ثنا يوسف [بن] يعقوب ، ثنا عبد الواحد بن غياث ، ثنا حمَّاد بن سلمة ، ثنا عبيد الله بن عمر ـ فيما يحسب أبو سلمة ـ عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم ، فغلب على الأرض والزَّرع والنَّخل ، فصالحوه على أن يُجلَوا منها ، ولهم ما حملت ركابهم ، ولرسول الله ﷺ الصّفراء والبيضاء ، ويخرجون منها ، واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيِّبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمَّة لهم ولا عهد ، فغيَّبوا مَسْكاً(٤) فيه مال وحليٌّ لحييٍّ بن أخطب ، وكان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النَّضير ، فقال رسول الله ﷺ لعمِّ حييٍّ : « ما فعل مَسك حييٍّ الذي جاء به من النضير ؟ » فقال : أذهبته النَّفقات والحروب . فقال : « العهد قريب والمال أكثر من ذلك » .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٦٧٠) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢٩) .
(٣) لفظ « بها » لم يرد في (ط) .
(٤) المسك : الجلد .

فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزُّبير ، فمسَّه بعذاب ، وقد كان حُييٌّ قبل ذلك دخل خَرِبةً ، فقال : قد رأيت حييّاً يطوف في خَربةٍ هاهنا . فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحُقيق ، وأحدهما زوج صَفية بنت حييِّ بن أخطب ، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريّهم ، وقسم أموالهم بالنَّكث الذي نكثوا ، وأراد إجلاءهم منا ، فقالوا : يا محمد ، دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها . ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا لا يفرُغون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أنَّ لهم الشَّطر من كلِّ زرع ونخيل وشيءٍ ما بدا لرسول الله ﷺ ، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كلَّ عام فيخرصها عليهم ، ثم يضمِّنهم الشَّطر ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خَرصه ، وأرادوا أن يرشوه ، فقال : يا أعداء الله ، تطعموني السُّحت ، والله لقد جئتكم من عند أحبِّ الناس إليَّ ، ولأنتم أبغض إليَّ من عدَّتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملني بغضي إياكم وحبِّي إياه على أن لا أعدل عليكم . فقالوا : بهذه قامت السموات والأرض . قال : فرأى رسول الله ﷺ بعين صفية خُضرة ، فقال : « ياصفية ، ما هذه الخضرة ؟ » فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت كأنَّ قمراً وقع في حجري ، فأخبرته بذلك فَلَطَمَني ، وقال : تتمنَّين مَلِكَ يثرب ؟! قالت : وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليَّ ؛ قتل زوجي وأبي ، فما زال يعتذر إليَّ ويقول : « إن أباكِ ألَّب عليَّ العرب » . وفعل وفعل ، حتى ذهب ذلك من نفسي . وكان رسول الله ﷺ يعطي كلَّ امرأة من نسائه ثمانين وَسقاً من تمر كلَّ عام ، وعشرين وسقاً من شعير ، فلمَّا كان في زمان عمر غشُّوا المسلمين ، وألقَوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه[(١)] ، فقال عمر : من كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها . فقسمها بينهم . فقال رئيسهم : لا تخرجنا ، دعنا نكون فيها كما أقرَّنا رسول الله ﷺ وأبو بكر . فقال عمر لرئيسهم : أتُراني سقط عني قول رسول الله ﷺ : « كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً ؟ » وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحُديبية .

وقد رواه أبو داود[(٢)] مختصراً من حديث حمَّاد بن سلمة .

قال البيهقيُّ[(٣)] : علَّقه البخاريُّ في « كتابه » فقال : ورواه حمَّاد بن سلمة . قلت : ولم أره في « الأطراف »[(٤)] فالله أعلم .

وقال أبو داود[(٥)] : وحدَّثني سليمان بن داود المهريُّ ، ثنا ابن وهب ، أخبرني أُسَامة بن زيد اللَّيثيُّ ،

---

(١) يعني أن تزول المفاصل عن أماكنها .
(٢) في « سننه » رقم (٣٠٠٦) ، وإسناده حسن .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٣١) .
(٤) إنما علَّقه البخاري بعد الحديث (٢٧٣٠) من حديث ابن عمر عن أبيه ، وذكره المزي في « أطرافه » كذلك .
(٥) في « سننه » رقم (٣٠٠٨) ، وإسناده حسن .

عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : لما فتحت خيبر سألتْ يهودُ رسول الله ﷺ أن يقرَّهم ، على أن يعملوا على النصف مما خرج منها ، فقال رسول الله ﷺ : « أقرُّكم فيها على ذلك ما شئنا » . فكانوا على ذلك ، وكان التمر يقسم على السُّهمان من نصف خيبر ، ويأخذ رسول الله ﷺ الخمس ، وكان أطعم كلَّ امرأة من أزواجه من الخمس مئة وَسق [من] تمر ، وعشرين وسقاً [من] شعير ، فلما أراد عمر إخراج اليهود ، أرسل إلى أزواج النبيِّ ﷺ فقال لهن : من أحبَّ منكن أن أقسم لها نخلاً بخَرصها مئة وسق ، فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها ، ومن الزرع مزرعةً عشرين وسقاً من شعير فعلنا ، ومن أحبَّ أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا .

وقد روى أبو داود(١) من حديث محمد بن إسحاق ، حدَّثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن عمر قال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مال فليلحق به ، فإني مخرج يهود . فأخرجهم .

وقال البخاريُّ(٢) : ثنا يحيى بن بكير ، ثنا اللَّيث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشَيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أعطيتَ بني المطَّلب من خمس خيبر وتركتنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : « إنما بنو هاشم وبنو المطَّلب شيء واحد » . قال جُبير بن مُطْعم : ولم يقسم النبيُّ ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً .

وفي لفظ(٣) : أن رسول الله ﷺ قال : « إن بني هاشم وبني المطَّلب شيء واحد ، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام » .

قال الشافعيُّ : دخلوا معهم في الشِّعب ، وناصروهم في إسلامهم وجاهليتهم .

قلت : وقد ذمَّ أبو طالب بني عبد شمس وبني نوفل حيث يقول :

جَزَى الله عَنَّا عبد شمس ونَوفلاً … عقوبة شرٍّ عاجلاً غير آجلِ

وقال البخاريُّ(٤) : ثنا الحسن بن إسحاق ، ثنا محمد بن سابق ، ثنا زائدة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً . قال : فسَّره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس ، فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن معه فرس ، فله سهم .

---

(١) في « سننه » رقم (٣٠٠٧) ، وهو حديث صحيح .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٢٩) .
(٣) رواه أبو داود رقم (٢٩٨٠) والنسائي رقم (٤١٤٨) ، وهو حديث صحيح .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٢٨) .

وقال البخاريُّ[١] : ثنا سعيد بن أبي مريم ، ثنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد ، عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطّاب يقول : أما والذي نفسي بيده ، لولا أن أترك آخر الناس ببَّاناً[٢] ليس لهم شيء ، ما فتحت عليَّ قرية إلا قسمتها كما قسم النبيُّ ﷺ خيبر ، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها . وقد رواه البخاريُّ أيضاً[٣] من حديث مالك ، وأبو داود ، عن أحمد بن حنبل ، عن ابن مهديٍّ ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، به . وهذا السياق يقتضي أنَّ خيبر بكمالها قسمت بين الغانمين .

وقد قال أبو داود[٤] : ثنا ابن السَّرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال . وبهذا قال الزهريُّ[٥] : خمَّس رسول الله ﷺ خيبر ، ثم قسم سائرها على من شهدها .

وفيما قاله الزُّهريُّ نظر ؛ فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وإنما قسم نصفها بين الغانمين كما سيأتي بيانه ، وقد احتجَّ بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخيَّر في الأراضي المغنومة ؛ إن شاء قسمها ، وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين ، وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح .

قال أبو داود : حدَّثنا الربيع بن سليمان المؤذِّن ، ثنا أسد بن موسى ، حدَّثنا يحيى بن زكريا ، حدَّثني سفيان، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشير بن يسار ، عن سهل بن أبي حثمة ، قال : قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين ؛ نصفاً لنوائبه [وحاجته] ، ونصفاً بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً . تفرَّد به أبو داود . ثم رواه أبو داود من حديث بُشير بن يسار مرسلاً[٦] ، فعيَّن نصف النَّوائب ؛ الوطيح والكتيبة والسُّلالم وما حِيز معها ، ونصف المسلمين ؛ الشِّقَّ والنَّطاة وما حيز معهما ، وسهم رسول الله ﷺ فيما حيز معهما .

وقال أيضاً[٧] : ثنا حسين بن عليٍّ ، ثنا محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشَير بن يسار ، مولى الأنصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر فقسمها على

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٥) .
(٢) أي شيئاً واحداً .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٢٥) وأبو داود (٣٠٢٠) .
(٤) في « سننه » رقم (٣٠١٨) ، وبلاغ ابن شهاب هذا إسناده صحيح .
(٥) رواه أبو داود رقم (٣٠١٩) ورواه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٩٧٣٨) عن معمر عن الزهري .
(٦) في « سننه » رقم (٣٠١٠) و(٣٠١٣) ، هكذا رواه أبو داود موصولاً مرسلاً وإسناد الموصول صحيح . ورواه الطبراني في الكبير رقم (٥٦٣٤) والبيهقي في السنن (٦/ ٣١٧) .
(٧) يعني أبو داود في « سننه » رقم (٣٠١٢) ، ورواه أيضاً أحمد في « مسنده » (٤/ ٣٦ ـ ٣٧) وإسناده صحيح .

ستة وثلاثين سهماً ، جمع كلُّ سهم مئة سهم ، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس . تفرَّد به أبو داود .

قال أبو داود[١] : ثنا محمد بن عيسى ، ثنا مجمِّع بن يعقوب بن مجمِّع بن يزيد الأنصاريُّ ، سمعت أبي يعقوب بن مجمِّع يقول ، عن عمِّه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاريِّ ، عن عمِّه مجمِّع بن جارية الأنصاريِّ ـ وكان أحد القرَّاء الذين قرؤوا القرآن ـ قال : قسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً ، وكان الجيش ألفاً وخمسمئة ، فيهم ثلاثمئة فارس ، فأعطى الفارس سهمين ، وأعطى الراجل سهماً . تفرَّد به أبو داود .

وقال مالك : عن الزهريِّ ، أن سعيد بن المسيَّب أخبره أن النبيَّ ﷺ افتتح بعض خيبر عنوة . رواه أبو داود[٢] . ثم قال أبو داود[٣] : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، حدَّثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب : أن خيبر بعضها كان عنوة ، وبعضها صلحاً ، والكَتيبة أكثرها عنوة ، وفيها صلح . قلت لمالك : وما الكتيبة ؟ قال : أرض خيبر ، وهي أربعون ألف عَذق .

قال أبو داود : والعَذق : النَّخلة . والعِذق : العُرجون[٤] .

ولهذا قال البخاريُّ[٥] : ثنا محمد بن بشَّار ، ثنا حرميٌّ ، ثنا شعبة ، ثنا عُمارة ، عن عكرمة ، عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

ثنا الحسن ، ثنا قرَّة بن حبيب ، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : ما شبعنا ـ يعني من التمر ـ حتى فتحنا خيبر .

وقال محمد بن إسحاق[٦] : كانت الشِّقُّ والنَّطاة في سهمان المسلمين ؛ الشِّقُّ ثلاثة عشر سهماً ، ونطاة خمسة أسهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ، ودفع ذلك إلى من شهد الحديبية ؛ من

---

(١) في « سننه » رقم (٣٠١٥) ، ورواه أيضاً أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٠) وإسناده ضعيف ، فإن يعقوب بن مجمع بن جارية وإن كان حسن الحديث لكنه تفرد به وخولف فيه ، كما بينه الإمام ابن القيّم في زاد المعاد (٣/ ٢٩٤) (بشار) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠١٧) ، وهو حديث مرسل ، لكنه ثابت من طرق عديدة صحيحة ، لذلك قال ابن عبد البر في كتابه « التمهيد ٦/ ٤٤٥ » : أجمع العلماء على أن خيبر كان بعضها عنوة وبعضها صلحاً ، وأن رسول الله ﷺ قسمها فما كان منها صلحاً أو أخذ بغير قتال كالذي جلا عنه أهله عمل ذلك بسنة الفيء ، وما كان منها عنوة عمل فيه بسنة الغنائم ، إلا أن ما فتحه الله عليه منها عنوة قسمه بين أهل الحديبية وبين من شهد الوقعة » (بشار) .

(٣) بعد الرقم (٣٠١٧) ، وإسناده ضعيف .

(٤) هذا التفسير من كلام الخطابي ، ولم نره عند أبي داود .

(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٤٢) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٧) .

حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغِب عن خيبر ممَّن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله ، فضرب له بسهمه . قال : وكان أهل الحديبية ألفاً وأربعمئة ، وكان معهم مئتا فرس ، لكل فرس سهمان ، فصُرف إلى كلِّ مئة رجل سهمٌ من ثمانية عشر سهماً ، وزيد المئتا فارس أربعمئة سهمٍ لخيولهم .

وهكذا رواه البيهقيُّ(١) من طريق سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن صالح بن كيسان أنهم كانوا ألفاً وأربعمئة ، ومئتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله ﷺ معهم بسهم ، وكان أول سهم من سهمان الشِّقِّ مع عاصم بن عديٍّ .

قال ابن إسحاق(٢) : وكانت الكتيبة خُمُساً لله تعالى ، وسهم النبيِّ ﷺ ، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطعمة أزواج النَّبيِّ ﷺ ، وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فدك ، منهم محيِّصة بن مسعود ، أقطعه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقاً من تمر ، وثلاثين وَسقاً من شعير . قال : وكان واديها اللَّذان قسِّمت عليه يقال لهما : وادي السُّرير ووادي خاص . ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها فأجاد وأفاد ، رحمه الله .

قال : وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبَّار بن صخر بن أُمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، وزيد بن ثابت ، رضي الله عنهما . قلت : وكان الأميرَ على خرص نخيل خيبر عبدُ الله بن رواحة ، فخرصها سنتين ، ثم لما قُتل ، رضي الله عنه ـ كما سيأتي في يوم مؤتة ـ ولي بعده جبَّار بن صخر ، رضي الله عنه .

وقد قال البخاريُّ(٣) : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثني مالك ، عن عبد المجيد بن سُهيل ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي سعيد الخدريِّ وأبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر ، فجاءه بتمرٍ جَنيبٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « كلُّ تمر خيبر هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة . فقال : « لا تفعل ، بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جَنيباً » .

قال البخاريُّ : وقال الدَّراورديُّ ، عن عبد المجيد ، عن سعيد بن المسيِّب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدَّثاه أن رسول الله ﷺ بعث أخا بني عديٍّ من الأنصار إلى خيبر وأمَّره عليها . وعن عبد المجيد ، عن أبي صالح السَّمَّان ، عن أبي سعيد وأبي هريرة ، مثله .

قلت : كان سهم النبيِّ ﷺ الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكمالها ـ وهي طائفة كبيرة من أرض خيبر ، نزلوا من شدة رعبهم منه ، صلوات الله وسلامه عليه ، فصالحوه ـ وأموال بني النَّضير ، المتقدِّم ذكرها ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/٢٣٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » (٢/٣٤٩) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٤٤) و(٤٢٤٥) .

خاصة ، وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ، ثم يجعل ما بقي مَجعل مال الله ؛ يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين ، فلمَّا مات ، صلوات الله وسلامه عليه ، اعتقدت فاطمة وأزواج النبيِّ ﷺ - أو أكثرهن - أن هذه الأراضيَ تكون موروثة عنه ، ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله ﷺ : « نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة »[1] . ولمَّا طلبت فاطمة وأزواج النبيِّ ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك ، وسألوا الصِّدِّيق أن يسلمه إليهم ، ذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة » . وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ ، والله لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي . وصدق ، رضي الله عنه وأرضاه ، فإنه البارُّ الراشد في ذلك ، التابع للحقِّ ، وطلب العباس وعليٌّ - على لسان فاطمة ، إذ قد فاتهم الميراث - أن ينظرا في هذه الصدقة ، وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبيُّ ﷺ يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصِّدِّيق ذلك ، ورأى أنَّ حقّاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ ، وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سننه . فتغضَّبت فاطمة ، رضي الله عنها ، عليه في ذلك ، ووجدت في نفسها بعض الموجدة ، ولم يكن لها ذلك ، والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محلَّه ومنزلته من رسول الله ﷺ ، وقيامه في نصرة النبيِّ ﷺ في حياته وبعد وفاته ، فجزاه الله عن نبيِّه وعن الإسلام وأهله خيراً ، وتوفِّيت فاطمة ، رضي الله عنها ، بعد ستة أشهر ، ثم جدَّد عليٌّ البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب ، سألوه أن يفوِّض أمر هذه الصدقة إلى عليٍّ ، والعباس ، وثقَّلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ، ففعل عمر ، رضي الله عنه ، ذلك ، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيَّته ، فتغلَّب على عليٍّ عمُّه العباس فيها ، ثم تساوقا يختصمان إلى عمر ، وقدَّما بين أيديهما جماعة من الصحابة ، وسألا منه أن يقسمها بينهما ، فينظر كلٌّ منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشدَّ الامتناع ، وخشي أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث ، وقال : انظرا فيها وأنتما جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليَّ ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضي فيها قضاء غير هذا . فاستمرَّا فيها ، ومن بعدهما من ولدهما إلى أيام بني العباس ، تصرف في المصارف التي كان رسول الله ﷺ يصرفها فيها ، أموال بني النَّضير وفدك ، وسهم رسول الله ﷺ من خيبر .

* * *

---

(١) قال الحافظ في « الفتح » عند الحديث رقم (٦٧٣٠) : الحديث بهذا اللفظ مما اشتهر في كتب الأصول وغيرهم ، وقد أنكره جماعة من الأئمة ، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ « نحن » لكن أخرجه النسائي في « السنن الكبرى » رقم (٦٣٠٩) بلفظ « إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة » . من حديث عمر رضي الله عنه ، بإسناد صحيح ، وهو بلفظ « لا نورث ما تركنا صدقة » في « البخاري » رقم (٦٧٢٨) ومسلم رقم (١٧٥٧) من حديث عمر رضي الله عنه ، ومن حديث غيره من الصحابة .

فصل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء، فرضخ[١] لهم رسول الله ﷺ شيئاً من الغنيمة، ولم يسهم لهم .

قال أبو داود[٢] : ثنا أحمد بن حنبل ، ثنا بشر بن المفضَّل ، عن محمد بن زيد ، حدَّثني عمير مولى آبي اللَّحم قال : شهدت خيبر مع سادتي ، فكلَّموا فيَّ رسول الله ﷺ ، فأمر بي فقلِّدت سيفاً ، فإذا أنا أجرُّه ، فأخبر أني مملوك ، فأمر لي بشيء من خرثيِّ المتاع .

ورواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ[٣] جميعاً، عن قتيبة عن بشر بن المفضَّل [به . وقال الترمذيُّ: حسن صحيح .

ورواه ابن ماجه[٤] ، عن عليِّ بن محمد ، عن وكيع ، عن هشام بن سعد] عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ ، عن عمير ، به .

وقال محمد بن إسحاق[٥] : وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء ، فرضخ لهنَّ [من الفيء][٦] ولم يضرب لهنَّ بسهم، حدَّثني سليمان بن سحيم، عن أمية بنت أبي الصَّلت، عن امرأة من بني غفار قد سمَّاها لي، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال : « على بركة الله». قالت: فخرجنا معه . قالت : وكنت جارية حدثة [السنِّ] ، فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رحله . [قالت] : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح [وأناخ][٧] ونزلت عن حقيبة رحله . [قالت :] وإذا بها دم مني، وكانت أول حيضة حضتها. قالت : فتقبَّضت إلى الناقة واستحييت . فلمَّا رأى رسول الله ﷺ ما بي ، ورأى الدم ، قال : « ما لك ؟ لعلك نفست ؟ » قالت : نعم . قال : « فأصلحي من نفسك ، ثم خذي إناء من ماء ، فاطرحي فيه ملحاً ، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودي لمركبك » . قالت: فلمَّا فتح الله خيبر ، رضخ لنا من الفيء ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي ، فأعطانيها وعلَّقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني [أبداً] . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها. قالت: وكانت لا تطَّهَّر من حيضها إلَّا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت .

---

(١) الرَّضخ : عطاء من الغنيمة غير محدد .
(٢) في « سننه » رقم (٢٧٣٠) .
(٣) رواه الترمذي رقم (١٥٥٧) والنسائي رقم (٧٥٣٥) .
(٤) رواه ابن ماجه رقم (٢٨٥٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٢) .
(٦) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٢) .
(٧) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٢) .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود[١] ، من حديث محمد بن إسحاق ، به .

قال شيخنا أبو الحجَّاج المزِّيُّ في « أطرافه »[٢] : ورواه الواقديُّ ، عن أبي بكر بن أبي سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، عن أمِّ عليٍّ بنت أبي الحكم ، عن أميَّة بنت أبي الصَّلت ، عن النبيِّ ﷺ به .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا حسن بن موسى ، ثنا رافع بن سلمة الأشجعيُّ ، حدَّثني حشرج بن زياد ، عن جدَّته أمِّ أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خيبر ، وأنا سادسة ستِّ نسوة . قالت : فبلغ النبيَّ ﷺ أنَّ معه نساء . قالت : فأرسل إلينا فدعانا . قالت : فرأينا في وجهه الغضب ، فقال : « ما أخرجكن ، وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا : خرجنا نناول السهام ، ونسقي السَّويق ، ومعنا دواء للجرحى ، ونغزل الشَّعر فنعين به في سبيل الله . قال : « قمن فانصرفن » . قالت : فلمَّا فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاماً كسهام الرجال . فقلت لها : يا جدَّة ، وما الذي أخرج لكنَّ ؟ قالت : تمراً .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأمَّا أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٤] : وفي كتابي ، عن أبي عبد الله الحافظ ، أن عبد الله الأصبهانيَّ أخبره ، حدَّثنا الحسين بن الجهم ، ثنا الحسين بن الفرج ، ثنا الواقديُّ ، حدَّثني عبد السلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عبد الله بن أنيس ، قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، ومعي زوجي وهي حبلى ، فنفست في الطريق ، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لي : « انقع [لها] تمراً ، فإذا انغمر بلُّه ، فامرثه لتشربه » . ففعلت ، فما رأت شيئاً تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أَجْدَى[٥] النساء ، [و] لم يسهم لهن ، فأَجْدَى زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

ومن كان بقي بالحبشة ممن هاجر إليها من المسلمين ، ومن انضمَّ إليهم من أهل اليمن ، على رسول الله ﷺ وهو مخيِّم بخيبرَ[٦]

قال البخاريُّ[٧] : ثنا [محمد] بن العلاء ، ثنا أبو أُسامة ، ثنا بُرَيد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة ، عن أبي

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٣٨٠) وأبو داود رقم (٣١٣) وإسناده ضعيف .

(٢) انظر « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » (١٣/ ١٢٣) بتحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدِّين رحمه الله ، وانظر « المغازي » (٢/ ٦٨٥) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٣٧١) وإسناده ضعيف .

(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) .

(٥) أي : أعطى .

(٦) نصّ العنوان في (ط) : « ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون » وعبارة « رضي الله عنه » زيادة مني .

(٧) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٠) و(٤٢٣٢) .

بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبيِّ ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي ، أنا أصغرهم ؛ [أحدهما] أبو بُردة ، والآخر أبو رُهم ـ إمَّا قال : في بضع . وإما قال : في ثلاثة وخمسين ، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي ـ فركبنا سفينة ، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشيِّ بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبيَّ ﷺ حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة . ودخلت أسماء بنت عميس ، وهي ممن قدم معنا ، على حفصة زوج النبيِّ ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشيِّ فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة ، وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال : سبقناكم [بالهجرة] فنحن أحقُّ برسول الله [ﷺ] منكم . فغضبت وقالت : كلاَّ والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار ـ أو [في] أرض ـ البُعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ ، وايم الله لا أطعم ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت للنبيِّ ﷺ وأسأله ، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه . فلمَّا جاء النبيُّ ﷺ قالت : يا نبيَّ الله ، إن عمر قال كذا وكذا . قال : « فما قلت له ؟ » قالت : قلت كذا وكذا . قال : « ليس بأحقَّ بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » . قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبيُّ . قال أبو بردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى ، وإنه ليستعيد هذا الحديث مني .

وقال أبو بُرْدَة ، عن أبي موسى ، قال النبيُّ ﷺ : « إني لأعرف أصوات رُفْقَة الأَشعريِّين بالقرآن ، حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم [بن حِزَام] ، إذا لقي العدوَّ ـ أو قال : الخيل ـ قال لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم » .

وهكذا رواه مسلم(١) ، عن أبي كريب وعبد الله بن برَّاد ، عن أبي أسامة ، به .

ثم قال البخاريُّ(٢) : حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا حفص بن غياث ، ثنا بريد بن عبد الله بن أبي بُردة ، عن أبي بُردة ، عن أبي موسى قال : قدمنا على النبيِّ ﷺ بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا . تفرَّد به البخاريُّ دون مسلم(٣) .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٥٠٢) و(٢٥٠٣) .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٣٣) .

(٣) هكذا قال ، وهو وهم منه رحمه الله ، فإن مسلماً رواه في صحيحه رقم (٢٥٠٢) ضمن الحديث الذي تقدم ذكره عند المصنف ونسبه هو إلى مسلم ، فهما واحد ، وقد نص المزي على ذلك في تحفة الأشراف (رقم ٩٠٤٩) ، لكن=

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ وصحَّحه من حديث بُريد ، به[١] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق[٢] أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أُميَّة الضَّمْريَّ إلى النجاشيِّ ، يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبيُّ ﷺ خيبر .

قال [ابن هشام][٣] : وذكر سفيان بن عُيينة ، عن الأجلح ، عن الشعبيِّ ، أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه ، وقال : « ما أدري بأيِّهما أنا أسرُّ ؛ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » وهكذا رواه سفيان الثَّوريُّ ، عن الأجلح ، عن الشعبيِّ مرسلاً .

وأسند البيهقيُّ[٤] ، من طريق حسن بن حسين العُرَنيِّ عن الأجلح ، عن الشعبيِّ ، عن جابر قال : لما قدم رسول الله ﷺ من خَيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقَّاه وقبَّل جبهته وقال : « والله ما أدري بأيِّهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جَعْفَرَ » .

ثم قال البيهقيُّ[٥] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو الحسين بن أبي إسماعيل العلويُّ ، ثنا أحمد بن محمد البَيْرُوتيُّ ، ثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة ، حدثني مكِّيُّ بن إبراهيم الرُّعينيُّ ، ثنا سُفيان الثَّوريُّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة ، تلقَّاه رسول الله ﷺ ، فلمَّا نظر جعفر إليه حَجَلَ ـ قال مكيٌّ : يعني مشى على رجل واحدةٍ ؛ إعظاماً لرسول الله ﷺ ـ فقبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه . ثم قال البيهقيُّ : في إسناده من لا يعرف إلى الثَّوريِّ .

قال ابن إسحاق[٦] : وكان الذين تأخَّروا مع جعفر من أهل مَكَّة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلاً . وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم ؛ جعفر بن أبي طالب الهاشميُّ ، وامرأته أسماء بنت عُمَيس ، وابنه عبد الله ، ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس ، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وولداه سعيد وأَمَةُ بنت خالدٍ ، ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومُعَيقيب بن أبي فاطمة ، وكان إلى آل سعيد بن العاص .

قال : وأبو موسى الأشعريُّ عبد الله بن قيس ، [حليف] آل عُتبة بن ربيعة ، وأسود بن نوفل بن

= البخاري يقطِّع الحديث كما هو معروف من منهجه. وانظر كتابنا المسند الجامع ١١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٧ حديث رقم (٨٩٠٧) (بشار) .

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٢٥) والترمذي رقم (١٥٥٩) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٩) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٩) وما بين الحاصرتين مستدرك منه .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٦) .

(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٦) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٩) .

خُويلد بن أسد الأسديُّ ، وجهم بن قيس [بن عبد شرحبيل] العبدريُّ ، وقد ماتت امرأته أمُّ حَرْمَلَة [بنت] عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنه عمرو وابنته خُزَيمة ماتا بها ، رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقّاص الزُّهريُّ ، وعُتبة بن مسعود ، حليف لهم من هُذَيل ، والحارث بن خالد بن صخر التَّيميُّ ، وقد هلكت بها امرأته ريطة بنت الحارث ، رحمها الله ، وعُثمان بن ربيعة بن أُهبان الجمحيُّ ، ومحمية بن جزء الزُّبيديُّ حليف بني سهم ، ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدويُّ ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عَمْرَة بنت السَّعديِّ ، والحارث بن عبد قيس بن لقيط الفِهْريُّ .

قلت : ولم يذكر ابن إسحاق الأشعريِّين الذين كانوا مع أبي موسى [الأشعريِّ] وأخويه أبا بُرْدَة وأبا رهم ، وعمَّه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريِّين غير أبي موسى ، ولم يتعرَّض لذكر أخويه وهما أسنّ منه ، كما تقدَّم في « صحيح البخاريِّ » . وكأنَّ ابن إسحاق ، رحمه الله ، لم يطَّلع على حديث أبي موسى في ذلك ، والله أعلم .

قال : وقد كان معهم في السفينتين نساء ، من نساء من هلك من المسلمين هناك . وقد حرَّر هاهنا شيئاً كثيراً حسناً .

قال البخاريُّ[1] : ثنا عليُّ بن عبد الله ، ثنا سُفيان ، سمعت الزُّهْريَّ وسأله إسماعيل بن أُمَيّة ، قال : أخبرني عنبسة بن سعيد ، أن أبا هُريرة أتى رسول الله ﷺ فسأله ـ يعني أن يقسم له ـ فقال بعض بني سعيد بن العاص : لا تعطه . فقال أبو هُريرة : هذا قاتل ابن قَوقَل . فقال : واعجباً لوبرٍ تدلَّى من قَدُوم الضأن ، تفرَّد به دون مسلم .

قال البخاريُّ[2] : ويذكر عن الزّبيديِّ ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني عَنْبَسَة بن سعيد ، أنه سمع أبا هُريرة يخبر سعيد بن العَاص قال : بعث رسول الله ﷺ [أباناً] على سرية من المدينة قبل نجد .

قال أبو هريرة : فقدم أبان وأصحابه على النبيِّ ﷺ بخيبر بعد ما افتتحها ، وإن حزم خيلهم لليف . قال أبو هريرة : فقلت : يا رسول الله ، لا تقسم لهم . فقال أبان : وأنت بهذا يا وبر تحدَّر من رأس ضال ؟ فقال النبيُّ [ﷺ] : « يا أبان ، اجلس » . ولم يقسم لهم .

وقد أسند أبو داود[3] هذا الحديث ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن عيَّاش ، عن محمد بن الوليد الزُّبيديِّ ، به نحوه .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٧) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٨) .
(٣) في « سننه » رقم (٢٧٢٣) .

ثم قال البخاريُّ[(١)] : ثنا موسى بن إسماعيل ، وثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ، أخبرني جدِّي ـ وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العَاص ـ أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبيِّ ﷺ فسلَّم عليه ، فقال أبو هُريرة : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قَوقَل . فقال أَبَانُ لأبي هُريرة : واعجباً لك ، وَبرٌ تردَّى من قدوم ضالٍ[(٢)] تنعى عليَّ امْرَأً أكرمه الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده . هكذا رواه منفرداً به هاهنا .

وقال في الجهاد[(٣)] : حدَّثنا الحُميديُّ ، عن سُفْيان ، عن الزُّهريِّ ، عن عَنْبَسَة بن سعيد ، عن أبي هُريرة قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعد ما افتتحها ، فقلت : يا رسول الله ، أسهم لي . فقال بعض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له . فقلت : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قَوقَل . الحديث .

قال سفيان : حدَّثنيه السَّعيديُّ ـ يعني عمرو بن يحيى بن سعيد ـ عن جدِّه ، عن أبي هريرة بهذا . ففي هذا الحديث التصريح من أبي هُريرة بأنه لم يشهد خيبر ، وتقدَّم في أول هذه الغزوة ، رواه الإمام أحمد[(٤)] من طريق عراك بن مالك ، عن أبي هُريرة ، وأنه قدم على رسول الله ﷺ بعد ما افتتح خيبر ، فكلَّم المسلمين ، فأشركونا في أسهامهم .

وقال الإمام أحمد[(٥)] : ثنا روح ، ثنا حمَّاد بن سَلَمة ، عن عليِّ بن زيد ، عن عمَّار بن أبي عمَّار قال : قال أبو هُريرة : ما شهدت مع رسول الله ﷺ مغنماً قطُّ إلا قسم لي ، إلّا خيبر ، فإنها كانت لأهل الحُديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى ، جاءا[(٦)] بين الحُديبية وخَيبر .

وقد قال البخاريُّ[(٧)] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق ، عن مالك بن أنس ، حدَّثني سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، أنه سمع أبا هُريرة يقول : افتتحنا خيبر ، فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الإبل ، والبقر ، والمتاع ، والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ، ومعه عبد له يقال له : مِدْعَمٌ . أهداه له بعض بني الضُّبيب ، فبينما هو يحطُّ رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر ، حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : « كلا ، والذي نفسي بيده إنَّ الشَّملة التي أصابها يوم خيبر : لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً » .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٩) .
(٢) كذا في (آ) و(ط) : « ضالٍ » وفي : « صحيح البخاري » : « ضأن » .
(٣) يعني البخاري في « صحيحه » رقم (٢٨٢٧) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٤٥) . وإسناده صحيح .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٣٥) . وإسناده ضعيف ، ومتنه منكر .
(٦) يعني أسلما .
(٧) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٤) .

فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين فقال : هذا شيء كنت أصبته . فقال رسول الله ﷺ : « شراك أو شراكان من نار » .

ذكر
قصَّة الشَّاة المَسْمُومَة
وما كان من أمر البرهان الذي ظهر عندها

قال البخاريُّ(١) : رواه عُرْوَة ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ . ثم قال : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا اللَّيث ، حدَّثني سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سَمٌّ . هكذا أورده هاهنا مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد(٢) : ثنا حَجَّاج ، ثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هُريرة قال : لما فتحت خيبر أُهديت للنبيِّ ﷺ شاة فيها سمٌّ ، فقال رسول الله ﷺ : « اجْمَعوا لي من كان هاهنا من اليهود » . فجمعوا له ، فقال رسول الله ﷺ : « إنِّي سائلكم عن شيء ، فهل أنتُم صَادِقِيَّ عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أَبُوكم ؟ » قالوا : أَبُونا فلان . فقال رسول الله ﷺ : « كذبتم ، بل أبوكم فُلان » . قالوا : صدقت وبررت . فقال : « هل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا ، كما عرفته في أبينا . فقال رسول الله ﷺ : « من أهل النار ؟ » . فقالوا : نكون فيها يسيراً ، ثم تخلفونا فيها . فقال لهم رسول الله ﷺ : « والله لا نخلفكم فيها أبداً » . ثم قال لهم : « هل أنتم صادقيَّ عن شيء سألتكم ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال : « هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً ؟ » فقالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك ؟ » . قالوا : أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبيّاً لم يضرَّك .

وقد رواه البخاريُّ(٣) في الجزية ، عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازي أيضاً ، عن قُتيبة كلاهما عن اللَّيث ، به .

وقال البيهقيُّ(٤) : أنبأ أبو عبد الله الحافظ ، أنبأ أبو العبَّاس الأصمُّ ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عبَّاد ابن العوَّام ، عن سُفْيَان بن حسين ، عن الزُّهريِّ ، عن سعيد بن المسيَّب ، وأبي سَلَمَة بن عبد الرحمن ، عن أبي هُريرة أن امرأة من اليهود أَهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فقال لأصحابه : « أمسكوا ؛ فإنها

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٤٩) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٥١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٦٩) و(٥٧٧٧) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٥٩) .

مَسْمُومَةٌ » . وقال لها : « ما حَمَلَكِ على ما صنعت ؟ » قالت : أردت أن أعلم ؛ إن كنت نبيّاً فسيطلعك الله عليه وإن كنت كاذباً أُريح الناس منك . قال : فما عرض لها رسول الله ﷺ . رواه أبو داود[١] ، عن هارون بن عبد الله ، عن سعيد بن سليمان ، به .

ثم روى البيهقيُّ[٢] ، عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا سُرَيج ، ثنا عَبَّاد ، عن هلال ـ هو ابن خبَّاب ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فأرسل إليها ، فقال : « ما حملكِ على ما صنعت ؟ » قالت : أحببت ـ أو : أردت ـ إن كنت نبيّاً فإن الله سيطلعك عليه ، وإن لم تكن نبيّاً أُريح الناس منك . قال : فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم . قال : فسافر مرة ، فلمَّا أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم . تفرَّد به أحمد ، وإسناده حسن .

وفي « الصحيحين »[٤] من حديث شُعبة ، عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك أن امرأة يهوديَّة أتت رسول الله ﷺ بشاة مَسْمُومة ، فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك . قالت : أردت لأقتُلك . فقال : « ما كان الله ليسلِّطك عليَّ » . أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا نقتلها ؟ قال : « لا » . قال أنس : فما زلت أعرفها في لَهوات[٥] رسول الله ﷺ .

وقال أبو داود[٦] : ثنا سليمان بن داود المهريُّ ، ثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدِّث أن يهوديَّة من أهل خيبر سمَّت شاة مَصْلِيَّةً ، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذِّراع ، فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم » . وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة ، فدعاها فقال لها : « أسممت هذه الشاة ؟ » قالت اليهوديَّة : من أخبرك ؟ قال : « أخبرتني هذه التي في يدي » . وهي الذِّراع . قالت : نعم . قال : « فما أردتِ بذلك ؟ » قالت : قلت : إن كنت نبيّاً فلن تضرَّك ، وإن لم تكن نبيّاً استرحنا منك . فعفا عنها رسول الله ﷺ ، ولم يعاقبها ، وتوفِّي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، واحتجم النبيُّ ﷺ على كاهله ، من أجل الذي أكل من الشاة ، حجمه أبو هند بالقَرن والشَّفرة ، وهو مولى لبني بياضة من الأنصار .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٥٠٩) ، وإسناده ضعيف .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠٥) .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) .
(٥) جاء في « فتح الباري » (٥/ ٢٣٢) و(١٠/ ٢٤٧) ما نصّه : اللّهوات : جمع لهاة وهو سقف الفم ، أو اللحمة المشرفة على الحلق ، وقيل : هي أقصى الحلق ، وقيل : ما يبدو من الفم عند التبسم .
(٦) في « سننه » رقم (٤٥١٠) وإسناده ضعيف .

ثم قال أبو داود[(١)] : ثنا وهب بن بقيَّة ، ثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهوديَّة بخيبر شاة مَصْلِيَّةً ، نحو حديث جابر ، قال : فمات بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرُور ، فأرسل إلى اليهوديَّة ، فقال : « ما حملكِ على الذي صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت . ولم يذكر أمر الحِجَامة .

قال البيهقيُّ[(٢)] : ورويناه من حديث حَمَّاد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هُريرة . قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البَرَاء أمر بقتلها .

وروى البيهقيُّ[(٣)] من حديث عبد الرزَّاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهريِّ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن امرأة يهوديَّة أَهْدَت إلى رسول الله ﷺ شاة مَصْلِيَّةً بخيبر ، فقال : « ما هذه ؟ » قالت : هديَّة . وحذرت أن تقول : صدقة . فلا يأكل . قال : فأكل وأصحابه ، ثم [قال :] « أمسكوا » . ثم قال للمرأة : « هل سممت هذه الشَّاة ؟ » قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : « هذا العظم » لساقها ، وهو في يده . قالت : نعم . قال : « لم ؟ » قالت : أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبيّاً لم يضرَّك . قال : فاحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل ، وأمر أصحابه فاحتجموا ، ومات بعضهم . قال الزهريُّ : فأسلمت ، فتركها النبيُّ ﷺ . قال البيهقيُّ ، هذا مرسل ، ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه .

وذكر ابنُ لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، وكذلك موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ قالوا : لما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهوديَّة ـ وهي ابنة أخي مرحب ـ لصفيَّة شاة مَصْلِيَّةً وسمَّتها ، وأكثرت في الكتف والذِّراع ؛ لأنه بلغها أنه أحبُّ أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ ، فدخل رسول الله ﷺ على صفيَّة ، ومعه بشر بن البَرَاء بن مَعْرُور ، وهو أحد بني سلِمة ، فقدَّمت إليهم الشاة المصليَّة ، فتناول رسول الله ﷺ الكتف ، وانتهش منها ، وتناول بِشر عظماً فانتهش منه ، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته ، اسْتَرَط[(٤)] بِشر بن البراء ما في فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم ؛ فإنَّ كتف هذه الشاة يخبرني أني نعيت فيها » . فقال بشر بن البراء : والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أُكلتي التي أكلتُ فما منعني أن ألفظها إلا أنِّي أعظمتك أن أنغِّصك طعامك ، فلمَّا [أَسَغْتَ] ما في فيك ، لم أرغب بنفسي عن نفسك ، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعي . فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لوْنُهُ كالطَّيلسان ، وماطله وجعه ، حتى كان لا يتحوَّل حتى يحوّل . قال الزهريُّ : قال جابر : واحتجم

(١) في « سننه » رقم (٤٥١١) وهو مرسل من هذا الوجه ، فأبو سلمة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف لم يدرك النبي ﷺ (بشار).
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٢) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٠) .
(٤) أي : ابتلع .

رسول الله ﷺ يومئذ ، حجمه مولى بني بياضة بالقرن والشَّفرة ، وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين ، حتى كان وجعه الذي توفِّي فيه ، فقال : « ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً ، حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري » . فتوفِّي رسول الله ﷺ شهيداً[١] .

وقال محمد بن إسحاق[٢] : فلمَّا اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلَّام بن مِشكم شاة مصليَّة ، وقد سألت : أيُّ عضو أحبُّ إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذِّراع . فأكثرت فيها من السُّمِّ ، ثم سمَّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلمَّا وضعتها بين يديه ، تناول الذِّراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ؛ فأمَّا بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال : « [إنَّ] هذا العظم يخبرني أنه مسموم » . ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك . فقلت : إن كان كذَّاباً استرحت منه ، وإن كان نبيّاً فسيخبَر . قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التي أكل .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدَّثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلَّى قال : كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفِّي فيه ـ ودخلت عليه أمُّ بشر بنت البراء بن معرور ـ : « يا أمَّ بشر ، إنَّ هذا الأوان وجدت [فيه] انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر » .

قال ابن هشام : الأَبْهَرُ : العرق المعلَّق بالقلب . قال : فإن كان المسلمون لَيرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار[٤] : حدَّثنا هلال بن بشر وسليمان بن سيف الحرَّانيُّ قالا : ثنا أبو عتَّاب سهل بن حماد ، ثنا عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدريِّ ، أن يهوديَّة أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة سميطاً ، فلما بسط القوم أيديهم ، قال رسول الله ﷺ : « أمسكوا ، فإنَّ عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة » . فأرسل إلى صاحبتها : « أسممت طعامك ؟ » قالت : نعم . قال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : أحببت إن كنت كاذباً أن أُريح الناس منك ، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه . فبسط يده وقال : « كلوا بسم الله » . قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله ، فلم يضرَّ أحداً منا . ثم قال : لا يروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلَّا من هذا الوجه . قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة ، والله أعلم .

---

(١) حديث : « ما زلت أجد . . . أبهري » علقه البخاري برقم (٤٤٢٨) ووصله الحاكم (٣/ ٥٨) من حديث عائشة ورواه أبو داود من حديث أم مبشر رقم (٤٥١٣) وهو حديث صحيح .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٧) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٨) ولفظ « فيه » مستدرك منها .

(٤) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٤٢٤) .

وذكر الواقديُّ[١] أن عُيَينة بن حِصْن قبل أن يُسْلِمَ رأى في منامه رؤيا ورسول الله ﷺ محاصر خيبر ، فطمع من رؤياه أنه يقاتل رسول الله ﷺ فيظفر به ، فلمَّا قدم على رسول الله ﷺ خيبر وجده قد افتتحها ، فقال : يا محمد ، أعطني ما غنمت من حلفائي ـ يعني أهل خيبر ـ فقال له رسول الله ﷺ : « كذبت رؤياك » . وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة ، فلقيه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع في غير شيء ؟! والله ليظهرنَّ محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإنَّ يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلاَّم بن أبي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون ، إنه لمرسل ، ويهود لا تطاوعني على هذا ، ولنا منه ذبحان ؛ واحد بيثرب ، وآخر بخيبر . قال الحارث : قلت لسلاَّم : يملك الأرض ؟! قال : نعم والتوراة التي أُنزلت على موسى ، وما أحبُّ أن تعلم يهود بقولي فيه .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق[٢] : فلمَّا فرغ رسول الله ﷺ من خيبر ، انصرف إلى وادي القُرى ، فحاصر أهلها ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة . ثم ذكر من قصة مِدعم ، وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : « كلاَّ والذي نفسي بيده ، إن الشَّملة التي أخذها يوم خيبر ، لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً » .

وقد تقدَّم في « صحيح البخاريِّ »[٣] نحو ما ذكره ابن إسحاق . والله أعلم ، وسيأتي ذكر قتاله ، عليه السلام ، بوادي القُرَى .

قال الإمام أحمد[٤] : ثنا يحيى بن سعيد[٥] ، [عن يحيى بن سعيد][٦] ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، عن أبي عمرة ، عن زيد بن خالد الجهنيِّ ، أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله ﷺ توفِّي [يوم خيبر] ، فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ ، فقال : « صلُّوا على صاحبكم » . فتغيَّر وجوه الناس من ذلك ، فقال : « إن صاحبكم غلَّ في سبيل الله » . ففتَّشنا متاعه ، فوجدنا خرزاً من خرز يهود ما يساوي درهمين .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٦٧٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٨) .
(٣) رقم (٤٢٣٤) .
(٤) في « المسند » (٥/ ١٩٢) ، وإسناده ضعيف .
(٥) هو القطان .
(٦) هو الأنصاري .

وهكذا رواه أبو داود والنَّسائيُّ من حديث يحيى بن سعيد القطَّان ـ زاد أبو داود : وبشر بن المفضَّل ـ وابن ماجه[١] من حديث اللَّيث بن سعد ، ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصاريِّ ، به .

وقد ذكر البيهقيُّ[٢] أن بني فَزَارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله ﷺ مرجعه من خيبر ، وتجمَّعوا لذلك ، فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيَّناً ، فلمَّا تحقَّقوا ذلك ، هربوا كلَّ مهرب ، وذهبوا من طريقه كلَّ مذهب . وتقدَّم أن رسول الله ﷺ لما حلَّت صفية من استبرائها ، دخل بها بمكان يقال له : سدُّ الصَّهباء ، في أثناء طريقه إلى المدينة ، وأولم عليها بحَيس ، وأقام ثلاثة أيام يُبنى عليه بها ، وأسلمت ، فأعتقها وتزوَّجها ، وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين ، كما فهمه الصحابة لما مدَّ عليها الحجاب وهو مردفها وراءه ، رضي الله عنها .

وذكر محمد بن إسحاق في « السيرة »[٣] قال : لمَّا أَعْرَسَ رسول الله ﷺ بصَفِيَّة بخيبر ، أو ببعض الطّريق ، وكانت التي جمَّلتها إلى رسول الله ﷺ ، ومشَّطتها ، وأصلحت من أمرها أمُّ سليم بنت ملحان ، أمُّ أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله ﷺ في قبَّة له ، وبات أبو أيوب متوشِّحاً سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ، ويطيف بالقُبَّة حتى أصبح ، فلمَّا رأى رسول الله ﷺ مكانه قال : « ما لك يا أبا أيوب ؟ » قال : خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلتَ أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخِفتها عليك . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم احفظ أبا أيُّوب كما بات يحفظني » .

ثم قال : حدَّثني الزُّهريُّ ، عن سعيد بن المسيَّب . فذكر نومهم عن صلاة الصُّبح مرجعهم من خيبر ، وأن رسول الله ﷺ كان أولهم استيقاظاً ، فقال : « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك . قال : « صدقت » . ثم اقتاد ناقته غير كثير ، ثم نزل فتوضَّأ ، وصلَّى كما كان يصليها قبل ذلك .

وهكذا رواه مالك ، عن الزهريِّ ، عن سعيد مرسلاً[٤] . وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال أبو داود[٥] : ثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر ، فسار ليلة ، حتى إذا أدركنا الكرى عرَّس ، وقال لبلال : « اكلأ لنا الليل » . قال : فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته ، فلم

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧١٠) والنسائي رقم (١٩٥٨) وابن ماجه رقم (٢٨٤٨) ، وإسناده ضعيف .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٩) .
(٤) رواه مالك في « الموطأ » رقم (٢٥) مرسلاً .
(٥) رواه أبو داود رقم (٤٣٥) ، وهو حديث صحيح .

يستيقظ النبيُّ ﷺ ولا بلال ، ولا أحد من أصحابه ، حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أوَّلهم استيقاظاً ، ففزع رسول الله ﷺ وقال : « يا بلال ! » قال : أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله . قال : فاقتادوا رواحلهم شيئاً ، ثم توضَّأ رسول الله ﷺ ، وأمر بلالاً فأقام لهم[١] الصلاة ، وصلَّى بهم الصبح ، فلمَّا أن قضى الصلاة قال : « من نسي صلاة فَلْيُصَلِّها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وأقم الصلاة للذِّكرى ﴾[٢] [طه : ١٤] » . قال يونس : وكان ابن شهاب يقرؤها كذلك .

وهكذا رواه مسلم[٣] ، عن حرملة بن يحيى ، عن عبد الله بن وهب ، به . وفيه : أن ذلك كان مرجعهم من خيبر .

وفي حديث شعبة ، عن جامع بن شدَّاد ، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففي رواية عنه أن بلالاً هو الذي كان يكلؤهم . وفي رواية أنه هو الذي كان يكلؤهم .

قال الحافظ البيهقيُّ[٤] : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال : وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة ، وفيه حديث الميضأة ، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين ، أو مرة ثالثة . قال : وذكر الواقديُّ في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال : وروى زافر بن سليمان ، عن شعبة ، عن جامع بن شدَّاد ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك . فالله أعلم .

ثم أورد البيهقيُّ[٥] ما رواه صاحب « الصَّحيح »[٦] من قصة عوف الأعرابيِّ ، عن أبي رجاء ، عن عِمْرَان بن حُصَين في قصة نومهم عن الصلاة ، وقصة المرأة صاحبة السَّطيحتين ، وكيف أخذوا منهما ماءً روَّى الجيش بكماله ، ولم ينقص ذلك منهما شيئاً .

ثم ذكر ما رواه مسلم[٧] من حديث ثابت البناني ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة ، وهو حديث طويل ، وفيه نومهم عن الصلاة ، وتكثير الماء من تلك الميضأة .

---

(١) لفظ « لهم » لم يرد في (ط) .
(٢) وقرأها أيضاً كذلك : ابن مسعود ، وأُبي بن كعب ، وابن السميفع . وقراءة العشرة : لِذِكري .
(٣) في « صحيحه » رقم (٦٨٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٧٥) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٧٧) .
(٦) يعني البخاري وهو عنده رقم (٣٤٤) .
(٧) في « صحيحه » رقم (٦٨١) .

وقد رواه عبد الرزاق[١] ، عن مَعْمَر ، عن قتادة .

وقال البخاريُّ[٢] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا عبد الواحد ، عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن أبي موسى الأشعريِّ قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبر ـ أو قال : لما توَّجه رسول الله ﷺ [إلى خيبر] ـ أشرف الناس على وادٍ ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلَّا الله . فقال رسول الله ﷺ : « اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » . وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ ، فسمعني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلَّا بالله . فقال : « يا عبد الله بن قيس » . قلت : لبَّيك يا رسول الله . قال : « ألا أدلُّك على كلمة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، فداك أبي وأمي . قال : « لا حول ولا قوة إلَّا بالله » .

وقد رواه بقية الجماعة[٣] من طرق ، عن عبد الرحمن بن ملٍّ ، أبي عثمان النَّهديِّ ، عن أبي موسى الأشعريِّ . والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر ؛ فإنَّ أبا موسى إنَّما قدم بعد فتح خيبر ، كما تقدَّم .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، قد أعطى ابن لَقِيم العَبْسيَّ حين افتتح خَيبر ما بها من دَجَاجَة أو دَاجِنٍ ، وكان فتح خيبر في صفر ، فقال ابن لَقِيم في فتح خيبر : [من الكامل]

رُمِيَتْ نَطاة من الرسول بفَيلقٍ ... شهباءَ ذاتِ مناكبٍ وفَقارِ
واستَيْقَنَتْ بالذُّلِّ لمَّا شُيِّعَتْ ... ورجالُ أَسْلَمَ وسطَها وغِفَارِ
صبحت بني عمرو بن زرعة غُدوةً ... والشَّقُّ أظلم أهله بنهارِ
جرَّت بأَبْطَحِهَا الذُّيول فلم تَدَعْ ... إلا الدَّجاج تصيحُ بالأسحارِ
ولكلِّ حصنٍ شاغلٌ من خيلهم ... من عبد الاشهلِ أو بني النَّجَّارِ
ومهاجرينَ قَدَ اعلموا سيماهُمُ ... فوق المَغَافِرِ لم يَنُوا لفرارِ
ولقد علمتُ ليغلبنَّ محمد ... وليثوينَّ بها إلى أصفارِ
فَرَّت يهودُ عند ذلك في الوغى ... تحت العَجَاج غمائمَ الأبصارِ

***

(١) في « المصنف » رقم (٢٠٥٣٨) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٥) .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٧٠٤) وأبو داود رقم (١٥٢٦) إلى (١٥٢٨) والترمذي رقم (٣٤٦١) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٧٦٧٩) إلى (٧٦٨١) و(٨٨٢٣) و(١٠٣٧١) و(١١٤٢٧) وابن ماجه رقم (٣٠٨٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٠) .

فصل

من استشهد بخيبر من الصَّحَابة ،
على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار[١] رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي

فمن خير المهاجرين : ربيعة بن أَكْثَم بن سَخْبَرَة الأَسديُّ ، مولى بني أُمَيَّة ، وثقيفُ بن عمرو ، ورفاعة بن مَسْرُوح ، حلفاء بني أمية ، وعبد الله بن الهُبَيب بن أُهيب بن سُحَيم بن غِيَرَةَ ، من بني سعد بن ليث ، حليف بني أسد وابن أُختهم .

ومن الأنصار : بِشر بن البَرَاء بن مَعْرُور ـ من أَكَلَةِ الشَّاة المَسْمُومة مع رسول الله ﷺ كما تقدَّم ـ وفُضَيل بن النُّعمان السَّلميَّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خلَدة بن عامر بن زُريق الزُّرقيُّ ، ومحمود بن مسلمة الأشهليُّ ، وأبو ضيَّاح بن ثابت بن النُّعمان العَمْريُّ ، والحارث بن حاطب ، وعُرْوَة بن مُرَّة بن سُرَاقة ، وأوس الفائد ، وأُنيف بن حبيب ، وثابت بن أَثْلَةَ ، وطلحة ، وعُمَارة بن عُقبة ، رمي بسهم فقتله ، وعامر بن الأَكْوَع ، أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله ، رحمه الله ، كما تقدَّم ، والأسود الرَّاعي . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته ، وقد أسلفناها في أوائل الغزوة ، ولله الحمد والمِنَّة .

قال ابن إسحاق[٢] : وممَّن استُشهد بخيبر ـ فيما ذكره ابن شهاب [الزُّهري] ـ من بني زهرة ، مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف ، أوس بن قتادة ، رضي الله عنهم أجمعين .

***

[خبر الحَجَّاج بن عِلَاط البَهْزيّ رضي الله عنه][٣]

قال ابن إسحاق[٤]: ولما افتتحت[٥] خيبر ، كلَّم رسول الله ﷺ الحَجَّاج بن عِلَاط السُّلميُّ ثم البَهْزيُّ ، فقال : يا رسول الله ، إن لي بمكّة مالاً عند صاحبتي أمِّ شيبة بنت أبي طلحة ـ وكانت عنده ، له منها معرِّض بن الحجَّاج ـ ومالاً متفرقاً في تجَّار أهل مكة ، فأْذن لي يا رسول الله . فأذن له ، فقال : إنه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٤) وما بين الحاصرتين مستدرك منها .
(٣) هذا العنوان لم يرد في (آ) وأثبته عن (ط) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٤) .
(٥) في (ط) : « فتحت » .

لا بد لي يا رسول الله من أن أقول . قال : « قل » . قال الحَجّاج : فخرجت حتى [إذا] قدمت مكّة ، وجدت بثنيَّة البيضاء رجالاً من قريش يستمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز؛ ريفاً ومَنَعةً ورجالاً ، وهم يتجسَّسون الأخبار من الرُّكبان ، [فلمَّا رَأَوني] قالوا : الحَجَّاج بن عِلَاط ـ قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي ـ عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغني ذلك ، وعندي من الخبر ما يسرُّكم . قال : فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون : إيه يا حجاج . قال : قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قطُّ، وقد قتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله [قطُّ] وأسر محمد أسراً، وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكّة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد ، إنما تنتظرون[1] أن يقدم [به] عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكّة [و] على غُرمائي ، فإني أُريد أن أقدَم خيبر ، فأُصيب من فَلِّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التُّجار إلى ما هنالك . قال : فقاموا فجمعوا لي ما كان لي كأحثِّ جمع سمعت به . قال : وجئت صاحبتي فقلت : مالي ـ وكان عندها مال موضوع ـ فلعلي ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التُّجار. قال: فلما سمع العباس بن عبد المطَّلب الخبر وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التُّجار ، فقال : ياحَجَّاج ، ما هذا الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخر عنّي حتى ألقاك على خَلاء ؛ فإني في جمع مالي كما ترى ، فانصرف عنّي حتى أفرُغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كلِّ شيء كان لي بمكة ، [و] أجمعت الخروج ، لقيت العباس فقلت : احفظ عليَّ حديثي يا أبا الفضل ، فإني أخشى الطَّلب ، ثلاثاً ، ثم قل ما شئت . قال : أفعل . قلت : فإني والله لقد تركت ابن أخيك عَروساً على بنت ملكهم ـ يعني صَفِيّة بنت حُييٍّ ـ وقد افتتح خيبر ، وانتثل ما فيها ، وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : إي والله ، فاكتم عني ، ولقد أسلمت ، وما جئت إلَّا لآخذ مالي ؛ فرقاً من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله [على ما تحبُّ . قال :] حتى إذا كان اليوم الثالث ، لبس العباس حلَّة له وتخلَّق[2] وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلمَّا رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التَّجلُّد لحرِّ المصيبة . قال : كلَّا والله الذي حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر ، وتُرك عَروسَاً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها ، وأصبحت له ولأصحابه . قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه . فقالوا : يا لَعباد الله ،

---

(١) في (آ) : « تنظرون » .
(٢) أي : تطيب بالخلوق .

انفلت عدوُّ الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . قال : ولم يَنْشَبُوا[١] أن جاءهم الخبر بذلك . هكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعةً .

وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل[٢] فقال : ثنا عبد الرزاق ، ثنا مَعْمَر ، سمعت ثابتاً يُحَدِّث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله ﷺ خَيْبَرَ ، قال الحَجَّاج بن عِلَاط : يا رسول الله ، إن لي بمكّة مالاً ، وإن لي بها أهلاً ، وإني أُريد أن آتيهم ، أفأنا في حلٍّ إن أنا نِلْتُ مِنْكَ أو قلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ما كان عندكِ ؛ فإني أُريد أن أشتري من غنائم محمدٍ وأصحابه ، فإنهم قد استُبيحوا وأُصيبت أموالهم . قال : وفشى ذلك بمكّة ، فانقمع[٣] المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً . قال : وبلغ الخبر العباس فعقر ، وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال مَعْمَر : فأخبرني عُثمان الجَزَرِيُّ ، عن مِقْسَم قال : فأخذ ابناً له يقال له : قُثَم . واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

حَـيَّ قُثَـم [حـيَّ قثـم][٤]
شَبيـــه ذي الأَنْــفِ الأَشَـــمّ
نَبِــــــيِّ ذي النِّعَــــــمْ
بِـــرَغْــمِ مَـــنْ رَغِـــمْ

قال ثابت : عن أنس : ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط : ويلك ما جئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خير مما جئت به ، فقال الحجاج بن علاط لغلامه : أقرئ على أبي الفضل السلام ، وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه ، فإنّ الخبر على ما يسرُّه . فجاء غلامه ، فلمَّا بلغ باب الدار قال : أبشر يا أبا الفضل . قال : فوثب العباس فرحاً حتى قبّل بين عينيه ، فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه . قال : ثم جاءه الحَجَّاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حُيِيٍّ واتخذها لنفسه ، وخيَّرها أن يعتقها وتكون زوجة ، أو تلحق بأهلها ، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته . قال : ولكني جئت لمال كان لي هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله ﷺ ، فأذن لي أن أقول ماشئت ، فأخف عليَّ ثلاثاً ، ثم اذكر ما بدا لك . قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حليٍّ ومتاع ، فجمعته ودفعته إليه ، ثم استمرَّ به ، فلمَّا كان

(١) في (آ) : « ولم يلبثوا » وأثبت لفظ (ط) .
(٢) في « المسند » (٣/١٣٨ و١٣٩) ، وإسناده صحيح .
(٣) أي : كأنهم ضربوا بالمقمعة ـ وهي آلة من حديد كالمحجن يضرب بها على رأس الفيل ـ كناية عن القهر والذّلّ . انظر « مختار الصحاح » (قمع) .
(٤) ما بين الحاصرتين استدركته من « المسند » للإمام أحمد بن حنبل .

بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج ، فقال : ما فعل زوجكِ ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل ، لقد شقَّ علينا الذي بلغك . قال : أجل ، لا يُحزنني الله ، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خيبر على رسوله ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى رسول الله ﷺ صفيةَ لنفسه ، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به . قالت : أظنُّك والله صادقاً . قال : فإني صادق ، والأمر على ما أخبرتك . ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش ، وهم يقولون إذا مرَّ بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . قال : لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألني أن أخفي عليه ثلاثاً ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ، ثم يذهب . قال : فردَّ الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتوا العباس ، فأخبرهم الخبر ، فسُرَّ المسلمون وردَّ الله ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرّجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النَّسائيِّ[(١)] ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، به نحوه .

ورواه الحافظ البيهقيُّ[(٢)] ، من طريق محمود بن غيلان ، عن عبد الرزاق .

ورواه أيضاً[(٣)] من طريق يعقوب بن سفيان ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، به نحوه .

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه»[(٤)] أن قريشاً كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه . ومنهم من يقول : يظهر الحليفان ويهود خيبر . وكان الحجَّاج بن علاط السُّلميُّ ثم البهزيُّ قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خيبر ، وكانت تحته أمُّ شيبة أخت [بني] عبد الدار بن قصيٍّ ، وكان الحجَّاج مكثراً من المال ، وكانت له معادن أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله ﷺ على خيبر ، استأذن الحَجَّاج رسول الله ﷺ في الذَّهاب إلى مكّة يجمع أمواله ، فأذن له ، فذكر نحو ما تقدَّم ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[(٥)] : ومما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حَسَّان[(٦)] : [من الخفيف]

---

(١) في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٤٦) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٨) .
(٣) يعني الحافظ البيهقي ، وهو عنده في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٨) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢٦٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٧) .
(٦) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٦٩) مع بعض الخلاف .

بئسَ مَا قَاتَلَتْ خيابرُ عمَّا جمَّعوا من مَزَارِعٍ ونخيلِ
كَرِهُوا الموتَ فَاستُبيح حِمَاهُمْ وأقرُّوا فِعْلَ اللَّئيم الذَّليلِ
أَمِنَ الموت يهرُبون فإنَّ الـ ـموت موت الهزال غير جميلِ

وقال كعب بن مالك[١] فيما ذكره ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاريِّ : [من الطويل]

ونحن وردنا خيبراً وفُروضَه بكلِّ فتى عاري الأَشَاجِعِ مِذودِ[٢]
جوادٍ لدى الغايات لا واهنِ القُوى جريءٍ على الأعداءِ في كلِّ مَشْهَدِ
عظيمِ رماد القِدر في كلِّ شتوة ضروبٍ بنصل المشرفيِّ المُهَنَّدِ
يرى القَتْل مَدْحَاً إنْ أَصَاب شهادةً مِن الله يرجوها وفوزاً بأحمدِ
يذود ويَحْمِي عن ذِمَارِ محمدٍ ويَدْفَعُ عنه باللِّسانِ وباليدِ
ويَنْصُرُهُ مِنْ كلِ أمرٍ يَريبُهُ يجُودُ بنفسٍ دونَ نفسِ محمدِ
يُصَدِّقُ بالإنباءِ بالغَيب مخلصاً يُريدُ بذاكَ العزَّ والفَوزَ في غدِ

* * *

فصل

في مروره ـ ﷺ ـ بوادي [القُرى] ومحاصرته قوماً من اليهود ، [ومصالحته يهود] تيماء على ما ذكره الواقديُّ

قال الواقديُّ[٣] : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهريِّ ، عن أبي سَلَمَة ، عن أبي هُريرة [قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى ، وكان رفاعة] بن زيد بن وهب الجذاميُّ قد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له : مِدعم . وكان يرحِّل لرسول الله ﷺ ، فلمَّا نزلنا بوادي القرى انتهينا إلى يهود ، وقدم إليها ناس من العرب ، فبينا مِدعم يحطُّ رحل رسول الله ﷺ ، وقد استقبلتنا يهود بالرَّمي حين نزلنا ، ولم نكن على تعبئة ، وهم يصيحون في آطامهم ، فيقبل سهم عائر ، فأصاب مدعماً فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له بالجنة . فقال النبيُّ ﷺ: «كلاَّ والذي نفسي بيده، إن الشَّملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه ناراً». فلمَّا سمع بذلك الناس ، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشِراك أو شراكين، فقال النبيُّ ﷺ: « شراك من نار أو شراكان من نار ». وهذا الحديث

---

(١) « ديوانه » ص(١٦٤) .
(٢) أي : مانع .
(٣) انظر « المغازي » (٢/٧٠٩) .

في «الصحيحين» من حديث مالك ، عن ثور بن زيد ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ بنحوه[١] .

قال الواقديُّ[٢] : فعبَّى رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفَّهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عبَّاد بن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم ، وحسابهم على الله . قال : فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزُّبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر ، فبرز إليه عليٌّ فقتله ، ثم برز آخر ، فبرز إليه أبو دجانة فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً، كلَّما قتل منهم رجل ، دعا من بقي منهم إلى الإسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم ، فيصلِّي رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عزَّ وجلَّ ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسَوا ، وغدا عليهم ، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، فتحها عنوة ، وغنَّمهم الله أموالهم ، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً ، وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام ، فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنَّخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول الله ﷺ خيبر وفدك ووادي القرى ، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلمَّا كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ، ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى ؛ لأنهما داخلتان في أرض الشام، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز، وما وراء ذلك من الشام. قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى ، وغنَّمه الله عزَّ وجلَّ .

قال الواقديُّ[٣] : حدَّثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعْصَعَة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمِّ عُمَارة ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء »[٤] . قالت : فذهب رجل من الحيِّ ، فطرق أهله فوجد ما يكره ، فخلَّى سبيله ولم يهِجْه ، وضنَّ بزوجته أن يفارقها ، وكان له منها أولاد ، وكان يحبُّها ، فعصى رسول الله ﷺ ، فرأى ما يكره .

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧١٠) .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧١٢) .
(٤) رواه الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » برقم (٨٦٥ ـ بغية الباحث) وفي سنده الواقدي ، وهو متروك ، والقول النبوي في الصحيحين بنحوه من حديث جابر ، في البخاري برقم (٥٢٤٤) و(١٨٠١) ومسلم رقم (٧١٥) الذي بعد (١٩٢٨) .

فصـــل

ثبت في « الصحيحين »[(١)] أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر ، عامل يهودها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع .

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث : على أن يعملوها من أموالهم . وفي بعضها[(٢)] : وقال لهم النبيُّ ﷺ : « نقرُّكم [فيها] ما شئنا » .

وفي « السِّير » أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة ، يَخْرُصُهَا عليهم عند استواء ثمارها ، ثم يضمِّنهم إياه ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة ، بعث جبَّار بن صخر ، كما تقدَّم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق[(٣)] : سألت ابن شهاب : كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمَّسها وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال : « إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال ؛ على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا [وبينكم] فأقرُّكم ما أقرَّكم الله » . فقبلوا ، وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ، فلما توفَّى الله نبيَّه ﷺ ، أقرَّها أبو بكر بأيديهم ، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفِّي ، ثم أقرَّهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : « لا يجتمعنَّ بجزيرة العرب دينان »[(٤)] . ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثَّبت ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله قد أذن لي [في] إجلائكم ، وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجتمعنَّ في جزيرة العرب دينان » . فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهَّز للجلاء . فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٢٨٥) و(٢٣٢٨) و(٢٣٣١) ومسلم رقم (١٥٥١) (١) و(٢) و(٣) .

(٢) كما عند البخاري رقم (٢٣٣٨) و(٣١٥٢) ومسلم رقم (١٥٥١) (٤) و(٦) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٦) .

(٤) هو عند أحمد في « المسند » (٦/ ٢٧٤) من حديث عائشة قالت : كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يُترك بجزيرة العرب دينان » وإسناده حسن وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب عند مسلم برقم (١٧٦٧) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً » .
وهو في الصحيحين أيضاً من حديث ابن عباس « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » رواه البخاري رقم (٣٠٥٣) ومسلم رقم (١٦٣٧) .

قلت : قد ادَّعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمئة ، أن بأيديهم كتاباً من رسول الله ﷺ ؛ فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اغترَّ بهذا الكتاب بعض العلماء ، حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ؛ من الشافعية الشيخ أبو عليٍّ بن خيرون ، وهو كتاب مزوَّر مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بيَّنت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد ، وقد تعرَّض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم ، كابن الصَّبَّاغ في « شامله » ، والشيخ أبي حامد في « تعليقه » ، وصنَّف فيه ابن المُسلمة جزءاً منفرداً للردِّ عليه . وقد تحرَّكوا به بعد السبعمائة، وأظهروا كتاباً فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه ، فإذا هو مكذوب ؛ فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ، ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره : وكتبه عليُّ بن أبو طالب . وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ، ولم تكن شرعت بعدُ ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع ، والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلمَّا قدمنا تفرَّقنا في أموالنا . قال : فعُدِي عليَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي ، ففدعت يداي من مرفقيَّ ، فلما استصرخت عليَّ صاحبيَّ ؛ فأتياني فسألاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري . فأصلحا من يديَّ ، ثم قدما بي إلى عمر ، فقال : هذا عمل يهود . ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنَّا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ، ففدعوا يديه كما بلغكم ، مع عَدْوتهم على الأنصاريِّ قبله ، لا نشكُّ أنهم كانوا أصحابه ، ليس لنا هناك عدوٌّ غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به ، فإنِّي مخرج يهود . فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر ، وقد كان وقفه في سبيل الله ، وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله ﷺ ، كما هو ثابت في « الصحيحين »[٢] وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

***

قال الحافظ أبو بكر البيهقيُّ في « الدلائل »[٣] : جماع أبواب السَّرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضيَّة ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٧) .
(٢) رواه البخاري رقم (٢٧٣٧) و(٢٧٦٤) و(٢٧٧٢) ومسلم رقم (١٦٣٢) و(١٦٣٣) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩٠) .

سريَّة أبي بكر الصّدِّيق إلى بني فَزَارَة

قال الإمام أحمد[١] : ثنا بهز ، ثنا عكرمة بن عمَّار ، ثنا إياس بن سلمة ، حدَّثني أبي قال : خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة ، وأمَّره رسول الله ﷺ علينا ، فغزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء ، أمرنا أبو بكر فعرَّسنا ، فلمَّا صلَّينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننَّا الغارة ، فقتلنا على الماء من [مرَّ] قِبلنا[٢] . قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه من الذُّرية والنساء ، نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل ، فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل . قال : فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء ، وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من أدم ، ومعها ابنة لها من أحسن العرب . قال : فنفَّلني أبو بكر بنتها . قال : فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ، ثم بتُّ فلم أكشف لها ثوباً . قال : فلقيني رسول الله ﷺ في السوق ، فقال لي : « يا سلمة ، هب لي المرأة » . قال : فقلت : والله يا رسول الله لقد أعجبتني ، وما كشفت لها ثوباً . قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال : « يا سلمة ، هب لي المرأة ، لله أبوك » . قال : فقلت : يا رسول الله ، والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً . وهي لك يا رسول الله . قال : فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ، وفي أيديهم أسارى من المسلمين ، ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة .

وقد رواه مسلم والبيهقيُّ[٣] من حديث عكرمة بن عَمَّار ، به .

***

سريَّة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه إلى تُربةَ من أرض هَوَازِن وراء مَكَّة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقيُّ[٤] من طريق الواقديِّ بأسانيده أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، في ثلاثين راكباً ، ومعه دليل من بني هلال ، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النَّهار ، فلمّا انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم ، وكرَّ عمر راجعاً إلى المدينة ، فقيل له : هل لك في قتال خثعم ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٤٦) .

(٢) كذا في (ط) وما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) .

(٣) هو عند مسلم في « صحيحه » رقم (١٧٥٥) وعند البيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩٠) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩٢) .

سريَّة عبد الله بن رَوَاحَة إلى يُسير بن رِزام اليهوديّ

ثم أورد[(١)] من طريق ابن لهيعة[(٢)] ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، ومن طريق موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ ، أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً ، فيهم عبد الله بن أنيس ، إلى يُسير بن رِزام اليهوديِّ ، حتى أتوه بخيبر ، وبلغ رسولَ الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم ، فأتوه فقالوا : أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر . فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً ، مع كلِّ رجل منهم رديف من المسلمين ، فلمَّا بلغوا قرقرة ثبار ، وهي من خيبر على ستة أميال ، ندم يسير بن رزام ، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أُنيس ، ففطن له عبد الله بن أنيس ، فزجر بعيره ، ثم اقتحم يسوق بالقوم ، حتى إذا استمكن من يُسير ، ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يُسير وفي يده مخرش من شوحط ، فضرب به وجه عبد الله بن أُنيس فشجَّه شجَّة مأمومة ، وانكفأ كلُّ رجل من المسلمين على رديفه فقتله ، غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدّاً ، ولم يصب من المسلمين أحد ، وبصق رسول الله ﷺ في شجَّة عبد الله بن أُنيس ، فلم تقِح ولم تؤذه حتى مات .

***

سريَّة أخرى مع بَشير بن سعدٍ

روى[(٣)] من طريق الواقديِّ بإسناده ، أن رسول الله ﷺ بعث بَشير بن سعد في ثلاثين راكباً إلى بني مرَّة في أرض فَدَك ، فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه ، وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ، وقاتل قتالاً شديداً ، ثم لجأ إلى فَدَك ، فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كرَّ راجعاً إلى المدينة .

قال الواقديُّ[(٤)] : [ثم] بعث إليهم رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة . فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدريَّ ، وكعب بن عجرة ، ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نَهِيك حليف بني مرَّة ، وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله . وأن الصحابة لاموه على ذلك ، حتى سُقط في يده وندم على ما فعل .

---

(١) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » وهو عنده (٤/ ٢٩٣) .

(٢) قال الحافظ في « تقريب التهذيب » وهو صدوق ، خلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك وابن وهب أعدل من غيرهما ، وله في مسلم بعض شيء مقرون .

(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » وهو عنده (٤/ ٢٩٥) .

(٤) انظر « المغازي » (٢/ ٧٢٣) .

وقد ذكر هذه القصة يونس بن بُكير ، [عن] ابن إسحاق ، عن شيخٍ من بني سلِمة ، عن رجال من قومه ، أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله الكلبيَّ إلى أرض بني مُرَّة ، فأصاب مرداس بن نَهيك حليفاً لهم من الحُرقة . قال : فقتله أُسامة .

قال ابن إسحاق[١] : فحدَّثني محمد بن أُسامة بن محمد بن أُسامة ، عن أبيه ، عن جدِّه أُسامة بن زيد قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ـ يعني مرداسَ بن نَهيك ـ فلما شهرنا عليه السِّلاح قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فلم ننزع عنه حتى قتلناه ، فلمَّا قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه ، فقال : « يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ » فقلت : يا رسول الله ، إنما قالها تعوُّذاً من القتل . قال : « فمن لك يا أُسامة بلا إله إلا الله ؟ » فوالذي بعثه بالحقِّ ما زال يردِّدها عليَّ حتى تمنَّيت أن ما مضى من إسلامي لم يكن ، وأني أسلمت يومئذٍ ولم أقتله . فقلت : إني أُعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله ، أبداً . فقال : « بعدي يا أسامة » . فقلت : بعدك .

قال الإمام أحمد[٢] : حدثنا هُشَيم بن بَشير ، أنبأ حُصين ، عن أبي ظَبيان قال : سمعت أُسامة بن زيد يُحَدِّث قال : بَعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة من جهينة . قال : فصبَّحناهم ، وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدِّهم علينا ، وإذا أدبروا كان حاميتَهم . قال : فغشيته أنا ورجل من الأنصار ، فلمَّا تغشَّيناه قال : لا إله إلا الله . فكفَّ عنه الأنصاريُّ وقتلتُه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « يا أُسامة ، أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، إنما كان متعوِّذاً [من القتل] . قال : فكرَّرها عليَّ حتى تمنَّيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ .

وأخرجه البخاريُّ ومسلم[٣] من حديث هشيم به نحوه .

وقال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبد الله الجُهَنيِّ ، عن جُنْدب بن مَكيثٍ الجُهنيِّ قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبيَّ ، كلب ليث ، إلى بني الملوَّح بالكَدِيد[٥] ، وأمره أن يغير عليهم ، وكنت في سريَّته ، فمضينا حتى إذا كنا بالقُدَيد[٦] ، لقينا الحارث بن مالك بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٣) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٠٠) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٦٩) و(٦٨٧٢) ومسلم رقم (١٥٩) (٩٦) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٠٩) .
(٥) الكَديد : واد قرب النخيل يقطعه الطريق من فيد إلى المدينة . عن حاشية شيخنا العلاّمة حَمَد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » للفيروز ابادي ص (٣٦٠) .
(٦) قديد : موضع بين الحرمين . انظر « المغانم المطابة » للفيروز ابادي ، ص(٣٣٤) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .

البرصاء اللَّيثيُّ ، فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم . فقال له غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت لِتُسلم ، فلا يضرُّك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا [منك] . قال : فأوثقه رباطاً وخلَّف عليه رويجلاً أسود كان معنا ، وقال : امكث معه حتى نمرَّ عليك ، فإن نازعك فاحتزَّ رأسه . ومضينا حتى أتينا بطن الكَديد ، فنزلنا عشيَّة بعد العصر ، فبعثني أصحابي إليه ، فعمدت إلى تلٍّ يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه ، وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم ، فنظر فرآني منبطحاً على التَّلِّ ، فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التَّلِّ ما رأيته في أول النَّهار ، فانظري لا تكون الكلاب اجترَّت بعض أوعيتك ؟ فنظرت فقالت : والله ما أفقد منها شيئاً . قال : فناوليني قوسي وسهمين من نبلي . فناولته ، فرماني بسهم في جبيني ـ أو قال : في جنبي ـ فنزعته فوضعته ولم أتحرَّك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي ، فنزعته فوضعته ولم أتحرَّك . فقال لامرأته : أما والله لقد خالطه سَهْمَايَ ، ولو كان ربيئةً[1] لتحرَّك ، فإذا أصبحتِ فابتغي سهميَّ فخذيهما ، لا تمضغهما عليَّ الكلاب .

قال : فأمهلنا ، حتى إذا راحت روايحهم ، وحتى احتلبوا وعطَّنوا وسكنوا ، وذهبت عتَمة من الليل ، شننَّا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النَّعم ، ووجَّهنا قافلين به ، وخرج صريخ القوم إلى قومهم بقربنا . قال : وخرجنا سراعاً حتى نمرَّ بالحارث بن مالك بن البَرْصَاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا ، وأتانا صريخ الناس ، فجاءنا ما لا قِبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قُدَيْدٍ ، بعث الله من حيث شاء ماءً ، ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يُقدِم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ، ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجدُّ بها أو نحدوها ـ شكَّ النُّفَيليُّ ـ فذهبنا سراعاً حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حدرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا .

وقد رواه أبو داود[2] من حديث محمد بن إسحاق ، فقال في روايته : عبد الله بن غالب . والصواب غالب بن عبد الله كما تقدَّم .

وذكر الواقديُّ[3] هذه القصة بإسناد آخر ، وقال فيه : وكان معه من الصحابة مئة وثلاثون رجلاً .

ثم ذكر البيهقيُّ[4] من طريق الواقديِّ سرية بَشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خيبر ، فلقوا جمعاً من العرب ، وغنموا نعماً كثيراً ، وكان بعثه في هذه السَّرِيَّة بإشارة أبي بكر وعُمَرَ ، رضي الله عنهما ، وكان

---

(١) الرَّبيئة : طليعة القوم الذي ينظر لئلا يدهم العدو . « لسان العرب » (ربأ) .
(٢) في « سننه » رقم (٢٦٧٨) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٢٦) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٠١) .

معه من المسلمين ثلاثمئة رجل ، ودليله حُسَيل بن نُويرة ، وهو الذي كان دليلَ النبيِّ ﷺ [إلى خَيبر] . قاله الواقديُّ[١] .

***

سَرِيَّة أبي حَدْرَدٍ إلى الغَابَةِ

قال يونس ، عن محمد بن إسحاق[٢] : كان من حديث قصة أبي حدرد وغزوته إلى الغابة ما حدَّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، عن أبي حدرد قال : تزوَّجت امرأة من قومي فأصدقتها مئتي درهم . قال : فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي ، فقال : « كم أصدقت ؟ » فقلت : مئتي درهم . فقال : « سُبْحَان الله ! والله لو كنتم تأخذونها من وادٍ ما زاد ، والله ما عندي ما أُعينك به » . فلبثت أياماً ، ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة . في بطن عظيم من جُشَم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم وشرف في جشم . قال : فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقدَّم لنا شارِفاً عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً ، حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلَّغوا على هذه » . فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس ، فكمنت في ناحية ، وأمرت صاحبيَّ فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبَّرت وشددت في العسكر فكبِّرا وشدَّا معي . فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غرَّة أو نرى شيئاً ، وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرَّح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم وتخوَّفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لأتيقَّننَّ أمر راعينا ، ولقد أصابه شرٌّ . فقال نفر ممَّن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك . فقال : لا يذهب إلا أنا . قالوا : فنحن معك . فقال : والله لا يتبعني منكم أحد . وخرج حتى يمرُّ بي ، فلمَّا أمكنني نفحته بسهم ، فوضعته في فؤاده ، فوالله ما تكلَّم ، فوثبت إليه فاحتززت رأسه ، ثم شددت ناحية العسكر وكبَّرت ، وشدَّ صاحباي وكبَّرا ، فوالله ما كان إلا النَّجاءُ ممَّن كان [فيه] عندك [عندك][٣] ، بكلِّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خفَّ معهم من أموالهم ، واستَقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ ، وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صداقي ، فجمعت إليَّ أهلي .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٢٧) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٩) .

(٣) قال أبو ذرّ الخشني في « شرح غريب السيرة النبوية » (٣/ ١٧٤) : « عندك عندك ، كلمتان بمعنى الإغراء » .

السَّريَّة التي قتل فيها محلّمُ بن جثَّامة عامرَ بن الأَضْبَط

قال ابن إسحاق(١) : حدَّثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن ابن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين ، منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن ربعيٍّ ، ومحلِّم بن جثَّامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مرَّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعيُّ على قعود له ، معه مُتيِّع له ، ووطب من لبن ، فسلَّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلِّم بن جثَّامة فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ومتيِّعه ، فلمَّا قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر ، فنزل فينا القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ٩٤] .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه فذكره(٢) .

قال ابن إسحاق(٣) : حدَّثني محمد بن جعفر ، سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضَّمريَّ يحدِّث عُرْوَة بن الزّبير ، عن أبيه وجدِّه ـ قال : وكانا شهدا حنيناً ـ قال : فصلَّى رسول الله ﷺ صلاة الظهر ، فقام إلى ظلِّ شجرة ، فقعد فيه ، فقام إلى عيينة بن بدر يطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعيِّ ، وهو سيد قيس ، وجاء الأقرع بن حابس يردُّ عن محلِّم بن جثَّامة وهو سيد خندفَ ، فقال رسول الله ﷺ لقوم عامر : « هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي . فقام رجل من بني ليث يقال له : ابن مُكَيتل . وهو قصد من الرجال ، فقال : يا رسول الله ، ما أجد لهذا القتيل مثلاً في غرَّة الإسلام إلا كغنم وردت فرميت أُولاها فنفرت أُخراها ، اسنن اليوم وغيِّر غداً . فقال رسول الله ﷺ : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدِّية ، فقال قوم محلِّم بن جثَّامة : ائتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ . قال : فجاء رجل طُوال ضرب اللحم ، في حلَّة قد تهيَّأ فيها للقتل ، فقام بين يدي النبيِّ ﷺ ، فقال النبيُّ ﷺ : « اللهم لا تغفر لمحلِّم » . [قالها ثلاثاً] فقام وإنه ليتلقَّى دموعه بطرف ثوبه . قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٦) .
(٢) انظر « المسند » (٦/ ١١) ، إسناده محتمل للتحسين .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٧) .

وهكذا رواه أبو داود[١] من طريق حَمّاد بن سلمة ، عن ابن إسحاق .

ورواه ابن ماجه[٢] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن زيد بن ضميرة ، عن أبيه وعمِّه ، فذكر بعضه .

والصواب كما رواه ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر ، عن زياد بن سعد بن ضميرة ، عن أبيه وجدِّه .

وهكذا رواه أبو داود[٣] من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن محمد بن جعفر ، عن زياد بن سعد بن ضميرة ، عن أبيه وجدِّه ، بنحوه كما تقدَّم .

وقال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني سالم أبو النَّضر أنه قال : لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم وقال: يا معشر قيس ، سألكم رسول الله ﷺ قتيلاً تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إيَّاه ، أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله ﷺ فيغضب الله لغضبه ، أو يلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعنته لكم ، والله لتُسلمنَّه إلى رسول الله ﷺ أو لآتينَّ بخمسين من بني تميم [كلُّهم] يشهدون أن القتيل كافر ما صلَّى قط ، فلأُطُلَّنَّ دمه . فلمَّا قال ذلك لهم ، أخذوا الدِّية . وهذا منقطع معضلٌ .

وقد روى ابن إسحاق[٥] ، عمَّن لا يتَّهم ، عن الحسن البصريِّ ، أن محلِّماً لما جلس بين يديه ، عليه الصلاة والسلام ، قال له : « أمَّنته بالله ثم قتلته ؟! » ثم دعا عليه . قال الحسن : فوالله ما مكث محلِّم إلا سبعاً حتى مات ، فلفظته الأرض ، ثم دفنوه ، فلفظته الأرض ، ثم دفنوه ، فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه ، فبلغ رسول الله ﷺ فقال : « إن الأرض لتطَّابق على من هو شرٌّ منه ، ولكنَّ الله أراد أن يعظكم في حُرْم ما بينكم بما أراكم منه » .

وقال ابن جرير[٦] : ثنا وكيع ، ثنا جرير ، عن ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ محلِّم بن جَثَّامة مبعثاً ، فلقيهم عامر بن الأضبط فحيَّاهم بتحية الإسلام ـ وكانت بينهم حِنَةٌ في الجاهلية ـ فرماه محلِّم بسهم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ ، فتكلَّم فيه عُيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله ، سُنَّ اليوم وغيِّر غداً . فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الثُّكل ما ذاق نسائي . فجاء محلِّم في بُردين ، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) في « سننه » رقم (٤٥٠٣) ، وإسناده ضعيف .
(٢) في « سننه » رقم (٢٦٢٥) ، وإسناده ضعيف .
(٣) في « سننه » رقم (٤٥٠٣) ، وإسناده ضعيف .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٠٨) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٨) .
(٦) في « تفسيره » (٥/ ٢٢٢) ، وهذه القصة رواها ابن إسحاق بالعنعنة ، فهي ضعيفة .

« لا غفر الله لك » . فقام وهو يتلَّقى دموعه ببرديه ، فما مضت له سابعة حتى مات ، فدفنوه فلفظته الأرض ، فجاؤوا النبيَّ ﷺ فذكروا ذلك له ، فقال : « إنَّ الأرض تقبل من هو شرٌّ من صاحبكم ، ولكنَّ الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » . ثم طرحوه بين صدفي جبل ، فألقوا عليه من الحجارة ، ونزلت : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية [النساء : ٩٤] . وقد ذكره موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ ، ورواه شعيب ، عن الزهريِّ ، عن عبد الله بن موهب ، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسمِّ محلِّم بن جثَّامة ، ولا عامر بن الأضبط . وكذلك رواه البيهقيُّ[1] ، عن الحسن البصريِّ بنحو هذه القصة ، وقال : وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية .

قلت : وقد تكلَّمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في « التفسير »[2] بما فيه الكفاية ، ولله الحمد والمنة .

* * *

سَرِيَّـة عبد الله بن حُذَافَة السَّهْمِيِّ

ثبت في « الصحيحين »[3] من طريق الأعمش ، عن سعد بن عُبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السُّلميِّ ، عن عليِّ بن أبي طالب قال : استعمل النبيُّ ﷺ رجلاً من الأنصار على سريَّة ، بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا . قال : فأغضبوه في شيء فقال : اجمعوا لي حطباً . فجمعوا ، فقال : أوقدوا ناراً . فأوقدوا ، ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا : بلى . قال : فادخلوها . قال : فنظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار . قال : فسكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبيِّ ﷺ ، ذكروا ذلك له ، فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها ، إنما الطاعة في المعروف » .

وهذه القصة ثابتة أيضاً في « الصحيحين »[4] من طريق يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وقد تكلَّمنا عن هذه الآية بما فيه كفاية في « التفسير »[5] ولله الحمد والمنة .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣١٠) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ٣٣٦) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٣٤٠) و(٧١٤٥) ومسلم رقم (١٨٤٠) (٤٠) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٥٨٤) ومسلم رقم (١٨٣٤) .
(٥) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ٣٠٤) .

عمْرَةُ القَضَاءِ

ويقال : القِصاص ، ورجَّحه السهيليُّ . ويقال : عمرة القضيَّة . فالأول قضاء عما كان أحصر عام الحُديبية ، والثاني من قوله تعالى : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها ، على أن يرجع عنهم عامه هذا ، ثم يأتي في العام القابل ، ولا يدخل مكة إلا في جُلبان السلاح ، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام ، وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة « الفتح » المباركة : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ الآية [الفتح : ٢٧] . وقد تكلَّمنا عليها مستقصى في كتابنا « التفسير » بما فيه كفاية . وهي الموعود بها في قوله ، عليه الصلاة والسلام ، لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم تكن تحدِّثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتيه ومطوِّف به » . وهي المشار إليها في قول عبد الله بن رَوَاحة حين دخل بين يدي رسول الله ﷺ إلى مكة ، يوم عمرة القضاء وهو يقول[(١)] : [من الرجز]

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تأويله

كما ضربناكم على تنزيله

أي : هذا تأويل الرُّؤيا التي كان رآها رسول الله ﷺ ، جاءت مثل فلق الصبح .

قال ابن إسحاق[(٢)] : فلما رجع رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة ، أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوَّالاً ، يبعث فيما بين ذلك سراياه ، ثم خرج في ذي القعدة ، في الشهر الذي صدَّه فيه المشركون ، معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التي صدُّوه عنها ـ قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الدُّئليَّ ـ ويقال لها : عمرة القصاص ؛ لأنهم صدُّوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ستٍّ ، فاقتصَّ رسول الله ﷺ منهم ، فدخل مكة في ذي القعدة ، في الشهر الحرام الذي صدُّوه فيه من سنة سبع . بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ .

وقال معتمر بن سليمان[(٣)] ، عن أبيه في « مغازيه » : لمَّا رجع رسول الله ﷺ من خيبر ، أقام بالمدينة وبعث سراياه ، حتى استهلَّ ذو القعدة ، فنادى في الناس أن يتجهَّزوا للعمرة . فتجهَّزوا وخرجوا إلى مكة .

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١٤٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٠) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣١٤) .

وقال ابن إسحاق[١] : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدَّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدَّة .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدَّثني من لا أتَّهم ، عن عبد الله بن عباس قال : صفُّوا له عند دار الندوة ؛ لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد ، اضطبع بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : « رحم الله امرأً أراهم اليوم من نفسه قوة » . ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ، ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانيَّ ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنُّون أنها ليست عليهم ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحيِّ من قريش ؛ للذي بلغه عنهم ، حتى حجَّ حَجَّة الوداع ، فلزمها ، فمضت السُّنَّة بها .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمَّاد ، هو ابن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال المشركون : إنه يقدَم عليكم وفد وهَنهم حمَّى يثرب . فأمرهم النبيُّ ﷺ أن يرمُلوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الرُّكنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلَّها إلا الإبقاء عليهم . قال أبو عبد الله : وزاد ابن سلمة - يعني حمَّاد بن سلمة - عن أيوب ، عن سعيد ، عن ابن عباس قال : لمَّا قدم النبيُّ ﷺ لعامه الذي استأمن قال : « ارملوا ليرى المشركون قوَّتكم » ، والمشركون من قبل قعيقعان .

ورواه مسلم[٤]، عن أبي الرَّبيع الزَّهرانيِّ، عن حماد بن زيد. وأسند البيهقيُّ[٥]طريق حَمَّاد بن سَلَمَة.

وقال البخاريُّ[٦] : ثنا عليُّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمع ابن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله ﷺ ، سترناه من غِلْمَان المشركين ومنهم ؛ أن يؤذوا رسول الله ﷺ . وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول[٨] : [من الرجز]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٥٦) .
(٤) رواه مسلم رقم (١٢٦٦) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٦) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٢٥٥) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) .
(٨) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٤) .

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله   خلُّوا فكلُّ الخير في رسولهِ
يـا ربِّ إنـي مـؤمـنٌ بقِيلِـهِ   أعـرفُ حـقَّ الله فـي قبـولـهِ
نحـن قَتَلْنـاكُـمْ علـى تـأويلـه   كمـا قتلنـاكـم علـى تَنْـزِيْلِـهِ
ضَرْباً يُزِيل الهَامَ عن مَقِيْلِهِ   ويُـذْهِـلُ الخَلِيـلَ عَـنْ خليلـهِ

قال ابن هشام[١] : نحن قتلناكم على تأويله . إلى آخر الأبيات لعمَّار بن ياسر في غير هذا اليوم . يعني يوم صفِّين . قاله السهيليُّ[٢] .

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرُّوا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقرَّ بالتنزيل .

وفيما قاله ابن هشام نظرٌ ؛ فإنَّ الحافظ البيهقيَّ روى من غير وجه[٣] ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزّهريِّ ، عن أنس قال : لمَّا دخل النبيُّ ﷺ مَكَّةَ في عُمْرَةِ القَضَاءِ ، مشى عبد الله بن رواحة بين يديه ـ وفي رواية : وهو آخذ بغَرْزِه[٤] ـ وهو يقول : [من الرجز]

خلُّـوا بنـي الكُفَّـار عـن سبيلـهِ   قـد نـزَّل الـرحمـن فـي تنـزيلـهِ
بـأنَّ خيـر القتـل فـي سبيلـهِ   [نحـن قَتَلْنـاكُـم علـى تـأويلـهِ]

وفي رواية بهذا الإسناد بعينه : [من الرجز]

خلُّـوا بنـي الكُفَّـار عـن سبيلـهِ   اليـوم نضـربكـم علـى تنـزيلـه
ضـربـاً يُـزيـل الهَـامَ عَـنْ مَقِيلِـهِ   ويُـذْهِـلُ الخَلِيْـلَ عَـنْ خليلـهِ
يَا ربِّ إنِّي مؤمنٌ بقِيلهِ

وقال يونس بن بكير[٥] ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل عام القضيَّة مكة ، فطاف بالبيت على ناقته ، واستلم الرُّكن بمحجنه ـ قال هشام : من غير علَّة ـ والمسلمون يشتدُّون حوله ، وعبد الله بن رواحة يقول[٦] : [من الرجز]

بســمِ الّـذي لا دِيْـنَ إلا دينُـهُ   بســمِ الــذي محمــدٌ رســولُــهُ
خلُّوا بني الكفَّار عن سبيلِهِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) .
(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٢٨) .
(٣) في دلائل النبوة (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) .
(٤) الغرز : رِكابُ الرَّحْلِ .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٢٥) .
(٦) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٦) .

قال موسى بن عقبة[١] ، عن الزهريِّ : ثم خرج رسول الله ﷺ من العام القابل من عام الحُديبية معتمراً ، في ذي القعدة سنة سبع ، وهو الشهر الذي صدَّه المشركون عن المسجد الحرام ، حتى إذا بلغ يأجَج وضع الأداة كلَّها ؛ الحجف والمجانَّ والرِّماح والنَّبل ، ودخلوا بسلاح الراكب ؛ السيوف ، وبعث رسول الله ﷺ بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث العَامِريَّة ، فخطبها عليه ، فجعلت أمرها إلى العباس ، وكان تحته أختها أمُّ الفضل بنت الحارث ، فزوَّجها العباس رسول الله ﷺ ، فلمَّا قدم رسول الله ﷺ ، أمر أصحابه فقال : « اكشفوا عن المناكب ، واسعوا في الطواف » . ليرى المشركون جلدهم وقوَّتهم ، وكان يكايدهم بكلِّ ما استطاع ، فاستكفَّ أهل مكة ؛ الرجال والنساء والصِّبيان ، ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهم يطوفون بالبيت ، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشِّحاً بالسيف ، وهو يقول[٢] : [من الرجز]

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله ... خلّوا فَكُلُّ الخيرِ في رَسُولِهِ[٣]
قد أنزل الرحمن في تنزيله ... في صحُف تتلى على رسوله
فاليوم نضربكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقِيله ... ويذهل الخليل عن خليله

قال : وتغيَّب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ ؛ غيظاً وحنقاً ، ونفاسة ، وحسداً ، وخرجوا إلى الخندمة ، فقام رسول الله ﷺ بمكة ، وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلمَّا أن أصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزَّى ، ورسول الله ﷺ في مجلس الأنصار يتحدَّث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب بن عبد العزَّى : نناشدك الله والعقد لمَا خرجت من أرضنا ، فقد مضت الثلاث . فقال سعد بن عبادة : كذبت ، لا أمَّ لك ، ليس بأرضك ولا بأرض آبائك ، والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلاً وحويطباً فقال : « إني قد نكحت فيكم امرأة ، فما يضرُّكم أن أمكث حتى أدخل بها ، ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا ؟ » . فقالوا : نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا . فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذَّن بالرحيل ، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل بطن سرِف ، وأقام المسلمون ، وخلَّف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة ، [وقد لقيت ميمونة] ومن معها عناءً وأذى من سفهاء المشركين ومن

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٥) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٢٧) .

(٢) انظر « ديوان عبد الله بن رواحة » ص(١٤٤) وهي في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٢٨) و« الروض الأُنف » (٧/ ٨) مع تقديم وتأخير ونقصٍ وزيادة .

(٣) تنبيه : لفظ الشطرة الثانية في (آ) و(ط) : « أنا الشهيد أنه رسوله » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » لابن هشام و« ديوانه » ص(١٤٤) .

صبيانهم ، فقدمت على رسول الله ﷺ بسرف ، فبنى بها ، ثم أدلج ، فسار حتى قدم[١] المدينة .

وقدَّر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله ﷺ .

ثم ذكر قصة ابنة حمزة ، إلى أن قال : وأنزل الله ، عزَّ وجلَّ ، في تلك العمرة : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . فاعتمر رسول الله ﷺ في الشهر الحرام الذي صُدَّ فيه .

وقد [روى] ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُروة بن الزبير نحواً من هذا السِّياق .

[ولهذا السياق] شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ، ففي « صحيح البخاريّ »[٢] من طريق فليح بن سليمان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ، ولا يحمل سلاحاً إلا سيوفاً ، ولا يقيم بها إلا ما أحبُّوا . فاعتمر من العام المقبل ، فدخلها كما كان صالحهم ، فلمَّا أن أقام بها ثلاثاً أمروه أن يخرج فخرج .

وقال الواقديُّ[٣] : حدَّثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء ، وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل ، في الشهر الذي صدَّهم فيه المشركون .

وقال أبو داود[٤] : ثنا النُّفيليُّ ، ثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، سمعت أبا حاضر الحميريَّ يحدِّث [أبي] مَيمونَ بن مِهْرَان قال : خرجت معتمراً عام حاصر أهل الشام ابن الزّبير بمكّة ، وبعث معي رجال من قومي بهدي . قال : فلما انتهينا إلى أهل الشام ، منعونا أن ندخل الحرم . قال : فنحرت الهدي مكاني ، ثم أحللت ، ثم رجعت ، فلمَّا كان من العام المقبل خرجت لأقضي عمرتي ، فأتيت ابن عباس فسألته ، فقال : أبدل الهدي ؛ فإن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يبدلوا الهدي الذي نحروا عام الحُديبية ، في عمرة القضاء . تفرَّد به أبو داود من حديث أبي حاضر عثمان بن حاضر الحميريِّ ، عن ابن عباس ، فذكره .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٥] : أنبأ الحاكم ، أنبأ الأصمُّ ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا يُونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني عمرو بن ميمون قال : كان أبي يُسأل كثيراً : هل كان رسول الله ﷺ أبدل هديه الذي نحر ، حين صدَّه المشركون عن البيت ؟ ولا يجد في ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حاضر

---

(١) في (ط) : « فأتى » .
(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٢٥٢) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/٣١٨) .
(٤) في « سننه » رقم (١٨٦٤) ، وإسناده ضعيف .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٤/٣١٩) .

الحميريَّ عن ذلك ، فقال له : على الخبير سقطتَ ، حججت عام ابن الزُّبير في الحصر الأول ، فأهديت هدياً ، فحالوا بيننا وبين البيت ، فنحرت في الحرم ، ورجعت إلى اليمن ، وقلت : لي برسول الله ﷺ أسوة . فلمَّا كان العام المقبل حججت ، فلقيت ابن عباس ، فسألته عما نحرت : عليَّ بدله أم لا ؟ قال : نعم فأبدل ، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه قد أبدلوا الهدي الذي نحروا عام صدَّهم المشركون ، فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء ، فعزَّت الإبل عليهم ، فرخَّص لهم رسول الله ﷺ في البقر .

وقال الواقديُّ(١) : حدَّثني غانم بن أبي غانم ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : جعل رسول الله ﷺ ناجية بن جندب الأسلميَّ على هديه ، يسير بالهدي أمامه ، يطلب الرِّعي في الشجر ، معه أربعة فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله ﷺ في عمرة القضيَّة ستين بَدَنةً .

فحدَّثني(٢) محمد بن نُعَيم المُجْمِر ، عن أبيه ، عن أبي هُريـرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها .

قال الواقديُّ(٣) : وسار رسول الله ﷺ يلبِّي والمسلمون معه يلبُّون ، ومضى محمد بن مسلمة بالخيل إلى مرِّ الظَّهران ، فيجد بها نفراً من قريش ، فسألوا محمد بن مسلمة ، فقال : هذا رسول الله ﷺ يصبِّح هذا المنزل غداً إن شاء الله . ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً ، فأخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخيل ، ففزعت قريش وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنا على كتابنا وهدنتنا ، ففيم يغزونا محمد في أصحابه ؟ ونزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران ، وقدَّم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يأجَج ، حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مِكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش ، حتى لقوه ببطن يأجج ، ورسول الله ﷺ في أصحابه والهدي والسلاح ، قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد ، ما عُرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر ؛ السيوف في القرب ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « إني لا أُدخل عليهم السلاح » . فقال مِكرز بن حفص : هذا الذي تعرف به ؛ البرُّ والوفاء . ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة [فقال : إن محمداً لا يدخل بسلاح ، وهو على الشرط الذي شرط لكم] فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبيِّ ﷺ ، خرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال ، وخلَّوا مكة ، وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه . فأمر رسول الله ﷺ بالهدي أمامه حتى حبس بذي طوى ، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وهو على ناقته القصواء ، وهم محدقون به يلبُّون ، وهم متوشِّحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذي طُوى ، وقف على ناقته

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٢) .
(٢) القائل الواقدي في « المغازي » (٢/ ٧٣٢) .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٤) .

القصواء ، [والمسلمون حوله ، ثم دخل من الثَّنِيَّة التي تطلعه على الحَجون على راحلته القصواء] وابن رواحة آخذ بزمامها ، وهو يرتجز بشعره ويقول[١] : [من الرجز]

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله

إلى آخره .

وفي « الصحيحين »[٢] من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعني من ذي القعدة سنة سبع ـ فقال المشركون : إنه يقدَم عليكم وفد قد وهَنتهم حمَّى يثرب . فأمر رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الرُّكنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا محمد بن الصَّبَّاح ، ثنا إسماعيل ، يعني ابن زكريا ، عن عبد الله بن عثمان ، عن أبي الطُّفيل ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما نزل مرَّ الظَّهران في عمرته ، بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشاً تقول : ما يتباعثون من العجف . فقال أصحابه : لو انتحرنا من ظهرنا ، فأكلنا من لحمه ، وحسونا من مرقه ، أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جَمامة . فقال : « لا تفعلوا ، ولكن اجمعوا لي من أزوادكم » . فجمعوا له ، وبسطوا الأنطاع ، فأكلوا حتى تركوا ، وحثا كلُّ واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد ، وقعدت قريش نحو الحِجر ، فاضطبع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غَميزة » . فاستلم الرُّكن ثم رمل ، حتى إذا تغيَّب بالركن اليمانيِّ مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضَون بالمشي ، أما إنهم لينقزون نقز الظِّباء . ففعل ذلك ثلاثة أطواف ، فكانت سُنَّة . قال أبو الطُّفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجَّة الوداع . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه .

قال أبو داود[٤] : ثنا أبو سلمة موسى ، ثنا حمَّاد ـ يعني ابن سلمة ـ أنبأنا أبو عاصم الغنويُّ ، عن أبي الطُّفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت ، وأن ذلك سُنَّة . فقال : صدقوا وكذبوا . قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ؛ رمل رسول الله ﷺ ، وكذبوا ؛ ليس بسُنة ، إنَّ قريشاً قالت زمن الحديبية : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النَّغف . فلمَّا صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام ، فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قِبل

(١) انظر « ديوانه » ص(١٤٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٥٦) ومسلم رقم (١٢٦٦) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١ / ٣٠٥) ، وإسناده حسن .
(٤) في « سننه » رقم (١٨٨٥) ، وهو حديث صحيح .

قعيقعان ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « ارملوا بالبيت ثلاثاً » . قال : وليس بسُنة .

وقد رواه مسلم[١] من حديث سعيد الجُريريِّ ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ، ثلاثتهم عن أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، عن ابن عباس ، به نحوه .

وكونُ الرَّمَل في الطَّواف سُنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله ﷺ رمل في عمرة القضاء ، وفي عمرة الجعرانة أيضاً ، كما رواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الطُّفيل ، عن ابن عباس ، فذكره[٢] . وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره ، أنه صلَّى الله عليه وسلم رمل في حجة الوداع في الطواف[٣] . ولهذا قال عمر بن الخطاب : فيم الرَّملان وقد أطَّأ[٤] الله الإسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله ﷺ[٥] وموضع تقرير هذا كتاب « الأحكام » .

وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سُنة ، كما ثبت في « الصحيحين »[٦] من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إنما سعى النبيُّ ﷺ بالبيت وبين الصّفا والمروة ؛ ليُريَ المشركين قوّته ، لفظ البخاريِّ .

وقال الواقديُّ[٧] : لما قضى رسول الله ﷺ نسكه في القضاء ، دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذَّن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول . وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم ، حين يقوم بلال بن أمِّ بلال ينهق فوق الكعبة . وأما سهيل بن عمرو ورجال معه ، لمَّا سمعوا بذلك غَطَّوا وجوههم .

قال الحافظ البيهقيُّ[٨] : قد أكرم الله أكثرهم بالإسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقيُّ[٩] من طريق الواقديِّ ؛ أن هذا كان في عُمْرَة القَضَاء . والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح ، والله أعلم .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٢٦٤) و(١٢٦٥) .
(٢) رواه أبو داود رقم (١٨٩٠) وابن ماجه (٢٩٥٣) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه مسلم رقم (١٢١٨) .
(٤) أي : ثبَّت .
(٥) رواه أحمد في « المسند » وأبو داود (١٨٨٧) وابن ماجه (١٩٥٢) وهو حديث صحيح .
(٦) رواه البخاري رقم (١٦٤٩) و(٤٢٥٧) ومسلم رقم (١٢٦٦) (٢٤١) .
(٧) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٧) .
(٨) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٩) .
(٩) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٩) .

وأما قصة تزويجه ، عليه الصلاة والسلام ، بِمَيمُونَةَ

فقال ابن إسحاق[١] : حدَّثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء ومجاهد ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوَّجه إيَّاها العباس بن عبد المطَّلب . قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أمِّ الفضل ، فجعلت أمُّ الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوَّجها رسول الله ﷺ ، وأصدقها عنه أربعمئة درهم .

وذكر السُّهيليُّ[٢] أنَّه لمَّا انتهت إليها خِطبة رسول الله ﷺ لها وهي راكبة بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ . قال : وفيها نزلت الآية : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

وقد روى البخاريُّ[٣] من طريق أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج مَيْمُونَة وهو محرمٌ ، وبنى بها وهو حلالٌ ، وماتت بِسَرِف .

قال السُّهيليُّ[٤] : وروى الدارقطنيُّ من طريق أبي الأسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر الورَّاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج ميمونة وهو حلال . قال : وتأوَّلوا رواية ابن عباس الأولى أنَّه كان محرماً ؛ أي في شهر حرام ، كما قال الشاعر[٥] : [من الكامل]

قَتَلوا ابنَ عَفَّان الخليفةَ مُحْرِمَاً فـدَعـا[٦] فلـم أر مثلـه مخـذولاً

أي : في شهر حرام .

قلت : وفي هذا التأويل نظر ؛ لأنَّ الروايات متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ، ولا سيَّما قوله : تزوَّجها وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال ، وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً ، وهو شهر حرام .

وقال محمد بن يحيى الذُّهْليُّ : ثنا عبد الرزاق قال : قال لي الثَّوريُّ : لا تلتفت إلى قول أهل المدينة ؛ أخبرني عمرو ، عن أبي الشَّعثاء ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج وهو محرم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .
(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٢٩) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٥٨) .
(٤) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٣٠) .
(٥) وهو الراعي النميري ، والبيت في « ديوانه » ص(٢٠٧) .
(٦) كذا في كتابنا هنا ، وفي « الروض الأنف » (٧/ ٣٠) : « فدعا » وفي « زاد المعاد » (٣/ ٣٣٠) : « ورعاً » .

قال أبو عبد الله[١] : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحديثين جميعاً ؛ عن عمرو عن أبي الشَّعثاء عن ابن عباس[٢] ، وابن خُثَيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس[٣] ؟ قال : نعم ، أمَّا حديث ابن خثيم فحدَّثنا هاهنا ـ يعني باليمن ـ وأمَّا حديث عمرو فحدَّثنا ثَمَّ ـ يعني بمكة ـ وأخرجاه في « الصحيحين »[٤] من حديث عمرو بن دينار به .

وفي « صحيح البخاريِّ »[٥] من طريق الأوزاعيِّ ، أنبأنا عطاء ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج مَيمونة وهو محرمٌ .

فقال سعيد بن المسيَّب : وَهَمَ[٦] ابن عباس ، وإن كانت خالته ؛ ما تزوَّجها إلا بعد ما أَحَلَّ .

وقال يونس[٧] ، عن ابن إسحاق : حدَّثني ثقة ، عن سعيد بن المسيَّب أنَّه قال : هذا عبد الله بن عباس ، يزعم أنَّ رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرم . فذكر كلمته : إنَّما قدم رسول الله ﷺ مكة ، فكان الحلُّ والنِّكاح جميعاً ، فشُبِّه ذلك على الناس .

وروى مسلم وأهل السُّنن[٨] من طرق ، عن يزيد بن الأصمِّ العامريِّ ، عن خالته ميمونة بنت الحارث قال : تزوَّجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف . ولكن قال الترمذيُّ : روى غير واحد هذا الحديث ، عن يزيد بن الأصمِّ مرسلاً ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج ميمونة [وهو حلال] .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٩] : أنبأنا أبو عبد الله [الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله] محمد بن عبد الله الأصفهانيُّ الزاهد ، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا مطر الورَّاق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي رافع قال : تزوَّج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال ، وبنى بها وهو حلال ، وكنت الرسولَ بينهما .

---

(١) يعني (الذُّهْلِيّ) وهو محمد بن يحيى بن عبد الله الذُّهْلِيّ النَّيْسَابُوريّ ، أبو عبد الله ، المتوفى سنة (٢٥٨) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٣/ ٢٥٩) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .

(٢) انظر « المسند » للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٦٢) ، وإسناده صحيح .

(٣) انظر « المسند » للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٢٨٣ و٣٦٢) ، وإسناده حسن .

(٤) رواه البخاري رقم (٥١١٤) ومسلم رقم (١٤١٠) .

(٥) رقم (١٨٣٧) .

(٦) أي : ذهب وهمه إليه . قاله ابن الأثير في « جامع الأصول » (٣/ ٥٢) وقد ذكر أبو داود أثر ابن المسيب هذا في « سننه » رقم (١٨٤٥) وهو صحيح مقطوع .

(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٣٦) .

(٨) هو عند مسلم رقم (١٤١١) وأبي داود رقم (١٨٤٣) والترمذي رقم (٨٤٥) والنسائي رقم (٥٤٠٤) وابن ماجه رقم (١٩٦٤) .

(٩) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٣٦) .

وهكذا رواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ[١] جميعاً ، عن قتيبة ، عن حَمَّاد بن زيد ، به ، ثم قال الترمذيُّ : حسن ، ولا نعلم أحداً أسنده غير حَمَّاد عن مطر . ورواه مالك ، عن ربيعة ، عن سليمانَ مرسلاً . ورواه سليمان بن بلال ، عن ربيعةَ مرسلاً .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ، [ويقال : سنة ستين] ، رضي الله عنها .

***

ذكر خروجه ﷺ من مَكَّة بعد قضاء عُمْرَتِه

قد تقدَّم ما ذكره موسى بن عقبة ؛ أنَّ قريشاً بعثوا إليه حُويطب بن عبد العُزَّى بعد مضيِّ أربعة أيام ليرحل عنهم ، كما وقع به الشّرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عُرْسه بمَيْمُونَةَ عندهم ، وإنَّما أراد تأليفهم بذلك ، فأبوا عليه وقالوا : بل اخرُج عنا ، فخرج وكذلك ذكره ابن إسحاق[٢] .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : اعتمر النبيُّ ﷺ في ذي القعدة ، فأبى أهل مكة [أن يدعوه يدخل مَكَّة] حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلمَّا كتبوا الكتاب ، كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . قالوا : لا نقرُّ بهذا ، لو نعلم أنَّك رسول الله ما منعناك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبد الله .

قال : « أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله » . ثم قال لعليِّ بن أبي طالب : « امْحُ رسول الله » . قال : لا والله لا أمحوك أبداً . فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب ، وليس يُحسن يكتب ، فكتب[٤] : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ؛ لا يُدخل مَكَّةَ إلَّا السيفَ في القِراب ، وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها . فلمَّا دخلها ومضى الأجل ، أتَوا عليّاً فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا ، فقد مضى الأجل . فخرج النبيُّ ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي : يا عمّ ، ياعمّ . فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة : دونكِ ابنةَ عمِّكِ . فحملتها ، فاختصم فيها عليٌّ وزيد

---

(١) رواه الترمذي رقم (٨٤١) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٥٤٠٢) ، وهو ضعيف بطوله ، وصح عنه « تزوج ميمونة وهو حلال » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٥١) .
(٤) أي : أمر بالكتابة ﷺ ، وإلا فَأُمِّيَّتُه مسلَّم بها ، نصّ عليها القرآن الكريم ، وهي من الإعجاز العظيم الذي كان في شخصيته ودعوته ﷺ كما هو معلوم لدى أهل العلم من المسلمين سلفاً وخلفاً . وانظر لتمام الفائدة الفصل الخاص بِأُمِّيَّتِهِ ﷺ من مقدمتي لكتاب « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي .

وجعفر ، فقال عليٌّ : أنا أخذتها وهي ابنة عَمِّي . وقال جعفر : ابنة عَمِّي ، وخالتها تحتي . وقال زيد : ابنةُ أخي ، فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالتها[١] وقال : « الخَالَةُ بمنزلةِ الأمِّ » . وقال لعليٍّ : « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ » . وقال لجعفر : « أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي » . وقال لزيد : « أَنْتَ أَخُونَا وَمَولانَا » . قال عليٌّ : ألا تتزوّج ابنةَ حمزة ؟ قال : « إنها ابنةُ أخي من الرَّضَاعَةِ » . تفرَّد به البخاريُّ من هذا الوجه .

وقد روى الواقديُّ[٢] قصة ابنة حمزة ، فقال : حدَّثني ابن أبي حَبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس ، أن عُمَارة ابنة حمزة بن عبد المطلب ، وأمُّها سَلمى بنت عُميس ، كانت بمكة ، فلمَّا قدم رسول الله ﷺ كلَّم عليُّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ فقال : علام نترك ابنة عمِّنا يتيمة بين ظهراني المشركين ؟ فلم ينه النبيُّ ﷺ عن إخراجها ، فخرج بها ، فتكلَّم زيد بن حارثة وكان وصيَّ حمزة ، وكان النبيُّ ﷺ قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ؛ ابنة أخي . فلمَّا سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة ، وأنا أحقُّ بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس . وقال عليٌّ : ألا أراكم تختصمون ، هي ابنة عمِّي ، وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين ، وليس لكم إليها سبب دُوني ، وأنا أحقُّ بها منكم . فقال النبيُّ ﷺ : « أنا أَحْكُمُ بينكم ، أمّا أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله ، [وأمّا أنت يا عليُّ فأخي وصَاحبي] ، وأما أنت يا جَعْفَرُ فتشبه خَلْقي وخُلُقي ، وأنت يا جعفر أولى بها ؛ تحتك خالتُها ، ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمَّتها » فقضى بها لجعفر .

قال الواقديُّ : فلما قضى بها لجعفر ، قام جعفر فحَجَل حول رسول الله ﷺ ، فقال : « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال : يا رسول الله ، كان النَّجاشيُّ إذا أرضى أحداً ، قام فَحَجَل حوله . فقال للنبيِّ ﷺ : تزوَّجها . فقال : « ابنة أخي من الرَّضاعة » . فزوَّجها رسول الله ﷺ سَلَمَةَ بن أبي سَلَمَة ، فكان النبيُّ ﷺ يقول : « هَلْ جَزَيْتُ سَلَمَةَ ؟ » .

قلت : لأنَّه ذَكَرَ الواقديُّ وغيره ، أنَّه هو الذي زوَّج رسول الله ﷺ بأُمِّه أُمِّ سَلَمَةَ ؛ لأنَّه كان أكبر من أخيه عُمر بن أبي سلمة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٣] : ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجَّة ، وتولَّى المشركون تلك الحجَّة .

قال ابن هشام[٤] : وأنزل الله في هذه العُمرة ، فيما حدَّثني أبو عبيدة ، قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ

---

(١) أي : لزوجة جعفر رضي الله عنه .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .

ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] يعني خيبر .

***

فصــــل

ذكر البيهقيُّ(١) هاهنا سريَّة ابن أبي العَوجَاء السُّلميِّ إلى بني سُليم ، ثم ساق بسنده عن الواقديِّ(٢) : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزُّهريِّ قال : لمَّا رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضيَّة ، رجع في ذي الحجَّة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوجاء السُّلميَّ في خمسين رجلاً ، فخرج [إلى بني سُليم ، وكان عين بني سليم معه ، فلما فصل من المدينة ، خرج] العين إلى قومه ، فحذَّرهم وأخبرهم ، فجمعوا جمعاً كثيراً ، وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم معدُّون ، فلمَّا أن رآهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم ، دعوهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنَّبل ولم يسمعوا قولهم ، وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه ، فرموهم ساعة ، وجعلت الأمداد تأتي ، حتى أحدقوا بهم من كلِّ جانب ، فقاتل القوم قتالاً شديداً ، حتى قتل عامَّتهم ، وأُصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من صفر سنة ثمان .

***

فصــــل

قال الواقديُّ(٣) : في المحرَّم من هذه السنة ـ يعني سنة سبع ـ ردَّ رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع ، وقد قدَّمنا الكلام على ذلك .

وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ، وقد أسلمتا في الطريق ، وغلام خصيٌّ .

قال الواقديُّ(٤) : وفيها اتَّخذ رسول الله ﷺ منبره درجتين ومقعده . قال : والثَّبَتُ عندنا أنَّه عُمل في سنة ثمان .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٤١) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤١) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٢١) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٢٢) .

رَبِّ يسّر وأَعِنْ بحولِكَ وقوتك

سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية

فصل

في إسلام عمرو بن العَاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة ، رضي الله عنهم ، وكان قدومهم أوائل سنة ثمانٍ ، على ما سيأتي

قد تقدَّم طرف من ذلك ، فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافعٍ اليهوديِّ ، وذلك في سنة خمس من الهجرة ، وإنَّما ذكره الحافظ البيهقيُّ[١] هاهنا بعد عُمْرَة القَضَاء ، فروى من طريق الواقديِّ[٢] : أنبأ عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه قال : قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مجانباً معانداً ، حضرت بدراً مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أُحداً فنجوتُ ، ثم حضرت الخَنْدَقَ فنجوتُ . قال : فقلت في نفسي : كم أُوضِعُ[٣] ؟ والله ليظهرنَّ محمدٌ على قريش ، فلحقتُ بمالي بالوَهْطِ[٤] ، وأقللت من الناس ـ أي : من لقائهم ـ فلمَّا حضر الحُديبية ، وانصرف رسول الله ﷺ في الصُّلح ، ورَجَعَتْ قريش إلى مَكّة ، جعلت أقول : يَدْخُل محمدٌ قابلاً مَكَّة بأصحابه ، ما مَكَّةُ بمنزل ولا الطائف ولا شيء خير من الخروج . وأنا بعدُ ناءٍ عن الإسلام ، وأرى لو أَسْلَمَتْ قريشٌ كلُّها لم أُسْلِمْ ، فقدمتُ مَكَّة وجمعت رجالاً من قومي ، وكانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، ويقدِّمونني فيما نابهم ، فقلت لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا ومِدْرَهُنَا[٥] في يُمن نقيبة وبركةِ أمرٍ ، قال : قلت : تعلمون أنِّي والله لأرى أَمْرَ محمدٍ أَمْراً يعلو الأمور علوّاً منكراً ، وإنِّي قد رأيت رأياً . قالوا : وما هو ؟ قلت : نَلْحَقُ بالنجاشيِّ فنكون معه ، فإن يظهر محمدٌ

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٤٣) .

(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤١) .

(٣) أي : أُدبر وأحاربُ .

(٤) في (آ) و(ط) : « بالرّهط » وهو خطأ ، والتصحيح من « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٤٤٧) وقد جاء فيه مايلي : « وهط . . . كرم كان لعمرو بن العاص بالطائف ، قيل : يعرش على ألف ألف خشبة . وقيل : قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وجّ ، كانت لعمرو بن العاص » .

(٥) أي : سيدنا ومقدَّمنا .

كنا عند النجاشيِّ ، فنكون تحت يد النَّجاشيِّ أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يد محمدٍ ، وإن تظهر قريش فنحن مَن قد عرفوا . قالوا : هذا الرأي . قال : قلت : فاجمعوا ما نهديه له . وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأَدَمُ ، فجمعنا أَدَماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشيِّ ، فوالله إنَّا لعنده إذ جاء عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثه بكتابٍ كَتَبَهُ ، يُزَوِّجُه أُمَّ حَبيبة بنت أبي سُفيان ، فدخل عليه ثم خرج من عنده ، فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أُمَيَّة ، ولو قد دخلت على النجاشيِّ فسألته إيَّاه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سَرَرْتُ قريشاً ، وكنت قد أجزأْتُ عنها حين قتلت رسول محمد . فدخلت على النجاشيِّ فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أدماً كثيراً . ثُمَّ قدَّمته فأعجبه ، وفرَّق منه شيئاً بين بطارقته ، وأمر بسائره فأدخل في موضع ، وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول عدوٍّ لنا قد وترنا ، وقتل أشرافنا وخيارنا ، فأعطنيه فأقتله . فغضب من ذلك ، ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنَّه كسره ، فابتدر منخِراي ، فجعلت أتلقَّى الدَّم بثيابي ، فأصابني من الذُّلِّ ما لو انشقَّت بي الأرض دخلت فيها ؛ فرَقاً منه . ثم قلت : أيها الملك ، لو ظننت أنَّك تكره ما قلت ما سألتك . قال : فاستحيا وقال : يا عمرو ، تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، والذي كان يأتي عيسى لتقتله ؟ قال عمرو : فغيَّر الله قلبي عمَّا كنت عليه ، وقلت في نفسي : عرف هذا الحقَّ العرب والعجم وتخالف أنت ؟ ثم قلت : أتشهد أيُّها الملك بهذا ؟ قال : نعم ، أشهد به عند الله يا عمرو ، فأطعني واتَّبعه ، فوالله إنَّه لعلى الحقِّ ، وليظهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلت : أتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعني على الإسلام ، ثم دعا بطَست ، فغسل عني الدم وكساني ثياباً ، وكانت ثيابي قد امتلأت بالدَّم فألقيتها ، ثم خرجت على أصحابي ، فلمَّا رأوا كسوة النجاشيِّ سُرُّوا بذلك وقالوا : هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم : كرهت أن أكلِّمه في أول مرة ، وقلت : أعود إليه . فقالوا : الرأي ما رأيت . قال : ففارقتهم وكأنِّي أعمد لحاجة ، فعمدت إلى موضع السُّفن ، فأجد سفينة قد شحنت تدفع . قال : فركبت معهم ودفعوها ، حتى انتهوا إلى الشُّعيبة ، وخرجت من السفينة ومعي نفقة ، فابتعت بعيراً ، وخرجت أريد المدينة ، حتى مررت على مرِّ الظَّهران ، ثم مضيت ، حتى إذا كنت بالهدَة ، فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً ، وأحدهما داخل في الخيمة ، والآخر يمسك الرَّاحلتين . قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد . قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمداً ؛ دخل الناس في الإسلام ، فلم يبق أحد به طعم ، والله لو أقمت لأُخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضَّبع في مغارتها . قلت : وأنا والله قد أردت محمداً ، وأردت الإسلام . فخرج عثمان بن طلحة فرحَّب بي ، فنزلنا جميعاً في المنزل ، ثم ترافقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر أبي عنبة يصيح : يا رباح ،

يا رباح ، يا رباح . فتفاءلنا بقوله وسررنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكة المقادة بعد هذين . فظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد ، وولَّى مدبراً إلى المسجد سريعاً ، فظننت أنَّه بشَّر رسول الله ﷺ بقدومنا ، فكان كما ظننت ، وأنخنا بالحرَّة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودي بالعصر ، فانطلقنا حتى اطَّلعنا عليه وإنَّ لوجهه تهلُّلاً ، والمسلمون حوله قد سُرُّوا بإسلامنا ، فتقدَّم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدَّم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدَّمتُ ، فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه ، فما استطعت أن أرفع طرفي [إليه] حياءً منه . قال : فبايعته على أن يغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ، ولم يحضرني ما تأخَّر ، فقال : « إنَّ الإسلام يجبُّ ما كان قبله ، والهجرة تجبُّ ما كان قبلها » . قال : فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حزَبه منذ أسلمنا ، ولقد كنَّا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالد كالعاتب .

قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقديِّ[١] : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن أبي حبيب ، فقال : أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفيِّ ، عن مولاه حبيب ، عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق[٢] ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد ، عن مولاه حبيب قال : حدَّثني عمرو بن العاص مِن فيه . فذكر ما تقدَّم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع . وسياق الواقديِّ أبسط وأحسن . قال الواقديُّ ، عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبي حبيب : وقَّت لك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إلا أنَّه قال : قبل الفتح . قلت : فإنَّ أبي أخبرني أنَّ عَمْراً وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان .

وسيأتي عند وفاة عمرو من « صحيح مسلم »[٣] ما يشهد لسياق إسلامه ، وكيفية حُسن صحبته لرسول الله ﷺ مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسَّف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده ، عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته ، رضي الله عنه .

* * *

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٦) .
(٣) رقم (١٢١) .

طريقُ إسلام خالد بن الوليد

قال الواقديُّ[١] : حدَّثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعت أبي يحدِّث عن خالد بن الوليد قال : لمَّا أراد الله بي ما أراد من الخير ، قذف في قلبي الإسلام ، وحضرني رُشدي ، فقلت : قد شهدت هذه المواطن كلَّها على محمد ﷺ ، فليس [في] موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنِّي مُوضع في غير شيء ، وأنَّ محمداً سيظهر ، فلمَّا خرج رسول الله ﷺ إلى الحُديبية خرجت في خيل من المشركين ، فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعسفان ، فقمت بإزائه وتعرَّضت [له] فصلَّى بأصحابه الظُّهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليهم ، ثم لم يعزم لنا ـ وكانت فيه خِيَرة ـ فاطَّلع على ما في أنفسنا من الهمِّ به ، فصلَّى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منَّا موقعاً ، وقلت : الرجل ممنوع . فاعتزلَنا وعدل عن سير خيلنا ، وأخذ ذات اليمين ، فلمَّا صالح قريشاً بالحديبية ، ودافعته قريش بالراح ، قلت في نفسي : أيُّ شيء بقي ؟ أين المذهب ؟ إلى النجاشيِّ ؟ فقد اتَّبع محمداً ، وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج إلى هرقل ؟ فأخرج من ديني إلى نصرانيَّة أو يهودية ، فأقيم مع عجم تابعاً ، فأقيم في داري [فيمن بقي ؟] فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضيَّة ، فتغيَّبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبيِّ ﷺ في عمرة القضية ، فطلبني فلم يجدني ، فكتب إليَّ كتاباً ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمَّا بعد ، فإنِّي لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام جهله أحد ؟! وقد سألني رسول الله ﷺ عنك ، وقال : « أين خالد ؟ » فقلت : يأتي الله به . فقال : « [ما] مثله جهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وحدَّه مع المسلمين كان خيراً [له] ولقدَّمناه على غيره » . فاستدرك يا أخي ما قد فاتك ، فقد فاتك مواطن صالحة .

قال : فلمَّا جاءني كتابه نشطت للخروج ، وزادني رغبة في الإسلام ، وسرَّني سؤال رسول الله ﷺ عني ، وأرى في النوم كأنِّي في بلاد ضيِّقة مجدبة ، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة ، فقلت : إنَّ هذه لرؤيا ، فلمَّا أن قدمت المدينة قلت : لأذكرنَّها لأبي بكر . فقال : مخرجك الذي هداك الله [للإسلام] والضِّيق الذي كنت فيه [من] الشرك .

[قال :] فلمَّا أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ ، قلت : من أُصاحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فلقيت صفوان بن أُميَّة ، فقلت : يا أبا وهب ، أما ترى ما نحن فيه ، إنَّما نحن كأضراس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتَّبعناه ؛ فإنَّ شرف محمد لنا شرف . فأبى أشدَّ الإباء ، فقال : لو لم يبق غيري ما اتَّبعته [أبداً] .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤٥) .

فافترقنا، وقلت: هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر . فلقيت عكرمة بن أبي جهل ، فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية، قلت : فاكتم عليَّ . قال : لا أذكره . فخرجت إلى منزلي ، فأمرت براحلتي ، فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة ، فقلت : إنَّ هذا لي صديق ، فلو ذكرت له ما أرجو . ثم ذكرت من قتل من آبائه ، فكرهت أن أذكِّره ، ثم قلت : وما عليَّ وأنا راحل من ساعتي. فذكرت له ما صار الأمر إليه، فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جُحر ، لو صبَّ فيه ذنوب من ماءٍ لخرج. وقلت له نحواً ممَّا قلت لصاحبيَّ، فأسرع الإجابة، وقال: إنِّي غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدوَ ، وهذه راحلتي بفخٍّ مناخةٌ . قال : فاتَّعدت أنا وهو يأجَج ؛ إن سبقني أقام ، وإن سبقته أقمت [عليه] .

قال : فأدلجنا سَحَراً ، فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدَة ، فنجد عمرو بن العاص بها فقال : مرحباً بالقوم . فقلنا : وبك . فقال : إلى أين مسيركم ؟ فقلنا : وما أخرجك ؟ فقال : وما أخرجكم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام واتِّباع محمد ﷺ . قال : وذاك الذي أقدمني . فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة ، فأنخنا بظهر الحرَّة ركابنا ، فأُخبر بنا رسول الله ﷺ فسُرَّ بنا ، فلبست من صالح ثيابي ، ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيني أخي ، فقال : أسرع ، فإنَّ رسول الله ﷺ قد أُخبر بك ، فسرَّ بقدومك ، وهو ينتظركم .

فأسرعنا المشي ، فاطَّلعت عليه ، فما زال يتبسَّم إليَّ حتى وقفت عليه ، فسلَّمت عليه بالنبوة ، فردَّ عليَّ السلام بوجه طلق ، فقلت : إنِّي أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّك رسول الله . فقال : « تعال » . ثم قال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذي هداك ، وقد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير » . قلت : يا رسول الله ، قد رأيتَ ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحقِّ ، فادع الله [أن] يغفرها لي . فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام يجبُّ ما كان قبله » . قلت : يا رسول الله ، على ذلك ؟ قال : « اللهمَّ اغفر لخالد بن الوليد كلَّ ما أَوْضَعَ فيه من صدٍّ عن سبيلك » . قال خالد : وتقدَّم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ .

قال : وكان قدومنا في صفر سنة ثمان . قال : فوالله ما كان رسول الله ﷺ يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه .

***

سريَّـة شُجَاع بن وَهْب الأسديِّ إلى نفرٍ من هَوازِن

قال الواقديُّ[1] : [حدثني] ابن أبي سَبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فَرْوَة ، عن عمر بن

---

(١) انظر « المغازي » (٢/٧٥٣) .

الحكم قال : بعث رسول الله ﷺ شُجَاع بن وَهْبٍ في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هَوازِن ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكمن النهار ، حتى صبَّحهم غارِّين ، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا يُمعِنوا في الطَّلب ، فأصابوا نَعَمَاً كثيراً وشاءً ، فاستاقُوا ذلك حتى قدموا المدينة ، فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ، كلَّ رجلٍ .

وزعم غيره أنَّهم أصابوا سبياً أيضاً ، وأنَّ الأمير اصطفى منه جارية وضيئة ، ثم قدم أهلوهم مسلمين ، فشاور النبيُّ ﷺ أميرهم في ردِّهن إليهم ، فقال : نعم . فردُّوهن ، وخيَّر [الجارية][١] التي عنده فاختارت المقام عنده .

وقد تكون هذه السريَّة هي المذكورة فيما رواه الشافعيُّ[٢] ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ بعث سريَّة قِبل نجد ، فكان فيهم عبد الله بن عمر . قال : فأصبنا إبلاً كثيراً ، فبلغت سهامنا اثني عشر بعيراً ، ونفَّلنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً . أخرجاه في « الصحيحين » من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضاً من حديث الليث ، ومن حديث عبيد الله ، كلُّهم عن نافع ، عن ابن عمر ، بنحوه[٣] .

وقال أبو داود[٤] : حدَّثنا هنَّاد ، حدَّثنا عبدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى نجد، فخرجتُ فيها، فأصبنا نعماً كثيراً فنفَّلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكلِّ إنسان، ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فقسم بيننا غنيمتنا، فأصاب كلُّ رجل منا اثني عشر بعيراً بعد الخمس، وما حاسبنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبنا، ولا عاب عليه ما صنع، فكان لكلٍّ منا ثلاثة عشر بعيراً بنفله[٥] .

سريَّــة كعب بن عُمَير إلى بني قُضَاعَة من أرض الشام

قال الواقديُّ[٦] : حدَّثنا محمد بن عبد الله ، [عن] الزُّهْريِّ ، قال : بعث رسول الله ﷺ كَعْبَ بن عُمير الغِفَاريَّ في خمسة عشر رجلاً ، حتى انتهَوا إلى ذات أطلاح[٧] من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنَّبل، فلمَّا رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ،

(١) لفظ « الجارية » الذي بين الحاصرتين لم يرد في (آ) وورد في (ط) بعد قوله : « التي عنده » وموقعها الصحيح في المكان الذي أثبته كما يقتضيه السياق .

(٢) هو في « مسند الشافعي » (٢/ ١٢٤ بترتيب السّندِي) .

(٣) رواه البخاري رقم (٣١٣٤) ومسلم (١٧٤٩) .

(٤) رواه أبو داود رقم (٢٧٤٣) .

(٥) هو حديث صحيح بطرقه وشواهده انظر أبا داود رقم (٢٧٤١) .

(٦) انظر « المغازي » (٢/ ٧٥٢) .

(٧) انظر « معجم البلدان » (١/ ٣١١) .

قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتلوا ، فأفلت منهم رجل جريح في القتلى ، فلمَّا أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فهمَّ بالبعثة إليهم ، فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

* * *

غزوة مُؤْتَة(١)

وهي سَرِية زيد بن حارثة ، في نحو من ثلاثة آلاف ، إلى أرض البلقاء مِنْ أرض الشام .

قال [محمد] بن إسحاق(٢) بعد قصة عُمْرَة القضيَّة : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجَّة ـ وولي تلك الحجة المشركون ـ والمحرَّم وصفراً وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بَعْثَه إلى الشام ، الذين أصيبوا بمؤتة ، فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزُّبير قال : بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مُؤْتَـةَ في جمـادى الأولى من سنة ثمـان ، واستعمل عليهـم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أُصِيبَ زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رَوَاحَة على النّاس » .

فتجهَّز الناس ثم تهيَّؤوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقديُّ(٣) : حدَّثني ربيعة بن عُثمان ، عن عمر بن الحكم ، عن أبيه قال : جاء النُّعمان بن فُنْحُصٍ اليهوديُّ ، فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رَوَاحَة ، فإن قتل عبد الله بن رَوَاحَة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً ، فليجعلوه عليهم » .

فقال النُّعمـان : أبا القاسم ، إن كنت نبيَّاً ، فلو سمَّيت من سمَّيت قليلاً أو كثيراً ، أُصيبوا [جميعاً] ، إن الأنبياء من بني إسرائيل كانوا إذا سمَّوا الرجل على القوم ، فقالوا : إن أُصيب فلان

---

(١) مؤتة : بالضم ثم واو مهموزة ساكنة ، وتاء فوقها نقطتان ، وبعضهم لا يهمزه : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٣٣٠) .
وانظر خبر هذه الغزوة في « كتاب المغازي » ص(٣٦٦ ـ ٣٧٨) و« عيون الأثر » (٢/ ٢٠٨ ـ ٢١٣) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٣٦ ـ ٣٤٠) و« الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص(١٩٣ ـ ١٩٥) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) لابن العماد الحنبلي بتحقيقي .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٣) طبع دار ابن كثير .

(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٥٥) .

ففلان . فلو سمَّوا مئة أُصيبوا جميعاً . ثم جعل اليهوديُّ يقول لزيد : اعهد فإنَّك لا ترجع أبداً ، إن كان محمد نبيّاً . فقال زيد : أشهد أنه نبيٌّ صادق بارٌّ . رواه البيهقيُّ(١) .

قال ابن إسحاق(٢) : فلما حضر خروجهم ، ودَّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلَّموا عليهم ، فلمَّا ودِّع عبد الله بن رواحة مع من وُدِّع بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[مريم : ٧١] . فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة(٣) : [من البسيط]

لكنَّني أسأل الرحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا
أو طعنةً بيدَي حرَّان مُجْهِزَةً ... بحربةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا
حتى يُقَال إذا مَرُّوا على جَدَثي ... أرشَدَهُ الله من غازٍ وقد رَشَدا

قال ابن إسحاق(٤) : ثم إن القوم تهيَّؤوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ ، فودَّعه ثم قال(٥) : [من البسيط]

فَثَبَّتَ الله مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِرُوا
إنِّي تَفَرَّسْتُ فيك الخَيْرَ نافلةً(٦) ... الله يَعْلَمُ أني ثابتُ البَصَرِ(٧)
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلَهُ ... والوَجْهَ منه فقد أزرى به القَدَرُ

قال ابن إسحاق(٨) : ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيِّعهم ، حتى إذا ودَّعهم وانصرف قال عبد الله بن رواحة(٩) : [من الكامل]

خَلَفَ السَّلامُ عَلَى امرِئٍ وَدَّعْتُهُ ... في النَّخْلِ خَيْرِ مُشَيِّعٍ وَخَلِيلِ

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٣) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص (١٤٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٤) .
(٥) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٤) و« ديوانه » ص(١٥٩) مع تقديم وتأخير وخلاف يسير .
(٦) في « ديوانه » : « إني تفرست فيك الخير أعرفه » .
(٧) في هذا البيت إقواء .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٤) .
(٩) البيت في « ديوانه » ص(١٤٨) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا أبو خالد الأحمر ، عن الحجَّاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث إلى مُؤْتَة ، فاستعمل زيداً ، فإن قُتل زيدٌ فجعفر ، فإن قُتل جعفر فابنُ رَوَاحَة ، فتخلَّف ابن رَوَاحَة ، فجمَّع مع النبيِّ ﷺ ، فرآه فقال : « مَا خَلَّفك ؟ » فقال : أُجمِّع معك . قال : « لَغَدْوَةٌ أو رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا » .

وقال أحمد[٢] : ثنا معاوية ، ثنا الحَجَّاج ، عن الحَكَم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رَوَاحَة في سرية ، فوافق ذلك يوم الجمعة . قال : فقدَّم أصحابه ، وقال : أتخلَّف فأصلِّي مع رسول الله ﷺ الجمعة ، ثم ألحقهم . قال : فلمَّا صلَّى رسول الله ﷺ رآه فقال : « ما مَنَعَكَ أن تغدوَ مع أصحابك ؟ » قال : فقال : أردت أن أُصلِّيَ معك الجمعة ، ثم ألحقهم . قال : فقال رسول الله ﷺ : « لَو أَنْفَقْتَ ما في الأرض جَميعاً مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَتَهُمْ » .

وهذا الحديث قد رواه الترمذيُّ[٣] من حديث أبي مُعَاوية ، عن الحَجَّاج ـ وهو ابن أرطاة ـ ثم علَّله الترمذيُّ بما حكاه عن شُعْبَة أنه قال : لم يسمع الحكم عن مِقْسَم إلَّا خمسة أحاديث ، وليس هذا منها .

قلت : والحجَّاج بن أرطاة في روايته نظر ، والله أعلم ، والمقصود من إيراد هذا الحديث ، أنه يقتضي أن خروج الأمراء إلى مُؤْتَة كان في يوم جمعة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان من أرض الشام[٥] ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآبَ[٦] من أرض البلقاء ، في مئة ألف من الرُّوم ، وانضمَّ إليه من لخْم وجذام والقين وبهراء وبليٍّ مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بليٍّ ، ثم أحد إراشة ، يقال له : مالك بن زافلة ـ وفي رواية يونس ، عن ابن إسحاق : فبلغهم أن هرقل نزل بمآب ، في مئة ألف من الرُّوم ومئة ألف من المستعربة . [وقيل : كان الرُّوم مئتي ألف ، ومَن عداهم خمسون ألفاً . وأقلُّ ما قيل : إن الرُّوم كانوا مئة ألف ، ومن العرب خمسون ألفاً . حكاه السُّهَيليُّ[٧]] فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معانَ ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدوِّنا ؛ فإما أن يمدَّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضيَ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٥٦) ، وإسناده ضعيف ، وفي الباب عن ابن عمر عند البخاري رقم (٤٢٦١) دون آخره كما سيأتي بعد صفحات ، وآخره رواه البخاري رقم (٢٧٩٢) ومسلم (١٨٨٠) من حديث أنس .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٢٤) ، وإسناده ضعيف .

(٣) رقم (٥٢٧) وإسناده ضعيف .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٥) .

(٥) المدينة الشهيرة في جنوب المملكة الأدرنية الهاشمية . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٢٨٧) .

(٦) انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٢١٦) .

(٧) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٤١) .

له . قال : فشجَّع الناس عبد الله بن رَوَاحة وقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون لَلتي خرجتم تطلبون ؛ الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين ؛ إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رَوَاحة ، فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رَوَاحَة في محبسهم ذلك[1] : [من الوافر]

جَلَبْنَا الخيل من أجإٍ وَفَرْعٍ ... تُغَرُّ من الحشيش لها العُكُومُ
حَذَوْنَاهَا من الصَّوَّان سِبْتاً ... أَزَلَّ كأَنَّ صَفْحَتَهُ أَديمُ
أَقَامَتْ ليلتينِ على معانٍ ... فأُعقب بعد فَتْرَتِهَا جُمُومُ
فَرُحْنَا والجيادُ مُسَوَّمات ... تنفَّسُ في مناخِرِهَا السَّمُومُ
فلا وأبي مآبَ لنأتينها ... وإن كَانَتْ بها عَرَبٌ ورُوْمُ
فعبَّأنا أَعِنَّتها فَجَاءَتْ ... عوابسَ والغبارُ لها بريمُ
بذي لَجَب كأَنَّ البَيْضَ فيهِ ... إذا برزت قَوَانِسُهَا النّجومُ
فراضيةُ المعيشة طلّقتْها ... أَسِنَّتُنا فتنكحُ أو تَئِيْمُ

قال ابن إسحاق[2] : فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حُدِّث عن زيد بن أَرْقَم قال : كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك ، مُرْدِفي على حقيبةِ رَحْلِهِ ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه[3] : [من الوافر]

إذا أَدَّيتِني[4] وحَمَلْتِ رَحْلِي ... مَسِيْرَةَ أَرْبَعٍ بعدَ الحِسَاءِ[5]
فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرْجِعْ إلى أَهْلِي وَرَائي
وجَاءَ المُسْلِمُونَ وغَادَرُوني ... بأرض الشّام مشتهيَ الثَّواءِ
وردَّكِ كُلُّ ذي نسبٍ قريبٍ ... إلى الرحمن مُنْقَطِعَ الإخاءِ
هُنَالِكَ لا أُبالي طَلْعَ بَعْلٍ ... ولا نَخْلٍ أسافلُها رَواءِ

قال : فلمَّا سمعتهن منه بكَيت ، فخفقني بالدِّرَّة وقال : ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة ، وترجع بين شعبتي الرَّحل ؟! ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز[6] : [من الرجز]

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٩ ـ ١٥٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٧٦) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص(١٥١) وشرح الألفاظ عنه .
(٤) أي : أوصلتني . والخطاب للناقة الذي كان يركبها .
(٥) جمع حِسْيٍ ، ويجمع على أحساء أيضاً ، وهو ماء يغور في الرمل حتى يجد صخراً .
(٦) البيت في « ديوانه » ص(١٥٢) مع زيادة لم يبين جامعه مصدرها في موطنها عنده .

يـا زيـدَ زيـدَ اليَعْمَـلاتِ الـذُّبَّـلِ   تطـاول اللَّيـلُ هُـدِيـتَ فَـانـزِلِ

قال ابن إسحاق[١] : ثم مضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها : مشارف . ثم دنا العدوُّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها : مؤتة . فالتقى الناس عندها ، فتعبَّأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة يقال له : قطبة بن قتادة . وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له : عباية بن مالك .

وقال الواقديُّ[٢] : حدَّثني ربيعة بن عثمان ، عن المقبريِّ ، عن أبي هُريرة قال : شهدت مُؤْتَةَ ، فلمَّا دنا منا المشركون ، رأينا ما لا قبل لأحد به ، من العُدَّة ، والسِّلاح ، والكُراع ، والدِّيباج ، والحرير ، والذهب ، فَبَرِقَ بَصَري ، فقال لي ثابت بن أَقْرَمَ : يا أبا هُريرة ، كأنك ترى جموعاً كثيرة ! قلت : نعم . قال : إنك لم تشهد معنا بدراً ، إنا لم نُنْصَر بالكثرة . رواه البيهقيُّ[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم التقى الناس فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط[٥] في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر ، فقاتل [بها ، حتى إذا ألحمه القتال] ، اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ ، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام .

وقال ابن إسحاق[٦] : وحدَّثني يحيى بن عبَّاد [بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد] حدَّثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرَّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة ، قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول : [من الرجز]

يـا حبَّـذا الجنـةُ واقتـرابهـا   طيبـــة وبـــارداً شـــرابُهـــا
والـروم روم قـد دنـا عـذابهـا   كـــافـــرةً بعيـــدةً أنســـابُهـــا
عليَّ إن لاقيتها ضِرابُهَا

وهذا الحديث قد رواه أبو داود[٧] من حديث ابن إسحاق ، ولم يذكر الشعر . وقد استدل [به] من

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٧) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦٠) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٦٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٨) .
(٥) أي : هلك .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٨) .
(٧) رواه أبو داود رقم (٢٥٧٣) ، قال العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر في « مختصر سنن أبي داود » (٣/ ٣٩٧) : هكذا قال أبو داود ، ولا أدري لماذا هو ليس بالقوي ، الإسناد صحيح لا علة فيه ، وصرح ابن إسحاق بسماعه من يحيى بن عباد .

جوَّز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدوُّ ، كما يقول أبو حنيفة في الأغنام إذا لم تتبع في السَّير ، ويخشى من لحوق العدو لها وانتفاعهم بها ، أنها تذبح وتحرَّق ؛ ليحال بينهم وبين ذلك . والله أعلم .

قال السهيليُّ[١] : ولم يُنكر أَحَدٌ على جعفر ، فدلّ على جوازه [إذا خيف] أخذ العدوِّ له ، ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثاً .

قال ابن هشام[٢] : وحدَّثني من أثق به من أهل العلم أن جعفراً أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه ، حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنةً ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ، ويقال : إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدَّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد قال : حدَّثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرَّة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر ، أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدَّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردَّد بعض التردُّد ، ثم قال[٤] : [من الرجز]

أَقسمت يا نفسُ لتنزِلنَّهْ … لتنزِلنَّ أو لتكرهنَّهْ
إن أجلب الناس وشدُّوا الرَّنَّه … مالي أراك تكرهين الجنَّهْ
قد طال ما قد كنت مطمئنَّهْ … هل أنت إلا نطفة في شنَّهْ

وقال أيضاً : [من الرجز]

يا نفسُ إن لا تقتلي تموتي … هذا حِمام الموت قد صَليْتِ
وما تَمَنّيتِ فقد أُعطيت … إن تفعلي فعلهما هُديتِ

يريد صاحبيه ؛ زيداً وجعفراً ثم نزل ، فلمَّا نزل أتاه ابن عمٍّ له بعَرق من لحم فقال : شدَّ بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيَّامك هذه ما لقيت . فأخذه من يده ، فانتهس منه نهسة ، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال : وأنت في الدنيا ؟! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه ، ثم تقدَّم فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه . قال : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم ، أخو بني العجلان ، فقال : يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

(١) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٣٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٩) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص (١٥٣) مع بعض الخلاف .

قال ابن إسحاق[(١)] : ولما أُصيب القوم، قال رسول الله ﷺ، فيما بلغني : « أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر ، فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيَّرت وجوه الأنصار، وظنُّوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . ثم قال : « لقد رفعوا إليَّ في الجنة ، فيما يرى النائم ، على سُرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت : عمَّ هذا؟؟» فقيل لي : مضيا ، وتردَّد عبد الله بن رواحة بعض التردُّد ثم مضى » . هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعاً .

وقد قال البخاريُّ[(٢)] : ثنا أحمد بن واقد ، ثنا حمَّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس ، قبل أن يأتيَهم خبرهم ، فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ـ وعيناه تذرفان ـ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليهم » . تفرَّد به البخاريُّ ، ورواه في موضع آخر[(٣)] ، وقال فيه وهو على المنبر : « وما يسرُّهم أنهم عندنا » .

وقال البخاريُّ[(٤)] : ثنا أحمد بن أبي بكر ، ثنا مُغِيْرَة بن عبد الرحمن ـ المَخْزُوميُّ وليس بالخزاميِّ ـ عن عبد الله بن سعيد ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ : « إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة » . قال عبد الله : كنت فيهم في تلك الغزوة ، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب ، فوجدناه في القتلى ، ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية . تفرَّد به البخاريُّ أيضاً .

وقال البخاريُّ أيضاً[(٥)]: حدَّثنا أحمد، ثنا ابن وهب، عن عمرو، عن ابن أبي هلال ـ هو سعيد بن أبي هلال اللَّيثيُّ ـ قال : وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل ، فعددت به خمسين ، بين طعنة وضربة ، ليس منها شيء في دُبره . وهذا أيضاً من أفراد البخاريِّ . ووجه الجمع بين هذه الرواية والتي قبلها ، أن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، اطَّلع على هذا العدد ، وغيره اطَّلع على أكثر من ذلك. أو أن هذه في قُبُله أصيبها قبل أن يقتل ، فلمَّا صرع إلى الأرض ، ضربوه أيضاً ضربات في ظهره ، فعدَّ ابن عمر ما كان في قُبُله وهو في وجوه الأعداء قبل أن يقتل ، رضي الله عنه .

ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي ممسكة اللواء ، ثم شماله ، ما رواه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٠) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٢) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٢٧٩٨) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٦١) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٠) .

البخاريُّ[١] ، ثنا محمد بن أبي بكر ، ثنا عمر بن علي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر قال : كان ابن عمر إذا حيَّا ابن جعفر قال : السلام عليك يا بن ذي الجناحين .

ورواه أيضاً[٢] في المناقب ، والنسائيُّ من حديث يزيد بن هارون ، عن إسماعيل بن أبي خالد به .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية .

ثم رواه[٤] عن محمد بن المثنَّى ، عن يحيى ، عن إسماعيل ، حدَّثني قيس ، سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وصبرت في يدي صفيحة يمانية . انفرد به البخاريُّ .

قال الحافظ أبو بكر البيهقيُّ[٥] : أخبرنا أبو نصر بن قَتَادَة ، أخبرنا أبو عمرو بن مَطَر ، ثنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب الجُمَحيُّ ، ثنا سليمان بن حَرْب ، ثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سُمَير قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاريُّ ، وكانت الأنصار تفقِّهه ، فغشيه الناس ، فغشيتُه في من غشيه فقال : حدَّثنا أبو قتادة ، فارس رسول الله ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء ، وقال : « عليكم زيد بن حارثة ، فإن أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة » . قال : فوثب جعفر وقال : يا رسول الله ، ما كنت أرهب أن تستعمل زيداً عليَّ . قال : « امض ، فإنك لا تدري أيُّ ذلك خير » . فانطلقوا فلبثوا ماشاء الله ، فصعِد رسول الله ﷺ المنبر ، فأمر فنودي : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ فقال : « أخبركم عن جيشكم هذا ؛ إنَّهم انطلقوا فلقوا العدوَّ ، فقتل زيد شهيداً - فاستغفر له - ثم أخذ اللواء جعفر ، فشدَّ على القوم حتى قتل شهيداً - شهد له بالشهادة ، واستغفر له - ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً - فاستغفر له - ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء ، هو أمَّر نفسه » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهمَّ إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره » . فمن يومئذ سمي خالد سيف الله .

ورواه النسائي[٦] من حديث عبد الله بن المبارك ، عن الأسود بن شيبان ، به نحوه . وفيه زيادة حسنة ، وهو أنه ، عليه الصلاة والسلام ، لمَّا اجتمع إليه الناس قال : «ثاب خبر ، ثاب خبر . . .» وذكر الحديث .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٩) و(٤٢٦٤) .
(٢) يعني البخاري وهو عنده رقم (٣٧٠٩) وهو عند النسائي أيضاً في « السنن الكبرى » رقم (٨١٥٨) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٥) .
(٤) يعني البخاري وعو عنده رقم (٤٢٦٦) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٦٧) .
(٦) في « السنن الكبرى » رقم (٨١٥٩) ، وهو حديث صحيح .

وقال الواقديُّ[١] : حدَّثني عبد الجَبَّار بن عُمَارَة بن غزيَّة ، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال : لمَّا التقى الناس بمؤتة ، جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وكشف الله له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى معتَركهم ، فقال : « أخذ الراية زيد بن حارثة ، فجاءه الشيطان ، فحبَّب إليه الحياة ، وكرَّه إليه الموت ، وحبَّب إليه الدُّنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين ، تحبِّب إليَّ الدُّنيا ؟! فمضى قدماً حتى استشهد » . فصلى عليه رسول الله ﷺ ، وقال : « استغفروا له ، فقد دخل الجنة وهو يسعى » .

قال الواقديُّ[٢] : وحدَّثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ قال : « لمَّا قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فجاءه الشيطان ، فحبَّب إليه الحياة ، وكره إليه الموت ، ومنَّاه الدُّنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تُمنِّيني الدنيا ؟! ثم مضى قدما حتى استشهد » . فصلى عليه رسول الله ﷺ ، ثم قال : « استغفروا لأخيكم ، فإنَّه شهيد ، دخل الجنة ، فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت ، حيث يشاء من الجنة » . قال : « ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة ، فاستشهد ، ثم دخل الجنة معترَضاً » . فشقَّ ذلك على الأنصار ، فقيل : يا رسول الله ، ما اعتراضه ؟ قال : « لمَّا أصابته الجراح نكل ، فعاتب نفسه فتشجَّع ، واستشهد فدخل الجنة » . فسُرِّي عن قومه .

قال الواقديُّ[٣] : وحدَّثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه قال : لمَّا أخذ خالد بن الوليد الراية ، قال رسول الله ﷺ : « الآن حَمِيَ الوَطِيس » .

قال الواقديُّ[٤] : فحدَّثني العَطَّاف بن خالد قال : لمَّا قتل ابن رواحة مساءً ، بات خالد بن الوليد ، فلمَّا أصبح ، غدا وقد جعل مقدمته ساقته ، وساقته مقدمته ، وميمنته ميسرته . قال : فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم ، وقالوا : قد جاءهم مدد . فرُعبوا وانكشفوا منهزمين . قال : فقتلوا مقتلة لم يُقتلها قوم . وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة ، رحمه الله ، في « مغازيه » ، فإنَّه قال بعد عمرة الحديبية : ثم صدر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فمكث بها ستة أشهر ، ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة ، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب فجعفر بن أبي طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم » . فانطلقوا ، حتى لقوا ابن أبي سبرة الغسَّانيَّ بمؤتة ، وبها جموع من نصارى العرب والروم ، بها تنوخ وبهراء ، فأغلق ابن أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم خرجوا فالتقَوا على

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦١) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦١) .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦٤) .
(٤) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦٤) .

رَدَغٍ(١) أحمر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم أخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ، ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد المخزوميِّ ، فهزم الله العدوَّ ، وأظهر المسلمين . قال : وبعثهم رسول الله ﷺ في جمادى الأولى ، يعني سنة ثمان . قال موسى بن عقبة : وزعموا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مرَّ عليَّ جعفر في الملائكة ، يطير كما يطيرون ، له جناحان » . قال : وزعموا ، والله أعلم ، أنَّ يعلى بن أميَّة قدم على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن شئت فأخبرني ، وإن شئت أخبرتُك » . قال : أخبرني يا رسول الله . قال : فأخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كلَّه ووصفه لهم . فقال : والذي بعثك بالحقِّ ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإنَّ أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم».

فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق ، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق ، من أنَّ خالداً إنَّما حاشى بالقوم ، حتى تخلَّصوا من الروم وعرب النصارى فقط ، وموسى بن عقبة والواقديُّ مصرِّحان بأنهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم ، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعاً : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، ففتح الله على يديه » . رواه البخاريُّ(٢) ، وهذا هو الذي رجَّحه ومال إليه الحافظ البيهقيُّ(٣) بعد حكاية القولين ؛ لما ذكره من الحديث .

قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقين ، وهو أن خالداً لمَّا أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين ، حتى خلَّصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة ، فلمَّا أصبح وحوَّل الجيش ميمنةً وميسرة ، ومقدمة وساقة ، كما ذكره الواقديُّ ، توهَّم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد ، هزموهم بإذن الله ، والله أعلم .

ولكن قال ابن إسحاق(٤) : حدَّثني محمد بن جعفر ، عن عروة قال : لمَّا أقبل أصحاب مؤتة ، تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، قال : ولقيهم الصِّبيان يشتدون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصِّبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابن جعفر » . فأُتي بعبد الله ، فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون عليهم بالتراب ويقولون : يا فرَّار ، فررتم في سبيل الله ؟! . فقال رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرَّار ، ولكنهم الكرَّار إن شاء الله تعالى » . وهذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة . وعندي ، أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق ، فظنَّ أن هذا لجمهور الجيش ، وإنَّما كان للذين فرُّوا حين التقى الجمعان ، وأما بقيَّتُهم فلم يفرُّوا ، بل نصروا ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ

---

(١) في (آ) و(ط) : « زرع » والتصحيح من « النهاية » لابن الأثير (٢/ ٢١٥) والردغ : الطين والوحل الكثير .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٢) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٧٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٢) .

المسلمين وهو على المنبر ، في قوله : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، ففتح الله على يديه » . فما كان المسلمون ليسمُّوهم فُرَّاراً بعد ذلك ، وإنما تلقَّوهم ؛ إكراماً لهم وإعظاماً ، وإنما كان التأنيبُ وحَثي التُّراب للذين فرّوا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما .

وقد قال الإمام أحمد(١) : ثنا حسن ، ثنا زهير ، ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عمر قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ ، فحاص الناس حيصة ، وكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبُؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا . ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ ، فإن كانت لنا توبة ، وإلا ذهبنا . فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : « مَن القوم ؟ » قال : فقلنا : نحن الفرَّارون . فقال : « لا ، بل أنتم العكَّارون ، أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين » . قال : فأتيناه حتى قبَّلنا يده .

ثم رواه عن غُنْدرٍ(٢) ، عن شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : كنّا في سريّة ففررنا ، فأردنا أن نركب البحر ، فأتينا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، نحن الفرَّارون . فقال : « لا ، بل أنتم العكَّارون » .

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ ، وابن ماجه(٣) من حديث يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذيُّ : حسن ، لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال أحمد(٤) : ثنا إسحاق بن عيسى ، وأسود بن عامر قالا : ثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سريّة ، فلمَّا لقينا العدوَّ انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاختفينا ، ثم قلنا : لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه . فخرجنا إليه ، فلمَّا لقيناه قلنا : نحن الفرَّارون يا رسول الله . قال : « بل أنتم العكَّارون ، وأنا فئتكم » . قال الأسود : « وأنا فئة كلِّ مسلم » .

وقال ابن إسحاق(٥) : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عامر بن عبد الله بن الزُّبير ، [عن بعض آل الحارث بن هشام ، وهم أخواله] أنَّ أمَّ سلمة زوج النبي ﷺ قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين ؟ قالت : ما يستطيع أن

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٧٠) ، وإسناده ضعيف .
(٢) يعني الإمام أحمد في « المسند » (٢/ ٨٦) ، وإسناده ضعيف .
(٣) هو عند أبي داود رقم (٢٦٤٧) و(٥٢٢٣) والترمذي رقم (١٧١٦) وابن ماجه رقم (٣٧٠٤) ، ويزيد بن أبي زياد ، ضعيف .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١١٠) ، وإسناده ضعيف .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٢) .

يخرج ، كلمَّا خرج صاح به الناس : يا فُرَّار ، فررتم في سبيل الله ؟! حتى قعد في بيته ما يخرج . وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعلَّ طائفة منهم فرُّوا لمَّا عاينوا كثرة جموع العدوِّ ، وكانوا أكثر منهم بأضعاف مضاعفة ؛ فإنَّ الصحابة ، رضي الله عنهم ، كانوا ثلاثة آلاف ، وكان العدُّو ـ على ما ذكروه ـ مئتي ألف ، ومثل هذا يسوِّغ الفرار ، على ما قد تقرَّر ، فلمَّا فرَّ هؤلاء ، ثبت باقيهم ، وفتح الله عليهم ، وتخلصوا من أيدي أولئك ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، كما ذكره الواقديُّ وموسى بن عقبة من قبله .

ويؤيِّد ذلك [أيضاً ويزيده قوة ويشهد له] بالصحة ، ما رواه الإمام أحمد(١) : ثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثني صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعيِّ قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين ، في غزوة مؤتة ، [ورافقني](٢) مدديٌّ من اليمن ، ليس معه غير سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المدديُّ طائفة من جلده ، فأعطاه إياه ، فاتخذه كهيئة الدَّرقة ، ومضينا فلقينا جموع الروم ، وفيهم رجل على فرس له أشقر ، عليه سرج مذهَّب وسلاح مذهَّب ، فجعل الروميُّ يغري بالمسلمين ، وقعد له المدديُّ خلف صخرة ، فمرَّ به الروميُّ فعرقب فرسه ، فخرَّ وعلاه ، فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلمَّا فتح الله للمسلمين ، بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه السلب . قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد ، أما علمتَ أنَّ رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكنِّي استكثرته . فقلت : لتردَّنَّه إليه أو لأعرِّفنَّكها عند رسول الله ﷺ . فأبى أن يردَّ عليه ، قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ ، فقصصت عليه قصة المدديِّ وما فعل خالد ، فقال رسول الله ﷺ : « يا خالد ، ردَّ عليه ما أخذت منه » . قال عوف : فقلت : دونك يا خالد ، ألم أفِ لك ؟! فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » فأخبرته ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : « يا خالد ، لا تردَّ عليه ، هل أنتم تاركو لي أمرائي ، لكم صفوة أمرهم ، وعليهم كدره » . قال الوليد : سألت ثوراً عن هذا الحديث ، فحدَّثني عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن عوف ، بنحوه .

ورواه مسلم وأبو داود(٣) ، من حديث جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك ، به نحوه .

وهذا يقتضي أنَّهم غنموا منهم ، وسلبوا من أشرافهم ، وقتلوا من أمرائهم ، وقد تقدَّم فيما رواه البخاريُّ(٤) أن خالداً ، رضي الله عنه ، قال : اندقَّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وما ثبت في يدي إلا

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٧) .
(٢) في (ط) : « ووافقني » .
(٣) رواه مسلم رقم (١٧٥٣) وأبو داود رقم (٢٧١٩) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٦) .

صفيحة يمانية . وهذا يقضي أنَّهم أثخنوا فيهم قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلُّص منهم ، وهذا وحده دليل مستقلٌّ ، والله أعلم .

وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقديِّ والبيهقيِّ ، وحكاه ابن هشام[١] عن الزهريِّ .

قال البيهقيُّ[٢] ، رحمه الله : اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب إلى ذلك ، ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين ، وأن المشركين انهزموا . قال : وحديث أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ: « ثم أخذها خالد ، ففتح الله عليه » يدلُّ على ظهورهم عليهم . والله أعلم.

قلت : وقد ذكر ابن إسحاق[٣] أنَّ قُطبة بن قتادة العذريَّ ، وكان رأس ميمنة المسلمين ، حمل على مالك بن زافلة ـ قال ابن هشام : ويقال : رافلة . بالراء ـ وهو أمير أعراب النَّصارى ، فقتله ، وقال يفتخر بذلك : [من المتقارب]

طعنتُ ابن زافلةَ بن الإراش ... بـرُمـحٍ مضـى فيـه ثـم انحطَـمْ
ضـربـت علـى جيـده ضـربـة ... فمـال كمـا مـال غصـن السَّلَـمْ
وسقنــا نســاء بنــي عمِّــه ... غـداة رقـوقيـن سـوق النَّعَـمْ

وهذا يؤيِّد ما نحن فيه ؛ لأنَّ من عادة أمير الجيش إذا قتل ، أن يفرَّ أصحابه ، ثم إنَّه صرَّح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم ، وهذا واضح فيما ذكرناه . والله أعلم . وأمَّا ابن اسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا المخاشاة والتخلُّص من أيدي الروم ، وسمَّى هذا نصراً وفتحاً ؛ أي : باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدوِّ بهم ، وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، فكان مقتضى العادة أن يصطلموا بالكليَّة ، فلمَّا تخلَّصوا منهم وانحازوا عنهم ، كان هذا غاية المرام في هذا المقام ، وهذا محتمل ، لكنَّه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام : « ففتح الله عليهم » .

والمقصود أن ابن اسحاق يستدلُّ على ما ذهب إليه ، فقال : وقد قال ـ فيما كان من أمر الناس ، وأمر خالد بن الوليد ، ومخاشاته بالناس ، وانصرافه بهم ـ قيس بن المحسَّر اليعمريُّ ، يعتذر ممَّا صنع يومئذ وصنع الناس : [من الطويل]

فوالله لا تَنْفَكُّ نفسي تَلُومني ... على موقفي والخَيل قابعةٌ قُبُلُ
وقفت بها لا مُستجِيراً فنافذاً ... ولا مانعاً من كان حمَّ لَهُ القَتْلُ
على أنَّني آسيت نفسي بخالدٍ ... أَلا خالدٌ في القوم ليس له مِثْلُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨١) .

وجاشت إليَّ النفسُ من نحو جعفرٍ بمُـؤْتَـةَ إذ لا يَنْفَـعُ النّـابِـلَ النَّبْـلُ
وضَـمَّ إلينـا حُجْـزَتَيْهِـمْ كِلَيْهِمَـا مُهَـاجِـرَةٌ لا مُشْـركـون ولا عُـزْلُ

قال ابن اسحاق[١] : فبيَّن قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ؛ أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقَّق انحياز خالد بمن معه . قال ابن هشام : وأمَّا الزهريُّ فقال ، فيما بلغنا عنه : أمَّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة .

***

فصل

قال ابن إسحاق[٢] : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أمِّ عيسى الخُزَاعيَّة ، عن أمِّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدَّتها أسماء بنت عُمَيس قالت : لمَّا أُصيب جعفر وأصحابه ، دخل عليَّ رسول الله ﷺ ، وقد دبغت أربعين مَنًّا ، وعجنت عجيني ، وغَسَّلْت بَنِيَّ ودهَّنتهم ونظّفتهم .

قالت : فقال رسول الله ﷺ : « ائتيني ببني جعفر » . فأتيته بهم فشمَّهم وذرفت عيناه ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمِّي ، ما يُبكيك ، أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم ، أُصيبوا هذا اليوم » . قالت : فقُمت أَصيح ، واجتمع إليَّ النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً ؛ فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » .

وهكذا رواه الإمام أحمد[٣] من حديث ابن اسحاق .

ورواه ابن ماجه[٤] من طريق محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أمِّ عيسى ، عن أمِّ عون بنت محمد بن جعفر ، عن أسماء ، فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنَّها أمُّ جعفر وأمُّ عون .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا سفيان ، ثنا جعفر بن خالد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : لمَّا جاء نَعي جعفر حين قتل ، قال النبيُّ ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد أتاهم أمر يشغلهم » . أو : « أتاهم ما يشغلهم » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٠) .
(٣) في « المسند » (٦/ ٣٧٠) وإسناده ضعيف بطوله .
(٤) رواه ابن ماجة رقم (١٦١١) : وهو حديث حسن .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٥) وإسناده حسن ، له شواهده حسب جمع من العلماء .

وهكذا رواه أبو داود والترمذيُّ وابن ماجه[١] من حديث سُفيان بن عُيينة ، عن جعفر بن خالد بن سَارَة المَخْزُوميِّ المكيِّ ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، وقال الترمذيُّ : حسن .

ثم قال محمد بن إسحاق[٢] : حدَّثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ قال : لما أتى نعيُ جعفر ، عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحُزْنَ . قالت : فدخل عليه رجل ، فقال : يا رسول الله ، إن النساء عنَّيننا وفتنَّنا . قال : « ارجع إليهنَّ فأسكتْهنَّ » . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك . قالت : وربما ضرَّ التَّكلُّف ، يعني أهله . قالت : قال : « فاذهب فأسكتْهن ، فإن أَبين فاحثُ في أفواههنَّ التُّراب » . قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ، فوالله ما تركتَ نفسك ، وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ . قالت : وعرفت أنَّه لا يقدر [على أن] يحثي في أفواههنَّ التراب . انفرد به ابن إسحاق من هذا الوجه ، وليس في شيء من الكتب .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا قتيبة ، ثنا عبد الوهَّاب ، سمعت يحيى بن سعيد قال : أخبرتني عَمْرَة قالت : سمعت عائشة تقول : لمَّا قُتل ابن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رَوَاحة ، جلس رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه الحُزن . قالت عائشة : وأنا أطَّلع من صائر الباب ـ شقِّ ـ فأتاه رجل فقال : أي رسول الله ، إن نساء جعفر . وذكر بكاءهنَّ ، فأمره أن ينهاهنَّ . قالت : فذهب الرجل ، ثم أتى فقال : والله لقد غلبننا . فَزَعَمَتْ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « فاحث في أفواههنَّ من التُّرَاب » . قالت عائشة ، رضي الله عنها : فقلت : أَرْغَمَ الله أَنْفَكَ ، فو الله ما أنت تفعل ، وما تركتَ رسول الله ﷺ من العناء .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائيُّ[٤] من طُرُقٍ، عن يحيى بن سعيد الأنصاريِّ، عن عَمْرَة، عنها .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدِّث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً ، استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن قُتِلَ زيدٌ أو استشهد فأميركم جعفر ، فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة » فلقوا العدوَّ ، فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه ، وأتى خبرُهم النبيَّ ﷺ فخرج إلى

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣١٣٢) والترمذي رقم (٩٩٨) وابن ماجه رقم (١٦١٠) ، وهو حديث حسن .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨١) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٦٣) .

(٤) رواه مسلم رقم (٩٣٥) وأبو داود رقم (٣١٢٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٨٤٦) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٤ ، ٢٠٥) ، وإسناده ضعيف ، فإن خالد بن سارة والد جعفر مجهول الحال فقد روى عنه اثنان وذكره ابن حبان في الثقات ، لذلك قال ابن القطاف : لا تعرف حاله ولا أعلم له إلا حديثين . أما قول الحافظ ابن حجر في التقريب أنه « صدوق » ففيه نظر ، كما بيناه في « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ٣٤٤) .

الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : إنَّ إخوانكم لقوا العدوَّ ، وإنَّ زيداً أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ؛ خالد بن الوليد ، ففتح الله عليه » . قال : ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ادعوا لي بني أخي » . قال : فجيء بنا كأننا أفرخ ، فقال : « ادعوا لي الحلاق » . فجيء بالحلاق ، فحلق رؤوسنا ، ثم قال : « أما محمد فشبيه عمِّنا أبي طالب ، وأمَّا عبد الله فشبيه خَلقي وخُلقي » . ثم أخذ بيدي فأشالها وقال : « اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » . قالها ثلاث مرات . قال : فجاءت أُمُّنا فذكرت له يتمنا ، وجعلت تفرح له ، فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة ؟! » ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائيُّ في السِّير بتمامه من حديث وهب بن جرير ، به[١] . وهذا يقتضي أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ، ثم نهاهم عنه بعدها .

ولعلَّه معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٢] ، من حديث الحكم ، عن عبد الله بن شداد ، عن أسماء ، أنَّ رسول الله ﷺ قال لها لمَّا أصيب جعفر : « تسلَّبي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت » . تفرد به أحمد . فيحتمل أنه أذن لها في التسلُّب ، وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا ؛ لشدَّة حزنها على جعفرٍ أبي أولادها ، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلُّب ، وهو المبالغة في الإحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت ؛ مما يفعله المعتدات على أزواجهنَّ ، من الإحداد المعتاد ، والله أعلم .

ويُروى : « تسلَّي ثلاثاً » أي : تصبَّري ، ثلاثاً ، وهذا بخلاف الرِّواية الأخرى ، والله أعلم .

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد[٣] : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن طلحة ، ثنا الحَكَم بن عُتيبة ، عن عبد الله بن شدَّاد، عن أسماء بنت عُميس قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال : « لا تُحِدِّي بعد يومك هذا » فإنه من أفراد أحمد أيضاً ، وإسناده لا بأس به[٤] ، ولكنَّه مشكل إن حمل على ظاهره؛ لأنَّه قد ثبت في « الصحيحين »[٥] أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَحِلّ لامرأة تُؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميتها أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » ، فإن كان مارواه الإمام أحمد

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤١٩٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٠٤) وهو حديث صحيح .
(٢) في « المسند » (٦/٤٣٨) ، وهو حديث ضعيف .
(٣) في « المسند » (٦/٣٦٩) .
(٤) قال الإمام أحمد : إنه مخالف للأحاديث الصحيحة في الإحداد .
قال الحافظ ابن حجر : وهو مصير منه إلى أن يُعِلَّه بالشذوذ . انظر « فتح الباري » رقم (٥٣٣٤) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٢٨٠) ومسلم رقم (١٤٨٦) .

محفوظاً ، فتكون مخصوصة بذلك ، أو هو أمر بالمبالغة في الإحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم ، والله أعلم .

قلت : وَرَثَتْ أسماء بنت عميس زَوجها بقصيدة تقول فيها : [من الطويل]

فآليت لا تَنْفَكُّ نفسي حزينةً   عليكَ ولا يَنْفَكُّ جِلْديَ أَغْبَرا
فلله عينا مَنْ رأى مثلَه فتىً   أَكَرَّ وأَحْمَى في الهِيَاجِ وأَصْبَرا

ثم لم تَنْشَبْ أن انقضت عدَّتُها ، فخطبها أبو بكر الصِّدِّيق ، رضي الله عنه ، فتزوَّجها ، فأَولم ، وجاء الناس للوليمة ، فكان فيهم عليُّ بن أبي طالب ، فلمَّا ذهب الناس استأذن عليٌّ أبا بكر ، رضي الله عنهما ، في أن يكلِّم أسماء من وراء السِّتر ، فأذن له ، فلما اقترب من السِّتر نفحه ريح طيبها ، فقال لها عليٌّ ، على وجه البَسْطِ : من القائلة في شعرها : [من الطويل]

فآليتُ لا تَنْفَكُّ نفسي حزينةً   عليك ولا يَنْفَكُّ جِلْديَ أَغْبَرا

قالت : دعنا منك يا أبا الحسن ، فإنَّك امرؤ فيك دُعَابة ، فولدت للصِّدِّيق محمد بن أبي بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ، ورسول الله ﷺ ذاهب إلى حَجَّة الوَدَاع ، فأمرها أن تغتسل وتُهِلَّ ، وسيأتي في موضعه ، ثم لمَّا توفي الصِّدِّيق ، تزوَّجها بعده عليُّ بن أبي طالب ، وولدت له أولاداً ، رضي الله عنه وعنها وعنهم أجمعين .

***

فصل

قال ابن إسحاق[١] : فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُرْوَة بن الزُّبير قال : فلما دنوا من المدينة تلقَّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون . قال : ولقيهم الصِّبيان يشتدُّون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصِّبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر » . فأُتي بعبد الله بن جعفر ، فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون : يا فرَّار ، فررتم في سبيل الله ؟! قال : فيقول رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرَّار ، ولكنهم الكرَّار إن شاء الله » وهذا مرسل .

وقد قال الإمام أحمد[٢] : ثنا أبو مُعَاوية ، ثنا عاصم ، عن مُورِّق العِجْليِّ ، عن عبد الله بن جعفر قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلقِّي بالصبيان من أهل بيته ، وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٢) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٣) .

قال : فحملني بين يديه . قال : ثم جيء بأحد ابنَي فاطمة ، إما حَسَنٌ وإما حُسَين ، فأردفه خلفه ، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة .

وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائيُّ وابن ماجه(١) من حديث عاصم [الأحول] عن مورِّق به .

وقال الإمام أحمد(٢) : [ثنا روح] ، ثنا ابن جريج ، ثنا جعفر بن خالد بن سَارَة ، أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتني وقثم وعبيد الله ابنَي العباس ونحن صبيان نلعب ، إذ مر النبيُّ ﷺ على دابة فقال : « ارفعوا هذا إليَّ » . [فحملني أَمامه وقال لقثم : « ارفعوا هذا إليَّ »] فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحبَّ إلى عباس من قثم ، فما استحى من عمِّه أن حمل قثم وتركه . قال : ثم مسح على رأسي ثلاثاً ، وقال كلَّما مسح : « اللهم اخلف جعفراً في ولده » . قال : قلت لعبد الله : ما فعل قثم ؟ قال : استُشهد . قال : قلت : الله ورسوله أعلم بالخير ، قال : أجل .

ورواه النسائيُّ في « اليوم والليلة »(٣) من حديث ابن جُريج ، به .

وهذا كان بعد الفتح ؛ فإن العَبَّاس إنما قدم المدينة بعد الفتح .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٤) : ثنا إسماعيل ، ثنا حبيب بن الشَّهيد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر إذ تلقَّينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن العباس ؟ قال : نعم . فحملنا وتركك .

هكذا رأيته في « المسند » ، وكأنه غلط في النسخة ، فإنه من مسند عبد الله بن جعفر ، فصوابه : قال : قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن جعفر : أتذكر إذ تلقَّينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن العباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك .

وبهذا اللفظ أخرجه البخاريُّ ، ومسلم(٥) من حديث حبيب بن الشَّهيد . وهذا يعدُّ من الأجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضاً ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح ، كما قدَّمنا بيانه ، والله أعلم .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٢٨) وأبو داود رقم (٢٥٦٦) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٤٢٤٦) وابن ماجة رقم (٣٧٧٣) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٥) ، وهو حديث حسن .

(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٠٩٠٥) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/٢٠٣) .

(٥) رواه البخاري رقم (٣٠٨٢) ومسلم رقم (٢٤٢٧) وقد جاء الحديث عند مسلم مقلوباً ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » في ذلك منبِّهاً : جعل ـ يعني مسلم ـ المستفهِم عبد الله بن جعفر ، والقائل « فحملنا » عبد الله بن الزبير ، والذي في « صحيح البخاري » أصح .

فصل

في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة ؛ زيد وجعفر وعبد الله ،

[رضي الله عنهم]

أما زيد بن حارثة[١] بن شَرَاحيلَ بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرئ القيس بن عامر بن النّعمان بن عامر بن عبد ودٍّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرَة بن زيد اللّات بن رُفَيدة بن ثَور بن كلب بن وَبَرَةَ بن تَغْلِبَ بن حُلْوَان بن عِمْرَان بن الحافِ بن قُضَاعة الكلبيُّ القضاعي ، مولى رسول الله ﷺ ؛ وذلك أن أُمَّه ذهبت تزور أهلها ، فأغارت عليهم خيل بلقَين فأخذوه ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمَّته خديجة بنت خويلد . وقيل : اشتراه رسول الله ﷺ لها ، فوهبته من رسول الله قبل النبوة ، فوجده أبوه ، فاختار المقام عند رسول الله ﷺ ، فأعتقه وتبنَّاه فكان يقال له : زيد بن محمد ، وكان رسول الله ﷺ يحبُّه حُبّاً شديداً ، وكان أول من أسلم من الموالي ، ونزل فيه آيات من القرآن ؛ منها قوله [تعالى] : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤] . وقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥] .

وقوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وقوله : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى ﴿ أنعم الله عليه ﴾ أي بالإسلام ، ﴿ وأنعمتَ عليه ﴾ أي بالعِتْقِ ، وقد تكلَّمنا عليها في « التفسير »[٢] .

والمقصود أن الله تعالى لم يسمِّ أحداً من الصحابة في القرآن غيره ، وهداه إلى الإسلام ، وأعتقه رسول الله ﷺ ، وزوَّجه مولاته أمَّ أيمن ، واسمها بركة ، فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له : الحِبُّ بن الحِبِّ . ثم زوَّجه بابنة عمَّته زينب بنت جحش ، وآخى بينه وبين عمِّه حمزة بن عبد المطلب ، وقدَّمه في الإمرة على ابن عمِّه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة ، كما ذكرناه .

وقد قال الإمام أحمد[٣] ، والإمام الحافظ أبو بكر بن أبي شَيبة ـ وهذا لفظه ـ : ثنا محمد بن عُبيد ،

---

(١) ترجمته في « الاستيعاب » (٤/ ٤٧) و« تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٠٢) و« جامع الأصول » (١٤/ ١٠٥) و« أسد الغابة » (٢/ ٢٨١) و« الإصابة » (١/ ٥٦٣) و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٢٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) بتحقيقي .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » (٦/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩ و٤١٩ ـ ٤٢٦) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٢٦) وابن أبي شيبة في « المصنّف » رقم (١٨٨٢٤) .

عن وائل بن داود ، سمعت البَهِيّ[١] يُحَدِّث أن عائشة كانت تقول : ما بَعَثَ رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة في سريةٍ إلَّا أمَّره عليهم ، ولو بقي بعده لاستخلفه .

ورواه النسائيُّ[٢] ، عن أحمد بن سليمان ، عن محمد بن عبيد الطَّنافسيِّ ، به ، وهذا إسناد جيد قويٌّ على شرط الصحيح ، وهو غريب جداً ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا سليمان ، ثنا إسماعيل ، أخبرني ابن دينار ، عن ابن عمر ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً ، وأمَّر عليهم أُسامةَ بن زيد ، فطعن بعض الناس في إمرته ، فقام رسول الله ﷺ فقال : « إنْ تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل ، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ ، وإن هذا لمن أَحبِّ الناس إليَّ بعده » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[٤] عن قُتيبة ، عن إسماعيل ـ هو ابن جعفر بن أبي كثير المدنيُّ ـ عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر . . . فذكره .

ورواه البخاريُّ[٥] من حديث موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن أبيه .

ورواه البزّار من حديث عاصم بن عمر ، عن عبيد الله بن عمر العُمَريِّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ثم استغربه من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزّار[٦] : ثنا عمر بن إسماعيل [بن مجالد ، حدثني أبي] عن مجالد ، عن الشعبيِّ ، عن مَسروق ، عن عائشة قالت : لما أُصيب زيد بن حارثة ، جيء بأُسامة بن زيد ، فأُوقف بين يدي رسول الله ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فأُخِّرَ ، ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال : « أُلاقي [مِنْكَ] اليوم ما لقيت منك أَمس » وهذا الحديث فيه غَرَابة ، والله أعلم .

وقد تقدم في « الصحيحين »[٧] أنه لما ذكر مُصَابهم وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ فوق المنبر ، جعل يقول : « أَخَذَ الراية زَيد فأُصيب ، ثم أَخذها جعفر فأُصيب ، ثم أخذها [عبد الله] بن رَوَاحَة [فأُصيب] ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم » . قال : وإن عينيه لتَذْرِفَان . وقال : «وما يسرُّهم أنهم عندنا» .

---

(١) وهو (عبد الله مولى مصعب بن الزبير) . انظر « خلاصة تذهيب تهذيب الكمال » للخزرجي (٣/ ٣٤٧) .
(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨١٨٢) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١١٠) .
(٤) رواه البخاري رقم (٦٦٢٧) ومسلم رقم (٢٤٢٦) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٤٦٨) .
(٦) كما في « كشف الأستار عن زوائد البزّار » رقم (٢٦٧٥) وفيه عمر بن إسماعيل بن مجالد وهو متروك ، كما قال الحافظ في « التقريب » .
(٧) هو عند البخاري رقم (٤٢٦٢) وليس هو عند مسلم ، كما أومأ إليه المصنف سابقاً .

وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة ، فهم ممن يقطع لهم بالجنَّة[١] .

وقد قال حَسَّان بن ثابت[٢] يرثي زيد بن حارثة وابن رَوَاحَة : [من الخفيف]

عَينُ جُودي بدمعِكِ المنزُورِ ... واذكُري في الرَّخاءِ أَهْلَ القُبُورِ
واذكري مُؤْتَةَ وما كان فيها ... يوم راحوا في وقعة التَّغويرِ
حينَ راحوا وغادروا ثَمَّ زَيداً ... نعم مَأوى الضَّريكِ[٣] والمأسورِ
حِبَّ خير الأنام طُرّاً جميعاً ... سَيِّدِ الناس حُبُّهُ في الصُّدورِ
ذاكُمُ أحمدُ الذي لا سِوَاهُ ... ذاك حُزْني له معاً وَسُرُوري
إنَّ زيداً قد كان مِنَّا بأمرٍ ... ليس أَمْرَ المُكَذَّب المَغْرورِ
ثم جُودي للخَزْرجيِّ بدمعٍ ... سَيِّداً كان ثَمَّ غير نَزُورِ
قد أَتَانَا من قتلهم ما كَفَانَا ... فَبحُزنٍ نَبِيتُ غيرِ سرورِ

وأما جعفر بن أبي طالب[٤] بن عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عُمِّ رسول الله ﷺ ، وكان أكبر من أخيه عليٍّ بعشر سنين ، وكان عَقيلٌ أَسَنَّ من جعفر بعشر سنين ، وكان طَالب أَسَنَّ من عَقيلٍ بعشر سنين ، أسلم جعفرٌ قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، وكانت له هنالك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدَّمنا ذلك في هجرة الحبشة ، ولله الحمد . وقد قَدِم على رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام : « ما أدري بأيهما أنا أسر ؛ أبقدوم جعفرٍ ، أم بفتح خيبر ؟ » وقام إليه واعتنقه وقبَّل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية : « أشبهت خَلقي وخُلقي » . فيقال : إنَّه حجل عند ذلك فرحاً . كما تقدَّم ذلك في موضعه . ولله الحمد والمنة . ولمَّا بعثه إلى مؤتة جعله في الإمرة مصلِّياً ـ أي : ثانياً ـ لزيد بن حارثة ، ولمَّا قتل وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في ذلك كلِّه مقبل غيرُ مدبر ، وكانت قد قطعت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك اللواء ، فلمَّا فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال : إنَّ رجلاً من الرُّوم ضربه بسيف فقطعه باثنتين ، رضي الله عن جعفر ولعن قاتله . وقد أَخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد ، فهو ممن يُقطع له بالجنَّة ، وجاء في الأحاديث تسميته بذي الجَنَاحين .

---

(١) وقد خرجه المصنف من كتاب « دلائل النبوة » للبيهقي .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٩٥) مع بعض الخلاف اليسير .
(٣) الضريك : الفقير السَّيِّىء الحال .
(٤) ترجمته في « الاستيعاب » (٢/ ١٤٩) و« تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ١٤٨) و« جامع الأصول » (١٣/ ٢٤٦) بتحقيقي و« أسد الغابة » (١/ ٣٤١) و« الإصابة » (١/ ٨٥) و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٠٦) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) بتحقيقي .

وروى البخاريُّ[١] ، عن ابن عُمَرَ أنَّه كان إذا سَلَّم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا بن ذي الجَنَاحَين .

وبعضهم يرويه عن عمر بن الخَطَّاب نفسِه ، والصحيح ما في « الصحيح » عن ابن عمر .

قالوا : لأن الله تعالى عَوَّضه عن يديه بجَنَاحين في الجَنَّة ، وقد تقدَّم بعض ما رُوي في ذلك .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذيُّ[٢] : ثنا عليُّ بن حجر ، ثنا عبد الله بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة » .

وتقدَّم في حديث أنَّه ، رضي الله عنه ، قُتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة .

وقال ابن الأثير في « الغابة »[٣] : كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين سنة . قال : وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل : إنَّه كان أسنَّ من عليٍّ بعشر سنين . يقتضي أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة ؛ لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة ، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة ، والله أعلم .

وقد كان يقال لجعفر بعد قتله : الطَّيَّار . لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدَّحاً ، وكان لكرمه يُقال له : أبو المَسَاكين ، لإحسانه إليهم .

قال الإمام أحمد[٤] : ثنا عفَّان ، ثنا وُهيب ، ثنا خالد ، عن عِكْرمة ، عن أبي هُريرة قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ، ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضلُ من جعفر بن أبي طالب . وهذا إسناد جيِّد إلى أبي هريرة ، وكأنه [إنَّما] يفضِّله في الكَرَم ، فأما في الفضيلة الدِّينية ، فمعلوم أنَّ الصِّديق والفَاروق بل وعثمان بن عفَّان أفضل منه ، وأمَّا أخوه عليٌّ ، رضي الله عنهما ، فالظَّاهر أنَّهما متكافئان ، أو عليٌّ أفضل منه .

وإنَّما أراد أبو هُريرة تفضيله في الكرم ، بدليل ما رواه البخاريُّ[٥] ؛ ثنا أحمد ابن أبي بكر ، ثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجُهَنيُّ ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المَقْبُريِّ ، عن أبي هُريرة أنَّ

---

(١) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٩) و(٤٢٦٤) .

(٢) في « جامعه » رقم (٣٧٦٣) ، وهو حديث حسن بشواهده ، من حديث ابن عمر ، وابن عباس وعلي بن أبي طالب ، والبراء ، وغيرهم .

(٣) يعني « أُسد الغابة في معرفة الصحابة » وهو فيه (١/ ٣٤٤) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤١٣) .

(٥) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٨) .

الناس كانوا يقولون : أكثر أبو هريرة ، وإنِّي كنت ألزم رسول الله ﷺ بشِبَع بطني حين لا آكل الخمير ، ولا ألبس الحرير ، ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت أُلصق بطني بالحصباء من الجوع ، وإنِّي كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي ؛ كي ينقلب [بي] فيطعمني ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليُخرج إلينا العكَّة التي ليس فيها شيء فنشقُّها فنلعق ما فيها . تفرَّد به البخاريُّ .

وقال حسَّان [بن ثابت] يرثي جعفراً[١] : [من الكامل]

ولقد بَكيتُ وَعَزَّ مَهْلِكُ جعفرٍ ... حبِّ النبيِّ على البريَّة كُلِّهَا
ولقد جَزِعْتُ وقُلْتُ حين نُعِيْتَ لي ... مَن للجِلادِ لدى العُقَاب وظِلِّهَا
بالبيض حين تُسَلُّ من أَغمادِهَا ... ضرباً وإنهال الرِّماح وعلِّهَا
بعد ابنِ فَاطمةَ المُبَاركِ جعفرٍ ... خيرِ البريَّة كُلِّهَا وأجلِّهَا
رُزْءاً وأَكرَمِهَا جميعاً مَحْتِداً ... وأعزِّهَا متظلِّماً وأذلِّهَا
للحَقِّ حين يَنُوب غير تَنَحُّلٍ ... كَذِباً وأنداهَا يَداً وأقلِّهَا
فُحْشاً وأكثرها إذا ما يُجتدى ... فَضْلاً وأبذَلِهَا ندىً وأبلِّهَا
بالعرفِ غيرَ مُحمدٍ لا مثلُه ... حَيٌّ مِنَ احياء البريَّة كُلِّهَا

وأمَّا ابن رَوَاحَة ، فهو عبد الله بن رَوَاحَة[٢] بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغرِّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج أبو محمد ـ ويقال : أبو رواحة . ويقال : أبو عمر ـ الأنصاريُّ الخزرجيُّ ، وهو خال النعمان بن بشير ، أخته عمرة بنت رواحة ، أسلم قديماً وشهد العقبة ، وكان أحد النُّقباء ليلتئذ لبني الحارث بن الخزرج ، وشهد بدراً وأُحداً والخندق والحديبية وخيبر ، وكان يبعثه صلى الله عليه وسلم على خرصها كما قدَّمنا ، وشهد عمرة القضاء ، ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ ـ وقيل : بغرزها . يعني الرِّكاب ـ وهو يقول :

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله

الأبيات ، كما تقدَّم .

وكان أحد الأمراء الشهداء يوم مؤتة ، كما تقدَّم ، وقد شجَّع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٢٣) مع بعض الخلاف اليسير .
(٢) ترجمته في « الاستيعاب » (٣/ ٨٩٨) و« تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٦٥) و« الإصابة » (٢/ ٣٠٦) و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٣٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) بتحقيقي .

ذلك ، وشجَّع نفسه أيضاً حتى نزل بعدما قتل صاحباه ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة ، فهو ممن يقطع له بدخول الجنة . ويروى أنَّه لمَّا أنشد النبيَّ ﷺ شعره ـ حين ودَّعه ، الذي يقول فيه : [من البسيط]

فثبَّت الله ما أتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالَّذي نُصروا ـ

قال رسول الله ﷺ : « وأنت فثبَّتك الله » .

قال هشام بن عروة : فثبَّته الله حتى قتل شهيداً ودخل الجنَّة .

وروى حَمَّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أنَّ عبد الله بن رَوَاحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا » . فجلس مكانَه خارجاً من المسجد ، حتى فرغ النبيُّ من خطبته ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » .

وقال البخاريُّ في « صحيحه »[(١)] :

وقال مُعاذ : اجلس بنا نؤمن ساعة .

وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك ، عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك ، فقال الإمام أحمد[(٢)] : حدَّثنا عبد الصمد ، عن عمارة ، عن زياد النُّميريِّ ، عن أنس قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربِّنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء فقال : يا رسول الله ، ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبيُّ ﷺ : « يرحم الله ابن رواحة ، إنه يحبُّ المجالس التي تتباهى بها الملائكة » . وهذا حديث غريب جداً .

وقال البيهقيُّ : أنبأ الحاكم ، أنبأ أبو بكر ، أنبأ محمد بن أيوب ، أنبأ أحمد بن يونس ، ثنا شيخ من أهل المدينة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار أنَّ عبد الله بن رواحة قال لصاحب [له] : تعال [حتى] نؤمن ساعة . قال : أولسنا بمؤمنين ؟ قال : بلى ، ولكنَّا نذكر الله فنزداد إيماناً .

وقد روى الحافظ أبو القاسم اللَّالكائيُّ ، من حديث أبي اليمان ، عن صفوان بن سُلَيم ، عن شريح بن عبيد ، أنَّ عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول : قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر . وهذا مرسل من هذين الوجهين ، وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول « شرح البخاري » . ولله الحمد والمنة .

---

(١) في الباب قبل الحديث رقم (٨) في الإيمان : باب الإيمان وقول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » تعليقاً ، ووصله أبو بكر بن أبي شيبة في « مصنَّفه » (١١/ ٢٦) و(١٣/ ٣٤٦) عن الأسود بن هلال قال : قال لي معاذ بن جبل : اجلس بنا نؤمن ساعة ، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١/ ٤٨) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٦٥) ، وإسناده ضعيف .

وفي « صحيح [البخاري] »[(١)] عن أبي الدَّرداء قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر في حرٍّ شديد ، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة . رضي الله عنه . وقد كان من شعراء الصَّحابة المشهورين .

وممَّا نقله البخاريُّ[(٢)] من شعره قوله في رسول الله ﷺ[(٣)] : [من الطويل]

وَفِينا رسولُ الله يتلو كتابَهُ ... [إذا] انشقَّ معروف من الفجر ساطعُ
يَبِيتُ يُجافي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ ... إذا استَثْقَلَتْ بالمشركين المَضَاجِعُ
أتى بالهُدى بعد العمى فَقُلوبُنَا ... به مُوقِناتٌ أنَّ ما قال واقعُ

وقال البخاريُّ[(٤)] : ثنا عِمْرَان بن مَيْسَرة ، ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عامر ، عن النعمان بن بشير قال : أغمي على عبد الله بن رواحة ، فجعلت أخته عمرة تبكي : واجبلاه ، واكذا ، واكذا تعدِّد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي : أنت كذلك ؟!

ثنا قُتيبة ، ثنا عَبْثَرٌ ، عن حصين ، عن الشعبيِّ ، عن النعمان بن بشير قال : أُغمي على عبد الله بن رواحة . . . بهذا ، فلمَّا مات لم تبك عليه .

وقد قدَّمنا ما رثاه به حسان بن ثابت مع غيره .

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع ، رضي الله عنهم :

كفى حزناً أنِّي رجعت وجعفر ... وزيد وعبد الله في رَمس أقبُرِ
قضوا نحبهم لمَّا مضوا لسبيلهم ... وخلِّفت للبلوى مع المتغبِّرِ

وسيأتي إن شاء الله تعالى بقية ما رثي به هؤلاء الأمراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، رضي الله عنهما وأرضاهما .

فصل
في ذكر من استشهد يوم مُؤْتَةَ من المسلمين[(٥)]

فمن المهاجرين : جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زَيد بن حارثة [الكلبيُّ] ومسعود بن الأسود بن

(١) صحيح البخاري رقم (١٩٤٥) ، ورواه مسلم في « صحيحه » أيضاً رقم (١١٢٢) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١١٥٥) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص(١٦٢) مع بعض الخلاف والتقديم والتأخير ، ومع بيت رابع هو :
وأعلم عِلماً ليس بالظنّ أنني ... إلى الله محشورٌ هناك وراجِعُ
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٧) و(٤٢٦٨) .
(٥) انظر « جوامع السيرة » لابن حزم ص(٢٢٢) وقد زاد على ما ذكره المؤلف شهداء آخرين .

حارثة بن نضلة العَدَويُّ ، وَوَهْب بن سعد بن أبي سَرْح ، فهؤلاء أربعة نفر .

ومن الأنصار : عبد الله بن رَوَاحَة ، وعبَّاد بن قيس الخزرجيّان ، والحارث بن النُّعمان بن إساف بن نَضْلَة النجّاريُّ ، وسُرَاقة بن عمرو بن عطيَّة بن خَنْسَاء المازنيُّ ، أربعة نفر .

فمجموع من قتل من المسلمين يومئذٍ هؤلاء الثمانية ، على ما ذكره ابن إسحاق (١) .

لكن قال ابن هشام (٢) : وممَّن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكره ابن شِهَاب الزّهريُّ ، أبو كُلَيب ، وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيَّان ، وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو ، وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عبَّاد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى . فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً (٣) ، فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلاً ، وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين ؛ أحدهما ، وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله ، عدَّتها ثلاثة آلاف مقاتل ، وأخرى كافرة عدَّتها مئتا ألف مقاتل ؛ من الروم مئة ألف ، ومن نصارى العرب مئة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ، ثم مع هذا كله لا يُقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً ، وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول : لقد اندقَّت في يدي يومئذ تسعة أسياف ، وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية . فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلِّها ؟! دع غيره من الأبطال والشجعان ، من حَمَلَةِ القرآن ، وقد تحكَّموا في عبدة الصُّلبان ، عليهم لعائن الرحمن ، في ذلك الزمان ، وفي كلِّ أوان . وهذا مما يدخل في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران : ١٣] .

***

حديثٌ

فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السَّريَّة

وهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رَوَاحة ، رضي الله عنهم .

قال الإمام العالم الحافظ أبو زُرْعَة عُبَيْدُ الله (٤) بن عبد الكريم الرَّازيّ ـ نضَّر الله وجهه ـ في كتابه

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) .
(٣) وهو ما ذكره ابن حزم في « جوامع السيرة » .
(٤) في (آ) و(ط) : « عبد الله » وهو خطأ ، والتصحيح من « شذرات الذهب » (٣/ ٢٧٨) بتحقيقي .

« دلائل النبوة » وهو كتاب جليل[١] ـ : ثنا صَفْوان بن صالح الدمشقيُّ ، ثنا الوليد ، ثنا ابن جابر .

(ح) وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ، ثنا الوليد وعمرو ـ يعني ابن عبد الواحد ـ قالا : ثنا ابن جابر ، سمعت سُلَيم بن عامر الخبائريَّ يقول : أخبرني أبو أمامة الباهليُّ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان ، فأخذا بضَبْعيَّ فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا : اصعد . فقلت : لا أطيقه . فقالا : إنَّا سنسهله لك . قال : فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت : ما هؤلاء الأصوات ؟ فقالا : عواء أهل النار . ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم معلَّقين بعراقيبهم ، مشقَّقة أشداقهم ، تسيل أشداقُهم دماً ، فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلَّة صومهم » . فقال : « خابت اليهود والنصارى » . قال سُليم : [لا أدري] أسمعه من رسول الله ﷺ أم من رأيه « ثم انطلقا بي ، فإذا قوم أشدُّ شيء انتفاخاً ، وأنتنُ شيء ريحاً ، كأنَّ ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء قتلى الكفار . ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم أشد [شيء] انتفاخاً ، وأنتن شيء ريحاً ، كأنَّ ريحهم المراحيض . قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء الزانون والزواني ، ثم انطلقا بي ، فإذا بنساءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهُنَّ الحيات ، فقلت : ما بال هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن . ثم انطلقا بي ، فإذا بغِلْمَان يلعبون بين بحرين ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء ذراريُّ المؤمنين . ثم أشرفا بي شرفاً ، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم ، فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة . ثم أشرفا بي شرفاً آخر ، فإذا أنا بنفر ثلاثة ، فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، عليهم السلام ، وهم ينتظرونك »[٢] .

***

فصل
فيما قيل من الأشعار في غَزْوَة مُؤْتَة

قال ابن إسحاق[٣] : وكان مما بُكِي به أصحاب مؤتة قول حَسَّان[٤] : [من الطويل]

تـأوّبنـي ليـلٌ بيثـربَ أَعسـرُ ... وهـمٌّ إذا مـا نـوّم النـاس مسهـرُ

(١) قلت : وهو مخطوط لم يطبع بعد فيما أعلم .
(٢) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » رقم (١٩٨٦) وعنه ابن حبان في « صحيحه » رقم (٧٤٩١) وإسناده صحيح . وذكره بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » رقم (٧٦٦٧) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ٧٦ ـ ٧٧) : « ورجاله رجال الصحيح » .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٣) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٩٨) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

لـذكـرى حبيـبٍ هَيَّجَـتْ لـي عَبـرةً ... سَفُـوحـاً وأسبـابُ البُكـاء التَّـذَكُّـرُ
بلـى إنّ فُقـدان الحبيـبِ بليّـةٌ ... وكـم مـن كـريـم يُبتلـى ثـم يَصْبِـرُ
رأيـت خيـارَ المسلميـن تـواردوا ... شعـوبـاً وخلفـاً بعـدهـم يتـأخـرُ
فـلا يُبْعِـدَنَّ الله قتلـى تتـابعـوا ... بمـؤتـة منهـم ذو الجنـاحيـن جعفـرُ
وزيـد وعبـد الله حيـن تتـابعـوا ... جميعـاً وأسبـاب المنيّـة تخطـرُ
غـداة مضَـوا بـالمـؤمنيـن يقـودهـم ... إلـى المـوت ميمـون النقيبـة أزهـرُ
أغـرُّ كضـوء البـدر مـن آل هـاشـم ... أبـيّ إذا سيـم الظـلامـة مجسـرُ
فَطَـاعَـنَ حتّـى مَـالَ غيـر مـوسّـدٍ ... بمعتـرَك فيـه القنـا مُتَكَسِّـرُ
فَصَـارَ مـع المستشهـديـن ثَـوَابُـهُ ... جِنَـانٌ وملتـفّ الحـدائـقِ أَخضـرُ
وكنـا نـرى فـي جعفـر مِـنْ محمـدٍ ... وفـاءً وأَمـراً حـازمـاً حيـن يـأمـرُ
وما زال في الإسلام من آل هاشمٍ ... دعـائـمُ عـزّ لا يُـزلْـن ومفخـرُ
هُمُ جبل الإسلام والناس حولهم ... رِضـام إلـى طـود يـروق ويقهـرُ
بهـاليـلُ منهـم جعفـر وابـن أمـه ... علـيّ ومنهـم أحمـد المتخيَّـرُ
وحمـزة والعبّـاس منهـم ومنهـمُ ... عقيل وماء العود من حيث يُعصرُ
بهـم تفـرجُ الـلأواء فـي كـلّ مـأزق ... عَمَاسٍ إذا ما ضَاقَ بالناس مَصْدَرُ
هُـمُ أوليـاء الله أنـزل حكمَـه ... عليهـم وفيهـم ذا الكتـاب المطهّـرُ

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه(١) : [من الكامل]

نـام العيـونُ ودمـعُ عينـك يهمُـلُ ... سَحّـاً كمـا وَكَـفَ الطِّبـابُ المُخضِـلُ
فـي ليلـة وردت علـيَّ هُمُـومُهَـا ... طـوراً أَحِـنُّ وتـارةً أتمَلمـلُ
واعتـادنـي حُـزْنٌ فبِـتّ كـأنّنـي ... ببنـاتِ نعـشٍ والسِّمَـاكُ مُـوَكَّـلُ
وكـأنمـا بيـن الجَـوانِـحِ والحَشَـا ... ممّـا تـأوَّبنـي شِهَـابٌ مُـدْخَـلُ
وَجـداً علـى النّفـر الـذيـن تتـابعـوا ... يـومـاً بمـؤتـة أسنـدوا لـم ينقلـوا
صلـى الإلـه عليهـمُ مـن فتيـةٍ ... وسقـى عِظَـامَهُـمُ الغَمَـامُ المسبـلُ
صبـروا بمُـؤْتَـةَ لـلإلـه نفـوسهـمْ ... حَـذَرَ الـرّدى ومَخَـافَـةً أن يَنْكُلُـوا
فمَضَـوا أمـام المسلميـن كـأنّهـم ... فُنُـقٌ(٢) عليهـن الحـديـد المـرفـلُ
إذ يهتـدونَ بجعفـرٍ ولـوائـهِ ... قُـدَّام أولهـم فنعـم الأوّلُ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(٢٠٥ ـ ٢٠٦) .
(٢) الفنق : الفحول من الإبل ، الواحد فنيق .

حتى تفرجت الصفوف وجعفرٌ حيث التقى وعث الصفوف مجدّلُ
فتغيّر القمرُ المنيرُ لفقدهِ والشمسُ قد كَسَفَتْ وكادت تأفِلُ
قرْم علا بنيانه من هاشم فرعاً أشمّ وسؤددا ما ينقلُ
قوم بهم عَصَمَ الإلهُ عِبَادَهُ وعليهمُ نَزَلَ الكِتَابُ المنزلُ
فضلوا المعاشر عزّة وتكرّماً وتغمّدت أحلامهم من يجهلُ
لا يطلقون إلى السّفاه حُبُاهُمُ ويرى خطيبهمُ بحق يفصلُ
بيض الوجوه ترى بطون أَكُفِّهِمْ تندى إذا اعتَذَرَ الزَّمَانُ الممحلُ
وبهَدْيِهِمْ رضي الإلهُ لِخَلْقِهِ وبجدّهم نُصِرَ النَّبيّ المرسلُ

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم

يدعوهم إلى الله ، عزَّ وَجَلَّ ، وإلى الدخول في الإسلام[١]

ذكر الواقديّ[٢] أن ذلك كان في آخر سنة ستّ في ذي الحجَّة ، بعد عُمْرَة الحُديبية .

وذكر البيهقيّ[٣] هذا الفصل في هذا الموضع ، بعد غزوة مُؤْتَة ، والله أعلم . ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحُديبية ؛ لقول أبي سُفيان لِهرَقْلَ حين سأله : هل يَغْدرُ ؟ فقال : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها .

وفي لفظ للبخاري[٤] : وذلك في المدة التي مادّ[٥] فيها أبو سُفيان رسول الله .

---

(١) لتمام الفائدة فيما يتصل برسائل رسول الله ﷺ لملوك الأمم وزعماء القبائل راجع كتاب « إعلام السائلين عن كتب سيّد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ، بتحقيقي .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٤) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٧٦) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٧) .
(٥) أي : صالحهم إلى مدة استقرت بينهم . عن « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٢) .

وقال محمد بن إسحاق[١] : كان ذلك ما بين الحُدَيبية ووفاته ، عليه الصلاة والسلام . ونحن نذكر ذلك هاهنا ، وإن كان قول الواقدي محتملاً ، والله أعلم .

وقد روى مسلم[٢] ، عن يوسف بن حَمَّاد المعنيّ ، عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن سعيد بن أبي عَرُوْبَة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كتب قبل موته إلى كسرى وقَيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كلّ جَبَّار ؛ يدعوهم إلى الله ، عزّ وجلّ ، وليس بالنجاشيّ الذي صلّى عليه .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني الزّهريّ[٣] ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن عبد الله بن عباس ، حدثني أبو سفيان ، مِن فيه إلى فيّ ، قال : كنا قوماً تُجَّاراً ، وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلمّا كانت الهُدْنَة ـ هُدْنَة الحُدَيبية ـ بيننا وبين رسول الله ﷺ لم نأمن أن وجدنا أمناً ، فخرجْتُ تاجراً إلى الشام مع رهطٍ من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً إلا وقد حمّلني بضاعةً ، وكان وجه متجرنا من الشام غَزَّة من أرض فلسطين ، فخرجنا حتى قدمناها ، وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس ، فأخرجهم منها ، وردّ عليه صليبه الأعظم ، وقد كان استلبوه إياه ، فلمّا أن بلغه ذلك ، وقد كان منزله بحمص من أرض الشام ، فخرج منها يمشي متشكّراً إلى بيت المقدس ؛ليصلي فيه ، تُبسط له البسط ، وتطرح له عليها الرَّياحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلّى بها ، فأصبح ذات غداة وهو مهموم ، يقلّب طرفه إلى السماء ، فقالت بطارقته : أيها الملك ، لقد أصبحت مهموماً . فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أُريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهرٌ . فقالوا : والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن إلا اليهود ، وهم تحت يديك وفي سلطانك ، فإن كان قد وقع هذا في نفسك منهم ، فابعث في مملكتك كلّها ، فلا يبقى يهوديّ إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم . فإنهم في ذلك من رأيهم يدبرونه ، إذ أتاهم رسول صاحب بُصْرَى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك ، إن هذا رجل من العرب من أهل الشاء والإبل ، يحدثك عن حدث كان ببلاده ، فاسأله عنه . فلمّا انتهى إليه ، قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذي كان في بلاده ؟ فسأله فقال : رجل من العرب من قريش ، خرج يزعم أنه نبيّ ، وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن ، فخرجتُ من بلادي وهم على ذلك . فلمّا أخبره الخبر قال : جرّدوه . فإذا هو مختون ، فقال : هذا والله الذي قد أُريت ، لا ما تقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .

ثم إنه دعا صاحب شرطته ، فقال له : قَلِّب لي الشام ظهراً لبطنٍ ، حتى تأتيَ برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٥) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٧٧٤) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٦) و« دلائل النبوة » (٤/ ٣٨١) .

قال أبو سفيان : فوالله إنّي وأصحابي لَبِغزّة ، إذ هجم علينا ، فسألنا : ممّن أنتم ؟ فأخبرناه ، فساقنا إليه جميعاً ، فلمّا انتهينا إليه ، قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأغلف ـ يريد هرقل ـ قال : فلمّا انتهينا إليه قال : أيكم أمسّ به رحماً ؟ فقلت : أنا . قال : أدنوه مني . قال : فأجلسني بين يديه ثم أمر بأصحابي ، فأجلسهم خلفي ، وقال : إن كذب فردوا عليه .

قال أبو سفيان : فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردوا عليّ ، ولكنّي كنت امرءاً سَيّداً ، أتكرم وأستحي من الكذب ، وعرفت أنّ أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عنّي ، ثم يتحدثوا به عنّي بمكّة ، فلم أكذبه . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم . فزهَّدْتُ له شأنه ، وصَغّرت له أَمْرَهُ ، فوالله ما التفت إلى ذلك منّي ، وقال لي : أخبرني عما أسألك عنه من أمره . فقلت : سلني عما بدا لك ؟ فقال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت : محضاً[1] ، من أوسطنا نسباً . قال : فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله ، فهو يتشبّه به ؟ فقلت : لا . قال : فأخبرني هل كان له مُلك فاستلبتموه إيّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوه عليه ؟ قلت : لا . قال : فأخبرني عن أتباعه ، من هم ؟ فقلت : الأحداثُ والضّعفاء والمساكين ، فأمّا أشرافهم وذوو الأسنان[2] فلا . قال : فأخبرني عمّن يصحبه ، أيحبه ويلزمه ، أم يقليه ويفارقه ؟ قلت : قلّ ما صحبه رجل ففارقه . قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت : سِجَال ، يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرني هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً أغرّه به إلا هي ، قلت : لا ، ونحن منه في مدّة ، ولا نأمن غدره فيها ، فوالله ما التفت إليها مني . قال : فأعاد عليّ الحديث ، فقال : زعمتَ أنه [من] أمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النبيّ إذا أخذه ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبّه به ، فقلت : لا . وسألتك هل كان له مُلك فاستلبتموه إيَّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه ، فقلتَ : لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كلّ زمان ، وسألتك عمّن يتبعه ، أيحبه ويلزمه ، أم يَقليه ويفارقه ، فزعمت أنه قلّ من يصحبه فيفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان ، لا تدخل قلباً فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ، فزعمت أنها سِجَال ؛ يُدال عليكم وتدالون عليه ، وكذلك تكون حرب الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة ، وسألتك هل يغدر ، فزعمت أنه لا يغدر ، فلئن كنت صدقتني ، ليغلبنّ على ما تحت قدميّ هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه . ثم قال : الحَق بشأنك . قال : فقمت وأنا أضرب بإحدى يديّ على الأخرى ، وأقول : يا عباد الله ، لقد أَمِر أَمْرُ ابن أبي كبشة[3] ! أصبح ملوك بني

---

(١) أي : خالص النسب . انظر « لسان العرب » (محض) .
(٢) أي : كبار السنّ .
(٣) أي : كبر شأنه وعظم واتسع ، وكان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة ، لأن أبا كبشة الخزاعي ، واسمه وجز ، كان قد خالف قريشاً في عبادة الأوثان ، وعبد الشِّعرى العبور ، وهو النجم المعروف في نجوم السماء ، فلما=

الأصفر[١] يخافونه في سلطانهم .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدثني الزّهريّ قال : حدثني أُسقفٌ من النَّصارى ، قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دِحْيَةُ بن خليفة على هِرَقْل بكتاب رسول الله ﷺ فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هِرَقْلَ عظيم الرُّوم ، سَلَامٌ على من اتَّبَع الهُدَى .

أمّا بعد : فأسلِم تَسلَم ، وأَسلِم يؤتك الله أَجْرَكَ مَرَّتين ، فإن أَبَيْتَ فإنَّ إثم الأكّارين[٣] عَلَيْكَ » . قال : فلمّا انتهى إليه كتابه وقرأه ، أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته ، ثم كتب إلى رجل من أهل رُومية ، كان يقرأ من العِبْرَانِيّة ما يقرأ ، يخبره عما جاءه من رسول الله ﷺ ، فكتب إليه : إنه النبيُّ الذي ينتظر لا شك فيه ، فاتّبعه . فأمر بعظماء الرُّوم ، فجمعوا له في دَسْكرة[٤] ملكه ، ثم أمر بها فأشرجت عليهم ، واطلع عليهم من عِلِّيَة له وهو منهم خائف ، فقال : يا معشر الرُّوم ، إنه قد جاءني كتاب أحمد ، وإنه والله النبيّ الذي كُنَّا ننتظر ونجد ذكره في كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه ، فأسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم . فنخروا نَخرة رجل واحد ، وابتدروا أبواب الدَّسكرة فوجدوها مُغْلَقَةً دونهم ، فخافهم وقال : ردُّوهم عليَّ . فردّوهم عليه ، فقال لهم : يا معشر الرُّوم ، إني إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها ؛ لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، فلقد رأيت منكم ما سرَّني . فوقعوا له سُجَّداً ، ثم فتحت لهم أبواب الدَّسْكَرَة فخرجوا .

وقد روى البخاريُّ قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أُخر ، أحببنا أن نوردها بسندها وحروفها من « الصحيح » ؛ ليُعلم ما بين السياقين من التباين ، وما فيها من الفوائد .

قال البخاريُّ قبل الإيمان من « صحيحه »[٥] : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، ثنا شعيب ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مَسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره ، أن أبا سُفْيَان أخبره أن هِرَقْلَ أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تُجَّاراً بالشام في المدَّة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكُفّار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء[٦] ، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الرّوم ، ثم دعاهم

= خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأصنام شبّهوه به ، وقيل : كان جدَّ جدِّ النبي ﷺ لأمه ، أرادوا : أنه نزع إليه في الشبه . عن « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٣) .

(١) بنو الأصفر : هم الروم ، سمُّوا بذلك لما يعرض لألوانهم في الغالب من الصفرة . عن « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٣) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨٤) .

(٣) الأكارون : الذين يحرثون الأرض . انظر « القاموس المحيط » (أكر) .

(٤) الدَّسْكَرَة : بناء على هيئة القصر . انظر « النهاية » (٢/ ١١٧) .

(٥) رقم (٧) .

(٦) إيلياء : هي بيت المقدس . انظر « الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري ص(٦٨) .

ودعا بالتَّرجمان فقال : أيّكم أَقْرَبُ نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ ؟. قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً . قال : أدنوه مني ، وقرِّبوا أصحابه ، فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبني فكذِّبوه ، فوالله لولا أن يأثِروا عنِّي كذباً لكذبت عنه ، ثم كان أوَّل ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قطُّ قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتدُّ أحد منهم سَخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كُنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدَّة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال : ولم تمكنِّي كلمة أُدخِل فيها شيئاً غيرَ هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إيَّاه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سِجَالٌ ؛ ينال منَّا وننال منه . قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصِّدْق والعَفَاف والصِّلة . فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه ، فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرُّسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله ، فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت : رجل يتأسَّى بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك ، فذكرت أن لا ، فلو كان من آبائه من ملك ، قلت : رجل يطلب مُلْكَ أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذَر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتدُّ أحد منهم سَخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرُّسل لا تغدِر . وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصّدق والعَفَاف ، فإن كان ما تقول حقاً ، فسيملك موضع قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظنُّ أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص إليه ، لتجشَّمت لقاءه ، ولو كنت عنده ، لغَسّلْتُ عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دِحْيَةَ إلى عظيم بُصرى ، فدفعه إلى هرقل ، فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ عبد الله ورسولهِ إلى هِرَقْلَ عظيم الرُّوم ، سَلَامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسْلَم ، يؤتك الله أجرك مَرَّتين ، فإن توليتَ فإنّ عليك إثم الأريسيِّين[١] ، و : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ

---

(١) أي : الفلاحين . انظر « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤][١] .

قال أبو سفيان : فلمَّا قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصَّخب ، وارتفعت الأصوات ، وأُخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أُخرجنا : لقد أَمِرَ أمْرُ ابن أبي كَبْشَة ! إنَّه يخافه مَلِكُ بني الأصفر ! فما زلت موقناً أنَّه سيظهر ، حتى أدخل الله عليَّ الإسلام . قال : وكان ابن النَّاطور ـ صاحب إيلياء وهرقل ـ سُقُفّاً على نصارى الشام، يُحَدِّثُ أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيثَ النَّفس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك . قال ابن الناطور : وكان هرقل حَزَّاءً ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إنِّي رأيت حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمَّنَّك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود . فبينما هم على أمرهم، أتي هرقل برجل أَرسل به ملك غسَّان ، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلمَّا استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدثوه أنَّه مختتن. وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون. فقال هرقل : هذا مُلْك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم ، وسار هرقل إلى حمص، فلم يَرِم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه ، يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبيٌّ ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلِّقت ، ثم اطَّلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرُّشد ، وأن يثبُت لكم مُلككم ، فتبايعوا لهذا النبيِّ . فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلِّقت، فلمَّا رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان قال: ردُّوهم عليَّ. وقال : إني إنما قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدَّتكم على دينكم ، فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل . قال البخاري : ورواه صالح بن كيسان ، ويونس ، ومعمر ، عن الزهريِّ .

وقد رواه البخاريُّ في مواضع كثيرة في « صحيحه » بألفاظ يطول استقصاؤها[٢] .

وأخرجه بقية الجماعة ، إلا ابن ماجه ، من طرق عن الزُّهريِّ[٣] .

وقد تكلَّمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا لـ « صحيح البخاريِّ » بما فيه كفاية ، وذكرنا فيه من الفوائد والنُّكت المعنوية واللفظية ، ولله الحمد والمنَّة .

---

(١) انظر نصّ الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص(٧٠) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٢) ومنها في الأرقام (٢٩٤١) و(٤٥٥٣) و(٢٨٠٤) و(٢٩٤١) و(٢٩٧٨) و(٦٢٦٠) وغيرها .

(٣) رواه مسلم رقم (١٧٧٣) وأبو داود رقم (٥١٣٦) والترمذي رقم (٢٧١٧) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٠٦٤) .

وقال ابن لهيعة ، عن الأسود ، عن عُرْوَة قال[١] : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش ، وبلغ هرقل شأن رسول الله ﷺ ، فأراد أن يعلم ما يعلم من أمر رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه ، فأمره أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً ، منهم أبو سفيان بن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها ، فقال هرقل : أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ، ما أمره ؟ قالوا : ساحر كذاب ، وليس بنبيٍّ . قال : فأخبروني بأعلمِكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا : هذا أبو سفيان ابن عَمِّه ، وقد قاتله . فلمَّا أخبروه ذلك ، أمر بهم فأخرجوا عنه ، ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال : أخبرني يا أبا سفيان . فقال : هو ساحر كذاب . فقال هرقل : إني لا أريد شتمه ، ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو والله من بيت قريش . قال : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نعب له عقلاً ولا رأياً قط . قال هرقل : هل كان حَلاّفاً كذَّاباً مخادعاً في أمره ؟ قال : لا والله ما كان كذلك . قال : لعله يطلب مُلكاً أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان : لا . ثم قال : من يتبعه منكم هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال : لا . قال هرقل : هل يغدر إذا عاهد ؟ قال : لا ، إلا أن يغدر مدَّته هذه . فقال هرقل : وما تخاف من مدَّته هذه ؟ قال : إن قومي أمدُّوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة . قال هرقل : إن كنتم أنتم بدأتم فأنتم أغدر . فغضب أبو سفيان وقال : لم يغلبنا إلا مرة واحدة وأنا يومئذ غائب ـ وهو يوم بدر ـ ثم غزوته مرَّتين في بيوتهم ، نبقر البطون ، ونجدِّع الآذان والفروج . فقال هرقل : أكاذباً تراه أم صادقاً ؟ فقال : بل هو كاذب . فقال : إن كان فيكم نبي ، فلا تقتلوه ، فإنَّ أفعل الناس لذلك اليهود . ثم رجع أبو سفيان .

ففي هذا السياق غَرَابة ، وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ، ولا البخاريِّ . وقد أورد موسى بن عقبة في « مغازيه » قريباً مما ذكره عُروة بن الزُّبير ، والله أعلم .

وقال ابن جرير في « تاريخه »[٢] : ثنا ابن حُميد ، ثنا سلمة ، ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لِدِحْيَةَ بن خليفة الكلبيِّ حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ : والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ، ولكنِّي أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف ، فاذكر له أمر صاحبكم ، فهو والله في الروم أعظم منِّي ، وأجوز قولاً عندهم منِّي ، فانظر ماذا يقول لك ؟ قال : فجاءه دحية ، فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل ، وبما يدعو إليه ، فقال ضغاطر : صاحبك والله نبي مرسل ، نعرفه بصفته ، ونجده في كتابنا

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨٤) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٠) .

باسمه . ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً ، ولبس ثيابا بياضاً ، ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال : يامعشر الرُّوم ، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد ، يدعونا فيه إلى الله ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن أحمد عبده ورسوله . قال : فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فضربوه حتى قتلوه . قال : فلما رجع دحية إلى هرقل ، فأخبره الخبر ، قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ، فضغاطر والله كان أعظم عندهم ، وأجوز قولاً منِّي .

وقد روى الطبرانيُّ(١) من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه ، عن عبد الله بن شداد ، عن دحية الكلبيِّ قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قيصر صاحب الرُّوم بكتاب ، فقلت : استأذنوا لرسولِ رسولِ الله ﷺ . فأُتي قيصر فقيل له : إن على الباب رجلاً يزعم أنَّه رسول الله . ففزعوا لذلك ، فقال : أدخله . فأدخلني عليه وعنده بطارقته، فأعطيته الكتاب، فإذا فيه: « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم » . فنخر ابن أخ له أحمر أَزرق سبط ، فقال : لا تقرأ الكتاب اليوم ، فإنه بدأ بنفسه ، وكتب صاحبَ الرُّوم ، ولم يكتب ملكَ الرُّوم . قال : فقرئَ الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم فخرجوا من عنده ، ثم بعث إليَّ ، فدخلت عليه ، فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقفِّ فدخل عليه ، وكان صاحب أمرهم ، يصدرون عن رأيه وعن قوله ، فلمَّا قرأ الكتاب قال الأسقفُّ : هو والله الذي بشَّرنا به موسى وعيسى ، الذي كنا ننتظر . قال قيصر : فما تأمرني ؟ قال الأسقفُّ : أمَّا أنا فإنِّي مُصَدِّقه ومتَّبعه . فقال قيصر : أعرف أنَّه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، إن فعلتُ ذهب مُلْكي وقتلني الرُّوم .

وبه قال محمد بن إسحاق(٢) ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام قال : لمَّا أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينيَّة ؛ لِما بلغه من أمر النبيِّ ﷺ جمع الرُّوم فقال : يا معشر الرُّوم ، إني عارض عليكم أموراً ، فانظروا فيما أردت بها . قالوا : ما هي ؟ قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل ، نجده في كتابنا ، نعرفه بصفته التي وُصف لنا ، فهلمَّ فلنتَّبعه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا. فقالـوا : نحن نكون تحت أيدي العرب ، ونحن أعظم الناس ملكاً ، وأكثرهم رجالاً ، وأقصاهم بلداً ؟! قال : فهلمَّ أعطيه الجزية كلَّ سنة ، أكسر عنِّي شوكته ، وأستريح من حربه بما أعطيه إياه. قالوا: نحن نعطي العرب الذُّلّ والصغار بخرج يأخذونه منَّا، ونحن أكثر الناس عدداً، وأعظمهم ملكاً، وأمنعهم بلداً ؟! لا والله لا نفعل هذا أبداً . قال : فهلمَّ فلأصالحه على أنْ أُعطيه أرض سورية ، ويدعني وأرضَ الشام ـ قال : وكانت أرض سورية ؛ فلسطين ، والأردن ، ودمشق ، وحمص ، وما دون

---

(١) في « المعجم الكبير » رقم (٤١٩٨) وفيه يحيى بن سلمة بن كهيل وهو متروك ، ويحيى بن عبد الحميد الحِمّاني وهو ضعيف .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥١) .

الدرب من أرض سورية ، وما كان وراء الدَّرب عندهم فهو الشام ـ فقالوا : نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفتَ أنها سُرَّة الشام ؟! لا نفعل هذا أبداً . فلمَّا أبوا عليه قال : أما والله لتودُّن أنَّكم قد ظفرتم ، إذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال : ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرف على الدَّرب ، استقبل أرض الشام ، ثم قال : السلام عليكِ يا أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينيَّة ، والله أعلم .

* * *

ذكر

إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق[١] : ثم بعث رسول الله ﷺ شُجَاع بن وَهْب ، أخا بني أسد بن خُزيمة ، إلى المنذر بن الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانيِّ ، صاحب دمشق .

قال الواقديُّ[٢] : وكتب معه : « سَلاَمٌ على من اتَّبع الهُدى وآمنَ بهِ ، وأدعوكَ إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريكَ له ؛ يبقى لك مُلْكُكَ »[٣] ، فقدم شُجَاع بن وَهْب فقرأه عليه فقال : ومن ينتزع ملكي ؟ إنِّي سأسير إليه .

* * *

ذكر

بعثه ﷺ إلى كِسْرى مَلِكِ الفُرس

روى البخاريُّ[٤] من حديث اللّيث ، عن يونس ، عن الزُّهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبةَ ، عن ابن عبَّاس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى ، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزّقَهُ . قال : فحسبت أن ابن المُسَيّب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمَزّقوا كلّ مُمَزّقٍ .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٢) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٢) .
(٣) انظر نص الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص(١٠٦ ـ ١٠٨) بتحقيقي .
(٤) في « صحيحه » رقم (٧٢٦٤) .

وقال عبد الله بن وهب(١) ، عن يونس ، عن الزُّهريِّ ، حدثني عبد الرحمن بن عبد القاريُّ ، أنَّ رسول الله ﷺ قام ذات يومٍ على المنبر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وتشهَّد ثم قال : « أمَّا بعد : فإنِّي أُريد أن أبعث بعضكم إلى مُلُوك الأعاجم ، فلا تختلفوا عليَّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى ابن مريم » . فقال المهاجرون : يا رسول الله ، إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فمرنا وابعثنا . فبعث شُجَاع بن وَهْب إلى كسرى ؛ فأمر كسرى بإيوانه أن يزيَّن ، ثم أذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشُجَاع بن وَهْب ، فلما أن دخل عليه أمرَ كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يقبض منه ، فقال شُجَاع بن وهب : لا ، حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله ﷺ . فقال كسرى : ادنه . فدنا فناوله الكتاب ، ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه ، فإذا فيه : « من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس » . قال : فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه ، وصَاح وغضب ومَزَّق الكِتَاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشُجَاع بن وهب فأُخرج ، فلمَّا رأى ذلك قعد على راحلته ، ثم سار ، ثم قال : والله ما أُبالي على أيّ الطريقين أكون إذ أَدَّيت كتاب رسول الله ﷺ . قال : ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتُمس فلم يوجد ، فطُلِبَ إلى الحيرة فسَبَق ، فلما قدم شُجَاع على النبيِّ ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « مَزَّق كِسْرى مُلْكَهُ » .

وروى محمد بن إسحاق(٢) ، عن عبد الله بن أبي بكر ، [عن الزُّهريِّ] عن أبي سلمة ، أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى، فلما قرأه مزَّقه، فلما بلغ رسولَ الله ﷺ قال : « مزَّق ملكه » .

وقال ابن جرير(٣) : ثنا أحمد بن حُمَيد ، ثنا سلمة ، ثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : وبَعَثَ عبدَ الله بن حُذَافَةَ بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس ، وكتب معه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس ، سَلامٌ على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ؛ لأُنذر من كان حياً ، ويحقَّ القول على الكافرين ، فإن تُسلِمْ تَسلَمْ ، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك »(٤) قال : فلما قرأه شقَّه ، وقال : يكتب إليَّ بهذا وهو عبدي ؟! قال : ثم كتب كسرى إلى باذام ، وهو نائبه على اليمن ، أن ابعث إلى هذا الرجل

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨٧) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٥) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٤) .
(٤) انظر نص الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيّد المرسلين » لابن طولون ص(٦٦) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

بالحجاز رجلين من عندك جَلدين فليأتياني به . فبعث باذام قهرمانه ، وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس ، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له : خُرخرة . وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لأباذويه : ائت بلاد هذا الرجل وكلِّمه وأتني بخبره . فخرجا حتى قدما الطائف ، فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف ، فسألوه عنه فقال : هو بالمدينة . واستبشر أهل الطائف ـ يعني وقريش بهما ـ وفرحوا ، وقال بعضهم لبعض : أبشروا ، فقد نصِب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل . فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فكلَّمه أباذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك [كسرى] قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك لتنطلق معي ، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت ، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرِّب بلادك . ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما ، وقال : « ويلكما ! من أمركما بهذا ؟! » قالا : أمرنا ربُّنا . يعنيان كسرى ، فقال رسول الله ﷺ : « ولكنَّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي » . ثم قال : « ارجعا حتى تأتياني غداً » . قال : وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء ، بأن الله قد سلَّط على كسرى ابنه شيرويه ، فقتله في شهر كذا وكذا ، في ليلة كذا وكذا ؛ من الليل ؛ سُلِّط عليه ابنه شيرويه فقتله . قال : فدعاهما فأخبرهما فقالا : هل تدري ما تقول ؟! إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال : « نعم أخبراه ذلك عني ، وقولا له : إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى ، وينتهي إلى منتهى الخفِّ والحافر ، وقولا له : إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء » . ثم أعطى خُرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك ، فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل نبيّاً كما يقول ، وليكوننَّ ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فإنه نبيٌّ مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا . فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه : أما بعد ، فإني قد قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس ؛ لما كان استحلَّ من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قِبلك ، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه ، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال : وقد قال باذويه لباذام : ما كلَّمت أحداً أهيب عندي منه . فقال له باذام : هل معه شُرَط ؟ قال : لا .

قال الواقديُّ[١] ، رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء ، لعشر ليالٍ مضين من جمادى الأولى من سنة سبع من الهجرة ، لست ساعات مضت منها .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/٦٥٦) .

قلت : وفي شعر بعضهم ما يُرشد أن قتله كان في شهرٍ حَرامٍ ، وهو قول بعض الشعراء : [من الرمل]

قَتَلوا كسرى بليلٍ مُحْرِماً ... فتـولَّـى لـم يُمَتَّـع بكَفَـنْ

وقال بعض شعراء العرب : [من الوافر]

وكِسْرى إذ تقـاسمه بنُـوهُ ... بأسيافٍ كما اقتُسِمَ اللِّحامُ
تمخضت المنُونُ له بيومٍ ... أتـى ولكـلِّ حـاملـةٍ تَمَـامُ

وروى الحافظ البيهقي(١) من حديث حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن حُمَيد ، عن الحسن ، عن أبي بكرة ، أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ رَبّي قد قتل الليلة ربَّك » . قال : وقيل له ـ يعني النبيّ ﷺ ـ : إنه قد استخلف ابنته . فقال : « لا يُفْلِحُ قومٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ » .

قال البيهقيُّ(٢) : وروي في حديث دحية بن خليفة ، أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ﷺ رسل عامل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعَّد صاحب صنعاء ، ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني إلى دينه ؟ لتكفينَّه أو لأفعلنَّ بك . فبعث إليه ، فقال لرسله : « أخبروه أن ربي قد قتل ربَّه الليلة » . فوجدوه كما قال .

قال(٣) : وروى داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبيِّ نحو هذا .

ثم روى البيهقيُّ(٤) من طريق أبي بكر بن عيَّاش ، عن داود بن أبي هند ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : أقبل سعد إلى رسول الله ﷺ فقال : « إن في وجه سعد خبراً » . فقال : يا رسول الله ، هلك كسرى . فقال : « لعن الله كسرى ، أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب » .

قلت : الظّاهر أنه لما أَخبر رسول الله ﷺ بهلاك كسرى لذينك الرجلين ـ يعني الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام ـ فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به ، عليه الصلاة والسلام ، وشاع في البلاد ، وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع ، جاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بوفق إخباره ، عليه السلام ، وهكذا بنحو هذا التقدير . ذكره البيهقي ، رحمه الله .

ثم روى البيهقيُّ(٥) من غير وجه ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بُعث له ـ أو قيض له ـ عارض يعرض عليه الحقَّ ، فلم يفجأ كسرى إلا

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٠) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) .
(٣) يعني في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩١) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩١) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩١) .

برجل يمشي وفي يده عصا ، فقال : يا كسرى ، هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم ، لا تكسرها . فولَّى الرجل ، فلما ذهب ، أرسل كسرى إلى حجَّابه فقال : من أذن لهذا الرجل عليَّ ؟ فقالوا : ما دخل عليك أحد . فقال : كذبتم . قال : فغضب عليهم وتهدَّدهم ، ثم تركهم . قال : فلما كان رأس الحول ، أتى ذلك الرجل ومعه العصا ، قال : يا كسرى ، هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال : نعم ، لا تكسرها . فلما انصرف عنه دعا حجَّابه ، فقال لهم كالمرة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل ، معه العصا ، فقال له : هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكسر العصا ؟ فقال : لا تكسرها . فكسرها ، فأهلك الله كسرى عند ذلك .

وقال الإمام الشافعيُّ : أنبأنا ابن عُيينة ، عن الزُّهريِّ ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هُريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا هَلَكَ كِسرى فلا كِسْرى بعده ، وإذا هَلَكَ قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله » . أخرجه مسلم[١] من حديث ابن عُيينة ، وأخرجاه[٢] من حديث الزُّهريِّ ، به .

قال الشافعيُّ : ولما أُتي كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مَزَّقه ، فقال رسول الله ﷺ : « تَمَزَّقَ مُلْكُهُ » .

وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضعه في مَسْكٍ[٣] ، فقال رسول الله ﷺ : « ثَبَتَ مُلْكُهُ » .

قال الشافعيُّ وغيره من العلماء[٤] : ولمَّا كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة ، فأسلم من أسلم منهم ، شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام إلى رسول الله ﷺ فقال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » . قال : فباد مُلك الأكاسرة بالكُلِّية ، وزال مُلْكُ قيصر عن الشام بالكُلِّية ، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم حين عَظَّموا كتابه ، والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن مُلْكَ الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام ، وكانت العرب تُسمِّي قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الرُّوم ، وكسرى لمن ملك الفُرس ، والنجاشيُّ لمن ملك الحَبَشة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وفرعون لمن ملك مصر كافراً ، وبطليموس لمن ملك الهند ، ولهم أعلامُ أجناس غير ذلك ؛ وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ، والله أعلم .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٩١٨) (٧٥) .
(٢) يعني البخاري وهو عنده رقم (٣٦١٨) ومسلم وهو عنده رقم (٢٩١٨) (٧٥) .
(٣) المَسْكُ : الجلد . انظر « القاموس المحيط » (مسك) .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٤) .

وروى مسلم[١] ، عن قُتيبة وغيره ، عن أبي عَوَانة ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سَمُرَة قال : قال رسول الله ﷺ : « لتَفتحنَّ عِصَابَةٌ من المسلمين كُنُوزَ كسرى في القصر الأبيض » .

وروى أسباط ، عن سماك ، عن جابر بن سَمُرَة مثل ذلك[٢] ، وزاد : وكنت أنا وأبي فيهم ، فأصبنا من ذلك ألف درهم .

***

بعثه - ﷺ - [إلى] المُقَوقِس صاحب مدينة الإسكندرية واسمه جُرَيج بن مِيْنَا القِبْطِيُّ

قال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدَّثني الزُّهريُّ ، عن عبد الرحمن بن عبد القاريِّ ، أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إليه ، فَقَبَّلَ الكتاب ، وأكرم حاطباً وأحسن نزله ، وسرَّحه إلى النبيِّ ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة ، وبغلة بسرجها ، وجاريتين ؛ إحداهما أمُّ إبراهيم[٣] ، وأمّا الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد بن قيس العبدي . رواه البيهقي[٤] .

ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، عن جدِّه حاطب بن أبي بلتعة ، قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية . قال : فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في منزله وأقمت عنده ، ثم بعث إليَّ وقد جمع بطارقته ، وقال : إنِّي سائلك عن كلام ، فأحبُّ أن تفهم عني . قال : قلت : هَلُمَّ . قال : أخبرني عن صاحبك ، أليس هو نبيّاً ؟ قلت : بلى ، هو رسول الله . قال : فما له حيث كان هكذا ، لم يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال : فقلت : عيسى ابن مريم ، أليس تشهد أنَّه رسول الله ؟ قال : بلى . قلت : فما له حيث أخذه قومه ، فأرادوا أن يصلبوه ، ألَّا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لي : أنت حكيم ، قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسل معك ببذرقة يبذرقونك إلى مأمنك . قال : فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوار ، منهنَّ أمُّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حذيفة العدويِّ ،

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٩١٩) .
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٨٩) .
(٣) واسمها (مارية القبطية) . انظر ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٦٩) بتحقيقي .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٥) .

وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لحسَّان بن ثابت الأنصاريِّ[١] ، وأرسل إليه بطرف من طرفهم .

وذكر ابن إسحاق[٢] أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوارٍ ؛ إحداهنَّ مارية أمُّ إبراهيم ، والأخرى سِيْرين التي وهبها لحَسَّان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حَسَّان[٣] .

قلت : وكان في جملة الهديَّة غلام أسود خصي ، اسمه مأبور ، وخُفَّان ساذَجان أسودان ، وبغلة بيضاء اسمها الدُّلدل ، وكان مأبور هذا خصيّاً ، ولم يعلموا بأمره بادئ الأمر ، فصار يدخل على مارية ، كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ، ولا يعلمون بحقيقة الحال ، وأنَّه خصي ، حتى قال بعضهم : إنَّه الذي أمر رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب بقتله ، فوجده خصيّاً فتركه ، والحديث في « صحيح مسلم »[٤] .

قال ابن إسحاق[٥] : وبعث رسول الله ﷺ سَلِيطَ بن عمرو بن عبد ودٍّ ، أخا بني عامر بن لؤي ، إلى هَوذَة بن عليٍّ صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرميِّ ، إلى المنذر بن ساوى ، أخي بني عبد القيس ، صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندى وعمَّار[٦] بن الجُلَنْدى الأزديَّين ، صاحبي عُمَان .

***

غَزْوَةُ ذاتِ السّلاسِل[٧]

ذكرها الحافظ البيهقي[٨] هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعُروة بن الزّبير ، قالا : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسل من مشارف الشام في بَلِيٍّ ، وعبد الله ، ومن يليهم من قُضَاعَة ـ قال عُرْوَةُ بن الزّبير : بنو بَلِيٍّ أخوال العاص بن وائل ـ فلما صار إلى هناك خاف من كثرة

---

(١) وهو المشهور عند المؤرخين وأصحاب السِّير .
(٢) انظر « الذخائر والتحف » لابن الزُّبير ص(٦ ـ ٧) .
(٣) قال ابن الزبير في « الذخائر والتحف » ص(٧) : « وكان لهما شأن عظيم وجمال بارع ، لم يكن بمصر أحسن منهما » .
(٤) رقم (٢٧٧١) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » (٢/٦٠٧) .
(٦) المعروف في اسمهما (جيفر وعبد) .
(٧) انظر أخبارها في « الاكتفا في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفا » (٢/٤٢١) و« زاد المعاد » (٣/٣٤٠) و« السيرة النبوية الصحيحة » (٢/٤٧١) . وقال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/٣٤١) : « وذكر ابن إسحاق نزولهم على ماءٍ لجذام يقال له : السلسل ، قال : وبذلك سمّيت ذات السلاسل » .
(٨) انظر « دلائل النبوة » (٤/٣٩٧) .

عدوّه ، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين ، فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سَراة المهاجرين ، رضي الله عنهم أجمعين ، وأَمَّر عليهم رسول الله ﷺ أَبا عبيدة بن الجَرّاح .

قال موسى بن عُقبة : فلما قَدِموا على عمرو قال : أنا أَميركم ، وأنا أَرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمده بكم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأَبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنَّما أنتم مددٌ أُمددته . فلما رأى ذلك أَبو عُبيدة ـ وكان رجلاً حسن الخلُق ليِّن الشِّيمة ـ قال : تعلَّم يا عمرو أن آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن قال : « إذا قَدِمْتَ على صَاحِبكَ فتطاوعا » . وإنك إن عَصيتني لأُطيعَنَّك ، فسلَّم أبو عُبيدة الإمارة لعمرو بن العاص .

وقال محمد بن إسحاق[١] : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصَين التَّميمي قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام ، وذلك أن أمَّ العاص بن وائل كانت من بني بليٍّ ، فبعثه رسول الله ﷺ [إليهم] يستألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماءٍ بأرض جذام يقال له : السلاسل . وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل . قال : فلمَّا كان عليه وخاف ، بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأوَّلين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجَّهه : « لا تختلفا » . فخرج أبو عبيدة ، حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنَّما جئت مدداً إليَّ . فقال له أبو عبيدة : لا ، ولكنِّي على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عبيدة رجلاً ليِّناً سهلاً ، هيِّناً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : أنت مددي . فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ، إنَّ رسول الله ﷺ قد قال لي : « لاتختلفا » . وإنك إن عصيتني أطعتك . فقال له عمرو : فإني أميرٌ عليك ، وإنَّما أنت مددٌ لي . قال : فدونك . فصلى عمرو [بن العاص] بالناس .

وقال الواقديُّ[٢] : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن يزيد بن رومان ، أنَّ أبا عبيدة لمَّا آب إلى عمرو بن العاص ، فصاروا خمسمئة ، فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بليٍّ ودوَّخها ، وكلَّما انتهى إلى موضع بلغه أنَّه قد كان بهذا الموضع جمع ، فلمَّا سمعوا بك تفرَّقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بليٍّ وعذرة وبلقين ، ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير ، فاقتتلوا ساعةً ، وتراموا بالنَّبل ، ورمي يومئذٍ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهربوا ، وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرَّقوا ، ودوَّخ عمرو ما هناك ، وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فكانوا ينحرون ويذبحون ، ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/٣٩٩) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/٤٠١) .

وقال أبو داود[١] : ثنا ابن المثنَّى ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت يحيى بن أيوب يُحَدِّث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عِمْرَان بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عمرو بن العاص ، قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السَّلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك . قال : فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « يا عمرو ، صليتَ بأصحابك وأنت جنب ؟ » قال : فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت : إني سمعت الله يقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ فضحك نبي الله ﷺ ولم يقل شيئاً .

ثنا[٢] محمد بن سلمة ، [ثنا ابن وهب ،] ثنا ابن لهيعة ، وعمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن عِمْرَان بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن جُبير ، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص ، أنَّ عمرو بن العاص كان على سرية . فذكر الحديث بنحوه ، قال : فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم صلى بهم . فذكر نحوه ، ولم يذكر التيمم .

قال أبو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، وقال فيه : فتيمَّم .

وقال الواقدي[٣] : حدثني أفلح بن سعيد بن عبد الرحمن بن رُقَيش[٤] ، عن أبي بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين قفلوا ، احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه : ما ترون ؟ قد والله احتلمت ، فإن اغتسلت مت . فدعا بماءٍ فتوضأ ، وغسل فرجه وتيمَّم ، ثم قام فصلى بهم ، فكان أوَّل من بعث عوف بن مالك بريداً ، قال عوف : فقدمت على رسول الله ﷺ في السحر وهو يصلي في بيته ، فسلمت عليه ، فقال رسول الله ﷺ : « عوف بن مالك ؟ » فقلت : عوف بن مالك يا رسول الله . قال : « صاحب الجزور ؟ » قلت : نعم . ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً ، ثم قال : « أخبرني » . [فأخبرته] بما كان من مسيرنا ، وما كان بين أبي عبيدة وعمرو ، ومطاوعة أبى عبيدة ، فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » . قال : ثم أخبرته أن عَمراً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماءٌ ، لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ . فسكت رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن صلاته ، فأخبره فقال : والذي بعثك بالحق ، إني لو اغتسلت لمت ، لم أجد برداً قط مثله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ . قال : فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يبلغنا أنَّه قال له شيئاً .

---

(١) في « سننه » رقم (٣٣٤) ، وهو حديث صحيح .

(٢) القائل أبو داود ، والحديث في « سننه » رقم (٣٣٥) ، وهو حديث صحيح .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٤٠١) .

(٤) في (آ) و(ط) : « حدثني أفلح بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رُقيش » والتصحيح من « دلائل النبوة » و« تقريب التهذيب » لابن حجر العسقلاني .

وقال ابن إسحاق(١) : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ، وهي غزوة ذات السلاسل ، فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يُعَضُّوها(٢) ، وكنت امرأً جازراً ، فقلت لهم : تعطوني منها عَشيراً(٣) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت الشفرة ، فجزَّأتها مكاني ، وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي ، فاطَّبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أنَّى لك هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما ، فقالا : لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا . ثم قاما يتقيَّآن ما في بطونهما منه ، فلمَّا أن قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ ، فجئته وهو يصلي في بيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال : « أعوف بن مالك ؟ » فقلت : نعم ، بأبي أنت وأمي . فقال : « صاحبُ الجزور ؟ » ولم يزدني على ذلك شيئاً .

هكذا رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن عوف بن مالك ، وهو منقطع ، بل معضل .

قال الحافظ البيهقي(٤) : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن ربيعة بن لقيط ، عن مالك بن هِدم ، أظنُّه عن عوف بن مالك ، فذكر نحوه ، إلا أنَّه قال : فعرضته على عمر فسألني عنه ، فأخبرته فقال : قد تعجلت أجرك . ولم يأكله . ثم حكى عن أبي عُبَيْدَة مثله ، ولم يذكر فيه أبا بكر ، وتمامه كنحو ما تقدَّم .

وقال الحافظ البيهقي(٥) : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، ثنا يحيى بن أبي طالب ، ثنا عليُّ بن عاصم ، ثنا خالد الحَذَّاء ، عن أبي عثمان النَّهْديِّ ، سمعت عمرو بن العاص يقول : بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السَّلاسل ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدَّثت نفسي أنَّه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده . قال : فأتيته حتى قعدت بين يديه ، فقلت : يا رسول الله ، من أحبُّ الناس إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : إنِّي لست أسألك عن أهلك . قال : « فأبوها » . قلت : ثم من ؟ قال : « عمر » . قلت : ثم من ؟ حتى عدَّد رهطاً ، قال : قلت في نفسي : لا أعود أسأل عن هذا .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٥) .
(٢) أي : يقسموها أعضاءً .
(٣) أي : نصيباً .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٤٠٥) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٤٠٠) .

وهذا الحديث مخرَّج في « الصحيحين »[١] من طريق خالد بن مِهْرَان الحَذَّاء ، عن أبي عثمان النَّهديِّ ، واسمه عبد الرحمن بن مَلٍّ ، حدثني عمرو بن العاص أنَّ رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السَّلاسل ، فأتيته فقلت : أيُّ الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » . قلت : ثم من ؟ قال : « ثمَّ عمر بن الخطاب » . فعدَّ رجالاً ، وهذا لفظ البخاري .

وفي رواية[٢] : قال عمرو : فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم .

***

سَرِيةُ أَبي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ إلى سيف البحر[٣]

قال الإمام مالك ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل ، وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجرَّاح ، وهم ثلاثمئة . قال جابر : وأنا فيهم ، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد ، فأتوا أبا عبيدة بأزواد ذلك الجيش ، فجُمع كلُّه ، فكان مزودَي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني ، فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة . قال : فقلت : وما تُغني تمرة ؟ فقال : لقد وجدنا فقدها حين فنيت . قال : ثم انتهينا إلى البحر ، فإذا حوت مثل الظرب . قال : فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ، ثم أمر براحلة فرحلت ، ثم مرَّت تحتهما فلم تصبهما . أخرجاه في « الصحيحين »[٤] من حديث مالك ، بنحوه .

وهو في « الصحيحين » أيضاً[٥] من طريق سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمئة راكب ، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح ، نرصد عيراً لقريش ، فأصابنا جوع شديد ، حتى أكلنا الخبَط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبَط . قال : ونحر رجل ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم ثلاثاً ، فنهاه أبو عبيدة . قال : وألقى البحر دابة يقال لها : العنبر . فأكلنا منها نصف شهر وادّهنّا ، حتى ثابت إلينا أجسامنا وصلحت . ثم ذكر قصة الضِّلع . فقوله في الحديث : نرصد عيراً لقريش . دليل على أنَّ هذه السريَّة كانت قبل صلح الحُدَيبية ، والله أعلم .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٦٢) و(٤٣٥٨) ومسلم رقم (٢٣٨٤) .
(٢) وهي عند البخاري رقم (٤٣٥٨) .
(٣) انظر خبرها في « الاكتفا في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفا » للكلاعي (٢/٤٢٨) .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٤٨٣) و(٤٣٦٠) ومسلم رقم (١٩٣٥) (٢١) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٣٦١) و(٥٤٩٤) ومسلم رقم (١٩٣٥) .

والرجل الذي نحر لهم الجزائر هو قَيس بن سَعد بن عُبَادَة ، رضي الله عنهما .

وقال الحافظ البيهقي[١] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، ثنا إسماعيل بن قُتيبة ، ثنا يحيى بن يحيى ، ثنا أبو خَيْثَمَة ، وهو زُهير بن معاوية ، عن أبي الزّبير ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ ، وأَمَّر علينا أبا عُبيدة ، نتلقَّى عيراً لقريش ، وزوَّدنا جِرَاباً[٢] من تمرٍ ، لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة . قال : فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نمصها كما يمص الصبيُّ ، ثم نشرب عليها الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعِصيِّنا الخبَط ، ثم نبلُّه بالماء فنأكله . قال : فانطلقنا إلى ساحل البحر ، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا به دابّة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة . ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم ؛ فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمئة حتى سمنَّا ، ولقد كنّا نغرف من وقب عينه بالقلال الدُّهن ، ونقتطع منه الفِدَر كالثَّور ، أو كقَدر الثور ، ولقد أخذ منَّا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً ، فأقعدهم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه ، فأقامها ثم رحل أعظم بعير منها ، فمرَّ تحتها ، وتزوَّدنا من لحمها وشائقَ ، فلما قدمنا المدينة ، أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له ، فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ فأكل منه . ورواه مسلم ، عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس ، وأبو داود ، عن النُّفيليِّ ، ثلاثتهم عن أبي خيثمة زهير بن معاوية الجعفي [الكوفي] عن أبي الزُّبير محمد بن مسلم بن تَدْرُس المَكِّي ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، [به] .

قلت : ومقتضى [أكثر] هذه السِّيَاقَات ، أنَّ هذه السريَّة كانت قبل صُلح الحُديبية ، ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقيِّ ، رحمه الله ، فإنَّه أوردها بعد مُؤْتَةَ وقبل غزوة الفتح ، والله أعلم .

وقد ذكر البخاري[٣] بعد غزوة مؤتة سرية أُسامة بن زيد إلى الحُرَقَاتِ[٤] من جُهينة ، فقال : حدَّثنا عمرو بن محمد ، ثنا هشيم ، أنبأنا حصين بن جندب ، ثنا أبو ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة ، فصبَّحْنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلمَّا غشيناه قال : لا إله إلا الله . فكف الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلته ، فلمّا قدمنا بلغ النبيَّ ﷺ فقال : « يا أسامة ، أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله ؟ » قلت : كان متعوِّذاً . فما زال يكرِّرها ، حتى تمنَّيت أنِّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدَّم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/٤٠٨) .
(٢) الجراب : المزود أو الوعاء . انظر « القاموس المحيط » (جرب) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٩) .
(٤) انظر « مراصد الاطلاع » (١/٣٩٣) .

ثم روى البخاري[١] من حديث يزيد بن أبي عُبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات ، علينا مرّةً أبو بكر ، ومرّة أُسامة بن زيد ، رضي الله عنهما .

ثم ذكر الحافظ البيهقيُّ[٢] هاهنا موت النجاشي ـ صاحب الحبشة ـ على الإسلام ، ونَعيَ رسول الله ﷺ له إلى المسلمين ، وصلاته عليه[٣] ، فروى من طريق مالك ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هُريرة ، أنَّ رسول الله ﷺ نَعى إلى الناس النجاشيَّ في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلَّى ، فصفَّ بهم وكبَّر أربع تكبيرات . أخرجاه[٤] من حديث مالك ، وأخرجاه أيضاً[٥] من حديث اللّيث ، عن عقيل ، عن الزهريِّ ، عن سعيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة بنحوه .

وأخرجاه[٦] من حديث ابن جُريج ، عن عطاءٍ ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَاتَ اليومَ رَجُلٌ صَالِحٌ » فصلُّوا على أَصْحَمَة .

وقد تقدَّمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها ، ولله الحمد .

قلت : والظَّاهر أن موت النجاشيِّ كان قبل الفتح بكثير ؛ فإنَّ في « صحيح مسلم » أنَّه لمَّا كتب إلى ملوك الآفاق ، كتب إلى النَّجاشيِّ ، وليس هو بالمسلم[٧] ، وزعم آخرون كالواقدي أنَّه هو ، والله أعلم .

وروى الحافظ البيهقي[٨] من طريق مسلم بن خالد الزَّنجيِّ ، عن موسى بن عقبة ، عن أبيه ، عن أم كلثوم قالت : لمَّا تزوج النبيّ ﷺ أُمَّ سَلَمة قال : « قد أَهْدَيْتُ إلى النجاشيِّ أواقي من مِسكٍ وحُلّة ، وإنِّي لا أراه إلا قد مات ، ولا أرى الهدية إلا ستُرَدُّ عليَّ ، فإن ردَّت عليَّ ـ أظنُّه قال ـ قسمتها بينكنَّ » أو « فهي لكِ » . قال : فكان كما قاله رسول الله ﷺ ؛ مات النجاشيُّ وردَّت الهدية ، فلمَّا رُدَّت عليه ، أعطى كلَّ

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٧٠) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٤١٠) .
(٣) انظر « عمدة الأحكام » للمقدسي ص (١١٧) بتحقيقي ، ومراجعة والدي وأستاذي المحدّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، طبع دار الثقافة العربية بدمشق ، و« إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص(٥٧ ـ ٨٠) بتحقيقي .
(٤) رواه البخاري رقم (١٢٤٥) و(١٣٣٣) ومسلم رقم (٩٥١) (٦٢) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٣٢٧) و(١٣٢٨) ومسلم رقم (٩٥١) (٦٣) .
(٦) رواه البخاري رقم (١٣٢٠) و(٣٨٧٧) ومسلم رقم (٩٥٢) (٦٥) .
(٧) قلت : ولكنه أسلم حين وصلته الرسالة وردّ عليها ردّاً حسناً كما هو مبين فيما ساقه ابن طولون من النصوص في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » ص(٥٥ ـ ٥٦) بتحقيقي ، والذي أرجحه هو أن الذي كتب له هو نفسه الذي صلى عليه ، ﷺ .
(٨) في « دلائل النبوة » (٤/ ٤١٢) .

امرأةٍ من نسائهِ أوقيّةً من ذلك المِسْكِ ، وأعطى سائره أُمَّ سلمة ، وأعطاها الحُلّة ، والله أعلم .

***

غَزْوَةُ الفتح الأعظم(١)

وكانت في رمضان سنة ثمان

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع ، فقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الآية[الحديد : ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾[النصر : ١ ـ ٣] .

وكان سبب الفتح بعد هُدنة الحُديبية ما ذكره محمد بن إسحاق ، حدثني الزُّهريُّ ، عن عُرْوَة بن الزّبير ، عن المسور بن مَخْرَمَة ، ومروان بن الحكم ، أنهما حدَّثاه جميعاً قالا : كان في صُلح الحُديبية أنه من شاء أن يدخُل في عقد محمدٍ وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل ، فتواثبت خُزَاعَة وقالوا : نحن ندخل في عقد محمدٍ وعهده . وتواثبت بنو بكر وقالوا : نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم . فمكثوا في تلك الهُدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ، ثم إن بني بكر وثبوا على خُزَاعة ليلاً ، بماءٍ يقال له : الوتير . وهو قريب من مكة ، وقالت قريش : ما يعلم بنا محمدٌ ، وهذا الليل وما يرانا أحد . فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح ، وقاتلوهم معهم ، للضِّغن على رسول الله ﷺ ، وإنَّ عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خُزَاعَة وبني بكر بالوتير ، حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبره الخبر ، وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها : [من الرجز]

لا هُمَّ إني ناشدٌ محمدا   حِلْفَ أبيه وأبينا الأتلَدَا
قد كنتم وُلداً وكنا والدا   ثُمَّت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رَسُولَ الله نصراً أعتدا(٢)   وادعُ عباد الله يأتوا مَدَدا
فيهم رسولُ الله قد تجرَّدا   إن سِيمَ خسفاً وجههُ تَربَّدَا

---

(١) انظر خبرها في « عيون الأثر » (٢/ ٢٢٣) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٤٧) و« الفصول في سيرة الرسول » ص (١٩٥) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٧) بتحقيقي و« صحيح السيرة النبوية » (٢/ ٤٧٣) .

(٢) أي : نصراً حاضراً .

في فَيْلَقٍ كالبحر يجري مُزبدا   إن قريشاً أخلفوك الموعدَا
ونقضوا ميثاقَكَ المؤكَّدا   وجعلوا لي في كَداءٍ رُصَّدا
وزعموا أن لستُ أدعو أحدا   فهم أَذَلُّ وأقلُّ عددا
هم بيّتونا بالوتير هُجَّدا   وقتّلونا رُكَّعاً وسُجَّدا

فقال رسول الله ﷺ : « نصرت يا عمرو بن سالم » . فما برح رسول الله ﷺ حتى مرّت بنا عَنانَةٌ[١] في السماء ، فقال رسول الله ﷺ : « إن هذه السَّحَابَة لَتَسْتَهِلُّ بنصر بني كعب » . وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز ، وكتمهم مخرجه ، وسأل الله أن يُعَمِّي على قريش خبره ، حتى يبغتهم في بلادهم .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان السبب الذي هاجهم ، أنَّ رجلاً من بني الحضرميِّ ، اسمه مالك بن عبّاد ، من خلفاء الأسود بن رزن خرج تاجراً ، فلمّا توسط أرض خُزَاعَة ، عدوا عليه ، فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بني خُزَاعَة فقتلوه ، فعدت خُزَاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدِّئِليِّ ـ وهم منخر بني كنانة وأشرافهم ؛ سلمى وكلثوم وذؤيب ـ فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدثني رجل من الدُّئِل قال : كان بنو الأسود بن رزن يودَون في الجاهلية ديتين ديتين .

قال ابن إسحاق[٤] : فبينا بنو بكر وخُزَاعَة على ذلك ، إذ حجز بينهم الإسلام ، فلمّا كان يوم الحُديبية ، ودخل بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خُزَاعَةُ في عقد رسول الله ﷺ ، وكانت الهُدْنة ، اغتنمها بنو الدُّئل من بني بكر ، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً بأولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدُّئليُّ في قومه ، وهو يومئذٍ سيدُهم وقائدهم ، وليس كلُّ بني بكر تابعة ، فبيَّت خزاعة وهم على الوتير ـ ماءٍ لهم ـ فأصابوا رجلاً منهم ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلمّا انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : [يا نوفل] إنا قد دخلنا الحرم ! إلهك إلهك . فقال كلمةً عظيمةً : لا إله اليوم ، يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنّكم لتسرقون في الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! ولجأت خزاعة إلى دار بُديل بن ورقاء بمكة ، وإلى دار مولى لهم يقال له : رافعٌ .

---

(١) أي : سحابة .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٠) .

وقد قال الأخزر بن لُعْطٍ الدُّئليُّ في ذلك[(١)] : [من الطويل]

ألا هل أتى قُصوى الأحابيش أنَّنا رَدَدْنا بني كعبٍ بأفوقَ ناصلِ
حَبَسْنَاهُمُ في دارةِ العبد رافعٍ وعندَ بُدَيْل مَحْبِساً غير طَائلِ
بدار الذليل الآخذ الضّيم بعدما شفَينا النُّفوس مِنْهمُ بالمناصلِ
حبسناهمُ حتى إذا طالَ يومهم نَفَحْنَا لهم مِنْ كُلِّ شعبٍ بوابلِ
نُذَبِّحُهمْ ذبح التّيُوس كأنَّنا أُسُودٌ تبارى فيهمُ بالقواصلِ
هم ظلَمونا واعتدَوا في مسيرهمْ وكانوا لدى الأنصاب أَوَّل قَاتلِ
كأنَّهم بالجِزْعِ إذ يطرودُنَهم قَفَا ثورَ حَفَّانُ النَّعام الجَوَافلِ

قال : فأجابه بُدَيل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب ، وكان يقال له : بُديل بن أُمِّ أَصْرَم ، فقال : [من الطويل]

تعاقد قوم يفخرونَ ولم نَدَعْ لهم سيِّداً يندوهمُ غير نافلِ
أمِن خيفةِ القوم الأُلى تزدريهمُ تجيز الوتير خائفاً غير آيلِ
وفي كلِّ يوم نحن نحبو حباءنا لعقلٍ ولا يُحبى لنا في المعاقلِ
ونحن صبحنا بالتَّلاعة داركم بأسيافنا يسبقن لوم العواذلِ
ونحن منعنا بين بيض وعتْوَد إلى خَيف رضوى من مجرِّ القنابلِ
ويوم الغميم قد تكفَّتَ ساعياً عبيس فجعناه بجلد حلاحلِ
أأنْ أجمرت في بيتها أُمُّ بعضكم بجعموسها تنزون إن لم نُقَاتلِ
كذبتم وبيتِ اللهِ ما إن قتلتمُ ولكن تركنا أمركم في بَلابِلِ

قال ابن إسحاق[(٢)] : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « كأنكم بأبي سُفيان قد جاءكم يشدُّ في العقد ويزيد في المدة » .

قال ابن إسحاق[(٣)] : ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فأخبروه بما أصيب منهم ، ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين ، حتى لقوا أبا سفيان بعسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ يشدُّ العقد ويزيد في المدة ، وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلمَّا لقي أبو سفيان بُديلاً قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظنَّ أنه قد أتى رسول الله ﷺ ، فقال : سرت في

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٢) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٥) .

خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي . قال : فعمَد أبو سفيان إلى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففتَّه ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً . ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلمَّا ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته ، فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عنِّي ؟ فقالت : هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت مشرك نجس ، فلم أحبَّ أن تجلس على فراشه . فقال : يا بنية ، والله لقد أصابك بعدي شرٌّ . ثم خرج فأتى رسول الله ﷺ فكلَّمه ، فلم يردَّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلَّمه أن يكلِّم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل .ثم أتى عمر بن الخطاب فكلَّمه ، فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟! فوالله لو لم أجد لكم إلا الذَّرَّ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب ، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وعندها حسن ، غلام يدب بين يديها ، فقال : يا عليُّ ، إنك أمسُّ القوم بي رحماً ، وأقربهم مني قرابةً ، وقد جئت في حاجةٍ ، فلا أرجعنَّ كما جئت بن خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ . فقال : ويحك أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد ، هل لك أن تأمري بُنيَّك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ فقالت : والله ما بلغ بُنيَّ ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحدٌ على النبيِّ ﷺ . فقال : يا أبا الحسن ، إنِّي أرى الأمور قد اشتدت عليَّ ، فانصحني ؟ قال : والله ما أعلم شيئاً يغني عنك ، ولكنَّك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك . فقال : أوَترى ذلك مغنياً عنِّي شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنُّ ، ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : أيُّها الناس ، إنِّي قد أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلمَّا قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما ردَّ عليَّ شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة ، فوالله ما وجدت فيه خيراً ، ثم جئت عمر فوجدته أعدى العدوّ ، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار عليَّ بأمر صنعته ، فوالله ما أدري هل يغني عنَّا شيئاً أم لا ؟ قالوا : بماذا أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت . قالوا : هل أجاز ذلك محمدٌ ؟ قال : لا . قالوا : ويحك ! ما زادك الرجل على أن لعب بك ، فما يغني عنَّا ما قلت . فقال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

فائدةٌ ذكرها السُّهيليُّ(١) ، تكلَّم على قول فاطمة في هذا الحديث: وما يُجِيرُ أحدٌ على رسول الله ﷺ. على ما جاء في الحديث : « ويجير على المسلمين أدناهم » . قال : وجه الجمع بينهما ، بأن المراد بالحديث من يجير واحداً أو نفراً يسيراً ، وقول فاطمة فيمن يجير عدوّاً من غزو الإمام إيَّاهم فليس له ذلك . قال : كان سحنون وابن الماجشون يقولان : إن أمان المرأة موقوفٌ على إجازة الإمام ، لقوله ﷺ

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٨٥) .

لأمِّ هانئ : « قد أجرنا من أجرت يا أمَّ هانئ » . قال : ويروى هذا عن عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز أمان العبد .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « ويجير عليهم أدناهم » . ما يقتضي دخول العبد والمرأة ، والله أعلم .

وقد روى البيهقي(١) من طريق حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هُريرة قال : قالت بنو كعبٍ : [من الرجز]

لاهُـمَّ إنِّـي نـاشـدٌ محمـداً   حلـف أبينـا وأبيـه الأَتْلَـدَا
فانصر هداك الله نصراً أعْتدا   وادع عبـاد الله يـأتـوا مـددا

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة(٢) : ثم إن بني نفاثة من بني الدُّئل أغاروا على بني كعب ، وهم في المدَّة التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله ﷺ ، وكانت بنو نفاثة في صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بني نفاثة ، وأعانتهم قريش بالسلاح والرَّقيق ، واعتزلتهم بنو مدلج ، ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ، وفي بني الدُّئل رجلان هما سيداهم ؛ سلم بن الأسود ، وكلثوم بن الأسود ، ويذكرون أن ممَّن أعانهم صفوان بن أمية ، وشيبة بن عثمان ، وسهيل بن عمرو ، فأغارت بنو الدُّئل على بني عمرو ، وعامَّتهم ـ زعموا ـ نساءٌ وصبيانٌ وضعفاءُ الرجال ، فألجؤوهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بُديل بن ورقاء بمكة ، فخرج ركبٌ من بني كعب حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا له الذي أصابهم ، وما كان من قريش عليهم في ذلك ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ارجعوا فتفرَّقوا في البلدان » . وخرج أبو سفيان من مكَّة إلى رسول الله ﷺ، وتخوَّف الذي كان ، فقال : يا محمد ، اشدد العقد ، وزدنا في المدة . فقال رسول الله ﷺ : « ولذلك قدمتَ ؟ هل كان من حدث قِبلكم ؟ » فقال : معاذ الله ، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية ، لا نغيّر ولا نبدل . فخرج من عند رسول الله ﷺ فأتى أبا بكر فقال : جدد العقد ، وزدنا في المدة . فقال أبو بكر : جواري في جوار رسول الله ﷺ ، والله لو وجدت الذَّرَّ تقاتلكم لأعنتها عليكم . ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال عمر بن الخطاب : ما كان من حلفنا جديداً فأخلقه الله ، وما كان منه متيناً فقطعه الله ، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله . فقال له أبو سفيان : جزيت من ذي رحم شرّاً . ثم دخل على عثمان فكلَّمه ، فقال عثمان : جواري في جوار رسول الله ﷺ . ثم اتَّبع أشراف قريش يكلمهم ، فكلُّهم ، يقول : عقدنا في عقد رسول الله ﷺ . فلمَّا يئس ممَّا عندهم ، دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكلمها ، فقالت : إنما أنا امرأة ، وإنَّما ذلك

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٩) .

إلى رسول الله ﷺ . فقال لها : فأمري أحد ابنيك . فقالت : إنَّهما صبيَّان ، وليس مثلهما يجير . قال : فكلِّمي عليّاً .

فقالت : أنت فكلِّمه . فكلَّم عليّاً ، فقال له : يا أبا سفيان ، إنَّه ليس أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على رسول الله ﷺ بجوار ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها ، فأجِر بين عشيرتك . قال : صدقت ، وأنا كذلك ، فخرج فصاح : ألا إنِّي قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظنُّ أن يُخفرني أحدٌ . ثم دخل على النبيِّ ﷺ فقال : يا محمد ، إني قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظنُّ أن يُخفرني أحدٌ ولا يردَّ جواري . فقال : « أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ؟! » فخرج أبو سفيان على ذلك ، فزعموا ـ والله أعلم ـ أن رسول الله ﷺ قال حين أدبر أبو سفيان : « اللهمَّ خذ على أسماعهم وأبصارهم ، فلا يرونا إلا بغتةً ، ولا يسمعوا بنا إلا فجأة » . وقدم أبو سفيان مكة ، فقالت له قريش : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله ، لقد أبى عليَّ ، وقد تتبعت أصحابه ، فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أنَّ عليَّ بن أبي طالب قد قال لي : لم تلتمس جوار الناس على محمد ، ولا تجير أنت عليه وعلى قومك ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقُّها أن لا يُخفر جواره ؟ فقمت بالجوار ، ثم دخلت على محمد ، فذكرت له أنِّي قد أجرت بين الناس ، وقلت : ما أظنُّ أن تُخفرني . فقال : « أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ؟! » فقالوا مجيبين له : رضيت بغير رضا ، وجئتنا بما لا يغني عنَّا ولا عنك شيئاً ، وإنما لعب بك عليٌّ ، لعمر الله ما جوارك بجائز ، وإنَّ إخفارك عليهم لهيِّنٌ . ثم دخل على امرأته فحدَّثها الحديث فقالت : قبحك الله من وافد قوم ، فما جئت بخير . قال : ورأى رسولُ الله ﷺ سحاباً فقال : « إنَّ هذه السحاب لتبِضُّ بنصر بني كعب » . فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعدما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ في الجَهاز ، وأمر عائشة أن تجهّزه وتخفي ذلك ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة ، فوجد عندها حنطة تُنسف وتُنقَّى ، فقال لها : يا بنيَّة ، لماذا تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت ، فقال : أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ فصمتت ، فقال : يريد بني الأصفر ؟ ـ وهم الرُّوم ـ فصمتت ، قال : فلعله يريد أهل نجد ؟ فصمتت ، قال : فلعله يريد قريشاً ؟ فصمتت . قال : فدخل رسول الله ﷺ ، فقال له : يا رسول الله ، أتريد أن تخرج مخرجاً ؟ قال : « نعم » . قال : فلعلك تريد بني الأصفر ؟ قال : « لا » . قال : أتريد أهل نجد ؟ قال : « لا » . قال : فلعلك تريد قريشاً ؟ قال : « نعم » . قال أبو بكر : يا رسول الله ، أليس بينك وبينهم مدَّةٌ ؟ قال : « ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب ؟ » قال : وأذَّن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش ، وأطلع الله رسوله ﷺ على الكتاب . وذكر القصة كما سيأتي .

وقال محمد بن إسحاق(١) : حدثني محمد بن جعفرٍ ، عن عُروة ، عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة ، فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سمَّى لنا شيئاً ، غير أنَّه قد أمرنا بالجهاز .

قال ابن إسحاق(٢) : ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنَّه سائر إلى مكة ، وأمر بالجدِّ والتهيُّؤ ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش ، حتى نبغتها في بلادها » . فتجهز الناس ، فقال حَسَّان يحرّض الناس ، ويذكر مصاب خُزَاعَة(٣) : [من الطويل]

عناني ولم أشهد ببطحاء مكَّة رجال بني كَعْبٍ تحزُّ رِقَابُهَا
بأيدي رجال لم يَسُلّوا سيوفهم وقتلى كثير لم تجنَّ ثيابها
أَلا لَيْتَ شِعْري هل تنالنَّ نُصرتي سهيل بن عمرو حرُّها وعقابها
وصفوان عَود حزَّ من شُفر استه فهذا أوان الحرب شُدَّ عصابها
فلا تأمننَّا يا بن أمِّ مجالد إذا احتلبت صرفاً وأعصل نابُها
ولا تجزعوا منها فإن سيوفنا لها وقعة بالموت يفتح بابُها

***

قصةُ حاطب بن أبي بَلْتَعَة

قال محمد بن إسحاق(٤) : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزُّبير وغيره من علمائنا قالوا : لمَّا أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكَّة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ـ زعم محمد بن جعفر أنَّها من مزينة ، وزعم لي غيره أنَّها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب ـ وجعل لها جُعلاً على أن تبلِّغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به ، وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث عليَّ بن أبي طالب ، والزُّبير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذِّرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » . فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمساه في رحلها فلم يجدا فيه شيئاً ، فقال لها عليٌّ : إنِّي أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ، ولتخرجِنَّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنَّك .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٧) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٩٦) مع بعض الخلاف .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٨) .

فلمَّا رأت الجدَّ منه قالت : أعرض . فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : « يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ » فقال : يا رسول الله ، أما والله إنِّي لمؤمنٌ بالله وبرسوله ، ما غيَّرت ولا بدلت ، ولكنَّني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلأضرب عنقه ؛ فإنَّ الرَّجل قد نافق . فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر ، لعلَّ الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر . فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . وأنزل الله تعالى في حاطب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إلى آخر القصة .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسلة ، وقد ذكر السهيليُّ[١] أنه كان في كتاب حاطب : إنَّ رسول الله ﷺ قد توجَّه إليكم بجيش كالليل يسير كالسَّيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم ، فإنَّه منجز له ما وعده . قال : وفي « تفسير ابن سَلام »[٢] أنَّ حاطباً كتب : إن محمداً قد نفر ؛ فإمَّا إليكم وإمَّا إلى غيركم ، فعليكم الحذر .

وقد قال البخاري[٣] : ثنا قُتيبة ، ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرني الحسن بن محمد ، أنَّه سمع عبيد الله بن أبي رافع ، سمعت علياً يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزُّبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإنَّ بها ظعينةً معها كتاب فخذوه منها » . فانطلقنا تعادى بنا خيلُنا حتى أتينا الرَّوضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب . فقالت : ما معي كتاب . فقلنا : لتخرجِنَّ الكتاب أو لنلقينَّ الثياب . قال : فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة . إلى ناسٍ بمكَّة من المشركين ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ، فقال : « يا حاطب ، ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله ، لاتعجل عليَّ ، إنِّي كنت امرأً ملصقاً في قريش ـ يقول : كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها ـ وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ، ولا رضاً

---

(١) في « الروض الأنف » (٧/ ٨٦) .

(٢) ومؤلِّفه الإمام يحيى بن سَلاَّم بن أبي ثعلبة التَّيمي البَصْري ثم الإفريقي ، وكان مفسّراً ، فقيهاً ، عالماً بالحديث واللغة . أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم . و« تفسيره » الذي أشار إليه المؤلِّف مخطوط لم يطبع بعد ، ومنه أجزاء في تونس والقيروان ، مات سنة (٢٠٠)هـ . انظر ترجمته ومصادرها والتعليق عليها في « الأعلام » للزركلي (٨/ ١٤٨) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٧٤) .

بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « أما إنَّه قد صدقكم » . فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : « إنَّه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . فأنزل الله السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة : ١] .

وأخرجه بقية الجماعة(١) ، إلا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد(٢) : ثنا حُجَينٌ ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله ، أنَّ حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكَّة يذكر أنَّ رسول الله ﷺ أراد غزوهم ، فدُلَّ رسول الله ﷺ على المرأة التي معها الكتاب ، فأرسل إليها ، فأخذ كتابها من رأسها ، وقال : « يا حاطب ، أفعلت ؟ » قال : نعم . قال : أما إنّي لم أفعله غشّاً لرسول الله ﷺ ولا نفاقاً ، قد علمت أنَّ الله مظهر رسوله ، ومتمٌّ له أمره ، غير أنِّي كنت عريراً(٣) بين ظَهريهم ، وكانت والدتي معهم ، فأردت أن أتخذ هذا عندهم . فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال : « أتقتل رجلاً من أهل بدر ، وما يدريك لعل الله قد اطَّلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم » . تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد ، وإسناده على شرط مسلم ، ولله الحمد .

***

فصـــل

قال ابن إسحاق(٤) : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهريُّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكَديد ، بين عسفان وأمج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مرَّ الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ـ وقال عروة بن الزُّبير : كان معه اثنا عشر ألفاً .

وكذا قال الزهريُّ وموسى بن عقبة ـ فسبَّعت سُلَيم ، وبعضهم يقول : ألَّفت سليم ـ وألَّفت مزينة ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٩٤) وأبو داود رقم (٢٦٥٠) والترمذي (٣٣٠٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٥٨٥) .

(٢) في « المسند » (٣/ ٣٥٠) .

(٣) أي دخيلاً غريباً ، ولم أكن من حميمهم .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٩) .

وفي كلِّ القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . وروى البخاريُّ(١) ، عن محمود ، عن عبد الرَّزَّاق ، عن معمر ، عن الزهريِّ نحوه .

وقد روى البيهقي(٢) من حديث عاصم بن علي ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهريِّ ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان . قال : وسمعت سعيد بن المسيَّب يقول مثل ذلك ، لا أدري أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعدما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني أن ابن عباس قال : صام رسول الله ﷺ حتى بلغ الكدَيد ـ الماء الذي بين قُديد وعسفان ـ أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر . ورواه البخاريُّ ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، غير أنَّه لم يذكر التَّرديد بين شعبان ورمضان .

وقال البخاريُّ(٣) : ثنا عليُّ بنُ عبدِ الله ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : سافر رسول الله ﷺ في رمضان ، فصام حتى بلغ عُسفان ، ثم دعا بإناءٍ فشرب نهاراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال : وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله ﷺ في السَّفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر .

وقال يونس ، عن إبن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : مضى رسول الله ﷺ لسفرة الفتح ، واستعمل على المدينة أبا رُهم كلثوم بن الحصين الغفاريَّ ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى أتى الكَديد ـ ماءً بين عسفان وأَمَج ـ فأفطر ، ودخل مكة مفطراً ، فكان الناس يرون أن آخر الأمرين من رسول الله ﷺ الفطر ، وأنَّه نسخ ما كان قبله .

قال البيهقيُّ(٤) : فقوله : خرج لعشر من رمضان . مدرج في الحديث ، وكذلك ذكره عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق . ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان ، عن حامد بن يحيى ، عن صدقة ، عن ابن إسحاق ، أنَّه قال : خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان سنة ثمان .

ثم روى البيهقيُّ(٥) من حديث أبي إسحاق الفزاريِّ ، عن محمد بن أبي حفصة ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان . قال البيهقيُّ : وهذا الإدراج وهم ، إنما هو من كلام الزهريِّ .

ثم روى من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهريِّ قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ـ فتح

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٧٦) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٧٥) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٠) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣) .

مكة ـ فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثماني سنين ونصف سنة من مقدمه المدينة ، وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان .

وروى البيهقيُّ[١] من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكَديد ثم أفطر . فقال الزهريُّ : وإنَّما يؤخذ بالأحدث فالأحدث . قال الزهريُّ : فصبَّح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان . ثم عزاه إلى « الصَّحيحين » من طريق عبد الرزاق ، والله أعلم .

وروى البيهقيُّ[٢] من طريق سعيد بن عبد العزيز التَّنوخيِّ ، عن عطية بن قيس ، عن قزعة بن يحيى ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال : آذننا رسول الله ﷺ بالرَّحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صُوَّاماً حتى بلغنا الكَديد ، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر ، فأصبح الناس شَرجين ؛ منهم الصَّائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلقى العدوَّ فيه ، أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

وقد رواه الإمام أحمد[٣] ، عن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، حدَّثني عطية بنُ قيس ، عمَّن حدَّثه ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال : آذننا رسول الله ﷺ بالرَّحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صُوَّاماً حتى بلغنا الكَديد ، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر ، فأصبح الناس منهم الصَّائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغ أدنى منزل تلقاء العدوِّ ، أمرنا بالفطر ، فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهريُّ من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنَّهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان ، يقتضي أنَّ مسيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة .

ولكن روى البيهقيُّ[٤] ، عن أبي الحسين بن الفضل ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، ومحمد بنِ علي بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعمرو بن شعيب ، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان .

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ[٥] : ثنا وهيب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤) .
(٣) في « المسند » (٣/ ٨٧) وأصله في « صحيح مسلم » رقم (١١٢٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤) .
(٥) في « مسنده » رقم (١٦٦٧) .

خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم ، والناس معه مشاة وركباناً ، وذلك في شهر رمضان ، فقيل : يا رسول الله ، إنَّ الناس قد اشتدَّ عليهم الصوم ، وإنَّما ينظرون إليك كيف فعلت . فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماءٌ فرفعه ، فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض ، حتى أُخبر النبيُّ ﷺ أنَّ بعضهم صائمٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « أولئك العصاة » . وقد رواه مسلم[(١)] من حديث الثَّقفيِّ والدَّراورديِّ ، عن جعفر بن محمد .

وروى الإمام أحمد[(٢)] من حديث محمد بن إسحاق ، حدَّثني بُشَير بن يسار ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في رمضان ، فصام وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالكَديد دعا بماءٍ في قعب وهو على راحلته ، فشرب والناس ينظرون ؛ يُعلمهم أنَّه قد أفطر ، فأفطر المسلمون . تفرَّد به أحمد .

***

فصل

في إسلام العبَّاس بن عبد المطَّلب عمِّ النبيِّ ﷺ وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ابن عمِّ رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزوميِّ أخي أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين وهجرتهم إلى رسول الله ﷺ فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة

قال ابن إسحاق[(٣)] : وقد كان العبَّاس بن عبد المطَّلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق . قال ابن هشام : لقيه بالجُحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ ، فيما ذكره ابن شهاب الزهريُّ .

قال ابن إسحاق[(٤)] : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ، وعبد الله بن أبي أُمَيَّة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنِيقِ العُقَاب فيما بين مكَّة والمدينة[(٥)] ، والتمسا الدُّخول عليه ، فكلَّمته أُمُّ سلمة

---

(١) في « صحيحه » رقم (١١١٤) .
(٢) في « المسند » (١/ ٢٦١) ، وهو حديث صحيح .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٠ـ٤٠١) .
(٥) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص (٤١٩) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله .

فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابنُ عمِّك ، وابن عمَّتك وصهرك . قال : « لا حاجة لي بهما ؛ أمَّا ابن عَمِّي فهتك عِرْضي(١) ، وأمَّا ابن عَمَّتي فهو الذي قال لي بمكَّة ما قال »(٢) . قال : فلمَّا خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بُنيٌّ له ، فقال : والله ليأذنَّ لي أو لآخذنَّ بيد بنيَّ هذا ، ثم لنذهبنَّ في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلمَّا بلغ ذلك النبيَّ ﷺ رقَّ لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه ، واعتذر إليه ممَّا كان مضى منه : [من الطويل]

لَعَمْـرُكَ إنـي يـومَ أحمـلُ رايـةً ... لِتَغْلِـبَ خيـلُ الـلاَّتِ خيـلَ محمـدِ
لكَـالْمُـدلـج الحَيْـرَان أظلـم لَيْلُـهُ ... فهـذا أَوَانـي حيـن أُهـدى وأَهْتَـدي
هَـدَانـي هـادٍ غيـر نفسـي ونـالنـي ... مـع الله مـن طَـرَّدْتُ كـلَّ مطـرَّدِ
أَصُـدُّ وأنـأى جـاهـداً عـن محمـدٍ ... وأُدعـى وإنْ لـم أنتسـب مـن محمـد
هُـمُ مـا هُـمُ مـن لـم يَقُـلْ بِهـواهُـمُ ... وإن كـان ذَا رأى يُلَـمْ ويفنَّـدِ
أُريـد لأُرضيهـم ولَسْـتُ بـلائـطٍ ... مع القوم ما لم أُهد في كل مقعدِ
فقُـلْ لثقيـف لا أُريـد قِتَـالَهَـا ... وقُـل لثقيـفٍ تلـك غيـريَ أَو عـدي
فما كُنْتُ في الجيش الذي نال عَامراً ... وما كان عن جَرَّا لساني ولا يدي
قبـائـلُ جـاءَت مـن بـلادٍ بعيـدةٍ ... نـزائـعُ جـاءت مِـنْ سهـامٍ وسَـرْدُدِ

قال ابن إسحاق(٣) : فزعموا أنَّه حين أنشد رسول الله ﷺ :

. . . . ونـالنـي ... مـع الله مـن طـرَّدت كـلَّ مُطَـرَّد

ضرب رسول الله ﷺ بيده في صدره وقال : « أنت طَرَّدتني كُلَّ مُطَرَّد ! » .

* * *

فصل

ولمَّا انتهى رسول الله ﷺ إلى مرِّ الظَّهران(٤) ، نزل فيه فأقام ؛ كما روى البخاريُّ عن يحيى بن بكير ،

---

(١) لأنه كان يؤذي رسول الله ـ ﷺ ـ ويهجوه .
(٢) فهو الذي قال له ﷺ : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سُلَّماً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ، ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك . قاله السُّهيلي في « الروض الأنف » (٧/ ٨٩) بتحقيق الأستاذ عبد الرحمن الوكيل .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠١) .
(٤) مرّ الظَّهران : موضع على مرحلة من مكة . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٢٥٧) .

عن اللَّيث ، ومسلم[١] عن أبي الطَّاهر ، عن ابن وهب كلاهما ، عن يونس ، عن الزهريِّ ، عن أبي سلمة ، عن جابر قال : كنَّا مع رسول الله ﷺ بمرِّ الظَّهران نجتني الكباثَ[٢] ، وإنَّ رسول الله ﷺ قال : « عليكم بالأسود منه فإنَّه أطيب » . قالوا : يا رسول الله ، أكنت ترعى الغنم ؟ قال : « نعم ، وهل من نبيٍّ إلا وقد رعاها ؟ » .

وقال البيهقيُّ[٣] : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بُكير ، عن سِنَان بن إسماعيل ، عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال : لمَّا فرغ أهل مُؤْتَةَ ورجعوا ، أمَرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى مَكَّة ، فلمَّا انتهى إلى مرِّ الظَّهران نزل بالعقبة ، فأرسل الجُناة يَجْتَنُون الكَبَاث ، فقلت لسعيد : وما هو ؟ قال : ثمر الأراك . قال : فانطلق ابن مسعود فيمن يجتني . قال : فجعل أحدهم إذا أصاب حَبَّة طيِّبة قذفها في فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقَّة ساقي ابن مسعود وهو يرقى في الشَّجرة فيضحكون ، فقال رسول الله ﷺ : « تَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّة سَاقَيْهِ ؟ فوالذي نفسي بيَدِهِ لهُمَا أَثْقَلُ في الميزان من أُحد » .

وكان ابن مسعود ما اجتنى من شيءٍ ، جاء به وخياره فيه إلى رسول الله ﷺ ، فقال في ذلك[٤] :

هَـذَا جَنَـايَ وخِيَـارُه فيـهْ إذْ كـلُّ جـانٍ يـدهُ إلـى فِيـهْ

وفي « الصَّحيحين »[٥] عن أنس قال : أنفجنا[٦] أرنباً ونحن بمرِّ [الظَّهران] فسعى القوم فلغبوا ، فأدركتها فأخذتها ، فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بورِكها أو فخذيها فقبله .

وقال ابن إسحاق[٧] : ونزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران ، وقد عُمِّيت الأخبار عن قريش ، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا يدرون ما رسول الله ﷺ فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُديل بن ورقاء ، يتحسَّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به .

وذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُروة[٨] أنَّ رسول الله ﷺ بعث بين يديه خيلاً يقتصُّون

---

(١) في « صحيحه » رقم (٣٤٠٦) ومسلم رقم (٢٠٥٠) .
(٢) انظر فوائده في « زاد المعاد » (٤/ ٣٣٥) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٩) .
(٤) هذا مثل من أمثال العرب الشهيرة . انظره مع مصادره في « معجم الأمثال العربية » (١/ ٣٦٥) لصديقي وزميلي الأستاذ رياض عبد الحميد مراد ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
(٥) رواه البخاري رقم (٢٥٧٢) و(٥٤٨٩) و(٥٥٣٥) ومسلم رقم (١٩٥٣) .
(٦) أي : أثرنا . انظر « لسان العرب » (نفج) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٠) .
(٨) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٣٦) .

العيون ، وخُزَاعَة لا تدع أحداً يمضي وراءها ، فلمّا جاء أبو سفيان وأصحابه أخذتهم خيل المسلمين ، وقام إليه عمر يجأ في عنقه ، حتى أجاره العبَّاس بن عبد المطَّلب ، وكان صاحباً لأبي سفيان .

قال ابن إسحاق(١) : وقال العبَّاس حين نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران : قلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلّي أجد بعض الحطَّابة ، أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ؛ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة . قال : فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قطُّ ولا عسكراً ! قال : يقول بُديل : هذه والله خُزَاعَة حمشتها الحرب . قال : يقول أبو سفيان : خُزَاعَة أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة . فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم . قال : مالك ، فدى لك أبي وأُمي ؟ قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله ﷺ في الناس ، واصباح قريش والله . قال : فما الحيلة ، فداك أبي وأمي ؟ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك . قال : فركب خلفي ورجع صاحباه ـ وقال عُرْوَة : بل ذهبا إلى النبي ﷺ فأسلما ، وجعل يستخبرهما عن أهل مكّة . وقال الزهريُّ وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله ﷺ [قال ابن إسحاق :] قال : فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا : عمُّ رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ . حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إليَّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدوُّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . [وزعم عُرْوَة بن الزّبير أن عمر وجأ(٢) في رقبة أبي سفيان ، وأراد قتله فمنعه منه العباس .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، عن الزُّهريِّ أن عيون رسول الله ﷺ أخذوهم بأزمَّة جِمالهم ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : وفد رسول الله ﷺ . فلقيهم العباس ، فدخل بهم على رسول الله ، فحادثهم عامَّة الليل ، ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فشهدوا ، وأن محمداً رسول الله ، فشهد حكيم وبديل ، وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك . ثم أسلم بعد الصبح ، ثم سألوه أن يؤمِّن قريشاً ، فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ـ وكانت بأعلى مكة ـ ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ـ وكانت بأسفل مكة ـ ومن أغلق بابه فهو آمن » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٢) .

(٢) وجأه باليد والسكين : ضربه . انظر « القاموس المحيط » (وجأ) .

قال العباس :] ثم خرج [عمر] يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء . قال : فاقتحمتُ عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه . قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد أجرته . ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه الليلة دوني رجل . فلما أكثر عمر في شأنه . قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن [لو] كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم . فقال رسول الله ﷺ : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به » . قال : فذهبت به إلى رحلي ، فبات عندي ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد . قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ » قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أمَّا هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق فأسلم . قال العباس : فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحبُّ هذا الفخر ، فاجعل له شيئاً . قال : « [نعم] من دخل دار أبي سفيان فهو آمن [زاد عُرْوَة : « ومن دخل دار حكيم بن حِزَام فهو آمن » .

وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهريِّ] ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » . فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : « يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ؛ حتى تمرَّ به جنود الله فيراها » .

[وذكر موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ أن أبا سفيان وبُدَيْلاً ، وحكيم بن حِزَام كانوا وقوفاً مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعداً لما قال لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الحُرمة . فشكى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ ، فعزله عن راية الأنصار ، وأعطاها الزبير بن العوَّام ، فدخل بها من أعلى مكة وغرزها بالحَجون ، ودخل خالد من أسفل مكة ، فلقيه بنو بكر وهذيل ، فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا فقتلوا بالحزْورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد] .

قال [العباس(١) :] فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٢) .

أحبسه . قال : ومرَّت القبائل على راياتها ، كلما مرَّت قبيلة قال : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : سُلَيم . فيقول : مالي ولسليم . ثم تمرُّ به القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي ولمزينة . حتى نفِدت القبائل ، ما تمرُّ به قبيلة إلا سألني عنها ، فإذا أخبرته قال : مالي ولبني فلان . حتى مرَّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحَدق من الحديد ، فقال : سبحان [الله] يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً . قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة . قال : فنعم إذاً . قال : قلت : النَّجاء إلى قومك . حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عُتبة ، فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحمِيت الدَّسم الأحمس ، قبِّح من طليعة قوم . فقال أبو سفيان : ويلكم لا تغرَّنَّكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وذكر عُرْوَة بن الزُّبير أن رسول الله ﷺ لما مرَّ بأبي سفيان قال له : إني لأرى وجوهاً كثيرة لا أعرفها ، لقد كثرت هذه الوجوه عليَّ . فقال له رسول الله ﷺ : « أنت فعلت هذا وقومك ، إن هؤلاء صدَّقوني إذ كذَّبتموني ، ونصروني إذ أخرجتموني » . ثم شكى إليه قول سعد بن عبادة حين مرَّ عليه فقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الحُرمة . فقال رسول الله ﷺ : « كذب سعد ، بل هذا يوم يعظِّم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » .

وذكر عُرْوَة أن أبا سُفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ، ورأى الناس يجنحون للصلاة ، وينتشرون في استعمال الطَّهارة خاف وقال للعباس : ما بالهم ؟ قال : إنهم سمعوا النِّداء ، فهم ينتشرون للصلاة . فلما حضرت الصلاةُ ورآهم يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ، ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه ! قال : نعم ، والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه .

وذكر موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ(١) ، أنه لما توضَّأ رسول الله ﷺ جعلوا يتكفَّفون ، فقال : يا عَبَّاس ، ما رأيت كالليلة ولا مُلْكَ كِسْرى وقَيْصَرَ .

وقد روى الحافظ البيهقيُّ(٢) ، عن الحاكم وغيره ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجَبّار ، عن

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٤٠) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٣٢) .

يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكَّائيُّ ، عن ابن إسحاق منقطعة . فالله أعلم . على أنه قد روى البيهقيُّ(١) من طريق أبي بلال الأشعري ، عن زياد البكَّائيِّ ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذكر القصة ، إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله ﷺ ، وأنه لما قال له رسول الله ﷺ : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . قال أبو سفيان : وما تسع داري ؟ فقال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » . قال : وما تسع الكعبة ؟ فقال : « ومن دخل المسجد فهو آمن » . قال : وما يسع المسجد ؟ فقال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » . فقال أبو سفيان : هذه واسعة .

وقال البخاريُّ(٢) : ثنا عُبيد بن إسماعيل ، ثنا أبو أُسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً ، خرج أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حِزَام ، وبُديل بن وَرْقَاء ، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرَّ الظَّهران ، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ! فقال بديل بن ورقاء : نيران بني عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو أقلُّ من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله ﷺ ، فأسلم أبو سفيان ، فلما سار ، قال للعباس : « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » . فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمرُّ مع رسول الله ﷺ ، تمرُّ كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرَّت كتيبة فقال : يا عباس ، من هذه ؟ قال : هذه غفار . قال : ما لي ولغفار . ثم مرَّت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرَّت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرَّت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار ، عليهم سعد بن عبادة معه الراية . فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس ، حبذا يوم الذِّمار . ثم جاءت كتيبة ، وهي أقلُّ الكتائب ، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال : « ما قال ؟ » قال : كذا وكذا . فقال : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظِّم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » . وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون . قال عروة : وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم ، قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوَّام : ههنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال : نعم . قال : وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل مِن أعلى مكة من كَداء ، ودخل رسول الله ﷺ من كُدى فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان ؛ حبيش بن الأشعر ، وكُرز بن جابر الفهريُّ .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٣١ ـ ٣٢) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٠) .

وقال أبو داود[١] : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب ، فأسلم بمرِّ الظَّهران ، فقال له العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان [رجل] يحبُّ هذا الفخر ، فلو جعلت له شيئاً ؟ قال : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صِفَةُ دُخُولِهِ ـ ﷺ ـ مَكَّةَ

ثبت في « الصحيحين »[٢] من حديث مالك ، عن الزُّهريِّ ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ دخل مكَّة وعلى رأسه المِغْفَر ، فلما نزعه ، جاءه رجل فقال : إن ابن خَطَل[٣] متعلق بأستار الكعبة . فقال : « اقتلوه » . قال مالك : ولم يكن رسول الله ﷺ ، فيما نرى ، والله أعلم ، محرِماً .

وقال أحمد[٤] : ثنا عَفَّان ، ثنا حمَّاد ، أنا أبو الزُّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل [يوم فتح] مكّة وعليه عِمَامَةٌ سَوْدَاء .

ورواه أهل السنن الأربعة[٥] ، من حديث حماد بن سلمة ، وقال الترمذيُّ : حسن صحيح .

ورواه مسلم[٦] ، عن قتيبة ويحيى بن يحيى ، عن معاوية بن عمَّار الدُّهنيِّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، من غير إحرام[٧] .

وروى مسلم[٨] من حديث أبي أُسامة ، عن مساور الوَرَّاق ، عن جعفر بن عمرو بن حُريث ، عن أبيه

---

(١) في « سننه » رقم (٣٠٢١) ، وهو حديث حسن .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٨٦) ومسلم رقم (١٣٥٧) وانظر « جامع الأصول » (٨/ ٣٧٣) .
(٣) ابن خَطَل : هو عبد الله بن خَطَل التيمي ، مشرك ، أمر النبي ﷺ ، بقتله يوم فتح مكة فقتل ، وله قصة . انظر ترجمته وقصته في « جامع الأصول » (١٣/ ٤٥٥) بتحقيقي ، وإشراف والدي وأستاذي المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، طبع دار ابن الأثير ببيروت .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٦٣) ، وهو حديث صحيح .
(٥) رواه أبو داود رقم (٤٠٧٦) والترمذي رقم (١٧٣٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٩٧٥٧) وابن ماجه رقم (٢٨٢٢) و(٣٥٨٥) .
(٦) في « صحيحه » رقم (١٣٥٨) .
(٧) جاء في «صحيح مسلم»: دخل رسول الله ﷺ مكة وعليه عمامة سوداء . قال النووي : فيه جواز لباس الثياب السوداء وفي الرواية الأخرى : «خطب الناس وعليه عمامة سوداء» فيه جواز لباس الأسود في الخطبة، وإن كان الأبيض أفضل منه، كما ثبت في الحديث «خير ثيابكم البياض» وأما لباس الخطباء السواد في حال الخطبة، فجائز، ولكن الأفضل البياض، وإنما لبس العمامة السوداء في هذا الحديث بياناً للجواز .
(٨) في « صحيحه » رقم (١٣٥٩) (٤٥٣) وليس لفظ « الحرقانية » عنده وإنما سبق إلى ذهن المؤلف رحمه الله من=

قال : كأنِّي أنظر إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مَكّة وعليه عِمَامَةٌ حَرَقَانيَّة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه .

وروى مسلم في « صحيحه » ، والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ[١] من حديث عَمَّار الدُّهنيِّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء .

وروى أهل السنن الأربعة[٢] من حديث يحيى بن آدم ، عن شريك القاضي ، عن عمَّار الدُّهنيِّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر قال : كان لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة أبيض .

وقال ابن إسحاق[٣] ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عائشة قالت : كان لواء رسول الله ﷺ يوم الفتح أبيض ، ورايته سوداء تُسمَّى العُقَاب ، وكانت قطعة من مرط مرحَّل .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن معاوية بن قُرَّة قال : سمعت عبد الله بن مُغَفَّل يقول : رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة « الفتح » يرجِّع . وقال[٥] : لولا أن يجتمع الناس حولي لرجَّعت كما رجَّع .

[وقال محمد بن إسحاق[٦] : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، أن] رسول الله ﷺ لمَّا انتهى إلى ذي طُوى ، وقف على راحلته معتجراً بشقَّة برد [حِبَرة] حمراء ، وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله ، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسُّ واسطة الرَّحل .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٧] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا دَعْلَج بن أحمد ، ثنا أحمد بن عليٍّ الأبَّار ، ثنا عبد الله بن أبي بكر المقدَّميُّ ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذَقَنه على راحلته متخشعاً .

وقال[٨] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو بكر بن بالويه ، ثنا أحمد بن صاعد ، ثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، ثنا جعفر بن عون ، ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن أبي مسعود أن رجلاً كلَّم

= رواية النسائي في « السنن الكبرى » رقم (٩٧٥٩) والله أعلم .

(١) رواه مسلم رقم (١٣٥٨) والترمذي رقم (١٦٧٩) والنسائي رقم (٢٨٦٦) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٥٩٢) والترمذي رقم (١٦٧٩) والنسائي رقم (٢٨٦٦) وابن ماجه رقم (٢٨١٧) ، وهو حديث حسن عند العلماء .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٦٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢٨١) .

(٥) القائل (معاوية بن قرَّة) راوي الحديث . وانظر « فتح الباري » (٨/ ١٤) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٥) .

(٧) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٦٨) وهو عند الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٤٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وفي إسناده عبد الله بن أبي بكر المقدَّمي ، وهو ضعيف .

(٨) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٩) .

رسول الله ﷺ يوم الفتح ، فأخذته الرِّعدة ، فقال : « هوِّن عليك ، فإنَّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » . قال : وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس ، وأحمد بن يحيى بن زهير ، عن إسماعيل بن أبي الحارث ، موصولاً .

ثم رواه(١) عن أبي زكريا المزكِّي ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن عون ، عن إسماعيل عن قيس ، مرسلاً ، قال : وهو المحفوظ .

وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكَّة ، في مثل هذا الجيش الكثيف العَرَمْرَم ، بخلاف ما اعتمده سُفَهَاء بني إسرائيل ، حين أُمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود ، أي رُكَّعٌ ، يقولون : حِطَّة . فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون : حنطة في شعرة .

وقال البخاريُّ(٢) : ثنا الهيثم بن خارجة ، ثنا حفص بن ميسرة ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كَداءٍ التي بأعلى مَكّة ، وتابعه أبو أسامة ووهيب : في كَداء .

ثنا(٣) عُبيد بن إسماعيل ، ثنا أبو أُسامة ، عن هشام ، عن أبيه : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من أعلى مكة من كداء ، وهو أصحُّ .

إن أراد أن المرسل أصحُّ من المسند المتقدم انتظم الكلام ، وإلا فكداء بالمدِّ هي المذكورة في الروايتين ، وهي في أعلى مكَّة ، وكُدى مقصوراً في أسفل مكة ، وهذا هو المشهور والأنسب .

وقد تقدَّم أنَّه ، عليه السلام ، بعث خالد بن الوليد من أعلى مكّة ، ودخل هو ، عليه السلام ، من أسفلها من كُدى ، وهو في « صحيح البخاريِّ » ، فالله أعلم .

وقد قال البيهقيُّ(٤) : أنبأنا أبو الحسن بن عَبْدَان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصَّفَّارُ ، ثنا عبد الله بن [الصَّقر ، عن](٥) إبراهيم بن المنذر الحزاميّ ، ثنا معن ، ثنا عبد الله بن عمر بن حفص ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لمَّا دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل ، فتبسَّم إلى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر ، كيف قال حَسَّان ؟ » فأنشده أبو بكر ، رضي الله عنه(٦) :

---

(١) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٩) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٩٠) .
(٣) القائل البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٩١) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٦) .
(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « دلائل النبوة » .
(٦) البيتان في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ١٧) مع بعض الخلاف في ألفاظهما وهما الحادي عشر والثاني عشر من قصيدة مؤلَّفة من واحد وثلاثين بيتاً .

عدِمت بنيّتي إن لم تروها تثير النّقع من كتفي كَداء[١]
ينازعن الأعنّة مسرَجات يلطّمهن بالخُمُر النساء

فقال رسول الله ﷺ : « ادخُلُوها مِنْ حَيْثُ قال حَسّان » .

وقال محمد بن إسحاق[٢] : حدَّثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه ، عن جدتّه أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لمَّا وقف رسول الله ﷺ بذي طوى ، قال أبو قُحَافة لابنة له من أصغر ولده : أي بنيَّة ، اظهري بي على أبي قُبيس . قالت : وقد كُفَّ بصره . قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أي بنيَّة ، ماذا تَرين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً . قال : تلك الخيل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السَّواد مقبلاً ومُدْبراً . قال : أي بنيّة ، ذلك الوازع . يعني الذي يأمر الخيل ويتقدَّم إليها . ثم قالت : قد والله انتشر السَّواد .

فقال : قد والله إذاً دفعت الخيل ، فأسرعي بي إلى بيتي . فانحطَّت به ، وتلقَّاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته . قالت : وفي عنق الجارية طوق من ورِق ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها . قالت : فلمَّا دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلمَّا رآه رسول الله ﷺ قال : « هلاَّ تركت الشَّيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ » قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشيَ أنت إليه . قال : فقالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال : « أسلم » . فأسلم . قالت : ودخل به أبو بكر ، وكان رأسه كالثَّغامة بياضاً ، فقال رسول الله ﷺ : « غيِّروا هذا من شعره » . ثم قام أبو بكر ، فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشُد الله والإسلام طوق أختي . فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أي أُخيَّة ، احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل . يعني الصِّدِّيق ذلك اليوم على التَّعيين ؛ لأن الجيش فيه كثرة ، ولا يكاد أحد يلوي على أحد مع انتشار الناس ، ولعل الذي أخذه تأوَّل أنَّه من حربيٍّ ، والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٣] : ثنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العبَّاس الأصمُّ ، ثنا بحر بن نصر ، ثنا ابن وهب ، أخبرني ابن جريج ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة ، فأتى به النبيَّ ﷺ ، فلمَّا وقف به على رسول الله ﷺ قال : « غيِّروه ولا تقرِّبوه سواداً » .

قال [ابن وهب] : وأخبرني عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله ﷺ هنَّأ أبا بكر بإسلام أبيه .

---

(١) في رواية هذا البيت إقواء .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٥) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٩٦) .

قال ابن إسحاق[١] : فحدَّثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن رسول الله ﷺ حين فرَّق جيشه من ذي طوى ، أمر الزُّبير بن العوَّام أن يدخل في بعض الناس من كُدى ، وكان الزُّبير على المجنَبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كَداء .

قال ابن إسحاق[٢] : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجَّه داخلاً قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحلُّ الحرمة . فسمعها رجل ، قال ابن هشام : يقال : إنه عمر بن الخطاب ، فقال : [يا رسول الله ،] أتسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟! ما نأمن أن يكون له في قريش صولة . فقال رسول الله ﷺ لعليٍّ : « أدركه فخذ الراية منه ، فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن إسحاق ، أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عبادة حين مرَّ به . وقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحلُّ الحرمة ـ يعني الكعبة ـ فقال النبيُّ ﷺ : « بل هذا يوم تعظَّم فيه الكعبة » . وأمر بالراية ـ راية الأنصار ـ أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال : إنها دُفعت إلى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ : دفعها إلى الزُّبير بن العوام . فالله أعلم .

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار ، ثنا عبد الله بن السَّريِّ الأنطاكيُّ ، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، وحدَّثني موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : دفع رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادة ، فجعل يهزُّها ويقول : اليوم يوم الملحمة ، يوم تستحلُّ الحرمة . قال : فشقَّ ذلك على قريش وكبُر في نفوسهم . قال : فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في مسيره وأنشأت تقول[٣] : [من الخفيف]

يـا نبـيَّ الهُـدى إليـك لَجَـا حَيْـ ... يُ قـريـشٍ ولاتَ حيـنَ لَجَـاءِ
حيـن ضـاقـت عليهـمُ سَعَـةُ الأر ... ضِ وعَـادَاهُـمْ إلـهُ السَّمَـاء
[والتقـت حلقتا البِطَانِ على القو ... مِ ونُـودُوا بـالصَّيلـم الصَّلعـاءِ][٤]
إن سعـداً يـريـد قـاصِمَـة الظَّهْـ ... ـرِ بـأهـل الحَجُـونِ والبَطْحَـاءِ
خَـزْرَجِـيٌّ لـو يستطيـعُ مـن الغَيْـ ... ـظِ رَمَـانَـا بـالنَّسـر والعَـوَّاءِ
فَـانهَيَنْـهُ فـإنّـه الأَسَـدُ الأسْـ ... ـودُ واللّيـث والـغٌ فـي الـدِّمَـاءِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٦) .
(٣) الأبيات الثاني والثالث والرابع والخامس والسابع والثامن في « الروض الأُنف » للسهيلي (٧/٩٩ ـ ١٠٠) ونسبها لضرار بن الخطّاب .
(٤) هذا البيت لم يرد في (آ) و(ط) وأثبته من « الروض الأنف » (٧/١٠٠) .

فلئــن أقحــم اللــواءَ ونَــادَى   يــا حُمَــاةَ اللّــوَاءِ أَهْــلَ اللّــواءِ
لَتكُــونَــنَّ بــالبطَــاحِ قــريــشٌ   بقعــة القــاع فــي أكــفِّ الإمــاءِ
إنّــه مُصْلَــتٌ يُــريــد لهــا الــرأْ   يَ صَمُــوتٌ كــالحيَّــةِ الصَّمَّــاءِ

قال : فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورَأفةٌ بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ، ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد . قال : فيروى أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أحبَّ أن لا يخيِّبها إذ رغبت إليه واستغاثت به ، وأحبَّ أن لا يغضب سعد ، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه .

قال ابن إسحاق(١) : وذكر ابن أبي نَجيح في حديثه أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللِّيط أسفل مكَّة في بعض الناس، وكان خالد على المجنبة اليمنى، وفيها: أسلم، وسليم، وغفار، ومزينة ، وجهينة، وقبائل من قبائل العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجرَّاح بالصَّفِّ من المسلمين، ينصبُّ لمكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر، حتى نزل بأعلى مكة، فضربت له هنالك قُبَّتُهُ .

وروى البخاريُّ(٢) ، من حديث الزُّهريِّ ، عن عليِّ بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أُسامة بن زيد ، أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله ، أين تنزل غداً ؟ فقال : « وهل ترك لنا عقيل من رِباع ؟ » . ثم قال : « لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن » .

ثم قال البخاريُّ(٣): ثنا أبو اليَمَان، ثنا شعيب ، ثنا أبو الزِّناد ، عن عبد الرحمن ، عن أبي سلمى عن أبي هُريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: « منزلنا ـ إن شاء الله، إذا فتح الله ـ الخَيْفُ، حيث تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ » .

وقال الإمام أحمد(٤) : ثنا يونس ، ثنا إبراهيم ، يعني ابن سعد ، عن الزُّهريِّ ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « منزلنا غداً ، إن شاء الله ، بخَيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » . ورواه البخاريُّ(٥) من حديث إبراهيم بن سعد ، به نحوه .

وقال ابن إسحاق(٦) : وحدَّثني عبد الله بن أبي نَجيح وعبد الله بن أبي بكر ، أن صَفْوَان بن أُمية ، وعِكْرِمَة بن أبي جهل ، وسُهَيل بن عمرو ، كانوا قد جمعوا ناساً بالخَنْدَمَةِ ليقاتلوا ، وكان حِمَاسُ بن قيس بن خالد ، أخو بني بكر يُعِدُّ سلاحاً قبل قدوم رسول الله ﷺ ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٧) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١٥٨٨) و(٤٢٨٢) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٤) .
(٤) في « المسند » (٢/٣٥٣) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٥) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٧) .

تُعِدُّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه . فقالت : والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء . قال : والله إني لأرجو أن أُخدمك بعضهم . ثم قال : [من الرجز]

إن يُقْبلوا اليوم فما لي عِلَّهْ هَـذَا سِـلاَحٌ كَـامِـلٌ وألَّـهْ
وذو غِرَارَينِ سريعُ السَّلَّهْ

قال : ثم شهد الخَنْدَمَةَ[(١)] مع صفوان ، وعِكْرِمَة ، وسهيل ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ، ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كرز بن جابر ، أحد بني محارب بن فهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني منقذ ، وكانا في جيش خالد ، فشذا عنه ، فسلكا غير طريقه ، فقتلا جميعاً ، وكان قبل كرز قتل خنيس . قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهنيُّ ، وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ، ثم انهزموا ، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقي عليَّ بابي . قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال : [من الرجز]

إنّـك لـو شَهِـدْتِ يـوم الخَنْـدَمَـه إذ فـرَّ صَفْـوانُ وفَـرَّ عِكْـرِمَـهْ
وأبـو يـزيـدَ قـائـمٌ كـالمـوتَمة[(٢)] واستقبلتهـم بـالسيـوف المسلمـهْ
يقطعـن كـلَّ سـاعـد وجُمجمـة ضـربـاً فـلا يسمـع إلا غمغمـهْ
لهـم نَهيـت خلفنـا وهمهمـة لـم تنطقـي فـي اللـوم أدنـى كلِمـهْ

قال ابن هشام[(٣)] : وتُروى هذه الأبيات للرَّعَّاش الهُذليِّ .

قال : وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله . وشعار الأوس : يا بني عبيد الله .

وقال الطبرانيُّ[(٤)] : ثنا عليُّ بن سعيد الرازيُّ ، ثنا أبو حسان الزِّياديُّ ، ثنا شعيب بن صفوان ، عن عطاء بن السائب ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله حرَّم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر ، وما حِياله من السماء حرام ، وإنه لا يحلُّ لأحد قبلي ، وإنما حلَّ لي ساعة من نهار ، ثم عاد كما كان » . فقيل له : هذا خالد بن الوليد يقتل . فقال : « قم يا فلان فأْت خالد بن الوليد ، فقل له فليرفع يديه من القتل » . فأتاه الرجل فقال : إن النبيَّ ﷺ

(١) الخندمة : جبل بمكّة . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٤٨٤) .
(٢) قال الخشني : الموتمة : هي التي قتل زوجها فبقي لها أيتام . « شرح غريب السيرة » (٣/ ٧٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٤٠٩) .
(٤) رواه الطبراني في « الكبير » (١١٠٠٣) وفي « الأوسط » رقم (٣٨٧٨) وفي « سنده » شعيب بن صفوان الثقفي وهو ضعيف عند التفرد ، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، ورواية شعيب بن صفوان عنه بعد الاختلاط .

يقول : اقتل من قدرت عليه . فقتل سبعين إنساناً ، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له ، فأرسل إلى خالد فقال : « ألم أنهك عن القتل ؟ » فقال : جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرتُ عليه . فأرسل إليه : « ألم آمرك ؟ » قال : أردتُ أمراً ، وأراد الله أمراً ، فكان أمر الله فوق أمرك ، وما استطعت إلا الذي كان . فسكت عنه النبيُّ ﷺ ، فما ردَّ عليه شيئاً .

قال ابن إسحاق[١] : وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، غير أنه أهدر دم نفر سمَّاهم ، وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ، وهم عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ؛ كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتدَّ ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكَّة وقد أهدر دمه ، فرَّ إلى عثمان ، وكان أخاه من الرَّضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له ، صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم قال : « نعم » . فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني قد صمتُّ فيقتله » . فقالوا : يا رسول الله ، هلا أومأت إلينا ؟ فقال : « إن النبيَّ لا يقتُل بالإشارة » .

وفي رواية : « إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن تكون له خائنة الأعين » .

قال ابن هشام[٢] : وقد حَسُنَ إسلامه بعد ذلك ، وولاه عمر بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح ، أو بعد انقضاء صلاتها في بيته ، كما سيأتي بيانه .

قال ابن إسحاق[٣] : وعبد الله بن خطل ؛ رجل من بني تيم بن غالب ـ قلت : ويقال : إن اسمه عبد العزَّى بن خطل . ويحتمل أنه كان كذلك ، ثم لما أسلم سمِّي عبد الله ـ ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدِّقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله ، ثم ارتدَّ مشركاً[٤] ، وكان له قَينتان ؛ فَرْتَنَى وصاحبتها ، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قَينتيه ، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو برزة الأسلميُّ ، وسعيد بن حُريث المخزوميُّ ، وقتلت إحدى قَينتيه ، واستؤمن للأخرى . قال : والحُويرث بن نُقَيذ بن وهب بن عبد بن قصيٍّ ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكَّة ، ولما تحمَّل العباس بفاطمة وأمِّ كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة ، نخس بهما الحُويرث هذا الجمل الذي هما عليه ، فسقطتا إلى الأرض ، فلما أُهدر دمه قتله عليُّ بن أبي طالب . قال : ومِقْيَس بن صُبابة ؛ لأنه قتل قاتل أخيه خطأً بعدما أخذ الدِّيَة ، ثم ارتدَّ مشركاً ، قتله رجل من قومه يقال له : نُميلة بن عبد الله . قال : وسَارَة

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٩ـ٤١٠) .
(٤) ولتمام الفائدة انظر « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » (٤/٦١) وتعليقي على « عمدة الأحكام » ص (١٥٧) .

مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل ؛ لأنها كانت تؤذي رسول الله ﷺ وهي بمكّة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحمّلت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة ، وكأنها عُفي عنها أو هربت ثم أُهدر دمها ، والله أعلم ، فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمّنها ، فعاشت إلى زمن عمر فأَوطَأها رجلٌ فرساً فماتت . وذكر السُّهيليُّ[١] أن فَرْتَنَى أسلمت أيضاً .

قال ابن إسحاق[٢] : وأما عِكْرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أُمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، واستأمنت له من رسول الله ﷺ فَأَمَّنه ، فذهبت في طلبه ، حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم .

وقال البيهقي[٣] : أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمِش الفقيه ، أنبأ أبو بكر محمد بن الحسين القطّان ، أنبأ أحمد بن يوسف السُّلميُّ ، ثنا أحمد بن المفضَّل ، ثنا أسباط بن نصر الهمدانيُّ ، قال : زعم السُّدِّيُّ ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، وقال : « اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلِّقين بأستار الكعبة » . وهم عِكْرِمَة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خَطَل ، ومِقْيَسُ بن صُبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح . فأما عبد الله بن خَطَل فأُدرك وهو متعلِّق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حُريث ، وعمَّار بن ياسر ، فسبق سعيد عمّاراً ، وكان أشبَّ الرجلين ، فقتله ، وأما مِقْيَسُ فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عِكْرِمَةُ فركب البحر فأصابتهم قاصف ، فقال أهل السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا . فقال عكرمة : والله لئن لم ينج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجي في البرِّ غيره ، اللهم إنَّ لك عليَّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه ، أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنَّه عفوّاً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح فإنه اختبأ عند عثمان بن عَفّان ، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، بايع عبد الله . فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً ، كلُّ ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا : ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك ، هلا أومأت إلينا بعينك ؟ فقال : « إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن تكون له خائنة الأعين » .

ورواه أبو داود والنَّسائيُّ[٤] من حديث أحمد بن المفضَّل به نحوه .

---

(١) انظر « الرّوض الأنف » (٧/ ١١١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٠) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٥٩) .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢٦٨٣) والنسائي رقم (٤٠٧٨) ، وهو حديث صحيح .

وقال البيهقيُّ[(١)] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصمُّ ، أنبأنا أبو زُرعة الدِّمشقيُّ ، ثنا الحَسَن بن بِشْر الكُوفيُّ ، ثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : أَمَّن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مَكَّة إلا أربعة ؛ عبد العزَّى بن خَطَل ، ومِقْيَس بن صُبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وأُمّ سَارَة .

فأمَّا عبد العزَّى بن خَطَل فإنه قُتل وهو متعلِّق بأستار الكعبة . قال : ونذر رجل من الأنصار أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح إذا رآه ، وكان أخا عثمان بن عَفَّان من الرَّضاعة ، فأتى به رسولَ الله ﷺ ليشفع له ، فلما بُصر به الأنصاريُّ اشتمل على السَّيف ، ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله ﷺ ، فجعل يتردَّد ويكره أن يقدم عليه ، فبسط النبيُّ ﷺ يده فبايعه ، ثم قال للأنصاريِّ : « قد انتظرتك أن توفي بنذرك » . قال : يا رسول الله ، هِبْتك ، أفلا أَومَضْتَ إليَّ ؟ قال : « إنه ليس للنبيِّ أن يُومِض » .

وأما مِقْيَس بن صُبَابة ، فذكر قصته في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ، ثم ارتداده بعد ذلك . قال : وأما أُمُّ سَارَة فكانت مولاة لقريش ، فأتت النبيَّ ﷺ فشكت إليه الحاجة فأعطاها شيئاً ، ثم بعث معها رجلٌ بكتاب إلى أهل مكّة ، فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة .

وروى محمد بن إسحاق[(٢)] ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، أن مِقْيَس بن صُبابة قُتل أخوه هشام يوم بني المصطلق ، قتله رجل من المسلمين وهو يظنُّه مشركاً ، فقدم مِقْيَس مظهراً للإسلام ليطلب دِيَة أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع إلى مَكَّة مشركاً ، فلما أهدر رسول الله ﷺ دمه قُتِلَ وهو بين الصَّفا والمروة .

وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقيُّ[(٣)] شعره حين قتل قاتل أخيه ، وهو قوله : [من الطويل]

شفى النفس من[(٤)] قد بات بالقاع مسنداً ... يضرِّج ثوبيه دماءُ الأخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله ... تلمُّ وتنسيني وطاء المضاجع
قتلت به فِهراً وغرَّمت عقله ... سَراة بني النَّجَّار أرباب فارع
حللت به نذري وأدركت ثؤرتي ... وكنت إلى الأوثان أول راجع

[قلت :] وقيل : إن القَينتين اللّتين أُهدر دمهما كانتا لمِقْيَس بن صُبابة هذا ، وإنَّ ابن عمه قتله بين الصفا والمروة .

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٠) .
(٢) وهو عند البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٦١) من طريقه .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٣) و« دلائل النبوة » (٥/ ٦١) .
(٤) في « السيرة النبوية » و« دلائل النبوة » : « أن » .

وقال بعضهم : قتل ابن خَطَل الزُّبير بن العَوَّام ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[١] : حدَّثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرَّة مولى عقيل بن أبي طالب ، أن أُمَّ هانئ ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم .

قال ابن هشام[٢] : هما الحارث بن هشام ، وزهير بن أبي أُمية بن المغيرة .

قال ابن إسحاق[٣] : وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزوميِّ ، قالت : فدخل عليَّ أخي عليُّ بن أبي طالب فقال : والله لأقتلنّهما . فأغلقتُ عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مَكَّة ، فوجدته يغتسل من جفنة[٤] ، إنَّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشَّح به ، ثم صلى ثمانيَ ركعات من الضحى ، ثم انصرف إليَّ ، فقال : « مرحباً وأهلاً بأُمِّ هانئ ، ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليٍّ ، فقال : « قد أجرنا من أَجْرتِ وأَمَّنَّا من أَمَّنتِ ، فلا يَقْتُلُهما » .

وقال البخاريُّ[٥] : ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرَّة ، عن ابن أبي ليلى قال : ما أخبرنا أحد أنه رأى النبيَّ ﷺ يصلِّي الضُّحى غير أمِّ هانئ ، فإنها ذكرت أنه يوم فتح مَكّة اغتسل في بيتها ، ثم صلَّى ثمانيَ ركعات . قالت : ولم أره صلَّى أخفَّ منها ، غير أنه يتمُّ الرّكوع والسجود .

وفي « صحيح مسلم »[٦] من حديث اللَّيث ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن سعيد بن أبي هند ، أن أبا مُرَّة مولى عقيل حَدَّثَهُ أن أمَّ هانئ بنت أبي طالب حدَّثته أنه لما كان عام الفتح ، فَرَّ إليها رجلان من بني مخزوم فأجارتْهما ، قالت : فدخل عليَّ عليٌّ فقال : أقتلهما . فلما سمعتُه أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مَكَّة ، فلما رآني رحَّب ، وقال : « ما جاء بكِ ؟ » قلت : يا نبيَّ الله ، كنت أَمَّنت رجلين من أحمائي ، فأراد عليٌّ قتلهما . فقال رسول الله ﷺ : « قد أجرنا من أجرتِ يا أمَّ هانئ » .

ثم قام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوباً فالتحف به ، ثم صلى ثمانيَ ركعات سبحة الضُّحى .

وفي رواية[٧] : أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال : « من هذه ؟ » قالت :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .
(٤) الجفنة : كالقصعة . انظر « مختار الصحاح » (جفن) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٩٢) .
(٦) رقم (٣٣٦) (٧١) مختصراً في الحيض : باب تستر المغتسل بثوب ونحوه ، واللفظ الذي ساقه المؤلف فهو للبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٨٠) .
(٧) وهي بنحوها عند البخاري في « صحيحه » رقم (٣٥٧) وعند مسلم رقم (٣٣٦) (٨٢) .

أمُّ هانئ . قال : « مرحباً بأمِّ هانئ » . قالت : يا رسول الله ، زعم ابن أُمِّي عليُّ بن أبي طالب أنه قاتلٌ رجلين قد أجرتهما . فقال : « قَدْ أَجَرْنَا من أجرت يا أمَّ هانئ » . قالت : ثم صلى ثماني ركعات ، وذلك ضحى . فظَن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون : بل كانت هذه صلاة الفتح . وجاء التصريح بأنه كان يسلِّم مِنْ كلِّ ركعتين .

وهو يردُّ على السهيليِّ [١] وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانياً بتسليمة واحدة .

وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ، ثماني ركعات ، يُسَلّم من كل ركعتين ، ولله الحمد .

قال ابن إسحاق [٢] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صَفية بنت شَيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكَّة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الرُّكن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها فوجد فيها حَمَامَةً من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفَّ له الناس في المسجد .

وقال موسى بن عقبة [٣] : ثم سَجَدَ سَجْدَتين ، ثم انصرف إلى زمزم فاطَّلع فيها ودعا بماءٍ فشرب منها وتوضأ ، والناس يبتدرون وضوءه ، والمشركون يتعجَّبون من ذلك ، ويقولون : ما رأينا ملكاً قط ولا سمعنا به ـ يعني مثل هذا ـ وأخَّر المقام إلى مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت .

قال محمد بن إسحاق [٤] : فحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كلُّ مأثُرة أو دم أو مال يُدَّعى فهو موضوع تحت قدميَّ هاتين ، إلا سِدانة البيت وسقاية الحاجِّ ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسَّوط والعصا ففيه الدية مغلَّظة ؛ مئة من الإبل ؛ أربعون منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية كلها [الحجرات : ١٣] . ثم قال : « يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيراً ؛ أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « اذهبوا فأنتم الطُّلقاء » . ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام إليه عليُّ بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ،

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٧/ ١٠٨) والمقصود بقوله : « وغيره » الطبري كما جاء مبيناً عند السُّهيلي .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٤٥) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٢) ، وإسناده معضل . قال الحافظ العراقي في تخريجه : رواه ابن الجوزي في « الوفا » من طريق ابن أبي الدنيا ، وفيه ضعف .

فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السّقَاية ، صلّى الله عليك . فقال رسول الله ﷺ : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعي له فقال : « هاكَ مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برٍّ ووفاء » .

وقال الإمام أحمد(١) : ثنا سفيان ، عن ابن جُدْعَان ، عن القاسم بن ربيعة ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ، يوم فتح مَكّة، وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذي صدَق وعدَه ، ونصر عبدَه ، وهزم الأحزاب وحدَه، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسَّوط أو العصا فيه مئة من الإبل ». وقال مرة أخرى : « مغلَّظة فيها، أربعون خَلِفة في بطونها أولادها، ألا إن كلَّ مأثُرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى ـ وقال مرة: ومال ـ تحت قدميَّ هاتين ، إلا ما كان من سقاية الحاجِّ وسِدَانَة البيت ، فإني أمضيتهما لأهلهما على ما كانت » .

وهكذا رواه أبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه(٢) من حديث علي بن زيد بن جُدْعَان ، عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفانيِّ ، عن ابن عمر به .

قال ابن هشام(٣) : وحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم ، عليه السلام ، مصوَّراً في يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : « قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ؟! ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ »[آل عمران : ٦٧] ثم أمر بتلك الصُّور كلِّها فطمست .

وقال الإمام أحمد(٤) : ثنا سليمان ، أنبأ عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان في الكعبة صور ، فأمر رسول الله ﷺ [عمر بن الخطاب] أن يمحوها ، فبلَّ عمر ثوباً ومحاها به ، فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء .

وقال البخاريُّ(٥) : ثنا صدقة بن الفضل ، ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمئة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ، ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ، جاء الحقُّ وما يبدئ الباطل وما يعيد » .

وقد رواه مسلم(٦) من حديث ابن عُيينة .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١١)، إسناده ضعيف بطوله ، ولأوله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود رقم (٤٥٤٧) فهو به حسن .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٥٤٩) وابن ماجة رقم (٢٦٢٨) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٣) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٦) ، وهو حديث صحيح .

(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٧) .

(٦) رقم (١٧٨١) في الجهاد والسّير : باب إزالة الأصنام من حول الكعبة .

وروى البيهقيُّ[١] ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عليِّ بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه قال : دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة ، وعلى الكعبة ثلاثمئة صنم ، فأخذ قضيبه فجعل يهوي به إلى الصنم ، وهو يهوي ، حتى مرَّ عليها كلِّها .

ثم من طريق سويد ، عن القاسم بن عبد الله ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا دخل مَكَّة وجد بها ثلاثمئة وستين صنماً ، فأشار إلى كلِّ صنم بعصاً وقال : « جاء الحقّ وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فكان لا يشير إلى صَنَمٍ إلا ويَسْقُطُ من غير أن يمسَّه بعصاه .

ثم قال : وهذا وإن كان ضعيفاً ، فالذي قبله يؤكده .

وقال حنبل بن إسحاق[٢] : أنبأنا أبو الربيع ، عن يعقوب القمِّيِّ ، ثنا جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبزى قال : لمَّا افتتح رسول الله ﷺ مكة ، جاءت عجوز شمطاء حبشيَّة تخمش وجهها ، وتدعو بالويل ، فقال رسول الله ﷺ : « تلك نائلة ، أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبداً » .

وقال ابن هشام[٣] : حدَّثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أنَّه قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها ، وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرَّصاص ، فجعل النبيُّ ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أَسدٍ الخزاعيُّ : [من الوافر]

وفـي الأصنـام معتبَـرٌ وعلـمٌ   لمن يرجو الثّواب أو العِقَابَا

وفي « صحيح مسلم »[٤] عن شيبان بن فروخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي هريرة ، في حديث فتح مكة ، قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه ، وطاف بالبيت ، وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله ﷺ قوس ، وهو آخذ بسِيتها ، فلمَّا أتى على الصنم ، جعل يطعُن في عينه ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فلمَّا فرغ من طوافه أتى الصفا ، فعلا عليه ، حتى نظر إلى البيت ، فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٧١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٦) .
(٤) رقم (١٧٨٠) .

وقال البخاريُّ[١] : ثنا إسحاق بن منصور، ثنا عبد الصّمد، ثنا أبي ، ثنا أيوب ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا قدم مَكَّة، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأُخرجت ، فأُخرج صورة إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام ، وفي أيديهما من الأزلام، فقال: « قاتلهم الله ، لقد علموا ما استقسما بها قطُّ » . ثم دخل البيت ، فكبّر في نواحي البيت ، وخرج ولم يصلِّ . تفرَّد به البخاريُّ دون مسلم .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا عبد الصمد ، ثنا همام ، ثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سوار ، فقام إلى كلِّ سارية ، فدعا ولم يصلِّ فيه . ورواه مسلم ، عن شيبان بن فرُّوخ ، عن همام بن يحيى العوذيِّ ، عن عطاء به .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا هارون بن معروف ، ثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أنَّ بكيراً حدَّثه عن كريب ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم ، فقال : « أمَّا هم فقد سمعوا أنَّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هذا إبراهيم مصوَّراً ، فما باله يستقسم ؟! » .

وقد رواه البخاريُّ والنسائيُّ[٤] من حديث ابن وهب به .

وقال الإمام أحمد[٥]: ثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، أخبرني عثمان الجزريُّ، أنَّه سمع مِقسماً يحدِّث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ البيت فدعا في نواحيه ، ثم خرج فصلَّى ركعتين . تفرَّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا إسماعيل ، أخبرنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ صلَّى في البيت ركعتين .

قال البخاريُّ[٧] : وقال الليث : ثنا يونس ، أخبرني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته ، مردفاً أسامة بن زيد ، [ومعه بلال] ، ومعه عثمان بن طلحة ، من الحجبة ، حتى أناخ في المسجد ، فأمره أن يأتي بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فمكث فيه نهاراً طويلاً ، ثم خرج فاستبق الناسُ ، فكان عبد الله بن عمر أول

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٨) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣١١) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٣٣١) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٧٧) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٣٥١) والنسائي في « السنن الكبرى » (٩٧٧٢) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٨٣) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٠) ، وهو حديث صحيح .
(٧) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٨٩) تعليقاً ورقم (٢٩٨٨) موصولاً .

من دخل ، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله : أين صلى رسول الله ﷺ ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلَّى فيه . قال عبد الله : فنسيت أن أسأله كم صلَّى من سجدة .

ورواه الإمام أحمد(١) ، عن هشيم ، ثنا غير واحد وابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ البيت ومعه الفضل بن عباس ، وأسامة بن زيد ، وعثمان بن طلحة ، وبلال ، فأمر بلالاً فأجاف عليهم الباب ، فمكث فيه ما شاء الله ، ثم خرج . قال ابن عمر : فكان أوَّل من لقيت منهم بلالاً ، فقلت : أين صلَّى رسول الله ﷺ ؟ قال : هاهنا بين الأسطوانتين .

قلت : وقد ثبت في « صحيح البخاريِّ » وغيره(٢) ، أنَّه ﷺ صلى في الكعبة تلقاء وُجهة بابِها من وراء ظهره ، فجعل عمودين عن يمينه ، وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربيِّ مقدار ثلاثة أذرع .

قال ابن هشام(٣) : وحدَّثني بعض أهل العلم ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذِّن ، وأبو سفيان بن حرب وعتَّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتَّاب : لقد أكرم الله أَسِيداً أن لا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محقٌّ لاتَّبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلَّمت لأَخبرت عني هذه الحصا . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « قد علمت الذي قلتم » . ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتَّاب : نشهد أنَّك رسول الله ، ما اطَّلع على هذا أحد كان معنا فنقول : أخبرك .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني والدي ، حدَّثني بعض آل جبير بن مطعم ، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا دخل مكة أمر بلالاً ، فعلا على الكعبة على ظهرها ، فأذَّن عليها بالصلاة ، فقال بعض بني سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يسمع(٤) هذا الأسود على ظهر الكعبة .

وقال عبد الرزاق(٥) ، عن معمر ، عن أيوب قال : قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذَّن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعِد ؟! فقال : دعه ، فإن يكن الله يكرهه ، فسيغيِّره .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/٣) ، وهو حديث صحيح ، لكن قوله : ومعه الفضل بن عباس شاذ .
(٢) هو عند البخاري رقم (٥٠٥) وعند أبي داود رقم (٢٠٢٣) وعند النسائي رقم (٧٤٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤١٣) .
(٤) في « دلائل النبوة » للبيهقي : « قبل أن يرى » .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/٧٩) .

وقال يونس بن بكير وغيره ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، أنَّ رسول الله ﷺ أمر بلالاً عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين .

وقال محمد بن سعد(١) ، عن محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، أنَّ أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً ، فقال في نفسه : لو جمعت لمحمد جمعاً ، فإنَّه ليحدِّث نفسه بذلك ، إذ ضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال : « إذاً يُخْزِيْكَ الله » . قال : فرفع رأسه ، فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه ، فقال : ما أَيْقَنْتُ أنَّك نبيٌّ حتى السَّاعة .

قال البيهقيُّ : وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إجازة ، أنبأنا أبو حامد أحمد بن علي بن الحسن المقرى ، أنبأنا أحمد بن يوسف السُّلميُّ ، ثنا محمد بن يوسف الفِرْيَابيُّ ، ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السَّفر ، عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطؤون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال . فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدره فقال : « إذاً يخزيك الله » . فقال : أتوب إلى الله ، وأستغفر الله مما تفوَّهتُ به . ثم روى البيهقيُّ ، من طريق ابن خزيمة وغيره ، عن أبي حامد بن الشَّرقيِّ ، عن محمد بن يحيى الذُّهليِّ ، ثنا [محمد] بن موسى بن أعين الجزريُّ ، ثنا أبي ، عن إسحاق بن راشد ، عن الزُّهريِّ ، عن سعيد بن المسيَّب قال : لمَّا كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح ، لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم ، هذا من الله . قال : ثم أصبح أبو سفيان فغدا إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « قلت لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم ، هذا من الله » . فقال أبو سفيان : أشهد أنَّك عبد الله ورسوله ، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند .

وقال البخاريُّ(٢) : ثنا إسحاق ، ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، أخبرني حسن بن مسلم ، عن مجاهد ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة ، لم تحلَّ لأحد قبلي ، ولا تحلُّ لأحد بعدي ، ولم تحلل لي إلا ساعة من الدَّهر ، لا ينفَّر صيدها ، ولا يعضد شوكها ، ولا يختلى خلاها ، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد » . فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الإذخر يا رسول الله ؛ فإنَّه لا بدَّ منه للقَين والبيوت . فسكت ثم قال : « إلا الإذخر ، فإنَّه حلال » .

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٠٢) .

(٢) في « صحيحه » رقم (٤٣١٣) .

وعن ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم ـ هو ابن مالك الجزريُّ ـ عن عكرمة[١] ، عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ . تفرَّد به البخاريُّ من الوجه الأوَّل ، وهو مرسل ، ومن الوجه الثاني أيضاً .

وبهذا الحديث وأمثاله استدلَّ من ذهب إلى أن مَكَّة فتحت عَنْوَة ، وللوقعة التي كانت في الخَنْدَمَة[٢] ، كما تقدَّم ، وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين ، وهي ظاهرة في ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء . والمشهور عن الشافعيِّ أنها فتحت صلحاً ؛ لأنها لم تقسم ، ولقوله ﷺ ليلة الفتح : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » . وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب « الأحكام الكبير » ، إن شاء الله تعالى .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا سعيد بن شرحبيل ، ثنا الليث ، عن المقبريِّ ، عن أبي شريح العدويِّ ، أنَّه قال لعمرو بن سعيد ، وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيُّها الأمير ، أحدِّثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعتْه أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلَّم به ؛ إنَّه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إنَّ مكة حرَّمها الله ولم يحرِّمها الناس ، لا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجراً ، فإنْ أحد ترخَّص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إنَّ الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم . وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلِّغ الشاهد الغائب » . فقيل لأبي شريح : ماذا قال لك عمرو ؟ قال : قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فارّاً بدم ، ولا فاراً بخربة .

وروى البخاريُّ أيضاً ومسلم[٤] ، عن قتيبة ، عن اللّيث بن سعد به نحوه .

وذكر ابن إسحاق[٥] أن رجلاً يقال له : ابن الأَثْـوَع . قتل رجلاً في الجاهلية من خُزَاعَة يقال له : أحمر بأساً . فلمَّا كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوع وهو بمكة ، قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ : « يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، لقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم رجلاً لأدينَّه » .

---

(١) يعني (عكرمة البَرْبَرِيّ) مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، مات سنة (١٠٤) وقيل (١٠٥)هـ . انظر « تقريب التهذيب » ص(٣٩٧) و« شذرات الذهب » (٢/ ٣٢) بتحقيقي .

(٢) الخندمة : جبل بمكَّة . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٤٨٤) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٩٥) .

(٤) هو عند البخاري رقم (١٨٣٢) وعند مسلم رقم (١٣٥٤) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلميُّ ، عن سعيد بن المسيَّب قال : لمَّا بلغ رسولَ الله ﷺ ما صنع خراش بن أميَّة قال : « إنَّ خراشاً لقتَّال » .

وقال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني سعيد بن أبي سعيد المقبريُّ ، عن أبي شريح الخزاعيِّ العدويِّ قال : لمَّا قدم عمرو بن الزّبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ، فلمَّا كان الغد من يوم الفتح ، عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال : « يا أيُّها الناس ، إن الله قد حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة ، فلا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ، ولا يعضد فيها شجراً ، لم تحلل لأحد كان قبلي ، ولا تحلُّ لأحد يكون بعدي ، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة ؛ غضباً على أهلها ، ألا ثُمَّ قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلِّغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إنَّ رسول الله ﷺ قد قاتل فيها . فقولوا : إنَّ الله قد أحلَّها لرسوله ، ولم يحلَّها لكم . يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينَّه ، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النَّظرين ؛ إن شاؤوا فدم قاتله ، وإنْ شاؤوا فعقله » . ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيُّها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية . فقال أبو شريح : إني كنتُ شاهداً ، وكنتَ غائباً ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلِّغ شاهدنا غائباً ، وقد أبلغتك ، فأنت وشأنك .

قال ابن هشام[٣] : وبلغني أنَّ أوَّل قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْدب بن الأكوع ، قتلتْه بنو كعب ، فوداه رسول الله ﷺ بمئة ناقة .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا يحيى ، عن حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : لمَّا فتحت مكَّة على رسول الله ﷺ قال : « كُفُّوا السّلاح ، إلا خُزاعَة عن بني بكر » . فأذن لهم حتى صلَّى العصر ، ثم قال : « كفُّوا السلاح » . فلقي رجل من خُزَاعَة رجلاً من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال ـ فرأيته وهومسند ظهره إلى الكعبة قال ـ : « إنَّ أعدى الناس على الله من قتل في الحرم ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول الجاهلية » . وذكر تمام الحديث ، وهذا غريب جداً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٥) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٥) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٩) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٧٩) ، وإسناده حسن ، ولبعضه شواهد يصح بها .

وقد روى أهل السُّنَن[١] بعض هذا الحديث ، فأما ما فيه من أنه رخَّص لخُزَاعة أن تأخذ بثأرها من بني بكر إلى العصر من يوم الفتح ، فلم أره إلا في هذا الحديث[٢] ، وكأنه ـ إن صحَّ ـ من باب الاختصاص لهم ممَّا كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير . والله أعلم .

وروى الإمام أحمد[٣] ، عن يحيى بن سعيد ، وسفيان بن عيينة ، ويزيد بن هارون ، ومحمد بن عبيد ، كلُّهم عن زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبيِّ ، عن الحارث بن مالك ابن البرصاء الخزاعيِّ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة : « لا تُغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة » .

ورواه الترمذيُّ[٤] ، عن بُنْدَار ، عن يحيى بن سعيد القطَّان به ، وقال : حسن صحيح .

قلت : فإن كان نهياً ، فلا إشكال ، وإن كان نفياً ، فقال البيهقيُّ[٥] : معناه على كفر أهلها .

وفي « صحيح مسلم »[٦] من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبيِّ ، عن عبد الله بن مطيع ، عن أبيه مطيع بن الأسود العدويِّ قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكَّة : « لا يقتل قرشيٌّ صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة » . والكلام عليه كالأول سواء .

قال ابن هشام[٧] : وبلغني أنَّ رسول الله ﷺ حين افتتح مكَّة ودخلها ، قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أتُرون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلمَّا فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال رسول الله ﷺ : « معاذ الله ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم » .

وهذا الذي علَّقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في « مسنده »[٨] فقال : ثنا بهز وهاشم ، قالا : حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، وقال هاشم : حدَّثني ثابت البنانيُّ ، ثنا عبد الله بن رباح ، قال : وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام . قال : وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا ـ قال هاشم : يكثر أن يدعونا ـ إلى رحله . قال : فقلت :

---

(١) هو عند أبي داود رقم (٣٥٤٦) و(٤٥٦٢) و(٤٥٦٦) والترمذي رقم (١٣٩٠) و(١٥٨٥) والنسائي رقم (٢٥٣٩) و(٣٧٦٦) و(٤٨٦٦) وابن ماجه رقم (٢٦٥٥) .

(٢) قلت : بل ورد ذلك من حديث مجاهد عن ابن عمر ، رواه ابن حبان (٥٩٩٦) بإسناد حسن ، ويصلح أن يكون شاهداً للحديث الذي ذكره المؤلف (بشار) .

(٣) في « المسند » (٣/٤١٢) و(٤/٣٤٣) .

(٤) رواه الترمذي رقم (١٦١١) في السِّير : باب ما جاء ما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة : « إن هذه لا تغزى بعد اليوم » .

(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ٧٥) .

(٦) رقم (١٧٨٢) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤١٦) .

(٨) (٢/٥٣٨) ، وهو حديث صحيح .

ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلي ؟ قال : فأمرت بطعام يصنع ، ولقيت أبا هريرة من العشاء . قال : قلت : يا أبا هريرة ، الدَّعوة عندي الليلة . قال : أستبقتني ؟! ـ قال هاشم : قلت : نعم ـ قال : فدعوتهم فهم عندي . قال : فقال أبو هريرة : ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار ؟ قال : فذكر فتح مكة . قال : أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة . قال : فبعث الزبير على إحدى المجنِّبتين ، وبعث خالداً على المجنِّبة الأخرى ، وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر ، وأخذوا بطن الوادي ، ورسول الله ﷺ في كتيبته . قال : وقد وبَّشت قريش أوباشها . قال : قالوا : نقدِّم هؤلاء ، فإن كان لهم شيء كنا معهم ، وإن أُصيبوا أعطيناه الذي سئلنا . قال أبو هريرة : فنظر فرآني فقال : « يا أبا هريرة » . فقلت : لبيك رسول الله . فقال : « اهتف لي بالأنصار ، ولا يأتيني إلا أنصاريٌّ » . فهتفت بهم ، فجاؤوا فأطافوا برسول الله ﷺ . قال : فقال رسول الله ﷺ : « أتَرون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : « احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا » . قال : فقال أبو هريرة : فانطلقنا ، فما يشاء أحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجِّه إلينا منهم شيئاً . قال : فقال أبو سفيان : يا رسول الله ، أُبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم قال : فقال رسول الله ﷺ : « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . قال : فغلَّق الناس أبوابهم . قال : وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت . قال : وفي يده قوس ؛ آخذ بسِية القوس . قال : فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه . قال : فجعل يطعُن بها في عينه ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل » . قال : ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه ، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه . قال : والأنصار تحته . قال : يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته . قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي .

قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ، ثم قال : « يا معشر الأنصار ، أقلتم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : « فما اسمي إذاً ؟! كلا ، إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم والممات مماتكم » . قال : فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضِّنَّ بالله ورسوله . قال : فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويعذِرانكم » .

وقد رواه مسلم والنَّسائيُّ[1] من حديث سليمان بن المغيرة ، زاد النَّسائيُّ : وسلام بن مسكين .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٨٠) (٨٤) و(٨٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٢٩٨) من حديث سليمان بن المغيرة وسلّام بن مسكين .

ورواه مسلم أيضاً[١] من حديث حَمَّاد بن سلمة ، ثلاثتهم عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح الأنصاريِّ نزيل البصرة ، عن أبي هريرة به نحوه .

وقال ابن هشام[٢] : وحدَّثني ـ يعني بعض أهل العلم ـ أن فضالة بن عمير بن الملوَّح ، يعني الليثيَّ ، أراد قتل النبيِّ ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : « أفضالة ؟ » قال : نعم ، فضالة يا رسول الله . قال : « ماذا كنت تحدِّث به نفسك ؟ » قال : لا شيء ، كنت أذكر الله .

قال : فضحك النبيُّ ﷺ ثم قال : « استغفر الله » . ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شي أحبَّ إليَّ منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فمررت بامرأة كنت أتحدَّث إليها فقالت : هلمَّ إلى الحديث . فقال : لا . وانبعث فضالة يقول[٣] : [من الكامل]

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يـأبـى عليـكِ اللهُ والإسـلامُ
أو مـا رأيـت محمـداً وقبيلـه ... بـالفتـح يـوم تكسَّـر الأصنـامُ
لـرأيـتِ ديـن الله أضحـى بيِّنـاً ... والشِّـرك يغشـى وجهـه الإظـلامُ

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا نبيَّ الله ، إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمِّنه يا رسول الله ، صلَّى الله عليك . فقال : « هو آمن » . فقال : يا رسول الله ، فأعطني آية يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان ، فداك أبي وأمي ، الله الله في نفسك أن تهلكها ، هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتك به ، قال : ويلك ! اعزُب عني فلا تكلِّمني . قال : أي صفوان ، فداك أبي وأمي ، أفضل الناس وأبرُّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك ، عِزُّه عزُّك وشرفه شرفك وملكه ملكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمَّنتني . قال : « صدق » . قال : فاجعلني بالخيار فيه شهرين . قال : « أنت بالخيار أربعة أشهر » .

ثم حكى ابن إسحاق[٥] ، عن الزهريِّ أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان ، وأمَّ حكيم بنت الحارث بن

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٨٠) (٨٦) من حديث حَمَّاد بن سلمة .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٧) .
(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٧) مع بعض الخلاف في ألفاظها .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٨) وما بين الحاصرتين مستدرك منها .

هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل [أسلمتا] ، وقد ذهبت وراءه إلى اليمن ، فاسترجعتْه فأسلم ، فلما أسلما أقرَّهما رسول الله ﷺ تحتهما بالنكاح الأول .

قال ابن إسحاق(١) : وحدَّثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسَّان ابنَ الزِّبعرى وهو بنَجْرَان ببيت واحد ما زاد عليه : [من الكامل]

لا تَعْـدَمَـنْ رجـلاً أحلَّـك بُغْضُـه ... نجـران فـي عيـش أحـذَّ لئيـمِ

فلما بلغ ذلك ابن الزِّبعرى(٢) ، خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، وقال حين أسلم : [من الخفيف]

يـا رسـول المَلِيْـكِ إنَّ لسـانـي ... راتِـقٌ مـا فتقـتُ إذ أنـا بُـورُ
إذ أُبـاري الشيطـان فـي سنـن الغَـ ... ـيِّ ومـن مـال ميلـه مثبـورُ
آمَـنَ اللحـم والعظـام لـربِّـي ... ثـم قلبـي الشّهيـد أنـت النَّـذيـرُ
إننـي عنـك زاجـرٌ ثَـمَّ حيّـاً ... مـن لـؤيٍّ وكلُّهـم مغـرورُ

قال ابن إسحاق(٣) : وقال عبد الله بن الزِّبعرى(٤) أيضاً حين أسلم : [من الكامل]

مَنَـعَ الـرُّقَـادَ بـلابـلٌ وهمـومُ ... والليـل معتلـجُ الـرِّواق بهيـمُ
ممّـا أتـانـي أنَّ أحمـدَ لامنـي ... فيـه فبـتُّ كـأننـي محمـومُ
يا خير مَنْ حملت على أوصالها ... عيـرانـةٌ سُـرُحُ اليـديـن غَشـومُ
إنـي لمعتـذر إليـكَ مـن الـذي ... أَسْدَيْـتَ إذ أنـا فـي الضَّـلالِ أَهيـمُ
أيـام تـأمـرنـي بـأغـوى خُطَّـةٍ ... سهـمٌ وتـأمـرنـي بهـا مخـزومُ
وأَمُـدُّ أسبـاب الـرَّدى ويَقُـودنـي ... أمـر الغُـواة وأمـرهـم مشـؤومُ
فـاليـوم آمـنَ بـالنبـيِّ محمـدٍ ... قلبـي ومخطـئ هـذه محـرومُ
مضـت العَـدَاوَةُ وانقضـت أسبـابهـا ... ودعـت أواصـر بيننـا وحلـومُ
فـاغفـر فـدىً لـك والِـدايَ كـلاهمـا ... زَلَلـي فـإنـك راحـمٌ مـرحـومُ
وعليـك مـن علـم المليـك عَـلامـةٌ ... نـورٌ أغـرُّ وخـاتـم مختـومُ
أعطـاكَ بعـد محبـة بـرهـانَـهُ ... شـرفـاً وبـرهـانُ الإلـه عظيـمُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤١٨) .
(٢) الأبيات مع ثلاثة أبيات أخرى في « ديوان عبد الله بن الزبعرى » ص(٣٦) بتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤١٩) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص (٤٥ ـ ٤٦) .

ولقد شَهِدْتُ بأن دينكَ صادقٌ ... حقٌّ وأنك في العباد جسيمُ
والله يشهدُ أن أحمدَ مصطفىً ... مستقبلٌ في الصَّالحين كَريمُ
قَرْمٌ علا بنيانُه من هاشم ... فرعٌ تمكَّن في الذُّرى وأُرومُ

قال ابن هشام(١) : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزِّبعرى السَّهْميُّ من أكبر أعداء الإسلام ، ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين ، ثم مَنَّ الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذَّبِّ عنه .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق(٢) : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ؛ من بني سُليم سبعمئة ، ويقول بعضهم : ألف . ومن بني غِفَار أربعمئة ، ومن أسلم أربعمئة ، ومن مُزَيْنَة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصارِ وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد . وقال عُرْوَة والزُّهريُّ وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق(٣) : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حَسَّان بن ثابت(٤) : [من الوافر]

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِوَاءُ ... إلى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلاءُ
ديارٌ من بني الحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ والسَّمَاءُ
وكَانَتْ لا يَزَالُ بها أنيسٌ ... خِلالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وشاءُ
فَدَعْ هَذَا ولكن مَن لِطَيفٍ ... يُؤرقني إذا ذَهَبَ العَشَاءُ
لشَعْثَاءَ التي قد تيَّمته ... فليس لقلبه منها شفاءُ
كأن خبيئةً من بيتِ رأسٍ ... يكونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ ومَاءُ
إذا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يوماً ... فَهُنَّ لطيِّب الرَّاح الفِدَاءُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢١) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٧ ـ ١٨) مع بعض الخلاف في ألفاظها ، وبعضها في « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » (٢/ ١٥٣) بتحقيقي بالاشتراك مع مجموعة من الأصدقاء الأفاضل ، وإشراف أستاذنا العلامة الدكتور شاكر الفحّام ، طبع دار الفكر بدمشق .

نُـوليِّهَـا المـلامـة إنْ ألمنـا ... إذَا مَـا كَـانَ مَغْـثٌ أو لِحَـاءُ
ونَشْـربُهَـا فَتَتْـرُكُنَـا ملـوكـاً ... وأُسـداً مَـا يُنَهْنِهُنَـا اللقَـاءُ
عَـدِمْنَـا خَيْلَنَـا إنْ لَـمْ تَـرَوْهَـا ... تُثِيـرُ النَّقْـعَ مـوعـدهَـا كَـدَاءُ
يُنَـازعـن الأعنَّـة مصغيـاتٍ ... علـى أكتـافهـا الأَسَـلُ الظِّمَـاءُ
تَظَـلُّ جيـادُنَـا مُتَمَطِّـرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُـنَّ بـالخُمُـرِ النِّسَـاءُ
فَـإمَّـا تُعـرضـوا عنَّـا اعتمـرنـا ... وكـان الفَتْـحُ وانكشـف الغِطَـاءُ
وإلا فَـاصْبِـروا لجِـلادِ يـوم ... يعـزُّ الله فيـه مـن يشـاءُ
وجِبْـريـل رسـولُ الله فِيْنَـا ... ورُوح القُـدْسِ ليـس لَـهُ كِفَـاءُ
وقـال اللهُ قـد أرسلـتُ عبـداً ... يقـول الحَـقَّ إن نفـع البـلاءُ
شَهِـدْتُ بـه فقـومـوا صـدِّقـوه ... فقُلْتُـم لا نَقُـوم ولا نَشَـاءُ
وقـال الله قـد سيَّـرت جُنْـداً ... هُـمُ الأَنْصَـارُ عُـرضتهـا اللقـاءُ
لنـا فـي كـل يـوم مـن معـدّ ... سِبـاب أو قِتَـالٌ أو هِجَـاءُ
فنُحكـم بـالقَـوافـي مـن هَجَـانَـا ... ونضـربُ حيـنَ تختلـطُ الـدِّمـاءُ
ألا أَبْلِـغْ أبـا سُفْيَـانَ عنِّـي ... مغلغلـة فقـد بـرح الخَفَـاءُ
بـأنَّ سيُـوفنـا تـركتـك عبـداً ... وعبـد الـدّار سَـادَتُهَـا الإمـاءُ
هجـوتَ محمـداً فـأجبـت عنـه ... وعنـد الله فـي ذاك الجَـزَاءُ
أتهجـوه وَلَسْـتَ لَـهُ بكُـفءٍ ... فشـرُّكمـا لخيـركُمـا الفِـدَاءُ
هجـوتَ مبـاركـاً بـراً حَنِيْفـاً ... أميـنَ الله شِيْمَتُـهُ الـوفـاءُ
أمـن يهجـو رَسُـولَ الله مِنْكُـم ... ويَمْـدَحُـهُ ويَنْصُـرُهُ سَـوَاءُ
فـإنَّ أبـي ووالـده وعِـرْضـي ... لِعْـرضِ مُحمـدٍ مِنْكُـمْ وِقَـاءُ
لِسَـانـي صَـارِمٌ لا عَيْـبَ فيـهِ ... وبَحْـري لا تُكَـدِّرهُ الـدِّلاءُ

قال ابن هشام[١] : قالها حَسَّان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجِّه ؛ لما في أثناء هذه القصيدة مما يدلُّ على ذلك ، وأبو سُفْيَان المذكور في البيت هو أبو سُفيان بن الحَارث بن عبد المطلب .

قال ابن هشام[٢] : وبلغني عن الزُّهري أنه قال : لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطِّمن الخيل بالخمُر ، تبسَّم إلى أبي بكر ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وقال أنس بن زُنَيم الدُّئليُّ ، يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخُزَاعيُّ ـ يعني لما جاء يستنصر عليهم ، كما تقدَّم ـ[٢] : [من الطويل]

أأنتَ الذي تُهدَى معدٌّ بأمره ... بل الله يهديهم وقال لك اشْهَدِ
وما حَمَلَتْ من ناقة فوق رَحْلها ... أبرَّ وأوفى ذمَّة من محمدِ
أحثَّ على خير وأسبغ نائلاً ... إذا راح كالسيف الصَّقيل المُهَنَّدِ
وأَكسى لبرد الخال قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السَّابق المتجرِّدِ
تعلَّمْ رسولَ الله أنك مُدركي ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليدِ
تعلَّمْ رسول الله أنك قادرٌ ... على كلِّ صرم متهمين ومنجدِ
تعلَّم بأنَّ الرَّكب ركب عويمر ... هم الكاذبون المخلفو كلِّ موعدِ
ونبَّوا رسول الله أني هجوته ... فلا حملت سوطي إليَّ إذاً يدي
سوى أنني قد قُلت ويل امِّ فِتْيَةٍ ... أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعدِ
أصابهمُ من لم يكن لدمائهم ... كفاء فعزَّت عبرتي وتبلُّدي
وإنك قد أخفرت إن كنت ساعياً ... بعبد بن عبد الله وابنة مهودِ
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا ... جميعاً فإن لا تدمع العين أكمدِ
وسَلْمَى وسَلْمى ليس حيٌّ كمثله ... وإخوتهِ وهل مُلوك كأَعبدِ
فإنِّيَ لا ديناً فتقت ولا دماً ... هرقت تبيَّنْ عالم الحقِّ واقصدِ

قال ابن إسحاق[٣] : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح[٤] : [من الوافر]

نفَى أهلَ الحَبَلَّقِ[٥] كلَّ فجٍّ ... مزينةُ غدوة وبنو خفافِ
ضَربناهم بمكَّة يوم فتح النْـ ... ـبِيِّ الخيرِ بالبيضِ الخِفَافِ
صَبَحْنَاهم بسبع من سُلَيم ... وألفٍ من بني عثمان وافِ
نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضرباً وطعناً ... ورشقاً بالمُرَيَّشةِ اللِّطافِ
ترى بين الصُّفوف لها حفيفاً ... كما انْصَاعَ الفُواق من الرِّصافِ
فرحنا والجياد تجول فيهم ... بأرماح مقوَّمة الثِّقافِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) .
(٢) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٥) .
(٤) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٩٥) .
(٥) قال الخشني : الحبلق : الغنم الصغار . انظر « شرح غريب السيرة النبوية » (٣/ ٨٧) .

فـأُبنـا غـانميـن بمـا اشتهينـا   وآبـوا نـادميـن علـى الخـلافِ
وأعطينــا رســولَ الله مِنَّــا   مـواثقنـا علـى حُسـنِ التَّصـافـي
وقَـدْ سَمِعُـوا مَقَـالَتَنَـا فهمُّـوا   غَـدَاةَ الـرَّوع مِنَّـا بـانْصِـرَافِ

وقال ابن هشام[١] : وقال عباس بن مِرْدَاس السُّلميُّ في فتح مكة[٢] : [من الكامل]

منَّـا بمكّـة يـوم فتـح محمـدٍ   ألـفٌ تسيـل بـه البِطَـاح مُسَـوَّمُ
نَصـروا الـرَّسُـولَ وشَاهَـدوا آياتـهِ   وشِعَـارُهُـمْ يَـومَ اللِّقـاءِ مُقَـدَّمُ
فـي منـزل ثبتـت بـه أَقْـدَامُهُـمْ   ضَنْـكٍ كـأنَّ الهـامَ فيـه الحَنْتَـمُ
جـرَّت سَنَـابِكَهَـا بنجـدٍ قَبْلَهَـا   حتـى استقـامَ لهـا الحِجَـازُ الأَدْهَـمُ
الله مَكَّنَـــهُ لَـــهُ وأذلَّـــه   حُكْـم السيـوفِ لنـا وجـدٌّ مِـزْحَـمُ
عُـود الـرِّيـاسـة شـامـخ عِـرْنِيْنُـهُ   متطلِّـعٌ ثُغَـرَ المَكَـارِمِ خِضْـرِمُ

وذكر ابن هشام[٣] في سبب إسلام عباس بن مِرْدَاس ، أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له : ضِمَار . فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول : [من الكامل]

قُـل للقبـائـل مـن سُلَيـم كلِّهـا   أودى ضِمَـارُ وعَـاشَ أَهْـلُ المَسْجـدِ
إنَّ الـــذي ورث النبُـوّةَ والهُـدى   بعدَ ابن مَرْيَمَ مِنْ قُرَيشٍ مُهتدي
أودى ضِمَــارُ وكــان يُعْبَـدُ مَـرَّةً   قبـل الكِتَـابِ إلـى النَّبـيِّ محمـدِ

قال : فحرَّق عباس ضِمَاراً ، ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم .

وقد تقدَّمت هذه القصة بكمالها في باب هواتف الجانِّ ، مع أمثالها وأشكالها ، ولله الحمد والمِنَّة .

* * *

بعثه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جَذِيْمَة من كِنَانَة

قال ابن إسحاق[٤] : فحدَّثني حكيم بن حكيم بن عَبَّاد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن عليٍّ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٦) .
(٢) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٨) .

قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكّة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب ؛ سُلَيم بن منصور ومُدْلج بن مُرَّة ، فوطئوا بني جَذيمة بن عامر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة ، فلمَّا رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق(١) : وحدَّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جَذيمة قال : لمّا أمرنا خالد أن نضع السلاح ، قال رجل منا ـ يقال له : جحدم ـ : ويلكم يا بني جَذيمة ، إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبدا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد .

قال ابن إسحاق(٢) : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر قال : فلمَّا وضعوا السِّلاح أمر بهم خالد [عند ذلك] ، فَكُتِّفوا ، ثم عرضهم على السَّيف ، فقتل من قتل منهم ، فلمَّا انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السَّمَاء ثم قال : « اللهمَّ إني أبرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد »(٣) .

قال ابن هشام : حدَّثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « هَلْ أَنكَرَ عليه أحد ؟ » فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة ، فنهمه خالد(٤) ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب ، فراجعه فاشتدَّت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أمَّا الأول يا رسول الله ، فابني عبد الله ، وأمَّا الآخر فسالم مولى أبي حُذيفة .

قال ابن إسحاق(٥) : فحدَّثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر قال : ثم دعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب فقال : « يا عليُّ ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » . فخرج عليٌّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه لَيَدِي مِيلغة الكلب(٦) ، حتى إذا لم يبق شيء من دمٍ ولا مالٍ إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم عليٌّ حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يودَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٩) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٠) .

(٣) ورواه بنحوه البخاري رقم (٤٣٣٩) في « المغازي » : باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، والنسائي في « المجتبى » (٨/ ٢٣٧) في آداب القضاء : باب الردّ على الحاكم إذا قضى بغير الحق ، وأحمد في « المسند » (٢/ ١٥١) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وسيشير المؤلف إليه بعد قليل .

(٤) أي : فزجره . انظر « القاموس المحيط » (نهم) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٩) .

(٦) وهي عبارة عن إناءٍ من خشب يشرب منه كلب الحراسة عند أصحاب الأغنام . وانظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٣/ ٩٠) .

أُعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا نعلم ولا تعلمون . ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال : « أَصبتَ وأَحْسَنْتَ » . ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القِبْلَةَ قائماً شاهراً يديه ، حتى إنه ليُرى ما تحت منكبيه يقول : « اللهمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق[١] : وقد قال بعض من يعْذِرُ خالداً : إنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حُذَافَة السَّهميُّ ، وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام[٢] : قال أبو عمرو المدينيُّ : لمَّا أتاهم خالد بن الوليد قالوا : صبأنا[٣] صبأنا ، وهذه مرسلات ومنقطعات .

وقد قال الإمام أحمد : حدَّثنا عبد الرَّزَّاق ، ثنا مَعْمَر ، عن الزُّهريِّ ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني ـ أحسبه قال : ـ جَذيمة . فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يُحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ؛ فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا . وجعل خالد بهم أسراً وقتلاً[٤] . قال : ودفع إلى كلِّ رجل منا أسيراً ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كلُّ رجل منَّا أسيره . قال ابن عمر : فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره . قال : فقدموا على النبيِّ ﷺ فذكروا له صنيع خالد ، فقال النبيُّ ﷺ ورفع يديه : « اللهم إني أبرأ إليك ممَّا صنع خالد » مرتين[٥] .

ورواه البخاريُّ والنسائيُّ[٦] من حديث عبد الرزاق به نحوه .

قال ابن إسحاق[٧] : وقد قال لهم جَحْدَم لمَّا رأى ما يَصنع بهم خالد : يا بني جَذيمة ، ضاع الضَّرب ، قد كنت حذَّرتكم ما وقعتم فيه .

قال ابن إسحاق[٨] : وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ـ فيما بلغني ـ كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ؟ فقال : إنما ثأَرتُ بأبيك . فقال عبد الرحمن :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .
(٣) قال ابن الأثير في « جامع الأصول » (٨/ ٤١٥) : « صبأ : إذا خرج من دين إلى دينٍ غيره » .
(٤) أسراً وقتلاً ، بالنصب ، على أنه مفعول مطلق ، أي جعل يأسرهم أسراً ويقتلهم قتلاً .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٣٣٩) والنسائي في « المجتبى » (٨/ ٢٣٧) وانظر التعليق المتقدم ص(٨٣٦) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .

كذبتَ ، قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك ثأرتَ بعمِّك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شرٌّ ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال : « مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ، ما أدركتَ غَدوة رجل من أصحابي ولا رَوحتَه » .

ثم ذكر ابن إسحاق[١] قصة الفَاكِه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، عمِّ خالد بن الوليد ، في خروجه هو وعوف بن عبدعوف[٢] بن عبد الحارث بن زُهرة ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، وعَفَّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ومعه ابنه عثمان في تجارة إلى اليمن ، ورجوعهم ، ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن ، فحملوه إلى ورثته ، فادَّعاه رجل منهم يقال له : خالد بن هشام . ولقيهم بأرض بني جذيمة فطلبه منهم قبل أن يصلوا إلى أهل الميِّت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم فقاتلوه ، حتى قتل عَوف والفاكه وأخذت أموالهما ، وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام ، وفرَّ منهم عفَّان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهمَّت قريش بغزو بني جَذيمة ، فبعثت بنو جَذيمة يعتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملأ منهم ، ووَدَوا لهم القتيلين وأموالهما ، ووضعوا الحرب بينهم .

يعني فلهذا قال خالد بن الوليد لعبد الرحمن : إنما ثأرتُ بأبيك . يعني حين قتلته بنو جَذيمة ، فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ، وردَّ عليه بأنه إنما ثأر بعمِّه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله ، والمظنون بكلٍّ منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك ، وإنما يُقال هذا في وقت المخاصمة ، فإنما أراد خالد بن الوليد نُصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أمر ، واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم : صبأنا صبأنا . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا ، فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيَّتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يعزله رسول الله ﷺ ، بل استمرَّ به أميراً ، وإن كان قد تبرَّأ منه في صنيعه ذلك ، ووَدَى ما كان جناه خطأً في دمٍ أو مالٍ ، ففيه دليلٌ لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله ، والله أعلم ، ولهذا لم يعزله الصِّدِّيق حين قتل مالك بن نُوَيْرَة أيام الرِّدَّة ، وتأوَّل عليه ما تأوَّل حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أمَّ تميم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله ؛ فإن في سيفه رهقا . فقال الصديق : لا أغمد سيفاً سلَّه الله على المشركين[٣] .

وقال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهريِّ ، عن ابن أبي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .
(٢) مطبوع في « السيرة النبوية » لابن هشام الذي بين يدي و« الروض الأنف » (٧/ ١٢٩) : « وعوف بن عبد مناف » وهو خطأ ، والصواب ما في كتابنا هنا . وانظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ص(١٣١) .
(٣) لتمام الفائدة راجع ما ذكره ابن العماد الحنبلي في هذه القصة في « شذرات الذهب » (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦) بتحقيقي .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٣) .

حَدْرَد الأَسْلَميِّ قال : كنت يومئذٍ في خيل خالد بن الوليد ، فقال فتى من بني جَذيمة ، وهو في سنّي ، وقد جُمِعَتْ يداه إلى عنقه برُمَّة ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى . فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة ، فقائدي إلى هؤلاء النِّسوة حتى أقضي إليهن حاجة ، ثم تردَّني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسيرٌ ما طلبت . فأخذت برُمَّته فقدته بها ، حتى وقفته عليهن فقال : اسلَمي حُبَيش على نفد العيش[١] : [من الطويل]

أَريتُـكِ إذ طـالبتُكـم فَـوَجَـدْتُكُـمْ ... بحَلْيَـةَ أو ألفيتكُـم بـالخـوانِـقِ
ألـم يَـكُ أهـلاً أن يُنـوَّل عـاشـقٌ ... تكلّـف إدلاج السُّـرى والـودائـقِ
فلا ذَنْبَ لي قَدْ قُلْتُ إذ أَهْلُنا مَعاً ... أثيبـي بـودٍّ قبـل إحـدى الصَّفـائقِ
أثيبـي بـودٍّ قبـل أن تشحـط النَّـوى ... وينـأى الأمير بـالحَبيـب المُفَـارقِ
فـإنِّـيَ لا ضيَّعـتُ سِـرَّ أَمَـانَـةٍ ... ولا رَاقَ عينـي عنـكِ بعـدكِ رائـقُ
سـوى أنَّ مـا نـال العَشيـرة شَـاغـلٌ ... عـن الـودِّ إلا أن يكـون التَّـوامـقُ[٢]

قالت : وأنت فحُييت عشراً ، وتسعاً وتراً ، وثمانياً تترى[٣] .

قال : ثم انصرفت به ، فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق[٤] : فحدَّثني أبو فراس بن أبي سُنبلة الأسلميُّ ، عن أشياخ منهم ، عمَّن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضُرِبَتْ عنقه فأكبَّت عليه ، فما زالت تقبّله حتى ماتت عنده .

وروى الحافظ البيهقيُّ[٥] من طريق الحُمَيديِّ ، عن سفيان بن عُيينة ، عن عبد الملك بن نوفل بن مُسَاحق ، أنه سمع رجلاً من مزينة يقال له : ابن عِصَام ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال : « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً » . قال : فبعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا بذلك ، فخرجنا قِبَل تهامة ، فأدركنا رجلاً يسوق بظعائن ، فقلنا له : أسلم . فقال : وما الإسلام ؟ فأخبرناه به ، فإذا هو لا يعرفه ، قال : أفرأيتم إن لم أفعل ، ما أنتم صانعون ؟ قال : قلنا : نقتلك . فقال : فهل أنتم منظريّ حتى أدرك الظَّعائن ؟ قال : قلنا : نعم ، ونحن مدركوك . قال : فأدرك الظَّعائن فقال : اسلمي حُبَيش قبل نفاد العيش . فقالت الأخرى : اسلم عشراً ، وتسعاً وتراً ، وثمانياً تترى . ثم

---

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٣) و« الروض الأُنف » (٧/ ١٣١) وقال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخرين منهما له .
(٢) « التوامق » : الحب ، وفي هذا البيت والذي قبله إقواء .
(٣) في رواية السُّهيلي في « الروض الأنف » بعض الخلاف عما هنا فراجعه .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٤) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ١١٦) .

ذكر الشعر المتقدِّم إلى قوله : وينأى الأمير بالحَبيب المفارق . ثم رجع إلينا فقال : شأنكم . قال : فقدَّمناه ، فضربنا عنقه . قال : فانحدرت الأخرى من هَوْدَجها ، فحنت عليه حتى ماتت .

ثم روى البيهقيُّ(١) من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ، ثنا محمد بن عليٍّ بن حرب المروزيُّ ، ثنا عليُّ بن الحُسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحويِّ ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا ، وفيهم رجل فقال لهم : إنِّي لست منهم ، إنِّي عشقت امرأة فلحقتها ، فدعوني أنظر إليها نظرة ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم . قال : فإذا امرأة أدماء طويلة ، فقال لها : اسلَمي حُبَيش قبل نفاد العيش . ثم ذكر البيتين بمعناهما . قال : فقالت : نعم فديتك . قال : فقدَّموه فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقعت عليه ، فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ، فلمَّا قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر ، فقال : « أَمَا كَانَ فِيْكُمْ رَجُلٌ رَحِيْمٌ ؟ » .

***

بعث خالد بن الوليد لهدم العُزَّى

قال ابن جرير(٢) : وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ .

قال ابن إسحاق(٣) : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزَّى ، وكانت بيتاً بنخلة يعظِّمه قريش وكِنَانة ومُضر ، وكان سدنتها وحُجَّابُهَا من بني شيبان من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم ، فلمَّا سمع حاجبها السُّلميُّ بمسير خالد بن الوليد إليها علَّق سيفه عليها ، ثم اشتدَّ في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :
[من الطويل]

أيا عُزَّ شُدّي شدَّة لا شَوَى لها ... على خالد ألقي القناع وشمِّري
أيا عُزَّ إن لم تقتُلي المرءَ خالداً ... فبوئي بإثم عاجلٍ أو تَنَصَّري

قال : فلمَّا انتهى خالد إليها هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ .

وقد روى الواقديُّ(٤) وغيره أنه لمَّا قدمها خالد لخمسٍ بقين من رمضان فهدمها ، ورجع فأخبر رسول الله ﷺ ، فقال : « ما رأيتَ ؟ » قال : لم أر شيئاً ، فأمره بالرُّجوع ، فلمَّا رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول ، فعلاها بالسيف وجعل يقول : [من الرجز]

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ١١٧) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٦٥) بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بمصر .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٦) و« الروض الأنف » (٧/ ١٣٤) .
(٤) انظر « المغازي » (٣/ ٨٧٣) .

يا عُزَّ كُفْرَانَك لا سُبحانَكِ إنـي رأيـتُ اللهَ قَـدْ أَهَـانَـكِ

ثم خرَّب ذلك البيت الذي كانت فيه ، وأخذ ما كان فيه من الأموال ، رضي الله عنه وأرضاه ، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ ، فقال : « تلك العُزَّى ولا تُعْبَدُ أَبَداً » .

وقال البيهقيُّ[١] : أنبأنا محمد بن أبي بكر الفقيه ، أنبأنا محمد بن أبي جعفر ، أنبأنا أحمد بن عليٍّ ، ثنا أبو كُريب ، عن ابن فُضيل ، عن الوليد بن جُميع ، عن أبي الطُّفيل قال : لمَّا فتح رسول الله ﷺ مَكَّة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة ، وكانت بها العُزَّى ، فأتاها ، وكانت على ثلاث سَمُرات ، فقطع السَّمرات وهَدَمَ البيت الذي كان عليها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً». فرجع خالد ، فلمَّا نظرت إليه السَّدنة وهم حجَّابها ، أمعنوا هرباً في الجبل وهم يقولون : يا عُزَّى خَبِّليه ، يا عُزَّى عوِّريه ، وإلا فموتي برغمٍ . قال : فأتاها خالد ، فإذا امرأة عُرْيَانَةٌ ناشرةٌ شعرها ، تحثو التُّراب على رأسها ووجهها ، فعمَّمها بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبي فأخبره ، فقال : « تلك العُزَّى » .

* * *

فصل

في مدة إقامته ، عليه السلام ، بمكَّة

لا خلاف أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أقام بقية شهر رمضان يَقْصُرُ الصَّلاة ويُفطرُ ، وهذا دليل من قال من العلماء : إن المسافر إذا لم يجمع الإقامة فله أن يَقْصُرَ ويُفْطِرَ إلى ثمانية عشر يوماً في أحد القولين ، وفي القول الآخر ، كما هو مقرَّر في موضعه .

قال البخاريُّ[٢] : ثنا أبو نُعيم ، ثنا سُفيان .

(ح) وحدَّثنا قَبيصة ، ثنا سفيان ، عن يحيى بن أبي إسحاق ، عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ عشراً نَقْصُرُ الصلاة .

وقد رواه بقية الجماعة[٣] من طرق متعددة ، عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرميِّ البصريِّ ، عن أنس به نحوه .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٧٧) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٣) هو عند مسلم رقم (٦٩٣) وأبو داود رقم (١٢٣٣) والترمذي رقم (٥٤٩) والنسائي في « المجتبى » (٣/ ١٢١) وابن ماجه رقم (١٠٧٧) وانظر « جامع الأصول » (٥/ ٧٠١) .

ثم قال البخاريُّ[١] : ثنا عبدان ، ثنا عبد الله ، أنبأنا عاصم ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين .

ورواه البخاريُّ أيضاً من وجه آخر ـ زاد البخاريُّ : وحصين كلاهما ـ وأبو داود ، والترمذيُّ ، وابن ماجه ، من حديث عاصم بن سليمان الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به[٢] .

وفي لفظ لأبي داود : سبع عشرة .

وحدَّثنا[٣] أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ تسع عشرة نَقْصُرُ الصلاة .

وقال ابن عباس : فنحن نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة ، فإذا زدنا أتممنا .

وقال أبو داود[٤] : ثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا ابن عليَّة ، ثنا عليُّ بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن عمران بن حصين قال : غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح ، فأقام ثماني عشرة ليلة لا يصلِّي إلا ركعتين ، يقول : « يا أهل البلد ، صلُّوا أربعاً فإنا سَفْر » .

وهكذا رواه الترمذيُّ[٥] من حديث عليِّ بن زيد بن جدعان ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ثم روى أبو داود[٦] من حديث محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . ثم قال : رواه غير واحد ، عن ابن إسحاق ، لم يذكروا ابن عباس .

وقال ابن إدريس[٧] ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، ومحمد بن عليِّ بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعمرو بن شعيب ، وغيرهم قالوا : أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة .

***

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٩٨) .
(٢) رواه البخاري رقم (١٠٨٠) وأبو داود رقم (١٢٣٠) والترمذي رقم (٥٤٩) وابن ماجه رقم (١٠٧٥) .
(٣) القائل (الإمام البخاري) رقم (٤٢٩٩) .
(٤) رقم (١٢٢٩) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف .
(٥) رواه الترمذي برقم (٥٤٥) بلفظ مختلف ، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان ، ولكن له شواهد يقوى بها .
(٦) رقم (١٢٣١) وفي سنده ضعف .
(٧) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/٢٩٦) .

فصل

فيما حكم به صلَّى الله عليه وسلَّم بمكَّة من الأحكام

قال البخاريُّ[(١)] : حدَّثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ .

(ح) وقال اللّيث[(٢)] : حدَّثني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عُروة بن الزبير ، أن عائشة قالت : كان عُتبة بن أبي وقّاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبِض ابن وليدة زمعة ، وقال عُتبة : إنه ابني . فلمّا قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح ، أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة ، فأقبل به إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه عبد بن زمعة ، فقال سعد بن أبي وقاص : هذا ابن أخي ، عهد إليَّ أنه ابنهُ ، فقال عبد بن زمعة : يا رسول الله ، هذا أخي ، هذا ابن زمعة ولد على فراشه . فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعة ، فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقَّاص ، فقال رسول الله ﷺ : « هو لك ، هو أخوك يا عبد بن زمعة ، من أجل أنه ولد على فراشه » . وقال رسول الله ﷺ : « احتجبي منه يا سودة » . لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقَّاص .

قال ابن شهاب ، قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . قال ابن شهاب : وكان أبو هريرة يصرِّح بذلك .

وقد رواه البخاريُّ أيضاً ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذيُّ ، جميعاً عن قتيبة ، عن الليث به . وابن ماجه من حديثه[(٣)] ، وانفرد البخاريُّ بروايته له من حديث مالك ، عن الزهريِّ .

ثم قال البخاريُّ[(٤)] : ثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا عبد الله ، أنا يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه . قال عروة : فلمّا كلّمه أسامة فيها ، تلوّن وجه رسول الله ﷺ وقال : « أتكلِّمني في حدٍّ من حدود الله ؟! » فقال أسامة : استغفر لي يا رسول الله . فلمّا كان العشيُّ قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أمّا بعد ، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ ، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٠٣) .

(٢) ووصله الذهلي في « الزهريات » . قاله الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٨/ ٢٤) .

(٣) رواه البخاري رقم (٢٢١٨) ومسلم (١٤٥٧) من طريق الليث عن الزهري به ، ليس بينهما يونس ، وأخرجه أبو داود (٢٢٧٣) وابن ماجه رقم (٢٠٠٤) من طريق ابن عيينة عن الزهري ولم نقف عليه في الترمذي .

(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٤) .

سرقت لقطعت يدها » . ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها ، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوَّجت ، قالت عائشة : فكانت تأتيني بعد ذلك فأَرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ .

وقد رواه البخاريُّ في موضع آخر ، ومسلم[(١)] من حديث ابن وهب ، عن يونس ، عن الزّهريِّ ، عن عروة ، عن عائشة به .

وفي « صحيح مسلم »[(٢)] من حديث سبرة بن معبد الجُهنيِّ قال : أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ، ثم لم يخرج حتى نهانا عنها . وفي رواية فقال : « ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة » .

وفي رواية في « مسند أحمد » و« السنن » أن ذلك كان في حجة الوداع[(٣)] ، فالله أعلم .

وفي « صحيح مسلم »[(٤)] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن أبي العُميس ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه أنه قال : رخَّص لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس في متعة النساء ثلاثاً ، ثم نهانا عنها .

قال البيهقيُّ[(٥)] : وعام أوطاس هو عام الفتح ، فهو وحديث سبرة سواء . قلت : من أثبت النَّهي عنها في غزوة خيبر قال : إنها أُبيحت مرتين وحرِّمت مرتين ، وقد نصَّ على ذلك الشافعيُّ وغيره . وقد قيل : إنها أبيحت وحرِّمت أكثر من مرتين ، فالله أعلم . وقيل : إنها حرِّمت مرة واحدة ، وهي هذه المرة في غزوة الفتح . وقيل : إنها إنما أبيحت للضرورة . فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيحت ، وهذا رواية عن الإمام أحمد[(٦)] ، وقيل : بل لم تحرَّم مطلقاً ، وهي على الإباحة .

هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة ، وموضع تحرير ذلك في « الأحكام » .

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٤٨) و(٦٨٠٠) ومسلم رقم (١٦٨٨) .

(٢) رقم (١٤٠٦) (٢٢) وقد أطال الإمام ابن القيم الكلام حول هذا الموضوع بما لا مزيد عليه في كتابه العظيم « زاد المعاد في هدي خير العباد » (٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٧) فليراجع .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٠٤) وأبو داود رقم (٢٠٧٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٥٥٤١) وابن ماجه (١٩٦٢) وهذه الرواية مخالفة لما قبلها ، فهي شاذة .

(٤) رقم (١٤٠٥) (١٨) .

(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ٨٩) .

(٦) وقد سلف قول المؤلف رحمه الله في الكلام على غزوة خيبر ص(٤١٢) أنها رواية ضعيفة عن الإمام أحمد ولا تصح أيضاً عنه .

فصل

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الرزاق ، ثنا ابن جريج ، أنبأنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح . قال : جلس عند قرن مسقلة ، فبايع الناس على الإسلام والشهادة . قال : قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه بايعهم على الإيمان بالله ، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . تفرَّد به أحمد .

وعند البيهقي : فجاءه الناس ؛ الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، فبايعهم على الإسلام والشهادة .

وقال ابن جرير[٢] : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام ، فجلس لهم ـ فيما بلغني ـ على الصَّفا ، وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا . قال : فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، وفيهن هند بنت عتبة متنقِّبة متنكِّرة بحديثها ؛ لما كان من صنيعها بحمزة ، فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها ذلك ، فلما دنين من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال : « بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً » . فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال . قال : « ولا تسرقن » . فقالت : والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهَنة بعد الهنة ، وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان ، وكان شاهداً لما تقول : أما ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه في حلٍّ . فقال رسول الله ﷺ : « وإنك لهند بنت عتبة ؟! » قالت : نعم ، فاعف عما سلف ، عفا الله عنك . ثم قال : « ولا تزنين » . فقالت : يا رسول الله ، وهل تزني الحرة ؟! ثم قال : « ولا تقتلن أولادكن » . قالت : قد ربَّيناهم صغاراً ، وقتلتهم ببدر كباراً ، فأنت وهم أعلم . فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب ، ثم قال : « ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن » .

فقالت : والله إنَّ إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التَّجاوز أمثل . ثم قال : « ولا تعصينني » . فقالت : في معروف . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « بايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » . فبايعهن عمر ، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء ، ولا يمسُّ إلا امرأة أحلَّها الله له ، أو ذات محرم منه .

وثبت في « الصحيحين »[٣] عن عائشة ، رضي الله عنها ، أنها قالت : لا والله ما مسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قطُّ .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤١٥) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٦١) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٨٩١) و(٥٢٨٨) و(٧٢١٤) ومسلم رقم (١٨٦٦) .

وفي رواية : ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول : « إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمئة امرأة »[١] .

وفي « الصحيحين »[٢] عن عائشة ، أن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بَنيَّ ، فهل عليَّ من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال : « خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك » .

وروى البيهقيُّ[٣] ، من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ، ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو أهل خِباء ـ الشكُّ من ابن بكير ـ أحبَّ إليَّ من أن يذلُّوا من أهل أخبائك ـ أو خِبائك ـ ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء ـ أو خِباء ـ أحبَّ إليَّ من أن يعزُّوا من أهل أخبائك ـ أو خبائك ـ . فقال رسول الله ﷺ : « وأيضا والذي نفس محمد بيده » . قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل مسيك ، فهل عليَّ حرج أن أطعم من الذي له ؟ قال : « لا ، إلا بالمعروف » . ورواه البخاريُّ[٤] ، عن يحيى بن بكير بنحوه ، وتقدَّم ما يتعلَّق بإسلام أبي سفيان .

وقال أبو داود[٥] : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » . ورواه البخاريُّ[٦] ، عن عثمان ابن أبي شيبة ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، عن جرير .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا عفان ، ثنا وهيب ، ثنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن صفوان بن أمية أنه قيل له : إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر . فقلت له : لا أدخل منزلي حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله . فأتيته فذكرت له فقال : « لا هجرة بعد فتح مكة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » . تفرد به أحمد .

وقال البخاريُّ[٨] : ثنا محمد بن أبي بكر ، ثنا الفضيل بن سليمان ، ثنا عاصم ، عن أبي عثمان النَّهديِّ ، عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبي معبدٍ إلى النبيِّ ﷺ ليبايعه على الهجرة ، فقال :

---

(١) وهي عند الترمذي رقم (١٥٩٧) والنسائي (٧/ ١٤٩) وأحمد في « المسند » (٦/ ٣٥٧) وإسناده صحيح .
(٢) رواه البخاري رقم (٢٢١١) و(٥٣٦٤) و(٥٣٨٠) و(٧١٨٠) ومسلم رقم (١٧١٤) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٠٠) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٦٦٤١) .
(٥) في « سننه » رقم (٢٤٨٠) .
(٦) في « صحيحه » رقم (١٨٣٤) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٣٥٣) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٠١) و(٦/ ٤٦٥) ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٨) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٧) و(٤٣٠٨) .

« مضت الهجرة لأهلها ، أُبايعه على الإسلام والجهاد » . فلقيت أبا معبدٍ فسألته ، فقال : صدق مجاشع . وقال خالد ، عن أبي عثمان عن مجاشع ، أنه جاء بأخيه مجالد .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا عمرو بن خالد ، ثنا زهير ، ثنا عاصم ، عن أبي عثمان قال : حدَّثني مجاشع قال : أتيت رسول الله ﷺ بأخي بعد يوم الفتح فقلت : يا رسول الله ، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة ، قال : « ذهب أهل الهجرة بما فيها » . فقلت : على أي شيء تبايعه ؟ قال : « أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد » . فلقيت أبا معبد بعد ، وكان أكبرهما سنّاً ، فسألته ، فقال : صدق مجاشع .

وقال البخاريُّ[2] : ثنا محمد بن بشَّار ، ثنا غندر ، ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد قال : قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر إلى الشام . فقال : لا هجرة ، ولكن جهاد ، انطلق فاعرض نفسك ، فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت . وقال النَّضر : أنا شعبة ، أنا أبو بشر ، سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر ، فقال : لا هجرة اليوم ـ أو بعد رسول الله ﷺ ـ . . . . مثله .

حدَّثنا[3] إسحاق بن يزيد ، ثنا يحيى بن حمزة ، حدَّثني أبو عمرو الأوزاعيُّ ، عن عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد بن جبر ، أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح .

وقال البخاريُّ[4] : ثنا إسحاق بن يزيد ، أنا يحيى بن حمزة ، أنا الأوزاعيُّ ، عن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير ، فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمن يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله ، عزَّ وجلَّ ، وإلى رسوله ﷺ ؛ مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، فالمؤمن يعبد ربَّه حيث يشاء ، ولكن جهاد ونيَّة .

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة ـ إما الكاملة أو مطلقاً ـ قد انقطعت بعد فتح مكة ؛ لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً ، وظهر الإسلام وثبتت أركانه ودعائمه ، فلم تبق هجرة ، اللهمَّ إلا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب ، وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم ، فتجب الهجرة إلى دار الإسلام ، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء ، ولكنَّ هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلاًّ من الجهاد والإنفاق في سبيل الله مشروع ومرغَّب فيه إلى يوم القيامة ، ولكن ليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل الفتح ، فتح مكة . قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية [الحديد : ١٠] .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٥) و(٤٣٠٦) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٩) و(٤٣١٠) .
(٣) القائل هو الإمام البخاري ، والحديث في « صحيحه » رقم (٤٣١١) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣١٢) .

وقد قال الإمام أحمد(١) : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرَّة ، عن أبي البختري الطَّائيِّ ، عن أبي سعيد الخدريِّ ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : لما نزلت هذه السورة الكريمة : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر : ١ ـ ٣] . قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها ، وقال : « الناس حيز وأنا وأصحابي حيز » . وقال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيَّة » . فقال له مروان : كذبت . وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السَّرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدَّثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عِرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة . فرفع مروان عليه الدِّرَّة ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق . تفرَّد به أحمد .

وقال البخاريُّ(٢) : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عَوَانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأنَّ بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رُئيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ؛ قال : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ . فذلك علامة أجلك ؛ ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ . قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول . تفرَّد به البخاريُّ .

وهكذا روي من غير وجه ، عن ابن عباس أنه فسَّر ذلك بنعي رسول الله ﷺ في أجله . وبه قال مجاهد وأبو العالية والضَّحَّاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

فأما الحديث الذي قال [فيه] الإمام أحمد(٣) : ثنا محمد بن فضيل ، ثنا عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ . قال رسول الله ﷺ : « نُعيت إلي نفسي » . بأنه مقبوض في تلك السنة . تفرَّد به الإمام أحمد ، وفي إسناده عطاء بن أبي مسلم الخُرَاساني ، وفيه ضعف ، تكلَّم فيه غير واحد من الأئمة ، وفي لفظه نكارة شديدة ، وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة ، وهذا باطل ؛ فإن الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها ، كما تقدَّم بيانه ، وهذا لا خلاف فيه .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٢) ، وإسناده ضعيف بطوله . ولبعض فقراته شواهد .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٩٧٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢١٧) .

وقد توفِّي رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة ، بلا خلاف أيضاً .

وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطَّبرانيُّ[١] ، رحمه الله : ثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعيُّ ، ثنا أبي ، ثنا جعفر بن عون ، عن أبي العُمَيس ، عن أبي بكر بن أبي الجهم ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ وفيه نكارة أيضاً ، وفي إسناده نظر أيضاً ، ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال ، والله أعلم .

وقد تكلَّمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية[٢] ، ولله الحمد والمنَّة .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمَّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن عمرو بن سلِمة ـ قال لي أبو قِلَابة : ألا تلقاه فتسأله فلقيته فسألته ـ قال : كنا بماءٍ ممرَّ الناس ، وكان يمرُّ بنا الرُّكبان فنسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا . فكنت أحفظ ذاك الكلام ، فكأنما يَغرى في صدري ، وكانت العرب تلوَّم بإسلامهم الفتح ، فيقولون : اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق . فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كلُّ قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم . فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبيِّ حقاً ، قال : « صلُّوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذِّن أحدكم ، وليؤمَّكم أكثرُكم قرآناً » . فنظروا فلم يكن أحد أكثرَ قرآناً مني ؛ لما كنت أتلقَّى من الرُّكبان ، فقدَّموني بين أيديهم وأنا ابن ستٍّ أو سبع سنين ، وكانت عليَّ بردة إذا سجدت تقلَّصت عنِّي . فقالت امرأة من الحيِّ : ألا تغطُّون عنا استَ قارئكم ؟ فاشتروا ، فقطعوا لي قميصاً ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص ، تفرَّد به البخاريُّ دون مسلم .

* * *

غزوة هَوَازن يوم حُنَينٍ

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٣٦٩) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٨/ ٥٢٩) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٢) .

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٢٥ ـ ٢٧] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسارٍ في كتابه(١) أن خروج رسول الله ﷺ إلى هَوَازن بعد الفتح في خامس شوالٍ سنة ثمان ، وزَعَمَ أن الفتح كان لعشرٍ بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم بخمس عشرة ليلةً .

وهكذا رَوَى عن ابن مسعودٍ ، وبه قال عُرْوَة بن الزُّبير ، واختاره ابن جريرٍ في « تاريخه »(٢) .

وقال الواقديُّ(٣) : خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن لستٍّ خلون من شوالٍ ، فانتهى إلى حُنينٍ في عاشره .

وقال أبو بكرٍ الصِّدِّيق : لن نُغْلَبَ اليوم من قلَّةٍ ، فانهزموا ، فكان أول من انهزم بنو سليمٍ ، ثم أهل مَكَّة ، ثم بقية الناس .

قال ابن إسحاق(٤) : ولما سَمِعَتْ هَوَازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكَّة جمعها مَلِكها مالكُ بن عوفٍ النَّصريُّ ، فاجتمع إليه مع هَوَازن ثقيفٌ كلُّها ، واجتمعت نصرٌ ، وجُشم كلُّها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلالٍ وهم قليلٌ ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها ، ولم يحضرها من هوازن كعبٌ وكلابٌ ، ولم يشهدها منهم أحدٌ له اسمٌ ، وفي بني جُشم دريد بن الصِّمَّة شيخٌ كبيرٌ ، ليس فيه شيءٌ إلا التَّيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرَّباً ، وفي ثقيفٍ سيِّدان لهم ، وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتِّبٍ ، وفي بني مالكٍ ذو الخمار سُبيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث ، وجِماع أمر الناس إلى مالك بن عوفٍ النَّصريِّ ، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاسٍ اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُريد بن الصِّمَّة في شجارٍ له يقاد به ، فلما نزل قال : بأيِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاسٍ . قال : نعم مجال الخيل ، لا حَزنٌ ضرس ، ولا سهلٌ دِهس ، ما لي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟! قالوا : ساق مالك بن عوفٍ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالكٌ ؟ قالوا : هذا مالكٌ . ودُعي له . قال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يومٌ كائنٌ له ما بعده من الأيام ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٧) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٥٦) .
(٣) انظر « المغازي » (٣/ ٨٨٩ ـ ٨٩٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٧) .

مالي أسمع رُغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كلِّ رجلٍ أهله وماله ليقاتل عنهم . قال : فأنقض به[1] . ثم قال : راعي ضأنٍ والله ، هل يردُّ المنهزم شيءٌ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلابٌ ؟ قال : لم يشهدها منهم أحدٌ . قال : غاب الحدُّ والجِدُّ ، لو كان يوم غلاءٍ ورفعةٍ لم تغب عنه كعبٌ وكلابٌ ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعبٌ وكلابٌ ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامرٍ ، وعوف بن عامرٍ . قال : ذانك الجذَعان من عامرٍ لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، ثم قال دريدٌ لمالك بن عوفٍ : ارفعهم إلى متمنَّع بلادهم وعليا قومهم ، ثم ألق الصُّبِيَّ على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . ثم قال مالكٌ : والله لتطيعنَّني يا معشر هوازن أو لأتَّكئنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ـ وكره أن يكون لدريدٍ فيها ذِكرٌ أو رأيٌ ـ فقالوا : أطعناك . فقال دريدٌ : هذا يومٌ لم أشهده ولم يَفُتْني[2] : [من مشطور الرجز]

يـا ليتنـي فيهـا جَـذَع   أخـبُّ فيهـا وأضَـعْ
أقـود وطْفـاء الـزَّمـع   كـأنهـا شـاةٌ صَـدَعْ

ثم قال مالكٌ للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدُّوا شدة رجلٍ واحدٍ .

قال ابن إسحاق[3] : وحدَّثني أُمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدَّث أن مالك بن عوفٍ بعث عيوناً من رجاله ، فأتَوه وقد تفرَّقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ، وما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلقٍ ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى . فوالله ما ردَّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق[4] : ولما سمع بهم نبيُّ الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حدردٍ الأسلميَّ ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدردٍ ، فدخل فيهم

---

(١) أي : زجره .
(٢) البيتان في « السيرة النبوية » (٢/ ٤٣٩) و« الروض الأنف » (٧/ ١٣٦) وانظر « معجم الشعراء من تاريخ دمشق » (٣/ ٧٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٩) .

فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالكٍ وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذٍ مشركٌ فقال : « يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدوّنا غداً » . فقال صفوان : أغَصباً يا محمد ؟ قال : « بل عاريَّةً مضمونةً حتى نُؤدِّيَها إليك » . قال : ليس بهذا بأسٌ . فأعطاه مائة درعٍ بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل . هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسنادٍ .

وقد روى يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه . وعن عمرو بن شعيبٍ والزهريِّ وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزمٍ وغيرهم ، قصة حُنينٍ ، فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الأدراع كما تقدم ، وفيه أن ابن حدردٍ لما رجع فأخبر رسول الله ﷺ خبر هوازن كذَّبه عمر بن الخطَّاب ، فقال له ابن أبي حدردٍ : لئن كذَّبتني يا عمر ، فربما كذَّبت بالحقِّ . فقال عمر : ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال : « قد كنت ضالاً فهداك الله » .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريكٌ ، عن عبد العزيز بن رُفيعٍ ، عن أمية بن صفوان بن أمية ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنينٍ أدراعاً فقال : أغصباً يا محمد ؟ فقال : « بل عاريَّةً مضمونةً » . قال : فضاع بعضها ، فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمنها له ، فقال : أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائيُّ[٢] من حديث يزيد بن هارون به ، وأخرجه النَّسائيُّ من رواية إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيعٍ ، عن ابن أبي مُلَيكة ، عن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان دروعاً ، فذكره . ورواه من حديث هشيمٍ ، عن حجَّاجٍ ، عن عطاءٍ أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً . . . وساق الحديث .

وقال أبو داود[٣] : ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا جريرٌ ، عن عبد العزيز بن رفيعٍ ، عن أُناسٍ من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله ﷺ قال : « يا صفوان ، هل عندك من سلاحٍ ؟ » قال : عاريَّة أم غصباً ؟ قال : « لا ، بل عاريَّةً » . فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزا رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما هزم المشركون جُمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله ﷺ لصفوان : « قد فقدنا من أدراعك

---

(١) في « مسنده » (٣/ ٤٠٠) و(٦/ ٤٦٥) ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه أبو داود في « سننه » رقم (٣٥٦٢) ، والنسائي في « سننه الكبرى » رقم (٥٧٧٩) من طريق يزيد بن هارون . والنسائي رقم (٥٧٨٠) من طريق إسرائيل . والنسائي ايضاً رقم (٥٧٧٨) من حديث هشيم . وينظر « تحفة الأشراف » للمزي (الحديث ٤٩٤٥) .

(٣) في « سننه » رقم (٣٥٦٣) ، وهو حديث حسن .

أدراعاً ، فهل نغرم لك ؟ » قال : لا يا رسول الله ، إن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذٍ . وهذا مرسلٌ أيضاً .

قال ابن إسحاق[١] : ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلافٍ من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عُرْوَة ، والزُّهريِّ ، وموسى بن عقبة ، يكون مجموع الجيشين اللَّذين سار بهما إلى هَوَازن أربعة عشر ألفاً؛ لأنه قدم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم ، وأُضيف إليهم ألفان من الطُّلقاء .

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوالٍ ، قال : واستخلَف على أهل مَكَّة عَتَّاب بن أُسِيد بن أبي العِيص بن أُمية بن عبد شمسٍ الأمويَّ .

قلت : وكان عُمُرُهُ إذ ذاك قريباً من عشرين سنةً . قال : ومضى رسول الله ﷺ يُريد لقاء هَوَازن . وذكر قصيدة العباس بن مرداسٍ السُّلميِّ في ذلك ، منها قوله[٢] : [من البسيط]

أَبْلِـغ هَـوَازن أَعَـلاهـا وأَسْفَلَهَـا ... مِنّـي رسـالـةَ نُصـحٍ فيـه تِبْيَـانُ
إنـي أظـنُّ رسـولَ الله صـابِحكـم ... جيشـاً لـه فـي فضـاء الأرض أركـانُ
فيهـم سُلَيـمٌ أخـوكُـم غيـرُ تـارككـم ... والمسلمـون عبـادُ الله غسَّـانُ
وفـي عِضـادتـه اليمنـى بنـو أَسـدٍ ... والأَجْـرَبَـان بنـو عَبْـسٍ وذُبيـانُ
تكـاد تَـرْجُـفُ منـه الأرض رهبَتَـه ... وفـي مقـدَّمِـه أوسٌ وعُثمـانُ

قال ابن إسحاق : أوسٌ وعثمان قبيلا مُزينة .

قال : وحدَّثني الزهريُّ ، عن سنان بن أبي سنانٍ الدُّئليِّ ، عن أبي واقدٍ اللَّيثيِّ أن الحارث بن مالكٍ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنينٍ ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية . قال : فسرنا معه إلى حنينٍ . قال : وكانت لكفار قريشٍ ومن سواهم من العرب شجرةٌ عظيمةٌ خضراء يقال لها : ذات أنواطٍ . يأتونها كلَّ سنةٍ فيعلِّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكُفون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرةً خضراء عظيمةً . قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، قلتم والذي نفس محمدٍ بيده كما قال قوم

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٠) .
(٢) الأبيات مع غيرها في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤١) و« الروض الأنف » (٧/ ١٦٥) وهي مع أبيات غيرها في « ديوان العباس بن مرداس » ص(١٥٤ ـ ١٥٥) جمع وتحقيق الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

موسى لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] . إنها السَّنن ، لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم » .

وقد روى هذا الحديث الترمذيُّ ، عن سعيد بن عبد الرحمن المخزوميِّ ، عن سفيان ، والنَّسائيُّ ، عن محمد بن رافعٍ ، عن عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، كلاهما عن الزهريِّ ، كما رواه ابن إسحاق عنه . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ[١] . ورواه ابن أبي حاتمٍ في « تفسيره »[٢] من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوفٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه مرفوعاً .

وقال أبو داود[٣] : ثنا أبو توبة ، ثنا معاوية بن سلامٍ ، عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلامٍ ، عن السَّلوليِّ أنه حدَّثه سهلُ بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنينٍ فأطنبوا السير[٤] حتى كان عشيةً ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجلٌ فارسٌ ، فقال : يا رسول الله ، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعتُ جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازنَ عن بِكرة أبيهم بظُعُنهم وبنَعَمهم وشائهم ، اجتمعوا إلى حنينٍ ، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال : « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » . ثم قال : « من يحرسنا الليلة » . قال أنس بن أبي مَرثدٍ : أنا يا رسول الله . قال : « فارْكب » . فركب فرساً له ، وجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « استقبل هذا الشِّعب حتى تكون في أعلاه ولا نُغرَّنَّ[٥] من قبلك الليلة » . فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين ، ثم قال : « هل أحسستم فارسكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ما أحسسنا . فثُوِّب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلِّي ، ويلتفت إلى الشِّعب ، حتى إذا قضى صلاته قال : « أبشروا فقد جاءكم فارسُكم » . فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشِّعب ، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشِّعب حيث أمرني رسول الله ﷺ ، فلما أصبحتُ طلعت الشِّعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً . فقال له رسول الله ﷺ : « هل نزلتَ الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مصلِّياً أو قاضيَ حاجةٍ . فقال له رسول الله ﷺ : « قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها » .

وهكذا رواه النسائيُّ[٦] ، عن محمد بن يحيى بن كثيرٍ الحرَّانيِّ ، عن أبي توبة الربيع بن نافعٍ به .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢١٨٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١١٨٥) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(٢) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١١٤) .

(٣) في « سننه » رقم (٢٥٠١) ، وهو حديث صحيح .

(٤) أي : بالغوا فيه .

(٥) أي : نؤْتينَّ .

(٦) في « السنن الكبرى » رقم (٨٨٧٠) .

فصل
في كيفية الوقعة وما كان في أول الأمر من الفرار ثم كانت العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكيرٍ وغيره ، عن محمد بن إسحاق[١] : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه قال : فخرج مالك بن عوفٍ بمن معه إلى حنينٍ فسبق رسولَ الله إليها ، فأعدُّوا وتهيَّئوا في مضايق الوادي وأحنائه ، وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انحطَّ بهم الوادي في عَماية الصبح ، فلمّا انحطَّ الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدَّت عليهم ، وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحدٌ على أحدٍ ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول : « أين أيها الناس ؟ هلمُّوا إليَّ ، أنا رسول الله ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » . قال : فلا شيء ، وركبت الإبل بعضها بعضاً ، فلمّا رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ، ومعه رهطٌ من أهل بيته ؛ عليُّ بن أبي طالبٍ وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ـ وقيل : الفضيل بن أبي سفيان ـ وأيمن بن أمِّ أيمن ، وأسامة بن زيدٍ ، ومن الناس من يزيد فيهم قُثَم بن العباس ، ورهطٌ من المهاجرين منهم ؛ أبو بكر وعمر ، والعباس آخذٌ بحَكَمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها . قال : ورجلٌ من هوازن على جملٍ له أحمر ، بيده رايةٌ سوداء في رأس رمحٍ طويلٍ أمام هوازن ، وهوازن خلفه إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتَّبعوه . قال : فبينما هو كذلك إذ هوى له عليُّ بن أبي طالبٍ ورجلٌ من الأنصار يريدانه . قال : فيأتي عليٌّ من خلفه فضرب عرقوبي الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاريُّ على الرجل فضربه ضربةً أطنَّ قدمه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله . قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأُسارى مكتَّفين عند رسول الله ﷺ .

ورواه الإمام أحمد[٢] ، عن يعقوب بن إبراهيم الزُّهريِّ ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق .

قال ابن إسحاق[٣] : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذٍ [مع رسول الله ﷺ] ، وكان حسن الإسلام حين أسلم وهو آخذٌ بثفر بغلة رسول الله ﷺ فقال : « من هذا ؟ » قال : ابن أمِّك يا رسول الله .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢ / ٤٤٢) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣ / ٣٧٦) ، وإسناده حسن .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢ / ٤٤٦) .

قال ابن إسحاق(١) : ولمَّا انهزم الناس تكلَّم رجالٌ من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الضِّغن ، فقال أبو سفيان صخر بن حربٍ ـ وكان إسلامه بعدُ مدخولاً ، وكانت الأزلام معه يومئذٍ ـ : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كلدة بن الحنبل ، وهو مع أخيه صفوان بن أمية ـ يعني لأمِّه ـ وهو مشركٌ في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السِّحر اليوم . فقال له صفوان : اسكت ، فضَّ الله فاك ، فوالله لأن يرُبَّني رجلٌ من قريشٍ أحبُّ إليَّ من أن يربَّني رجلٌ من هوازن .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدَّثنا عفَّان بن مسلم ، ثنا حَمَّاد بن سلمة ، أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالكٍ أن هوازن جاءت يوم حنينٍ بالنساء والصبيان والإبل والغنم ، فجعلوها صفوفاً يكثِّرون على رسول الله ﷺ ، فلما التقوا ولَّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله » . ثم قال : « يا معشر الأنصار ، أنا عبد الله ورسوله » . قال : فهزم الله المشركين ، ولم يُضرب بسيفٍ ولم يطعن برمحٍ . قال : وقال رسول الله ﷺ يومئذٍ : « من قتل كافراً فله سلبه » . قال : فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم . وقال أبو قتادة : يا رسول الله ، إني ضربت رجلاً على حبل العاتق وعليه درعٌ له ، فأُجهضت عنه ، فانظر من أخذها . قال : فقام رجلٌ فقال : أنا أخذتها ، فأرضه منها وأعطنيها . قال : وكان رسول الله ﷺ لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت ، فسكت رسول الله ﷺ ، فقال عمر : والله لا يفيئها الله على أَسدٍ من أُسد الله ويعطيكها . فقال رسول الله ﷺ : « صدق عمر » . قال : ولقي أبو طلحة أمَّ سليم ومعها خَنجرٌ ، فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ فقالت : إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج به بطنه . فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أمُّ سليمٍ ؟ فضحك رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، اقتلْ من بعدنا من الطُّلقاء ؛ انهزموا بك . فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يا أمَّ سليمٍ » .

وقد روى مسلمٌ(٣) منه قصة خَنْجَر أمِّ سليمٍ ، وأبو داود(٤) قوله : « من قتل قتيلاً فله سلبه » . كلاهما من حديث حماد بن سلمة به . وقول عمر في هذا مستغربٌ ، والمشهور أن ذلك أبو بكرٍ الصديق .

وقال الإمام أحمد(٥): حدَّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، ثنا أبي ، ثنا نافع أبو غالبٍ ، شهد أنس بن مالكٍ قال : فقال العلاء بن زيادٍ العدويُّ : يا أبا حمزة ، بسنِّ أيِّ الرجال كان رسول الله ﷺ إذ بُعث ؟ فقال : ابن أربعين سنةً . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ،

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٣) .
(٢) في « مسنده » (٣/ ٢٧٩) ، وإسناده صحيح .
(٣) في « صحيحه » رقم (١٨٠٩) .
(٤) في « سننه » رقم (٢٧١٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٥١) ، وإسناده صحيح .

فتمَّت له ستون سنةً ، ثم قبضه الله إليه . قال : بسنِّ أيِّ الرجال هو يومئذٍ ؟ قال : كأشبِّ الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه . قال : يا أبا حمزة ، وهل غزوت مع رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، غزوت معه يوم حنينٍ ، فخرج المشركون بُكرة ، فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا ، وفي المشركين رجلٌ يحمل علينا فيدقُّنا ويحطِمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل ، فهزمهم الله فولَّوا ، فقام رسول الله ﷺ حين رأى الفتح ، فجُعل يُجاء بهم أُسارى رجلاً رجلاً ، فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجلٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ : إن عليَّ نذراً ، لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربنَّ عنقه . قال : فسكت رسول الله ﷺ ، وجيء بالرجل ، فلما رأى نبيَّ الله ﷺ قال : يا نبيَّ الله ، تبت إلى الله . قال : وأمسك نبيُّ الله ﷺ أن يبايعه ليوفي الآخر نذره . قال : وجعل ينظر إلى النبيِّ ﷺ ليأمره بقتله ، ويهاب رسول الله ﷺ ، فلما رأى النبيُّ ﷺ أنه لا يصنع شيئاً بايعه ، فقال : يا نبيَّ الله ، نذري ؟! قال : « لم أُمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي نذرك » . فقال : يا رسول الله ، ألا أومأت إليَّ ؟ قال : « إنه ليس لنبيٍّ أن يومئ » تفرد به أحمد(١) .

وقال أحمد(٢) : حدَّثنا يزيد ، ثنا حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم حنينٍ : « اللهم إنك إن تشأْ لا تعبد بعد اليوم » . إسناده ثلاثيٌّ على شرط الشيخين ، ولم يخرجه أحدٌ من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

وقال البخاريُّ(٣) : ثنا محمد بن بشَّارٍ ، ثنا غندرٌ ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازبٍ ـ وسأله رجلٌ من قيسٍ : أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنينٍ ؟ فقال : ـ لكنَّ رسول الله ﷺ لم يفرَّ ؛ كانت هَوَازن رماةً ، وإنا لمَّا حملنا عليهم انكشفوا ، فأكببنا على الغنائم ، فاستقبلتنا بالسهام ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان آخذٌ بزمامها ، وهو يقول :

« أنا النبيُّ لا كذب »

ورواه البخاريُّ ، عن أبي الوليد ، عن شعبة به وقال : [من مجزوء الرجز]

« أَنَـا النَّبِـيُّ لاَ كَـذِبْ   أَنَا ابنُ عَبدِ المَطَّلِبْ »

قال البخاريُّ(٤) : وقال إسرائيل وزهيرٌ ، عن أبي إسحاق ، عن البراء : ثم نزل عن بغلته .

ورواه مسلمٌ والنسائيُّ(٥) عن بندارٍ . زاد مسلمٌ : وأبي موسى . كلاهما عن غندرٍ به .

---

(١) قلت : روى أبو داود بعضه في سننه (رقم ٣١٩٤) الشطر الثاني منه عن داود بن معاذ عن عبد الوارث عن نافع أبي غالب ، به ، وزاد فيه صفة القيام في صلاة الجنازة على الرجل والمرأة .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٢١) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣١٧) .

(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣١٧) .

(٥) رواه مسلم رقم (١٧٧٦) (٨٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٣٨) .

وروى مسلمٌ[١] من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

« أَنَـا النَّبِـيُّ لا كَـذِبْ   أَنَا ابنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ

اللهم نزِّل نصرك » . قال البراء : ولقد كنا إذا حمي البأس نتَّقي برسول الله ﷺ ، وإن الشُّجَاع الذي يحاذي به .

وروى البيهقيُّ[٢] من طرقٍ أن رسول الله ﷺ قال يومئذٍ : « أنا ابن العواتك » .

وقال الطبرانيُّ[٣] : ثنا عباس بن الفضل الأسفاطيُّ ، ثنا عمرو بن عوفٍ الواسطيُّ ، ثنا هشيمٌ ، أنبأنا يحيى بن سعيدٍ ، عن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن سيَّابة بن عاصمٍ السُّلميِّ أن رسول الله ﷺ قال يوم حنينٍ : « أنا ابن العَوَاتِك » .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالكٌ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، عن أبي محمدٍ مولى أبي قتادة ، عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنينٍ ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولةٌ ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين ، فضربتُه من ورائه على حبل عاتقه بالسيف ، فقطعتُ الدرع ، وأقبل عليَّ فضمَّني ضمَّةً وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت ، فأرسلني فلحقت عمر ، فقلت : ما بال الناس ؟ فقال : أمر الله ، عزَّ وجلَّ . ثم رجعوا ، وجلس رسول الله ﷺ فقال : « من قتل قتيلاً له عليه بيِّنةٌ فله سلبه » . فقمت فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، ثم قال رسول الله ﷺ مثله ، فقمت فقال : « ما لك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته ، فقال رجلٌ : صدق ، سلبُه عندي ، فأرضه مني . فقال أبو بكرٍ : لاها الله إذاً لا يعمِد إلى أَسدٍ من أُسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ؟! فقال النبيُّ ﷺ : « صدق فأعطه » . فأعطانيه فابتعت به مخرَفاً في بني سلمة ، فإنه لأول مالٍ تأثَّلته في الإسلام .

ورواه بقية الجماعة إلاّ النسائيَّ[٥] من حديث يحيى بن سعيدٍ به .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٧٧٦) (٧٩) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٣٥) .
(٣) في « المعجم الكبير » (٧/ ٢٠١) رقم (٦٧٢٤) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ١٣٥ ـ ١٣٦) وغيرهما ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣٢١) .
(٥) رواه مسلم رقم (١٧١٥) وأبو داود رقم (٢٧١٧) والترمذي رقم (١٥٦٢) وابن ماجه رقم (٢٨٣٧) .

قال البخاريُّ[١] : وقال اللَّيث بن سعدٍ : حدَّثني يحيى بن سعيدٍ ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، عن أبي محمدٍ مولى أبي قتادة ، أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنينٍ نظرت إلى رجلٍ من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين ، وآخر من المشركين يختِله من ورائه ليقتُله ، فأسرعت إلى الذي يختِله ، فرفع يده ليضربني فأضربُ يده فقطعتها ، ثم أخذني فضمَّني ضماً شديداً حتى تخوَّفت ، ثم ترك فتحلَّل ، فدفعتُه ثم قتلته ، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس ، فقلت له : ما شأن الناس ؟ قال : أمر الله . ثم تراجع الناس إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « من أقام بينةً على قتيلٍ فله سلبه » . فقمت لألتمس بيِّنةً على قتيلي، فلم أر أحداً يشهد لي ، فجلست ، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ ، فقال رجلٌ من جلسائه : سلاح هذا القتيل الذي يَذكر عندي ، فأرضه مني . فقال أبو بكرٍ : كلا ، لا يعطيه أُصيبع من قريشٍ، ويدع أَسداً من أُسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال : فقام رسول الله فأدَّاه إليَّ ، فاشتريت به خرافاً ، فكان أول مالٍ تأثَّلته . وقد رواه البخاريُّ في موضعٍ آخر ومسلمٌ ، كلاهما عن قتيبة ، عن الليث بن سعدٍ به ، وقد تقدم من رواية نافعٍ أبي غالبٍ ، عن أنسٍ أن القائل لذلك عمر بن الخطاب، فلعله قاله متابعةً لأبي بكرٍ الصديق ، ومساعدةً وموافقةً له ، أو قد اشتبه على الراوي ، والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٢] : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصمُّ ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، حدَّثني عاصم بن عمر ، عن عبد الرحمن بن جابرٍ ، عن أبيه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال يوم حنينٍ حين رأى من الناس ما رأى : « يا عباس ، ناد : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة » . فأجابوه : لبَّيك لبَّيك . فجعل الرجل يذهب ليعطِف بعيره ، فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه في عنقه ، ويأخذ سيفه وقوسه ، ثم يؤمُّ الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مئةٌ ، فاستعرض الناس فاقتتلوا ، وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار ، ثم جُعِلت آخراً بالخزرج ، وكانوا صُبُراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال : « الآن حمي الوطيس » . قال : فوالله ما رجعتْ راجعة الناس إلا والأُسارى عند رسول الله ﷺ مكتَّفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله ﷺ أموالهم وأبناءهم .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، وذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »[٣] أن رسول الله ﷺ لما فتح الله عليه مكة وأقرَّ بها عينه ، خرج إلى هوازن ، وخرج معه أهل مكة ، لم يغادر منهم أحداً ركباناً ومشاةً حتى خرج النساء يمشين على غير دينٍ نُظَّاراً ينظرون ويرجون الغنائم ، ولا

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٢) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٢٩) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٢٩) .

يكرهون مع ذلك أن تكون الصَّدمة برسول الله ﷺ وأصحابه ، قالوا : وكان معه أبو سفيان بن حربٍ وصفوان بن أمية ، وكانت امرأته مسلمةً ، وهو مشركٌ لم يفرَّق بينهما . قالوا : وكان رئيس المشركين يومئذٍ مالك بن عوفٍ النَّصريُّ ، ومعه دُريد بن الصِّمَّة يرعش من الكبر ، ومعه النساء والذَّراريُّ والنَّعم ، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدردٍ عيناً ، فبات فيهم ، فسمع مالك بن عوفٍ يقول لأصحابه : إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجلٍ واحدٍ ، واكسروا أغماد سيوفكم ، واجعلوا مواشيَكم صفّاً ونساءكم صفّاً . فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان ، وصفوان وحكيم بن حزامٍ وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة ، وصفَّ الناس بعضهم لبعضٍ ، وركب رسول الله ﷺ بغلةً له شهباء فاستقبل الصفوف ، فأمرهم وحضَّهم على القتال وبشَّرهم بالفتح إن صبروا ، فبينما هم كذلك حمل المشركون على المسلمين حملة رجلٍ واحدٍ ، فجال المسلمون جولةً ، ثم ولَّوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرت من بقي مع رسول الله ﷺ حين أدبر الناس ، فقلت : مائة رجلٍ . قالوا : ومرَّ رجلٌ من قريشٍ بصفوان بن أمية ، فقال : أبشر بهزيمة محمدٍ وأصحابه ، فوالله لا يجتبرونها أبداً . فقال له صفوان : تبشِّرني بظهور الأعراب ! فوالله لربٌّ من قريشٍ أحبُّ إليَّ من ربٍّ من الأعراب . وغضب صفوان لذلك . قال موسى : وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشِّعار ؟ فجاءه فقال : سمعتهم يقولون : يا بني عبد الرحمن ، يا بني عبد الله ، يا بني عبيد الله . فقال : ظهر محمدٌ . وكان ذلك شعارهم في الحرب . قالوا : وكان رسول الله ﷺ لما غشيه القتال قام في الركابين وهو على البغلة ، فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول : « اللهم إني أَنشُدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا » . ونادى أصحابه وذمَّرهم : « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ، الله الله ، الكرَّة على نبيِّكم » . ويقال : حرَّضهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بني الخزرج ، يا أصحاب سورة البقرة » . وأمر من أصحابه من ينادي بذلك . قالوا : وقبض قُبضةً من الحصباء ، فحصب بها وجوه المشركين ونواحيهم كلَّها ، وقال : « شاهت الوجوه » . وأقبل أصحابه إليه سراعاً يبتدرون . وزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « الآن حمي الوطيس » . فهزم الله أعداءه من كلِّ ناحيةٍ حصبهم منها ، واتَّبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنَّمهم الله نساءهم وذراريَّهم ، وفرَّ مالك بن عوفٍ حتى دخل حصن الطائف هو وأناسٌ من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناسٌ كثيرٌ من أهل مكة حين رأوا نصرَ الله رسولَه ﷺ وإعزازه دينه . رواه البيهقيُّ .

وقال ابن وهبٍ[(١)] : أخبرني يونس ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب قال : قال العباس : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنينٍ ، فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلةٍ بيضاء أهداها له فروة بن نُفاثة الجُذاميُّ ، فلمَّا التقى الناس ولَّى المسلمون

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٣٧) .

مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار . قال العباس : وأنا آخذٌ بلجامها أكفُّها إرادة أن لا تسرع ، وأبو سفيان آخذٌ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « أي عباس ، نادِ اصحاب السَّمرة » . قال : فوالله لكأنَّما عَطفتُهم حين سمعوا صوتي عطفةَ البقرة على أولادها ، فقالوا : يا لبَّيكاه ، يا لبَّيكاه . قال : فاقتتلوا هم والكفار ، والدعوة في الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار ، يا معشر الأنصار . ثم قُصِرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج . فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته ، كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال : « هذا حين حمي الوطيس » . ثم أخذ صلَّى الله عليه وسلَّم حصياتٍ فرمى بهن في وجوه الكفار ، ثم قال : « انهزموا وربِّ محمدٍ » . قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ـ ، قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته ، فما زلت أرى حدَّهم كليلاً ، وأمرهم مدبراً .

ورواه مسلمٌ[١] ، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهبٍ به نحوه . ورواه أيضاً ، عن محمد بن رافعٍ ، عن عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن الزهريِّ نحوه .

وروى مسلمٌ[٢] من حديث عكرمة بن عمَّارٍ ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما واجهنا العدوَّ تقدَّمت فأعلو ثنيَّةً فاستقبلني رجلٌ من المشركين فأرميه بسهمٍ ، وتوارى عني ، فما دريت ما صنع ، ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنيَّةٍ أخرى ، فالتقوا هم وصحابة رسول الله ﷺ، فولَّى أصحاب رسول الله ﷺ وأرجع منهزماً ، وعليَّ بردتان متَّزراً بإحداهما مرتدياً بالأخرى، قال : فاستطلق إزاري فجمعتها جمعاً ومررت على النبيِّ ﷺ وأنا منهزمٌ ، وهو على بغلته الشَّهباء، فقال ﷺ : « لقد رأى ابن الأكوع فزعاً » . فلما غَشوا رسولَ الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض قُبضةً من ترابٍ من الأرض واستقبل به وجوههم، وقال : « شاهت الوجوه » . فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القُبضة، فولَّوا مدبرين، فهزمهم الله، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين .

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ في « مسنده »[٣] : ثنا حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن يعلى بن عطاءٍ ، عن عبد الله بن يسارٍ ، عن أبي عبد الرحمن الفِهْري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في حنينٍ ، فسرنا في يومٍ قائظٍ شديد الحرِّ، فنزلنا تحت ظلال السَّمُر ، فلما زالت الشمس لبست لأمتي ، وركبت فرسي ، فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فُسطاطه ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرَّواح يا رسول الله ؟

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٧٧٥) (٧٦) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١٧٧٧) .
(٣) رقم (١٤٦٨) بتحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » (٥/ ٢٨٦) وهو حديث حسن ، يشهد له معنى حديث سلمة بن الأكوع الذي قبله وحديث العباس عند أحمد (١/ ٢٠٧).

قال : « أجل » . ثم قال رسول الله ﷺ : « قم يا بلال » . فثار من تحت سَمُرةٍ كأن ظلَّه ظلُّ طائرٍ فقال : لبيك وسعديك ، وأنا فداؤك . فقال : « أسرج لي فرسي » . فأتاه بدَفَّتين من ليفٍ ليس فيهما أشرٌ ولا بطرٌ . قال : فركب فرسه فسرنا يومنا ، فلقينا العدوَّ ، وتشامت الخَيْلان ، فقاتلناهم فولَّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « يا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله » . واقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه ، وحدَّثني من كان أقرب إليه مني أنه أخذ حفنةً من التراب ، فحثى بها وجوه العدوِّ وقال : « شاهت الوجوه » . قال يعلى بن عطاءٍ : فحدَّثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقي أحدٌ إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلةً من السماء ، كمرِّ الحديد على الطَّست الجديد ، فهزمهم الله عزو وجل .

ورواه أبو داود السِّجستانيُّ في « سننه »[١] عن موسى بن إسماعيل ، عن حَمَّاد بن سَلَمة به نحوه .

وقال الإمام أحمدُ[٢] : ثنا عَفَّان ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا الحارث بن حصيرة ، ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعودٍ ، عن أبيه قال : قال عبدُ الله بن مسعود : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولَّى عنه الناس ، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قَدماً ، ولم نولّهم الدُّبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة . قال : ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قُدُماً ، فحادت به بغلته ، فمال عن السَّرج ، فقلت له : ارتفع رفعك الله . فقال : « ناولني كفّاً من تراب » . فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً ، قال : « أين المهاجرون والأنصار ؟ » قلت : هم أولاء . قال : « اهتف بهم » . فهتفت بهم ، فجاؤوا وسيوفهم بأيمانهم كأنَّها الشُّهب ، وولَّى المشركون أدبارهم . تفرَّد به أحمد .

وقال البيهقيُّ[٣] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القَنطريُّ ، ثنا أبو قلابة ، ثنا أبو عاصم ، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطَّائفيُّ ، أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاريُّ ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثني عشر ألفاً ، فقُتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قُتل يوم بدر . قال : وأخذ رسول الله ﷺ كفّاً من حصىً ، فرمى بها وجوهنا فانهزمنا .

ورواه البخاريُّ في « تاريخه »[٤] ولم ينسب عِياضاً .

وقال مسدَّدٌ : ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا عوف ، ثنا عبد الرحمن مولى أمِّ بُرْثُن ، عمن شهد حُنيناً

---

(١) رقم (٥٢٣٣) ، وهو حديث حسن ، كما في حديث أحمد الذي قبله .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٥٣) ، وفي إسناده ضعف .
(٣) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٢) .
(٤) انظر « التاريخ الكبير » (٧/ ١٩) .

كافراً قال : لما التقينا نحن ورسول الله ﷺ والمسلمون ، لم يقوموا لنا حلب شاةٍ ، فجئنا نهُشُّ سيوفنا بين يدي رسول الله ﷺ ، حتى إذا غشيناه ، فإذا بيننا وبينه رجالٌ حسان الوجوه فقالوا : شاهت الوجوه ، فارجعوا . فهُزِمنا من ذلك الكلام . رواه البيهقيُّ[١] .

وقال يعقوب بن سفيان[٢] : ثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم، ثنا الوليد بن مسلم، حدَّثني محمد ابن عبد الله الشُّعيثيُّ ، عن الحارث بن بدل النَّصريِّ ، عن رجلٍ من قومه شهد ذلك يوم حنين ، وعمرو بن سفيان الثَّقفيِّ قال : انهزم المسلمون يوم حنين ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا عباسٌ وأبو سفيان بن الحارث . قال : فقبض رسول الله ﷺ قُبضةً من الحصباء ، فرمى بها في وجوههم . قال : فانهزمنا فما خيِّل إلينا إلا أنَّ كلَّ حجرٍ أو شجرٍ فارسٌ يطلبنا . قال الثَّقفيُّ : فأعجزتُ على فرسي حتى دخلت الطائف .

وروى يونس بن بُكير في « مغازيه »[٣] عن يوسف بن صُهَيب عن عبد الله[٤] أنه لم يبق مع رسول الله ﷺ يوم حُنَين إلا رجلٌ واحدٌ اسمه زيدٌ .

وروى البيهقيُّ[٥] من طريق الكُدَيميِّ ، ثنا موسى بن مسعودٍ ، ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفيُّ ، عن السائب بن يسار ، عن يزيد بن عامر السُّوائيِّ أنه قال : عند انكشافةٍ انكشفها المسلمون يوم حنين فتبعهم الكفار ، وأخذ رسول الله ﷺ قبضةً من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا شاهت الوجوه » . فما أحدٌ يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذىً في عينيه .

ثم روى[٦] من طريقين ، عن أبي حذيفة ، ثنا سعيد بن السَّائب بن يسار الطائفيُّ ، حدَّثني أبي السائب بن يسار ، سمعت يزيد بن عامرٍ السُّوائيَّ ـ وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعدُ ـ قال : فنحن نسأله عن الرُّعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال : فكان يأخذ لنا بحصاةٍ فيرمي بها في الطَّست فيطِنُّ . قال : كنا نجد في أجوافنا مثل هذا .

وقال البيهقيُّ[٧] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا العباس ، عن محمد بن بكير الحضرميِّ ، ثنا أيوب بن جابر ، عن صدقة بن

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٣) .
(٢) انظر « المعرفة والتاريخ » (١/ ٣٢٧) .
(٣) وهو مرسل ، البزار في « كشف الأستار » رقم (١٨٢٨) من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه موصولاً . قال البزار : لا نعلم رواه إلا بريدة ، ولا رواه عن عبد الله إلا يوسف بن صهيب ، وهو كوفي مشهور .
(٤) يعني عبد الله بن بريدة .
(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٣) .
(٦) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٤) .
(٧) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٥) .

سعيدٍ ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه قال : خرجتُ مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، والله ما أخرجني إسلامٌ ولا معرفةٌ به ، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش ، فقلت وأنا واقفٌ معه : يا رسول الله ، إني أرى خيلاً بُلقاً . فقال : « يا شيبة ، إنه لا يراها إلا كافرٌ » . فضرب يده في صدري ، ثم قال : « اللهم اهد شيبة » . ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم اهد شيبة » . ثم ضربها الثالثة ، ثم قال : « اللهم اهد شيبة » . قال : فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحدٌ من خلق الله أحبَّ إليَّ منه . ثم ذكر الحديث في التقاء الناس ، وانهزام المسلمين ، ونداء العباس ، واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين .

وقال البيهقيُّ(١) : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو محمدٍ أحمد بن عبد الله المزنيُّ ، ثنا يوسف بن موسى ، ثنا هشام بن خالدٍ ، ثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثني عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر الهذليِّ ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عُرِّي ، ذكرت أبي وعمِّي ، وقتل عليٍّ وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأري من رسول الله ﷺ . قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائماً ، عليه درعٌ بيضاء كأنها فضةٌ ينكشف عنها العجاج ، فقلت : عمُّه ولن يخذله . قال : ثم جئته عن يساره ، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابنُ عمِّه ولن يخذله . قال : ثم جئته من خلفه ، فلم يبق إلا أن أُساوره سَوْرةً بالسيف إذْ رفع شُواظٌ من نار بيني وبينه ، كأنه برقٌ ، فخفت أن يمحشني ، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى ، فالتفت رسول الله ﷺ وقال : « يا شيب [يا شيب] ادن مني ، اللهم أذهب عنه الشيطان » . قال : فرفعت إليه بصري ولهو أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري . فقال : « يا شيب ، قاتل الكُفَّار » .

وقال ابن إسحاق(٢) : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أُدرك ثأري - وكان أبوه قد قتل يوم أحدٍ - اليوم أقتل محمداً . قال : فأدرت برسول الله ﷺ لأقتله ، فأقبل شيءٌ حتى تغشَّى فؤادي ، فلم أُطق ذاك وعلمت أنه ممنوع منّي .

وقال محمد بن إسحاق(٣) : وحدَّثني والدي إسحاق بن يسار ، عمن حدَّثه ، عن جبير بن مطعمٍ قال : إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين ، والناس يقتتلون ، إذ نظرتُ إلى مثل البِجاد الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نملٌ منثورٌ قد ملأ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشكُّ

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٩) .

أنها الملائكة . ورواه البيهقيُّ ، عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق به . وزاد : فقال خَديج بن العوجاء النَّصريُّ ـ يعني في ذلك ـ : [من الطويل]

ولما دَنَونا من حُنينٍ ومائه ... رأينا سواداً مُنْكَرَ اللّونِ أَخْصَفا
بملمومةٍ شهباءَ لو قَذفوا بها ... شَمَاريخَ من عَروى إذاً عادَ صَفْصَفَا
ولو أنَّ قومي طاوعتني سَرَاتُهم ... إذاً ما لقينا العارضَ المتكشِّفا
إذاً ما لقِينا جندَ آل محمدٍ ... ثمانين ألفاً واستَمَدُّوا بخِنْدِفَا

وقد ذكر ابن إسحاق(١) من شعر مالك بن عوف النَّصريِّ رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوغى يرتجز ويقول : [من الرجز]

أَقْدِمْ مُحاجُ إنَّه يومٌ نُكُرْ ... مثلي على مِثْلكَ يَحمي ويكُرّ
إذا أُضيعَ الصَّفُّ يوماً والدُّبُرْ ... ثم احزألّت زمرٌ بعد زُمرْ
كتائبٌ يكِلُّ فيهن البَصَر ... قد أطعُنُ الطَّعنة تقذي بالسُّبُرْ
حينَ يُذَمُّ المُستكينُ المُنْجَحِرْ ... وأطْعُنُ النَّجْلاءَ تَعْوِي وتَهِرّ
لها مِن الجَوْفِ رَشاشٌ مُنْهَمِرْ ... تَفْهَقُ تاراتٍ وحيناً تَنْفَجِرْ
وثَعْلَبُ العاملِ فيها مُنْكَسِرْ ... يا زينُ يا بنَ هَمْهَمٍ أين تَفِرّ
قد نَفِذَ الضِّرْسُ وقد طال العُمُرْ ... قد علِم البيضُ الطَّويلاتُ الخُمُرْ
أنِّيَ في أمثالِها غيرُ غَمِرْ ... إذ تَخْرُجُ الحاضِنُ مِن تحتِ السُّتُرْ

وذكر البيهقيُّ(٢) من طريق يونس بن بكيرٍ ، عن أبي إسحاق أنه أنشد من شعر مالكٍ أيضاً حين ولّى أصحابه منهزمين ، وذلك قوله بعد ما أسلم ، وقيل : هي لغيره : [من البسيط]

اذكُرْ مسيرَهمُ للناسِ كلِّهمُ ... ومالكٌ فوقَه الراياتُ تَخْتَفِقُ
ومالكٌ مالكٌ ما فوقَه أحدٌ ... يومَ حنينٍ عليه التاجُ يأْتَلِقُ
حتى لقُوا الناسَ حينَ البأْسِ يَقْدُمُهمْ ... عليهم البَيْضُ والأبْدانُ والدَّرَقُ
فضارَبوا الناسَ حتى لم يَرَوْا أحَداً ... حولَ النبيِّ وحتى جَنَّه الغَسَقُ
حتى تنَزَّل جبريلٌ بنصرهمُ ... فالقومُ منهزمٌ منا ومُعْتَلِقُ
منا ولو غيرُ جبريلٍ يُقاتِلُنا ... لَمَنَّعَتْنا إذاً أسيافُنا الغُلُقُ
وقد وفَى عمرُ الفاروقُ إذ هزَموا ... بطعنةٍ بلَّ منها سَرجَه العَلَقُ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٤٧) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٤٧) .

قال ابنُ إسحاق[١] : ولما هزم الله المشركين ، وأمكن الله ورسوله ﷺ منهم ، قالت امرأةٌ من المسلمين : [من الرجز]

قد غلَبَتْ خيلُ الله خيلَ اللاَّتْ   واللهُ أحَــقُّ بـــالثَّبـــاتْ

قال ابن هشامٍ : وقد أنشدنيه بعض أهل الرواية للشعر : [من الرجز]

غلَبْتِ خيـلَ الله خيـلَ الـلاّتِ   وخيلُــه أحــقُّ بـــالثَّبـــاتِ

قال ابن إسحاق[٢] : فلما انهزمت هوازن استحرَّ القتل من ثقيفٍ في بني مالكٍ ، فقُتِل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، وكانت مع ذي الخِمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيبٍ ، فقاتل بها حتى قتل ، فأخبرني عامر بن وهب بن الأسود أن رسول الله ﷺ لما بلغه قتله قال : « أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشاً » .

وذكر ابن إسحاق[٣] ، عن يعقوب بن عُتبة أنه قتل مع عثمان هذا غلامٌ له نصرانيٌّ ، فجاء رجلٌ من الأنصار ليسلُبه ، فإذا هو أغرل ، فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب ، يعلم الله أن ثقيفاً غُرْلٌ . قال المغيرة بن شعبة الثقفيُّ : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تقل كذلك ، فداك أبي وأمي ، إنما هو غلامٌ لنا نصرانيٌّ . ثم جعلتُ أكشف له القتلى فأقول له : ألا تراهم مختتنين كما ترى ؟

قال ابن إسحاق[٤] : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرةٍ ، وهرب هو وبنو عمِّه وقومُه ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين ؛ رجلٌ من بني غِيَرة يقال له : وهبٌ . ورجلٌ من بني كُبَّة يقال له : الجُلاح . فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح : « قتل اليوم سيد شباب ثقيفٍ ، إلا ما كان من ابن هنيدة » . يعني الحارث بن أويسٍ .

قال ابن إسحاق[٥] : فقال العباس بن مِرْدَاسٍ[٦] يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه وذا الخِمار وحبسه نفسه وقومه للموت : [من الوافر]

ألا مَـن مُبْلِـغٌ غَيْـلانَ عنِّـي   وسـوف إخـالُ يـأتيـه الخَبيـرُ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٠) .
(٦) الأبيات في« ديوانه » ص (٦٨ـ٧١) .

وعــروةَ إنمــا أُهْــدِي جــوابــاً ... وقــولاً غيــرَ قــولِكمــا يَسيــرُ
بــأنَّ محمــداً عبــدٌ رســولٌ ... لــربٍّ لا يَضِــلُّ ولا يَجــورُ
وجَــدْنــاه نبيّــاً مثــلَ مــوســى ... فكــلُّ فتــىً يُخــايــرُه مَخيــرُ
وبئــس الأمــرُ أمــرُ بنــي قَسِــيٍّ ... بــوَجٍّ إذ تُقُسِّمَــت الأمــورُ
أضــاعــوا أمْــرَهــم ولكــلِّ قــومٍ ... أميــرٌ والــدوائــرُ قــد تَــدورُ
فجِئْنــا أُسْــدَ غــابــاتٍ إليهــم ... جنــودُ الله ضــاحيــةً تَسيــرُ
نَــؤُمُّ الجمــعَ جمــعَ بنــي قســيٍّ ... علــى حَنَــقٍ نَكــادُ لــه نَطِيــرُ
وأُقْسِــمُ لــو هُــمُ مكَثــوا لسِــرْنــا ... إليهــم بــالجنــودِ ولــم يَغُــوروا
فكنــا أُسْــدَ لِيَّــةَ ثَــمَّ حتــى ... أَبَحْنــاهــا وأَسْلَمَــت النُّصــورُ
ويــومٌ كــان قبــلُ لــدَى حنيــنٍ ... فــأَقْلَــعَ والــدمــاءُ بــه تَمــورُ
مِــن الأيــامِ لــم تَسْمَــعْ كيــومٍ ... ولــم يَسْمَــعْ بــه قــومٌ ذُكــورُ
قتَلْنــا فــي الغُبــارِ بنــي حُطَيْــطٍ ... علــى رايــاتِهــا والخيــلُ زُورُ
ولــم يَــكُ ذو الخِمــارِ رئيــسَ قــومٍ ... لهــم عَقْــلٌ يُعــاقِــبُ أو نَكِيــرُ
أقــام بهــم علــى سَنَــنِ المَنــايــا ... وقــد بــانــت لمُبْصِــرِهــا الأمــورُ
فــأفْلَــتَ مَــن نجــا منهــم جَــرِيْضــاً ... وقُتِّــلَ منهــمُ بَشَــرٌ كثيــرُ
ولا يُغْنــي الأمــورَ أخــو التَّــوانــي ... ولا الغَلِــقُ الصُّــرَيِّــرَةُ الحَصــورُ
أحــانهــمُ وحــان ومَلَّكــوه ... أمــورَهــمُ وأَفْلَتَــتِ الصُّقــورُ
بنــو عــوفٍ تَميــحُ بهــم جِيــادٌ ... أُهِيــنَ لهــا الفَصــافِــصُ والشَّعيــرُ
فلــولا قــاربٌ وبنــو أبيــه ... تُقُسِّمَــت المَــزارعُ والقُصــورُ
ولكــنّ الــرِّيــاســةَ عُمِّمــوهــا ... علــى يُمْــنٍ أشــار بــه المُشِيــرُ
أطــاعــوا قــارِبــاً ولهــم جُــدُودٌ ... وأَحْــلامٌ إلــى عِــزٍّ تَصيــرُ
فــإن يُهْــدَوْا إلــى الإســلامِ يُلْفَــوا ... أُنُــوفَ النــاسِ مــا سمَــر السَّمِيــرُ
فــإن لــم يُسْلِمــوا فهُــمُ أذانٌ ... بحــربِ الله ليــس لهــم نَصِيــرُ
كمــا حَكَّــتْ بنــو سَعْــدٍ وحــربٍ ... بــرَهْــطِ بنــي غَــزِيَّــةَ عَنْقَفِيــرُ
كــأنَّ بنــي مُعــاويــةَ بــنِ بكــرٍ ... إلــى الإســلامِ ضَــائِنَــةٌ تَخــورُ
فقلْنــا أسْلِمــوا إنــا أخــوكــم ... وقــد بــرِأَت مِــن الإحَــنِ الصُّــدورُ
كــأن القــومَ إذ جــاؤوا إلينــا ... مِــن البَغْضــاءِ بعــدَ السِّلْــمِ عُــورُ

***

فصــلٌ

ولما انهزمت هَوَازن وقف ملكُهم مالك بن عوفٍ النَّصريُّ على ثنيَّةٍ مع طائفةٍ من أصحابه ، فقال : قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أُخراكم .

قال ابن إسحاق[١] : فبلغني أن خيلاً طلعت ، ومالكٌ وأصحابه على الثَّنيَّة ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلةً بوادُّهم . فقال : هؤلاء بنو سُليمٍ ، ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً عارضي رماحهم أغفالاً على خيلهم . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثَّنية سلكوا طريق بني سُليمٍ ، ثم طلع فارسٌ ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى فارساً طويل البادِّ ، واضعاً رمحه على عاتقه ، عاصباً رأسه بمُلاءةٍ حمراء . قال : هذا الزبير بن العوام ، وأقسم باللات ليخالطنَّكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّنيَّة أبصر القوم فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

***

فصــل

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم ، فجمعت من الإبل والغنم والرقيق ، وأمر أن تساق إلى الجِعْرَانة فتحبس هناك .

قال ابن إسحاق[٢] : وجعل رسول الله ﷺ على الغنائم مسعود بن عمروٍ الغِفاريَّ .

***

فصــل

قال ابن إسحاق[٣] : وحدَّثني بعض أصحابنا أن رسول الله ﷺ مرَّ يومئذٍ بامرأةٍ قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصِّفون عليها ، فقال لبعض أصحابه : « أدرك خالداً فقل له : إن رسول الله ﷺ ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأةً أو عسيفاً » . هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٧) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا أبو عامرٍ عبد الملك بن عمروٍ ، ثنا المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزِّناد ، حدَّثني المرقَّع بن صيفيٍّ ، عن جدِّه رباح بن ربيعٍ أخي حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه خرج مع رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها ، وعلى مقدِّمته خالد بن الوليد ، فمرَّ رباحٌ وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأةٍ مقتولةٍ مما أصابت المقدِّمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجَّبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته ، فانفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال : « ما كانت هذه لتقاتل » . فقال لأحدهم : « الحق خالداً فقل له : لا تقتلنَّ ذرِّيَّةً ولا عسيفاً » .

وكذلك رواه أبو داود ، والنسائيُّ ، وابن ماجه[٢] من حديث المرقَّع بن صيفيٍّ به نحوه .

***

سريّة أوطاسٍ[٣]

وكان سببها أن هَوَازن لما انهزمت ذهبت فرقةٌ منهم ، فيهم الرئيس مالك بن عوفٍ النصريُّ ، فلجؤوا إلى الطائف فتحصَّنوا بها ، وسارت فرقةٌ فعسكروا بمكانٍ يقال له : أوطاسٌ . فبعث إليهم رسول الله ﷺ سريةً من أصحابه ، عليهم أبو عامرٍ الأشعريُّ ، فقاتلوهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة ، فحاصر أهل الطائف كما سيأتي .

قال ابن إسحاق[٤] : ولما انهزم المشركون يوم حُنينٍ ، أتوا الطَّائف ومعهم مالك بن عوفٍ ، وعسكر بعضهم بأوطاسٍ ، وتوجَّه بعضهم نحو نخلةَ ، ولم يكن فيمن توجَّه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيفٍ ، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثَّنايا . قال : فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان السُّلميُّ ـ ويعرف بابن الدُّغُنَّة[٥] ، وهي أمُّه ـ دريد بن الصِّمَّة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظنُّ أنه امرأةٌ ، وذلك أنه في شجارٍ له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخٌ كبيرٌ ، وإذا دُريد بن الصِّمَّة ، ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريدٌ : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السُّلميُّ . ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن شيئاً ، قال : بئس ما سلَّحتْك أمُّك ، خذ سيفي هذا من مؤخَّر رحلي في الشِّجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام واخفض عن الدِّماغ ، فإني كذلك كنت

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٨٨) ، وإسناده حسن .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٦٦٩) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٢٥) و(٨٦٢٦) وابن ماجه رقم (٢٨٤٢) ، وهو حديث حسن .

(٣) أوطاس : وادٍ في ديار هوازن . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ١٣٢) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٣) .

(٥) ويقال : بفتح الدال ، وكسر الغين وتخفيف النون .

أضرب الرجال ، ثم إذا أتيتَ أمَّكَ فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصِّمَّة ، فربَّ ـ والله ـ يومٍ منعت فيه نساءكَ . فزعم بنو سليمٍ أن ربيعة قال : لما ضربته فوقع تكشَّف ، فإذا عِجانه وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراءً . فلما رجع ربيعة إلى أمِّه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثاً . ثم ذكر ابن إسحاق ما رثت به عَمرة بنت دريدٍ أباها ، فمن ذلك قولها : [من البسيط]

قالوا قتَلْنا دُريداً قلتُ قد صدَقوا ... فظلَّ دمعي على السِّرْبال منحدرُ[1]
لولا الذي قهر الأقوام كلَّهمُ ... رأتْ سُلَيمٌ وكعبٌ كيف تأْتَمِرُ
إذاً لصبَّحَهم غِبّاً وظاهرةً ... حيث استقَرَّت نوَاهم جَحْفَلٌ ذَفِرُ

قال ابن إسحاق[2] : وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجَّه قِبل أوطاس أبا عامرٍ الأشعريَّ ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال ، فرمي أبو عامرٍ فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعريُّ وهو ابن عمِّه فقاتلهم ، ففتح الله عليه ، وهزمهم الله ، عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريدٍ هو الذي رمى أبا عامرٍ الأشعريَّ بسهمٍ ، فأصاب ركبته فقتله ، وقال : [من الرجز]

إن تسْألوا عني فإني سَلَمهْ ... ابنُ سَمادِيرَ لمن توَسَّمهْ
أضْرِبُ بالسيفِ رؤوسَ المُسْلِمَهْ

قال ابن هشامٍ[3] : وحدَّثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه ، أن أبا عامرٍ الأشعريَّ لقي يوم أوطاسٍ عشرة إخوةٍ من المشركين ، فحمل عليه أحدهم ، فحمل عليه أبو عامرٍ ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامرٍ ، ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامرٍ ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامرٍ ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعةً ، وبقي العاشر ، فحمل على أبي عامرٍ ، وحمل عليه أبو عامرٍ ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقال الرجل : اللهم لا تشهد عليَّ . فكفَّ عنه أبو عامرٍ ، فأَفلت ، فأسلم بعدُ ، فحسن إسلامه ، فكان النبيُّ ﷺ إذا رآه قال : « هذا شريد أبي عامرٍ » . قال : ورمى أبا عامرٍ أخَوان ؛ العلاء وأوفى أبناء الحارث من بني جشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولَّى الناس أبا موسى ، فحمل عليهما فقتلهما ، فقال رجلٌ من بني جشم يرثيهما : [من المتقارب]

وإن الرَّزِيَّة قتل العلاءِ ... وأوفى جميعاً ولم يُسْنَدا
هما القَاتِلان أبا عامرٍ ... وقد كان ذا هبَّةٍ أَرْبَدا

---

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « ينحدرُ » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٧) .

هما تركاه لدى مَعْرَكٍ كأنَّ على عطفه مُجْسَدا
فلم يَرَ في الناس مثليهما أقلَّ عِثاراً وأرمى يَدا

وقال البخاريُّ[١] : ثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من حنينٍ بعث أبا عامرٍ على جيشٍ إلى أوطاسٍ ، فلقي دُريد بن الصِّمَّة ، فقتل دريدٌ وهزم الله أصحابه .

قال أبو موسى : وبعثني مع أبي عامرٍ ، فرمي أبو عامرٍ في ركبته ، رماه جُشَميٌّ بسهمٍ فأثبته في ركبته . قال : فانتهيت إليه ، فقلت : يا عمِّ ، من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رماني . فقصدت له فلحقته ، فلما رآني ولَّى ، فاتَّبعته وجعلت أقول له : ألا تستحي ؟ ألا تثبت ؟ فكفَّ ، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلتُه ، ثم قلت لأبي عامرٍ : قتل الله صاحبك . قال : فانزع هذا السهم . فنزعته فنزا منه الماء . قال : يا بن أخي أقرئ رسول الله ﷺ السلام ، وقل له : استغفر لي . واستخلفني أبو عامرٍ على الناس ، فمكث يسيراً ثم مات ، فرجعت فدخلت على رسول الله ﷺ في بيته على سريرٍ مُرَمَّلٍ ، وعليه فراشٌ قد أثَّر رمال السَّرير بظهره وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقوله : قل له : استغفر لي . قال : فدعا بماءٍ فتوضَّأ ، ثم رفع يديه فقال : « اللهم اغفر لعُبَيدٍ أبي عامرٍ » . ورأيت بياض إبطيه ، ثم قال : « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثيرٍ من خلقك » . أو « من الناس » . فقلت : ولي فاستغفر . فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيسٍ ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » . قال أبو بردة : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأخرى لأبي موسى ، رضي الله عنهما .

ورواه مسلمٌ[٢] ، عن أبي كريبٍ محمد بن العلاء وعبد الله بن برَّادٍ ، عن أبي أسامة به نحوه .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ـ هو الثوريُّ ـ عن عثمان البتِّيِّ ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال : أصبنا نساءً من سبي أوطاسٍ ولهن أزواجٌ ، فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواجٌ ، فسألنا النبيَّ ﷺ ، فنزلت هذه الآية : ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] . قال : فاستحللنا بها فروجهن .

وهكذا رواه الترمذيُّ والنسائيُّ[٤] من حديث عثمان البتِّيِّ به .

وأخرجه مسلمٌ في «صحيحه»[٥] من حديث شعبة ، عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٢٣) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٤٩٨) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٧٢) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه الترمذي رقم (١١٣٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٠٩٧) ، وهو حديث صحيح .
(٥) رقم (١٤٥٦) (٣٥) .

وقد رواه الإمام أحمد، ومسلمٌ، وأبو داود، والنسائيُّ[١] من حديث سعيد بن أبي عروبة ـ زاد مسلمٌ : وشعبة ـ والترمذيُّ[٢] من حديث همام بن يحيى ، ثلاثتهم عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي علقمة الهاشميِّ ، عن أبي سعيدٍ أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاسٍ لهن أزواجٌ من أهل الشرك ، فكان أناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ كفُّوا وتأثَّموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك : ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ .

وهذا لفظ أحمد بن حنبلٍ ، فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الهاشميَّ ، وهو ثقةٌ ، وكأن هذا هو المحفوظ . والله أعلم .

وقد استدل جماعةٌ من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الأمة طلاقها . روي ذلك عن ابن مسعودٍ ، وأُبيِّ بن كعبٍ ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباسٍ ، وسعيد بن المسيَّب ، والحسن البصريِّ ، وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بَرِيرة ، حيث بيعت ثم خيِّرت في فسخ نكاحها أو بقائه ، فلو كان بيعها طلاقاً لها لما خيِّرت ، وقد تقصَّينا الكلام على ذلك في « التفسير » بما فيه كفايةٌ ، وسنذكره إن شاء الله في « الأحكام الكبير » . وقد استدل جماعةٌ من السلف على إباحة الأمة المشركة بهذا الحديث في سبايا أوطاسٍ ، وخالفهم الجمهور ، وقالوا : هذه قضية عَينٍ ، فلعلهن أسلمن أو كنَّ كتابياتٍ ، وموضع تقرير ذلك في « الأحكام الكبير » إن شاء الله تعالى .

***

فصل

فيمن استشهد يوم حنينٍ وسرية أوطاسٍ

أيمن ابن أمِّ أيمن مولى رسول الله ﷺ ، وهو أيمن بن عُبيدٍ[٣] ، ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسدٍ[٤] ؛ جمح به فرسه الذي يقال له : الجناح . فمات ، وسُرَاقَة بن مالك بن الحارث بن

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٨٤) ومسلم رقم (١٤٥٦) (٣٣) و(٣٤) وأبو داود رقم (٢١٥٥) والنسائي رقم (٣٣٣٣) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٠١٦) ، وهو حديث صحيح .

(٣) انظر ترجمته في « الإصابة » (١/ ٩٢) .

(٤) انظر ترجمته في « الإصابة » (٣/ ٦٥٥) .

عديٍّ الأنصاريُّ(١) ، من بني العجلان ، وأبو عامرٍ الأشعريُّ(٢) ، أمير سرية أوطاسٍ ، فهؤلاء أربعةٌ ، رضي الله عنهم .

***

فصل

فيما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بُجَير بن زُهير بن أبي سُلمى(٣) : [من الكامل]

لــولا الإلــهُ وعبــدُه ولَّيتــمُ ... حيـن استخفَّ الـرُّعب كُـلَّ جَبَـانِ
بـالجِـزْع يـوم حَبَـا لنـا أَقْـرَانُنَـا ... وسـوابـحٌ يكبـون لـلأذقـانِ
مـن بيـن سـاعٍ ثـوبُـهُ فـي كفِّـه ... ومقطَّـرٍ بسنـابـكٍ ولَبـانِ
واللهُ أكـرمنـا وأظهـر دِيْنَنَـا ... وأعـزَّنـا بعبـادَةِ الـرّحمـنِ
والله أَهْلَكَهُـمْ وفـرَّق جَمْعَهُـمْ ... وأَذَلَّهُـمْ بعِبَـادَةِ الشَّيْطَـانِ

قال ابن هشامٍ : ويروي فيها بعض الرُّواة :

إذ قَـامَ عَـمُّ نبيِّكـم ووليُّـهُ ... يَـدْعُـون يـا لَكتيبـةِ الإيمـانِ
أَيْـنَ الـذيـن هُـمُ أَجَـابُـوا ربَّهُـمْ ... يـومَ العُـرَيْـضِ وبَيْعَـةِ الـرِّضْـوانِ

وقال عباس بن مِرْدَاسٍ السُّلَميُّ(٤) : [من الوافر]

فـإنـي والسَّـوابـحُ يـومَ جمـعٍ ... ومـا يَتْلـو الـرسـولُ مِـن الكتـابِ
لقـد أحْبَبْـتُ مـا لَقِيَـتْ ثقيـفٌ ... بجَنْـبِ الشِّعْـبِ أمسِ مِـن العذابِ
هُـمُ رأسُ العـدوِّ مِـنَ اهـلِ نجـدٍ ... فقتْلُهُـمُ ألـذُّ مِـن الشـرابِ
هـزَمْنـا الجمـعَ جمـعَ بنـي قَسـيٍّ ... وحَكَّـتْ بَـرْكَهـا ببنـي رِئـابِ

---

(١) انظر ترجمته في « الإصابة » (٢/١٨) وقيل في اسمه (سُرَاقة بن الحارث بن عدي) كما في « تجريد أسماء الصحابة » (١/٢٠٩) و« الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص (٢٠٧) و(سُرَاقة بن الحباب بن عدي) كما في « الإصابة » لابن حجر ، وأما لفظ (ابن مالك) الذي ورد في الكتاب عندنا فيبدو أنه سبق قلم من المؤلف رحمه الله ، أو أنه مقحم في نسخ الكتاب من النسَّاخ .

(٢) انظر ترجمته في « الإصابة » (٤/١٢٣) .

(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٥٩) و« الروض الأُنف » (٧/١٤٨) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ص(٤٧ ـ ٤٨) جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري .

وصِـرْمـاً مِـن هـلالٍ غـادَرَتْهـم بـأوطـاسٍ تُعَفَّـرُ بـالتُّـرابِ
ولـو لاقَيْـن جمـعَ بنـي كِـلابٍ لقـام نسـاؤُهـم والنَّقْـعُ كـابـي
ركَضْنـا الخيـلَ فيهـم بيـنَ بُـسٍّ إلـى الأوْرالِ تَنْحِـطُ بـالنِّهـابِ
بـذي لَجَـبٍ رسـولُ الله فيهـم كتيبتُـه تعَـرَّضُ للضِّـرابِ

وقال عباس بن مرداسٍ(١) أيضاً : [من الكامل]

يـا خـاتَـمَ النُّبـآءِ إنـك مُـرْسَـلٌ بـالحَـقِّ كـلُّ هُـدَى السَّبيـلِ هُـداكَـا
إن الإلـهَ بنَـى عليـك محبـةً فـي خَلْقِـه ومحمـداً سمَّـاكـا
ثـم الـذيـن وفَـوْا بمـا عـاهَـدْتَهـم جنـدٌ بعَثْـتَ عليهـمُ الضَّحَّـاكـا
رجـلاً بـه ذَرَبُ السِّـلاحِ كـأنـه لَمَّـا تكَنَّفَـه العـدوُّ يَـراكَـا
يَغْشَى ذَوِي النَّسبِ القَريبِ وإنما يَبْغِـي رِضـا الـرَّحمـنِ ثـم رِضـاكَـا
أُنْبِيـك أنّـي قـد رأيْـتُ مَكَـرَّهُ تحـتَ العَجـاجـةِ يَـدْمَـغُ الإشْـراكَـا
طَـوْراً يُعـانِـقُ بـاليـديـن وتـارةً يَفْـرِي الجَمـاجـمَ صـارمـاً بَتَّـاكَـا
يغْشَـى بـه هـامَ الكُمـاةِ ولـو تَـرى منـه الـذي عـايَنْـتُ كـان شِفـاكَـا
وبنـو سُلَيْـمٍ مُعْنِقـون أمـامَـه ضَـرْبـاً وطعنـاً فـي العـدوِّ دِراكَـا
يمشـون تحـتَ لـوائِـه وكـأنَّهـم أُسْـدُ العَـريـنِ أرَدْنَ ثَـمَّ عِـراكَـا
مـا يَـرْتجـون مِـن القـريـبِ قَـرابـةً إلا لطـاعـةِ ربِّهـم وهَـواكَـا
هـذي مشـاهـدُنـا التـي كـانـت لنـا مَعْـروفـةً ووليُّنـا مَـوْلاكَـا

وقال عباس بن مرداسٍ(٢) أيضاً : [من الطويل]

عَفـا مِجْـدَلٌ مِـن أهلِـه فمُتـالِـعُ فمِطْلَـى أَريـكٍ قـد خَـلا فـالمَصـانِـعُ
دِيـارٌ لنـا يـا جُمْـلُ إذ جُـلُّ عَيْشِنـا رَخِيٌّ وصَرْفُ الدَّهْرِ للحيِّ جامِعُ
حُبَيِّبَـةٌ ألْـوَتْ بهـا غُـرْبَـةُ النَّـوَى لِبَيْـنٍ فهـل مـاضٍ مِـن العيـشِ راجِـعُ
فـإن تَبْتغـي الكفـارَ غيـرَ مَلـومـةٍ فـإنـي وزيـرٌ للنبـيِّ وتـابِـعُ
دعـانـا إليـه خيـرُ وَفـدٍ عَلِمْتُـم خُـزَيْمـةُ والمَـرَّارُ منهـم وواسِـعُ
فجِئْنـا بـألـفٍ مِـن سُلَيْـمٍ عليهـمُ لَبـوسٌ لهـم مِـن نسـجِ داودَ رائِـعُ
نُبـايِعُـه بـالأخْشَبَيْـن وإنمـا يـدَ الله بيـنَ الأخْشَبَيْـن نُبـايِـعُ

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(١٢٢ ـ ١٢٣) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص(١٠٧ ـ ١٠٩) .

فَجُسْنَـا مـع المهـديِّ مكـةَ عَنْـوةً ... بـأسيـافنـا والنَّقْـع كـابٍ وسـاطِـعُ
عَـلانيَـةً والخيـلُ يَغْشَـى مُتـونَهـا ... حميـمٌ وآنٍ مِـن دمِ الجـوفِ نـاقـعُ
ويـومَ حنيـنٍ حيـنَ سـارت هَـوازنٌ ... إلينـا وضـاقـت بـالنفـوسِ الأضـالـعُ
صبَـرْنـا مـع الضَّحَّـاكِ لا يستَفِـزُّنـا ... قِـراعُ الأعـادي منهـمُ والـوَقـائـعُ
أمـامَ رسـولِ الله يَخْفِـقُ فـوقَنـا ... لِـواءٌ كخُـذْروفِ السحـابـةِ لامـعُ
عَشِيَّـةَ ضَحَّـاكُ بـنُ سفيـانَ مُعْتَـصٍ ... بسيـفِ رسـولِ الله والمـوتُ كـانـعُ
نـذُودُ أخـانـا عـن أخينـا ولـو نَـرَى ... مَصـالاً لَكُنَّـا الأقْـرَبيـن نُتـابِـعُ
ولكـنَّ ديـنَ الله ديـنَ محمـدٍ ... رَضِينـا بـه فيـه الهُـدَى والشَّـرائـعُ
أقـام بـه بعـدَ الضَّـلالـةِ أمْـرَنـا ... وليـس لأمـرٍ حمَّـه الله دافـعُ

وقال عباس[(١)] أيضاً : [من الطويل]

تَقَطَّـعَ بـاقـي وَصْـلِ أُمِّ مُـؤَمَّـلٍ ... بعـاقبـةٍ واستَبْـدَلَـت نِيَّـةً خُلْفـا
وقـد حَلَفَـت بـالله لا تَقْطَـعُ القُـوَى ... فمـا صـدَقَـت فيـه ولا بَـرَّتِ الحَلْفـا
خُفـافِيَّـةٌ بَطْـنُ العَقيـقِ مَصِيفُهـا ... وتَحْتَلُّ في البادين وَجْرَةَ فالعُرْفا
فـإن تَتْبَـعِ الكفـارَ أمُّ مُـؤَمَّـلٍ ... فقد زَوَّدَت قلبي على نَأْيِها شَغْفا
وسـوف يُنَبِّئْهـا الخبيـرُ بـأنَّنـا ... أبَيْنا ولم نَطْلُبْ سِوى ربِّنا حِلْفا
وأنَّـا مـع الهـادي النبـيِّ محمـدٍ ... وفَيْنـا ولـم يسْتَـوفِهـا معشـرٌ ألْفـا
بفتيـانِ صـدقٍ مِـن سُلَيـم أعِـزَّةٍ ... أطاعوا فما يَعْصُون مِن أمره حَرْفا
خُفـافٌ وذَكْـوانٌ وعـوفٌ تَخـالُهـم ... مَصاعِبَ زافَتْ في طَروقتِها كُلْفا
كأنَّ النسيجَ الشُّهْبَ والبِيضَ مُلْبَسٌ ... أُسوداً تَلاقَت في مراصِدِها غُضْفا
بنـا عَـزَّ ديـنُ الله غيـرَ تنَحُّـلٍ ... وزِدْنا على الحيِّ الذي معه ضِعْفا
بمكـةَ إذْ جِئْنـا كـأنَّ لِـواءَنـا ... عُقـابٌ أرادت بعـدَ تحْليقِهـا خَطْفـا
على شُخَّصِ الأبْصارِ تَحْسَب بينَها ... إذا هي جالت في مَراوِدِها عَزْفا
غـداةَ وَطِئْنـا المشركيـن ولـم نجدْ ... لأمـرِ رسـولِ الله عَـدْلاً ولا صَـرْفـا
بمُعْتَـرَكٍ لا يَسْمَـعُ القـومُ وسْطَـه ... لنـا زَجْمـةً إلا التَّـذامـرَ والنَّقْفَـا
ببِيـضٍ تُطِيـرُ الهـامَ عـن مُسْتَقَـرِّهـا ... ونَقْطِـفُ أعنـاقَ الكُمـاةِ بهـا قَطْفـا
فَكـائِـنْ تـرَكْنـا مِـن قتيـلٍ مُلَحَّـبٍ ... وأرملـةٍ تـدْعـو علـى بعلِهـا لَهْفـا

---

(١) أي : ابن مرداس ، والأبيات في « ديوانه » ص(١١٤) .

رِضا الله نَنْوي لا رِضا الناسِ نبْتغي ... ولله ِ مـا يبـدو جميعـاً ومـا يَخْفَـى

قال عباس بن مرداسٍ[١] أيضاً : [من البسيط]

مـا بـالُ عينِـكَ فيهـا عـائرٌ سَهِـرُ ... مثلُ الحَماطَةِ أغْضَى فوقَها الشُّفُرُ
عيـنٌ تـأَوَّبها مِـن شَجْـوِهـا أَرَقٌ ... فـالمـاءُ يَغْمُـرُهـا طَـوْراً ويَنْحَـدِرُ
كـأنَّـه نَظْـمُ دُرٍّ عنـدَ نـاظمِـه ... تقَطَّـعَ السِّلْـكُ مِنـه فهْـو مُنْتَثِـرُ
يـا بُعْـدَ مَنْـزِلِ مَـن تَـرْجـو مَـوَدَّتَـه ... ومَـن أتَـى دونَـه الصَّمَّـانُ فـالحَفَـرُ
دَعْ ما تقدَّم مِن عهدِ الشبابِ فقد ... ولَّـى الشبابُ وزار الشَّيْبُ والـزَّعَـرُ
واذكُـرْ بـلاءَ سُلَيْـمٍ فـي مـواطنِهـا ... وفـي سُلَيْـمٍ لأهـلِ الفخـرِ مُفْتَخَـرُ
قَـومٌ هُـمُ نصَـروا الـرحمـنَ واتَّبَعـوا ... ديـنَ الـرسـولِ وأمْـرُ النـاسِ مُشْتَجِرُ
لا يَغْرِسون فَسِيلَ النخلِ وَسْطَهُم ... ولا تَخـاوَرُ فـي مَشْتـاهـمُ البقـرُ
إلا سَـوابِـحَ كـالعِقْبـانِ مُقْـرَبَـةً ... فـي دارَةٍ حـولَهـا الأخْطـارُ والعَكَـرُ
تُدْعَى خُفافٌ وعوفٌ في جَوانبِها ... وحـيُّ ذَكْـوانَ لا مِيـلٌ ولا ضُجُـرُ
الضـاربـون جنـودَ الشِّـرْكِ ضـاحيـةً ... ببطـنِ مكـةَ والأرواحُ تُبْتَـدَرُ
حتـى دفَعْنـا وقَتْـلاهـم كـأنهـمُ ... نخـلٌ بظـاهـرةِ البَطْحـاءِ مُنْقَعِـرُ
ونحـن يـومَ حنيـنٍ كـان مَشْهَـدُنـا ... للـدِّيـنِ عِـزّاً وعنـدَ الله مُـدَّخَـرُ
إذ نَـرْكَـبُ المـوتَ مُخْضَـرّاً بَطـائنُـه ... والخيـلُ يَنْجـابُ عنهـا سـاطعٌ كَـدِرُ
تحـتَ اللِّـواءِ مع الضَّحَّـاكِ يَقْـدُمُنـا ... كما مشَى الليثُ في غاباتِه الخَدِرُ
في مأْزِقٍ مِن مَجَرِّ الحربِ كَلْكَلُها ... تكـادُ تـأْفُـلُ مِنـه الشمـسُ والقمـرُ
وقـد صبَـرْنـا بـأوطـاسٍ أسِنَّتَنـا ... لله ِ نَنْصُـرُ مَـن شِئْنـا ونَنْتَصِـرُ
حتـى تـأَوَّب أقـوامٌ منـازلَهـم ... لولا المليكُ ولولا نحن ما صدَروا
فمـا تَـرى معشـراً قَلُّـوا ولا كثُـروا ... إلا قـدَ اَصْبـح منـا فيهـمُ أثَـرُ

وقال عباسٌ[٢] أيضاً : [من الكامل]

يـا أَيُّهـا الـرّجـلُ الـذي تَهْـوِي بـه ... وَجْناءُ مُجْمَرَةُ المَناسِمِ عِرْمِسُ[٣]
إمَّـا أتيْـتَ علـى النبـيِّ فقـل لـه ... حقّـاً عليـك إذا اطْمَـأَنَّ المَجْلِـسُ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(٧٢ ـ ٧٤) .
(٢) أي : ابن مرداس ، والأبيات في « ديوانه » ص(٨٧ ـ ٨٩) .
(٣) أي : شديدة .

يا خيرَ مَن ركِب المَطِيَّ ومَن مشى فــوقَ التــرابِ إذا تُعَــدُّ الأنْفُــسُ
إنــا وفَيْنــا بــالــذي عــاهَــدْتَنــا والخيــلُ تُقْــدَعُ بــالكُمــاةِ وتُضْــرَسُ
إذْ ســال مِــن أفنــاءِ بُهْثَــةَ كلِّهــا جَمْــعٌ تَظَــلُّ بــه المخَــارِمُ تَــرْجُــسُ
حتــى صبَحْنــا أهــلَ مكــةَ فَيْلَقــاً شَهْبــاءَ يَقْــدُمُهــا الهُمــامُ الأَشْــوَسُ
مِـن كـلِّ أغْلَـبَ مِـن سُلَيْـمٍ فـوقَـه بيضاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخالِ وقَوْنَسُ[١]
يَرْوِي القناةَ إذا تَجاسَرَ في الوَغَى وتَخــالُــه أسَــداً إذا مــا يَعْبِــسُ
يَغْشَــى الكتيبــةَ مُعْلِمــاً وبكفِّــه عَضْــبٌ يَقُــدُّ بــه وَلَــدْنٌ مِــدْعَسُ[٢]
وعلـى حُنيـنٍ قـد وَفَـى مِـن جَمْعِنـا ألـفٌ أُمِـدَّ بـه الـرسـولُ عَـرَنْـدَسُ[٣]
كــانــوا أمــامَ المــؤمنيــن دَرِيئَــةً والشمــسُ يــومئــذٍ عليهــم أشْمُــسُ
نَمْضِــي ويحْــرُسُنــا الإلــهُ بحفظِــه واللهُ ليــس بضــائــعٍ مَــن يحْــرُسُ
ولقـد حُبِسْنـا بـالمنـاقِـبِ محْبِسـاً رضِــيَ الإلــهُ بــه فنِعْــم المَحْبِــسُ
وغــداةَ أوطــاسٍ شــدَدْنــا شــدةً كفَـتِ العـدوَّ وقيـل منهـا يا احبِسـوا
تــدعــو هَــوازِنُ بــالإخــاوةِ بينَنــا ثَــدْيٌ تمــدُّ بــه هَــوازِنُ أيْبَــسُ
حتــى تــرَكْنــا جمعَهــم وكــأنــه عَيْــرٌ تَعــاقَبُــه السِّبــاعُ مُفَــرَّسُ

وقال أيضاً[٤] ، رضي الله عنه : [من الطويل]

فمَــنْ مُبْلِــغُ الأقــوامِ أن محمــداً رســولَ الإلــهِ راشــدٌ حيث يَمَّمَــا
دعــا ربَّــه واستَنْصَــرَ الله وحــدَه فــأصبــح قــد وفَّــى إليــه وأنْعَمــا
سَــرَيْنــا وواعَــدْنــا قُــدَيْــداً محمــداً يــؤُمُّ بنــا أمــراً مِــن الله مُحْكَمَــا
تَمــارَوا بنـا فـي الفجـرِ حتـى تبيَّنـوا مـع الفجـرِ فِتْيـانـاً وغـابـاً مُقَـوَّمـاً
على الخيلِ مَشْدوداً علينا دُروعُنا ورَجْـلاً كـدُفَّـاعِ الأَتِـيِّ عَـرَمْـرَمـاً
فـإن سَـراةَ الحـيِّ إن كنـتَ سـائـلاً سُلَيْـمٌ وفيهـم مِنهـمُ مَـن تسَلَّمَـا
وجنـدٌ مِـن الأنصـارِ لا يَخْـذُلـونـه أطـاعـوا فمـا يَعْصُـونـه مـا تكَلَّمـا
فإن تَكُ قد أمَّرْتَ في القومِ خالداً وقــدَّمْتَــه فــإنَّــه قــد تقَــدَّمــا
بجُنــدٍ هــداه الله أنــت أميــرُه تُصِيبُ به في الحقِّ مَن كان أظْلَما

---

(١) القونس : أعلى بيضة الحديد .
(٢) المدعس : الطعان .
(٣) العرندس : الشديد .
(٤) أي : (العباس بن مرداس) والأبيات في « ديوانه » ص(١٤١ ـ ١٤٣) .

حلَفْـــتُ يمينــاً بَــرَّةً لمحمـــدٍ فـأكْمَلْتُهـا ألفـاً مِـن الخيـلِ مُلْجَمَـا
وقــال نبــيُّ المـؤمنيـن تقَـدَّمـوا وحُـبَّ إلينـا أن تكـونَ المُقَـدَّمـا
وبِتْنـا بنَهـيِ المُستـديرِ ولـم يَكُـنْ بنـا الخـوفُ إلا رغْبـةً وتَحَـزُّمَـا
أطَعْنـاكَ حتـى أسْلَـم النـاسُ كلُّهـم وحتـى صَبَحْنـا الجمعَ أهـلَ يَلَمْلَمـا
يَضِلُّ الحِصانُ الأبْلَقُ الوَرْدُ وَسْطَه ولا يطْمَئِـنُّ الشيـخُ حتـى يُسَـوِّمـا
سَمَوْنا لهم وِرْدَ القَطا زَفَّهُ ضُحىً وكـلٌّ تَـراهُ عـن أخيـه قَـدَ أحْجَمـا
لَــدُنْ غُـدْوةٍ حتـى تـرَكْنـا عَشِيَّـةً حُنينـاً وقـد سـالـت دَوافِعُـه دَمَـا
إذا شِئْـتَ مِـن كُـلٍّ رأيْـتَ طِمِـرَّةً وفـارسَهـا يَهْـوِي ورُمحـاً مُحَطَّمَـا
وقـد أحْـرَزَت مِنـا هَـوازِنُ سَـرْبَهـا وحُـبَّ إليهـا أن نَخِيـبَ ونُحْـرَمـا

هكذا أورد الإمام محمد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداسٍ السُّلميِّ ، رضي الله عنه ، وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضاً ، وقد حصل ما فيه كفايةٌ من ذلك . والله أعلم .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة الطَّائف

قال عُرْوَة ، وموسى بن عُقْبَة عن الزهريِّ[١] : قَاتَلَ رسول الله ﷺ يوم حنينٍ ، وحاصر الطّائف في شوالٍ سنة ثمانٍ .

وقال محمد بن إسحاق[٢] : ولما قدم فَلُّ ثقيفٍ الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال ، ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عُرْوَةُ بن مسعودٍ ولا غَيْلَان بن سَلَمَة ؛ كانا بجُرَش يتعلَّمان صنعة الدّبابات[٣] ، والمجانيق والضُّبور[٤] .

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٦٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٧٨) .
(٣) قال الخشني في « شرح غريب السيرة » (٣/ ١٢٣) بتحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة ، طبع دار البشير بعَمَّان : « الدَّبابات : آلات تصنع من خشب وتغشّى بجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها للأسوار لينقوبها .
(٤) قال الخشني في « شرح غريب السيرة » (٣/ ١٢٣) : « الضُّبور : جلود يُغشى بها يُتقى بها في الحرب » .

قال : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنينٍ ، فقال كعب بن مالكٍ[1] في ذلك : [من الوافر]

قضَيْنا مِن تِهامَة كلَّ رَيْبٍ ... وخيبرَ ثم أَجْمَمْنا السُّيوفا
نُخَيِّرُها ولو نطَقَت لقالت ... قَواطِعُهنَّ دَوْساً أو ثقيفَا
فلسْتُ لحاضنٍ إن لم ترَوْها ... بساحةِ دارِكم منا أُلوفا
وننْتَزِعُ العُروشَ ببطنِ وَجٍّ ... وتُصْبِحُ دُورُكم منكم خُلوفَا
ويَأْتِيكم لنا سَرَعانُ خيلٍ ... يُغادِرُ خلفَه جمعاً كثيفَا
إذا نزَلوا بساحتِكم سمِعْتُم ... لها مما أناخَ بها رَجيفَا
بأيديهم قَواضِبُ مُرْهَفاتٌ ... يُزِرْنَ المُصْطَلِين بها الحتُوفَا
كأمثالِ العقائقِ أخْلَصَتْها ... قُيونُ الهندِ لم تُضْرَبْ كَتِيفَا
تَخالُ جَدِيَّةَ الأبْطالِ فيها ... غَداةَ الزَّحْفِ جادِيّاً مَدُوفَا
أجَدَّهُمُ أليس لهم نَصِيحٌ ... مِن الأقوامِ كان بنا عَرِيفَا
يُخَبِّرُهم بأنا قد جَمَعْنا ... عِتاقَ الخيلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفَا
وأنَّا قد أتَيْناهم بزَحْفٍ ... يُحِيطُ بسورِ حصنِهمُ صُفوفَا
رئيسُهُمُ النبيُّ وكان صُلْباً ... نقيَّ القلبِ مُصْطَبِراً عَروفَا
رشيدَ الأمرِ ذا حُكْمٍ وعلمٍ ... وحِلْمٍ لم يكُنْ نَزِقاً خَفِيفَاً
نُطيعُ نَبِيَّنا ونُطيعُ ربّاً ... هو الرحمنُ كان بنا رؤُوفَا
فإن تُلْقُوا إلينا السِّلْمَ نَقْبَلْ ... ونجْعَلْكم لنا عَضُداً وريفَا
وإن تأْبَوْا نُجاهِدْكم ونَصْبِرْ ... ولا يَكُ أمْرُنا رَعِشاً ضعيفَا
نُجالدُ ما بَقِينا أو تُنِيبوا ... إلى الإسلامِ إذعاناً مُضِيفَا
نُجاهدُ لا نُبالي ما لقِينا ... أأهْلَكْنا التِّلادَ أم الطَّرِيفَا
وكم مِن معشرٍ أَلَبوا علينا ... صَميمَ الجِذْمِ منهم والحَليفَا
أتَوْنا لا يَرَوْن لهم كِفاءً ... فجَدَّعْنا المَسامعَ والأُنوفَا
بكلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقيلٍ ... نَسوقُهمُ بها سَوْقاً عَنيفَا
لأمْرِ الله والإسلام حتى ... يقومَ الدِّينُ معتدلاً حَنيفَا
وتُنْسَى اللاتُ والعُزَّى ووُدٌّ ... ونَسْلُبَها القَلائدَ والشُّنوفَا
فأمْسَوا قد أَقَرُّوا واطْمَأَنُّوا ... ومَن لا يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسوفَا

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(١٨٨) .

وقال ابن إسحاق[١] : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عميرٍ الثقفيُّ ـ قلت[٢] : وقد وفد على رسول الله ﷺ بعد ذلك في وفد ثقيفٍ ، فأسلم معهم . قاله موسى بن عقبة ، وابن إسحاق ، وأبو عمر بن عبد البرِّ ، وابن الأثير ، وغير واحدٍ . وزعم المدائنيُّ أنه لم يسلم ، بل صار إلى بلاد الروم فتنصَّر ومات بها ـ : [من الطويل]

فمَن كان يَبْغِينا يريدُ قتالَنا ... فإنا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَريمُها
وجَدْنا بها الآباءَ مِن قبلِ ما ترَى ... وكانت لنا أَطْواؤُها[٣] وكُرومُها
وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ ... فأخبَرها ذو رأيِها وحَليمُها
وقد عَلِمَتْ إن قالت الحقَّ أننا ... إذا ما أبَت صُعْرُ الخُدودِ نُقيمُها
نُقَوِّمُها حتى يَلينَ شَريسُها ... ويُعْرَفَ للحقِّ المُبينِ ظَلومُها
علينا دِلاصٌ مِن تُراثِ مُحَرِّقٍ ... كلَوْنِ السماءِ زيَّنَتْها نُجومُها
نُرَفِّعُها عنا بِبيضٍ صَوارِمٍ ... إذا جُرِّدَت في غَمْرةٍ لا نَشيمُها

قال ابن إسحاق[٤] : وقال شَدَّاد بن عارضٍ الجُشَميُّ في مسير رسول الله ﷺ إلى الطَّائف : [من البسيط]

لا تَنْصُروا اللاتَ إن الله مُهْلِكُها ... وكيف يُنْصَرُ مَن هوْ ليس ينْتَصِرُ
إن التي حُرِّقَت بالسُّدِّ فاشْتَعلت ... ولم تُقاتِلْ لدَى أحجارِها هَدَرُ
إن الرسولَ متى ينْزِلْ بلادَكمُ ... يَظْعَنْ وليس بها مِن أهلِها بشَرُ

قال ابن إسحاق[٥] : فسلك رسول الله ﷺ ـ يعني من حُنينٍ إلى الطّائف ـ على نخلَة اليمانية ، ثم على قَرْنٍ ، ثم على المُلَيح ، ثم على بحرة الرُّغاء من لِيَّةَ ، فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدَّثني عمرو بن شعيبٍ أنه ، عليه السلام ، أقاد يومئذٍ ببحرة الرُّغاء حين نزلها بدمٍ ، وهو أول دمٍ أُقيد به في الإسلام ، رجلٌ من بني ليثٍ قتل رجلاً من هذيلٍ فقتله به ، وأمر رسول الله ﷺ ، وهو بلِيَّة ، بحصن مالك بن عوفٍ فهدم .

قال ابن إسحاق : ثم سلك في طريقٍ يقال لها : الضَّيقة . فلما توجَّه رسول الله ﷺ سأل عن اسمها

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨١) .
(٢) القائل هنا (ابن كثير) مؤلف الكتاب معقباً على ابن إسحاق الذي أورد الأبيات التالية في « السيرة النبوية » ونقلها عنه المؤلف .
(٣) الأطواء : الآبار .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨١) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) .

فقال : « ما اسم هذه الطريق ؟ » فقيل : الضَّيْقة . فقال : « بل هي اليُسرى » . ثم خرج منها على نَخِبٍ ، حتى نزل تحت سِدرةٍ يقال لها : الصادرة . قريباً من مال رجلٍ من ثقيفٍ ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : « إما أن تخرج إلينا وإما أن نُخرب عليك حائطك » . فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه .

وقال ابن إسحاق[١] ، عن إسماعيل بن أُمَيَّة ، عن بُجَير بن أبي بُجَيرٍ ، سمعت عبد الله بن عمرٍو ، سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبرٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا قبر أبي رِغالٍ ، وهو أبو ثقيفٍ ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يُدفع عنه ، فلما خرج أصابته النِّقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غُصنٌ من ذهبٍ ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه » . قال : فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن .

ورواه أبو داود[٢] ، عن يحيى بن معينٍ ، عن وهب بن جرير بن حازمٍ ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

ورواه البيهقيُّ[٣] من حديث يزيد بن زُرَيْعٍ عن روح بن القاسم ، عن إسماعيل به أمية به .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقتل ناسٌ من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، [فكانت النَّبْلُ تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أُصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل][٥] فتأخَّروا إلى موضع مسجده ، عليه الصلاة والسلام ، اليوم بالطائف الذي بنته ثقيفٌ بعد إسلامها ، بناه عمرو بن أُمية بن وهبٍ ، وكانت فيه ساريةٌ لا تطلع عليها الشمس صبيحة كلِّ يومٍ إلا سُمع لها نقيضٌ فيما يذكرون . قال : فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلةً .

قال ابن هشامٍ : ويقال : سبع عشرة ليلةً .

وقال عُروة ، وموسى بن عقبة عن الزهريِّ[٦] : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف وترك السَّبي بالجِعْرانة ، ومُلئت عُرُش مكة منهم ، ونزل رسول الله ﷺ بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلةً يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ، ولم يخرج إليه أحدٌ منهم غير أبي بكرة بن مسروحٍ أخي زيادٍ لأمِّه ، فأعتقه رسول الله ﷺ ، وكثرت الجراح ، وقطعوا طائفةً من أعنابهم ليغيظوهم بها ، فقالت لهم ثقيف :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٦/ ٢٩٧) .
(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠٨٨) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٦/ ٢٩٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) .
(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) مصدر المؤلف .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٥٧) .

لا تفسدوا الأموال ، فإنها لنا أو لكم . وقال عروة : أمر رسول الله ﷺ كلَّ رجلٍ من المسلمين أن يقطع خمس نخَلاتٍ أو خمس حُبْلاتٍ ، وبعث منادياً ينادي : « من خرج إلينا فهو حرٌّ » . فاقتحم إليه نفرٌ منهم ، فيهم أبو بكرة بن مسروحٍ أخو زياد بن أبي سفيان لأمِّه ، فأعتقهم ودفع كلَّ رجلٍ منهم إلى رجلٍ من المسلمين يعوله ويحمله .

وقال الإمام أحمد(١) : ثنا يزيد ، ثنا حجاجٌ ، عن الحكم ، عن مِقسَمٍ ، عن ابن عباسٍ أن رسول الله ﷺ كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجلين .

وقال أحمد(٢) أيضاً : ثنا عبد القدُّوس بن بكر بن خُنيسٍ ، ثنا الحَجَّاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابن عباسٍ قال : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ، فخرج إليه عبدان فأعتقهما ، أحدهما أبو بكرة ، وكان رسول الله ﷺ يُعتق العبيد إذا خرجوا إليه .

وقال أحمد(٣) أيضاً : ثنا نصر بن بابٍ ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الطائف : « من خرج إلينا من العبيد فهو حرٌّ » . فخرج عبيدٌ من العبيد فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله ﷺ . هذا الحديث تفرَّد به أحمد ، ومداره على الحَجَّاج بن أرطاة ، وهو ضعيفٌ ، لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كلَّ عبدٍ جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق ، حكماً شرعياً مطلقاً عامّاً .

وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عامّاً ، ولو صَحَّ الحديث لكان التشريع العامُّ أظهر ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « من قتل قتيلاً فَلَهُ سَلَبُه »(٤) .

وقد قال يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق(٥) : حدَّثني عبد الله بن المكدَّم الثقفيُّ قال : لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف خرج إليه رقيقٌ من رقيقهم ؛ أبو بكرة وكان عبداً للحارث بن كلدة ، والمنبعث وكان اسمه المضطجع ، فسمَّاه رسول الله ﷺ المنبعث ، ويُحنَّس ووَردان ، في رهطٍ من رقيقهم فأسلموا ، فلما قدم وَفْدُ أهل الطائف فأسلموا ، قالوا : يا رسول الله ، ردَّ علينا رقيقنا الذين أتوك . قال : « لا ، أولئك عتقاء الله » . وردَّ على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله إليه .

وقال البخاريُّ(٦) : ثنا محمد بن بشَّارٍ ، ثنا غندرٌ ، ثنا شعبة ، عن عاصمٍ ، سمعت أبا عثمان قال :

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٣٦) ، وهو حديث حسن ، يشهد له مرسل عبد الله بن المكدَّم الذي بعده .
(٢) في « المسند » (١/ ٢٤٣) ، وهو حديث حسن يشهد له مرسل عبد الله بن المكدَّم الذي بعده .
(٣) في « المسند » (١/ ٢٤٨) ، وهو حديث حسن يشهد له مرسل عبد الله بن المكدَّم الذي بعده .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٣٢١) ومسلم رقم (١٧٥١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٥٩) .
(٦) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٦) ، ومسلم رقم (٦٣) .

سمعت سعداً ـ وهو أول من رمى بسهمٍ في سبيل الله ـ وأبا بكرة ـ وكان تسوَّر حصن الطائف في أُناسٍ ، فجاء إلى رسول الله ﷺ ـ قالا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه ، فالجنة عليه حرامٌ » . ورواه مسلمٌ من حديث عاصمٍ به .

قال البخاريُّ(١) : وقال هشامٌ : أنبأنا معمرٌ ، عن عاصم ، عن أبي العالية ، أو أبي عثمان النَّهديِّ ، قال : سمعت سعداً وأبا بكرة ، عن النبيِّ ﷺ ، قال عاصمٌ : قلت : لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما . قال : أجل ، أمَّا أحدهما فأول من رمى بسهمٍ في سبيل الله ، وأمَّا الآخر فنزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثةٍ وعشرين من الطائف .

قال محمد بن إسحاق(٢) : وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه ، إحداهما أمُّ سلمة ، فضرب لهما قبَّتين ، فكان يصلي بينهما ، فحاصرهم وقاتلهم قتالاً شديداً ، وتراموا بالنَّبْل .

قال ابن هشامٍ(٣) : ورماهم بالمنجنيق ، فحدَّثني من أثق به أن النبيَّ ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى به أهل الطائف .

وذكر ابن إسحاق أن نفراً من الصحابة دخلوا تحت دَبَّابةٍ ، ثم زحفوا ليخرقوا جدار أهل الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيفٌ سكك الحديد مُحْمَاةً ، فخرجوا من تحتها ، فرمتْهُم ثقيف بالنَّبْل ، فقتلوا منهم رجالاً ، فحينئذٍ أمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيفٍ ، فوقع الناس فيها يقطِّعون .

قال : وتقدَّم أبو سفيان بن حربٍ والمغيرة بن شعبة ، فناديا ثقيفاً بالأمان حتى يكلِّماهم ، فأمَّنوهما ، فدعَوا نساءً من قريشٍ وبني كنانة ليخرجن إليهم ـ وهما يخافان عليهن السِّباء إذا فتح الحصن ـ فأبين ، فقال لهما ابن الأسود بن مسعودٍ : ألا أدلُّكما على خيرٍ مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود بن مسعودٍ حيث قد علمتما ـ وكان رسول الله ﷺ نازلاً بوادٍ يقال له : العقيق . وهو بين مال بني الأسود وبين الطائف ـ وليس بالطائف مالٌ أبعد رِشاءً ولا أشدَّ مؤونةً ولا أبعد عِمارةً منه ، وإن محمداً إن قطَّعه لم يعمر أبداً ، فكلِّماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم . فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم .

وقد روى الواقديُّ(٤) عن شيوخه نحو هذا ، وعنده أن سلمان الفارسيَّ هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده ، وقيل : قدم به وبدبَّابتين . فالله أعلم .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٤٨٢) .
(٤) انظر « المغازي » (٣/ ٩٢٩) .

وقد أورد البيهقيُّ(١) من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة أن عيينة بن حصنٍ استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام ، فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثَّبات في حصنهم ، وقال : لا يهولنَّكم قطع ما قطّع من الأشجار . في كلامٍ طويلٍ ، فلما رجع قال له رسول الله ﷺ : « ما قلت لهم ؟ » قال : دعوتهم إلى الإسلام ، وأنذرتهم النار ، وذكَّرتهم بالجنة . فقال : « كذبت ، بل قلت لهم كذا وكذا » . فقال : صدقت يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإليك من ذلك .

وقد روى البيهقيُّ(٢) عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن هشامٍ الدَّستوائيِّ ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن أبي نجيحٍ السُّلميِّ ؛ وهو عمرو بن عبَسة ، رضي الله عنه ، قال : حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بلغ بسهمٍ فله درجةٌ في الجنة » . فبلَّغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعتُه يقول : « من رمى بسهم في سبيل الله ، فهو عَدْل محرَّرٍ ، ومن شاب شيبةً في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، وأيُّما رجلٍ أعتق رجلاً مسلماً فإن الله ، عزَّ وجلَّ ، جاعلٌ كلَّ عظمٍ من عظامه وِقاءً ، كلَّ عظمٍ بعظمٍ ، وأيُّما امرأة مسلمةٍ أعتقت امرأةً مسلمةً فإن الله ، عزَّ وجلَّ ، جاعلٌ كلَّ عظمٍ من عظامها وقاء كلِّ عظمٍ من عظامها من النار » .

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ وصحَّحه ، والنسائيُّ(٣) ، من حديث قتادة به .

وقال البخاريُّ(٤) : ثنا الحميديُّ ، سمع سفيان ، ثنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن زينب بنت أمِّ سلمة ، عن أمِّ سلمة قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي مخنَّثٌ ، فسمعته يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربعٍ وتدبر بثمانٍ . فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخلنَّ هؤلاء عليكن » . قال ابن عيينة : وقال ابن جريجٍ : المخنَّث هِيتٌ . وقد رواه البخاريُّ أيضاً ومسلمٌ من طرقٍ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه به(٥) وفي لفظٍ : وكانوا يرونه من غير أولي الإربة من الرجال . وفي لفظٍ : قال رسول الله ﷺ : « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا ؟! لا يدخلنَّ عليكن هؤلاء » . يعني إذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخلٌ في قوله تعالى : ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النور : ٣١] . والمراد بالمخنَّث في عرف السلف الذي لا هِمَّة له إلى النساء ، وليس المراد به الذي يُؤتى ؛

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٦٣) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٢/ ١٥٩) .

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٩٦٥) والترمذي رقم (١٦٣٨) والنسائي رقم (٣١٤٣) ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٣٢٤) .

(٥) رواه البخاري رقم (٥٢٣٥) ومسلم رقم (٢١٨٠) .

إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً كما دلَّ عليه الحديث[١] ، وكما قتله أبو بكرٍ الصديق ، رضي الله عنه ، ومعنى قوله : تقبل بأربعٍ وتدبر بثمانٍ . يعني بذلك عُكَن بطنها ، فإنها تكون أربعاً إذا أقبلت ، ثم تصير كلُّ واحدةٍ ثنتين إذا أدبرت ، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيفٍ .

وهذا المخنَّث قد ذكر البخاريُّ عن ابن جُريجٍ أن اسمه هِيتٌ ، وهذا هو المشهور .

لكن قال يونس ، عن ابن إسحاق[٢] قال : وكان مع رسول الله ﷺ مولىً لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذٍ مخنَّثٌ يقال له : ماتعٌ . يدخل على نساء رسول الله ﷺ في بيته ، ولا يُرى أنه يفطن لشيءٍ من أمور النساء مما يفطن إليه الرجال ، ولا يُرى أن له في ذلك إرباً ، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد ، إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف فلا تنفلتنَّ منكم بادية بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربعٍ وتدبر بثمانٍ . فقال رسول الله ﷺ حين سمع هذا منه : « ألا أرى هذا يفطن لهذا ؟! » الحديث ، ثم قال لنسائه : « لا يدخلنَّ عليكم » . فحُجِب عن بيت رسول الله ﷺ .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا عليُّ بن عبد الله، ثنا سفيان، عن عمروٍ ، عن أبي العباس الشاعر الأعمى ، عن عبد الله بن عمروٍ قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف ، فلم ينل منهم شيئاً ، قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله» . فثقل عليهم، وقالوا: نذهب ولا نفتحه؟ فقال: «اغدوا على القتال». فغدَوا ، فأصابهم جراحٌ ، فقال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » . فأعجبهم ، فضحك النبيُّ ﷺ . وقال سفيان مرةً : فتبسَّم .

ورواه مسلمٌ[٤] من حديث سفيان بن عيينة به ، وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب[٥] .

واختلف في نُسخ البخاريِّ ؛ ففي نسخةٍ كذلك ، وفي نسخةٍ : عن عبد الله بن عمرو بن العاص . والله أعلم .

وقال الواقديُّ[٦] : حدَّثني كثير بن زيدٍ ، عن الوليد بن رباحٍ ، عن أبي هريرة قال : لما مضت خمس عشرة ليلةً من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الدُّئليَّ فقال : « يا نوفل ، ما ترى في المقام عليهم ؟ » . قال : يا رسول الله ، ثعلبٌ في جُحرٍ ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرَّك .

---

(١) وهو قوله ﷺ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠٠) وأبو داود رقم (٤٤٦٢) والترمذي رقم (١٤٥٦) وابن ماجة (٢٥٦١) وهو حديث صحيح .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٦٠) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٥) .

(٤) رواه مسلم رقم (١٧٧٨) .

(٥) لكن قال النووي في « شرح مسلم » : هكذا هو في نسخ « صحيح مسلم » : عن عبد الله بن عَمرو ، بفتح العين وهو ابن عمرو بن العاص . وصوّبه الدارقطني من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب .

(٦) انظر « المغازي » (٣/ ٩٣٦) .

قال ابن إسحاق[١] : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكرٍ الصديق وهو محاصرٌ ثقيفاً : « يا أبا بكرٍ ، إني رأيت أني أُهديت لي قَبعةٌ مملوءةٌ زبداً ، فنقرها دِيكٌ ، فهراق ما فيها » . فقال أبو بكرٍ ، رضي الله عنه : ما أظنُّ أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله ﷺ : « وأنا لا أرى ذلك » . قال : ثم إن خويلة بنت حكيمٍ السُّلَمية ، وهي امرأة عثمان بن مظعونٍ قالت : يا رسول الله ، أعطني ـ إن فتح الله عليك الطائف ـ حليَّ بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حليَّ الفارعة بنت عقيلٍ ، وكانتا من أحلى نساء ثقيفٍ ، فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها : « وإن كان لم يؤذن في ثقيفٍ يا خويلة ؟ » . فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما حديثٌ حدَّثتْنيه خويلة زعمت أنك قلته ؟ قال : « قد قلته » . قال : أو ما أذن فيهم ؟ قال : « لا » . قال : أفلا أؤذِّن بالرحيل ؟ قال : « بلى » . فأذَّن عمر بالرحيل ، فلما استقلَّ الناس نادى سعيد بن عبيد بن أَسيد بن أبي عمرو بن علاجٍ : ألا إن الحيَّ مقيمٌ . قال : يقول عيينة بن حصنٍ : أجل ، والله مَجَدةً كراماً . فقال له رجلٌ من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره ؟ فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمدٌ الطائف ، فأصيب من ثقيفٍ جاريةً أطؤها ، لعلها تلد لي رجلاً ، فإن ثقيفاً مناكير[٢] .

وقد روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود[٣] ، عن عُرْوَة قصة خويلة بنت حكيم ، وقول رسول الله ﷺ ما قال ، وتأذين عمر بالرحيل ، قال : وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا يسرِّحوا ظهرهم ، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه ، ودعا حين ركب قافلاً فقال : « اللهم اهدهم واكفنا مُؤنتهم » .

وروى الترمذيُّ[٤] من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيمٍ ، عن أبي الزبير ، عن جابرٍ قالوا : يا رسول الله ، أحرقتْنا نبال ثقيفٍ ، فادع الله عليهم . فقال : « اللهم اهد ثقيفاً » . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ[٥] .

وروى يونس ، عن ابن إسحاق[٦] ، حدَّثني عبد الله بن أبي بكرٍ وعبد الله بن المكدَّم ، عمن أدركوا من أهل العلم قالوا : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلةً أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٤) .
(٢) جمع منكر ، وهو الداهي الفطن .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٦٨) .
(٤) رواه الترمذي رقم (٣٩٤٢) .
(٥) وفيه عنعنة « أبي الزُّبير » فهو ضعيف . لكن رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٤٣) من طريق عبد الرحمن بن سابط وأبي الزبير عن جابر مقتصراً على قوله « اللهم اهد ثقيفاً » ، وإسناده قوي ، فيتقوى به .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٦٩) .

ولم يؤذن فيهم ، فقدم المدينة ، فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا . وسيأتي ذلك مفصَّلاً في رمضان من سنة تسعٍ إن شاء الله .

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق[١] .

فمن قريشٍ ؛ سعيد بن سعيد بن العاص بن أُمية ، وعُرْفُطَة بن جنّابٍ ، حليفٌ لبني أمية من الأَسد بن الغوث ، وعبد الله بن أبي بكرٍ الصديق ، رمي بسهمٍ فتوفِّي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة المخزوميُّ ، من رميةٍ رُمِيَهَا يومئذٍ ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليفٌ لبني عديٍّ ، والسَّائب بن الحارث بن قيس بن عديٍّ السَّهْمِيُّ ، وأخوه عبد الله ، وجُليحة بن عبد الله من بني سعد بن ليثٍ .

ومن الأنصار ثم من الخزرج ؛ ثابت بن الجِذع السُّلَميُّ ، والحارث بن سهل بن أبي صَعْصَعَة المازنيُّ ، والمنذر بن عبد الله ، من بني ساعدة ، ومن الأوس ، رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية فقط .

فجميع من استشهد يومئذٍ اثنا عشر رجلاً ؛ سبعةٌ من قريشٍ ، وأربعةٌ من الأنصار ، ورجلٌ من بني ليثٍ ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق[٢] : ولما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً عن الطائف قال بُجير بن زهير بن أبي سُلْمى يذكر حُنيناً والطّائف[٣] : [من الكامل]

كانت عُلالةَ يومَ بطنِ حُنَيْنٍ ... وغداةَ أوطاسٍ ويومَ الأبْرقِ
جَمَعَت بإغْواءٍ هَوازِنُ جَمْعَها ... فتبَدَّدوا كالطائرِ المُتمزِّقِ
لم يَمْنَعوا منا مَقاماً واحداً ... إلا جِدارَهمُ وبطنَ الخندقِ
ولقد تعَرَّضْنا لكيما يَخْرُجوا ... فاسْتَحْصنوا منا ببابٍ مُغْلَقِ
ترْتَدُّ حَسْرَانَا إلى رَجْراجةٍ ... شَهْباءَ تَلْمَعُ بالمنايا فَيْلَقِ
مَلْمومةٍ خضراءَ لو قذَفوا بها ... حَضَناً لظلَّ كأنه لم يُخْلَقِ
مشْيَ الضِّراءِ على الهَراسِ كأننا ... قُدُرٌ تفَرَّقُ في القِيادِ وتَلْتقي
في كلِّ سابغةٍ إذا ما استَحْصَنَت ... كالنِّهي هَبَّت رِيحُه المُتَرَقْرِقِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٧) .
(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٩) .

جُدُلٌ تَمَسُّ فُضولُهن نِعالَنا ... مِـن نَسْـجِ داودٍ وآلِ مُحَـرِّقِ

وقال أبو داود[١] : ثنا عمر بن الخطاب أبو حفصٍ ، ثنا الفريابيُّ ، ثنا أبانٌ ـ قال عمر : هو ابن عبد الله بن أبي حازمٍ ـ ، ثنا عثمان بن أبي حازمٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه صخرٍ ـ هو ابن الغَيلة الأحمسيُّ ـ أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً ، فلما أن سمع ذلك صخرٌ ركب في خيلٍ يُمدُّ النبيَّ ﷺ ، فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخرٌ حينئذ عهداً وذمّةً لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، وكتب إليه صخرٌ : أما بعد ، فإن ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله ، وأنا مقبلٌ بهم ، وهم في خيلٍ ، فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعةً ، فدعا لأحمس عشر دعواتٍ : « اللهم بارك لأحمس في خيلها ورجالها » . وأتاه القوم ، فتكلَّم المغيرة بن شعبة فقال : يا رسول الله ، إن صخراً أخذ عمَّتي ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون . فدعاه فقال : « يا صخر ، إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم، فادفع إلى المغيرة عمَّته » . فدفعها إليه ، وسأل رسول الله ﷺ ماءً لبني سُليمٍ ، قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء ، فقال : يا رسول الله ، أنزلنيه أنا وقومي . قال : « نعم » . فأنزله ، وأسلم ـ يعني السُّلَمِيِّين ـ فأتوا صخراً فسألوه أن يدفع إليهم الماء ، فأبى ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، أسلمنا وأتينا صخراً ليدفع إلينا ماءنا ، فأبى علينا . فقال : « يا صخر ، إن القوم إذا أسلموا أحْرَزوا أموالهم ودماءهم ، فادفع إليهم ماءهم » . قال : نعم يا نبيَّ الله . فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغيَّر عند ذلك حمرةً ؛ حياءً من أخذِه الجارية وأخذه الماء . تفرَّد به أبو داود ، وفي إسناده اختلافٌ .

قلت : وكانت الحكمة الإلهيةُ تقتضي أن يؤخِّر الفتح عامئذٍ ؛ لئلا يستأصلوا قتلاً ، لأنه قد تقدَّم أنه ﷺ لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى ، وإلى أن يؤووه حتى يبلِّغ رسالة ربِّه عز وجل ، وذلك بعد موت عمِّه أبي طالبٍ ، فردُّوا عليه قوله وكذَّبوه ، فرجع مهموماً ، فلم يستفق إلا عند قرن الثَّعالب ، فإذا هو بغمامةٍ ، وإذا فيها جبريل ، فناداه ملك الجبال فقال : يا محمد ، إن ربَّك يقرأ عليك السلام ، وقد سمع قول قومك لك ، وما ردُّوا عليك ، فإن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين . فقال رسول الله ﷺ : « بل أستأني بهم ؛ لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئاً »[٢] . فناسب قوله : « بل أستأني بهم » ؛ أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم ، وأن يؤخِّر الفتح ليقدَموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل ، كما سيأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٦٧) ، وفي إسناده ضعف ، كما أومأ إليه المصنف في آخر الحديث بقوله : وفي إسناده اختلاف .

(٢) رواه بنحوه البخاري رقم (٣٢٣١) ومسلم رقم (١٧٩٥) .

فصل

في مرجعه ، عليه الصلاة والسلام ، عن الطائف وقِسْمَةِ غنائم هَوَازن التي أصابها يوم حنينٍ قبل دخوله مكة معتمراً من الجعرانة

قال ابن إسحاق(١) : ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا ، حتى نزل الجِعْرَانة فيمن معه من المسلمين ، ومعه من هَوَازن سبيٌ كثيرٌ ، وقد قال له رجلٌ من أَصحابه يوم ظعن عن ثقيفٍ : يا رسول الله، ادع عليهم. فقال: « اللهم اهد ثقيفاً وأْتِ بهم ». قال: ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلافٍ من الذَّراريِّ والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى عدَّته.

قال ابن إسحاق(٢) : فحدَّثني عمرو بن شعيبٍ ـ وفي رواية يونس بن بكيرٍ عنه قال : [حدثنا] عمرو بن شعيبٍ ـ عن أبيه ، عن جدِّه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بحنينٍ ، فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم ، أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصلٌ وعشيرةٌ ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا منَّ الله عليك . وقام خطيبهم زهير بن صردٍ أبو صردٍ ، فقال : يا رسول الله ، إنَّ ما في الحظائر من السبايا خالاتُك [وعماتك] وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا لابن أبي شَمِرٍ أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك ، رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت يا رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

أُمْنُنْ علينا رسولَ الله في كَرَمٍ ... فإنك المرءُ نرجوه ونَدَّخِرُ
أُمنُنْ على بَيْضةٍ قد عاقَها قدَرٌ ... مُمَزَّقٍ شَملُها في دَهْرِها غِيَرُ
أبْقَت لها الحربُ هُتَّافاً على حَزَنٍ ... على قلوبِهمُ الغَمَّاءُ والغَمَرُ
إن لم تَدارَكْهُمُ نَعْماءُ تَنْشُرُها ... يا أرجحَ الناسِ حِلْماً حينَ يُخْتَبَرُ
أُمنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... إذ فوك تَمْلؤُه مِن مَحْضِها الدِّرَرُ
أُمنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... وإذْ يَزينُك ما تأتي وما تَذَرُ
لا تَجْعَلَنَّا كمَن شالتْ نَعامَتُه ... واسْتَبْقِ مِنا فإنا مَعْشَرٌ زُهُرُ
إنا لَنشكُرُ آلاءً وإن كُفِرت ... وعندَنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٨ ـ ٤٩٠) .

قال : فقال رسول الله ﷺ : « نساؤكم وأبناؤكم أَحَبُّ إليكم أم أموالكم ؟ » . فقالوا : يا رسول الله ، خيَّرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، بل أبناؤنا ونساؤنا أحبُّ إلينا . فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صلَّيت بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا . فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » . فلما صلَّى رسول الله ﷺ بالناس الظهر ، قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقال الأقرع بن حابسٍ : أمَّا أنا وبنو تميمٍ فلا . وقال عيينة : أمَّا أنا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداسٍ السُّلميُّ : أما أنا وبنو سليمٍ فلا . فقالت بنو سُليمٍ : بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . قال : يقول عباس بن مرداسٍ لبني سُليمٍ : وهَّنتموني . فقال رسول الله ﷺ : « من أمسك منكم بحقِّه فله بكلِّ إنسانٍ ستُّ فرائض من أول فيءٍ نصيبه » . فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم . ثم ركب رسول الله ﷺ واتَّبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيئنا . حتى اضطروه إلى شجرةٍ فانتزعت رداءه ، فقال : « يا أيها الناس ، ردوا عليَّ ردائي ، فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نَعَماً لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذَّاباً » . ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعيرٍ فأخذ من سنامه وبرةً فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها وقال : « أيها الناس ، والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردودٌ عليكم ، فأدُّوا الخياط والمِخْيط ، فإنَّ الغلول عارٌ وشنارٌ على أهله يوم القيامة » . فجاء رجلٌ من الأنصار بكبَّةٍ من خيوط شعر فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعيرٍ لي دَبِرٍ . فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا حقي منها فلك » . فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها إلى هذا فلا حاجة لي بها . فرمى بها من يده . وهذا السياق يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام ردَّ إليهم سبيهم قبل القسمة ، كما ذهب إليه محمد بن إسحاق بن يسارٍ ، خلافاً لموسى بن عقبة وغيره .

وفي « صحيح البخاريِّ »[1] من طريق الليث ، عن عقيلٍ ، عن الزهريِّ ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين ، فسألوا أن يردَّ إليهم أموالهم ونساءهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « معي من ترون ، وأحبُّ الحديث إليَّ أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين ؛ إما السَّبي ، وإما المال ، وقد كنتُ استأنيت بكم » . وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلةً حين قفل من الطائف ، فلما تبيَّن لهم أن رسول الله ﷺ غير رادٍّ إليهم إلا إحدى الطائفتين ، قالوا : إنا نختار سبينا . فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين ، وإني قد رأيت أن أردُّ إليهم سبيهم ، فمن أحبَّ منكم أن

(١) رواه البخاري رقم (٤٣١٨) .

يطيِّب ذلك فليفعل ، ومن أحبَّ منكم أن يكون على حظِّه حتى نعطيه إيَّاه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل » . فقال الناس : قد طيَّبنا ذلك يا رسول الله . فقال لهم : « إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممَّن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » . فرجع الناس ، فكلَّمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فأخبروه بأنهم قد طيَّبوا وأذنوا . فهذا ما بلغنا عن سبي هوازن . ولم يتعرَّض البخاريُّ لمنع الأقرع وعيينة وقومهما ، بل سكت عن ذلك ، والمثبِت مقدَّمٌ على النَّافي ، فكيف الساكت ؟!

وقد روى البخاريُّ[1] من حديث الزهريِّ ، أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، أخبره جبير بن مطعمٍ أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ ، ومعه الناس مقفَله من حنينٍ ، علقت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرةٍ فخطِفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ ، ثم قال : « أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاه نَعَماً لقسمته بينكم ، ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » . تفرَّد به البخاريُّ .

وقال ابن إسحاق[2] : وحدَّثني أبو وجزة يزيد بن عبيدٍ السَّعديُّ ، أن رسول الله ﷺ أعطى عليَّ بن أبي طالبٍ جاريةً يقال لها : رَيطة بنت هلال بن حيَّان بن عُمَيرة . وأعطى عثمان بن عفان جاريةً يقال لها زينب بنت حيَّان بن عمرو بن حيَّان . وأعطى عمر جاريةً فوهبها لابنه عبد الله .

قال ابن إسحاق[3] : فحدَّثني نافعٌ ، عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالي من بني جُمح ؛ ليصلحوا لي منها ويهيِّئوها ، حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغتُ ، فإذا الناس يشتدُّون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردَّ علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا . قلت : تلكم صاحبتكم في بني جمح ، فاذهبوا فخذوها . فذهبوا إليها فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأمَّا عيينة بن حصنٍ فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحيِّ نسباً ، وعسى أن يعظُم فداؤها . فلما ردَّ رسول الله ﷺ السبايا بستِّ فرائض ، أبى أن يردَّها ، فقال له زهير بن صردٍ : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارِدٍ ، ولا ثديها بناهدٍ ، ولا بطنها بوالدٍ ، ولا زوجها بواجدٍ ، ولا درُّها بماكدٍ . فردَّها بستِّ فرائض . قال : فزعموا أن عيينة لقي الأقرع فشكى إليه بذلك ، فقال : إنَّك والله ما أخذتها بيضاء غريرةً ، ولا نصَفاً وثيرةً .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٨٢١) و(٣١٤٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٠) .

قال الواقديُّ[(١)] : ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجعرانة أصاب كلَّ رجلٍ أربعٌ من الإبل وأربعون شاةً .

وقال سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكرٍ أن رجلاً ممن شهد حنيناً قال : والله إني لأسير إلى جنب رسول الله ﷺ على ناقةٍ لي ، وفي رِجلي نعلٌ غليظةٌ ، إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله ﷺ، ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه ، فقرع قدمي بالسَّوط ، وقال : « أوجعتني فتأخَّر عني » . فانصرفت ، فلما كان من الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسني . قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله ﷺ بالأمس . قال : فجئته وأنا أتوقَّع . فقال : « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني، فقرعت قدمك بالسوط ، فدعوتك لأعوِّضك منها » . فأعطاني ثمانين نعجةً بالضربة التي ضربني .

والمقصود من هذا أن رسول الله ﷺ ردَّ إلى هوازن سبيهم بعد القسمة ، كما دلَّ عليه هذا السياق وغيره ، وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيبٍ الذي أورده محمد بن إسحاق عنه ، عن أبيه ، عن جدِّه أن رسول الله ﷺ ردَّ إلى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لمَّا ردَّ السَّبي وركب ، علقت الأعراب برسول الله ﷺ يقولون له : اقسم علينا فيئنا . حتى اضطروه إلى سمرةٍ ، فخطِفت رداءه فقال : « ردُّوا عليَّ ردائي أيها الناس ، فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذَّاباً » . كما رواه البخاريُّ[(٢)] ، عن جبير بن مطعمٍ بنحوه .

وكأنهم خشُوا أن يردَّ إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم ، فسألوه قسمة ذلك ، فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة ، كما أمره الله ، عزَّ وجلَّ ، وآثر أناساً في القسمة ، وتألَّف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم ، فعتَب عليه أناسٌ من الأنصار حتى خطبهم ، وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله ؛ تطييباً لقلوبهم ، وتنقَّد بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج ، كذي الخويصرة وأشباهه ، قبَّحه الله ، كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك ، وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد[(٣)] : حدَّثنا عارمٌ ، ثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي يقول : ثنا السُّمَيط السَّدوسيُّ ، عن أنس بن مالكٍ قال : فتحنا مكة ، ثم إنَّا غزونا حنيناً ، فجاء المشركون بأحسن صفوفٍ رأيت ، فصفَّت الخيل ، ثم صفَّت المقاتلة ، ثم صفَّت النساء من وراء ذلك ، ثم صفَّت الغنم ، ثم النَّعَم . قال : ونحن بشرٌ كثيرٌ ، قد بلغنا ستة آلافٍ ، وعلى مجنَّبة خيلنا خالد بن الوليد . قال : فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا . قال : فلم نلبث أن انكشف خيلنا ، وفرَّت الأعراب ومن نعلم من الناس .

---

(١) انظر « المغازي » (٣/ ٩٤٩) .

(٢) في « صحيحه » رقم (٢٨٢١) و(٣١٤٨) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٥٧) .

قال : فنادى رسول الله ﷺ : « ياللمهاجرين يا للمهاجرين ، يا للأنصار [يا للأنصار] » . قال أنسٌ : هذا حديث عمِّيه . قال : قلنا : لبيك يا رسول الله . قال : وتقدَّم رسول الله ﷺ . قال : وايم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله . . قال : فقبضنا ذلك المال ، ثم انطلقنا إلى الطائف ، فحاصرناهم أربعين ليلة ، ثم رجعنا إلى مكة . قال : فنزلنا ، فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المئة ، ويعطي الرجل المئة . قال : فتحدَّث الأنصار بينها : أمَّا من قاتله فيعطيه ، وأمَّا من لم يقاتله فلا يعطيه ! فرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ، ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ، ثم قال : « لا يدخلنَّ عليَّ إلا أنصاريٌّ » أو « الأنصار » . قال : فدخلنا القبَّة حتى ملأناها . قال نبيُّ الله ﷺ : « يا معشر الأنصار » ـ أو كما قال ـ « ما حديث أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال « ما حديث أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله . قال : فرضوا . أو كما قال .

وهكذا رواه مسلم[١] من حديث معتمر بن سليمان . وفيه من الغريب قوله : إنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف . وإنما كانوا اثني عشر ألفاً ، وقوله : إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة . وإنما حاصروها قريباً من شهر ، أو دون العشرين ليلة . فالله أعلم .

وقال البخاريُّ[٢] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا هشامٌ ، ثنا مَعْمَر ، عن الزهريِّ ، حدَّثني أنس بن مالك قال : قال ناسٌ من الأنصار ، حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوزان ، فطفق النبيُّ ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ؛ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟! قال أنس بن مالك : فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبَّة أدم ، ولم يدعُ معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبيُّ ﷺ فقال : « ما حديثٌ بلغني عنكم ؟ » . فقال فقهاء الأنصار : أمّا رؤساؤنا يا رسول الله ، فلم يقولوا شيئاً ، وأما نَاسٌ منا حديثةٌ أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ؛ يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال رسول الله ﷺ : « فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألَّفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبيِّ إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به » . قالوا : يا رسول الله ، قد رضينا . فقال لهم النبيُّ ﷺ : « فستجدون أثرةً شديدةً ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فإني على الحوض » . قال أنسٌ : فلم يصبروا . تفرَّد به البخاريُّ من هذا الوجه .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٦) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٣٣١) .

ثم رواه البخاريُّ ومسلمٌ[١] من حديث ابن عونٍ ، عن هشام بن زيد ، عن جدِّه أنس بن مالكٍ قال : لما كان يوم حنينٍ التقى هوزان ، ومع النبيِّ ﷺ عشرة آلافٍ والطُّلقاء ، فأدبروا ، فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله وسعديك ، لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله ﷺ فقال : « أنا عبد الله ورسوله » . فانهزم المشركون ، فأعطى الطُّلقاء والمهاجرين ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم في قبَّة ، فقال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله ﷺ ؟ » . قالوا : بلى . فقال رسول الله ﷺ : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » .

وفي روايةٍ للبخاريِّ[٢] من هذا الوجه قال : لما كان يوم حنينٍ أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنَعمهم وذراريِّهم ، ومع رسول الله ﷺ عشرة آلافٍ والطُّلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده ، فنادى يومئذٍ نداءين لم يخلط بينهما ؛ التفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : « أنا عبد الله ورسوله » . فانهزم المشركون ، وأصاب يومئذٍ غنائم كثيرةً ، فقسم بين المهاجرين والطُّلقاء ، ولم يعط الأنصار شيئاً . فقالت الأنصار : إذا كانت شديدةٌ فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا . فبلغه ذلك ، فجمعهم في قبَّة فقال : « يا معشر الأنصار ، ما حديثٌ بلغني ؟ » فسكتوا ، فقال : « يا معشر الأنصار ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا ، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . فقال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار » . قال هشامٌ : قلت : يا أبا حمزة ، وأنت شاهدٌ ذلك ؟ قال : وأين أغيب عنه ؟

ثم رواه البخاريُّ ومسلمٌ[٣] أيضاً من حديث شعبة ، عن قَتَادَة ، عن أنسٍ قال : جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال : « إن قريشاً حديثو عهدٍ بجاهليةٍ ومصيبةٍ ، وإني أردت أن أجبرهم وأتألَّفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار » أو « شعب الأنصار » .

وأخرجاه[٤] أيضاً من حديث شعبة ، عن أبي التَّيَّاح يزيد بن حميد ، عن أنسٍ بنحوه ، وفيه : فقالوا : والله إن هذا لهو العجب ، إن سيوفنا لتقطر من دمائهم ، والغنائم تقسم فيهم ! فخطبهم . وذكر نحو ما تقدم .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٣) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٥) .
(٢) وهي عنده رقم (٤٣٣٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٣٣٤) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٣) .
(٤) يعني الشيخان ، وهو عند البخاري رقم (٤٣٣٢) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٤) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا عفَّان ، ثنا حَمَّادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنس بن مالكٍ أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، سيوفنا تقطر من دمائهم ، وهم يذهبون بالمغنم ؟ فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فجمعهم في قبَّةٍ له حتى فاضت ، فقال : « فيكم أحدٌ من غيركم ؟ » قالوا : لا ، إلا ابن أُختنا . قال : « ابن أُخت القوم منهم » . ثم قال : « أقلتم كذا وكذا ؟ » قالوا : نعم . قال : « أنتم الشِّعار والناس الدِّثار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم ؟ » قالوا : بلى . قال : « الأنصار كرشي وعيبتي ، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار » . وقال حمادٌ : أعطى مائةً من الإبل ، فسمَّى كلَّ واحدٍ من هؤلاء . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلمٍ .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا ابن أبي عديٍّ ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الأنصار ، ألم آتكم ضُلَّالاً فهداكم الله بي ؟ ألم آتكم متفرِّقين فجمعكم الله بي ؟ ألم آتكم أعداءً فألَّف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « أفلا تقولون : جِئتَنا خائفاً فأمَّنَّاك ، وطريداً فآويناك ، ومخذولاً فنصرناك ؟ » قالوا : بل لله المنُّ علينا ولرسوله . وهذا إسنادٌ ثلاثيٌّ على شرط « الصحيحين » ، فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالكٍ ، وقد روي عن غيره من الصحابة .

فقال البخاريُّ[٣] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا وهيبٌ ، ثنا عمرو بن يحيى ، عن عبَّاد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلَّفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، فكأنهم وجدوا في أنفسهم ، إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضُلَّالاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرِّقين فألَّفكم الله بي ؟ وعالةً فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمنُّ . قال : « لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً ، لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعارٌ والناس دثارٌ ، إنكم ستلقون بعدي أثرةً ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

ورواه مسلم[٤] من حديث عمرو بن يحيى المازنيِّ به .

وقال يونس بن بكيرٍ[٥] ، عن محمد بن إسحاق ، حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/٢٤٦) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/١٠٤ و١٠٥) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٣٠) .
(٤) في « صحيحه » رقم (١٠٦١) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/١٧٦) .

لبيدٍ ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال : لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنينٍ ، وقسم للمتألِّفين من قريشٍ وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليلٌ ولا كثيرٌ ، وجد هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله ﷺ قومه . فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنّ هذا الحيَّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . فقال : « فيم ؟ » . قال : فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شيء . فقال رسول الله ﷺ : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤٌ من قومي . قال : فقال رسول الله ﷺ : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، فإذا اجتمعوا فأعلمني » فخرج سعدٌ ، فصرخ فيهم ، فجمعهم في تلك الحظيرة ، فجاء رجالٌ من المهاجرين ، فأذن لهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردَّهم ، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحدٌ إلا اجتمع له ، أتاه فقال : يا رسول الله ، قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم . فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ألم آتكم ضُلَّالاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألَّف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟ » قالوا : وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المنُّ لله ولرسوله . قال : « أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدِّقتم : جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ، وخائفاً فأمَّنَّاك ، ومخذولاً فنصرناك » . فقالوا : المنُّ لله ولرسوله . فقال رسول الله ﷺ : « أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعاعةٍ من الدنيا تألَّفتُ بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ؟! أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » . قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله قسماً . ثم انصرف وتفرَّقوا .

وهكذا رواه الإمام أحمد(١) من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحدٌ من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، وهو صحيحٌ .

وقد رواه الإمام أحمد(٢) ، عن يحيى بن بكيرٍ ، عن الفضل بن مرزوقٍ ، عن عطية بن سعدٍ العوفيِّ ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ : قال رجلٌ من الأنصار لأصحابه : أما والله لقد كنت أحدِّثكم أنه لو قد استقامت الأمور قد آثر عليكم . قال : فردُّوا عليه رداً عنيفاً . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم ، فقال لهم أشياء

---

(١) في « المسند » (٣/ ٧٦) ، وإسناده حسن .

(٢) في « المسند » (٣/ ٨٩) ، وإسناده ضعيف .

لا أحفظها ، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « وكنتم لا تركبون الخيل » . وكلما قال لهم شيئاً قالوا : بلى يا رسول الله . ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدّم . تفرَّد به أحمد أيضاً .

وهكذا رواه الإمام أحمد(١) منفرداً به من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيدٍ بنحوه .

ورواه أحمد(٢) أيضاً عن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابرٍ مختصراً .

وقال سفيان بن عُيينة ، عن عمر بن سعيد بن مسروقٍ ، عن أبيه ، عن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديجٍ ، عن جدِّه رافع بن خديجٍ ، أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلَّفة قلوبهم من سبي حنين مئة من الإبل ، فأعطى أبا سفيان بن حربٍ مئةً ، وأعطى صفوان بن أمية مائةً ، وأعطى عيينة بن حصنٍ مئةً ، وأعطى الأقرع بن حابسٍ مئةً ، وأعطى علقمة بن علاثة مئةً ، وأعطى مالكَ بن عوفٍ مئةً ، وأعطى العباس بن مرداس دون المئة ، ولم يبلغ به أولئك ، فأنشأ يقول(٣) : [من المتقارب]

أتجعل نهبي ونهب العُبَيـ ـد بين عُيينة والأَقرعِ
فما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداس في المجمعِ
وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تخفض اليوم لا يُرفعِ
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدرإٍ فلم أُعط شيئاً ولم أُمنعِ

قال : فأتمَّ له رسول الله ﷺ مئةً .

رواه مسلمٌ(٤) من حديث ابن عيينة بنحوه ، وهذا لفظ البيهقيِّ(٥) .

وفي روايةٍ ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق : فقال : [من المتقارب]

كانت نهاباً تلافيتها بكرِّي على المُهر في الأجرعِ
وإيقاظيَ الحيَّ أن يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجعِ
فأصبح نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرعِ
وقد كنت في الحرب ذا تُدرإٍ فلم أُعط شيئاً ولم أُمنعِ
إلا أفائل أعطيتُها عديد قوائمها الأربعِ

---

(١) في « المسند » (٣/ ٥٧) ، وإسناده صحيح .
(٢) في « المسند » (٣/ ٣٤٧) ، وإسناده ضعيف .
(٣) بعض هذه الأبيات والتي بعدها في « ديوان العباس بن مرداس » ص(١١١ ـ ١١٢) بتقديم وتأخير .
(٤) رواه مسلم رقم (١٠٦٠) (١٣٧) .
(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ١٧٨ ـ ١٧٩) .

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في المجمعِ
وَمَا كنت دون امرئٍ منهما ومن تضع اليوم لا يُرفعِ

قال عروة ، وموسى بن عقبة عن الزهريِّ : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له : « أنت القائل : أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعُيينة ؟ » فقال أبو بكرٍ : ما هكذا قال يا رسول الله ، ولكن والله ما كنت بشاعرٍ وما ينبغي لك . فقال : « كيف قال ؟ » . فأنشده أبو بكرٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « هما سواءٌ ، ما يضرُّك بأيِّهما بدأت » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اقطعوا عني لسانه » . فخشي بعض الناس أن يكون أراد المُثلة به ، وإنما أراد النَّبيُّ ﷺ العطية . قال : وعبيدٌ فرسه .

وقال البخاريُّ[١] : حدَّثنا محمد بن العلاء ، ثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : كنت عند النبيِّ ﷺ ، وهو نازلٌ بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلالٌ ، فأتى رسول الله ﷺ أعرابيٌّ فقال : ألا تنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له : « أبشر » . فقال : قد أكثرت عليَّ من أَبشر . فأقبل على أبي موسى وبلالٍ كهيئة الغضبان فقال : « ردَّ البشرى فاقبلا أنتما » [قالا : قبلنا] ثم دعا بقدحٍ فيه ماءٌ ، فغسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه ، ثم قال : « اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا » . فأخذا القدح ففعلا، فنادت أمُّ سلمة من وراء السِّتر أن أفضلا لأمِّكما . فأفضلا لها منه طائفةً . هكذا رواه.

وقال البخاريُّ[٢] : حدَّثنا يحيى بن بكيرٍ ، ثنا مالكٌ ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس بن مالكٍ قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌّ ، فجذبه جذبةً شديدةً ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت به حاشية الرِّداء من شدة جذبته ، ثم قال : مُرْ لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاءٍ .

وقد ذكر ابن إسحاق[٣] الذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذٍ مئةً من الإبل ، وهم ؛ أبو سفيان صخر بن حربٍ ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كَلَدة أخو بني عبد الدار ، وعلقمة بن عُلاثة ، والعلاء بن جارية الثَّقفيُّ حليف بني زهرة ، والحارث بن هشامٍ ، وجبير بن مطعمٍ ، ومالك بن عوفٍ النَّصريُّ ، وسهيل بن عمروٍ ، وحويطب بن عبد العزَّى ، وعُيينة بن حصنٍ ، وصفوان بن أُمية ، والأقرع ابن حابسٍ .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميُّ ، أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ من

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٢٨) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣١٤٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٦) .

أصحابه : يا رسول الله ، أعطيتَ عيينة والأقرع مئةً مئةً ، وتركتَ جُعيل بن سراقة الضَّمريَّ ! فقال رسول الله ﷺ : « أما والذي نفس محمد بيده لَجُعَيلٌ خيرٌ من طِلاع الأرض ، كلُّهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألَّفتُهما ليسلما ، ووكلت جُعيل بن سراقة إلى إسلامه » .

ثم ذكر ابن إسحاق[١] من أعطاه رسول الله ﷺ دون المئة ممن يطول ذكره .

وفي الحديث الصحيح[٢] عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنينٍ وهو أبغض الخلق إليَّ ، حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إليَّ منه .

* * *

ذكر
قدوم مَالِك بن عوفٍ النَّصريّ على الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق[٣] : وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوفٍ « ما فعل ؟ » فقالوا : هو بالطائف مع ثقيفٍ . فقال ﷺ : « أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددتُ إليه أهله وماله وأعطيته مئةً من الإبل » . فلمّا بلغ ذلك مالكاً انسلَّ من ثقيفٍ ، حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة ـ أو بمكة ـ فأسلم وحسن إسلامه ، فردَّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مئةً [من الإبل] ، فقال مالك بن عوف رضي الله عنه : [من الكامل]

مَـا إنْ رأيـتُ ولا سمعـت بمثلـه ... فـي النَّـاس كلِّهـمُ بمثـل محمـدِ
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجْتُدي ... ومتـى تشـأْ يخبـرك عمَّـا فـي غـدِ
وإذا الكَتيبـةُ عـرَّدت أنيـابُهـا ... بـالسَّمهـريِّ وضـرب كـلِّ مهنَّـدِ
فكـأنّـه ليـثٌ علـى أشبـالـه ... وسْـط الهبـاءة خـادرٌ فـي مـرصـدِ

قال : واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل ؛ ثُمالة وسَلِمة وفَهمٌ ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضيَّق عليهم .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا جرير بن حازمٍ ، ثنا الحسن ، حدَّثني عمرو بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٣) .
(٢) الذي رواه مسلم رقم (٢٣١٣) والترمذي رقم (٦٦٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٤٩١) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣١٤٥) .

تغلب ، رضي الله عنه ، قال : أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين ، فكأنهم عَتبوا عليه ، فقال : « إني أعطي قوماً أخاف ظَلَعهم وجزَعهم ، وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى ، منهم عمرو بن تغلب » . قال عمرٌو : فما أحبُّ أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمْر النَّعم . زاد أبو عاصمٍ ، عن جريرٍ ، سمعت الحسن ، ثنا عمرو بن تغلب ، أن رسول الله ﷺ أتي بمال ـ أو سبي ـ فقسمه . . . بهذا .

وفي روايةٍ للبخاريِّ[١] قال : أُتي رسول الله بمالٍ ـ أو بشيءٍ ـ فأعطى رجالاً وترك رجالاً ، فبلغه أن الذين ترك عتَبوا ، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد » . فذكر مثله سواءً . تفرَّد به البخاريُّ .

وقد ذكر ابن هشامٍ[٢] أن حسان بن ثابتٍ[٣] ، رضي الله عنه ، قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخُّرهم عن الغنيمة : [من البسيط]

زَادَتْ هُمومٌ فماءُ العينِ مَنْحَدِرُ ... سَحَّاً إذا حفَلَته عَبرةٌ دِرَرُ
وجداً بشمَّاءَ إذ شمَّاءُ بهكنةٌ ... هيفاءُ لا ذننٌ فيها ولا خوَرُ
دع عنك شمَّاءَ إذ كانت مودَّتُها ... نزْراً وشرُّ وصال الواصل النَّزرُ
وأْتِ الرسول فقل يا خير مؤتمنٍ ... للمؤمنين إذا ما عُدِّد البشرُ
عَلامَ تُدعى سُليمٌ وهي نازحةٌ ... قُدَّام قومٍ همُ آووا وهم نصروا
سمَّاهُم الله أنصاراً بنصرهم ... دين الهدى وعَوان الحرب تستعرُ
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات وما خانوا وما ضَجِروا
والناس أُلبٌ علينا فيكَ ليس لَنَا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزرُ
نُجالد النَّاس لا نبقي على أحدٍ ... ولا نضيِّع ما توحي به السُّور
ولا تُهرُّ جناة الحرب نادينَا ... ونحن حين تلظَّى نارها سُعُرُ
كما رددنا ببدرٍ دون ما طَلَبوا ... أهل النِّفاق وفينا ينزل الظَّفرُ
ونحن جُنْدُك يوم النَّعفِ من أُحدٍ ... إذ حزَّبت بَطَراً أحزابها مضرُ
فما ونينا وما خمنا وما خبروا ... منَّا عِثاراً وكلُّ الناس قد عثروا

***

(١) في « صحيحه » رقم (٩٢٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٧) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٦٥) مع بعض الاختلاف في ألفاظها .

اعتراض بعض الجهلة من أهل الشِّقاق والنِّفاق على رسول الله ﷺ في القسمة العادلة بالاتفاق

قال البخاريُّ[(١)] : ثنا قَبيصة ، ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائلٍ ، عن عبد الله قال : لما قسم النبيُّ ﷺ قسمة حنينٍ قال رجلٌ من الأنصار : ما أراد بها وجه الله . قال : فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فتغيَّر وجهه ، ثم قال : « رحمة الله على موسى ، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر » .

ورواه مسلمٌ[(٢)] من حديث الأعمش به .

ثم قال البخاريُّ[(٣)] : ثنا قتيبة بن سعيدٍ ، ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ،عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبيُّ ﷺ ناساً ؛ أعطى الأقرع بن حابسٍ مائةً من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناساً ، فقال رجلٌ : ما أُريد بهذه القسمة وجه الله . فقلت : لأخبرنَّ النبيَّ ﷺ . قال : « رحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » .

وهكذا رواه[(٤)] من حديث منصور بن المعتمر به .

وفي رواية للبخاريِّ[(٥)] : فقال رجلٌ : والله إن هذه لقسمةٌ ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجه الله . فقلت : والله لأخبرنَّ رسول الله ﷺ . فأتيته فأخبرته ، فقال : « من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟! رحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » .

وقال محمد بن إسحاق[(٦)] : وحدَّثني أبو عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر ، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلابٍ الليثيُّ ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلِّقاً نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلَّمه التَّميميُّ يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجلٌ من بني تميمٍ يقال له : ذو الخويصرة . فوقف عليه وهو يعطي الناس ، فقال له : يا محمد ، قد رأيتُ ماصنعتَ في هذا اليوم . فقال رسول الله ﷺ : « أجل ، فكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عدلت . قال : فغضب النبيُّ ﷺ فقال : « ويحك! إذا لم يكن العدل عندي فعند

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٥) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٠٦٢) (١٤١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٣٦) .
(٤) يعني مسلم في « صحيحه » رقم (١٠٦٢) (١٤٠) .
(٥) وهي عنده رقم (٣١٥٠) .
(٦) في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٦) .

من يكون ؟! » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ألا نقتله ؟ فقال : « لا ، دعوه فإنه سيكون له شيعةٌ يتعمَّقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة ، ينظر في النَّصل فلا يوجد شيءٌ ، ثم في القِدح فلا يوجد شيءٌ ، ثم في الفُوق فلا يوجد شيءٌ ، سبق الفرثَ والدم » .

وقال اللّيث بن سعدٍ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجلٌ بالجعرانة النبيَّ ﷺ منصرفه من حنينٍ ، وفي ثوب بلالٍ فِضةٌ ، ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس ، فقال : يا محمد ، اعدل . قال : « ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟! لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » . فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله فأقتلَ هذا المنافق . فقال : « معاذ الله أن يتحدَّث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرميَّة » . رواه مسلمٌ(١) ، عن محمد بن رمحٍ ، عن الليث .

وقال أحمد(٢) : ثنا أبو عامرٍ ، ثنا قُرَّة ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن جابرٍ قال : بينما رسول الله ﷺ يقسم مغانم حنينٍ ، إذ قام إليه رجلٌ فقال : اعدل . فقال : « لقد شقِيت إن لم أعدل » . ورواه البخاريُّ(٣) ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن قرَّة بن خالدٍ السَّدوسيِّ به .

وفي « الصحيحين »(٤) من حديث الزهريِّ، عن أبي سلمة، عن أبي سعيدٍ قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة رجلٌ من بني تميمٍ ، فقال : يا رسول الله ، اعدل . فقال رسول الله ﷺ : « ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل ؟! لقد خبت وخسرت إن لم أعدل » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ائذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيءٌ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم يُنظر إلى نَضيِّه ـ وهو قِدْحُه ـ فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم ينظر إلى قُذذه فلا يوجد فيه شيءٌ ، قد سبق الفرثَ والدم ، آيتهم رجلٌ أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تَدردر ، ويخرجون على حين فرقةٍ من الناس » . قال أبو سعيدٍ : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن عليَّ بن أبي طالبٍ قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به ، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت .

ورواه مسلمٌ(٥) أيضاً من حديث القاسم بن الفضل ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيدٍ به نحوه .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٠٦٣) .
(٢) في « المسند » (٣/ ٣٣٢) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٣٨) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٦١٠) ومسلم رقم (١٠٦٤) (١٤٨) .
(٥) رواه مسلم (١٠٦٥) (١٥٠) مختصراً .

ذكر
مَجِيءِ أخت رسول الله ﷺ من الرَّضاعة ، إليه وهو بالجِعْرَانة واسمها الشَّيماء

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني بعض بني سعد بن بكرٍ أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن : « إن قدرتم على بِجادٍ ـ رجلٍ من بني سعد بن بكر ـ فلا يُفلتنَّكم » . وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزَّى ، أخت رسول الله ﷺ من الرَّضاعة ، قال : فعنفوا عليها في السَّوق ، فقالت للمسلمين : تعلَّموا والله إني لأخت صاحبكم من الرَّضاعة . فلم يصدِّقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدَّثني يزيد بن عبيدٍ السَّعديُّ ـ هو أبو وجزة ـ قال : فلما انتُهي بها إلى رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله ، إني أختك من الرَّضاعة . قال : « وما علامة ذلك ؟ » قالت : عضَّةٌ عضضْتنيها في ظهري وأنا متورِّكتُك . قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، وخيَّرها وقال : « إن أحببت فعندي محبَّةً مكرمةً ، وإن أحببت أن أمتِّعك وترجعي إلى قومك فعلت » . قالت : بل تمتِّعني وتردُّني إلى قومي .

فمتَّعها رسول الله ﷺ وردَّها إلى قومها ، فزعمت بنو سعدٍ أنه أعطاها غلاماً يقال له : مكحولٌ ، وجاريةً ، فزوَّجت أحدهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقيَّـةٌ .

وروى البيهقيُّ[٢] من حديث الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جاريةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، أنا أختك ، أنا شيماء بنت الحارث . فقال لها : « إن تكوني صادقةً ، فإن بك مني أثراً لا يبلى » . قال : فكشفت عن عضدها ، فقالت : نعم يا رسول الله ، وأنت صغيرٌ ، فعضضتني هذه العضَّة . قال : فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ، ثم قال : « سلي تُعطَي ، واشفعي تشفعي » .

وقال البيهقيُّ[٣] : أنبأنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو عمرو إسماعيل بن نُجيدٍ السُّلميُّ ، ثنا أبو مسلم ، ثنا أبو عاصم ، ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان ، أخبرني عمِّي عُمارة بن ثوبان ، أن أبا الطُّفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عظم البعير ، ورأيت رسول الله ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة . قال : فجاءته

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٥٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٩٩) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٩٩) .

امرأةٌ فبسط لها رداءه ، فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمُّه التي أرضعته . هذا حديثٌ غريبٌ ، ولعله يريد أخته ، وقد كانت تحضُنه مع أمِّها حليمة السَّعديَّة ، وإن كان محفوظاً فقد عُمِّرت حليمة دهراً ، فإنَّ من وقت أرضعت رسول الله ﷺ إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنةً ، وأقلُّ ما كان عمرها حين أرضعته ﷺ ، ثلاثون سنةً ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك .

وقد ورد حديثٌ مرسلٌ ، فيه أن أبويه من الرَّضاعة قدما عليه ، والله أعلم بصحَّته ؛ قال أبو داود في « المراسيل »(١) : ثنا أحمد بن سعيد الهمْدَانيُّ ، ثنا ابن وهبٍ ، ثنا عمرو بن الحارث ، أن عمر بن السائب حدَّثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً ، فجاءه أبوه من الرَّضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعد عليه ، ثم أقبلت أمُّه ، فوضع لها شِقَّ ثوبه من جانبه الآخر ، فجلست عليه ، ثم جاء أخوه من الرَّضاعة ، فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه . وقد تقدم أن هوازن بكمالها متواليةٌ برضاعته من بني سعد بن بكرٍ ، وهم شِرذمةٌ من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صُرَدٍ : يا رسول الله ، إنَّ ما في الحظائر أُمَّهاتك وخالاتك وحواضنك ، فامنن علينا منَّ الله عليك ، وقال فيما قال : [من البسيط]

أُمنن على نسوةٍ قد كُنْتَ تَرْضَعُهَا إذ فُوك يملؤه من مَحْضِهَا دِرر
أُمنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يَزينك ما تأتي وما تذر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم ، فعادت فواضله ﷺ عليهم قديماً وحديثاً ، خصوصاً وعموماً .

وقد ذكر الواقديُّ(٢) ، عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل ، عن أبيه قال : كان النُّضير بن الحارث بن كَلَدة من أحلم الناس ، فكان يقول : الحمد لله الذي منَّ علينا بالإسلام ، ومنَّ علينا بمحمد ﷺ ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، وقتل عليه الإخوة وبنو العمّ . ثم ذكر عداوته للنبيِّ ﷺ ، وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين وهو على دينهم بعدُ . قال : ونحن نريد إن كانت دائرةٌ على محمد أن نعين عليه ، فلم يمكنَّا ذلك ، فلما صار بالجعرانة ، فوالله إني لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله ﷺ ، فقال : « أنُضير » . قلت : لبيك . قال : « هذا خيرٌ مما أردتَ يوم حنينٍ مما حال الله بينك وبينه » . قال : فأقبلت إليه سريعاً ، فقال : « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضِع » .

قلت : قد أرى أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم زده ثباتاً » . قال النُّضير : فوالذي بعثه بالحقِّ لكأنَّ قلبي حَجرٌ ثباتاً في الدِّين وتبصرةً بالحقِّ .

فقال رسول الله ﷺ : « الحَمْدُ للهِ الذي هَدَاهُ » .

---

(١) لم أقف عليه في كتاب « المراسيل » ونسبه المزي في تحفة الأشراف (١٩١٤١) إلى سنن أبي داود حسب ، وهو في « سنن أبي داود رقم (٥١٤٥) ، وإسناده ضعيف .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٠٥) .

عُمْرَةُ الجِعْرَانَةِ[١] في ذي القعدة

قال الإمام أحمد[٢] : ثنا بهزٌ وعبد الصَّمد ، المعنى ، قالا : ثنا هَمَّامُ بن يحيى ، ثنا قتادة قال : سألت أنس بن مالكٍ قلت : كم حجَّ رسول الله ﷺ ؟ قال : حَجَّةً واحدةً ، واعتمر أربع مِرارٍ ؛ عمرته زَمَنَ الحُديبية ، وعُمْرَتَهُ في ذي القعدة من المدينة ، وعُمْرَتَهُ من الجِعْرَانَة في ذي القعدة ، حيث قسم غنيمة حنينٍ ، وعمرته مع حَجَّته .

ورواه البخاريُّ ، ومسلمٌ ، وأبو داود ، والترمذيُّ[٣] من طرق ، عن هَمَّام بن يحيى به . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا أبو النَّضر ، ثنا داود ، يعني العطَّار ، عن عمروٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمَرٍ ؛ عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التي مع حجته .

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ ، وابن ماجه[٥] من حديث داود بن عبد الرحمن العطَّار المكيِّ ، عن عمرو بن دينارٍ به ، وحَسَّنه الترمذيُّ .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، ثنا حجَّاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، هو عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عُمَرٍ ، كلُّ ذلك في ذي القعدة يلبِّي حتى يستلم الحَجَر . غريبٌ من هذا الوجه ، وهذه الثلاث عُمَرٍ اللاتي وقعن في ذي القعدة ما عدا عمرته مع حَجَّته ، فإنها وقعت في ذي الحجَّة مع الحجَّة ، وإن أراد ابتداء الإحرام بهن في ذي القعدة فلعله لم يُرد عمرة الحُديبية ؛ لأنه صُدَّ عنها ، ولم يفعلها ، والله أعلم .

قلت : وقد كان نافعٌ ومولاه ابن عمر يُنْكِرَان أن يكون رسول الله ﷺ اعتمر من الجِعْرَانة بالكلية ، وذلك فيما قال البخاريُّ[٧] : ثنا أبو النّعمان ، ثنا حَمَّاد بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر أن

---

(١) الجعرانة : منزل بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكَّة أقرب . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٣٣٦) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٣٤) .
(٣) رواه البخاري رقم (١٧٧٨) ومسلم رقم (١٢٥٣) وأبو داود رقم (١٩٩٤) والترمذي رقم (٨١٥) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٢٦) .
(٥) رواه أبو داود رقم (١٩٩٣) والترمذي رقم (٨١٦) وابن ماجه رقم (٣٠٠٣) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٨٠) لكن التقيد بأنها في ذي القعدة جاء في الرواية التي بعدها في « المسند » من طريق هشيم عن الحجاج بن أرطاة . .
(٧) في « صحيحه » رقم (٣١٤٤) .

عمر بن الخطَّاب قال : يا رسول الله ، إنه كان عليَّ اعتكاف يومٍ في الجاهلية . فأمره أن يفي به . قال : وأصاب عمر جاريتين من سبي حُنينٍ فوضعهما في بعض بيوت مكة . قال : فمنَّ رسول الله ﷺ على سبي حنينٍ فجعلوا يسعون في السِّكك ، فقال عمر : يا عبد الله ، انظر ما هذا ؟ قال : منَّ رسول الله ﷺ على السَّبي . قال : اذهب فأرسل الجاريتين .

قال نافعٌ : ولم يعتمر رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة ، ولو اعتمر لم يخفَ على عبد الله .

وقد رواه مسلمٌ[١] من حديث أيوب السَّختيانيِّ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، به .

ورواه مسلمٌ[٢] أيضاً ، عن أحمد بن عَبْدَة الضَّبِّيِّ ، عن حماد بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن نافعٍ قال : ذُكر عند ابن عمر عُمرة رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة ، فقال : لم يعتمر منها . وهذا غريبٌ جداً عن ابن عمر ، وعن مولاه نافعٍ في إنكارهما عُمرة الجِعْرَانة ، وقد أطبق النَّقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصِّحاح والسُّنن والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسير كلُّهم .

وهذا أيضاً كما ثبت في « الصحيحين »[٣] من حديث عطاء بن أبي رباح ، عن عُرْوَة ، عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله أن رسول الله ﷺ اعتمر في رجبٍ ، وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو شاهدٌ ، وما اعتمر في رجبٍ قطُّ .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا ابن نُميرٍ، ثنا الأعمش، عن مجاهدٍ قال: سأل عُرْوَةُ بن الزّبير ابنَ عمر : في أيِّ شهرٍ اعتمر رسول الله ﷺ ؟ قال: في رجبٍ. فسمعتنا عائشة، فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر، فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن، ما اعتمر عمرةً إلا وقد شهدها، وما اعتمر عمرةً قطُّ إلا في ذي القعدة.

وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[٥] من حديث جريرٍ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ به نحوه .

ورواه أبو داود والنسائيُّ[٦] أيضاً من حديث زهيرٍ ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهدٍ : سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجَّة الوداع .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٦٥٦) (٢٨) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٦٥٦) (٢٨) .
(٣) رواه البخاري رقم (١٧٧٧) مختصراً ، ومسلم رقم (١٢٥٥) (٢١٩) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٤٣) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٧٧٦) ومسلم رقم (١٢٥٥) (٢٢٠) .
(٦) رواه أبو داود رقم (١٩٩٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٤٢١٨) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا يحيى بن آدم ، ثنا مفضَّلٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد ، فإذا ابن عمر مستندٌ إلى حُجرة عائشة وأناسٌ يصلُّون الضُّحى ، فقال عروة : أبا عبد الرحمن ، ما هذه الصلاة ؟ قال : بدعةٌ . فقال له عروة : أبا عبد الرحمن ، كم اعتمر رسول الله ؟ فقال : أربعاً ، إحداهن في رجبٍ . قال : وسمعنا استنان عائشة في الحجرة . فقال لها عُرْوَة : إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً ، إحداهن في رجبٍ . فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر النَّبيُّ ﷺ إلا وهو معه ، وما اعتمر في رجبٍ قطُّ .

وهكذا رواه الترمذيُّ[٢] ، عن أحمد بن منيعٍ ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن منصورٍ به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا روحٌ ، ثنا ابن جُريجٍ ، أخبرني مزاحم بن أبي مزاحمٍ ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن مُخَرِّشٍ[٤] الكعبيِّ ، أن رسول الله ﷺ خرج من الجِعْرَانة ليلاً حين أمسى معتمراً ، فدخل مكّة ليلاً يقضي عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائتٍ ، حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرِفٍ ، حتى جامع الطريق طريق المدينة بسرفٍ . قال مخرِّشٌ : فلذلك خفيت عمرته على كثيرٍ من الناس .

ورواه الإمام أحمد[٥] ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن ابن جريجٍ كذلك وهو من أفراده .

والمقصود أن عُمْرَة الجِعْرَانة ثابتةٌ بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ، ومن نفاها لا حُجَّة معه في مقابلة من أثبتها ، والله أعلم . ثم هم كالمجمعين على أنها كانت في ذي القعدة بعد غزوة الطائف وقَسْمِ غنائم حُنينٍ .

وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانيُّ في « معجمه الكبير »[٦] قائلاً : حدَّثنا الحسين بن إسحاق التُّستَريُّ ، ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا محمد بن الحسن الأسديُّ ، ثنا إبراهيم بن طَهْمَان ، عن أبي الزُّبير ، عن عميرٍ مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباسٍ قال : لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٥٥) ، وإسناده صحيح .
(٢) رواه الترمذي رقم (٩٣٧) .
(٣) في « المسند » (٣/ ٤٢٧) ، وإسناده حسن .
(٤) كذا في (آ) و(ط) : « مُخَرِّش » بالخاء المعجمة ، ورجّح الحافظ بن حجر العسقلاني « مُحَرِّش » بالحاء المهملة انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣٥١) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٢٦) وهو أيضاً عند الترمذي رقم (٩٣٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٣٨٤٦) وفي « المجتبى » رقم (٢٨٦٣) ، وإسناده حسن .
(٦) (١١/ ٤٣١) رقم (١٢٢٢٣) .

نزل الجِعْرَانة فقسم بها الغنائم ، ثم اعتمر منها ، وذلك لليلتين بقيتا من شوالٍ ، فإنه غريبٌ جداً ، وفي إسناده نظرٌ ، والله أعلم .

وقال البخاريُّ[١] : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا إسماعيل ، ثنا ابن جُريجٍ ، أخبرني عطاءٌ أن صفوان بن يعلى بن أُمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين يُنزل عليه . قال : فبينا رسول الله ﷺ بالجِعْرَانة وعليه ثوبٌ قد أُظلَّ به ، معه فيه ناسٌ من أصحابه ، إذ جاءه أعرابيٌ عليه جبَّةٌ متضمِّخٌ بطيبٍ ، فقال : [يا رسول الله ، كيف ترى في رجلٍ أحرم بعمرةٍ في جبَّةٍ بعدما تضمَّخ بالطيب ؟] فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده أن تعال ، فجاء يعلى فأدخل رأسه ، فإذا النبيُّ ﷺ محمرُّ الوجه يغطُّ كذلك ساعةً ، ثم سُرِّي عنه ، فقال : « أين الذى يسألني عن العمرة آنفاً ؟ » فالتمس الرجل فأتي به ، قال : « أما الطِّيب الذي بك فاغسله ثلاث مراتٍ ، وأمَّا الجبَّة فانزعها ، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجِّك » .

ورواه مسلمٌ[٢] من حديث ابن جريجٍ ، وأخرجاه[٣] من وجهٍ آخر ، عن عطاءٍ ، كلاهما عن صفوان بن يعلى ، عن أبيه به .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا أبو أُسامة ، أنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من كَداءٍ من أعلى مكَّة ، ودخل في العمرة من كُدىً .

وقال أبو داود[٥] : ثنا موسى أبو سلمة ، ثنا حَمَّادٌ ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيمٍ ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ ، أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة ، فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشَوا أربعاً ، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ، ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى . تفرد به أبو داود .

ورواه أيضاً ابن ماجه[٦] من حديث ابن خثيمٍ ، عن أبي الطُّفيل ، عن ابن عباسٍ مختصراً .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا يحيى بن سعيدٍ ، عن ابن جريجٍ ، حدَّثني حسن بن مسلمٍ ، عن طاوسٍ ، أن ابن عباسٍ أخبره أن معاوية أخبره قال : قصَّرت عن رسول الله ﷺ بمِشقصٍ أو قال : رأيته يقصَّر عنه بمشقصٍ عند المروة .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٩) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١١٨٠) .
(٣) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (١٧٨٩) و(١٨٤٧) و(٤٩٨٥) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١١٨٠) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٠١ و٢٠٢) وهو عند البخاري رقم (١٥٧٨) ومسلم رقم (١١٨٠) (٦) و(٧) و(٩) و(١٠) .
(٥) رواه أبو داود رقم (١٨٨٤) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أبو داود رقم (١٨٩٠) وابن ماجه رقم (٢٩٥٣) ، وهو حديث صحيح .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٩٨) .

وقد أخرجاه في « الصحيحين »[(١)] من حديث ابن جريجٍ به .

ورواه مسلم[(٢)] أيضاً من حديث سفيان بن عُيينة ، عن هشام بن حُجيرٍ ، عن طاوسٍ ، عن ابن عباسٍ ، عن معاوية به .

ورواه أبو داود ، والنسائيُّ[(٣)] أيضاً من حديث عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن ابن طاوسٍ ، عن أبيه به .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد[(٤)] : حدَّثني عمرو بن محمدٍ الناقد ، ثنا أبو أحمد الزُّبيريُّ ، ثنا سفيان ، عن جعفر بن محمدٍ ، عن أبيه ، عن ابن عباسٍ ، عن معاوية قال : قصَّرتُ عن رأس رسول الله ﷺ عند المروة .

والمقصود أن هذا إنما يتوجَّه أن يكون في عمرة الجِعْرَانة ، وذلك أن عُمْرَة الحُديبية لم يدخل إلى مكة فيها ، بل صُدَّ عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ، ولم يبق بمكة من أهلها أحدٌ حين دخل رسول الله ﷺ ، بل خرجوا منها ، وتغيَّبوا عنها مدة مقامه ﷺ بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلَّل منها بالاتفاق . فتعيَّن أن هذا التقصير الذى تعاطاه معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، من رأس رسول الله ﷺ عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا ، والله تعالى أعلم .

وقال محمد بن إسحاق[(٥)] ، رحمه الله : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنَّةَ بناحية مرِّ الظَّهران .

قلت : الظَّاهر أنه ﷺ إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكَّة والمدينة .

قال ابن إسحاق[(٦)] : فلمَّا فرغ رسول الله من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة ، واستخلف عتَّاب بن أَسيدٍ على مكة ، وخلَّف معه معاذ بن جبلٍ يفقِّه الناس في الدين ، ويعلِّمهم القرآن .

وذكر عروة ، وموسى بن عقبة[(٧)] أن رسول الله ﷺ خلَّف معاذاً مع عتَّابٍ بمكة قبل خروجه إلى هوازن ، ثم خلَّفهما بها حين رجع إلى المدينة .

---

(١) رواه البخاري رقم (١٧٣٠) مختصراً ، ومسلم رقم (١٢٤٦) بنحوه .

(٢) رواه مسلم رقم (١٢٤٦) (٢٠٩) .

(٣) رواه أبو داود رقم (١٨٠٣) والنسائي رقم (٢٩٨٨) .

(٤) وهو في « المسند » (٤/ ٩٧) وانظر « أطراف المسند » (٥/ ٣٤٠) ، وهو حديث صحيح .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٠) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٠) .

(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٠١) .

وقال ابن هشام[١] : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل رسول الله ﷺ عتَّاب بن أَسيدٍ على مكة رزقه كلَّ يومٍ درهماً ، فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهمٍ ، فقد رزقني رسول الله ﷺ[٢] درهماً كلَّ يومٍ ، فليست بي حاجةٌ إلى أحدٍ .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة ، وقدم المدينة في بقية ذي القعدة ، أو في أول ذي الحجَّة .

قال ابن هشامٍ : قدمها لستٍّ بقين من ذي القعدة . فيما قال أبو عمروٍ المدينيُّ .

قال ابن إسحاق : وحجَّ الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحجُّ عليه ، وحجَّ بالمسلمين تلك السنة عتَّاب بن أَسيدٍ ، وهي سنة ثمانٍ . قال : وأقام أهل الطائف على شِركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسعٍ .

***

إسلام كعب بن زهير بن أبي سُلَمى رضي الله عنه ، وأبوه هو صاحب إحدى المعلَّقات السبع ، الشاعر ابن الشاعر ، وذكر قصيدته التي سمعها رسول الله ﷺ وهي : بانت سُعَاد

قال ابن إسحاق[٣] : ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بُجَير بن زهير بن أبي سُلمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأنَّ من بقي من شعراء قريشٍ ؛ ابن الزِّبعرى ، وهُبيرة بن أبي وهبٍ ، هربوا في كل وجهٍ ، فإن كانت لك في نفسك حاجةٌ ، فطِر إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض . وكان كعبٌ قد قال[٤] : [من الطويل]

ألا أبلغا عني بُجَيراً رسالةً ... فوَيحك ممَّا قلت وَيحك هل لَكَا
فبيِّن لنا إن كنت لست بفاعلٍ ... على أيِّ شيءٍ غير ذلك دلَّكا
على خلقٍ لم ألف يوماً أباً له ... عليه وما تُلفي عليه أباً لكا
فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ ... ولا قائلٍ إمَّا عثرت لعاً لكا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٠) .
(٢) أي : بمعنى أعطاني .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠١) .
(٤) الأبيات في « شرح ديوانه » ص (٦) .

سقـاك بهـا المـأمـون كـأسـاً رويَّـةً   فـأنهلـك المـأمـون منهـا وعلَّكـا

قال ابن هشامٍ[(١)] : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

مـن مبلـغٌ عنـي بُجيـراً رسـالـةً   فهل لك فيما قلت بالخَيف هل لَكَا
شـربـت مع المأمـون كـأسـاً رويَّـةً   فـأنهلـك المـأمـون منهـا وعلَّكَـا
وخـالفـت أسبـاب الهـدى واتَّبعتـه   علـى أيِّ شـيءٍ ويـب غيـرك دلَّكَـا
علـى خُلُـقٍ لـم تلـف أمَّـاً ولا أبـاً   عليـه ولـم تـدرك عليـه أخـاً لكـا
فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ   ولا قـائـلٍ إمّـا عثـرت لعـاً لكـا

قال ابن إسحاق[(٢)] : وبعث بها إلى بُجيرٍ ، فلما أتت بُجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ ، فأنشده إيَّاها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع : سقاك بها المأمون : « صَدَقَ وإنه لَكَذُوبٌ ، أَنَا المأْمُون » . ولما سمع : على خلقٍ لم تُلفِ أُمّاً ولا أباً عليه . قال : « أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمَّه » . قال : ثم كتب بجيرٌ إلى كعب يقول له : [من الطويل]

مَنْ مبلغ كعباً فهل لك في التي   تلـوم عليهـا بـاطـلاً وهـي أَحْـزَمُ
إلى الله لا العُزَّى ولا اللات وحده   فتنجـو إذا كـان النَّجـاءُ وتسلـمُ
لـدى يـومَ لا ينجـو وليس بمفلتٍ   مـن الناس إلا طاهـر القلب مسلمُ
فـديـن زهيـرٍ وهْـو لا شـيء دينـه   وديـن أبـي سُلمـى علـيَّ محـرَّمُ

قال : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوِّه ، وقالوا : هو مقتولٌ . فلما لم يجد من شيءٍ بدّاً قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوِّه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجلٍ ـ كانت بينه وبينه معرفةٌ ـ من جُهينة ، كما ذُكر لي ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ في صلاة الصبح ، فصلَّى مع رسول الله ﷺ ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله ، فقم إليه فاستأمنْه . فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ فجلس إليه ، ووضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهيرٍ قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . فقال : إذاً أنا يا رسول الله كعب بن زهيرٍ .

قال ابن إسحاق[(٣)] : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجلٌ من الأنصار ، فقال :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٥٠٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٣) .

يا رسول الله، دعني وعدوَّ الله أضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: « دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً ». قال: فغضب كعب بن زهيرٍ على هذا الحيِّ من الأنصار لما صنع به صاحبهم؛ وذلك أنه لم يتكلَّم فيه رجلٌ من المهاجرين إلا بخيرٍ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ(١): [من البسيط]

بانت سُعَادُ فقلبي اليوم متبولُ ... متيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مكبولُ
وما سُعاد غَدَاة البين إذ برزت ... إلا أغنُّ غَضِيضُ الطَّرف مكحولُ
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنَّه مُنهلٌ بالراح معلولُ
شجَّت بذي شبمٍ من ماء محنيةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمولُ
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غاديةٍ بيضٌ يعاليلُ
فيا لها خلَّةً لو أنَّها صَدَقَتْ ... بوعدها أو لوَ اَنَّ النُّصْحَ مقبول
لكنَّها خلَّةٌ قد سيط من دمها ... فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلُ
فما تدوم على حالٍ تكون بها ... كما تلوَّن في أثوابها الغولُ
وما تُمسِّك بالعهد الذي زعمت ... إلا كما يُمسك الماء الغرابيلُ
فلا يغرَّنْك ما منَّت وما وعدت ... إن الأمانيَّ والأحلام تضليلُ
كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيدها إلا الأباطيلُ
أرجو وآمُل أن يعجلنَ في أبدٍ ... وما لهن إخال الدَّهر تعجيلُ
أمست سُعَادُ بأرضٍ لا يبلِّغها ... إلا العِتاق النَّجيبات المراسيلُ
ولن يبلِّغها إلا عُذافرةٌ ... فيها على الأين إرقالٌ وتبغيلُ
من كل نضَّاخة الذِّفرى إذا عرِقت ... عُرضتُها طامس الأعلام مجهولُ
ترمي النِّجادَ بعيني مفردٍ لَهِقٍ ... إذا توقَّدت الحِزَّان والميلُ
ضخمٌ مقلَّدها فعمٌ مقيَّدها ... في خلقها عن بنات الفحل تفضيلُ
حرفٌ أخوها أبوها من مُهجَّنة ... وعمُّها خالها قوداء شمليلُ
يمشي القُراد عليها ثم يُزلقه ... منها لَبانٌ وأقرابٌ زهاليلُ
عَيرانةٌ قذفت بالنَّحض عن عُرضٍ ... مرفقها عن بنات الزَّور مفتولُ
قنواءُ في حرَّتيها للبصير بها ... عِتقٌ مبينٌ وفي الخدَّين تسهيلُ
كأنَّ ما فات عينيها ومذبحها ... من خطمها ومن اللَّحيين برطيلُ
تُمرُّ مثل عسيب النخل ذا خُصلٍ ... في غارزٍ لم تخوَّنْه الأحاليلُ

---

(١) الأبيات في « شرح ديوانه » ص(٦ ـ ٢٥).

تهوي على يسراتٍ وهي لاهيةٌ ذوابلٍ وقعهنَّ الأرض تحليلُ
[سمر العجايات يتركن الحصا زِيمَاً لم يقِهنَّ رؤوس الأُكم تنغيلُ]
يوماً يظلُّ به الحرباء مرتبئاً كأنَّ ضاحيه بالشمس مملولُ
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت وُرْق الجنادب يركضن الحصا قيلُوا
[كأنَّ أوب ذراعيها وقد عرقت وقد تلفَّع بالقُور العساقيلُ]
أوبَ يدَي فاقدٍ شمطاءَ مُعولةٍ قامت فجاوبها نُكدٌ مثاكيلُ
نوَّاحةٌ رخوة الضَّبعين ليس لها لما نعى بكرَها الناعون معقولُ
تفري اللَّبان بكفَّيها ومدرعها مشقَّقٌ عن تراقيها رعابيلُ
تسعى الغُواة جنابيها وقولهم إنَّك يا بن أبي سُلمى لمقتولُ
وقال كلُّ صديقٍ كنت آملهُ لا أُلهينَّك إنِّي عنك مشغولُ
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكمُ فكلُّ ما قدَّر الرحمن مفعولُ
كلُّ ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمولُ
نبِّئت أنَّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمولُ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ ـقرآن فيه مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخذنِّي بأقوال الوشاة ولم أُذنب ولو كثرت فيَّ الأقاويلُ
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به أرى وأسمع ما قد يسمع الفيلُ
لظلَّ تُرعد من وجدٍ بوادره إن لم يكن من رسول الله تنويلُ
حتى وضعتُ يميني ما أنازعه في كفِّ ذي نَقَماتٍ قوله القيلُ
فلهْو أخوف عندي إذ أكلِّمه وقيل إنَّك منسوبٌ ومسؤولُ
من ضيغمٍ بضرَاء الأرض مخدره في بطن عثَّر غِيلٌ دونه غيلُ
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما لحمٌ من الناس معفورٌ خراديلُ
إذا يساور قرناً لا يحلُّ له أن يترك القِرن إلا وهو مفلولُ
منه تظلُّ حمير الوحش نافرةً ولا تَمشَّى بواديه الأراجيلُ
ولا يزال بواديه أخو ثقةٍ مضرَّج البزِّ والدِّرسان مأكولُ
إن الرسول لنورٌ يستضاء به مهنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ
في عصبةٍ من قريشٍ قال قائلهم ببطن مكة لمَّا اسلموا زُولوا
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كشفٌ عند اللقاء ولا ميلٌ معازيلُ
يمشون مشيَ الجمال الزُّهر يعصمهم ضربٌ إذا عرَّد السُّود التَّنابيلُ

شُمُّ العرانين أبطالٌ لَبوسهمُ ... من نسج داود في الهيجا سرابيلُ
بيضٌ سوابغ قد شكَّت لها حلقٌ ... كأنها حَلَق القفعاء مجدولُ
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهمُ ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
لا يقع الطَّعن إلا في نحورهمُ ... وما لهم عن حياض الموت تهليلُ

هكذا أورد محمد بن إسحاق هذه القصيدة ، ولم يذكر لها إسناداً .

وقد رواها الحافظ البيهقيُّ في « دلائل النبوة »[١] بإسنادٍ متصلٍ ، فقال : أنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسديُّ بِهمْدان ، ثنا إبراهيم بن الحسين ، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزاميُّ ، ثنا الحجَّاج ابن ذي الرُّقيبة ـ بن عبد الرحمن ـ بن كعب بن زهير بن أبي سُلْمى ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : خرج كعبٌ وبجيرٌ ابنا زهيرٍ حتى أتيا أبرق العَزَّاف ، فقال بجيرٌ لكعبٍ : اثبت في هذا المكان حتى آتي ـ هذا الرجل ـ يعني رسول الله ﷺ ـ فأستمع ما يقول . فثبت كعبٌ ، وخرج بجيرٌ فجاء رسول الله ﷺ ، فعرض عليه الإسلام ، فبلغ ذلك كعباً فقال : [من الطويل]

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً ... على أي شيءٍ ويب غيرك دلَّكا
على خُلُقٍ لم نلف أمَّاً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويَّةٍ ... وأنهلك المأمون منها وعلَّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أَهْدَرَ دمه ، وقال : « مَنْ لَقِي كعباً فليقتله » . فكتب بذلك بجيرٌ إلى أخيه ، وذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ، ويقول له : النَّجاء وما أراك تنفلت . ثم كتب إليه بعد ذلك : اعلم أنَّ رسول الله ﷺ لا يأتيه أحدٌ يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فأسلم وأقبل . قال : فأسلم كعبٌ ، وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ، ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم ، متحلِّقون معه حلقةً خلف حلقةٍ ، يلتفت إلى هؤلاء مرةً فيحدِّثهم ، وإلى هؤلاء مرةً فيحدِّثهم . قال كعبٌ : فأنخت راحلتي بباب المسجد [ثم دخلت المسجد] فعرفت رسول الله ﷺ بالصِّفة ، فتخطَّيت حتى جلست إليه ، فأسلمت وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّك محمدٌ رسول الله ، الأمان يا رسول الله . قال : « ومن أنت ؟ » قلت : كعب بن زهيرٍ . قال : « الذي يقول » . ثم التفَتَ رسول الله ﷺ [إلى أبي بكرٍ] فقال : « كيف قال يا أبا بكرٍ ؟ » فأنشده أبو بكرٍ : [من الطويل]

سَقَاكَ أبو بكرٍ بكأسٍ رَوِيَّةٍ ... وأنهلك المأمور منها وعلَّكَا

---

(١) (٥/٢٠٧ـ٢٠٩) وما بين الحاصرتين في النقل زيادة منه ، وفي إسنادها ضعف .

قال : يا رسول الله ، ما قلتُ هكذا . قال : « فكيف قلت ؟ » قال : قلت : [من الطويل]

سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويّةٍ وأنهلك المأمونُ منها وعلّكا

فقال رسول الله ﷺ : « مأمونٌ والله » . ثم أنشده القصيدة كلَّها حتى أتى على آخرها ، وهي هذه القصيدة : [من البسيط]

بَانَتْ سُعَاد فقلبي اليوم متبولُ متَّيمٌ عندها لم يفد مكبولُ

وقد تقدَّم ما ذكرناه من الرَّمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقيِّ ، رحمهما الله عزَّ وجلَّ .

وذكر أبو عمر بن عبد البرِّ في كتاب « الاستيعاب »[1] أنَّ كعباً لمَّا انتهى إلى قوله :

إنَّ الرَّسولَ لنورٌ يُسْتَضَاءُ بهِ مهنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ
نُبِّئت أنَّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمولُ

قال : فأشار رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا .

وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في « مغازيه »[2] ولله الحمد والمِنَّة .

قلت : ورد في بعض الروايات أنَّ رسول الله ﷺ أعطاه بُرْدَتَهُ حين أنشده القصيدة . وقد نظم ذلك الصَّرصريُّ[3] في بعض مدائحه .

وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في « الغابة »[4] قال : وهي البُردة التي عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك في شيءٍ من هذه الكتب المشهورة بإسنادٍ أرتضيه ، فالله أعلم .

وقد روي أنَّ رسول الله ﷺ قال له ـ لمَّا قال : بانت سعاد ـ : « ومن سعاد ؟ » قال : زوجتي يا رسول الله ، قال : « لم تَبِنْ » ولكن لم يصحَّ ذلك ، وكأنَّه على ذلك توهَّم أنَّ بإسلامه تبين امرأته ، والظاهر أنَّه إنَّما أراد البينونة الحسِّيَّة لا الحكميَّة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٣/ ١٣١٤) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢١١) .
(٣) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الصَّرْصري أبو زكريا ، الشيخ العلاّمة القدوة ، كان إليه المنتهى في معرفة اللغة وحسن الشعر ، وديوانه ومدائحه سائرة . قتله التتار سنة (٦٥٦) حين دخلوا بغداد بعد أن قاومهم وقتل منهم عدداً كبيراً . انظر ترجمته ومصادرها في « شذرات الذهب » (٧/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) لابن العماد الحنبلي ، بتحقيقي .
(٤) انظر « أُسد الغابة » (٤/ ٤٧٧) .

قال ابن إسحاق[١] : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلمَّا قال كعبٌ ـ يعني في قصيدته ـ : إذا عرَّد السود التَّنابيل . وإنَّما يريدنا معشر الأنصار ؛ لما كان صاحبنا صنع به ، وخصَّ المهاجرين من قريشٍ بمِدحته ؛ غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلاءهم من رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن : [من الكامل]

مـن سَـرَّه كَـرَمُ الحيـاة فـلا يَـزَلْ ... فـي مِقْنَـبٍ مـن صـالحـي الأنصـارِ
ورثـوا المكـارم كـابـراً عـن كـابـرٍ ... إنَّ الخيــار هــمُ بنــو الأخيــارِ
المكــرِهيــن السَّمهــريَّ بــأذرعٍ ... كســوالــف الهنـديِّ غيـر قصـارِ
والنَّــاظــريــن بــأعيــنٍ محمــرَّةٍ ... كــالجمــر غيــر كليلــة الأبصــارِ
والبَــائعيــن نفــوسهــم لنبيِّهــم ... للمــوت يــوم تَعــانــقٍ وكــرارِ
والقــائـديـن النـاس عـن أديـانهـم ... بــالمشــرفــيِّ وبــالقنــا الخطَّــارِ
يتطهَّــرون يــرونــه نُسُكــاً لهــم ... بــدمــاء مــن علقــوا مــن الكفَّــارِ
دربــوا كمــا دربــت ببطــن خفيَّــةٍ ... غلب الرِّقاب من الأسود ضواري
وإذا حللــتَ ليمنعــوك إليهــمُ ... أصبحــت عنــد معــاقــل الأغفــارِ
ضــربــوا عليًّــا يــوم بــدرٍ ضــربــةً ... دَانَــتْ لــوقعتهــا جميــع نــزارِ
لــو يعلــم الأقــوام علمــيَ كلَّــه ... فيهــم لصــدَّقنــي الــذيــن أُمــاري
قــومٌ إذا خــوت النجــوم فــإنهــم ... للطَّــارقيــن النَّــازليــن مقــاري

قال ابن هشام[٢] : ويقال : إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد : « لولا ذكرت الأنصار بخيرٍ ، فإنهم لذلك أهلٌ » . فقال كعبٌ هذه الأبيات ، وهي في قصيدةٍ له .

قال : وبلغني عن عليِّ بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ في المسجد : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول .

وقد رواه الحافظ البيهقيُّ[٣] بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزاميِّ ، حدَّثني معن بن عيسى ، حدَّثني محمد بن عبد الرحمن الأوقص ، عن ابن جدعان ، فذكره ، وهو مرسلٌ .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البرِّ ، رحمه الله ، في كتاب « الاستيعاب في معرفة الأصحاب »[٤] بعد

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٥) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١١) .
(٤) (٣/ ١٣١٣) .

ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهيرٍ إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهيرٍ شاعراً مجوِّداً كثير الشعر مقدَّماً في طبقته هو وأخوه بُجيرٌ ، وكعبٌ أشعرهما ، وأبوهما زهيرٌ فوقهما ، ومما يستجاد من شعر كعب بن زهيرٍ قوله : [من البسيط]

لو كنت أَعْجَبُ من شيءٍ لأعجبني سَعْيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يُدركها فالنفس واحدةٌ والهمُّ منتشر

والمرء ما عاش ممدودٌ له أملٌ لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

ثم أورد له ابن عبد البرِّ أشعاراً كثيرةً يطول ذكرها ولم يؤرِّخ وفاته ، وكذا لم يؤرِّخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب « الغابة في معرفة الصحابة »[١] ولكن حكى أن أباه توفِّي قبل المبعث بسنةٍ ، فالله أعلم .

وقال السهيليُّ[٢] : ومما أجاد فيه كعبُ بن زهيرٍ قوله يمدح رسول الله ﷺ : [من البسيط]

تجري به النَّاقةُ الأدماء مُعتجراً بالبُرد كالبَدر جلَّى ليلة الظُّلم

ففي عطافيه أو أثناء بُردته ما يعلم الله من دينٍ ومن كرمِ

* * *

فصل

فيما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمانٍ والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوالٍ غزوة هوازن بحُنينٍ ، وبعدها كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجِعْرَانة في ذي القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة .

قال الواقديُّ[٣] : رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لليالٍ بقين من ذي الحجَّة في سفرته هذه .

قال الواقديُّ : وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفرٍ وعمروٍ ابني الجُلَنْدى[٤]

(١) انظر « أسد الغابة » (٧/ ٣٠٤) .
(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٣٠٤) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٩٥) .
(٤) انظر « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ص(٩٦ ـ ١٠٠) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب . قال : وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضَّحَّاك بن سفيان الكلابيِّ في ذي القعدة ، فاستعاذت منه ﷺ ، ففارقها ، وقيل : بل خيَّرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال : وفي ذي الحِجَّة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية ، فاشتدَّت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً ، وكانت قابلتها فيه سَلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فخرجت إلى أبي رافعٍ فأخبرته فذهب فبشَّر به رسولَ الله ﷺ فأعطاه مملوكاً ، ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عديٍّ بن النجار، وزوجها البراء بن أوس بن خالد ابن الجعد بن عوف بن مبذولٍ . وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع . وقد قدَّمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزَّى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف ، وذلك لخمسٍ بقين من رمضان منها .

قال الواقديُّ : وفيها كان هدم سُواعٍ الذي كانت تعبده هذيلٌ برُهاطٍ ، هدمه عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، ولم يجد في خزانته شيئاً . وفيها هُدم مناة بالمشلَّل ، وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه ، هدمه سعد بن زيدٍ الأشهليُّ ، رضي الله عنه .

وقد ذكرنا من هذا فصلاً مفيداً مبسوطاً في تفسير « سورة النجم »[1] عند قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٩ـ٢٠] .

قلت : وقد ذكر البخاريُّ بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذي كانت تعبده ويسمُّونه الكعبة اليمانية مضاهيةً للكعبة التي بمكة ، ويسمُّون التي بمكة الكعبة الشاميَّة ، ولتلك الكعبة اليمانية .

فقال البخاريُّ[2] : ثنا يوسف بن موسى ، ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ ، عن قيسٍ ، عن جريرٍ قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا تريحني من ذي الخلصة ؟ » فقلت : بلى . فانطلقت في خمسين ومئة فارسٍ من أحمس ، وكانوا أصحاب خيلٍ ، وكنت لا أثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فضرب يده في صدري حتى رأيت أثر يده على صدري ، وقال : « اللهم ثبِّته واجعله هادياً مهدياً » . قال : فما وقعت عن فرسٍ بعدُ . قال : وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعمٍ وبجيلة ، فيه نصبٌ تعبد ، يقال له : الكعبة اليمانية . قال : فأتاها فحرَّقها في النار وكسرها . قال : فلما قدم جريرٌ اليمن كان بها رجلٌ يستقسم بالأزلام ، فقيل له : إن رسول رسول الله ﷺ هاهنا ، فإن قدر عليك ضرب عنقك . قال : فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير ، فقال : لَتكسرنَّها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربنَّ عنقك . فكسرها وشهد . ثم بعث جريرٌ رجلاً من أحمس يكنَّى أبا أرطاة إلى النبيِّ ﷺ يبشره بذلك ، قال : فلما

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٧/ ٤٣٠) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٣٥٧) .

أتى رسولَ الله ﷺ قال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحقِّ ما جئت حتى تركتها كأنها جملٌ أجرب . قال : فبرَّك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مراتٍ .

ورواه مسلمٌ[١] من طرقٍ متعددةٍ ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ ، عن قيس بن أبي حازمٍ ، عن جرير بن عبد الله البجليِّ بنحوه .

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٧٦) (١٣٧) .

سنة تسع من الهجرة

ذكر
غزوة تبُوك(١) في رجبٍ منها

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٨ ـ ٢٩] .

روي عن ابن عباسٍ ، ومجاهدٍ ، وعِكْرِمَة ، وسعيد بن جُبيرٍ ، وقتادة ، والضَّحَّاك وغيرهم ، أنه لما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قُربان المسجد الحرام في الحجِّ وغيره قالت قريشٌ : لينقطعنَّ عنا المتاجر والأسواق أيام الحجِّ ، وليذهبنَّ ما كنا نُصيب منها ، فعوَّضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يُسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

قلت : فعزم رسول الله ﷺ على قتال الرُّوم ؛ لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدّعوة إلى الحقِّ ؛ لقربهم إلى الإسلام وأهله .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

فلما عزم رسول الله ﷺ على غزو الرُّوم عام تَبُوك ـ وكان ذلك في حرٍّ شديدٍ وضيق من الحال ـ جلَّى للناس أمرها ودعا من حوله من أحياء الأعراب للخروج معه ، فأوعب معه بشرٌ كثيرٌ ، كما سيأتي ، قريباً من ثلاثين ألفاً ، وتخلَّف آخرون ، فعاتب الله من تخلَّف منهم لغير عذرٍ من المنافقين والمقصِّرين ، ولامهم ووبَّخهم وقرَّعهم أشدَّ التَّقريع ، وفضحهم أشدَّ الفضيحة ، وأنزل فيهم قرآناً يُتلى وبيَّن أمرهم في

---

(١) انظر أخبارها في « الاكتفا بمغازي الرسول والثلاثة الخلفا » و« الروض الأنف » (٧/ ٣٠٤) و« عيون الأثر » (٢/ ٢٩٢) و« زاد المعاد » (٣/ ٤٦٠) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(٢١٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٨) بتحقيقي .

سورة « براءةٌ » كما قد بيَّنَّا ذلك مبسوطاً في « التفسير »(١) وأمر المؤمنين بالنَّفْر على كلِّ حالٍ . فقال تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ثم الآيات بعدها [التوبة : ٤١ـ٤٢] .

ثم قال تعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] . فقيل : إن هذه ناسخةٌ لتلك . وقيل : لا ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق(٢) : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحِجَّة إلى رجبٍ يعني من سنة تسعٍ ثم أمر الناس بالتهيُّؤ لغزو الروم . فذكر الزهريُّ ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكرٍ ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ يحدِّث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدِّث ما لم يحدِّث بعضٌ ، أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عُسْرةٍ من الناس وشدةٍ من الحرِّ وجدبٍ من البلاد ، وحين طابت الثمار ، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشُّخوص في الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قلَّما يخرج في غزوة إلا كنَّى عنها إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيَّنها للناس ، لبعد المشقة وشدة الزمان وكثرة العدوِّ الذي يصمد إليه ليتأهب الناس لذلك أُهبته ، فأمرهم بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم ، فقال رسول الله ﷺ ذات يومٍ وهو في جَهازه ذلك ، للجدِّ بن قيسٍ أحد بني سِلمة : « يا جدُّ ، هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ » فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتنِّي ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجلٌ بأشد عجباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : « قد أذنت لك » . ففي الجدِّ أنزل الله هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة : ٤٩] .

وقال قومٌ من المنافقين بعضهم لبعضٍ : لا تنفروا في الحرِّ ، زهادةً في الجهاد وشكّاً في الحقِّ وإرجافاً بالرسول ﷺ ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة : ٨١ـ٨٢] .

قال ابن هشام(٣) : حدثني الثقة ، عمَّن حدَّثه ، عن محمد بن طلحةَ بن عبد الرحمن ، عن إسحاق بن

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ٩٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق (٢/ ٥١٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٥١٧) .

إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيلم اليهوديِّ ـ وكان بيته عند جاسوم ـ يثبِّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفرٍ من أصحابه ، وأمره أن يحرِّق عليهم بيت سُوَيْلم ، ففعل طلحة ، فاقتحم الضَّحَّاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا ، فقال الضَّحَّاك في ذلك :

[من الطويل]

كــادَت وبيــتِ الله نــارُ محمــدٍ ... يشيـط بهـا الضَّحَّـاكُ وابـن أُبيـرقِ

وظلْت وقـد طبَّقـت كبس سَويلـم ... أنـوء على رجلـي كسيـراً ومـرفقـي

سـلامٌ عليكـم لا أعـودُ لمثلهـا ... أخاف ومـن تشمـل بـه النار يُحـرقِ

قال ابن إسحاق[١] : ثم إن رسول الله ﷺ جدَّ في سفره وأمر الناس بالجَهاز والانكماش ، وحضَّ أهل الغنى على النفقة والحُملان في سبيل الله ، فحمل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفَّان نفقةً عظيمةً لم ينفق أحدٌ مثلها .

قال ابن هشام[٢] : فحدَّثني من أثق به أن عثمان أنفق في جيش العُسْرَة في غزوة تبوك ألف دينارٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « اللّهُمَّ ارض عن عثمان ، فإني عنه راضٍ » .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا هارون بن معروفٍ ، ثنا ضمرة ، ثنا عبد الله بن شَوذبٍ ، عن عبد الله بن القاسم ، عن كثيرٍ مولى عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان بن عَفَّان إلى النبيِّ ﷺ بألف دينارٍ في ثوبه حين جهَّز النبيُّ ﷺ جيش العسرة . قال : فصبَّها في حجر النبيِّ ، فجعل النبيُّ ﷺ يقلِّبها بيده ، ويقول : « ما ضرَّ ابنَ عَفَّان ما عمل بعد اليوم » .

ورواه الترمذيُّ[٤] ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الحسن بن واقعٍ ، عن ضمرة به . وقال : حسنٌ غريبٌ .

وقاله عبد الله بن أحمد في « مسند » أبيه[٥] : حدَّثني أبو موسى العنزيُّ ، حدَّثنا عبد الصَّمد بن عبد الوارث ، حدَّثني سكن بن المغيرة ، حدَّثني الوليد بن أبي هشامٍ ، عن فرقدٍ أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن خَبَّابٍ السُّلميِّ قال : خطب النبيُّ ﷺ فحثَّ على جيش العسرة ، فقال عثمان بن عفان : عليَّ مئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها . قال : ثم نزل مرقاةً من المنبر ثم حثَّ ، فقال عثمان : عليَّ مئةٌ أخرى

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥١٧ ـ ٥١٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥١٨) .
(٣) في « المسند » (٥/٦٣) ، وإسناده حسن .
(٤) رواه الترمذي رقم (٣٧٠١) .
(٥) انظر « أطراف المسند » (٤/٢٥٧) .

بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يُحَرِّكها ، وأخرج عبد الصَّمَد يده ، كالمتعجِّب : « ما على عثمان ما عمل بعد هذا » .

وهكذا رواه الترمذيُّ[١] ، عن محمد بن بشار ، عن أبي داود الطيالسي ، عن سكن بن المغيرة أبي محمد مولى لآل عثمان به . وقال : غريبٌ من هذا الوجه .

ورواه البيهقيُّ[٢] ، من طريق عمرو بن مرزوقٍ ، عن سكن بن المغيرة به . وقال : ثلاث مراتٍ ، وإنه التزم بثلاثمئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها . قال عبد الرحمن : فأنا شهدت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « ما ضرَّ عثمان بعدها » . أو قال : « بعد اليوم » .

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ[٣] : حدَّثنا أبو عَوَانة ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن جاوان ، عن الأحنف بن قيسٍ قال : سمعت عثمان بن عفَّان يقول لسعد بن أبي وقّاصٍ وعليٍّ والزُّبير وطلحة : أَنشُدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من جهَّز جيش العسرة غفر الله له » فجهَّزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً . قالوا : اللهم نعم .

ورواه النسائيُّ[٤] من حديث حصينٍ به .

* * *

فصلٌ

فيمن تخلَّف معذوراً من البكَّائين وغيرهم

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ

(١) رواه الترمذي رقم (٣٧٠٠) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١٤) .
(٣) رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » رقم (٨٢) بتحقيق الدكتور محمد عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، وقد أطال في تخريجه فليراجع .
(٤) رواه النسائي رقم (٣٦٠٨) ، وهو حديث صحيح .

لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٨٦-٩٣] . قد تكلَّمنا على تفسير هذا كله في « التفسير »[١] بما فيه كفايةٌ ، ولله الحمد والمِنَّة .

والمقصود ذكر البكّائين الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ليحملهم ، حتى يصحبوه في غزوته هذه ، فلم يجدوا عنده من الظَّهر ما يحملهم عليه ، فرجعوا وهم يبكون ؛ تأسُّفاً على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله ، والنَّفقة فيه .

قال ابن إسحاق[٢] : وكانوا سبعة من الأنصار وغيرهم ؛ فمن بني عمرو بن عوفٍ سالم بن عميرٍ ، وعُلبة بن زيدٍ أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعبٍ أخو بني مازن بن النَّجّار ، وعمرو بن الحُمَام بن الجَمُوح أخو بني سلِمة ، وعبد الله بن المغفَّل المزنيُّ ، وبعض الناس يقولون : بل هو عبد الله بن عمروٍ المزنيُّ . وهرَميُّ بن عبد الله أخو بني واقفٍ ، وعرباض بن سارية الفَزَاريُّ .

قال ابن إسحاق[٣] : فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعبٍ النَّضريَّ لقي أبا ليلى ، وعبد الله بن مغفَّلٍ وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوَّى به على الخروج معه . فأعطاهما ناضحاً له فارتحلاه ، وزوَّدهما شيئاً من تمرٍ ، فخرجا مع النبيِّ ﷺ . زاد يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق : وأمَّا عُلبة بن زيدٍ فخرج من الليل ، فصلى من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغَّبت فيه ، ثم لم تجعل عندي ما أتقوَّى به . ولم تجعل في يد رسولك ﷺ ما يحملني عليه ، وإني أتصدَّق على كلِّ مسلمٍ بكلِّ مظلمةٍ أصابني فيها ؛ في مالٍ أو جسدٍ أو عرضٍ . ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « أين المتصدِّق هذه الليلة ؟ » فلم يقم أحدٌ ، ثم قال : « أين المتصدِّق ؟ فليقم » . فقام إليه فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ : « أبشر ، فوالذي نفسي بيده ، لقد كُتبت في الزكاة المتقبَّلة » .

وقد أورد الحافظ البيهقيُّ[٤] هاهنا حديث أبي موسى الأشعريِّ ، فقال : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثيُّ ، حدَّثنا أبو أسامة ، عن بُريدٍ ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله لهم الحُملان ، إذ هم معه في جيش العُسْرَة ، وهو في غزوة تبوك ، فقلت : يا نبيَّ الله ، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم ، فقال : « والله لا أحملكم على شيءٍ » . ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ، فرجعت حزيناً من منع

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » (٤/ ١٣٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٨) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١٦) .

رسول الله ، ومن مخافة أن يكون رسول الله قد وجد في نفسه عليَّ ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال رسول الله ﷺ ، فلم ألبث إلا سُوَيعةً إذ سمعت بلالاً ينادي : أين عبد الله بن قيسٍ ؟ فأجبته فقال : أجب ، رسولُ الله ﷺ يدعوك . فلمَّا أتيت رسول الله ﷺ قال : « خذ هذين القرينين وهذين القرينين وهذين القرينين » . لستة أبعرةٍ ابتاعهنَّ حينئذٍ من سعدٍ ، فقال : « انطلق بهنَّ إلى أصحابك ، فقل : إن الله ـ أو قال : إنَّ رسول الله ـ يحملكم على هؤلاء ، فاركبوهم » فقلتُ : إن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ حين سألته لكم ، ومنعه لي في أول مرةٍ ، ثم إعطاءه إياي بعد ذلك ، لا تظنُّوا أنِّي حدَّثتكم شيئاً لم يقله . فقالوا لي : والله إنَّك عندنا لمصدَّقٌ ولنفعلنَّ ما أحببت . قال : فانطلق أبو موسى بنفرٍ منهم ، حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله ﷺ من منعه إياهم ، ثم إعطائه بعد ، فحدَّثوهم بما حدَّثهم به أبو موسى سواءً . وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[(١)] جميعاً ، عن أبي كريبٍ ، عن أبي أسامة . وفي روايةٍ لهما[(٢)] ، عن أبي موسى قال : أتيت رسول الله في رهطٍ من الأشعريِّين ليحملنا ، فقال : « والله ما أحملكم ، وما عندي ما أحملكم عليه » . قال : ثم جيء رسولُ الله ﷺ بنهب إبلٍ ، فأمر لنا بستِّ ذودٍ غرِّ الذُّرى ، فأخذناها ، ثم قلنا : تغفَّلنا رسول الله ﷺ يمينه ، والله لا يبارك لنا . فرجعنا له فقال : « ما أنا حملتكم ، ولكنَّ الله حملكم » . ثم قال : « إنِّي والله ، إن شاء الله ، لا أحلف على يمينٍ فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خيرٌ وتحلَّلتها » .

قال ابن إسحاق[(٣)] : وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأتْ بهم النِّيَّة حتى تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ من غير شكٍّ ولا ارتيابٍ ؛ منهم كعب بن مالك بن أبي كعبٍ أخو بني سلِمة ، ومرارة بن ربيعٍ أخو بني عمرو بن عوفٍ ، وهلال بن أمية أخو بني واقفٍ ، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوفٍ ، وكانوا نفر صدقٍ لا يُتَّهمون في إسلامهم .

قلت : أما الثلاثة الأول فستأتي قصتهم مبسوطة قريباً ، إن شاء الله تعالى ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة : ١١٨] .

وأما أبو خيثمة ، فإنَّه عاد وعزم على اللُّحوق برسول الله ﷺ ، كما سيأتي .

* * *

(١) رواه البخاري رقم (٤٤١٥) ومسلم (١٦٤٩) (٨) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣١٣٣) ومسلم (١٦٤٩) (٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٩) .

فصـــلٌ

قال يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق[١] : ثم استتبَّ برسول الله ﷺ سفره وأجمع السير ، فلما خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع ، ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس ، وضرب عبد الله بن أُبيٍّ عدوُّ الله عسكره أسفل منه ، وما كان فيما يزعمون بأقلِّ العسكرين ، فلما سار رسول الله ﷺ تخلَّف عنه عبد الله بن أُبيٍّ في طائفةٍ من المنافقين وأهل الرَّيب .

قال ابن هشامٍ[٢] : واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاريَّ . قال : وذكر الدَّراورديُّ أنه استخلف عليها عام تبوك سِبَاع بن عُرْفُطَة .

قال ابن إسحاق[٣] : وخلَّف رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ على أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلَّفه إلا استثقالاً له وتخفُّفاً منه . فلما قالوا ذلك أخذ عليٌّ سلاحه ، ثم خرج حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازلٌ بالجرف ، فأخبره بما قالوا فقال : « كذبوا ولكنِّي خلَّفتك لما تركتُ ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا عليُّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبيَّ بعدي ؟ » فرجع عليٌّ ، ومضى رسول الله ﷺ في سفره .

ثم قال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقّاصٍ ، عن أبيه سعدٍ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ هذه المقالة .

وقد روى البخاريُّ ومسلمٌ[٥] هذا الحديث من طريق شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاصٍ ، عن أبيه به .

وقد قال أبو داود الطَّيالسيُّ في « مسنده »[٦] : حدَّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مصعب بن سعدٍ ، عن أبيه قال : خلَّف رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله ، أتخلِّفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي ؟ » وأخرجاه من طرقٍ ، عن شعبة نحوه . وعلَّقه البخاريُّ أيضاً من طريق أبي داود ، عن شعبة .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/٢١٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥١٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥١٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٢٠) .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٧٠٦) ومسلم رقم (٢٤٠٤) .
(٦) رقم (٢٠٦) بتحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، وقد أطال في تخريجه فليراجع .

وقال الإمام أحمد[(١)] : حدَّثنا قُتيبة بن سعيدٍ ، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن بكير بن مسمارٍ ، عن عامرِ بن سعدٍ ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول له وخلَّفه في بعض مغازيه ، فقال عليٌّ : يا رسول الله ، تخلِّفني مع النساء والصبيان ؟ فقال : « يا عليُّ ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي ؟ » ورواه مسلمٌ ، والترمذيُّ[(٢)] ، عن قتيبة ، زاد مسلمٌ : ومحمد بن عبَّادٍ ، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه .

قال ابن إسحاق[(٣)] : ثم إن أبا خيثمة رجع بعدما سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حارٍّ ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه ، قد رشَّت كلُّ واحدةٍ منهما عريشها ، وبرَّدت له فيه ماءً ، وهيَّأت له فيه طعاماً ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسولُ الله ﷺ في الضِّحِّ والريح والحرِّ ، وأبو خيثمة في ظلٍّ باردٍ وطعامٍ مُهيَّأٍ وامرأةٍ حسناء ، في ماله مقيمٌ ! ما هذا بالنَّصَف . والله لا أدخل عريش واحدةٍ منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيِّئا زاداً . ففعلتا ، ثم قدَّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهبٍ الجمحيُّ في الطريق يطلب رسول الله ﷺ فترافقا ، حتى إذا دنَوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهبٍ : إنَّ لي ذنباً فلا عليك أن تخلَّف عني حتى آتي رسول الله ﷺ . ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ قال الناس : هذا راكبٌ على الطريق مقبلٌ . فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا خيثمة » . فقالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيثمة . فلما بلغ أقبل فسلَّم على رسول الله ﷺ ، فقال له : « أولى لك يا أبا خيثمة ! » . ثم أخبر رسول الله الخبر ، فقال خيراً ، ودعا له بخيرٍ .

وقد ذكر عُرْوَة بن الزُّبير ، وموسى بن عُقْبَة قصة أبي خيثمة بنحوٍ من سياق محمد بن إسحاق وأبسط ، وذكر أن خروجه ، عليه السلام ، إلى تبوك كان في زمن الخريف . فالله أعلم .

قال ابن هشامٍ[(٤)] : وقال أبو خيثمة ، واسمه مالك بن قيسٍ ، في ذلك : [من الطويل]

لمَّا رأيتُ الناس في الدِّين نافقوا ... أَتَيْتُ التي كانت أَعَفَّ وأكرمَا
وبايعتُ باليمنى يدي لمحمدٍ ... فلم أكتسب إثماً ولم أغشَ محرمَا
تركت خضيباً في العريش وصِرمةً ... صَفايا كِراماً بُسْرُهَا قد تحمَّمَا
وكنتُ إذا شكَّ المُنافق أَسمَحَتْ ... إلى الدِّين نفسي شطرَه حيث يمَّما

---

(١) في « المسند » (١/ ١٨٥) .
(٢) رواه مسلم في « صحيحه » رقم (٢٤٠٤) ، والترمذي رقم (٣٧٢٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢١) .

قال يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان ، عن محمد بن كعبٍ القرظيِّ ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : لمَّا سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلَّف ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلَّف فلانٌ . فيقول : « دعوه ، إن يك فيه خيرٌ فسيُلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » . حتى قيل : يا رسول الله ، تخلَّف أبو ذرٍّ وأبطأ به بعيره . فقال : « دعوه ، إن يك فيه خيرٌ فسيُلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » . فتلَّوم أبو ذرٍّ بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ، ثم خرج يتَّبع رسول الله ﷺ ماشياً ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله ، ونظر ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل ماشٍ على الطريق . فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا ذرٍّ » . فلما تأمَّله القوم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذرٍّ . فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا ذرٍّ ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . قال : فضرب الدَّهر من ضربه ، وسُيِّر أبو ذرٍّ إلى الرَّبذة ، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال : إذا متُّ فاغسلاني وكفِّناني من الليل ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأوَّل ركبٍ يمرُّون بكم فقولوا : هذا أبو ذرٍّ . فلما مات فعلوا به كذلك ، فاطَّلع ركبٌ ، فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريره ، فإذا ابن مسعودٍ في رهطٍ من أهل الكوفة فقال : ما هذا ؟ فقيل : جنازة أبي ذرٍّ . فاستهلَّ ابن مسعودٍ يبكي ، وقال : صدق رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا ذرٍّ يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . فنزل فوليه بنفسه حتى أجنَّه . إسناده حسنٌ ، ولم يُخرِّجوه[1] .

قال الإمام أحمد[2] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيلٍ في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة : ١١٧] . قال : خرجوا في غزوة تبوك ، الرجلان والثلاثة على بعيرٍ واحدٍ ، وخرجوا في حرٍّ شديدٍ ، فأصابهم في يومٍ عطشٌ حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عسرةً في الماء وعسرةً في النفقة وعسرةً في الظَّهر .

قال عبد الله بن وهبٍ : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلالٍ ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبيرٍ ، عن عبد الله بن عباسٍ أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدِّثنا عن شأن ساعة العسرة . فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قيظٍ شديدٍ ، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطشٌ حتى ظننَّا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرَّحْل فلا يرجع حتى يظنَّ أن رقبته ستنقطع ، حتى إنَّ الرجل لينحر بعيره

---

(١) هذا اجتهاده رحمه الله في تحسين الحديث ، فالحديث إسناده ضعيف لضعف بريدة بن سفيان الأسلمي ، ضعّفه البخاري والنسائي والجوزجاني وأبو حاتم الرازي ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال العقيلي : سئل أحمد عن حديثه فقال : بلية ! (كما بيناه في « تحرير تقريب التهذيب ١/ ١٦٨) ولعل هذا هو الذي دعاهم إلى عدم تخريجه . قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : وفي السيرة النبوية لابن إسحاق بسند ضعيف .

(٢) رواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٢٧) ، وهو في « تفسير عبد الرزاق » مرسلاً .

فيعتصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده ، فقال أبو بكرٍ الصديق : يا رسول الله ، إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً ، فادع الله لنا . فقال : « أتحبُّ ذلك ؟ » قال : نعم . قال : فرفع يديه نحو السماء ، فلم يرجعهما حتى قالت السماء ، فأظلَّت ثم سكبت ، فملؤوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر . إسناده جيدٌ ، ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد ذكر ابن إسحاق[١] ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجالٍ من قومه أن هذه القضيَّة كانت وهم بالحجر ، وأنَّهم قالوا لرجلٍ معهم منافقٍ : ويحك! هل بعد هذا من شيءٍ ؟! فقال : سحابةٌ مارَّةٌ . وذكر أن ناقة رسول الله ﷺ ضلَّت ، فذهبوا في طلبها ، فقال رسول الله ﷺ لعمارة بن حزمٍ الأنصاريِّ ـ وكان عنده ـ : « إن رجلاً قال : هذا محمدٌ يخبركم أنه نبيٌّ ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته . وإني والله ما أعلم إلا ما علَّمني الله ، وقد دلَّني الله عليها ، هي في الوادي قد حبستْها شجرةٌ بزمامها » . فانطلقوا فجاؤوا بها فرجع عمارة إلى رحله ، فحدَّثهم عما جاء رسولَ الله ﷺ من خبر الرجل ، فقال رجلٌ ممن كان في رحل عمارة : إنما قال ذلك زيد بن اللُّصَيت ، وكان في رحل عمارة قبل أن يأتيَ ، فأقبل عمارة على زيدٍ يجأ في عنقه ويقول : إن في رحلي لداهيةً وأنا لا أدري ، اخرج عني يا عدوَّ الله . فلا تصحبني . فقال بعض الناس : إن زيداً تاب . وقال بعضهم : لم يزل مصرّاً حتى هلك .

قال الحافظ البيهقيُّ[٢] : وقد روينا من حديث ابن مسعودٍ شبيهاً بقصة الراحلة . ثم روى من حديث الأعمش ، وقد رواه الإمام أحمد[٣] ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرة ، أو عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ـ شكَّ الأعمش ـ قال : لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعةٌ ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذنت لنا فننحر نواضحنا ، فأكلنا وادَّهنَّا . فقال رسول الله ﷺ : « افعلوا » . فجاء عمر فقال : يا رسول الله ، إن فعلتَ قلَّ الظَّهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، وادع الله لهم فيها بالبركة ، لعل الله أن يجعل فيها البركة . فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . فدعا بنِطْعٍ فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكفِّ ذُرةٍ ، ويجيء الآخر بكفٍّ من التمر ، ويجيء الآخر بكسرةٍ حتى اجتمع على النِّطَع من ذلك شيءٌ يسيرٌ ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال لهم : « خذوا في أوعيتكم » . فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلةٌ ، فقال رسول الله ﷺ : «أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله ، لا يلقى الله بها عبدٌ غير شاكٍّ فيحجب عن الجنة» .

ورواه مسلمٌ[٤] ، عن أبي كُرَيبٍ ، عن أبي مُعَاوية ، عن الأعمش به .

---

(١) ورواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣١) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣٢) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١١) .
(٤) في « صحيحه » (٢٧) (٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه الإمام أحمد[١] من حديث سهيل بن أبي صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة . ولم يذكر غزوة تبوك ، بل قال : كان في غزوةٍ غزاها .

ذكر
مروره ﷺ في ذهابه إلى تبوك
بمساكن ثمود وصرحتهم بالحِجْرِ

قال ابن إسحاق[٢] : وقد كان رسول الله ﷺ حين مرَّ بالحِجر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا من مياهها شيئاً ، ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجينٍ عجنتموه فأعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً » . هكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسنادٍ .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا يعمر بن بشرٍ ، حدَّثنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ أخبرنا معمرٌ ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ لمَّا مرَّ بالحِجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ؛ أن يصيبكم ما أصابهم » . وتقنَّع بردائه وهو على الرَّحل .

ورواه البخاريُّ[٤] من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق ، كلاهما عن معمرٍ بإسناده نحوه .

وقال مالكٌ[٥] ، عن عبد الله بن دينارٍ ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم » . ورواه البخاريُّ[٦] من حديث مالكٍ ومن حديث سليمان بن بلالٍ، كلاهما عن عبد الله بن دينارٍ .

ورواه مسلمٌ[٧] من وجهٍ آخر ، عن عبد الله بن دينارٍ نحوه .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا صخرٌ ـ هو ابن جويرية ـ عن نافعٍ ، عن ابن عمر

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٢١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢١) .
(٣) في « المسند » (٢/ ٦٦) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٣٨٠) و(٤٤١٩) .
(٥) ورواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣٣) .
(٦) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٣٣) و(٤٤٢٠) و(٤٧٠٢) من حديث مالك ، و(٣٣٧٨) من حديث سليمان بن بلال .
(٧) في « صحيحه » رقم (٢٩٨٠) .
(٨) في « المسند » (٢/ ١١٧) .

قال : نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك الحِجر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم ، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور ، وعلفوا العجين الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال : « إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم » . وهذا الحديث إسناده على شرط « الصحيحين » من هذا الوجه ، ولم يخرجوه ، وإنما أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[١] من حديث أنس بن عياضٍ أبي ضَمْرَة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر به . قال البخاريُّ : وتابعه أسامة ، عن نافعٍ .

ورواه مسلمٌ[٢] من حديث شعيب بن إسحاق ، عن عبيد الله ، عن نافعٍ به .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا معمرٌ ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيمٍ ، عن أبي الزبير ، عن جابرٍ قال : لما مرَّ النبيُّ ﷺ بالحجر قال : « لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قوم صالحٍ ، فكانت ترد من هذا الفجِّ ، وتصدر من هذا الفجِّ ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها ، فأخذتهم صيحةٌ أهمد الله من تحت أديم السماء منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله » . قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : « هو أبو رِغالٍ ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه » . إسناده صحيحٌ ، ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسعوديُّ ، عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماريِّ ، عن أبيه قال : لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحِجر يدخلون عليهم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنودي في الناس : الصلاةَ جامعةً . قال : فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسكٌ بعيره وهو يقول : « ما تدخلون على قومٍ غضب الله عليهم ؟ » فناداه رجلٌ منهم : نعجب منهم [يا رسول الله] . قال : « أفلا أنبِّئكم بأعجب من ذلك ؟ رجلٌ من أنفسكم ينبِّئكم بما كان قبلكم وما هو كائنٌ بعدكم ، فاستقيموا وسدِّدوا ، فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً ، وسيأتي قومٌ لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً » . إسناده حسنٌ ، ولم يخرجوه .

وقال يونس بن بكيرٍ[٥] ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزمٍ عن العباس بن سهل بن سعدٍ الساعديِّ ـ أو عن العباس ، [عن سهل] بن سعدٍ ، الشكُّ منِّي ـ أن رسول الله ﷺ حين مرَّ

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٧٩) ومسلم رقم (٢٩٨١) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٨١) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٦) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٣١) ، وإسناده ضعيف .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤٠) .

بالحجر ونزلها استقى الناس من بئرها ، فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ للناس : « لا تشربوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضَّؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجينٍ عجنتموه فأعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنَّ أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحبٌ له » . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلا رجلين من بني ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيرٍ له ؛ فأما الذي ذهب لحاجته ، فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره ، فاحتملته الريح حتى ألقته بجبلي طيِّئٍ ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : « ألم أنهكم أن يخرج رجلٌ إلا ومعه صاحبٌ له ؟ » ثم دعا للذي أُصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله ﷺ [حين قدم] من تبوك ـ وفي رواية زيادٍ ، عن ابن إسحاق أن طيِّئاً أهدته إلى رسول الله ﷺ حين رجع إلى المدينة ـ قال ابن إسحاق : وقد حدَّثني عبد الله بن أبي بكرٍ أن العباس بن سهلٍ سمَّى له الرجلين ، لكنه استكتمه إيَّاهما ، فلم يحدِّثني بهما .

وقد قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا وهيب بن خالدٍ ، ثنا عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعدٍ الساعديِّ ، عن أبي حميدٍ الساعديِّ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك حتى جئنا وادي القرى ، فإذا امرأةٌ في حديقةٍ لها فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « اخرصوا » . فخرص القوم وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسقٍ ، وقال رسول الله ﷺ للمرأة : « أحصي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله » . قال : فخرج حتى قدم تبوك ، فقال رسول الله ﷺ : « إنها ستهبُّ عليكم الليلة ريحٌ شديدةٌ ، فلا يقومنَّ فيها رجلٌ ، فمن كان له بعيرٌ فليوثق عقاله » . قال أبو حميدٍ : فعقلناها ، فلما كان من الليل ، هبَّت علينا ريحٌ شديدةٌ ، فقام فيها رجلٌ فألقته في جبل طيِّئٍ ، ثم جاء رسول الله ملك أيلة ، فأهدى لرسول الله بغلةً بيضاء ، وكساه رسول الله برداً ، وكتب له ببحرهم ، ثم أقبل وأقبلنا معه ، حتى جئنا وادي القرى ، فقال للمرأة : « كم جاءت حديقتكِ ؟ » قالت : عشرة أوسقٍ ، خرصَ رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « إني متعجِّلٌ ، فمن أحبَّ منكم أن يتعجَّل فليفعل » . قال : فخرج رسول الله وخرجنا معه ، حتى إذا أوفى على المدينة ، قال : « هذه طابة » . فلما رأى أُحداً قال : « هذا أحدٌ ، يحبُّنا ونحبُّه ، ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « خير دور الأنصار بنو النجّار ، ثم دار بني عبد الأشهل ، ثم دار بني ساعدة ، ثم في كلِّ دور الأنصار خيرٌ » .

وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ(٢) من غير وجهٍ عن عمرو بن يحيى به نحوه .

وقال الإمام مالكٌ(٣) ، رحمه الله ، عن أبي الزُّبير ، عن أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، أن معاذ بن جبلٍ

---

(١) في « المسند » (٥/ ٤٢٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (١٤٨١) و(١٨٧٢) و(٣١٦١) و(٣٧٩١) و(٤٤٢٢) ومسلم رقم (١٣٩٢) .
(٣) رواه مالك في « الموطأ » (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤) .

أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك ، فكان يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء . قال : فأخَّر الصلاة يوماً ، ثم خرج فصلَّى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ، ثم خرج فصلَّى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال : « إنكم ستأتون غداً ، إن شاء الله ، عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمسَّ من مائها شيئاً حتى آتيَ » . قال : فجئناها وقد سبق إليها رجلان ، والعين مثل الشراك تبضُّ بشيءٍ من ماءٍ ، فسألهما رسول الله ﷺ : « هل مسستما من مائها شيئاً ؟ » قالا : نعم . فسبَّهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيءٍ ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماءٍ كثيرٍ ، فاستقى الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ ، يوشك إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً » .

وأخرجه مسلمٌ[١] من حديث مالكٍ به .

***

ذكر

خطبته ، عليه الصلاة والسلام ، في تبوك إلى نخلةٍ هناك

روى الإمام أحمد[٢] ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، ويونس بن محمدٍ المؤدِّب ، وحجَّاج بن محمدٍ ، ثلاثتهم عن اللّيث بن سعدٍ ، عن يزيد بن أبي حبيبٍ ، عن أبي الخير ، عن أبي الخطاب ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنه قال : إن رسول الله ﷺ عام تبوك خطب الناس وهو مسندٌ ظهره إلى نخلةٍ فقال : « ألا أخبركم بخير الناس وشرِّ الناس ؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه ، أو على ظهر بعيره ، أو على قدميه ، حتى يأتيَه الموت ، وإنَّ من شرِّ الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيءٍ منه » . ورواه النسائي[٣] ، عن قتيبة ، عن الليث به . وقال : أبو الخطاب لا أعرفه .

وروى البيهقيُّ[٤] من طريق يعقوب بن محمدٍ الزُّهريِّ ، عن عبد العزيز بن عمران ، حدَّثنا عبد الله بن مصعب بن منظور بن جَميل بن سنانٍ ، أخبرني أبي ، سمعت عقبة بن عامرٍ الجهنيَّ يقول : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فاسترقد رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قِيد رمحٍ ، قال :

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٠٦) (١٠) في الفضائل : باب من معجزات النبي ﷺ .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٧) و(٣/ ٤١) و(٣/ ٥٧) .
(٣) رواه النسائي رقم (٣١٠٦) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤١) .

«ألم أقل لك يا بلال: اكلأ لنا الفجر؟» فقال: يا رسول الله، ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك . قال: فانتقل رسول الله ﷺ من منزله غير بعيدٍ، ثم صلّى وسار بقية يومه وليلته ، فأصبح بتبوك ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أيها الناس ، أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرى كلمة التَّقوى، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السُّنن سنة محمدٍ ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدي هدي الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدي ما اتُّبع، وشرُّ العمى عمى القلب ، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفْلَى ، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى ، وشرَّ المعذرة حين يحضر الموت ، وشرَّ النَّدامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دُبْراً ، ومن الناس من لا يذكر الله إلا هَجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذّاب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، عز وجل، وخير ما وقر في القلوب اليقين ، والارتياب من الكفر ، والنِّياحة من عمل الجاهليَّة ، والغلول من جثى جهنم ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حبائل الشيطان ، والشباب شعبةٌ من الجنون ، وشرَّ المكاسب كسب الرِّبا ، وشرَّ المآكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره، والشقيَّ من شقي في بطن أمِّه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرعٍ، والأمر إلى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشرَّ الرَّوايا روايا الكذب ، وكلَّ ما هو آتٍ قريبٌ ، وسِباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفرٌ ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألَّ على الله يكذبه ، ومن يستغفره يغفر له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم يأجره الله ، ومن يصبر على الرَّزيَّة يعوِّضه الله ، ومن يبتغ السُّمعة يسمِّع الله به . ومن يصبر يضعِّف الله له ، ومن يعص الله يعذِّبه الله ، اللهمَّ اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهمَّ اغفر لي ولأمتي » . قالها ثلاثاً ، ثم قال : « أستغفر الله لي ولكم » . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وفيه نكارةٌ ، وفي إسناده ضعفٌ ، والله تعالى أعلم بالصواب .

وقال أبو داود(١) : ثنا أحمد بن سعيدٍ الهَمدانيُّ ، وسليمان بن داود قالا : أخبرنا ابن وهبٍ ، أخبرني معاوية ، عن سعيد بن غَزْوَان ، عن أبيه أنه نزل بتبوك وهو حاجٌّ ، فإذا رجلٌ مقعدٌ ، فسأله عن أمره فقال : سأحدِّثك حديثاً ، فلا تحدِّث به ما سمعت أنِّي حيٌّ ؛ إنَّ رسول الله ﷺ نزل بتبوك إلى نخلةٍ فقال : « هذه قبلتنا » . ثم صلَّى إليها . قال : فأقبلتُ وأنا غلامٌ أسعى ، حتى مررت بينه وبينها ، فقال : « قطع صلاتنا قطع الله أثره » . قال : فما قمت عليها إلى يومي هذا .

ثم رواه أبو داود(٢) من حديث سعيدٍ بن عبد العزيز التَّنوخيِّ ، عن مولى ليزيد بن نمران ، عن يزيد بن

(١) رواه أبو داود رقم (٧٠٧) ، وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أبو داود رقم (٧٠٥) ، وإسناده ضعيف .

نمران قال : رأيت بتبوك مُقعداً فقال : مررت بين يدي رسول الله ﷺ وأنا على حمارٍ ، وهو يصلِّي ، فقال : « اللهم اقطع أثره » .

فما مَشَيت عليها بعدُ .

وفي رواية : « قطع صلاتنا قطع الله أثره »[١] .

***

ذكر
الصَّلَاة على مُعَاوية بن مُعَاوية[٢]
إن صحَّ الخبر في ذلك

روى البيهقيُّ[٣] من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا العلاء أبو محمد الثقفيُّ قال : سمعت أنس بن مالكٍ قال : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاعٍ ونورٍ لم أرها طلعت فيما مضى ، فأتى جبريل رسول الله فقال : « يا جبريل ، ما لي أرى الشمس اليوم طلعت بضياءٍ ونورٍ وشعاعٍ لم أرها طلعت فيما مضى ؟ » قال : ذلك أن معاوية بن معاوية الليثيَّ مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملكٍ يصلُّون عليه . قال : « وممَّ ذاك ؟ » قال : بكثرة قراءته ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص : ١] بالليل والنهار ، وفي ممشاه وفي قيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلِّي عليه ؟ قال : « نعم » . فصلَّى عليه ثم رجع . وهذا الحديث فيه غرابةٌ شديدةٌ ونكارةٌ ، والناس يسندون أمره إلى العلاء بن زيدٍ هذا ، وقد تكلَّموا فيه .

ثم قال البيهقيُّ[٤] : أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيدٍ الصَّفَّار ، حدَّثنا هشام بن عليٍّ ، أخبرنا عثمان بن الهيثم ، حدَّثنا محبوب بن هلالٍ ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنسٍ قال : جاء جبريل فقال : يا محمد ، مات معاوية بن مُعَاوية المُزَنيُّ ، أفتحبُّ أن تصلي عليه ؟ قال : « نعم » . فضرب بجناحه ، فلم يبق من شجرةٍ ولا أكَمةٍ إلا تضعضعت له . قال : فصلَّى وخلفه صفَّان من الملائكة ، في كل صفٍّ سبعون ألف ملكٍ . قال : قلت : « يا جبريل ، بم نال هذه المنزلة من الله ؟ » قال : بحبّه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يقرؤها قائماً وقاعداً ، وذاهباً وجائياً ، وعلى كلِّ حالٍ . قال عثمان :

---

(١) وهي عند أبي داود رقم (٧٠٦) وهي ضعيفة .
(٢) ترجمته في « تجريد أسماء الصحابة » (٢/ ٨٣) و« الإصابة في تمييز الصحابة » (٣/ ٤٣٦) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤٥) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤٦) .

فسألت أبي : أين كان النبيُّ ﷺ ؟ قال : بغزوة تبوك بالشام ، ومات معاوية بالمدينة ، ورفع له سريره حتى نظر إليه وصلَّى عليه ، وهذا أيضاً منكرٌ من هذا الوجه .

* * *

قدوم رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ بتبوك

قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا إسحاق بن عيسى ، حدَّثنا يحيى بن سُلَيم ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشدٍ قال : لقيت التَّنوخيَّ رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص ، وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ الفنَد أو قُرب . فقلت : ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل ؟ فقال : بلى ، قدم رسول الله ﷺ تبوك ، فبعث دحية الكلبيَّ إلى هرقل ، فلما جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قسِّيسي الرُّوم وبطارقتها ، ثم أغلق عليه وعليهم الدار ، فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل إليَّ يدعوني إلى ثلاث خصالٍ ؛ يدعوني إلى أن أتَّبعه على دينه ، أو على أن نعطيَه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقي إليه الحرب ، والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب ليأخذنَّ [ما تحت قدميَّ] فهلمَّ فلنتبّعه على دينه أو نعطه مالنا على أرضنا . فنخروا نخرة رجلٍ واحدٍ حتى خرجوا من برانسهم ، وقالوا : تدعونا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابيٍّ جاء من الحجاز ؟ فلما ظنَّ أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفَأهم ولم يكد ، وقال : إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم . ثم دعا رجلاً من عرب تُجيب كان على نصارى العرب ، قال : ادع لي رجلاً حافظاً للحديث عربيَّ اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه . فجاء بي فدفع إليَّ هرقل كتاباً ، فقال : اذهب بكتابي إلى هذا الرجل ، فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصالٍ ؛ انظر هل يذكر صحيفته التى كتب إليَّ بشيءٍ ، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل ، وانظر في ظهره هل به شيءٌ يريبك . قال : فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك ، فإذا هو جالسٌ بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل : ها هو ذا . فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي ، فوضعه في حجره ثم قال : « ممن أنت ؟ » فقلت : أنا أخو تنوخ . قال : « هل لك إلى الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم ؟ » قلت : إني رسول قوم وعلى دين قوم ، لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم . فضحك وقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] يا أخا تنوخ ، إني كتبت بكتابٍ إلى كسرى فمزَّقه ، واللهُ ممزِّقه وممزِّقٌ ملكه ، وكتبت إلى النجاشيِّ بصحيفةٍ فخرَّقها ، واللهُ مُخَرِّقه ، ومُخَرِّقٌ مُلكه ، وكتبتَ إلى صاحبك بصحيفةٍ فأمسكها ، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خيرٌ » . قلت :

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) ، وإسناده ضعيف ، سعيد بن أبي راشد فيه جهالة .

هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي . فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي ، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره ، قلت : من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم ؟ قالوا : معاوية . فإذا في كتاب صاحبي : تدعوني إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض أُعدَّت للمتقين ، فأين النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله ! أين الليل إذا جاء النهار ؟! » قال : فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي . فلما أن فرغ من قراءة كتابي ، قال : « إن لك حقاً وإنك رسول ، فلو وجدتَ عندنا جائزةً جوَّزناك بها ، إنَّا سَفْرٌ مرملون » . قال : فناداه رجلٌ من طائفة الناس ، قال : أنا أجوِّزه . ففتح رحله ، فإذا هو يأتي بحلةٍ صفُّوريَّةٍ فوضعها في حَجري ، قلت : من صاحب الجائزة ؟ قيل لي : عثمان . ثم قال رسول الله : « أيُّكم ينزل هذا الرجل ؟ » فقال فتى من الأنصار : أنا . فقام الأنصاريُّ وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله فقال : « تعال يا أخا تنوخ » . فأقبلت أهوي إليه حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه ، فحلَّ حُبوته عن ظهره ، وقال : « هاهنا امض لما أمرت به » . فجُلت في ظهره ، فإذا أنا بخاتمٍ في موضع غضون الكتف مثل الحَجمة الضخمة . هذا حديثٌ غريبٌ ، وإسناده لا بأس به ، تفرَّد به الإمام أحمد .

***

ذكر

مصالحته ، عليه الصلاة والسلام ، مَلِكَ أَيْلَة وأهل جَرْبَاء وأَذْرُحَ وهو مُخَيِّمٌ على تَبُوكَ قبل رجوعه

قال ابن إسحاق[1] : ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن رُؤبة صاحب أَيلة ، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم ، فكتب ليُحَنَّة بن رُؤبة وأهل أيلة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمنةٌ من الله ومحمدٍ النبيِّ رسول الله ليُحَنَّة بن رؤبة وأهل أيلة ، سُفنهم وسيَّارتهم في البرِّ والبحر ، لهم ذمَّة الله ومحمدٍ النبيِّ ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحلُّ أن يمنعوه ماءً يرِدونه ولا طريقاً يردونه من برٍّ أو بحرٍ » .

زاد يونس بن بكيرٍ[2] ، عن ابن إسحاق بعد هذا : وهذا كتابُ جُهيم بن الصَّلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٥) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٤٨) .

قال يونس ، عن ابن إسحاق[١] : وكتب لأهل جرباء وأذرح : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمدٍ النبيِّ رسول الله لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمدٍ ، وأن عليهم مئة دينارٍ في كلِّ رجبٍ ، ومائة أوقيَّةٍ طَيِّبةٍ ، وأن الله عليهم كفيلٌ بالنُّصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين » . قال : وأعطى النبيُّ ﷺ أهل أيلة بُرده مع كتابه أماناً لهم . قال : فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمدٍ بثلاثمئة دينارٍ .

* * *

بَعْثُهُ ، عليه الصلاة والسلام ، خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دُومة

قال ابن إسحاق[٢] : ثم إنَّ رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دُومة ، وهو أُكَيدر بن عبد الملك ؛ رجلٌ من كِندة ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً . وقال رسول الله ﷺ لخالدٍ : « إنك ستجده يصيد البقر » . فخرج خالدٌ ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلةٍ مقمرةٍ صائفةٍ ، وهو على سطحٍ له ، ومعه امرأته ، وباتت البقر تحكُّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قطُّ ؟! قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأُسرج له . وركب معه نفرٌ من أهل بيته ، فيهم أخٌ له يقال له : حسَّان . فركب وخرجوا معه بمَطاردهم . فلمَّا خرجوا تلقَّتهم خيل النبيِّ ﷺ ، فأخذته وقتلوا أخاه ، وكان عليه قَباءٌ من ديباجٍ مخوَّصٌ بالذهب ، فاستلبه خالدٌ ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه . قال : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالكٍ قال : رأيت قَباء أُكيدرٍ حين قدم به على رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجَّبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذٍ في الجنة أحسن من هذا » .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم إن خالد بن الوليد لمَّا قدم بأكيدرٍ على رسول الله ﷺ حقن له دمه فصالحه على الجزية ، ثم خلَّى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجلٌ من بني طيِّئٍ ـ يقال له : بُجير بن بَجرة ـ في ذلك : [من الوافر]

تبارك سائق البقرات إنِّي ... رأيت الله يهدي كلَّ هاد
فمن يك حائداً عن ذي تبوكٍ ... فإنَّا قد أمرنا بالجهاد

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧) .

وقد حكى البيهقيُّ(١) أنَّ رسول الله ﷺ قال لهذا الشاعر : لا يفضض الله فاك » . فأتت عليه تسعون سنةً ما تحرَّك له فيها ضرسٌ ولا سنٌّ .

وقد روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، أنَّ رسول الله ﷺ بعث خالداً مرجعه من تبوك في أربعمائةٍ وعشرين فارساً إلى أكيدر دومة . فذكر نحو ما تقدَّم ، إلا أنَّه ماكَره حتى أنزله من الحصن ، وذكر أنَّه قدم مع أُكَيدر إلى رسول الله ﷺ ثمانمئةٍ من السَّبي ، وألف بعيرٍ ، وأربعمئة درعٍ ، وأربعمئة رُمحٍ ، وذكر أنَّه لمَّا سمع عظيم أيلة يُحَنَّة بن رؤبة بقضية أُكَيدر دومة أقبل قادماً على رسول الله ﷺ ليصالحه ، فاجتمعا عند رسول الله ﷺ بتبوك ، فالله أعلم .

وروى يونس بن بكيرٍ(٢) ، عن سعد بن أوسٍ ، عن بلال بن يحيى ، أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق كان على المهاجرين في غزوة دومة الجندل ، وخالد بن الوليد على الأعراب في غزوة دومة الجندل ، فالله أعلم .

***

فصلٌ

قال ابن إسحاق(٣) : فأقام رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلةً بتبوك لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة . قال : وكان في الطريق ماءٌ يخرج من وَشَلٍ ، يروي الراكب والراكبين والثلاثة ، بوادٍ يقال له : وادي المشقَّق . فقال رسول الله ﷺ : « من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقينَّ منه شيئاً حتى نأتيَه » . قال : فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقَوا ما فيه ، فلمَّا أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً ، فقال : « من سبقنا إلى هذا الماء ؟ » فقيل له : يا رسول الله ، فلانٌ وفلانٌ . فقال : « أوَ لم أنههم أن يستقوا منه حتى آتيَه ؟ » ثم لعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الوَشل ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصبَّ ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا بما شاء الله أن يدعوَ ، فانخرق من الماء ـ كما يقول من سمعه ـ ما إنَّ له حسّاً كحسِّ الصَّواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله ﷺ : « لئن بقيتم أو من بقي منكم ليسمعنَّ بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

قال ابن إسحاق(٤) : وحدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميُّ ، أنَّ عبد الله بن مسعودٍ كان يحدِّث قال : قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله في غزوة تبوك ، فرأيت شُعلةً من نارٍ في ناحية

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٥١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٥٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٧) .

العسكر ، فاتَّبعتها أنظر إليها . قال : فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمر ، وإذا عبد الله ذو البِجادين قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ في حفرته ، وأبو بكرٍ وعمر يدلِّيانه إليه ، وإذا هو يقول : « أدنيا إليَّ أخاكما » . فدلَّياه إليه ، فلمَّا هيَّأه لشقِّه قال : « اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه ، فارض عنه » . قال : يقول ابن مسعودٍ : يا ليتني كنت صاحب الحفرة .

قال ابن هشامٍ(١) : إنَّما سمِّي ذا البِجادين ، لأنَّه كان يريد الإسلام ، فمنعه قومه وضيَّقوا عليه ، حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بجادٌ ، وهو الكساء الغليظ ، فشقَّه باثنتين ، فأْتزر بواحدةٍ وارتدى بالأخرى ، ثم أتى رسول الله ﷺ ، فسمِّي ذا البِجادين .

قال ابن إسحاق(٢) : وذكر ابن شهابٍ الزهريُّ ، عن ابن أُكَيْمَة اللَّيثيِّ ، عن ابن أخي أبي رُهمٍ الغفاريِّ ، أنَّه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلةٍ معه ونحن بالأخضر ، وألقى الله عليَّ النُّعاس ، فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة النبيِّ ﷺ ، فيُفزعني دنوُّها منه ؛ مخافة أن أُصيب رجله في الغرز ، فطفقت أحوز راحلتي عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، فزاحمت راحلتي راحلته ورجله في الغرز ، فلم أستيقظ إلا بقوله : « حسِّ » . فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي . قال : « سر » . فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمَّن تخلَّف عنه من بني غفارٍ ، فأُخبره به ، فقال وهو يسألني : « ما فعل النَّفر الحُمر الطِّوال الثِّطاط الذين لا شعر في وجوههم ؟ » فحدَّثته بتخلُّفهم ، قال : « فما فعل النفَر السُّود الجعاد القصار ؟ » قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منَّا . قال : « بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشبكة شَدَخٍ » . فتذكَّرتهم في بني غفارٍ ، فلم أذكرهم ، حتى ذكرت أنَّهم رهطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهطٌ من أسلم حلفاء فينا . فقال رسول الله ﷺ : « ما منع أحد أولئك حين تخلَّف أن يحمل على بعيرٍ من إبله امرأً نشيطاً في سبيل الله ؟ إنَّ أعزَّ أهلي عليَّ أن يتخلَّف عني ؛ المهاجرون والأنصار وغفارٌ وأسلم » .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : لمَّا قفل رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة ، همَّ جماعةٌ من المنافقين بالفتك به ، وأن يطرحوه من رأس عَقَبةٍ في الطريق ، فأخبر بخبرهم ، فأمر الناس بالمسير من الوادي ، وصعِد هو العقبة ، وسلكها معه أولئك النفر وقد تلثَّموا ، وأمر رسول الله ﷺ عمار بن ياسرٍ وحُذَيفة بن اليمان أن يمشيا معه ، عمارٌ آخذٌ بزمام الناقة ، وحُذَيفة يسوقها ، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم قد غشوهم ، فغضب رسول الله ﷺ ، وأبصر حذيفة غضبه ، فرجع إليهم ومعه محجنٌ ، فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه ، فلما رأوا حذيفة ظنُّوا أن قد أظهر على

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٨) .

ما أضمروه من الأمر العظيم ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ ، فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ، ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ لحذيفة : « هل عرفت هؤلاء القوم ؟ » قال : ما عرفت إلا رواحلهم في ظلمة الليل حين غشِيتُهم . ثم قال : « علمتما ما كان من شأن هؤلاء الرَّكب ؟ » . قالا : لا . فأخبرهما بما كانوا تمالؤوا عليه ، وسمَّاهم لهما ، واستكتمهما ذلك ، فقالا : يا رسول الله ، أفلا تأمر بقتلهم ؟ فقال : « أكره أن يتحدَّث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه » .

وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة ، إلا أنَّه ذكر أنَّ النبيَّ ﷺ إنَّما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده ، وهذا هو الأشبه ، والله أعلم ، ويشهد له قول أبي الدَّرداء لعلقمة صاحب ابن مسعودٍ : أليس فيكم ـ يعني أهل الكوفة ـ صاحب السَّواد والوساد ؟ ـ يعني ابن مسعودٍ ـ أليس فيكم صاحب السرِّ الذي لا يعلمه غيره ؟ ـ يعني حذيفة ـ أليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان محمدٍ ﷺ ؟ ـ يعني عماراً . وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أنَّه قال لحذيفة : أقسمت عليك بالله ، أنا منهم ؟ قال : لا ولا أبرِّئ بعدك أحداً . يعني حتى لا يكون مفشياً سرَّ النبيِّ ﷺ .

قلت : وقد كانوا أربعة عشر رجلاً ، وقيل : كانوا اثني عشر رجلاً .

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له ، فأخبرهم رسول الله ﷺ بما كان من أمرهم وبما تمالؤوا عليه .

ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم ، قال : وفيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ [التوبة : ٧٤] .

وروى البيهقيُّ(١) من طريق محمد بن سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرَّة ، عن أبي البَختريِّ ، عن حذيفة بن اليمان قال : كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به ، وعمارٌ يسوق الناقة ـ أو أنا أسوق وعمارٌ يقود به ـ حتى إذا كنّا بالعقبة إذا أنا باثني عشر راكباً قد اعترضوه فيها . قال : فأنبهت رسول الله ﷺ ، فصرخ بهم فولَّوا مدبرين ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « هل عرفتم القوم ؟ » . قلنا : لا يا رسول الله ، قد كانوا متلثِّمين ، ولكنَّا قد عرفنا الرِّكاب . قال : « هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ » . قلنا : لا . قال : « أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة ، فيلقوه منها » . قلنا : يا رسول الله ، أو لا تبعث إلى عشائرهم ؛ حتى يبعث إليك كلُّ قومٍ برأس صاحبهم ؟ قال : « لا ، أكره أن تحدَّث العرب بينها أن محمداً قاتل بقومٍ ، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » . ثم قال : « اللهم ارمهم بالدُّبَيلة » . قلنا : يا رسول الله ، وما الدُّبيلة ؟ قال : « شهابٌ من نارٍ يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك » .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٠) .

وفي « صحيح مسلم »[١] من طريق شعبة ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن قيس بن عبادٍ قال : قلت لعمارٍ : أرأيتم صنيعكم هذا فيما كان من أمر عليٍّ ؛ أرأياً رأيتموه ، أم شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافَّةً ، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : « في أصحابي اثنا عشر منافقاً ، منهم ثمانيةٌ لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط » .

وفي رواية له[٢] من وجهٍ آخر عن قتادة : « إن في أمتي اثني عشر منافقاً ، لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط ، ثمانيةٌ منهم تكفيكهم الدُّبَيلة ؛ سراجٌ من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجُم من صدورهم » .

قال الحافظ البيهقيُّ[٣] : وروينا عن حُذَيفة أنَّهم كانوا أربعة عشر ، أو خمسة عشر ، وأشهد بالله أنَّ اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله ﷺ في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثةً أنَّهم قالوا : ما سمعنا المنادي ولا علمنا بما أراد .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في « مسنده »[٤] قال : حدثنا يزيد ـ هو ابن هارون ـ أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جُميع ، عن أبي الطُّفيل قال : لمَّا أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى : إنَّ رسول الله ﷺ آخذٌ بالعقبة ، فلا يأخذها أحدٌ . فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمارٌ ، إذ أقبل رهطٌ متلثِّمون على الرَّواحل ، فغشُوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ ، وأقبل عمارٌ يضرب وجوه الرَّواحل ، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة : « قُد[٥] قُد » . حتى هبط رسول الله ﷺ ، فلمَّا هبط نزل ورجع عمارٌ ، قال : « يا عَمَّار ، هل عرفت القوم ؟ » قال : قد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثِّمون . قال : « هل تدري ما أرادوا ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه » . قال : فسارَّ عمارٌ رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ فقال : نشدتك بالله ، كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر . فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر . قال : فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثةً قالوا : ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ، وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمارٌ : أشهد أن الاثني عشر الباقين حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد .

***

---

(١) رقم (٢٧٧٩) (٩) .
(٢) أي : للإمام مسلم وهي عنده رقم (٢٧٧٩) (١٠) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٦٢) .
(٤) (٥/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤) ، وإسناده حسن .
(٥) أي : أسرع .

قصة مسجد الضِّرَار

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٧ - ١١٠] .

وقد تكلَّمنا على تفسير ما يتعلَّق بهذه الآيات الكريمة في كتابنا « التفسير » بما فيه كفايةٌ(١) ، ولله الحمد .

وذكر ابن إسحاق(٢) كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهله ، وكيفية أمر رسول الله ﷺ بخرابه مرجعه من تبوك قبل دخوله المدينة . ومضمون ذلك ؛ أن طائفةً من المنافقين بنَوا صورة مسجدٍ قريباً من مسجد قباءٍ ، وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله ﷺ فيه ؛ حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد ، فعصم الله رسوله ﷺ من الصلاة فيه ؛ وذلك أنه كان على جناح سفرٍ إلى تبوك ، فلما رجع منها فنزل بذي أوانٍ - مكانٍ بينه وبين المدينة ساعةٌ - نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ الآية . أما قوله : ﴿ ضِرَارًا ﴾ . فلأنهم أرادوا مضاهاة مسجد قباءٍ ، ﴿ وَكُفْرًا ﴾ بالله لا للإيمان به ، ﴿ وَتَفْرِيقًۢا ﴾ للجماعة عن مسجد قباءٍ ، ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ وهو أبو عامرٍ الراهب الفاسق ، قبَّحه الله ، وذلك أنه لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأبى عليه ، ذهب إلى أهل مكة فاستنفرهم ، فجاؤوا عام أحدٍ ، فكان من أمرهم ما قدَّمناه ، فلما لم ينهض أمره ذهب إلى ملك الروم قيصر ؛ ليستنصره على رسول الله ﷺ ، وكان أبو عامرٍ على دين هرقل ممن تنصَّر معهم من العرب ، وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يعِدهم ويمنِّيهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، فكانت مكاتباته ورسله تفد إليهم كلَّ حينٍ ، فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة ، وباطنه دار حربٍ ومقرٌّ لمن يفد من عند أبي عامرٍ الراهب ، ومجمعٌ لمن هو على طريقتهم من المنافقين ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ ﴾ . أي الذين بنوه ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ ﴾ . أي ؛ إنما أردنا

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » (٤/١٤٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٢٩) .

بنائه الخير . قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ . ثم قال الله تعالى لرسوله : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ . فنهاه عن القيام فيه لئلا يقرِّر أمره ، ثم أمره وحثَّه على القيام في المسجد الذي أسِّس على التقوى من أول يومٍ ، وهو مسجد قباءٍ ، لما دل عليه السياق ، والأحاديث الواردة في الثناء على تطهير أهله مشيرةٌ إليه ، وما ثبت في « صحيح مسلم »[١] من أنه مسجد رسول الله ﷺ لا ينافي ما تقدَّم ؛ لأنه إذا كان مسجد قباءٍ أسِّس على التقوى من أول يومٍ ، فمسجد الرسول أولى بذلك وأحرى ، وأثبت في الفضل منه وأقوى ، وقد أشبعنا القول في ذلك في « التفسير » ولله الحمد .

والمقصود أن رسول الله ﷺ لما نزل بذي أَوانٍ ، دعا مالك بن الدُّخشم ومعن بن عديٍّ ـ أو أخاه عاصم بن عديٍّ ـ رضي الله عنهما ، فأمرهما أن يذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرِّقاه بالنار ، فذهبا فحرَّقاه بالنار ، وتفرَّق عنه أهله .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان الذين بنَوه اثني عشر رجلاً وهم ؛ خِذام بن خالدٍ وفي جنب داره كان بناء هذا المسجد ، وثعلبة بن حاطبٍ ، ومعتِّب بن قشيرٍ ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعبَّاد بن حنيفٍ أخو سهل بن حنيفٍ ، وجارية بن عامرٍ ، وابناه مجمِّعٌ وزيدٌ ، ونبتل بن الحارث ، وبَحزجٌ وهو إلى بني ضبيعة ، وبِجاد بن عثمان ، وهو من بني ضبيعة ، ووديعة بن ثابتٍ وهو إلى بني أميَّة .

قلت : وفي غزوة تبوك هذه صلَّى رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوفٍ صلاة الفجر ، أدرك معه الركعة الثانية منها ، وذلك أن رسول الله ﷺ ذهب يتوضَّأ ومعه المغيرة بن شعبة ، فأبطأ على الناس ، فأقيمت الصلاة ، فتقدَّم عبد الرحمن بن عوفٍ ، فلما سلَّم الناس أعظموا ما وقع ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « أحسنتم وأصبتم » وذلك فيما رواه البخاريُّ[٣] ، رحمه الله ، قائلاً : حدَّثنا .

[قدومه ﷺ المدينة]

وقال البخاريُّ[٤] : حدَّثنا أحمد بن محمدٍ ، حدَّثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة فقال : « إن بالمدينة أقواماً ، ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم » . فقالوا : يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟! قال : « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر » . تفرد به من هذا الوجه .

---

(١) رقم (١٣٩٨) في الحج : باب لا تشد الرحَّال إلا إلى ثلاثة مساجد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣٠) .
(٣) روى البخاري منه قصة الوضوء فقط رقم (٤٤٢١) وروى مسلم تاماً رقم (٢٧٤) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٤٢٣) .

وقال البخاريُّ[١] : حدَّثنا خالد بن مخلدٍ ، حدَّثنا سليمان ، حدَّثني عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعدٍ ، عن أبي حميدٍ قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال : « هذه طابة ، وهذا أحدٌ ؛ جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه » .

ورواه مسلمٌ[٢] ، من حديث سليمان بن بلالٍ به نحوه .

وقال البخاريُّ[٣] : حدَّثنا عبد الله بن محمدٍ ، حدَّثنا سفيان ، عن الزهريِّ ، عن السائب بن يزيد قال : أذكر أنِّي خرجت مع الصبيان نتلقَّى رسول الله ﷺ إلى ثنيَّة الوداع مقدمه من غزوة تبوك .

ورواه أبو داود والترمذيُّ[٤] من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال البيهقيُّ[٥] : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو عمرو بن مطرٍ ، سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة[٦] ، جعل النساء والصبيان والولائد يقلن : [من مجزوء الرمل]

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعِ
وجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا للهِ داعِ

قال البيهقيُّ[٧] : وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة ، لا أنه لما قدم المدينة من ثنيَّات الوَدَاع عند مقدمه من تبوك ، والله أعلم ، فذكرناه هاهنا أيضاً .

قال البخاريُّ[٨] ، رحمه الله :

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٤٢٢) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٣٩٢) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٤٢٧) .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢٧٧٩) والترمذي رقم (١٧١٨) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٦) وهو ما ذهب إليه ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢) وقال : « وبعض الرواة يهم في هذا ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة ، وهو وهم ظاهر ، لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام ، لا يراها القادم من مكَّة إلى المدينة ، ولا يمرُّ بها إلا إذا توجه إلى الشام ، فلما أشرف على المدينة قال : « هذه طابة ، وهذا أُحُد جبل يحبنا ونحبه » . وانظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص(٨٠ ـ ٨١) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله .
(٦) يعني من غزوة تبوك .
(٧) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٦) .
(٨) رواه البخاري رقم (٤٤١٨) .

حديث كعب بن مالكٍ
رضي الله عنه

حدَّثنا يحيى بن بكيرٍ ، حدَّثنا اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، أن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ـ وكان قائد كعبٍ من بنيه حين عمي ـ قال : سمعت كعب بن مالكٍ يحدِّث حين تخلَّف عن قصة تبوك ، قال كعبٌ : لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلَّفت في غزوة بدرٍ ، ولم يعاتَب أحدٌ تخلَّف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريشٍ ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوِّهم على غير ميعادٍ ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدرٍ ، وإن كانت بدرٌ أذكر في الناس منها ، كان من خبري أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسر حين تخلَّفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قطُّ ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله يريد غزوةً إلا ورَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله في حرٍّ شديدٍ ، واستقبل سفراً بعيداً ، ومفازاً ، وعدوّاً كثيراً ، فجلَّى للمسلمين أمرهم ؛ ليتأهبوا أُهبة غزوتهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثيرٌ ، ولا يجمعهم كتابٌ حافظٌ ـ يريد الدِّيوان ـ قال كعبٌ : فما رجلٌ يريد أن يتغيَّب إلا ظنَّ أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظِّلال ، وتجهَّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهَّز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادرٌ عليه . فلم يزل يتمادى بي ، حتى اشتد بالناس الجدُّ ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه ولم أقض من جَهازي شيئاً ، فقلت : أتجهَّز بعده بيومٍ أو يومين ، ثم ألحقهم . فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهَّز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن ارتحل فأدركهم ـ وليتني فعلت ـ فلم يقدَّر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم ، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموضاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالسٌ في القوم بتبوك : « ما فعل كعبٌ ؟ » فقال رجلٌ من بني سَلِمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، ونظره في عطفيه . فقال معاذ بن جبلٍ : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله ﷺ . قال كعب بن مالكٍ ، قال : فلما بلغني أنه توجَّه قافلاً ، حضرني همِّي ، وطفقت أتذكَّر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً ؟ واستعنت على ذلك بكلِّ ذي رأيٍ من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً ، زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيءٍ فيه كذبٌ ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً ، وكان إذا قدم من سفرٍ بدأ بالمسجد ، فيركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلَّفون فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً ، فقبل منهم

رسول الله ﷺ علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، عز وجل ، فجئته ، فلما سلَّمت عليه تبسَّم تبسُّم المغضب . ثم قال : « تعال » . فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : « ما خلَّفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ » فقلت : بلى ، إنِّي والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذرٍ ، ولقد أُعطيت جَدَلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عني ، لَيُوشِكَنَّ الله أن يسخطك عليَّ ، ولئن حدَّثتك حديث صدقٍ تجد عليَّ فيه ، إنِّي لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذرٍ ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر منِّي حين تخلَّفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك » . فقمت ، وثار رجالٌ من بني سَلِمة فاتَّبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلَّفون ، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك . فوالله ما زالوا يؤنِّبونني حتى هممت أن أرجع فأكذِّب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحدٌ ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العَمْريُّ ، وهلال بن أميَّة الواقفيُّ . فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوةٌ ، فمضيت حين ذكروهما لي . ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بين من تخلَّف عنه ، فاجتنَبنا الناس وتغيَّروا لنا ، حتى تنكَّرت في نفسي الأرض ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً ، فأما صاحباي فاستكانا ، وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلَدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ولا يكلِّمني أحدٌ ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا ؟ ثم أصلِّي قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس ، مَشيت حتى تسوَّرت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمِّي وأحبُّ الناس إليَّ ، فسلَّمت عليه ، فوالله ما ردَّ عليَّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أُنشُدك بالله هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي ، وتولَّيت حتى تسوَّرت الجدار . قال : وبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطيٌّ من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعامٍ يبيعه بالمدينة يقول : من يدلُّني على كعب بن مالكٍ ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من ملك غسَّان ، فإذا فيه : أمَّا بعد ، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضيعةٍ ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء . فتيمَّمت بها التَّنُّور فسجرته بها ، حتى إذا مضت أربعون ليلةً من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقلت : أطلِّقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فتكوني عندهم ، حتى يقضيَ الله في هذا الأمر . قال كعب :

فجاءت امرأة هلال بن أميَّة إلى رسول الله فقالت : يارسول الله ، إن هلال بن أميَّة شيخٌ ضائعٌ ليس له خادمٌ ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : « لا ، ولكن لا يقربك » . قالت : إنه والله ما به حركةٌ إلى شيءٍ ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أميَّة أن تخدُمه . فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجلٌ شابٌّ ! قال : فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ ، حتى كملت لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسول الله عن كلامنا ، فلما صلَّيت الفجر صبح خمسين ليلةً وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا ، فبينا أنا جالسٌ على الحال التي ذكر الله ، عز وجل ، قد ضاقت عليَّ نفسي ، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخٍ أوفى على جبل سَلعٍ بأعلى صوته : يا كعب بن مالكٍ ، أبشر . فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرجٌ ، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلَّى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشِّروننا ، وذهب قبل صاحبيَّ مبشِّرون ، وركض رجلٌ إليَّ فرساً ، وسعى ساعٍ من أسلم ، فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشِّرني ، نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فتلقَّاني الناس فوجاً فوجاً يهنِّئوني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك . قال كعبٌ : حتى دخلت المسجد ، فإذا برسول الله ﷺ جالسٌ حوله الناس ، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنَّأني ، والله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة . قال كعبٌ : فلما سلَّمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور : « أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمُّك » . قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : « لا ، بل من عند الله » . وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمرٍ ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله . قال رسول الله : « أمسك عليك بعض مالك ، فهو خيرٌ لك » . قلت : فإني أُمسك سهمي الذي بخيبر . فقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما نجَّاني بالصدق ، وإن من توبتي ألا أحدِّث إلا صدقاً ما بقيت . فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ، ما تعمَّدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، وأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٧ ـ ١١٩] . فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمةٍ قطُّ بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحدٍ : قال الله تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٩٥ ـ ٩٦] . قال

كعبٌ : وكنا تخلَّفنا أيُّها الثلاثة عن أَمْرِ أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ [التوبة : ١١٨] . ليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا من الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه .

وهكذا رواه مسلمٌ[(١)] ، من طريق الزهريِّ بنحوه .

وهكذا رواه محمد بن إسحاق[(٢)] ، عن الزهريِّ مثل سياق البخاريِّ ، وقد سقناه في « التفسير »[(٣)] من « مسند الإمام أحمد »[(٤)] ، وفيه زياداتٌ يسيرة ، ولله الحمد والمنَّة .

* * *

ذكر
أقوامٍ تخلَّفوا من العصاة غير هؤلاء

قال عليُّ بن طلحة الوالبيُّ ، عن ابن عباسٍ في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] . قال : كانوا عشرة رهطٍ تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوعه أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسواري المسجد ، وكان ممرُّ النبيِّ ﷺ إذا رجع من المسجد عليهم ، فلما مرَّ بهم رسول الله قال : « من هؤلاء ؟ » قالوا : أبو لبابة وأصحابٌ له ، تخلَّفوا عنك ، حتى تطلقهم وتعذرهم . قال : « وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله ، عز وجل ، هو الذي يطلقهم ، رغبوا عني ، وتخلَّفوا عن الغزو مع المسلمين » . فلما أن بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ . . . ﴾ . الآية . و ﴿ عَسَى ﴾ من الله واجبٌ ، فلما أُنزلت ، أرسل إليهم رسول الله فأطلقهم وعذرهم ، فجاؤوا بأموالهم وقالوا : يا رسول الله ، هذه أموالنا فتصدَّق بها عنا ، واستغفر لنا . فقال : « ما أُمرت أن آخذ أموالكم » . فأنزل الله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣ ـ ١٠٦] . وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسواري فأرجئوا ، حتى نزل قوله تعالى :

---

(١) رقم (٢٧٦٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣١) .
(٣) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ١٦٥) .
(٤) (٣/ ٤٥٧ ـ ٤٥٩) ، وإسناده صحيح .

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ . . . ﴾ إلى آخرها [التوبة : ١١٧ ـ ١١٨] .

وكذا رواه عطية بن سعدٍ العوفيُّ ، عن ابن عباسٍ بنحوه .

وقد ذكر سعيد بن المسيَّب ومجاهدٌ ومحمد بن إسحاق[١] قصة أبي لبابة وما كان من أمره يوم بني قريظة ، وربطه نفسه حتى تيب عليه ، ثم إنه تخلَّف عن غزوة تبوك ، فربط نفسه أيضاً حتى تاب الله عليه ، وأراد أن ينخلع من ماله كلِّه صدقةً ، فقال له رسول الله ﷺ : « يكفيك من ذلك الثُّلث » . قال مجاهدٌ وابن إسحاق : وفيه نزل : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ . . . ﴾ الآية . قال سعيد بن المسيَّب : ثم لم يُر منه بعد ذلك في الإسلام إلا خيرٌ ، رضي الله عنه وأرضاه .

قلت : ولعل هؤلاء الثلاثة لم يذكروا معه بقية أصحابه ، واقتصروا على أنه كان كالزعيم لهم ، كما دلَّ عليه سياق ابن عباسٍ ، والله أعلم .

وروى البيهقيُّ[٢] من طريق أبي أحمد الزبيريِّ عن سفيان الثوريِّ ، عن سلمة بن كهيلٍ ، عن عياض بن عياضٍ ، عن أبيه ، عن أبي مسعودٍ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « إنَّ منكم منافقين ، فمن سَمَّيتُ فليقم ، قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان » . حتى عدَّ ستةً وثلاثين ، ثم قال : « إن فيكم ـ أو إن منكم ـ منافقين فسلوا الله العافية » . قال : فمرَّ عمر برجلٍ متقنِّعٍ ، وقد كان بينه وبينه معرفةٌ ، فقال : ما شأنك ؟ فأخبره بما قال رسول الله ﷺ ، فقال : بُعداً لك سائر اليوم .

قلت : كان المتخلِّفون عن غزوة تبوك أربعة أقسامٍ ؛ مأمورون مأجورون كعليِّ بن أبي طالبٍ ومحمد بن مسلمة وابن أمِّ مكتومٍ ، ومعذورون وهم الضعفاء والمرضى والمقلُّون وهم البكَّاؤون ، وعصاةٌ مذنبون وهم الثلاثة وأبو لبابة وأصحابه المذكورون ، وآخرون ملومون مذمومون وهم المنافقون .

* * *

ذكر

ما كان من الحوادث بعد رجوعه ﷺ إلى المدينة منصرفه من تبوك

قال الحافظ البيهقيُّ[٣] : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا أبو البختريِّ عبد الله بن [محمد بن] شاكرٍ ، حدَّثنا زكريا بن يحيى ، حدَّثنا عمُّ أبي زَحر بن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٦) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٨٣) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٧) .

حصنٍ ، عن جدِّه حميد بن منهبٍ قال : سمعت جدي خُرَيم بن أوس بن حارثة بن لامٍ يقول : هاجرت إلى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله ، إني أريد أن أمتدحك . فقال رسول الله ﷺ : « لا يفضض الله فاك » . فقال : [من المنسرح]

مِنْ قَبْلِها طِبْتَ في الظِّلالِ وفي ... مُسْتَوْدَعٍ حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ ... أنتَ ولا مُضغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطفةٌ تَركَبُ السَّفينَ وقد ... أَلْجَم نَسْراً وأهلَه الغَرَقُ
تُنْقَلُ مِن صالبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضَى عالَمٌ بدَا طَبَقُ
حتى احتوى بيتَك المهيمنُ مِن ... خِنْدِفَ عَلْياءَ تحتَها النُّطُقُ
وأنت لمَّا وُلِدْتَ أشْرَقَت الأرْ ... ضُ وضاءتْ بنورِكَ الأُفُقُ
فنحن في ذلك الضياءِ وفي النو ... ر وسُبْلِ الرشادِ نَخْتَرِقُ

ورواه البيهقيُّ[(١)] من طريقٍ أخرى ، عن أبي السُّكين زكريا بن يحيى الطائيِّ ، وهو في جزءٍ له مرويٍّ عنه .

قال البيهقيُّ : وزاد : ثم قال رسول الله ﷺ : « هذه الحِيرة البيضاء رُفعت لي ، وهذه الشَّيماء بنت بُقيلة الأزدية على بغلةٍ شهباء معتجرةً بخمارٍ أسود » . فقلت : يا رسول الله ، إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها كما تصف فهي لي ؟ قال : « هي لك » . قال : ثُمَّ كانت الرِّدَّة ، فما ارتد أحدٌ من طيءٍ ، وكنا نقاتل من يلينا من العرب على الإسلام ، فكنا نقاتل قيساً وفيها عيينة بن حصنٍ ، وكنا نقاتل بني أسدٍ وفيهم طليحة بن خويلدٍ ، وكان خالد بن الوليد يمدحنا ، وكان فيما قال فينا : [من الطويل]

جزَى الله عَنَّا طيِّئاً في ديارِها ... بمُعْتَرَكِ الأبطالِ خيرَ جزاءِ
همُ أهلُ راياتِ السَّماحةِ والنَّدَى ... إذا ما الصَّبَا أَلْوَتْ بكلِّ خِباءِ
همُ ضرَبوا قَيْسَاً على الدِّينِ بعدَما ... أجابوا مُنادي ظلمةٍ وعَماءِ

قال : ثم سار خالد إلى مُسَيْلِمَة الكَذَّاب فسرنا معه ، فلما فرغنا من مسيلمة أقبلنا إلى ناحية البصرة ، فلقينا هرمز بكاظمةَ في جيشٍ هو أكبر من جمعنا ، ولم يكن أحدٌ من الناس أعدى للعرب والإسلام من هرمز ، فخرج إليه خالدٌ ودعاه إلى البِراز ، فبرز له فقتله خالدٌ ، وكتب بخبره إلى الصديق ، فنفَّله سلبه ، فبلغت قلنسوة هرمز مائة ألف درهم ، وكانت الفرس إذا شَرُف فيها الرجل جعلت قلنسوته بمئة ألف درهم . قال : ثم أقبلنا على طريق الطَّفِّ إلى الحيرة ، فأول من تلقَّانا حين دخلناها الشَّيماء بنت بقيلة ، كما قال رسول الله ﷺ : « على بغلةٍ شهباء معتجرةً بخمارٍ أسود » . فتعلَّقت بها وقلت : هذه وهبها لي

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٨) .

رسول الله ﷺ . فدعاني خالدٌ عليها بالبينة ، فأتيته بها ، وكانت البينة محمد بن مسلمة ومحمد بن بَشِيرٍ الأنصاريَّ ، فسلَّمها إليَّ ، فنزل إليَّ أخوها عبد المسيح يريد الصلح ، فقال : بِعنيها . فقلت : لا أنقصها والله عن عشر مئة درهمٍ . فأعطاني ألف درهمٍ ، وسلَّمتها إليه ، فقيل : لو قلت مئة ألفٍ لدفعها إليك . فقلت : ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مئةٍ .

***

قدوم وفد ثقيفٍ على رسول الله ﷺ
في رمضان من سنة تسعٍ

تقدم أن رسول الله ﷺ لما ارتحل عن ثقيفٍ سئل أن يدعوَ عليهم فدعا لهم بالهداية ، وقد تقدم أن رسول الله ﷺ حين أسلم مالك بن عوفٍ النَّصريُّ أنعم عليه وأعطاه ، وجعله أميراً على من أسلم من قومه ، فكان يغزو بلاد ثقيفٍ ويضيِّق عليهم ، حتى ألجأهم إلى الدخول في الإسلام ، وتقدم أيضاً فيما رواه أبو داود ، عن صخر بن العيلة الأحمسيِّ أنه لم يزل بثقيفٍ حتى أنزلهم من حصنهم على حكم رسول الله ﷺ ، فأقبل بهم إلى المدينة النبوية بإذن رسول الله ﷺ له في ذلك .

قال ابن إسحاق(١) : وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيفٍ ، وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم ، اتَّبع أثره عروة بن مسعودٍ ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ـ كما يتحدث قومه ـ : « إنهم قاتلوك » . وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع ؛ للذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم . وكان فيهم كذلك محبَّباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ، رجاء أن لا يخالفوه ؛ لمنزلته فيهم ، فلما أشرف على عِلِّيَّةٍ له ، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رمَوه بالنبل من كلِّ وجهٍ فأصابه سهمٌ فقتله ، فيزعم بنو مالكٍ أنه قتله رجلٌ منهم يقال له : أوس ابن عوفٍ . أخو بني سالم بن مالكٍ ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجلٌ منهم من بني عتَّابٍ يقال له : وهب بن جابرٍ . فقيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كرامةً أكرمني الله بها ، وشهادةً ساقها الله إليَّ ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم . فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : « إن مثَله في قومه كمثل صاحب يس في قومه » . وهكذا ذكر موسى بن عقبة قصة عروة ، ولكن زعم أن ذلك كان بعد حجة أبي بكرٍ الصديق ، وتابعه أبو بكرٍ البيهقيُّ في ذلك وهذا بعيدٌ ، والصحيح أن ذلك قبل حجة أبي بكرٍ كما ذكره ابن إسحاق . والله أعلم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣٧) .

قال ابن إسحاق[١] : ثم أقامت ثقيفٌ بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا ، فائتمروا فيما بينهم ، وذلك عن رأي عمرو بن أمية أخي بني علاجٍ ، فائتمروا بينهم ، ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم ، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عُميرٍ ، ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثةٌ من بني مالكٍ ، وهم ؛ الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّبٍ ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتِّبٍ ، وعثمان بن أبي العاص ، وأوس بن عوفٍ أخو بني سالمٍ ، ونُمير بن خرشة بن ربيعة .

وقال موسى بن عقبة : كانوا بضعة عشر رجلاً ، فيهم كنانة بن عبد ياليل ، وهو رئيسهم ، وفيهم عثمان بن أبي العاص ، وهو أصغر الوفد .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناةَ ، ألفوا المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما رآهم ذهب يشتدُّ ليبشِّر رسول الله بقدومهم ، فلقيه أبو بكرٍ الصديق فأخبره عن ركب ثقيفٍ أنهم قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله شروطاً ، ويكتتبوا كتاباً في قومهم ، فقال أبو بكرٍ للمغيرة : أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدِّثه . ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكرٍ فأخبر رسول الله ﷺ بقدومهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروَّح الظَّهر معهم ، وعلَّمهم كيف يحيُّون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله ضربت عليهم قبَّةٌ في المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ، فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيدٍ قبلهم ، وهو الذي كتب لهم كتابهم . قال : وكان مما اشترطوا على رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية [وهي اللات] ثلاث سنين ، فما برحوا يسألونه سنةً سنةً ويأبى عليهم ، حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألَّفوا سفهاءهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمىً إلا أن يبعث معهم أبا سفيان بن حربٍ والمغيرة ليهدماها ، وسألوه مع ذلك أن لا يصلُّوا وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم ، فقال : « أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك ، وأما الصلاة فلا خير في دينٍ لا صلاة فيه » . فقالوا : سنؤتيكها وإن كانت دناءةً .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، عن حميدٍ ، عن الحسن ، عن عثمان بن أبي العاص ، أنَّ وفد ثقيفٍ قدموا على رسول الله ﷺ ، فأنزلهم المسجد ليكون أرقَّ لقلوبهم ، فاشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا يُحشروا ولا يُعشروا ولا يُجبُّوا ولا يستعمل عليهم غيرهم . فقال

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٣٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٣٩) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/٢١٨) ، وفيه عنعنة الحسن البصري .

رسول الله ﷺ : « لكم أن لا تُحشروا ولا تُعشَروا ، ولا يُستعمل عليكم غيركم ، ولا خير في دينٍ لا ركوع فيه » . وقال عثمان بن أبي العاص : يا رسول الله ، علِّمني القرآن واجعلني إمام قومي .

وقد رواه أبو داود[١] من حديث أبي داود الطَّيالسيِّ ، عن حماد بن سلمة ، عن حميدٍ به .

وقال أبو داود[٢] : حدَّثنا الحسن بن الصَّبَّاح ، ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثني إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبِّهٍ ، [عن أبيه] ، عن وهبٍ قال : سألت جابراً عن شأن ثقيفٍ إذ بايعت ، قال : اشترطت على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك : « سيتصدَّقون ويجاهدون إذا أسلموا » .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما أسلموا وكتب لهم كتابهم أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص ـ وكان أحدثهم سناً ـ لأن الصِّدِّيق قال : يا رسول الله ، إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلُّم القرآن .

وذكر موسى بن عقبة أن وفدهم كانوا إذا أتوا رسول الله خلَّفوا عثمان بن أبي العاص في رحالهم ، فإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله ﷺ فسأله عن العلم فاستقرأه القرآن ، فإن وجده نائماً ذهب إلى أبي بكرٍ الصديق ، فلم يزل دأبُه حتى فقه في الإسلام ، وأحبَّه رسول الله ﷺ حبّاً شديداً .

قال ابن إسحاق[٤] : حدثني سعيد بن أبي هند ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبي العاص قال : كان من آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ حين بعثني إلى ثقيفٍ أن قال : « يا عثمان ، تجوَّز في الصلاة ، واقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدثنا عَفَّان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا سعيدٌ الجريريُّ ، عن أبي العلاء ، عن مطرِّفٍ ، عن عثمان بن أبي العاص قال : قلت : يا رسول الله ، اجعلني إمام قومي . قال : « أنت إمامهم ، فاقتد بأضعفهم ، واتَّخذ مؤذِّناً لا يأخذ على أذانه أجراً » .

رواه أبو داود والترمذي[٦] من حديث حمَّاد بن سلمة به .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٢٦) ، وفيه عنعنة الحسن البصري .
(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠٢٥) ، وإسناده حسن .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤١) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١) ، وإسناده حسن .
(٦) رواه أبو داود رقم (٥٣١) وليس الحديث عند الترمذي ، ورواه أيضاً النسائي في « المجتبى » رقم (٦٧٢) ، وإسناده حسن .

ورواه ابن ماجه[١] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن إسماعيل بن عليّة ، عن محمد بن إسحاق ، كما تقدم .

وروى أحمد[٢] ، عن عَفَّان ، عن وهيبٍ ، وعن معاوية بن عمروٍ ، عن زائدة ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن داود بن أبي عاصمٍ ، عن عثمان بن أبي العاص أن آخر ما فارقه رسول الله حين استعمله على الطائف أن قال : « إذا صلَّيت بقومٍ فخفِّف بهم » . حتى وقَّت لي : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ . [العلق : ١] . وأشباهها من القرآن .

وقال أحمد[٣] : حدثنا محمد بن جعفرٍ ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرَّة ، سمعت سعيد بن المسيَّب قال : حدَّث عثمان بن أبي العاص قال : آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن قال : « إذا أممت قوماً فخفِّف بهم الصلاة » . ورواه مسلم[٤] ، عن محمد بن مثنّى وبندارٍ ، كلاهما عن محمد بن جعفرٍ غندرٍ به .

وقال أحمد[٥] : حدَّثنا أبو أحمد الزبيريُّ ، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفيُّ ، عن عبد الله بن الحكم ، أنه سمع عثمان بن أبي العاص يقول : استعملني رسول الله ﷺ على الطائف ، فكان آخر ما عهده إليَّ أن قال : « خفِّف عن الناس الصلاة » . تفرد به من هذا الوجه .

وقال أحمد[٦] : حدَّثنا يحيى بن سعيدٍ ، أخبرنا عمرو بن عثمان ، حدَّثني موسى ـ هو ابن طلحة ـ أن عثمان بن أبي العاص حدَّثه أن رسول الله ﷺ أمره أن يؤمَّ قومه ، ثم قال : « من أمَّ قوماً فليخفِّف بهم ، فإن فيهم الضعيف والكبير والمريض وذا الحاجة ، فإذا صلَّى وحده فليصلِّ كيف شاء » . ورواه مسلم[٧] من حديث عمرو بن عثمان به .

وقال أحمد[٨] : حدثنا محمد بن جعفرٍ[٩] ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالمٍ ، سمعت أشياخاً من ثقيفٍ قالوا : حدَّثنا عثمان بن أبي العاص أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أُمَّ قومك ، وإذا أممت قوماً فأخفَّ بهم الصلاة ؛ فإنه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمريض وذو الحاجة » .

---

(١) رواه ابن ماجة رقم (٩٨٧) ، وهو حديث حسن .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٨) ، وإسناده صحيح .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١) ، وإسناده صحيح .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٦٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٨) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٦) وإسناده صحيح .
(٧) في « صحيحه » رقم (٤٦٨) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١) ، وهو حديث صحيح .
(٩) في « المسند » : « محمد بن بكر » وفي « أطراف المسند » كما هنا .

وقال أحمد[(١)] : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن الجريريِّ ، عن أبي العلاء بن الشِّخِّير ، أن عثمان قال : يا رسول الله ، حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي . قال : « ذاك شيطانٌ يقال له : خِنزبٌ . فإذا أنت حسسته فتعوَّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً » . قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني .

ورواه مسلمٌ[(٢)] من حديث سعيدٍ الجُرَيريِّ به .

وروى مالكٌ وأحمد ومسلمٌ وأهل السنن[(٣)] من طرقٍ ، عن نافع بن جبير بن مطعمٍ ، عن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده ، فقال له : « ضع يدكَ على الذي تألَّم من جسدك ، وقل : بسم الله . ثلاثاً ، وقل سبع مراتٍ : أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر » .

وفي بعض الروايات : ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم .

وقال أبو عبد الله بن ماجه[(٤)] : حدَّثنا محمد بن بشَّارٍ ، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاريُّ ، حدثني عيينة بن عبد الرحمن ـ وهو ابن جوشنٍ ـ حدثني أبي ، عن عثمان بن أبي العاص قال : لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيءٌ في صلاتي ، حتى ما أدري ما أُصلِّي ، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « ابن أبي العاص ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « ما جاء بك ؟ » قلت : يا رسول الله ، عرض لي شيءٌ في صلاتي حتى ما أدري ما أُصلِّي . قال : « ذاك الشيطان ، ادنه » . فدنوت منه ، فجلست على صدور قدميَّ . قال : فضرب صدري بيده وتفل في فمي ، وقال : « اخرج عدوَّ الله » . ففعل ذلك ثلاث مراتٍ ، ثم قال : « الحق بعملك » . قال : فقال عثمان : فلعمري ما أحسبه خالطني بعدُ . تفرَّد به ابن ماجه .

قال ابن إسحاق[(٥)] : وحدَّثني عيسى بن عبد الله ، عن عطيَّة بن سفيان بن ربيعة الثقفيِّ ، عن بعض وفدهم قال : كان بلالٌ يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من شهر رمضان بفَطورنا وسَحورنا ، فيأتينا بالسَّحور ، فإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع . فيقول : قد تركت رسول الله ﷺ يتسحَّر لتأخير السَّحور . ويأتينا بفطرنا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس ذهبت كلُّها بعد . فيقول : ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ . ثم يضع يده في الجفنة فيلقم منها .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٦) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٢٠٣) .
(٣) رواه الإمام مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٤٢) ومسلم رقم (٢٢٠٢) وأبو داود رقم (٣٨٩١) والترمذي رقم (٢٠٨٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٠٨٣٧) وابن ماجة رقم (٣٥٢٢) .
(٤) رواه ابن ماجة رقم (٣٥٤٨) ، وهو حديث صحيح .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٠) .

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه[١] ، من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفيِّ ، عن عثمان بن عبد الله بن أوسٍ ، عن جدِّه أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيفٍ . قال : فنزِّلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالكٍ في قبَّةٍ له ، كلَّ ليلةٍ يأتينا بعد العشاء يحدِّثنا قائماً على رجليه ، حتى يراوح بين رجليه من طول القيام فأكثر ما يحدِّثنا ما لقي من قومه من قريشٍ ، ثم يقول : « لا أنسى وكنا مستضعفين مستذلِّين بمكة ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سِجال الحرب بيننا وبينهم ، نُدال عليهم ويُدالون علينا » . فلما كانت ليلةٌ أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت عنَّا الليلة . فقال : « إنه طرأ عليَّ حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجيءَ حتى أتمَّه » . قال أوسٌ : سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزِّبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاثٌ ، وخمسٌ ، وسبعٌ ، وتسعٌ ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصَّل[٢] وحده ، لفظ أبي داود .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما فرغوا من أمرهم وتوجَّهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حربٍ والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدِّم أبا سفيان ، فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذي الهرْم ، فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه بنو معتِّبٍ دونه ؛ خشية أن يُرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعودٍ . قال : وخرج نساء ثقيفٍ حُسَّراً يبكين عليها ، ويقلن : لتُبكينَّ دفَّاع ، أسلمها الرُّضَّاع ، لم يحسنوا المِصاع .

قال ابن إسحاق[٤] : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لكِ إهلاككِ . فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحُلِيَّها أرسل إلى أبي سفيان وقال له : إن رسول الله قد أمرنا أن نقضي عن عروة بن مسعودٍ وأخيه الأسود بن مسعودٍ ، والد قارب بن الأسود ، دَيْنهما من مال الطاغية . فقضى ذلك عنهما . قلت : كان الأسود قد مات مشركاً ، ولكن أمر رسول الله بذلك تأليفاً وإكراماً لولده قارب بن الأسود ، رضي الله عنه .

وذكر موسى بن عقبة[٥] أن وفد ثقيفٍ كانوا بضعة عشر رجلاً ، فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن ، فسألوه عن الربا والزنى والخمر ، فحرَّم عليهم ذلك كلَّه ، فسألوه عن الرَّبَّة ما هو صانعٌ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٩ و٣٤٣) وأبو داود رقم (١٣٩٣) وابن ماجة رقم (١٣٤٥) ، وإسناده ضعيف .

(٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٢/ ٢٥٩) : « المفصل من القرآن الكريم هو من سورة ﴿ ق ﴾ إلى آخر القرآن على الصحيح ، وسمي مفصلاً لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤١) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٢) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٣٠٠) .

بها . قال : « اهدموها » . قالوا : هيهات ، لو تعلم الرَّبَّة أنك تريد أن تهدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب : ويحك يا بن عبد ياليل ! ما أجهلك ! إنما الرَّبَّة حجرٌ . فقالوا : إنا لم نأتك يا بن الخطاب . ثم قالوا : يا رسول الله ، تولَّ أنت هدمها ، أما نحن فإنا لن نهدمها أبداً . فقال : « سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها » . فكاتبوه على ذلك ، واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم ، فلما جاؤوا قومهم تلقَّوهم ، فسألوهم ما وراءكم ؟ فأظهروا الحزن ، وأنهم إنما جاؤوا من عند رجلٍ فظٍّ غليظٍ ، قد ظهر بالسيف ، يحكم ما يريد وقد دوَّخ العرب ، قد حرَّم الربا والزنى والخمر ، وأمر بهدم الرَّبَّة ، فنفرت ثقيفٌ وقالوا : لا نطيع لهذا أبداً . قال : فأهِّبوا للقتال وأعدُّوا السلاح . فمكثوا على ذلك يومين أو ثلاثةً ، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب ، فرجعوا وأنابوا ، وقالوا : ارجعوا إليه ، فشارطوه على ذلك وصالحوه عليه . قالوا : فإنا قد فعلنا ذلك ، ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضيناه عليه، فافهموا مافي القضية واقبلوا عافية الله. قالوا : فلِم كتمتمونا هذا أولاً ؟ قالوا : أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان. فأسلموا مكانهم، ومكثوا أياماً، ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ وقد أمر عليهم خالد بن الوليد ، وفيهم المغيرة بن شعبة ، فعمدوا إلى اللات ، وقد استكفَّت ثقيفٌ رجالها ونساؤها والصبيان ، حتى خرج العواتق من الحِجال ، ولا يرى عامة ثقيفٍ أنها مهدومةٌ ، ويظنون أنها ممتنعةٌ ، فقام المغيرة بن شعبة ، فأخذ الكرزين ـ يعني المعْول ـ وقال لأصحابه : والله لأضحكنَّكم من ثقيفٍ .

فضرب بالكرزين ، ثم سقط يركض برجله ، فارتجَّ أهل الطائف بصيحةٍ واحدةٍ وفرحوا وقالوا : أبعد الله المغيرة ، قتلته الرَّبَّة . وقالوا لأولئك : من شاء منكم فليقترب . فقام المغيرة فقال : والله يا معشر ثقيفٍ إنما هي لَكاعِ حجارةٌ ومدرٌ ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه . ثم إنه ضرب الباب فكسره ، ثم علا سورها ، وعلا الرجال معه ، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سوَّوها بالأرض ، وجعل سادنها يقول : ليغضبنَّ الأساس فليَخسفنَّ بهم . فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالدٍ : دعني أحفر أساسها . فحفروه حتى أخرجوا ترابها ، وجمعوا ماءها وبناءها ، وبُهتت عند ذلك ثقيفٌ ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فقسم أموالها من يومه ، وحمدوا الله تعالى على اعتزاز دينه ونصرة رسوله .

قال ابن إسحاق(١) : وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ النبيِّ رسول الله إلى المؤمنين ؛ إن عضاه وجٍّ وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه ، وإن تعدَّى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبيَّ محمداً ، وإنَّ هذا أمر النبيِّ محمدٍ . وكتب خالد بن سعيدٍ بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعدَّه أحدٌ فيظلم نفسه فيما أمر به محمدٌ رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٢) .

وقد قال الإمام أحمد[(١)] : حدثنا عبد الله بن الحارث ـ من أهل مكة مخزوميٌّ ـ حدثني محمد بن عبد الله بن إنسان ـ وأثنى عليه خيراً ـ عن أبيه ، عن عروة بن الزبير ، [عن أبيه] قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من لِيَّة حتى إذا كنا عند السِّدرة وقف رسول الله ﷺ في طرف القرن الأسود حذوها ، فاستقبل نخِباً ببصره ، يعني وادياً ، ووقف حتى اتَّقف الناس كلُّهم ، ثم قال : « إن صيد وجٍّ وعضاهه حرمٌ محرَّمٌ لله » . وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً .

وقد رواه أبو داود[(٢)] من حديث محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفيِّ ، وقد ذكره ابن حبان في « ثقاته »[(٣)] . وقال ابن معينٍ[(٤)] : ليس به بأسٌ . تكلَّم فيه بعضهم ، وقد ضعَّف أحمد والبخاريُّ وغيرهما هذا الحديث[(٥)] ، وصحَّحه الشافعيُّ وقال بمقتضاه ، والله أعلم .

* * *

ذكر
موت عبد الله بن أُبيٍّ
قبَّحه الله

قال محمد بن إسحاق[(٦)] : حدَّثني الزُّهْري عن عروة ، عن أسامة بن زيدٍ ، رضي الله عنه ، قال : دخل رسول الله ﷺ على عبد الله بن أُبيٍّ يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فلما عرف فيه الموت قال رسول الله ﷺ : « أما والله إن كنت لأنهاكَ عن حبِّ يهود » . فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فمَه ؟

وقال الواقديُّ[(٧)] ، مرض عبد الله بن أُبيٍّ في ليالٍ بقين من شوالٍ ، ومات في ذي القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلةً ، فكان رسول الله يعوده فيها ، فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه ، فقال : « قد نهيتك عن حبِّ يهود » . فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فما نفعه ؟ ثم قال : يا رسول الله ، ليس هذا بحِين عتابٍ ! هو الموت ، [فإن متُّ] فاحضُر غُسلي ، وأعطني قميصك الذي يلي جلدك فكفِّنِّي فيه ، وصلِّ عليَّ واستغفر لي . ففعل ذلك به رسول الله ﷺ . وروى

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٦٥) ، وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أبو داود رقم (٢٠٢٣) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « الثقات » (٩/ ٣٣) .
(٤) انظر « الجرح والتعديل » (٧/ ٢٩٤) .
(٥) انظر « التاريخ الكبير » (١/ ١٤٠) و« ميزان الاعتدال » (٢/ ٣٩٣) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٨٥) .
(٧) انظر « المغازي » (٣/ ١٠٥٧) .

البيهقيُّ[١] من حديث سالم بن عجلان ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ نحواً مما ذكره الواقديُّ ، فالله أعلم .

وقد قال إسحاق بن راهويه[٢] : قلت لأبي أسامة : أحدثَّكم عبيد الله ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر قال : لما توفِّي عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ ، فسأله أن يعطيَه قميصه ليكفِّنه فيه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلِّي عليه ، فقام رسول الله ﷺ يصلِّي عليه ، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال : يا رسول الله ، تصلِّي عليه وقد نهاك الله عنه ؟! فقال رسول الله ﷺ : « إن ربي خيَّرني فقال : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠] . وسأزيد على السبعين » . فقال : إنه منافق أتصلِّي عليه ؟! فأنزل الله ، عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[التوبة : ٨٤] فأقرَّ به أبو أسامة ، وقال : نعم .

وأخرجاه في « الصحيحين »[٣] من حديث أبي أسامة .

وفي رواية للبخاريِّ وغيره[٤] : قال عمر ، رضي الله عنه : فقلت : يا رسول الله ، تصلِّي عليه وقد قال في يوم كذا : كذا وكذا ، وقال في يوم كذا : كذا وكذا ؟! فقال : « دعني يا عمر ، فإني بين خيرتين ، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين غُفر له لزدت » . ثم صلَّى عليه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ . . . ﴾ الآية . قال عمر : فعجبت بعدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ ، والله ورسوله أعلم .

وقال سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينارٍ ، سمع جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، يقول : أتى رسول الله ﷺ قبر عبد الله بن أبيٍّ بعدما أدخل حفرته ، فأمر به فأخرج ، فوضعه على ركبتيه ـ أو فخذيه ـ ونفث عليه من ريقه ، وألبسه قميصه . فالله أعلم .

وفي « صحيح البخاريِّ »[٥] بهذا الإسناد مثله ، وعنده أنه إنما ألبسه قميصه مكافأةً لما كان كسا العباس ، رضي الله عنه ، قميصاً حين قدم المدينة ، فلم يجدوا قميصاً يصلح له إلا قميص عبد الله بن أُبيٍّ . وقد ذكر البيهقيُّ هاهنا قصة ثعلبة بن حاطبٍ ، وكيف افتتن بكثرة المال ، ومنعه الصدقة ، وقد حرَّرنا ذلك في « التفسير »[٦] عند قوله تعالى : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ . . . ﴾ الآية[التوبة : ٧٥] .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٨٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٨٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٦٧٠) ومسلم رقم (٢٧٧٤) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٦٧١) وأحمد في « المسند » (١/ ١٦) .
(٥) رقم (١٣٥٠) و(٣٠٠٨) .
(٦) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ١٢٤) .

فصـــل

قال ابن إسحاق(١) : وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ .

وقال حسَّان بن ثابتٍ(٢) ، رضي الله عنه ، يعدِّد أيَّام الأنصار مع رسول الله ﷺ ، ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه .

قال ابن هشامٍ : وتُروى لابنه عبد الرحمن بن حسَّان : [من البسيط]

أَلَسْتُ خيرَ مَعَدٍّ كلِّها نفَراً ... ومَعْشراً إن هُمُ عُمُّوا وإن حُصِلوا
قومٌ همُ شهِدوا بدراً بأجْمعِهمْ ... مع الرسولِ فما آلَوْا وما خَذَلوا
وبايَعوه فلم يَنْكُثْ به أحدٌ ... منهم ولم يَكُ في إيمانهِ دَخَلُ
ويومَ صبَّحَهم في الشِّعْبِ مِن أُحُدٍ ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كحرِّ النارِ مُشْتَعِلُ
ويومَ ذي قَرَدٍ يومَ استَثار بهمْ ... على الجِيادِ فما خاموا وما نكَلوا
وذا العُشَيْرةِ جاسُوها بخيلِهمُ ... مع الرسولِ عليها البِيضُ والأَسَلُ
ويومَ وَدَّانَ أجْلَوا أهلَه رَقَصاً ... بالخيلِ حتى نهانا الحَزْنُ والجبلُ
وليلةً طلَبوا فيها عدوَّهمُ ... للهِ واللهُ يَجْزِيهم بما عمِلوا
وليلةً بحُنينٍ جالدوا معهُ ... فيها يَعُلُّهمُ في الحربِ إذ نهِلوا
وغزوةً يومَ نَجْدٍ ثَمَّ كان لهمْ ... مع الرسولِ بها الأَسْلابُ والنَّفَلُ
وغزوةَ القاعِ فرَّقْنا العدوَّ به ... كما تُفَرَّقُ دونَ المَشْرَبِ الرَّسَلُ
ويومَ بُويِعَ كانوا أهلَ بيعتِه ... على الجِلادِ فآسَوْه وما عدَلوا
وغزوةَ الفتحِ كانوا في سَرِيَّتِه ... مُرابِطِين فما طاشوا وما عَجِلوا
ويومَ خيبرَ كانوا في كَتيبتِه ... يَمْشُون كلُّهمُ مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ
بالبِيضِ تُرْعَشُ في الأَيْمانِ عاريةً ... تَعْوَجُّ في الضَّرْبِ أحياناً وتَعْتَدِلُ
ويومَ سار رسولُ اللهِ مُحْتَسِباً ... إلى تبوكَ وهم راياتُه الأُوَلُ
وساسةُ الحربِ إن حربٌ بدَتْ لهمُ ... حتى بَدَا لهمُ الإقْبالُ فالقَفَلُ
أولئك القومُ أنصارُ النبيِّ وهمْ ... قومي أَصِيرُ إليهمْ حينَ أتَّصِلُ
ماتوا كِراماً ولم تُنْكَثْ عهودُهمُ ... وقَتْلُهمْ في سبيلِ اللهِ إذ قُتِلوا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٥٤) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥٠٢-٥٠٣) .

ذكر
بعث رسول الله ﷺ أبا بكرٍ الصِّدِّيق أميراً على الحجّ سنة تسعٍ[١] ونزول سورة « براءة »

قال ابن إسحاق بعد ذكره وفود أهل الطائف إلى رسول الله ﷺ في رمضان كما تقدم بيانه مبسوطاً . قال : ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكرٍ أميراً على الحجِّ من سنة تسعٍ ؛ ليقيم للمسلمين حجَّهم ، وأهل الشرك على منازلهم من حجِّهم لم يصدُّوا بعد عن البيت ، ومنهم من له عهدٌ مؤقَّتٌ إلى أمدٍ ، فلما خرج أبو بكرٍ ، رضي الله عنه ، بمن معه من المسلمين ، وفصل عن المدينة ، أنزل عز وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ إلى آخر القصة .

ثم شرع ابن إسحاق يتكلَّم على هذه الآيات ، وقد بسطنا الكلام عليها في « التفسير »[٢] ولله الحمد والمنة .

والمقصود أن رسول الله ﷺ بعث عليّاً ، رضي الله عنه ، بعد أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، ليكون معه ، ويتولَّى عليٌّ بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابةً عن رسول الله ﷺ ؛ لكونه ابن عمِّه من عصبته .

قال ابن إسحاق[٣] : حدثني حكيم بن حكيم بن عبَّاد بن حُنيفٍ ، عن أبي جعفرٍ محمد بن عليٍّ أنه قال : لما نزلت « براءةٌ » على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكرٍ الصديق ، رضي الله عنه ، ليقيم للناس الحجَّ ، قيل له : يا رسول الله ، لو بعثتَ بها إلى أبي بكرٍ . فقال : « لا يؤدِّي عني إلا رجلٌ من أهل بيتي » . ثم دعا عليَّ بن أبي طالبٍ فقال : « اخرج بهذه القصة من صدر « براءة » وأذِّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنىً : ألا إنه لا يدخل الجنة كافرٌ ، ولا يحجُّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوف بالبيت عُريانٌ ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهدٌ فهو له إلى مدته » . فخرج عليُّ بن أبي طالبٍ على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكرٍ بالطريق ، فلما رآه أبو بكرٍ قال : أميرٌ أو مأمورٌ ؟ فقال : بل مأمورٌ . ثم مضيا ، فأقام أبو بكرٍ للناس الحجَّ ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجِّ التي كانوا عليها في

---

(١) انظر « حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج » للرشيدي ص (٩٠) بتحقيق الدكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد ، طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ٤٤) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٥) .

الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام عليٌّ بن أبي طالبٍ فأذَّن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ ، وأجَّل الناسَ أربعة أشهرٍ من يوم أذَّن فيهم ؛ ليرجع كلُّ قومٍ إلى مأمنهم وبلادهم ، ثم لا عهد لمشركٍ ولا ذمة إلَّا أحدٍ كان له عند رسول الله ﷺ عهدٌ ، فهو له إلى مدته ، فلم يحجَّ بعد ذلك العام مشركٌ ، ولم يطف بالبيت عُريانٌ ، ثم قدما على رسول الله ﷺ ، وهذا مرسلٌ من هذا الوجه .

وقد قال البخاريُّ[١] : باب حجِّ أبي بكرٍ ، رضي الله عنه ، بالناس سنة تسعٍ ، حدَّثنا سليمان بن داود أبو الربيع ، حدثنا فليحٌ ، عن الزهريِّ ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أن أبا بكرٍ الصِّدِّيق ، رضي الله عنه ، بعثه في الحجَّة التي أمَّره النبيُّ عليها قبل حَجَّة الوَدَاع في رهطٍ يؤذِّن في الناس أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفنَّ بالبيت عريانٌ .

وقال البخاريُّ[٢] في موضع آخر : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، حدثني عقيلٌ ، عن ابن شهابٍ ، أخبرني حميد بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكرٍ الصديق في تلك الحجة في المؤذِّنين ، بعثهم يوم النحر يؤذِّنون بمنىً أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفنَّ بالبيت عريانٌ . قال حميدٌ : ثم أردف النبيُّ ﷺ بعليٍّ ، فأمره أن يؤذِّن بـ « براءةٌ » . قال أبو هريرة : فأذَّن معنا عليٌّ في أهل منىً يوم النحر بـ « براءةٌ » أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفنَّ بالبيت عريانٌ .

وقال البخاريُّ[٣] في كتاب الجهاد : حدثَّنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيبٌ ، عن الزهريِّ ، أخبرني حميدٌ بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر الصديق فيمن يؤذِّن يوم النحر بمنىً ؛ لا يحجُّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ . ويوم الحجِّ الأكبر يوم النَّحر ، وإنما قيل : الأكبر . من أجل قول الناس : الحجُّ الأصغر . فنبذ أبو بكرٍ إلى الناس في ذلك العام ، فلم يحجَّ عام حجة الوداع ـ الذي حجَّ فيه رسول الله ﷺ ـ مشركٌ .

ورواه مسلمٌ[٤] من طريق الزهريِّ به نحوه .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا محمد بن جعفرٍ ، حدَّثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن الشعبيِّ ، عن محرَّر بن أبي هريرة ، عن أبيه قال : كنت مع عليِّ بن أبي طالبٍ حين بعثه رسول الله ﷺ . فقال : ما كنتم تنادون ؟ قال : كنَّا ننادي : إنه لا يدخل الجنة إلَّا مؤمنٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهدٌ فإن أجله ـ أو أمده ـ إلى أربعة أشهرٍ ، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريءٌ من

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٦٣) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٦٥٦) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٧٧) .
(٤) في « صحيحه » رقم (١٣٤٧) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٩٩) .

المشركين ورسوله ، ولا يحجُّ هذا البيت بعد العام مشركٌ . قال : فكنت أنادي حتى صحِل صوتي . وهذا إسنادٌ جيدٌ لكن فيه نكارةٌ من جهة قول الراوي : إنَّ من كان له عهدٌ فأجله إلى أربعة أشهرٍ . وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، ولكنَّ الصحيح أن من كان له عهدٌ ، فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ولو زاد على أربعة أشهرٍ ، ومن ليس له أمدٌ بالكلية ، فله تأجيل أربعة أشهرٍ ، بقي قسمٌ ثالثٌ وهو من له أمدٌ يتناهى إلى أقلَّ من أربعة أشهرٍ من يوم التأجيل ، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأوَّل فيكون أجله إلى مدته وإن قلَّ ، ويحتمل أن يقال : إنه يؤجَّل إلى أربعة أشهرٍ ؛ لأنه أولى ممن ليس له عهدٌ بالكلية ، والله تعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا عفان ، ثنا حمَّادٌ ، عن سماكٍ ، عن أنس بن مالكٍ ، أن رسول الله ﷺ بعث بـ « براءةٌ » مع أبي بكرٍ ، فلمَّا بلغ ذا الحليفة قال : « لا يبلِّغها إلا أنا أو رجلٌ من أهل بيتي » . فبعث بها مع عليّ بن أبي طالب .

وقد رواه الترمذي(٢) من حديث حماد بن سلمة ، وقال : حسنٌ غريبٌ من حديث أنس .

وقد روى عبد الله بن أحمد(٣) ، عن لُوَيْن ، عن محمد بن جابر ، عن سماك ، عن حنشٍ ، عن عليٍّ أن رسول الله ﷺ لما أردف أبا بكر بعليٍّ فأخذ منه الكتاب بالجحفة ، رجع أبو بكر فقال : يا رسول الله ، نزل فيَّ شيءٌ ؟ قال : « لا ، ولكن جبريل جاءني فقال : لا يؤدِّي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك » . وهذا ضعيف الإسناد ، ومتنه فيه نكارةٌ ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثيع ـ رجل من همدان ـ قال : سألنا عَلِيّاً : بأيِّ شيءٍ بُعِثتَ ؟ يوم بعثه رسول الله ﷺ مع أبي بكر في الحجة ، قال : بأربع ؛ لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنةٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته ، ولا يحجُّ المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا . وهكذا رواه الترمذي(٥) ، من حديث سفيان ـ هو ابن عُيَيْنة ـ عن أبي إسحاق السَّبيعيِّ ، عن زيد بن يُثيع ، عن عليٍّ به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ . ثم قال : وقد رواه شعبةُ ، عن أبي إسحاق فقال : عن زيد بن أُثيل ، ورواه الثوريُّ ، عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عليٍّ .

قلت : رواه ابن جرير(٦) ، من حديث معمرٍ ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليٍّ .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢١٢) .
(٢) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٠) .
(٣) في « المسند » (١/ ١٥١) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٧٩) .
(٥) في « جامعه » رقم (٣٠٩٢) .
(٦) انظر « تفسير الطبري » (١٠/ ٦٤) .

وقال ابن جرير[١] : حدَّثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، أخبرنا حيوة بن شريح ، أخبرنا أبو صخرٍ ، أنه سمِع أبا معاوية البجليَّ من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصَّهباء البكريَّ وهو يقول : سألت عليَّ بن أبي طالب عن يوم الحجِّ الأكبر فقال : إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة يُقيمُ للناس الحجَّ ، وبعثني معه بأربعين آيةً من « براءة » حتى أتى عرفة ، فخطب الناس يوم عرفة ، فلمَّا قضى خطبته التفت إليَّ فقال : قمْ يا عليُّ فأدِّ رسالة رسول الله ﷺ . فقمتُ ، فقرأتُ عليهم أربعين آيةً من « براءة » ، ثم صدرنا حتى أتينا منىً ، فرميت الجمرة ، ونحرت البدنة ثم حلقت رأسي ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حُضوراً كلُّهم خطبة أبي بكر ، رضي الله عنه ، يوم عرفة ، فطفقْت أتتبَّعُ بها الفساطيط أقرؤها عليهم . قال عليٌّ : فمن ثَمَّ إخال حسبتم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عَرَفة .

وقد تقصَّيْنا الكلام على هذا المقام في « التفسير »[٢] وذكرنا أسانيد الأحاديث والآثار في ذلك مبسوطاً بما فيه كفايةٌ ، ولله الحمد والمِنَّة .

قال الواقديُّ[٣] : وقد كان خرج مع أبي بكر من المدينة ثلاثمئة من الصحابة ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وخرج أبو بكر معه بخمس بدَنات ، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة ، ثم أردفه بعليٍّ ، فلحقه بالعرج فنادى بـ « براءةٌ » أمام الموسم .

* * *

فصـــل

كان في هذه السنة ـ أعني في سنة تسعٍ ـ من الأمور الحادثة غزوة تبوك في رجب منها كما تقدم بيانه .

قال الواقديُّ[٤] : وفي رجبٍ منها مات النجاشيُّ صاحب الحبشة ونعاه رسولُ الله ﷺ إلى الناس .

وفي شعبان منها ـ أي من هذه السنة ـ توفِّيت أمُّ كُلْثوم بنتُ رسول الله ﷺ[٥] ، فغسَّلتْها أسماءُ بنتُ عُميس ، وصفية بنت عبد المطلب ، وقيل : غسَّلها نسوةٌ من الأنصار فيهن أمُّ عطية .

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٠/ ٦٧) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ٤٤) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ١٢٢) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ١٢٢) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٨) بتحقيقي .
(٥) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٢٨) .

قلت : وهذا ثابتٌ في « الصحيحين »[١] وثبت في الحديث أيضاً[٢] أنه ، عليه الصلاة والسلام ، لمّا صلّى عليها وأراد دفنها قال : « لا يدخله أحدٌ قارف الليلة أهلَه » . فامتنع زوجها عثمان لذلك ، ودفنها أبو طلحة الأنصاريُّ ، رضي الله عنه ، ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام مـن كان يتولّى ذلك ممن يتبرّع بالحفر والدَّفن من الصحابة كأبي عبيدة ، وأبي طلحة ، ومن شابههم فقال : « لا يدخل قبرها إلا من لم يُقارف أهله من هؤلاء » . إذ يبعدُ أن عثمان كان عنده غيرُ أمِّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، هذا بعيدٌ . والله أعلمُ .

وفيها صالح ملك أَيْلَة وأهل جرباء وأذرُح وصاحب دومة الجندل كما تقدَّم إيضاح ذلك كلّه في مواضعه .

وفيها هُدم مسجدُ الضِّرار الذي بناه جماعة المنافقين صورة مسجد ، وهو دار حرب في الباطن فأمر به ، عليه الصلاة والسلام ، فحُرِّق .

وفي رمضان منها قدم وفد ثقيف فصالحوا عن قومهم، ورجعوا إليهم بالأمان، وكسِّرت اللات كما تقدَّم .

وفيها توفي عبد الله بن أُبيٍّ بن سَلُول رأس المنافقين[٣] ، لعنه الله ، في أواخرها .

وقبله بأشهر توفي معاوية بن معاوية اللّيثيُّ ـ أو المزنيُّ ـ وهو الذي صلّى عليه رسول الله ﷺ وهو نازلٌ بتبوك إن صحَّ الخبرُ في ذلك[٤] .

وفيها حجَّ أبو بكر ، رضي الله عنه ، بالناس عن إذن رسول الله ﷺ له في ذلك[٥] .

وفيها كان قدوم عامَّة وفود أحياء العرب ، ولذلك تُسمَّى سنةُ تسعٍ : سنة الوفود ، وها نحن نعقِدُ لذلك كتاباً برأسه اقتداءً بالبخاريِّ وغيره .

[تم الجزء الرابع من كتاب « البداية والنهاية » للإمام الحافظ المُؤرِّخ ابن كثير الدمشقي رحمه الله حسب تقسيمنا له[٦] ، ويتلوه الجزء الخامس وأوله كتاب الوفود الواردين إلى رسول الله ﷺ] .

(١) رواه البخاري رقم (١٢٥٣) و(١٢٥٤) و(١٢٦٣) ومسلم رقم (٩٣٩) .
(٢) رواه البخاري رقم (١٢٨٥) .
(٣) انظر « شذرات الذهب » (١٢٨/١) .
(٤) وقد تقدم التعليق عليه ص (٦٦٨) .
(٥) وقد تقدم التعليق عليه ص (٦٩٥) .
(٦) وكان الفراغ من تحقيقه والتعليق عليه وتصحيح تجاربه في الثامن عشر من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٢هـ ، والحمد لله على ما أنعم ووفق ، وأسأله تعالى المزيد من فضله وتوفيقه ، إنه تعالى خير مسؤول وأعظم معين ، والله أسأل أن يجزي خير الجزاء من أسهم في تدقيقه ومراجعته وتصحيح تجاربه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

كتاب الوفود

الواردين إلى رسول الله ﷺ

قال محمد بن إسحاق[١] : لمّا افتتحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ ، وفرغَ من تَبوكَ ، وأسلمتْ ثقيفٌ وبايَعَتْ ، ضَرَبَتْ إليه وفودُ العربِ من كلِّ وجه .

قال ابنُ هشامٍ[٢] : حدّثني أبو عُبَيْدَةَ ، أن ذلك في سنةِ تسع ، وأنها كانَتْ تُسَمَّى سنةَ الوفودِ .

قال ابن إسحاق[٢] : وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بإسلامها ، أمْرَ هذا الحيِّ من قريشٍ ، لأنَّ قريشاً كانوا إمامَ النّاسِ وهاديتَهم[٣] . وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم وقادة العرب لا ينكرون ذلك . وكانت قريشٌ هي التي نَصَبَتِ الحربَ لرسول الله ﷺ وخلافَه ، فلمّا اُفتُتِحَتْ مكةُ ، ودانَتْ له قريشٌ ، ودوَّخها الإسلامُ ، عرفتِ العربُ أنهم لا طاقةَ لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوتِه ، فدخلوا في دين الله ، كما قال عزَّ وجلَّ : أفواجاً ، يضربون إليه من كُلِّ وجهٍ ، يقولُ اللهُ تعالى لنبيِّه ﷺ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر : ١ ـ ٣] أي : فاحْمَدِ اللهَ على ما ظَهَرَ من دينكَ ، واسْتَغْفِرْهُ إنَّه كان تَوّاباً .

وقد قدَّمنا حديث عمرو بن سَلِمة[٤] قال : كانت العرب تَلَوَّمُ[٥] بإسلامهم الفَتْحَ ، فيقولون : اتركوه وقومَهُ ، فإنَّه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادِقٌ . فلما كانت وقعةُ أهلِ الفتحِ بادَرَ كلّ قومٍ بإسلامهم . وبدر أبي قومي بإسلامهم ، فلمَّا قَدِمَ قال : جِئْتُكُمْ واللهِ من عند النبيّ حَقاً . قال : صَلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحدُكُمْ ، ولْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكمُ قرآنا .

وذكر تمام الحديث وهو في صحيح البخاري[٦] .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٥٩) .
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٠) .
(٣) في سيرة ابن هشام : (وهاديَهم) .
(٤) في الأصول : « عمرو بن مسلمة » وهو تحريف . انظر جامع الأصول (١٤/ ٥٥٥) (٤) .
(٥) تلوَّم في الأمر : تمكّث وانتظر (القاموس : لَوَمَ) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٣٠٢) في المغازي ، باب مقام النبي ﷺ يوم الفتح .

قلت : وقد ذكر محمد بن إسحاق ، ثم الواقدي ، والبخاري ، ثم البيهقي بعدهم ، من الوفود ما هو مُتَقدم تاريخ قدومهم على سنة تسع ، بل وعلى فتح مكة . وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد : ١٠] .

وتقدم قوله ﷺ يوم الفتح[١] « لا هجرة ولكن جهاد ونية »[٢] ، فيجب التمييز بين السابق من هؤلاء الوافدين على زمن الفتح ، ممن يُعدّ وفودُه هجرةً ، وبينَ اللّاحقِ لهم بعدَ الفَتْحِ ، ممَّن وعده الله خيراً وحسنى . ولكن ليس في ذلك كالسابق له في الزمان والفضيلة ، والله أعلم ، على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود ، قد تركوا فيما أوردوه أشياءَ لم يذكروها . ونحن نورد بحمدِ الله ومَنّهِ ما ذكروه، ونُنبِّه على ما يَنْبَغي التَّنْبيهُ عليه من ذلك، ونذكرُ ما وقعَ لنا ممّا أهْمَلُوه، إن شاء الله ، وبه الثقةُ ، وعليه التُّكلان.

وقد قال محمد بن عمر الواقدي[٣] : حدّثنا كَثير بن عبد الله المُزني ، عن أبيه ، عن جده قال : كان أول من وفد على رسول الله ﷺ من مُضَرَ أربع مئة من مُزَيْنَة ، وذاك في رجب سَنَةَ خَمْسٍ ، فجعل لهم رسول الله ﷺ الهجرةَ في دارهم ، وقال : « أنتم مهاجرون حيث كنتم ، فارْجِعُوا إلى أموالكم » . فرَجعوا إلى بلادهم .

ثم ذكر الواقديُّ عن هشام بن الكَلْبي بإسناده ، أنّ أولَ منْ قَدِمَ من مُزَيْنَةَ خُزَاعيّ بن عبد نُهْم[٤] ومعه عشرة من قومه ، فبايع رسول الله ﷺ على إسلام قومه . فلما رَجَع إليهم لم يَجدْهم كما ظنّ فيهم ، فتَأخَّروا عنه ، فأمر رسول الله ﷺ حسانَ بن ثابتٍ أن يُعرّض بخُزَاعيّ من غير أن يهجوه ، فذكر أبياتاً[٥] ، فلما بلغت خزاعياً شكا ذلك إلى قومه ، فجمعوا له ، وأسلموا معه ، وقدم بهم إلى رسول الله ﷺ ، فلما كان يوم الفتح دفع رسول الله ﷺ لواء مزينة ـ وكانوا يومئذ ألفاً ـ إلى خزاعيٍّ هذا[٦] . قال : وهو أخو عبد الله ذو البِجادين[٧] .

---

(١) أي فتح مكة .

(٢) رواه البخاري رقم (١٨٣٤) في الجهاد ، باب الهجرة بعد الفتح ، ومسلم رقم (١٣٥٣) في الحج ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) هو محمد عمر بن واقد الأسلمي ، صاحب المغازي ، الواقدي ، قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » (٢/ ١٩٤): متروك مع سعة علمه ، فإسناده ضعيف .

(٤) الإصابة (١/ ٤٢٤) .

(٥) الديوان (١/ ٤٠٥) والإصابة (١/ ٤٢٤) وأول الأبيات :

ألا أبلـغ خُـزاعيـاً رسـولاً فـإنّ الغـدر يغسلـه الـوفـاء

(٦) في نسخة أ : « وكان يومئذ ألقى » وهو تصحيف ، وأثبتنا ما في نسخة ط ، والإصابة (١/ ٤٢٥) .

(٧) في أ: « النجادين » بالنون وهو تصحيف ، وأثبتنا ما في الإصابة (٢/ ٣٣٨) والبجاد كساء مخطط (القاموس : بجد).

وقال البخاري[١] رحمه الله : باب وفد تميم . حدثنا أبو نُعيم ، حدّثنا سفيان ، عن أبي صخرة ، عن صفوان بن محرز المازني ، عن عمران بن حُصَيْن قال : أتى نفر من بني تميم إلى النبي[٢] ﷺ فقال : « ٱقبلوا البشرى يا بني تميم » . قالوا : يا رسول الله ، قد بشرتنا فأعطنا . فرُئي ذلك في وجهه ، ثم جاء نفر من اليمن فقال : « ٱقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم » . قالوا : قبلنا يا رسول الله .

ثم قال البخاري[٣] : حدّثنا إبراهيم بن موسى ، حدّثنا هشام بن يوسف ، أن ٱبنَ جُريج أخبره ، عن ابن أبي مليكة ، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم ، أنه قدم ركبٌ من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر : أمِّرِ القعقاعَ بن معبد بن زرارة ، فقال عمر : بل أمِّرِ الأقرعَ بن حابسٍ ، فقال أبو بكر : ما أردتَ إلا خلافي . فقال عمر : ما أردتُ خلافَكَ . فتماريا ، حتى ارتفعت أصواتُهما . فنزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات : ١]حتى انقضت .

ورواه البخاري أيضاً من غير وجه ، عن ٱبن أبي مُلَيكة بألفاظ أُخَرَ ، وقد ذكرنا ذلك في « التفسير » ، عند قوله تعالى : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢]الآية .

وقال محمد بن إسحاق[٤] : ولما قدمتْ على رسول الله ﷺ وفودُ العرب قدم عليه عُطاردُ بنُ حَاجبِ ابن زُرَارَةَ بن عُدُسٍ التميمي في أشراف من بني تميم ، منهم الأقرع بن حَابس التميمي ، والزِّبْرقان بن بدر التميمي ـ أحد بني سعد ـ ، وعمرو بن الأهْتَم ، والحَبْحاب[٥] بن يزيد ، ونعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم ـ أخو بني سعد ـ في وفد عظيم من بني تميم .

قال ابن إسحاق[٦] : ومعهم عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر الفَزاري وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنَيْناً والطائف ، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم ، ولما دخلوا المسجد نادَوْا رسول الله ﷺ (من وراء حجراته أن ٱخرج إلينا يا محمد . فآذى ذلك رسول الله ﷺ)[٧] من صياحهم ، فخرج إليهم . فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا . قال : قد أذِنْتُ لخَطِيْبكم فليقل .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٦٥) في المغازي ، باب وفد بني تميم .
(٢) في ط : « إلى النبي » وما هنا من أ ، وهو الموافق لما في صحيح البخاري (بشار) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٣٦٧) في المغازي ، باب وفد بني تميم .
(٤) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٢٢) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥) .
(٥) في ط : « الحتحات » وهو خطأ ، وأثبتنا ما في أ والإصابة (١/ ٣٠٢) وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٥٦٠) مصورة مؤسسة علوم القرآن وهو الصواب .
(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٠ ـ ٥٦٣) .
(٧) ما بين القوسين ساقط من أ والاستدراك من ط وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) .

فقام عُطارِد بن حاجب فقال : الحمدُ لله الذي له علينا الفَضْلُ والمَنُّ[١] وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً ، ووهب لنا أموالاً عِظاماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أَعَزَّ أهلِ المَشْرِق وأكثره عدداً وأيسره عُدَّة . فمَنْ مِثْلُنا في الناس ؟ ألسنا برؤوس النّاس وأُولي فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليُعَدِّدْ مثلَ ما عَدَّدْنا . وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكن نحيى[٢] من الإكثار فيما أعطانا . وإنا نعرفُ بذلك[٣] ، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضل من أمرنا . ثم جلس .

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس ، أخي بني الحارث بن الخزرج : « قم فأجب الرجل في خطبته » .

فقام ثابت فقال : « الحمدُ للهِ الذي السمواتُ والأرض خَلْقُهُ ، قضى فيهن أمرَهُ ، ووسِعَ كُرْسيَّه علمُهُ ، ولم يكُ شيءٌ قَطُّ إلا من فَضْلِه ، ثم كانَ من قُدْرَتِهِ أن جعلنا ملوكاً ، واصطفى من خيرته رسولاً ، أكرمَه نسباً ، وأصدقَه حديثاً ، وأفضلَه حسباً ، فأنزل عليه كتاباً ، وائتمنه على خلقِه ، فكان خِيرةَ الله من العالمين ، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه ، أكرمُ الناس أحساباً[٤] ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فَعَالاً ، ثم كان أوّل الخلق إجابة ، واستجابَ للهِ حينَ دعاهُ رسولُ الله ﷺ نحن ، فنحنُ أنصارُ الله ووزراء رسوله ، نقاتلُ الناس حتى يؤمنوا ، فمَنْ آمَنَ بالله ورسوله مَنَع مالَه ودمَه . ومن كَفَر جاهَدْناه في الله أبداً ، وكان قتلُه علينا يسيراً . أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلامُ عليكم .

فقام الزبرقان بن بدر فقال[٥] [من البسيط]

نَحْنُ الكرامُ فلا حَيٌّ يُعادِلُنا ... مِنَّا المُلُوكُ وَفينا تُنْصَبُ البِيَعُ[٦]
وكَمْ قَسَرْنا منَ الأحياءِ كُلِّهِم ... عِنْدَ النِّهابِ وفَضْلُ العِزِّ يُتَّبَعُ
ونَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ القَحْطِ مطْعِمُنَا ... منَ الشِّواءِ إذا لم يُؤنَس القَزَعُ[٧]

---

(١) لفظة « المنّ » ساقطة من أ والاستدراك من ط ، وسيرة ابن هشام .
(٢) في ط : « نخشى » ولا تصح ، وما هنا من سيرة ابن هشام ، ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣١٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٤٥٢) وفيه : نستحيي ، وهي بمعنى (بشار) .
(٣) ليس اللفظ في أ .
(٤) في سيرة ابن هشام « حَسَباً » .
(٥) الأبيات في ديوان حسان (٢٤٥) وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٣) وديوان الزبرقان بن بدر ـ مؤسسة الرسالة ـ (٤٦ ـ ٤٨) .
(٦) في الديوان « وفينا يقسم الربع » وفي ديوان الزبرقان (وفضل العز يتبع) .
(٧) في أوط « الفزع » وأثبتنا ما في السيرة والديوان . و« القزع » : قطع السحاب الواحدة قزعه (القاموس : قزع) .

بمـا تَـرَى النـاسَ تَـأْتِينـا سَـراتُهُـمُ　　مِـنْ كُـلِّ أرْضٍ هُـوِيّـاً[١] ثـم نَصْطَنِعُ
فَنَنحَـرُ الكُـومَ عُبْطـاً فـي أرُومتنـا　　لِلنَّـازِلِيـنَ إذا مـا أُنْـزِلُـوا شَبِعُـوا[٢]
فمَـا تَـرَانَـا إلـى حـيٍّ نُفـاخِـرُهُـمْ　　إلاَّ استفـادوا وكـانُـوا الـرأسَ يُقْتَطَـعُ
فَمَـنْ يُفـاخِـرُنـا فـي ذَاكَ نَعْـرِفُـه　　فيَـرْجِـعُ القـومُ والأخبـارُ تُسْتَمَـعُ
إنّـا أبَيْنـا ولا يـأبـى[٣] لنـا أحَـدٌ　　إنـا كَـذَلِـكَ عِنْـدَ الفَخْـرِ نَـرْتَفِـعُ

قال ابن إسحاق[٤] : وكان حسان بن ثابت غائباً ، فبعث إليه رسول الله ﷺ .

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقام شاعر القوم فقال ما قال ، عرضت في قوله ، وقلت على نحو ما قال .

فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت : « قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال » فقال حسان[٥] [من البسيط]

إنَّ الـذَّوائِـبَ مِـنْ فِهْـرٍ وأخْـوتِهِـمْ　　قَـدْ بَيَّنـوا سُنَّـةً لِلنَّـاسِ تُتَّبَـعُ
يرْضَى بها كُلُّ منْ كَانَتْ سريرتُه　　تَقْـوَى الإلَـهِ وكُـلَّ الخَيْـر يُصْطَنَـعُ[٦]
قَـوْمٌ إذا حَـارَبُـوا ضَـرُّوا عَـدُوَّهُـمُ　　أو حَاوَلُوا النَّفْعَ في أشيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجيَّـةٌ تِلْـكَ مِنْهُـمْ غَيْـرُ مُحْـدَثَـةٍ　　إنَّ الخَلائقَ ـ فاْعْلَمْ[٧] ـ شَرُّهَا البِدَعُ
إنْ كَانَ في النَّاسِ سَبَّاقونَ بَعْدَهُمْ　　فَكُـلُّ سَبْـقٍ لأدْنَـى سَبْقِهِـمْ تَبَـعُ
لا يَـرْقَـعُ النَّـاسُ مـا أوْهَـتْ أكُفُّهُـمُ　　عِنْدَ الـدِّفَـاعِ ولا يُـوهُـونَ مـا رَقَعُـوا
إنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْماً فَازَ سبْقُهُمُ　　أوْ وَازَنُوا أهْلَ مجْدٍ بالنَّدى مَتَعُوا[٨]
أعِفَّـةٌ ذُكِـرَتْ فـي الـوَحْـي عِفَّتُهُـمْ　　لا يطبعـون[٩] ولا يُـرْدِيهُـمُ طَمَـعُ

---

(١) هوياً : سراعاً .
(٢) الكوم : جمع كوماء وهي الناقة العظيمة السنام (القاموس : كوم) . عبطاً : عبط الذبيحة يعبطها ، نحرها من غير علة وهي سمينة فتية (القاموس : عبط) . الأرومة : الأصل (القاموس : أرم) .
(٣) في أ « ولم يأتي » وهو خطأ . وأثبتنا ما في الديوان وسيرة ابن هشام .
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٣ ـ ٥٦٥) .
(٥) الديوان (١/ ١٠٢) تحقيق الدكتور وليد عرفات .
(٦) في الديوان : « وبالأمر الذي شرعوا » .
(٧) في الديوان : « إن الخلائق حقاً . . » .
(٨) متعوا: أي ظهروا وارتفعوا من قولهم : متع النهار متوعاً : ارتفع غاية الارتفاع ، وهو ما قبل الزوال (أساس البلاغة : متع) .
(٩) لا يطبعون : لا يفعلون ما يدنسهم . وفي أساس البلاغة : طبع : إن فلاناً لطمع طِبع : دنس الأخلاق . وفي الديوان : « لا يطمعون ولا يرديهم . . » .

لا يَبْخَلُونَ على جَارٍ بِفَضْلِهِمُ ... ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ[١]
إذا نصبْنَا لِحَيي لَمْ نَدِبَّ لَهُمْ ... كما يَدِبُّ إلى الوحْشيَّةِ الذَّرَعُ
نَسْمُو إذا الحرْبُ نالَتْنا مَخالِبُها ... إذا الزعانِفُ[٢] مِنْ أظْفارِهَا خَشَعُوا
لا يَفخرُونَ إذا نَالُوا عَدُوَّهُمُ ... وإنْ أصيبُوا فلا خُوْرٌ ولا هُلُعُ[٣]
كَأنَّهمْ في الوَغَى والموْتُ مُكْتَنِعُ ... أُسْدٌ بِحَلْيَةَ في أرسَاغِهَا فَدَعُ[٤]
خُذْ مِنْهُمُ ما أتَوْا عَفْواً إذا غَضِبُوا ... ولا يَكُنْ هَمُّكَ الأمرَ الذي مَنَعُوا
فإنَّ في حَرْبِهم ـ فاتْرُكْ عَدَاوتَهم ـ ... شراً يُخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ والسَّلَعُ[٥]
أكْرِمْ بقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ شِيعَتُهُمْ[٦] ... إذا تَفاوَتَتِ الأهْواءُ والشِّيَعُ
أهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُؤازِرُهُ ... فِيما أُحِبُّ[٧] لَسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ
فإنَّهُمْ أفْضَلُ الأحْيَاءِ كُلِّهِمِ ... إنْ جَدَّ في الناسِ جِدُّ القَوْلِ أو شَمَعُوا[٨]

وقال ابن هشام[٩] : وأخبرني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم ، أن الزبرقان [بن بدر][١٠] لما قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم قام فقال : [من الطويل]

أتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ فَضْلَنا ... إذا اخْتَلَفُوا[١١] عِنْدَ احْتِضارِ المَوَاسِمِ
بأنَّا فُرُوعُ النّاسِ في كُلّ مَوْطِنِ ... وأنْ لَيْسَ في أرض الحِجَازِ كَدَارِمِ

---

(١) في الديوان :
ولا يضنون عن مولى بفضلهم ... ولا يصيبهم في مطمع طبع
(٢) الزعانف : كل جماعة ليس أصلهم واحداً (القاموس : زعنف) .
(٣) لم يرد هذا البيت في أ ولا في الديوان ، وأثبتناه من ط وسيرة ابن هشام .
(٤) كنع الأمر : قرب (القاموس : كنع) حلية : مكان ، قيل هو في أرض اليمن ، وقيل بنواحي الطائف (معجم البلدان : حلية) وفي الديوان : « أسد بيشة » وبيشة : موضع من بلاد اليمن وهو كثير الأُسْد (معجم البلدان : بيشة) وفدع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم إلى أنسيّها (القاموس : فدع) .
(٥) في الديوان : « الصاب والسلع » والصاب شجر مر ، وكذا السلع (القاموس : صوب ، سلع) .
(٦) في الديوان :
« رسول الله قائدهم ... إذا تفرقت ... »
(٧) في الديوان : « فيما يحبّ » .
(٨) شمع : كمنع : لعب ومزح (القاموس : شمع) .
(٩) سيرة ابن هاشم (٢/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) .
(١٠) الزيادة من سيرة ابن هشام .
(١١) في سيرة ابن هشام « احتفلوا » .

وأنَّـا نـذودُ المُعْلمِيـن[١] إذا انْتَخَـوْا ... ونَضْـربُ رأس الأصيـدِ المُتَفـاقِـمِ
وإنَّ لَنـا المِـرْبَـاعَ[٢] فـي كـلِّ غَـارَة ... نُغيـر بنجـدٍ أو بـأرْضِ الأعـاجـمِ

قال : فقام حسان فأجابه فقال[٣] [من الطويل]

هَل المَجْدُ إلاَّ السُؤْدَد العَوْدُ والنَّدَى ... وجَـاهُ المُلـوكِ واحْتِمـالُ العَظَـائـمِ
نَصَـرْنـا وَآوَيْنـا النبـيَّ مُحمَّـداً ... عَلـى أنْـفِ رَاضٍ مـنْ مَعَـدٍّ وَرَاغِـمِ
بِحـيٍّ[٤] حـرِيـدٍ أصْلُـهُ وَثَـراؤُه[٥] ... بجَـابيَـةِ الجَـوْلان وَسْـطَ الأعَـاجِـمِ
نَصَـرْنـاهُ لمَّـا حَـلَّ بَيْـنَ بُيـوتنـا[٦] ... بـأسيـافِنَـا مِـنْ كُـلِّ بَـاغٍ وظَـالِـمِ
جَعَلْنَـا بَنِينَـا دُونَـهُ وَبَنـاتِنَـا ... وَطِبْنَـا لَـهُ نَفْسـاً بفَـيءِ المَغَـانِـمِ
وَنحْـنُ ضَـرَبْنَا النَّـاسَ حَتَّـى تَتَـابَعُـوا ... عَلَـى دِينـه بـالمُـرهَفَـاتِ الصَّـوارِمِ
ونَحْـنُ ولـدْنـا مـنْ قُـريـشٍ عَظيمَهـا ... ولَـدنـا نبـيَّ الخَيْـرِ مِـنْ آلِ هَـاشِـمِ
بَنِـي دارِمٍ لا تَفْخَـرُوا إنَّ فَخْـرَكُـمْ ... يَعُـودُ وَبَـالاً عِنْـدَ ذِكْـرِ المَكَـارِمِ
هَبِلْتُـم[٧] عَلَيْنَـا تَفْخَـرون وأنتُـمُ ... لَنـا خَـوَلٌ مـن بَيْـنِ[٨] ظِئْـرٍ وَخَـادِمِ
فَـإنْ كُنْتُـمُ جِئْتـم لِحَقْـنِ دِمَـائِكُـمْ ... وَأمْـوالِكُـم أن تُقْسَمُـوا فـي المقـاسـمِ
فـلا تَجْعَلُـوا لله نِـدّاً وَأَسْلِمُـوا ... وَلا تَلْبَسُـوا زِيـاً كـزيِّ الأعـاجِـمِ

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبي إن هذا الرجل لَمُؤَتَّىٰ[٩] له ، لَخطيبُهُ أخطبُ من خطيبنا ، ولَشاعرُه أشعرُ من شاعرنا ، ولأصواتُهم أعلى من أصواتنا .

قال : فلما فرغ القوم أسلموا وجَوَّزَهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم .

وكان عمرو بن الأهتم قد خلّفه القوم في رحالهم وكان أصغرَهم سِناً ، فقال قيس بن عاصم ـ وكان يبغض عمرو بن الأهتم ـ يا رسول الله إنه كان رجل منّا في رحالنا وهو غلام حدَث ، وأزرى به ، فأعطاه

---

(١) المعلِمين : الذين يضعون علامة ليعرفوا بها في القتال .
(٢) المرباع : ما يأخذه الرئيس ، وهو ربع الغنيمة (اللسان : ربع) .
(٣) الديوان (١/ ١٠٩) .
(٤) حريد : منفرد لعزته (القاموس : حرد) .
(٥) في سيرة ابن هشام « أصله وذِماره » .
(٦) في سيرة ابن هشام : « لما حلّ وسط ديارنا » وفي الديوان : « لما حل وسط رحالنا » .
(٧) هَبِل فلان : فقد عقله وتمييزه . المعجم الوسيط (هبل) .
(٨) في الديوان وسيرة ابن هشام : « ما بين » .
(٩) أتّى الشيء : هيأه وسهله . المعجم الوسيط (أتى) .

رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القومَ. فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجوه[١]: [البسيط]

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْبَاءِ تَشْتِمُنِي ... عِنْدَ الرَّسُول فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ

سُدْنَاكُمُ سُؤْدُداً رَهْواً[٢] وَسُؤْدُدُكُمْ ... بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٍ على الذَّنبِ

وقد روى الحافظ البيهقي[٣] من طريق يعقوب بن سفيان، حدّثنا سليمان بن حرب، حدّثنا حماد بن زيد، عن محمد بن الزبير الحنظلي[٤]، قال:

قدم على رسول الله ﷺ الزِّبْرقان بن بَدْرٍ، وقَيْسُ بنُ عاصمٍ، وعَمْرو بن الأَهْتم. فقال لعمرو بن الأهتم: أخبرني عن الزِّبرقان، فأما هذا فلستُ أسألكَ عنه. وأراه كان قد عرف قيساً. قال: فقال: مطاع في أدْنَيْه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. فقال الزِّبرقان: قد قال ما قال، وهو يعلمُ أنّي أفضلُ مما قال. قال: فقال عمرو: والله ما علمتك إلا زَمِرَ[٥] المُروءة، ضَيِّقَ العَطَن[٦]، أحمقَ الأب، لئيمَ الخال، ثم قال: يا رسولَ الله، قد صدقتُ فيهما جميعاً، أرضاني فقلت بأحسن ما أعلم فيه، وأسخطني فقلت بأسوأ ما أعلم. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ من البيانِ سحراً»[٧] وهذا مرسل من هذا الوجه.

قال البيهقي[٨]: وقد رُوي من وجهٍ آخرَ موصولاً، أخبرنا أبو جعفر كامل بن أحمد المُسْتَملي، حدّثنا محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي[٩]، حدّثنا محمد بن عبد الله بن الحسن العلاف ببغداد، حدّثنا عليّ بن حَرْبٍ الطّائي، أنبأنا أبو سَعْدٍ الهيثمُ بن مَحْفوظٍ، عن أبي المُقَوِّم يحيى بن يزيد الأنصاري، عن الحكم [بن عتيبة][١٠]، عن مِقْسَم، عن ابن عباس. قال: جلس إلى

---

(١) البيتان ثلاثة في ديوان عمرو بن الأهتم ـ الرسالة ـ (٨١ ـ ٨٢) برواية أخرى مختلفة وبخاصة في البيت الثاني، وهما في السيرة النبوية (٢/ ٥٦٧).

(٢) أي متتابعةً، غارة رهو: متتابعة أيضاً، وجاءت الخيل رهواً: متتابعة لينة. المعجم الوسيط (رهو).

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣١٦).

(٤) محمد بن الزبير الحنظلي، متروك، وهو تابعي يروي عن أبيه وعن الحسن البصري وغيرهما، والذي يرويه غرائب وأفراد.

(٥) في أ و ط «زَبِر» وهو تصحيف وما أثبتناه من دلائل النبوة. وفي القاموس (زمر): (والزَّمِرُ ككتف: القليل المروءة).

(٦) العطن: مكان الإبل (القاموس: عطن).

(٧) وهو مرسل كما قال المصنف رحمه الله.

(٨) دلائل النبوة (٥/ ٣١٧).

(٩) في آ عثمان بن البغدادي وما أوردناه من ط ودلائل النبوة.

(١٠) الزيادة من دلائل النبوة.

رسول الله ﷺ قيسُ بن عاصم ، والزِّبرقان بن بدر ، وعَمْرو بن الأَهْتَم التميميون ، ففخر الزبرقان فقال : يا رسول الله ، أنا سيّد تميم ، والمُطاعُ فيهم والمجاب ، أمنعُهُمْ من الظُّلم ، وآخذ لهم بحقوقهم ، وهذا يعلم ذلك ـ يعني عمرو بن الأهتم ـ قال عمرو بن الأهتم : إنه لشديدُ العارضة ، مانعٌ لجانبه ، مطاعٌ في أدنيه . فقال الزبرقان : والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال ، وما منعه أن يَتكلّم إلا الحَسَدُ . فقال عَمْرو بن الأهتم : أنا أحسدك ! فوالله إنّكَ للئيمُ الخالِ ، حديثُ المال ، أحمقُ الوالد ، مُضيَّع في العَشيرة ، والله يا رسولَ الله ، لقد صدقتُ فيما قلتُ أولاً ، وما كذبتُ فيما قلت آخراً ، ولكني رجل ، إذا رضيتُ قلتُ أحسنَ ما عَلِمت ، وإذا غضبتُ قلتُ أقبحَ ما وجدتُ ، ولقد صدقتُ في الأولى والأخرى جميعاً . فقال رسول الله ﷺ : « إن من البيان سحراً » وهذا إسناد غريب جداً[١] .

وقد ذكر الواقدي سبب قدومهم ، وهو أنه كانوا قد شهروا السِّلاحَ على خُزاعة فبعث إليهم رسولُ الله ﷺ عُيينة بن بدر في خمسين ، ليس فيهم أنصاريّ ولا مهاجريّ . فأسر منهم أحدَ عشرَ رجلاً وإحدى عشرةَ امرأة وثلاثين صبياً ، فقدم رؤساؤهم بسبب أُسرائهم ، ويقال : قدم منهم تسعون أو ثمانون رجلاً في ذلك ، منهم عطارد ، والزِّبرقان ، وقيس بن عاصم ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن سعد ، والأقرعُ بن حابس ورياح[٢] بن الحارث ، وعمرو بن الأهتم ، فدخلوا المسجد وقد أذّن بلالٌ الظهرَ ، والناس ينتظرون رسول الله ﷺ ليخرج إليهم ، فعجّل هؤلاء ، فنادوه من وراء الحُجُرات ، فنزل فيهم ما نزل .

ثم ذكر الواقدي خطيبهم وشاعرهم ، وأنه عليه الصلاة والسلام أجازهم على كل رجل اثنتي عشرة أوقية ونشاً[٣] إلا عمرو بن الأهتم ، فإنما أعطي خمسة أواق لحداثة سنه ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] : ونزل فيهم من القرآن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٤ ـ ٥] .

قال ابن جرير[٥] : حدّثنا أبو عَمّار الحسين بن حُرَيْث المروزي[٦] ، حدّثنا الفضل بن موسى ، عن

---

(١) وقد ثبت حديث (إن من البيان لسحراً) بغير هذا السياق . فقد رواه البخاري (٥٧٦٧) في الطب ، ومالك في « الموطأ » (٢/ ٩٨٦) في الكلام ، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله ، وأبو داود رقم (٥٠٠٧) في الأدب ، والترمذي رقم (٢٠٢٨) في البر . من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ورواه مسلم رقم (٨٦٩) في الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة من حديث أبي وائل ، ورواه الترمذي رقم (٢٨٤٥) في الأدب ، وأبو داود رقم (٥٠١١) في الأدب من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) في الأصول : رباح ، وانظر الإصابة (٥/ ٥٢٣) .

(٣) النشُّ : نصف أوقية ، عشرون درهماً . (القاموس : نشّ) .

(٤) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٧) .

(٥) تفسير الطبري (٢٦/ ١٢١) .

(٦) في الطبري : « حدّثنا أبو عمار المروزي والحسن بن الحارث قالا . . » .

الحسين بن واقد ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ . قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إنّ حَمْدي زَيْنٌ ، وذمّي شَيْنٌ . فقال : « ذاك الله عزَّ وجلَّ » .

وهذا إسناد جيد متصل .

وقد روي عن الحسن البصري وقتادة مرسلاً عنهما .

وقد وقع تسمية هذا الرجل ، فقال الإمام أحمد[١] : حدّثنا عفان ، حدّثنا وُهَيْب ، حدّثنا موسى بن عقبة ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن الأقرع بن حابس ، أنه نادى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد يا محمد ، وفي رواية يا رسول الله ، فلم يجبه . فقال : يا رسول الله ، إن حمدي لزَيْنٌ ، وإن ذَمّي لشَيْنٌ . فقال : « ذاك الله عزَّ وجلَّ » .

حديثٌ في فَضْلِ بني تَميمٍ

قال البخاري[٢] : حدّثنا زهير بن حرب ، حدّثنا جرير ، عن عُمارة بن القعقاع ، عن أبي زُرْعة ، عن أبي هريرة . قال : لا أزال أحبّ بني تميم بعد ثلاثٍ سمعتُهنّ من رسول الله ﷺ يقولها فيهم : « هم أشَدُّ أُمّتي على الدّجّال » ، وكانت فيهم سبيَّة عند عائشة فقال : « أعتقيها فإنّها من ولد إسماعيل » ، وجاءت صدقاتُهم فقال : « هذه صدقاتُ قوم ـ أو قومي ـ » .

وهكذا رواه مسلم[٣] ، عن زهير بن حرب .

وهذا الحديث يردُّ على ما ذكره صاحب الحماسة وغيره من شعر من ذمهم حيث يقول : [من الطويل]

تَميمٌ بطُرقِ الُّلؤْمِ أهْدَى مِنَ القَطَا ... وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ الرَّشَادِ لَضَلتِ
وَلَوْ أنَّ بُرغُوثاً عَلَى ظَهْرِ قَمْلَةٍ ... رَأَتْهُ تَميمٌ مِنْ بَعِيدٍ لَوَلَّتِ

وفْدُ بَني عَبْدِ القَيْسِ

ثم قال البخاري[٤] بعد وفد بني تميم : باب وفد عبد القيس . حدّثنا إسحاق[٥] ، حدّثنا أبو عامر

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٨) ، (٦/ ٣٩٣) ، وإسناده ضعيف ، لانقطاعه أبو سلمة لم يثبت سماعه من الأقرع .
(٢) صحيح البخاري رقم (٤٣٦٦) .
(٣) صحيح مسلم رقم (٢٥٢٥) في فضائل الصحابة .
(٤) صحيح البخاري (٤٣٦٨) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣١٤ـ ٣١٥) .
(٥) في أ وط « أبو إسحاق » وأثبتنا ما في البخاري وانظر تهذيب الكمال (٢/ ٣٧٣) .

العَقَدي ، حدّثنا قُرَّة ، عن أبي جمرة[(١)] ، قال : قلت لابن عباس : إن لي جَرَّةً يُنْتَبَذُ لي فيها [نبيذ][(٢)] فأشربه حلواً في جَرٍّ ، إن أكثرت منه فجالست القوم فأطلت الجلوس خشيت أن أفتضح . فقال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال : « مرحباً بالقوم غير خزايا ولا الندامى » فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبينك المشركين من مُضَر ، وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام[(٣)] ، فحَدِّثْنا بجُمَل[(٤)] من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة ، وندعو به من وراءنا . قال : « آمُرُكم بأربعٍ ، وأَنْهاكم عن أربعٍ : الإيمانُ بالله ، هل تدرون ما الإيمانُ بالله ؟ شهادةُ أن لا إله إلا الله ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، وصومُ رمضانَ ، وأن تُعْطوا من المَغانِمِ الخُمُسَ ، وأنهاكُمْ عن أربعٍ ، ما يُنْتَبَذُ في الدُّبَّاء والنَّقير والحَنْتَم والمُزَفَّت »[(٥)] .

وهكذا رواه مسلم[(٦)] من حديث قُرّة بن خالدٍ ، عن أبي جَمْرة به ، وله طرقٌ في الصحيحين عن أبي جمرة[(٧)] .

وقال أبو داود الطيالسي[(٨)] في « مسنده » : حدّثنا شعبة عن أبي جَمرَة ، سمعت ابن عباس يقول : إنّ وفدَ عبد القيس لما قدم على رسول الله ﷺ قال : « ممن القوم ؟ » قالوا : من ربيعة . قال : « مَرْحباً بالوَفْدِ غير الخَزايا ولا النَّدامى » . فقالوا : يا رسول الله : إنّا حيٌّ من ربيعة ، وإنّا نأتيك من شُقَّة بعيدةٍ ، وإنّه يحولُ بيننا وبينَكَ هذا الحيّ من كُفّار مُضَرَ ، وإنا لا نَصل إليك إلا في شهر حرام ، فمُرْنا بأمرٍ فَصْلٍ ندعو إليه مَنْ وَراءنَا ، وندخلُ به الجنة . فقال رسول الله ﷺ : « آمركم بأربعٍ ، وأنهاكم عن أربعٍ : آمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تُعْطوا من المغانم الخُمُسَ . وأنهاكم عن أربع : عن الدُّباء والحَنْتَم والنَّقير والمُزَفَّت ـ وربما قال والمُقَيَّر ـ فاحفظوهن ، وادعوا إليهن من وراءكم »[(٩)] .

---

(١) في أ ، ط : (حمرة) وهو تحريف انظر تهذيب الكمال (٢٩/ ٣٦٢) .
(٢) الزيادة من البخاري .
(٣) في البخاري : « في أشهر الحرم » .
(٤) في المطبوعة : (بجميل) تحريف .
(٥) الدباء : القرع واحدها دباءة ، كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب (النهاية : دبب) .
النقير : أصل النخلة ينقر في وسطه ثم ينتبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء ليصير نبيذاً مسكراً (النهاية : نقر) .
الحنتم : جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة (النهاية : حنتم) .
المزفت : الإناء الذي طلي بالزفت ، وهو نوع من القار ، ثم انتبذ فيه (النهاية : زَفْت) .
(٦) صحيح مسلم رقم ١٧ باب الأمر بالإيمان بالله تعالى .
(٧) في المطبوعة : (حمزة) تحريف انظر تهذيب الكمال (٢٩/ ٣٦٢) .
(٨) مسند الطيالسي (٢٧٤٧) برواية (غير خزايا ولا ندامى) .
(٩) قال بشار : النهي عن الانتباذ في هذه الأوعية قد نسخ ، فقد ثبتت الرخصة في الانتباذ في كل وعاء مع النهي عن شرب كل مسكر (ينظر كتاب الأشربة في صحيح البخاري ، باب ترخيص النبي ﷺ في الأوعية والظروف بعد النهي) . انظر البخاري رقم (٥٥٩٢ ـ ٥٥٩٥) وشرحه في فتح الباري .

وقد أخرجه صاحبا الصحيحين من حديث شعبة بنحوه[١] .

وقد رواه مسلم[٢] من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي نَضْرَة ، عن أبي سعيد ، بحديث قِصَّتِهم بمثل هذا السياق .

وعنده أن رسول الله ﷺ قال لأشجِّ عبد القيس : « إن فيك لَخَلَّتين يحبهما الله عزَّ وجلَّ : الحِلْمُ والأناةُ » .

وفي رواية[٣] : « يحبُّهما الله ورسولُه » . فقال : يا رسول الله ، تَخَلَّقْتُهُمَا أم جَبَلَني اللهُ عليهما ؟ فقال : « بل جَبَلَكَ اللهُ عليهما » . فقال : الحمدُ لله الذي جَبَلَني على خُلُقَيْن يُحِبُّهما اللهُ ورسولُه .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدّثنا مطر بن عبد الرحمن ، سمعت هند بنت الوازع أنها سمعت الوازع يقول : أتيتُ رسولَ الله ﷺ والأشجُّ المنذرُ بن عامر ـ أو عامر بن المنذر ـ ومعهم رجلٌ مصابٌ فانْتَهَوْا إلى رسول الله ﷺ، فلما رأوا رسول الله ﷺ وَثَبوا من رواحلهم، فأَتَوْا رسولَ الله ﷺ فقبَّلوا يَدَهُ ، ثم نزل الأشجّ ، فَعَقَلَ راحلَتَه وأخرجَ عَيْبَته[٥] ففتحها ، فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما ، ثم أتى رواحلهم فعقلها ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال : « يا أَشَجُّ إنّ فيكَ خَصْلَتَيْن يُحبُّهما اللهُ عزَّ وجلَّ ورسولُهُ ؛ ، الحِلْمُ والأَناةُ » فقال : يا رسول الله ، أنا تَخَلَّقْتُهُما . أو ، جَبَلَني اللهُ عليهما ؟ فقال : « بل اللهُ جَبَلَكَ عليهما » . قال : الحمدُ لله الذي جَبَلَني على خُلُقَيْن يُحِبُّهُما الله عزَّ وجلَّ ورسولُه .

فقال الوازع : يا رسول الله ، إنَّ معي خالاً لي مُصاباً ، فادع الله له ، فقال : « أين هو ؟! ائتني به » . قال : فصنعت مثل ما صنع الأشج ، ألبستُه ثَوْبَيْه ، وأتيتُه ، فأخذ [طائفة][٦] من ردائه يرفعُها حتّى رأينا بياضَ إبطه ، ثم ضربَ بظهره فقال : « اخرج عدو الله » فولَّى وجهَه ، وهو ينظُر بنَظَرِ رجُلٍ صَحيح .

وروى الحافظ البيهقي[٧] من طريق هود بن عبد الله بن سعد ، أنه سمع جده مَزِيدَةَ العصري[٨] . قال :

---

(١) حديث شعبة أخرجه البخاري في الإيمان (٥٣) ، وفي العلم (٨٧) ، ومسلم في الإيمان (١٧) (٢٤) (بشار) .

(٢) صحيح مسلم رقم (١٨) باب الأمر بالإيمان بالله تعالى .

(٣) أخرجه بنحوه البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٥٨٧) وإسناده ضعيف .

(٤) وهو في أطرافه رقم (٧٥١٩) وذكره المصنف أيضاً في « جامع المسانيد » رقم (٩٧٥٠) أقول : وإسناده ضعيف لجهالة هند بنت الوازع .

(٥) العيبة : زبيل ـ أي وعاء ـ من أدم ، وما يجعل فيه الثياب (القاموس : عيب) .

(٦) في المطبوعة : (فأخذ من ورائه) والتصحيح والزيادة عن مجمع الزوائد .

(٧) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٢٧) ، وإسناده ضعيف .

(٨) الإصابة (٣/ ٤٠٦) .

بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابَه ، إذ قال لهم « سيطلع [عليكم][١] من هاهنا ركبٌ ، هم خيرُ أهلِ المَشْرِق » . فقام عمر فتوجَّهَ نحوهم فلقي[٢] ثلاثة عشر راكباً ، فقال : مَن القومُ ؟ فقالوا : من بني عبد القيس ، قال : فما أقدمكم هذه البلاد ، التجارةُ ؟ قالوا : لا . قال : أما إنّ النبيّ ﷺ قد ذكركم آنفاً ، فقال خيراً ، ثم مَشَوْا معه حتّى أَتَوا النبيَّ ﷺ . فقال عمر للقوم : هذا صاحبُكم الذي تُريدون ، فرمى القومُ بأنفسهم عن ركائبهم ، فمنهم من مشى [إليه][٣] ، ومنهم من هَرْوَلَ ، ومنهم من سَعى ، حتى أتَوْا رسولَ الله ﷺ فأخذوا بيده فقَبَّلوها ، وتخلَّف الأشجُّ في الرِّكاب حتى أناخَها ، وجمع متاع القوم ، ثم جاء يَمْشي ، حتى أخذَ بيد رسولِ الله ﷺ فقَبَّلها ، فقال النبيُّ ﷺ : « إن فيك خَلَّتَيْن يُحبُّهما الله ورسولُه » . قال : جَبْلٌ جُبلْتُ [عليه][٣] أم تخلُّقٌ[٣] مني ؟ قال : بل جَبْلٌ . فقال : الحمدُ لله الذي جَبَلني على ما يحبُّ اللهُ ورسولُه .

وقال ابن إسحاق[٤] : وقدم على رسول الله ﷺ الجارُودُ بن عمرو بن حَنَش أخو عبد القيس .

قال ابن هشام : وهو الجارود بن بشر بن المعلى[٥] ، في وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً .

قال ابن إسحاق : وحدّثني من لا أتَّهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلَّمه ، فعرض عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إنّي كنتُ على دِينٍ ، وإنّي تاركٌ دِيني لدينك ، أفتضمن لي ديني ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم أنا ضامنٌ أن قد هَدَاكَ اللهُ ، إلى ما هو خيرٌ منه » قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسولَ الله ﷺ الحُمْلانَ فقال : « والله ما عندي ما أحملُكم عليه » . قال : يا رسول الله إنَّ بيننا وبين بلادنا ضَوالَّ من ضَوالِّ الناس ، أَفَنَتَبَلَّغُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إيَّاكَ وإيّاها ، فإنما تلك حَرَقُ النار . قال : فخرج الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسنَ الإسلام ، صُلباً على دينه حتى هلكَ ، وقد أدركَ الرِّدَّةَ .

فلما رجع مِنْ قومه مَنْ كانَ أسلمَ منهم إلى دينهم الأول مع الغَرُور بن المنذر بن النعمان بن المنذر ، قام الجارود فتشهَّدَ شهادةَ الحق ودعا إلى الإسلام فقال : أيُّها الناسُ إنّي أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدهُ ورسولُه ، وأكفِّر من لم يشهد .

وقد كان رسول الله ﷺ بعثَ العلاء بن الحَضْرَميّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوَى العَبْدي ، فأسلم

---

(١) الزيادة من دلائل النبوة للبيهقي .
(٢) في المطبوعة : (فتلقى) .
(٣) في المطبوعة (تخلقاً) .
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٧٥) ـ وما بعدها ، وفيه جهالة وإرسال .
(٥) الإصابة (١/ ٢١٦) .

فحسنَ إسلامُه ، ثم هلكَ بعدَ رسولِ الله ﷺ قبل رِدّة أهل البحرين ، والعلاءُ عندَه أميراً لرسول الله ﷺ على البحرين .

ولهذا روى البخاري[١] من حديث إبراهيم بن طَهْمان عن أبي جَمْرَة[٢] عن ابن عباس . قال : [إنّ][٣] أول جمعة جُمِّعت [بعد جمعة جمعت][٣] في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجُواثى من البحرين .

وروى البخاري[٤] عن أم سلمة : أن رسول الله ﷺ أَخَّر الركعتين بعد الظهر بسبب وفد عبد القيس ، حتى صلاّهما بعد العصر في بيتها .

قلت : لكن في سياق ابن عباس ما يدلّ على أنَّ قدومَ وفد عبد القيس كانَ قبلَ فتحِ مكة ، لقولهم وبيننا وبينك هذا الحيّ من مُضَر ، لا نصل إليك إلا في شهر حرام ، والله أعلم .

قصة ثُمامة ووفد بني حنيفة ومنهم[٥] مسيلمة الكذاب

قال البخاري[٦] باب وفد بني حنيفة وقصة ثمامة بن أُثَال : حدّثنا عبد الله بن يوسف ، حدّثنا الليث بن سعد ، حدّثني سعيد بن أبي سعيد [أنّه][٧] سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال : بعث النبي ﷺ خيلاً قِبَل نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثُمامة بن أُثالٍ ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبيّ ﷺ فقال : « ما عندكَ يا ثُمامةُ ؟ » قال : عندي خيرٌ يا محمد ، إن تَقْتُلْني تَقْتُلْ ذا دمٍ ، وإن تُنْعِم تُنْعِمْ على شاكر ، وإن كنتَ تُريد المالَ فَسَلْ منه ما شئتَ . فتركَه حتّى كان الغد ، ثم قال له : « ما عندك يا ثمامةُ » . فقال : عندي ما قلتُ لك ، إن تُنْعِمْ تُنْعمْ على شاكرٍ ، فتركَه حتى [كان][٧] بعد الغد فقال : « ما عندكَ يا ثمامةُ ؟ » فقال : عندي ما قلتُ لكَ . فقال : « أطلقوا ثمامة » ، فانطلق إلى نَجْلٍ[٨] قريب من المسجد فاغتسل ، ثم دخل المسجد . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، يا محمد ، والله ما كان على وجه الأرض وجهٌ أبغضَ إليّ من وجهك ، فقد أصبحَ وجهُكَ أحبَّ الوجوه إلي ، والله ما كان [من][٩] دين أبغض إليَّ من دينك ، فأصبح دينك أحبَّ إليّ ، والله ما كان من بلد

---

(١) صحيح البخاري رقم (٨٩٢) في الجمعة .
(٢) في المطبوعة : (حمزة) تحريف . وقد تقدم .
(٣) ساقطة من أ و ط .
(٤) صحيح البخاري (٤٣٧٠) .
(٥) في ط ومعهم .
(٦) صحيح البخاري رقم (٤٣٧٢) في المغازي باب وفد بني حنيفة . وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣١٦ـ ٣١٧) .
(٧) الزيادة من صحيح البخاري .
(٨) النَّجْل : الماء السائل (القاموس : نجل) وفي هامش صحيح البخاري : « وفي نسخة نخل » . وكذا في أ وط .
(٩) الزيادة من صحيح البخاري .

أبغضَ إليّ من بلدك ، فأصبح بلدُكَ أحبَّ البلاد إليّ ، وإن خيلَكَ أخذتني وأنا أريدُ العمرةَ ، فماذا ترى ؟ فبشَّرهُ رسولُ الله ﷺ وأمره أن يَعْتَمِرَ ، فلمّا قدمَ مكةَ قال له قائلٌ : أصبوت ؟ قال : لا ، ولكن أسلمتُ مع محمد ﷺ ، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبةُ حنطةٍ حتى يأذن فيها النبي ﷺ .

وقد رواه البخاري في موضع آخر(١) ومسلم(٢) وأبو داود(٣) والنسائي(٤) ، كلهم عن قُتيبة ، عن الليث به .

وفي ذكر البخاري هذه القصة في الوفود نظر ، وذلك أنّ ثمامة لم يَفِدْ بنفسه ، وإنما أُسر ، وقُدم به في الوثاق ، فرُبط بساريةٍ من سواري المسجد ؛ ثم في ذِكْرِهِ مع الوفود سنةَ تسعٍ نظرٌ آخرُ ، وذلك أنَّ الظاهر من سياق قصَّتِه أنها قُبيل الفتح ، لأن أهل مكة عَيَّروه بالإسلام ، وقالوا : أصبوتَ ؟ فتوعَّدهم بأنه لا يفدُ إليهم من اليمامة حبةُ حنطةٍ ميرةً ، حتى يأذنَ فيها رسول الله ﷺ ، فدلَّ على أنَّ مكةَ كانت إذ ذاك دارَ حربٍ ، لم يُسلم أهلُها بعدُ . والله أعلم .

ولهذا ذكر الحافظ البيهقي(٥) قصةَ ثُمامة بن أُثال قبل فتح(٦) مكة ، وهو أشبه ، ولكن ذكرناه هاهنا اتِّباعاً للبخاري رحمه الله .

وقال البخاري(٧) : حدّثنا أبو اليمان ، حدّثنا شعيب ، عن عبد الله بن أبي حسين ، حدّثنا نافع بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قدم مُسيلمة الكذابُ على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن جَعَل لي محمدٌ الأمرَ من بعده اتبعته ، وقدِمها في بشر كثير من قومه ، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ، ومعه ثابتُ بن قيس بن شمّاس ، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد ، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه . فقال له : « لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدوَ أمرَ الله فيك ، ولئن أدبرتَ ليعقرنَّك الله ، وإني لأُراكَ الذي أُريت فيه ما رأيتُ(٨) ، وهذا ثابت يجيبك عني » ثم انصرف عنه . قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله ﷺ : « إنَّكَ أرى الذي أريت فيه ما رأيت »(٩) ، فأخبرني أبو هريرة ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا نائم ، رأيتُ في يديَّ سِوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما ، فأُوحي إليَّ في المنام أن ٱنفُخْهُما ،

---

(١) البخاري رقم (٤٦٩) في المساجد ، باب دخول المشرك المسجد .
(٢) صحيح مسلم رقم ١٧٦٤ في الجهاد .
(٣) سنن أبي داود رقم ٢٦٧٩ في الجهاد .
(٤) سنن النسائي (١/ ٤٦) في المساجد و(١/ ١١٠) في الطهارة .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٧٨ ـ ٨١) .
(٦) ليس اللفظ في المطبوعة .
(٧) صحيح البخاري (٤٣٧٣) .
(٨) في أ « رأيت فيه ما رأيت » وفي ط : (رأيت فيه ما أُريت) وأثبتنا ما في البخاري .
(٩) في أ « إنك الذي أريت فيه ما أريت » وفي ط « إنك الذي رأيت فيه ما أريت » وأثبتنا ما في البخاري .

فنفختهما ، فطارا ، فأولتهما كَذّابَيْن يَخْرجان بعدي ، أحدهما [الأسود][(١)] العنسي ، والآخر مسيلمة » .

ثم قال البخاري[(٢)] : حدّثنا إسحاق بن نصر[(٣)] ، حدّثنا عبد الرزاق ، أخبرني مَعْمر عن هَمّام بن مُنَبّه[(٤)] ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم أُتيتُ بخزائن الأرض ، فوُضع في كفي سواران من ذهب ، فكَبُرا عليّ ، فأُوحي إليّ أن أنفُخْهما ، فنفختُهما ، فذهبا فأوّلتهما الكَذَابَيْن اللذين أنا بينهما ؛ صاحبَ صَنْعاء ، وصاحبَ اليَمامة » .

ثم قال البخاري[(٥)] : حدّثنا سعيد بن محمد الجَرْمي ، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدّثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن عُبيدة بن نشيط ـ وكان في موضع آخر : اسمه عبد الله ـ أن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، قال : بلغنا أنّ مُسَيْلمة الكذّاب قدم المدينةَ فنزلَ في دار بنتِ الحارثِ ، وكان تحته بنتُ الحارث بن كُرَيْز ، وهي أم عبد الله بن الحارث[(٦)] بن كريز ، فأتاه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وهو الذي يقال له خطيب رسول الله ﷺ ، وفي يد رسول الله ﷺ قضيب ، فوقف عليه فكلمه ، فقال له مسيلمة : إن شئتَ خليتُ بينك[(٧)] وبين الأمر ، ثم جعلتَهُ لنا بعدك . فقال رسول الله ﷺ : « لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتُكَه ، وإني لأُراكَ الذي رأيت فيه ما رأيت[(٨)] ، وهذا ثابت بن قيس وسيجيبك عني » ، فانصرف رسول الله ﷺ . قال عُبَيْد[(٩)] الله : سألت ابن عباس عن رؤيا رسول الله ﷺ التي[(١٠)] ذكر ، فقال ابن عباس : ذُكر لي أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا نائم أُريت[(١١)] أنه وضع في يديَّ سواران من ذهب ، فَفُظِعْتُهما[(١٢)] وكرهتهما فأذن لي ، فنفختهما فطارا ، فأوَّلتهما كذابين (يخرجان » ، فقال عبيد الله : أحدهما العنسي الذي قتله)[(١٣)] فيروز باليمن ، والآخر مسيلمة الكذاب .

---

(١) ليس اللفظ في أ .
(٢) رقم (٤٣٧٥) .
(٣) في ط ، أ (منصور) وهو تحريف والمثبت من البخاري وانظر تهذيب الكمال (٢/ ٣٨٨) .
(٤) في المطبوعة (هشام بن أمية) وانظر تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٩٨) .
(٥) صحيح البخاري رقم (٤٣٧٨ ـ ٤٣٧٩) .
(٦) في البخاري « أم عبد الله بن عامر » وانظر فتح الباري (٨/ ٩٢) .
(٧) في أ : « بيني » .
(٨) في البخاري : « الذي أُريت فيه ما أُريت » ، وهو كما في المتن في رواية من روايات البخاري .
(٩) في المطبوعة (عبد) .
(١٠) في الأصول (الذي) وما هنا عن البخاري .
(١١) في المطبوعة (رأيت) .
(١٢) في (أ) و(ط) : « فقطعتهما » وأثبتنا ما في البخاري .
(١٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(ط) ومستدرك من البخاري .

وقال محمد بن إسحاق(١) : قدم على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة بن ثُمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هِفَّان بن ذُهْل بن الدُّوْل بن حنيفة ويكنى أبا ثمامة(٢) وقيل أبا هارون ، وكان قد تسمى بالرحمان ، فكان يقال له : رحمان اليمامة ، وكان عمره يوم قتل مئة وخمسين سنة ، وكان يعرف أبواباً من النيرجات(٣) ، فكان يدخل البيضة إلى القارورة ، وهو أول من فعل ذلك ، وكان يقص جناح الطير ثم يصله ، ويدَّعي أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب منها .

قلت : وسنذكر أشياء من خبره عند ذكر مقتله ، لعنه الله .

قال ابن إسحاق(٤) : وكان منزلهم في دار بنت الحارث ، امرأةٍ من الأنصار ثم من بني النجار ، فحدّثني بعض علمائنا من أهل المدينة ، أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه معه عسيبٌ من سَعَف النخلِ ، في رأسه خوصات(٥) ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كلَّمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : « لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتُكَه » .

قال ابن إسحاق : وحدّثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة ، أنّ حديثَه كانَ على غَيْرِ هذا . وزعم أنّ وفدَ بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخَلّفوا مُسَيْلمة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد خلّفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركائبنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : « أما إنَّه ليس بشرِّكم مكاناً » . أي : لحفظه ضَيْعَة أصحابه ، ذلك الذي يريد رسول الله ﷺ ، قال : ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ ، وجاؤوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله ﷺ ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله ، وتنبّأ ، وتكذّب لهم ، وقال : إني قد أُشركتُ في الأمر معه ، وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : « أما إنه ليس بشرِّكم مكاناً » ، ما ذاك إلا لما كان يعلم أني قد أُشركت في الأمر معه ، ثم جعل يسجع لهم السجعات ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاةً للقرآن : لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صِفَاقٍ وحشا . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع هذا يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نُبِّيء . فأصفقت(٦) معه بنو حنيفة على ذلك .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٧٦) وما بعد .

(٢) هكذا ورد نسبه في أ ، وط ، وفي جمهرة أنساب العرب (٣١٠) : « مسيلمة الكذاب بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن عدي بن حنيفة » .

(٣) النيرج : أُخذٌ تشبه السحر ، وليست بحقيقته ولا كالسحر ، إنما هو تشبيه وتلبيس (اللسان : نرج) .

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٧٦) .

(٥) العسيب : قضيب النخل . والسَعَف : جريد النخل وورقه وورق النخل اليابس . وخوصات : ورقات النخل (المعجم الوسيط : عسب ، سعف ، خوص) .

(٦) أصفق القوم على كذا أو له : أطبقوا عليه واجتمعوا (المعجم الوسيط : صفق) .

قال ابن إسحاق[١] : فالله أعلم أي ذلك كان .

وذكر السهيلي[٢] وغيره أن الرَّجَّال[٣] بن عُنْفُوة ـ واسمه نَهارُ بن عُنْفوة ـ وكان قد أسلم وتعلَّم شيئاً من القرآن ، وصحبَ رسولَ الله ﷺ مدة ، وقد مرَّ عليه رسول الله ﷺ وهو جالسٌ مع أبي هريرة وفُرات بن حَيّان ، فقال لهم : « أحدكم ضِرْسُه في النّار مثلُ أُحدٍ » فلم يزالا خائِفَيْن حتى ارتدّ الرَّجّال مع مَسَيْلمة ، وشهد له زُوراً أنّ رسولَ الله ﷺ أشْرَكَهُ في الأمر معه ، وأَلْقى إليه شيئاً مِمّا كَانَ يَحْفَظُه من القرآن ، فادّعاهُ مُسَيْلِمَةُ لنفسه ، فحصل بذلك فتنةٌ عظيمةٌ لبني حَنيفة . وقد قتله زيدُ بن الخَطّاب يومَ اليَمامة كما سيأتي .

قال السُّهَيْلي[٤] : وكان مُؤَذِّنُ مُسَيْلِمَةَ يقال له حُجَيْرٌ ، وكان مُدَبِّرُ الحَرْب بين يَدَيْه مُحَكَّمَ بنَ الطُّفَيْل ، وأُضيف إليهم سَجَاح ، وكانَتْ تُكَنّى أُمَّ صادِر ، تَزَوَّجَها مُسَيْلِمَةُ ، وله معها أخبارٌ فاحِشَةٌ ، واسم مُؤَذِّنِها زُهَيْرُ بن عَمْرو ، وقيل جَنَبَةُ بنُ طارِقٍ ، ويقال : إن شَبَثَ بن رِبْعيٍّ أذَّنَ لها أيضاً ثم أسلم ، وقد أَسْلَمَتْ هي أيضاً أيام عُمَرَ بن الخطاب ، فحسن إسلامُها .

وقال يونُس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق[٥] : وقد كان مُسَيْلِمَةُ بن حَبيب كتب إلى رسولِ الله ﷺ : من مُسَيْلَمة رسولِ الله إلى محمدٍ رسولِ الله ، سلامٌ عَلَيْكَ ، أما بعدُ ، فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمْرِ معكَ ، فإنّ لنا نِصْفَ الأمْرِ ، ولقُرَيْشٍ نصف الأمْرِ ، ولكن قُرَيشاً قومٌ يَعْتدون[٦] .

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب ، فكتب إليه رسولُ الله ﷺ[٧] : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى مُسَيْلَمة الكَذّاب ، سلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى ، أما بعد ، فإنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَنْ يَشاءُ من عباده والعاقبة للمتقين » . قال : وكان ذلك في آخر سنة عشر ـ يعني وُرودَ هذا الكتاب ـ .

قال يونس بنُ بكَيْر عن ابن إسحاق[٨] : فحدّثني سَعْدُ بن طارِقٍ ، عن سَلَمَةَ بن نُعَيْم بن مسعود ، عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ حين جاءَهُ رَسولا مُسَيْلمَةَ الكَذّابِ بكتابه يقول لهما : « وأنتما

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٥) .
(٢) الروض الأنف للسهيلي (٢/ ٣٤٠) .
(٣) في الأصول (الرحال) تحريف . وانظر الإصابة (١/ ٥٣٩) .
(٤) الروض الأنف (٢/ ٣٤٠) .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٣١) .
(٦) في ط : « لا يعتدون » وأثبتنا ما في أ وسيرة ابن هشام والطبري (٣/ ١٤٦) . وانظر مجموعة الوثائق السياسية رقم (٢٠٥) ص(٢٢٧) وفيها : « نصف الأرض ولقريش نصف الأرض » .
(٧) مجموعة الوثائق السياسية رقم (٢٠٦) ص(٢٢٨) .
(٨) رواية يونس بن بكير عن ابن اسحاق في دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٣٢) ومنه ينقل المصنف ، وهي عند الطحاوي في شرح المشكل (٢٨٦٣) ، والحاكم (٣/ ٥٢) ، والبيهقي في السنن (٩/ ٢١١) (بشار) .

تقولان ما يقول ؟ » قالا : نعم . فقال : أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ أعناقَكُما[١] .

وقال أبو داود الطيالسي[٢] : حدّثنا المَسْعودي ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : جاء ابن النَّواحة وابن أُثال رسولَيْن لمُسَيْلِمةَ الكذاب إلى رسول الله ﷺ ، فقال لهما : « أَتَشْهَدَانِ أنّي رسولُ الله ؟ » فقالا : نشهدُ أنّ مسيلمةَ رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « آمنتُ بالله ورسله ، ولو كنتُ قاتلاً رسولاً لقَتَلْتُـكُما » . قال عبد الله بن مسعود : فمضت السُّنَّة بأنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ ، قال عبد الله : فأما ابن أُثال فقد كفاه الله ، وأما ابن النَّواحة فلم يزل في نفسي منه حتى أمكن الله منه .

قال الحافظ البيهقي[٣] : أما ثُمامة[٤] بن أُثال فإنه أسلم ، وقد مضى الحديث في إسلامه . وأما ابن النَّواحة فأخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزكّي[٥] ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدّثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدّثنا جعفر بن عون ، أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إني مررت ببعض مساجد بني حَنيفة ، وهم يقرؤون قراءة ما أنزلها الله على محمد ﷺ : والطّاحناتِ طَحْناً ، والعاجِناتِ عَجْناً ، والخابِزاتِ خَبْزاً ، والثّاردات ثَرْداً ، واللاّقِماتِ لَقْماً . قال : فأرسل إليهم عبد الله ، فأُتي بهم وهم سبعون رجلاً ورأسهم عبد الله بن النَّواحة ، قال : فأمر به عبد الله فقتل ، ثم قال : ما كنا بمحرزين[٦] الشيطان من هؤلاء ، ولكن نحوزهم[٧] إلى الشام ، لعل الله أن يكفيَناهم .

وقال الواقدي[٨] : كان وفد بني حنيفة بضعة عشر رجلاً ، عليهم سلمى بن حنظلة ، وفيهم الرَّجّال بن عنفوة وطلق بن علي وعلي بن سنان ومُسَيْلمة بن حبيب الكذاب ، فأنزلوا في دار رملة[٩] بنت الحارث ، وأُجريتْ عليهم[١٠] الضيافة ، فكانوا يُؤْتَوْن بغداءٍ وعشاءٍ ، مرةً خبزاً ولحماً ، ومرة خبزاً ولبناً ، ومرةً

---

(١) ورواه من طريق محمد بن إسحاق : أحمد في المسند (٣/ ٤٨٧) وأبو داود رقم (٢٧٦١) والحاكم (٢/ ١٤٢) وسنده حسن .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي رقم (٢٥١) .
(٣) دلائل النبوة (٥/ ٣٣٢) .
(٤) في المطبوعة (أسامة) وهو تحريف انظر الإصابة (١/ ٢٠٣) .
(٥) في المطبوعة (المزني) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٩٥) .
(٦) أ : (بمحزرين) .
(٧) أ : (نحدرهم) .
(٨) طبقات ابن سعد (١/ ٣١٦ ـ ٣١٧) .
(٩) في المطبوعة (مسلمة) وما هنا موافق لما في طبقات ابن سعد ، وهو المصدر الذي ينقل منه المؤلف .
(١٠) في الأصول (على) ، وما أثبتناه من طبقات ابن سعد .

خبزاً ، ومرة خبزاً وسمناً ، ومرة تمراً ينثر لهم[١] . فلمّا قدموا المسجدَ أسلموا ، وقد خَلَّفوا مُسَيْلمة في رحالهم، ولما أرادوا الانصرافَ أعطاهم جوائزَهم خمسَ أواقٍ من فضة ، وأمر لمسيلمة بمثل ما أعطاهم ، لما ذكروا أنّه في رحالهم ، فقال : « أما إنه ليس بشرِّكم مكاناً » . فلما رجعوا إليه أخبروه بما قال عنه ، فقال : إنما قال ذلك لأنه عرف أن الأمر لي من بعده ، وبهذه الكلمة تشبَّث قبّحه الله حتى ادَّعى النبوة .

قال الواقدي[٢] : وقد كان رسول الله ﷺ بعث معهم بإداوة فيها فضل طهوره ، وأمرهم أن يهدموا بِيعتهم ، وينضحوا هذا الماء مكانها ، ويتخذوه مسجداً ، ففعلوا .

وسيأتي ذكر مقتل الأسود العنسي في آخر حياة رسول الله ﷺ ، ومقتل مسيلمة الكذاب في أيام الصِّدّيق ، وما كان من أمر بني حنيفة ، إن شاء الله تعالى .

وَفْدُ أَهْلِ نَجْران

قال البخاري[٣] : حدّثنا عَبّاسُ بن الحُسين ، حدّثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن صِلَةَ بن زُفَر ، عن حُذيفة ، قال : جاء العاقِبُ والسَّيِّد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ ، يريدان أن يلاعناه ، فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبياً فلاعنّاه[٤] لا نفلح نحن ولا عَقِبُنا من بعدنا . قالا : إنا نعُطيكَ ما سَأَلْتَنَا ، وابعث معنا رجلاً أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً[٥] . فقال : « لأبعثَنَّ معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين » . فاستشرفَ لها أصحابُ رسول الله ﷺ ، فقال[٦] : قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله ﷺ : « هذا أمين هذه الأمة » .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم[٧] من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق به .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٨] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل قالا : حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدّثنا يونس بن بُكير ، عن سلمة بن عبد[٩] يسوع ، عن أبيه ، عن جده ـ قال يونس وكان نصرانياً فأسلم ـ أنّ رسول الله ﷺ كتب إلى

---

(١) في المطبوعة (ينزلهم) .
(٢) طبقات ابن سعد (١/ ٣١٧) .
(٣) صحيح البخاري رقم (٤٣٨٠) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٥٧ـ٣٥٨) .
(٤) في صحيح البخاري : « فلاعنّا » .
(٥) في أ وط : « ولا تبعث معنا إلا رجلاً أميناً » وأثبتنا ما في البخاري ، ودلائل النبوة (٥/ ٣٩٢) .
(٦) في الأصول : (وقال) وما هنا عن البخاري .
(٧) البخاري رقم (٤٣٨١) ومسلم رقم (٢٤٢٠) في فضائل الصحابة .
(٨) دلائل النبوة (٥/ ٣٨٥) وما بعد .
(٩) ليس اللفظ في المطبوعة .

نجران قبل أن ينزل عليه « طسّ » سليمان[١] ؛ باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران (وأهل نجران ، إن أسلمتم)[٢] فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أما بعد ، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادةِ العِباد ، وأدعوكم إلى ولايةِ الله من ولاية العباد ، فإن أبيتُم فالجزيةُ ، فإن أبيتُم آذنْتُكم بحربٍ والسلام .

فلما أتى الأُسقُفَّ الكتابُ فقرأه فُظِع به ، وذُعر به ذُعراً شديداً ، وبعث إلى رجلٍ من أهل نَجْرانَ يقال له : شُرَحْبيل بن وَدَاعة ـ وكان من همدان ، ولم يكن أحدٌ يُدْعى إذا نزلت مُعْضِلة قبله لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب ـ فدفع الأُسْقُفُّ كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه ، فقال الأسقُفُّ يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمتَ ما وعدَ الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة ، فما يُؤمَن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ، ليس لي في النبوة رأيٌ ، ولو كان أمرٌ من أمورِ الدُّنيا لأشرتُ عليك فيه برأي وجهدت لك . فقال له الأسقُفُّ : تنحَّ فاجلس ، فتنحَّى شرحبيل ، فجلس ناحية ، فبعث الأسقفُّ إلى رجل من أهل نجران ، يقال له : « عبد الله بن شرحبيل » ، وهو من ذي أصْبَحَ من حِمْيَر ، فأقرأه الكتاب ، وسأله عن الرأي ، فقال له مثل قول شرحبيل ، فقال له الأسقُفُّ : تنحَّ فاجلس ، فتَنحَّى فجلس ناحيةً[٣] ، وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له « جَبّار بن فَيْضٍ » من بني الحارث بن كعب ، أحد بني الحِمَاس ، فأقرأه الكتاب ، وسأله عن الرأي فيه ، فقال له مثل قول شُرَحبيل وعبد الله ، فأمره الأُسقُفُّ فتنحى ، فجلس ناحية[٣] ، فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً ، أمر الأسقفُّ بالناقوس فضُرب به ، ورُفِعَت المسوح[٤] في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورُفعت النيران في الصَّوامع ، فاجتمع حين ضُرب بالناقوس ورفعت المسوح أهلُ الوادي أعلاه وأسفله ، وطول الوادي مسيرةُ يوم للراكب السَّريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية ، وعشرون ومئة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتابَ رسول الله ﷺ ، وسألهم عن الرأي فيه ، فاجتمع رأي أهلِ الرأي منهم على أنْ يَبْعَثوا شُرَحبيل بن وَداعة الهَمْداني ، وعبدَ الله بن شُرَحْبيل الأصْبَحي ، وجَبّار بن فيض الحارثي ، فيأتوهم بخبر رسول الله ﷺ . قال : فانطلق الوفد ، حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثيابَ السَّفَر عنهم ، ولبسوا حُللاً لهم يَجُرّونها من حِبَرةٍ وخَواتيم الذَّهب ، ثم انطلقوا حتى أتَوْا رسولَ الله ﷺ ، فسلموا عليه فلم يَرُدَّ عليهم السلام ، وتَصَدَّوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يُكَلِّمْهم وعليهم تلك الحُلَل والخَواتيم الذهبُ ، فانطلقوا يَتَّبَّعونَ

(١) يعني سورة النمل .
(٢) ليس ما بين القوسين في الأصول واستدركتها عن البيهقي .
(٣) في المطبوعة : (ناحيته) .
(٤) في المطبوعة : (النيران المسوح) .

عثمانَ بن عفانَ وعبدَ الرحمن بن عوف ، وكانوا يعرفونهما[١] ، فوجدوهما في ناسٍ من المهاجرين والأنصار في مجلس ، فقالوا : يا عثمان ويا عبد الرحمن ، إنّ نبيّكم كتبَ إلينا بكتابٍ ، فأقبلنا مُجيبين له ، فأتَيْناه فسلَّمنا عليه ، فلم يَرُدّ سلامَنا ، وتَصَدَّينا لكلامه نهاراً طويلاً ، فأعيانا أن يكلمنا ، فما الرأي منكما ، أتَرَوْنَ أن نَرْجعَ ؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم : ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال عليٌّ لعثمان ولعبد الرحمن رضي الله عنهم : أرى أن يضعوا حُلَلَهم هذه ، وخواتيمَهم ، ويلبسوا ثيابَ سَفَرِهم ، ثم يعودوا إليه ، ففعلوا ، فسلَّموا ، فرد سلامهم ، ثم قال : « والذي بعثني بالحق ، لقد أتوني المرة الأولى وإنّ إبليسَ لمعهم » . ثم ساءلهم وساءلوه ، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا : ما تقول في عيسى ، فإنّا نرجع إلى قومنا ، ونحن نصارى ، ليسرنا إن كنت نبياً أن نسمع[٢] ما تقول فيه . فقال رسول الله ﷺ : « ما عندي فيه شيءٌ يَوْمي هذا ، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى » فأصبح الغد وقد أنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩ ـ ٦١] . فأبوا أن يُقِرُّوا بذلك ، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خَميل له[٣] ، وفاطمة تمشي عندَ ظهره للمُلاعَنَةِ ، وله يومئذ عِدَّةُ نسوةٍ ، فقال شُرحبيل لصاحِبَيْه : قد عَلِمْتُما أنّ الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يَرِدوا ولم يَصْدُروا إلا عن رأيي ، وإني والله أرى أمراً ثقيلاً ، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً متقويا[٤] فكنا أول العرب طعن في عينه[٥] ، وَرَدَّ عليه أمرَه لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه[٦] حتى يصيبونا بجائحة ، وإنا أدنى العرب منهم جواراً ، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعنّاه لا يبقى على وجه الأرض منا شَعر ولا ظُفر إلا هلكَ ، فقال له صاحباه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال : رأيي أن أحكّمه ، فإني أرى رجلاً لا يَحْكُم شَططاً أبداً . فقالا له : أنت وذاك . قال : فتلقى شُرحبيل رسول الله ﷺ فقال : إني قد رأيتُ خيراً من ملاعنتك . فقال : « وما هو » ؟ فقال : حكمك اليوم إلى الليل ، وليلتك إلى الصباح ، فمهما حكمت[٧] فينا هو جائز ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) في دلائل النبوة : « وكانا معرفة لهم ، كانا يجدعان العتائر إلى نجران في الجاهلية ، فيشترون لهم من بزها وثمرها وذرتها ، فوجدوهما في ناس . . » .
(٢) في دلائل النبوة : « أن نعلم » .
(٣) الخميل : القطيفة (القاموس : خمل) .
(٤) في البيهقي : « مبعوثاً » .
(٥) في المطبوعة : (عيبته) وفي أ : (عيبه) وما هنا عن البيهقي .
(٦) في الدلائل : (قومه) .
(٧) في أ « فمهما حكمك » وفي ط « فما حكمك » وأثبتنا ما في دلائل النبوة .

« لعل وراءك أحداً[(١)] يثرِّبُ عليك ؟ » فقال شُرحبيل : سل صاحبيّ : [فسألهما][(٢)] . فقالا : ما يرد الوادي ولا يَصْدُرُ إلا عن رأي شُرَحْبيل[(٣)] . فرجع رسول الله ﷺ فلم يُلاعِنْهُمْ ، حتى إذا كان الغدُ أتوه ، فكتب لهم هذا الكتاب[(٤)] ؛ بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب محمد النبي[(٥)] رسول الله لنجران ، أن[(٦)] كان عليهم حُكمُه في كل صفراء وبيضاء ورقيق ، فَأَفْضَل عليهم وترك ذلك كله[(٧)] على أَلفَيْ حُلَّةٍ[(٨)] ، في كلّ رجبٍ ألف حُلّةٍ ، وفي كُلِّ صَفَرٍ ألفُ حُلةٍ » وذكر تمام الشروط[(٩)] . إلى أن [قال][(١٠)] شهد أبو سفيان بن حرب ، وغَيْلان بن عمرو ، ومالك بن عوف من بني نصر ، والأقرع بن حابس الحنظلي ، والمغيرة [بن شعبة][(١٠)] وكتب[(١١)] .

حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران ، [فتلقاهم الأُسْقُفُ ووجوه نجران على مسيرة ليلة من نجران][(١٠)] ، ومع الأسقُفِّ أَخٌ له من أمه ، وهو ابنُ عمّه من النسب ، يقال له بشر بن معاوية ، وكنيتُه أبو عَلْقَمة ، فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى الأُسقُفِّ ، فبينما هو يقرؤه ، وأبو علقمة معه وهما يسيران ، إذ كَبَتْ ببشر ناقته فتَعَّس بشر ، غير أنه لا يُكنِّى عن رسول الله ﷺ ، فقال له الأُسْقُفُّ عند ذلك :

---

(١) في ط : (أحد) خطأ .
(٢) زيادة عن دلائل النبوة .
(٣) بعدها في دلائل النبوة : « فقال رسول الله ﷺ : كافر ، أو قال جاحد موفق ، فرجع . . » .
(٤) وانظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة رقم (٩٤) ص(١١١ ـ ١١٢) .
(٥) في ط « النبي الأمي » .
(٦) في البيهقي (٥/ ٣٨٩) ومجموعة الوثائق : « إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق وأفضل عليهم . » .
(٧) في مجموعة الوثائق : « كله لهم . . » .
(٨) في دلائل النبوة ، ومجموعة الوثائق : « على ألفي حلة من حلل الأواقي » .
(٩) بقية الشروط في دلائل النبوة ومجموعة الوثائق هي : « . . . ومع كل حلة أوقية من الفضة فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب ، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب ، وعلى نجران مؤنة رسلي ومتعتهم ما بين عشرين يوماً فدُونه ، ولا تحبس رسلي فوق شهر ، وعليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إذا كان كيد باليمن ومعرّة ، وما هلك مما أعاروا من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسلي حتى يؤدوه إليهم ، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبيّ على أنفسهم وملتهم وأرضيهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وأن لا يغيّروا مما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم ولا يغيروا أسقف عن أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا واقهاً من وقيهاه وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس عليهم دنيّة ولا دم جاهلية ، ولا يحشرون ولا يعشرون ، ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين بنجران ، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة ، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر . وعلى ما في هذه الصحيفة جواب الله عزَّ وجلَّ ، وذمة محمد رسول الله ﷺ أبداً حتى يأتي الله بأمره ، وما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم » .
(١٠) زيادة عن دلائل النبوة .
(١١) في مجموعة الوثائق : « وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبي بكر . » وانظر تاريخ اليعقوبي (٢/ ٩٠) وما بعد .

قد والله تعَّستَ نبياً مرسلاً ، فقال له بشر : لا جرم ، واللهِ لا أحل عنها عقداً حتى آتي رسولَ الله ﷺ ، فصرف[١] وجه ناقته نحو المدينة ، وثنى الأسقفُ ناقته عليه ، فقال له : افهم عني ، إنما قلت هذا ليبلغ عني العربَ مخافةَ أن يَرَوْا أنّا أخذنا حقَّه أو رضينا نصرته أو بَخَعْنا[٢] لهذا الرجل بما لم تَبْخَعْ به العرب[٣] ، ونحن أعزُّهم وأجمعُهم داراً . فقال له بشر : لا والله لا أقبل ما خرجَ من رأسك أبداً ، فضرب بشرٌ ناقتَه وهو مُوَلِّي الأُسْقُفَّ ظَهْرَهُ ، وارتجز يقول :

إِلَيْكَ تعدُو قَلِقاً وضينُها[٤] مُعْتَرِضاً فِي بَطْنِها جَنينُها

مُخَالِفاً دِينَ النَّصارَىٰ دِينُها

حتى أتى رسولَ الله ﷺ فأسلم ، ولم يزل معه حتى قُتل بعد ذلك .

قال[٥] : ودخل الوفدُ نَجرانَ ، فأتى الراهبَ ليثَ بن أبي شمر الزبيدي وهو في رأس صومعته[٦] فقال له : إن نبياً بُعث بتهامة ، فذكر ما كان من وفد نجران إلى رسول الله ﷺ ، وإنه عرض عليهم الملاعنةَ فأَبَوْا ، وأن بشرَ بنَ معاوية دفع إليه فأسلم . فقال الراهب : أنزلوني وإلا ألقيتُ نفسي من هذه الصومعة ، قال : فأنزلوه ، فأخذ معه هدية ، وذهب إلى رسول الله ﷺ منها هذا البُردُ الذي يلبسه الخلفاء وقَعْبٌ وعصا ، فأقام مدةً عند رسول الله ﷺ يسمعُ الوَحْيَ ، ثم رجع إلى قومه ولم يُقَدَّرْ له الإسلامُ ، ووعدَ أنه سيعود ، فلم يُقَدَّرْ له حتى توفِّي رسولُ الله ﷺ .

وأن[٧] الأُسْقُفَّ أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ، ومعه السيدُ والعاقبُ ووجوهُ قومه ، فأقاموا عنده يسمعون ما يُنَزِّلُ الله عليه ، وكتب للأُسْقُفّ هذا الكتاب ولأساقِفَة نَجْرانَ بعده[٨] « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبيّ للأسقفّ أبي الحارث و[كلّ][٩] أساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم[١٠] وكلّ ما تحت أيديهم من قليلٍ أو كثير جوار اللهِ ورسوله ، لا يُغَيّرُ أسقُفٌّ من أُسْقُفَّتِهِ ولا راهبٌ من رهبانيّته ولا كاهنٌ من

(١) في دلائل النبوة : (فضرب) .
(٢) بخع له بحقه : أقر به وخضع وتذلل (اللسان : بخع) .
(٣) في أ وط : « نجعنا لهذا الرجل بما لا تنجع به العرب » .
(٤) الوضين : حزام السرج (اللسان : وضن) .
(٥) أي البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٩٠) وانظر تفصيل الخبر فيه .
(٦) في ط : (فأتى الراهب بن أبي شمر الزبيدي وهو في صومعته) وما أثبته عن الدلائل .
(٧) دلائل النبوة (٥/ ٣٩١) .
(٨) ليس اللفظ في الدلائل .
(٩) زيادة من دلائل النبوة .
(١٠) في دلائل النبوة : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي ﷺ للأسقف أبي الحارث وكل أساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وبيعهم وأهل بيعهم ورقيقهم وملتهم ومتواطئهم وعلى كل ما تحت أيديهم . . » .

كهانته ولا يغيّر من حقوقهم ولا سلطانهم ولا مما[(١)] كانوا عليه من ذلك ، جوار الله ورسوله أبداً ، ما أصلحوا ونصحوا عليه غير مُثْقَلين[(٢)] بظلمٍ ولا ظالمين » وكتب المغيرة بن شعبة .

وذكر محمد بن إسحاق[(٣)] أن وفد نصارى نجران كانوا ستين راكباً ، يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ، وهم العاقب واسمه عبد المسيح ، والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة ، وأوس ، والحارث[(٤)] ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونُبَيْه ، وخُويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويُحَنَّس ، وأمر هؤلاء الأربعة عشر يؤول إلى ثلاثة منهم ، وهم العاقب ، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، والسيد وكان ثِمالَهم[(٥)] وصاحب رحلهم ، وأبو حارثة بن علقمة ، وكان أسقفهم وحبرهم ، وكان رجلاً من العرب من بكر بن وائل ، ولكن دخل في دين النصرانية ، فعظّمته الروم وشرّفوه ، وبنوا له الكنائس ، ومَوّلوه ، وأخدموه لما يعرفون من صلابته في دينهم ، وكان مع ذلك يعرف أمر رسول الله ﷺ ، ولكن صده الشرف والجاه من اتّباع الحق .

وقال يونس بن بُكير[(٦)] ، عن ابن إسحاق : حدّثني بُرَيْدة بن سفيان ، عن ابن البَيْلَماني ، عن كُرْز بن[(٧)] علقمة ، قال : قدم وفدُ نصارى نَجْران ستون راكباً منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم ، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر ، إليهم يؤول أمرهم ، العاقب ، والسيد ، وأبو حارثة أحدُ بني بكر بن وائل ، أسقُفُّهم وصاحبُ مِدْراسهم[(٨)] ، وكانوا قد شرَّفوه فيه ومَوَّلوه وأكرموه[(٩)] ، وبسطوا عليه الكرامات ، وبنوا له الكنائس ؛ لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ، فلما توجَّهوا من نجران جلسَ أبو حارثة على بَغْلةٍ له ، وإلى جنبه أخٌ له يقال له كُرْزُ بن عَلْقَمة يُسايره ، إذ عثرت بغلةُ أبي حارثة فقال كُرْز : تعس الأبعدُ ـ يريد رسول الله ﷺ ـ . فقال له أبو حارثة : بل أنت تَعِسْتَ . فقال له كُرْزٌ : ولِمَ يا أخي ؟ فقال : والله إنه للنَّبيُّ الذي كنا ننتظره . فقال له كُرْزُ : وما يمنعُكَ وأنت تعلم هذا . فقال له :

---

(١) في الأصول (ما) وما هنا عن الدلائل .
(٢) في أ « منقلبين » .
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٥٧٣ ـ ٥٧٥) .
(٤) في أ و ط : « وأوس بن الحارث » . وأثبتنا ما في سيرة ابن هشام . لأنه بهذا يصير عددهم أربعة عشر رجلاً كما ذكر في أول الخبر .
(٥) الثمال بالكسر : الملجأ والغياث ، وقيل : هو المطعم في الشدة (النهاية : ثمل) .
(٦) دلائل النبوة (٥/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣) .
(٧) في الإصابة (٣/ ٢٩٢) : «كرز ويقال: كرز بن علقمة البكري النجراني» ثم ذكر صاحب الإصابة الخلافات في اسمه.
(٨) في الأصول (مدارسهم) تحريف .
(٩) في أ : (وأخدموا) .

ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرَّفونا وموَّلونا وأخدمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى . قال : فأضمر عليها منه أخوه كرز حتى أسلم بعد ذلك .

وذكر ابن إسحاق[(١)] أنهم لما دخلوا المسجد النبوي دخلوا في تجمُّلٍ وثيابٍ حسانٍ ، وقد حانت صلاة العصر ، فقاموا يصلّون إلى المشرق ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوهم » . فكان المتكلم لهم أبا حارثة بن علقمة والسيد والعاقب ، حتى نزل فيهم صَدْرُ[(٢)] سورة آل عمران والمباهلة ، فأبوا ذلك ، وسألوا أن يرسل معهم أميناً ، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ، كما تقدم في رواية البخاري .

وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسير سورة آل عمران[(٣)] . ولله الحمد والمنة .

وَفْدُ بني عامرٍ وقِصَّةُ عامرِ بن الطُّفَيْلِ وأَرْبَدَ بن قَيْسٍ[(٤)]

قال ابن إسحاق[(٥)] وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأَرْبَدُ بن قيس بن جَزء بن جعفر بن خالد[(٦)] ، وجَبّار[(٧)] بن سُلْمىٰ[(٨)] بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساءَ القوم وشياطينهم ، وقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا ، فأسْلِمْ . قال : والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبعَ العرب عَقِبي ، فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال لأرْبد : إنْ قدمنا على الرجل فإني سأشْغَلُ عنك وجهَه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُهُ بالسيف ، فلما قدموا على رسولِ الله ﷺ ، قال عامر بن الطُّفَيْل : يا محمد ، خالِّني[(٩)] . قال : « لا والله حتى تؤمنَ بالله وحدَه » قال : يا محمد ، خالّني . قال : وجعل يُكَلِّمُهُ وينتظر من أَرْبَدَ ما كان أمرَهُ به ، فجعل أَرْبَدُ لا يُحير شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنعُ أَرْبد قال : يا محمد ، خالني ، قال : « لا ، حتى تؤمنَ بالله وحدَه لا شريكَ له » . فلما أبى عليه رسولُ الله ﷺ قال : أما والله

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٥٧٤ ـ ٥٨٤) .
(٢) في ط : (صدر من) .
(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣ ـ ٤٦) .
(٤) في أ وط مقيس ، وأثبتنا ما في جمهرة أنساب العرب (٢٨٥) وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٣٣) ودلائل النبوة (٥/ ٣١٨) .
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٧ ـ ٥٦٩) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣١٠) .
(٦) في جمهرة الأنساب : « بن جزء بن خالد بن جعفر » .
(٧) في أ ودلائل النبوة « حيّان » وأثبتنا ما في الإصابة (١/ ٢١٩) وط .
(٨) بضم السين وقيل بفتحها . الإصابة (١/ ٢١٩) .
(٩) خالّني : من رواه ـ بتخفيف اللام ـ فمعناه تفرَّدْ لي خالياً حتى أتحدث معك . ومن رواه خالّني ـ بتشديد اللام ـ فمعناه : اتخذني خليلاً وصاحباً من المخالّة وهي الصداقة (شرح السيرة النبوية لأبي ذر الخشني ـ مصورة دار الكتب العلمية عن طبعة بولس برونلة) .

لأملأنَّها عليكَ خيلاً ورجالاً . فلما ولَّى قال رسول الله ﷺ : « اللهم اكفني عامر بن الطُّفيل » . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل لأرْبد : أين ما كنتُ أمرتُكَ به ؟ والله ما كانَ على ظهر الأرضِ رجلٌ أخوفَ على نفسي[١] منك ، وايْمُ اللهِ لا أخافك بعدَ اليوم أبداً . قال : لا أبالك لا تَعْجَلْ عليّ ، واللهِ ما هَمَمْتُ بالذي أمرتني به[٢] إلا دخلتَ بيني وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك أفأضْرِبك بالسَّيف ؟ . وخَرجوا راجعين إلى بلادهم حتَّى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله عزَّ وجلَّ على عامر بن الطُّفَيْل الطاعونَ في عُنُقه ، فقتَلَهُ اللهُ في بيت امرأةٍ من بني سَلُول ، فجعل يقول : يا بني عامر أغُدَّة كغدةِ البَكْر في بيت امرأة من بني سلول[٣] ؟!

قال ابن هشام[٤] . ويقال أغدةً كغدة الإبل ، وموتاً في[٥] بيت سلولية .

وروى الحافظ البيهقي[٦] من طريق الزبير بن بكار ، حدّثتني فاطمة بنت عبد العزيز بن مَوَلَة[٧] عن أبيها ، عن جدِّها مَوَلَة بن جميل قال : أتى عامرُ بن الطُّفيل رسولَ الله ﷺ فقال له : « يا عامر أَسْلِمْ » . فقال : أُسلمُ على أنّ لي الوبَر ، ولك المدرَ ، قال : « لا » . ثم قال [يا عامر][٨] أسلم . فقال : أسلمُ على أن لي الوبرَ ، ولك المدرَ . قال : لا ، فولّى ، وهو يقولُ : والله يا محمدُ لأملأنَّها عليكَ خيلاً جُرْداً ورجالاً مُرداً ، ولأربطنَّ بكل نخلة فرساً . فقال رسول الله ﷺ : اللهمّ اكفني عامراً واْهْدِ قومَه . فخرج حتى إذا كان بظهرِ المدينة صادفَ امرأةً من قومه يقال لها : سَلولية ، فنزل عن فرسه ، ونام في بيتها ، فأخذته غدّةٌ في حلقه ، فوثب على فرسه وأخذ رمحه ، وأقبل يجولُ وهو يقول : غُدّة كغُدَّة البَكْر وموتٌ في بيت سَلولية ، فلم تَزَلْ تلك حاله حتى سَقَطَ عن فرسه ميتاً .

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب[٩] في أسماء الصحابة مَوَلَة هذا فقال : هو مَوَلَة بن

---

(١) في سيرة ابن هشام ودلائل النبوة : « أخوف عندي على نفسي » .
(٢) في سيرة ابن هشام ودلائل النبوة : « بالذي أمرتني به من أمره » .
(٣) المثل في معجم الأمثال العربية (بعر ـ بيت ـ سلل ـ غدد ـ موت) ، ومصادره فيه : مجمع الأمثال (٢/ ٥٧) ، وجمهرة الأمثال (١/ ٩) و(٢/ ١٠ ـ ١٣) وأمثال القاسم (٢٦١) وفصل المقال (٣٧٤) ، والمستقصى (١/ ٢٥٨) واللسان (غدد) .
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٩) .
(٥) في أ وط « وموتٌ » وأثبتنا ما في سيرة ابن هشام .
(٦) دلائل النبوة (٥/ ٣٢١) .
(٧) في دلائل النبوة « مؤمّل » وأثبتنا ما في أ واسم أبيه في دلائل النبوة : « جميل » وفي الإصابة (٣٠/ ٤٦٨) : (موله) بفتحتين ابن كنيف بن حمل بن خالد بن عمرو بن الضباب بن كلاب الكلابي .
(٨) الزيادة من دلائل النبوة .
(٩) الاستيعاب (٤/ ١٤٨٧) والزيادة عنه .

كُثَيف الضِّبابي الكِلابيّ العامري ، من بني عامر بن صعصعة ، أتى رسول الله ﷺ وهو ابنُ عشرين سنة ، فأسلم ، وعاش في الإسلام مئة سنة ، وكان [فصيحاً] يُدْعى ذا اللسانين من فصاحته ، روى عنه ابنُه عبد العزيز [بن مَوَلة] ، وهو الذي روى قصة عامر بن الطفيل : غُدّة [كغُدَّةِ] البَعير ومَوْتٌ في بيت سَلوليّة .

قال الزبير بن بكار : حدّثتني ظَمْياء بنت عبد العزيز بن مَوَلة بن كُثَيْف بن حَمَل[١] بن خالد بن عمرو بن معاوية ، وهو الضِّباب بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَة ، قالت : حدّثني أبي ، عن أبيه مَوَلة ، أنه أتى رسول الله ﷺ ، فأسلم وهو ابن عشرين سنة ، وبايع رسول الله ﷺ ، ومسح يَمينَه ، وساقَ إبلَه إلى رسول الله ﷺ ، فصدقها بنتَ لَبونٍ ، ثم صحب أبا هريرة بعد رسول الله ﷺ ، (وعاش في الإسلام مئةَ سنة ، وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته)[٢] .

قلت : والظاهر أن قصة عامر بن الطُّفَيْل متقدِّمةٌ على الفتح ، وإن كان ابن إسحاق والبيهقي قد ذكراها بعد الفتح ، وذلك لما رواه الحافظ البيهقي[٣] ، عن الحاكم ، عن الأصم ، أنبأنا محمد بن إسحاق ، أنبأنا معاوية بن عمرو ، حدّثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس ، في قصة بئر معونة ، (وقتل عامر بن الطفيل حرام بن ملحان خال أنس بن مالك ، وغدرِه بأصحاب بئر معونة)[٤] حتى قُتلوا عن آخرهم سوى عمرو بن أمية ، كما تقدم[٥] ، قال الأوزاعيُّ : قال يحيى : فمكث رسول الله ﷺ يدعو على عامر بن الطُّفَيْل ثلاثين صباحاً : « اللهمّ اكْفني عامرَ بن الطُّفَيْل بما شئتَ ، وابعثْ عليه ما يقتلُه »[٦] فبعث الله عليه الطاعون .

ورُوي[٧] عن همّام ، عن إسحاق بنِ عبد الله ، عن أنس في قصة [حرام] بن ملحان قال : وكان عامر بن الطفيل قد أتى رسول الله ﷺ فقال : أخيّركَ بين ثلاث خصال : يكون لك أهل السهل ، ويكون لي أهل المَدَر[٨] ، وأكون خيلفتَكَ من بعدكَ ، أو أغزوكَ بغَطَفان بألفِ أشقرَ وألفِ شَقْراء ، قال : فطُعن في بيتِ امرأة ، فقال : غدة كغدة البَكْر[٩] وموت في بيت امرأة من بني فلان ، ائتوني بفرسي ، فركب فمات على ظهر فرسه .

---

(١) في الأصول : (حميل) وأثبت رواية الاستيعاب لأنه ينقل عنه .
(٢) لم يرد ما بين القوسين في الاستيعاب .
(٣) دلائل النبوة (٥/ ٣٢٠) .
(٤) ما بين القوسين ساقط من أ .
(٥) أي كما تقدم عند البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٣٨) وما بعدها .
(٦) هكذا في أ و ط وفي دلائل النبوة (٥/ ٣٢٠) « داءً يقتله » .
(٧) صحيح البخاري (٤٠٩١) ودلائل النبوة (٥/ ٣٢٠) .
(٨) في أ وط : « الوبر » ، وما هنا من صحيح البخاري ودلائل النبوة ، وهو الصواب .
(٩) ط : (البعير) .

قال ابن إسحاق[١] : ثم خرج أصحابه حين وارَوْهُ[٢] حتَّى قَدِموا أرضَ بني عامرٍ شاتِيْن ، فلما قَدِموا أتاهم قومُهم : فقالوا : وما وراءَكَ يا أرْبَد ؟ قال : لا شيءَ ، واللهِ لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت لو أنه عندي الآن ، فأَرْمِيَه بالنَّبْل حتى أقتلَه الآن ، فخرج بعدَ مقالته بيوم أو يومين معه جملٌ له يبيعه[٣] فأرسل الله عليه وعلى جملِه صاعقةً فأحرقتهما .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمّه، فقال لبيدٌ يبكي أرْبَدَ : [من المنسرح]

مـا إن تُعَـرِّي[٥] المَنُـونُ مِـنْ أَحَـدِ ... لا والِــــدٍ مُشْفِـــقٍ ولا وَلَــــدِ
أخْشَـى عَلـى أرْبَـدَ الحُتُـوفَ ولا ... أرْهَــبُ نَــوءَ السِّمَــاكِ والأسَــدِ[٦]
فَعيْــنِ[٧] هَــلاَّ بَكَيْــت أرْبَــدَ إذْ ... قُمْنَــا وَقَــامَ النسَــاءُ فــي كَبَــدِ
إنْ يَشْغَبُــوا لا يُبَــالِ شَغْبَهُــمُ ... أوْ يَقْصِـدُوا في الحُكُـومِ يَقْتَصِـدِ[٨]
حُلْــوٌ أريــبٌ وفــي حَــلاوَتِــهِ ... مُــرّ لطيــف[٩] الاحْشَــاءِ وَالكبِــدِ
وَعَيْــنِ هَــلاَّ بَكَيْــتِ أرْبَــدَ إذْ ... ألْــوَتْ رِيــاحُ الشِّتَــاءِ بــالعَضَــدِ[١٠]
وأصْبَحَــتْ لاقِحــاً مُصَــرَّمَــةً ... حيـن تجلَّـت[١١] غَـوابِـرُ المُـدَدِ[١٢]
أشْجَـعُ مِـنْ لَيْـثِ غـابَـةٍ لَحِـم ... ذُو نَهمَـةٍ فــي العُـلا وَمُنْتَقَـدِ[١٣]
لا تَبْلُـغُ[١٤] العَيْـنُ كُـلَّ نَهْمتهـاً ... لَيْلَـةَ تُمْسـي الجيـادُ كـالقِـدَدِ[١٥]

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٩) .
(٢) في ط : (رأوه) .
(٣) في السيرة : (يتبعه) .
(٤) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٣٥) وشرح ديوان لبيد (١٥٨ ـ ١٦٢) .
(٥) تعري : يقول : لا تدعه عارياً من المصائب (شرح الديوان ١٥٨) وفي ابن هشام : « تعدّي » أي تترك .
(٦) قال شارح الديوان : « كنت أخشى عليه كل سبب من أسباب المنية ، ولم أكن أفرق عليه صاعقة » .
(٧) في ديوانه (يا عين) .
(٨) قال الشارح : « الشغب هاهنا : القتال . يقتصدوا : يأخذوا القصد » .
(٩) ط : (لصيق) وما أثبته عن أ ويوافق ما في الديوان .
(١٠) في شرح الديوان : « ألوت : ذهبت به وطارت . العضد : الشجر اليابس ويقال المقطوع » .
(١١) في الديوان : (فأصبحت . . . حين تقضَّتْ . .) وفي السيرة (حتى تحلت . .) .
(١٢) يشبه الحرب بالناقة التي لقحت فشالت بذنبها . قال الشارح : « هذه الحرب قد هاجت فشالوا فيها بالرماح والسيوف كما تشول اللاقح بذنبها تري الفحل أنها حامل . الغوابر : الباقية . المدد : الغايات ، واحدتها مدة » .
(١٣) هذا البيت ساقط من شرح الديوان . .
(١٤) في الديوان : (لن يُبْلغ العينَ . .) .
(١٥) قال الشارح : «يقول : لا يحرص ولا يشره ولا يمنع حقاً . يقول : لم يبلغ عيني منه كل ما تريد أن تنظر إليه من سرور في هذه الليلة التي هذه حالها. وتمسي الجياد كالقدد، أي ضامرة من شدة السير والإتعاب. والقدد: السيور».

البَـاعِـثُ النَّـوْحَ فـي مَـآتِمِـهِ مِثْـلَ الظِّبـا الأبْكـارِ بـالجَـرَدِ[١]
فَجَّعَنِـي البَـرْقُ وَالصَّـواعِـق[٢] بـالـ ـفـارس يَـوْمَ الكَـرِيهَـةِ النُّجُـدِ[٣]
والحَـارِبِ الجَـابِـرِ الحَـريـبَ إذا جـاءَ نَكيبـاً وإنْ يَعُـدْ يَعُـدِ[٤]
يَعْفُـو علـى الجَهْـدِ والسُّؤالِ كَمَـا يَنْبُتُ غَيْثُ الرَّبيع[٥] ذُو الرَّصَدِ[٦]
كُـلُّ بَنـي حَـرَّةٍ مَصِيـرُهُـمُ قَـلَّ وإنْ كَثُـرُوا[٧] مِـنَ العَـدَدِ
إن يُغْبَطُـوا يُهْبَطُـوا وإنْ أَمِـروا[٨] يَـوْمـاً فَهُـمْ لِلْهَـلاكِ والنَّفَـدِ[٩]

وقد روى ابن إسحاق عن لبيد أشعاراً كثيرة في رثاء أخيه لأمه أرْبَد بن قيس ، تركناها اختصاراً واكتفاءً بما أوردناه ، والله الموفق للصواب .

قال ابن هشام[١٠] : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس قال : فأنزل الله عزَّ وجلَّ في عامر وأرْبَد : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد : ٨ ـ ١١][١١] . يعني محمداً ﷺ ثم ذكر أربد وقتله فقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١١ ـ ١٣] .

قلت : وقد تكلَّمْنا على هذه الآيات الكريمات في سورة « الرعد »[١٢] . ولله الحمد والمنة .

---

(١) الجرد : الأرض المستوية وجمعها : أجراد (شرح الديوان) .
(٢) في الديوان : (الرعد والصواعق) .
(٣) النجد : البطل ذو النجدة (شرح الديوان) .
(٤) الحارب : من يحرب الأموال . الجابر : الذي يجبر من قد حُرب ماله . نكيب : مصاب . يقول : إذا جاء الحريب نكيباً أي منكوباً وإن بعد الحريب للسؤال يعد له أربد بالعطاء . (شرح الديوان) .
(٥) في شرح الديوان : (كما أنزل صوب الربيع ذي الرصد) .
(٦) يعفو : يكثر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا ﴾ [الأعراف : ٩٥] . أي : كثروا . الصوب : المطر . الرصد : المطر يكون أول الزمان (شرح الديوان) .
(٧) في الديوان والسيرة : (. . وإن كثرت . . .) .
(٨) أمِروا : كثروا .
(٩) في شرح الديوان : (يوماً يصيروا للهُلْكِ والنَّكدِ) . ومعنى أمروا في شرح الديوان : كثروا .
(١٠) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٧١ ـ ٥٧٣) .
(١١) وتتمة الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ .
(١٢) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٧ ـ ٣٦٧) .

وقد وقع لنا إسناد ما علَّقه ابن هشام رحمه الله ، فروينا من طريق (الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في « معجمه الكبير »[١] ، حيث قال : حدّثنا مسعدة بن سعد)[٢] العطار ، حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي[٣] ، حدّثني عبد العزيز بن عمران ، حدّثني عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم ، عن أبيهما ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس : أن أرْبَد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جعفر بن كلاب[٤] وعامر بن الطفيل بن مالك ، قدما المدينة على رسول الله ﷺ ، فانتهيا إليه وهو جالس ، فجلسا بين يديه ، فقال عامر بن الطُّفيل : يا محمد ما تجعل لي إن أسلمتُ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم » . قال : عامر : أتجعل لي الأمرَ إن أسلمتُ من بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ليس ذلك لك ولا لقومك ، ولكن لك أعنَّةُ الخيل » . قال : أنا الآن في أعنَّةِ خيل نجدٍ ، اجعل لي الوبر ولك المدر ، قال رسول الله ﷺ : « لا » ، فلما قفل من عنده ، قال عامر : أما والله لأملأنّها عليك خيلاً ورجالاً ، فقال رسول الله ﷺ : « يمنعك اللهُ » . فلما خرج أربد وعامر ، قال عامر : يا أربد أنا أشغلُ عنك محمداً بالحديث ، فأضربه بالسيف ، فإن الناس إذا قتلتَ محمداً لم يزيدوا على أن يرضَوْا بالدّية ويكرهوا الحرب، فسنعطيهم الديةَ ، قال أربد: أفعلُ . فأقبلا راجعين إليه ، فقال عامر : يا محمد، قم معي أكلمك[٥] فقام معه رسول الله ﷺ ، فخلّيا إلى الجدار ، ووقف معه رسول الله ﷺ يُكَلمه ، وسَلَّ أربدُ السَّيف ، فلما وضعَ يدَه على السيف يبستْ يدُه على قائمِ السيف فلم يَسْتَطِعْ سَلَّ السيف ، فأبطأ أرْبَدُ على عامر بالضَّرب ، فالتفت رسول الله ﷺ ، فرأى أرْبَد وما يصنع ، فانصرف عنهما ، فلما خرج أربدُ وعامر من عند رسول الله ﷺ حتى إذا كانا بالحرَّة حرَّة واقم[٦] نزلا ، فخرج إليهما سعد بن معاذ وأُسيد بن الحضير فقالا : اْشخصا يا عدوي الله لعنكما الله ، فقال عامر : من هذا يا سعد ؟ قال : أُسيد بن حضير الكتائب ، فخرجا حتى إذا كانا بالرَّقَم[٧] أرسل الله على أَرْبَد صاعقةً فقتلته ، وخرج عامر حتى إذا كان بالحرة[٨] أرسل الله قرحة فأخذته ، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول : غدة كغدة الجمل في بيت سلولية ، يرغب [عن] أن يموت في بيتها . ثم ركب فرسه

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٣٧٩ ـ ٣٨١) ، وإسناده ضعيف .
(٢) ما بين القوسين ساقط من أ .
(٣) ط : (الحزاتي) .
(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٨٥ .
(٥) في أ : « قم معي أحملك » .
(٦) حرة واقم : إحدى حرتي المدينة ، وهي الشرقية ، سميت برجل من العماليق اسمه واقم . (معجم البلدان) .
(٧) الرَّقَم : موضع بالمدينة تنسب إليه الرقميات ، وفي كتاب نصر : الرقم جبال دون مكة بديار غطفان (معجم البلدان) .
(٨) في « مجمع الزوائد » (٧/ ٤٢) بالخريم .

فأحضرها[١] حتى مات عليها راجعاً ، فأنزل الله فيهما : ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾ يعني محمداً ﷺ ، ثم ذكر أرْبَد وما قتله به ، فقال : ﴿ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ الآية [الرعد : ٨ ـ ١٣] .

وفي هذا السياق دلالة على ما تقدم [من] قصة عامر وأربد ، وذلك لذكر سعد بن معاذ فيه . والله أعلم .

وقد تقدم وفود الطفيل بن عامر الدّوسي رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بمكة وإسلامه ، وكيف جعل الله له نوراً بين عينيه ، ثم سأل الله فحوَّله له إلى طرفِ سَوْطه ، وبَسَطْنا ذلك هنالك ، فلا حاجةَ إلى إعادته هاهنا كما صنعَ البَيْهقي وغيره .

قُدوم ضِمام[٢] بن ثَعْلَبة على رسول الله ﷺ وافداً عَنْ قومه بني سَعْد بن بَكْرٍ[٣]

قال ابن إسحاق[٤] : حدّثني محمَّد بن الوليد بن نُوَيْفع ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابن عبّاس . قال : بعثت[٥] بنو سعد بن بكر ضِمامَ بن ثعلبةَ وافداً إلى رسول الله ﷺ فقدم إليْه[٦] وأناخَ بعيرَه على باب المسجد ، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في أصحابه ، وكان ضِمامٌ رجلاً جَلْداً أشعرَ ذا غَديرَتَيْنِ ، فأقبل حتى وقفَ على رسول الله ﷺ في أصحابه ، فقال : أيكُّم ابنُ عبدِ المطّلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنا ابنُ عبد المطلب » ، فقال : يا محمد ، قال : نعم . قال : يا بنَ عبد المطلب ، إني سائِلُكَ ومُغَلِّظ عليك في المسألة ، فلا تَجِدَنَّ في نفسك . قال : « لا أجدُ في نفسي ، فَسَلْ عما بدا لك » . فقال : أنشُدُكَ الله[٧] إلهك وإلهَ منْ كَانَ قبلَكَ وإلهَ مَنْ هو كائن بَعْدَكَ ، آلله بَعَثَكَ إلينا رسولاً ؟ قال : « اللهم نعم » قال : فأنشُدُكَ اللهَ إلَهَكَ وإلهَ من كانَ قبلَك وإلهَ منْ هو كائنٌ بعدَكَ ، آلله أمَرَكَ أنْ تَأمُرَنا أن نعبدَه وحده ، ولا نشركَ به شيئاً ، وأن نخلعَ هذه الأندادَ التي كانَ آباؤُنَا يَعْبدون ؟ قال : « اللهم نعم » قال : فأنشُدُك اللهَ إلهَكَ وإلَه منْ كان قَبْلَكَ وإلَهَ منْ هو كائنٌ بعدَكَ ، آللهُ أمركَ أن نُصلِّي هذه الصَّلواتِ الخَمْسَ ؟ قال : « نعم » قال : ثم جعلَ يذكر فرائضَ الإسلام فريضةً فريضة ، الزكاةَ ، والصِّيامَ ، والحجَّ ، وشرائعَ

(١) الاحضار : ارتفاع الفرس في عدوه (اللسان : حضر) .
(٢) الإصابة (٢/ ٢١١) .
(٣) ط : (وافداً على قومه) .
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٧٣ ـ ٥٧٥) .
(٥) ط : (بعث) .
(٦) في السيرة النبوية (عليه) .
(٧) ليس لفظ الجلالة في ط .

الإسلام كلها ، ينشُدُهُ عند كل فريضةٍ منها ، كما ينشده في التي قبلَها ، حتى إذا فرغَ قال : فإنّي أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً رسول الله ، وسأؤدِّي هذه الفرائض ، وأجتنبُ ما نهيتَني عنه ، ثم لا أزيدُ ولا أنقُصُ . ثم انصرفَ إلى بعيره راجعاً . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « إن صَدَقَ ذو العَقِيصَتَيْنِ دخلَ الجنة » . قال : فأتى بعيره ، فأطْلَقَ عِقَالة ، ثم خرجَ حتى قدم ، على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أولَ ما تكلَّمَ أنّ قالَ : بئسَتِ اللاتُ والعُزّى . فقالوا : مَهْ يا ضِمام ، اتَّقِ البَرَصَ ، اتّقَ الجُذامَ ، اتّقِ الجُنونَ . فقال : ويلَكُم ، إنّهما واللهِ لا يَضُران ولا يَنْفَعان ، إن اللهَ قد بعثَ رسولاً ، وأنزلَ عليه كتاباً استنقَذكُمْ به مما كنتم فيه ، وإنّي أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه ، وقد جئتكُم من عنده بما أمَركُمْ به وما نَهاكُمْ عنه . قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً . قال : يقول ابن عباس فما سَمِعْنا بوافدِ قوم كانَ أفضلَ من ضِمام بن ثعلبة .

وهكذا رواه الإمام أحمد(١) ، عن يعقوب بن إبراهيم الزهري ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق فذكره .
وقد روى هذا الحديث أبو داود(٢) من طريق سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن سلمة بن كُهيل ، ومحمد بن الوليد بن نُويفع ، عن كُريب ، عن ابن عباس بنحوه .

وفي هذا السياق ما يدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح ، لأن العُزّى خَرَّبَها خالدُ بن الوليد أيام الفتح !

وقد قال الواقدي(٣) : حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن شَريك بن عبد الله بن أبي نَمِرٍ ، عن كُريب ، عن ابن عباس . قال : بعثَتْ بنو سَعْدِ بن بَكْرٍ في رجب سنة خمس ضِمام بن ثعلبة ، وكان جَلْداً أشعر ذا غدِيرتين ، وافداً إلى رسول الله ﷺ ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فسأله فأغلظ في المسألة ، سأله عمن أرسله ، وبمَ أرسله ، وسأله عن شرائع الإسلام ، فأجابه رسول الله ﷺ في ذلك كلِّه ، فرجع إلى قومه مسلماً قد خلع الأنداد ، فأخبرهم بما أمرهم به ونهاهم عنه ، فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلماً ، وبنوا المساجدَ وأذّنوا بالصلاةِ .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا سليمان ـ يعني ابن المغيرة ـ ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : كنا نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء ، فكان يُعْجبنا أن يجيء الرجلُ من أهل البادية العاقلُ يسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية ، فقال : يا محمد ، أتانا رسولك ، فزعم لنا أنَّكَ تزعمُ أنّ اللهَ أرسلَكَ . قال : « صدق » . قال : فمن خلقَ السموات ؟ قال : « الله » . قال : فمن

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) وهو حديث حسن .
(٢) أبو داود رقم (٤٨٧) ، وهو حديث حسن .
(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٢٩٩) عن الواقدي .
(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٤٣) .

خلق الأرض ، قال : « الله » قال : فمن نصبَ هذه الجبال ، وجعل فيها ما جعل ؟ قال : « الله » . قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال ، آللهُ أرسلَك ؟ قال : « نعم » ، قال : وَزَعم رسولُكَ أنَّ علينا خمسَ صلواتٍ في يومنا وليلتنا . قال : « صدق » قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : وزعم رسولُك أنّ علينا زكاةً في أموالنا . قال : « صدق » قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » قال : وزعمَ رسولُكَ أنَّ علينا صوم شهر في سنتنا . قال : « صدق » . قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » قال : وزعم رسولك أن علينا حَجَّ البيت منِ استطاعَ إليه سبيلاً . قال : « صدق » قال : ثم وَلَّى ، فقال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئاً ، ولا أنقصُ منهن[١] شيئاً . فقال النبي ﷺ : « إن صدق ليدخُلنَّ الجنةَ » .

وهذا الحديث مُخَرَّجٌ في « الصحيحين » ، وغيرهما بأسانيد وألفاظ كثيرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وقد رواه مسلم من حديث أبي النَّضْرِ هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة ، وعَلَّقه البخاري من طريقه[٢] .

وأخرجه من وجه آخر بنحوه ؛ فقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا حجاج ، حدّثنا ليث ، حدّثني سعيد بن أبي سعيد ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نِمر ، أنّه سمعَ أنس بن مالك يقول : بينا[٤] نحن عند رسول الله ﷺ جلوساً في المسجد، دخل رجل على جمل ، فأناخه في المسجد ، ثم عقله ، ثم قال : أيكم محمد[٥] ورسول الله ﷺ متكئ بين ظهرانيهم . قال : فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ . فقال الرجل : يا بن عبد المطلب . فقال رسول الله ﷺ : « قد أجبتك » فقال الرجل : يا محمد ، إني سائلك فمشتد[٦] عليك في المسألة ، فلا تجد عليّ في نفسك . فقال : « سل ما بدا لك » . فقال الرجل : أسألك[٧] بربِّك وربِّ منْ كان قبلك ، آللهُ أرسلكَ إلى الناس كلِّهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « اللهم نعم » قال : فأنشدك الله ، آللهُ أمرك أن (نصلِّي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال : « اللهم نعم » . قال : فأنشدك الله ، آلله أمرك أن)[٨] نصوم هذا الشهر من السنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « اللهم نعم » (قال : أنشدك الله ، آلله أمرك أن

---

(١) في الأصول : (عليهن) وما أثبته عن المسند .
(٢) رواه مسلم رقم (١٢) (١٠) والبخاري من طريق سليمان بن المغيرة معلقاً عقب الحديث (٦٣) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٦٨) .
(٤) في المسند « بينما » وفي ط : (بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس) .
(٥) في المسند : « أيكم محمد رسول الله ؟ » .
(٦) في المسند : « فمشدّد » .
(٧) في المسند : « نشدتك » .
(٨) ما بين القوسين ساقط من أ وط .

تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا ، فتقسمها على فقرائنا ؟ قال : رسول الله ﷺ : « اللهم نعم »)[١] قال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول مَنْ ورائي مِنْ قومي ، وأنا ضِمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر .

وقد رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث بن سعد ، عن سعيد المقبري به ، وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، عن الليث به[٢] .

والعجب أن النسائي رواه من طريق آخر ، عن الليث قال : حدّثني ابن عجلان وغيره من أصحابنا ، عن سعيد المقبري ، عن شريك ، عن أنس بن مالك فذكره . وقد رواه النسائي أيضاً من حديث عبيد الله العمري ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة[٣] . فلعله عن سعيد المقبري من الوجهين جميعاً .

فصل

وقد قدمنا ما رواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن آدم ، عن حفص بن غياث ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس في قدوم ضِمَاد[٤] الأزدي على رسول الله ﷺ بمكة قبلَ الهجرةِ ، وإسلامِه ، وإسلامِ قومه كما ذكرناه مبسوطاً بما أغنى عن إعادته هاهنا ولله الحمد والمنة .

وَفْدُ طَيِّئ مع زَيْدِ الخَيْل[٥] رضي الله عنه

قال ابن إسحاق[٦] : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيِّئ ، وفيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهَوْا إليه كلَّموه ، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام ، فأسلموا ، فحسُنَ إسلامُهم ، وقال رسول الله ﷺ كما ـ حدّثني من لا أَتَّهِمُ من رجال طيِّئ ـ : « ما ذكر [لي] رجلٌ من العرب بفضل ، ثم جاءني إلا رأيتُه دونَ ما يقال فيه إلا زيد الخيل ، فإنه لم يُبْلَغ كل الذي[٧] فيه » .

ثم سماه رسول الله ﷺ زيد الخير ، وقطع له فيد[٨] وأَرَضين معه ، وكتب له بذلك ، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله ﷺ : « إنْ يَنْجُ زيدٌ من حُمّى المدينة فإنَّه » قالَ : وقد سماها رسول الله ﷺ باسمٍ غير الحمى وغير أُمِّ مِلْدَم ـ لم يُثبته ـ قال : فلما انتهى من بلد نجد إلى ماءٍ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من أ وط .
(٢) رواه البخاري رقم (٦٣) وأبو داود رقم (٤٨٦) والنسائي (٤/ ١٢١ ـ ١٢٢) وابن ماجه رقم (١٤٠٢) .
(٣) رواه النسائي (٤/ ١٢٢ ـ ١٢٣) و(٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .
(٤) تبصير المنتبه ٨٥٧ .
(٥) الإصابة (١/ ٥٧٢) .
(٦) سيرة ابن هاشم (٢/ ٥٧٧ ـ ٥٧٨) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٢١) والاستدراك منهما .
(٧) في سيرة ابن هشام : « لم يبلغ كل ما فيه » .
(٨) فيد : موضع قريب من جبلي أجأ وسلمى جبلي طيِّئ : (معجم البلدان) ومعجم ما استعجم (٣/ ١٠٣٣) .

من مياهه يقال له فردة[١] أصابته الحمى فمات بها ، ولما أحسَّ بالموت قال : [الطويل]

أَمُرْتَحِلٌ قَوْمي المَشارِقَ غُدْوَةً   وأُتْرَكُ في بَيْتٍ بفَرْدَةَ مُنْجِدِ
ألا رُبَّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لَعَادني   عَوائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرَ مِنْهُنَّ يَجْهَدِ

قال : ولما مات عمدت امرأته بجهلها وقلة عقلها ودينها إلى ما كان معه من الكتب[٢] فحرقتها بالنار .

قلت : وقد ثبت في الصحيح[٣] عن أبي سعيد ، أن علي بن أبي طالب بعث إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذُهَيْبَةٍ في تُرْبتها ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة : زيد الخيل ، وعلقمة بن عُلاثَةَ ، والأقرع بن حابس ، وعيينة[٤] بن بدر . . . الحديث .

وسيأتي ذكره في بعث علي إلى اليمن إن شاء الله تعالى .

قصة عديّ بن حاتم الطائي

قال البخاري[٥] في « الصحيح » : وفد طيِّئ وحديث عديّ بن حاتم ، حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدّثنا أبو عوانة ، حدّثنا عبد الملك بن عُمير ، عن عمرو بن حُرَيث ، عن عديّ بن حاتم . قال : أتينا عمر بن الخطاب في وفدٍ ، فجعل يدعو رجلاً رجلاً ويُسَمِّيهم . فقلت : أما تعرفُني يا أمير المؤمنين ؟ قال بلى أسلمتَ إذ كفروا ، وأقبلتَ إذ أدبروا ، ووفَيتَ إذ غدروا ، وعرفتَ إذ أنكروا . فقال عدي : فلا أبالي إذاً .

وقال ابن إسحاق[٦] : وأما عدي بن حاتم فكان يقول ـ فيما بلغني ـ ما [من][٧] رجل من العرب كان أشدَّ كراهيةً لرسول الله ﷺ حين سمع به مني . أما أنا فكنت آمرأً شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسيرُ في قومي بالمِرْباع[٨] ، وكنت في نفسي على دِين ، وكنت ملكاً في قومي لما كان يصنع بي ، فلما سمعتُ برسول الله ﷺ كرهتُه ، فقلت لغلام كان لي عربيّ ، وكان راعياً لإبلي : لا أبا لك ، أَعْدِدْ لي من إبلي

---

(١) فردة : ماء بحرم في ديار طيّئ ، هناك قبر زيد الخيل (معجم البلدان) .
(٢) في سيرة ابن هشام « من كتبه التي قطع له رسول الله ﷺ فحرقتها » .
(٣) صحيح البخاري (٣٣٤٤) . وصحيح مسلم كتاب الزكاة رقم (١٤٣) ورقم (١٤٤) (١٠٦٤) .
(٤) ط : (وعتبة بن بدر) وهو تحريف انظر الصحيحين مصدري المؤلف .
(٥) صحيح البخاري رقم (٤٣٩٤) . وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) .
(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٧٨ ـ ٥٨١) .
(٧) الزيادة من سيرة ابن هشام .
(٨) المرباع : ما يأخذه الرئيس ، وهو ربع الغنيمة (اللسان : ربع) .

أجمالاً ذُللاً سِماناً ، فاحْتَبِسْها قريباً مني ، فإذا سمعتَ بجيشٍ لمحمدٍ قد وَطِئَ هذه البلاد ، فآذِنّي ، ففعل ، ثم إنه أتاني ذاتَ غداةٍ فقال : يا عديُّ ، ما كنتَ صانعاً إذا غَشِيَتْكَ خَيْلُ محمد ، فاصنعْهُ الآن ، فإني قد رأيتُ راياتٍ ، فسألتُ عنها فقالوا : هذه جيوشُ محمد . قال : قلت : فقرِّب إليَّ أجمالي ، فقرَّبها ، فاحتملتُ بأهلي وولدي ، ثم قلتُ : ألحقُ بأهلِ ديني من النصارى بالشام ، فسلكتُ الجُوْشيَّة[١] ، وخلَّفتُ بنتاً لحاتم في الحاضر ، فلما قدمت الشامَ أقمتُ بها ، وتُخالِفُني خيلُ رسولِ الله ﷺ ، فتُصيبُ ابنةَ حاتمٍ فيما أصابت ، فقُدِم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طَيِّئٍ ، وقد بلغ رسولَ الله ﷺ هَرَبي إلى الشام . قال : فجُعلَتِ ابنةُ حاتمٍ في حَظِيرةٍ ببابِ المَسْجِدِ كانَتِ السّبايا تُحْبسُ بها ، فمرَّ بها رسولُ الله ﷺ فقامت إليه ، وكانت امرأةً جَزْلَةً ، فقالَتْ : يا رسولَ اللهِ ، هَلَكَ الوالدُ ، وغابَ الوافِدُ ، فامْنُنْ عليَّ ، منَّ اللهُ عليكَ ، قال : « ومَنْ وافِدُك » ؟ قالت : عديُّ بن حاتم . قال : « الفارُّ من اللهِ ورسوله ؟ » قالَتْ : ثمَّ مَضَى وتَرَكَني ، حتَّى إذا كانَ الغَدُ مرَّ بي ، فقلتُ له مثلَ ذلك ، وقال لي مثلَ ما قالَ بالأمسِ ، قالت : حتَّى إذا كانَ بعدَ الغدِ مرَّ بي ، وقد يئستُ ، فأشار إليّ رجلٌ خلفَهُ أنْ قومي فَكَلِّميه ، قالت : فقُمْتُ إليه ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، هَلَكَ الوالدُ ، وغابَ الوافدُ ، فامنُنْ عَلَيَّ منَّ اللهُ عليكَ . فقال ﷺ : « قد فَعَلْتُ ، فلا تَعْجَلي بخروجٍ حتى تجدي من قومك مَن يكونُ لك ثقةً ، حتى يُبلِّغَكَ إلى بلادِك ، ثم آذنيني . » فسألتُ عن الرجلِ الذي أشار إليَّ أن كَلِّميه ، فقيل لي : علي بن أبي طالب ، قالت : فَأَقَمْتُ حتى قَدِمَ ركبٌ من بَلِيّ أو قُضاعةَ ، وإنما أُريد أن آتيَ أخي بالشام ، فجئتُ فقلتُ : يا رسولَ الله ، قد قدم رَهْطٌ من قومي ، لي فيهم ثقةٌ وبلاغٌ ، قالت : فكساني وحَمَلني وأعطاني نفقةً ، فخرجتُ معهم ، حتّى قَدِمْتُ الشامَ . قال عديٌّ : فوالله إنّي لقاعدٌ في أهلي ، فنظرت إلى ظَعينة تُصوِّبُ إلى قومِنا ، قال : فقلت : ابنةُ حاتم ! قال : فإذا هي هي ، فلما وقفتْ عليَّ استحلّت[٢] تقول : القاطعُ الظالمُ ، احتملتَ بأهلكَ وولدكَ ، وتركتَ بقيةَ والدك عورتَك ؟ قال : قلت : أيْ أُخيَّة ، لا تقولي إلا خيراً ، فوالله ما لي من عذرٍ ، لقد صنعتُ ما ذكرتِ . قال : ثم نزلتْ فأقامت عندي ، فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمة ـ : ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت : أرى والله أن تلحقَ به سريعاً ، فإن يكن الرجلُ نبياً فللسابق إليه فضلُه ، وإن يكنْ مَلِكاً فلن تَذِلَّ في عزِّ اليمن وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا للرأي . قال : فخرجتُ حتى أقدَمَ على رسول الله ﷺ المدينةَ ، فدخلتُ عليه وهو في مسجده ، فسلمتُ عليه ، فقال : « مَن الرجلُ ؟ » فقلت : عديٌّ بن حاتم ، فقامَ رسولُ الله ﷺ ، وانطلقَ بي إلى بيته ، فواللهِ إنه لعامدٌ بي إليه ، إذ لقيتْهُ آمرأةٌ ضعيفةٌ كبيرةٌ فاستوقفته ، فوقفَ لها طويلاً تُكَلِّمُه في حاجتها ، قال : قلتُ

---

(١) الجوشية : موضع بين نجد والشام ، عليها سلك عدي بن حاتم حين قصد الشام هارباً من خيل رسول الله ﷺ لما وطئت بلاد طيئ (معجم البلدان) .

(٢) في سيرة ابن هشام : « انسحلت » أي لامت وسخطت .

في نفسي : والله ما هذا بملِكٍ ، قال : ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخلَ بيتَه تناول وسادةً من أدمٍ محشوةً ليفاً ، فقذفها إليَّ فقال : « اجلسْ على هذه » ، قال : قلتُ : بل أنتَ فاجلسْ عليها ، قال : « بل أنتَ » ، فجلستُ وجلَس رسول الله ﷺ بالأرض ، قال : قلتُ في نفسي : والله ما هذا بأمر ملكٍ ، ثم قال : « إيه يا عديَّ بنَ حاتم ، ألم تك رَكُوسياً(١) قال : قلت : بلى ، قال : « أو لم تكن تسير في قومك بالمِرْباعِ » قال : قلت : بلى . قال : « فإنَّ ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك » قال : قلتُ : أجل والله ! قال : وعرفتُ أنّه نبيٌّ مرسلٌ ، يعلمُ ما يُجْهَل . ثم قال : « لَعلَّك يا عديُّ إنما يَمْنَعُكَ من دخولٍ في هذا الدِّين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشِكَنَّ المالُ أن يفيضَ فيهم ، حتى لا يوجد من يأخذه . ولعلك إنما يَمْنَعُكَ من دخولٍ فيه ما تَرى من كَثْرَة عدوِّهم وقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، فواللهِ ليُوشكنَّ أن تسمع بالمرأةِ تخرجُ من القادسيّة على بعيرها ، حتى تزورَ هذا البيتَ ، لا تخافُ . ولعلَّكَ إنما يَمْنَعُكَ من دخولٍ فيه ، أنَّك تَرى أن المُلكَ والسُّلطان في غيرهم ، وايمُ اللهِ ليُوشكنَّ أن تسمعَ بالقصورِ البيضِ من أرضِ بابلَ قد فُتحت عليهم » .

قال : فأسلمتُ . قال : فكان عديٌّ يقول : مضَت اثنتان ، وبَقيَتِ الثَّالِثَةُ ، والله لتُكُونَنَّ ، وقد رأيتُ القصورَ البيضَ من أرضِ بابلٍ قد فُتحتْ ، ورأيتُ المرأةَ تخرجُ من القادسية على بعيرها لا تخافُ حتى تحجَّ هذا البيتَ ، وأَيم الله لتكونَّنَ الثالثة ، ليفيضنَّ المال ، حتّى لا يوجد من يأخذه .

هكذا أوردَ ابنُ إسحاق ـ رحمه الله ـ هذا السياقَ بلا إسنادٍ ، وله شواهدُ من وجوهٍ أخرَ .

وقال الإمامُ أحمد(٢) : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعتُ سِمَاك بن حرب ، سمعت عبّاد ابن حُبيش يحدث عن عدي بن حاتم ، قال : جاءت خيل رسول الله ﷺ وأنا بعقرب(٣) ، فأخذوا عمتي وناساً ، فلما أتوا بهم رسول الله ﷺ ، قال : فصُفُّوا له . قالت : يا رسول الله نأى(٤) الوافد ، وانقطع الولد ، وأنا عجوز كبيرة ، ما بي من خدمة ، فمُنَّ عليّ ، منّ الله عليك . فقال : « من وافدك ؟ » قالت : عدي بن حاتم ، قال : « الذي فرّ من الله ورسوله » قالت : فمَنّ علي . فلما رجع ورجل إلى جنبه ـ ترى أنه علي ـ قال : سليه حُملانا ، قال : فسألته ، فأمر لها . قال عدي : فأتتني فقالت : لقد فعلت فَعلة ما كان أبوك يفعلها ، وقالت : ائته راغباً أو راهباً ، فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه . قال : فأتيته ، فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي ، فذكر قُربهم منه ، فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا

(١) الركوسية : قوم لهم دين بين النصارى والصابئين (اللسان : ركس) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٨) ، وهو حديث حسن .
(٣) عقرب : قال ياقوت : عقرباء بلفظ العقرب من الحشرات ذات السموم ، والألف الممدودة فيه لتأنيث البقعة . . ثم قال : وهي كورة من كور دمشق كان ينزلها ملوك غسان .
(٤) في ط : بان .

قيصر ، فقال له : « يا عدي بن حاتم ما أفرَّك ؟ أفرَّك أن يقال لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله ! ما أفرَّك ؟ أَفَرَّكَ أن يُقال : الله أكبر . فهل شيءٌ هو أكبر من الله عزَّ وجلَّ ! » فأسلمتُ ، فرأيتُ وجهَه استبشرَ ، وقال : إن المغضوب عليهم اليهود ، وإنّ الضالِّين النصارى . قال : ثم سألوه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فلكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل ، ارتضخ امرؤٌ بصاع ، ببعض صاعٍ ، بقَبضةٍ ، ببعض قُبضة . قال شعبة : ـ وأكثرُ علمي أن قال : « بتمرة ، بشق تمرة » ـ وإنّ أحدكم لاقي اللهِ فقائل ما أقول : ألم أجعلْكَ سميعاً بصيراً ، ألم أجعلْ لكَ مالاً وولداً . فماذا قدَّمْتَ ؟ فينظرُ من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، فلا يجد شيئاً ، فما يتقي النار إلا بوجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوه فبكلمة لينة ، إني لا أخشى عليكم الفاقة ، لينصرنكم الله وليعطينكم ، أو ليفتحنَّ عليكم ، حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب ، أو أكثر ما تخاف السرَق على ظعينتها .

وقد رواه الترمذي[١] من حديث شعبة وعمرو بن أبي قيس ، كلاهما عن سماك ، ثم قال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث سماك .

وقال الإمام أحمد[٢] أيضاً : حدّثنا يزيد ، أنبأنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي عبيدة ـ هو ابن حذيفةَ ـ عن رجل ، قال : قلت لعدي بن حاتم : حديث بلغني عنك أحب أن أسمعه منك . قال : نعم . لما بلغني خروج رسول الله ﷺ ، كرهت خروجَه كراهيةً شديدةً ، فخرجت حتى وقعت ناحية الروم ـ وفي رواية حتى قدمت على قيصر ـ قال : فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهيتي لخروجه ، قال : قلت : والله لو أتيت هذا الرجل ، فإن كان كاذباً لم يضرّني ، وإن كان صادقاً علمت ، قال : فقدمت ، فأتيته ، فلما قدمت قال الناس : عدي بن حاتم ؟ فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي : « يا عديّ بن حاتم ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، ثلاثاً . قال : قلت إنّي على دِينٍ . قال : أنا أعلمُ بدينكَ منكَ » فقلت : أنت أعلمُ[٣] بديني مني ! قال : « نعم ألست من الرَّكوسية ، وأنت تأكلُ مِرْباعَ قومك ؟ » قلت : بلى . قال : « هذا لا يحلّ لكَ في دينك » قال : نعم . فلم يَعْدُ أن قالها ، فتواضعتُ لها ، قال : « أما إنّي أعلمُ الذي يمنعُك من الإسلام ، تقول : إنما اتَّبعه ضَعَفَةُ النّاس ، ومن لا قُوّة له[٤] ، وقد رمتهم العربُ . أتعرفُ الحيرةَ ؟ » قلت : لم أرها ، وقد سمعت بها . قال : « فوالذي نفسي بيده ليُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمر ، حتى تخرجَ الظعينةُ من الحيرة ، حتى تطوفَ بالبيتِ في غَيْرِ جوار أحدٍ ، ولتفتحنَّ كنوزَ كِسْرى بن هُرْمُز »

---

(١) جامع الترمذي في التفسير رقم (٢٩٥٣ ـ ٢٩٥٤) ، وهو حديث حسن بشواهده .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٥٧) ، وإسناده حسن .
(٣) ط : (تعلم) . وما أثبته عن المسند .
(٤) ط : (لهم) وما هنا عن المسند .

قال : قلت : كنوز[١] ابن هُرْمُز ! . قال : « نعم كسرى بن هرمز ، وَلَيُبْذَلَنَّ المالُ حتّى لا يقبلَه أحدٌ . قال عدي بن حاتم : فهذه الظعينة : تخرج[٢] من الحيرة ، تطوفُ بالبيتِ ، في غيرِ جِوار ، ولقد كنتُ فيمن فتح كنوزَ كِسْرى ، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة ، لأنّ رسولَ الله ﷺ قد قالها .

ثم قال أحمد[٣] : حدّثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي عبيدة بن حذيفة عن رجل ، وقال حماد : وهشام[٤] ، عن محمد ، عن أبي عبيدة ، ولم يذكُرْ عن رجلٍ ، قال : كنتُ أسألُ النّاسَ عن حديث عديٍّ بن حاتم ، وهو إلى جنبي ولا أسأله ، قال : فأتيته فسألته ، فقال : نعم . . . فذكر الحديث .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٥] : أنبأنا أبو عمرو الأديب ، أنبأنا أبو بكر الإسماعيلي ، أخبرني الحسن بن سفيان ، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، أنبأنا النضر بن شُميل ، أنبأنا إسرائيل ، أنبأنا سعد الطائي ، أنبأنا مُحِلُّ[٦] بن خليفة ، عن عدي بن حاتم قال : بينا أنا عند النبيِّ ﷺ إذ أتاه رجلٌ فشكَى إليه الفاقةَ ، وأتاهُ آخرُ فشكى إليه قطعَ السبيل . قال : « يا عدي بن حاتم ، هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أُنْبِئتُ عنها » . قال : « فإن طالت بكَ حياةٌ لترينَّ (الظعينةَ ترتحلُ من الحيرةِ حتى تطوفَ بالكعبة ، لا تخافُ أحداً إلا الله عزَّ وجلَّ » قال : قلت في نفسي[٧] : فأين دُعّارُ[٨] طيئ الذين سعّروا[٩] البلاد « ولئن طالت بك حياة ، لتُفتحن كنوز كسرى بن هرمز » قلت : كسرى بن هرمز ! قال : كسرى بن هرمز . « ولئن طالت بك حياة)[١٠] لترين الرجل يخرجُ بملء كفّه من ذهبٍ أو فضةٍ ، يطلب من يقبلُه منه ، فلا يجد أحداً يقبله منه ، ولَيَلْقين اللهَ أحدُكم يومَ يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم » . قال عدي : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « اتّقوا النارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ ، فإن لم تجد[١١] شِقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيبةٍ » . قال عدي : فقد رأيتُ الظعينةَ ترتحلُ من

(١) في المسند : (كسرى) .
(٢) ط : (تأتي) وما أثبته عن المسند .
(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٥٨ و٣٧٩) ، وإسناده حسن .
(٤) في المسند (حماد عن هشام) .
(٥) دلائل النبوة (٥/ ٣٤٣) .
(٦) تهذيب التهذيب (١٠/ ٦٠) .
(٧) في دلائل النبوة : « فيما بيني وبين نفسي » .
(٨) في الأصول : (ذعار) ، وهي جمع داعر والمقصود قُطّاع الطريق (فتح الباري ٦/ ٦١٣) .
(٩) سَعَّروا أي أوقدوا نار الفتنة (فتح الباري ٦/ ٦١٣) .
(١٠) ما بين القوسين ساقط من أ .
(١١) ط : (فإن لم تجدوا) .

الكوفة حتى تطوفَ بالبيتِ لا تخافُ إلا الله عزَّ وجلَّ ، وكنت فيمن افتتحَ كنوزَ كسرى بن هُرْمُز ، ولئن طالت بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم ﷺ .

وقد رواه البخاري[١] ، عن محمد بن الحكم ، عن النضر بن شميل به بطوله . وقد رواه من وجه آخر ، عن سعدان بن بشر ، عن سعد أبي مُجاهد الطائي ، عن مُحِلّ بن خليفة ، عن عدي به[٢] . ورواه الإمام أحمد[٣] والنسائي[٤] من حديث شعبة ، عن سعد أبي مجاهد الطائي به .

وممن روى هذه القصة عن عدي عامر بن شرحبيل الشعبي فذكر نحوه . وقال : لا تخاف إلا الله والذئب على غنمها .

وثبت في صحيح البخاري من حديث شعبة ، وعند مسلم[٥] من حديث زهير بن معاوية ، كلاهما عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن مَعْقِل[٦] بن مُقَرِّن المُزَني ، عن عدي بن حاتم . قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ » ولفظ مسلم « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشِقّ تَمْرَةٍ فليفعل » : طريق أخرى فيها شاهد لما تقدم .

وقد قال الحافظ البيهقي[٧] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف ، حدّثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي ، حدّثنا ضرار بن صُرد[٨] ، حدّثنا عاصم بن حُمَيْد ، عن أبي حمزة الثُّمَالي[٩] ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن كُمَيل بن زياد النَّخَعي قال : قال عليُّ بن أبي طالب : يا سبحانَ الله ، ما أزهدَ كثيراً من الناس في خيرٍ ، عجباً لرجل يجيئُه أخوه المُسلمُ في الحاجة ، فلا يرى نفسه للخير أهلاً ، فلو كانَ لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً ، لكان ينبغي له أن يُسارع في مكارم الأخلاق ، فإنها تدُلُّ على سُبُلِ[١٠] النّجاحِ . فقام إليه رجلٌ فقال : فِداكَ أبي وأمي يا أمير المؤمنينِ سَمِعْتَه من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، وما هو خيرٌ منه . لمَّا أُتي بسبايا طيِّئٍ وقفتْ جارية حمراءُ لَعْساءُ ذَلْفاءُ عَيْطاءُ شَمّاءُ الأنف ، معتدلةُ القامة والهامة ، دَرْماء الكعبين ، خَدْلَة

(١) صحيح البخاري رقم (٣٥٩٥) .
(٢) رواه البخاري رقم (١٤١٣) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٥٦) .
(٤) سنن النسائي في الزكاة (٥/ ٧٤) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٤١١٧) ومسلم رقم (١٠١٦) .
(٦) تهذيب التهذيب (٦/ ٤٠) .
(٧) دلائل النبوة (٥/ ٣٤١) وفي الأصول : أبو بكر بن محمد .
(٨) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٦) .
(٩) تهذيب التهذيب (٣/ ٧ و١٢/ ٧٨) ، والأنساب (٣/ ١٤١) .
(١٠) ط : (سبيل) .

الساقين[١] ، لَفَّاء الفَخِذَيْن ، خَميصةُ الخَصْرين ، ضامِرَة الكَشْحَيْن ، مَصْقُولة المَتْنَيْن . قال : فلما رأيتُها أُعجبتُ بها ، وقلتُ لأطلبنَّ إلى رسول الله ﷺ يجعلُها في فيئي ، فلما تكلمت أُنسيتُ جمالها من فصاحَتِها[٢] ، فقالت : يا محمد ، إن رأيتَ أن تُخلِّي عَنّا ولا تُشْمِت بنا أحياءَ العرب ، فإنّي ابنةُ سيدِ قومي ، وإن أبي كانَ يحمي الذِّمارَ ، ويفكُّ العاني ، ويُشبعُ الجائع ، ويكسو العاري ، ويقري الضيف ، ويُطعم الطعام ، ويُفشي السلام ، ولم يردَّ طالب حاجةٍ قطّ ، أنا ابنة حاتم طيِّئ . فقال رسول الله ﷺ : « يا جاريةُ ، هذه صفةُ المؤمنين حقّاً ، لو كان أبوك مُسلماً لترحّمنا عليه ، خَلُّوا عنها ، فإنّ أباها كان يُحبُّ مكارِمَ الأخلاق ، واللهُ يحبُّ مكارمَ الأخلاق » . فقام أبو بُرْدَة بن نِيَار[٣] فقال : يا رسولَ الله[٤] ! الله يحبُّ مكارمَ الأخلاق ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يدخل أحدٌ الجنةَ إلا بحسن الخلق » .

هذا حديثٌ حسنُ المتن ، غريب الإسناد جداً ، عزيز المخرج .

وقد ذكرنا ترجمة حاتم طيِّئ أيام الجاهلية ، عند ذكرنا من مات من أعيان المشهورين فيها ، وما كان يُسْديه حاتمٌ إلى الناس من المكارم والإحسان ، إلاّ أنَّ نفعَ ذلك في الآخرة مَعْذوقٌ بالإيمان[٥] وهو ممن لم يقل يوماً من الدهر : رب ٱغفر لي خطيئتي يوم الدين .

وقد زعم الواقدي[٦] أن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب في ربيع الآخر من سنة تسع إلى بلاد طيئ ، فجاء معه بسبايا فيهم أختُ عديّ بن حاتم ، وجاءَ معه بسيفين كانا في بيت الصَّنَم ، يقال لأحدهما : « الرَّسُوب »[٧] والآخر « المِخْذَم »[٨] كان الحارث بن أبي شِمْر ، قد نَذَرهما لذلك الصنم .

---

(١) لَعْساء : من اللعس ، وهو سواد اللثة والشفة ، وقيل سوادٌ يعلو شفة المرأة البيضاء ، وقيل هو سواد في حمرة (اللسان : لعس) .
ذَلْفاء : من الذلف ، وهو قصر الأنف وصغره (اللسان : ذلف) .
عَيْطاء : طويلة العنق في اعتدال (اللسان : عيط) .
دَرْماء الكعبين : لا تستبين كعوبها ولا مرافقها . وكل ما غطاه اللحم والشحم وخفي حجمه فقد درم . (اللسان : درم) .
خَدْلَةُ الساقين : الغليظة الساق المستديرتها . وفي مختصر ابن عساكر : « خدلَّجة الساقين » وهي الرّيّاء الممتلئة الذراعين والساقين . (اللسان : خدلج) .

(٢) في دلائل النبوة ومختصر تاريخ ابن عساكر : « لما رأيت من فصاحتها » .

(٣) تهذيب التهذيب (١٢/ ١٩) وفيه أنّ اسمه هانىء بن نيار .

(٤) ليس اللفظ في م . وابتدأت العبارة فيه بـ« تحب » .

(٥) معذوق : أي موسوم به ، ومعذوق الإيمان : أي معلّق به كما في النهاية في غريب الحديث (عذق) .

(٦) المغازي (٣/ ٩٨٤ ـ ٩٨٩) ، والطبري (٣/ ١١١) .

(٧) انظر القاموس المحيط (رسب) .

(٨) انظر القاموس المحيط (خذم) .

قال البخاري[١] رحمه الله :

قصة دَوْس والطُّفَيْل بن عمرو [الدَّوْسي]

حدّثنا أبو نُعيم ، حدّثنا سُفيان ، عن ابن ذكوان ـ هو عبد الله أبو الزِّنادِ[٢] ـ ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : جاء الطفيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال : إن دوساً قد هلكت ، عصت وأبت[٣] . فادع الله عليهم . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اهد دوساً وائتِ بهم » .

انفرد به البخاري من هذا الوجه .

ثم قال[٤] : حدّثنا محمد بن العلاء ، حدّثنا أبو أسامة ، حدّثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن أبي هريرة قال : لما قدمت على النبي ﷺ قلت في الطريق : [من الطويل]

يا لَيْلَةً مِنْ طُولها وَعنائِها ... على أنّها مِنْ دَارَةِ الْكُفْر نَجَّتِ

وأَبَقَ لي غلامٌ في الطّريق ، فلما قِدمْتُ على النبيِّ ﷺ وبايعتُه فبينا أنا عنده إذ طَلَع الغُلامُ ، فقال لي النبي ﷺ : « يا أبا هُرَيْرة ، هذا غُلامُك » . فقلت : هُوَ حُرٌّ لوجه الله عزَّ وجلَّ ، فأعتقتُه .

انفرد به البخاري من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم .

وهذا الذي ذكره البخاري من قُدوم الطُّفيل بن عمرو ، فقد كان قبل الهجرة ، ثم إنْ قُدِّر قدومُه بعد الهجرة فقد كان قبل الفتح ، لأن دَوساً قدموا ومعهم أبو هريرة ، وكان قدومُ أبي هريرة ورسولُ الله ﷺ محاصِرٌ خَيْبَر ، ثم ارتحلَ أبو هريرة حتى قدم على رسول الله ﷺ خيبرَ بعدَ الفتح ، فرضخ لهم شيئاً من الغنيمة . وقد قدَّمنا ذلك كله مُطوَّلاً في مواضعه .

وقال البخاري[٥] رحمه الله :

قُدومُ الأَشْعَرِيِّين وَأَهْلِ اليَمَنِ

ثم رَوَى[٦] من حديثِ شعبةَ ، عن سليمانَ بن مِهْرانَ الأعْمَش ، عن ذَكْوان أبي صالح السَّمّان ، عن

---

(١) صحيح البخاري رقم (٤٣٩٢) والزيادة منه .
(٢) ط : (بن زياد) تحريف . وانظر تهذيب الكمال (١٤/ ٤٧٦) .
(٣) في أ و ط : « قد هلكت وعصت وأبت » وقد أثبتنا ما في صحيح البخاري .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٣٩٣) .
(٥) صحيح البخاري (٥/ ٢١٨) .
(٦) صحيح البخاري ، رقم (٤٣٨٨) .

أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ قال : « أتاكُمْ أهلُ اليَمَن هم أرقُّ أفئدةً وأَلْيَنُ قُلوباً ، الإيمانُ يَمانٍ ، والحكمةُ يمانيةٌ ، والفَخْرُ والخُيلاءُ في أصحاب الإبل ، والسَّكينةُ والوقارُ في أهل الغَنَم » .

ورواه مسلم[١] من حديث شعبة ، ثم رواه البخاري[٢] ، عن أبي اليَمان ، عن شعيبٍ ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ . قال : « أتاكُمْ أهلُ اليَمَن ، أضعفُ قلوباً وأرقُّ أفئدة ، الفِقْهُ يَمانٍ ، والحِكْمَةُ يَمانيةٌ » .

ثم روى[٣] عن إسماعيل ، عن سليمان ، عن ثور ، عن أبي الغيث[٤] ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « الإيمانُ يمانٍ ، والفتنةُ هاهنا ، هاهنا يطلعُ قرنُ الشَّيطان » .

ورواه مسلم[٥] ، عن شعيب ، عن الزُّهْري ، عن سعيد بن المُسيّبِ ، عن أبي هريرة .

ثم روى البخاري[٦] من حديث شعبة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن أبي مسعود أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « الإيمانُ هاهنا ، وأشار بيده إلى اليمن ، والجفاءُ وغلظُ القلوب في الفَدَّادين[٧] عند أصول أذناب الإبل ، من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعةَ ومضر » .

وهكذا رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو[٨] .

ثم روى[٩] من حديث سفيان الثوري ، عن أبي صخرة جامع بن شداد ، حدّثنا صفوان بن مُحْرِزٍ ، عن عمران بن حُصين ، قال : جاءت بنو تميم إلى رسول الله ﷺ فقال : « أبشروا يا بني تميم » فقالوا : أمّا إذا بشرتنا فأعطنا . فتغيَّر وجه رسول الله ﷺ ، فجاء ناس من أهل اليمن ، فقال : « اقْبَلوا البُشْرى إذ لم يَقْبَلْها بنو تميم » فقالوا : قَبلنا يا رسولَ الله .

---

(١) صحيح مسلم رقم (٥٢) في الإيمان .
(٢) رقم (٤٣٩٠) .
(٣) البخاري (٤٣٨٩) .
(٤) ط : (المغيث) تحريف . انظر تهذيب الكمال (١٠/ ١٧٩) .
(٥) مسلم رقم (٥٢) (٨٩) .
(٦) البخاري (٤٣٨٧) .
(٧) الفدّادين ـ إذا شدَّدتها فهم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ، واحدهم فدّاد ، وقيل هم المكثرون من الإبل ، وقيل هم الجمّالون والحمّارون والرعيان . وإذا خففتها فواحدها فدّان مشدد وهي البقر التي يحرث بها وأهلها أهل جفاء وغلظة (النهاية في غريب الحديث والأثر (فدد) .
(٨) رواه البخاري رقم (٣٣٠٢) ومسلم (٥١) .
(٩) رواه البخاري رقم (٤٣٨٦) .

وقد رواه الترمذي[١] والنسائي[٢] من حديث الثوري به .

وهذا كله مما يدلّ على فضل وفودِ أهل اليمن ، وليس فيه تعرُّضٌ لوقتِ وفودهم . ووفد بني تميم ، وإن كان متأخراً قدومهُم لا يلزم من هذا أن يكون مقارناً لقدوم الأشعريين ، بل الأشعريون متقدمٌ وفدهم على هذا ، فإنهم قدموا صحبة أبي موسى الأشعري ، في صحبة جعفر بن أبي طالب وأصحابه من المهاجرين الذين كانوا بالحبشة ، وذلك كله حين فتح رسول الله ﷺ خيبر ، كما قدمناه مبسوطاً في موضعه . وتقدم قوله ﷺ : « والله ما أدري بأيهما أُسرُّ أبقدوم جعفر أو بفتح خيبر »[٣] والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال البخاري[٤] :

قصَّةُ عُمان والبحرين

حدّثنا قُتيبةُ بن سعيد ، حدّثنا سُفيان ، سمع محمد بن المُنْكَدر ، سمع جابر بن عبد الله يقول : قال لي رسول الله ﷺ : « لو قد جاء مالُ البَحْرين لقد أعطيتُك هكذا وهكذا[٥] » ثلاثاً ، فلم يقدَم مالُ البحرين حتى قُبض رسولُ الله ﷺ ، فلما قدمَ على أبي بكر أمرَ منادياً فنادى : منْ كانَ له عند النبي ﷺ دينٌ أو عِدَةٌ فليأتني . قال جابر : فجئتُ أبا بكر فأخبرتُه أنّ رسول الله ﷺ قال : « لو قد جاء مال البحرين أعطيتُكَ هكذا وهكذا ثلاثاً » . قال : فأعطاني[٦] قال جابر : فلقيت أبا بكر بعد ذلك ، فسألته ، فلم يعطني ، ثم أتيته فلم يعطني ، ثم أتيته الثالثة فلم يعطني ، فقلت له : قد أتيتك فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني ، فإما أن تُعْطيني وإمّا أنْ تَبْخَلَ عَنّي . قال : أقلتَ : تبخل عني ؟ قال : وأيُّ داءٍ أدوأُ من البُخْل ! قالها ثلاثاً : ما منعتك من مرةٍ إلا وأنا أريدُ أن أعطيَكَ .

هكذا رواهُ البخاري هاهنا وقد رواه مسلم[٧] عن عمرو الناقد ، عن سُفيان بن عُيينة به . ثم قال البخاري[٨] بعده : وعن عمرو ، عن محمد بن علي ، سمعتُ جابر بن عبد الله يقول : جئتُه فقال لي أبو بكر : عُدّها . فعددتُها ، فوجدتُها خمس مئة . فقال : خُذْ مثلها مرّتين . وقد رواه البخاري[٩] أيضاً ،

---

(١) جامع الترمذي رقم (٣٩٥١) في المناقب ، وهو حديث صحيح .

(٢) لم نجده عند النسائي بهذا اللفظ ، لا في الصغرى ، ولا في الكبرى .

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٤٤) ، وهو حديث حسن .

(٤) صحيح البخاري رقم (٤٣٨٣) .

(٥) بعد هذا اللفظ في ط : (وهكذا) .

(٦) ط : (فأعرض عنّي) .

(٧) صحيح مسلم رقم (٢٣١٤) في كتاب الفضائل .

(٨) صحيح البخاري رقم (٤٣٨٣) .

(٩) صحيح البخاري رقم (٢٦٩٦) .

عن عليّ بن المديني ، عن سُفيان ـ هو ابن عيينة ـ ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن علي أبي جعفر الباقر ، عن جابر كروايته له عن قُتيبة . ورواه أيضاً هو ومسلم من طرق أُخر ، عن سُفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن محمد بن علي ، عن جابر بنحوه[١] وفي رواية أخرى له[٢] أنه أمره فحثى بيديه من دراهم فعدَّها فإذا هي خمسمئة فأضعَفَها له مرتين ، يعني فكان جملة ما أعطاه ألفاً وخمس مئة درهم .

وُفُودُ فَرْوَةَ بنِ مُسَيْكٍ[٣] المُرَاديّ إلى رسولِ الله ﷺ

قال ابن إسحاق[٤] : وقدمَ فَرْوةُ بن مُسَيْكٍ المُراديُّ ، مُفارقاً لمُلوك كِنْدَةَ ومُباعِداً لهم إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان بينَ قومه مُرادٍ وبينَ هَمْدان وقعةٌ قُبيلَ الإسلام ، أصابت هَمْدان من قومه حتى أثخنوهم ، وكان ذلك في يوم يقال له الرَّدْم ، وكان الذي قاد هَمْدان إليهم الأجدع بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال مالك بن حَرِيْمٍ[٥] الهَمْداني .

قال ابن إسحاق[٦] : فقال فروة بن مُسَيْك في ذلك اليوم : [الوافر]

مَـرَرْنَ عَلـى لُفـاتَ[٧] وهُـنَّ خُـوصٌ ... يُنَـازِعْـنَ الأعِنَّـةَ يَنْتَحينَـا[٨]
فَـإنْ نَغْلِـبْ فَغـلاَّبُـونَ[٩] قِـدْمـاً ... وإنْ نُغْلَـبْ فَغَيْـرُ مُغَلَّبِينَـا
ومَـا إن طِبُّنَـا جُبْـنٌ وَلَكِـنْ ... مَنَـايَـانـا وطُعْمَـةُ آخَـرِينـا[١٠]
كَـذَاكَ الـدَّهْـرُ دوْلَتُـهُ سِجَـالٌ ... تَكِـرُّ صُـرُوفُـهُ[١١] حِينـاً فَحِينـاً
فَبَيْنـا مـا نُسَـرُّ بِـهِ ونَـرْضَـى ... وَلَـوْ لُبِسَـتْ غضَـارَتُـهُ سِنينـا
إذا انْقَلَبَـتْ بِـهِ كَـرّاتُ دَهْـرٍ ... فأَلْفَى في الأُلى غُبِطُوا طَحِينَا[١٢]

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٩٦) ومسلم (٢٣١٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣١٣٧) .
(٣) الإصابة (٣/ ٢٠٥) .
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٨١) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٧) .
(٥) القاموس المحيط : (حرم) وأورد أبو ذر الخشني في شرح السيرة وجهاً آخر وهو خُريم (شرح السيرة ٤٤١) .
(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٨١) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٧) .
(٧) في معجم البلدان : لُفات اسم موضع من ديار مراد ، وأورد الأبيات الأربعة الأولى من هذه القصيدة (لفت) ويبدو أن اللام مثلثة الحركات ، انظر شرح أبي ذر الخشني للسيرة النبوية (٤٤٢) .
(٨) خوص : الخوص ضيق العين وصغرها وغؤورها ، ورجل أخوص : غائر العين (اللسان : خوص) .
(٩) في معجم البلدان (فإن نهزم فهزامون) .
(١٠) الطب هاهنا العادة (القاموس : طبّ) ورواية معجم البلدان : (فما إن . . منايانا ودولة آخرينا) .
(١١) في معجم البلدان : (يكرّ بصرفه . .) .
(١٢) في سيرة ابن هشام : (فألفيتَ الأُلى غَبطوا طحينا) .

فَمَنْ يُغْبَطْ بِرَيبِ الدَّهرِ مِنْهُمْ   يَجِدْ رَيْبَ الزَّمانِ لَهُ خَؤُونا
فَلَو خَلَدَ المُلُوكُ إذن خَلَدْنا   وَلَوْ بَقِي الكِرَامُ إذنْ بَقِينا
فَأَفْنَىٰ ذٰلِكُمْ سَرَواتِ قَوْمي   كَمَا أفنَىٰ القُرونَ الأَوَّلِينا

قال ابن إسحاق[١] ولما توجه فروة بن مُسَيْك إلى رسول الله ﷺ مفارقاً ملوك كندة قال: [من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتَ مُلُوكَ كِنْدَةَ أعْرَضَتْ   كَالرِّجْلِ خَانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نسَائِها
قَرَّبْتُ رَاحِلَتِي أؤمُّ مُحمَّدا   أرْجو فواضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرائِها[٢]

قال : فلما انتهى فَروة إلى رسول الله ﷺ قال له فيما بلغني : « يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم ؟ » فقال : يا رسول الله ، من ذا الذي يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الرَّدْم لا يسوؤه ذلك ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « أما إنَّ ذلك لم يزد قومَك في الإسلام إلا خيراً » واستعمله على مُراد وزُبيد ومَذْحِج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ .

قُدوم عَمْرو بن مَعْدِيكَرِب في أُناس من زُبيد

قال ابن إسحاق[٣] : وقد كان عمرو بن معديكرب قال لقيس بن مَكْشُوح المُرادي ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ : يا قيسُ ، إنّك سيّدُ قومِكَ ، وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قُريش يُقال له مُحمَّدٌ قد خرجَ بالحجاز ، يُقال إنه نبيٌّ ، فانطلقْ بنا إليه حتى نعلَمَ علمَه ، فإن كان نبياً كما يقول ، فإنه لن يَخْفى علينا[٤] ، وإذا[٥] لقيناه اتّبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمَه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفَّه رأيَه ، فركب عمرُو بن مَعْدِيكَرِب حتّى قَدِم على رسول الله ﷺ ، فأسلمَ ، وصدَّقه ، وآمن به ، فلما بلغَ ذلك قيسَ بن مَكْشوح أوعد عَمْراً وقال : خالَفني وتركَ أمري ورأيي . فقال عمرو بن معديكرب في ذلك[٦] :

[مجزوء الوافر]

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣) .
(٢) ورد البيتان في الإصابة (٣/ ٢٠٥) برواية (يمَّمت راحلتي أمام محمد*) في البيت الثاني بالإضافة إلى السيرة النبوية (٢/ ٣٠٧) وشرح أبو ذر الخشني ألفاظهما في شرح السيرة (٤٤٢ ـ ٤٤٣) .
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٨٣ ـ ٥٨٤) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٨) .
(٤) في السيرة : (عليك) .
(٥) في الأصول : (إذا) بلا واو استدركتها من السيرة .
(٦) شعر عمرو بن معديكرب (٨٧ ـ ٨٩) : بالإضافة إلى السيرة النبوية (٢/ ٥٨٣ ـ ٥٨٤) : وجاء تفسير الأبيات في شرح السيرة لأبي ذر الخشني (٤٤٣ ـ ٤٤٥) .

أمَرتُكَ يَومَ ذِي صَنْعَا ... ءَ أمْراً بَادِياً رَشَدُهْ
أمَرْتُكَ باتِّقَاءِ اللـ ... ـهِ والمعروفِ تتَّعِدُهْ[١]
خَرَجْتَ منَ المُنَى مِثْلَ الـ ... ـحُمَيِّرِ غَرَّهُ وَتِدُهْ[٢]
تَمَنَّانِي عَلَى فَرَسٍ ... عَلَيْهِ جَالِساً أسَدُهْ
عَلَيَّ مُفَاضَةٌ كالنِّهـ ... ـيِ أخلَصَ مَاءَهُ جَدَدُهْ[٣]
تَرُدُّ الرُّمْحَ مَنْثَنِيَ الـ ... ـسِنَانِ عَوائراً قِصَدُهْ[٤]
فَلَو لاقَيْتَنِي لَلَقِيـ ... ـتَ ليثاً فَوْقَهُ لِبَدُهْ
تُلاقي شَنْبثاً شَثْنَ الـ ... ـبَراثِنِ ناشزاً كَتَدُهْ[٥]
يُسامِي القِرنَ إنْ قِرْنٌ ... تَيَمَّمَهُ فَيَعْتَضِدُهْ[٦]
فَيَأخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ ... فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهْ[٧]
فَيَدْمَغُهُ فَيَحْطِمُهُ ... فَيَخْمِضُهُ فَيَزْدَرِدُهْ[٨]
ظَلُومُ الشِّرْكِ فيما أحْـ ... ـرَزَتْ أنْيَابُهُ وَيَدُهْ[٩]

قال ابن إسحاق[١٠] : فأقام عمرو بن مَعْدِيكَرِب في قومه من بني زُبيد ، وعليهم فَروة بن مُسيك ، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدَّ عمرو بن مَعْدِيكَرِب في مَن ارتدَّ، وهجا فَرْوَةَ بن مُسَيْكٍ ، فقال[١١][الوافر]

---

(١) تتعده : تلتزمه .
(٢) قال محقق الشعر في ص(٨٧) نقلاً عن الميمني : « هذا من المثل : عَيْرٌ عارَه وتِدُه ـ عاره : أهلكه . وأصل المثل أنّ رجلاً أشفق على حماره فربطه إلى وتد فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه ما احترس له به » .
(٣) المفاضة : الدرع الواسعة . النّهي : بكسر النون وفتحها : الغدير من الماء . الجدد : الأرض الصلبة . شبه الدرع بالغدير في صفائها واطّرادها .
(٤) عوائر : متطايرة . القصد : جمع قِصْدَة ، وهي ما تكسّر من الرمح .
(٥) قال محقق الشعر في ص(٨٨) نقلاً عن الخشني : « الشنب : الذي يتعلق بقرنه ولا يزايله . وقوله شثن ، أي غليظ الأصابع . والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان . وناشز : مرتفع . والكتد : ـ بفتح التاء وكسرها ـ ما بين الكتفين» .
(٦) يعتضده : يأخذ تحت عضده ليصرعه .
(٧) يقتصده : يقتله .
(٨) يدمغه : يصيب دماغه . يخضمه : يأكله . يزدرده : يبتلعه .
(٩) وفي شعر عمرو خمسة أبيات أخرى لم يوردها المصنف .
(١٠) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥) .
(١١) شعر عمرو بن معديكرب (١٢٣) بخلاف في الرواية بالإضافة إلى السيرة (٢/ ٥٨٥) وشرحها عند أبي ذر الخشني (٤٤٤ ـ ٤٤٥) .

وَجَـدْنَـا مُلْـكَ فَـرْوَةَ شَـرَّ مُلْـكٍ   حمـارٌ[١] سَـافَ منخـرُهُ بِثَفْـرِ[٢]
وَكُنْـتَ إذا رَأَيْـتَ أبـا عُمَيْـرٍ   تَـرى الحَـوْلاءَ مِـنْ خُبْـثٍ وغَـدْرِ[٣]

قلتُ : ثم رجعَ إلى الإسلام ، وحَسُنَ إسلامُه ، وشهدَ فتوحاتٍ كثيرةً في أيام الصِّديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما ، وكان من الشجعان المذكورين ، والأبطال المشهورين ، والشعراء المجيدين . توفي سنة إحدى وعشرين ، بعدما شهد فتح نهاوند ، وقيل : بل شهد القادسية وقتل يومئذ .

قال أبو عمر بن عبد البر[٤] : وكان وفودُه إلى رسول الله ﷺ سنة تسعٍ ، وقيل : سنة عشر . فيما ذكره ابن إسحاق والواقديّ . قلت : وفي كلام الشافعيّ ما يدلّ عليه . فالله أعلم .

قال يونس عن ابن إسحاق : وقد قيل إن عمرو بن معديكرب لم يأتِ النبيّ ﷺ ، وقد قال في ذلك[٥] : [الخفيف]

إنّنـي بـالنَّبـي مُـوقِنَـةٌ نَفْـ   ـسي وإنْ لَـمْ أرَ النبـيّ عِيـانَـا
سَيِّـدُ العَـالميـنَ طُـراً وأَدْنَـا   هُـمْ إلـى الله حيـنَ بَـانَ مَكَـانـا
جَـاءَنـا بـالنَّـامُـوسِ مـنْ لَـدُنِ اللـ   ـه وكـانَ الأميـنَ فيـهِ المُعَـانَـا
حِكْمَـةً بَعْـدَ حِكْمَـةٍ وضيـاءً   فـاهْتَـدَيْنـا بِنـورِهَـا مـنْ عَمَـانَـا
ورَكِبْنَـا السَّبيـلَ حِيـنَ رَكِبنَـا   هُ جَـديـداً بكُـرْهِنَـا وَرِضَـانـا[٦]
وعَبَـدْنـا الإلَـهَ حَقـاً وَكُنَّـا   لِلجهَـالاتِ نَعْبُـدُ الأوثَـانَـا
وَائتَلَفْنَـا بـهِ وكُنّـا عَـدُوّاً   فَـرُجِّعْنـا بـهِ مَعـاً إخْـوَانـا
فَعَلَيْـهِ السـلامُ والسِّلْـم مِنَّـا   حَيْـثُ كُنَّـا مـنَ البـلادِ وكـانـا
إنْ نَكُـنْ لَـمْ نَـرَ النبـيَّ فـإنّـا   قَـدْ تَبِعْنَـا سَبيلَـهُ إيمَـانَـا[٧]

---

(١) كذا في الأصول . وهو في السيرة وشرحها : (حماراً) وانظر هامش شعر عمرو ففيها تفصيل أكثر .
(٢) في شعر عمرو : (بقذر) .
(٣) رواية البيت في شعر عمرو :
وإنـك لـو رأيـت أبـا عميـر   مـلأتَ يـديـك مـن غـدر وختـرِ
(٤) الاستيعاب (٣/ ١٢٠٢) .
(٥) شعر عمرو بن معديكرب (١٦٨ ـ ١٦٩) وبلغت فيه القصيدة ستة عشر بيتاً .
(٦) في شعر عمر : (ورأينا السبيل حين رأيناه) .
(٧) بعد هذا البيت في ديوان عمرو (١٦٩) سبعة أبيات .

قدومُ الأشْعَثِ بنِ قَيْسٍ في وفد كِنْدة

قال ابن إسحاق[١] : وقدم على رسول الله ﷺ الأشعثُ بن قَيْس في وَفْدِ كِنْدة ، فحدّثني الزهريُّ أنه قدمَ في ثمانين راكباً من كِنْدة ، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجدَه ، قد رجَّلوا جُمَمَهم وتَكَحَّلوا ، عليهم جُبَب الحِبَرَة[٢] ، قد كفَّفُوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال لهم : « ألم تُسْلِموا ؟ » قالوا : بلى . قال : « فما بالُ هذا الحرير في أعناقِكُم » قال : فَشَقُّوه منها ، فألقوه . ثم قال له الأشعثُ بن قيس : يا رسول الله ! نحن بنو آكل المُرار ، وأنت ابن آكل المُرار . قال : فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « ناسِبُوا بهذا النَّسَبِ العباسَ بن عبد المطلب ، وربيعةَ بن الحارث » وكانا تاجِرَيْن إذا شاعا[٣] في العرب فسئلا ممن أنتما ؟ قالا : نحن بنو آكل المُرار ، يعني ينسبان إلى كِنْدة ، ليَعِزَّا في تلك البلاد ، لأنّ كِنْدة كانوا ملوكاً ، فاعتقدَتْ كِنْدة أن قريشاً منهم ، لقول عباس وربيعة : نحن بنو آكل المُرار ، وهو الحارث بن عمرو (بن حُجْر بن عمرو)[٤] بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كِنْديّ ، ويقال : ابن كِنْدة . ثم قال رسول الله ﷺ لهم : « لا ، نحن بنو النَّضْر بن كنانة ، لا نَقْفُو أمَّنا ، ولا ننتفي من أبينا » . فقال لهم الأشعث بن قيس : والله يا معشر كندة لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين .

وقد روي هذا الحديث متصلاً من وجه آخر ، فقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا بَهْزٌ وعفّان ، قالا : حدّثنا حماد بن سَلمةَ ، حدّثني عَقيل بن طلحة ، وقال عَفّان في حديثه : أنبأنا عَقيل بن طلحة السُّلَمي ، عن مسلم بن هَيْصَم[٦] ، عن الأشعث بن قيس أنه قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ في وفد كِنْدة . قال عفان : لا يَرَوْني أفضلَهم ، قال : قلت : يا رسول الله ، إنا نَزْعُمُ[٧] أنَّكُمْ منّا . قال : فقال رسول الله ﷺ : « نحن بنو النَّضْر بن كنانة ، لا نقفو أمَّنا ، ولا نَنْتَفي من أَبينا » قال : قال الأشعث : فوالله لا أسمعُ أحداً نَفَى قُريشاً من النَّضْرِ بن كِنانة إلا جلدتُه الحدَّ .

وقد رواه ابن ماجه[٨] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون . وعن محمد بن يَحْيى ، عن سليمان بن حَرْب . وعن هارون بن حيَّان عن عبد العزيز بن المغيرة . ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به نحوه .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٨) .
(٢) الحِبَرَة : بكسر الحاء وفتحها وفتح الباء ضروب من برود اليمن منَمَّر (اللسان : حبر) .
(٣) ط : (إذ شاعا) ، وشاعا : بَعُدا ، كما في شرح السيرة لأبي ذر الخشني (١٤٤) .
(٤) ما بين القوسين زيادة من سيرة ابن هشام (٢/ ٥٨٦) وانظر جمهرة الأنساب (٤٢٧) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢١٢) ، وإسناده حسن .
(٦) ط : (هيضم) تحريف . انظر تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٤٧) .
(٧) في الأصول : (أنا ابن عم) وما أثبته عن المسند .
(٨) سنن ابن ماجه رقم (٢٦١٢) كتاب الحدود باب من نفى رجلاً من قبيلته ، وهو حديث حسن .

وقال الإمام أحمد[١] : حدّثنا سُرَيْج بن النُّعمان ، حدّثنا هُشَيْم ، أنبأنا مُجالد ، عن الشعبيّ ، حدّثنا الأشْعَثُ بن قيس ، قال : قَدِمْتُ على رسول الله ﷺ في وَفْدِ كِنْدة ، فقال لي : « هل لكَ منْ ولدٍ ؟ » قلت : غلام وُلد لي في مخرجي إليك من ابنة جَمْدٍ[٢] ، ولوددتُ أنّ مكانَه شَبِعَ القومُ . قال : « لا تقولَنَّ ذلك فإنّ فيهم قُرّةَ عينٍ وأجراً إذا قُبِضوا ثَمَّ ، ولئن قلتُ ذاك إنَّهم لمَجْبَنَة مَحْزَنةٌ ، إنهم لَمَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ » .

تفرّد به أحمد ، وهو حديث حسن جيّد الإسناد .

قُدومُ أعْشَىٰ بني[٣] مازِنٍ على النبيِّ ﷺ

قال عبد الله ابن الإمام أحمد[٤] : حدّثني العباس بن عبد العظيم العَنْبَري ، حدّثنا أبو سلمة عُبَيْد بن عبد الرحمن الحنفي ، قال : حدّثني الجُنَيْد بن أُمَيْن بن ذِرْوة بن نَضْلَةَ بن طَرِيف بن نهصل[٥] الحِرْمازي[٦] ، حدّثني أبي أُمَيْنٌ ، عن أبيه ذِرْوة ، عن أبيه نَضْلَة ، أنّ رجلاً منهم يقال له الأعشى ، واسمه عبد الله بن[٧] الأعور كانت عنده امرأةٌ يُقال لها مُعاذةٌ ، خرجَ في رجبٍ يَميرُ أهْلَهُ من هَجَر[٨] فهربَتِ امرأتُه بَعده ناشزاً عليه ، فعاذَت برجلٍ منهم يقال له مُطَرِّف بنُ نَهْشَلِ بنِ كَعْب بن قُمَيْئع بن دُلَفِ بن أهْضَم[٩] بن عبد الله بن الحِرْماز ، فجعلَها خلفَ ظَهْره ، فلمّا قَدِم لم يَجِدها في بيته ، وأُخْبِرَ أنّها نَشَزَتْ عليه ، وأنّها عاذَتْ بمُطَرِّفِ بن نَهْشل ، فأتاه ، فقال : يا بن عَمِّ ، أعندكَ امرأتي مُعاذَة ، فادفعها إليَّ . قال : ليست عندي ، ولو كانَتْ عندي لم أدْفَعْها إليكَ . قال : وكان مُطَرِّفٌ أعزَّ منه . قال : فخرجَ الأعشى حتى أتى النبيَّ ﷺ فعاذَ به ، فأنشأ يقول[١٠] : [من الرجز]

يــا سَيِّــدَ النَّــاسِ وَدَيَّــانَ العَـرَبْ   إلَيْـكَ أشْكُـو ذِرْبَـةً مِـنَ الـذِّرَبْ[١١]

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢١١) ، أقول : فيه مجالد بن سعيد ، ضعيف ، ولكن الحديث حسن بطرقه وشواهده.
(٢) هو جَمْد بن وليعة الكندي ، انظر المعجم الكبير للطبراني (١/ ٢٠٧) (٦٤٧) .
(٣) ط : (بن) .
(٤) رواه عبد الله بن الإمام أحمد ، في زوائد المسند (٢/ ٢٠٢) . قال : (حدّثني أبي) ، وإسناده ضعيف لجهالة أكثر رواته .
(٥) الإصابة (٣/ ٥٥٦) وفي المسند (بُهْصل الحرمازي) .
(٦) الأنساب (٤/ ١١٥) .
(٧) ليس اللفظ في ط ، أ .
(٨) معجم البلدان : هجر .
(٩) في مسند الإمام أحمد «مطرف بن بهصل بن كعب بن قميشع بن دلف بن أهضم» وفي الإصابة : « مطرف بن نهصل » .
(١٠) الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشية الآخرين (٢٨٧ ـ ٢٨٨) باختلاف في الرواية وزيادة في الأبيات .
(١١) الذربة : السليطة اللسان (القاموس : ذرب) .

كَالذِّئْبَةِ الغَبْسَاءِ(١) في ظِلِّ السَّرَبْ خَرَجْتُ أبْغِيهـا الطَّعَـامَ فـي رَجَـبْ
فَخَلَّفَتْنِـــــي بِنِـــــزاعٍ وَهَـــــرَبْ أَخْلفَتِ الوعد(٢) وَلَطَّتْ بالذَّنَبْ(٣)
وَقَـذَفَتْنِـي بَيْـنَ عِيـصٍ مُـؤْتَشَـبْ(٤) وهُـــنَّ شَــرُّ غَـالِـبٍ لِمَـــنْ غَلَـبْ

فقال النبي ﷺ عند ذلك : « وهن شر غالب لمن غلب » . فشكى إليه امرأته وما صنعت به ، وأنها عند رجل منهم يقال له مُطَرِّف بن نَهْشَل ، فكتب له النبي ﷺ إلى مُطَرِّف : « انظر امرأة هذا معاذة ، فادفعها إليه » ، فأتاه كتاب النبي ﷺ ، فقرئ عليه ، فقال لها : يا مُعاذة ، هذا كتاب النبي ﷺ فيكِ ، فأنا دافعكِ إليه ، فقالت : خذ لي عليه العهدَ والميثاقَ وذمةَ نَبِيه أن لا يعاقِبَني فيما صَنَعْتُ . فأخذَ لها ذلك عليه ، ودفعها مُطَرف إليه ، فأنشأ يقول(٥) [الطويل] :

لعمرُكَ ما حبِّي مُعَاذَةَ بالذَّي يُغَيِّرُهُ الوَاشي ولا قِدَمُ العَهْدِ
وَلا سُوءُ ما جَاءَتْ بِهِ إذ أزَالَهَا غُواةُ الرِّجَالِ إذْ يُنَاجُونَها بَعْدِي

قُدومُ صُرَد(٦) بن عَبْد الله الأَزْدي في نَفَرٍ من قَوْمِهِ ثم وُفودُ أهل جُرَش(٧) بعدهم

قال ابن إسحاق(٨) : وقدم صُرَد بن عبد الله الأزدي على رسول الله ﷺ في وفدٍ من الأزد ، فأسلم وحَسُنَ إسلامُه ، وأمّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهِدَ بمَنْ أسلم مَنْ يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن ، فذهب فحاصر جُرَش وبها قبائل من اليمن ، وقد ضَوَت(٩) إليهم خَثْعَمُ حين سمعوا بمسيره إليهم ، فأقام عليهم قريباً من شهر ، فامتنعوا فيها منه ، ثم رجعَ عنهم ، حتى إذا كان قريباً من جبل يُقال له شكر(١٠) فظنوا أنّه قد ولّى عنهم مُنْهزماً ، فخرجوا في طلبه ، فعطفَ عليهم ، فقتلهم قتلاً شديداً . وقد كان أهل جُرَش بعثوا منهم رجلين إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فبينما هما عنده بعدَ

---

(١) الغبساء : الرمادية اللون وكل ذئب أغبس . وقيل : الأغبس من الذئاب الخفيف الحريص (اللسان : غبس) .
(٢) كذا في أ وط (الوعد) : وهي في مسند الإمام أحمد والإصابة والديوان واللسان في مادة لطط : (العهد) .
(٣) قال ابن منظور في اللسان بمادة لطط : « والناقة تلط بذنبها إذا ألزقته بفرجها وأدخلته بين فرجيها » ثم أورد هذا البيت وقال في شرحه له : أراد أنها منعته بضعها وموضع حاجته منها كما تلط الناقة بذنبها إذا امتنعت على الفحل أن يضربها وسدت فرجها به . وقيل أراد توارت وأخفت شخصها عنه كما تخفي الناقة فرجها بذنبها » .
(٤) المؤتشب : الملتف . والعيص : أصل الشجر (اللسان : أشب) .
(٥) الصبح المنير ٢٨٨ .
(٦) الاستيعاب (٢/ ٧٣٧) .
(٧) جُرش : مدينة عظيمة باليمن من مخاليف اليمن من جهة مكة (معجم البلدان : جرش) .
(٨) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) .
(٩) ضوى يضوى ضيّاً وضُوياً : انضم ولجأ وأتى ليلاً (القاموس : ضوى) .
(١٠) شَكَر : جبل باليمن قريب من جُرش (معجم البلدان : شكر) .

العصر إذ قال : « بأيِّ بلادِ الله شَكَر ؟ » فقام الجُرَشيّان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشَر ـ وكذلك يسميه[١] أهل جرش ـ فقال : « إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر » قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ فقال : « إن بُدْنَ الله لتُنْحَر عنده الآن » قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما إنّ رسول الله ﷺ الآن ليَنْعَى إليكُما قومَكُما ، فقوما إليه ، فاسألاه أن يدعوَ الله فيرفعَ عن قَوْمِكما ، فقاما إليه ، فسألاه ذلك ، فقال : « اللهم ارفع عنهم » فرجعا فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أخبر عنهم رسول الله ﷺ . وجاء وفد أهل جرش بمن بقي منهم ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فأسلموا وحسن إسلامهم ، وحمى لهم [حِمىً][٢] حول قريتهم .

قدُومُ رسول ملوك حِمْيَر إلى رسول الله ﷺ

قال الواقدي[٣] : وكان ذلك في رمضان سنة تسع .

قال ابن إسحاق[٤] : وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير ورسلهم بإسلامهم مقْدَمَه من تبوك ، وهم الحارث بن عبد كُلال ، ونُعيم بن عبد كُلال ، والنُّعمان قَيْل[٥] ذي رُعَين ، ومَعَافِر[٦] ، وهَمْدَان ، وبعث إليه زُرعة ذو يزن مالكَ بن مرة الرَّهاوي بإسلامهم ومفارقتِهم الشركَ وأهلَه ، فكتب إليهم رسول الله ﷺ[٧] :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كُلال ونُعيم بن عبد كُلال والنعمان قَيْلِ ذي رُعَين ومَعَافِر وهَمْدَان ، أما بعد ذلكم ؛ فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، فإنّه قد وقع بنا رسولُكُم منقلَبنا من أرض الروم ، فلقيَنا بالمدينة ، فبلّغ ما أرسلتم به ، وخبَّرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وإنّ الله قد هداكم بهُداه ، إنْ أصلحتم وأطعتم اللهَ ورسولَه ، وأقمتُم الصلاةَ ، وآتيتُم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمُسَ الله ، وسهمَ النبي ﷺ وصفيَّه ، وما كُتب على المؤمنين في[٨] الصدقة من العقار عُشْرُ ما سَقَت العينُ وسَقَت السماءُ ، وعلى ما سَقَى الغَرْب[٩] نصفُ

---

(١) في ط : (تسمية) .
(٢) الزيادة من سيرة ابن هشام .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ١٢٠) .
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٨٨) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٥٦) .
(٥) القيل : الملك أو هو دون الملك ، أي يقول ما شاء فينفذ قوله (اللسان : قول) .
(٦) مَعَافِر : بالفتح اسم قبيلة من اليمن (معجم البلدان : معافر) .
(٧) مجموعة الوثائق السياسية رقم (١٠٩) ص (١٤٤ ـ ١٤٦) .
(٨) في السيرة : (من) .
(٩) الغرب : الدلو العظيمة (القاموس : غرب) .

العُشْرِ ، وإنّ في الإبل في الأربعين ابنةَ لَبون ، وفي ثلاثين من الإبل ابنُ لبون ذكر ، وفي كلّ خَمْس من الإبل شاةٌ ، وفي كل عشرٍ من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرةٌ ، وفي كلّ ثلاثين [من البقر][١] تبيعٌ جَذَعٌ أو جَذَعةٌ ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وَحْدَها شاة ، وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة . فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له، ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنّه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمةُ الله وذمةُ رسوله ، وإنّه منْ أسلم من يهودي أو نصراني فإنّه من المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنّه لا يُردُّ عنها ، وعليه الجزية على كل حالمٍ ذكر وأنثى ، حرّ أو عبد دينارٌ وافٍ من قيمة المَعَافِر[٢] ، أو عِوَضُهُ[٣] ثياباً، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله فإنّ له ذمةَ الله وذمةَ رسوله ، ومن منعه فإنّه عدو لله ولرسوله .

أما بعد فإنّ رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زُرعة ذي يزن أن إذا أتاك رسلي فأُوصيكم بهم خيراً ؛ معاذُ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عُبادة ، وعُقْبَة بن نَمِر ، ومالك بن مُرَّة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مَخَالِيْفِكم ، وأبلغوها رسلي ، وإنّ أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبن إلا راضياً .

أما بعد فإنّ محمداً يشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأنه عبدُه ورسولُه ، ثم إن مالك بن مُرّة الرَّهاوي قد حدّثني أنكَ أسلَمْتَ من أوّلِ حِمْيَر ، وقتلتَ المشركين ، فأبشر بخير ، وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ، ولا تخاذلوا ، فإنّ رسولَ اللهِ هو مولى غنيكم وفقيركم ، وإنّ الصدقةَ لا تَحِلُّ لمحمد ولا لأهل بيته ، وإنما هي زكاة يُزكّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإنّ مالكاً قد بلّغ الخبر وحفظ الغيب ، فآمركم به خيراً ، وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم ، وأولي علمهم ، فآمركم بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وقد قال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا حسن ، حدّثنا عُمارة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أنّ مَلِكَ[٥] ذي يزن أهدى رسول الله ﷺ حُلَّةً قد أخذها بثلاثةٍ وثلاثين بعيراً وثلاث وثلاثين ناقةً .

ورواه أبو داود[٦] عن عمرو بن عون الواسطي ، عن عُمارة بن زاذان الصَّيْدلاني ، عن ثابت البُناني ، عن أنس به .

---

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام وإعلام السائلين ومجموعة الوثائق السياسية .
(٢) المعافر : ثياب من ثياب اليمن (القاموس : عفر) .
(٣) في ط : (عرضه) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٢١) ، وإسناده ضعيف ، فإن عمارة ـ وهو ابن زاذان ـ يروي عن ثابت عن أنس مناكير .
(٥) في أ و ط « مالك » وأثبتنا ما في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود .
(٦) سنن أبي داود رقم (٤٠٣٤) في كتاب اللباس باب في لبس الصوف الشعر ، وإسناده ضعيف .

وقد أورد الحافظ البيهقي[١] هاهنا : حديثَ كتاب عمرو بن حزم فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدّثنا يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أبيه [أبي] بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، يُفَقِّهُ أهلَها ، ويعلِّمُهم السُّنَّة ، ويأخذ صَدَقاتِهم ، فكتب له كتاباً وعهداً وأمره فيه أمره ، فكتب[٢] :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله ورسوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة : ١] عهداً من رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإنّ الله مع الذين اتقوا[٣] والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق ، كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين ، وأن ينهى الناس ، فلا يمسّ أحدٌ القرآن إلا وهو طاهرٌ ، وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويلين لهم في الحق ، ويشتد عليهم في الظلم ، فإن الله حرّم الظلم ونهى عنه فقال : ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [هود : ١٨ ـ ١٩] وأن يبشِّرَ الناسَ بالجنةِ وبعملِها ، ويُنْذِرَ النّاسَ النارَ وعملَها ، ويستألِفَ الناسَ حتى يَتَفقَّهوا في الدين ، ويعلم الناسَ معالمَ الحجّ وسُنَنَه وفرائِضَه ، وما أمر[٤] الله به ، والحج الأكبر الحج ، والحج الأصغر العمرة ، وأن يَنْهَى الناسَ أن يصلِّي الرجلُ في ثوبٍ واحدٍ صغير إلا أن يكون واسعاً ، فيُخالفُ بينَ طَرَفَيْهِ على عاتِقَيْهِ ، وينهى أن يحتبي الرَّجُلُ في ثوبٍ واحدٍ ، ويُفْضي بفَرْجه إلى السَّماء ، ولا يعقص[٥] شعرَ رأسه إذا عفا[٦] في قفاه ، وينهى الناسَ إن كان بينهم هَيْجٌ أن يدعوا إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريكَ له ، فمن لم يَدْعُ إلى الله ، ودعا إلى العشائر والقبائل فليعطِفوا بالسيف ، حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغِ الوضوء وجوهَهُم وأيديهم إلى المرافق وأرجلَهم إلى الكعبين ، وأن يمسحوا رؤوسَهم كما أمرهم الله عزَّ وجلَّ ، وأمروا بالصلاة لوقتها وإتمامِ الرُّكوع والسجود ، وأن يُغلِّس بالصبح ، وأن يُهَجِّر بالهاجرة حتى[٧] تميل الشمس وصلاة العصر والشمس في الأرض مبدرة[٨] ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول

---

(١) دلائل النبوة (٥/٤١٣ ـ ٤١٥) .
(٢) إعلام السائلين ص(١٣٥ ـ ١٣٨) ومجموعة الوثائق السياسية رقم (١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧) ص(١٣٧) وما بعد .
(٣) ط : (اتقوه) .
(٤) ط : (وما أمره) .
(٥) ط : (ينقض) وما هنا عن السيرة (٢/ ٥١٥) .
(٦) عفا : أي كثر واسترسل (اللسان : عفا) .
(٧) في السيرة : (حين) .
(٨) في السيرة : (مدبرة) .

الليل ، [وأمره بالسعي إلى الجمعة إذا نودي بها والغسل عند الرواح إليها][(١)] وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُسَ الله ما كُتب على المؤمنين من الصدقة ، من العَقار فيما سَقَتِ العَيْنُ[(٢)] وفيما سقت السماء العُشْر ، وما سقى الغَرْب[(٣)] فنصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي عشرين أربع شياه ، وفي أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيعٌ أو تبيعةٌ جَذَع أو جَذَعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاةٌ ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين ، فمن زاد فهو خير له ، ومن أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه فَدانَ دينَ الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومنْ كانَ على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُغَيَّر عنها ، وعلى كل حالمٍ ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار وافٍ ، أو عوضه[(٤)] من الثياب ، فمن أدى ذلك فإن له ذمةَ الله ورسولَه ، ومن مَنَعَ ذلك فإنه عدوٌّ الله ورسوله والمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته » .

قال الحافظ البيهقي[(٥)] : وقد روى سليمان بن داود ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن جده هذا الحديث موصولاً بزيادات كثيرة ونقصان عن بعض ما ذكرناه في الزكاة والديات وغير ذلك .

قلت : ومن هذا الوجه رواه الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي[(٦)] في سننه مطولاً ، وأبو داود في كتاب المراسيل[(٧)] ، وقد ذكرت ذلك بأسانيده وألفاظه في السنن[(٨)] ولله الحمد والمنة ، وسنذكر بعد الوفود بعثَ النبي ﷺ الأمراءَ إلى اليمن لتعليمِ الناس وأخذِ صدقاتِهم وأخماسِهم ، معاذَ بن جبل وأبا موسى وخالدَ بن الوليد وعليَّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين .

قُدومُ جَريرِ بنِ عَبْدِ الله البَجَلي وإسلامه

قال الإمام أحمد[(٩)] : حدّثنا أبو قطن ، حدّثني يونس ، عن المغيرة بن شِبْلٍ ، قال : قال جرير : لما

---

(١) الزيادة من دلائل النبوة ومجموعة الوثائق السياسية .
(٢) في أ كلمة غير واضحة ، وفي ط : المغل ، وأثبتنا ما في دلائل النبوة ومجموعة الوثائق السياسية وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٦٦) وإعلام السائلين .
(٣) الغرب : الدلو العظيمة (القاموس : غرب) .
(٤) في ط : (عرضه) .
(٥) السنن الكبرى للبيهقي(١/ ٨٨ ، ٣٠٩)(و١٠/ ١٢٨) .
(٦) النسائي (٤٨٦٨ و٤٨٦٩) ، وإسناده ضعيف .
(٧) أبو داود في المراسيل (٨٥ مختصراً ، ٩٧ مطولاً) ، وإسناده ضعيف .
(٨) جامع المسانيد والسنن (٩/ ٥٦٠ ـ ٥٦٥) .
(٩) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٥٩) ، وهو حديث صحيح . وانظر طبقات ابن سعد(١/ ٣٤٧ـ ٣٤٨) .

دَنَوْتُ من المدينة أَنَخْتُ راحلتي ، ثم حَلَلْتُ عَيْبَتي[١] ، ثم لَبِسْتُ حُلَّتي ، ثم دخلتُ ، فإذا رسولُ الله ﷺ يخطُبُ ، فرماني الناسُ بالحَدَق ، فقلت لجليسي : يا عبد الله ، هل ذكرني رسولُ الله ﷺ ؟ قال : نعم ، ذكركَ بأحسنِ الذِّكرِ ، بينما هو يخطُبُ إذ عرض له في خطبته وقال : « يدخلُ عليكُم من هذا الباب ، أو من هذا الفجِّ ، منْ خَيْرِ ذي يَمَن إلاّ أنّ[٢] على وجهه مسحةَ مَلَكٍ[٣] » ، قال جرير : فحمدتُ الله عزَّ وجلَّ على ما أبلاني . قال أبو قطن : فقلت له : سمعتَه منه ، أو سمعتَه من المغيرة بن شِبْلٍ ؟ . قال : نعم .

ثم رواه الإمام أحمد[٤] عن أبي نعيم وإسحاق بن يوسف . وأخرج النَّسائي[٥] من حديث الفضل بن موسى ، ثلاثتهم ، عن يونس بن[٦] أبي إسحاق السَّبيعي ، عن المغيرة بن شِبْل ـ ويقال ابن شُبَيْل ـ ، عن عوف البَجَلي الكوفي ، عن جرير بن عبد الله ، وليس له عنه غيره .

وقد رواه النّسائي[٧] ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بقصته : « يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ من هذا البابِ رجلٌ على وَجْهِه مَسْحَة مَلَكٍ » الحديث . وهذا على شرط الصحيحين .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا محمد بن عُبَيد ، حدّثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن جرير قال : ما حَجَبني عنه[٩] رسول الله ﷺ منذ أسلمتُ ، ولا رآني إلا تبسَّم في وجهي .

وقد رواه الجماعة[١٠] إلا أبا داود من طرقٍ عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه . وفي الصحيحين زيادة : وشكوتُ إلى رسول الله ﷺ أني لا أثبتُ على الخيل ، فضرب بيده في صدري ، وقال : « اللهم ثَبِّتْهُ واجعله هادياً مهدياً » . ورواه النَّسائي[١١] عن قتيبة ، عن سفيان بن عيينة ، عن

---

(١) العيبة : وعاء من أدم يكون فيها المتاع والجمع عياب وعِيَب (اللسان : عيب) .
(٢) لفظ (أن) زيادة عن المسند .
(٣) يقال : على وجهه مَسْحَةُ مَلَكٍ ومَسْحةُ جمالٍ ، أي أثر ظاهر منه ، ولا يقال ذلك إلا في المدح (النهاية في غريب الحديث والأثر : مسح) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٠ و٣٦٤) ، وهو حديث صحيح .
(٥) السنن الكبرى للنسائي (٨٣٠٤) .
(٦) ط ، أ : (عن) وانظر تهذيب الكمال (٣٢/ ٤٨٨) .
(٧) السنن الكبرى (٢ : ٨٣) بلا قصة .
(٨) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٥٨ ، ٣٦٢) .
(٩) ليس اللفظ في أ ، ط .
(١٠) صحيح البخاري رقم (٦٠٨٩) في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب ذكر جرير رضي الله عنه ومسلم رقم (٢٤٧٥) في فضائل الصحابة باب من فضائل جرير رضي الله عنه والترمذي رقم (٣٨٢٢) في المناقب باب جرير رضي الله عنه .
(١١) السنن الكبرى للنسائي (٨٣٠٢) بلا قصة .

إسماعيل ، عن قيس ، عنه ، وزاد فيه « يَدْخُلُ عليكُمْ من هذا[١] الباب رجل على وجهه مَسْحَةُ مَلَكٍ » فذكر نحو ما تقدم .

قال الحافظ البيهقي[٢] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد السَّمَّاك ، حدّثنا الحسنُ بن سلاَّم السَّوّاق ، حدّثنا محمد بن مُقاتِلِ الخُراساني ، حدّثنا حُصَيْنُ[٣] بن عمر الأحْمسي ، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد عن[٤] قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله قال : بعث إليَّ رسول الله ﷺ فقال : يا جريرُ ، لأيِّ شيءٍ جئتَ ؟ قلت : أُسْلِمُ[٥] على يديك يا رسول الله . قال : فألقى عليَّ[٦] كساءً ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرموه » . ثم قال : « يا جريرُ ، أدعوكَ إلى شهادةِ أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله ، وأن تؤمنَ بالله واليوم الآخر والقدرِ خيرِه وشَرِّه ، وتُصَلِّي الصَّلاةَ المكتوبةَ ، وتُؤَدِّي الزكاةَ المفروضة » . ففعلتُ ذلك ، فكان بعد ذلك لا يراني إلا تبسَّم في وجهي .

هذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا يحيى بن سعيد القطان ، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله قال : بايَعْتُ رسول الله ﷺ على إقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ والنُّصح . لكلّ مسلمٍ .

وأخرجاه في الصحيحين[٨] من حديث إسماعيل بن أبي خالد به . وهو في الصحيحين[٩] من حديث زياد بن علاقة[١٠] عن جرير به .

وقال الإمام أحمد[١١]: حدّثنا أبو سعيد ، حدّثنا زائدة ، حدّثنا عاصم ، عن شقيق[١٢] يعني ـ أبا

---

(١) ليس اللفظ في أ ، ط .
(٢) دلائل النبوة (٥/ ٣٤٧) .
(٣) في الدلائل (حسين) وانظر تهذيب الكمال (٦/ ٥٢٦) .
(٤) ط : (أو) وما هنا عن الدلائل .
(٥) في دلائل النبوة « جئت لأسلم » .
(٦) في دلائل النبوة « إليّ » .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٥) .
(٨) صحيح البخاري رقم (٥٧) في الإيمان باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة ، وصحيح مسلم رقم (٥٦) في الإيمان باب : بيان أن الدين النصيحة ، وأبو داود رقم (٤٩٤٥) في الأدب باب في النصيحة وسنن النسائي (٧/ ١٥٢) في البيعة باب البيعة فيما يستطيعه الإنسان .
(٩) رواه البخاري رقم (٥٨) ومسلم رقم (٥٦) (٩٨) .
(١٠) في الأصل (علاثة) وهو تحريف ، انظر تهذيب التهذيب (٣/ ٣٨٠) .
(١١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٤) .
(١٢) في ط : (سفيان) وهو تحريف . انظر في ترجمة شقيق بن سلمة أبي وائل سير أعلام النبلاء (٤/ ١٦١) .

وائل ـ عن جرير قال : قلت : يا رسول الله ، اشترط عليّ ، فأنت أعلم بالشرط . قال : « أُبايعُكَ على أن تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لا تَشْرِكُ به شيئاً ، وتُقيمَ الصَّلاةَ ، وتُؤْتي الزكاةَ ، وتَنْصحَ المسلمَ وتبرأ من الشرك » .

ورواه النَّسائي[١] من حديث شُعْبة ، عن الأعْمش ، عن أبي وائل ، عن جَرير . وفي طريق أخرى[٢] ، عن الأعْمَش ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن أبي نُخَيلة[٣] ، عن جرير به ، فالله أعلم . ورواه أيضاً[٤] عن محمد بن قدامة ، عن جرير ، عن مُغيرة ، عن أبي وائل والشعبي ، عن جرير به . ورواه عن جرير عبدُ الله بن عَميرة[٥] ؛ رواه أحمد[٦] منفرداً به ؛ وابنه عبيد الله بن جرير ، رواه أحمد[٧] أيضاً منفرداً به . وأبو جميلة[٨] وصوابه أبو نُخَيْلة ، رواه أحمد والنسائي[٩] ورواه أحمد أيضاً[١٠] ، عن غُندر ، عن شعبة ، عن منصور ، عن أبي وائل، عن رجل ، عن جرير ، فذكره . والظاهر أن هذا الرجل هو أبو نخيلة البَجَلي والله أعلم .

وقد ذكرنا بعث النبي ﷺ له حين أسلم إلى ذي الخَلَصَة[١١] بيت كان يعبده خَثْعَم وبجيلة ، وكان يقال له الكعبة اليمانية ، يضاهون به الكعبة التي بمكة ، ويقولون للتي ببكة الكعبة الشامية ، ولبيتهم الكعبة اليمانية . فقال له رسول الله ﷺ : « ألا تريحني من ذي الخَلَصة » فحينئذ شكى إلى النبي ﷺ أنّه لا يثبت على الخيل ، فضرب بيده الكريمة في صدره حتى أثّرت فيه وقال : « اللهم ثبّته ، واجعله هادياً مهدياً » . فلم يسقط بعد ذلك عن فرس . ونفر إلى ذي الخَلَصة في خمسين ومئة راكب من قومه من أحْمَس[١٢] ، فخرّب ذلك البيت وحرّقه ، حتى تركه مثلَ الجمل الأجرب . وبعث إلى النبي ﷺ بَشيراً يقال له أبو أرطاة ، فبشره بذلك ، فبرَّك رسولُ الله ﷺ على خيل أحْمَس ورجالها خمس مراتٍ .

---

(١) سنن النسائي (٧/ ١٤٧) ، وهو حديث صحيح .
(٢) سنن النسائي (٧/ ١٤٨) .
(٣) هكذا في أو ط وسنن النسائي وفي الكنى لمسلم (١٢) والإكمال (٧/ ٣٣٥) وتبصير المنتبه (٤/ ١٤١٢) « نحيلة » بالحاء ، وكلاهما وارد ، قال المزي في ترجمته من تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٤٢) : ذكره عبد الغني بن سعيد بالحاء المهملة ، وذكره غيره بالمعجمة وانظر بلابد التعليق على المؤتلف للدارقطني (٤/ ٢٢٧٢) .
(٤) سنن النسائي (٧/ ١٤٧) .
(٥) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٤٥) .
(٦) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٦) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٥٨) .
(٨) أثبت ابن كثير هنا كلمة « جميلة » الواردة في المسند (٤/ ٣٦٥) ليصوبها بنخيلة .
(٩) مسند أحمد (٤/ ٣٦٥) وسنن النسائي (٧/ ١٤٧) .
(١٠) مسند أحمد (٤/ ٣٥٨) ، وينظر المسند الجامع (٤/ ٥١٦) حديث (٣١٦٧) .
(١١) انظر تفصيل ذلك في معجم البلدان : الخلصة .
(١٢) أحمس : بطن من ضبيعة ، وبطن آخر من بجيلة وهو ابن الغوث بن أنمار (تاج العروس : حمس) .

والحديث مبسوط في الصحيحين وغيرهما[١] . كما قدمناه بعد الفتح استطراداً بعد ذكر تخريب بيت العُزّى على يَدَيْ خالدِ بن الوليد رضي الله عنه .

والظاهر أن إسلام جرير رضي الله عنه كان متأخراً عن الفتح بمقدار جيد ، فإن الإمام أحمد قال[٢] : حدّثنا هاشم[٣] بن القاسم ، حدّثنا زياد بن عبد الله بن عُلاثة ، عن[٤] عبد الكريم بن مالك الجزري ، عن مجاهد ، عن جرير بن عبد الله البَجَلي قال : إنما أسلمتُ بعدما أُنْزِلَت المائدةُ وأنا رأيتُ رسول الله ﷺ يَمْسَحُ بعدما أسلمتُ . تَفَرَّدَ به أحمدُ وهو إسنادٌ جيدٌ ، اللهمَّ إلا أن يكونَ منقطعاً بين مجاهدٍ وبينه .

وثبتَ في « الصحيحين » أن أصحابَ عبد الله بن مَسْعود كان يُعْجِبُهم حديثُ جَرير في مسح الخُفّ ، لأن إسلام جرير إنما كان بعد نزول المائدة[٥] .

وسيأتي في حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال له : « استَنْصِتِ النّاسَ يا جرير »[٦] وإنما أمره بذلك لأنه كان صبياً . وكان ذا شكل عظيم ، كانت نعلُه طولها ذراع ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وكان مع هذا من أغض الناس طرفاً ، ولهذا روينا في الحديث الصحيح[٧] عنه أنه قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ عن نظر الفجأة[٨] فقال : اصرف[٩] بصرك .

---

(١) صحيح البخاري رقم (٤٣٥٥) في المغازي باب غزوة ذي الخلصة وصحيح مسلم رقم (٢٤٧٦) في فضائل الصحابة باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه وسنن أبي داود رقم (٢٧٧٢) في الجهاد باب في بعثة البشراء ، ومسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٥) .

(٢) المسند (٤/ ٣٦٣) .

(٣) ط : (هشام) تحريف ، والتصحيح من المسند ، وانظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤٥) .

(٤) ط : (بن) تحريف ، والتصحيح من المسند ، وانظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٠) .

(٥) صحيح البخاري رقم (٣٨٧) في الصلاة في الثياب باب الصلاة في الخفاف وصحيح مسلم رقم (٢٧٢) في الطهارة باب المسح على الخفين .

(٦) صحيح البخاري رقم (١٢١) كتاب العلم باب الانصات للعلماء وصحيح مسلم رقم (١١٨) كتاب الإيمان باب بيان معنى قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم بعضاً وسنن ابن ماجه في الفتن رقم (٥) ومسند الإمام أحمد (٤/ ٣٥٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦) .

(٧) صحيح مسلم رقم (٢١٥٩) في الآداب باب نظر الفجأة وسنن أبي داود رقم (٢١٤٨) في النكاح باب ما يؤمر من غض البصر وسنن الترمذي رقم (٢٧٧٧) في الأدب باب ما جاء في نظر الفجأة ومسند الإمام أحمد (٤/ ٣٥٨ ، ٣٦١) .

(٨) يقال : الفَجْأة بفتح الفاء وإسكان الجيم والقصر . والفُجاءة بضم الفاء وفتح الجيم والمد (لسان العرب : فجأ) .

(٩) ط : (اطرق) .

وِفادَةُ وائِلِ بن حُجْر بن رَبيعةَ بن وائلِ بن يَعْمر الحضْرميّ
أبو هُنيدة[١] أحد مُلوكِ اليَمَن على رسول الله ﷺ

قال أبو عمر بن عبد البر[٢] : كان أحد أقيال حضرموت ، وكان أبوه من ملوكهم ، ويقال : إنّ رسول الله ﷺ بشَّر أصحابَه قبل قدومه به ، وقال : « يأتيكم بقية أبناء الملوك » فلما دخل رحَّب به ، وأدناه من نفسه ، وقرّب مَجْلسه ، وبسطَ له رداءَه ، وقال : « اللهم بارِكْ في وائلٍ وولدِه وولدِ ولدِه » . واستعمَلَهُ على الأقيال من حضرموت ، وكتب معه ثلاثة كتب ، منها كتابٌ إلى المهاجر بن أبي أمية ، وكتاب إلى الأقيال والعباهلة[٣] . وأقطعه أرضاً ، وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان ، فخرج معه راجلاً ، فشكى إليه حرَّ الرمضاء ، فقال : انتعل ظِلَّ الناقة . فقال : وما يغني عني ذلك لو جعلتني رِدْفاً ، فقال له وائل : اسكتْ ، فلست من أردافِ الملوك . ثم عاش وائل بن حُجْر حتى وفد على مُعاوية وهو أمير المؤمنين ، فعرفه معاوية ، فرحَّب به ، وقرَّبه وأدناه ، وأذكره الحديث[٤] ، وعرض عليه جائزة سنيَّة ، فأبى أن يأخذها ، وقال : أعطها من هو أحوج إليها منّي .

وأورد الحافظ البيهقي[٥] بعضَ هذا ، وأشار إلى أن البخاري في التاريخ[٦] روى في ذلك شيئاً .

وقد قال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا حجاج ، أنبأنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن علقمة بن وائل ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ أقطعه أرضاً . قال : وأرسل معي معاوية أن أعطِها إيّاه ، أو قال : أعْلِمْها[٨] إياه . قال : فقال معاوية : أردفني خلفك . فقلت : لا تكون من أرداف الملوك . قال : فقال : أعطني نعلك . فقلت : انتعل ظِلَّ الناقة . قال : فلمّا استُخْلِفَ معاويةُ أتيتُه ، فأقعدني معه على السرير ، فذكّرني الحديث . قال سِماكٌ : فقال : وددتُ أنّي كنتُ حملتُه بين يدي .

وقد رواه أبو داود والترمذي[٩] من حديث شُعبة وقال الترمذي : صحيح .

---

(١) في أ و ط ابن هنيد . وأثبتنا ما في الاستيعاب (٤/ ١٥٦٢) وأسد الغابة (٥/ ٨١) ، وقال المزي في ترجمته من تهذيب الكمال (٣٠/ ٤١٩) : « أبو هنيدة ، ويقال : أبو هنيد » .

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٥٦٢) .

(٣) العباهلة : ملوك اليمن المقَرُّون على ملكهم فلم يُزالوا عنه . واحدها عبهل والتاء لتأكيد الجمع (تاج العروس : عبهل) .

(٤) ليس اللفظ في ط .

(٥) دلائل النبوة (٥/ ٣٤٩) .

(٦) التاريخ الكبير (٨/ ١٧٥ ـ ١٧٦) .

(٧) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٩٩) ، وإسناده حسن .

(٨) ط : (اعملها) تحريف .

(٩) سنن أبي داود رقم (٣٠٥٨) كتاب الخراج والإمارة والفيء باب إقطاع الأرضين ، وجامع الترمذي باب ما جاء في =

وِفادَةُ لَقيطِ بنِ عامرٍ المُنْتَفق أبي رَزِينٍ العُقَيْلي إلى رسول الله ﷺ

قال عبد الله بن الإمام أحمد[(١)] : كتبَ إليّ إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مُصعب بن الزُّبَيْر الزُّبَيْري : كتبتُ إليك بهذا الحديث ، وقد عرضتُه ، وسمعتُه على ما كتبت به إليك ، فحدِّثْ بذلك عني . قال : حدّثني عبد الرحمن بن المغيرة الحِزاميّ ، حدّثني عبد الرحمن بن عَيّاش السَّمَعي الأنْصاريّ القُبائي من بني عمرو بنِ عوف ، عن دَلْهَم بن الأسْوَد بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المُنْتَفِق العُقَيْلي عن أبيه عن عَمِّه لَقيط بن عامر قال دَلْهَمُ[(٢)] : وحدّثنيه أبي الأسودُ ، عن عاصم بن لَقيط ، أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ، ومعه صاحبٌ له يُقال له نَهيك بن عاصم بن مالك بن المُنْتَفق قال لَقِيطٌ : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة[(٣)] انسلاخ رجب ، فأتَيْنا رسولَ الله ﷺ ، فوافَيناه حين انصرفَ من صلاةِ الغَدَاةِ فقام في الناس خطيباً ، فقال : « أيها الناس ألا إني قد خَبَّأْتُ لكم صوتي منذ أربعة أيام ، ألا لأُسْمِعَنَّكُمْ ، ألا فَهَلْ من ٱمرئٍ بعثَهُ قومه » ؟ فقالوا : ٱعلم لنا ما يقولُ رسولُ الله ، ألا ثم لعلَّه أن يُلْهِيَهُ حديثُ نفسه أو حديثُ صاحبه ، أو يلهيه الضُّلال ، ألا إنّي مسؤول ، هل بلغتُ ، ألا فاسمَعُوا[(٤)] تعيشوا ، ألا ٱجلسوا ألا ٱجلسوا . قال : فجلس الناس ، وقمتُ أنا وصاحبي حتى إذا فرغَ لنا فؤادُه وبصرُه قلت : يا رسول الله ، ما عندكَ من علم الغَيْب ؟ فضحك لعمرُ اللهِ ، وهزَّ رأسَه ، وعلمَ أني أبتغي لسقطِه ، فقال : « ضَنَّ رَبُّكَ عزَّ وجلَّ بمفاتيحَ خمسٍ من الغَيْب ، لا يعلمُها إلا اللهُ » وأشار بيده . قلتُ : وما هي ؟ قال : « علم المَنِيَّة ، قد علم متى مَنِيَّةُ أحِدِكُمْ ، ولا تعلمونه ، [وعلمُ المَنِيّ ، حينَ يكونُ في الرّحِم ، قد علمه ولا تعلمون][(٥)] وعلم ما في غدٍ ، وما أنتَ طاعِمٌ غداً ولا تعلمه ، وعلم يوم الغَيْثِ ، يشرفُ عليكم آزلين[(٦)] مُسْنتين[(٧)] فيظلّ يَضْحكُ قد علم أن غَيْرَكم إلى قَريبٍ[(٨)] » . قال لقيطٌ : قلتُ : لن

= القطائع رقم (١٣٨١) ، وهو حديث صحيح كما قال الترمذي .

(١) مسند الإمام أحمد (١٣/٤) ، وإسناده ضعيف ، لأنه مسلسل بالمجاهيل ، وفي بعض ألفاظه نكارة ظاهرة كما سيبينه المؤلف .

(٢) تقريب التهذيب .

(٣) كلمة « المدينة » ليست في (أ) ولا في المسند .

(٤) في المسند : « اسمعوا » .

(٥) الزيادة من المسند .

(٦) آزلين : أي في شدة وقحط . والأزْل الضيق والجدب (النهاية : أزل) .

(٧) في المسند « آزلين آدلين مشفقين » . ومسنتين أي مجدبين ، أصابتهم السنة ، وهي القحط والجدب (النهاية : سنت) .

(٨) في المسند (إلى قربٍ) .

نَعْدَمَ من رَبٍّ يَضْحَكُ خيراً « وعلم يوم الساعة » . قلت[١] : يا رسول الله عَلِّمْنا مما لا يَعْلَم[٢] الناسُ ومما تَعْلَم ، فإنا من قَبيلٍ لا يُصَدِّقون تَصْديقنا أحدٌ ، من مَذْحِج التي تربو علينا ، وخَثْعَم التي توالينا وعشيرتنا التي نحن منها[٣] . قال : « تَلْبَثونَ ما لَبِثْتُم ثُمَّ يُتوفَّى نَبيُّكُمُ ثم تَلْبَثُون ما لَبِثْتُم ثم تُبْعَثُ الصّائِحَةُ ، لعمرُ إلٰهكَ ما تدعُ على ظَهْرها من شيءٍ إلا مات ، والملائكةُ الذين مع ربِّك عزَّ وجلَّ ، فأصبحَ ربُّكَ عزَّ وجلَّ يَطوف[٤] بالأرض وقد خَلَتْ عليه البلادُ ، فأرسلَ ربُّك السماءَ تَهْضِبُ[٥] من عِنْدِ العَرْشِ ، فلَعَمْرُ إلٰهكَ ما تَدَعُ على ظَهْرِها من مَصْرعِ قَتيلٍ ، ولا مَدْفَن مَيِّتٍ إلا شَقَّتِ القَبْرَ عنه حتى تَخْلُقَه[٦] من عند رأسه ، فَيَسْتوي جالساً ، فيقول ربُّك عزَّ وجلَّ : مَهْيَم[٧] ـ لما كان فيه ـ فيقول : يا ربِّ أمسِ اليومَ ، فلِعَهْدِهِ بالحياة يحسبه[٨] حديثاً بأهله . قلت : يا رسول الله كيف يجمعُنا بعد ما تُفرِّقُنا الرّياحُ والبِلَى والسِّباع . فقال : أنبِّئك بمثل ذلك في آلاء الله الأرضُ أشرفتَ عليها ، وهي مَدَرة[٩] بالية . فقلت : لا تجيء أبداً[١٠] ، ثم أرسل ربُّكَ عليها السماءَ فلم تَلْبَثْ عليكَ إلاّ أياماً حتى أشرفت عليها وهي شرية[١١] واحدة فلعمرُ إلٰهكَ لهوَ أقدرُ على أن يجمعَكم من الماء على أن يجمعَ نباتَ الأرضِ فتُخْرَجون من الأصواء[١٢] ومن مصارعكم فَتنظرُون إليه وينظرُ إليكم . قال : قلت : يا رسولَ الله ، وكيف ونحن ملءُ الأرض وهو عزَّ وجلَّ شخصٌ واحدٌ[١٣] ينظر إلينا وننظرُ إليه ، فقال أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله الشمسُ والقمرُ آية منه صغيرةُ تَرَوْنَهما ويَرَيانِكم ساعةً واحدة ، لا تُضارُّون في رُؤْيتهما ، ولعمرُ إلهك لهوَ أقدرُ على أن يراكم وَتَرَوْنَهُ من أن تَرَوْنَهما ويَرَيانكم لا تُضارّون في رؤيتهما . قلتُ : يا رسول الله فما يفعلُ بنا ربُّنا إذا لقيناه ؟ قال : تُعْرَضون عليه باديةً له صحائفكم ، لا يَخْفى عليه منكم خافيةٌ فيأخذُ ربُّكَ عزَّ وجلَّ ، بيده غُرْفَة من

---

(١) أ ، ط : (قلنا) وما هنا عن المسند .
(٢) في المسند (علمنا مما تُعلِّم الناسَ وما تعلمُ) .
(٣) في أ : « معها » .
(٤) في مسند الإمام أحمد « يطيف » .
(٥) الهضب : المطر (النهاية : هضب) .
(٦) في مسند الإمام أحمد « تجعله » وفي أ : (تخلفه) .
(٧) مَهْيَم : ما أمركم وشأنكم ، وهي كلمة يمانية (النهاية : مهيم) .
(٨) ط : (يتحسبه) .
(٩) المدر : قطع الطين اليابس واحدتها مدرة (اللسان : مدر) .
(١٠) في مسند أحمد : لا تحيا أبداً .
(١١) شرية : حنظلة خضراء وقال القتيبي وابن الأثير : هكذا رواه بعضهم وأراد أن الأرض اخضرت بالنبات فكأنها حنظلة واحدة . والرواية شربة بالباء الموحدة (النهاية : شرا) .
(١٢) الأصواء : قال القتيبي وابن الأثير : يعني بالأصواء القبور وأصلها الأعلام شبه القبور بها (اللسان : صوى) .
(١٣) قد جاء في صحيح مسلم رقم (١٤٩٩) وفي البخاري ترجمة رقم (٧٤١٦) وليس المراد منه تشبيهه سبحانه بالأشخاص.

الماء فَيَنْضَحُ قَبيلكُم[١] بها ، فلعمرُ إلٰهِكَ ما تُخْطِئ وجهَ أحدِكُم منها قطرةٌ ، فأما المسلمُ فتَدَعُ على وجهه مثلَ الرَّيْطةِ[٢] البيضاء ، وأما الكافر فتخطِمُه[٣] بمثل الحُمَم الأسود ، ألا ثم ينصرفُ نبيّكم ، وينصرفُ على أثَره الصّالحون ، فتَسْلُكون جسراً من النار ، فَيَطَأ أحدُكم الجمرَ ، فيقول : حَسِّ[٤] فيقول ربك عزَّ وجلَّ : أوانه [ألا][٥] فَتَطْلُعون على حوضِ الرّسولِ على أظمإ[٦] ـ والله ـ ناهلةٍ عليها ما رأيتُها قط ، فلعمرُ إلهكَ لا يَبْسُط واحدٌ منكم يده إلا وقع[٧] عليها قدح يطهره من الطوف[٨] والبول والأذى ، وتُحْبَس الشمسُ والقمرُ ، فلا تَرَوْنَ منهما واحداً . قال : قلت : يا رسولَ الله ، فيم نُبْصِرُ ؟ قال : بمثل[٩] بصرك ساعتَكَ هذه ، وذلك مع طُلوعِ الشمس في يوم أشرقتِ[١٠] الأرض وواجهَته الجبال[١١] قال : قلت : يا رسولَ اللهِ[١٢] ، فيمَ نُجزَى من سَيّئاتنا وحسناتنا ؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها ، إلا أن يَعْفُو . قال : قلت : يا رسول الله ، إما الجنة وإمّا النارُ ؟ قال : لعمرُ إلهِكَ ، إنَّ للنارِ سبعةَ أبوابٍ ، ما منهنَّ بابان إلّا يسير الراكبُ بينهما سبعين عاماً ، [وإن للجنة لثمانيةَ أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً][١٣] . قلت : يا رسول الله ، فعلامَ نطّلعُ من الجنةِ ؟ قال : على أنهارٍ من عسلٍ مُصَفّى ، وأنهارٍ من كأس ما بها منْ صُداعٍ ولا ندامةٍ ، وأنهارٍ من لَبَنٍ لم يَتَغَيَّرْ طعمُه ، وماءٍ غَيْرِ آسنٍ ، وفاكهةٍ ، لعمرُ إلهكَ ما تعلمون ، وخيرٌ من مثله معه ، وأزواج مُطَهَّرة . قلت : يا رسول الله ، ولنا فيها أزواج ، أوَ منهنَّ مُصْلِحاتٌ ؟ قال : الصالحاتُ للصّالحين ، تلذّون بهنّ مثل لذاتكم في الدنيا ، ويلذذن

---

(١) أ ، ط : (قبلكم وما أثبته عن المسند) .

(٢) الريطة : الملاءة (اللسان : ريطة) .

(٣) المِخْطَم : قال أبو عمرو الشيباني الأنف ، وخطمه بخطِمه خطماً ضرب مخطمه (اللسان : خطم) .

(٤) حَسِّ : بفتح الحاء وكسر السين وترك التنوين كلمة تقال عند الألم . والعرب تقول عند لذعة النار والوجع الحاد حسٍّ بسٍّ (اللسان : حسّ) .

(٥) الزيادة من المسند . وقال ابن الأثير : (أي وإنه كذلك ، أو إنه على ما تقول ، وقيل : إنّ بمعنى نعم والهاء للوقف . (النهاية : أنن) .

(٦) ط : (إطماء) .

(٧) في المسند : (وضع) .

(٨) الطّوف : الحدث من الطعام. قال ابن الأثير: المعنى أنّ من شرب تلك الشربة طهر من الحدث والأذى (النهاية: طوف) .

(٩) أ ، ب : (مثل) .

(١٠) أ ، ط : (أشرقته) .

(١١) في المسند : « قبل طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض ، واجهت به الجبال » .

(١٢) ليس اللفظ في ط .

(١٣) ليس ما بين المعقوفين في أ .

بكم(١) غَيْرَ أنْ لا توالد . قال لقيطٌ : قلت أقصى(٢) ما نحن بالغون ومنتهون إليه ؟ فلم يُجبْهُ النبيُّ ﷺ قلتُ: يا رسول الله ، علامَ أُبايعُكَ ؟ فبسطَ النبيُّ يَدَهُ وقال : على إقامِ الصلاة وإيتاءِ الزَّكاة وزيال(٣) الشرك ، وأن لا تُشْركَ بالله إلهاً غَيْره . (قال : قلتُ : وأنَّ لنا ما بينَ المشرقِ والمَغْربِ ؟ فقبضَ النبيُّ ﷺ يَدَهُ وظنَّ أني مُشْتَرِطٌ شيئاً لا يُعْطينيهِ ، قال : قلت : نحِلُّ منها حيثُ شئنا ، ولا يَجْني منها امروٌ إلا على نَفْسِه؟ فبسطَ يَدَهُ وقال: ذلك لك ، تَحِلُّ حيث شِئتَ ولا تَجْني عليك إلا نفسُكَ . قال : فانْصَرَفنا عَنْهُ ، ثم قال : إن هذين من أتْقَى النّاسِ ـ لعَمْرو إلهك ـ في الأولى والآخرة » . فقال له كعب بن الخُداريّة(٤) : أحد بني بكر بن كلاب(٥) : من هم يا رسولَ الله ؟ قال : بنو المنتفق أهل ذلك قال : فانصرفنا وأقبلت عليه)(٦) .

وذكر تمام الحديث إلى أن قال :

فقلت : يا رسولَ الله هل لأحدٍ ممَّنْ مَضَى خَيْرٌ في جاهليتهم(٧) ؟ قال : فقال رجل من عُرْضِ قريشٍ : والله إنّ أباكَ المُنْتفِقَ لفي النّارِ . قال : فلكأنّه وقعَ حَرّ بينَ جلدي ووجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس الناس ، فهممت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ ثم إذا الأخرى أجمل ، فقلت : يا رسول الله ، وأهلُكَ ؟ قال : وأهلي لعمرُ اللهِ ، ما أتيتَ عليه من قبر عامريٍّ أو قُرشيّ من مشركٍ فقل : أرسلني إليك محمدٌ [فأُبَشِّرُكَ](٨) بما يسوؤُك ، تُجَرُّ على وجهك وبطنك في النار . قال : قلت : يا رسولَ الله ، ما فُعِلَ بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه ، وقد كانوا يَحْسَبون أنهم مُصْلِحون ؟ قال : ذلك بأن الله يَبْعَث في آخر كل سبعِ أمم ـ يعني نبياً ـ فمَنْ عَصى نبيّه كانَ من الضالِّين ، ومنْ أطاعَ نَبيَّه كان من المُهْتَدين » .

هذا حديثٌ غريبٌ جدّاً وألفاظُه في بعضها نَكارة ، وقد أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب «البعث والنشور»(٩) ، وعبد الحق الإشبيلي في «العاقبة»(١٠) ، والقرطبي في كتاب «التذكرة في أحوال الآخرة»(١١) ، وسيأتي في كتاب « البعث والنشور » إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الأصول : (تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذونكم) .
(٢) في المسند (أَقْصِيَ) .
(٣) زيالاً : مفارقة (القاموس : زال) .
(٤) في الإصابة (٣/ ٢٩٤) كعب بن الخدارية بضم الخاء المعجمة وفتح الدال وفيه : « من هم يا رسول الله ؟ قال : بنو المنتفق قالها ثلاثاً » .
(٥) ط : (أحد بني كلاب) .
(٦) ليس ما بين القوسين في أ .
(٧) ط : (جاهلية) .
(٨) زيادة عن المسند .
(٩) انظر مقدمة دلائل النبوة (١/ ١١١) .
(١٠) عبد الحق الإشبيلي بن عبد الرحمن الأزدي (ت٥٨٢هـ) كشف الظنون (٢/ ١٤٣٧) .
(١١) القرطبي : محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الأندلسي (ت٦٧١هـ) كشف الظنون (١/ ٣٩٠) .

وِفادةُ زِياد بن الحارِث رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي(١) : أنبأنا أبو أحمد الأَسَدْ أباذي(٢) بها ، أنبأنا أبو بكر بن مالك القطيعي ، حدثنا (أبو علي بشر بن موسى ، حدّثنا)(٣) أبو عبد الرحمن المقرئ ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، حدّثني زياد بن نُعيم الحَضْرمي ، سمعتُ زيادَ بن الحارث الصُّدائي يحدِّثُ ، قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ ، فبايَعْتُه على الإسلام ، فأُخبرتُ أنَّه قد بَعَثَ جيشاً إلى قومي فقلت(٤) : يا رسول اللهِ ، أرددِ الجيشَ ، وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم ، فقال لي : « اذْهَبْ فَرُدَّهم » فقلت : يا رسول الله ، إنَّ راحلتي قد كَلَّتْ فبعث رسول الله ﷺ رجلاً فردَّهم . قال الصُّدائي : وكتبتُ إليهم كتاباً ، فقدم وفدُهم بإسلامهم ، فقال لي رسولُ الله ﷺ : « يا أخا صُدَاء ، إنك لمطاعٌ في قومك » فقلت : بل الله هداهم للإسلام فقال : « أفلا أُؤمِّرُكَ عَلَيْهم ؟ » قلت : بلى يا رسولَ الله . قال : فكتب لي كتاباً أمَّرني ، فقلت : يا رسولَ اللهِ ، مُرْ لي بشيءٍ من صَدَقَاتهم قال : « نعم » فكتب لي كتاباً آخر . قال الصُّدائي : وكان ذلك في بعض أسْفارِهِ ، فنزلَ رسولُ الله ﷺ منزلاً ، فأتاه أهل ذلك المنزل يَشْكُون عامِلَهُم ، ويقولون : أَخَذَنا بشيءٍ كان بيننا وبينَ قومِه في الجاهليّة . فقال رسول الله ﷺ : « أو فعلَ ذلك ؟ » قالوا : نعم . فالتفت رسولُ الله ﷺ إلى أصحابه وأنا فيهم فقال : « لا خيرَ في الإمارةِ لرجلٍ مُؤْمِنٍ » ، قال الصُّدَائي : فدخلَ قولُه في نفسي . ثم أتاه آخر ، فقال : يا رسول الله ، أَعْطِني . فقال : رسول الله ﷺ : « من سأَلَ النّاسَ عن ظهر غِنًى فصُداعٌ في الرأس ، وداءٌ في البطن » . فقال السائل : أعطني من الصَّدقة ، فقال رسول الله ﷺ : إنّ الله لم يرضَ في الصدقات بحكم نبيّ ولا غيره ، حتى حكم هو فيها ، فجزَّأهما ثمانية أجزاءٍ ، فإن كنتَ من تلك الأجزاء أعطيتُكَ . قال الصُّدَائي : فدخلَ ذلك في نفسي ، أني غنيٌّ وأني سألته من الصدقةِ ، قال : ثم إنَّ رسول الله اعتشى(٥) من أول الليل ، فلزمته ، وكنت قريباً فكان أصحابُه يَنْقَطِعُون عنه ويستأخرون منه ، ولم يَبْقَ معه أحدٌ غَيري ، فلما كانَ أوانُ صلاةِ الصُّبْح أمرني فأذَّنْتُ ، فجعلتُ أقول : أُقيمُ يا رسول الله ؟ فجعلَ ينظرُ ناحيةَ المشرقِ إلى الفجر ويقول : « لا » حتى إذا طلعَ الفجرُ نزلَ ، فتبرَّزَ ، ثم انصرف إليَّ وهو متلاحقٌ أصحابَه ، فقال : « هل من ماءٍ يا أخا صُداء » قلت : لا ، إلاَّ شيءٌ قليلٌ لا يكفيك . فقال : « اجعلْهُ في إناءٍ ، ثم ائتني به » ففعلتُ ، فوضع كفه في الماء . قال : فرأيتُ بين أُصْبَعَيْن من أصابعه عيناً

---

(١) دلائل النبوة (٥/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧) .

(٢) الأنساب (١/ ٢٢٤) .

(٣) ما بين القوسين لم يرد في ط .

(٤) ليس اللفظ في ط .

(٥) أي سار وقت العشاء (لسان العرب : عشا) .

تفورُ ، فقال رسول الله ﷺ : « لولا أني أستحي من ربي عزَّ وجلَّ لسقَيْنا واستقينا ، نادِ في أصحابي : من له حاجة في الماء » . فناديتُ فيهم ، فأخذ من أراد منهم شيئاً . ثم قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة فأراد بلالٌ أن يقيمَ ، فقال له رسول الله : « إن أخا صُداء أذَّن ، ومَنْ أذَّنَ فهو يُقيم » . قال الصُّدائي : فأقمتُ ، فلما قضى رسولُ الله ﷺ الصلاةَ أتيتُه بالكتابين ، فقلتُ : يا رسول الله ، اعْفِني من هذين . فقال : « ما بدا لك ؟ » فقلت: سمعتك يا رسول الله تقول: « لا خير في الإمارة لرجلٍ مؤمنٍ » وأنا أؤمنُ بالله وبرسوله ، وسمعتُكَ تقولُ للسائِل : « من سألَ الناسَ عن ظَهر غِنَىً فهو صداعٌ في الرأسِ وداءٌ في البطن » وسألتك وأنا غنيٌّ . فقال: « هو ذاك، فإن شئت فاقبلْ ، وإن شِئْتَ فَدَعْ » فقلت : أَدَعُ . فقال لي رسول الله ﷺ : « فدُلَّني على رجل أؤمِّره عليكم » فدلَلْته على رجلٍ من الوفدِ الذين قدِموا عليه ، فأمَّره عليهم ، ثُمّ قُلْنا : يا رسولَ الله، إن لنا بئراً إذا كانَ الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف قل ماؤها فتفرَّقنا على مياهٍ حولَنا ، فقد أسلمنا ، وكلّ مَنْ حولنا عدوٌّ ، فادعُ اللهَ لنا في بئرنا فيسعَنا ماؤُها فنجتمعَ عليه ولا نتفرَّقَ . فدعا سبع حُصَيّات، فعركَهُنّ بيده، ودعا فيهن، ثم قال: «اذهبوا بهذه الحُصَيّات، فإذا أتيتم البئر فألقُوا واحدةً واحدةً واذكروا الله » . قال الصُّدَائي : فَفَعَلْنا ما قال لنا ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قَعْرها . يعني البئر .

وهذا الحديث له شواهد في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه[١] .

وقد ذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ كان بعث بعد عمرة الجِعْرانة[٢] قيس بن سعد بن عبادة في أربعمئة إلى بلاد صُداء فيوطِّئها ، فبعثوا رجلاً منهم فقال : جئتك[٣] لترد عن قومي الجيشَ وأنا لك بهم ، ثم قدم وفدهم خمسة عشر رجلاً ، ثم رأى منهم حجة الوداع مئة رجل . ثم روى الواقدي عن الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن زياد بن نعيم ، عن زياد بن الحارث الصُّدَائي قصته في الأذان .

وِفادةُ الحارثِ بن حَسّان البَكْري إلى رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، حدّثني أبو المُنْذر سَلّامُ بن سُلَيْمان النَّحْوي ، حدّثنا عاصِمُ بن أبي النّجُود ، عن أبي وائلٍ ، عن الحارث البَكْريّ قال : خرجتُ أَشْكُو العَلاءَ بن الحَضْرَمي إلى

(١) سنن أبي داود رقم (٥١٤) في الصلاة باب الإقامة ، وجامع الترمذي رقم (١٩٩) في الصلاة باب ما جاء أن من أذن فهو يقيم ، وسنن ابن ماجه كتاب الأذان رقم (٧١٧) باب السنة في الأذان ، ومسند الإمام أحمد (٤/ ١٦٩) ، وإسناده ضعيف .

(٢) الجِعْرانة والجِعِرَّانة : ماء بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب .

(٣) ليس اللفظ في ط .

(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٢) ، وإسناده حسن .

رسول الله ﷺ ، فمررتُ بالرَّبَذَة[١] فإذا عجوزٌ من بني تميم مُنْقَطِعٌ بها ، فقالت : يا عبدَ اللهِ ، إنّ لي إلى رسولِ اللهِ حاجةً ، فهل أنت مُبَلِّغي إليه ؟ قال : فحملتُها ، فأتيتُ المدينةَ ، فإذا المسجدُ غاصٌّ بأهله ، وإذا رايةٌ سوداء تخفِقُ ، وبلالٌ مُتقلِّدُ السيف بينَ يدَيْ رسول الله ﷺ ، فقلتُ : ما شأنُ الناس ؟ قالوا : يريدُ أن يبعثَ عمرو بن العاص وَجْهاً . قال : فجلستُ ، فدخل منزله ـ أو قال رحله ـ فاستأذنتُ عليه ، فأذن لي ، فدخلتُ ، فسلّمتُ ، فقال : « هل كان بينكم وبين تميم شيءٌ ؟ » قلتُ : نعم ، وكانت الدائرةُ عليهم ، ومررتُ بعجوزٍ من بني تميم مُنْقَطِع بها ، فسألتني أن أحْمِلَها إليك ، وهاهي بالباب فأذِنَ لها ، فدخلتْ ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، إنْ رأيتَ أن تجعل بيننا وبين تميمٍ حاجزاً فاجعل الدَّهناء[٢] ، فحميت العجوز واسْتَوْفَزَتْ ، وقالت : يا رسول الله ، أينَ يَضْطَرّ مُضَرُكَ قال : قلت : إنما[٣] مثلي ما قال الأول : « مِعْزَى[٤] حَمَلتْ حَتْفَها » حَمَلْتُ هذه ولا أشعرُ أنَّها كانَتْ لي خَصْماً ، أعوذُ بالله ورسوله أنْ أكونَ كوافِدِ عادٍ . قال : هيه ، وما وافد عاد ؟ وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمُه[٥] . قلتُ : إن عاداً قُحطوا ، فبعثوا وافداً لهم يقال له قَيلٌ : فمـرَّ بمعاوية بن بكر ، فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر ، وتُغَنِّيه جاريتان ، يقال لهما الجرادتان[٦] ، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مَهَرَة[٧] ، فقال : اللهمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ أني[٨] لم أجئ إلى مريض فأداويه ، ولا إلى أسير فأفاديه ، اللهم اسقِ عاداً ما كنتَ تسقيه . فمرت به سحاباتٌ سُودٌ ، فنودي منها : اختر ، فأومأ إلى سحابةٍ منها سوداء ، فنودي منها : خذها رماداً رِمْدِداً[٩] ، لا تبقي من عادٍ أحداً . قال : فما بَلَغَني أنه أُرسَل عليهم من الريح إلا بِقَدْرِ ما يجري في خاتَمي هذا ، حتى هلكوا . قال أبو ائل : وصدق : وكانت المرأة أو الرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا : لا تكن[١٠] كوافد عاد .

---

(١) الرَّبَذَة : من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة . . وقد خربت باتصال الحروب بين أهلها وبين ضربة (معجم البلدان : ربذه) .

(٢) الدهناء : تقصر وتمدّ وهي من ديار بني تميم (معجم البلدان) .

(٣) ط : (إن) .

(٤) في مسند الإمام أحمد « معزاة » . وفي معجم الأمثال العربية : (حتفها تحمل ضَأْن بأظلافها) . انظر معجم الأمثال العربية (حتف ـ أحمل ـ ضأن ـ ظلف) ومجمع الأمثال (١/ ١٩٢) وجمهرة الأمثال (١/ ٣٤١ و٣٦٣) ، وأمثال القاسم (٣٢٩) ، وفصل المقال (٤٥٦) والمستقصى (٢/ ٥٩) ، واللسان : (حتف) .

(٥) استطعمته الحديث : أي طلبت منه أن يحدثني وأن يذيقني طعم حديثه (النهاية : طعم) .

(٦) قال في التاج : جرد « الجرادتان مغنيتان كانتا بمكة في الجاهلية مشهورتان بحسن الصوت والغناء . أو أنهما كانتا للنعمان بن المنذر » .

(٧) في مسند الإمام أحمد : جبال تهامة .

(٨) ليس اللفظ في ط .

(٩) الرِمْدد بالكسر : المتناهي في الاحتراق والدقة (اللسان : رمد) .

(١٠) ط : (لا يكن) .

وقد رواه الترمذي[١] والنَّسائي من حديث أبي المنذر سَلَّام بن سليمان به ، ورواه ابن ماجه[٢] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النّجود ، عن الحارث البكري ، ولم يذكر أبا وائل ، وهكذا رواه الإمام أحمد[٣] عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن الحارث ، والصواب : عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث كما تقدم .

وِفَادةُ عبد الرحمن بن أبي عَقيلٍ مع قومه

قال أبو بكر البيهقي[٤] أنبأنا أبو عبد الله إسحاق بن محمد بن يوسف السوسي ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي ، أنبأنا علي بن الجَعْد ، حدّثنا عبد العزيز ، حدّثنا أحمد بن يونس ، حدّثنا زهير ، حدّثنا أبو خالد يزيد الأسَدي ، حدّثنا عون بن أبي جحيفة ، عن عبد الرحمن بن علقمة الثقفي ، عن عبد الرحمن بن أبي عَقيل[٥] ، قال : انطلقتُ في وفدٍ إلى رسول الله ﷺ ، فأتيناه ، فأَنَخْنا بالباب ، وما في الناس أبغض إلينا من رجل نَلِجُ عليه ، فلما دخلنا وخرجنا فما في الناس رجلٌ أحبُّ إلينا من رجل دَخَلْنا عليه . قال : فقال قائل منا : يا رسولَ الله ، ألا سألتَ ربَّكَ مُلكاً كملك سليمـــان ! قال : فضحك رسول الله ﷺ ، ثم قال : « فلعل لصاحبكم[٦] عند الله أفضل من ملك سليمان ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة ، فمنهم من اتخذها دنيا فأُعْطيهَا ، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عَصَوْه فأُهلكوا بها ، وإنّ الله أعطاني دعوةً فاختبأْتُها عند ربّي شَفاعةً لأمتي يوم القيامة »[٧] .

---

(١) جامع الترمذي ، أبواب تفسير القرآن من سورة الذاريات رقم (٣٢٧٣) و(٣٢٧٤) والنسائي في « الكبرى » رقم (٨٦٠٧) ، وهو حديث حسن .
(٢) ابن ماجه (٢٨١٦) وإسناده منقطع ، ولكن وصله البخاري في التاريخ (٢/ ٢٦١) فهو حسن به .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨١) ، وهذا إسناد منقطع ، كما بينه المؤلف ، فإسناده ضعيف ، وقد نبه على انقطاعه المزي في تهذيب الكمال (٥/ ٢٢٣) ولكن وصله البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٦١) فهو حسن به .
(٤) دلائل النبوة (٥/ ٣٥٨) .
(٥) الإصابة (٢/ ٤١١) .
(٦) في أ ، ط : « فلعل صاحبك » وأثبتنا ما في دلائل النبوة ، ومجمع الزوائد (١٠/ ٣٧١) .
(٧) أخرجه البخاري في التاريخ (٥/ ٢٤٩) وقال في الإصابة (٢/ ٤١١) : « أخرجه البخاري في تاريخه والحارث بن أبي أسامة وابن منده » . أقول : وهو حديث حسن .

قدوم طارق بن عبد الله[١] وأصحابه

روى الحافظ البيهقي[٢] من طريق أبي جَناب[٣] الكلبي ، عن جامع بن شَدّاد المُحاربي ، حدّثني رجلٌ من قومي يقال له طارِقُ بن عبد الله قال : إني لقائمٌ بسوق ذي المَجاز ، إذ أقْبَل رجلٌ عليه جُبّةٌ ، وهو يقول : « يا أيُّها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تُفْلِحوا » ورجلٌ يَتْبَعُهُ يَرْميه بالحِجارة ، وهو يقول : يا أيُّها الناسُ إنه كذاب[٤] . فقلتُ : مَنْ هذا ؟ فقالوا : هذا غلامٌ من بني هاشِم ، يَزْعُمُ أنَّه رسولُ الله . قال : قلتُ : مَنْ هذا الذي يَفْعَلُ به هذا ؟ قالوا : هذا عَمُّه عَبْدُ العُزّى[٥] . قال : فلمّا أسلمَ الناسُ وهاجَرُوا ، خرجْنَا من الرَّبذة[٦] . نريد المدينة ، نمتارُ من تَمْرِها ، فلمّا دَنَوْنا من حيطانها ونخلها قلتُ : لو نزلنا فلبسنا ثياباً غير هذه ، إذا رجلٌ في طِمْرَين ، فسلّم علينا ، وقال : « مِنْ أينَ أقبلَ القومُ ؟ » قلنا : من الرَّبَذة . قال : « وأين تريدون ؟ » قُلْنا : نُريد هذه المدينةَ . قال : « ما حاجَتُكُمْ منها ؟ » قلنا : نمتارُ من تَمْرِها . ومعنا ظَعينةٌ لنا ، ومعنا جَمَلٌ أحْمَر مَخْطوم[٧] فقال : « أتبيعوني جَمَلَكم هذا ؟ » قلنا : نعم ، بكذا وكذا صاعاً من تمر . قال : فما استوضَعَنا مما قلنا شيئاً ، وأخذ بخِطام الجمل ، وانطلق ، فلما توارى عنَّا بحيطان المدينة ونخلها قلنا : ما صنعنا ! واللهِ ما بعنا جملَنا ممن يُعرف ، ولا أخذنا له ثمناً . قال : تقول المرأة التي معنا : واللهِ لَقَدْ رأيتُ رَجُلاً كَأَنَّ وجهه شقّةُ القَمَر ليلةَ البَدْرِ ، أنا ضامنةٌ لثمن جَمَلِكُم ، إذ أقبلَ الرجلُ فقال : أنا رسولُ رسولِ الله إليكم ، هذا تمركم فكلوا ، واشْبَعوا ، واكْتالوا ، واستَوْفُوا ، فأكلنا حتى شبعنا ، واكتلنا فاسْتَوْفينا ، ثم دخلنا المدينة ، فدخلنا المسجدَ ، فإذا هو قائمٌ على المنبر يخطبُ الناسَ ، فأدركنا من خطبته وهو يقول : « تَصَدَّقوا فإنّ الصدقةَ خيرٌ لكم ، اليدُ العُلْيا خَيْرٌ مِنَ اليدِ السُّفْلى ، أمَّك وأباك ، وأختَك وأخاك ، وأدناك أدناك » . إذ أقبلَ رجلٌ من بني يَرْبوع ، أو قال رجلٌ من الأنصار فقال : يا رسولَ الله لنا من هؤلاء دماءٌ في الجاهليّة . فقال : « إن أباً لا يَجْني على ولدٍ »[٨] ثلاث مرات .

وقد روى النسائي[٩] فضلَ الصَّدقةِ منه ، عن يوسف بن عيسى ، عن الفضل بن موسى ، عن يزيد بن

---

(١) الإصابة (٢/ ٢٢٠) .
(٢) دلائل النبوة (٥/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) .
(٣) ط : (خباب) وانظر : تهذيب التهذيب (١٢/ ٦٠) .
(٤) بعدها في الدلائل : (فلا تصدّقوه) .
(٥) عبد العزى : أبو لهب .
(٦) الربذة : مرّ ذكرها في وفادة الحارث بن حسان البكري ، وهي من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة ، وبها قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (معجم البلدان) .
(٧) الخطام : الحبل يجعل في طرفه حلقة ثم يقلّد البعير ، ثم يثني على مخطمه (أنفه) (اللسان : خطم) .
(٨) في أ : « إن أباً لا يجني على والد » .
(٩) سنن النسائي (٥/ ٦١) في الصدقة باب اليد العليا ، وهو حديث صحيح .

زياد بن أبي الجَعْد ، عن جامع بن شَدّاد ، عن طارق بن عبد الله المُحاربي ببعضه . ورواه الحافظ البيهقي[١] ، أيضاً عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن يزيد بن زياد ، عن جامع ، عن طارق بطوله ، كما تَقَدَّم ، وقال فيه : فقالت الظَّعينةُ : لا تَلاوَموا ، فلقد رأيتُ وجهَ رجلٍ لا يَغْدِرُ ما رأيتُ شيئاً أشبهَ بالقمرِ ليلة البدر من وجهه .

قدومُ وافدِ فَرْوةَ بن عَمْرو الجُذامي[٢] ، صاحب بلاد مَعَان[٣]

قال ابن إسحاق[٤] : وبعث فروةُ بن عمرو بن النافرة الجُذامي ثم النُّفَاثي[٥] إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاءَ ، وكان فروةُ عاملاً للرّوم على مَنْ يليهم من العرب ، وكان منزلُه مَعَان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغَ الرومَ ذلك مِنْ إسلامه طلبوه حتى أخذوه ، فحَبَسوه عندهم ، فقال في محبِسِه ذلك : [الكامل]

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنَاً أصْحَابي وَالرُّومُ بَيْنَ البَابِ وَالقِروان[٦]
صَدَّ الخَيَالُ وسَاءَهُ ما قَدْ رَأَى وَهَمَمْتُ أنْ أُغْفي وَقَدْ أبْكَاني
لا تَكْحَلِنَّ العَيْنَ بَعْدِيَ إثمِداً سَلْمَى ولا تَدْنِنَّ[٧] للإتْيَانِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ أبا كُبَيْشَةَ أنَّني وَسْطَ الأعِزَّة لا يُحَصُّ لِسَاني[٨]
فَلَئِنْ هَلَكْتُ لَتَفْقِدُنَّ أخَاكُمُ وَلَئِنْ بَقِيتُ لتعْرِفُنَّ مَكَاني
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أجلَّ ما جَمَعَ الفتى مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وبَيَانِ

قال : فلما أجمعت الروم على صلبه على ماءٍ لهم يقال له عِفْرَى[٩] بفلسطين قال : [الطويل]

ألا هَلْ أتَى سَلْمَى بأنَّ حليلَهَا عَلَى مَاءِ عِفْرى فَوْقَ إحْدَى الرَّوَاحِلِ

---

(١) دلائل النبوة (٥/ ٣٨١) .
(٢) الإصابة (٣/ ٢١٣) وفيه : « فروة بن عامر الجذامي أو ابن عمرو وهو أشهر » .
(٣) معان : بالفتح وآخره نون ، والمحدّثون يقولونه بالضم : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء (معجم البلدان) .
(٤) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) .
(٥) أسد الغابة (٤/ ١٧٨) .
(٦) الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه كالمَوْهِن (القاموس : وهن) القروان : جمع قرو ، وهو شبه حوض ترده الإبل (اللسان : قرا) .
(٧) في السيرة : (ولا تدين) .
(٨) لا يحصّ لساني : أي لا يقطع .
(٩) معجم البلدان ، وأورد في البيتين .

على ناقةٍ لَمْ يَضرِبِ الفَحْلُ أُمَّهَا مُشَذَّبَة أطرافُها بالمَناجِلِ

قال : وزعم الزهري أنهم لما قدّموه ليقتُلوه قال : [الكامل]

بَلِّغْ سَرَاةَ المُسْلِمينَ بأنَّني سِلْمٌ لِربِّي أعْظُمِي ومقامِي[(١)]

قال : ثم ضربوا عُنُقَه ، وصلبوه على ذلك الماء ، رحمه الله ، ورضي عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه[(٢)] .

قُدُومُ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ عَلَى رسول الله ﷺ

وَإِخْبَارُهُ إِيَّاهُ بِأَمْرِ الْجَسَّاسَةِ وَمَا سمع من الدجّال في خُروج النبيّ ﷺ وإيمانِ من آمنَ به

[قال البيهقي]: أخبرنا أبو عبد الله سهل بن محمد بن نَصْرَوَيْهِ المَرْوَزي بنيسابور ، أنبأنا أبو بكر محمد ابن أحمد بن [حبيب ، أنبأنا يحيى بن أبي طالب (ح) وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر أحمد بن] الحسن القاضي ، [قالا]: أنبأنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد القطّان ، حدّثنا يحيى بن جعفر بن الزبير ، أنبأنا وَهْب بن جرير ، حدّثنا أبي ، سمعت غَيْلانَ بن جرير يُحَدِّثُ ، عن الشَّعْبي ، عن فاطمة بنت قيس قالت : قدم على رسول الله ﷺ تميمٌ الدّاريّ ، فأَخبر رسولَ الله ﷺ أنّه ركبَ البَحْر ، فتاهَتْ به سَفينَتُهُ ، فسقَطُوا إلى جزيرةٍ ، فَخَرَجوا إليها يَلْتَمسون الماءَ ، فلقيَ إنساناً يجُرُّ شعْرَهُ ، فقال له : منْ أنتَ ؟ قال أنا الجَسّاسة[(٣)] . قالوا : فأخبرنا . قال : لا أُخبركم ، ولكن عليكُمْ بهذه الجزيرة ، فَدَخَلْناها ، فإذا رجل مُقَيَّد ، فقال : مَنْ أنتُمْ ؟ قلنا : ناسٌ من العَرَبِ ، قال : ما فعل هذا النبيُّ الذي خرجَ فيكم ؟ قلنا : قد آمنَ به الناسُ واتّبعوه وصَدَّقوه . قال : ذلك خيرٌ لهم . قال : أفلا تخبروني عن عين زُغَر[(٤)] ما فعلَتْ ؟ فأخبرناه عَنْها ، فوثَبَ وَثْبَةً كادَ أن يخرُجَ من وراء الجدار ، ثم قال : ما فعل نخل بَيْسَان[(٥)] ، هل أطعم بعدُ ؟ فأخبرناه أنه قد أطعم ، فوثبَ مثلها ، ثم قال : أما لو قد أُذِنَ لي في الخروج لوَطئت البلادَ كلَّها غيرَ طيبة . قالت : فأخرجه رسولُ الله ﷺ فحدَّث الناسَ ، فقال : « هذه طيبةُ وذاك الدجالُ » .

وقد روى هذا الحديثَ الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ وأهلُ السنن[(٦)] من طرق ، عن عامر بن شراحيل الشعبي ،

---

(١) ليس اللفظ في ط .

(٢) في الإصابة (٣/ ٢١٣) « وأخرج ابن شاهين وابن منده قصته من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس بسند ضعيف إلى الزهري » .

(٣) الجسّاسة : دابة في جزائر البحر تجسّ الأخبار وتأتي بها الدجالَ (اللسان : جسّ) وروي أنها هي دابة الأرض (معجم البلدان : زعر) وأورد ياقوت الحديث بطوله في معجمه (طيبة) .

(٤) زُغَر : قرية بمشارف الشام (معجم البلدان) .

(٥) بَيْسَان : مدينة بالأردن بالغور الشمالي وهي بين حوران وفلسطين (معجم البلدان) .

(٦) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٧٣) وصحيح مسلم رقم (٢٩٤٢) كتاب الفتن باب قصة الجساسة ، وسنن أبي داود رقم =

عن فاطمة بنت قيس . وقد أورد له الإمام أحمد شاهداً من رواية أبي هريرة[١] وعائشة[٢] أم المؤمنين ، وسيأتي هذا الحديث بطرقه وألفاظه في كتاب « الفتن » .

وذكر الواقدي[٣] وفد الداريِّين من لَخْم وكانوا عشرة .

وَفْدُ بني أَسَدٍ

وهكذا ذكر الواقدي[٤] : أنه قدم على رسول الله ﷺ في أوّلِ سنةِ تسعٍ وفدُ بني أسد ، وكانوا عشرة ، منهم ضِرارُ بن الأزْور ، ووابِصَةُ بن مَعْبَد ، وطُلَيْحَة بن خُوَيْلد الذي ادَّعى النبوَّة بعد ذلك ، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامُه ، ونُقَادة[٥] بن عبد الله بن خلفٍ ، فقال لهم رئيسهم : حَضْرَميُّ بنُ عامرٍ : يا رسول الله ، أَتَيْنَاكَ نَتَدَرَّعُ الليلَ البَهيمَ في سنةٍ شَهْباءَ ، ولم تَبْعَثْ إلينا بَعْثاً ، فنزل فيهم : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات : ١٧] .

وكان فيهم قبيلةٌ يُقالُ لهم : بنو الزِّنْيَةِ[٦] فغيَّر اسمَهم فقال : أنتم بنو الرِّشْدَةِ ، وقد استهدى رسول الله ﷺ من نُقادة بن عبد الله بن خلف ناقةً تكونُ جيدةً للرُّكوبِ وللحَلْبِ من غير أن يكون لها ولد معها ، فطَلَبها فلم يَجِدْها إلاّ عند ابن عم له ، فجاء بها[٧] فأمره رسول الله بحلبها ، فشرب منها وسقاه سؤره ، ثم قال : « اللهم بارك فيها وفيمن منحها » . فقال : يا رسول الله ، وفيمن جاء بها . فقال : « وفيمن جاء بها »[٨] .

= (٤٣٢٥) و(٤٣٢٦) و(٤٣٢٧) في الملاحم باب خبر الجساسة وسنن الترمذي رقم (٢٢٥٣) في الفتن باب رقم (٦٦) ، والنسائي في « الكبرى » رقم ٤٢٥٨) وابن ماجه (٤٠٧٤) .

(١) مسند أحمد ٢/ ٣٣٠ .

(٢) مسند أحمد ٦/ ٧٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ٣٤٣ .

(٤) طبقات ابن سعد ١/ ٢٩٢ .

(٥) ط : (نفاذة) تحريف ، والتصحيح من طبقات ابن سعد الذي ينقل منه المصنف ، وانظر الإصابة (٣/ ٥٧٢) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٧٣) .

(٦) ط : (بنو الريبة) تحريف . والتصويب من طبقات ابن سعد وانظر التاج مادة زنا ، وذكر فيه : « بنو زِنْية ، بالكسر حي من العرب وهم بنو الحارث بن مالك في أسد خزيمة . والزنية آخر ولدك كالعجزة آخر ولد المرأة ، قيل : وبه سميت القبيلة المذكورة لكونهم آخر ولد أبيهم . وفي الحديث : أنهم وفدوا على النبي ﷺ فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن بنو الزنية . فقال : بل أنتم بنو الرشدة » فنفى عنهم ما يوهم من لفظ الزنا » وانظر جمهرة أنساب العرب (١٩٣) .

(٧) ليس اللفظ في ط .

(٨) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٧٧) وابن سعد (١/ ٢٩٢) وابن ماجه برقم (٤١٣٤) في الزهد . وإسناده ضعيف .

وَفْدُ بني عَبْسٍ

ذكر الواقدي[١] : أنهم كانوا تسعةَ نفرٍ، وسماهم الواقديُّ ، فقال لهم النبيّ ﷺ : « أنا عاشِرُكُمْ » وأمر طلحة بن عُبَيْد الله فعقدَ لهم لواءً ، وجعل شِعارَهُمْ يا عَشَرَةُ ، وذكر أنَّ رسولَ الله ﷺ سألهم عن خالدِ بن سِنانٍ العَبْسيّ الذي قَدَّمنا تَرْجَمَتَهُ في أيام الجاهليةِ ، فذكروا أنه لا عقبَ له ، وذكر أنَّ رسول الله ﷺ بعثهم يَرْصُدون عِيراً لقريش قَدِمَتْ من الشَّامِ . وهذا يقتضي تقدُّمَ وِفَادَتِهم على الفَتْح ، والله أعلم .

وَفْدُ بَني فَزارَةَ

قال الواقدي[٢] : حدّثنا عبد الله بن محمد بن عمر الجمحي ، عن أبي وجزة السعدي[٣] : قال : لَمَّا رجعَ رسولُ الله من تَبوك ، وكان سنةَ تسعٍ قَدِمَ عليه وَفْدُ بَني فَزارَةَ بضعةَ عشرَ رَجُلاً ، فيهم : خارجةُ بن حصنٍ ، والحارثُ بن قيس بن حِصْنٍ وهو أصْغَرُهم ، على ركابٍ عِجافٍ ، فجاؤوا مُقِرّين بالإسلام ، وسألهم رسولُ الله عن بلادهم ، فقال أحدُهم : يا رسول الله ، أسْنَتَتْ بلادُنا ، وهلكت مواشِينا ، وأجدَب جَنابُنا[٤] ، وغرث[٥] عيالنا ، فادعُ اللهَ لنا ، فصعِدَ رسولُ الله المنبرَ ودعا فقال : « اللهمّ اسقِ بلادَكَ وبهائِمَكَ ، وانشُرْ رحمتَك ، وأحْيِ بلدَكَ الميت ، اللهم اسْقِنا غَيْثا مُغيثاً مَريئاً مَريعاً طَبَقاً[٦] واسعاً ، عاجلاً غير آجل ، نافعاً غير ضارٍّ ، اللهمّ اسقِنا سُقْيا رَحْمَةٍ ، لا سُقْيا عذابٍ ، ولا هَدْمٍ ، ولا غَرَقٍ ، ولا مَحَقٍ ، اللهم اسْقِنا الغيث وانْصُرْنا على الأعداء » . قال فمَطَرَتْ ، فما رأوا السَّماءَ سَبْتاً[٧] ، فصعِدَ رسولُ الله المنبرَ ، فدعا فقال : « اللهم حَوالَيْنا ولا عَلَيْنا ، اللهم على الآكامِ والظِّرَاب[٨] وبطونِ الأودية ومنابتِ الشجرِ » فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثوب[٩] .

---

(١) انظر تفصيل الخبر في طبقات ابن سعد (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) .
(٢) انظر طبقات ابن سعد (١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) .
(٣) الإصابة (٤/ ٢١٨) .
(٤) طَ : (جناتنا) والجناب هو الناحية (كما في النهاية : جنب) .
(٥) غرِث كفرح : جاع فهو غرثان وهي غرثى ، والتغريث التجويع (القاموس : غرث) .
(٦) مريئاً : حميد المغبة (اللسان : مرأ) .
مريعاً : مخصباً ، ناجعاً (النهاية : ٤/ ٩٦) .
طبقا : أي مالئاً الأرض مغطياً عليها ، يقال : غيث طبق أي عام واسع (النهاية ٣/ ٣٥) .
(٧) سبتاً : برهة من الدهر (اللسان : سَبَتَ) .
(٨) الظِّراب : الجبال الصغار .
(٩) وإسناده ضعيف ، ولبعض الأقوال النبوية شواهد .

وَفْدُ بني مُرَّةَ

قال[١] الواقديّ[٢] : إنَّهم قدموا سنةَ تسعٍ عند مَرْجِعِه من تَبوك ، وكانوا ثلاثةَ عشرَ رجلاً ، منهم الحارثُ بن عوف ، فأجازهم عليه السلام بعشر أَواقٍ من فضة ، وأعطى الحارثَ بن عوفٍ ثِنْتي عشرة أُوقية ، وذكروا أن بلادَهم مُجْدبةٌ فدعا لهم . فقال : « اللَّهم اسقِهم الغَيْثَ » ، فلما رجعوا إلى بلادهم وجدوها قد مطرت ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسولُ الله ﷺ .

وَفْدُ بني ثَعْلَبَةَ

قال الواقدي[٣] : حدّثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن رجلٍ من بني ثعلبة ، عن أبيه قال : لمّا قدمَ رسولُ الله ﷺ من الجِعْرانة[٤] سنةَ ثمانٍ ، قَدِمْنا عليه أربعة نفر ، فقلنا : نحن رسلُ مَنْ خَلْفَنا من قومنا ، وهم يُقِرُّون بالإسلام ، فأمر لنا بضيافة ، وأقمنا أياماً ، ثم جِئْناهُ لنودِّعَه فقال لبلال : أَجْزِهم كما تُجيزُ الوفدَ[٥] ، فجاء بنُقَر[٦] من فضةٍ ، فأعطى كل رجلٍ منا خمسَ أَواقٍ ، وقال : « ليس عندنا دراهم » وانصرفنا إلى بلادنا .

وفد[٧] بني محارب

قال الواقدي[٨] : حدّثني محمد بن صالح ، عن أبي وَجْزَة السَّعدي . قال : قدمَ وَفْدُ مُحارب سنةَ عشرٍ في حجّةِ الوَداع ، وهم عشرةُ نَفَرٍ ، فيهم سواءُ بن الحارث[٩] ، وابنه خُزَيمةُ بن سواءٍ ، فأُنْزِلُوا دارَ رملةَ بنتِ الحارث ، وكان بلالٌ يأتيهم بغداءٍ وعشاءٍ ، فأسلموا ، وقالوا : نحن على مَنْ وراءنا ، ولم يكن أحدٌ في تلك المواسم أفظَّ ولا أَغْلَظَ على رسولِ الله منهم ، وكانَ في الوفدِ رجلٌ منهم ، فعرفه رسولُ الله

---

(١) أ : (ذكر) .
(٢) في طبقات ابن سعد (١/ ٢٩٧) .
(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٢٩٨) .
(٤) الجِعْرانة والجِعِرَّانة : مر ذكرها .
وقال ياقوت : بكسر أوله إجماعاً ، ثم إنّ أصحاب الحديث يكسرون عينه ويشددون راءه وأهل الاتقان والأدب يخطئونهم ، ويسكنون العين ويخففون الراء . ثم قال ياقوت : والذي عندنا أنهما روايتان جيدتان . وهي بلدة بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب (معجم البلدان) .
(٥) طُ : (للوفد) وما هنا عن طبقات ابن سعد .
(٦) نقر من فضة : قطع مذابة (القاموس : نقر) .
(٧) أ : (وفادة) .
(٨) طبقات ابن سعد (١/ ٢٩٩) .
(٩) الإصابة (٢/ ٩٤) وأورد الخبر .

ﷺ ، فقال : الحمدُ لله الذي أبقاني حتى صَدَّقْتُ بك . فقال رسولُ الله ﷺ : « إن هذه القلوبَ بيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ » ومَسَحَ رسولُ الله وجهَ خُزَيْمةَ بن سَواءٍ فصارَتْ [له][١] غرة بيضاء ، وأجازهم كما يجيز الوفد ، وانصرفوا إلى بلادهم .

وفد بني كلاب

ذكر الواقدي[٢] أنَّهم قدموا سنةَ تسعٍ ، وهم ثلاثةَ عشرَ رجلاً ، منهم ؛ لبيد بن ربيعة الشاعر ، وجَبَّار بن سُلمى[٣] ، وكان بينه وبين كعبِ بن مالك خُلَّة ، فرحَّب به ، وأكرمه ، وأهدى إليه ، وجاؤوا معه إلى رسول الله ﷺ ، فسلَّموا عليه بسلام الإسلام ، وذَكَروا له أن الضَّحاكَ بن سُفْيان الكِلابي سار فيهم بكتاب الله وسُنَّةِ رسولِهِ التي أمره اللهُ بها ، ودعاهم إلى الله ، فاستجابوا له ، وأخذ صدقاتِهم من أغنيائهم فصرفها[٤] على فقرائهم .

وَفْدُ بني رُؤاسِ بنِ[٥] كِلاب

ثم ذكر الواقدي[٦] أنَّ رجلاً يُقالُ له : عمرو بن مالك بن قيس بن بُجَيْد بن رُؤاس بن كلاب بن رَبيعةَ بن عامرِ بن صَعْصَعَة ، قدم على رسول الله ﷺ ، فأسلم ، ثم رجعَ إلى قومه فدعاهم إلى الله ، فقالـوا : حتى نُصيبَ من بني عُقَيْل مثلَ ما أصابوا منّا ، فذكَر مقتلةً كانت بينهم ، وأن عمرو بن مالكٍ ، هذا قتلَ رجلاً من بني عُقَيْلٍ ، قال : فشدَدْتُ يَدي في غُلٍّ ، وأتيتُ رسولَ الله ﷺ وبلغَه ما صنعتُ ، فقال : لئن أتاني لأضرب مـا فوق الغُلِّ من يده ، فلما جئتُ سلَّمتُ ، فلم يرُدَّ عليَّ السّلامَ وأعْرضَ ، فأتيتُه عن يمينه فأعرضَ عني ، فأتيته عن يسارِهِ فأعرضَ عنّي ، فأتيتُه من قبل وَجْهه ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، إن الربَّ عزَّ وجلَّ لَيُتَرَضَّى[٧] فَيَرْضَى ، فَارْضَ عنِّي رَضِيَ اللهُ عَنْكَ ، قال : « قد رَضِيتُ [عنك][٨] » .

---

(١) الزيادة من طبقات ابن سعد .
(٢) طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٠) .
(٣) أسد الغابة (١/ ٢٦٤) ، والاستيعاب (٢٢٩) ، والإصابة (١/ ٤٤٨) .
(٤) ط : (فصرفوا) .
(٥) ط : (من) .
(٦) انظر طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٠) والإصابة (٣/ ١٣) وفيه رواية مفصلة للخبر وتخريجاته .
(٧) ط : (ليرتضى) .
(٨) الزيادة من طبقات ابن سعد .

وفْدُ بَني عُقَيْل بن كَعْب

ذكر الواقدي[١] أنهم قدموا على رسول الله ﷺ ، فأقطعهم العَقيقَ ـ عَقيقَ بني عُقَيْل[٢] ـ وهي أرض فيها نخيل وعيون ، وكتب [لهم] بذلك كتاباً[٣] : « بسم اللهِ الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمدٌ رسولُ الله ربيعاً ومُطَرِّفاً[٤] وأنساً ، أعطاهم العقيقَ ما أقاموا الصّلاة ، وآتوا الزكاة ، وسمعوا وأطاعوا ، ولم يُعْطِهم حقاً لمسلم » . فكان الكتاب في يد مُطَرِّف .

قال : وقدم عليه أيضاً لَقيطُ بن عامر بن المُنْتَفق بن عامر بن عُقَيْل وهو أبو رَزين ، فأعطاه ماءً يقال له : النظيم[٥] ، وبايعه على قومه ، وقد قدَّمنا قدومَه وقصّتَه وحديثَه بطوله ، ولله الحمد والمنة .

وَفْدُ بني قُشَيْر بن كَعْب[٦]

وذلك قبلَ حَجَّةِ الوَداع ، وقيلَ حُنَيْنٍ . فذكر فيهم ، قُرَّة بن هُبَيْرة بن عامر[٧] بن سَلَمَة الخَيْر بن قُشَيْر ، فأسلم ، فأعطاه رسولُ الله ﷺ ، وكساهُ بُرْداً ، وأمره أن يليَ صَدَقاتِ قومه ، فقال قُرَّة حين رَجَع :

[الطويل]

حَبَاهَا رَسُولُ اللهِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ ... وَأَمْكَنَهَا مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ مُنْفَدِ
فَأَضحَتْ بِرَوْضِ الخُضْرِ وَهْيَ حَثِيثَةٌ ... وَقَدْ أَنْجَحَتْ حَاجَاتِهَا مِنْ مُحَمَّدِ
عَلَيْهَا فَتى لا يُرِدِفُ الذَمَّ رَحْلَهُ ... يُروِّي[٨] لأمْرِ العَاجِزِ المُتَرَدِّدِ

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٣٠١) والزيادة منه .
(٢) قال ياقوت : قال السكوني : عقيق اليمامة لبني عقُيل . فيه قرى ونخل كثير ، ويقال له : عقيق تمرة (معجم البلدان) .
(٣) مجموعة الوثائق السياسية رقم (٢١٦) ص(٢٣٤) .
(٤) الإصابة (٣/ ٤٢٣) وفيه الخبر منقولاً عن ابن سعد .
(٥) ط : (فقال له النظيم) والنظيم : شعب فيه غدُر وقلات متواصلة بعضها ببعض من ماء الغدير . قال الحفصي : من قِلات عارض اليمامة المشهورة : الحمائم والحجائز والنظيم ومُطرِق (معجم البلدان) .
(٦) انظر الخبر في طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٣) والإصابة (٣/ ٢٣٤) وفيه تخريجات الخبر .
(٧) ليس (بن عامر) في طبقات ابن سعد ولا في النسخة أ .
(٨) في طبقات ابن سعد والإصابة : (* تروك .) .

وفْدُ بَني البَكَّاء[١]

ذَكَرَ [الواقدي] أنَّهم قَدِموا سنةَ تسعٍ، وأنَّهُمْ كانوا ثلاثين رجلاً ، فيهم معاويةُ بن ثَوْرِ بن[٢] عِبادة[٣] بن البكَّاء ، وهو يومئذ ابن مئة سنة ، ومعه ابنٌ له يُقال له : بِشْرٌ ، فقال : يا رسولَ الله ، إني أَتبَرَّكُ بمَسِّكَ وقد كبِرتُ ، وابني هذا بَرٌّ بي ، فامسحْ وَجْهَهُ ، فَمَسَحَ رسولُ الله ﷺ وَجْهَه ، وأعطاه أعنزاً ، وبرَّكَ عليهن ، فكانوا لا يصيبهم بعد ذلك قحط ولا سنة ، وقال : محمد بن بشر بن معاوية في ذلك[٤] : [الكامل]

وأبي الذي مَسَحَ الرَّسُولُ برأسِهِ ودَعَا لَـهُ بـالخَيْـرِ وَالبَـرَكَـاتِ
أعطـاهُ أحْمـدُ إذْ أتـاهُ أعنُـزاً عُفْرا نَواحِل[٥] لَسْنَ باللَّجَباتِ[٦]
يَملأنَ رِفْدَ[٧] الحي كُلَ عَشِيَّةٍ ويعـود ذاكَ المَـلءُ بـالغَـدَواتِ
بُورِكْنَ مِنْ مِنَح وَبُورِكَ مَانِحاً وَعَلَيْـهِ مِنِّي ما حَييتُ صَلاتِـي

وفد كِنانة

روى الواقدي بأسانيده[٨] أنّ واثلة بن الأسقع الليثي قدم على رسول الله ﷺ وهو يتجهَّزُ إلى تبوك ، فصلَّى معه الصُّبح، ثم رجع إلى قومه فدعاهم، وأخبرهم عن رسول الله ﷺ، فقال أبوه: واللهِ لا أُكلِّمُكَ[٩] أبداً ، وسمعت أختُه كلامَه ، فأسلمَتْ ، وجهَّزَتْه حتى سار مع رسول الله ﷺ إلى تبوك ، وهو راكبٌ على بعيرٍ لكعب بن عُجْرَة ، وبَعَثَهُ رسولُ الله ﷺ مع خالد إلى أُكَيْدِر دُومة[١٠] ، فلما رجعوا عَرَض واثلةُ على كعب بن عُجْرة ما كان شارَطَهُ عليه من سهم[١١] ، فقال له كعب : إنما حملتك لله عزَّ وجلَّ .

---

(١) الخبر في طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٤) والإصابة (٣/ ٤٣٠) .
(٢) بعدها في ط : (معاوية بن) وهي زيادة انظر الاستيعاب (١٤١٣) وطبقات ابن سعد (١/ ٣٠٤) .
(٣) قال في الإصابة : « عِبادة : ضبطها العقيلي بكسر العين » .
(٤) طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٤) والإصابة (٣/ ٤٣٠) وأورد البيت الأول فقط كل من القفطي في المحمدون من الشعراء (٤٣٠) ، والمرزباني في معجم الشعراء (٣٥٠) .
(٥) ط ، أ : (نواحل) وفي الطبقات : (نواجل) وما أثبته عن الإصابة وهو الأشبه . الثجل : عظم البطن واسترخاؤه (اللسان : ثجل) .
(٦) ط ، أ : (باللحيات) وما أثبته من الطبقات واللجبات : اللجبة الشاة قل لبنها والغزيرة ضدٌ (القاموس : لجب) .
(٧) في أ ، ط : (وفد) وما هنا عن الإصابة والرفد : القدح العظيم الضخم (اللسان : رفد) .
(٨) مغازي الواقدي (١٠٢٨) ، وطبقات ابن سعد (١/ ٣٠٥ـ٣٠٦) .
(٩) أ ، ط : (لا أحملك) وما هنا عن المغازي والطبقات .
(١٠) أكيدر : هو أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكاً عليها (سيرة ابن هشام ٤/ ١٨١) ودومة : من القريات من وادي القرى إلى تيماء أربع ليالٍ (معجم البلدان) .
(١١) أ : (من سهمه من الغنيمة) .

وفد أشْجَع

ذكر الواقديُّ[١] أنهم قَدِموا عامَ الخندَقِ وهم مئة رجل ، ورئيسُهم مَسْعُود بن رُخَيْلة ، فنزلوا شعب سَلْع ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ ، وأمر لهم بأحْمال التَّمرِ ، ويقال : بل قدموا بعدَما فرغ من بني قُرَيْظَة ، وكانوا سبعمئة رجل ، فوادَعَهُم ورجعوا ، ثم أسلموا بعد ذلك .

وَفْدُ باهلة[٢]

قدم رئيسهم مُطرِّف بن الكاهِن بعدَ الفَتْح فأسلَم ، وأَخَذَ لقومه أماناً ، وكتب له كتاباً فيه الفرائضُ وشرائعُ الإسلام ، كتبه عثمانُ بن عَفّان رضي الله عنه .

وَفْدُ بني سُلَيْم

قال[٣] : وقدم على رسول الله ﷺ رجل من بني سُلَيْم يقال له : قيس بن نُشْبة ، فسمع كلامَهُ ، وسأله عن أشياء ، فأجابه ، ووعى ذلك كله ، ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فأسلم ، ورجع إلى قومه بني سُليم فقال : سمعتُ تَرْجَمة الرُّوم وهَيْنَمَة فارس وأشعار العرب وكَهانة الكُهّان وكلامَ مَقاول حمير[٤] ، فما يشبه كلامُ محمدٍ شيئاً من كلامهم ، فأطيعوني ، وخذوا بنصيبكم منه ، فلما كان عامُ الفتح خرجَتْ بنو سُلَيْم ، فلقوا رسولَ الله ﷺ بقُديد[٥] وهم سبعمئة[٦] . ويقال : كانوا ألفاً ، وفيهم العَبّاس بن مِرْداس وجماعة من أعيانهم ، فأسْلَموا ، وقالوا : ٱجعلنا في مُقَدَّمتك ، واجعلْ لواءَنا أحمرَ وشعارَنا مقدَّماً ، ففعل ذلك بهم ، فشهدوا معه الفتحَ والطَّائِفَ وحُنَيْناً وقد كان راشدُ بن عبد ربّه السُّلَمي يعبد صَنَماً ، فرآه يوماً وثعلبان يبولان عليه فقال : [الطويل]

أرَبٌّ يَبُــول الثَّعْلَبــانُ بِــرأسِــهِ   لَقَد ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعالِبُ

ثم شدَّ[٧] عليه فكسره ، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، وقال له رسول الله ﷺ : « ما اسمك ؟ » قال : غاوي بن عبد العُزّى ، فقال : « بل أنت راشدُ بن عبد رَبِّه » وأقطعه موضعاً يقال له : رُهاط ،

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٦) والإصابة (٣/ ٤١٠) .
(٢) طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٧) والإصابة (٣/ ٤٢٣) .
(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٧) والإصابة (٣/ ٢٦٠) .
(٤) مقاول : ملوك (القاموس : قول) .
(٥) قديد : موضع قرب مكة (معجم البلدان) .
(٦) في طبقات ابن سعد : (تسعمئة) .
(٧) ط : (ثم شهد) وهو تحريف .

فيه[١] عَيْنٌ تَجْري ، يقال لها : عَيْنُ الرَّسول[٢] ، وقال : هو خير بني سليم ، وعقد له على قَوْمِهِ ، وشهدَ الفَتْحَ وما بعدَها .

وَفْدُ بني هِلالِ بن عامِرٍ

وذَكَرَ في وَفْدِهِمْ[٣] : عبدَ عَوْف بن أصرم[٤] ، فأسلمَ ، وسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وقَبيصَةَ بن مُخارِقٍ[٥] الذي له حديثٌ في الصدقات[٦] ، وذَكَرَ في وَفْدِ بني هلالٍ زيادَ بن عبدِ الله بن مالكِ بن بُجَيْر بن الهُزَم[٧] بن رُؤَيْبَة بن عبد الله بن هِلالِ بن عامِر ، فلما دخل المدينة يمم[٨] منزل خالته ميمونة بنت الحارث ، فدخل عليها ، فلما دخل رسول الله ﷺ منزله رآه ، فغضب ورجع ، فقالت : يا رسول الله ! إنه ابن أختي ، فدخل ثم خرج[٩] إلى المسجد ، ومعه زياد ، فصلَّى الظُّهْر ، ثم أدنى[١٠] زياداً ، فدعا له ، ووضع يده على رأسه ، ثم حَدَرَها على طرفِ أنفه ، فكانت بنو هلالٍ تقول : ما زلنا نتعرَّف البركة ، في وجه زيادٍ . وقال الشاعر لعليِّ بن زياد : [الكامل]

يا بنَ[١١] الَّذي مَسَحَ الرَّسولُ بِرَأْسِهِ   وَدَعـا لَـهُ بـالخَيْـرِ عِنْـدَ المَسْجِـدِ

(١) في ط : (رهاطاً) وهو موضع على ثلاث ليال من مكة . كما في معجم البلدان .
(٢) في أ : عين الرسوب وأثبتنا ما في ط وطبقات ابن سعد .
(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٩) .
(٤) الإصابة (٢/ ٢٧٥) .
(٥) تقريب التهذيب (٣٠٥) والإصابة (٣/ ٢٢٢) .
(٦) والحديث : عن قبيصة عن مخارق رضي الله عنه قال : تحملت حَمالة ، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها ، فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها . ثم قال : يا قبيصة ، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة ؛ رجل تحمل حَمَالة ، فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش ـ أو قال : سداداً من عيش ـ ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه : لقد أصابت فلاناً فاقة . فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش ـ أو قال : سداداً من عيش ـ فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتاً . رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٧٧ و٥/ ٦٠) ومسلم في صحيحه برقم (١٠٤٤) في الزكاة باب من تحلّ له المسألة وأبو داود في سننه برقم (١٦٤٠) في الزكاة باب ما تجوز فيه المسألة والنسائي في سننه (٥/ ٩٦ ، ٩٧) في الزكاة باب فضل من لا يسأل الناس شيئاً .
(٧) ط : (الهدم) . وانظر جمهرة أنساب العرب (٢٧٤) .
(٨) أ : (تيمم) وهما بمعنى .
(٩) أ : (ثم رجع) .
(١٠) ط : (ثم أدناه) .
(١١) ط : (إنّ الذي) .

أعنـــي زيـــاداً لا أريـــدُ سِـــواءَهُ مِــنْ غَــائـرٍ أو[١] مُتْهــمٍ أو مُنْجِـدِ
مــا زَالَ ذَاكَ النُّــورُ فــي عِــرْنينـه حَتَّــى تَبــوَّأَ بَيْتَــهُ فــي مُلْحَــدِ[٢]

وَفْدُ بني بَكْرِ بن وائِلٍ

ذكر الواقدي[٣] أنهم لما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن قُسِّ بن سَاعِدَةَ[٤] ، فقال : ليس ذاك منكم ، ذاكَ رجلٌ من إيادٍ تَحَنَّفَ في الجاهلية ، فوافى عُكاظاً[٥] ، والناسُ مجتمعون ، فكلمهم بكلامه الذي حُفِظَ عنه . قال : وكان في الوَفْدِ بَشير بن الخَصَاصية[٦] وعبدُ الله بن مَرْثَدٍ وحسانُ بن خُوْط[٧] ، فقال رجل من ولد حسان[٨] :

أنا ابن[٩] حَسَّانَ بنِ خُوطٍ وأبي رَسُــولُ بَكْــرٍ كُلِّهــا إلــى النَّبــي

وَفْدُ بني تَغْلِبَ

ذَكَرَ[١٠] أَنَّهُمْ كانوا ستةَ عشر رجلاً مسلمين ونصارى عليهم صُلُبُ الذهب ، فنزلوا دارَ رَمْلَةَ بنت الحارث ، فصالح رسولُ الله ﷺ النَّصارى على أن لا يَصْبغوا أولادَهم في النّصرانية ، وأجاز[١١] المسلمين منهم .

---

(١) ليس لفظ (أو) في ط : ولا يستقيم الوزن بدونها .
(٢) عرنين الأنف : ما تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشحم (اللسان : عرن) وملحد : اسم المكان من اللحد وهو القبر .
(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٣١٥) .
(٤) قس بن ساعدة : أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية ، طالت حياته .
(٥) ط : (عكاظ) خطأ .
(٦) هو بشير بن معبد ، ويقال ابن نذير السدوسي المعروف بابن الخصاصية (الإصابة ١/ ١٥٩) .
(٧) أ ، ط : (حوط) . وما أثبته عن الاستيعاب (٣٥١) والإصابة (٢/ ٦٥) وأسد الغابة (٢/ ٨) .
(٨) في أسد الغابة : هو بشر بن حسان .
(٩) في ط : (أنا وحسان) وما أثبته عن مصادره .
(١٠) طبقات ابن سعد (١/ ٣١٦) .
(١١) ط : (على ألا يضيعوا أولادهم في النصرانية وأجاز) قال الأزهري : وسمّت النصارى غمسهم أولادهم في الماء صبغاً لغمسهم إياهم فيه (اللسان : صبغ) .

وفاداتُ أهْل اليَمن

وَفْدُ تُجِيب

ذكر الواقدي[١] أنّهُمْ قَدِموا سنة تسعٍ ، وأنهم كانوا ثلاثةَ عشرَ رَجُلاً ، فأجازهم (رسول الله ﷺ)[٢] أكثر ما أجازَ غَيْرَهُمْ ، وأنَّ غُلاماً منهم قال له رسول الله ﷺ : « ما حاجَتُكَ ؟ » فقال : « يا رسولَ الله ! أُدْعُ اللهَ يَغْفِرْ لي ويَرْحَمْني ، ويَجْعَلْ غِناي في قلبي ، فقال : « اللهم اغْفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ ، واجْعَلْ غِناهُ في قَلْبه » . فكان بعد ذلك من أزهد الناس .

وَفْدُ خَوْلان

ذَكَر [الواقدي][٣] أنَّهم كانوا عَشرةً ، وأنّهم قدموا في شعبان سنة عشرٍ ، وسألهم رسولُ الله ﷺ عن صنمهم الذي كان يُقال له : عَمُّ أَنَس ، فقالوا : أُبْدِلْنا به[٤] خيراً منه ، ولَوْ قَدْ رَجَعْنا لَهَدَمْناهُ . وَتَعَلَّموا القُرآنَ والسُّنَنَ ، فلمّا رَجعوا هَدَموا الصَّنم ، وأَحَلُّوا ما أَحَلَّ اللهُ وَحرَّمُوا ما حَرَّمَ اللهُ[٥] .

وَفْدُ جُعْفي

ذَكَرَ [الواقدي][٦] أَنَّهُمْ كانوا يُحرِّمون أكلَ القَلْبِ ، فلما أسلم وَفْدُهُمْ أَمَرَهُمْ رسولُ الله ﷺ بأَكْلِ القَلْبِ ، وأمر به فشُوي ، وناوله رئيسَهم وقال : « لا يتمّ إيمانُكم حتّى تَأْكُلوه » فأخذه ويدُه تُرْعَدُ فأَكَلَهُ وقال : [الوافر]

عَلَى أنِّي أَكَلْتُ القَلْبَ كُرْهاً وتُـرْعَـدُ حِيـنَ مَسَّتْـهُ بَنَـانِـي

فصل في قدوم الأزد على رسول الله ﷺ

ذكر أبو نُعيم في كتاب « معرفة الصحابة » ، والحافظ أبو موسى المديني ، من حديث أحمد بن

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٣) .
(٢) ليس ما بين القوسين في ط .
(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٤) .
(٤) ط : (أبدلناه) .
(٥) سقط خبر وفد خولان من أ .
(٦) طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٤) .

أبي الحَواري قال : سمعت أبا سليمان الداراني قال : حدّثني عَلْقَمةُ بن يزيد[١] بن سُوَيْد الأزْدي قال : حدّثني أبي ، عن جَدّي سُوَيْد[٢] بن الحارث قال : وَفَدْتُ سابعَ سبعةٍ من قومي على رسول الله ﷺ ، فلما دخلنا عليه وكَلَّمْناه فأعجبه ما رأى من سَمْتِنا وزِيِّنا ، فقال : « ما أنتم ؟ » قلنا : مؤمنون . فتبسَّم رسولُ الله ﷺ وقال : « إن لكلِّ قولٍ حقيقةً ، فما حقيقةُ[٣] قولِكُمْ وإيمانِكم ؟ » قلنا : خَمسَ عشرَةَ خَصْلةً ؛ خَمْسٌ منها أمَرَتْنا بها رُسُلُك أن نؤمن بها ، وخَمْسٌ أمَرَتنا أن نعملَ بها ، وخَمْسٌ تَخَلَّقْنا بها في الجاهلية ، فنحن عليها إلا أن تَكْرَهَ منها شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : « ما الخمس[٤] التي أمرتكم بها رسلي أن تُؤْمِنوا بها ؟ » قلنا : أَمَرَتْنا أن نُؤْمِنَ باللهِ وملائِكَتِهِ وكتبهِ ورسلِه والبعثِ بعد الموت . قال : « وما الخَمْسُ[٥] التي أمَرَتْكُمْ أن تَعْمَلوا بها ؟ » قلنا أمَرَتْنا أن نقولَ : لا إله إلا الله ، ونقيمَ الصَّلاةَ ، ونُؤْتي الزَّكاةَ ، ونَصومَ رمضان ، ونَحُجَّ البيتَ منِ اسْتَطاع إليه سبيلاً . فقال : « وما الخَمْس التي[٦] تَخَلَّقْتُمْ بها في الجاهلية ؟ » . قالوا : الشكرُ عندَ الرَّخاء ، والصَّبْرُ عندَ البلاء ، والرِّضى بمُرِّ القضاء ، والصِّدْقُ في مواطِنِ اللِّقاء ، وَترْكُ الشَّماتَةِ بالأعْداء . فقال رسول الله ﷺ : « حُكماءُ عُلماءُ كادوا من فِقْهِهِمْ أن يكونوا أنبياءَ » ثم قال : « وأنا أزيدُكُمْ خَمْساً ، فَتتمَّ لكم عشرون خَصْلَةً إن كنتم كما تقولون : فلا تَجْمَعوا ما لا تأْكلون ، ولا تَبْنُوا ما لا تَسْكُنون ، ولا تنافَسوا في شيء أنتم عَنْهُ غَداً تزولون ، واتَّقُوا اللهَ الذي إليه تُرْجَعون ، وعليه تُعْرَضون ، وارْغَبوا فيما عليه تُقدِمون ، وفيه تخلُدون » . فانصرفَ القومُ من عندِ رسولِ الله ﷺ ، وحَفظوا وَصِيَّته ، وعَمِلوا بها[٧] .

ثم ذكر :

وَفْدَ كِندة[٨]

وأنَّهم كانوا بِضْعَةَ عشرَ راكباً ، عليهم الأشعثُ بن قَيْس ، وأنه أجازَهُمْ بعَشرِ أَوَاق ، وأجاز الأشعث ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّة ، وقد تقدم .

---

(١) في ط : مرثد .

(٢) في ط : عن جدي عن سويد .

(٣) ليس اللفظ في ط .

(٤) ط : (فالخمسة) .

(٥) ط : (وما الخمسة) .

(٦) ط : (وما الخمسة الذي) .

(٧) في الإصابة (٢/ ٩٨) : « رواه أبو أحمد العسكري من طريق أحمد بن أبي الحواري ، وساقه الرشاطي وابن عساكر من وجهين آخرين عن أحمد بن أبي الحواري . ورواه أبو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى من وجه آخر عن أحمد بن أبي الحواري ، فقال : علقمة بن سويد بن علقمة بن الحارث فذكر أبو موسى في الذيل : علقمة بن الحارث بسبب ذلك والأول أشهر » . قال بشار : الحديث ضعيف لجهالة واحد من رواته .

(٨) طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٨) .

وفد الصَّدِف[١]

قَدِموا في بِضْعَةَ عَشرَ راكباً ، فصادفوا رسولَ الله ﷺ يخطُبُ على المنبر ، فَجَلسوا ولم يُسَلِّموا ، فقال : « أمُسْلِمون أنتم ؟ » قالوا : نَعَمْ ، قال : « هَلاَّ سلّمتم ! » فقاموا قياماً ، فقالوا : السَّلامُ عليكَ أيها النبي ورحمةُ الله وبركاتُهُ ، فقال : « وعليكُمُ السَّلامُ ، اجلسوا » ، فجلسوا ، وسألوا رسولَ الله ﷺ عن أوقاتِ الصَّلَواتِ .

وفد خُشَيْن

قال[٢] : وقدم أبو ثَعْلَبة الخَشَني ، ورسولُ الله يُجَهِّز إلى خَيْبَر ، فشهدَ معه خَيْبَر ، ثم قدمَ بعد ذلك بضعةَ عشرَ رجلاً منهم فأَسْلَموا .

وفد بني سعد

ثم ذكر وفد بني سعد هُذَيم[٣] وبَلِيّ[٤] وبَهْراء[٥] ، وبني عُذْرة[٦] ، وسَلامان[٧] ، وجُهينة[٨] وبني كلْب[٩] والجَرْميِّين[١٠] ، وقد تقدم حديثُ عَمْرو بن سَلِمَة الجَرْمي في « صحيح البخاري »[١١] .

***

وذكر : وفد الأزدِ[١٢] ، وغَسّان[١٣] ، والحارث بن كعب[١٤] ، وهَمْدان[١٥] ، وسعد

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٩) وجمهرة أنساب العرب (٤٦١) وفي التاج : صدف : « الصدف ككتف؛ بطن من كنده » .
(٢) يعني الواقدي ، وخبره في طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٩) ، والإصابة (٤/ ٢٩) وجمهرة أنساب العرب (٤٥٤) .
(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٩) .
(٤) نفسه ١/ ٣٣٠ .
(٥) نفسه ١/ ٣٣١ .
(٦) نفسه ١/ ٣٣١ .
(٧) نفسه ١/ ٣٣٢ .
(٨) نفسه ١/ ٣٣٣ .
(٩) نفسه ١/ ٣٣٤ .
(١٠) نفسه ١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧ .
(١١) رواه البخاري رقم (٤٣٠٢) .
(١٢) طبقات ابن سعد ١/ ٣٣٧ .
(١٣) نفسه ١/ ٣٣٨ .
(١٤) نفسه ١/ ٣٣٩ .
(١٥) نفسه ١/ ٣٤٠ .

العَشيرة[١] ، وَعَنْس[٢] ، ووفد الدَّاريين[٣] ، والرَّهاويّين[٤] ، وبني غامد[٥] ، والنَّخع[٦] ، وبَجِيْلة[٧] ، وخَثْعم[٨] وحَضْرَموت[٩] ، وذكر فيهم وائل بن حُجْر[١٠] وذكر فيهم الملوك الأربعة جَمْداً[١١] ومِخْوساً ومِشْرَحاً وأبْضَعَة[١٢] ، وقد ورد في مسند أحمد لعنُهم مع أخْتِهم العَمَرَّدة[١٣] وتكلَّم الواقديُّ كلاماً فيه طولٌ .

وذكرَ[١٤] وفدَ أزدِعُمَان ، وغافِقٍ ، وبارقٍ ، ودَوْسٍ ، وثُمالةَ ، والحُدَّان ، وأسْلَم ، وجُذَام ، ومَهْرَة ، وحِمْير ، ونَجْران ، وجَيْشان . وبَسْطُ الكلامِ على هذه القبائل يَطولُ جداً . وقد قدمنا بعض ما يتعلقُ بذلك ، وفيما أوردناه كفايةٌ ، والله تعالى أعلم .

ثم قال الواقدي[١٥] :

وَافِدُ السباع

حدّثني شعيب بن عُبادة ، عن المُطَّلِب بن عبد الله بن حَنْطَب[١٦] قال : بينا رسول الله ﷺ جالس بالمدينة في أصحابه أقْبَلَ ذِئْبٌ ، فوقف بين يَدَيْهِ ، فَعَوَى ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا وافِدُ السِّباع إليكم ، فإنْ أحْبَبْتُمْ أن تَفْرِضوا له شيئاً لا يَعْدُوه إلى غيره ، وإن أحْبَبْتُمْ تَرَكْتُموه ، وتحذرتم[١٧] منه ، فما أَخَذَ فهو رزقُه » .

---

(١) نفسه ١/ ٣٤٢ .
(٢) نفسه ١/ ٣٤٢ ووقع في ط « قيس » وهو تحريف .
(٣) نفسه ١/ ٣٤٣ .
(٤) نفسه ١/ ٣٤٤ .
(٥) نفسه ١/ ٣٤٥ .
(٦) نفسه ١/ ٣٤٦ .
(٧) نفسه ١/ ٣٤٧ .
(٨) نفسه ١/ ٣٤٨ .
(٩) نفسه ١/ ٣٤٩ .
(١٠) جمهرة أنساب العرب (٤٦٠) ، والإصابة (٣/ ٦٢٨) .
(١١) ط : (جميداً) أ : (حمداً) . وانظر جمهرة ابن حزم (٤٢٨) .
(١٢) جمهرة أنساب العرب (٤٢٨) وفيه أنهم « وفدوا إلى رسول الله ﷺ ثم ارتدوا فقتلوا كلهم » وقد ورد تفصيل أخبار هذه الوفود المذكورة في طبقات ابن سعد (١/ ٣٢٩ ـ ٣٥١) .
(١٣) ط : (نعتهم مع أخيهم الغمر) وانظر المسند (٤/ ٣٨٧) ، وإسناده صحيح .
(١٤) يعني : الواقدي ، وذكر هذه الوفود كلها في طبقات ابن سعد (١/ ٣٥١ ـ ٣٥٨) .
(١٥) طبقات ابن سعد (١/ ٣٥٩) .
(١٦) تهذيب التهذيب (١٠/ ١٧٨) .
(١٧) في طبقات ابن سعد « وتحرزتم » .

قالوا : يا رسول الله ، ما تطيبُ أنفسُنا له بشيء ، فأومأ إليه النبيُّ ﷺ بأصابعه الثلاثِ ، أي : خَالِسْهم ، فولّى وله عَسَلان[١] .

وهذا مرسل من هذا الوجه ، ويشبه هذا الذئبُ الذئبَ الذي ذُكر في الحديث الذي رواه الإمامُ أحمد[٢] ، حدّثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا القاسم بن الفضل الحُدَّاني[٣] ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد الخُدْري قال : عدا الذئب على شاةٍ فأخذَها ، فطلبها الرَّاعي ، فانتزَعَها منه ، فأقعى الذئب على ذَنَبه فقال : ألا تتقي اللهَ ، تنزع مني رزقاً ساقَه الله إليّ ، فقال : يا عجباً ذئب مُقْعٍ على ذَنَبه ، يُكلِّمُني كلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أُخْبِرُك بأعجبَ من ذلك ، محمدٌ رسول الله ﷺ بيثربَ يُخْبِرُ النّاسَ بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعي يسوقُ غَنمَه ، حتى دخل المدينةَ ، فزواها إلى زاويةٍ من زواياها ، ثم أتى رسولَ الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ فنودي : الصلاة جامعة ، ثم خرج ، فقال للأعرابي : أخبرهم ، فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ : « صَدَقَ ، والذي نَفْسي بيده ، لا تقومُ الساعةُ حتَّى تكلّم السِّباعُ الإنسَ وتكلِّمَ الرجلَ عذبةُ سوطه[٤] وشِراكُ نَعْلِهِ ، وتخبره فَخِذُه بما أحدثَ أهلُهُ بعده » .

وقد رواه الترمذي[٥] عن سفيان بن وكيع بن الجّراح ، عن أبيه ، عن القاسم بن الفضل به . وقال : حسنٌ غريبٌ صحيحٌ ، لا نعرفُه إلا من حديث القاسم بن الفضل به ، وهو ثقةٌ مأمونٌ عند أهل الحديث ، وثَّقه يحيى وابن مهدي .

قلت : وقد رواه الإمام أحمد[٦] أيضاً ، حدّثنا أبو اليَمان ، أنبأنا شعيب هو ابنُ أبي حَمزة ، حدّثني عبد الله بن أبي الحسين ، حدّثني شَهْر[٧] أنّ أبا سعيد الخُدْري حدثه ، فذكر هذه القصة بطولها ، بأبسط من هذا السياق . ثم رواه أحمد[٨] ، حدّثنا أبو النَّضْر ، حدّثنا عبد الحميد بن بَهْرام[٩] ، حدّثنا شهر ،

---

(١) عسل الذئب يعسل عَسَلاً وعَسَلاناً : اضطرب في عدوه وهزَّ رأسه (القاموس : عسل) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٣) ، وهو حديث صحيح .
(٣) ط : (الخراني) والتصحيح من المسند ، وانظر : تهذيب التهذيب (٨/ ٣٢٩) .
(٤) عذبة سوطه : طرفه ، والجمع عَذَبٌ والعذبة أحد عذبتي السوط (اللسان : عذب) .
(٥) سنن الترمذي رقم (٢١٨٢) في كتاب الفتن ، باب ما جاء في كلام السباع .
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٨) ، وفي سنده شهر بن حوشب ، وهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ويشهد لأكثره حديث أبي سعيد الخدري الذي : (مهران أنبأنا أبو سعيد) وانظر : تهذيب التهذيب (٤/ ٣٦٩) .
(٧) ط : (مهران أنبأنا أبو سعيد) وانظر : تهذيب التهذيب (٤/ ٣٦٩) .
(٨) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٩) ، وفي سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ، ويشهد لمعناه حديث أبي سعيد الخدري الذي قبله .
(٩) ط : (هبرام) تحريف .

قال : وحدّث أبو سعيد ، فذكره ، وهذا السياق أشبهُ ، والله أعلم ، وهو إسنادٌ على شرطِ أهلِ السُّنَنِ ، ولم يخرجوه .

فصل

وقد تقدَّم ذكر وفود الجن بمكة قبل الهجرة ، وقد تَقَصَّينا الكلام في ذلك أيضاً[١] عند قوله تعالى في سورة [الأحقاف : ٢٩] ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٢] فذكرنا ما وردَ من الأحاديثِ في ذلك والآثار ، وأوردنا حديثَ سَوادِ بن قاربٍ الذي كان كاهناً فأسلم وما رواه عن رَئِيِّه الذي كان يأتيه بالخبر حين أسلم الرَّئِي[٣] حين قال له : [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجنِّ وَأَنْجَاسِهَا ... وَشَدِّهَا العِيسَ بِأَحْلاسِهَا[٤]
تَهْوِي إلى مَكَّةَ تَبْغي الهُدَى ... ما مُؤْمِنُ الجِنِّ كَأَرْجاسِهَا
فَانهَضْ إلى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... وَاسْمُ بِعَيْنَيْكَ إلى رَاسِهَا

ثم قوله :

عَجِبْتُ لِلْجنِّ وَتَطْلابِهَا ... وَشَدِّهَا العِيسَ بأقتَابِهَا[٥]
تَهْوِي إلى مَكَّة تَبْغي الهُدَى ... لَيْسَ قُداماها[٦] كأُذْنَابِهَا
فانهضْ إلى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... وَاسْم بِعَيْنَيْكَ إلى نابِها[٧]

ثم قوله :

عَجِبْتُ لِلْجنِّ وَتخْبَارِهَا ... وَشَدِّهَا العِيسَ بأكْوَارِهَا[٨]
تَهْوي إلى مَكَّةَ تَبْغي الهُدى ... لَيْسَ ذَوُو الشرِّ كَأَخْيَارِهَا
فانهضْ إلى الصَّفْوَةِ منْ هَاشِمٍ ... ما مُؤْمنُو الجِّنِ كَكُفَّارِهَا

---

(١) ليس اللفظ في ط .
(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٦٨) .
(٣) الرِّئيّ كغنيّ ويكسر : جني يُرى (القاموس : رأى) والأبيات الثلاثة الأولى في الإصابة (٢/ ٩٦) .
(٤) أحلاس : مفردها حِلس بالكسر : كساء على ظهر البعير تحت البرذعة ، ويبسط في البيت تحت حُرِّ الثياب ويُحرَّك (القاموس : حلس) .
(٥) أقتاب : مفردها قِتْب وفي الصحاح : رحل صغير على قدر السنام (اللسان : قتب) .
(٦) ط : (قدّامها) .
(٧) ط : (بابها) .
(٨) أكوار : مفردها الكُور بالضم : الرحل وقيل الرحل بأداته وهو كالسرج وآلته للفرس (اللسان : كور) .

وهذا وأمثاله مما يدل على تكرار وفود الجن إلى مكة ، وقد قرَّرنا ذلك هنالك بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق .

وقد أوردَ الحافظُ أبو بكر البيهقي[١] هاهنا حديثاً غريباً جداً بل منكراً ، أو موضوعاً ، ولكنَّ مخرجه عزيزٌ ، أحْببنا أن نوردَه كما أوردَه ، والعجبُ منه فإنَّه قال في « دلائل النبوة » : باب قُدومِ هامة بن الهَيْم[٢] بن لاقيس بن إبليس على النبيِّ ﷺ وإسلامه . أخبرنا أبو الحسن[٣] محمد بن الحسين بن داود العَلَوي رحمه الله ، أنبأنا أبو نصر محمد بن حَمْدَوَيْه بن سهلٍ الفَازِيّ[٤] المروزي ، حدّثنا عبد الله بن حماد الآمُلي، حدّثنا محمد بن أبي معشر ، أخبرني أبي ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال عمر رضي الله عنه :

بينا نحن قعودٌ مع النبي ﷺ على جبلٍ من جبال تِهامة ، إذ أقبل شيخٌ بيده عصاً فسلّم على النبي ﷺ ، فردّ ، ثم قال : « نَغْمَةُ جنٍّ وغَمْغَمَتُهُم . من أنت ؟ » قال : أنا هامة بن الهَيم بن لاقيس بن إبليس ، فقال النبي ﷺ : « فما بينك وبين إبليس إلاّ أبوان . فكم أتى عليك[٥] من الدهر ؟ » قال : قد أفنيتُ الدنيا عمرَها إلا قليلاً ، ليالي قتل قابيلُ هابيلَ كنت غلاماً ابن أعوام ، أفهَمُ الكلامَ ، وأمرُّ بالآكام ، وآمر بإفساد الطَّعام وقطيعة الأرحام ، فقال رسول الله ﷺ : « بئس عمل الشيخ المتوسِّم ، والشاب المتلوِّم[٦] » قال : ذرني من الترداد ، إنّي تائبٌ إلى الله عزَّ وجلَّ ، إنّي كنتُ مع نوحٍ في مسجدِه مع مَنْ آمن به من قومه ، فلم أزل أعاتبُه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني ، وقال : لا جرم ، إنّي على ذلك من النادمين ، وأعوذُ بالله أن أكون من الجاهلين ، قال : قلت : يا نوح ، إني كنت ممن اشترك في دم السّعيد الشّهيد هابيلَ بن آدم ، فهل تجد لي عندك[٧] توبة ؟ قال : يا هامُ ، هُمَّ بالخير ، وافعله قبل الحسرة والندامة ، إني قرأت فيما أنزل الله عليَّ أنَّه ليس من عبد تاب إلى الله بالغٌ أمرُه ما بلغَ إلا تابَ الله عليه ، قُمْ ، فَتوضَّأْ ، واسْجُدْ لله سَجْدَتَيْنِ . قال : ففعلتُ من ساعَتي ما أمرني به ، فناداني : ارفَعْ رَأْسَكَ ، فقد نَزَلَتْ توبتُكَ من السَّماءِ ، فَخَرَرْتُ لله ساجداً . قال : وكنتُ مع هودٍ في مسجده ، مع منْ آمنَ به من قومه ، فلم أزَلْ

---

(١) دلائل النبوة (٥/٤١٨ ـ ٤٢٠) .

(٢) أ : (الهيم) ، وط : (الهيثم) وفي الإصابة (٣/ ٥٩٤) (هامة بن أهيم) وما أثبته عن « دلائل النبوة » مصدر المؤلف .

(٣) في دلائل النبوة : (أبو الحسين) وهو تحريف . انظر سير أعلام النبلاء (١٧/٩٨) .

(٤) أ ، ط : (القادي) تحريف . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٠) وفيه (الفازي نسبة إلى قرية فاز وبعضهم يقول الغازي) . وفاز ، بلدة بنواحي مرو (معجم البلدان : فاز) .

(٥) ط : (لك).

(٦) المتوسم : المتحلي بسمة الشيوخ (النهاية : وسم) المتلومِّ : المتعرِّض للأئمة في الفعل السّيِّء . ويجوز أن يكون من اللؤمة وهي الحاجة ، أي المنتظر لقضائها (النهاية : لوم) .

(٧) في دلائل النبوة « عند ربك » .

أعاتِبُهُ على دَعْوَتِهِ على قَوْمِهِ حتى بكى عليهم وأبكاني ، فقال : لا جرَم ، أنّي على ذلك من النّادمين ، وأعوذُ بالله أن أكونَ من الجاهِلين ، قال : وكنتُ مع صالح في مَسْجِدِه ، مع منْ آمنَ به من قومه ، فلم أزل أعاتبه على دَعْوته على قومه حتى بكى وأبكاني ، وقال : أنا عَلَى ذلك من النادمين ، وأعوذُ بالله أنْ أكونَ من الجاهلين ، وكنتُ أزورُ يعقوبَ ، وكنتُ مع يوسفَ في المكانِ الأمينِ ، وكنتُ ألقى إلياسَ في الأودية ، وأنا ألقاه الآن ، وإني لقيتُ موسى بن عِمران ، فعلَّمني من التَّوراة ، وقال : إن لقيتَ عيسى ابن مريم فَأَقْرِئْهُ منّي السَّلام ، وإنّي لقيتُ عيسى ابن مريم فأقرأتُهُ عن موسى السلام ، وإن عيسى قال : إن لقيتَ محمداً ﷺ فَأَقْرِئْهُ مني السَّلام .

فأرسل رسولُ الله ﷺ عَيْنَيْه فبكى ، ثم قال : وعلى عيسى السلام ما دامتِ الدُّنْيا ، وعليكَ السلام يا هامُ بأدائِكَ الأمانة . قال : يا رسول الله ، افعل بي ما فعل موسى ، إنَّه عَلَّمني من التوراة . قال : فعلَّمه رسول الله ﷺ « إذا وقَعَتِ الواقعةُ » ، « والمرسلات » ، « وعم يتساءلون » ، و« إذا الشمس كورت » ، والمعوذتين ، « وقل هو الله أحد » ، وقال : « ارفَعْ إلينا حاجتَك يا هامة ، ولا تَدَعْ زيارَتنا » . قال عمر : فقُبِضَ رسول الله ﷺ ولم يَعُدْ إلينا ، فلا ندري الآن أحيٌّ هو أم ميتٌ ؟

ثم قال البيهقي(١) : أبو مَعْشَر هذا قد روى عنه الكِبَارُ ، إلا أنَّ أهلَ العِلْم بالحديث يضعِّفونه . وقد رُوي هذا الحديثُ من وجهٍ آخر هو أقوى منه . والله أعلم .

* * *

(١) دلائل النبوة (٥/ ٤٢٠) .

سنة عشر من الهجرة

باب بعث رسول الله خالد بن الوليد[١]

قال ابن إسحاق[٢] :

ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جُمادى الأولى سنةَ عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يَدْعوَهم إلى الإسلام ـ قبل أن يُقاتلهم ـ ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقْبلْ منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتِلْهُمْ . فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الرُّكْبانَ يَضْربون في كلِّ وجهٍ ، ويَدْعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيُّها الناسُ ، أَسْلِموا تَسْلَموا . فأسلمَ الناسُ ، ودخلوا فيما دُعُوا إليه ، فأقام فيهم خالدٌ يعلِّمُهم الإسلامَ وكتابَ الله وسنةَ نبيّه ﷺ ، كما أَمَرَهُ رسولُ الله إن هم أَسْلَموا ولم يُقاتِلوا . ثم كتبَ خالدُ بن الوليد إلى رسول الله ﷺ[٣] :

بسم الله الرحمن الرحيم : إلى محمد[٤] النبي رسول الله من خالد بن الوليد ، السلامُ عليكَ يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاتُه ، فإنِّي أحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ ، يا رسولَ الله ، صلَّى الله عليك ، فإنَّك بَعَثْتَني إلى بني الحارث بن كعب وأمَرْتَني ، إذا أتيتُهم أن لا أقاتِلَهُمْ ثلاثةَ أيامٍ ، وأن أدعوَهم إلى الإسلام ، فإن أَسْلَموا قبلتُ منهم ، وعَلَّمتُهم معالِمَ الإسلامِ وكتابَ الله وسنَّةَ نبيّه ، وإن لم يُسْلِموا قاتَلْتُهُمْ ، وإني قَدِمْتُ عليهم فَدَعَوْتُهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيامٍ كما أَمَرَني رسولُ الله ﷺ ، وبَعَثْتُ فيهم رُكباناً قالوا[٥] : يا بني الحارث ، أَسْلِموا تَسْلَموا ، فأَسْلَموا ولم يُقاتلُوا ، وأنا مُقيمٌ ما بين أَظْهُرِهم آمُرُهُمْ بما أمرهم الله به ، وأنْهاهُمْ عما نَهاهُمُ اللهُ عَنْه ، وأُعلِّمُهم معالمَ الإسلام وسنَّة النبيّ ﷺ ، حتى يكتبَ إليّ رسولُ الله ﷺ . والسلامُ عليكَ يا رسولَ الله ورحمةُ اللهِ وبركاته . فَكَتَبَ إليه رسول الله ﷺ[٦] :

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٩) والإصابة (٣/ ٦٦٠) .
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٩٢ ـ ٥٩٤) .
(٣) مجموعة الوثائق السياسية رقم (٧٩) ص(١٠٠) .
(٤) ط : (لمحمد) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) مجموعة الوثائق السياسية رقم (٨٠) ص١٠١ .

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد : سلامٌ عليكَ ، فإنِّي أحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنّ كتابَك جاءني مع رسولك ، تخبرُ أنَّ بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دَعَوْتَهم إليه من الإسلام ، وشَهِدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله[١] ورسوله ، وأنْ قد هداهم اللهُ بهُداه ، فبشّرهم وأنْذِرْهُم وأَقْبِل ، وليُقْبل معكَ وَفْدُهم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

فأقبل خالدٌ إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه وفدُ بني الحارث بن كعب ، منهم قَيْسُ بن الحُصَيْن ذي الغصَّة[٢] ، ويزيد بن عبد المَدَان[٣] ، ويزيد بن المُحَجّل[٤] ، وعبد الله بن قُرَاد[٥] الزّيادي ، وشَدّاد بن عبيد الله القَنَاني[٦] ، وعمرو بن عبد الله الضِّبابي[٧] ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ورآهم ؛ قال : « مَنْ هؤلاء القومُ الذين كأنَّهم رجالُ الهند ؟ » قيل : يا رسولَ الله ، هؤلاء بنو الحارث بن كعب . فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سَلّموا عليه ، وقالوا : نَشْهَدُ[٨] أنَّكَ رسولُ الله وأنَّه لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : « وأنا أشهدُ أنَّ لا إله إلا الله وأنّي رسولُ الله » . ثم قال : « أنتم الذين إذا زُجروا استَقْدَموا » فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، ثم الثالثة ، فلم يُراجِعْهُ منهم أحد ، ثم أعادها الرابعةَ . قال يزيد بن عبد المَدان : نعم يا رسول الله ، نحنُ الذين إذا زُجِروا اسْتَقْدَموا ، قالها أربعَ مراتٍ . فقال رسول الله ﷺ : « لو أنَّ خالداً لم يكتب إليَّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا لألقيتُ رؤوسَكم تحت أقدامكم » . فقال يزيد بن عبد المَدان : أما والله ما حَمِدْناكَ ولا حَمِدْنا خالداً . قال : « فمن حَمِدتُم[٩] ؟ » قالوا : حمدنا الله الذي هدانا بكَ يا رسولَ الله ، فقال رسول الله ﷺ : « صَدَقْتُم » . ثم قال : « بِمَ كُنْتُمْ تَغْلِبون منْ قاتَلَكُم في الجاهلية ؟ » قالوا : لم نَكُ نَغْلِبُ أحداً . قال : « بلى ، قد كُنْتُم تَغْلِبون من قاتَلَكُم » . قالوا : كنا نَغْلِبُ من قاتَلَنا يا رسولَ الله ، أنّا كُنّا نَجْتَمِعُ ولا نَتفرّق ، ولا نَبْدَأ أحداً بظُلْمٍ . قال : « صَدَقْتُمْ » . ثم أمّر عليهم قَيْسَ بن الحُصَيْن .

---

(١) ط : (عبده) .
(٢) الإصابة (٣/ ٢٤٤) ، وهي في ط (ذو الغصة) وهي صفة للحصين . انظر شرح السيرة لأبي ذر .
(٣) الإصابة (٣/ ٦٦٠) ووقعت في ط : (يزيد بن المدَان) صححه عن الإصابة .
(٤) الإصابة (٣/ ٦٦٢) .
(٥) في الإصابة (٢/ ٣٥٨) « عبد الله بن قُداد ويقال قُراد » .
(٦) الإصابة (٢/ ١٤١) وفيه « شداد بن عبد الله القتباني ويقال القناني بفتح القاف وتخفيف النون وهو الصواب » ووقعت في ط : (عبيد) صححتها عن الإصابة .
(٧) الإصابة (٣/ ٤) .
(٨) ليس اللفظ في ط .
(٩) ط : (وجدتم) تحريف .

قال ابن إسحاق[١] :

ثم رَجعوا إلى قَوْمِهم في بَقيَّةِ شَوّالٍ أو في صَدْرِ ذي القعدة ، قال : ثم بعثَ إليهم بعدَ أن وَلَّى وفدُهم عمرَو بن حَزْمٍ[٢] ليُفقِّهَهُم في الدِّين ، ويُعَلِّمَهُم السُّنَّةَ ومعالمَ الإسلام ، ويأخذَ منهم صَدَقاتِهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه[٣] فيه عهدَه ، وأمره أمرَهُ . ثم أورده ابنُ إسحاق . وقد قدمناه في وفد ملوك حمير من طريق البيهقي . وقد رواه النَّسائي[٤] نظيرَ ما ساقه محمد بن إسحاق بغير إسناد .

بَعْثُ رسولِ اللهِ ﷺ الأمراءَ إلى أهْلِ اليَمَنِ قبل حجة الوداع يدعونهم إلى الله عزَّ وجلَّ[٥]

قال البخاري[٦] : باب بعث أبي موسى ومعاذٍ إلى اليمن قبل حجة الوداع . حدّثنا موسى ، حدّثنا أبو عَوانة ، حدّثنا عبد الملك ، عن أبي بُردة قال :

بعث النبيُّ ﷺ أبا موسى ومُعاذ بن جَبَل إلى اليمن . قال : وبعث كلَّ واحدٍ منهما على مِخْلاف[٧] . قال : واليمنُ مِخْلافان . ثم قال : « يَسِّرا ولا تُعَسِّرا وبَشِّرا ولا تُنفِّرا » وفي روايةٍ : « وتطاوَعا ولا تَخْتَلفا » وانطلقَ كلُّ واحدٍ منهما إلى عمله . قال : وكان كلُّ واحدٍ منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً من صاحبه أحدثَ به عَهْداً ، فسلَّم عليه ، فسار معاذٌ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى ، فجاء يسيرُ على بغلته حتّى انتهى إليه ، فإذا هو جالسٌ وقد اجتمع الناسُ إليه ، وإذا رجلٌ عندَه قد جُمِعَتْ يداه ، إلى عنقه[٨] فقال له معاذٌ : يا عبدَ اللهِ بن قيس ، أيُّمَ هذا[٩] ؟ قال : هذا رجلٌ كفَرَ بعدَ إسلامه ، قال : لا أنزلُ حتَّى يُقتلَ . قال : إنما جِيءَ به لذلك ، فانزلْ . قال : ما أَنْزِلُ حتّى يُقْتَلَ ، فأمرَ به فقُتِلَ ، ثم نزل .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٩٤) .
(٢) الإصابة (٢/ ٥٣٢) .
(٣) ليست عبارة (عهد إليه) في ط .
(٤) رواه النسائي (٨/ ٥٧) وإسناده ضعيف ، وأكثر فقراته لها شواهد .
(٥) ليس السطر الثاني من العنوان في ط .
(٦) صحيح البخاري رقم (٤٣٤١) باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .
(٧) مخلاف البلد : سُلطانه . ابن سيده : والمخلاف الكورة يقدم عليها الإنسان وهو عند أهل اليمن واحد المخاليف وهي كُوَرها ، ولكل مخلاف منها اسم يعرف به . قال ابن بري : المخاليف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام ، والكور لأهل العراق والرساتيق لأهل الجبال والطساسيج لأهل الأهواز (اللسان : كور) .
(٨) عبارة (إلى عنقه) ليست في ط .
(٩) جاء على هامش صحيح البخاري : « قوله : أيم هذا ، وروي أيُّ بضم الياء وهي التي للاستفهام ، زيدت عليها كلمة ما ثم حذفت الألف . أي : أيُّ شيءٍ هذا ؟ » .

فقال : يا عبدَ الله ، كيف تَقْرأ القرآنَ ؟ قال : أتَفَوَّقُه تفوُّقاً[١] . قال : فكيف تقرَأ أنتَ يا معاذ ؟ قال : أنام أولَ الليلِ ، فأقومُ وقد قضيتُ جُزْئي من النوم ، فَأَقْرأ ما كتبَ الله لي ، فأحتَسِبُ نَوْمَتي كما أَحْتَسِب قَوْمَتي . انفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه .

ثم قال البخاري[٢] : حدّثنا إسحاق ، حدّثنا خالد ، عن الشيباني ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى الأشعري .

أنّ رسولَ الله ﷺ بعثَه إلى اليَمَنِ ، فسأله عن أشربةٍ تُصْنَعُ بها . فقال : ما هي ؟ قال : البِتْعُ والمِزر . فقلتُ : لأبي بردة : ما البِتْعُ ؟ قال : نَبيذُ العَسَل ، والمِزْرُ : نَبيذُ الشَّعير . فقال : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » .

رواه جَريرٌ وعبدُ الواحد ، عن الشيباني ، عن أبي بردة .

ورواه مسلم[٣] من حديث سعيد بن أبي بردة .

وقال البخاري[٤] : حدّثنا حِبان ، أنبأنا عبد الله ، عن زكريا بن إسحاق[٥] ، عن يحيى بن عبد الله بن صَيْفي ، عن أبي مَعْبَد مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حينَ بعثَه إلى اليمن .

« إنكَ سَتَأْتي قَوْماً أهلَ كتاب ، فإذا جِئتهُم فادْعُهُم إلى أن يَشْهَدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسولُ الله ، فإن هم أطاعوا لكَ بذلك فأَخْبِرْهم أن الله قد[٦] فرض عليهم خمس صلوات كلَّ يومٍ وليلةٍ ، فإن هم أطاعوا لكَ بذلك فأخبِرهُم ؛ أنّ الله قد[٦] فرضَ عليهم صدقةً تُؤْخذُ من أغنيائهم فتردّ على فُقرائهم ، فإنْ هَمْ أطاعوا لك بذلك فإيَّاك وكَرائمَ أموالهم ، واتّقِ دعوة[٦] المظلوم ، فإنّه ليس بينها وبينَ الله حِجابٌ » .

وقد أخرجَهُ بقيةُ الجماعة من طُرقٍ مُتَعدّدةٍ[٧] .

---

(١) أتفوقه : أي : لا أقرأ وردي منه دفعة واحدة ، ولكن أقرؤه شيئاً بعد شيء في ليلي ونهاري مأخوذ من فواق الناقة ، لأنها تحلب ثم تراح حتى تدر ثم تحلب (النهاية : فوق) .

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٣٤٣) في بعث موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

(٣) صحيح مسلم رقم (١٧٣٣) كتاب الأشربة باب بيان أنّ كل مسكر خمر ، وأبو داود رقم (٣٦٨٤) في الأشربة باب النهي عن المسكر ، والنسائي (٨/ ٢٩٨) في الأشربة باب تحريم كل شراب أسكر .

(٤) صحيح البخاري رقم (٤٣٤٧) باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

(٥) ط : (بن أبي إسحاق) . وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال (٩/ ٣٥٦) .

(٦) ليس اللفظ في ط .

(٧) رواه مسلم برقم (١٩) في الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وأبو داود برقم (١٥٨٤) في الزكاة باب زكاة السائمة والترمذي برقم (٦٢٥) في الزكاة باب ما جاء في كراهية أهذ خيار المال في الصدقة والنسائي (٥/ ٥٢ و٥٥) في الزكاة باب وجوب الزكاة ، وابن ماجة (١٧٨٣) في الزكاة .

وقال الإمام أحمد(١) : حدّثنا أبو المغيرة ، حدّثنا صفوان ، حدّثني راشدُ بن سَعْدٍ ، عن عاصم بن حُمَيْد السكوني ، عن معاذ بن جبل ، قال لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن ، خرج معه يُوصيه ، ومعاذٌ راكبٌ ورسولُ الله ﷺ يمشي تحتَ راحلته ، فلما فرغَ قال : « يا معاذُ إنكَ عسى ألاّ تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلَّكَ أن تمرَّ بمسجدي هذا وقبري »(٢) فبكى معاذٌ جَشعاً(٣) لفراقِ رسول الله ﷺ ، ثم التفتَ بوجهِهِ نحوَ المدينة فقال : « إن أولى النّاسِ بي المُتّقون ، مَنْ كانوا وحيثُ كانوا » .

ثم رواه(٤) عن أبي اليَمانِ، عن صَفْوان بن عمرو، عن راشد بن سَعْدٍ ، عن عاصمِ بن حُمَيْدٍ السَّكوني :

أنّ مُعاذاً لما بَعَثَهُ رسولُ الله ﷺ إلى اليمن خرجَ معه يوصيه ، ومعاذٌ راكبٌ ، ورسولُ الله يمشي تحتَ راحلته ، فلما فرغ قال : « يا معاذُ ، إنَّكَ عسى ألاّ تلقاني بعدَ عامي هذا ، ولعلَّكَ أن تمرّ بمسجدي هذا وقبري» فبكى معاذٌ جَشَعاً لفراق رسول الله ﷺ. فقال: « لا تَبْكِ يا مُعاذ ، للبكاء أوانٌ ، البكاءُ من الشيطان » .

وقال الإمام أحمد(٥) : حدّثنا أبو المُغيرة ، حدّثنا صَفْوان ، حدّثني أبو زياد يحيى بن عُبيد الغساني ، عن يزيد بن قُطَيْبٍ ، عن معاذ أنّه كان يقول :

بَعَثَني رسولُ الله ﷺ إلى اليمن فقال : « لعلكَ أن تمرّ بقَبْري ومَسْجدي ، فقد بَعَثْتُكَ إلى قومٍ رقيقةٍ قُلوبُهم ، يُقاتلون على الحقّ . مَرَّتَيْن . فقاتِلْ بمَنْ أطاعَكَ منهم منْ عَصاك ، ثم يَفيئونَ إلى الإسلام ، حتى تبادِرَ المَرْأةُ زوجَها ، والولدُ والده ، والأخ أخاه ، فانزل بين الحيين ، السَّكُون والسكاسك »(٦) .

وهذا الحديث فيه إشارةٌ وظُهورٌ وإيماءٌ إلى أنَّ مُعاذاً رضي الله عنه لا يجتمع بالنبيّ ﷺ بعد ذلك ، وكذلك وقع ، فإنَّه أقامَ باليمن حتّى كانت حِجَّة الوَداعِ ، ثم كانت وفاتُه عليه السلام بعد أحدٍ وثمانين يوماً من يوم الحجِّ الأكبر .

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد(٧) : حدّثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبْيان ، عن مُعاذٍ أنّه لما رجعَ من اليمن قال : يا رسولَ الله ، رأيتُ رجالاً باليمن يسجدُ بعضُهم لبعضٍ ، أفلا نسجدُ لكَ! ؟ قال : « لو كنتُ آمراً بشراً أن يَسْجُدَ لبشرٍ لأمرتُ المرأةَ أن تَسْجُدَ لزَوْجها » .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٣٥) ، وإسناده صحيح .
(٢) في مسند الإمام أحمد « أو قبري » .
(٣) الجشع : الجزع لفراق الإلف (النهاية : جشع) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٣٥) ، وإسناده صحيح .
(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٣٥) ، وإسناده ضعيف بطوله لانقطاعه ، فإن أبا ظبيان ، واسمه حصين بن جندب لم يدرك معاذاً وقوله : « لعلك أن تمر بقبري ومسجدي » إسناده صحيح كما في الذي قبله ، ولرقة قلوب أهل اليمن شواهد .
(٦) جمهرة أنساب العرب ٤٧٧ .
(٧) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٢٧) .

وقد رواه أحمد[١] ، عن ابن نُمَيْر ، عن الأعمش : سمعتُ أبا ظَبْيان يُحَدِّثُ عن رجلٍ من الأنصارِ ، عن مُعاذِ بن جَبَلٍ قال :

أقبل مُعاذٌ من اليَمَن فقال : يا رسولَ الله إني رأيتُ رجالاً . فذكر معناه . فقد دارَ على رجلٍ مُبْهَم[٢] ، ومثله لا يُحْتَجُّ به ، لا سيما وقد خالفه غيرُه ممَّنْ يُعْتَدّ به ، فقالوا : لما قَدِمَ مُعاذ من الشّام . كذلك رواه[٣] .

وقال أحمد[٤] : حدّثنا إبراهيم بن مَهْدي ، حدّثنا إسماعيل بن عَيّاش ، عن عبد الله بن[٥] عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن معاذ بن جبل قال :

قال لي رسول الله ﷺ : « مَفاتيحُ الجَنّة شَهادةُ أن لا إله إلا الله » .

وقال أحمد[٦] : حدّثنا وَكيعٌ ، حدّثنا سُفْيان ، عن حَبيب بن أبي ثابت ، عن مَيْمون بن أبي شَبيب ، عن مُعاذ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : يا مُعاذ ، أتبع السَّيئةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها ، وخالقِ النّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ » .

قال وكيع : وَجَدْتُه في كتابي عن أبي ذَرّ وهو السَّماع الأول . وقال سفيان مرة : عن معاذٍ .

ثم قال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا إسماعيل ، عن ليث ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن مُعاذٍ : أنّه قال : يا رسولَ الله ، أَوْصِني . فقال : « اتَّقِ اللهَ حَيْثُما كُنْتَ »[٨] قال : زدني . قال : « أتبع السَّيئةَ الحَسَنةَ تَمْحُها » قال : زدني . قال : « خالقِ الناسَ بخلقٍ حسن » .

وقد رواه الترمذي[٩] في جامعه ، عن محمود بن غَيْلان ، عن وَكيعٍ ، عن سُفْيان الثوري به ، وقال : حسن .

قال شيخنا في الأطراف[١٠] : وتابعه فُضَيْل بن عياض[١١] ، عن ليث بن أبي سُلَيْم ، والأعْمَش[١٢] ، عن حبيب به .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٢٨) .
(٢) ط : (منهم) تحريف .
(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٨١) وابن ماجه رقم (١٨٥٣) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٤٢) ، وإسناده ضعيف .
(٥) ليس (عبد الله بن) في ط وما هنا يعضده ما في المسند ، وانظر تهذيب الكمال (١٥/ ٢٠٥) .
(٦) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٢٨) ، وهو حديث حسن .
(٧) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٣٦) ، وهو حديث حسن .
(٨) في مسند الإمام أحمد : « حيثما كنت ، أو أينما كنت » .
(٩) جامع الترمذي برقم (١٩٨٧) في البر والصلة باب ما جاء في معاشرة الناس .
(١٠) تحفة الأشراف (٨/ ١٠٧) حديث (١١٣٦٦) (ط . د . بشار) .
(١١) ط : (سليمان) خطأ ، وانظر سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧٢) وتهذيب الكمال (٢٣/ ٢٨١) .
(١٢) ط : (عن الأعمش) ، خطأ بيّن .

وقال أحمد[١] : حدثنا أبو اليَمان ، حدّثنا إسماعيل بن عَيّاش ، عن صَفْوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير الحضرمي ، عن مُعاذ بن جبل قال :

أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلماتٍ قال : « لا تُشْرِكْ بالله شيئاً وإن قُتِّلت وحُرِّقت ، ولا تَعُقَّنَّ والدَيْكَ وإن أمراكَ أن تَخْرُجَ من أهلك ومالك ، ولا تَتْرُكَنَّ صلاةً مكتوبةً متعمداً ، فإنَّ مَنْ تَرَكَ صلاةً مكتوبةً مُتَعَمِّداً فقد بَرِئَتْ منه ذِمَّةُ الله ، ولا تَشْرَبنَّ خَمْراً فإنّه رأسُ كُلِّ فاحِشَةٍ ، وإياك والمَعْصِيةَ ، فإن بالمَعْصِية يَحِلُّ سُخْطُ الله ، وإيَّاكَ والفِرارَ من الزَّحْف وإن هَلَكَ النَّاسُ ، وإذا أصابَ الناسَ موتٌ وأنتَ فيهم فاثْبُتْ ، وأنْفِقْ على عِيالِكَ من طَوْلك ، ولا تَرفَعْ عَنْهُمْ عَصاكَ أدباً ، وأخِفْهُمْ في اللهِ عزَّ وجلَّ » .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا يونس ، حدّثنا بَقيَّة ، عن السَّرِيّ بن يَنْعُم[٣] ، عن مُريح[٤] بن مَسْرُوق ، عن مُعاذ بن جبل ، أنَّ رسول الله ﷺ لما بعثَه إلى اليمن قال : « إيّاك[٥] والتنعمَ ، فإنّ عبادَ الله ليسوا بالمُتنَعّمين » .

وقال أحمد[٦] : حدّثنا سليمان بن داود الهاشمي ، حدّثنا أبو بكر - يعني ابن عياش - ، حدّثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن معاذ قال :

بَعَثني رسولُ الله ﷺ إلى اليَمَن ، وأمرني أن آخذ من كل حالم ديناراً أو عَدْلَه من المعافر ، وأمرني أن آخُذَ من كلِّ أرْبَعينَ بَقَرَةً مُسِنَّةً ، ومن كُلِّ ثلاثين بقرةً تَبيعاً حَوْلياً ، وأمرني فيما سَقَتِ السَّماءُ العُشر ، وما سُقِي بالدَّوالي ، نصفُ العُشْرِ » .

وقد رواه أبو داود[٧] من حديث أبي معاوية ، والنَّسائي[٨] من حديث محمد بن إسحاق ، عن الأعمش كذلك .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٣٨) ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٢) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٤٤) ، وإسناده ضعيف ، لضعف بقية بن الوليد وهو يدلس تدليس التسوية ، وقد عنعن ، ولكنه صرح بالتحديث عند أبي نعيم ، فزالت شبهة تدليسه ، فهو حسن .

(٣) تقريب التهذيب (٣/ ٤٦١ - ٤٦٢) .

(٤) ط : (شريح) وانظر تهذيب التهذيب (٣/ ٤٦١ - ٤٦٢) .

(٥) في مسند الإمام أحمد « إيّاي والتنعم » .

(٦) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٣٣) ، وهو حديث صحيح .

(٧) سنن أبي داود رقم (١٥٧٦) في الزكاة باب زكاة السائمة ، وهو حديث صحيح .

(٨) سنن النسائي (٥/ ٢٥ ، ٢٦) في الزكاة باب زكاة البقر ، وهو حديث صحيح .

وقد رواه أهل السُّنَن الأربعة[١] من طرقٍ، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق، عن معاذ به[٢].

وقال أحمد[٣] : حدّثنا معاوية بن[٤] عمرو وهارون بن معروف قالا : حدّثنا عبدُ الله بن وَهْب ، عن حَيْوة ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن سَلَمة بن أسامة ، عن يحيى بن الحكم أنَّ مُعاذاً قال :

بعثني رسول الله ﷺ أُصَدِّقُ[٥] أهل اليمن ، فأمرني أن آخُذَ من البقر من كُلّ ثلاثينَ ، تَبيعاً ـ قال هارون : والتَّبيع : الجَذَع أو الجَذْعة ـ ومن كل أربعين ، مسنَّةً ، فعَرَضوا عليَّ أنْ آخُذَ ما بينَ الأربعين والخمسين ، وما بين السِّتين والسَّبعين ، وما بين الثّمانين والتِّسعين ، فأبيتُ ذلك ، وقلتُ لهم : حتى[٦] أسألَ رسولَ الله ﷺ عن ذلك ، فقَدِمْتُ فأخبرتُ النبيَّ ﷺ ، فأمرني أن آخُذَ من كلِّ ثلاثين ، تَبيعاً ، ومن كُلِّ أربعين ، مُسِنَّةً ، ومن الستّين تَبيعَيْن ، ومن السّبعين مُسنَّةً وتَبيعاً ، ومن الثمانين مُسِنَّتَيْن ، ومن التِّسعين ثلاثة أتْباعٍ ، ومن المئة مُسِنَّةً وتَبيعَيْن ، ومن العشرة ومئةٍ مُسِنَّتَيْن وتبيعاً ، ومن العشرين ومئة ثلاثَ مُسِنّات أو أربعةَ أتباعٍ ، قال : وَأَمَرني رسولُ الله ﷺ ألا آخُذَ فيما بين ذلك شَيْئاً إلا أن يَبْلَغْ مُسِنَّةً أو جَذَعاً[٧] ، وزعمَ أنّ الأوْقاصَ[٨] لا فَريضةَ فيها .

وهذا من أفراد أحمد ، وفيه دلالةٌ على أنّه قَدِمَ بعد مصيره إلى اليمن على رسول الله ﷺ ، والصحيحُ أنّه لم يَرَ النبيَّ ﷺ بعد ذلك ، كما تقدم في الحديث .

وقد قال عبد الرزاق[٩] : أنبأنا مَعْمَر ، عن الزُّهْري ، عن أُبيّ بن كعب بن مالك قال :

كان معاذُ بن جبل شاباً جميلاً سَمْحاً ، من خير شباب قومه ، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه ، حتى كان عليه

---

(١) رواه الترمذي برقم (٦٢٣) في الزكاة باب ما جاء في زكاة البقر وقال حديث حسن . ورواه ابن ماجه برقم (١٨١٨) في الزكاة باب صدقة الزروع والثمار ، قال بشار : وإنما حكم عليه الترمذي بالحسن فقط لأن الراجح عنده هي الرواية المرسلة ، قال : « وروى بعضهم هذا الحديث عن سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق أن النبيَّ ﷺ، بعث معاذاً إلى اليمن فأمره أن يأخذ . وهذا أصح » وينظر تعليقنا على جامع الترمذي (٦٢٣) .

(٢) ليس اللفظ في ط .

(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٤٠) ، وإسناده ضعيف .

(٤) ط : (عن) .

(٥) المصدِّق الذي يأخذالحقوق من الإبل والغنم (اللسان : صدق) .

(٦) ليس اللفظ في ط .

(٧) ط : (جذع) .

(٨) الوَقَص بالتحريك : ما بين الفريضتين كالزيادة على الخمس من الإبل إلى التسع وعلى العشر إلى أربع عشرة ، والجمع أوقاص ، وقيل هو ما وجبت الغنم فيه من فرائض الإبل ما بين الخمس إلى العشرين ومنهم من يجعل الأوقاص في البقر خاصة والأشناق في الإبل (النهاية : وقص) .

(٩) ومن طريقه أخرجه البيهقي ، وهو في المصنف بنحوه رقم (١٥١٧٧) دلائل النبوة (٥/ ٤٠٥) .

دَيْنٌ أغلق ماله ، فكلَّم رسولَ الله في أن يُكَلِّمَ غُرماءه ففعل ، فلم يَضَعوا له شيئاً ، فلو تُرِكَ لأحدٍ بكلام أحدٍ لتُرِكَ لمعاذٍ بكلام رسولِ الله ﷺ ، فدعاه رسول الله ﷺ ، فلم يَبْرَح أن باعَ مالَه ، وقسَمَه بين غُرمائِه . قال : فقام معاذ ولا مالَ له ، فلمّا حَجَّ رسولُ الله ﷺ بعثَ مُعاذاً إلى اليَمَن [ليجبره] .

قال : فكان أولَ منْ تَجَر في هذا المال معاذٌ .

قال : فقدِمَ على أبي بكر الصديق من اليَمَن وقد تُوفيَ رسولُ الله ﷺ ، فجاء عمر فقال : هلْ لكَ أن تُطيعَني فتدفع[1] هذا المالَ إلى أبي بكر ، فإن أعطاكَهُ فاقْبَلْهُ . قال : فقال معاذ : لِمَ أدْفعُهُ إليه ؟ وإنّما بَعَثَني رسولُ الله ﷺ ليَجْبُرني ، فلمّا أبَى عليه انطلقَ عُمر إلى أبي بكر فقال : أرسلْ إلى هذا الرجل فخُذْ منه وَدْع له . فقال أبو بكر : ما كنتُ لأفعلَ ، إنّما بَعَثَهُ رسولُ الله ليَجْبُرَه ، فلستُ آخذُ منه شيئاً . قال : فلمّا أصبحَ معاذٌ انطلقَ إلى عمرَ فقال : ما أُراني[2] إلا فاعلَ الّذي قلتَ ، إني رأيتُني البارحةَ في النَّوم ـ فيما يَحْسَبُ عبد الرزّاق قال : ـ أُجَرُّ إلى النّار وأنتَ آخذٌ بحُجْزَتي[3] ، قال : فانطلقَ إلى أبي بكر بكل شيء جاء به ، حتّى جاءه بسَوْطِه ، وحَلَفَ له أنَّه لم يَكْتُمْه شَيْئاً . قال : فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه : هو لك ، لا آخُذُ منه شيئاً[4] .

وقد رواه ابن ثور[5] ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْري ، عن عبد الرحمن بن [عبد الله بن][6] كعب بن مالك . . . فذكره ، إلا أنه قال : حتى إذا كان عامُ فتحِ مكة بعثه رسول الله ﷺ على طائفةٍ من اليمن أميراً ، فمكث حتى قُبِضَ رسول الله ﷺ ، ثم قَدِم في خلافة أبي بكر ، وخرج إلى الشام .

قال البيهقي[7] : وقد قدّمنا أنّ رسولَ الله ﷺ اسْتَخْلَفَه بمكة مع عَتّاب بن أُسيد ليُعَلِّم أهلها ، وأنه شهدَ غَزْوة تَبوك ، فالأشْبَهُ أنَّ بعثَه إلى اليمنِ كانَ بعد ذلك . والله أعلم .

ثم ذكر البيهقي[8] لقصة منام مُعاذ شاهداً من طريق الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، وأنّه كانَ من جُملة ما جاء به عَبِيدٌ ، فأتى بهم أبا بكر ، فلما ردّ الجَميعَ عليه رجَع بهم ، ثم قام يُصَلِّي ، فقاموا كلُّهم يُصَلُّون معه ، فلما انصرفَ قال : لمن صَلَّيْتُم ؟ قالوا : لله . قال : فأنتم له عُتقاء ، فأعْتَقَهم .

---

(١) في أ : « فتدع » .
(٢) ط : (أرى) .
(٣) الحجزة : معقد الإزار من السراويل (القاموس : حجز) .
(٤) انظر حلية الأولياء (١/ ٢٣١) .
(٥) ط : (أبو ثور) والصواب ما أثبتنا ، وهو محمد بن ثور الصَّنعاني الثقة وانظر دلائل النبوة (٥/ ٤٠٥) .
(٦) الزيادة من دلائل النبوة وتهذيب التهذيب (٦/ ٢١٤) .
(٧) دلائل النبوة (٥/ ٤٠٥) .
(٨) دلائل النبوة (٥/ ٤٠٦) وانظر المصنف لعبد الرزاق رقم (١٥١٧٧) .

وقال الإمام أحمد[١] : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن أبي عَوْن ، عن الحارث بن عَمْرو بن أخي المُغيرة بن شُعْبة ، عن ناس من أصحاب مُعاذٍ من أهل حِمْص ، عن مُعاذٍ .

أنَّ رسول الله ﷺ حين بعثَه إلى اليمن قال : « كيف تَصْنَعُ إن عَرَضَ لكَ قَضاءٌ ؟ » قال : أَقْضي بما في كتابِ الله . قال : « فإن لم يكن في كتابِ الله » قال : فَبِسُنَّة رسولِ الله ﷺ . قال : « فإنْ لَمْ يَكُنْ في سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ » قال : أجتهدُ ، برأيي[٢] ، لا آلو . قال : فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال : « الحمدُ لله الذي وَفَّق رسولَ رسولِ الله لما يُرْضي رسولَ الله » .

وقد رواه أحمد ، عن وكيع[٣] ، وعن عَفّان[٤] ، عن شُعبة بإسناده ولفظه . وأخرجه أبو داود والترمذي[٥] من حديث شعبة به ، وقال التّرمذي : لا نعرفه إلاّ من هذا الوَجْهِ ، وليس إسنادُه عندي بمُتَّصلٍ . وقد رواه ابن ماجه من وجهٍ آخر عنه ، إلا أنّه من طريق محمد بن سعيد[٦] بن حسان ـ وهو المَصْلُوبُ أحد الكَذّابين ـ عن عُبادة بن نُسَيّ[٧] ، عن عبد الرحمن [بن غنيم] ، عن معاذ به نحوه .

وقد روى الإمام أحمد[٨] عن محمد بن جعفر ويحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن عمرو بن أبي حَكيم ، عن عبد الله بن بُرَيْدة ، عن يحيى بن يَعْمَر[٩] ، عن أبي الأسود الدِّيْلي . قال : كان معاذ باليمن ، فارتفعوا إليه في يَهوديّ مات . وتركَ أخاً مسلماً . فقال معاذٌ : إنَّ رسول الله ﷺ يقول : « إن الإسلام يزيدُ ولا ينقُصُ » فورَّثه .

ورواه أبو داود[١٠] من حديث ابن بريدة به .

وقد حُكي هذا المذهب عن معاوية بن أبي سفيان ، ورواه[١١] يحيى بن يَعْمَر[٨] القاضي وطائفة من السَّلف ، وإليه ذهب إسحاق بن راهَوَيْه ، وخالَفَهُم الجمهورُ ، ومنهم الأئمةُ الأربعةُ وأصحابُهم ،

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٣٠) ، وإسناده ضعيف .
(٢) ط : (وإني) .
(٣) ط : (عن وكيع عن عفان) وانظر : مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٣٦) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٤٢) ، وإسناده ضعيف .
(٥) سنن أبي داود رقم (٣٥٩٢) (٣٥٩٣) في الأقضية باب اجتهاد الرأي في القضاء وجامع الترمذي رقم (١٣٢٧) (١٣٢٨) في الأحكام باب ما جاء في القاضي كيف يقضي ، وإسناده ضعيف .
(٦) ط : (سعد) تحريف . وانظر تهذيب الكمال (٢٥/ ٢٦٤) .
(٧) ط : (عياذ بن بشر) وانظر تقريب التهذيب (٢٩٢) ، وتهذيب الكمال (٢٥/ ٢٦٤) .
(٨) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٣٠ ، ٢٣٦) ، وإسناده ضعيف .
(٩) ط : (معمر) تحريف . انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤١) .
(١٠) سنن أبي داود رقم (٢٩١٢) كتاب الفرائض باب هل يرث المسلم الكافر ، وإسناده ضعيف .
(١١) م : (ورواه عن) .

مُحتجين بما ثبت في « الصحيحين » عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَرِثُ الكافرُ المُسْلمَ ولا المُسْلِمُ الكافرَ »[١] .

والمقصود أنَّ معاذاً رضي الله عنه كان قاضياً للنبي ﷺ باليمن ، وحاكماً في الحروب ، ومصدِّقاً إليه تُدفع الصدقات ، كما دل عليه حديث ابن عباس المتقدم ، وقد كان بارزاً للنّاس يُصَلّي بهم الصلواتِ الخمسَ كما قال البخاري[٢] :

حدّثنا سليمانُ بن حَرْب ، حدّثنا شُعْبة ، عن حَبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جُبَير ، عن عَمْرو بن مَيْمون : أن معاذاً لمّا قدم اليمنَ صلّى بهم الصبحَ فقرأ : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٥] فقال رجل من القوم : لقد قَرَّتْ عينُ أم[٣] إبراهيم .

انفرد به البخاري .

ثم قال البخاري[٤] :

بابُ

بَعْثِ رسولِ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ وخالدَ بن الوليد إلى اليَمَنِ قبل حَجَّة الوَداعِ

حدّثنا أحمد بن عثمان ، حدّثنا شُرَيْح بن مَسْلَمة ، حدّثنا إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق ، حدّثني أبي ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء بن عازبٍ قال :

بَعَثنا رسولُ الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن : قال : ثم بَعَثَ عليًّا بعدَ ذلك مكانَه . قال : مُرْ أصحابَ خالد ، من شاء منهم أن يُعَقِّب[٥] معكَ فليعقِّبْ ، ومن شاء فليُقبِلْ . فكنتُ فيمن عقَّب معه . قال : فغَنِمْتُ أَواقيَ ذواتَ[٦] عددٍ .

انفرد به البخاري من هذا الوجه .

---

(١) رواه البخاري (٦٧٦٤) في الفرائض باب لا يرث المسلم الكافر ، ومسلم برقم (١٦١٤) في الفرائض ومالك في الموطأ (٢/ ٥١٩) في الفرائض باب ميراث أهل الملل وأبو داود برقم (٢٩٠٩) في الفرائض باب هل يرث المسلم الكافر والترمذي برقم (٢١٠٨) في الفرائض باب ما جاء في إبطال الميراث بين المسلم والكافر .

(٢) صحيح البخاري (٤٣٤٨) في المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

(٣) ليس اللفظ في ط .

(٤) صحيح البخاري رقم (٤٣٤٩) .

(٥) قال ابن الأثير في جامع الأصول : (٨/ ٤٢٢) : أن يعقب : إذا غزا الإنسان ثم ثنّى من سَنَتِه مرةً أخرى قيل قد عَقَّبَ يقال : تَعقيبةٌ خير من غَزْوةٍ .

(٦) ط : (ذات) ، وما أثبتناه هو الموافق لما في صحيح البخاري .

ثم قال البخاري[١] : حدّثنا محمد بن بَشّار ، حدّثنا روحُ بن عُبادة ، حدّثنا علي بن سُويد بن مَنْجُوف ، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه قال :

بعث النبيُّ ﷺ علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الخُمُسَ ، وكنتُ أُبغِضُ عَليّاً ، فأصبح وقد اغتسل ، فقلت لخالد : ألا ترى إلى هذا ! فلما قدمنا على النبي ﷺ ذكرت ذلك له ، فقال : « يا بريدة تبغض علياً ؟ » فقلت نعم . فقال : « لا تبغضه ، فإنّ له في الخُمُس أكثر من ذلك » .

انفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا يحيى بن سعيد ، حدّثنا عبد الجليل قال : انتهَيْتُ إلى حلقةٍ فيها أبو مِجْلَز ، وابن[٣] بُرَيدة ، فقال عبد الله بن بُرَيدة : حدّثني أبي[٤] بريدة قال :

أبغضتُ عليّاً بُغْضاً لم أُبْغضهُ أحداً قطّ . قال : وأحببتُ رجلاً من قريش لم أحبَّه إلاّ على بُغْضِه علياً ، قال : فبُعث ذلك الرجلُ على خيلٍ ، فَصَحِبْتهُ ، ما أصحبُه إلا على بُغْضِه علياً ، قال فأَصَبْنا سَبياً ، قال : فكتبَ إلى رسولِ الله ﷺ : ٱبعث إلينا من يُخَمِّسُه ، قال : فبعث إلينا علياً ، وفي السَّبْيِ وَصيفةٌ من أفضلِ السَّبيِ ، قال : فخمَّس وقسم ، فخرجَ ورأسُهُ يَقْطُر ، فقلنا : يا أبا الحسن ما هذا ؟ فقال : ألم تَرَوْا إلى الوصيفة التي كانت في السبي ، فإني قسمت وخمَّست ، فصارت في الخُمُس ، ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ ، ثم صارت في آل علي ، ووقعت بها . قال : فكتب الرجلُ إلى نبيّ الله ﷺ ، فقلت : ٱبعثني . فبعثني مصدِّقاً ، فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق ، قال : فأمسك يدي والكتاب فقال : «أتبغض علياً؟» قال : قلت : نعم . قال : « فلا تُبغضه ، وإن كنت تحبُّه فازدَدْ له حُبّاً ، فوالذي نفس محمد بيده لنَصيبُ آل عليٍّ في الخُمُس أفضلُ من وَصيفة » . قال : فما كان من الناس أحدٌ بعد قول النبي ﷺ أحبَّ إليّ من علي . قال عبد الله بن بُرَيْدة : فوالذي لا إله غيره ، ما بيني وبين النبي ﷺ في هذا الحديث غير أبي بريدة .

تفرَّد به بهذا السياق عبدُ الجليل بن عطية القيسي أبو صالح البصري ، وثَّقه ابن مَعين وابن حِبّان ، وقال البخاري[٥] : إنما يَهِمُ في الشيء [بعد الشيء] .

وقال محمد بن إسحاق[٦] : حدّثنا أبان بن صالح ، عن عبد الله بن نِيار الأسلمي ، عن خاله عمرو بن شاس الأسلمي ، وكان من أصحاب الحُدَيْبية . قال :

---

(١) صحيح البخاري رقم (٤٣٥٠) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) ، وهو حديث حسن .
(٣) في الأصول : (ابنا) وما هنا عن المسند .
(٤) ط : (أبو) .
(٥) التاريخ الكبير (٦/ ١٢٣) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٠٦) والزيادة منه .
(٦) دلائل النبوة (٥/ ٣٩٤) .

كنت مع علي بن أبي طالب في خيله التي بعثه [فيها] رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فجفاني عليٌّ بعض الجفاء ، فوجدت في نفسي عليه ، فلما قدمت المدينة اشْتَكَيْتُه في مجالس المدينة وعندَ منْ لقيتُه ، فأقبلتُ يوماً ورسولُ الله جالسٌ في المسجد ، فلمّا رآني أنظرُ إلى عَيْنَيْه نظر إليَّ ، حتى جلستُ إليه ، فلما جلستُ إليه قال : « إنه والله ! يا عمرو بن شاس لقد آذيتني » . فقلت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أعوذ بالله والإسلام أن أوذي رسول الله . فقال : « من آذى علياً فقد آذاني » . وقد رواه البيهقي[١] من وجهٍ آخر عن ابن إسحاق ، عن أبانٍ ، عن الفضل بن معقل بن سنان ، عن عبد الله بن نيار ، عن خاله عمرو بن شاس فذكره بمعناه[٢] .

وقال الحافظ البيهقي[٣] : أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو إسحاق المزكّي[٤] [أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن علي الجوزجاني ، حدّثنا أبو][٥] عبيدة بن أبي السَّفَر ، سمعتُ إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء .

أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، قال البراء : فكنت فيمن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، ثم إن رسول الله ﷺ بعثَ عليَّ بن أبي طالب وأمره أن يُقْفِل خالداً ، إلا رجلاً كان ممن مع خالد فأحبَّ أن يُعَقِّبَ مع علي فليُعَقِّب معه . قال البراء : فكنت فيمن عَقَّبَ مع عليّ ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ، فصلّى بنا علي ، ثم صفَّنا صفّاً واحداً ، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتابَ رسول الله ﷺ فأسلمتْ هَمْدان جميعاً ، فكتب عليٌّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم . فلما قَرأ رسولُ الله ﷺ الكتاب خَرَّ ساجداً ثم رَفَعَ رأسَه فقال : « السلام على هَمْدان ، السلام على همدان » .

قال : البيهقي[٦] . رواه البخاري مختصراً من وجه آخر عن إبراهيم بن يوسف[٧] .

وقال البيهقي[٨] : أنبأنا أبو الحسين محمد بن [الحسين بن محمد بن] الفضل القطان ، أنبأنا

---

(١) دلائل النبوة (٥/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) والزيادة منه .
(٢) قال ابن حجر في الإصابة (٢/ ٥٤٢) : « أخرجه الإمام أحمد [٣/ ٤٨٣] والبخاري في تاريخه [٦/ ٣٠٦] وابن حبان في صحيحه وابن منده بعلوٍّ من طريق محمد بن إسحاق » ، أقول : وجملة « من آذى علياً فقد آذاني » لها شواهد ، فهي حسنة .
(٣) دلائل النبوة (٥/ ٣٩٦) .
(٤) ط : (المولى) وانظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٣) .
(٥) الزيادة من التاريخ الكبير (٦/ ٣٠٦) والإصابة (٢/ ٥٤٢) .
(٦) دلائل النبوة (٥/ ٣٩٦) .
(٧) صحيح البخاري رقم (٤٣٤٩) في المغازي باب بعث علي بن أبي طالب .
(٨) دلائل النبوة (٥/ ٣٩٨) والزيادة منه .

أبو سهل بن زياد القطان ، حدّثنا إسماعيل بن [إسحاق ، حدّثنا إسماعيل بن] أبي أويس ، حدّثني أخي عن سليمان بن بلال ، عن سَعْد بن إسحاق بن كعب بن عُجْرة ، عن عمته زَيْنب بنت كَعْب بن عُجْرَة ، عن أبي سعيد الخُدْري . أنه قال :

بعث رسولُ الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن . قال أبو سعيد : فكنتُ فيمن خَرجَ معه ، فلما أخذ من إبل الصَّدقة سألناه أن نركب منها ونُريح إبلنا ـ وكُنَّا قد رأينا في إبلنا خللاً ـ فأبى علينا ، وقال : إنما لكم فيها سهمٌ كما للمسلمين . قال : فلما فرغَ عليٌّ وانصرف[1] من اليمن راجعاً أمَّر علينا إنساناً ، وأسرعَ هو فأدركَ الحَجَّ ، فلما قضى حجَّتهُ قال له النبي ﷺ : « ارجعْ إلى أصحابِكَ حتى تَقْدَم عليهم » قال أبو سعيد : وقد كُنَّا سألْنا الذي أستَخْلَفَه ما كان عليٌّ منعنا إيّاه ، ففعل ، فلما عرف في إبل الصّدقة أنها قد رُكبَت ، ورأى أثَرَ الراكب ، فذمَّ[2] الذي أمَّره ولامه ، فقلت : أما إنّ لله عليَّ ، لئن قدمتُ المدينةَ لأذكُرنَّ لرسول الله ﷺ ولأُخْبِرَنَّه ما لقينا من الغِلْظَةِ والتَّضييقِ . قال فلمّا قَدِمنا المدينةَ غدوتُ إلى رسولِ الله ﷺ أريدُ أن أفعلَ ما كنتُ حلفتُ عليه ، فلقيتُ أبا بكرٍ خارجاً من عند رسولِ الله ﷺ ، فلما رآني وقف معي ورحَّبَ بي وساءلني وساءلتُه ، وقال : متى قدمتَ ؟ فقلتُ : قدمتُ البارحةَ ، فرجعَ معي إلى رسول الله ﷺ ، فدخل وقال : هذا سعد بن مالك بن الشَّهيد . فقال : « ائذن له » فدخلتُ ، فحييتُ رسولَ الله ﷺ وحَيّاني ، وأقبل عليَّ ، وسألني عن نَفْسي وعن أهْلي ، وأحفَى المَسْألَةَ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ما لقينا من عليّ من الغِلْظَة وسوءِ الصُّحْبة والتَّضْييقِ ، فانتبذ[3] رسول الله ، وجعلتُ أنا أعدّد ما لَقينا منه ، حتى إذا كنتُ في وسطِ كلامي ضربَ رسولُ الله ﷺ على فخذي ، وكنت منه قريباً ، وقال : « يا سعدَ بنَ مالكٍ بن الشَّهيد ، مَهْ ، بعضَ قولِكَ لأخيكَ علي ، فوالله لقد علمت أنه أخشنَ في سبيل الله » .

قال : فقلتُ في نفسي : ثَكِلَتْكَ أمُّكَ سعدَ بنَ مالكٍ ! ألا أُراني كنتُ فيما يَكْرَه منذُ اليوم ، ولا أدْري ، لا جَرَمَ واللهِ لا أذكُرُهُ بسوءٍ أبداً ، سرّاً ولا علانية .

وهذا إسنادٌ جيدٌ على شرطِ النَّسائي ، ولم يَرْوِهِ أحدٌ من أصحاب الكتب الستة[4] .

وقد قال يونس[5] عن محمد بن إسحاق، حدّثني يحيى بن عبد الله بن أبي عَمْرَة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة قال : إنما وَجَد جيشُ عليّ بن طالب الذين كانوا معه باليمن ، لأنَّهم حين أقبلوا خلَّفَ عليهم رجلاً ، وتعجَّل إلى رسول الله ﷺ . قال ؛ فعمدَ الرجلُ فكسا كلَّ رجُلٍ حُلَّة ، فلما دَنَوْا خرج

---

(١) ط : (وانطفق) .

(٢) ط : (الركب قدم) .

(٣) ط : (فاتئد) .

(٤) أخرج بعضه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٨٦) مختصراً ، وكذا ابن هشام في السيرة (٤/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .

(٥) يونس هو ابن بكير الراوي عن ابن إسحاق ، وأورده ابن هشام في السيرة (٤/ ٢٧٤) بنحوه ، والزيادة منه .

علي يستقبلهم[١] ، فإذا عليهم الحُلل . قال عليٌّ : ما هذا ؟ قالوا : كسانا فلان ، قال : فما دعاكَ إلى هذا قبل أن تقْدَم على رسول الله ﷺ ، فيصنَعُ ما شاء ، فنزعَ الحُلَل منهم ، فلما قَدِموا على رسول الله اشْتَكَوه لذلك ، وكانوا قد[٢] صالحوا رسول الله ﷺ . وإنما بعَثَ علياً إلى جزيةٍ موضوعةٍ .

قلت : هذا السياقُ أقربُ من سياقِ البَيْهَقي ، وذلك أن علياً سَبَقَهُم لأجل الحجّ ، وساقَ معه هَدْياً ، وأهلَّ بإهلال كإهلال[٣] النبي ﷺ ، فأمره أن يمكثَ حَراماً . وفي رواية البَراء بن عازب أنه قال له : إني سُقْتُ الهَدْيَ وَقَرَنْتُ . والمَقْصُودُ أنّ علياً لما كَثُرَ فيه القيلُ والقالُ من ذلك الجيش بسبب منعِه إياهم استعمالَ إبلِ الصدقةِ ، واسترجاعِه منهم الحلَل التي أطلقَها لهم نائبه ، وعلي مَعْذورٌ فيما فعل ، لكن اشتهرَ الكلامُ فيه في الحَجيج ، فلذلك والله أعلمُ لمّا رجعَ رسول الله ﷺ من حجته وتفرّغ من مناسكه ورجع إلى المدينة فمرّ بغدير خُمّ[٤] قام في الناس خطيباً فبرّأ ساحةَ عليّ ، ورفعَ من قَدْره ونبَّهَ على فَضْله ، ليُزيلَ ما وقَر في نفوسِ كثيرٍ من النّاسِ ، وسيأتي هذا مُفصّلاً في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال البخاري[٥] : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا عبد الواحد ، عن عُمارة بن شُبْرُمَةَ ، حدّثني عبد الرحمن بن أبي نُعْم ، سمعتُ أبا سعيد الخُدْري يقول : بَعَثَ عليُّ بن أبي طالب إلى النبي ﷺ من اليمن بذُهَيْبَةٍ في أديمٍ مَقْروظٍ لم تُحَصَّلْ من تُرابها ، قال : فقسَمها بين أربعة [نفر][٦] ؛ بين عيينة بن بدر ، والأقرع بن حابس ، وزَيْد الخَيْل ، والرابع إما علقمة بن عُلاثة وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحقّ بهذا من هؤلاء . فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « ألا تأمنوني ! وأنا أمينُ مَنْ في السماء يأتيني خبرُ السماء صباحاً ومساءً ؟! » . قال فقام رجلٌ غائرُ العَيْنَيْن ، مُشْرِفُ الوَجْنَتين ، ناشِزُ الجَبْهة ، كَثُّ اللحية ، محلوق الرأس ، مشمِّر الإزار . فقال : يا رسولَ الله ، اتَّقِ الله ! فقال : « ويلك ، أو لستُ أحقّ الناس أن يَتَّقِيَ الله » قال : ثُمَّ ولّى الرجلُ . قال خالد بن الوليد : يا رسول الله ، ألا أضربُ عُنُقَهُ ؟ قال : لا ، لعلّه أن يكون يُصلِّي . قال خالد : وكَمْ من مُصَلٍّ يقولُ بلسانِه ما ليس في قلبه . فقال رسول الله ﷺ : « إنّي لم أُومَرْ أن أنقُبَ عن قُلوبِ النّاسِ ، ولا أشُقَّ بُطونَهم » قال : ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ فقال : « إنه يخرجُ من ضِئْضِئى[٧] هذا قومٌ يتلونَ كتابَ الله رَطْباً ، لا يجاوزُ حَناجِرَهم ، يَمْرُقون منَ الدِّين ، كما يَمْرُق السَّهمُ من الرَّمِيَّة » أظنه قال : « لئن أدركتُهم لأَقْتُلنَّهم قتل ثمود » .

(١) في ط : « خرج عليهم يستلقيهم » .
(٢) عبارة (وكانوا قد) ليست في ط .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) غدير خُمّ : موضع بين مكة والمدينة بالجحفة (معجم البلدان) .
(٥) صحيح البخاري رقم (٤٣٥١) في المغازي باب بعث علي بن أبي طالب .
(٦) الزيادة من صحيح البخاري .
(٧) الضِّئْضِيء والضُّؤْضُؤ : الأصل والمعدن (اللسان : ضأضأ) .

وقد رواه البخاري[١] في مواضع أخرى من كتابه ، ومسلم[٢] في كتاب الزكاة من « صحيحه » من طرقٍ متعددة إلى عُمارة بن القَعْقاع به .

ثم قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا يحيى ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي البَخْتَرِيّ ، عن علي قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديثُ السِّنِّ ، قال : فقلت : تَبْعَثُني إلى قوم يكونُ بينَهم أحداثٌ ، ولا علمَ لي بالقَضاءِ . قال : « إن الله سَيَهْدي لِسانَكَ ويُثَبِّتُ قَلْبَكَ » قال فما شَكَكْتُ في قَضاءٍ بين اثْنَيْن [بَعْدُ][٤] .

ورواه ابن ماجه[٥] من حديث الأعْمَش به .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا شَريك ، عن سِمَاك ، عن حَنَش ، عن عليٍّ . قال : بَعَثَني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، قال : فقلت : يا رسولَ الله ، تَبْعَثُني إلى قوم أسنَّ منّي ، وأنا حَدَثٌ[٧] لا أُبصرُ القَضاء . قال فوضع يده على صدري وقال : « اللهمّ ثَبِّتْ لِسانَهُ واهْدِ قَلْبَهُ ، يا عليُّ إذا جلسَ إليك الخَصْمان فلا تقضِ بينَهما حتى تسمعَ من الآخر كما سَمِعْتَ من الأوّل ، فإنّك إذا فعلتَ ذلك تبيَّن لك [القضاء][٨] » قال : فما اختلف عليَّ قَضاءٌ بعد ، أو ما أشكلَ عليَّ قضاءٌ بعد .

ورواهُ أحمدُ أيضاً وأبو داود من طرقٍ ، عن شَريك[٩] ، والترمذي[١٠] من حديث زائِدَة كلاهما ، عن سماك بن حرب ، عن حَنَش بن المُعْتَمر ، وقيل : ابن ربيعة الكِنانيّ الكوفي ، عن عليّ به .

وقال الإمام أحمد[١١] : حدّثنا سُفيان بن عُيَيْنة ، عن الأجلح[١٢] ، عن الشَّعْبي ، عن عبد الله بن أبي

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٦١٠ ، ٤٦٦٧ ، ٥٠٥٨ ، ٦١٦٣ ، ٦٩٣١) من حديث أبي سعيد الخدري .
(٢) صحيح مسلم رقم (١٠٦٤) (١٤٤ ـ ١٤٦) في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٣) ، وهو حديث صحيح .
(٤) الزيادة من المسند .
(٥) سنن ابن ماجه رقم (٢٣١٠) في كتاب الأحكام باب ذكر القضاة ، وهو حديث صحيح .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١١١) .
(٧) في المسند : (حديث) .
(٨) الزيادة من المسند .
(٩) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٨ ، ١٣٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٦) . وأبو داود برقم (٣٥٨٢) في الأقضية باب كيف القضاء ، وهو حديث حسن .
(١٠) جامع الترمذي رقم (١٣٣١) في الأحكام باب ما جاء في القاضي لا يقضي بين الخصمين حتى يسمع كلامهما ، وهو حديث حسن .
(١١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٤) ، وإسناده ضعيف ، ولكن له طريق آخر عند أبي داود رقم (٢٢٧٠) فهو به حسن .
(١٢) تهذيب التهذيب (١/ ١٨٩) .

الخليل[1] ، عن زيد بن أرْقَمٍ أنَّ نَفراً وَطِئوا امرأةً في طُهْرٍ ، فقال علي لاثنين : أتطيبان نَفْساً لذا ؟ فقالا : لا . فأقبل على الآخرين فقال : أتطيبان نفساً لذا ؟ فقالا : لا . فقال : أنتم شركاء مُتَشاكسون ، فقال إني مُقْرِعٌ بينكم ، فأيُّكم قرع أغْرَمْتُهُ ثُلُثَي الدّية وألزمته[2] الولد . قال : فذُكر ذلك للنبيّ ﷺ ، فقال : لا أعلمُ إلا ما قال عليّ .

وقال أحمد[3] : حدّثنا سُرَيْج[4] بن النعمان ، حدّثنا هُشَيْم ، أنبأنا الأجْلَحُ ، عن الشعبيّ ، عن أبي الخليل ، عن زيد بن أرقم .

أن علياً أُتيَ في ثلاثةِ نَفَرٍ إذ كان في اليمن ، اشتركوا في ولد ، فأقرع بينهم ، فضمَّن الذي أصابته القرعة ثُلُثي الدّية ، وجعل الولدَ له . قال زيدُ بن أرقم : فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُه بقَضاءِ عليّ ، فضحكَ حتى بَدَتْ نَواجِذُهُ .

ورواه أبو داود[5] ، عن مُسَدَّد ، عن يحيى القَطّان ، والنّسائي[6] ، عن علي بن حُجْرٍ ، عن عليّ بن مُسْهر ، كلاهما عن الأجْلح بن عبد الله ، عن عامر الشعبيّ ، عن عبد الله بن الخليل . وقال النَّسائي في روايته[7] عبد الله بن أبي الخليل ، عن زَيْد بن أرْقَم قال :

كنت عند النبي ﷺ ، فجاء رجلٌ من أهل اليَمَنِ فقال : إن ثلاثةَ نفرٍ أتَوْا عَلِيّاً يَخْتَصمون في ولدٍ وقعوا على امرأة في طُهْرٍ واحدٍ ، فذكر نحو ما تقدم ، وقال : فضحكَ النبيُّ ﷺ .

وقد رَوَياهُ ـ أعني أبا داود والنّسائي ـ من حديث شُعْبَة ، عن سَلَمة بن كُهَيل ، عن الشَّعبي ، عن أبي الخليل أو ابن الخليل ، عن عليٍّ قوله ، فأرسله ولم يرفعه .

وقد رواهُ الإمامُ أحمد[8] أيضاً عن عبد الرزاق عن سُفيان الثَّوْري ، عن الأجْلح ، عن الشعبي ، عن عَبْدِ خَيْرٍ ، عن زَيْد بن أرْقَم فذكر نحو ما تقدم .

---

(١) في تهذيب التهذيب (٥/ ١٩٩) « عبد الله بن الخليل ويقال ابن أبي الخليل ويقال : عبد الله بن الخليل بن أبي الخليل الحضرمي أبو الخليل الكوفي » .

(٢) في س : (فيكم قرع أخرقته ثلثي الدية وأزمته) . وفيها تحريفان . وانظر المسند .

(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٤) ، وإسناده ضعيف ، ولكن له طريق آخر عند أبي داود رقم (٢٢٧٠) فهو به حسن .

(٤) ط ، أ : (شريح) تحريف . وما أثبته عن المسند وانظر تهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٩) .

(٥) سنن أبي داود رقم (٢٢٦٩) في كتاب الطلاق باب من قال بالقرعة إذا تنازعوا في الولد ، وهو حديث حسن بما بعده رقم (٢٢٧٠) .

(٦) سنن النسائي رقم (٣٤٨٩) في الطلاق باب القرعة في الولد ، وهو حديث حسن بما قبله رقم (٣٤٨٨) .

(٧) ط : (رواية) تحريف .

(٨) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٣) ، وإسناده ضعيف ، ولكن يشهد له حديث أبي داود والنسائي وابن ماجه الذي بعده فهو به حسن .

وأخرجه أبو داود والنَّسائي جَميعاً عن خُشَيْشِ[١] بن أَصْرَم . وابن ماجه[٢] عن إسحاق بن منصور ، كلاهما عن عبد الرزاق ، عن سُفْيان الثَّوري ، عن صالحِ الهَمْداني ، عن الشَّعْبي ، عن عَبْدِ خَيْرٍ ، عن زيد بن أرقم به .

قال شيخنا في الأطراف[٣] : لعل عَبْدَ خَيْرٍ هذا هو عبد الله بن الخليل ، ولكن لم يَضْبِط الرّاوي اسْمَه . قلت : فعلى هذا يَقْوى الحديثُ ، وإن كان غيرُه كان أجودَ لمتابعَته له ، لكنَّ الأجْلَحَ بن عبد الله الكندي فيه كلامٌ ما . وقد ذهب إلى القول بالقُرْعَة في الأنساب الإمام أحمد وهو من أفراده[٤] .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا أبو سعيد ، حدّثنا إسرائيل ، حدّثنا سِماك ، عن حَنَش عن عليّ قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فانتهينا إلى قوم قد بَنَوْا زُبْيَةً[٦] للأسد ، فبينما هُمْ كذلك يَتَدافعون إذ سقط رجلٌ ، فتعلَّق بآخر ، ثم تعلَّق رجل[٧] بآخر ، حتى صاروا فيها أربعة ، فجرحهم الأسد ، فانتدب له رجلٌ بحربة فقتله ، وماتوا من جراحتهم كلهم ، فقام أولياءُ الأول إلى أولياء الآخر ، فأخرجوا السلاح ليقتتلوا[٨] فأتاهم عليٌّ على تفيئة[٩] ذلك ، فقال : تريدون أن تَقَاتلوا ورسولُ الله ﷺ حيّ ! إنّي أقضي بينكُم قَضـاءً ، إن رضيتُم فهو القَضـاء ، وإلا حجـر[١٠] بعضُكم عن بعض حتّى تأتوا النبيَّ ﷺ ، فيكونَ هو الذي يَقْضي بينكُم ، فمن عدا بعد ذلك فلا حقَّ له . أجمعوا من قبائل الذين حفروا[١١] البئر ربعَ الديَّةِ ، وثلثَ الديّة ، ونصفَ الدية ، والدية كاملة ، فللأول الربع لأنه هَلَكَ [منْ فوقه][١٢] وللثاني ثلث الدية ، وللثالث نصف الدية ، وللرابع الدية ، فأبوا أن يرضَوا ، فأتوا النبي ﷺ وهو عند مقام إبراهيم ، فقصُّوا عليه القصَّة ، فقال : « أنا أحكم بينكم »[١٣] فقال رجلٌ من القوم :

---

(١) أ : (حبيش) وط : (حنش) وكلاهما تحريف . انظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥٠) ، وتهذيب التهذيب (٣/ ١٤٢) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٢٧٠) والنسائي (٦/ ١٨٢) رقم (٣٤٨٨) وابن ماجه رقم (٢٣٤٨) وهو حديث حسن .

(٣) لم أجده فيما بين يدي من نسخة الأطراف . انظر تحفة الأشراف (٣/ ١٩٦ ـ ١٩٧) .

(٤) لم نر رواية للإمام أحمد في أخذه بالقرعة في الأنساب .

(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٧) ، وإسناده ضعيف .

(٦) الزُّبْيَةُ : حفرةٌ تحفر للأسد والصَّيد ، ويُغَطَّى رأسُها بما يسترها ليقع فيها (النهاية في غريب الحديث والأثر : زبا) .

(٧) ط : (آخر بآخر) .

(٨) ليس اللفظ في ط .

(٩) على تفيئة ذلك : على أثر ذلك (النهاية : تفأ) .

(١٠) ط : (أحجز) .

(١١) ط : (حضروا) تحريف .

(١٢) الزيادة من المسند .

(١٣) في مسند الإمام أحمد « أنا أقضي بينكم ، واحتبى » .

يا رسولَ الله ، إنَّ علياً قَضَى بيننا[١] فَقَصُّوا عليه القِصَّة ، فأجازه رسول الله ﷺ .

ثم رواه الإمام[٢] أحمد أيضاً عن وَكيعٍ ، عن حَمّاد بن سَلَمَة ، عن سِماك بن حَرْبٍ ، عن حَنَشٍ ، عن عليٍّ . . . فذكره .

كِتابُ حِجَّة الوَداعِ في سَنَةِ عشرٍ

ويقال لها حجَّة البلاغ ، وحجَّة الإسلام ، وحجَّة الوداع لأنه عليه الصلاة والسلام ودَّع الناسَ فيها ، ولم يحُجَّ بعدَها ، وسُمِّيَتْ حجَّة الإسلام لأنّه عليه السلام لم يحجَّ من المدينة غيرَها ، ولكن حج قبل الهجرة مرّات ، قبلَ النّبوة وبعدَها . وقيل إنَّ فريضةَ الحجّ نزلَتْ عامئذٍ ، وقيل سنة تِسْعٍ ، وقيل سنة ستٍّ ، وقيل قبلَ الهجرة وهو غريبٌ [جدّاً] . وسُمِّيتْ حجَّة البلاغ لأنه عليه الصلاةُ والسلامُ بلّغ الناسَ شرعَ الله في الحجِّ قولاً وفعلاً ، ولم يكن بقيَ من دعائم الإسلام وقواعده شيءٌ إلَّا وقد بيَّنه عليه الصلاة والسلام ، فلما بيَّن لهم شريعةَ الحجِّ ووضَّحه وشرحه أنزل الله عزَّ وجلَّ عليه وهو واقِفٌ بعرفة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

وسيأتي إيضاحُ لهذا كله .

والمقصود ذكر حجته عليه الصلاة والسَّلام كيف كانت ، فإنَّ النَّقَلَة اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً جداً ، بحسب ما وصل إلى كلٍّ منهم من العلم ، وتفاوتوا في ذلك تفاوتاً كثيراً ، لا سيَّما من بعد الصحابة رضي الله عنهم ، ونحن نورد بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ما ذكره الأئمة في كتبهم من هذه الروايات ، ونجمع بينها جمعاً يُثْلِجُ قلبَ منْ تأمَّله وأنْعم النظرَ فيه ، وجَمَعَ بين طريقَتَي الحديث وفَهْم معانيه إن شاء الله ، وبالله الثقة ، وعليه التُّكلان . وقد اعتنى الناس بحجة رسول الله ﷺ اعتناءً كثيراً من قدماء الأئمة ومتأخِّريهم ، وقد صنَّف العلاَّمة أبو محمد بن حزم الأندلسي رحمه الله مجلداً في حجة الوداع ، أجاد في أكثره ، ووقع له فيه أوهام سننبّه عليها في مواضعها . وبالله المستعان .

باب
بيانِ أنَّه عليه السلام لم يحجَّ من المدينة إلَّا حجةً واحدة ، وأنَّه اعتمر قبلها ثلاث عُمَر

كما رواه البخاري ومسلم[٣] عن هُدبة ، عن هَمَّام ، عن قَتَادة ، عن أنس قال : اعتمر رسول الله ﷺ

---

(١) في المسند « قضى فينا » وفي ط : (قضى علينا) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/١٢٨) ، وإسناده ضعيف .
(٣) صحيح البخاري رقم (١٧٨٠) في الحج باب كم اعتمر النبي ﷺ . وصحيح مسلم رقم (١٢٥٣) (٢١٧) في=

أربعَ عُمَرٍ ، كُلُّهن في ذي القعدة ، إلا التي في حجتِه . . . . الحديث .

وقد رواه يونس بن بكير ، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة مثله .

وقال سعيد[١] بن منصور : عن الدراوَرْدي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عُمَرٍ ، عمرةً في شوال ، وعمرتين في ذي القعدة .

وكذا رواه ابن بكير ، عن مالك[٢] ، عن هشام بن عروة .

وروى الإمام أحمد[٣] من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أنَّ رسول الله اعتمر ثلاثَ عُمَرٍ ، كلُّهن في ذي القعدة .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا أبو النَّضْر ، حدّثنا داود ـ يعني العطار ـ عن عَمْرٍو ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس قال : اعتمر رسولُ الله ﷺ أربع عُمَرٍ ، عُمرةُ الحُدَيبية ، (وعُمرةُ القَضاء ، والثالثة من الجِعْرانة[٥] ، والرابعة التي مع حجّتِه .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي عن حديث داود العطار ، وحسّنه الترمذي[٦] .

وقد تقدم هذا الفصل عند عمرة الجِعْرانة . وسيأتي في فصل مَنْ قال إنه عليه الصّلاة والسّلام حجَّ قارناً . وبالله المستعان .

فالأولى من هذه العُمَر : عُمْرَةُ الحُدَيبية)[٧] التي صُدَّ عنها ، ثم بعدها عمرةُ القَضاء ، ويقال : عمرة

= الحج باب بيان عدد عمر النبي ﷺ وزمانهن .

(١) ط : (سعد) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٨٦) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٣٤٢) عن هشام بن عروة .

(٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٨٠) ، وهو حديث حسن لغيره .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٢١) ، وإسناده صحيح .

(٥) الجِعْرانة : يكسر أوله إجماعاً . ثم إن أصحاب الحديث يكسرون عينه ويشددون راءه ، وأهل الإتقان والأدب يخطئونهم ويسكنون العين ويخففون الراء ، وقد حكي عن الشافعي أنه قال : والمحدثون يخطئون في تشديد الجعرانة وتخفيف الحديبيّة . وهي ماء بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب ، نزلها النبي ﷺ لمَّا قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين وأحرم منها (معجم البلدان) والحديبيّة قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها . وقال الخطابي : سميت الحديبية بشجرة حدباء وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم (معجم البلدان) .

(٦) سنن أبي داود رقم (١٩٩٣) في المناسك باب في العمرة . والترمذي رقم (٨١٦) في الحج باب ما جاء كم اعتمر النبي ﷺ وقال : حديث حسن غريب . وابن ماجه رقم (٣٠٠٣) في الحجّ باب كم اعتمر النبي ﷺ ، وهو حديث حسن .

(٧) ما بين القوسين ساقط من أ واستدركناه من ط والمسند .

القصاص ، ويقال عُمْرَة القَضية ، ثم بعدها عُمْرَةُ الجِعْرانة ، مرجِعَه من الطَّائِفِ حينَ قسمَ غنائم حُنَيْن ، وقد قدّمنا ذلك كله في مواضعه ، والرابعةُ عمرتُه مع حجته . وسنبيِّن ٱختلافَ الناسِ في عُمْرَتِه هذه مع الحجة ، هل كان مُتَمَتِّعاً بأن أوقع العمرة قبلَ الحجة ، وحلَّ منها ، أو منعه من الإحلال منها سوقُه الهَدْيَ ، أو كان قارناً لها مع الحجة ، كما نذكُره من الأحاديث الدَّالة على ذلك ، أو كان مُفْرِداً لها عن الحجة ، بأن أوقعَها بعد قضاء الحجة . قال : وهذا هو الذي يقوله من يقول بالإفراد ، كما هو المشهور عن الشافعيّ ، وسيأتي بيان هذا عند ذكرنا إحْرامَه ﷺ كيف كان مُفْرِداً أو مُتمتِّعاً أو قارِناً .

قال البخاري[١] : حدّثنا عمرو بن خالد ، حدّثنا زهير ، حدّثنا أبو إسحاق ، حدّثني زيد بن أرقم أنّ النبي ﷺ غزا تسعَ عشرةَ غزوةً ، وأنه حجَّ بعدَ ما هاجر حَجةً واحدة .

قال أبو إسحاق : وبمكة أخرى .

وقد رواه مسلم[٢] من حديث زهير ، وأخرجاه[٣] من حديث شعبة ـ زاد البخاري[٤] : وإسرائيل ـ ثلاثتهم عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعي ، عن زيد به . وهذا الذي قاله أبو إسحاق من أنَّه عليه الصلاة والسلام حجَّ بمكة حجة أُخْرى ، أي : أراد أنّه لم يقَعْ منه بمكة إلا حجة واحدة ، كما هو ظاهر لفظه : فهو بعيدٌ ، فإنَّه عليه الصلاة والسلام كان بعد الرسالة يَحْضُرُ مواسمَ الحجِّ ، ويدعو الناسَ إلى الله ويقول : « من رجلٌ يُؤْويني حتى أُبَلِّغَ كلامَ ربّي ؟ فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أبلِّغ كلامَ ربّي عزَّ وجلَّ »[٥] حتى قيَّض الله له[٦] جماعةَ الأنصارِ يلقَوْنَه ليلةَ العَقَبة ، أي عشيةَ يومِ النّحر عند جمرة العقبة ثلاثَ سنين متتالياتٍ ، حتى إذا كانوا آخرَ سنةٍ بايعوه ليلةَ العقبة الثانية ، وهي ثالثُ اجتماعهم به ، ثمَّ كانَتْ بعدَها الهجرةُ إلى المدينة ، كما قدَّمنا ذلك مبسوطاً في موضعه ، والله أعلم .

وفي حديث جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال : أقام رسول الله ﷺ بالمدينة تسعَ سنين لم يحُجَّ ، ثم أذَّن في الناس بالحجّ ، فاجتمعَ بالمدينةِ بشرٌ كثيرٌ ، فخرج رسول الله ﷺ لخمسٍ بقين من ذي القعدة ، أو لأربعٍ ، فلما كان بذي الحُليفة[٧] صلَّىٰ ، ثم استوىٰ على راحلته ، فلما أخذت به في البَيْداء لبّى ، وأهْلَلْنا لا ننوي إلاّ الحجَّ .

---

(١) صحيح البخاري رقم (٤٤٠٤) .
(٢) صحيح مسلم رقم (١٢٥٤) في الحج باب بيان عدد عمر النبي ﷺ وزمانهن .
(٣) رواه البخاري رقم (٣٩٤٩) ومسلم رقم (١٢٥٤) الذي بعد (١٨١٢) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٤٧١) .
(٥) رواه بنحوه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٣٩٠) وأصحاب السنن ، وهو حديث صحيح .
(٦) ليس اللفظ في ط .
(٧) ذو الحُلَيفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ومنها ميقات أهل المدينة (معجم البلدان) .

وسيأتي الحديث بطوله ، وهو في صحيح مسلم[١] وهذا لفظ البيهقي[٢] من طريق أحمد بن حفص بن عبد الله ، عن أبيه[٣] ، عن إبراهيم بن طَهْمان ، عن جعفر بن محمد به .

باب تاريخ[٤]

خروجه عليه الصلاةُ والسلامُ من المدينة لحجة الوَداعِ بعدما استعمل عليها أبا دُجانة سِماك بن خَرَشة السَّاعدي[٥] ، ويقال سِبَاع بن عُرْفُطَة الغِفَاريّ[٦]

قال محمد بن إسحاق[٧] : فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القَعْدة من سنة عشر ، تجهَّز للحجّ ، وأمرَ النّاسَ بالجهاز له . فحدّثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الحجّ لخمسِ ليالٍ بقين من ذي القَعْدة .

وهذا إسناد جيد .

وروى الإمام مالك[٨] في موطَّئه عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن عَمْرة (عن عائشة ، ورواه أحمد[٩] عن عبد الله بن نمير عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمرة)[١٠] عنها . وهو ثابت في « الصَّحيحَيْن » و« سنن النَّسائي » وابن ماجه[١١] و« مصنف ابن أبي شيبة » من طرق ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن عَمْرة ، عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله لخمسٍ بقينَ من ذي القعدة ، لا نرى إلا الحجَّ . . . الحديث بطوله كما سيأتي .

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٢١٨) في الحج باب حجة النبي ﷺ .
(٢) دلائل النبوة (٥/ ٤٣٢) .
(٣) في أ وط : « من طريق أحمد بن حنبل عن إبراهيم » وأثبتنا ما في دلائل النبوة ، وانظر تهذيب التهذيب (١/ ٢٤) .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) الإصابة (٤/ ٥٨) والأنساب (٥/ ٨٤) .
(٦) الإصابة (٢/ ١٣) ، وبعده في ـ : (حكاهما عبد الملك بن هشام) .
(٧) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠١) .
(٨) الموطأ رقم (١٧٩) كتاب الحج باب ما جاء في النحر في الحج .
(٩) المسند (٦/ ١٩٤) .
(١٠) ليس ما بين الرقمين في ط .
(١١) صحيح البخاري (١٧٠٩) كتاب الحج باب ذبح الرجل البقر عن نسائه، وصحيح مسلم رقم (١٢١١) كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام ، والنسائي رقم (١٧٧٥ و١٧٧٨) في الحج باب إباحة فسخ الحج بعمرة ، وابن ماجه رقم (٢٩٨١) في المناسك باب فسخ الحج .

وقال البخاري[١] : حدّثنا محمد بن أبي بكر المُقدَّمي ، حدّثنا فُضَيْل بن سليمان ، حدّثنا موسى بن عُقبة ، أخبرني كُرَيْب عن ابن عباس قال : انطلقَ النبيّ ﷺ من المدينة بعدما ترجَّل[٢] وادَّهن ولبس إزاره ورداءه ، ولم يَنْهَ عن شيءٍ من الأردية ولا الأُزُر [تُلبس][٣] إلا المُزَعْفَرة التي تَرْدَع على[٤] الجلد[٥] فأصبح بذي الحُلَيْفة ركب راحلته حتى استوى على البَيْداء ، [أهلّ هو وأصحابه وقلّد بدنته][٣] ، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة ، فقدم مكة لخمس[٦] خلون من ذي الحجة[٧] .

تفرَّد به البخاري .

فقوله : وذلك لخمس بقين من ذي القعدة ، إن أراد به صبيحة يومه بذي الحُلَيْفة صح قول ابن حزم في دعواه أنّه ﷺ خرج من المدينة يومَ الخميس ، وبات بذي الحُلَيفة ليلة الجمعة ، وأصبح بها يوم الجمعة ، وهو اليوم الخامس والعشرون من ذي القعدة . وإن أراد ابنُ عبّاس بقوله : وذلك لخمس بقين من ذي القعدة يومَ انطلاقه عليه الصلاة والسلام من المدينة بعدما ترجَّل وادّهن ولبس إزاره ورداءه ، كما قالت عائشة وجابر : إنّهم خرجوا من المدينة لخمسٍ بقين من ذي القعدة ، بَعُدَ قولُ ابن حزم ، وتعذَّر المصيرُ إليه ، وتعيَّن القول بغيره ، ولم ينطبق ذلك إلا على يوم الجمعة ، إن كانَ شهر ذي القعدة كاملاً ، ولا يجوز أن يكون خروجه عليه السلام من المدينة كان يوم الجمعة ، لما روى البخاري[٨] حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدّثنا وُهَيْب ، حدّثنا أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس بن مالك قال : صلى رسول الله ﷺ ونحنُ معه الظهرَ بالمدينة أربعاً ، والعصر بذي الحُلَيْفَة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب حتى استوت به راحلته على البَيْداء ، حَمِدَ اللهَ عزَّ وجلَّ ، وسبّح ، [وكبّر] ثم أهلّ بحج وعُمرة .

وقد رواه مسلم[٩] والنسائي[١٠] جميعاً عن قتيبة ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قِلابة ،

---

(١) صحيح البخاري (١٥٤٥) في الحج باب ما يلبس المحرم من الثياب والأردية والأزر .
(٢) الترجيل : تسريح الشعر (جامع الأصول ٣/ ٤٧٧) .
(٣) الزيادة من صحيح البخاري .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) تردع الجلد : أي تنفض صبغها عليه (النهاية : ردع) .
(٦) في صحيح البخاري وجامع الأصول (٣/ ٤٧٦) لأربع ليالٍ .
(٧) وتتمة الحديث : « فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يَحِلَّ من أجل بُدْنِه لأنه قلدها ثم نزل بأعلى مكة عند الحجون وهو مهل بالحج ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة ، وأمر أصحابه أن يطّوّفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ثم يقصروا من رؤوسهم ثم يحلوا وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها ومن كانت معه امرأته فهي له حلال والطيب والثياب » .
(٨) صحيح البخاري رقم (١٥٥١) .
(٩) ليس اللفظ في ط .
(١٠) صحيح مسلم رقم (٦٩٠) في صلاة المسافرين باب صلاة المسافرين وقصرها والنسائي (١/ ٢٣٤) في الصلاة باب=

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صلى الظهرَ بالمدينة أربعاً ، والعصرَ بذي الحُلَيفة ركعتين .

وقال أحمد[١] : حدّثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن محمد ، يعني ابن المُنْكَدِر وإبراهيم بن مَيْسرة ، عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ بالمدينةِ أربعاً ، والعصرَ بذي الحُلَيْفَة ركعتين .

ورواه البخاري ، عن أبي نُعَيْم ، عن سُفيان الثوري به . وأخرجه مسلمٌ ، وأبو داودَ والنسائيُّ من حديث سُفْيان بن عُيَيْنة ، عن محمد بن المُنْكَدر[٢] ، وإبراهيم بن مَيْسَرة عن أنس به[٣] .

وقال أحمد[٤] : حدّثنا محمد بن بكر[٥] ، حدّثنا ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر[٢] ، عن أنس قال : صلى رسول الله ﷺ بالمدينة الظهر أربعاً ، والعصر بذي الحُلَيْفة ركعتين ، ثم بات بذي الحُلَيْفة حتى أصبح ، فلما ركب راحلته واستوت به أهلّ .

وقال أحمد[٦] : حدّثنا يعقوب ، حدّثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني محمد بن المنكدر[٢] التَّيْمي ، عن أنس بن مالك الأنصاري قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الظهرَ في مسجده بالمدينة أربعَ ركعاتٍ ، ثم صلَّى بنا العصرَ بذي الحُلَيْفة ركعتين آمناً لا يخافُ في حجةِ الوداع .

تفرد به أحمد من هذين الوجهين الآخرين ، وهما على شرط الصحيح ، وهذا ينفي كونَ خروجه عليه الصلاة والسلام يومَ الجُمُعة قَطْعاً ، ولا يجوزُ على هذا أن يكون خروجُه يومَ الخميس كما قال ابن حزم ، لأنَّه كان يومَ الرابع والعشرين من ذي القعدة ، لأنَّه لا خلاف أنَّ أول ذي الحجة كانَ يومَ الخميس ، لما ثبت بالتواتر والإجماع من أنه عليه الصلاة والسَّلام وقفَ بعرفةَ يومَ الجُمُعة ، وهو تاسعُ ذي الحجة بلا نزاع ، فلو كان خروجُه يومَ الخميس الرابعَ والعشرين من ذي القعدة لبقيَ في الشّهر ستّ ليالٍ قَطْعاً ، ليلةُ الجُمعة ، والسبت ، والأحد ، والإثنين ، والثّلاثاء ، والأربعاء ، فهذه ست ليال .

وقد قال ابن عباس وعائشة وجابر : إنّه خرجَ لخمسٍ بقينَ من ذي القعدة . وتعذَّر أنه يومُ الجمعة ، لحديثِ أنسٍ ، فتعيَّن على هذا أنه عليه الصلاة والسلام خرج من المدينة يومَ السبتِ ، وظنَّ الراوي أن الشهرَ يكون تاماً ، فاتفق في تلك السَّنة نقصانُهُ ، فانسلخَ يومَ الأربعاء ، واستهلّ شهر ذي الحجة ليلة

= صلاة العصر في السفر .

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٧٧) ، وإسناده صحيح .

(٢) ط : (المنذر) تحريف . وقد تقدم قبل أسطر .

(٣) رواه البخاري رقم (١٠٨٩) ومسلم رقم (٦٩٠) (١١) وأبو داود رقم (٢٢٠٢) والنسائي (١/ ٢٣٥) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٧٨) ، وإسناده صحيح .

(٥) ط : (بكير) تحريف . وانظر تهذيب الكمال (٢٤/ ٥٣٠) .

(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٣٧) . أقول : وسنده حسن من أجل ابن إسحاق .

الخميس ، ويؤيّده ما وقع في روايةِ جابر : لخمس بقين أو أربع . وهذا التقرير على هذا التقدير لا محيدَ عنه ، ولا بدَّ منه ، والله أعلم .

بابُ
صِفَةِ خُروجِهِ عليه الصلاةُ والسلام من المَدينة إلى مكَّةَ للحَجّ

قال البخاري[١] : حدّثنا إبراهيم بن المنذر ، حدّثنا أنس بن عياض ، عن عُبَيْد الله ـ هو ابن عمر ـ عن نافع ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ كان يَخْرُجُ من طريق الشَّجَرة ، ويدخلُ من طريق المُعَرَّس[٢]، وأنّ رسول الله ﷺ كان إذا خرجَ إلى مكةَ يُصلّي في مسجد الشجرة ، وإذا رجعَ صلَّى بذي الحُلَيْفَة ببطنِ الوادي ، وبات حتى يصبح .

تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : وجدت في كتابي عن عمرو بن مالك ، عن يزيد بن زريع ، عن هشام ، عن عَزْرة بن[٣] ثابت ، عن ثمامة ، عن أنس : أنّ النبيَّ ﷺ حجَّ على رَحْلٍ رثٍّ وتحتَهُ قَطيفةٌ . وقال : حجةٌ لا رِياءَ فيها ولا سُمْعة .

وقد علقه البخاري[٤] في « صحيحه » فقال : وقال محمد بن أبي بكر : حدّثنا يزيد بن زُريع ، عن عَزْرَة[٣] بن ثابت، عن ثُمامة قال: حَجَّ أنسٌ على رَحْلٍ رَثٍّ[٥] ولم يكن شَحيحاً ، وحدَّث أن رسول الله ﷺ حجَّ على رَحْلٍ وكانت زامِلَته[٦] . هكذا ذكره البزَّار ، والبخاري معلقاً مقطوع الإسناد من أوله .

وقد أسنده الحافظ البيهقي[٧] في سننه فقال : أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ ، أنبأنا الحسن[٨] بن محمد بن إسحاق ، حدّثنا يوسف بن يعقوب القاضي ، حدّثنا محمد بن أبي بكر ، حدّثنا يزيد بن زُرَيْع . . . فذكره .

---

(١) صحيح البخاري (١٥٣٣) في الحج باب خروج النبي ﷺ عن طريق الشجرة .

(٢) المعرس : مسجد ذي الحُليفة كان رسول الله ﷺ يعرّس فيه ثم يرحل لغزاة أو غيرها . والتعريس نومة المسافر بعد إدلاجه من الليل فإذا كان وقت السحر أناخ ونام نومة خفيفة ثم يثور مع انفجار الصبح لوجهه (معجم البلدان) .

(٣) ط : (عروة عن ثابت) وما أثبتناه هو الصواب الذي في صحيح البخاري ، وانظر تهذيب التهذيب (٧/ ١٩٢) .

(٤) رواه البخاري رقم (١٥١٧) .

(٥) قوله : « رث » ليس في صحيح البخاري .

(٦) الزامل من الدواب الذي كأنه يظلع في سيره من نشاطه (اللسان : زمل) .

(٧) سنن البيهقي (٤/ ٢٣٢) .

(٨) ط : (أبو الحسن علي) وانظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦) .

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده من وجه آخر ، عن أنس بن مالك فقال : حدثنا علي بن الجَعْد ، أنبأنا الربيع بن صَبِيْح ، عن يزيد الرَّقاشي ، عن أنس قال : حج رسول الله ﷺ على رحل رثٍّ وقطيفة تُساوي ـ أو لا تُساوي ـ أربعةَ دراهم ، فقال : « اللهمَّ حجةٌ لا رياءَ فيها » .

وقد رواه الترمذي في الشمائل[١] من حديث أبي داود الطيالسي وسفيان الثوري ، وابن ماجه[٢] من حديث وكيع بن الجرَّاح ، ثلاثتهم عن الربيع بن صَبِيْح به . وهو إسناد ضعيف من جهة يزيد بن أبان الرقاشي ، فإنّه غير مقبول الرِّواية عند الأئمة[٣] .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا هاشم ، حدّثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه قال : صدرتُ مع ابن عمر [يوم الصدر][٥] ، فمرَّت بنا رُفْقة يَمانيةٌ ، ورحالُهم الأدُمُ ، وخُطُمُ[٦] إبلِهم الجُرُر[٧] ، فقال عبد الله : من أحبَّ أن ينظرَ إلى أشبه رُفقةٍ وردت [الحج][٥] العامَ برسول الله ﷺ وأصحابه إذ قدموا في حجة الوداع فلينظر إلى هذه الرُّفقة .

ورواه أبو داود[٨] عن هَنَّاد ، عن وكيع ، عن إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن أبيه ، عن ابن عمر [فذكره][٥] .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٩]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو طاهر الفقيه ، وأبو زكريا بن أبي إسحاق ، وأبو بكر بن الحسن ، وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالوا : حدّثنا أبو العباس ـ هو الأصم ـ أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أنبأنا سعيد بن بشير القرشي ، حدّثنا عبد الله بن حكيم الكناني ـ رجل من أهل اليمن من مواليهم ـ عن بِشر بن قدامة الضبابي[١٠] قال : أبصرت عيناي حِبّي[١١] رسول الله ﷺ

---

(١) شمائل الترمذي : (٣١٩) .
(٢) سنن ابن ماجه (٢٨٩٠) في المناسك باب الحج على الرحل .
(٣) أقول : لكن له طرق أخرى ، يقوى الحديث بها .
(٤) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٢٠) ، وإسناده صحيح .
(٥) الزيادة من مسند الإمام أحمد .
(٦) خطم كل دابة مقدّم أنفها وفمها (اللسان : خطم) .
(٧) الجُرُر : جمع جرير وهو الحبل تجر به الناقه (اللسان : جرر) وانظر هامش مسند الإمام أحمد (٨/ ٢٥٣) بتحقيق أحمد شاكر .
(٨) رواه أبو داود رقم (٤١٤٤) وإسناده صحيح .
(٩) سنن البيهقي(٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) والزيادة عنه ، وإسناده ضعيف .
(١٠) الإصابة (١/ ١٥٤) .
(١١) ط : (حبيبي) .

واقفاً بعرفات مع الناس ، على ناقة له حمراء ، قَصْواء تحته قطيفة بَوْلانِية[١] وهو يقول : « اللهمّ اجعلها حجة غيرَ رئاء ولا هباء[٢] ولا سمعة » . والناس يقولون : هذا رسول الله ﷺ .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عبد الله بن إدريس ، حدّثنا ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه أن أسماء بنت أبي بكر قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ حُجَّاجاً حتى إذا كنا بالعرج[٤] نزل رسول الله ﷺ ، فجلست عائشة إلى جَنْبِ رسولِ الله ﷺ ، وجلستُ إلى جنب أبي ، وكانت زِمالة[٥] رسول الله ﷺ وزِمالة أبي بكر واحدة مع غلام أبي بكر ، فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه ، فطلع عليه وليس معه بعير . فقال : أين بعيرك ؟ فقال : أضللته[٦] البارحة ، فقال أبو بكر : بعير واحد تُضِلّه ! فطفقَ يَضْرِبُهُ ورسول الله ﷺ يبتسم ويقول : « أنظروا إلى هذا المُحْرِم وما يَصْنَعُ » .

وكذا رواه أبو داود ، عن أحمد بن حنبل ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رِزْمَة . وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ثلاثتهم عن عبد الله بن إدريس به[٧] .

فأما الحديث الذي رواه أبو بكر البزار في « مسنده » قائلاً : حدّثنا إسماعيل بن حفص ، حدّثنا يحيى بن اليَمان ، حدّثنا حمزةُ الزيات ، عن حُمْران بن أعيَن ، عن أبي الطُّفَيْل ، عن أبي سعيد . قال : حجَّ النبيُّ ﷺ وأصحابه مشاةً من المدينة إلى مكة ، قد ربطوا أوساطهم ، ومشيُهم خِلْطُ الهرولة . فإنه حديثٌ منكرٌ ضعيفُ الإسناد ، وحمزةُ بن حَبيبٍ الزياتُ ضعيفٌ ، وشيخُه متروك الحديث . وقد قال البزار : لا يُرْوَى إلا مِنْ هذا الوجه ، وإن كان إسنادُه حَسَناً عندنا ، ومعناه أنهم كانوا في عمرة إن ثبتَ الحديث لأنه عليه الصلاة والسلام إنما حجَّ حجة واحدة ، وكان راكباً وبعضُ أصحابه مشاة .

قلت : ولم يعتمر النبي ﷺ في شيء من عُمَره ماشياً ، لا في الحديبية ، ولا في القضاء ، ولا الجِعْرانة ، ولا في حجة الوداع ، وأحواله عليه الصلاة والسلام أشهر وأعرف من أن تَخْفَى على الناس ، بل هذا الحديث مُنْكَر شاذٌ لا يثبتُ مثلُه . والله أعلم .

---

(١) القصواء : لقب ناقة رسول الله ﷺ : وناقة قصواء هي التي قطع طرف أذنها (النهاية : قصو) . قطيفة بولانية : نسبة إلى بولان موضع (النهاية : بولان) وهو في طريق الحاج من البصرة قال العمراني هو موضع تُسرق فيه متاع الحاج (معجم البلدان) .
(٢) ط : (منأ) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٤٤) ، وإسناده ضعيف ، لتدليس ابن إسحاق ، وقد عنعن .
(٤) ط : (أدركنا بالعرج) العَرج : عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج (معجم البلدان) .
(٥) الزِّمالة : المركوب والأداة وما يكون في السفر (النهاية : زمل) .
(٦) ط : (أضللته) .
(٧) رواه أبو داود رقم (١٨١٨) ، وابن ماجه رقم (٢٩٣٣) .

فصل

تقدَّم أنه عليه الصلاة والسلامُ صلَّى الظُّهر بالمدينة ، أربعاً ، ثم ركب منها إلى الحُلَيفة وهي وادي العَقيق ، فصلَّى بها العصرَ ركعتين ، فدلَّ على أنّه جاء الحُلَيْفة نهاراً في وقت العصر ، فصلى بها العصر قصراً ، وهي من المدينة على ثلاثة أميال ، ثم صلّى بها المغربَ والعشاء ، وبات بها حتى أصبح ، فصلَّى بأصحابه ، وأخبرهم أنّه جاءه الوحيُ من الليل بما يعتمده في الإحرام .

كما قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا يَحْيى بن آدم ، حدّثنا زهير ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي ﷺ : أنه أُتي [وهو] في المُعَرَّس من ذي الحُلَيْفة ، فقيل له : إنك ببطحاء مباركة .

وأخرجاه في « الصحيحين »[٢] من حديث موسى بن عُقْبة به .

وقال البخاري[٣] : حدّثنا الحُمَيْدي ، حدّثنا الوليد وبشر بن بكر قالا : حدّثنا الأوزاعي ، حدّثنا يحيى ، حدّثني عِكْرمة أنَّه سمع ابن عباس ، أنه سمع عمر يقول : سمعت رسول الله بوادي العقيق يقول : « أتاني الليلةَ آتٍ من ربّي ، فقال : صَلِّ في هذا الوادي المبارك ، وقل عُمرةً في حجّة » . تفرد به دون مسلم . فالظاهر أن أمره عليه الصلاة والسلام بالصلاة في وادي العقيق هو أمر بالإقامة به إلى أن يصلِّي صلاةَ الظُّهْر ، لأنَّ الأمر إنما جاءه في الليل ، وأخبرهم بعد صلاة الصبح ، فلم يبق إلا صلاةُ الظهر ، فأُمِر أن يصلّيَها هنالك ، وأن يُوقع الإحرام بعدها ، ولهذا قال : « أتاني الليلةَ آتٍ من ربي عزَّ وجلَّ ، فقال : صلِّ في هذا الوادي المبارك ، وقُلْ : عُمرةً في حجة » . وقد احتُجَّ به على الأمر بالقِران في الحج ، وهو من أقوى الأدلة على ذلك كما سيأتي بيانه قريباً . والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام أمر بالإقامة بوادي العقيقِ إلى صلاة الظُّهر ، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك ، فأقام هنالك ، وطاف على نسائه في تلك الصَّبيحة ، وكنّ تسعَ نسوة ، وكلهنّ خرج معه ، ولم يَزَلْ هنالك حتى صلّى الظهر ، كما سيأتي في حديث أبي حسان الأعرج ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بذي الحُلَيفة ، ثم أشْعَرَ بَدَنَته[٤] ، ثم ركب ، فأهلَّ .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ٩٠) .

(٢) صحيح البخاري رقم (١٥٣٥) في الحج باب قول النبي ﷺ : العقيق واد مبارك ، وصحيح مسلم رقم (١٣٤٦) في الحج باب التعريس بذي الحليفة والصلاة بها إذا صدر من الحج أو العمرة .

(٣) صحيح البخاري رقم (١٥٣٤) في الحج باب قول النبي ﷺ العقيق واد مبارك .

(٤) أشعر بدنته هو أن يشق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها ويجعل ذلك لها علامة تعرف بها أنها هدي (النهاية : شعر) .

وهو عند مسلم[١] .

وهكذا قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا رَوْحٌ ، حدّثنا أشْعَثُ ـ هو ابن عبد الملك ـ عن الحسن ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صلى الظهر ، ثم ركب راحلته ، فلما علا شَرَفَ[٣] البَيْداء أهلّ .

ورواه أبو داود[٤] عن أحمد بن حنبل . والنسائي[٥] ، عن إسحاق بن راهَوَيْه ، عن النَّضْر بن شُمَيْل ، عن أشعث بمعناه ، وعن أحمد بن الأزهر ، عن محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أشعث أتم منه .

وهذا فيه رد على ابن حزم حيث زعم أن ذلك في صدر النهار ، وله أن يعتضد بما رواه البخاري[٦] من طريق أيوب ، عن رجل ، عن أنس أن رسول الله ﷺ بات بذي الحُليفة حتى أصبح ، فصلَّى الصُّبْحَ ، ثم ركب راحلتَه ، حتى إذا استوت به البيداءَ أهلَّ بعمرة وحجة .

ولكن في إسناده رجلٌ مُبْهم ، والظاهر أنه أبو قِلابة . والله أعلم .

قال مسلم[٧] في « صحيحه » : حدّثنا يحيى بن حبيب الحارثي ، حدّثنا خالد ـ يعني ابن الحارث ـ حدّثنا شعبة ، عن إبراهيم بن محمد بن المُنْتشر ، سمعت أبي يحدث عن عائشة : أنها قالت : كنت أُطَيِّبُ رسول الله ﷺ ، ثم يطوفُ على نسائه ، ثم يصبح مُحرِماً ينضح طيباً[٨] .

وقد رواه البخاري من حديث شعبة ، وأخرجاه من حديث أبي عَوَانة ، زاد مسلم : ومِسْعَر وسفيان بن سعيد الثوري ، أربعتهم عن إبراهيم بن محمد بن المُنْتَشر به[٩] .

وفي رواية لمسلم[١٠] عن إبراهيم بن محمد بن المُنْتَشر ، عن أبيه قال : سألت عبد الله بن عمر عن الرجل يَتَطيَّبُ ثم يصبح[١١] محرماً قال : ما أُحِبُّ أن أصبح محرماً أنضَحُ طيباً ، لأن أطَّلي بالقَطِران أحب

---

(١) رقم (١٢٤٣) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٠٧) .
(٣) في المسند « جبل البيداء » وكذا في سنن أبي داود وسنن النسائي .
(٤) سنن أبي داود رقم (١٧٧٤) في المناسك باب وقت الإحرام ، وهو حديث صحيح .
(٥) سنن النسائي (٥/ ١٦٢) في الحج باب البيداء ، وهو صحيح .
(٦) رقم (١٧١٥) .
(٧) مسلم رقم (١١٩٢) كتاب الحج باب الطيب للمحرم .
(٨) ينضح طيباً أي يفوح ، وأصل النضح الرشح ، فشبه كثرة ما يفوح من طيبه بالرشح ، وروي بالخاء المعجمة ، وقيل هو كاللطخ يبقى له أثر ، قالوا : هو أكثر من النضح ، وقيل بالخاء المعجمة فيما ثخن كالطيب ، وبالمهملة فيما رق كالماء (النهاية : نضح) .
(٩) صحيح البخاري رقم (٢٦٧) و(٢٧٠) ومسلم رقم (١١٩٢) (٤٧) و(٤٨) و(٤٩) .
(١٠) رواه مسلم رقم (١١٩٢) (٤٧) .
(١١) ليس لفظا (ثم يصبح) في ط .

إليّ من أن أفعل ذلك . فقالت عائشة : أنا طيَّبتُ رسول الله ﷺ عند إحرامه ، ثم طاف في نسائه ، ثم أصبح محرماً .

وهذا اللفظ الذي رواه مسلم يقتضي أنه كان ﷺ يتطيَّب قبل أن يطوف على نسائه (وكأنه ﷺ تطيَّبَ قبل أن يطوف على نسائه)[١] ليكون ذلك أطيب لنفسه وأحب إليهن ، ثم لما اغتسل من الجنابة وللإحرام تطيَّب أيضاً للإحرام طيباً آخر . كما رواه الترمذي[٢] والبيهقي[٣] من حديث عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه ، أنَّه رأى رسولَ الله ﷺ تجرَّد لإهلاله واغْتَسَل .

وقال الترمذي : حسن غريب .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا زكريا بن عدي ، أنبأنا عُبيد الله بن عَمْرو ، عن عبد الله بن محمد بن عَقيل ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يُحرم غَسَلَ رَأْسَه بخطْميٍّ وأُشْنَان[٥] ، ودهنه بشيء من زيتٍ غيرِ كثيرٍ . . . الحديث[٦] .

تفرّد به أحمد .

وقال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله : أنبأنا سُفيان بن عُيينة ، عن عثمان بن عروة ، سمعت أبي يقول : سمعت عائشة تقول : طيَّبْتُ رسولَ الله ﷺ لحُرْمِه ولحِلّه . قلتُ لها : بأيّ طيبٍ ؟ قالت : بأطيب الطيب .

وقد رواه مسلم[٧] من حديث سُفيان بن عيينة . وأخرجه البخاري[٨] من حديث وُهَيْب عن هشام بن عروة ، عن أخيه عثمان ، عن أبيه عروة ، عن عائشة به .

---

(١) ليس ما بين القوسين في ط .
(٢) جامع الترمذي رقم (٨٣٠) في الحجج باب ما جاء في الاغتسال عند الإحرام .
(٣) في ط : (والنسائي) وانظر سنن البيهقي (٥/ ٣٢ ، ٣٣) باب الغسل للإهلال كتاب الحج .
(٤) مسند الإمام أحمد (٦/ ٧٨) ، وإسناده ضعيف .
(٥) الخِطْميُّ ويفتح : نبات محلِّل منضِّج ملين نافع (القاموس : خطم) وهو يغسل به ، وفي الصحاح يغسل به الرأس (اللسان : خطم) والأشنان والإشنان من الحمض معروف ، الذي يغسل به الأيدي ، والضم أعلى (اللسان : أشن) .
(٦) وتتمة الحديث « . . قالت : وحججنا مع رسول الله ﷺ حجة فأعمر نساءه وتركني فوجدت في نفسي أنّ رسول الله ﷺ أعمر نساءه وتركني ، فقلت : يا رسول الله أعمرت نساءك وتركتني ، فقال لعبد الرحمن : اخرج بأختك فلتعتمر ، فطف بها البيت والصفا والمروة ثم لتقض ، ثم ائتني بها قبل أن أبرح ليلة الحصبة قالت : فإنما أقام رسول الله ﷺ بالحصبة من أجلي » .
(٧) صحيح مسلم رقم (١١٨٩) (٣٦) .
(٨) صحيح البخاري (٥٩٢٨) كتاب اللباس باب ما يستحب من الطيب .

وقال البخاري[١] : حدّثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كنت أُطَيِّبُ رسول الله ﷺ لإحرامه حين يُحْرِم ، ولحِلِّه قبل أن يطوف بالبيت .

وقال مسلم[٢] : حدّثنا عبدُ بن حُمَيْد ، أنبأنا محمد بن أبي بكر ، أنبأنا ابن جُرَيْج ، أخبرني عمر بن عبد الله بن عروة أنه سمع عروة والقاسم يُخْبرانه عن عائشة قالت : طيّبْتُ رسولَ الله ﷺ بيديَّ بذَريرة[٣] في حجة الوداع للحِلِّ والإحْرام .

وروى مسلم[٤] من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : طيبت رسول الله ﷺ بيديَّ هاتين لحرمه حين أحرم ، ولحله قبل أن يطوف بالبيت .

وقال مسلم[٥] : حدّثني أحمد بن مَنيع ويعقوب الدَّورقي ، قالا : حدّثنا هُشيم ، أنبأنا منصور ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كنت أُطيّبُ النبي ﷺ قبلَ أن يُحْرِمَ ، ويومَ النَّحر قبلَ أن يطوفَ بالبيت بطيبٍ فيه مِسْك .

وقال مسلم[٦] : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ وزهير بن حرب . قالا : حدّثنا وكيعٌ ، حدّثنا الأعْمَشُ ، عن أبي الضُّحى ، عن مَسْروق ، عن عائشة قالت : كأنّي أنظرُ إلى وَبيص[٧] المِسكِ في مفارق[٨] رسول الله ﷺ وهو يلبي .

ثم رواه مسلم[٩] من حديث الثوري وغيره ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : كأنّي أنظرُ إلى وَبيصِ المسكِ في مَفرق رسول الله ﷺ وهو مُحْرِم .

ورواه البخاري[١٠] من حديث سفيان الثوري ، ومسلم[١١] من حديث الأعمش ، كلاهما عن

(١) صحيح البخاري (١٥٣٩) كتاب الحج باب الطيب عند الإحرام .
(٢) صحيح مسلم رقم (١١٨٩) (٣٥) كتاب الحج باب الطيب للمحرم عند الإحرام .
(٣) ذريرة : نوع من الطيب مجموع من أخلاط (النهاية : ذرر) .
(٤) صحيح مسلم رقم (١١٨٩) (٣١) كتاب الحج باب الطيب للمحرم عند الإحرام .
(٥) صحيح مسلم رقم (١١٩١) كتاب الحج باب الطيب للمحرم .
(٦) صحيح مسلم رقم (١١٩٠) (٤١) كتاب الحج باب الطيب للمحرم .
(٧) وبيص المسك : بريقه (النهاية : وبص) .
(٨) ط : (مفرق) .
(٩) صحيح مسلم رقم (١١٩٠) (٤٥) كتاب الحج باب الطيب للمحرم .
(١٠) صحيح البخاري (١٥٣٨) كتاب الحج باب الطيب عند الإحرام .
(١١) صحيح مسلم رقم (١١٩٠) (٣٩) و(٤٠) كتاب الحج باب الطيب للمحرم ، من حديث الأعمش ومنصور كلاهما عن إبراهيم .

منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود عنها . وأخرجاه في الصحيحين من حديث شُعبة ، عن الحكم ، عن[١] إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة[٢] .

وقال أبو داود الطيالسي[٣] : أنبأنا شُعبة[٤] ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة . قالت : كأني أنظر إلى وَبيصِ الطِّيب في أصول شعر رسول الله ﷺ وهو محرمٌ .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا عَفّانُ ، حدّثنا حماد بن سَلَمة ، [أنا حماد] عن إبراهيم النَّخَعي ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : كأني أنظرُ إلى وَبيصِ الطِّيبِ في مفرِق النبيِّ ﷺ بعد أيام وهو مُحْرِمٌ .

وقال عبد الله بن الزبير الحُمَيْدي : حدّثنا سُفيان بن عيينة ، حدّثنا عطاء بن السائب ، عن إبراهيم النَّخَعي ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : رأيتُ الطِّيب[٦] في مَفْرِق رسول الله بعدَ ثالثةٍ وهو محرم .

فهذه الأحاديث دالة على أنه عليه الصلاة والسلام تَطَيَّبَ بعد الغُسْل ، إذ لو كان الطيب قَبْلَ الغُسْلِ لذهبَ به الغُسْل ، ولما بقي له أثر ، ولا سيما بعد ثلاثة أيام من يوم الإحرام .

وقد ذهب طائفةٌ من السَّلَف منهم ابنُ عمر إلى كراهة التَّطَيُّب عند الإحرام .

وقد روينا هذا الحديث من طريق ابن عمر عن عائشة .

فقال الحافظ البيهقي[٧] : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ببغداد ، أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد المصري ، حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الغَمر ، حدّثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عائشة ، أنها قالت : طَيَّبْتُ رسولَ الله ﷺ بالغالية الجَيِّدة عندَ إحرامِهِ .

وهذا إسناد غريبٌ عزيز المخرج .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام لبَّد رأسَه ليكونَ أحفظَ لما فيه من الطِّيب ، وأصْوَنَ له من استقرارِ التّرابِ والغُبار .

---

(١) ط : (بن) .
(٢) رواه البخاري رقم (٢٧١) ومسلم (١١٩٠) (٤٢) .
(٣) مسند أبي داود الطيالسي (١٣٧٨) .
(٤) ط : (أشعث) تحريف .
(٥) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٢٤) والزيادة منه ، وهو حديث حسن .
(٦) في المسند : (وبيص الطيب) .
(٧) سنن البيهقي (٥/ ٣٥) .

قال مالك[١] : عن نافع ، عن ابن عمر : إنّ حَفْصَةَ زوجَ النبيّ ﷺ قالَتْ : يا رسولَ الله ، ما شأنُ الناسِ حَلُّوا من العُمْرة ولم تحل أنْتَ من عُمْرتكَ ؟ قال : « إني لبَّدْتُ رأسي ، وقلَّدت هَدْيي ، فلا أَحِلّ حتى أنْحَرَ » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[٢] من حديث مالك ، وله طرقٌ كثيرةٌ عن نافع .

وقال البيهقي[٣] : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا (الأصم ، ثنا يحيى بن محمد بن)[٤] يحيى ، حدّثنا عُبَيْد الله بن عمر القَواريري ، حدّثنا عبد الأعلى ، حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر أنّ رسولَ الله ﷺ لبَّدَ رأسَه بالغِسل .

وهذا إسناد جيّد .

ثم إنه عليه الصلاة والسّلام أشعر الهَدْيَ وقلَّده وكان[٥] معه بذي الحُلَيْفة .

قال الليث : عن عُقَيْل ، عن الزُّهري ، عن سالم ، عن أبيه : تَمَتَّعَ رسولُ الله ﷺ في حجة الوداع بالعُمْرة إلى الحجّ ، وأهدى ، فساق معه الهَدْيَ من ذي الحُلَيْفة . وسيأتي الحديث بتمامه وهو في « الصحيحين »[٦] والكلام عليه إن شاء الله .

وقال مسلم[٧] : حدّثنا محمد بن المثنى ، حدّثنا معاذ بن هشام هو الدستوائي ، حدّثني أبي ، عن قتادة ، عن أبي حسّان ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ لما أتى ذا الحُلَيْفة دعا بناقته فأشْعَرَها في صفحةِ سَنامِها الأيمنِ وسَلَت الدم[٨] ، وقلَّدها نَعْلَيْن ثم ركبَ راحلته .

وقد رواه أهلُ السُّنن الأربعة[٩] من طرقٍ عن قتادة .

---

(١) موطأ مالك (١/ ٣٩٤) في الحج باب ما جاء في النحر في الحج .
(٢) صحيح البخاري رقم (١٥٦٦) في الحج باب التمتع والإقران ، وصحيح مسلم رقم (١٢٢٩) (١٧٦) في الحج باب بيان أنّ القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد .
(٣) سنن البيهقي (٥/ ٣٦) .
(٤) ليس ما بين القوسين في ط .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) رواه البخاري (١٦٩١) ومسلم (٢٢٢٧) (١٧٤) .
(٧) صحيح مسلم (١٢٤٣) في الحج باب تقليد الهدي وإشعاره .
(٨) سلت الدم : أماطه (النهاية : سلت) .
(٩) جامع الترمذي (٩٠٦) في الحج باب ما جاء في إشعار البدن وسنن أبي داود رقم (١٧٥٢) في المناسك باب في الإشعار وسنن النسائي (٥/ ١٧٠ ، ١٧٢) في الحج باب أي الشقين يشعر وسنن ابن ماجه رقم (٣٠٩٧) في المناسك باب إشعار البدن .

وهذا يدلّ على أنّه عليه السلام تعاطى هذا الإشعار والتقليد بيده الكريمة في هذه البَدَنَة وتولّى إشعارَ بقية الهَدْي وتقليدَه غيرُه ، فإنّه قد كان هَدْي كثير إما مئة بَدَنة أو أقلّ منها بقليل ، وقد ذَبَحَ بيده الكريمة ثلاثاً وستين بَدَنَةً ، وأعطى عَليّاً فذَبَح ما غبر[١] .

وفي حديث جابر أن علياً قدم من اليمن ببُدْنٍ للنبيّ ﷺ . وفي سياق ابن إسحاق أنه عليه الصلاة والسلام أشرك علياً في بُدْنه ، والله أعلم . وذكر غيره أنه ذَبَحَ هو وعليّ يوم النَّحْر مئة بدنة ، فعلى هذا يكون قد ساقها معه من ذي الحُليفة ، وقد يكون اشترى بعضها بعد ذلك وهو مُحْرِمٌ .

بابُ

بيانِ المَوْضِعِ الذي أهلَّ منه عليه السلام ، واختلافِ الناقلين لذلك ، وتَرْجيحِ الحقّ في ذلك

تقدَّمَ الحديثُ الذي رواه البخاري[٢] من حديث الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن عمر : سمعتُ رسولَ الله ﷺ بوادي العَقيق يقولُ : « أتاني آتٍ من ربي ، فقال : صَلِّ في هذا الوادي المبارك ، وقل : عُمْرَةً في حجةٍ » .

وقال البخاري[٣] : باب الإهلال عند مسجد ذي الحُلَيْفة : حدّثنا علي بن عبد الله ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا موسى بن عُقبة ، سمعتُ سالم بن عبد الله (سمعت ابن عمر رضي الله عنهما)[٤] ، وحدّثنا عبد الله بن مَسْلَمة ، ثنا مالكٌ ، عن موسى بن عُقبة ، عن سالم بن عبد الله ، أنه سمع أباه يقولُ : ما أهلَّ رسولُ الله ﷺ إلاَّ مِنْ عِنْدِ المَسْجِدِ ـ يعني مسجد ذي الحُلَيْفةِ ـ .

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرقٍ ، عن موسى بن عُقْبة[٥] . وفي روايةٍ لمسلمٍ[٦] ، عن موسى بن عُقْبة ، عن سالم ونافع وحمزة بن عبد الله بن عمر ، ثلاثتهم عن عبد الله بن عمر . . . فذكره .

---

(١) غبر : بقي (مختار الصحاح : غبر) .
(٢) صحيح البخاري رقم (١٥٣٤) في الحج باب قول النبي ﷺ : العقيق واد مبارك .
(٣) صحيح البخاري (١٥٤١) في الحج باب الإهلال عند مسجد ذي الحليفة .
(٤) ليس ما بين القوسين في ط .
(٥) صحيح مسلم رقم (١١٨٦) في الحج باب أمر أهل المدينة بالإحرام من عند مسجد ذي الحليفة . وجامع الترمذي رقم (٨١٨) في الحج باب ما جاء في أي موضع أحرم النبي ﷺ ، وسنن أبي داود رقم (١٧٧١) في الحج باب وقت الإحرام وسنن النسائي (٥/ ١٦٢) في الحج باب العمل في الإهلال .
(٦) رواه مسلم رقم (١١٨٤) (٢٠) .

وزاد فقال : لبيك اللَّهُمّ ، لَبَّيْك[١] . وفي رواية لهما[٢] من طريق مالكٍ ، عن موسى بن عُقْبة ، عن سالم قال : قال عبد الله بن عمر : بَيْداؤُكُم هذه التي تَكْذِبون فيها على رسول الله ﷺ ، ما[٣] أهَلَّ رسول الله ﷺ إلاّ من عند المسجد .

وقد روي عن ابن عمر خلافُ هذا ، كما سيأتي في الشقّ الآخر ، وهو ما أخرجاه في « الصحيحين »[٤] من طريق مالك ، عن سعيد المَقْبري ، عن عُبيد بن جُريج ، عن ابن عمر ، فذكر حديثاً فيه أنَّ عبد الله قال : وأما الإهلال فإنِّي لمْ أرَ رسولَ الله ﷺ يُهِل حتى تنبعثَ به راحلتُه .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا يعقوب ، حدّثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدّثني خُصَيف بن عبد الرحمن الجَزَري ، عن سعيد بن جُبَير قال : قلت لعبد الله بن عَبّاس : يا أبا العباس ، عجباً لاختلافِ أصحابِ رسول الله ﷺ في إهلالِ رسولِ الله ﷺ حينَ أوجبَ ! فقال : إني لأعلمُ النّاسِ بذلك ، إنما كانت من رسول الله ﷺ حجةٌ واحدةٌ ، فمن هناك اختلفوا ، خرج رسول الله ﷺ حاجّاً ، فلما صلى في مسجده بذي الحُلَيْفة رَكْعَتَيْهِ أوجبَ في مجلسه ، فأهلَّ بالحجّ حينَ فرغَ من رَكْعَتَيْه ، فسمعَ ذلك منه قوم فحفظوا عنه ، ثم ركب ، فلما استقلت[٦] به ناقته أهلّ ، وأدركَ ذلك منه أقوامٌ ، وذلك أنّ النّاس إنّما كانوا يأتون أرْسالاً ، فسمعوه حين استقلَّت به ناقتُه يُهِلُّ ، فقالوا : إنما أهلَّ رسول الله ﷺ حين استقلّت به ناقتُه ، ثم مضى رسول الله ﷺ ، فلما علا شَرَفَ البَيْدَاء أهلَّ ، وأدركَ ذلك منه أقوامٌ ، فقالوا : إنما أهلَّ رسولُ الله ﷺ حين علا شَرَفَ البَيْداء ، وايمُ اللهِ لقد أوْجَبَ في مُصلاه ، وأهلَّ حينَ استقلَّتْ به ناقته ، وأهلَّ حين علا شَرَفَ البَيْداء . فمَنْ أخذَ بقولِ عبد الله بن عباس أهلَّ في مُصَلاّه إذا فرغ من رَكْعَتَيْهِ .

وقد رواه الترمذي والنسائي[٧] جميعاً ، عن قتيبة ، عن عبد السلام بن حرب ، عن خُصَيف به نحوه . وقال التّرمذي : حَسَنٌ غَريبٌ ، لا نعرفُ أحداً رواه غير عبد السلام ، كذا قال . وقد تقدّم رواية الإمام أحمد له من طريق محمد بن إسحاق عنه ، وكذلك رواه الحافظ البيهقي[٨] ، عن الحاكم ، عن القَطيعيّ ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ، ثم قال : خُصَيف الجَزَري غير قوي . وقد رواه الواقدي

---

(١) ليس (اللهم لبيك) في ط .
(٢) رواه البخاري رقم (١٥٤١) ومسلم (١١٨٦) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) رواه البخاري رقم (١٦٦) ومسلم (١١٨٧) .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٠) ، وإسناده ضعيف .
(٦) ط : (انتقلت) . وفي المسند : (استقبلت) .
(٧) جامع الترمذي رقم (٨١٩) في الحج باب ما جاء متى أحرم النبي ﷺ . وسنن النسائي (٥/ ١٦٢) في الحج باب العمل في الإهلال ، وإسناده ضعيف .
(٨) سنن البيهقي (٥/ ٣٧) .

بإسنادٍ له عن ابن عباس . قال البيهقيُّ : إلاّ أنه لا تنفعُ[١] متابعةُ الواقدي ، والأحاديثُ التي وردَتْ في ذلك عن ابن[٢] عمر وغيره أسانيدُها قويّةٌ ثابتةٌ ، والله تعالى أعلم .

قلت : فلو صَحَّ هذا الحديثُ لكانَ فيه جَمْعٌ لما بينَ الأحاديث من الاختلاف ، وبسطٌ لعذرِ منْ نقلَ خلافَ الواقع ، ولكن في إسناده ضعفٌ ، ثم قد رُوي عن ابن عباس وابن عمر خلاف[٢] ما تقدَّم عنهما ، كما سَنُنَبِّهُ عليه ونُبَيِّنُهُ ، وهكذا ذكرَ منْ قال إنه عليه السلام أهلَّ حينَ اسْتَوَتْ به راحِلَتُهُ .

قال البخاري[٣] : حدّثنا عبدُ الله بن محمد ، حدّثنا هِشامُ بن يوسف ، أنبأنا ابن جُرَيْج ، حدّثني محمد بن المُنْكَدِر ، عن أنس بن مالك قال : صَلَّى النبيُّ ﷺ بالمدينة أربعاً وبذي الحُلَيْفَة رَكْعَتَيْن ، ثم باتَ حتى أصْبَحَ بذي الحُليفة ، فلمّا ركبَ راحلتَه واستوتْ به أهلّ .

وقد رواه البخاريّ ومسلمٌ ، وأهلُ السنن[٤] من طرقٍ ، عن محمد بن المُنْكَدِر وإبراهيم بن مَيْسَرة ، عن أنسٍ .

(وثابتٌ) في « الصحيحين »[٥] من حديث مالك ، عن سعيد المَقْبري ، عن عُبَيْد بن جُرَيْج ، عن ابن عمر قال : وأما الإهلالُ فإنّي لم أرَ رسولَ الله ﷺ يُهِلّ حتى تنبعثَ به راحلتُه .

وأخرجاه في « الصحيحين »[٦] من رواية ابن وهبٍ ، عن يونس ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه أنَّ رسول الله كان يركَبُ راحلتَهُ بذي الحُلَيْفَة ، ثم يُهِلُّ حينَ تَسْتَوي به قائمةً .

وقال البخاري[٧] : باب من أهلَّ حينَ استوتْ به راحلَتُه ، حدّثنا أبو عاصم ، حدّثنا ابن جريج ، أخبرني صالحُ بن كَيْسان ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أهلَّ النبيُّ ﷺ حين اسْتَوَتْ به راحِلَتُه قائمةً .

وقد رواه مسلم والنسائي[٨] ، من حديث ابن جُرَيْج به .

---

(١) ط : (ينفع) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) صحيح البخاري رقم (١٥٤٦) كتاب الصلاة باب في تقصير الصلاة .
(٤) البخاري رقم (١٠٨٩) ومسلم رقم (٦٩٠) (١١) في صلاة المسافرين ، وسنن أبي داود رقم (١٢٠٢) في الصلاة باب متى يقصر المسافر وسنن الترمذي رقم (٥٤٦) في الصلاة باب ما جاء في التقصير في السفر وسنن النسائي (١/ ٢٣٤) في الصلاة باب صلاة العصر في السفر ، وليس الحديث عند ابن ماجه .
(٥) صحيح البخاري (١٦٦) ومسلم (١١٨٧) (٢٥) في الحج باب أمر أهل المدينة بالإحرام عند مسجد ذي الحليفة .
(٦) البخاري (١٥١٤) ومسلم (١١٨٧) (٢٩) .
(٧) صحيح البخاري (١٥٥٢) كتاب الحج .
(٨) صحيح مسلم رقم (١١٨٧) (٢٨) في الحج باب أمر أهل المدينة بالإحرام عند مسجد ذي الحليفة وسنن النسائي (٥/ ١٦٢) في الحج باب العمل في الإهلال .

وقال مسلم[١] : حدّثنا أبو بكر بن أبي[٢] شيبة ، حدّثنا عليُّ بن مُسْهِر ، عن عُبَيْد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا وضع رجله في الغَرْز[٣] وانبعثَتْ به راحلتُه قائمةً أهلَّ من ذي الحُلَيفة .

انفرد به مُسلمٌ من هذا الوجه ، وأخرجاه من وجه آخر[٤] ، عن عُبَيْد الله بن عمر ، عن نافعٍ عنه .

ثم قال البخاري[٥] : باب الإهلال مستقبلَ القبلة . قال أبو معمر : حدّثنا عبدُ الوارث ، حدّثنا أيوب ، عن نافع قال : كان ابنُ عمر إذا صلّى الغَداة[٦] بذي الحُلَيْفة أمر براحلته فرُحلت ، ثم ركب ، فإذا استوت به استقبل القبلة قائماً ، ثم يُلبِّي حتى يبلغ الحرم[٧] ، ثم يمسك ، حتى إذا جاء ذا طُوى[٨] بات به حتى يُصْبِحَ ، فإذا صلّى الغداةَ اغْتَسَلَ ، وزعمَ أنّ رسولَ الله ﷺ فعل ذلك ، ثم قال : تابعه إسماعيلُ ، عن أيوب في الغُسْل .

وقد عَلَّق البخاري[٩] أيضاً هذا الحديث في كتاب الحجّ ، عن محمد بن عيسى ، عن حماد بن زيد ، وأسنده فيه[١٠] عن[١١] يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرقي ، عن إسماعيل ، هو ابن عُلَيَّة .

ورواه مُسْلمٌ ، عن زهير بن حَرْبٍ ، عن إسماعيل ، وعن أبي الربيع الزَّهراني وغيره ، عن حماد بن زيد ، ثلاثتُهم عن أيوب بن أبي تَميمة السَّخْتياني به[١٢] . ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن إسماعيل بن عُلَيَّة به .

ثم قال البخاري[١٣] : حدّثنا سليمان أبو الربيع ، حدّثنا فُلَيْح ، عن نافع قال : كان ابنُ عمر إذا أراد

(١) صحيح مسلم رقم (١١٨٧) (٢٧) في الحج باب الإهلال من حيث تنبعث راحلته .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) الغرز : ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب ، وقيل : هو الكور مطلقاً مثل الركاب للسرج (النهاية : غرز) .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٨٦٥) ولم نره عند مسلم من وجه آخر .
(٥) صحيح البخاري رقم (١٥٥٣) .
(٦) في صحيح البخاري « بالغداة » .
(٧) في صحيح البخاري « المحرم » .
(٨) ذو طوى : بفتح الطاء وضمها واد بمكة (معجم البلدان) .
(٩) برقم (١٧٦٩) .
(١٠) برقم (١٥٧٣) .
(١١) ط : (فهو يعقوب) .
(١٢) رواه مسلم رقم (٢٢٥٩) من طريق أبي الربيع الزهراني عن حماد .
(١٣) صحيح البخاري (١٥٥٤) كتاب الحج باب الإهلال مستقبل القبلة .

الخروجَ إلى مكة ادَّهَنَ بدُهْنٍ ليس له رائحة طيبة ، ثم يأتي مسجد ذي الحُلَيْفة فيُصلّي ، ثم يَرْكَب ، فإذا استوت به راحلتُه قائمة أحْرَمَ ، ثم قال : هكذا رأيتُ رسول الله ﷺ يفعلُ .

تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وروى مسلم(١) ، عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن أبيه قال : بَيْداؤُكم هذه التي تَكْذِبون على رسول الله ﷺ فيها ، واللهِ ما أهلّ رسول الله ﷺ إلا عند الشجرة ، حين قام به بعيرُه .

وهذا الحديث يجمع بين رواية ابن عمر الأولى وهذه الروايات عنه ، وهو أن الإحرام كان من عند المسجد ، ولكن بعدما ركب راحلته واستوت به على البيداء يعني الأرض وذلك قبل(٢) أن يصل إلى المكان المعروف بالبيداء .

ثم قال البخاري(٣) في موضع آخر : حدّثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي ، حدّثنا فُضَيْل بن سليمان ، حدّثنا موسى بن عقبة ، حدّثني كُرَيب ، عن عبد الله بن عباس قال : انطلق النبي ﷺ من المدينة بعدما ترجَّلَ وادَّهَنَ ولبسَ إزارَهُ ورداءَه هو وأصحابه ، ولم يَنْهَ عن شيء من الأردية والأزُر تُلْبَسُ ، إلا المُزَعْفَرَةَ التي تُرْدَعُ على الجلد ، فأصبح بذي الحُلَيْفَة ، ركب راحلته ، حتى استوَتْ على البَيْداء ، أهلّ هو وأصحابه ، وقَلَّدَ (بدنته وذلك لخمس بقين من ذي القعدة ، فقدم مكة لأربع ليالٍ خَلَوْنَ من ذي الحجّة فطافَ بالبيت وسعى بين الصَّفا والمَرْوة ولم يُحِلَّ من أجل بُدْنِهِ لأنّه قَلَّدها ثم نزل بأعلى مكة)(٤) عند الحَجون وهو مُهِلٌّ بالحجِّ ، ولم يَقْرَبِ الكعبةَ [بعد] طوافه بها حتى رجعَ من عرفة ، وأمر أصحابه أن يَطَّوَّفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ، ثم يُقَصِّروا من رؤوسهم ، ثم يُحِلُّوا ، وذلك لمن لم يكن معه بَدَنةٌ قلَّدها ، ومن كانت معه امرأته فهي له حَلالٌ والطِّيْب والثِّياب .

انفرد به البخاري .

وقد روى الإمام أحمد(٥) ، عن بَهْز بن أسد ، وحجّاج ، ورَوْح بن عُبادة ، وعفان بن مسلم ، كلُّهم عن شعبة ، قال : أخبرني قتادة قال : سمعتُ أبا حسّان الأعْرج الأجْرَد وهو مُسْلم بن عبد الله البصري ، عن ابن عباس ، قال : صلَّى رسولُ الله ﷺ الظهرَ بذي الحُلَيْفة ، ثم دعا بَبَدنَتِه فأشْعَر صفحةَ سنامِها

---

(١) صحيح مسلم رقم (١١٨٦) (٢٤) كتاب الحج باب أمر أهل المدينة بالإحرام عند مسجد ذي الحليفة .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) صحيح البخاري رقم (١٥٤٥) كتاب الحج باب ما يلبس المحرم من الثياب والأردية .
(٤) ما بين القوسين في ط : (بدنه لأنه قلدها ولم تزل بأعلامكه) .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٥٤) .

الأيمن ، وسَلَت الدمَ عنها ، وقلَّدها نَعْلَيْن ، ثم دعا براحِلَتِهِ ، فلما اسْتَوَتْ على البَيْداء أَهَلَّ بالحَجّ .

ورواه أيضاً[١] ، عن هُشَيْم ، أنبأنا أصحابنا ، منهم شُعبة ، فذكر نحوه . ثم رواه أحمد[٢] أيضاً عن رَوْح وأبي داود الطَّيالسي ، ووكيع بن الجَرّاح ، كلُّهم عن هشام الدَّسْتُوائي ، عن قتادة به نحوه . ومن هذا الوجه رواه مسلم في « صحيحه » وأهل السنن في كتبهم[٣] .

فهذه الطرق عن ابن عباس ، من أنه عليه السلام أهلَّ حين استوت به راحلته أصحّ وأثبتُ من رواية خُصَيْف الجَزَري ، عن سعيد بن جبير عنه . والله أعلم .

وهكذا الرواية المثبتة المفسرة أنَّه أهلَّ حينَ اسْتَوَتْ به الراحلةُ مقدَّمة على الأخرى ، لاحتمال أنَّه أحرم من عند المسجد حين استوَتْ به راحلتُه ، وتكونُ روايةُ رُكُوبِهِ الراحلةَ فيها زيادةُ عِلْم على الأخرى ، والله أعلم .

ورواية أنس في ذلك سالمةٌ عن المُعارض ، وهكذا رواية جابر بن عبد الله في « صحيح مسلم »[٤] من طريقِ جَعْفر الصّادق ، عن أبيه ، [محمد بن علي] أبي[٥] الحسين زين العابدين ، عن جابر في حديثه الطويل الذي سيأتي ، أن رسول الله ﷺ أهلَّ حينَ اسْتَوَتْ به راحلتُه سالمة عن المُعارض . والله أعلم .

وروى البخاري[٦] من طريق الأوْزاعي ، سمعتُ عطاءً ، عن جابرِ بن عَبْد الله : أنَّ إهلالَ رسولِ الله من ذي الحُلَيفة حين اسْتَوَتْ به راحلتهُ .

فأما الحديثُ الذي رواه محمد بن إسحاق بن يسار ، عن أبي الزِّناد ، عن عائشة بنت سعد ، قالت : قال سعد : كان رسولُ الله ﷺ إذا أخذَ طريق الفُرْع[٧] أهلَّ إذا استَقَلّتْ به راحلتُه ، وإذا أخذَ طريق أُحد[٨] أهلَّ إذا علا على شَرَفِ البَيْداء . فرواه أبو داود والبيهقي[٩] من حديث ابن إسحاق ، وفيه غَرابةٌ ونكارةٌ ،

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢١٦) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٤٤ ، ٣٧٢) .
(٣) صحيح مسلم رقم (١٢٤٣) في الحج باب تقليد الهدي وسنن الترمذي رقم (٩٠٦) في الحج باب ما جاء في إشعار البدن وسنن أبي داود رقم (١٧٥٢) في المناسك باب الإشعار والنسائي (٥/ ١٧٠) ، ١٧٢ في الحج باب أي الشقين يشعر وسنن ابن ماجه رقم (٣٠٩٧) في المناسك باب إشعار البدن .
(٤) رقم (١٢١٨) .
(٥) ط : (عن أبي الحسين) ولفظ عن زائدة .
(٦) صحيح البخاري (١٥١٥) في الحج باب قول الله تعالى « يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر » .
(٧) الفُرْع : قرية من نواحي المدينة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة (معجم البلدان) .
(٨) في الأصول : طريقاً أخرى .
(٩) سنن أبي داود رقم (١٧٧٥) كتاب المناسك باب في وقت الإحرام ، وسنن البيهقي (٥/ ٣٨ ـ ٣٩) كتاب الحج باب من قال : يهل إذا انبعثت راحلته .

والله أعلم . فهذه الطرقُ كلُّها دالَّةٌ ـ على القطع أو الظن الغالب ـ أنَّه عليه الصلاة والسلام أحرمَ بعد الصلاةِ وبعد ما ركِبَ راحلتَه وابتدأتْ به السَّيْر . زاد ابن عمر في روايته ، وهو مستقبلٌ القبلةَ .

بابُ

بَسْطِ البيانِ لما أحْرَمَ به عليه الصلاة والسلام في حجّتِه هذه من الإفْرادِ والتَّمتُّعِ والقِرانِ

(ذكر الأحاديث الواردة بأنه عليه الصلاة والسلام كان مُفرِداً)[(١)]

رواية عائشة أم المؤمنين في ذلك :

قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : أنبأنا مالك ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ أفْرَدَ الحَجَّ .

ورواه مسلم[(٢)] عن إسماعيل ، عن أبي أُوَيس ، ويحيى بن يحيى ، عن مالك . ورواه الإمام أحمد[(٣)] ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن مالك به .

وقال أحمد[(٤)] : حدّثنا إسحاق بن عيسى ، حدّثني المُنْكَدر بن محمد ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ أفْرَدَ الحَجَّ .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : حدّثنا سُرَيْج ، حدّثنا[(٥)] ابن أبي الزِّناد ، عن أبيه ، عن عروة ، عن عائشة . وعن علقمة بن أبي علقمة ، عن أمه ، عن عائشة . وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أنّ رسول الله ﷺ أفْرَدَ الحَجَّ .

تَفَرَّدَ به أحمدُ من هذه الوجوه عنها .

وقال الإمام أحمد[(٦)] : حدّثني عبد الأعلى بن حماد قال : قرأت على مالك بن أنس ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ أفْرَدَ الحَجَّ .

وقال[(٦)] : حدّثنا رَوْحٌ ، ثنا مالك ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ـ وكان يتيماً في حِجْر عُرْوة ـ عن عروة بن الزبير ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ أفردَ الحَجَّ .

---

(١) هذا الجزء من العنوان ليس في ط .
(٢) صحيح مسلم رقم (١٢١١) (١٢٢) في الحج باب بيان وجوه الإحرام .
(٣) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٦) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٠٧) .
(٥) ليس اللفظ في أ .
(٦) المسند (٦/ ٢٤٣) .

ورواه[١] ابن ماجه ، عن أبي مصعب ، عن مالك كذلك .

ورواه النَّسائي[٢] ، عن قتيبة ، عن مالك ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة : أن رسول الله أهَلَّ بالحَجِّ .

وقال أحمد[٣] أيضاً : حدّثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله ، فمنّا مَنْ أهَلَّ بالحَجِّ ، ومِنّا مَنْ أَهَلَّ بالعُمْرة ، ومنّا من أهَلَّ بالحَجِّ والعُمْرة ، وأَهَلَّ رسولُ الله ﷺ بالحَجِّ ، فأمّا منْ أهَلَّ بالعُمْرة فأحلُّوا حينَ طافوا بالبَيْتِ وبالصَّفا والمَرْوةِ ، وأما من أهَلَّ بالحجِّ أو بالحجِّ والعُمْرة ، فلم يُحِلّوا إلى يومِ النَّحْرِ .

وهكذا رواه البخاري[٤] ، عن عبد الله بن يوسف والقَعْنَبي[٥] وإسماعيل بن أبي أُوَيْس ، عن مالك .
ورواه مسلم[٦] ، عن يحيى ، عن مالك به .

وقال أحمد[٧] : حدّثنا سُفْيان ، عن الزُّهْري ، عن عُرْوة ، عن عائشة قالت[٨] : أَهَلَّ رسولُ الله ﷺ بالحَجِّ ، وأَهَلَّ ناسٌ بالحَجِّ والعُمرة ، وأهلَّ ناس بالعمرة .

ورواه مسلم[٩] عن ابن أبي عمر ، عن سُفْيان بن عُيَيْنة به نحوه .

فأما الحديثُ الذي قال الإمام أحمد[١٠] : حدّثنا قتيبة بن سعيد ، حدّثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عَلْقَمة بن أبي علقمة ، عن أمّه ، عن عائشة : أن رسولَ الله ﷺ أمرَ النّاسَ في حجة الوَداعِ فقال : من أحَبَّ أن يبدأ [منكم][١١] بعُمْرَةٍ قبل الحجِّ فليفعل ، وأفردَ رسولُ الله ﷺ الحجَّ ولم يَعْتَمر » . فإنّه حديثٌ غريبٌ جداً ، تفرَّد به أحمد بن حَنْبل ، وإسنادُهُ لا بأسَ به ، ولكن لفظه فيه نَكارة شديدة وهو قوله : فلم يَعْتَمر . فإنْ أُريدَ بهذا أنّه لم يعتمرْ مع الحَجِّ ولا قَبْلَه فهو[١٢] قولُ مَنْ ذَهَبَ إلى الإفراد ، وإن أُريدَ أنه لم

(١) سنن ابن ماجه رقم (٢٩٦٥) في المناسك باب الإفراد بالحج ، وهو في الموطأ برواية أبي مصعب الزهري (١٠٧٧).
(٢) سنن النسائي (٥/ ١٥٥) في مناسك الحج ، إفراد الحج .
(٣) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٦) .
(٤) صحيح البخاري (١٥٦٢) و(٤٤٠٨) .
(٥) ط : (القعنبي) وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٥٧) .
(٦) صحيح مسلم رقم (١٢١١) (١١٨) كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام .
(٧) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٧) .
(٨) ليس اللفظ في ط .
(٩) صحيح مسلم رقم (١٢١١) (١١٤) .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٦/ ٩٢) .
(١١) الزيادة من المسند .
(١٢) ط : (هو) .

يَعْتَمر بالكُلِّية لا قبلَ الحجِّ ولا معه ولا بعدَه ، فهذا ممّا لا أعلمُ أحداً من العلماء قال به ، ثم هو مخالفٌ لما صَحَّ عن عائشة وغيرها من أنه ﷺ اعتمَرَ أربعَ عُمَر كلّهن في ذي القعدة ، إلا التي مع حجّته . وسَيأْتي تَقْرير هذا في فَضْل القِرانِ مُسْتَقْصى . والله أعلم .

وهكذا الحديثُ الذي رواه الإمام أحمد قائلاً في « مسنده »[(١)] : حدّثنا رَوْحٌ ، حدّثنا صالِحُ بن أبي الأخْضَرِ ، حدّثنا ابن شِهابٍ أنّ عُروةَ أخْبَرَهُ : أنّ عائشةَ زوجَ النبيّ ﷺ قالت : أهلَّ رسولُ الله بالحَجِّ والعُمْرَةِ في حجةِ الوداع، وساق معه الهَدْي، وأهلَّ ناسٌ معه بالعمرة وساقوا الهدي، وأهلَّ[(٢)] ناسٌ بالعمرةِ ولم يسوقوا هَدْياً . قالت عائشةُ : وكنتُ مِمَّن أهَلَّ بالعُمْرة ولم أسُقْ هَدْياً ، فلما قدم رسول الله ﷺ قال : « منْ كانَ منكم أهَلَّ بالعُمْرة فساقَ معه الهَدْي فَلْيَطُفْ بالبَيْتِ وبالصَّفا والمَرْوة ، ولا يَحِلُّ منه شيءٌ حَرُم منه حتى يقضيَ حجَّه ويَنْحَرَ هَدْيَهُ يوم النَّحْرِ ، ومنْ كانَ منكم أهلَّ بالعُمْرَةِ ولم يَسُقْ معه هَدْياً فَلْيَطُفْ بالبيتِ وبالصَّفا والمَرْوة ، ثم لْيُقَصِّر[(٣)] ولْيُحْلِلْ ، ثم لِيُهِلّ بالحَجِّ ولْيُهْدِ ، فمَنْ لم يَجِدْ فصيامُ ثَلاثَةِ أيامٍ في الحجِّ وسَبْعَةٍ إذا رَجَعَ إلى أهله » .

قالت عائشة : فقدَّمَ رسولُ الله الحجَّ الذي خاف فَوْتَهُ وأَخَّر العُمرة .

فهو حديث من أفْراد الإمام أحمد ، وفي بعض ألفاظه نكارةٌ ، ولبعضه شاهدٌ في الصَّحيح[(٤)] . وصالحُ بن أبي الأخضر ليس من عِلْيَةِ أصحابِ الزُّهْري ، لا سيما إذا خَالَفَهُ غَيْرُه كما هاهنا في بعضِ ألفاظِ سياقِهِ هذا . وقوله : فَقَدَّم الحجَّ الذي يخافُ فَوْتَه وأخَّرَ العُمرةَ لا يَلْتَئِمُ مع أول الحديث أَهَلَّ بالحَجِّ والعُمْرَةِ ، فإنْ أرادَ أنَّهُ أَهَلَّ بهما في الجملة وَقَدَّمَ أفعالَ الحجّ ، ثم بعد فراغه أهلَّ بالعمرة ـ كما يقوله من ذهب إلى الإفراد ـ فهو مما نحن فيه هاهنا ، وإنْ أرادَ أنه أَخَّر العُمْرة[(٥)] بالكلية بعد إحرامه بها ، فهذا لا أعلمُ أحداً من العلماء صار إليه ، وإن أراد أنه اكتفى بأفعالِ الحجِّ عن أفعالِ العُمْرة ، ودَخَلَتِ العمرةُ في الحجّ ، فهذا قولُ من ذَهَبَ إلى القِران ، وهم يُؤوِّلون قولَ منْ روى أنه عليه الصلاة والسلام أفردَ الحجَّ ، أي : أفردَ أفعالَ الحجّ ، وإن كان قد نَوى مَعَه العُمْرَة ، قالوا : لأنّه قد روى القِران كلّ منْ رَوَى الإفرادَ ، كما سيأتي بيانُه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٤٣) .

(٢) ط : (وأقل) تحريف .

(٣) في مسند الإمام أحمد : « ثم ليفض وليحل » .

(٤) في البخاري رقم (١٦٩١) .

(٥) ط : (بالعمرة) ، والباء مقحمة .

رواية جابر بن عبد الله في الإفراد :

قال الإمام أحمد(١) : حدّثنا أبو مُعاوية ، حدّثنا الأعْمش ، عن أبي سُفيان ، عن جابر بن عبد الله قال : أهلَّ رسولُ الله ﷺ في حجته(٢) بالحَجِّ . إسنادُه جيدٌ على شرط مسلم .

ورواه البيهقي(٣) عن الحاكم وغيره ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، قال : أَهَلَّ رسولُ الله في حجته بالحجِّ ليس معه عمرةٌ .

وهذه الزيادةُ غريبة جداً . ورواية الإمام أحمد بن حنبل أحفظُ . والله أعلم .

وفي صحيح مسلم(٤) من طريق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : وأَهْلَلْنا بالحَجِّ لسنا نعرفُ العُمْرَة .

وقد روى ابن ماجه(٥) عن هشام بن عمار ، عن الدَّراوَرْدي وحاتم بن إسماعيل ، كلاهما عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر : أنّ رسولَ الله ﷺ أفرد الحجَّ .

وهذا إسناد جيد .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدّثنا عبد الوهاب الثقفي ، حدّثنا حبيب ـ يعني المُعَلِّمَ ـ عن عطاء ، حدّثني جابر بن عبد الله : أنّ رسول الله ﷺ أهلّ هو وأصحابه بالحجِّ ، ليس مع أحد منهم هَدْيٌ إلا النبي ﷺ وطلحة . . . وذكر تَمامَ الحَديث .

وهو في صحيح البخاري(٧) بطوله ، كما سيأتي ، عن محمد بن المثنى ، عن عبد الوهاب .

رواية عبد الله بن عمر للإفراد :

قال الإمام أحمد(٨) : حدّثنا إسماعيل بن محمد ، حدّثنا عَبّاد ـ يعني ابن عباد ـ حدّثني عبيدالله بن عمر(٩) عن نافع ، عن ابن عمر قال : أهللنا مع النبي ﷺ بالحَجِّ مُفْرداً .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣١٥) .
(٢) في المسند : (حجة الوداع) .
(٣) سنن البيهقي (٥/ ٤) كتاب الحج باب من اختار الإفراد .
(٤) صحيح مسلم (١٤٧/ ١٢١٨) .
(٥) سنن ابن ماجه رقم (٢٩٦٦) في الحج باب الإفراد في الحج .
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٠٥) .
(٧) رواه البخاري رقم (١٦٥١) .
(٨) مسند الإمام أحمد (٢/ ٩٧) .
(٩) ط : (عبيد الله بن عبد الله بن عمر) وانظر تهذيب الكمال (١٩/ ١٢٤) .

ورواه مسلم[١] في « صحيحه » ، عن عبد الله بن عون ، عن عبّاد بن عباد ، عن عُبَيْد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ أهلَّ بالحجِّ مُفْرداً .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدّثنا الحسن بن عبد العزيز ومحمد بن مسكين قالا : حدّثنا بشرُ بن بكر ، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ أهَلَّ بالحجِّ - يعني مفرداً - .

إسناده جيد ، ولم يخرجوه .

رواية ابن عباس للإفراد :

روى الحافظ البَيْهَقي[٢] من حديث رَوْح بن عبادة ، عن شُعبة ، عن أيّوب ، عن أبي العالية البرَّاء ، عن ابن عباس أنه قال : أَهَلَّ رسولُ الله ﷺ بالحجِّ ، فَقَدِمَ لأربع مَضَيْنَ من ذي الحجة ، فصلَّى بنا الصُّبْحَ بالبطحاء ، ثم قال : منْ شاء أن يجعلَها عُمْرةً فَلْيَجْعَلْها ؛ ثمَّ قال : رواه مسلم[٣] ، عن إبراهيم بن دينار ، عن رَوْح .

وتقدَّم من رواية قتادة عن أبي حَسّان الأعْرج ، عن ابن عباس : أنَّ رسول الله ﷺ صلَّى الظهرَ بذي الحُلَيْفة ، ثم أتَى ببدَنَةٍ فأشعرَ صَفْحةَ سنامِها الأيمن ، ثم أتى براحلته ، فركبَها ، فلما اسْتَوَتْ به على البَيْداء أَهَلَّ بالحَجِّ .

وهو في صحيح مسلم أيضاً[٤] .

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني[٥] : حدّثنا الحسين بن إسماعيل ، حدّثنا أبو هشام ، حدّثنا أبو بكر بن عَيّاش ، حدّثنا أبو حصين ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه قال : حَجَجْتُ مع أبي بكر فَجَرَّدَ ، ومع عمر فَجَرَّدَ ، ومع عثمانَ فَجَرَّدَ .

تابعه الثوريُّ عن أبي حصين . وهذا إنما ذكرناه هاهنا ، لأنَّ الظاهر أن هؤلاء الأئمةَ رضي الله عنهم ، إنما يفعلون هذا عن توقيف . والمراد بالتَّجريد هاهنا الإفراد والله أعلم .

---

(١) صحيح مسلم رقم (١٢٣١) في الحج باب في الإفراد والقران بالحج والعمرة .
(٢) سنن البيهقي (٥/ ٤) كتاب الحج باب من اختار الإفراد .
(٣) صحيح مسلم رقم (١٢٤٠) (٢٠١) كتاب الحج باب جواز العمرة في أشهر الحج .
(٤) صحيح مسلم رقم (١٢٤٣) في الحج باب تقليد الهدي وإشعاره .
(٥) سنن الدارقطني (٢/ ٢٣٩) .

وقال الدارقطني[١] : حدّثنا أبو عُبيد[٢] القاسم بن إسماعيل ومحمد بن مَخْلَد[٣] قالا : حدّثنا عليّ بن محمد بن معاوية الرزاز[٤] ، حدّثنا عبد الله بن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنَّ النبيَّ ﷺ استعمل عَتّاب بن أَسِيْد على الحجِّ فَأَفْرَدَ ، ثم استعمل أبا بكر سنة تسعٍ فأفرد الحجَّ ، ثم حجَّ النبي ﷺ سنة عشرٍ فأَفْرَدَ الحَجَّ ، ثم توفي رسول الله ﷺ واستُخْلف أبو بكر ، فبعثَ عمر ، فأَفْرَدَ الحَجَّ ، ثم حَجَّ أبو بكر فأَفْرَدَ الحَجَّ ، وتوفي أبو بكر واستُخْلِفَ عُمر ، فبعثَ عبدَ الرحمن بن عَوْف ، فأَفْرَدَ الحَجَّ ، ثم حَجَّ[٥] فأفردَ الحَجَّ ، (ثم توفي عمر واستخلف عثمان فأفرد الحج)[٦] ثم حُصر عثمان ، فأقام عبد الله بن عباس للناس ، فأفرد الحج .

في إسناده عبد الله بن عمر العُمَري ، وهو ضعيفٌ ، لكن قال الحافظ البيهقي : له شاهدٌ بإسنادٍ صحيحٍ .

ذِكْرُ مَنْ[٧] قال إنَّه ﷺ حجَّ مُتَمَتِّعاً

قال الإمام أحمد[٨] ، حدّثنا حَجّاج ، حدّثنا ليثٌ ، حدّثني عُقَيْل ، عن ابن شِهاب ، عن سالم بن عبد الله ، أنَّ عبد الله بن عمر قال : تَمَتَّعَ رسولُ الله ﷺ في حجَّةِ الوداع بالعُمْرَةِ إلى الحَجِّ ، وأهدى[٩] فساقَ الهَدْي من ذي الحُلَيْفة ، وبدأَ رسولُ الله ﷺ ، فَأَهَلَّ بالعُمْرَةِ ، ثم أَهلَّ بالحَجّ ، وكان[١٠] من الناس من أَهْدَى فَساقَ الهَدْيَ من ذي الحُلَيْفة ، ومنهم من لم يُهْدِ ، فلما قدم رسول الله ﷺ مكةَ قال للنّاس : « مَنْ كانَ منكم أهْدى فإنَّه لا يَحلُّ من شيءٍ حَرُمَ منه حتى يَقْضي حَجَّه ، ومنْ لم يَكُنْ [منكم] أهدى فلْيَطُفْ بالبيتِ وبالصَّفا والمَرْوة وليُقَصِّر وليُحْلِلْ ثم ليُهِلَّ بالحَجّ وليَهْدِ ، فَمنْ لم يَجِدْ هَدْياً فَلْيَصُمْ ثلاثَةَ أيّامٍ [في الحج] وسبعةً إذا رجعَ إلى أهله » وطافَ رسولُ الله ﷺ حينَ قَدِمَ مكة ، استلمَ الرُّكن[١١] أولَ

---

(١) سنن الدارقطني (٢/ ٢٣٩) .

(٢) ط : (عبيد الله) وانظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٣) .

(٣) الإكمال (٧/ ٢٢٣) .

(٤) في سنن الدارقطني : البزاز .

(٥) في سنن الدارقطني : (ثم حج عمر سنيه كلّها فأفرد) .

(٦) ليس ما بين القوسين في ط .

(٧) ط : (ذكر ما قاله أنه) .

(٨) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٣٩) ، وإسناده صحيح .

(٩) ليس اللفظ في ط .

(١٠) في مسند الإمام أحمد « ثم أهل بالحج ، وتمتع الناس مع رسول الله ﷺ بالعمرة إلى الحج ، فإنّ من الناس من أهدى . . » .

(١١) ط : (الحجر) .

شيءٍ ، ثم خَبَّ[١] ثلاثةَ [أطواف] من السبع ، ومشى أربعةَ أطوافٍ ، ثم ركعَ حين قضى طوافه بالبيتِ عند المقامِ ركعتين ، ثم سلَّم فانصرفَ ، فأتى الصَّفا ، فطافَ بالصَّفا والمَرْوة ، ثم لم يُحْلِلْ من شيءٍ حَرُمَ منه ، حتى قَضَى حَجَّه ونَحَر هَدْيه يوم النَّحْرِ ، وأفاضَ فطافَ بالبَيْتِ[٢] وفعلَ مثلَ ما فعلَ رسولُ الله ﷺ من أهدى فساقَ الهَدْيَ من النّاسِ .

قال الإمام أحمد[٣] : وحدّثنا حجاجٌ ، حدّثنا ليثٌ ، حدّثني عُقَيْل ، عن ابن شهابٍ ، عن عروة بن الزبير ، أنَّ عائشة أخبرتْهُ عن رسول الله ﷺ في تمتُّعِه بالعُمْرة إلى الحجّ ، وتمتُّع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالمُ بن عبد الله ، عن عبد الله ، عن رسول الله ﷺ .

وقد رَوى هذا الحديثَ البخاريُّ ، عن يحيى بن بكير ، ومسلمٌ وأبو داود ، عن عبد الملك بن شعيب بن الليث ، عن أبيه . والنّسائي[٤] ، عن محمد بن عبد الله بن المبارك المُخَرَّمي ، عن حُجَيْن بن المُثَنَّى ، ثلاثتُهم عن الليث بن سعد ، عن عُقَيْل ، عن الزهري ، (عن سالم عن أبيه به ، وأخرجاه صاحبا الصحيح[٥] من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهري)[٦] ، عن عروة ، عن عائشة كما ذكره الإمام أحمد رحمه الله .

وهذا الحديثُ من المُشْكِلاتِ على كلٍّ من الأقوال الثلاثة ؛ أما قول الإفراد ، ففي هذا إثبات عمرة إما قبلَ الحجّ أو معه ، وأمّا على قول التَّمتّع الخاص ، فلأنّه ذَكَر أنه لم يَحِلَّ من إحرامِهِ بعدَ ما طافَ بالصَّفا والمَرْوة ، وليس هذا شأن المُتَمَتِّع . ومَنْ زَعَمَ أنّه إنّما مَنَعه من التَّحَلُّلِ سَوْقُ الهَدْي كما قد يُفْهَم من حديث ابن عمر ، عن حَفْصَة أنها قالت : يا رسولَ الله ما شأنُ الناسِ حلُّوا من العُمْرة ولم تحِلَّ أنتَ من[٧] عُمْرَتك ؟ فقال : « إني لبَّدْتُ رأسي ، وقلَّدْتُ هَدْيي ، فلا أحِلُّ حتى أنحر »[٨] . فقولُهُم بعيدٌ لأنَّ

---

(١) الخبب ضرب من العدو (النهاية : خبب) .
(٢) بعدها في المسند : (ثم حَلَّ من كل شيءٍ حَرُمَ منه) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٤٠) .
(٤) صحيح البخاري رقم (١٦٩١) في الحج باب من ساق البدن معه ، وصحيح مسلم رقم (١٢٢٧) في الحج باب وجوب الدم على المتمتع ، وسنن أبي داود برقم (١٨٠٥) في الحج باب في الإقران وسنن النسائي (٥/ ١٥١) في الحج باب التمتع .
(٥) صحيح البخاري رقم (١٦٩٢) في الحج باب من ساق البدن معه وصحيح مسلم رقم (١٢٢٨) كتاب الحج باب وجوب الدم على المتمتع .
(٦) ما بين القوسين ليس في ط .
(٧) ليس اللفظ في ط .
(٨) صحيح البخاري (١٥٦٦) في الحج باب التمتع والإقران والإفراد في الحج ، وصحيح مسلم رقم (١٢٢٩) كتاب الحج باب أن القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد ، وسنن أبي داود رقم (١٨٠٦) في المناسك وسنن النسائي (٥/ ١٣٦) في الحج باب التلبيد عند الإحرام ، وسنن ابن ماجه (٣٠٤٦) في المناسك ومسند الإمام أحمد=

الأحاديث الواردةَ في إثبات القِران تردُّ هذا القول ، وتأبى كونَه عليه الصلاة والسلام إنما أهَلَّ أولاً بعمرةٍ ، ثم بعدَ سَعْيِهِ بالصَّفا والمَرْوة أهلَّ بالحج ، فإنَّ هذا على هذه الصِّفَةِ لم يَنْقُلْه أحدٌ بإسنادٍ صحيح ، بل ولا حسنٍ ولا ضعيفٍ .

وقوله في هذا الحديث : تَمَتَّعَ رسولُ الله ﷺ في حجّةِ الوَداعِ بالعُمْرة إلى الحجِّ ، إن أُريد بذلك التّمتع الخاص ، وهو الذي يحلّ منه بعد السَّعْي فليس كذلك ، فإنّ في سياق الحديث ما يرُدُّه ، ثم في إثبات العُمْرة المقارنة لحجّه عليه الصلاة والسلام ما يأباه ، وإن أُريد به التمتُّع العامّ دخل فيه القِرانُ ، وهو المراد .

وقوله : وبَدَأَ رسولُ الله ﷺ فأهَلَّ بالعُمْرة ، ثم أهلَّ بالحَجِّ ، إن أُريد به بَدَأَ بلفظِ [العمرة على لفظ الحجِّ بأن قال : « لَبَّيكَ اللهُمَّ عمرةً وحَجّاً ، فهذا سَهْلٌ ، ولا يُنافي القِرانَ . وإن أُريد به أنه أهَلَّ بالعُمْرة أولاً ، ثم أَدْخَلَ عليها الحَجَّ بتراخٍ[(١)] ولكن قبلَ الطَّواف قد صار قارناً أيضاً . وإن أُريد به أنَّه أهَلَّ بالعُمْرة ، ثم لمّا[(٢)] فرغَ من أفعالها تَحَلَّل ، أو لم يَتَحَلَّل بسَوْقِ الهَدْيِ ، كما زَعَمه زاعمون ، ولكنّه أهلَّ بحجٍّ بعد قضاءِ مناسِكِ العُمْرة ، وقبلَ خُروجِه إلى منًى ، فهذا لم يَنْقُلْه أحدٌ من الصَّحابة كما قدَّمْنا ، ومنِ ادَّعاهُ من النّاسِ فقولُهُ مَرْدودٌ لعدم نقله ، ومُخالفَتِهِ الأحاديثَ الواردةَ في إثبات القِرانِ كما سيأتي ، بل والأحاديثَ الواردةَ في الإفراد كما سبق ، والله أعلم .

والظَّاهرُ واللهُ أعلم أنّ حديثَ الليثِ هذا ، عن عُقَيْلٍ ، عن الزُّهري ، عن سالمٍ ، عن ابن عمر . مَرْوِيٌّ من الطريق الأخرى ، عن ابن عمر حين أراد الحج ، زمن[(٣)] مُحاصَرة الحَجَّاج لابن الزُّبَيْر ، فقيل[(٤)] له : إنَّ الناسَ كائنٌ بينَهم شيءٌ ، فلو أَخَّرْتَ الحَجَّ عامك هذا . فقال : إذاً أفعل كما فعل النبي ﷺ يعني زمن حُصرَ عامَ الحُدَيبية ، فأحرم بعُمرةٍ من ذي الحُلَيفة ، ثمّ[(٤)] لما علا شَرَفَ البَيْداء قال : ما أرى أمْرهما إلا واحداً ، فأهلَّ بحجٍّ معها . فاعتقد الراوي أنَّ رسول الله ﷺ هكذا فَعَلَ سواء ، بَدَأَ فأَهَلَّ بالعُمْرة ، ثم أَهَلَّ بالحَجِّ ، فَرَوَوْهُ كذلك ، وفيه نظر لما سَنُبَيِّنُهُ .

وبيانُ هذا في الحديثِ الذي رواهُ عبدُ اللهِ بن وهبٍ ؛ أخبرني مالك بن أنس وغيره ، أنَّ نافعاً حَدَّثَهم ، أنّ عبدَ الله بن عُمَرَ خَرَجَ في الفِتْنَةِ مُعْتَمِراً ، وقال : إن صُددْتُ عن البيت صَنَعْنا كما صَنَعَ رسولُ الله ﷺ ، فَخَرَجَ فأَهَلَّ بالعُمْرة ، وسارَ حَتَّى إذا ظَهَرَ على ظاهرِ البَيْداء التفتَ إلى أصحابه فقال : ما أمْرُهما إلا

= (٦/ ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥) .

(١) ط : (متراخ) .

(٢) ليس اللفظ في ط .

(٣) ط : (حين أفرد الحج ومن) .

(٤) ليس اللفظ في ط .

واحدٌ ، أُشْهِدُكُم أنّي قد أَوْجَبْتُ الحَجَّ مع العُمْرة ، فخرجَ حتَّى جاءَ البيتَ فطافَ به ، وطاف بينَ الصَّفا والمَرْوة سبعاً ، لم يَزِدْ عليه ، ورأى أن ذلك مُجزئٌ[١] عنه ، وأَهْدَى .

وقد أخرجهُ صاحبا « الصَّحيح » من حديث مالكٍ ، وأَخْرَجاه من حديث عُبَيْد الله عن نافع به ، ورواه عبد الرزاق ، عن عُبَيْد الله وعبد العزيز بن أبي داود ، عن نافع به نحوه ، وفيه : ثم قال في آخره : هكذا فعل رسول الله ﷺ[٢] .

وفيما رواه البخاري حيثُ قال[٣] : حدّثنا قُتيبة ، حدّثنا لَيْثٌ ، عن نافع ، أنَّ ابنَ عمر أرادَ الحجَّ عامَ نزلَ الحَجاج بابن الزُّبَيْر ، فقيل له : إنّ النّاسَ كائنٌ بينهم قِتالٌ وإنّا نخافُ أن يصدُّوك ، قال : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] إذاً أصنعُ كَمَا صَنَعَ رسولُ الله ﷺ ، إني أُشْهِدُكمْ أنّي قد أَوْجَبْتُ عُمرةً ، ثم خَرَجَ ، حتى إذا كان بظاهر البَيْداء قال : ما أرى شَأْنَ الحَجِّ والعُمرة إلا واحداً ، أُشْهِدُكُمْ أنّي أوجبتُ حَجّاً مع عُمْرتي ، فأهدَى هَدْياً اشتراه بقُدَيد[٤] ، ولم يَزِدْ على ذلك ، ولم يَنْحَر ، ولم يَحِلّ من شيءٍ حَرُم منه ، ولم يَحْلِقْ ، ولم يُقَصِّر ، حتّى كانَ يومَ النَّحْر ، فَنَحَرَ وَحَلَق ، ورأى أن قد قَضى طوافَ الحجِّ والعمرةِ بطوافِهِ الأول ، وقال ابن عمر : كذلك فعل رسول الله ﷺ .

وقال البخاري[٥] : حدّثنا يَعْقوبُ بن إبراهيم ، حدّثنا ابن عُلَيّة ، عن أيوب ، عن نافع : أن ابن عمر دخل[٦] ابنه عبد الله بن عبد الله ، وظهرُهُ في الدّار[٧] فقال : إنّي لا آمن أن يكونَ العامَ بينَ النّاس قتال فيَصُدُّوك عن البيت ، فلو أَقَمْتَ ، قال : قد خرجَ رسول الله ﷺ فحال كُفّار قُريش بينه وبينَ البيت ، فإنْ يحل بيني وبينه أفعلُ كَمَا فَعَلَ رسولُ الله ﷺ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] إذاً أصنع كما صنع رسول الله ﷺ إني أُشهدكم أنّي قد أوجبت مع عمرتي حَجّاً ، ثم قدِمَ فطافَ لهما طوافاً واحداً .

وهكذا رواه البخاري[٨] ، عن أبي النُّعمان ، عن حمّاد بن زيد ، عن أيّوب بن أبي تَميم

---

(١) ط : (مجزياً) .
(٢) صحيح البخاري رقم (٤١٨٣) و(٤١٨٤) ومسلم (٢٢٣٠) ورواه النسائي في « الكبرى » (٣٩١٥) من طريق عبد الرزاق به .
(٣) رواه البخاري (١٦٤٠) .
(٤) قُدَيْد : موضع قرب مكة (معجم البلدان) .
(٥) صحيح البخاري (١٦٣٩) .
(٦) ط : (دخل (عليه) ابنه) .
(٧) ط : (المدار) .
(٨) صحيح البخاري (١٦٩٣) .

السَّخْتياني ، عن نافع به . ورواه مسلم[١] من حديثهما ، عن أيوب به .

فقد اقتدى ابن عُمَر رضي الله عنه برسول الله ﷺ في التَّحَلُّلِ عندَ حَصْرِ العَدو ، وفي الاكتفاء بطوافٍ واحد عن الحجّ والعمرةِ ، وذلك لأنّه كانَ قَدْ أحرمَ أولاً بعمرة ، ليكون مُتمتعاً ، فخشي أن يكون حَصْرٌ ، فَجَمَعَهُما وأدخل الحج على[٢] العمرة قبل الطواف ، فصار قارناً ، وقال : ما أرى أمرهما إلا واحداً ، يعني لا فرقَ بينَ أن يحصر الإنسانُ عن الحجّ أو العُمرة أو عنهما ، فلما قدمَ مكةَ اكتفى عنهما بطوافه الأول كما صرَّحَ به في السِّياقِ الأول الذي أوردناه[٣] ، وهو قوله : ورأى أن قد قضى طوافَ الحَجِّ والعُمْرة بطوافه الأول . قال ابن عمر : كذلك فعلَ رسولُ الله ﷺ ، يعني أنه اكتفى عن الحجّ والعمرة بطوافٍ واحدٍ ، يعني بين الصَّفا والمَرْوة . وفي هذا دلالةٌ على أن ابن عمر روى القِران .

ولهذا روى النّسائي[٤] ، عن محمد بن منصور ، عن سفيان بن عُيينة ، عن أيوب بن موسى ، عن نافع أن ابنَ عمر قرنَ الحجَّ والعُمْرة فطافَ طوافاً واحداً .

ثم رواه النسائي[٥] ، عن علي بن ميمون الرّقي ، عن سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أمية وأيوب بن موسى [وأيوب] السّختياني وعبيد الله بن عمر ، أربعتُهم عن نافع : أن ابن عمر أتى ذا الحُلَيفة ، فأهلّ بعُمرة ، فخَشي أن يُصَدَّ عن البيت . فذكر تمامَ الحديثِ من إدخاله الحجَّ على العُمْرة وصيرورته قارناً .

والمقصود أن بعض الرواة لما سمعَ قولَ ابنِ عمر : « إذاً أصنع كما صَنَعَ رسولُ الله ﷺ » ، وقوله : « كذلك فعل رسول الله ﷺ » ، اعْتَقَدَ أنَّ رسول الله ﷺ بدأ فأهلَّ بالعُمْرة ، ثم أهلَّ بالحجِّ فأدْخَلَه عليها قبلَ الطَّوافِ ، فرواه بمعنى ما فَهِم ، ولم يُرِدِ ابنُ عُمر ذلك ، وإنّما أرادَ ما ذكرناه ، واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ .

ثم بتَقْديرِ أن يكونَ أَهَلَّ بالعمرة أولاً ، ثم أدخلَ عليها الحَجّ قبلَ الطّوافِ فإنّه يصيرُ قارِناً لا مُتَمَتِّعاً التَّمَتُّعَ الخاصَّ ، فيكون فيه دلالةٌ لمن ذهب إلى أفضلية التمتع . والله تعالى أعلم .

وأما الحديث الذي رواه البخاري[٦] في « صحيحه » : حدّثنا موسى بنُ إسماعيل ، حدّثنا همامٌ ، عن قَتادة ، حدّثني مُطَرِّف ، عن عِمرَان ، قال : تَمَتَّعْنا على عَهْدِ النبيّ ﷺ ، ونزَلَ القُرآن ، قال رجل برأيه

---

(١) صحيح مسلم (١٢٣٠) (١٨٣) .
(٢) ط : (قبل) .
(٣) ط : (أفردناه) .
(٤) (٥/ ٢٢٥) وإسناده صحيح .
(٥) رواه النسائي (٥/ ٢٢٦) ، وهو حديث صحيح .
(٦) صحيح البخاري (١٥٧١) في تفسير سورة البقرة : باب فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ، وفي الحج : باب التمتع على عهد رسول الله ﷺ .

ما شاء . فقد رواه مسلم[١] عن محمد بن المثنى ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن هَمام ، عن قتادة به . والمراد به المتعة التي أعم من القِران والتمتع الخاص . ويدلُّ على ذلك ما رواه مسلم[٢] من حديث شعبة ، وسعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن مُطَرّف ، عن عبد الله بن الشّخّير ، عن عمران بن الحصين : أنَّ رسول الله ﷺ جَمَعَ بين حَجٍّ وعمرة . . . وذكر تمام الحديث .

وأكثر السلف يُطلقونَ المتعةَ على القرانِ كما قال البخاري[٣] : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا حجاج بن محمد الأعور ، عن شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن سعيد بن المُسَيّب ، قال : اختلف عليٌّ وعثمانُ رضي الله عنهما وهما بعُسْفان[٤] في المُتْعةِ ، فقال علي : ما تُريدُ إلى أن تَنْهَى عن أمرٍ فَعَلَهَ رسولُ الله ﷺ ، فلما رأى ذلك عليّ بن أبي طالب أَهَلَّ بهما جميعاً . ؟

ورواه مسلم[٥] من حديث شعبة (وأخرجه البخاري[٦] من حديث شعبة)[٧] أيضاً ، عن الحكم بن عُتَيْبة ، عن علي بن الحسين ، عن مروان بن الحكم عنهما به .

وقال علي : ما كنتُ لأدَعَ سُنَّةَ رسول الله ﷺ بقولِ أحدٍ من النّاس .

ورواه مسلم[٨] من حديث شعبة أيضاً ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق عنهما ، فقال له علي : لقد علمتَ أنّا[٩] تَمَتَّعْنا مع رسولِ الله ﷺ ؟ قال أجل ، ولكنّا كُنّا خائفين .

وأما الحديث الذي رواه مسلم[١٠] من حديث غُنْدر ، عن شُعبة ، وعن عُبَيْد الله بن مُعاذ ، عن أبيه ، عن شُعبة ، عن مسلم بن مِخْراق القُرِّي[١١] ، سمع ابن عباس يقول : أَهَلَّ رسولُ الله ﷺ بعمرة ، وأَهَلَّ أصحابه بحجّ ، فلم يَحِلَّ رسولُ الله ﷺ ولا من ساق الهَدْي من أصحابه ، وحلّ بقيَّتُهم . فقد رواه أبو داود

---

(١) صحيح مسلم (١٢٢٦) في الحج ، باب جواز التمتع .
(٢) صحيح مسلم (١٢٢٦) (١٦٨) و(١٦٩) .
(٣) صحيح البخاري : الحديث رقم (١٩٦٩) في الحج ، باب التمتع والإقران والإفراد بالحج .
(٤) « عُسْفان » : قال ياقوت : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهي على مرحلتين من مكة على طريق المدينة والجحفة على ثلاث مراحل (معجم البلدان) .
(٥) صحيح مسلم رقم (٢٣) (١٥٩) في الحج باب جواز التمتع .
(٦) صحيح البخاري (١٥٦٣) .
(٧) ليس ما بين القوسين في ط .
(٨) صحيح مسلم (١٢٢٣) (١٥٨) .
(٩) ط : (إنما) .
(١٠) صحيح مسلم (١٢٣٩) في الحج باب في متعة الحج .
(١١) ط : (المقبري) وانظر تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٣٥) .

الطيالسي(١) في « مسنده » ورَوْحُ بن عُبادة ، عن شعبة ، عن مسلم القُرِّي(٢) ، عن ابن عباس قال : أَهَلَّ رسول الله ﷺ بالحجِّ ـ وفي رواية أبي داود ـ أَهَلَّ رسولُ الله وأصحابه بالحجّ ، فمن كان منهم لم يكن له متعة هَدْي حَلّ ، ومَنْ كانَ معه هَدْيٌ لم يَحلّ . . . الحديث .

فإن صَحَّحْنا الرِّوايتَيْن جاء القِرانُ ، وإن تَوَقَّفْنا في كل منهما ، وَقَفَ الدليلُ ، وإن رجَّحْنا رواية مسلم في « صحيحه » في روايةِ العمرة ، فقد تقدَّم عن ابن عباس أنّه رَوَى الإفْرادَ وهو الإحرامُ بالحجِّ ، فتكونُ هذه زيادة على الحجّ ، فيَجيءُ القَوْلُ بالقِران ، لاسيما وسيأتي عن ابن عباس ما يدُلُّ على ذلك .

وروى مسلم(٣) من حديث غُنْدَرٍ ومُعاذ بن معاذ ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال : هذه عمرة اسْتَمْتَعْنا بها ، فمنْ لم يكن معه هَدْيٌ فليَحِلَّ الحِلَّ كلّه ، فقد دَخَلت العمرةُ في الحجّ إلى يوم القيامة .

وروى البخاري(٤) عن آدم بن أبي إياس ، ومسلم(٥) من حديث غُنْدَر ، كلاهما عن شعبة ، عن أبي جَمْرة قال : تَمتَّعتُ فنهاني ناسٌ ، فسألتُ ابنَ عباس فأمرني بها ، فرأيتُ في المنام كأنَّ رجلاً يقولُ : حجٌّ مَبْرورٌ ومتعةٌ متقبَّلةٌ ، فأخبرتُ ابنَ عباس ، فقال : اللهُ أكبرُ سنة أبي القاسم صلوات الله وسلامه عليه ، والمرادُ بالمتعة هاهنا القِران .

وقال القَعْنبي(٦) وغيره : عن مالك بن أنس(٧) عن ابن شهاب ، عن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث(٨) بن عبد المطلب أنه حدَّثه ، أنه سمع سعد بن أبي وقّاص والضّحاك بن قيس عام حج معاوية بن أبي سفيان يذكر التمتُّع بالعمرة إلى الحج ، فقال الضحاك : لا يصنَعُ ذلك إلا مَنْ جَهِل أمرَ الله ، فقال سعد : بئسَ ما قلتَ يا بنَ أخي ، فقال الضحاك : فإنَّ عمر بن الخطاب كان يَنْهَى عنها ، فقال سعدٌ : قد صَنَعَها رسولُ الله ﷺ وصنعناها معه .

ورواه الترمذي(٩) والنسائي(١٠) ، عن قتيبة ، عن مالك . وقال الترمذي : صحيح .

---

(١) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي (١/ ٢٠٩) .
(٢) ط : (المقبري) وقد تقدمت الإشارة إليه .
(٣) صحيح مسلم رقم (١٢٤١) في الحج ، باب جواز العمرة في أشهر الحج .
(٤) صحيح البخاري (١٥٦٧) في الحج ، باب من تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي .
(٥) صحيح مسلم رقم (١٢٤٢) باب جواز العمرة في أشهر الحج .
(٦) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٦ ـ ١٧) .
(٧) موطأ مالك (١/ ٣٤٤) في الحج .
(٨) ط : (محمد بن عبد الله بن نوفل الحارث) .
(٩) الترمذي رقم (٨٢٣) في الحج : ما جاء في التمتع . وهو حديث حسن .
(١٠) النسائي (٥/ ١٥٢ ، ١٥٣) في الحج : باب التمتع . وهو حديث حسن .

وقال عبد الرزاق[١] : عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن سليمان التَّيْمي ، حدّثني غُنَيْم بن قيس ، سألتُ سعد بن أبي وقاص عن التّمتُّع بالعمرة إلى الحج ، قال : فعلتُها مع رسول الله ﷺ ، وهذا يومئذٍ كافرٌ في العُرُش[٢] ـ يعني مكة ـ ويعني بها معاوية .

ورواه مسلم[٣] من حديث شعبة وسُفيان الثوري ويحيى بن سعيد ومروان الفزاري أربعتهم[٤] ، عن سليمان التَّيْمي ، سمعتُ غُنيم[٤] بن قيس ، سألت سعداً عن المتعة ، فقال : قد فَعَلناها وهذا يومئذ كافرٌ بالعُرُش . وفي رواية يحيى بن سعيد ـ يعني معاوية ـ وهذا كلُّه من باب إطلاق التمتّع على ما هو أعمُّ من التمتُّع الخاصّ ، وهو الإحرام بالعمرة والفراغُ منها ، ثم الإحرام بالحجِّ . ومن القِران ، بل كلام سعدٍ فيه دلالةٌ على إطلاق التمتّع على الاعتمار في أشهر الحجّ ، وذلك أنهم اعتمروا ومعاوية بعدُ كافر بمكة قبل الحج ، إما عمرة الحُدَيْبية أو عمرة القضاء وهو الأشبه ، فأما عمرة الجِعْرانة ، فقد كان معاوية أسلم مع أبيه ليلةَ الفتح ، وروينا أنه قصّر من شعر النبي ﷺ بمِشْقَصٍ[٥] في[٦] بعضِ عُمَرِهِ : وهي عمرة الجِعْرانة لا محالةَ ، والله أعلم .

ذِكْرُ حُجَّةِ منْ ذَهَبَ إلى أنّه عليه السلام كان قارناً وسَرْدُ الأحَاديثِ في ذلك

رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

قد تقدم ما رواه البخاري[٧] من حديث أبي عمرو الأوزاعي ، سمعت يحيى بن أبي كَثير ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله ﷺ بوادي العَقيق يقول : « أتاني آتٍ من ربّي عزَّ وجلَّ فقال : صَلِّ في هذا الوادي المبارك ، وقُلْ : عُمْرةً في حَجَّةٍ » .

وقال الحافظ البيهقي[٨] : أنبأنا علي بن أحمد بن عمر بن حفص المُقْرئ[٩] ببغداد ، أنبأنا أحمد بن

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٧) .
(٢) « العُرُش » : جمع عريش ، والمراد بها بيوت مكة . وإنما سميت بذلك لأنها كانت عيداناً تنصب وتظلل وتسمى أيضاً عروشاً واحدة عرش (جامع الأصول ٣/ ١١٥) .
(٣) صحيح مسلم رقم (١٢٢٥) في الحج باب جواز التمتع .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) « مِشْقَص » ـ كمنبر ـ نصل عريض (القاموس : شقص) .
(٦) ليس اللفظ في ط .
(٧) رقم (١٥٣٤) .
(٨) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٣) .
(٩) ط : (المقبري) تحريف . انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٠٢) .

سلمان[(١)] قال : قُرئ على عبد الملك بن محمد وأنا أسمع ، حدّثنا أبو زيد الهَروي ، حدّثنا علي بن المبارك ، حدّثنا يحيى بن أبي كثير ، حدّثنا عِكْرمة ، حدّثني ابن عباس ، حدّثني عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل[(٢)] عليه السلام ، وأنا بالعَقيق ، فقال : صَلِّ في هذا الوادي المُبارك ركعتين ، وقُلْ : عمرةٌ في حجَّة . فقد دَخلتِ العمرة في الحَجّ إلى يومِ القيامة » .

ثم قال البيهقي : رواه البخاري[(٣)] عن أبي زيد الهَرَوي .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : حدّثنا هُشَيم[(٥)] ، حدّثنا سَيّار ، عن أبي وائل أنَّ رجلاً كان نصرانياً ، يقال له : الصُّبَيُّ بن مَعْبَدٍ ، [أسلم] فأراد الجهادَ ، فقيل له : ابْدَأ بالحَجّ . فأتى الأشعريَّ ، فأمره أن يهلَّ بالحَجّ والعمرة جميعاً ففعل ، فبينما هو يُلَبِّي إذ مرَّ بزيد بن صُوحان وسلمان بن ربيعة ، فقال أحدهما لصاحبه : لَهذا أضلُّ من بعيرِ أهلِه ، فسمعها الصُّبَيُّ ، فكَبُر ذلك عليه ، فلما قَدِم أتى عمرَ بن الخطاب ، فذكر ذلك له ، فقال له عمر : هُدِيتَ لسُنَّة نَبيكَ ﷺ . قال : وسَمِعْتُه مرة أخرى يقول : وُفِّقت لسُنَّةِ نَبيك ﷺ .

وقد رواه الإمام أحمد[(٦)] ، عن يحيى بن سعيد القَطّان ، عن الأعْمش ، عن شَقيقٍ أبي وائل[(٧)] ، عن الصُّبيِّ بن مَعْبَدٍ ، عن عمر بن الخطاب ، فذكره . وقال : إنَّهما لم يقولا شيئاً ، هُديتَ لسُنَّة نَبيـك ﷺ . ورواه عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثَّوري ، عن منصور ، عن أبي وائل به .

ورواه[(٨)] أيضاً عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن أبي وائلٍ ، وعن سُفيان بن عيينة[(٩)] ، عن عَبْدَة[(١٠)] بن أبي لُبابة ، عن أبي وائل ، قال : قال الصُّبيّ بن مَعْبَدٍ : كنت رجلاً نصرانياً فأسلمتُ فأهللتُ بحجٍّ وعمرةٍ ، فسمعني زَيْدُ بن صُوْحان وسلمانُ بن ربيعة وأنا أُهِلُّ بهما ، فقالا : لَهَذا أضَلُّ من بعيرِ أهلِه ، فكأنما حُمِّل عليَّ بكلمتِهما جبلٌ ، فقدمتُ على عمر ، فأخبرتُه ، فأقبل عليهما فلامَهُما ، وأقبل عليّ فقال : هُديتَ لسُنَّة النبي ﷺ .

قال عبدة : قال أبو وائل : كثيراً ما ذهبتُ أنا ومسروقٌ إلى الصُّبيِّ بن مَعْبَدٍ نسأله عنه .

---

(١) ط : (سليمان) تحريف . وانظر شذرات الذهب (٤/ ٢٥١) .
(٢) ط : (جبرائيل) .
(٣) رقم (٧٣٤٣) .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٤) والزيادة عنه ، وإسناده صحيح .
(٥) ط ، أ : (هاشم) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨٧) ، وتهذيب الكمال (٣٠/ ٢٧٢) .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٧) ، وإسنادهما صحيحان .
(٧) في ط : « عن شقيق عن أبي وائل » خطأ ، فأبو وائل هو شقيق (بشار) .
(٨) المسند (١/ ١٤) ، وإسناده صحيح .
(٩) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٥) ، وإسناده صحيح .
(١٠) ط : (عبيدة) وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٩) . والحديث في مسند الإمام أحمد (١/ ٢٥) .

وهذه أسانيدُ جيدةٌ على شرط الصحيح . وقد رواهُ أبو داود[١] والنسائي[٢] وابن ماجه[٣] من طرقٍ عن أبي وائل شَقيق بن سَلَمَة به .

وقال النسائي[٤] في كتاب الحج من « سننه » : حدّثنا محمد بن علي بن الحسن بن شَقيقٍ ، حدّثنا أبي ، عن أبي حمزة ، السكري[٥] ، عن مُطَـرِّف ، عن سلمة بن كُهيل ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن عمر ، أنه قال : واللهِ إنّي لأنهاكُمْ عن المُتعةِ ، وإنَّها لفي كتاب الله ، وقد فعلَها النبيّ ﷺ . إسناد جيد .

روابة أميري المؤمنين عثمان وعلي رضي الله عنهما :

قال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة[٧] ، عن سعيد بن المُسيّب ، قال : اجتمع عليٌّ وعثمانُ بعُسْفان[٨] ، وكان عثمان يَنْهى عن المتعة أو العمرة . فقال عليٌّ : ما تريد إلى أمرٍ فعلَه رسولُ الله ﷺ تَنْهَى عنه ، فقال عثمان : دَعْنا مِنْكَ .

هكذا رواه الإمام أحمد مختصراً .

وقد أخرجاه في « الصحيحين »[٩] من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن المُسيّب ، قال : اختلف علي وعثمان وهما بعُسْفان في المتعة ، فقال علي : ما تريد إلى أن تنهى عن أمر فعله رسول الله ﷺ ؟ فلما رأى ذلك علي بن أبي طالب أَهَلَّ بهما جميعاً .

وهكذا لفظ البخاري .

وقال البخاري[١٠] : حدّثنا محمد بن بَشّار[١١] ، حدّثنا غُنْدَر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن علي بن الحسين ، عن مروان بن الحكم ، قال : شهدتُ عثمان وعلياً ، وعثمانُ ينهى عن المتعة ، وأن يُجْمَع

---

(١) أبو داود (١٧٩٨ ، ١٧٩٩) .
(٢) النسائي (٢٧١٨ ، ٢٧١٩ ، ٢٧٢٠) .
(٣) ابن ماجه (٢٩٧٠) .
(٤) النسائي (٢٧٣٥) .
(٥) ط : (جمرة السكري) تحريف وهو أبو حمزة السكري محمد بن مَيْمون المروزي عالم مرو وحافظ إمام حجة روى عن مُطَرِّف بن طريف . وعنه علي بن الحسن بن شقيق وغيرهم مات سنة سبع وستين ومئة وقيل سنة ثمان (سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨٥) .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٣٦) .
(٧) ليس اللفظ في ط .
(٨) تقدم تعريفه قبل صفحات .
(٩) البخاري (١٥٦٩) ومسلم (١٢٢٣) (١٥٩) .
(١٠) البخاري (١٥٦٣) .
(١١) ط : « يسار » وهو تحريف وانظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤٤) .

بينهما ، فلما رأى عليٌّ أهَلَّ بهما لَبَّيْكَ بعمرةٍ وحجٍّ ، قال : ما كنت لأدَعَ سُنَّة النَّبي ﷺ لقولِ أحدٍ .

ورواه النسائي من حديث شعبة به ، ومن حديث الأعمش ، عن مسلم البَطين ، عن علي بن الحسين به[(١)] .

وقال الإمام أحمد[(٢)] : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : قال عبد الله بن شقيق :

كان عثمان يَنْهَى عن المُتْعَةِ وعليٌّ يأمرُ بها . فقال عثمانُ لعليٍّ : إنَّكَ لكذا وكذا ، ثم قال عليٌّ : لقد علمت[(٣)] أنا تَمَتَّعْنا مع رسول الله ﷺ . قال : أجل ، ولكنّا كنا خائفين .

ورواه مسلم[(٤)] من حديث شعبة .

فهذا اعتراف من عثمان بما رواه عليٌّ رضي الله عنهما ، ومعلوم أن عليّاً رضي الله عنه أحرمَ عامَ حَجَّةِ الوداع بإهلالٍ كإهلالِ النَّبي ﷺ ، وكان قد ساقَ الهَدْيَ ، وأمره عليه الصلاة والسلام بأن[(٥)] يمكث حراماً ، وأشركه النبيُّ ﷺ في هَدْيه كما سيأتي بيانه .

وروى مالك في « الموطأ »[(٦)] عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أن المِقْدادَ بن الأسْوَد دخلَ على عليِّ بن أبي طالب بالسُّقْيا ، وهو ينجعُ بكَرَاتٍ[(٧)] له دقيقاً وخَبَطاً[(٨)] ، فقال : هذا عثمانُ بن عفَّان يَنْهى عن أن يُقرَن[(٩)] بين الحجِّ والعمرة ، فخرج عليٌّ وعلى[(١٠)] يده أثَرُ[(١١)] الدَّقيق والخبط ـ ما أنسى أثرَ الدقيق والخَبَط على ذراعيه ـ حتى دخل على عثمان ، فقال : أنت تنهى أن يُقْرَن بين الحجِّ والعُمْرَة ؟ فقال عثمان : ذلك رأيي ، فخرج عليٌّ مُغْضَباً ، وهو يقول : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك بحجةٍ وعمرةٍ معاً .

وقد قال أبو داود في سننه[(١٢)] : حدّثنا يَحْيَى بن مَعين ، حدثنا حجاج ، حدّثنا يونس ، عن

---

(١) رواه النسائي (٢٧٢١) و (٢٧٢٢) .
(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٩٧) .
(٣) ط : (عامت) تحريف .
(٤) رواه مسلم في صحيحه (١٢٢٣) .
(٥) ط : (أمره أن) .
(٦) رواه مالك في الموطأ (١/ ٣٣٦) (٧٤٢) .
(٧) أ : (لركاب) وهو تحريف ، وينجع بكرات أي يعلفها يقال : نَجَعْتُ الإبل أي علفتها النَّجوع والنّجيع . وهو أن يُخْلِط العلف من الخبطة والدقيق بالماء ، ثم تسقاه الإبل (النهاية : نجع) .
(٨) « الخَبْط » : ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها ، واسم الورق الساقط خَبَط ـ بالتحريك ، وهو من علف الإبل (النهاية : خبط) .
(٩) أ : (يفرق) تحريف .
(١٠) ط : (على) بلا واو .
(١١) ط : (أمر) وهو تحريف .
(١٢) رواه أبو داود (١٧٩٧) .

أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : كنتُ مع عليٍّ حين أمَّره رسول الله ﷺ على اليمن[١] ، فذكر الحديثَ في قدوم علي .

قال عليٌّ : فقال لي رسول الله ﷺ : كيف صَنَعْتَ ؟ قال : قلتُ : إنما أهْلَلْتُ بإهلالِ النبيِّ ﷺ . قال : إني قد سُقْتُ الهَدْيَ وقرنتُ .

وقد رواه النسائي[٢] من حديث يَحْيى بن مَعين بإسناده ، وهو على شرط الشيخين ، وعلَّله الحافظ البيهقي[٣] بأنه لم يذكر هذا اللفظ في سياق حديث جابر الطويل ، وهذا التعليل فيه نظر ، لأنه قد رُويَ القِران من حديث جابر بن عبد الله كما سيأتي قريباً[٤] إن شاء الله تعالى .

وروى ابن حبان[٥] في « صحيحه » عن علي بن أبي طالب ، قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة ، وخرجتُ أنا من اليمن ، وقلت : لبيكَ بإهلالٍ كإهلال النبي . فقال النبي ﷺ : فإني أهْلَلْتُ بالحجِّ والعُمرةِ جَميعاً .

رواية أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقد رواه عنه جماعة من التابعين ، ونحن نورِدُهم مرتَّبين على حروف المعجم :

١ ـ بكر بن عبد الله المُزَني [عنه : قال الإمام أحمد : ثنا هُشَيْم ، ثنا حُمَيْد الطَّويل ، أنبا بكر بن عبد الله المُزَني][٦] قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يُحدِّث قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يُلَبّي بالحجِّ والعمرةِ جَميعاً ، فَحَدَّثْتُ بذلك ابنَ عُمَرَ . فقال : لَبّى بالحجِّ وَحْدَهُ ، فلقيتُ أنساً فحدَّثتُه بقولِ ابن عمر . فقال : ما تَعُدُّونا[٧] إلا صِبْياناً . سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لَبَّيْكَ عُمْرةً وحَجًّا . ورواه البخاري[٨] ، عن مسَدَّدٍ ، عن بشر بن المُفَضَّل[٩] عن حُمَيْد به . وأخرجه مسلم ، عن سُرَيْج[١٠] بن يونس عن هُشَيْم به .

---

(١) ط : (اليمين) تحريف .
(٢) رواه النسائي (٥/ ١٤٨) .
(٣) رواه البيهقي في سننه (٥/ ١٥) (٨٦٣٣) .
(٤) ليس اللفظ في أ .
(٥) رواه ابن حبان (٩/ ٨٩) (٣٧٧٧) وإسناده حسن .
(٦) ما بين المعقوفين زيادة عن أ وليس في ط والحديث في مسند الإمام أحمد (٣/ ٩٩) .
(٧) ط : (ما تعودنا) وهو تحريف .
(٨) رواه البخاري (٤٣٥٣) .
(٩) ط : (الفضل) تحريف . وهو بشر بن المُفَضَّل بن لاحق أبو إسماعيل الرّقاشي مولاهم البصري حدث عن حميد الطويل وغيره ، روى عنه مُسَدَّد وغيره (سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٦) وفي هامشه مصادر أخرى) .
(١٠) ط : (شريح) وهو تحريف . انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ١٤٦) .

وعن أمية بن بِسْطام عن يزيد بن زُرَيْع ، عن حَبيب بن الشَّهيد ، عن بكر بن عبد الله المُزَني به[١] .

٢ ـ ثابتُ البُناني عن أنس : قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا وَكيعٌ عن ابن أبي [ليلى عن][٣] ثابت عن أنس : أن النبيَّ ﷺ قال : « لَبَّيكَ بعمرةٍ وحَجَّةٍ معاً » .

٣ ـ تفرَّدَ به من هذا الوجه الحسنُ البَصْري عنه[٤] .

قال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا رَوْحٌ ، حدّثنا أشْعَث ، عن الحسن عن أنس بن مالك : أنَّ رسولَ الله ﷺ وأصحابَهُ قَدِموا مكَّةَ وقد لَبَّوا بحجٍّ وعُمْرةٍ ، فأمرهُمْ رسولُ الله ﷺ بعدما طافوا بالبيتِ وبالصَّفا والمَرْوة أن يُحِلّوا وأن يَجْعَلوها عمرةً ، فكأنَّ القومَ هابوا ذلك . فقال رسول الله ﷺ : لولا أني سُقْتُ هَدْياً لأحْلَلْتُ ، فأحلّ القومُ وتَمَتَّعوا .

وقال (الحافظ أبو بكر)[٦] البزّار[٧] ، حدّثنا الحسن بن قَزَعة ، حدّثنا سفيان بن حبيب ، حدّثنا أشْعَث ، عن الحسن ، عن أنس : أنَّ النبيَّ ﷺ أهَلَّ هو وأصحابُه بالحجِّ والعُمْرةِ ، فلما قَدِموا مكَّةَ طافوا بالبيت وبالصَّفا والمَرْوة ، أمرهم رسولُ الله ﷺ أن يُحِلّوا فهابوا ذلك . فقال رسول الله ﷺ : أحِلُّوا ، فلولا أنَّ معي الهَدْيَ لأحْلَلْتُ . فحَلُّوا حتى حَلُّوا[٨] إلى النِّساء . ثم قال البزار : لا نَعْلَمُ رواه عن الحسن إلا أشْعَثُ بن عبد الملك .

٤ ـ حُمَيْدُ بنِ تيرَويْه[٩] الطَّويلُ عنه . قال الإمام أحمد[١٠] : حدّثنا يحيى ، عن حُمَيْد ، سَمِعْتُ

---

(١) رواه مسلم (١٢٣٢) (١٨٥) و (١٨٦) .

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٨٣) وهو صحيح بطريقه الأخرى عند أحمد (٣/ ٢٢٥) .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة عن أ وليس في ط .

(٤) ليس اللفظ في أ .

(٥) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٤٢) ، وهو حديث صحيح .

(٦) ليس ما بين القوسين في أ .

(٧) لم أجده .

(٨) أ : (حتى خلوا) تحريف .

(٩) أ : (تيزويه) تحريف ، وهو حُمَيْد بن أبي حميد الطويل الإمام الحافظ أبو عبيدة البصري مولى طلحة الطلحات ، ويقال مولى سُلمى ، وقيل غير ذلك . وفي اسم أبيه أقوال أشهرها تَيرويه ، وقيل : تَيْر ، وقيل : زاذويه ، لا بل ابن زاذويه : شيخ مقلّ . حدث عنه ابن عون ، هو يروي أيضاً عن أنس ، وقيل : اسم والد حُميد الطويل : داور أو مهران أو طَرْخان ، أو مخلد أو عبد الرحمن . سمع أنس بن مالك وروى عنه يحيى القطان . مات سنة (١٤٠) وقيل (١٤١) وقيل (١٤٣) (سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٣ ـ ١٦٩) وفي هامشه مصادر أخرى) .

(١٠) رواه أحمد (٣/ ١٨٢) بلفظ : « سمعت النبي ﷺ يلبي بالحج والعمرة جميعاً » .

أنساً ، سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لَبَّيْكَ بعُمْرةٍ وحج[١] . هذا إسنادٌ ثلاثيٌّ على شرطِ الشَّيْخَين ، ولم يُخرجاه ولا أحدٌ من أصحاب الكُتب من هذا الوجه .

لكن رواه مسلم[٢] عن يحيى بن يحيى ، عن هُشيم ، عن يحيى بن أبي إسحاق ، وعبد العزيز بن صُهَيْب ، وحُميد أنهم سمعوا أنس بن مالك . قال : سَمعتُ رسولَ الله ﷺ : أهلَّ بهما جميعاً **لَبَّيْكَ عُمرةً وحَجّاً ، لَبَّيْكَ عُمْرَةً وحَجّاً** .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا يَعْمَر بن بِشْر[٤] حدثنا عبدُ الله ، أنبأنا حُمَيْد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : ساقَ رسولُ الله ﷺ بُدْناً كثيرةً وقال : **لَبَّيْكَ بعمرةٍ وحجّ** ، وإنّي لَعِنْدَ فخذ ناقتِهِ اليُسْرى .

تفرَّد به أحمد من هذا الوجه أيضاً .

٥ ـ **حُمَيْد بن هِلال العَدَوي البَصْري** عنه . قال الحافظ أبو بكر البَزّار في « مسنده » : حدّثنا محمد بن المُثَنَّى ، حدّثنا عبدُ الوهاب ، عن أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس بن مالك . ح[٥] وحدّثناه سلمة بن شبيب[٦] ، حدّثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، وحُمَيْد بن هلال ، عن أنس . قال : إنّي لردف[٧] أبي طلحة ، وإنّ ركبتَه لتمسُّ ركبةَ رسول الله ﷺ وهو يُلبِّي[٨] بالحجِّ والعمرة .

وهذا إسنادٌ جيدٌ قويٌّ على شرط الصحيح ولم يُخْرِجوه . وقد تأوّله البزّارُ على أنّ الذي كان يُلَبِّي بالحجّ والعمرة أبو طلحة ، قال : ولم يُنْكِر عليه النبي ﷺ . وهذا التأويلُ فيه نظرٌ ولا حاجةَ إليه لمجيء ذلك من طرقٍ عن أنس ، كما مضى ، وكما سيأتي ، ثم عَوْدُ الضَّمير إلى أقرب المذكورين أولى ، وهو في هذه الصورة أقوى دلالة ، والله أعلم . وسيأتي في رواية سالم[٩] بن أبي الجعد عن أنس صريح الرد على هذا التأويل .

---

(١) أ : (لبيك بعمرة وحجة وحج) وفي ط : (لبيك بحج وعمرة وحج) وما هنا عن المسند .

(٢) رواه مسلم (١٢٥١) (٢١٤) .

(٣) رواه أحمد (٣/٢٦٦) ، وإسناده صحيح .

(٤) أ : (يسر) تحريف . وهو يعمر بن بشر أبو عمرو المروزي من مشايخ الإمام أحمد ومن كبار أصحاب عبد الله بن المبارك وسمع منه وكان ثقة مات بمرو . (تاريخ بغداد (١٤/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) .

(٥) ليست حاء التحويل في ط .

(٦) ط : (سبيب) تحريف . وهو سلمة بن شبيب النيسابوري يكنى أبا عبد الرحمن ، سمع عبد الرزاق ، وتوفي بمكة سنة (٢٤٧) روى عنه مسلم (الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ١٩٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥٦) وفي هامشه مصادر أخرى) .

(٧) ط : (ردف) .

(٨) ط : (يلي) وهو تحريف .

(٩) ليس لفظ (سالم) في أ . وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٨) وسيرد اسمه فيمن روى حديث أنس من التابعين .

٦ ـ زيد بن أسلم عنه . قال الحافظ أبو بكر[١] البزار : روى سعيد بن عبد العزيز التَّنوخي ، عن زيد بن أسلم ، عن أنس بن مالك : أنَّ النبيَّ ﷺ أهلَّ بحجٍّ وعُمْرةٍ . حدّثناه الحسن بن عبد العزيز الجَرَوي ومحمد بن مِسْكين . قالا : حدّثنا بِشْرُ بن بكر ، عن سَعيد بن عبد العزيز ، عن زَيْد بن أَسْلَم ، عن أنس .

قلت : وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطِ الصَّحيح ، ولم يُخرجوه من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ أبو بكر[٢] البَيْهقي[٣] بأبسط من هذا السياق . فقال : أنبأنا[٤] أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، أنبأنا العباس بن الوليد بن مَزْيَد[٥] ، أخبرني أبي ، حدّثنا سعيد[٦] بن عبد العزيز ، عن زيد بن أسلم وغيره[٧] ؛ أنَّ رجلاً أتى ابنَ عُمر فقال : بِمَ أَهَلَّ رسولُ الله ﷺ ؟ قال[٨] ابن عمر : أهلَّ بالحجِّ ، فانصرف ، ثم أتاه من العام المقبل ، فقال : بم أهلَّ رسول الله ؟ قال : أَلَمْ تَأْتني عامَ أَوَّل ؟ قال : بلى! ولكنَّ أنسَ بن مالك يزعمُ أنَّه قرنَ . قال ابن عمر : إنّ أنس بن مالك كان يدخل على النساء وهنَّ مُكَشَّفاتُ الرُّؤوس ، وإنّي كنتُ تحتَ ناقةِ رسولِ الله ﷺ يمسُّني لُعابُها أَسْمَعُهُ يُلَبِّي بالحجِّ .

٧ ـ سالم بن أبي الجعد الغَطَفاني الكوفي[٩] عنه : قال الإمام أحمد[١٠] : حدّثنا يحيى بن آدم ، حدّثنا شريك ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أنس بن مالك ، يرفعه إلى النبي ﷺ :

أنَّه جمعَ بينَ الحجِّ والعمرة فقال : لَبَّيْكَ بعمرةٍ وحجَّةٍ معاً . حسن ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد[١١] ، حدّثنا عفان ، حدّثنا[١٢] أبو عوانة ، حدّثنا عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن

---

(١) ليس (أبو بكر) في أ .
(٢) ليس (الحافظ أبو بكر) في أ .
(٣) رواه البيهقي في سننه (٥/ ٩) .
(٤) ليس لفظ (أنبأنا) في ط .
(٥) ط : (يزيد) تحريف . وهو العباس بن الوليد بن مَزيد العذري البيروتي ، أبو الفضل : سمع أباه وتفقّه به . حدث عنه أبو داود والنسائي في كتابيهما وأبو زرعة وغيرهم كثير ، سمّى الحافظ ابن عساكر منهم أربعين نفساً . مات سنة (٢٧١) (سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧١) وفي هامشه مزيد من المصادر) .
(٦) ط : (شعيب) وانظر تاريخ دمشق (٢١/ ١٩٣ ـ ٢١٣) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨ ـ ٣٤) ، وتهذيب التهذيب (٤/ ٥٩ ـ ٦١) .
(٧) ليس اللفظ في أ .
(٨) أ : « فقال » .
(٩) أ : (الكوفة) خطأ .
(١٠) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٨٠) .
(١١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٨٠) .
(١٢) ليس اللفظ في ط .

أبي الجعد ، عن سعد مَوْلَى الحسن بن علي[١] ، قال : خرجنا مع علي فأتينا ذا الحُلَيْفة . فقال علي : إني أريد أن أجمع بين الحجِّ والعُمْرة ، فمن أراد ذلك فليقل كما أقول ، ثم لبَّى وقال : لبَّيك بحَجَّة وعُمْرَةٍ معاً . قال : وقال سالم : وقد أخبرني أنس بن مالك ، قال : والله إنَّ رجلي لتمسُّ رِجْلَ رسول الله ﷺ وإنه ليُهلُّ بهما جميعاً . وهذا أيضاً إسناد جيد من هذا الوجه ولم يخرجوه . وهذا السياق أيضاً[٢] يردُّ على الحافظ البزار ما تأول به حديث حميد بن هلال ، عن أنسٍ ، كما تقدّم والله أعلم .

٨ ـ سُلَيْمان بن طَرْخان التَّيْمي عنه : قال الحافظ أبو بكر البزّار : حدّثنا يحيى بن حبيب بنِ[٣] عربي ، حدّثنا المُعْتَمِر بن سليمان ، سمعت أبي يحدِّث عن أنس بن مالك ، قال : سمعتُ النبي ﷺ يُلبِّي بهما جميعاً . ثم قال البزار : لم يروه عن التيمي إلا ابنُه المعتمر ولم يَسْمَعْه إلا من يحيى بن حبيب بن عربي[٤] عنه . قلت : وهو على شرط الصحيح ولم يخرجوه .

٩ ـ سُوَيْد بن حُجَيْر عنه : قال الإمام أحمد[٥] ، حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن أبي قَزَعة سُوَيْد بن حُجَيْر، عن أنس بن مالك ، قال : كنتُ رَديفَ أبي طلحة ، فكانت ركبةُ أبي طلحة تكادُ أن تُصيبَ ركبةَ رسولِ الله ﷺ فكانَ رسولُ الله ﷺ يهلّ بهما . وهذا إسناد جيّدٌ تفرَّدَ به أحمد ولم يخرجوه وفيه ردٌّ على الحافظ البزار صريح .

١٠ ـ عبد الله بن زَيْد أبو قِلابة الجَرْمي عنه : قال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس : قال : كنت رديفَ أبي طَلْحة ، وهو يُسايرُ النبيَّ ﷺ . قال : فإنَّ رجلي لتمسُّ غَرْزَ النبيّ ﷺ ، فسمعته يُلبِّي بالحجِّ والعُمْرة معاً .

وقد رواه[٧] البخاري[٨] من طرقٍ عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، قال : صلَّى النَّبيُّ ﷺ الظهرَ بالمدينةِ أربعاً ، والعصرَ بذي الحُلَيْفة ركعتينِ ، ثم باتَ بها حتى أصبح ثم ركبَ راحلتَه ، حتى استوَتْ به على البَيْداء حمِدَ اللهَ وسبَّحَ وكبَّر ، وأهَلَّ بحَجٍّ وعُمْرَةٍ وأهلَّ الناسُ بهما جميعاً . وفي روايةٍ له[٩] : كنتُ

---

(١) أ : (ولم يخرجوه عن سالم بن أبي الجعد عن عفان حدّثنا أبو عوانة حدّثنا عثمان بن المغيرة عن سعد مولى الحسن بن علي) .
(٢) زيادة عن أ .
(٣) أ : (عن عربي ، وهو تحريف . انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ١٥٦) .
(٤) ط : (حبيب العربي) . وقد تقدم .
(٥) رواه أحمد (٣/ ١٧١) .
(٦) رواه أحمد (٣/ ١٦٤) .
(٧) أ : (روى) .
(٨) رواه البخاري رقم (١٥٤٧) و(١٥٤٨) .
(٩) البخاري رقم (٢٩٨٦) .

رديفَ أبي طلحة وإنهم ليَصْرُخون بهما جميعاً الحجّ والعُمرة . وفي رواية له[١] عن أيوب عن رجل ، عن أنس ، قال : ثم باتَ حتَّى أصبحَ فصلَّى[٢] الصبحَ ، ثم ركب[٣] راحلته ، حتّى إذا استوَتْ به البَيْداء أهلّ بعمرةٍ وحجٍّ .

١١ ـ عبد العزيز بن صهيب ، تقدَّمَتْ روايتُه عنه مع رواية حُمَيد الطَّويل عنه عند مسلم .

١٢ ـ علي بن زَيْد بن جُدْعان عنه : قال (الحافظ أبو بكر)[٤] البزار ، حدّثنا إبراهيم بن سعد ، حدّثنا علي بن حكيم ، عن شريك ، عن علي بن زيد ، عن أنس : أنَّ رسولَ الله ﷺ لبَّى بهما جميعاً . هذا غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجه أحدٌ من أصحاب السنن وهو على شرطهم .

١٣ ـ قَتادة بن دِعامة السَّدوسي[٥] عنه ، قال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا بَهْزٌ وعبد الصمد ـ المعنى ـ ، قالا : أخبرنا هَمّام بن يحيى ، حدّثنا قتادة . قال : سألتُ أنسَ بن مالكٍ ، قلتُ : كمْ حَجَّ النبيُّ ﷺ ؟ قال : حَجَّةً واحدةً ، واعتمرَ أربعَ مرات ، عُمْرته زمن الحديبية ، وعمرة[٧] في ذي القعدة من المدينة ، وعمرته من الجِعْرانة[٨] في ذي القعدة[٩] ، حيث قسم غنيمةَ حُنَيْنٍ ، وعمرته مع حجته . وأخرجاه في « الصحيحين »[١٠] من حديث همام بن يحيى به .

١٤ ـ مُصْعَبُ بن سُلَيْم الزُّبَيْري مولاهم[١١] عنه . قال الإمام أحمد[١٢] : حدّثنا وكيع ، حدّثنا مصعب بن سُلَيم ، سمعت أنس بن مالك يقول : أَهَلَّ رسول الله ﷺ بحجةٍ وعمرةٍ ، تفرّد به أحمد .

---

(١) رواه البخاري رقم (١٧١٥) .
(٢) أ : (فلما صلّى) .
(٣) ط : (راكب) تحريف .
(٤) ليس ما بين القوسين في أ .
(٥) ط : (السدودي) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩ ـ ٢٨٣) ، وفي هامشه مصادر أخرى .
(٦) رواه أحمد (٣/ ١٣٤) .
(٧) أ : (مرار عمرة) .
(٨) الجعْرانة قال ياقوت : بكسر أوله إجماعاً ، ثم إن أصحاب الحديث يكسرون عينه ويشددون راءه ، وأهل الإتقان والأدب يخطئونهم ويسكنون العين ويخففون الراء . والذي عندنا أنهما روايتان جيدتان . وهي ماء بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب ، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن مرجعه من حنين وأحرم فيها ﷺ وله فيها مسجد وهي من مكة على بريد من طريق العراق . (معجم البلدان) .
(٩) أ : (زمن الحديبية في ذي القعدة) .
(١٠) رواه البخاري رقم (١٧٧٨) ـ (١٧٨٠) ورواه مسلم رقم (١٢٥٣) .
(١١) انظر الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥١٢) ، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٦٠) .
(١٢) رواه أحمد (٣/ ١٨٣) ، وإسناده حسن .

١٥ ـ يحيى بن أبي إسحاق[١] الحَضْرمي عنه . قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا هُشَيْم ، أنبأنا يحيى بن أبي إسحاق وعبد العزيز بن صُهَيْب وحُمَيْد الطَّويل ، عن أنس أنَّهم سَمعوه يقولُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يُلبِّي بالحجِّ والعُمْرة جميعاً يقول[٣] لبَّيك عُمْرة وحَجّاً ، لبيك عمرةً وحجّاً .

وقد تقدَّم أن مسلماً رواه عن يحيى بن يحيى عن هُشَيْم به .

وقال الإمام أحمد[٤] أيضاً : حدّثنا عبد الأعلى ، عن يحيى ، عن أنس ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ، قال : فسمعته يقول : لبَّيْكَ عُمْرةً وحَجّاً .

١٦ ـ أبو أسماء[٥] الصَّيْقَل عنه . قال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا حسن ، حدّثنا زهير ، وحدّثنا أحمد بن عبد الملك ، حدّثنا زهير عن أبي إسحاق ، عن أبي أسماء الصَّيْقَل ، عن أنس بن مالك . قال : خرجنا نصرُخ بالحجّ فلما قدمنا مكة أمرنا رسول الله ﷺ أن نَجْعَلَهَا عُمْرة . وقال : لو استقبلتُ من أمري ما اسْتَدْبَرْتُ لجَعَلْتُها عُمرةً ولكنّي سُقتُ الهَدْيَ وقَرنتُ الحجَّ بالعمرة .

ورواه النَّسائي[٧] عن هنّاد عن أبي الأحْوص عن أبي إسحاق ، عن أبي أسماء الصَّيْقَل ، عن أنس بن مالك قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يُلبِّي بهما .

١٧ ـ أبو قُدامة الحَنَفي ، ويقال إن اسمه محمد بن عُبَيد ، عن أنس . قال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا رَوْحُ بن عُبادة ، حدّثنا شعبة ، عن يونس بن عُبَيْد ، عن أبي قُدامة الحَنَفي ، قال : قلت لأنس بن مالك[٩] : بأيّ شيءٍ كان رسول الله ﷺ يُلَبِّي ؟ فقال : سمعتُه سبعَ مرّاتٍ يُلبِّي بعُمْرةٍ وحجّةٍ .

تفرد به الإمام[١٠] أحمد ، وهو إسنادٌ جيدٌ ، قويٌّ ، ولله الحمدُ والمنَّةُ وبه التوفيق والعصمة .

وروى ابن حِبان[١١] في « صحيحه » عن أنس بن مالك . قال : كان رسول الله ﷺ قَرَنَ بين الحجِّ والعُمْرة وقَرَنَ القوم معه .

---

(١) ط (يحيى بن إسحاق) . وهو يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي مولاهم البصري النحوي : روى عن أنس بن مالك . روى عنه هُشيم (الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥٦٦) ، وتهذيب التهذيب (١١/ ١٧٩ ـ ١٨٣) .

(٢) رواه أحمد (٣/ ٩٩) .

(٣) ليس اللفظ في أ ، ط واستدركته عن المسند .

(٤) رواه أحمد (٣/ ١٨٧) ، وإسناده صحيح .

(٥) زيادة عن أ وسيرد الاسم تاماً بعد أسطر .

(٦) رواه أحمد (٣/ ١٤٨ و٢٦٦) ، وهو حديث صحيح بطرقه .

(٧) رواه النسائي (٥/ ١٥٠) ، وهو حديث صحيح بطرقه .

(٨) رواه أحمد (٣/ ١٤٢) .

(٩) لفظا (بن مالك) زيادة عن أ .

(١٠) ليس اللفظ في أ .

(١١) رواه ابن حبان في الإحسان (٩/ ٢٤١) (٣٩٣١) .

وقد أورد الحافظ البيهقي[1] بعضَ هذه الطرق عن أنس بن مالك ، ثم شرع يُعَلِّلُ ذلك بكلامٍ فيه نظر وحاصلُه أنَّه قال : والاشتباه[2] وقع لأنس ، لا لمن دونه ، ويحتمل أن يكون سمعه رسول الله[3] ﷺ يُعَلِّمُ غَيْرَه كيف يُهِلُّ بالقرانِ ، لا أنه يُهِلّ بهما عن نفسه والله أعلم .

(قال : وقد رُوي ذلك عن غير أنس بن مالك وفي ثبوته نظر)[4] .

قلت : ولا يخفى ما في هذا الكلام من النظر الظاهر لمن تأمّله ، وربّما كان ترك هذا الكلام أولى منه ، إذ فيه تطرُّقُ احتمالٍ إلى حفظِ الصحابيّ مع تواتره عنه كما رأيت آنفاً ، وفتح[5] هذا يُفْضي إلى مَحْذورٍ كبيرٍ ، والله تعالى أعلم .

حديث البَراء بن عازِب في القِران

قال الحافظ أبو بكر البيهقي[6] : أنبأنا أبو الحسين بن بِشْران ، أنبأنا علي بن محمد المصري ، حدّثنا أبو غَسّان مالك بن يحيى ، حدّثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق ، عن البَراء بن عازِب ، قال : اعتمر رسولُ الله ﷺ ثلاثَ عُمَرٍ ، كلُّهنّ في ذي القعدة . فقالت عائشة : لقد علم أنه اعتمر أربعَ عُمَرٍ بعمرته التي حجَّ معها .

قال البيهقي : وليس هذا بمحفوظٍ ، قلتُ : سيأتي بإسناد صحيحٍ إلى عائشة نحوه .

رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني[7] : حدّثنا أبو بكر بن أبي داود ، ومحمد بن جعفر بن رُمَيْس[8] ، والقاسم بن إسماعيل أبو عُبَيْد ، وعثمان بن جعفر اللَّبّان وغيرهم ؛ قالوا : حدّثنا أحمد بن يحيى

(١) السنن الكبرى (٥/٩ ، ١٠) .
(٢) أ : (الاشتباه) بلا واو .
(٣) ليس لفظا (رسول الله) في أ .
(٤) ليس ما بين القوسين في أ .
(٥) أ : (ولفتح) .
(٦) السنن الكبرى (٥/١١)
(٧) رواه الدارقطني في سننه (٢/٢٧٨) .
(٨) انظر تاريخ بغداد (٢/١٣٩) .

الصوفي ، حدّثنا زيد بن حُباب ، حدّثنا سفيان الثوري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله . قال :

حجَّ النبيُّ ﷺ ثلاث حِجَجٍ : حَجَّتَيْنِ قبل أنْ يُهاجر ، وحجةً قَرَنَ معها عمرة . وقد روى هذا الحديث الترمذي[١] وابن ماجه[٢] من حديث سُفيان بن سعيد الثوري به .

أما[٣] الترمذي فرواه[٤] عن عبد الله بن أبي زياد عن زيد بن حُباب عن سُفيان به . ثم قال : غريبٌ من حديث سفيان لا نعرفه إلا[٥] من حديث زيد بن الحُباب . ورأيتُ عبدَ الله بن عبد الرحمن يعني الدارمي[٦] روى هذا الحديث في كتبه عن عبد الله بن أبي زياد ، وسألت محمداً عن هذا فلم يعرفه[٧] ، ورأيته لا يعده محفوظاً . قال : وإنما روي عن الثوري عن أبي إسحاق عن مُجاهد مُرْسلاً .

وفي السنن الكبير[٨] للبيهقي قال أبو عيسى الترمذي : سألت محمد بن إسماعيل البخاري[٩] عن هذا الحديث فقال : هذا حديث خطأ ، وإنما روي هذا عن الثوري مرسلاً . قال البخاري : وكان زيد بن الحباب إذا روى حفظاً[١٠] ربما غَلِط في الشّيء .

وأما ابن ماجه فرواه ، عن القاسم بن محمد بن عباد المُهَلَّبي ، عن عبد الله بن داود الخُرَيْبي ، عن سفيان به ، وهذه طريق لم يقف عليها التِّرمذي ولا البَيْهقي ، وربما ولا البخاريّ حيث تكلم في زيد بن الحباب ظاناً أنّه انفردَ به وليس كذلك ، والله أعلم .

طريق أخرى عن جابر

قال أبو عيسى التِّرمذي[١١] : حدّثنا ابن أبي عمر ، حدّثنا أبو معاوية ، عن حجّاج ، عن أبي الزبير ،

---

(١) رواه الترمذي (٨١٥) .
(٢) رواه ابن ماجه (٣٠٧٦) .
(٣) ط : (وأما) .
(٤) أ : (فروى) .
(٥) ليست (إلا) في أ .
(٦) ط (الرازي) تحريف . وانظر ترجمة الدارمي في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٤) .
(٧) أ : (محمد عن هذا فلم يعرفه) .
(٨) انظر السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٢) .
(٩) ليس اللفظ في أ .
(١٠) ط (خطأ) وهو تحريف .
(١١) رواه الترمذي (٩٤٧) ، وهو حديث حسن ، يشهد له حديث ابن حبان الذي بعده .

عن جابر : أنَّ رسول الله ﷺ قَرَنَ الحجَّ والعُمْرةَ وطاف[١] لهما طوافاً واحداً . ثم قال : هذا[٢] حديثٌ حسنٌ ، وفي نسخةٍ : صحيح .

ورواه ابن حبان[٣] في « صحيحه » ، عن جابر قال : لم يَطُفِ النبيُّ ﷺ إلا طوافاًواحداً لحجهِ ولعُمْرَتِهِ .

قلت : حَجّاج هذا هو ابن أرطاة ، وقد تكلم فيه غيرُ واحد من الأئمة ، ولكن قد رُوي من وجهٍ آخر عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أيضاً ، كما قال الحافظ أبو بكر البزّار في « مسنده » : حدّثنا مُقَدَّم بن محمد ، حدّثني عمي القاسم بن يحيى بن مُقَدَّم ، عن عبد الله[٤] بن عثمان بن خُثَيْم[٥] ، عن أبي الزبير ، عن جابر : أنّ رسول الله ﷺ قدم فقَرَن بين الحجّ والعُمْرة وساق الهَدْيَ ، وقال[٦] رسول الله ﷺ : من لم يُقَلِّد الهَدْيَ فليجعلْها عُمْرَةً ، ثم قال البزار : وهذا الكلام لا نَعْلَمُه يُرْوَى عن جابر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، انفرد بهذه الطريق البزار في مسنده وإسنادها غريب[٧] جداً وليست في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم .

رواية أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه

قال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا حجاج ـ هو ابن أرطأة ـ عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس . قال : أخبرني أبو طلحة أنَّ رسول الله ﷺ جمَعَ[٩] بين الحجِّ والعمرة . ورواه[١٠] ابن ماجه[١١] ، عن علي بن محمد ، عن أبي معاوية بإسناده ولفظه : أنَّ رسول الله ﷺ قرنَ بين الحجِّ والعمرة .

---

(١) ط : (طاف) بلا واو .
(٢) أ : (وهذا) .
(٣) رواه ابن حبان بألفاظ متقاربة (٣٨١٩) و(٣٩١٤) ، وهو حديث صحيح .
(٤) في الأصول : عبد الرحمن بن عثمان بن خثيم ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٥) ط : (خيثم) تحريف .
(٦) أ : (قال) بلا واو .
(٧) ط : (غريبة) .
(٨) انظر مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٨) ، إسناده ضعيف ، وهو حديث صحيح بشواهده .
(٩) ط : (جميع) وهو تحريف .
(١٠) أ : (رواه) بلا واو .
(١١) رواه ابن ماجه (٢٩٧١) ، إسناده ضعيف ، وهو حديث صحيح بشواهده .

الحجاج بن أرطأة[١] فيه ضعف والله أعلم .

رواية سُراقةَ بن مالك بن جُعْشُم

قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا مكي بن إبراهيم ، حدّثنا داود ـ يعني ابن يزيْد[٣] ـ سمعت عبد الملك الزَّرَّاد يقول : سمعت النَّزّال بن سَبْرة[٤] صاحب عليّ يقول : سمعتُ سُراقة يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « دخلت العُمْرة في الحجِّ إلى يوم القيامة » . قال : وقَرَنَ رسول الله ﷺ في حجّة الوداع .

رواية سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنّه تمتَّعَ بالحَجّ إلى العمرة وهو القِران

قال الإمام مالك[٥] : عن ابن شهاب ، عن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أنّه حَدَّثه أنّه سمعَ سعدَ بن أبي وقاصٍ والضَّحّاك بن قَيْسٍ عامَ حجّ معاوية بن أبي سُفيان يذكُر التَّمتُّعَ بالعُمْرة إلى الحج . فقال الضحاك : لا يصنع ذلك إلا من جهل أمرَ الله . فقال سعد : بئسَ ما قلتَ يا بن أخي . فقال الضحاك : فإنّ عمر بن الخطاب كان يَنْهَى عنها . فقال سعد : قد صنعها رسول الله[٦] ﷺ وصنعناها معه .

ورواه الترمذي[٧] والنسائي[٨] جميعاً ، عن قتيبة ، عن مالك به . وقال الترمذي : هذا حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد[٩] : حدّثنا يحيى بن سعيد ، حدّثنا سليمان ـ يعني التَّيْمي ـ ، حدّثني غُنَيْم ، قال : سألت ابن أبي وقّاص عن المُتْعة فقال : فعلناها ، وهذا كافر بالعُرُش ـ يعني معاوية ـ هكذا رواه مختصراً .

وقد رواه مسلم[١٠] في « صحيحه » من حديث سُفيان بن سعيد[١١] الثوري وشعبة ومروان الفزاري

---

(١) تقدم تجريحه قبل أسطر . وانظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٦٨) .
(٢) انظر مسند الإمام أحمد (٤/ ١٧٥) ، وهو حديث صحيح بشواهده .
(٣) في الأصول : سويد .
(٤) قال ابن حجر : (سبرة : بفتح المهملة وسكون الموحدة) تقريب التهذيب (٥٦٠) .
(٥) رواه مالك (١/ ٣٤٤) .
(٦) أ : (قد صنعها النبي ﷺ) .
(٧) رواه الترمذي (٨٢٣) ، وهو حديث حسن .
(٨) رواه النسائي (٥/ ١٥٢) (٢٧٣٤) ، وهو حديث حسن .
(٩) رواه أحمد (١/ ١٨١) .
(١٠) رواه مسلم (١٢٢٥) .
(١١) لفظ (سعيد) زيادة عن أ .

ويحيى بن سعيد القطان ، أربعتُهم عن سليمان بن طَرْخان التَّيمي ، سمعت غُنَيْم بن قَيس : سألتُ سعد بن أبي وقاص عن المتعة ؟ فقال : قد فعلناها ، وهذا يومئذ كافر بالعُرُش ، قال يحيى بن سعيد في روايته : ـ يعني معاوية ـ ورواه عبد الرزاق[١] ، عن مُعْتَمِر بن سليمان ، وعبد الله بن المُبارك ، كلاهما عن سليمان التَّيْمي ، عن غُنَيْم بن قيس : سألتُ سعداً عن التَّمتُّع بالعُمْرَة إلى الحجِّ ، فقال : فعلتُها مع رسول الله ﷺ وهذا يومئذ كافر بالعُرُش[٢] ـ يعني مكة ، ويعني به معاوية ـ وهذا الحديث الثاني أصحُّ إسناداً ، وإنما ذكرناه اعتضاداً لا اعتماداً ، والأول صحيحُ الإسناد وهو[٣] أصرح في المقصود من هذا والله أعلم .

رواية عبد الله بن أبي أوْفَى

قال الطبراني[٤] : حدّثنا سعيد بن محمد بن المغيرة المصري ، حدّثنا سعيد بن سليمان ، حدّثنا يزيد بن عطاء ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوْفَى ، قال : إنّما جمعَ رسولُ الله ﷺ بين الحجّ والعمرةِ لأنّه علم أنّه لم يكن حاجاً بعد ذلك العام .

رواية عبد الله بن عباس في ذلك

قال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا أبو النَّضْر حدّثنا داود ـ يعني العَطّار[٦] ـ عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : اعتمر رسول الله ﷺ أربعَ عُمَرٍ ؛ عمرةَ الحُدَيْبية ، وعُمْرة القَضاء ، والثالثة من الجِعْرانة ، والرابعة التي مع حجته .

وقد رواه أبو داود[٧] والتِّرمذي[٨] وابن ماجه[٩] من طرقٍ ، عن داود بن عبد الرحمن العطّار المكي ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به . وقال التِّرمذي : حسن غريب . ورواه الترمذي عن سعيد بن عبد الرحمن ، عن سفيان بن عُيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة . مُرْسلاً . ورواه الحافظ

---

(١) وأخرجه البيهقي من طريقه (٥/ ١٧) .
(٢) ليست عبارة : (يعني مكة) في أ .
(٣) ط : (وهذا) .
(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٣٦٠٨) ، وإسناده ضعيف .
(٥) رواه أحمد (١/ ٢٤٦) .
(٦) ط : (القطان) تحريف وسيرد الاسم أكثر من مرة مصححاً .
(٧) رواه أبو داود (١٩٩٣) .
(٨) رواه الترمذي (٨١٦) .
(٩) رواه ابن ماجه (٣٠٠٣) .

البيهقي[(١)] من طريق أبي الحسن علي بن عبد العزيز البغوي ، عن الحسن بن الربيع ، وشهاب بن عَبّاد ، كلاهما عن داود بن عبد الرحمن العَطّار . . . فذكره . وقال : والرابعة[(٢)] التي قَرنَهَا مع حجته . ثم قال أبو الحسن علي بن عبد العزيز : ليس أحد يقول في هذا الحديث عن ابن عباس إلا داود بن عبد الرحمن ، ثم حكى البيهقي عن البخاري أنّه قال : داود بن عبد الرحمن صدوق ، إلا أَنَّه رُبَّما يَهِمُ في الشيء .

وقد تقدم ما رواه البخاري[(٣)] من طريق ابن عباس عن عمر أنَّه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول بوادي العَقيق : « أتاني آتٍ من ربّي فقال : صَلِّ في هذا الوادي المبارك . وقُلْ : عمرة في حجة » فلعل هذا مستند ابن عباس فيما حكاه ، والله أعلم .

رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

قد تقدم فيما رواه البخاري[(٤)] ومسلم[(٥)] من طريق الليث ، عن عُقَيل ، عن الزُّهري ، عن سالم ، عن ابن عمر أنه قال : تَمتَّعَ رسولُ الله ﷺ في حجةِ الوَداع ، وأَهْدَى فساق الهَدْيَ من ذي الحُلَيْفة وبدأ رسول الله ﷺ فأَهَلَّ بالعمرة ثم أَهَلَّ بالحَجّ ، وذكر تمام الحديث في عدم إحلاله بعد السَّعي ، فعلم كما قَرَّرناه أولا أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن[(٦)] متمتعاً التمتُّعَ الخاصَّ ، وإنما كان قارناً لأنّه حكى أنه عليه السلام لم يكن متمتعاً اكتفى[(٧)] بطوافٍ واحدٍ بينَ الصَّفا والمَرْوَة عن حجه وعمرته[(٨)] . وهذا شأنُ القارنِ على مذهب الجمهور كما سيأتي بيانُه ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى[(٩)] الموصلي : حدّثنا أبو خيثمة ، حدّثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عُبَيْد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنَّ رسولَ الله ﷺ طافَ طوافاً واحداً لإقرانه لم يُحِلّ بينهما ، واشترى من الطريق ـ يعني الهَدْيَ ـ وهذا إسناد جيد رجاله[(١٠)] كلهم ثقات إلا أنّ يحيى بن يَمانٍ ـ وإن كان من رجال مسلم ـ في أحاديثه عن الثوري نَكارةٌ شديدةٌ، والله أعلم . ومما يُرَجِّحُ أن ابنَ عمر أراد بالإفراد الذي

(١) رواه البيهقي (٥/ ١٢) .
(٢) ط : (الرابعة بلا واو) .
(٣) رواه البخاري رقم (١٥٣٤) .
(٤) رواه البخاري رقم (١٦٩١) .
(٥) رواه مسلم (١٢٢٧) .
(٦) أ : (أنه لم يكن عليه السلام) .
(٧) أ : (لأنه اكتفى بطواف . .) .
(٨) أ : (من حجة وعمرة) .
(٩) وأخرجه أحمد (٢/ ٣٨) .
(١٠) ليس لفظ (رجاله) في أ .

رواه إفرادَ أفعال الحج لا الإفرادَ الخاصَّ الذي يصير[١] إليه أصحاب الشافعي ، وهو الحجُّ ثم الاعتمارُ بعده في بقية ذي الحجة .

قول الشافعي : أنبأنا مالك ، عن صَدَقَةَ بن يسار ، عن ابن عمر ، أنه قال : لأنْ أعتمرَ قبل الحجّ وأُهْدي أحبُّ إليَّ من أن أعتمرَ بعدَ الحجِّ في ذي الحجة .

رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا أبو أحمد ـ يعني الزُّبَيْري ـ ، حدّثنا يونس بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه أنَّ رسولَ الله ﷺ إنّما قرنَ خشيةَ أن يُصَدّ عن البيت وقال : إنْ لم تكن[٣] حجةً فعُمْرةً .

وهذا حديث غريب سَنَداً ومَتْناً ، تفرَّدَ بروايته الإمام أحمد .

وقد قال أحمد في يونس بن الحارث الثقفي هذا : كان مضطربَ الحديث ، وضعَّفَه ، وكذا ضَعَّفَهُ يحيى بن مَعين في رواية عنه ، والنسائي .

وأما من حيث المتن ، فقوله : إنَّما قَرَنَ رسولُ الله ﷺ خشيةَ أنْ يُصَدّ عن البيت . فَمَنِ الذي كان يَصُدُّه عليه الصلاة والسلام عن البيت وقد أطَّد الله له[٤] الإسلام ، وفتح البلدَ الحرامَ ، وقد نُودي برحاب[٥] منى أيام الموسم في العام الماضي أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفَنَّ بالبيت عريان[٦][٧] وقد كان معه عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع قريبٌ[٨] من أربعين ألفاً .

فقوله : « خشية أن يُصَدَّ عن البيت » : وما هذا بأعجب من قول أمير المؤمنين عثمان لعلي بن أبي طالب حين قال له علي : [لقد علمت أنا تمتعنا مع رسول الله ﷺ . فقال : أجل ولكنّا كنّا خائفين][٩] ولست أدري علام يُحْمَل هذا الخوف من أي جهة كان ؟ إلا أنه تضمَّن رواية الصحابي لما

---

(١) أ : (يسير) .
(٢) رواه أحمد (٢/ ٢١٤) .
(٣) ط : (يكن) .
(٤) ليس لفظ (له) في أ .
(٥) أ : (برجام) وهو تحريف .
(٦) رواه البخاري رقم (٣٦٩) ورواه مسلم (١٣٤٧) .
(٧) أ : (عرياناً) خطأ .
(٨) أ : (قريباً) خطأ .
(٩) رواه مسلم (١٢٢٣) .

رواه ، وحمله على معنى ظنه ، فما رواه صحيح مقبول ، وما اعتقده ليس بمعصوم فيه ، فهو موقوف عليه ، وليس بحجة على غيره ، ولا يلزم منه رد الحديث الذي رواه . وهكذا[١] قول عبد الله بن عمرو . لو صحَّ السَّنَدُ إليه ، والله أعلم .

رواية عمران بن حصين رضي الله عنه

قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا محمد بن جعفر ، وحجاج ، قالا : حدّثنا شعبة ، عن حُمَيْد بن هِلال ، سمعت مُطَرِّفاً[٣] قال : قال لي عمران بن حُصَيْن : إني محدِّثُكَ حديثاً ، عسى الله أنْ ينفعَكَ به : إنَّ رسولَ الله ﷺ قد جمعَ بين حجةٍ وعمرةٍ[٤] . ثُمَّ لمْ يَنْهَ عنه ، حتى مات ولم ينزل قرآن فيه يُحَرِّمه ، وأنه كان يُسَلِّم عليَّ ، فلما اكتويتُ أمسكَ عنّي ، فلما تركتُه عاد إليَّ .

وقد رواه مسلم[٥] ، عن محمد بن المُثَنَّى ومحمد بن بَشّار[٦] ، عن غُنْدَر ، [و]عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه .

والنسائي[٧] عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث ، ثلاثتهم عن شعبة ، عن حُمَيْد بن هِلال ، عن مُطَرِّف ، عن عمران به .

ورواه مسلم[٨] من حديث شعبة ، وسعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن مُطَرِّف (بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عمران بن الحُصَين : أنَّ رسول الله ﷺ جمع بين حج وعمرة . . . الحديث .

قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : حديث شعبة عن حميد بن هلال ، عن)[٩] مُطَرف صحيح . وأما حديثه عن قتادة ، عن مطرف ، فإنما رواه عن شعبة كذلك بقيةُ بن الوليد . وقد رواه غُنْدر وغيره ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة .

---

(١) ط : (هكذا) بلا واو .
(٢) رواه أحمد (٤/ ٤٢٧) .
(٣) أ : (مطرف) وط : (مطرقاً) وفي الأولى خطأ وفي الثانية تحريف .
(٤) ط : (حجته وعمرته) .
(٥) رواه مسلم (١٢٢٦) .
(٦) في ط : (يسار) تحريف . وهو محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان ، أبو بكر العبدي البصري لقب ببندار ومعناه الحافظ لأنه كان بندار الحديث في عصره ببلده توفي سنة (٢٥٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤٤ ـ ١٤٩) ، وتهذيب التهذيب (٩/ ٧٠ ـ ٧٣) .
(٧) رواه النسائي (٥/ ١٤٩) (٢٧٢٦) .
(٨) رواه مسلم (١٢٢٦) .
(٩) ليس ما بين القوسين في أ .

قلت : وقد رواه أيضاً النّسائي[١] في سننه عن عمرو بن علي الفلاّس ، عن خالد بن الحارث ، عن شعبة ، وفي نسخة : عن سعيد بدل شعبة ، عن قتادة ، عن مُطَرِّف ، عن عمران بن الحصين . . . فذكره ، والله أعلم .

وثبت في « الصحيحين » من حديث همام ، عن قتادة ، عن مُطَرف ، عن عمران بن الحصين ، قال : تَمَتّعنا على عهد رسول الله ﷺ[٢] ، ثم لم ينزل قرآنٌ يحرِّمه ، ولم يُنْهَ عنها حتى مات رسول الله ﷺ[٣] .

رواية الهِرْماس بن زياد الباهلي

قال عبد الله بن الإمام أحمد[٤] : حدّثنا عبد الله بن عمران بن علي أبو محمد ، من أهل الرّيّ ، وكان أصله أصبهانياً[٥] ، حدّثنا يحيى بن الضُّريس ، حدّثنا عِكْرمة بن عَمّار ، عن الهِرْماس . قال : كنت رِدْفَ أبي ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ وهو على بعيرٍ ، وهو يقول : « لبَّيْكَ بحجةٍ وعُمْرَةٍ معاً » ، وهذا على شرط السنن ، ولم يُخرجوه .

رواية حَفْصَة بنت عُمر أم المؤمنين رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن حَفْصة : أنّها قالت للنبي ﷺ : ما لك لم تحلّ من عُمْرتِكَ ؟ قال : « إني لَبَّدْتُ[٧] رأسي وقلّدتُ هَدْيي فلا أُحلّ حتى أنحر » وقد أخرجاه في « الصحيحين »[٨] من حديث مالك وعُبَيْد الله بن عمر ، زاد البخاري[٩] : وموسى بن عقبة ، زاد مسلم[١٠] : وابن جريج كلهم ، عن نافع ، عن ابن عمر به ، وفي لفظهما أنّها

---

(١) رواه النسائي (٥/ ١٤٩) (٢٧٢٧) .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٥٧١) ومسلم (١٢٢٦) (١٧٠) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٥١٨) ومسلم (١٢٢٦) (١٧٢) من طريق أبي رجاء العطاردي عن عمران .
(٤) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٣/ ٤٨٥) وهو حديث منكر كما قال الإمام أحمد ، ووقع في المطبوع : من رواية أحمد ، وهو خطأ .
(٥) في الأصول : (أصبهاني) وهو خطأ . صححته عن مسند الإمام أحمد .
(٦) رواه أحمد (٦/ ٢٨٤) (٢٦٤٧٥) .
(٧) تلبيد الشعر أن يجعل فيه شيء من صمغ عند الإحرام لئلا يَشْعثَ ويقمل إبقاء على الشعر . وإنما يُلَبِّدُ من يطول مُكثُهُ في الإحرام (النهاية في غريب الحديث والأثر : لبد) .
(٨) رواه البخاري رقم (١٥٦٦) و(١٦٩٧) ، ومسلم رقم (١٢٢٩) (١٧٦) و(١٧٧) .
(٩) رقم (٤٣٨٩) .
(١٠) رقم (١٢٢٩) (١٧٩) .

قالت : يا رسولَ الله ما شَأْنُ النّاس حلّوا من العمرة ، ولم تحلّ أنتَ من عُمْرتك ؟ فقال : « إني قلّدتُ هَدْيي ولبّدتُ رأسي فلا أَحِلّ حتى أنْحَرَ » .

وقال الإمام[١] أحمد أيضاً : (حدثنا أبو اليمان)[٢] حدّثنا شُعَيْبُ بن أبي حَمْزَةَ . قال : قال نافع : كان عبد الله بن عمر يقول : أخبرتنا حَفْصَة زَوْجُ النبيّ ﷺ : أنَّ رسول الله ﷺ أمر أزواجَه أن يَحْلِلْنَ عامَ حجةِ الوَداع . فقالت له فلانة : ما يَمْنَعُكَ أن تحلّ . قال : « إنّي لَبّدْتُ رأسي وقَلّدتُ هَدْيي فلست أُحِلّ حتى أنْحَرَ هَدْيي » .

وقال أحمد[٣] أيضاً : حدّثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدّثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدّثني نافع[٤] ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة بنت عمر ، أنها قالت : لمّا أمر رسولُ الله ﷺ نساءَهُ أن يَحْلِلْنَ بعمرةٍ ، قلنا : فما يَمْنَعُكَ يا رسولَ الله أن تَحلّ معنا ؟ قال : « إني أهديت[٥] ولَبّدتُ فلا أُحِلّ حتى أنحر هَدْيي » .

ثم رواه أحمد[٦] ، عن كثير بن هشام ، عن جعفر بن بُرْقان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن حفصة . . . فذكره ، فهذا الحديث فيه أن رسول الله ﷺ كان مُتَلبّساً بعُمْرةٍ ولم يَحِلَّ منها ، وقد عُلِمَ بما تقدَّم من أحاديث الإفرادِ أنّه كان قد أَهَلَّ بحجٍّ أيضاً ، فدلَّ مجموعُ ذلك أنَّه قارنٌ مع ما سلَفَ من روايةِ مَنْ صَرَّح بذلك ، والله أعلم .

رواية عائشة أم المؤمنين[٧] رضي الله عنها

قال البخاري[٨] : حدّثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : خَرَجْنا مع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع فأَهْلَلْنا بعُمْرَةٍ . ثم قال النبيُّ ﷺ : منْ كانَ معه هَدْيٌ فَلْيُهِلَّ بالحَجّ مع العُمْرة ، ثم لا يَحِلَّ حتّى يَحِلَ منهما جميعاً ، فقدمت مكة وأنا حائض ، فلم أَطُفْ بالبيتِ ولا بينَ الصَّفا والمَرْوَة ، فشكوتُ ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : انقُضي[٩] رأسَكِ ، وامْتَشِطي وأَهِلّي بالحجّ ، ودَعي العُمْرَةَ ، ففعلتُ ، فلما قضيتُ الحجَّ ، أرسلني رسول الله ﷺ مع

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٨٥) ، وهو حديث صحيح .
(٢) لم يرد ما بين القوسين في أ ولا في ط ، واستدركتهما عن المسند .
(٣) رواه أحمد (٦/ ٢٨٥) ، وهو حديث صحيح .
(٤) ط : (عن أبي إسحاق نافع) وما أثبته عن أ ويوافق ما في المسند .
(٥) ط : (اهتديت) .
(٦) رواه أحمد (٦/ ٢٨٥) ، وهو حديث صحيح .
(٧) أ : (رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) .
(٨) رواه البخاري رقم (١٥٥٦) .
(٩) ط : (انفضي) تحريف .

عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التَّنعيم فاعْتَمَرْتُ . فقال : هذه مكان عُمْرتِك . قالت : فطافَ الذين كانوا أَهَلُّوا بالعُمْرة بالبيت وبين الصَّفا والمَرْوَة ، ثم حَلُّوا ، ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من مِنىً ، وأما الذين جمعوا الحجَّ والعمرةَ فإنما طافوا طَوافاً واحداً .

وكذلك[١] رواه مسلم[٢] من حديث مالك ، عن الزهري . . . فذكره .

ثمّ رواه[٣] عن عَبْدِ بنِ حُمَيْد ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهْري ، عن عُرْوَة عن عائشة قالت :

خَرَجْنا مع رسول الله ﷺ عامَ حجَّةِ الوداعِ ، فأهْلَلْتُ بعمرةٍ ولم أكُنْ سُقْتُ الهَدْيَ ، فقال رسول الله ﷺ منْ كانَ معه هَدْيٌ فَلْيُهِلّ بالحجّ مع عُمْرَتِهِ لا يَحِلّ حتّى يَحِلّ منهما جميعاً . . . وذكر تمام الحديث كما تقدم .

والمقصود من إيراد هذا الحديث هاهنا قوله ﷺ : « منْ كانَ معهُ هَدْيٌ فليهلّ بحجٍ وعمرة » ، ومعلومٌ أنّه عليه الصلاة والسلام قد كان معه هَدْيٌ فهو أول[٤] وأولى من ائتمر بهذا ، لأنَّ المخاطبَ داخلٌ في عمومِ مُتَعلّقِ خطابه على الصَّحيح . وأيضاً فإنّها قالَتْ : وأمّا الذينَ جَمَعوا الحجَّ والعُمْرَة فإنّما طافوا طوافاً واحداً ، يعني بين الصَّفا والمروة .

وقد روى مسلم[٥] عنها[٦] : أنَّ رسولَ الله ﷺ إنّما طافَ بين الصَّفا والمروة طوافاً واحداً ، فعُلم من هذا أنَّه كان قد جمعَ بين الحجّ والعمرة .

وقد روى مسلم[٧] من حديث حَمّاد بن زيد ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه عن عائشة قالت : فكانَ الهَدْيُ مع النبيِّ ﷺ وأبي بكر وعمر وذوي اليسار[٨] ، وأيضاً فإنّها ذكرت أنَّ رسول الله ﷺ لم يَتَحَلَّلْ من النُّسُكَيْن فلم يكن مُتَمَتِّعاً ، وذكرتْ أنَّها سألَتْ رسولَ الله ﷺ أن يُعْمِرها من التَّنعيم[٩] . وقالَتْ :

---

(١) أ : (وكذا) .
(٢) رواه مسلم (١٢١١) (١١١) .
(٣) رواه مسلم (١٢١١) (١١٣) .
(٤) أ : (أولى وأولى) .
(٥) رواه مسلم (١٢١١) (١١١) .
(٦) أ : (منها) تحريف .
(٧) رواه مسلم (١٢١١) عن عبد العزيز بن الماجشون .
(٨) في صحيح مسلم (اليسارة) .
(٩) التنعيم : موضع بمكة في الحل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة ، وقيل على أربعة . وسمي بذلك لأنّ جبلاً عن يمينه يقال له نُعَيْم ، وآخر عن شماله ، يقال له ناعم ، والوادي نَعْمان . وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة ، وسقايا على طريق المدينة منه يحرم المكيون بالعمرة (معجم ما استعجم (١/ ٣٢١)، ومعجم البلدان : التنعيم).

يا رسولَ الله يَنْطَلِقون[١] بحجٍّ وعمرةٍ ، وأنطلقُ بحجٍّ ؟! فبعثها[٢] مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر فأَعْمَرَها من التَّنْعيم ولم يُذْكَرْ أنَّه عليه الصلاة والسلام اعتمر بعد حجته ، فلم يكن مُفْرداً . فعُلم أنه كان قارناً ، لأنه كان باتّفاقِ النّاس قد اعتمر في حجة الوداع ، والله أعلم .

وقد تقدم ما رواه الحافظُ البيهقيُّ[٣] من طريق يزيد بن هارون ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب : أنّه قال : اعتمرَ رسولُ الله ﷺ ثلاث عُمَرٍ كلُّهن في ذي القعدة ، فقالت عائشة : لقد علم أنه اعتمر أربع عُمَرٍ بعُمرته التي حَجَّ معها . وقال البيهقي[٤] في الخلافيات[٥] : أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه ، أنبأنا أبو محمد بن حَيَّان[٦] الأصبهاني ، أنبأنا إبراهيم بن شَريك ، أنبأنا أحمد بن يونس ، حدّثنا زهير ، حدّثنا أبو إسحاق ، عن مجاهد ، قال : سُئِل ابنُ عُمَر : كَم اعْتَمَرَ رسولُ الله ﷺ ؟ فقال : مرّتين . فقالت عائشة : لقد علمَ ابنُ عمر أنَّ رسول الله ﷺ اعتَمَر ثلاثاً سوى العُمْرةِ التي قَرَنها مع حجةِ الوداع . ثم قال البيهقي : وهذا إسنادٌ لا بأسَ به ، لكن فيه إرسال ـ مجاهد لم يسمعْ من عائشة في قول بعض المحدثين .

قلتُ : كان شعبة يُنْكِره . وأما البُخاري ومُسلم فإنهما أثبتاه ، والله أعلم .

وقد روي[٧] من حديث القاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر وعروة بن الزبير وغير واحد ، عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ كان معه الهَدْيُ عامَ حجّةِ الوَداعِ ، وفي إعمارها من التَّنْعيم ومصادقتها له منهبطاً على أهل مكة وبيتوته[٨] بالمُحَصَّب حتى صلَّى الصُّبحَ بمكة ثم رجع إلى المدينة . وهذا كله مما يدلُّ على أنّه عليه الصلاة والسلام لم يعتمر بعد حجّته تلك ، ولم أعلمْ أحداً من الصحابة نقله . ومعلومٌ أنه لم يَتَحَلَّلْ بين النُّسْكَيْن ، ولا روى أحدٌ أنه عليه الصلاة والسلام بعد طوافه بالبيت ، وسعيه بينَ الصّفا والمَرْوة حَلَقَ ولا قصَّر ولا تَحَلَّل ، بل استمرّ على إحرامه باتفاق ، ولم يُنقل أنه أهلَّ بحجٍ لما سار إلى منىً ، فعُلم أنّه لم يكن مُتمتِّعاً . وقد اتفقوا على أنه عليه الصلاة والسلامُ اعتمرَ عامَ حجةِ الوداعِ فلم يَتَحَلَّلْ بين النُّسْكَيْن ، ولا أنشأ إحراماً للحجّ ، ولا اعتمرَ بعد الحجِّ ، فلزم القِرَانُ ، وهذا مما يَعْسُرُ الجوابُ عنه ، والله أعلم .

---

(١) أ : (تنطلقون) .
(٢) أ : (مبعثها) .
(٣) رواه البيهقي (٥/ ١١) (٨٦٢٢) .
(٤) رواه البيهقي (٥/ ١٠) (٨٦١٦) .
(٥) أ : (الخلافات) تحريف .
(٦) في ط : « حبان » ، وهو تصحيف ، وهو أبو محمد بن حيَّان المعروف بأبي الشيخ صاحب « طبقات المحدثين بأصبهان » المتوفى سنة ٣٦٩هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٦) .
(٧) رواه البخاري رقم (١٥٦٠) و(١٥٦١) و(١٥٦٢) ومسلم رقم (١٢١١) (١١٩) و (١١٨) و (١٢٥) .
(٨) ليس اللفظ في ط .

وأيضاً فإن رواية القِران مُثْبتةٌ لما سكت عنه أو نفاه منْ روى الإفرادَ والتّمتع فهي مُقَدَّمةٌ عليها كما هو مقرَّرٌ في علم الأصول .

وعن أبي عمران أنّه حجَّ مع مواليه ، قال : فأتيتُ أمَّ سلمةَ فقلتُ : يا أمَّ المؤمنين إنّي لم أحجّ قطُّ فَبأيِّهما أبدأ ؛ بالعُمرةِ أم بالحَجِّ ؟ قالت : ابْدَأ بأيهما شِئْتَ . قال : ثُمَّ أتَيْت صَفِيَّةَ أمّ المؤمنين فسألتُها فقالت لي مثلَ ما قالت ، قال : ثم جئتُ أمَّ سلمة فأخبرتُها بقولِ صَفيّة ، فقالت لي أم سلمة : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يا آلَ مُحَمَّدٍ منْ حَجَّ منكم فليُهِلّ بعُمْرةٍ في حجةٍ » . رواه ابن حِبان في صحيحه ، وقد رواه ابن حزم في حجّةِ الوَداعِ من حديث اللَّيْثِ بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم ، عن أبي عمران ، عن أم سلمة به[١] .

فصـــل

إن قيل : قد رَوَيْتُمْ عن جَماعةٍ من الصّحَابة أنّه عليه السلام أفردَ الحجَّ ، ثم رَوَيْتُمْ عن هؤلاء بأعيانهم وعن غيرهم أنَّه جمعَ بين الحجِّ والعمرةِ ، فما الجمع من ذلك ؟!

فالجواب : أنّ روايةَ منْ روى أنه أفرد الحج محمولةٌ على أنّه أفردَ أفعالَ الحجّ ، ودخلت العمرة فيه نيةً وفعلاً ووقتاً ، وهذا يدلُّ على أنه اكتفى بطواف الحجّ وسَعْيه عنه وعنها ، كما هو مذهبُ الجمهور في القارن ، خلافاً لأبي حنيفة ، رحمه الله ، حيثُ ذهبَ إلى أنَّ القارنَ يطوفُ طوافَيْن ، ويسعى سَعْيَين ، واعتمدَ على ما روي في ذلك ، عن عليّ بن أبي طالب ، وفي الإسناد إليه نظر . وأما منْ روى التَّمتُّع ، ثم روى القِرانَ ، فقد قدَّمنا الجواب عن ذلك بأن التمتُّع في كلام السَّلف أعمُّ من التمتُّع الخاصّ والقِرانِ ، بل ويطلقونه على الاعتمار في أشهر الحجِّ وإن لم يكن معه حجٌّ . كما قال[٢] سعد بن أبي وقاص : تمتّعنا مع رسول الله ﷺ وهذا ـ يعني[٣] معاوية ـ يومئذ كافرٌ بالعُرش ـ يعني بمكة ـ وإنّما يريدُ بهذا إحدى العُمْرتَيْن : إما الحُدَيبية ، أو القضاء ، فأما عُمْرةُ الجِعرانة ، فقد كان معاوية[٤] قد أسلم ، لأنها كانت بعد الفتح ، وحجة الوداع بعد ذلك سنة عشر ، وهذا بيّنٌ واضحٌ ، والله أعلم .

فصـــل

إن قيل : فما جوابكم[٥] عن الحديث الذي رواه أبوداود الطّيالسي في

---

(١) رواه ابن حبان (٣٩٢٠) ، و(٣٩٢٢) ، وإسناده صحيح .
(٢) رواه مسلم (١٢٢٥) .
(٣) أ : (يعني وهذا) وفوق اللفظين إشارتا تبديل .
(٤) ليس اللفظ في أ .
(٥) ط : (جوابها) .

مسنده[١] : حدّثنا هشام عن قتادة ، عن أبي شيخ الهُنائي ـ واسمه حَيْوان[٢] بن خالد ـ أنَّ معاوية قال لنَفَرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ : أتعلمونَ أنَّ رسولَ الله ﷺ نَهى عن صُفَف[٣] النمور ؟ . قالوا : اللهمَّ نعم ! قال : وأنا أشهدُ . قال : أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن لُبْس الذّهب إلا مُقَطَّعاً[٤] . قالوا : اللهم نعم ! قال : أتعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ نهى أن يُقْرَنَ بين الحجِّ والعمرة ؟ قالوا : اللهم لا ! قال : واللهِ إنها لَمَعَهُنَّ .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا عَفّان ، حدّثنا همام ، عن قتادة ، عن أبي شيخ الهُنائي قال : كنتُ في مَلإٍ من أصحاب رسول الله ﷺ عند معاوية ، فقال معاوية : أنشدكم بالله أتعلمونَ أنَّ رسول الله نهى عن جُلود النُّمور أن يُرْكَبَ عليها ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : وتَعْلَمونَ أنَّه نَهى عن لباسِ الذّهب إلا مُقَطَّعاً ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : وتعلمون أنه نهى عن الشُّرب في آنيةِ الذَّهَب والفضَّة ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : وتعلمونَ أنَّه نهى عن المتعة ـ يعني متعة الحج ؟ قالوا[٦] : اللهم لا [قال : أما إنها معهن] !

وقال أحمد[٧] : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي شيخ الهُنائي أنَّه شهدَ معاويةَ ، وعنده جمعٌ من أصحاب النبي ﷺ ، فقال لهم معاوية : أتعلمونَ أنَّ رسولَ الله نهى عن رُكوبِ جُلودِ النُّمور . قالوا : نعم ! قال : أتعلمون[٨] أنَّ رسولَ الله نهى عن لُبْسِ الحَريرِ ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : أتعلمون[٨] أن رسول الله نهى أنْ يُشْربَ في آنيةِ الذَّهَبِ والفضة ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : أتعلمون[٨] أنَّ رسول الله نهى عن جَمْعٍ بينَ حجٍّ وعمرةٍ ؟ قالوا : اللهم لا ! قال فوالله إنها لَمَعَهُنَّ .

وكذا رواه[٩] حماد بن سلمة عن قتادة وزاد : ولكنّكم نَسيتُم .

---

(١) ورواه البيهقي (٥/ ١٩) من طريق الطيالسي .

(٢) ط : (أبي سيخ الهناني واسمه صفوان بن خالد) وقال ابن حجر : قيل اسمه حيوان بن خالد وقيل خيوان (تهذيب التهذيب ١٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠) .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث : (صفف فيه : نهى عن صُفَفِ النُّمور . هي جمع صُفَّة ، وهي للسَّرج بمنزلة المِيثَرَة من الرَّحل وهذا كحديثه الآخر « نهى عن ركوب جلود النمور ») .

(٤) وقال أيضاً : (وفيه : « نهى عن لُبْس الذهب إلا مُقطعاً » أراه الشيء اليسير منه كالحلقة والشنف ونحو ذلك ، وكره الكثير الذي عادة أهل السَّرَف والخُيَلاء والكِبْر . واليسير هو ما لا تجب فيه الزكاة) .

(٥) رواه أحمد (٤/ ٩٢) .

(٦) أ : (قال) .

(٧) رواه أحمد (٤/ ٩٩) .

(٨) أ ، ط (تعلمون) بلا همزة الاستفهام .

(٩) انظر سنن البيهقي الكبرى (٥/ ١٩) (٨٦٥١) ونص الحديث كاملاً في سنن أبي داود (٢/ ١٥٧) (١٧٩٤) .

وكذا رواه أشعثُ بن براز ، وسعيد بن أبي عَرُوبة[١] وهمام[٢] عن قتادة[٣] بأصله .

ورواه مطر الوراق[٤] وبَيْهَسُ[٥][٦] بن فهدان ، عن أبي شيخ في مُتْعة الحج . فقد[٧] رواه أبو داود والنسائي من طرقٍ ، عن أبي شيخ الهُنائي به[٨] ، وهو حديث جيّد الإسناد ، ويستغرب منه رواية معاوية رضي الله عنه ، النهي عن الجمع بين الحج والعمرة ، ولعل أصل الحديث النهي[٩] عن المتعة ، فاعتقد الراوي أنّها متعة الحاج ، وإنما هي متعة النساء ، ولم يكن عند أولئك الصحابة رواية في النهي عنها ، أو لعلَّ النهيَ عن الإقران في التمر ، كما في حديث ابن عمر[١٠] فاعتقد الراوي[١١] أنّ المرادَ القِرانَ في الحجّ ، وليس كذلك ، أو لعل[١٢] معاوية رضي الله عنه إنما قال[١٣] : أتعلمون أنّه نُهي عن كذا ، فبناه بما لم يسمَّ فاعله ، فصرح الراوي بالرفع إلى النبي ﷺ ، ووهم في ذلك ، فإنّ الذي كان ينهى عن متعة الحج إنما هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يكن نهيه عن ذلك[١٤] على وجه التحريم والحتم[١٥] ؟ كما قدمنا . وإنّما كان يَنْهى عنها لتُفرد عن الحج بسفرٍ آخر ، لتكثر[١٦] زيارة البيت ، وقد كان الصحابة ، رضي الله عنهم ، يهابونه كثيراً ، فلا يتجاسرون على مخالفته غالباً ، وكان ابنه عبد الله يخالفه ، فيقال له : إن أباك كان ينهى عنها فيقول : لقد خَشيت أن يقعَ عليكم حجارة من السماء ، قد فعلها رسولُ الله ﷺ ، أفسُنَّةَ رسولِ الله تُتَّبعُ أم سُنَّةَ عُمَرَ بن الخَطاب ، وكذلك كان عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ينهى عنها ، وخالفه عليّ بن أبي طالب كما تقدّم ، وقال : لا أدعُ سنَّةَ رسول الله ﷺ لقول أحدٍ من النّاس .

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٩٩) .
(٢) ط : (وعمام) تحريف .
(٣) رواه أحمد (٤/ ٩٢) .
(٤) انظر سنن البيهقي الكبرى (٥/ ١٩) (٨٦٥١) وذكره النسائي (٥/ ٥٠٨) (٩٨١٧) .
(٥) رواه أحمد (٤/ ٩٨) .
(٦) ط : (وبهيس) تحريف . وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٥٠٧) .
(٧) أ : (وقد) .
(٨) أ : (أبو داود عن مطرق عن أبي شيخ الهنائي وهو) .
(٩) ليس لفظ (النهي) في أ .
(١٠) رواه البخاري رقم (٢٤٥٥) ومسلم رقم (٢٠٤٥) .
(١١) أ : (فاعتقد بعض الرواة) .
(١٢) أ : (ولعل) .
(١٣) ط : (قال إنما قال) .
(١٤) ليس لفظ (عن) في أ .
(١٥) ط : (والحتم) .
(١٦) ط : (ليكثر) .

وقال عمران بن حصين : تمتَّعنا مع رسول الله ﷺ ، ثم لم ينزل قرآنٌ يُحرِّمُه ولم يَنْهَ عنها رسول الله ﷺ حتى مات . أخرجاه في « الصحيحين »[١] .

وفي صحيح مسلم[٢] : عن سعدٍ أنه أنكرَ على معاوية إنكارَه المُتْعَة وقال : قد فعلناها مع رسول الله ﷺ وهذا يومئذ كافرٌ بالعُرُش ، يعني معاوية أنه كان حين فعلوها مع رسول الله ﷺ كافراً بمكة يومئذ .

قلت : وقد تقدّم أنّه عليه الصلاة والسلام حجَّ قارناً بما ذكرناه من الأحاديث الواردة في ذلك ، ولم[٣] يكن بين حجّة الوداع وبين وفاة رسول الله ﷺ إلاّ[٤] أحد وثمانون يوماً ، وقد شهد تلك الحجة ما ينيف عن أربعين ألف صحابيّ قولاً منه وفعلاً ، فلو كان قد نهى عن القِران في الحَجّ الذي شهده منه الناس لم ينفرد به واحدٌ من الصحابة ، ويردّه عليه جماعةٌ منهم ممن سمعَ منه ومنْ[٥] لم يسمع ، فهذا كلُّه يدلّ على أنّ هذا هكذا ليس محفوظاً عن معاوية رضي الله عنه ، والله أعلم .

وقال أبو داود[٦] : حدّثنا أحمد بن صالح ، حدّثنا ابن وهب ، أخبرني حيوة ، أخبرني أبو عيسى الخراساني ، عن عبد الله بن القاسم الخراساني ، عن سعيد بن المسيّب ؛ أنَّ رجلاً من أصحاب النبيّ ﷺ أتى عُمر بن الخطّاب فشهدَ أنّه سمعَ رسولَ الله ﷺ في مرضه الذي قُبض فيه يَنْهَى عن العُمْرَة قبلَ الحجّ . وهذا الإسناد لا يخلو عن نَظَرٍ ، ثم إن كانَ هذا الصحابيُّ هو[٧] معاوية ، فقد تقدّم الكلامُ على ذلك ، ولكن في هذا النهيُ عن المتعة لا القِران . وإن كان في[٨] غيره فهو مشكل في الجملة لكن لا على القران ، والله أعلم .

ذكر مستند من قال : إنه عليه الصلاة والسلام أطلق الإحرام ولم يعيّن حجاً ولا عمرةً أوّلاً ، ثم بعد ذلك صرفه إلى مُعَيَّنٍ

وقد حُكِيَ عن الشافعي أنه الأفضلُ ، إلا أنّه قول ضعيف .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٥١٨) ومسلم رقم (١٢٢٦) .
(٢) رواه مسلم (١٢٢٥) .
(٣) ط : (لم) بلا واو .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) رواه أبو داود (١٧٩٣) .
(٧) ليس اللفظ في ط .
(٨) ليس اللفظ في أ .

قال الشافعي[١] رحمه الله : أنبأنا (سفيان أنبأنا)[٢] ابن طاوس ، وإبراهيم بن مَيْسرة سمعا[٣] طاوساً ، يقول :

خرجَ رسولُ الله ﷺ من المدينة لا يسمِّي حجاً ولا عمرة ينتَظِرُ القَضاءَ ، فنزل عليه القضاءُ ، وهو بين الصَّفا والمروة ، فأمر أصحابه منْ كان منهم أهل[٤] بالحجِّ ولم يكن معه هَدْيٌ أن يجعلَها عُمْرةً . وقال : « لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لما سُقْتُ الهَدْيَ ولكن لبَّدْتُ رَأْسي وسُقْتُ هَدْيي ، فليس لي مَحِلٌّ إلا مَحِلّ هَدْيي ، فقام إليه سُراقة بن مالك . فقال : يا رسول الله اقْضِ لنا قَضَاءَ قوم[٥] كأنَّما ولدوا اليومَ أعُمْرَتُنا هذه لعامنا هذا ، أم للأبد !؟ فقال رسول الله ﷺ : « بل للأبَدِ ، دخلتِ العُمْرَةُ في الحجِّ إلى يوم القيامة » قال : فدخل عليٌّ من اليَمَنِ ، فسأله النبيُّ ﷺ بمَ أهْلَلْتَ ؟ فقال أحدهما عن طاوس قلت : لبيك إهلال النبي ﷺ . وقال الآخر : لبيك حجة النبي ﷺ .

وهذا مرسل طاوس ، وفيه غرابة . وقاعدة الشافعي رحمه الله أنه لا يقبل المرسل بمجرده حتى يَعتضدَ بغيره ، اللهمّ إلا أن يكون عن كبار التابعين ، كما عُوِّل عليه كلامُه في « الرسالة » ، لأنَّ الغالب أنهم لا يُرسِلون إلا عن الصحابة ، والله أعلم . وهذا المُرْسَل ليس من هذا القبيل ، بل هو مخالفٌ للأحاديث المتقدّمة كلِّها : أحاديث الإفراد ، وأحاديث التَّمتُّع ، وأحاديث القِران ، وهي مُسْنَدةٌ صحيحةٌ ، كما تقدَّم ، فهي مقدَّمةٌ عليه ، ولأنها مُثْبَتَةٌ أمراً نفاه هذا المُرْسَل ، والمُثبتُ مقدَّمٌ على النّافي ـ لو تكافآ ـ فكيفَ والمُسْنَدُ صحيحٌ . والمُرْسَلُ من حيث لا ينهض[٦] حجة لانقطاع سنده ، والله تعالى أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر[٧] البيهقي[٨] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدّثنا العباس بن محمد الدُّوري ، حدّثنا محاضر ، حدّثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت :

خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر حجّاً ولا عُمْرةً ، فلما قَدِمْنا أمرنا أن نَحِلّ ، فلما كانتْ ليلةُ النَّفرِ حاضَتْ صَفيَّةُ بنت حُيَيّ . فقال النبي ﷺ : « حَلْقَى عَقْرى »[٩] ما أراها إلا حابِسَتكُم . قال : هل كنتِ

---

(١) رواه الشافعي في مسنده رقم (٩٦٠ ترتيبه) وذكره الشافعي في الأم (٢/ ١٢٧) .
(٢) ليس ما بين القوسين في ط .
(٣) في الأصول : وإبراهيم بن ميسرة ، وهشام بن حجير سمعوا ، وما أثبتناه من مسند الشافعي رقم (٩٦٠) .
(٤) ط : (من أهل) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) أ : (لا تنهض) .
(٧) رواه البيهقي (٥/ ٦) (٨٦٠٤) .
(٨) أ : (وقال البيهقي) .
(٩) هذا مثل عربي قديم أوردته في معجم الأمثال العربية (حلق ، عقر) برواية (عقراً حلقاً أو عَقْرى حَلْقى) ومصادره =

طُفْتِ يَوْمَ النَّحْرِ ؟ قالت : نعم ! قال : فانْفِري . قالت : قلت : يا رسول الله إني لم أكن أهْلَلْتُ قال : « فاعْتَمِري من التَّنْعيم » قال : فخرج معها أخوها . قالت : فلقينا مُدَّلجاً . فقال : موعدك كذا وكذا . هكذا رواه البيهقي .

وقد رواهُ البخاريُّ[١] عن محمد ـ قيل هو ابن يحيى ـ الذُّهْلي عن مُحاضِر بن المُوَرِّع[٢] به ، إلا أنه قال : قالت[٣] : خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر إلا الحج وهذا أشبه بأحاديثها المتقدمة .

لكن روى مسلم[٤] عن سُوَيْد بن سعيد ، عن علي بن مُسْهِر ، عن الأعْمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكرُ حجّاً ولا عُمْرة .

وقد أخرجه البخاري[٥] ومسلم[٦] من حديث منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود عنها[٧] . قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ ولا نرى إلا أنه الحج ، وهذا أَصَحُّ[٨] وأثبت ، والله أعلم . وفي رواية لها[٩] من هذا الوجه : خرجنا نُلَبِّي لا نذكرُ حَجّاً ولا عُمْرَةً ، وهو محمول على أنَّهم لا يذكرون ذلك مع التلبية ، وإن كانوا قد سَمَّوه حال الإحرام ، كما في حديث أنس : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لَبَّيْكَ اللهمَّ حجّاً وعُمْرةً »[١٠] . وقال أنس : وسمعتُهم يصرخون بهما جميعاً[١١] .

فأما الحديث الذي رواه مسلم[١٢] من حديث داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن جابر وأبي سعيد الخدري . قالا : قدمنا مع رسول الله ﷺ ونحن نصرخ بالحجّ صراخاً ، فإنّه حديثٌ مشكلٌ على هذا ، والله أعلم .

= القديمة : مجمع الأمثال (٢/ ٣٨) ، وجمهرة الأمثال العربية (٢/ ٣٢ و٥٨) ، والمستقصى للزمخشري (٢/ ١٦٤) ، وأمثال القاسم بن سلام (٧٨) ، وشرحه فصل المقال (٩٩) ، واللسان : (عقر ، حلق) .

(١) رواه البخاري (١٧٧٢) .
(٢) أ : (المودع) وهو تحريف . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٥١) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) رواه مسلم (١٢١١) (١٢٩) .
(٥) رواه البخاري (١٥٦١) .
(٦) رواه مسلم (١٢١١) (١٢٨) .
(٧) أ : (عن الأسود عنهما) .
(٨) أ : (وهو أصح) .
(٩) أ : (لهما) رواه مسلم (١٢١١) (١٢٩) .
(١٠) رواه مسلم رقم (١٢٣٢) .
(١١) رواه البخاري رقم (٢٩٨٦) .
(١٢) رواه مسلم (١٢٤٨) .

ذكر تلبية رسول الله ﷺ

قال الشافعي[١] : أخبرنا مالك ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر : أنَّ تلبيةَ رسول الله ﷺ : « لَبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْك ، لَبَّيْكَ لا شَريكَ لكَ لَبَّيْكَ ، إنّ الحمدَ والنِّعمةَ لكَ . والمُلْكَ[٢] لا شَريكَ لك » وكان عبد الله بن عمر يزيد فيها : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ[٣] وسَعْدَيْكَ ، والخَيْرُ في يَدَيْكَ لَبَّيْكَ ، والرغباءُ إليك والعمل .

ورواه البخاريّ[٤] ، عن عبد الله بن يوسف ، ومسلم[٥] عن يحيى بن يحيى ، كلاهما عن مالك به .

وقال مسلم[٦] : حدّثنا محمد بن عَبّاد ، حدّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن موسى بن عُقْبَة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ونافع[٧] مولى عبد الله بن عمر ، وحمزة بن عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر :

أنّ رسولَ الله ﷺ كان إذا استَوَتْ به راحِلَتُه قائمةً عندَ مسجدِ ذي الحُلَيْفة أَهَلَّ ؛ فقال : « لَبَّيْكَ اللّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شريكَ لكَ لَبَّيْك ، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لك والمُلْك ، لا شريكَ لَك » . قالوا : وكان عبد الله يقول هذه[٨] تلبية رسول الله . قال نافع : وكان عبد الله يزيد مع هذا : لَبَّيْكَ لَبَّيكَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْك ، والخَيْر بيدَيْك لبَّيْك ، والرغباء إليك والعمل .

حدّثنا محمد بن المثنى ، حدّثنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله[٩] ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر ، قال : تلقَّفْتُ التلبيةَ من [في] رسول الله ﷺ . فذكر بمثل حديثهم .

حدّثني حرملة بن يحيى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : قال سالم بن عبد الله بن عمر : أخبرني عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يهلّ مُلَبِّداً[١٠] يقول : « لبيكَ اللّهم لبيكَ ، لبيك لا شريكَ لكَ لبيك ، إنّ الحمد والنعمة لكَ والمُلك لا شريك لك » لا يزيد على هؤلاء الكلمات ، وإنَّ عبد الله بن عمر كان يقول :

---

(١) انظر مسند الشافعي (١/ ١٢٢) .
(٢) ط : (والملك لك) .
(٣) ط : (لبيك لك) ولبيك الأولى زيادة من أ وحدها .
(٤) رواه البخاري (١٥٤٦) دون زيادة ابن عمر .
(٥) رواه مسلم (١١٨٤) (١٩) .
(٦) رواه مسلم (١١٨٤) (٢٠) .
(٧) ط : (عن سالم بن عبد الله عن عمر عن نافع) وما أثبته عن أ .
(٨) في الأصول : في .
(٩) في الأصول : (عبد الله) .
(١٠) ط : (ملبياً) .

كان رسول الله ﷺ يركَعُ بذي الحُلَيْفَة ركعتين ، فإذا استوَتْ به الناقَةُ قائمةً عندَ مسجدِ ذي الحُلَيْفة أهلّ بهؤلاء الكلمات .

وقال عبد الله بن عمر : كان عمر بن الخطّاب يهلّ بإهلال النبي ﷺ من هؤلاء الكلمات وهو يقول : لبيك اللَّهُمَّ لَبَّيك ، [لبيك] وسَعْدَيْك ، والخَيْر في يَدَيْك ، لَبّيكَ والرَّغباء إليك والعمل .

هذا لفظ مسلم ، وفي حديث جابر[١] من التلبية كما في حديث ابن عمر وسيأتي مُطَوَّلاً قريباً ، رواه مسلم منفرداً به .

وقال البخاري[٢] بعد إيراده من طريق مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ما تقدَّم ، حدّثنا محمد بن يوسف ، حدّثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن أبي عطية ، عن عائشة ، قالت : إني لأعلمُ كيفَ كانَ النبيُّ يلبِّي : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك » تابعه أبو معاوية ، عن الأعمش . وقال شعبة : أخبرنا سليمان ، سمعت خيثمة ، عن أبي عطية ، سمعت عائشة ، تَفَرَّدَ به البخاري .

وقد رواه الإمام أحمد[٣] ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان الثوري ، عن سليمان بن مِهْران الأعمش ، عن عمارة بن عُمَيْر ، عن أبي عطية الوادعي[٤] ، عن عائشة . فذكر مثل ما رواه البخاري سواء . ورواه[٥] أحمد[٦] عن أبي معاوية ، وعبد الله بن نُمَيْر ، عن الأعمش ، كما ذكره البخاري سواء ، ورواه أيضاً عن محمد بن جعفر وروح بن عبادة ، عن شعبة ، عن سليمان بن مهران الأعمش به[٧] . كما ذكره[٨] البخاري . وكذلك رواه أبو داود الطيالسي[٩] في « مسنده » عن شعبة سواء .

وقال الإمام أحمد[١٠] : حدّثنا محمد بن فضيل ، حدّثنا الأعمش ، عن عمارة بن عُمَير ، عن أبي عطية ، قال : قالت عائشة : إني لأعلمُ كيفَ كانَ رسول الله ﷺ يلبِّي . قال : ثم سمعتها تُلَبِّي .

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨) (١٤٧) .
(٢) رواه البخاري (١٥٥٠) .
(٣) رواه أحمد (٦/ ١٨١) .
(٤) أ : (المرادي) وفي ط : (الوادي) وكلاهما تحريف وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠) .
(٥) ط : (رواه) بلا واو .
(٦) رواه أحمد (٦/ ٢٢٩) و(٢٣٠) .
(٧) رواه أحمد في المسند (٦/ ٢٤٣) كلاهما من طريق الأعمش عن خيثمة عن أبي عطية به .
(٨) أ : (ذكر) .
(٩) رواه الطيالسي في مسنده (١٥١٣) من طريق شعبة عن الأعمش عن خيثمة عن أبي عطية .
(١٠) رواه أحمد في المسند (٦/ ٣٢) .

فقالت : لبيك اللهمّ لبيك ، لبيك لا شريكَ لكَ لبيك ، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والملك ، لا شريك لك . فزاد في هذا السياق وحده : والملك لا شريك لك .

وقال البيهقي[١] : أخبرنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، حدّثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم[٢] ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سَلَمة : أن عبد الله بن الفضل حدَّثه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هُريرة ، أنه قال : كان من تلبية رسول الله ﷺ : « لبيك إله الحق » .

وقد رواه النسائي[٣] ، عن قتيبة ، عن حُمَيْد بن عبد الرحمن ، عن عبد العزيز بن أبي سَلَمة ؛ وابن ماجه[٤] عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد كلاهما عن وكيع عن عبد العزيز به . قال النسائي[٥] : ولا أعلم أحداً أسنده عن عبد الله بن الفضل إلا عبد العزيز ورواه[٦] إسماعيل بن أمية مُرْسلاً .

وقال الشافعي[٧] : أنبأنا سعيد[٨] بن سالم القَدّاح ، عن ابن جُرَيْج ، أخبرني حُميد الأعرج ، عن مجاهد ، أنه قال : كان النبي ﷺ يُظْهِر من التلبية : لبيكَ اللهمَ لبيك ، فذكر التلبية . قال : حتى إذا كان ذات يوم ، والناسُ يُصْرَفون عنه كأنه[٩] أعجبه ما هو فيه ، فزاد فيها : لَبَّيْكَ إنّ العيشَ عيشُ الآخرة . قال ابن جُرَيْج : وحسبتْ أنّ ذلك يومَ عرفة . هذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال الحافظ أبو بكر[١٠] البيهقي[١١] : أخبرنا عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو أحمد يوسُفُ بن محمد بن محمد بن يوسف ، حدّثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ، حدّثنا نصر بن علي الجَهْضَمي ، حدّثنا مَحْبوب بن الحسن ، حدّثنا داود ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباسٍ أنَّ رسول الله ﷺ خطب بعرفات ، فلما قال : لبيكَ اللهمَّ لبيك . قال : إنما الخير خير الآخرة . وهذا إسناد غريب وإسناده على شرط السُّنن ولم يخرجوه .

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٥) (٨٨١٥) .
(٢) ط : (عبد الحكيم) وانظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٧ ـ ٥٠١) وفي هامشه مزيد من المصادر .
(٣) رواه النسائي في سننه (٥/ ١٦١) (٢٧٥٢) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه ابن ماجه في السنن (٢٩٢٠) ، وهو حديث صحيح . ومن هذا الوجه أخرجه أحمد ٢/ ٣٤١ و٣٥٢ و٤٧٦ .
(٥) انظر عند تخريج الحديث (٥/ ١٦١) (٢٧٥٢) .
(٦) أ : (رواه) بلا واو .
(٧) رواه الشافعي في مسنده (١/ ١٢٢) .
(٨) أ : (سعد) وانظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) وفي هامشه مزيد من التخريج .
(٩) ليس لفظ (كأنه) في .
(١٠) ليس (أبو بكر) في أ .
(١١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٥) (٨٨١٦) .

وقال الإمام أحمد[١] : حدّثنا روح ، حدّثنا أسامة بن زيد ، حدّثني عبد الله بن أبي لَبيد ، عن المُطَّلب بن عبد الله بن حَنْطَب ، سمعتُ أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « أمرني جبريل[٢] برفع الصَّوت في الإهلال ؛ فإنّه من شعائر[٣] الحج » . تَفَرَّدَ به أحمد .

وقد رواه البيهقي[٤] ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبد الله بن أبي لبيد ، عن المطلب ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ . . . فذكره .

وقد قال عبد الرزاق[٥] : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي لَبيد ، عن المُطَّلب بن حَنْطب ، عن خَلاّد بن[٦] السائب ، عن زيد بن خالد ، قال :

جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : مُرْ أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها شِعارُ الحَجّ .

وكذا رواه ابن ماجه[٧] عن علي بن محمد ، عن وكيع ، عن الثوري به . وكذلك رواه شعبة وموسى بن عقبة ، عن عبد الله بن أبي لَبيد به .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا وكيع ، حدّثنا سفيان[٩] عن عبد الله بن أبي لَبيد ، عن المطلب بن عبد الله بن حَنْطب ، عن خَلاّد بن السائب ، عن زيد بن خالد الجُهَني ، قال : قال رسول الله ﷺ : جاءني جبريل[١٠] فقال : يا محمد مُرْ أصحابك فَلْيَرْفَعوا أصواتَهم بالتَّلْبية فإنها شِعارُ الحَجّ .

قال شيخنا أبو الحجاج المِزيّ[١١] في كتابه « الأطراف »[١٢] : وقد رواه معاوية بن[١٣] هشام

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٥) ، وهو حديث صحيح من حديث زيد بن خالد ، كما سيومئ إليه المصنف .
(٢) ط : (جبرائيل) .
(٣) أ : (من شعار) .
(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٢) (٨٧٩٥) .
(٥) وأخرجه البيهقي (٥/ ٤٢) من طريقه .
(٦) أ ، ط : (عن) تحريف وانظر تهذيب الكمال (٨/ ٣٥٣) .
(٧) رواه ابن ماجه في السنن (٢٩٢٣) ، وهو حديث صحيح .
(٨) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٩٢) ، وإسناده صحيح .
(٩) أ ، ط : (سليمان) وهو تحريف وانظر تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤) وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩) .
(١٠) ط : (جبرائيل) .
(١١) ط : (المزني) تحريف .
(١٢) تحفة الأشراف (٣/ ١٨٤) عقيب حديث رقم (٣٧٥٠) بتحقيقنا(بشار) .
(١٣) ط : (عن) تحريف وانظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٢١٨) .

وقَبيصة ، عن سُفيان الثوري ، عن عبد الله بن أبي لَبيد ، عن المطلب ، عن[١] خلاَّد بن السائب ، عن أبيه ، عن زيد بن خالد به .

وقال أحمد[٢] : حدّثنا سفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الملك بن أبي بكر بن الحارث بن هشام ، عن خَلاَّد بن السائب بن خَلاَّد ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « أتاني جبريل[٣] فقال : مُرْ أصحابَكَ فيلرفعوا أصواتَهم بالإهلال » .

وقال أحمد[٤] : قرأتُ على عبد الرحمن بن مَهْدي ، عن مالك[٥] ، وحدّثنا رَوْح ، حدّثنا مالك - يعني ابن أنس - عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عبد الملك[٦] بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن خَلاّد بن السائب الأنصاري ، عن أبيه : أنَّ رسول الله ﷺ قال :

« أتاني جبرائيل[٧] فأمرني أن آمر أصحابي - أو منْ مَعي - أن يرفعوا أصواتَهم بالتَّلْبية أو بالإهلال » يريد أحدهما .

وكذلك رواه الشافعي[٨] عن مالك ، ورواه أبو داود[٩] عن القعنبي عن مالك به .

ورواه الإمام أحمد[١٠] أيضاً من حديث ابن جُرَيْج والترمذي[١١] والنسائي[١٢] وابن ماجه[١٣] من حديث سُفيان بن عُيينة عن عبد الله بن أبي بكر به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال الحافظ البيهقي[١٤] : ورواه ابن جُرَيْج . قال : كتب إليّ عبد الله بن أبي بكر . . . فذكره ولم يذكر أبا خلاّد في إسناده . قال : والصحيح رواية مالك وسفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الملك عن خلاَّد بن السائب ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ ، كذلك قال البخاري وغيره ، كذا قال .

---

(١) أ : (بن) تحريف .
(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٥٦) .
(٣) ط : (جبرائيل) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٥٦) .
(٥) أ : (عبد الرحمن بن مهدي ذلك وحدّثنا) .
(٦) ط : (عبد الله) تحريف . وانظر تهذيب الكمال (١٨/ ٢٨٩) .
(٧) أ : (بن) وهو تحريف . تقدم سند مثله .
(٨) رواه الشافعي في المسند (١/ ١٢٣) ترتيبه (٧٩٤) .
(٩) رواه أبو داود (١٨١٤) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) رواه أحمد في المسند (٤/ ٥٦) ، وهو حديث صحيح .
(١١) رواه الترمذي في السنن (٨٢٩) ، وهو حديث صحيح .
(١٢) رواه النسائي في السنن (٥/ ١٦٢) (٢٧٥٣) ، وهو حديث صحيح .
(١٣) رواه ابن ماجه في السنن (٢٩٢٢) ، وهو حديث صحيح .
(١٤) السنن الكبرى (٥/ ٤٢) .

وقد قال الإمام[١] أحمد في « مسنده » : حدّثنا السّائب بن خلّاد بن سُوَيْد أبي سهلة الأنصاري ، حدّثنا محمد بن بكر ، أنبأنا ابن جُرَيْج . وحدّثنا[٢] روح ، حدّثنا[٣] ابن جريج ، قال : كتب إليَّ عبد الله بن أبي بكر بن[٤] محمد بن عَمْرو بن حَزْم ، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن خَلّاد بن السائب الأنصاري ، عن أبيه السائب بن خَلّاد ، أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« أتاني جبريل[٥] فقال : إنَّ اللهَ يأمرُكَ أن تأمر أصحابَكَ أن يرفعوا أصواتَهُمْ بالتَّلْبية والإهلال » . وقال رَوْحٌ : بالتلبية أو الإهلال . قال : لا أدري أيّنا ؟ وهل : أنا أو عبد الله أو خَلّاد في الإهلال أو التلبية . هذا لفظ أحمد في « مسنده » . وكذلك ذكره شيخنا في « أطرافه »[٦] عن ابن جُرَيْج كرواية مالك وسُفيان بن عيينة ، فالله أعلم .

فصـــل

في إيراد حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حَجَّةِ رسول الله ﷺ وهو وحدَه مَنْسكٌ مُسْتَقِلٌّ ، رأينا أنّ إيرادَهُ هاهنا أنسبُ لِتَضمُّنهِ التلبية وغيرها ممّا سلف وما[٧] سيأتي ، فنوردُ طرقَهُ وألفاظه ، ثم نُتْبِعُهُ بشواهِدِهِ من الأحاديث الوارده في معناه ، وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا يحيى بن سعيد ، حدّثنا جعفر بن محمد ، حدّثني أبي ، قال : أتينا جابر بنَ عبد الله ، وهو في بني سَلِمة ، فسألناه عن حَجَّةِ رسول الله ﷺ فحدّثنا :

أنَّ رسولَ الله ﷺ مكثَ في المدينة تِسْعَ سنين لم يَحُجّ ، ثم أُذِّن في الناس أن رسول الله ﷺ حاجٌّ في هذا العام . قال : فنزل المدينة بَشَرٌ كثير ، كلُّهم يَلْتَمِسُ أن يأتمَّ برسول الله ﷺ ويفعل ما يفعل ، فخرج رسول الله ﷺ لعشر[٩] بقينَ من ذي القعدة ، وخرجنا معه ، حتى إذا أتى ذا الحُلَيْفَة نَفِسَت أسماء بنت عُمَيْس بمحمد بن أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيفَ أصنعُ ؟ قال اغتسلي ثم اسْتَثْفِري[١٠]

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٥٦) ، وهو حديث صحيح .
(٢) ليست (حدّثنا) في أ .
(٣) ليست حدّثنا في ط .
(٤) ليس لفظ (بن) في ط . وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٤) .
(٥) ط : (جبرائيل) .
(٦) تحفة الأشراف (٣/ ١٨٤) عقيب حديث (٣٧٥٠) بتحقيقنا (بشار) .
(٧) أ : (مما سلف ومما) وفي ط : (كما سلف وما) .
(٨) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٠) .
(٩) ط : (لخمس) .
(١٠) ط : (استنفري) وفي المسند : (استذفري) وهما بمعنى . والاستثفار أن تشُدَّ المرأة فرجها بخرقة عريضة بعد أن=

بثوبٍ ، ثم أهلِّي . فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا استوت به ناقته على البَيْداء أهلّ بالتوحيد : لَبَّيكَ اللَّهُم لبيكَ ، لبيكَ لا شريكَ لكَ لبَّيك ، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والملك ، لا شريك لك ، ولَبَّى النَّاسُ ، والناس يزيدون : ذا المعارج ونحوه من الكلام ، والنبي ﷺ يسمعُ ، فلم يَقُلْ لهم شيئاً ، فنظرتُ مَدَّ بَصَري بينَ يَدَيْ رسول الله ﷺ من راكبٍ وماشٍ ، ومن خَلْفَه مثل ذلك[١] وعن يمينه مثل ذلك ، وعن شماله مثل ذلك ، قال جابر : ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ينزل عليه[٢] القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملناه ، فخرجنا لا ننوي إلا الحجَّ ، حتى إذا أتينا الكَعْبَةَ فاستلم نبيُّ الله ﷺ الحجرَ الأسودَ ، ثم رَمَلَ ثلاثةً ، ومشى أربعةً ، حتى إذا فَرَغَ عَمَدَ إلى مقامِ إبراهيم فصلَّى خلفه ركعتين ، ثم قرأ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] . قال أحمد : وقال أبو عبد الله ـ يعني جعفراً[٣] ـ : فقرأ فيهما بالتوحيد وقل يا أيها الكافرون ، ثم استلم الحَجَرَ ، وخرج إلى الصَّفا ، ثم قرأ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٥٨] . ثم قال : نبدأ بما بَدَأَ اللهُ به ، فَرَقِيَ على الصَّفا حتى إذا نَظَرَ إلى البيت كَبَّر ، ثم قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، وصدَّقَ عبده[٤] ، وهزَم ـ أو غَلَبَ ـ الأحزاب وحده . ثم دعا ، ثم رجع إلى هذا الكلام ، ثم نزل حتى إذا انصبت قدماه في الوادي رَمَل ، حتى إذا صعِد مشى ، حتى إذا أتى المَرْوَةَ فرقيَ عليها ، حتى نَظَر[٥] إلى البيت فقال عليها[٦] كما قال على الصفا ، فلما كان السابع عند المروة ، قال : « يا أيُّها الناسُ إنّي لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ، لم أسُقِ الهَدْيَ ، ولجعلتها عُمْرَةً ، فمن لم يكن معه هَدْيٌ فليحلّ ، وليجعلها عمرة » . فحلّ الناس كلهم ، فقال سُراقة بن مالك بن جُعْشُم[٧] وهو في أسفل الوادي : يا رسول الله ألعامِنا هذا أم للأبد ؟ فشبَّكَ رسول الله ﷺ أصابعَهُ فقال : للأبد ، ثلاث مرات . ثم قال : دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة .

قال : وقَدِم عليٌّ من اليمن بهَدْي . وساق رسول الله ﷺ معه من هدي[٨] المدينة هَدْياً ، فإذا فاطمةُ

= تحتشى قطناً ، وتوثق طرفيها في شيء تشدّه على وسطها ، فتمنع بذلك سيل الدم (النهاية في غريب الحديث : ثفر ، ذفر) .

(١) ط : (ومن خلفه كذلك) .

(٢) ط : (عليه ينزل) .

(٣) أ ، ط : (جعفر) وما هنا للسياق .

(٤) في الأصول : وعده .

(٥) أ : (حتى إذا نظر) .

(٦) ط : (عليهما) .

(٧) ط : (جعثم) تحريف .

(٨) ليس اللفظ في أ .

قد حلَّت ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها ، فقالت : أمرني به أبي[١] . قال : قال عليٌّ بالكوفة :

قال جعفر : قال أبي[٢] هذا الحرف لم يذكره[٣] جابر ، فذهبت مُحَرّشاً أستفتي رسول الله ﷺ في الذي ذكرتْ فاطمةُ . قلت : إن فاطمة لبسَتْ ثياباً صَبيغاً ، واكْتَحَلَتْ وقالتْ : أمرني [به][٤] أبي . قال : صدقت[٥] ، صدَقَتْ ، صَدَقَتْ ، أنا أمرتُها به .

وقال جابر : وقال لعلي بم أهللتَ ؟ قال : قلت : اللهم إنّي أُهِلّ بما أَهَلّ به رسولُكَ . قال : ومعي الهَدْيُ . قال : فلا تَحِلّ . قال : وكان جماعةُ الهَدْي الذي أتى به عليّ من اليمن ، والذي أتى به رسول الله ﷺ مئة ، فنحر رسول الله ﷺ بيده ثلاثاً وستين ، ثمَّ أعطى عليّاً فنحر ما غبر[٦] ، وأشركه في هَدْيه ، ثم أمر من كل بَدَنَة ببضعةٍ فجعلت في قِدر فأكلا من لحمها وشربا من مَرْقها . ثم قال رسول الله ﷺ : قد نَحَرْتُ هاهنا ، ومنىً كلها مَنْحرٌ . ووَقَفَ بعرفة فقال : وقفتُ هاهنا ، وعَرَفَةُ كلُّها موْقِفٌ ، ووقف بالمزدلفة ، وقال : وقفتُ هاهنا ، والمُزْدَلِفَةُ كُلُّها مَوْقِف .

هكذا أورد الإمام أحمد هذا الحديث وقد اختصر آخره جداً .

ورواه الإمام مسلم[٧] بن الحجاج في المناسك[٨] من « صحيحه » عن أبي بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم ، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله . . . فذكره .

وقد أعلمنا[٩] على الزيادات المُتفاوتة من سياقِ أحمد ومسلم إلى قوله عليه الصلاة والسلام لعلي : صَدَقَتْ صَدَقَتْ ، ماذا قلتَ حينَ فَرضتَ الحجّ . قال : قلت : اللهم إنّي أهلُّ بما أَهَلَّ به رسولك[١٠] ﷺ .

---

(١) أ : (أمر بي به) .
(٢) ط : (جعفر إلى هذا) .
(٣) أ : لا يذكره .
(٤) زيادة عن المسند .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) غبر أي بقي (اللسان : غبر) .
(٧) رواه مسلم (١٢١٨) (١٤٧) .
(٨) أ : (ورواه مسلم في المناسك) .
(٩) ليست علامات المصنف على هذه الزيادات في نسخنا .
(١٠) أ : (رسول الله ﷺ) .

قال[١] : فإنَّ معيَ الهَدْيَ . فلا تحلّ[٢] . قال : فكان جماعة الهَدْي الذي قدم به عليٌّ من اليمن ، والذي أتى به رسولُ الله ﷺ مئة . قال : فحلّ النّاسُ كُلُّهُمْ وقَصَّروا إلا النبيّ ﷺ ومن كان معه هديٌ ، فلما كان يوم التَّروية توجّهوا إلى منى فأهلّوا بالحجّ . وركب رسول الله ﷺ ، فصلَّى بها الظُّهْرَ والعَصْرَ والمغربَ والعشاءَ والفَجْرَ ، ثم مكثَ قليلاً حتى طلعتِ الشَّمس ، وأمر بقُبَّة له من شعر . فضُربت له بنَمرة . فسار رسول الله ﷺ ولا تَشُكُّ قريشٌ إلا أنّه واقفٌ عند المَشْعَر الحَرام ، كما كَانَتْ قريشٌ تَصْنعُ في الجاهلية ، فأجازَ رسول الله ﷺ حتى أَتَى عرفةَ ، فوجدَ القُبَّة قد ضُربَتْ له بنَمِرَة ، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس ، أمر بالقَصْواء[٣] فَرُحِلَتْ له ، فأتى بطنَ الوادي ، فخطب الناسَ ، وقال : « إنَّ دِماءَكُمْ وأمْوالَكُمْ حرامٌ عليكُمْ كحُرْمَةِ يَوْمِكُم هذا في شَهْرِكُمْ هذا ، في بَلَدِكُمْ هذا ، ألا كُلُّ شَيْءٍ من أمْرِ الجاهِليَّة تحتَ قَدَميَّ موضوعٌ ، ودماءُ الجاهِلِية موضوعةٌ ، وإنَّ أولَ دَمٍ أضعُ من دِمائِنا دمُ ابنِ ربيعة بن الحارث ، كان مُسْتَرضِعاً في بني سَعْدٍ ، فقتلتهُ هُذَيْلٌ . وربا الجاهلية موضوع . وأوّلُ ربا أَضَعُهُ من ربانا ربا[٤] العباس بن عبد المطلب فإنّه موضوعٌ كُلُّه ، واتَّقُوا الله في النساء ، فإنَّكُمْ أخذتُمُوهُنَّ بأمانة الله ، واسْتَحْلَلْتُمْ فُروجهُنَّ بكلمةِ الله ، ولكُمْ عَلَيْهن[٥] أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أحداً تَكْرهونَهُ ، فإنْ فَعَلْنَ ذلك فاضربوهُنَّ ضَرْباً غيرَ مُبَرِّحٍ ، ولهن عليكُمْ رزقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بالمعروف . وقد تَرَكْتُ فيكُمْ ما لم[٦] تَضلّوا بَعْدَهُ إن اعتَصَمتُم[٧] به : كتابَ الله ، وأنتم تُسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نَشْهَدُ أنَّكَ قد بَلَّغْتَ ونَصَحْتَ وأدَّيْتَ . فقال[٨] بأصبعه السّبّابة يرفعُها إلى السماء ويَنْكُتُها[٩] إلى الناس : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَد » ثلاث مرات .

ثم أذَّن بلال[١٠] ثم أقام فصلَّى الظُّهْر ، ثم أقام فصلَّى العصرَ ، ولم يصلِّ بينهما شيئاً ، ثم ركبَ

---

(١) ط : (قال [علي] وليست علي في الأصول) .
(٢) في الأصل : قال : فلا نحل .
(٣) القَصْواء : لقب ناقة رسول الله ﷺ (النهاية : قصا) .
(٤) أ : (أضعه ربا العباس) بإسقاط الجار والمجرور (من ربانا) .
(٥) ط : (عليهم) خطأ .
(٦) في صحيح مسلم : لن .
(٧) ط : (اعتصتم) تحريف .
(٨) العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فقال بيده أي أخذ ، وقال برجله أي مشى ، وقال بعينه أي أومأ . (النهاية : قول) قلت : فالعرب يوجّهون المعنى بحسب العضو القائل ، فاليد للأخذ والرجل للمشي والعين للإيماء . . وهكذا ، وعلى هذا المقياس قال بالسبابة هزّها عليه الصلاة والسلام .
(٩) ينكتها : يضرب بطرفها (النهاية : نكت) .
(١٠) ليس اللفظ في ط واستدركته عن أ .

رسولُ الله ﷺ حتى أتى الموقفَ ، فجعلَ بطن ناقته القَصْواء[١] إلى الصخرات وجعل جبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلةَ فلم يزل واقفاً حتى غَرَبَتِ الشمسُ ، وذهبت الصُّفْرةُ قليلاً ، حتى غابَ القُرصُ ، وأردف أسامةَ بن زيد خلفَه[٢] ، ودفع رسولُ الله ﷺ وقد شَنَقَ للقصواء[٣] الزِّمام حتى إنَّ رأسَها ليصيبُ مورك رَحْله[٤] ويقول[٥] : بيده اليمنى : أيها الناس ، السَّكينةَ السَّكينةَ . كُلّما أتى جَبَلاً من الجبال ، أرخى لها قليلاً ، حتى تصعد ، حتّى أتى المزدلفة ، فصلَّى بها المغربَ والعشاءَ بأذانٍ وإقامتَيْن ، ولم يسبِّحْ بينهما شيئاً . ثم اضْطَجَع رسولُ الله ﷺ حتّى طلعَ الفَجْر ، فصلَّى الفجرَ حتى[٦] تَبَيَّنَ له الصُّبْحُ بأذانٍ وإقامة[٧] . ثم ركبَ القَصْواء حتى أتى المشعرَ الحَرام ، فاستقبل القبلةَ ، فدعا فحمدَ اللهَ وكبَّره وهَلَّله وَوَحَّدَه ، فلم يزل واقفاً حتى أسفرَ جداً ، ودفع قبل أن تطلعَ الشمس ، وأردف[٨] الفضلَ بن العباسِ ، وكان رجلاً حسنَ الشعرِ أبيضَ وسيماً ، فلمّا دفعَ رسول الله ﷺ مرَّتْ ظُعُن يَجْرينَ ، فطفق الفضل ينظرُ إليهن ، فوضع رسول الله ﷺ يدَه على وجه الفضل ، (فحوَّل الفضلُ يَدَهُ[٩] إلى الشقِّ الآخر ، فحوَّل رسولُ الله ﷺ يدَه من الشقِّ الآخر على وجْهِ الفضل)[١٠] فصرفَ وَجْهَهُ من الشّقّ الآخر ينظرُ ، حتّى إذا[١١] أتى بطن مُحَسِّرٍ فَحَرَّكَ قليلاً ، ثم سلك الطريقَ الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات يُكَبِّر مع كلِّ حصاةٍ منها حصى الخَذْف[١٢] رمى من بطن الوادي ، ثم انصرفَ إلى المَنْحَر ، فنحر ثلاثاً وستّين بيده ، ثم أعطى عليّاً فنحر ما غَبَر ، واشركه في هَدْيه ، ثم أمر منْ كلّ بَدَنة بَبضعةٍ ، فجُعلت في قِدرٍ ، فطبخت ، فأكلا من لحمها ، وشربا من مرقها ، ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت ، فصلَّى بمكة الظُّهرَ ، فأتى بني عبد المطلب ، وهم يَسْتَقون[١٣] على

---

(١) ط : (القصوى) .
(٢) أ : (وأردف أسامة خلفه) .
(٣) أ ، ب : (القصواء) وما أثبته عن صحيح مسلم .
(٤) ط : (رجله) تحريف . والمَوْرِكُ : المِرْفقة التي تكون عند قادمة الرحل يضع الراكب رجله عليها ليستريح من وضع رجله في الركاب . أراد أنه كان قد بالغ في جذب رأسها إليه ، ليكُفَّها عن السَّيْر (النهاية : ورك) .
(٥) انظر الحاشية رقم (٨) في الصفحة السابقة .
(٦) في صحيح مسلم : حين .
(٧) ط : (وإقامتين) .
(٨) ط : (وأردفه) .
(٩) في صحيح مسلم : وجهه .
(١٠) ليس ما بين القوسين في ط .
(١١) ليس لفظ (إذا) في أ .
(١٢) حصى الخذف أي صغاره (النهاية : خذف) .
(١٣) أ : (المطلب يسقون) .

زمزم ، فقال : « انزعوا بني عبد المطلب ، فلولا أن يغلبكم الناسُ على سقايتكم لنَزَعْتُ معكم » . فناولوه دَلْواً فشرب منه .

ثم رواه مسلم[١] عن عمر بن حفصٍ ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر . . . فذكره بنحوه . وذكر قصةَ أبي سَيَّارة[٢] وأنّه كانَ يدفع بأهل الجاهلية على حمار عُرْي ، وأن رسول الله ﷺ قال : نحرتُ هاهنا ومنىً كلُّها مَنْحر ، فانْحَروا في رحالكم ، ووقفتُ هاهنا وعرفةُ كلها موقفٌ ، ووقفت هاهنا وجَمْعٌ كلها موقف .

وقد رواه أبو داود[٣] بطوله عن النُّفَيْلي وعثمان بن أبي شيبة وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن، وربَّما زاد بعضهم على بعض الكلمة والشيء ، أربعتهم عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر، بنحو[٤] من رواية مسلم . وقد رمزنا لبعض زياداته عليه ، ورواه أبو داود[٥] أيضاً ، والنسائي[٦] عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن سعيد القطّان ، عن جعفر به . ورواه النسائي[٧] أيضاً عن محمد بن المثنى، عن يحيى بن سعيد ببعضه، وعن[٨] إبراهيم بن هارون البلخي، عن حاتم بن إسماعيل ببعضه[٩] .

ذِكْرُ الأماكِن الّتي صَلَّى فيها رسول الله[١٠] ﷺ وهو ذاهِبٌ منَ المَدينةِ إلى مكَّة في عمرتِه[١١] وحجّته

قال البخاري[١٢] رحمه الله[١٣] : (باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلَّى فيها النبيُّ ﷺ) :

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨) (١٤٨) .
(٢) ط : (سنان) .
(٣) رواه أبو داود (١٩٠٥) .
(٤) أ : (كنحوٍ) .
(٥) رواه أبو داود (١٩٠٩) .
(٦) رواه النسائي (١/ ١٥٤) (٢٧٤٠) .
(٧) رواه النسائي (١/ ١٥٤) (٢٧٤٣) .
(٨) ط : (عن) بلا واو ، وهو عند النسائي في « الكبرى » رقم (٤١٦٧) .
(٩) ينظر تفصيل تخريج هذا الحديث في كتابنا: المسند الجامع ٤/ ٢٧ ـ ٤٥ حديث ٢٤١٩ حيث تجد تفصيل طرقه (بشار) .
(١٠) ليس اللفظان في ط .
(١١) أ : (وعُمَره وحجته) .
(١٢) رواه البخاري (٤٨٣) .
(١٣) جملة الترحم ليست في ط .

حدّثنا محمد بن أبي بكر المَقدّمي قال[١] : ثنا فُضَيْل بن سُليمان ، قال[١] : ثنا موسى بن عقبة ، قال :

رأيت سالم بن عبد الله يَتَحَرَّى أماكنَ من الطريق ، فيصلِّي فيها ، ويحدِّثُ أن أباه كان يُصلّي فيها ، وأنَّه رأى النبيَّ ﷺ يصلّي في تلك الأمكنة .

وحدّثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه كان يُصلِّي في تلك الأمكنة . وسألتُ سالماً فلا أعلمه إلا وافقَ نافعاً في الأمكنة كلِّها ، إلا أنَّهما اختلفا في مسجدٍ بشرف الرَّوْحاء[٢] .

قال : حدّثنا إبراهيم بن المنذر ، ثنا أنس بن عياض ، قال[١] : ثنا موسى بن عقبة ، عن نافع : أنَّ عبد الله أخبره : أنَّ رسول الله ﷺ كان ينزلُ بذي الحُلَيْفةِ حين يعتمر ، وفي حجته حين حجَّ ، تحتَ سَمُرَة[٣] في موضع المسجد الذي بذي الحُلَيْفة . وكان إذا رجع من غزوٍ[٤] كان في تلك الطريق أو حجٍ[٥] أو عمرة هبطَ من[٦] بطنِ واد ، فإذا ظهرَ من بطن وادٍ أناخَ بالبطحاء التي على شَفير الوادي الشرقية ، فعرَّس ثَمَّ حتى يصبح ليس عند المسجد الذي بحجارة ، ولا على الأكمة التي عليها المسجد ، كان ثَمَّ خليجٌ يُصلِّي عبد الله عنده في بطنه كُثُبٌ كان رسول الله ﷺ ثمَّ يُصَلِّي ، فدحا[٧] السيلُ فيه بالبطحاء حتى دَفَنَ ذلك المكانَ الذي كانَ عبدُ الله يصلِّي فيه .

وأنّ عبد الله بن عمر حَدَّثه أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى حيث المسجدُ الصغيرُ الذي[٨] دون المسجد الذي بشَرَفِ الرَّوْحاء ، وقد كان عبدُ الله يُعْلِمُ المكانَ الذي كان صلَّى فيه النبي ﷺ يقول : ثَمَّ عن يمينك حين تقوم في المسجد تُصلّي ، وذلك المسجد على حافَة الطريق اليمنى ، وأنت ذاهبٌ إلى مكة بينه وبين المسجد الأكبر رميةٌ بحجر أو نحو ذلك .

وأن ابنَ عمر كان يُصلِّي إلى العِرْق الذي عند مُنْصَرف الرَّوْحاءِ ، وذلك العِرْقُ انتهاءُ طَرَفه[٩] على حافَةِ الطريق دون المسجد الذي بينه وبين المُنْصَرَف وأنت ذاهبٌ إلى مكة ، وقد ابتُنِيَ ثَمَّ مسجدٌ ، فلم

(١) ليست (قال) في أ .
(٢) رواه البخاري (١/ ١٨٣) (٤٧٠) .
(٣) أ : (العمرة) . والسَّمُرَة هي الشجرة (كما في النهاية : سمر) .
(٤) أ : (غزوة) .
(٥) ط : (أو في حج أو عمرة) .
(٦) ط : (أو في حج) .
(٧) قال ابن الأثير : (ومنه حديث ابن عمر : « فدحا السيلُ فيه بالبطحاء » أي رمى وألقى . (النهاية : دحا) .
(٨) ليس لفظ (الذي) في أ .
(٩) أ : (طرقه) .

يكُنْ عبدُ الله يُصلّي في ذلك[١] المسجد كان[٢] يتركه عن يساره ووراءه ، ويصلّي أمامه إلى العِرْق نفسه ، وكان عبد الله يَرُوحُ من الرَّوْحاء فلا[٣] يُصلّي الظهرَ حتى يأتيَ ذلك المكان فيُصَلّي فيه الظهرَ ، وإذا أقبل من مكة فإن مرّ به قبلَ الصُّبْح بساعةٍ أو من آخر السَّحَرِ عَرَّسَ حتى يُصلّي بها الصُّبْحَ .

وأن عبد الله حدَّثه أن النبيَّ ﷺ كان يَنْزِلُ تحت سَرْحَةٍ ضَخْمةٍ دون الرُّوَيْثة[٤] عن يمين الطريق ووُجاه الطَّريق في مكان بطح سَهْلٍ حتى يُفْضي من أكَمَةٍ دُوَيْنَ بَريد[٥] الرُّوَيْثَةِ بميلَيْن وقد انكسر أعلاها فانثنى في جوفها ، وهي قائمةٌ على ساقٍ وفي ساقها كُثُبٌ كثيرة .

وأن عبد الله بن عمر حَدَّثه أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى في طَرَفِ تَلْعَةٍ من وراء العَرْجِ وأنت ذاهبٌ إلى هضبةٍ ، عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، على القبور رَضْمٌ[٦] من حجارةٍ عن يمين الطريق عند سَلِماتِ[٧] الطريق بين أولئك السَّلِمات كان عبد الله يَروحُ من العَرْج بعد أن تَميلَ الشَّمْسُ بالهاجرة ، فيُصَلِّي الظُّهْرَ في ذلك المسجد .

وأنَّ عبد الله بن عمر حدَّثَه أنَّ رسول الله ﷺ نزلَ عندَ سَرَحاتٍ عن يسار الطَّريق في مسيلٍ دون هَرْشى[٨] ذلك المَسيلُ لاصقٌ بكراعِ هَرْشى بَيْنه وبينَ الطَّريق قريب من غَلْوَةٍ[٩] ، وكان عبد الله يُصَلِّي إلى سرحةٍ[١٠] هي أقربُ السَّرَحات إلى الطريق وهي أطولُهُنَّ .

وأنَّ عبد الله بن عمر حَدَّثَه أنَّ رسول الله ﷺ كانَ ينزل في المَسيل الذي في أدنى مرِّ الظَّهْرانِ[١١] قِبَلَ المدينة حين يهبط من الصَّفْراوات[١٢] ينزل في بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهبٌ إلى مكة ليس بين منزل رسول الله ﷺ وبين الطريق إلا رميةٌ بحجرٍ .

---

(١) ليس اللفظ في ط لأنها مستدركة في هامش الأصل أ .
(٢) أ : (وكان) .
(٣) أ : (ولا) .
(٤) « رويثة » : قرية جامعة بينها وبين المدينة سبعة عشر فرسخاً (فتح الباري ١/ ٥٧٠) .
(٥) أ : (يريد) .
(٦) « رَضْم ورِضام واحدتهما » : رَضمةٌ وهي صخور بعضها على بعض (النهاية : رضم) .
(٧) « سلمات » : جمع سَلِمة وهي الحجر : (النهاية : سلم) .
(٨) ط : (هرشي) تحريف . وهَرْشى : موضع بين مكة والمدينة . وكراعها : ما استطال من حَرَّتها (النهاية : كرع - هرش) وانظر معجم البلدان : كراع - وهرشى .
(٩) « الغَلْوة » : قدرُ رَمْيَةٍ بسهم (النهاية : غلا) .
(١٠) « السَّرْحة » : الشجرة العظيمة (النهاية : سرح) .
(١١) « مرّ الظَّهران » : بفتح الميم وتشديد الراء : موضع على مرحلة من مكة . وقال ياقوت عن عرام : مرّ : القرية ، والظهران هو الوادي (معجم البلدان والنهاية : مر الظهران) .
(١٢) « الصَّفْراوات » : موضع بين مكة والمدينة ، قريب من مرّ الظهران (معجم البلدان) .

وأنّ عبد الله بن عمر حَدَّثَه أنّ رسول الله ﷺ كان ينزل بذي طُوى[١] ، ويبيتُ حتّى يُصبحَ يُصَلِّي الصُّبْحَ حين يَقْدَمُ مكةَ ، ومُصَلّى رسول الله ﷺ ذلك على أكَمَةٍ غَليظةٍ ليس في المسجد الذي بُني ثمَّ ، ولكن أسفلَ من ذلك على أكَمَةٍ غَليظة .

وأن عبد الله حَدَّثَه أنَّ رسول الله ﷺ استقبل فُرْضَتي الجَبَلِ الذي بينه وبين الجبل الطويل نحوَ الكعبة ، فجعل المسجدَ الذي بُني ثَمَّ يسارَ المسجد بطرفِ الأكَمَة ، ومُصَلَّى[٢] النبي ﷺ أسفلَ منه على الأكمة السَّوداء ، تدعُ من الأكمة عشرةَ أذرعٍ أو نحوها ، ثُمّ تُصلّي مُستقبلَ الفُرْضَتَيْنِ من الجبل الذي بينَكَ وبينَ الكَعبة .

تفرَّدَ البخاريُّ رحمه الله بهذا الحديث بطولِه وسياقِهِ ، إلاَّ أن مسلماً[٣] روى منه عند قوله في آخره : وأنّ عبد الله بن عمر حدَّثهَ أنَّ رسول الله ﷺ كان ينزل بذي طُوًى إلى آخر الحديث ، عن محمد بن إسحاق المُسَيَّبي ، عن أنس بن عِياضٍ ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر . . . فذكره .

وقد رواه الإمام أحمد[٤] بطوله عن أبي قُرَّة موسى بن طارِقٍ ، عن موسى بن عقبة ، عن نافعٍ ، عن ابن عمرَ به نحوه .

وهذه الأماكن لا يُعْرَفُ اليوم كثيرٌ منها أو أكثرها لأنّه قد غيّر أسماء أكثر هذه البقاع اليوم عند هؤلاء الأعراب الذين هناك ، فإن الجَهْلَ قد غلب على أكثرهم . وإنما أوردَها البُخاريّ رحمه الله في كتابه لعل أحداً يهتدي إليها بالتأمُّلِ والتّفرُّسِ والتَّوسُّمِ ، أو لعلّ أكثرها أو كثيراً منها كان معلوماً في زمان البخاري . والله تعالى أعلم .

باب
دُخول النبيِّ ﷺ إلى مكة شرَّفَها اللهُ عزَّ وجلَّ وعَظَّمَها[٥]

قال البخاري[٦] : حدّثنا مُسَدَّد ، حدّثنا يحيى عن عُبَيْد[٧] الله ، حدّثني نافع ، عن ابن عمر ، قال :

---

(١) طُوى بضم الطاء وفتح الواو المخففة : موضع عند باب مكة يستحبُّ لمن دخل مكة أن يغتسل به (النهاية : طوي) .
(٢) أ : (ومصى) وهو تحريف .
(٣) رواه مسلم ١٢٥٩) (٢٢٨) و(١٢٦٠) (٢٢٩) .
(٤) رواه أحمد (٢/ ٨٧) متفرقاً .
(٥) اللفظ زيادة عن أ .
(٦) رواه البخاري (١٥٧٤) .
(٧) ط : (يحيى بن عبد الله) وفيها تحريفان .

بات النبي ﷺ بذي طُوىً حتَّى أصبح ، ثم دخلَ مكةَ ، وكان ابنُ عمر يفعلُه . ورواه مسلم[١] من حديث يحيى بن سعيد القَطّان به . وزاد : حتّى صلَّى الصبح ، أو قال : حتى أصبح .

وقال مسلم[٢] : حدّثنا أبو الربيع الزهراني ، حدّثنا حَمّاد ، عن أيوب ، عن نافع ، أنَّ[٣] ابن عمر كان لا يَقْدَمُ مكةَ إلا باتَ بذي طوىً حتى يُصْبحَ ويغتسل ، ثم يدخُلُ مكةَ نهاراً ، ويذكر عن النبي ﷺ أنه فعله . ورواه البخاري[٤] من حديث حمّاد بن زيد ، عن أيوب به .

ولهما[٥] من طريق أخرى عن أيوب ، عن نافع ، أنَّ[٣] ابن عمر كان إذادخل أدنى الحرم أمسك عن التَّلْبية ، ثم يبيتُ بذي طُوى . . . وذكره . وتقدَّمَ آنفاً ما أخرجاه من طريق موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ كان يبيتُ بذي طُوىً حتى يصبح ، فيصلّي الصبح حين يَقْدمُ مكةَ ، ومُصلَّى رسول الله ﷺ عند أكَمَةٍ غليظةٍ ، وأنَّ رسول الله ﷺ استقبلَ فُرْضَتي الجبل الذي بينه وبينَ الجبل الطويل نحوَ الكعبة ، فجعل المسجدَ الذي بُني ثَمَّ يسارَ المسجد بطَرفِ الأكَمَة ومُصَلّى رسول الله ﷺ أسفل منه على الأكَمَة السوداء يدع من الأكمة عشرةَ أذرعٍ أو نحوَها ، ثم يصلي مستقبلَ الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة . أخرجاه في « الصحيحين » .

وحاصلُ هذا كلِّه أنّه عليه الصلاة[٦] والسلام لما انتهى في مَسيره إلى ذي طُوًى ، وهو قريب من مكة متاخمٌ للحرم ، أمسك عن التلبية ، لأنه قد وصل إلى المقصود ، وبات بذلك المكان حتى أصبح ، فصلَّى هُنالك الصُّبْحَ في المكان الذي وَصَفوه بين فُرْضَتَي الجَبل الطَّويل هنالك .

ومن تأمَّلَ هذه الأماكنَ المُشارَ إليها بعينِ البَصيرة عرفَها معرفةً جيدةً ، وتعيَّن له المكانُ الذي صلَّى فيه رسول الله ﷺ ، ثم اغتسل صلوات الله وسلامه عليه ، لأجل دخول مكة ثم ركب ودخلَها نهاراً جهرةً علانيةً من الثنيّة العُليا التي بالبَطْحاء[٧] ـ ويقال كَداءُ[٨] ـ ليراهُ الناسُ ويشرف عليهم ، وكذلك دخلَ منها يوم الفَتْحِ ، كما ذكرناه .

---

(١) رواه مسلم (١٢٥٩) (٢٢٦) .
(٢) رواه مسلم (١٢٥٩) (٢٢٧) .
(٣) ط : (عن ابن عمر) .
(٤) رواه البخاري تعليقاً (١٧٦٩) .
(٥) رواه البخاري (١٥٧٣) ومسلم فيما ذكره المزي في التحفة .
(٦) اللفظ زيادة عن أ وحدها .
(٧) بطحاء مكة هي ما حاز السيل من الردم إلى الحَنَّاطين يميناً مع البيت وليس الصفا من البطحاء (معجم ما استعجم ١/٢٥٧) .
(٨) ط : (كذا) تحريف . وكَداء ـ بالفتح والمد ـ : الثَّنيّة العليا بمكة مما يلي المقابر وهو المَعلا (النهاية : كذا) .

قال مالك : عن نافع ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ دخلَ مكةَ من الثَّنِيَّة العُلْيا ، وخرج من الثَّنِيّةِ السُّفْلى . أخرجاه في « الصحيحين »[1] من حديثه .

ولهما[2] من طريق[3] عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ دخلَ مكةَ من الثنيَّة العُليا التي في البَطْحاء ، وخرج من الثنيَّة السُّفْلى . ولهما[4] أيضاً من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة مثل ذلك .

ولمّا وقعَ بصرُه عليه الصلاة والسلام على البيت ، قال : ما رواه الشافعيُّ[5] في « مسنده » : أخبرنا سعيدُ بن سالم ، عن ابن جريج أنَّ النبي ﷺ كان إذا رأى البيتَ رفع يديه وقال : اللهمَّ زِدْ هذا البيتَ تَشْريفاً وتَعْظيماً وتَكْريماً ومهابةً ، وزدْ من شرفه وكرمه ممَّنْ[6] حجَّه واعتمره[6] تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً . قال الحافظ البيهقي[7] : هذا منقطعٌ ، وله شاهدٌ مرسلٌ ، عن سفيان الثوري ، عن أبي سعيد الشامي ، عن مكحول ، قال : كان النبيُّ ﷺ إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبَّر وقال : اللهمَّ أنتَ السلامُ ومنكَ السلامُ ، فحيّنا ربَّنا بالسلام ، اللهمّ زِدْ هذا البيتَ تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً وبراً ، وزِدْ مَن حجَّه أو اعتمرَه تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً .

وقال الشافعي[8] : أنبأنا سعيد بن سالم ، عن ابن جُرَيْج ، قال : حُدِّثْتُ عن مِقْسمٍ ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ . قال : تُرْفع الأيْدي في الصَّلاة وإذا رأى البيتَ ، وعلى الصفا والمَرْوة ، وعشية عرفة ، وبِجمْعٍ[9] ، وعند الجمرتين ، وعلى المَيِّت .

قال الحافظ البيهقي[10] : وقد رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس، وعن نافع، عن ابن عمر، مرةً موقوفاً عليهما، ومرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ دونَ ذكر الميّت . قال : وابن أبي ليلى هذا غير قوي . ثم إنه عليه السلام دخل المسجدَ من باب بني شيبة . قال الحافظ

---

(١) رواه البخاري (١٥٧٥) ورواه مسلم (١٢٥٧) من طريق عبيد الله عن نافع : فقط كما في الذي بعده ، والذي اشترك مع البخاري برواية الحديث من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر هو أبو داود (١٨٦٦) .

(٢) رواه البخاري (١٥٧٦) ورواه مسلم (١٢٥٧) .

(٣) أ : (من حديث) .

(٤) رواه البخاري (١٥٧٧) ورواه مسلم (١٢٥٨) (٢٢٤) .

(٥) رواه الشافعي في المسند (١/ ١٢٥) .

(٦) ط : (فمن حجه واعتمره) .

(٧) رواه البيهقي في السنن (٥/ ٧٣) (٨٩٩٥) .

(٨) رواه الشافعي في المسند (١/ ١٢٥) .

(٩) ط : (ويجمع) .

(١٠) رواه البيهقي في السنن (٥/ ٧٢) (٨٩٩٢) .

البيهقي[١] روينا عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، قال: يدخل المُحْرِم من حيث شاء . قال : ودخل النبيُّ ﷺ من باب بني شيبة ، وخرج من باب بني مخزوم إلى الصفا . ثم قال البيهقي : وهذا مرسلٌ جيدٌ .

وقد استدل البيهقي على استحباب دخول المسجد من باب بني شيبة بما رواه[٢] من طريق أبي داود الطيالسي ، حدّثنا حماد بن سَلَمَة ، وقيس وسَلَّام[٣] ، كلّهم عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عَرْعَرَة ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال : لما أن هُدِم[٤] البيت بعد جُرْهم بَنَتْهُ قريشٌ ، فلمّا أرادوا وضعَ الحجر تشاجروا منْ يضعُه ، فاتّفقوا أن يضعَهُ أولُ منْ يدخل من هذا الباب ، فدخل رسول الله ﷺ من باب بني شيبة ، فأمر رسول الله ﷺ بثوبٍ ، فوضع الحجر في وسطه ، وأمر كلَّ فَخِذٍ أن يأخذوا بطائفةٍ من الثوب ، فرفعوه ، وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه .

وقد ذكرنا هذا مبسوطاً في باب بناء الكعبة قبل البعثة ، وفي الاستدلال على استحباب الدخول من باب بني شيبة بهذا نظر . والله أعلم .

صِفَةُ طَوافِهِ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه عليه

قال البخاري[٥] : حدّثنا أَصْبَغُ بن الفَرَج ، عن ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث[٦] ، عن محمد بن عبد الرحمن ، قال : ذكرتُ لعروة ، قال : أخبرَتْني عائشة : أنَّ أولَ شيءٍ بدأ به حينَ قدم النبيُّ ﷺ أنه توضّأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ، ثم حجَّ أبو بكر وعمرُ مثلَه . ثم حججتُ مع أبي الزبير ، فأول شيء بدأ به الطواف ، ثم رأيتُ المهاجرين والأنصار يفعلونه . وقد أخبرتني أمي أنها أهلَّت هي وأختُها والزبيرُ وفلانٌ وفلانٌ بعمرة ، فلما مسحوا الركن حلوا . هذا لفظه . وقد رواه في موضعٍ آخر ، عن أحمد بن عيسى[٧] ومسلم[٨] عن هارون بن سعيد ، ثلاثتهم عن ابن وهب به .

وقولها « ثم لم تكن عمرة » يدلّ على أنه عليه الصلاة والسلام لم يَتَحَلَّل بين النُّسُكين ، ثم كان أولَ

---

(١) رواه البيهقي في السنن (٥/ ٧٢) (٨٩٩١) .
(٢) رواه البيهقي في السنن (٥/ ٧٢) (٩٩٩٠) .
(٣) ط ، أ : (وقيس بن سلام) وما أثبته عن سنن البيهقي . وهما راويان :
ـ الأول قيس بن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي ، انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١) .
ـ والثاني سلام بن سَليم أبو الأحوص الحنفي انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨١) .
(٤) ط : (انهدم) .
(٥) رواه البخاري (١٦١٤) .
(٦) في الأصول : عمرو بن محمد ، وهو خطأ .
(٧) رواه البخاري (١٦٤١) .
(٨) رواه مسلم في الصحيح (١٢٣٥) .

ما ابتدأ به عليه الصلاة والسلام استلام الحجر الأسود قبل الطواف ، كما قال جابر : حتى إذا أتينا البيتَ معه ، استلم الرُّكن ، فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً .

وقال البخاري(١) : حدّثنا محمد بن كثير ، حدّثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عابس بن ربيعة ، عن عمر : أنَّه جاءَ إلى الحَجَر فقبّلَه ، وقال : إنّي لأعلمُ أنّك حجرٌ لا تضرُّ ولا تَنْفَعُ ، ولولا أنّي رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ يَقبِّلُكَ ما قَبّلْتُكَ .

ورواه مسلم(٢) ، عن يحيى بن يحيى ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب ، وابن نُمَيْر(٣) جميعاً ، عن أبي معاوية ، عن الأعْمَش ، عن إبراهيم ، عن عابس بن ربيعة ، قال : رأيتُ عمر يُقَبِّلُ الحجرَ ، ويقول: إنّي لأعلمُ أنّك حَجَرٌ لا تَضرُّ ولا تَنْفَعُ ، ولولا أنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقَبلكَ ما قبَّلْتُكَ.

وقال الإمام أحمد(٤) : حدثنا محمد بن عبيد وأبو معاوية ، قالا : حدّثنا الأعمش ، عن إبراهيم عن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر أتى الحجر فقال : أما والله [إني] لأعْلَمُ أنَّكَ حجرٌ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، ولولا أنّي رأيت رسولَ الله قَبّلَكَ ما قَبّلْتُكَ ، ثم دنا فقبّله . فهذا السياق يقتضي أنه قال ما قال ، ثم قبّله بعد ذلك ، بخلاف سياق صاحبي الصحيح ، فالله أعلم .

وقال أحمد(٥) : حدثنا وكيع ويحيى ، واللفظ لوكيع ، عن هشام عن أبيه أن عمر بن الخطاب أتى(٦) الحجر فقال : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله يقبّلك ما قبّلتك . وقال : ثُمَّ قَبّلَه ، وهذا منقطع بين عروة بن الزبير وبين عمر .

وقال البخاري(٧)(٨) أيضاً: حدثنا سعيد بن أبي مريم، ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني زيد بن أسْلَم ، عن أبيه ، أنَّ عمرَ بن الخطاب قال للرُّكْنِ : أما واللهِ إنّي لأعلمُ أنَّكَ حجرٌ لا تضُرُّ ولا تَنْفَعُ، ولولا أنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ استَلَمَكَ ما اسْتَلَمْتُكَ ، فاسْتَلَمَهُ . ثم قال : وما لنا وللرَّمَل(٩) إنما كنَّا راءينا(١٠) به

---

(١) رواه البخاري (١٥٩٧) .
(٢) رواه مسلم (١٢٧٠) (٢٥١) .
(٣) ط : (وابن أبي نمير) . وانظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥٥) .
(٤) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٦) و(٤٦) وإسناده صحيح .
(٥) رواه أحمد في المسند (١/ ٥٣) و(٥٤) .
(٦) أ : (أن عمر أتى) .
(٧) رواه البخاري (١٦٠٥) .
(٨) ليس لفظ (البخاري) في أ .
(٩) في ط : والرمل .
(١٠) ط : (رأينا) وهو تحريف . قال ابن الأثير : (ومنه حديث رمل الطواف : « إنّا كُنّا راءينا به المشركين » ، هو فاعلنا ، من الرُّؤية : أي أريناهم بذلك أنّا أقوياء) .

المشركين ولقد أهلكهم الله ، ثم قال : شيءٌ صَنَعَهُ رسول الله ﷺ فلا نحبُّ أن نتركه . وهذا يدلّ على أنّ الاستلامَ تأخَّر عن القولِ .

وقال[١] البخاري[٢] : ثنا أحمد بن سنان ، ثنا يزيد بن هارون ، ثنا وَرْقَاء ، ثنا[٣] زيد بن أَسْلَم عن أبيه ، قال : رأيت عمر بن الخطاب قَبَّل الحجر ، وقال : لولا أنّي رأيتُ رسول الله ﷺ يُقبّلك ما قَبَّلتك .

وقال مسلم[٤] بن الحجاج ، ثنا حرملة ، ثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ـ هو ابن يزيد الأيلي ـ وعمرو ـ هو[٥] ابن دينار ـ .

ح[٦] وحدّثنا هارون بن سعيد الأيلي ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عمرو ، عن ابن شهاب ، عن سالم : أنَّ أباه حدّثه أنه قال : قَبَّلَ عمرُ بن الخطاب الحجرَ ، ثم قال : أما والله لقد علمتُ أنّك حجرٌ ، ولولا أنّي رايتُ رسول الله ﷺ يُقَبِّلكَ ما قَبَّلْتُكَ . زاد هارون في روايته : قال عمرو : وحدّثني بمثلها زيد بن أَسْلَم ، عن أبيه أَسْلَم ـ يعني ـ عن عمر به .

وهذا صريح في أنّ التقبيلَ تقدم[٧] على القول ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٨]: ثنا عبد الرزاق، أنبأنا عبد الله، عن نافع ، عن ابن عمر : أنّ عمر قَبَّلَ الحجرَ ، ثم قال : قد علمتُ أنَّكَ حجرٌ ولولا أنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ قَبَّلَك ما قَبَّلْتُك . هكذا رواه الإمام أحمد .

وقد أخرجه مسلم[٩] في « صحيحه » عن محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي ، عن حماد بن زيد ، عن أيّوب ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنَّ عمر قَبَّلَ الحجرَ ، وقال : إنّي لأقَبِّلُكَ ، وإني لأعلمُ أنّكَ حجرٌ ، ولكنّي رأيتُ رسول الله ﷺ يُقبِّلك .

ثم قال[١٠] مسلم[١١] : ثنا خَلَف بن هشام والمُقَدَّمي وأبو كامل وقتيبة ، كلُّهم عن حماد ، قال

(١) جاء هنا الخبر قبل سابقه في أ .
(٢) رواه البخاري في الصحيح (١٦١٠) .
(٣) ط : (حدّثنا ورقاء زيد) وفيها نقص .
(٤) رواه مسلم (١٢٧٠) (٢٤٨) .
(٥) ليس اللفظ في أ .
(٦) ليست حاء التحويل في ط .
(٧) ط : (يقدم) .
(٨) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٤) .
(٩) رواه مسلم (١٢٧٠) (٢٤٩) .
(١٠) أ : (وقال) .
(١١) رواه مسلم رقم (١٢٧٠) (٢٥٠) .

خَلَف : حدّثنا حمادُ بن زيد ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن سَرْجِس[١] ، قال : رأيت الأصْلَعَ - يعني عمر - يُقَبِّلُ الحجرَ ، ويقول : والله إنّي لأقبِّلُكَ ، وإنّي لأعلمُ أنّكَ حجرٌ ، وأنّك لا تضرّ ولا تنفع ، ولولا أني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقبّلك ما قَبّلْتُكَ . وفي رواية المُقَدَّمي وأبي كامل : رأيتُ الأُصَيْلِعَ[٢] وهذا من أفراد مسلم دون البخاري .

وقد رواه الإمام أحمد[٣] عن أبي معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن سَرْجِس به .

ورواه أحمد[٤] أيضاً : عن غُنْدَر[٥] عن شعبة ، عن عاصم الأحول به .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى ، عن سويد بن غَفْلَة ، قال : رأيتُ عمر يُقَبِّلُ الحجرَ ، ويقول : إني لأعلم أنك حجر لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ولكنّي رأيتُ أبا القاسم ﷺ بك حَفيّاً[٧] . ثُمَّ رواه أحمد[٨] ، عن وكيع ، عن سفيان الثوري به ، وزاد : فقبَّله والْتَزَمه .

وهكذا رواه مسلم[٩] من حديث عبد الرحمن بن مهدي بلا زيادة . ومن حديث وكيع[١٠] بهذه الزيادة : قبّل الحجر والتزمه ، وقال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ بك حفياً[٧] .

وقال الإمام أحمد[١١] : ثنا عَفّان ، ثنا وهيب ، ثنا[١٢] عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنَّ عمر بن الخطاب أكَبَّ على الركن[١٣] ، وقال : إنّي لأعلمُ أنّكَ حَجَرٌ ولو لم أرَ حَبيبي ﷺ قَبَّلَكَ واسْتَلَمَكَ ما اسْتَلَمْتُكَ ولا قَبَّلْتُكَ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

---

(١) عبد الله بن سَرْجس - بفتح المهملة ، وسكون الراء ، وكسر الجيم بعدها مهملة - المزني حليف بني مخزوم صحابي سكن البصرة (تقريب التهذيب ٣٠٥) .
(٢) أ ، ط : (الأصلع) وما أثبته عن الصحيح .
(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٤) .
(٤) رواه أحمد في المسند (١/ ٥٠) .
(٥) « غنْدَر » : محمد بن جعفر الهذلي البصري مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين (تقريب التهذيب ٤٧٢) .
(٦) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٩) .
(٧) ط : (خفيا) تحريف .
(٨) رواه أحمد في المسند (١/ ٥٤) .
(٩) مسلم (١٢٧١) .
(١٠) مسلم (١٢٧١) (٢٥٢) .
(١١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢١) .
(١٢) ليس (حدّثنا) في ط .
(١٣) أ : (على الحجر) .

وهذا إسناد جيِّدٌ قوي ، ولم يخرّجوه .

وقال أبو داود الطَّيالسي[١] : ثنا جعفر بن عثمان القرشي ، من أهل مكة ، قال : رأيتُ محمد بن عبّاد بن جعفر قَبّلَ الحَجَر وسَجَدَ عليه . ثم قال : رأيتُ خالَكَ ابنَ عبّاس قبّله وسجد عليه . وقال ابن عباس رأيت عمر بن الخطاب قبّله وسجد عليه ، ثم قال عمر : لَوْ لمْ أر النبي ﷺ قبّله ما قَبَّلْتُهُ .

وهذا أيضاً إسنادٌ حسنٌ ، ولم يخرّجه إلا النَّسائي[٢] ، عن عمرو بن عثمان ، عن الوليد[٣] بن مسلم ، عن حنظلة بن أبي سفيان ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن عمر ، فذكر نحوه . وقد روى هذا الحديث عن عمر الإمام أحمد[٤] أيضاً من حديث يعلى بن أمية عنه . وأبو يعلى الموصلي في « مسنده »[٥] ، من طريق هشام بن حُبَيْش بن الأشْعَر[٦] عن عمر .

وقد أوردنا ذلك كله بطرقه وألفاظه وعزوه وعلله في الكتاب الذي جمعناه في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ولله الحمد والمنة .

وبالجملة ، فهذا الحديث مرويٌّ من طرق متعددة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي تفيد القطع[٧] عند كثير من أئمة هذا الشأن ، وليس في هذه الروايات أنه عليه الصلاة والسلام سجدَ على الحجر إلا ما أشعر به رواية أبي داود الطيالسي ، عن جعفر بن [عبد الله بن] عثمان ، وليست صريحة في الرفع .

ولكن رواه الحافظ[٨] البيهقي[٩] من طريق أبي عاصم النبيل ، ثنا جعفر بن عبد الله ، قال : رأيت محمد بن عَبّاد بن جعفر قبّل الحجرَ وسجدَ عليه ، ثم قال : رأيت خالَكَ ابنَ عَبّاسٍ قبّله وسجد عليه . وقال ابن عباس : رأيتُ عمرَ قبّله وسجدَ عليه ، ثم قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ فعلَ هكذا ففعلت .

---

(١) مسند الطيالسي (٢٩) .
(٢) سنن النسائي (٢٩٣٨) .
(٣) أ : (الزبير) .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٧ ، ٤٥) .
(٥) مسند أبي يعلى (٢٢١) .
(٦) أ : (هشام بن حبيش بن الأشعث) . وفي ط : (هشام بن حشيش بن الأشقر) وما أثبته عن المسند وانظر الجرح والتعديل (٩/ ٥٣) .
(٧) أ : (وهي مفيدة للقطع) .
(٨) أ : (الحافظ والبيهقي) .
(٩) السنن الكبرى (٥/ ٧٤) .

وقال الحافظ[١] البيهقي[٢] : أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عَبْدان، أنبأنا الطبراني ، أنبأنا أبو الزِّنْباع ، ثنا يحيى بن سليمان الجُعْفي ، ثنا يحيى بن يَمان ، ثنا سفيان ، عن ابن أبي حسين[٣] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يسجد[٤] على الحجر . قال الطبراني : لم يروه عن سفيان إلا يحيى بن يمان .

وقال البخاري[٥] : ثنا مُسَدَّد ، ثنا حمّاد ، عن الزُّبَيْر بن عربي ، قال : سأل رجلٌ ابنَ عمر عن استلام الحجر قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَسْتَلِمُه ويقبّله . قال : أرأيتَ إن زُحِمْتُ ، أرأيتَ إنْ غُلبْتُ ؟ قال اجعلْ أرأيتَ باليمن . رأيت رسول الله ﷺ يستَلِمُه ويُقَبِّلُه . تفرَّد به دون مسلم .

وقال[٦] البخاري[٧] : ثنا مُسَدَّد ، ثنا يحيى ، عن عُبَيْد الله عن[٨] نافع عن ابن عمر ، قال : ما تركتُ استلامَ هذين الرُّكْنَيْن في شدةٍ ولا رخاءٍ منذُ رأيتُ رسولَ الله يَسْتَلِمُهُما . فقلت[٩] لنافع : أكانَ ابنُ عمرَ يَمْشي بين الرُّكْنين ؟ قال : إنَّما كانَ يَمْشي ليكونَ أيْسَرَ لاستلامه .

وروى أبو داود[١٠] والنسائي[١١] من حديث يحيى بن سعيد القطان عن عبد العزيز بن أبي رَوّاد ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر : أنَّ رسولَ الله ﷺ « كانَ لا يَدَعُ أن يستلمَ الرُّكْنَ اليَماني والحَجَر في كل طَوْفَةٍ » .

وقال البخاري[١٢] : ثنا أبو الوليد ، ثنا ليث ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لم أر النبيَّ ﷺ يستلمُ من البيت إلا الرُّكْنَيْن اليَمانيين . ورواه مسلم[١٣] عن يحيى بن يحيى ، وقتيبة ، عن الليث بن سعد به . وفي رواية[١٤] عنه : أنه قال : ما أرى[١٥] النبيَّ ﷺ تركَ استلامَ الرُّكْنَيْن الشّاميين إلا أنهما لم يُتَمَّما على قواعد إبراهيم .

---

(١) ليس اللفظ في أ .
(٢) السنن الكبرى (٥/ ٧٥) .
(٣) ط : (سفيان بن أبي حسين) .
(٤) ط : (سجد) .
(٥) البخاري (١٦١١) .
(٦) أ : (وقال أيضاً) .
(٧) البخاري (١٦٠٦) .
(٨) أ : (عبيد الله بن نافع) وهو تحريف .
(٩) أ : (قلت) .
(١٠) سنن أبي داود (١٨٧٦) ، وهو حديث حسن .
(١١) سنن النسائي (٢٩٤٧) ، وهو حديث حسن .
(١٢) البخاري (١٦٠٨) .
(١٣) مسلم (١٢٦٧) (٢٤٢) .
(١٤) البخاري (١٥٨٣) ، ومسلم (١٣٣٣) (٣٩٩) .
(١٥) أ : (ما رأى) .

وقال[١] البخاري[٢] : وقال محمد بن بكر[٣] : أنبأنا ابن جُرَيْج ، أخبرني عمرو بن دينارٍ ، عن أبي الشَّعْثاء ، أنه قال : ومنْ يَتَّقي شَيْئاً من البيت ؟ . وكان معاوية يستلم الأركان ، فقال له ابن عباس : إنَّه لا يُسْتَلمُ هذان الركنان[٤] ! فقال له : ليس من البيت شيء مهجوراً[٥] . وكان ابن الزبير يستلمُهُنَّ كُلُّهن . انفرد بروايته البخاري رحمه الله تعالى .

وقال مسلم[٦] في « صحيحه » : حدّثني أبو الطاهر ، ثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث . أنَّ قتادةَ بن دعامة حدَّثه ، أنّ أبا الطُّفَيْل البَكْري حدَّثَه ، أنه سمع ابن عبّاس يقول : لم أرَ رسولَ الله ﷺ يستلمُ غَيْرَ الرُّكْنَين اليَمانيين .

انفرد به مسلم ، فالذي رواه ابن عمر موافقٌ لما قاله[٧] ابن عباس : أنَّه لا يُسْتَلَمُ الرُّكنان الشّاميان ، لأنَّهما لم[٨] يتمّما على قواعد إبراهيم ، لأنَّ قريشاً قصَّرتْ بهم النفقةُ فأخرجوا الحِجْرَ من البيت حين بَنَوْه كما تقدم بيانه . ووَدَّ النبيُّ ﷺ أنْ لو بناه فتمَّمه على قواعد إبراهيم ، ولكنْ خَشِيَ من حداثةِ عَهْدِ النّاس الجاهلية فتُنْكِره قلوبُهم ، فلما كانت إمرةُ عبد الله بن الزبير هَدَمَ الكعبةَ وبناها على ما أشار إليه ﷺ كما أخبَرَتْهُ خالتُهُ أمُّ المؤمنين عائشة بنت الصديق .

فإن كان ابن الزبير استلمَ الأركانَ كلَّها بعد بنائه إياها على قواعد إبراهيم فحَسَنٌ جداً ، وهو والله المظنون[٩] به .

وقال أبو داود[١٠] : حدّثنا مُسَدَّد ، حدّثنا يحيى ، عن عبد العزيز بن أبي رَوّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله ﷺ : « لا يدعُ أن يستلمَ الركنَ اليمانيَّ والحَجَرَ في كل طَوْفَةٍ[١١] » .

---

(١) أ : (قال) بلا واو . وبعده يتكرر في أعدة سطور .
(٢) البخاري (١٦٠٨) معلقاً .
(٣) ط : (بن أبي بكر) .
(٤) ط : (هذين الركنين) .
(٥) أ : (مهجور) .
(٦) مسلم (١٢٦٩) .
(٧) أ : (لما قال) .
(٨) أ : [لا] تحريف .
(٩) أ : (قواعد إبراهيم وهو والله أعلم المظنون به فحسن به) .
(١٠) أبو داود (١٨٧٦) ، وهو حديث حسن .
(١١) ط : (طوافه) .

ورواه النَّسائي[١] عن محمد بن المثنى[٢] عن يحيى .

وقال النسائي[٣] : ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، ثنا يحيى بن سعيد القطّان ، عن ابن جُرَيْج ، عن يحيى بن عُبَيد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن السّائب ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول بين الرُّكْن اليماني والحجر[٤] : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] . ورواه أبو داود[٥] عن مُسَدَّد ، عن عيسى بن يونس ، عن ابن جُرَيْج به .

وقال الترمذي[٦] : ثنا محمود بن غَيْلان ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : لما قدم النبيُّ ﷺ مكةَ دخلَ المسجدَ فاستلمَ الحجر ، ثم مضى على يمينه[٧] فرمل ثلاثاً ، ومشى أربعاً ، ثم أتى المقام ، فقال : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] فصلّى ركعتين ، والمقام بينه وبين البيت ، ثم أتى الحجر بعدَ الرّكعتين ، فاستلمه ثم خرج إلى الصفا أظنّه ، قال : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٥٨] هذا حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم . وهكذا رواه إسحاق بن رَاهَوَيْه عن يحيى بن آدم[٨] . ورواه الطبراني[٩] عن النَّسائي وغيره ، عن عبد الأعلى بن واصل ، عن يحيى بن آدم به[١٠] .

ذِكْرُ رَمَلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في طَوافِهِ واضْطِباعِهِ

قال البخاري[١١] : حدّثنا أَصْبَغُ بن الفَرَج ، أخبرني ابن وهب ، عن يونُسَ ، عن ابن شهاب ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : رأيتُ رسول الله ﷺ حينَ يقدَمُ مكةَ إذا استلم الرُّكْن الأَسْود أولَ ما يطوفُ يخبّ ثلاثةَ أشواطٍ من السَّبْعِ . ورواه مسلم[١٢] عن أبي الطَّاهر بن السَّرْح وحَرْمَلة ، كلاهما عن ابن وهبٍ به .

---

(١) النسائي (٢٩٤٧) ، وهو حديث حسن .
(٢) أ : (موسى) وانظر جامع الأصول (١٥/ ٢٨٤) .
(٣) السنن الكبرى للنسائي (٣٩٣٤) .
(٤) ليس اللفظ في أ .
(٥) رواه أبو داود (١٨٩٢) ، وهو حديث حسن .
(٦) الترمذي (٨٥٦) .
(٧) ط : (مينه) وهو تحريف .
(٨) مسلم (١٢١٨) (١٥٠) من طريق ابن راهويه مختصراً .
(٩) المعجم الأوسط (١٦٨٢) .
(١٠) ط : (يحيى بن آدم بن آدم به) .
(١١) البخاري (١٦٠٣) .
(١٢) مسلم (١٢٦١) (٢٣٢) .

وقال البخاري[١] : حدّثنا محمد بن سلام ، حدّثنا سُرَيْجُ[٢] بن النُّعمان ، حدّثنا فُلَيح ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سعى النبيُّ ﷺ ثلاثةَ أشواطٍ ومشى أربعة في الحج والعمرة . تابعه الليث ، حدّثني كثير بن فرقد[٣] ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ . انفرد به البخاري . وقد روى النسائي[٤] ، عن محمد وعبد الرحمن ابني عبد الله بن عبد الحكم ، كلاهما عن شعيب بن الليث ، عن أبيه الليث بن سعد ، عن كثير بن فرقد ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

وقال البخاري[٥] : حدّثنا إبراهيم بن المنذر ، حدّثنا أبو ضَمْرَة أنس بن عياض ، حدّثنا موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر : أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحجِّ أو العمرة أول ما يَقْدَمُ سَعَى ثلاثةَ أطوافٍ ، ومشى أربعةً ، ثم سجد سَجْدَتين ، ثم يطوف بين الصَّفا والمَرْوة . ورواه مسلم[٦] من حديث موسى بن عقبة .

وقال البخاري[٧] : حدّثنا إبراهيم بن المنذر ، حدّثنا أنس ، عن عُبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ : « كان إذا طاف بالبيت الطوافَ الأوَّل يَخُبُّ ثلاثةَ أطوافٍ ، ويمشي أربعةً ، وأنَّه كان يَسْعَى بَطْنَ المَسيلِ إذا طاف بين الصفا والمروة » . ورواه مسلم[٨] من حديث عبيد الله بن عمر[٩] .

قال مسلم[١٠] : أنبأنا عبد الله بن عمر بن أبان الجُعْفي ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : رملَ رسولُ الله ﷺ من الحجر إلى الحجر ثلاثاً ومشى أربعاً . ثم رواه[١١] من حديث سليم بن أخضر ، عن عبيد الله بنحوه .

وقال مسلم[١٢] أيضاً : حدّثني أبو طاهر ، حدّثني عبد الله بن وهب ، أخبرني مالك ، وابن جُرَيْج ،

---

(١) البخاري (١٦٠٤) .
(٢) ط : (شريح) وهو تحريف . انظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٩) .
(٣) ط : (كثير بن نافع بن فرقد) . وانظر تقريب التهذيب (٤٦٠) .
(٤) السنن الكبرى للنسائي (٣٩٣٧) .
(٥) البخاري (١٦١٦) .
(٦) مسلم (١٢٦١) (٢٣١) .
(٧) البخاري (١٦١٧) .
(٨) مسلم (١٢٦١) (٢٣٠) .
(٩) أ : (عبد الله بن عمرو) .
(١٠) مسلم (١٢٦٢) (٢٣٣) .
(١١) مسلم (١٢٦٢) (٢٣٤) .
(١٢) مسلم (١٢٦٣) (٢٣٦) .

عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ رملَ ثلاثةَ أطواف[١] من الحجر إلى الحجر .

وقال عمر بن الخطاب : فيمَ الرَّمَلان والكشفُ عن المناكب ؟ وقد أطَّأ[٢] اللهُ الإسلام ونفى[٣] الكفر [وأهله][٤] ومع ذلك لا نتركُ شيئاً كنا نفْعَلُه مع رسول الله ﷺ (رواه أحمد[٥] وأبو داود[٦] وابن ماجه[٧] والبيهقي[٨] من حديث هشام بن سعد[٩] عن زيد بن أسلم ، عن أبيه عنه)[١٠] . وهذا كلُّه ردٌّ على ابن عباس ومن تابعه من أنّ الرمل[١١] ليس بسنَّةٍ ، لأنّ رسولَ الله ﷺ إنّما فعله لمّا قدم ، هو وأصحابه ، صبيحةَ رابعة ـ يعني في عمرة القضاء ـ وقال المشركون : إنّه يقدَم عليكم وفد وهنتهم حُمّى يثرب فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا[١٢] ما بين الركنين ولم يمنعهم[١٣] أن يرملوا الأشواط كلَّها إلا الإبقاء[١٤] عليهم . وهذا ثابت عنه في « الصحيحين »[١٥] فكان[١٦] ابن عبّاسٍ يُنْكر وقوعَ الرمل في حجة الوداع . وقد صحَّ بالنقل الثابت كما تقدَّم ـ بل فيه زيادة تكميل ـ الرمل من الحجر إلى الحجر ، ولم يمشِ ما بين الركنين اليمانيين لزوال تلك العلة المشار إليها وهي الضعف .

وقد ورد في الحديث الصحيح ، عن ابن عباس : أنّهم رَمَلوا في عُمْرة الجِعْرانة[١٧]

(١) ط : (أشواط) .
(٢) ط : (أطّد) . وأطَّأ أي ثبَّته وأرساه والهمزة فيه بدل من واو وطأ النهاية (أطأ) والوطد : الإثبات والغمز في الأرض (النهاية : وطد) .
(٣) أ : (وكفى) .
(٤) زيادة من صحيح مسلم .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٤٥) ، وإسناده حسن ، وهو حديث صحيح .
(٦) سنن أبي داود (١٨٨٧) ، وإسناده حسن ، وهو حديث صحيح .
(٧) سنن ابن ماجه (٢٩٥٢) ، وإسناده حسن ، وهو حديث صحيح .
(٨) السنن الكبرى (٥/ ٧٩) .
(٩) ط : (سعيد) وهو تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤٤) .
(١٠) ليس ما بين القوسين في أ .
(١١) ط : (المرسل) تحريف .
(١٢) أ : (الثلاثة يمسون ما بين) .
(١٣) أ : (يمنعه) .
(١٤) ط : (إلا خشية الإبقاء) .
(١٥) البخاري (١٦٠٢) ومسلم (١٢٦٦) (٢٤٠) .
(١٦) ط : (وتصريحه لعذر سببه في صحيح مسلم أظهر فكان . .) .
(١٧) الجعرانة وهي موضع قريب من مكة وهي في الحلّ وميقات للإحرام ، وهي بتسكين العين ، والتخفيف ، وقد تكسر العين ، وتشدّد الراء (النهاية : جعر) .

واضْطَبَعُوا[١] وهو ردٌّ عليه[٢] ، فإنَّ عُمْرَةَ الجِعْرانة لم يَبْقَ في أيامها خوفٌ لأنَّها بعد الفتح كما تقدم .

رواه حماد[٣] بن سلمة[٤] ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم[٥] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنَّ رسول الله ﷺ وأصحابَه اعْتَمروا من الجِعْرانة ، فَرَملوا بالبيت واضْطَبعوا ، ووضعوا أرْدِيَتَهُمْ تحت آباطِهم وعلى عواتِقهم . ورواه[٦] أبو داود[٧] من حديث حمّاد بنحوه . ومن حديث[٨] عبد الله بن خُثَيْم ، عن[٩] أبي الطُّفَيْل ، عن ابن عباس به .

فأما الاضطباع في حجّة الوداع فقد قال قُبيصة والفِرْيابي ، عن سُفيان الثوري ، عن ابن جُرَيْج ، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة ، عن ابن[١٠] يعلى بن أمية ، عن أمية[١١] . قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يطوفُ بالبيت مُضْطَبِعاً رواه الترمذي[١٢] من حديث الثوري ، وقال : حسن صحيح .

وقال أبو داود[١٣] : ثنا محمد بن كثير ، ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن[١٤] يعلى ، عن أبيه ، قال : طافَ رسولُ الله ﷺ مُضْطَبِعاً برداً أَخْضَر[١٥] .

وهكذا رواه الإمام أحمد[١٦] ، عن وكيع ، عن الثوري ، عن ابن جُرَيْج ، عن ابن يعلى[١٤] عن أبيه . أن النبي ﷺ لمّا قدمَ طافَ بالبيت ، وهو مضْطَبِعٌ ببُرْدٍ له حضرمي[١٧] .

---

(١) الاضطباع هو أن يأخذ الإزار أو البُرْد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ويلقي طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره ، وسمّي بذلك لإبداء الضَّبْعَيْن ، ويقال للإبط الضَّبُع . للمجاورة (النهاية : ضبع) .
(٢) أ : (وهو وارد) تحريف .
(٣) أ : (رواه أحمد بن سلمة) . وهو تحريف وانظر (تقريب التهذيب ١٧٨) .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٠٦ ، ٣٧١) ، وهو حديث صحيح .
(٥) خثيم ـ بالمعجمة ، والمثلثة ، مُصَغَّراً (تقريب التهذيب ٣١٣) .
(٦) أ : (رواه) بلا واو .
(٧) سنن أبي داود (١٨٨٤) ، وهو حديث صحيح .
(٨) أبو داود (١٨٩٠) ، وهو حديث صحيح .
(٩) أ : (بن) تحريف .
(١٠) في ط : (عن يعلى) .
(١١) أ : (عن أبيه) .
(١٢) رواه ابن ماجه (٢٩٥٤) من حديث قبيصة ومحمد بن يوسف الفريابي كلاهما عن الثوري . ورواه الترمذي (٨٥٩) من حديث الثوري ، أقول : وهو حديث حسن .
(١٣) أبو داود (١٨٨٣) ، وهو حديث حسن .
(١٤) أ : (عن أبي) .
(١٥) ط : (برداء أخضر) وفي أ (برداء حضرمي) وما بين هذا اللفظ إلى لفظ أخضر في الخبر التالي سقط من أ .
(١٦) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٢٣) ، وهو حديث حسن .
(١٧) في الأصل : أخضر .

وقال جابر في حديثه المتقدّم : حتّى إذا أتَيْنا البيتَ معه استلمَ الركنَ ، فرَمَلَ ثلاثاً ومشى أربعاً ، ثم نفذ[١] إلى مقام إبراهيم فقرأ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] فجعل المقامَ بينه وبين البيت ، فذكر أنه صلَّى ركعتين[٢] قرأ فيهما : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، و ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ . فإن قيلَ : فهلْ كانَ عليه السلام في هذا الطواف راكباً أو ماشياً ؟ فالجوابُ أنَّه قد وردَ نَقْلان قد يُظَنّ أنهما مُتعارضان ، ونحنُ نَذْكرُهما ونُشيرُ إلى التَّوفيقِ بَيْنَهما ، ورفعِ اللَّبسِ عندَ منْ يتوَهَّم فيهما تعارضاً ، وبالله التوفيق ، وعليه الاستعانة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال البخاري رحمه الله[٣] : حدّثنا أحمد بن صالح ، ويحيى بن سليمان ، قالا : ثنا ابن وَهْب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبيُّ ﷺ على بعيره في حجّة الوداع يستلمُ الركنَ بمحْجَنٍ[٤] .

وأخرجه بقيَّةُ الجماعة[٥] إلا الترمذيّ من طُرُقٍ ، عن ابن وَهْبٍ . قال البخاري : تابعه الدراوردي عن ابن أخي الزهري عن عمه ، وهذه المتابعة غريبة جداً .

وقال البخاري[٦] : ثنا محمد بن المثنى ، ثنا عبد الوهاب ، ثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طافَ النبيّ ﷺ بالبيتِ على بعيرٍ كُلَّما أتى الرُّكْنَ أشار إليه .

وقد رواه الترمذي[٧] من حديث عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، وعبد الوارث[٨] ، كلاهما عن خالد بن مهران الحذَّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف رسولُ الله ﷺ على راحلته ، فإذا انتهى إلى الركن أشار إليه . وقال : حسن صحيح .

ثم قال[٩] البخاري[١٠] : ثنا مُسَدَّد ، ثنا خالد بن عبد الله ، عن خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طاف النبيُّ ﷺ بالبيت على بعيرٍ ، فلما أتى الركنَ أشار إليه بشيء كان عنده وكبَّر . تابعه

---

(١) في الأصول : تقدم .
(٢) أ : (صلى الله عليه وسلم) وليس لفظ (ركعتين) فيهما .
(٣) البخاري (١٦٠٧) .
(٤) « المِحْجَن » : عصاً مُعَقَّفة الرأس كالصولجان ، والميم زائدة ، ويجمع على محاجن (النهاية : حجن) .
(٥) مسلم (١٢٧٢) ، وأبو داود (١٨٧٧) ، والنسائي (٢٩٥٤) ، وابن ماجه (٢٩٤٨) .
(٦) البخاري (١٦١٢) .
(٧) الترمذي (٨٦٥) .
(٨) أ : (وعبد الوهاب) .
(٩) البخاري (١٦١٣) .
(١٠) ليس اللفظ في أ .

إبراهيم بن طَهْمان ، عن خالد الحذَّاء ، وقد أسند هذا التعليق[١] هاهنا في كتاب الطّواف عن عبد الله بن محمد ، عن أبي عامر ، عن إبراهيم بن طهمان به .

وروى مسلم[٢] عن الحكم بن موسى ، عن شعيب بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ طافَ في حجة الوداع حول الكعبة على بعيرٍ[٣] يستلمُ الركنَ كراهيةَ أن يضرب عنه الناس : فهذا إثبات أنه عليه السلام طاف في حجة الوداع على بعيرٍ ، ولكنّ حجة الوداع كان فيها ثلاثة أطواف : الأول طواف القدوم[٤] ، والثاني : طواف الإفاضة ، وهو طواف الفرض ، وكان[٥] يوم النحر ، والثالث : طواف الوداع ، فلعل ركوبه ﷺ كان في أحد الأخيرين[٦] أو في كليهما ، فأما الأول ، وهو طواف القدوم ، فكان ماشياً فيه . وقد نصَّ الشافعي[٧] على هذا كله ، والله أعلم وأحكم .

والدّليلُ على ذلك ما قالَ الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقيّ في كتابه « السنن الكبير »[٨] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو بكر محمد بن المُؤَمَّل بن الحسن بن عيسى ، حدّثنا الفضل بن محمد بن المسيّب ، حدّثنا نُعيم بن حماد ، حدّثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق ـ هو ابن يسار رحمه الله ـ عن أبي جعفر ـ وهو محمد بن علي بن الحسين ـ عن جابر بن عبد الله ، قال : دخلنا مكةَ عند ارتفاع الضُّحى ، فأتى النبيُّ ﷺ بابَ المسجد فأناخَ راحلتَه ، ثم دخلَ المسجدَ ، فبدأَ بالحجرِ فاستلمَهُ وفاضَتْ عيناهُ بالبكاء ، ثم رَمَلَ ثلاثاً ، ومشى أربعاً ، حتى فرغ ، فلما فرغ قبّل الحجر ، ووضع يَدَيْه[٩] عليه ومسحَ بهما وَجْهَه . وهذا إسناد جيد .

فأما ما رواه أبو داود[١٠] حدّثنا مُسَدَّد ، حدّثنا خالد بن عبد الله ، حدّثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ قدم مكة ، وهو يشتكي ، فطاف على راحلته ، فلما أتى على الركن استلمه بمِحْجنٍ ، فلما فرغ من طوافه أناخ فصلّى ركعتين . تفرد[١١] به يزيد بن أبي زياد ، وهو

---

(١) البخاري (٥٢٩٣) .
(٢) مسلم (١٢٧٤) .
(٣) ليس اللفظ في أ .
(٤) أ : (الأول والثاني طواف الإفاضة) .
(٥) أ : (فكان) .
(٦) ط : (الآخرين) .
(٧) انظر كتاب « الأم » للشافعي ٢/١٤٨ .
(٨) السنن الكبرى ٥/ ٧٤ .
(٩) ط : (يده) تحريف .
(١٠) أبو داود (١٨٨١) .
(١١) أ : (فقد تفرّد) .

ضعيف . ثم لم يذكر أنه في حجة الوداع ، ولا ذكر أنّه في الطّواف الأوّل من حجّة الوداع ، ولم يذكر ابن عباس في الحديث الصحيح عنه عند مسلم ، وكذا جابر : أنّ النبيّ ﷺ ركبَ في طوافه لضعفه[١] ، وإنما ذكرا كثرة[٢] الناس وغشيانهم له ، وكان لا يحبّ[٣] أن يُضْربوا بين يديه ، كما سيأتي تقريرُه قريباً إن شاء الله . ثم هذا التقبيلُ الثاني الذي ذكره ابن إسحاق في روايته بعد الطّواف وبعد ركعتيه أيضاً ثابت في صحيح مسلم[٤] من حديث جابر . قال فيه بعد ذكر صلاة ركعتي الطواف : ثم رجع إلى الركن فاستلمه .

وقد قال مسلم[٥] بن الحجّاج في « صحيحه » : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نُمير جميعاً ، عن أبي خالد ، قال أبو بكر : حدّثنا أبو خالد الأحمر ، عن عبيد الله ، عن نافع ، قال :

رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ، ثم قبل يده ، قال : وما تركتُه منذ رأيتُ رسول الله ﷺ يفعله . فهذا يحتمل أنه رأى رسول الله ﷺ في بعض الطوفات[٦] أو في آخر استلام ، فعل هذا لما ذكرنا . أو أن ابن عمر لم يصل إلى الحجر لضعفٍ كان به ، أو لئلا يُزاحِمَ غيرَه فيحصل لغيره أذًى به .

وقد قال رسول الله ﷺ لوالده ما رواه أحمد[٧] في « مسنده » : حدّثنا وكيع ، حدّثنا سُفيان عن أبي يَعْفور العَبْدي ، قال : سمعتُ شيخاً بمكة في إمارة الحجّاج يحدث عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ﷺ قال له : يا عمر إنك رجل قوي ، لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف ، إن وجدتَ خلوةً فاستلمه ، وإلا فاستقبله [فهَلِّلْ][٨] وكَبّر . وهذا إسناد جيّد : لكن راويه[٩] عن عمر مُبْهَمٌ لم يسمّ . والظاهر أنه ثقةٌ جليلٌ . فقد رواه الشافعي[١٠] ، عن سُفيان بن عُيينة ، عن أبي يَعْفور العَبْدي - واسمه وَقْدان - سمعت رجلاً من خزاعة حين قُتل ابن الزبير ، وكان أميراً على مكة ، يقول : قال رسول الله ﷺ لعمر : « يا أبا حفص إنّكَ رجلٌ قويٌّ ، فلا تزاحم على الرُّكْنِ فإنَّكَ تُؤْذي الضَّعيف ، ولكن إن وجدتَ خلوةً فاستلمه وإلا فكبر وامض » . قال سفيان بن عيينة : هو عبد الرحمن بن الحارث ، كان الحجاج استعمله عليها منصرفَه منها حين قتل ابن الزبير .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٢٦٥) و(١٢٧٣) (٢٥٤) .
(٢) ط : (ذكر لكثرة) ، وأ : (ذكر كثرة) وما أثبته عن السنن .
(٣) ط : (يحب) .
(٤) رقم (١٢١٨) (١٤٧) .
(٥) مسلم (١٢٦٨) (٢٤٦) .
(٦) ط : (الطواقات) .
(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٨) .
(٨) زيادة عن المسند .
(٩) أ : (رواية) وهو تحريف .
(١٠) رواه الشافعي في سننه المأثورة ١/ ٣٧٥ (٥١٠) .

قلت: وقد كان عبد الرحمن هذا جليلاً نبيلاً كبيرَ القدر، وكان أحدَ النَّفَر الأرْبَعة الذين ندبهم عثمان بن عفان في كتابة المصاحف الأئمة[1] التي نفذها إلى الآفاق، ووقع على ما فعله الإجماع والاتفاق.

ذِكْرُ طَوافِهِ ﷺ بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَة

روى مسلم في «صحيحه»[2] عن جابر في حديثه الطويل المتقدّم، بعد ذكره طوافه، عليه الصلاة والسلام، بالبيت سبعاً وصلاته عند المقام ركعتين. قال: ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلمّا دنا من الصفا قرأ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به. فبدأ بالصفا، فَرَقِيَ عليه حتى رأى[3] البيت، فاستقبل القبلة، فوحّد الله وكبّره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله [وحده][4] أنْجَزَ وَعْدَه (ونَصَرَ عَبْدَه)[5] وهَزَمَ الأحْزابَ وَحْدَه. ثم دعا بين ذلك، فقال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل حتى إذا انصبت[6] قدماه في الوادي رَمَلَ حتّى إذا صعِد مشى حتى أتى المروة فرقيَ عليها حتى نظر إلى البيت، فقال عليها كما قال على الصفا.

وقال الإمام أحمد[7]: حدّثنا عمر بن هارون البلخي أبو حفص، حدّثنا ابن جُرَيْج، عن بعض بني يَعْلى بن أمية، عن أبيه، قال:

رأيتُ النبيَّ ﷺ مضطبعاً بين الصَّفا والمَرْوة ببُرْدٍ له نَجْرانيّ.

وقال الإمام أحمد[8]: حدّثنا يونس، حدّثنا عبد الله بن المُؤَمّل، عن عمر بن عبد الرحمن، حدّثنا عطاء[9]، عن حبيبة بنت أبي تَجْراة[10]، قالت:

---

(١) ليس اللفظ في أ.
(٢) صحيح مسلم رقم (١٢١٨) (١٤٧).
(٣) أ: (رأيت) وهو تحريف.
(٤) زيادة عن الصحيح.
(٥) ليس ما بين القوسين في أ.
(٦) أ: (نَفَسَتْ).
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٢٣)، حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف جداً، فإن عمر بن هارون البلخي متروك (بشار).
(٨) مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٢١)، وهو حديث حسن بطرقه وشاهده، وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن المؤمل واضطرابه فيه.
(٩) أ، ط: (عطية عن حبيبة) وما أثبته عن المسند.
(١٠) ط: (تجزأة) وهو تحريف. فقد ذكرها ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢١٩) وروى حديثها المذكور أعلاه وهي بفتح التاء في الإصابة وكسرها في الاستيعاب وأسد الغابة (٤/ ١٨٠٦)، وضمها في «القاموس».

دخلت دار أبي حسين[١] في نِسْوةٍ من قريش[٢] والنبي ﷺ يطوف بين[٣] الصفا والمروة . قالت : وهو يسعى يدور به إزاره من شدة السعي وهو يقول لأصحابه : « اسْعَوْا إنَّ[٤] الله كتب عليكم السعي » .

وقال أحمد[٥] أيضاً : حدّثنا سُرَيْج[٦] ، ثنا عبد الله بن المُؤَمّل ، ثنا[٧] عطاء بن أبي رباح ، عن صفية بنت شيبة ، عن حبيبة[٨] بنت أبي تجراة ، قالت : رأيت النبيَّ ﷺ يطوفُ بين الصَّفا والمَرْوة ، والناس بين يديه ، وهو وراءَهم ، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يدور[٩] به إزاره وهو يقول : « اسْعَوْا فإنّ اللهَ كتبَ عليكم السَّعْيَ » . تفرد به أحمد .

وقد رواه أحمد[١٠] أيضاً ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن واصل مولى أبي عُيينة ، عن موسى بن عُبَيْدة ، عن صفية بنت شيبة : أنَّ امرأةً أخبرتها أنها سمعَتِ النبيَّ ﷺ بين الصَّفا والمروة يقول : « كُتِبَ عليكم السعي فاسْعوا » ، وهذه المرأة هي حَبيبةُ بنت أبي تجراة المُصَرَّحُ بذكرها في الإسنادَيْن الأوَّلَين .

وعن أم ولد شيبة بن عثمان . أنها أبصرت النبيَّ ﷺ وهو يَسْعَى بين الصَّفا والمَرْوة ، وهو يقول : « لا يُقْطَعُ الأَبْطَحُ إلا شدّاً »[١١] . رواه[١٢] النَّسائي[١٣] ، والمراد بالسَّعي (هاهنا هو الذهاب من الصفا إلى المروة ، ومنها إليها ، وليس المراد بالسعي)[١٤] هاهنا الهرولة والإسراع ، فإن الله لم يكتبه علينا حتماً ، بل لو مشى الإنسانُ على هينته[١٥] في السَّبْع الطوفات[١٦] بينهما ، ولم يَرْمُلْ في المَسيل أجزأه ذلك عند جماعة العلماء لا نعرف بينهم اختلافاً في ذلك .

---

(١) أ ، ط : (حصين وما هنا عن المسند والإصابة والاستيعاب وأسد الغابة) .
(٢) أ : (قيس) .
(٣) أ : (يطوف بالصفا) وفي الإصابة (يطوف بالبيت) ، وما هنا من المسند .
(٤) في بعض النسخ : فإن . وما هنا من ط ، وهو الموافق لما في المسند، وهو المصدر الذي ينقل منه .
(٥) مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) ، وهو حديث حسن بطرقه وشاهده ، وإسناده ضعيف لانقطاعه .
(٦) ط : (شريح) تحريف .
(٧) أ : (عن) .
(٨) في الاستيعاب (٤/ ١٨٠٦) (حَبيبة ويقال : حُبيبة) .
(٩) ط : (يكور) .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٣٧) ، وهو حديث حسن بطرقه .
(١١) ط : (الأسدا) .
(١٢) أ : (ورواه) .
(١٣) النسائي (٥/ ٢٤٢) (٢٩٨٠) ، وهو حديث صحيح .
(١٤) ليس ما بين القوسين في أ .
(١٥) ط : (هينة) . وفي النهاية (هين) : على هينته أي على عادته في السكون والرفق ، يقال : امش على هِينَتِكَ : أي على رِسْلِكَ .
(١٦) ط : (الطوافات) .

وقد نقله التّرمذي رحمه الله عن أهل العلم ، ثم قال[١] : ثنا يوسف بن عيسى ، ثنا ابن فُضَيْل ، عن عطاء بن السّائب ، عن كثير بن جُمْهان[٢] ، قال : رأيتُ ابنَ عمر يمشي في المَسْعى ، فقلت : أتمشي في السعي بين الصَّفا والمروة ، فقال : لئن سَعَيتُ فقد[٣] رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَسعى ، ولئن مشيتُ لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يمشي ، وأنا شيخ كبير . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

وقد روى سعيدُ بن جُبَيْر عن ابن عباس[٤] نحو هذا .

وقد رواه أبو داود[٥] والنَّسائي[٦] وابن ماجه[٧] من حديث عطاء بن السائب عن كثير بن جُمْهان السُّلَمي الكوفي ، عن ابن عمر . فقولُ ابنِ عمرَ إنه شاهدَ الحالين منه ﷺ يحتمل شيئين : أحدُهما أنه رآه يسعى في وقتٍ ماشياً لم يمزجه برمَلٍ فيه بالكلية ، والثاني أنّه رآه يسعى في بعض الطريق ، ويمشي في بعضه ، وهذا له قوةٌ لأنّه قد روى البخاري[٨] ومسلم[٩] من حديث عبيد الله بن عمر العُمَري ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ كان يَسْعَى بطنَ المَسيل إذا طافَ بين الصَّفا والمَرْوة . وتقدَّم في حديث جابر أنه عليه الصلاة[١٠] والسلام : نزل من الصفا ، فلما انصبّت[١١] قدماه في الوادي رَمَلَ حتّى إذا صعد مشى حتّى أتى المروة . وهذا هو الذي تستحبه العلماء قاطبة ؛ أنّ الساعيَ بينَ الصَّفا والمَرْوة[١٢] يُسْتَحَبُّ له أن يَرْمل في بطن الوادي، في كل طوفةٍ[١٣] في بطن المَسيل الذي بينهما، وحدَّدوا ذلك بما بين الأميال الخضر ، فواحدٌ مفردٌ من ناحية الصّفا مما يلي المسجد ، واثنان مُجْتَمعان من ناحية المروة مما يلي المسجد أيضاً . وقال بعض العلماء : ما بينَ هذه الأميال اليومَ أوسعُ من بطنِ المَسيلِ الذي رَمَلَ فيه رسول الله ﷺ ، فالله أعلم[١٤] :

---

(١) الترمذي (٨٦٤) ، وهو حديث صحيح .
(٢) ط : (جهمان) . وانظر تقريب التهذيب ٤٥٩ ، والتهذيب ٨/ ٤١٢ .
(٣) أ : (الصفا فقال لئن سعيت ولقد) .
(٤) في السنن (ابن عمر) .
(٥) أبو داود (١٩٠٤) ، وهو حديث صحيح .
(٦) النسائي ٥/ ٢٤١ (٢٩٧٦) ، وهو حديث صحيح .
(٧) ابن ماجه (٢٩٨٨) ، وهو حديث صحيح .
(٨) البخاري (١٦٤٤) .
(٩) مسلم (١٢٦١) (٢٣٠) .
(١٠) ط : (عليه السلام) .
(١١) أ : (انتصبت) .
(١٢) بعدها في ط : (وتقدم في حديث جابر) .
(١٣) ط : (طوافه) .
(١٤) ليست جملة (فالله أعلم) في أ .

وأما قول محمد بن حزم في الكتاب الذي جمعه في حجة الوداع : ثم خرج عليه الصلاة والسلام إلى الصفا ، فقرأ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٥٨] أبدأ بما بَدَأَ الله به ، فطافَ بين الصَّفَا والمَرْوة أيضاً سبعاً راكباً على بعير ، يخُبُّ ثلاثاً ، ويمشي أربعاً ، فإنه لم يتابَعْ على هذا القول ولم يتفوّه به أحدٌ قبله من أنه عليه الصلاة والسلام خبَّ ثلاثةَ أشواطٍ بين الصفا والمروة ، ومشى أربعاً ، ثم مع هذا الغلط الفاحش لم يذكر[١] عليه دليلاً بالكليّة ، بل لمّا انتهى إلى موضع الاستدلال عليه قال : ولم نَجِدْ[٢] عَددَ الرَّمَل بين الصفا والمروة منصوصاً ، ولكنه متفق عليهِ هذا لفظه ، فإن أراد بأن الرَّمَلَ في الثلاث الطوفات[٣] الأُوَل على ما ذكر متفقٌ عليه ، فليس بصحيح بل لم يقله أحدٌ ، وإن أراد أن الرمل في الثلاث الأُوَل في الجملة متفق[٤] عليه فلا يُجْدي له شيئاً ولا يُحَصّل له مقصوداً[٥] ، فإنّهم كما اتفقوا على الرَّمَل في الثلاث الأول في بعضها على ما ذكرناه ، كذلك اتَّفقوا على استحبابه في الأربع الأُخر أيضاً . فتخصيص ابن حزم الثلاث الأول باستحباب الرمل فيها مخالف لما ذكره العلماء ، والله أعلم . وأما قول ابن حزم أنّه عليه الصلاة والسلام كان راكباً بين الصفا والمروة ، فقد تَقَدَّم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يسعى بطنَ المَسيل أخرجاه . وللترمذي عنه : إن أسعى فقد رأيتُ رسول الله يَسْعى ، وإن مشيتُ فقد رأيتُ رسولَ الله يمشي . وقال جابر : فلما انصبَّتْ قدماه في الوادي رَمَل حتى إذا صعدَ مشى . رواه مسلم . وقالت حبيبة بنت أبي تجراة[٦] : يسعى يدور به إزاره من شدة السَّعي . رواه أحمد . وفي « صحيح مسلم » عن جابر كما تقدم أنه رَقِيَ على الصفا حتى رأى البَيْتَ ، وكذلك على المَرْوة .

وقد قدمنا من حديث محمد بن إسحاق ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر : أنَّ رسول الله ﷺ أناخَ بعيرَه على باب المسجد ـ يعني حتى طاف ـ ثم لم يذكر أنه ركبه[٧] حال ما خرج إلى الصفا . وهذا كله مما يقتضي أنّه عليه الصلاة والسلام سعى بين الصفا والمروة ماشياً .

ولكن قال مسلم[٨] : حدّثنا عبد[٩] بن حُمَيْد ، حدّثنا محمد ـ يعني ابن بكر ـ أنا ابن جُرَيْج ، أخبرني أبو الزُّبَيْر ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : طاف النبي ﷺ في حجَّة الوداع على راحلته بالبيت

(١) أ : (لم يدل) .
(٢) ط : (تجد) ، أ : (تحدد) وما هنا للسياق .
(٣) أ : (أراد بالرسل) .
(٤) ط : (الجملة المتفق عليه) .
(٥) ط : (ولا يحصل له شيئاً مقصوداً) .
(٦) ط : (مجزأه) خطأ . وقد تقدمت الإشارة إلى مصادر ترجمتها .
(٧) ط : (رجبه) .
(٨) مسلم (١٢٧٣) (٢٥٥) مع (١٢٧٩) .
(٩) أ : (عبد الله) .

وبين[١] الصَّفا والمروة على بعير[٢] ليراه الناس ، وليشرف وليسألوه ، فإنَّ الناس غَشُوه ، ولم يَطُفِ النبيّ ﷺ ولا أصحابه بين الصَّفا والمَرْوة إلا طوافاً واحداً . ورواه مسلم[٣] أيضاً ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن علي بن مسهر ، وعن[٤] علي بن خشرم ، عن عيسى بن يونس ، وعن محمد بن حاتم ، عن يحيى بن سعيد ، كلّهم عن ابن جريج به ، وليس في بعضها (وبين الصفا والمروة) . وفي المعجم[٥] للطبراني من طريق زياد بن عبد الله ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى : أنَّ رسول الله ﷺ كان يكبّر على الصفا والمروة ثلاثة أسابيع إحدى وعشرين تكبيرة .

وقد رواه أبو داود[٦] عن أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن سعيد القطّان ، عن ابن جُرَيْج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : طاف النبيُّ ﷺ في حجّة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة .

ورواه النسائي[٧] ، عن الفَلاَّس ، عن يحيى ، وعن عمران بن يزيد ، عن شعيب[٨] بن إسحاق ، كلاهما عن ابن جُرَيْج به . فهذا محفوظ من حديث ابن جُرَيْج ، وهو مشكل جداً ؛ لأنّ بقية الروايات عن جابر وغيره تدُلّ على أنّه عليه الصلاة والسلام ، كان ماشياً بين الصفا والمروة ، وقد تكون رواية أبي الزُّبير عن جابر لهذه الزيادة وهي قوله : وبين الصفا والمروة ، مُقْحَمةً أو مدرجةً ممّن بعدَ الصحابي ، والله أعلم . أو أنه عليه السلام طاف بين الصفا والمروة بعض الطوفات[٩] على قدميه ، وشوهد منه ما ذُكر ، فلما ازدَحم الناسُ عليه وكثروا ركبَ كما يدلّ عليه حديثُ ابن عباس الآتي قريباً . وقد سَلَّمَ ابنُ حزم أن طوافَه الأول بالبيت كان ماشياً وحمل ركوبه في الطواف على ما بعد ذلك ، وادعى أنه كان راكباً في السعي بين الصفا والمروة ، قال : لأنه لم يَطُفْ بينهما إلا مرةً واحدةً ، ثم تَأَوَّل قول جابر : (حتى إذا انصبت قدماه في الوادي رمل) بأنه يَصْدُقُ[١٠] ذلك ، وإن كان راكباً ، فإنّه إذا انصبَّ بعيره[١١] فقد انصبّ كله ،

---

(١) : (بين) .
(٢) ليس الجار والمجرور (على بعير) في أ .
(٣) مسلم (١٢٧٣) (٢٥٤) مع (١٢٧٩) (٢٦٥) .
(٤) ليست (عن) في أ .
(٥) ليس هذا الخبر في ط ، واستدركته عن أ .
(٦) أبو داود (١٨٨٠) ، وهو حديث صحيح .
(٧) النسائي ٥/ ٢٤٤ (٢٩٨٦) ، وهو حديث صحيح .
(٨) ط : (سعيد) تحريف ، وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ١٠٣ وتهذيب الكمال ١٢/ ٥٠١ .
(٩) ط : (الطوفان) .
(١٠) ط : (لم يصدق) .
(١١) ليس اللفظ في أ .

وانصبَّتْ قدماه مع سائر جسده . قال : وكذلك ذِكْرُ الرَّمل يعني به رمل الدابة براكبها ، وهذا التأويل بعيدٌ جداً ، والله أعلم .

وقال أبو داود[١] : حدّثنا أبو سَلَمَة موسى ، حدّثنا حماد ، أنبأنا أبو عاصم الغَنَويّ ، عن أبي الطُّفيل قال : قلت لابن عباس : يَزْعُمُ قَوْمُكَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد رَمَلَ بالبيت ، وأن ذلك من سنته[٢] ، قال : صدقوا وكذبوا ، فقلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا رمل[٣] رسول الله ، وكذبوا ، ليس بسنة ، إن قريشاً قالت زمن الحُدَيْبية دَعُوْا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف[٤] . فلما صالحوه على أن يحجُّوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيامٍ ، فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قبل قُعَيْقِعان[٥] ، فقال رسول الله لأصحابه : ارملوا بالبيت ثلاثاً وليس بسنة . (قلت : يزعم قومك أنّ رسول الله ﷺ طاف بين الصفا والمروة على بعير وأن ذلك سنة ، قال : صدقوا وكذبوا . قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ، قد طاف رسول الله بين الصفا والمروة على بعير وكذبوا ليس بسنة)[٦] كان النّاسُ لا يدفعون عن رسول الله ﷺ ، ولا يصرفون[٧] عنه ، فطاف على بعيرٍ ، ليسمعوا كلامه ، وليروا مكانه ، ولا تناله أيديهم . هكذا رواه أبو داود .

وقد رواه مسلم[٨] عن أبي كامل ، عن عبد الواحد بن زيادٍ ، عن الجُرَيري ، عن أبي الطُّفَيْل ، عن ابن عباس ، فذكر فضلَ الطَّوافِ بالبَيْتِ بنحوِ ما تقدم . ثم قال : قلت لابن عباس : أَخْبِرْني عن الطواف بين الصفا والمروة راكباً أسنَّةٌ هو ؟ فإن قومك يزعمون أنَّهُ سنةٌ ؟ قال : صدقوا وكذبوا . قلت : فما قولك : صدقوا وكذبوا ؟ قال : إن رسول الله كَثُر عليه الناس ، يقولون : هذا محمد ، هذا محمد ! حتى خرج العواتق[٩] من البيوتِ ، وكان رسول الله لا يُضْرَبُ الناسُ بين يديه ، فلما كَثُر عليه الناس ركب . قال ابن عباس : والمشيُ والسَّعْيُ أفضلُ . هذا لفظ مسلم ، وهو يقتضي أنه إنما ركب في أثناء الحال ، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث ، والله أعلم .

---

(١) سنن أبي داود (١٨٨٥) ، وهو حديث صحيح .
(٢) أ : (من سننه) .
(٣) أ : (قد رمل) .
(٤) النَّغَفَ ـ بالتحريك ـ : دودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم ، واحدتها : نَغَفَة . (النهاية : نغف) .
(٥) قُعَيْقعان : بالضم ثم بالفتح ، بلفظ تصغير : وهو اسم جبل بمكة (النهاية ومعجم البلدان) .
(٦) عن أ وحدها دون ط .
(٧) أ : (ولا يضربون) .
(٨) مسلم (١٢٦٤) (٢٣٧) .
(٩) العواتق : جمع العاتق وهي الشابة أول ما تدرك (النهاية : عتق) .

وأما ما رواه مسلم في « صحيحه »[١] حيث قال : حدثنا محمد بن رافع ، حدّثنا يحيى بن آدم ، حدّثنا زهير ، عن عبد الملك بن سعيد ، عن أبي الطُّفيل ، قال : قلت لابن عباس : أُراني قد رأيتُ رسولَ الله ﷺ . قال : فَصِفْهُ لي ! قال[٢] قلت : رأيتُه عند المروة على ناقة (وقد كثر الناسُ عليه ، فقال ابن عباس : ذاك رسول الله ﷺ إنهم كانوا لا يُضربون[٣] عنه ولا يُكْرهون . فقد تفرد به مسلم وليس فيه)[٤] دلالة على[٥] أنه عليه الصلاة والسلام سعى بين الصَّفا والمَرْوة راكباً[٦] ، إذْ لم يُقَيَّد ذلك بحجة الوداع ولا غيرها ، وبتقدير أن يكون ذلك في حجة الوداع ، فمن الجائز أنه عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من السعي وجلوسه على المروة وخطبته الناس وأمره إياهم من لم يَسُقِ الهَدْيَ منهم أن[٧] يفسخ الحج إلى العُمْرة ، فحلَّ الناسُ كلُّهم إلا منْ ساقَ الهَدْيَ ، كما تقدَّم في حديث جابر . ثُمَّ بعدَ هذا كلِّه أُتيَ بناقتِه فركبَها ، وسار إلى منزله بالأبْطَحِ كما سنذكره قريباً . وحينئذ رآه أبو الطُّفَيْل عامر بن واثلة البَكْري ، وهو معدودٌ في صغار الصَّحابة . قلت : أوقد[٨] ذهب طائفة من العراقيين كأبي حنيفة وأصحابه والثوري إلى أن القارن يطوف طوافَيْن ويسعى سَعْيَيْن . وهو مرويٌّ عن عليّ وابن مسعود ومجاهد والشعبي . ولهم أن يحتجّوا بحديثِ جابرٍ الطويل ، دلالة على أنه سعى بين الصفا والمروة ماشياً ، وحديثه هذا أنَّ النبيَّ ﷺ سعى بينهما راكباً على تعداد الطواف بينهما مرة ماشياً ومرة راكباً . وقد روى سعيد بن منصور في سننه[٩] عن علي رضي الله عنه أنه أَهَلَّ بحجةٍ وعُمْرةٍ ، فلما قدم مكةَ طاف بالبيت وبالصفا والمروة لعمرته ، ثم عاد فطاف بالبيت وبالصفا والمروة لحجته ، ثم أقام حراماً إلى يوم النحر . هذا لفظه .

ورواه أبو ذرٍّ الهَرَوي في « مناسكه » عن عليٍّ أنّه جمعَ بين الحجِّ والعمرةِ فطاف لهما طوافين ، وسعى لهما سعيين ، وقال : هكذا رأيتُ رسولَ الله ﷺ فعل .

وكذلك رواه البيهقي والدارقطني[١٠] والنّسائي في « خصائص علي » فقال البيهقي في « سننه »[١١] :

---

(١) مسلم (١٢٦٥) .
(٢) عن أوحدها .
(٣) في صحيح مسلم : « يُدَعُّون » أي : يدفعون .
(٤) ليس ما بين القوسين في أ .
(٥) ليس اللفظ في أ .
(٦) أ : (إذا) .
(٧) ط : (أم) .
(٨) ط : (قد) بلا واو . وقد جاء في أ قبل هذه الفقرة ثلاث فقرات سأشير إليها بعدُ .
(٩) ط : (سند) .
(١٠) سنن الدارقطني ٢/ ٢٦٣ (١٣١) .
(١١) السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ١٠٨ ـ ١٠٩ (٩٢١٠ ـ ٩٢١١) .

أنبأنا أبو بكر بن الحارث الفقيه، أنبأنا علي بن عمر الحافظ: أنبأنا[١] أبو محمد بن صاعد، حدّثنا محمد بن زُنْبور، حدّثنا فُضَيْل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن مالك بن الحارث أو منصور، عن مالك بن الحارث، عن أبي نصر، قال: لقيت علياً وقد أهللتُ بالحجِّ وأهَلَّ هو بالحجّ والعمرة. فقلت: هل أستطيع أن أفعل كما فعلتَ؟ قال: ذلك لو كنتَ بدأتَ بالعمرة. قلت: كيفَ أفعلُ إذا أردتُ ذلك؟ قال: تأخذُ إداوة من ماءٍ فتُفيضها عليك، ثم تُهلُّ بهما جميعاً، ثم تطوفُ لهما طوافَيْن، وتسعى لهما سَعْيَيْن، ولا يَحِلُّ لك حرامٌ دون يوم النحر. قال منصور: فذكرتُ ذلك لمجاهد قال: ما كنا نُفتي إلا بطواف واحد، أما الآن فلا نفعل. قال الحافظ البيهقي: وقد رواه سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وشعبة، عن منصور، فلم يذكُر فيه السعيَ.

قال: وأبو نصر[٢] هذا مجهول، وإن صحّ فَيُحْتَمَلُ أنّه أرادَ طوافَ القُدوم وطوافَ الزيارة.

قال: وقد رُوي بأسانيدَ أُخَر عن علي مرفوعاً وموقوفاً، ومدارها على الحسن بن عُمارة وحفص بن أبي داود، وعيسى بن عبد الله، وحماد بن عبد الرحمن، وكلُّهم ضعيف لا يحتجُّ بشيء مما رَوَوْهُ في ذلك، والله أعلم.

قلت: والمنقول في الأحاديث الصحاح خلاف ذلك، فقد قدّمنا عن ابن عمر في صحيح البخاري أنه أهلَّ بعمرة وأدخل عليها الحج فصار قارناً وطاف لهما طوافاً واحداً بين الحجّ والعمرة. وقال: هكذا فعل رسول الله ﷺ.

وقد روى الترمذي[٣] وابن ماجه[٤] والبيهقي[٥] من حديث الدراوردي، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر. قال: قال رسول الله ﷺ: «منْ جَمَعَ بين الحجِّ والعُمْرة طافَ لهما، طوافاً واحداً، وسعى لهما سَعْياً واحداً». قال الترمذي وهذا حديث حسن غريب. قلت: إسناده على شرط مسلم[٦]. وهكذا جرى لعائشة أم المؤمنين فإنها كانَتْ ممَّنْ أهلَّ بعمرةٍ لعدم سوق الهَدْي معها، فلما حاضَتْ أمرَها رسول الله ﷺ أن تغتسل، وتَهلَّ بحجٍّ مع عمرتها فصارت قارنة، فلما رجعوا من منى طلبت أن يُعْمرَها من بعد الحجّ، فأعمرها تطييباً لقلبها، كما جاء مصرحاً به في الحديث.

---

(١) أ: (حدّثنا).
(٢) أ: (وأبو منصور).
(٣) الترمذي (٩٤٨).
(٤) ابن ماجه (٢٩٧٥).
(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٥/١٠٧ (٩٢٠٩).
(٦) لكنه معلول، ولذلك اقتصر الترمذي على تحسينه.

وقد قال الإمام أبو عبد الله الشافعي[١] : أنبأنا مسلم ـ هو ابن خالد ـ الزنجي ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء أن رسول الله قال لعائشة : « طوافُكِ بالبَيْتِ وبينَ الصَّفَا والمَرْوةِ يكفيكِ لحَجّكِ وعُمْرتِكِ » . وهذا ظاهره الإرسالُ ، وهو مسندٌ في المعنى ، بدليل ما قال الشافعي أيضاً[٢] : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن عَطاءٍ ، عن عائشةَ ، عن النبي ﷺ قال الشافعي ، وربما قال : سفيان ، عن عطاءٍ ؛ عن عائشة ، وربَّما قال : عن عطاءٍ أنّ النبيّ ﷺ قال لعائشة . . . فذكره . قال الحافظ البيهقي : ورواه ابن أبي عمر ، عن سُفيان بن عُيينة موصولاً . وقد رواه مسلم[٣] من حديث وُهَيْبٍ ، عن ابن طاووسٍ عن أبيه[٤] عن عائشة بمثله .

وروى مسلم[٥] من حديث ابن جُرَيْج : أخبرني أبو الزبير : أنّه سمعَ جابراً يقول : دخل رسول الله على عائشة ، وهي تبكي ، فقال : « مالكِ تَبْكين ؟ » قالت : أبكي أنَّ الناسَ حَلّوا ولم أَحِلَّ ، وطافوا بالبيت ولم أَطف وهذا الحج قد حضر . قال : « إن هذا أمرٌ قد كتبه الله على بنات آدم ، فاغتسلي وأهلِّي بحجٍّ » قالت : ففعلت ذلك ، فلما طهُرْتُ قال : « طوفي بالبيتِ وبينَ الصفا والمروة . ثم قد حَلَلْتِ من حَجِّكِ وعمرتكِ » . قالت : يا رسول الله ، إني أجدُ في نفسي من عُمْرتي أني لم أكن طُفْت حتى حَجَجْتُ . قال : اذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التَّنعيم . وله[٦] من حديث ابن جريج أيضاً : أخبرني أبو الزبير سمعت جابراً قال : لم يطف النبيُّ ﷺ وأصحابُه بين الصَّفا والمروة إلا طوافاً واحداً .

وعند أصحاب أبي حنيفة رحمه الله : أنَّ النبيَّ ﷺ وأصحابه الذين ساقوا الهَدْيَ كانوا قد قرنوا بين الحج والعمرة كما دلّ عليه الأحاديث المتقدمة ، والله أعلم .

وقال الشافعي[٧] : أنبأنا إبراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي ، قال في القارن : يطوف طوافَيْن ويسعى سَعْيَين[٨] ، قال الشـافعيُّ : وقال بعض الناس : طوافان وسعيان ، واحتج فيه بروايةٍ ضعيفةٍ عن عليّ . قال : جعفر يروي عن علي قولنا ، ورُوِّيناه عن النبي ﷺ[٩] لكن[١٠]

---

(١) في مسنده (١٠٠٥) ترتيبه .
(٢) في مسنده (١٠٠٦) ترتيبه .
(٣) مسلم (١٢١١) (١٣٢) .
(٤) ط : (عن ابن طاووس عن ابن عباس عن أبيه عن عائشة وأثبت ما في الصحيح) .
(٥) مسلم (١٢١٣) .
(٦) مسلم (١٢١٥) .
(٧) السنن الكبرى للبيهقي ٥/١٠٧ (٩٢٠٩) من طريق الشافعي ، وإسناده ضعيف .
(٨) أ : (سعياً) .
(٩) ليست الصلاة على النبي في ط . ومن هذا اللفظ إلى لفظ (فصل) ليس في أ هنا وإنما جاء قبل ورقة واحدة .
(١٠) من هذا اللفظ إلى كلمة (فصل) جاء في أ قبل صفحات حيث أشرت إليه .

قال أبو داود[١] ، حدّثنا هارون بن عبد الله ، ومحمد بن رافع ، قالا : حدّثنا أبو عاصم ، عن معروف ـ يعني ابن خَرَّبوذ ـ المكي ، حدّثنا أبو الطُّفيل ، قال :

رأيت النبيَّ ﷺ يطوفُ بالبيت على راحلته ، يستلم الركن بِمِحجَنِهِ ثم يُقَبِّله ـ زاد محمد بن رافع ، ثم خرج إلى الصَّفا والمَرْوة ، فطافَ سبْعاً على راحلته .

وقد رواه مسلم[٢] في صحيحه من حديث أبي داود الطيالسي ، عن معروف بن خَرَّبوذَ به بدون الزيادة التي[٣] ذكرها محمد بن رافع . وكذلك رواه عبيد الله بن موسى ، عن معروف بدونها (وأخرجه ابن ماجه من حديث وكيع والطفيل بن موسى عن مسروق بدونها)[٤] .

ورواه الحافظ البيهقي[٥] عن[٦] أبي سعيد بن [أبي] عمرو ، عن الأصمّ ، عن يحيى بن أبي طالب ، عن يزيد بن أبي حكيم ، عن يزيد بن مُلَيْك[٧] ، عن أبي الطُّفَيْل بدونها . فالله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي[٨] : أنبأنا أبو بكر بن الحسن ، وأبو زكريا بن أبي إسحاق ، قالا : حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دُحيم ، حدّثنا أحمد بن حازم ، أنبأنا عُبيد الله بن موسى ، وجعفر بن عون ، قالا : أنبأنا أيمن بن نابلٍ ، عن قدامة بن عبد الله بن عمار ، قال : رأيت رسول الله ﷺ يَسْعى بين الصَّفا والمَرْوة على بعيرٍ لا ضَرْب ولا طَرْد ولا إليك إليك[٩] . وقال البيهقي : كذا قالا . وقد رواه جماعةٌ عن[١٠] أيمن فقالوا : يرمي الجمرة يوم النحر . قال : ويحتمل أن يكونا صحيحين .

قلت : رواه الإمام أحمد في « مسنده »[١١] عن وكيع وقُرّان[١٢] بن تَمّام وأبي قُرَّة موسى بن طارق[١٣]

---

(١) أبو داود (١٨٧٩) ، وهو صحيح .
(٢) رقم (١٢٧٥) .
(٣) أ : (الذي) وهو تحريف .
(٤) ما بين القوسين زيادة عن أ .
(٥) انظر السنن الكبرى ٥/ ١٠٠ـ١٠١ (٩١٦٤ـ٩١٦٧) .
(٦) في أ : (عن أبيه عن أبي سعيد) .
(٧) ط : (مالك) وهو تحريف . انظر التاريخ الكبير ٨/ ٣٥٦ .
(٨) السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ١٠١ (٩١٦٨) .
(٩) قال ابن الأثير : معناه : تنحَّ وأبعد ، وتكريره للتأكيد (النهاية في غريب الحديث : ألى) .
(١٠) ط : (غير) .
(١١) مسند الإمام أحمد ٣/ ٤١٢ ـ ٤١٣ ، وهو حديث صحيح .
(١٢) قُرّان : بضم أوله ، وتشديد الراء ـ ابن تمام الأسدي الكوفي ، نزيل بغداد . مات سنة إحدى وثمانين صدوق ، ربما أخطأ (تقريب التهذيب ـ عوامة ـ ٥٥٤) .
(١٣) ط : (طارف) تحريف انظر تقريب التهذيب ـ عوامة ـ ٥٥١ .

قاضي أهل اليمن ، وأبي أحمد محمد بن عبد الله الزُّبَيْري ، ومعتمر بن سليمان[١] ، عن أيمن بن نابل الحبشي أبي عمران المكي، نزيل عسقلان مولى أبي بكر الصديق[٢]، وهو ثقةٌ جليلٌ من رجال البخاري، عن قُدامة بن عبد الله بن عَمار الكِلابي أنه رأى رسول الله ﷺ يرمي الجمرة يومَ النَّحر من بطن الوادي على ناقة صَهْباء لا ضرب ولا طرد(٥) ولا إليكَ إليكَ . وهكذا رواه الترمذي[٣] ، عن أحمد بن منيع ، عن مروان بن معاوية وأخرجه النسائي[٤] ، عن إسحاق بن راهويه ، وابن ماجه[٥] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، كلاهما عن وكيع ، كلاهما عن أيمن بن نابل ، عن قُدامة كما رواه الإمام أحمد وقال الترمذي : حسن صحيح .

فصـــل

قال جابر في حديثه : حتى إذا كان آخر طوافه عند المروة قال : إني لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لم أسُقِ الهَدْيَ . رواه مسلم . ففيه دلالة على منْ ذهبَ إلى أن السعيّ بين الصفا والمروة أربعة عشر ، كلّ ذهاب وإياب يحسب[٦] مرة . قاله جماعة من أكابر الشافعية . وهذا الحديث ردٌّ عليهم لأنَّ آخر الطواف على[٧] قولهم يكون عند الصفا لا عند المروة ، ولهذا قال أحمد في روايته في حديث جابر : فلما كان السابع عند المروة قال : أيها الناس ، إني لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لم أَسُقِ الهَدْيَ ، وجعلتُها عمرة ، فمنْ لمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فليحلّ وليَجْعَلْها[٨] عُمْرةً . فَحَلَّ النَّاس كلُّهم . وقال مسلم : فَحَلَّ الناسُ كلُّهم وقَصَّروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هَدْيٌ .

فصـــل

روى أمْرَه عليه السلام ، لمن لم يَسُقِ الهَدْي ، بفسخِ الحجّ إلى العمرة خلقٌ من الصَّحابة يطولُ ذكرُنا لهم هنا[٩] ، وموضع سَرْدِ ذلك كتابُ « الأحْكام الكَبير » إن شاء الله . وقد اختلف العلمـاء في ذلك ؛ فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي : كان ذلك من خصائص الصّحابة ، ثم نسخ جواز الفسخِ لغيرهم ، وتمسّكوا بقول أبي ذرٍّ رضي الله عنه : لم يكن فَسْخُ الحجّ إلى العمرة إلا لأصحابِ محمد ﷺ . رواه

---

(١) بعدها في أ : كلهم .
(٢) ليس اللفظ في أ .
(٣) الترمذي (٩٠٣) صحيح .
(٤) النسائي ٥/ ٢٧٠ (٣٠٦١) ، وهو حديث صحيح .
(٥) ابن ماجه (٣٠٣٥) ، وهو حديث صحيح .
(٦) أ : (يحتسب) .
(٧) ط : (عن) تحريف .
(٨) أ : (فليحل فليجعلها) ، وط : (فيحل وليجعلها) وما أثبته منهما معاً .
(٩) أ : (هاهنا) .

مسلم[١] . وأما الإمام أحمد فردَّ ذلك ، وقال[٢] : قد رواه أحد عشر صحابياً ، فأين تقعُ هذه الروايةُ من ذلك ؟ وذهب رحمه الله إلى جواز الفسخ لغير الصحابة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما . بوجوب الفسخ على كل من لم يَسُقِ الهَدْيَ بل عنده أنّه يحلّ شرعاً إذا طاف بالبيت ، ولم يكن ساق هَدْياً صار حلالاً بمجرد ذلك ، وليس عنده[٣] النُّسُكُ إلا القِران لمن ساق الهَدْيَ أو التَّمتّع لمن لم يَسُقْ ، فالله أعلم .

قال البخاري[٤] : حدّثنا أبو النعمان حدثنا[٥] حماد بن زيد ، عن عبد الملك بن جريج ، عن عطاء ، عن جابر ، وعن طاووس ، عن ابن عباس ، قالا : قدم النبيُّ ﷺ وأصحابه صُبْحَ رابعةٍ من ذي الحجة يُهلُّون بالحَجِّ لا يَخْلِطُهُ شيءٌ ، فلما قدمنا أمَرَنا فجعلناها[٦] عمرةً ، وأن نَحِلّ إلى نسائنا ، ففشت في ذلك القالة[٧] . قال عطاء : قال جابر : فيَروحُ أحدُنا إلى منى وذَكَرُهُ يَقْطُرُ مَنِيّاً . قال جابر ـ بكفه ـ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : بلغني أنّ قوماً يقولون كذا وكذا ، والله لأنا أبر وأتقى لله منهم ، ولو أنّي استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما أهديتُ ، ولولا أنّ معي الهَدْي لأحللتُ ، فقام سراقة بن جُعْشُم ، فقال : يا رسول الله هي لنا أو للأبد ؟ فقال : لا ، بل للأبد . وقال[٨] مسلم[٩] : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا الليث ، هو ابن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر : أنّه قال : أقبلنا مُهِلّين[١٠] مع رسول الله بحجٍّ مفردٍ ، وأقبلت عائشةُ بعمرةٍ ، حتّى إذا كُنّا بسَرَف عَرَكت[١١] ، حتى إذا قدمنا طُفْنا بالكَعْبة والصَّفا والمَرْوة، وأمرنا رسول الله ﷺ أن يحلّ منا منْ لم يكن معه هَدْيٌ . قال : فقلنا : حلُّ ماذا ؟ قال : الحِلُّ كلُّه ، فواقَعْنا النساء ، وتَطَيَّبْنا بالطِّيب ، ولبسنا ثيابنا[١٢] ، وليس بيننا وبين عَرَفَة إلا أربع ليالٍ ، فهذان الحديثان فيهما التصريحُ بأنّه عليه الصلاة والسلام قدمَ مكةَ عامَ حجة الوَداع لصبح رابعةِ ذي الحجّةِ ، وذلك يوم الأحد ، حين ارتفع النهارُ وقتَ الضَّحاءِ[١٣]، لأنّ أول ذي الحجة تلك السنة كان يوم الخميس بلا خلاف ، لأن يوم عرفة منه كان يوم

---

(١) مسلم (١٢٢٤) .
(٢) أ : (وقد) بإسقاط الفعل (قال) .
(٣) ط : (عنه) .
(٤) البخاري (٢٣٧١) (٢٥٠٥) .
(٥) ليست (حدّثنا) في ط .
(٦) ط : (فجعلنا) .
(٧) ط : (تلك المقالة) .
(٨) ط : (فقال بل للأبد قال مسلم) .
(٩) مسلم (١٢١٣) .
(١٠) أ : (مهلون) .
(١١) عركت : حاضت (النهاية : عرك) .
(١٢) ط : (ثياباً) .
(١٣) أ : (الضحى) .

الجمعة بنصٍّ حديث عمر بن الخطاب الثابت في « الصحيحين » كما سيأتي . فلما قدم عليه الصلاة والسلام يوم الأحد رابع الشهر بدأ ـ كما ذكرنا ـ بالطّواف بالبيت ، ثم بالسعي بين الصفا والمروة ، فلما انتهى طوافه بينهما عند المروة أمر منْ لم يكن معه هَدْيٌ أن يحلّ من إحرامه حتماً ، فوجب ذلك عليهم لا محالةَ ، ففعلوه وبعضهم متأسّف ، لأجل أنّه عليه الصلاة والسلام لم يَحِلّ من إحرامه لأجل سَوْقِه الهَدْي ، وكانوا يحبون موافقته عليه الصلاة والسلام والتأسِّي به ، فلما رأى ما عندهم من ذلك ، قال لهم : « لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لما سُقت الهَدْي ولجعلتها عمرة » . أي : لو أعلم أن هذا يشقّ[١] عليكم لكنتُ تركتُ سَوْقَ الهَدْيِ حتى أُحِلَّ كما أحللتم ، ومن هاهنا تتَّضح[٢] الدلالةُ على أفضلية التمتع كما ذهب إليه الإمام أحمد أخذاً من هذا ، فإنه قال[٣] : لا أشكُّ أنّ رسول الله ﷺ كان قارناً ، ولكنّ التّمتع أفضل لتأسُّفه عليه ، وجوابه : أنه عليه الصلاة والسلام لم يتأسف على التمتع لكونه أفضلَ من القرانِ في حقِّ منْ ساقَ الهَدْيَ ، وإنما[٤] تأسَّفَ عليه لئلا يَشُقَّ على أصحابه في بقائه على إحرامه وأمره لهم بالإحلال ، ولهذا والله أعلم لمّا تَأَمَّلَ الإمام أحمد هذا السرّ نصَّ في رواية أخرى عنه على أن التمتّعَ أفضلُ في حق منْ لم يَسُقِ الهَدْيَ لأمره عليه الصلاة والسلام ، منْ لمْ يَسُقِ الهَدْيَ من أصحابه بالتمتع[٥] وأن القِرانَ أفضلُ في حقّ منْ ساق الهَدْيَ كما اختار الله عزَّ وجلَّ لنبيّه ، صلوات الله وسلامه عليه ، في حجة الوداع وأمره له بذلك كما تقدم . والله أعلم .

فصــل

ثُمَّ سار صلوات الله وسلامه عليه بعد فراغه من طوافه بين الصّفا والمَرْوة وأمره بالفَسْخ لِمَنْ لم يَسُقِ الهَدْيَ ، والناسُ معه ، حتى نزلَ بالأبطح شَرْقيَّ مكة ، فأقام هُنالكَ بقيةَ يومِ الأحد ويوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء ، حتَّى صَلَّى الصبحَ من يومِ الخميس ، وكلّ ذلك يُصَلِّي[٦] بأصحابه هنالك ، ولم يَعُدْ إلى الكعبة في[٧] تلك الأيام كلها .

قال البخاري[٨] : باب مَنْ لم يقرب الكعبة ولم يَطُفْ حتى يخرج إلى عرفة ويرجع بعد الطواف

(١) ط : (ليشقّ) .
(٢) أ : (تتعطل) .
(٣) ليس اللفظ في أ .
(٤) أ : (فإنما) .
(٥) ليست في ط ، واستدركتها من أ .
(٦) ط : (كل ذلك يصلي) وفي أ : (وكل ذلك لا يصلي) .
(٧) ط : (من) .
(٨) البخاري (١٦٢٥) .

الأول : حدّثنا محمد بن أبي بكر ، حدّثنا فُضَيْل بن سليمان ، حدّثنا موسى بن عقبة ، قال : أخبرني كُرَيْب ، عن عبد الله بن عباس ، قال :

قدم النبيُّ ﷺ مكةَ فطافَ سبعاً[١] وسعى بين الصَّفا والمروة ، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة .

انفرد به البخاري .

فصــل

وقدم في[٢] هذا الوقت ـ ورسول الله ﷺ مُنيخٌ بالبَطْحَاءِ خارجَ مكَّةَ ـ عليٌّ من اليمن ، وكان النبي ﷺ قد بعثه ، كما قدمنا ، إلى اليمن أميراً بعد خالد بن الوليد رضي الله عنهما ، فلما قدم وجد زوجته فاطمةَ بنتَ رسول الله ﷺ قد حلّتْ كما حلّ أزواجُ رسول الله ﷺ والذين[٣] لم يسوقوا الهَدْي ، واكتحلَتْ ، ولبسَتْ ثياباً صبيغاً ، فقال : من أمَرَكِ بهذا ؟ قالت : أبي ، فذهب مُحَرِّشاً عليها إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره أنّها حَلَّتْ ، ولبستْ ثياباً صبيغاً واكتحلتْ ، وزعمَتْ أنّكَ أمَرْتَها بذلك يا رسول الله . فقال : صَدَقَتْ صَدَقَتْ صَدَقَتْ . ثم قال رسول الله ﷺ : بمَ أهْلَلْتَ حين أوْجَبْتَ الحجّ ؟ قال : بإهلالٍ كإهلالِ النبيّ ﷺ . قال : فإنَّ معي الهَدْيَ فلا تَحِلّ ، فكان جماعة الهدي الذي جاء به عليٌّ من اليمن ، والذي أتى به رسول الله ﷺ من المدينة[٤] واشتراه في الطريق مئة من الإبل ، واشتركا في الهَدْي جميعاً ، وقد تقدّم هذا كله في صحيح مسلم رحمه الله .

وهذا التقرير يردّ الرواية التي ذكرها الحافظ أبو القاسم الطبراني[٥] رحمه الله من حديث عكرمة عن ابن عباس : أنَّ علياً تلقَّى النبي ﷺ إلى الجُحْفَة[٦] والله أعلم ، وكان أبو موسى في جملة منْ قدمَ مع عليّ ، ولكنه لم يَسُق هَدْياً فأمره رسول الله ﷺ بأن يَحِلَّ بعد ما طاف للعمرة وسعى ، ففسخ حجّه إلى العمرة ، وصار متمتعاً ، فكان يُفْتي بذلك في أثناء خلافة عمر بن الخطاب ، فلما رأى عمر بن الخطاب أن يفرد الحجَّ عن العمرة ، ترك فُتياه مهابةً لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وأرضاه .

---

(١) ليس اللفظ في البخاري .
(٢) أ : (من) .
(٣) أ : (الذين) بلا واو ، وما أثبته يوافق ما في البخاري .
(٤) أ : (قال : فإن معي الهدي من المدينة واشتراه في الطريق) .
(٥) المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ (١١٥٨٤) .
(٦) الجُحْفَةُ : قال ياقوت : الجحفة على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة ، وقيل على أربع مراحل (معجم البلدان) .

وقال الإمام أحمد[(١)] : حدّثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ، عن عون بن أبي جُحَيْفَة ، عن أبيه ، قال : رأيتُ بلالاً[(٢)] يُؤَذِّنُ ويدورُ ، وأتتبع[(٣)] فاه هاهنا وهاهنا وأصبعاه في أذنيه[(٤)] . قال : ورسول الله ﷺ في قُبَّةٍ له حمراء أُراها من أَدَم . قال[(٥)] فخرجَ بلالٌ بين يديه بالعَنزة[(٦)] فركزها فصلَّى رسول الله ﷺ قال عبد الرزاق : وسمعته بمكة ، قال : ـ بالبطحاء ـ ويمرُّ بين يديه الكلبُ والمرأةُ والحمارُ ، وعليه حُلَّةٌ حمراء ، كأني أنظرُ إلى بريق ساقيه . قال سفيان : نراها حِبَرَةً .

(وقال أحمد[(٧)] : حدّثنا)[(٨)] وكيع ، حدّثنا سفيان ، عن عون بن أبي جحيفة[(٩)] عن أبيه . قال : أتيت النبي ﷺ بالأبْطَح ، وهو في قُبَّةٍ له حمراء ، فخرج[(١٠)] بلالٌ بفضل وضوئه ، فمن ناضح ونائل[(١١)] . قال : فأذَّن بلال ، فكنت أَتتبَّع فاه هكذا وهكذا ـ يعني يميناً وشمالاً ـ قال : ثم رَكَزْتُ له عَنَزَةً ، فخرج رسول الله ﷺ وعليه جبة له حمراء ، أو حلة حمراء ، وكأنّي أنظر إلى بريق ساقيه ، فصلى بنا إلى عَنَزةٍ الظهرَ أو العصرَ ركعتين ، تمرُّ المرأةُ والكلبُ والحمارُ لا يمنعُ ، ثم لم يزل يُصَلِّي ركعتين حتى أتى المدينة . وقال مرة[(١٢)] : فصلَّى الظهرَ ركعتين ، والعصرَ ركعتين . وأخرجاه في « الصحيحين »[(١٣)] من حديث سفيان الثوري .

وقال أحمد[(١٤)] أيضاً : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة ، (ح) وحجاج [أخبرني شعبة] عن الحكم ، سمعت أبا جحيفة قال : خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء ، فتوضأ وصلى الظهرَ ركعتين ، وبين يديه عَنَزة . وزاد فيه عون عن أبيه أبي جحيفة : وكان يمرُّ من ورائها[(١٥)] الحمارُ والمرأةُ .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤/٣٠٨ ، وهو حديث صحيح .
(٢) ط : (رأيت بلال) خطأ .
(٣) أ ، ط : (يتبع) وما أثبته عن المسند وهو الأشبه .
(٤) ط : (أذنه) تصحيف .
(٥) ط : (قال : قال) .
(٦) العَنَزة : مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً ، وفيها سنان مثل سنان الرمح (النهاية : عنز) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/٣٠٨) .
(٨) ما بين القوسين زيادة عن أ .
(٩) ليس اللفظ في أ . (وانظر تقريب التهذيب ـ عوامة ـ ٤٣٣) .
(١٠) أ : (قال : فخرج) .
(١١) قال ابن الأثير تعليقاً على هذا الحديث : (أي مُصيب منه وآخِذ) . (نهاية الأرب : نيل) .
(١٢) في المسند : (وقال وكيع مرة) .
(١٣) البخاري (٦٣٤) ومسلم (٥٠٣) (٢٤٩) .
(١٤) مسند الإمام أحمد (٤/٣٠٩) .
(١٥) ط : (من ورائنا) .

قال حجاج في الحديث : ثم قام الناسُ ، فجعلوا يأخذونَ يدَه ، فيمسحون بها وجوههم . قال : فأخذتُ يَدَه فوضَعْتُها على وجهي ، فإذا هي أبردُ من الثَّلْج ، وأطيبُ ريحاً من المسك . وقد أخرجه[١] صاحبا الصحيح[٢] من حديث شعبة بتمامه .

فصـــل

فأقام عليه السلام بالأبطح ـ كما قدمنا ـ يوم الأحد ويوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، وقد حلَّ الناسُ إلا من ساق الهَدْيَ .

وقدمَ في هذه الأيام عليُّ بن أبي طالب من اليَمَن بمنْ مَعَهُ من المُسلمين ومامعه من الأموال ، ولم يَعُدْ عليه الصلاة والسلام إلى الكَعْبة بعدما طافَ بها ، فلما أصبحَ عليه السلامُ يومَ الخميس صلَّى بالأبطح الصبحَ من يَوْمئذٍ ، وهو يوم التَّروية ، ويقال له : يومُ مِنىً ، لأنه يُسارُ فيه إليها . وقد رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ خطبَ قبلَ هذا اليوم ، ويقال للذي قبلَه فيما رأيتُه في بعض التّعاليق : يومُ الزِّينة ، لأنّه تُزَيَّن[٣] فيه البُدْنُ بالجِلال ، ونحوها ، فالله أعلم .

قال الحافظ البيهقي[٤] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أحمد بن محمد بن جعفر الجُلوديُّ ، حدّثنا محمد بن إسماعيل بن مِهْران ، حدّثنا محمد بن يوسف ، حدّثنا أبو قُرَّةَ ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا كان قبل[٥] يوم التروية خطبَ النّاس فأخبرهم بمناسكهم .

فركبَ عليه السلام ، قاصداً إلى منىً قبلَ الزّوال ، وقيل بعده ، وأحْـرَمَ الّذين كانوا قد حَلّوا بالحجِّ من الأبطح حين توجَّهوا إلى منىً ، وانبعثت رواحلهم نحوها .

قال عبد الملك ، عن عطاء ، عن جابر بن عبد الله : قدمنا مع رسول الله ﷺ فأحْلَلْنا حتّى كان يومُ التَّروية ، وجعلنا مكة منّا بظَهْرٍ ، لَبَّيْنا بالحَجِّ .

ذكره البخاري[٦] تعليقاً مجزوماً .

وقال مسلم[٧] : ثنا محمد بن حاتم ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جُرَيْج ، أخبرني أبو الزبير ، عن جابر . قال :

---

(١) أ : (أخرجاه) على لغة أكلوني البراغيث .
(٢) البخاري رقم (١٨٧) ومسلم (٥٠٣) (٢٥٢) .
(٣) ط : (يزين) .
(٤) ليس لفظ « الحافظ » في أ ، والحديث في السنن الكبرى (٥/ ١١١) (٩٢١٩) .
(٥) ط : (إذا خطب يوم التروية) .
(٦) البخاري قبل (١٦٥٣) .
(٧) مسلم (١٢١٤) .

أمرنا رسول الله ﷺ لما أحللنا أن نحرم إذا توجهنا إلى منى . قال : وأهللنا من الأبطح[١] .

وقال عُبَيْد بن جُرَيْج لابن عمر : رأيتُكَ إذا كنتَ بمكة أهلَّ الناسُ إذا رأوا الهلال ، ولم تُهِلّ أنتَ حتى يوم التَّرْويةِ . فقال : لم أر النبيَّ ﷺ يُهلّ بها[٢] حتى تَنْبعثَ به راحلتُه . رواه البخاري[٣] في جملة حديث طويل .

قال البخاري[٤] : وسئل عطاء عن المجاور[٥] منىً يُلَبِّي بالحجِّ . فقال : كان ابنُ عمر يُلبِّي يوم التروية إذا صلَّى الظُّهْر ، واستوى على راحلته .

قلت : هكذا كان ابنُ عمر يَصنَعُ إذا حجَّ مُعْتمراً ؛ يحلُّ من العمرة ، فإذا كان يوم الترويةِ لا يُلَبِّي حتى تنبعثَ به راحلتُه مُتَوَجِّهاً إلى مِنًى ، كما أحرم رسول الله ﷺ من ذي الحُلَيْفة بعدما صلَّى الظُّهْرَ وانْبَعَثَتْ به راحلتُه ، لكن يوم التروية لم يُصَلِّ النبيُّ ﷺ الظهر بالأبْطَح ، وإنّما صلاها يَوْمَئِذٍ بمنىً ، وهذا مما لا نزاع فيه . وقال البخاري[٦] باب أين يصلي[٧] الظهر يومَ التَّرْوية : حدّثنا عبد الله بن محمد ، حدّثنا إسحاق الأزْرق ، حدّثنا سُفيان ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع . قال : سألت أنسَ بن مالك قلت[٨] : أخبرني بشيء عَقَلْتَهُ عن[٩] رسول الله ﷺ أين صلَّى[١٠] الظُّهْرَ والعَصْرَ يومَ التَّرْوية ؟ قال : بمنىً . قلت : فأين صَلَّى العَصْرَ يَوْمَ النَّفْرِ ؟ قال : بالأبْطَح . ثم قال : افعل كما يفعلُ أُمراؤُكَ .

وقد أخرجه بقيَّةُ الجَماعةِ[١١] إلا ابن ماجه ، من طرقٍ ، عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان الثوري به . وكذلك رواه الإمام أحمد[١٢] ، عن إسحاق بن يوسف[١٣] الأزرق به . وقال الترمذي : حسن صحيح يستغرب من حديث الأزرق ، عن الثوري .

---

(١) أ : (وأهللنا بالأبطح) .
(٢) عن أ وحدها .
(٣) البخاري رقم (١٦٦) .
(٤) البخاري معلقاً قبل (١٦٥٣) .
(٥) أ ، ط : (المجاوز) .
(٦) هو في صحيح البخاري (١٦٥٣) .
(٧) أ : (صلى النبي ﷺ) .
(٨) ط : (قال : قلت) .
(٩) ط ، أ : (عقلت من) وما أثبته عن صحيح البخاري .
(١٠) ط : (يصلي) .
(١١) مسلم (١٣٠٩) ، والترمذي (٩٦٤) وأبو داود (١٩١٢) ، والنسائي (٥/ ٢٤٩) (٢٩٩٧) .
(١٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٠٠) .
(١٣) ليس اللفظ في أ ، وانظر المسند (٣/ ١٠٠) .

ثم قال البخاري[١] أنبأنا علي ، سمع أبا بكر بن عيَّاش ، حدّثنا عبد العزيز بن رُفَيْع ، قال : لقيتُ أنسَ بن مالك ، وحدّثني إسماعيل بن أبان ، حدّثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن عبد العزيز ، قال : خرجتُ إلى منىً يومَ التَّروية ، فلقيتُ أنساً ذاهباً على حمار ، فقلت : أين صلّى النبيُّ ﷺ هذا اليومَ الظهرَ ؟ فقال انظُرْ حَيْثُ يُصَلِّي أمراؤُكَ فَصَلِّ .

وقال أحمد[٢] : حدّثنا أَسْوَد بن عامر ، حدّثنا أبو كدَيْنة[٣] ، عن الأعمش ، عن الحَكَم[٤] عن مِقْسَم ، عن ابن عباس : أنَّ رسول الله ﷺ صلَّى خمس صلوات بمنى .

وقال أحمد[٥] أيضاً ، حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا أبو مُحَيّاة يحيى بن يَعْلَى التَّيْمي ، عن الأعْمَش ، عن الحَكَم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس : أنَّ النبيَّ ﷺ صَلَّى الظهرَ يومَ التروية بمنىً ، وصَلَّى الغداة يوم عرفة بها .

وقد رواه أبو داود[٦] ، عن زُهَير بن حَرْب ، عن أحْوَص بن جَوّاب[٧] ، عن عمار بن رُزَيْق[٨] ، عن سليمان بن مِهْران الأعْمَش به ، ولفظه : صلَّى رسول الله ﷺ الظُّهْرَ يوم التَّروية والفجر يومَ عرفة بمنى[٩] .

وأخرجه الترمذي[١٠] ، عن الأشج ، عن عبد الله بن الأجْلَح ، عن الأعمش بمعناه ، وقال : ليس هذا مما عدَّه شعبة فيما سمعه الحكم عن مِقْسَم[١١] .

---

(١) صحيح البخاري (١٦٥٤) .
(٢) أ : (قال) ، والحديث في مسند الإمام أحمد (١/ ٢٩٧ ، ٣٠٣) .
(٣) أ : (أبو كرنبة) وهو تحريف . وأبو كدينة بالتصغير ـ اسمه يحيى بن المُهَلَّب البجلي أبو كُدَيْنة الكوفي روى عن الأعمش وغيره ، وروى عنه أسود بن عامر (انظر تهذيب التهذيب (١١/ ٢٨٩) ، وتقريبه ـ عوامة ـ ٥٩٧) .
(٤) ط : (الحكيم) وهو تحريف . والحكم هو ابن عُتَيْبَة أبو محمد الكندي مولاهم الكوفي ، ويقال : أبو عمرو ، ويقال : أبو عبد الله . حدث عن مِقْسَم وغيره ، وعنه الأعمش وغيره . مات سنة خمس عشرة ومئة وقيل أربع عشرة . (سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٠٨ ـ ٢١٣) ، وتهذيب التهذيب (٢/ ٤٣٢) .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٩٧) .
(٦) أبو داود (١٩١١) .
(٧) ط : (عن جواب) . وهو تحريف . انظر تهذيب التهذيب (١/ ١٩١) ، وتقريبه (٩٦) .
(٨) أ : (زريق) تحريف ، وهو عمار بن رُزَيق بتقديم الراء ـ مصغراً ـ (تقريب التهذيب ٤٠٧) .
(٩) ط : (ولفظه ﷺ الظهر يوم عرفة بمنى) .
(١٠) رواه الترمذي رقم (٨٨٠) .
(١١) قال بشار : أعل الإمام الترمذي هذا الحديث بالانقطاع ، فهذا الحديث لم يسمعه الحكم بن عتيبة من مقسم ، فإنه لم يسمع منه إلا خمسة أحاديث وهي : حديث الوتر ، والقنوت ، وعزمة الطلاق ، وجزاء الصيد ، والرجل الذي يأتي امرأته وهي حائض ، فهذا ليس منها ، ومن ثم فإن تصحيح محققي مسند أحمد لهذا الحديث (١/ ٢٩٧ و٣٠٣) فيه نظر .

وقال الترمذي[(١)] : حدّثنا أبو سعيد الأشَجُّ ، حدّثنا عبد الله بن الأجْلَح، عن إسماعيل بن مسلم ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : صَلَّى بنا رسول الله بمِنَى الظُّهْرَ والعَصْرَ والمَغْربَ والعِشاءَ والفَجْر ، ثم غدا إلى عرفاتٍ .

ثم قال : وإسماعيل بن مسلم قد تُكلِّم فيه .

وفي الباب عن عبد الله بن الزبير ، وأنس بن مالك .

وقال الإمام أحمد[(٢)] : [حدّثنا يزيد بن عبد ربه ، حدّثنا الوليد بن مسلم[(٣)] عن عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة] عَمَّنْ رأى النبيَّ ﷺ أنّه راحَ إلى منى يومَ التَّرْوية ، وإلى جانبه بلال[(٤)] بيده عودٌ عليه ثوبٌ يُظَلِّلُ به رسولَ الله ﷺ ـ يعني من الحَرِّ ـ تَفَرَّدَ به أحمد .

وقد نصَّ الشافعيُّ على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ رَكِبَ من الأبْطَح إلى مِنىً بعدَ الزَّوالِ ، ولكنه إنَّما صَلَّى الظُّهْرَ بمنًى ، فقد يُسْتَدَلُّ له بهذا الحديث . والله أعلم .

وتقدمَ في حديث جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : فحَلَّ الناسُ كُلُّهُمْ وقَصَّروا إلا النبيَّ ﷺ ، ومنْ كانَ مَعَهُ هَدْيٌ ، فلمّا كانَ يومُ التَّروية تَوَجَّهوا إلى مِنًى فأَهَلُّوا بالحج ، وركب رسول الله ﷺ فَصَلّى بها الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ والفجرَ ، ثم مكثَ قليلاً حتى طلعَتِ الشَّمْسُ ، وأمر بقُبَّةٍ له من شَعْرٍ ، فضُربتْ له بنَمِرة[(٥)] فسار رسول الله ﷺ ، ولا تشُكُّ قُرَيْشٌ إلا أنَّه واقِفٌ عِندَ المَشْعر الحَرام ، كما كانت قريشٌ تَصْنَعُ في الجاهلية ، فاجتاز[(٦)] رسول الله ﷺ حتَّى أتى عَرَفَةَ ، فوجد القُبَّة قد ضُربت له بنَمِرة فنزل بها ، حتّى إذا زاغت الشَّمْسُ أمرَ بالقَصْواءِ فرُحلَتْ له ، فأتى بطنَ الوادي فخَطَبَ النّاسَ ، وقال :

« إنَّ دماءَكُمْ وأموالَكُم حرامٌ عليكم ، كحُرْمةِ يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كُلُّ شيء من أمْرِ الجاهلية موضوع تحت قدميَّ ، ودماءُ الجاهليّة موضوعةٌ ، وإنَّ أولَ دمٍ أضَعُ من دمائِنا دمُ ابن ربيعة بن الحَارث، وكان[(٧)] مُسْترضعاً في بني سَعْدٍ فقتلتْهُ هُذَيْل. وربا الجاهلية موضوع، وأوّلَ ربا أضعُ ربانا، ربا العباس بن عبد المطلب ، فإنّه موضوع كلُّه ، واتقوا اللهَ في النِّساء ، فإنّكم أخذْتُموهن بأمانةِ اللهِ ، واسْتَحْلَلْتُمْ فُروجَهُنَّ بكلمةِ اللهِ ، ولكم عليهن أن لا يُوطئنَ فُرُشَكُم أحداً تكرَهُونَهُ ، فإن فَعَلْنَ ذلك

(١) الترمذي (٨٧٩) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٦٨) وما بين المعقوفتين مستدرك عنه ، وإسناده ضعيف .
(٣) في الأصول : الوليد أبو مسلم ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٤) بعد هذا اللفظ في أ : (قال) .
(٥) زيادة من أ .
(٦) ط : (فأجاز) .
(٧) أ : (كان) بلا واو .

فاضْرِبوهنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، ولهنَّ عليكُم[(١)] رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتهنَّ بالمعروف ، وقد تركتُ فيكم ما لن تَضِلُّوا بَعْدَه[(٢)] إن اعْتَصَمْتُم به ؛ كتابَ اللهِ ، وأنتم تُسْألُونَ عنّي فما أنْتُمْ قائِلون ؟ قالوا : نَشْهَدُ أنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وأدَّيْتَ ونَصَحْتَ . فقال بإصْبعِهِ السَّبابَةِ يَرْفَعُها إلى السماء ويَنْكُتُها إلى[(٣)] الناس ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللهمَّ اشْهَدْ ، اللهُمّ اشْهد ، ثلاث مرات .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي[(٤)] : أنبأنا عليُّ بن حُجْرٍ [أنبأنا جرير] عن مغيرة ، عن موسى بن زياد بن حِذْيَم بن عَمْرٍو السَّعدي عن أبيه عن جده ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقولُ في خطبته يوم عَرَفَة في حجَّةِ الوداع : « اعْلَموا أنَّ دماءَكُمْ وأمْوالَكُمْ وأعْراضَكُمْ حرامٌ عليكمْ كحُرْمة يومكم هذا ، كحُرْمةِ شَهْرِكُم هذا ، كحُرْمَةِ بَلَدكُمْ هذا » .

وقال أبو داود[(٥)] : باب الخُطبة على المنبر بعرفة، حدّثنا هَنّادٌ عن ابن أبي زائدة ، حدّثنا سُفيان بن عُيَيْنة، عن زيد بن أسلم، عن رجل من بني ضَمْرَة، عن أبيه أو عمه. قال: رأيتُ رسول الله ﷺ وهو على المنبر بعَرَفَة.

وهذا الإسناد ضعيف . لأنّ فيه رجلاً مُبْهَماً ، ثم تقدَّم في حديث جابرٍ الطويل أنَّه عليه الصلاة والسلام خَطَب على ناقته القَصْواء .

ثم قال أبو داود[(٦)] : ثنا مُسَدّد ، ثنا[(٧)] عبد الله بن داود ، عن سلمة بن نُبَيْط ، عن رجل من الحي ، عن أبيه نُبَيْط : أنه رأى رسول الله ﷺ واقفاً بعَرَفَةَ على بعيرٍ أحمَرَ يخطبُ . وهذا فيه مُبْهمٌ أيضاً ، ولكن حديث جابر شاهدٌ له .

ثم قال أبو داود[(٨)] : حدّثنا هَنَّاد بن السَّرِيّ ، وعثمان بن أبي شيبة ، قالا : ثنا وكيعٌ ، عن عبد المجيد[(٩)] أبي عَمْرو ، قال : حدّثني العَدّاءُ بن خالد بن هَوْذَة ـ وقال هَنَّاد : عن عبد المجيد ، حدّثني خالد بن العَدّاء بن هَوْذَة ـ قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يخطبُ الناسَ يومَ عرفةَ على بعيرٍ قائماً في

(١) ليس اللفظ في أ .
(٢) ط : (بعدي) .
(٣) أ ، ط : (على) وما هنا عن مسلم (١٢١٨) .
(٤) السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٢٢) (٤٠٠٢) وفيه (أنبأنا جرير عن مغيرة) .
(٥) رقم (١٩١٥) .
(٦) أبو داود (١٩١٦) .
(٧) ليس اللفظ في ط ، واستدركته من أ .
(٨) أبو داود (١٩١٧) و(١٩١٨) ، وهو حديث صحيح .
(٩) ط : (عن عبد المجيد بن أبي عمرو) . وانظر تهذيب الكمال (١٨/ ٢٧٦) .

الرّكابَيْن . قال أبو داود : رواه ابنُ العَلاء ، عن وكيع ، كما قال هَنّاد ، وحدّثنا عباسُ بنُ عبد العظيم ، حدّثنا عثمانُ بن عمر ، حدّثنا عبد المجيد أبو عمرو ، عن العَدّاء بن خالد بمعناه .

وفي الصحيحين[١] عن ابن عباس . قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يخطبُ بعرفاتٍ : منْ لمْ يَجدْ نَعْلَيْن فَلْيَلْبسِ الخُفَّين ، ومنْ لم يجد إزاراً فَلْيَلْبِسِ السَّراويل للمُحرِمِ .

وقال محمد بن إسحاق[٢] : حدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عَبّاد ، قال : كان الرجلُ الذي يصرُخُ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعةَ بنَ أميَّةَ بن خلف ، قال يقول له[٣] رسول الله ﷺ قُلْ : أيُّها الناس إنَّ رسولَ الله ﷺ يقول : هل تَدْرون أيّ شَهْرٍ هذا ؟ فيقولون : الشَّهْرُ الحرامُ . فيقول : قُلْ لهم : إنَّ اللهَ قد حَرَّمَ عليكم دِماءَكُمْ وأموالكم كحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هذا . ثم يقول : قل : أيُّها النّاس إنَّ رسولَ الله يقول : هَلْ تَدْرُونَ أيَّ بلدٍ هذا ؟ وذكر تمام الحديث .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثني ليثُ بن أبي سُلَيم ، عن شهر بن حَوْشَب ، عن عمرو[٤] بن خارجة ، قال : بعثني عَتّاب بن أَسيد إلى رسول الله ﷺ ، وهو واقف بعرفة في حاجة فبلَغْتُهُ ، ثم وقفت[٥] تحت ناقته وإنَّ لعابَها ليقَعُ على رأسي ، فسمعتُهُ يقول : أيُّها النّاس إنّ اللهَ [قد] أدّى إلى[٦] كل ذي حَقٍّ حَقَّهُ ، وإنه لا تجوز[٧] وصيةٌ لوارثٍ ، والولدُ للفِراش ، ولِلْعاهِرِ الحَجَرُ ، ومنِ ادّعى إلى غير أبيه ، أو تَوَلّى غيرَ مواليه ، فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يقبلُ اللهُ له صَرْفاً ولا عَدْلاً .

ورواه الترمذي[٨] والنسائي[٩] وابن ماجه[١٠] من حديث قَتادة ، عن شَهْرِ بن حَوْشب ، عن عبد الرحمن بن غَنْم ، عن عمرو بن خارجة به . وقال الترمذي : حسن صحيح . قلت : وفيه اختلاف على قتادة ، والله أعلم . وسنذكر الخطبةَ التي خطبها عليه الصلاة والسلام بعد هذه الخطبة يوم النحر ، وما فيها من الحكم والمواعظ والتفاصيل والآداب النبوية إن شاء الله .

---

(١) صحيح البخاري (١٨٤١) ومسلم (١١٧٨) .
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠٥) .
(٣) عبارة (يقول له) زيادة عن أ وليست في ط .
(٤) أ : (عمر) .
(٥) أ : (وقف) .
(٦) ليس اللفظ في ط وزدته عن أ .
(٧) ط : (لا يجوز) .
(٨) الترمذي (٢١٢١) ، وهو حديث صحيح .
(٩) النسائي (٦/ ٢٤٧) (٣٦٤٣) وهو صحيح .
(١٠) ابن ماجه (٢٧١٢) وهو صحيح .

وقال[١] البخاري : باب التلبية والتكبير إذا غدا من منى إلى عرفة ، حدّثنا عبدُ الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن محمد بن أبي بكر الثقفي ، أنه سأل أنس بن مالك ، وهما غاديان من منى إلى عرفة : كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان يهلُّ منّا المُهِلُّ فلا يُنْكر عليه ، ويكبّر المُكَبِّر منا فلا يُنْكر عليه . وأخرجه مسلم[٢] من حديث مالك وموسى بن عقبة ، كلاهما عن محمد بن أبي بكر بن عوف بن رياح الثقفي الحجازي ، عن أنس به .

وقال البخاري[٣] : حدّثنا عبد الله بن مَسْلَمة[٤] ، حدّثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله أن[٥] عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج بن يوسف أن يأتمّ بعبد الله بن عمر في الحج ، فلما كان يوم عرفة جاء ابن عمر ، وأنا معه ، حين زاغت الشمس ـ أو زالت الشمس[٦] ـ فصاح عند فُسْطاطه أين هذا فخرجَ إليه . فقال ابن عمر : الرَّواحَ . فقال : الآن ؟ قال : نعم ! فقال : أَنْظِرْني حتى أُفيضَ عليَّ ماءً ، فنزل ابن عمر حتى خرج ، فسار بيني وبين أبي ، فقلتُ : إن كنتَ تريدُ أن تصيبَ السنةَ اليوم ، فأقْصُرِ الخطبةَ وعَجِّلِ الوقوفَ ، فقال ابن عمر : صدقَ ، ورواه البخاري أيضاً ، عن القعنبي[٧] ، عن مالك به . وأخرجه النّسائي[٨] من حديث أشهب وابن وهب عن مالك .

ثم قال البخاري[٩] بعد روايته هذا الحديث : وقال الليث : حدّثني عقيل ، عن ابن شهاب ، عن سالم : أنَّ الحجاج عامَ نزلَ بابن الزبير سأل عبدَ الله كيفَ تصنعُ في هذا الموقف فقال[١٠] : إن كنتَ تريدُ السنة فهجِّر بالصلاة يوم عرفة . فقال ابن عمر : صدَق ، إنهم كانوا يجمعون بين الظُّهر والعصر في السّنة ، فقلت لسالم : أفَعَلَ ذلك رسولُ الله ﷺ ؟! فقال : هل تَبْتغون بذلك إلا سُنَّتَه .

وقال أبو داود[١١] : ثنا أحمد بن حنبل ، ثنا يعقوب ، ثنا أبي[١٢] ، عن ابن إسحاقَ ، عن نافع ، عن

(١) ط : (قال) بلا واو . وهو في البخاري (١٦٥٩) .
(٢) مسلم (١٢٨٥) .
(٣) البخاري (١٦٦٣) .
(٤) أ : (مسلم) وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٥٧) .
(٥) ط : (أن عبد الله بن عبد الملك) .
(٦) البيت عبارة (أو زالت الشمس) في أ .
(٧) مكان هذا الراوي في صحيح البخاري (١٦٦٠) (عبد الله بن يوسف) ، فلعله اشتبه عليه بعبد الله بن مسلمة .
(٨) سنن النسائي (٥/ ٢٥٢) (٣٠٠٥) ، (٥/ ٢٥٤) (٣٠٠٩) .
(٩) البخاري (١٦٦٢) معلقاً .
(١٠) أ : (فقلت) وفي البخاري (فقال سالم) .
(١١) أبو داود (١٩١٣) ، وهو حديث حسن .
(١٢) ط : (حدّثنا أبي عوف وما هنا عن أبي داود) .

ابن عمر : أنّ رسولَ الله ﷺ غدا من مِنًى حينَ صَلَّى الصُّبحَ صَبيحة يوم عرفة ، فنزل بنَمِرة ، وهي منزل الإمام الذي ينزلُ به بعرفة ، حتّى إذا كان عندَ صلاة الظُّهر ، راح رسول الله ﷺ مُهَجِّراً ، فجمع بين الظّهر والعصر ، وهكذا ذكر جابر في حديثه بعدما أورد الخطبة المتقدمة ، قال : ثم أذن بلالٌ ، ثم أقام فصلّى الظهر ، ثم أقام فصلَّى العصر ، ولم يُصَلِّ بينهما شيئاً . وهذا يقتضي أنّه عليه الصلاة والسلام خطبَ أولاً ، ثم أُقيمت الصلاة ، ولم يتعرَّضْ للخطبة الثانية .

وقد قال الشافعي[(١)] : أنبأنا إبراهيم بن محمد وغيره ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر في حجَّةِ الإسلام[(٢)] قال : فراح النبيّ ﷺ إلى الموقف بعرفة ، فخطبَ النّاسَ الخطبة الأولى ، ثم أَذَّنَ بلالٌ ، ثم أخذ النبي ﷺ في الخطبة الثانية ، ففرغ من الخطبة ، وبلال من الأذان ، ثم أقام بلال فصلَّى الظهرَ ثم أقام فصلَّى العصرَ . قال البيهقيّ : تفرَّدَ به إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى .

قال مسلم : عن جابر ثمَّ ركبَ رسولُ الله ﷺ حتَّى أتى الموقفَ فجعل بطنَ ناقته القَصْواء إلى الصَّخرات وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة .

وقال البخاري[(٣)] : حدثنا يحيى بن سليمان ، عن ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بُكَيْر ، عن كُرَيْب ، عن ميمونة : أنّ النّاسَ شَكُّوا في صيام النبيّ ﷺ [يوم عرفة] ، فأرسلتُ إليه بحِلابٍ[(٤)] ، وهو واقف في الموقف ، فشربَ منه ، والناس ينظرون . وأخرجه مسلم[(٥)] ، عن هارون بن سعيد الأيْلي ، عن ابن وهب به .

وقال البخاري[(٦)] : أنبأنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك عن أبي[(٧)] النَّضْر مولى عمر بن عبيد الله ، عن عُمَيْر مولى ابن عباس ، عن أمّ الفَضْل بنت الحارث : أنّ ناساً تمارَوْا عندَها يومَ عرفَة في صوم النبي ﷺ فقال بعضُهم : هو صائمٌ ، وقال بعضُهم: ليس بصائمٍ[(٨)] ، فأرسلتُ إليه بقَدحِ لبنٍ، وهو واقفٌ على بعيره ، فشربه .

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١١٤) (٩٢٣٨) من طريق الشافعي ، وهو في مسنده (١/ ٣٢) .
(٢) ط : (الوداع) وهي رواية الشافعي .
(٣) البخاري (١٩٨٩) .
(٤) « الحِلاب والمِحْلَبُ » : الإناء لذي يُحْلَبُ فيه اللبن (النهاية في غريب الحديث والأثر : حلب) .
(٥) مسلم (١١٢٤) .
(٦) البخاري (١٩٨٨) .
(٧) اللفظة زيادة عن (أ) ليست في صحيح البخاري .
(٨) أ : (ليس هو بصائم) .

ورواه مسلم[١] من حديث مالك أيضاً . وأخرجاه من طرق أخر عن أبي النضر به[٢] .

قلتُ : أمُّ الفضل هي أختُ ميمونةَ بنتِ الحارثِ أمِّ المؤمنين ، وقصَّتُهما واحدةٌ . والله أعلم . وصح إسناد الإرسال إليهما لأنه من عندهما[٣] ، اللَّهمَّ إلا أن يكونَ بعدَ ذلك ، أو تَعَدَّدَ الإرْسالُ من هذه ومن هذه ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا إسماعيل ، ثنا أيوب ، قال : لا أدري أَسَمِعْتُهُ من سعيدِ بن جُبَيْر أم نُبِّئْتُه[٥] عنه . قال : أتيتُ على ابن عباس ، بعرفة[٦] ، وهو يأكل رُمّاناً . وقال : أفطر رسول الله ﷺ بعرفة ، وبعثَتْ إليه أمُّ الفضل بلبنٍ فشربه .

وقال أحمد[٧] : ثنا وكيع ، ثنا ابن أبي ذِئْب ، عن صالح مولى التَّوْأمة ، عن ابن عباس : أَنَّهم تمارَوْا في صَوْمِ النبيِّ ﷺ يومَ عرفةَ . فأرسلَتْ أمُّ فضلٍ إلى رسول الله بلبنٍ فشربه .

وقال الإمام أحمد[٨] : ثنا عبد الرزاق وابن بكر[٩] قالا : أنبأنا ابن جُرَيْج قال : قال عطاء : دعا عبدُ الله بن عَبّاسٍ الفضلَ بنَ عبّاس إلى الطعام يومَ عرفةَ فقال : إنِّي صائمٌ . فقال عبد الله : لا تَصُمْ ، فإنَّ رسولَ الله قُرِّبَ إليه حِلابٌ[١٠] فيه لبنٌ يومَ عرفةَ فشربَ منه ، فلا تَصُمْ ، فإنَّ النّاسَ مُسْتَنُّون بكم .

وقال ابن بَكْرٍ وروح[١١] : إنّ الناس يستنون[١٢] بكم .

وقال البخاري[١٣] : حدّثنا سليمان بن حرب ، حدّثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بينا رجلٌ واقفٌ مع النبي ﷺ بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته ـ أو قال

---

(١) مسلم (١١٢٣) (١١٠) .
(٢) البخاري رقم (١٦٥٨) ومسلم (١١٢٣) (١١١) .
(٣) ط : (إليه لأنه من عندها) .
(٤) المسند (١/ ٣٥٩) (٣٣٧٦) ، وهو حديث صحيح .
(٥) أ : (بنيه) تحريف ، وانظر تقريب التهذيب ٥٥٩ .
(٦) ط : (وهو بعرفة) .
(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٤٤) (٣٢١٠) ، وإسناده حسن .
(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٦٧) (٣٤٧٦) ، وهو حديث حسن بطرقه .
(٩) أ : (ابن بكير) وط : (وأبو بكر) وفي كليهما تحريف . وابن بكر هو محمد بن بكر بن عثمان البرساني ، أبو عثمان الأزدي البصري انظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٢١) ، وتهذيب الكمال (٢٤/ ٥٣٠) .
(١٠) الإناء الذي يحلب فيه اللبن (النهاية : حلب) .
(١١) هو روح بن عبادة ، أبو محمد البصري الثقة الذي روى له الستة ، وهو شيخ أحمد .
(١٢) أ : (مستنون) في المرتين .
(١٣) البخاري (١٨٥٠) .

فأوقصته ـ فقال النبيُّ ﷺ : ـ اغْسِلوه بماءٍ وسِدْر ، وكَفِّنوهُ في ثوبين ، ولا تمسُّوه طيباً ، ولا تُخَمِّروا رأسه ، ولا تُحَنِّطوه ، فإنّ الله يبعثُهُ يومَ القيامة مُلَبِّياً .

ورواه مسلم[١] عن أبي الربيع الزَّهْراني ، عن حماد بن زيد .

وقال النّسائي[٢] : أنبأنا إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهويه ـ أخبرنا وكيع ، أنبأنا سُفيان الثَّوري ، عن بُكَيْر بن عطاء ، عن عبد الرحمن بن يَعْمَر الدِّيلي قال :

شهدتُ رسولَ الله ﷺ بعرفة ، وأتاه ناسٌ[٣] من أهل نجدٍ ، فسألوه عن الحجّ ، فقال رسول الله ﷺ : « الحجُّ عَرَفَة » فمن أدركَ ليلةَ عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جَمْعٍ فقد تَمَّ حجُّه .

وقد رواه بقية[٤] أصحاب السُّنَن من حديث سُفيان الثوري ـ زاد النسائي : وشعبة ـ عن بُكَير بن عطاء به .

وقال النّسائي[٥] : أنبأنا قتيبة ، أنبأنا سُفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرني عمرو بن عبد الله بن صفوان ، أنَّ يزيد بن شيبان قال :

كُنّا وقوفاً بعرفةَ مكاناً بعيداً من الموقف ، فأتانا ابن مِرْبَع الأنصاري فقال : إنّي رسولُ رسولِ الله إليكم ، يقولُ لكم : كونوا على مشاعركم ، فإنّكم على إرثٍ من إرثِ أبيكم إبراهيم . وقد رواه أبو داود[٦] والترمذي[٧] وابن ماجه[٨] من حديث سُفيان بن عُيَيْنة به . وقال الترمذي : هذا حديثٌ حسنٌ ، ولا نعرفه إلا من حديث ابن عُيينة عن عمرو بن دينار . وابن مِرْبَع اسمه[٩] يزيد بن مربع الأنصاري ، وإنّما يُعرف له هذا الحديث الواحد . قال[١٠] : وفي الباب عن عليّ وعائشة وجُبَيْر بن مُطْعِم والشَّريد بن سُوَيْد .

وقد تقدم : من رواية مسلم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال :

---

(١) مسلم (١٢٠٦) .
(٢) السنن رقم (٣٠١٦) .
(٣) ط : (أناس) .
(٤) أ : (بقية الجماعة من أصحاب السنن) وانظر سنن أبي داود (١٩٤٩) والسنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٦٢) (٤١٨٠) وسنن الترمذي (٨٨٩) وسنن ابن ماجه (٣٠١٥) ، وهو حديث صحيح .
(٥) السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٢٤) (٤٠١٠) .
(٦) أبو داود (١٩١٩) ، وهو حديث صحيح .
(٧) الترمذي (٨٨٣) ، وهو حديث صحيح .
(٨) ابن ماجه (٣٠١١) ، وهو حديث صحيح .
(٩) ليس اللفظ في أ . وفي ط : (اسمه زيد) والروايتان جائزتان انظر تهذيب الكمال (١٠/ ١٠٧) و(٣٢/ ٢٣٩) .
(١٠) م : (وقال) .

وقفتُ هاهنا ، وعرفة كلُّها موقفٌ . زاد مالك في مُوَطَّئِهِ[١] : وارفعوا عن بطن عُرَنة[٢] .

فَصْـلٌ

فيما حُفِظَ مِنْ دُعائِهِ عليه الصلاة والسلام ، وهو واقِفٌ بعَرَفَةَ

قد تقدَّمَ أنّه عليه الصلاة والسلام ، أفطر يومَ عرفَة ، فدلَّ على أنَّ الإفطار هناك أفضلُ من الصِّيام لما فيه من التقوية[٣] على الدعاء ، لأنّه المقصودُ الأهَمُّ هناك ، ولهذا وقفَ عليه السلام وهو راكبٌ على الراحلة من لَدُنِ الزّوال إلى أن غربت الشمس .

وقد روى أبو داود الطّيالسي[٤] في « مسنَدِه » ، عن حوشب بن عَقيل ، عن مَهْديّ الهَجَريّ ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن صَوْمِ يَوْمِ عرفةَ بعرفة .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا حوشب بن عَقيل ، حدّثني مَهْديّ المُحاربي ، حدّثني عِكْرمة مولى ابن عباس ، قال : دخلتُ على أبي هريرة في بيته ، فسألتُه عن صوم يوم عرفة بعرفات ؟ فقال : نهى رسولُ الله ﷺ عن صوم يوم[٦] عرفة بعرفات . وقال عبد الرحمن مرة عن مهدي العبدي . وكذلك رواه أحمد[٧] ، عن وكيع ، عن حوشب ، عن مَهْدي العَبْديّ فذكره . وقد رواه أبو داود[٨] ، عن سليمان بن حرب ، عن حوشب . والنسائي[٩] عن سليمان بن مَعْبَد[١٠] ، عن سليمان بن حرب به ـ وعن الفَلاّس عن ابن مهدي به . وابن ماجه[١١] عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن

(١) رواه مالك بلاغاً ، كما في جميع الموطآت (رقم ١١٥١ برواية يحيى الليثي ـ بتحقيقنا ، ورقم ١٣٣٨ برواية أبي مصعب الزهري بتحقيقنا ، ورقم ٦٠٢ برواية سويد بن سعيد) . على أن ابن عبد البر قال في التمهيد : « أكثر الآثار ليس فيها استثناء بطن عرنة من عرفة ، ولا بطن محسر من مزدلفة ، وكذلك نقلها الحفاظ الأثبات الثقات من أهل الحديث في حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر في الحديث الطويل في الحج ، ليس فيه استثناء بطن عرنة ولا محسر » (التمهيد ٢٤/ ٤١٨ فما بعدها) (بشار) .

(٢) ط : (عرفة) .

(٣) ط : (التقوى) .

(٤) وهو من طريقه في السنن الكبير للبيهقي (٥/ ١١٧) (٩٢٥٥) وإسناده ضعيف .

(٥) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٠٤) (٨٠١٨) .

(٦) ليس اللفظ في ط .

(٧) مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٤٦) (٩٧٥٩) وإسناده ضعيف .

(٨) أبو داود (٢٤٤٠) وإسناده ضعيف .

(٩) السنن الكبرى للنسائي (٢/ ١٥٥) (٢٨٣٠ ـ ٢٨٣١) وإسناده ضعيف .

(١٠) ط : (عبد) وانظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٥) .

(١١) ابن ماجه (١٧٣٢) ، وإسناده ضعيف .

محمد ، كلاهما عن وكيع ، عن حوشب . وقال الحافظ[١] البيهقي : (أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا)[٢] أبو أسامة الكلبي ، ثنا حسن بن الربيع ، ثنا الحارث بن عُبَيْد ، عن حَوْشَب بن عَقيل ، عن مَهْدي الهَجَريّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : نهى النبيُّ ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفة . قال البيهقي : كذا قال الحارث بن عبيد ، والمحفوظ : عن عكرمة عن أبي هريرة .

وروى أبو حاتم محمد بن حبّان البُسْتي في « صحيحه »[٣] عن عبد الله بن عمر[٤] أنّه سُئل عن صَوْم يومِ عَرَفَةَ فقال : حججتُ مع رسولِ الله فلم يَصُمْهُ ، ومع أبي بكر فلم يَصُمْهُ ، ومع عمر فلم يصمه ، وأنا فلا أصومه ، ولا آمرُ به ، ولا أنهى عنه .

قال الإمام مالك[٥] عن زياد بن أبي زياد مولى ابن عيّاش[٦] ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز : أن رسول الله ﷺ قال : أفضلُ الدُّعاء يومَ عرفةَ ، وأفضلُ ما قلتُ أنا والنَّبيُّون من قَبْلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . قال البيهقي : هذا مرسل . وقد رُويَ عن مالك بإسنادٍ آخر موصولاً ، وإسناده ضعيفٌ .

وقد روى الإمام أحمد والترمذي[٧] من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله قال : أفضلُ الدّعاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيُّون منْ قَبْلي لا إله إلا الله ، وَحْدَهُ لا شَريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير .

وللإمام أحمد أيضاً : عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان[٨] أكثر دعاء[٩] النبيِّ ﷺ يومَ عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وقال أبو عبد الله بن منده[١٠]: أنبأنا أحمد[١٠] بن إسحاق بن أيوب النيسابوري، ثنا أحمد بن داود بن جابر الأحْمَسي ، ثنا أحمد بن إبراهيم المَوْصِلي ، ثنا فَرَجُ بن فَضَالة ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع عن

---

(١) ليس لفظ (الحافظ) في أ .
(٢) ليس ما بين القوسين في ط ، واستدركته عن أ وانظر السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١١٧) ، وإسناده ضعيف .
(٣) الإحسان (٣٦٠٤) ، وإسناده صحيح .
(٤) في الأصل : عمرو ، والتصحيح من ابن حبان .
(٥) الموطأ (١/ ٤٢٢) (٩٤٥) قلت : وهو حسن بما بعده .
(٦) ط : (مولى أبي عباس) وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٥٦) .
(٧) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢١٠) باللفظ الذي بعده والترمذي رقم (٣٥٨٥) ورواه الطبراني في فضل عشر ذي الحجة عن علي مرفوعاً ، ومالك في الموطأ عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً عنه فهو حديث حسن .
(٨) ليس اللفظ في أ .
(٩) استدرك اللفظ في هامش أ .
(١٠) وهو في الضعفاء الكبير للعقيلي من طريق الموصلي في ترجمة الفرج بن فضالة ، وهو ضعيف .

ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « دعائي ودعاءُ الأنبياءِ قَبْلي عشيةَ عرفة : لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير » .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا يزيد يعني ابن عبد ربه الجرجسي[٢] ، ثنا بقية بن الوليد ، حدّثني جبير بن عمرو القرشي ، عن أبي سعيد الأنصاري ، عن أبي يحيى مولى آل[٣] الزبير بن العوام ، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] . وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في « مناسكه » : ثنا الحسن بن مُثَنَّى بن مُعاذ العَنْبَري ، ثنا عَفَّان بن مسلم ، ثنا قيس بن الربيع ، عن الأغرّ بن الصَّبّاح ، عن خليفة ، عن عليّ قال : قال رسول الله ﷺ : أفضلُ ما قلت أنا والأنبياء قَبْلي عَشيَّة عرفة لا إله إلا الله وحدَهُ ، لا شريكَ له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير[٤] .

وقال الترمذي[٥] في الدعوات : ثنا محمد بن حاتم المؤدب ، ثنا علي بن ثابت ، ثنا قيس بن الربيع ، وكان من بني أسد ، عن الأغرِّ بن الصَّبَّاح ، عن خليفة بن حُصَيْن ، عن علي رضي الله عنه ، قال :

كان أكثر[٦] ما دعا به رسول الله ﷺ يوم عرفة في الموقف : اللهمَّ لكَ الحمدُ كالذي نقول ، وخيراً[٧] مما نقول ، اللهمَّ لكَ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، ولك ربِّ تراثي ، أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر . اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من شَرِّ ما تهبّ به الريحُ . ثم قال : غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقويّ .

وقد رواه الحافظ البيهقي[٨] من طريق موسى بن عُبَيْدَة ، عن أخيه عبد الله بن عُبيدة ، عن عليّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : إنَّ أكثر دعاءِ منْ كانَ قَبْلي ودعائي يومَ عرفة أنْ أقول : لا إله إلا الله ، وحدَهُ لا شريكَ له ، له المُلْكُ ، وله الحمدُ ، وهو على كل شيء قدير . اللهمَّ اجعلْ في بَصَري نوراً ، وفي

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٦٦) (١٤٢٠) ، وإسناده ضعيف .
(٢) أ : (ابن عبد الله الجرجشي) . وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٩٦٧) .
(٣) ليس اللفظ في أ .
(٤) وهو حديث حسن بشواهده .
(٥) الترمذي (٣٥٢٠) ، وإسناده ضعيف ، كما قال الترمذي .
(٦) ليس اللفظ في أ .
(٧) أ ، ط : (وخيرٌ) .
(٨) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١١٧) (٩٢٥٨) .

سمعي نوراً ، وفي قلبي نوراً ، اللهمَّ اشرحْ لي صدري ، ويسِّرْ لي أمري ، اللهمَّ إني أعوذُ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وشر فتنة القبر ، وشرّ ما يلج في الليل ، وشر ما يلجُ في النهار ، وشر ما تهبُّ به الرياح ، وشرّ بوائق الدهر[١] . ثم قال : تفرَّد به موسى بن عُبَيْدة ، وهو ضعيف ، وأخوه عبد الله لم يدرك علياً .

وقال الطَّبراني في « مناسكه »[٢] : حدّثنا يحيى بن عثمان المصري[٣] ، ثنا يحيى بن بُكَيْر ، ثنا يحيى بن صالح الأيلي ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : كان فيما دعا به رسول الله ﷺ في حجة الوداع :

« اللهم إنك تسمع كلامي ، وترى مكاني ، وتعلم سري وعلانيتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهالَ المُذْنبِ[٤] الذَّليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعَتْ لكَ رقبتُه وفاضَتْ لكَ عَبْرَتُه ، وذلَّ لك جسدُه ، ورَغِمَ لكَ أنْفُهُ . اللهمَّ لا تجعلني بدعائك ربِّ شقياً ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا خير المسؤولين ويا خير المعطين » .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدّثنا هُشَيْم[٦] ، أنبأنا عبد الملك ، ثنا عطاء ، قال : قال أسامة بن زيد ، كنتُ رَديفَ النبيِّ ﷺ بعرفاتٍ فرفعَ يدَيْه يدعو فمالت[٧] به ناقتُه فسقطَ خِطامُها . قال : فتناولَ الخِطامَ بإحدى يَدَيْه ، وهو رافع يَدَه الأخرى .

وهكذا رواه النَّسائي[٨] ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن هشيم به[٩] .

وقال الحافظ البيهقي[١٠] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، ثنا علي بن الحسن ، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز ، ثنا ابن جُرَيْج ، عن حسين بن عبد الله الهاشمي ، عن عكرمة ،

---

(١) أ : (الدهور) .
(٢) وأخرجه أيضاً الطبراني في « المعجم الكبير » (١١٤٠٥) وإسناده ضعيف .
(٣) ط : (النصري) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٤) .
(٤) ليس اللفظ في ط ، واستدركته عن أ .
(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠٩) ، وهو حديث صحيح .
(٦) أ : (هشام) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨٧) .
(٧) ط : (قالت) تحريف .
(٨) النسائي (٥/ ٢٥٤) (٣٠١١) ، وهو حديث صحيح .
(٩) ليس اللفظ في ط .
(١٠) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١١٧) (٩٢٥٧) .

عن ابن عباس ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يدعو بعرفة ، يداهُ إلى صدره كاستطعام المسكين[١] .

وقال أبو داود الطيالسي[٢] في « مسنده » : حدّثنا عبد القاهر بن السري ، حدّثني ابن لكنانة[٣] بن العباس بن مرداس[٤] ، عن أبيه ، عن جده عباس بن مرداس :

أنَّ رسول الله ﷺ دعا عشيةَ عرفة لأُمته بالمغفرة والرحمة ، فأكثر الدعاء ، فأوحى الله إليه : إنّي قد فعلتُ ، إلا ظلمَ بعضهم بعضاً ، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم ، فقد غَفَرْتُها ، فقال : يا ربِّ إنكَ قادرٌ على أن تُثيبَ هذا المظلوم خيراً من مظلمته ، وتغفر لهذا الظالم ، فلم يُجبْهُ تلك العشيةَ ، فلما كان غداةَ المُزْدلفة أعاد الدعاء ، فأجابه الله تعالى : إنّي قد غفرتُ لهم . فتبسَّم رسولُ الله ﷺ فقال له بعض أصحابه : يا رسولَ الله تبسَّمْتَ في ساعة لم تكن تَبسَّم[٥] فيها ، قال : تبسَّمْتُ من عدو الله إبليس ، إنه لمَّا علمَ أنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد استجابَ لي في أُمَّتي أهْوَى يَدْعو بالوَيْل والثُّبور ، ويَحْثو التراب على رأسه .

ورواه أبو داود السجستاني في «سُننه»[٦] عن عيسى بن إبراهيم البِرَكي وأبي الوليد الطَّيالسي، كلاهما عن عبد القاهر بن السري ، عن ابن لكِنانة[٣] بن عَبَّاس بن مِرْداس ، عن أبيه ، عن جده مختصراً .

ورواه ابن ماجه[٧] ، عن أيوب بن محمد الهاشمي عن[٨] عبد القاهر بن السَّرِيّ ، عن عبد الله بن كِنانَة بن عباس ، عن أبيه ، عن جدّه به مطولاً . ورواه ابن جرير في « تفسيره »[٩] عن إسماعيل بن سيف[١٠] العِجْلي ، عن عبد القاهر بن السَّريّ ، عن ابنٍ لكِنانة[١١] ويقال له أبو كنانة[١٢] عن أبيه ، عن جده العباس بن مرداس . . . فذكره .

---

(١) أ : (المساكين) .
(٢) ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٥/١١٨) (٩٢٦٤) .
(٣) ط : (ابن كنانة) وانظر تهذيب التهذيب (٨/٤٤٩) .
(٤) بعده في أ : (السلمي) .
(٥) ط : (تبتسم) .
(٦) أبو داود (٥٢٣٤) ، وإسناده ضعيف .
(٧) ابن ماجه (٣٠١٣) ، وإسناده ضعيف .
(٨) ط : (بن) تحريف .
(٩) تفسير الطبري (٢/٢٩٤) .
(١٠) أ : (يوسف) .
(١١) ط : (ابن كنانة) .
(١٢) أ ، ط : (أبو لبابة) وما أثبته عن الطبري .

وقال (الحافظ أبو القاسم)[١] الطبراني ، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَري ، حدّثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عمَّن سَمِعَ قتادةَ يقول : حدّثنا خِلاسُ[٢] بن عَمْرو ، عن عُبادة بن الصّامت ، قال : قال رسول الله ﷺ يومَ عَرفَة : أيُّها الناس إن الله تَطَوَّلَ عليكم في هذا اليوم ، فَغفَرَ لكم ، إلا التَّبعاتِ فيما بينكم، وَوَهَبَ مُسيئَكُم لمُحْسِنِكُمْ . وأعْطى مُحسِنكم ما سَأَلَ . فادفعوا باسم الله . فلما كانوا بجَمْعٍ قال : إنّ الله قد غفر لصالحيكم[٣] ، وشفَّع صالحيكُمْ في طالحيكم ، تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ فتَعُمَّهُم ثم تُفرَّقُ الرَّحْمَةُ في[٤] الأرض فتقع على كل تائبٍ ممَّن حَفِظَ لسانَهُ ويَدَهُ . وإبليسُ وجنودُه على جبالِ عرفاتٍ يَنْظرون ما يصنع اللهُ بهم ، فإذا نَزلَتِ الرَّحْمةُ دعا هو وجنودُه بالوَيْلِ والثُّبورِ[٥] يقول[٤] : كنت أسْتَفِزُّهُمْ حُقُباً من الدَّهر ، [فجاءت][٦] المغفرة فغَشيَتْهُمْ ، فَيَتفرَّقونَ يَدْعونَ بالوَيْلِ والثُّبورِ[٧] .

ذِكْــرُ

ما نَزَلَ على رسولِ الله ﷺ[٤] منَ الوَحْيِ المُنيف[٤] في هذا المَوْقِفِ الشَّريفِ[٤]

قال الإمام أحمد[٨] : ثنا جعفر بن عَوْن ، ثنا أبو العُمَيس ، عن قَيْسِ بن مُسْلِمٍ ، عن طارقٍ بن شِهابٍ ، قال : جاء رجلٌ من اليَهودِ إلى عمرَ بن الخطّابِ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنكم تَقْرؤُون آيةً في كتابِكُمْ ، لو علينا معشرَ اليهود نزلَتْ لاتَّخذْنا ذلك اليوم عيداً . قال : وأيُّ آيةٍ هي ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] . فقال عُمر : والله إنّي لأعْلَمُ اليومَ الذي نزلَتْ[٩] على رسول الله ﷺ ، والساعةَ التي نزلَتْ فيها على رسول الله ﷺ نزلت عشية عرفة في يوم جمعة .

ورواه البخاري[١٠] ، عن الحسن بن الصَّبّاح ، عن جَعْفر بن عَوْن .

---

(١) ليس ما بين القوسين في أ .
(٢) أ ، ط : (الجلاس) تحريف . وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩١) .
(٣) ط : (لصالحكم وشفع لصالحيكم) .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) ليس اللفظ في أ .
(٦) ليس اللفظ في ط ، ومكانه بياض في أ ، واستدركته عن الطبري .
(٧) وإسناده ضعيف .
(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٨) (١٨٨) ، وهو حديث صحيح .
(٩) بعدها في أ : (فيه) .
(١٠) البخاري (٤٥) .

وأخرجه أيضاً[١] ، ومسلم[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤] من طرق عن قيس بن مسلم به .

ذِكْرُ إفاضَتِهِ عليه الصلاة والسلام منْ عَرَفاتٍ إلى المَشْعَرِ الحَرامِ

قال جابر في حديثه الطويل : فلم يَزَلْ واقفاً حتى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وذَهَبَتِ الصُّفْرةُ قليلاً[٥] حينَ غابَ القُرْصُ ، فأردف أسامةَ خلفَهُ ، ودفع رسولُ الله ﷺ وقد شَنَقَ للقصواء[٦] الزّمام حتى إنّ رأسها ليصيب مَوْرِكَ رَحْلِهِ[٧] ، ويقول بيده اليمنى : أيُّها الناسُ ، السكينةَ السكينةَ !! كُلَّما أتى حَبْلاً من الحِبالِ[٨] أَرْخَىٰ لها قليلاً حتى تصعد ، حتى أتى المُزْدَلِفة ، فصلَّىٰ بها المغربَ والعشاءَ بأذانٍ وإقامتين ولم يُسَبِّح بَيْنَهما شيئاً . رواه مسلم .

وقال البخاري[٩] : باب السير إذا دفع من عرفة . حدّثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : سئل أسامة ، وأنا جالس ، كيف كان النبي ﷺ يسير في حجة الوداع حين دفع ، قال : كان يسير العَنَقَ[١٠] ، فإذا وجد فَجْوةً نَصَّ . قال : هشام ـ والنص : فوق العنَق . ورواه الإمام أحمد[١١] وبقيَّة الجماعة إلا الترمذي من طرقٍ عدةٍ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد به[١٢] .

وقال الإمام أحمد[١٣] : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد، قال: كنتُ رَديفَ رسولِ الله ﷺ عشيةَ عَرَفَةَ . قال: فلما وَقَعَتِ الشَّمسُ دفعَ رسولُ الله ﷺ،

---

(١) البخاري (٤٤٠٧) .
(٢) مسلم (٣٠١٧) .
(٣) الترمذي (٣٠٤٣) .
(٤) النسائي (٨/ ١١٤) (٥٠١٢) .
(٥) تكرر اللفظ في ط .
(٦) ط : (ناقته القصواء) .
(٧) ط : (رجله) ، وتقدم شرح ذلك .
(٨) ط : (جبلاً من الجبال) . والحبل : المستطيل من الرمل . وقيل : الضخم منه وجمعه حبال . وقيل : الحبال من الرمل كالجبال من غير الرمل (النهاية : حبل) .
(٩) فتح الباري (١١٦٦) ومسلم (٢/ ٨٨٦) (١٢١٨) في حديث طويل .
(١٠) العَنَقَ : السُّرعة (النهاية : عنق) وفي فتح الباري (٣/ ٥١٨) ـ العَنَقَ : هو السير الذي بين الإبطاء والإسراع .
(١١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠٥) (٢١٨٣١) ومسلم (١٢٨٦) وأبو داود (١٩٢٣) والنسائي (٥/ ٢٥٨) (٣٠٢٣) وابن ماجه (٣٠١٧) .
(١٢) ليس (بن زيد) في أ .
(١٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) (٢١٨٠٨) ، وهو حديث حسن .

فلما سمعَ حَطْمةَ[(١)] النّاس خَلْفَه . قال : رُويداً أيُّها الناسُ ، عليكم السَّكينَةَ ، إن البرَّ ليس بالإيضاع[(٢)] . قال : فكان رسول الله ﷺ إذا التحمَ عليه الناس أعنق وإذا وجد فرجةً نص ، حتى أتى المزدلفة ، فجمع فيها بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة . ثم رواه الإمام أحمد[(٣)] من طريق محمد بن إسحاق ، حدّثني إبراهيم بن عُقْبَة عن كُرَيْب ، عن أسامة بن زيد ، فذكر مثله .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : ثنا أبو كامل ، ثنا حَمّاد ، عن قَيْس بن سَعْد ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد قال : أفاض رسول الله ﷺ من عرفة ، وأنا رديفهُ ، فجعل يَكْبَحُ راحلته ، حتى إن ذِفراها لتكاد تُصيب[(٥)] قادمةَ الرَّحل . ويقول : يا أيها الناسُ عليكم السَّكينة والوقار ، فإن البرَّ ليس في إيضاع الإبل . وكذا رواه عن عفّان عن حمّاد بن سَلَمة به ، ورواه النّسائي[(٦)] من حديث حمّاد بن سَلَمَة به . ورواه مسلم[(٧)] ، عن زهير بن حرب ، عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بنحوه . قال : وقال أسامة : فما زال يسير على هينتِه[(٨)] حتى أتى جَمْعاً .

وقال الإمام أحمد[(٩)] : حدثنا أحمد بن الحجاج ، ثنا ابن أبي فُدَيْك ، عن ابن أبي ذِئْبٍ ، عن شعبة ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد ، أنَّه أردفه رسولُ الله ﷺ يومَ عرفة حتى دخل الشعب ، ثم أهراقَ الماءَ وتوضأ ، ثم ركب ولم يُصلِّ .

وقال الإمام أحمد[(١٠)] : ثنا عبد الصمد ، ثنا همَّام ، عن قتادة ، عن عَزْرة[(١١)] عن الشعبي ، عن

---

(١) حطمة الناس : ازدحامهم حتى يحطم بعضهم بعضاً (النهاية واللسان : حطم) .
(٢) الإيضاع : السير السريع (النهاية : وضع) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠٢) (٢١٨٠٩) ، وإسناده حسن .
(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠٧) (٢١٨٥١) ، وإسناده صحيح .
(٥) ط : (إن ذفرها ليكاد يصيب) والذِّفْرى مؤنثة ، وهما ذِفْريان ، وذِفرى البعير أصل أذنه (النهاية : ذفر) .
(٦) مسند أحمد (٥/ ٢٠١) والنسائي (٥/ ٢٥٧) (٣٠١٨) ، وهو حديث صحيح .
(٧) مسلم (١٢٨٦) (٢٨٢) .
(٨) ط : (هينة) .
(٩) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠٦) (٢١٨٣٨) وفي مطبوعة مسند أحمد ، (أبو أحمد) وهو خطأ ، وهو حديث صحيح ، وهذا إسناد ضعيف ، لضعف شعبة ، وهو ابن دينار الهاشمي ، مولى ابن عباس .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠٦) (٢١٨٤١) ، وإسناد هذا الحديث معلول بالانقطاع فقد غَلَّط أبو حاتم الرازي في العلل (١/ ٢٧٨) قول الشعبي في هذا الحديث أنه حدثه أسامة . وذكره الجهابذة ابن المديني وابن معين وأحمد أنه لم يسمع من أسامة شيئاً ، كما في المراسيل للعلائي ص٢٤٨ ، لكن الحديث يصح من طرق أخرى (بشار) .
(١١) أ ، ط : (عروة) وهو تحريف . وما أثبته عن المسند .

أسامة بن زيد[١] أنه حدثه قال : كنت رديفَ رسول الله ﷺ حين أفاضَ من عرفات فلم تَرْفَعْ راحلتُه رجلَها عادية[٢] حتى بلغَ جَمْعاً .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا سفيان ، عن إبراهيم بن عقبة ، عن كُرَيْب ، عن ابن عباس ، أخبرني أسامة بن زيد ، أن النبي ﷺ أرْدَفَهُ من عرفة ، فلما أتى الشِّعْبَ نزلَ فبال ، ولم يَقُلْ : أهْراقَ الماءَ ، فَصَبَبْتُ عليه ، فتوضأ وضوءاً خفيفاً فقلت : الصلاة ؟ فقال : الصلاة أمامك ، قال : ثم أتى المزدلفة فصلَّى المغربَ ، ثم حَلُّوا رِحَالَهُمْ[٤] ، ثم صلَّى العشاء .

كذا رواه الإمام أحمد عن كُرَيْب ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد . . . فذكره . ورواه النسائي[٥] عن الحسين بن حُرَيْث[٦] ، عن سُفيان بن عُيينة ، عن إبراهيم بن عقبة ومحمد بن أبي حَرْمَلَة ، كلاهما عن كُرَيب ، عن ابن عباس ، عن أسامة ، قال شيخُنا أبو الحجاج المزيّ في « أطرافه »[٧] : والصحيح كُرَيْب عن أسامة .

وقال[٨] البخاري : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن موسى بن عقبة ، عن كُرَيْب ، عن أسامة بن زيد ، أنه سمعه يقول : دفع رسولُ الله ﷺ من عرفة فنزلَ الشّعب فبال ، ثم توضَّأ فلم يُسْبغ الوضوءَ ، فقلت له : الصلاة فقال : الصلاة أمامَكَ . فجاء المزدلفة فتوضَّأ ، فأسْبَغَ ، ثم أُقيمتِ الصَّلاة فصلَّى المغرب ، ثم أناخ كلُّ إنسانٍ بعيرَهُ في منزله ، ثم أقيمت الصلاةُ فصلَّى العشاء ولم يُصلِّ بينهما . وهكذا رواه البخاري[٩] أيضاً عن القَعْنَبي . ومسلم[١٠] عن يحيى بن يحيى . والنسائي[١١] عن قتيبة ، عن مالك ، عن موسى بن عقبة به . وأخرجاه[١٢] من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن موسى بن عقبة

(١) ليس (بن زيد) في أ .
(٢) أ ، ط : (غادية) وماهنا عن المسند .
(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠٠) (٢١٧٩٧) ، وهو حديث صحيح ، وإن كان سفيان بن عيينة قد خالف فيه الثقات فرواه عن كريب ابن عباس ، عن أسامة ، والصواب : حذف « ابن عباس » ، كما سيأتي .
(٤) بعدها في أ : (وأحسبه) وفي المسند : (وأعنته) .
(٥) النسائي (١/ ٢٩٢) (٦٠٩) .
(٦) ط : (حرب) وفي أ : (الحرث) وكلاهما تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٠٠) .
(٧) تحفة الأشراف (١/ ٤٨) .
(٨) أ : (وقد قال) . رواه البخاري (١٦٧٢) .
(٩) البخاري (١٣٩) .
(١٠) مسلم (١٢٨٠) (٢٧٦) .
(١١) النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤٢٧) (٤٠٢٩) .
(١٢) البخاري رقم (١٨١) ومسلم (١٢٨٠) (٢٧٧) .

أيضاً . ورواه مسلم[١] من حديث إبراهيم بن عقبة ومحمد بن عقبة ، عن كُرَيْب كنحو رواية أخيهما موسى بن عقبة عنه .

وقال البخاري[٢] أيضاً : ثنا قتيبة ، ثنا إسماعيل بن جعفر ، عن محمد بن أبي حَرْمَلة ، عن كُرَيْب ، عن أسامة بن زيد ، أنه قال : ردفتُ رسولَ الله ﷺ ، فلما بلغَ رسولُ الله ﷺ الشِّعبَ الأيسرَ الذي دونَ المزدلفة أناخَ فبالَ ، ثم جاء فصببتُ عليه الوضوءَ ، فتوضَّأ وضوءاً خفيفاً . فقلت : الصلاةَ يا رسولَ الله ؟ قال : الصلاةُ أمامَكَ ، فركبَ رسول الله ﷺ حتَّى أتى المُزْدلفة ، فصلَّى ثم ردفَ الفَضْلُ رسولَ الله ﷺ غداةَ جَمْعٍ . قال كُرَيْب[٣] : فأخبرني عبد الله بن عباس ، عن الفضل :

أن رسول الله لم يزل يُلَبِّي حتى بلغ الجمرة . ورواه مسلم[٤] ، عن قتيبة ، ويحيى بن يحيى ، ويحيى بن أيوب ، وعليّ بن حُجْر ، أربعتهم عن إسماعيل بن جعفر به .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا وكيع ، ثنا عمر بن ذرّ ، عن مجاهدٍ ، عن أسامة بن زيد ، أنَّ رسولَ الله ﷺ أرْدَفَه من عرفة ، قال : فقال الناس : سَيخبرُنا صاحبُنا ما صنَع . قال : فقال أسامة : لمّا دفع من عرفة فوقف ، كفَّ رأسَ راحلتِه حتى أصاب رأسُها واسطةَ الرَّحْلِ أو كاد يُصيبُه ، يُشير إلى الناس بيده : السكينةَ السكينةَ ، السَّكينة[٦] !! حتى أتى جَمْعاً ، ثم أردفَ الفضلَ بن عبّاس قال : فقال الناس : سيُخْبرُنا صاحبُنا بما صنَعَ رسولُ الله . فقال الفضل : لم يزلْ يسيرُ سيراً ليِّنا كَسيره بالأمس ، حتى أتى على وادي مُحسِّرٍ فدَفَعَ فيه حتى استوت به الأرض .

وقال البخاري[٧] : ثنا سعيد بن أبي مريم ، ثنا إبراهيم بن سُوَيْد ، حدّثني عمرو بن أبي عمرو مولى المُطَّلب ، أخبرني سعيد بن جبير مولى والِبَةَ الكوفي ، حدّثني ابن عباسٍ ، أنه دفع [مع] النبي ﷺ يومَ عرفة ، فسمع النبيّ وراءَهُ زَجْراً شديداً وضَرْباً للإبل ، فأشار بسوطه إليهم وقال : أيها الناس عليكم بالسَّكينة ! فإنّ البرّ ليس بالإيضاع . تفرَّد به البخاري من هذا الوجه .

وقد تقدم رواية الإمام أحمد ومسلم والنسائي هذا من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس عن أسامة بن زيد ، فالله أعلم .

---

(١) رقم (٢٢٨٠) (٢٧٩) و(٢٨٠) .
(٢) البخاري رقم (١٦٦٩) .
(٣) البخاري رقم (١٦٧٠) .
(٤) مسلم (١٢٨٠ ـ ١٢٨١) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠٨) (٢١٨٦١) ، وإسناده صحيح .
(٦) ليس اللفظ في ط .
(٧) البخاري رقم (١٦٧١) : والزيادة عنه .

وقال الإمام أحمد[١] : حدّثنا إسماعيل بن عمر ، ثنا المسعودي ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباسٍ ، قال : لما أفاض رسولُ الله ﷺ من عرفات أوْضَع الناسُ ، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي : أيُّها الناس ليس البرّ بإيضاعِ الخَيْل ولا الرّكاب . قال : فما رأيتُ من رافعة يديها[٢] عادية[٣] حتى نزل جَمْعاً .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا حسين وأبو نعيم . قالا : ثنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، قال : حدّثني من سمع ابن عباس يقول : لم ينْزلْ رسولُ الله ﷺ من عرفاتٍ وجمعٍ إلا ليريق[٥] الماء .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا عبد الملك ، عن أنس بن سيرين ، قال : كنتُ مع ابن عمر بعرفاتٍ ، فلمّا كان حين راح رُحتُ معه حتى أتى[٧] الإمام فصلّى معه الأولى والعَصْر ، ثم وقف معه[٨] وأنا وأصحابٌ لي حتى أفاض الإمام ، فأفضنا معه ، حتى انتهينا إلى المضيق دون المَأْزِمَيْن ، فأناخ وأنخنا ، ونحن نحسَب أنّه يريد أن يُصلِّي ، فقال غُلامُه الذي يُمْسكُ راحلته : إنّه ليس يريدُ الصلاةَ ولكنّه ذكر أنّ النبيّ ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجتَه ، فهو يحبّ أن يقضيَ حاجَته .

وقال البخاري[٩] : ثنا موسى ، ثنا جويرية ، عن نافع ، قال : كانَ عبدُ الله بن عمر يجمع بين المغرب والعشاء بجَمْع ، غير أنّه يمرّ بالشعب الذي أخذه رسول الله ﷺ فيدخل فينتفض ويتوضّأ ولا يصلّي حتى يجيء جمعاً . تفرد به البخاري رحمه الله من هذا الوجه .

وقال البخاري[١٠] : ثنا آدم ، ثنا[١١] ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابن عمر ، قال : جَمَعَ النبيُّ ﷺ المغربَ والعشاء بجَمْعٍ ، كل واحدة منهما بإقامةٍ ، ولم يسبِّحْ بينهما ، ولا على إثر واحدة منهما .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٥١) (٢٢٦٤) ، وإسناده ضعيف ، فإن الحكم بن عتيبة لم يسمع هذا الحديث من مقسم ، وهو حديث صحيح بطرقه .
(٢) أ : (يدها) .
(٣) ط : (غادية) .
(٤) أ : (وقال أيضاً) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٧٣) وإسناده ضعيف لجهالة شيخ عبد العزيز بن رفيع . ولكن له طريق أخرى تقدمت برقم (٢٢٦٥) وأخرى برقم (١٨٠٠) فهو حسن لغيره .
(٥) ط : (أريق) وفي المسند (ليُهريق) .
(٦) أ : (وقال أيضاً) وانظر مسند الإمام أحمد (٢/ ١٣١) (٦١٥١) ، وإسناده صحيح .
(٧) ليس اللفظ في ط واستدركته عن أ .
(٨) ليس اللفظ في ط واستدركته عن أ .
(٩) البخاري رقم (١٦٦٨) .
(١٠) البخاري رقم (١٦٧٣) .
(١١) ليس اللفظ في ط .

ورواه مسلم[١] عن يحيى بن يحيى ، عن مالك ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ صلّى المغربَ والعشاءَ بالمزدلفة جميعاً .

ثم قال مسلم[٢] : حدّثني حرملة ، حدّثني ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب : أنّ عبيد الله بن عبد الله بن عمر أخبره : أنّ أباه قال : جمع رسول الله بين المغرب والعشاء بجَمْعٍ ، ليس بينهما سَجْدة ، فصلّى المغرب ثلاث ركعات ، وصلّى العشاء ركعتين ، فكان عبد الله يصلِّي بجَمْعٍ كذلك حتى لحق بالله .

ثم روى مسلم[٣] من حديث شُعبة ، عن الحكم وسَلَمة بن كُهَيْل ، عن سعيد بن جبير :

أنه صلّى المغربَ بجَمْعٍ والعشاء بإقامة واحدةٍ ، ثم حدَّثَ عن ابن عمر أنه صلّى مثلَ ذلك . وحدث ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ صنع مثل ذلك . ثم رواه من طريق الثوري[٤] ، عن سَلَمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر ، قال : جمع رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء بجَمْعٍ صلّى المغربَ ثلاثاً والعشاء ركعتين بإقامةٍ واحدة .

ثم قال مسلم[٥] : ثنا أبو بكر[٦] بن أبي شيبة ، ثنا عبد الله بن نُمَيْر[٧] ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، قال : قال سعيد بن جبير : أفضنا مع ابن عمر حتى أتينا جمعاً فصلّى بنا المغرب والعشاء بإقامةٍ واحدةٍ ثم انصرف ، فقال : هكذا صلَّى بنا رسول الله ﷺ في هذا المكان .

وقال البخاري[٨] : حدّثنا خالد بن مَخْلَد ، حدّثنا سليمان بن بلال ، حدّثني يحيى بن سعيد ، حدّثني عديّ بن ثابت ، حدّثني عبد الله بن يزيد الخَطْمي ، حدّثني أبو أيّوب[٩] الأنصاري ؛ أن رسول الله ﷺ جمع في حجّة الوداع[١٠] المغرب والعشاء بالمزدلفة. ورواه البخاري[١١] أيضاً في المغازي، عن القَعْنبي،

(١) مسلم (٧٠٣) (٢٨٦) الذي بعد (١٢٨٧) .
(٢) رواه مسلم (١٢٨٨) (٢٨٧) .
(٣) مسلم (١٢٨٨) (٢٨٨) (٢٨٩) .
(٤) (١٢٨٨) (٢٩١) .
(٥) مسلم (١٢٨٨) (٢٩٠) .
(٦) أ : (أبو عمر) . وانظر سير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٢) .
(٧) ط : (جبير) وانظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٤٤) .
(٨) البخاري (١٦٧٤) .
(٩) ط : (أبو يزيد) . وانظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٠٢) .
(١٠) بعدها في ط : (بين) .
(١١) ليس اللفظ في أ ، وانظر البخاري (٤٤١٤) .

عن مالك ، ومسلم[١] من حديث سليمان بن بلال والليث بن سعد ، ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن عدي بن ثابت . ورواه النسائي[٢] أيضاً ، عن الفلاّس ، عن يحيى القَطّان عن شعبة عن عدي بن ثابت به .

ثم قال البخاري[٣] : باب من أذَّن وأقام لكل واحدة منهما : حدّثنا عمرو بن خالد ، ثنا زهير بن حرب[٤] ، ثنا أبو إسحاق ، سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول : حجَّ عبد الله فأتينا المزدلفة حين الأذان بالعَتَمة أو قريباً من ذلك ، فأمر رجلاً فأذّن وأقام ، ثم صلَّى المغرب وصلّى بعدها ركعتين ، ثم دعا بعشائه فتَعَشّى ، ثم أمر رجلاً فأذّن وأقام . . . قال عمرو : لا أعلم الشكَّ إلا من زهير ثُمَّ صلَّى العشاء ركعتين ، فلما طلع الفجرُ ، قال : إن النبي ﷺ كان لا يُصلِّي هذه الساعةَ إلا هذه الصلاةَ في هذا المكان من هذا اليوم . قال عبد الله : هما صلاتان تحوّلان عن وقتهما ، صلاة المغرب بعدما يأتي الناس المزدلفة ، والفجر حين يبزغ الفجر . قال : رأيت النبيَّ ﷺ يفعله . وهذا اللفظ ، وهو قوله : « والفجر حين يبزغ الفجر » أبين وأظهرُ من الحديث الآخر الذي رواه البخاري[٥] ، عن حفص بن عمر بن غياث ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ صلَّى صلاةً بغير ميقاتها إلا صلاتين : جمع بين المغرب والعشاء ، وصَلاة[٦] الفجر ، قبل ميقاتها . ورواه مسلم[٧] من حديث أبي معاوية وجرير عن الأعمش به .

وقال جابر في حديثه : ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتَّى طَلَعَ الفجرُ فصلَّى الفجر حين تَبَيَّن له الصبحُ بأذانٍ وإقامةٍ . وقد شهد معه هذه الصلاة عروةُ بن مُضَرِّس بن أوسِ بن حارثة بن لأمٍ الطائيّ .

قال الإمام أحمد[٨] : ثنا هُشَيْم ، ثنا ابن أبي خالد ، وزكريا ، عن الشعبي ، أخبرني عروة بن مُضَرِّس ، قال : أتيت النبيَّ ﷺ وهو بجَمْعٍ فقلتُ : يا رسول الله جئتُكَ من جَبَلي طَيِّئٍ أتعبتُ نفسي وأنْصَبْتُ[٩] راحلتي ، والله ما تركتُ من جبلٍ إلا وقفتُ عليه ، فهل لي من حجٍّ ؟ فقال : من شهدَ معنا هذه الصلاةَ - يعني صلاة الفجر - بجَمْعٍ ووقف معنا حتى نُفيضَ[١٠] منه ، وقد أفاض قبل ذلك من عرفاتٍ ليلاً أو نهاراً ، فقد تمَّ حجُّه وقضى تَفَثَهُ .

---

(١) مسلم (١٢٨٧) .
(٢) السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٢٧) (٤٠٢٣) .
(٣) البخاري (١٦٧٥) .
(٤) ليس (بن حرب) في أ .
(٥) البخاري (١٦٨٢) .
(٦) في البخاري : (وصلى) .
(٧) رقم (١٢٨٩) .
(٨) مسند الإمام أحمد : (٤/ ١٥) .
(٩) ط : (وأنضيت) .
(١٠) ط : (يفيض) .

وقد رواه الإمام أحمد[(١)] أيضاً وأهل السنن الأربعة[(٢)] من طرقٍ عن الشعبيّ عن عروة بن مُضَرِّس .

وقال الترمذي : حسن صحيح .

فصل

وقَد كانَ رسولُ الله ﷺ قدَّم طائفةً من أهله بينَ يَدَيْه من اللَّيْلِ قبلَ حَطْمَةِ النّاسِ من المُزْدَلِفة إلى منًى .

قال البخاري[(٣)] : باب منْ قَدَّمَ ضَعَفَةَ أهلِه بالليلِ فيقفون بالمُزْدَلفة ويَدْعون ويُقَدِّم إذا غاب القمر .

حدّثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : قال سالم : كان عبد الله بن عمر يقدِّم ضَعَفَةَ أهله فيقفون عند المَشْعَرِ الحَرام بليلٍ ، فيذكرون الله ما بدا لهم ، [ثم] يَدْفَعون قبلَ أن يقف الإمام وقبل أن يدفَعَ ، فمنهم من يَقْدَمُ منىً لصلاةِ الفجرِ ، ومنهم منْ يَقْدَمُ بعد ذلك ، فإذا قدموا رَمَوا الجَمْرَةَ . وكان ابنُ عمر يقول : أرْخَصَ في أولئك رسول الله ﷺ .

حدّثنا[(٤)] سليمان بن حرب ، ثنا حمّادُ بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاسٍ ، قال : بعثني رسولُ الله ﷺ من جَمْعٍ بلَيْلٍ .

وقال البخاري[(٥)] : ثنا علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، أخبرني عُبَيْد[(٦)] الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : أنا ممن قدَّم النبيُّ ﷺ (ليلة المزدلفة في ضعفة أهله .

وروى مسلم[(٧)] من حديث ابن جُرَيْج أخبرني عطاء ، عن ابن عبّاس ، قال : بعثَ بي رسولُ الله ﷺ)[(٨)] من جَمْعٍ بسَحَرٍ مع ثَقَلِه .

وقال الإمام أحمد[(٩)] : ثنا رَوْحٌ[(١٠)] ، ثنا سفيان الثوري ، ثنا سلمة بن كُهَيْل ، عن الحسن العُرَني ،

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٦١) .
(٢) أبو داود (١٩٥٠) والنسائي (٥/ ٢٦٣) (٣٠٣٩) و(٣٠٤٠) ، والترمذي (٨٩١) ، وابن ماجه (٣٠١٦) ، وهو حديث صحيح .
(٣) البخاري (١٦٧٦) .
(٤) البخاري (١٦٧٧) .
(٥) البخاري (١٦٧٨) .
(٦) ط : (عبد) .
(٧) مسلم (١٢٩٤) .
(٨) ليس ما بين القوسين في أ .
(٩) المسند (١/ ٣١١) (٢٨٤٢) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) ليس (حدّثنا روح) في ط .

عن ابن عباس قال : قدّمنا رسول الله ﷺ أُغَيْلِمَة بني عبد المطلب على حُمُراتِنا[(١)] فجعل يَلْطَح[(٢)] أفخاذنا بيده ويقول : أَبَنِيَّ ، لا تَرْموا الجَمْرَةَ ، حتى تطلعَ الشمسُ .

(قال ابن عباس : ما إخالُ أحداً يَرْمي الجَمْرَةَ حَتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ)[(٣)] . وقد رواه أحمد[(٤)] أيضاً ، عن عبد الرحمن بن مَهْدي ، عن سفيان الثوري . . . فذكره . وقد رواه أبو داود[(٥)] ، عن محمد بن كثيرٍ ، عن الثوريّ به . والنّسائي[(٦)] ، عن محمد بن عبد الله بن يزيد ، عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن سفيان الثوري به . وأخرجه ابن ماجه[(٧)] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وعليّ بن محمد ، كلاهما عن وكيع عن مسعر[(٨)] وسفيان الثوري ، كلاهما عن سَلَمَة بن كُهَيْل به .

وقال أحمد[(٩)] : ثنا يحيى بن آدم ، ثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن الحكم بن عُتَيْبة[(١٠)] ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : مَرَّ بنا رسولُ الله ليلةَ النَّحْرِ ، وعلينا سوادٌ من الليل ، فجعل يضربُ أفخاذَنا ويقول : أَبنيَّ أَفيضوا لا تَرْموا الجَمْرَةَ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

ثم رواه الإمام[(١١)] أحمد من حديث المَسْعُودي ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس ، قال : قدَّم رسول الله ﷺ ضَعَفَةَ أهْلِه من المُزْدَلِفَةِ بلَيْلٍ ، فجعلَ يُوصيهم ألاّ يَرْموا جَمْرَةَ العقبة حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

وقال أبو داود[(١٢)] : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا الوليد بن عقبة ، ثنا حمزة الزّيّات ، عن حبيب عن عطاء عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ يُقَدِّمُ ضَعَفَةَ أهلِه بغَلَس ويأمرهم ـ يعني ألا يرموا الجمرة حتى تطلُعَ الشَّمْسُ ـ . وكذا رواه النسائي[(١٣)] عن محمود بن غَيْلان ، عن بِشْر بن السَّريّ ، عن سُفيان ،

---

(١) ط : (حراثنا) .
(٢) أ : (يلطخ) واللطخ : الضرب بالكفّ وليس بالشديد . (النهاية : لطخ) .
(٣) ليس ما بين القوسين في أ .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٤٣) (٣١٩٢) ، وهو حديث صحيح .
(٥) أبو داود (١٩٤٠) ، وهو حديث صحيح .
(٦) النسائي (٥/ ٢٧٠) (٣٠٦٤) ، وهو حديث صحيح .
(٧) ابن ماجه (٣٠٢٥) ، وهو حديث صحيح .
(٨) أ : (ومسعر) .
(٩) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٢٦) (٣٠٠٣) ، وإسناده ضعيف ، لأن الحكم لم يسمع هذا الحديث من مقسم .
(١٠) أ : (عيينة) . وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٠٨) .
(١١) ليس اللفظ في أ . وانظر مسند الإمام أحمد (١/ ٣٢٦ ، ٣٤٤) ،وإسناده ضعيف مثل سابقه ، وللحديث طرق أخرى عن ابن عباس يقوى بها ، انظر رقم (٢٠٨٢) .
(١٢) أ : (بن) تحريف ، رواه أبو داود (١٩٤١) ، وهو حديث صحيح .
(١٣) النسائي (٥/ ٢٧٢) (٣٠٦٥) ، وهو حديث صحيح .

عن حَبيب . قال الطبراني[١] : وهو ابن أبي ثابت ، عن عطاء ، عن ابن عبّاس[٢] ، فخرج حمزةُ الزّيّاتُ من عُهْدَتِه ، وجاد إسنادُ الحديث . والله أعلم .

وقد قال البخاري[٣] : ثنا مُسَدَّدٌ ، عن يحيى ، عن ابن جُرَيْج ، حدّثني عبد الله مولى أسماء ، عن أسماء ، أنها نزلت ليلةَ جَمْعٍ عند المُزْدَلِفَةِ فقامَتْ تُصَلِّي فَصَلَّتْ ساعةً ثم قالت : يا بُنَيَّ هَلْ غابَ القَمَرُ (قلت : لا . فَصَلَّتْ ساعةً ، ثم قالت : هل غاب القمر)[٤] قلت : نعم ! قالت : فارتحلوا فارتحلنا فمضينا حتى رَمَتِ الجَمْرَةَ . ثم رجعت فَصَلَّت الصُّبْحَ في منزلها ، فقلتُ لها : يا هَنْتَاهُ ، ما أُرانا إلاّ قد غَلَّسْنا . فقالت : يا بُنَيّ إن رسول الله ﷺ أذِنَ للظُّعُن . ورواه مسلم[٥] من حديث ابن جُرَيْج به . فإنْ كانَتْ أسماءُ بنتُ الصِّدِّيق رمت الجِمارَ قبلَ طُلوعِ الشَّمْسِ كما ذُكِرَ هاهنا عن توقيفٍ ، فروايتها مُقَدَّمَةٌ على رواية ابن عباس ، لأنّ إسنادَ حديثِها أصحُّ من إسناد حديثِه ، اللهم إلا أن يُقالَ : إن الغلمانَ أخفُّ حالاً من النّساءِ وأنشطُ ، فلهذا أمر الغِلْمانَ بألاّ يَرْموا قبلَ طُلوعِ الشَّمْسِ ، وأذِنَ للظُّعُن في الرَّمْي قبلَ طلوعِ الشَّمس ، لأنَّهم أثقلُ حالاً وأبلغُ في التَّستر . والله أعلم . وإن كانت[٦] أسماءُ لم تَفْعَلْهُ عن توقيفٍ ، فحديثُ ابنِ عبّاسٍ مُقَدَّم على فِعْلها . لكن يُقَوِّي الأوّلَ قولُ أبي داود : حدّثنا محمد بن خَلاَّدِ الباهِلِيّ ، حدّثنا يحيى ، عن ابن جُرَيْجٍ ، أخبرني عطاء ، أخبرني مُخْبِرٌ عن أسماء أنها رَمَتِ الجَمْرَةَ بلَيْلٍ . قلت : إنا[٧] رمَيْنا الجمرةَ بلَيْلٍ ! قالت : إنّا كُنّا نَصْنَعُ هذا على عهد النبيّ ﷺ .

وقال البخاري[٨] : ثنا أبو نُعَيْم ثنا أفْلَحُ بنُ حميد ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : نزلنا المُزْدَلِفَة فاستأذنَتِ النبيَّ ﷺ سَوْدَةُ أن تدفعَ قبل حَطْمَةِ النّاسِ وكانت امرأةً بطيئةً ، فأذن لها ، فدفعَتْ قبل حَطْمَة النّاس ، وأقمنا نحن حتى أصْبَحْنا ، ثم دَفَعْنا بدَفْعِهِ ، فلأنْ أكونَ[٩] استأذَنْتُ رسولَ الله ﷺ كما استأذَنَتْ سَوْدَةُ أَحَبُّ إليَّ مِنْ مَفْروحٍ به . وأخرجه مسلم[١٠] عن القَعْنَبي ، عن أفْلَحَ بن حُمَيْدٍ به . وأخرجاه

(١) المعجم الكبير (١١/١٣٨) (١١٢٨٥) .
(٢) أ : (به) .
(٣) البخاري (١٦٧٩) .
(٤) ليس ما بين الرقمين في أ .
(٥) مسلم (١٢٩١) .
(٦) ط : (كنت) .
(٧) أ : (لها) .
(٨) البخاري (١٦٨١) .
(٩) أ : (نكون) .
(١٠) مسلم (١٢٩٠) (٢٩٣) .

في « الصحيحين »[١] من حديث سُفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة به .

وقال أبو داود : ثنا هارون بن عبد الله ، ثنا ابن أبي فُدَيْك ، عن الضَّحَّاك ـ يعني ابن عثمان ـ عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها قالت : أرْسَلَ رسولُ الله ﷺ بأمِّ سَلَمَةَ ليلةَ النَّحْرِ ، فَرَمَتِ الجَمْرَةَ قبلَ الفَجْر ، ثم مضت فأفاضَتْ[٢] وكان ذلك اليوم الذي يكون رسول الله ﷺ . قال أبو داود ـ يعني عندها ـ . انفردَ به أبو داود ، وهو إسنادٌ جيدٌ قويٌّ ، رجالُهُ ثقاتٌ[٣] .

ذِكْرُ تَلْبِيَتِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ بالمُزْدَلِفَةِ

قال مسلم[٤] : ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا أبو الأحْوَص ، عن حُصَيْن ، عن كَثيرِ بن مُدْرِكٍ ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله : ونحن بجَمْعٍ : سمعتُ الذي أُنْزِلَتْ عليه سورةُ البقرة يقولُ في[٥] هذا المَقام . لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .

فصل

في وُقوفِهِ عليه الصلاة والسلام بالمَشْعَرِ الحَرام ، ودَفْعِهِ من المُزْدَلِفَةِ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْس ، وإيضاعِهِ في وادي مَحَسِّر

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٩٨] الآية .

وقال جابر في حديثه[٦] : فصلَّى الفَجْرَ حين تَبَيَّنَ له الصبحُ بأذانٍ وإقامةٍ ، ثم ركبَ القَصْواءَ حتى أتى المَشْعَرَ الحرام ، فاستقبلَ القبلةَ ، فدعا الله عزَّ وجلَّ ، وكبَّره وهلَّله ووحَّده ، فلم يَزَلْ واقفاً حتى أسْفَرَ جداً ، ودفعَ قبل أن تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، وأردفَ الفَضْلَ بنَ عباسٍ وراءه .

وقال البخاري[٧] : ثنا حَجّاج بن مِنْهال ، ثنا شُعبة ، عن أبي[٨] إسحاق . قال : سمعتُ عَمْرَو بن

---

(١) البخاري (١٦٨٠) ومسلم (١٢٩٠) (٢٩٦) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) أبو داود (١٩٤٢) أقول : وهو حديث ضعيف لاضطرابه سنداً ومتناً .
(٤) مسلم (١٢٨٣) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) تقدم حديث جابر .
(٧) البخاري (١٦٨٤) .
(٨) ط : (ابن) تحريف . وهو أبو إسحاق السبيعي . وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩٢) .

مَيْمون يقول : شَهِدْتُ عمرَ ـ رضي الله عنه ـ صلَّى بجَمْعٍ الصُّبْحَ ، ثم وَقَفَ فقال : إن المُشْركين كانوا لا يُفيضون حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، ويقولون : أشْرِقْ ثَبيرُ ، وإن رسولَ الله ﷺ أفاضَ قبلَ أن تَطْلُعَ الشَّمْس .

وقال البخاري[١] : ثنا عبد الله بن رَجاءٍ ، ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحـاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد : خَرَجْتُ مع عبدِ الله إلى مكةَ ، ثم قدمنا جَمْعاً . فَصَلَّى الصَّلاتين[٢] ، كلّ صلاة وَحْدَها[٣] بأذانٍ وإقامةٍ ، والعشاء بينهما ، ثم صَلَّى الفَجْرَ حينَ طلَع الفَجْرُ . قائلٌ يقولُ : طلَعَ الفَجْرُ . وقائلٌ يقولُ : لَمْ يَطْلُعِ الفَجْرُ . ثم قال : إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : إنّ هاتَيْن الصَّلاتين حُوِّلَتا عن وَقْتِهما في هذا المكان ، المَغْرب [والعشاء] ، فلا يَقْدَمُ الناسُ جَمْعاً حتى يُعْتِموا[٤] ، وصلاة الفجرِ هذه الساعة . ثم وقفَ حتى أسفَرَ ، ثم قال : لو أنَّ أميرَ المؤمنين أفاضَ الآن أصاب السنة . فلا أدري أقولُه كان أسرعَ أو دفعُ عثمانَ رضي الله عنه ، فلم يزل يُلَبِّي حتّى رمى جَمْرَة العقبةِ يوم النحر .

وقال الحافظ[٥] البيهقي[٦] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني ، ثنا يحيى بن محمد بن يحيى ، ثنا عبد الرحمن بن[٧] المبارك العَيْشيّ[٨] ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن جُرَيْج ، عن محمد بن قيس بن مَخْرَمة ، عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ ، قال : خطَبَنا رسولُ الله بعرفة ، فحمدَ اللهَ وأثْنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ، فإنَّ أهْلَ الشِّرْكِ والأوثانِ كانوا يَدْفَعون من هاهنا عندَ غروب الشمس ، حتى تكون الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائِمِ الرِّجال على رؤوسها ، هَدْيُنا مُخالفٌ (هَدْيَهُمْ ، وكانوا يدفعون من المَشْعَرِ الحرام عند طلوع الشمس على رؤوس الجبال مثلَ عمائم الرجال على رؤوسها ، هديُنا مخالف)[٩] لهديهم .

قال : ورواه عبد الله بن إدريس ، عن ابن جُرَيْجٍ ، عن محمد بن قَيْس بن مَخْرَمَةَ مرسلاً .

وقال الإمام أحمد[١٠] : ثنا أبو خالد سليمانُ بنُ حَيّان [قال] سمعت الأعمش ، عن الحكم ، عن

---

(١) البخاري (١٦٨٣) والزيادة منه .
(٢) أ ، ط : (صلاتين) .
(٣) أ : (وحده) .
(٤) ط : (حتى يقيموا) .
(٥) ليس اللفظ في أ .
(٦) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٢٥) (٩٣٠٤) .
(٧) ليس اللفظ في ط .
(٨) ط : (العبسي) والحفظ حروفه مهملة في أ وانظر تهذيب الكمال (١٧/ ٣٨٢) .
(٩) ليس ما بين القوسين في ط . واستدركته عن النسخة « أ » .
(١٠) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٣١) (٢٠٥١) والزيادة منه ، وإسناده ضعيف ، فإن الحكم لم يسمع هذا الحديث من مقسم . قال الترمذي رقم (٨٩٥) : وفي الباب عن عمر ولذلك قال عنه : هذا حديث حسن صحيح .

مِقْسَم ، عن ابن عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ أفاضَ من المُزْدَلِفَة قبلَ طلوع الشَّمْس .

وقال البخاري[(١)] : ثنا زُهَيْر بن حَرْب ، ثنا وهب بن جَرير ، ثنا أبي ، عن يونس الأيْليِّ ، عن الزُّهْري ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله عن[(٤)] ابن عباس : أن أسامة كان رِدْفَ النبيِّ ﷺ من عَرَفَةَ إلى المُزْدَلِفَةِ ، ثم أردفَ الفضلَ من المزدلفة إلى منى . قال : فكلاهما قال : لم يزل النبي ﷺ يُلَبِّي حتى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبةِ . ورواه[(٢)] ابن جُرَيْج ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

وروى مسلم[(٣)] من حديث الليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن أبي مَعْبَد ، عن ابن عباس ، (عن الفضل بن عباس)[(٤)] . وكان رَديفَ رسولِ الله ﷺ أنه قال في عَشِيَّةِ عَرَفَةَ وغداة جَمْعٍ للناسِ حين دفعوا : عَلَيْكُمْ بالسَّكينةِ . وهو كافٌّ ناقتَهُ حَتَّى دَخَلَ مُحَسِّراً ، وهو من مِنىً قال : عليكم بحَصَى الخَذفِ[(٥)] الذي يُرْمى به الجمرةُ . (قال : ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى رمى الجمرة)[(٤)] .

وقال الحافظ[(٦)] البيهقي[(٧)] : باب الإيضاع في وادي مُحَسِّرٍ : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو عمرو المُقْرئ وأبو بكر الوراق ، قالا[(٨)] : أنبأنا الحسن بن سُفيان ، ثنا هشام بن عَمّار وأبو بكر بن أبي شيبة ، قالا : ثنا حاتم بن إسماعيل ، ثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر في حجِّ[(٩)] النبي ﷺ . قال : حَتَّى إذا أَتَى مُحَسِّراً حَرَّكَ قليلاً . رواه مسلم في « الصحيح »[(١٠)] عن أبي بكر بن أبي[(٦)] شيبة .

ثم روى البيهقي[(٧)] من حديث سُفيان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : أفاضَ رسولُ الله ﷺ وعليه السَّكينةُ ، وأمرهم بالسكينة ، وأوضَعَ في وادي مُحَسِّر ، وأمرهم أن يَرْموا الجمارَ بمثل حَصَى الخَذْفِ ، وقال : خُذوا عَنِّي مناسِكَكُم لعلِّي لا أراكُمْ بَعْدَ عامي هذا .

ثم روى البيهقي[(١١)] من حديث الثوري ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن زيد بن عليّ ، عن أبيه ،

---

(١) البخاري (١٦٨٦) .
(٢) البخاري (١٦٨٥) .
(٣) مسلم (١٢٨٢) (٢٦٨) .
(٤) ليس ما بين القوسين في أ .
(٥) الخذف : الرمي : وحصى الخذف : أي صغار (النهاية : خذف) .
(٦) ليس اللفظ في أ .
(٧) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٢٥) (٩٣٠٦) .
(٨) ليس اللفظ في ط .
(٩) أ : (حجة) .
(١٠) تقدم قبل ، وهو حديث جابر الطويل .
(١١) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٢٥) (٩٣٠٨) .

عن عُبَيْد الله بن أبي رافع ، عن عليّ : أنَّ رسول الله ﷺ أفاضَ من جَمْع ، حتى أتى مُحَسِّراً فقَزَّعَ[١] ناقتَهُ حتى جاوزَ الوادي فوقف ، ثم أردف الفضلَ ، ثم أتى الجَمْرَةَ فرماها . هكذا رواه مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد[٢] : ثنا أبو أحمد[٣] محمد بن عبد الله الزبيري ، ثنا سفيان عن[٤] عبد الرحمن بن الحارث بن عَيّاش بن أبي ربيعة ، عن زيد بن علي ، عن أبيه ، عن عُبَيْد الله بن أبي رافع ، عن علي رضي الله عنه ، قال : وقف رسول الله ﷺ بعرفة ، فقال[٥] : هذا الموقف ، وعَرَفَةُ كلُّها مَوْقفٌ . وأفاضَ حينَ غابتِ الشمسُ ، وأردفَ أسامةَ ، فجعل يُعْنِقُ[٦] على بعيره . والنّاسُ يضربون يميناً وشمالاً لا يلتفتُ[٧] إليهم ، ويقول : السَّكينةَ أيُّها الناس . ثم أتى جَمْعاً فصلّى بهم الصلاتين المغرب والعشاء . ثم بات حتّى أصبح ، ثم أتى قُزَح ، فوقف على قُزَح ، فقال : هذا الموقف ، وجَمْعٌ كلُّها موقفٌ . ثم سار حتّى أتى مُحَسِّراً ، فوقفَ عليه ، فقرع دابته ، فخبَّت حتى جاز الواديَ ثم حبسها ، ثم أرْدَفَ الفضل ، وسار حتى أتى الجمرة فرماها ، ثم أتى المَنْحَرَ . فقال هذا المَنْحَرُ ، ومِنىً كلُّها مَنْحَرٌ . قال : واسْتَفْتَتْهُ جاريةٌ شابَّةٌ من خثعم ، فقالت : إنّ أبي شَيْخٌ كَبيرٌ قد أفْنَد ، وقد أدْرَكَتْهُ فَريضَةُ اللهِ في الحجِّ ، فهل يُجْزِئُ عنه أن أُؤَدِّيَ عنه ؟ قال : نعم ! فأدِّي عن أبيكِ . قال ولَوى عنقَ الفضلِ ، فقال له العباسُ : يا رسولَ الله ﷺ ، لم لَوَيْتَ عنقَ ابنِ عمِّك ؟ قال : رأيتُ شاباً وشابةً فلم آمَنِ الشَّيْطانَ عليهما . قال : ثم جاءه رجل ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، حَلَقْتُ قبل أن أنْحَرَ . قال : انْحر ولا حَرَجَ . ثم أتاه آخر ، فقال : يا رسولَ الله إني أفَضْتُ قبلَ أنْ أحْلِقَ . قال احْلِقْ أو قَصِّرْ ولا حَرَجَ . ثم أتى البيتَ فطافَ ، ثم أتى زَمْزَمَ ، فقال : يا بني عبد المطلب سِقايَتكم ، ولولا أن يَغْلِبكم[٨] الناسُ عليها لنزعت بها[٩] . وقد رواه أبو داود[١٠] ، عن أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن آدم ، عن سُفْيان الثوري ، ورواه الترمذي[١١] ، عن

---

(١) ط : (فقرع) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٥) (٥٦٢) ، وإسناده حسن .
(٣) بعدها في أ : (عن) خطأ . وانظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٢٩) .
(٤) ط : (سفيان بن عبد الرحمن) خطأ .
(٥) بعدها في أ ، ط : (إنّ) وما أثبته عن المسند .
(٦) أ : (يعبر) .
(٧) في المسند : يلتفت .
(٨) أ : (تغلبكم) .
(٩) ط : (معكم) .
(١٠) أبو داود (١٩٢٢) .
(١١) الترمذي (٣/ ٢٣٢) (٨٨٥) .

بندار ، عن أبي[١] أحمد الزبيري . وابن ماجه[٢] عن عليّ بن محمد ، عن يحيى بن آدم . وقال الترمذي : حسنٌ صحيحٌ ، لا نعرفه من حديث علي إلا من هذا الوجه . قلت : وله[٣] شَواهدُ من وجوهٍ صحيحةٍ مُخَرَّجةٌ في الصحاح وغيرها ، فمن ذلك قصةُ الخَثْعميّة ، وهو في « الصحيحين »[٤] من طريق الفَضْل ؛ وتقدَّمت في حديث جابرٍ ، وسنذكر من ذلك ما تيسر .

وقد حكى البيهقي[٥] بإسناده[٦] ، عن ابن عباس أنّه أنكر الإسراعَ في وادي مُحَسِّرٍ ، وقال : إنّما كان ذلك من الأعراب . قال : والمُثْبِتُ مُقَدَّمٌ على النافي . قلت : وفي ثبوته عنه نَظَرٌ[٧] . والله أعلم .

وقد صَحَّ ذلك عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ . وصحَّ من صَنيع الشَّيْخَيْن أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، أنهما كانا يفعلان ذلك ، فروَى البَيْهقيُّ[٨] ، عن الحاكم ، عن النّجّادِ وغيره ، عن أبي عليّ محمد بن مُعاذِ بن المُسْتَهِلّ المعروف بدُرّان عن القَعْنبيّ ، عن أبيه ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن المِسْورِ بن مَخْرَمَة أنَّ عُمَر ، رضي الله عنه ، كان يُوضِعُ ويَقول : [من الرجز]

إليك تَعْدُو[٩] قَلِقاً وَضِينُها[١٠] مُخالِفٌ دينَ النَّصارى دِينُها

ذِكْرُ رَمْيِهِ عليه الصلاة والسلام جَمْرَةَ العَقَبَةِ وَحْدَها يَوْمَ النَّحْرِ ، وكَيْفَ رَماهَا ومتى رَماها ، ومنْ أيِّ مَوْضِعٍ رَماها (وبكم رماها)[١١] وقَطْعِه[١٢] التَّلْبِيَة حينَ رَماها

قد تقدَّم من حديث أُسامة والفضل وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، أنه عليه الصلاة والسلام ، لم يَزَلْ يُلَبِّي حتَّى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ .

---

(١) ليس اللفظ في ط .
(٢) ابن ماجه (٢/ ١٠٠١) (٣٠١٠) .
(٣) ط : (له) بلا واو .
(٤) البخاري (١٥١٣) ومسلم (١٣٣٥) .
(٥) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٢٦ ـ ١٢٧) (٩٣١٤) .
(٦) ط : (بإسناد) .
(٧) ليس اللفظ في أ .
(٨) (٥/ ١٢٦) .
(٩) أ : (يعدو) .
(١٠) الوضين : بطانٌ منسوج بعضه على بعض يُشدُّ به الرحل على البعير كالحزام للسرج ، أراد أنه سريع الحركة يصفه بالخفة وقلة الثبات . أراد أنها قد هزلت ودقت للسير عليها (النهاية : وضن) .
(١١) ليس ما بين القوسين في أ .
(١٢) ط : (وقطعة) .

وقال البيهقي[١] : أنبأنا الإمام أبو عثمان ، أنبأنا أبو طاهر بن خُزَيْمة أنبأنا جدِّي ـ يعني إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ ثنا علي بن حُجْرٍ ، ثنا شريك ، عن عامر بن شَقيق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : رَمَقْتُ النبيَّ ﷺ ، فلم يَزَلْ يُلَبِّي حتَّى رَمَى جمرةَ العقبةِ بأولِ حصاةٍ .

وبه[٢] عن ابن خزيمة ، ثنا عمر بن حفص الشيباني ، ثنا حفص بن غياث ، ثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن عليّ بن الحسين ، عن ابن عباس ، عن الفضل ، قال : أَفَضْتُ مع رسول الله من عرفاتٍ ، فلم يَـزَلْ يُلَبِّي حتى رَمَى جَمْرَةَ العقبةِ يُكَبِّر مع كلِّ حَصاةٍ ، ثم قطع التلبيةَ مع آخر حصاة. قال البيهقي[٣] : وهذه زيادةٌ غريبة ليست في الرواياتِ المشهورة عن ابن عباس ، عن الفضل ، وإن كان ابنُ خزيمة قد اختارها .

وقال محمد بن إسحاق[٤] : حدّثني أبان بن صالح ، عن عكرمة . قال : أفَضتُ مع الحسين بن عليّ فما أزالُ أسمعُه يُلَبِّي حتى رمى جَمرة العقبة ، فلما قذفها أمسكَ ، فقلتُ : ما هذا ؟ فقال : رأيتُ أبي عليَّ بن أبي طالب يُلَبِّي حتى رمى[٥] جمرةَ العَقَبة ، وأخبرني أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يفعلُ ذلك .

وتقدَّم من حديث الليث ، عن أبي الزبير ، عن أبي مَعْبد ، عن ابن عباس ، عن أخيه الفضل[٦] ، أن النبيَّ ﷺ أمر الناسَ في وادي مُحَسِّرٍ بحَصى الخَذْفِ الذي يُرْمَى به الجمرةُ . رواه مسلم .

وقال أبو العالية[٧] ، عن ابن عباس ، حدّثني الفضل ، قال : قال لي رسول الله ﷺ غداةَ يوم النَّحر : هاتِ فٱلْقُطْ لي حصاً . فلقَطْتُ له حَصَياتٍ مثلَ حَصَى الخَذْفِ فوضَعَهُنّ في يده ، فقال : بأمثالِ هؤلاء ، بأمثال هؤلاء ، وإيّاكُم والغُلُوَّ فإنّما أهْلَكَ منْ كانَ قَبْلَكُمْ الغُلُوُّ في الدين . رواه[٨] البيهقي .

وقال جابر في حديثه : حتى أتى بطنَ مُحَسِّرٍ فَحَرَّكَ قليلاً ، ثم سَلَكَ الطَّريقَ الوُسْطَى التي تَخْرُجُ على الجَمْرَةِ الكُبْرى ، حتى أتى الجَمْرَةَ فرماها بسبع حَصَياتٍ يُكَبرُ مع كلّ حَصاةٍ منها[٩] حصَى الخَذْفِ رمى من بطن الوادي . رواه مسلم .

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٣٧) (٩٣٨٥) .
(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٣٧) (٩٣٨٥) .
(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٣٧ ـ ١٣٨) (٩٣٨٦) .
(٤) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٣٨) (٩٣٨٨) .
(٥) ليس لفظا (حتى رمى) في أ .
(٦) بعدها في أ : (قال قال) .
(٧) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٢٧) (٩٣١٧) .
(٨) أ : (ورواه) .
(٩) بعدها في ط : (مثل) .

وقال البخاري[(١)] : وقال جابر رضي الله عنه : رمى النبي ﷺ يومَ النَّحْرِ ضُحًى ، ورمى بَعْدَ[(٢)] ذلك بعد الزوال .

وهذا الحديث الذي عَلَّقه البخاري أَسْنَدَهُ مُسْلم[(٣)] من حديث ابن جُرَيْج ، أخبرني أبو الزبير ، سمع جابراً ، قال : رمى رسول الله ﷺ الجمرةَ يومَ النَّحْر ضحى ، وأما بعدُ فإذا زالتِ الشَّمْسُ .

وفي « الصحيحين »[(٤)] من حديث الأَعْمَش ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : رمى عبدُ الله من بطن الوادي ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إن ناساً يرمونها من فوقها ، فقال : والذي لا إله غيره هذا مَقامُ الذي أُنْزِلتْ عليه سورة البقرة . لفظ البخاري . وفي لفظٍ له[(٥)] من حديث شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه أتى[(٦)] الجمرةَ الكبرى ، فجعلَ البيتَ عن يساره ، ومنًى عن يمينه ، ورمى بسبعٍ ، وقال : هكذا رمى الذي أُنْزِلَتْ عليه سورةُ البَقَرَةِ .

ثم قال البخاري[(٧)] : باب منْ رَمَى الجِمارَ بسبعٍ يُكَبِّر معَ كُلِّ حَصاةٍ ، قاله ابن عمر ، عن النبي ﷺ ، وهذا إنما يُعْرفُ في حديث جابر ، من طريق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ـ كما تقدم ـ أنَّه أَتَى الجَمْرَةَ فرماها بسبعِ حَصَياتٍ يُكَبِّر مَعَ كُلِّ حصاةٍ منها[(٨)] حَصَى الخَذْفِ .

وقد روى البخاري[(٩)] في هذه الترجمة من حديث الأَعْمشِ ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود : أَنّه رَمَى الجَمْرة من بطن الوادي بسبع حَصيات يُكَبِّر مَعَ كُلِّ حصاةٍ . ثم قال : من هاهنا ، والذي لا إلهَ غيرُه قام الذي أُنْزِلَتْ عليه سورةُ البَقَرَةِ .

وروى مسلم[(١٠)] من حديث ابن جُرَيْجٍ ، أخبرني أبو الزبير ، سمع جابر بن عبد الله ، قال : رأيتُ رسول الله ﷺ رمى[(١١)] الجمرة بسبعٍ مثل حَصَى الخَذْفِ .

---

(١) رواه البخاري معلقاً قبل (١٧٤٦) .
(٢) ط : (بعدد) .
(٣) مسلم (١٢٩٩) (٣١٤) .
(٤) البخاري (١٧٤٧) ومسلم (١٢٩٦) .
(٥) أ : (آخر) في البخاري (١٧٤٨) .
(٦) بعدها في أ : (إلى) .
(٧) رواه البخاري قبل (١٧٤٨) .
(٨) بعدها في ط : (مثل) .
(٩) البخاري (١٧٥٠) .
(١٠) مسلم (١٢٩٩) (٣١٣) .
(١١) ط : (يرمي) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا يحيى بن زكريا ، ثنا حَجّاج ، عن الحكم ، عن أبي القاسم - يعني مِقْسماً - عن ابن عباس . أنَّ[٢] النبيَّ ﷺ رمى الجمرةَ جمرةَ العقبة يوم النحر راكباً . ورواه الترمذي[٣] عن أحمد بن مَنيع ، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، وقال : حسن . وأخرجه ابن ماجه[٤] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر[٥] ، عن الحجاج بن أرطاة به .

وقد روى أحمد[٦] وأبو داود[٧] وابن ماجه[٨] والبيهقي[٩] من حديث يزيد بن أبي[١٠] زياد ، عن سليمان بن عمرو بن الأحْوص ، عن أمه ، أم جندب الأزدية ، قالت : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَرمي الجِمارَ من بطنِ الوادي ، وهو راكبٌ يُكَبِّر مع كل حَصاةٍ ، ورجلٌ من خلفه ، يَسْتُرُهُ ، فسألتُ عن الرجل ، فقالوا : الفضل بن عباس ، فازدحمَ الناسُ ، فقال النبيُّ ﷺ : يا أيها الناس ، لا يقتلْ بعضُكم بعضاً ، وإذا رَمَيْتُمُ الجَمْرَةَ فارموها[١١] بمثلِ حصَى الخَذْفِ . لفظ أبي داود . وفي رواية له[١٢] قالت : رأيتُه عندَ جمرةِ العَقَبة راكباً ، ورأيت بين أصابعه حجراً ، فرمى ورمى الناسُ ، ولم يُقِمْ عندها .

ولابن ماجه[١٣] قالت : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ النَّحْرِ عندَ جمرةِ العقبةِ ، وهو راكبٌ على بَغْلةٍ . . . وذكَرَ الحديث . وذِكْرُ البَغْلةِ هاهنا غَريب جدّاً .

وقد روى مسلم في « صحيحه »[١٤] من حديث ابن جُرَيْج ، أخبرني أبو الزبير ، سمعت جابرَ بن

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٣٢) (٢٠٥٦) ، إسناده ضعيف ، الحجاج هو ابن أرطاة ، وهو مدلس وقد عنعنه ، والحكم لم يسمع هذا الحديث من مقسم ، لكن متنه حسن كما قال الترمذي .
(٢) ليس اللفظ في أ .
(٣) الترمذي (٨٩٩) .
(٤) أ : (أخرجه) بلا واو . وانظر ابن ماجه (٣٠٣٤) .
(٥) أ : (الأغر) .
(٦) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٧٩) ، إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد ، وجهالة حال سليمان بن عمرو بن الأحوص ، ومتنه حسن لغيره (بشار) .
(٧) أبو داود (١٩٦٦) ، وهو حديث حسن .
(٨) ابن ماجه (٢/ ١٠٠٨) (٣٠٢٨) و(٣٠٣١) ، وهو حديث حسن .
(٩) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٢٨) (٩٣٢٢) .
(١٠) ليس اللفظ في ط .
(١١) ط : (فارموه) .
(١٢) أبو داود (١٩٦٧ و١٩٦٨) ، وإسناده مثل سابقه .
(١٣) ابن ماجه (٣٠٢٨) .
(١٤) مسلم (١٢٩٧) .

عبد الله يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يرمي الجمرةَ على راحلته يوم النحر ويقول[١] : لتَأْخذُوا مناسِكَكُم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه .

وروى مسلم[٢] أيضاً من حديث زيد بن أبي أُنَيْسةَ ، عن يحيى بن الحُصَيْن ، عن جدَّته أم الحُصَيْن ، سمعتُها تقول : حَجَجْتُ مع رسولِ الله ﷺ حجةَ الوَداع ، فرأيتُهُ حين رَمَى جمرةَ العقبة ، وانصرفَ وهو على راحلته يومَ النَّحْرِ وهو يقول : لتأخذوا مناسِكَكُم فإنّي لا أدري لعلي لا أَحُجُّ بعد حجتي هذه . وفي رواية[٣] قالت : حَجَجْتُ مع رسول الله حجةَ الوداع ، فرأيتُ أسامةَ وبلالاً ، وأَحَدُهُما آخذٌ بخِطامِ ناقةِ النبيّ ﷺ والآخرُ رافعٌ ثوبَهُ يَسْتره من الحرِّ حتى رمَى جمرةَ العقبة .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيري ، ثنا أيمن بن نابل ، ثنا قُدامة بن عبد الله الكِلابي ، أنه رأى رسولَ الله ﷺ رمى الجَمْرَة[٥] جمرة العقبة من بطن الوادي يوم النحر على ناقةٍ له صهباءَ ، لا ضَرْب ولا طَرْد ولا إليكَ إليكَ .

ورواه أحمد[٦] أيضاً ، عن وكيع ومُعْتمر بن سليمان ، وأبي قُرَّة موسى بن طارق الزبيدي ، ثلاثتهم عن أيمن بن نابل[٧] به . ورواه أيضاً[٨] عن أبي قرَّة ، عن سفيان الثوري ، عن أيمن . وأخرجه النّسائي[٩] وابن ماجه[١٠] من حديث وكيع به . ورواه الترمذي[١١] عن أحمد بن مَنيع ، عن مروان بن معاوية ، عن أيمن بن نابل به . وقال : حديث[١٢] حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد[١٣] : ثنا نوح[١٤] بن ميمون ، ثنا عبد الله ـ يعني العمري ـ عن نافع ، قال : كان

---

(١) أ : (وهو يقول) .
(٢) مسلم (١٢٩٨) .
(٣) مسلم (١٢٩٨) (٣١٢) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤١٣) ، وهو حديث صحيح .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤١٢ ـ ٤١٣) ، وهو حديث صحيح .
(٧) ط : (نائل) وهو تحريف . انظر تهذيب الكمال (٣/ ٤٤٧) .
(٨) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤١٣) ، وهو حديث صحيح .
(٩) النسائي (٣٠٦١) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) ابن ماجه (٣٠٣٥) ، وهو حديث صحيح .
(١١) الترمذي (٩٠٣) ، وهو حديث صحيح .
(١٢) في ط : « وقال : هذا حديث » ، ولفظة هذا ليست في أ ، ولا في جامع الترمذي .
(١٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٣٨) (٦٢٢٢) ، وإسناده ضعيف لضعف عبد الله العمري ، ولكن له طريق أخرى عند الترمذي رقم (٩٠٠) فهو حسن .
(١٤) أ : (فرج) .

ابن عمر يرمي جمرةَ العقبة على دابته يوم النحر ، وكان لا يأتي سائرها بعد ذلك إلا ماشياً . وزعم أن النبي ﷺ كان لا يأتيها إلا ماشياً ذاهباً وراجعاً . ورواه أبو داود[1] عن القَعْنبي عن عبد الله العمري به .

فصـــل

قال جابر : ثمَّ انصرفَ إلى المَنْحر ، فَنَحَر ثلاثاً وستِّين بيده ، ثم أعْطَى علياً فنحر ما غَبَرَ وأشْرَكَهُ في هَدْيه ، ثم أمَرَ من كُلِّ بَدَنةٍ ببضعةٍ ، فجُعلتْ في قِدْرٍ ، فطُبختْ ، فأكلا من لحمها وشربا من مَرَقِها . وسنتكلم على هذا الحديث .

وقال الإمام أحمد[2] بن حنبل ، ثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن حُميد الأعْرَج ، عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي ، عن عبد الرحمن بن معاذ ، عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ . قال : خطبَ النبيُّ ﷺ الناس[3] بمنىً ، ونزّلهم منازلهم ، فقال : لينزلِ المُهاجرون هاهنا وأشار إلى ميمنة القبلة ، والأنصار هاهنا . وأشار إلى ميسرة القبلة . ثم لينزلِ النّاسُ حولَهم . قال : وعلَّمَهم مناسِكَهُم ؛ ففُتِحَتْ أسماعُ أهل منى ، حتى سَمِعوه في منازلهم . قال فسمعتُه يقولُ : ارموا الجمرةَ بمثل حصَى الخَذْفِ . وكذا رواه أبو داود[4] عن أحمد بن حنبل ، إلى قوله : ثم لينزلِ النّاسُ حَوْلَهُمْ .

وقد رواه الإمام أحمد[5] ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه ، وأبو داود ، عن مُسَدَّدٍ ، عن عبد الوارث ، وابن ماجه من حديث ابن المبارك ، عن عبد الوارث ، عن حميد بن قيس الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عبد الرحمن بن مُعاذٍ التَّيْمي . قال : خَطَبنا رسولُ الله ﷺ ونحن بمنى ، ففُتِحَتْ أسْماعُنا حتّى كأنا[6] نَسْمَعُ ما يقول . . . الحديث . ذكر جابر بن عبد الله أنَّ رسولَ الله ﷺ أشركَ عليَّ بن أبي طالب في الهَدْي ، وأن جماعةَ الهَدْيِ الذي قدم به عليٌّ منَ اليَمَنِ والذي جاءَ به رسولُ الله ﷺ مئة من الإبل ، وأن رسول الله ﷺ نحر بيده الكريمة ثلاثاً وستّين بَدَنة .

قال ابن حبان وغيره[7] : وذلك مناسب لعُمُرِه عليه الصلاة والسلام فإنّه كان ثلاثاً وستّين سنة .

---

(١) أبو داود (١٩٦٩) ، وهو حديث حسن برواية الترمذي رقم (٩٠٠) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٦١) و(٥/ ٣٧٤) (٢٣٢٢٥) ، وهو حديث صحيح .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) أبو داود (١٩٥١) ، وهو حديث صحيح .
(٥) مسند الإمام أحمد (٤/ ٦١) . (٥/ ٣٧٤) (٢٣٢٢٦) وأبو داود رقم (١٩٥٧) والنسائي رقم (٢٩٩٦) ، وليس عند ابن ماجه ، وانظر (جامع المسانيد) للمصنف (٨/ ٤٥٠) ، وهو حديث صحيح .
(٦) ط : (كأنَّ) والأصحُّ ما ورد في سنن أبي داود ، وسنن النسائي : (كنّا) .
(٧) الإحسان (٩/ ٢٥٢) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا يحيى بن آدم ، ثنا زهير ، ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس ، قال : نَحَرَ رسولُ الله ﷺ في الحجِّ مئةَ بَدَنةٍ ، نحرَ منها بيده سِتّين وأمرَ ببقيّتها فنُحِرَتْ ، وأخذ من كلِّ بَدَنةٍ بضعةً ، فجُمعتْ في قِدْرٍ ، فأكل منها ، وحَسَا من مَرَقِها . قال : ونحرَ يومَ الحُدَيْبية سَبْعين ، فيها : جَمَلُ أبي جَهْل ، فلمّا صُدَّتْ عن البيتِ حَنَّتْ كما تَحِنّ إلى أولادها .

وقد روى ابن ماجه[٢] بعضَه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وعلي بن محمد ، عن وكيع ، عن سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى به .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني رجل ، عن عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد بن جبر ، عن ابن عباس ، قال : أهدى رسولُ الله في حجَّةِ الوداع مئة بَدَنةٍ ، نحرَ منها ثلاثين بَدَنة بيده ، ثم أمر علياً فنحر ما بَقِيَ منها . وقال : اقْسمْ[٤] لحومَها وجلودَها وجلالَهَا بين الناس ، ولا تُعْطيَنَّ جَزّاراً منها شيئاً ، وخُذ لنا من كلِّ بعير حِذْية[٥] من لحمٍ ، واجْعَلْها في قِدْرٍ واحدة حتى نأكلَ من لَحْمِها ونَحْسوَ من مَرَقِها ففعل .

وثبت في « الصَّحيحين »[٦] من حديث مُجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن عليّ ، قال : أمرني[٧] رسولُ الله ﷺ أن أقومَ على بُدْنِهِ ، وأن أتصدَّقَ بلحومها وجلودها وأجِلَّتِها ، وأن لا أُعْطي الجَزّار منها شيئاً ، وقال : نحن نُعْطيه من عندنا .

وقال أبو داود[٨] : ثنا محمد بن حاتم ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن حَرْمَلة بن عِمْران ، عن عبد الله بن الحارث الأَزْدي ، سمعتُ غَرَفَة[٩] بن الحارث الكِنْديّ ، قال : شَهِدْتُ رسولَ الله ﷺ وأُتيَ بالبُدْنِ فقال : ادعوا[١٠] لي أبا حسنٍ ، فدُعِيَ له عليٌّ . فقال له : خُذْ بأسْفَلِ الحَرْبَةِ . وأخذَ رسولُ الله ﷺ بأعلاها ، ثم طَعَنَ[١١] بها البُدْنَ ، فلما فرغَ ركبَ بَغْلَته وأردفَ عَليّاً .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٣١٤) (٢٨٨٢) ، وإسناده ضعيف ، لضعف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ولانقطاعه بين الحكم ومقسم .

(٢) ابن ماجه (٣١٠٠) ، وهو حسن بطرقه .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٠) (٢٣٥٩) ، وإسناده ضعيف .

(٤) ط : (قسم) .

(٥) ط : (جدية) تحريف . والحذية : القطعة (النهاية : حذا) .

(٦) البخاري (١٧٠٧) ومسلم (١٣١٧) (٣٤٨) .

(٧) أ : (أمر) .

(٨) أبو داود (١٧٦٦) .

(٩) أ ، ط : (عرفة) وهو تحريف صححته عن تقريب التهذيب ـ عوّامة ـ (٤٤٢) .

(١٠) ط : (ادع) تحريف .

(١١) في الأصول : طعنا ، والتصحيح من سنن أبي داود .

تفرَّدَ به أبو داود ، وفي إسْنادِهِ ومَتْنِهِ . غَرابةٌ . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[١]: ثنا أحمد بن الحجّاج، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا الحجاجُ بن أرطاة ، عن الحكم ، عن أبي القاسم ـ يعني مِقْسماً ـ عن ابن عباس ، قال: رمى رسولُ الله ﷺ جمرةَ العقبةِ، ثم ذَبَحَ، ثم حَلَقَ .

وقد ادَّعى ابنُ حزمٍ أنه ضَحَّى عن نسائه بالبقر ، وأهدى عَنْهنَّ[٢] بقرةً ، وضَحّى هو يومئذ[٣] بكَبْشَيْن أمْلَحَين .

صفَةُ حَلْقِهِ رَأْسَه الكريم[٤] عليه أفضل الصلاةِ والتَّسْليم

قال الإمام أحمد[٥] : ثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ حَلَقَ في حجته. ورواه النَّسائي[٦] عن إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهويه ـ عن عبد الرزاق به .

وقال البخاري[٧] : ثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب ، قال : قال نافع : كان عبد الله بن عمر يقول : حَلَقَ رسولُ الله ﷺ في حجته . ورواه مسلم[٨] من حديث موسى بن عقبة عن نافع به .

وقال البخاري[٩] : ثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، ثنا جُوَيْرية بن أسماء ، عن نافع أنَّ عبد الله بن عمر ، قال : حَلَقَ رسول الله ﷺ وطائفة من أصحابه وقَصَّرَ بعضهم .

ورواه مسلم[١٠] من حديث الليث ، عن نافع به . وزاد قال عبد الله : قال : رسول الله ﷺ : يَرْحَمُ اللهُ المُحَلِّقين مَرةً أو مَرَّتَيْن[١١] . قالوا : يا رسول الله[١٢] والمُقَصِّرين . قال والمُقَصِّرين .

وقال مسلم[١٣] : ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا وكيع وأبو داود الطيالسي ، [عن شعبة] عن يحيى بن

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٥٠) (٢٢٥٣) ، وإسناده ضعيف ، ولكن له شاهد من حديث أنس عند مسلم رقم (١٣٠٥) فهو به حسن .
(٢) ط : (بمنى) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) أ : (الكريمة) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٣) (٤٨٨٩) ، وإسناده صحيح .
(٦) السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٤٩) (٤١١٤) .
(٧) البخاري (١٧٢٦) .
(٨) مسلم (١٣٠٤) .
(٩) البخاري (١٧٢٩) .
(١٠) مسلم (١٣٠١) .
(١١) أ : (أو ثنتين) .
(١٢) ليست عبارة (يا رسول الله) ليست في أ .
(١٣) مسلم (١٣٠٣) .

الحُصَيْن ، عن جدته ، أنَّها سَمِعَتْ رسولَ الله ﷺ في حجَّة الوداع دعا للمُحَلِّقين ثلاثاً وللمُقَصِّرين مرة . ولم يَقُلْ وكيعٌ : في حجةِ الوداع . وهكذا روى هذا الحديثَ مسلمٌ[١] من حديث مالك وعُبَيْد الله[٢] ، عن نافع ، عن ابن عمر ، وعُمارة ، عن أبي زُرْعَة ، عن أبي هريرة ، والعَلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة[٣] . وقال مسلم[٤] : ثنا يحيى بن يحيى ، ثنا حفص بن غياث ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسول الله ﷺ أتى منًى ، فأتى الجمرة فرماها ، ثم أتى منزله بمنى ونحر . ثم قال للحَلّاق : خُذْ ، وأشار إلى جانبه الأيمن ، ثم الأيسر ، ثم جعل يُعْطيه الناسَ . وفي روايةٍ له[٥] : أنه حلق شِقَّه الأيمنَ ، فقسمه بينَ النّاس من شعرةٍ وشعرتَيْن ، وأعطى شِقَّه الأيْسَرَ لأبي طلحة . وفي روايةٍ[٦] له أنه أعطى الأيمن لأبي طلحة وأعطاه الأيسر ، وأمره أن يَقْسِمَه بين الناس .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدثنا سليمان بن حرب ، ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ والحَلّاق يَحْلِقُه ، وقد أطاف به أصحابُه ، ما يريدون أن تَقعَ[٨] شَعْرةٌ إلا في يَدِ رَجُلٍ . انفرد به أحمد .

فصـــل

ثم لبس عليه الصلاة والسلام ثيابَهُ وتَطَيَّبَ بعدَما رمى جمرةَ العَقَبة ونحر هَدْيَه ، وقبل أن يطوفَ بالبيت ، طَيَّبَتْهُ عائشةُ أم المؤمنين .

قال البخاري[٩] : ثنا علي بن عبد الله بن المَديني ، ثنا سُفيان ـ هو ابن عُيَيْنة ـ ثنا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد وكانَ أفضلَ أهلِ زمانه . أنَّه سمعَ أباه ، وكان أفضلَ أهلِ زمانه ، يقول : إنَّه سمعَ عائشةَ تقول : طَيَّبْتُ رسولَ الله ﷺ بيديَّ هاتين حينَ أحرمَ ، ولحلِّه حينَ أحلَّ قبل أن يطوفَ وبسطتْ يَدَيها .

وقال مسلم[١٠] : ثنا يعقوب الدَّوْرَقي وأحمد بن مَنيع ، قالا : ثنا هُشَيْم ، أنبأنا منصور ، عن

---

(١) مسلم (١٣٠١) (٣١٧) .
(٢) م : (وعبد الله) .
(٣) مسلم (١٣٠٢) (٣٢٠) .
(٤) مسلم (١٣٠٥) (٣٢٣) .
(٥) مسلم (١٣٠٥) (٣٢٤) .
(٦) مسلم (١٣٠٥) (٣٢٦) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٣٣) (١٢٣٨٦) أقول : ورواه مسلم رقم (٢٣٢٥) .
(٨) م : (يقع) .
(٩) البخاري (١٧٥٤) .
(١٠) مسلم (١١٩١) .

عبد الرحمن بن القاسم . عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كنتُ أُطَيِّبُ رسولَ الله ﷺ قبلَ أنْ يُحْرِمَ ويحلّ ، يومَ النحر قبلَ أن يطوفَ بالبيتِ بطيبٍ فيه مِسْكٌ .

وروى النَّسائيّ[(١)] من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزُّهْري ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قالت : طَيَّبْتُ رسولَ الله ﷺ لِحُرْمِهِ حين أحرم ، ولحِلِّه بعدما رمى جمرةَ العقبةِ قبلَ أن يطوفَ بالبيت .

وقال الشافعي : أنبأنا سُفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سالم ، قال : قالت عائشة : أنا طَيَّبْتُ رسولَ الله ﷺ لحِلِّه وإحْرامِه .

ورواه عبدُ الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهريّ ، عن سالمٍ ، عن عائشة . . . فذكره .

وفي الصَّحيحين[(٢)] من حديث ابن جريج ، أخبرني عمر بن عبد الله بن عروة ، أنه سمع عروة والقاسم يُخبران عن عائشة ، أنها قالت : طَيَّبْتُ رسولَ الله بيديَّ بذَريرةٍ في حجّةِ الوداعِ للحِلِّ والإحْرامِ . ورواه مسلم[(٣)] من حديث الضَّحاك بن عثمان عن أبي الرِّجال ، عن أمه عَمْرَة ، عن عائشة به .

وقال سفيان الثوري[(٤)] ، عن سلَمة بن كُهَيْل ، عن الحسن العُرَني[(٥)] عن ابن عباس . أنه قال : إذا رَمَيْتُمُ الجمرةَ فقد حَلَلْتُمْ من كل شيء كان عليكم حراماً إلا النساء حتى تطوفوا بالبيت . فقال رجل : والطِّيبُ يا أبا العباس ؟ فقال له : إنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ يضمخُ رأسَهُ بالمسك ، أفَطيبٌ هو أم لا ؟

وقال محمد بن إسحاق[(٦)] : حدّثني أبو عُبَيْدة عن عبد الله بن زَمْعة ، عن أبيهِ ، وأمّهِ : زينب بنت أمِّ سلمة ، عن أم سلمة ، قالت : كانت الليلةُ التي يدورُ فيها رسول الله ﷺ ليلةَ النَّحْرِ ، فكان رسول الله ﷺ عندي ، فدخل وَهْبُ بن زَمْعَة ، ورجلٌ من آل أبي أمية مُتقَمِّصين . فقال لهما رسول الله ﷺ : أفَضْتُما ؟ قالا : لا . قال : فانزعا قميصيكما[(٧)] فنزعاهما . فقال له وهب : ولمَ يا رسول الله . فقال : هذا يوم أُرْخِصُ لكم فيه ، إذا رَمَيْتُم الجمرةَ ونَحَرْتُم هَدْياً ، إن كان لكم ، فقد حللتُمْ من كل شيءٍ حُرِمْتُمْ

---

(١) النسائي (٥/ ١٣٧) (٢٦٨٧) .
(٢) البخاري (٥٩٣٠) ومسلم (١١٨٩) (٣٥) .
(٣) مسلم (١١٨٩) (٣٨) .
(٤) النسائي (٥/ ٢٧٧) (٣٠٨٤) وابن ماجه (٣٠٤١) والسنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٣٦) (٩٣٧٨) ، وإسناده ضعيف لانقطاعه فإن الحسن العرني لم يلق ابن عباس . وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها عند أحمد (٦/ ٢٤٤) رقم (٢٦٠٧٨) ولحديث عائشة طريق أخرى عند البيهقي (٥/ ١٣٥) فهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.
(٥) ط : (العوفي) والعرني : بضم المهملة ، وفتح الراء ، بعدها نون الحسين بن عبد الله العرني الكوفي . ثقة ، أرسل عن ابن عباس (تقريب التهذيب ١٦١) .
(٦) هو في السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٣٦) . (١٣٧) (٩٣٨٠) .
(٧) أ : (قميصكما) .

منه إلا النساءَ حتى تطوفوا بالبيت ، فإذا أمْسَيْتُم[١] ولم تُفيضوا صِرْتُم حُرماً كما كنتُم أولَ مرةٍ حتى تطوفوا بالبيت . وهكذا رواه أبو داود[٢] عن أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، كلاهما عن ابن أبي عَدِيّ ، عن ابن إسحاق . . . فذكره .

وأخرجه البيهقي[٣] ، عن الحاكم ، عن أبي بكر بن إسحاق[٤] ، عن أبي المُثَنى العنبري ، عن يحيى بن معين ، وزاد في آخره : قال أبو عُبَيْدة : وحدّثتني أمُّ قَيْس بنتُ مِحْصَنٍ ، قالت : خرج من عندي عُكّاشَةُ بن مِحْصنٍ في نَفَرٍ من بني أسد مُتَقَمِّصينَ عَشيَّةَ يوم النَّحْر ، ثم رَجَعوا إلينا عَشيّاً ، وقُمُصُهُمْ على أيديهم يحملونها ، فسألْتُهُمْ فأخبروها بمثلِ ما قال رسول الله ﷺ لوهب بن زَمْعَة وصاحبه . وهذا الحديثُ غريبٌ جداً ، لا أعلمُ أحداً من العلماء قال به .

ذكر إفاضَتِهِ ﷺ إلى البيتِ العَتيقِ

قال جابر : ثم ركبَ رسولُ الله ﷺ فأفاضَ إلى البيت ، فصلَّى بمكةَ الظهرَ ، فأَتَى بني عَبْدِ المُطَّلب ، وهم يَسْقون على زَمْزم ، فقال : انْزِعوا بني عبد المطلب ، فلولا أن يَغْلِبكم الناسُ على سِقايتكم لنزعتُ معكم . فناولوه دَلْواً فشرب منه . رواه مسلم . ففي هذا السِّياق ما يدُلُّ على أنه عليه الصلاة والسلام ركب إلى مكة قبلَ الزّوال ، فطاف بالبيت ثم لمّا فرغَ صلَّى الظهرَ هناك .

وقال مسلم[٥] أيضاً : أخبرنا محمد بن رافع ، أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا (عُبَيْد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنّ رسول الله ﷺ أفاض يوم النحر ، ثم رجع فصلّى الظهر)[٦] بمنى . وهذا خلافُ حَديث جابرٍ ، وكلاهما عند مسلم . فإن عملنا[٧] بهما أمكن أن يقال : إنه عليه الصلاة والسلام صلَّى الظهرَ بمكةَ ، ثم رجع إلى منىً ، فوجد الناسَ يَنْتظِرونهُ ، فصلَّى بهم ، والله أعلم . ورجوعه عليه الصلاة والسلام إلى منًى في وَقْتِ الظُّهْرِ ممكنٌ ؛ لأنَّ ذلك الوقتَ كانَ صَيْفاً ، والنهار طويلٌ ، وإن كان صَدَر منه عليه الصلاة والسلام أفعالٌ كثيرةٌ في صَدْر هذا النهار ، فإنه دفع فيه من المُزْدَلفة بعد ما أسفر الفجر جداً ، ولكنَّه قبلَ طلوع الشَّمس ، ثُمَّ قدمَ مِنًى فبدأ برمي جمرةِ العقبة بسبع حَصَيات ، ثم جاء فنحرَ بيده ثلاثاً

---

(١) ط : (رميتم) .
(٢) أبو داود (١٩٩٩) ، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٩٥) وهو حديث حسن .
(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٣٧) (انظر التخريج السابق) .
(٤) ط : (بن أبي إسحاق) وفيها زيادة . وانظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٨٣) .
(٥) مسلم (١٣٠٨) .
(٦) ليس ما بين القوسين في ط .
(٧) ط : (عللنا) .

وستّين بَدَنةً ، ونحرَ عليّ بقيةَ المئة ، ثم أخذ[١] من كل بدنةٍ بضعةً ، ووضعت في قِدْرٍ ، وطُبختْ حتى نضِجَتْ ، فأكل من ذلك اللحم ، وشرب من ذلك المَرَق . وفي غضون[٢] ذلك حلق رأسه عليه الصلاة والسلام وتطيَّبَ ، فلما فرغ من هذا كلِّه ركبَ إلى البيت ، وقد خطبَ عليه الصلاة والسلام في هذا اليوم خطبةً عظيمة ، ولستُ أدري أكانت قبلَ ذهابه إلى البيت أو بعد رجوعه منه إلى منىً . فالله أعلم .

والقَصْـدُ أنَّه ركـبَ إلى البيـت فطاف به سبعةَ أطوافٍ راكباً ، ولم يَطُفْ بينَ الصَّفا والمَرْوة كما ثبت في « صحيح مسلم » عن جابر وعائشة رضي الله عنهما ، ثم شرب من ماء زَمْزم ومن نبيذ بتمرٍ[٣] من ماء زمزم . فهذا كله مما يُقَوِّي قول منْ قالَ : إنّه عليه الصلاة والسلام صلَّى الظهر بمكةَ . كما رواه جابر . ويُحتمـل أنّه رجـعَ إلى مِنىً في آخرِ وَقْت الظُّهـرِ ، فصلَّى بأصحابه بمنىً الظُّهْرَ أيضاً . وهذا هو الذي أشكـل على ابـن حزم ، فلم يَدْرِ ما يقول فيه ، وهـو مَعذور لتعارض الروايات الصحيحة فيه . والله أعلم .

وقال أبو داود[٤] : ثنا علي بن بحر وعبد الله بن سعيد ، المَعْنَى ، قالا : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : أفاضَ رسولُ الله ﷺ من آخر يومه حين صلَّى الظهر ، ثم رجع إلى منًى ، فمكثَ بها لياليَ أيام التَّشْريق يَرْمي الجَمْرة إذا زالت الشمسُ ، كلَّ جَمْرةٍ بسبعِ حَصَياتٍ يُكبِّر مَعَ كُلّ حَصَاةٍ .

قال ابنُ حَزْمٍ : فهذا جابرٌ وعائشة قد اتَّفقا على أنه عليه الصلاة والسلام صَلَّى الظُّهْرَ يومَ النَّحْر بمكة ، وهما ـ والله أعلم ـ أَضْبَطُ لذلك من ابن عمر . كذا قال ، وليس بشيء ، فإنَّ روايةَ عائشةَ هذه ليست ناصَّةً أنه عليه الصلاة والسلام صلَّى الظُّهْرَ بمكةَ ، بل مُحْتملةٌ إنْ كانَ المَحْفوظ في الرواية حتى صلَّى الظُّهر . وإن كانت الروايةُ حين صلى الظهرَ ، وهو الأشبه فإنَّ ذلك دليلٌ على أنّه عليه الصلاة والسلام ، صلّى الظُّهر بمنىً قبلَ أن يذهبَ إلى البيت ، وهو مُحْتملٌ ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وعلى هذا فيَبْقَى مُخالفاً لحديثِ جابر ، فإنّ هذا يقتضي أنه صلى الظهر بمنى قبلَ أن يَرْكَبَ إلى البيت ، وحديثُ جابرٍ يقتضي أنه ركبَ إلى البيت ، قبل أن يُصلِّي الظهرَ وصَلاّها بمكة .

وقد قال البخاري[٥] : وقال أبو الزبير : عن عائشة وابن عباس : أَخَّرَ النبيُّ ﷺ [الطواف ، يعني]

---

(١) ط : (أخذت) .
(٢) ط : (غبون) .
(٣) ط : (تمر) .
(٤) أبو داود (١٩٧٣) ، وهو حديث حسن .
(٥) البخاري معلقاً قبل رقم (١٧٣٢) .

طواف[١] الزيارة إلى الليل ، وهذا الذي عَلَّقَه البُخاري قدْ[٢] رواه الناسُ من حديث يَحْيى بن سَعيدٍ وعبد الرحمن بن مَهْدي ونوح[٣] بن ميمون ، عن سُفْيان الثَّوري ، عن أبي الزبير ، عن عائشة ، وابن عباس : أن النبيَّ ﷺ أخَّر الطَّوافَ يومَ النَّحْرِ إلى الليل . ورواه أهل السُّنَن الأرْبَعة[٤] من حديث سفيان به . وقال الترمذي : حسن[٥] .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا محمد بن عبد الله ، ثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن عائشة وابن عمر : أنَّ رسولَ الله ﷺ زارَ لَيْلاً . فإنْ حُمِلَ هذا على أنه أخَّر ذلك إلى ما بعدَ الزَّوالِ ، كأنّه يقول : إلى العَشِيّ صَحَّ ذلك . وأما إنْ حُمل على ما بَعدَ الغُروب فهو بعيدٌ جداً ، ومخالفٌ لما ثبتَ في الأحاديث الصحيحة المشهورة من أنّه عليه الصلاة والسلام طاف يوم النحر نهاراً ، وشرب من سقاية زمزم . وأما الطوافُ الذي ذهبَ في الليل إلى البيت بسببه فهو طواف الوداع . ومنَ الرُّواة من يُعَبِّر عنه بطواف الزِّيارة كما سنذكره إن شاء الله . أو طواف زيارةٍ مَحْضَةٍ قبلَ طوافِ الوَداعِ ، وبعد طواف الصَّدرِ الذي هو طواف الفرض . وقد ورد حديثٌ سنذكره في موضعه : أنَّ رسولَ الله كان يزور البيت كُلَّ ليلةٍ من ليالي مِنًى ، وهذا بعيد أيضاً ، والله أعلم .

وقد روى الحافظ البيهقي[٧] من حديث عمر[٨] بن قيس ، عن عبد الرحمن عن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة : أنَّ رسولَ الله ﷺ أذِنَ لأصْحابِه ، فزاروا البيتَ يومَ النَّحْرِ ظهيرةً ، وزار رسولُ الله ﷺ مع نسائه ليلاً . وهذا حديث غريب جداً أيضاً ، وهذا قول طاووس وعروة بن الزبير : أنَّ رسول الله ﷺ أخَّر الطَّوافَ يومَ النحرِ إلى الليل . والصحيحُ من الرواياتِ ، وعليه الجمهور ، أنّه عليه الصلاة والسلام ، طاف يومَ النَّحْرِ بالنهارِ ، والأشبه أنّه كان قبلَ الزّوال ، ويحتملُ أن يكون بعده . والله أعلم .

والمقصودُ أنه عليه الصلاة والسلام لمّا قدِمَ مكةَ طافَ بالبيتِ سبعاً وهو راكبٌ ، ثم جاء زمزمَ ، وبنو عبد المطلب يَسْتَقون منها ، ويَسْقون الناس ، فتناول منها دَلْواً فشَرِبَ منه ، وأفرغ عليه منه .

كما قال مسلم[٩] : أخبرنا محمد بن مِنْهال الضَّريرُ، ثنا يزيد بن زُرَيْع، ثنا حُمَيْدُ الطَّويل ، عن بكر بن

---

(١) ط : (يعني طواف) وفي فتح الباري (الزيارة يعني طواف الزيارة) (٣/ ٥٦٧) .
(٢) ط : (فقد) .
(٣) ط ، أ : (وفرج) وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال (٣٠/ ٦٢) (٦٤٩٦) .
(٤) ابن ماجه (٣٠٥٩) من حديث يحيى بن سعيد وأبو داود (٢٠٠٠) والترمذي (٩٢٠) والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤٦٠) (٤١٦٩) والإمام أحمد في المسند (١/ ٢٨٨) من حديث نوح بن ميمون .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) مسند الإمام أحمد (٢/ ٥٠) (٥١١٠) ، وإسناده ضعيف .
(٧) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٤٤) (٩٤٢٠) .
(٨) ط : (عمرو) وما هنا عن أ والسنن .
(٩) مسلم (١٣١٦) .

عبد الله المُزَني ، سمع ابنَ عبّاسٍ يقولُ : وهو جالس معه عندَ الكَعْبة : قَدِمَ النبيُّ ﷺ على راحلَتِهِ وخلْفَه أُسامة ، فأَتَيْناهُ بإناءٍ فيه نبيذٌ فشربَ وسقَى فَضْلَه أُسامةَ . وقال : أَحْسَنْتُم وأَجْمَلْتُم ، هكذا فاصنعوا . قال ابن عباس : فنحن لا نُريدُ أن نُغيِّرَ ما أمر به رسول الله ﷺ . وفي روايةٍ[١] عن بكر أنّ أعرابياً قال لابنِ عباسٍ : ما لي أرى بني عَمِّكم يَسْقون اللبنَ والعسلَ ، وأنتُمْ تَسْقون النَّبيذَ ؟ أَمِنْ حاجةٍ بكم ، أم منْ بُخْلٍ ؟ فذكر له ابنُ عباس هذا الحديث .

وقال أحمد[٢] : حدثنا روح ، ثنا[٣] حمادٌ ، عن حُمَيد ، عن بكرٍ عن عبد الله : أنَّ أعرابياً قال لابن عباس : ما شأنُ آلِ معاوية يَسْقون الماءَ والعَسَلَ ، وآلُ فلانٍ يَسْقونَ اللَّبَنَ ، وأنتم تَسْقونَ النبيذَ . أَمِنْ بُخْلٍ بكم أم حاجة ؟ فقال ابنُ عبّاسٍ : ما بنا بُخْلٌ ولا حاجةٌ ، ولكن رسولَ الله ﷺ جاءنا ورَديفُه أسامةُ بن زيدٍ ، فاسْتَسقى فَسَقَيْناهُ من هذا ـ يَعْني نَبيذَ السِّقاية ـ فشرب منه ، وقال : أحسَنْتُم ، هكذا فاصْنَعوا . ورواه أحمد[٤] ، عن رَوْحٍ ، ومحمد بن بكر ، عن ابن جُرَيْج ، عن حُسين بن عَبْد الله بن عُبَيْد الله بن عباس ، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس . . . فذكره .

وروى البخاري[٥] عن إسحاق بن شاهين[٦] عن خالد [عن خالد الحذَّاء] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . أنَّ رسولَ الله ﷺ جاء إلى السِّقايةِ فاستسقى[٧] ، فقال العباس : يا فضلُ ، اذهَبْ إلى أُمِّكِ ، فأتِ رسولَ الله ﷺ بشرابٍ من عندها . فقال : اسقني ! فقال : يا رسولَ الله إنَّهم يَجْعَلون أيديَهُمْ فيه . قال : اسْقِني فَشَرِبَ منه ، ثم أتَى زَمْزَمَ ، وهم يَسْقونَ ويَعْملون فيها . فقال : اعْمَلوا فإنَّكُمْ على عملٍ صالحٍ . ثم قال : لولا أن تُغْلَبوا لنَزَلْتُ[٨] حتى أضع الحبل على هذه ـ يعني عاتقه ـ وأشار إلى عاتقه .

وعنده[٩] من حديث عاصم ، عن الشعبي ، أنَّ ابنَ عباسٍ قال : سَقَيْتُ النبيَّ ﷺ من زَمْزم ، فشربَ وهو قائم . قال عاصم : فحلَفَ عكرمة ـ ما كان يومئذ إلا على بعير . وفي رواية : ناقته .

---

(١) انظر بالإضافة إلى رواية مسلم السابقة : سنن أبي داود (٢٠٢١) ، وهو حديث صحيح .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٧٢) (٣٥٢٨) ، وإسناده صحيح .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) رواه أحمد من طريق روح في مسنده (١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) (٢٩٤٦) ومن طريق محمد بن بكر في (١/ ٣٣٦) (٣١١٤) ، وهو حديث حسن .
(٥) البخاري (١٦٣٥) .
(٦) ط : (سليمان) تحريف . وانظر تهذيب الكمال (٢/ ٤٣٤) (٣٥٨) .
(٧) ط : (فاستقى) .
(٨) ط : (لنزعت) .
(٩) البخاري (١٦٣٧) .

وقال الإمام[١] أحمد : ثنا هُشَيْم ، ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس : أنَّ رسولَ الله ﷺ طافَ بالبيت ، وهو على بعيرٍ ، واستلم الحجرَ بمِحْجَنٍ كان معه . قال : وأتى السِّقاية فقال : اسقوني . فقالوا : إن هذا يخوضُه الناسُ ولكنا نأْتيكَ به من البيتِ . فقال : لا حاجةَ لي فيه ، اسقُوني مِمّا يَشْربُ الناسُ .

وقد روى أبو داود[٢] ، عن مُسَدّدٍ ، عن خالد الطَّحّان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عِكْرمةَ ، عن ابن عباس . قال : قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مكةَ ، ونحنُ نَسْتَقي[٣] ، فطاف على راحلته . . . الحديثَ .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدثنا رَوْحٌ وعَفَّانُ ، قالا : ثنا حماد ، عن قيس ، وقال عفان في حديثه أنبأنا قيس ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أنه قال : جاء النبي ﷺ إلى زمزم ، فنَزَعْنَا له دلواً فشرب ، ثم مَجَّ فيها ، ثم أفْرَغناها في زمزم . ثم قال : لولا أن تُغْلَبوا عليها لَنَزَعْتُ بيدي . انفرد به أحمد ، وإسناده على شرط مسلم .

فصـــل

ثم إنه ﷺ لم يُعِدِ الطَّوافَ بين الصفا والمَرْوة مرة ثانية ، بل اكتفى بطَوافِهِ الأول . كما روى مسلم في « صحيحه »[٥] ، من طريق ابن جُرَيْج ، أخبرني أبو الزبير ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : لم يَطُفِ النَّبي ﷺ وأصحابُه بين الصَّفا والمروة إلاَّ طوافاً واحداً .

قلت : والمراد بأصحابه هاهنا الذين ساقوا الهَدْيَ وكانوا قارنين . كما ثبت في « صحيح مسلم »[٦] أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعائشة ـ وكانت أدْخَلَتِ الحجَّ على العمرة ، فصارت قارنةً ـ : يَكْفيكِ طوافُكِ بالبيتِ وبينَ الصَّفا والمَرْوة لحَجّكِ وعُمْرتك . وعند أصحاب الإمام أحمد أنَّ قولَ جابرٍ وأصحابِهِ عامٌّ في القارنين والمُتَمتِّعين . ولهذا نصَّ الإمام أحمد على أنَّ المُتَمَتّع يكفيه طوافٌ واحدٌ عن حَجِّه وعُمْرتِه ، وإن تحلّل بينهما تحلّل . وهو قولٌ غريبٌ ، مأخذه ظاهرُ عمومِ الحديثِ . والله أعلم .

وقال أصحاب أبي حنيفة في المُتَمتِّع ، كما قال المالكيَّة والشافعيَّة : إنَّه يجبُ عليه طوافان وسعيان ،

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥) (١٨٤١) ، وإسناده ضعيف ، ولكن له طريق أخرى عند البخاري رقم (١٦٠٧) فهو حديث حسن .

(٢) أبو داود (١٨٨١) ، وإسناده ضعيف .

(٣) في السنن : وهو يشتكي .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٧٢) (٣٥٢٧) .

(٥) مسلم (١٢٧٩) .

(٦) مسلم (١٢١١) .

حتى طَرَدَت الحنفيّةُ ذلك في القارن ، وهو من أفراد مذهبهم ، أنه يطوفُ طوافَيْن ، ويسعى سَعْيَيْن ، ونقلوا ذلك عن عليّ موقوفاً . ورُوي عنه مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ وقد قدَّمنا الكلامَ على ذلك كلِّه عند الطَّواف ، وبَيَّنا أن أسانيدَ ذلك ضعيفةٌ مخالفةٌ للأحاديثِ الصَّحيحة . والله أعلم .

فصــل

ثم رجعَ عليه الصلاة والسلام إلى منىً بَعْدَما صَلَّى الظُّهْرَ بمكة ، كمَا دَلَّ عليه حديثُ جابر . قال ابن عمر : رَجَعَ فصلَّى الظهرَ بمنًى . رواهما مسلم ، كما تقدم قريباً ، ويمكنُ الجمعُ بينَهما بوقوع ذلك بمكة وبمنَى . والله أعلم . وتوقَّفَ ابنُ حَزْمٍ في هذا المقام ، فلم يَجْزِمْ فيه بشيء وهو مَعْذورٌ لتَعارض النَّقْلَيْن الصَّحيحين فيه . فالله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : أفاضَ رسولُ الله ﷺ من آخر يومِهِ حينَ صَلَّى الظهرَ ، ثم رجعَ إلى منًى ، فمكثَ بها لياليَ أيام التَّشْريق يَرْمي الجَمَراتِ إذا زالَتِ الشَّمْسُ ، كلُّ جَمْرَةٍ بسبع حَصَياتٍ يُكَبِّرُ مع كُلِّ حصاةٍ . ورواه أبو داود[١] مُنْفرداً به . وهذا يدلّ على أنّ ذهابه عليه الصلاة والسلام ، إلى مكة يومَ النحر كان بعد الزوالِ . وهذا ينافي حديثَ ابنِ عمر قَطْعاً ، وفي منافاتِه لحديثِ جابرٍ نظرٌ . والله أعلم .

فصــل

وقد خطب رسولُ الله ﷺ في هذا اليوم الشريف خطبةً عظيمةً تواتَرَتْ بها الأحاديث ، ونحن نَذْكُرُ منها ما يَسَّرهُ اللهُ عزَّ وجلَّ .

قال البخاري[٢] باب الخطبة أيامَ مِنًى : حَدَّثنا علي بن عبد الله ، ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا فُضَيْل بن غَزْوان ، ثنا عِكْرمة ، عن ابن عباس : أنَّ رسولَ الله ﷺ خطبَ الناسَ يومَ النَّحْرِ ، فقال : « يا أيها النّاسُ ، أيُّ يومٍ هذا ؟ قالوا : يومٌ حرامٌ . قال : فأي بلد هذا ؟ قالوا : بلدٌ حرامٌ . قال : فأيُّ شهرٍ هذا ؟ قالوا : شهرٌ حرامٌ . قال : فإنَّ دماءَكُم وأمْوَالكم وأعْراضكم عَلَيْكُمْ حَرام كَحُرْمةِ يَوْمِكُمْ هذا ، في بَلَدِكُمْ هذا ، في شَهْرِكُمْ هذا . قال : فأعادَها مِراراً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَه فقال : اللَّهُمَّ هل بَلَّغْتُ ، اللهم هل[٣] بلغت » قال ابن عباس : فوالذي نَفْسي بيده ، إنها لوصيَّتُه إلى أمَّته ـ فليُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ ، لا تَرْجعوا بعدي كُفّاراً يَضْربُ

(١) أبو داود (٢/ ٢٠١) (١٩٧٣) ، وهو حديث حسن .
(٢) البخاري (١٧٣٩) .
(٣) ط : (قد) .

بعضُكم رقابَ بعضٍ . ورواه الترمذيُّ[١] ، عن الفَلاّس ، عن يحيى القَطّان به . وقال : حسن صحيح .

وقال البخاري[٢] أيضاً : حَدَّثنا عبدُ الله بن محمد ، ثنا أبو عامر ، ثنا قُرَّة ، عن محمد بن سيرين ، أخبرني عبد الرحمن بن أبي بَكْرة ، عن أبيه ، ورجلٌ أفضلُ في نَفْسي من عبد الرحمن ، حُميدُ بن عبد الرحمن ، عن أبي بَكْرة رضي الله عنه ، قال : خَطَبنا النبيُّ ﷺ يومَ النحر ، فقال : « أتدرون أيُّ يومٍ هذا ؟ قلنا : الله[٣] ورسولُه أعلمُ . فسكت حتى ظَننَّا أنَّه سيُسَمّيه بغير اسمه . قال : أليس هذا[٤] يومَ النَّحر ؟ قلنا : بلى ! قال : أيُّ شهرٍ هذا ؟ قلنا : اللهُ ورسولُه أعلم . فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنه سَيُسَمِّيه بغير اسمه . قال : أليسَ ذو الحجَّة ؟ قُلنا : بلى ! قال : أيُّ بلدٍ هذا ؟ قلنا : اللهُ ورسولُه أعلمُ ، فسكتَ حتى ظننَّا أنَّه سَيُسمّيه بغير اسمه قال : أليس بالبلدة[٥] الحَرام ، قلنا بلى ! قال : فإنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ كحُرْمةِ يومِكم هذا ، في شَهْرِكم هذا ، في بلدِكُمْ هذا ، إلى يوم تَلْقَوْن رَبَّكُمْ ، ألا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ قالوا : نعم . قال[٦] : اللهم اشهد ، فَلْيبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوْعَى منْ سامعٍ ، فلا تَرْجِعوا بَعْدي كُفّاراً ، يَضْربُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ » .

ورواه البخاريُّ[٧] ومسلم[٨] من طرقٍ ، عن محمد بن سيرين به .

ورواه مسلم[٩] ، من حديث عبد الله بن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، فذكره . وزاد في آخره : ثم انْكَفَأَ إلى كَبْشَيْن أمْلَحَيْن فَذَبَحهُما ، وإلى جُزَيعةٍ[١٠] من الغنم فقَسَمَها بَيْنَنا .

وقال الإمام أحمد[١١] : ثنا إسماعيل ، أنبأنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي بكرة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ خطب في حجَّتِهِ ، فقال : « ألا إنَّ الزمانَ قد استدار كَهَيْئَتِهِ يومَ خلقَ اللهُ السمواتِ

(١) الترمذي (٢١٩٣) .
(٢) البخاري (١٧٤١) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) ليس اللفظ في أ .
(٥) ط : (بالبلد) .
(٦) ليس اللفظ في ط .
(٧) البخاري (٦٧) .
(٨) مسلم (١٦٧٩) .
(٩) مسلم (١٦٧٩) (٣٠) .
(١٠) أ ، ط : (جذيعة) وهو تحريف . والجُزَيعة : القطعة : القطعة من الغنم ، تصغير جِزْعة بالكسر ، وهو القليل من الشيء (النهاية : جزع) .
(١١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٧) .

والأرضَ. السَّنَةُ اثنا عشر[١] شهراً، منها أربعةٌ حُرُمٌ؛ ثلاثةٌ مُتوالياتٌ، ذو القعدة، وذو الحِجَّة، والمُحَرَّم، ورَجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشعبان. ثم قال: ألا أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظَنَنَّا أنه سيسمِّيه بغير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، ثم قال: أيّ شَهْر هذا؟ قلنا: اللهُ ورسولُه أعلم. فسكتَ حتّى ظَنَنَّا أنه سيُسَمِّيه بغير اسمه. قال: أليسَ ذا الحِجَّة؟ قلنا: بلى. ثم قال: أي بلدٍ هذا؟ قلنا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. فسكتَ حتّى ظَنَنَّا أنه سيُسَمِّيه بغير اسمه. قال: أليسَتِ البَلْدَة؟ قلنا: بلى. قال[٦]: فإنَّ دماءَكُم؛ وأموالَكُمْ - أحْسبه[٢] قال: وأعراضَكمْ عليكم حرامٌ، كَحُرْمةِ يَوْمِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بلدكم هذا، وسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلكُم عن أعْمالِكُمْ، ألا لا تَرْجِعوا بَعْدي ضُلاّلاً يَضْرِبُ بعضُكُم رقابَ بَعْضٍ، ألا هل بَلَّغْتُ: ألا لِيُبَلِّغِ الشّاهدُ الغائبَ، فلعلَّ منْ يُبَلِّغُه يكونُ أوعى له من بعضِ (منْ سَمِعَهُ. هكذا وقع في «مسند الإمام أحمد»، عن محمد بن سيرين، عن أبي بَكْرَة (وهكذا رواه أبو داود عن مُسَدَّدٍ)[٣] والنسائي[٤] عن عمرو بن زرارة، كلاهما عن إسماعيل - وهو ابن عُلَيَّة - عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي بكرة به)[٥]. وهو منقطع لكنْ[٦] صاحبا «الصحيح» أخرجاه من غير وجه، عن أيوب وغيره، عن محمد بن سيرين، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه به.

وقال البخاري[٧] أيضاً: ثنا محمد بن المُثَنَّى، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا عاصم بن محمد بن زيد، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: قال النبي ﷺ بمنًى: أتَدْرونَ أيُّ يومٍ هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن هذا يوم حرامٌ، أفتدرون أيُّ بلدٍ هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بلدٌ حرامٌ. قال: أفَتَدْرون أيُّ شَهْر هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شَهْرٌ حرامٌ. قال: فإنّ الله حَرَّمَ عليكم دِماءَكُم وأمْوالكم وأَعْراضكم كَحُرْمةِ يَوْمِكُمْ هذا، في شَهْرِكُم هذا، في بلدكم هذا. وقد أخْرَجَهُ البخاريّ في أماكن متفرقة من «صحيحه»[٨] وبقيَّة الجماعة[٩] إلا الترمذي، من طرقٍ، عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن جدّه عبد الله بن عمر... فذكره.

---

(١) ليس اللفظ في ط.
(٢) ط: (لا أحسبه).
(٣) مكان ما بين القوسين في ط: (من مسدد)، وهو عند أبي داود رقم (١٩٤٧).
(٤) النسائي (٧/١٢٧) (٤١٣٠).
(٥) ليس ما بين القوسين في أ.
(٦) ط: (لأنّ).
(٧) البخاري (١٧٤٢).
(٨) البخاري (٤٤٠٣) و(٦٠٤٣) و(٦١٦٦).
(٩) مسلم (٦٦)، والنسائي (٧/١٢٦) (٤١٢٥) وابن ماجه (٣٩٤٣) و(٦/٢٤٩٠) (٦٤٠٣) و(٦/٢٧١٠) (٧٠٠٩) وأبو داود (٤٦٨٦).

قال البخاري[١]، وقال هشام بن الغاز : أخبرني نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وقفَ النبيُّ ﷺ يومَ النحر بينَ الجَمَرات في الحجة التي حَجّ بهذا . وقال : هذا يومُ الحجّ الأكبر . فطفقَ النبيُّ ﷺ يقول : اللهم اشْهَدْ ، وَوَدّع الناسَ ، فقالوا هذه حجة الوداع . وقد أسْنَدَ هذا الحديث أبو داود[٢] عن مؤمّل بن الفضل ، عن الوليد بن مسلم . وأخرجه ابن ماجه[٣] ، عن هشام بن عمار ، عن صدقة بن خالد ، كلاهما عن هشام بن الغاز بن ربيعة الجُرَشي أبي العباس الدمشقي به .

وقيامه عليه الصلاة والسلام ، بهذه الخطبة عند الجمرات يَحْتَمِلُ أنّه بعد رَمْيِهِ الجَمْرة يوم النحر وقبل طوافه . ويَحْتَملُ أنَّه بعدَ طوافه ورجوعه إلى منى ومُروره[٤] بالجمرات .

لكن يُقوِّي الأول ما رواه النسائي[٥] حيث قال : حدثنا عمرو بن هشام الحَرّاني ، ثنا محمد بن سَلَمَة، عن أبي عبد الرحيم، عن زَيْد بن أبي أُنَيْسة ، عن يحيى بن حُصَيْن الأحْمَسي ، عن جَدَّته أم حصين قالت : حَجَجْتُ في حَجَّةِ النبيّ ﷺ، فرأيتُ بلالاً آخذاً بقَوْدِ[٦] راحلتِه، وأسامة بن زيد رافعٌ عليه ثَوْبَهُ يُظِلُّهُ من الحرِّ وهو مُحْرِمٌ ، حتى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ . ثم خطبَ الناسَ ، فحمِدَ الله ، وأثْنَى عليه ، وذكر قولاً كثيراً.

وقد رواه مسلم[٧] من حديث زيد بن أبي أُنَيْسَة ، عن يحيى بن الحُصَيْن ، عن جَدّتِهِ أم الحُصَيْن ، قالت: حَجَجْتُ مع رسول الله حجةَ الوداعِ، فرأيتُ أسامَةَ وبلالاً ، أحدهما آخذٌ بخِطام ناقةِ رسولِ الله ﷺ، والآخرُ رافعٌ ثوبَهُ يَسْتُرُهُ من الحرِّ حتى رمى جمرة العقبةِ . قالت : فقال رسول الله قولاً كثيراً . ثم سَمِعْتُهُ يقولُ : إنْ أُمِّرَ عليكم عبدٌ مُجَدَّعٌ[٨] ـ حَسِبْتُها قالتْ : أسودُ ـ يَقُودُكم بكتابِ اللهِ فاسْمَعُوا له وأطيعوا .

وقال الإمام أحمد[٩] : ثنا محمد بن عُبَيْد[١٠] ، ثنا الأعْمَشُ ، عن أبي صالح ـ وهو ـ ذَكْوانُ السَّمان ، عن جابر ، قال : خَطَبنا رسولُ الله ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ فقال : أيُّ يَوْمٍ أعظمُ حرمةً ؟ قالوا : يومُنا

(١) البخاري (١٧٤٢) .
(٢) أبو داود (١٩٤٥) .
(٣) ابن ماجه (٣٠٥٨) .
(٤) ط : (بعد رجوعه إلى منى ورميه) .
(٥) السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٣٦) (٤٠٦٦) .
(٦) في السنن الكبرى (بخطام) وسترد في الرواية التالية للحديث .
(٧) مسلم (١٢٩٨) .
(٨) « مُجَدّع » : أي مُقَطّع الأعضاء ، وللتشديد للتكثير (النهاية : جدع) .
(٩) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٧١) (١٥٠٣٢) .
(١٠) ط : (عبيد الله) ، وهو محمد بن عُبَيْد بن أبي أمية الطنافسي الكوفي الأحدب الحافظ أخو يعلى بن عُبيد ، حدث عن الأعمش وغيره ، حدث عنه أحمد بن حنبل وابن معين وغيرهما ، توفي سنة أربع . وقيل خمس ومئتين (سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٣٦) .

هذا . قال : أيُّ شَهْرٍ أعْظَمُ حرمةً ؟ قالوا شهرُنا هذا . قال : أيُّ بلَدٍ أعظمُ حُرْمةً ؟ قالوا : بلدُنا هذا ، قال : فإنَّ دماءَكُمْ وأموالَكُم عَلَيْكُم حَرامٌ ، كَحُرْمةِ يَوْمِكُمْ هذا ، في بَلَدِكُمْ هذا ، في شَهْرِكُمْ هذا ، هَلْ بَلَّغْتُ ؟ قالوا : نعم . قال : اللهمَّ اشْهَدْ . انْفَرَدَ به أحمدُ من هذا الوجه ، وهو على شَرْط « الصَّحيحَيْن » . ورواه أبو بكر بن أبي شَيْبَة ، عن أبي معاوية ، عن الأعْمش به[١] . وقد تقدَّم حديثُ جعفر بن محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابر في خطبته عليه الصلاة والسلام ، يومَ عرفة . فالله أعلم .

قال الإمام أحمد[٢] : ثنا عليّ بن بَحْر ، ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعْمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخُدْري ، قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع . . . فذكر معناه . وقد رواه ابن ماجه[٣] ، عن هشام بن عَمار ، عن عيسى بن يونس به . وإسنادُهُ على شرط « الصحيحين » فالله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار[٤] : ثنا أبو هشام ، ثنا حفص ، عن الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة وأبي سعيد ، أنَّ رسول الله ﷺ خَطَبَ فقال : أيُّ يومٍ هذا ؟ قالوا : يومٌ حرامٌ . قال : فإن دماءَكُم وأموالَكُم عليكُم حرامٌ[٥] كحُرمةِ يَوْمِكُمْ هذا ، في شَهْرِكُمْ هذا ، في بلدكم هذا . ثم قال البزارُ : رواه أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، وأبي سعيد . وجمعهما لنا أبو هشام ، عن حفص بن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة وأبي سعيد .

قلت : وتقدّم روايةُ أحمد له ، عن محمد بن عُبَيْد الطَّنافسي ، عن الأعْمَش ، عن أبي صالح ، عن جابر بن عبد الله ، فلعله عند أبي صالح ، عن الثلاثة . والله أعلم .

وقال هلال بن يساف عن سَلَمَة بن قيسٍ الأشْجَعي ، قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : (إنما هُنَّ أربع ؛ لا تُشْركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفسَ التي حَرَّم الله إلا بالحقّ ، ولا تزنوا ، ولا تَسْرِقوا . قال : فما أنا بأشحّ عليهنّ منّي حين سمعتُهنّ من رسول الله ﷺ . [وقد] رواه الإمام أحمد[٦] والنسائي[٧] من حديث منصور عن هلال بن يساف . وكذلك رواه سفيان بن عيينة والثوري عن منصور .

وقال ابن حزم في « حجة الوداع »)[٨] حَدَّثنا أحمد بن عمر بن أنس العُذْري ، ثنا أبو ذرٍّ عبد[٩] بن

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٩٠١٢) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٠) (١١٧٧٩) .
(٣) ابن ماجه (٣٩٣١) .
(٤) في زوائده رقم (٣٣٤٦) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) ، وهو حديث صحيح .
(٧) السنن الكبرى للنسائي (٦/ ٤٢١) (١١٣٧٣) ، وهو حديث صحيح .
(٨) ليس ما بين القوسين في ط .
(٩) ط : (عبد الله) انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥) .

أحمد الهَرَوِيّ الأنصاري ، ثنا أحمد بن عَبْدان الحافظ بالأهواز ، ثنا سَهْلُ بن موسى بشيراز[(١)] ثنا موسى بن عمرو بن عاصم[(٢)] ، ثنا أبو العَوّام ، ثنا محمد بن جُحادة ، عن زياد بن عِلاقة ، عن أسامة بن شَريكٍ . قال : شهدتُ رسولَ الله في حجَّة الوَداع ، وهو يخطبُ وهو يقول : أُمَّك وأباك وأُخْتَك وأخاك ، ثم أدْناك أدناك[(٣)] . قال : فجاء قوم فقالوا : يا رسول الله قَتَلْتَنا[(٤)] بنو يَرْبوع . فقال رسول الله ﷺ لا تجني نفس على أخرى ، ثم سأله رجلُ نسيَ أن يرميَ الجِمارَ (فقال : ارمِ ولا حرج . ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله إني نسيتُ[(٥)] الطواف . فقال : طُفْ ولا حرج) . ثم أتاه آخر حلق قبل أن يذبح فقال[(٦)] : اذْبَحْ ولا حَرَجَ . فما سألوه يومئذٍ عن شيءٍ إلا قال لا حَرَجَ ، لا حَرَجَ . ثم قال : قَدْ أذْهَبَ الله الحَرَجَ إلا رجلاً اقْتَرَض[(٧)] امرأً مسلماً ، فذلك الذي حرج وهلَكَ . وقال : ما أنزلَ اللهُ داءً إلا أنزلَ له دواءً إلا الهَرَمَ . وقد روى الإمام أحمد[(٨)] وأهل السنن[(٩)] بعض هذا السياق من هذه الطريق . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد[(١٠)] : ثنا حجاج . حدّثني شعبة ، عن علي بن مُدْرِكٍ ، سمعتُ أبا زُرْعَة يُحَدِّث عن جريرٍ ، وهو جدُّه ، عن النبي ﷺ ، قال في « حجة الوداع » : يا جريرُ اسْتَنصِتِ النّاسَ . ثم قال في خطبته : لا تَرْجِعوا بعدي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رقابَ بَعْضٍ . ثم رواه أحمد[(١١)] ، عن غُنْدرٍ ، وعن ابن مَهْديٍّ ، كل منهما عن شعبة به . وأخرجاه في « الصحيحين »[(١٢)] من حديث شعبة به .

وقال أحمد[(١٣)] : ثنا ابن نُمَيْرٍ ، ثنا إسماعيل ، عن قيسٍ قال : بَلَغَنا أنَّ جريراً قال : قال رسول الله : استَنْصِتِ النّاسَ . ثم قال عندَ ذلك : لا أعْرِفَنَّ بعدَ ما أرَى تَرجعون كُفّاراً يَضْرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ .

---

(١) ط : (بن شيرزاد) وما أثبته عن أ .
(٢) أ : (حدّثنا أبو موسى حدّثنا عمرو بن عاصم) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) ط : (قبلنا) .
(٥) أ : (نصيت) وما أثبته للسياق .
(٦) ط : (قال) .
(٧) أي نال منه وقطعه بالغيبة (النهاية : قرض) .
(٨) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٧٨) ، وهو حديث صحيح .
(٩) أبو داود (٣٨٥٥) والترمذي (٢٠٣٨) والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٣٦٨) (٧٥٥٣) وابن ماجه (٣٤٣٦) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٥٨) .
(١١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٣ ، ٣٦٦) .
(١٢) البخاري (١٢١) ومسلم (٦٥) .
(١٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٦) ، وهو حديث صحيح .

ورواه النَّسائي[(١)] من حديث عبد الله بن نُمَيْر به . وقال النسائي[(٢)] : ثنا هنَّاد بن السَّريّ ، عن أبي الأحوص ، عن ابن غَرْقَدَة ، عن سليمان بن عمرو ، عن أبيه ، قال : شهدتُ رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول : أيها النّاسُ ، ثلاث مرات : أيُّ يومٍ هذا ؟ قالوا : يَومُ النحر[(٣)] ، يوم الحج الأكبر . قال : فإنّ دماءكم وأموالَكم وأعراضَكم بَيْنَكُمْ حرامٌ كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا ، في بلدكم هذا ألا[(٤)] لا يجني جانٍ على (ولده ، ولا مولود على)[(٥)] والده ، ألا إنّ الشّيطان قد يَئِس أن يُعْبَد في بلدكم هذا ، ولكن سيكونُ له طاعةٌ في بعضِ ما تَحْتقرون من أعمالِكم فَيَرضى ، ألا وإنّ كُلَّ ربا الجاهليّةِ يُوضَعُ ، لكم رُؤوسُ أموالِكم لا تَظْلمون ولا تُظْلَمون . . . وذكر تمام الحديث .

وقال أبو داود[(٦)] : باب من قال يخطب يوم النحر : ثنا هارون بن عبد الله ، ثنا هشام بن عبد الملك ، ثنا عكرمة ـ هو ابن عمار ـ ثنا الهِرْماسُ بن زياد الباهليّ ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يخطبُ الناسَ على ناقتِهِ العَضْباء يومَ الأضْحى بمنًى .

ورواه أحمد[(٧)] والنسائي[(٨)] من غير وجه عن عِكرمة بن عَمّار ، عن الهِرْماس ، قال : كان أبي مُرْدِفي ، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ يخطُبُ الناسَ بمنًى يومَ النَّحْرِ على ناقَتِهِ العَضْباء . لفظ أحمد ، وهو من ثلاثيات المسند ، ولله الحمد .

ثم قال أبو داود[(٩)] : ثنا مُؤَمَّل بن الفَضْل الحَرّاني ، ثنا الوليد ، ثنا ابن جابر ، ثنا سُلَيْم بن عامر ، سمعتُ أبا أُمامة يقول : سَمِعْتُ خُطْبَةَ رسولِ الله ﷺ بمنىً يومَ النَّحْرِ .

وقال الإمامُ أحمد[(١٠)] : ثنا عبد الرحمن ، عن معاوية بن صالح ، عن سُلَيْم بن عامر الكَلاعي ، سمعتُ أبا أُمامة يقول : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ وهو يومئذ على الجَدْعاء واضعٌ رجليه في الغَرْزِ ، يَتطاولُ ليُسْمِعَ النّاسَ . فقال بأعلا صوته : ألا تَسْمعون ؟ فقال رجلٌ من طوائف الناس : يا رسولَ اللهِ ، ماذا تَعْهَدُ إلينا ؟ فقال : « اعبدوا رَبَّكُمْ ، وصَلُّوا خَمْسَكُمْ ، وصوموا شَهْرَكُمْ ، وأطيعوا ذا أمرِكم[(١١)] تَدْخُلوا جَنَّةَ

(١) السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٣١٨) (٣٥٩٧) .
(٢) في الكبرى رقم (٤١٠٠) .
(٣) ليس (يوم النحر) في ط .
(٤) ط : (ولا يجني) أ : (ألا يجني) .
(٥) ليس ما بين الرقمين في ط .
(٦) أبو داود (١٩٥٤) ، وإسناده حسن .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٥) و(٥/ ٧) ، وهو حديث حسن .
(٨) السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٤٣) (٤٠٩٥) ، وهو حديث حسن .
(٩) أبو داود (١٩٥٥) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) في المسند (٥/ ٢٦٢) .
(١١) ط : (إذا أمرتم) .

ربكم » . فقلت : يا أبا أُمامة ، مثلُ منْ أنتَ يومئذٍ ؟ قال : أنا يَوْمَئِذٍ ابنُ ثلاثين سنةً أُزاحِمُ البعيرَ أُزَحْزِحُهُ قدماً لرسول الله ﷺ. ورواه أحمد[١] أيضاً، عن زَيْد بن الحُباب، عن معاوية بن صالح. وأخرجه الترمذي[٢] ، عن موسى بن عبد الرحمن الكوفي . عن زيد بن الحُباب . وقال حسن صحيح .

قال الإمامُ أحمد[٣] : ثنا أبو المغيرة ، ثنا إسماعيل بن عَيّاش[٤] ، ثنا شُرَحْبيل بن مسلم الخَوْلاني ، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع : إنّ الله قَدْ أعْطَى كُلَّ ذي حَقٍّ حقَّه ، فلا وصيةَ لوارثٍ ، والوَلَدُ لِلْفراشِ ، وللعاهِرِ الحَجَرُ ، وحسابُهم على الله . ومن ادّعى إلى غير أبيه ، أو[٥] انْتَمى إلى غَيْر مَواليه ، فعَلَيْه لعنةُ اللهِ التابعةُ إلى يوم القيامة ، لا تُنفقُ امرأةٌ من بيتها إلا بإِذْنِ زَوْجِها . فقيل : يا رسولَ الله ، ولا الطعامَ ، قال : ذاك[٦] أفضلُ أموالنا . ثم قال رسول الله ﷺ : العاريَّةُ مُؤَدّاة ، والمنحة مَرْدودة ، والدَّيْنُ مَقْضيٌّ ، والزَّعيمُ غارمٌ . ورواه أهل السنن الأربعة[٧] من حديث إسماعيل بن عَيّاش ، وقال الترمذي : حسن .

ثم قال أبو داود[٨] ، رحمه الله : باب متى يَخْطُب يومَ النحرِ : ثنا عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدِّمشقي ، ثنا مروان ، عن هلال بن عامر المُزَني ، حدّثني رافِعُ بن عَمْرو المُزَنيّ . قال : رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يخطُبُ الناسَ بمنًى حين ارتفَعَ الضُّحَى ، على بغلةٍ شَهْباء ، وعليٌّ يعبِّر عنه ، والناسُ بينَ قائمٍ وقاعدٍ . ورواه النّسائي[٩] عن دُحَيْم ، عن مروان الفزاري به .

وقال الإمام أحمد[١٠] : حدَّثنا أبو معاوية ، ثنا هلال بن عامر المُزَني ، عن أبيه ، قال : رأيتُ رسولَ اللهِ يخطُبُ الناسَ بمنًى على بغلةٍ ، وعليه بردٌ أحمرُ ، قال : ورجلٌ من أهل بدرٍ بينَ يديه يعبِّر عنه . قال : فجئتُ حتى أدخلتُ يدي بين قدمه وشِراكِه . قال : فجعلتُ أعجبُ من بَردها .

حدَّثنا محمد بن عُبَيْد، ثنا شيخٌ من بني فَزارة، عن هلال بن عامر المُزَني، عن أبيه، قال: رأيتُ

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٥١) ، وهو حديث صحيح .
(٢) الترمذي (٦١٦) ، وهو حديث صحيح .
(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٦٧) (٢٢٣٤٨) ، وإسناده حسن .
(٤) ط : (عبّاس) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٣١٢) .
(٥) ليس (أو) في ط .
(٦) أ : (ذا) .
(٧) أبو داود (٣٥٦٥) والترمذي (٢١٢٠) وابن ماجه (٢٣٩٨) ، وإسناده حسن ، ولم نجده عند النسائي ، ولم يعزه له المصنف في (جامع المسانيد) (١٣/ ١٠١٢٨) .
(٨) أبو داود (١٩٥٦) ، وهو حديث صحيح .
(٩) السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٤٣) (٤٠٩٤) .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٧٧) ، وهو حديث صحيح .

رسولَ الله ﷺ على بغلةٍ شَهْباء وعليٌّ يُعَبِّر عنه . ورواه أبو داود[١] من حديث أبي معاوية ، عن هلال بن عامر .

ثم قال أبو داود[٢] : بابُ ما يَذْكُرُ الإمامُ في خطبته بمنًى ، ثنا مُسَدَّد ، ثنا عبدُ الوارث ، عن حُميدٍ الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي ، عن عبد الرحمن بن مُعاذٍ التَّيْمي ، قال : خَطَبنا رسولُ الله ﷺ ونحن بمنى ، ففُتِحَتْ أسماعُنا ، حتى كُنّا نَسْمَعُ ما يقول ونحن في منازلنا ، فطفقَ يُعَلِّمُهم مناسِكَهم حتى بلغَ الجِمارَ ، فوضَع أُصْبُعَيْه[٣] السَّبّاحَتَيْن ، ثم قال : بحَصَى الخَذْف . ثم أمر المُهاجرين فَنَزَلوا في مُقَدَّم المسجد ، وأمر الأنصارَ فنزلوا من وراء المسجد ، ثم نزل الناسُ بعد ذلك . وقد رواه أحمد[٤] عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه ، وأخرجه النسائي[٥] من حديث ابن المبارك ، عن عبد الوارث كذلك . وتقدم رواية الإمام أحمد[٦] له ، عن عبد الرزاق عن معمر[٧] [عن حميد الأعرج] عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي ، عن عبد الرحمن بن مُعاذ ، عن رجلٍ من الصحابة . فالله أعلم .

وثبت في « الصحيحين »[٨] من حديث ابن جُرَيج ، عن الزهري ، عن عيسى بن طلحة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أنَّ رسولَ الله ﷺ بينا هو يخطُبُ يومَ النَّحْر فقام[٩] إليه رجلٌ ، فقال : كنت أحسبُ أن كذا وكذا قبل كذا وكذا . ثم قام آخر فقال : كنتُ أحسبُ أنّ كذا وكذا قبلَ كذا . فقال رسول الله ﷺ : افْعَلْ ولا حَرَجَ . وأخرجاه[١٠] من حديث مالك ـ زاد مسلم ويونس ـ عن الزهري به ، وله ألفاظٌ كثيرةٌ ليس هذا موضع استقصائها، ومَحَلُّه كتاب « الأحكام » وبالله المستعان. وفي لفظ [في] « الصحيحين » . قال : فما[١١] سُئل رسولُ الله ﷺ في ذلك اليوم عنْ شيءٍ قُدِّم ولا[١٢] أُخِّر إلاّ قال : افْعَلْ ولا حَرَجَ .

---

(١) أبو داود (٤٠٧٣) ، وهو حديث صحيح .
(٢) أبو داود (١٩٥٧) ، وهو حديث صحيح .
(٣) ليس اللفظ في ط . والسَّبَّاحتين : المسبِّحتين .
(٤) مسند الإمام أحمد (٤/ ٦١) و(٥/ ٣٧٤) ، وهو حديث صحيح .
(٥) النسائي (٢٩٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٦) المسند (٤/ ٦١) و(٥/ ٣٧٤) (٢٣٢٢٦) .
(٧) في الرواية المتقدمة (عن حُميد الأعرج) .
(٨) البخاري ١٧٣٧ ومسلم (١٣٠٦) (٣٢٩) .
(٩) ط : (فقال) تحريف .
(١٠) البخاري رقم (١٧٣٦) ومسلم (١٣٠٦) (٣٢٧) .
(١١) ط : (فلما) .
(١٢) ط : (وإلا) .

فصل

ثم نزل عليه السلام بِمِنًى حَيْثُ المَسْجِدُ اليومَ ، فيما يُقال ، وأنزل المهاجرين يَمْنَتَه والأنصارَ يَسْرَتَه ، والنّاس حولهم من بعدهم .

وقال الحافظ البيهقي[١] أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا عليّ بن محمد بن عقبة الشَّيباني بالكوفة ، ثنا إبراهيم بن إسحاق الزهري ، ثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن يوسف بن ماهك ، عن أم مُسَيْكَة ، عن عائشة . قالت[٢] : قيل يا رسولَ الله ، ألا نَبْني لك بمنًى بناءً يُظِلُّكَ . قال : لا ، منًى مُناخُ منْ سَبَقَ . وهذا إسنادٌ لا بأسَ به ، وليس هو في « المسند » ولا في الكتب الستة من هذا الوجه .

وقال أبو داود[٣] : ثنا أبو بكر محمد بن خلاد الباهلي ، ثنا يحيى ، عن ابن جُرَيْج ، أخبرني حَريزٌ[٤] ـ أو أبو حَريزٍ ، الشك من يحيى ـ أنه سمع عبد الرحمن بن فَرُّوخ يسأل ابنَ عمرَ ، قال : إنا نتبايع[٥] بأموال (الناس ، فيأتي أحدُنا مكة ، فيبيت على المال . فقال : أمَّا رسولُ الله ﷺ فباتَ بمنًى وظَلَّ . انفرد به أبو)[٦] داود . ثم قال أبو داود[٧] : ثنا عثمان بن أبي شَيْبَة ، ثنا ابن نُمَيْر وأبو أسامة ، عن عُبَيْد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : استأذن العباسُ رسولَ الله ﷺ أن يَبيتَ بمكة لياليَ منًى من أجل سِقَايتِه ، فأذن له . وهكذا رواه البخاري[٨] ، ومسلم[٩] من حديث عبد الله بن نُمَيْر ، زاد البخاري : وأبي ضمرة أنس بنِ عياضٍ : زاد مسلم وأبي أسامة حماد بن أسامة . وقد عَلَّقَه البخاري[١٠] ، عن أبي أسامة وعقبة بن خالد ، كلُّهم عن عُبَيْد الله بن عمر به . وقد كان ﷺ يُصلِّي بأصحابه بمنىً رَكعَتَيْن ، كما ثَبَتَ عنه ذلك في « الصَّحيحين »[١١] من حديث ابن مَسْعودٍ وحارثة بن وَهبٍ ، رضي الله عنهما ، ولهذا ذهبَ

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٣٩) (٩٣٩١) .
(٢) ط : (عن عائشة قال يا رسول الله) وما أثبته عن أ .
(٣) أبو داود (١٩٥٨) ، وإسناده ضعيف .
(٤) ليس (أخبرني حَريز) في ط .
(٥) ط : (نبتاع) .
(٦) ليس ما بين القوسين في ط واستدركته عن أ .
(٧) أبو داود (٢/ ١٩٩) (١٩٥٩) .
(٨) البخاري (٢/ ٦٢١) (١٦٥٨) .
(٩) مسلم (٢/ ٩٥٣) (١٣١٥) .
(١٠) البخاري (٢/ ٦٢١) (١٦٥٨) .
(١١) البخاري رقم (١٠٨٤) ومسلم (٦٩٥) من حديث ابن مسعود . والبخاري (١٠٨٣) ومسلم (٦٩٦) من حديث حارثة .

طائِفَةٌ من العلماء إلى أنَّ سببَ هذا القَصْرِ النُّسُكُ ، كما هو قَوْلُ طائفةٍ من المالكية وغيرهم ؛ قالوا : ومن قال : إنه عليه الصلاة والسلام ، كان يقول بمنى لأهل مكة : أتموا فإنّا قَوْمٌ سَفْرٌ . فقد غَلِط ، إنما قال ذلك رسولُ الله ﷺ عامَ الفتح ، وهو نازلٌ بالأبطح ، كما تقدم ، والله أعلم . وكان ﷺ يَرْمي الجَمَراتِ الثلاثَ في كلّ يومٍ من أيام منًى بعد الزَّوالِ ، كما قال جابر فيما تقدم ، ماشياً كما قال ابن عمر فيما سلف ، كل جمرةٍ بسبع حَصَيات يُكبِّر مع كلِّ حَصاةٍ ، ويقفُ عند الأولى ، وعند الثانية يدعو الله عزَّ وجلَّ ، ولا يقف عند الثالثة .

قال أبو داود[(١)] : ثنا عليُّ بن بَحْرٍ وعبدُ الله بن سعيد ، المَعْنى ، قالا : ثنا أبو خالد الأحمرُ ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : أفاض رسولُ الله ﷺ من آخر يومه حينَ صَلَّى الظُّهْر ثم رجع إلى مِنًى ، فمكث بها أيام التشريق يَرْمي الجَمرة إذا زالت الشمس ، كُلَّ جَمْرة بسبع حَصَياتٍ ، ويُكبِّر مع كلّ حَصاةٍ ، ويقفُ عندَ الأولى والثانية ، فيُطيلُ القيام[(٢)] ويَتَضَرَّعُ ، ويَرْمي الثالثةَ لا يقفُ عندَها . انفرد به أبو داود .

وروى البخاري[(٣)] من غير وجهٍ ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، أنَّه كانَ يَرْمي الجَمْرَة الدُّنيا بسبع حَصَياتٍ يُكبِّر على إثْرِ كلِّ حَصَاةٍ ، ثم يَتَقَدَّم حتى[(٤)] يُسْهلَ فيقومُ مستقبلَ القِبْلَةِ طويلاً ، ويدعو ويرفعُ يَدَيْه ، ثم يرمي الوسطى ، ثم يأخذ ذاتَ الشِّمال فيُسْهِلُ ، فيقومُ مُسْتقبلَ القبلة ، ويدعو ويرفع يديه ، ويقوم طويلاً ، ثم يَرْمي جَمْرَةَ ذاتِ العقبةِ من بطنِ الوادي ولا يقفُ[(٥)] عندها ثم يَنْصرفُ فيقول : هكذا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَفْعلُه .

وقال وَبْرَةُ بن عبد الرحمن : قام ابنُ عمر عندَ العقبة بقَدْرِ قراءةِ سورةِ البقرة . وقال أبو مِجْلزٍ : حَزَرْتُ قيامَه بقدر[(٦)] قراءة سورة يوسف ، ذكرهما البيهقي[(٧)] .

وقال الإمام أحمد[(٨)] : حدَّثنا سفيان بن عُيَيْنة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن أبي البَدّاح[(٩)] عن أبيه : أنّ رسولَ الله ﷺ رَخَّصَ للرّعاءِ أن يَرْموا يوماً ، ويَدَعُوا يوماً .

---

(١) أبو داود (١٩٧٣) ، وهو حديث حسن .
(٢) ط : (المقام) .
(٣) البخاري (١٧٥١) .
(٤) ط : (ثم) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) ط : (جزرت قيامه بعد) .
(٧) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٤٩) (٩٤٤٩) .
(٨) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤٥٠) (٢٣٨٢٥) ، وإسناده صحيح .
(٩) أ : (القداح) تحريف . وانظر تهذيب الكمال (٣٣/ ٦٥) .

وقال أحمد : ثنا محمد بن بكر[١] ، ثنا رَوْحٌ[٢] ، ثنا ابن جُرَيْجٍ ، أخبرني محمد بن أبي بكرِ بن محمد بن عمرو ، عن أبيه عن أبي البَدّاح[٦] بن عاصم بن عدي عن أبيه : أنَّ رسول الله ﷺ أرْخصَ للرّعاءِ أن يَتَعاقبوا فَيَرْموا يومَ النَّحْرِ ثم يَدَعوا يوماً وليلة ، ثم يَـرْموا الغد .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا عبد الرحمن ، ثنا مالك ، عن عبد الله بن أبي[٤] بكر ، عن أبيه عن أبي البَدّاح بن عاصم بن عدي عن أبيه : أنّ رسولَ الله ﷺ رَخّصَ لرعاء الإبل في البيتوتة عن منًى[٥] يرمون يومَ النَّحرِ[٦] ثم يرمون الغَد ، أو من بعد الغدِ ليومين ، ثم يرمون يوم النَّفْرِ . وكذا رواه عن عبد الرزاق ، عن مالك ، بنحوه . وقد رواه أهل السُّنَنِ الأربعة[٧] من حديث مالكٍ ، ومن حديث سفيان بن عيينة به . قال التّرمذي : ورواية مالكٍ أصحُّ ، وهو حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

فصل

فيما وَرَدَ من الأحاديثِ الدالَّةِ على أنَّه عليه الصلاة والسلام خَطَبَ بمنىً في اليوم الثاني منْ أيامِ التَّشْريقِ وهو أوْسَطُهَا

قال أبو داود[٨] : باب أي يوم يَخْطبُ : [بمنىً] : ثنا محمد بن العلاء ، أنبأنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن نافع ، عن ابن نَجيح ، عن أبيه عن رجلين من بني بكر ، قالا : رأينا رسولَ الله ﷺ يخطُبُ بين أوسطِ[٩] أيام التشريق، ونحن عند راحلته، وهي خطبة رسول الله ﷺ التي خطبَ بمنى . انفرد به أبو داود.

ثم قال أبو داود[١٠] : ثنا محمد بن بشار ، ثنا أبو عاصم ، ثنا ربيعة بن عبد الرحمن بن حِصْنٍ[١١] ، حدّثتني جدتي سَرّاءُ بنتُ نَبْهان ـ وكانت رَبَّةَ بيتٍ في الجاهلية ـ . قالت : خَطَبَنا رسولُ الله ﷺ يوم

---

(١) أ ، ط : (بن أبي بكر) وانظر تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٥٠) .
(٢) هذا من رواية الأقران بعضهم عن بعض ، فمحمد بن بكر وروح من طبقة واحدة (بشار) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤٥٠) (٢٣٨٢٥) ، وإسناده صحيح .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) ط : (بمنى حتى) .
(٦) بعدها في ط : (ثم يرمون يوم النحر) .
(٧) أبو داود (١٩٧٥) و(١٩٧٩) والترمذي (٩٥٤) و(٩٥٥) والنسائي (٥/ ٢٧٣) (٣٠٦٨) و(٣٠٦٩) وابن ماجه (٣٠٣٦) و(٣٠٣٧) .
(٨) أبو داود (١٩٥٢) والزيادة منه ، وهو حديث صحيح .
(٩) ط : (أوساط) .
(١٠) أبو داود (١٩٥٣) ، وإسناده ضعيف .
(١١) ط : (أبو عاصم ربيعة بن عبد الرحمن بن حصين) وما أثبته عن أ .

الرؤوس[١] ، فقال : أيُّ يَوْمٍ هذا ؟ قلنا : اللهُ ورسولُه أعلمُ ! قال : أليس أوْسَطَ أيّامِ التَّشْريقِ ؟ انفرد به أبو داود . قال أبو داود : وكذلك قال عم أبي حُرَّة الرّقاشي أنه خَطَبَ أوْسَطَ أيام التَّشْريق .

وهذا الحديث قدْ رواه الإمامُ أحمد[٢] مُتَّصلاً مُطوَّلاً ، فقال : ثنا عفان ، حدثنا حَمّاد بن سَلَمَة ، أخبرنا عليّ بن زَيْد ، عن أبي حُرَّة الرّقاشي ، عن عمه ، قال : كنت آخذاً بزمام ناقةِ رسولِ الله ﷺ في أوْسَط أيامِ التَّشريق أذودُ عنه الناسَ . فقال : يا أيها الناس ، أتَدْرونَ في أيِّ شَهْرٍ أنتم ؟ وفي أي يَـوم أنتم ؟ وفي أي بَلَدٍ أنتم ؟ قالوا : في يَوْمٍ حَرام ، وشَهْرٍ حَرام ، وبَلَدٍ حرام . قال : فإن دماءَكُمْ وأمْوالَكُم وأعْراضَكُمْ عليكم حرامٌ كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، إلى يوم تلقونه[٣] . ثم قال : اسمَعُوا منِّي تَعيشوا ، ألا لا تَظْلموا ، ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا ، إنه لا يَحِلُّ مالُ امرئٍ[٤] إلا بطيب نَفْسٍ منه ، ألا إنَّ كُلَّ دَمٍ ومالٍ وَمْأثرةٍ كانَتْ في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة ، وإنَّ أولَ دَمٍ يوضَعُ دَمُ ربيعة[٥] بن الحارث بن عبد المطلب ، كان مُسْتَرْضِعاً في بني ليث[٦] فقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، ألا إنَّ كل ربا في الجاهلية موضوع ، وإن الله قَضَى أنَّ أوّلَ ربا يوضَعُ ربا العباس بن عبد المطلب ، لكم رؤوسُ أموالكم لا تَظْلِمون ولا تُظلمون ، ألا وإنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئته[٧] يوم خلقَ اللهُ السَّموات والأرْض ثم قرأ : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة : ٣٦] ، ألا لا تَرْجعوا بَعْدي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكمْ رقابَ بَعْض ، ألا إن الشَّيْطان قد يَئِسَ أنْ يَعْبُدَه المُصَلُّون ، ولكنه في التَّحريش بَيْنكم ، واتَّقوا الله في النِّساء ، فإنَّهُنّ عندكُمْ عَوانٍ لا يَمْلِكْنَ لأنفُسِهنَّ شيئاً ، وإنَّ لهُنَّ عليكم حَقّاً ولكم عَلَيْهنّ حَقّاً[٨] ، أن لا يُوطِئْنَ فرشَكُمْ أحداً[٩] غيرَكم ، ولا يَأْذَنَّ في بيوتِكم لأحدٍ تَكْرهونَهُ ، فإن خِفْتُم نشُوزَهُنَّ فعِظوهنّ واهْجُروهنّ في المَضاجِعِ واضْربوهنّ ضرباً غَيْرَ مُبَرِّح ، ولَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وكَسْوَتُهُنَّ بالمعروف ، وإنَّما أخَذْتُموهُنّ بأمانةِ اللهِ واسْتَحْلَلْتُم فروجَهُنَّ بكَلِمَةِ اللهِ ، ألا ومَنْ كانَتْ عندهُ أمانَةٌ فَلْيُؤَدِّها إلى منْ ائتَمَنهُ

---

(١) سيشرح المصنف يوم الرؤوس في آخر هذا الخبر .
(٢) مسند الإمام أحمد (٥/ ٧٢) ، وإسناده ضعيف ، ولفقراته شواهد .
(٣) ط : (إلى أن تلقوه) وما هنا عن أ .
(٤) ط : (امرء مسلم) وما أثبته عن أ .
(٥) كذا في هذه الرواية ، والصحيح ما ورد في حديث جابر الطويل « ابن ربيعة » لأنّ المقتول هو إياس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان طفلاً صغيراً فأصابه حجر في حرب وقعت بين سعد وبني ليث بن بكر (انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٨/ ١٨٢ ـ ١٨٣) .
(٦) ط : (بني سعد) .
(٧) ط : (كهيئة) تحريف .
(٨) ط : (حق) .
(٩) ط : (أحدٌ) .

عليها، وبسطَ يَدَهُ وقال: ألا هَلْ بَلَّغْتُ؟ ألا هل بلغت!؟ ألا هل بلغت[١]!؟ ثم قال: لِيُبَلِّغِ الشّاهدُ الغائبَ، فإنَّهُ رُبَّ مُبَلِّغٍ أسعدُ من سامِعٍ». قال حُميدٌ: قال الحسنُ حينَ بلَّغ هذه الكلمة: قدْ واللهِ بلَّغوا أقواماً كانوا أسعدَ به. وقد روى أبو داود في كتاب النكاح من «سننه»[٢] عن موسى بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان، عن أبي حُرّة الرّقاشي ـ واسمه[٣] حنيفة ـ عن عمّه ببعضه في النُّشوز.

قال ابن حزم: جاءَ أنَّه خطبَ يومَ الرُّؤوسِ، وهو اليومُ الثاني من يوم النحر بلا خلافٍ عن أهل مكة، وجاء أنه أوْسَطُ أيّامِ التَّشْريقِ فتُحْمَلُ[٤] على أن أوسط بمعنى أشرف، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وهذا المسلك الذي سلكه ابن حزم بعيدٌ. والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزّار[٥]: ثنا الوليد بن عمرو بن السُّكين[٦]، ثنا أبو همام محمد بن محمد بن الزِّبْرِقان، ثنا موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، وصدقة بن يسار، عن عبد الله بن عمر قال: نَزَلَتْ هذه السورةُ على رسول الله ﷺ بمنى وهو في أوْسَطِ أيّامِ التَّشْريقِ في حجَّةِ الوداع ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١] فعرفَ أنه الوداعُ، فأمرَ براحلَتِهِ القَصْواءِ، فرُحلَتْ له، ثم ركبَ فوقف للناس بالعقبة فاجتمعَ إليه ما شاءَ اللهُ من المُسْلمين فحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عَلَيْهِ بما هو أهله، ثم قال: أمّا بَعْدُ أيُّها النّاسُ فإن كُلَّ دَم كانَ في الجاهلية فهو هَدَرٌ، وإنّ أولَ دِمائِكُمْ أهْدِرُ دمُ ربيعة بن الحارثِ كان مُسْتَرضِعاً في بني ليثٍ فقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وكلُّ ربا في الجاهليَّةِ فَهُوَ مَوْضوعٌ، وإنَّ أولَ رباكم أضعُ ربا العَبّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِب، أيُّها النّاسُ إنَّ الزَّمانَ قدِ اسْتدارَ كهيئتهِ[٧] يوم خلق الله السموات والأرض، وإنَّ عدّة الشُّهور عندَ اللهِ اثنا عَشَرَ شهراً[٨]، منها أربعةٌ حُرُمٌ؛ رَجَبُ مُضَر الذي بينَ جُمادى وشَعْبان، وذو القعدة وذو الحجَّة والمُحَرَّم ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦] الآية ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٣٧] كانوا يُحِلّونَ صَفَراً عاماً، ويحرِّمون المُحَرَّم عاماً، ويُحَرِّمون صَفَراً[٩] عاماً، ويُحِلّون المُحَرَّمَ عاماً، فذلك النَّسيءُ. يا أيها الناس (منْ كانتْ[١٠]) عنده

---

(١) لم ترد هذه العبارة في أ إلا مرة واحدة ولم ترد في ط إلا مرتين وما أثبتّه عن المسند.
(٢) أبو داود (٢١٤٥)، وهو حديث حسن.
(٣) ط: (اسمه).
(٤) ط: (فيحتمل).
(٥) في زوائده (١١٤١) وإسناده ضعيف، ولفقراته شواهد.
(٦) أ، ط: (مسكين). وهو تحريف انظر تهذيب التهذيب (١١/ ١٤٤ ـ ١٤٥).
(٧) ط: (كهيئة).
(٨) ليس اللفظ في ط.
(٩) ط: (صفر) خطأ.
(١٠) ط: (كان).

وَديعةٌ فليُؤدِّها إلى مَنِ ائْتَمَنَهُ عليها)(١) ، أيها الناس إنَّ الشيطانَ قد يَئِسَ أن يُعْبَدَ ببلادكم آخرَ الزمان ، وقد يَرْضى عنكم بمُحقَّراتِ الأعمال ، فَاحذَروه على دينكم بمُحقَّراتِ(٢) الأعمال ، أيُّها الناسُ ، إن النّساءَ عندكم عوانٍ ، أخذتُموهُنَّ بأمانةِ اللهِ ، واسْتَحْلَلْتُمْ فُروجَهُنَّ بكلمةِ اللهِ ، لكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ولهُنَّ عليكُمْ حَقٌّ ، ومن حقِّكُم عليهنَّ أن لا يُوطِئْنَ فرشكُمْ غَيْرَكمْ ، ولا يَعْصينكُمْ في معروفٍ ، فإنْ فَعَلْنَ ذلك فليس لكم عليهنَّ سبيلٌ ، ولهن رزقُهُنّ وكسوتُهُنّ بالمعروف ، فإن ضَرَبْتُمْ فاضْرِبوا ضَرْباً غير مُبَرّح . ولا يَحلُّ لامرئٍ من مالِ أخيه إلا ما طابَتْ به نفسُهُ ، أيُّها الناسُ ، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتُم به لم تَضِلُّوا كتابَ الله فاعملوا(٣) به ، أيها الناس أيُّ يوم هذا ؟ قالوا : يومٌ حَرامٌ . قال : فأيُّ بَلَدٍ هذا ؟ قالوا : بَلَدٌ حرامٌ . قال : فأي(٤) شهر هذا ؟ قالوا : شَهْرٌ حرامٌ . قال : فإن اللهَ حَرَّمَ دماءَكُمْ وأموالَكُم وأعْراضَكُمْ كحُرْمَةِ هذا اليوم في هذا البلد ، وهذا الشهر ، ألا لِيُبَلِّغْ شاهِدُكُمْ غائِبَكُمْ ، لا نَبِيَّ بَعْدي ولا أمةَ بعدَكُم . ثم رفع يَدَيْه فقال : اللهمَّ اشْهَدْ .

ذِكْرُ إيرادِ حَديثٍ فيه
أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يزورُ البَيْتَ في كلِّ لَيْلَةٍ منْ لَيالي مِنًى(٥)

قال البخاري(٦) : يُذْكَرُ عن أبي حَسّان ، عن ابن عباس : أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يزورُ البَيْتَ في أيامِ مِنىً . هكذا ذكره مُعَلَّقاً بصيغة التَّمْريض .

وقد قال الحافظ البيهقي(٧) : أخبرناه أبو الحسن بن عَبْدان ، أنبأنا أحمد بن عُبَيْد الصَّفّار ، ثنا العُمَري ، أنبأنا ابنُ عَرْعَرَةَ قال(٨) : دفعَ إلينا مُعاذُ بنُ هِشام كتاباً ، قال : سمعتُهُ من أبي ، ولم يَقْرَأْهُ . قال : فكانَ فيه : عن قتادة ، عن أبي حسان ، عن ابن عباس : أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَزورُ البيتَ كُلَّ لَيْلَةٍ ما دام بمنىً . قال : وما رأيتُ أحداً واطأه عليه . قال البيهقي : ورَوَى الثَّوْريُّ في « الجامع » عن طاوس(٩) عن ابن عباس . أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يفيضُ كلَّ ليلةٍ ـ يَعْني لياليَ مِنًى ـ وهذا مرسلٌ .

---

(١) ليس ما بين القوسين في أ .
(٢) كذا في الأصول . وفي مجمع الزوائد (فاحذروا على دينكم محقرات الأعمال) .
(٣) ط : (فاعلموا) تحريف .
(٤) ط : (أي) .
(٥) ط : (حديث الرسول ﷺ يزور البيت كل ليلة من ليالي منى) .
(٦) رواه البخاري (١٧٣٢) .
(٧) السنن الكبرى للبيهقي (٥/١٤٦) .
(٨) ط : (فقال) .
(٩) في السنن : (عن ابن طاوس عن طاوس) .

فصـــل

اليوم السادس من ذي الحجة قال بعضهم: يُقالُ له: يوم الزينة، لأنه تُزَيّنُ[1] فيه البُدْنُ بالجِلالِ وغيرها.

واليوم السَّابع يقال له: يَوْمُ التَّروية لأنهم يَتَرَوَّوْنَ فيه من الماء، ويحملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعدَهُ.

واليومُ الثّامِنُ يقال له: يوم مِنًى، لأنهم يَرْحَلون فيه من الأبْطَحِ إلى مِنًى.

واليوم التاسعُ يُقالُ له: يومُ عَرَفة لوقوفهم فيه بها.

واليوم العاشر يقال له: يَوْمُ النَّحْرِ ويَوْمُ الأضْحَى ويَوْمُ الحَجِّ الأكْبَر.

واليومُ الذي يليه يُقالُ له: يومُ القَرِّ، لأنَّهم يَقِرُّون فيه، ويقال له: يومُ الرُّؤُوس، لأنَّهم يأكلُونَ فيه رُؤوسَ الأضاحي، وهو أولُ أيّام التَّشْريق.

وثاني التَّشْريق يُقالُ له: يَوْمُ النَّفْرِ الأوّلِ، لجوازِ النَّفْرِ فيه، وقيل: هو اليومُ الذي يُقال له يَوْم الرُّؤُوس.

واليوم الثالثُ من أيّام التَّشْريق يقال له: يومُ النَّفْرِ الآخر. قال الله تعالى: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ الآية [البقرة: ٢٠٣] فلمّا كان يَوْمُ النَّفْرِ الآخر، وهو اليومُ الثالِثُ من أيام التَّشْريقِ، وكان يومَ الثُّلاثاء ركبَ رسولُ الله ﷺ والمُسْلمونَ معه، فنفَرَ بهم مِنْ منًى، فَنَزَلَ المُحَصَّب، وهو وادٍ بين مَكَّة ومِنًى، فَصَلَّى به العصر.

كما قال البخاري[2]: حدَّثنا محمد بن المُثَنَّى، ثنا إسحاقُ بن يوسف، ثنا سفيان الثوري، عن عبد العزيز بن رُفَيْع، قال: سألتُ أنَس بن مالك: أخْبِرْني عن شيءٍ عَقَلْتَهُ عن رسول الله ﷺ، أينَ صَلَّى الظُّهْرَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ؟ قال: بمِنًى. قلت: فأيْنَ صَلَّى العَصْرَ يوم النَّفْرِ؟ قال بالأبْطَحِ، افعلْ كَمَا يَفْعَلُ أُمراؤُكَ. وقد رُوِيَ أنَّه ﷺ صَلَّى الظهرَ يومَ النَّفْرِ بالأَبْطَحِ، وهو المُحَصَّب، فالله أعلم.

قال البخاري[3]: حدَّثنا عبد المُتَعالِ بن طالبٍ، ثنا ابن وهبٍ، أخبرني عمرو بن الحارث، أنَّ قَتادَةَ حَدَّثه، أن أنَس بن مالك حَدَّثه، عن النبي ﷺ: أنَّه صَلَّى الظُّهرَ والعَصْرَ [والمغرب] والعِشاءَ، ورَقَد رقدةً في المُحَصَّبِ، ثم رَكِبَ إلى البيتِ فطافَ به. قلت: يعني طواف الوداع.

وقال البخاري[4]: ثنا عبدُ الله بن عبد الوهاب، ثنا خالدُ بن الحارث، قال: سُئِلَ

---

(١) ط: (يزين) وليست (لأنه) في أ.

(٢) البخاري (١٧٦٣).

(٣) البخاري (١٧٦٤) والزيادة منه.

(٤) البخاري (١٧٦٨).

عُبَيْد[١] الله عن المُحَصَّب[٢] فحدثنا عُبَيْد الله ، عن نافع ، قال : نزلَ بها رسولُ الله ﷺ ، وعمرُ وابنُ عمر ، وعن نافعٍ : أنَّ ابنَ عمر كان يُصَلِّي بها ـ يعني المُحَصَّب ـ الظهر والعصر ، أحسبه . قال : والمغرب . قال خالد : لا أشُكُّ في العِشاء . ثم يَهْجَع هَجْعةً ، ويذكُر ذلك عن النبي ﷺ .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا نوحُ بن مَيْمون ، أنبأنا عبدُ الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنَّ رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ وعمر وعثمان نزلوا المُحَصَّب . هكذا رأيتُه في « مسند » الإمام أحمد من حديث عبد الله العُمَري ، عن نافع .

وقد روى التِّرمذيّ[٤] هذا الحديث عن إسحاق بن مَنْصور ، وأخرجه ابن ماجه[٥] عن محمد بن يحيى ، كلاهما عن عبد الرزاق ، عن عُبَيْد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان رسولُ الله ﷺ وأبو[٦] بكر وعمر وعثمان يَنْزلونَ الأبْطح . قال الترمذي : وفي الباب : عن عائشة وأبي رافع ، وابن عباس . وحديث ابن عمر حسنٌ غريبٌ ، وإنما نعرفُه من حديث عبد الرزاق عن عُبَيْد الله بن عمر به .

وقد رواه مسلم[٧] ، عن محمد بن مِهْران الرازي ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنّ رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا ينزلون الأبْطَحَ . ورواه مسلم[٨] أيضاً من حديث صَخْر بن جُوَيْرية ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنَّه كانَ يرى التَحْصيبَ سُنَّة[٩] وكان يُصلِّي الظُّهرَ يومَ النَّفْر بالحَصْبَةِ . قال نافع : قد حَصَّب رسولُ الله ﷺ والخلفاءُ بعده .

وقال الإمام أحمد[١٠] : حدَّثنا يونس ، ثنا حماد ـ يعني ابن سلمة ـ عن أيوب وحميد ، عن بكر بن عبد الله ، عن ابن عمر : أنَّ رسولَ الله ﷺ صلَّى الظُّهْرَ والعصرَ والمغربَ والعشاء بالبَطْحاءِ ، ثم هَجَعَ هَجْعَةً ، ثم دخل ـ يعني مكة ـ فطاف بالبيت .

ورواه أحمد[١١] أيضاً ، عن عفان ، عن حماد ، عن حميد ، عن بكر ، عن ابن عمر ، فذكره ، وزاد

(١) ط : (عبد الله) .
(٢) أ : (التحصيب) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٣٨) (٦٢٢٣) ، وإسناده ضعيف ، وهو حديث صحيح بطرقه .
(٤) الترمذي (٩٢١) ، وهو حديث صحيح .
(٥) ابن ماجه (٣٠٦٩) ، وهو حديث صحيح .
(٦) ط : (وأبا) خطأ .
(٧) مسلم (١٣١٠) (٣٣٧) .
(٨) مسلم (١٣١٠) (٣٣٨) .
(٩) ط : (أنه كان ينزل المحصب) وما أثبته عن أ .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٢٤) (٦٠٦٩) ، وهو حديث صحيح .
(١١) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٠٠) (٥٧٥٦) ، وهو حديث صحيح .

في آخره : وكان ابن عمر يَفْعَلُه . وكذلك رواه أبو داود[١] ، عن أحمد بن حنبل .

وقال البخاري[٢] : ثنا الحُمَيْدي ، ثنا الوليد ، ثنا الأوزاعي ، حدّثني الزهري عن أبي سَلَمة عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : مِن الغدِ يومَ النَّحْر بمِنًى : نحنُ نازلون غداً بخيفِ بَني كِنانة حيث تَقاسَمُوا على الكُفْر ـ يعني بذلك المُحَصَّب ـ الحديث . ورواه مسلم[٣] ، عن زُهَيْر بن حرب ، عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي . فذكر مثله سواء .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة بن زيد ، قال : قلت : يا رسولَ الله ﷺ أينَ تنزلُ غداً ؟ ـ في حجته ـ قال : وهَلْ تَرَكَ لنا عَقيلٌ مَنْزلاً ، ثم قال : نحن نازلون غداً ، إن شاء الله ، بخَيْفِ بني كِنَانَةَ ـ يعني المُحَصَّب ـ حيث قاسَمَتْ قريشٌ على الكفر ، وذلك أنَّ بني كنانة حالفَتْ قُريشاً على بني هاشمٍ أن لا يُناكِحوهم ، ولا يُبايعوهُم ، ولا يُؤْووهم ـ يعني حتى يُسْلِموا إليهم رسولَ الله ﷺ ـ . ثم قال عندَ ذلك : « لا يَرِثُ المُسْلِمُ الكافِرَ ، ولا الكافِرُ المُسْلمَ » قال الزهري : والخَيْفُ : الوادي . أخرجاه[٥] من حديث عبد الرزاق .

وهذان الحديثان فيهما دلالةٌ على أنّه عليه الصلاة والسلام قَصَدَ النزولَ في المُحَصَّب مُراغمةً لما كان تَمالأ عليه كفارُ قُريشٍ لمَّا كتبوا الصَّحيفة في مُصارمةِ بني هاشمٍ وبني المُطَّلب ، حتى يُسْلِموا إلَيْهم رسولَ الله ﷺ كما قَدَّمْنا بيانَ ذلك في موضعه . وكذلك نزَلَهُ عامَ الفَتْح ، فعلى هذا يكونُ نُزولُه سُنَّةً مُرَغَّباً فيها ، وهو أحدُ قَوْلَي العلماء .

وقد قال البخاري[٦] : ثنا أبو نُعَيْم ، أنبأنا سُفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : إنَّما كان مَنْزِلاً ينزلُهُ النبيُّ ﷺ ليكونَ أسمحَ لخُروجِهِ ـ يعني الأبْطَحَ ـ وأخرجه مسلم[٧] من حديث هِشام به .

ورواه أبو داود[٨] ، عن أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة [قالت] : إنما نَزَلَ رسولُ الله المُحَصَّبَ ليكونَ أَسْمَحَ لخرُوجِهِ وليسَ بسُنَّةٍ ، فمنْ شاءَ نزله ، ومن شاء لم يَنْزِلْه .

---

(١) أبو داود (٢٠١٣) ، وهو حديث صحيح .
(٢) البخاري (١٥٩٠) .
(٣) مسلم (١٣١٤) (٣٤٤) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) (٢١٨١٤) .
(٥) البخاري (٣٠٥٨) ومسلم (١٣٥١) (٤٤٠) .
(٦) البخاري (١٧٦٥) .
(٧) مسلم (١٣١١) (٣٣٩) .
(٨) أبو داود (٢٠٠٨) والزيادة منه .

وقال البخاري[(١)] : حدَّثنا علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، قال : قال عمرو : عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : ليس التَّحْصيبُ بشيءٍ ، إنَّما هو مَنْزِلٌ نَزَلَهُ رسول الله ﷺ . ورواه مسلم[(٢)] عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، به .

وقال أبو داود[(٣)] : ثنا أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة ومُسَدَّد ، المَعْنَى ، قالوا : ثنا سفيان ، ثنا صالح بن كيسان ، عن سليمان بن يسار ، قال : قال أبو رافع : لم يَأْمُرْني ـ يعني رسول الله ﷺ ـ أن أنزلَه ، ولكن ضربتُ قُبَّتَهُ[(٤)] فنزله . قال مُسَدَّدٌ : وكان على ثَقَلِ[(٥)] النبيّ ﷺ وقال عثمان ـ يعني في الأبْطَح ـ . ورواه مسلم[(٦)] عن قُتَيْبة وأبي بكر وزهير بن حرب ، عن سفيان بن عيينة به .

والمقصود أن هؤلاء كُلَّهم اتَّفقوا على نزول النبيّ ﷺ في المُحَصَّب لمَّا نفر من منًى ، ولكن اختلفوا : فمنهم منْ قال : لم يَقْصِدْ نزولَه ، وإنما نزلَه اتّفاقاً ، ليكون أسمحَ لخُروجه ، ومنهم منْ أشْعَر كلامُهُ بقصدِهِ عليه الصلاة والسلام نزوله ، وهذا هو الأشْبَهُ ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أمرَ الناسَ أن يكون آخر عهدهم بالبيت ، وكانوا قبلَ ذلك يَنْصِرفون من كلّ وجهٍ ، كما قال ابن عباس : فأُمِرَ النّاسُ أن يكونَ آخر عهدهم بالبيتِ ـ يعني طواف الوداع ـ . فأراد عليه الصلاة والسلام أن يطوفَ، هو ومن معه من المسلمين ، بالبيت طوافَ الوَداعِ ، وقد نفرَ من مِنًى قُريبَ الزَّوال، فلم يكن يُمْكِنُهُ أن يَجيءَ البيتَ في بقية يومِه ويطوفَ به ويرحلَ إلى ظاهر مكةَ من جانبِ المدينة، لأنَّ ذلك قدْ يَتعذَّرُ على هذا الجَمِّ الغَفير، فاحتاجَ أن يَبيتَ قبلَ مكةَ ، ولم يكن منزلٌ أنسبَ لمبيته من المُحَصَّب ، الذي كانت قريشٌ قد عاقَدَتْ بني كِنانةَ على بني هاشم وبني المُطَّلب فيه ، فلم يُبْرم اللهُ لقُريشٍ أمراً ، بل كَبَتَهُم وَردَّهُم خائبين ، وَأَظْهَرَ اللهُ دينَه ونَصَر نَبيَّه وأعلى كلمته، وأتَمَّ له الدّينَ القَويمَ، وأوضحَ به الصراطَ المُستقيم، فحَجَّ بالنّاس، وبيّن لهم شرائعَ الله وشعائره ، وقد نَفَرَ بعد إكمالِ المَناسِكِ ، فنزلَ في الموضع الذي تَقَاسَمَتْ قريش فيه على الظُّلْم والعُدْوان والقطيعة ، فَصَلَّى به الظُّهْرَ والعَصْرَ والمَغْرِبَ والعِشاء ، وهَجَعَ هَجْعَةً ، وقد كان بعثَ عائشةَ أمَّ المؤمنين مع أخيها عبد الرحمن ليُعْمِرَها من التَّنْعيم فإذا فَرَغَتْ أتَتْهُ ، فلما قَضَتْ عُمْرَتَها ورَجَعَتْ أذَّنَ في المسلمين بالرَّحيل إلى البَيْتِ العَتيق .

كما قال أبو داود[(٧)] : حدَّثنا وهب بن بَقيَّة ، ثنا خالد ، عن أفلح ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : أحْرَمْتُ من التَّنْعيم بعُمْرَةٍ ، فدخلت فقضيت عمرتي ، وانتظرني رسول الله ﷺ بالأبْطَحِ حتى

---

(١) البخاري (١٧٦٦) .
(٢) مسلم (١٣١٢) .
(٣) أبو داود (٢٠٠٩) .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) « الثَّقَل » : المتاع (النهاية : ثقل) .
(٦) مسلم (١٣١٣) .
(٧) أبو داود (٢٠٠٥) .

فَرَغْتُ ، وأمر الناس بالرحيل . قالت : وأتى رسولُ الله ﷺ البيتَ فطافَ به ، ثم خرج . وأخرجاه في « الصحيحين »[١] من حديث أفْلَح بن حُمَيْد .

ثم قال أبو داود[٢] : ثنا محمد بن بشار ، ثنا أبو بكر ـ يعني الحَنَفي ـ ثنا أفلح ، عن القاسم ، عنها ـ يعني عائشة[٣] ـ قالت : خرجتُ معه تعْني[٤] رسول الله ﷺ ، النَّفْرَ الآخِرَ ، ونزلَ المُحَصَّب . قال أبو داود : فذكر ابنُ بشار قِصَّةَ[٥] بعثها إلى التَّنْعيم قالت : ثم جئتُ سَحَراً ، فأذَّنَ في الصحابة بالرَّحيل فارْتَحَلَ فمَرَّ بالبيت قبل صلاةِ الصُّبْحِ فطاف به حينَ خَرَجَ ، ثم انصرف مُتَوَجِّهاً إلى المدينة . ورواه البخاري[٦] عن محمد بن بَشارٍ به[٧] .

قلت : والظاهر أنه عليه الصلاة والسلام صَلَّى الصُّبْح يومئذ عندَ الكَعْبَة بأصحابه ، وقرأ في صلاته تلك بسورة : ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾ [الطور : ١ ـ ٦] السورة بكمالها .

وذلك لما رواه البخاري[٨] حيث قال : حدَّثنا إسماعيل ، حدّثني مالكٌ ، عن محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل ، عن عروة بن الزبير ، عن زينب بنت أبي سَلَمَة ، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ . قالت[٩] : شَكَوْتُ إلى رسول الله أنّي أشْتَكي ، قال : طوفي من وراءِ النّاس وأنت راكبة ، فطُفْتُ ورسول الله ﷺ يُصَلِّي حينئذٍ إلى جَنْبِ البَيْتِ ، وهو يقرأ ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴾ [الطور : ١ ـ ٢] وأخرجه بقيةُ الجَماعة[١٠] إلا الترمذيّ من حديث مالكٍ بإسناد نحوَه .

وقد رواه البخاري[١١] من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب ، عن أم سَلَمة أنَّ رسول الله قال وهو بمكة ، وأراد الخروج ، ولم تكن أمُّ سَلَمة طافَتْ وأرادت الخروج ، فقال لها : « إذا أقيمت صَلاةُ الصُّبْح فَطوفي على بعيرك والناس يُصَلُّون » . . . فذكر الحديث .

---

(١) البخاري (١٧٨٨) ومسلم (١٢١١) .
(٢) أبو داود (٢٠٠٦) .
(٣) أ : (عن عائشة) .
(٤) ط : (يعني) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) البخاري (١٥٦٠) .
(٧) ليست عبارة (عن بشار به) في ط .
(٨) البخاري ١٦١٩ .
(٩) ط : (قال) .
(١٠) مسلم (١٢٧٦) (٢٥٨) ، وأبو داود (١٨٨٢) ، والنسائي (٢٩٢٥) ، وابن ماجه (٢٩٦١) .
(١١) البخاري (١٦٢٦) .

فأما ما رواه الإمام أحمد[١] : ثنا أبو معاوية ، ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه عن زَيْنَب بنت أبي سَلَمة عن أم سَلَمة . أنَّ رسولَ الله ﷺ : أمرَها أن توافيَ معه صلاةَ الصُّبْحِ يومَ النَّحْرِ بمكَّةَ . فهو إسنادٌ كما ترى على شَرْط « الصَّحيحيْن » ولم يُخْرجْهُ أحد مِنْ هذا الوَجْهِ بهذا اللَّفْظِ ، ولعل قولَهُ : يوم النحر ، غَلَطٌ من الراوي ، أو من الناسخ ، وإنما هو يوم النَّفْر ، ويُؤَيِّده ما ذكرناه من رواية البخاري ، والله أعلم .

والمقصودُ أنَّه عليه الصلاة والسلام ، لما فرغَ من صلاةِ الصبحِ طافَ بالبَيْتِ سَبْعاً ووقف في المُلْتَزَم بين الرُّكْنِ الذي فيه الحَجَرُ الأسْود ، وبينَ باب الكَعْبة ، فدعا الله عزَّ وجلَّ ، وألزقَ خَدَّهُ[٢] بجدار الكعبة .

قال الثوري : عن المُثَنّى بن الصَّبّاح ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : رأيتُ رسول الله ﷺ يُلْزِقُ وَجَهَهُ[٣] وصَدْرَهُ بالمُلْتَزم . المُثَنّى ضَعيفٌ .

فصـــل

ثم خرج عليه الصلاة والسلام من أسفل مكة ، كما قالت عائشة : إنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ مكةَ من أعلاها ، وخرج من أسفلها . أخرجاه[٤] .

وقال ابن عمر : دخل رسولُ الله ﷺ : من الثَّنيَّةِ العُلْيا التي[٥] بالبطحاء ، وخرج من الثَّنيَّةِ السُّفْلى . رواه البخاري[٦] ومسلم[٧] . وفي لفظ : دخل من كَدَاء وخرج من كُدًى[٨] .

وقد قال الإمام أحمد[٩] : ثنا محمد بن فُضَيل ، ثنا أَجْلَحُ بن عبد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : خرج رسول الله ﷺ من مكة عندَ غُروب الشَّمْسِ ، فلم يُصَلِّ حتى أتى سَرِفاً[١٠] ، وهي على تسعة أميالٍ من مكة . وهذا غريب جداً . وأَجْلَحُ فيه نظرٌ ، ولعلَّ هذا في غير حجّة الوداع ، فإنّه عليه الصلاة

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٩١) .
(٢) ط : (جسده) .
(٣) ط : (وجه) تحريف .
(٤) البخاري (١٥٧٧) ومسلم (١٢٥٨) (٢٢٤) .
(٥) أ : (إلى التي بالبطحاء) .
(٦) البخاري (١٥٧٥) .
(٧) مسلم (١٢٥٧) (٢٢٣) .
(٨) البخاري (١٥٧٨) ، ومسلم (١٢٥٨) (٢٢٥) .
(٩) في مسنده (٣/ ٣٠٥) .
(١٠) أ ، ط : (سرف) وما هنا للسياق وانظر معجم البلدان : (سرف) .

والسلام ، كما قدمنا ، طاف بالبيت بعدَ صلاة الصبح ، فماذا[١] أخَّرَهُ إلى وَقْتِ الغُروب !؟ هذا غريب جداً ، اللّهُمَّ إلا أنْ يَكُونَ ما ادَّعاهُ ابنُ حَزْمٍ صَحيحاً ، من أنه عليه الصلاة والسلام ، رجعَ إلى المُحَصَّب من مكّة بعد طوافِهِ بالبيتِ طوافَ الوداع ، ولم يَذْكُرْ دَليلاً على ذلك إلا قولَ عائشةَ حينَ رَجَعَتْ من اعتمارِها من التَّنعيم ، فلقيته مُصْعِدَةً ، وهو مُنْهَبِطٌ[٢] على أهل مكة ، أو مُنْهَبطَةً ، وهو مُصْعِدٌ . قال ابن حزم : الذي لا شكَّ فيه أنها كانت مُصْعِدةً من مكة وهو مُنْهبطٌ ، لأنها تَقَدَّمَتْ إلى العمرة ، وانْتَظَرها حتَّى جاءَتْ ، ثم نَهَضَ عليه الصلاة والسلام إلى طواف الوَداع ، فَلَقِيها مُنْصِرَفةً إلى المُحَصَّبِ من مكة .

وقال البخاري[٣] : باب منْ نَزَلَ بذي طُوًى إذا رَجَعَ من مكة . وقال محمد بن عيسى : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر . أنَّه كان إذا أقبلَ باتَ بذي طُوًى ، حتى إذا أصبحَ دَخَلَ ، وإذا نَفَرَ مرَّ[٤] بذي طُوًى ، وباتَ بها حتَّى يُصْبح ، وكان يَذْكُرُ أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَفْعَلُ ذلك . هكذا ذكر هذا مُعَلَّقاً بصيغة الجَزْم ، وقد أسنده هو ومسلمٌ[٥] من حديث حماد بن زيد به ، لكن ليس فيه ذكرُ المَبيتِ بذي طُوًى في الرَّجْعَةِ . فالله أعلم .

فائدة عزيزة : فيها أنَّ رسولَ الله ﷺ اسْتَصْحَبَ معه من ماء زَمْزَم شيئاً .

قال : الحافظ أبو عيسى الترمذي[٦] : حدَّثنا أبو كُرَيْب : ثنا خَلَّاد بن يزيد الجُعْفي ، ثنا زُهَيْر بن معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أنَّها كانَتْ تَحْمِلُ من ماءِ زَمْزَم ، وتُخْبرُ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَحْمِلُهُ ، ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ[٧] ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال البخاريُّ[٨] : ثنا محمد بن مُقاتل ، أخبرنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ ثنا موسى بن عقبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله بن عمر : أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا قَفَلَ من الغزو أو من الحجّ أو من العمرة ، يبدأُ فيكبِّر ثلاثَ مراتٍ ، ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائِبون عابدون ساجِدون ، لربنا حامِدون ، صدَقَ اللهُ وَعْدَهُ ، ونَصرَ عَبْدَهُ ، وهَزَمَ الأَحْزابَ وَحْدَه . والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ ، ولله الحمدُ والمنّةُ .

---

(١) ط : (فإذا) .
(٢) ط : (فلقيته بصعدة ، وهو مهبط) .
(٣) (١٧٦٩) معلقاً .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) مسلم (١٢٥٩) (٢٢٧) ورواه البخاري (١٥٧٣) من طريق إسماعيل بن علية عن أيوب به .
(٦) الترمذي (٩٦٣) .
(٧) هكذا قال الترمذي ، وقال الإمام البخاري « لا يتابع عليه » وساق الذهبي في الميزان حديثاً آخر من مناكير خلّاد (بشار) .
(٨) رقم (٤١١٦) .

فصــل

في إيرادِ الحَديثِ الدالِّ على أنّه عليه الصلاة والسلام خطبَ بمكانٍ بينَ مكةَ والمدينة مَرْجِعَهُ من حجةِ الوداع قريب من الجُحْفَةِ ـ يقال له : غَدير خُمٍّ ـ فبيَّنَ فيها فضلَ عليٍّ بن أبي طالب ، وبراءةَ عِرْضِه مما كان تكلَّم فيه بعضُ منْ كانَ معه بأرض اليمن ، بسببِ ما كانَ صدَر منه إليهم من المَعْدِلَةِ التي ظنَّها بعضُهم جَوْراً وتَضْييقاً وبُخْلاً ، والصوابُ كان معه في ذلك ، ولهذا لمّا تفـرَّغَ عليه الصلاة والسلام من بيانِ المَناسِكِ ورجعَ إلى المدينة بين ذلك في أثناء الطريق ، فخطب خطبةً عظيمةً في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامَئِذٍ ، وكان يومَ الأحد بغَديرِ خُمّ تحت شجرةٍ هناك ، فبيَّن فيها أشياء ، وذكر من فضل عليّ وأمانته وعَدْلِهِ وقُرْبِه إليه ، ما أزاحَ به ما كانَ في نفوسِ كَثيرٍ من النّاس منه . ونحنُ نوردُ عُيونَ الأحاديثِ الواردة في ذلك ، ونُبيِّن ما فيها من صَحيحٍ وضعيفٍ بحـول الله وقوّتِه وعَوْنِه ، وقد اعْتَنَى بأمر هذا الحَديثِ أبو جعفرٍ محمد بن جَريرٍ الطَّبَري صاحب « التفسير » و « التاريخ » فجمعَ فيه مُجلَّدين أورد فيهـما طُرقَه وألْفاظَه ، وساقَ الغَثَّ والسَّمين ، والصَّحيح والسقيمَ ، على ما جَرَتْ به عادَةُ كَثيرٍ من المُحَدّثين ، يُوردونَ ما وقعَ لهم في ذلك الباب من غير تَمْييزٍ بينَ صحيحه وضَعيفه ، وكذلك الحافظُ الكَبيرُ أبـو القاسم بن عَساكر أوردَ أحاديثَ كثيرةً في هذه الخطبة ، ونحنُ نُورد عُيونَ ما روي في ذلك ، مع إعلامنا أنَّه لاحَظَّ للشِّيعةِ فيه ، ولا مُتَمسَّك لهم ولا دليل لما سَنُبيِّنه ونُنَبِّه عليه ، فنقول وبالله المُسْتعان :

قال محمد بن إسحاق[١] ـ في سياق حجة الوداع ـ حدّثني يَحْيَى بن عَبْد الله بن عبد الرحمن بن أبي عَمْرَة، عن يزيد بن طَلْحة بن يزيد بن رُكانة، قال : لما أقْبلَ عليٌّ منَ اليَمن ليَلْقَى رسولَ الله ﷺ بمكة، تَعَجَّلَ إلى رسولِ الله ﷺ واسْتَخْلَفَ على جُنْدِه الذين معه رجلاً من أصحابه ، فَعَمَد ذلك الرجلُ فكسا كلَّ رجلٍ منَ القوم حُلّةً من البَزِّ الذي كان مع عليٍّ ، فلما دنا جيشُه خَرَجَ ليَلْقاهم ، فإذا عليهم الحُلَلُ ، قال : وَيْلَكَ ما هذا ؟ قال : كسوتُ القومَ ليتجمّلوا به إذا قدِموا في النّاس ، قال : وَيْلَكَ ، انْزِعْ قبل أن تَنْتَهيَ به إلى رسول الله ﷺ . قال : فانْتَزَعَ الحُلَل من النّاس [فردَّها] في البَزِّ، قال: وأظهر الجيشُ شكواه لما صنع بهم.

قال ابن إسحاق[١] : فحدّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن مَعْمَر بن حَزْم عن سُلَيْمان بن محمد بن كَعْب بن عُجْرة عن عَمَّته زَيْنَبَ بنتِ كعبٍ ـ وكانت عند أبي سعيد الخُدْري[٢] ـ عن أبي سعيد . قال : اشْتَكَى الناسُ عليّاً ، فقام رسول الله ﷺ فينا خَطيباً ، فسمِعْتُه يقول : أيُّها النّاسُ ، لا تَشْكوا[٣] عَلِيًّا فوَالله

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠٣) .
(٢) ليس اللفظ في أ .
(٣) أ : (لا تشتكوا) .

إنه لأخْشَنُ في ذاتِ الله ـ أو في سبيل الله ـ (مِنْ أنْ يُشْكَى ، ورواه الإمام أحمد[١] من حديث محمد بن إسحاق به ، وقال : إنَّه لأخْشَنُ في ذاتِ اللهِ أو في سبيلِ اللهِ .

وقال الإمام أحمد[٢])[٣] : حدَّثنا الفضلُ بن دُكَيْن ، ثنا ابن أبي غَنِيّة[٤] عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن بُرَيْدة ، قال : غَزَوْتُ مع عليٍّ اليمنَ ، فرأيتُ منه جفوةً ، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ ذكرتُ علياً فَتَنقَّصْتُه ، فرأيتُ وجهَ رسول الله يَتغيَّر . فقال : يا بُرَيْدة ، ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله ! قال : « من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » وكذا رواه النسائيّ عن أبي داود الحَرّاني ، عن أبي نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن ، عن عبد الملك بن أبي غَنِيَّة بإسناده نحوه[٥] ، وهذا إسناد جيدٌ قويٌّ رجالُهُ كلُّهم ثقاتٌ .

وقد روى النسائي في « سننه »[٦] عن مُحَمَّد بن المُثَنَّى ، عن يحيى بن حماد ، عن أبي عوانة[٧] ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطُّفَيْل ، عن زيد بن أرقم ، قال : لمّا رجَعَ رسولُ اللهِ من حجّة الوَداع وَنَزَلَ غَدير خُمّ ، أمر بدَوْحاتٍ فقُمِمْن ، ثم قال : « كأني قد دُعيتُ فأجَبْتُ ، إنّي قد تَرَكْتُ فيكم الثَّقَلَيْن : كتابَ اللهِ وعِتْرتي أهل بيتي ، فانظروا كيفَ تخلفوني فيهما ، فإنّهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ ، ثم قال : اللهُ مولاي ، وأنا وليُّ كلّ مؤمنٍ ، ثم أخذ بيدِ عليٍّ ، فقال : مَنْ كنتُ مولاهُ فهذا وليُّه ، اللهم والِ منْ والاه ، وعادِ من عاداه » فقلتُ لزيد : سمعتَه من رسولِ الله ﷺ ؟ فقال : ما كانَ في الدَّوْحاتِ أحدٌ إلا رآه بعينيه ، وسمِعَه بأُذُنَيْه . تَفَرَّدَ به النّسائي من هذا الوجه . قال شيخُنا أبو عبد الله الذَّهبي : وهذا حديث صحيح .

وقال ابن ماجه[٨] : حدَّثنا عليّ بن محمد ، حدثنا[٩] أبو الحُسَيْن ، حدثنا حماد بن سَلَمة ، عن

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٦) ، وهو حديث حسن .
(٢) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٤٧) .
(٣) ليس ما بين القوسين في أ .
(٤) أ : (عيينة) تحريف انظر تهذيب الكمال (١٨/ ٣٠٢ـ٣٠٣) .
(٥) السنن الكبرى للنسائي (٨٤٦٧) .
(٦) السنن الكبرى للنسائي (٨٤٦٤) .
(٧) أ ، ط : (معاوية) واسمه فيه (الوضاح بن عبد الله اليشكري) انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٢١٧) وتهذيب التهذيب (١١/١١٦) .
(٨) ابن ماجه (١١٦) ، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان . ولكن له شواهد من حديث زيد بن أرقم ، وسعد بن أبي وقاص ، وبريدة بن الحصيب ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعبد الله بن عباس ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، فهو حديث صحيح لغيره .
(٩) ط : (علي بن محمد أبو الحسين بن سلمة) .

علي بن زيد بن جُدْعان ، عن عَديّ بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع[١] التي حجَّ ، فنزل في الطريق ، فأمر : الصلاةَ جامعةً ، فأخذ بيد عليّ ، فقال : « ألستُ بأَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى . قال : ألستُ بأولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى . قال : فهذا وَليُّ مَنْ أنا مولاه ، اللهمَّ والِ منْ والاه ، وعادِ من عاداه » . وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر ، عن علي بن زيد بن جُدْعان ، عن عدي ، عن البراء .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي ، والحسن بن سفيان : ثنا هُدْبة ، ثنا حماد بن سَلَمة ، عن علي بن زيد وأبي هارون ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء ، قال : كُنّا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، فلما أتينا على غَدير خُمّ كُسِحَ لرسولِ الله ﷺ تحتَ شَجَرَتَيْن ، ونُوديَ في النّاس : الصلاةَ جامعةً ، ودعا رسول الله ﷺ علياً ، وأخذ بيده فأقامه عن يمينه ، فقال : « ألستُ أوْلى بكُلِّ امرئٍ من نفسه ، قالوا : بلى . قال : فإن هذا مولى من أنا مولاه ، اللهمَّ والِ مَنْ والاه ، وعادِ من عاداه » . فَلَقِيَهُ عمرُ بن الخطّاب، فقال : هَنيئاً لكَ ، أصبحتَ وأمسيتَ مولى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ . ورواه ابن جَريرٍ عن أبي زُرْعة ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سَلَمة ، عن عليّ بن زيد وأبي هارون العَبْديّ - وكلاهما ضعيف - عن عديّ بن ثابت عن البَراءِ بن عازب به . وروى ابن جَريرٍ هذا الحديثَ من حديثِ موسى بن عثمان الحَضْرمي ، وهو ضعيفٌ جداً - عن أبي إسحاق السَّبيعي ، عن البَراء وزيد بن أرقم ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا ابن نُمَيْر ، ثنا عبد الملك ، عن أبي عبد الرحيم الكِنْدي ، عن زاذان أبي عمر ، قال : سمعتُ عليّاً بالرَّحْبَة ، وهو ينشدُ النّاس : منْ شَهِدَ رسولَ الله ﷺ يومَ غَديرِ خُمّ ، وهو يقول ما قال ؟ قال : فقام اثنا عشر رجلاً ، فشهدوا أنّهم سَمِعوا مِنْ رسولِ الله ﷺ ، وهو يقول : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاه فعليٌّ مَوْلاه » تَفَرَّدَ به أحمد ، وأبو عبد الرحيم هذا لا يُعْرَفُ .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد[٣] في « مسند » أبيه : ثنا[٤] علي بن حكيم الأوْدي ، أخبرنا شَريكٌ ، عن أبي إسحاق ، عن سَعيد بن وهب ، وعن زيد بن يُثَيْع[٥] ، قالا[٦] : نَشَدَ عليٌّ الناسَ في الرَّحْبة : مَنْ سمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ يومَ غَدير خُمٍّ إلا قام[٧] ؟ قال : فقام من قِبَلِ سَعيدٍ ستةٌ ، ومِنْ قِبَلِ زَيْدٍ ستةٌ ،

---

(١) في سنن ابن ماجه : (حجته التي حَجَّ فنزل في بعض الطريق) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٤) .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ١١٨) .
(٤) ط : (حديث) .
(٥) ط : (يثيغ) تحريف . وانظر تهذيب الكمال (١٠/ ١١٥) .
(٦) أ ، ط : (قال) .
(٧) ط : (قال) إلا قام .

فشَهِدوا أنَّهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي يوم غدير خمّ : « أليسَ اللهُ أولى بالمُؤمنين من أنفسهم[١] ؟ قالوا : بلى . قال : اللهمَّ مَنْ كُنْتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم والِ مَنْ والاهُ وعادِ من عاداه » .

قال عبد الله[٢] : وحدّثني عليُّ بنُ حكيمٍ ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرٍو ذي مُرٍّ بمثل[٣] حديث أبي إسحاق ، يعني عن سعيدٍ وزيدٍ ، وزاد فيه : « وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ » .

قال عبدُ الله : وحدَّثنا عليٌّ ، ثنا شَريكٌ ، عن الأعمش ، عن حَبيبٍ بن أبي ثابت ، عن أبي الطُّفَيْل ، عن زيد بن أرْقَم ، عن النبي ﷺ مثله .

وقال النّسائي في كتاب « خصائص عليّ » : حدَّثنا الحسين بن حُرَيْث[٤] ، ثنا الفَضْل بن موسى ، عن الأعْمش ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، قال : قال عليّ في الرَّحبة : أنشدُ باللهِ[٥] رجلاً سمعَ رسولَ الله ﷺ يومَ غَدير خُمٍّ يقول : « إنَّ اللهَ وَلِيِّي [وأنا وليّ] المُؤْمنين ، ومنْ كُنْتُ وليَّه فهذا وَليُّه ، اللهُمَّ والِ منْ والاهُ ، وعادِ منْ عاداهُ ، وانْصُرْ من نَصَرَهُ » . وكذلك رواهُ شعبة عن أبي إسحاق[٦] ، وهذا إسنادٌ جيدٌ .

رواه النسائي[٧] أيضاً من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق عن عمرو ذي مُرّ ، قال : نشد عليّ الناس بالرَّحْبَة ، فقامَ أناسٌ فَشَهِدوا أنَّهم سَمِعوا رسولَ الله ﷺ يقولُ يومَ غَدير خُمٍّ : « منْ كُنْتُ مَوْلاه فإنَّ عليّاً مولاه ، اللَّهُمّ والِ منْ والاه ، وعادِ منْ عاداه ، وأحبَّ منْ أحَبَّهُ ، وأبْغِضْ منْ أبْغَضَهُ ، وانْصُرْ منْ نَصَرَه » . ورواه ابنُ جَريرٍ ، عن أحمد بن منصور ، عن عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب[٨] ، وعبد خير ، عن عليّ . وقد رواه ابنُ جَرير ، عن أحمد بن منصور ، عن عُبَيْد الله بن موسى ، وهو شيعيٌّ ثقةٌ ، عن فِطْرِ بن خليفة ، عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب[٩] وزيد بن يُثَيْعٍ[٩] وعمرو ذي مُرٍّ[١٠] : أن عَلياً نشدَ[١١] الناسَ بالكوفةِ . . . وذكر الحديث .

---

(١) ليس (من أنفسهم) في أ .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/١١٨) والزيادة منه ، وهو حديث صحيح بطرقه .
(٣) ط : (عمرو ذي أمر مثل) وانظر تهذيب الكمال (٢٢/٣٠٢) .
(٤) أ ، ط : (حرب) . وهو تحريف ، وانظر سير أعلام النبلاء (١١/٤٠٠) .
(٥) ط : (الله) .
(٦) السنن الكبرى للنسائي (٨٤٧١) .
(٧) السنن الكبرى للنسائي (٨٤٨٤) .
(٨) في الأصول : زيد بن وهب .
(٩) ط : (يثيغ) وهو تحريف تقدمت الإشارة إليه .
(١٠) ط : (أمر) وهو تحريف تقدمت الإشارة إليه .
(١١) ط : (أنشد) .

وقال عبد الله بن أحمد[(١)] : حدّثني عُبَيْد الله بن عمر القَواريريّ ، ثنا يونس بن أَرْقَم ، ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : شَهِدْتُ عَلِيّاً في الرَّحْبة ينشُدُ الناس ، فقال : أنشد الله مَنْ سَمِعَ رسول الله ﷺ يوم غَدير خُمٍّ يقول : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فعليٌّ مولاه ، لمَّا قام فشهد » . قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشرَ رجلاً بدريّاً كأنّي أنظر إلى أحدهم ، فقالوا : نشهدُ أنَّا سَمِعْنا رسولَ الله ﷺ يقول يومَ غدير خُمّ « أَلَسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجي أمهاتُهم ، فقلنا : بلى يا رسولَ الله . قال : مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَليٌّ مَوْلاه ، اللهُمَّ والِ مَنْ والاهُ ، وعادِ مَنْ عاداهُ » . إسنادٌ ضعيفٌ غريبٌ .

وقال عبد الله بن أحمد[(١)] : حدَّثنا أحمد بن عمر[(٢)] الوَكيعي ، ثنا زيد بن الحُباب ، ثنا الوليد بن عقبة بن نزار[(٣)] العَنْسي ، أنبأنا سِماك بن عُبَيد بن الوليد العَنْسي[(٤)] ، قال : دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى ، فحدّثني : أنَّه شهدَ عَلِيّاً في الرَّحْبَةِ قال : أنشُدُ اللهَ[(٥)] رجلاً سمع رسول الله ﷺ وشهده يوم غَديرِ خُمٍّ إلا قامَ ، ولا يقوم إلا مَنْ قَدْ رآه ، فقام اثنا عشر رجلاً ، فقالوا : قدْ رأيناهُ ، وسمعناه ، حيث أخذ بيده يقول : « اللهمَّ والِ منْ والاه ، وعادِ منْ عاداه ، وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذلَه » . فقامَ إلا ثلاثةً لم يقوموا[(٦)] ، فَدَعا عَلَيهم فأصابَتْهم دَعوتُه . ورُوي أيضاً ، عن عبد الأعلى بن عامر التَّغْلَبي[(٧)] وغيره ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به .

وقال ابن جرير : ثنا أحمد بن منصور ، ثنا أبو عامر العَقَدي . (ح) وروى ابن أبي عاصم[(٨)] عن سليمان الغَيْلاني[(٩)] عن أبي عامر العَقَدي ، ثنا كَثيرُ بن زيد ، حدّثني محمد بن عمر بن علي ، عن أبيه ، عن علي : أنَّ رسول الله حَضَرَ الشَّجَرَة بخُمٍّ . . . فذكرَ الحديث ، وفيه : مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ ، فإنَّ علياً مولاه . وقد رواه بعضهم ، عن أبي عامر ، عن كثير ، عن محمد بن عمر بن علي ، عن علي مُنْقَطعاً .

وقال إسماعيل بن عمرو البجلي ، وهو ضعيف ، عن مِسْعَر ، عن طلحة بن مُصَرِّفٍ ، عن عُمَيْرة بن

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١١٩) .
(٢) ط : (عمير بن عمير) . وانظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٦) .
(٣) أ ، ط : (ضرار القيسي) وهو تحريف . وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١١٨/ ١٤٤) ، وتقريب التهذيب ـ عوامة ـ (٥٨٣) .
(٤) أ : (العبسي) ط : (القيسي) وكلاهما تحريف وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ١٤٤) .
(٥) ط : (بالله) .
(٦) ط : (يقموا) تحريف .
(٧) ط : (التغلبي) وهو تحريف . وانظر تقريب التهذيب ـ عوامة ـ ط٢ ـ (٣٣١) .
(٨) في السنة (١٣٦١) .
(٩) ط : (الغلابي) وهو سليمان بن عبيد الله بن عمرو بن جابر الغيلاني المازني أبو أيوب البصري . روى عن أبي عمرو العَقَدي . روى عنه ابن أبي عاصم مات سنة (٢٤٦) وقيل (٢٤٧) (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٠٩) .

سعد : أنَّه شَهِدَ علياً على المنبر يُناشِدُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ : منْ سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يومَ خُمٍّ ، فقام[١] اثنا عَشَرَ رَجُلاً ، منهم أبو هريرة ، وأبو سعيد ، وأنس بن مالك ، فَشَهِدوا أنَّهم سَمِعُوا رسولَ الله ﷺ يقول : « منْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاه ، اللهُمَّ والِ منْ والاهُ ، وعادِ منْ عاداهُ » . وقد رواه عُبَيْد الله بن موسى عن هانئ بن أيوب ، وهو ثقة ، عن طلحة بن مُصَرِّفٍ به .

وقال عبد الله بن أحمد[٢] : حدّثني حجاج بن الشاعر ، ثنا شَبابة ، ثنا نُعيم بن حكيم ، حدّثني أبو مريم ، ورجلٌ من جُلَساء عليّ ، عن عليّ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال يومَ غَدير خُمٍّ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ » . قال : فزادَ النّاسُ بعدُ : والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه . روى أبو داود[٣] بهذا السند حديثَ المُخْدَجِ[٤] .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا حسين بن محمد وأبو نعيم ، المَعْنى ، قالا : ثنا فطر[٦] ، عن أبي الطُّفَيْل : قال جَمَعَ عليٌّ الناسَ في الرَّحْبَة ـ يعني رحبة مسجد الكوفة ـ فقال : أنشدُ الله كلَّ مَنْ سَمِعَ رسولَ الله يقول يَومَ غَدير خُمٍّ ما سمع لما قام . فقام ناسٌ كثيرٌ ، فشهدوا حين أخذَ بيده فقال للناس : « أتعلمونَ أنّي أوْلَى بالمُؤْمنين من أنْفُسهم ؟ قالوا : نعم ، يا رسولَ الله قال : منْ كنتُ مولاه فهذا[٧] مولاه ، اللهمَّ والِ منْ والاه وعادِ منْ عاداه » قال : فخرجتُ كأنَّ في نفسي شَيْئاً فلقيتُ زيدَ بن أرقم . فقلت له : إنّي سمعتُ علياً يقول : كذا وكذا . قال : فما تنكر ؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك له . هكذا ذكره الإمام أحمد في مسند زيد بن أرقم رضي الله عنه . ورواه النسائي من حديث الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطُّفَيْل ، عن زيد بن أرقم به . وقد تقدم .

وأخرجه الترمذي[٨] عن بُنْدار ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن سَلَمة بن كُهَيْل ، سمعتُ أبا الطفيل يُحَدِّثُ عن أبي سُرَيْحة ـ أو زيد بن أرقم ـ شَكَّ شُعْبَةُ : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : منْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مولاه . ورواه ابنُ جَرير عن أحمد بن حازم ، عن أبي نُعَيْم ، عن كامل أبي العلاء ، عن حَبيب بن أبي ثابتٍ ، عن يحيى بن جَعْدَة ، عن زَيْدِ بن أرْقَمَ .

---

(١) ط : (قال) تحريف .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٢) ، وهو حديث حسن .
(٣) أبو داود (٤٧٧٠) ، وإسناده ضعيف .
(٤) ط : (المخرج) والمخدج : ناقص الخلق ، والإشارة هنا إلى ذي الثُّدَيَّة الخارجي مخدج اليد (النهاية : خدج) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٠) ، وإسناده صحيح .
(٦) أ ، ب : (قطن) تحريف . وهو فطر بن خليفة القرشي المخزومي مولاهم أبو بكر الخياط الكوفي روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وعنه أبو نعيم (تهذيب التهذيب ٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢) .
(٧) ط : (فعليّ) .
(٨) جامع الترمذي (٣٧١٣) ، وهو حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عَفَّان ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن المغيرة ، عن أبي عُبَيْد ، عن ميمون أبي عبد الله ، قال : قال زيد بن أرْقَم ، وأنا أسمع : نزلنا مع رسول الله مَنْزلاً يقال له : وادي خُمٍّ ، فأمر بالصَّلاة فَصلَّاها بهَجيرٍ . قال فخطبنا وظُلِّلَ[٢] لرسول الله ﷺ بثوبٍ على شجرةِ سَمُرَةٍ[٣] من الشمس . فقال : « ألَسْتُمْ تَعْلَمون ـ أو ألستم تَشْهَدون ـ أنّي أولى بكلِّ مُؤمنٍ من نَفْسِه ؟ قالوا : بلى ، قال : فمن (كنتُ مولاه ، فإنّ علياً مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه . ثم رواه أحمد عن غُنْدَر)[٤] عن شُعْبَة ، عن ميمون أبي عبد الله ، عن زَيْد بن أرْقَمَ ، إلى قوله : منْ كُنْتُ مولاه فَعَليٌّ مولاه . قال ميمون : حدّثني بعض القوم ، عن زيدٍ : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « اللهُمَّ والِ منْ والاه ، وعادِ منْ عاداه » . وهذا إسْنادٌ جَيِّدٌ ، رجالُهُ ثقاتٌ على شرطِ السُّنَنِ[٥] . وقد صَحَّحَ الترمذي بهذا السند حديثاً في الزيت[٦] .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا يحيى بن آدم ، ثنا حَنَشُ بن الحارث بن لقيط الأشْجعي عن رِياح بن الحارث . قال : جاء رهط إلى عليٍّ بالرَّحْبة ، فقالوا : السلامُ عليكَ يا مولانا ، قال : كيفَ أكونُ مولاكم ، وأنتم قوم عَرَبٌ . قالوا : سمعنا رسول الله ﷺ يومَ غَديرِ خُمّ يقول : منْ كُنتُ مولاه فهذا مولاه . قال رياح[٨] : فلما مَضَوْا تَبِعْتُهم ، فسألتُ منْ هؤلاء ؟ قالوا : نفرٌ من الأنْصار فيهم[٩] أبو أيوب الأنصاري . وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا (أبو أحمد ، ثنا)[١٠] حَنَش ، عن رِياح بن الحارث ، قال : رأيتُ قوماً من الأنْصارِ قَدِمُوا على عليٍّ في الرَّحْبة ، فقال : مَنِ القَوْمُ ؟ فقالوا : مَواليكَ يا أمير المؤمنين . فذكر معناه . هذا لفظُه ، وهو من أفراده .

وقال ابن جرير : ثنا أحمد[١٠] بن عثمان أبو الجَوْزاء ، ثنا محمد بن خالد بن عَثْمَة ، ثنا موسى بن يعقوب الزَّمْعي ، وهو صدوق ، حدّثني مُهاجرُ بن مِسْمار ، عن عائشة بنت سَعْد ، سمعت أباها ، يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول يومَ الجُحْفَةِ ، وأخذ بيدِ عليٍّ ، فخطب . ثم قال : « أيُّها النّاسُ ، إنّي وليُّكم . قالوا : صدقتَ فرفعَ يدَ عليٍّ ، فقال : هذا وليِّي والمُؤَدِّي عنّي ، وإنَّ اللهَ مُوالي منْ والاهُ ، ومُعادي من

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٢) .
(٢) ط : (قال فخبطنا وظل رسول الله) .
(٣) ط : (ستره) وليس اللفظ في أ . وما أثبته عن المسند .
(٤) ليس ما بين القوسين في ط .
(٥) هكذا قال ، وتابعيه ميمون أبو عبد الله البصري ضعيف ، كما قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » (بشار) .
(٦) ط : (الريث) ، وهو في الترمذي رقم (٢٠٧٨) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤١٩) ، وإسناده صحيح .
(٨) ط : (رباح) . وهو تحريف . وانظر تقريب التهذيب (٢١١) .
(٩) ط : (منهم) .
(١٠) ط : (ابن أحمد) .

عاداهُ » . قال شيخنا الذهبي : وهذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ . ثم رواه ابنُ جرير من حديث يعقوب بن جعفر بن أبي كثير[(١)] ، عن مُهاجر بن مِسْمار ، فذكرَ الحديثَ ، وأنَّه عليه الصلاة والسلام ، وقف حتى لحقه من بعده ، وأمر بردِّ مَنْ كانَ تقدَّم ، فخطبهم . . . الحديث . وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في الجزء الأول من كتاب « غَدير خُمٍّ » : ـ قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : وجدته في نسخة مكتوبة عن ابن جرير ـ ثنا محمد[(٢)] بن عوف الطائيُّ ، ثنا عُبَيْد الله بن موسى ؛ أنبأنا إسماعيل بن نشيْط[(٣)] عن جميل بن عُمارة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، قال ابن جرير أحسَبُه قال : عن عمر ، وليس في كتابي : سمعتُ رسولَ الله ﷺ، وهو آخذ بيد عليٍّ : « منْ كنتُ مولاه فهذا مولاه ، اللهمَّ والِ منْ والاه ، وعادِ من عاداه». وهذا حديثٌ غريبٌ . بل منكرٌ وإسنادُه ضعيفٌ . قال البخاري في جميل بن عمارة هذا : فيه نظر .

وقال المُطَّلبُ بن زياد عن عبد الله بن محمد بن عَقيل ، سمع جابر بن عبد الله يقول : كنا بالجُحْفَة بغَدير خُمٍّ ، فخرج علينا رسول الله ﷺ من خِباءٍ أو فُسْطاطٍ ، فأخذ بيد عليٍّ ، فقال : « منْ كُنْتُ مولاه فعليٌّ مولاه » . قال شيخُنا الذهبي : هذا حديثٌ حسنٌ . وقد رواه ابن لَهيعةَ ، عن بكر بن سَوادة وغيره ، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن ، عن جابر بنحوه .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : ثنا يحيى بن آدم وابن أبي بُكَيْر . قالا : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حُبْشيّ بن جُنَادة قال يحيى بن آدم ، وكان قد شهد حجة الوداع ـ قال : قال رسول الله ﷺ : عليٌّ منّي وأنا منه ، ولا يُؤَدِّي عَنِّي إلا أنا أو عليٌّ . وقال ابن أبي بُكَيْر : لا يَقْضي عنِّي دَيْني إلا أنا أو علي .

وكذا رواهُ أحمد[(٥)] أيضاً عن أبي أحمد الزبيري ، عن إسرائيل .

قال الإمام أحمد[(٥)] : وحدَّثناه الزبيري ، ثنا شَريك ، عن أبي إسحاق ، عن حُبْشي بن جُنادة مثله . قال : فقلت : لأبي إسحاق : أينَ سمعتَ منه ؟ قال : وقف علينا على فرس في مَجْلسنا في جَبّانةِ السَّبيع . وكذا رواه أحمد[(٥)] ، عن أسود بن عامر ، ويحيى بن آدم ، عن شَريك . ورواه الترمذي[(٦)] عن إسماعيل بن موسى ، عن شَريك ، وابن ماجه[(٧)] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وسويد بن سعيد ،

---

(١) ط : (كبير) وانظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٥٨٤) .
(٢) ط : (محمود) وهو تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦١٣) .
(٣) ط : (كشيط) وهو تحريف . وانظر تاريخ البخاري (١/ ٣٧٥) ، والجرح والتعديل (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٦٢) ، وهو حديث حسن .
(٥) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٦٥) ، وهو حديث حسن .
(٦) الترمذي (٣٧١٩) ، وهو حديث حسن .
(٧) ابن ماجه (١١٩) ، وهو حديث حسن .

وإسماعيل بن موسى ، ثَلاثتُهُم عن شَريك به . ورواه النسائي[١] عن أحمد بن سليمان ، عن يحيى بن آدم ، عن إسرائيل به . وقال الترمذي حسن صحيح غريب .

ورواه سليمان بن قَرْمٍ ـ وهو متروك ـ عن أبي إسحاق ، عن حُبْشي بن جُنادة ، سمع رسول الله ﷺ يقولُ يومَ غَدير خُمٍّ : « منْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهُمَّ والِ منْ والاه ، وعادِ منْ عاداه » . . . وذكر الحديث .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، أنبأنا شَريكٌ ، عن أبي يزيد الأودي ، عن أبيه . قال : دخَلَ أبو هريرة المسجدَ فاجْتَمَعَ الناسُ إليه فقام إليه شاب . فقال : أنشُدُكَ باللهِ أسمِعْتَ رسولَ اللهِ يقول : « منْ كُنْتُ مولاه فَعَليٌّ مولاه ، اللهُمَّ والِ منْ والاه وعادِ منْ عاداه » قال : نعم . ورواه ابنُ جَريرٍ ، عن أبي كُرَيْب ، عن شاذان ، عن شَريكٍ به . تابعه إدْريسُ الأوْدي ، عن أخيه أبي يزيد ـ واسمُه داود بن يزيد ـ به .

ورواه ابنُ جَرير أيضاً من حديث إدْريس وداود ، عن أبيهما ، عن أبي هريرة . . . فذكره .

فأما الحديث الذي رواه ضَمْرَةُ ، عن ابن شَوْذَبٍ ، عن مَطَرٍ الوَرّاقِ ، عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ ، عن أبي هريرة ، قال : لما أخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ قال : « منْ كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه . فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ [المائدة : ٣] . قال أبو هريرة : وهو يومُ غَدِير خُمٍّ منْ صامَ يومَ ثماني عَشْرَةَ من ذي الحجةِ كُتِبَ له صيامُ ستين شَهْراً . فإنَّه حديثٌ منكرٌ جداً ، بل كذبٌ ؛ لمخالفته ما ثبت في « الصَّحيحَيْن » عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنّ هذه الآية نزلت في يوم الجمعة يوم عرفة ، ورسول الله ﷺ واقفٌ بها كما قَدَّمْنا . وكذا قوله : إنَّ صيامَ يوم الثّامن عشرَ من ذي الحجة ، وهو يوم غَديرُ خُمٍّ يعدلُ صيامَ ستّين شهراً ، لا يصحُّ ، لأنه قد ثبتَ ما معناه في « الصحيح »[٢] أنَّ صيامَ شهرِ رمضانَ بعشرةِ أشهرٍ ، فكيف يكونُ صيامُ يومٍ واحدٍ يَعْدِل ستين شهراً . هذا باطل . وقد قال شيخُنا الحافظُ أبو عبد الله الذّهبي ، بعد إيراده هذا الحديث : هذا حديثٌ منكَرٌ جداً . ورواه حَبْشون الخَلّال وأحمد بن عبد الله بن أحمد النَّيريّ ـ وهما صدوقان ـ عن عليِّ بن سعيد الرَّمْليّ ، عن ضَمْرة . قال : ويروى[٣] هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبي سعيدٍ وغيرِهم بأسانيد واهية . قال : وصدرُ الحديثِ متواترٌ أتيَقَّنُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قاله ، وأما : اللهمَّ والِ منْ

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (٨٤٥٩) .
(٢) مسلم (١١٦٤) .
(٣) ط : (يروى) بلا واو .

والاه فزيادةٌ قويةُ الإسنادِ ، وأما هذا الصوم فليس بصحيحٍ ، ولا واللهِ ما نزلت الآية إلا يومَ عرفة قبلَ غديرِ خُمٍّ بأيام ، والله تعالى أعلم .

وقال الطبراني[١] : حدَّثنا علي بن إسحاق الوزير الأصبهاني ، ثنا محمد بن عمر بن علي المُقَدَّمي ، ثنا علي بن محمد بن يوسف بن سِنان[٢] بن مالك بن مِسْمَع ، ثنا سهل بن يوسف[٣] بن سهل بن مالك أخي كعب بن مالك ، عن أبيه عن جده . قال : لما قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ من حجّة الوداع صَعِدَ المِنبَر ، فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس[٤] إنّ أبا بكر لم يَسُؤْني قطّ ، فاعرفوا ذلك له : يا أيُّها[٤] الناسُ ، إنّي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد[٥] وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين ، راضٍ ، فاعرفوا ذلك لهم ، أيها الناس ، احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني[٦] لا يَطْلبكم اللهُ بمظلمةٍ أحد منهم . أيُّها الناس ، ارفعوا ألسنَتكُم عن المسلمين ، وإذا مات أحدٌ منهم ، فقولوا فيه خيراً .

* * *

(١) المعجم الكبير (٦/ ١٢٦) رقم (٥٦٤٠) ولا يصح إسناده ، وانظر الإصابة في ترجمة سهل بن مالك .
(٢) ط : (شبان) .
(٣) ط : (حنيف) .
(٤) ط : (أيها) بلا يا .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) ط : (وأحبابي) .

سنة إحدى عشرة من الهجرة

استُهِلَّتْ هذه السَّنةُ وقد اسْتَقَرَّ الركابُ الشَّريفُ النبويُّ بالمدينةِ النبويةِ المُطَهَّرةِ مَرْجِعَهُ من حجةِ الوداع ، وقد وَقَعَتْ في هذه السنة أمورٌ عِظامٌ ، من أعظمها خَطْباً وفاةُ رسولِ الله ﷺ ، ولكنه عليه الصلاة والسلام نَقَله اللهُ عزَّ وجلَّ منْ هذه الدارِ الفانية إلى النَّعيم الأبَدَي في مَحَلَّةٍ عاليةٍ رفيعةٍ ، ودرجةٍ في الجَنَّةِ لا أعْلَى منها ولا أسْنَى ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى : ٤ ـ ٥] وذلك بعدَما أكْمَلَ أداءَ الرِّسالةِ التي أمره الله تعالى بإبلاغها ، ونَصَحَ أمَّتَهُ ودَلَّهُمْ على خيرِ ما يَعْلَمُه لهم ، وحَذَّرَهُمْ ونَهاهُمْ عما فيه مَضَرَّةٌ عليهم في دُنْياهم وأُخْراهم .

وقد قدَّمنا ما رواه صاحبا « الصحيح » من حديثِ عمر بن الخَطَّاب ، أنّه قال : نزل قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] يومَ الجُمْعَةِ ورسولُ الله ﷺ واقفٌ بعرفة .

ورَوَيْنا من طريق جيدٍ : أنَّ عمرَ بن الخَطّاب حين نزلت هذه الآية بكى ، فقيل : ما يُبْكيك ؟ فقال : إنَّه ليس بعدَ الكَمالِ إلا النُّقْصانُ ، وكأنه اسْتَشْعَرَ وفاةَ النبيِّ ﷺ .

وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى ذلك فيما رواه مسلم[1] من حديث ابن جُرَيْج ، عن أبي الزُّبَيْر ، عن جابر : أنَّ رسولَ الله ﷺ وقفَ عندَ جمرة العقبة ، وقال لنا : خُذوا عَنِّي مناسِكَكم ، فلعلّي لا أحجُّ بعدَ عامي هذا .

وقدَّمنا ما رواهُ الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي[2] من حديث موسى بن عُبَيْدة الرَّبَذي ، عن صَدَقَة بن يسار ، عن ابن عمر ، قال : نزلَتْ هذه السورة : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ في أوسطِ أيّامِ التَّشْريق ، فعرفَ رسولُ الله ﷺ أنّه الوَداعُ ، فأَمَرَ براحلتِه القَصْواء فرُحِلَتْ ، ثم ذكرَ خطبتَه في ذلك اليوم كما تقدم .

وهكذا قالَ عبدُ الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، لعمر بن الخطاب حين سأله عن تفسير هذه السورة بمَحْضرِ كثيرٍ منَ الصَّحابة ، ليُرِيَهُم فضلَ ابن عباس وتَقَدُّمَه وعِلْمَهُ ، حينَ لامَه بعضُهم على تقديمه

(١) مسلم ١٢٩٧ .
(٢) كشف الأستار (١١٤١) والبيهقي في « الدلائل » (٥/ ٤٤٧) وإسناده ضعيف .

وإجلاسه له مع مشايخ بَدْرٍ ، فقالَ : إنّه من حيث تعلمون ، ثم سألهم وابنُ عَبّاس حاضرٌ عن تَفْسير هذه السورة : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر : ١ ـ ٣] فقالوا : أُمِرْنا إذا فُتِحَ لنا أن نَذْكُرَ الله ونحمدَه ونستغفرَه . فقال : ما تقول يا بنَ عبّاسٍ ؟ فقال : هو أجلُ رسولِ الله ﷺ نُعِيَ إليه . فقال عمر : لا أعلمُ منها إلا ما تَعْلَمُ[١] . وقد ذكرنا في تَفْسير هذه السُّورة ما يدُلُّ على قولِ ابنِ عبّاسٍ من وجوهٍ ، وإن كانَ لا يُنافي ما فسر به الصَّحابةُ أيضاً[٢] رضي الله عنهم .

وكذلك ما رواه الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا وَكيعٌ ، عن ابن أبي ذِئْبٍ ، عن صالح مولى التَّوْأمة ، عن أبي هريرة : أنَّ رسولَ الله ﷺ لمّا حجّ بنسائِه ، قال : « إنما هي هذه الحجَّة ، ثم الزَّمْنَ ظُهورَ الحُصُرِ » . تَفَرَّدَ به أحمد من هذا الوجه . وقد رواه أبو داود[٤] في « سننه » من وجهٍ آخرَ جيّدٍ .

والمَقْصودُ أنَّ النُّفوسَ اسْتَشْعرَتْ بوفاته عليه الصلاة والسلام ، في هذه السنة ، ونحن نَذْكُرُ ذلك ، ونُوردُ ما رُويَ فيما يَتعلَّقُ به من الأحاديث والآثار ، وباللهِ المُسْتَعان ، ولْنُقَدِّمْ على ذلك ما ذَكَرَهُ الأئِمَّةُ محمد بن إسحاق بن يَسار ، وأبو جعفر بن جرير ، وأبو بكر البيهقي ، في هذا الموضع قبلَ الوفاةِ من تَعدادِ حججه وغزَواتِه وسَراياه وكُتبه ورسله إلى الملوك ، فلْنَذْكُرْ ذلك مُلَخَّصاً مُخْتَصراً ، ثم نُتْبِعُه بالوفاةِ.

ففي « الصحيحين »[٥] من حديث أبي إسحاق السَّبيعي ، عن زيد بن أرْقَم : أنَّ رسولَ الله ﷺ غزا تِسْعَ عَشْرَةَ[٦] غَزْوةً ، وحجَّ بعدَ ما هاجر حجَّةَ[٧] الوداع ، ولم يحجّ بعدها . قال أبو إسحاق : وواحدة بمكة . كذا قال أبو إسحاق السَّبيعي .

وقد قال زيد بن الحُباب[٨] ، عن سفيان الثوري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر : أنَّ رسولَ الله ﷺ حَجَّ ثلاثَ حَجّاتٍ ، حَجَّتَيْن قبلَ أنْ يُهاجِر ، وواحدة بعدَما هاجرَ ، مَعَها عُمْرَة ، وساق ستاً وثلاثين بَدَنَةً ، وجاء عليٌّ بتمامها من اليمن .

وقد قدَّمنا عن غير واحدٍ من الصحابة، منهم أنسُ بن مالكٍ في «الصحيحين» أنه عليه الصلاة والسلام:

---

(١) أخرجه البخاري في علامات النبوة (٣٦٢٧) وفي المغازي (٤٢٩٤) و(٤٤٣٠) وفي التفسير (٤٩٧٠) (بشار) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٤٦) .
(٤) أبو داود (١٧٢٢) .
(٥) البخاري (٤٤٠٤) ومسلم (١٢٥٤) .
(٦) أ : (تسعة عشرة) خطأ .
(٧) ليس اللفظ في ط .
(٨) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٤٥٤) .

اعتمرَ أربعَ عُمَرٍ ، عُمْرَةَ الحُدَيْبية ، وعُمْرَةَ القَضاء ، وعُمْرَةَ الجِعْرانة ، والعمرةَ التي مع حجَّةِ الوَداع .

وأما الغزوات فروى البخاري(١) عن أبي عاصم النَّبيلِ ، عن يزيد بن أبي عُبَيْد ، عن سَلَمة بن الأكْوَع . قال : غَزَوْتُ مع رسولِ الله ﷺ سبعَ غزواتٍ، ومع زَيْدِ بن حارِثة، تسعَ غَزَواتٍ يُؤَمِّرُهُ علينا رسولُ الله ﷺ.

وفي « الصحيحين »(٢) : عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن يَزيد(٣) عن سَلَمة . قال : غَزَوْتُ مع رسول الله ﷺ سَبْعَ غَزْواتٍ ، وفيما يَبْعَثُ من البعُوث تِسْعَ غَزْوات ، مَرَّةً علينا أبو بكر ، ومرَّةً علينا أُسامة بن زيد .

وفي صحيح البخاري(٤) من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البَراء ، قال : غَزَا رسولُ الله ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ غَزْوةً .

وفي « الصحيحين »(٥) من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم(٦) : أنّ رسولَ الله ﷺ غزا تِسْع عَشَرَة غَزْوةً ، وشَهِدَ معه منها سبعَ عشرةَ ، أولها العُشَيْر أو العُسَيْر .

وروى مسلم(٧) عن أحمد بن حنبل ، عن مُعْتمرٍ ، عن كَهْمَس بن الحسن ، عن ابن بُرَيْدة ، عن أبيه : أنه غزا مع رسول الله ﷺ ستَّ عشرةَ غزوةً . وفي روايةٍ لمُسْلِمٍ منْ طَريق الحُسين بن واقِدٍ ، عن عبد الله بن بُرَيْدة ، عن أبيه : أنّه غَزا مع رسول الله ﷺ تسعَ عشرةَ غزوةً ، قاتَلَ منها في ثمانٍ . وفي رواية عنه بهذا الإسناد(٨) ، وبعثَ أربعاً وعشرين سريَّةً ، قاتل يومَ بدرٍ ، وأُحُدٍ ، والأحْزابِ ، والمُرَيسيعِ ، [وقديد] وخَيْبر ، ومكَّة وحُنَيْن .

وفي صحيح مسلم(٩) من حديث أبي الزبير ، عن جابر : أنَّ رسولَ الله ﷺ غزا إحدى وعشرين غزوةً ، غزوتُ معه منها تِسْعَ عَشْرَةَ غزوةً ، ولم أشْهَدْ بَدْراً ولا أُحُدا ، منعني أبي ، فلما قُتِلَ أبي يومَ أُحُدٍ ، لم أتَخَلَّفْ عنْ غزاةٍ غَزاها .

---

(١) البخاري (٤٢٧٢) .
(٢) البخاري (٤٢٧٠) ومسلم (١٨١٥) .
(٣) ط : (زيد) وهو يزيد بن أبي عبيد الحجازي أبو خالد الأسلمي مولى سلمة بن الأكوع ، روى عن مولاه وغيره ، وروى عنه حاتم بن إسماعيل المدني أبو إسماعيل الحارثي ، مات يزيد سنة ست أو سبع وأربعين ومئة (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٤٩) .
(٤) البخاري (٤٤٧٢) .
(٥) البخاري رقم (٣٩٤٩) ومسلم (١٢٥٤) (١٤٣) الذي بعد (١٨١٢) .
(٦) في الأصول : البراء ، والتصحيح من الصحيحين .
(٧) رقم (١٨١٤) .
(٨) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٤٥٩) .
(٩) مسلم (١٨١٣) .

وقال عبد الرزاق[١] : أنبأنا مَعْمرٌ ، عن الزُّهْريِّ . قال : سمعتُ سعيد بن المُسَيّب يقولُ : غزا رسولُ الله ﷺ ثماني عَشْرَةَ غَزْوةً . قال وسَمِعْتُهُ مَرَّةً يقولُ : أَرْبعاً وعِشْرين غَزْوةً ، فلا أدري : أكان ذلك وَهْماً ، أو شَيْئاً سَمِعَه[٢] بعد ذلك .

وقال قتادة[٣] : غزا رسولُ الله تِسْعَ عَشْرَةَ ، قاتَلَ في ثمانٍ منها ، وبعث من البُعوثِ أربعاً وعشرين ، فَجَميعُ غَزَواتِهِ وسَراياهُ ثلاثٌ وأرْبَعون .

وقد ذكر عُرْوةُ بن الزُّبَيْر ، والزُّهْري ، وموسى بن عُقْبَة ، ومحمد إسحاق بن يَسارٍ ، وغير واحد من أئمة هذا الشأن : أنه عليه الصلاة والسلام قَاتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ في رمضان من سنة اثنتين ، ثم في أُحُدٍ في شَوّال سَنَةَ ثَلاثٍ ، ثم في الخَنْدَق وبَني قُرَيْظة في شَوّال أيضاً من سنة أربعٍ وقيل خمس ، ثم في بني المُصْطَلِقِ بالمُرَيْسيع في شعبان سنة خَمْسٍ ، ثم في خَيْبَرٍ في صفر سنةَ سبعٍ ، ومنهم منْ يَقولُ سنةَ ستّ ، والتَّحقيقُ أنَّه في أوّل سَنَةِ سَبْعٍ وآخر سنة ستّ ، ثم قاتَلَ أهلَ مكَّةَ في رمضان سنةَ ثمانٍ ، وقاتَلَ هوازِنَ ، وحاصَرَ أَهْلَ الطَّائِفِ في شوال وبعض ذي القعدة[٤] سنة ثمان ، كما تَقَدَّمَ تَفْصيله ، وحجَّ في سنة ثمانٍ بالنّاسِ عَتّابُ بن أَسيدٍ نائبُ مَكَّةَ ، ثم في سَنَةِ تِسْعٍ أبو بكر الصِّدِّيقُ ، ثم حَجَّ رسولُ الله ﷺ بالمسلمين سنةَ عَشْر .

وقال محمد بن إسحاق[٥] : وكان جميعُ ما غَزا رسولُ الله ﷺ بنفسه الكريمة سبعاً وعِشْرين غَزْوةً . (غَزْوَة وَدَّانَ ، وهي غَزْوةُ الأبْواء)[٦] ، ثم غزوة بُواط من ناحية رَضْوى ، ثم غزوة العُشَيْرة من بطن يَنْبُع ، ثم غَزْوة بَدْرٍ الأُولى يَطْلُب[٧] كُرزَ بنَ جابرٍ ، ثم غَزْوةَ بَدْرٍ العُظْمى[٨] التي[٩] قَتَلَ الله فيها صَناديدَ قُرَيْشٍ ، ثم غزوة بني سُلَيْم حتى بلغ الكُدْر[١٠] ، ثم غَزْوة السَّويق يطلب[٧] أبا سفيان بن حرب ، ثم غَزْوة غطَفان ، وهي غَزْوة ذي أمَر[١١] ، ثم غزوة نَجْران ، معدن بالحجاز ، ثم غَزْوة أُحُدٍ ، ثم حَمْراءِ الأَسَدِ ، ثم غَزْوَة بني النَّضير ، ثم غَزْوة ذات الرِّقاع من نخل ، ثم غَزْوة بَدْرٍ الآخرة ، ثم غَزْوَة دُومة الجَنْدَلِ ، ثم

---

(١) في مصنفه (٩٦٥٩) .
(٢) ط : (سمعته) .
(٣) دلائل النبوة في مواضع كثيرة منها (٥/ ٤٦٢ و٤٦٣ و٤٦٨ و٤٦٩) .
(٤) في الأصول : ذي الحجة ، وهو خطأ .
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩) .
(٦) ليس ما بين القوسين في أ .
(٧) ط : (بطلب) .
(٨) في السيرة (٢/ ٦٠٨) : (الكبرى) .
(٩) ط : (الذي) .
(١٠) انظر معجم البلدان (كُدْر) .
(١١) انظر معجم البلدان (أمر) .

غَزْوَة الخَنْدَقِ ، ثم غَزوة بني قُرَيْظة ، ثم غَزْوَةَ بني لِحْيان من هُذَيل ، ثم غَزْوة ذي قَرَدٍ ، ثم غَزْوة بني المُصْطَلق من خزاعة ، ثم غزوة الحُدَيْبية ، لا يريد قتالاً ، فَصَدَّه المشركون ، ثم غَزْوة خَيْبر ، ثم عُمْرة القَضاء[١] ، ثم غَزْوة الفَتْح ، [ثم غزوة حنين][٢] ، ثم غزوة الطائف ، ثم غَزْوة تبوك .

قال ابن[٣] إسحاق : قَاتَلَ منها في تِسْع غَزَواتٍ ، غزوة[٤] بَدْر ، وأُحُد ، والخَنْدق ، وقُرَيْظَة ، والمُصْطَلق ، وخَيْبَر ، والفَتْح ، وحُنَيْن ، والطّائف .

قلتُ : وَقَدْ تَقَدمَ ذلك كلُّه مَبسوطاً في أماكنه بشواهِدِه وأدِلَّتِهِ ، ولله الحمد .

قال ابن إسحاق[٥] : وكانت بعوثه عليه الصلاة والسلام وسراياه ثمانياً وثلاثين ، من بَيْن بَعْثٍ وسَرِيَّةٍ . ثم شَرَعَ رحمه الله في ذكر تَفْصيل ذلك .

وقد قدمنا ذلك كُلَّه أو أكثره مُفَصَّلاً في مواضعه ولله الحمد والمنة . ولنذكر ملخص ما ذكره ابن إسحاق :

بَعْثُ عُبَيدة بن الحارث ، إلى أسفل ثنيَّةِ المَرَةِ[٦] .

ثم بَعَثَ حمزةَ بنَ عبدِ المُطَّلب إلى الساحل من ناحية العيص ، ومن الناس من يُقَدِّمُ هذا على بَعْثِ عُبَيْدَةَ كما تقدم . فالله أعلم .

بَعْثُ سَعْد بن أبي وقاص إلى الخَرّار[٧] .

بَعْثُ عبد الله بن جَحْش إلى نَخْلَة[٨] .

بعث زيد بن حارثة إلى القَرَدة .

بعث مُحَمّد بن مَسْلمة إلى كَعْب بن الأشْرف .

بعث مَرْثَد بن أبي مَرْثَد إلى الرَّجيع .

بعثُ المُنْذر بن عمرو إلى بئر مَعونَةَ .

---

(١) بعدها : (ثم القضاء) .
(٢) ليس ما بين القوسين في ط .
(٣) ليس اللفظ في ط وانظر السيرة (٢/ ٦٠٩) .
(٤) ليس اللفظ في السيرة .
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠٩) .
(٦) انظر معجم البلدان (ثنية المرة) .
(٧) ط : (الجرار) تحريف . وانظر السيرة النبوية (٢/ ٦٠٩) ، ومعجم البلدان : (الخرار) .
(٨) ط : (بجيلة) . وانظر السيرة ومعجم البلدان (نخيلة) .

بعثُ أبي عُبَيْدة إلى ذي القَصَّة[١] .

بعث عمر بن الخطاب إلى تُرْبَةَ[٢] في أرض بني عامر .

بعث عليّ إلى اليمن .

بعث غالبِ بن عبد الله الكَلْبي إلى الكَديد فأصاب بني المَلَوَّح ، أغار عليهم في الليل . فقتل طائفةً منهم ، واستاق نِعَمَهُمْ ، فجاء نفيرهم في طلب النَّعَمِ ، فلما اقْتَرَبُوا حالَ بَيْنَهُمْ وبينهم[٣] وادٍ من السَّيْلِ ، وأسَروا في مسيرهم هذا الحارثَ بن مالك ابن البَرْصاءِ . وقد حرر ابن إسحاق هذا هاهنا وقد تقدم بيانه .

بعث[٤] عليّ بن أبي طالب إلى أرض فَدَك .

بعث أبي[٥] العَوْجاء السُّلَمي إلى بني سُلَيْم ، أُصيب هو وأصحابه .

بعثُ عُكَّاشة إلى الغَمْرة .

بعث أبي سَلَمة بن عبد الأسَد إلى قَطَنٍ وهو ماءٌ بنجدٍ لبني أسَد .

بعث محمد بن مَسْلَمَة [أخي بني حارثة][٦] إلى القُرَطاء من هوازن . بعث بَشير بن سَعْدٍ إلى بني مُرَّة بفَدَك . وبعثه أيضاً إلى ناحية حنين .

بعث زيد بن حارثة إلى الجَموم من أرض بني سُلَيْم .

بَعْثُ زيد بن حارثة إلى جُذامٍ من أرض بني خُشَيْنٍ .

قال ابن هشام[٧]: وهي من أرض حِسْمَى . وكان سَبَبُها ـ فيما ذكره ابن إسحاق وغيره ـ : أنَّ دِحيةَ بن خَليفة لما رجَعَ من عند قيصر ، وقد أبلغه كتابَ رسولِ الله ﷺ يَدْعُوه إلى الله ، فأعطاه من عنده تُحَفاً وهدايا ، فلما بلغ وادياً في أرض بني جُذام يقال له : شَنارٌ . أغارَ عليه الهُنَيْدُ بن عَوْص ، وابنه عَوْصُ بن الهُنَيْد الصُّلَيْعيّان ، والصُّلَيْع[٨] بطن من جُذامٍ ، فأخذا ما معه ، فنفرَ حَيٌّ منهم قد أسْلَموا فاسْتَنْقذوا ما كان أُخذَ لدِحية فردُّوه عليه ، فلما رجَع دِحية إلى رسول الله ﷺ أخْبَره الخبر ، واسْتَسْقاه دم الهُنَيْد وابنه

---

(١) بعدها في السيرة : (من طريق العراق) .
(٢) ط : (برية) . وهو تحريف انظر السيرة .
(٣) ط : (فاستاق نعمهم فجاء نفرهم في طلب النعم فلما اقتربوا حال بينهم وادٍ) .
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٦١١) .
(٥) ط : (أخي) وانظر سيرة ابن هشام .
(٦) ما بين المعقوفتين عن السيرة ومكانها في ط وأ : (إلى) .
(٧) السيرة (٢/ ٦١٢) .
(٨) في السيرة (الضُلَعيّان والضَّليع) وانظر الاشتقاق (٣٥٨) ، ومعجم ما استعجم (١/ ٤٤٧) .

عَوْص ، فَبَعَثَ حينئذٍ زيدَ بن حارثة في جيش إليهم ، فساروا إليهم من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقصِ من ناحية الحَرّة ، فجَمَعوا ما وَجَدوا من مالٍ وناسٍ ، وقتلوا الهُنَيْد وابنه ورَجُلَيْن من بني الأحْنَف ، ورجلاً من بني خَصيبٍ ، فلما احتاز زيدٌ أموالهم وذراريهم اجتمع نفرٌ منهم برفاعة بن زيد ، وكان قد جاءه كتاب من رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الله ، فَقَرَأهُ عليهم رفاعةُ ، فاستجاب له طائفةٌ منهم ، ولم يَكُنْ زَيْدُ بن حارثة يعلمُ بذلك[١] ، فركبوا إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة في ثلاثة أيام فأَعْطَوْهُ الكِتابَ ، فأمرَ بقراءَتِهِ جَهْرةً على الناس . ثم قال رسول الله : « كَيْفَ أَصْنَعُ بالقَتْلَى ؟ » ثلاث مرات . فقال رجُلٌ منهم ، يقال له : أبو زيد بن عمرو : أَطْلِقْ لنا يا رسولَ الله مَنْ كانَ حَيّاً ، ومن قُتِلَ فهو تَحْتَ قَدَمي هذه ؟ فبعث مَعَهم رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب . فقال عليّ : إن زيداً لا يُطيعُني ، فأعطاهُ رسولُ الله ﷺ سيفَه علامةً ، فسار معهم على جَمَلٍ لهم . فَلَقوا زَيْداً وجَيْشَه ، ومعهم الأموالُ والذّراري بفَيْفاء الفَحْلَتين ، فَسَلَّمَهم عليٌّ جميعَ ما كانَ أُخِذَ لَهُمْ لم يفقدوا منه شيئاً .

بعث زيد بن حارثة[٢] أيضاً إلى بني فزارة بوادي القرى ، فقتل طائفة من أصحابه وارْتُثَّ[٣] هو منْ بينِ القَتْلى ، فلما رَجَعَ آلى أن لا يَمَسَّ رأسَه غُسْلٌ من جَنابةٍ حتى يَغْزُوَهُم أيضاً ، فلما اسْتَبَلَّ[٤] » من جِراحِه بَعَثَهُ رسولُ الله ﷺ ثانياً في جيشٍ ، فَقَتَلَهُمْ بوادي القُرى ، وأسرَ أمَّ قِرْفَةَ فاطِمَةَ بنتَ رَبيعةَ بن بدر ، وكانَتْ عند مالكِ بن حُذَيْفَةَ بن بدرٍ ، ومعها ابنةٌ لها ، فأمر زَيْدُ بن حارِثَة قَيْسَ بن المُسَحَّر اليَعْمريَّ ، فَقَتَلَ أمَّ قِرْفَةَ ، واسْتَبْقَى ابنتَهَا ، وكانت من بَيْتِ شَرَفٍ ، يُضْرَبُ بأم قِرفَةَ المَثَلُ في عِزِّها[٥] ، وكانتْ بنتُها مع سَلَمَة بن الأكْوَع فاستوهَبَها منه رسول الله ﷺ فأَعْطاه إياها ، فوَهَبَها رسولُ الله لخالِه حَزْن بن أبي وَهْبٍ ، فوَلَدَتْ له ابنَهُ عبدَ الرحمن .

بَعْثُ عبد الله بن رَوَاحة[٦] إلى خَيْبَرَ مَرَّتين : إحداهما التي أصاب فيها اليُسيرَ بن رِزامٍ ، وكانَ يَجمع غطفانَ لغزوِ رسولِ الله ﷺ فبعثَ رسولُ الله عبد الله بن رَواحة في نَفَرٍ منهم عبد الله بن أُنَيْس فقدموا عليه ، فلم يَزالوا يُرَغِّبونه ليُقْدِموه على رسول الله ﷺ ، فسار مَعَهم ، فلما كانوا بالقَرْقَرَةِ على ستةِ أميالٍ من

---

(١) ط : (ذلك) .

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٦١٧) .

(٣) الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح ، والرثيث أيضاً : الجريح (النهاية : رثّ) .

(٤) من قولهم : « بَلَّ من مرضه وأبلَّ ، والبل الشفاء (النهاية : بلل) .

(٥) يقال : أعز من أم قرفة ، وأمنع من أم قرفة ، أوردتهما في معجم الأمثال العربية (أمم ـ عزز ـ قرف ـ منع) ومصادرهما : مجمع الأمثال (٢/ ٤٥) و(٣٢٣) ، والدرة الفاخرة (١/ ٢٩٧) و(٣٠٢) ، وجمهرة الأمثال (٢/ ٣٣) و(٦٦) والمستقصى (١/ ٢٤٥) و(٣٦٨) . واللسان : قرف .

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٦١٨) .

خيبر ، ندم اليسيرُ على مَسيرِه ، ففطِنَ له عبدُ الله بن أُنَيس ـ وهو يريد السَّيْفَ ـ فضربه بالسَّيفِ فأطن[١] قدمه ، وضربه اليسير بِمِخْرَشٍ[٢] من شَوْحَطٍ[٣] في رأسه فأمَّه ، ومال كلُّ رجلٍ من المسلمين على صاحبه من اليهود فقَتَله إلا رجلاً واحداً أفْلَتَ على رجليه[٤] ، فلما قدم ابن أنَيس تَفَل في رَأْسِه رسولُ الله ﷺ فلم يَقِحْ جرحه ولم يُؤْذِهِ .

قلتُ : وأظنُّ البعث الآخَر إلى خيبر لما بعثه عليه الصلاة والسلام خارصاً[٥] على نخيل خَيْبَر ، والله أعلم .

بعْثُ عبد[٦] الله بن عَتِيكٍ وأصحابه إلى خيبر ، فقتلوا أبا رافع اليهودي .

بعث عبد الله بن أُنَيْس إلى خالدِ بن سُفْيان بن نُبَيْح فقتله ، بعُرَنة[٧] . وقد روى ابنُ إسحاق قِصَّتَهُ هاهنا مُطوَّلةً[٨] وقد تقدَّم ذكرها في سنة خمسٍ والله أعلم .

(بعث زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام فأصيبوا كما تقدم . بعث كعب[٩] بن عمير)[١٠] إلى ذات أطْلاحٍ من أرض الشَّام ، فأصيبوا جميعاً أيضاً .

بعث عُيَيْنة بن حصن بن حُذَيْفة بن بدرٍ[١١] إلى بني العَنْبر من تَميم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أُناساً ، ثم ركبَ وَفْدُهم إلى رسول الله ﷺ في أَسراهم ، فأعْتَقَ بعضاً وفَدَى بعضاً .

بعث غالب بن عبد الله[١٢] أيضاً إلى أرض بني مرة ، فأُصيب بها مِرْداسُ بن نَهيكٍ حليفٌ لهم من الحُرَقةِ من جُهَيْنة قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار أدْركاه ، فلما شَهَرا السِّلاحَ ، قال : لا إله إلا الله ، فلما رَجَعا لامَهُمَا رسولُ الله ﷺ أشدَّ اللوم ، فاعْتَذَرا بأنَّه ما قال ذلك ألا تَعَوُّذا من القَتْلِ . فقال لأسامـة : هَـلاّ شَقَقْتَ عَنْ قلبِهِ ؟ وجعلَ يَقولُ لأُسامة : منْ لكَ بلا إله إلا الله يَوْمَ القِيامةِ . قال أسامة :

---

(١) أطنّ قدمه أي قطعها ، استعارة من الطنين (النهاية : طنن) .
(٢) « المخْرشُ » : عصاً مُعْوَجَّةُ الرأس كالصولجان (النهاية : خرش) .
(٣) « الشَّوْحَطُ » : ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القسيّ (النهاية : شوحط) .
(٤) ط : (قدميه) .
(٥) خَرَص النخلة والكرمة يخرصُها خَرْصاً : إذا حزر ما عليها من الرطب تمراً ومن العنب زبيباً (النهاية : خرص) .
(٦) ط : (عبيد) وانظر السيرة النبوية (٢/٦١٩) .
(٧) ط : (عرفة) وانظر السيرة .
(٨) سيرة ابن هشام (٢/٦١٩) .
(٩) انظر السيرة النبوية (٦/٦٢١) .
(١٠) ليس ما بين القوسين في ط .
(١١) السيرة النبوية (٢/٦٢١ ـ ٦٢٢) .
(١٢) السيرة النبوية (٢/٦٢٢ ـ ٦٢٣) .

فما زال يُكَرِّرُها حَتّى لوددت[١] أنْ لمْ أكُنْ أسلمتُ قبلَ ذلك . وقد تقدَّم الحديث بذلك .

بعث عمرو بن العاص[٢] إلى ذات السَّلاسِلِ من أرْضِ بني عُذْرة يَسْتَنْفِرُ العَرَبَ إلى الشّام ، وذلك أنّ أمَّ العاص بن وائلٍ كانَتْ من بَلِيٍّ ، فلذلك بَعَث عَمْراً يَسْتَنْفِرُهُم لِيَكُونَ أنْجَعَ فيهم فلمّا وَصَلَ إلى ماءٍ لهم يقال له السَّلْسَل خافَهُمْ ، فبعثَ يَسْتَمِدُّ رسولَ الله ﷺ ، فبَعَثَ إليه[٣] رسول الله ﷺ سريةً فيهم أبو بكر وعمر ، وعليها أبو عُبَيْدة بن الجَرّاح ، فلما انْتَهَوْا إليه تأمّر عليهم كُلِّهم عَمْرو[٤] ، قال : إنما بُعِثْتُمْ مَدَداً لي . فلم يُمانِعْهُ أبو عُبَيْدة : لأنَّه كَانَ رَجُلاً سَهْلاً لَيِّناً هَيْناً عليه[٥] أمر الدنيا ، فسلَّم له ، وانْقادَ معه ، فكانَ عمرو يُصلِّي بهم كلِّهم ، ولهذا لما رَجَعَ قال : يا رسولَ الله ، أيُّ النّاسِ أحَبُّ إليك ؟ قال : عائشة . قال : فمن الرجال[٦] ؟ قال : أبوها .

بعثُ عبدِ الله بن أبي حَدْرَدٍ[٧] إلى بطن إضَمٍ ، وذلك قَبْلَ فَتْحِ مكَّةَ ، وفيها قصة مُحَلِّمِ بن جَثّامة ، وقد تقدَّم مُطَوَّلاً في سنة سبع .

بعث ابن أبي حدرد[٨] أيضاً إلى الغابة .

بعث عبد الرحمن بن عوف[٩] إلى دُومة الجَنْدَل .

قال محمد بن إسحاق : حدّثني منْ لا أتَّهِمُ ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : سمعتُ رَجُلاً من أهل البَصْرَةِ يَسْألُ عبدَ الله بن عُمَرَ بن الخَطّاب عن إرسال العِمامَةِ من خَلْفِ الرَّجُلِ إذا اعْتَمَّ ، قال : فقال عبد الله : أُخْبِرُكَ ، إن شاء الله ، عن ذلك ، تَعلَم أنّي كُنْتُ عاشِرَ عَشَرةِ رَهْطٍ من أصْحابِ النبيّ ﷺ في مَسْجِده ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جَبَلٍ ، وحُذَيْفة بن اليَمان ، وأبو سعيد الخُدْري ، وأنا مع رسول الله ﷺ إذ[١٠] أقبلَ فَتى من الأنصار فسَلَّم على رسول الله ثم جلس ، فقال : يا رسول الله أيُّ المُؤْمنين أفضلُ ؟ قال : أحسَنُهُمْ خُلُقاً . قال : فأيُّ

(١) أ : (تمنيت) وما أثبته عن ط ويوافق ما في السيرة النبوية .
(٢) السيرة النبوية (٢/ ٦٢٣ ـ ٦٢٦) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) ط : (عمر) .
(٥) ط : (عند) .
(٦) ط : (الرجل) .
(٧) السيرة النبوية (٢/ ٦٢٦ ـ ٦٢٩) .
(٨) السيرة النبوية (٢/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠) .
(٩) السيرة النبوية (٢/ ٦٣١) .
(١٠) ط : (إذا) .

المؤمنين أكْيسُ ؟ قال : أكْثَرُهُمْ ذِكْراً للمَوْتِ وأحْسَنُهُم استعداداً له قبلَ أنْ ينْزِلَ به ، أولئك الأكْياس[١] ، ثم سَكَتَ الفتى . وأقْبَلَ علينا رسولُ الله ﷺ ، فقال : يا مَعْشَرَ المُهاجرين ، خمسُ خِصالٍ إذا نَزَلْنَ بكم ـ وأعوذُ بالله أن تُدْرِكوهنَّ ـ إنَّه لم تظْهَر الفاحِشَةُ في قَوْمٍ قَطّ حتّى يُعْلِنوا بها[٢] إلا ظَهَرَ فيهم الطّاعونُ والأوْجاعُ التي لم تكُنْ في أسْلافِهِم الذين[٣] مَضَوْا ، ولم يَنْقُصوا المِكْيالَ والمِيزانَ إلا أُخذوا بالسِّنين وشدَّة المُؤْنَةِ وجَوْرِ السُّلْطان ، ولم يَمْنَعوا الزكاةَ من أموال إلا مُنعوا القَطْر من السماء ، فلولا البَهائمُ ما مُطروا ، وما نقَضوا عَهْدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سَلَّطَ عليهم عَدُوّاً من غَيْرِهم ، فأخذَ بعض ما كان في أيديهم ، وما لَمْ يَحْكُمْ أئمتُهُمْ بكتابِ الله ويتَخَيَّروا فيما أنزلَ اللهُ إلاّ جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ[٤] . قال : ثم أمر عبدَ الرحمن بن عوفٍ أن يَتَجهَّزَ لسريَّةٍ بعثه[٥] عليها ، فأصبحَ وقد اعتمَّ بعمامةٍ من كَرابيس[٦] سَوْداء ، فأدْناهُ رسولُ الله ﷺ ، ثم نَقَضَها ، ثم عَمَّمه بها ، وأرسل منْ خَلْفِهِ أربعَ أصابعَ أو نحواً من ذلك . ثم قال : هكذا يا بنَ عَوْفٍ فاعْتَمَّ ، فإنَّه أحسنُ وأعرفُ ، ثم أمر بلالاً أن يَدْفَعَ إليه اللواءَ فَدَفَعَهُ إليه ، فحمد الله وصلَّى على نفسه ، ثم قال : خُذْه يا بنَ عَوْفٍ ، اغْزُوا جميعاً في سَبيل اللهِ ، فقاتِلوا من كفر بالله لا تَغُلُّوا ولا تَغْدروا ولا تُمَثِّلوا ولا تَقْتُلوا وليداً . فهذا عَهْد اللهِ[٧] ، وسيرةُ نبيِّه[٨] فيكم . فأخذ عبدُ الرحمن بن عوف اللواءَ . قال ابن هشام : فخرج إلى دُومة الجَنْدَل .

بَعْثُ أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرّاح[٩] وأصحابه[١٠] وكانوا قريباً من ثلاثمئة راكبٍ إلى سيفِ البَحْرِ ، وتزويده[١١] عليه الصلاة والسلام إيَّاهم جراباً من تمر ، و(فيهـا) قصةُ العَنْبَر ، وهي الحـوتُ العظيمُ الذي دَسَرَهُ البَحْرُ وأكلُهم كلُّهم منه قريباً من شهر حتى سَمِنوا ، وتَزَوَّدوا منه وشَائق ـ أي شَرائِحَ ـ حتى رجَعوا إلى رسول الله ﷺ فأطْعَموه منه ، فأكلَ منه ، كما تقدّم بذلك الحديث .

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف لطوله ولكن لفقراته الأخيرة « أحسنهم خلقاً » إلى آخره ، شواهد يقوى بها .
(٢) ط : (يغلبوا عليها) .
(٣) ط : (الذي) .
(٤) رواه ابن ماجه رقم (٤٠١٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه ، ورواه الحاكم (٤/ ٥٤٠) من حديث ابن عمر ، وصححه ، ووافقه الذهبي ولكن إسناده حسن فقط ، ولبعضه شاهد من حديث بريدة بن الحصيب ، فهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) كرابيس هي جمع كِرْباس ، وهو القطن (النهاية : كربس) .
(٧) أ : (فهذا عهد رسول الله ﷺ) .
(٨) ط : (نبيّكم) .
(٩) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٣٢ ـ ٦٣٣) .
(١٠) ليس اللفظ في ط .
(١١) ط : (وزودوه) .

قال ابن هشام[١] : ومما لم[٢] يَذْكُر ابنُ إسحاق منَ البُعوث ـ يعني هاهنا ـ :

بَعْثُ عَمْرِو بن أُمَيَّة الضَّمْري لِقَتْل أبي سُفيان صَخْرِ بنِ حربٍ بعدَ مَقْتَلِ خُبَيْبِ بن عَدِيٍّ وَأَصْحابِهِ ، فكانَ من أمْرِهِ ما قَدَّمناهُ وكان مع عَمْرِو بن أمية جَبّار بن صَخْرٍ ، ولم يتَّفق لهما قَتْلُ أبي سفيان ، بل قَتَلا رَجُلاً غَيْرَهُ وأنْزلا خُبَيباً عن جِذْعِهِ .

وبَعْثُ سالِم بن عُمَير[٣] أحد البَكّائين ، إلى أبي عَفَكٍ أحد بني عمرو بن عَوْفٍ ، وكان قد نَجَمَ نِفاقَهُ حينَ قَتَلَ رسولُ اللهِ الحارثَ بن سُوَيْدِ بن الصّامِتِ ، كما تَقَدَّم ، فقال يَرْثيه ويَذُمُّ ـ قبحه الله ـ الدخولَ في الدِّين : [من المتقارب]

لَقَـدْ عِشْـتُ دَهْـراً ومـا إنْ أَرَى — مـنَ النَّـاسِ دَاراً ولا مَجْمَعـا
أبَـرّ عُهـوداً وَأَوْفَـى لِمَـنْ — يُعـاقِـدُ فيهـمْ إذا مـا دَعـا
مِـنَ اَوْلادِ[٤] قَيْلَـةَ فـي جَمْعِهـم — يَهُـدُّ الجبـالَ ولَـمْ يَخْضَعَـا
فَصَـدَّعَهُـمْ راكِـبٌ جَـاءَهُـمْ — حَـلالٌ حَـرامٌ لَشتَّـى مَعـا
فَلَـوْ أنَّ بـالعِـزّ صَـدَّقْتُـمُ — أوْ المُلْـك تَـابَعْتُـمُ تُبَّعَـا

فقال رسولُ الله ﷺ : منْ لي بهذا الخَبيثِ[٥] ، فانتدب له سالم بن عُمَيْر هذا فقتله ، فقالت أمامة المريدية[٦] في ذلك[٧] : [من الطويل]

تُكَـذِّبُ ديـنَ اللهِ والمَـرْءَ أحْمَـداً — لَعَمْرُ الذي أمْناكَ أنْ[٨] بِئسَ الذي يُمْني
حَبـاكَ حَنيـفٌ آخـرَ اللَّيْـلِ طَعْنَـةً — أبـا عَفَـكٍ خُـذْهَـا علـى كِبَـرِ السِّـنِّ

وبعث عُمَيْرَ بن عدي الخَطْمي ، لقتلِ العَصْماءِ بنتِ مَرْوان من بني أمَيَّة بن زيدٍ كانتْ تَهْجو الإسلام وأهْلَه ، ولما قُتِلَ أبو عَفَكٍ المذكور ، أظهرت النفاق وقالت في ذلك : [من المتقارب]

بـاَسْـتِ بنـي مـالِـكٍ والنَّبيـتِ — وعـوفٍ وبـاَسْـتِ بَنـي الخَـزْرجِ
أطَعْتُـمْ أتـاويَّ مِـنْ غيـرِكُـمْ — فـلا مِـنْ مـرادٍ ولا مَـذْحِـجِ

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٣٣) .
(٢) ط : (لا) .
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦) .
(٤) ط : (فمن ولد) .
(٥) ط : (الحديث) .
(٦) كذا في ط ، وأسد الغابة (٧/ ٢١) ، والسيرة النبوية (٢/ ٦٣٦) وهي (الربذية) في الإصابة (٤/ ٢٣٨) .
(٧) البيتان في الإصابة (٤/ ٢٣٨) والسيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٣٦) ، والبيت الأول وحده في أسد الغابة .
(٨) ليس اللفظ في ط ، ولا يستقيم الوزن بدونه .

تُرَجُّونَـهُ بعدَ قَتْلِ الـرُّؤوسِ ... كَمَا يُرْتَجَى وَرَقُ[١] المُنْضَجِ
ألا أنِـــفٌ يَبْتَغـــي غِـــرَّةً ... فَيَقْطَعَ مـنْ أمَـلِ المُـرْتَجي

قال فأجابها حسان بن ثابت فقال[٢] : [من المتقارب]

بَنُـو وائِـلٍ وبَنُـو وَاقِـفِ ... وخَطْمَـةُ دُونَ بنـي الخَـزْرجِ
مَتَى ما دَعَـتْ سَفَهاً وَيْحَها ... بِعَـوْلَتِهـا والمَنـايَـا تَجِـي
فَهزَّتْ فَتىً ماجداً عِرْقُهُ[٣] ... كـريـمَ المَـداخـلِ والمَخْـرَجِ
فَضَـرَّجَهـا مـنْ نَجيعِ الـدِّمَا ... ءِ بَعْدَ[٤] الهُدُوِّ فَلَمْ يَحْرَجِ[٥]

فقال رسول الله ﷺ حينَ بَلَغَهُ ذلك : ألا آخِذٌ لي من ابنةِ مَرْوان ، فَسَمِعَ ذلك عُمَيْر بن عديٍّ ، فلما أمْسى من تلك الليلة سَرَى عليها فقَتَلَها[٦] . ثم أصبحَ فقال : يا رسول الله ، قَتَلْتُها . فقال : نصرتَ اللهَ ورسولَه يا عُمَيْر . قال : يا رسولَ الله هل عليّ من شأنها ؟ قال : لا يَنْتَطِحُ[٧] فيها عَنْزان . فرجعَ عُمَيْر إلى قومه وهم يَخْتَلفون في قَتْلها ، وكان لها خَمْسَةٌ بَنون . فقال : أنا قَتَلْتُها ، فكيدوني جميعاً ، ثم لا تُنْظِرون . فذلك أول يوم عَزَّ الإسلامُ في بني خَطْمَةَ ، فأسلمَ منهم بَشَرٌ كثير ، لما رَأَوْا منْ عِزِّ الإسلام . ثم ذَكَرَ البعثَ الذين أسروا ثُمامة بن أُثالٍ الحَنَفيَّ ، وما كان من[٨] أمره في إسلامه ، وقد تقدَّم ذلك . في الأحاديث الصحاح . وذكر ابنُ هشام : أنَّه هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « المُؤمنُ يَأْكُلُ في مِعىً واحدٍ ، والكافِرُ يأكلُ في سَبْعَةِ أمْعاءٍ » . لما كان من قلّةِ أكله بعد إسلامه ، وأنّه لما انْفَصَلَ عن المَدينةِ دخلَ مَكَّة مُعْتَمراً وهو يُلَبِّي فَنهاهُ أهلُ مكَّةَ عن ذلك فأبَى عليهم ، وتوعَّدهم بقَطْع الميرةِ عنهم من اليَمامة ، فلما عاد إلى اليَمامة منعهم المِيرَة حتَّى كتبَ إليه رسول الله ﷺ فأعادَها إليهم . وقال بعض بني حنيفة :

ومنَّـا الَّـذي لَبَّـى بمكَـةَ مُحْـرِمـاً ... بِرَغْمِ أبي سُفيان في الأشْهُرِ الحُرُمِ

---

(١) في السيرة (مرق) .
(٢) الأبيات في ديوان حسان ـ دار صادر ـ (١/ ٤٤٩) .
(٣) أ ، ط : (عرفة ، كريم المدخل) وما أثبته عن السيرة والديوان .
(٤) ط : (بعيد) .
(٥) بعده في الديوان :
فـأوردكَ اللهُ بَـرْدَ الجِنـا ... نِ جـذلان فـي نعمـة المَـوْلج
(٦) ط : (قتلتها) .
(٧) ط : (لا تنتطح) . وهو من الأمثال العربية القديمة أوردته في كتابي « معجم الأمثال العربية » : (عنز ـ نطح) ومصادره فيه : الفاخر للضبي ٣١٢ ، ومجمع الأمثال (٢/ ٢٢٥) ، وجمهرة الأمثال (٢/ ٣٧٦ و٤٠٣) والمستقصى في الأمثال (٢/ ٢٧٧) .
(٨) ليس اللفظ في ط .

وبَعْثُ عَلْقَمة بن مُجزِّزٍ[١] المُدْلَجيّ ، ليأخُذَ بثأْرِ أخيه وَقّاصِ بن مُجززٍ يومَ قُتِل بذي قَرَدٍ ، فَاسْتَأْذَنَ رسولَ الله ﷺ ، ليرجعَ في آثارِ القومِ فأذِنَ له ، وأمَّره على طائفةٍ من الناس ، فلما قَفَلُوا أذِنَ لطائفةٍ منهم في التَّقَدُّم واستعملَ عَلَيْهم عَبْدَ الله بن حُذَافَةَ ، وكانت فيه دُعابةٌ ، فاسْتَوْقَدَ ناراً وأمَرهم أن يَدْخُلوها[٢] فلما عَزَمَ بعضُهُم على الدخول ، قال : إنَّما كنتُ أضحكُ ، فلما بلغَ النبيَّ ﷺ ، قال : مَنْ أمَرَكُمْ بمَعْصيةِ اللهِ فلا تُطيعُوه . والحديث في هذا ما ذكره ابنُ هشامٍ عن الدّراوَرْدي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحَكَمِ بن ثَوْبان ، عن أبي سَعيدٍ الخُدري .

وبَعْثُ كُرْز بن جابر[٣] لقتلِ أولئك النفر الذين قدموا المدينةَ وكانوا من قَيْس كُبّة[٤] من بَجيلة فاستوخموا المدينة واستوبؤها ، فأمَرَهم رسولُ الله ﷺ أن يخرجوا إلى إبلهِ فيشربوا من أبوالها وألبانها فلما صَحَوْا قَتَلوا راعيَها وهو يَسارٌ مولى رسول الله ﷺ ذَبَحوهُ وغَرَزوا الشوكَ في عُيَيْنة واستاقوا اللقاحَ ، فبعثَ في آثارهم كُرْزَ بن جابر في نفرٍ من الصَّحابة ، فجاء[٥] بأولئك النفر من بَجيلة مَرْجِعَه عليه الصلاة والسلام من غَزْوة ذي قَرَدٍ، فأمر فَقَطعَ[٦] أيديَهم وأرجلَهُم وسُمِلَتْ[٧] أعينهم، وهؤلاء النفرُ إن كانوا هم المذكورين في حديث أنس المتفق عليه أنَّ نفراً ثمانيةً من عُكْل أو عُرَيْنَةَ قدموا المدينة . . . الحديث ـ والظاهرُ أنهم هم ـ فقد تقدّم قصتُهم مطولةً ، وإن كانوا غيرَهُم فها قد أورَدْنا عيونَ ما ذكره ابن هشامٍ ، والله أعلم .

قال ابن هشام : وغزوة علي بن أبي طالب[٨] التي غَزاها مَرَّتَين[٩] . قال : أبو عمرو المدني : بعثَ رسول الله عليّاً إلى اليمن ، وخالداً في جندٍ آخر ، وقال : إن اجْتَمَعْتُم فالأمير عليُّ بن أبي طالب . قال : وقد ذكر ابن إسحاق بَعْثَ خالدٍ ، ولم يذكره في عدد البُعوثِ والسَّرايا ، فينبغي أن تكون العِدة في قوله تسعاً وثلاثين .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيدٍ بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطِئَ الخَيْلَ تُخومَ البَلْقاءِ والدّاروم من أرضِ فلسطين ، فتجهزَ الناسُ وأوعب مع أسامةَ المُهاجرون الأولون . قال ابن هشام : وهو آخر بعثٍ بعَثَهُ رسولُ الله ﷺ .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠) .
(٢) ط : (يدخلوا) .
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٠ ـ ٦٤١) .
(٤) ليس اللفظ في ط . وانظر السيرة .
(٥) أ ، ط : (فجاؤوا) .
(٦) أ : (بقطع) .
(٧) ط : (وسلمت) وهو تحريف .
(٨) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤١) .
(٩) في السيرة (إلى اليمن ، غزاها مرتين) .

وقال البخاري[١] : حدَّثنا إسماعيل ، ثنا مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر : أن رسول الله ﷺ بعثَ بعثاً ، وأمَّرَ عليهم أسامةَ بن زيدٍ ، فطعنَ الناسُ في إمارته ، فقامَ النبيُّ ﷺ فقال : إن تَطْعُنوا في إمارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنون في إمارةِ أبيه منْ قَبْلُ ، وايْمُ الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمنْ أحَبِّ النّاس إليَّ ، وإنَّ هذا لمِنْ أحبِّ الناسِ إليَّ بَعْدَهُ . ورواه التِّرمذي[٢] من حديث مالكٍ ، وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ . وقد انتُدِبَ كَثيرٌ من الكبار من المُهاجِرين الأوَّلين والأنصار في جيشه ، فكانَ من أكبرهم عُمرُ بن الخطاب ، ومنْ قال : إن أبا بكرٍ كان فيهم فقد غَلطَ ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ اشتَدَّ به المرضُ ، وجيشُ أسامة مُخَيِّمٌ بالجُرْفِ . وقد أمر النبيُّ ﷺ أبا بكرٍ أن يُصلِّيَ بالنّاس ، كما سيأتي . فكيفَ يكونُ في الجيشِ وهو إمام المُسلمين بإذنِ الرّسولِ ﷺ من ربِّ العالَمين . ولو فُرِضَ أنّه كانَ قد انْتَدَبَ مَعَهُمْ ، فقد استثناهُ الشّارعُ من بينهم بالنصّ عليه للإمامةِ في الصلاة التي هي أكبرُ أركانِ الإسلام . ثمّ لمّا تُوفِّي عليه الصلاة والسلام استَطْلَقَ الصِّدِّيقُ من أسامةَ عمرَ بن الخطاب ، فأذِنَ له في المُقامِ عندَ الصِّدِّيقِ ، ونَفَّذَ الصديقُ جيشَ أُسامةَ ، كما سيأتي بيانُه وتفصيلُه في موضعه ، إن شاء الله .

فَصْلٌ

في الآياتِ والأحاديثِ المُنْذِرَة بوَفاةِ رسولِ الله ﷺ وكيف ابتُدِئَ رسولُ الله ﷺ بمَرَضِهِ الذي ماتَ فيه

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠ ـ ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ (وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)[٣] ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . وهذه الآية هي التي

---

(١) البخاري (٤٤٦٩) .

(٢) الترمذي (٣٨١٦) .

(٣) ليس ما بين القوسين في أ .

تلاها الصّدّيق يومَ وفاة رسول الله ﷺ ، فلما سمعها الناسُ كأنَّهم لم يسمعوها قبل ذلك[١] .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر] . قال[٢] عمر بن الخطاب وابن عباس هو أجلُ رسول الله نُعِي إليه . وقال ابن عمر[٢] : نزلَتْ أوسطَ أيام التَّشْريق في حجَّة الوداع ، فعرف رسول الله أنه الوداع ، فخطبَ الناسَ خطبةً أمرهم فيها ونهاهم . . . الخُطْبة المَشْهورة كما تقدم .

وقال جابر[٢] : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَرْمي الجِمارَ . فوقفَ ، وقال : « لتأْخُذوا عنّي مناسِكَكُم فلَعَلّي لا أحُجُّ بعد عامي هذا » .

قال عليه السلام لابنته فاطمة ، كما سيأتي : « إنَّ جبريلَ كانَ يُعارضُني بالقرآنِ في كلِّ سَنَة مرةً وإنه عارَضَني به العامَ مَرَّتين ، وما أرى ذلك إلا لاقتراب[٣] أجلي » .

وفي صحيح البخاري[٤] من حديث أبي بكر بن عَيَّاش ، عن أبي حَصِين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . قال : كان رسول الله يَعْتَكِفُ في كلِّ شَهْرِ رمضان عَشَرَةَ أيام ، فلمّا كانَ من العامِ الذي تُوفِّي فيه اعتكفَ عشرين يوماً ، وكان يَعْرِضُ عليه القرآن في كلِّ رمضان ، فلمّا كانَ العامُ الذي تُوفّي فيه عرضَ عليه القرآن مرَّتين .

وقال محمد بن إسحاق[٥] : رجع رسولُ الله ﷺ من حجّةِ الوداعِ في ذي الحجة ، فأقام بالمدينة بقّيته والمُحَرّم وصفراً ، وبعثَ أُسامةَ بن زيدٍ ، فبينا الناسُ على ذلك ابتُدِئَ رسول الله ﷺ بشَكْواه الذي قَبَضَهُ الله فيه إلى ما أراده الله من رَحْمَتِه وكرامته ، في ليالٍ بقينَ من صَفَرٍ أو في أوّل شَهْرِ ربيعِ الأولِ ، فكان أولَ ما ابتُدئَ به رسولُ الله ﷺ من ذلك ، فيما ذكر لي ، أنّه خرجَ إلى بقيع الغَرْقَدِ من جَوْفِ اللَّيْلِ ، فاستَغْفَرَ لهم ، ثم رجعَ إلى أهله ، فلما أصبح ابتُدِئَ بوَجَعِهِ من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني عبدُ الله بن عمر[٧] عن عُبَيْد بن جُبَيْر[٨] مولى الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مُوَيْهبة مولى رسول الله ﷺ ، قال : بعثني رسولُ الله ﷺ من جَوْفِ اللَّيْلِ

---

(١) ليس اللفظ في ط .
(٢) تقدم تخريجه .
(٣) ط : (اقتراب) .
(٤) البخاري (٤٩٩٨) .
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٢) .
(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٢) .
(٧) أ ، ط : (جعفر) .
(٨) ط : (جبر) تحريف . انظر الإصابة (٤/ ١٨٨) .

فقال : يا أبا مُوَيْهبة ، إنّي قدْ أُمِرتُ أن أستغفرَ لأهل هذا البقيع ، فانطلق معي . فانطلقتُ معه ، فلما وقَفَ بين أظْهُرِهم . قال : السَّلامُ عليكم يا أهلَ المَقابر ، ليهن لكم ما أصْبَحْتُمْ فيه مما أصبَحَ الناسُ فيه ، أقبلت الفتن كَقِطَع الليل المُظْلِم يَتْبَعُ آخرُها أولَها ، الآخرةُ شرٌّ من الأولى ، ثم أقبل عليَّ فقال : يا أبا مُوَيْهبةَ ، إنّي قد أُوتيتُ مفاتيحَ خزائِنِ الدُّنْيا والخُلْدَ فيها ثم الجَنّةَ ، فخُيِّرْتُ بين ذلك وبينَ لقاءِ ربّي والجنةِ . قال : قلت : بأبي أنتَ وأمّي فخُذْ مفاتيحَ خزائنِ الدُّنْيا والخُلْدَ فيها ثم الجنة . قال : لا واللهِ يا أبا مُوَيْهبة ، لقد اخترتُ لقاءَ ربّي والجَنَّة . ثم استغفرَ لأهلِ البَقيع ، ثم انصرف ، فبُدِئَ برسولِ الله وَجَعُه الذي قَبَضَه اللهُ فيه . لم يخرجه أحدٌ من أصحاب الكتب . وإنما رواه أحمدُ(١) عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

وقال الإمام أحمد(٢) : ثنا أبو النَّضْر ، ثنا الحكم بن فُضَيْل ، ثنا يَعْلَى بن عطاءٍ ، عن عُبَيْد بن جُبَيْرٍ(٣) ، عن أبي مُوَيْهبة . قال : أُمِرَ رسولُ الله أن يُصَلِّي على أهل البَقيعِ ، فَصَلَّى عليهم ثلاثَ مراتٍ ، فلما كانت الثالثة . قال : يا أبا مويهبة ، أسْرِجْ لي دابَّتي . قال : فركب ومشَيْتُ ، حتى انتهى إليهم ، فنزل عن دابته ، وأمسكتُ الدابةَ فوقف ـ أو قال : قام ـ عليهم ، فقال : لِيَهْنِكُمْ ما أنتم فيه مما فيه الناسُ ، أتَتِ الفتنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ يَتْبَعُ بعضُها بعضاً ، الآخرةُ أشَدُّ من الأولى ، فَلْيَهْنِكُمْ ما أنْتُمْ فيه مما فيه الناس . ثم رجع فقال : يا أبا مُوَيْهبة ، إني أُعْطيتُ ـ أو قال : خُيِّرت بَيْنَ ـ مفاتيح ما يُفْتَحُ على أُمَّتي من بَعْدي والجنةِ أو لقاءِ ربّي . قال : فقلت : بأَبي أنْتَ وأُمي فاخْتَرْنا . قال : لأنْ تُرَدَّ على عَقِبها ما شاء اللهُ ، فاخترتُ لقاءَ ربي . فما لبثَ بعدَ ذلك إلا سَبْعاً أو ثمانياً حتى قُبِض .

وقال عبد الرزاق(٤) : عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : نُصِرْتُ بالرُّعْبِ ، وأُعْطيتُ الخَزائنَ ، وخُيِّرتُ بينَ أن أبقى حَتَّى أرَى ما يُفْتَحُ على أُمَّتي وبينَ التَّعْجيل ، فاخترتُ التَّعْجيلَ . قال البيهقي : وهذا مُرْسلٌ ، وهو شاهدٌ لحديث أبي مُوَيْهبة .

قال ابن إسحاق(٥) : وحدّثني يعقوبُ بن عُتْبَةَ ، عن الزُّهْري ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَة ، عن ابنِ مَسْعود عن عائشة ، قالت : رَجَعَ رسولُ الله ﷺ من البقيع فَوَجَدني وأنا أجِدُ صُداعاً في رأسي ، وأنا أقول : وارَأْساهُ . فقال : بل أنا واللهِ يا عائشةُ ، وارَأْساهُ . قالت : ثم قال : وما ضَرَّكِ لو مُتِّ قَبْلي ، فقمت عليكِ وكَفَّنْتُك وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ ودَفَنْتُكِ . قالت : قلت : واللهِ لكأنّي بكَ لو فعلتَ ذلك لقد رجعت

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٩) ، وإسناده ضعيف ، وقد صح منه استغفاره لأهل البقيع ، واختياره لقاء ربه .

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٨) وهو كالذي قبله .

(٣) ط : (جبر) تحريف . انظر الإصابة (٤/ ١٨٨) .

(٤) المصنف (٢٠٠٣٤) .

(٥) السيرة النبوية (٢/ ٦٤٩) .

إلى بيتي فأعْرَست فيه ببعض نِسائِك . قالت : فتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ ، وتَتامَّ[١] به وجعُه ، وهو يَدورُ على نسائه ، حتى استُعِزّ به في بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأْذَنَهُنَّ أن يُمَرَّضَ في بيتي فأذنَّ له . قالت : فخرج رسول الله بين رجلين من أهله ، أحدهما الفَضْلُ بن عباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسَه تَخُطُّ قدماه ، حتى دخل بيتي . قال عُبَيْدُ الله ، فحدَّثْتُ به ابن عباس ، فقال : أتَدْري مَنِ الرَّجلُ الآخرُ ؟ هو عليُّ بن أبي طالبٍ . وهذا الحديث له شواهد ستأتي قريباً .

وقال البيهقي[٢] : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصم ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني يعقوب بن عتبة ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة . قالت : دخل عليَّ رسول الله وهو يُصْدَعُ ، وأنا أشتكي رأسي ، فقلت : وارَأْساهُ ، فقال : بل أنا واللهِ يا عائشةُ وارَأساه ، ثم قال : وما عليكِ لو مُتِّ قَبْلي فوليتُ أمركِ وصَلَّيْتُ عليكِ وواريتُكِ . فقلت : واللهِ إنّي لأحْسبُ لو كان ذلك لقد خَلَوْتَ ببعضِ نسائِك في بَيْتي من آخر النهار . فضحكَ رسولُ الله ، ثم تمادى به وجعُه فاستُعِزّ[٣] به ، وهو يَدورُ على نِسائه في بَيْتِ مَيْمونة ، فاجتَمَعَ إليه أهلُه ، فقال العباس : إنّا لنرى برسولِ الله ذاتَ الجَنْبِ فَهَلُمُّوا فَلْنَلُدّه . فَلَدُّوه[٤] ، فأفاقَ رسولُ الله . فقال : منْ فَعَلَ هذا ؟ فقالوا : عَمُّكَ العبّاسُ تَخَوَّفَ أنْ يكونَ بك ذاتُ الجَنْبِ . فقال رسول الله : إنّها من الشيطان ، وما كانَ اللهُ لِيُسَلِّطَهُ عليّ ، لا يَبْقَى في البَيْتِ أحدٌ إلا لَدَدْتُموه إلا عمّي العباسَ ، فَلُدَّ أَهْلُ البَيْتِ كُلُّهم حتى ميمونة وإنَّها لصائمةٌ ، وذلك بعينِ رسولِ الله ﷺ ، ثم استأذَنَ أزواجَهُ أن يُمَرَّضَ في بيتي ، فأذِنَّ له . فخرج وهو بين العبّاس ورجلٍ آخر ، لم تُسَمِّه ، تَخُطُّ قَدماه بالأرْض . قال عُبَيْد الله ، قال ابن عباس : الرجلُ الآخرُ عليُّ بن أبي طالب .

قال البخاري[٥] : حدَّثنا سعيد بن عُفَيْر ، ثنا الليث ، حدّثني عُقَيْلٌ ، عن ابن شهاب ، أخبرني عُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشةَ زوجَ النبيّ ﷺ قالت : لما ثَقُلَ رسولُ الله واشتد به وَجَعه ، اسْتأْذَنَ أزْواجَهُ أن يُمَرَّضَ في بيتي فأذِنَّ له ، فخرجَ وهو بين الرجلين تَخُطُّ رجلاه الأرض بين عباس[٦] بن عبد المطلب وبين رجل آخر . قال عبيد الله : فأخبرت عبد الله ـ يعني ابن عباس ـ بالذي قالَتْ عائشةُ ، فقال لي عبد الله بن عباس : هل تَدْري مَنِ الرَّجُلُ الآخر الذي لم تُسَمّ عائشةُ ؟ قال : قلت : لا . قال ابن

(١) ط : (ونام) وأ (وتسام) .
(٢) دلائل النبوة (٧/١٦٨ ـ ١٦٩) .
(٣) استُعِزَّ به : أي اشتدّ به المرض وأشرفَ على الموت (النهاية : عزز) .
(٤) لدوه ، أي : سقوه الدواء في المرض (النهاية : لدد) .
(٥) البخاري (٤٤٤٢) .
(٦) أقحم بين هذا اللفظ وما قبله (قال) .

عباس : هو عليّ . فكانت عائشة زوج النبي ﷺ تُحَدِّثُ أنَّ رسولَ الله لما دخلَ بيتي واشْتَدَّ به وَجَعُه ، قال : هَرِيقوا عَلَيَّ من سبع قِرَبٍ لم تُحللْ أوْكيتُهن ، لَعَلِّي أعْهَدُ إلى الناسِ ، فأَجْلَسناهُ في مِخْضَبٍ لحفصة زوجِ النبيّ ﷺ ، ثم طَفِقْنا نصبُّ عليه من تِلكَ القِرَبِ حتى طَفِقَ يُشير إلينا بيده أن قد فَعَلْتُنَّ . قالت عائشة : ثم خرجَ إلى النّاسِ فَصَلَّى لهم وخَطَبَهُم . وقد رواهُ البخاري[(١)] أيضاً في مواضعَ أُخَرَ من « صحيحه » ومسلم[(٢)] من طرقٍ عن الزهري به .

وقال البخاري[(٣)] : حدَّثنا إسماعيل ، ثنا سُلَيْمان بن بلالٍ ، قال هشام بن عُرْوة ، أخبرني أبي ، عن عائشة . أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَسألُ في مرضه الذي مات فيهِ : أيْنَ أنا غداً ؟ أين أنا غداً ؟ يريد يومَ عائشة ، فأذِن له أزواجُه أنْ يكونَ حَيْثُ شاءَ ، فكان في بيتِ عائشةَ حتى مات عندها . قالت عائشة رضي الله عنها : فَماتَ في اليومِ الذي كانَ يَدورُ عليَّ فيه في بيتي ، وقَبَضهُ الله ، وإن رأسه لبين سَحري[(٤)] ونَحْري ، وخالط ريقُه ريقي . قالت : وَدَخَل عبد الرحمن بنُ أبي بكرٍ ، ومعه سواكٌ يَسْتَنُّ به ، فنظَر إليه رسولُ اللهِ ﷺ ، فقلت له : أعْطِني هذا السِّواكَ يا عبد الرحمن ، فأعطانيه فقَضِمْتُهُ ، ثم مَضَغْتُهُ فأعطيته رسول الله ﷺ ، فاسْتَنّ به ، وهو مسندٌ إلى صدري . انفردَ به البخاريّ من هذا الوجه .

وقال البخاري[(٥)] : أخبرنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، حدّثني ابن الهاد ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : مات النبيُّ ﷺ وأنه لبينَ حاقنتي وذاقنتي[(٦)] ، فلا أكْرَهُ شِدَّةَ المَوْتِ لأحدٍ أبداً بعد النبيِّ ﷺ .

وقال البخـاري[(٧)] : حدَّثنا حبان[(٨)] ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة : أنَّ عائشةَ أخْبَرَتْه : أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا اشتكى نَفَثَ على نَفْسه بالمُعَوِّذاتِ ، ومَسَحَ عنه بيده ، فلما اشْتَكى وَجَعه الذي تُوُفِّي فيه طَفِقْتُ أنْفِثُ عليه بالمُعَوِّذات التي كان يَنْفِثُ ، وأمْسَحُ بيدِ

---

(١) البخاري ١٩٨ ، ٦٦٥ ، ٢٥٨٨ .
(٢) مسلم (٤١٨) .
(٣) البخاري (٤٤٥٠) .
(٤) السَّحْر : الرئة ، أي أنه عليه الصلاة والسلام مات ، وهو مستند إلى صدرها وما يحاذي سَحْرَها منه (النهاية : سحر) .
(٥) البخاري (٤٤٤٦) .
(٦) قال ابن الأثير في شرح هذا الحديث ، « الحاقنة » : الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق . والذاقنة : الذقن ، وقيل طرف الحلقوم وقيل ما يناله الذقن من الصدر (النهاية : حقن ـ ذقن) .
(٧) البخاري (٤٤٣٩) .
(٨) ط : (حيان) تحريف . وهو حبان بن موسى بن سوار السلمي أبو محمد المروزي الكُشْميهني . روى عنه البخاري ومسلم . توفي سنة ٢٣٣هـ (تهذيب التهذيب ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥) .

النبيّ ﷺ عنه . ورواه مسلم[١] من حديث ابن وهبٍ ، عن يونس بن يزيد الأيْلي ، عن الزهريّ به .

وثبت في « الصحيحين »[٢] من حديث أبي عوانة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : اجتمع نساءُ رسول الله ﷺ عِنْدَه لم يُغادِرْ مِنْهنَّ امرأةٌ ، فجاءَتْ فاطمةُ تَمْشي ، ما[٣] تُخْطِئُ مِشْيَتُها مِشْية أبيها ، فقال : مرحباً بابنتي ، فأقعدها عن يمينه أو شماله ، ثم سارَّها بشيءٍ فَبَكَتْ ، ثم سارَّها فَضَحِكَتْ ، فقلت لها : خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ بالسِّرار وأنْتَ تَبْكين !؟ فلما أن قام[٤] قلت لها[٥] : أخبريني ما سارَّك ؟ فقالت : ما كنتُ لأُفْشيَ سرَّ رسولِ الله ﷺ : فلمَّا تُوفِّي قلتُ لها : أسْألُكِ بما[٦] لي عليك من الحق لما أخْبَرْتِني[٧] . قالت : أما الآن فنعم ، قالت : سارَّني في الأول . قال لي : إنَّ جبريلَ كان يُعارِضُني بالقرآن[٨] في كلِّ سَنَةٍ مَرَّةً وقد[٩] عارضني في هذا العام مَرَّتَيْن ، ولا أرى ذلك إلا لاقترابِ أجَلي ، فاتقي اللهَ واصْبري ، فنعمَ السلفُ أنا لكِ . فبكيتُ ، ثم سارَّني ، فقال : أما تَرْضينَ أن تكوني سيدةَ نساءِ المؤمنين ؟! أو سيدة نساءِ هذه الأمة فضحكتُ . وله طرق عن عائشة[١٠] .

وقد روى البخاري[١١] عن علي بن عبد الله ، (والفلاس ومسدّد[١٢] ، ومسلم عن محمد بن حاتم ، كلهم)[١٣] عن يحيى بن سعيد القَطّان ، عن سفيان الثَّوري ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : لَدَدْنا رسول الله ﷺ في مرضه ، فجعلَ يُشير إلينا أن لا تَلُدُّوني ، فقلنا : كراهيةُ المريض للدّواء ، فلما أفاق قال : أَلَمْ أنْهَكُمْ أن لا تَلُدُّوني ، قُلْنا[١٤] كراهيةُ المريض للدواء ، فقال : لا يَبْقَى أحدٌ في البَيْت إلا لُدَّ ـ وأنا أنْظُرُ ـ إلا العبّاس ، فإنّه لم يَشْهَدْكمْ .

---

(١) رقم (٢١٩٢) .
(٢) البخاري (٦٢٨٥ ، ٦٢٨٦) ومسلم (٢٤٥٠) (٩٨) .
(٣) ط : (لا) .
(٤) ط : (قامت) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) ط : (لما) .
(٧) ط : (أخبرتيني) .
(٨) ط : (في القرآن كلّ سنة) .
(٩) أ : (وإني) .
(١٠) البخاري (٣٦٢٣ ، ٣٦٢٥ ، ٣٧١٥ ، ٤٤٣٣) ومسلم (٢٤٥٠) (٩٧) و(٩٩) .
(١١) البخاري : عن طريق علي بن عبد الله (٤٤٥٨ و٥٧١٢) وعن طريق الفلاس (٦٨٨٦) وعن طريق مسدد (٦٨٩٧) ومسلم عن طريق محمد بن حاتم (٢٢١٣) (٨٥) .
(١٢) ليس اللفظ في أ ، ط استدركته عن البخاري .
(١٣) ما بين القوسين جاء في أ ، ط في غير مكانه وذلك قبل خبر الصحيحين .
(١٤) ط : (قلقا) تحريف .

قال البخاري[١] : ورواه ابن أبي الزناد ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ .

وقال البخاري[٢] : وقال يونس ، عن الزهري ، قال عروة . قالت عائشة : كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : يا عائشةُ ما أزالُ أجدُ ألمَ الطعامِ الذي أكلتُ بخَيْبَر ، فهذا أوانُ وجدتُ انقطاعَ أبْهَري من ذلك السُّمِّ . هكذا ذكره البخاري مُعَلَّقاً . وقد أسنده الحافظُ البَيْهقي ، عن الحاكم ، عن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن يحيى الأشْقَر ، عن يوسف بن موسى ، عن أحمد بن صالح ، عن عَنْبسة ، عن يونس بن يزيد الأَيْلي ، عن الزُّهري به .

وقال البيهقي[٣] : أنبأنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مُرَّة ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لأنْ أحْلِفَ تسعاً أن رسول الله ﷺ قُتِلَ قَتْلاً أحبُّ إليَّ من أن أحْلِف واحدةً أنَّه لم يُقْتَلْ ، وذلك أنَّ الله اتَّخَذَهُ نَبياً واتَّخذهُ شَهيداً .

وقال البخاري[٤] : ثنا إسحاق ، أخبرنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة[٥] حدّثني أبي ، عن الزهري ، قال أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، وكان كعب بن مالك أحدَ الثلاثة الذين تيبَ عليهم ، أن عبدَ الله بن عباس أخبره أن عليّ بن أبي طالب خرج من عند رسول الله في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن ، كيفَ أصبحَ رسولُ الله ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ بيده عباسُ بن عبد المطلب ، فقال له : أنت والله بعد ثلاثٍ عبدُ العصا[٦] ، وإنّي واللهِ لأَرى رسولَ الله ﷺ سوفَ يُتوفَّى من وَجَعِهِ هذا، إنّي لأعرفُ وجوهَ بني عبد المطلب عندَ الموت ، اذهَبْ بنا إلى رسولِ الله فَلْنسَألْهُ فيمنْ هذا الأمر ؟ إن كان فينا عَلِمْنا ذلك ، وإنْ كانَ في غَيْرنا عَلِمْناه ، فأوصى بنا ، فقال عليّ : إنّا واللهِ لَئِنْ سَألْناها رسولَ اللهِ ﷺ فَمَنَعناها لا يُعْطيناها الناسُ بعدَه ، وإنّي واللهِ لا أسألُها رسولَ الله ﷺ . انفردَ به البخاريّ .

---

(١) بعد الحديث (٤٤٥٨) .
(٢) البخاري (٤٤٢٨) معلقاً ، وله شواهد يقوى بها ، وانظر « فتح الباري » (٨/ ١٣١) .
(٣) دلائل النبوة (٧/ ١٧٢) والحاكم (٣/ ٥٨) وفي إسناده ضعف .
(٤) البخاري (٤٤٤٧) .
(٥) ط : (حدّثنا إسحاق بن بشر حدّثنا شعيب عن أبي حمزة) وأ : (حدّثنا إسحاق بن بشر بن شعيب بن أبي حمزة) ، وقال ابن حجر : بشر بن شعيب بن أبي حمزة دينار القرشي مولاهم أبو القاسم الحمصي روى عن أبيه ، وعنه البخاري في غير الجامع . وروى له هو والترمذي والنسائي بواسطة إسحاق غير منسوب وكأنه الكوسج (تهذيب التهذيب ١/ ٤٥) .
(٦) هذا مثل عربي قديم أوردته في معجم الأمثال العربية (عبد ـ عصا) ومصادره فيه : مجمع الأمثال للميداني (٢/ ١٩) ، والفاخر (١٩٢) ، والمستقصى (٢/ ٣٩٨) ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب (٢/ ٨٩٥) وقال ابن حجر في فتح الباري (٨/ ١٤٣) : (هو كناية عمن يصير تابعاً لغيره ، والمعنى أنه يموت بعد ثلاث ، وتصير أنت مأموراً عليك ، وهذا من قوة فراسة العباس رضي الله عنه) .

وقال البخاري[١] : ثنا قتيبة ، ثنا سفيان ، عن سليمان الأحول ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : قال ابن عباس : يوم الخميس وما يَوْمُ الخَميس ؟ اشتدَّ برسول الله ﷺ وَجَعُهُ . فقال : ائتوني أكتبْ لكم كتاباً لا تَضلّوا[٢] بعده أبداً فتنازعوا ، لا ينبغي عند نبيٍّ تنازعٌ ، فقالوا : ما شأنُه يَهْجُرُ ؟ استفهموه . فذهبوا يَرُدُّون عنه ، فقال : دَعوني ، فالذي أنا فيه خيرٌ مما تَدْعوني إليه ، فأَوْصاهم بثلاثٍ ، قال : أَخْرِجوا المُشْركين من جَزيرة العربِ ، وأجيزوا الوفدَ بنحوِ ما كنتُ أُجيزهم ، وسَكَتَ عن الثالثة ، أو قال : فنسيتُها ، ورواه البخاري[٣] في موضع آخر ، ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به .

ثم قال البخاري[٤] : حدَّثنا عليُّ بن عبد الله ، ثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمرٌ ، عن الزهريّ ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : لما حُضِرَ رسولُ الله ﷺ وفي البيت رجال ، فقال النبي ﷺ : هَلُمُّوا أَكْتُبْ لكم كتاباً لا تَضِلُّوا بعدَه أبداً ، فقال بعضهم : إن رسولَ الله قد غَلَبَه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهلُ البيت واخْتَصموا ، فمنهم منْ يقولُ : قَرِّبوا يَكْتُبْ لكم كتاباً لا تَضلّوا بعده . ومنهم منْ يقولُ غيرَ ذلك . فلما أكثروا اللغوَ والاختلافَ قال رسول الله ﷺ : قومُوا . قال عبيد الله : قال ابن عباس : إنّ الرَّزيَّةَ كُلَّ الرَّزيَّةِ ما حالَ بَيْنَ رسولِ الله ﷺ وبينَ أنْ يكْتُبَ لهم ذلك الكتاب لاختلافِهم ولَغَطِهم . ورواه مسلم[٥] عن محمد بن رافعٍ وعَبْدِ بن حُمَيْدٍ ، كلاهما عن عبد الرزاق بنحوه . وقد أَخْرَجَهُ البُخاري[٦] في مواضع من « صحيحه » من حديث مَعْمَرٍ ويونس عن الزهريّ به . وهذا الحديثُ مما قد تَوَهَّمَ به بعضُ الأغبياء (من أهل البدع)[٧] من الشيعة وغيرهم ، كلٌّ مُدَّعٍ أنَّه كان يريدُ أن يَكْتُبَ في ذلك الكتاب ما يَرْمُزون[٨] إليه من مَقالاتِهم ، وهذا هو التمسُّكُ بالمُتَشابِهِ . وتركُ المُحْكَمِ ، وأهلُ السُّنَّة يأخذون بالمُحْكَم . ويَرُدُّون ما تَشابه إليه ، وهذه طريقةُ الرّاسخين في العلم ، كما وَصَفَهُم الله عزَّ وجلَّ ، في كتابه ، وهذا الموضعُ مما زَلَّ فيه أقدامُ كثيرٍ من أهل الضَّلالاتِ ، وأما أهلُ السُّنَّةِ ، فَلَيْسَ لهم مذهبٌ إلا اتّباعُ الحَقِّ يَدورونَ معه كَيْفَما دارَ ، وهذا الذي كانَ يُريدُ عليه الصلاة والسلام أن يَكْتُبَهُ قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريحُ بكَشْفِ المُرادِ منه ؛ فإنَّه قد قال الإمامُ أحمد[٩] : ثنا مُؤَمَّلٌ ، ثنا

---

(١) البخاري ٤٤٣١ .
(٢) في البخاري : (لن تضلّوا) .
(٣) البخاري (٣٠٥٣ ، ٣١٦٨) ومسلم (١٦٣٧) (٢٠) .
(٤) البخاري (٤٤٣٢) .
(٥) مسلم (١٦٣٧) (٢٢) .
(٦) البخاري (١١٤ ، ٥٦٦٩ ، ٧٣٦٦) .
(٧) ليس ما بين القوسين في ط .
(٨) ط : (يرمون) .
(٩) مسند الإمام أحمد (١٠٦/٦) .

نافع بن عمر[١] ، ثنا ابن أبي مُلَيْكة عن عائشة ، قالت : لمّا كانَ وجعُ رسول الله ﷺ الذي قُبِضَ فيه قال : « ادْعُوا لي أبا بكر وابنَه لكي لا يطمع في أمر أبي بكرٍ طامعٌ ولا يَتمنّى[٢] مُتَمَنٍّ . ثم قال : يأبى اللهُ ذلك والمُؤْمنون » . مَرَّتَيْن . قالت عائشة : فَأَبَى اللهُ ذلك والمؤمنون[٣] . انفردَ به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا أبو معاوية ، ثنا عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قالت : لما ثَقُلَ رسولُ الله . قال لعبد الرحمن بن أبي بكر : « ائتني بكَتِفٍ أو لَوْحٍ حتى أَكْتُبَ لأبي بكر كتاباً لا يُخْتَلف عليه[٥] . فلمّا ذَهَبَ عبدُ الرحمن ليقومَ ، قال : أَبَى اُلله والمُؤْمِنونَ أن يُخْتَلَفَ عَلَيْكَ يا أبا بكر » . انفردَ به أحمد من هذا الوجه أيضاً .

وروى البخاري[٦] عن يحيى بن يحيى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله : لَقَدْ هَمَمْتُ أن أُرْسِلَ إلى أبي بكرٍ وابنِه فأعْهَدَ : أنْ يقولَ القائلون أو يَتَمَنَّى مُتمنُّون . فقُلْتُ[٧] : يأبى اللهُ ، ويدفَعُ المؤمنون ، أو يدفعُ اللهُ ويأبَى المُؤْمنون .

وفي « صحيح » البخاري ومسلم[٨] من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم ، عن أبيه ، قال : أَتَتِ امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فأَمَرها أن تَرْجِعَ إليه . فقالت : أرأَيْتَ إنْ جئتُ ولم أجِدْكَ ؟ كأنَّها تقولُ : الموت قال : « إنْ لمْ تَجديني فأتي أبا بكرٍ » . والظاهرُ ، واللهُ أعلمُ ، أنّها إنَّما قالَتْ ذلك له عليه الصلاة والسلام ، في مرضه الذي مات فيه ، صلوات الله وسلامه عليه . وقد خَطَبَ عليه الصَّلاةُ والسلام في يوم الخميس قبل أن يُقْبَض ، عليه الصلاة والسلام بخمسةِ أيامٍ خطبةً عظيمةً بيّن فيها فضلَ الصِّدِّيق من بين[٩] سائر الصحابة ، مع ما كانَ قد نَصَّ عليه أن يَؤُمَّ الصحابةَ أجمعين ، كما سيأتي بيانُه مع حضورِهم كلّهم . ولعلّ خطبتَه هذه كانَتْ عِوَضاً عما أراد أن يَكتُبَه في الكتابِ ، وقد اغْتسَل عليه الصلاةُ والسلام بين يَدَيْ هذه الخطبة الكريمة فَصَبُّوا عليه من سبع قِرَبٍ لم تُحْلَل أوْكِيَتُهُن[١٠] ، وهذا من باب الاستشفاء بالسبع ، كما وردت بها الأحاديث في غير هذا الموضع ، والمقصود أنه عليه الصلاة

---

(١) ط : (حدّثنا نافع عن ابن عمرو) وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) .
(٢) ط : (ولا يتمناه) .
(٣) أ : (والمسلمون) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٧) .
(٥) بعده في ط : (أحد) .
(٦) البخاري (٧٢١٧) .
(٧) ط : (فقال) .
(٨) البخاري (٣٦٥٩) ومسلم (٢٣٨٦) (١٠) .
(٩) ليس اللفظ في ط .
(١٠) الوكاء : الخيط الذي تُشدّ به القربة والجمع أوكية (النهاية : وكا) .

والسلام اغتسلَ ثم خَرَج فَصَلّى بالناس ، ثم خطبهم ، كما تقدَّم في حديث عائشة رضي الله عنها .

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك

قال البيهقي[١] : أنبأنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يُونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن أيوب بن بشير : أنَّ رسولَ الله قال في مرضه : أفيضوا عليَّ من سَبْع قِرَب من سَبْع آبارٍ شَتَّى ، حتى أخْرُجَ فأعْهَدَ إلى النّاس . فَفَعلوا ، فخَرَج فَجَلس على المِنْبر ، فكانَ أولَ ما ذكَرَ بعدَ حَمْد اللهِ والثَّناءِ عليه ، ذَكَر أصحابَ أُحُدٍ ، فاستَغْفَر لهم ، ودعا لهم ، ثم قال : يا معشرَ المُهاجرين إنَّكُم أصْبَحْتُمْ تَزيدون ، والأنصارُ على هَيْئَتِها لا تزيدُ ، وإنهم عَيْبَتي[٢] التي أَوَيْتُ إليها ، فأكْرِموا كَريمَهم وتَجاوزوا عن مُسيئهم . ثم قال عليه الصلاة والسلام : أيّها النّاسُ إن عَبْداً من عبادِ اللهِ قد خَيَّره الله بين الدنيا وبينَ ما عندَ الله[٣] . ففهمها أبو بكرٍ رضي الله عنه ، من بين الناس فبكى ، وقال : بل نَحْنُ نَفْديكَ بأنفسنا وأبنائِنا وأموالِنا . فقال رسول الله ﷺ : على رِسْلِك ، يا أبا بكرٍ ؛ انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فَسُدُّوها ، إلا ما كانَ من بيتِ أبي بكرٍ ، فإنّي لا أعلمُ أحداً عِنْدي أفضلَ في الصُّحْبَة منه . هذا مرسلٌ له شواهد كثيرة .

وقال الواقدي[٤] : حدَّثني فَرْوَةُ بن زُبَيْد بن طوسا ، عن عائشة بنت سعد ، عن أم ذَرَّة ، عن أم سَلَمة زوج النبي ﷺ ، قالت : خَرَجَ رسول الله عاصِباً رأسَه بخِرْقَةٍ ، فلما اسْتَوى على المِنْبَر تَحَدَّقَ الناسُ بالمنبر واسْتَكَفُّوا . فقال : والذي نَفْسي بيده إنّي لقائمٌ على الحوضِ الساعة . ثم تَشَهَّدَ فلما قَضَى تشَهُّدَه كان أولَ ما تكَلَّم به أن اسْتَغْفَرَ للشهداءِ الذين قُتِلوا بأُحُد . ثم قال : إن عَبْداً من عِبادِ الله خُيِّر بينَ الدُّنْيا وبينَ ما عندَ اللهِ ، فاختارَ العبدُ ما عندَ الله ، فبكى أبو بكر فَعَجِبْنا لبُكائِهِ ، وقال : بأبي وأمي نَفْديكَ بآبائنا وأُمَّهاتِنا وأنْفُسنا وأموالنا .

فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر ، وكان أبو بكر أعْلَمَنا برسول الله ﷺ . وجعل رسولُ الله يقول له : على رِسْلِكَ .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا أبو عامر ، ثنا فُلَيْحٌ ، عن سالم أبي النَّضْر ، عن بُسْرٍ بن سَعيد عن

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٧٧ ـ ١٧٨) .

(٢) عيبتي أي خاصتي وموضع سرّي ، والعرب تكنّي عن القلوب والصدور بالعِياب ، لأنها مستودع السرائر ، كما أن العياب مستودع الثياب (النهاية : عيب) .

(٣) بعد لفظ الجلالة في ط : (فاختار ما عند الله) .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٧٨) من طريق الواقدي .

(٥) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٨) .

(٦) ط : (بشر) تحريف . وهو بُسْر بن سعيد المدني العابد مولى ابن الحضرمي روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وعنه سالم أبو النضر مات بالمدينة سنة (١٠٠) ، وقيل (١٠١) (تهذيب التهذيب (١/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) .

أبي سَعيد ، قال : خَطَبَ رسولُ اللهِ الناسَ ، فقال : إنَّ اللهَ خَيَّر عَبْداً بين الدنيا وبينَ ما عندَه ، فاخْتار ذلك العبدُ ما عندَ الله . قال : فبكى أبو بكر . قال : فَعَجِبْنا لبُكائِه أن يُخْبر رسولُ اللهِ عن عَبْدٍ[١] ، فكان رسولُ الله هوالمُخَيَّرَ ، وكان أبو بكر أعْلَمَنا به . فقال رسول الله ﷺ : إنَّ أمَنَّ الناسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ ومالِه أبو بكر ، لو كُنْتُ مُتَّخذاً خَليلاً غيرَ ربي لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ[٢] ، ولكنْ خُلَّةُ الإسلام ومودَّتُه ، لا يَبْقَى في المسجدِ بابٌ إلا سُدَّ ، إلا بابَ أبي بكر . وهكذا رواه البخاري[٣] من حديث أبي عامر العَقَدي به . ثُمَّ رواه الإمامُ أحمد[٤] عن يونس ، عن فُلَيْح ، عن سالمِ أبي النَّضْر ، عن عُبَيْد بن حُنَيْن وبُسْر[٥] بن سعيد عن أبي سعيد به . وهكذا رواه البخاري[٦] ومسلم[٧] من حديث فُلَيْحٍ ومالك بن أنس ، عن سالمٍ عن بُسْر بن سَعيد ، وعُبَيْد بن حُنَين كلاهما عن أبي سعيد بنحوه .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا أبو الوليد ، ثنا هشام ، ثنا أبو عَوانة ، عن عبد الملك ، عن ابن أبي المُعَلَّى، عن أبيه: أنَّ رسولَ الله خَطَبَ يَوْماً فقال : إنَّ رجُلاً خَيَّرَهُ رَبُّه بينَ أن يعيشَ في الدُّنْيا ما شاء أنْ يَعيشَ فيها ، يأكلُ من الدنيا ما شاءَ أنْ يأكلَ منها ، وبينَ لقاءِ ربِّه ، فاخْتارَ لِقاءَ ربِّه ، فبكى أبو بكر ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : ألا تَعْجبون من هذا الشيخ أنْ ذَكَرَ رسولُ الله رَجُلاً صالحاً خَيَّرَهُ ربُّه بين الدنيا[٩] وبين لقاء ربِّه فاختار لقاءَ ربّه ؟! فكان أبو بكر أعْلَمَهُمْ بما قال رسول الله ﷺ . فقال أبو بكر : بَلْ نَفْديك بأمْوالنا وأبْنائنا . فقال رسول الله ﷺ: ما مِنَ النّاسِ أحدٌ أمَنَّ علينا في صُحْبَتِهِ وذاتِ يَدِهِ من ابن أبي قُحافة ، ولوْ كُنْتُ مُتَّخذاً خَليلاً لاتَّخَذْتُ ابن أبي قُحافة، ولكن وُدٌّ وإخاءٌ وإيمانٌ، ولكن وُدٌّ وإخاءٌ وإيمانٌ، مرتين ، وإنَّ صاحِبَكُمْ خَليلُ اللهِ عزَّ وجلَّ . تَفَرَّدَ به أحمد . قالوا : وصوابه أبو سعيد بن المُعَلَّى . فالله أعلم .

وقد روى الحافظ البيهقي[١٠] من طريق إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهَوَيْه ـ ثنا زَكَريا بن عَديّ ، ثنا

---

(١) بعدها في المسند : (خُيّر) .
(٢) بعدها في ط : (خليلاً) .
(٣) البخاري (٣٦٥٤) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٨) .
(٥) ط : (بشر) وقد تقدمت الترجمة له .
(٦) البخاري (٤٦٦ ، ٣٩٠٤) .
(٧) مسلم (٢٣٨٢) .
(٨) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٧٨) و(٤/ ٢١١ ـ ٢١٢) ورواه الترمذي رقم (٣٦٥٩) وفي إسناده ضعف ، وقد استغربه الترمذي (أي : ضعّفه) .
(٩) ط : (بين البقاء في الدنيا) .
(١٠) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٧٦ ـ ١٧٧) .

عُبَيْد الله بن عَمْرٍو الرَّقِّيّ ، عن زيد بن أبي أُنَيْسة ، عن عَمْرو بن مُرَّة ، عن عبد الله بن الحارث ، حدّثني جُنْدب : أنّه سمعَ رسول الله ﷺ قبلَ أن يُتَوَفَّى بخمسٍ ، وهو يقول : قد كان لي منكم إخْوةٌ وأصْدِقاءُ ، وإني أبرأ إلى كُلِّ خليلٍ من خُلَّتِهِ ، ولو كُنْتُ مُتَّخذاً من أُمتي خَليلاً لاتَّخذْتُ أبا بكرٍ خَليلاً ، وإن رَبِّي اتَّخذَني خليلاً ، كما اتَّخذ إبراهيم خَليلاً ، وإنَّ قوماً ممَّن كانَ قَبْلَكُمْ يَتَّخذونَ قُبورَ أنْبيائهم وصُلَحائِهِم مساجدَ ، فلا تَتَّخِذوا القُبورَ مَساجدَ ، فإنّي أنْهاكُمْ عن ذلك .

وقد رواه مسلم[(١)] في « صحيحه » عن إسحاق بن راهَوَيْه ، بنحوه . وهذا اليومُ الذي كان قبل وفاتِه عليه الصلاة والسلام بخمسةِ أيّامٍ ، هو يوم الخميس الذي ذكره ابنُ عبّاس فيما تقدم .

وقد رَوَيْنا هذه الخطبةَ من طريق ابن عبّاسٍ ، قال الحافظ البيهقي[(٢)] : أنبأنا أبو الحسن عليّ بن محمدٍ المُقرئُ ، أنبأنا الحسنُ بن محمدِ بنِ إسحاق ، ثنا يوسفُ بن يعقوبَ[(٣)] . قال ثنا محمد بن أبي بكر ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت يَعْلى بن حَكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خرج النبيُّ ﷺ في مرضه الذي ماتَ فيه عاصباً رأسَه بخِرْقَةٍ ، فصعد المنبرَ فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : إنَّه ليس من الناس أحدٌ أمنَّ عليَّ بنَفْسِه وماله من أبي بكر ، ولو كُنْتُ مُتَّخذاً من الناس خَليلاً لاتَّخذْتُ أبا بكر خليلاً ، ولكن خُلَّة الإسلام أفضلُ ، سُدّوا عنّي كُلّ خَوْخةٍ في المسجد غَيْرَ خَوْخَةِ أبي بكر . ورواه[(٤)] البخاري[(٥)] عن عبد الله بن محمد الجُعْفي ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه به . وفي قوله عليه الصلاة والسلام : سُدُّوا عَنّي كلَّ خَوْخةٍ ، يعني : الأبواب الصغار ، إلى المسجد ، غَيْرَ خَوْخَةِ أبي بكر إشارة إلى الخلافة ، أي : ليَخْرُجَ منها إلى الصَّلاة بالمسلمين .

وقد رواه البخاري[(٦)] أيضاً ، من حديث عبد الرحمن بن سليمان بن حنظلة ، ابن الغسيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنَّ رسولَ الله خرجَ في مَرَضِهِ الذي مات فيه عاصباً رأسَه بعصابةٍ

---

(١) مسلم (٥٣٢) (٢٣) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٧/ ١٧٦) .
(٣) بعدها في أ ، ط : (هو ابن عوانة) وفي كتب الرجال ما يلي :
١ ـ أن يوسف بن يعقوب هو ابن إسماعيل بن حمار بن زيد بن درهم الأزدي وهو المقصود بالرواية عن محمد بن أبي بكر المقدّمي . (سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٥) .
٢ ـ وأما ابن عوانة فهي محرفة عن أبي عوانة .
٣ ـ أبو عوانة الاسفرايني هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري ولم يرو عن المقدمي . انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٧) .
(٤) ط : (رواه) بلا واو .
(٥) البخاري (٤٦٧) .
(٦) قال (٩٧٢ و٣٦٢٨ و٣٨٠٠) .

دَسْماء[١] مُلْتَحفاً بمِلْحَفةٍ على مَنْكبيهِ فجلس على المنبر ، فذكر الخطبة ، وذكر فيها الوصاةَ بالأنصارِ ، إلى أن قال : فكانَ آخرَ مجلسٍ جلس فيه رسولُ الله ﷺ حتى قُبِضَ ـ يعني آخرَ خطبةٍ خَطَبَها عليه الصلاة والسلام .

وقد رُوي من وَجْهٍ آخرَ عن ابن عباسٍ بإسناد غريبٍ ولفظٍ غريبٍ . فقال الحافظ البيهقي[٢] : أخبرنا علي بن أحمد بن عَبْدان ، أخبرنا أحمد بن عُبَيْد الصَّفّار ، ثنا ابنُ أبي قُماشٍ ـ وهو محمد بن عيسى ـ ثنا موسى بن إسماعيل أبو عمران الجَبُّلي ، ثنا معن بن عيسى القَزّاز ، عن الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن إياس[٣] الليثي ، عن القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْطٍ ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، قال : أتاني رسولُ الله ﷺ ، وهو يُوعَكُ وَعْكاً شديداً ، وقد عَصَبَ رَأْسَه . فقال : خُذْ بيدي يا فضل . قال : فأخذتُ بيده حتى قعد على المنبر ، ثم قال : نادِ في النّاسِ يا فضل . فنادَيْتُ : الصلاةَ جامعةً . قال : فاجتمعوا ، فقام رسولُ الله ﷺ خطيباً فقال : « أما بعدُ ، أيها الناسُ ، إنّه قد دنا منّي حقوق[٤] من بين أظهركم ، ولن تَرَوْني في هذا المقام فيكم ، وقد كنتُ أرى أن غيره غيرُ مُغْنٍ عني حتى أقومَه فيكم ، ألا فمن كنت جَلَدْتُ له ظهراً فهذا ظهري فَلْيَسْتقدْ ، ومنْ كنتُ أخذت له مالاً فهذا مالي فَلْيَأْخُذْ منه ، ومنْ كُنْتُ شَتَمْتُ له عِرْضاً فهذا عِرْضي فَلْيَسْتَقِدْ ، ولا يَقولنَّ قائلٌ أخافُ الشَّحْناء[٥] من قِبَلِ رسول الله ، ألا وإنّ الشَّحْناء لَيْسَتْ من شَأْني ولا من خُلُقي ، وإنَّ أَحَبَّكُمْ إليَّ من أَخَذَ حَقّاً إنْ كانَ له عليَّ ، أو حَلَّلَني ، فلقيتُ اللهَ عزَّ وجلَّ وليسَ لأحدٍ عندي مَظْلَمةٌ » . قال : فقام منهم رجلٌ فقال : يا رسولَ الله ـ لي عندَكَ ثلاثةُ دراهم . فقال : أمّا أنا فلا أُكذِّبُ قائِلاً ولا مُسْتَحْلِفُه على يَمينٍ ، فيمَ كانتْ لكَ عندي ؟ قال : أما تذكر أنّه مرَّ بك سائلٌ فأمَرْتَني ، فأعطيتُهُ ثلاثةَ دراهم . قال : أَعْطِهِ يا فَضْلُ . قال : وأمرَ به فجَلَس. قال : ثم عادَ رسولُ الله ﷺ في مَقالَتِه الأُولى . ثم قال : يا أيها الناسُ ، منْ عندَهُ من الغُلولِ شيءٌ فَلْيَرُدَّه . فقام رجل . فقال : يا رسولَ الله ، عندي ثلاثةُ دراهم غَلَلْتُها في سبيل الله . قال : فلم غَلَلْتَها ؟ قال : كنت إليها محتاجاً . قال : خُذْها منه يا فَضْلُ . ثم عادَ رسولُ الله ﷺ في مقالَتِه الأولى ، وقال : يا أَيُّها الناسُ من أحسَّ من نَفْسه شيئاً فليقُمْ أَدْعو الله له . فقام إليه رجلٌ فقال : يا رسولَ الله ، إني لَمُنافقٌ ، وإني لكَذوبٌ وإني لنؤوم[٦] . فقال عمر بن الخطاب : وَيْحَكَ أَيُّها الرَّجُلُ ، لقد سَتَرَكَ اللهُ ، لو سَتَرْتَ على نفسك . فقال رسول الله ﷺ : مهْ يا بْنَ الخَطّاب ، فُضوحُ الدنيا ، أهون من

---

(١) دسماء أي سوداء (النهاية : دسم) .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠) .
(٣) ط : (أناس) وهو تحريف . وانظر تاريخ البخاري(٢/ ٢٢٧٣) والجرح والتعديل (٣/ ٨٠) .
(٤) ط : (خلوف) ، أ : (خفوق) وما هنا عن مصدر الخبر .
(٥) الشحناء : العداوة (النهاية : شحن) .
(٦) ط : (لشئوم) .

فُضوحِ الآخرةِ ، اللَّهُمّ ارزقْه صدقاً وإيماناً ، وأذهبْ عنه النَّوْم[١] إذا شاء . ثم قال رسول الله ﷺ : عمرُ معي وأنا مع عمر ، والحقُّ بعدي مع عمر ، وفي إسناده ومتنه غرابةٌ شديدةٌ .

ذِكْرُ أمْرِهِ عليه الصلاة والسلام ، أبا بكر الصدّيق ، رضي الله عنه أن يُصلِّي بالصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم وخروجه عليه الصلاة والسلام ، فصلى وراءه مقتدياً به في بعض الصلوات على ما سنذكره وإماماً له ولمن بعده من الصحابة

قال الإمام أحمد[٢] : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، قال : وقال ابن شهاب الزهري : حدّثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه[٣]، عن عبد الله بن زَمْعَة بن الأسود بن المُطَّلب بن أسدٍ قال : لما استُعِزَّ برسول الله ، وأنا عنده في نَفَرٍ من المسلمين ، دعا بلالٌ للصلاة فقال : مُروا منْ يُصَلِّي بالناس ، قال : فخرجتُ فإذا عُمَرُ في الناس ، وكان أبو بكر غائباً فقلت : قُمْ يا عمر فَصَلِّ بالناس . قال : فقام فلما كبَّر عمر سمعَ رسول الله ﷺ صوتَه ، وكان عمر رجلاً مُجْهِراً . فقال رسول الله ﷺ : فأينَ أبو بكرٍ ؟ يأبى اللهُ ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون . قال : فبعثَ إلي أبي بكر فجاءَ بعدَما صَلَّى عمر تلك الصلاة ، فصلَّى بالناس . وقال عبد الله بن زَمْعَة . قال لي عمر : وَيْحَكَ ماذا صَنَعْتَ يا بنَ زَمْعَةَ ، واللهِ ما ظَنَنْتُ حين أمَرْتَني إلا أنَّ رسولَ الله أمرني[٤] بذلك ، ولولا ذلك ما صَلَّيْتُ . قال : قلتُ : واللهِ ما أمرني رسولُ الله ، ولكن حينَ لم أر أبا بكرٍ رأيتُكَ أحقَّ منْ حَضَرَ بالصَّلاةِ . وهكذا رواه أبو داود[٥] من حديث ابن إسحاق ، حدّثني الزهريّ .

ورواه يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدّثني يعقوب بن عتبة ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن زَمْعَة . . . فذكره .

وقال أبو داود[٦] : ثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن أبي فُدَيْك ، حدّثني موسى بن يعقوب ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن ابن شهاب ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عبد الله بن زَمْعَة أخبره بهذا الخبر . قال : لمّا سمعَ النبيُّ ﷺ صوتَ عمر . قال ابن زمعة : خرج النبيُّ ﷺ حتَّى أطلع رأسَه من

(١) ط : (الشؤم) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٢٢) ، وفي إسناده ضعف ، وانظر صفحة (٣٢٧) .
(٣) بعده في ط : (عن عبد الله بن هشام عن أبيه) .
(٤) في المسند (أمرك بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس) .
(٥) أبو داود (٤٦٦٠) ، وفي إسناده ضعف .
(٦) أبو داود (٤٦٦١) ، وهو حديث صحيح بطرقه .

حجْرته ، ثم قال : لا ، لا ، لا يُصلِّي[١] للنّاس إلا ابن أبي قحافة ، يقول ذلك مُغْضَباً .

وقال البُخاري[٢] : ثنا عُمر بن حَفْص ، ثنا أبي ، ثنا الأعْمَشُ عن إبراهيم ، قال الأسود : كُنّا عند عائشة رضي الله عنها فذكرنا المُواظبةَ على الصَّلاة والمواظبة[٣] لها . قالت : لمّا مرضَ النبيُّ ﷺ مرضَه الذي ماتَ فيه ، فحَضَرَتِ الصلاةُ ، فأذَّنَ بلالٌ ، فقال : مُروا أبا بكرٍ فَلْيُصلِّ بالناس ، فقيل له : إن أبا بكر رجلٌ أسيفٌ ، إذا قامَ مقامَك لم يَسْتَطِعْ أن يُصَلِّيَ بالنّاس ، وأعادَ فأعادوا له ، فأعاد الثالثة . فقال : إنّكُنَّ صَواحِبُ يوسف ، مُروا أبا بكرٍ فَلْيُصلِّ بالنّاس . فخرجَ أبو بكر فوجد النبيّ ﷺ في نفسه خِفَّةً فخرج يُهادَى بين رجلين ، كأني أنظر إلى رجليه تَخُطّان من الوَجَع ، فأرادَ أبو بكر أن يتأخّر فأومأ إليه النبيُّ ﷺ أنْ مكانك . ثم أُتي به حتى جلسَ إلى جنبه . قيل للأعمش : فكان النبي ﷺ يُصلّي وأبو بكر يُصلّي بصلاتِه والناسُ يُصَلُّون بصلاة أبي بكر ؟ فقال برأسه : نعم! ثم قال البخاري : رواه أبو داود عن شعبة بعضَه ، وزاد أبـو معاوية ، عن الأعمش : جَلَسَ عن يَسار أبي بكر ، فكان أبو بكر يُصَلِّي قائماً . وقد رواه البخاري[٤] في غير ما موضعٍ من كتابه ومسلم[٥] والنسائي[٦] وابن ماجه[٧] من طرقٍ متعددةٍ عن الأعمش به . منها ما رواهُ البخاري عن قتيبة ، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ويحيى بن يحيى عن أبي معاوية به .

وقال البخاري[٨] : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : إنّ رسول الله ﷺ قال في مرضه : مُروا أبا بكرٍ يُصَلِّي[٩] بالنّاس . (قالت عائشة : قلتُ : إنّ أبا بكر إذا قام مقامك ، لم يُسْمِعِ الناس من البكاء ، فمُرْ عمر فليُصلِّ للناس [فقلت لحفصة : قولي له : إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل للناس] [ففعلت حفصة ، فقال رسول الله ﷺ : مَهْ ، إنكُنّ لأنتُنّ صواحبُ يوسف ، مروا أبا بكر فليصلّ للناس][١٠] فقالت حفصة لعائشة : ما كنت لأصيب منك خيراً . ورواه الترمذي والنسائي ، من حديث مالك به . وقال الترمذي : حسن صحيح[١١] .

---

(١) في سنن أبي داود : (ليُصَلِّ للناس ابن أبي قحافة) .
(٢) البخاري (٦٦٤) .
(٣) في البخاري : (والتعظيم لها) .
(٤) قال (٧١٢ ، ٧١٣) .
(٥) مسلم (٤١٨) (٩٥) و(٩٦) .
(٦) النسائي (٨٣٢) .
(٧) ابن ماجه (١٢٣٢) .
(٨) البخاري (٦٧٩) .
(٩) ط : (فليصَلّ) .
(١٠) ليس ما بين الحاصرتين في أ ، ط واستدركته عن صحيح البخاري .
(١١) رواه الترمذي رقم (٣٦٧٢) والنسائي في الكبرى (١١٢٥٢) .

وقال البخاري[١] : ثنا زكريا بن يحيى ، ثنا ابن نمير ، ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه ، فكان يصلّي بهم . قال عروة : فوجد رسول الله ﷺ من نفسه خِفَّة فخرج فإذا أبو بكر يَؤُمُّ الناس ، فلما رآه أبو بكر استأخر ، فأشار إليه أن كما أنت ، فجلس رسول الله ﷺ حذاء أبي بكر إلى جنبه ، فكان أبو بكر يصلّي بصلاة رسول الله ﷺ ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه . ورواه مسلم[٢] من حديث عبد الله بن نمير به .

وفي صحيح البخاري[٣] : من حديث ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري عن حمزة بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، قال : لما اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال : مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس . فقالت عائشة : يا رسول الله . إنّ أبا بكر رجل رقيق ، إذا قام مقامك لم يُسْمِعِ الناسَ من البكاء . فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فعاودته مثل مقالتها ، فقال : أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصلّ بالناس)[٤] . قال ابن شهاب[٥] : فأخبرني عُبَيْد الله بن عبد الله ، عن عائشة أنها قالت : لقد عاوَدْتُ رسولَ الله في ذلك ، وما حملني على معاودته إلا أني خَشيتُ أن يتشاءم الناسُ بأبي بكر ، وإلا أنّي علمتُ أنه لن يقومَ مقامَه أحدٌ إلا تشاءمَ الناسُ به ، فأحببتُ أن يعدلَ ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر إلى غيره .

وفي « صحيح مسلم »[٦] من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهريّ ، قال : وأخبرني حمزة بن عبد الله بن عمر ، عن عائشة ، قالت : لمّا دخل رسولُ الله ﷺ بيتي ، قال : مُروا أبا بكرٍ فَلْيُصلِّ بالناس . قالت : قلت : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، إذا قرأ القرآنَ لا يَمْلكُ دَمْعَهُ ، فلو أمرتَ غير أبي بكرٍ[٧] . قالت : والله ، ما بي إلا كراهية أن يَتشاءَمَ النّاس بأول منْ يقومُ في مقام رسول الله ﷺ قالت : فراجَعْتُه مرَّتين أو ثلاثاً . فقال : ليُصَلِّ بالنّاسِ أبو بكرٍ ، فإنّكُنَّ صَواحِبُ يوسف .

وفي « الصحيحين »[٨] من حديث عبد الملك بن عُمَيْر ، عن أبي بُرْدَة بن أبي موسى ، عن أبيه ، قال : مرضَ رسولُ الله ﷺ فقال : مُروا أبا بكر فَلْيُصلِّ بالناسِ . فقالت عائشة : يا رسولَ الله ، إنّ أبا بكرٍ

(١) البخاري (٦٨٣) .
(٢) مسلم (٤١٨) (٩٧) .
(٣) البخاري (٦٨٢) .
(٤) ليس ما بين القوسين في ط .
(٥) البخاري (٤٤٤٥) ومسلم (٤١٨) (٩٣) .
(٦) مسلم (٤١٨) (٩٤) .
(٧) ليس اللفظ في أ .
(٨) البخاري (٦٧٨ ، ٣٣٨٥) ومسلم (٤٢٠) (١٠١) .

رجلٌ رَقيقٌ ، متى يَقُمْ مَقامَكَ لا يَسْتَطيع أنْ[١] يُصلِّي بالنّاسِ . قال : فقال : مُروا أبا بكر فلْيُصَلِّ بالنّاسِ فإنكن صَواحِبُ يوسف . قال : فَصَلَّى أبو بكرٍ حياةَ رسولِ الله ﷺ .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا زائدة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله ، قال : دَخَلْتُ على عائشةَ ، فقلتُ : ألا تُحَدِّثيني عن مرض رسولِ الله ﷺ ؟ فقالت : بلى ثَقُلَ رسول[٣] الله ﷺ فقال : أصَلَّى الناسُ ؟ فقلنا[٤] : لا ، هم يَنْتَظرونَك يا رسول الله . فقال ؛ ضعوا لي[٥] ماءً في المِخْضب[٦] ، ففعلنا ، قالت : فاغتسل ، ثم ذهب لينوء[٧] فأُغْميَ عليه ، ثم أفاق فقال : أَصلَّى النّاسُ ؟ قلنا : لا ، هم يَنْتَظِرونَكَ يا رسولَ اللهِ . قال : ضعوا[٨] لي ماءً في المِخْضَبِ ، ففعلنا ، فاغْتَسَلَ ، ثم ذهبَ لينوء ، فأُغْمِيَ عليه ، ثم أفاق ، فقال : أَصلَّى الناس ؟ قلنا : لا ، هم يَنْتَظِرونكَ يا رسول الله[٩] قالت : والناسُ عُكوفٌ في المسجد يَنْتظرون رسولَ الله ﷺ لصلاةِ العشاء ، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي بكر بأنْ يُصلِّي بالناس ، وكان أبو بكرٍ رجلاً رَقيقاً ، فقال : يا عُمَرُ صَلِّ بالناس . فقال : أنتَ أحقُّ بذلك فَصَلَّى بهم تلك الأيام . ثم إنّ رسولَ الله ﷺ وجد خِفَّة فخرج بين رجُلَين ، أحدُهُما العباسُ لصلاةِ الظُّهْر ، فلما رآه أبو بكرٍ ذهبَ ليتأخَّر ، فأومأ إليه أن لا يتأخَّر ، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه ، فجعلَ أبو بكر يُصلِّي قائماً ، ورسولُ الله ﷺ يُصلِّي قاعداً . قال عُبَيْدُ الله : فدخلتُ على ابنِ عبّاس فقلتُ : ألا أعرضُ عليكَ ما حَدَّثَتْني عائشة عَنْ مَرَضِ رسول الله ﷺ ؟ قال : هاتِ . فَحَدَّثْتُهُ ، فما أنكَرَ منه شيئاً ، غير أنه قال : سمَّتْ لَكَ الرَّجلَ الذي كان مع العبّاسِ ؟ قلت : لا ، قال : هو علّي . وقد رواه البُخاري[١٠] ومسلم[١١] جميعاً عن أحمد بن يونس ، عن زائدة به . وفي رواية : فجعلَ أبو بكرٍ يُصلّي بصلاةِ رسولِ الله وهو قائمٌ ، والناسُ يُصلّون بصلاة أبي بكرٍ ، ورسول الله ﷺ قاعد .

---

(١) ليست « أن » في أ .
(٢) في المسند (٢/ ٥٢) .
(٣) ط : (برسول الله ﷺ وجعه) .
(٤) ط : (قلنا) .
(٥) ط : (صبوا إلى) .
(٦) المِخْضب : ـ بالكسر ـ إجانة ـ أي وعاء ـ تغسل فيها الثياب (النهاية : خضب) .
(٧) لينوء أي لينهض . (النهاية : نوأ) .
(٨) ط : (شعوا) تحريف .
(٩) بعدها في ط : (قال : ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله) وليست هذه الزيادة في أ ولا في مصدري الحديث .
(١٠) البخاري (٦٨٧) .
(١١) مسلم (٤١٨) (٩٠) .

قال البيهقيّ(١) : ففي هذا أنَّ النبيَّ ﷺ تَقدَّم في هذه الصلاة ، وعلَّق أبو بكر صلاتَهُ بصلاته .

قال(١) : وكذلك رواه الأسود وعروة عن عائشة ، وكذلك رواهُ الأرقمُ بن شُرَحْبيل ، عن ابن عباسٍ . يعني بذلك ما رواه الإمام أحمد(٢) : ثنا يَحْيَى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدّثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن الأَرْقَم بن شُرَحْبيل ، عن ابن عباس ، قال : لمّا مرِضَ النبيُّ ﷺ أمرَ أبا بكرٍ أن يُصَلِّيَ بالنّاسِ ، ثم وَجَدَ خِفَّةً ، فخرجَ ، فلما أحسَّ به أبو بكر أراد أن يَنْكَص ، فأومأ إليه النبي ﷺ فجلس إلى جنب أبي بكر عن يساره ، واستفتح من الآية التي انتهى إليها أبو بكر رضي الله عنه . ثم رواه أيضاً(٣) عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أرقم ، عن ابن عباس بأطول من هذا . وقال وكيع مَرّةً : فكان أبو بكر يَأْتَمُّ بالنبي ﷺ ، والناس يأتمّون بأبي بكر . ورواه ابن ماجه(٤) ، عن عليّ بن محمدٍ ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أرقم بن شُرَحْبيل ، عن ابن عباس بنحوه .

وقد قال الإمام أحمد(٥) : ثنا شَبَابَةُ بن سوّار ، ثنا شُعْبة ، عن نُعَيْم بن أبي هند ، عن أبي وائل ، عن مَسْروق ، عن عائشة قالت : صَلَّى رسولُ الله ﷺ خَلْفَ أبي(٦) بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه . وقد رواه الترمذي(٧) والنسائي(٨) من حديث شعبة . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال أحمد(٩) : ثنا بكر بن عيسى ، سمعتُ شعبة بن الحجّاج ، عن نعيم بن أبي هند ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة : أن أبا بكر صَلَّى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف .

وقال البيهقي(١٠) : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القَطّان ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ، أنبأنا يعقوب بن سفيان ، ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة : أنَّ رسولَ الله ﷺ صَلَّى خلف أبي(١١) بكر . وهذا إسنادٌ جيدٌ ولم يخرجوه . قال البيهقي : وكذلك رواه حُمَيْد ، عن أنس بن مالك ، ويونس ، عن الحسن مرسلاً .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٩١) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) ، وهو حديث صحيح .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) ، وهو حديث صحيح .
(٤) ابن ماجه (١٢٣٥) وموضع الشاهد منه حسن ، دون ذِكر علي رضي الله عنه .
(٥) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٥٩) ، وهو حديث صحيح .
(٦) أ ، ط : (أبا) خطأ .
(٧) الترمذي (٣٦٢) ، وهو حديث صحيح .
(٨) النسائي (٧٨٥) ، وهو حديث صحيح .
(٩) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٥٩) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) دلائل النبوة (٧/ ١٩٢) .
(١١) ط : (أبا) .

ثم أسند ذلك من طريق هُشَيْم ، أخبرنا يونس ، عن الحسن ، قال هشيم : وأنبأنا حُمَيْد ، عن أنس بن مالك : أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ وأبو بكر يُصلّي بالنّاسِ ، فجلَس إلى جَنبه ، وهو في بُرْدَةٍ ، قد خالفَ بين طرفيها فَصَلّى بصلاته .

قال البيهقي[١] : وأخبرنا علي بن أحمد بن عَبْدان ، أنبأنا أحمد بن عُبَيْد الصَّفّار ، ثنا عُبَيْد بن شَريك ، أنبأنا ابنُ أبي مَرْيَم ، أنبأنا محمد بن جَعْفرٍ ، أخبرني حُمَيْد أنَّه سَمِعَ أنساً يقول : آخر صلاةٍ صَلاَّها رسولُ الله ﷺ مع القومِ في ثوبٍ واحدٍ مُلْتحفاً به ، خلف أبي بكر . قلت : وهذا إسنادٌ جيدٌ على شرط الصحيح ، ولم يخرجوه . وهذا التَّقييدُ جيدٌ . بأنها آخرُ صلاةٍ صلاَّها مع الناس ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقد ذكر البيهقي[٢] من طريق سليمان بن بلال ويحيى بن أيوب ، عن حُمَيْد ، عن أنس : أنَّ النبيَّ ﷺ صَلّى خَلْفَ أبي بكر في ثوبٍ واحدٍ بُرْدٍ مُخالفاً بين طَرَفَيْه ، فلمّا أرادَ أن يقوم ، قال : ادعُ لي أُسامةَ بن زيدٍ ، فجاء فأسنَدَ ظَهرَهُ إلى نَحْره ، فكانت آخر صلاة صلاها . قال البيهقي[٣] : ففي هذا دلالةٌ أنَّ هذه الصلاةَ كانتْ صلاةَ الصُّبْحِ من يوم الإثنين يوم الوفاة ؛ لأنّها آخرُ صلاةٍ صَلاَّها ، لما ثَبَتَ أنه توفي ضُحَى يوم الإثنين . وهذا الذي قاله البيهقيُّ أخذهُ مُسَلَّماً من « مغازي موسى بن عقبة » فإنّه كذلك ذَكَر . وكذا روى أبو الأسود عن عروة ، وذلك ضعيف ، بل هذه آخرُ صلاةٍ صَلاَّها مع القوم ، كما تقدم تَقْييده في الرواية الأُخرى ، والحديثُ واحدٌ فَيُحملُ مُطْلَقُهُ على مُقَيَّدِهِ ، ثم لا يجوزُ أن تكون هذه صلاةَ الصبح من يوم الإثنين يومَ الوَفاةِ ، لأنَّ تلك لم يُصلِّها مع الجماعة بل في بيته ، لما به من الضعف ، صلوات الله وسلامه عليه .

والدليل على ذلك ما قال البخاريُّ في « صحيحه »[٤] : ثنا أبو اليمان ، أنبأنا شُعيبٌ ، عن الزهري ، أخبرني أنس بن مالك ، وكان تبعَ النبيَّ ﷺ وخدَمَه وصَحِبَهُ ، أنّ أبا بكر كان يُصلّي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفِّيَ فيه ؛ حتى إذا كان يوم الإثنين ، وهم صُفوف في الصلاة ، فكشف النبيُّ ﷺ سِترَ الحُجْرة ينظر إلينا وهو قائمٌ ، كأنَّ وجهَهُ ورقةُ مُصْحَفٍ تَبَسَّم يَضْحكُ ، فَهَمَمْنا أن نَفْتَتن من الفَرَحِ برؤية النبي ﷺ (ونكصَ أبو بكرٍ على عَقِبَيْهِ ليصلَ الصّفّ وظنَّ أنَّ النبيَّ خارج)[٥] إلى الصلاة ، فأشارَ إلينا النبيُّ[٦] ﷺ أن

(١) دلائل النبوة (٧/ ١٩٢) .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣) .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣ ، ١٩٧) .
(٤) رقم (٦٨٠) .
(٥) ليس ما بين القوسين في أ .
(٦) ليس اللفظ في أ .

أَتِمُّوا صَلاتَكُمْ ، وأرْخَى السِّتْر ، وتوفي من يومِه . وقد رواه مسلم[١] من حديثِ سُفْيان بن عُيَيْنة وصالح[٢] بن كيسان ومعمر ، عن الزهري ، عن أنس .

ثم قال البخاري[٣] : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : لم يَخْرُجِ النبيُّ ﷺ ثلاثاً ، فأقيمت الصَّلاةُ ، فذهب أبو بكر يَتَقدَّم ، فقال نبيُّ اللهِ : عليكُم بالحِجاب ، فرفعه فلما وَضَح وَجْهُ النبيّ ﷺ ما نَظَرْنا مَنْظَراً كانَ أعجبَ إلينا من وجه النبيِّ ﷺ حين وَضَحَ لنا . فأومأ النبيُّ ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدَّم ، وأرخى النبيُّ ﷺ الحجابَ ، فلم يُقْدَر عليه حتى مات ﷺ . ورواه مسلمٌ[٤] من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه به ، فهذا أوضحُ دليلٍ على أنّه عليه الصلاة والسلام لم يُصَلِّ يومَ الإثنين صلاةَ الصُّبْحِ مع الناس ، وأنّه كان قد انقطعَ عنهم ، لم يخرج إليهم ثلاثاً .

قلنا : فعلى هذا يكونُ آخر صلاةٍ صلاها معهم الظهرَ كما جاء مُصَرَّحاً به في حديث عائشة المتقدم ، ويكون ذلك يومَ الخميس لا يومَ السبت ، ولا يومَ الأحدِ كما حكاه البيهقيّ عن مغازي موسى بن عقبة ، وهو ضعيف ، لما[٥] قدَّمنا من خطبته بعدَها ، ولأنه انقطَعَ عنهم يومَ الجُمْعة ، والسبتِ ، والأحدِ ، وهذه ثلاثة أيامٍ كَوامل .

وقال الواقدي[٦] : عن أبي بكر بن أبي سَبْرَة ، أنّ أبا بكرٍ صَلَّى بهم سبعَ عَشْرَةَ صلاةً . وقال غيرُهُ : عِشْرين صلاة . فالله أعلم . ثم بدا لهم وجهُهُ الكريمُ صَبيحة يومِ الإثنين فودَّعهم بنظرةٍ كادوا يفتَتِنون بها ، ثم كان ذلك آخرَ عهدِ جُمْهورِهم به ، ولسانُ حالِهم يقولُ ، كما قال بعضهم : [من الطويل]

وكُنْتُ أُرى كالمَوْتِ منْ بَيْنِ سَاعةٍ ... فكَيْفَ بِبَيْنٍ كانَ مَوْعِدُهُ الحَشْرُ

والعجب أنّ الحافظَ البيهقي[٧] أورد هذا الحديث من هاتين الطريقين ، ثم قال ما حاصله : فلعلَّه عليه الصلاة والسلام احْتَجَبَ عنهم في أولِ ركعةٍ ، ثم خرجَ في الركعة الثانية ، فصلَّى خلفَ أبي بكر ، كما قال عروةُ وموسى بن عقبة ، وخَفِيَ ذلك على أنس بن مالك ، أو أنه ذكَر بعضَ الخبرِ ، وسكَتَ عن آخره ، وهذا الذي قاله[٨] أيضاً بعيد جداً ، لأن أنساً ، قال : فلم يقدر عليه حتى مات . وفي رواية

(١) مسلم (٤١٩) (٩٨) و(٩٩) .
(٢) ط : (صبيح) .
(٣) البخاري (٦٨١) .
(٤) (٤١٩) (١٠٠) .
(٥) ط : (ولما) .
(٦) ط : (الزهري) وانظر دلائل النبوة (٧/ ١٩٧) .
(٧) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٩٧ ـ ١٩٨) .
(٨) أ : ([ذكره]) .

قال : فكان ذلك آخرَ العهد به . وقول الصحابي مقدّمٌ على قولِ التابعي والله أعلمُ .

والمقصودُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قدَّم أبا بكر الصديق إماماً للصحابة كلهم في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية .

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري : وتقديمُه له أمرٌ معلومٌ بالضَّرورة من دين الإسلام . قال : وتقديمه له دليلٌ على أنه أعلمُ الصحابةِ وأقْرؤُهم ؛ لما ثَبَتَ في الخبر المُتَّفَقِ على صحته بين العلماء : أنّ رسولَ الله ﷺ قال[1] : « يَؤُمُّ القَوْمَ أقْرَؤُهُم لكتاب الله ، فإن كانوا في القِراءَةِ سواءً فأعْلَمُهم بالسُّنَّةِ ، فإن كانوا في السُّنَّة سواءً فأكْبَرُهم سِنّاً ، فإن كانوا في السّنّ سواءً فأقْدَمُهُمْ سِلْماً » . قلت : وهذا من كلام الأشعري ، رحمه الله ، مما ينبغي أن يكتبَ بماءِ الذّهَب ، ثم قد اجتمعتْ هذه الصفات كلُّها في الصديق ، رضي الله عنه وأرضاه ، وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصَّلواتِ ، كما قدَّمنا بذلك الرّواياتِ الصَّحيحة لا يُنافي ما رُوي في « الصحيح » أنَّ أبا بكر ائتَمَّ به عليه الصلاة والسلام ؛ لأنّ ذلك في صلاةٍ أُخرى ، كما نصَّ على ذلك الشافعيُّ وغيره من الأئمة ، رحمهم الله عزَّ وجلَّ .

فائـــدة

استدلَّ مالكٌ والشّافعيُّ وجماعةٌ من العلماء (ومنهم البخاري)[2] بصلاتِه ، عليه الصلاة والسلام ، قاعداً وأبو بكر مُقْتَدياً به قائماً ، والناس بأبي بكر على نسخ قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المُتَّفقِ عليه[3] حين صلّى ببعض أصحابه قاعداً . وقد وقع عن فرسٍ فَجُحِش[4] شِقُّه ، فصلوا وراءه[5] قياماً[6] فأشار إليهم أن اجلسوا فلمّا انصرفَ . قال : كذلك والذي نَفْسي بيدِه تفعلون كَفِعْلِ فارس والروم ، يقومون على عظمائهم وهم جلوس . وقال[7] :« إنما جُعِلَ الإمام ليُؤْتَمّ به ، فإذا كَبّر فكَبِّرُوا ، وإذا ركَع فاركعوا ، وإذا رَفَع فارفَعوا ، وإذا سَجَدَ فاسْجُدوا ، وإذا صَلَّى جالساً فَصَلُّوا جُلوساً أجمعون » . قالوا : ثم إنّه عليه الصلاة والسلام، أمَّهم قاعداً وهم قيام في مرض الموت ، فدلَّ على نَسْخِ ما تَقَدَّم . والله أعلم.

وقد تنوعت مسالك الناس في الجواب عن هذا الاستدلال على وجوه كثيرة ، موضعُ ذِكرها كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلان .

---

(١) مسلم (٦٧٣) .
(٢) ليس ما بين القوسين في أ .
(٣) البخاري (٣٧٨ ، ٦٨٩ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣) ، ومسلم (٤١١ ، ٤١٣) .
(٤) جُحِش : خُدِش جلده (النهاية : جحش) .
(٥) أ : (وراءهم) .
(٦) ليس اللفظ في ط .
(٧) فتح الباري (٦٨٩ و٥٦٥٨) .

ومُلَخَّصُ ذلك أنّ من الناس من زَعَم أنّ الصَّحابة جَلَسوا لأمْرِه المُتَقدِّم ، وإنما استمرّ أبو بكر قائماً لأجل التَّبليغِ عنه ﷺ . ومن الناس من قال : بل كان أبو بكر هو الإمام في نفسِ الأمر كما صرَّح به بعضُ الرواةِ كما تقدَّم ، وكان أبو بكر لشدّةِ أدبه مع الرسول ﷺ لا يُبادِرُه بل يَقْتَدي به ، فكأنَّه عليه الصلاة والسلام ، صار إمام الإمام ، فلهذا لم يجلسوا لاقتدائهم بأبي بكر ، وهو قائم ، ولم يجلس الصديق لأجل أنّه إمامٌ ، ولأنه يُبَلِّغُهم عن النبي ﷺ الحركاتِ والسَّكناتِ والانتقالاتِ ، والله أعلم . ومنَ النّاسِ منْ قال : فَرْقٌ بينَ أن يبتدئَ الصلاةَ خلفَ الإمام في حالِ القيام فَيَسْتَمرّ فيها قائماً ، وإن طرأ جلوسُ الإمام في أثنائها كما في هذه الحال ، وبين أن يَبْتدئَ الصلاةَ خلفَ إمام جالسٍ ، فيجبُ الجلوسُ للحديثِ المتقدِّم والله أعلم . ومنَ النّاسِ منْ قال : هذا الصَّنيعُ والحديثُ المُتَقَدّم دليلٌ على جوازِ القيامِ والجلوسِ ، وإنَّ كُلاًّ منهما سائغٌ جائزٌ ، الجلوسُ لما تقدَّم ، والقيامُ للفعلِ المُتأَخِّر . والله أعلم .

(فصْلٌ في كَيفيَّة)[١]

احْتِضارِهِ وَوَفاتِهِ عليه الصلاةُ والسلام

قال الإمام أحمد[٢] : ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش ، عن إبراهيم التَّيْمي ، عن الحارثِ بن سُوَيْدٍ ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : دَخَلْتُ على النبي ﷺ وهو يُوعكُ فَمسِستُه ، فقلت : يا رسولَ الله ، إنّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شديداً . قال : أجل ، إني أُوعَكُ كما يُوعَكُ الرَّجلان منكم . قلت : إنَّ لكَ أجْرَيْن . قال : « نعم ، والذي نفسي بيده ، ما على الأرض مسلمٌ يُصيبُهُ أذىً من مَرَضٍ فما سواه ، إلاّ حطَّ الله عنه به خَطاياه ، كما تَحُطُّ الشَّجرةُ وَرَقَها » . وقد أخرجه البخاري[٣] ومسلم[٤] من طرقٍ متعددةٍ ، عن سليمانَ بن مهران الأعْمش به . وقال الحافظ أبو يَعْلى الموصليّ في « مسنده » : ثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، ثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن زيدِ بن أسْلَم ، عن رجلٍ ، عن أبي سعيد الخُدْري ، قال : وضع يده على النبيِّ ﷺ فقال : واللهِ ما أطيقُ أن أضعَ يدي عليك من شدّة حُمَّاك . فقال النبي ﷺ : « إنّا معشرَ الأنبياء يُضاعفُ لنا البلاءُ ، كما يضاعَفُ لنا الأجرُ ، إن كان النبيُّ من الأنبياء لَيُبْتَلَى بالقَمل حتى يقتله ، وإن كانَ الرجل لَيُبْتَلَى بالعُرْي حتى يأخُذَ العَباءَةَ فيُجَوّبَها[٥] ، وإن كانوا لَيفْرحون بالبلاء كما

---

(١) ليس ما بين القوسين في ط .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٨١) .
(٣) البخاري (٥٦٤٧ ، ٥٦٤٨ ، ٥٦٦٠ ، ٥٦٦١ ، ٥٦٦٧) .
(٤) مسلم (٢٥٧١) .
(٥) يجوّبها : يقطع وسطها (النهاية : جوب) .

تَفْرحون[١] بالرخاء » . فيه رجلٌ مُبْهمٌ لا يُعْرَفُ بالكلية ، فالله أعلم .

وقد روى البخاري ومسلم[٢] من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، زاد مسلم : وجرير ، ثلاثتهم عن الأعمش ، عن أبي وائل شَقيق بن سلمة ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : ما رأيتُ الوَجَع على أحدٍ أشدَّ منه على رسول الله ﷺ .

وفي « صحيح البخاري »[٣] من حديث يَزيد بن الهادِ ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : مات رسول الله ﷺ بين حاقنتي وذاقنتي ، فلا أكْرَهُ شدّةَ الموت لأحدٍ أبداً[٤] بعد النبي ﷺ .

وفي الحديث الآخر الذي رواه[٥] في « صحيحه » قال : قال رسول الله : « أشدُّ النّاسِ بلاءً الأنبياءُ ، ثم الصّالحُون ، ثم الأمْثَلُ فالأمثلُ ، يُبْتَلَى الرجلُ على حَسَبِ دينه ، فإن كانَ في دينه صلابةٌ شُدِّد عليه في البلاء » .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا يعقوب ، ثنا أبي ، ثنا محمد بن إسحاق ، حدّثني سعيد بن عُبيد بن السَّبّاق ، عن محمد بن أسامة بن[٧] زيد عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لمّا ثَقُل رسولُ الله ﷺ هَبَطْتُ وهبطَ النّاسُ معي إلى المدينة ، فدخلتُ على رسول الله ، وقد أصمتَ فلا يَتكلَّم ، فجعل يرفعُ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ ثم يصُبُّها[٨] عليَّ أعرف أنّه يدعو لي . ورواه الترمذي[٩] عن أبي كُرَيْب ، عن يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق . وقال : حسن غريب .

وقال الإمام مالك في مُوَطَّئِهِ[١٠] عن إسماعيل بن أبي حكيم ، أنَّه سمعَ عُمَرَ بن عبد العزيز ، يقول : كانَ منْ آخرِ ما تكلَّمَ به رسول الله ﷺ أن قال : قاتلَ اللهُ اليَهودَ والنَّصارى ، اتخذوا قُبورَ أنْبيائِهم مساجدَ ، لا يَبْقَيَنَّ دِينان بأرضِ العرب . هكذا رواه مُرْسلاً عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

---

(١) ط : (يفرحون) .
(٢) البخاري (٥٦٤٦) ومسلم (٢٥٧٠) .
(٣) البخاري (٤٤٤٦) .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) بعدها في أ بياض بقدر كلمةٍ ، وبعدها (في صحيحه ، عن) ثم بياض بقدر كلمة واحدة ، والحديث في صحيح ابن حبان رقم (٢٩٠٠) بنحوه .
(٦) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٠١) .
(٧) أ : (بمن) تحريف .
(٨) م : (يصوبها على أعرف) تحريف وزيادة .
(٩) رقم (٣٨١٧) وهو حديث حسن .
(١٠) الموطأ (٢/ ٨٩٢) (رقم ٢٦٠٦ برواية الليثي من ط . الدكتور بشار) .

وقد روى البخاري[١] ومسلم[٢] من حديث الزُّهري عن عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَة ، عن عائشة ، وابن عباس ، قالا : لما نزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَميصَةً له على وَجْهِه ، فإذا اغْتَمَّ كَشَفَها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : « لَعْنَةُ اللهِ على اليَهودِ والنَّصارى ، اتَّخذوا قُبورَ أنبيائهم مساجِدَ » يُحَذِّرُ ما صَنَعوا .

وقال الحافظ البيهقي[٣] : أنبأنا أبو بكر بن أبي رجاءٍ الأديب ، أنبأنا أبو العباس الأصَمّ ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا أبو بكر بن عَيّاش ، عن الأعمش عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ قبلَ موته بثلاثٍ : أحسنوا الظن بالله .

وفي بعض الأحاديث كما رواه مسلم[٤] من حديث الأعمش ، عن أبي سفيان طلحة بن نافع ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَموتَنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسنُ الظَّنَّ بالله تعالى » .

وفي الحديث الآخر يقول الله تعالى : « أنا عندَ ظنِّ عَبْدي بي ، فَلْيَظُنَّ بي خيراً »[٥] .

وقال البيهقي[٦]: أنبأنا الحاكم، ثنا الأصمّ، ثنا[٧] محمد بن إسحاق الصَّغانيّ ، ثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، ثنا جرير ، عن سليمان التَّيْمي ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : كانَتْ عامَّةُ وصيةِ رسولِ الله ﷺ حين حَضَرهُ الوفاة : « الصلاةُ وما مَلَكَتْ أيْمانُكم » حتَّى جَعل يُغرْغِرُ بها ، وما يَفيضُ[٨] بها لسانه . وقال الإمام أحمد[٩] : ثنا أسباط بن محمد ، ثنا التَّيْمي ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : كانت عامَّةُ وصيةِ رسولِ الله ﷺ حين حضره الموتُ : الصَّلاةُ وما مَلَكَتْ أيمانُكم . حتّى جَعَلَ رسولُ الله ﷺ يُغرْغِرُ بها صَدْرُهُ ، وما يكادُ يفيضُ بها لسانه . وقد رواه النّسائي وابن ماجه[١٠] من حديثِ سُلَيْمان بن طَرْخان ، وهو التَّيمي ، عن قَتادة ، عن أنَسٍ به. وفي رواية للنسائي[١١]، عن قتادة ، عن صاحب له ، عن أنس به .

---

(١) البخاري (٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤٥ ، ٥٨١٥ ، ٥٨١٦) .
(٢) مسلم (٥٣١) .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٠٤) .
(٤) مسلم (٢٨٧٧) (٨١) .
(٥) انظر « حسن الظن بالله » لابن أبي الدنيا ، رقم (٨٤) ، وفي إسناده ضعف .
(٦) دلائل النبوة (٧/ ٢٠٤ ، ٢٠٥) .
(٧) ليس اللفظ في ط .
(٨) ط : (يفصح) وبعدها في ط ، ولم يرد في أ : (وقد رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه عن جرير بن عبد الحميد به وابن ماجه عن أبي الأشعث عن معتمر بن سليمان عن أبيه به) .
(٩) مسند الإمام أحمد (٣/ ١١٧) .
(١٠) النسائي في الكبرى (٧٠٩٥) وابن ماجه (٢٦٩٧) وهو حديث صحيح .
(١١) النسائي في الكبرى (٧٠٩٦) .

وقال أحمد(١) : ثنا بكر بن عيسى الراسبي ، ثنا عمر بن الفضل ، عن نُعيم بن يزيد ، عن علي بن أبي طالب ، قال : أمرني رسولُ الله ﷺ أن آتيه بطَبَقٍ(٢) يكتب فيه ما لا تَضِلُّ أمتُه من بعده . قال : فخشيتُ أن تفوتني نَفْسُه . قال : قلت : إني أحْفظُ وأعي . قال : أوصي بالصَّلاة والزَّكاةِ وما مَلَكَتْ أيمانُكم . تَفَرَّدَ به أحمد من هذا الوجه .

وقال يعقوب بن سفيان(٣) ، ثنا أبو النعمان محمد بن الفضل ، ثنا أبو عوانة ، عن قتادة ، عن سفينة عن أم سلمة قالت : كان عامة وصية رسول الله ﷺ عندَ موتِه الصَّلاةَ الصلاةَ(٤) وما ملكت أيمانُكم ، حتى جعل يُلَجْلِجُها في صدره ، وما يفيضُ بها لسانُه . وهكذا رواه النسائي(٥) عن حُمَيْد بن مَسْعَدة عن يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد(٦) بن أبي عروبة ، عن قتادة أنّ(٧) سفينة حَدَّثَ عن أم سلمة به . قال البيهقي(٨) : والصحيحُ ما رواه عفانُ عن همام عن قتادة عن أبي الخليل عن سفينة عن أم سلمة به . وهكذا رواه النّسائي(٩) أيضاً ، وابن ماجه(١٠) من حديث يزيد بن هارون ، عن همام ، عن قتادة ، عن صالح أبي الخليل ، عن سَفينة ، عن أم سلمة به(١١) .

وقال أحمد(١٢) : ثنا يونس ثنا(١٣) الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله ﷺ ، وهو يموت ، وعنده قَدَحٌ فيه ماء ، فيُدخلُ يدَه في القدح ، ثم يَمْسَحُ وَجْهَه بالماء ، ثم يقول : اللهم أعنّي على سَكَراتِ الموت . ورواه التّرمذي(١٤) والنَّسائي(١٥)

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٩٠) وإسناده ضعيف .
(٢) الطَّبَق (بفتحتين) فقار الظهر التي يكتب عليها (النهاية : طبق) .
(٣) المعرفة والتاريخ (٣/ ٤٦٠) .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) النسائي في الكبرى (٧٠٩٨) .
(٦) ط : (سعد) وهو تحريف . انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٤١٣) .
(٧) ط : (عن سفينة عن أم سلمة) .
(٨) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٠٥) .
(٩) السنن الكبرى للنسائي (٧١٠٠) .
(١٠) ابن ماجه (١٦٢٥) ، وهو حديث صحيح .
(١١) بعدها في ط : (وقد رواه النسائي أيضاً عن قتيبة عن أبي عوانة عن قتادة عن سفينة عن النبي فذكره . ثم رواه عن محمد بن عبد الله بن المبارك عن يونس بن محمد قال : حدّثنا عن سفينة فذكر نحوه) .
(١٢) مسند الإمام أحمد (٦/ ٦٤) .
(١٣) ليس لفظ (حدّثنا) في ط .
(١٤) الترمذي (٩٧٨) .
(١٥) السنن الكبرى للنسائي (٧١٠١) .

وابن ماجه[١]، من حديث الليث به . وقال الترمذي : غريب[٢] .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن مصعب بن إسحاق بن طلحة ، عن عائشة ، عن النبيّ ﷺ قال[٤] : إنَّه لَيُهوِّنُ عليَّ أني رأيتُ بياضَ كَفِّ عائشة في الجنّة . تفرّد به أحمد ، وإسناده لا بأس به ، وهذا دليل على شِدَّةِ مَحَبَّتِه عليه الصلاة والسلام ، لعائشة ، رضي الله عنها . وقد ذكرَ النّاسُ معانيَ كثيرةً في كثرة المحبة ، ولم يَبْلغْ أحدُهم هذا المبلغَ ، وما ذاكَ إلّا لأنَّهم يُبالغون كلاماً لا حقيقةَ له ، وهذا كلامٌ حقٌّ لا محالةَ ولا شَكَّ فيه .

وقال حماد بن زيد[٥] : عن أيّوب ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قالت عائشة : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ في بيتي ، وتوفي بين سحري ونحري ، وكان جبريل يعوّذه بدعاءٍ إذا مرض ، فذهبت أدعو به[٦] فرفعَ بصرَه إلى السماء وقال : في الرَّفيق الأعلى ، في الرّفيق الأعلى ، ودخلَ عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده جَريدةٌ رَطْبةٌ ، فنظر إليها ، فظننتُ أنّ له بها حاجةً . قالت : فأَخَذْتها فنَفضْتُها[٧] فدفعتُها إليه ، فاسْتنَّ بها أحسنَ ما كانَ مُسْتَنّاً ، ثم ذهبَ يتناولها[٨] ، فَسَقَطتْ من يده . قالت : فجمعَ الله بين ريقي وريقِه في آخر يوم من الدنيا وأولِ يومٍ من الآخرة . ورواه البخاري[٩] ، عن سليمان بن حرب[١٠] عن حماد بن زيد به .

وقال البيهقي[١١] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو نصر أحمد بن سَهْلِ الفقيه ببخارى ، ثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي ، ثنا داود بن[١٢] عمرو بن زهير الضبي ، ثنا عيسى بن يونس ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين ، أخبرنا ابن أبي مُلَيْكَةَ : أنّ أبا عمرو ذكوان مولى عائشة ، أخبره : أن عائشة كانت تقول : إنّ من نعمة الله عليّ أنَّ رسولَ الله ﷺ تُوفِّي في يومي ، وفي بيتي ، وبين سَحْري ونَحْري ، وأن الله جمعَ بين ريقي وريقه عند الموت . قالت : دخل عليّ أخي بسواكٍ معه ، وأنا مُسْندةٌ رسولَ الله ﷺ

---

(١) ابن ماجه (١٦٢٣) ، وإسناده ضعيف .
(٢) يعني : ضعيف .
(٣) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٣٨) .
(٤) ط : (إنه قال) .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٠٦) .
(٦) ط : (أعوذه) .
(٧) أ : (فقضمتها) .
(٨) ط : (يناولنها) .
(٩) البخاري (٤٤٥١) .
(١٠) ط : (جرير) تحريف .
(١١) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) .
(١٢) ط : (عن) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٠) .

إلى صدري ، فرأيته ينظرُ إليه ، وقد عرفتُ أنه يُحبُّ السِّواك ويألَفُهُ ، فقلتُ : آخُذُه لك ؟ فأشارَ برأسِه ؛ أي : نعم ، فَلَيَّنْتُهُ له ، فأمرَّه على فيه . قالت : وبين يديه ركوةٌ أو علبةٌ فيها ماءٌ فجعلَ يُدْخل يدَهُ في الماءِ فيمسحُ بها وجهه ، ثم يقول : لا إله إلا الله ، إنَّ للموت لسَكَراتٍ ، ثم نصبَ أُصبُعَه اليُسْرى وجَعَلَ يقول : في الرفيقِ الأعلى ، في الرَّفيقِ الأعلى ، حتى قُبِضَ ، ومالت يَدهُ في الماء . ورواه البخاري[١] عن محمد ، عن عيسى بن يونس .

وقال أبو داود الطيالسي[٢] : ثنا شُعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعتُ عروة يُحَدِّث ، عن عائشة ، قالت : كُنا نُحَدِّثُ أنّ النبيَّ ﷺ لا يموتُ حتى يُخَيَّر بين الدنيا والآخرة . قالت : فلما كان مرضُ رسولِ الله ﷺ الذي مات فيه عرضَتْ له بُحَّةٌ . فسمعته يقول : ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] . قالت عائشة : فَظَنَنَّا أنه كان يُخَيَّر . وأخرجاه[٣] من حديث شعبة به .

وقال الزهري : أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزُّبير في رجال من أهل العِلْم ، أنَّ عائِشَة قالَتْ : كان رسولُ الله ﷺ يقول وهو صحيح : إنه لم يُقْبض نَبيٌّ حتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ من الجَنّة ثم يُخَيَّر . قالت عائشة : فلما نزلَ برسولِ الله ﷺ ورأسُه على فَخِذي غُشِي عليه ساعةً ، ثم أفاق فأَشْخَصَ بَصَرَهُ إلى سَقْفِ البيتِ . وقال : اللَّهمَّ الرفيقَ الأَعلى . فعرفتُ أنَّه الحديثُ الذي كان حَدَّثَناه ، وهو صحيحٌ : أنَّه لم يُقْبضْ نَبيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ منَ الجَنَّة ، ثم يُخَيَّر . قالت عائشة : فقلت : إذاً لا تَخْتارُنا . قالت[٤] عائشة : كانَتْ تلك الكلمةُ آخِرَ كلمةٍ تكلَّمَ بها رسولُ الله ﷺ الرفيقَ الأعلى . أخرجاه[٥] من غير وجهٍ ، عن الزُّهْريِّ به .

وقال سفيان ، هو الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ ، عن أبي بُرْدة ، عن عائشة ، قالت : أُغْمِيَ على رسول الله ﷺ وهو في حِجْري ، فَجَعَلْتُ أَمْسَحُ وَجْهَهُ وأدْعو له بالشفاء . فقال : لا ، بَلْ أسألُ اللهَ الرفيقَ الأعلى الأَسْعَدَ مع جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ . رواه النَّسائي[٦] من حديث سفيان الثوريّ به . وقال البيهقي[٧] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وغيره ، قالوا : ثنا أبو العباس الأصم ، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، ثنا أنس بن عياض ، عن هشام بن عروة ، عن عَبّاد بن عبد الله بن الزبير : أنَّ عائشة أخبرتْهُ

---

(١) البخاري (٤٤٤٩) .
(٢) مسند الطيالسي (١٤٥٦) .
(٣) البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (٢٤٤٤) (٨٦) .
(٤) ط : (وقالت) .
(٥) البخاري رقم (٤٤٦٣) ومسلم (٢٤٤٤) (٨٧) .
(٦) السنن الكبرى (٧١٠٤ ، ١٠٩٣٦) ، وهو حديث صحيح .
(٧) في « دلائل النبوة » (٧/ ٢٠٩) .

أنَّها سمعَتْ رسول الله ﷺ ، وأصْغَتْ إليه قَبْلَ أن يَموتَ وهو مُسْنِد إلى صدرها يقول : اللهمَّ اغفر لي وارحمني ، وألْحِقْني بالرفيق . أخرجاه[١] من حديث هشام بن عروة .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدّثني يحيى[٣] بن عباد بن عبد الله بن الزُّبَيْر ، عن أبيه عباد : سمعتُ عائشة تقول : مات رسول الله ﷺ بين سَحْري ونَحْري ، وفي دَوْلَتي ، ولم أظلم فيه أحداً ، فمن سَفَهي وحَداثَة سني أنَّ رسول الله ﷺ قُبضَ وهو في حِجْري ، ثم وضعتُ رأسَه على وسادة وقمتُ ألْتَدِمُ[٤] مع النّساءِ وأَضْرِبُ وَجْهي .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، ثنا كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله ، قال : قالت عائشة : كان رسولُ الله ﷺ يقول : ما منْ نَبيّ إلا تُقْبضُ نفسُه ، ثم يرى الثوابَ ، ثم تُرَدُّ إليه ، فيُخَيَّرُ بينَ أن تُرَدَّ إليه وبين أن يَلْحَق ، فكنتُ قَدْ حَفِظْتُ ذلك منه فإني لمُسْنِدَتُهُ إلى صَدْري ، فنظرتُ إليه حينَ مالَتْ عنقُه ، فقلت : قدْ قَضَى ، فعرفْتُ الذي قال ، فنظَرْتُ إليه حينَ ارتفعَ فنظر . قالت : قلت : إذاً واللهِ لا يَخْتارُنا . فقال : مع الرَّفيقِ الأعلى في الجنة : ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] تفرَّدَ به أحمدُ ، ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا عفّان ، حدثنا همام ، أخبرنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قُبضَ رسولُ الله ﷺ ، ورأسُه بين سَحْري ونَحْري . قالت : فلما خرجَتْ نفسُه لم أجد ريحاً قطُّ أطيبَ منها . وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطِ الصَّحيحين ، ولم يخرجه أحدٌ من أصحاب الكتب السّتّة . ورواه البيهقيُّ[٧] من حديث حَنْبَل بن إسحاق ، عن عفان .

وقال البيهقي[٨] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا يونس ، عن أبي معشر عن محمد بن قيس بن أبي عروة ، عن أم سلمة ، قالت : وَضَعْتُ يدي على صدر رسول الله ﷺ يومَ مات ، فَمَرّت لي جُمَعٌ آكُلُ وأتوضّأ ، وما يذهبُ ريحُ المِسْكِ من يدي .

---

(١) ط : (وأخرجاه) وانظر البخاري (٤٤٤٠ ، ٥٦٧٤) ومسلم (٢٤٤٤) (٨٥) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٧٤) .
(٣) ط : (يحيى بن يحيى) . وانظر تاريخ البخاري (٨/ ٢٩١) .
(٤) ط : (ألدم) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٦/ ٧٤) ، وإسناده منقطع .
(٦) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٢١ ـ ١٢٢) .
(٧) دلائل النبوة (٧/ ٢١٣) .
(٨) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢١٩) .

وقال أحمد[١] : حدَّثنا عفان وبَهْزٌ ، قالا : ثنا سليمان بن المغيرة ، ثنا حميد بن هلال ، عن أبي بُرْدَةَ ، قال : دخلتُ على عائشة ، فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما صُنِعَ[٢] باليمن ، وكساءً من التي يدْعون المُلَبَّدَةَ ، فقالت : إن رسول الله ﷺ قُبِضَ في هذين الثوبين . وقد رواه الجماعة[٣] إلا النسائي من طرق ، عن حميد بن هلال به . وقال الترمذي : حسنٌ صحيح .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا بَهْزٌ ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا أبو عِمْران الجَوْني ، عن يزيد بن بابَنُوس ، قال : ذهبتُ أنا وصاحبٌ لي إلى عائشة ، فاسْتَأْذَنا عليها ، فألقت لنا وسادةً وجَذَبَتْ إليها الحِجابَ . فقال صاحبي : يا أم المؤمنين ، ما تقولين في العِراك ؟ قالت : وما العِراك ؟ فضربتُ مَنكِبَ صاحبي . فقالت : مَهْ[٥] آذَيْتَ أخاك . ثم قالت : ما العِراكُ ، المَحيض ! قولوا ما قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ المَحِيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ثم قالت : كان رسول الله ﷺ يَتَوشَّحُني ، وينال من رأسي ، وبيني وبينه ثوبٌ وأنا حائض . ثم قالت : كان رسولُ الله ﷺ إذا مَرَّ ببابي مما يُلْقي الكلمةَ يَنْفَعني اللهُ بها ، فمرَّ ذاتَ يومٍ ، فلم يَقُلْ شيئاً ، ثم مر فلم يقل شيئاً مَرَّتين أو ثلاثاً . فقلتُ : يا جارية ضَعي لي وسادةً على الباب ، وعصبتُ رأسي ، فمر بي . فقال يا عائشة ، ما شأنُك ؟ فقلتُ : أشتكي رأسي . فقال : أنا وارأساه ، فذهبَ فلم يلبث إلا يسيراً حتى جيء به محمولاً في كساءٍ ، فدخل عليّ ، وبعث إلى النساء فقال : إني قد اشتكيتُ ، وإني لا أستطيعُ أن أدورَ بينكن فَأْذَنَّ لي فَلأكُنْ عند عائشة[٦] فكنتُ أمرِّضُهُ ولم أمرِّض أحداً قبله ، فبينما رأسُه ذاتَ يومٍ على مَنْكبي إذ مال رأسُه نحوَ رَأْسي ، فظننتُ أنَّه يريدُ من رأسي حاجةً ، فخرجَتْ من فيه نقطةٌ باردةٌ ، فوقعَتْ على ثغرة[٧] نحري فاقْشَعَرَّ لها جلدي ، فظننتُ أنه غُشيَ عليه ، فسَجَّيْتُه ثوباً ، فجاء عمر والمغيرة بن شعبة ، فاستأذنا فأذِنْتُ لهما ، وجذَبْتُ إليَّ الحِجاب ، فنظرَ عمر إليه ، فقال : واغشياه ، ما أشدَّ غَشْيَ رسولِ الله ﷺ ثم قاما ، فلما دَنوا من الباب قال المغيرةُ : يا عمر ، ماتَ رسول الله ﷺ قال[٨] كَذَبْتَ ، بل أنتَ رجلٌ تَحوسُكَ[٩] فتنةٌ . إنّ رسولَ الله ﷺ لا يموتُ حتى يُفْنيَ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٣١) .
(٢) ط : (يصنع) .
(٣) البخاري (٣١٠٨ ، ٥٨١٨) ، ومسلم (٢٠٨٠) (٣٤) و(٣٥) ، وأبو داود (٤٠٣٦) ، والترمذي (١٧٣٣) ، وابن ماجه (٣٥٥١) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢١٩ ، ٢٢٠) ، وإسناده حسن .
(٥) ط : (قالت ما) .
(٦) في المسند : (عائشة أو صفية) .
(٧) ط : (نقرة) .
(٨) ط : (قلت) .
(٩) تحوسك فتنة أي تخالطك وتحثّك على ركوبها (النهاية : حوس) .

اللهُ المنافقين . قالت : ثم جاء أبو بكر فرفعتُ الحجاب ، فنظر إليه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات رسولُ الله ﷺ . ثم أتاه من قِبل رَأْسِه فحدَر فاه فَقَبَّل جَبْهَتَهُ ثم قال : وانبيَّاه . ثم رفع رأسَه فحدرَ فاه ، وقبَّل جَبْهَته ، ثم قال : واصَفيّاه ، ثم رفعَ رأسَه وحدَر فاه وقَبَّلَ جَبْهَته ، وقال : واخَليلاه ، مات رسولُ الله ﷺ وخرج إلى المسجد ، وعمر يخطبُ الناسَ ، ويتكلَّم ويقول : إنّ رسولَ الله لا يموتُ حتى يُفْنيَ اللهُ المنافقين . فتكلَّم أبو بكرٍ فَحَمِدَ الله وأثْنى عَلَيْه ، ثم قال إن الله يقول : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] حتى فرغ من الآية . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] حتى فرغ من الآية ، ثم قال : فَمَنْ كانَ يَعْبَدُ الله فإنَّ اللهَ حَيٌّ[١] ، ومَنْ كانَ يَعْبُدُ محمداً فإنَّ مُحَمَّداً قد مات . فقال عمر : أو أنّها في كتاب الله ، ما شعرتُ أنَّها في كتاب الله . ثم قال عمر : يا أيها الناس ، هذا أبو بكر ، وهو ذو شَيْبَة[٢] المسلمين ، فبايِعوه ، فبايَعوه . وقد رواه[٣] أبو داود[٤] والترمذي في « الشمائل »[٥] من حديث مَرْحومِ بن عبد العزيز العَطّار ، عن أبي عِمْرانَ الجَوْني به ببعضه .

وقال الحافظ البيهقي[٦] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن مِلْحان ، ثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث ، عن عُقَيْل ، عن ابن شهاب ، أخبرني أبو سلمة بن[٧] عبد الرحمن أنّ عائشة أخبرته : أنَّ أبا بكرٍ أقبل على فَرَسٍ من مَسْكَنه بالسُّنْح[٨] ، حتى نزل ، فدخل المسجدَ ، فلم يكلِّم النّاس حتى دخل على عائشة ، فيمَّم رسول الله ﷺ وهو مُسَجًى[٩] ببردِ حِبَرَةٍ ، فكشف عن وجهه ، ثم أكبَّ عليه فقبَّله ، ثم بكى . ثم قال : بأبي أنتَ وأُمّي يا رسولَ الله ، والله لا يَجْمَعُ اللهُ عليكَ مَوتَتَيْنِ أبداً ، أما الموتةُ التي كُتِبَتْ عليكَ فَقَدْ مُتَّها .

---

(١) بعده في ط : (لا يموت) .
(٢) ط : (سبية) تحريف .
(٣) ط : (وقد روى) .
(٤) أبو داود (٢١٣٧) ، وهو حديث صحيح .
(٥) شمائل الترمذي (٣٧٤) .
(٦) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢١٥) .
(٧) ط : (عن) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٧) .
(٨) السُّنح : بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وقد يضمّ ثانيه ، وهي إحدى محال المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي في طرف من أطراف المدينة ، وهي منازل الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة وبينها وبين منزل النبي ﷺ ميل (معجم البلدان : سنح) .
(٩) في الدلائل : (معشى عليه) .

قال الزهري[١] : وحدّثني أبو سلمة ، عن ابن عباس : أن أبا بكرٍ خرجَ ، وعمرُ[٢] يُكلِّم الناس . فقال : اجلس يا عمر ! فأبى عمر أن يجلس . فقال : اجْلِسْ يا عُمَر ! فأبى عمرُ أنْ يَجْلِسَ . فتشهَّد أبو بكر ، فأقبل الناسُ إليه . فقال : أما بعد ، فمَنْ كانَ منكم يَعْبُدُ محمداً فإنّ محمداً[٣] قد مات ، ومن كان يَعْبُدُ اللهَ فإنّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٤] قال : فوالله لكأنّ الناس لم يعلموا أنّ اللهَ أنزلَ هذه الآية ، حتّى تلاها أبو بكر ، فتلقّاها منه الناسُ كلُّهم ، فما سُمِعَ بَشَرٌ من النّاس إلا يَتْلوها .

قال الزهري[٤] : وأخبرني سعيد بن المُسَيّب أن عمر قال : والله ، ما هو إلا أن سَمِعْتُ أبا بكر تلاها ، فعرَفْتُ أنه الحَقُّ ، فَعَقِرْتُ[٥] حتى ما تُقِلُّني رِجْلاي ، وحتى هَوَيْتُ إلى الأرض ، وَعَرَفْتُ حينَ سَمِعْتُهُ تلاها أنّ رسولَ الله ﷺ قد مات . ورواه البخاري[٦] عن يحيى بن بُكَيْر[٧] به .

وروى الحافظ البيهقي[٨] ، من طريق ابن لَهيعة ، ثنا أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير ، في ذكر وفاة رسول الله ﷺ . قال : وقام عُمَر بن الخطّاب يخطُبُ الناس ، ويَتَوَعَّدُ مَنْ قال مات بالقتل والقطع ، ويقول : إنّ رسولَ الله ﷺ في غَشْيتِه[٩] لو قد قام قَتَلَ وقطع . وعمرو بن قيس بن زائدة بن الأصمّ بن أمِّ مَكْتوم في مُؤَخَّرِ المسجد يقرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] الآية والنّاسُ في المسجد يَبْكون ، ويموجون لا يَسْمَعون ، فخرَجَ عباسُ بن عَبْدِ المَطَّلب على الناس . فقال : يا أيُّها النّاسُ ، هل عند أحد منكم من عهد من رسول الله ﷺ في وفاته فليحدثنا . قالوا : لا ! قال : هل عندكَ يا عُمرُ من علمٍ ؟ قال : لا ، فقال العباس : أشْهَدُ[١٠] أيُّها الناسُ ، أنَّ أحداً لا يَشْهدُ على رسول الله ﷺ بعهدٍ عهده إليه في وفاته ، والله الذي لا إله إلا هو ، لقد ذاقَ رسولُ الله ﷺ الموتَ . قال : وأقبلَ أبو بكر ، رضي الله عنه ، من السُّنح على دابّته حتى نزلَ ببابِ المَسْجد ، وأقْبل مَكْروباً حزيناً ، فاستأذنَ

---

(١) دلائل النبوة (٧/ ٢١٥ ـ ٢١٦) .
(٢) ط : (وهو) .
(٣) عبارة (فإن محمداً) ليست في ط .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢١٦) .
(٥) العَقَر ـ بفتحتين ـ : أن تُسلمَ الرجلَ قوائمُه من الخوف . وقيل : هو أن يفجأه الروعُ ، فيدهش ولا يستطيع أن يتقدَّم أو يتأخر (النهاية : عقر) .
(٦) البخاري (٤٤٥٢ ـ ٤٤٥٤) .
(٧) ليس اللفظ في ط .
(٨) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢١٧ ـ ٢١٩) .
(٩) ط : (غشية) .
(١٠) ط : (اشهدوا) .

في بيتِ ابنتِه عائشة ، فأذِنَت له فدخَل ، ورسول الله ﷺ قد تُوفّي على الفراش والنِّسوة حوله ، فخَمَّرْنَ وُجوهَهُنَّ ، واسْتَتَرْنَ من أبي بكرٍ إلا ما كان من عائشة ، فكشفَ عن رسول الله ﷺ ، فجَثى عليه يُقبِّله ، ويبكي ويقولُ : ليس ما يقولُه ابنُ الخطاب شيئاً ، تُوفِّي رسولُ الله ﷺ والذي نَفْسي بيده ، رحمة الله عليك يا رسول الله ، ما أطيَبَكَ حيّاً وميّتاً . ثم غَشّاه بالثوب ، ثم خرجَ سَريعاً إلى المسجد يَتخَطّى رِقابَ النّاس ، حتّى أتى المنبرَ ، وجلَسَ عمرُ حينَ رأى أبا بكرٍ مُقْبلاً إليه ، وقام أبو بكر إلى جانب المنبر ، ونادى الناسَ فجلسوا وأنْصَتوا ، فَتَشهَّد أبو بكر بما علمه من التَّشهُّد ، وقال : إن الله عزَّ وجلَّ نَعَى نبيَّه إلى نفسه ، وهو حَيّ بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم ، وهو الموتُ حتى لا يَبْقى منكم أحدٌ إلا الله عزَّ وجلَّ . قال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] الآية فقال عمر : هذه الآية في القرآن ؟ والله ما علمتُ أنَّ هذه الآية أُنزلت قبل اليوم . وقد قال الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] وقال الله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨] وقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦ ـ ٢٧] وقال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] وقال : إن الله عمَّر محمداً ﷺ وأبقاه حتى أقام دين الله ، وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله ، وجاهد في سبيل الله ، ثم توفاه الله على ذلك ، وقد ترككم على الطريقة ، فلن يَهْلِكَ هالكٌ إلا من بعد البيِّنة والشفاء ، فمَنْ كانَ اللهُ ربَّه فإنّ الله حيٌّ لا يموتُ ، ومنْ كانَ يَعْبُدُ محمداً ، ويُنَزّله إلهاً فقد هَلَكَ إلهه ، فاتقُوا الله أيّها الناس ، واعْتَصموا بدينكم ، وتوكّلوا على ربكم ، فإن دينَ اللهِ قائمٌ ، وإنَّ كلمةَ اللهِ تامةٌ ، وإن اللهَ ناصرٌ منْ نَصَرَه ، ومعزٌّ دينَه ، وإنَّ كتاب الله بين أظْهُرنا ، وهو النورُ والشِّفاءُ ، وبه هَدَى الله محمداً ﷺ ، وفيه حَلالُ اللهِ وحرامُه ، واللهِ لا نُبالي منْ أجْلَبَ علينا من خَلْق الله ، إنّ سُيوف اللهِ لَمَسْلولةٌ ما وَضَعْناها بعدُ ، ولنُجاهِدَنّ منْ خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ ، فلا يُبْقِينَّ[1] أحدٌ إلا على نَفْسِهِ . ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله ﷺ . فذكر الحديثَ في غُسْلِه وتَكْفينه والصَّلاةِ عليه ودفنه .

قلتُ : كما سنذكُرُه مُفَصَّلاً بدلائله وشواهده ، إن شاء الله تعالى .

وذكر الواقديُّ عن شُيوخه . قالوا : ولَمّا شُكَّ في موتِ النبيّ ﷺ ـ فقال بعضهم : مات . وقال بعضهم : لم يمت ـ، وَضَعَتْ أسماءُ بنتُ عُمَيْس يَدَها بين كَتفي رسول الله ﷺ . (فقالت : قد توفي رسول الله ﷺ)[2] وقد رفع الخاتمُ من بين كَتِفيْه . فكان هذا الذي قد عُرِفَ به موته . هكذا[3] أوردَهُ

---

(١) ط : (يبغين) .
(٢) ليس ما بين القوسين في أ .
(٣) ط : (وهكذا) .

الحافظُ البَيْهقيّ في كتابه « دلائل النبوة »(١) من طريق الواقدي ، وهو ضعيف ، وشيوخه لم يُسَمَّوْا(٢) ثم هو منقطع بكل حال ، ومخالفٌ لما صحَّ ، وفيه غرابةٌ شديدةٌ ، وهو رفع الخاتم . فالله أعلم بالصواب . وقد ذكر الواقديّ وغيرُه في الوفاة أخباراً كثيرة فيها نكارات وغرابة شديدة أضْرَبْنا عن أكثرها صَفْحاً ؛ لضَعْفِ أسانيدها ، ونكارةِ متونها ، ولا سيّما ما يوردُهُ كثيرٌ من القُصّاصِ المُتأخِّرين ، وغيرهم ، فكثيرٌ منه موضوع لا محالة . وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المرويّة في الكتب المشهورة غنيةٌ عن الأكاذيب وما لا يعرف سندة ، والله أعلم .

فصل

في ذِكرِ أُمورٍ مهمةٍ وَقَعَتْ بعد وفاتِه ﷺ وقبل دَفْنِه عليه الصلاة والسلام

ومن أعظمها وأجلها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله بَيْعَةُ أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام ، لمّا ماتَ كان الصدّيقُ ، رضي الله عنه ، قد صلّى بالمُسلمين صلاةَ الصُّبْحِ ، وكان إذ ذاكَ قد أفاقَ رسولُ الله ﷺ ، إفاقةً من غَمْرةِ ما كان فيه من الوَجَعِ ، وكشَفَ سِتْرَ الحُجْرَةِ ، ونظر إلى المسلمين ، وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر ، فأَعْجَبه ذلك وتَبَسَّم ، صلوات الله وسلامه عليه ، حتَّى هَمَّ المسلمون أن يَتْرُكوا ما هم فيه من الصلاةِ ، لفرحهم به ، وحتّى أراد أبو بكر أن يتأخّر ، ليصِلَ الصفَّ ، فأشار إليهم أن يَمْكُثوا كما هم ، وأرْخَى السِّتارة ، وكان آخرَ العهدِ به ، عليه الصلاة والسلام ، فلما انصرفَ أبو بكرٍ ، رضي الله عنه ، من الصلاةِ دَخَلَ عليه ، وقال لعائشة : ما أرى رسولَ الله ﷺ إلا قد أقْلَع عنه الوجعُ ، وهذا يومُ بنتِ خارجة ـ يعني إحدى زوجتيه ـ وكانت ساكنةً بالسُّنْحِ شَرْقيَّ المدينةِ ، فركبَ على فرسٍ له وذَهَبَ إلى منزله ، وتُوُفِّي رسولُ الله ﷺ . حين اشتدَّ الضُّحَى من ذلك اليوم . وقيل : عندَ زوالِ الشمسِ . والله أعلم .

فلمّا ماتَ واختلفَ الصحابةُ فيما بينهم ، فمِنْ قائلٍ يقول : مات رسول الله ﷺ ومن قائلٍ : لم يَمُتْ . فذهب سالمُ بن عُبَيْد وراءَ الصّدّيقِ إلى السُّنْحِ ، فأعْلَمه بموتِ رسولِ الله ﷺ ، فجاءَ الصِّدّيقُ من منزله حينَ بَلَغَه الخبر ، فدخل على رسول الله ﷺ منزلَه ، وكَشَفَ الغِطاءَ عن وجهه وقبَّله ، وتَحَقَّق أنه قد ماتَ ، خرجَ إلى الناس فَخَطَبَهُمْ إلى جانب المنبر ، وبيَّن لهم وفاةَ رسولِ الله ﷺ كما قَدَّمنا ، وأزاح الجدالَ وأزال(٣) الإشكال ورجع الناسُ كلُّهم إليه ، وبايعَه في المسجد جماعةٌ من الصَّحابة ، ووقعتْ شُبْهَةٌ لبعضِ الأنصارِ ، وقام في أذهان بعضِهم جوازُ اسْتِخْلافِ خليفةٍ من الأنصارِ ، وتوسَّطَ بعضُهم بين أن يكونَ أميرٌ

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢١٩ .
(٢) ط : (لم يسمون) خطأ .
(٣) ط : (وأزاح الجدل ، أو زال) .

من المهاجرين وأميرٌ من الأنصار ، حتى بيَّن لهم الصِّدِّيق أن الخِلافَة لا تكونُ إلا في قريشٍ ، فرجعوا إليه ، وأجمعوا عليه ، كما سَنُبيِّنُه ونُنبِّهُ عليه .

قِصّة سقيفة بني ساعِدَة

قال الإمام أحمد[١] : ثنا إسحاق بن عيسى الطَّبّاع ، ثنا مالكُ بن أنس ، حدّثني ابن شهاب ، عن عُبَيْد الله بن (عبد الله بن)[٢] عُتْبَة بن مَسْعودٍ ، أنَّ ابنَ عبّاسٍ أخبره ، أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى رحله ـ قال ابنُ عباسٍ : وكنتُ أُقْرِئُ عَبْدَ الرّحمن بن عوف فوجدني وأنا أَنْتَظِرُهُ ـ وذلك بمنًى في آخر حجةٍ حجَّها عمرُ بن الخطاب ، فقال عبد الرحمن بن عوف : إنّ رَجُلاً أتى عمرَ بن الخَطّاب فقال : إنّ فلاناً يقول : لوْ قَدْ ماتَ عُمَر بايعتُ فُلاناً . فقال عمر : إنّي قائمٌ العَشِيَّةَ ، إن شاء الله ، في الناس ، فمُحَذِّرُهم هؤلاء الرَّهْط الذين يُريدون أن يَغْصِبوهُمْ أمْرَهم . قال عبد الرحمن : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، لا تَفْعلْ فإنّ الموسمَ يَجْمَعُ رعاعَ النّاسِ وَغَوْغاءهم ، وإنَّهم الذين يَغْلِبون على مَجْلِسِك إذا قمتَ في الناس ، فأَخْشَى أن تقول مَقالةً يَطيرُ بها أولئك فلا يَعوها ، ولا يَضَعوها مواضِعَها ، ولكن حتى تَقْدَم المدينةَ ، فإنَّها دارُ الهجرةِ والسُّنَّةِ ، وتَخْلُصَ بعلماءِ النّاسِ وأشرْافِهِم فتقول ما قلت مُتَمَكِّناً ، فيَعُون مَقالتَك ويَضَعونَها[٣] مواضِعَها . قال عمر : لئن قَدِمْتُ المدينةَ صالحاً[٤] لأكلِّمنَّ بها الناسَ في أول مقامٍ أقومه . فلما قَدِمنا المدينةَ في عَقِب ذي الحجَّة ، وكان يومُ الجمعةِ عَجَّلْتُ الرَّواحَ صَكَّةَ الأعمى ـ قلت : لمالكٍ وما صَكَّةُ الأعمى[٥] ؟ قال : إنّه لا يُبالي أيَّ ساعةٍ خرج ، لا يعرفُ الحَرَّ والبَرْدَ . أو[٦] نحو هذا ـ فوجدت سعيدَ بن زيدٍ عندَ رُكْنِ المنبر الأيمن قد سَبَقني ، فجلستُ حِذاءَه تحُكُّ ركبتي ركبتَه ، فلم أَنْشَبْ أن طلَعَ عمر : فلما رأيتُهُ قلتُ : ليَقولَنَّ العشيَّةَ على هذا المنبر مَقالةً ما قالها عليه أحدٌ قبلَهُ . قال : فأنكَرَ سعيدُ بنُ زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقولَ ما لَمْ يَقُلْ أحدٌ ؟ فجلسَ عُمَرُ على المنبر ، فلما سَكَتَ

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٥٥ ـ ٥٦) ، وإسناده صحيح .

(٢) ليس ما بين القوسين في ط .

(٣) أ ، ط : (ويضعوها) .

(٤) في المسند (سالماً صالحاً) .

(٥) في معجم الأمثال العربية :

ـ أتانا صَكة عُمَيّ ـ مجمع الأمثال (٢/ ١٨٢) .

ـ جاء صكة عُمَيّ ـ جمهرة الأمثال (١/ ٢٩٧ ، ٣١٨) .

ـ لقيته صكة عُمَيّ ـ مجمع الأمثال (٢/ ١٨٢) ، وأمثال القاسم (٢٣٧٨) شرحه فصل المقال (٥٠٨) ، والمستقصى (٢/ ٢٨٧) ، واللسان (صكك) . وقال ابن الأثير : يريد في الهاجرة (انظر النهاية : صكك) .

(٦) ليست (أو) في أ .

المُؤَذِّنُ قام فأثْنَى على اللهِ بما هُوَ أَهْلُه ، ثم قال : أما بعد أَيُّها الناسُ ، فإنّي قائلٌ مَقالةً قد قُدِّر لي أنْ أقولَها ، لا أدْري لعلَّها بَيْنَ يَدَيْ أجَلي ، فمَنْ وَعاها وَعَقَلَها فليُحَدِّثْ بها حيث انْتَهَتْ به راحلتُه ، ومنْ لم يَعِها فلا أُحِلُّ له أن يَكذِبَ عليَّ ، إنّ اللهَ بَعَثَ محمداً ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكِتاب ، فكان فيما أنزل عليه آيةُ الرَّجْم ، فقرأناها ووعَيْناها وعَقَلْناها ، ورجَمَ رسولُ الله ﷺ ورَجَمْنا بعدَه فأخْشَى إن طال بالنّاس زَمان أن يقول قائل لا نَجد آيةَ الرَّجْم في كتاب الله ، فيضلُّوا بتركِ فَريضةٍ قد أنزلها الله عزَّ وجلَّ . فالرجمُ في كتاب الله حقٌّ على منْ زَنَى إذا أحصنَ من الرّجال والنساء ؛ إذا قامَتِ البيِّنَةُ أو كان الحَبَلُ أو الاعتراف ، ألا وإنّا قد كنا نقرأ : لا تَرْغَبوا عن آبائكم ، فإنَّ كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم ، ألا وإنّ رسولَ الله ﷺ قال لا تُطروني كما أُطْريَ عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ الله ورسولُه . وقد بلغني أنّ قائِلاً منكم يقولُ لو قد مات عمرُ بايعتُ فلاناً فلا يغترَّنَّ امرؤٌ أن يقولَ : إنَّ بيعةَ أبي بكر كانَتْ فَلْتَةً[١] ألا وإنها كانَتْ كذلك ، ألا إن الله وَقَى شَرَّها ، وليسَ فيكم اليومَ منْ تُقْطَعُ إليه الأعناقُ مثلَ أبي بكرٍ ، وإنّه كانَ من خَبَرنا ـ حين تُوفِّي رسول الله ﷺ ـ أنّ عَلياً والزبير ومنْ كان معهما تَخلَّفوا في بَيْت فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ وَتَخلَّفَ عنها الأنصار بأجمعها في سَقيفة بني ساعدة ، واجتمعَ المُهاجرونَ إلى أبي بكر ، فقلت له : يا أبا بكرٍ ، انطلقْ بنا إلى إخواننا من الأنصار . فانطلقنا نؤُمُّهم حتى لقينا رجلان صالحان ، فذكرا لنا الذي صنعَ القوم فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلت : نريدُ إخوانَنا هؤلاء[٢] من الأنصار . فقالا : لا عليكم أن لا تَقْرَبوهم ، واقْضوا أمْرَكُمْ يا معشر المُهاجرين ، فقلت : والله لنَأْتِيَنَّهُمْ ، فانْطَلَقنا حتى جِئْناهم في سَقيفةِ بني ساعدة ، فإذا هم مُجْتمعون ، وإذا بينَ ظَهرانيهم رجلٌ مُزَمَّلٌ ، فقلت : منْ هذا ؟ قالوا : سعدُ بن عُبادة . فقلت : ما له ؟ قالوا : وجعٌ . فلما جَلَسْنا قام خَطيبُهم ، فأثْنى على الله بما هُوَ أهْلُه ، وقال : أما بَعْدُ فنحنُ أنصارُ الله وكتيبةُ الإسلام ، وأنتم يا مَعْشَرَ المُهاجرين رَهْطٌ منّا[٣] وقد دَفَّتْ دافَّة[٤] منكم يُريدون[٥] أن يختزلونا[٦] من أصلنا ويحضُنونا[٧] من الأمر . فلما سكت أردتُ أن أتكلّم ، وكنتُ قد زَوَّرْتُ[٨] مقالةً أعْجَبَتْني ، أردتُ أن أقولها بينَ يَدَيْ أبي بكر وكنتُ أُداري منه بعضَ الحدِّ[٩] ،

---

(١) بعدها في ط : (فتمت) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) ط : (نبينا) .
(٤) الدّافة : القوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد (النهاية : دفف) .
(٥) ط : (تريدون) وليس اللفظ في أ .
(٦) ط : (تختزلونا) . ويختزلونا من أصلنا ، أي : يقتطعونا ويذهبوا بنا منفردين . (النهاية : خزل) .
(٧) ط : (وتحصنونا) ويحضنونا أي يخرجونا (النهاية : حضن) .
(٨) ط : (رويت) . وزَوَّرتُ هيَّأتُ وأصلحت (النهاية : زور) .
(٩) الحَدُّ والحدَّةُ سواء من الغضب ، يقال : حدَّ يحدُّ حداً وحدّة إذا غضب (النهاية : حدد) .

وهو كان أحْلمَ[(١)] مني وأوْقَرَ ، واللهِ ما تركَ من كَلمةٍ أعْجَبَتني في تَزْويري إلا قالها في بديهته وأفضل[(٢)] حتى سكت . فقال : أمّا بعدُ ، فما ذكَرْتُم من خير فأنتم أهله ، وما تَعْرف العربُ هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قُريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رَضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين ، أيهما شئتم . وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح ، فلم أكره ممّا قال غيرها ، وكان واللهِ أن أُقَدَّم فتُضرب عُنْقي لا يُقرِّبني ذلك إلى إثم أحَبَّ إليّ أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر ، إلا أن تَغَيَّر نفسي عند الموت ، فقال قائلٌ من الأنصار : أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك[(٣)] وعُذَيْقُها المُرَجَّب ، منا أمير ، ومنكم أمير ، يا معشر قريش ، فقلت لمالك : ما يَعْني أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكِ وعَذَيْقُها المُرَجَّب[(٤)] قال : كأنه يقول : أنا داهيتُها ـ قال : فكَثُرَ اللَّغَطُ وارتَفَعَت الأصْواتُ حتى خشينا الاختلاف . فقلت : ابسُطْ يَدَكَ يا أبا بكرٍ . فبَسَط يَدَه ، فبايَعْته وبايَعَه المُهاجِرون ، ثم بايَعَه الأنْصارُ ، ونَزَوْنا على سَعْدِ بن عبادة ، فقال قائلٌ منهم : قَتَلْتُم سَعْداً . فقلت : قَتَلَ اللهُ سَعْداً . قال عمر : أما والله ما وَجَدْنا فيما حضرنا أمراً هو أوفقَ من مُبايعة أبي بكر ، خَشينا إنْ فارَقنا القومَ ولم تَكُنْ بيعةٌ أن يُحْدِثوا بَعْدَنا بيعةً ، فإما نُبايعهم[(٥)] على ما لا نَرْضَى ، وإما أن نُخالِفَهم فيكون فساد ، فمن بايعَ أميراً عن غير مَشورة المُسلمين فلا بيعةَ له ، ولا بيعةَ للذي بايَعه تَغِرَّةَ أن يُقْتَلا . قال مالك : فأخبرني ابنُ شهاب ، عن عروة : أنّ الرجلين اللذين لَقياهما عُوَيْمُ بنُ ساعِدَة ومَعْنُ بن عدي . قال ابنُ شهاب : وأخبرني سعيدُ بن المُسَيَّب أنَّ الذي قال : أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ وعُذَيْقُها المُرَجَّب . هو الحباب بن المنذر . وقد أخْرَجَ هذا الحديث الجماعة[(٦)] في كتبهم ، من طرقٍ عن مالكٍ وغيرِه ، عن الزهري به .

وقال الإمام أحمد[(٧)] : حدَّثنا معاوية بن[(٨)] عمرو ، ثنا زائدة ، ثنا عاصم (ح) وحدّثني حسين بن علي ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : لما قُبض رسولُ الله ﷺ .

---

(١) ط : (أحكم) .

(٢) ط : (بلغطته وقصر) .

(٣) جذيل تصغير جِذْل ، وهو العود الذي يُنْصبُ للإبل الجربى لتحتكّ به ، وهو تصغير تعظيم ، أي : أنا ممن يُسْتَشفى برأيه ، كما تستشفي الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود . (النهاية : جذل) .

(٤) الرُّجْبةُ : أن تُعْمَدَ النخلة الكريمة ببناء من حجارة أو خشب إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع ، ورَجَّبْتُها فهي مُرَجَّبة . والعُذَيْق : تصغير العَذْق ـ بالفتح ـ وهي النخلة تصغير تعظيم (النهاية : رجب) .

(٥) أ : (نتابعهم) .

(٦) البخاري (٦٨٣٠ ، ٢٤٦٢ ، ٣٤٤٥ ، ٣٩٢٨ ، ٤٠٢١ ، ٦٨٢٩ ، ٧٣٢٣) . ومسلم (١٦٩١) (١٥) وابن ماجه (٢٥٥٣) أبو داود (٤٤١٨) والترمذي (١٤٣٢) ، والنسائي في السنن الكبرى (٧١٥٦ ـ ٧١٦٠) .

(٧) في المسند (١/ ٢١) من حديث معاوية بن عمرو ، وحسين بن علي و(١/ ٤٠٥) من حديث معاوية بن عمرو و(١/ ٣٩٦) من حديث حسين بن علي ، وهو حديث صحيح .

(٨) ط : (عن) تحريف ، وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٤) .

قالت الأنصار : مِنّا أميرٌ ومِنْكُم أميرٌ ، فأتاهم عُمَر فقال : يا معشرَ الأنْصار ألستم تعلمون أن رسولَ الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يَؤُمّ الناسَ ؟ فأيُّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالت الأنصار : نعوذُ بالله أن نتقدم أبا بكر. ورواه النَّسائي[(١)] ، عن إسحاق بن راهويه . وهنَّاد بن السَّريّ ، عن حسين بن علي الجُعْفي ، عن زائدة به . ورواه علي بن المديني ، عن حسين بن علي ، وقال : صحيح ، لا أحفظه إلا من حديث زائدة، عن عاصم . وقد رواه النسائي[(٢)] أيضاً من حديث سَلَمَة بن نُبَيْط عن نُعَيْم بن أبي هند ، عن نُبَيْط بن شَريط ، عن سالم بن عُبيد ، عن عمر مثله ، وقد رُوي عن عمر بن الخطاب نحوه من طريقٍ آخر .

وجاء من طريقِ مُحَمَّد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن الزُّهْري ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن عمر ، أنّه قال : قلت : يا مَعْشَرَ المسلمين ، إن أوْلى النّاسِ بأمر نبيِّ الله ثانِيَ اثْنَيْن إذ هُما في الغارِ أبو[(٣)] بكر السّبّاقُ المُبين[(٤)] ، ثم أخذتُ بيده ، وبَدَرَني رجلٌ من الأنصار ، فضربَ على يده قبلَ أن أضربَ على يده ، ثم ضَرَبْتُ على يده وَتَتَابع[(٥)] الناس .

وقد روى محمد بن سعد[(٦)] ، عن عامرِ بن الفضل ، عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد[(٧)] عن القاسم بن محمد . . . فذكر نَحْواً من هذه القصة ، وسمَّى هذا الرجل الذي بايع الصدّيقَ قبلَ عمَرَ بن الخطاب ، فقال : هو بَشير بن سَعْدٍ ، والد النعمان بن بَشير .

ذِكْرُ
اعْتِرافِ سَعْدِ بنِ عُبادَةَ بصِحَّةِ ما قالَهُ الصِّدِّيقُ يَوْمَ السَّقيفَةِ

قال الإمام أحمد[(٨)] : حدَّثنا عفان ، ثنا أبو عوانة ، عن داود بن عبد الله الأوْدي ، عن حُمَيْد بن

---

(١) النسائي (٧٧٦) ، وإسناده حسن .
(٢) السنن الكبرى للنسائي (٨١٠٩ ، ١١٢١٩) .
(٣) أ ، ط : (وأبو) والواو زائدة .
(٤) ط : (المسنّ) .
(٥) ط : (وتبايع) .
(٦) الطبقات الكبرى (٣/ ١٨٢) .
(٧) ط : (سعد) تحريف . وهو يحيى بن سعد بن قيس بن عمرو ، وقيل : يحيى بن سعيد بن قيس بن قهد عالم المدينة في زمانه أبو سعيد الأنصاري الخزرجي البخاري المدني القاضي . سمع من القاسم بن محمد ، وروى عنه حماد بن زيد وغيره . توفي سنة ثلاث وأربعين ومئة (سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٦٨ ـ ٤٨١) .
(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ٥) ، وإسناده ضعيف لانقطاعه ، فإن حميد بن عبد الرحمن وهو الحميري لم يدرك أبا بكر ولا عمر . وقوله : « توفي رسول الله . . . » له شاهد من حديث عائشة عند البخاري رقم (١٢٤١) و(٣٦٦٧) . وقوله : « لو سلك الناس وادياً . . » له شاهد من حديث أنس عند البخاري (٣٧٧٨) وآخر من حديث أبي هريرة عند=

عبد الرحمن ، قال : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في طائفة[١] من المدينة . قال : فجاء فكشف عن وجهه فَقَبَّلَهُ ، وقال : فِدىً لَكَ[٢] أبي وأمي ما[٣] أطيبك حَيّاً ومَيِّتاً ، مات محمدٌ وربِّ الكَعْبة . . . فذكر الحديث . (قال : فانطلقَ أبو بكر وعمر يتقاودان[٤] حتى أتَوْهم ، فتكلَّم أبو بكر ، فلم يترك شيئاً أُنْزِلَ في الأنصار ، ولا ذكره رسول الله من شأنِهم إلا ذكره)[٥] وقال : لقد علمتم أنَّ رسول الله ﷺ قال : لو سلك الناسُ وادياً ، وسلكت الأنصارُ وادياً ، سلَكْتُ واديَ الأنْصار . ولقد علمْتَ يا سعدُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : ـ وأنتَ قاعدٌ ـ قريشٌ ولاةُ هذا الأمر ، فبرُّ الناس تَبَعٌ لبرِّهم ، وفاجرُهم تَبَعٌ لفاجرهم . فقال له سعد : صدقتَ ، نحن الوزراءُ وأنتم الأمراءُ .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا عليّ بن عيّاش[٧] ، ثنا الوليد بن مسلم ، أخبرني يزيد بن سعيد بن ذي عَصْوان العَبْسي ، عن عبد الملك بن عُمَيْر[٨] اللَّخْمي ، عن رافعٍ الطائي رفيق أبي بكر الصّدّيق في غزوة ذات السلاسل ، قال : وسألتُه عمّا قيل في بيعتهم ، فقال : وهو يُحَدِّثه عما تَقاوَلَت به الأنصار ، وما كلَّمَهم به ، وما كلَّم به عمرُ بن الخطاب الأنصار ، وما ذكَّرهم به من إمامتي إياهم بأمرِ رسولِ الله ﷺ في مَرَضِهِ ، فبايعوني لذلك وقبلتُها منهم ، وتخوَّفتُ أن تكونَ فتنةٌ بعدَها رِدَّة . وهذا إسنادٌ جيدٌ قويٌّ . ومعنى هذا أنه رضي الله عنه، إنما قبل الإمامةَ، تَخَوفاً أن تقع[٩] فتنةٌ أرْبَى منْ تَرْكِهِ قبولها رضي الله عنه، وأرْضاه .

قلت : كان هذا[١٠] في بقيّةِ يوم الإثنين فلما كان الغدُ صَبيحةَ يومِ الثلاثاء اجْتَمَعَ الناسُ في المسجد فتُمِّمَت البيعةُ من المهاجرين والأنْصار قاطبةً ، وكان ذلك قبل تَجْهيز رسول الله ﷺ .

قال البخاري[١١] : أنبأنا إبراهيم بن موسى ، ثنا هشام ، عن مَعْمر ، عن الزُّهري ، أخبرني أنس بن مالك ، أنه سمعَ خطبةَ عُمَرَ الأخيرةَ حينَ جلس على المنبر ، وذلك الغدُ من يوم توفِّي رسول الله ﷺ ،

= البخاري (٣٧٧٩) وقالت من حديث أبي بن كعب عند الترمذي رقم (٣٨٩٦) وقوله : « قريش ولاة هذا الأمر . . » له شاهد من حديث أبي هريرة وعند البخاري (٣٤٩٥) ومسلم رقم (١٨١٨) وغيرهم ، فهو حديث صحيح لغيره .

(١) ط : (صائفة) .

(٢) ط : (فداك) .

(٣) ليس اللفظ في ط .

(٤) ط : (يتعادان) تحريف .

(٥) ليس ما بين القوسين في أ .

(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٨) .

(٧) ط : (علي بن عباس) . وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٨) .

(٨) ط : (نضير) وانظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٣٨ .

(٩) ط : (يقع) .

(١٠) أ : (هذا كان بقية) .

(١١) البخاري (٧٢١٩) .

وأبو بكر صامتٌ لا يَتكلَّمُ ، قال : كنت أرجو أن يعيشَ رسولُ الله ﷺ حتى يَدْبُرَنا ـ يريد بذلك[١] أن يكون آخرهم ـ فإنْ يَكُ محمدٌ قد مات فإنَّ الله تعالى قد جعل بينَ أظْهُرِكُم نوراً تهتَدُون به ، هدى الله محمداً ﷺ وإن أبا بكر صاحبُ رسول الله ﷺ وثاني اثنين ، وإنه أولى المسلمين[٢] بأموركم ، فقوموا فبايعوه ، وكانت طائفة قد بايَعوه قبل ذلك في سَقيفة بني ساعدة ، وكانت بيعة العامة على المِنْبَرِ . قال الزهريّ : عن أنس بن مالك : سمعتُ عمر يقول يومئذ لأبي بكر : اصْعَدِ المِنْبَرَ! فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه عامة الناس .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني الزُّهْري ، حدّثني أنس بن مالك ، قال : لما بُويعَ أبو بكر في السَّقيفةِ ، وكان الغدُ ، جلسَ أبو بكرٍ على المنبر ، وقام عمر فتكلَّم قبلَ أبي بكر ، فَحَمِدَ اللهَ ، وأثْنَى عليه بما هو أهله ، ثمَّ قال : أيُّها النّاسُ ، إني قد كنتُ قلتُ لكم بالأمس مقالةً ما كانت مما وجدتُها في كتاب الله ، ولا كانت عهداً عَهِدَهُ[٤] إليَّ رسولُ الله ﷺ ولكني كنتُ أرى أن رسولَ الله سيَدْبُرُ أمرنا ـ يقول : يكون آخرنا ـ وإنّ[٥] اللهَ قد أبْقَى فيكم كتابَهُ الذي هَدَى به[٦] رسول الله ﷺ فإن اعْتَصَمْتُم به هداكم الله ، لما كان هداه له[٧] . وإن الله قدْ جَمَعَ أمْرَكُم على خيركم ، صاحبِ رسولِ الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فَبايعُوه ، فبايع الناسُ أبا بكر بيعةَ العامةِ بعد بيعةِ السَّقيفة ، ثمَّ تكلَّم أبو بكر ، فَحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه بما هو أهلُه . ثم قال : أما بعدُ ، أيُّها النَّاسُ ، فإنّي قد وُلِّيتُ عَلَيْكم ولستُ بخَيْرِكُم ، فإن أحْسَنْتُ فأعينوني ، وإن أسأتُ فقوِّموني ، الصدقُ أمانةٌ ، والكَذِبُ خيانةٌ ، والضَّعيفُ فيكم[٨] قويٌّ عندي حتى أُريحَ عليه حقّه[٩] إن شاء الله ، والقويُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخذَ منه الحقّ ، إن شاء الله ، لا يَدَعُ قومٌ الجِهادَ في سبيلِ الله إلا ضَرَبَهُم اللهُ بالذُّلِّ ، ولا تَشيعُ الفاحشَةُ في قوم قط[١٠] إلاّ عَمَّهُمُ اللهُ بالبلاء ، أطيعوني ما أطَعْتُ اللهَ ورسولَه ، فإذا عَصَيْتُ اللهَ ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله . وهذا إسنادٌ صحيحٌ . فقوله : رضي الله عنه : ـ وَلِيْتُكُم ولستُ بخَيْركم ـ من باب الهَضْم والتَّواضعِ ، فإنَّهم مُجْمِعون على أنه أفْضلُهم وخَيْرُهم رضي الله عنهم .

---

(١) ط : (ذلك) .
(٢) أ : (المؤمنين) .
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٦٠ ـ ٦٦١) .
(٤) ط : (عهدها) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) أ : (الذي هو به هدى) .
(٧) ط : (هداه الله له) .
(٨) ط : (منكم) .
(٩) ط : (حتى أزيح علته إن شاء الله) وفيها تحريفان ونقص . وأرحتُ على الرجل حقّه : إذا رَدَدْتُه عليه (اللسان : روح) .
(١٠) ط : (ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا) .

وقال الحافظُ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن محمد الحافظ الإسْفراييني ، ثنا أبو علي الحسين بن عليّ الحافظ، ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وإبراهيم[١] بن أبي طالب ، قالا : ثنا بندار بن بشّار[٢] ، ثنا أبو هشام المَخْزومي، ثنا وُهَيْب، ثنا داود بن أبي هند، ثنا أبو نَضْرة، عن أبي سعيد الخُدْري، قال: قُبضَ رسولُ الله ﷺ ، واجتمعَ الناسُ في دارِ سَعْدِ بن عُبادة ، وفيهم أبو بكر وعمر . قال: فقام خطيبُ الأنْصارِ فقال : أتعلمونَ أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ من المُهاجرين ، وخليفتُه من المهاجرين ، ونحن كنّا أنصارَ رسول اللهِ ونحنُ أنصارُ خليفتِه كما كنا أنصارَه . قال : فقام عمرُ بن الخطّاب فقال : صَدَقَ قائِلُكُم ، أما لو قُلْتُم غيرَ هذا لم نتابعكم ، وأخذَ بيد أبي بكرٍ ، وقال : هذا صاحبُكُم فبايعوه . فبايَعَهُ عُمَر، وبايَعُه المهاجرون والأنصارُ . قال : فصَعِدَ أبو بكرٍ المِنْبر فنظرَ في وجوه القوم فلم يَرَ الزُّبَيْرَ. قال : فَدَعا بالزُّبَيْر فجاء ، فقال : قلتَ : ابنُ عَمَّةِ رسولِ الله ﷺ وحوارِيُّه أردتَ أن تشُقَّ عصا المسلمين !؟ فقال : لا تَثْريبَ يا خليفَةَ رسولِ الله ﷺ ، فقام فبايعه . ثم نَظَر في وجوهِ القَوْمِ فلم يَرَ عليّاً ، فدعا بعليِّ بن أبي طالب فجاء ، فقال : قلتَ : ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ وخَتَنُه على ابنته ، أردتَ[٣] أن تشقَّ عصا المُسلمين . قال : لا تَثْريبَ يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ . فبايعه . هذا أو معناه . وقال أبو عليّ الحافظ : سمعتُ محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول : جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث. فكتبتُه له في رقعةٍ ، وقرأتُه عليه ، وقال[٤] : هذا حديثٌ يَسْوى بَدَنةً (فقلت : يَسْوى بَدَنَة)[٥] . بل يَسْوَى بِدْرة .

وقد رواه البيهقي[٦] ، عن الحاكم ، وأبي محمد بن [أبي] حامد المُقْرئ ، كلاهما عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصمّ، عن جعفر بن محمد بن شاكر ، عن عفّانَ بن مسلم ، عن وُهَيْب به . ولكن ذَكَر أنّ الصّدّيق هو القائل لخطيب الأنصار بدل عمر . وفيه : أنَّ زيدَ بن ثابتٍ أَخَذَ بيد أبي بكر ، فقال : هذا صاحبُكم فبايِعوه ثم انْطَلِقوا . فلما قَعَد أبو بكر على المنبرِ نظَر في وجوهِ القومِ فلم يَرَ عَلِيّاً ، فسألَ عنه ، فقام ناسٌ من الأنصار فأتوا به . . . فذكر نحوَ ما تقدَّم ، ثم ذكر قصةَ الزُّبير بعدَ عليٍّ ، فالله أعلم[٧] .

---

(١) ط : (وابن إبراهيم) وفيه لفظ زائد . انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٤٧) .
(٢) ط : (ميدار بن يسار) وفيه تحريفان وانظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤٤) .
(٣) ط : (لو قلتم على [غير] هذا لم نبايعكم) .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) ليس ما بين القوسين في ط .
(٦) في « الكبرى » (٨/ ١٤٣) .
(٧) بعد هذا في أ : « وقد رواه الإمام أحمد عن النضر ، عن وهيب ، مختصراً » . وهي عبارة غير صحيحة فإن الإمام أحمد لم يخرج مثل هذا في مسنده ، ولا توجد في المسند رواية للنضر عن وهيب أصلاً (بشار) .

وقد رواه علي بن عاصم عن الجُرَيْري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخُدْري . . . فذكر نحو ما تقدم . وهذا إسنادٌ صحيحٌ محفوظٌ من حديث أبي نَضْرَة المُنْذِر بن مالك بن قِطْعَة ، عن أبي سَعيدٍ سعدِ بن مالكِ بن سِنانِ الخُدريّ ، وفيه فائدةٌ جليلةٌ ، وهي مُبايَعَةُ عليِّ بن أبي طالب ، إمّا في أول يوم ، أو في اليوم الثاني من الوفاة . وهذا حقٌّ ، فإنَّ عليَّ بن أبي طالب لم يفارق الصّدّيق في وقت من الأوقات ، ولم يَنْقَطِعْ في صلاةٍ من الصلواتِ خَلْفَه ، كما سنذكره ، وخرجَ معه إلى ذي القَصَّةِ ، لما خَرَجَ الصِّديقُ شاهراً سيفَه يريد قِتالَ أهلِ الرِّدّة ، كما سَنُبَيِّنُه قريباً ، ولكن لما حَصَلَ من فاطمة ، رضي الله عنها ، عَتْبٌ على الصِّدِّيق بسبب ما كانت متوهِّمةً من أنها تَسْتَحِقُّ ميراثَ رسول الله ﷺ ، ولم تَعْلَم بما أخبرها به الصّدّيق ، رضي الله عنه ، أنه قال : « لا نُورَثُ ما تَرَكْنا فهو صَدَقَةٌ » فَحَجَبها وغيرَها من أزْواجِهِ وعَمِّه عن[1] الميراث بهذا النصّ الصَّريح كما سنُبَيِّن ذلك في موضعه ، فسألَتْهُ أن ينظُرَ عليٌّ زوجها[2] في صَدَقَةِ الأرضِ التي بخَيْبَر وفَدك ، فلم يُجِبْها إلى ذلك . لأنَّه رأى أنَّ حقّاً عليه أن يقومَ في جميع ما كان يتولّاه رسولُ الله ﷺ . وهو الصادِقُ البارُّ الراشدُ التابعُ للحقِّ ، رضي الله عنه ، فحَصَلَ لها ـ وهي امرأةٌ من البشر ليست بواجبة[3] العِصْمَة ـ عَتْبٌ وتَغَضُّبٌ ، ولم تُكَلِّم الصّدِّيقَ حتى ماتت ، رضي الله عنها ، واحتاجَ عليٌّ أن يُراعيَ خاطِرَها بعضَ الشيء ، فلما ماتَتْ بعدَ ستَّةِ أَشْهُرٍ من وفاةِ أبيها ﷺ رأى عليٌّ أن يُجَدِّدَ البَيْعَةَ مع أبي بكر ، رضي الله عنه ، كما سنذكره من « الصحيحين » وغيرهما فيما بعدُ ، إن شاء الله تعالى ، مما تقدَّمَ له من البَيْعَةِ قبلَ دَفْنِ رسولِ الله ﷺ ، ويزيدُ ذلك صحةً قولُ موسى بن عقبة في « مغازيه »[4] ، عن سعد بن إبراهيم ، حدّثني أبي أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر ، وأنّ محمد بن مسلمة كَسَر سَيْفَ الزُّبير ، ثم خَطَبَ أبو بكر ، واعتذر إلى الناس ، وقال : ما كنتُ حَريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلةً ، ولا سَأَلْتُها في سرٍّ ولا عَلانيةٍ ، فقبل المُهاجرون مقالَته . وقال عليٌّ والزُّبَيْر : ما غَضِبنا إلا لأنّا أُخِّرْنا عن المَشورةِ ، وإنا نرى أنّ أبا بكر أَحَقُّ الناسِ بها ، إنّه لصاحبُ الغارِ ، وإنا لنعرفُ شَرَفَهُ وخَيْرَه[5] ، ولقد أَمَرَهُ رسولُ الله ﷺ بالصلاة[6] بالناس وهو حيٌّ . إسنادٌ جيدٌ ولله الحَمْدُ والمِنَّةُ[7] .

---

(١) ط : (وعن) والواو زائدة .

(٢) ليس اللفظ في ط .

(٣) ط : (براجيه) .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٥٢ ـ ١٥٣) .

(٥) ط : (خبره) وعند البيهقي : (كبره) .

(٦) ط : (أن يصلّي) .

(٧) ليس اللفظ في أ .

فصــل

ومن تَأَمَّلَ ما ذَكَرْناهُ ظَهَرَ له إجماعُ الصَّحابة ـ المُهاجرين منهم والأنصار ـ على تقديم أبي بكر ، وظَهَر بُرْهان قوله عليه الصلاة والسلام : « يَأْبَى اللهُ والمُؤْمنون إلا أبا بكر » . وظَهَرَ له أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَنُصَّ على الخلافةِ عَيْناً لأحدٍ من الناس ، لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفةٌ من أهل السنة ، ولا لعليٍّ كما يقولُه طائفةُ الرافِضَةِ ، ولكن أشار إشارة قويةً يفهمُها كلُّ ذي لُبٍّ وعقلٍ إلى الصّدّيق كما قدمنا و[كما] سنذكره . ولله الحمد .

كما ثبت في « الصحيحين »[(١)] من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن عمر : أن عمر بن الخطاب لما طُعِنَ قيل له : ألا تَسْتَخْلفُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : إن أَسْتَخْلِفْ فقد استَخْلَف من هو خير مني ـ يعني أبا بكر ـ وإن أترك فقد ترك من هو خيرٌ مني . يعني رسول الله ﷺ . قال ابن عمر : فعرفتُ حينَ ذكَر رسولَ الله ﷺ أنّه غير مُسْتَخْلِفٍ .

وقال سفيان الثوري[(٢)] : عن الأسود[(٣)] بن قيس ، (عن عمرو بن سفيان)[(٤)] ، قال : لما ظَهَرَ عليٌّ على الناس [يوم الجمل][(٥)] . قال : يا أيُّها النّاس إن رسول الله ﷺ لم يعهدْ إلينا في هذه الإمارة شيئاً ، حتى رَأَيْنا منَ الرَّأْيِ أن نستخلف[(٦)] أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، (ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عُمَرَ فأقام واستقام حتى مضى لسبيله)[(٧)] ـ أو قال حتى ضرب الدِّين بِجِرانِهِ[(٨)] ـ إلى آخره . وقال الإمام أحمد[(٩)] : ثنا أبو نُعيم ، ثنا شريكٌ ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، قال : خَطَبَ رَجُلٌ يومَ البصرةِ حينَ ظهرَ عليّ ، فقال عليّ : هذا الخَطيبُ الشَّحْشَحُ[(١٠)] ، سبقَ

---

(١) البخاري (٧٢١٨) و(١٨٢٣) (١١) .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٢٣) .

(٣) في ط ، أ : « عمرو بن قيس » ، خطأ ، وما أثبتناه من دلائل النبوة للبيهقي ، نعم ، روى سفيان الثوري عن عمرو بن قيس ، ولكننا لا نعرف رواية لعمرو بن قيس عن عمرو بن سفيان ، بله تفرد الأسود بن قيس بالرواية عن عمرو بن سفيان ، وبعضهم يضيف في الرواة عنه « مساور » ، كما في تهذيب الكمال وغيره (بشار) .

(٤) ليس اسم هذا الراوي في أ .

(٥) ما بين الحاصرتين من دلائل النبوة .

(٦) ط : (يستخلف) .

(٧) ليس ما بين القوسين في أ .

(٨) أي قَرَّ واستقام ، كما أنّ البعير إذا برك واستراح مدّ عُنُقه على الأرض والجراب باطن العنق (النهاية : جرن) .

(٩) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤٧) ، وهو حديث ضعيف لجهالة عمرو بن سفيان ، ولأنه لم يدرك علياً رضي الله عنه ، فضلاً عن ضعف شريك .

(١٠) الخطيب الشحشح ، أي : الماهر الماضي في كلامه (النهاية : شحح) وقد حرف اللفظ في أ، ط إلى (السجسج) .

رسولُ الله ﷺ ، وصلّى أبو بكر ، وثَلَّثَ عُمر ، ثم خَطَبَتْنا فِتْنةٌ بعدهم يَصْنَعُ الله فيها ما يشاء .

وقال الحافظ البيهقي[(١)] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد المُزَكِّي[(٢)] بمَرْوَ[(٣)] ثنا عبد الله بن رَوْح المَدائني ، ثنا شَبابةُ بن سَوّار ، ثنا شُعيبُ بن ميمونٍ ، عن حُصَيْن بن عبد الرحمن ، عن الشعبي ، عن أبي وائل ، قال : قيل لعليّ بن أبي طالب : ألا تَسْتَخْلفُ علينا ؟ فقال : ما اسْتَخْلَفَ رسولُ الله ﷺ فأَسْتَخْلِفَ ، ولكن إن يُرِدِ اللهُ بالنّاسِ خيراً فَسَيجْمَعُهم بعدي على خيرهم ، كما جَمَعَهم بعدَ نبيِّهم على خيرهم . إسنادٌ جيدٌ ولم يخرجوه . وقد قدَّمنا ما ذكره البخاري[(٤)] من حديث الزُّهْري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن ابن عباس : أنَّ عبّاساً وعَلِيّاً لما خرجا من عند رسول الله ﷺ ، فقال رجل كيفَ أصبحَ رسول الله ﷺ ؟ فقال عليّ : أصبحَ بحمدِ الله بارئاً . فقال العباس : إنَّك واللهِ بعدَ ثلاثٍ[(٥)] عبد العصا ، إني لأعرف في وجوه بني هاشم الموت ، وإني لأرى في وجهِ رسولِ الله ﷺ الموتَ ، فاذهبْ بنا إليه فنسألَه فيمن هذا الأمرُ ؟ فإنْ كانَ فينا عَرَفْناهُ ، وإن كان في غيرنا أمرناه[(٦)] فَوَصّاهُ بنا . فقال عليّ : إنّي لا أسأله ذلك ، واللهِ إن مَنَعَناها لا يُعْطيناها الناسُ بعده أبداً .

وقد رواه محمد بن إسحاق[(٧)] عن الزُّهري به . . . فذكره[(٨)] .

وقال في آخره : فتُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ حين اشتدَّ الضُّحَى من ذلك اليوم .

قلت : فهذا يكون في يوم الإثنين يوم الوفاة ، فَدَلَّ على أنّه عليه الصلاة والسلام تُوفِّي عن غير وَصيَّةٍ في الإمارة . وفي « الصحيحين »[(٩)] عن ابن عباس : إنَّ الرزية كلَّ الرَّزيّة ما[(١٠)] حالَ بينَ رسولِ الله ﷺ وبينَ أن يَكْتُبَ ذلك الكتابَ . وقد قدَّمنا أنّه عليه الصلاة والسلام ، كان طلب أن يكتُبَ لهم كتاباً لن يَضِلُّوا بعدَه ، فلما أكثروا اللَّغَطَ والاختلافَ عنده ، قال : « قوموا عنِّي ، فما أنا فيه خيرٌ ممّا تَدْعونني إليه » . وقد قدمنا أنه قال بعد ذلك : « يَأْبَى اللهُ والمُؤمنون إلا أبا بكر » .

---

(١) دلائل النبوة (٧/ ٢٢٣) .
(٢) أ ، ط : (الزكي) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) تقدم . وانظر أيضاً البخاري (٦٢٦٦) .
(٥) ط : (إنك والله عبد العصا بعد ثلاث) وتقدم الحديث عن عبد العصا .
(٦) أي سألناه ، انظر فتح الباري (١١/ ٦٠) .
(٧) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٥٤) .
(٨) بعدها في ط : (وقال فيه : فدخلا عليه في يوم قبض ﷺ فذكره) .
(٩) البخاري (١١٤ ، ٤٤٣٢ ، ٥٦٦٩ ، ٧٣٦٦) ومسلم (١٦٣٧) (٢٥) .
(١٠) ليس لفظا (كل الرزّية) في ط .

وفي « الصحيحين »[١] : من حديث عبد الله بن عَوْنٍ ، عن إبراهيم التيمي[٢] ، عن الأسود ، قال : قيل لعائشة : إنَّهم يقولون إنَّ رسول الله ﷺ أوصى إلى عليّ ، فقالت : بمَ أوصى إلى عليّ!؟ لقد دَعا بطَسْتٍ ليبولَ فيها ، وأنا مُسْندتُه إلى صدري فانْخَنَثَ[٣] فمات وما شعرتُ فيمَ يقول هؤلاء : إنَّه أوصى إلى علي!!؟

وفي « الصحيحين »[٤] ، من حديث مالك بن مِغْولٍ ، عن طلحة بن مُصَرِّفٍ ، قال : سألتُ عبد الله بن أبي أوْفَى : هل أوْصَى رسولُ الله ﷺ ؟ قال : لا . قلتُ : فلمَ أُمِرْنا بالوصِيَّةِ ؟ قال : أوصى بكتابِ الله عزَّ وجلَّ . قال طلحة بن مُصَرِّفٍ : وقال هُزَيْل[٥] بن شُرَحْبيل : أبو بكر يَتأمَّر على وَصِيِّ رسولِ الله ﷺ ؟ ودَّ أبو بكرٍ أنَّه وَجَدَ عهداً من رسول الله ﷺ فَخَزمَ أنْفَهُ بخِزامةٍ[٦] .

وفي « الصحيحين »[٧] أيضاً من حديث الأعمش ، عن إبراهيم التَّيْمي ، عن أبيه . قال : خَطَبنا عليُّ بنُ أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال : منْ زَعَم أنَّ عندنا شيئاً نقرأه ليس[٨] كتاب الله وهذه الصحيفة ـ لصحيفةٍ مُعَلَّقةٍ في سيفه فيها أسنانُ الإبل وأشياءُ من الجراحات ـ فقد كذب . وفيها قال رسول الله ﷺ : « المدينةُ حَرَمٌ ما بينَ عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ من أحْدَثَ فيها حَدَثاً أو آوَى مُحْدثاً فَعَلَيْهِ لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يقبلُ اللهُ منه يومَ القيامةِ صرفاً ولا عدلاً ، ومن ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنةُ اللهِ والمَلائكةِ والناسِ أجْمعين ، لا يَقْبلُ اللهُ منه يومَ القيامةِ صَرْفاً ولا عَدْلاً ، (وذِمَّةُ المسلمين واحدةٌ يَسْعَى بها أدْناهم ، فمنْ أخْفَر مسلماً فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناس أجْمَعين ، لا يقبلُ الله منه يومَ القيامةِ صَرْفاً ولا عَدْلاً) »[٩] .

وهذا الحديث الثَّابِتُ في « الصَّحيحين » وغيرهما[١٠] عن عليّ ، رضي الله عنه ، يردّ على فِرْقَةِ الرّافِضَةِ في زَعْمِهم أن رسول الله ﷺ أوْصَى إليه بالخِلافَةِ ، ولو كان الأمرُ كما زَعَموا لما رَدَّ ذلك أحدٌ منَ

---

(١) البخاري (٢٧٤١ ، ٤٤٥٩) ومسلم (١٦٣٦) .
(٢) في فتح الباري (٥/ ٣٦١) و(٨/ ١٤٨) أنه النخعي لا التيمي .
(٣) ط : (فانخنف) تحريف . وانخنث . أي انكسر وانثنى لاسترخاء أعضائه عند الموت (النهاية : خنث) .
(٤) البخاري (٢٧٤٠ ، ٤٤٦٠ ، ٥٠٢٢) ، ومسلم (١٦ ، ١٧/ ١٦٣٤) .
(٥) أ ، ط : (هذيل) تحريف . وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٣١) .
(٦) ط : (فخرم أنفه بخرامة) والخِزامةُ حَلَقَةٌ من شعر تجعل في أحد جانبي منخري البعير يشدّ بها الزمام (النهاية : خزم) قال بشار : وقد رأيت نساء أهل الريف والبدو يستعملون الخزامة للمرأة من ذهب على شكل القفل الصغير ، أو القرط .
(٧) البخاري (١٨٧٠) ومسلم (٤٦٧/ ١٣٧٠) .
(٨) ط : (ليس في) وفي هنا زائدة لأن ليس بمعنى إلا .
(٩) ليس ما بين القوسين في أ .
(١٠) أبو داود (٢٠٣٤) والترمذي (٢١٢٧) .

الصحابة ، فإنّهم كانوا أطْوَعَ للهِ ورسولِهِ ﷺ في حياته ، وبعد وفاته ، من أنْ يَفْتاتوا[١] عليه فيُقدِّموا غيرَ منْ قَدَّمَه ، ويُؤَخِّروا منْ قَدَّمَهُ بنصِّه ، حاشا وكلا ولمَّا ، ومنْ ظنَّ بالصحابة ، رضوان الله عليهم ذلك ، فقد نَسَبَهُم بأجمعهم إلى الفُجور والتَّواطُئِ على مُعَانَدَةِ الرسول ﷺ ومُضادَّتِهم في حُكْمِه ونَصِّه ، ومنْ وَصَلَ من الناسِ إلى هذا المقام فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ ، وكَفَرَ بإجماعِ الأئمةِ الأعْلامِ ، وكانَ إراقةُ دَمِه أحَلَّ من إراقَةِ المُدامِ . ثُمَّ لو كانَ مَعَ عليٍّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، نَصٌّ ، فلِمَ لا كان يَحْتَجُّ به على الصَّحابة على إثباتِ إمارته عليهم وإمامتِه لهم ؟! فإن لَمْ يَقْدِرْ على تَنْفيذِ ما معه منَ النَّصِّ فهو عاجزٌ ، والعاجزُ لا يَصْلُحُ للإمارةِ ، وإن كان يَقْدِرُ ولم يَفعَلْهُ فهو خائنٌ ، والخائِنُ[٢] الفاسقُ مسلوبٌ مَعْزولٌ عن الإمارة ، وإن لم يَعْلَمْ بوجودِ النّصِّ فهو جاهل ، ثم وقد عرفه وعلمه منْ بَعْدِ هذا[٣] ، محالٌ وافتراءٌ وجهلٌ وضَلالٌ . وإنما يَحْسُنُ هذا في أذْهانِ الجَهَلَةِ الطَّغامِ والمغترِّين من الأنام ، يُزَيِّنُهُ لهم الشيطانُ بلا دليلٍ ولا برهانٍ ، بل بمجردِ التَّحكُّم والهذيانِ والإفكِ والبُهْتانِ ، عياذاً بالله مما هم فيه من التَّخْليط والخِذْلانِ والتَّخْبيطِ والكُفْران ، ومَلاذاً بالله بالتَّمسُّكِ بالسُّنَّة والقرآنِ ، والوفاة على الإسلام والإيمان ، والمُوافاةِ على الثَّباتِ والإيقانِ وتَثْقيل الميزانِ ، والنَّجاةِ من النيرانِ والفَوْزِ بالجِنان ، إنه كريمٌ منَّانٌ رحيمٌ رحمنٌ .

وفي هذا الحديث الثابت في « الصحيحين » عن عليٍّ الذي قَدَّمْناه ، ردٌّ على مُتَقَوّلَةِ كثيرٍ من الطُّرُقيَّةِ والقُصّاصِ الجَهَلَةِ في دَعْواهم أنَّ النبيَّ ﷺ أوْصَى إلى عليٍّ بأشياء كثيرةٍ يَسُوقُونها مُطَوَّلَةً : يا عليُّ افعلْ كذا ، يا عليُّ لا تَفْعَلْ كذا ، يا عليُّ منْ فَعَلَ كذا ، كان كَذَا وكَذا ، بألفاظٍ رَكيكةٍ ومعانٍ أكثرُها سخيفةٌ وكثيرٌ منها ضعيفةٌ[٤] لا تُساوي تَسْويد الصَّحيفة . والله أعلم .

وقد أورد الحافظ البيهقي[٥] من طريق حمادِ بن عمرو النَّصيبي ـ وهو أحدُ الكَذّابين الوضّاعين[٦] ـ عن السَّريِّ بن خَلّادٍ ، عن جَعْفَر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي بن أبي طالب ، عن النبي ﷺ ، قال : يا عليُّ أوصيكَ بوَصِيَّةٍ احْفَظْها فإنَّكَ لا تزالُ بخيرٍ ما حَفِظْتها ، يا عليُّ إنّ للمؤمن ثلاثَ علاماتٍ : الصلاةَ والصِّيامَ والزَّكاةَ . قال البيهقي : فذكَر حديثاً طويلاً في الرَّغائب والآداب ، وهو حديثٌ موضوعٌ ، وقد شَرَطْتُ في أول الكتاب أنْ لا أُخْرِجَ فيه حديثاً أعْلَمُهُ موضوعاً . ثم روى[٧] من طريق حماد بن عمرو

(١) أفتات هو افتعل من الفوات : السبق يقال لكل من أحدث شيئاً في أمرك دونك : قد افتات عليه فيه . (النهاية : فوت) .
(٢) أ : (فهو جائر والجائر) .
(٣) ط : (من بعده هذا) .
(٤) ط : (سخيفة) .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٢٩) .
(٦) ط : (الصواغين) .
(٧) دلائل النبوة (٧/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

هذا ، عن زيد بن رُفَيْع ، عن مَكْحُولٍ الشامي ، قال : هذا ما قال رسولُ الله ﷺ لعليٍّ بن أبي طالب حين رَجَع من غَزْوة حُنَيْن ، وأُنْزِلَتْ عليه سورةُ النَّصْرِ . قال البيهقي : فَذَكَرَ حَديثاً طَويلاً في الفتنة ، وهو أيضاً حديثٌ منكرٌ ليس له أصل ، وفي الأحاديث الصَّحيحة كفايةٌ . وبالله التوفيق .

وَلْنَذْكُر هاهنا ترجمةَ حَمادِ بن عمرو أبي إسماعيل النَّصيبي[١] ، روى عن الأعمَش وغيره ، وعنه إبراهيم بن موسى ، ومحمد بن مِهْران ، وموسى بن أيوب ، وغيرهم . قال يحيى بن معين[٢] : هو مِمَّن يَكْذِب ويَضعُ الحديث . وقال عَمْرو بن علي الفَلاَّس وأبو حاتم[٣] : مُنْكرُ الحديث ، ضعيفٌ جداً . وقال إبراهيم بن يعْقوب الجُوزَجاني : كان يكذب . وقال البخاري[٤] : منكر الحديث . وقال أبو زرعة : واهي الحديث . وقال النسائي[٥] : متروك . وقال ابن حبان[٦] : يضَعُ الحديث وَضْعاً . وقال ابن عدي[٧] : عامة حديثه مما لا يتابعه أحد من الثقات عليه . وقال الدارقطني[٨] : ضعيف . وقال الحاكم أبو عبد الله : يَرْوي عن الثِّقات أحاديثَ موضوعةً ، وهو ساقط بمَرَّةٍ .

فأما الحديث الذي قال الحافظ البيهقي[٩] : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، أخبرنا حمزة بن العباس العَقَبي ببغداد ، ثنا عبد الله بن رَوْحٍ المَدائنيّ ، ثنا سلاّم بن سليمان المَدائني ، ثنا سَلاَّمُ بن سُلَيْم الطَّويل ، عن عبد الملك بن عبد الرحمن ، عن الحسن العُرَني[١٠] عن الأشعث بن طَليق ، عن مُرَّة بن شَراحيل ، عن عَبْدِ الله بن مسعود ، قال : لمّا ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ اجتمعنا في بَيْتِ عائشة ، فنظرَ إلينا رسول الله ﷺ فَدَمعتْ عيناه ، ثم قال لنا : قَدْ دنا الفِراقُ ونَعَى إلينا نَفْسه ، ثم قال : مَرْحباً بكم حَيّاكُم اللهُ ، هَداكُمُ اللهُ ، نَصرَكُمُ اللهُ ، نَفَعَكُمُ اللهُ ، وَفَّقَكُمُ اللهُ ، سَدَّدَكُمُ اللهُ ، وَقاكُمُ اللهُ ، أعانَكُمُ اللهُ ، قَبِلَكُمُ اللهُ ، أوصيكُمْ بتَقْوَى الله ، وأوصي اللهَ بكم وأَسْتَخْلِفُهُ عليكم ، إنّي لكم منه نذيرٌ مبينٌ أن لا تَعْلُوا على اللهِ في عباده وبلاده ؛ فإنّ اللهَ قال لي ولكم : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٣/١٨) ، والمجروحين لابن حبان (١/ ٢٥٢) ، والمغني في الضعفاء (١/ ١٨٨) والضعفاء الكبير للعقيلي (١/٣٠٨) .

(٢) تاريخ يحيى بن معين .

(٣) الجرح والتعديل (٣/ ١٤٤) .

(٤) التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٨) .

(٥) الضعفاء والمتروكين للنسائي (١٦٧) .

(٦) الضعفاء والمجروحين لابن حبان (١/ ٢٥٢) .

(٧) الكامل في الضعفاء لابن عدي (٢/ ٦٥٧) .

(٨) الضعفاء والمتروكين للدارقطني (٧٧) .

(٩) في « دلائل النبوة » (٧/ ٢٣١) .

(١٠) أ : (القرني) ، م : (المقبري) . وهو الحسن بن عبد الله العُرَني البجلي الكوفي . انظر تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٠ـ ٢٩١) .

فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] وقال : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] . قلنا : فَمَتى أَجَلُكَ يا[١] رسول الله ؟ قال : قَدْ دَنا الأجلُ ، والمُنْقَلَبُ إلى الله ، والسِّدْرةُ المُنْتَهى ، والكأسُ الأوْفَى ، والفُرشُ الأعْلى . قلنا : فَمَنْ يُغَسِّلكَ يا رسولَ الله . قال : رجالُ أهلِ بيتي الأدْنى فالأدْنى ، مع ملائكةٍ كثيرةٍ يَرَوْنَكم من حيث لا تَرَوْنَهم . قلنا : فَفيمَ نُكَفِّنُكَ يا رسولَ الله . قال : في ثيابي هذه إن شئتم ، أو في يَمنيَّةٍ ، أو في بياض مِصْر . قلنا : فَمَنْ يُصلِّي عَلَيْكَ يا رسولَ الله ؟ فبكى وَبَكَيْنا . وقال : مَهْلاً ! غفر الله لكم ، وجزاكم عن نبيّكم خيراً ، إذا غَسَّلْتموني وحَنَّطْتُموني وكَفَّنْتموني فَضَعوني على شَفير قَبْري ، ثم اخرجوا عنّي ساعة ، فإنّ أوّلَ منْ يُصلّي عليّ خَليلايَ وجَليسايَ جبريلُ وميكائيلُ ، ثم إسرافيلُ ، ثم ملكُ المَوْتِ ، مع جنودٍ من الملائكةِ عليهم السلام ، وَلْيَبْدأ بالصلاة عليَّ رجالُ أَهْلِ بَيْتي ، ثم نساؤُهُم ، ثم ادخلوا عليَّ أفْواجاً أفواجاً وفُرادَى فُرادى[٢] ، ولا تُؤْذوني بباكيةٍ ولا بَرَنَّةٍ ولا بصَيْحةٍ[٣] ، ومن كان غائباً من أصحابي فأبلغوه عني السَّلامَ ، وأُشْهِدُكُمْ بأنّي قد سَلّمتُ على منْ دَخَلَ في الإسلام ، ومنْ تَابَعَني في ديني هذا ، منذ اليومِ إلى يومِ القيامة . قلنا : فَمَنْ يُدْخِلُكُ قَبْرَكَ يا رسول الله ؟ قال : رجالُ أهلِ بَيْتي الأدْنَى فالأدْنَى مع ملائكةٍ كثيرة[٤] يَرَوْنَكُمْ من حيث لا تَرَوْنَهُمْ . ثم قال البيهقي : تابعه أحمد بن يونُس عن سَلاَّم الطَّويل وتَفَرَّدَ به سَلاَّمٌ الطَّويلُ .

قلت : وهو سَلاَّمُ بن سَلْم[٥] ، ويقال : ابن سليم ، ويقال : ابن سليمان ، والأولُ أصحُّ التَّميمي السَّعْدي الطَّويل . يَرْوي عن جَعْفر الصَّادق ، وحُمَيْد الطَّويل ، وزيد العَمِّي وجماعةٍ ، وعنه جماعةٌ أيضاً منهم : أحمدُ بن عبد الله بن يونس ، وأسَدُ بن موسى ، وخلف بن هاشم البَزّار ، وعليّ بن الجَعْدِ ، وقَبيصةُ بن عُقبة . وقد ضعَّفَه علي بن المَديني ، وأحمد بن حنبل ، ويَحْيَى بن مَعين ، والبخاري ، وأبو حاتمٍ ، وأبو زُرْعة ، والجُوزَجـاني ، والنّسائي ، وغير واحد ، وكذَّبه بعض الأئمة ، وتركه آخرون[٦] .

لكن روى هذا الحديثَ بهذا السياق بطوله الحافظُ أبو بكر البزّار من غير طريق سلاّمٍ هذا ، فقال : ثنا محمد بن إسماعيل الأحْمسي ، ثنا عبد الرحمن بن محمد المُحاربيّ ، عن ابن الأصْبهاني ، أنه أَخْبَره عن مُرَّة ، عن عبد الله . . . فذكر الحديثَ بطوله . ثم قال البَزّار : وقد رُوي هذا عن مُرَّةَ من غير وجهٍ بأسانيدَ

---

(١) ليست (يا) في ط .
(٢) أ : (أفواجاً وفرادى) .
(٣) ط : (بضجة) .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) ط : (مسلم) تحريف . وانظر تهذيب التهذيب (٤/ ٢٨١) .
(٦) والأشعث بن طليق (ويقال طلق) ضعيف ، وقد استنكر أصحاب كتب الضعفاء هذا الحديث ، فانظر لسان الميزان (١/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩) ط . الفكر (بشار) .

متقاربةٍ وعبد الرحمن بن الأصبهاني لم يَسْمَع هذا من مُرَّةَ ، وإنما هو عَمَّن أخبره عن مُرَّة ، ولا أعلم أحداً رواه عن عبد الله غيرَ مُرَّة[١] .

فَصْلٌ

في ذِكْرِ الوَقْت الذي تُوُفِّي فيه رسولُ الله ﷺ ومَبْلَغِ سِنّه حالَ وفاته ، وفي كَيفية غُسْلِه عليه الصلاة والسلام ، وتكفينه[٢] ، والصلاة عليه ودَفْنِه ، ومَوْضِع قَبْرِه صلواتُ الله وسلامُه عليه

لا خلافَ أنّه عليه الصلاة والسلام ، توفّيَ يومَ الإثنين . قال ابن عباس : وُلِدَ نَبيُّكُم ﷺ يومَ الإثنين ، ونُبِّئَ يَوْمَ الإثنين ، وخَرَجَ من مكةَ مُهاجِراً يومَ الإثنين ، ودخلَ المدينةَ يومَ الإثنين ، وماتَ يومَ الإثنين . رواه الإمام أحمد[٣] والبيهقي[٤] . وقال سفيانُ الثوري : عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالَتْ : قال لي أبو بكر : أيَّ يومٍ تُوفِّي رسولُ الله ﷺ ؟ قلتُ : يومَ الإثنين . فقال : إني لأرجو أنْ أموتَ فيه . فمات فيه . رواه البيهقي من حديث الثوري به .

وقال الإمام أحمد[٥]: حدَّثنا أسود بن عامر، ثنا هُرَيْمٌ[٦] ، حدّثني ابنُ إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن القاسم، عن أبيه، عن عائشة، قالت: توفي رسول الله ﷺ يومَ الإثنين، ودُفِنَ ليلةَ الأرْبعاءِ. تَفَرَّدَ به أحمدُ.

وقال عُرْوةُ بن الزبير في « مغازيه » ، وموسى بن عقبة ، عن ابن شهاب : لمَّا اشْتَدَّ برسول الله ﷺ وجعُه أرسلت عائشةُ إلى أبي بكر ، وأرسلت حَفْصةُ إلى عمر ، وأرسلت فاطمة إلى عليّ ، فلم يجتمعوا حتى تُوفي رسولُ الله وهو في صدرِ عائشة وفي يومها ، يوم الإثنين حينَ زاغتِ الشَّمْسُ لهلالِ ربيعٍ الأوَّل .

وقد قال أبو يعلى[٧] : ثنا أبو خيثمة ، ثنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن أنس ، قال : آخرُ نَظْرةٍ نَظرتُها إلى رسول الله يومَ الإثنين كَشفَ الستارةَ والناسُ خَلْفَ أبي بكر ، فنظرتُ إلى وجهه ، كأنه ورقةُ مصحفٍ ، فأراد الناسُ أن ينحرفوا ، فأشارَ إليهم أن امكثُوا وألَقى السجفَ ، وتوفِّي من آخر ذلك اليوم .

---

(١) ط : (عن مرة) وهو تحريف .

(٢) ليس اللفظ في ط .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٧٧) ، وإسناده ضعيف ، ولكن صح منه ، الولادة ، والبعث ، والوفاة انظر مسلم رقم (١١٦٢) (١٩٧) والبخاري (١٣٨٧) .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٣٣) .

(٥) مسند الإمام أحمد (٦/ ١١٠) ، وهو حديث حسن بطرقه .

(٦) تهذيب التهذيب (١١/ ٣٠) .

(٧) في مسنده رقم (٣٥٤٨) .

وهذا الحديث في « الصحيح »[١] وهو يدلُّ على أنّ الوفاةَ وقعت بعدَ الزّوال . والله أعلم .

وروى يعقوب بن سفيان[٢] ، عن عبد الحميد بن بَكّار ، عن محمد بن شُعيب ، وعن صفوان ، عن عمر بن عبد الواحد، جميعاً عن الأوْزاعي، أنه قال: تُوفِّي رسولُ الله ﷺ يومَ الإثنين قبلَ أنْ يَنْتصفَ النهار .

وقال البيهقي[٣]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أحمد بن كامل[٤] ، ثنا الحسن بن علي البزَّار ، ثنا محمد بن عبد الأعلى ، ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، وهو سليمان بن طَرْخان التَّيمي في كتاب « المغازي » . قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ مرضَ لاثنتين وعشرين ليلةً من صفر ، وبدأه وجعُه عند وليدةٍ له يقال لها: ريحانة كانَتْ من سَبْي اليَهودِ، وكان أولَ يومٍ[٥] مرض يوم السبت، وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الإثنين لليلتين خَلَتا من شهر ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمه عليه الصلاة والسلام المدينةَ .

وقال الواقدي[٦] : حدَّثنا أبو مَعْشَر ، عن محمد بن قيس ، قال : اشتكى رسولُ الله ﷺ يومَ الأربعاء لإحدى عَشْرَة ليلةً[٧] بقيت من صفر سنةَ إحدى عَشْرَةَ في بيت زينب بنت جحش شكوى شديدة ، فاجتمع عنده نساؤه كلهن ، فاشتكى ثلاثة عشر يوماً ، وتوفي يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة .

وقال الواقدي : وقالوا بُدِئَ رسولُ الله ﷺ يومَ الأربعاء لِلَيْلَتَيْن بَقِيتا من صفرٍ ، وتُوفِّي يومَ الإثنين لِثِنْتي[٨] عشرةَ ليلةً خَلَتْ من ربيع الأول . وهذا جَزَمَ به محمدُ بن سعدٍ كاتبُه . وزاد : ودفن يوم الثلاثاء .

قال الواقديّ[٩] : وحدّثني سعيد بن عبد الله بن أبي الأبْيض ، عن المقبري ، عن عبد الله بن رافع ، عن أم سلمة : أنَّ رسول الله ﷺ بُدئ في بيتِ مَيْمونة .

وقال يعقوب بن سفيان[٢] : حدَّثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو مَعْشَر ، عن محمد بن قيس ، قال : اشْتَكَى رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ عشرَ يَوْماً ، فكان إذا وجدَ خِفَّة صلَّى ، وإذا ثَقُلَ صَلَّى أبو بكرٍ ، رضي الله عنه .

---

(١) البخاري (٦٨٠) ومسلم (٤١٩) .
(٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٠٨) .
(٣) دلائل النبوة (٧/ ٢٣٤) .
(٤) ط : (حنبل) تحريف .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) دلائل النبوة (٧/ ٢٣٤) وطبقات ابن سعد (٢/ ٢٧٢) .
(٧) ليس اللفظ في أ .
(٨) ط : (لاثنتي) .
(٩) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٣٥) .

وقال محمد بن إسحاق : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ لاثنتي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ من شَهْرِ ربيعِ الأول ، في اليوم الذي قدم فيه المدينة مُهاجراً ، واسْتَكْمل رسول الله ﷺ في هِجْرته عَشْرَ سنينَ كوامل . قال الواقدي : وهو المثبتُ عندنا . وجَزَمَ به محمد بن سعدٍ كاتبُه[١] .

وقال يعقوب بن سفيان[٢] : عن يَحْيَى بن بُكَير ، عن الليث ، أنه قال : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ يومَ الإثنين لليلةٍ خَلَتْ من ربيعٍ الأوّل ، وفيه قَدِمَ المدينةَ على رأسِ عَشْرِ سنين من مَقْدَمه .

وقال سعد بن إبراهيم الزُّهْري : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ يومَ الإثنين لِلَيْلَتيْنِ خَلَتَا من ربيعِ الأول ، لتمام عَشْر سنينَ من مَقْدَمِه المدينةَ ، رواه ابن عساكر ، ورواه الواقدي ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس مثلَه سواء . وقاله خليفة بن خَيَّاط أيضاً .

وقال أبو نعيم الفَضْلُ بن دُكَيْن : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ يوم الإثنين مُسْتَهلّ ربيع الأول سنة إحدى عَشْرة من مَقْدَمِه المدينة[٣] ، ورواه ابن عساكر[٤] أيضاً . وقد تقدَّم قريباً عن عروة ، وموسى بن عُقْبة ، والزهري مثلُه ، فيما نقلناه عن مغازيهما . فالله أعلم . والمشهور قول ابن إسحاق والواقدي .

ورواه الواقدي[٥] : عن ابن عباس وعائشة ، رضي الله عنهما ، فقال : حدّثني إبراهيم بن يزيد ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس . وحدّثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة . قالا : توفي رسول الله ﷺ يوم الإثنين لاثْنَتَيْ عشرةَ ليلةً خَلَتْ من ربيع الأول .

ورواه ابن إسحاق[٦] ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حَزْمٍ ، عن أبيه ، مثله ، وزاد : ودفن ليلة الأربعاء .

وروى سيف بن عمر ، عن محمد بن عبيد الله العَرْزَمي ، عن الحكم ، عن مِقْسمٍ عن ابن عباس ، قال : لما قَضَى رسولُ الله ﷺ حجةَ الوداعِ ارتحل ، فأتى المدينةَ فأقام بها بقيَّةَ ذي الحجّة والمحرم وصفراً ، ومات يومَ الإثنين لعشرٍ خَلَوْنَ من ربيع الأول . وروى أيضاً عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة . وفي حديث فاطمة ، عن عمرة ، عن عائشة مثله ، إلا أنّ ابنَ عباسٍ قال في أوله لأيامٍ مَضَيْنَ منه . وقالت عائشة : بعدَ ما مَضَى أيامٌ منه .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣١١) .
(٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٠٨) .
(٣) هذا آخر لفظ من الورقة (٧٠٧) من النسخة (أ) وبعده انقطاع بقدر ورقة ، وستعود النسخة للانضمام إلى باقي النسخ في بداية الورقة (٧٠٨) .
(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٣٨٧) .
(٥) طبقات ابن سعد الكبرى (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .
(٦) انظر الطبري (٣/ ٢١٧) .

فائدة : قال أبو القاسم السُّهَيْلي في « الروض »[١] ما مضمونه : لا يُتصوَّرُ وقوعُ وفاتِه عليه الصلاة والسلام ، يومَ الإثنين ثانيَ عَشَرَ ربيع الأول من سنةِ إحدى عَشْرَة ؛ وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام ، وقف في حجة الوَداع سنةَ عشرٍ يومَ الجمعة ، فكان أول ذي الحجة يوم الخميس ، فعلى تقدير أن تُحْسَبَ الشهور تامةً أو ناقصةً أو بعضُهـا تامٌ وبعضُها ناقصٌ ، لا يُتَصَوَّرُ أن يكونَ يوم الإثنين ثانيَ عَشَرَ ربيعِ الأول .

وقد اشتهر هذا الإيرادُ على هذا القول ، وقد حاول جماعةٌ الجوابَ عنه ، ولا يمكنُ الجوابُ عنه ، إلا بمَسْلَكٍ واحدٍ ، وهو اخْتلافُ المَطالعِ ، بأن يكونَ أهلُ مكةَ رَأَوْا هلالَ ذي الحجّة ليلةَ الخميس ، وأمّا أهلُ المدينة فلم يَرَوْه إلا ليلةَ الجمعة ، ويُؤَيّدُ هذا قولُ عائشةَ وغيرها : خرج رسولُ الله ﷺ لخمسٍ بقينَ من ذي القعدة ـ يعني من المدينة ـ إلى حجة الوداع . ويتعيَّن بماذ كرناه أنه خرج يوم السبت ، وليس كما زَعَم ابنُ حزم أنَّه خَرَج يومَ الخميس ؛ لأنه قد بَقِيَ أكثر من خَمْسٍ بلا شكٍّ ، ولا جائزٌ أن يكونَ خَرَجَ يومَ الجمعةِ ، لأنَّ أنساً قال[٢] : صلَّى رسول الله ﷺ الظُّهْرَ بالمدينةِ أربعاً ، والعصرَ بذي الحُلَيْفة ركعتين . فتعيَّن أنه خَرَجَ يوم السبت لخمسٍ بَقينَ ، فعلى هذا إنما رأى أهلُ المدينة هلالَ ذي الحجة ليلة الجمعة ، وإذا كان أولَ ذي الحجةِ عندَ أهلِ المدينة الجمعةُ ، وحُسبت الشهورُ بعدَه كواملَ ، يكونُ أولَ ربيعٍ الأوّلِ يومُ الخَميسِ ، فيكونُ ثانيَ عَشرِهِ يومُ الإثنين . والله أعلم .

وثبت في « الصحيحين »[٣] من حديث مالكٍ ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : كانَ رسولُ الله ﷺ ليس بالطَّويل البائن ، ولا بالقَصير ، وليس بالأبيض الأمْهَقِ ولا بالآدم ، ولا بالجعد القَطَط ولا بالسَّبط ، بعثه الله عزَّ وجلَّ على رأس أربعين سنةً ، فأقام بمكَّةَ عشر سنين ، وبالمدينة عَشْرَ سنينٍ . وتوفّاهُ اللهُ على رأسِ ستّين سنةً ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاءَ . وهكذا رواه ابنُ وهب ، عن قُرَّة[٤] عن الزُّهْري ، عن أنس ، وعن قرة ، عن[٥] ربيعة ، عن أنس ، مثلَ ذلك .

قال الحافظ ابن عساكر . حديثُ قرّة عن الزُّهْري غريبٌ ، وأمّا منْ روايةِ ربيعةَ ، عن أنس ، فرواها عنه جماعةٌ كذلك . ثم أسند (من طريق سليمان بن بلال)[٦] عن يحيى بن سعيد وربيعة عن أنس : أنّ رسول الله ﷺ تُوفِّي وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين .

---

(١) الروض الأنف (٧/ ٥٧٩) .
(٢) البخاري (١٧١٥) ومسلم (١٠/ ٦٩٠) .
(٣) البخاري (٣٥٤٨) ومسلم (٢٣٤٧) (١١٣) .
(٤) ط : (عروة) وهو تحريف . وانظر تهذيب الكمال (٢٣/ ٥٨١) .
(٥) ط : (قرة بن ربيعة) .
(٦) تكرر ما بين القوسين في ط .

وكذلك رواه ابنُ البَرْبَري ، ونافعُ بن أبي نُعيم ، عن ربيعة ، عن أنس به ، قال : والمحفوظ عن ربيعة ، عن أنس : ستون .

ثم أورده ابن عساكر من طريق مالكٍ ، والأوزاعي ، ومِسْعر ، وإبراهيم بن طَهْمان ، وعبد الله بن عمر ، وسليمان بن بلال[١] وأنس بن عياض ، والدراورديِّ ، ومحمد بن قيس المدني ، كلُّهم عن رَبيعة عن أنسٍ ، قال : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ستّين سنة .

وقال البيهقي[٢] : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، ثنا أبو عمرو بن السماك ، ثنا حنبل بن إسحاق ، ثنا أبو مَعْمَر عبد الله بن عمرو ، ثنا عبد الوارث ، ثنا أبو غالب الباهلي ، قال : قلت لأنس بن مالك : بسنِّ أيِّ الرجالِ كان[٣] رسول الله إذ بعث ؟ قال : كان ابنَ أربعين سنةً . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : كان بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، فتَمَّتْ له ستُّون سنةً يوم قَبَضَهُ الله عزَّ وجلَّ وهو كأشَدِّ الرجال وأحْسَنِهِمْ وأجْمَلِهم وألْحَمهم .

ورواه الإمام أحمد[٤] عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه به .

وقد روى مسلم[٥] عن أبي غسّان محمد بن عمرو الرازي ، الملقب بزُنَيْجٍ[٦] عن حَكَّام بن سَلْمٍ[٧] ، عن عثمان بن زائدة ، عن الزُّبير بن عَدِيّ ، عن أنس بن مالك ، قال : قُبِضَ النبيُّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين ، وقُبِض (أبو بكر ، وهو ابن ثلاث وستّين ، وقُبِضَ)[٨] عمر ، وهو ابن ثلاث وستين . انْفَرَد به مسلم . وهذا لا يُنافي ما تقدَّم عن أنس ، لأنّ العَربَ كثيراً ما تحذفُ الكَسْرَ .

وثبت في « الصحيحين »[٩] من حديث الليث بن سعد ، عن عُقَيْل ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين سنةً . قال الزُّهري : وأخبرني سعيدُ بن المسيّب مثله .

وروى موسى بن عُقبة ، وعُقَيْل ، ويونس بن يزيد ، وابن جُرَيج ، عن الزُّهْري ، عن عروة ، عن

---

(١) بعد هذا اللفظ في ط : (وأنس بن بلال) وهو زيادة لا ضرورة لها .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٣٧) .
(٣) ط : (ابن أي الرجال رسول الله) وما أثبته عن الدلائل .
(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٥١) ، وإسناده صحيح .
(٥) مسلم (٢٣٤٨) .
(٦) ط : (برشيح) وهو تحريف . وانظر تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٩) .
(٧) ط : (حكام بن مسلم) وهو تحريف . وانظر تهذيب التهذيب (٢/ ٤٢٢) .
(٨) ليس ما بين القوسين في ط .
(٩) البخاري (٤٤٦٦) ومسلم (٢٣٤٩) (١١٥) .

عائشة ، قالت : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين . قال الزهري : وأخبرني سعيدُ بن المسيّب مثل ذلك .

وقال البخاري[١] : ثنا أبو نعيم ، ثنا شيبان ، عن يحيى بن أبي كَثير ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن عائِشَة وابن عباس : أنّ رسول الله ﷺ مكَثَ بمكة عَشْرَ سنين يُنْزلُ[٢] عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً . لم يخرجه مسلم .

وقال أبو داود الطيالسي في « مسنده »[٣] : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن جرير بن عبد الله ، عن معاوية بن أبي سفيان ، قال : قُبضَ النبي ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين ، وأبو بكرٍ وهو ابنُ ثَلاثٍ وستّين ، وعمر وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين .

وهكذا رواه مسلم[٤] من حديث غُنْدَرٍ عن شُعْبَة ، وهو من أفراده دون البخاري . ومنهم من يقول : عن عامر بن سعد ، عن معاوية . والصوابُ ما ذكرناه عن عامر بن سعد ، عن جرير ، عن معاوية[٥] . ورُوِّينا من طريقِ عامر بن شَراحيل[٦] الشعبي عن جرير بن عبد الله البَجَلي ، عن معاوية . . . فذكره .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق القاضي أبي يوسف ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن أنس ، قال : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين ، وتُوفِّي أبو بكرٍ ، وهو ابن ثلاثٍ وستّين ، وتُوفِّي عمر وهو ابن ثلاث وستين .

وقال ابن لَهيعة[٧] ، عن أبي الأسود ، عن عُروة ، عن عائشة ، قالت : تذاكَر رسولُ الله وأبو بكر ميلادَهما عندي ، فكان رسولُ الله أكبرَ من أبي بكر ، فتوفِّي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين ، وتُوفِّي أبو بكر بعدَه ، وهو ابن ثلاث وستين .

وقال الثوريُّ ، عن الأعمش ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : تُوفِّي أبو بكر بعدَه ، وهو ابن ثلاث وستين .

وقال الثوريُّ عن الأعمش ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : تُوفِّي رسولُ الله وأبو بكرٍ وعمر ، وهم بنو ثلاثٍ وستّين .

---

(١) البخاري (٤٤٦٤ ، ٤٤٦٥) .
(٢) ط : (يتنزل) .
(٣) دلائل النبوة (٧/ ٢٣٩) عن الطيالسي .
(٤) مسلم (٢٣٥٢) (١٢٠) .
(٥) بعده في ط : (فذكره) زيادة .
(٦) بعده في ط ، أ : (عن الشعبي) وعن فيها زيادة .
(٧) مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٣٨٩) .

وقال حنبلٌ : ثنا الإمام أحمد ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : أُنزِل على النبيِّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعين ، فأقام بمكّة عشراً ، وبالمدينة عشراً . وهذا غريب منه ، وصحيح إليه .

وقال أحمد : ثنا هُشَيْم ، ثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبيّ ، قال : نُبِّئ رسولُ الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، فَمَكَثَ ثلاثَ سنين ، ثم بُعثَ إليه جبريلُ بالرسالة ، ثم مكثَ بعدَ ذلك عَشْرَ سنين ، ثم هاجَر إلى المدينة ، فَقُبِضَ وهو ابن ثلاثٍ وستّين سنةً .

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل[١] : الثَّبَتُ[٢] عندنا ثلاثٌ وستّون سنة[٣] .

قلت : وهكذا رَوَى مُجاهِدٌ ، عن الشعبيِّ ، ورُوي من حديث إسماعيل بن أبي خالدٍ عنه .

وفي « الصحيحين »[٤] من حديث (رَوْح بن عُبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عَمْرو بن دينار ، عن ابن عبّاس : أنّ رسول الله ﷺ مَكَثَ بمكّة ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وتُوفِّي وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين سنة .

وفي صحيح البخاري[٥] من حديث)[٦] رَوْحِ بن عُبادة أيضاً ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعثَ رسولُ الله ﷺ لأربعين سنةً ، فمكث بمكةَ ثلاثَ عشرةَ ، ثم أُمِرَ بالهجرة ، فهاجرَ عشرَ سنين ، ثم مات وهو ابنُ ثلاث وستين . وكذلك رواه الإمام أحمد عن رَوْحِ بن عُبادة ويَحْيى بن سَعيد ويَزيد بن هارون كلُّهم عن هشام بن حسان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به[٧] . وقد رواه أبو يَعْلَى المَوْصلي ، عن الحسن بن عمر بن شَقيق ، عن جعفر بن سليمان ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن ابن عباس ، فذكر مثله . ثم أَوْرَدَهُ من طرقٍ ، عن ابن عباس ، مثل ذلك .

ورواه مسلم[٨] من حديث حماد بن سَلَمة ، عن أبي جَمْرَة[٩] عن ابن عباس : أنَّ رسول الله ﷺ أقام بمكّة ثلاثَ عَشْرَةَ يُوحَى إليه ، بالمدينة عَشْراً ، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستّين سنة .

وقد أسند الحافظُ ابنُ عساكر من طريق سَلْم[١٠] بن جُنادة ، عن عبد الله بن عمر ، عن كُريب ، عن

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٣٨٩) .
(٢) ط : (الثابت) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) البخاري (٣٩٠٣) ومسلم (٢٣٥١) (١١٧) .
(٥) البخاري (٣٩٠٢) .
(٦) ليس ما بين القوسين في أ .
(٧) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٧١) و(٢٢٨) و(٢٣٦) .
(٨) مسلم (٢٣٥١) (١١٨) .
(٩) ط : (حمزة) تحريف . وهو نصر بن عمران الضبيعي أبو جمرة البصري (انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٣) .
(١٠) ط : (مسلم) وانظر : تهذيب الكمال (١١/ ٢١٨) .

ابن عباس ، قال : تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين . ومن حديث أبي نَضْرَةَ ، عن سعيد بن المسيّب ، عن ابن عباس مثله ، وهذا القول هو الأشهرُ وعليه الأكثرُ .

وقال الإمام أحمد(١) : ثنا إسماعيل ، عن خالد الحَذّاء ، حدّثني عَمّار مولى بني هاشم ، سمعتُ ابنَ عباس، يقول: تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ خَمْس وستّين سنةً. ورواه مسلمٌ(٢) من حديث خالدٍ الحَذّاء به.

وقال أحمد(٣) : ثنا حسن بن موسى ، ثنا حَمّاد بن سَلَمَة عن عمار(٤) بن أبي عمار ، عن ابن عباس : أنّ رسول الله ﷺ أقام بمكة خمسَ عشرةَ سنةً ، ثماني سنين ـ أو سبع ـ يرى الضوء ويَسْمع الصوتَ ، وثمانياً أو سبعاً يُوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشراً . ورواه مسلم(٥) من حديث حَمّاد بن سلمة به .

وقال أحمد(٦) أيضاً : ثنا عَفّان ، ثنا يزيد بن زُرَيْع ، ثنا يونس ، عن عمّار مولى بني هاشم ، قال : سألتُ ابنَ عباسٍ : كم أتى لرسولِ الله ﷺ يومَ مات ؟ قال : ما كنتُ أرى مثلَك في قومه يَخْفَى عليك(٧) ذلك . قال : قلت : إنّي قد سألتُ فاختُلِفَ عليّ ، فأحببتُ أن أعْلَم قولَك فيه . قال : أتحسُبُ ؟ قلت : نعم ، قال : أمسِكْ ، أربعين بُعث لها ، وخمسَ عشرةَ أقام بمكةَ يأمنُ ويخاف ، وعشراً مُهاجَرَه بالمدينة . وهكذا رواه مسلمٌ(٨) من حديث يزيد بن زُرَيْع وشعبة بن الحجاج ، كلاهما عن يونس بن عُبَيْد ، عن عَمّار ، عن ابن عباس بنحوه .

وقال الإمام أحمد(٩) : ثنا ابن نُمَيْر ، ثنا العلاءُ بن صالح ، ثنا المِنْهال بن عَمْرو ، عن سعيد بن جُبَيْر ، أنّ رَجُلاً أتى ابنَ عباسٍ ، فقال : أُنْزِلَ على النبيّ ﷺ عشراً بمكة وعشراً بالمدينة ، فقال من يقول ذلك ؟ لقد أُنْزِل عليه بمكةَ خمسَ عشرة ، وبالمدينة عشراً ؛ خمساً وستّين وأكثر . وهذا من أفراد أحمد إسناداً ومتناً .

وقال الإمام أحمد(١٠) : ثنا هُشَيْم ، ثنا عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس ، قال : قُبِض النبيُّ ﷺ وهو ابنُ خَمْسٍ وستّينَ سنة . تَفَرَّدَ به أحمد .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٢٣ ، ٣٥٩) .
(٢) مسلم (٢٣٥٣) (١٢٢) .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٦ ، ٢٩٤) .
(٤) ط : (لا عن عمارة) .
(٥) مسلم (٢٣٥٣) (١٢٣) .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٩٠) .
(٧) ليس اللفظ في ط .
(٨) (٢٣٥٣) (١٢١) .
(٩) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٣٠) ، ورواية الجماعة عن ابن عباس في ثلاث وستين أصح .
(١٠) مسند الإمام أحمد (١/ ٢١٥) ، وإسناده ضعيف .

وقد روى التّرمذي في كتاب « الشمائل » وأبو يَعلى المَوْصلي ، والبيهقي[١] من حديث قتادة ، عن الحسن البصري ، عن دَغْفَل بن حَنْظَلَة الشَّيباني النّسّابة ، أنَّ النبي ﷺ قُبض وهو ابن خَمْسٍ وستّين . ثم قال الترمذي : دَغْفَلُ لا يُعْرفُ له سماعٌ[٢] عن النبي ﷺ وقد كان في زمانه رجلاً . وقال البيهقيُّ : وهذا يُوافقُ[٣] روايةَ عمارٍ ومنْ تابَعَه عن ابن عباس ، وروايةُ الجماعةِ عن ابن عباسٍ : في ثلاثٍ وستين ، أصحُّ فهم أوثقُ وأكثرُ ، وروايتُهم توافقُ الروايةَ الصَّحيحة عن عروة ، عن عائشة وإحدى الروايتين عن أنس ، والرواية الصحيحة عن معاوية ، وهي قولُ سَعيدِ (بن المسيّب وعامرٍ الشعبي)[٤] وأبي جعفر محمد[٥] بن علي رضي الله عنهم . قلت : وعبد الله بن عُتْبة[٦] ، والقاسم بن عبد الرحمن ، والحسن البصري ، وعلي بن الحسين ، وغير واحد .

ومن الأقوال الغريبة ما رواه خليفة بن خَيّاط[٧] عن معاذ بن هشام : حدّثني أبي عن قتادة ، قال : تُوفِّي رسول الله ﷺ وهو ابنُ اثْنَتَيْن وستّين سنةً . ورواه يَعقوبُ بن سُفْيان[٨] ، عن محمد بن المُثَنَّى ، عن معاذ بن هاشم ، عن أبيه ، عن قتادة مثله . ورواه زَيْد العَمِّي ، عن يزيد ، عن أنس .

ومن ذلك ما رواه محمد بن عائذٍ ، عن القاسم[٩] بن حُمَيدٍ ، عن النُّعمان بن المنذر الغَسّاني ، عن مكحول ، قال : تُوفِّي رسولُ الله وهو ابن اثنتين وستين سنة وأشهرٍ .

ورواه يعقوب بن سفيان[١٠] ، عن عبد الحميد بن بكار ، عن محمد بن شعيب ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، قال : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابن اثنتين وستين سنة ونصف .

وأغربُ[١١] من ذلك كله ما رواه الإمام أحمد[١٢] عن رَوْح عن سَعيد بن أبي عَروبة ، عن قَتادة ، عن الحسن . قال : نزلَ القُرآن على رسول الله ﷺ ثمانيَ سنين بمكةَ ، وعشراً بعدَما هاجر . فإن كانَ الحسنُ

---

(١) الشمائل (٣٦٦) ومسند أبي يعلى (١٥٧٥) ودلائل النبوة (٧/ ٢٤٠) .
(٢) ط ، أ : (سماعاً) وما هنا للسياق .
(٣) أ : (موافق) .
(٤) ليس ما بين القوسين في أ .
(٥) ط : (وأبي جعفر جعفر بن علي) وانظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠١) .
(٦) ط : (عقبة) .
(٧) تاريخ خليفة (١/ ٧٠) .
(٨) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٤) .
(٩) في ترجمة محمد بن عائذ في تهذيب التهذيب روى عنه الهيثم بن حميد ، وليس بين الرواة عنه القاسم بن حميد .
(١٠) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٤) .
(١١) ط : (وأقرب) .
(١٢) أخرجه خليفة بن خياط في تاريخه (١/ ١١) من طريق سعيد به .

ممَّن يقولُ بقولِ الجُمْهور وهو أنه عليه الصلاة والسلام أُنْزِل عليه القرآنُ وعُمْرُه أربعون سنةً ، فقد ذهب إلى أنه عليه الصلاة والسلام عاش ثمانياً وخمسين سنة . وهذا غريب جداً .

ولكن رُوِّينا من طريق مُسَدَّدٍ ، عن هاشم بن حسان ، عن الحسن ، أنّه قال : تُوفِّي رسول الله ﷺ وهو ابنُ ستّين سنة(١) . وقال خليفة بن خياط(٢) : ثنا أبو عاصم ، عن أشعث ، عن الحسن ، قال : بُعث رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ خمسٍ وأربعين ، فأقام بمكة عشراً ، وبالمدينة ثمانياً ، وتُوفِّي وهو ابن ثلاث وستين . وهذا بهذه الصفة غريبٌ جداً والله أعلم .

صِفَةُ غَسْلِهِ عليه الصلاة والسَّلامُ

قَدْ قَدَّمنا أنَّهم رضي الله عنهم اشْتَغَلوا ببَيْعَةِ الصِّدّيق بقيةَ يومِ الاثنين وبعضَ يوم الثلاثاء ، فلمَّا تَمَهَّدَت وتَوطَّدَتْ وتَمَّتْ ، شرعوا بعد ذلك في تَجْهيزِ رسولِ الله ﷺ مُقْتَدين في كلِّ ما أَشْكَلَ عليهم بأبي بكرٍ الصِّدّيق رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق(٣) : فلما بُويع أبو بكر أقبل الناسُ على جهازِ رسول الله ﷺ يومَ الثلاثاء . وقد تقدَّم من حديث ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة : أن رسول الله ﷺ توفِّي يوم الاثنين ، ودُفن ليلة الأرْبعاء .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة(٤) : حدَّثنا أبو معاوية ، ثنا أبو بُرْدة ، عن عَلْقَمة بن مَرْثَد، عن سليمان بن بُرَيْدة ، عن أبيه ، قال : لمّا أخذوا في غسلِ رسولِ الله ﷺ ناداهم منادٍ من الداخل أنْ لا تُجَرِّدوا(٥) عن رسول الله ﷺ قميصَه . ورواه ابن ماجه(٦) من حديث أبي مُعاويَة ، عن أبي بُرْدَة ـ واسمه عمرو بن يزيد التميمي كوفي .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثني يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه سمعتُ عائشة تقول : لما أرادوا غسلَ النبيِّ ﷺ ، قالوا : ما نَدْري أنُجَرِّدُ رسولَ الله ﷺ من ثيابه ، كما نُجَرِّدُ مَوْتانا ، أم نُغَسِّلُه وعليه ثيابُه ؟ فلما اختلفوا ألقى عليهم الله النومَ حتى ما منهم رجلٌ(٧) إلا وذَقَنه في صَدْره ، ثم كلَّمَهُم مُكَلِّمٌ

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٦٩) من طريق هشام به .
(٢) تاريخ خليفة (١/ ١١) .
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٦٢) .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٤٣) من طريق ابن أبي شيبة به .
(٥) أ : (أن تخرجوا عن) وفي (لا تخرجوا) .
(٦) ابن ماجه (١٤٦٦) ، وإسناده ضعيف .
(٧) ط : (أحد) .

من ناحية البيت لا يدرون من هو أن غسِّلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسَّلُوه وعليه قميصٌ يصُبّونَ الماءَ فوقَ القَميصِ فيُدَلِّكونَهُ بالقَميصِ دون أيديهم . فكانت عائشة تقول : لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما غَسَّلَ رسولَ الله ﷺ إلا نساؤُه . رواه أبو داود[١] من حديث ابن إسحاق .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدّثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال : اجتَمَعَ القومُ لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله ؛ عمُّه العباسُ بن عبد المطلب ، وعليُّ بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن العباس ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وصالحٌ مولاه ، فلمّا اجتمعوا لغسله نادى من وراء الناس[٣] أوْسُ بن خَوْليّ الأنصاري ، أحدُ بني عوفِ بن الخَزْرَج ـ وكان بدرياً ـ عليَّ بنَ أبي طالب ، فقال : يا علي ننشدك اللهَ وحظَّنا من رسول الله ﷺ . فقال له علي : أدخُلْ فدخل فحضر غسلَ رسولِ الله ﷺ ، ولم يَلِ منْ غسلِه شيئاً ، فأسنده عليٌّ إلى صَدْرِه وعليه قَميصُه ، وكان العباس وفضلٌ وقُثَمُ يُقَلِّبونَه مع عليّ ، وكان أسامةُ بن زيد وصالحٌ مولاهما يَصُبّان الماء ، وجعل عليٌّ يغسِلُه ، ولم يَرَ من رسول الله ﷺ شيئاً مما يرى من الميّتِ ، وهو يقول : بأبي وأمي ما أطيبَكَ حَيّاً وميّتاً ، حتّى إذا فرغوا من غسلِ رسولِ الله ، ـ وكان يُغَسَّل بالماءِ والسِّدرِ ـ جَفَّفوه ثم صُنع به ما يُصْنع بالميت ، ثم أُدْرِج في ثلاثةِ أثْوابٍ : ثوبين أبيضين ، وبُرْدٍ حِبَرَةٍ . قال : ثم دعا العباسُ رَجُلَيْن ، فقال : ليذهب أحدكما إلى أبي عبيدة بن الجراح ـ وكان أبو عبيدة يَضْرَحُ[٤] لأهل مكة ، وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري . وكان أبو طلحة يَلْحَدُ لأهْلِ المدينة . قال : ثم قال العباس حين سرَّحَهما : اللهمَّ خِرْ لرسولك ! قال : فذهبا فَلَمْ يَجِدْ صاحبُ أبي عبيدة أبا عبيدة ، ووجَد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة فلحد لرسول الله ﷺ انفرد به أحمد .

وقال يونس بن بُكَيْرٍ : عن المُنْذِرِ بن ثعلبة[٥] ، عن العِلْباء بن أحْمر قال : كانَ عليٌّ والفَضْلُ يُغَسِّلان رسولَ الله ﷺ ، فنُودي عليٌّ : ارفع طَرْفَك إلى السَّماء . وهذا منقطعٌ .

قلتُ : وقد روَى بعضُ أهل السنن[٦] عن علي بن أبي طالب ، (أنّ رسول الله قال له : يا عليُّ ،

---

(١) أبو داود (٣١٤١) ، وهو حديث حسن .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٠) ، وهو حديث حسن .
(٣) في المسند : (الباب) .
(٤) الضَّرْح : الشق في الأرض . والضارح الذي يعمل الضريح وهو القبر (النهاية : ضرح) .
(٥) بعده في ط : (عن الصلت) وهو زيادة فقد روى المنذر بن ثعلبة عن العلباء بن أحمر مباشرة وليس بينهما أحد . (انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠٠) (ترجمة المنذر بن ثعلبة) و(٧/ ٢٧٣) (علباء بن أحمر) .
(٦) أبو داود (٣١٤٠ ، ٤٠١٥) وابن ماجه (١٤٦٠) ، وإسناده ضعيف .

لا تُبْدِ فخذك ، ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميت . وهذا فيه إشعار بأمره له في حق نفسه . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي[(١)] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا محمد بن يعقوب ، ثنا يحيى بن محمد بن يحيى ، ثنا ضمرة[(٢)] ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا مَعْمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : قال علي : غسّلتُ رسول الله ﷺ فذهبتُ أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً ، وكان طيِّباً حيّاً وميّتاً ﷺ . وقد رواه أبو داود في « المراسيل » ، وابن ماجه[(٣)] ، من حديث معمر به . زاد البيهقي في روايته : قال سعيد بن المسيّب : وقد ولي دفنَه ، عليه الصلاة والسلام ، أربعة : علي ، والعباس ، والفضل ، وصالح مولى رسول الله ﷺ ، لحَدوا له لحداً ، ونصبوا عليه اللَّبِن نَصْباً .

وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين ، منهم : عامر الشعبي ، ومحمد بن قيس ، وعبد الله بن الحارث ، وغيرهم بألفاظ مختلفة يطولُ بسطُها هاهنا .

وقال البيهقي[(٤)] : وروى أبو عمرو كيسان[(٥)] ، عن يزيد بن بلال ، سمعتُ علياً يقول : وصَّى رسول الله ﷺ ألا يُغَسِّلَه أحد غيري ؛ فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه . قال علي : فكان العباس وأسامة يناولاني الماء من وراء الستر . قال عليٌّ : فما تناولت عضواً إلا كأنما يقلّبه معي ثلاثون رجلاً حتى فرغتُ من غسله .

وقد أسند هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار في « مسنده »[(٦)] فقال : ثنا محمد بن عبد الرحيم ، ثنا عبد الصمد بن النعمان ، ثنا كيسان أبو عمرو ، عن يزيد بن بلال ، قال : قال علي :)[(٧)] أوصاني النبيُّ ﷺ أن لا يُغَسِّلَه أحدٌ غيري . « فإنّه لا يرى أحد عَوْرتي إلا طُمِسَتْ عَيْناه » . قال علي : فكان العباسُ وأسامة يناولاني الماء من وراء الستر . قلت : هذا غريب جداً .

وقال البيهقي[(٨)] : أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل ، ثنا أبو العباس الأصم ، ثنا أسيدُ بن عاصم ، ثنا الحسين بن حفص ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن جُرَيْج ، سمعت محمد بن علي أبا جعفر . قال : غُسِّلَ النبيُّ ﷺ بالسِّدْرِ ثلاثاً ، وغُسِّلَ وعليه قميصٌ ، وغُسِّل من بئرٍ كان يقال لها : « الغَرْسُ » بقُباء ،

---

(١) دلائل النبوة (٧/ ٢٤٣) .
(٢) في الدلائل : (مسدد) .
(٣) أبو داود في المراسيل (٤١٥) وابن ماجه (١٤٦٧) ، وهو حديث صحيح .
(٤) دلائل النبوة (٧/ ٢٤٤) .
(٥) أ : (أبو عمرو بن كيسان) وانظر كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي (٤/ ١٣) .
(٦) رقم (٨٤٨) .
(٧) ليس ما بين القوسين في ط .
(٨) « دلائل النبوة » (٧/ ٢٤٥) .

كانت لسعد بن خيثمة ، وكان رسول الله يَشْرَبُ منها ، وولي غسلَهُ عليّ والفضل محتضنه[١] ، والعباس يصُبُّ الماء ، فجعل الفضلُ يقولُ : أرِحْني قَطَعْتَ وَتيني ، إنّي لأجدُ شيئاً يَترطَّل[٢] عليّ .

وقال الواقدي : ثنا عاصم بن عبد الله الحكمي ، عن عمر بن عبد الحكم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نِعْمَ البِئْرُ بئرُ غَرْسٍ هي من عُيون الجَنَّة ، وماؤها أطيبُ المياهِ » . وكان رسول الله يُسْتَعذَبُ له منها ، وغُسِّلَ من بئر غَرْس .

وقال سيفُ بن عمر ، عن محمد بن عون ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما فُرِغَ من القبر وصلَّى الناسُ الظهرَ ، أخذ العباسُ في غسلِ رسولِ الله ﷺ ، فضرب عليه كِلَّةً من ثيابٍ يمانيةٍ صِفاقٍ في جوف البيت ، فدخلَ الكِلَّة ودعا عليّاً والفضل ، فكان إذا ذهبَ إلى الماء ليُعاطيَهما دعا أبا سفيان بن الحارث فأدخله ، ورجالٌ من بني هاشم من وراء الكِلَّة ، ومن أُدْخِل من الأنصار حيث ناشَدوا أبي وسألوه منهم أوْس بن خَوْليّ ، رضي الله عنهم أجمعين .

ثم قال سيف عن الضَّحّاك بن يربوع الحنفي ، عن ماهان الحَنفيّ ، عن ابن عباس ، فذكر ضربَ الكِلَّةِ ، وأنَّ العَبّاس أدخل فيها علياً والفَضْلَ وأبا سُفْيان وأسامةَ ، ورجالٌ من بني هاشم من وراء الكِلَّة في البيت ، فذكر أنَّهم أُلْقِيَ عليهم النُّعاسُ فسَمِعوا قائلاً يقول : لا تَغْسلوا رسول الله ؛ فإنّه كان طاهراً . فقال العباس : ألا بلى . وقال أهل البيت : صَدَق ، فلا تُغَسِّلوه . فقال العباس : لا ندَعُ سُنةً لصوتٍ لا نَدْري ما هو ؟ وغشيهم[٣] النعاس ثانيةً ، فناداهم أن غسِّلُوه وعليه ثيابه . فقال أهل البيت ألا لا . وقال العباس : ألا نعم ! فشرعوا في غسله وعليه قميص ومِجْوَلٌ[٤] مفتوح ، فغسلوه بالماء القراح ، وطيَّبوه بالكافور في مواضع سجوده ومفاصله ، واعتُصِر قميصُه ومِجْوَلُه ثم أُدْرج في أكفانه . وجَمَّروه عُوداً ونَدّاً ، ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره ، وسجَّوه ، وهذا السياق فيه غرابة جداً .

صفة كفنه عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد[٥] : ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا الأوزاعي ، حدّثني الزهري ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : أُدْرِجَ رسولُ الله ﷺ في ثوبِ حِبَرةٍ ثم أُخِّرَ عنه . قال القاسم : إنّ بقايا ذلك الثَّوبِ لَعندَنا

---

(١) ط : (يحتضنه) .
(٢) الترطيل : التليين (النهاية : رطل) .
(٣) ط : (غشيهم) بلا واو .
(٤) المِجْوَل : الصُّدْرة ثوب صغير وأما مجول النبي ﷺ صدرة من حديد يعني الزَّرَديّة (النهاية : جول) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٦١) .

بعدُ . وهذا الإسناد على شرط الشَّيْخين . وإنما رواه أبو داود[(١)] ، عن أحمد بن حنبل ، والنسائي[(٢)] عن محمد بن مُثَنَّى ، ومجاهد بن موسى ، فَرَّقَهُما[(٣)] ، كلُّهم عن الوليد بن مسلم به .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي[(٤)] : ثنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كُفِّن رسولُ الله ﷺ في ثلاثةِ أثواب بيض سَحُولية[(٥)] ، ليس فيها قميصٌ ولا عمامةٌ . وكذا رواه البخاري[(٦)] عن إسماعيل بن أبي أُوَيْسٍ[(٧)] عن مالك .

وقال الإمام أحمد[(٨)] : حدَّثنا سفيان ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سَحُوليّة بيض . وأخرجه مسلم[(٩)] من حديث سفيان بن عيينة ، وأخرجه البخاري[(١٠)] ، عن أبي نُعيم ، عن سفيان الثوري ، كلاهما عن هشام بن عروة به .

وقال أبو داود[(١١)] : ثنا قتيبة ، ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أنّ رسول الله كُفِّن في ثلاثة أثوابٍ بيضٍ يمانيةٍ من كُرْسُفٍ[(١٢)] ، ليس فيها قميصٌ ولا عمامةٌ . قال : فذُكِر لعائشة قولُهم : في ثوبين وبُرْد حِبَرةٍ ، فقالت : قد أُتي بالبُرْد ، ولكنهم رَدُّوه ولم يُكَفِّنوه فيه . وهكذا رواه مسلم[(٥)] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن حفص بن غياث به .

وقال البيهقي[(١٣)] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، ثنا أحمد بن سَلَمة[(١٤)] ثنا هَنّاد بن السَّرِيّ ، ثنا أبو مُعاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كُفِّنَ

---

(١) أبو داود (٣١٤٩) .
(٢) السنن الكبرى للنسائي (٧١١٨) .
(٣) ط : (فرروهما) .
(٤) في مسنده ـ ترتيبه (٥٧٤) .
(٥) سحوليّة : يروى بفتح السين وضمِّها ، فالفتح منسوب إلى السَّحول ، وهو القَصّار لأنه يسحلها : أي يغسلها ، أو إلى سحُول وهي قرية باليمن . وأما الضم فهو جمع سَحْل ، وهو الثوب الأبيض النقي ولا يكون إلا من قطن . وقيل إن اسم القرية بالضم أيضاً . (النهاية : سحل) .
(٦) البخاري رقم (١٢٧٣) .
(٧) ط : (إدريس) تحريف وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٩٢) .
(٨) مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٠) .
(٩) مسلم (٩٤١) (٤٦) .
(١٠) البخاري (١٢٧١) .
(١١) أبو داود (٣١٥٢) .
(١٢) الكرسف : القطن (النهاية : كرسف) .
(١٣) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٤٧) .
(١٤) ط : (مسلم) وهو تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧٣) .

رسولُ الله ﷺ في ثلاثة أثوابٍ بيضٍ سَحُوليَّة من كُرْسُفٍ ، ليس فيها قميصٌ ولا عمامةٌ ، فأما الحلَّةُ فإنّما شُبِّه على الناس فيها ، إنَّما اشْتُرِيَتْ له[(١)] حُلَّةٌ ، ليُكَفَّن فيها ، فتُرِكتْ ، فأخذها[(٢)] عبدُ الله بن أبي بكرٍ ، فقال : لأحْبسَنَّها لنَفْسي حتى أُكَفَّنَ فيهاَ . ثم قال : لو رَضِيَها اللهُ لنبيّه ﷺ لكفَّنه فيها . فباعها وتصدَّق بثمنها . رواه مسلمٌ في « الصَّحيح »[(٣)] عن يحيى بن يحيى ، وغيره عن أبي معاوية .

ثم رواه البيهقي[(٤)] ، عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كُفِّن رسولُ الله في بُرْدِ حِبَرةٍ كانت لعبد الله بن أبي بكر ، ولُفَّ فيها ، ثم نُزِعَتْ عنه ، فكان عبدُ الله بن أبي بكر قد أمْسَكَ تلك الحلَّة لنفسه ، حتى يُكَفَّن فيها إذا مات ، ثم قال بعدَ أن أمْسَكَها : ما كنتُ أُمسِكُ لنفسي شيئاً منَع اللهُ رسولَه ﷺ أنْ يُكفَّن فيه فتَصدَّق بثَمَنِها عبدُ الله .

وقال الإمام أحمد[(٥)] : حدَّثنا عبد الرَّزاق ، ثنا معمرٌ ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كُفِّن رسولُ الله ﷺ في ثلاثةِ أثوابٍ سَحُوليّةٍ بيضٍ . ورواه النسائي[(٦)] ، عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الرزاق .

قال الإمام أحمد[(٧)] : حدَّثنا مِسْكين بن بُكَيْر ، عن سعيدٍ ، يعني ابن عبد العزيز ، قال : قال مكحول : حدّثني عروة ، عن عائشة : أنَّ رسول الله ﷺ كُفِّن في ثلاثةِ رياط[(٨)] يمانية . انفرد به أحمد .

وقال أبو يعلى المَوْصِلي : ثنا سهل بن حبيب الأنصاري ، ثنا عاصم بن هلال إمام مسجد أيوب ، ثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كُفِّن رسولُ الله ﷺ في ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ سَحوليَّة .

وقال سفيان ، عن عاصم بن عُبَيد الله ، عن سالم ، عن ابن عمر : أنَّ رسول الله ﷺ كُفِّن في ثَلاثَةِ أثواب . ووقَعَ في بعض الروايات ؛ ثَوْبَيْن صُحارِيَّين[(٩)] وبُرْدِ حِبَرةٍ .

---

(١) ليس اللفظ في ط .
(٢) ط : (وأخذها) .
(٣) مسلم (٩٤١) (٤٥) .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٣١) ، وهو حديث صحيح .
(٦) النسائي (١٨٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٧) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٦٤) ، وهو حديث صحيح .
(٨) ط : (ثلاثة أثواب رياط) والرياط جمع الرَّيطة : كل ملاءة ليست بلفقين ، وقيل كل ثوب رقيق لين (النهاية : ريط) .
(٩) صحاري نسبة إلى صحار وهي قرية باليمن وهو ثوب منسوب لهذه القرية فيقال ثوب أصحر وصحاري (النهاية : صحر) .

وقال الإمام أحمد(١) : ثنا ابن إدريس ، ثنا يزيد ، عن مِقْسم عن ابن عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كُفِّن في ثلاثة أثوابٍ ، في قَميصه الذي مات فيه ، وحُلَّةٍ نَجْرانية ـ الحلة ثوبان .

ورواه أبو داود(٢) عن أحمد بن حنبل ، وعثمان بن أبي شَيْبَة ، وابنُ ماجه(٣) ، عن علي بن محمد ، ثلاثتُهم عن عبد الله بن إدريس، عن يزيد بن أبي زياد، عن مِقْسَم، عن ابن عباسٍ بنحوه. وهذا غريب جداً(٤) .

وقال الإمام أحمد(٥) أيضاً : حدَّثنا عبد الرزاق ، ثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كُفِّنَ رسولُ الله ﷺ في ثَوْبَيْن أبْيَضَيْن وبُرْدٍ أحمر(٦) . انفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أبو بكر الشافعي : ثنا علي بن الحسن ، ثنا حُمَيْد بن الرَّبيع ، ثنا بكرٌ ، يعني ابن عبد الرحمن ، ثنا عيسى ، يعني ابن المختار ، عن محمد بن عبد الرحمن ، هو ابن أبي ليلى ، عن عطاء عن ابن عباس ، عن الفضل بن عباس ، قال : كُفِّنَ رسولُ الله في ثوبَيْن أبْيَضَيْن وبُرْدٍ أحمر(٧) .

وقال أبو يعلى(٨) : ثنا سليمان الشاذكوني ، ثنا يحيى بن أبي الهيثم ، ثنا عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن الفضل ، قال : كُفِّنَ رسولُ الله ﷺ في ثَوْبَيْن أبيضين سَحُوليَّين ، زاد فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى : وبُرْدٍ أحْمَر .

وقد رواه غيرُ واحدٍ ، عن أبي(٩) إسماعيل المُؤَدّب ، عن يعقوب بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس عن الفضل ، قال : كُفِّن رسولُ الله ﷺ في ثَوْبَيْن أبيضين ، وفي روايةٍ : سحولية ، فالله أعلم .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي طاهر المُخَلِّص ، ثنا أحمد بن إسحاق [البُهْلول] ، ثنا عَبَّاد بن يَعْقوب ، ثنا شَريك عن أبي إسحاق . قال : وقعتُ على مجلس بني عبدِ المُطَّلب وهم

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٢٢) .
(٢) أبو داود (٣١٥٣) .
(٣) ابن ماجه (١٤٧١) .
(٤) يزيد بن أبي زياد مجمع على ضعفه .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٣١٣) ، وإسناده ضعيف لضعف ابن أبي ليلى ، ولانقطاعه فإن الحكم لم يسمعه من مقسم (بشار) .
(٦) ط : (وبد حمراء) .
(٧) ط : (وبرد حمراء) .
(٨) مسند أبي يعلى (٦٧٢٠) .
(٩) ليس اللفظ في ط . وهو أبو إسماعيل المؤدب إبراهيم بن سليمان بن رزين ، (تهذيب التهذيب ١/ ١٢٥) .

متوافرون ، فقلتُ لهم : في كمْ كُفِّنَ رسولُ الله ﷺ ؟ قالوا : في ثلاثةِ أثوابٍ ليس فيها قميصٌ ولا قَباءٌ[١] ولا عمامةٌ .

قلت : كمْ أسرَ منكمْ يومَ بدرٍ ؟ قالوا : العَبّاسُ ونَوْفَلُ وعَقيلٌ .

وقد روى البيهقي[٢] من طريق الزهري ، عن عليّ بن الحسين زَيْن العابدين ، أنه قال : كُفِّنَ رسولُ الله في ثلاثةِ أثوابٍ أحدُها بُرْد[٣] حِبَرةٍ .

وقد ساقه الحافظُ ابنُ عساكر من طريقٍ ، في صحَّتِها نظرٌ ، عن علي بن أبي طالب ، قال : كَفَّنْتُ رسولَ الله ﷺ في ثوبين سَحُوليَّين وبُرْد حِبَرَةٍ .

وقد قال أبو سعيد بن الأعرابي[٤] : حدَّثنا إبراهيم بن الوليد ، ثنا محمد بن كثير ، ثنا هشام ، عن قَتادة ، عن سَعيد بن المُسيّب ، عن أبي هريرة . قال : كُفِّن رسولُ الله ﷺ في رَيْطتَيْن وبُرْدٍ نَجْرانيٍّ . وكذا رَواهُ أبو داود الطَّيالسيّ ، عن هشام ، وعمران القَطان ، عن قتادة ، عن سعيد ، عن أبي هريرة به .

وقد رواه الرَّبيعُ بن سُلَيْمان ، عن أسد بن موسى ، ثنا نصر بن طَريف ، عن قَتادة ، ثنا ابن المُسيّب ، عن أم سَلَمة : أنَّ رسولَ الله كُفِّن في ثلاثة أثوابٍ أحدُها بُرْدٌ نَجْراني .

وقال البيهقي[٥] : وفيما رُوِّينا عن عائشة بيانُ سبب الاشتباه على الناس ، وأنّ الحِبرةَ أُخِّرتْ عنه . والله أعلم .

ثم روى الحافظ البيهقي ، من طريق محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ثنا يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرقي ، عن حُمَيْد بن عبد الرحمن الرُّؤاسي ، عن حَسَن بن صالحٍ عن هارون بن سعد[٦] ، قال : كان عند عليٍّ مِسْكٌ ، فأوصى أن يُحَنَّط به ، وقال : هو من فَضْل حَنوطِ رسول الله ﷺ . ورواه[٧] من طريقِ إبراهيم بن موسى ، عن حميدٍ ، عن حسن ، عن هارون ، عن أبي وائلٍ ، عن عليّ . . . فذكره .

كيفية الصلاة عليه ﷺ

وقد تقدم الحديث الذي رواه البيهقيُّ من حديث الأشعث بن طَليقٍ ، والبزّار من حديث

(١) «القباء» : الثوب الذي يلبس ، مشتق من قبا الشيء : إذا جمعه بأصابعه لاجتماع أطرافه ، والجمع أقبية (اللسان : قبا) .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٤٨) .
(٣) ط : (برد حمراء) وهي زيادة ليست في النسخة الأخرى « أ » .
(٤) ط : (ابن الأرعبي) تحريف .
(٥) دلائل النبوة (٧/ ٢٤٩) .
(٦) أ ، ط : (سعيد) تحريف . وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٤) .
(٧) دلائل النبوة (٧/ ٢٤٩) .

ابن[١] الأصبهاني ، كلاهما عن مُرَّة ، عن ابن مسعود : في وصِيَّة النبيّ ﷺ أن يُغَسِّلَه رجالُ أهلِ بَيْتِه ، وأنه قال : كَفِّنوني في ثيابي هذه ، أو في يمنية[٢] أو بياضِ مصر ، وأنه إذا كفَّنوه يضعونه على شَفير قَبْره ، ثم يَخْرجون عنه حتى تُصَلّي عليه الملائكةُ ، ثم يدخلُ عليه رجال أهلِ بيتِه فيصلُّون عليه ، ثمّ الناس بعدهم فرادى . . . الحديث بتمامه ، وفي صحته نظرٌ كما قدمنا ، والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : حدّثني الحسين بن عبد الله بن عُبَيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما مات رسول الله ﷺ أُدخِلَ الرجالُ فَصَلَّوا عليه بغيرِ إمام أرسالاً حتى فرغوا ، ثم أُدخِلَ النِّساءُ فَصَلَّيْنَ عليه ، ثم أُدْخِل الصِّبْيان فَصَلَّوا عليه ، ثم أُدْخِلَ العَبيدُ فَصَلَّوا عليه أرْسالاً ، لم يَؤُمَّهُمْ على رسول الله ﷺ أحدٌ .

وقال الواقدي[٤] : حدّثني أبيُّ بن عَباس[٥] بن سَهْل بن سَعْد ، عن أبيه ، عن جده . قال : لما أُدرِجَ رسول الله ﷺ في أكْفانِهِ وُضِعَ على سَريره ، ثم وُضِعَ على شَفير حُفْرَتِهِ ، ثم كان الناسُ يَدْخُلونَ عليه رُفقاء رُفقاءَ ، لا يَؤُمُّهُمْ عليه[٦] أحدٌ .

قال الواقدي : حدّثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، قال : وجدتُ كتاباً[٧] بخطِّ أبي فيه أنَّه لما كُفِّنَ رسولُ الله ﷺ ووُضِعَ على سَريره ؛ دَخَلَ أبو بكرٍ وعمر ، رضي الله عنهما ، ومَعَهُما نفرٌ من المهاجرين والأنْصار بقدرِ ما يَسَعُ البَيْتُ ، فقالا : السَّلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، وسلَّم المهاجرون والأنصارُ كما سلَّم أبو بكر وعُمر[٨] ، ثم صُفُّوا صُفوفاً لا يَؤُمُّهم أحدٌ ، فقال أبو بكر وعمر ـ وهما في الصف الأول حِيالَ رسول الله ﷺ ـ اللَّهُمّ إنّا نَشْهَدُ أنَّه قد بَلَّغَ ما أُنْزِلَ إليه ، ونَصَحَ لأمَّتِه ، وجاهَدَ في سبيلِ اللهِ حتَّى أعزَّ اللهُ دينَه وتمَّت كلمتُهُ ، وأُوْمِنَ به وحدَهُ لا شريكَ له ، فاجْعَلنا إلَهنا مِمَّن يَتَّبعُ القولَ الذي أُنْزِل معه ، وأجمعْ بينَنا وبينَه حتّى تُعَرِّفَه بنا وتُعَرِّفَنا به[٩] فإنّه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، لا نَبْتَغي بالإيمان به بديلاً ، ولا نَشْتَري به ثَمناً أبداً . فيقول الناس : آمين آمين ، ويخرجون ويدخلُ آخرون حتى صَلَّى الرجالُ . ثم النساء ، ثم الصبيانُ .

---

(١) ليس اللفظ في ط .
(٢) ط : (يمانية) .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٥٠) .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٥٠) .
(٥) ط : (عياش) تحريف . وانظر تهذيب التهذيب (١/ ١٨٦) .
(٦) ليست (عليه) في الدلائل .
(٧) أ : (صحيفة) وفي الدلائل (صحيفة كتاباً) .
(٨) ليس (عمر) في الدلائل .
(٩) ط : (له) .

وقد قيل : إنَّهم صلَّوا عليه من بعدِ الزَّوال يومَ الإثنين إلى مثلِه من يومِ الثلاثاءِ . وقيل : إنَّهم مَكَثوا ثلاثةَ أيامٍ يصلُّون عليه ، كما سيأتي بيانُ ذلك قريباً . والله أعلم .

وهذا الصَّنيعُ ، وهو صلاتُهم عليه فُرادى لم يَؤُمَّهم أحدٌ عليه ، أمرٌ مُجمَعٌ عليه لا خلافَ فيه ، وقد اختُلِفَ في تَعْليلِهِ ؛ فَلَوْ صَحَّ الحديثُ الذي أوْرَدْناه عن ابن مسعودٍ لكانَ نَصّاً في ذلك ويكون من باب التَّعَبُّدِ الذي يعسُرُ تعقُّلُ معناه ، وليس لأحدٍ أن يقولَ لأنَّه لم يكنْ لهم إمامٌ لأنّا قد قَدَّمنا أنَّهم إنَّما شَرَعوا في تَجْهيزه عليه الصلاة والسلام بعدَ تَمامِ بَيْعةِ أبي بكرٍ ، رضي الله عنه وأرضاه ، وقد قال بعضُ العلماء : إنَّما لم يَؤُمَّهم أحدٌ ، ليُباشرَ كلُّ واحدٍ من النّاس الصلاةَ عليه منه إليه ، ولتُكرَّرَ صلاةُ المُسلمينَ عليه مرةً بعد مرةٍ ، من كلِّ فردٍ فردٍ من آحادِ الصَّحابة ، رجالُهم ونساؤُهم وصبيانُهم حتى العبيدُ والإماءُ .

وأما السُّهَيْلي[١] فقال ما حاصله : إنّ اللهَ قد أخبرَ أنه وملائكتَه يصلُّون عليه ، وأمرَ كلَّ واحدٍ من المؤمنين أن يصلِّي عليه ، فوجب على كل أحدٍ أن يُباشرَ الصلاةَ عليه منه إليه ، والصلاةُ عليه بعد موته من هذا القَبيل . قال : وأيضاً فإنَّ الملائكةَ لنا[٢] في ذلك أئمةٌ . فالله أعلم .

وقد اختلف المُتأَخِّرون من أصحاب الشافعيّ في مشروعيَّةِ الصَّلاةِ على قَبْرِه لغير الصحابة .

فقيل : نعم ، لأنَّ جَسَدَهُ عليه الصلاة والسّلام طَريٌّ في قَبْره ، لأنَّ اللهَ قد حَرَّمَ على الأرْضِ أن تأْكُلَ أجسادَ الأنبياء ، كما وَرَدَ بذلك الحديثُ في السُّنَنِ وغيرها[٣] ، فهو كالمَيِّتِ اليومَ . وقال آخرون : لا يَفْعَلُ ؛ لأن السَّلفَ مِمَّنْ بَعْدَ الصَّحابة لم يَفْعَلُوهُ ، ولو كان مَشْروعاً لبادَروا إليه ، ولثابَروا عليه ، والله أعلم .

صِفَةُ دَفْنِهِ عليه الصلاة والسلام وأيْن دُفن
(وذكر الخلاف في دفنه ليلاً كان أو نهاراً)[٤]

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثَنا عبد الرزاق ، ثنا ابن جُرَيْج ، أخبرني أبي - وهو عبد العزيز بن جُرَيْج - : أنَّ أصحابَ النبيِّ ﷺ ، (لم يَدْروا أين يَقْبرُون[٦] النبي ﷺ . حتَّى قال أبو بكر : سَمِعْتُ

(١) الروض الأنف (٧/ ٥٨٩) .
(٢) ط : (قالت لنا) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٨) وأبو داود رقم (١٠٤٧) و(١٥٣١) والنسائي رقم (١٣٧٣) وابن ماجه رقم (١٠٨٥) ، وهو حديث صحيح .
(٤) ليس ما بين القوسين في ط .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٧) .
(٦) ط : (يقبروا) خطأ .

النبيَّ ﷺ)[١] يقول : لمْ يُقبرْ نبيٌّ إلا حيث يموتُ ، فأَخَّروا فِراشَه ، وحَفَروا تحت فِراشِه ﷺ . وهذا فيه انقطاعٌ بينَ عبد العزيز بن جُرَيْجٍ وبينَ الصّدّيق ، فإنّه لم يدركه .

لكن رواهُ الحافظُ أبو يَعْلَى[٢] منْ حديث ابنِ عبّاسٍ ، وعائشةَ ، عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهم ، فقال : ثنا أبو موسى الهَرَوي ، ثنا أبو معاوية ، ثنا عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن ابن أبي مُلَيكة ، عن عائشة ، قالت : اخْتَلفوا في دَفْنِ النبيِّ ﷺ حينَ قُبضَ ، فقال أبو بكر : سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول : « لا يُقْبضُ النبيُّ إلا في أحبِّ الأمْكِنَةِ إليه » . فقال : ادْفِنُوه حيث قُبِضَ .

وهكذا رواه الترمذيّ[٣] ، عن أبي كُرَيْبٍ ، عن أبي معاوية ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر المُلَيْكي ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن عائشة ، قالت : لما قُبضَ رسولُ الله ﷺ اخْتَلفُوا في دَفْنِه ، فقال أبو بكر : سَمِعْتُ منْ رسولِ اللهِ شَيْئاً ما نَسيتُه . قال : « ما قَبَضَ الله نَبيّاً إلا في المَوْضِعِ الذي يَجبُ أن يُدْفَنَ فيه » . ادْفِنُوهُ في مَوْضِعِ فِراشِهِ . ثم إنَّ الترمذيَّ ضَعَّفَ المُلَيْكي ، ثم قال : وقد رُوِيَ هذا الحديثُ من غير هذا الوجه ، رواه ابنُ عباسٍ عن أبي بكر الصديق ، عن النبي ﷺ .

وقال الأموي ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، عن رجل حَدَّثَهُ ، عن عروة ، عن عائشة : أنَّ أبا بكرٍ ، قال : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّه لَمْ يُدْفَنْ نبيٌّ قَط إلا حيث قُبض » .

وقال[٤] أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدّثني محمد بن سهل التّميمي ، ثنا هشام بن عبد الملك الطيالسي ، عن حمّاد بن سَلَمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كانَ بالمدينة حَفّاران ، فلما ماتَ النبيُّ ﷺ ، قالوا : أين نَدْفِنه ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : في المكان الذي مات فيه ، وكان أحدُهما يَلْحَدُ والآخر يَشُقّ ، فجاء الذي يَلْحَدُ فَلَحَدَ للنبيِّ ﷺ . وقد رواهُ مالك[٥] بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه منقطعاً .

وقال أبو يعلى[٦] : حدَّثنا جَعْفَر بن مِهْران ، ثنا عبد الأعلى ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني حسين[٧] بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يَحْفِروا للنبيِّ ﷺ ، وكان

(١) ليس ما بين القوسين في أ .
(٢) مسند أبي يعلى (٤٥) .
(٣) الترمذي (١٠١٨) ، وهو حديث حسن .
(٤) ط : (قال) بلا واو .
(٥) الموطأ (١/ ٢٣١) .
(٦) مسند أبي يعلى (٢٢) .
(٧) أ : (حنين) وليس اللفظ في ط . وهو الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي المدني : روى عن ربيعة بن عباد وله صحبة وعن عكرمة وغيرهما . روى عنه هشام بن عروة وابن إسحاق وغيرهما . قال ابن سعد : توفي سنة (١٤٠) أو (١٤١) انظر (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) .

أبو عبيدة بن[1] الجراح يَضْرحُ كحفر[2] أهلِ مكة ، وكان أبو طلحة زيدُ بن سَهْل هو الذي كان يَحْفِرُ لأهْل المدينة ، وكان يَلْحَدُ ، فدعا العبّاسُ رجلين ، فقال لأحدِهما : اذْهَبْ إلى أبي عُبَيْدة . وقال للآخر : اذْهَبْ إلى أبي طَلْحَة . اللّهمَّ خِرْ لرسولك . قال : فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة ، فجاءَ به فَلَحَدَ لرسولِ الله ﷺ . فلما فُرِغَ من جَهازِ رسول الله ﷺ يومَ الثّلاثاء وُضِعَ على سَريره في بيته ، وقد كانَ المسلمون اخْتَلَفوا في دَفْنِهِ . فقال قائل : نَدْفِنُهُ في مَسْجِدِهِ . وقال قائل : نَدْفِنُهُ مع أصحابه . فقال أبو بكر : إنّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما قُبِضَ نبيٌّ إلا دُفِنَ حَيْثُ قُبِضَ » . فرفِعَ فراشُ رسولِ الله ﷺ الذي تُوفِّيَ فيه فحَفَروا له تَحْتَه ، ثمّ أُدْخِلَ الناسُ على رسول الله ﷺ يُصلّون عليه أرْسالاً ؛ الرجالُ ، حتى إذا فُرِغَ منهم ، أدْخِلَ النِّساءُ ، حتى إذا فَرَغَ النساءُ ، أُدْخِلَ الصِّبْيانُ ، ولم يَؤُمَّ الناسَ على رسول الله ﷺ أحدٌ . فدفن رسول الله ﷺ من أوسطِ اللَّيْل ليلةَ الأرْبعاء .

وهكذا رواه ابن ماجه[3] ، عن نصرِ بن عليّ الجَهْضَمي ، عن وهب بن جَرير ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، فذكر بإسناده مثله . وزاد في آخره ونزل[4] في حُفْرتِه عليُّ بن أبي طالب ، والفَضْلُ وقُثَمُ ابنا عباس، وشُقْرانُ مولى رسول الله ﷺ . قال أوْسُ بن خَوْليّ ـ وهو أبو ليلى ـ لعليّ بن أبي طالبٍ : أنْشُدُكَ اللهَ ! وحَظّنا من رسول الله ﷺ . قال له علي : انْزِلْ . وكان شُقْرانُ مَوْلاه أخَذَ قطيفةً كان رسولُ الله ﷺ يَلْبَسُهَا ، فَدَفَنها في القَبْر ، وقال : واللهِ لا يَلْبَسُها أحدٌ بَعْدَك . فدُفِنَتْ مَعَ رسولِ الله ﷺ . وقد رواه الإمامُ أحمد[5] ، عن حسين بن محمد ، عن جرير بن حازم ، عن ابن إسحاق ، مختصراً . وكذلك رواه يونس بن بُكَيْر وغيره ، عن ابن[6] إسحاق به . وروى الواقدي[7] : عن ابن أبي حَبيبة ، عن داود بن الحصين عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبي بكر الصديق ، عن رسول الله ﷺ: « ما قَبَضَ اللهُ نَبيّاً إلا ودُفِنَ حيثُ قُبِضَ » .

وروى البيهقي[8] ، عن الحاكم ، عن الأصَمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصَيْن ، أو محمد بن جعفر بن الزبير ،

---

(١) ليس اللفظ في ط .
(٢) ط : (لحفر) .
(٣) ابن ماجه (١٦٢٨) ، وإسناده ضعيف بطوله ، وانظر ما ثبت منه عند ابن ماجه رقم (١٥٥٧) و(١٥٥٨) .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٩٢) ، وهو حديث صحيح .
(٦) ليس اللفظ في ط .
(٧) ابن سعد (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٦١) .
(٨) دلائل النبوة (٧/ ٢٦٠ ـ ٢٦١) .

قال : لمّا ماتَ رسولُ الله ﷺ اخْتَلَفوا في دَفْنِه فقالوا : كيف نَدْفِنُهُ مع الناس أو في بيوتِه ؟ فقال أبو بكر : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما قَبَضَ اللهُ نَبيّاً إلا دُفِنَ حَيْثُ قُبِضَ » . فدُفِنَ حيث كان فراشُه رُفِعَ وحُفِر تَحْتَه .

وقال الواقدي(١) : حدَّثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن عثمان بن محمد الأَخْنسيّ ، عن عبد الرحمن بن سعيد ـ يعني ابن يربوع ـ قال : لمّا تُوفّي النبيُّ ﷺ اخْتَلَفُوا في موضع قَبْره . فقال قائل : في البَقيع ، فقد كان يُكْثِرُ الاستغفار لهم ، وقال قائل : عند منبره ، وقال قائل : في مُصَلّاه . فجاء أبو بكر . فقال : إنَّ عندي من هذا خبراً وعلماً ، سمِعْتُ رسولَ الله يقول : ما قُبِضَ نبيٌّ إلا دُفِنَ حَيْثَ تُوفّي . قال الحافظ البيهقي(٢) : وهو في حديث يَحْيَى بن سَعيد ، عن القاسم بن محمد ، وفي حديث ابن جُرَيْجٍ ، عن أبيه ، كلاهما عن أبي بكر الصّدّيق ، عن النبي ﷺ مرسلاً .

وقال البيهقي(٣) : عن الحاكم ، عن الأصَمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن سَلَمة بن نُبَيْط بن شَرِيط ، عن أبيه ، عن سالم بن عُبَيْد ، وكان من أصحاب الصُّفَّةِ ، قال : دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ حين مات ، ثم خرج ، فقيل له : تُوفّي رسولُ الله ﷺ ؟ قال : نعم . فعلموا أنّه كما قال ، وقيل له : أنُصلِّي عليه ؟ وكيف نصلي عليه . قال : تَجيئون عُصَباً عُصَباً فتُصَلُّون ، فعلموا أنَّه كما قال ، قالوا : هل يُدْفَنُ وأين ؟ قال : حيث قَبضَ اللهُ روحَه ، فإنّه لم يَقْبِضْ روحَه إلا في مكانٍ طيّب فعلموا أنه كما قال .

وروى البيهقي(٤) من حديث سُفْيان بن عُيَينة ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سَعيد بن المُسَيّب ، قال : عَرَضتْ عائشةُ على أبيها رُؤْيا ، وكان من أعْبَر الناس ، قالت : رأيتُ ثلاثةَ أقمارٍ وَقَعْنَ في حَجْري ، فقال لها : إن صدقَتْ رُؤْياك دُفِنَ في بيتك منْ خير أهلِ الأرض ثلاثة . فلما قُبضَ رسولُ الله ﷺ قال : يا عائشةُ ، هذا خيرُ أقْمارك . ورواه مالك(٥) ، عن يحيى بن سعيد ، عن عائشة مُنْقطعاً . وفي « الصحيحين »(٦) عنها أنها قالت : تُوُفِّي النبيُّ ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سَحْري ونَحْري ، وجَمَعَ اللهُ بَيْنَ ريقي وريقِه في آخر ساعةٍ من الدنيا وأول ساعة من الآخرة .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٦١) .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٦١) .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٥٩) .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) .
(٥) الموطأ (١/ ٢٣٢) .
(٦) البخاري (٣١٠٠ ، ٤٤٤٩ ـ ٤٤٥١ ، ٥٢١٧) ومسلم (٢٤٤٣ ، ٢٤٤٤) .

وفي صحيح البخاري[١] : من حديث أبي عَوانة[٢] ، عن هلال الوَزّان[٣] ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ في مرضه الذي ماتَ فيه يقول : « لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى اتَّخذوا قُبور أنبيائهمْ مساجدَ » . قالَتْ عائشةُ : ولولا ذلك لأُبْرِزَ قبره ، غيرَ أنه خَشِيَ أن يُتَّخذَ مَسْجداً .

وقال ابن ماجه[٤] : حدَّثنا محمود بن غيلان ، ثنا هاشِمُ بن القاسِم ، ثنا مبارك بن فَضالة ، حدّثني حُمَيْد الطَّويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لمّا تُوفِّي رسول الله ﷺ ، وكان بالمدينة رجلٌ يَلْحَدُ ، والآخر يَضْرَحُ ، فقالوا : نَسْتخيرُ رَبَّنا[٥] ونبعثُ إليهما فأيُّهما سُبق تركناه . فأُرْسِل إلَيْهما فَسَبَقَ صاحبُ اللَّحدِ ، فَلَحَدوا لِلنَّبي ﷺ . تفرد به ابن ماجه ، وقد رواه الإمام أحمد[٦] ، عن أبي النَّضر هاشم بن القاسم به .

وقال ابن ماجه[٧] أيضاً : حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة بن عَبيدة[٨] بن زَيْد، ثنا عُبَيْد بن طُفَيْل ، ثنا عبدُ الرحمن ابن أبي مُلَيْكة ، حدّثني ابن أبي مُلَيْكة ، عن عائشة ، قالت : لمّا ماتَ رسولُ الله ﷺ اخْتَلَفوا في اللَّحْدِ والشَّقّ ، حتى تكَلَّموا في ذلك ، وارتفعت أصواتهم ، فقال عمر : لا تَصْخبوا عندَ رسول الله ﷺ حَيّاً ولا ميّتاً ـ أو كلمة نَحْوهَا ـ فارسلوا إلى الشَّقّاق واللاَّحِدِ جميعاً ، فجاء اللاّحد ، فلحدَ لرسول الله ﷺ ثم دُفِنَ ، تَفَرَّدَ به ابن ماجه .

وقال الإمام أحمد[٩] : حدَّثنا وكيع ، ثنا العُمَري ، عن نافع ، عن ابن عمر[١٠] وعن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة : أنَّ رسولَ الله ﷺ أُلْحِدَ له لَحْدٌ . تفرَّدَ به أحمد من هذين الوجهين .

---

(١) البخاري (١٣٩٠) .

(٢) أ : (أبي قوام) وهو تحريف . وهو الوَضّاح بن عبد الله اليشكري مولى يزيد بن عطاء أبو عوانة الواسطي البزاز ، روى عن هلال الوزان . مات في سنة ست وسبعين ومئة (تهذيب التهذيب ١١/ ١١٦ ـ ١٢٠) .

(٣) ط ، أ : (الوراق) تحريف . وهو هلال بن أبي حميد ، ويقال ابن حُميد ، ويقال ابن عبد الله بن عبد الرحمن ويقال ابن مِقْلاص الجهني مولاهم أبو عمرو ويقال أبو أمية ويقال أبو الجهم الكوفي الصيرفي الجهبذ الوزّان . روى عن عروة بن الزبير وغيره وعنه أبو عوانة وغيره (تهذيب التهذيب ١١/ ٧٧ ـ ٧٨) .

(٤) ابن ماجه (١٥٥٧) ، وهو حديث صحيح .

(٥) ط : (الله) .

(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٣٩) .

(٧) ابن ماجه (١٥٥٨) ، وإسناده ضعيف ، لجهالة عبيد بن طفيل ، وضعف شيخه عبد الرحمن .

(٨) أ ، ط : (شيبة عن عبيدة) وفيها تحريف وخطأ وهو شبّة بن عَبيدة بن زيد بن رائطة النميري أبو زيد بن أبي معاذ البصري النحوي الأخباري (انظر تهذيب التهذيب (٧/ ٤٦٠) وتقريبه (٤١٣) .

(٩) مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٤) ، (٦/ ١٣٦) ، وهو حديث صحيح لغيره .

(١٠) ط : (عمرو وعن) .

وقال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا يحيى عن(٢) شعبة ، وابن جعفر ، ثنا شعبة ؛ حدّثني أبو جَمْرة(٣) عن ابن عباس ، قال : جُعِل في قبرِ النبيِّ ﷺ قَطيفةٌ حمراءُ . وقد رواه مسلم(٤) والتّرمذي(٥) والنسائي(٦) من طرقٍ ، عن شعبة به . وقد رواه وكيعٌ عن شعبة . وقال وكيع : كان هذا خاصّاً برسولِ الله ﷺ رواه ابن عساكر .

وقال ابن سعد(٧) : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنْصاري ، ثنا أشعثُ بن عبد الملك الحُمْراني ، عن الحسن : أنَّ رسولَ الله ﷺ بُسِطَ تحتَه سَمَلُ(٨) قَطيفةٍ حَمْراءَ كان يلبسُها . قال(٩) : وكانت أرضاً نَدِيَّةً .

وقال هُشَيْمٌ عن(١٠) منصور ، عن الحسن ، قال : جُعِلَ في قبر النبيّ ﷺ قَطيفةٌ حَمْراءُ ، كان أصابها يومَ حنين . قال الحسن : جَعَلَها ؛ لأنَّ المدينة أرضٌ سَبِخَةٌ .

وقال محمد بن سعد(١١) : ثنا حَمّادُ بن خالد الخَيّاط ، عن عُقْبة بن أبي الصَّهْباءِ ، سمعتُ الحسنَ يقول : قال رسول الله ﷺ : «افرشُوا لي قطيفتي(١٢) في لَحْدي ، فإنَّ الأرضَ لم تُسَلَّطْ على أجساد الأنبياء» .

وروى البيهقي(١٣) من حديث مُسَدّد ، ثنا عبد الواحد ، ثنا مَعْمرٌ ، عن الزُّهْري ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : قال عليّ : غَسَّلْتُ النبيَّ ﷺ ، فذهبتُ أنظر إلى ما يكونُ من الميِّت ، فلم أر شيئاً ، وكان طَيِّباً حيّاً وميّتاً ﷺ . قال : وَوَلِيَ دَفْنَهُ عليه الصلاة والسلام وإجْنانه(١٤) دون النّاسِ أرْبَعَةٌ : عليٌّ ،

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٢٨) .
(٢) ط : (يحيى بن شعبة) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٥) ، وتهذيب التهذيب (١١/ ٢١٦) وهو يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي أبو سعيد البصري الأحول الحافظ روى عن خلق كثير منهم شعبة . روى عنه أحمد بن حنبل وغيره خلق كثير . توفي سنة (١٩٨) .
(٣) ط : (أبو حمزة) تحريف . وقد تقدمت الإشارة إليه . وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤٣) .
(٤) مسلم (٩٦٧) .
(٥) الترمذي (١٠٤٨) .
(٦) النسائي (٢٠١١) .
(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٩٩) .
(٨) أ : (سماك) وليس اللفظ في ط . والسَّمَلُ : الخَلَق من الثياب . وقد سَمَلَ الثوبُ وأسْمَلَ (النهاية : سمل) .
(٩) هذا آخر لفظ في الورقة (٧٢٣) من الأصل . وبعده انقطاع بقدر ورقتين في النسخة أ .
(١٠) ط : (هشيم بن منصور) . والأشبه ما أثبته لأنّ هشيماً هو ابن بشير بن القاسم بن دينار السلمي ، أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي روى عن منصور بن زاذان وغيره . روى عن أحمد بن حنبل (تهذيب التهذيب ١١/ ٥٩ ـ ٦٤) .
(١١) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٩٩) .
(١٢) م : (قطيفة) وما أثبته عن الطبقات .
(١٣) دلائل النبوة (٧/ ٢٤٣ ، ٢٤٤) .
(١٤) إجنانه ، أي دفنه وستره . ويقال للقبر : الجَنَنُ ، ويجمع على أجْنان (النهاية : جنن) .

والعَبّاسُ ، والفَضْلُ ، وصالحٌ مولى النبي ﷺ ، ولُحِدَ للنَّبيّ ﷺ لحدٌ[١] ، ونُصِبَ عليه اللَّبِنُ نَصْباً .

وذكر البيهقيُّ[٢] ، عن بعضهم : أنه نُصِبَ على لَحْدِه عليه الصلاة والسلام تسعُ لَبِناتٍ .

وروى الواقدي، عن ابن أبي سَبْرَة ، عن عباس[٣] بن عبد الله بن مَعْبَد ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ موضوعاً على سَريره من حين زاغَتِ الشمسُ من يوم الإثنين إلى أن زاغَتِ الشمسُ يومَ الثلاثاء ، يصلِّي الناسُ عليه وسريرُه على شَفيرِ قَبْره . فلما أرادوا أن يَقْبُروه عليه الصلاة والسلام نَحَّوْا السَّريرَ قِبَلَ رِجْليه، فأُدْخِلَ منْ هُناك. ودخلَ في حُفْرَتِهِ العباسُ وعليٌّ وقُثَم والفَضْلُ وشُقْرانُ.

وروى البيهقي[٤] من حديث إسماعيل السُّدّي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : دخلَ قبرَ رسولِ الله ﷺ العباسُ وعليٌّ والفضلُ ، وسوَّى لَحْدَه رجلٌ من الأنصار ، وهو الذي سَوَّى لحودَ قُبور الشهداء يومَ بدرٍ . قال ابن عساكر : صوابه يوم أحد . وقد تقدَّمَ روايةُ ابن إسحاق ، عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الذين نزلوا في قَبْرِ رسول الله ﷺ : عليٌّ والفَضْلُ وقُثَمُ وشُقْرانُ ، وذكر الخامِسَ وهو أوْسُ بن خَوْليٍّ ، وذكر قصةَ القَطيفة التي وضعها في القبر شُقْران .

وقال الحافظ البيهقي[٥] : أخبرنا أبو طاهر الفقيه ، أنا أبو طاهر المُحَمَّداباذيّ ، ثنا أبو قِلابة ، ثنا أبو عاصم ، ثنا سفيان بن سعيد ، هو الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبيّ ، قال : حدّثني أبو مَرْحَبٍ ، قال : كأنّي أنْظُر إليهم في قبر النبيّ ﷺ أربعةً ؛ أحدُهم عبدُ الرحمن بن عوف . وهكذا رواه أبو داود[٦] ، عن محمد بن الصَّبّاح ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد به . ثم رواه عن[٧] أحمد بن يونس ، عن زهير ، عن إسماعيل ، عن الشعبيّ ، حدّثني مَرْحَبٌ أو أبو مَرْحَبٍ ، أنهم أدْخَلوا معهم عبدَ الرحمن بن عوف ، فلما فرغَ عليٌّ قال[٨] : إنما يَلي الرَّجُلَ أهلُهُ . وهذا حديثٌ غريبٌ جداً ، وإسنادهُ جيدٌ قويٌّ ، ولا نَعْرِفُه إلا من هذا الوجه .

وقد قال أبو عمر بن عبد البر في « استيعابه »[٩] : أبو مَرْحَب اسمه سُوَيْدُ بن قيس ، وذكر أبا مرحب

---

(١) ط : (ولحد النبي لحداً) وما أثبته هو الأشبه .
(٢) دلائل النبوة (٧/ ٢٥٢) .
(٣) ليس (عباس بن) في ط . وهو عباس بن عبد الله بن معبد بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي المدني . روى عن عكرمة وغيره . (تهذيب التهذيب ٥/ ١٢٠) .
(٤) دلائل النبوة (٧/ ٢٥٤) .
(٥) دلائل النبوة (٧/ ٢٥٥) .
(٦) أبو داود (٣٢١٠) .
(٧) ليست في م استدركتها عن ابن داود (٣٢٠٩) وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٥٧ ـ ٤٥٩) .
(٨) ليس اللفظ في ط .
(٩) الاستيعاب (٤/ ١٧٥٥) .

آخر ، وقال : لا أعرف خَبَرَه . قال ابن الأثير في « الغابة »[١] : فيحتملُ أن يكون راوي هذا الحديثِ ، أحدَهما أو ثالثاً غيرَهما . ولله الحمد .

آخِرُ النَّاسِ به عَهْداً عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ

قال الإمام أحمد[٢] : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدّثني أبي إسحاق بن يسار ، عن مِقْسَم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفلٍ ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرتُ مع عليٍّ في زمانِ عمر ، أو زمانِ عُثمان ، فنزل على أُخْتِه أمّ هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغَ من عُمْرتِه رَجَع ، فسُكِبَ[٣] له غُسْلٌ فاغتسل ، فلما فَرَغَ من غُسْله دَخَلَ عليه نفرٌ من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا الحسن جِئْناكَ نسألُكَ عن أمرٍ نُحِبُّ أن تخبرنا عنه . قال : أظن المُغيرةَ بن شُعْبة يُحَدِّثُكُمْ أنه كان أحدثَ الناس عهداً برسول الله ﷺ ، قالوا : أجلْ عن ذلك جئنا نَسْأَلُكَ . قال : أحدثُ الناسِ عَهْداً برسول الله ﷺ قُثَمُ بن عباسٍ . تَفَرَّدَ به أحمد من هذا الوجه . وقد رواه يونُسُ بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحاق به ، مثلَه سواءٌ ، إلا أنه قال قبله : عن ابن إسحاق قال : وكان المغيرةُ بن شعبة يقول : أخذتُ خاتَمي فألْقَيْتُه في قبر رسول الله ﷺ ، وقلتُ حينَ خرجَ القوم : إن خاتَمي قد سَقَطَ في القبر ، وإنما طرحتُه عَمْداً ؛ لأمسَّ رسولَ الله ﷺ فأكونَ آخرَ الناس عهداً به .

قال ابن إسحاق[٤] : فحدّثني والدي إسحاقُ بن يَسارٍ ، عن مِقْسمٍ ، عن مولاه عن عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع عليٍّ . . . فذكَر ما تقدم ، وهذا الذي ذُكِرَ عن المُغيرة بن شُعْبَةَ لا يَقْتضي أنَّه حصل له ما أمَّلَه فإنّه قد يكون عليٌّ رضي الله عنه ، لم يُمَكِّنْه من النُّزولِ في القبر ، بل أمَرَ[٥] غيره فناوله إياه ، وعلى ما تقدَّم يكون الذي أمره بمُناوَلته له قُثَم بن عباس .

وقد قال الواقديُّ : حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن أبيه ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَة ، قال : ألْقَى المغيرةُ بن شعبة خاتَمَه في قبرِ رسول الله ﷺ ، (فقال عليّ : إنما ألْقَيْتَهُ لتقولَ نزلتُ[٦] في قبر النبي)[٧] ﷺ ، فنزل فأعطاه أوْ أمَرَ رجلاً فأعطاه .

---

(١) أسد الغابة (٦/ ٢٨٣) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ١٠٠ ـ ١٠١) ، وإسناده حسن .
(٣) ط : (فسكبت له غسلاً) وما أثبته عن المسند .
(٤) دلائل النبوة (٧/ ٢٥٧) .
(٥) ط : (أمر أمير) . وما أثبته عن الدلائل .
(٦) دلائل النبوة (٧/ ٢٥٨) .
(٧) ليس ما بين القوسين في أ .

وقد قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا بَهْزٌ وأبو كامل ، قالا : ثنا حَمّاد بن سَلَمة ، عن أبي عمران الجَوْنيّ ، عن أبي عَسيب أو أبي عَسيم[٢] ، قال بَهْزٌ : إنه شَهِدَ الصَّلاةَ على النبيّ ﷺ . قالوا : كيفَ نصَلِّي عليه[٣] ؟ قال : ادخلوا أرسالاً أرسالاً . فكانوا يَدْخُلون من هذا الباب ، فيُصلُّون عليه ، ثم يَخْرجون من الباب الآخر . قال : فلما وُضِعَ في لَحْدِه ﷺ . قال المُغيرة : قد بَقِيَ من رِجْلَيْه شيءٌ لم تُصْلِحُوه . قالوا : فادخُلْ فأصْلِحْهُ. فدخلَ وأدْخلَ يَدَهُ فَمَسَّ قَدَمَيْه عليه الصلاة والسلام . فقال : أهيلوا عليه التُّرابَ. فأهالوا عليه حتَّى بلغَ إلى أنصاف ساقَيْه ، ثم خرج ، فكان يقول : أنا أحْدَثُكُمْ عَهْداً برسولِ الله ﷺ.

مَتى وَقَعَ دَفْنُهُ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ[٤]

قال[٥] يونس ، عن ابن إسحاق : حدَّثَتني فاطمةُ بنتُ محمدٍ امرأةُ عبدِ الله بن أبي بكر ـ وأدْخَلني عليها ، حتى سمعتُه منها[٦] ، عن عَمْرة ، عن عائشة . أنَّها قالت : ما عَلِمْنا بدَفْن النبيِّ ﷺ حتَّى سَمِعْنا صوتَ المَساحي في جوف ليلةِ الأربعاء .

وقال الواقدي[٧] : حدَّثنا ابن أبي سَبْرة، عن الحُلَيْس بن هاشم[٨] عن عبد الله بن وهب، عن أم سلمة، قالت : بينا نحن مجتمعون نَبْكي لم ننم ، ورسول الله ﷺ في بُيوتنا ، ونحن نَتَسلَّى برؤيته على السّرير ، إذ سمعنا صوت الكَرازينِ[٩] في السَّحَر . قالت أم سلمة : فَصِحْنا وَصاحَ أهلُ المَسْجد ، فارْتَجَّتِ المدينةُ صَيْحةً واحدة ، وأذَّنَ بلالٌ بالفَجْرِ ، فلما ذكَر النبيَّ ﷺ بكى وانتحب ، فزادنا حُزْناً وعالجَ الناسُ الدخولَ إلى قَبْره ، فغُلِقَ دونَهم ، فيالها من مُصيبة ، ما أُصِبنا بعدَها بمصيبة إلا هانَتْ إذا ذكرنا مُصيبتَنا به ﷺ .

وقد روى الإمام أحمد[١٠] ، من حديث محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ،

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٨١) ، وإسناده صحيح .
(٢) أ : (أبي غيب أو أبي غنم) وفي ط : (أبي عسيب أو أبي غنم) وانظر الاستيعاب (٤/ ١٧١٥) ، والإصابة (٤/ ٣٣) و(١٣٤) .
(٣) ليس اللفظ في ط واستدركته عن الاستيعاب .
(٤) أ : (متى دفن عليه الصلاة والسلام) .
(٥) ط : (وقال) .
(٦) أ : (حتى يسمعه منا) .
(٧) دلائل النبوة (٧/ ٢٦٧) .
(٨) ط ، أ : (هشام) وانظر الجرح والتعديل (٣/ ٣١٠) .
(٩) ط : (الكرازين) بالإعمال وهو تحريف . والكِرْزِين : الفأس ، ويقال له : كِرْزَن أيضاً بالفتح والكسر ، والجمع كَرازين ، وكرازِن (النهاية : كرزن) .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٦/ ١١٠) ، وهو حديث حسن بطرقه .

عن عائشة : أنَّ رسولَ الله ﷺ تُوفِّي يومَ الإثنين ، ودفن ليلة الأربعاء . وقد تقدَّم مثله في غير ما حديثٍ . وهو الذي نصَّ عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة سلَفاً وخَلَفاً ؛ منهم سليمان بن طَرْخان التَّيْمي ، وجعفر بن محمد الصادق ، وابن إسحاق ، وموسى بن عقبة ، وغيرهم .

وقد روى يعقوب بن سفيان[1] ، عن عبد الحميد بن[2] بكار ، عن محمد بن شعيب ، عن الأوزاعي ، أنه قال : تُوفِّي رسول الله ﷺ يومَ الإثنين قبلَ أن ينتصف النهار ، ودفن يوم الثلاثاء .

وهكذا روى الإمام أحمد[1] ، عن عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أُخبرتُ أنّ رسول الله ﷺ مات في الضُّحَى يوم الإثنين ، ودُفن[3] الغدَ في الضُّحى[4] .

وقال يعقوب بن[5] سفيان : ثنا سعيد بن منصور ، ثنا سُفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، وعن ابن جُرَيْج ، عن أبي جعفر : أنَّ رسولَ الله تُوُفِّي يومَ الإثنين ، فلبثَ ذلك اليومَ وتلكَ الليلةَ ويومَ الثلاثاء إلى آخرِ النهارِ . فهو قولٌ غريبٌ ، والمشهورُ عن الجُمْهور ما أسلفْناه من أنّه عليه الصلاة والسلام ، تُوفِّي يوم الإثنين ودفن ليلة الأربعاء .

ومن الأقوال الغريبة في هذا أيضاً ما رواه يعقوب بن سفيان[6] ، عن عبد الحميد بن بكّار ، عن محمد بن شعيب ، عن النعمان[7] عن مكحول ، قال : ولد رسول الله يومَ الإثنين ، وأوحي إليه يومَ الإثنين ، وهاجر يومَ الإثنين ، وتوفي يوم الإثنين لثنتين وستين سنة ونصفٍ ، ومكث ثلاثَةَ أيام لا يُدْفنُ ، يدخُلُ عليه الناسُ أرْسالاً أرسالاً يُصلُّون لا يُصفُّون ولا يَؤُمُّهم عليه أحدٌ . فقوله : إنَّه مكثَ ثلاثةَ أيامٍ لا يُدْفن غريبٌ . والصحيحُ أنه مكثَ بقيَّة يوم الإثنين ويوم الثلاثاء بكمالِهِ ، ودُفنَ ليلةَ الأربعاء ، كما قدَّمنا . والله أعلم .

وضِدُّه ما رواه سيفٌ[8] عن هشام، عن أبيه ، قال : توفي رسول الله يومَ الإثنين ، وغُسِّلَ يومَ الإثنين، ودُفن ليلةَ الثلاثاء . قال سيف : وحدَّثنا يحيى بن سعيد مرةً بجمعيه عن عَمْرَة[9] عن عائشة به ، وهذا

(١) وهو في دلائل النبوة (٧/ ٢٥٦) من طريقه .
(٢) ط : (عن) وانظر تهذيب التهذيب (٦/ ١٠٩) .
(٣) ط : (ودفن من الغد) .
(٤) بعدها في أ خمسُ فقرات تأتي في ط خاتمة هذا الفصل .
(٥) ط : (حدّثنا) وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٥٦) .
(٦) دلائل النبوة (٧/ ٢٥٥) .
(٧) أ، ط : (عن أبي النعمان) تحريف . وهو النعمان بن المنذر الغسّاني ويقال اللخمي أبو الوزير الدمشقي . روى عن مكحول وغيره، وروى عنه محمد بن شعيب بن شابور وغيره . مات سنة (١٣٢) (تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٥٧) .
(٨) ط : (يوسف) وانظر تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) .
(٩) ليس (عمرة عن) في ط . وانظر تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٨) .

غريبٌ جداً . وقال الواقدي : حدَّثنا عبد الله بن جعفر ، عن ابن أبي عون ، عن أبي عتيق ، عن جابر بن عبد الله، قال : رُشَّ على قَبْرِ النبيِّ ﷺ الماء رَشّاً ، وكان الذي رَشَّهُ بلالُ بن رباح بقِرْبَةٍ ، بدأ من قِبَلِ رأْسِهِ من شِقّه الأيمن حتى انتهى إلى رِجْليه ، ثم ضربَ بالماءِ إلى الجدار ، لم يقدرْ على أن يدور من الجدار .

وقال سعيد بن منصور[١] : عن الدّراوَرْدي ، عن شريك[٢] بن عبد الله بن أبي نمر ، عن أبي سَلَمَةَ . قال : توفي رسول الله يومَ الإثنين ، ودفن يوم الثلاثاء .

وقال ابن خُزَيْمة : حدَّثنا سَلْمُ بن جُنادة[٣] ، عن أبيه ، عن عُبَيْد[٤] الله بن عمر ، عن كُرَيْب ، عن ابن عباس ، قال : تُوفِّي رسولُ الله يومَ الإثنين ، ودُفنَ يوم الثلاثاء .

وقال الواقدي : حدّثني أُبيّ بن عَباس بن سَهْل بن سعد[٥] ، عن أبيه ، قال : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ يومَ الإثنين ، ودفن ليلة الثلاثاء .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا ، عن محمد بن سعد[٦] : تُوفِّي رسولُ الله يوم الإثنين لاثنتي عشرةَ ليلةً خَلَتْ من ربيع الأول ، ودفن يوم الثلاثاء .

وقال عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا[٧] ، ثنا الحسنُ بن إسرائيل أبو محمد النَّهْرتيري ، ثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، سمعتُ عبد الله بن أبي أوْفى ، يقول : مات رسولُ الله ﷺ يومَ الإثنين ؛ فلم يُدْفنْ إلا يوم[٨] الثّلاثاء . وهكذا قال سعيد بن المسيّب ، وأبو سَلَمة بن عبد الرحمن ، وأبو جعفر الباقر .

فصلٌ في[٩]
صِفَةِ قَبْرِهِ عليه الصلاة والسلام

قدْ عُلِمَ بالتَّواتر أنّه عليه الصلاة والسلام ، دُفِنَ في حُجْرةِ عائشةَ التي كانت تَخْتصّ بها شَرقِيّ مَسْجِدِهِ

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٠٥) .
(٢) ط : (يزيد بن عبد الله بن أبي يمن) وانظر تهذيب التهذيب و(١٢/ ١١٥) . سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥٩) و(١٤/ ٣٦٥) .
(٣) ط : (مسلم بن حماد) وفي أ : (سلمة) وانظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٥) .
(٤) ط : (عبد) وانظر تهذيب الكمال (١٩/ ١٢٤) .
(٥) ط : (أبي بن عياش بن سهل بن سعيد) وفيه تحريفان . وانظر تهذيب التهذيب (١/ ١٨٦) .
(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٧٣.) .
(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٠٥) .
(٨) أ : (ليلة) .
(٩) ليس (فصل في) في ط .

في الزّاوية الغَرْبيّة القِبْليَّة من الحُجْرة ، ثم دُفِنَ بعدَه فيها أبو بكر ، ثم عمر ، رضي الله عنهما .

وقد قال البخاري[١] : ثنا محمد بن مُقاتل ، ثنا عبد الله[٢] ، ثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن سُفيان التمّار ، أنه حَدَّثَه أنه رأى قبرَ النبي ﷺ مُسَنَّماً . تَفَرَّدَ به البخاري .

وقال أبو داود[٣] : ثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن أبي فُدَيْك ، أخبرني عمرو بن عثمان بن هانئ ، عن القاسم ، قال : دخلتُ على عائشة ، وقلت لها : يا أُمَّه اكْشِفي لي عنْ قبرِ رسولِ الله ﷺ وصاحِبَيْه . فكَشَفَتْ لي عن ثَلاثةِ قُبورٍ لا مُشْرفةٍ ولا لاطئةٍ ، مَبْطوحة ببطحاء العَرْصَةِ الحَمْراء .

النبي ﷺ

أبو بكر رضي الله عنه

عمر رضي الله عنه

تَفردَّ به أبو داود .

وقد رواه الحاكم[٤] والبيهقي[٥] منْ حَديثِ ابن أبي فُدَيْك ، عن عمرو بن عثمان ، عن القاسم ، قال : فرأيتُ النبيَّ عليه الصلاة والسلام مُقدَّماً ، وأبا بكر رأسُه بينَ كَتِفَي النبي ﷺ ، وعمرَ رأسُه عند رِجْلِ النبي ﷺ . قال البيهقي : وهذه الروايةُ تدلُّ على أنّ قبورَهُم مُسَطَّحَةٌ ، لأنّ الحَصْباء لا تَثْبُتُ إلا على المُسَطَّح . وهذا عجيبٌ من البيهقي ، رحمه الله ، فإنّه ليس في الرواية ذكرُ الحَصْباء بالكليّةِ ، وبتقديرِ ذلك فيُمْكِنُ أن يكونَ مُسَنَّماً وعليه الحَصْباء مَغْروزةٌ بالطِّين ونحوه . وقد روى الواقديّ عن الدَّراوَرْدي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : جُعِلَ قَبْرُ النبيّ ﷺ مُسَطَّحاً .

وقال البخاري[٦] : ثنا فَرْوَة بن أبي المَغْراء ثنا عليُّ بن مُسْهِرٍ[٧] عن هشام بن[٨] عروة عن أبيه قال : لما سَقَط عليهم الحائطُ في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه ، فبدَتْ لهم قدمٌ فَفَزِعوا ، فظنُّوا أنها

---

(١) البخاري : بعد الحديث (١٣٩٠) .
(٢) ليس (حدّثنا عبد الله) في ط .
(٣) أبو داود (٣٢٢٠) ، وإسناده ضعيف .
(٤) المستدرك (١/ ٣٦٩) ، وإسناده ضعيف .
(٥) دلائل النبوة (٧/ ٢٦٣) .
(٦) البخاري بعد الحديث (١٣٩٠) .
(٧) ط : (مهر عن هشام) تحريف .
(٨) ط : (هشام بن عروة) وهو تحريف . انظر تهذيب التهذيب (١١/ ٤٨ ـ ٥١) .

قدمُ النبيّ ﷺ فما وُجِدَ واحدٌ يعلمُ ذلك ، حتى قال لهم عروة : لا واللهِ ما هي قدم النبي ﷺ ؛ ما هي إلّا قدم عمر .

وعن هشام ، عن أبيه عن عائشة : أنّها أوْصَتْ عبدَ اللهِ بن الزُّبَير ؛ لا تَدْفِنّي معهم ؛ وادْفِنّي مع صَواحِبي بالبَقيع ، لا أُزَكّى به أبداً .

قلت : كان الوليدُ بنُ عبد الملك حينَ وَليَ الإمارةَ في سنةِ ستٍّ وثَمانين ، قد شَرَعَ في بناءِ جامعِ دمشق ، وكتب إلى نائبه بالمدينة ، ابن عمِّه عمرَ بن عبد العزيز ، أن يُوسِّعَ[١] مسجد المدينة . فَوَسَّعَه حتى من ناحية الشرق فدخلتِ الحجرةُ النبويةُ فيه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده ، عن زاذان مولى الفُرافِصَة ، وهو الذي بنى المَسْجِدَ النبويَّ أيام [ولاية][٢] عمر بن عبد العزيز على المدينة ، فذكر عن سالم بن عبد الله نحوَ ما ذكره البخاريُّ ، وحكى صفةَ القبور كما رواه أبو داود .

ذِكْرُ[٣] ما أصاب المسلمين من المصيبة بوفاته ﷺ

قال البخاريُّ[٤] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا ثابت ، عن أنس . قال : لما ثَقُل النبي ﷺ جَعَلَ يَتَغشّاهُ الكَرْبُ ، فقالت فاطمة : واكَرْبَ أبتاه[٥] . فقال لها : « ليس على أبيكِ كَرْبٌ بعدَ اليوم » . فلما مات قالت : واأبتاه[٦] أجاب ربّاً دعاه ، يا أبتاه ، منْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأواه ، يا أبتاه إلى جِبْريل نَنْعاه . فلما دُفِنَ قالت فاطمة : يا أنسُ ، أطابَتْ أنْفُسُكُم أن تَحْثوا على رسولِ الله ﷺ التُّرابَ ؟ تَفَرَّد به البُخاريّ رحمه الله .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا يزيدُ ، ثنا حمّادُ بن زيدٍ ، ثنا ثابتُ البُناني ، قال أنس : فلما دَفَنّا[٨] النبيَّ ﷺ قالت فاطمة : يا أنسُ أطابَتْ أنفسُكُم أن دَفَنْتُمْ رسول الله ﷺ في التّرابِ وَرَجعْتُم . وهكذا رواه ابن ماجه[٩] مُخْتصراً من حديث حمّاد بن زيد به . وعنده : قال حمّاد : فكان ثابتٌ إذا حَدَّثَ بهذا الحديث

---

(١) ط : (يوسع في) .
(٢) ليس اللفظ في أ .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) البخاري (٤٤٦٢) .
(٥) في البخاري : (أباه) .
(٦) في البخاري : (يا أبتاه) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٠٤) ، وإسناده صحيح .
(٨) ط : (دفن) .
(٩) ابن ماجه (١٦٣٠) ، وهو حديث صحيح .

بَكَى حتى تَخْتَلِفَ أَضْلاعُه . وهذا لا يُعَدّ نياحَةً ، بل هو من بابِ ذِكْرِ فَضائِلِهِ الحَقّ عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإنّما قلنا هذا ؛ لأنّ رسولَ الله ﷺ نهى عن النياحة .

وقد روى الإمام أحمد[١] والنسائي[٢] من حديث شعبة ، سمعتُ قَتادَة ، سمعتُ مُطَرّفاً يُحَدّثُ ، عن حكيم بن قيس بن عاصم ، عن أبيه - فيما أوصى به إلى بَنيه - أنه قال : ولا تَنوحوا عليّ ؛ فإنّ رسولَ الله ﷺ لم يُنَحْ عليه . وقد رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في « النوادر » ، عن عمرو بن مرزوق[٣] ، عن شعبة به . ثم رواه[٤] عن علي بن المَديني ، عن المُغيرة بن سَلَمَة ، عن الصَّعْقِ بن حَزْنٍ ، عن القاسم بن مُطَيَّبٍ ، عن الحسن البَصْري ، عن قيس بن عاصم به ، قال : لا تَنوحوا عليّ ، فإنّ رسول الله ﷺ لم يُنَحْ عليه ، وقد سَمِعْتُه يَنْهَى عن النّياحةِ . ثم رواه عن عليّ ، عن محمد بن الفضل ، عن الصَّعْقِ ، عن القاسم ، عن يونس بن عُبَيْدٍ ، عن الحسن ، عن عاصم به .

وقال الحافظ أبو بكر البزار[٥] : ثنا عقبة بن سنانٍ ، ثنا عثمان بن عثمان ، ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة : أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يُنَحْ عليه . وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا عَفّان ، ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا ثابت ، عن أنس ، قال : لمّا كان اليومُ الذي قدِم فيه رسولُ الله ﷺ المدينةَ ، أضاءَ منها كلُّ شيءٍ ، فلمّا كانَ اليومُ الذي مات فيه أظْلَم منها كلُّ شيء . قال : وما نَفَضْنا عن رسول الله ﷺ الأيْدي حتى أنْكَرْنا قلوبنا . وهكذا رواه الترمذي[٧] وابنُ ماجه[٨] جميعاً ، عن بشر بن هلالٍ الصَّوّاف ، عن جعفر بن سليمان الضُّبَعي به . وقال الترمذيّ : هذا حديث صحيح غريبٌ .

قُلْتُ : وإسنادُه على شرط « الصحيحين » ، ومحفوظٌ من حديث جعفر بن سليمان ، وقد أخرج له الجماعة رواه الناس عنه كذلك .

وقد أغرب الكُدَيْمي ، وهو محمد بن يونس ، رحمه الله ، في روايته له حيث قال[٩] : ثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك الطَّيالسي ، ثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعي ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ أظْلَمتِ المدينةُ حتى لم يَنْظُر بَعضُنا إلى بعض ، وكان أحدُنا يَبْسُط يدَه فلا يراها ، أو

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٦١) .
(٢) النسائي (١٨٥٠) ، وهو حديث صحيح .
(٣) أ : (مرون) ط : (ميمون) وانظر تهذيب التهذيب (٨/ ٩٩ - ١٠١) .
(٤) الأدب المفرد للبخاري (٣٦١) من طريق عمرو بن مرزوق ، و(٩٥٣) عن علي بن المديني ، وهو حديث حسن .
(٥) (كشف الأستار - ٧٩٦) .
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٦٨) .
(٧) الترمذي (٣٦١٨) .
(٨) ابن ماجه (١٦٣١) .
(٩) دلائل النبوة (٧/ ٢٦٥) .

لا يبصرها ، وما فَرَغْنا من دَفْنِه حتى أنكرنا قُلوبَنا . رواه البيهقي[(١)] من طريقه كذلك ، وقد رواه من طَريقِ غيره من الحُفّاظ ، عن أبي الوليد الطَّيالسي ، كما قدّمنا ، وهو المحفوظ ، والله أعلم .

وقد روى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي حفص بن شاهين : ثنا حسين بن أحمد بن بِسْطام ، ثنا محمد بن يزيد الرُّواسي ، ثنا مسلمة[(٢)] بن علقمة ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد الخُدري ، قال : لما دخل رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كلُّ شيءٍ ، فلما كان اليومُ الذي ماتَ فيه أظلمَ منها كلُّ شيءٍ .

وقال ابن ماجه[(٣)] : ثنا إسحاق بن منصور ، ثنا عبد الوهاب بن عطاء العِجلي ، عن ابن عَوْنٍ ، عن الحسن ، عن أُبَيّ بن كعب ، قال : كنّا معَ رسول الله ﷺ ، وإنما وجهُنا واحد ، فلما قُبضَ نَظَرْنا هكذا وهكذا .

وقال أيضاً[(٤)] : ثنا إبراهيم بن المنذر الحِزامي ، ثنا خالي[(٥)] محمد بن إبراهيم بن المُطَّلب بن السائب بن أبي وداعة السَّهمي ، حدّثني موسى بن عبد الله بن أبي أُميّة المَخْزومي ، حدّثني مُصْعَب بن عبد الله ، عن أمّ سَلَمة بنت أبي أميّة زوجِ النبي ﷺ ، أنها قالت : كان الناسُ في عهد رسول الله ﷺ إذا قام المُصلِّي يُصلّي لم يعْدُ بصرُ أحدِهم موضعَ قَدَمَيْه ، فتُوفِّي رسولُ الله ﷺ[(٦)] فكان الناسُ إذا قام أحدُهم يُصلِّي لم يَعْدُ بصرُ أحدِهم موضعَ جَبينِه ، فتُوفِّي أبو بكر ، وكان عمر ، فكان الناس إذا قام أحدُهم يُصلّي لم يَعْدُ بصرُ أحدِهم يُصَلِّي موضعَ القِبْلةِ ، فتُوفِّي عمرُ وكان عثمانُ ، وكانتِ الفِتْنةُ ، فتلفَّت الناسُ يميناً وشمالاً .

وقال الإمام أحمد[(٧)] : حدَّثنا عبد الصمد ، ثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس : أنَّ أمَّ أيْمَن بَكَتْ لما قبضَ رسولُ الله ﷺ ، فقيل لها : ما يُبكيكِ على النبي ﷺ ؟ فقالت : إنّي قد علمتُ[(٨)] أنّ رسولَ اللهِ سيموتُ ، ولكنّي إنّما أبكي على الوحي الذي رُفِعَ عنّا . هكذا رواه مُخْتصراً .

---

(١) دلائل النبوة (٧/ ٢٦٥) .
(٢) ق : (سلمة) تحريف وانظر تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٤ ـ ١٤٥) .
(٣) ابن ماجه (١٦٣٣) ، وفي سنده انقطاع .
(٤) ابن ماجه (١٦٣٤) ، وإسناده ضعيف .
(٥) في سنن ابن ماجه : (خالد) وهو تحريف (وهو على الصواب في طبعة الدكتور بشار ٣/ ١٤٠) . وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٩) وتهذيب التهذيب (٩/ ١٧) حيث نص ابن حجر على أن محمد بن إبراهيم بن المطلب خال إبراهيم بن المنذر الحزامي .
(٦) بعدها في ط : (وكان أبو بكر) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢١٢) ، وهو حديث صحيح .
(٨) ط : (سلمت) .

وقد قال البيهقي(١) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن نُعيم ، ومحمد بن النَّضْر الجارودي ، قالا : ثنا الحسنُ بن عليّ الحُلْواني(٢) ، ثنا عمرو بن عاصم الكلابيّ ، ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : ذهبَ رسولُ الله ﷺ إلى أمّ أيْمن زائراً ، وذهبتُ معه ، فقرَّبتْ إليه شراباً ، فإما كانَ صائماً وإما كان لا يريدُه ، فردَّه ، فأَقْبلَتْ على رسول الله ﷺ تُضاحِكُه . فقال أبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ لعمر : انطلقْ بنا إلى أم أيمن نزورها ؛ فلما انتهينا إليها بَكَتْ . فقالا لها : ما يُبْكيكِ ؟ ما عندَ الله خيرٌ لرسوله ﷺ . قالت : والله ، ما أبكي أن لا أكونَ أعلمُ أنَّ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ ، ولكني أبكي أنَّ الوَحْيَ انقطعَ من السماء ، فهيَّجَتْهما على البُكاءِ ، فجَعَلا يبكيان . ورواه مسلمٌ(٣) مُنْفرداً به ، عن زهير بن حرب ، عن عمرو بن عاصم به .

وقال موسى بن عقبة في قصة وفاة رسول الله ﷺ ، وخطبة أبي بكر فيها ، قال : ورجع الناسُ حينَ فرغَ أبو بكرٍ من الخطبة ، وأمُّ أيمن قاعدةٌ تبكي ، فقيل لها : ما يُبكيكِ ؟ قد أكْرَمَ اللهُ نبيَّه ﷺ فأدخله جَنَّتَه ، وأراحَه من نَصَبِ الدُّنْيا . فقالت : إنّما أبْكي على خَبَرِ السّماء ، كان يأتينا غَضّاً جديداً ، كلَّ يومٍ وليلةٍ ، فقد انقطَعَ ورُفِع ، فعليه أبْكي . فَعَجِبَ النّاسُ من قولها .

وقد قال مسلم بن الحجاج في « صحيحه »(٤) : وحُدِّثْتُ عن أبي أسامة ، وممّنْ رَوَى ذلك عنه إبراهيم بن سعيد الجَوْهري ، ثنا أبو أسامة ، حدّثني بُرَيْد(٥) بن عبد الله ، عن أبي بُرْدَةَ ، عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ ، قال : « إنَّ اللهَ إذا أرادَ رحمةَ أمةٍ من عباده قبضَ نبيَّها قبْلَها ، فَجَعَلَهُ لها فَرَطاً وسَلَفاً يشهد لها ، وإذا أراد هَلَكَة أُمَّةٍ عَذَّبها ونبيُّها حيٌّ ، فأهلكها وهو يَنْظُر إليها ، فأقرَّ عينَه بهَلَكَتِها(٦) حينَ كَذَّبوه وعَصَوْا أمْرَه » . تفرَّد به مسلمٌ إسناداً ومتناً .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار(٧) : حدَّثنا يوسف بن موسى ، ثنا عبد المجيد(٨) بن عبد العزيز بن أبي رَوّاد ، عن سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان(٩) ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ عن النبي ﷺ . قال : « إن لله مَلائكةً سَيّاحين ، يُبَلِّغوني عن أمتي السلام » . قال : وقال رسول الله ﷺ : « حَياتي

(١) دلائل النبوة (٧/ ٢٦٦) .
(٢) ط : (الخولاني) وانظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٤) .
(٣) مسلم (٢٤٥٤) .
(٤) مسلم(٢٢٨٨) معلقاً ، ووصله ابن حبان رقم (٧٢٤٥) وأبو يعلى (١٢٠٧) بسند صحيح من طريق الجوهري به .
(٥) أ ، ط : (يزيد) وانظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥١) .
(٦) ط : (بهلكها) .
(٧) (كشف الأستار : ٨٤٥) وإسناده ضعيف ، لكن أوله صحيح ، كما سيأتي .
(٨) ط : (عبد الحميد) . وانظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٣٤) .
(٩) ط : (راذان) . وانظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٠) .

خَيْرٌ لكم تُحَدِّثون ويُحَدَّثُ لكم ، (ووفاتي خير لكم)[١] تُعرضُ عليّ أعمالُكم ؛ فما رأيتُ من خيرٍ حَمِدْتُ اللهَ عليه ، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ[٢] اللهَ لكمْ » . ثم قال البزار : لا[٣] نعرف آخره يُرْوَى عن عبد الله إلا من هذا الوجه . قلت : وأما أوله ، وهو قوله عليه السلام : « إنّ للهِ ملائكةً سيّاحين يُبَلّغوني عن أمتي السلامَ » فقد رواهُ النسائي[٤] من طرق مُتعددةٍ ، عن سفيان الثَّوري ، وعن الأعمش كِلاهُما عن عبد الله بن السّائب به[٥] .

وقد قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا حسين بن علي الجُعْفي ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبي الأشعث[٧] الصَّنعاني ، عن أوس بن أوس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من أَفْضلِ أيّامِكُمْ يومُ الجُمعة ، فيه خُلقَ آدمُ ، وفيه قُبضَ ، وفيه النَّفْخَةُ ، وفيه الصَّعْقَةُ ، فأكْثروا عليَّ من الصَّلاة فيه ، فإنّ صَلاتَكُمْ مَعرُوضةٌ عليّ » . قالوا : يا رسولَ اللهِ كيفَ تُعْرَضُ صلاتُنا عليك ، وقد أَرَمْتَ ـ يعني قد بَليت ـ . قال : « إنَّ اللهَ قد حَرَّمَ على الأرْضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ عليهم السلام » . وهكذا رواهُ أبو داود[٨] ، عن هارون بن عبد الله ، وعن الحسن بن علي ، والنّسائي[٩] عن إسحاق بن منصور ، ثلاثتُهم عن حسين بن علي به . ورواه ابن ماجه[١٠] عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة ، عن حسين بن علي ، عن ابن[١١] جابر ، عن أبي الأشْعَث ، عن شدّاد بن أوس . . . فذكره . قال شيخُنا أبو الحجاج المِزّي : وذلك وَهْمٌ من ابن ماجه ، والصحيح أوس بن أوس وهو الثقفي ، رضي الله عنه .

(قلت : وهو عندي في نسخة جيدة مشهورة على الصواب ، كما رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن أوس بن أوس)[١٢] .

---

(١) ليس ما بين القوسين في أ .
(٢) ط : (استغرقت) .
(٣) ط : (لم) .
(٤) سنن النسائي (١٢٨١) ، وهو حديث صحيح .
(٥) ط : (عن أبيه به) .
(٦) مسند الإمام أحمد (٤/ ٨) ، وهو حديث صحيح .
(٧) ط : (الأسود) خطأ . وانظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥٧) .
(٨) أبو داود (١٠٤٧ و١٥٣١) ، وهو حديث صحيح .
(٩) النسائي (١٣٧٣) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) ابن ماجه (١٠٨٥) ، وهو حديث صحيح .
(١١) ليس اللفظ في ط .
(١٢) ليس ما بين القوسين في أ . قال بشار : كلام المزي صحيح ، وكلام المصنف صحيح أيضاً ، وآية ذلك أن ابن ماجة روى هذا الحديث في موضعين ، الأول في الصلاة (١٠٨٥) وفيه « شداد بن أوس » والثاني في الجنائز (١٦٣٦) وقد جاء على الصواب ، وقد نبهنا على ذلك في تعليقنا على ابن ماجه (٢/ ٢٩١) .

ثم قال ابن ماجه[١] : حدَّثنا عَمْرو بن سَوّاد المصري ، ثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عُبادة بن نُسَيّ ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أكْثِرُوا الصَّلاة عليَّ يومَ الجمعة فإنّه مَشْهودٌ تشهدُه الملائكةُ ، وإنّ أحداً لنْ يصلي[٢] عليّ إلا عُرِضَتْ عليَّ صلاتُه حتى يَفْرُغَ منها » . قال : قلت : وبعدَ الموتِ ؟ قال : « إن اللهَ حَرّم على الأرضِ أن تأكلَ أجْسادَ الأنْبياء عليهم السلام ـ نبيُّ اللهِ حيٌّ يرزق[٣] » وهذا من أفراد ابن ماجه رحمه الله .

وقد عقدَ الحافظُ ابنُ عَساكِر[٤] هاهنا باباً في إيراد الأحاديثِ المَرْويّة في زيارةِ قبْره الشَّريف صَلواتُ اللهِ وسلامُه عليه دائماً إلى يوم الدين ، (وموضعُ اسْتقْصاءِ ذلك في كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله تعالى)[٥] .

ذِكْرُ[٦] ما وَرَدَ من التَّعزِيَةِ به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ

قال ابن ماجه[٧]: ثنا الوليدُ بن عَمْرو بن السُّكَيْن ، ثنا أبو هَمّام ، وهو محمد بن الزِّبْرِقان الأهوازي ، ثنا موسى بن عُبيدة ، ثنا مُصْعَبُ بن محمد عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن عن عائشة ، قالت : فتحَ رسولُ الله ﷺ باباً بينه وبين الناس ، أو كشف سِتراً ، فإذا النّاسُ يصلُّون وراءَ أبي بكرٍ ، فحَمِدَ الله على ما رأى من حُسْن حالِهم ، رجاءَ أن يَخْلُفَهُ فيهم بالذي رآهم ، فقال : « يا أيّها الناس أيّما أحدٍ من الناس أو من المؤمنين أُصيب بمُصيبةٍ فليتعزّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبُه بغيري ، فإنّ أحداً من أمتي لن يُصاب بمُصيبة بَعْدي أشدَّ عليه من مُصيبتي » تفرَّدَ به ابن ماجه .

وقال الحافظ البيهقي[٨] : أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه ، ثنا شافع بن محمد ، ثنا[٩] أبو جعفر بن سلامة الطحاوي ، ثنا المزني ، ثنا الشافعي ، عن القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص ، عن

---

(١) ابن ماجه (١٦٣٧) وإسناده ضعيف ، ويشهد لآخره الذي قبله .
(٢) ط : (ليصل) .
(٣) ط : (ويرزق) .
(٤) مختصر ابن منظور لتاريخ دمشق (٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٨) .
(٥) ليس ما بين القوسين في أ .
(٦) ليس اللفظ في ط .
(٧) ابن ماجه (١٥٩٩) ، قال بشار : وإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي ، وصححه بعض العلماء بالشواهد الضعيفة والمرسلة .
(٨) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) .
(٩) ليس اللفظ في ط وليست (أبو) في أ .

جعفر بن[1] محمد عن أبيه : أنَّ رجالاً من قريش دخلوا على أبيه علي بن الحسين ، فقال : ألا أحدثكم عن رسول الله ﷺ ؟ قالوا : بلى . فحدثنا عن أبي القاسم . قال : لما أنْ مرضَ رسول الله ﷺ أتاه جبريل ، فقال : يا محمد ، إن الله أرْسَلني إليك ، تكريماً لك وتشريفاً لك ، وخاصة لك ، أسألك عمّا هو أعلمُ به منك ، يقول : كيفَ تَجِدُكَ ؟ قال : « أجِدُني يا جبريلُ مَغْموماً ، وأجدُني يا جبريلُ مَكْروباً » ثم جاءه اليومَ الثاني ، فقال له ذلك ، فردَّ عليه النبيُّ ﷺ كما رَدَّ أولَ يومٍ ، ثم جاءه[2] اليومَ الثالثَ ، فقال له كما قال أولَ يومٍ ، وردَّ عليه كما ردَّ ، وجاء مَلَكٌ يُقالُ له : إسماعيلُ على مئة ألف مَلَكٍ ، كُلُّ مَلَكٍ على مئة ألفِ ملَكٍ ، فاستأذنَ عليه ، فسأل عنه ، ثم قال جبريل : هذا مَلَكُ الموتِ يَسْتَأْذِنُ عليك ، ما استأذن على آدميٍّ قبلَكَ ، ولا يَسْتَأْذنُ على آدميٍّ بَعدَكَ ، فقال له عليه الصلاة والسلام : ائْذَنْ له . فأَذِنَ له ، فدخل فسلَّم عليه ، ثم قال : يا محمد ، إنَّ الله أرسلني إليك ، فإن أمَرْتَني أن أَقْبِضَ رُوحَك قَبَضْتُ ، وإن أمَرْتَني أنْ أتْرُكَه تَرَكْتُه . فقال رسول الله : « أوتَفْعَلُ يا مَلَكَ الموتِ ؟ » قال : نعم . وبذلك أُمِرْتُ ، وأُمِرْتُ أن أطيعَكَ .

قال : فنظر النبي ﷺ إلى جبريل ، فقال له جبريل : يا محمدُ ، إن الله قد اشتاقَ إلى لقائك ، فقال رسول الله ﷺ لملَكِ الموت : « امْضِ لما أُمِرْتَ به » فقبضَ رُوحَه ، فلما تُوفِّي النبي ﷺ وجاءت التّعزيةُ سَمِعوا صوتاً من ناحية البيت : السَّلامُ عليكم أهلَ البيت ، ورحمةُ اللهِ وبركاته ، إنَّ في الله عزاءً من كلّ مُصيبةٍ ، وخَلَفاً من كُلِّ هالكٍ ، ودَرَكاً من كلّ فائتٍ ، فباللهِ فثِقوا ، وإيّاهُ فارجُوا ، فإنّما المُصابُ من حُرِمَ الثّوابَ . فقال عليّ رضي الله عنه : أتَدْرونَ منْ هذا ؟ هذا الخضِرُ عليه السلام . وهذا الحديثُ مُرْسلٌ[3] وفي إسناده ضَعْفٌ بحالِ القاسم العُمَري هذا ، فإنَّه قد ضَعَّفَه غيرُ واحدٍ من الأئمةِ ، وتركه بالكلية آخرون . وقد رواه الربيعُ ، عن الشافعي ، عن القاسم ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن جده ، فذكر منه قصةَ التّعزية فقط موصولاً ، وفي الإسناد العُمَريّ المذكور قد نبَّهْنا على أمره لئلا يُغْتَر به .

على أنه قد رواه الحافظُ البيهقيُّ[4] ، عن الحاكم ، عن أبي جعفر البغدادي ، ثنا عبد الله بن الحارث أو عبد الرحمن بن المُرْتَعد الصنعاني[5] ، ثنا أبو الوليد المخزومي ، ثنا أنس بن عياض ، عن جعفر بن محمد[6] ، عن جابر بن عبد الله ، قال: لما توفي رسول الله ﷺ (ناداهم منادٍ)[7] يَسْمَعون الحِسَّ ولا يَرَوْنَ

---

(١) ط : (حفص بن محمد عن أبيه) .
(٢) ط : (جاء) .
(٣) ط : (مرسلاً) .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢٦٩ .
(٥) ط : (الصغاني) .
(٦) بعده في الدلائل : (عن أبيه) وبعده في ط : (عن جعفر بن محمد) .
(٧) في الدلائل (عزتهم الملائكة) .

الشَّخْصَ . فقال : السلامُ عليكم أهلَ البيتِ ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ ، إن في الله عزاءً من كلِّ مُصيبةٍ ، وخَلَفاً من كُلِّ فائِتٍ ، ودَرَكاً من كل هالكٍ ، فبالله فثِقُوا ، وإيّاه فَارْجوا ، فإنّمـا المَحْروم من حُرِمِ الثواب ، والسَّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته ، ثم قال البيهقي : هذان الإسنادان وإن كانا ضَعيفَيْن ، فأحدُهما يتأكَّدُ بالآخر ، ويدلّ على أن له أصلاً من حديث جَعْفَر . والله أعلم .

وأخبرنا[١] أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن بالَوَيْهِ ، ثنا محمد بن بشر بن مَطَر ، ثنا كامل بن طلحة ، ثنا عَبّاد بن عبد الصمد ، عن أنس بن مالك ، قال : لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ أحْدَق به أصحابُه فَبَكَوْا حَوْلَه واجتمعوا ، فدخَل رجلٌ أشْهَبُ اللِّحْيَةِ جسيمٌ صَبيحٌ ، فَتَخَطَّى رِقابهم فبكَى ، ثم التفتَ إلى أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فقال : إنَّ في اللهِ عَزاء من كُلِّ مُصيبةٍ ، وعِوَضاً من كُلِّ فائِتٍ ، وخَلَفاً من كُلِّ هالِكٍ ، فإلى الله فأنيبوا ، وإليه فَارْغَبوا ، ونَظَرُه إليكم في البلايا فانظروا ، فإنَّ المُصابَ من لم يَجبرْ ، فانصرف . فقال بعضُهم لبعضٍ : تَعْرِفونَ الـرَّجُلَ ؟ فقال أبو بكر وعلي : نعم ، هذا أخو رسولِ الله ﷺ الخَضر . ثم قال البيهقي[٢] : عَبّادُ بنُ عَبْدِ الصَّمدِ ضعيفٌ ، وهذا مُنْكرٌ بمرَّةٍ .

وقد روى الحارثُ بنِ أبي أسامة ، عن محمد بن سعد ، أخبرنا هاشم[٣] بن القاسم ، ثنا صالحُ المُرِّي ، عن أبي حازم المَدَني : أن رسول الله ﷺ حين قبضه الله عز وجل ، دخل المهاجرون فوجاً فوجاً يصلون عليه ويخرجون ، ثم دخلتِ الأنصارُ على مثلِ ذلكم ، ثم دخل أهل المدينة ، حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء ، فكان منهنّ صوتٌ وجزعٌ كبعض ما يكونُ منهنّ ، فَسَمِعْنَ هَدَّةً[٤] في البيت فَفَرِقْنَ فَسَكَتْنَ ، فإذا قائلٌ يقول : إنّ في اللهِ عَزاءً منْ كُلِّ هالِكٍ ، وعوضاً[٥] عن كل مصيبةٍ ، وخلفاً من كل فائت ، والمجبور من جَبَرَه الثوابُ ، والمصابُ منْ لم يَجْبُره الثوابُ .

فصل

فيما رُوِيَ منْ مَعْرِفة أَهْلِ الكتاب بيوم وَفاتِه ﷺ

قال أبو بكر بن أبي شيبة[٦] : ثنا عبدُ الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبي[٧] خالد ، عن قيس بن

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٦٩) .
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٨٩) .
(٣) ط : (هشام) . وانظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤٥) .
(٤) ط : (هزة في البيت يعرفنا) .
(٥) أ ، ط : (وعوض . . خلفاً) .
(٦) المصنف (١٨٨٦٩) .
(٧) ليس اللفظ في ط .

أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله البَجَلي ، قال : كنتُ باليمن فلقيت[١] رجلين من أهل اليمن ، ذا كَلاعٍ وذا عمرو ، فَجَعلْتُ أحدّثُهما عن رسول الله ﷺ . قال : فقالا لي : إنْ كانَ ما تقولُ حَقّاً فقد مَضَى صاحِبُكَ على أجلهِ منذُ ثلاثٍ . قال : فأقْبَلْتُ وأقْبَلا حتى إذا كُنّا في بعض الطريق رُفِعَ لنا رَكْبٌ من قِبَلِ[٢] المدينة ، فسألناهم فقالوا : قُبِضَ رسولُ الله ﷺ واستُخْلِفَ أبو بكر ، والناسُ صالحون . قال : فقالا لي : أخْبِرْ صاحِبَكَ أنّا قد جِئْنا ، ولعلّنا سنعود ، إن شاء الله عزَّ وجلَّ ، قال : ورجعا إلى اليَمَن ، فلما أتَيْتُ أخْبَرْتُ أبا بكر بحديثهم ، قال : أفلا جئتَ بهم . فلما كان بعدُ قال لي ذو عمرو : يا جريرُ ، إن بكَ[٣] عليَّ كرامةً ، وإني مُخْبِركَ خَبَراً ، إنَّكُمْ معشرَ العَرَبِ ، لن تَزالوا بخير ما كُنْتُم إذا هَلَكَ أميرٌ تأَمَّرتُم في آخر ، وإذا كانت بالسيف كنتمْ ملوكاً تَغْضَبون غَضَبَ الملوكِ[٤] وتَرْضَوْن رضى الملوكِ[١٠] . هكذا رواه الإمام أحمد[٥] والبخاري[٦] عن أبي بكر بن أبي شيبة . وهكذا رواه البيهقي[٧] ، عن الحاكم ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان عنه .

وقال البيهقي[٨] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا علي بن المؤمل[٩] ثنا محمد بن يونس ، ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، ثنا زائدة ، عن زياد بن عِلاقة ، عن جرير ، قال : لقيني حَبْرٌ باليمن ، وقال لي : إن كان صاحبُكُم نبيّاً فقد مات يوم الإثنين . هكذا رواه البيهقي .

وقد قال الإمام أحمد[١٠] : حدَّثنا أبو سعيد ، ثنا زائدة ، ثنا زياد[١١] بن عِلاقَة ، عن جرير ، قال : قال لي حَبْرٌ باليمن : إن كان صاحبُكم نَبياً فقد مات اليوم . قال جرير : فمات يومَ الإثنين .

وقال البيهقي[١٢] : أخبرنا أبو الحسين بن بشران المُعَدَّل ببغداد ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو ، ثنا محمد بن الهيثم ، ثنا سعيد بن كثير[١٣] بن عُفَيْر ، حدّثني عبد الحميد بن كعب بن عَلْقَمة بن كعب بن

---

(١) ط : (فلقينا) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) ط : (لك) .
(٤) ط : (الملك) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٣) .
(٦) البخاري (٤٣٥٩) .
(٧) دلائل النبوة (٧/ ٢٧٠) .
(٨) دلائل النبوة (٧/ ٢٧١) .
(٩) ط : (المتوكل) .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٤) ، وإسناده صحيح .
(١١) ط : (زيادة) وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٥) .
(١٢) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .
(١٣) ط : (سعيد بن أبي كبير) .

عدي التنوخي عن عمرو بن الحارث ، عن ناعم بن أُجَيْل ، عن كَعْب بن عدي ، قال : أَقْبَلْتُ في وفدٍ من أهل الحيرة إلى النبيّ ﷺ ، فعرض علينا الإسلام ، فأسْلَمنا ، ثم انصرفنا إلى الحيرة ، فلم نَلْبثْ أن جاءتْنا وفاةُ النبيّ ﷺ ، فارتاب أصحابي ، وقالوا[١] : لو كان نبيّاً لم يَمُتْ ، فقلتُ : قد ماتَ الأنبياء قَبْلَه . وثبتُّ على إسلامي ، ثم خرجتُ أريدُ المدينة ، فمررتُ براهبٍ كُنّا لا نَقْطَعُ أمراً دونَه ، فقلت له : أخْبرني عن أمر أَرَدْتُه لقِح[٢] في صدري منه شيء ، فقال : ائْتِ باسم من الأسماء ، فأتيتُه بكعبٍ ، فقال : أَلْقِه في هذا السِّفْرِ ، لسِفْرٍ أخْرَجَهُ ، فأَلْقَيْتُ الكَعْبَ فيه ، فصفَح فيه ، فإذا بصفة النبي ﷺ كما رأيته ، وإذا هو يموتُ في الحينِ الذي مات فيه ، قال : فاشتدَّتْ بصيرتي في إيماني ، وقَدِمْتُ على أبي بكر ، رضي الله عنه ، فأعلمتُه ، وأقَمْتُ[٣] عندَه ، فَوَجَّهني إلى المُقَوقِس فرجَعْتُ ، ووجَّهني أيضاً عمرُ بنُ الخطّاب ، فقَدِمْتُ عليه بكِتابه ، فأَتَيْتُه[٤] وَقْعَةَ اليَرْموكِ ، ولم أعلمْ بها ، فقال لي : أعلمت أنّ الروم قتلت العرب وهَزَمتْهم ؟ فقلت : كلاّ ، قال : ولم ؟ قلت : إنّ اللهَ وعدَ نبيَّه ﷺ أن يُظْهِرَه على الدين كلِّه ، وليس بمُخْلِفِ الميعاد ، قال : فإنّ نَبيّكم قد صَدَقَكُم ؛ قُتِلت الرومُ ، واللهِ قَتْلَ عادٍ . قال : ثم سألني عن وجوهِ أصحابِ رسول الله ﷺ ، فأخبرتُه ، وأهدى إلى عمر وإليهم . وكان ممَّن أَهْدَى إليه عليٌّ وعبدُ الرحمن والزُّبَيْرُ - وأحسَبُه ذكرَ العبّاسَ - قال كعب : وكنتُ شَريكاً لعمر في البزِّ في الجاهلية ، فلما أن فرض الديوان فرض لي في بني عدي بن كعب . وهذا أثرٌ غريبٌ ، وفيه نبأٌ عجيبٌ ، وهو صحيح .

فصــل

قال محمد بن إسحاق[٥] : ولما تُوفِّي رسولُ الله ﷺ ارتدَّتِ العَرب ، واشْرأَبَّتِ اليَهودِيةُ والنَّصْرانيّةُ ونَجَمَ النّفاقُ ، وصارَ المُسْلِمون كالغنم المَطيرةِ في اللَّيلة الشّاتية ، لفقدِ نَبيِّهم ﷺ ، حتى جَمَعَهم اللهُ على أبي بكر رضي الله عنه . قال ابن هشام : وحدّثني أبو عبيدة وغيرُه من أهل العلم أنَّ أكثرَ أهلِ مَكة لمّا تُوفِّي رسولُ الله ﷺ هَمُّوا بالرُّجوعِ عن الإسلام وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عَتَّابُ بنُ أَسِيد ، رضي الله عنه ، فتَوارى . فقام سُهَيْلُ بن عَمْرٍو ، رضي الله عنه ، فحَمِدَ اللهَ ، وأثْنى عليه ، ثم ذكر وفاةَ رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يَزِدِ الإسلامَ إلا قوة ، فمَنْ رابنا ضَرَبْنا عنقَه . فتراجَعَ النّاسُ وكفُّوا عما هَمُّوا به ، فظهَر عَتَّابُ بن أسيد . فهذا المقامُ الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمرَ بن الخطّاب - يعني حينَ

(١) ط : (وقال) .
(٢) ط : (نفح) وأ : (نفخ) ولقح : هاج والمعجم الوسيط : ل ق ح .
(٣) ط : (وقمت) .
(٤) بعدها في ط : (وكانت) .
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٦٥) .

أشار بقَلْعِ ثنيَّتيْه[١] حينَ وقع في الأُسارى يوم بدرٍ ـ إنه عَسَى أن يقومَ مقاماً لا تَذُمُّه[٢] ؟

قلت : وسَيَأْتي عَمّا قريب إن شاءَ اللهُ ذكرُ ما وَقَعَ بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ مِن الرِّدَّةِ في أحياء كثيرةٍ من العرب ، وما كان من أمر مُسَيْلِمَة بن حَبيب المُتَنبئِ باليَمامة ، والأسود العَنْسي باليمن ، وما كانَ مِن أمر النّاسِ حتى فاؤوا ورجعوا إلى الله تائبين نازعين عمّا كانوا عليه في حال رِدَّتِهم من السَّفاهةِ والجَهْلِ العَظيم الذي استفزَّهُمُ الشَّيْطان به ، حتّى نَصَرَهُمُ اللهُ وثَبَّتَهُم ؛ وَرَدَّهم إلى دينهِ الحقّ على يَدَي الخليفةِ الصِّدّيق أبي بكر ، رضي الله عنه وأرضاه ، كما سيأتي مَبسوطاً مُبَيَّناً مَشْروحاً ، إن شاء الله .

فصـــل

وقد ذكر ابن إسحاق وغيرُه قصائدَ لحسان بن ثابتٍ ، رضي الله عنه ، في وفاةِ رسولِ الله ﷺ ، ومن أجَلِّ ذلك وأفْصَحِه وأعْظَمِه ، ما رواهُ عبدُ الملك بن هشام[٣] ، رحمه الله ، عن أبي زيد الأنصاري أنَّ حسانَ بن ثابتٍ رضي الله عنه قال : يَبْكي رسول الله ﷺ[٤] : [من الطويل]

بطيبــةَ رَسْــمٌ لِلــرَّســولِ ومَعْهَــدُ ... مُنيــرٌ وقــدْ تَعْفُــو الــرُّسُــومُ وتَهْمَــدُ
ولا تَمْتحي الآياتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ ... بِهَـا مِنْبَـرُ الهَـادِي الـذي كَـانَ يَصْعَـدُ
وَوَاضِـحُ آيـاتٍ[٥] وبـاقـي مَعالِـمٍ ... وَرَبْـعٌ لَـهُ فيـه مُصلَّـى ومَسْجِـدُ
بِهَـا حُجُـراتٌ كـان يَنْـزِلُ وَسْطَهـا ... مِـنَ اللهِ نُـورٌ يُسْتضـاءُ وَيُـوقَـدُ
مَعارفُ لم تُطْمَسْ على العَهْدِ آيُها ... أتـاهـا البِـلا فـالآيُ مِنْهـا تَجَـدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرسولِ وَعَهْدَهُ ... وَقَبْـراً بهـا وَاراهُ فـي التُّـرْبِ مُلْحِـدُ
ظَلَلْتُ بها أبْكِي الرسولَ فأَسْعَدَتْ ... عُيـونٌ ومِثْـلاهـا مـنَ الجَفْـنِ تُسْعِـدُ
يُـذَكِّـرْنَ آلاءَ الـرَّسـول ولا أرَى ... لَهَـا مُحْصِيـاً نَفْسـي فَنفْسـي تَبَلَّـدُ
مُفَجَّعَـةٌ قَـدْ شَفَّهـا فَقْـدُ أحْمَـدٍ ... فَظَلَّـــتْ لآلاءِ الــرَّسُــول تُعَـدِّدُ
ومَـا بَلَغَـتْ مِـنْ كُـلِّ أمـرٍ عشِيـرَهُ ... وَلٰكِنْ لِنَفْسي بَعْدُ ما قدْ تَوجَّدُ[٦]
أطَالَتْ وُقُوفاً تَذْرِفُ العَيْنُ جُهْدَها ... علـى طَلَـلِ القَبْـرِ الـذي فيـه أحْمَـدُ

(١) ط : (ثنيته) .
(٢) ط : (تذمنه) .
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٦٦ ـ ٦٦٩) .
(٤) ديوان حسان ـ دار صادر ـ (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٧) .
(٥) ديوان حسان : (آثار) .
(٦) أ : (توحد) . وما أثبته يوافق ما في الديوان .

فَبُورِكْتَ يا قَبْرَ الرَّسولِ وَبُورِكَتْ بِلادٌ ثَوى فيها الرَّشيدُ المُسَدَّدُ[١]
وبـورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طيّبا عَلَيْهِ بناءٌ مِنْ صَفيحٍ مُنَضَّدُ[٢]
تُهيلُ عَلَيْه التُّرْبَ أيدٍ وأعْيُنٌ عَلَيْهِ ـ وَقَدْ غارَتْ بذلكَ ـ أسْعُدُ
لَقَدْ غَيَّبوا[٣] حِلْماً وعِلماً وَرَحْمَةً عَشيَّةَ عَلَّوهُ الثَّرَى لا يُوسَّدُ
وَراحُوا بحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبيُّهُمْ وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهورٌ وأعْضُدُ
يَبْكُون مَنْ تَبْكي السَّمواتُ يَوْمَهُ ومَنْ قدْ بَكَتْهُ الأرْضُ فَالنَّاسُ أكمَدُ
وهَلْ عدلَتْ يَوماً رزيَّةُ هالِكٍ رَزيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فيهِ مُحَمَّدُ
تَقَطَّعَ فِيهِ مُنْزَلُ الوَحْيِ عَنْهُمُ وَقَدْ كَانَ ذا نُورٍ يَغُورُ ويُنْجِدُ
يدُلُّ على الرحْمنِ مَنْ يَقْتدي بِهِ ويُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الخَزايا ويُرْشِدُ
إمامٌ لَهُم يَهْديهِمُ الحقَّ جاهِداً مُعَلِّمُ صِدْقٍ إنْ يُطيعوهُ يُسْعَدُوا
عَفُوٌّ عنِ الزَّلاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ وإنْ يُحْسِنوا فاللهُ بالخَيْرِ أجْوَدُ
وَإنْ نَابَ أمْرٌ لَمْ يَقوموا بحَمْلِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسيرُ ما يَتشَدَّدُ
فَبَيْناهُمُ في نِعْمَةِ اللهِ وَسْطَهُمْ دَليلٌ بهِ نَهْجُ الطَّريقةِ يُقْصدُ
عَزيزٌ عَلَيْهِ أنْ يَجُوروا عَنِ الهُدَا حَريصٌ على أنْ يستقيمُوا ويَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِم لا يُثَنِّي جَناحَهُ إلى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِم ويَمْهَدُ
فَبيناهُم في ذَلِكَ النُّور إذْ غَدا إلى نُورِهِم سَهْمٌ منَ المَوْتِ مُقْصدُ
فأصْبَحَ مَحْمُوداً إلى اللهِ رَاجعاً يُبَكِّيهِ حَقٌّ[٤] المُرْسَلاتِ ويَحْمَدُ
وَأمْسَتْ بلادُ الحُرْمِ وَحْشاً بقاعُها لِغَيْبَةِ ما كانَتْ مِنَ الوَحْيِ تَعْهَدُ
قِفاراً سِوَى مَعْمورةِ[٥] اللَّحْدِ ضافَها فَقيدٌ يُبَكِّيهِ[٦] بَلاطٌ وغَرْقَدُ
ومَسْجِدُهُ فالمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ خَلاءٌ لَهُ فيهِ[٧] مَقامٌ ومَقْعَدُ
وبالجَمْرةِ الكُبْرى لَهُ ثَمَّ أوْحَشَتْ دِيارٌ وعَرَصَاتٌ وَرَبْعٌ ومَوْلِدُ
فَبَكِّي رَسُولَ اللهِ يا عَيْنُ عَبْرَةً وَلا أعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعَكِ يَجْمُدُ

---

(١) أ : (المشدد) . وما هنا عن ط . ويوافق ما في الديوان .
(٢) لم يرد هذا البيت في أ .
(٣) ط : (لقد غبّوا حلماً ورحمة) وفيها تحريف ونقص .
(٤) ط : (جفن) .
(٥) أ : (معموده) .
(٦) في الديوان : (تبكّيه) .
(٧) ط ، أ : (فيها) وما أثبته عن الديوان .

وَمَـالـكِ لا تَبْكِيـنَ ذا النِّعْمَـةِ التـي ... عَلـى النَّـاسِ مِنْها سَـابِـغٌ يَتَغَمَّـدُ(١)
فَجُـودي عَلَيْـهِ بـالـدُّمـوعِ وأعْـولـي ... لِفَقْـدِ الـذي لا مِثْلُـهُ الـدَّهْـرَ يُـوجَـدُ
ومـا فَقَـدَ المـاضـون مِثْـل مُحَمَّـدٍ ... وَلا مِثْلُـهُ حَتَّـى القِيـامَـةِ يُفْقَـدُ
أعَـفَّ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً بعْـدَ ذِمَّـةٍ ... وَأَقْـرَبَ مِنْـهُ نَـائِـلاً لا يُنَكَّـدُ
وأبْـذَلَ مِنْـهُ للطَّـريـفِ وتَـالِـدٍ ... إذا ضَـنَّ(٢) مِعْطـاءٌ بِمَـا كَـان يُتْلَـدُ
وأكْرَمَ صيتاً(٣) في البُيوتِ إذا انْتَمى ... وَأكْـرَمَ جَـدّاً أبْطَحِيّـاً يُسَـوَّدُ
وَأَمْنَـعَ ذِرْواتٍ وأَثْبَـتَ فـي العُـلا ... دَعَـائِـمَ عِـزٍّ شَـاهِقَـاتٍ تُشَيَّـدُ
وَأَثْبَـتَ فَـرْعـاً فـي الفُـروعِ ومَنْبِتـاً ... وَعُـوداً غَـذَاهُ المُـزْنُ فـالعُـود أغْيَـدُ
رَبَـاهُ وَليـداً فـاسْتَتَـمَّ تَمَـامُـهُ ... عَلَـى أكْـرَمِ الخَيـراتِ رَبٌّ مُمَجَّـدُ
تَنَـاهَـتْ وَصَـاةُ المُسْلميـنَ بكَفِّـهِ ... فلا العِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلا الرأيُ يُفْنَدُ(٤)
أقُولُ ولا يُلْفى(٥) لِمَا قُلْتُ عَائِبٌ ... مِـنَ النَّـاسِ إلَّا عَـازِبُ العقـل مُبْعَـدُ
وَلَيْـسَ هَـوايَ(٦) نَـازِعـاً عَـنْ ثَنَـائِـهِ ... لَعَلّـي بِـهِ فـي جَنَّـةِ الخُلْـدِ أخْلُـدُ
مَـعَ المُصْطَفَـى أرْجُـو بِـذَاكَ جِـوارَهُ ... وفـي نَيْـلِ ذَاكَ اليَـوْمِ أسْعَـى وأَجْهَـدُ

وقال الحافظ أبو القاسم السُّهَيْلي في آخر كتابه « الروض »(٧) : وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يبكي رسول الله ﷺ : [من الوافر]

أرِقْـتُ فَبَـاتَ لَيْلـيَ لا يَـزولُ ... وَلَيْـلُ أخـي المُصيبَـةِ فيـه طُـولُ
وَأَسْعَـدنـي البُكَـاءُ وَذَاكَ فيمـا ... أُصيـبَ المُسلمـونَ بِـهِ قَليـلُ
لَقَـدْ عَظُمَـتْ مُصيبَتُنـا(٨) وجَلَّـتْ ... عَشِيَّـةَ قيـلَ قـدْ قُبِـضَ الـرَّسُـولُ
وأضْحَـتْ أرْضُنَـا ممَّـا عَـراهَـا ... تكَـادُ بنـا جَـوانِبُهـا تَميـلُ
فَقَـدْنَـا الـوَحْـيَ والتَّنْـزيـلَ فِينـا ... يَـرُوحُ بِـهِ وَيَغْـدُو جِبْـرئيـلُ

---

(١) أ : (متغمد) .
(٢) أ : (ظن) .
(٣) ط : (حيّاً) .
(٤) أ : (مفند) .
(٥) أ : (يلقى) .
(٦) ط : (هوائي) .
(٧) الروض الأنف (٧/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤) .
(٨) أ : (مصيبته) .

وَذَاكَ أَحَـقُّ مـا سَـالَـتْ عَلَيْـهِ ... نُفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَـرِبَـتْ[١] تَسيلُ
نَبِـيٌّ كَـانَ يَجْلُـو الشَّـكَ عَنَّـا ... بِمَـا يُـوحَـى إِلَيْـهِ ومَـا يَقُـولُ
ويَهْـدِينَـا فَـلا نَخْشـى ضَـلالاً ... عَلَيْنَـا والـرَّسُـولُ لَنَـا دَلِيـلُ
أَفَـاطِـمُ إِنْ جَـزِعْـتِ فَـذَاكَ عُـذْرٌ ... وَإِنْ لَـمْ تَجْـزَعِـي ذاكَ السَّبِيـلُ
فَقَبْـرُ أبيـكِ سَيِّـدُ كُـلِّ قَبْـرٍ ... وَفيـهِ سَيِّـدُ النَّـاسِ الـرَّسُـولُ

بابُ

بيانِ أنَّ النبيَّ ﷺ لم يترُكْ ديناراً ولا دِرْهَماً ولا عَبْداً ولا أمة ، ولا شاةً ولا بَعيراً ولا شيئاً يُورثُ عنه ، بل أرضاً جعَلَها كلَّها صدقةً لله عزَّ وجلَّ ، فإنَّ الدُّنْيا بحَذافيرها كانَتْ أحقرَ عندَهُ ـ كما هي عندَ الله ـ من أن يَسْعَى لها أو يتْرُكها بعدَهُ مِيراثاً ، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه ، وعلى إخوانِهِ من النبيّينَ والمُرْسَلين ، وسلّم تَسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين

قال البخاري[٢] : حدَّثنا قُتيبةُ ، ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن الحارث ، قال : ما ترَكَ رسولُ الله ﷺ ديناراً ولا دِرْهماً ولا عَبْداً ولا أمةً إلا بغلتَه البيضاء التي كان يَرْكَبُها ، وسلاحَه ، وأرضاً جعَلَها لابنِ السَّبيل صدقةً . انفرد به البخاري دون مسلم ، فرواه في أماكنَ من « صحيحه » من طرقٍ مُتعدِّدةٍ ، عن أبي الأحوص ، وسفيان الثوريّ ، وزهير بن معاوية ، ورواه الترمذيّ من حديث إسرائيل ، والنَّسائي أيضاً من حديث يونُس بن أبي إسحاق ، كلُّهم عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعي ، عن عمرو بن الحارث بن المُصْطلِقِ بن أبي ضرار ، أخي جُوَيْرية بنتِ الحارثِ أم المؤمنين ، رضي الله عنهما ، به[٣] .

وقال الإمام[٤] أحمد : حدَّثنا أبو معاوية ثنا الأعمش ، وابن نمير عن الأعمش ، عن شَقيق ، عن مَسْروق ، عن عائشة ، قالت : ما تَرَكَ رسولُ اللهِ ديناراً ولا دِرْهماً ولا شاةً ولا بعيراً ولا أوصى بشيء . وهكذا رواه مسلم[٥] منفرداً به عن البخاري وأبو داود[٦] والنسائي[٧] ، وابن

(١) أ : (أو كادت) .
(٢) البخاري (٤٤٦١) .
(٣) البخاري (٢٨٧٣) و(٢٧٣٩) والترمذي في الشمائل (٣٨٢) والنسائي (٦٥٩٨) .
(٤) ط : (وقد رواه أحمد) وانظر مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٤) .
(٥) مسلم (١٦٣٥) .
(٦) أبو داود (٢٨٦٣) .
(٧) النسائي (٣٦٢٣ ـ ٣٦٢٤) .

ماجه[١] ، من طرقٍ متعددةٍ عن سليمان بن مِهْران الأعْمش ، عن شَقيق بنِ سَلَمَة أبي وائلٍ ، عن مسروق بن الأجدع ، عن أم المؤمنين عائشة الصّدّيقةِ[٢] بنت الصِّدِّيق حبيبةِ حبيبِ اللهِ المُبَرَّأةِ من فوقِ سَبْعِ سماواتٍ رضي الله عنها وأرضاها .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا إسحاق بن يوسف ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ[٤] بن حُبَيْش عن عائشة قالت : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا دِرْهماً ولا أمة ولا عَبْداً ، ولا شاةً ولا بعيراً .

وحدَّثنا[٥] عبد الرحمن ، عن سُفيان ، عن عاصم ، عن زِرٍّ[٦] عن عائشة : ما تركَ رسولُ اللهِ ﷺ ديناراً ولا دِرْهماً ، ولا شاةً ولا بعيراً . قال سُفْيان : وأكثر علمي وأشكُّ في العبد والأمَة . وهكذا رواه الترمذي في « الشمائل »[٧] عن بُنْدار ، عن عبد الرحمن بن مَهْدي به .

قال الإمام أحمد[٨] : وحدَّثنا وكيعٌ ، ثنا مِسْعَر ، عن عاصم بن أبي النَّجود ، عن زِرٍّ[٩] ، عن عائشة ، قالت : ما تركَ رسولُ الله ﷺ ديناراً ولا دِرْهماً ولا عَبْداً ولا أمَةً ، ولا شاةً ولا بعيراً . هكذا رواه الإمام أحمد من غيرِ شَكٍّ .

وقد رواه البيهقي[١٠] عن أبي زكريا بن أبي إسحاق المُزَكّي ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن عبد الوهاب ، أنبأنا جعفر بن عَوْن ، أنبأنا مِسْعَر ، عن عاصم ، عن زرٍّ[٩] . قال : قالت عائشة : تَسْألوني عن ميراث رسول الله ﷺ ؟ ما تركَ رسولُ الله ﷺ ديناراً ولا دِرْهماً ولا عَبْداً ولا وَليدةً . قال مِسْعَر : أُراه قال : ولا شاةً ولا بعيراً .

قال : وأنبأنا مِسْعَرٌ عن عدي بن ثابتٍ ، عن علي بن الحسين ، قال : ما تَرَكَ رسولُ الله ﷺ ديناراً ولا دِرْهماً ، ولا عَبْداً ولا وليدةً . وقد ثبتَ في « الصَّحيحين »[١١] من حديث الأعْمَشِ ، عن إبراهيم عن الأسود ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ اشترى طعاماً من يهوديّ إلى أجلٍ ، ورَهَنه دِرْعاً من حديد .

---

(١) ابن ماجه (٢٦٩٥) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٨٥) .
(٤) ط : (ذر) تحريف .
(٥) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٨٧) ، وهو حديث صحيح .
(٦) ط (ذر) تحريف .
(٧) الشمائل (٣٨٨) ، وهو حديث صحيح .
(٨) أحمد في المسند (٦/ ١٣٦) وهو حديث حسن .
(٩) ليس اللفظ في ط .
(١٠) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٧٤) .
(١١) البخاري (٢٢٠٠ ، ٢٥١٣ ، ٢٩١٦) ، ومسلم (١٦٠٣) .

وفي لفظٍ للبخاري[١] رواه عن قَبيصة ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : تُوفِّي النبي ﷺ ودرعُه مَرْهونةٌ عندَ يهوديٍّ بثلاثين .

ورواه البيهقي[٢] من حديث يزيد بن هارون ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود عنها ، قالت : تُوفِّي النبيُّ ﷺ ودرعُه مرهونةٌ بثلاثين صاعاً من شعير . ثم قال : رواه البخاري[٣] عن محمد بن كثير عن سفيان .

ثم قال البيهقي[٤] : أنبأنا علي بن أحمد بن عَبْدان ، أنبأنا أبو بكر محمد بن محمويه[٥] العسكري ، ثنا جعفر بن محمد القلانسي ثنا آدم ثنا شيبان عن قتادة عن أنس . قال : لقد دُعيَ رسولُ الله ﷺ على خُبْزِ شَعيرٍ وإهالةٍ سَنِخة . قال أنس : ولقد سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « والذي نفسُ محمدٍ بيده ، ما أصبح عندَ آلِ محمدٍ صاعُ بُرٍّ ولا صاعُ تَمْرٍ » . وإنّ له يَومئذٍ تسعَ نسوةٍ ، ولقد رَهَنَ درعاً له عندَ يَهوديٍّ بالمدينة ، وأخذ منه طعاماً ، فما وَجَدَ ما يَفتكُّها به حتى مات ﷺ . وقد رَوى ابنُ ماجه[٦] بعضَه من حديث شَيبان بن عبد الرحمن النَّحْوي عن قتادة به .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا عبد الصمد ، ثنا ثابت ، ثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنَّ النبيَّ ﷺ نظر إلى أُحُدٍ . فقال : « والذي نفسي بيده ما يَسُرّني أُحُداً لآل محمد ذهباً أُنْفِقُهُ في سبيل الله ، أموتُ يومَ أموتُ وعندي منه ديناران إلا أن أرصدهما لِدَيْنٍ » . قال : فمات فما ترك ديناراً ولا درهماً ، ولا عبداً ولا وليدة ، فترك دِرعَه رَهْناً عند يهوديٍّ بثلاثين صاعاً من شعير . وقد روى آخرَه ابنُ ماجه[٨] عن عبد الله بن معاوية الجُمَحيّ ، عن ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خَبّاب العَبْدي الكوفي به . ولأوله شاهدٌ في « الصحيح »[٩] من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

وقد قال الإمام أحمد[١٠] : حدَّثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعفان ، قالوا : ثنا ثابتٌ ـ هو ابن يزيد ـ ثنا

---

(١) البخاري (٤٤٦٧) .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٧٤) .
(٣) البخاري (٢٩١٦) .
(٤) دلائل النبوة (٧/ ٢٧٥) .
(٥) أ ، ط : (حمويه) .
(٦) ابن ماجه (٢٤٣٧) من حديث الدستوائي عن قتادة به ، ورواه أحمد من حديث شيبان (٣/ ٢٣٨) ، وهو حديث صحيح .
(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٠١) .
(٨) ابن ماجه (٢٤٣٩) ، وهو حديث صحيح .
(٩) أخرجه أحمد (٥/ ١٤٨) ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(١٠) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٠١) .

هلال ـ هو ابن خَبّاب ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ عليه عمر ، وهو على حَصيرٍ قد أثَّـر في جَنْبه ، فقال : يا نبيَّ الله لو اتخذتَ فِراشاً أوْثَرَ من هذا ؟ فقال : « ما لي وللدنيا ، ما مثلي ومثلُ الدُّنْيا إلا كراكبٍ سار في يوم صائِفٍ ، فاستظَلَّ تحتَ شجرةٍ ساعةً من نهارٍ ، ثم راح وتركها » . تَفَرَّدَ به أحمدُ ، وإسنادُه جيدٌ ، وله شاهدٌ[١] من حديثِ ابنِ عبّاس ، عن عمر في المرأتين اللتين تَظاهَرَتا على رسول الله ﷺ ، وقصة الإيلاء . وسيأتي الحديثُ مع غيره مما شاكله في بيان زُهْدِه عليه الصلاة والسلام ، وتركه الدنيا ، وإعراضه عنها ، واطّراحه لها ، وهو مما يدلّ على ما قلناه من أنه عليه الصلاة والسلام ، لم تكن الدنيا عندَه ببالٍ .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا سفيان ، ثنا عبد العزيز بن رُفَيْع ، قال : دخلتُ أنا وشَدّاد بن مَعْقِلٍ ، على ابن عباس ، فقال ابن عباس : ما ترك رسول الله ﷺ إلا ما بينَ هذين الَّلوحَيْن . قال : ودخلنا على محمد بن علي فقال مثل ذلك . وهكذا رواه البخاري[٣] ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عيينة به .

وقال البخاري[٤] : حدَّثنا أبو نعيم ، ثنا مالك بن مِغْوَلٍ ، عن طلحة ، قال : سألتُ عبدَ الله بن أبي أوفى : أأوْصَى النبيُّ ﷺ ؟ فقال : لا . فقلت : كيف كُتب على النّاس الوصيّةُ ، أو أُمِروا بهـا ؟ قال : أوْصَى بكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ . وقد رواه البخاريُّ أيضاً ومسلمٌ ، وأهلُ السُّنن إلا أبا داود[٥] من طرق ، عن مالك بن مِغْول به . وقال الترمذي : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ ، لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مِغْولٍ .

تنبيه : قد وَرَدَتْ أحاديثُ كثيرةٌ سنوردُها قريباً بعد هذا الفصل في ذكر أشياء كان يختصُّ بها ، صلوات الله وسلامه عليه ، في حياته ، من دُورٍ ومساكنِ نسائه ، وإماءٍ وعبيد ، وخيول وإبل ، وغنم وسلاح ، وبَغْلةٍ وحمار ، وثياب وأثاث ، وخاتم ، وغير ذلك مما سنوضحه بطرقه ودلائله ، فلعلَّه عليه الصلاة والسلام تَصَدَّقَ بكثير منها في حياته مُنْجزاً ، وأعتق من أعتق من إمائه وعبيده ، وأرصد ما أرْصَدَهُ من أمتعته ، مع ما خَصَّه الله به من الأرضينَ من بني النَّضير وخيبر وَفَدَك ، في مصالح المسلمين على ما سنبيّنه ، إن شاء الله ، إلا أنه لم يُخَلِّف من ذلك شيئاً[٦] يورث عنه قطعاً لما سنذكره قريباً ، وبالله المستعان .

---

(١) البخاري (٢٤٦٨ ، ٤٩١٣ـ ٤٩١٥ ، ٥١٩١ ، ٥٨٤٣) ومسلم (١٤٧٩) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٢٠) .
(٣) البخاري (٥٠١٩) .
(٤) البخاري (٤٤٦٠) .
(٥) البخاري (٢٧٤٠) ومسلم (١٦٣٤) والترمذي (٢١١٩) والنسائي (٣٦٢٢) وابن ماجه (٢٦٩٦) .
(٦) ط : (ما) .

بابُ[١]

بيانِ أنّه عليه الصلاة والسلام قال : « لا نُورَثُ »

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا سُفيان ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعْرَج ، عن أبي هريرة يَبلُغُ به ، وقال مرة : قال رسول الله ﷺ : « لا يَقتسِمُ وَرَثَتي ديناراً ولا دِرْهماً ، ما تركتُ بعدَ نفقةِ نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة » . وقد رواه البخاري[٣] ومسلم[٤] وأبو داود[٥] من طرقٍ ، عن مالك بن أنس ، عن أبي الزناد عبد الله بن ذَكوان ، عن عبد الرحمن بن هُرمُز الأعْرج ، عن أبي هريرة ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا يَقْتسمُ وَرَثتي ديناراً ، ما تركتُ بعد نفقةِ نسائي ومؤنةِ عاملي فهو صدقةٌ » لفظ البخاري .

ثم قال البخاري[٦] : حدَّثنا عبد الله بن مَسْلمة ، عن مالكٍ ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة : أنّ أزْواج النبي ﷺ حين تُوفّي رسولُ الله ﷺ أَرَدْنَ أن يَبْعثن عثمانَ إلى أبي بكر يسألنه[٧] ميراثَهن ، فقالت عائشة : أليس قد قال رسول الله ﷺ : « لا نُورثُ ، ما تَرَكْنا صَدَقةٌ ؟ » وهكذا رواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن القعنبي ، والنسائي عن قتيبة ، كلُّهم عن مالك به[٨] . فهذه إحدى النساء الوارثات ـ إن لو قدِّر ميراثٌ ـ قد اعترفت أنّ رسول الله ﷺ جعل ما تركه صدقة لا ميراثاً ، والظّاهرُ أن بقيةَ أمهاتِ المؤمنين وافقْنها على ما رَوَتْ ، وتَذكَّرْن ما قالت لهنَّ من ذلك ، فإنّ عبارتَها تُؤْذنُ بأن هذا أمرٌ مُقرَّر عندهن . والله أعلم .

وقال البخاري[٩] : حدَّثنا إسماعيل بن أبان ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أن النبي ﷺ قال : « لا نُورَثُ ما تَركنا صدقة » .

وقال البخاري : باب قول رسول الله ﷺ لا نورَثُ ، ما تركنا صدقةٌ : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا هشام ، أنبأنا مَعمَر ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة : أنَّ فاطمةَ والعباس أتيا أبا بكر ، رضي الله عنه ، يَلْتمسان ميراثَهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبانِ أرْضَه من فدك وسهمه من خيبر . فقال لهما

---

(١) مكان اللفظ بياض في أ .
(٢) مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٤٢) .
(٣) البخاري (٢٧٧٦ ، ٣٠٩٦ ، ٦٧٢٩) .
(٤) مسلم (١٧٦٠) (٥٥) .
(٥) أبو داود (٢٩٧٤) .
(٦) البخاري (٦٧٣٠) .
(٧) ط : (ليسألنه) .
(٨) رواه مسلم رقم (١٧٥٨) (٥١) وأبو داود (٢٩٧٦) والنسائي في « الكبرى » (٦٣١١) .
(٩) البخاري (٦٧٢٧)

أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا نورَثُ ، ما تركنا صدقةٌ ، إنما يأكلُ آل محمد من هذا المال » . قال أبو بكر : والله لا أدعُ أمراً رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَصْنَعُه فيه إلا صنعتُه ، قال : فهجرته فاطمة فلم تكلِّمْه حتى ماتَتْ . وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن معمر(١) .

ثم رواه أحمد(٢) : عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كَيْسان ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة : أنّ فاطمةَ سَأَلَتْ أبا بكر بعدَ وفاة رسول الله ميراثَها مما ترك مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله ﷺ . قال : « لا نورَثُ ، ما تركنا صدقةٌ » فغَضبتْ فاطمةُ ، وهَجَرَت أبا بكر ، فلم تَزَلْ مُهاجرته حتى تُوفّيت . قال : وعاشت فاطمة بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ ستةَ أشهرٍ . . . وذكر تمام الحديث . هكذا قال الإمام أحمد .

وقد روى البخاري(٣) هذا الحديثَ في كتاب المغازي من « صحيحه » عن ابن بُكير(٤) ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، كما تقدم ، وزاد : فلما تُوفِّيت دَفَنَها عليّ ليلاً ولم يُؤْذن بها(٥) أبا بكر ، وصلّى عليها ، وكان لعلّي من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة ، فلما تُوفّيت استنكَرَ عليٌّ وجوه الناس ، فالتمَس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايَعَ تلكَ الأشهر ، فأرسلَ إلى أبي بكر ائتنا ولا يأتنا معك أحد ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شِدّة عمر ، فقال عمر : والله لا تدخُلُ عَليهم وحدك .

قال أبو بكر : وما عسى أن يَصْنَعوا بي ؟ والله لآتينَّهم . فانطَلق أبو بكر ، رضي الله عنه فتَشَهَّدَ عَليٌّ(٦) ، وقال : إنّا قد عَرَفْنا فَضْلَكَ وما أعطاك الله ، ولم نَنْفَسْ عَلَيْكَ خيراً ساقه الله إليك ، ولكنّكم استَبْدَدْتُم بالأمر ، وكُنّا نرى لِقَرابتنا منْ رسولِ الله ﷺ أنَّ لنا في هذا الأمر نصيباً ، فلم يَزَلْ عليٌّ يذكرُ حتى بَكَى أبو بكر ، رضي الله عنه ، وقال : والذي نفسي بيدِهِ لقَرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصِلَ من قَرابتي ، وأما الذي شَجَر بَيْني وبَيْنَكُمْ(٧) في هذه الأموال ، فإني لم آلُ فيها عن الخير ، ولم أترُكْ أمراً صنعه(٨) رسول الله ﷺ إلا صَنَعْتُه . فلما صلّى أبو بكر رضي الله عنه الظهرَ رقي(٩) على المنبر ، فتَشهَّد ، وذكر شأنَ عليٍّ وتخلُّفَه عن البيعة ، وعذرَهُ بالذي اعتذرَ به ، وتَشَهَّدَ عليٌّ رضي الله عنه ، فعظَّمَ حقَّ

---

(١) مسند الإمام أحمد (١ / ٤) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١ / ٦) ، وإسناده صحيح .
(٣) البخاري (٤٢٤٠ ـ ٤٢٤١) .
(٤) أ : (ابن أبي بكر) وط (ابن أبي بكر) وفيهما تحريف وزيادة . وانظر البخاري . وفيه (يحيى بن بكير) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) ليست عبارة (فتشهّد علي) في ط .
(٧) أ ، ط : (شجر بينكم) وما أثبته عن البخاري .
(٨) ط : (صنع) .
(٩) ط : (ورقي) والواو زائدة .

أبي بكر ، وذكرَ فضيلته وسابقتَه ، وحدَّث أنّه لم يَحْمِلْهُ على الذي صنع نفاسةٌ على أبي بكرٍ ، ثم قام إلى أبي بكر ، رضي الله عنهما ، فبايَعَهُ . فأقبل الناسُ على عليٍّ فقالوا : أحسنتَ . وكانَ الناسُ إلى عليٍّ قريباً حين راجعَ الأمرَ المَعْروفَ . وقد رواه البخاري[(١)] أيضاً ومسلم[(٢)] وأبو داود[(٣)] والنسائي[(٤)] من طرقٍ متعددةٍ ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة بنحوه .

فهذه البيعةُ التي وَقَعَتْ من عليٍّ ، رضي الله عنه ، لأبي بكرٍ ، رضي الله عنه ، بعد وفاةِ فاطمة ، رضي الله عنها ، بيعةٌ مُؤَكِّدةٌ للصُّلْحِ الذي وقعَ بينهما ، وهي ثانيةٌ للبيعة التي ذكرناها أولاً يومَ السَّقيفة ، كما رواه ابن خُزَيْمة وصَحَّحَهُ مسلم بن الحَجّاج ، ولم يكنْ عليٌّ مجانباً لأبي بكرٍ هذه الستةَ أشهرٍ ، بل كان يُصلّي وراءه ويحضُر[(٥)] عِنْدَه للمَشورةِ ، وركبَ مَعَهُ إلى ذي القَصَّة كما سيأتي .

وفي « صحيح البخاري »[(٦)] : أن أبا بكرٍ ، رضي الله عنه ، صلَّى العصرَ بعد وَفاةِ رسولِ الله ﷺ بليالٍ ، ثم خرجَ من المسجد فوجَدَ الحسنَ بن علي يَلعبُ مع الغِلْمان ، فاحْتَمَلهُ على كاهِلِهِ ، وجَعَلَ يقول : [من مجزوء الرجز]

[يا] بِأَبي شِبْهُ النَّبِيْ لَيْـسَ شبيهـاً بعَلِـيْ

وعليٌّ يَضْحكُ . ولكن لمّا وقعتْ هذه البيعةُ الثانيةُ اعتقَد بعضُ الرواةِ أنّ علياً لم يُبايعْ قَبْلَها فنفى ذلك ، والمُثْبتُ مَقَدَّمٌ على النّافي ، كما تَقَدَّمَ وكما تَقَرَّر . والله أعلم . وأما تَغَضُّبُ فاطمة ، رضي الله عنها وأرضاها ، على أبي بكرٍ ، رضي الله عنه وأرضاه ، فما أدْري ما وَجْهُهُ ، فإنْ كانَ لمنعِه إيّاها ما سألَتْهُ من الميراث ، فقد اعتذر إليها بعذرٍ يجبُ قبولُهُ ، وهو ما رواه عن أبيها رسولِ الله ﷺ أنه قال : « لا نُورَثُ ، ما تَرَكْنا صَدَقَةٌ » . وهي ممن تَنْقادُ لنَصّ الشارعِ الذي خَفي عليها قبل سُؤالِها الميراثَ ، كما خَفِيَ على أزواجِ النبيّ ﷺ حتى أخْبَرَتْهُنّ عائشةُ بذلك ، ووافَقْنَها عليه ، وليس يُظَنّ بفاطمة ، رضي الله عنها ، أنها[(٧)] اتَّهَمَتِ الصِّدِّيق ، رضي الله عنه ، فيما أخبرَها به ، حاشاها وحاشاه من ذلك، كيفَ وقَدْ وافَقَهُ على روايةِ هذا الحديث عمرُ بنُ الخطّاب، وعثمانُ بن عفان، وعليُّ بن أبي طالب ، والعباسُ بن عبد المطلب، وعبدُ الرحمن بن عوف ، وطَلْحَةُ بن عُبَيْد الله ، والزُّبَيْر بن العَوّام ، وسَعْدُ بن أبي وقّاص،

---

(١) البخاري (٣٠٩٢ ، ٣٠٩٣ ، ٣٧١١ ، ٣٧١٢ ، ٤٠٣٥ ، ٤٠٣٦ ، ٦٧٢٧) .
(٢) مسلم (١٧٥٨) و(١٧٥٩) (٥١) و(٥٢) و(٥٣) و(٥٤) .
(٣) أبو داود (٢٩٦٨ ، ٢٩٦٩ ٢٩٧٦ ، ٢٩٧٧) .
(٤) النسائي (٤١٥٢) وفي السنن الكبرى (٦٣١١) .
(٥) ط : (ويحضره) .
(٦) البخاري (٣٥٤٢ ، ٣٧٥٠) .
(٧) ط : (أنها علمت أنها اتهمت) .

وأبو هريرة ، وعائشةُ ، رضي الله عنهم أجمعين ، كما سَنُبَيِّنه قريباً . ولو تَفَرَّدَ بروايته الصديق ، رضي الله عنه ، لوجَبَ على جميعِ أهْلِ الأرض قَبولُ روايتِهِ والانْقيادُ له في ذلك ، وإن كان غَضَبُها لأجلِ ما سألتِ الصديقَ ، إذ كانَتْ هذه الأراضي صَدَقةً لا ميراثاً ، أن يكونَ زوجُها ينظُرُ فيها ، فقد اعتذَرَ بما حاصِلُهُ أنه لمّا كان خليفةَ رسولِ الله ﷺ ، فهو يرى أن فرضاً عليه أن يَعْمَلَ بما كانَ يَعْمله رسولُ الله ﷺ ، ويَلي ما كانَ يَليه رسولُ الله ، ولهذا قال : وإنّي والله لا أدَعُ أمْراً كان يَصْنَعُهُ فيه رسولُ الله ﷺ إلا صَنَعْتُه ، قال : فهجرَتْهُ فاطمةُ فلم تُكلِّمْه حتى ماتَتْ . وهذا الهِجرانُ والحالةُ هذه فَتح على فِرْقَة الرافضةِ شرّاً عَريضاً ، وجَهْلاً طويلاً ، وأدْخَلوا أنفسَهم بسببه فيما لا يَعْنيهم ، ولو تَفَهَّموا الأمورَ على ما هي عليه لعَرفوا للصِّدِّيق فضلَه ، وقَبِلوا منه عُذْرَهُ الذي يجبُ على كلِّ أحدٍ قَبولُه ، ولكنهم طائفةٌ مَخْذولةٌ ، وفِرْقَةٌ مَرْذولةٌ ، يَتَمسَّكون بالمُتشابه ، ويَتْرُكون الأمورَ المُحْكَمَة المُقَرَّرَة[١] عند أئمة الإسلام ، من الصحابة والتابعين ، فمنْ بعدَهم من العلماء المُعْتَبَرين في سائر الأعْصار والأمْصار ، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

بيانُ روايةِ الجَماعَةِ لِما رَواهُ الصِّدِّيقُ ومُوافقَتِهمْ على ذلك

قال البخاري[٢] : حدَّثنا يحيى بن بُكَير ، ثنا اللَّيْثُ ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني مالك[٣] بن أوس بن الحَدَثان ، وكان محمد بن جُبَيْر بن مُطْعم ذكر لي ذِكراً من حديثه ذلك ، فانطلقتُ حتى دخلتُ عليه ، فسألتُه ، فقال : انطلقتُ حتى أدْخُلَ على عُمَرَ ، فأتاهُ حاجبُه يَرْفا ، فقال : هل لك في عثمانَ وعبد الرحمن بن عَوْفٍ ، والزُّبَيْر وسَعْدٍ ؟ قال : نعم ، فأذِنَ لهم ، ثم قال : هَلْ لَكَ في عليٍّ وعبّاس ؟ قال : نعم . قال عباس : يا أمير المؤمنين اقضِ بَيْني وبينَ هذا ، قال : أنْشُدُكمْ بالله الذي بإذنِهِ تقومُ السَّماءُ والأرضُ ، هل تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا نُورثُ ، ما تَرَكْنا صَدَقةٌ ؟ » يريدُ رسولُ الله ﷺ نفسَه ؟ قال الرهط : قَدْ قالَ ذلك . فأقبلَ على عليّ وعباس ، فقال : هل تَعْلَمان أنَّ رسول الله ﷺ قد قال ذلك ؟ قالا : قَدْ قالَ ذلك . قال عمر بن الخطاب : فإنّي أُحَدِّثكم عن هذا الأمر ؛ إنّ اللهَ كانَ قد خَصَّ لرسولِ الله ﷺ في هذا الفيء بشيءٍ لم يُعْطِه أحداً غيرَه . قال ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ إلى قوله ﴿ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر : ٦] فكانَتْ خالصةً لرسول الله ﷺ ، والله ما احتازَها[٤] دونكم ، ولا اسْتَأثر بها[٥] عليكم ، لقد أعطاكموها وبثَّها فيكم ، حتى بقيَ منها هذا المالُ ، فكانَ رسول الله ﷺ

---

(١) ط : (المقدَّرة) .
(٢) البخاري (٦٧٢٨) .
(٣) ط : (ملك بن أوس بلن الحدثنان) وكلها تحريفات . وانظر سير أعلام النبلاء (٤/ ١٧١) .
(٤) أ : (ما اختارها) .
(٥) أ ، ط : (استأثرها) .

يُنفقُ على أهله من هذا المال نفقةَ سَنَتِهِ ، ثمَّ يأخذُ ما بَقي فَيَجْعَلَه مَجْعَلَ مالِ اللهِ ، فعملَ بذلك رسولُ الله ﷺ حياتَه ، أنشُدُكم بالله هل تَعْلمون ذلك ؟ قالوا : نعم . ثم قال لعليٍّ وعباس : أَنْشُدُكما باللهِ هل تَعْلَمان ذلك ؟ قالا : نعم ! فَتَوفَّى اللهُ نبيَّه فقال أبو بكر ، رضي الله عنه : أنا وَليُّ رسولِ الله ﷺ . فقَبَضَها فعمِلَ بما عمِل به رسول الله ﷺ ثُم توفَّى اللهُ أبا بكر ، فقلتُ : أنا وَليُّ وليِّ رسولِ الله ﷺ فَقَبضتها سنتين ، أَعْمَلُ فيها بما عمل رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ، ثم جئتُماني وكَلِمَتُكما واحدةٌ وأمرُكما جميعٌ ، حتى جئتَني تسألُني نَصيبَك من ابن أخيك ، وجاءني هذا ليسألَني نصيبَ امرأتِه من أبيها ، فقلتُ : إن شِئتُما دفعتُ إليكُما بذلك ، فتَلْتَمسانِ مني قَضاء غيرَ ذلك !! فوالله الذي بإذنِه تقومُ السماءُ والأرضُ ، لا أَقْضي فيها قضاء غيرَ ذلك حتَّى تقومَ الساعة ، فإن عَجَزْتُما فادفعاها إليّ فأنا أكْفيكُماها . وقد رواه البخاري[١] في أماكن متفرقة من « صحيحه » ، ومسلم[٢] وأهل السنن[٣] من طرقٍ ، عن الزهري به .

وفي روايةٍ في « الصحيحين »[٤] ، فقال عمر : فَوَليها أبو بكر ، فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ ، واللهُ يعلمُ أنَّه صادقٌ بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحقّ ، (ثم وليتُها فعملتُ فيها بما عملَ رسول الله ﷺ وأبو بكر ، والله يعلم أني صادقٌ بارٌّ [راشد] تابعٌ للحق)[٥] ثم جئتُماني فدفعتها إليكما لتعملا فيها بما عَمِلَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ، وعملتُ فيها أنا ، أَنْشُدُكم بالله أدفعتُها إليهما بذلك ؟ قالوا : نعم . ثم قال لهما : أَنْشُدُكما بالله هل دفعتُها إليكما بذلك ؟ قالا : نعم ، قال : أفتَلْتمسان مني قَضاءً غيرَ ذلك ؟ لا ، والذي بإذنه تقومُ السَّماءُ والأرضُ .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا سُفْيان عن عمرو ، عن الزُّهْري ، عن مالك بن أوس ، قال : سَمِعْتُ عمر يقول لعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد : نَشَدْتُكم بالله الذي تقومُ السماءُ والأرضُ بأمره ، أعلمتُم أنّ رسولَ الله ﷺ ، قال : « لا نُورثُ ، ما تَرَكْنا صَدَقةٌ ؟ » قالوا : نعم . على شرط الصحيحين .

قلت : وكان الذي سَأَلاهُ بعدَ تَفْويضِ النظرِ إليهما ، والله أعلم ، هو أن يَقْسِمَ بينهما النظرَ ، فيجعَل لكلِّ واحدٍ منهما نظر ما كان يستحقُّه بالإرث[٧] لو قُدِّر أنه كان وارثاً ، وكأنهما قدَّما بينَ أيديهما جماعةً من الصَّحابة ، منهم عثمانُ وابن عوفٍ وطلحةُ والزُّبيرُ وسَعْدٌ ، وكان قد وَقَعَ بينهما خُصومةٌ شديدةٌ بسببِ

---

(١) البخاري (٣٠٩٤ ، ٤٠٣٣ ، ٥٣٥٨ ، ٧٣٠٥) .

(٢) مسلم (١٧٥٧) (٤٨) و(٤٩) و(٥٠) .

(٣) أبو داود ٢٩٦٣ ، والترمذي (١٦١٠) ، والنسائي في السنن الكبرى (٦٣٠٧ ـ ٦٣١٠) ، والحديث ليس عند ابن ماجه .

(٤) البخاري (٧٣٠٥) ومسلم (١٥٧) (٤٩) .

(٥) ليس ما بين القوسين في ط .

(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٥ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٩١) .

(٧) ط : (بالأرض) وأ : (من الإرث) .

إشاعةِ النَّظَر بينهما ، فقالت الصَّحابةُ الذين قدماهم بينَ أيديهما : يا أميرَ المؤمنين اقض بينهما ، وأرحْ[(١)] أحدَهما من الآخر . فكأنَّ عُمَرَ ، رضي الله عنه ، تَحَرَّجَ من قِسْمَةِ النَّظَرِ بَيْنَهُما بما يُشْبهُ قِسْمَةَ[(٢)] الميراث ولو في الصّورة الظاهرة ، محافظةً على امتثال قوله ﷺ : « لا نُورثُ ، ما تَرَكْنَا صدقةٌ » فامتنع عليهم كلِّهم وأبى من ذلك أشدَّ الإباء ، رضي الله عنه وأرضاه ، ثم إنّ علياً والعباسَ استمرّا على ما كانا عليه ، ينظران فيها جميعاً إلى زمانِ عثمان بن عفان ، فغلبه عليها عليٌّ وتركَها له العباس بإشارةِ ابنه عبد الله ، رضي الله عنهما ، بين يَدَيْ عُثْمان ، كما رَواهُ أحمدُ في « مسنده »[(٣)] ، فاستمرت في أيدي العَلَويّين . وقد تَقَصَّيْتُ طرقَ هذا الحديث وألفاظَه في مسندَي الشَّيْخَيْن أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، فإنّي ، ولله الحمد ، جَمَعْتُ لكلِّ واحدٍ منهما مُجَلَّداً ضَخْماً مما رواه عن رسول الله ﷺ ، ورآه من الفِقْهِ النافعِ الصَّحيح ، وَرَتَّبْتُه على أبواب الفقهِ المُصْطَلَح عليها اليوم . وقد رُوِّينا أن فاطمة ، رضي الله عنها ، احتجَّت أولاً بالقياس وبالعموم في الآية الكريمة ، فأجابها الصِّدِّيقُ بالنصِّ على الخُصوص بالمَنْع في حقّ النبيّ ، وأنها سلَّمَتْ له ما قال . وهذا هو المظنونُ بها ، رضي الله عنها .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : حدَّثنا عَفّان ، ثنا حماد بن سَلَمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سَلَمة ، أنّ فاطمةَ قالت لأبي بكر : من يَرِثُكَ إذا مِتَّ ؟ قال : ولدي وأهلي . قالت : فما لنا لا نرثُ رسول الله ﷺ ؟ فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إن النبيَّ لا يورثُ » ولكنّي أعولُ منْ كانَ رسولُ الله ﷺ يَعولُ وأُنفقُ على منْ كانَ رسولُ الله ﷺ يُنْفقُ . وقد رواه الترمذي في « جامعه »[(٥)] عن محمد بن المُثَنَّى ، عن أبي الوليد الطَّيالسي (قال : حدثنا حماد بن سلمة)[(٦)] ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة . . . فذكره ، فوصل[(٧)] الحديث . وقال الترمذي : حسنٌ صحيح غريب[(٨)] .

فأما الحديثُ الذي قال الإمام أحمد[(٩)] : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، ثنا محمد بن فُضيل ، عن الوليد بن جُمَيْع ، عن أبي الطُّفَيْل ، قال : لما قُبضَ رسولُ الله ﷺ أرسلَتْ فاطمةُ إلى أبي بكرٍ : أأنتَ

---

(١) ط : (أو أرح) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ١٣) ، وإسناده صحيح .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٠) ، وهو حديث صحيح لغيره .
(٥) الترمذي (١٦٠٨) ، وهو حديث صحيح .
(٦) ما بين الحاصرتين من جامع الترمذي ، ولا بد منها .
(٧) ط : (وصل) .
(٨) هكذا وقع في أ و ط ، والذي في جامع الترمذي والتحفة : حسن غريب ، وهو الصواب ، فقد ذكر غير واحد أنه روي من غير ذكر أبي هريرة فيه ، كما بيناه في تعليقنا على الترمذي (بشار) .
(٩) في مسنده (١/ ٤) .

وَرِثْتَ رسولَ اللهِ أم أهلُه ؟ فقال : لا بل أهلُه ، قالت[١] : فأين سهم رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الله إذا أَطْعَمَ نبيّاً طُعْمَةً ثمّ قَبَضَه جَعَلَهُ للّذي يَقومُ من بَعْدِه » فرأيتُ أن أردَّه على المسلمين . قال[٢] : فأنْتَ وما سَمِعْتَ من رسول الله ﷺ[٣] . وهكذا رواه أبو داود[٤] ، عن عثمان بن أبي شيبة ، عن محمد بن فُضَيْل به . ففي لفظ هذا الحديث غرابةٌ ونكارةٌ ، ولعلَّه رُوي بمعنى ما فَهِمَه بعضُ الرواة ، وفيهم منْ فيه تَشيُّعٌ ، فَلْيُعْلَمْ ذلك ، وأحسنُ ما فيه قولُها : أنتَ وما سَمِعْتَ من رسول الله ﷺ ، وهذا هو[٥] المظنونُ بها ، واللائقُ بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها ، رضي الله عنها . وكأنَّها[٦] سأَلَتْهُ بعدَ هذا أن يجعلَ زوجَها ناظراً على هذه الصدقة ، فلم يُجِبْها إلى ذلك ، لما قدمناه ، فَتَعَتَّبَتْ[٧] عليه بسبب ذلك وهي امرأةٌ من بناتِ آدم ، تأسف كما يأسفون ، وليست بواجبةِ العِصْمَةِ مع وجودِ نصِّ رسولِ الله ﷺ ، ومخالفةِ أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه وأرضاه ، وقد رُوِّينا عن أبي بكر رضي الله عنه : أنه ترضَّى فاطمة وتلاينها قبل موتها فرضيت رضي الله عنها .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي[٨] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ[٩] ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن عبد الوهاب ، ثنا عَبْدان بن عثمان العَتَكي بنيسابور ، أنبأنا أبو حمزة[١٠] ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال : لما مَرِضتْ فاطمةُ أتاها أبو بكر الصّدّيقُ فاستأذَنَ عليها ، فقال علي : يا فاطمةُ هذا أبو بكر يَسْتَأْذنُ عليكِ . فقالت : أتحبُّ أن آذنَ له ؟ قال : نعم . فأذِنَتْ له فدخلَ عليها يَترضَّاها ، فقال : واللهِ ما تركتُ الدارَ والمالَ والأهلَ والعَشيرة إلا ابتغاءَ مَرْضاةِ الله ، ومرضاةِ رسولِهِ . ومرضاتِكُمْ أهْلَ البَيْتِ ، ثم تَرَضّاها حتى رَضَيتْ . وهذا إسنادٌ جيدٌ قويٌّ . والظَّاهِرُ أنّ عامِراً[١١] الشّعبي سَمِعَهُ من عليّ ، أو مِمَّنْ سَمِعَه من عليّ .

وقد اعترفَ عُلماءُ أهل البَيْتِ بصحَّةِ ما حَكَم به أبو بكر في ذلك . قال الحافظ البيهقي[١٢] : أخبرنا

---

(١) ط : (فقالت) .
(٢) ط : قالت .
(٣) بعدها في المسند (أعلم) .
(٤) أبو داود (٢٩٧٣) .
(٥) ط : (وهذا هو الصواب والمظنون بها) وفي أ : (وهذا الصواب والمظنون بها) .
(٦) ط : (ولكنها) .
(٧) ط : (فعتبت) .
(٨) السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٣٠١) .
(٩) ليست عبارة (أخبرنا أبو عبد الله الحافظ) في ط .
(١٠) في سنن البيهقي : (أبو ضمرة) .
(١١) ط : (أن عامر) خطأ .
(١٢) السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٣٠٢) .

محمد بن عبد الله الحافظ ، ثنا أبو عبد الله الصَّفَّار ، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، ثنا نَصْرُ بن علي ، ثنا ابن داود ، عن فُضَيْل بن مرزوق ، قال : قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(١) : أما أنا فلو(٢) كنت مكان أبي بكر ، رضي الله عنه ، لحَكَمْتُ بما حَكَم به أبو بكرٍ رضي الله عنه ، في فَدَك .

فصــل

وقد تَكَلَّمَتِ الرَّافِضَةُ في هذا المقام بجَهْلٍ ، وتكَلَّفُوا(٣) ما لا عِلْمَ لهم به ، وكذَّبوا بما لم يُحيطوا بعِلْمِه ، ولمّا يَأْتِهم تأويلُه ، وأدْخَلُوا أنفسَهم فيما لا يَعْنيهم ، وحاوَلَ بعضُهم أن يَرُدَّ خبرَ أبي بكرٍ(٤) رضي الله عنه ، فيما ذكرناه بأنّه مخالفٌ للقرآن حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[النمل : ١٦] الآية . وحيث قال تعالى إخباراً عن زكريا أنه قال : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[مريم : ٥ ـ ٦] واستدلالهم هذا(٥) باطلٌ من وجوهٍ : أحدُها أن قوله : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل : ١٦] إنما يعني بذلك في المُلْك والنُّبوة ، أي جَعَلْناه قائماً بعدَه فيما كانَ يليه من المُلْكِ وتَدْبير الرَّعايا ، والحكم بين بني إسرائيل ، وجعلناه نبياً كريماً كأبيه ، وكما جُمع لأبيه المُلْكُ والنُّبوّةُ ، كذلك جُعِلَ ولدهُ بعدَه ، وليس المرادُ بهذا وراثةَ المال ؛ لأن داود كما ذَكَرَه كَثيرٌ من المُفسِّرين كان له أولادٌ كثيرون يقال : مئة ولدٍ(٦) ، فلِمَ اقتصرَ على ذكر سليمان من بينهم لو كان المراد وِراثةَ المال ؟ إنما المرادُ وِراثةُ القيام بعدَه في النبوة والملك ، ولهذا قال : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل : ١٦] وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٦] وما بعدها من الآيات . وقد أشبعنا الكلام على هذا في كتابنا « التفسير » بما فيه كفاية ، ولله الحمدُ والمنةُ كثيراً .

وأما قِصَّةُ زَكريّا فإنّه عليه السلام ، من الأنبياء الكرام ، والدُّنْيا كانَتْ عِنْدَه أحْقَرَ منْ أن يَسْأَلَ اللهَ ولداً ليرثَه في ماله ، كيف ؟ وإنما كان نجاراً يأكُلُ من كَسْب يَدِهِ كما رواه البخاري(٧) ، ولم يكُنْ لِيَدَّخِرَ منها فوقَ قُوتِه حتى يَسْأَلَ الله ولداً يرثُ عنه مالَه ـ أن لو كان له مال(٨) ـ وإنما سأل ولداً صالحاً يرثه في النبوة والقيام بمصالح بني إسرائيل ، وحملهم على السَّداد . ولهذا قال تعالى : ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ

(١) ليس (بن أبي طالب) في أ .
(٢) ط : (أما لو كنت) .
(٣) ط : (وتكفلوا) تحريف .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) ط : (واستدلالاتهم بهذا) .
(٦) ليس اللفظ في ط .
(٧) ليس الحديث عند البخاري كما قال المصنف رحمه الله ، بل هو عند مسلم رقم (٢٣٧٩) .
(٨) ط : (ماله) .

رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴾ [مريم : ١ ـ ٦] القصة بتمامها . فقال : ﴿ وَلِيّٗا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ ﴾ [مريم : ٦] ، يعني النبوة ، كما قرَّرنا ذلك في « التفسير » ولله الحمد والمنة . وقد تقدَّم في رواية أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن أبي بكر ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « النبيُّ لا يُورَثُ » وهذا اسمُ جنسٍ يَعُمُّ كُلَّ الأنْبياء ، وقد حَسَّنَهُ الترمذي . وفي الحديث الآخر : « نَحْنُ مَعْشَرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ »[١] .

والوجه الثاني : أنَّ رسولَ الله ﷺ قد خُصَّ من بينِ الأنْبياء بأحْكامٍ لا يُشارِكونه فيها ، كما سنَعْقدُ له باباً مُفْرداً في آخر السِّيرة ، إن شاء الله ، فلو قُدِّرَ أنّ غيرَهُ من الأنبياء يُورَثون ـ وليس الأمر كذلك ـ لكانَ ما رواهُ منْ ذكرنا من الصحابة الذين منهم الأئمة الأربعة ؛ أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليٌّ مُبِّيناً لِتَخْصيصه بهذا الحكم دونَ ما سواه .

والثالث : أنه يجبُ العملُ بهذا الحديثِ والحكمُ بمقتضاه ، كما حَكَمَ به الخُلَفاءُ ، واعْتَرفَ بصحّته العلماء ، سواء كان منْ خصائصه أم لا ، فإنه قال : « لا نُورَثُ ، ما تَرَكنا[٢] صَدَقةٌ » إذ يَحْتملُ من حيثُ اللفظُ أن يكونَ قولُهُ عليه الصلاة والسلام : « ما تركنا صَدَقَةٌ » أن يكونَ خَبَراً عن حُكْمِه أو حُكْمِ سائر الأنبياءِ معه ، على ما تَقَدَّم وهو الظاهر ، ويحتملُ أن يكون إنشاء وَصِيَّةٍ[٣] كأنه يقول : لا نورثُ لأن جميع ما تركناه جعلناه[٤] صدقةً ، ويكون تخصيصُه من حيثُ جوازُ جعلِه مالَه كلَّه صدقةً ، والاحتمالُ الأولُ أظهرُ . وهو الذي سلكه الجمهور . وقدْ يَقْوَى المعنى الثاني بما تقدَّم من حديث مالكٍ وغيره ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعرجِ ، عن أبي هريرة ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا يَقْتَسِمُ[٥] وَرَثَتي ديناراً ، ما تَرَكْتُ بعدَ نفقةِ نِسائي ومُؤْنَةِ عاملي فهو صدقةٌ » وهذا اللفظ مخرجٌ في « الصحيحين » وهو يردّ تَحْريفَ منْ قال من الجَهَلَة من طائفةِ الشّيعةِ في روايةِ هذا الحديث ما تركنا[١] صدقةً بالنصب ، جعل ـ ما ـ نافية ، فكيف يصنع بأول الحديث ، وهو قوله : لا نُورثُ ؟! وبهذه الرواية « ما تركت بعدَ نفقة نسائي ومُؤْنَة عامِلي فهو صَدَقةٌ » وما شأنُ هذا إلا كما حُكِيَ عن بعض المعتزلة أنه قَرَأَ على شيخٍ من أهل السُّنَّة : وكَلَّمَ اللهُ مُوسى

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/١٢) وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » فقد أنكره جماعة من الأئمة ، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ « نحن » لكن أخرجه النسائي في « الكبرى » رقم (٦٣٠٩) بلفظ « إنا معشر الأنبياء » أقول : وهو عند أحمد (٢/٤٦٣) من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح .

(٢) ط : (ما تركناه) .

(٣) ط : (وصيته) .

(٤) ليس اللفظ في ط .

(٥) ط : (لا تقتسم) .

تكليماً بنصب الجلالة ، فقال له الشيخ : ويحك ، كيف تصنع بقوله تعالى : ﴿ ولما[١] جاء موسى لميقاتنا فكلمه ربه ﴾[الأعراف : ١٤٣] .

والمقصود أنه يجبُ العملُ بقوله ﷺ : « لا نُورَثُ ، ما تركنا صَدَقةٌ » على كلِّ تقديرٍ احتملَه اللفظُ والمَعْنى ، فإنّه مُخَصِّصٌ لعموم آيةِ الميراثِ ، ومخرجٌ له عليه الصلاة والسلام منها ، إما وحده ، أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

باب ذكر

زوجاته صلوات الله وسلامه عليه وأولاده ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢ ـ ٣٤] لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام تُوفِّي عن تسعٍ وهُنّ ؛ عائشةُ بنتُ أبي بكر الصديق التَّيميّة ، وحَفْصَة بنت عمر بن الخطاب العَدَوية ، وأم حبيبة رَمْلَة بنت أبي سُفيان صخر بن حرب بن أمية الأموية ، وزَيْنَبُ بنتُ جَحْشٍ الأسَديّة ، وأمُّ سَلَمَة هندُ بنتُ أبي أُميَّة المَخْزومية ، ومَيْمونة بنتُ الحارث الهِلاليّة ، وسَوْدَةُ بنت زَمْعَة العامرية ، وجُوَيْرية بنتُ الحارث بن أبي ضرار المصطلقية ، وصَفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب النَّضْريّة الإسرائيلية الهارونيّة ، رضي الله عنهن وأرضاهن . وكانت له سُرِّيَّتان ، وهما : مارية بنت شَمْعون القِبْطيَّة المصريَّة من كورة أنْصِنا[٢] وهي أم ولده إبراهيم عليه السلام ، وريْحانةُ بنت شَمْعُون القُرَظيَّة ، أسلمت ثم أعتقها ، فلحقت بأهلها ، ومن الناس من يزعمُ أنّها[٣] احتجبت عندهم ، والله أعلم .

وأما الكلامُ على ذلك مُفَصَّلاً ومرتباً من حيث ما وقعَ أولاً فأولاً مجموعاً من كلام الأئمة ، رحمهم الله ، فنقول وبالله المستعان :

---

(١) ط : (فلما) .

(٢) ط : (ألصنا) تحريف . وأنصنا : بالفتح ، ثم السكون ، وكسر الصاد المهملة ، والنون ، مقصور : مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل (معجم البلدان : أنصنا) وبقي منها اليوم أطلال واقعة في مدينة النصلة في أسيوط (القاموس الجغرافي : ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣) .

(٣) ليس اللفظ في أ .

روى الحافظُ الكبيرُ أبو بكرٍ البيهقي[١] من طريق سَعيد بن أبي[٢] عَروبة ، عن قتادة ، قال : تزوَّجَ رسولُ الله ﷺ بخَمْسَ عَشْرَةَ امرأة ، دخلَ منهن بثلاثَ عشرة ، واجْتَمَعَ عنده إحدى عشْرَةَ ، وماتَ عن تِسْعٍ . ثم ذكر هؤلاء التِّسع اللاتي ذكرناهن رضي الله عنهن[٣] . (ورواهُ بَحْرُ بن كَنِيْز[٤] ، عن قتادة ، عن أنس ، والأول أصحُّ)[٥] ورواه سَيْفُ بن عُمر التَّميمي عن سَعيد عن قَتادة عن أنس وابن عباس مثله . وروى سَيْف عن سَعيد بن عبد الله ، عن عبد الله بن أبي مُلَيْكة ، عن عائشة مثله ، قالت : فالمرأتان اللتان لم يدخُلْ بهما ، فهما ؛ عَمْرَةُ بنت يزيد الغِفاريَّةُ والشَّنْباء ، فأمّا عَمْرَةُ ، فإنّه خَلا بها وجَرَّدها فرأى بها وَضَحاً[٦] ، فردَّها وأوجبَ لها الصِّداقَ ، وحُرِّمَتْ على غَيْره ، وأما الشَّنْباء ، فلمّا أُدْخِلَتْ عليه لم تَكُنْ يَسيرةً ، فتَرَكَها يَنْتَظِر بها اليسَر ، فلمّا مات ابنُه إبراهيمُ على تَفِئَةِ[٧] ذلك ، قالت : لو كان نبيّاً لم يَمُتِ ابنُه ، فَطَلَّقَها وأوْجَبَ لها الصَّداقَ ، وحُرِّمَتْ على غيره ، قالت : فاللاتي اجْتَمَعْنَ عنده ؛ عائشةُ ، وَسَوْدَةُ ، وحَفْصَةُ ، وأم سَلَمَةَ ، وأم حَبيبة ، وزينب بنت جَحْشٍ ، وزينبُ بنت[٤] خُزَيْمة ، وجُوَيْرية ، وصَفِيَّة ، ومَيْمونة ، وأم شريك .

قلت : وفي « صحيح البخاري »[٨] : عن أنسٍ أنَّ رسول الله ﷺ كانَ يَطوفُ على نسائِه وهُنَّ إحدى عَشْرَةَ امرأةً . والمشهورُ أنَّ أمَّ شَريكٍ لم يدْخُل بها ، كما سَيأتي بيانُه ، ولكنَّ المُراد بالإحدى عَشْرَةَ اللاَّتي[٩] كان يطوفُ عليهنّ التِّسْعُ المَذْكوراتُ والجاريتانِ ماريةُ ورَيْحانةُ .

وروى يعقوب بن سُفْيان الفَسَوي ، عن الحَجّاج بن أبي مَنيع ، عن جدّه عُبيد الله بن أبي زِياد الرُّصافيّ، عن الزُّهْريّ ـ وقد علقه البخاري في « صحيحه » عن الحجّاج هذا ـ وأوردَ له الحافظُ ابنُ عساكر[١٠] طُرُقاً عنه أنّ أولَ امرأةٍ تزوّجها رسولُ الله ﷺ خديجةُ بنتُ خُوَيْلدِ بن أَسَدِ بن عبد العُزّى بن قُصَيّ ، زَوَّجَه إياها أبوها قبلَ البِعْثَةِ وفي روايةٍ قال الزهري : وكان عُمرُ رسول الله ﷺ يوم تزوّج خديجةَ

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) بعده في ط : (ورواه سيف بن عمر عن سعيد عن قتادة عن أنس ، والأول أصح) .
(٤) أ : (كثير) تحريف وانظر تهذيب التهذيب (١/ ٤١٨) والضبط عنه .
(٥) ليس ما بين القوسين في ط .
(٦) وَضَحٌ أي بَرَصٌ (النهاية : وضح) .
(٧) ط : (على بغتة) تحريف . وعلى تفئة ذلك ، أي على أثره ، وفيه لغة أخرى (على تئفة ذلك) بتقديم الياء على الفاء ، وقد تشدّد (النهاية : تفأ) .
(٨) البخاري (٢٦٨ ، ٢٨٤ ، ٥٠٦٨ ، ٥٢١٥) .
(٩) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٨٢ ـ ٢٨٦) من طريق الفسوي .
(١٠) تاريخ دمشق ـ دار الفكر بيروت (٣/ ١٧٧) ـ .

إحدى وعشرين سنة ، وقيل : خمساً وعشرين سنة . زمان بُنيتِ الكَعْبةُ . وقال الواقدي : وزاد ولها خمسٌ وأربعون سنةً . وقال آخرون من أهل العلم : كان عمرُه عليه الصلاة والسلام يومئذٍ ثلاثين سنة . وعن حكيم بن حزام ، قال : كان عمرُ رسول الله يوم تزوّج خديجة خمساً وعشرين سنة ، وعمرها أربعون سنة . وعن ابن عباس : كان عمرها ثمانياً وعشرين سنة . رواهما ابن عساكر . وقال ابن جريج : كان عليه الصلاة والسلام ابنَ سبعٍ وثلاثين سنةً ، فولدت له القاسم ، وبه كان يُكَنَّى ، والطَّيِّب ، والطّاهِرَ ، وزينبَ ، ورُقيةَ ، وأمَّ كلثوم ، وفاطمةَ .

قلت : وهي أم أولاده كلّهم سوى إبراهيم ، فَمِنْ مارية كما سيأتي بيانُه . ثم تكلم على كل بنت من بنات رسول الله ﷺ ومن تزوَّجها ، وحاصلُه : أنَّ زينبَ تَزَوَّجَها أبو[1] العاص بن الربيع بن عَبْد العُزَّى بنِ عبد شمس بن عبد مناف، وهو ابنُ أختِ خَديجةَ ، أُمه هالة بنتُ خُوَيْلدٍ ، فولدت له ابناً اسمُهُ عليٌّ ، وبنتاً اسمُها أُمامة بنتُ زَيْنَب ، وقد تَزَوَّجَها عليُّ بنُ أبي طالب بعدَ وفاةِ فاطمة ، وماتَ وهي عندَهُ ، ثم تزوَّجتْ بعدَه بالمغيرة بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطلب . وأمّا رُقيَّةُ فتزوَّجها عثمانُ بن عَفّان ، فولدَتْ له ابنَه عبدَ الله ، وبه كان يُكَنَّى أولاً ، ثم اكْتَنَى بابنِه عَمْرٍو ، وماتَتْ رُقَيّة ، ورسولُ الله ﷺ ببدرٍ ، ولمّا قَدِمَ زيدُ بن حارثة بالبشارةِ وَجَدَهُم قد ساوَوْا التُّرابَ عليها ، وكان عثمانُ قد أقام عندَها يُمَرِّضُها ، فضربَ لَهُ رسولُ الله ﷺ بسَهْمِه وأجْرِه ، ثم زَوَّجه بأُخْتِها أمِّ كُلْثوم ، ولهذا كان يُقالُ له : ذو النُّورَيْن ، فتُوفِّيتْ عنده أيضاً في حياة رسول الله ﷺ ، وأما فاطمةُ فتزوّجها ابنُ عمِّه عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلَ بها بعدَ وقعةِ بدرٍ كما قدمنا ، فولدت له حسناً وبه كان يكنَّى ، وحُسيناً وهو المَقْتولُ شَهيداً بأرض العراق .

قلت : ويقال : ومُحْسِناً . قال : وزينب وأمَّ كُلْثوم ، وقد تزوَّجَ زينَب هذه ابنُ عمِّها عبدُ الله بن جعفر ، فولدَتْ له علياً وعَوْناً وماتت عنده ، وأمّا أمّ كلثوم ، فَتزوّجها أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب ، فولدت له زيداً ومات عنها ، فتزوَّجَتْ بعده ببني عَمِّها جعفرٍ واحداً بعد واحدٍ ، تزوجت بعَوْنِ بن جعفرٍ ، فمات عنها ، فخلفَ عليها أخوه محمد ، فمات عنها ، فخلف عليها أخوهما عبد الله بن جعفر ، فماتت عنده . قال الزهري : وقد كانت خديجة بنت خُوَيْلدٍ تزوَّجَتْ قبل رسول الله ﷺ برجُلَيْن ؛ الأول : منهما عَتيق بن عائذ[2] بن مَخْزوم ، فولدت منه جارية ، وهي أم محمد بن صَيْفيّ ، والثاني : أبو هالة التميمي ، فولدت له هند بن هند ، وقد سماه ابن إسحاق[3] ، فقال : ثُمَّ خَلَفَ عليها بعد هلاكِ [عتيق بن] عائذ[4] أبو هالة النَّبّاش بن زُرارة ، أحد بني عمرو بن تميم ، حليف بني عبد الدار ، فولدت

(١) ليس اللفظ في ط . وانظر الإصابة .
(٢) ط : (عابد) وانظر جمهرة أنساب العرب (١٤٢) .
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤) .
(٤) ط : (عابد) وفي السيرة (عتيق بن عابد) .

له رجلاً وامرأة . ثم هلك عنها ، فخلف عليها رسولُ الله ﷺ فولَدَتْ له بناتِه الأرْبَعَ ، ثم بعدَهن القاسمَ والطيّبَ والطّاهِرَ ، فذهب الغِلْمةُ جميعاً وهم يرضعون .

قلتُ : ولم يَتزوّج عليها رسولُ الله ﷺ مدةَ حياتها امرأةً ، كذلك رواه[١] عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أنها قالت ذلك . وقد قدَّمنا تَزْويجها في موضعِه وذكرنا شيئاً من فضائلها بدلائلها .

قال الزهري : ثم تزوّجَ رسولُ الله ﷺ بعدَ خديجة بعائشة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْرِ بن كِنانة ، ولم يتزوج بِكْراً غيرها .

قلت : ولم يُولَد له منها ولدٌ ، وقيل : بل أسقَطت منه ولداً سمّاه رسولُ الله ﷺ عبد الله ، ولهذا كانت تُكَنَّى بأمّ عبد الله . وقيل : إنما كانت تُكنَّى بعبد الله ابنِ أُخْتها أسماء من الزبير بن العَوّام ، رضي الله عنهم .

قلت : وقد قيل : إنَّه ﷺ تزوج سَوْدَه قبلَ عائشة ، قاله ابن إسحاق وغيرُه كما قدَّمنا ذِكرَ الخلاف في ذلك . فالله أعلم . وقد قدَّمنا صفةَ تزويجه ، عليه الصلاة والسلام بهما قبل الهجرة ، وتأخّر دخوله بعائشة إلى ما بعدَ الهجرة .

قال[٢] وتزوّجَ ﷺ حَفْصَة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت قبلَه تحت خُنَيْس بن حُذافَة بن قيس بن عديٍّ بن حُذافة بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي ، مات عنها مُؤْمناً .

قال[٣] : وتزوج ﷺ أمَّ سلمة هند بنت أبي أمية بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانَتْ قبلَهُ تحتَ ابن عمها أبي سَلَمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال[٤] : وتزوج ﷺ سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ ، وكانت قبلَه تحتَ السَّكْران بن عَمْرو أخي سُهَيْل بن عمرو بن عَبْد شَمْس ، مات عنها مُسْلِماً بعدَ رجوعه وإياها من أرض الحَبَشَةِ إلى مكة رضي الله عنهما .

قال[٥] : وتزوج ﷺ أمَّ حَبيبة رَمْلَة بنت أبي سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن

---

(١) مسلم (٢٤٣٦) (٧٧) من طريق عبد الرزاق .
(٢) السيرة النبوية (٢/ ٦٤٥) .
(٣) المصدر ذاته (٢/ ٦٤٤ ـ ٦٤٥) .
(٤) المصدر ذاته (٢/ ٦٤٤) .
(٥) المصدر ذاته (٢/ ٦٤٥) .

قُصَيّ ، وكانت قبلَه تحتَ عُبَيْد الله[١] بن جَحْشِ بن رِئابٍ ، من بني أَسَد بن خُزَيْمة ، مات بأرضِ الحَبَشَةِ نصرانياً ، بعث إليها رسول الله عَمْرو بن أميَّة الضَّمْري إلى أرض الحبشة ، فخَطَبها عليه ، فَزَوَّجَها منه عثمان بن عفان ، كذا قال ، والصواب : خالد بن سعيد بن[٢] العاص ، وأَصْدَقَها عنه النجاشي أربعمئة دينار ، وبعث بها مع شُرَحْبيل بن حَسَنَة ، وقد قدَّمنا ذلك كلَّه مطولاً . ولله الحمد . قال[٣] : وتزوج زينب بنت جَحْش بن رِئاب بن أَسَد بن خُزَيْمة ، وأمُّها أميمة بنت عبد المطلب عَمَّة رسول الله ﷺ ، وكانَتْ قبلَه تحتَ زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام ، وهي أول نسائه لحُوقاً به ، وأولُ من عُمِلَ عليها النَّعْشُ ، صَنَعَتْهُ أسماءُ بنت عُمَيْسٍ عليها ، كما رأت ذلك بأرض الحَبَشَةِ .

قال[٤] : وتزوَّج ﷺ زينب بنت خُزَيمة ، وهي من بني منافِ بن هلالِ بن عامر بن صَعْصَعَة (ويقال لها : أمّ المَساكين ، وكانت قبلَه تحتَ عبد الله بن جَحْش بن رِئاب ، قُتِلَ يومَ أُحدٍ)[٥] ، فلم تَلْبَثْ عنده عليه الصلاة والسلام ، إلا يَسيراً حتَّى تُوفِّيَتْ ، رضي الله عنها .

وقال يونس عن محمد بن إسحاق : كانت قبله عند الحُصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، أو عند أخيه الطُّفَيْل بن الحارث .

قال الزُّهْري : وتَزَوَّجَ رسول الله ﷺ مَيْمونَةَ بنت الحارث بن حَزْنِ بن بُجَيْر بن الهُزَمِ بن رُؤَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة ، قال : وهي التي وَهَبَتْ نفسها .

قلت : الصحيح أنه ﷺ خطبها ، وكان السفيرَ بينهما أبو رافع مولاه ، كما بسطنا ذلك في عُمْرة القَضاء . قال الزهري : وقد تزوّجَتْ قَبْلَه رجلين : أولهما ابن عَبْدِ يا ليل ـ وقال سيفُ بن عمر في روايته : كانت تحتَ عُمَيْر بن عَمْرو ، أحد بني عُقدة بن ثقيف بن عمرو الثقفي ، مات عنها ـ ثم خَلَفَ عليها أبو رُهْمِ بنُ عبد العُزَّى بن أبي قَيْس بن عبد وُد بن نَصْرِ بن مالكِ بن حِسْل بن عامر بن لُؤَي .

قال : وسَبَى رسولُ الله ﷺ جُوَيْرية بنتَ الحارث بن أبي ضِرار بن الحارث بن عائذ[٦] بن مالك بن المُصْطَلق ، من خُزاعة ، يوم المُرَيْسيعِ ، فأعتقها وتزوَّجها ، ويقال[٧] : بل قدم أبوها الحارثُ وكان ملكَ

(١) ط : (عبد الله) وانظر السيرة النبوية .
(٢) ط : (عثمان بن أبي العاص) وما أثبته عن أ والسيرة النبوية .
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٤) .
(٤) المصدر السابق (٢/ ٦٤٧) .
(٥) ليس ما بين القوسين في أ .
(٦) ط : (عامر) وانظر الاستيعاب (١٨٠٤) .
(٧) دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٥١) .

خُزاعة فأسْلَم ، ثم تَزَوَّجَها منه ﷺ ، وكانت قبلَه عندَ ابن عمِّها صَفْوان بن أبي الشُّفْرِ[١] ، قاله[٢] قتادةُ ، عن سعيد بن المسيّب ، والشعبيُّ ، ومحمد بن إسحاق وغيرهم ، قالوا : وكان هذا البطنُ من خُزاعة حلفاء لأبي سفيان على رسول الله ﷺ ؛ ولهذا يقول حَسّان[٣] : [من الوافر]

وحِلْفُ الحَارِثِ بنِ أبي ضِرَارٍ وَحِلْفُ قُرَيْظَةٍ فيكُمْ سَواءُ[٤]

وقال سيف بن عمر في روايته ، عن سعيد بن عبد الله ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن عائشة ، قالت : وكانت جُوَيْرِيَة تحتَ ابن عمِّها مالكِ بن صَفْوان بن تَوْلَب ذي الشُّفْر بن أبي السَّرْح بن مالك بن المُصْطَلِقِ .

قال : وسبى صَفيَّة بنت حُيَي بن أخْطَب من بني النضير يومَ خَيبر ، وهي عروسٌ بكنانة بن أبي الحُقَيق ، وقد زعمَ سيفُ بن عمر في روايته أنّها كانت قبلَ كنانةَ عند سَلّام بن مِشْكَم ، فالله أعلم . قال : فهذه إحدى عشْرَةَ امرأةً دخل بهن . قال : وقد قَسَمَ عمرُ بن الخطاب في خلافته لكلِّ امرأة من أزْواج النبيِّ ﷺ اثْنَيْ[٥] عشر ألفاً ، وأعطى جُوَيْرية وصَفية ستَّةَ آلافٍ ، ستَّة آلاف[٦] ، بسبب أنهما سُبيتا . قال الزهري : وقد حَجَبهما رسول الله ﷺ وقَسَم لهما .

قلت : وقد بَسَطنا الكلامَ فيما تقدَّم في تَزْويجه عليه الصلاة والسلام كلَّ واحدةٍ من هذه النِّسوة ، رضي الله عنهن ، في موضعه .

قال الزهري : وتزوج[٧] رسول الله ﷺ العاليةَ بنت ظَبْيان بن عَمْرو من بني أبي[٨] بكر بن كِلاب ، ودخل بها ، وطَلَّقَها ﷺ . قال البيهقي : كذا في كتابي . وفي رواية غيره : ولم يدخُلْ بها فَطَلَّقَها .

وقد قال محمد بن سعد[٩] ، عن هشام بن محمد بن السائب الكَلْبي : حدّثني رجلٌ من بني أبي بكر بن كِلاب ، أنَّ رسولَ الله ﷺ تَزَوَّجَ العاليةَ بنت ظَبْيان بن عَمْرو بن عَوْف بن كَعْب بن عَبْدِ بن أبي بكر بن كلاب ، فمكثت عنده دهراً ثم طلقها .

---

(١) ط : (السفر) وما أثبته عن . وانظر القاموس المحيط : (شفر) .
(٢) ط : (قال) .
(٣) البيت في ديوان حسان ـ دار صادر (١/ ١٨) .
(٤) في ديوان حسان : (وحلف قريظة منا براءُ) .
(٥) ط : (اثنا) .
(٦) ليست (ستة آلاف) الثانية في ط .
(٧) ط : (وقد تزوج العالية) .
(٨) ليست (أبي) في أ ، ط واستدركتها عن الاستيعاب (٤/ ١٨٨١) ، وتاريخ دمشق (٣/ ٢٣٣) .
(٩) الطبقات الكبرى (٨/ ١٤٣) .

وقد روى يعقوب بن سفيان[(١)] ، عن حجاج بن أبي مَنيع ، عن جَدِّه ، عن الزُّهْري ، عن عُرْوة ، عن عائشة : أنَّ الضَّحاكَ بن سُفْيان الكِلابيّ هو الذي دلَّ رسولَ الله ﷺ عليها ، وأنا أسْمَعُ من وراءِ الحِجاب ، قال : يا رسولَ اللهِ ، هَلْ لكَ في أختِ أمّ شَبيبٍ ؟ وأمُّ شَبيبٍ امرأةُ الضَّحاك ، وبه قال الزهري : وتزوَّجَ رسولُ الله ﷺ امرأةً من بني عَمْرو بن كلابٍ ، فأُنْبئ أن بها بَياضاً ، فَطَلَّقها ، ولم يدخل بها .

قلت : الظاهر أن هذه هي التي قبلها ، والله أعلم .

قال : وتزوَّجَ أختَ بني الجَوْن الكِنْدي وهم حلفاء بني فَزارة ، فاستعاذت منه ، فقال : « لقد عُذْتِ بعَظيمٍ ، الحقي بأهْلِكِ » فطلَّقَها ولم يَدْخُلْ بها . قال : وكانت لرسول الله ﷺ سُرِّيَّة ، يقال لها : مارية ، فولدت له غلاماً اسمه إبراهيم ، فتُوفِّي وقد ملأ المَهْدَ . وكانتْ له وَليدةٌ يقالُ لها : رَيْحانةُ بنتُ شَمْعون ، من أهل الكتاب من خنافة ، وهم بطنٌ من بني قُرَيْظة ، أعتَقَها رسولُ الله ﷺ ، ويَزْعمون أنَّها قد احتَجبت .

وقد روى الحافظ ابنُ عساكر[(٢)] بسنده ، عن عليّ بن مُجاهدٍ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ تزوَّجَ خَوْلَةَ بنت الهُذَيْل بن هُبَيْرة التَّغلبي ، وأُمُّها خِرْنِقُ بنتُ خليفة ، أختُ دحية بن خليفةَ ، فحُمِلتْ إليه من الشام ، فماتَتْ في الطَّريق ، فتزوَّجَ خالتَها شَراف[(٣)] بنتَ فضالة[(٤)] بن خليفة ، فحُمِلت إليه من الشّام فماتت في الطريق أيضاً .

وقال يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق[(٥)] . وقد كان رسول الله ﷺ تزوَّجَ أسماءَ بنتَ كَعْبٍ الجَوْنيّة فلم يَدْخُلْ بها حتى طلَّقها ، وتزوَّجَ عَمْرَةَ بنت يزيد[(٦)] ، إحدى نساء بني كلاب ، ثم من بني الوحيد ، وكانت قبلَه عند الفضل بن عباس بن عبد المطلب . فطلَّقها ﷺ ولم يدخُلْ بها .

قال البيهقي : فهاتان هُما اللتان ذَكَرهما الزُّهْري ولم يُسَمِّهما ، إلا أنَّ ابنَ إسحاق لم يذكُر العاليةَ .

وقال البيهقي[(٧)] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن الشعبيّ ، قال : وَهَبْنَ لرسولِ الله ﷺ نساءٌ أنفسَهُنّ فدخل ببعضهن وأرْجَى

---

(١) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٣) .
(٢) تاريخ دمشق (٣/ ٢٣٣) .
(٣) في تاريخ دمشق ـ دار الفكر ـ (٣/ ٢٣٣) (شراقة) وطبعة المجمع ـ السيرة ـ (١/ ١٩١) (شراق) وما أثبته عن الاستيعاب (٤/ ١٨٦٨) ، والإصابة (٤/ ٣٤٠) .
(٤) ط : (فضلة) .
(٥) السير والمغازي لابن إسحاق (٢٦٧) وتاريخ دمشق ـ مجمع اللغة العربية ـ السيرة ـ (١/ ١٨٧) .
(٦) في ط ، أ : (زيد) وما أثبته عن المصدرين السابقين .
(٧) دلائل النبوة (٧/ ٢٨٧) .

بعْضَهُنّ ، فلم يَقْربْهُنّ حتى توفِّي ، ولم يُنْكَحْنَ بعده ، منهن أم شَرِيكٍ ، فذلك قوله تعالى : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب : ٥١] . قال البيهقي : وقد رُوِّينا عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : كانت خَوْلة ـ يعني بنتَ حكيم ـ ممّن وَهَبْنَ أنفسَهُنَّ لرسولِ الله ﷺ . وقال البيهقي : ورُوِّينا في حديث أبي أُسَيْد[١] الساعدي في قصة الجَوْنيَّة التي استعاذت فألْحَقها بأهْلها ، أنَّ اسمَها أمَيْمةُ بنت النُّعمان بن شَراحيل ، كذا قال .

وقد قال الإمام أحمد[٢] : ثنا محمد بن عبد الله الزُّبَيْري ، ثنا عبد الرحمن بن الغَسيل ، عن حمزة بن أبي أُسيد ، عن أبيه ، وعباس بن سهل ، عن أبيه ، قالا : مرَّ بنا النبيُّ ﷺ وأصحابٌ له ، فَخَرَجْنا معه حتى انطلقنا إلى حائطٍ يُقالُ له : الشَّوْطُ حتى انتهينا إلى حائِطَيْن فجلسنا بينهما ، فقال رسول الله ﷺ : « اجلسوا » ودخل هو وقد أُتي بالجَوْنيَّةِ ، فعُزِلَتْ في بيت أُمَيْمة بنت النعمان بن شراحيل ، ومعها دايةٌ لها[٣] ، فلما دخلَ عليها رسولُ الله ﷺ قال : هَبي لي نَفْسَك ؛ قالت : وهل تَهَبُ الملِكةُ نفسَها للسُّوقَةِ !؟ وقالت : إني أعوذُ بالله منك . قال : لقد عُذْتِ بمَعاذٍ . ثم خرج علينا فقال : « يا أبا أُسَيْد اكسُها رازقِيَّتَيْن[٤] وألحقها بأهلها » . وقال غير أبي أحمد : امرأة من بني الجَوْنِ ، يقال لها : أُمَيْنة .

وقال البخاري[٥] : ثنا أبو نُعَيْم ، ثنا عبد الرحمن بن الغَسيل ، عن حمزة بن أبي أُسَيْد ، عن أبي أُسَيْد قال : خَرَجْنا مع رسول الله حتى انطلقنا إلى حائطٍ يُقال له : الشَّوْط ، حتى انتهينا إلى حائِطَيْن ، جَلَسْنا بينهما ، فقال ﷺ : « اجلسوا هاهنا » فدخل وقد أُتيَ بالجَوْنيَّة ، فأُنْزِلَت في بيت في نخلٍ[٦] في بيت أُمَيْمة بنت النُّعمان بن شَراحيل ، ومعها دايَتُها حاضنةٌ لها ، فلما دخل عليها رسول الله ﷺ ، قال : « هَبي نَفْسَكِ لي[٧] » . قالت : وهلْ تَهبُ المَلِكةُ نَفْسها للسُّوقة ! قال : فأهوى بيده يَضَعُ يدَه عليها لتَسْكُنَ ، فقالت : أعوذُ بالله منك . قال : « لقد عُذْتِ بمعاذ » . ثم خرجَ علينا فقال : « يا أبا أُسَيْد اكسُها رازقيَّتَين وألْحقها بأهلها » .

قال البخاري[٨] : وقال الحسين بن الوليد ، عن عبد الرحمن بن الغَسيل ، عن عباس بن سهل بن

---

(١) ط : (رشيد) تحريف . وانظر الاستيعاب (٤/١٥٩٧) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/٤٩٨) و (٥/٣٣٩) ، وإسنادهما صحيح .
(٣) أ : (دابة لها) وط : (داية بها) .
(٤) ط : (دراعتين) .
(٥) (٥٢٥٥) .
(٦) ليست (في بيت في نخل) في ط واستدركتها عن النسخة أ ، ومحلها في ط : (في محل) .
(٧) ط : (هبي لي نفسك) .
(٨) البخاري (٥٢٥٦ ـ ٥٢٥٧) معلقاً ، وانظر الحديث الذي قبله في البخاري رقم (٥٢٥٥) مسنداً ، وشرحه للحافظ ابن حجر .

سعد ، عن أبيه وأبي أُسَيْد ، قالا : تَزَوّجَ النبيُّ ﷺ أُمَيْمة بنت شَراحيل ، فلما أُدخلت[١] عليه بَسَطَ يدَه إليها ، فكأنّها كَرِهَتْ ذلك . فأمر أبا أُسَيْد أن يُجَهِّزَها ويَكْسوها ثَوبَين رازقيين . ثم قال البخاري[٢] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا إبراهيم بن أبي[٣] الوزير ، ثنا عبد الرحمن عن حمزة ، عن أبيه ، وعن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه بهذا . انفردَ البخاري بهذه الروايات من بين أصحاب الكتب .

وقال البخاري[٤] : ثنا الحميدي ، ثنا الوليد ، ثنا الأوزاعي ، سألتُ الزهري : أيُّ أزواجِ النبيِّ ﷺ استعاذَتْ منه ؟ فقال : أخبرني عروة ، عن عائشة : أن ابنةَ الجَوْن لما أُدْخلَت على رسول الله ﷺ[٥] قالت : أعوذُ بالله منك ، فقال : « لقد عُذْت بعَظيم ، الحَقي بأهْلِك » وقال : ورواه حجاج بن أبي مَنيع ، عن جدّه ، عن الزُّهري ، أن عروة أخبره أن عائشة قالت . . .[٦] انفرد به دون مسلم .

قال البيهقي[٧] : ورأيتُ في كتاب « المعرفة » لابن منده ، أن اسم التي استعاذت منه أُمَيْمة بنتُ النُّعمان بن شَراحيل . ويقال : فاطمة بنت الضحاك ، والصحيح أنّها أُميمة ، والله أعلم . وزعموا أن الكِلابيّة اسمُها عَمْرةُ ، وهي التي وَصَفَها أبوها بأنها لم تَمْرَضْ قَطُّ ، فرغب عنها رسول الله ﷺ .

وقد روى محمد بن سعد[٨] ، عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، قال : هي فاطمة بنت الضَّحّاك بن سفيان ، استعاذَتْ منه فَطَلَّقها ، فكانت تَلْقُطُ البَعْر ، وتقول : أنا الشَّقيَّة . قال : وتزوّجها ﷺ في ذي القعدة سنة ثمان ، وماتت سنة ستين .

وذكر يونس ـ عن ابن إسحاق فيمن تزوَّجها عليه الصلاة والسلام ، ولم يدخُلْ بها ، أسماءُ بنتَ كَعْب الجَوْنية وعمرة بنت يزيد الكلابية . وقال ابن عباس وقتادة[٩] : أسماء بنت النُّعمان بن أبي الجَوْن فالله أعلم . قال ابن عباس : لمّا استعاذت منه خرج من عندها مُغْضباً ، فقال له الأشعث : لا يَسُؤْكَ ذلك يا رسول الله فعندي أجملُ منها ، فزوَّجه أختَه قُتيلة . وقال غيره : كان ذلك في ربيع سنة تسع .

وقال سعيد بن أبي عَروبة : عن قتادة[١٠] : تزوّجَ رسول الله ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ امرأةً ، فذكر منهن

---

(١) ط : (أدخل) .
(٢) بعد الرقم (٥٢٥٧) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) (٥٢٥٤) .
(٥) بعدها في البخاري : (ودنا منها) .
(٦) مكان النقط في ط : (الحديث) وليست في أ .
(٧) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) .
(٨) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٤١) .
(٩) تاريخ دمشق ـ مجمع دمشق ـ السيرة (١/ ١٨٨) .
(١٠) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٨٨) .

أمّ شَريكٍ الأنصارية النّجارية ، قال : وقد قال رسول الله ﷺ : « إنّي لأحبُّ أن أتزوَّجَ من الأنصار ، ولكنِّي أكْرَهُ غَيْرَتَهُنَّ » ولم يدخُلْ بها . قال : وتزوّج أسماءَ بنتَ الصَّلْتِ من بني حَرامٍ ، ثم من بني سُلَيم ولم يدخُلْ بها ، وخطب جمرة[١] بنت الحارث المزنية .

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري[٢] ، وقال أبو عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنّى : تزوّج رسول الله ثمانيَ عشرةَ امرأةً ، فذكر منهن قُتَيْلة بنت قيسٍ أختَ الأشعث بن قيس ، فزعم بعضُهم أنه تزوَّجَها قبلَ وفاته بشَهْرَيْن ، وزعم آخرون أنّه تزوّجها في مرضه . قال : ولم تكُنْ[٣] قدمت عليه ، ولا رآها ، ولم يدخل بها . قال : وزعم آخرون أنه عليه الصلاة والسلام أوْصَى أن تُخَيَّر قُتَيْلة فإن شاءَتْ يَضْرِبُ عليها الحجابَ وتُحَرَّمُ على المؤمنين ، وإن شاءت فَلْتَنْكِحْ منْ شاءَتْ ، فاختارتِ النكاح ، فتزوَّجها عِكْرمةُ بن أبي جهلٍ بحَضْرَمَوْت ، فبَلَغَ ذلك أبا بكرٍ ، فقال : لقد هَمَمْتُ أن أُحَرِّقَ عليهما . فقال عمر بن الخطّاب : ما هِيَ من أُمّهات المُؤمنين ، ولا دخلَ بها ، ولا ضَرَبَ عليها الحجاب . قال أبو عُبَيْدة : وزعم بعضُهم أنَّ رسول الله ﷺ لم يُوصِ فيها بشيء ، وأنّها ارتدَّتْ بعدَه ، فاحتَجَّ عمر على أبي بكرٍ بارتدادها ؛ أنَّها ليستْ منْ أُمهات المؤمنين . وذكر ابنُ مَنْدَه أنَّ التي ارتدَّت هي البَرْصاء[٤] من بني عوف بن سعد بن ذُبيان .

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طرق ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ تزوج قُتَيْلة أخت الأشْعَث بن قيس ، فمات قبل أن يُخَيِّرها فَبَرَّأها الله منه .

وروى حماد بن سَلَمة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، أنَّ عِكْرمة بن أبي جَهْلٍ لمّا تَزوَّجَ قُتَيْلة أرادَ أبو بكر أن يَضْربَ عُنُقه ، فراجَعَهُ عمرُ بن الخطاب ، فقال : إنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَدْخل بها ، وأنها ارتدَّت مع أخيها ، فبرئت من الله ورسوله . فلم يزلْ به حتى كَفَّ عنه .

قال الحاكم[٥] وزاد أبو عبيدة في العَدَد فاطمةَ بنتَ شُريحٍ ، وسَنا[٦] بنت أسماء بن الصَّلْت السُّلَمِيّة . هكذا روى ذلك ابن عساكر[٧] من طريق ابن مَنْدَه بسنده عن قتادة فذكره . وقال محمد بن سعد[٨] عن ابن الكلبي مثل ذلك . قال ابن سعد : وهي سبا .

---

(١) ط ، أ : (حمزة) . وما أثبته عن الإصابة (٤/ ٢٦٠) ، وجامع الأصول (١٢/ ٢٦٧) .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٨٨) عن الحاكم .
(٣) ط : (يكن) .
(٤) أ : (الرمياء) وفي ط : (البرحاء) وانظر الإصابة (٤/ ٢٤٩) .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٨٨) .
(٦) ط : (وسبأ) .
(٧) الخبر عن طريق ابن منده بسنده عن قتادة في تاريخ دمشق ـ مجمع ـ السيرة (١/ ١٨٨ ـ ١٨٩) .
(٨) طبقات ابن سعد (٨/ ١٤٩) وتاريخ دمشق (١٨٩) .

قال ابن عساكر[١] . ويقال : سنا[٢] بنت الصَّلْت بن حَبيب بن حارثة بن هلال بن حَرام بن سِماك بن عوفٍ السُّلَمي .

قال ابن سعد[٣] : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، حدّثني العَرْزَمي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان في نساء رسول الله ﷺ سنا[٢] بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب .

وقال ابن عمر : إن رسول الله ﷺ بعث أبا أُسَيْد يخطبُ عليه امرأةً من بني عامر ، يقال لها : عَمْرَةُ بنت يزيد بن عُبيد بن كلاب ، فتزوَّجها ، فبلغه أنَّ بها بياضاً فَطَلَّقها . وقال محمد بن سعد[٣] ، عن الواقدي حدّثني أبو معشر . قال : تزوّجَ رسول الله مُلَيْكَةَ بنت كعب ، وكانت تُذْكَرُ بجمالٍ بارعٍ ، فدخلَتْ عليها عائشة ، فقالت ألا تَسْتَحين أن تَنْكِحي قاتلَ أبيكِ ؟ فاسْتَعاذَتْ منه فطَلَّقَها ، فجاء قومها ، فقالوا : يا رسول الله إنَّها صغيرةٌ ولا رأيَ لها ، وإنّها خُدِعَتْ فارتَجِعْها ، فأبى ، فاسْتَأذنوه أن يُزوِّجوها بقريبٍ لها من بني عُذرة ، فأذن لهم . قال : وكان أبوها قد قَتَله خالدُ بن الوليد يومَ الفتحِ .

قال الواقدي[٤] : وحدّثني عبد العزيز الجُنْدَعي ، عن أبيه ، عن عطاء بن يزيد ، قال : دخلَ بها رسول الله في رمضان سنةَ ثمانٍ ، وماتت عنده . قال الواقدي : وأصحابُنا ينكرون ذلك .

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر[٥] ، أنبأنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد الماهاني[٦] ، أنبأنا شُجاع بن علي بن شُجاع ، أنبأنا أبو عبد الله بن مَنْدَه ، أنبأنا الحسن بن محمد بن حَليم[٧] المَرْوزي ، ثنا أبو المُوَجِّهِ محمدُ بن عَمْرو بن المُوَجِّه الفَزاري ، أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا عبد الله بن المُبارك ، أنبأنا يُونس بن يَزيد ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : تَزَوَّج رسولُ الله ﷺ خديجةَ بنت خُوَيْلدٍ بن أَسَدٍ بمكة ، وكانَتْ قَبْلَهُ تَحْتَ عَتيقِ بن عائذٍ[٨] المَخْزومي ، ثم تَزَوَّجَ بمكة عائشةَ بنت أبي بكرٍ ، ثم تَزَوَّجَ بالمدينةِ حَفْصَةَ بنت عُمَر ، وكانت قبلَه تحتَ خُنَيْس بن حُذافة السَّهْمي ، ثم تَزَوَّج سَوْدَة بنتَ زَمْعة ، وكانت قَبْلَه تحت السَّكْران بن عَمْرو ، أخي بني عامر بن لُؤَيّ ، ثم تَزَوَّجَ أمَّ حبيبة بنتَ أبي سفيان ، وكانَتْ قبلَهُ تحتَ

(١) تاريخ دمشق ـ مجمع ـ السيرة (١/ ١٨٩) .
(٢) ط : (وسبأ) .
(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ١٤٨) ، وابن عساكر ـ مجمع ـ السيرة (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .
(٤) طبقات ابن سعد (٨/ ١٤٨ ـ ١٤٩) .
(٥) تاريخ دمشق ـ المجمع ـ السيرة (١/ ١٤٤ ـ ١٤٥) .
(٦) أ : (الباهاني) تحريف .
(٧) أ ، ط : (حكيم) تحريف . ،انظرابن عساكر مصدر الخبر ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٤٧) (في ترجمة أبي المُوَجِّه) .
(٨) في تاريخ دمشق : (عابد) .

عبَيْد الله بن جَحْشٍ الأسدي أحد بني خُزَيْمة ، ثم تَزَوَّجَ ﷺ أمَّ سَلَمة بنت أبي أُميَّة ، وكان اسمها هند ، وكانت قَبْلَهُ تَحْتَ أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد العُزَّى ، ثم تَزَوَّجَ زَيْنَب بنت خُزَيْمة الهِلاليَّة ، وتَزَوَّجَ العاليةَ بنت ظَبْيان ، من بني بكر بن عمرو بن كلاب ، وتَزَوَّجَ امرأةً من بني الجَوْن ، من كِنْدَة ، وسَبَى جُوَيْرية ـ في الغَزْوة التي هَدَمَ فيها مَناة غزوة المُرَيْسيع ـ ابنةَ الحارثِ بن أبي ضِرارٍ ـ من بني المُصْطَلق من خُزاعة ، وسَبَى صَفيَّة بنتَ حُيَيٍّ بن أخْطَبَ ، من بني النَّضير ، وكانتا مما أفاءَ اللهُ عليه ، فقسم لهما[١] ، واسْتَسَرَّ جاريته[٢] القبطية ، فولدت له إبراهيم ، واسْتَسَرَّ رَيْحانة من بني قُريظة ، ثم أعتقها فلحقت بأهلها ، واحتجبت وهي عند أهلها ، وطَلَّقَ رسولُ الله ﷺ العاليةَ بنت ظَبْيان ، وفارق أختَ بني عمرو بن كلاب ، وفارق أخت بني الجَوْن الكِنْدية من أجل بياضٍ كان بها ، وتُوفِّيت زينبُ بنت خُزَيْمة الهلالية ، ورسول الله ﷺ حيّ ، وبلغنا أنّ العالية بنت ظَبْيان التي طُلِّقتْ تَزَوَّجت قبل أن يُحَرِّمَ اللهُ النساءَ ، فنكحَتْ ابنَ عَمٍّ لها من قومها ووَلَدَتْ فيهم . سُقْناهُ بالسَّند لغرابة ما فيه من ذِكْرِه تَزْويج سودة بالمدينة . والصحيح أنّه كانَ بمكة قبلَ الهجرة ، كما قدَّمْناه ، والله أعلم .

قال يونس بن بُكَيْر[٣] ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فماتت خديجة بنت خويلد قبل أن يُهاجر رسولُ الله ﷺ بثلاثِ سنين ، لم يتَزوَّجْ عليها امرأةً حتى ماتَتْ هي وأبو طالب في سنةٍ ، فتزوَّجَ رسول الله ﷺ بعد خديجة سَوْدَةَ بنت زَمْعَة ، ثم تزوج بعد سَوْدة عائشة بنت أبي بكر لم يَتَزوَّج بكراً غيرها ، ولم يُصبْ منها ولداً حتى مات ، ثم تزوَّجَ بعدَ عائشة حَفْصَة بنت عُمَر ، ثم تزوَّجَ بعد حَفْصَة زَيْنَبَ بنت خُزَيْمة الهِلالية أمَّ المَساكين ، ثم تَزوّجَ بعدَها أمَّ حَبيبة بنت أبي سُفيان ، ثم تزوَّجَ بعدها أمَّ سَلَمة هند بنت أبي أُمية ؛ ثم تزوَّجَ بعدها زينبَ بنت جَحْش ، ثم تزوج بعدها جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، قال ثم تزوج بعد جُوَيْرية صَفيَّة بنت حُيَي بن أخْطَب ، ثم تزوَّجَ بعدها مَيْمونة بنت الحارث[٤] الهلالية . فهذا التَّرتيب[٥] أحسنُ وأقربُ مما رتَّبه الزُّهري . والله أعلم .

وقال يونس بن بُكَيْر عن أبي يحيى عن جَميل[٦] بن زَيْد الطّائي ، عن سهل بن زيد الأنصاري ، قال : تزوَّجَ رسولُ الله ﷺ امرأة من بني غفار ، فدخلَ بها فأمرَها فنزعَتْ ثَوْبها ، فرأى بها بياضاً من بَرصٍ عند

---

(١) أ : (فقسمهما لهما) وط : (فقسمهما له) وما أثبته عن تاريخ دمشق مصدر المؤلف .
(٢) ط : (مارية) وما أثبته عن أ وتاريخ دمشق مصدر المؤلف .
(٣) تاريخ دمشق ـ المجمع ـ السيرة (١/ ١٥٣) .
(٤) بعدها في ط : (بن) زيادة . وانظر السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٢٥٦) .
(٥) أ : (التقريب) .
(٦) أ ، ط : (حميل) بالمهملة . وهو تحريف . انظر التاريخ الكبير (٢/ ٢١٥) .

ثَدْيَيْها ، فانماز[١] رسول الله ﷺ وقال : « خُذي ثَوْبَك » وأَصْبَحَ فقال لها : « الْحقي بأَهْلِكِ » ، فأكمل لها صَداقَها .

وقد رواه أبو نُعَيْم ، من حديث جَميل[٢] بن زيد ، عن سهل بن زيد الأنصاري ، وكان ممن رأى النبيّ ﷺ ، قال : تَزَوَّجَ رسولُ الله ﷺ امرأةً من غِفارٍ . . . فذكر مثله .

قلت : وممَّنْ تَزَوَّجها ﷺ ولم يدخُلْ بها أُمُّ شَريكٍ الأزْديَّة . (قال الواقدي[٣] : والمُثْبتُ أنها دَوْسيَّةٌ وقيل)[٤] الأنْصاريّة ، ويقال عامِريَّة ، وأنَّها خَوْلَة بنت حَكيمٍ السُّلَمي . وقال الواقدي[٥] : اسمها غَزِيَّة بنتُ جابرِ بن حَكيمٍ .

قال محمد بن إسحاق عن حَكيم بن حكيم عن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، قال : كان جميعُ ما تَزَوَّجَ رسول الله ﷺ خمسَ عشرةَ امرأةً ، منهن أمُّ شَريكٍ الأنْصاريّة (وهبت نفسها للنبي ﷺ .

وقال سَعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة : وتَزَوَّجَ أمّ شَريك الأنصارية)[٤] من بني النَّجّار . وقال : « إنّي أحبُّ أن أتزوَّجَ من الأنصار ، لكنّي أكْرَهُ غَيْرتهنَّ » ولم يدخل بها .

وقال ابن إسحاق ، عن حكيم ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، قال : تزوَّجَ ﷺ ليلى بنت الخَطيم الأنصارية ، وكانت غَيوراً ، فخافت نفسها عليه ، فاسْتَقالَتْهُ فأقالَها .

فصل

فيمن خطبها عليه الصلاةُ والسلامُ ولَمْ يَعْقِدْ عَلَيْها

قال إسماعيل بن أبي خالد[٦] ، عن الشعبي ، عن أم هانئ فاختة بنت أبي طالب : أنَّ رسولَ الله ﷺ خطبَها ، فذكرَتْ أنَّ لها صِبيَةً صِغاراً فتركها ، وقال : « خَيْرُ نساء رَكِبْنَ الإبل ، صالحُ نساءِ قُريش ، أحْناهُ على طفل[٧] في صغره ، وأرْعاهُ على زوجٍ في ذات يده » .

(١) انماز : تنحَّى (النهاية : ميز) .
(٢) ط : (حميل) وقد تقدم .
(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٤) .
(٤) ليس ما بين القوسين في أ .
(٥) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٤ ـ ١٥٥) .
(٦) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٢) .
(٧) ط : (على ولد طفل) .

وقال عبد الرزاق[١] ، عن معمر عن الزهري[٢] ، عن سَعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، أنّ رسول الله ﷺ خطب أمَّ هانئٍ بنتَ أبي طالبٍ ، فقالت : يا رسولَ الله ، إنّي قد كَبِرْتُ ولي عيالٌ .

وقال الترمذي[٣] : ثنا عَبْدُ بن حُمَيْد ، ثنا عُبَيْد[٤] الله بن موسى ، ثنا إسرائيل ، عن السُّدِّيّ . عن أبي صالح ، عن أمّ هانئٍ بنت أبي طالب ، قالَتْ : خَطَبَني رسول الله ﷺ ، فاعْتَذَرْتُ إليه فَعَذَرني . ثم أنزل الله : ﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٠] . قالت : فلم أَكُنْ أَحِلُّ له ؛ لأنّي لم أُهاجِرْ ، كنتُ من الطُّلقاء . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ لا نعرِفُه إلا من حديث السُّدّي ، فهذا يَقْتضي أنّ من لم تَكُنْ من المُهاجِراتِ لا تَحِلُّ له ﷺ . وقد نَقَلَ هذا المذهبَ مُطْلَقاً القاضي الماوَرْدي في « تفسيره » عن بعض العلماء . وقيل : المرادُ بقوله (اللاتي هاجَرْن مَعَكَ) أي : من القرابات المذكورات . وقال قتادة : (اللاتي هاجرن معك) أي : أَسْلَمْنَ معكَ . فعلى هذا لا يَحْرُمُ عليه إلا نساء[٥] الكُفّار وتَحِلّ له جميعُ المُسْلمات ، فلا ينافي تَزْويجه من نساءِ الأنصار إنْ ثبتَ ذلك ، ولكنْ لمْ يدخُلْ بواحدةٍ منهُنَّ أصلاً . وأمّا حكاية الماوَرْدي ، عن الشَّعبي : أنَّ زينبَ بنت خُزَيْمة أمّ المَساكين أنْصارية ، فليس بجيّدٍ ، فإنّها هِلاليةٌ بلا خلاف ، كما تقدّم بيانه . والله أعلم .

وروى محمد بن سعد[٦] ، عن هشام بن الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أقبلَتْ ليلى بنت الخَطيم إلى رسول الله وهو مُوَلٍّ ظَهْرَهُ إلى الشَّمْس ، فَضَرَبَتْ مَنْكِبَه فقال : «مَنْ هذا أَكَلَهُ[٧] الأسود[٨] » فقالت : أنا بنتُ مُطْعِمِ الطَّيْر ، ومُباري الرّيح ، أنا ليلى بنتُ الخَطيم ، جِئتُكَ لأعرض عليك نَفْسي تَزَوّجْني؟ قال : « قد فعلتُ » . فرجعَتْ إلى قومها . فقالت : قد تَزَوَّجْتُ النبي ﷺ ، فقالوا : بِئْسَ ما صَنَعْتِ أنتِ امرأةٌ غَيْرى ، ورسولُ الله ﷺ صاحبُ نساءٍ ، تغارين عليه ، فَيَدْعُو اللهَ عليكِ ، فَاسْتَقيليهِ ، فرجعَتْ فقالَتْ : أَقِلْني يا رسولَ الله . فأقالها ـ فتزوَّجَها مَسْعودُ بن أوس بن سَواد بن ظَفَر فولدت له ، فبينما هي يوماً تَغْتَسل في بعض حيطان المدينة ، إذ وثب عليها ذِئْبٌ أسود أكل بعضها ، فماتَتْ .

---

(١) في المصنف (٢٠٦٠٣) ، وهو في مسلم (٢٥٢٧) (٢٠١) من طريق عبد الرزاق .
(٢) ليس (عن الزهري) في ط .
(٣) الترمذي (٣٢١٤) وإسناده ضعيف .
(٤) ط : (وقال الترمذي : حدّثنا عبد الله بن موسى) وما أثبته عن أ يوافق ما في جامع الترمذي ، وانظر تهذيب الكمال (١٩/ ١٦٤) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٥٠) .
(٧) ط : (أوكله) تحريف .
(٨) في الطبقات الكبرى (الأسد) وليس اللفظ في أ . وبعدها في الطبقات : (وكان كثيراً ما يقولها) .

وبه عن ابن عباس[(١)] أنَّ ضُباعة بنت عامر بن قُرْطٍ كانَتْ تَحْتَ عبد الله بن جُدْعَان فَطلَّقَها ، فَتزوَّجَها بعده هشامُ بن المُغيرة ، فولدَتْ له سَلَمَةَ ، وكانتِ امرأةً ضَخْمةً جَميلةً ، لها شَعْرٌ غَزير يُجَلِّلُ جِسْمَها ، فَخَطبَها رسول الله من ابنها سَلَمة ، فقال : حتى أَسْتَأمِرَها ؟ فاسْتَأذَنَها ، فقالت : يا بُنَيّ أفي رسولِ الله ﷺ تَسْتأذنُ؟ فرجعَ ابنُها فسكتَ ولم يردَّ جواباً ، وكأنّه رأى أنّها قد طَعَنَتْ في السِّنّ ، وسكتَ النبيّ ﷺ عنها .

وبه عن ابن عباس[(٢)] قال : خطب رسول الله ﷺ صَفيَّة بنت بَشَامة بن نَضْلَة العَنْبري ، وكان أصابها سبي[(٣)] فخَيَّرها رسول الله ﷺ فقال : « إن شِئْتِ أنا ، وإن شئْتِ زوجكِ » فقالت : بل زَوْجي ، فأرسلها ، فلعنتها بنو تميم .

وقال محمد بن سعد[(٤)] : أخبرنا الواقدي ، ثنا موسى بن محمد بن إبراهيم التَّيْمي ، عن أبيه ، قال : كانت أمّ شَريكٍ امرأة من بني عامر بن لؤي ، فوهبت[(٥)] نفسَها من رسول الله ، فلم يَقْبَلْها . فلم تتزوَّجْ حتى مَاتَتْ .

قال محمد بن سعد[(٦)] : وأخبرنا وكيعٌ ، عن شريك ، عن جابر ، عن الحكم ، عن عليّ بن الحسين ، أنَّ رسولَ الله ﷺ تَزَوَّجَ أم شَريك الدَّوْسيَّة . قال الواقدي[(٧)] : الثَّبتُ عندنا أنَّها من دَوْسٍ من الأزْدِ . قال محمد بن سعد[(٨)] : واسمها غَزيَّةُ بنت جابر بن حكيم .

وقال اللَّيثُ بن سَعْد[(٩)] : عن هاشم بن عروة[(١٠)] ، عن أبيه ، قال : كُنّا نتحدَّث[(١١)] أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وكانت امرأة صالحة .

(وممن خطبها[(١٢)] ولم يَعْقِدْ عليها جَمْرَة[(١٣)] بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُزني ، فقال

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٣ ـ ١٥٤) بخلاف في الرواية .
(٢) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٤) .
(٣) ط : (سبا) .
(٤) الطبقات الكبرى (٨/ ١٥٤) .
(٥) ط : (وقد وهبت) .
(٦) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٥) .
(٧) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٦) .
(٨) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٤) .
(٩) تاريخ دمشق ـ مجمع ـ السيرة (١/ ٢٠١) .
(١٠) ط ، أ : (هشام بن محمد) وانظر تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٥٤) .
(١١) ط : (متحدث) . تحريف .
(١٢) ط : (خطب) والخبر في دلائل النبوة (٧/ ٢٨٨) .
(١٣) ط ، أ : (حمزة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري) .

أبوها : إنَّ بها سوءاً ـ ولم يكن بها ـ فرجع إليها وقد تَبَرَّصَتْ ، وهي أم شبيب بن البَرْصاء الشّاعر ، هكذا ذكره سَعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة .

قال : وخطب أُمَّ[١] حَبيبة بنتَ العبّاس بن عبد المطلب . فوجدَ أباها أخاه[٢] من الرضاعة ، أرضعَتْهُما ثُوَيْبَةُ مولاة أبي لهب .

فهؤلاء نساؤه ، وهن ثلاثة أصناف :

صنفٌ دَخَلَ بهنَّ ، ومات عَنْهنَّ ، وهنَّ التِّسْعُ المُبْدأ بذِكْرهنّ ، وهن حَرامٌ على النّاس بعد موته ، عليه الصلاة والسلام بالإجماع المُحقّق المَعْلوم من الدِّين ضرورةً ، وعدَّتُهُنّ بانقضاء أعْمارِهِنّ . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] . وصنفٌ دَخَل بهنّ وطلّقهُنّ في حياته . فهل يَحِلُّ لأحدٍ أن يَتزوَّجهُنَّ بعدَ انْقضاء عِدَّتِهنَّ منه عليه الصلاة والسلام ؟ فيه قولان للعلماء : أحدُهما : لا ؛ لعموم الآية التي ذكرناها . والثاني : نعم ، بدليل آية التخيير وهي قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨ ـ ٢٩] قالوا : فلولا أنَّها تَحِلّ لغيره أن يتزوَّجها بعدَ فِراقِه إيّاها لم يكن في تَخْييرها بين الدُّنْيا والآخرة فائدة ، إذ لو كان فِراقُه لها لا يبيحها[٣] لغيره لم يكن فيه فائدة لها ، وهذا قوي والله تعالى أعلم .

وأما الصنفُ الثالث وهي منْ تَزوَّجها وطلَّقها قبل أن يدخُل بها ، فهذه تَحِلُّ لغيره أن يَتزوَّجها . ولا أعلمُ في هذا القسم نزاعاً .

وأما من خطبها ولم يَعْقِدْ عَقْدَهُ عليها ، فأولى لها أن تَتزوَّج ، وأولى . وسيجيءُ فصلٌ في كتاب الخَصائص يتعلَّقُ بهذا المقام . والله أعلم .

فَصْلٌ
في ذِكْرِ سَراريّه عليه الصلاة والسلام

كانت له عليه الصلاةُ والسلام سُرِّيّتان : إحداهما ماريةُ بنت شَمْعون القِبْطيّة ، أهداها له صاحب

(١) ليست (أم) في أ ولا في ط . وانظر الإصابة .
(٢) ط : (أخوة) تحريف وخطأ .
(٣) ط : (لا يبحها) خطأ .

إسْكَنْدريَّة ، واسمُه جُرَيْجُ بن مينا ، وأهْدَى معها أُخْتَها سيرين[١] ، وذكر أبو نُعَيْم أنه أهداها في أربعِ جوارٍ ، والله أعلم . وغلاماً خصيّاً اسمه مَأبور ، وبغلة يقالُ لها : الدُّلْدُل . فقبلَ هَدِيَّته .

واختار لِنَفْسِه ماريَّة ، وكانت من قرية ببلادِ مصر ، يقال لها : حَفْنٌ من كورة أنْصِنا ، وقد وضع عن أهل هذه البلدة معاويةُ بن أبي سُفْيان في أيام إمارته الخَراج ؛ إكراماً لها من أجل أنها حَمَلَتْ من رسول الله ﷺ بولدٍ ذَكرٍ ، وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام . قالوا : وكانت ماريةُ جميلةً بيضاءَ أُعجب بها رسول الله ﷺ وَأَحبَّها وحَظِيَتْ عنده ، ولاسيَّما بعدَما وَضَعَتْ إبراهيمَ ولده .

وأما أختُها سيرين[١] فوهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنَه عبد الرحمن بن حَسّان .

وأما الغُلامُ الخَصيّ وهو مَأبور ، فقد كان يدخُلُ على مارية وسيرين بلا إذنٍ كما جرت عادته بمصر ، فتكلم بعض الناس فيها بسبب ذلك ، ولم يَشْعروا أنه خصيٌّ حتى انكشف الحال على[٢] ما سَنُبَيِّنُه قريباً ، إن شاء الله .

وأما البغلة ، فكان عليه الصلاة والسلام يركبها ، والظاهر ، والله أعلم ، أنها التي كان راكبَها يومَ حُنَيْن . وقد تأخّرت هذه البغلة ، وطالت مدّتها حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام إمارته ، ومات فصارت إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وكبرت حتى كان يجُشُّ لها الشعيرَ لتأكله .

قال أبو بكر بن خُزَيْمة[٣] : حدَّثنا محمد بن زياد بن عُبيد الله ، أخبرنا سفيان بن عُيينة ، عن بشير بن المُهاجر ، عن عبد الله بن بُرَيْدة بن الحُصَيب ، عن أبيه ، قال : أهدى أميرُ القبط إلى رسول الله جارِيَتَيْن أُخْتَيْن ، وبغلة ، فكان يَرْكَبُ البغلةَ بالمدينة ، واتَّخذ إحدى الجاريتين ، فولدت له إبراهيم ابنَه ، ووهب الأخرى .

وقال الواقدي : حدَّثنا يعقوب بن محمد بن أبي صَعْصَعَة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَة ، قال : كان رسول الله ﷺ يُعْجَبُ بمارية القبطية ، وكانت بيضاءَ جَعْدَةً جَميلةً ، فأنزلها وأختها على أمّ سُلَيْم بنت مِلْحان ، فدخل عليهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام ، فأسلمتا هناك ، فَوطئَ ماريةَ بالملكِ ، وحوَّلها إلى مالٍ له بالعاليةِ كان من أموال بني النَّضير ، فكانت فيه في الصيف ، وفي خُرافة النَّخْل . فكان يأتيها هناك ، وكانت حسنة الدِّين ، ووهب أختها سيرين لحسّان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن ، وولدتْ مارية لرسول الله ﷺ غلاماً سمّاه إبراهيم ، وعقَّ عنه ﷺ بشاةٍ يومَ سابعه ، وحلّق رأسَه وتَصدّق بزنَة شَعْرِه فِضَّةً على المساكين ، وأمَرَ بشَعْرِه فدُفِنَ في الأرض ، وسمّاه

(١) ط : (شيرين) وانظر الاستيعاب (٤/ ١٨٦٨) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) تاريخ دمشق (٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) ـ دار الفكر ـ .

إبراهيم ، وكانت قابِلَتُها سَلْمَى مولاة رسول الله ﷺ ، فخَرَجَتْ إلى زوجها أبي رافع فأخبرته بأنَّها قد ولدت غلاماً ، فجاء أبو رافعٍ إلى رسول الله فبشره ، فوهب له غلاماً[١] ، وغار نساء رسول الله ﷺ ، واشتدّ عليهن حين رُزِق منها الولد .

وروى الحافظ أبو الحسن الدّارَقطني[٢] ، عن أبي عُبَيْد القاسم بن إسماعيل ، عن زياد بن أيوب ، عن سعيد بن زكـريا المدائني ، عن ابن أبي سارة[٣] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما ولدت مارية قال رسول الله ﷺ ، « أعْتَقَها ولدُها » . ثم قال الدارقطني : تفرَّد به زياد بن أيوب وهو ثقة . وقد رواه ابن ماجه[٤] (من حديث حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثله ، ورُوِّيناه)[٥] من وجه آخر . وقد أفردنا لهذه المسألة وهي بيعُ أمهات الأولاد مُصَنَّفاً مُفْرداً على حِدَته ، وحَكَيْنا فيه أقوالَ العُلماء بما حاصله يرجع إلى ثمانية أقوال ، وذكرنا مستندَ كل قول ولله الحمد والمنة .

وقال يونس بن بكير[٦] ، عن محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جدّه علي بن أبي طالب ، قال : أكْثَروا على مارية أمِّ إبراهيم في قِبْطيٍّ ابنِ عَمٍّ لها يزورُها ويَخْتَلِفُ إليها ، فقال رسول الله ﷺ : « خُذْ هذا السيفَ فانْطلقْ فإن وَجَدْتَه عِنْدَها فَاقْتُلْه » قال : قلت : يا رسول الله ، أكونُ في أمرك إذا أرْسَلْتني كالسِّكَّةِ المُحَمَّاةِ لا يَثْنيني شيءٌ حتى أمْضِيَ لما أمَرْتَني به ، أم الشاهدُ يَرى ما لا يَرى الغائِبُ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « بلِ الشّاهدُ يَرَى ما لا يَرَى الغائِبُ » . فَأَقْبَلْتُ مُتَوَشِّحاً السَّيْفَ ، فوجدتُهُ عندَها ، فاخْتَرَطْتُ السَّيفَ ، فلما رآني عرفَ أنّي أريده ، فأتى نخلةً فَرِقيَ فيها ، ثم رمى بنفسه على قفاه ، ثم شال رجليه ، فإذا به أجبُّ أمْسَحُ ما لَهُ مِمّا لِلرّجال قليل[٧] ولا كثير ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه ، فقال : « الحمد لله الذي صرفَ عنّا أهلَ البَيْت » .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا يحيى بن سعيد ، ثنا سُفيان ، حدّثني محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، عن عليٍّ ، قال : قلت : يا رسولَ الله إذا بعَثْتَني أكونُ كالسِّكَّةِ المُحَمّاة ، أم الشاهدُ يَرى

---

(١) ط : (عقداً) .
(٢) سنن الدارقطني (٤/ ١٣١ ـ ١٣٢) ، وإسناده ضعيف .
(٣) بعدها في سنن الدارقطني (عن ابن أبي الحسين) .
(٤) ابن ماجه (٢٥١٦) ، وإسناده ضعيف .
(٥) ليس ما بين القوسين في ط .
(٦) سيرة ابن إسحاق (٢٥٢) .
(٧) ط : (لا قليل) .
(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٣) ، وهو حديث حسن لغيره .

ما لا يَرى الغائبُ ؟ قال : « الشاهدُ يرَى ما لا يَرى الغائب » هكذا رواه مختصراً . وهو أصل الحديث الذي أوردناه ، وإسناده رجال ثقات[(١)] .

وقال الطبراني[(٢)] : حدَّثنا محمد بن عمرو بن خالد الحَرّاني ، ثنا أبي ، ثنا ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، وعُقَيْل ، عن الزُّهْري ، عن أنسٍ ، قال : لمّا ولدتْ ماريةُ إبراهيمَ كادَ أن يقعَ في النبيّ ﷺ منه شيءٌ حتى نَزَلَ جبريلُ عليه السلام ، فقال : السلامُ عليكَ يا أبا إبراهيم .

وقال أبو نُعيم : حدَّثنا عبد الله بن محمد ، ثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، ثنا محمد بن يحيى الباهلي ، ثنا يعقوب بن محمد ، عن رجلٍ سمّاه ، عن الليث بن سعدٍ ، عن الزُّهْري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : أهدى مَلِكٌ من بطارِقَةِ الرُّوم ، يقال له : المُقَوقِسُ جاريةً قبطيةً من بنات الملوك ، يقال لها : مارية . وأهدى معها ابنَ عَمٍّ لها شابّاً ، فدخل رسول الله ﷺ منها ذات يوم مدخلَ[(٣)] خلوةٍ فأصابها فحملت بإبراهيم ، قالت عائشة : فلما استبان حملُها جَزِعْتُ من ذلك ، فسكتَ رسول الله ﷺ ، فلم يكن لها لبنٌ ، فاشترى لها ضَأْنَةً لبوناً تُغَذِّي منها الصبيّ ، فصلح عليه[(٤)] جسمه ، وحسن لونه ، وصفا لونه ، فجاء به[(٥)] ذاتَ يومٍ يحمله على عنقه فقال : « يا عائشة ، كيفَ ترينَ الشَّبَهَ ؟ فقلت : وأنا غيرى[(٦)] : ما أرى شَبَهاً ، فقال : ولا اللَّحْمُ ؟ » فقلت : لَعَمْري ، من تَغَذَّى بأَلْبانِ الضَّأْنِ لَيَحْسُن[(٧)] لَحْمُه .

قال الواقدي[(٧)] : ماتَتْ ماريةُ في المُحَرَّم سنة خمس[(٨)] عشرة ، فصلَّى عليها عمر ، ودفنها في البقيع ، وكذا قال المُفَضَّل بن غَسّان الغَلاَّبي ، وقال خليفة[(٩)] وأبو عُبَيْد[(١٠)] ويَعقوبُ بن سُفيان[(١١)] : ماتت سنةَ سِتَّ عَشْرَة ، رحمها الله .

ومنهن رَيْحانةُ بنت زَيْد من بني النَّضير ، ويقال : من بني قُرَيْظة ، قال الواقدي[(١٢)] : كانَتْ

---

(١) لكنه منقطع ، فإن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب لم يدرك جده علياً رضي الله عنه (بشار) ولكن له شواهد يقوى بها .
(٢) تاريخ دمشق (٣/ ٤٤) .
(٣) ط : (يدخل خلوته) تحريف .
(٤) ط : (إليه) .
(٥) ط : (فجاءته . . تحمله على عاتقها) .
(٦) ط : (فقلت أنا وغيري) .
(٧) طبقات ابن سعد (٨/ ٢١٦) .
(٨) في الطبقات : (سنة ست) وسيرد بعدُ .
(٩) تاريخ خليفة (١٢٥) .
(١٠) ط : (أبو عبيدة) .
(١١) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٨٥) .
(١٢) المغازي للواقدي (٢/ ٥٢٠) .

رَيْحانةُ بنت زَيْدٍ من بني النَّضير[١] ، وكانت مُزَوَّجَةً فيهم[٢] ، وكان رسول الله ﷺ قد أخذها لنفسه صفيّاً ، وكانت جميلةً ، فعرض عليها رسول الله ﷺ أن تُسْلِم ، فأَبَتْ إلا اليهوديَّة ، فعزلها رسول الله ﷺ ، ووجد في نفسه ، فأرسل إلى ابن سعية[٣] ، فذكر له ذلك ، فقال ابن سعية : فداكَ أبي وأمي هي تُسْلِم ، فخرج حتى جاءها فجعل يقول لها : لا تَتّبعي قومَك ، فقد رأيتِ ما أدخل عليهم حُيي بن أخطب ، فأسْلمي يَصْطفيك رسولُ الله ﷺ لنفسه ، فبينا رسولُ الله ﷺ في أصحابه إذ سمع وَقْعَ نعلين ، فقال : « إن هاتين لَنَعلا ابن سعية يبشرني بإسلام ريحانة » فجاءه فقال[٤] : يا رسول الله ، قد أسلمَتْ رَيْحانة ، فسُرّ بذلك .

وقال محمد بن إسحاق[٥] : لما فتح رسول الله ﷺ قُرَيْظَةَ اصطفَى لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خُنافة ، فكانَتْ عِنْدَه حتّى تُوفّي عنها ، وهي في ملكه ، وكان عرضَ عليها الإسلام ويتزَوجُها ، فأَبَتْ إلا اليهوديةَ ، ثم ذكَر من إسلامها ما تقدَّم .

قال الواقدي[٦] : فحدّثني عبدُ الملك بن سليمان ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَة ، عن أيوب بن بشير المُعاوي ، قال : فأَرْسَلَ بها رسول الله ﷺ إلى بيت سَلْمى بنت قَيْس أم المنذر ، فكانَتْ عندها حتّى حاضَتْ حَيْضَةً ، ثم طَهُرَتْ من حَيْضِها ، فجاءَتْ أمّ المنذر ، فأخبرت رسول الله ، فجاءها في منزل أم المنذر ، فقال لها : « إن أَحْبَبْتِ أن أُعتِقَكِ وأَتَزوّجَكِ فعلتُ ، وإن أَحْبَبْتِ أن تكوني في مِلْكي أطَؤُكِ بالملك فعلت[٧] » فقالت : يا رسول الله ، إني أخفُّ عليكَ وعليَّ أن أكون في مِلْكِك ، فكانَتْ في مِلْكِ رسولِ الله ﷺ يطؤها حتى ماتت .

قال الواقدي[٨] : وحدّثني ابن أبي ذئب ، قال : سألتُ الزهريَّ عن ريحانة فقال : كانَتْ أمةً لرسول الله[٩] فأعتقها وتزوجها ، فكانت تَحْتَجِبُ في أهلها وتقول : لا يراني أحدٌ بعدَ رسول الله ﷺ . قال الواقدي[١٠] : وهذا أثبتُ الحَديثين عندنا ، وكان زوجُها قبلَه عليه الصلاة والسلام الحكَمَ .

---

(١) ط : (ويقال : من بني قريظة . قال الواقدي : كانت ريحانة بنت زيد من بني النضير) .
(٢) في المغازي (في بني قريظة) .
(٣) ط : (شعبة) . وانظر أسد الغابة (٧/ ١٢٠ ـ ١٢١) .
(٤) ط : (فجاء يقول) .
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٤٥) .
(٦) مغازي الواقدي (٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١) .
(٧) ليس اللفظ في ط .
(٨) مغازي الواقدي (٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١) .
(٩) ط : (رسول) .
(١٠) مغازي الواقدي (٢/ ٥٢١) .

وقال الواقدي[١] : ثنا عاصم بن عبد الله بن الحكم ، عن عمر بن الحكم ، قال : أعتقَ رسولُ الله ﷺ ريحانةَ بنت زيد بن عمرو بن خُنافَة ، وكانَتْ عندَ زوجٍ لها ، وكان مُحباً لها مُكْرِماً ، فقالت : لا أَسْتَخْلِفُ بعدَه أحداً أبداً ، وكانت ذاتَ جمالٍ . فلما سُبيَت بنو قُريظة عُرض السَّبْيُ على رسول الله ﷺ ، قالت : فكنتُ فيمَن عُرِضَ عليه ، فأمر بي فعُزِلْتُ ، وكان يكونُ له صَفِيٌّ في كل غَنيمة ، فلما عُزِلَتْ خار اللهُ لي ، فأرسل بي إلى منزلِ أم المُنْذر بنت قيس أياماً حتّى قَتَلَ الأسرى وفرّقَ السَّبْيَ ، فدخلَ عليَّ رسول الله ﷺ ، فَتَحيَّيْت[٢] منه حياءً ، فدعاني فأجْلَسني بين يديه فقال إن اخْتَرْتِ اللهَ ورسولَه ، اختارك رسول الله لنفسه ، فقلت : إنّي أَخْتارُ اللهَ ورسولَه . فلما أسلمَتُ أعْتَقَني رسول الله ﷺ (وتزوَّجني وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونَشّاً ، كما كان يصدق نساءه ، وأعرس بي في بيت أم المنذر ، وكان يَقسم لي كما كان يقسم لنسائه ، وضرب عَلَيَّ الحجاب ، وكان رسول الله ﷺ)[٣] معجباً بها ، وكانَتْ لا تسأله شيئاً إلا أعطاها ، فقيل لها : لو كنتِ سألتِ رسول الله ﷺ بني قُرَيْظة لأعْتَقَهُم . فكانت تقول : لم يَخْلُ بي حتى فرّق السَّبْيَ ، ولقد كان يَخْلُو بها ويَسْتَكْثِرُ منها ، فلم تَزَلْ عنده حتى ماتت مَرْجِعَه من حجة الوداعِ . فدفنها بالبقيع .

وكان تزويجه إياها في المُحرَّم سنةَ ستٍّ من الهجرة .

وقال ابن وهب[٤] ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، قال : واسْتَسرَّ رسول الله رَيْحانة من بني قُرَيظة ، ثم أعتقَها فلحقت بأهلها .

وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثنّى[٥] : كانت رَيْحانة بنت زَيْد بن شَمْعون من بني النَّضير ، وقال بعضهم : من بني قُرَيْظة ، وكانت تكون في نخلٍ من نخل الصَّدقة ، فكان رسول الله ﷺ يَقيلُ عندَها أحياناً ، وكان سباها في شوال سنة أربع .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة[٦] : ثنا أحمد بن المِقْدام ، ثنا زُهَير ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت لرسول الله وليدتان : مارية القبطية ، ورُبَيْحة[٧] أو رَيْحانة بنت شَمْعون بن زيد بن خُنافة من بني عمرو بن قُرَيظة ، كانت عند ابن عمٍّ لها ، يُقال له : عبد الحكم فيما بلغني ، وماتت قبلَ وفاةِ النبي ﷺ .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كانت لرسول الله ﷺ أربعُ ولائد : مارية القِبْطية ، وريحانة

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٢٩ ـ ١٣٠) .
(٢) ط : (فتجنبت) .
(٣) ما بين القوسين في ط .
(٤) تاريخ دمشق (٣/ ٢٤١) .
(٥) تاريخ دمشق (٣/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) .
(٦) تاريخ دمشق (٣/ ٢٤٢) .
(٧) ط : (وريحه) .

القُرَظيّة ، وكانت له جاريةٌ أخرى جَميلةٌ فكادها نساؤه وخِفْن أن تغلبَهُنَّ عليه ، وكانت له جاريةٌ نفيسةٌ وَهَبَتْها له زينب بنت جحش[١] ، وكان هَجَرَها في شأن صَفِيّة بنت حُيَيّ ذا الحجة والمُحَرَّم وصفراً[٢] ، فلمّا كانَ شهرُ ربيع الأول الذي قُبض فيه عليه الصلاة والسلام رضي عن زَيْنَب ودخل عليها ، فقالت : ما أدري ما أجْزيك ؟ فوَهَبَتْها له ﷺ .

وقد روى سيف بن عمر ، عن سعيد بن عبد الله ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن عائشة ، أنَّ رسول الله ﷺ كان يَقْسِم لمارية وريحانة مرةً ، ويَتْرُكُهما مرةً .

وقال أبو نعيم : قال أبو محمد بن عمر الواقدي : توفيت ريحانة سنة ست[٣] عشرة وصلَّى عليها عمر بن الخطاب ودفنها بالبقيع .

فَصْلٌ
في ذِكْرِ أولادِهِ عليه وعليهم[٤] الصلاة والسلام

لا خِلافَ أنّ جَميعَ أولادِهِ من خَديجة بنت خُوَيْلدٍ ، رضي الله عنها ، سوى إبراهيم ، فَمِنْ مارية بنت شَمْعون القِبْطيَّة ، قال محمد بن سعد[٥] : أخبرنا هشام بن الكلبي ، أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : كان أكبرُ ولدِ رسول الله ﷺ القاسم ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رُقَيَّة ، فمات القاسم ـ وهو أول ميتٍ من ولده بمكة ـ ثم مات عبدُ الله ، فقال العاص بن وائل السَّهْمي : قد انقطع نَسْلُه فهو أبْتَر ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر] قال : ثم ولدت له مارية بالمدينة إبراهيمَ في ذي الحجة سنةَ ثمانٍ من الهجرة ، فماتَ ابنَ ثمانية عشر شهراً .

وقال أبو الفَرَج المُعافَى بن زكريا الجريري[٦] : ثنا عبد الباقي بن قانع[٧] ثنا محمد بن زكريا ، ثنا العباس بن بكار ، حدّثني محمد بن زياد ، والفرات بن السائب ، عن ميمون بن مِهْران ، عن ابن عباس ، قال : ولدت خَديجةُ من النبي ﷺ عبدَ الله بن محمد ، ثم أبطأ عليه الولد من بعده ، فبينا رسول الله ﷺ

---

(١) ليس (بنت جحش) في ط .
(٢) أ ، ط : (وصفر) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) طبقات ابن سعد (١/ ١٣٣) وتاريخ دمشق (٣/ ١٢٦) .
(٦) تاريخ دمشق (٣/ ١٢٨) .
(٧) ط : (نافع) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٨) .

يُكَلِّم رجلاً ، والعاصُ[(١)] بن وائلٍ يَنْظُرُ إليه ، إذ قال له رجلٌ : منْ هذا ؟ (قال له هذا)[(٢)] الأبتر . وكانت قريشٌ إذا وُلِدَ للرجل [ولد] ، ثم أبطأ عليه الولد من بعده قالوا : هذا الأبتر ، (فأنزل الله ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ أي : مُبْغِضَك هو الأبترُ من كلِّ خيرٍ . قال : ثم ولدت له زينب)[(٣)] ، ثم ولدت له رقية ، ثم ولدت له القاسم ، ثم ولدت الطاهر ، ثم ولدت المُطَهَّر ، ثم ولدت الطَّيِّبَ ، ثم ولدت المُطَيِّب ، ثم ولدت أمَّ كلثوم ، ثم ولدت فاطمة . وكانت أصغرهم . وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى منْ تُرْضِعُهُ ، فلما ولدت فاطمة لم يُرْضعها أحدٌ[(٤)] غيرها .

وقال الهيثم بن عدي[(٥)] : حدَّثنا هشام بن عُروة، عن سعيد بن المُسيّب ، عن أبيه قال : كان للنبيّ ﷺ ابنان، طاهرٌ والطيّبُ. وكان يُسمِّي أحدَهما عبدَ شَمْسٍ، والآخرَ عبدَ العُزَّى. وهذا فيه نَكارةٌ، والله أعلم.

وقال محمد بن عائذ[(٦)] : أخبرني الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، أنَّ خديجة ولدت القاسمَ والطيّبَ والطاهرَ ومُطَهَّراً وزينبَ ورُقَيَّة وفاطمةَ وأمَّ كلثومٍ .

وقال الزُّبير بن بكار[(٧)] : أخبرني عمِّي مُصْعَب بن عبد الله قال : ولدت خديجةُ القاسمَ والطاهرَ ، وكان يقال له : الطيّبُ ، ووُلِدَ الطاهرُ بعد النبوة ، ومات صغيراً ، واسمه عبد الله ، وفاطمةَ وزينبَ ورقيةَ وأمَّ كلثوم .

قال الزبير : وحدّثني إبراهيم بن المنذر ، عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، أن خديجة ولدت القاسمَ والطاهرَ والطيّبَ وعبدَ الله وزينبَ ورقيَّةَ وفاطمةَ وأمَّ كلثوم .

وحدّثني[(٨)] محمد بن فَضالة عن بعض منْ أدْرَكَ من المَشْيَخَةِ قال : ولدتْ خديجةُ القاسمَ وعبدَ الله ، فأما القاسم فعاشَ حتى مشَى ، وأما عبدُ الله فمات وهو صغير .

وقال الزُّبير بن بكار[(٩)] : كانت خديجة تُدْعى[(١٠)] في الجاهلية « الطاهرة بنت خويلد » . وقد ولدت

---

(١) ليس اللفظ في أ .
(٢) ليس ما بين القوسين في أ .
(٣) ليس ما بين القوسين في أ .
(٤) ليس اللفظ في ط .
(٥) تاريخ دمشق (٣/ ١٢٩) .
(٦) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٠) .
(٧) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٠) .
(٨) تاريخ دمشق (٣/ ١٣١) .
(٩) ليس (بن بكار) في أ . والخبر في (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١) .
(١٠) ط : (تذكر) .

لرسول الله ﷺ القاسمَ ، وهو أكبرُ ولده وبه كان يُكْنَى ، ثم زينبَ ، ثم عبدَ الله ، وكان يُقال له : الطَّيِّبُ ، ويُقال له : الطَّاهِرُ . ولد بعد النبوة ، ومات صغيراً . ثم[١] أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رُقيَّة . هم[٢] هكذا الأولَ فالأولَ ، ثم مات القاسم بمكة ـ وهو أول ميتٍ من ولده ـ ثم مات عبد الله ، ثم ولدت له مارية بنت شَمْعون إبراهيم ، وهي القِبْطية التي أهداها المُقَوقسُ صاحب إسْكَندريَّة ، وأهدى معها أختها سيرين[٣] وخَصِيّاً يقال له : مَأبور . فوهبَ سيرين لحسّان بن ثابت ، فولدتْ له ابنَه عبدَ الرحمن ، وقد انقرَضَ نَسْلُ حسان بن ثابت .

وقال أبو بكر بن البَرْقي[٤] : يقال : إنَّ الطاهِرَ هو الطَّيِّب (وهو عبد الله . ويقال : إنّ الطيب والمطيَّب وُلِدا في بطن ، والطاهر والمطهَّر وُلِدا في بطن .

وقال المفضل)[٥] بن غسان[٦] : [أخبرنا أبي] ، عن أحمد بن حنبل ، حدَّثنا عبد الرزاق ، ثنا ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قال : مكث القاسم ابنُ النبيّ ﷺ سبعَ ليالٍ ثم مات . قال المُفَضَّل : وهذا خطأٌ ، والصَّواب أنّه عاشَ سبعةَ عَشَرَ شَهْراً . وقال الحافظ أبو نُعَيْم[٧] قال مجاهد : مات القاسمُ وله سبعةُ أيامٍ . وقال الزُّهْري[٧] : وهو ابن سنتين . وقال قتادة[٧] : عاش حتى[٨] مشى .

وقال هشام بن عروة[٩] : وضع أهلُ العراق ذِكْرَ الطَّيِّبِ والطّاهِرِ ، فأما مشايخنا فقالوا : عبد العُزّى ، وعبد مناف ، والقاسم[١١] ، ومن النساء : رُقَيَّة ، وأمُّ كُلْثوم ، وفاطِمَة . هكذا رواه ابن عساكر وهو منكر ، والذي أنكره هو المعروف . وسقَطَ ذِكْرُ زينب ولا بدّ[١٠] منها ، والله أعلم .

فأما زينب ، فقال عبد الرزاق[١١] ، عن ابن جُرَيْج ، قال لي غير واحد : كانَتْ زَيْنَبُ أكبَرَ بناتِ رسول الله ﷺ ، وكانَتْ فاطمةُ أصْغرَهُنَّ وأَحَبَّهُنّ إلى رسول الله ﷺ .

وتزوج زينبَ أبو العاص بن الربيع ، فولَدتْ منه علياً وأُمامةَ ، وهي التي كان رسول الله ﷺ يَحْمِلُها

(١) ط : (ثم ابنته) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) ط : (شيرين) .
(٤) ط ، أ : (الرقي) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧) . والخبر في تاريخ دمشق (٣/ ١٣٢) .
(٥) ليس ما بين القوسين في ط .
(٦) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٢) .
(٧) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٢) .
(٨) ليس اللفظ في أ .
(٩) تاريخ دمشق (٣/ ١٧٢) .
(١٠) ليس اللفظ في أ .
(١١) تاريخ دمشق (٣/ ١٤٩) .

في الصلاة ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها . ولعلَّ ذلك كان بعدَ موتِ أمِّها سنةَ ثمانٍ من الهجرة على ما ذَكرهُ الواقديّ(١) وقتادةُ وعبد الله بن أبي بَكر بن حَزْمٍ وغيرهم ، وكأنها كانت طفلةً صغيرةً ، فالله أعلم . وقد تزوَّجها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد موت فاطمةَ على ما سيأتي إن شاء الله ، وكانَتْ وفاةُ زينب رضي الله عنها ، في سنة ثمانٍ . قاله قتادة عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وخليفة بن خَيّاطٍ ، وأبو بكر بن أبي خَيْثَمة ، وغير واحد . وقال قتادة عن ابن حزم في أول سنة ثمان .

وذكر حماد بن سلمة(٢) عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنَّها لما هاجَرَتْ دَفَعَها رجلٌ فوَقَعَتْ على صخرةٍ فأسْقَطَتْ حَمْلَها ، ثم لم تَزَلْ وجعةً حتى ماتَتْ . فكانوا يَرَوْنها ماتَتْ شَهيدةً .

وأما رُقَيَّة ، فكانَ قد تزوَّجها أولاً ابنُ عَمِّها عُتْبةُ بن أبي لهبٍ ، كما تَزوَّجَ أختَها أمَّ كلثومٍ أخوه عُتَيْبة(٣) ابن أبي لهب ، ثم طَلَّقاهما قبلَ الدخول بهما ، بغضةً في رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ [المسد] . فتزوَّجَ عثمان بن عفان رضي الله عنه رُقَيَّةَ ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ، ويقال : إنه أول منْ هاجر إليها . ثم رجعا إلى مكة ، كما قدَّمنا ، وهاجَرا إلى المدينة ، وولدت له ابنَه عبدَ الله ، فبلَغَ ستَّ سنين ، فَنَقَره ديكٌ في عَيْنَيْهِ فماتَ ، وبه كان يُكنَى أولاً ، ثم اكْتَنَى بابنه عمرو(٤) . وتُوفِّيَت وقد انتصرَ رسولُ الله ﷺ ببدرٍ يومَ الفُرْقان ، يوم التَقَى الجَمْعان . ولما أن جاء البَشيرُ بالنصر إلى المدينة - وهو زَيْدُ بن حارثة - وجدهم قد ساوَوْا على قَبْرِها التّراب ، وكان عثمانُ قد أقام عليها يُمَرِّضها بأمر رسولِ الله ﷺ ، وضربَ له بسهْمِهِ وأجْرِهِ ، ولما رَجَعَ ﷺ زوَّجه بأختها أم كلثوم أيضاً ، ولهذا كان يقال له : ذو النُّورين ، ثم ماتت عِنْدَه في شعبان سنة تسعٍ ، ولم تلِدْ له شيئاً . وقد قال رسول الله ﷺ : «لو كانَتْ عندي ثالثةٌ لزوَّجْتها عثمانَ » وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : « لو كُنَّ عَشْراً لزَوَّجْتُهنّ عثمانَ» .

وأما فاطمة ، فَتَزوَّجَها ابن عَمِّها عليّ بن أبي طالبٍ في صفر سنةَ اثْنَتَيْن ، فولدَتْ له الحسن والحسين ، ويقال : ومُحْسِناً(٥) ، وولدت له أمَّ كلثوم وزينب ، وقد تزوَّجَ عُمَرُ بن الخطاب في أيام ولايته بأمّ كُلْثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة ، وأكرمها إكراماً زائداً ، أصدقَها أربعين ألْفَ دِرْهمٍ لأجل نسبها من رسول الله ﷺ ، فولدت له زيدَ بنَ عُمَرَ بن الخطاب . ولما قُتِلَ عمر بن الخطاب تَزَوَّجَها بعدَه ابنُ عمّها عَوْنُ بن جعفر ، فمات عنها ، فخلَفَ عليها أخوه محمَّد ، فمات عنها ، فتزوَّجَها أخوهما

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٣٤) وتاريخ دمشق (٣/ ١٤٩) .
(٢) تاريخ دمشق (٣/ ١٤٨ - ١٤٩) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) ط : (عمر) .
(٥) أ ، ط : (ومحسن) وما أثبته للسياق .

عبدُ الله بن جعفر ، فماتت عنده . وقد كان عبدُ الله بن جعفر تزوج بأختها زينب بنت علي [من فاطمة] وماتت عنده أيضاً ، وقد[١] توفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ ، بستة أشهر على أشْهَرِ الأقوال . وهو[٢] الثابت عن عائشة في « الصحيح »[٣] . وقاله الزهري أيضاً وأبو جعفر الباقر ، وعن الزُّهري : بثلاثة أشهر . وقال أبو الزُّبير : بشهرين . وقال ابن[٤] بُرَيْدَة[٥] : عاشت بعده سبعين من بين يومٍ وليلةٍ . وقال عمرو بن دينار : مكثتْ بعدَه ثمانيةَ أشهرٍ . وكذا قال عبدُ الله بن الحارث . وفي رواية ، عن عمرو بن دينار ، بأربعة أشهر .

وأما إبراهيم فَمِنْ مارية القِبْطيَّة ، كما قدمنا ، وكان ميلادُه في ذي الحجة سنة ثمانٍ .

وقد رُوِي عن ابن لهيعة[٦] وغيره عن عبد الرحمن بن زياد . قال : لما حُبِلَ بإبراهيم أتى جِبْريل فقال : السلامُ عليك يا أبا إبراهيم ، إنّ الله قد وَهَبَ لك غلاماً منْ أمّ ولدِكَ مارية ، وأمَرَكَ أن تُسَمِّيه إبراهيم ، فبارَكَ اللهُ لكَ فيه ، وجَعَلَه قُرَّةَ عَيْنٍ لك في الدنيا والآخرة .

وروى الحافظ أبو بكر البَزّار[٧] عن محمد بن مِسْكين ، عن عثمان بن صالح ، عن ابن لهيعة ، عن عُقَيْل ويزيد بن أبي حَبيب ، عن الزهري ، عن أنس ، قال : لما وُلِدَ للنبيِّ ﷺ ابنُه إبراهيمُ وقعَ في نفسه منه شيءٌ ، فأتاه جبريل فقال : السلامُ عليكَ يا أبا إبراهيم .

وقال أسباط[٨] ، عن السُّدّي ، وهو إسماعيل بن عبد الرحمن ، قال : سألت أنس بن مالك ، قلت : كمْ بلغَ إبراهيم ابن النبي ﷺ من العُمر ؟ قال : قَدْ كانَ مَلأَ مَهْدَه ، ولو بَقِيَ لكانَ نَبيّاً ، ولكن لم يكُنْ ليبقى ، لأنّ نبيكم ﷺ آخرُ الأنبياء .

وقد قال الإمام أحمد[٩] : حدَّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، ثنا سفيان ، عن السُّدّي ، عن أنس بن مالك ، قال : لو عاشَ إبراهيم ابن النبي ﷺ ، لكان صدِّيقاً نبياً .

---

(١) ليس اللفظ في ط .
(٢) ط : (وهذا) .
(٣) البخاري (٤٢٤٠ ، ٤٢٤١) .
(٤) م : (أبو) تحريف . وانظر تهذيب الكمال (١٤/ ٣٢٨) .
(٥) تاريخ دمشق (٣/ ١٥٩) .
(٦) تاريخ دمشق (٣/ ١٥٩ ـ ١٦٠) .
(٧) (كشف الأستار : ١٤٩٢) وإسناده ضعيف .
(٨) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥) .
(٩) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٣٣) ، وهو حديث حسن .

وقال أبو عبد[١] الله بن منده[٢] : ثنا محمد بن سعد ومحمد بن إبراهيم ، ثنا محمد بن عثمان العَبْسي ، ثنا مِنْجابٌ ، ثنا أبو عامر الأسدي ، ثنا سفيان ، عن السُّدِّي ، عن أنس قال : توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ ، وهو ابنُ ستةَ عَشَرَ شهراً . فقال رسول الله ﷺ : « ادْفِنوه في البَقيعِ ، فإنّ له مُرْضعاً يتمّ رضاعه في الجنّة » .

وقال أبو يعلى : ثنا أبو خَيْثمة ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن عمرو بن سعيد ، عن أنس قال : ما رأيتُ أحداً أرْحَمَ بالعيالِ من رسول الله . كان إبراهيم مُسْتَرْضعاً في عوالي المدينة ، فكان[٣] ينطلقُ ، ونحن معه ، فيدخل إلى البيت ، وإنه ليَدْخُنُ ، وكان ظِئره قَيْنا[٤] فيأخذه فيقبِّله[٥] ثم يرجع . قال عمرو : فلمّا توفي إبراهيم قال رسول الله : « إنّ إبراهيم ابني ، وإنه مات في الثَدْي ، وإن له لظِئْرين تُكمِلان رضاعَهُ في الجنة » .

وقد روى جرير[٦] وأبو عوانة ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صُبَيْح أبي الضحى ، عن البراء قال : تُوفِّي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابنُ سِتَّة عشرَ شَهْراً ، فقال : « ادْفِنوه في البقيع ، فإنّ له مُرْضعاً في الجنة » . ورواه أحمد[٧] : من حديث جابر[٨] ، عن عامر ، عن البراء . وهكذا رواه سفيان الثَوري[٩] ، عن فراس ، عن الشعبيّ ، عن البراء بن عازب بمثله . وكذا رواه الثوري أيضاً ، عن أبي إسحاق ، عن البراء .

وأورد[١٠] ابن عساكر من طريق عَتّاب بن محمد بن شَوْذَب ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : تُوفِّي إبراهيم ، فقال رسول الله ﷺ : « يَرْضعُ بقيَّةَ رَضاعِه في الجنة » .

وقال أبو يَعْلى المَوْصلي : ثنا زكريا بن يحيى الواسطيّ ، ثنا هُشَيْم ، عن إسماعيل ، قال : سألتُ ابن أبي أوفى ـ أو سمعتُه يُسْأَلُ ـ عن إبراهيم ابن النبي ﷺ . فقال : ماتَ وهو صغيرٌ ، ولو قُضِيَ أن يكونَ بعدَ النبي ﷺ نبي لعاشَ .

---

(١) م : (عبيد) وهو تحريف . انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨) .
(٢) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٥) .
(٣) م : (وكان) .
(٤) القين : الحداد . والظئر : زوج المرضعة (النهاية : قين ، ظأر) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٧) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٨٣) ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .
(٨) هو جابر بن يزيد الجعفي ، وهو ضعيف .
(٩) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٨) .
(١٠) ط : (وأورد له) والخبر في تاريخ دمشق (٣/ ١٤٣) .

وروى ابن عساكر[١] من حديث أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ ، ثنا عُبَيْد بن إبراهيم الجُعْفي ، ثنا الحسن بن أبي عبد الله الفَرّاء ، ثنا مُصْعَبُ بن سَلاَّم ، عن أبي حمزة الثُّمالي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو عاش إبراهيمُ لكانَ نَبياً » .

وروى ابن عساكر[٢] من حديث محمد بن إسماعيل بن سَمُرَة ، عن محمد بن الحسن الأسدي ، عن أبي شيبة ، عن أنس ، قال : لما مات إبراهيم قال رسول الله ﷺ ، « لا تُدْرِجوه في أكْفانِه حتى أنظُرَ إليه » فجاء فانكبَّ عليه ، وبكى حتى اضطربَ لَحْياه وجَنْباه ﷺ .

قلت : أبو شيبة هذا لا يُتعامل بروايته . ثم روى[٣] من حديث مسلم بن خالد الزَّنْجي عن ابن خُثَيْم ، عن شَهْرِ بن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيد بن السَّكَن ، قالت : لما تُوفِّي إبراهيم بكى رسولُ الله ﷺ ، فقال أبو بكر وعمر : أنتَ أحقُّ من عَلِم لله حَقَّه ، فقال ﷺ : « تَدْمَعُ العَيْن ويحزن القلب ، ولا نقول ما يُسخِط الربَّ ، ولولا[٤] أنّه وعدٌ صادقٌ ، وموعودٌ جامعٌ ، وأن[٥] الآخر منا يَتْبَعُ الأولَ ، لوَجَدْنا عليكَ يا إبراهيم وجداً أشدَّ مما وَجَدْنا ، وإنا بك يا إبراهيمُ لمحزونون » .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا أسود بن عامر ، ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن البراء ، قال : صَلّى رسولُ الله ﷺ على ابنه إبراهيمَ ، ومات وهو ابن سِتَّةَ عَشَرَ شهراً ، وقال : « إن له في الجنة من يُتمّ رضاعَه وهو صِدّيقٌ » وقد رُوِيَ من حديث الحكم بن عُتَيْبَة[٧] ، عن الشعبي ، عن البراء .

وقال أبو يعلى[٨] : ثنا القَواريري[٩] ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن ابن أبي أوفى قال : صَلَّى رسولُ الله ﷺ على ابنه ، وصَلَّيْتُ خَلْفَه وكبّر عليه أربعاً .

وقد روى يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق[١٠] : حدّثني محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : مات إبراهيم ابن رسول الله ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، فلم يُصَلِّ عليه .

---

(١) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٨) .
(٢) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٩) .
(٣) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٩) .
(٤) ط : (لولا) بلا واو .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٨٣) ، وإسناده ضعيف ، وقد صح « إن له في الجنة من يتم رضاعه » .
(٧) أ ، ط : (عيينة) وانظر تهذيب الكمال (٧/ ١١٤) والخبر في تاريخ دمشق (٣/ ١٤٣) .
(٨) تاريخ دمشق (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠) .
(٩) بعدها في تاريخ دمشق (أنبأنا عبيد بن القاسم) .
(١٠) السير والمغازي (٢٧٠) .

وروى ابن عساكر(١) من حديث إسحاق بن محمد الفَرْوي ، عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، [جده] عن أبي جده ، عن علي قال : لما تُوفِّي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، بعث علي بن أبي طالب إلى أمه مارية القِبْطيَّة وهي في مَشْرَبةٍ ، فحمله عليٌّ في سَفَطٍ ، وجعله بين يديه على الفرس ، ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ ، فغسَّله وكفَّنه وخرج به ، وخرج الناس معه ، فدفنَه في الزِّقاقِ الذي يلي دارَ محمد بن زيد ، فدخَل عليٌّ في قبره حتى سَوَّى عليه [التراب](٢) ودفنه ، ثم خرجَ ورشَّ على قبره ، وأدخلَ رسولُ الله يدَه في قبره ، فقال : « أما واللهِ إنَّه لنبيٌّ ابنُ نبيٍّ » . وبكى رسول الله ﷺ ، وبكى المُسلمون حوله حتى ارتفعَ الصَّوْتُ ، ثم قال رسول الله ﷺ : « تَدْمَعُ العينُ ، ويحزَنُ القلبُ ، ولا نقول ما يُغْضبُ الرَّبَّ ، وإنا عليك يا إبراهيمُ لمحزونون » .

وقال الواقدي(٣) : مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء لعشر ليالٍ خَلَوْن من ربيع الأول سنةَ عشرٍ ، وهو ابنُ ثمانيةَ عشرَ شهراً في بني مازن بن النَّجار في دار أمِّ برْزه(٤) بنت المنذر ، ودفن بالبقيع .

قلت : وقد قدّمنا أن الشَّمْسَ كَسَفَتْ يوم موته ، فقال الناس : كَسَفَت لموت إبراهيم. فخطب رسول الله فقال في خطبته : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عزَّ وجلَّ ، لا ينكسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه » .

قال(٥) الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر :

بابُ

ذِكْرِ عَبِيدِهِ . عليه الصلاة والسلام وإمائِهِ وذكر(٦) خدمه وكُتّابه وأمنائِه

(مع مراعاة الحروف في أسمائهم وفي ذكر بعض ما ذكر من أنبائهم)(٧)

(ولنذكر ما أورده مع الزيادة والنقصان وبالله المستعان)(٨) .

---

(١) تاريخ دمشق (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥) ، وإسناده ضعيف .
(٢) زيادة من تاريخ دمشق .
(٣) طبقات ابن سعد (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤) وتاريخ دمشق (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) .
(٤) كذا في ط ، أوتاريخ دمشق ، وفي الاستيعاب (أم بُرْدَة بنت المنذر) .
(٥) ط : (قاله) . وانظر تاريخ دمشق السيرة ١/ ٥ .
(٦) ليس اللفظ في ط .
(٧) ليس ما بين القوسين في ط .
(٨) ليس ما بين القوسين في أ .

فمنهم : أسامة بن زيد بن حارثة أبو زيد الكلبي[١] ، ويقال : أبو يزيد ، ويقال : أبو محمد ، مولى رسول الله ﷺ ، وابن مولاه ، وحِبّه وابن حِبّه ، وأمه أم أيمن ، واسمها بَركَة ، كانت حاضِنة رسول الله ﷺ ، في صغره ، وممن آمَنَ به قديماً بعد بعثته ، وقد أمَّره رسول الله ﷺ في آخر أيام حياته ، وكان عمره إذ ذاك ثمانيَ عَشْرَةَ أو تسعَ عَشْرَةَ سنة ، وتُوفّي وهو أمير على جيش كثيف ، منهم عمر بن الخطاب ، ويقال : وأبو بكر الصدّيق ، وهو ضعيف ، لأنّ رسول الله ﷺ نَصَبه للإمامة ، فلما توفي عليه الصلاة والسلام وجيش أسامة مُخَيّم بالجُرْف كما قدَّمناه ، اسْتَطْلَقَ أبو بكر من أسامة عمرَ بن الخطّاب في الإقامة عنده ، ليَسْتضيءَ برأيه ، فأطْلَقَهُ له ، وأنْفَذَ أبو بكر جَيْشَ أسامةَ بعد مراجعةٍ كَثيرةٍ من الصَّحابة له في ذلك ، وكلُّ ذلك يَأبى عليهم ويقولُ : واللهِ لا أَحُلُّ رايةً عَقَدَها رسولُ الله ﷺ . فساروا حتى بلغوا تُخومَ البَلْقاءِ منْ أرضِ الشّام ، حيثُ قتل أبوه زيدٌ ، وجَعْفَرُ بن أبي طالب ، وعبدُ الله بن رَواحة ، رضي الله عنهم ، فأغارَ على تِلْكَ البلادِ ، وغَنِمَ وَسَبَى ، وكَرَّ راجعاً سالماً مُؤَيَّداً كما سيأتي . فلهذا كانَ عمرُ بن الخطاب ، رضي الله عنه ، لا يَلْقَى أسامةَ إلا قال له : السَّلامُ عليكَ أيُّها الأميرُ . ولما عَقَد له رسولُ الله ﷺ رايةَ الإمْرَةِ ، طعَنَ بعض الناس في إمارته ، فخطَبَ رسولُ الله فقال فيها : « إنْ تَطْعُنوا في إمارته فقد طَعَنْتُمْ في إمارةِ أبيهِ منْ قَبْلُ ، وأيْمُ الله إنْ كانَ لخليقاً للإمارة ، وإنْ كانَ لمِنْ أَحَبِّ الخَلْقِ إليَّ (وإنَّ هذا لمن أحبِّ الخلقِ إليَّ)[٢] بعده » وهو في « الصحيح » من حديث موسى بن عقبة ، عن سالم عن أبيه ، وثبت في « صحيح البخاري »[٣] عن أسامة ، رضي الله عنه ، أنّه قال : كان رسول الله ﷺ يأخُذُني والحسنَ ، فيقول : « اللهُمّ إني أُحِبُّهما فأَحِبَّهُما » .

ورُوي[٤] عن الشعبيِّ ، عن عائشة رضي الله عنها سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « منْ أَحَبَّ اللهَ ورسولَه فلْيُحِبَّ أسامةَ بن زيدٍ » ولهذا لما فَرَضَ عمرُ بن الخطاب للنّاسِ في الدّيوان فَرَضَ لأسامة في خمسة آلاف . وأعْطَى ابنَه عبدَ الله بن عمر في أربعة آلاف . فقيل له في ذلك ، فقال : إنّه كانَ أحبَّ إلى رسول الله ﷺ منكَ ، وأبوه كان أحبَّ إلى رسول الله من أبيكَ .

وقد روى عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزّهري ، عن عروة ، عن أسامة : أنَّ رسول اللهِ أرْدَفَهُ خَلْفَه على حِمارٍ عليه قطيفةٌ ، حين ذهب يعودُ سعدَ بن عُبَادة ، قبلَ وقعةِ بدرٍ .

---

(١) ترجمته في الاستيعاب (١/ ٧٥) ، وتاريخ دمشق ـ مجمع ـ السيرة : (٢/ ٢٦٤) ، ودار الفكر (٤/ ٢٥١) ، وجامع الأصول (١٣/ ١٥) ، وأسد الغابة (١/ ٧٩) ، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٦) ، والإصابة (١/ ٥٤) ، وتهذيب التهذيب (١/ ٢٠٨) .

(٢) ليس ما بين القوسين في ط .

(٣) البخاري (٣٧٣٥) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٥٦ ـ ١٥٧) وتاريخ دمشق (٨/ ٥٥) ، وهو حديث صحيح لغيره .

قلت : وهكذا أرْدَفَه وراءَهُ على ناقَتِهِ حينَ دفَع منْ عَرَفات إلى المُزْدَلِفَة ، كما قَدَّمنا في حجّةِ الوَداعِ . وقَدْ ذَكَرَ غيرُ واحدٍ أنّه ، رضي الله عنه ، لم يَشْهَدْ مع عليّ شيئاً من مَشاهِدِه ، واعتذر إليه مما قال له رسول الله ﷺ حين قَتَلَ ذلك الرجلَ ، وقد قال : لا إله إلا الله ، فقال : « من لك بلا إله إلا الله يومَ القيامة ، أقَتَلْتَهُ بعدما قال لا إله إلا الله ؟ منْ لكَ بلا إلٰه إلا الله يومَ القيامة ؟! » . . . الحديث[١] .

وذكر فضائله كثيرةٌ ، رضي الله عنه :

وقد كان أسودَ كاللَّيل، أفْطَسَ حُلْواً حَسَناً كَبيراً فَصيحاً عالماً ربانيّاً، رضي الله عنه. وكان أبوه كذلك، إلا أنّه كان أبيضَ شديدَ البياض ، ولهذا طَعَنَ بعضُ منْ لا يَعْلَمُ في نسبه منه . ولما مَرّ مُجَزِّزٌ المُدْلجي عليهما وهما نائمان في قطيفة ، وقد بدَت أقدامهما ، أسامةُ بسوادِه ، وأبوه زيدٌ ببياضه قال : سبحانَ الله ، إن بعض هذه الأقدام لمن بعض ، أُعْجِب بذلك رسولُ الله ﷺ . ودخلَ على عائشة مسروراً تَبْرُقُ أساريرُ وَجْهه فقال : « ألم تريْ أن مُجَزِّزاً نظر آنفاً إلى زيدِ بن حارثة وأسامة بن زيدٍ . فقال : إنَّ بعضَ هذه الأقدام لمن بعض[٢] » . ولهذا أخذ فقهاء الحديث كالشّافِعِيّ وأحمد من هذا الحديث ، من حيث التقرير عليه والاستبشار به ، العملَ بقول القافة[٣] في اختلاطِ الأنساب واشتباهها ، كما هو مُقرَّر في موضعه .

والمقصود أنه رضي الله عنه ، تُوفِّي سنةَ أربعٍ وخمسين فيما[٤] صَحَّحَه أبو عمر[٥] . وقال غيره : سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وخمسين ، وقيل : مات بعدَ مَقْتَلِ عثمان ، فالله أعلم . وروى له الجماعةُ في كتبهم السّتّة .

ومنهم أسلم ، وقيل : إبراهيم ، وقيل : ثابت ، وقيل : هُرْمُز ، أبو رافع القِبْطي[٦] :

أسلم قبل بدر ، ولم يشهدها ، لأنه كان بمكة مع سادته آل العبّاس ، وكان يَنْحِتُ القِداحَ ، وقِصَّتُه مع الخبيث أبي لَهَبٍ ، حين جاء خبرُ وقعةِ بدرٍ تقدَّمَت . ولله الحمد . ثم هاجرَ وشَهِدَ أُحداً وما بعدَها ، وكان كاتباً ، وقد كتب بين يَدَيْ عليِّ بن أبي طالب بالكوفة ، قالَهُ المُفَضَّل بن غَسّان الغَلابي ، وشهدَ فتحَ مصر في أيام عُمَر ، وقد كان أولاً للعبّاس بن عبد المطلب ، فوهَبَهُ للنبيّ ﷺ وأعْتَقَهُ وزَوَّجه مولاته سَلْمى ، فولَدَتْ له أولاداً ، وكان يكون على ثَقل النبي ﷺ .

---

(١) مسلم (٩٧) .
(٢) مسلم (١٤٥٩) .
(٣) ط : (القيافة) .
(٤) ط : (مما) .
(٥) الاستيعاب (١/ ٧٧) .
(٦) ترجمته في الاستيعاب (١/ ٨٣ ـ ٨٥) ، والحلية (١/ ١٨٣ ـ ١٨٥) وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ السيرة (٢/ ٢٦٤) ودارالفكر (٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٤) وجامع الأصول (١٣/ ١٩ ـ ٢٠) وأسد الغابة (١/ ٩٣ ـ ٩٤) وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٦ ـ ١٧) والوافي (٩/ ٥١) ، والإصابة (١/ ٣٨) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٩٢ ـ ٩٣) .

وقال الإمام أحمد(١) : ثنا محمد بن جعفر وبَهْزٌ ، قالا : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن ابن أبي رافع ، عن أبي رافع ، أنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ رَجُلاً منْ بَني مَخْزوم على الصَّدَقَةِ ، فقال لأبي رافع : اْصْحَبْني كَيْما تُصيبَ منها ، فقال : لا ، حتَّى آتِيَ رسولَ الله ﷺ فأسأَله ، فأتى رسولَ الله فسأله فقال : « الصدقةُ لا تَحِلُّ لنا ، وإنَّ مَوْلى القَوْم منهم » . وقد رواه الثَّوري ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحكم به(٢) .

وروى أبو يعلى في « مسنده »(٣) عنه ، أنه أصابهم بردٌ شديدٌ ، وهم بخيبر ، فقال رسول الله : « منْ كانَ له لِحافٌ فَلْيُلْحِف منْ لا لِحافَ له » قال أبو رافع : فلم أجِدْ منْ يُلْحِفُني معه، فأتيتُ رسولَ الله ، فألْقى عليَّ لحافه ، فنِمْنا حتى أصْبَحْنا ، فوجد رسولُ الله ﷺ عند رِجْلَيْه حَيَّةً فقال : « يا أبا رافعٍ اقْتُلْها اقْتُلْها » .

وروى له الجماعة في كتبهم ومات في أيام عليّ رضي الله عنه .

ومنهم أنسة بن بادَة أبو مِسْرَح(٤) ، ويقال : أبو مَسْروح : من مولدي السَّراة ، مُهاجريٌّ . شَهِدَ بدراً فيما ذكره عروة والزهري وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والبخاري وغير واحد(٥) . قالوا : وكان ممن يأذنُ على النبيّ ﷺ إذا جلس .

وذكر خليفة بن خياط في كتابه(٦) : قال : قال علي بن محمد ، عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : استُشهد يومَ بَدْرٍ أنَسَةُ مولى رسول الله ﷺ . قال الواقدي(٧) : وليس هذا بثبتٍ عندنا ، ورأيت أهل العلم يُثْبتون أنه شَهِدَ أحداً أيضاً ، وبقي زماناً ، وأنه تُوفّي في حياة أبي بكر ، رضي الله عنه ، أيام خلافته .

(لا رواية له)(٨) .

ومنهم أيمنُ بن عُبَيْد بن زَيْدٍ الحبشيّ(٩) : ونسبه ابن مَنْدَه إلى عوف بن الخَزْرَج ، وفيه نظر ، وهو ابنُ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٠) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٨) وهو صحيح بما قبله .
(٣) تاريخ دمشق (٤/ ٢٥٣) ، وإسناده صحيح .
(٤) ط : (أنسة بن زيادة بن مشرح ويقال : أبو مسرح) وترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ السيرة (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩) وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧) .
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٦٧٨) ، وتاريخ دمشق (٤/ ٢٥٥) .
(٦) تاريخ خليفة (١/ ٢٠) ، وتاريخ دمشق (٤/ ٢٥٦) .
(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨) .
(٨) ليس ما بين القوسين في ط .
(٩) ترجمته في الاستيعاب (١/ ١٢٨ ـ ١٢٩) ، وأسد الغابة (١/ ١٨٩) ، وجامع الأصول (١٣/ ٤٢ ـ ٤٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٣٠) ، والوافي (١٠/ ٢٩ ـ ٣٠) ، والإصابة (١/ ٩٢ ـ ٩٣) .

أمِّ أيمَن بَركة ، أخو أسامة لأُمِّه . قال ابن إسحاق[(١)] : وكان على مَطْهَرة النبي ﷺ ، وكان ممن ثَبَتَ يوم حُنَيْن ، ويقال[(٢)] : إنَّ فيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] . قال الشافعي : قُتِلَ أيمنُ مع النبيّ ﷺ يومَ حُنَيْن . قال : فروايةُ مجاهدٍ عنه منقطعةٌ .

يعني بذلك ما رواه الثوري[(٣)] ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عطاء ، عن أيمن الحبشي قال : لم يَقْطَعِ النبيُّ ﷺ السارِقَ إلا في المِجَنّ ، وكان ثمن المجن يومئذ ديناراً[(٤)] . وقد رواه أبو القاسم البَغَويّ في « معجم الصحابة » عن هارون بن عبد الله ، عن أسود بن عامر ، عن الحسن بن صالح ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مجاهد ، وعطاءٍ ، عن أيمن ، عن النبي ﷺ نحوه .

وهذا يقتضي تَأخُّر موته عن النبيّ ﷺ إن لم يكن الحديثُ مُدَلَّساً عنه ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ أُريدَ غَيْره ، والجمهورُ كابنِ إسحاق وغيره ذكروه[(٥)] فيمن قُتِل منَ الصَّحابة يومَ حُنَين ، فالله أعلم .

ولابنه الحَجّاج بن أيْمَن مع عبد الله بن عمر قصة .

ومنهم باذام . وسيأتي ذكره في ترجمة طهمان .

ومنهم ثَوْبان بن بُجدُد . ويقال : ابن جَحْدَر ، أبو عبد الله[(٦)] ، ويقال[(٢)] : أبو عبد الكريم ، ويقال : أبو عبد الرحمن . أصلُه من أهل السَّراة مكانٌ بينَ مكّة واليَمَن ، وقيل : من حِمْير من أهل اليمن ، وقيل : من ألهان ، وقيل : من الحَكَم بن سَعْد العَشيرة ، من مَذْحج ، أصابه سِباء[(٧)] في الجاهلية . فاشتراه رسول الله ﷺ ، فأعْتَقَهُ وخَيَّره إن شاء أن يَرْجع إلى قومه ، وإن شاء يَثْبُتَ فإنّه منهم أهلَ البيت . فأقام على وَلاءِ رسولِ الله ﷺ ولم يُفارِقْهُ حَضَراً ولا سَفَراً حتى تُوفّي رسول الله ﷺ . وشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ أيامَ عُمر ونزلَ حِمْصَ بعدَ ذلك ، وابْتَنَى بها داراً ، وأقام بها إلى أن مات سنة أربعٍ وخمسين ، وقيل : سنة أربعٍ وأربعين ، وهو خطأ . وقيل : إنه مات بمصر ، والصحيح بحمص ، كما قدَّمنا . والله أعلم .

روى له البُخاري ، في كتاب « الأدب » ، ومسلم في « صحيحه » وأهل السنن الأربعة .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٤٤٣) .
(٢) ط : (ويقول) .
(٣) تاريخ دمشق (٤/ ٢٥٩) .
(٤) أ ، ط : (دينار) .
(٥) ط : (وذكروه) . والواو زائدة .
(٦) ترجمته في الاستيعاب (١/ ٢١٨) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ السيرة (٢/ ٢٧١) ، وطبعة دارالفكر (٤/ ٢٥٩) وأسد الغابة (١/ ٢٩٦) ، والإصابة (١/ ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (٢/ ٣١) ، وسير أعلام النبلاء (٣٠/ ١٥) .
(٧) ط : (سبي) .

ومنهم حُنَيْن[(١)] مولى النبيّ ﷺ : وهو جدّ إبراهيم بن عبد الله بن حُنَيْن ، ورُوِّينا أنَّه كان يَخدُمُ النبيَّ ﷺ ، ويُوضِّئُه ، فإذا فَرَغَ النبيُّ ﷺ خَرَجَ بفَضْلَةِ الوضوءِ إلى أصحابه ، فمنهم من يَشْرَبُ منه ، ومنهم من يَتمسَّحُ به ، فاحْتَبسَه حُنَينٌ فَخَبَّأَهُ عندَه في جَرَّةٍ حتى شكَوْه إلى النبيِّ ﷺ فقال له : « ما تَصْنَعُ به ؟ » فقال أَدَّخِرُهُ عندي أشْرَبه يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : « هَلْ رَأَيْتُمْ غُلاماً أَحْصَى ما أَحْصَى هذا ؟ » ثم إن النبيّ ﷺ وهبَهُ لعَمِّه العَبّاس فأعْتقَه رضي الله عنهما .

ومنهم ذَكْوان يأتي ذكره في ترجمة طَهْمان .

ومنهم رافِعٌ أو أبو رافِع . ويقال له : أبو البَهِيّ[(٢)] . قال أبو بكر بن أبي خيثمة : كان لأبي أُحَيْحَة سعيد بن العاص الأكبر ، فورثَهُ بنوه ، وأعتَقَ ثلاثةٌ منهم أنْصباءَهُمْ وشهد معهم يَوْمَ بَدْرٍ ، فقُتِلوا ثلاثتُهُمْ ، ثم اشْتَرى أبو رافعٍ بقيَّة أنْصِباء بني سعيدٍ مولاه ، إلا نَصيبَ خالد بن سعيدٍ ، فوهبَ خالد نَصيبَهُ لرسول الله ﷺ ، فقَبِلَهُ وأعْتَقَهُ ، فكان يقول : أنا مولى رسول الله ﷺ ، وكذلك كان بنوه يقولون من بعده .

ومنهم رباحٌ الأسْوَدُ[(٣)] : وكان يأذنُ على النبي ﷺ ، وهو الذي أخذ الإذْنَ لعمر بن الخطاب حتَّى دَخَلَ على رسول الله ﷺ في تلك المَشْرَبَةِ يومَ آلى من نسائه ، واعتزَلَهُنَّ في تلك المَشْرَبَةِ وحدَه ، عليه الصلاة والسلام ، هكذا جاء مُصَرَّحاً باسمه في حديثِ عِكْرِمة بن عمار (عن أبي زُمَيْل)[(٤)] عن سِماك بن الوليد ، عن ابن عباس ، عن عمر .

وقال الإمام أحمد[(٥)] : ثنا وَكيعٌ ، ثنا عكرمة بن عَمّار ، عن إياس بن سَلَمَةَ بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : كان للنبيِّ ﷺ غلامٌ يُسَمَّى رباحاً[(٦)] .

ومنهم رُوَيْفِع[(٧)] مولاه عليه الصلاة والسلام : هكذا عَدَّهُ في الموالي مُصْعَبُ بن عبد الله الزُّبَيْري وأبو بكر بن أبي خَيْثَمة ، قالا : وقد وَفَدَ ابنُه على عمر بن عبد العزيز في أيّام خِلافَتِهِ فَفَرَضَ له . قالا : ولا عَقِبَ له .

---

(١) ترجمته في تاريخ دمشق ـ السيرة (٢/ ٢٧١)، ودار الفكر (٤/ ٢٥٩)، وأسد الغابة (١/ ٥٤٦)، والإصابة (١/ ٣٦٢).

(٢) ترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤) ، ودار الفكر (٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٣) ، وأسد الغابة (٢/ ٣٧) ، والإصابة (١/ ٥٠٠) .

(٣) ترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ السيرة (٢/ ٢٧٤) وط . دار الفكر (٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) ، وأسد الغابة (٢/ ٢٤٩) والإصابة (١/ ٥٠٢) .

(٤) ليس ما بين القوسين في أ .

(٥) مسند الإمام أحمد (٤/ ٤٦) ، وإسناده صحيح .

(٦) أ ، ط : (رباح) وما أثبته للسياق النحوي .

(٧) ترجمته في الاستيعاب (١/ ٥٠١) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٢/ ٢٧٥) ، وط . دار الفكر (٤/ ٢٦٤) وأسد الغابة (٢/ ٨٨) والإصابة (١/ ٥٢٢) .

قلت : كان عُمر بن عبد العزيز ، رحمه الله شديدَ الاعتناء بموالي رسول الله ﷺ ، يُحبُّ أن يعرفهم ويُحْسنَ إليهم . وقد كَتَبَ في أيام خلافته إلى أبي بكر بن حزمٍ عالمِ أهل المدينة في زمانه أن يَفْحَصَ له عن موالي رسول الله ﷺ ، الرجالِ والنساءِ وخُدّامِهِ . رواه الواقدي[١] . وقد ذكره أبو عمر مُخْتَصَراً وقال : لا أعلمُ له رواية ، حكاه ابن الأثير في « الغابة[٢] » .

ومنهم زَيْدُ بن حارِثَةَ الكَلْبيّ[٣] : وقد قدمنا طَرَفاً من ذكره عندَ ذِكْرِ مَقْتَلِهِ بغزوة مُؤْتَة رضي الله عنه ، وذلك في جُمادى من سَنَةِ ثمانٍ قبلَ الفَتْحِ بأشهرٍ ، وقد كانَ هو الأميرَ المُقَدَّمَ ، ثم بعدَهُ جَعْفرٌ ، ثم بعدهما عبد الله بن رَواحة رضي الله عنهم .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما بَعَثَ رسولُ الله ﷺ زيد بن حارثة في سَرِيَّةٍ إلا أمَّره عليهم ، ولو بَقيَ بَعْدَهُ لاسْتَخْلَفَه . رواه أحمدُ .

ومنهم زَيْدٌ أبو يَسار[٤] :

قال أبو القاسم البغوي في « معجم الصحابة » : سكن المدينة ، رَوَى حَديثاً واحداً لا أعلم له غيره . حدثنا محمد بن علي الجُوزجاني ، ثنا أبو سَلَمة ـ هو التَّبوذَكيُّ ـ ثنا حفصُ بنُ عمر[٥] الطّائي[٦] ، ثنا أبي[٧] عمر بن مرة : سمعتُ بلال بن يسار بن زيد مولى النبي ﷺ ، سمعتُ أبي ، حدّثني عن جدّي ، أنَّه سمعَ رسولَ الله يقول : «منْ قالَ أسْتَغْفر الله الذي لا إله إلا هو الحيُّ القيُّوم ، وأتوبُ إليه ، غُفِر له ، وإن كان فَرَّ منَ الزَّحْفِ » وهكذا رواه أبو داود[٨] عن أبي سَلَمَة . وأخرجه الترمذي[٩] ، عن محمد بن إسماعيل البخاري ، عن أبي سَلَمَة موسى بن إسماعيل به . وقال الترمذي : غَريبٌ لا نَعْرِفُه إلا من هذا الوجه[١٠] .

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٤٩٧) .

(٢) أسد الغابة (٢/ ٢٤٠) .

(٣) ترجمته في الاستيعاب (٤/ ٤٧) ، وتاريخ دمشق طبعة دار الفكر (١/ ٢٦٥) ، وجامع الأصول (١٤/ ١٠٥ ـ ١٠٧) وأسد الغابة (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٤) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) ، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٢٠ ـ ٢٣٠) والإصابة (١/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٢) .

(٤) ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٥٥٩) ، تاريخ دمشق ـ المجمع ـ السيرة : (٢/ ٢٧٦) ، وط دار الفكر (٤/ ٢٦٥) وجامع الأصول (١٤/ ١١١) وأسد الغابة (٢/ ١٥٠) ، والإصابة (١/ ٥٦١) .

(٥) أ : (عمرو) تحريف ، وقد تقدم قبل سطر .

(٦) الذي في « تهذيب الكمال » حفص بن عمر الشَّنّي . ووالده : عمر بن مُرَّة الشَّنّي .

(٧) ط : (أبو) وانظر تهذيب الكمال (٢١/ ٥٠٨) .

(٨) أبو داود (١٥١٧) .

(٩) الترمذي (٣٥٧٧) .

(١٠) أي : ضعيف ، وبلال وأبوه مجهولان ، وزيد جد بلال لا يُعرف له إلا هذا الحديث ، ولكن له شواهد من حديث عبد الله بن مسعود ، وأبي بكر الصديق ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وأنس بن مالك ، والبراء بن عازب ، =

ومنهم سَفِينة[١] أبو عبد الرحمن . ويقال : أبو البَخْتري ، كان اسمه مِهْران ، وقيل : عَبْس ، وقيل : أحمر ، وقيل : رُومان ، فَلَقَّبَه رسول الله ﷺ سفينة[٢] لسبب سنذكره ، فغلبَ عليه . وكان مولىً لأمّ سَلَمَةَ فأعْتَقَتْه واشْتَرَطَتْ عليه أن يَخْدُمَ رسولَ الله ﷺ حتّى يَموتَ ، فقَبلَ ذلك . وقال : لَوْ لَمْ تَشْتَرِطي عليَّ ما فارقْتُهُ . وهذا الحديث في « السنن »[٣] . وهو من مُوَلَّدي العَرَبِ ، وأصلُه من أبناء فارس ، وهو سفينة بن مارْفَنَّة[٤] .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا أبو النَّضْر ، ثنا حَشْرَج بن نُباتة العَبْسي كوفي ، ثنا سعيد بن جُمْهان ، حدّثني سَفِينة قال : قال رسول الله ﷺ : « الخِلافَةُ في أمتي ثلاثون سنة ، ثم مُلْكاً بعد ذلك » ، ثم قال لي سفينة : أَمْسِكْ خلافةَ أبي بكر ، وخِلافَةَ عُمر ، وخِلافَة عثمان ، وأَمْسِكْ خلافةَ عليّ ، ثم قال : فوجدناها ثلاثين سنةً . ثم نظرتُ بعدَ ذلك في الخلفاء فلم أجِدْهُ يَتَّفِقُ لهم ثلاثون . قلت لسعيد : أيْنَ لَقِيتَ سفينة ؟ قال ببطن نَخْلَة ، في زمن الحجّاج ، فأقَمْتُ عنده ثلاثَ ليالٍ أسألهُ عن أحاديث رسول الله ﷺ . قلت له : ما اسْمُك ؟ قال : ما أنا بمُخْبِركَ ، سَمّاني رسولُ الله ﷺ سفينة . قلت : ولم سَماكَ سَفينة ؟ قال : خرجَ رسولُ الله ومعه أصحابه ، فَثَقُلَ عليهم متاعُهم ، فقال لي : « ابْسُط كساءك » فبسطته ، فجعلوا فيه متاعَهم ثم حملوه عليَّ ، فقال لي رسول الله : « احمل فإنما أنت سَفينة » فلو حمَلْتُ يومئذ وقْرَ بعيرٍ أو بَعيرينِ أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ، ما ثَقُلَ عليَّ ، إلا أن يَجْفُوا . وهذا الحديثُ عن أبي داود والترمذي والنسائي[٦] . ولفظه عندهم « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلْكاً » .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا بَهْزٌ ، ثنا حماد بن سَلَمة ، عن سعيد بن جُمْهان ، عن سَفينة ، قال : كُنّا في سَفَرٍ ، فكان كُلَّما أعْيا رَجُلٌ ألْقَى عليَّ ثيابه ، تُرْساً أو سيفاً ، حتى حَمَلْتُ من ذلك شيئاً كثيراً ، فقال النبي ﷺ : « أنت سفينة » هذا هو المشهورُ في تَسْمِيَتِه سَفينة .

= فهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(١) ترجمته في الاستيعاب (٢/ ١٢٩) ، تاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٢٧٧) وجامع الأصول (١٤/ ١٨٣ ـ ١٨٤) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٢٥) ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٨) ، وأسد الغابة (٢/ ١٩٠) ، والإصابة (٢/ ٥٨) ، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٢٥) .

(٢) ليس اللفظ في ط .

(٣) رواه أبو داود (٣٩٣٢) والنسائي في « الكبرى » (٤٩٩٥) وابن ماجه (٢٥٢٦) وهو حديث حسن .

(٤) ط : (مافنة) وفي أ : (ماقنَّة) وكلاهما تحريف . وانظر تهذيب الكمال (١١/ ٢٠٥) ، فإن فيه : ويقال : شنبة بن مارفنَّة .

(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٢١) .

(٦) رواه أبو داود (٤٦٤٦) والترمذي (٢٢٢٦) والنسائي في « الكبرى » (٨١٥٥) وهو حديث حسن .

(٧) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٢٢) ، وإسناده صحيح .

وقد قال أبو القاسم البَغَوي : ثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزَّهْراني ومحمد بن جَعْفر الوَرْكاني ، قال : ثنا شَريك بن عبد الله النَّخَعي ، عن عمران النَّخْلي[1] ، عن مولى لأمِّ سلمَةَ . قال : كنّا مع رسول الله فَمَرَرْنا بوادٍ ، أو نَهرٍ ، فكُنْتُ أُعَبِّرُ النّاسَ . فقال لي رسول الله : « ما كنتَ منذُ اليومِ إلا سَفينة » وهكذا رواه الإمام أحمد[2] ، عن أسود بن عامر ، عن شريك .

وقال أبو عبد الله بن مَنْدَه ، ثنا الحسن بن مُكْرَم ، ثنا عُثْمان بن عمر ، ثنا أسامة بن زيد ، عن محمد بن المُنْكَدر ، عن سَفينة ، قال : ركبتُ البحرَ في سَفينة ، فكسِرَتْ بنا ، فركبْتُ لوحاً منها فطَرَحَني في جزيرة فيها أسدٌ ، فلم يَرُعْني إلا به ، فقلت : يا أبا الحارث : أنا مولى رسول الله ﷺ ، فَجَعَلَ يَغْمِزُني بمَنْكِبِهِ حتى أقامني على الطريق ، ثم هَمْهَمْ فَظَنَنْتُ أنّه السَّلام . وقد رواه أبو القاسم البَغَوي عن إبراهيم بن هانئ ، عن عُبَيْد الله بن موسى ، عن رجلٍ ، عن محمد بن المُنْكَدِر عنه . ورواه أيضاً ، عن محمد بن عبد الله المَخْرَمي ، عن حسين بن محمد . قال : قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سَلَمة ، عن محمد بن المُنْكَدِر عن سَفينة . . . فذكره .

ورواه أيضاً : ثنا هارون بن عبد الله ، ثنا علي بن عاصم ، حدّثني أبو رَيْحانة ، عن سَفينة مَوْلى رسولِ الله قال : لَقِيني الأسدُ . فقلتُ : أنا سَفينةُ مَوْلَى رسولِ الله ﷺ . قال : فضربَ بذَنَبِه الأرضَ وقعدَ .

وروى له مسلمٌ وأهلُ السُّنَن . وقد تقدَّم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد أنه كان يسكن بَطن نَخْلَة ، وأنه تأخَّر إلى أيام الحجّاج .

ومنهم سَلْمان الفارِسيّ[3] أبو عَبْدِ الله مَوْلى الإسْلام : أصلُه من فارس ، وتنقَّلَتْ به الأحوال إلى أن صار لرجلٍ من يَهودِ المدينة ، فلما هاجَرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ أسلم سلمان ، وأمره رسول الله ﷺ فكاتَبَ سَيِّدَهُ اليَهودي ، وأعانَهُ رسول الله ﷺ على أداءِ ما عليه فنُسب إليه ، وقال : « سلمانُ منّا أهلَ البيت »[4] . وقد قدَّمنا صِفَة هِجرتِهِ من بلده وصُحْبَتِهِ لأولئك الرُّهبان واحداً بعد واحدٍ حتى آل به الحالُ

---

(١) في الأصول ومطبوع المسند : البجلي وهو خطأ .

(٢) في المسند (٥/ ٢٢١) وهو حديث حسن .

(٣) ترجمته في حلية الأولياء (١/ ١٨٥ ـ ٢٠٨) ، والاستيعاب (٦٣٤) ، وتاريخ بغداد (١/ ١٦٣ ـ ١٧١) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٤/ ٢٨١) وط دار الفكر (٤/ ٢٦٤) وجامع الأصول (١٤/ ١٨٦ ـ ١٨٧) ، وأسد الغابة (٢/ ٤١٧ ـ ٤٢١) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٢٦) ، وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٥ ـ ٥٥٨) ، وتهذيب التهذيب (٤/ ١٣٧) ، والإصابة (٢/ ٦٢ ـ ٦٣) ، وشذرات الذهب ـ أرناؤوط (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) ـ .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » (٦٠٤٠) والحاكم (٣/ ٥٩٨) وهو حديث ضعيف جداً في المرفوع ، وقد صح من قول علي رضي الله عنه ، أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٣٨٠) .

إلى المدينة النبوية ، وذِكْر صِفَةِ إسْلامِه ، رضي الله عنه ، في أوائل الهجرة النبويّة إلى المدينة ، وكانَتْ وفاتُه في سنةِ خمسٍ وثلاثين في آخر أيامِ عثمان ، أو في أولِ سنةِ ستٍّ وثلاثين . وقيل : إنّه تُوفِّي في أيّام عُمر بن الخطاب ، والأول أكثر .

قال العباس بن يزيد البَحْراني[١] : وكانَ أهلُ العلم لا يَشكون أنه عاشَ مئتين وخمسين سنةً ، واختَلَفُوا فيما زاد على ذلك إلى ثلاثمئة وخمسين . وقد ادَّعى بعضُ الحُفّاظ المتأخّرين أنه لم يُجاوِزِ المئة . فالله أعلم بالصواب .

ومنهم شُقْرانُ الحَبَشيّ[٢] واسمه صالِحُ بن عَديّ : ورثه عليه الصلاة والسلام من أبيه . وقال مصعب الزبيري ومحمد بن سعد[٣] : كان لعبد الرحمن بن عوف ، فوهبَهُ للنبيّ ﷺ . وقد روى أحمدُ بن حنبل ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعْشر ، أنّه ذكره فيمن شهد بَدْراً ، (قال : ولم يَقْسِمْ له رسولُ الله ﷺ . وهكذا ذكره محمد بن سعد فيمن شهد بدراً)[٤] ، وهو مَمْلوكٌ ، فلهذا لم يُسْهِم له ، بل استعمله على الأسرى ، فجزاه[٥] كلُّ رجل له أسيرٌ شيئاً ، فحصَل له أكثرُ من نصيبٍ كاملٍ . قال : وقد كان ببدر ثلاثة غلمان غيرُه : غلامٌ لعبد الرحمن بن عوف ، وغلامٌ لحاطب بن أبي بَلْتَعَة ، وغُلامٌ لسعد[٦] بن معاذ . فَرَضَخ لهم ولم يَقْسمْ . قال أبو القاسم البغوي : وليسَ له ذِكرٌ فيمن شهدَ بدراً في كتاب الزُّهْري ، ولا في كتاب ابن إسحاق .

وذكر الواقدي[٧] عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جَهْم ، قال : استعمل رسول الله شُقْران مولاه على جميع ما وُجد في رحال [أهل] المُرَيْسيع من رِثَّةِ المَتاعِ والسِّلاح والنَّعَم والشَّاءِ وجَمْعِ الذريّةِ ناحيةً .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا أسودُ بن عامر ، ثنا مسلم بن خالد ، عن عمرو بن يحيى المازنيّ ، عن أبيه ، عن شُقْران مولى رسول الله ﷺ قال : رأيتُهُ ـ يعني النبي ﷺ ـ مُتَوَجِّهاً إلى خَيْبَرَ على حِمار يُصَلّي عليه ، يُومِئُ إيماءً . وفي هذه الأحاديث شواهدُ أنّه رضي الله عنه شهد هذه المشاهد .

---

(١) تاريخ بغداد (١/ ١٦٤) .

(٢) ترجمته في تاريخ دمشق ـ السيرة (٤/ ٢٨١) ، ودارالفكر (٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢) ، وأسد الغابة (٢/ ٢٧٥) والإصابة (٢/ ١٥٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٩ ـ ٥٠) والاستيعاب (٢/ ٧٠٩) .

(٤) ليس ما بين القوسين في ط .

(٥) ط : (فخذاه) .

(٦) ط : (لسعيد) خطأ .

(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٠) .

(٨) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٩٥) ، وإسناده ضعيف ، وله شواهد عن عدة من الصحابة .

وروى الترمذي[(١)] عن زيد بن أَخْزَم ، عن عثمان بن فَرْقَد ، عن جعفر بن محمد ، أخبرني ابن أبي رافع ، قال : سَمِعْتُ شُقْران يقول : أنا والله طَرَحْتُ القَطيفةَ تحتَ رسول الله ﷺ ، في القبر . وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : الذي أَلْحَدَ[(٢)] قبرَ النبيّ ﷺ أبو طلحة ، والذي أَلْقَى القَطيفةَ تحته[(٣)] شُقْران . ثم قال الترمذي : حَسَنٌ غريبٌ[(٤)] . وقد تقدم أنه شهد غُسْلَ رسولِ الله ﷺ . ونزل في قبره ، وأنه وضع تحتَه القَطيفةَ التي كان ﷺ يُصَلِّي عليها ، وقال : والله لا يَلْبَسُها أحدٌ بعدَكَ . وذكر الحافظ أبو الحسن بن الأثير في « الغابة »[(٥)] أنَّه انقرضَ نَسْلُهُ فكانَ آخرُهُمْ موتاً بالمدينة في أيام الرشيد .

ومنهم **ضُمَيْرَة بن أبي ضُمَيْرَة الحِمْيَري**[(٦)] : أصابه سِباءٌ[(٧)] في الجاهلية ، فاشتراهُ النبيُّ ﷺ فأعتقه ، ذَكَرَهُ مُصعَبٌ الزُّبَيْري ، قال : وكانَتْ له دارٌ بالبقيع ، ووَلَدٌ .

قال عبد الله بن وهب ، عن ابن أبي ذِئْبٍ ، عن حسين بن عبد الله بن ضُمَيْره ، عن أبيه ، عن جَدّه ضُمَيْرة أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بأمّ ضُمَيْرة ، وهي تَبْكي فقال لها : « ما يُبْكيكِ ؟ أجائعةٌ أنتِ ، أعاريةٌ أنتِ » قالت : يا رسولَ الله ، فُرِّقَ بيني وبين ابني ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يُفرَّقُ بين الوالدة وولدِها » ثم أرسل إلى الذي عندَهَ ضُمَيْرَةُ فدعاه فابتاعه منه ببَكْر . قال ابن أبي ذئب ، ثم أَقْرأني كتاباً عنده : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ منْ مُحَمَّدٍ رسولِ الله لأبي ضُمَيْرَة وأهل بيته ، أنّ رسولَ الله أَعْتَقَهُمْ ، وأنَّهُمْ أهلُ بَيْتٍ من العَرَبِ ، إن أَحَبُّوا أقاموا عِنْدَ رسول الله ، وإن أَحَبُّوا رَجَعوا إلى قَوْمهم ، فلا يُعْرضُ لهم إلا بحقٍّ ، ومن لقِيَهُمْ من المسلمين فَلْيَسْتَوْص بهم خيراً ، وكتب أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ .

ومنهم **طَهْمان**[(٨)] ، ويقال : **ذَكْوانُ** ، ويقالُ : **مِهْرانُ** ، ويقال : **مَيْمون** ، وقيل : **كَيْسان** ، وقيل

---

(١) الترمذي (١٠٤٧) .
(٢) ط : (اتخذ) تحريف .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) قال ابن أبي حاتم في العلل (١٠٥٤) : « سألتُ أبي عن حديث رواه علي بن المديني عن عثمان بن فرقد عن جعفر بن محمد عن ابن أبي رافع ، قال : سمعتُ شقران مولى رسول الله ﷺ يقول : أنا والله طرحتُ لرسول الله ﷺ قطيفة في القبر . قال أبي : هذا حديث منكر » (بشار) . وقال الترمذي رقم (١٠٤٨) عن ابن عباس قال : جعل في قبر النبي ﷺ قطيفة حمراء ، قال : وهذا أصح ، فالحديث به حسن .
(٥) أسد الغابة (٢/ ٥٢٧) .
(٦) ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٢١٤) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السير (٢/ ٢٨٢) ، وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) وأسد الغابة (٢/ ٤٤٦) ، والإصابة (٢/ ٢١٤) .
(٧) ط : (سبي) .
(٨) ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٢٣٨) وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السير (٢/ ٢٨٣) وطبع دار الفكر (٤/ ٢٧٣) ، وأسد الغابة (٢/ ٤٤٧) ، والإصابة (٢/ ٢١٤) ، وإسناده ضعيف .

باذام . روى عن النبي ﷺ قال : « إنّ الصَّدَقَةَ لا تَحِلُّ لي ولا لأهْلِ بَيْتي ، وإنّ مَوْلى القَوْمِ من أنْفِسِهم » . رواه البَغَوي ، عن مِنْجاب بن الحارث وغيره ، عن شَريكٍ ، عن عطاء بن السائب ، عن إحدى بنات عليِّ بن أبي طالبٍ ، وهي أمُّ كُلْثوم بنت عَلي ، قالت : حدّثني مَوْلى للنَّبي ﷺ يقال له : طَهْمان أو ذَكْوان . قال : قال رسول الله ﷺ . . . فذكره .

ومنهم عُبَيْد[١] مولى النبي ﷺ . قال أبو داود الطَّيالسيّ، عن شُعبة ، عن سُلَيْمان التَّيْمي عن شيخٍ ، عن عُبَيْد مولى للنبيِّ ﷺ قال : قلتُ : هَلْ كانَ النَّبي ﷺ يأمرُ بصَلاةٍ سوى المكتوبة ؟ قال : صلاة بينَ المغرب والعشاء . قال أبو القاسم البغوي : لا أعْلمُ روى غيره . قال ابن عساكر : وليس كما قال . ثم ساق مِنْ طريق أبي يَعْلى المَوْصِلي ، ثنا عبدُ الأعلى بن حماد ، ثنا حماد بن سَلَمَة ، عن سُليمان التَّيمي ، عن عُبَيْد مولى رسول الله أن امرأتَيْنِ كانَتا صائِمَتَيْن ، وكانتا تَغْتابان النّاسَ ، فَدَعا رسولُ الله ﷺ بقَدَح ، فقال لهما : « قِيئا » . فَقاءَتا قَيْحاً وَدَماً ولَحْماً عَبيطاً[٢] ثم قال : إن هاتَيْنِ صامَتا عن الحلالِ ، وأفْطَرَتا على الحرام » . وقد رواه الإمام أحمد[٣] عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي عن سليمان التَّيْمي، عن رجلٍ حَدَّثَهُمْ في مجلسِ أبي عثمان ، عن عُبَيْد مَوْلَى رسول الله . . . فذكره . ورواه أحمد[٣] أيضاً ، عن غُنْدَرٍ ، عن عثمان بن غِياث ، قال: كنتُ مع أبي عثمان ، فقال رجلٌ : حدّثني سعيدٌ ، أو عُبَيْد ـ عثمان يشك ـ مولى النبيّ ﷺ . . . فذكره.

ومنهم فَضالة[٤] مولى النبي ﷺ : قال محمد بن سَعد ، أنبأنا الواقدي ، حدّثني عُتْبَة بن جَبيرة[٥] الأَشْهلي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم أن افْحَصْ لي عن خَدَمِ رسول الله ﷺ من الرجال والنساء ومواليه ، فكتب إليه قال : وكان فَضالَةُ مولى له يمانياً نزل الشام بعدُ ، وكان أبو مُوَيْهبة مُوَلَّداً من مُوَلَّدي مُزَيْنة فأعْتَقَهُ . قال ابن عساكر[٦] : لم أجد لفَضالة ذِكْراً في الموالي إلا من هذا الوجه .

ومنهم قَفيز[٧] أوَّلُه قافٌ وآخرُهُ زايٌ : قال أبو عبد الله بن منده : أنبأنا سَهْلُ بن السَّريّ ، ثنا أحمد بن

---

(١) ترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٢/ ٢٨٤) ، وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦) ، وأسد الغابة (٣/ ٤٣٤) ، والإصابة (٢/ ٤٤٨) .
(٢) لحم عبيط أي طري غير نضيج (النهاية : عبط) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤٣١) ، وإسناده ضعيف .
(٤) ترجمته في الاستيعاب (٣/ ١٩٨) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السير (٢/ ٢٨٧) ، وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٧٧) ، وأسد الغابة (٤/ ٦٣) ، والإصابة (٣/ ٢٠٨) .
(٥) ط : (خيرة) .
(٦) في ترجمته (٤/ ٢٧٧) .
(٧) ترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة ـ (٢/ ٢٨٧) ، ودار الفكر ـ (٢/ ٢٧٧) ، وأسد الغابة (٤/ ١١٠) ، والإصابة (٣/ ٢٤٠) .

محمد بن المُنْكَدر : ثنا محمد بن يحيى، عن محمد بن سليمان الحَرّاني، عن زهير بن محمد، عن أبي بكر بن عبيد[١] الله بن أنس عن أنس، قال: كان لِرسول الله ﷺ غلام[٢] يُقال له : قَفيزٌ ، تَفرَّدَ به محمد بن سليمان .

ومنهم كِرْكِرَة[٣] : كانَ على ثَقَلِ النبيّ ﷺ في بعض غزواته ، وقد ذَكَرَه أبو بكر بن حزم[٤] فيما كتب به إلى عمر بن عبد العزيز . قال الإمام أحمد[٥] : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن عبد الله بن عمر ، قال : كان على ثَقَلِ النبيّ ﷺ رجلٌ يقال له كَرْكَرَة . فمات ، فقال : « هو في النار » فنظروا فإذا عليه عباءةٌ (قد غَلَّها ، أو كِساءٌ قد غَلّه . رواه البخاري[٦] ، عن علي بن المَديني ، عن سفيان .

قلت)[٧] : وقصَّته شَبيهة بقصة مِدْعَم الذي أهداه رفاعة من بني الضُّبَيْب[٨] كما سيأتي .

ومنهم كَيْسانُ[٩] . قال البَغَوي : ثنا أبو بكر بن أبي شيبة . ثنا ابن فُضَيْل ، عن عطاء بن السائب . قال : أتَيْتُ أمَّ كلثوم بنت علي ، فقالت : حدّثني مولى للنبي ﷺ يُقالُ له : كَيْسان . قال له النبيُّ ﷺ في شيءٍ من أمرِ الصَّدقة : « إنّا أهلُ بيتٍ نُهينا أن نأكُلَ الصَّدَقَة ، وإن مولانا منْ أنفسِنا فلا يَأْكُلِ[١٠] الصدقة » .

ومنهم مَأْبور القِبْطيّ الخصِيّ[١١] : أهداه له صاحب إسْكَنْدريَّة مع مارية وسيرين والبَغْلَة .

وقد قدَّمنا من خبره في ترجمة مارية رضي الله عنهما ما فيه كفايةٌ .

---

(١) ط : (عبد الله بن أنيس قال) تحريف ونقص . وانظر تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٢) .
(٢) ق : (غلاماً) خطأ .
(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (١/ ٤٩٨) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩) ، ودار الفكر (٤/ ٢٧٧ ـ ٢٧٩) ، وجامع الأصول (١٥/ ١١١) ، وأسد الغابة (٤/ ٤٧٠) ، والإصابة (٣/ ٢٩٣) ـ وقال ابن الأثير في جامع الأصول : (كركرة : بفتح الكافين ، وبكسرهما) .
(٤) طبقات ابن سعد (١/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٦) .
(٦) البخاري (٣٠٧٤) .
(٧) ليس ما بين القوسين في أ .
(٨) ط : (النصيب) تحريف . وانظر مصادر الترجمة .
(٩) ترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة ـ (٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) ، وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٨٠) ، وأسد الغابة (٤/ ٢٠٤) ، والإصابة (٣/ ٣٠٩) .
(١٠) ط : (تأكل) .
(١١) ترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٢/ ٢٩٠) ، وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) ، وأسد الغابة (٤/ ٢٠٤) ، والإصابة (٣/ ٢٠٩) .

ومنهم مِدْعَم[١]، وكان أسودَ من مُوَلَّدي حِسْمى[٢] أهداه رفاعةُ بن زَيْد الجُذامي[٣]، قُتِل في حياةِ النبي ﷺ، وذلك مَرْجِعهُم من خَيْبَر. فلما وصلوا إلى وادي القُرى، فبينما مِدْعَمٌ يَحُطّ عن ناقةِ رسول الله ﷺ رَحْلَها، إذ جاءه سَهْمٌ عائرٌ[٤] فقتله. فقال الناس: هنيئاً له الشهادةُ، فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نَفْسي بيده، إن الشَّمْلَة التي أخَذَها يوم خَيْبَر - لم تُصِبْها المَقاسِمُ - لتَشْتَعِلُ عليه ناراً»، فلما سَمِعوا ذلك جاء رجلٌ بشراكٍ - أو شِراكَيْن - فقال النبي ﷺ: «شِراكٌ من نارٍ، أو شِراكانِ من نارٍ» أخرجاه[٥] من حديث مالك، عن ثور بن زيد، عن أبي[٦] الغَيْث، عن أبي هريرة.

ومنهم مِهْران[٧]، ويقال: طَهْمان:

وهو الذي رَوَتْ عنه أمُّ كُلْثوم بنت علي في تَحريمِ الصَّدقة على بني هاشم ومواليهم كما تقدم.

ومنهم ميمون[٨]، وهو الذي قبله.

ومنهم نافع[٩] مولاه:

قال الحافظ ابن عساكر: أنبأنا أبو الفتح الماهاني، أنبأنا شُجاعٌ الصُّوفي، أنبأنا محمد بن إسحاق، أنبأنا أحمد بن محمد بن زياد، ثنا محمد بن عبد الملك بن مروان، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا أبو مالك الأشجعي، عن يوسف بن مَيْمون، عن نافعٍ مولى رسول الله ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يَدْخُلُ الجَنَّة شيخٌ زانٍ، ولا مِسْكينٌ مُسْتَكبِرٌ[١٠]، ولا مَنّانٌ بعمله على الله عزَّ وجلَّ».

---

(١) ترجمته في تاريخ دمشق - المجمع - جزء السيرة (٢/ ٢٩٠ - ٢٩١) - مطبعة دار الفكر - (٤/ ٢٨١ - ٢٨٣) وأسد الغابة (٤/ ٣٥٥) والإصابة (٣/ ٣٩٤).

(٢) حسمى - على وزن فِعلى - أرض ببادية الشام من أرض جذام (معجم ما استعجم (٤٤٦ - ٤٤٨)، ومعجم البلدان: حسمى).

(٣) ط: (الخزامي) تحريف. وانظر مصادر الترجمة.

(٤) السهم العائر هو الذي لا يُدرى منْ رماه (النهاية: عير).

(٥) البخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥) (١٨٣).

(٦) ط: (ثور بن يزيد عن جبي الغيث) وفيها تحريفان انظر تاريخ دمشق - المجمع - (٢٩١).

(٧) ترجمته في تاريخ دمشق - المجمع - (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤) وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٨٤)، وأسد الغابة (٤/ ٥٠٤)، والإصابة (٣/ ٤٦٧).

(٨) ترجمته في تاريخ دمشق - المجمع - (٢/ ٢٩٤) وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

(٩) ترجمته في تاريخ دمشق - المجمع (٢/ ٢٩٤)، وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٨٥)، وأسد الغابة (٤/ ٥٢٥) والإصابة (٣/ ٥٤٧).

(١٠) ط: (متكبر).

ومنهم نُفَيْع[(١)] ، ويقال : مسروح ، ويقال : نافع بن مَسْروح . والصحيح نافعُ بن الحارث بن كَلَدَة بن عَمْرو بن عِلاج بن أبي[(٢)] سلِمة عبْد العُزّى بن غِيرَة بن عَوْف بن قَسِيٍّ ـ وهو ثقيف ـ أبو بَكْرَةَ الثّقفي :

وأمه سُمَيَّةُ أم زياد ، تدلَّى هو وجماعة من العَبيد من سور الطائف ، فأعْتَقَهُم رسولُ الله ﷺ ، وكان نزوله في بَكْرةٍ ، فَسَمّاه رسولُ الله ﷺ أبا بَكْرة . قال أبو نعيم : وكانَ رَجُلاً صالحاً ، آخى رسول الله ﷺ بينَه وبينَ أبي بَرْزَةَ الأسلميّ .

قُلْتُ : وهو الذي صَلَّى عليه بوصيّته إليه ، ولم يَشْهَد أبو بكرة وَقْعَةَ الجَمَلِ ، ولا أيّام صِفِّين ، وكانَتْ وفاتُه في سنة إحْدى وخَمْسين ، وقيل سنة اثْنَتَيْن وخَمْسين .

ومنهم واقِد[(٣)] ، أو أبو واقِدٍ مَوْلى رسول الله ﷺ :

قال الحافظُ أبو نُعَيْم الأصْبَهاني : حدَّثنا أبو عمرو بن حَمْدان ، ثنا الحسن بن سُفيان ، ثنا محمد بن يحيى بن عبد الكريم ، ثنا الحسين بن محمد ، ثنا الهَيْثَم بن حماد ، عن الحارث بن غسان ، عن رجُلٍ من قُرَيْش من أهل المدينة ، عن زاذان ، عن واقدٍ مولى النبي ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أطاعَ الله فقد ذكَر الله ، وإن قَلَّتْ صلاتُه وصيامُه وتلاوتُه القرآنَ ، ومَنْ عَصى اللهَ فلم يَذْكُره وإن كَثُرَتْ صلاتُه وصيامُه وتلاوتُه القرآن » .

ومنهم هُرْمُز أبو كَيْسان[(٤)] ، ويقال : هُرْمُز ، أو كَيْسان ، وهو الذي يقال فيه : طَهْمان ، كما تقدم .

وقد قال ابن وهب : ثنا عليُّ بن عابس[(٥)] ، عن عطاء بن السائب ، عن فاطمة بنت علي أو أم كلثوم بنت علي ، قالت : سمعتُ مولًى لنا يُقال له : هُرمُز يُكَنّى أبا كيسان . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنا أهل بيت لا تَحِلُّ لنا الصَّدَقةُ ، وإنّ مَوالينا من أنفسِنا فلا تَأكلوا الصَّدَقَة » . وقد رواه الرَّبيعُ بن سليمان ، عن أسدِ بن موسى ، عن ورقاء ، عن عطاء بن السائب قال : دخلتُ على أمّ كُلْثوم ، فقالت : إن هُرْمُزَ أو كَيْسان حدثنا أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قال : « إنّا لا نَأكُل الصَّدَقَةَ » .

وقال أبو القاسم البغوي : ثنا مَنْصور بن أبي مُزَاحِم ، ثنا أبو حفص الأبّار ، عن ابن أبي زياد ، عن

---

(١) ترجمته في الاستيعاب (١٥٣٠) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ السيرة (٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٨٥) ، وجامع الأصول (١٥/ ٤١٦ ـ ٤١٧) ، وأسد الغابة (٤/ ٥٧٨) ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥) ، والإصابة (٣/ ٥٤٧) ، وشذرات الذهب (١/ ٢٥٠) .

(٢) ليس اللفظ في ط .

(٣) ترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٢/ ٢٩٥) وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) وأسد الغابة (١٤/ ٦٥) ، والإصابة (٣/ ٦٢٨) .

(٤) ترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة ـ (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) ، وأسد الغابة (٤/ ٦١٧) ، والإصابة (٣/ ٦٠٠) .

(٥) ط : (عباس) وانظر تهذيب الكمال (٢٠/ ٥٠٢) .

معاوية ، قال : شَهِدَ بدْراً عشرون مملوكاً ، منهم مملوكٌ للنبيِّ ﷺ ، يُقال له هُرْمُز فأعْتَقَه رسول الله ﷺ ، وقال : « إنَّ الله قد أعْتَقَك ، وإنّ مَوْلى القوم من أنفسهم ، وإنّا أهل بيت ، لا نأكلُ الصَّدَقة فلا تأْكُلْها » .

ومنهم هشام مولى النبي[1] ﷺ :

قال محمد بن سعد : أنبأنا سليمان بن عُبَيد الله الرّقي ، أنبأنا محمد بن أيوب الرَّقي ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبي الزبير ، عن هشام مولى رسول الله ﷺ ، قال : جاء رجلٌ فقال : يا رسولَ الله ، إنَّ امرأتي لا تَدْفَع يَدَ لامِس[2] ، قال : « طَلِّقْها » ، قال : إنها تُعْجِبُني ، قال : « فتَمتَّعْ بها »[3] . قال ابن منده : وقد رواه جماعةٌ عن سُفْيان الثّوري ، [عن عبد الكريم] عن أبي الزبير (عن مولى بني هاشم ، عن النبي ﷺ ولم يُسَمِّه . ورواه عُبَيْد الله بن عَمْرو عن عبد الكريم ، عن)[4] أبي الزُّبَيْر عن جابر .

ومنهم يسار[5] ، ويقالُ : إنّه الذي قَتَله العُرَنِيُّون ومثلوا[6] به . وقد ذكر الواقدي[7] بسنده عن يعقوب بن عتبة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ أخذَه يومَ قَرْقَرة الكُدْرِ مع نَعَم بني غَطَفان وسُلَيْم ، فَوَهَبَهُ النّاسُ لرسولِ الله ﷺ ، فَقَبِلَهُ منهم ، لأنَّه رآهُ يُحْسنُ الصَّلاةَ فأعْتَقَهُ ، ثم قَسَمَ في النّاسِ النَّعَمَ ، فأصابَ كلُّ إنسانٍ منهم سبعةَ أبعرةٍ ، وكانوا مئتين .

ومنهم أبو الحَمْراء[8] مولى النبي ﷺ وخادِمُه ، وهو الذي يُقالُ : إنَّ اسمَه هِلالُ بنُ الحارِثِ ، وقيل : ابن ظَفَر[9] ، وقيل : هلال بن الحارث بن ظَفَر[10] السّلمي ، أصابه سِباءٌ[11] في الجاهلية .

---

(١) ترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) ، وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) وأسد الغابة (٤/ ٦٢٤) ، والإصابة (٣/ ٦٠٦) .

(٢) أي : تعطي من ماله من يطلب منها ، ولا يعقل أن يفسر بإجابتها لمن أرادها إلى الفاحشة ، قال أحمد : لم يكن ليأمر بإمساكها وهي تفجر .

(٣) ورواه أبو داود رقم (٢٠٤٩) والنسائي (٦/ ٦٧) من حديث ابن عباس وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٤) ليس ما بين القوسين في أ .

(٥) ترجمته في تاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) ، وطبعة دار لفكر (٤/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) وأسد الغابة (٤/ ٧٣٨) ، والإصابة (٣/ ٦٦٦) .

(٦) ط : (وقد مثلوا) .

(٧) مغازي الواقدي (١/ ١٨٢ ـ ١٨٣) .

(٨) ترجمته في الاستيعاب (٤/ ١٦٣٣) تاريخ دمشق ـ المجمع ـ السيرة (٢/ ٢٩٨ ـ ٣٠٠) وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٨٩ ـ ٢٩١) . وأسد الغابة (٤/ ٦٣١) والإصابة (٣/ ٦٠٧) ، ونهاية الأرب (١٨/ ٢٣٤) .

(٩) أ ، ط : (مظفر) وانظر مصادر الترجمة .

(١٠) أ : (مظفر) .

(١١) ط : (سبي) .

وقال أبو جعفر محمد بن علي بن دُحَيْم ، ثنا أحمد بن حازم ، أنبأنا عُبَيْد[١] الله بن موسى ، والفضل بن دُكَيْن ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي داود القاصّ ، عن أبي الحمراء قال : رابَطْتُ المدينةَ سبعةَ أشهرٍ كَيوم ، فكان النبيّ ﷺ يأتي باب عليّ وفاطمةَ كلَّ غداةٍ فيقول : « الصلاة الصلاة ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] » .

قال أحمد بن حازم : وأنبأنا عبيد الله بن موسى والفضل بن دُكَيْن ـ واللفظ له ـ عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي داود ، عن أبي الحمراء ، قال : مَرَّ النبيُّ ﷺ برجلٍ عندَهُ طعامٌ في وعاءٍ ، فأدْخَلهُ يدَهُ ، فقال : « غَشَشْتَه ! منْ غَشَّنا فَلَيْسَ منّا » وقد رواه ابن ماجه[٢] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي نُعَيْم به . وليس عنده سواه . وأبو داود هذا هو نُفَيْع بن الحارث الأعمى ، أحدُ المَتْروكين الضُّعفاء . قال عباس الدُّوري عن ابن مَعين : أبو الحمراء صاحبُ رسول الله ﷺ اسمه هلال بن الحارث ، كان يكون بحِمْصَ ، وقد رأيتُ بها غلاماً من ولده ، وقال غيرُه : كان منزلُه خارجَ بابِ حِمْص . وقال أبو الوازع ، عن سَمُرَة : كان أبو الحمراء من[٣] الموالي .

ومنهم أبو سلمى[٤] راعي النبي ﷺ ، ويقال : أبو سَلام واسمه حُرَيْثٌ .

قال أبو القاسم البغوي : ثنا كامل بن طلحة ، ثنا عَبّاد بن عبد الصمد ، حدّثني أبو سلمى[٥] راعي النبي ﷺ قال : سمعتُ رسولَ الله يقول : « منْ لَقِيَ اللهَ يَشْهَدُ أن لا إله إلا اللهُ ، وأنّ محمداً رسولُ الله ، وآمنَ بالبَعْثِ والحِسابِ ، دَخَلَ الجَنَّةَ » . قلنا : أنتَ سَمِعْتَ هذا منْ رسولِ الله ﷺ ؟ فأدْخَلَ أُصْبُعَيْه في أُذُنيه ، ثم قال : أنا سَمِعْتُ هذا مِنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، ولا مَرَّتَيْنِ ولا ثلاثٍ ، ولا أربعٍ .

لم يُوردْ له ابنُ عساكر سوى هذا الحديث . وقد روى له النّسائي[٦] في اليوم والليلة آخر ، وأخرج له ابن ماجه[٧] ثالثاً .

---

(١) أ ، ط : (عبد) . وانظر تهذيب الكمال (١٩/ ١٦٤) ، وسيأتي الاسم صحيحاً في الخبر التالي .

(٢) ابن ماجه (٢٢٢٥) ، وهو ضعيف جداً . أقول : وجملة « من غشنا فليس منا » في صحيح مسلم (١٠١) ، من حديث أبي هريرة ، وهي في حديث ساقه ابن ماجه قبل هذا الحديث (٢٢٢٤) .

(٣) ط : (في) .

(٤) ترجمته في الاستيعاب (١٦٨٣) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ ج السيرة (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) ، ودار الفكر (٤/ ٢٩١ ـ ٢٩٢) ، وأسد الغابة (٥/ ١٥٣) ، والإصابة (٤/ ٩٤) ، ونهاية الأرب (١٨/ ٢٣٥) .

(٥) أ ، ط : (أبو سلمة) وقد تقدم اسمه بالألف المقصورة ، وانظر مصادر الترجمة .

(٦) السنن الكبرى للنسائي (٩٩٩٥) .

(٧) ابن ماجه (٣٨٧٠) ، وإسناده ضعيف .

ومنهم أبو صَفيّة[١] مولى النبيّ ﷺ :

قال أبو القاسم البَغَويّ : ثنا أحمد بن المِقْدام ، ثنا مُعْتَمِرٌ ، ثنا أبو كعب ، عن جدِّه بقيّة عن أبي صفية ، مولى النبيّ ﷺ ، أنه كان يُوضَعُ له نِطْعٌ ويُجاءُ بزَبيلٍ فيه حَصًى ، فيُسَبِّحُ به إلى نصفِ النَّهارِ ، ثم يُرْفَعُ ، فإذا صلَّى الأولى سَبَّحَ حتى يُمْسي .

ومنهم أبو ضُمَيْرة[٢] مولى النبي ﷺ والد ضُمَيْرة المتقدم وزوج أم ضُمَيْرة :

وقد تقدم في ترجمة ابنه طرف من ذِكرهم وخبرهم في كتابهم .

وقال محمد بن سعد في الطبقات : أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أُوَيْس المدني ، حدّثني حسين بن عبد الله بن أبي ضُمَيْرة أن الكتابَ الذي كتبَهُ رسول الله ﷺ لأبي ضُمَيْرة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتابٌ من محمدٍ رسولِ الله لأبي ضُمَيْرة وأهل بيته ، إنَّهم كانوا أهلَ بيتٍ من العرب ، وكانوا ممن[٣] أفاءَ اللهُ على رسوله فأعْتَقَهُمْ . ثم خَيَّر أبا ضُمَيْرة إن أحبَّ أن يَلْحَقَ بقومِهِ فقد أذِنَ له ، وإن أَحَبَّ أن يمكُثَ مع رسول الله فيكونوا من أهل بيتِه ، فاختارَ الله ورسولَه ودخلَ في الإسلام ، فلا يَعْرِضْ لهم أحدٌ إلا بخيرٍ ، ومن لَقِيهُمْ من المسلمين فَلْيَسْتَوْصِ بهم خيراً ، وكتب أُبي بن كعب . قال إسماعيل بن أبي أُوَيْس : فهو مولى رسولِ الله ﷺ وهو أحد حِمْيرٍ . وخرج قومٌ منهم في سَفَرٍ ، ومعهم هذا الكتاب فعرض لهم اللصوص ، فأخذوا ما معهم ، فأَخرجوا هذا الكتاب إليهم وأعلموهم[٤] بما فيه ، فقرؤوه فَرَدُّوا عليهم ما أخذوا منهم ، ولم يَعْرِضوا لهم .

قال : ووفد حسين بن عبد الله بن أبي ضميرة إلى المهديّ أمير المؤمنين ، وجاء معه بكتابهم هذا ، فأخذَهُ المهدي فوضعَهُ على بَصَرِهِ ، وأعطى حُسَيْناً ثلاثَمئة دينار .

ومنهم أبو عُبَيْدٍ[٥] مولاه عليه الصلاة والسلام . قال الإمام أحمد[٦] : ثنا عفّان ، ثنا أبان العطار ، ثنا قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي عبيد ، أنّه طبخَ لرسولِ الله ﷺ قِدْراً فيها لحمٌ ، فقال رسول الله

---

(١) ترجمته في الاستيعاب (٤/ ١٦٩٣) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٢/ ٣٠١) ، وطبعة دار الفكر ـ (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) وأسد الغابة (٥/ ١٧٥) ، والإصابة (٤/ ١٠٩) .

(٢) ترجمته في الاستيعاب (٤/ ١٦٩٥) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة ـ (٢/ ٣٠٢) ، وطبعة دار الفكر (٤/ ٢٩٣) وأسد الغابة (٥/ ١٧٧) ، والإصابة (٤/ ١١١) .

(٣) أ : (مما) وما أثبته عن ط ، وهو الأشبه .

(٤) ط : (فأعلموهم) .

(٥) ترجمته في الاستيعاب (٤/ ١٧٠٩) ، وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ السيرة ـ (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) وطبعة دار الفكر ببيروت (٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) . وأسد الغابة (٥/ ٢٠٤) ، والإصابة (٤/ ١٣١) .

(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥) ، وهو حديث حسن ، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب .

ﷺ : « ناوِلْني ذِراعها » فناولتُه ، فقال : « ناوِلْني ذِراعَها » فناولته ، فقال : « ناولني ذراعها » فقلت : يا نبي الله كم للشاة من ذراع ؟ قال : « والّذي نَفْسي بيدِه لو سَكَتَّ لأعْطَيْتَني ذِراعَها ما دعوتُ به » . ورواه الترمذيّ في « الشمائل »[١] عن بُنْدار ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن أبانِ بن يزيد العطّار به .

ومنهم أبو عَسيبٍ ، ومنهم من يقول : أبو عَسيم[٢] . والصحيح الأول ، من النّاس منْ فرّقَ بينهما[٣] ، وقد تَقَدَّمَ أنّه شَهِدَ الصلاةَ على النبيّ ﷺ ، وحضرَ دَفْنَهُ ، وَرَوَى قِصَّةَ المُغيرةِ بن شُعْبة .

وقال الحارث بن أبي أُسامة[٤] : ثنا يزيدُ بن هارون ، ثنا مسلم بن عُبَيْد أبو نُصَيْرة قال : سمعتُ أبا عَسيبٍ مولى رسولِ الله ﷺ قال : إنَّ النبيَّ ﷺ قال : « أتاني جِبْريلُ بالحُمَّى والطاعون ، فأمْسَكْتُ الحُمَّى بالمدينةِ ، وأرسلتُ الطّاعونَ إلى الشام ، فالطّاعونُ شهادةٌ لأمّتي ، ورحمةٌ لهم ، ورِجْسٌ على الكافرِ » . وكذا رواه الإمام أحمد[٥] عن يزيد بن هارون .

وقال أبو عبد الله بن مَنْدَه : أنبأنا محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن إسحاق الصّاغاني ، ثنا يونس بن محمد ، ثنا حَشْرَج بن نُباتة ، حدّثني أبو نُصَيْرة البَصْري عن أبي عَسيبٍ مَوْلى رسولِ الله ﷺ قال : خَرَجَ رسولُ الله ﷺ ليلاً ، فمرَّ بي فَدَعاني [فخرجتُ إليه][٦] ثم مرَّ بأبي بكر فدعاهُ فخرجَ إليه ، ثم مرَّ بعُمر فدعاهُ فخرَجَ إليه ، ثم انطلقَ يَمْشي حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار ، فقال رسول الله لصاحب الحائط : « أطْعِمْنَا بُسْراً » فجاءَ به فَوَضَعهُ ، فأكلَ رسولُ الله وأكلوا جميعاً ، ثم دعا بماءٍ فشربَ منه ، ثم قال : « إن هذا النَّعيمُ ، لَتُسْألُنَّ يومَ القيامة عن هذا » فأخَذَ عمرُ العِذْقَ ، فضرب به الأرض حتّى تناثَرَ البُسْرُ ، ثم قال : يا نبيَّ الله إنا لَمَسْؤولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : « نعم إلا من ثلاثةٍ ؛ خِرْقَةٍ يَسْتُر بها الرجلُ عَوْرتهُ ، أو كِسْرةٍ يَسُدُّ بها جَوْعَتَهُ ، أو جُحْرٍ يدخُلُ فيه ـ يعني من الحرِّ والقَرِّ ـ » .

ورواه الإمام أحمد[٧] ، عن سُرَيْجٍ[٨] ، عن حَشْرَجٍ .

---

(١) الشمائل للترمذي (١٦٢) ، وهو حديث حسن .

(٢) ط : (ومنهم أبو عشيب ومنهم من يقول أبو عسيب) .

(٣) انظر الإصابة (٤/ ١٣٣) و(٤/ ١٣٤) .

(٤) زوائده (٢٥١) ، وهو حديث صحيح .

(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٨١) ، وهو حديث صحيح .

(٦) ليست في الأصول واستدركتها عن تاريخ دمشق ـ السيرة (٢/ ٣٠٤) مصدر المؤلف .

(٧) مسند الإمام أحمد (٥/ ٨١) ، وهو حديث حسن .

(٨) أ ، ط : (شريح) . وهو سريج بن النعمان بن مروان الجوهري اللؤلؤي أبو الحسين ، ويقال : أبو الحسن البغدادي روى عن حشرج بن نباتة . روى عنه أحمد بن حنبل وغيره رضي الله عنهم أجمعين توفي سنة (٢١٧) (تهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٧) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٩) .

وروى محمد بن سعد في « الطبقات »[(١)] ، عن موسى بن إسماعيل ، حدثتنا مسلمة بنت زبّان القُريعيّة[(٢)] قالت : سمعت مَيْمونة بنتَ أبي عَسيبٍ قالت : كان أبو عَسيبٍ يواصِل بينَ ثلاث في الصّيام ، وكان يُصَلِّي الضُّحى قائماً فعجز[(٣)] [فكان يصلي قاعداً] ، وكان يَصُومُ البِيضَ[(٤)] . قالتْ وكان في سَريره جُلْجُلٌ فيعجز صوتهُ حتى[(٥)] يناديها به ، فإذا حَرَّكَهُ جاءت .

ومنهم أبو كبشة الأنماري[(٦)] : من أنمار مذحج على المشهور ، مولى النبي ﷺ :

في اسمه أقوال ، أشهرها أنّ اسمه سُلَيْمٌ ، وقيل : عمرو بن سعد ، وقيل عكسُه . وأصله من مَوَلَّدي أرض دَوْسٍ ، وكان ممن شهدَ بدراً ، قاله موسى بن عقبة عن الزُّهْري . وذكره ابن إسحاق والبخاري والواقدي ومصعب الزبيري وأبو بكر بن أبي خيثمة . زاد الواقدي ، وشَهِدَ أُحُداً وما بعدها من المشاهد ، وتُوُفِّي يومَ اسْتُخْلِف عمرُ بن الخطاب ، وذلك في يوم الثّلاثاء لثمانٍ بقينَ من جُمادَى الآخِرة سنةَ ثلاثَ عَشْرةَ من الهِجْرة .

وقال خليفة بن خَيّاط[(٧)] . وفي سنةِ ثلاثٍ وعِشْرين تُوفِّي أبو كَبْشَةَ مولى رسول الله ﷺ .

وقد تقدَّم عن أبي كبشة أنَّ رسولَ الله ﷺ لما مرَّ[(٨)] في ذهابه إلى تَبوك بالحِجْر جَعل النّاسُ يَدْخُلون بيوتَهم ، فنُوديَ أنَّ الصّلاةَ جامعةٌ ، فاجتَمَعَ النّاسُ ، فقال رسول الله ﷺ : « ما يُدْخِلُكُم على هؤلاء القومِ الذين غَضِبَ اللهُ عليهم ؟ » فقال رجل : نَعْجَبُ منهم يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا أُنبِّئُكم بأعْجَبَ من ذلك ؟ رجلٌ من أنفسكم يُنَبِّئُكمْ بما كان قَبْلَكُم ، وما يكون[(٩)] بعدكم » . . . الحديث[(١٠)] .

وقال الإمام أحمد[(١١)] : حدَّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، عن معاوية بن صالح ، عن أزْهَر بن سعيد

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٦١) .
(٢) ط : (سلمة بنت أبان القريعية) وفي أ : (سلمة بنت أبان القريعية) وما أثبته عن تاريخ دمشق مصدر المؤلف . وانظر طبقات ابن سعد (٧/ ٦١) .
(٣) ط : (يعجز) واستدركت ما بين المعقوفتين عن تاريخ دمشق مصدر المؤلف .
(٤) ط : (أيام البيض) .
(٥) ط : (حين) .
(٦) ترجمته في الاستيعاب (٤/ ١٧٣٩) . وتاريخ دمشق ـ المجمع ـ جزء السيرة (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) ، وطبعة دار الفكر ببيروت (٤/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) وأسد الغابة (٥/ ٢٦١) ، والإصابة (٤/ ١٦٥) .
(٧) تاريخ خليفة (١/ ١٥٩) .
(٨) أ : (لما نزل) .
(٩) ط : (وما هو كائن) .
(١٠) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٣١) ، وهو حديث حسن .
(١١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٦٢) ، وهو حديث صحيح .

الحَرازي ، سمعت أبا كبشة الأنماري قال : كان رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه ، فدخل ، ثم خرج وقد اغتسل ، فقلنا : يا رسول الله ، قد كان شيء ؟ قال : « أجَلْ ، مَرَّتْ بي فلانة فوقَعَ في نفسي شهوةُ النّساءِ ، فأتَيْتُ بعضَ أزواجي فأصَبْتُها ، فكذلك فافعلوا ، فإنّه من أماثل أعمالِكُم إتيانُ الحلال » .

وقال أحمد[١] : حدَّثنا وكيع ، ثنا الأعمش ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن أبي كَبْشَة الأنْماري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ هذه الأمَّةِ مَثَلُ أربعة نَفَرٍ ، رجلٌ آتاهُ الله مالاً وعلماً ، فهو يعملُ به في ماله ، ويُنْفقُه في حقّه ، ورجلٌ آتاه اللهُ علماً ولم يُؤتِهِ مالاً ، فهو يقول : لو كان لي مثلُ مالِ هذا عَمِلْتُ فيه مثلَ الذي يعملُ » . قال رسول الله ﷺ : « فهما في الأجْر سَواء ، ورجلٌ آتاه اللهُ مالاً ولم يُؤتِهِ علماً فهو يَخْبِطُ فيه يُنْفِقُه في غير حَقِّه ، ورجلٌ لم يُؤْتِه اللهُ مالاً ولا علماً ، فهو يقول : لو كانَ لي مثلُ هذا عَمِلْتُ فيه مثلَ الذي يَعْمَلُ » قال رسول الله ﷺ: « فهما في الوِزْرِ سواءٌ » . وهكذا رواه ابن ماجه[٢] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وعلي بن محمد ، كلاهما عن وكيع . ورواه ابنُ ماجه أيضاً من وجهٍ آخر ، من حديث منصور ، عن سالم بن أبي الجُعْد ، عن ابن أبي كَبْشَة عن أبيه . وسَمّاه بعضُهم عبد الله بن أبي كَبْشَة .

وقال أحمد[٣] : حدَّثنا يزيد بن عبد رَبِّه ، ثنا محمد بن حرب ، ثنا الزُّبَيْدي ، عن راشد بن سعدٍ ، عن أبي عامر الهَوْزَني[٤] ، عن أبي كَبْشة الأنماري ، أنّه أتاه فقال أطْرِقْني[٥] منْ فَرسِك ، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « من أطْرَقَ مُسْلماً فعقَب له الفرسُ كان كأجْرِ سَبْعين [فرساً][٦] حُمِلَ عليه في سبيل الله عزَّ وجلَّ » .

وقد روى الترمذي[٧] : عن محمد بن إسماعيل ، عن أبي نُعَيم ، عن عبادة بن مسلم ، عن يونس بن خَبّاب ، عن سعيدٍ أبي البَخْتريّ الطائيّ ، حدّثني أبو كبشة أنه قال : ثلاثٌ أُقسمُ عليهن ، وأحدّثُكم حَديثاً فاحْفَظوه ، ما نَقَصَ مالُ عبدٍ [من] صدقة ، وما ظُلِمَ عَبْد بمَظْلَمَةٍ فَصَبَر عليها إلا زادَهُ الله بها عِزّاً ، ولا يَفْتَحُ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فَتح الله عليه بابَ فَقر . . . الحديث . وقال حسن صحيح . وقد رواه أحمد[٨] ، عن غُنْدَر ، عن شُعبة ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجَعْد عنه .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٣٠) ، وهو حديث صحيح .

(٢) ابن ماجه (٤٢٢٨) ، وهو حديث صحيح .

(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٣١) ، وإسناده صحيح .

(٤) ط : (الهورني) وأ : (الهوري) وانظر تهذيب الكمال (١٥/ ٤٨٥) .

(٥) أطرقني فحلك ، أي : أعرني فحلك ليضرب في إبلي (اللسان : طرق) .

(٦) الاستدراك عن المسند .

(٧) الترمذي (٢٣٢٥) ، وهو حديث صحيح .

(٨) أقول : رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٣١) عن عبد الله نمير عن عبادة بن مسلم به . وأما السند الذي ذكره المصنف ، فقد روى به الإمام أحمد (٤/ ٢٣٠) حديث « مثل هذه الأمة . . . » الذي مضى قبل حديث .

وروى أبو داود[١] وابن ماجه[٢] من حديث الوليد بن مسلم ، عن ابن ثَوْبان ، عن أبيه ، عن أبي كَبْشَة الأنماري ، أنّ رسول الله ﷺ كان يَحْتَجِمُ على هامَتِهِ وبين كَتفَيه . وروى الترمذي[٣] : ثنا حُمَيدُ بن مَسْعَدَةَ ، ثنا محمد بن حُمْران ، عن أبي سعيدٍ ، ـ وهو عبد الله بن بُسْرٍ ـ قال : سمعتُ أبا كَبْشة الأنماري يقول : كانَتْ كِمام[٤] أصْحاب رسول الله ﷺ بُطْحاً .

ومنهم أبو مُوَيْهِبة مولاه عليه الصلاة والسلام ، كان من مُوَلَّدي مُزَيْنَة ، اشتراه رسول الله فأَعْتَقَهُ ، ولا يُعْرَفُ اسمُه رضي الله عنه .

وقال مصعب[٥] الزُّبَيْري : شهدَ أبو مُوَيْهبة المُرَيْسيع ، وهو الذي كانَ يقودُ لعائشة رضي الله عنها بعيرَها .

وقد تقدَّم ما رواه الإمام أحمد بسنده[٦] عنه في ذهابه مع رسول الله ﷺ في الليل إلى البقيع ، فوقف عليه الصلاة والسلام ، فدعا لهم ، واستغفر لهم ، ثم قال : « لِيَهْنِكُم ما أنتُمْ فيه مما فيه الناس[٧] ، أتت الفتنُ كَقطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِم[٨] يركَبُ بعضُها بعضاً ، الآخِرَةُ أشدُّ من الأولى ، فَلْيَهْنِكُم [ما] أنتم فيه » ثم رَجَعَ فقال : « يا أبا مُوَيْهبَة إني خُيِّرْتُ مفاتيحَ ما يُفْتحُ على أُمَّتي من بعدي والجَنَّةَ أو لقاءَ ربّي ، فاخْتَرْتُ لِقاءَ رَبّي » قال فما لبث بعد ذلك إلا سبعاً ـ أو ثمانياً ـ حتى قُبِضَ .

فهؤلاء عبيده عليه السلام .

إماؤه[٩] عليه الصلاة والسلام

فمنهن أمة الله بنت رَزينة[١٠] . الصحيحُ أنّ الصُّحْبَة لأُمِّها رَزينة كما سيأتي ، ولكن وَقَعَ

---

(١) أبو داود (٣٨٥٩) . وإسناده حسن ، ابن ثوبان هو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسي صدوق حسن الحديث ، كما بيناه في التحرير (٢/ ٣٠٩) وأبوه ثقة .

(٢) ابن ماجه (٣٤٨٤) .

(٣) الترمذي (١٧٨٢) ، وإسناده ضعيف .

(٤) كانت كمام أصحاب رسول الله ﷺ بُطْحاً : والكمام جمع كُمّة ، وهي القلنسوة ، يعني أنها كانت منبطحة غير منتصبة ، أي لازقة بالرأس غير ذاهبة في الهواء (النهاية : بطح ـ كمم) .

(٥) ط : (أبو مصعب) . والخبر في تاريخ دمشق ـ دار الفكر (٤/ ٣٠١) ـ .

(٦) ط : (وبسنده) والواو زائدة ، وهو عند أحمد في المسند (٣/ ٤٨٨) وإسناده ضعيف .

(٧) ط : (بعض الناس) .

(٨) ليس اللفظ في أ .

(٩) أ : (وإماؤه ﷺ) .

(١٠) ترجمتها في تاريخ دمشق (٤/ ٣٠٥) ، وأسد الغابة (٧/ ٢٣) ، والإصابة (٤/ ٣٠٢) .

في(١) رواية ابن أبي عاصم حدَّثنا عقبة بن مُكْرَم ، ثنا محمد بن موسى ، حدَّثتنا عُلَيْلة بنت الكُمَيْت العَتَكية(٢) قالت : حدّثتني أُمّي(٣) عن أمةِ اللهِ خادم النبي ﷺ . أنَّ رسولَ اللهِ سَبَى صَفيَّةَ يومَ قُرَيْظَة والنضير ، فأَعْتَقَها وأمهرها رَزِينة أم أمةِ اللهِ .

وهذا حديث غريب جداً .

ومنهن أُمَيْمةُ . قال ابن الأثير(٤) : وهي مولاة رسول الله ﷺ . روى حديثَها أهلُ الشّام . روى عنها جُبَيْر بن نُفَيْر : أنها كانَتْ تُوَضّئُ رسولَ اللهِ ، فأتاه رجلٌ يوماً فقال له : أوْصِني ، فقال : « لا تُشْرِكْ بالله شيئاً ، وإن قُطِّعْتَ أو حُرِّقْتَ بالنار ، ولا تَدَعْ صلاةً مُتَعمِّداً ، فمنْ تَرَكَها مُتَعَمِّداً فَقَدْ بَرِئَتْ منه ذِمَّةُ الله وذِمّة رسوله ، ولا تَشْرَبَنَّ مُسْكراً(٥) فإنّه رأسُ كلِّ خطيئة . ولا تَعْصينَّ والدَيْكَ وإن أَمَراك أن تَخْتَلِي(٦) من أهْلِكَ ودُنْياك »(٧) .

ومنهن بَرَكَة(٨) أم أيْمَنَ وأم أُسامة بن زيد بن حارثة ، وهي بَرَكةُ بنت ثَعْلَبة بن عَمْرو بن حِصْن(٩) بن مالك بن سَلَمة بن عمرو بن النعمان الحَبَشيَّة ، غلبَ عليها كُنْيَتها أمُّ أيْمن ، وهو ابنُها من زوجها الأوّل عُبَيْد بن زيد الحَبَشي ، ثم تزوجها بعدَه زَيْدُ بن حارثة ، فولدَتْ له أسامةَ بن زَيْدٍ ، وتُعْرَفُ أيضاً بأم الظِّباء ، وقد هاجَرَت الهِجْرَتَيْن رضي الله عنها ، وهي حاضنَةُ رسولِ الله ﷺ مع أمّه آمنة بنت وهبٍ ، وقد كانَتْ ممَّن وَرِثَها رسولُ الله ﷺ من أبيه ، قاله الواقدي(١٠) : وقال غيره : بل ورثها من أمه ، وقيل : بل كانت لأخت خديجة فَوَهَبَتها من رسول الله ﷺ . وآمنت قديماً وهاجَرَتْ ، وتأخَّرتْ بعدَ النبيّ ﷺ .

وتقدَّم ما ذكرناه من زيارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إياها بعدَ وفاةِ النبيّ ﷺ وأنّها بَكَتْ ، فقالا لها : أما تَعْلَمين أنّ ما عندَ اللهِ خَيْرٌ لرسول الله ﷺ ؟ فقالت : بلى ، ولكن أبكي لأنَّ الوحيَ قَد انْقَطَعَ من السّماء ، فَجَعلا يَبْكيان معها .

---

(١) أ : (ولكن وقع في) وبعدها بياض بقدر ثلاث كلمات وبعده (روى ابن أبي عاصم) .
(٢) في أ : (العبلية) .
(٣) ط : (قالت حدّثني أبي عن أم أمة الله) .
(٤) أسد الغابة (٧/ ٢٦ ـ ٢٧) والإصابة (٤/ ٢٤٣) .
(٥) في أسد الغابة (خمراً) .
(٦) في أسد الغابة (تُجْلى) .
(٧) رواه الطبراني في « الكبير » (٢٤/ ١٩٠) وهو حديث حسن بشواهده .
(٨) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٧٩٣) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤/ ٣٠٢) وأسد الغابة (٧/ ٣٦) وتهذيب الكمال (٣٥/ ٣٢٩) ، والإصابة (٤/ ٤٣٢ ـ ٤٣٤) .
(٩) في بعض النسخ : « حُصين » وما هنا من الاستيعاب وأسد الغابة وتهذيب الكمال وغيرها .
(١٠) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٢٣) .

وقال البخاري في « التاريخ » : وقال عبد الله بن يوسف ، عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزُّهْري قال : كانت أمُّ أيمن تحضُنُ النبيَّ ﷺ حتى كَبر . فأعتقها ، ثم زوَّجَها زيدَ بنَ حارثة ، وتُوفِّيت بعدَ النبيِّ ﷺ بخمسة أشهرٍ .

وقيل : إنّها بقيَتْ بعدَ قَتْل عمر بن الخطّاب . وقد رواه مسلم[1] عن أبي الطاهر وحرملة ، كلاهما عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري قال : كانت أم أيمن الحبشية . . . فذكره .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي[2] : توفِّيَتْ أم أيمن في أول خلافة عثمان بن عفان .

قال الواقدي[3] : وأنبأنا يحيى بن سعيد بن دينار ، عن شيخ من بني سعد بن بكر ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول لأم أيمن « يا أمَّهْ » وكان إذا نظر إليها قال : « هذه بقيَّةُ أهل بيتي » .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : أخبرني سليمان بن أبي شيخ قال[4] : كان النبي ﷺ يقول : « أمُّ أيمن أمّي بعدَ أُمِّي » .

وقال الواقدي[5] عن أصحابه المدنيين قالوا : نَظَرَتْ أمُّ أيْمَنَ إلى النبيّ ﷺ وهو يشربُ ، فقالت : اسْقِني ، فقالت عائشة : أتقولين هذا لرسول الله ﷺ ؟! فقالت : ما خدمتُه أطولُ ، فقال رسول الله ﷺ : « صَدَقَتْ » فجاء بالماء فسقاها .

وقال المُفَضَّلُ بن غسّان : حدَّثنا وهبُ بن جرير ، ثنا أبي ، قال : سمعتُ عُثمان بن القاسم قال[6] : لمّا هاجَرَتْ أمُّ أيمن أمْسَتْ بالمُنْصَرَفِ دونَ الرَّوْحاء ، وهي صائمةٌ ، فأصابها عَطَشٌ شديدٌ حتى جهَدَها . قال : فدُلِّيَ عليها دَلْوٌ من السَّماءِ برشاءٍ أبيض فيه ماءٌ ، قالَتْ : فشربتُ فما أصابَني عَطَشٌ بَعْدُ ، وقد تعَرَّضْتُ لِلْعَطَش بالصَّوم في الهَواجِر فما عَطِشْتُ بَعْدُ .

وقال الحافظ أبو يعلى : ثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي ، ثنا سَلْم بن قُتَيْبة ، عن الحُسَيْن بن حُرَيث ، عن يَعْلى بن عَطاء ، عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن أم أيمن قالت[7] : كانَ لرسولِ الله ﷺ فَخّارة يبولُ فيها فكانَ إذا أصبحَ يقول : « يا أم أيمن صُبّي ما في الفَخّارة » فقمتُ ليلةً وأنا عَطْشَى [فَغَلِطت] فَشَرِبْتُ

(١) مسلم (١٧٧١) (٧٠) .
(٢) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٢٦) .
(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٢٣) .
(٤) تاريخ دمشق (٤/ ٣٠٤) ، والإصابة (٤/ ٤٣٢) .
(٥) مختصر ابن منظور لتاريخ دمشق (٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨) .
(٦) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٢٤) ومختصر تاريخ دمشق (٢/ ٣١٨) .
(٧) تاريخ دمشق (٤/ ٣٠٣) .

ما فيها ، فقال رسول الله : « يا أمَّ أيمن صُبِّي ما في الفَخّارة » . فقالت : يا رسولَ الله قُمْتُ وأنا عَطْشى فَشَرِبْتُ ما فيها . فقال : « إنّكِ لن تَشْتكي بَطْنَكِ بعدَ يَوْمِك هذا أبداً » .

قال ابن الأثير في الغابة[١] : وروى حجّاجُ بنُ محمدٍ ، عن ابن جُرَيْج ، عن حَكيمة بنت أُمَيْمَة عن أمها أُمَيْمَة بنت رُقَيْقَة[٢] قالت : كان للنبي ﷺ قَدَحٌ من عَيْدان[٣] فيبول فيه يضعه تحت السرير ، فجاءت امرأة اسمُها بَرَكة فَشَرِبَتْهُ ، فطلبه فلم يجده ، فقيل : شربَتْهُ بركةُ . فقال : « لقد احْتَظَرَتْ من النار بحِظار »[٤] قال الحافظ أبو الحسن بن الأثير : وقيل : إنّ التي شَرِبَتْ بَوْلَهُ عليه السلام إنّما هي بَرَكةُ الحَبَشيَّةُ التي قَدمَتْ مَعَ أم حَبيبة من الحَبَشَة ، وفرّق بينهما . فالله أعلم .

قلت : فأما بَريرَة[٥] فإنَّها كانَتْ لآلِ أبي أحْمد بن جَحْش ، فكاتَبوها فاشْتَرَتْها عائِشَةُ رضي الله عنها منهم ، فأَعْتَقَتْها ، فَثَبَتَ ولاؤُها لها ، كما ورد الحديث بذلك في الصحيحين[٦] ، ولم يَذْكُرْها ابنُ عَساكرٍ .

ومنهن خَضِرَةُ[٧] ذَكَرَها ابن مَنْدَه فقال : روى مُعاوية عن هشام ، عن سُفيان ، عن جَعْفر بن محمد ، عن أبيه قال : كان للنبيِّ ﷺ خادمٌ يُقالُ لها : خَضِرَةُ .

وقال محمد بن سعد[٨] ، عن الواقدي ، ثنا فائِدٌ مَوْلى عُبَيْد الله عن عُبَيْد الله[٩] بن علي بن أبي رافع ، عن جَدَّته سَلْمى ، قالت : كان خَدَمَ رسولَ اللهِ أنا وخَضِرةُ ورَضْوى ومَيْمونَة بنت سعد ، أعتَقَهُنَّ رسولُ الله ﷺ كلَّهن .

ومنهن خُلَيْسَة مولاة حَفْصَة بنت عمر ، قال ابن الأثير في الغابة : رَوَتْ حَديثَها عُلَيْلَة[١٠] بنتُ الكُمَيْت ، عن جَدَّتِها ، عن خُلَيْسَة مولاةِ حَفْصَة في قصَّة حَفْصة وعائشة مع سودة بنت زَمْعَة ، ومَزْحِهما

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٢٧ ـ ٢٨) .

(٢) ط : (رقية) وهو تحريف . انظر ترجمتها في تاريخ دمشق ـ تراجم النساء ـ طبعة مجمع اللغة العربية دمشق ـ ص(٥٢ ـ ٦٠) .

(٣) العَيْدان : جمع العيدانة وهي النخلة الطويلة المتجرّدة من السَّعَف ، والمراد : إناء من جذع نخلة مجوّف ليحفظ ما يجعل فيه .

(٤) لقد احتظرت بحظار من النار أراد : لقد احتمت بحمى عظيم من النار يقيها حرّها ويؤمنها دخولها (اللسان : حظر) .

(٥) لها ترجمة في طبقات ابن سعد (٨/ ٢٥٦ ـ ٢٦١) ، والاستيعاب (٤/ ١٧٩٥) وفيه (بُرَيْرَة) بالضم ، وأسد الغابة (٧/ ٣٧) ، والإصابة (٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٠٣) .

(٦) البخاري (٢٧٢٩) ومسلم (١٥٠٤) .

(٧) ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٨٧) والإصابة (٤/ ٢٨٥) .

(٨) تاريخ دمشق (٤/ ٣٠٤) .

(٩) أ ، ط : (مولى عبد الله عن عبد الله بن علي) وفيها تحريفان .

(١٠) في أسد الغابة (علية) وفي الإصابة (عليكة) .

معها بأن الدّجال قد خرج . فاختبأت في بيتٍ كانوا يوقِدون فيه ، واسْتَضْحَكَتا . وجاء رسول الله فقال : « ما شَأْنُكُما ؟ » فأَخْبَرَتاهُ بما كان من أمر سودة ، فذهب إليها فقالت : يا رسول الله أَخَرَجَ الدّجّال ؟ فقال : « لا ، وكأن قد خرج » فخرجت ، وجعلت تَنْفُضُ عنها بَيْضَ العَنْكَبوت .

وذكر ابن الأثير خليسة[١] مولاة سلمان الفارسي وقال : لها ذِكْرٌ في إسلام سلمان رضي الله عنه وإعْتاقها إياه ، وتَعْويضه عليه الصلاة والسلام ، لها بأن غَرَسَ لها ثلاثمئة فَسيلةٍ ، ذَكَرْتُها تَمْييزاً .

ومنهنَّ خَوْلَةُ[٢] خادِمُ النبيّ ﷺ ، كذا قال ابن الأثير .

وقد روى حديثَها الحافظُ أبو نُعَيْم من طريق حَفْص بن سَعيد القُرشيّ ، عن أُمِّه ، عن أُمِّها خولة ، وكانت خادم النبي ﷺ ، فذكر حديثاً في تأخُّرِ الوَحْي بسبب جَرْو كَلْب ماتَ تحتَ سَريره عليه الصلاة والسلام ، ولم يشعروا به ، فلما أخرجه جاء الوحي ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى : ١ ـ ٢] وهذا غريب ، والمشهور في سبب نزولها غير ذلك [والله أعلم] .

ومنهن رَزينة[٣] ، قال ابن عساكر : والصحيح أنّها كانَتْ لصَفِيَّة بنت حُيَي . وكانت تخدم النبي ﷺ .

قلت : وقد تقَدَّمَ في ترجمة ابنتها « أمَة الله » أنه عليه الصلاة والسلام أمهرَ صَفيَّةَ بنتَ حُيَيّ أُمَّها رَزينة ، فعلى هذا يكون أصلها له عليه الصلاة والسلام .

وقال الحافظ أبو يعلى : ثنا أبو سعيد الجُشمي ، حدّثتنا عُلَيْلَة بنتُ الكُمَيْتِ قالت : سمعتُ أمي أُمَيْنَةَ قالت : حدّثتني أمةُ الله بنتُ رَزينة (عن أمِّها رَزينة)[٤] مولاةِ رسول الله ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ سبى صَفيَّة يومَ قُرَيْظَةَ والنّضير حينَ فتحَ الله عليه ، فجاءَ بها يَقودها سَبِيَّةً ، فلمّا رأَت النّساءَ قالت : أشهدُ أنَّ لا إله إلا الله ، وأنَّكَ رسولُ الله . فأرْسَلها وكان ذراعُها في يَدِه ، فأعْتَقَها ، ثم خَطَبَها ، وتَزَوَّجَها ، وأمهرها رَزينة . هكذا وَقَعَ في هذا السّياق ، وهو أجودُ ممّا سَبَقَ من رواية ابن أبي عاصم ، ولكنَّ الحقَّ أنّه عليه الصلاة والسلام اصطفى صَفيَّةَ من غَنائمِ خَيْبَر ، وأنّه أعْتَقَها وجَعَل عِتْقَها صداقَها ، وما وقع في هذه الرواية يوم قُرَيْظة والنّضير تَخْبيطٌ ، فإنّهما يومان ، بَيْنَهُما سنتان والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في « الدلائل »[٥] : أخبرنا ابن عَبْدان ، أخبرنا أحمد بن عُبَيْد الصَّفّار ، ثنا عليّ بن الحسن السُّكَّري ، ثنا عُبَيْد الله بن عمر القَواريري ، حَدّثَتنا عُلَيْلَةُ بنتُ الكُمَيْت العَتكيّة ، عن

---

(١) ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٨٧) ، والإصابة (٤/ ٢٨٦) .
(٢) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٨٣٤) وأسد الغابة (٧/ ٩٤ ـ ٩٥) ، والإصابة (٤/ ٢٩٤) .
(٣) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٨٣٨) ، وأسد الغابة (٧/ ١١٠) ، والإصابة (٤/ ٣٠٢) .
(٤) ليس ما بين القوسين في ط .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٢٢٦) .

أُمها أُمَيْنَةَ ، قالت : قلت : لأمَة الله بنت رَزينة مولاة رسول الله : يا أمةَ اللهِ ، أسَمِعْتِ أُمَّكَ تذكرُ أنَّها سَمِعَتْ رسولَ اللهِ يَذْكُرُ صَوْمَ عاشوراء . قالت : نعم كان يُعَظِّمُه ويدعو برُضَعائِهِ ورُضعاءِ ابنتِه فاطمة فَيَتْفُلُ في أفْوَاهِهِم ويقول لأُمّهاتِهِم : « لا تُرْضِعيهم إلى اللّيْلِ » له شاهد في الصحيح .

ومنهن رَضْوَى[١] ، قال ابن الأثير : روى سَعيدُ بن بشير ، عن قَتادة ، عن رَضْوى بنت كعب . أنّها سَألَتْ رسولَ الله ﷺ عن الحائِضِ تَخْتَضِبُ[٢] ، فقال : « ما بذلك بأسٌ » رواه أبو موسى المديني .

ومنهن رَيْحانة بنتُ شَمْعون القُرَظيّة[٣] ، وقيل : النَّضريّة ، وقد تقدم ذِكْرُها بعد أزواجه رضي الله عنهن .

ومنهن زَرينة[٤] والصَّحيح رَزينة كما تقدم .

ومنهن سائِبَة[٥] مولاةُ رسول الله ﷺ . رَوَتْ عنه حديثاً في اللُّقَطَة ، وعنها طارق بن عبد الرحمن ، روى حديثها أبو موسى المديني . هكذا ذكر ابن الأثير في « الغابة » .

ومنهن سَديسَةُ الأنصارية[٦] ، وقيل مولاة حَفْصَة بنت عمر . رَوَتْ عن النبيِّ ﷺ قال : « إنَّ الشيطانَ لم يَلْقَ عُمَرَ منذ أسْلَم إلا خَرَّ لوجهه » قال ابن الأثير : رواه عبد الرحمن بن الفضل بن المُوَفَّق ، عن أبيه ، عن إسرائيل ، عن الأوزاعي ، عن سالم ، عن سديسة . ورواه إسحاق بن يَسار ، عن الفضل ، فقال : عن سَديسة عن حَفْصَة عن النبي ﷺ . . . فذكره . رواه أبو نُعَيْم وابن مَنْدَه .

ومنهن سَلامَة[٧] **حاضِنَةُ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ** ، رَوَتْ عنه حديثاً في فضل الحَمْلِ والطَّلْقِ والرَّضاع والسَّهر ، فيه غرابةٌ ونَكارَةٌ من جهة إسناده ومتنه ، رَواه أبو نُعَيْم ، وابن مَنْدَه ، من حديث هشام[٨] بن عَمّار بن نُصَيْر خَطيبِ دِمَشْق ، عن أبيه عن[٩] عَمْرو بن سَعيدٍ الخَوْلاني عن أنس عنها . ذكرها ابن الأثير .

ومنهن سلمى[١٠] وهي أم رافع امرأة أبي رافع ، كما رواه الواقدي[١١] عنها ، أنّها قالت : كنتُ أخدمُ

---

(١) ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ١٣٧) ، والإصابة (٤/ ٣٠٢) .
(٢) ط : (تخضب) . وفي الإصابة (تحيض) .
(٣) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٨٤٧) وأسد الغابة (٧/ ١٢١) ، والإصابة (٤/ ٣٠٩) .
(٤) أسد الغابة (٧/ ١٢٣) والإصابة (٤/ ٣١١) .
(٥) ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ١٣٧) والإصابة (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) .
(٦) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٨٦٠) وأسد الغابة (٧/ ١٣٩) والإصابة (٤/ ٣٢٦) .
(٧) ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ١٤٤) .
(٨) في أسد الغابة (هاشم) وهو تحريف . وانظر تهذيب التهذيب (١١/ ٥١ ـ ٥٤) .
(٩) ليست (عن) في ط .
(١٠) ترجمتها في الاستيعاب ، (٤/ ١٨٦٢) . وأسد الغابة (٧/ ١٤٨ ـ ١٤٩) ، والإصابة (٤/ ٣٣٣) .
(١١) تاريخ دمشق (٤/ ٣٠٤) .

رسول الله ﷺ أنا وخَضِرَةُ ورَضْوى وميمونة بنت سعد ، فأعتقنا رسول الله ﷺ كلّنا .

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا أبو عامر ، وأبو سعيد مولى بني هاشم ، ثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي ، عن فائد مولى ابن[٢] أبي رافع ، عن جَدَّته[٣] سَلْمى خادِمِ النبيّ ﷺ قالت : ما سمعتُ قَطّ أحداً يَشْكو إلى رسول الله ﷺ وَجَعاً في رأسه إلا قال « احْتَجِمْ » وفي[٤] رِجْلَيْه إلا قال : « اخْضِبْهُما بالحِنّاء » .

وهكذا رواه أبو داود ، من حديث ابن أبي الموالي ، والترمذيّ ، وابن ماجه[٥] ، من حديث زيد بن الحُباب ، كلاهما عن فائد ، عن مولاه عُبَيْد الله بن علي بن أبي رافع عن جدّتِهِ سَلْمى به .

وقال التّرمذي ، غريبٌ إنما نعرفه من حديث فائد .

وقَدْ رَوَتْ عدةَ أحاديث عن النبي ﷺ يطول ذكرها واستقصاؤها .

قال مصعب الزُّبيري : وقد شَهِدَتْ سَلْمَى وَقْعَةَ خيبر[٦] .

قلت : وقد وَرَدَ أنَّها كانَتْ تَطْبُخُ للنبي ﷺ الحَريرة فتُعْجِبُهُ . وقد تَأَخَّرتْ إلى بعد مَوْتِهِ عليه الصلاة والسلام . وشهدت وفاةَ فاطمة رضي الله عنها . وقد كانَتْ أولاً لِصَفيَّة بنت عبد المطلب عمته عليه الصلاة والسلام ، ثم صارت لرسول الله ﷺ ، وكانت قابلةَ أولادِ فاطمة ، وهي التي قَبِلَتْ إبراهيمَ ابنَ رسولِ الله ﷺ وقد شَهِدَتْ غُسْلَ فاطمةَ ، وغسَّلَتْها مع زوجهـا عليّ بن أبي طالب وأسماء بنت عُمَيْس امرأة الصديق .

وقد قال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا أبو النضر ، ثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عُبَيْد الله بن علي بن أبي رافع عن أبيه عن سلمى ، قالت : اشتكَتْ فاطِمَةُ ، عليها السلامُ ، شكواها التي قُبِضتْ فيها ، فكنتُ أُمَرِّضُها ، فأصْبَحْت يوماً كأمْثَلِ ما رأيتها في شَكْواها تلك[٨] قالت : وخرج عليٌّ لبعض حاجته، فقالت: يا أُمَّهْ اسكبي لي غُسْلاً، فسكبتُ لها غُسْلاً، فاغتسلت كأحْسَن ما رأيتها تَغْتَسِلُ،

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ٤٦٢) عن أبي سعيد وحده به ، ورواه عن أبي عامر عن عبد الرحمن بن أبي الموالي عن أيوب بن حسن بن علي بن أبي رافع عن سلمى به . قال بشار : وهو حديث ضعيف كما قال الإمام الترمذي ، وذلك لاضطرابه فقد اختلف في إسناده على عبد الرحمن بن أبي الموالي ، ولكن لأوله شواهد يقوى بها .

(٢) ليس اللفظ في أ .

(٣) في المسند : (عمته) .

(٤) في المسند : (ولا وجعاً في) .

(٥) رواه أبو داود رقم (٣٨٥٨) والترمذي (٢٠٥٤) وابن ماجه (٣٥٠٢) .

(٦) في الأصول : حنين .

(٧) مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٦١) .

(٨) أ ، ط : (فيه . . كمثل . . شكوها ذلك) وما أثبته عن المسند .

ثم قالت : يا أمه ، أَعْطِني ثيابي الجُدَد[١] فلبسَتْها ، ثم قالت : يا أمه قَدِّمي لي فراشي وَسْطَ البَيْت ، ففعلتُ ، واضطجعت ، فاستقبلَتِ القِبْلَةَ ، وجعلَتْ يَدَها تَحْتَ خدِّها . ثم قالت : يا أمه إنّي مَقْبوضة الآن ، وقد تَطَهَّرْتُ فلا يَكْشِفْني أحدٌ ، فقُبضتْ مكانَها . قالت : فجاء علي ، فأَخْبَرْتُه . وهو غريب جداً[٢] .

ومنهن سيرين[٣] ، ويقال : شيرين[٤] أخت مارية القبطية خالة إبراهيم عليه السلام ، وقد[٥] قدمنا أن المُقَوقِسَ صاحبَ إسْكَنْدَريَّةَ ، واسمُه جُرَيْج بن مينا ، أهداهما مع غُلامٍ اسمه مَأْبورٌ ، وبغلة يقال لها : الدُّلْدُل ، فوَهَبها رسولُ الله ﷺ لحسّان بن ثابت ، فولَدَتْ له ابنَه عبدَ الرحمن بن حَسّان .

ومنهن عُنْقُودَةُ أم صبيح[٦] الحبشية جارية عائشة ، كان اسمها عِنَبَة فسمّاها رسولُ الله ﷺ عُنقودة ، رواه أبو نُعَيْم ، ويقال : اسمها غُفَيْرة .

فروة ظِئْر النبي ﷺ[٧] ـ يعني مرضعه ـ قالت : قال لي رسول الله : « إذا أويتِ إلى فراشِكِ فاقْرَئي ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ فإنّها براءةٌ من الشِّرْكِ » ذكرها أبو أحمد العسكري ، قاله ابن الأثير في « الغابة » .

فأما فضة النُّوبية[٨] فقد ذكر ابن الأثير في « الغابة » : أنها كانت مولاة لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ثم أورد بإسنادٍ مظلم ، عن محبوب بن حُمَيْد البَصْري ، عن القاسم بن بَهْرام ، عن لَيْث ، عن مُجاهد ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] ثم ذكر ما مضمونه : أنّ الحسنَ والحسين مَرِضا فعادَهُما رسولُ الله ﷺ وعادَهُما عامةُ العَرَبِ ، فقالوا لعلي : لو نذرت ؟ فقال علي : إن برئا مما بهما صُمْتُ للهِ ثلاثةَ أيام ، وقالت فاطمة كذلك ، وقالت فضة كذلك . فألبسهما الله العافيةَ فصاموا . وذهبَ عليّ فاستقرض من شَمْعون الخيبري ثلاثة آصُعٍ من شَعير ، فهيَّئوا منه تلك الليلة صاعاً ، فلما وضعوه بين أيديهم للعشاء ، وقف على الباب سائِلٌ ، فقال : أطعموا المسكين ، أطعمكم الله على موائد الجنة ، فأمرهم عليّ فأعطَوه ذلك الطعام ، وطَوَوْا ، فلما كانت الليلة الثانية صَنَعُوا لهم الصاعَ الآخرَ ، فلما وضعوه بين أيديهم ، وقف سائل فقال : أطعموا اليتيم . فأعطَوْه ذلك وطَوَوْا . فلما

---

(١) بعدها في المسند (فأعطيتها) .
(٢) قال بشار : هذا الحديث ساقه ابن الجوزي في كتابه الموضوعات (٣/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) ولكن رد الحافظ ابن حجر عليه في القول المسدد (١٠٠ ـ ١٠١) ، وهو كما قال المؤلف : غريب جداً .
(٣) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٨٦٨) وأسد الغابة (٧/ ١٥٨ ـ ١٥٩) ، والإصابة (٤/ ٣٣٩) .
(٤) ط : (ومنهنّ شيرين . . ويقال سيرين) .
(٥) ط : (وقدمنا) .
(٦) ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٢١٠) : والإصابة (٤/ ٣٧١) ، وفي الأصول : أم مليح .
(٧) ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) ، والإصابة (٤/ ٣٨٨) .
(٨) ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٢٣٦) ، والإصابة (٤/ ٣٨٧) .

كانت الليلة الثالثة قال : أطعموا الأسيرَ فأعطوه وطَوَوْا ثلاثةَ أيام وثلاثَ ليالٍ . فأنزل الله في حَقِّهم : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ١ ـ ٩] . وهذا الحديث منكر ، ومن الأئمة من يجعله موضوعاً ، ويسند ذلك إلى رِكَّةِ ألفاظِهِ ، وأنّ هذه السورةَ مكيَّةٌ ، والحسنُ والحسينُ إنّما ولدا بالمدينة . والله أعلم .

ليلى مولاة عائشة[١] ، قالت : يا رسولَ الله إنك تخرجُ من الخلاء فأدْخُل في أثرِكَ فلا أرى[٢] شيئاً ، إلا أني أجدُ ريحَ المِسْكِ ؟ فقال : « إنّا مَعْشَرَ الأنْبياء تَنْبُتُ أجسادُنا على أرواحِ أهلِ الجنّة ، فما خرجَ منّا من نَتَنٍ ابتَلَعَتْهُ الأرْضُ » . رواه أبو نُعَيْم من حديث أبي عبد الله المدني ـ وهو أحد المجاهيل ـ عنها .

مارية القبطية[٣] أم إبراهيم : تقدّم ذِكْرُها مع أمهات المؤمنين . وقد فرَّقَ ابن الأثير بَيْنَها وبينَ مارية أم الرَّباب ، قال : وهي جاريةٌ للنبيّ[٤] ﷺ أيضاً . حديثُها عند أهل البصرة ، رواه عبد الله بن حبيب ، عن أم سليمان[٥] عن أمها ، عن جدتها مارية قالت : تَطَأطَأْتُ للنبيّ ﷺ حَتّى صَعِد حائطاً ليلةَ فَرَّ من المشركين . ثم قال : ومارية خادمُ النبيّ ﷺ . روى أبو بكر بن عيّاشٍ ، عن المثنى بن صالح ، عن جدَّتِهِ مارية ـ وكانت خادم النبي ﷺ ـ أنها قالت : ما مَسِسْتُ بيدي شَيْئاً قَطُّ ألينَ من كَفِّ رسول الله ﷺ . قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب[٦] : لا أدري أهي التي قبلها أم لا .

ومنهن مَيْمونَةُ[٧] بنت سعد ، قال الإمام أحمد[٨] : ثنا عليّ بن بحر[٩] ، ثنا عيسى ـ هو ابن يونس ـ قال ثور ـ هو ابن يزيد ـ عن زياد بن أبي سَوْدَة عن أخيه[١٠] أن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت : يا رسول أفتنا في بيتِ المَقْدِس ؟ قال : « أرضُ المَنْشَرِ والمَحْشَرِ ، ائتوه فَصَلُّوا فيه ، فإنَّ صلاةً فيه كَأَلْفِ صلاةٍ فيما سواه[١١] » قالت : أرأيتَ منْ لم يُطِقْ أن يَتحمَّل إليه أو يَأْتيه ؟ قال : « فَلْيَهْدِ إليه زَيْتاً يُسْرَجُ فيه ، فإنّه من أهدى له كان كَمَنْ صَلَّى فيه » .

---

(١) ترجمها في الاستيعاب (٤/ ١٩١٠) : وأسد الغابة (٧/ ٢٥٨) ، والإصابة (٤/ ٤٠٣) .
(٢) ط : (فلم أر) .
(٣) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٩١٢) ، وأسد الغابة (٧/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) والإصابة (٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) .
(٤) ط : (جارية النبي) .
(٥) ط : (سلمى) .
(٦) الاستيعاب (١٩١١) .
(٧) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٩١٨) ، وأسد الغابة (٧/ ٢٦٥) ، والإصابة (٤/ ٤١٣ ـ ٤١٤) .
(٨) مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٦٣) ، وإسناده ضعيف .
(٩) ط : (علي بن محمد بن محرز) . وانظر تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٢٥) .
(١٠) أ : (أخته) .
(١١) عبارة (فيما سواه) زيادة عن المسند وليست في الأصلين .

وهكذا رواه ابنُ ماجه[١] ، عن إسماعيل بن عبد الله الرَّقّي ، عن عيسى بن يونس ، عن ثور ، عن زياد ، عن أخيه عثمان بن أبي سودة ، عن ميمونة مولاة النبي ﷺ .

وقد رواه أبو داود (عن النُّفَيْلي عن مسْكين)[٢] بن بُكَيْر ، عن سعيد بن عبد العزيز[٣] عن زياد ، عن ميمونة ، لم يذكر أخاه ، فالله أعلم .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا حسين وأبو نُعَيْم ، قالا : ثنا إسرائيل ، عن زيد بن جبير ، عن أبي يزيد الضبي ، عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت : سُئل النبي ﷺ عن ولد الزنا قال : « لا خَيْرَ فيه ، نعلان أجاهِدُ بهما في سبيل الله أحبُّ إليَّ من أن أُعتق ولدَ الزنا » .

وهكذا رواه النّسائي[٥] عن عباس الدُّوري ، وابن ماجه[٦] من حديث أبي بكر بن أبي شيبة ، كلاهما عن أبي نُعيم الفَضْل بن دُكَيْن به ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا المحاربي ، ثنا موسى بن عُبَيْدة ، عن أيوب بن خالد ، عن ميمونة ـ وكانت تخدم النبي ﷺ ـ قالت : قال رسول الله : « الرّافِلَةُ[٧] في الزّينة في غَيْرِ أهْلها ، كالظُّلْمةِ يومَ القيامة لا نورَ لها » .

ورواه الترمذيّ[٨] من حديث موسى بن عُبَيْدة . وقال : لا نعرفه إلا من حديثه ، وهو يُضَعَّفُ[٩] في الحديث . وقد رواه بعضُهم عنه فلم يرفعه .

ومنهن ميمونة[١٠] بنت أبي عَنْبسة أو عُنْبَسَة[١١] ، (قاله أبو عُمَر وابن منده . قال أبو نُعَيْم : وهو تصحيف . والصواب ميمونة بنت أبي عَسيب)[١٢] ، كذلك روى حديثها المشجع[١٣] بن مصعب

---

(١) ابن ماجه (١٤٠٧) ، وإسناده ضعيف .

(٢) ط : (أبو داود عن الفضل بن مسكين) وما أثبته عن أ وانظر سنن أبي داود (٤٥٧) وإسناده ضعيف .

(٣) بعده في ط : (عد ثور) ولم يرد في أ ولا في السنن .

(٤) مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٦٣) ، وإسناده ضعيف .

(٥) في « الكبرى » (٤٩١٣) وإسناده ضعيف .

(٦) رقم (٢٥٣١) وإسناده ضعيف .

(٧) قال ابن الأثير في النهاية (رفل) معلقاً على هذا الحديث : (هي التي ترفل في ثوبها : أي تَتَبَخْتَر . والرِّفْل : الذَّيْل . ورَفَلَ إزارَه : إذا أسْبَلَه وتبختر فيه) .

(٨) رقم (١١٦٧) وإسناده ضعيف .

(٩) ط : (يضعفه) ، أ : (ضعيف) . وما أثبته عن الترمذي .

(١٠) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٩١٩) ، وأسد الغابة (٧/ ٢٦٦) ، والإصابة (٤/ ٤١٥) .

(١١) أ : (بنت أبي عنيسة) وط : (بنت أبي عسيبة أو عنبسة) وما أثبته عن مصادر ترجمتها .

(١٢) ليس ما بين القوسين في أ .

(١٣) أ : (السجع) ، وأسد الغابة (المسجع) وما في الإصابة مثل رواية ط : المثبتة فوق .

أبو عبد الله العبدي ، عن ربيعة بن يزيد ، كانت تنزلُ في بني قُرَيْع ، عن مُنَبِّه ، عن مَيْمونة بنت أبي عَسيب ، وقيل : بنت أبي عنبسة مولاة النبي ﷺ : أنَّ امرأةً من حريش[1] أتت النبي ﷺ فقالت[2] : يا عائشة أغيثيني بدعوةٍ من رسول الله تسكِّنيني بها وتُطمئِنيني بها . وأنه قال لها : ضعي يَدَكِ اليُمْنى على فُؤادِكِ فامْسَحيه ، وقولي : بسمِ اللهِ ، اللهم ، داوني بدوائِكَ ، واشْفني بشفائك ، وأَغْنِني بفَضْلِك عمَّنْ سِواك » قالت : ربيعة : فدعوتُ به فوَجَدْتُه جيِّداً[3] .

ومنهن أم ضُمَيْرة زوجُ أبي ضُمَيْرة[4] ، قد تقدم الكلام عليهم رضي الله عنهم .

ومنهن أمّ عيّاش[5] بعثها رسولُ الله ﷺ مع ابنته تخدمُها حينَ زوَّجها بعثمان بن عفان رضي الله عنهما . قال أبو القاسم البَغَوي : ثنا هدبة[6] ثنا عبد الواحد بن صفوان حدّثني أبي صفوان ، عن أبيه ، عن جدته أم عياش ـ وكانت خادم النبي ﷺ ـ بعثَ بها مع ابنته إلى عثمان ، قالت : كنت أمْغَثُ[7] لعثمان التَّمْرَ غدوةً ، فيشربُه عشيةً ، وأنبذُه عشية فيشربُه غُدوةً ، فسألني ذات يوم . فقال : تَخْلطين فيه شيئاً ؟ فقلتُ : أجَلْ ، قال : فلا تعودي .

فهؤلاء إماؤه رضي الله عنهن .

وقد قال الإمام أحمد[8] : ثنا وكيع ، ثنا القاسم بن الفضل ، حدّثني ثُمامة بن حَزْنٍ ، قال : سألت عائشة عن النَّبيذ فقالت : هذه خادم رسول الله فَسَلْها ، لجارية حَبَشيّة ، فقالت : كنتُ أنبذُ لرسولِ الله ﷺ في سقاءٍ عشاءً فأُوكيه[9] ، فإذا أصبحَ شربَ منه .

ورواه مسلم[10] ، والنسائي[11] من حديث القاسم بن الفضل به .

هكذا ذكره أصحاب الأطراف في مسند عائشة ، والأليق ذكره في مسند جارية حبشية كانت تخدم النبي ، وهي إما أن تكون واحدةً ممن قدمنا ذكرهن ، أو زائدة عليهن ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أ : (حبش) وأسد الغابة (حريش) وما أثبته عن ط ويوافق ما في الإصابة .
(٢) ط : (فنادت) وما أثبته عن أ ويوافق ما في المصادر .
(٣) وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٥/ ٣٩) وإسناده ضعيف .
(٤) ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٣٤٣) وقد تقدمت في ذكر زوجها أبي ضُمَيرة .
(٥) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٩٤٩) ، وأسد الغابة (٧/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) ، والإصابة (٤/ ٤٨١) .
(٦) ط : (عكرمة) وما أثبته عن ط . ويوافق ما في أسد الغابة والإصابة .
(٧) المغث : المرس والدلك بالأصابع (النهاية : مغث) .
(٨) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٣٧) .
(٩) أي أشدّ رأسها بالوكاء وهو الخيط لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شيء . (النهاية : وكا) .
(١٠) مسلم (٢٠٠٥) (٨٤) .
(١١) السنن الكبرى للنسائي (٦٨٤٨) .

فَصْل

وأمّا خُدّامُه ﷺ الذين خَدَموه من الصَّحابة من غَيْرِ مَواليه

فمنهم أنسُ بن مالكِ بن النَّضْر[١] بن ضَمْضَم بن زيدِ بن حَرام بن جُنْدُب بن عاصم بن غَنْم بن عَدّي بن النجّار الأنصاري النَّجّاري ، أبو حمزة المدني ، نزيل البصرة . خدم رسول الله ﷺ مُدَّة مُقامِه بالمدينة عشرَ سنين ، فما عاتبه على شيء أبداً ، ولا قال لشيءٍ فعلَه : لم فعلْتَهُ ، ولا لشيءٍ لم يَفْعَلْه : ألا فَعَلْتَه .

وأمُّه أمُّ سُلَيْم بنت مِلْحان بن خالد بن زيد بن حرام ، هي التي أعطته رسول الله ﷺ فقَبِلَهُ ، وسألَتْهُ أن يدعوَ له فقال[٢] : « اللهمَّ أكْثِرْ مالَه وولَدَه ، وأطل عُمْرَه ، وأدخله الجنة » .

قال أنس : فقد رأيتُ اثنتين وأنا انتظرُ الثالثةَ ، واللهِ إنّ مالي لكثيرٌ ، وإنَّ ولدي وولد ولدي ليُتَعادُّون على نحوٍ من مئة ، وفي رواية : وإنّ كَرْمي ليَحْمِلُ في السنة مرتين ، وإنْ ولدي لِصُلْبي مئة وستةُ أولاد .

وقد اختُلِفَ في شهوده بدراً ، وقد روى الأنصاريّ ، عن أبيه ، عن ثمامة قال : قيل لأنسٍ : أشَهِدْتَ بَدْراً ؟ فقال : وأينَ أغيبُ عن بدرٍ لا أُمَّ لك !؟ والمشهورُ أنّه لمْ يَشْهَدْ بدراً لصغرِه . ولم يشهدْ أُحُداً أيضاً لذلك . وشهدَ الحُدَيْبية وخَيْبَر ، وعُمْرَةَ القضاء ، والفتحَ وحُنَيْناً والطائفَ ، وما بعد ذلك .

قال أبو هريرة[٣] : ما رأيتُ أحداً أشْبَه صلاةً برسول الله ﷺ من ابن أم سُلَيْم - يعني أنَس بن مالك - . وقال ابن سيرين[٤] ، كانَ أحسنَ النّاسِ صلاةً في سفره وحضره .

وكانت وفاتُه بالبصرة ، وهو آخر منْ كان قد بقيَ فيها من الصحابة فيما قاله عليُّ بن المديني[٥] ، وذلك في سنة تسعين ، وقيل : إحدى ، وقيل : اثنتين ، وقيل : ثلاث وتسعين ، وهو الأشهر ، وعليه الأكثر . وأما عُمْرُه يومَ ماتَ ، فقد روى الإمام أحمد في « مسنده »[٦] : ثنا مُعْتَمِر بن سليمان ، عن

---

(١) ط : (فمنهم أنس بن مالك أنس بن مالك بن النضر . . إلخ) وترجمة أنس في الاستيعاب (١/ ١٠٩ - ١١١) وأسد الغابة (١/ ١٥١ - ١٥٢) ، وجامع الأصول (١٣/ ٣١ - ٣٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٧ - ١٢٨) ، ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٦٤ - ٧٦) ، وتهذيب الكمال (٣ / ٣٥٣ - ٣٧٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٥ - ٤٠٦) ، والوافي (٩/ ٤١١ - ٤١٦) ، والإصابة (١/ ٧١ - ٧٢) ، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٧٦ - ٣٧٩) .

(٢) أخرجه عبد بن حميد بتمامه ، صفحة (٣٧٥) وأخرجه مسلم رقم (٢٤٨١) دون « وأدخله الجنة » .

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠ - ٢١) ، وتاريخ دمشق (٩/ ٣٦٢) .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٤٢٩) ، وإسناده صحيح .

(٥) تاريخ دمشق (٩/ ٣٧٨) .

(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٢٤) ، وإسناده صحيح .

حُمَيْد : أنّ أنساً عُمِّر مئةَ سنةٍ غير سنةٍ ، وأقلّ ما قيل : ستٌّ وتسعون ، وأكثر ما قيل : مئة وسبع سنين ، وقيل : ست ، وقيل : مئة وثلاث سنين . فالله أعلم .

ومنهم رضي الله عنهم الأسْلَعُ بن شَريك بن عَوْف الأعْرَجي[١] .

قال محمد بن سعد[٢] : كان اسمه ميمونَ بن سِنْباذَ ، قال الربيعُ بن بَدْر الأعْرجي[٣] (عن أبيه ، عن جده ، عن الأسْلَع ، قال : كنتُ أخدمُ النبيَّ ﷺ وأرْحل له[٤] فقال ذات ليلة : « يا أسلع ، قُمْ فارْحَلْ » قال : أصابتني جَنابةٌ يا رسول الله ، قال : فسكتَ ساعةً ، وأتاه جبريل بآية الصَّعيد[٥] ، قال : فتمسَّحت وَصَلَّيْتُ ، فلما انتهيتُ إلى الماء قال : « يا أسلعُ قُمْ فاغْتَسل[٦] » فضربَ رسولُ الله يَدَيْهِ إلى الأرض ، ثم نَفَضهما ، ثم مَسَح بهما وَجْهَهُ ، ثم ضرب بيديه الأرْضَ ، ثم نَفضهُما ، فمَسَحَ بهما ذِراعَيْه ، باليُمْنَى على اليسرى ، وباليُسْرى على اليُمْنى ، ظاهرهما وباطنهما ، قال الربيع[٧] : وأراني أبي ، كما أراه أبوه ، كما أراه الأسلع ، كما أراه رسول الله ﷺ . قال الربيع : فحدَّثْتُ بهذا الحديث عَوْفَ بن أبي جميلة ، فقال هكذا واللهِ رأيتُ الحَسَنَ يَصْنَعُ . رواه ابن مَنْدَه والبَغَوي في كتابيهما « معجم الصحابة » من حديث الربيع بن بدر هذا ، قال البغوي : ولا أعلمه روى غيره . قال ابن عساكر[٨] : وقد روى ـ يعني هذا الحديث ـ الهيثَمُ بن رُزَيْق المالكي المُدْلِجي ، عن أبيه ، عن الأسلع بن شريك .

ومنهم رضي الله عنهم أسماء[٩] بن حارِثَة بن سعيد[١٠] بن عبد الله بن غياث[١١] بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى الأسلمي . وكان من أهل الصفة .

قاله محمد بن سعد[١٢] : وهو أخو هند بن حارثة وكانا يخدمان النبي ﷺ .

---

(١) ترجمة الأسلع في الاستيعاب (١/ ١٣٩) وأسد الغابة (١/ ٢١١) ، والإصابة (٤/ ٣٦) .
(٢) تاريخ دمشق (٤/ ٣١٣) .
(٣) تاريخ دمشق (٤/ ٣١٢) .
(٤) ط : (معه) .
(٥) بعده في ط (فقال قم يا أسلع فتيمم قال : فتيممت) .
(٦) بعده في ط : (قال فأراني التيمم) .
(٧) ط : (قال الجميع) .
(٨) تاريخ دمشق (٤/ ٣١٣) .
(٩) ترجمته في الاستيعاب (١/ ٨٦) ، وأسد الغابة (١/ ٢١٧ ـ ٢١٨) ، والإصابة (٤/ ٣٩) .
(١٠) ط : (سعد) وما أثبته عن أ والإصابة .
(١١) ط ، أ : (عباد) وما أثبته عن طبقات ابن سعد (٤/ ٣٢١) ، وانظر الإكمال (٦/ ١٣٥) .
(١٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٢٢) . وتاريخ دمشق (٤/ ٣١٥) .

قال الإمام أحمد[١] : ثنا عفان ، ثنا وُهَيْب ، ثنا عبد الرحمن بن حرملة ، عن يحيى بن هند بن حارثة ، وكان هند من أصحاب الحُدَيْبية ، وكان أخوه الذي بَعَثَه رسولُ الله ﷺ يأمر قومه بالصيام يومَ عاشوراء ، وهو أسماء بن حارثة : فحدّثني يَحْيى بن هِنْد ، عن أسماء بن حارثة : أنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَه فقال : « مُرْ قَوْمَكَ بصِيامِ هذا اليوم » . قال : أرأيتَ إنْ وَجَدْتُهُمْ قد طَعِمُوا ؟ قال : « فَلْيُتمّوا آخرَ يَوْمِهِم » . وقد رواه أحمد بن خالد الوَهْبي ، عن محمد بن إسحاق[٢] ، حدّثني عبد الله[٣] بن أبي بكر ، عن حبيب بن هند بن أسماء الأسلمي عن أبيه هند ، قال : بَعَثَني رسولُ الله ﷺ إلى قومٍ من أسْلَم فقال : « مُرْ قَوْمَكَ فَلْيَصوموا هذا اليومَ ، ومنْ وَجَدْتَ منهم أكَلَ في أوَّلِ يَوْمِه فَلْيَصُمْ آخِرَهُ » .

قال محمد بن سعد[٤] عن الواقدي : أخبرنا محمد بن نُعيم بن عبد الله المُجْمِر ، عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنتُ أظنُّ أنَّ هنداً وأسماء ابني حارثة إلاّ مَمْلُوكَيْن لرسول الله ﷺ . قال الواقدي : كانا يَخْدِمانه لا يَبْرحان بابَه هُما وأنس بن مالك . قال محمد بن سعد[٥] : وقد توفي أسماء بن حارثة في سنة ستٍّ وستّين بالبصرة عن ثمانين سنة .

ومنهم رضي الله عنهم بُكَيْر بن الشَّدّاخ اللَّيْثي[٦] .

ذكر ابن منده من طريق أبي بكر الهُذلي ، عن عبد الملك بن يَعْلَى اللَّيْثي : أنّ بُكَيْر بن شَدّاخ اللَّيثي كان يخدم النبيَّ ﷺ . فاحتلم ، فأعلم بذلك رسول الله ، وقال : إنّي كنتُ أدخلُ على أهلك وقد احْتَلَمْتُ الآنَ يا رسولَ الله ، فقال : « اللهمّ صَدِّقْ قَوْلَه ، وَلقّهِ الظَّفَر » فلما كان في زمانِ عمر قُتِل رَجُلٌ من اليهود ، فقام عمر خَطيباً فقال : أنْشُدُ الله رجلاً عندَه من ذلك علمٌ ؟ فقام بُكَيْر فقال : أنا قتلتُه يا أمير المؤمنين . فقال عمر : بُؤتَ بدمِه ، فأين المخرجُ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ رجلاً من الغُزاةِ اسْتَخْلَفَني على أهله ، فجئتُ فإذا هذا اليَهوديّ عند امرأتِه ، وهو يقول[٧] [من الوافر]

وأشعَثَ غَرَّهُ الإسْلامُ مِنّي ... خَلَوْتُ بِعِرسِهِ لَيْلَ التَّمامِ
أبيتُ عَلَى ترائِبِها ويُمْسي ... على قَوَدٍ[٨] الأعِنَّةِ والحِزَامِ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٤) ، وهو حديث صحيح بطرقه .
(٢) تاريخ دمشق (٤/ ٣١٤) .
(٣) أ : (محمد بن أبي بكر) وانظر تهذيب الكمال (١٤/ ٣٤٩) .
(٤) تاريخ دمشق (٤/ ٣١٥) .
(٥) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٢٢) .
(٦) جاءت هذه الترجمة في (أ) بعد ترجمة بلال بن رباح الحبشي . وترجمته في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢/ ٣٢٦) وأسد الغابة (١/ ٤١١) ، والإصابة (١/ ١٦٣ ـ ١٦٤) .
(٧) الأبيات في أسد الغابة ومختصر تاريخ دمشق .
(٨) أ : (فرد) ط : (جرد) وما أثبته عن المصدرين السابقين .

كأنَّ مَجَامع الرَّبَلاتِ[١] منْها   فِئَـامٌ يَنْهضـونَ إلـى فِئَـام

قال : فَصَدَّق عمرُ قولَه وأبطلَ دَمَ اليَهودي بدعاءِ رسولِ الله ﷺ لبُكير بما تقدم .

ومنهم رضي الله عنهم بلال بن رباح الحبشي[٢] .

ولد بمكّة، وكان مولًى لأُمية بن خلف، فاشتراه أبو بكرٍ منه[٣] بمالٍ جزيل لأنه[٤] كان أمية يعذّبه عذاباً شديداً ليرتدّ عن الإسلام ، فَيَأْبى إلا الإسلامَ رضي الله عنه ، فلما اشتراه أبو بكر أعْتَقَهُ ابتغاءَ وجهِ الله ، وهاجَرَ حين هاجَرَ الناسُ، وشَهِدَ بدراً وأُحداً وما بعدَهُما من المشاهد رضي الله عنه. وكان يعرف ببلال بن حَمامَة، وهي أمه، وكان من أفْصَح النّاسِ لا كما يعتقدُهُ بعضُ النّاس أن سينَه كانت شيناً (حتى إنّ بعض الناس يروون في ذلك حديثاً لا أصل له ، عن رسول الله ﷺ أن سين بلال عند الله شيناً)[٥] ، وهو أحدُ المؤَذِّنين الأربعة كما سيأتي، وهو أول من أذَّنَ كما قدمنا . وكان يلي أمرَ النَّفَقَةِ على العيال ، ومعه حاصل ما يكون من المال . ولما تُوفّي رسولُ الله ﷺ كان فيمن خَرَجَ إلى الشام للغزو ، ويُقال : إنه أقامَ يُؤَذِّنُ لأبي بكر أيامَ خِلافَتِهِ ، والأول أصح[٦] وأشهر . قال الواقدي[٧] : مات بدمشق سنةَ عشرين ، وله بضعٌ وستّون سنةً . وقال الفَلاّس : قبره بدمشق، ويقال: بداريا، وقيل: إنه مات بحلب ، والصحيحُ أنّ الذي ماتَ بحلب أخوه خالد . قال مكحول : حدّثني من رأى بلالاً[٨] قال: كان شديدَ الأُدمة، نَحيفاً أجنأ[٩]. له شَعْر كَثير، وكان لا يُغَيّرُ شَيْبَه رضي الله عنه .

ومنهم رضي الله عنهم حَبَّة وسَـواء ابنا خالد رضي الله عنهمـا .

قـال الإمام أحمد[١٠] : ثنا أبو معاوية ، قال : وثنا وكيعٌ ، ثنا الأعمش ، عن سَلاّم بن شرحبيل ، عن حَبَّة وسواءٍ ابني خالدٍ قالا : دَخَلْنا على النبيِّ ﷺ وهو يُصْلِحُ شيئاً فأعَنّاهُ ، فقال : « لا تَـيْأسا[١١] من

---

(١) الرَّبْلَة والرَّبَلَة وجمعها رَبَلات وهي أصول الأفخاذ (اللسان : ربل) .
(٢) ترجمته في الاستيعاب (١٧٨ ـ ١٨٢) ، وأسد الغابة (١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٣٦) ، ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٢٥٣ ـ ٢٦٧) ، وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٧ ـ ٣٦٠) ، والوافي بالوفيات (١٠/ ٢٧٦) ، والإصابة (١/ ٦٥) .
(٣) ليس اللفظ في أ .
(٤) ط : (لأن) .
(٥) ليس ما بين القوسين في ط .
(٦) ليس اللفظ في أ .
(٧) تاريخ دمشق (١٠/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧) .
(٨) ط : (بلال) خطأ .
(٩) الجنأ : ميلٌ في الظهر ، وقيل : في العنق (النهاية في غريب الحديث والأثر : جنأ) .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٦٩) ، وإسناده ضعيف .
(١١) ط : (ينسأ) .

الرِّزْقِ ما تَهَزْهَزَتْ رُؤُوسُكما ، فإنّ الإنسان تَلِدُهُ أمُّه أحمر[١] ليس عليه قشرة ، ثم يرزقه الله عزَّ وجلَّ » .

ومنهم رضي الله عنهم ذو[٢] مِخْمَر ، ويقال : ذو مِخْبَر[٣] ، وهو ابن أخي النجاشي مَلِك الحَبَشة ، ويقال : ابن أخته . والصحيح الأول . كان بعثه ليخدمَ رسول الله ﷺ نيابةً عنه .

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا أبو النَّضْر ، ثنا حَريز[٥] عن يزيد بن صُلَيْح عن ذي مِخْمَر ـ وكان رجلاً من الحبشة يخدم النبي ﷺ ـ قال : كنا معه في سَفَرٍ ، فأسرعَ السَّير حتى انصرف ، وكان يفعلُ ذلك لقلة الزاد . فقال له قائل : يا رسول الله ، قد انقطع الناسُ ، قال : فحبس[٦] وحبس الناسَ معه ، حتى تكاملوا إليه ، فقال لهم : « هل لكم أن نَهْجَعَ هَجْعَة ؟ » أو قال له قائل : فنزل ونزلوا ، فقال : منْ يَكْلؤنا الليلةَ ؟ فقلتُ : أنا ، جَعَلَني اللهُ فداءك ، فأعطاني خِطامَ ناقتِهِ ، فقال : « هاكَ لا تكونَنّ لُكَعاً » قال : فأخذتُ بخطام ناقةِ رسولِ الله ﷺ وخطامِ ناقتي ، فتَنَحَّيْتُ غيرَ بَعيد ، فَخَلَّيْتُ سبيلَهما تَرْعَيان . فإنّي في ذلك[٧] أنظرُ إلَيْهما إذ[٨] أخذني النومُ ، فلم أشْعُرْ بشيء حتّى وَجَدْتُ حَرّ الشَّمْس على وَجْهي ، فاستيقَظْتُ فنظرتُ يَميناً وشمالاً ، فإذا أنا بالراحلتين مني غيرَ بعيدٍ ، فأخذتُ بخطام ناقةِ رسولِ الله ﷺ وبخطامِ ناقتي ، فأتيتُ أدْنى القَوْمِ فأيْقَظْتُهُ ، فقُلْتُ : أصَلَّيْتَ ؟ قال : لا ، فأيْقَظَ النَّاسُ بعضهم بَعْضاً حتى استيقظَ رسولُ الله ﷺ فقال : « يا بلالُ هل في المِيضأة ماءٌ ؟ » يعني الإداوة ، فقال : نعم جعلني الله فِداك ، فأتاهُ بوَضوءٍ لم يُلَتَّ منه التّرابُ ، فأمر بلالاً فأذَّنَ ثم قام النبي ﷺ فصلَّى الركعتين قبلَ الصُّبح وهو غَيْرُ عَجِلٍ ، ثم أمره فأقامَ الصَّلاة ، فَصَلَّى وهو غيرُ عَجِلٍ ، فقال له قائل : يا رسولَ الله أفرَّطْنا ؟ . قال : « لا ، قَبض اللهُ أرواحَنا وَرَدَّها إلينا ، وقد صَلَّيْنا » .

ومنهم رضي الله عنهم ربيعة بن كعب الأسلمي[٩] أبو فراس .

قال الأوزاعي : حدّثني يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن ربيعة بن كعب ، قال : كنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ فآتيه بوَضوئه وحاجته ، فكان يقومُ من الليل فيقول : « سُبحانَ ربّي وبحمده (سبحان

(١) ط : (أحيمر) .
(٢) ليس اللفظ في أ .
(٣) ترجمته في الاستيعاب (١/ ٤٧٥) ، وأسد الغابة (٢/ ٢٢٢) ، والإصابة (١/ ٤٨٨) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٤/ ٩٠ ـ ٩١) ، وهو حديث حسن .
(٥) ط : (جرير) . وانظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٧٩) .
(٦) ط : (فجلس) .
(٧) ط : (كذلك) .
(٨) أ : (حتى) .
(٩) ترجمته في الاستيعاب (٤٩٤) ، وأسد الغابة (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) ، والإصابة (١/ ٥١١) .

ربي وبحمده)[١] ، سبحان رب العالمين (سبحان رب العالمين)[٢] . الهَوِي »[٣] فقال رسول الله ﷺ : « هَلْ لك حاجةٌ ؟ » قلت : يا رسول الله مُرافقَتُك في الجنة ، قال : « فأعِنّي على نفسك بكثرة السُّجود »[٤] .

وقال الإمام[٥] أحمد : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا أبي ، ثنا محمد بن إسحاق ، حدّثني محمد بن عمرو بن عطاء ، عن نُعَيم بن مُجْمِرٍ[٦] عن ربيعة بن كعب قال : كنتُ أخدمُ رسولَ الله ﷺ نهاري أجمع ، حتى يُصلِّي عشاء الآخرة ، فأجلس ببابه إذا دَخَلَ بيته أقول : لَعَلَّها أن تَحدُثَ لرسول الله ﷺ حاجةٌ ، فما أزال أسمع رسول الله ﷺ يقول : « سبحان الله[٧] ، سبحان الله وبحمده » حتى أملَّ فأرجعَ ، أو تَغْلِبني عَيْناي فأرْقُدَ ، قال[٨] : فقال لي يوماً ـ لما يرى من خِفَّتي[٩] له وخِدْمتي إياه ـ « يا ربيعةَ بنَ كَعْبٍ ، سَلْني أُعْطِكَ » . قال : فقلت : أنظُرُ في أمري يا رسول الله ثم أُعْلِمُكَ ذلك . قال : فَفَكَّرْتُ في نفسي ، فعرفتُ أنَّ الدُّنْيا منقطعةٌ وزائلةٌ ، وأنَّ لي فيها رزقاً سيكفيني ويأتيني ، قال : فقلت : أسألُ رسولَ الله ﷺ لآخرتي ، فإنّه من الله بالمَنْزِل الذي هو به . قال : فجئتُه فقال : « ما فَعَلْتَ يا رَبيعةُ ؟ » قال : فقلت : نعم ، يا رسول الله ، أسألكَ أن تشفَع لي إلى ربك فَيُعْتِقَني من النارِ . قال : « فقال : من أمَرَكَ بهذا يا ربيعةُ ؟ » قال : فقلت : لا والله الذي بَعَثَكَ بالحق ما أمرني به أحدٌ ، ولكنَّك لما قُلْتَ : سَلْني أُعْطِكَ ، وكنتَ منَ اللهِ بالمَنْزِل الذي أنتَ به ، نظرتُ في أمْري فَعَرَفْتُ أنّ الدُّنيا منقطعةٌ وزائلةٌ ، وأنَّ لي فيها رزقاً سيأتيني ، فقلت أسألُ رسولَ الله لآخرتي . قال : فَصَمَتَ رسولُ الله ﷺ طويلاً ، ثم قال لي : « إنّي فاعلٌ ، فأعنّي على نفسك بكثرة السجود » .

وقال الحافظ أبو يعلى[١٠] : حدثنا أبو خيثمة ، أنبأنا يزيد بن هارون ، ثنا مبارك بن فضالة ، ثنا

---

(١) ليس ما بين القوسين زيادة عن أ .

(٢) ليس ما بين القوسين زيادة عن أ .

(٣) الهَوِيُّ ـ بالفتح ـ الحين الطَّويل من الزمان ، وقيل : هو مختصٌّ بالليل (النهاية في غريب الحديث : هوا) .

(٤) رواه مسلم مختصراً من طريق الأوزاعي رقم (٤٨٩) (٢٢٦) .

(٥) مسند الإمام أحمد (٤/ ٥٩) ، وتاريخ دمشق (٤/ ٣١٩) ، وهو حديث حسن .

(٦) أ ، ط : (محمد) . وهو تحريف والتصويب من المسند . وهو نعيم بن عبد الله المُجْمر المدني الفقيه . مولى آل عمر بن الخطاب كان يبخِّرُ مسجد النبي ﷺ . عاش إلى قريب سنة عشرين ومئة . سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٧) ، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٦٥) .

(٧) عبارة (سبحان الله) زيادة عن أ .

(٨) زيادة عن أ .

(٩) أ ، ط : (من حقي) وما أثبته عن المسند وتاريخ دمشق .

(١٠) تاريخ دمشق (٤/ ٣٢٠) ورواه أحمد في المسند (٤/ ٥٨ و٥٩) من طريق المبارك بن فضالة به وإسناده ضعيف جداً ، وفي متنه نكارة .

أبو عِمران الجَوْني ، عن ربيعة الأسلمي ـ وكان يخدم النبيَّ ﷺ ـ قال : فقال لي ذات يوم : « يا ربيعةُ ألا تَزَوَّجُ ؟ » قال: قلت: يا رسول الله[١] ، ما أحبُّ أنْ يَشْغَلني عن خِدْمَتِكَ شيءٌ (قال : فَسَكَت . فلما كان بعدُ قال لي : يا ربيعة ألا تزَوَّجُ ؟ قلت : يا رسول الله ، ما أحبّ أن يشغلني عن خدمتك شيءٌ)[٢] ، وما عندي ما أعطي المرأة . قال: فقلت بعد ذلك : رسولُ الله أعلمُ بما عندي حتى[٣] يدعوني إلى التزويج، لئن دَعاني هذه المَرّةَ لأجيبَنَّه . قال: فقال لي : « يا ربيعة ألا تَزَوَّجُ ؟ » فقلت : يا رسول الله ، ومنْ يُزَوِّجُني؟ ما عندي ما أعطي المرأة، قال: فقال لي : انطلق إلى بني فلان فقل لهم : إن رسول الله يأمركم أن تزوِّجوني فتاتَكُمْ فُلانَةَ، قال: فأتيتُهم، فقلتُ: إنّ رسولَ الله أرْسَلَني إليكم لتزَوّجوني فَتاتَكم فُلانَةَ ، قالوا : فلانةُ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحباً برسول الله ومرحباً برسوله ، فَزَوَّجوني ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ : يا رسولَ الله ، أتيتُكَ من خَيْر أهْلِ بيتٍ ، صَدَّقوني وزَوَّجوني ، فمن أينَ لي ما أُعْطي صَداقي ؟ فقال رسول الله ﷺ لبُرَيْدَةَ الأسلمي : « اجْمَعوا لربيعةَ في صَداقه في وزنِ نَواةٍ من ذَهَبٍ » . فَجَمعوها فأعطوني فأتيتهم فقبلوها، فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله، قد قَبلوا ، فمن أينَ لي ما أُولِمُ ؟ قال : فقال رسول الله لبريدة : « اجمعوا لربيعة في ثَمَنِ كَبْشٍ » قال : فجمعوا . وقال لي : « انطلق إلى عائشة ، فقل لها فَلْتَدْفَع إليكَ ما عندها من الشَّعير » قال : فأتيتُها فدفعت إليَّ ، فانطلقت بالكَبْش والشَّعير . فقالوا: أما الشَّعيرُ فنحنُ نَكْفيكَ ، وأما الكبشُ فمُرْ أصحابَكَ فَلْيَذْبَحوه . وعملوا الشَّعير ، فأصبح والله عندنا خُبْزٌ ولَحْمٌ، ثم إنَّ رسولَ الله أقطع أبا بكر أرضاً له ، فاختلفنا في عِذْقٍ ، فقلتُ: هو في أرضي، وقال أبو بكر: هو في أرضي ، فتنازعنا . فقال لي أبو بكر كلمةً كَرِهْتُها ، فندم فأحضرني[٤] فقال لي : قُلْ لي كما قُلْتُ لك[٥] ، قال: فقلت: لا والله لا أقولُ لكَ كما قُلْتَ لي ، قال : إذاً آتي رسولَ الله . قال : فأتى رسولَ الله وتَبعتُه ، فجاءني قومي يَتْبَعونني ، فقالوا : هو الذي قال لك ، وهو يأتي رسول الله ﷺ فَيَشْكو ؟ قال : فالتفتُّ إليهم ، فقلتُ : أتدرونَ من هذا ؟ هذا الصِّدِّيقُ وذو شَيْبَةِ المسلمين ، ارجعوا لا يلتفتُ فيراكم فيظنّ أنكم إنما جئتُم لتُعينوني عليه فيغضب، فيأتي رسولَ الله فيخبره فيهلكَ رَبيعة . قال: فأتى رسولَ الله. فقال : إني قلتُ لربيعةَ كلمةً كرهها[٦] . فقلتُ له : يقولُ لي مثلَ ما قلتُ له فأبى ، فقال رسول الله ﷺ : « يا ربيعةُ مالك وللصِّدِّيق ؟ » قال : فقلت : يا رسولَ الله ، واللهِ لا أقولُ له كما قال لي ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تَقُلْ له كما قال لك ، ولكن قُلْ : غَفَرَ اللهُ لَكَ يا أبا بكر » .

---

(١) ليس لفظ الجلالة في ط .
(٢) ليس ما بين القوسين في ط .
(٣) أ ، ط : (مني) وما أثبته عن تاريخ دمشق .
(٤) أ : (فأخبرني) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) ط : (كرهتها) .

ومنهم رضي الله عنهم سعد[١] مولى أبي بكر رضي الله عنه ، ويقال : مولى النبي ﷺ .

قال أبو داود الطّيالسي[٢] : ثنا أبو عامرٍ عن الحسنِ ، عن سعد مولى أبي بكر الصديق : أنّ رسول الله قال لأبي بكر ـ وكان سعد مملوكاً لأبي بكر ، وكان رسول الله تُعْجِبُهُ خِدْمَتُه ـ « أَعْتِقْ سَعْداً » فقال : يا رسولَ اللهِ ، ما لنا خادمٌ هاهنا غيرُه ، فقال : « أعتق سعداً ، أتتك الرجال ، أتتك الرجال » . وهكذا رواهُ أحمد[٣] عن أبي داود الطيالسي .

وقال أبو داود الطيالسي[٤] : ثنا أبو عامر ، عن الحسن ، عن سعد ، قال : قَرَّبْتُ بين يَدَيْ رسول الله ﷺ تَمْراً ، فجعلوا يَقْرِنون[٥] ، فنهى رسول الله ﷺ عن القِران .

ورواه ابن ماجه[٦] عن بندار عن أبي داود به .

ومنهم رضي الله عنهم عبد الله بن رواحة[٧] . دخلَ يوم عمرة القضاءِ مكةَ وهو يقودُ بناقةِ رسول الله ﷺ وهو يقول[٨] : [من الرجز]

خَلُّوا بني الكُفَّارِ عَنْ سَبيلهِ ... اليَوْمَ[٩] نَضْرِبْكُمْ على تأويلهِ
كَما ضَربناكُم على تَنْزيلهِ ... ضَرْباً يُزيلُ الهَامَ عنْ مَقيلِهِ
ويُشغِلُ[١٠] الخليلَ عنْ خَليلهِ

كما قدمنا ذلك بطوله . وقد قتل عبد الله بن رواحة بعد هذا بأشهر في يوم مؤتة كما تقدم أيضاً .

ومنهم رضي الله عنهم (عبد الله بن مسعود[١١] بن غافل بن حبيب بن شَمْخ أبو عبد الرحمن الهُذلي ،

---

(١) ترجمته في الاستيعاب (٦١٢) ، وأسد الغابة (٢/ ٤٢٢) ، والإصابة (٢/ ٣٩ـ ٤٠) .
(٢) تاريخ دمشق (٤/ ٣٢١ـ ٣٢٢) .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ١٩٩) ، وإسناده ضعيف .
(٤) وأخرجه أحمد (١/ ١٩٩) عن الطيالسي به ، وإسناده ضعيف ، أقول : ولكن ثبت النهي عن القران في الصحيحين من حديث ابن عمر .
(٥) أي يقرنون بين التمرتين في الأكل ، وإنما نهى عنه ﷺ لأنّ فيه شرهاً ، وذلك يزري بصاحبه ، أو لأنَّ فيه غبناً برفيقه (النهاية : قرن) .
(٦) ابن ماجه (٣٣٣٢) ، وإسناده ضعيف ، لكن المتن صحيح .
(٧) ترجمته في الاستيعاب (٨٩٨) ، وتاريخ دمشق ، وأسد الغابة (٣/ ٢٣٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٠ ـ ٢٤٠) ، والإصابة (٦/ ٧٧) .
(٨) الأسطر في ديوان ابن رواحة : د . وليد قصاب (١٤٤) .
(٩) في الديوان (نحن) .
(١٠) في الديوان : (ويذهل) .
(١١) ترجمته في حلية الأولياء (١/ ١٢٤ ـ ١٣٩) ، والاستيعاب (٧/ ٢٠) ، وتاريخ بغداد (١/ ١٤٧ ـ ١٥٠) ، وأسد الغابة (٣/ ٣٨٤) ، والإصابة (٢/ ٣٦٨ ـ ٣٧٠) .

أحد)[١] أئمة الصحابة ، هاجر الهجرتين وشهد بدراً وما بعدها ، كان يَلي حَمْلَ نَعْلَي النبيّ ﷺ ، وَيَلي طهورَهُ ، ويرحِّلُ دابّتَه إذا أراد الركوب ، وكانت له اليدُ الطُّولى في تفسير كلام الله ، وله العلمُ الجمّ والفضلُ والحلمُ .

وفي الحديث[٢] أنَّ رسولَ الله قال لأصحابه ـ وقد جَعَلوا يعجبون من دِقَّةِ ساقَيْهِ ـ فقال : « والذي نَفْسي بيدِه لهما في الميزان أثقلُ من أُحُدٍ » .

وقال عمر بن الخطاب في ابن مسعود[٣] : هو كنيف[٤] مليء علماً .

وذكروا أنه نحيف الخَلْق ، حسن الخُلُقِ ، يقال : إنّه كان إذا مشى يُسامِتُ الجُلوس[٥] وكان يشبه النبي ﷺ في هَدْيه ودَلّه وسَمْته ، يعني أن يُشبَّه بالنبي ﷺ في حركاته وسَكَناته وكلامه ويَتشَبَّه بما استطاع من عبادته .

توفي رضي الله عنه في أيام عثمان [بن عفان] سنة اثنتين ـ أو ثلاث ـ وثلاثين بالمدينة عن ثلاث وستين سنة ، وقيل : إنه توفي بالكوفة ، والأول أصحُّ .

ومنهم رضي الله عنهم عُقْبَةُ بن عامر الجُهَني[٦] .

قال الإمام أحمد[٧] : ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا ابن جابر ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن عقبة بن عامر ، قال : بينما أنا[٨] أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب ، إذ قال لي « يا عقبة ألا تركب ؟ » قال : فأشْفَقْتُ أن تكونَ مَعْصيةً ، قال : فنزلَ رسولُ الله وركبتُ هُنَيْهةً ، ثم ركب ، ثم قال : يا عقبة[٩] ألا أُعَلِّمُكَ سورتَيْن من خَيْر سورتين قرأ بها الناسُ ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، فأقرأني ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾ ، و ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ . ثم أُقيمتِ الصَّلاةُ فَتَقَدَّمَ رسولُ الله ﷺ فقرأ بهما . ثم مرَّ بي ، فقال : « اقرأ بهما كُلَّما نِمْتَ وكُلَّما قُمْتَ » . وهكذا رواه النَّسائي[١٠] من حديث الوليد بن مسلم

---

(١) ليس ما بين القوسين في ط .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) ، وهو حديث صحيح لغيره ، وهذا إسناد حسن .
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٤) .
(٤) قال ابن الأثير معلقاً على قول عمر : (كُنَيْف : هو تصغير تعظيم للكِنْفِ وهو الوعاء (النهاية : كنف)) .
(٥) أ : (الخلق) وهو تحريف .
(٦) ترجمته في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) ، والاستيعاب (٣/ ١٠٧٣) ، وأسد الغابة (٤/ ٥٣) ، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٩) ، والإصابة (٣/ ٤٨٩) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٤٤) .
(٨) ليس اللفظ في ط .
(٩) ط : (يا عقب) .
(١٠) النسائي (٥٤٥٢) وفي « الكبرى » (٧٨٤٤) ، وهو حديث صحيح .

وعبد الله بن المبارك عن ابن جابر ، ورواه أبو داود[١] والنسائي[٢] أيضاً من حديث ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن العلاء بن الحارث ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن عقبة به .

ومنهم رضي الله عنهم ، قَيْس بن سَعْد بن عُبادة الأنصاري الخزرجي[٣] .

روى البخاري[٤] عن أنس قال : كان قيسُ بن سَعْدِ بن عُبادة من النبي ﷺ بمنزلةِ صاحب الشُّرَط من الأمير ، وقد كان قيس هذا رضي الله عنه من أطول الرجال ، وكان كَوْسجاً[٥] . ويقال : إن سَراويله كان يضَعُه على أنْفِه منْ يكون من أطول الرجال[٦] فَتَصِلُ رجلاه الأرضَ ، وقد بعثَ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سراويله إلى ملك الروم[٧] يقول له : هل عندكم رجلٌ تجيءُ[٨] هذه السّراويلُ[٩] على طوله . فعجب ملك[١٠] الرُّوم من ذلك .

وذكروا أنّه كان كريماً مُمَدَّحاً ذا رأي ودهاء . وكان مع علي بن أبي طالب أيّام صفّين .

وقال مِسْعَر ، عن مَعْبَد بن خالد : كان قيس بن سعد لا يزال رافعاً أَصْبُعَهُ المُسَبِّحَة يدعو ، رضي الله عنه وأرضاه .

وقال الواقدي وخليفة بن خياط وغيرهما[١١] : توفي بالمدينة في آخر أيام معاوية .

وقال الحافظ أبو بكر البزار[١٢] ثنا عمر بن الخطاب السجستاني ، ثنا علي بن يزيد الحنفي ، ثنا سعد بن الصلت ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس ، قال : كان عشرون شاباً من الأنصار يَلْزَمون رسول الله ﷺ لحَوائِجِهِ ، فإذا أراد أمراً بعثهم فيه .

---

(١) أبو داود (١٤٦٢) ، وهو حديث صحيح .
(٢) النسائي (٥٤٥١) ، وهو حديث صحيح .
(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٥٢) ، والاستيعاب (١٢٨٩) ، وتاريخ بغداد (١/ ١٧٧) ، وأسد الغابة (٤/ ٢١٥) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٦١) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢ ـ ١١٢) ، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٩٥) ، والإصابة (٣/ ٢٤٩) .
(٤) البخاري (٧١٥٥) .
(٥) الكوسج : الذي لا شعر على عارضَيْه (اللسان : كسج) .
(٦) ط : (الرجل) .
(٧) ط : (وقد بعث سراوله معاملة إلى ملك الروم) .
(٨) ط : (يجيء) .
(٩) أ : (سراويله) .
(١٠) ط : (فتعجب صاحب الروم) .
(١١) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٣) .
(١٢) (كشف الأستار : ١٤٤٥) وإسناده ضعيف .

ومنهم رضي الله عنهم المغيرة بن شعبة الثقفي[١] رضي الله عنه .

كان بمنزلةالسلحدار[٢] بين يدي رسول الله ﷺ ، كما كان رافعاً السيف في يده ، وهو واقفٌ على رأس النبيّ ﷺ في الخيمة يوم الحُدَيْبية ، فجعلَ كُلَّما أهْوى عَمُّه عروة بن مسعود الثقفي حينَ قدمَ في الرَّسيلةِ إلى لحية رسول الله ﷺ ـ على ما جَرَتِ به عادةُ العَرَبِ في مُخاطباتها ـ يقرعُ يدَه بقائِمَةِ السَّيف ، ويقول : أخِّرْ يَدَكَ عن لحية رسول الله ﷺ قبلَ أن لا تَصِلَ إلَيْكَ . . . الحديث كما قدمناه .

قال محمد بن سعد وغيره[٣] : شهد المشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وولاه مع أبي سفيان الإمرةَ حين ذَهَبا فَخَرَّبَا طاغوتَ أهلِ الطّائِفِ ، وهي المَدْعُوَّة بالربَّة ، وهي اللات ، وكان داهيةً من دُهاة العرب . قال الشعبي : سمعتُه يقول : ما غَلَبَني أحدٌ قطُّ . وقال الشعبي : سمعتُ قَبيصة بن جابر يقول : صَحِبْتُ المغيرةَ بن شُعْبَة ، فلو أنَّ مدينةً لها ثمانيةُ أبوابٍ لا يُخْرَجُ من بابٍ منها إلا بمَكْرٍ لخرج من أبوابها . وقال الشعبي[٤] : القُضاةُ أربعةٌ : عمر ، وعلي[٥] ، وابن مسعود ، وأبو موسى . والدهاة أربعة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة ، وزياد . وقال الزهريّ[٦] : الدُّهاة خَمْسةٌ ، معاوية وعمرو بن العاص[٧] والمغيرة ، واثنان مع عليٍّ وهما قيسُ بن سَعْدِ بن عُبادة ، وعبدُ الله بن بُدَيْل بن وَرْقاء .

وقال الإمام مالك[٨] : كان المغيرة بن شعبة رجلاً نَكّاحاً للنساء ، وكان يقول : صاحبُ الواحدةِ إن حاضَتْ حاضَ معها ، وإن مَرِضَتْ مَرِض معها ، وصاحب الثنتين بين نارين تَشْتَعِلان[٩] . قال : فكان يَنْكِحُ أربعاً جميعاً[١٠] ويُطَلِّقُهُنَّ جميعاً . وقال غيره[١١] تزوَّجَ ثمانينَ امرأةً ، وقيل : ثلاث مئة امرأة ،

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٤) و(٦/ ٢٠) ، والأغاني (١٦/ ٧٩ ـ ١٠١) ، وتاريخ بغداد (١/ ١٩١) ، والاستيعاب (١٤٤٥) وتاريخ دمشق (٦٠/ ١٣ ـ ٦٢) وأسد الغابة (٤/ ٤٠٦) ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢١ ـ ٣٢) والإصابة (٣/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣) .
(٢) السلحدار : حامل السلاح (الألفاظ الفارسية المعربة ٩٢) .
(٣) تاريخ دمشق (٦٠/ ١٥ ـ ١٦) .
(٤) تاريخ دمشق (٦٠/ ٤٩) وتهذيب الكمال (١٨/ ٩٧) .
(٥) أ ، ط : (أبو بكر وعمر) وهو خطأ صححته عن تاريخ دمشق .
(٦) تاريخ البخاري (٧/ ٣٠٦) .
(٧) ط : (وعمر) خطأ .
(٨) تاريخ دمشق (٦٠/ ٥٥) .
(٩) ط : (يشتعلان) .
(١٠) ليس اللفظ في ط .
(١١) الاستيعاب (١٤٤٦) .

وقيل : أحصن ألف[١] امرأة . وقد اختُلِفَ في وفاته على أقوالٍ ، أشهرها وأصحُّها ، وهو الذي حكى عليه الخطيبُ البغدادي[٢] الإجماع أنه توفي سنة خمسين .

ومنهم رضي الله عنهم المِقْداد بن الأسود أبو معبد الكندي[٣] . حليف بني زهرة .

قال الإمام أحمد[٤] : ثنا عَفّان ، ثنا حَمّاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن المِقْداد بن الأسْود قال : قدمت المدينة ، أنا وصاحبان لي[٥] ، فتعرَّضْنا للناس ، فلم يُضِفْنا أحدٌ ، فأتَيْنا إلى النبي ﷺ فذكرنا له ، فذهبَ بنا إلى منزله ، وعنده أربعُ أعْنُزٍ ، فقال : « احْلُبْهُنَّ يا مِقْدادُ ، وجَزِّئْهنَّ أربعةَ أجزاءٍ ، وأعْطِ كُلَّ إنْسانٍ جُزءاً » فكنتُ أفْعلُ ذلك ، فرفعتُ للنبيّ ﷺ ذات ليلة جُزْأَه[٦] ، فاحْتَبَس واضجعتُ على فراشي ، فقالت[٧] لي نفسي : إنّ النبيَّ ﷺ قد أتى أهلَ بيتٍ من الأنصار ، فلو قمتَ فشربتَ هذه الشربةَ ، فلم تَزَلْ بي[٨] حتى قمتُ فشربتُ جُزْأَهُ ، فلمَّا دَخَلَ في بَطْني وتقارّ[٩] أخَذَني ما قدُم وما حَدثَ ، فقلت : يجيءُ الآن النبيُّ ﷺ جائعاً ظمآنَ[١٠] ، فلا يرى في القدح شيئاً . فَسَجَّيْتُ ثوباً على وَجْهي . وجاء النبي ﷺ فسلّمَ تسليمة تُسْمِعُ اليَقْظان ، ولا تُوقظُ النّائِمَ ، فكشَفَ عنه فلم يَرَ شيئاً ، فرفعَ رأسَه إلى السَّماء فقال : « اللهم اسقِ من سَقَاني ، وأطْعِمْ من أطْعَمَني » فاغتنمتُ دعوتَه ، وقمت فأخذتُ الشَّفْرَة فدنوتُ إلى الأعنز ، فجعلت أجُسُّهُن أيتهن أسمن لأذْبَحها ، فوقعت يدي على ضَرْعِ إحداهن فإذا هي حافل[١١] ، ونظرتُ إلى الأخرى فإذا هي حافلٌ ، فنظرت فإذا هُنَّ كُلُّهن حُفَّلٌ ، فَحَلَبْتُ في الإناءِ فأتَيْتُهُ به ، فقلتُ : اشْرَبْ ، فقال : « ما الخبرُ يا مقداد ؟ » فقلتُ : اشرب ثُمَّ الخَبَر ، فقال : « بعض سَوْءاتِكَ يا مقداد » فشرب ثم قال : « اشرب » . فقلت : اشرب يا نبيَّ الله ، فشرب حتى تَضَلَّع[١٢] ثم أخذتُه فشربتُه ، ثم أخبرتُه الخبر . فقال النبي ﷺ « هِيهِ » كان كذا وكذا ، فقال النبي ﷺ : « هذه بَرَكَةٌ مُنْزَلَةٌ من

---

(١) ط : (بألف) .

(٢) تاريخ بغداد (١/ ١٩١) .

(٣) ترجمته في حلية الأولياء (١/ ١٧٢ ـ ١٧٦) ، والاستيعاب (١٤٨) وتاريخ دمشق (٦٠/ ١٤٣ ـ ١٨٣) وأسد الغابة (٥/ ٢٥١) ، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١١١ ـ ١١٢) ، والإصابة (٣/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٦/ ٤ ـ ٥) .

(٥) ليس اللفظ في ط .

(٦) ليست في الأصلين واستدركتها عن المسند .

(٧) ط : (فقال) .

(٨) زيادة عن أ ، وليست في ط .

(٩) ط : (معائي) وتقارّ بمعنى استقرّ (النهاية : قرر) .

(١٠) أ ، ط : (ظمآناً) وما أثبته للسياق .

(١١) حافل : كثيرة اللبن وجمعها حُفَّل (النهاية : حفل) .

(١٢) تضلَّع أي أكثر من الشرب حتى تمدّد جنبه وأضلاعه (النهاية : ضلع) .

السماء ، أفلا أَخْبَرْتَني حتى أَسْقِي صاحِبَيْكَ ؟ » فقلت : إذا شربتُ البركةَ أنا وأنت ، فلا أُبالي من أخطأَت . وقد رواه الإمام أحمد[(١)] أيضاً ، عن أبي النضر ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن المقداد . فذكر ما تقدم ، وفيه : أَنَّه حَلَبَ في الإناء الذي كانوا لا يطعمون[(٢)] أن يحلبوا فيه ، فحلب حتى علَتْهُ الرَّغْوةُ ، ولمّا جاء به قال له رسول الله ﷺ : « أما شَرِبْتُمْ شَرابكم الليلةَ يا مِقدادُ ؟ » فقلت: اشربْ يا رسولَ الله، (فشرب ثم ناولني، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب)[(٣)] ثم ناولني فأخذتُ ما بَقيَ ثم شربت . فلما عرفتُ أنّ رسول الله قد رَوِي فأصابتني دعوته ، ضحكتُ حتّى أُلْقيتُ إلى الأرْضِ ، فقال رسول الله : « إحدى سوءاتك يا مقداد » فقلت : يا رسول الله ، كان من أمري كذا ، صنعت كذا . فقال : « ما كانت هذه إلا رحمةَ الله ، ألا كنت أذَنْتني نُوقِظ صاحبَيْكَ هذين فيُصيبان منها[(٤)] ؟ » قال : قلت : والذي بَعَثَكَ بالحقّ ، ما أبالي إذا أَصَبْتَهَا وأصبتُها مَعَكَ منْ أصابَها من الناس . وقد رواه مسلم[(٥)] والترمذي[(٦)] والنسائي[(٧)] من حديث سليمان بن المغيرة به .

ومنهم رضي الله عنهم ، مهاجر[(٨)] مولى أم سلمة .

قال الطبراني[(٩)] : ثنا أبو الزِّنباع رَوْحُ بن الفَرَج ، ثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، حدّثني إبراهيم بن عبد الله ، سمعت بُكَيْراً يقول : سمعتُ مُهاجراً مولى أم سلمة قال : خدمت رسول الله ﷺ سنين ، فلم يقل لي لشيء صَنَعْتُه ، لمَ صَنَعْتَه ، ولا لشيءٍ تَرَكْتُهُ . لِمَ تَرَكْتَهُ . وفي رواية : خدمتُه عشرَ سنين أو خمس سنين[(١٠)] .

ومنهم رضي الله عنهم أبو السَّمْح[(١١)] .

قال أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي : ثنا مجاهد بن موسى ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣) .
(٢) ط : (لا يطيقون) .
(٣) ليس ما بين القوسين في ط ، واستدركته عن أ .
(٤) ط : (منهما) تحريف . لأن الضمير يعود إلى الرحمة .
(٥) مسلم (١٧٤ ، ٢٠٥٥) .
(٦) الترمذي (٢٧١٩) .
(٧) السنن الكبرى للنسائي (١٠١٥٥) .
(٨) ترجمته في الاستيعاب (١٤٥٤) ، والإصابة (٣/ ٤٦٦) .
(٩) المعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ٣٣٠) (٧٨٣) وتاريخ دمشق (٤/ ٣٢٣) ، وإسناده ضعيف .
(١٠) ط : (أو خمسة عشرة سنة) .
(١١) ترجمته في الاستيعاب (١٦٨٤) ، والإصابة (٤/ ٩٥) .

يحيى بن الوليد ، حدّثني مُحِلّ بن خليفة ، حدّثني أبو السَّمْح قال : كُنْتُ أَخْدُم رسول الله ﷺ ، قال : كان إذا أراد أن يَغْتسلَ قال : ناولني إداوتي[١] ، قال : فأناولُهُ وأستره[٢] ، فأُتيَ بحسنٍ أو حسينٍ فبال على صدره ، فجئتُ لأغسِلَه فقال : « يُغْسلُ من بولِ الجارية ، ويُرَشُّ من بول الغلام » وهكذا رواه أبو داود[٣] والنسائي[٤] وابن ماجه[٥] عن مجاهد بن موسى .

ومنهم رضي الله عنهم أَفْضَلُ الصَّحابة على الإطلاق أبو بكر رضي الله عنه ، تولَّى خِدْمَتَه بنفسه في سَفْرَةِ الهِجْرَة ، لا سيّما في الغار ، وبعد خروجهم منه ، حتَّى وصلوا إلى المدينة ، كما تقدم ذلك مَبْسوطاً ، ولله الحمد والمنة .

فصل

أما كُتّابُ الوَحْي وغَيْرِه بينَ يَدَيْه ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ، ورضي عنهم أجمعين

فمنهم الخلفاء الأربعة ، أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وسيأتي ترجمةُ كلِّ واحدٍ منهم في أيّامِ خِلافَتِه إن شاء اللهُ وبه الثقةُ .

ومنهم رضي الله عنهم أبان بن سَعيد[٦] بن العاص بن أُميَّة بن عَبْدِ شَمْس بن عَبْدِ مَناف بن قُصَيٍّ الأموي . (أسلم بعدَ أخَوَيْه خالد وعمرو ، وكان إسلامُه بعد الحُدَيْبية)[٧] ، لأنه هو الذي أجارَ[٨] عثمان حينَ بعثَه رسولُ الله ﷺ إلى أهل مكة يومَ الحُدَيْبية ، وقيل : خيبر ، لأنَّ له ذِكراً في « الصَّحيح »[٩] من حديث أبي هريرة في قِسْمَة غَنائِم خَيْبَر ، وكان سببُ إسلامه أنّه اجْتَمَعَ براهبٍ ، وهو في تجارةٍ بالشام ، فذكر له أمرَ رسولِ الله ﷺ ، فقال له الراهب : ما اسمه ؟ قال : محمد ، قال : فأنا أنعتُهُ لكَ ، فوصفَهُ

(١) ط : (أدواتي) تحريف .
(٢) ط : (وأستتره) .
(٣) أبو داود (٣٧٦) ، وهو حديث صحيح .
(٤) النسائي (٢٢٤) ، وهو حديث صحيح .
(٥) ابن ماجه (٥٢٦ ، ٦١٣) ، وهو حديث صحيح .
(٦) ترجمته في نسب قريش (١٧٤ ـ ١٧٥) ، والاستيعاب (١/ ٦٢) ، وأسد الغابة (١/ ٤٦ ـ ٤٨) ، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٦١) ، والإصابة (١/ ١٣ ـ ١٤) .
(٧) ليس ما بين القوسين في أ .
(٨) ط : (أجاز) تحريف .
(٩) صحيح البخاري (٤٢٣٨) .

بصفَتِه سواءً ، وقال : إذا رجعتَ إلى أهلك فأَقْرِئْهُ السلامَ . فأسلمَ بعدَ مَرْجِعِه ، وهو أخو عمرو بن سعيد الأشدق[١] الذي قتله عبد الملك بن مروان .

قال أبو بكر بن أبي شيبة : كانَ أولَ منْ كتبَ الوحيَ بينَ يَدَيْ رسولِ الله ﷺ أُبيُّ بن كَعْبٍ ، فإذا لم يَحْضُرْ كَتَبَ زَيْدُ بن ثابت ، وكَتَبَ له عثمانُ وخالدُ بن سَعيد وأبانُ بن سَعيد . هكذا قال ـ يعني بالمدينة ـ وإلا فالسُّوَرُ المكيَّة لم يكن أُبيُّ بن كَعْبٍ حالَ نُزولها ، وقد كَتَبَها الصَّحابةُ بمكة رضي الله عنهم .

وقد اختُلِفَ في وفاةِ أبانِ بن سعيد هذا ، فقال موسى بن عقبة ، ومصعب بن عبد الله ، والزبير بن بكار ، وأكثر أهل النسب : قُتل يومَ أجْنادين ، يعني في جُمادَى الأولى سنة اثنتي عشرة[٢] . وقال آخرون : قُتل يوم مرج الصفّر سنة أربعَ عشرةَ .

وقال محمد بن إسحاق : قتل هو وأخوه عمرو يومَ (اليرموك لخمسٍ مَضَيْنَ من رجب سنة خمس عشرة . وقيل : إنه تأخّر إلى أيام عثمان ، وأنّه أمره عثمان أن يُملي المصحف الإمام على زيد بن ثابت ، ثم تُوفّي سنة تسعٍ وعشرين . فالله أعلم) .

ومنهم رضي الله عنهم أُبيُّ بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي الأنصاري[٣] ، أبو المنذر ، ويقال : أبو الطفيل : سيِّدُ القُرّاء ، شهدَ العقبة الثانية وبَدْراً وما بعدها . وكان رَبْعَةً نَحيفاً أبيضَ الرَّأسِ واللِّحْيَة لا يُغَيِّر شَيْبَه .

قال أنس : جمع القرآن أربعة ـ يعني من الأنصار ـ أُبَيّ بن كعب ، ومُعاذُ بن جَبَل ، وزَيْدُ بن ثابت ، ورجلٌ من الأنصار ، يُقال له : أبو زيد[٤] أخرجاه[٥] .

وفي الصحيحين[٦] : عن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال لأُبيّ : « إن الله أمرني أنْ أقْرَأ عليكَ القُرآن » . قال : وسَمّاني لكَ يا رسولَ الله ؟ قال : « نعم » . قال : فَذَرَفَتْ عيناهُ . ومعنى : أنْ أقرأ عليكَ ؛ قراءةُ إبلاغٍ وإسماعٍ ، لا قراءةُ تعلُّمٍ منه ، هذا لا يَفْهَمُهُ أحدٌ من أهلِ العلم . وإنّما نَبَّهْنا على هذا لِئلا يُعْتَقَدَ خلافه .

---

(١) ليس الأشدق أخا أبان ، وإنما أخوه هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية . وقد أورد الذهبي أباناً وأخويه سعيداً وخالداً وقال : إنهم أعمام عمرو بن سعيد الأشدق (انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٢) .

(٢) في معجم البلدان : « أجنادين » : (سنة ثلاث عشرة) .

(٣) ترجمته في حلية الأولياء (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥٦) ، والاستيعاب (١/ ١٢٦) ، وتاريخ دمشق (٧/ ٣٠٨ ـ ٣٤٨) ، وأسد الغابة (١/ ٦١) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٠٨ ـ ١١٠) ، والإصابة (١/ ٢٦) .

(٤) ط : (يزيد) .

(٥) البخاري (٥٠٠٣) ، ومسلم (٢٤٦٥) .

(٦) البخاري (٤٩٥٩ ، ٤٩٦١) ، ومسلم (٧٩٩) (١٢١) .

وقد ذكرنا في موضع آخر سببَ هذه القراءة عليه ، وأنّه ﷺ قرأ عليه سورة : ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ [البينة : ١ ـ ٢] وذلك أنَّ أُبَيّ بن كعب كان قد أنْكَرَ على رجلٍ قراءة سورة على خلاف ما كان يقرأ أُبي ، فرفَعَهُ أُبيّ إلى رسول الله ، فقال : « اقرأ يا أُبيّ » فقرأ ، فقال : « هكذا أنزلت » ثم قال لذلك الرجل « اقرأ » فقرأ ، فقال : « هكذا أُنزلت » قال أبي : فأخذني من الشكّ ولا إذ كنتُ في الجاهليّة ، قال : فضربَ رسولُ الله في صدره ففِضْتُ[١] عرقاً ، وكأنّما أنظرُ إلى الله فَرَقاً ، فبعدَ ذلك تلا عليه رسول الله هذه السورةَ كالتثبيت له والبيان له أنَّ هذا القرآن حقٌّ وصدقٌ . وإنّه أُنزِل على أحرفٍ كثيرةٍ رحمةً ولطفاً بالعباد .

وقال ابن أبي خيثمة : هو أولُ منْ كتب الوحي بينَ يَدَيْ رسول الله ﷺ . (وقال محمد بن سعد[٢] : كان يكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ)[٣] وقد اختُلِفَ في وفاته . فقيل : في سنة تسعَ عشرةَ ، وقيل : سنة عشرين ، وقيل : ثلاثٍ وعشرين ، وقيل : قبل مَقْتَل عُثْمان بجُمعةٍ ، فالله أعلم .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، **أرْقَمُ بن أبي الأرقم**[٤] ، واسمه عبدُ منافٍ[٥] بن أَسَدِ بن جُنْدَب بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم المَخْزومي .

أسلم قديماً ، وهو الذي كان رسول الله ﷺ . مُسْتَخفياً في داره عند الصفا ، وتُعْرَفُ تلك الدارُ بعدَ ذلك بالخَيْزُران . وهاجرَ وشهد بَدْراً وما بعدها ، وقد آخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن أُنَيْس ، وهو الذي كتب أقطاعَ عُظَيْم بن الحارث المُحاربي بأمر رسول الله ﷺ بفَخٍّ وغيره ، وذلك فيما رواه الحافظ ابنُ عساكر[٦] من طريق عَتيقِ بن يَعْقوب الزُّبَيْري ، حدّثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، عن أبيه ، عن جده عن[٧] عمرو بن حزم . وقد تُوفّي في سنة ثلاثٍ ، وقيل : خَمْسٍ وخمسين . وله خَمْسٌ وثمانون[٨] سنة .

وقد روى الإمام أحمد له حديثين :

---

(١) ط : (فضضت) .
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٩٨) ، وتاريخ دمشق (٤/ ٣٢٤) .
(٣) ليس ما بين القوسين عن أ وحدها .
(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٢) ، والاستيعاب (١/ ١٣١) ، وأسد الغابة (١/ ٧٤) ، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠) ، والإصابة (١/ ٤٠) .
(٥) ليس اللفظ في ط .
(٦) تاريخ دمشق (٤/ ٣٢٥) .
(٧) ليس اللفظ في ط .
(٨) أ : (وثلاثون) .

الأول : قال أحمد[١] والحسن بن عرفة ـ واللفظ لأحمد : ثنا عَبّاد بن عَبّاد المُهَلّبي ، عن هشام بن زياد ، عن عمَّار بن سعد ، عن عثمان بن أرْقَم بن أبي الأرقم ، عن أبيه ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ أنّ رسول الله قال : « إن الذي يَتخطَّى رقابَ الناس يوم الجُمُعَة ويُفرِّقُ بينَ الاثنين بعدَ خُروج الإمام كالجارِّ قُصْبَه[٢] في النار » .

والثاني ، قال أحمد[٣] : ثنا عصام بن خالد ، ثنا العَطّاف بن خالد ، ثنا يحيى بن عمران ، عن عبد الله بن عثمان بن الأرقم ، عن جده الأرقم ، أنّه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : « أين تُريدُ ؟ » قال أردتُ يا رسولَ اللهِ هاهنا ، وأومأ بيده إلى حَيِّز بيتِ المَقْدِس ، قال : « ما يُخْرِجُكَ إليه أتِجارَةٌ ؟ » قال : لا ، ولكن أردتُ الصلاةَ فيه ، قال : « الصلاة هاهنا » ـ وأومأ بيده إلى مكة ـ « خيرٌ من ألف صلاة » وأومأ بيده إلى الشام . تفرد بهما أحمد .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، ثابتُ بن قَيْس بن شَمّاس الأنْصاري الخَزْرَجي[٤] ، أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو محمد المدني خطيب الأنصار ، ويقال له : خطيب النبي ﷺ .

قال محمد بن سعد[٥] : أخبرنا علي بن محمد المدائني بأسانيده عن شيوخه في وفود العرب على رسول الله ﷺ ، قالوا : قدم عبد الله بن عَلَس الثُّمالي ومُسْلية بن هِزَّان الحُدّاني[٦] على رسول الله في رهط من قومهما ، بعد فَتْح مكة ، فأسلموا وبايعوا على قومهم ، وكتب لهم كتاباً بما فُرضَ عليهم من الصدقة في أموالهم ، كَتَبه ثابتُ بن قيس بن شمّاس ، وشهد فيه سعدُ بن عبادة ، ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم . وهذا الرجل ممن ثبت في صحيح مسلم[٧] أن رسول الله ﷺ : بَشَّرَهُ بالجَنَّة .

وروى الترمذي في « جامعه »[٨] بإسنادٍ على شرط مسلم ، عن أبي هريرة أنّ رسول الله قال : « نِعْمَ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤١٧) ، وإسناده ضعيف .

(٢) القُصْبُ ـ بالضم ـ المِعَى (النهاية : قصب) .

(٣) هو من آخر مسند الأنصار الساقط من مطبوعة المسند ، وإسناده ضعيف ، وأورده المصنف في « جامع المسانيد » (١/ ١٩٦) وابن حجر في « أطراف المسند » (١/ ٢٣٢) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٠٦) والاستيعاب (٢/ ٧٢) ، وتاريخ دمشق ـ السيرة ـ طبعة المجمع (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢) وأسد الغابة (١/ ٢٧٥) ، وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٠٨ ـ ٣١٦) ، والإصابة (٢/ ١٤) .

(٥) طبقات ابن سعد (١/ ٣٥٣) .

(٦) ط : (قدم عبد الله بن عبس اليماني ومسلمة بن هاران الحدابي) وفي أ (عبد الله بن عبس الثمالي ومسيلمة بن ضرار الحراني) وكلاهما تحريف . وما أثبته عن طبقات ابن سعد الذي ينقل منه المصنف ، وتاريخ دمشق ـ السيرة ـ ط المجمع ـ (٢/ ٣٣٠) .

(٧) مسلم (١١٩) .

(٨) الترمذي (٣٧٩٥) .

الرجلُ أبو بكر ، نِعْمَ الرَّجُل عمرُ ، نِعْمَ الرجلُ أبو عُبَيْدة بن الجراح ، نِعْمَ الرجلُ أُسَيْد بن حُضَيْر ، نِعْمَ الرجلُ ثابتُ بنُ قَيْس بن شَمّاس ، [نعم الرجل معاذ بن جبل] نِعْمَ الرجلُ معاذُ بنُ عمرو بن الجَموح » .

وقد قُتِلَ رضي الله عنه شهيداً يومَ اليَمامة سنة اثنتي عشرة ، في أيام أبي بكر الصديق ، وله قصة سنوردها إن شاء الله إذا انتهينا إلى ذلك ، بحول الله وقوته وعونه ومعونته .

ومنهم رضي الله عنهم حَنْظَلة(١) بن الرَّبيع بن صَيْفي بن رَباح بن الحارث بن مُخاشِن بن مُعاوية بن شُرَيْف بن جِرْوة بن أُسَيِّد بن عمرو بن تميم التميمي الأُسَيِّدي الكاتب . وأخوه رَباحٌ صحابي أيضاً ، وعَمُّه أكثم بن صَيْفي كان حكيم العرب .

قال الواقدي(٢) : كتَبَ للنبيّ ﷺ كتاباً . وقال غيره : بعثه رسولُ الله ﷺ إلى أهل الطائف(٣) في الصلح ، وشهدَ مع خالد حروبَه بالعراق وغيرها ، وقد أدرك أيام عَليّ وتَخَلَّف عن القتال معه في الجَمَل وغيره ، ثم انتقل عن الكوفة لمّا شُتِمَ بها عثمانُ ، ومات بعد أيام عليّ .

وقد ذكر ابن الأثير في « الغابة »(٤) ، أنّ امرأتَه لما ماتَ جَزِعَتْ عليه ، فلامها جاراتُها في ذلك ، فقالت : [من السريع]

تَعَجَّبَتْ دَعْدُ لِمَخْزونَةٍ   تَبْكي علي ذي شَيْبَةٍ شَاحِب
إنْ تَسْأليني(٥) اليَوْمَ ما شَفَّني   أُخْبِرْكِ قَوْلاً لَيْسَ بالكَاذِبِ
إنَّ سَوَادَ العَيْن أوْدَى بِهِ   حُزْنٌ على حَنْظَلةَ الكَاتِبِ

قال أحمد بن عبد الله بن البرقي(٦) : كان مُعْتَزِلاً للفتنة حتى مات بعدَ عليّ ، جاء عنه حديثان .
قلت : بل ثلاثة .

قال الإمام أحمد(٧) : ثنا عبد الصمد وعفّان ، قالا : ثنا هَمّام ، ثنا قتادة ، عن حنظلة الكاتب ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ حافَظَ على الصلوات الخَمْس ركوعهن(٨) وسجودهن ووضوئهن

(١) ترجمته في تاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٣٢) .
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٥) .
(٣) ط : (الطوائف) تحريف .
(٤) أسد الغابة (٢/ ٦٥) .
(٥) ط : (تسألني) ولا يستقيم الوزن بها .
(٦) في أ ، ط : (الرقي) واستدرك الصحيح في هامش (أ) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٦٧) ، وهو حديث صحيح بشواهده .
(٨) ط : (بركوعهن) وأ : (وركوعهن) .

ومواقيتهن ، وعَلِمَ أنَّهن حقٌّ من عند الله ، دخل الجنة » أو قال : « وَجَبَتْ له الجنة »[١] تَفرَّد به أحمدُ ، وهو مُنْقَطِعٌ بين قتادةَ وحنظلةَ ، والله أعلم .

والحديث الثاني : رواه أحمد[٢] ومسلم[٣] والترمذي[٤] وابن ماجه[٥] من حديث سَعيد الجُرَيْري ، عن أبي عثمان النَّهْدي ، عن حنظلة : « لو تَدومون كما تكونون عندي لصافَحَتْكُم الملائكةُ في مجالسكم ، وفي طُرُقِكُمْ وعلى فُرُشِكُمْ ، ولكن ساعةً وساعةً » . وقد رواه أحمد والتّرمذي أيضاً من حديث عِمْران بن داور القطان ، عن قتادة ، عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن حنظلة[٦] .

والثالثُ رواه أحمد[٧] والنّسائي[٨] وابن ماجه[٩] من حديث سُفيان الثَّوري ، عن أبي الزّناد ، عن المُرَقَّع بن صَيْفي بن حَنْظَلة عن جدِّه في النَّهْي عَنْ قَتْلِ النساء في الحربِ . لكن رواه الإمام أحمد[١٠] ، عن عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيْج قال : أُخبرتُ عن أبي الزّناد عن مُرَقَّع بن صَيْفي بن رَباح بن رَبيع (عن جدّه رباح بن ربيع أخي حَنْظَلة الكاتب . . . فذكره . وكذلك رواه أحمد أيضاً عن حسين بن محمد ، وإبراهيم بن أبي العبّاس ، كلاهما عن ابن أبي الزناد عن أبيه[١١] .

وعن سعيد بن منصور وأبي عامرالعقدي كلاهما عن المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزّناد ، عن مُرَقَّع عن جده رباح . ومن طريق المغيرة رواه النّسائي[١٢] وابن ماجه[١٣] كذلك . وروى أبو داود[١٤] والنسائي[١٥] من حديث عمر بن مُرَقَّع ، عن أبيه ، عن جدّه رباح . . . فذكره . فالحديث عَنْ رَباحٍ لا عن حَنْظَلَة . ولذا قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان سُفْيان الثَّوري يُخْطِئ في هذا الحديث .

---

(١) ليس اللفظ في ط .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٤٦) .
(٣) مسلم (٢٧٥٠) .
(٤) الترمذي (٢٥١٤) .
(٥) ابن ماجه (٤٢٣٩) .
(٦) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٤٦) رقم (١٩٠٤٥) ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٧٨) .
(٨) السنن الكبرى للنسائي (٨٦٢٧) .
(٩) سنن ابن ماجه (٢٨٤٢) .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٨) و(٤/ ٣٤٦) .
(١١) في الأصول : عن المغيرة بن عبد الرحمن بن أبيه ، والتصحيح من المسند وأطرافه (٢/ ٢٢٨١) .
(١٢) السنن الكبرى للنسائي (٨٦٢٦) .
(١٣) ابن ماجه بعد رقم (٢٨٤٢) .
(١٤) أبو داود (٢٦٦٩) .
(١٥) السنن الكبرى للنسائي (٨٦٢٥) .

قلت : وصح قول ابن البرقي : إنه لم يرو سوى حديثين ، والله أعلم .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، خالدُ بن سَعيد بن العاص[١] بن أُميّة بن عَبْدِ شَمْس بن عبد مَناف ، أبو سعيد الأموي . أسلم قديماً يقال[٢] بعد الصّدّيق بثلاثة أو أربعة ، وأكثر ما قيل خمسة . وذكروا أنّ سببَ إسلامه أنه رأى في النوم كأنّه واقفٌ[٣] على شفير جَهَنّم ، فذكر من سَعَتها ما اللهُ به عليمٌ . قال : وكأنَّ أباه يَدْفَعُه فيها ، وكأنّ رسولَ الله ﷺ آخذٌ بيده ليمنعه من الوقوع فيها[٤] ، فَقَصَّ هذه الرؤيا على أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ، فقال له : لقد أُريدَ بكَ خيرٌ ، هذا رسولُ الله فاتّبِعهْ تَنْجُ مما خِفْتَه . فجاء رسولَ الله ﷺ فأسلم ، فلما بلغَ أباه إسلامُه غضبَ عليه ، وضربَه بعصاةٍ في يَدِه حتى كَسَرها على رأسه ، وأخْرَجَهُ من منزله ، ومنعه القوتَ ، ونهى بقيةَ إخْوَتِهِ أن يُكَلّموه ، فلزم خالدٌ رسولَ الله ﷺ ليلاً ونهـاراً ، ثم أسـلم أخوه عمْرو ، فلما هاجَرَ الناسُ إلى أرض الحَبَشة هاجر[٥] معهم ، ثم كان هو الذي وَلِيَ العقد في تَزْويج أم حبيبة من رسول الله ﷺ كما قدمنا . ثم هاجرا من أرض الحبشة صُحبةَ جَعْفَر ، فقدما على رسول الله ﷺ بخيبر وقد افتتحها ، فأسهم لهما عن مَشورة المسلمين ، وجاء أخوهما أبان بن سعيد فشهد فتح خيبر كما قدمنا ، ثم كان رسول الله ﷺ يولِّيهم الأعمال . فلما كانت خلافَةُ الصِّديق خَرَجوا إلى الشام للغزو ، فقُتل خالد بأجنادين ، ويقال : بمَرْج الصُّفَّر . والله أعلم .

قال عتيق بن يعقوب[٦] ، حدّثني عبد الملك بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن جده ، عن عَمْرو بن حَزْم ، يعني أنَّ خالد بن سعيد كَتَب عن رسول الله ﷺ كتاباً :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أَعْطَى محمدٌ رسولُ الله راشدَ بن عبدِ ربِّ السُّلَمي[٧] أعطاه غَلْوَتَيْن[٨] وغَلْوةً بحَجَرٍ برُهاطٍ[٩] ، فمن حاقَّه[١٠] فلا حَقَّ له ، وحقُّه حَقٌّ . وكتب خالد بن سعيد » .

---

(١) ترجمته في نسب قريش (١٧٤ ـ ١٧٥) والاستيعاب (٤٢) وتاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع (٢/ ٣٣٣) وأسد الغابة (٢/ ٩٧) والإصابة (١/ ٤٠) وبدران (٥/ ٤٨ ـ ٥٥) .

(٢) ليس اللفظ في ط .

(٣) ط : (واقفاً) خطأ .

(٤) زيادة عن أ .

(٥) ط : (هاجر) .

(٦) تاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق ـ (٢/ ٩٣٣) .

(٧) أ : (السلامي) وهو تحريف انظر الإصابة (٢/ ٤٣٤) .

(٨) ط : (علوتين وعلوة) وهما تحريف . والغَلْوة مقدار رمية بسهم (اللسان : غلو) .

(٩) رُهاط : موضع على ثلاث ليال من مكة (معجم البلدان : رهاط) .

(١٠) أ ، ط : (خافه) تحريف .

وقال محمد بن سعد[١] عن الواقدي : حدّثني جعفر بن محمد بن خالد ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، قال : أقام خالد بن سعيد بعد أن قَدِمَ من أرض الحبشة بالمدينة ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ وهو الذي كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف، وسعى في الصّلح بينهم وبين رسول الله ﷺ .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، خالد بن الوليد[٢] [بن المغيرة] بن عبد الله بن عمرو[٣] بن مخزوم أبو سليمان[٤] المخزومي ، وهو أمير الجيوش المنصورة الإسلامية ، والعساكر المحمدية ، والمواقف المشهودة ، والأيّام المحمودة . ذو الرأي السَّديد ، والطريق الحميد ، أبو سليمان خالد بن الوليد ، رضي الله عنه، ويقال : إنه لم يكن في جيش فكُسِر ، لا في جاهلية ولا إسلام . قال الزبير بن بكار : كانت إليه في قريشٍ القبةُ وأعِنَّةُ الخَيْل . أسلم هو وعَمرو بن العاص ، وعثمان [بن طلحة] بن أبي طلحة بعد الحديبية ، وقيل : خيبر ، ولم يزل رسول الله ﷺ يَبْعثه فيما يبعثه أميراً . ثم كان المُقَدَّم على العساكر كلها في أيام الصدِّيق ، فلما ولي عمرُ بن الخطّاب عَزَلَه وولّى أبا عُبَيْدة أمينَ الأُمة ، على أن لا يَخْرُجَ عن رأي أبي سليمان . ثم مات خالد في أيام عمر ، وذلك في سنة إحدى وعشرين ، وقيل : اثنتين وعشرين - والأول أصح - بقريةٍ على ميلٍ من حمص .

قال الواقدي[٥] : سألت عنها فقيل لي دَثَرَت . وقال دحيم : مات بالمدينة . والأول أصح . وقد روى أحاديث كثيرة يطول ذكرها .

قال عتيق بن يعقوب[٦] : حدّثني عبد الملك بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن جده ، عن عَمْرو بن حَزْم : أنَّ هذه قطائع أقطَعَها رسولُ الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المؤمنين أن عِضَاه وَجٍّ لا يُعْضَدُ ، وصَيْدُهُ لا يُقْتَلُ[٧] ، فمنْ وُجِدَ يفعلُ من ذلك شيئاً ، فإنه يُجْلَدُ وتُنْزَع[٨] ثيابه ، وإن

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٦ .

(٢) ترجمته في نسب قريش (٣٢٠ - ٣٢٢) ، والاستيعاب (٤٢٧) ، وتاريخ دمشق - السيرة - مجمع - (٢/ ٢٣٤) وأسد الغابة (٢/ ١٠٩) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٧٢ - ١٧٤) ، والإصابة (١/ ٤١٣ - ٤١٥) .

(٣) ط : (عمر) تحريف .

(٤) ط : (أبو سلمان) وهو تحريف .

(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩٧) .

(٦) تاريخ دمشق - السيرة - طبعة المجمع (٢/ ٣٣٤) .

(٧) ط ، أ : (أن صيدوح وصيده لا يعضد صيده ولا يقتل) وما أثبته عن ابن عساكر ووج هي الطائف وقيل : واد بالطائف (معجم البلدان : وج) والعضاه شوك عظيم له شوك (النهاية : عضه) .

(٨) ط : (ينزع) .

تَعَدَّى ذلك أحدٌ فإنّه يُؤْخَذُ فيُبْلَغُ به النبي ﷺ ، وإن هذا من مُحمّد النبي ، وكتب خالد بن الوليد بأمر رسول الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمره به محمد .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، الزُّبَيْر بن العَوّام[١] بن خُوَيْلد بن أَسَد بن عَبْدِ العُزَّى بن قُصَيّ ، أبو عبد الله الأسَدي : أحدُ العَشَرة ، وأحدُ السّتة أصحابِ الشُّورى الذين تُوفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وحواريُّ رسولِ الله ﷺ وابنُ عَمّته صَفيّة بنتِ عبد المطلب ، وزوجُ أسماء بنتِ أبي بكر الصديق[٢] رضي الله عنه .

روى عتيق بن يعقوب بسنده المُتَقَدِّم أنّ الزُّبَيْر بن العَوّام هو الذي كتب لبني معاوية بن جَرْوَل الكتابَ الذي أمره به رسول الله ﷺ أن يكتبه لهم . رواه ابنُ عساكر بإسناده عن عَتيقٍ[٣] به .

أسلم الزبير ، رضي الله عنه ، قديماً[٤] وهو ابنُ ستّ عشرة سنة ، ويقال : ابنُ ثمانِ سنين . وهاجر الهجرتين ، وشهد المشاهدَ كلَّها ، وهو أولُ من سَلَّ سيفاً[٥] في سبيل الله . (وقد جمع له رسول الله ﷺ يوم الخندق أبويه ، وقال : إنّ لكل نبيٍّ حوارياً ، وحواريَّ الزبير)[٦] وقد شهد اليَرْموك ، وكان أفضلَ مَن شَهِدَها ، واخْتَرَق يومئذ صفوفَ الروم من أولهم إلى آخرهم مرتين ، ويَخْرُجُ من الجانب الآخر سالماً ، لكن جُرِح في قفاه بضربتين ، رضي الله عنه . وله فضائلُ ومناقبُ كثيرةٌ . وكانت وفاته يومَ الجَمَل ، وذلك أنه كرَّ راجعاً عن القتال ، فلحقه عَمْرو بن جُرْمُوز وفضالة بن حابسٍ ورجلٌ ثالثٌ يقال له : نُفَيْعُ التَّميميّون ، بمكانٍ يُقال له : وادي السباع ، فبدر إليه عمرو بن جرموز وهو نائم فقتله ، وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سن ستٍّ وثلاثين ، وله من العمر يومئذ سبعٌ وستّون سنة ، وقد خَلَّفَ رضي الله عنه بعده تركةً عظيمةً ، فأوصى من ذلك بالثُّلُث بعد إخراج أَلْفَيْ ألفٍ ومِئَتَيْ ألف ديناً ، فلما قضي دينه ، وأُخرج ثلث ماله ، قسم الباقي على ورثته ، فنال كلَّ امرأة من نسائه ـ وكنَّ أربعاً ـ أَلْفُ أَلْفٍ ومئتا ألف ، فمجموع ما ذكرناه مما تركه رضي الله عنه تسعةٌ وخمسون[٧] ألف ألفٍ وثمانِمئة ألف . وهذا كله من وجوه حِلٍّ ، نالها في حياته ، مما كان يصيبه من الفَيْءِ والمَغانم ، ووجوه مَتاجِرِ الحَلالِ ، وذلك كلُّه بعد إخراج الزكوات في أوقاتها ، والصِّلاتِ البارعة الكثيرة لأربابها في أوقات حاجاتها ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل جنات

---

(١) ترجمته في حلية الأولياء (١/ ٨٩) ، والاستيعاب (٥١٠) ، وتاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع ـ (٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) وأسد الغابة (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٢) ، وسير أعلام النبلاء (١/ ٤١ ـ ٦٧) ، والإصابة (١/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦) .

(٢) زيادة من أ .

(٣) ط : (روى ابن عساكر بإسناد عن عتيق به) .

(٤) ط : (أسلم الزبير قديماً رضي الله عنه) .

(٥) ط : (سيفاً أفضل) .

(٦) ما بين القوسين جاء في ط بعد الخبر التالي .

(٧) أ ، ط : (وخمسين) وما أثبته للسياق .

الفردوس مثواه ـ وقد فعل ـ فإنه قد شهد له سيّد الأولين والآخرين ، ورسول ربّ العالمين بالجنة ، ولله الحمد والمنة .

وذكر ابن الأثير في « الغابة »[١] أنه كان له ألفُ مملوك ، يُؤَدّون إليه الخَراج ، وأنه كان يَتَصدَّق بذلك كله . وقال فيه حَسّان بن ثابتٍ يَمْدحُه ويُفَضِّلُه بذلك[٢] : [من الطويل]

أقـامَ عَلَـى عَهْـدِ النَّبـيِّ وهَـدْيِـهِ ... حَـواريُّـهُ والقَـوْلُ بـالفعـل[٣] يُعْـدَلُ
أقـام علـى مِنْهَـاجِـهِ وطَـريقِـهِ[٤] ... يُـوالـي وَلـيَّ الحَـقّ والحَـقُّ أعْـدَلُ
هُوَ الفَارسُ المَشْهُور وَالبَطَلُ الذي ... يَصُـولُ إذا مـا كـانَ يَـوْمٌ مُحَجَّـلُ
وإنَّ امـرأً كـانَـتْ صَفيّـةُ أُمَّـهُ ... وَمِـنْ أسَـدٍ فـي بَيْتِـهِ لمُـرَفَّـلُ[٥]
لَـهُ مـنْ رَسـول اللهِ قُـرْبَـى قَـريبـةٌ ... ومـنْ نُصْـرةِ الإسْـلامَ مَجْـدٌ مُـؤَثَّـلُ
فَكَـمْ كُـرْبـةٍ ذَبَّ الـزُّبَيْـر بسيَفِـهِ ... عَنِ المُصْطَفى واللهُ يُعطي ويُجْزِلُ[٦]
إذا كشفَتْ عنْ ساقِها الحَرْبُ حَشَّها ... بأبيض سبَّاقٍ[٧] إلى الموتِ يُرْقِلُ
فَمَـا مِثْلُـه فِيهـمْ وَلا كَـانَ قَبْلَـهُ ... وَلَيْـسَ يَكُـونُ الـدّهْـرَ مـا دَامَ يَـذْبُـلُ

وقد تَقَدَّمَ أنَّه قتله عَمْرو بن جُرْموزٍ التَّميمي بوادي السباع وهو نائم ، ويقال : بل قام من آثار النوم ، وهو دَهِشٌ ، فركب وبارزه ابن جُرْمُوز ، فلما صَمَّم عليه الزبير أنجده صاحباه فَضالةُ ونُفَيعٌ[٨] فقتلوه ، وأخذ عمرو بن جرموز رأسَه وسيفَه . فلما دخَل بهما على عليٍّ ، قال علي رضي الله عنه ، لما رأى سيفَ الزبير : إن هذا السيفَ طالما فَرَّجَ الكُرَبَ عن وجه رسول الله ﷺ . وقال عليّ فيما قال : بَشِّرْ قاتلَ ابنِ صفيةَ بالنّار . فيقال : إنَّ عمرو بن جُرْمُوزٍ لما سمع ذلك قتل نفسَه . والصحيحُ أنّه عُمِّرَ بعدَ عليٍّ حتّى كانَتْ أيّام ابن الزُّبير ، فاستنابَ أخاه مُصْعباً على العراقِ ، فاختفى عمرو بن جُرْموز خوفاً من سَطْوَتِه أن يقتله بأبيه . فقال مُصعبٌ : أبلغوه أنه آمن ، أيَحْسَبُ أني أقتلُه بأبي عبد الله ؟ كلا ، والله ، ليسا سواءً ، وهذا من حلم مُصعبٍ وعقله ورئاسته .

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٢٥١) .
(٢) ديوان حسان ـ دار صادر ـ (١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤) .
(٣) ط : (بالفضل) وما هنا عن أ ويوافق ما في الديوان .
(٤) ط : (وطرقه) . ولا يستقيم الوزن بها .
(٥) ط : (لمرسل) .
(٦) في الديوان : (فكم كربةٍ جَلّى . . . * . . . فيجزل) .
(٧) ط : (سياف) .
(٨) ط : (النعر) وهو تحريف . وقد تقدم .

وقد روى الزبير عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة يَطولُ ذكرها . ولما قُتل الزبيرُ بن العوّام بوادي السِّباع ، كما تقدّم ، قالت امرأتُه عاتكةُ بنتُ زيدِ بنِ عمرٍو بن نُفَيْل تَرْثيه رضي الله عنها وعنه :

غَـدَرَ ابْـنُ جُـرْمـوزٍ بفـارسِ بُهْمـةٍ ... يَـومَ اللِّقـاءِ وكَـانَ غَيْـرَ مُعَـرِّدِ
يـا عَمْـرُو لـوْ نَبَّهْتَـهُ لَـوَجَـدْتَـهُ ... لا طـائشـاً رَعِشَ الجَنـان ولا اليَـدِ
كَـمْ غَمْـرَةٍ قـد خـاضَهـا لـمْ يَثْنِـهِ ... عَنْهـا طِـرادُكَ[١] يـا بـنَ فَقْـعِ القَـرْدَدِ
ثكِلَتْـكَ أمُّـك إنْ ظَفِـرْتَ بمثلِـهِ[٢] ... فيمـن مَضَـى مِمَّـن يـروحُ ويَغْتـدي
والله رَبِّـك إنْ قَتلـتَ لَمُسلمـاً ... حَلَّـت عَلَيْـكَ عُقـوبـةُ المُتَعَمِّـدِ[٣]

ومنهم رضي الله عنهم زَيْدُ بن ثابتٍ[٤] بن الضّحّاك بن زَيْد بن لَوذان بن عَمْرو بن عبد[٥] بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النّجّار الأنصاري النجاري، أبو سعيد، ويقال: أبو خارجة، ويقال: أبو عبد الرحمن المدني.

قدم رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فلهذا لم يَشْهَدْ بَدْراً لصغره ، قيل : ولا أُحُداً[٦] وأول مشاهده الخندق ، ثم شَهِدَ ما بعدها . وكان حافظاً لبيباً عالماً عاقلاً ، ثبت عنه في « صحيح البخاري »[٧] . أنَّ رسول الله ﷺ أمره أن يتعلّم كتاب يَهود ليقرأه على النبيّ ﷺ إذا كتبوا إليه ، فتعلّمه في خمسة عشر يوماً .

وقد قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا سليمان بن داود ، ثنا عبد الرحمن ، عن أبي الزّناد ، عن خارجة بن زيد : أنّ أباه زيداً أخبره أنه لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة قال زيد : ذُهب بي إلى رسول الله ﷺ فأُعْجب بي ، فقالوا : يا رسولَ الله ، هذا غلامٌ من بني النَّجار ، معه مما أنزل اللهُ عليك بضعَ عشرةَ سورةً ، فأَعْجَبَ ذلك رسولَ الله ﷺ وقال : « يا زيدُ تَعَلَّمْ لي كتابَ يهود ، فإنّي والله ، ما آمَنُ[٩] يَهودَ على

(١) ط : (كم غمرة خاضها لم يثنيه * عنها طراد) فيها نقص وخطأ .
(٢) ط : (. . . إن طرت بمثله * فيم مضى فيمن . . .) منها تحريفان .
(٣) ط : (المعتمد) تحريف .
(٤) ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٥٣٧) ، وتاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧) ، وأسد الغابة (٢/ ٢٧٨) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٦) ، والإصابة (١/ ٥٦١ ـ ٥٦٢) .
(٥) ط : (عبيد) تحريف .
(٦) ط : (أحد) .
(٧) البخاري (٧١٩٥) تعليقاً .
(٨) مسند الإمام أحمد (٥/ ١٨٦) ، وهو حديث صحيح .
(٩) أ : (لا آمن) .

كتابي » . قال زيد : فَتَعَلَّمْتُ له[١] كتابهم ، ما مَرَّتْ خَمْسَ عَشْرَةَ ليلةً حتى حَذَقْتُهُ ، وكنتُ أقرأ له كتبَهم إذا كتبوا إليه ، وأُجيبُ عنه إذا كتبَ . ثمَّ رواه أحمد[٢] عن سُرَيْجٍ[٣] بن النعمان ، عن ابن أبي الزِّناد ، عن أبيه ، عن خارجة ، عن أبيه . . . فذكر نحوه . وقد عَلَّقَه البُخاري في الأحكام ، عن خارجة بن زيد بن ثابت بصيغة الجَزْم ، فقال : وقال : خارجة بن زيد . . . فذكره . ورواه أبو داود[٤] عن أحمد بن يونس ، والترمذي[٥] عن علي بن حُجْرٍ ، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، عن أبيه عن خارجة ، عن أبيه ، به نحوه . وقال الترمذي : حسنٌ صحيحٌ . وهذا ذكاءٌ مُفرِطٌ جداً .

وقد كان مِمَّنْ جَمَعَ القُرآن على عَهْدِ رسول الله ﷺ من القُرّاء كما ثبت في « الصحيحين »[٦] عن أنس . ووى أحمد[٧] والنّسائي[٨] من حديث أبي قلابة ، عن أنس ، عن رسول الله أنه قال : « أرْحَمُ أُمَّتي بأُمَّتي أبو بكر ، وأَشَدُّها في دين اللهِ عُمر ، وأصدقُها حياءً عثمانُ ، وأقْضاهُمْ عليُّ بن أبي طالب ، وأعْلَمُهم بالحَلالِ والحَرام مُعاذُ بن جَبَلٍ ، وأعْلَمُهُمْ بالفَرائضِ زَيْدُ بن ثابتٍ ، ولكلِّ أمةٍ أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمّةِ أبو عبيدة بن الجراح » ومن الحُفّاظ من يجعله مُرْسَلاً إلا ما يتعلق بأبي عُبَيدة ففي « صحيح البخاري »[٩] من هذا الوجه .

وقد كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ في غير ما مَوْطنٍ ، ومن أوضح[١٠] ذلك ما ثبت في « الصحيح »[١١] عنه أنه قال : لمّا نـزلَ قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٩٥] الآية ، دعاني رسول الله ﷺ فقال : اكتب : « لا يستوي القاعِدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » فجاء ابنُ أمِّ[١٢] مكتوم فجعل يشكو ضَرارته ، فنزلَ الوَحْيُ على رسول الله ﷺ فثَقُلَتْ فَخذُهُ على فَخِذي حتى كادت تَرُضُّها ، فنزل ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ فأمرني فألحقتها ، فقال زيد : فإنّي لأعرفُ موضعَ مُلْحَقِها عند صَدْعٍ في ذلك اللَّوْح ـ يعني من عظامٍ ـ . . . الحديث .

(١) ط : (لهم) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٨٦ ـ ١٩١) ، وهو حديث صحيح .
(٣) أ ، ط : (شريح) . وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٩) .
(٤) أبو داود (٣٦٤٥) ، وهو حديث صحيح .
(٥) الترمذي (٢٧١٥) ، وهو حديث صحيح .
(٦) البخاري (٣٨١٠ ، ٥٠٠٣ ، ٥٠٠٤) ، ومسلم (٢٤٦٥) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٨١) ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .
(٨) السنن الكبرى للنسائي (٨٢٤٢) .
(٩) البخاري (٣٧٤٤ ، ٤٣٨٢ ، ٧٢٥٥) .
(١٠) ط : (أفضح) تحريف .
(١١) البخاري (٢٨٣٢ ، ٤٥٩٢) .
(١٢) زيادة عن أ .

وقد شهد زيدٌ اليمامةَ ، وأصابه سهمٌ فلم يَضُرُّه ، وهو الذي أمره الصّدّيق بعد هذا بأن يَتَتَبَّعَ القرآن فَيَجْمَعَه[(١)] ، وقال له : إنك شاب عاقل لا نَتَّهِمُكَ ، وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ ، فتَتَبَّعِ القُرآن فاجْمَعْهُ ، ففعل ما أَمَرهُ به الصّدّيق ، فكان في ذلك خيرٌ كثيرُ ، ولله الحمد والمنة . وقد استنابه عُمر مَرَّتَيْن في حَجَّتَين على المدينة ، واستنابه لمّا خَرَجَ إلى الشام ، وكذلك كان عثمان يَسْتَنيبهُ على المدينة أيضاً ، وكان عليٌّ يُحبّه ، وكان يُعَظّم عليًّا ، ويعرفُ له قدرَهُ ، ولم يشهد معه شيئاً من حُروبه . وتأخّر بعدَهُ حتى تُوفّي سنةَ خَمْس وأربعين . وقيل : سنة إحدى ، وقيل : خمس وخمسين . وهو مِمَّن كانَ يكتبُ المصاحفَ الأئمةَ التي نَفَذَ بها عثمانُ بنُ عفان إلى سائر الآفاقِ اللائي وَقَعَ على التّلاوة طِبْقَ رَسْمِهِنّ الإجماعُ والاتِّفاقُ ، كما قَرَّرْنا ذلك في « كتاب فضائل القرآن » الذي كتبناه مقدِّمة في أول كتابنا « التفسير » ولله الحمد والمنة .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، السِّجِلُّ[(٢)] ، كما ورد به الحَديثُ المَرْويُّ في ذلك عن ابن عباس ـ إن صَحَّ ـ وفيه نظرٌ .

قال أبو داود[(٣)] : حدَّثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا نوح بن قيس ، عن يزيد بن كعب ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجَوْزاء ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : السِّجِلُّ كاتبٌ للنبيّ ﷺ .

وهكذا رواه النسائيُ[(٤)] عن قتيبة به . وعن[(٥)] ابن عباس أنه كان يقول : في هذه الآية : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ للكتاب[(٦)] ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] قال : السِّجلّ : الرجل . هذا لَفْظُهُ . ورواه أبو جعفر بن جرير في « تفسيره » عند قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ للكتاب[(٧)] ﴾ ! عن نصر بن علي ، عن نوح بن قيس، وهو ثقةٌ من رجال مسلم، وقد ضَعَّفَه ابنُ مَعين في روايةٍ عنه . وأما شيخُه يزيد بن كعب العَوْذي[(٨)] البصري ، فلم يَرْوِ عنه سوى نوح بن قيس ، وقد ذكره مع ذلك ابن حِبّان في « الثّقات »[(٩)] .

وقد عرضتُ هذا الحديث على شيخنا الحافظِ الكبير أبي الحَجّاج المِزّي ، فأنكره جداً ، وأَخْبَرْته أن

---

(١) ط : (فأجمعه) .
(٢) تاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧) .
(٣) أبو داود (٢٩٣٥) ، وإسناده ضعيف .
(٤) السنن الكبرى للنسائي (١١٣٣٥) .
(٥) ليست الواو في ط ولا في أ .
(٦) وهي قراءة ما سوى حفص وحمزة والكسائي وخلف .
(٧) ط : (للكتب) .
(٨) ط : (العوفي) وانظر تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٣٠) .
(٩) الثقات (٩/ ٢٧١) .

شيخَنا العلامة أبا العباس ابن تَيْميَّة كان يقول : هو حديثٌ موضوعٌ ، وإن كان في « سنن أبي داود » . فقال شيخنا المزي ، وأنا أقوله .

قلت : وقد رواه الحافظُ ابن عَديٍّ في « كامله »[(١)] من حديث محمد بن سليمان الملقب ببومة ، عن يحيى بن عمرو بن[(٢)] مالك النُّكْري ، عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله ﷺ كاتبٌ يُقالُ له : السِّجلّ ، وهو قوله (تعالى) : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ للكتاب ﴾ قال : كما يطوي السّجِلّ للكتَاب كذلك نَطْوي[(٣)] السماء . وهكذا رواه البيهقي[(٤)] ، عن أبي ناصر بن قتادة ، عن أبي علي الرّفّاء عن علي بن عبد العزيز ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن يحيى بن عمرو بن مالك به . ويحيى هذا ضعيف جداً ، فلا يصلُح للمتابعة . والله أعلم .

وأغرب من ذلك أيضاً ما رواه الحافظ أبو بكر الخطيب[(٥)] وابن مَنْدَة من حديث أحمد بن سعيد البغدادي المعروف بحمدان ، عن ابن نُمير[(٦)] ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان للنبيّ ﷺ كاتبٌ ، يقال له : سِجِلٌّ ، فأنزل الله ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ للكتاب ﴾ قال ابن منده : غريب تَفَرَّد به حمدان . وقال البَرْقاني : قال أبو الفتح الأزدي : تَفَرَّدَ به ابن نُمَيْر ، إن صَحَّ .

قلت : وهذا أيضاً مُنْكرٌ عن ابن عمر كما هو مُنْكَر عن ابن عباس ، وقد ورد عن ابن عباس وابن عمر خلاف[(٧)] ذلك ، فقد روى الوالبيُّ والعَوْفي ، عن ابن عباس : أنَّه قال في هذه الآية : قال : كطي الصحيفة على الكتاب . وكذلك قال مجاهد ، وقال ابن جرير : هذا هو المعروف في اللغة أن السّجلّ هو الصحيفة . قال : ولا يعرف في الصحابة أحدٌ اسمُه السّجل ، وأنكر أن يكون السّجلُ اسمَ مَلَكٍ من الملائكة ، كما رواه عن أبي كُرَيْب ، عن ابن يَمانٍ ، ثنا أبو الوفاء الأشجعي ، عن أبيه ، عن ابن عمر في قوله ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ للكتاب ﴾ قال : السجل مَلَكٌ ، فإذا صعِد بالاستغفار قال الله : اكْتُبْها نوراً . وثنا بُنْدار ، عن مُؤَمّل ، عن سفيان ، سمعت السُّدِّيّ يقول (فذكر مثله .

وهكذا قال أبو جعفر الباقر فيما رواه أبو كُرَيْب ، عن ابن[(٨)] المبارك عن)[(٩)] معروف بن خَرَّبوذ ، عمَّن

---

(١) الكامل في أسماء ضعفاء الرجال (٧/ ٢٦٦٢) .
(٢) ط : (وعن) وسيأتي بعد بوجهه الصحيح .
(٣) ط : (السجل للكتاب كذلك تطوي) .
(٤) في « السنن الكبرى » (١٠/ ١٢٦) .
(٥) تاريخ بغداد (٨/ ١٧٥) . قال بشار : وانظر بلابد تعليقي على هذا الحديث في طبعتي من تاريخ الخطيب (٩/ ٤٧ ـ ٤٨) .
(٦) في الأصول : بهز .
(٧) ط : (خلال) تحريف .
(٨) ليس في ط .
(٩) ليس ما بين القوسين في أ .

سمع أبا جعفر يقول : السِّجِلُّ المَلَكُ ، وهذا الذي أنكره ابن جرير من كون السجل اسمَ صحابيّ أو مَلَكٍ ، قويٌّ جداً ، والحديث في ذلك مُنْكرٌ جداً . ومن ذكره في أسماء الصحابة كابن مَنْدَه وأبي نعيم الأصبهاني وابن الأثير في « الغابة »[١] إنما ذكره إحساناً للظن بهذا الحديث ، أو تعليقاً على صحّتِه . والله أعلم .

ومنهم رضي الله عنهم سعد بن أبي سَرْح ، فيما قاله خليفةُ بن خَيّاط[٢] ، وقد وَهِمَ ، إنما هو ابنُه عبدُ الله بن سَعْد بن أبي سَرْح كما سيأتي قريباً إن شاء الله .

ومنهم رضي الله عنهم عامر بن فُهَيْرة[٣] ، مولى أبي بكر الصديق . قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عبد الرزاق[٥] ، عن مَعْمَرٍ ، قال : قال الزُّهْريّ : أخبرني عبد الرحمن[٦] بن مالك المدلجي ، وهو ابن أخي سُراقة بن مالك : أنّ أباهُ أَخْبَرَهُ أنه سمع سراقة يقول ؛ فذكر خبر هجرةِ النبيّ ﷺ وقال فيه : فقلتُ له : إنَّ قومَكَ جَعَلوا فيك الدِّيَة ، وأخبرتهم من أخبار سفرهم وما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزؤوني منه شيئاً ولم يسألوني إلا أن أخف عنا ، فسألته أن يكتب لي كتاب موادعة آمن به ، فأمر عامر بن فُهيرة فكتب في رقعة من آدم ، ثم مضى .

قلت : وقد تقدَّم الحديثُ بتمامه في الهجرة . وقد رُوي أنّ أبا بكر هو الذي كتب لسُراقة هذا الكتاب فالله أعلم .

وقد كان عامر بن فُهَيْرة ـ ويكنى أبا عمرو ـ من مُوَلَّدي الأزد ، أسودَ اللون ، وكان أولاً مولًى للطُّفَيْل بن الحارث أخي عائشة لأُمّها أمّ رُومان ، فأسلم قديماً قبلَ أنْ يدخلَ رسولُ الله ﷺ دارَ الأرْقَم بن أبي الأرقم ، التي عند الصفا ، مُسْتَخفياً ، فكان عامرٌ يُعَذَّب مع جُمْلةِ المُسْتَضْعفين بمكة ليرجعَ عن دينه فيأبى ، فاشتراه أبو بكر الصِّدّيق فأعتقه ، فكان يَرْعَى له غنماً بظاهر مكة . ولما هاجر رسول الله ﷺ ، ومعه أبو بكر ، كان معهما رديفاً لأبي بكر ، ومعهم الدليل الدُّئلي فقط ، كما تقدَّم مبسوطاً ، ولما وَرَدوا المدينةَ نزلَ عامر بن فُهَيْرة على سعد بن خَيْثَمة ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن مُعاذ ، وشهد بدراً وأُحُداً ، وقُتِل يَوْمَ بئر مَعونة ، كما تقدم ، وذلك سنةَ أربعٍ من الهجرة ، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة ، فالله أعلم .

وقد ذكر عروة وابنُ إسحاقَ والواقديُّ وغيرُ واحدٍ ، أنّ عامراً قتله يومَ بئرِ مَعونة رجلٌ يُقال له :

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٣٢٦) .
(٢) تاريخ خليفة (١/ ٧٧) ، وتاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٣٧) .
(٣) الاستيعاب (٧٩٦) ، والإصابة (٢/ ٢٥٦) .
(٤) مسند أحمد (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٦) وإسناده حسن .
(٥) وهو في مصنفه (٩٧٤٣) .
(٦) أ ، ط : (عبد الملك) وما هنا عن المسند .

جَبّار بن سُلْمى[١] من بني كلاب ، فلمّا طعنَه بالرمح قال : فُزْتُ وربِّ الكَعْبة ، ورُفع عامر حتى غاب عن الأبصار ، حتى قال عامر بن الطُّفيل : لقد رُفع حتى رأيتُ السماء دونَه ، وسأل عمرَو بن أمية عنه فقال : كان من أفضلنا ومن أول أهل بيت نبينا ﷺ. قال جبّار : فسألت الضّحّاك بن سفيان عما قال : ما يعني به ؟ فقال : يعني الجنة . ودعاني الضحاكُ إلى الإسلام ، فأسلمتُ لما رأيتُ من قَتْلِ عامر بن فُهَيْرة ، فكتبَ الضّحّاك إلى رسولِ الله يُخْبره بإسلامي ، وما كان من أمر عامر ، فقال : « وارَتْهُ الملائكة وأنزل عِلييّن » .

وفي الصحيحين[٢] عن أنس أنه قال : قَرأْنا فيهم قُرْآناً أن : (بلّغوا عَنّا قَوْمَنا أنّا لَقينا ربّنا فَرَضِيَ عنّا وأرضانا) . وقد تقدم ذلك بتمامه[٣] في موضعه عند غزوة بئر معونة .

وقال محمد بن إسحاق[٤] : حدّثني هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطُّفَيْل كان يقول : مَنْ رَجُلٌ منكم لما قُتل رأيتُه رُفِعَ بين السماء والأرْض ، حتّى رأيتُ السماءَ دونَه ؟ قالوا : عامر بن فُهَيْرة .

وقال الواقدي[٥] : حدّثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : رُفع عامرُ بن فُهَيْرة إلى السماء فلم توجد جُثّته ، يَرَوْنَ أنّ الملائكةَ وارَتْهُ .

ومنهم رضي الله عنهم عبدُ الله بن أرْقَم بن أبي الأرْقَم المَخْزومي[٦] : أسلم عام الفتح ، وكتبَ للنبيّ ﷺ . قال الإمام مالك[٧] : وكان يُنْفِذُ ما يَفْعلُه ويَشْكُره ويَسْتَجيدُه . وقال سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق بن يسار[٨] ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن الزبير : أن رسولَ الله اسْتَكْتَبَ عبدَ الله بن الأرْقَم بن عبد يَغوث ، وكان يُجيبُ عنه الملوكَ . وبلغ من أمانَتِه أنّه (كان يأمُرُهُ أنْ) يكتُبَ إلى بعضِ الملوكِ فَيَكْتُبَ ، ويَخْتِمَ على ما يقرؤه لأمانته عنده . وكَتَبَ لأبي بكرٍ وجعلَ إليه بيتَ المال ، وأقرّه عليهما عمرُ بن الخَطّاب ، فلما كان عثمانُ عَزَلَه عنهما .

قلت : وذلك بعدَما استعفاه عبدُ الله بن الأرْقَم ، ويقالُ : إنَّ عثمانَ عَرَضَ عليه ثلاث مئة ألف درهم عن أجرة عمالته ، فأبى أن يَقْبَلَها وقال : إنما عملتُ لله ، فأجري على الله عزَّ وجلَّ .

---

(١) في الإصابة (١/ ٢١٩) (جبار بن سلمة ـ بضم السين وقيل بفتحها ـ) .
(٢) البخاري (٤٠٩٠) ومسلم (٦٧٧) (٢٩٧) .
(٣) ط : (بيانه) .
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٦) .
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٣١) .
(٦) ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٧٩٢) ، وأسد الغابة (٣/ ١٧٢) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٤٦ ـ ١٤٧) ، والإصابة (٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) .
(٧) الاستيعاب (٣/ ٨٦٥ ـ ٨٦٦) .
(٨) تاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٣٩) .

قال ابن إسحاق[١] : وكتب لرسول الله زيد بن ثابت ، فإذا لم يَحْضُر ابنُ الأرقم وزيدُ بن ثابتٍ ، كَتَبَ مَنْ حَضَرَ من الناس ، وقد كتبَ عمرُ وعليّ وزيدٌ والمغيرةُ بن شعبة ومعاويةُ وخالدُ بن سعيدِ بن العاص ، وغيرُهم ممن سُمّيَ من العرب .

وقال الأعمش : قلت لشَقيقِ بن سَلَمة : مَنْ كانَ كاتبَ النبيِّ ﷺ ؟ قال عبدُ الله بن الأرْقَم ، وقد جاءنا كتابُ عمرَ بالقادِسيّة وفي أسفله : وكتبَ عبد الله بن الأرْقَم .

وقال البيهقي[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا محمد بن صالح بن هانئ ، ثنا الفضل بن محمد البيهقي ، ثنا عبد الله بن صالح ، ثنا عبد العزيز بن أبي سَلَمَةَ الماجشون ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أتى النبيَّ ﷺ كتابُ رجلٍ ، فقال لعبد الله بن الأرْقَم : « أجِبْ عنّي » ، فكتبَ جوابَه ، ثم قرأه عليه ، فقال : « أصَبْتَ وأحْسَنْتَ ، اللّهمّ وَفِّقْهُ » قال : فلما وَليَ عمر كان يشاوره . وقد رُويَ عن[٣] عمر بن الخطاب أنّه قال : ما رأيتُ أخْشَى للهِ منه ـ يعني في العمال ـ أُضِرّ رضي الله عنه قبلَ وفاته .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي[٤] ، صاحبُ الأذان ، أسلم قديمـاً ، فشهدَ عقبةَ السَّبعين ، وحضرَ بَدْراً وما بعدهـا ، ومن أكبر مناقبه رُؤيَتُه الأَذان[٥] والإقامة في النوم ، وعَرْضُه ذلك على رسول الله ، وتقريرُه عليه ، وقوله له : « إنها لرُؤْيا حَقٌّ فألْقِهِ على بلالٍ ؛ فإنّه أنْدَى صوتاً منك » وقد قَدَّمْنا الحديثَ بذلك في موضعه . وقد رَوَى الواقدي[٦] بأسانيده عن ابن عباس أنه كتب كتاباً لمن أسلم من جُرَش فيه الأمرُ لهم بإقامة الصلاة ، وإيتاءِ الزّكاة ، وإعطاء خُمُس المَغْنَم . وقد توفي رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين ، عن أربعٍ وستّين سنةً ، وصلّى عليه عثمان بنُ عفّان رضي الله عنه .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، عبد الله بن سعد بن أبي سَرْحٍ[٧] ، القُرَشي العامري[٨] ، أخو عثمان بن

---

(١) تاريخ دمشق ـ السيرة ـ (٢/ ٣٤) .
(٢) في « السنن الكبرى » (١٠/ ١٢٦) .
(٣) ليست في ط .
(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٣/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧) ، وتاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٥) وأسد الغابة (٣/ ٢٤٧) ، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧) .
(٥) تاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع (٢/ ٣٤٢ ـ ٢٤٣) .
(٦) تاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٤٢) .
(٧) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٩٦) ، والاستيعاب (٩١٨) ، وتاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع السيرة (٢/ ٣٤١) وأسد الغابة (٣/ ١٧٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣ ـ ٣٥) والإصابة (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٨) .
(٨) ليس اللفظ في أ .

عفان[١] من الرَّضاعة . أرضعت أمُّه[٢] عثمان . وكتب الوحيَ، ثم ارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة، فلما فتحها رسولُ الله ﷺ ـ وكان قد أهْدَرَ دَمَهُ فيمن أهدَر من الدماء ـ فجاء إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له ، فأمَّنه رسولُ الله ﷺ كما قدَّمنا في غَزْوَة الفتحِ ، ثم حَسُنَ إسلامُ عبدِ الله بن سَعْدٍ جداً بعد ذلك[٣] .

قال أبو داود[٤] : حدَّثنا أحمد بن محمد المروزي ، ثنا علي بن الحسين بن واقدٍ ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح يكتب للنبي ﷺ ، فأزلَّهُ الشَّيْطانُ فلحق بالكُفّار ، فأمر به رسولُ الله أن يُقْتَل ، فاسْتَجار له عثمان بن عفان ، فأجارَهُ رسولُ الله ﷺ . ورواه النسائي[٥] من حديث عليّ بن الحسين بن واقد به .

قلت : وكانَ على مَيْمَنَة عمرو بن العاص حين افْتَتَحَ عمرٌو مِصْرَ سنة عشرين في الدولة العُمَرية ، فاستناب عمر بن الخَطّاب عَمْراً عليها ، فلما صارت الخلافة إلى عثمان عزل عنها عَمْرو بن العاص وَوَلَّى عليها عبدَ الله ابن سَعْد سنةَ خمسٍ وعشرين ، وأَمَرَه بغَزْوِ بلاد إفْريقيَّة فَفَتَحها ، وحَصَل للجيش منها مالٌ عظيمٌ ، كان قَسمُ الغَنيمة لكلِّ فارسٍ من الجيش ثلاثة آلاف مثقالٍ من ذَهَبٍ ، وللرّاجِل ألف مثقال[٦] . وكان معه في جيشه هذا ثلاثةٌ من العبادلة ؛ عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عَمْرو ، ثم غزا عبد الله ابن سعد بعدَ إفريقيَّةَ الأساودَ من أرض النُّوبة ، فهادَنَهُمْ ، فهي إلى اليوم ، وذلك سنة إحدى وثلاثين ، ثم غزا غزوة الصَّواري في البحر إلى الروم وهي غزوة عظيمة ، كما سيأتي بيانُها في مَوْضِعها إن شاء الله[٧] فلما اختلَفَ الناس على عثمان خرجَ من مصرَ واسْتناب عليها ليذهب إلى عثمان لينصُرَهُ . فلما قُتِلَ عثمان أقامَ بعَسْقَلان ، وقيل : بالرملة ، ودعا الله أن يقبضَه في الصلاة ، فصلَّى يوماً الفجرَ ، وقرأ في الأولى منها بفاتحة الكتاب والعاديات ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وسورةٍ ، ولما فرع من التّشَهُّدِ سَلّم التسليمة الأولى ، ثم أراد أن يسلم الثانية فمات بينهما رضي الله عنه ، وذلك في سنة ستٍّ وثلاثين ، وقيل : سنة سبعٍ ، وقيل : إنه تأخَّر إلى سنة تسعٍ وخمسين ، والصحيح الأول .

قلت : ولم يَقَعْ له روايةٌ في الكُتُبِ الستّة ولا في « المسند » للإمام أحمد .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، عبد الله بن عثمان ، أبو بكر الصديق . وقد تقدم الوعد بأنَّ ترجمتَه ستأتي

---

(١) ليس (بن عفان) في ط .
(٢) ط : (أخو عثمان لأمه من الرضاعة أرضعته أم عثمان) .
(٣) ليست عبارة (بعد ذلك) في ط .
(٤) أبو داود (٤٣٥٨) ، وهو حديث حسن .
(٥) النسائي (٤٠٨٠) ، وهو حديث حسن .
(٦) ط : (مثاقل) تحريف .
(٧) ط : (في موضعها إن شاء الله في موضعها) .

في أيام خلافتِه إن شاء الله عزَّ وجلَّ ، وبه الثقة . وقد جمعتُ مجلداً في سيرته ، وما رواه من الأحاديث وما رُوي عنه من الآثار .

والدليلُ على كتابته ما ذكره موسى بن عقبة ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُم ، عن أبيه ، عن سُراقة بن مالك[١] في حديثه حين اتَّبع رسولَ الله حينَ خرجَ هو وأبو بكر من الغار فَمَرّوا على أرضهم ، فلما غَشِيَهُم ـ وكان من أمر فَرَسِه ما كان ـ سأل رسولَ الله ﷺ أن يكتُبَ له كتاب أمان ، فأمر أبا بكر فكتب له كتاباً ثم ألقاه إليه .

وقد روى الإمام أحمد[٢] من طريق الزهري بهذا السند : أن عامر بن فُهَيْرة كتبه ، فيحتملُ أنّ أبا بكر كتبَ بعضَه ، ثم أمر مولاه عامراً فكتب باقيه ، والله أعلم .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، عثمان بن عفان أمير المؤمنين ، وستأتي ترجمته في أيّام خلافته ، وكتابتُه بين يديه ، عليه الصلاة والسلام مشهورة . وقد رَوَى الواقديُّ[٣] بأسانيده أن نَهْشَل بن مالك الوائلي لمَّا قَدِمَ على رسول الله ﷺ أمر رسول الله ﷺ عثمانَ بن عفّان فكتبَ له كتاباً فيه شرائعُ الإسلام .

ومنهم رضي الله عنهم علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، وستأتي ترجمتُه في خلافته ، وقد تقدَّم أنّه كتبَ الصُّلحَ بين رسول الله ﷺ وبين قريش يومَ الحُدَيْبية أن يأمن الناسُ ، وأنه لا إسلال[٤] ولا إغلال ، وعلى وضع الحرب عشرَ سنين . وقد كتب غيرَ ذلك من الكتب بينَ يديه ﷺ .

وأما ما يدّعيه طائفةٌ من يهودِ خَيْبَر أن بأيديهم كتاباً[٥] من النبي ﷺ بوَضْعِ الجزية عنهم ، وفي آخره : وكتبَ علي بن أبي طالب ، وفيه شهادةُ جماعةٍ من الصحابة منهم سعد بن مُعاذ ومعاوية بن أبي سفيان ، فهو كَذِبٌ مُفْتَعلٌ[٦] ، وبُهْتانٌ مختلق مصنوع ، وقد بيّنَ جماعةٌ من العلماء بُطْلانَه ، واغْتَرّ به بعضُ الفقهاء المُتَقَدِّمين فقالوا بوضع الجزية عنهم ، وهذا ضعيف جداً . وقد جمعتُ في ذلك جُزءاً مُفْرداً بَيَّنْتُ فيه بُطْلانه ، وأنه موضوعٌ ، اخْتَلَقُوه ووضعوه[٧] وَهُمْ أهلٌ لذلك ، وبَيَّنْتُه وجَمَعْتُ مُتَفَرِّقَ[٨] كلامِ الأئمَّة فيه . ولله الحمد والمنة .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٧٥) ، وإسناده حسن .
(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٣٠١) .
(٤) إسلال : إغارة .
(٥) أ ، ط : (كتاب) وما أثبته للسياق .
(٦) ليس اللفظ في ط .
(٧) ط : (وصنعوه) .
(٨) ط : (مفرق) .

ومن الكُتَّاب[١] بَيْنَ يَديْه أميرُ المُؤْمنين عمر بن الخطاب ، وستأتي ترجمته في موضعها . وقد أفردتُ له مجلداً على حِدَةٍ ، ومجلداً ضخماً في الأحاديث التي رواها عن رسول الله ﷺ ، والآثار والأحكام المرويّة عنه رضي الله عنه ، وقد تقدَّمَ بيانُ كتابته في ترجمةِ عبدِ الله بن الأَرْقَم .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، العَلاء بن الحَضْرمي[٢] ، واسم الحَضْرَمي عَبَّادٌ ، ويقال : عبد الله بن عَبّاد بن أكبر بن رَبيعة بن عُوَيْف[٣] بن مالك بن الخزرج بن أياد بن الصَّدَف[٤] بن زيد بن مقنع بن حَضْرَمَوْت بن قحطان ، وقيل غير ذلك في نسبه ، وهو من حلفاء بني أمية . وقد تقدم بيانُ كتابته في ترجمة أبان بن سعيد بن العاص .

وكان له من الإخوة عشرةٌ غيره .

فمنهم : عَمْرو بن الحَضْرَمي أول قَتيلٍ من المشركين ، قتله المسلمون في سريَّة عبد الله بن جحش ، وهي أولُ سريّة كما تقدم .

ومنهم : عامِرُ بن الحَضْرَمي الذي أَمَرَهُ أبو جهل ، لعنه الله ، فكشف عن عورته وناداه : واعَمْراه ، حين اصطفَّ المسلمون والمشركون يوم بدر ، فهاجتِ الحربُ ، وقامت على ساقٍ ، وكان ما كان مما قَدَّمْناه مبسوطاً في موضعه .

ومنهم : شُرَيْح بن الحَضْرَمي ، كان من خيار الصحابة . قال فيه رسول الله[٥] : « ذاكَ رجلٌ لا يَتوسَّدُ القُرآن » يعني لا ينامُ وَيْترُكُه ، بل يقوم به آناء الليل والنهار .

ولهم كلّهم أختٌ واحدةٌ ، وهي : الصَّعْبَةُ بنتُ الحَضْرَمي أمُّ طلحةَ بن عُبَيْد الله .

وقد بعث النبي ﷺ العَلاءَ بن الحَضْرَمي إلى المُنْذر بن ساوَى ملكِ البَحْرَيْن ، ثم وَلاّهُ عَلَيْها أميراً حين افْتَتَحَها . (وأَقَرَّهُ عليها الصّدّيق ، ثم عمر بن الخطاب ، ولم يَزَلْ بها حتّى عَزَلَهُ عنها عمر بن الخطاب وَوَلَّاه)[٦] البصرة . فلما كان في أثناء الطريق تُوفِّي ، وذلك في سنة إحدى وعشرين . وقد روى البَيْهقي

---

(١) في هامش أ : (ومنهم رضي الله عنهم عمر) .
(٢) ترجمته في الاستيعاب (١٠٨٥) ، وتاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٤٩) ، والإصابة (٢/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) . وتهذيب التهذيب (٨/ ١٧٨ ـ ١٧٩) .
(٣) ط : (عريقة) وأ : (عريف) وما أثبته عن مصادره السابقة .
(٤) ط : (الصدق) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٤٩) . والنسائي (١٧٨٢) ، وإسناده صحيح .
(٦) ليس ما بين القوسين في أ .

وغيره[(١)] عنه كراماتٍ كثيرةً : منها أنّه سارَ بجيشه على وَجْهِ البَحْرِ ما يصلُ إلى رُكَبِ خُيولهم ، وقيل : إنه ما بَلّ أسافل نعالِ خُيولهم . وأمرهم كلَّهم فجعلوا يقولون : يا حليم يا عظيم . وأنَّه كانَ في جيشه ، فاحتاجوا إلى ماءٍ ، فدعا الله فأمْطَرهم قدرَ كفايتهم ، وأنّه لما دُفِنَ لم يُرَ له أثر بالكليَّة ، وكان قد سألَ اللهَ ذلك ، وسيأتي هذا في كتاب « دلائل النبوة » قريباً إن شاء الله عزَّ وجلَّ .

وله[(٢)] عن رسول الله ﷺ ثلاثةُ أحاديث :

الأول ؛ قال الإمام أحمد[(٣)] : حدَّثنا سفيان بن عيينة ، حدّثني عبد الرحمن بن حُمَيْد بن عبد الرحمن ابن عَوْف ، عن السائب بن يزيد ، عن العَلاء بن الحَضْرَمي : أنّ رسول الله قال : « يَمْكُثُ المُهاجِر بعدَ قضاءِ نُسُكِهِ ثَلاثاً » وقد أخرجه الجماعة[(٤)] من حديثه .

والثاني قال أحمد[(٥)] : حدَّثنا هُشَيْم ، ثنا منصور ، عن ابن سيرين ، عن ابن العَلاء بن الحَضْرمي : أنّ أباهُ كَتَبَ إلى النبيّ ﷺ فَبَدَأ بنفسه ، وكذا رواه أبو داود[(٦)] ، عن أحمد بن حنبل .

والحديث الثالث رواه أحمد[(٧)] وابن ماجه[(٨)] من طريق محمد بن زيد ، عن حَيَّان الأعْرَج عنه : أنّه كتَبَ إلى رسول الله ﷺ من البحرين في الحائط ـ يعني البستان ـ يكون بين الإخوة فيُسْلِمُ أحدُهم ؟ فأمره أن يأخذَ العُشْرَ ممَّن أسْلَم . والخَراجَ ـ يعني ممن لم يُسْلِم ـ .

ومنهم العَلاءُ بن عُقْبَةَ[(٩)] . قال الحافظ ابن عساكر : كان كاتباً للنبي ﷺ ، ولم أجد أحداً ذكره إلا فيما أخبرنا . . . ثم ذكر إسناده إلى عتيق بن يعقوب ، حدّثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، عن أبيه ، عن جده ، عن عمرو بن حزم ، إنّ هذه قَطائعُ أَقْطَعها رسولُ الله ﷺ هؤلاء القومَ فذكرها ، وذكر فيها :

---

(١) ط : (عنه وغيره) .
(٢) أ : (روى له) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٣٩) .
(٤) البخاري (٣٩٣٣) ومسلم (١٣٥٢) ، وأبو داود (٢٠٢٢) والترمذي (٩٤٩) والنسائي (١٤٥٣ ، ١٤٥٤) وابن ماجه (١٠٧٣) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٣٩) ، وإسناده ضعيف .
(٦) أبو داود (٥١٣٤) ، وإسناده ضعيف .
(٧) مسند أحمد (٥/ ٥٢) ، وإسناده ضعيف .
(٨) ابن ماجه (١٨٣١) ، وإسناده ضعيف .
(٩) ترجمته في تاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٥٠) والإصابة (٢/ ٤٩٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى النبيُّ محمدٌ عباسَ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ ، أعطاه مدفوراً[١] فمن حاقَّهُ[٢] فيها فلا حَقَّ له ، وحقُّهُ حَقٌّ . وكتب العلاء بن عقبة وشهد .

ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أَعْطَى محمدٌ رسولُ الله عَوْسَجَةَ بن حَرْمَلَة الجُهَني ، من ذي المَرْوة[٣] وما بين بَلْكَثَة[٤] إلى الظَّبْيةِ[٥] إلى الجَعَلات إلى جبل القَبَليّة[٦] فمن حَاقَّه فلا حقَّ له ، وحقُّه حَقٌّ ، وكتبه العلاء بن عقبة .

وروى الواقدي[٧] بأسانيده أن رسول الله ﷺ أقطع لبني شَنْخٍ[٨] من جُهَيْنَة . وكتب كتابهم بذلك العلاء بن عقبة ، وشهد .

وقد ذكر ابن الأثير في « الغابة »[٩] هذا الرجل مختصراً فقال : العَلاءُ بن عُقْبَة كتب للنبي ﷺ ، ذِكره في حديث عمرو بن حَزْمٍ ، ذكره جعفر ، أخرجه أبو موسى ـ يعني المديني ـ في كتابه .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، محمد بن مَسْلَمَة[١٠] بن سَلَمة بن حَريش[١١] بن خالد بن عَدي بن مَجْدَعة بن حارِثَة بن الحارث بن الخزرج الأنْصاري الحارثيّ أبو عبد الله ، ويقال : أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو سعيد المَدَنيّ حليف بني عبد الأشهل . أسلمَ على يَدَيْ مُصْعَب بن عُمَيْر ، وقيل : سعد بن مُعاذ وأُسَيد بن حُضَير ، وآخى رسولُ الله حينَ قَدِمَ المدينة بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ، وشهدَ بدراً والمشاهدَ بعدها ، واستَخْلَفَه رسول الله ﷺ على المدينة عامَ تَبوك .

قال ابن عبد البر في « الاستيعاب »[١٢] : كان شديدَ السُّمْرَة ، طويلاً ، أصلع ، ذا جُثَّةٍ ، وكان من

---

(١) ط : (مدموراً) وفي طبقات ابن سعد (مدفواً) ولم يذكرها البكري ولا ياقوت في معجميهما وإنما ذكر ياقوت موضعاً في بلاد بني سُلَيْم أو هذيل واسمه (مدفار) فلعله هو .
(٢) ط ، أ : (خافه) تحريف .
(٣) ذو المروة : قرية بوادي القرى (معجم البلدان) .
(٤) بلكثة أو بَلاكِث : قارة عظيمة فوق ذي المروة وفيها عيون ونخل لقريش (معجم البلدان) .
(٥) ظبية موضع في ديار جهينة (معجم البلدان) .
(٦) القبليَّة : جبل من جبال بني عَرَك من جهينة (معجم البلدان) .
(٧) طبقات ابن سعد (١/ ٢٧١) .
(٨) ط : (شيخ) .
(٩) أسد الغابة (٤/ ٧٧) .
(١٠) ترجمته في طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣ ـ ٤٤٥) والاستيعاب (٣/ ١٣٧٧) وتاريخ دمشق ـ السيرة ـ مجمع دمشق (٢/ ٣٥١) ، وأسد الغابة (٥/ ١١٢) والإصابة (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) .
(١١) ط : (جريس) تحريف . وانظر مصادر ترجمته .
(١٢) الاستيعاب (٣/ ١٣٧٧) .

فُضلاء الصحابة ، وكان ممن اعتزل الفِتْنةَ واتخذ سيفاً من خشبٍ . ومات بالمدينة سنة ثلاثٍ وأربعين على المشهور عندَ الجمهور ، وصلَّى عليه مروانُ بن الحَكَم . وقد روى حديثاً كثيراً عن النبي ﷺ . وذكر محمد بن سعد عن علي بن محمد المدائنيّ بأسانيده ، أنّ محمد بن مسلمة هو الذي كَتَبَ لوفدِ مَهْرَةَ[1] كتاباً عن أمر رسول الله ﷺ .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، معاوية بن أبي سُفيان صَخْرِ بن حَرْبِ بن أُمية الأُمَويّ ، وستأتي ترجمته في أيام إمارته إن شاء الله . وقد ذكره مسلم بن الحجاج[2] في كُتّابه عليه الصلاة والسلام . وقد روى مسلم في « صحيحه »[3] من حديث عكرمة بن عمار ، عن أبي زُمَيْل سِماك بن الوليد ، عن ابن عباس ، أنّ أبا سفيان قال : يا رسول الله ثلاثٌ أَعْطنيهنّ ؟ قال : « نعم » قال : تُؤَمِّرني حتى أقاتلَ الكُفّارَ كما كنتُ أقاتِلُ المسلمين . قال : « نعم » ؟ قال : ومعاوية تجعلُه كاتباً بين يديك . قال : « نعم ؟ » . . . الحديث . وقد أفردتُ لهذا الحديث جُزْءاً على حِدَة بسبب ما وقعَ فيه من ذِكرِ طَلَبِهِ تَزْويج أمّ حَبيبة من رسول الله ﷺ ، ولكن فيه من المَحْفوظ تَأْميرُ أبي سفيان وتوليتُه معاوية منصبَ الكِتـابة بَيْن يديه صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا قَدْرٌ مُتَّفقٌ عليه بين الناس قاطبةً .

فأما الحديثُ الذي قال[4] الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[5] في ترجمة معاوية هاهنا : أخبرنا أبو غالب بن البناء ، أخبرنا أبو محمد الجوهري ، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الله العَطَشي ، ثنا أحمد بن محمد البوراني ، ثنا السريّ بن عاصم ، ثنا الحسن بن زياد ، عن القاسم بن بَهرام ، عن أبي الزبير ، عن جابر : أنَّ رسولَ الله ﷺ استشارَ جبريلَ في اسْتِكتابِ مُعاوية ، فقال : اسْتَكْتِبْهُ فإنّه أمينٌ . فإنّه حديثٌ غريبٌ بل مُنْكَرٌ .

والسريُّ بن عاصم هذا هو أبو عاصم الهَمَذاني ، وكان يُؤَدّبُ المُعْتَزَّ بالله ، كَذَّبَهُ في الحَديث ابنُ خِراشٍ . وقال ابن حِبّان[6] وابنُ عَديّ[7] كانَ يَسْرقُ الحديثَ . زاد ابن حِبّان : ويَرْفَعُ المَوْقوفات لا يَحِلُّ الاحتجاجُ به . وقال الدّارَقُطني[8] : كانَ ضعيفَ الحديث . وشيخُه الحسنُ بن زياد ـ إن كان اللؤلؤيَّ ـ فقد تركه غيرُ واحدٍ من الأئِمَّة ، وصرَّح كثيرٌ منهم بكَذِبه ، وإن كانَ غَيْرَه فهو مجهولُ العَيْن والحال .

---

(١) في الأصول : مرة .
(٢) تاريخ دمشق ـ السيرة ـ (٢/ ٣٥١) .
(٣) مسلم (٢٥٠١) (١٦٨) .
(٤) أ : (الناس وأما الحديث قال) .
(٥) تاريخ دمشق (٢/ ٣٥١) .
(٦) المجروحين لابن حبان (١/ ٣٥٥) .
(٧) الكامل لابن عدي (٣/ ١٢٩٨) .
(٨) الضعفاء والمتروكين للدارقطني (٩٧) .

وأما القاسم بن بَهْرام فاثنان :

أحدهما يقال له : القاسمُ بن بَهْرام الأَسَدي الواسطي الأعرج ، أصلُه من أصْبهان ، روى له النسائي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . حديثَ الفتون[١] بطوله ، وقد وَثَّقه ابنُ مَعين وأبو حاتم وأبو داود وابن حِبّان .

والثاني : القاسم بن بَهْرام أبو هَمْدان[٢] قاضي هِيت . قال ابن معين : كان كَذّاباً . وبالجملة فهذا الحديثُ من هذا الوجه ليس بثابتٍ ولا يُغْتَرّ به ، والعجبُ من الحافظِ ابنِ عساكر مع جلالَةِ قَدْرِه واطّلاعه على صناعة الحديث أكثر من غيره من أبناء عصره ـ بل ومنْ تقدمه بدهر ـ كيف يورد في « تاريخه » هذا أحاديث كثيرة من هذا النمط ، ثم لا يُبَيّن حالَها ، ولا يُشيرُ إلى شيءٍ من ذلك إشارةً لا ظاهرةً ولا خفيّةً ، ومثلُ هذا الصنيع فيه نَظَرٌ . والله أعلم .

ومنهم ، رضي الله عنهم ، المُغيرة بن شُعْبة الثقفي ، وقد تقَدَّمت[٣] تَرْجَمتُه فيمن كان يَخْدُمُه عليه الصلاة والسلام من[٤] أصحابه من غير مواليه ، وأنه كان سَيّافاً على رأس رسول الله ﷺ .

وقد روى ابن عساكر[٥] بسنده عن عَتيق بن يَعقوب بإسناده المتقدم غيرَ مَرّةٍ أن المغيرة بن شُعْبة هو الذي كتب إقطاع حُصَيْن بن نَضْلَة الأسدي الذي أَقْطَعَهُ إياه رسول الله ﷺ بأمره .

فهؤلاء كُتّابُه الذين كانوا يكتبُون بين يَدَيْه صَلوات الله وسلامه عليه .

فصـــل

وقد ذَكَرَ ابنُ عَساكرٍ[٦] من أمنائه أبا عُبَيْدة عامرَ بن عبد الله بن الجَرّاح القُرَشي الفِهْري أحدَ العَشَرَةِ رضي الله عنه ، وعبدَ الرَّحْمن بن عوف الزهري .

قلت[٧] : أما أبو عُبَيْدة فقد روى البخاري[٨] من حديث أبي قِلابة ، عن أنس : أنّ رسولَ الله ﷺ قال :

---

(١) ط : (القنوت) تحريف . وحديث الفتون ، رواه النسائي في « الكبرى » (١١٣٢٦) وهو موقوف على ابن عباس ، وكأنه تلقاه ابن عباس من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره ، والله أعلم .

(٢) ط : (حمدان) .

(٣) ط : (قدمت) .

(٤) ط : (من بين أصحابه) .

(٥) تاريخ دمشق ـ السيرة ـ (٢/ ٣٥٢) .

(٦) تاريخ دمشق ـ السيرة ـ (٢/ ٣٥٢) .

(٧) ليس اللفظ في ط .

(٨) البخاري (٤٣٨٢ ، ٧٢٥٥) .

« لِكُلِّ أمةٍ أمينٌ وأمينُ هذه الأمَّة أبو عبيدة بن الجراح » وفي لفظ أن رسول الله قال لوفد[١] نجران : « لأبْعَثَنّ معكم أميناً حَقَّ أمين » فبعث معهم أبا عبيدة .

قال[٢] : ومنهم مُعَيْقيب بن أبي فاطمة الدَّوْسي مولى بني عبد شمس ، كان على خاتَمِه ، ويقال : كان خازِنَه[٣] ، وقال غيره : أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة في الثانية[٤] ، ثم إلى المدينة ، وشهد بدراً وما بعدها ، وكان على الخاتم ، واستعمله الشيخان على بيت المال ، قالوا : وكان قد أصابه الجُذام ، فأمر عمر بن الخطاب فدُوويَ بالحَنْظَلِ فتوقَّفَ المَرَضُ . وكانت وفاتُه في خلافة عثمان ، وقيل : سنة أربعين ، فالله أعلم .

قال الإمام أحمد[٥] : ثنا يحيى بن أبي بُكَيْر[٦] ، ثنا شيبان ، عن يحيى بن أبي كثير[٧] ، عن أبي سَلَمة ، حدّثني مُعَيْقيب ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في الرجل يُسوّي التراب حَيْثُ يَسْجُدُ قال : « إن كنتَ لابدَّ فاعلاً فواحدةً » . وأخرجاه في « الصحيحين »[٨] من حديث شيبان النحوي ، زاد مسلم : وهشام الدستوائي ، زاد[٩] الترمذي[١٠] والنسائي[١١] وابن ماجه[١٢] : والأوزاعي ، ثلاثتُهم عن يَحْيَى بن أبي كَثير به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد[١٣] : ثنا خَلَف بن الوليد ، ثنا أيوب بن عُتْبة[١٤] ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سَلَمة عن مُعَيْقيب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « وَيْلٌ للأعْقابِ منَ النّار » . تفرَّدَ به الإمامُ أحمد .

---

(١) ط : (لوفد عبد القيس نجران) .
(٢) تاريخ دمشق ـ السيرة ـ (٢/ ٣٥٢) .
(٣) ط : (خادمه) .
(٤) ط : (الناس) تحريف .
(٥) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٢٦) .
(٦) ط : (بكير) وهو تحريف انظر سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩٧) .
(٧) ط : (بكر) وهو تحريف انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧) .
(٨) البخاري (١٢٠٧) ومسلم (٥٤٤٦) (٤٧) و(٤٩) .
(٩) ط : (زاده) .
(١٠) الترمذي (٣٨٠) .
(١١) النسائي (١١٩١) .
(١٢) ابن ماجه (١٠٢٦) .
(١٣) مسند أحمد (٣/ ٤٢٦) و(٥/ ٤٢٥) ، وهو حديث صحيح لغيره .
(١٤) ط : (أيوب عن عتبة) خطأ . وانظر تهذيب الكمال (٣١/ ٥٠٤) .

وقد روى أبو داود[١] والنسائي[٢] من حديث أبي عَتَّاب سَهْل بن حَمّاد الدّلّال ، عن أبي مَكينٍ نوحِ بن ربيعة ، عن إياس بن الحارث بن المُعَيقيب ، عن جَدّه ـ وكان على خاتم النبي ﷺ ـ قال : كان خاتم النبي ﷺ من حَديدٍ ، مَلويٌّ ، عليه فضةٌ ، قال : فرُبّما كانَ في يدي .

قلت : أمّا خاتم النبي ﷺ فالصّحيحُ أنَّه كان من فِضَّةٍ ، فصُّه منه ، كما سيأتي في « الصحيحين » وكان قد اتَّخذَ قبلَه خاتمَ ذَهَبٍ ، فلبسه حيناً ، ثم رمى به ، وقال : « والله لا أَلْبَسُه » . ثم اتّخذ هذا الخاتَمَ من فضةٍ ، فَصُّهُ منه ، ونَقْشُهُ محمدٌ رسولُ الله ، « محمد » سطر ، و« رسول » سطر ، و« الله » سطر ، فكان في يده عليه الصلاة والسلام ، ثم كانَ في يَدِ أبي بكر من بعده ، ثم في يَدِ عُمَر ، ثم كان في يد عثمان ، فلبث في يده ستَّ سنين ، ثم سَقَطَ منه في بئر أريسٍ ، فاجْتَهَدَ في تَحْصيله فلم يَقْدِرْ عليه .

وقد صَنَّفَ أبو داود رحمة الله عليه كتاباً مستقلاً في « سننه »[٣] في الخاتم وحده ، وسنُورد منه إن شاء اللهُ قريباً ما نَحتاجُ إليه . وبالله المستعان .

وأما لُبْسُ مُعَيْقيب لهذا الخاتم فيدلُّ على ضَعْفِ ما نُقِلَ أنه أصابه الجُذام ، كما ذكره ابن عبد البر[٤] وغيره[٥] ، لكنَّه مشهور ، فلعلّه أصابه ذلك بعدَ النبيّ ﷺ ، أو كان به وكان مما لا يُعْدَى منه ، أو كان ذلك من خَصائِص النبيّ ﷺ لقوة توكُّله ، كما قال لذلك المجذوم ـ ووضع يدَه في القَصْعَة ـ « كُلْ ثِقَةً بالله ، وَتَوكُّلا عليه » رواه أبو داود[٦] . وقد ثبت في « صحيح مسلم »[٧] أنَّ رسول الله ﷺ قال : « فِرَّ من المجذوم فرارَكَ من الأَسَد » والله أعلم .

وأما أُمراؤه عليه الصلاة والسلام فقد ذكرناهم عند بعث السرايا منصوصاً على أسمائهم ، ولله الحمد والمنة .

وأما جملةُ الصحابة فقد اختلف الناسُ في عِدَّتهم ، فنُقِلَ عن أبي زُرْعة أنّه قال : يبلغون مئةَ ألفٍ

---

(١) أبو داود (٤٢٢٤) ، وإسناده ضعيف .
(٢) النسائي (٨/ ١٧٥) ، وإسناده ضعيف .
(٣) سنن أبي داود (٤/ ٨٥ـ٨٦) .
(٤) الاستيعاب (٤/ ١٤٧٩) .
(٥) انظر أسد الغابة (٥/ ٢٤١) .
(٦) أبو داود (٣٩٢٥) ، وإسناده ضعيف .
(٧) هذه الجملة التي ذكرها المؤلف « فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد » لم يروها مسلم ، وإنما هي قطعة من حديث رواه البخاري معلقاً برقم (٥٧٠٧) أوله : « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر » وهذه الجملة عند مسلم رقم (٢٢٢٠) و(٢٢٢٢) وقد وصل الحديث البيهقي (٧/ ١٣٥) وأخرجه أحمد (٢/ ٤٤٣) ، وهو حديث صحيح .

وعشرين ألفاً[١] ، وعن الشافعي رحمه الله أنه قال : توفي رسول الله ﷺ والمسلمون ممن سمع منه ورآه زهاء ستّين ألفاً[٢] ، وقال الحاكم أبو عبد الله : يُرْوى الحديثُ عن قريب من خمسة آلاف صحابي .

قلت : والذي رَوَى عَنْهُمُ الإمامُ أحمدُ ، مع كَثْرَة روايته واطّلاعِه واتّساعِ رحلتِه وإمامته من[٣] الصحابة تسعمئة وسبعة وثمانون نفساً . ووقع[٤] في الكتب الستة من الزيادات على ذلك قريب من ثلاثمئة صحابي أيضاً ، وقد اعتنى جماعة من الحُفّاظ رحمهم الله ، بضَبْطِ أسمائهم ، وذِكر أيامهم ووفياتهم ، من أجلِّهم الشيخُ أبو عمر بن عبد البر النَّمَري في كتابه « الاستيعاب » ، وأبو عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْدَه ، وأبو موسى المَديني ، ثم نظمَ جميعَ ذلك الحافظ عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن محمد بن عبد الكريم الجَزَري المعروف بابن الأثير[٥] ، صَنّفَ كتابه « الغابة » في ذلك فأجاد وأفاد ، وجَمَع وحَصَّل ، ونال ما رام وأمَّل ، فرحمه الله وأثابه ، وجمعه والصحابة آمين ، يا رب العالمين .

باب (ما يذكر من)[٦]

آثار النبي ﷺ التي كان يَخْتصُّ بها في حياته من ثيابٍ وسلاحٍ ومَراكبَ (وغير ذلك)[٦] (مما جرى في مجراه ، وينتظم في معناه)[٦]

ذكر الخاتم الذي كان يلبسه عليه الصلاة والسلام (ومن أي شيء كان من الأجسام)[٦]

وقد أفْرَدَ له أبو داود في كتابه « السنن » كتاباً على حِدَةٍ ، ولنذكر عيون ما ذَكَرَهُ في ذلك مع ما نُضيفُه إليه ، والمُعَوَّل في أصل ما نَذْكُره عليه .

قال أبو داود[٧] : ثنا عبد الرحيم بن مُطَرِّف الرُّؤاسي ، ثنا عيسى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : أراد رسول الله ﷺ أن يَكْتُبَ إلى بعض الأعاجم ، فقيل له : إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا بخاتَم . فاتخذ خاتماً من فضةٍ ، ونَقَش فيه : محمد رسول الله ، وهكذا رواه البخاري[٨] ، عن عبد الأعلى بن حماد عن يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة به .

---

(١) ط : (ألف) خطأ .
(٢) ط : (ألف) خطأ .
(٣) ط : (فمنه) .
(٤) ط : (ووضع) .
(٥) ط : (الصحابية) خطأ . وانظر سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٥٣) .
(٦) ليس ما بين القوسين في ط .
(٧) أبو داود (٤٢١٤) .
(٨) البخاري (٥٨٧٢) .

ثم قال أبو داود[(١)] : ثنا وَهْبُ بن بَقيّة ، عن خالد ، عن سعيد ، عن قَتادة ، عن أنس ، بمعنى حديث عيسى بن يونس ، زاد : فكان في يده حتى قُبض ، وفي يد أبي بكر حتى قُبضَ ، وفي يد عمر حتى قبض ، وفي يد عثمان ، فبينما هو عندَ بئرٍ إذ سقَط في البئر ، فأمر بها فنُزِحَتْ ، فلم يقدر عليه . تفرَّد به أبو داود من هذا الوجه .

ثم قال أبو داود[(٢)] رحمه الله : ثنا قُتيبةُ بن سَعيدٍ وأحمد بن صالح ، قالا : أنا ابن وهب ، أخبرني يُونُس ، عن ابن شهاب ، قال : حدّثني أنس ، قال : كان خاتَمُ النبيّ ﷺ من وَرِقٍ ، فصُّهُ حَبَشيٌّ .

وقد روى هذا الحديث البخاري[(٣)] من حديث الليث ، ومسلم[(٤)] من حديث ابن وهب ، وطلحة بن يحيى الأنصاري ، وسليمان بن بلال ، زاد النّسائي[(٥)] وابن ماجه[(٦)] : وعثمان عن عمر ، خمستُهم عن يونس بن يزيد الأيْلي به . وقال الترمذي[(٧)] : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه .

ثم قال أبو داود[(٨)] : حدَّثنا أحمد بن يونس ، ثنا زهير ، ثنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كان خاتَمُ النبيّ ﷺ من فضةٍ كلّه ، فصُّه منه ، وقد رواه الترمذي[(٩)] والنسائي[(١٠)] من حديث زهير بن معاوية الجُعْفي أبي خَيْثمة الكوفي به ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

وقال البخاري[(١١)] : ثنا أبو مَعْمَر ، ثنا عبد الوارث ، ثنا عبد العزيز بن صُهَيْب . عن أنس بن مالك ، قال : اصْطَنَع رسولُ الله ﷺ خاتَماً ، فقال : إنا اتَّخَذْنا خاتماً ، ونَقَشنا فيه نَقْشاً فلا يَنْقُشْ عليه أحدٌ ، قال : فإنّي أرى بَريقَه في خنصره .

ثم قال أبو داود[(١٢)] : حدَّثنا نُصَيْر بن الفَرَج ، ثنا أبو أسامة ، عن عُبَيْد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر : اتّخَذَ رسولُ الله ﷺ خاتماً من ذَهَبٍ ، وجعلَ فصَّه مما يلي بطنَ كفّه ، ونَقَشَ فيه : محمدٌ

---

(١) أبو داود (٤٢١٥) ، وإسناده صحيح .
(٢) أبو داود (٤٢١٦) .
(٣) البخاري (٥٨٦٨) .
(٤) مسلم (٦١ ـ ٦٢) ، (٢٠٩٤) .
(٥) النسائي (٥٢٩٢) .
(٦) ابن ماجه (٣٦٤١) .
(٧) الترمذي بعد حديث (١٧٣٩) .
(٨) أبو داود (٤٢١٧) ، وهو حديث صحيح .
(٩) الترمذي (١٧٤٠) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) النسائي (٥٢١٥) .
(١١) البخاري (٥٨٧٤) ، وهو حديث صحيح .
(١٢) أبو داود (٤٢١٨) .

رسولُ الله . فاتَّخذ الناسُ خَواتمَ الذَّهَبِ ، فلما رآهم قد اتخذوها رَمَى به ، وقال : لا أَلْبَسُه أبداً ، ثم اتخَذَ خاتماً من فِضَّة نقَش فيه : مُحمدٌ رسولُ الله ، ثم لبس الخَاتَمَ بعدَه أبو بكر ، ثم لبسه بعدَ أبي بكرٍ عمرُ ، ثم لبسهُ بعدَه عثمانُ ، حتى وقع في بئر أَريس . وقد رواه البخاريُّ[١] عن يوسف بن موسى ، عن أبي أسامة حماد بن أسامة به .

ثم قال أبو داود[٢] : حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا سفيان بن عُيَيْنة ، عن أيوب بن موسى ، عن نافع ، عن ابن عمر ، في هذا الخبر عن النبيِّ ﷺ فنقشَ فيه : محمدٌ رسول الله ، وقال : لا يَنْقُشْ أحدٌ على خاتمي هذا ، وساق الحديث ، وقد رواه مسلم[٣] وأهل السنن الأربعة[٤] من حديث سفيان بن عُيينة به نحوه .

ثم قال أبو داود[٥] : حدَّثنا محمد بن يحيى بن فارس ، ثنا أبو عاصم ، عن المغيرة بن زياد ، عن نافع ، عن ابن عمر في هذا الخبر ، عن النبي ﷺ قال : فالتمسوه فلم يجدوه ، فاتَّخذ عثمانُ خاتَماً ونَقَش فيه : محمد رسول الله ، قال : فكان يختم به أو يَتَختَّم به . ورواه النسائي[٦] ، عن محمد بن مَعْمَر ، عن أبي عاصم الضحاك بن مَخْلَد النَّبيل به .

ثم قال أبو داود[٧] :

باب
في ترك الخاتم

حدَّثنا محمد بن سليمان لُوَيْنٌ ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك أنه رأى في يد النبي ﷺ خاتماً من وَرِقٍ يوماً واحداً ، فصنع الناسُ فلبسوا ، وطرح النبيُّ ﷺ فطرح الناسُ ، ثم قال : رواه عن الزهري زياد بن سعد وشُعَيْب وابن مسافرٍ ، كلهم قال : من وَرِقٍ .

قلت : وقد رواه البخاري[٨] : ثنا يحيى بن بُكَيْر ، ثنا الليثُ ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدّثني أنس بن مالك . أنّه رأى في يد النبي ﷺ خاتماً من وَرِقٍ يوماً واحداً ، ثم إن الناس اصطنعوا

---

(١) البخاري (٥٨٦٦) .
(٢) أبو داود (٤٢١٩) .
(٣) مسلم (٢٠٩١) .
(٤) الشمائل للترمذي (٩٧) والنسائي (٥٢٣١) وابن ماجه (٣٦٣٩) .
(٥) أبو داود (٤٢٢٠) ضعيف الإسناد منكر المتن .
(٦) النسائي (٥٢٣٢) ، وإسناده ضعيف .
(٧) أبو داود (٤٢٢١) .
(٨) البخاري (٥٨٦٨) .

الخَواتيم من وَرِقٍ ولبسوها ، فطرح رسول الله ﷺ خاتَمه ، فطرح الناسُ خواتيمهم ، ثم علقه البخاري ، عن إبراهيم بن سعد الزهري المدني ، وشُعَيْب بن أبي حَمْزة ، وزياد بن سعد الخراساني ، وأخرجه مسلم[١] من حديثه ، وانفرد أبو داود بعبد الرحمن بن خالد بن مُسافر ، كلُّهم عن الزهري ، كما قال أبو داود : خاتماً من وَرِق .

والصحيح أنَّ الذي لبسه يوماً واحداً ثم رمى به ، إنما هو خاتم الذهب ، لا خاتم الورِق ، لما ثبت في « الصحيحين »[٢] عن مالك عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : كان رسول الله ﷺ يلبس خاتماً من ذهب ، فنبذه وقال : لا ألْبَسُهُ أبداً ، فَنَبَذَ الناسُ خَواتيمَهُم . وقد كان خاتمُ الفضَّة يلبَسُهُ كَثيراً ، ولم يَزَلْ في يده حتى تُوُفِّي صلوات والله وسلامه عليه ، وكان فصُّه منه ، يعني : ليسَ فيه فصٌّ يَنْفَصِل عنه ، ومَنْ رَوَى أنّه كانَ فيه صورةُ شخصٍ فقد أبْعَدَ وأخْطَأَ ، بل كان فِضَّةً كلُّه ، وفصُّه منه ، ونَقْشُه محمد رسول الله ، ثلاثة أسطر : « محمد » سطر ، « رسول » سطر ، « الله » سطر . وكأنه ، والله أعلم ، كان منقوشاً ، وكتابتُه مقلوبةٌ لِيُطْبَعَ على الاستقامة . كما جرت العادة بهذا ، وقد قيل : إنّ كتابتَه كانت مُسْتقيمةً ، وتُطْبَعُ كذلك ، وفي صحة هذا نظرٌ ، ولستُ أعرفُ لذلك إسناداً لا صحيحاً ولا ضعيفاً .

وهذه الأحاديثُ التي أوْرَدْناها أنّه عليه الصلاة والسلام ، كان له خاتمٌ من فِضَّةٍ ، تَرُدُّ الأحاديثَ التي قَدَّمناها في سُنَنَيْ أبي داود[٣] والنسائي[٤] من طريق أبي عَتّاب سَهْل بن حمادٍ الدَّلّال ، عن أبي مَكينٍ نوحِ بن رَبيعةَ، عن إياسِ بنِ الحارثِ بن مُعَيْقيب بن أبي فاطمة ، عن جدِّه ، قال : كان خاتَمُ النبيِّ ﷺ من حَديدٍ، مَلْويٌّ عليه فِضَّةٌ، ومما يزيدُه ضَعفاً الحديثُ الذي رواه أحمد[٥] وأبو داود[٦] والتِّرمذي[٧] والنّسائي[٨] من حديث أبي طَيْبَةَ عبدِ الله بن مسلم السُّلَمي المَرْوزي ، عن عبد الله بن بُرَيْدَة ، عن أبيه ، أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتَمٌ من شَبَهٍ[٩] ، فقال : ما لي أجدُ منك ريحَ الأصْنام ؟ فَطَرَحَهُ ، ثم جاء وعليه خاتمٌ من حَديدٍ ، فقال : ما لي أرَى عَلَيْك حِلْيَةَ أهلِ النّار ؟ فَطَرَحَه ، ثم قال : يا رسولَ الله ،

(١) مسلم (٢٠٩٣) .
(٢) هو في البخاري (٥٨٦٧) ، أخرجه مسلم من طريق نافع عن ابن عمر بنحوه برقم (٢٠٩١) .
(٣) أبو داود (٤٢٢٤) ، وإسناده ضعيف .
(٤) النسائي (٥٢٢٠) ، وإسناده ضعيف .
(٥) مسند أحمد (٥/ ٣٥٩) .
(٦) أبو داود (٤٢٢٣) ، وإسناده ضعيف بتمامه ، ولبعضه شواهد .
(٧) الترمذي (١٧٨٥) ، وإسناده ضعيف بتمامه ، ولبعضه شواهد .
(٨) النسائي (٥٢١٠) ، وإسناده ضعيف بتمامه ، ولبعضه شواهد .
(٩) الشِّبْهُ والشَّبَهُ : النحاس يُصبغُ فَيَصْفَرُّ وسميّ بذلك لأنّه إذا فُعل به ذلك أشبه الذهبَ بلونه (اللسان : شبه) .

منْ أيّ شَيءٍ أتَّخِذُه ؟ قال : اتّخِذهُ من وَرِقٍ ، ولا تُتمَّهُ مِثْقالاً ، وَقَدْ كانَ عليه الصلاة والسلام يَلْبسُهُ في يدِه اليُمْنَى .

كما رواه أبو داد[1] والترمذي في « الشمائل »[2] والنسائي[3] من حديث شَريكٍ[4] ، القاضي ، عن إبراهيم بن عبد الله بن حُنَيْن[5] ، عن أبيه ، عن عليٍّ رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ . قال شَريكٌ : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنَّ رسولَ الله كان يَتَخَتمُ في يمينه ، ورُويَ في اليُسْرى ، رواه أبو داود[6] من حديث عبد العزيز بن أبي رَوَّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ كان يَتَخَتَّمُ في يساره ، وكان فصُّه في باطن كَفّه . قال أبو داود : رواه أبو إسحاق وأسامة بن زيد ، عن نافع : في يمينه .

وحدَّثنا هَنّادٌ[7] ، عن عَبْدَة ، عن عُبَيْد الله ، عن نافع : أنَّ ابن عمر كان يَلْبسُ خاتَمَهُ في يده اليُسْرى .

ثم قال أبو داود[8] : حدَّثنا عبد الله بن سعيد ، ثنا يونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحاق قال : رأيت على الصَّلْتِ بن عبد الله بن نوفل بن عبد المطلب خاتَماً في خِنْصَرِه اليُمْنى ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : رأيتُ ابنَ عبّاسٍ يَلْبسُ خاتَمَه هكذا ، وجعل فصَّه على ظهرها . قال : ولا يُخالُ ابنُ عبّاسٍ إلا قد كان يَذْكُرُ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَلْبَسُ خاتَمَه كذلك ، وهكذا رواه الترمذي[9] من حديث محمد بن إسحاق به ، ثم قال : قال محمد بن إسماعيل ، يعني البخاري : حديث ابن إسحاق عن الصَّلْت حديثٌ حسنٌ .

وقد روى الترمذي في « الشمائل »[10] عن أنس ، وعن جابرٍ ، وعن عبد الله بن جعفر ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَتَختَّمُ في اليمين .

وقال البخاري[11] : حدَّثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، ثنا أبي ، عن ثمامة ، عن أنس بن مالكٍ :

---

(١) أبو داود (٤٢٢٦) ، وهو حديث صحيح .
(٢) الشمائل للترمذي (٩٢) ، وهو حديث صحيح .
(٣) النسائي (٥٢١٨) ، وهو حديث صحيح .
(٤) بعده في ط : (وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن) .
(٥) ط : (عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسن) وفي أ : (عن عبد الله بن حنين) . وانظر تهذيب الكمال (٢/ ١٢٤) .
(٦) أبو داود (٤٢٢٧) .
(٧) أبو داود (٤٢٢٨) ، وهو حديث صحيح .
(٨) أبو داود (٤٢٢٩) ، وهو حديث حسن .
(٩) الترمذي (١٧٤٢) ، وهو حديث حسن .
(١٠) الشمائل للترمذي (٩٣ ، ٩٤) عن عبد الله بن جعفر و(٩٥) عن جابر بن عبد الله و(٩٩) عن أنس بن مالك ، وهو حديث صحيح .
(١١) البخاري (٥٨٧٨) .

أنَّ أبا بكـر لما اسـتُخْلِف كَتَب له ، وكان نقـشُ الخاتَم ثلاثةَ أسْطرٍ : « محمد » سطرٌ . و« رسول » سطرٌ . و« الله » سطرٌ .

قال أبو عبد الله[١] : وزادني[٢] أحمد : ثنا الأنصاري ، حدّثني أبي ، عن ثمامة ، عن أنس ، قال : كان خاتَمُ النبيّ ﷺ في يده ، وفي يد أبي بكر بعده[٣] ، وفي يد عمر بعد أبي بكر . قال : فلما كان عثمانُ جَلَسَ على بئر أريس ، فأخرج الخاتَمَ ، فجعل يَعْبَثُ به فَسَقَطَ ، قال : فاختَلَفْنا ثلاثةَ أيامٍ مع عثمان ، فَنَزَح البِئْرَ فلم نَجِدْهُ .

فأما الحديث الذي رواه الترمذي في « الشمائل »[٤] ، ثنا قُتَيْبَة ، ثنا أبو عَوانة ، عن أبي بشرٍ ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ ، اتَّخَذَ خاتماً من فضة ، فكان يَخْتِمُ به ولا يَلْبسه . فإنه حديثٌ غريبٌ جداً .

وفي السنن[٥] من حديث ابن جُرَيْج ، عن الزُّهْري ، عن أنسٍ ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا دَخَل الخَلاءَ نَزَعَ خاتَمَهُ .

ذكر سَيْفِهِ عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد[٦] : ثنا سُرَيْج[٧] ، ثنا ابن أبي الزِّناد ، عن أبيه ، عن الأعْمَى عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَة بن مسعود ، عن ابن عبّاس قال : تَنَفَّل رسولُ الله ﷺ سيفَه ذا الفقار يوم بدر ، وهو الذي رأى الرُّؤْيا يومَ أُحُد ، قال : رأيتُ في سيفي ذي الفقار ، فَلاًّ ، فأوّلْتُه فَلاًّ يكونُ فيكم ، ورأيتُ أنّي مُرْدِفٌ كَبْشاً ، فأوّلْتُه كبشَ الكَتيبة ، ورأيتُ أنّي في دِرْعٍ حَصينةٍ ، فأوّلْتها المدينةَ ، ورأيتُ بَقَراً تُذْبَحُ ، فَبَقر والله خيرٌ فَبَقرٌ والله خَيْرٌ ، فكان الذي قال رسول الله ﷺ . وقد رواه الترمذي وابن ماجه[٨] من حديث عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه به .

---

(١) البخاري (٥٨٧٩) .
(٢) ط : (وزاد أبو أحمد) .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) الشمائل للترمذي (٨٥) .
(٥) أبو داود (١٩) والترمذي (١٧٤٦) والنسائي (٥٢٢٨) وابن ماجه (٣٠٣) ، وهو حديث ضعيف .
(٦) مسند أحمد (١/ ٢٧١) .
(٧) أ ، ط : (شريح) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٩) .
(٨) تقدم تخريجهما .

وقد ذكر أهل السُّنَن[١] أنه سُمع قائلٌ يقول : لا سيفَ إلا ذو الفقار ، ولا فتَى إلا عليّ[٢] .

وروى الترمذي[٣] من حديث هُود بن عبد الله بن سعد[٤] ، عن جدّه مَزيدة بن جابر العَبْدي العَصَري رضي الله عنه ، قال : دخل رسول الله ﷺ مكة ، وعلى سيفه ذَهَبٌ وفضَّةٌ . . . الحديث ، ثم قال : هذا حديثٌ غريبٌ .

وقال الترمذي في « الشمائل »[٥] : حدَّثنا محمد بن بَشّار ، ثنا مُعاذ بن هشام ، ثنا أبي ، عن قتادة ، عن سعيد بن أبي الحسن ، قال : كانت قَبيعةُ سَيفِ[٦] رسولِ الله ﷺ من فِضَّةٍ .

وروى أيضاً[٧] من حديث عثمان بن سعد عن ابن سيرين قال : صَنَعْتُ سيفي على سيف سَمُرة ، وَزَعم سَمُرة أنه صَنَعَ سَيْفَه على سيف رسول الله ﷺ وكان حَنَفيّاً[٨] .

وقد صار إلى آل علي سيفٌ من سيوف رسول الله ﷺ ، فلما قُتل الحسين بن علي ، رضي الله عنهما ، بكَرْبلاء عندالطَّفِّ كان معه ، فأخذه عليُّ بن الحسين زين العابدين ، فقدم معه دمشق حين دخل على يزيد بن معاوية ، ثم رجع معه إلى المدينة ، فثبت في « الصحيحين »[٩] عن المِسْور بن مَخْرَمة أنه تَلَقّاهُ إلى الطّريقِ، فقال له : هل لك إليَّ من حاجةٍ تأمُرني بها ؟ قال : فقال : لا ، فقال : هل أنت مُعْطِيَّ سَيْفَ رسول الله ﷺ؟ فإنّي أخْشَى أن يَغْلبَكَ عليه القوم، وأيْمُ الله إن أعْطَيْتَنيه لا يخلُصُ إليه أحدٌ حتى يَبْلُغَ نَفْسي.

وقد ذُكِرَ للنبيّ ﷺ غيرُ ذلك من السلاح ، من ذلك الدُّروعُ كما روَى غيرُ واحدٍ ، منهم السائبُ بن يزيد ، وعبدُ الله بن الزُّبَيْر ، أنّ رسولَ الله ﷺ ظاهَرَ يومَ أُحُدٍ[١٠] بين دِرْعَيْن .

وفي « الصحيحين »[١١] من حديث مالك ، عن الزهري ، عن أنس : أنَّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ يومَ الفَتْح ، وعلى رأسه المِغْفَر ، فلما نـزَعه قيل له : هذا ابن خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بأسْتارِ الكَعْبَة ، فقال : اقتلوه .

---

(١) كنز العمال : (١٤٢٤٢) .
(٢) هو في أثر واهٍ عند الحسن بن عرفة رقم (٣٨) أقول : ولا أصل له في المرفوع ، وليس عند أهل السنن .
(٣) الترمذي (١٦٩٠) ، وإسناده ضعيف .
(٤) ط : (سعيد) وانظر تهذيب الكمال (٣٠/ ٣٠) .
(٥) الشمائل للترمذي (١٠٢) ، وهو مرسل صحيح بشواهده .
(٦) قَبيعة السيف : ما كان على طرف مقبضه من فضة أو حديد (اللسان : قبع) .
(٧) الشمائل رقم (١٠٤) وهو حديث ضعيف .
(٨) ضرب من السيوف تنسب للأحنف بن قيس لأنه أول من أمر باتخاذها (اللسان : حنف) .
(٩) البخاري (٣١١٠) ومسلم (٢٤٤٩) (٩٥) .
(١٠) لفظا (يوم أحد) مستدركة في هامش أ .
(١١) البخاري (١٨٤٦ ، ٣٠٤٤ ، ٤٢٨٦ ، ٥٨٠٨) ومسلم (١٣٥٧) (٤٥٠) .

وعند مسلم[١] من حديث أبي الزبير ، عن جابر : أنَّ رسول الله ﷺ دخلَ يومَ الفَتْح ، وعليه عمامةٌ سوداءُ .

وقال وكيعٌ[٢] ، عن مُساورٍ الوَرّاقِ ، عن جعفر بن عمرو بن حُرَيْث ، عن أبيه ، قال : خطب رسول الله ﷺ الناسَ وعليه عمامةٌ سوداء .

وقال وكيع ، عن عبد الرحمن ابن الغسيل (أبي سليمان) عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله خطب الناس وعليه عمامة دسماء .

ذكرهما الترمذي في « الشمائل »[٣] .

وله من حديث الدّراوَرْدي[٤] ، عن عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ إذا اعْتَمَّ سَدَلَها بينَ كَتِفَيْه .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في «مسنده»[٥] : حدَّثنا أبو شَيْبَة إبراهيم بن عبد الله بن محمد، ثنا مُخَوَّل بن إبراهيم، ثنا إسرائيل، عن عاصم، عن محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك : أنه كانَتْ عنده عُصَيَّةٌ لرسول الله ﷺ . فماتَ فدُفِنَتْ مَعَهُ بين جَنْبِه وبين قَميصِه . ثم قال البزار : لا نَعْلم رَوَاهُ إلا مُخَوَّل بن راشد ، وهو صَدوقٌ فيه شيعيَّةٌ . واحتُمِلَ على ذلك ، وقال الحافظ البيهقي[٦] . بعد روايته هذا الحديث من طريق مُخَوَّل هذا، قال: وهو من الشِّيعة يأتي بأفرادٍ عن إسرائيل لا يأتي بها غيرُهُ ، والضعفُ على رواياته بيِّنٌ ظاهرٌ .

ذكر نعله التي كان يمشي فيها عليه الصلاة والسلام

ثَبَتَ في « الصَّحيح »[٧] عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ كان يَلبَسُ النّعال السَّبتيَّة ، وهي التي لا شعرَ عليها .

وقد قال البخاري في « صحيحه »[٨] : حدَّثنا محمد ، هو ابن مقاتل ، ثنا عبد الله ، يعني ابن

---

(١) مسلم (١٣٥٨) (٤٥١) .
(٢) مسلم (١٣٥٨) (٤٥٢) .
(٣) الشمائل رقم (١١١) و(١١٣) .
(٤) الترمذي (١٧٣٦) ، وهو حديث صحيح .
(٥) كشف الأستار (٨٤٠) ومجمع الزوائد (٣/ ٤٥) .
(٦) دلائل النبوة (٧/ ٢٧٩) .
(٧) البخاري (١٦٦ ، ٥٨٥١) .
(٨) البخاري (٥٨٥٨) .

المبارك ، أنا عيسى بن طَهْمان ، قال : أخرج[(١)] إلينا أنسُ بن مالك بنعلين لهما قِبالان ، فقال ثابت البُناني : هذه نعلُ النبي ﷺ .

وقد رواه في كتاب الخُمُس[(٢)] ، عن عبد الله بن محمد ، عن أبي أحمد الزُّبَيْري ، عن عيسى بن طَهْمان، عن أنس، قال : أَخْرَج إلينا أنس نعلين جَرداوين لهما قِبالان ، فحدّثني ثابتٌ البُناني بعدُ عن أنسٍ أنهما نَعْلا النبيّ ﷺ . وقد رواه الترمذي في « الشمائل »[(٣)] عن أحمد بن مَنيعٍ عن أبي أحمد الزبيري به .

وقال الترمذي في « الشمائل »[(٤)] : حدَّثنا أبو كُرَيْب ، ثنا وَكيع ، عن سُفيان ، عن خالد الحَذاء ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : كان لنعلِ رسول الله ﷺ قِبالان مُثَنًّى شِراكُهما .

وقال أيضاً[(٥)] : ثنا إسحاق بن منصور ، أنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن ابن أبي ذئب ، عن صالح مولى التَّوأمة ، عن أبي هريرة ، قال : كان لنعل رسول الله ﷺ قِبالان .

وقال الترمذي[(٦)] : ثنا محمد بن مرزوق أبو عبد الله ، ثنا عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية ، ثنا هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، قال : كان لنعل رسول الله ﷺ قِبالان وأبي بكر وعمر ، وأولُ من عَقَدَ عَقْداً واحداً عثمانُ .

قال الجوهري : قِبالُ النَّعل بالكَسْرِ : الزِّمام الذي يكون بين الإصبع الوسطى والتي تليها .

قلت : واشتهر في حدود سنة ستمئة وما بعدها عند رجل من التُّجار ، يقال له : ابن أبي الحَدْرَدِ ، نعلٌ مُفْرَدَةٌ ذكر أنه نعلُ النبيّ ﷺ ، فسامها المَلِكُ الأشْرَفُ موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب منه بمالٍ جَزيلٍ ، فأبى أنْ يَبيعها ، فاتَّفق موتُه بعد حينٍ ، فصارَتْ إلى الملك الأشرف المذكور ، فأَخذَها إليه وعَظَّمها ، ثم لما بنى دارَ الحديثِ الأشْرفيّة إلى جانب القلعة ، جعلها في خزانة منها ، وجعلَ لها خادماً ، وقُرِّر له من المعلوم كلَّ شَهْرٍ أربعون درهماً ، وهي موجودةٌ إلى الآنَ في الدار المذكورة .

وقال الترمذي في « الشمائل »[(٧)] : ثنا محمد بن رافع وغير واحد قالوا : ثنا أبو أحمد الزُّبَيْري ، ثنا شيبان ، عن عبد الله بن المختار ، عن موسى بن أنس ، عن أبيه قال : كانَتْ لرسولِ الله ﷺ سُكَّةٌ[(٨)] يَتَطَيَّبُ منها .

---

(١) ط : (خرج) .
(٢) البخاري (٣١٠٧) .
(٣) الشمائل للترمذي (٧٥) .
(٤) الشمائل للترمذي (٧٤) .
(٥) الشمائل للترمذي (٧٧) .
(٦) الشمائل للترمذي (٨٣) .
(٧) الشمائل للترمذي (٢٠٩) .
(٨) أ ، ط : (سله) تحريف . والسُّكُّ : طيب معروف يضاف إلى غيره من الطيب ويستعمل (النهاية : سكك) .

صفة قدح النبي ﷺ

قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا يحيى بن آدم ، ثنا شَريكٌ ، عن عاصم قال : رأيتُ عند أنسٍ قَدَحَ النبيِّ ﷺ فيه ضَبَّةٌ من فضةٍ .

وقال الحافظ البيهقي(٢) : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، أخبرني أحمد بن محمد النَّسوي ، ثنا حماد بن شاكر ، ثنا محمد بن إسماعيل ـ هو البخاري ـ ثنا الحسن بن مُدْرِك ، حدّثني يحيى بن حماد ، أنا أبو عَوانة ، عن عاصم الأحول قال : رأيتُ قَدَحَ النبيّ ﷺ عند أنسِ بن مالكٍ ، وكان قد انصَدَعَ فَسَلْسَلَهُ بفضّةٍ . قال : وهو قَدَحٌ جَيِّدٌ عَريضٌ من نُضار(٣) .

قال أنس : لقد سقَيْتُ رسولَ الله ﷺ في هذا القَدَح أكثرَ من كذا وكذا . قال : وقال ابن سيرين : إنّه كان فيه حَلْقَةٌ من حديد ، فأراد أنسٌ أن يَجْعَلَ مكانَها حَلْقَةً من ذهبٍ أو فضةٍ ، فقال له أبو طلحة : لا تُغيِّرنَّ شيئاً صَنَعَه رسولُ الله ﷺ فتركه .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا رَوْحُ بن عُبادةَ ، ثنا حَجّاج بن حَسّان قال : كُنّا عند أنسٍ فدعا بإناءٍ فيه ثلاث ضَبّاتٍ حديد ، وحلقة من حديد ، فأُخْرِج من غِلافٍ أسود ، وهو دونَ الرُّبُع ، وفوقَ نصفِ الرُّبُع ، وأمَر أنَسُ بن مالكٍ فجُعل لنا فيه ماء فأُتينا به ، فشرِبْنا وصَبَبْنا على رؤوسنا ووجوهنا ، وصَلَّيْنا على النبي ﷺ . انفردَ به أحمد .

(ذكر ما ورد في)(٥) في المُكْحُلةِ التي كانَ عليه الصلاة والسلام يَكْتَحلُ منها

قال الإمام أحمد(٦) : ثنا يزيد ، أنا عبّاد(٧) بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت لرسول الله ﷺ مُكْحُلة يَكْتَحِلُ منها عندَ النَّوم ثلاثاً في كل عَيْنٍ . وقد رواه الترمذي(٨) وابن

---

(١) المسند (٣/ ١٣٩) ، وهو حديث حسن .
(٢) السنن الكبرى (١/ ٣٠) .
(٣) نضار ، أي خشب نضار ، وهو خشب معروف ، وقيل : هو الأثل الورسي اللون ، وقيل : النبع ، وقيل : الخلاف وهو الصفصاف (النهاية : نضر) .
(٤) مسند أحمد (٣/ ١٨٧) ، وإسناده حسن .
(٥) ما بين القوسين لم يرد في ط .
(٦) مسند أحمد (١/ ٣٥٤) ، وإسناده ضعيف .
(٧) في الأصول : عبد الله .
(٨) الترمذي (٢٠٤٨) ، وإسناده ضعيف .

ماجه[١] من حديث يزيد بن هارون ، قال علي بن المديني[٢] : سمعت يحيى بن سعيد ، يقول : قلتُ لعَبّاد بن منصورٍ : سَمِعْتَ هذا الحديثَ من عكرمة ؟ فقال : أخبرنيه ابن أبي يحيى ، عن داود بن الحصين عنه .

قلت : وقد بلغني أنَّ بالديار المصرية مَزاراً فيه أشياءُ كثيرةٌ من آثار النبي ﷺ ، اعتنى بجمعها بعضُ الوزراء المُتأخّرين ، فمن ذلك مُكْحلةٌ ، ومِيلٌ[٣] ومُشْطٌ ، وغير ذلك . فالله أعلم .

البُــرْدَةُ

قال الحافظُ البَيْهقي :[٤] وأما البُرْدُ الذي عندَ الخلفاء فقد رُوِّينا عن محمد بن إسحاق بن يسار في قصة تَبوك : أنّ رسولَ الله ﷺ أعْطَى أهلَ أيْلَة بُرْدَهُ مع كتابه الذي كَتب لهم أماناً لهم ، فاشتراه أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاث مئة دينار ـ يعني بذلك أولَ خلفاء بني العباس وهو السفاح ، رحمه الله ـ وقد توارَثَ بنو العباس هذه البُرْدة خَلَفاً عن سَلَفٍ ، كان الخليفةُ يلبسُها يومَ العيدِ على كَتِفَيْهِ ، ويأخذ القَضيبَ المنسوبَ إليه ، صلوات الله وسلامه عليه ، في إحدى يديه ، فيخرجُ وعليه من السَّكينة والوقار ما يصدع به القلوب ، ويَبْهَرُ به الأبصارَ ، ويَلْبسون السَّواد في أيام الجُمَع والأعياد ، وذلك اقتداءً منهم بسيِّدِ أهْلِ البَدْو والحَضَر ، ممن سَكَنَ[٥] الوَبَـرَ والمَدَرَ ، لما أخرجه البخـاري[٦] ومسلم[٧] إماما أهل الأثر ، من حديث عن مالكٍ عن[٨] الزهري ، عن أنس : أنّ رسول الله ﷺ دَخَلَ مكةَ وعلى رأسه المِغْفَر ، وفي رواية[٩] : وعليه عمامةٌ سوداءُ ، وفي رواية[١٠] : قد أرْخَى طَرَفَها بين كَتِفَيْه ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقد قال البخاري[١١] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا إسماعيل ، ثنا أيوب ، عن حُمَيد[١٢] ، عن أبي بُرْدة قال : أخرجَتْ إلينا عائشةُ كِساءً وإزاراً غَليظاً ، فقالت : قُبض رُوحُ النبي ﷺ في هذين .

---

(١) ابن ماجه (٣٤٩٩) ، وإسناده ضعيف .
(٢) الضعفاء الكبير (٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧) .
(٣) ط : (وقيل) .
(٤) دلائل النبوة (٧/ ٢٧٨) .
(٥) ط : (يسكن) .
(٦) البخاري (١٨٤٦ ، ٣٠٤٤ ، ٤٢٨٦ ، ٥٨٠٨) .
(٧) مسلم (١٣٥٧) (٤٥٠) .
(٨) ليس اللفظ في ط .
(٩) مسلم (١٣٥٨) (٤٥١) .
(١٠) مسلم (١٣٥٩) (٤٥٣) .
(١١) البخاري (٥٨١٨) .
(١٢) ط : (محمد) .

وللبخاري[١] من حديث الزُّهْري عن عُبَيْد الله بن عبد الله ، عن عائشة وابن عبّاس ، قالا : لما نزلَ برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَميصةً له على وجهه ، فإذا اغتمَّ كَشَفَها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : « لعنةُ اللهِ على اليهود والنصارى : اتَّخذوا قُبورَ أنبيائهم مساجدَ ، يُحَذِّرُ ما صنعوا » .

قلت : وهذه الأثواب[٢] الثّلاثةُ لا يُدْرَى ما كان من أمرها بعدَ هذا . وقد تقدَّم أنّه عليه الصلاة والسلام طُرِحَتْ تحتَه في قَبْره الكريمِ قَطيفةٌ حمراء كان يُصلِّي عليها ، ولو تَقصَّيْنا ما كان يلبسهُ في أيام حياته لطال الفَصلُ ، وموضعه كتابُ اللّباس من كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر[٣] أفْراسِه ومَراكيبه عليه الصلاةُ والسَّلامُ

قال ابن إسحاق : عن يَزيد بن حَبيب ، عن مَرْثد بن عبد الله اليَزَني[٤] ، عن عبد الله بن زُرَيْرٍ[٥] ، عن عليّ قال : كانَ للنبيّ ﷺ فَرَسٌ يُقالُ له : المُرْتِجزُ ، وحِمارٌ يُقالُ لهُ : عُفَيْرٌ . وبغلةٌ يقالُ لها : دُلْدُلُ ، وسَيْفُهُ ذو الفقارِ ، ودِرْعُهُ ذو الفُضول . ورواه البيهقي[٦] من حديث الحكم ، عن يحيى بن الجَزّار ، عن علي نحوه ، قال البيهقي : وَرَوَيْنا في كتاب « السنن » أسماء أفراسه التي كانت عند الساعديّيْن ؛ لزازاً[٧] واللُّحَيْف ، وقيل : اللُّخَيْف ، والظَّرِب ، والذي ركبه لأبي طلحة ، يقال له : المندوب . وناقتُه القَصْواء ، والعَضْباء ، والجَدْعاء ، وبغلته الشهباء ، والبَيْضاء . قال البيهقي : وليس في شيء من الروايات أنه مات عنهن ، إلا ما رَوَيْنا في بَغْلَته البَيْضاء ، وسلاحه ، وأرْضٍ جَعَلَها صَدَقَةً ، ومن ثيابه ، ونَعْلَيْه[٨] ، وخاتَمِه ، وما[٩] رَوَيْنا في هذا الباب .

وقال أبو داود الطيالسي[١٠] : ثنا زمعة بن صالح ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : تُوفِّي رسول الله ﷺ وله جُبَّةُ صوفٍ في الحياكة . وهذا إسناد جيد .

---

(١) البخاري (٥٨١٥ ، ٥٨١٦) .
(٢) ط : (الأبواب) تحريف .
(٣) ليس اللفظ في ط .
(٤) ط : (المزني) وانظر تهذيب الكمال (٢٧/ ٣٥٧) .
(٥) أ ، ط : (رزين) وهو تحريف . وانظر تهذيب الإكمال (١٤/ ٥١٧) .
(٦) دلائل النبوة (٧/ ٢٧٨) .
(٧) أ : (نزار) تحريف ، وط : (لزاز) وما أثبته للسياق النحوي .
(٨) ط : (وبغلته) تحريف .
(٩) ط : (ما) بلا واو .
(١٠) تاريخ دمشق (٤/ ٢٠٠) .

وقد روى الحافظ أبو يَعْلى في « مسنده » : ثنا مجاهد بن[١] موسى ، ثنا علي بن ثابت ، ثنا غالب الجزري عن أنس قال : لقد قُبض رسول الله ﷺ وإنه ليُنْسَجُ له كساءٌ من صوف . وهذا شاهدٌ لما تقدم قبله[٢] .

وقال أبو سعيد بن الأعرابي[٣] : ثنا سَعْدان بن نَصْر[٤] ، ثنا سُفْيان بن عُيينة ، عن الوليد بن كثير ، عن حسن[٥] بن حسين ، عن فاطمة بنت الحسين : أنَّ رسول الله ﷺ قُبض وله بُرْدان في الجُفِّ[٦] يُعْملان ، وهذا مرسل .

وقال أبو القاسم الطبراني[٧] : ثنا الحسين[٨] بن إسحاق التُّسْتري ، ثنا أبو أمية عَمْرو بن هشام الحَرّاني ، ثنا عُثمان بن عبد الرحمن عن[٩] علي بن عروة ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عَطاء وعَمْرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال :

كان لرسولِ الله ﷺ سيفٌ قائِمَتُه من فِضَّة وقبيعتُه[١٠] وكان يُسمَّى[١١] ذا الفقار .

وكان له قوسٌ تُسمَّى السَّداد .

وكانت له كِنانةٌ تُسمَّى الجُمَع .

وكانتْ له دِرْعٌ مُوشَّحةٌ بالنُّحاس تُسَمّى ذاتَ الفُضُول .

وكانت له حَرْبَةٌ تُسمّى النبعاء[١٢] .

وكان له مِجَنٌّ يسمى الذَّقَن .

وكان له تُرسٌ أبيضُ يُسَمّى الموجزَ .

وكان له فرسٌ أدْهَمُ يُسمّى السَّكْبَ .

---

(١) ط : (عن) تحريف . وانظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩٥) .
(٢) ليس اللفظ في ط .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٧٩) .
(٤) ط : (نصير) . وهو تحريف . انظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٥٧) .
(٥) ليس (حسن بن) في ط . وانظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨٣) .
(٦) أ : (الحف) . والجف : شيء من جلود الإبل كالإناء (اللسان : جف) وانظر النهاية (جفف) .
(٧) المعجم الكبير (١١/ ١١١) (١١٢٠٨) .
(٨) أ ، ط : (الحسن) وما أثبته عن الطبراني وانظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٧) .
(٩) ط : (بن) .
(١٠) بعده في المعجم الكبير (من فضة) .
(١١) ط : (يسميه) .
(١٢) ط : (السبغاء) .

وكان له سَرجٌ يُسمَّى الدّاجَ .

وكان له بَغْلةٌ شَهْباء ، يقال لها دُلْدُل .

وكانت له ناقةٌ تُسمَّى القَصْواء .

وكان له حمارٌ ، يُقال له : يَعفور .

وكان له بساطٌ يُسمَّى الكرَّ .

وكان له عنزة[١] تسمى النَّمِر .

وكانت له رَكْوةٌ تُسمّى الصادر .

وكانت له مرآةٌ تُسمّى المرآة .

وكان له مِقْراضٌ يُسمَّى الجامع[٢] .

وكان له قَضيبُ شَوْحَطٍ يُسمَّى الممشوق .

وهذا غريب جداً .

قلت : قد تقدم عن غير واحد من الصحابة أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَترُكْ ديناراً ، ولا درهماً ، ولا عبداً ، ولا أمَةً سوى بغلة ، وأرض جعلها صدقة ، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام نَجزَ العِتْقَ في جميع ما ذكرناه من العبيد ، والإماء ، والصَّدقة في جميع ما ذُكِرَ من السِّلاح ، والحيوانات ، والأثاث ، والمتاع مما أوردناه وما لم نورده .

وأما بغلته ، فهي الشهباء ، وهي البيضاء أيضاً . والله أعلم . وهي التي أهداها له المُقَوْقس ، صاحب الإسْكَنْدرية واسمه جُرَيْج بن مينا فيما أهدى من التُّحف ، وهي التي كان رسول الله ﷺ راكبَها يومَ حُنَيْن ، وهو في نحور العدو يُنَوِّهُ باسمه الكريم شجاعةً وتوكلاً على الله عزَّ وجلَّ ، فقد قيل : إنها عُمِّرَتْ بعده حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام خلافته ، وتأخرت أيامها حتى كانت بعد عليٍّ عند عبد الله بن جعفر ، فكان يَجُشُّ لها الشَّعير حتَّى تأكُلَهُ من ضعفها بعدَ ذلك . وأما حماره يَعْفور ، ويُصَغَّر ، فيقال له : عُفَيْر . فقد كان عليه الصلاة والسلام يركبه في بعض الأحايين .

وقد روى أحمد[٣] من حديث محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن مَرْثد بن عبد الله اليزني[٤] ، عن عبد الله بن زُرَيْرٍ[٥] ، عن علي قال : كان رسول الله ﷺ يركب حماراً يقال له : عُفَيْر .

---

(١) ط : (نمرة) وليست له في أ .

(٢) ط : (الجاح) .

(٣) مسند أحمد (١/ ١١١) ، وهو حديث حسن لغيره .

(٤) ط ، أ : (يزيد بن عبد الله العوفي) وفيها تحريفان وانظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٤) .

(٥) أ ، ط : (رزين) . وقد تقدم .

ورواه أبو يعلى[١] من حديث عَوْن بن عبد الله ، عن ابن مسعود .

وقد ورد في أحاديث عدة أنَّه عليه السلام ركب الحمار .

وفي الصحيحين[٢] أنه عليه الصلاة والسلام مَرَّ وهو راكب حماراً بمجلسٍ فيه عبدُ الله بن أُبي بن سَلول وأخلاطٌ من المسلمين والمشركين عَبَدَةِ الأوثان واليَهود ، فنزل ودعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، وذلك قبلَ وَقْعَة بَدْرٍ ، وكان قَدْ عَزَمَ على عيادة سَعْد بن عُبادة ، فقال له عبد الله : لا أُحسنُ مما تَقولُ أيها المَرءُ ، فإن كان حقّاً فلا تَغْشَنا به في مجالسنا ، وذلك قبلَ أنْ يَظْهَر الإسلامُ ، ويقال : إنه خمّر أنْفَه لمَّا غَشيَتهم عَجاجةُ الدابّة ، وقال : لا تُؤْذنا بنَتْنِ حمارك ، فقال له عبد الله بن رواحة : والله لريحُ حمارِ رسولِ الله ﷺ أطيبُ من ريحك . وقال عبد الله : بل يا رسول الله اغْشنا به في مجالسنا ، فإنّا نُحبّ ذلك ، فَتَثاور الحَيّان ، وهَمّوا أن يَقْتَتِلوا فَسَكَّنَهم رسول الله ، ثم ذَهَب إلى سعد بن عُبادة فشكى إليه عبد الله بن أُبيّ . فقال : ارْفُقْ به يا رسول الله ، فوالذي أكْرَمَكَ بالحقّ لقد بَعَثَكَ الله بالحقِّ ، وإنَّا لنَنْظِمُ له الخَرَز لنُتَوِّجَه[٣] علينا ، فلما جاء اللهُ بالحقّ (الذي بعثك به ،)[٤] شرَق بريقه .

وقد قَدَّمْنا أنّه ركب الحمارَ في بعض أيام خَيْبَر ، وجاء أنه أرْدَف معاذاً على حمارٍ ، ولو أوْرَدْناها بألْفاظها وأسانيدها لطال الفصل ، والله أعلم .

فأما ما ذكره القاضي عياضُ بن موسى السَّبْتي في كتابه « الشفا »[٥] وذكره قبلُ إمام الحرمَيْن في كتابه الكبير في أصول الدين وغيرهما : أنَّه كان لرسول الله ﷺ حمارٌ يُسَمَّى زيادَ بنَ شهابٍ ، وأن رسولَ الله ﷺ كان يَبْعَثُه ، ليطلبَ له بعضَ أصحابه فيجيءَ إلى باب أحدهم فَيُقَعْقِعَه ، فيعلمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ يطلبُه ، وأنه ذَكَر للنبيّ ﷺ أنّه سلالةُ سبعين حماراً ، كلٌّ منها ركبه نبيٌّ ، وأنّه لما تُوفِّي رسولُ الله ﷺ ذهبَ فتَردّى في بئر فمات . فهو حديثٌ لا يُعْرَفُ له إسنادٌ بالكلية . وقد أنكره غيرُ واحدٍ من الحُفّاظ ، منهم عبدُ الرحمن بنُ أبي حاتم وأبوه ، رحمهما الله ، وقد سمعت شيخَنا الحافظ أبا الحجاج المزّي ، رحمه الله ، يُنْكِرُه غيرَ مرةٍ إنكاراً شديداً .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »[٦] : ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى العَنْبري ، ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ، ثنا إبراهيم بن سُوَيْد الجُذُوعي ، حدّثني عبد الله بن

---

(١) مسند أبي يعلى (٥٠٢٦) .
(٢) البخاري (٢٦٩١) ومسلم (١٧٩٨) (١١٦) .
(٣) ط : (الخدر نملكه) .
(٤) ليس ما بين القوسين في ط .
(٥) الشفا (١/ ٤٤٣) .
(٦) دلائل النبوة (٢٨٨) .

أُذينة[١] الطائيّ ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان ، عن مُعاذ بن جَبَل ، قال : أتى النبيَّ ﷺ وهو بخيبرَ ، حمارٌ أسودُ ، فوقفَ بين يديه ، فقال : منْ أنت ؟ قال : أنا عَمْرو بن فلان ، كنا سبعَةَ إخوةٍ ، كلُّنا رَكِبنا الأنْبياءُ وأنا أصغرهم ، وكنتُ لك ، فملكني رجلٌ من اليهود ، فكنتُ إذا ذَكَرْتُك كَبَوْتُ به فَيُوجِعُني ضرباً . فقال رسول الله ﷺ : « فأنت يَعْفُورٌ » . هذا حديث غريب جداً .

[تم الجزء الخامس من كتاب البداية والنهاية للإمام الحافظ المؤرخ ابن كثير الدمشقي حسب تقسيمنا ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، ويليه الجزء السادس في الشمائل النبوية وما يتبعها] .

● ● ●

---

(١) ط : (أذين) تحريف .

[بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ]

فصـــل

وهذا أوان إيراد ما بقي علينا من متعلقات السيرة الشريفة ، وذلك أربعة كتب :

الأول في الشمائل ؟

والثاني في الدلائل .

والثالث في الفضائل .

والرابع في الخصائص .

والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

كتاب الشمائل

شمائل رسول الله ﷺ وبيان خَلْقِهِ الظَّاهر وخُلُقِهِ الطَّاهِرِ

قد صنَّفَ الناسُ في هذا ـ قديماً وحديثاً ـ كتباً كثيرة مفردةً وغيرَ مفردةٍ ، ومن أحسنِ مَن جمع في ذلك فأجاد وأفاد الإمامُ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورةَ الترمذِيّ رحمه الله ، أفردَ في هذا المعنى كتابَه المشهور بـ « الشمائل »[١] ولنا به سماعٌ متصل إليه ، ونحن نورد عيونَ ما أوردَه فيه ، ونزيدُ عليه أشياءَ مهمة لا يستغني عنها المحدِّثُ والفقيه .

ولنذكر أولاً بيانَ حُسنِهِ الباهرِ عليه السلام ، وجمالِه الجميلِ ، ثم نشرعُ بعد ذلك في إيرادِ الجمل والتفاصيل ، فنقولُ ـ والله حسبنا ونعم الوكيل ـ :

باب
ما وردَ في حُسنه الباهر

قال البخاري[٢] : حدَّثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله ، حدَّثنا إسحاقُ بن منصور ، حدَّثنا إبراهيمُ بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ البراءَ بن عازب يقول : كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناس وجهاً ، وأحسنَهم[٣] خَلْقاً ، ليس بالطويل البائن[٤] ، ولا بالقصير .

وهكذا رواه مسلم[٥] عن أبي كُرَيبٍ ، عن إسحاقَ بن منصور به .

---

(١) كتاب الشمائل للترمذي ، طبع مراراً ، منها طبعة حمص ١٣٨٨هـ ، بتعليق وإشراف الأستاذ عزت عبيد الدعاس ، ومنها طبعة دار الغرب الإسلامي (بيروت ٢٠٠٠) بإشراف الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٤٩) في المناقب ، باب صفة النبي ﷺ .

(٣) في البخاري : « وأحسنَه خلقاً » . قال أبو حاتم وغيره : هكذا تقوله العرب : وأحسنَه . يريدون : وأحسنَهم . ولكن لا يتكلمون به ، وإنما يقولون : أجمل الناس وأحسنَه . ومنه الحديث : « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أشفقه على ولد وأعطفه على زوج » هامش صحيح مسلم (٤/ ١٨١٩) .

(٤) « البائن » : من بان ؛ أي : ظهر على غيره أو فارق سواه ، والمراد بالطويل البائن : المفرط في الطول مع اضطراب القامة .

(٥) في صحيحه رقم (٢٣٣٧) (٩٣) في الفضائل باب في صفة النبي ﷺ .

وقال البخاري[١] : حدَّثنا حفص بن عمر ، حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : كان النبيُّ ﷺ مربوعاً ، بعيدَ ما بينَ المَنكِبين ، له شعرٌ يبلغُ شحمةَ أُذنيه ، رأيتُه في حُلّة حمراءَ لم أرَ شيئاً قطّ أحسنَ منه .

قال يوسف بن أبي إسحاق ، عن أبيه : « إلى منكبيه » .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا سفيان[٣] ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : ما رأيتُ من ذي لِمّةٍ[٤] أحسنَ في حُلّةٍ حمراءَ من رسول الله ﷺ ، له شعرٌ يضربُ منكبيه ، بعيدَ ما بين المنكبين ، ليس بالطويل ولا بالقصير .

وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث وكيع به[٥] .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا أسودُ بن عامر ، أخبرنا إسرائيلُ ، حدَّثنا أبو إسحاق « ح » وحدّثنا يحيى بنُ أبي بُكير : حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاق قال : سمعتُ البراء يقول : ما رأيتُ أحداً من خلقِ الله أحسنَ في حُلَّةٍ حمراءَ من رسولِ الله ﷺ وإن جُمَّتَه لتضربُ إلى منكبيه .

قال ابنُ أبي بُكير : لتضرب قريباً من منكبيه .

قال ـ يعني أبا إسحاق ـ : وقد سمعتُه يُحدِّثُ به مراراً ، ما حدَّثَ به قطّ إلا ضحكَ .

وقد رواه البخاري في اللباس ، والترمذي في الشمائل ، والنسائي في الزينة ، من حديث إسرائيل ، به[٧] .

---

(١) في صحيحه (٣٥٥١) في المناقب .
(٢) في مسنده (٤/ ٢٩٠) .
(٣) في ط : « إسرائيل » ، ولا يصح البتة ، والصواب ما أثبتناه ، فإن هذا الحديث لا يرويه وكيع عن إسرائيل عند أحمد ولا عند مسلم وأبي داود والترمذي كما أشار إليه المصنف . أما الذين رووه عن إسرائيل فهم : أسود بن عامر ويحيى ابن أبي بكير (عند أحمد ٤/ ٢٩٥) كما سيأتي) ، ومالك بن إسماعيل (عند البخاري ٥٩٠١) ، وعيسى بن يونس (عند الترمذي في الشمائل ٦٤) ، والمعافى بن عمران (عند النسائي ٨/ ١٣٣) ، وتنظر بلابد تفاصيل طرق الحديث في كتابنا : المسند الجامع (٣/ ١٧٣ ـ ١٧٥) حديث (١٨٠٥) (بشار) .
(٤) اللمة : هي الشعر الذي يلم بالمنكبين ، أي : يقاربهما ، وقيل : ما نزل عن شحمة الأذن .
(٥) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٣٧) (٩٢) ، وأبو داود (٤١٨٣) في الترجل ، والترمذي (١٧٢٤) في اللباس ، و(٣٦٣٥) في المناقب ، والنسائي (٨/ ١٨٣) في الزينة ، كلهم من حديث وكيع ، به .
(٦) في مسنده ٤/ ٢٩٥ .
(٧) البخاري (٥٩٠١) ، والترمذي في الشمائل (٦٤) (طبعة دار الغرب) ، والنسائي (٨/ ١٣٣) (وهو في الكبرى ٩٣٢٦) .

وقال البخاري[١] : حدَّثنا أبو نُعيم ، حدَّثنا زهيرٌ ، عن أبي إسحاق قال : سُئل البراءُ بنُ عازبٍ أكانَ وجهُ رسول الله ﷺ مثلَ السيف؟ قال : لا ، بل مثلَ القمر .

ورواه الترمذي[٢] ، من حديث زُهير بن مُعاويةَ الجُعفي الكوفي ، عن أبي إسحاق السَّبيعي ؛ واسمُه عمرو بن عبد الله الكوفي ، عن البراءِ بن عَازب ، به وقال : حسن صحيح .

وقال الحافظُ أبو بكر البيهقي في « الدلائل »[٣] : أخبرنا أبو الحسين بن الفَضل القَطّان ببغداد ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفر بن دَرَستَويه ، حدَّثنا أبو يُوسف يعقوبُ بن سفيان ، حدَّثنا أبو نُعَيم وعبيدُ الله ، عن إسرائيلَ ، عن سماك ؛ أنه سمع جابرَ بن سَمُرة ، قال له رجل : أكانَ رسولُ الله ﷺ وجهُه مثلُ السَّيف ؟ قال : لا ، بل مثلُ الشمس والقمر مُستديراً .

وهكذا رواه مسلم[٤] ، عن أبي بكر بن أبي شَيبةَ ، عن عُبيد الله بن موسى ، به .

وقد رواه الإمام أحمد مطولاً فقال[٥] : حدَّثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا إسرائيلُ ، عن سِماك ؛ أنه سمعَ جابرَ بن سَمُرة يقول : كان رسولُ الله ﷺ قد شَمِطَ مُقَدَّمُ رأسِه ولحيتِه ، فإذا ادَّهَن ، ومشَّطَهنَّ لم يتبيّن ، وإذا شَعِثَ رأسُه تبيّنَ ، وكان كثيرَ الشعر واللحية . فقال رجلٌ : وجهُه مثلُ السيف ؟ قال : لا ، بل مثلُ الشمس والقمر مستديراً . قال : ورأيتُ خاتمَه عند كتفِه مثلَ بيضةِ الحمَامة يُشبه جسده .

وقال الحافظ البيهقي[٦] : أخبرنا أبو طاهر الفقيه ، أخبرنا أبو حامد بن بلال ، حدَّثنا محمدُ بن إسماعيل الأَحْمَسي ، حدَّثنا المُحَاربي ، عن أشعثَ ، عن أبي إسحاق ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في ليلة إضْحِيَانَ وعليه حُلّةٌ حمراء ، فجعلتُ أنظرُ إليه وإلى القمر ، فلهو عندي أحسنُ من القمر .

هكذا رواه الترمذي[٧] والنسائي[٨] جميعاً ، عن هنَّاد بن السَّري ، عن عَبْثَر بن القاسم ، عن أشعثَ بن سَوَّار ، قال النسائيُّ : وهو ضعيف ، وقد أخطأ ، والصوابُ أبو إسحاق عن البراء .

---

(١) في صحيحه (٣٥٥٢) في المناقب .
(٢) في الجامع (٣٦٣٦) في المناقب ، وفي الشمائل (١١) .
(٣) دلائل النبوة (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .
(٤) في صحيحه (٢٣٤٤) .
(٥) مسند أحمد (٥/ ١٠٤) .
(٦) في الدلائل (١/ ١٩٦) .
(٧) الترمذي (٢٨١١) في الاستئذان .
(٨) في الزينة من سننه الكبرى (٩٦٤٠) .

وقال الترمذي[١] : هذا حديثٌ حسنٌ لا نعرفُه إلا من حديث أشعثَ بن سوَّار ، وسألتُ محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ قلت : حديثُ أبي إسحاق عن البراء أصحُّ أم حديثُه عن جابر ؟ فرأى كلا الحديثين صحيحاً .

وثبتَ في صحيح البخاري[٢] ، عن كعب بن مالك ، في حديث التوبة ، قال : وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجهُه كأنَّه قطعةُ قمر . وقد تقدَّمَ الحديثُ بتمامه .

وقال يعقوبُ بن سفيان[٣] : حدَّثنا سعيد ، حدَّثنا يُونس بن أبي يَعفُور العَبدي ، عن أبي إسحاق الهَمْداني ، عن امرأة من هَمْدان سمَّاها ، قالت : حججتُ مع رسول الله ﷺ فرأيتُه على بعيرٍ له يطوفُ بالكعبة بيده مِحْجنٌ ، عليه بُردان أحمرانِ ، يكادُ يمسُّ شعرُه منكبيْه ، إذا مرَّ بالحجر استلمَه بالمِحجن ثم يرفعُه إليه فيقبله . قال أبو إسحاق : فقلت لها : شَبّهيه ؟ قالت : كالقمر ليلةَ البدر ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثله[٤] .

وقال يعقوبُ بن سفيان[٥] : حدَّثنا إبراهيمُ بن المنذر ، حدَّثنا عبدُ الله بن موسى التَّيمي ، حدَّثنا أسامةُ بن زيد ، عن أبي عُبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، قال : قلتُ للرُّبيِّع بنت مُعَوِّذٍ : صفي لي رسولَ الله ﷺ ، قالت : يا بني لو رأيتَه رأيتَ الشمسَ طالعةً .

ورواه البيهقي[٦] من حديث يعقوب بن محمد الزهري ، عن عبد الله بن موسى التيمي ، بسنده ، فقالت : لو رأيتَه لقلتَ الشمسَ طالعة[٧] .

وثبت في الصحيحين[٨] من حديث الزهري ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، قالت : دخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ مسروراً ، تَبرُقُ أساريرُ وجههِ . . . الحديثَ .

---

(١) عقيب الحديث (٢٨١١) من جامعه .
(٢) في المغازي من صحيحه (٤٤١٨) .
(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل من طريقه (١/ ١٩٩) وهو في القسم المفقود من « المعرفة والتاريخ » ليعقوب .
(٤) إسناده ضعيف ، لضعف يونس بن أبي يعفور العبدي عند التفرد ، كما هو مبين في تحرير التقريب (٤/ ١٤٢) ، ولجهالة المرأة الهَمْدانية التي روى عنها أبو إسحاق .
(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل من طريقه (١/ ٢٠٠) .
(٦) دلائل النبوة (١/ ٢٠٠) .
(٧) يعقوب بن محمد الزهري من الضعفاء الذين يعتبر بحديثهم في الشواهد والمتابعات ، كما في تحرير التقريب (٤/ ١٢٨) .
(٨) البخاري (٣٥٥٥) ، ومسلم (١٤٥٩) .

صفةُ لَوْنِ رَسُولِ الله ﷺ

قال البخاري[١] : حدَّثنا يحيى بن بُكير ، حدَّثنا الليثُ ، عن خالد ـ هو ابن يزيد ـ عن سعيد ـ يعني ابن أبي هلالٍ ـ عن ربيعةَ بن أبي عبد الرحمن ، قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يصفُ النبيَّ ﷺ قال : كان رَبعةً من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير ، أزهرَ اللون[٢] ، ليس بأبيضَ أمْهقَ ولا بآدمَ ، ليس بجَعْد قَطِطٍ ولا سَبْطٍ رَجِلٍ ، أُنزلَ عليه وهو ابنُ أربعين ، فلبثَ بمكةَ عشرَ سنين يُنزَلُ عليه وبالمدينة عشراً[٣] ، وقُبِضَ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاء . قال ربيعةُ : فرأيتُ شعراً من شعره فإذا هو أحمرُ ، فسألتُ فقيل : احْمرَّ من الطيب .

ثم قال البخاري[٤] : حدَّثنا عبدُ الله بن يوسف ، أخبرنا مالكُ بن أنس ، عن ربيعةَ بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنه سمعه يقول : كان رسولُ الله ﷺ ليس بالطويل البائنِ ولا بالقصير ، وليس بالأبيضِ الأمْهَقِ[٥] ولا بالآدم ، وليس بالجَعْد القَطِط ، ولا بالسَّبط ، بعثَه الله على رأس أربعينَ سنة ، فأقام بمكةَ عشرَ سنين ، وبالمدينة عشرَ سنين ، فتوفَّاهُ الله على رأسِ ستينَ سنة[٦] وليس في رأسه ولحيته عشرونَ شعرةً بيضاء .

وكذا رواه مسلم[٧] عن يحيى بن يحيى ، عن مالك ، ورواه أيضاً عن قتيبة ويحيى بن أيوب وعليِّ بن حُجرٍ ، ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر ، وعن القاسم بن زكريا ، عن خالد بن مَخلَد ، عن سليمانَ بن بلال ، ثلاثتهم عن ربيعة به .

ورواه الترمذي والنسائي[٨] جميعاً ، عن قتيبة ، عن مالك به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

قال الحافظ البيهقي[٩] : ورواه ثابت ، عن أنس فقال : كان أزهرَ اللون . قال : ورواه حُميد كما

---

(١) في المناقب من صحيحه (٣٥٤٧) .
(٢) أي : مستنير اللون ، وهو أحسن الألوان .
(٣) كذا بالأصل ، وفي البخاري : عشر سنين .
(٤) في صحيحه (٣٥٤٨) .
(٥) « الأمهق » : الشديد البياض الذي لا يُخالطُ بياضَه شيءٌ من الحمرة ، وليس بنيِّر ، وكله كلون الجَصِّ ونحوه . قاله أبو عُبيد . غريب الحديث ؛ لابن الجوزي (١/ ٣٧٨) .
(٦) كذا في أوليست في صحيح البخاري، وهي في دلائل النبوة؛ للبيهقي (١/ ٢٠١) بلفظ: ثم توفي وهو ابن ستين سنة.
(٧) في صحيحه رقم (٢٣٤٧) في الفضائل وفيه : وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .
(٨) في الجامع رقم (٣٦٢٧) في المناقب ، والنسائي في السنن الكبرى (٩٣١٠) .
(٩) دلائل النبوة (١/ ٢٠٣) وذكرَ الحافظُ ابن حجر أن المحبَّ الطبري ردَّ هذه الرواية بقوله : في حديث البخاري ومسلم=

أخبرنا . ثم ساق بإسناده عن يعقوب بن سفيان ، حدّثني عمرو بن عون وسعيد بن منصور ، قالا : حدّثنا خالد بن عبد الله ، عن حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ أسمرَ اللون .

وهكذا روى هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزّار عن الحسن بن عليّ[(١)] ، عن خالد بن عبد الله ، عن حُميد ، عن أنس ، قال : وحدّثنا محمد بن المُثنّى قال : حدَّثنا عبدُ الوهاب ، قال : حدَّثنا حُميد ، عن أنس ، قال : لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل ولا بالقصير ، وكان إذا مشى تكفَّأ ، وكان أسمرَ اللون[(٢)] .

ثم قال البزّار : لا نعلم رواه عن حُميد إلا خالد وعبدُ الوهاب .

ثم قال البيهقيّ[(٣)] رحمه الله : وأخبرنا أبو الحسين بن بِشران ، أخبرنا أبو جعفر الرازي ، حدَّثنا يحيى بن جعفر ، حدَّثنا عليُّ بن عاصم ، حدَّثنا حُميد قال : سمعت أنس بن مالك يقول ـ فذكرَ الحديثَ في صفة النبي ﷺ ، قال : وكان أبيضَ بياضُه إلى السُّمرة .

قلت : وهذا السياق أصحُّ من الذي قبلَه ، وهو يقتضي أن السمرةَ التي كانت تعلو وجهَه عليه الصلاة والسلام من كثرة أسفاره وبروزه للشمس ، والله أعلم .

فقد قال يعقوبُ بن سفيانَ الفَسَوي أيضاً[(٤)] : حدَّثني عمرو بن عون وسعيدُ بن منصور ، قالا : حدَّثنا خالدُ بن عبد الله ، عن الجُرَيري ، عن أبي الطفيل ، قال : رأيتُ النبيَّ ﷺ ولم يبقَ أحدٌ رآه غيري ، فقلنا له : صف لنا رسولَ الله ﷺ فقال : كان أبيضَ مليحَ الوجه .

ورواه مسلم[(٥)] عن سعيد بن منصور به .

ورواه أيضاً أبو داود[(٦)] من حديث سعيد بن إياس الجُرَيري ، عن أبي الطُّفَيل عامرِ بن واثلةَ اللَّيثي ،

= من طريق مالك عن ربيعة : ولا بالأبيض الأمهق ، وليس بالآدم ، والجمع بينهما ممكن . . . ثم قال الحافظ : وتبين من مجموع الروايات أن المراد بالسمرة : الحمرةُ التي تُخالط البياض ، وأن المراد بالبياض المثبت ما يخالطه الحمرة ، والمنفي ما لا يُخالطه . فتح الباري (٦/ ٥٦٩) .

(١) في الأصل . عن عليّ والتصحيح من كشف الأستار .

(٢) مسند البزار (١٣/ ١٨٠) ، واكتفى الهيثمي فيه بإيراد السند وقال : قلت : فذكره في حديث أطول من هذا . أي : مما ورد في الحديث رقم (٢٣٨٨) السابق .

(٣) دلائل النبوة (١/ ٢٠٤) وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٥٦٩) ، وسكت عليه ، وإسناده حسن ، فيه أبو جعفر الرازي ، عيسى بن أبي عيسى ، عبد الله بن ماهان ، صدوق ، سيِّء الحفظ خصوصاً عن مغيرة . روى له البخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن . تقريب التهذيب ترجمة (٨٠١٩) .

(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) من طريقه ، وهو في القسم الضائع من المعرفة .

(٥) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٤٠) في الفضائل ، وقال : مات أبو الطفيل سنة مئة ، وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ .

(٦) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٨٦٤) في الأدب . وفيه : كأنما يهوي في صَبوب . =

قال : كان رسولُ الله ﷺ أبيضَ مليحاً ، إذا مشى كأنما ينحَطُّ في صَبُوب . لفظ أبي داود .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا الجُرَيْري : قال : كنتُ أطوفُ مع أبي الطُّفَيل فقال : ما بقي أحدٌ رأى رسولَ الله ﷺ غيري ، قلت : ورأيتَه ؟ قال : نعم ، قال : قلتُ : كيف كانت صفتُه؟ قال : كان أبيضَ مليحاً مُقَصَّداً[٢] .

وقد رواه الترمذي[٣] ، عن سفيانَ بن وَكيع ومحمد بن بَشَّار ، كلاهما عن يزيد بن هارون ، به .

وقال البيهقي[٤] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا عبد الله بن جعفر أو أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، حدّثنا أحمدُ بن سَلمة ، حدَّثنا واصلُ بن عبد الأعلى الأسَدِي ، حدَّثنا محمدُ بن فُضَيل ، عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن أبي جُحَيْفة قال : رأيتُ رسول الله ﷺ أبيضَ قد شابَ ، وكان الحسنُ بن عليّ يُشبهُه .

ثم قال : رواه مسلم[٥] ، عن واصل بن عبد الأعلى ، ورواه البخاري[٦] ، عن عمرو بن عليّ ، عن محمد بن فُضَيل .

وأصلُ الحديث كما ذكرَ في الصحيحين ، ولكن بلفظ آخر كما سيأتي .

وقال محمّد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم ، عن أبيه ؛ أن سُراقةَ بنَ مالك قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ فلما دنوتُ منه وهو على ناقته ، جعلتُ أنظرُ إلى ساقه كأنَّها جُمَّارة .

= قال الخطابي : « الصَّبوب » : إذا فتحت الصاد كان اسماً لما يُصبُّ على الإنسان من ماء ونحوه ، ومما جاء على وزنه الطَّهور ، والغَسُول ، والفَطور لما يُفطر به . ومن رواه الصُّبوب بضم الصاد ، على أنه جمع الصبب ، وهو ما انحدر من الأرض ، فقد خالف القياس ؛ لأن باب فَعَل لايُجمع على فُعول ؛ وإنما يُجمع على أفعال ، كسبب وأسباب ، وقتب وأقتاب .

وقد جاء في أكثر الروايات : كأنه يمشي في صَبب . وهو المحفوظ .

(١) في مسنده (٥/ ٤٥٤) .

(٢) ورواه البخاري في (الأدب المفرد) رقم (٧٩٠) والترمذي في « الشمائل » وغيرهما ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٣) في الشمائل (١٤) من طبعة دار الغرب ، وإليها الإشارة دائماً .

(٤) دلائل النبوة (١/ ٢٠٥) .

(٥) في الفضائل من صحيحه (٢٣٤٣) .

(٦) في المناقب من صحيحه (٣٥٤٤) .

وفي رواية يُونس ، عن ابن إسحاق : والله لكأني أنظرُ إلى ساقِه في غَرْزِه كأنَّها جُمّارة[١] .

قلت : يعني من شدة بياضها كأنها جُمَّارة طلع النخل .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أمية ، عن مولى لهم ـ مُزاحم بن أبي مُزاحم ـ عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، عن رجلٍ من خزاعة يقال له : مُحرّش أو مخرّش ـ لم يكن سفيان يقفُ على اسمه ، وربما قال مُحَرِّش ولم أسمعه أنا ـ : أن النبيَّ ﷺ خرجَ من الجِعرانة ليلاً فاعتمرَ ثم رجعَ فأصبحَ بها كبائت ، فنظرتُ إلى ظهره كأنها سبيكةُ فضّة . تفرد به أحمد .

وهكذا رواه يعقوبُ بن سفيان[٣] ، عن الحُمَيدي ، عن سفيان بن عُيينة .

وقال يعقوبُ بن سفيان[٤] : حدَّثنا إسحاقُ بن إبراهيم بن العلاء ، حدثني عمرو بنُ الحارث ، حدَّثني عبدُ الله بن سالم ، عن الزُّبَيْدِي ، أخبرني محمد بن مسلم ، عن سعيد بن المسيب ؛ أنه سمعَ أبا هريرة يصفُ رسولَ الله ﷺ فقال : كان شديدَ البياض .

وهذا إسنادٌ حسن ، ولم يخرِّجوه[٥] .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا حسن ، حدَّثنا عبد الله بن لَهِيعة ، حدَّثنا أبو يونس سَليم بن جُبير مولى أبي هريرة ؛ أنه سمع أبا هريرة يقول : ما رأيتُ شيئاً أحسنَ من رسول الله ﷺ ، كان كأن الشمسَ تجري في جبهتِه ، ومارأيتُ أحداً أسرعَ في مشيتِه من رسول الله ﷺ ، كأنما الأرضُ تُطوى له ، إنا لنُجهِدُ أنفسَنا وإنه لغيرُ مُكترث .

ورواه الترمذي[٧] عن قتيبة ، عن ابن لَهِيعة به ، وقال : كأنَّ الشمسَ تجري في وجههِ ، وقال : غريب[٨] .

ورواه البيهقيُّ[٩] ، من حديث عبدِ الله بن المبارك ، عن رِشدِين بن سَعد المَهري ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي يُونسَ ، عن أبي هريرة ، وقال : كأنما الشمس تجري في وجهه .

---

(١) هذا كله من دلائل البيهقي (١/ ٢٠٧) .
(٢) في مسنده (٣/ ٤٢٦) و (٤/ ٦٩) و(٥/ ٣٨٠) ، وإسناده حسن .
(٣) رواية يعقوب بن سفيان أخرجها البيهقي في الدلائل (١/ ٢٠٧) .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٠٨) .
(٥) وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٥٧٠) وقال : أخرجه يعقوب بن سفيان والبزار بإسناد قوي .
(٦) في المسند (٢/ ٣٥٠ ، ٣٨٠) .
(٧) في المناقب من جامعه (٣٦٤٨) .
(٨) يعني : ضعيف ، وهو حديث حسن لغيره .
(٩) في الدلائل (١/ ٢٠٩) ، وإسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد ، وهو حديث حسن لغيره .

وكذلك رواه ابن عساكر من حديث حَرْملة[١] ، عن ابن وَهْب ، عن عمران ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي يُونس ، عن أبي هريرة ، فذكره وقال : كأنما الشمس تجري في وجهه .

وقال البيهقي[٢] : أخبرنا علي بن أحمد بن عَبدان ، أخبرنا أحمدُ بن عُبيد الصفَّار ، حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله ، حدَّثنا حجَّاج ، حدَّثنا حمّاد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن علي ـ يعني ابن الحنفية ـ عن أبيه قال : كان رسولُ الله ﷺ أزهرَ اللون .

وقال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا المسعودي ، عن عثمان بن عبد الله بن هُرمُز ، عن نافع بن جُبير ، عن علي بن أبي طالب قال : كان رسولُ الله ﷺ مُشرَباً وجهُه حُمرةً[٣] .

وقال يعقوبُ بن سُفيان : حدَّثنا ابن الأصبهاني ، حدثنا شريك ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن نافع بن جُبير ، قال : وصف لنا عليّ النبيَّ ﷺ فقال : كان أبيضَ مُشرَب الحُمرة[٤] . وقد رواه الترمذي[٥] بنحوه من حديث المسعودي ، عن عثمان بن مسلم بن[٦] هرمز ، وقال : هذا حديث صحيح[٧] .

قال البيهقي[٨] : وقد روي هكذا عن علي من وجه آخر . قلت : رواه ابن جريج ، عن صالح بن سعيد ، عن نافع بن جبير ، عن علي .

قال البيهقي[٩] ويقال : إنَّ المُشربَ فيه حمرةً ما ضحا للشمس والرياح ، وماتحت الثياب فهو الأبيضُ الأزهر .

صفةُ وجهِ رسول الله ﷺ وذكرُ محاسنه
فَرقه وجبينه وحاجبيْه وعينيْه وأنفه وفمه وثناياه
وما جرى مجرى ذلك من محاسن طلعته ومُحيَّاه

قد تقدم قول أبي الطفيل : كان أبيضَ مليحَ الوجه . وقول أنس : كان أزهرَ اللون ، وقول البراء ،

---

(١) تاريخ دمشق (ص٢٣٠) القسم الأول من السيرة ، تحقيق نشاط غزاوي .
(٢) دلائل النبوة (١/ ٢٠٦) .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٠٦) .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٠٦) .
(٥) رواه الترمذي في الجامع رقم (٣٦٣٧) في المناقب .
(٦) في الأصل عن هرمز . والتصحيح من جامع الترمذي .
(٧) ولكن ليس في رواية الترمذي لحديث المسعودي صفة اللون ، ورواية الترمذي صحيحة كما قال ، وقد صوبها الإمام الدارقطني في العلل (٣/ ١٢٠) سؤال رقم ٣١٤ .
(٨) دلائل النبوة (١/ ٢٠٦) ولفظه : وروي ذلك هكذا من أوجه أخرى عن عليّ .
(٩) دلائل النبوة (١/ ٢٠٦) وفيه : إن المشرب منه حمرة ، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر : ونقصها ظاهر .

وقد قيل له : أكان وجهُ رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ ـ يعني في صقاله ـ فقال : لا ، بل مثل القمر . وقول جابر بن سمرةَ ، وقد قيل له مثل ذلك ، فقال : لا ، بل مثلُ الشمس والقمر مُستديراً . وقول الرُّبيّع بنت مُعوِّذ : لو رأيتَه لقلتَ الشمسَ طالعةً ، وفي رواية : لرأيتَ الشمسَ طالعةً . وقال أبو إسحاق السَّبيعي عن امرأة من هَمْدانَ حجَّت مع رسول الله ﷺ ، فسألها عنه ، فقالت : كان كالقمر ليلةَ البدر ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثله ، وقال أبو هريرة : كأنَّ الشمسَ تجري في وجهه ، وفي رواية : في جبهتِه .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا عفّان وحسن بن موسى ، قالا : حدَّثنا حمّاد ـ وهو ابن سلمة ـ عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، قال : كان رسولُ الله ﷺ ضَخمَ الرأسِ ، عظيمَ العَينين ، أهْدَبَ الأشفار[(١)] ، مُشربَ العينين بحمرةٍ ، كثَّ اللِّحية ، أزهرَ اللون ، شَثْن[(٢)] الكفين والقدَمين ، إذا مشى كأنما يَمشي في صَعَدٍ ، وإذا التفتَ التفت جميعاً . تفرّد به أحمد[(٣)] .

وقال أبو يعلى[(٤)] : حدَّثنا زكريا بن يحيى الواسطي ، حدَّثنا عباد بن العوام ، حدَّثنا الحجّاج ، عن سالم المكي ، عن ابن الحنفية ، عن عليّ ؛ أنه سُئل عن صفة النبي ﷺ فقال : كان لا قصيراً ولا طويلاً ، حسنَ الشعر رَجِلَهُ ، مُشرباً وجهُه حُمرةً ، ضخمَ الكراديس[(٥)] ، شثْن الكفين والقدمين ، عظيمَ الرأس ، طويلَ المَسْرُبَة[(٦)] ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه ، إذا مشى تكفَّأ كأنما ينزلُ من صَبب .

وقال محمد بن سعد[(٧)] ، عن الواقدي : حدَّثني عبدُ الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده ، عن عليّ قال : بعثني رسولُ الله ﷺ إلى اليمن ، فإني لأخطبُ يوماً على الناس وحَبرٌ من أحبار يَهود واقفٌ في يده سِفرٌ ينظرُ فيه ، فلما رآني قال : صف لنا أبا القاسم . فقال عليٌّ : رسولُ الله ليس بالقصير ولا بالطويل البائن ، وليس بالجَعد القَطَط ولا بالسَّبِط ، هو رَجلُ الشعر أسودُه ، ضخمُ الرأس ، مُشرباً لونُه حمرةً ، عظيمُ الكَراديس ، شَثْن الكفين والقدمين ، طويلُ المسرُبة ـ وهو الشعر الذي يكون من النحر إلى السرة ـ أهدَبُ الأشفار ، مَقرونُ الحاجبين ، صَلْتُ الجبين ، بعيدُ ما بين المَنكبين ، إذا مشى تكفَّأ كأنما ينزلُ من صَبَب ، لم أر قبلَه مثله ، ولا بعده مثله .

---

(١) « أهدب الأشفار » : الأهدب : الكثير الهدب ، وهو شعر أشفار العين الذي ينبت في طرف الجفن . وفي المسند : هَدِب الأشفار .
(٢) « شثن » : غليظ الكفين والقدمين .
(٣) في المسند (١/ ٨٩) ، وهو حديث حسن .
(٤) مسند أبي يعلى (١/ ٣٠٤) رقم (٣٧٠) وإسناده حسن ، وفيه : مشرباً في وجهه حمرة ، وكأنما ينحطُّ من صَبَب .
(٥) « ضخم الكراديس » : جمع كردوسة ، وهي كل عظمين التقيا في مفصل ، أو هي رؤوس العظام .
(٦) « طويل المسربة » : المَسرُبة : هو الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة .
(٧) الطبقات (١/ ٤١٢ ـ ٤١٣) .

قال عليٌّ : ثم سكتُّ . فقال لي الحبر : وماذا ؟ قال عليٌّ : هذا ما يَحضرني . قال الحَبرُ : في عينيه حُمرة ، حَسنُ اللحية ، حَسنُ الفم ، تامُّ الأذنين ، يُقبل جميعاً ويُدبر جميعاً . فقال عليّ : والله هذه صفتُه ، قال الحبر : وشيء آخر ؟[1] قال عليٌّ : وماهو ؟ قال الحبر : وفيه جَنَأ[2] ، قال علي : هو الذي قلت لك كأنما ينزل من صَبَب .

قال الحبرُ : فإني أجد هذه الصفة في سِفرِ آبائي ، ونجده يُبعث في حرم الله وأمنِه وموضع بيته ، ثم يُهاجر إلى حَرمٍ يحرِّمه هو ، ويكون له حُرمةٌ كحرمةِ الحرمِ الذي حرَّمَ الله ، ونجدُ أنصارَه الذين هاجرَ إليهم قوماً من ولد عمرو بن عامر أهل نَخل ، وأهلُ الأرض قبلَهم يهود .

قال عليّ : هو هو ، وهو رسول الله . قال الحبر : فإني أشهدُ أنه نبيٌّ وأنه رسولُ الله إلى الناس كافةً ، فعلى ذلك أحيا وعليه أموتُ ، وعليه أُبعث إن شاء الله .

قال : فكان يأتي علياً فيعلّمه القرآن ويخبره بشرائع الإسلام ، ثم خرج عليٌّ والحبرُ من هنالك حتى ماتَ في خلافة أبي بكر وهو مؤمنٌ برسول الله ﷺ مُصدق به[3] .

وهذه الصِّفة قد وردت عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب من طرق متعددة سيأتي ذكرها .

وقال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثنا سعيدُ بن منصور ، حدَّثنا خالد بن عبد الله ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سُئل ، أو قيل لعليّ : انعتْ لنا رسولَ الله ، فقال : كان أبيضَ مُشرباً بياضُه حمرةً ، وكان أسودَ الحدقة ، أهدبَ الأشفار[4] .

قال يعقوب : وحدَّثنا عبدُ الله بن مَسلَمة وسعيدُ بن منصور ، قالا : حدَّثنا عيسى بن يُونس ، حدَّثنا عمر بن عبد الله مولى غُفرة ، عن إبراهيم بن محمد ـ من ولد عليّ ـ قال : كان عليٌّ إذا نعتَ رسولَ الله قال : كان في الوجه تَدوير ، أبيض[5] ، أدعج العينين ، أهدَب الأشفار[6] .

قال الجوهري : الدَّعَج : شدة سواد العينين مع سعتها .

---

(١) كذا بالأصل ، والطبقات (٢/ ١٧٤) وفي المطبوع : وماذا ؟ .
(٢) « جنأ » : هو إشراف الكاهل على الصدر ، وفي الأصل حياء ، وفي المطبوع جناء ، والصحيح ماأثبته .
(٣) إسناده تالف ، الواقدي متروك ، وعلامات الوضع بادية عليه (بشار) .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢١٢) وإسناده حسن ، وعبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد العلوي المدني صدوق حسن الحديث كما هو مبين في تحرير التقريب (٢/ ٢٦٥) .
(٥) كذا بالأصل والمطبوع ، وفي دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢١٣) أبيض مشرب .
(٦) أخرجه البيهقي في الدلائل من طريق يعقوب ، ومنه نقل المصنف (١/ ٢١٣) ، وإسناده ضعيف لضعف عمر بن عبد الله مولى غفرة . أما إبراهيم بن محمد فهو ابن علي بن أبي طالب المعروف أبوه بابن الحنفية ، وهو صدوق حسن الحديث .

حديث آخر : روى الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في كتابه مسانيد الشعراء ، من طريق البخاري في التاريخ أنه قال : حدثنا عمرو بن محمد الربيعي ، حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى ، حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت :

كنتُ قاعدةً أغزلُ ، وكان رسولُ الله ﷺ يَخْصِفُ نعلَه ، قال : فنظرتُ إليه ، فجعل جبينُه يَعْرق ، وجعل عرقُه يتولَّد نوراً ، قالت : فبُهِتُّ . قالت : فنظرَ إليَّ فقال : مالكِ يا عائشة ؟ قال : قلت : يا رسول الله نظرتُ إليكَ فجعل جبينك يعرقُ ، وجعل عرقُك يتولَّد نوراً ، ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره . قال : وما يقول أبو كبير ؟ قلت : يقول :

ومبرَّأ من كل غُبَّر حَيضةٍ وفسادِ مرضعةٍ وداء مُغيل
وإذا نظرتَ إلى أسرة وجهه برقتْ كَبرق العارِض المتهلل

قالت : فوضع رسول الله ﷺ ما كان في يده وقام إليَّ وقبَّل بين عينيَّ ثم قال : « يا عائشة : ما سررتِ مني كسروري منكِ » . أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي ، مولاهم ، البصري ، أحد أئمة اللغة والأدب وأيام الناس ، قال الجاحظ : كان عالماً بجميع العلوم . وقال يعقوب بن شيبة : سمعت عليَّ بن المديني يثني عليه ويصحح روايته . وقال الدارقطني : كان لا بأس به ، ولكنه كان يُتهم برأي الخوارج وبالإحداث ، وتوفي سنة عشر ومئتين ، وقد قارب المئة وأكملها ؛ فالله أعلم . وشيخ البخاري لا يعرف ، وإسناد الحكاية إليه أولى من إسنادها إلى أبي عبيدة[١] .

وقال أبو داود الطيالسي[٢] : حدّثنا شعبة ، أخبرني سِمَاك ، سمعت جابرَ بن سمُرة يقول : كان رسولُ الله ﷺ أشهلَ العينين ، مَنهوس العَقِب ، ضليعَ الفم .

هكذا وقع في رواية أبي دواد عن شعبة : أشهلَ العينين .

قال أبو عبيد : والشُّهلة : حمرة في سواد العين ، والشُّكلة : حمرة في بياض العين .

قلت : وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه[٣] عن أبي موسى وبندار ، كلاهما (عن غُندر ، عن شعبة به . وقال : أشكل العينين وهذا هو الصواب . ورواه الترمذي[٤])[٥] عن أحمد بن منيع ، عن أبي قَطَن ، عن شعبة به ، وقال : حسن صحيح .

---

(١) التكميل ، لابن كثير (١/١١٨) .
(٢) في مسنده (٧٦٥) .
(٣) صحيح مسلم (٢٣٣٩) .
(٤) في جامعه (٣٦٤٦) .
(٥) ما بين القوسين سقط من المطبوع وأثبته من الأصل ، وبه صحت العبارة واستقامت .

ووقع في صحيح مسلم تفسير الشكلة بطول أشفار العينين ، وهو من بعض الرواة ، وقول أبي عبيد : حمرة في بياض العين . أشهرُ وأصح ، وذلك يدل على القوة والشجاعة ، والله تعالى أعلم .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدَّثني عمرو بن الحارث ، حدَّثني عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي ، حدَّثني الزهري ، عن سعيد بن المسيب ؛ أنه سمع أبا هريرة يصفُ رسولَ الله ﷺ فقال : كان مُفَاضَ الجبين[(١)] ، أهدب الأشفار[(٢)] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا أبو غسّان ، حدَّثنا جُميع بن عُمر[(٣)] بن عبد الرحمن العِجلي ، حدَّثني رجلٌ بمكة ، عن ابنٍ لأبي هالة التميمي ، عن الحسن بن عليّ ، عن خاله ، قال : كان رسولُ الله واسعَ الجبين ، أزجَّ الحواجب[(٤)] ، سَوابغَ[(٥)] في غير قَرَن[(٦)] ، بينهما عِرقٌ يُدِرُّه[(٧)] الغضب ، أقنى[(٨)] العِرنين ، له نورٌ يعلوه ، يحسبُه مَن لم يتأمله أشمّ[(٩)] ، سهلَ الخدين[(١٠)] ، ضليعَ الفم ، أشنَب[(١١)] ، مُفَلَّجَ[(١٢)] الأسنان[(١٣)] .

وقال يعقوب : حدَّثنا إبراهيم بن المنذر ، حدَّثنا عبد العزيز بن أبي ثابت الزهري ، حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، عن عمه موسى بن عقبة ، عن كريب ، عن ابن عباس ، قال : كان رسولُ الله أَفلَجَ الثنيتين ، وكان إذا تكلم رُئي كالنور بين ثناياه[(١٤)] .

ورواه الترمذي[(١٥)] عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن إبراهيم بن المنذر به .

---

(١) « مُفاض الجبين » : واسع الجبين .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢١٤) ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر (١/ ٣٣٦) وهو حديث حسن .

(٣) هكذا في ط ، وهو أصوب مما قاله ابن حجر في التقريب : « عُمير » ، فقد جاء « عمر » مكبراً في دلائل البيهقي وتهذيب الكمال للمزي (٥/ ١٢٢) وغيرهما ، وهو الصواب ، كما بينته في تعليق لي على « تحرير التقريب » (١/ ٢٢٢) . وهو رافضي ضعيف (بشار) .

(٤) « أزج الحواجب » : الزَّجَج : تقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداده .

(٥) « سوابغ » : جمع سابغ ، وهو التام الطويل .

(٦) « في غير قرن » : القَرَن : اتصال شعر الحاجبين .

(٧) « يدرُّه الغضب » : يُظهره ويحركه . كان ﷺ إذا غضب امتلأ ذلك العِرق دماً كما يمتلئ الضَّرع لبناً إذا درَّ فيظهرُ ويرتفع .

(٨) « أقنى العِرنين » : العِرْنين : الأنف ، والقنى فيه : طوله ودقة أرنبته ، مع ارتفاعٍ في وسطه .

(٩) « أشمّ » : الشَّمم : ارتفاع قصبة الأنف ، واستواء أعلاها ، وإشراف الأرنبة قليلاً .

(١٠) « سهل الخدين » : أي ليس في خديه نُتوء وارتفاع .

(١١) « أشنب » : الشَّنَبُ : البياض والبريق والتحديد في الأسنان .

(١٢) « مفلج الأسنان » الفَلَج : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات .

(١٣) « دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥) وإسناده ضعيف لضعف جميع بن عمر وجهالة شيخه .

(١٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢١٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وعبد العزيز بن أبي ثابت : متروك .

(١٥) رواه الترمذي في الشمائل رقم (١٥) باب : ما جاء في خلق رسول الله ﷺ ، وإسناده ضعيف جداً ؛ عبد العزيز بن أبي ثابت متروك .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدَّثنا عباد ، عن حجَّاج ، عن سِماك ، عن جابر بن سمرة قال : كنتُ إذا نظرتُ إلى رسول الله ﷺ قلت : أكحل العينين ، وليس بأكحل ، وكان في ساقي رسول الله حموشة(١) ، وكان لا يضحك إلا تبسماً(٢) .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدَّثنا وكيع ، حدَّثني مجمّع بن يحيى ، عن عبد الله بن عمران الأنصاري ، عن عليّ ، والمسعودي ، عن عثمان بن عبد الله بن هُرمز ، عن نافع بن جبير ، عن عليّ قال : كان رسولُ الله ليس بالقصير ولا بالطويل ، ضخمَ الرأس واللّحية ، شَثْنَ الكفين والقدمين ، ضخمَ الكراديس ، مشرباً وجهُه حمرةً ، طويلَ المسرُبة ، إذا مشى تكفَّأ تكفُّؤاً كأنما يتقلَّعُ من صخر ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثله(٤) .

قال ابن عساكر(٥) : وقد رواه عبد الله بن داود الخُرَيبي ، عن مجمّع ، فأدخل بين ابن عمران وبين عليّ رجلاً غير مُسمّى .

ثم أسند من طريق عمرو بن عليّ الفلاَّس ، عن عبد الله بن داود ، حدَّثنا مجمّع بن يحيى الأنصاري ، عن عبد الله بن عمران ، عن رجل من الأنصار قال : سألتُ عليَّ بن أبي طالب ، وهو مُحتَبٍ(٦) بحِمالةِ سيفه في مسجد الكوفة عن نعتِ رسول الله ﷺ ، فقال : كان أبيضَ اللون ، مُشرباً حمرةً ، أدعجَ العينين ، سَبطَ الشعر ، دقيقَ المَسرُبة ، سهلَ الخدِّ ، كثَّ اللّحية ، ذا وَفرَة ، كأن عنقَه إبريقُ فضة ، له شعرٌ يجري(٧) من لَبّته إلى سرّتِه كالقضيب ، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره ، شَثْنَ الكفين والقدم ، إذا مشى كأنما ينحدرُ من صَبَب ، وإذا مشى كأنما يتقلّع من صخر ، وإذا التفتَ التفتَ جميعاً ، ليس بالطويل

---

(١) « حموشة » : دقة في الساقين .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢١٢) ورواه الترمذي في الجامع رقم (٣٦٤٥) عن جابر بن سمرة وقال : هذا حديث حسن غريب ، وهو عند الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٠٥) وفي زيادات عبد الله عليه (٥/ ٩٧) ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٦) وصححه ، واعترض عليه الذهبي بأن حجاجاً لين الحديث .

(٣) المسند (١/ ١٢٧) .

(٤) حديث صحيح كما قال الإمام الترمذي في جامعه (٣٦٣٧) ، ورواه في الشمائل (٥) ، وقد تقدم قبل قليل . وأخرجه الطيالسي (١٧١) ، وابن سعد (١/ ٤١١) ، وابن أبي شيبة (١١/ ٥١٤) ، وأبو يعلى (٣٦٩) ، وابن حبان (٦٣١١) ، والحاكم (٢/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦) ، وغيرهم . وعثمان بن عبد الله ، ويقال : ابن مسلم بن هرمز يعتبر به في المتابعات والشواهد فكأن هذا من صحيح حديثه .

(٥) تاريخ مدينة دمشق ؛ لابن عساكر ، القسم الأول من السيرة النبوية (ص٢٢٣) .

(٦) « محتب » : احتبى الرجل : إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته ، وقد يحتبي بيديه ، وهنا احتبى بحمالة سيفه .

(٧) أثبتها من تاريخ مدينة دمشق (ص٢٢٤) .

ولا بالقصير ، ولا العاجز ولا اللئيم[١] ، كأن عرقَه في وجهه اللؤلؤ ، ولريحُ عرقه أطيبُ من المسك الأذفَر[٢] ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثله[٣] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا سعيد بن منصور ، حدَّثنا نوح بن قيس الحُدَاني ، حدَّثنا خالد بن خالد التميمي ، عن يوسف بن مازن المازني ؛ أن رجلاً قال لعليّ : يا أميرَ المؤمنين انعتْ لنا رسولَ الله ، قال : كان أبيضَ ، مشرباً حمرة ، ضخمَ الهامة ، أغرَّ أبلجَ ، أهدبَ الأشفار[٤] .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا أسود بن عامر ، حدَّثنا شريك ، عن ابن عُمير ، قال شريك : قلت له : عمن يا أبا عُمير ؟ عَمَّن حدَّثه ؟ قال : عن نافع بن جُبير ، عن أبيه ، عن عليّ قال : كان رسولُ الله ضخمَ الهامة ، مُشرباً حمرةً ، شَثْنَ الكفين والقدمين ، ضخمَ اللحية ، طويلَ المَسرُبة ، ضخمَ الكراديس ، يمشي في صَبَب ، يَتكفَّأُ في المِشيَة ، لا قصيرٌ ولا طويلٌ ، لم أر قبلَه مثلَه ، ولا بعدَه[٥] .

---

(١) كذا في (أ) وفي المطبوع : ولا اللأم ، وفي تاريخ ابن عساكر : ولا اللَّسَم .

(٢) « الأذفَر » : الجيد إلى الغاية .

(٣) تاريخ مدينة دمشق (ص٢٢٤) القسم الأول من السيرة النبوية .

(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢١٦) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٧٢) : ويوسف بن مازن أظنه لم يُدرك عليّاً .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ١٣٤) وقد صححه الشيخ أحمد شاكر برقم (١١٢٢) وقال : وقوله : عن نافع بن جُبير بن مُطعم ، عن أبيه عن عليّ . فيه نظر ، فإن نافع بن جبير يروي عن علي ، وأبوه صحابي لم يُذكر أنه روى عن عليّ ، وقد روى عبد الملك بن عُمير هذا الحديث عن نافع عن عليّ ، لم يذكر : عن أبيه . وكذلك رواه غيره عن نافع . . . فأنا أرجّح أن كلمة : عن أبيه ، خطأ ، إما من أحد الرواة ، وإما من الناسخين . المسند شرح أحمد شاكر (٢/ ٢٥٦) . قال أفقر العباد بشار بن عواد : لم يوفق العلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في مقولته هذه ، وآية ذلك أن هذا الحديث يروى على الوجهين المذكورين ، أعني : عن نافع بن جبير عن علي ، وعن نافع بن جبير عن أبيه عن عليّ ، فقد رواه ابن أبي شيبة (في مصنفه ١١/ ٥١٤) وعلي بن حكيم وإسماعيل ابن بنت السدي (في زيادات عبد الله على مسند أبيه ١/ ١١٦) ومحمد بن سعيد الأصبهاني (في دلائل النبوة ١/ ٢٤٥) ، وإسحاق بن محمد العرزمي ومنجاب بن الحارث (كما ذكر الدارقطني في العلل ١/ ١٢٠) ، ستتهم عن شريك ، عن عبد الملك ابن عمير عن نافع بن جبير عن علي . ورواه أسود بن عامر (عند أحمد ١/ ١٣٤) ويزيد بن هارون (عند البزار ٤٧٤) ـ وهما ثقتان ـ عن شريك ، عن عبد الملك ، عن نافع ، عن أبيه ، عن علي .
ورواية نافع عن أبيه في الكتب الأربعة ، كما في تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٧٢) فلا تستنكر روايته عنه ، أما القول بأنّه ليس لجبير رواية عن عليّ فهو مدحوض بهذا ، وبقول البزار : « وهذا أحسن إسناداً يروى عن علي وأشده اتصالاً ، ولا نعلم روى جبير بن مطعم عن علي إلا هذا الحديث » (البحر الزخار ٢/ ١١٩) .
على أنَّ أمير المؤمنين في العلل أبا الحسن الدارقطني قد ذكر هذا الاختلاف على شريك . ثم ذكر الاختلاف فيه على عبد الملك بن عمير وذكر أنه يروى عنه : عن نافع عن علي ، وعن نافع عن أبيه ، عن النبي ﷺ ليس فيه علي ، وعن نافع عن النبي ﷺ مرسلاً ، ورجح رواية نافع بن جبير عن علي (العلل ١/ ١٢٠ ـ ١٢٢ للسؤال ٣١٤) ، كما أشرنا قبل هذا ، وهذا من دقائق علم العلل ، فالحمد لله على منته وآلائه (بشار) .

وقد روي لهذا شواهد كثيرة عن عليّ ، وروي عن عمر نحوه .

وقال الواقدي : حدَّثنا بُكير بن مسمار ، عن زياد مولى سعد ، قال : سألت سعدَ بن أبي وقاص هل خضبَ رسولُ الله ؟ قال : لا ، ولا هَمَّ به ، كان شيبُه في عنفقته وناصيته لو أشاءُ أن أعدَّها لعددتُها . قلت : فما صفتُه ؟ قال : كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالأبيضِ الأَمْهق ، ولا بالآدم ، ولا بالسَّبْط ولا بالقَطط ، وكانت لحيتُه حسنةً ، وجبينُه صَلْتاً ، مُشرباً بحمرة ، شَثْنَ الأصابع ، شديدَ سواد الرأس واللحية(١) .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : حدَّثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس ، حدَّثنا يحيى بن حاتم العسكري ، حدَّثنا بسر بن مهران ، حدَّثنا شريك ، عن عثمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إن أول شيء علمته من رسول الله [حين] قدمت مكة في عمومة لي ، فأرشدونا إلى العباس بن عبد المطلب ، فانتهينا إليه ، وهو جالس إلى زمزم ، فجلسنا إليه ، فبينا نحن عنده إذ أقبلَ رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة ، له وفرة جعدة إلى أنصاف أذنيه ، أقنى الأنف ، برّاق الثنايا ، أدعج العينين ، كثُّ اللّحية ، دقيق المسرُبة ، شثن الكفين والقدمين ، عليه ثوبان أبيضان ، كأنه القمر ليلة البدر .

وذكر تمام الحديث ، وطوافه عليه السلام بالبيت ، وصلاته عنده هو وخديجة وعليّ بن أبي طالب ، وأنَّهم سألوا العباس عنه فقال : هذا هو ابن أخي محمد بن عبد الله ، وهو يزعم أن الله أرسلَه إلى الناس(٢) .

وقد ثبت في الصحيحين ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إني أراكم من وراء ظهري »(٣) .

فقال بعض العلماء : يعني بعيني قلبه . حتى فسر بعضهم قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] بذلك ، وهذا التفسير ضعيف .

وقال آخرون : بل كان هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام ، أنه كان ينظر ببصره من ورائه كما ينظر أمامه ، وقد نصَّ على ذلك الحافظ أبو زُرعة الرازي في كتابه « دلائل النبوة » فبوَّب به عليه ، وأورد الأحاديث الواردة في ذلك من طرق ثابتة ، عن حُميد ، وعبد العزيز بن صُهيب ، وقتادة ، كلّهم عن أنس ، فذكره .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٤١٨) ، طبعة دار صادر ببيروت .

(٢) لم أجد هذا الخبر في المطبوع من دلائل أبي نعيم ، وفي إسناده مجاهيل . قال بشار : المطبوع من دلائل أبي نعيم هو مختصر الكتاب .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧١٨) في صلاة الجماعة ، ومسلم في صحيحه رقم (٤٣٣) و(٤٣٤) في الصلاة .

قال : وحدّثنا علي بن الجَعْد ، حدَّثنا ابن أبي ذئب ، عن عجلان ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، أنَّه قال : « إني لأنظرُ إلى ما ورائي كما أنظر إلى ما بين يدي ، فأقيموا صفوفكم ، وأحسنوا ركوعكم وسجودكم » .

وحدَّثنا سعيد بن سليمان ، حدَّثنا أبو أسامة ، حدَّثنا الوليد بن كثير ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، فذكر حديثاً ، فيه أن رسول الله ﷺ قال : « إني والله لأبصر من ورائي ؛ كما أبصر من بين يدي » .

ورواه من طريق محمد بن إسحاق ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، بمثله . وهو في الصحيحين من طريق مالك ، عن أبي الزّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « هل ترون قبلتي هاهنا ، فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم ولا سجودكم ، إني أراكم من وراء ظهري »[١] .

ثم روى الحميدي ، عن سفيان ، عن داود بن سابور ، وحميد الأعرج ، وابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] قال : كان رسول الله ﷺ يرى مَن خلفه كما يرى من بين يديه .

ثم روى عن عمرو بن عثمان الحمصي وغيره ، عن بقيّة ، حدَّثني حبيب بن أبي موسى ـ وهو ابن صالح ـ قال : كان لرسول الله ﷺ عينان في قفاه يُبصرُ بهما مَن وراءَه . وهذا غريب جداً .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا محمد[٣] بن جعفر ، حدَّثنا عوفُ بن أبي جَميلة ، عن يزيد الفارسيّ ، قال : رأيتُ رسولَ الله في النوم في زمن ابن عباس ، قال : وكان يزيدُ يكتب المصاحفَ ، قال : فقلتُ لابن عباس : إني رأيتُ رسولَ الله في النوم ، قال ابنُ عباس : فإن رسولَ الله ﷺ كان يقول : « إن الشيطان لايستطيع أن يتشبَّه بي ، فمن رآني في النوم[٤] فقد رآني » فهل تستطيعُ أن تنعتَ لنا هذا الرجلَ الذي رأيتَ؟ قال : قلت : نعم ، رأيتُ رجلاً بين الرجلين ، جسمُه ولحمُه ، أسمرُ إلى البياض ، حَسنُ المَضْحَك ، أكحلُ العينين ، جميلُ دوائر[٥] الوجه ، قد ملأت لحيتُه من هذه إلى هذه ، حتى كادت تملأُ نحرَه . قال عوف : لا أدري ما كان مع هذا من النعت . قال : فقال ابنُ عباس : لو رأيتَه في اليقظة ما استطعتَ أن تنعتَه فوق هذا[٦] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٤١) في الأذان ، ومسلم في صحيحه رقم (٤٢٤) في الصلاة ، ومالك في الموطأ (١/ ١٦٧) في قصر الصلاة .

(٢) في المسند (١/ ٣٦١) .

(٣) كذا في أ والمسند (١/ ٣٦١) وفي المطبوع : حدثنا جعفر وهو خطأ ، وهو غندر .

(٤) في المطبوع : فمن رآني فقد رآني . وهذا نقص مخل بالمعنى ، وماأثبته من (أ) والمسند (١/ ٣٦١) .

(٥) كذا في المسند ، وفي أ : جميل دائرة الوجه .

(٦) إسناده ضعيف ، لضعف يزيد الفارسي أو جهالته ، وهو ما لا يحتمل تفرده ، ولا عبرة بقول الهيثمي في مجمع =

وقال أبو زُرْعة الرازي[١] في كتاب « دلائل النبوة » بابُ من ذكر أن النبي ﷺ كان إذا تكلم رُئي النور من ثنيته : حدَّثنا إبراهيم بن المنذر بن عبد الله الحِزامي ، حدَّثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن أخي موسى بن عقبة ، عن موسى بن عقبة ، عن كريب ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا تكلّم رئي النور من ثنيته . إسناد جيد[٢] .

وقال محمد بن يحيى الذهلي : حدَّثنا عبد الرزاق[٣] ، حدَّثنا معمر ، عن الزهري قال : سُئِلَ أبو هريرة عن صفة رسول الله ، فقال : أحسن الصفة وأجملها ، كان ربعةً إلى الطول ما هو ، بعيدَ ما بين المنكبين ، أَسِيلَ الخدين ، شديدَ سواد الشعر ، أكحلَ العين ، أهدبَ الأشفار ، إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها ، ليس لها أخمص ، إذا وضع رداءَه على منكبيه فكأنه سبيكةُ فضة ، وإذا ضحك كاد يتلألأُ في الجدر ، لم أر قبلَه ولا بعدَه مثله .

وقد رواه محمد بن يحيى من وجه آخر متصل ، فقال : حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم ـ يعني الزُّبيدي ـ حدَّثني عمرو بن الحارث ، عن عبد الله بن سالم ، عن الزُّبيدي ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسِّيب ، عن أبي هريرة ، فذكر نحو ما تقدم[٤] .

ورواه الذهلي ، عن إسحاق بن راهويه ، عن النضر بن شُميل ، عن صالح بن أبي الأخضر ، عن الزُّهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : كان رسولُ الله كأنما صِيغ من فضة ، رَجِلَ الشعر ، مُفاضَ البطن ، عظيمَ مَشاش المنكبين ، يطأُ بقدمه جميعاً ، إذا أقبلَ أقبلَ جميعاً ، وإذا أدبرَ أدبرَ جميعاً[٥] .

ورواه الواقدي : حدَّثني عبد الملك ، عن سعيد بن عبيد بن السَّبَّاق ، عن أبي هريرة ، قال : كان رسولُ الله شثْنَ القدمين والكفين ، ضخمَ الساقين ، عظيمَ الساعدين ، ضخمَ العضدين والمنكبين ، بعيدَ ما بينهما ، رحبَ الصدر ، رَجِلَ الرأس ، أهدبَ العينين ، حسنَ الفم ، حسنَ اللِّحية ، تامَّ الأذنين ، ربعةً

= الزوائد (٨/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

(١) هذه الفقرة سقطت من المطبوع جملة ، فأثبتها من (أ) وكتاب دلائل النبوة لأبي زرعة (وهو مخطوط) .

(٢) هكذا قال ، وهو ذهول منه فإن عبد العزيز بن أبي ثابت متروك ، قال ابن معين : ليس حديثه بشيء ، وقال في موضع آخر : ليس بثقة ، وقال البخاري : منكر الحديث لا يكتب حديثه ، وقال أبو حاتم والنسائي : متروك الحديث ، وقد ترك أبو زرعة الرواية عنه ، وضعفه الجمهور (تهذيب الكمال ١٨/ ١٨٠ ـ ١٨١ والتعليق عليه) فإسناد الحديث ضعيف جداً (بشار) .

(٣) هو في مصنفه (٢٠٤٩٠) ، وهو منقطع .

(٤) في الدلائل للبيهقي (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) ، وإسناده ضعيف لضعف رواية إسحاق بن إبراهيم الزُّبيدي المعروف بابن زبريق عن عمرو بن الحارث الحمصي خاصة ، كما بيناه في تحرير التقريب (١/ ١١٣) (بشار) .

(٥) رواه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٤١) . وفي إسناده صالح بن أبي الأخضر اليمامي قال الحافظ في التقريب : ضعيف . يعتبر به .

من القوم ، لا طويلٌ ولا قصير ، أحسنَ الناس لوناً ، يُقبل معاً ويُدبر معاً ، لم أرَ مثلَه ولم أسمع بمثله[١] .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي ، حدَّثنا أبو الحسن المحمودي المروزي ، حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن علي الحافظ ، حدَّثنا محمد بن المثنى ، حدَّثنا عثمان بن عمر ، حدَّثنا حرب بن سُريج ، صاحب الحلواني ، حدَّثني رجل من بلعدويه ، حدَّثني جدّي ، قال : انطلقت إلى المدينة أذكر الحديث في رؤية رسول الله ، قال : فإذا رجل حسن الجسم ، عظيم الجمة ، دقيق الأنف ، دقيق الحاجبين ، وإذا من لدن نحره إلى سرته كالخيط الممدود شعره ، ورأيتُه بينَ طِمرين ، فدنا مني وقال : السلام عليك[٢] .

ذكر شَعْره عليه الصَّلاة والسلام

قد ثبت في الصحيحين[٣] من حديث الزُّهري ، عن عُبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان رسولُ الله يُحبُّ موافقةَ أهل الكتاب فيما لم يُؤمر فيه بشيء ، وكان أهلُ الكتاب يَسْدِلون أشعارَهم ، وكان المشركون يَفرِقون رؤوسهم ، فسدلَ رسولُ الله ﷺ ، ثم فرَقَ بعد .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا حمَّاد بن خالد ، حدَّثنا مالك ، حدَّثنا زيادُ بن سعد ، عن الزُّهري ، عن أنس ؛ أن رسول الله ﷺ سدلَ ناصيتَه ما شاء أن يَسْدِلَ ، ثم فرَقَ بعد . تفرد به من هذا الوجه .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروةَ ، عن عائشة ، قالت : أنا فرقتُ لرسول الله رأسَه ، صدعتُ فَرْقه عن يافوخه ، وأرسلتُ ناصيتَه بين عينيه . قال ابن إسحاق : وقد قال محمد بن جعفر بن الزبير ، وكان فقيهاً مسلماً : ما هي إلا سيماءُ من سيماءِ الأنبياءِ تمسكت بها النصارى من الناس .

وثبت في الصحيحين ، عن البراء ، أن رسول الله كان يضربُ شعرُه إلى منكبيه[٥] .

وجاء في الصحيح عنه[٦] وعن غيره : إلى أنصاف أذنيه .

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد (١/ ٤١٥) .

(٢) دلائل النبوة (١/ ٢٤٨) وإسناده تالف لجهالة من بعد حرب بن سريج . وينظر مجمع الزوائد (٨/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٩١٧) في اللباس ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٣٦) في الفضائل .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢١٥) وإسناده صحيح .

(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٢٦) وحديث عائشة أخرجه أبو داود في سننه رقم (٤١٨٩) في الترجل . وهو حديث صحيح .
و« السيماء » : العلامة .

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣٥٥١) وهي رواية شعبة عن أبي إسحاق عن البراء .

ولا منافاة بين الحالين ، فإن الشعرَ تارة يطول ، وتارة يقصر منه ، فكلٌّ حكى بحسب ما رأى .

وقال أبو داود : حدَّثنا ابن نُفَيْل ، حدَّثنا ابن أبي الزِّناد ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان شعرُ رسولِ الله ﷺ فوقَ الوَفرَة ودون الجُمّة[١] .

وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام حلقَ جميعَ رأسِه في حَجّة الودَاع ، وقد مات بعد ذلك بأحد وثمانين يوماً ، صلواتُ الله وسلامُه عليه دائماً إلى يوم الدين .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا عبد الله بن مسلم ، ويحيى بن عبد الحميد ، قالا : حدَّثنا سفيان ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال : قالت أُم هانىء : قدمَ النبيُّ ﷺ مكة قدمةً وله أربع غدائر[٢] ـ تعني ضفائر ـ .

ورواه الترمذي من حديث سفيان بن عيينة .

وثبت في الصحيحين من حديث ربيعة ، عن أنس ، قال بعد ذكره شعر رسول الله ﷺ : إنه ليس بالسَّبْط ولا بالقَطط ، قال : وتوفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاء[٣] .

وفي صحيح البخاري[٤] من حديث أيوب ، عن ابن سيرين أنه قال : قلت لأنس : أخضبَ رسولُ الله ؟ قال : إنه لم يرَ من الشيب إلا قليلاً .

وكذا روى هو ومسلم ، من طريق حمّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس[٥] .

وقال حمَّادُ بن سلمة ، عن ثابت ، قيل لأنس : هل كان شابَ رسولُ الله؟ فقال : ما شانَه الله بالشّيبِ ، ما كانَ في رأسِه إلا سبعَ عشرةَ أو ثمانيَ عشرةَ شعرةً[٦] .

وعند مسلم من طريق المثنى بن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ؛ أن رسولَ الله لم يختضب ، إنما كان

---

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤١٨٧) في الترجل ، والترمذي في الجامع رقم (١٧٥٥) في اللباس ، وابن ماجه في سننه رقم (٣٦٣٥) في اللباس . وهو حديث صحيح .
و« الوَفرة » : الشعر يبلغ شحمة الأذن . والجمّة : الشعر يصل إلى المنكبين .

(٢) في الجامع (١٧٨١) عن ابن أبي عمر العدني عن سفيان بن عيينة ، به . وقال : « هذا حديث غريب (ضعيف) ، قال محمد (هو البخاري) : لا أعرف لمجاهد سماعاً من أم هانىء » ، وهو كما قال . وأخرجه من هذا الوجه أيضاً : أحمد (٦/ ٣٤١ـ ٤٢٥) ، وأبو داود (٤١٩١) ، وابن ماجه (٣٦٣١) وغيرهم .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٤٨) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٤٧) في الفضائل ، وقد تقدم .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٨٩٤) في اللباس . ولفظه : أخضبَ النبي ﷺ ؟ قال : لم يبلغ الشيبَ إلا قليلاً .
رواه مسلم بهذا اللفظ في صحيحه رقم (٢٣٤١) (١٠٢) في الفضائل .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٨٩٥) في اللباس ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٤١) (١٠٣) في الفضائل .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٥٤) .

شمِطَ عند العَنفقة يسيراً ، وفي الصُّدغين يسيراً ، وفي الرأس يسيراً[١] .

وقال البخاري : حدَّثنا أبو نُعيم ، حدَّثنا همَّام ، عن قتادة ، قال : سألتُ أنساً ، هل خضبَ رسولُ الله ﷺ ؟ قال : لا ، إنما كان شيءٌ في صُدغيْه[٢] .

وروى البخاري عن عصام بن خالد ، عن حَريز بن عثمان ، قال : قلتُ لعبد الله بن بُسْرٍ السُّلميّ : رأيتَ رسولَ الله ، أكان شيخاً ؟ قال : كان في عَنْفَقتِه شعراتٌ بيض[٣] .

وتقدَّم عن جابر بن سَمُرة مثله[٤] .

وفي الصحيحين من حديث أبي إسحاق ، عن أبي جُحيفة ، قال : رأيتُ رسولَ الله هذه منه بيضاء ، يعني عَنْفَقته[٥] .

وقال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثنا عبد الله بن عثمان ، عن أبي حمزة السُّكري ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوهَب القُرَشي ، قال : دخلنا على أمّ سلَمة ، فأخرجت إلينا من شعر رسول الله ، فإذا هو أحمرُ مصبوغٌ بالحِنّاء والكَتم[٦] .

رواه البخاري عن إسماعيل بن موسى ، عن سَلاَّم بن أبي مُطيع ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوهب ، عن أُمّ سلمة[٧] .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنامحمد بن إسحاق الصَّغاني ، حدَّثنا يحيى بن أبي بُكير ، حدَّثنا إسرائيل ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوهب ، قال : كان عند أم سلمة جُلجُلٌ[٨] من فضّة ضخم ، فيه من شعـر رسول الله ، فكان إذا أصاب إنساناً الحُمَّى بعث إليها فخَضْخَضَتْهُ[٩] فيه ، ثم ينضحه[١٠] الرجل على وجهه . قال : فبعثني أهلي إليها

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٤١) (١٠٤) في الفضائل ، ولفظه : ولم يختضب رسولُ الله ﷺ ، إنما كان البياضُ في عَنْفَقَتِه ، وفي الصُّدْغين ، وفي الرأس نَبْذٌ . ونُبَذ : بالضم والفتح : أي شعرات متفرقة .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٥٥٠) في المناقب .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٤٦) في المناقب . ولفظه : أرأيت النبي ﷺ كان شيخاً ؟ . . . .

(٤) تقدم حديث جابر بن سمرة ص ٨ وتخريجه في الهامش رقم ٥ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٤٥) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٤٢) في الفضائل ، واللفظ له .

(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) .

(٧) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٨٩٦) و(٥٨٩٧) في اللباس .

(٨) « جُلْجُل » : جرس صغير يُعلّق على الدواب .

(٩) « حضحضته » : حركته . وفي دلائل النبوة : خضخضته .

(١٠) « ينضحه » : يرشّه .

فأخرجتهُ ، فإذا هو هكذا ـ وأشار إسرائيلُ بثلاث أصابع ـ وكان فيه خمس شعرات حمر[١] .

ورواه البخاري[٢] عن مالك بن إسماعيل ، عن إسرائيل .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا أبو نُعيم ، حدَّثنا عُبيد الله بن إياد ، حدَّثني إياد[٣] ، عن أبي رِمْثة ، قال : انطلقتُ مع أبي نحوَ رسول الله ﷺ ، فلما رأيتُه ، قال : هل تدري من هذا؟ قلت : لا . قال : إنَّ هذا رسولُ الله ، فاقشعررتُ حين قال ذلك ، وكنتُ أظنُّ أن رسولَ الله ﷺ شيءٌ لا يُشبه الناسَ ، فإذا هو بشر ذو وَفرَةٍ بها رَدعٌ[٤] من حِنَّاء ، وعليه بُردانِ أخضران[٥] .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي[٦] من حديث عُبيد الله بن إياد بن لقيط ، عن أبيه ، عن أبي رِمْثَة ، واسمه حبيب بن حيّان ، ويقال رفاعة بن يثربي . وقال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث إياد ، كذا قال .

وقد رواه النسائي أيضاً من حديث سفيان الثوري[٧] وعبد الملك بن عمير[٨] ، كلاهما عن إياد بن لَقيط به ، ببعضه .

ورواه يعقوب بن سفيان أيضاً عن محمد بن عبد الله المُخَرِّمي ، عن أبي سفيان الحِميَري ، عن الضحَّاك بن حُمْرة ، عن غَيلان بن جامع ، عن إياد بن لَقيط ، عن أبي رِمثَة ، قال : كان رسول الله ﷺ يخضب بالحناء والكتم ، وكان شعره يبلغ كتفيه أو مَنكبيه[٩] .

وقال أبو داود[١٠] : حدَّثنا عبد الرحيم بن مطرف بن سفيان ، حدَّثنا عمرو بن محمد ، أخبرنا ابن أبي رَوَّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ كان يلبس النعال السبتية ، ويصفر لحيته بالورس والزعفران ، وكان ابن عمر يفعل ذلك .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٣٦) .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٨٩٦) في اللباس باختلاف لفظي يسير ، وهو عند الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٢) .
(٣) في دلائل النبوة ؛ للبيهقي : حدثني إياد بن أبي رِمْثة ، قال . . . وهو خطأ .
(٤) « رَدعٌ من حِنَّاء » : أي لَطخٌ من حنَّاء . النهاية لابن الأثير (٢/ ٢١٥) .
(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٣٧) .
(٦) رواه أبو داود (٤٠٦٥) في اللباس و(٤٢٠٦) في الترجل ، والترمذي (٢٨١٢) في الاستئذان ، والنسائي في الصلاة من المجتبى (٣/ ١٨٥) وهو في الكبرى (١٧٨١) وفي الزينة منها (٩٣٥٦) .
(٧) حديث سفيان في الزينة (٨/ ١٤٠) ، وهو في الكبرى (٩٣٥٧) .
(٨) حديث عبد الملك في (٨/ ٢٠٤) ، وهو في الكبرى (٩٦٥٧) أيضاً .
(٩) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٣٨) .
(١٠) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٢١٠) في الترجل .

ورواه النسائي[١] ، عن عبدة بن عبد الرحيم المروزي ، عن عمرو بن محمد العَنْقَزي[٢] به .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ : حدَّثنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، حدَّثنا الحسن بن محمد بن زياد ، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدَّثنا يحيى بن آدم ، (ح) وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، أخبرنا يعقوبُ بن سفيان ، حدَّثني أبو جعفر محمد بن عمر بن الوليد الكندي الكوفي ، حدَّثنا يحيى بن آدم ، حدَّثنا شريك ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان شيبُ رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة . وفي رواية إسحاق : رأيتُ شيبَ رسول الله نحواً من عشرين شعرة بيضاء في مُقَدَّمِه[٤] .

قال البيهقي[٥] : وحدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أحمد بن سَلْمان الفقيه ، حدّثنا هلال بن العلاء الرَّقي ، حدَّثنا حسين بن عياش الرَّقي ، حدَّثنا جعفر بن بُرقان ، حدَّثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : قدم أنس بن مالك المدينة وعمرُ بن عبد العزيز والٍ عليها ، فبعث إليه عمر وقال للرسول : سله هل خضبَ رسولُ الله ﷺ ، فإني رأيت شعراً من شعره قد لُوِّن ؟ فقال أنس : إن رسولَ الله ﷺ كان قد مُتِّع بالسواد ، ولو عددتُ ما أقبلَ عليَّ من شيبه في رأسه ولحيته ما كنتُ أزيد على إحدى عشرة شيبة ، وإنما هذا الذي لُوِّن من الطيب الذي كان يُطَيَّبُ به شعر رسول الله ﷺ هو الذي غيَّرَ لونه[٦] .

قلتُ : ونفي أنس للخضاب مُعَارض بما تقدم عن غيره من إثباته ، والقاعدة المقررة أن الإثبات مُقدَّم على النفي ؛ لأن المثبت معه زيادة علم ليست عند النافي . وهكذا إثبات غيره لزيادة ما ذُكر من الشَّيب مُقدَّم ؛ لا سيما عن ابن عمر الذي المظنون أنه تلقى ذلك عن أخته أم المؤمنين حفصة ، فإن اطلاعها أتم من اطلاع أنس ؛ لأنها ربما أنها فلَّت رأسَه الكريم عليه الصلاة والسلام .

ذكرُ ما وردَ في مَنكبيه وسَاعديه وإبطيْه وقَدَميْه وكَعبَيه

قد تقدم ما أخرج البخاري ومسلم من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال :

---

(١) في سننه (٨/ ١٨٦) في الزينة وهو في الكبرى (٩٣٦٠) وهو حديث صحيح .

(٢) في ط : « المنقري » محرف ، وما أثبتناه هو الصواب ، فينظر تهذيب الكمال (٢٢/ ٢٢٠) .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) .

(٤) وأخرجه من حديث شريك أحمد (٢/ ٩٠) ، والترمذي في الشمائل (٤٠) ، وابن ماجه (٣٦٣٠) ، وابن حبان (٦٢٩٤) و(٦٢٩٥) ، وإسناده ضعيف لضعف شريك بن عبد الله النخعي عند التفرد ، وقال الإمام الترمذي في العلل الكبير (٢/ ٩٢٩) : « سألت محمداً ـ يعني البخاري ـ عن هذا الحديث فقال : لا أعلم أحداً روى هذا الحديث عن عبيد الله بن عمر غير شريك » .

(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٣٩) .

(٦) في إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف عند التفرد ، كما هو مبين مفصلاً في تحرير التقريب (٢/ ٢٦٤) .

كان رسول الله ﷺ مَربوعاً بعيدَ ما بين المنكبين[١] . (وقال الزبيدي ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة : كان رسول الله ﷺ بعيدَ ما بين المنكبين)[٢] .

وروى البخاري[٣] عن أبي النعمان ، عن جرير ، عن قتادة ، عن أنس قال : كان النبيُّ ﷺ ضخمَ الرأس والقدمين ، سَبط الكفين .

وتقدم من غير وجه أنه عليه السلام كان شَثنَ الكفين والقدمين[٤] .

وفي رواية : ضخم الكفين والقدمين .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا آدمُ وعاصمُ بن عليّ ، قالا : حدَّثنا ابن أبي ذئب ، حدَّثنا صالح مَولى التوءمة قال : كان أبو هريرة ينعتُ رسولَ الله ﷺ قال : كان شَبحَ الذراعين ، بعيدَ ما بين المنكبين ، أهدب أشفار العينين[٥] .

وفي حديث نافع بن جُبير ، عن عليّ قال : كان رسول الله ﷺ شَثْنَ الكفين والقدمين ، ضخمَ الكراديس ، طويل المسرُبة[٦] .

وتقدَّم في حديث حجَّاج ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سمرة قال : كان في ساقيْ رسول الله ﷺ حُموشة[٧] . أي : لم يكونا ضخمين .

وقال سراقةُ بن مالك بن جعشم : فنظرت إلى ساقيه ، وفي رواية : قدميه في الغرز ـ يعني الركاب ـ كأنهما جمّارة[٨] . أي : جمارة النخل من بياضهما .

وفي صحيح مسلم[٩] ، عن جابر بن سمرة « كان ضليعَ الفم » وفسَّره بأنه عظيم الفم « أشكلَ العينين » وفسَّره بأنه طويل شق العينين « منهوس العقب » وفسَّره بأنه قليل لحم العقب . وهذا أنسب وأحسن في حق الرجال .

---

(١) في الأصل مربوعاً بعيداً ما بين المنكبين ، وما أثبته هو الصحيح .
(٢) ما بين القوسين سقط من المطبوع ، وأثبته من أ .
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٩٠٧) في اللباس ، ولفظه : كان النبي ﷺ ضخمَ اليدين والقدمين ، حسنَ الوجه . .
(٤) تقدم ذلك في ص(١٥) صفة وجه رسول الله ﷺ وذكر محاسنه .
(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٤٤) وهو عند أحمد في المسند (٢/ ٣٢٨ ، ٤٤٨) . ومعنى شبح الذراعين : عريض الذراعين . وهو حديث حسن .
(٦) تقدم الحديث في صفة وجه رسول الله ﷺ .
(٧) تقدم الحديث في صفة وجه رسول الله ﷺ .
(٨) تقدم الحديث في صفة لون رسول الله ﷺ .
(٩) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٣٩) في الفضائل .

وقال الحارث بن أبي أسامة[١] : حدثنا عبد الله بن بكر ، حدَّثنا حميد ، عن أنس قال : أخذت أُم سليم بيدي مقدمَ رسول الله ﷺ المدينة فقالت : يا رسول الله هذا أنس غلام كاتب يخدمك ، قال : فخدمته تسع سنين فما قال لشيء صنعت : أسأت ، ولا بِئْسَ ما صنعت ، ولا مَسِسْتُ شيئاً قط خزاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ، ولا شممت رائحة قط مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله ﷺ .

وهكذا رواه معتمر بن سليمان ، وعلي بن عاصم ، ومروان بن معاوية الفزاري ، وإبراهيم بن طهمان ، كلُّهم عن حميد ، عن أنس في لين كفه عليه السلام ، وطيب رائحته ، صلاة الله وسلامه عليه .

وفي حديث الزُّبيدي ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ كان يطأ بقدمه كلها ليس لها أخمص[٢] . وقد جاء خلاف هذا كما سيأتي .

وقال يزيد بن هارون : حدَّثني عبد الله بن يزيد بن مِقْسم ، قال : حدَّثتني عمتي سَارة بنت مِقسم ، عن ميمونة بنت كَرْدَم ، قالت : رأيتُ رسول الله بمكة ، وهو على ناقة له ، وأنا مع أبي ، وبيد رسول الله دِرَّةٌ كدِرّة الكُتَّاب ، فدنا منه أبي فأخذ بقدمه ، فأقر له رسول الله ﷺ . قالت : فما نسيتُ فيما نسيت طولَ إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه[٣] .

ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون مطولاً[٤] .

ورواه أبو داود من حديث يزيد بن هارون ببعضه[٥] . وعن أحمد بن صالح[٦] ، عن عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن خالته ، عنها .

ورواه ابن ماجه من وجه آخر عنها[٧] ، والله أعلم .

---

(١) هو الحارث بن محمد ، الحافظ الصدوق ، مسند العراق ، أبو محمد التميمي ، صاحب المسند المشهور توفي سنة ٢٨٢ ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٨) . ومسنده مفقود . والحديث صحيح .

(٢) تقدم الحديث .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٤٦) .

(٤) في « المسند » (٦/ ٣٦٦) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٨٠) وقال : رواه الطبراني ، وفيه من لم أعرفهم . قال بشار : سارة بنت مقسم مجهولة تفرد بالرواية عنها ابن أخيها عبد الله بن يزيد بن مقسم .

(٥) أبو داود (٢١٠٣) في النكاح (أما الحديث الذي في الأيمان والنذور برقم (٣٣١٤) فلعله من إضافات النساخ ، فإن ابن عساكر والمزي لم يذكراه في الأطراف) وهو حديث إسناده ضعيف كما بينا قبل قليل (بشار) .

(٦) أبو داود (٢١٠٤) في النكاح ، وإسناده ضعيف .

(٧) رواه ابن ماجه (٢١٣١) و(٢١٣١م) في الكفارات عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن مروان بن معاوية ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن ميمونة . وعن ابن أبي شيبة ، عن الفضل بن دكين عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن يزيد بن مقسم ، عن ميمونة ، وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، والاختلاف المذكور في إسناد الحديث . وإنما الصحيح في هذا الحديث هو حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو في الصحيحين ، كما بيناه في تعليقنا على ابن ماجه (بشار) .

وقال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله بن بشران ، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصَّفَّار ، حدَّثنا محمد بن إسحاق أبو بكر ، حدَّثنا سَلمة بن حفص السعدي ، حدَّثنا يحيى بن اليمان ، حدَّثنا إسرائيل ، عن سِماك ، عن جابر بن سمرة ، قال : كانت إصبعُ رسول الله ﷺ خنصرَه من رجلَيْه مُتظاهرة(١) . وهذا حديث غريب .

صفة قوامِه عليه الصلاة والسلام وطيبُ رائحته

في صحيح البخاري ، من حديث ربيعة ، عن أنس قال : كان رسولُ الله ﷺ ربعةً من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير(٢) .

وقال أبو إسحاق ، عن البراء : كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس وجهاً ، وأحسنهم خلقاً ، ليس بالطويل ولا بالقصير(٣) . أخرجاه في الصحيحين .

وقال نافع بن جبير عن علي : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير ، لم أر قبله ولا بعده مثله(٤) .

وقال سعيد بن منصور ، عن خالد بن عبد الله ، عن عبد الله(٥) بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي قال : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهو إلى الطول أقرب ، وكان عرقه كاللؤلؤ . . . الحديثَ(٦) .

وقال سعيد ، عن نوح بن قيس(٧) ، عن خالد بن خالد التميمي ، عن يوسف بن مازن الراسبي ، عن

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٤٨) وفي سنده سَلَمة بن حَفص السَّعدي . قال ابن حبَّان : كان يضع الحديث ، لايَحِل الاحتجاج به ولا الرواية عنه ، وحديثه هذا باطل لا أصل له ، ورسول الله ﷺ كان معتدلَ الخَلْق .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٤٧) في المناقب .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٤٩) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٣٧) في الفضائل .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه رقم (٣٦٣٧) في المناقب ، وهو عند الإمام أحمد في المسند (١/ ٩٦) وقد تقدم ذكره أكثر من مرة ، وهو حديث صحيح .

(٥) في ط : « عن خالد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي » ، وهو غلط محض ، والصواب ما أثبتنا ، وخالد بن عبد الله هو ابن عبد الرحمن بن يزيد الطحان من رجال الشيخين ، ورواية سعيد بن منصور عنه عند مسلم كما في تهذيب الكمال (٨/ ١٠١ و١١/ ٧٨) . أما عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب فمن رجال النسائي وأبي داود ، وهو صدوق حسن الحديث وإن قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » : مقبول ، كما بيناه مفصلاً في التحرير (٢/ ٢٦٥) . وقد تحرف اسمه في دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٥٢) ، وينظر تهذيب الكمال (١٦/ ٩٣) (بشار) .

(٦) أخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ٢٥٢) من طريق يعقوب بن سفيان ، عن سعيد ، به ، وإسناده حسن .

(٧) في ط : « روح » وهو خطأ ، وهو نوح بن قيس بن رباح الأزدي أخو خالد بن قيس ، وهو من رجال مسلم ، كما في التحرير (٤/ ٢٧) ومسند أحمد (١/ ١٥١) وغيرهما (بشار) .

علي ، قال : كان رسول الله ليس بالذاهب طولاً ، وفوق الربعة ، إذا جامع القوم غمرهم ، وكان عرقه في وجهه كاللؤلؤ[١] . . الحديث .

وقال الزبيدي ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، قال : كان رسولُ الله ربعةً وهو إلى الطول أقرب ، وكان يُقبل جميعاً ويُدبر جميعاً ، لم أر قبله ، ولا بعده مثله[٢] .

وثبت في البخاري من حديث حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : ما مسست بيدي ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله ﷺ[٣] .

ورواه مسلم[٤] من حديث سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس به[٥] .

ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ، وسليمان بن المغيرة[٦] ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان رسول الله أزهر اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفأ ، وما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ، ولا شَمِمْتُ مِسكاً ولا عنبراً أطيبَ من رائحة رسول الله ﷺ .

وقال أحمد[٧] : حدَّثنا ابن أبي عدي ، حدَّثنا حميد ، عن أنس ، قال : ما مسست شيئاً قط خزًّا ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممتُ رائحةً أطيب من ريح رسول الله ﷺ . والإسناد ثلاثي على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه .

وقال يعقوب بن سفيان : أخبرنا عمرو بن حمَّاد بن طلحة القنَّاد ، وأخرجه البيهقي من حديث

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٥١) (رقم ١٣٠٠) ، وإسناده ضعيف لانقطاعه فإن يوسف بن مازن لم يدرك علياً ، ولجهالة الراوي عنه خالد بن خالد التميمي ، أما قول الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة (١١٢) : إنه خالد بن قيس أخو نوح فهو بعيد جداً ، والصواب ماقاله الحسيني وهو أنه مجهول . وهذا نقله المصنف من البيهقي أيضاً (الدلائل ١/ ٢٥٢) ، وهو عند ابن سعد في الطبقات (١/ ٤١١) .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٥٢) ، وإسناده ضعيف كما بيناه قبل قليل في صفة وجه رسول الله ﷺ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٦١) في المناقب .

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢٣٣٠) (٨١) في المناقب .

(٥) هكذا في ط والأصل ، وكان حقه أن يقول : « ورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة وجعفر بن سليمان ، عن ثابت عن أنس » كما في صحيح مسلم وكما في تحفة الأشراف (١/ ٢٤٣) حديث (٢٦٤) (بشار) .

(٦) هكذا في ط والأصل ، وإنما رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت ، ليس فيه سليمان بن المغيرة (صحيح مسلم ٢٣٣٠ ـ ٨٢) وكما في تحفة الأشراف (١/ ٢٧٥) حديث (٣٦٠) ، وهو كذلك عن حماد وحده عند أحمد (٣/ ٢٧٠) والدارمي (٦٢) ، فأنا أرى أن عبارة « وسليمان بن المغيرة » غلط محض إذ لم يذكره البيهقي في الدلائل (١/ ٢٥٥) حين ذكر هذا النص ، ولعلها من أوهام المؤلف رحمه الله حين نقله من الدلائل لتقارب الإسنادين فيه (بشار) .

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٠٧) .

أحمد بن حازم بن أبي غرزة عنه ، قال : حدَّثنا أسباط بن نصر ، عن سِماك ، عن جابر بن سمرة ، قال : صلَّيت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ، ثم خرج إلى أهله ، وخرجت معه فاستقبله ولدان ، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً . قال : وأما أنا فمسح خَدّي ، فوجدت لِيَدِه برداً ورِيحاً كأنما أخرجها من جُونَة عطّار[١] .

ورواه مسلم[٢] عن عمرو بن حماد به نحوه .

(وقال أبو زرعة الرازي : حدَّثنا سعيد بن محمد الجَرْمي ، حدَّثنا أبو تُمَيْلة[٣] ، عن أبي حمزة[٤] ، عن جابر[٥] ، عن عبد الجبار بن وائل ، عن أبيه ، قال : كنت أصافح النبي ﷺ أو يَمَسُّ جلدي جلده ، فأتعرفه في يديَّ بعد ما نالته ، أطيب رائحة من المِسك)[٦] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، وحجاج[٧] ، أخبرني شعبة ، عن الحكم ، سمعتُ أبا جحيفة ، قال : خرجَ رسولُ الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء ، فتوضأ وصلَّى الظهر ركعتين ، وبين يديه عَنَزة ـ زاد فيه عون عن أبيه : يمر من ورائها الحمار والمرأة ـ قال حجَّاج في الحديث : ثم قام الناسُ فجعلوا يأخذون يدَه فيمسحون بها وجوهَهم ، قال : فأخذتُ يدَه فوضعتُها على وجهي ، فإذا هي أبردُ من الثلج وأطيبُ ريحاً من المِسك[٨] .

وهكذا رواه البخاري[٩] ، عن الحسن بن منصور ، عن حجّاج بن محمد الأعور ، عن شعبة فذكر مثلَه سواء .

وأصل الحديث في الصحيحين أيضاً .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا هشام بن حسان وشعبة وشريك ، عن يعلى بن عطاء ، عن جابر بن يزيد ، عن أبيه ـ يعني يزيد بن الأسود ـ قال : صلَّى رسولُ الله ﷺ بمنى ، فانحرف فرأى رجلين من وراء الناس ، فدعا بهما فجيئا تُرْعَدُ فرائصُهما ، فقال : « ما منعكما أن تصلِّيا مع

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٥٦) .
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٢٩) في الفضائل .
(٣) هو يحيى بن واضح الأنصاري ، من رجال التهذيب ، وهو ثقة .
(٤) هو محمد بن ميمون السكري ، من رجال التهذيب ، وهو ثقة أيضاً .
(٥) هو جابر الجعفي ، وهو متروك ، فإسناد الحديث ضعيف جداً .
(٦) مابين القوسين سقط من الأصل .
(٧) حجاج هو ابن محمد المصيصي الأعور وهو شيخ أحمد ، فهذا الحديث رواه غندر وحجاج كلاهما عن شعبة .
(٨) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٣٠٩) .
(٩) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٥٣) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٥٠٣) (٢٥٢) في الصلاة .

الناس ؟ » قالا : يا رسولَ الله إنا كنا قد صلَّينا في الرِّحال ، قال : « فلا تفعلا ، إذا صلَّى أحدُكم في رَحْله ثم أدركَ الصلاة مع الإمام فليصلِّها معه ، فإنَّها له نافلة » قال : فقال أحدهما : استغفر لي يا رسول الله ، فاستغفرَ له ، قال : ونهضَ النَّاسُ إلى رسول الله ﷺ ونهضتُ معهم ، وأنا يومئذ أشبُّ الرجال وأجلدُه ، قال : فما زلتُ أزحَمُ الناسَ حتى وَصَلتُ إلى رسول الله ، فأخذتُ يدَه فوضعتُها إما على وجهي أو صدري ، قال : فما وجدتُ شيئاً أطيَب ولا أبردَ من يدِ رسولِ الله ﷺ . قال : وهو يومئذ في مسجد الخيف .

ثم رواه أيضاً ، عن أسود بن عامر ، وأبي النضر ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، سمعتُ جابرَ بن يزيد بن الأسود ، عن أبيه ؛ أنه صلّى مع رسول الله ﷺ الصبح . فذكر الحديث ، قال : ثم ثارَ الناسُ يأخذون بيده يمسحون بها وجوهَهم ، قال : فأخذتُ بيده فمسحتُ بها وجهي ، فوجدتُها أبردَ من الثلج وأطيبَ ريحاً من المسك(١) .

وقد رواه أبو داود(٢) من حديث شعبة ، والترمذي والنسائي(٣) من حديث هشيم عن يعلى به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا أبو نعيم ، حدَّثنا مِسْعر ، عن عبد الجبار بن وائل بن حجر ، قال : حدَّثني أهلي ، عن أبي ، قال : أُتي رسولُ الله ﷺ بدلوٍ من ماء فشربَ منه ، ثم مجَّ في الدلو ، ثم صبَّ في البئر ، أو شربَ من الدلو ثم مجَّ في البئر ، ففاحَ منها مثل ريحِ المسك(٥) . وهكذا رواه البيهقي(٦) من طريق يعقوب بن سفيان ، عن أبي نُعيم ، وهو الفضلُ بن دُكين به .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا هاشم ، حدَّثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى الغداةَ جاء خدمُ المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يُؤتى بإناء إلا غمسَ يدَه فيها ، فربما جاؤُوه في الغَداةِ الباردةِ فيغمِسُ يدَه فيها(٧) .

---

(١) رواهما الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٦١) ورقم (١٧٤٠٤) . وهو حديث صحيح .

(٢) رواه أبو داود في سننه رقم (٥٧٥) في الصلاة .

(٣) في الجامع (٢١٩) في الصلاة ، والنسائي (٢/ ١١٢) في الصلاة أيضاً .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٣١٥) .

(٥) وأخرجه أحمد (٤/ ٣١٦ و ٣١٨) ، والحميدي (٨٨٦) ، وابن ماجه (٦٥٩) ، والفاكهي في أخبار مكة (١١٣٦) وغيرهم من طريق عبد الجبار بن وائل عن أبيه ، ليس فيه « حدثني أهلي » ، وهو بهذا منقطع لعدم سماعه هذا الحديث من أبيه ، كما تقدم .

(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٥٧) .

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٣٧) .

ورواه مسلم(١) من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم به .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا حجين بن المثنى ، حدَّثنا عبد العزيز ـ يعني ابن أبي سلمة الماجشُون ـ عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس قال : كان رسولُ الله ﷺ يدخلُ بيتَ أُم سُليم فينامُ على فراشها وليست فيه . قال : فجاء ذاتَ يوم فنامَ على فراشها ، فأتت ، فقيل لها : هذا رسولُ الله نائمٌ في بيتك على فراشك ، قال : فجاءت وقد عَرِقَ واستنقعَ عرقُه على قطعة أديمٍ على الفراش ، ففتحت عبيرتَها ، فجعلت تُنَشِّف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ، ففزعَ النبيُّ ﷺ ، فقال : « ما تصنعينَ يا أُمّ سليم؟ » فقالت : يا رسول الله نرجو بركتَه لصبياننا ، قال : أصبتِ(٢) .

ورواه مسلم(٣) عن محمد بن رافع ، عن حُجين به .

وقال أحمد(٤) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدَّثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : دخل علينا رسول الله ﷺ ، فقالَ عندنا ، فعَرق ، وجاءت أمي بقارُورة فجعلت تُسلِت العرقَ فيها ، فاستيقظَ رسولُ الله فقال : « يا أمَّ سُليم ! ما هذا الذي تَصنعين ؟ » قالت : عرقُك نجعلُه في طيبنا ، وهو من أطيب الطيب .

ورواه مسلم(٥) ، عن زهير بن حرب ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به .

وقال أحمد(٦) : حدَّثنا إسحاق بن منصور ـ يعني السلولي ـ حدَّثنا عمارة ـ يعني ابن زاذان ـ عن ثابت ، عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يقيل عند أُم سُلَيم ، وكان من أكثر الناس عرقاً ، فاتخذت له نِطعاً(٧) وكان يَقِيل عليه ، وخَطَّت بين رجليه خَطًّا ، وكانت تُنَشِّف العرق فتأخذه ، فقال : « ما هذا يا أمّ سُليم ؟ » قالت : عرقُك يا رسول الله أجعله في طيبي ، قال : « فدعَا لها بدعاءٍ حَسن » . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه(٨) .

وقال أحمد(٩) : حدَّثنا محمد بن عبد الله ، حدَّثنا حُميد ، عن أنس قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا نامَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٢٤) في الفضائل .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٢٦) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٣١) (٨٤) في الفضائل . ومعنى « قَالَ عندنا » : نام للقيلولة .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٣٦) .

(٥) مسلم في صحيحه رقم (٢٣٣١) (٨٣) في الفضائل . و« تُسْلت العرقَ » : تمسحه .

(٦) في المسند ٣/ ٢٣١ .

(٧) النطع : بساط من جلد .

(٨) إسناده ضعيف ، عمارة بن زاذان ضعيف يعتبر به عند المتابعة ، وقد تفرد برواية « وخطت بين رجليه خطاً » ، وأما باقي متنه فصحيح إذ رواه سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس ، كما في مسند أحمد ٣/ ١٣٦ وصحيح مسلم (٢٨٣١) (٨٣) .

(٩) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٣٠) .

ذفَّ عرقاً ، فتأخذُ أمي عرَقه بقُطْنة في قارورة ، فتجعله في مسكها ، وهذا إسنادٌ ثلاثيٌّ على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ولا أحدٌ منهما .

وقال البيهقي : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو عمرو المقرئ ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، وقال مسلم : حدَّثنا أبو بكر بن شيبة ، حدَّثنا عفان ، حدَّثنا وهيب ، حدَّثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، عن أُم سليم ؛ أن رسول الله ﷺ كان يأتيها فيَقِيل عندها فتبسطُ له نِطعاً ، فيقيل عليه ، وكان كثيرَ العرق ، فكانت تجمعُ عرقَه فتجعله في الطيب والقوارير ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أُمَّ سُليم ما هذا ؟ » فقالت : عَرَقُكَ أدُوف به طِيبي . لفظ مسلم(١) .

وقال أبو يعلى الموصلي في « مسنده » : حدَّثنا بشر ، حدَّثنا حَلْبس(٢) بن غالب ، حدَّثنا سفيان الثوري ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ، فقال : يا رسول الله إني زوَّجتُ ابنتي ، وأنا أحبُّ أن تُعينني بشيء ، قال : « ما عندي شيءٌ ولكن إذا كان غد فائتني بقارورة واسعة الرأس ، وعود شجرة ، وآية بيني وبينك أن تدقَّ ناحيةَ الباب » قال : فأتاه بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة . قال : فجعل يُسْلِتُ العرقَ من ذراعيه حتى امتلأت القارورة ، قال : « فخذها ، ومر ابنتَك أن تغمسَ هذا العود في القارورة وتطيب به » قال : فكانت إذا تطيبت به شمَّ أهلُ المدينة رائحةَ الطيب ، فسُمُّوا بيوتَ المُطيّبين . وهذا حديث غريب جداً(٣) .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزّار : حدَّثنا محمد بن هشام ، حدَّثنا موسى بن عبد الله ، حدَّثنا عمر بن سعيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب ، وقالوا : مرَّ رسول الله في هذا الطريق .

(وقد رواه أبو زرعة الرازيّ في « دلائل النبوة » من حديث عمر بن سعيد الأشج ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ في طريقٍ من طريق المدينة وُجد من ذلك الطريق رائحة المسك ، فيقولون : مرّ رسول الله ﷺ اليومَ في هذا الطريق)(٤) .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٣٢) في الفضائل ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٥٨) و« أدُوف » : أخلط وأمزج .

(٢) في ط : « حليس » ، وفي اللآلىء للسيوطي : « جليس » ، وكله تصحيف ، والصواب ما أثبتناه من الكامل لابن عدي (٢/ ٨٦٢) ، والضعفاء والمتروكين للدارقطني (٩٣) ، والميزان للذهبي (١/ ٥٨٧) .

(٣) يعني : موضوع ، وقد ساقه ابن عدي في ترجمة حلبس من الكامل (٢/ ٨٦٢ ـ ٨٦٣) واستنكره ، والذهبي في الميزان (١/ ٥٨٨) وقال : منكر جداً ، والسيوطي في اللآلى المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٢٧٤) ، وآفته حلبس هذا . (بشار) .

(٤) ما بين قوسين ساقط من المطبوع واستدركته من (أ) .

ثم قال البيهقي : وهذا الحديث رواه أيضاً معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أنس ؛ أن رسول الله ﷺ كان يُعرف بريح الطيب[١] .

قلت : كان رسول الله ﷺ طيِّباً ، وريحه طِيب ، وكان مع ذلك يُحِبُّ الطيبَ أيضاً .

قال الإمام أحمد : حدَّثنا أبو عبيدة ، عن سلَّام أبي المنذر ، عن ثابت ، عن أنس ؛ أن النبي ﷺ قال : « حُبِّب إليَّ النساءُ ، والطيب ، وجُعلت قرّةُ عيني في الصلاة »[٢] .

حدَّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدَّثنا سلَّام أبو المنذر القاري ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما حُبِّب إليّ من الدنيا النساء والطيب ، وجُعل قرة عيني في الصلاة »[٣] .

وهكذا رواه النسائي[٤] بهذا اللفظ عن الحسين بن عيسى القرشي ، عن عفان بن مسلم[٥] ، عن سلام بن سليمان أبي المنذر القاري البصري ، عن ثابت ، عن أنس فذكره .

وقد روي من وجه آخر بلفظ : « حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء ، وجعل قرة عيني في الصلاة »[٦] وليس بمحفوظ بهذا ، فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا ، وإنما هي من أهم شؤون الآخرة ، والله أعلم .

صِفةُ خَاتم النبوّة الذي بينَ كتفيْه صلواتُ الله وسلامُه عليه

قال البخاري[٧] : حدَّثنا محمد بن عُبيد الله ، حدَّثنا حاتم ، عن الجَعدِ ، قال : سمعتُ السَّائبَ بن يزيد يقول : ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسولَ الله ، إن ابن أختي وَجِع ، فمسحَ

---

(١) لم أقف عليه في دلائل النبوة للبيهقي، ولكن ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٨٢) وقال : رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط إلا أنه قال : كنا نعرفُ رسولَ الله ﷺ بطيب رائحته إذا أقبل إلينا . ورجال أبي يعلى وُثِّقوا .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٢٨ ، ١٩٩) . وهو حديث حسن .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٢٨) ، وإسناده حسن مثل سابقه .

(٤) في عشرة النساء من المجتبى (٧/ ٦١) والكبرى (٨٨٨٧) .

(٥) ورواه أحمد عن عفان أيضاً (٣/ ٢٨٥) فلو أشار إلى ذلك لكان أعلى وأغلى .

(٦) هذه الرواية ليست في مسند أحمد ، ولكن جاء في روايته عن أبي سعيد مولى بني هاشم (٣/ ١٢٨) وعفان (٣/ ٢٨٥) عن سلام : « حُبِّب إليَّ من الدينا » من غير ذكر « الثلاث » ، فهي رواية شاذة وفاسدة المعنى ، قال الإمام المناوي في « فيض القدير » (٣/ ٣٧٠) : « زاد الزمخشري والقاضي لفظ ثلاث ، وهو وهم ، قال الحافظ العراقي في أماليه : لفظ « ثلاث » ليست في شيء من كتب الحديث وهي تفسد المعنى . وقال الزركشي : لم يرد فيه لفظ ثلاثة ، وزيادتها مخلة بالمعنى ، فإن الصلاة ليست من الدنيا . وقال ابن حجر في تخريج الكشاف : لم يقع في شيء من طرقه » (بشار) .

(٧) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٤١) في المناقب .

رأسي ودعا لي بالبركة ، وتوضأ فشربتُ من وَضوئه ، ثم قمت خلفَ ظهره فنظرتُ إلى خاتم النُّبوَّة بين كتفيه مثل زِرّ الحَجَلة . وهكذا رواه مسلم[١] ، عن قتيبة ومحمد بن عبَّاد ، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به .

ثم قال البخاري : (قال ابن عبيد الله)[٢] الحَجَلة : من حجلة الفرس الذي بين عينيه . وقال إبراهيم بن حمزة : زر الحجلة[٣] .

قال أبو عُبيد : الرز ، الراء قبل الزاي .

وقال مسلم[٤] : حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدَّثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن سِماك ؛ أنه سمع جابر بن سمرة يقول : كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته ، وكان إذا ادَّهن لم يتبين وإذا شعث رأسه تبين ، وكان كثير شعر اللحية ، فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا بل كان مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً ، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة ، يشبه جسده .

حدَّثنا[٥] محمد بن المثنى ، حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن سماك : سمعتُ جابرَ بن سمرة قال : رأيتُ خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام .

وحدَّثنا ابن نمير ، حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، حدَّثنا حسن بن صالح ، عن سِماك بهذا الإسناد مثلَه .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن عبد الله بن سرجس ، قال : ترون هذا الشيخ ـ يعني نفسه ـ كلَّمتُ نبيَّ الله ﷺ ، وأكلتُ معه ، ورأيتُ العلامةَ التي بين كتفيه ، وهي في طرف نغض[٦] كتفه اليسرى كأنه جُمعٌ ـ يعني الكف المجتمع ، وقال بيده فقبضها ـ عليه خِيْلَان كهيئة الثآليل[٧] .

وقال أحمد : حدَّثنا هاشم بن القاسم وأسود بن عامر ، قالا : حدَّثنا شريك ، عن عاصم ، عن عبد الله بن سرجس ، قال : رأيتُ رسول الله ﷺ وسلَّمت[٨] عليه ، وأكلت . . . .

---

(١) مسلم في صحيحه رقم (٢٣٤٥) في الفضائل .
(٢) ما بين القوسين سقط من الأصل ، وأثبته من فتح الباري (٦/ ٥٦١) .
(٣) « زر الحجلة » : المراد بالحجلة واحدة الحِجال ، وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرا . هذا هو الصواب الذي قاله الجمهور . وقال بعضهم : المراد بالحجلة الطائر المعروف ، وزرها : بيضها . وأشار إليه الترمذي ، وأنكره عليه العلماء . أما « رزّ الحجلة » : بتقديم الراء ، فهو بَيْض الحجل .
(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٤٤) (١٠٩) في الفضائل ، وقد تقدم .
(٥) الكلام لمسلم وهو في صحيحه رقم (٢٣٤٤) (١١٠) في الفضائل .
(٦) « نغض كتفه » : جيب القميص .
(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٨٢) ورواه مسلم رقم (٢٣٤٦) . و« الثآليل » : حبيبات تعلو الجسد . وخِيْلان : جمع خَال ، وهو الشامة في الجسد .
(٨) كذا بالأصل ، وفي المسند (٥/ ٨٣) ودخلت عليه .

معه[١] ، وشربتُ من شرابه ، ورأيتُ خاتمَ النبوة ، قال هاشم : في نغض كتفه اليسرى كأنه جُمع فيه خِيْلان سُود كأنها الثآليل[٢] .

ورواه عن غندر ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن عبد الله بن سرجس ، فذكر الحديث . وشكَّ شعبة في أنه هل هو في نغض الكتف اليمنى أو اليسرى[٣] .

وقد رواه مسلم ، من حديث حماد بن زيد ، وعلي بن مُسْهِر ، وعبد الواحد بن زياد ، ثلاثتهم عن عاصم ، عن عبد الله بن سَرْجِس ، قال : أتيتُ رسول الله ﷺ وأكلتُ معه خبزاً ولحماً ، أو قال : ثريداً ، فقلت : يا رسولَ الله غفرَ الله لك ، قال : « ولك » فقلت : استغفرَ لك رسولُ الله ؟ قال : نعم ولكم ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [محمد : ١٩] قال : ثم درتُ خلفه ، فنظرتُ إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى ، جُمْعاً ، عليه خِيلان كأمثال الثآليل[٤] .

وقال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا قرّة بن خالد ، حدَّثنا معاوية بن قرّة ، عن أبيه قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : يا رسولَ الله أرني الخاتمَ ، فقال : « أدخلْ يدَك » ، فأدخلتُ يدي في جُرُبَّانه ، فجعلتُ ألمسُ أنظرُ إلى الخاتم ، فإذا هو على نُغُض كتفه مثل البيضة ، فما منعه ذاك أن جعل يدعو لي وإن يدي لفي جُرُبَّانه[٥] .

ورواه النسائي[٦] ، عن أحمد بن سعيد ، عن وهب بن جرير ، عن قرّة بن خالد ، به .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا سفيان ، عن إياد بن لقيط السدوسي ، عن أبي رِمثة التيمي ، قال : خرجتُ مع أبي حتى أتيتُ رسول الله ﷺ فرأيتُ برأسه رَدْعَ[٧] حِنّاء ، ورأيتُ على كتفه مثل التفاحة، فقال أبي: إني طبيب أفلا أطبُّها[٨] لك ، قال : «طبيبُها الذي خلقَها» قال : وقال لأبي : « هذا ابنك ؟ » قال : نعم ، قال : « أما إنه لا يَجني عليك ولا تَجني عليه »[٩] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا أبو نعيم ، حدَّثنا عبيد الله بن إياد ، حدَّثني أبي ، عن أبي ربيعة[١٠]

---

(١) كذا في الأصل ، وفي المسند : « وأكلت من طعامه » .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٨٣) وهو حديث صحيح ، وإن كان إسناده ضعيفاً لسوء حفظ شريك .
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٨٢) وهو حديث صحيح .
(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٤٦) في الفضائل .
(٥) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده رقم (١٠٧١) ومن طريق البيهقي في الدلائل (١/ ٢٦٤) وهو في المسند (٣/ ٤٣٤، ٥/ ٣٥) عن معاوية بن قرة ، عن أبيه وهو حديث صحيح . والجُرُبَّانه : هي جيب القميص كما في « النهاية » (١/ ٢٥٣).
(٦) رواه النسائي في المناقب من سننه الكبرى (٨٣٠٧) وهو في فضائل الصحابة ، له (٢٠٢) .
(٧) « رَدْع حناء » : أثر حِناءٍ في الشعر .
(٨) « أفلا أطبُّها » : أفلا أداويها لك .
(٩) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٦٣) وهو حديث صحيح .
(١٠) كذا بالأصل والمطبوع، وفي دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٦٥): حدثنا عبيد الله بن إياد، حدّثني أبي، عن أبي رِمْثة .

ـ أو رِمثة ـ قال : انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ ، فنظر إلى مثل السلعة بين كتفيه ، فقال : يا رسول الله إني كأطبِّ الرجال أفأعالجها لك ؟ قال : « لا ، طبيبُها الذي خلقها »[١] .

قال البيهقي : وقال الثوري : عن إياد بن لقيط في هذا الحديث : فإذا خَلْفَ كتفه مثل التفاحة[٢] .

وقال عاصم بن بهدلة : عن أبي رِمثة : فإذا في نُغْضِ كتفه مثلُ بَعْرة البعير ، أو بَيْضة الحمامة .

ثم روى البيهقي من حديث سِماك بن حرب عن [أبي] سلامة العِجْلي ، عن سَلمان الفارسي ، قال : أتيتُ رسولَ الله فألقى رداءَه وقال : « يا سلمانُ انظر إلى ما أُمرتَ به » ، قال : فرأيتُ الخاتمَ بين كتفيه مثل بَيْضة الحمامة[٣] .

وروى يعقوبُ بن سفيان ، عن الحُميدي ، عن يحيى بن سُلَيم ، عن ابن خثيم[٤] ، عن سعيد بن أبي راشد ، عن التنوخي الذي بعثه هرقل إلى رسول الله ﷺ وهو بتبوك ، فذكر الحديث كما قدمناه في غزوة تبوك إلى أن قال : فحلَّ حبوتَه عن ظهره ثم قال : هاهنا امضِ لما أُمرتَ به ، قال : فجلتُ في ظهره فإذا أنا بخاتَم في موضع غُضْرُوف الكتف مثل المحجَمَة الضَّخمة[٥] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدَّثنا عبد الله بن مَيْسرة ، حدَّثنا عتَّاب ، سمعتُ أبا سعيد يقول : الخَتْم الذي بين كتفي النبيّ ﷺ لحمة ناتئة[٦] .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا سُرَيْج ، حدَّثنا أبو ليلى عبد الله بن ميسرة الخراساني ، عن غياث البكري ، قال : كنا نجالس أبا سعيد الخدري بالمدينة ، فسألته عن خاتم رسولِ الله ﷺ الذي كان بين كتفيه ، فقال بإصبعه السبّابة هكذا : لحم ناشز[٧] بين كتفيه ﷺ . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٦٥) وهو حديث صحيح .

(٢) دلائل النبوة ؛ (١/ ٢٦٥) وهو حديث صحيح .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٦٦) وفيه : مثل بيضة الحمام ، وإسناده ضعيف ، فيه أبو سلامة العجلي عبد الله بن عميرة بن حصن ، وهو مجهول ، تفرد بالرواية عنه سماك بن حرب ، كما في الميزان (٢/ ٤٦٩) .

(٤) في (أ) والمطبوع : عن أبي خثيم . والتصحيح من الدلائل (١/ ٢٦٦) والمسند (٣/ ٤٤١) .

(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٦٦) وهو عند أحمد في المسند (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) عن ابن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد . وإسناده ضعيف .

(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٦٥) وفي إسناده عبد الله بن ميسرة الحارثي ضعيف .

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٦٩) . و« ناشز » : مرتفع وظاهر . وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن ميسرة الخراساني وجهالة شيخه .

فائدة : قال الشامي في كتابه سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٦٣ ـ ٦٨) « اختُلف في صفة خاتم النبوة على أقوال كثيرة متقاربة المعنى ـ وذكر إحدى وعشرين صفة ، مع رواياتها ـ ثم قال :

قال العلماء : هذه الروايات متقاربة في المعنى ، وليس ذلك باختلاف ، بل كل راو شبَّه بما سنح له ، فواحد قال : =

حديث غريب جدًّا رواه أبو حاتم محمد بن حاتم بن حبان البستي في « صحيحه » قائلاً : أخبرنا نصر بن الفتح بن سالم المربعي العابد بسمرقند ، ثنا رجاء بن مرجى الحافظ ، ثنا إسحاق بن إبراهيم قاضي سمرقند ، ثنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : كان خاتم النبوة في ظهر رسول الله ﷺ مثل البندقة من لحم ، عليه مكتوب : « محمد رسول الله » . وهذا حديث سكت عليه ابن حبان ، وقد دخل على راويه عن ابن جريج الوهم ، فإن المكتوب عليه : محمد رسول الله ، هو خاتمه الذي كان يلبسه في خنصره من الفضة ، فأما خاتم النبوة الذي بين كتفيه فلم يرد فيه شيء من الأحاديث . وبمثل هذا التفرد لا يقبل من رواية ذلك حتى يرويه الثقات ؛ إذ نقل هذا مما تتوفر الدواعي على نقل مثله فلا يقبل فيه تفرد الراوي . والله أعلم .

وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية المصري في كتابه « التنوير في مولد البشير النذير » عن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، المعروف بالحكيم الترمذي ؛ أنه قال : كان الخاتم الذي بين كتفي رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمامة مكتوب في باطنها : الله وحده . وفي ظاهرها : توجه حيث شئت فإنك منصور . ثم قال : وهذا غريب ، واستنكره .

وقال : وقيل : كان من نور ، ذكره الإمام أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ في كتابه « تنقل الأنوار » وحكى أقوالاً غريبة غير ذلك .

ومن أحسن ما ذكره ابن دحية رحمه الله ، وغيره من العلماء قبله ، في الحكمة في كون الخاتم كان بين كتفي رسول الله ﷺ ؛ إشارة إلى أنه لا نبيَّ بعدَك يأتي من ورائِك . قال : وقيل كان على نغض كتفه ؛ لأنه يقال : هو الموضع الذي يدخلُ الشيطانُ منه إلى الإنسان ، فكان هذا عصمةً له عليه الصلاة والسلام من الشيطان .

قلت : وقد ذكرنا الأحاديث الدالة على أنه لا نبيَّ بعدَه عليه الصلاة والسلام ، ولا رسول ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

باب جامعٌ لأحاديثَ متفرقةٍ وردتْ في صفةِ رسول الله ﷺ

قد تقدم في رواية نافع بن جُبير ، عن عليّ بن أبي طالب ؛ أنه قال : لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه[(١)] .

= كزرِّ الحجلة ، وهو بيض الطائر المعروف أو أزرار البشخاناه (بيت كالقبة له عرا) .
وآخر كبيضة الحمامة ، وآخر كالتفاحة ، وآخر بضعة لحم ناشزة ، وآخر لحمة ناتئة ، وآخر كالمِحجمة ، وآخر كرُكبة العنز . وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم . ومن قال : شعر ؛ فلأن الشعر حوله متراكب عليه ؛ كما في الرواية الأخرى .
قال أبو العباس القرطبي في المُفهم : دلّت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه ﷺ الأيسر ، إذا قُلِّل قدْر بيضة الحمامة ، وإذا كُبِّر قدر جُمْع اليد .

(١) تقدم الحديث أكثر من مرة ، وهو عند الترمذي في الجامع رقم (٣٦٣٧) في المناقب ، وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

وقال يعقوبُ بن سفيـان : حدَّثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي وسعيد بن منصور ، حدَّثنا عمر بن يونس ، حدَّثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة ، حدَّثني إبراهيم بن محمد من ولد عليّ ، قال : كان عليّ إذا نعتَ رسولَ الله ﷺ قال : لم يكن بالطويل الممغَّط ولا القصير المتردِّد ، وكان رَبعة من القوم ، ولم يكن بالجَعد القَطط ، ولا بالسَّبط ، كان جَعْداً رَجِلاً ، ولم يكن بالمُطَهَّم ولا المُكَلْثم ، وكان في الوجه تدوير أبيضُ مُشْرَبٌ ، أدعجَ العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المَشَاش والكتَد ، أجردَ ، ذو مَسْرُبة ، شَثْن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلَّع كأنمـا يمشي في صَبَب ، وإذا التفتَ التفتَ معـاً ، بين كتفيه خاتم النبـوة ، أجود الناس كفًّا ، وأرحب الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجةً ، وأوفى الناس ذمّـة ، وألينهم عريكةً ، وأكرمُهم عشرةً ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفةً أحبَّه ، يقول ناعتُه : لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثله[١] . وقد روى هذا الحديث الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلام في كتاب « الغريب »[٢] .

ثم روى[٣] عن الكسائي والأصمعي وأبي عمرو تفسير غريبه ، وحاصل ما ذكره مما فيه غرابة : أن « المُطَهَّم » هو الممتلىء الجسم ، و« المكلثم » شديد تدوير الوجه . يعني لم يكن بالسمين الناهض ، ولم يكن ضعيفاً بل كان بين ذلك ، ولم يكن وجهه في غاية التدوير بل فيه سهولة ، وهي أحلى عند العرب ومن يعرف .

وكان « أبيض مشرباً حمرة » وهي أحسن اللون ، ولهذا لم يكن أمهق اللون .

و« الأدعج » هو شديد سواد الحدقة .

و« جليل المشاش » هو عظيم رؤوس العظام ؛ مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين .

و« الكتد » الكاهل وما يليه من الجسد .

وقوله « شثْن الكفين » أي : غليظهما . « وتقلع في مشيته » أي : شديد المشية . وتقدم الكلام على الشُّكلة والشُّهلة والفرق بينهما .

و« الأهدب » طويل أشفار العين .

وجاء في حديث أنه كان شَبح الذراعين ، يعني غليظهما[٤] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) . وإسناده ضعيف ـ لضعف عمر بن عبد الله مولى غفرة .
(٢) غريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ١٢١) وإسناده ضعيف .
(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .
(٤) « غليظهما » : طويلهما ، أو عريضهما . عن النهاية ؛ لابن الأثير .

حديثُ أمِّ مَعبَدٍ[(١)] في ذلك

قد تقدم الحديث بتمامه في الهجرة من مكة إلى المدينة ، حين ورد عليها رسول الله ﷺ ، ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الدِّيلي ، فسألوها : هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً ، وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القِرى ، وكانوا ممحلين ، فنظر إلى شاة في كِسْرِ خيمتها فقال : « ماهذه الشاةُ يا أمَّ معبد ؟ » فقالت : خلَّفَها الجهد . فقال : « أتأذنين أن أحلبها ؟ » فقالت : إن كان بها حلب فاحلبها ، فدعا بالشاة فمسحها وذكر اسم الله . . فذكرَ الحديث في حَلْبه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها وترك عندها إناءها ملأى وكان يُربض الرهط .

فلما جاء بعلُها استنكر اللبن ، وقال : من أين لك هذا يا أمّ معبد ولا حَلُوبة في البيت ، والشاء عازب ؟ فقالت : لا والله إنه مرَّ بنا رجلٌ مُبارك كان من حديثه كيت وكيت .

فقال : صفيه لي ، فوالله إني لأراه صاحبَ قريش الذي تطلب .

فقالت : رأيتُ رجلاً ظاهرَ الوضاءة ، حسن الخلق ، مليح الوجه ، لم تعبه ثُجلة ، ولم تُزْرِ بهِ صُعْلة ، قَسِيم وَسِيم ، في عينيه دَعَجٌ ، وفي أشفاره وَطَف ، وفي صوته صَحَل ، أحور ، أكحل ، أزَجُّ ،

---

(١) حديث أم معبد رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٠) مطولاً ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ويستدل على صحته وصدق رواته بدلائل :
ـ فمنها نزول المصطفى ﷺ بالخيمتين متواتر في أخبار صحيحة ذوات عدد .
ـ ومنها أن الذين ساقوا الحديث على وجهه أهل الخيمتين من الأعاريب الذين لايتهمون بوضع الحديث ، والزيادة والنقصان ، وقد أخذوه لفظاً بعد لفظ عن أبي مَعْبد وأم معبد .
ـ ومنها أن له أسانيد كالأخذ باليد ، أخذ الولد عن أبيه ، والأب عن جده ، ولا إرسال ولا وهن في الرواة .
ـ ومنها أن الحر بن الصباح النخعي أخذه عن أبي معبد كما أخذه ولده عنه ، فأما الإسناد الذي رويناه بسياقة الحديث عن الكعبيين فإنه إسناد صحيح عال للعرب الأعارب ، وقد علونا في حديث الحر بن الصباح .
هكذا قال الحاكم ، وقال الذهبي معقباً : مافي هذه الطرق شيء على شرط الصحيح .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٥٧) و(٨/ ٢٧٩) وقال : رواه الطبراني ، وفيه عبد العزيز بن يحيى المديني ، نسبه البخاري وغيره إلى الكذب ، وقال الحاكم : صدوق فالعجب منه . وفيه مجاهيل .
كما أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٨٣ ـ ٢٨٧) وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٣٠) والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٧٦ ـ ٢٨٠) .
والقصة مذكورة في السيرة النبوية ؛ لابن هشام (٢/ ١٠٠)والروض الأنف (٢/ ٧ ـ ٨) . وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (١/ ٣٢٦) والاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٧٩٦ ـ ٧٩٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٢٢٧) وعيون الأثر (١/ ٣٠٤) والإصابة لابن حجر (٤/ ٤٩٨) وسجلها حسان بن ثابت رضي الله عنه شعراً في ديوانه (٢/ ٨٩) .

أقرَن ، في عنقه سَطَع ، وفي لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلَّم سما وعلاه البهاء ، حُلو المنطق ، فَصْل لا نَزْر ولا هَذر ، كأن منطقه خرزات نَظْم يَنحدرن ، أبْهى الناس وأَجْمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، رَبعة لا تَشْنَؤه عين من طول ، ولا تقتحمه عينٌ من قِصَر ، غُصْن بين غُصْنَيْن ، فهو أنضرُ الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قَدّاً ، له رفقاء يحفُّون به ، وإن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تَبادروا إلى أمره ، مَحْفُود مَحْشُود ، لا عابس ، ولا مُفْنِد .

فقال بعلُها : هذا والله صاحبُ قريش الذي تطلب ، ولو صادفتُه لالتمستُ أن أصحبه ، ولأجْهَدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

قال : وأصبحَ صوتٌ بمكة عالٍ بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله ، وهو يقول :

جَزى الله رَبُّ النَّاسِ خَيرَ جَزائِهِ ... رَفيقيْنِ حَلاَّ خَيمَتي أُمّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلا بِالبَرِّ وارتَحَلاَ بِهِ ... فَأفلَحَ مَنْ أَمسَى رَفيقَ مُحَمَّدِ
فَيا لِقُصَيٍّ ما زَوى الله عنكُمُ ... بِهِ مِنْ فِعالٍ لَا تُجازَى وَسُؤدُدِ
سَلُوا أُختَكُمْ عَنْ شَاتِها وإنائِها ... فإنكُم إن تَسْألُوا الشَّاةَ تَشهَدِ
دَعاهَا بِشَاةٍ حَائلٍ فَتَحَلَّبَت ... لَهُ بِصريحٍ ضَرَّةُ الشَّاة مُزْبِدِ
فَغَادَرهُ رَهْناً لَدَيها بحَالبٍ ... يَدُرُّ لَها فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

وقد قدمنا جوابَ حسان بن ثابت لهذا الشعر المبارك بمثله في الحسن .

والمقصود أن الحافظ البيهقي روى هذا الحديث من طريق عبد الملك بن وهب المَذْحِجي ، قال : حدَّثنا الحر بن الصيَّاح عن أبي مَعبد الخُزَاعي ، فذكر الحديث بطوله كما قدمناه بألفاظه[١] .

وقد رواه الحافظ يعقوب بن سفيان الفَسوي[٢] ، والحافظ أبو نعيم[٣] في كتابه « دلائل النبوة » .

قال عبد الملك : فبلغني أن أبا معبد أسلم بعد ذلك ، وأن أُمَّ معبد هاجرت وأسلمت .

ثم إن الحافظ البيهقي أتبع هذا الحديث بذكر غريبه ، وقد ذكرناه في الحواشي فيما سبق ، ونحن نذكر هاهنا نكتاً من ذلك .

فقولها : ظاهر الوضاءة : أي : ظاهر الجمال . أبلج الوجه : أي : مشرق الوجه مضيئه .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٢٧٦ ـ ٢٨٠) .
(٢) المعرفة والتاريخ وهو في القسم الضائع منه ، فاستدركه محققه في الجزء الثالث .
(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم (٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٨) .

لم تعبه ثُجْلة : قال أبو عبيد : هو كِبَر البطن . وقال غيره : كِبرَ الرأس ، وردَّ أبو عبيدة رواية من روى : لم تعبه نُحْلة . يعني من النُّحول وهو الضعف .

قلت : وهذا هو الذي فسَّر به البيهقي الحديث ، والصحيح قول أبي عبيد ، ولو قيل : إنه كِبر الرأس لكان قوياً ، وذلك لقولها بعده : ولم تُزْرِ به صُعْلَة . وهو صِغَر الرأس بلا خلاف ، ومنه يقال لولد النعامة : صُعْل ، لصغر رأسه ، ويقال له : الظَّلِيم ، وأما البيهقي فرواه : لم تعبه نُحْلة يعني من الضعف كما فسره ، ولم تزر به صُعْلة وهو الخاصِرة ، يُريد أنه ضَرْب من الرجال ليس بمنتفخ ولا ناحل .

قال : ويُروى : لم تعبه ثُجْلة : وهو كبر البطن ، ولم تُزر به صُعْلة : وهو صغر الرأس .

وأما الوسيم : فهو حسن الخلق . وكذلك : القسيم أيضاً . والدعج : شدة سواد الحدقة ، والوَطَف : طول أشفار العينين .

ورواه القُتَيْبي : في أشفاره عَطَف . وتبعه البيهقي في ذلك .

قال ابن قتيبة : ولا أعرفُ ما هذا ؛ لأنه وقع في روايته غلط فحارَ في تفسيره ، والصواب ما ذكرناه ، والله أعلم .

وفي صوته صَحَلٌ : وهو بَحّة يسيرة ، وهي أحلى في الصوت من أن يكون حاداً . قال أبو عبيد : وبالصحل يُوصف الظِّباء .

قال : ومَن رَوى : في صوته صَهَل ؛ فقد غلط ، فإن ذلك لا يكون إلا في الخيل ، ولا يكون في الإنسان .

قلت : وهو الذي أورده البيهقي ، قال : ويُروى : صَحَل . والصواب قول أبي عبيد ، والله أعلم .

وأما قولها : أحور ، فمستغرب في صفة النبي ﷺ ، وهو قَبَل في العين يزينها لا يشينها كالحَول .

وقولها : أكحل . قد تقدم له شاهد .

وقولها : أزج ؛ قال أبو عبيد : هو المتقوس الحاجبين .

قال : وأما قولها : أَقرَن ؛ فهو التقاء الحاجبين بين العينين . قال : ولا يُعرف هذا في صفة النبي ﷺ إلا في هذا الحديث . قال : والمعروف في صفته عليه الصلاة والسلام أنه أبْلَج الحاجبين .

وفي عنقه سَطَع : قال أبو عبيد : أي : طول ، وقال غيره : نور . قلت : والجمع ممكن ، بل متعيّن .

وقولها : إذا صمتَ فعليه الوقار : أي : الهيبة عليه في حال صمته وسكوته . وإذا تكلّم سما : أي : علا على الناس . وعلاه البهاء : أي : في حال كلامه .

حُلوُ المنطق فَصْل : أي : فصيح بليغ ، يفصل الكلام ويبينه . لا نَزْر ولا هَذْر : أي : لا قليل ولا

كثير ، كأن منطقه خرزات نظم : يعني الذي من حسنه وبلاغته وفصاحته وبيانه وحلاوة لسانه[(١)] .

أبهى الناس وأجملُه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب : أي هو مليح من بعيد ومن قريب .

وذكرت أنه لاطويل ولا قصير ، بل هو أحسن من هذا ومن هذا ، وذكرت أن أصحابَه يعظِّمونه ويخدمونه ويبادرون إلى طاعته ، وما ذلك إلا لجلالته عندهم وعظمته في نفوسهم ومحبتهم له ، وأنه ليس بعابس ؛ أي : ليس يعبس ، ولا يُفنِّد أحداً : أي يهجِّنه ويستقل عقله ، بل جميل المعاشرة حسن الصحبة ، صاحبه كريم عليه ، وهو حبيب إليه ﷺ .

(وقال أبو زرعة في « الدلائل »[(٢)] حدَّثنا أبو نُعيم ، حدَّثنا يوسف ـ يعني ابن صُهيب ـ عن عبد الله بن بريدة ؛ أن رسول الله ﷺ كان أحسن البشر قدماً . وهذا مرسل .

وقال أبو زرعة أيضاً : حدَّثنا إسماعيل بن أبان الأزدي الورّاق ، حدَّثنا عنبسة بن عبد الرحمن ، عن محمد بن زاذان ، عن أم سعد ، عن عائشة ، قالت : قلت يا رسول الله ! تأتي الخلاءَ فلا يُرى منك شيءٌ من الأذى ، فقال : « وما علمت يا عائشة أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء ، فلا يُرى منه » ؟. هذا الحديث يُعَدُّ من المنكرات ، والله أعلم)[(٣)] .

حديثُ هِنْدِ بن أبي هَالة[(٤)] في ذلك

وهند هذا هو رَبيب رسول الله ﷺ ، أمه خديجة بنت خُويلد ، وأبوه أبو هالة كما قدَّمنا بيانه .

قال يعقوب بن سفيان الفَسوي الحافظ رحمه الله : حدَّثنا سعيدُ بن حمّاد الأنصاري المصري ، وأبو غسان مالك بن إسماعيل النَّهْدِي[(٥)] قالا : حدَّثنا جُمَيْع بن عمر بن عبد الرحمن العِجْلي[(٦)] ، قال :

---

(١) أي : هو رسول الله ﷺ .

(٢) دلائل النبوة لأبي زرعة (٢/ ٥٧١ ـ ٥٧٢) وهو مرسل ، والمرسل ضعيف .

(٣) ما بين القوسين سقط من المطبوع ، وأثبته من (أ) . لوحة (٨٨٠ ـ ٨٨١) .

(٤) حديث هند بن أبي هالة روى بعضه الترمذي في الشمائل رقم (٨) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٧٣ ـ ٢٧٨) وقال : رواه الطبراني وفيه من لم يسمّ . ورواه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٨٥ ـ ٢٩٢) وهو في تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٣) وقال الحافظ ابن عساكر : وإسناد هذا الحديث على جهالة بعض نقلته هو المحفوظ . وأخرج الترمذي منه مواضع مقطعة في كتاب الشمائل (٢٢٥) و(٢٣٦) و(٣٥١) . . . وانظر الحديث في الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد (١/ ٤٢٢) والخصائص الكبرى ؛ للسيوطي (١/ ٧٦) وعيون الأثر (٢/ ٤٠٥) وإسناده ضعيف ، بل لا يصح له إسناد .

(٥) النَّهْدي : نسبة لبني نَهْد ، وهي قبيلة يمنية .

(٦) جميع بن عمر العجلي ، قال عنه ابن حبان : رافضي يضع الحديث ، وقال ابن نمير : كان أكذب الناس (الميزان ١/ ٤٢١) .

حدَّثني رجل بمكة ، عن ابنٍ لأبي هالة التميمي ، عن الحسن بن علي ، قال : سألتُ خالي هندَ بن أبي هالة ـ وكان وصَّافاً ـ عن حِلْية رسول الله ﷺ ـ وأنا أشتهي أن يصفَ لي منها شيئاً أتعلَّقُ به ـ فقال :

كان رسولُ الله ﷺ ، فَخماً مُفَخَّماً(١) ، يتلألأُ وجهُه تلألؤَ القمر ليلةَ البدر ، أطولَ من المربوع ، وأقصرَ من المُشَذَّب(٢) ، عظيمَ الهامة ، رَجِلَ الشعر ، إذا تفرّقت عقيصتُه(٣) فَرَق ، وإلا فلا يُجاوز شعرُه شحمةَ أذنيه إذا هو وفَّره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزجّ الحواجب(٤) ، سوابغَ في غيرِ قَرَنٍ(٥) ، بينهما عِرْق يُدِرُّه الغضبُ ، أقنى العِرْنين(٦) ، له نور يعلوه ، يَحْسبه من لم يتأمله أشمَّ ، كثُّ اللّحية ، أَدْعَج ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب ، مُفَلَّجَ الأسنان ، دقيق المسرُبة ، كأن عنقَه جِيدُ دُمية في صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادن متماسك ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بَعِيد ما بين المنكبين ، ضخم الكَرَاديس ، أَنْوَر المتجرَّد ، موصول ما بين اللُّبة والسُّرة بشعر يجر كالخط ، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشْعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ، طويل الزندين ، رَحْب الراحة ، سَبْط العصب ، شَثْن الكفين والقدمين ، سائل الأطراف ، خَمْصان الأخمصين ، مَسِيح القدمين يَنْبو عنهما الماء ، إذا زال زال قَلْعاً(٧) ، يخطو تكفِّياً ، ويمشي هَوْناً(٨) ، ذَريع المشية(٩) ، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صَبَب(١٠) ، وإذا التفتَ التفتَ جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، يَسُوق أصحابه ، يبدأ من لقيه بالسلام .

قلت : صف لي مَنْطقه .

قال : كان رسولُ الله ﷺ متواصلَ الأحزان ، دائم الفكر ، ليست له راحة ، لا يتكلّم في غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلَّم بجوامع الكلم ، فَصْل لا فُضول ولا تقصير ،

---

(١) « فخماً مفخماً » أي عظيماً معظماً .
(٢) « المُشَذَّب » : الطويل البائن ، من التشذيب ، وأصله النخلة الطويلة التي شُذِّب جريدها .
(٣) « عقيصته » : الخصلة من الشعر إذا لُويت وضُفرت . وفي رواية أخرى : عقيقته ، وأصل العقيقة : شعر الصبي قبل أن يحلق ، فإذا حُلق ونبت ثانية فقد زال عنه اسم العقيقة . وربما سمي الشعر عقيقة بعد الحلق على الاستعارة والمراد بالحديث : أنه كان لا يفرق شعره إلا أن يفترق هو ، وكان هذا في صدر الإسلام ، ثم فرق . دلائل النبوة (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .
(٤) قوله : أزج الحواجب ، الزجج : طول الحاجبين ودقتهما وسبوغهما إلى مؤخر العينين .
(٥) « القَرَن » : أن يطول الحاجبان حتى يلتقي طرفاهما .
(٦) « الأقنى » : طول ودقة أرنبته وحدب في وسطه . و« العرنين » : الأنف وما صلب منه .
(٧) « القلع » : انتزاع الشيء من أصله .
(٨) « يخطو تكفّياً ويمشي هوناً » : يريد أنه يميد إذا خطا ، ويمشي في رفق غير مختال .
(٩) « ذريع المشية » : يريد أنه مع هذا الرفق سريع المشية .
(١٠) « ينحط من صبب » : الصبب : الانحدار .

دَمِث ليس بالجافي ولا المَهين ، يُعَظِّم النعمةَ وإن دقت ، لا يذمُّ منها شيئاً ، لا يذمُّ ذَوَاقاً ولا يمدحه ، ولا يقوم لغضبه إذا تُعرِّض للحق شيء حتى ينتصرَ له ، وفي رواية : لا تُغضبه الدنيا وما كان لها ، فإذا تُعوطي الحقُّ لم يعرفه أحدٌ ولم يقم لغضبه شيءٌ حتى ينتصر له ، لا يغضبُ لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلّها ، وإذا تعجّب قلبها ، وإذا تحدَّث فصلَ بها ، يضربُ براحته اليمنى باطنَ إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرضَ وأشاح ، وإذا فرح غضَّ طرفه ، جُلُّ ضحكِه التبسُّم ، ويفتر عن مثل حَبِّ الغمام .

قال الحسن : فكتمتُها الحسينَ بن علي زماناً ، ثمَّ حدَّثته فوجدتُه قد سبقني إليه فسأله عما سألتُه عنه ، ووجدته قد سألَ أباه عن مدخله ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئاً .

قال الحسين : سألت أبي عن دُخول رسول الله ﷺ ، فقال : كان دخولُه لنفسه ، مأذون له في ذلك ، وكان إذا أوى إلى منزله جزَّأ دخولَه ثلاثةَ أجزاء ، جزءاً لله ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه . ثم جزَّأ جزأه بين الناس فرد ذلك على العامة والخاصة ، لا يدخر عنهم شيئاً .

وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقَسْمه على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويُشغلهم فيما أصلحهم والأمة ؛ من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي ، ويقول : « ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ ، وأبلغوني حاجةَ من لا يستطيع إبلاغي حاجته ، فإنه من بَلَّغَ سلطاناً حاجة من لايستطيع إبلاغها إياه ثبَّتَ الله قدميه يوم القيامة » لا يُذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيرَه ، يدخلون عليه زواراً ـ ويُروى : روّاداً . أي : طالبين ما عنده ـ ولا يفترقون إلا عن ذَواق .

وفي رواية : ولا يتفرقون إلا عن ذَوْق ، ويخرجون أدلةً ، يعني فقهاء .

قال : وسألته عن مخرجه ، كيف كان يصنع فيه ؟ فقال :

كان رسول الله ﷺ يَخْزن لسانَه إلا بما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريمَ كُلِّ قوم ويُولِّيه عليهم ، ويَحْذر الناسَ ، ويحترسُ منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بِشْرَهُ ولا خُلُقَهُ ، يتفقد أصحابَه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويُحَسِّن الحسنَ ويقويه ، ويُقبِّح القبيح ويوهّيه ، معتدل الأمر غير مختلف ، ولا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يُقصِّر عن الحق ولا يجوزه ، الذين يلونه من الناس خيارُهم ، أفضلُهم عنده أعمُّهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنُهم مواساة ومؤازرة .

قال : فسألته عن مجلسه ، كيف كان ؟ فقال :

كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكرٍ ، ولا يُوطن الأماكن وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، يُعطي كلَّ جلسائه نصيبَه حتى لا يحسب

جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسَه أو قاوَمَه في حاجة صابَرَه حتى يكون هو المُنْصَرِف ، ومن سأله حاجة لم يردّه إلّا بها أو بميسور من القول ، قد وَسِع الناس منه بَسْطُه وخُلُقُه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء ، مجلسُه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لاتُرفع فيه الأصوات ، ولا تُؤَبَّن فيه الحُرَم ، ولا تُنثى فلتاتُه ، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعين يوقِّرون فيه الكبير ، ويرحمون فيه الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قال : فسألته عن سيرته في جلسائه ، فقال :

كان رسول الله ﷺ دائمَ البِشر ، سهل الخُلُقِ ، ليِّن الجانب ، ليس بفظٍّ ولا غليظ ، ولا سخَّاب ولا فحَّاش ، ولا عيَّاب ولا مزَّاح ، يتغافل عما لايشتهي ، ولا يؤيس منه راجيه ، ولا يخيب فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والإكثار ، وما لا يعنيه . وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحداً ، ولا يعيِّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلَّم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلَّم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلَّموا ، ولا يتنازعون عنده ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجَّب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونه في المنطق ، ويقول : « إذا رأيتم طالب حاجة فأرفدوه » ولا يقبل الثناء إلا من مكافىء ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزَ فيقطعه بانتهاء أو قيام .

قال : فسألته ، كيف كان سكوته ؟ قال :

كان سكوته على أربع : الحلم والحذر والتقدير والتفكر . فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس ، وأما تذكره أو قال تفكره ففيما يبقى ويفنى ، وجُمع له ﷺ الحلم والصبر ، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزُّه ، وجُمع له الحذر في أربع : أخذه بالحسنى ، [ليُقتدى به ، وتركه القبيح لِيُنتْهَى عنه ، واجتهاده الرأي فيما يصلح أمته][١] والقيام بهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ .

وقد روى هـذا الحديث بطوله الحافظ أبو عيسى الترمذي رحمه الله في كتاب « شمائل رسول الله ﷺ »[٢] عن سفيان بن وكيع بن الجراح ، عن جُميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي ، حدَّثني رجل من ولد أبي هالة زوج خديجة ، يكنى أبا عبد الله ـ سمَّاه غيره : يزيد بن عمر ـ عن ابنٍ لأبي هالة ، عن الحسن بن علي ، قال : سألت خالي . . فذكره ، وفيه حديثه عن أخيه الحسين ، عن أبيه علي بن أبي طالب .

---

(١) مابين حاصرتين مستدرك من تاريخ الإسلام ، السيرة النبوية للإمام الذهبي (ص٤٤٩) ، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ، سنة (١٤٠٧هـ) .

(٢) شمائل رسول الله للترمذي رقم (٨) وإسناده تالف ، كما بينا من حال جميع بن عمر .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في « الدلائل »[١] عن أبي عبد الله الحاكم النيسابوري لفظاً وقراءةً عليه: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي[٢] بن أبي طالب العقيقي[٣] صاحب كتاب « النسب » ببغداد ، حدَّثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو محمد بالمدينة سنة ست وستين ومئتين ، حدَّثني علي بن جعفر بن محمد ، عن أخيه موسى بن جعفر ، عن جعفر بن محمد ، عن علي بن الحسين بن علي ، عن أبيه محمد بن علي بن الحسين ، قال : قال الحسن : سألت خالي هند بن أبي هالة . . فذكره .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجَّاج المِزِّي رحمه الله في كتابه « الأطراف »[٤] بعد ذكره ما تقدم من هاتين الطريقين : وروى إسماعيل بن مسلَمَة بن قَعْنَبٍ القَعْنبي ، عن إسحاق بن صالح المخزومي ، عن يعقوبَ التَّيمي ، عن عبد الله بن عباس ؛ أنه قال لهند بن أبي هالة ـ وكان وصَّافاً لرسول الله ـ : صف لنا رسولَ الله ﷺ . فذكر بعضَ هذا الحديث .

وقد روى الحافظ البيهقي[٥] من طريق صَبيح بن عبد الله الفَرْغَاني ـ وهو ضعيف ـ عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، حديثاً مطولاً في صفة النبي ﷺ قريباً من حديث هند بن أبي هالة . وسردَه البيهقيُّ بتمامه ، وفي أثنائه تفسير ما فيه من الغريب ، وفيما ذكرناه غنية عنه ، والله تعالى أعلم .

وروى البخاري[٦] عن أبي عاصم الضَّحاك ، عن عمر بن سعيد بن أحمد بن حسين ، عن ابن أبي مُلَيكة ، عن عقبة بن الحارث قال : صلَّى أبو بكر العصر بعد موت النبي ﷺ بليال فخرج هو وعلي يمشيان ، فإذا الحسن بن علي يلعب مع الغلمان ، قال : فاحتمله أبو بكر على كاهله وجعل يقول :

بـأبـي ، شبيـه بـالنبـي ، ليـــس شبيهـــاً بعلـــي

وعلي يضحك منهما رضي الله عنهما .

وقال البخاري[٧] : حدَّثنا أحمد بن يونس ، حدَّثنا زهير ، حدَّثنا إسماعيل عن أبي جُحَيفةَ قال : رأيت رسول الله ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٨٥ ـ ٢٩٢) وإسناده ضعيف .
(٢) مابين حاصرتين ساقط من ط واستدرك من الدلائل .
(٣) في ط : القعنبي . تحريف .
(٤) تحفة الأشراف للمزي (٨/ ٣١٦) حديث رقم (١١٧٣٦) بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٩٨ ـ ٣٠٦) .
(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٤٢) في المناقب .
(٧) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٤٣) في المناقب .

وروى البيهقي[(١)] عن أبي علي الرُّوذبَارِيّ ، عن عبد الله بن جعفر بن شَوذَب الواسطي ، عن شعيب بن أيوب الصَّرِيفيني ، عن عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هانىء ، عن علي رضي الله عنه قال : الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك .

باب

ذكر أخلاقه وشمائله الطاهرة ﷺ

قد قدمنا طيب أصله ومحتده ، وطهارة نسبه ومولده ، وقد قال الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وقال البخاري : حدَّثنا قتيبة ، حدَّثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو عن سعيدٍ المَقْبُري ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « بُعثت من خير قرون بني آدم قَرْناً فقَرْناً[(٢)] حتى كنتُ من القَرْن الذي كنتُ فيه »[(٣)] .

وفي صحيح مسلم ، عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى قريشاً من بني إسماعيل ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفاني من بني هاشم »[(٤)] .

وقال الله تعالى : ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم : ١ ـ ٤] قال العَوفي عن ابن عباس : في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ يعني : وإنك لعلى دينٍ عظيم ، وهو الإسلام . وهكذا قال مجاهد ، وأبو مالك ، والسُّدي ، والضحّاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال عطية : لعلى أدبٍ عظيم .

وقد ثبت في صحيح مسلم ، من حديث قَتادة ، عن زُرارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام ، قال :

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٠٧) وأحمد في المسند (١٠/ ٩٩ و١٠٨) والترمذي رقم (٣٧٧٩) وقال : حديث حسن غريب . وهانىء بن هانىء مجهول كما قال الشافعي وابن المديني تفرد أبو إسحاق السبيعي بالرواية عنه ، ومع أن النسائي قال : لا بأس به ، لكن قال ابن سعد : منكر الحديث ، كما هو مبين في تحرير التقريب (٤/ ٣٤) .

(٢) في المطبوع : قرناً بعد قرن . والتصحيح من (أ) وفتح الباري (٦/ ٥٦٦) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٥٧) في المناقب .

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٦) في الفضائل ، ولفظه : « إن الله اصطفى كِنانةَ من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كِنانةَ ، واصطفى من قريشٍ بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

سألتُ عائشةَ أمّ المؤمنين ، فقلت : أخبريني عن خُلُق رسول الله ﷺ . فقالت : أما تقرأُ القرآن ؟ قلتُ : بلى ، فقالت : كان خُلقُه القرآن(١) .

وقد روى الإمام أحمد ، عن إسماعيل بن عليّة ، عن يُونس بن عُبيد ، عن الحسن البصري ، قال : سُئلت عائشةُ عن خُلُق رسول الله ﷺ ، فقالت : كان خلقُه القرآن(٢) .

وروى الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن مَهدي(٣) ، والنسائي من حديثه(٤) ، وابن جرير(٥) من حديث ابن وَهب ، كلاهما عن معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهِريّة ، عن جُبير بن نُفير ، قال : حججتُ فدخلتُ على عائشةَ ، فسألتُها عن خُلُق رسول الله ﷺ ، فقالت : كان خُلُقه القرآن(٦) .

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام مهما أمره به القرآن امتثله ، ومهما نهاه عنه تركه . هذا ما جبلَه الله عليه من الأخلاق الجِبِليّة الأصلية العظيمة ، التي لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أجمل منها ، وشرع له الدين العظيم الذي لم يشرعه لأحد قبله ، وهو مع ذلك خاتم النبيين فلا رسول بعده ولا نبي ، فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحِلْم والصَّفْح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يُحَدُّ ، ولا يُمكن وصفُه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدَّثنا الحسن بن يحيى ، حدَّثنا زيد بن واقد ، عن بُسْر بن عبيد الله ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي الدرداء ، قال : سألتُ عائشةَ عن خُلق رسول الله ﷺ ، فقالت : كان خلقُه القرآن يَرضى لرضاه ويَسخطُ لسخَطِه(٧) .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أحمد بن سهل الفقيه ببخارى ، أخبرنا قيس بن أُنَيف ، حدَّثنا قتيبة بن سعيد ، حدَّثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران ، عن يزيد بن بابَنُوس ، قال : قلنا لعائشة : يا أُم المؤمنين ! كيف كان خُلُق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان خُلُق رسول الله ﷺ القرآن . ثم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٧٤٦) في صلاة المسافرين ، والمذكور هنا جزء من حديث طويل . ولفظه : « فإنَّ خُلُقَ نبيّ الله ﷺ كان القرآن » قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ : معناه العمل بالقرآن ، والوقوف عند حدوده ، والتأدب بآدابه ، والاعتبار بأمثاله وقصصه ، وتدبره ، وحسن تلاوته .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢١٦) وهو حديث صحيح لكن هذا الإسناد ضعيف فهو منقطع ، فإن الحسن البصري لم يسمعه من عائشة ، بل سمعه من سعد بن هشام عنها كما في مسند أحمد (٦/ ٩٧) .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٨٨) .

(٤) في التفسير من سننه الكبرى (١١١٣٨) وهو في التفسير المفرد له (١٥٨) .

(٥) في تفسيره (٢٩/ ١٩) .

(٦) وهو صحيح ، لكن الحاكم صححه على شرط الشيخين فوهم ، لأن معاوية بن صالح لم يرو له البخاري شيئاً .

(٧) نقله من دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) وهو في القسم الضائع من « المعرفة والتاريخ » ليعقوب بن سفيان ، وإسناده ضعيف فإن الحسن بن يحيى هو الخشني الدمشقي البلاطي ضعيف كما بيناه مفصلاً في تحرير التقريب (١/ ٢٨٣) وينظر تهذيب الكمال وتعليقنا عليه (٦/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) (بشار) .

قالت : أتقرأ سورة المؤمنين ؟ اقرأ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ . . . ﴾ إلى العشر(١) . قالت : هكذا كان خُلُق رسول الله ﷺ .

وهكذا رواه النسائي(٢) ، عن قتيبة .

وروى البخاري من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، في قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] قال : أُمر رسولُ الله ﷺ أن يأخذَ العفوَ من أخلاق الناس(٣) .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا سعيدُ بن منصور ، حدَّثنا عبدُ العزيز بن محمد ، عن محمد بن عَجْلان ، عن القعقاع بن حَكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما بُعثت لأتمِّمَ صالحَ الأخلاق » تفرد به أحمد(٥) .

ورواه الحافظ أبو بكر الخرائطي في كتابه(٦) ، فقال : « إنما بُعثتُ لأتمِّم مكارمَ الأخلاق » .

وتقدم ما رواه البخاري من حديث أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس وجهاً ، وأحسنَ الناس خُلقاً .

وقال مالك(٧) : عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ؛ أنها قالت : ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلا أخذَ أيسرَهُما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس منه ، وماانتقمَ لنفسه إلا أن تُنتهَكَ حُرمةُ الله فينتقم لله بها .

ورواه البخاري ومسلم(٨) ، من حديث مالك .

وروى مسلم ، عن أبي كريب ، عن أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت :

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٠٩) وهو حديث حسن .

(٢) أخرجه النسائي في التفسير من سننه الكبرى (١١٣٥٠) وهو في التفسير المفرد له (٣٧٠) . وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٨) ، والحاكم (٢/ ٦١٣) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٦٤٤) في التفسير .

(٤) مسند أحمد (٢/ ٣٨١) .

(٥) حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عجلان فإن حديثه لا يرتقي إلى مراتب الصحة ، وهو في طبقات ابن سعد (١/ ١٩٢) ، والبزار (٢٧٤٠) ، وشرح المشكل للطحاوي (٤٤٣٢) ، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) ، وتاريخه الكبير (٧/ ١٨٨) ، والحاكم (٢/ ٦١٣) والبيهقي في السنن (١٠/ ١٩١) ، وفي الشعب (٧٩٧٨) غيرها .

(٦) كتاب مكارم الأخلاق ، للخرائطي ص٢ . ط : المكتبة السلفية ، القاهرة .

(٧) الموطأ (٢٦٢٧ برواية الليثي) و(١٨٨٢) برواية الزهري كلاهما بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف .

(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٦٠) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٢٧) في الفضائل .

ما ضربَ رسولُ الله ﷺ بيده شيئاً قطّ ، لا عبداً ولا امرأةً ولا خادماً ، إلا أن يُجاهدَ في سبيل الله ، ولا نِيل منه شيءٌ فينتقمُ من صاحبه ، إلا أن يُنتهكَ شيءٌ من محارم الله ، فيَنتقمُ لله عزّ وجلّ[١] .

وقد قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : ما ضربَ رسولُ الله بيده خادماً له قطّ ولا امرأةً ، ولا ضربَ بيده شيئاً إلا أن يُجاهدَ في سبيل الله ، ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما ، حتى يكون إثماً ، فإذا كان إثماً كان أبعدَ الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يُؤتى إليه حتى تُنتهك حرماتُ الله ، فيكون هو ينتقمُ لله عزّ وجلّ .

وقال أبو داود الطيالسي[٣] : حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعتُ أبا عبد الله الجَدليّ يقول : سمعتُ عائشةَ ، وسألتها عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا سَخَّاباً في الأسواق ، ولا يَجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أو قال : يعفو ويغفر ـ شك أبو داود ـ . ورواه الترمذي[٤] ، من حديث شعبة ، وقال : حسن صحيح .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا آدم وعاصم بن علي ، قالا : حدَّثنا ابن أبي ذئب ، حدَّثنا صالح مولى التَّوْءمة ، قال : كان أبو هريرة ينعت رسول الله قال : كان يُقبل جميعاً ويُدبر جميعاً ، بأبي وأمي ، لم يكن فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً ولا سخّاباً في الأسواق . زاد آدم : ولم أرَ مثله قبله ، ولم أرَ مثلَه بعدَه[٥] .

وقال البخاري[٦] : حدَّثنا عبدان ، عن أبي حمزة ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : لم يكن النبيُّ ﷺ فاحشاً ولا مُتفحشاً ، وكان يقول : « إنَّ من خيارِكم أحسنكم أخلاقاً » .

ورواه مسلم[٧] من حديث الأعمش به .

وقد روى البخاري[٨] من حديث فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو ؛ أنه قال : إن رسولَ الله موصوفٌ في التوراة بما هو موصوف في القرآن ،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٢٨) (٧٩) في الفضائل .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٣٢) وإسناده صحيح .
(٣) رواه أبو داود الطيالسي رقم (١٥٢٠) وهو في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣١٥) وهو في المسند (٦/ ٢٣٦) بهذا الإسناد .
(٤) رواه الترمذي في الجامع (٢٠١٦) ، وهو عنده في الشمائل (٣٤٧) .
(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣١٦) وهو حديث حسن .
(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٥٩) في المناقب .
(٧) في صحيحه رقم (٢٣٢١) .
(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٣٨) في التفسير .

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الفتح : ٨] وحِرْزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سمّيتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يُقيمَ به الملّة العَوْجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح أعيناً عمياً ، وآذاناً صمّاً ، وقلوباً غلفاً .

وقد رُوي عن عبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار .

وقال البخاري[(١)] : حدَّثنا مسدد ، حدَّثنا يحيى ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عبد الله بن أبي عتبة ، عن أبي سعيد ، قال : كان النبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرها .

حدَّثنا ابن بشار ، حدَّثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : حدَّثنا شعبة مثله ، وإذا كره شيئاً عُرِفَ ذلك في وجهه .

ورواه مسلم[(٢)] من حديث شعبة .

وقال الإمام أحمد[(٣)] : حدَّثنا أبو عامر ، حدَّثنا فُلَيح ، عن هلال بن علي ، عن أنس بن مالك ، قال : لم يكن رسولُ الله ﷺ سَبَّاباً ولا لَعّاناً ولا فاحشاً ، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة : « ماله تربت جبينه » .

ورواه البخاري[(٤)] عن محمد بن سنان ، عن فليح .

وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس ، وكان أجودَ الناس ، وكان أشجعَ الناس ، ولقد فَزِعَ أهلُ المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصوت ، فتلقاهم رسولُ الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ ، في عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تُرَاعُوا لم تَرَاعُوا » . قال : « وجدناه بحراً ، أو إنه لبحر » قال : وكان فرساً يُبَطَّأُ[(٥)] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٦٢) في المناقب ، ورقم (٦١٠٢) في الأدب عن شعبة ، عن قتادة ، عن عبد الله ـ هو ابن أبي عتبة مولى أنس ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٢٠) في الفضائل . والعذراء : البكر . وخدرها : سِترها .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٢٦) وفيه : ماله تربَ جبينُه .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٣١) و(٦٠٤٦) في الأدب . وفيه : ماله ترب جبينه .
ومعنى « ترب جبينه » : قال الخطابي : يحتمل أن يكون المعنى : خرَّ لوجهه فأصاب الترابَ جبينُه . ويحتمل أن يكون دعاء له بالعبادة ، كأن يصلي فيترب جبينه . والأول أشبه ؛ لأن الجبين لا يُصلّى عليه . فتح الباري (١٠/٤٥٣) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٩٠٨) في الجهاد ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٠٧) في الفضائل . =

ثم قال مسلم : حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدَّثنا وكيع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : كان فزعٌ بالمدينة ، فاستعارَ رسولُ الله ﷺ فرساً لأبي طلحة يُقال له « مَنْدُوب » فركبه ، فقال : « ما رأينا من فَزَعٍ ، وإن وجدناه لبحراً »[١] .

وقال علي رضي الله عنه : كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ[٢] .

وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن حارثة بن مُضَرِّب ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما كان يومُ بدرٍ اتَّقينا المشركينَ برسول الله ﷺ ، وكان أشدَّ الناس بأساً . رواه أحمد والبيهقي[٣] .

وتقدم في غزوة هوازن أنه عليه الصلاة والسلام لما فرَّ جُمهور أصحابه يومئذ ثبت ، وهو راكب بغلته وهو ينوه باسمه الشريف ، يقول :

« أنـــا النبـــيُّ لا كـــذب ، أنـــا ابـــنُ عبـــد المطلـــب »

وهو مع ذلك يركضها إلى نحور الأعداء . وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة العظيمة والتوكل التام صلوات الله عليه .

وفي صحيح مسلم ، من حديث إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن عبد العزيز ، عن أنس ، قال : لما قدم رسولُ الله المدينة أخذَ أبو طلحة بيدي ، فانطلقَ بنا إلى رسول الله ، فقال : يا رسولَ الله إن أنساً غلامٌ كيِّسٌ فليخدُمْك . قال : فخدمتُه في السفر والحَضَر ، والله ! ما قالَ لي لشيء صنعتُه : لم صنعتَ هذا هكذا ؟ ولا لشيءٍ لم أصنعه : لمَ لمْ تصنعْ هذا هكذا[٤] ؟ .

وله من حديث سعيد بن أبي بردة ، عن أنس ، قال : خدمتُ رسولَ الله تسعَ سنين ، فما أعلمُه قال لي قطّ : لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا عابَ عليَّ شيئاً قطُّ[٥] .

وله من حديث عكرمة بن عمّار ، عن إسحاق ، قال أنس : كان رسولُ الله ﷺ من أحسنِ النَّاس خُلُقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة ، فقلت : والله لا أذهبُ ـ وفي نفسي أن أذهبَ لما أمرني به رسولُ الله ﷺ ـ فخرجتُ حتى أمرَّ على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسولُ الله ﷺ قد قبضَ بقفاي من ورائي قال : فنظرتُ إليه وهو يَضحكُ ، فقال : « يا أُنيسُ ! ذهبتَ حيثُ أمرتُك ؟ » فقلتُ : نعم أنا أذهبُ

= ومعنى « لم تُراعوا » : أي روعاً دائماً ومستقراً ، أو روعاً يضركم . « وجدناه بحراً » : أي واسع الجري . « يُبَطَّأ » : يُعرف بالبطء والعجز .

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٠٧) (٤٩) في الفضائل ، وفيه : كان بالمدينة فَزَعٌ .

(٢) كذا ورد هذا القول ، وكأنه جزء من الحديث قبله . وقد وجدت في صحيح مسلم رقم (١٧٧٦) (٧٩) قال البراء : كنا والله إذا احمرَّ البأسُ نتقي به ، وإنَّ الشُّجاع منا للَّذي يُحاذِي به ، يعني النبي ﷺ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٨٦) والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٢٤) وإسناده صحيح .

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٠٩) (٥٢) في الفضائل .

(٥) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٠٩) (٥٣) في الفضائل ، ورقم (٢٣١٠) في الفضائل أيضاً ، وفيه : لِمَ فعلتَ كذا وكذا ؟ .

يا رسول الله . قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعتُه : لم صنعتَ كذا وكذا ؟ أو لشيء تركته : هلا فعلتَ كذا وكذا ؟[١] .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا كثير بن هشام ، حدَّثنا جعفر ، حدَّثنا عمران القصير ، عن أنس بن مالك ، قال : خدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنين ، فما أمرني بأمر فتوانيتُ عنه ، أو ضيّعتُه ، فلامني ، وإن لامني أحدٌ من أهله إلا قال : « دعوه فلو قُدِّرَ ـ أو قال قُضِيَ ـ أن يكون كان » .

ثم رواه أحمد ، عن علي بن ثابتٍ ، عن جعفر ـ هو ابن برقان ـ عن عمران البصري ـ وهو القصير ـ عن أنس فذكره ، تفرد به الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا أبي ، حدَّثنا أبو التيّاح ، حدَّثنا أنس ، قال : كان رسولُ الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً ، وكان لي أخ يُقال له أبو عُمير ، قال : أحسبُه قال : فطيماً ، قال : فكان إذا جاء رسولُ الله ﷺ فرآه قال : « أبا عُمير ! ما فعل النُّغَير » . قال : نغر كان يلعب به ، قال : فربما تحضرهُ الصلاة وهو في بيتنا ، فيأمر بالبساط الذي تحته فيُكنس ، ثم يُنضح بالماء ، ثم يقومُ رسول الله ﷺ ونقوم خلفه يُصلّي بنا ، قال : وكان بساطهم من جريد النخل .

وقد رواه الجماعة[٤] ، إلا أبا داود ، من طرق عن أبي التياح يزيد بن حميد ، عن أنس ، بنحوه . وثبت في الصحيحين ، من حديث الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، فَلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[٥] .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا أبو كامل ، حدَّثنا حمّاد بن زيد ، حدَّثنا سَلمٌ العلوي ، سمعتُ أنسَ بن مالك ؛ أن النبي ﷺ رأى على رجلٍ صُفْرةً ، فكرهَها ، قال : فلما قام قال : « لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة » . قال : وكان لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه[٦] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣١٠) (٥٤) في الفضائل .

(٢) رواهما الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٣١) والبيهقي في الشعب رقم (٨٠٧٠) والضياء في المختارة رقم (١٨٣٤) وهو حديث صحيح .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢١٢) .

(٤) رواه البخاري (٦١٢٩) و(٦٢٠٣) في الأدب من صحيحه ، ومسلم (٦٥٩) في الصلاة ، (٢١٥٠) في الاستئذان و(٢٣١٠) في فضائل النبي ﷺ ، والترمذي في الصلاة من جامعه (٣٣٣) وفي البر منه (١٩٨٩) ، (١٩٨٩م) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣٣٤) و(٣٣٥) و(٣٣٦) ، وابن ماجه في الأدب من سننه (٣٧٢٠) و(٣٧٤٠) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦) في بدء الوحي ، ومسلم في « صحيحه » رقم (٤٤٨) في الصلاة .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٣٣) وفيه : وكان لايكاد يواجه أحداً في وجهه . . ، وسلم بن قيس العلوي ضعيف . تقريب التهذيب (١/ ٣١٤) . وقال ابن حبان في المجروحين (١/ ٣٤٣) : منكر الحديث على قلته ، =

وقد رواه أبو داود ، والترمذي في « الشمائل » ، والنسائي في « اليوم والليلة »[١] ، من حديث حماد بن زيد ، عن سَلْم بن قيس العلوي البصري .

قال أبو داود[٢] : وليس من ولد علي بن أبي طالب ، وكان يُبصر في النجوم ، وقد شهد عند عديّ بن أَرْطاة على رؤية الهلال فلم يُجزْ شهادته .

وقال أبو داود : حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا عبد الحميد الحِمَّاني[٣] ، حدَّثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ ، إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل ما بالُ فلان يقول ، ولكن يقول : « ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ؟[٤] » .

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « لايُبَلِّغنِي أحدٌ عن أحدٍ شيئاً ، إنِّي أُحِبُّ أن أخرجَ إليكم وأنا سليمُ الصَّدر »[٥] .

وقال مالك : عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : كنتُ أمشي مع النبيِّ ﷺ وعليه بُردٌ غليظ الحاشية ، فأدرَكه أعرابي فجبذَ بردائه جبذاً شديداً ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ فإذا قد أثرت بها حاشيةُ البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندكَ . قال : فالتفتَ إليه رسول الله ﷺ فضحكَ ثم أمرَ له بعطاء .

أخرجاه[٦] من حديث مالك .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا زيد بن الحباب ، أخبرني محمد بن هلال القرشي ، عن أبيه ، أنه سمع أبا هريرة يقول : كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد ، فلما قام قمنا معه ، فجاء أعرابي فقال : أعطني يا محمد ، فقال : « لا وأستغفر الله » فجذبه بحجزته فخدشه ، قال : فهمُّوا به فقال : « دعوه » قال : ثم أعطاه ، قال : فكانت يمينه : « لا وأستغفر الله »[٧] .

= لا يحتج به إذا وافق الثقات ، فكيف إذا انفرد ؟! .

(١) رواه أبو داود في سننه ورقم (٤١٨٢) في الترجل ، ورقم (٤٧٨٩) في الأدب ، والترمذي في الشمائل رقم (٣٤٦) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٣٥) و(٢٣٦) طبعة الرباط ، تحقيق د . فاروق حمادة . وإسناده ضعيف .

(٢) سنن أبي داود (٥/ ١٤٤) رقم (٤٧٨٩) .

(٣) في الأصل : يحيى بن عبد الحميد الحماني ، وهو خطأ ، والتصحيح من سنن أبي داود .

(٤) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٧٨٨) في الأدب . وإسناده حسن .

(٥) يريد بذلك : وثبت في الحديث الصحيح ، وقد رواه البخاري في تاريخه الكبير (٣/ ٣٩٤) ، ورواه أحمد (١/ ٣٩٥) ، وأبو داود في سننه رقم (٤٨٦٠) في الأدب ، والترمذي في الجامع رقم (٣٨٩٦) في المناقب ، وقال : غريب (يعني ضعيف) .

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١٤٩) في فرض الخمس ، ومسلم في صحيحه رقم (١٠٥٧) في الزكاة .

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٨٨) وإسناده ضعيف لجهالة هلال بن ابي هلال .

وقد روى أصل هذا الحديث أبو داود والنسائي وابن ماجه[١] من طرق ، عن محمد بن هلال بن أبي هلال مولى بني كعب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة بنحوه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن الأعمش ، عن ثُمَامَة بن عُقبة ، عن زيد بن أرقمَ ، قال : كان رجلٌ من الأنصار يدخلُ على رسول الله ﷺ ويأتمنه ، وأنه عقد له عُقَداً وألقاه في بئر ، فصَرَعَ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فأتاه ملكان يعودانه فأخبراه أن فلاناً عَقَدَ له عُقَداً ، وهي في بئر فلان ، ولقد اصفرَّ الماءُ من شدّة عقده . فأرسل النبيُّ ﷺ فاستخرجَ العُقَدَ ، فوجدَ الماءَ قد اصفرَّ ، فحلَّ العُقَدَ ، ونام النبي ﷺ . فلقد رأيتُ الرجلَ بعد ذلك يدخلُ على النبي ﷺ ، فما رأيتُه في وجه النبي ﷺ حتى مات[٢] . (ورواه الطبراني من طريق علي بن المديني ، عن جرير ، عن الأعمش ، به . وقال : فلم يُعاتبه)[٣] .

قلت : والمشهور في الصحيح : أن لبيد بن الأعصم اليهودي هو الذي سحرَ النبيَّ ﷺ في مِشْطٍ ومُشَاطةٍ في جُفّ طَلعةٍ ذَكَر ، تحت بئر ذَرْوَان ، وأن الحال استمر نحو ستة أشهر حتى أنزل الله سورتي المعوذتين . ويقال : إن آياتهما إحدى عشرة آية وأن عقد ذلك الذي سحر فيه كان إحدى عشرة عقدة ، وقد بسطنا ذلك في كتابنا « التفسير »[٤] بما فيه كفاية ، والله أعلم .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا أبو نُعَيم ، حدَّثنا عمران بن زيد أبو يحيى المُلاَئي ، حدَّثنا زيد العَمِّيُّ ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا صافحَ ، أو صافحَه الرجلُ ، لا يَنْزِعُ يدَه من يده حتى يكونَ الرجلُ يَنْزِعُ يدَه ، وإن استقبلَه بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكونَ الرجلُ ينصرف عنه ، ولا يُرى مُقَدِّماً ركبتيه بين يديْ جليسٍ له[٥] .

ورواه الترمذي وابن ماجه[٦] من حديث عمران بن زيد الثعلبي ، أبي يحيى الطويل الكوفي ، عن زيد بن الحَوَاري العمّيّ ، عن أنس به .

---

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٧٧٥) في الأدب ، والنسائي في سننه (٨/ ٣٣ ـ ٣٤) في القسامة . وابن ماجه في سننه رقم (٢٠٩٣) في الكفارات .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣١٩) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٩٩) .

(٣) ما بين قوسين ساقط من المطبوعة واستدرك من (أ) والحديث في المعجم الكبير للطبراني رقم (٥٠١١) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٣) .
و« المشاطة » : الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند التسريح بالمشط .
و« الجف » : وعاء الطلع ، وهو أول ما يبدو من ثمر النخل .

(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٢٠) .

(٦) رواه الترمذي في صفة القيامة من جامعه (٢٤٩٠) وابن ماجه في الأدب من سننه (٣٧١٦) ، وضعفه الترمذي فقال : غريب ، وهو كما قال ، فعمران بن زيد لين الحديث وشيخه زيد العمي ضعيف .

وقال أبو داود : حدَّثنا أحمد بن منيع ، حدَّثنا أبو قطن ، حدَّثنا مبارك بن فضالة ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، قال : ما رأيتُ رجلاً قد التقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه ، ومارأيتُ رسولَ الله أخذ بيده رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده[١] . تفرد به أبو داود .

قال الإمام أحمد[٢] : وحدَّثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدَّثنا شعبة ، قال ابن جعفر في حديثه قال : سمعت علي بن زيد قال : قال أنس بن مالك : إن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت .

ورواه ابن ماجه[٣] من حديث شعبة .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا هشيم ، حدَّثنا حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به في حاجتها .

وقد رواه البخاري في كتاب الأدب من « صحيحه » معلَّقاً فقال : وقال محمد بن عيسى ـ هو ابن الطباع ـ حدَّثنا هشيم ، فذكره .

وقال الطبراني[٥] : حدَّثنا أبو شعيب الحراني ، حدَّثنا يحيى بن عبد الله البَابْلُتيُّ ، حدَّثنا أيوب بن نهيك ، سمعت عطاء بن أبي رباح ، سمعت ابن عمر ، سمعت رسولَ الله ﷺ وأتي بصاحب بزٍّ فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم ، فخرج وهو عليه ، فإذا رجلٌ من الأنصار فقال : يا رسولَ الله ! اكسني قميصاً كساكَ الله من ثياب الجنة ، فنزع القميص فكساه إياه ، ثم رجع إلى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم ، وبقي معه درهمان ، فإذا هو بجاريةٍ في الطريق تبكي ، فقال : ما يُبكيك ؟ فقالت : يا رسول الله دفع إليَّ أهلي درهمين أشتري بهما دقيقاً فهلكا ، فدفع إليها رسول الله الدرهمين الباقيين ، ثمَّ انقلب وهي تبكي ، فدعاها ، فقال : « ما يبكيك وقد أخذت الدرهمين ؟ » فقالت : أخاف أن يضربوني ، فمشى معها إلى أهلها فسلَّم ، فعرفوا صوته ، ثمَّ عاد فسلَّم ، ثمَّ عاد فسلَّم ، ثمَّ عاد فثلث فردوا ، فقال : « أسمعتم أول السلام ؟ » قالوا : نعم ولكن أحببنا أن تزيدنا من السلام فما أشخصك بأبينا وأمنا ، فقال : « أشفقت هذه الجارية أن تضربوها » فقال صاحبها : هي حرة لوجه الله لممشاك معها ،

---

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٧٩٤) في الأدب وإسناده حسن .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٧٤) عن علي بن زيد ، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان .
(٣) رواه ابن ماجه (٤١٧٧) في الزهد . رقم (٦٠٧٢) في الأدب تعليقاً .
(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٩٨) وإسناده صحيح .
(٥) في المعجم الكبير (١٢/ ٤٤١) (١٣٦٠٧) .

فبشَّرهم رسول الله بالخير والجنَّة . ثم قال : « لقد بارك الله في العشرة : كسا الله نبيه قميصاً ، ورجلاً من الأنصار قميصاً ، وأعتق الله منها رقبة ، وأحمد الله هو الذي رزقنا هذا بقدرته » .

هكذا رواه الطبراني وفي إسناده أيوب بن نهيك الحلبي وقد ضعفه أبو حاتم ، وقال أبو زرعة : منكر الحديث ، وقال الأزدي : متروك[١] .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عفان ، حدَّثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ؛ أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله إن لي حاجة ، فقال : « يا أمَّ فلان انظري أي الطرق شئت » فقام معها يناجيها حتى قضت حاجتها .

وهكذا رواه مسلم[٣] من حديث حماد بن سلمة .

وثبت في الصحيحين من حديث الأعمش عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : ما عابَ رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه[٤] .

وقال الثوري عن الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزي ، عن جابر قال : أتانا رسول الله في منزلنا فذبحنا له شاة فقال : « كأنهم علموا أنا نحب اللحم »[٥] . الحديث .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدَّث كثيراً ما يرفع طرفه إلى السماء .

وهكذا رواه أبو داود في كتاب الأدب من « سننه »[٦] من حديث محمد بن إسحاق به .

وقال أبو داود : حدثنا سلمة بن شعيب ، حدَّثنا عبد الله بن إبراهيم ، حدَّثنا إسحاق بن محمد الأنصاري ، عن ربيح بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن جده أبي سعيد الخدري : أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس احتبى بيده[٧] .

---

(١) الجرح والتعديل (٢/ الترجمة ٩٣٠) ، وميزان الاعتدال (١/ ٢٩٤) .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٨٥) .
(٣) في صحيحه رقم (٢٣٢٦) في الفضائل .
(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٤٠٩) في الأطعمة ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٦٤) في الأشربة .
(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٠٣) رقم (١٤١٧٩) وابن حبان رقم (٩٨٤) وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٨٣٧) في الأدب ، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٢١) .
(٧) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٨٤٦) في الأدب ، والترمذي في الشمائل رقم (١٢٩) باب ماجاء في جِلْسة رسول الله ﷺ والبزار رقم (٢٠٢١) وإسناده ضعيف جداً فإن عبد الله بن إبراهيم المدني متروك ، نسبه ابن حبان إلى الوضع ، وإسحاق بن محمد الأنصاري مجهول ، وربيح بن عبد الرحمن مقبول عند المتابعة وإلا فضعيف ولم يتابع .

ورواه البزّار في « مسنده » ولفظه : كان إذا جلس نصب ركبتيه واحتبى بيديه .

ثم قال أبو داود[١] : حدَّثنا حفص بن عمر وموسى بن إسماعيل ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن حسان العَنْبَري ، حدَّثتني جَدّتاي صفيّة ودُحَيْبة ابنتا عُلَيْبة ، قال موسى : ابنة حرملة ، وكانتا ربيبتي قَيْلَة بنت مخرمة ، وكانت جدة أبيهما ؛ أنها أخبرتهما ؛ أنها رأت رسول الله ﷺ وهو قاعد القُرْفُصاء ، قالت : فلما رأيتُ رسول الله المُتَخَشّعَ في الجِلْسة أُرعدت من الفَرَق .

ورواه الترمذي في « الشمائل »[٢] وفي « الجامع »[٣] عن عبد بن حميد ، عن عفان بن مسلم ، عن عبد الله بن حسان به . وهو قطعة من حديث طويل قد ساقَه الطبراني بتمامه في « معجمه الكبير »[٤] .

وقال البخاري[٥] : حدَّثنا الحسن بن الصباح البزار ، حدَّثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ؛ أن رسول الله ﷺ : كان يحدّث حديثاً لو عدّه العَادُّ لأحصاه .

قال البخاري[٦] : وقال اللَّيث : حدَّثني يُونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروةُ بن الزبير ، عن عائشة ؛ أنها قالت : ألا أعجبك[٧] أبو فلان ، جاءَ فجلسَ إلى جانب حُجرتي يُحَدِّث عن رسول الله ﷺ يُسمعني ذلك ، وكنت أسبّحُ ، فقام قبل أن أقضيَ سُبْحتي ، ولو أدركته لرددتُ عليه ، إن رسول الله ﷺ لم يكن يَسْرِدُ الحديثَ كسردِكم .

وقد رواه أحمد[٨] ، عن علي بن إسحاق ، ومسلم[٩] عن حرملة ، وأبو داود[١٠] عن سليمان بن داود ، كلُّهم عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد به . وفي روايتهم : ألا أعجبك من أبي هريرة . . فذكرت نحوه .

وقال الإمام أحمد[١١] : حدَّثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أسامة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان كلام النبي ﷺ فصلاً يفهمه كل أحد ، لم يكن يسرد سرداً .

---

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٨٤٧) في الأدب .
(٢) الشمائل (١٢٧) .
(٣) الجامع (٢٨١٤) في الأدب .
(٤) المعجم الكبير للطبراني (٢٥/٧ـ ١١) وهو حديث ضعيف ، لجهالة صفية ودحيبة ابنتي عليبة .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٦٧) في المناقب .
(٦) في صحيحه (٣٥٦٨) في المناقب .
(٧) في صحيح البخاري : ألا يُعجبك . . .
(٨) في المسند (٦/١١٨) .
(٩) في صحيحه (٢٤٩٣) في الفضائل .
(١٠) في سننه (٣٦٥٥) .
(١١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/١٣٨) وإسناده حسن من أجل أسامة ، فهو ابن زيد الليثي .

وقد رواه أبو داود ، عن ابن أبي شيبة ، عن وكيع[١] .

وقال أبو يَعلى : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدَّثنا عبد الله[٢] [عن] مِسْعَر ، حدَّثني شيخ ؛ أنه سمع جابر بن عبد الله ـ أو ابن عمر ـ يقول : كان في كلام النبيّ ﷺ ترتيلٌ أو ترسيل .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا عبد الله بن المثنى ، عن ثمامة ، عن أنس ؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلَّم بكلمة رددها ثلاثاً ، وإذا أتى قوماً يُسلّم عليهم سلَّم ثلاثاً .

ورواه البخاري[٤] من حديث عبد الصمد .

وقال أحمد[٥] : حدثنا أبو سعيد بن أبي مريم، حدَّثنا عبد الله بن المثنى ، سمعت ثمامة بن أنس يذكر ؛ أن أنساً كان إذا تكلَّم تكلَّمَ ثلاثاً ، ويذكرُ أنَّ النبيَّ ﷺ : كان إذا تكلَّمَ تكلَّمَ ثلاثاً ، وكان يستأذن ثلاثاً .

وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي[٦] ، عن عبد الله بن المثنى ، عن ثُمامة ، عن أنس ؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلَّم يُعيدُ الكلمةَ ثلاثاً لتُعقلَ عنه . ثم قال الترمذي : حسن صحيح غريب .

وفي الصحيح ؛ أنه قال : « أُوتيت جوامعَ الكلم ، وأختصر الحِكَم[٧] اختصاراً[٨] » .

قال الإمام أحمد[٩] : حدَّثنا حجَّاج ، حدَّثنا ليث ، حدّثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بُعثت بجوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أُوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعت في يدي » .

---

(١) في الأدب من سننه (٤٨٣٩) .
(٢) في ط : « حدثنا عبد الله بن مسعر » ، وهو تحريف لا ريب فيه ، فلا نعرف في الرواة من اسمه عبد الله بن مسعر ، وصواب العبارة كما أثبتناه ، وتكون « عن » تصحفت إلى « بن » .
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢١٣) .
(٤) في صحيحه رقم (٩٤) و(٩٥) في العلم .
(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٢١) وهو حديث صحيح .
(٦) رواه الترمذي في الجامع رقم (٣٦٤٠) .
(٧) في (أ) : واختصر إليَّ الحكمة اختصاراً .
(٨) الشطر الأول من الحديث ، وهو قول النبي ﷺ : « أوتيت جوامع الكلم » رواه البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (٥٢٣) ، أما الشطر الثاني فلم أجده في الصحيحين بهذا اللفظ . ولعله « وأختصر الكَلِمَ اختصاراً » . والمشهور (واخْتُصِر لي الكلام اختصاراً) رواه العسكري في الأمثال ، مرسلاً وهو ضعيف .
(٩) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٥٥) .

وهكذا رواه البخاري[١] من حديث الليث .

وقال أحمد[٢] : حدَّثنا إسحاق بن عيسى ، حدَّثنا ابن لَهيعة ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نُصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي » ، تفرد به أحمد من هذا الوجه[٣] .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نُصرتُ بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتُلَّت في يدي » . تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم[٥] .

وثبت في الصحيحين[٦] ، من حديث ابن وَهْب ، عن عمرو بن الحارث حدَّثني أبو النضر ، عن سليمان بن يسار عن عائشة ، قالت : ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ مُستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لَهَواتِهِ ، إنما كان يَتَبسَّم .

وقال الترمذي[٧] : حدَّثنا قتيبة ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن عُبيد الله[٨] بن المغيرة ، عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء قال : ما رأيتُ أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ .

---

(١) في صحيحه رقم (٢٩٧٧) في الجهاد .

(٢) في المسند (٢/ ٣٩٦) .

(٣) حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن من أجل ابن لهيعة ، فإن حديثه يتحسن عند المتابعة وقد توبع ، فقد أخرجه أبو يعلى (٦٢٨٧) من طريق ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، به .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) .

(٥) حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عمرو ـ وهو ابن علقمة الليثي ـ فإن حديثه لا يرتقي إلى مراتب الصحة .

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٢٨) في التفسير ، ورقم (٦٠٩٢) في الأدب ، ومسلم في صحيحه رقم (٨٩٩) في الاستسقاء .

(٧) في الجامع رقم (٣٦٤١) في المناقب ، وفي الشمائل رقم (٢٢٨) باب ما جاء في ضحك رسول الله ﷺ وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(٨) في ط وطبعات الجامع القديمة وطبعة الدعاس من الشمائل (٢٢٧) : « عبد الله بن المغيرة » وهو تحريف بين إذ لا نعرف في الرواة من اسمه « عبد الله بن المغيرة » ، والتصحيح من طبعات الدكتور بشار عواد معروف لهذين الكتابين ، الأول بتحقيقه والثاني بمراجعته ، وينظر تهذيب الكمال (١٩/ ١٦١) ، وتحرير التقريب (٢/ ٤١٥) وغيرهما .

ثم رواه من حديث الليث[١] عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء ، قال : ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً . ثم قال : صحيح .

وقال مسلم[٢] : حدَّثنا يحيى بن يحيى ، حدَّثنا أبو خَيْثمة ، عن سِمَاك بن حرب ، وقلت لجابر بن سَمُرة : أكنتَ تُجالس رسولَ الله ﷺ ؟، قال : نعم ، كثيراً ، كان لايقومُ من مُصلَّاه الذي يُصلِّي فيه الصبحَ ، حتى تطلعَ الشمسُ (فإذا طلعت)[٣] قامَ ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكُون ويتبسمُ رسولُ الله ﷺ .

وقال أبو داود الطيالسي[٤] : حدَّثنا شَرِيك وقيس بن سعد ، عن سِماك بن حرب ، قال : قلت لجابر بن سَمُرة : أكنتَ تُجالس النبيَّ ﷺ ؟ قال : نعم . كان طويلَ الصمت[٥] ، قليلَ الضحك ، فكان أصحابُه ربما يتناشدون الشعر عندَه ، وربما قالوا الشيءَ من أمورهم ، فيضحكون ، وربما يتبسم[٦] .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٧] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا محمد بن إسحاق ، أخبرنا أبو عبد الرحمن المقري ، حدَّثنا الليث بن سعد عن الوليد بن أبي الوليد ؛ أن سليمان بن خارجة أخبره عن خارجة بن زيد ـ يعني ابن ثابت ـ أن نفراً دخلوا على أبيه فقالوا : حدِّثنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ . فقال : كنتُ جارَه ، فكان إذا نزلَ الوحيُ بعثَ إليَّ فآتيه ، فأكتبُ الوحيَ . وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكرَه معنا ، فكل هذا نحدّثكم عنه .

ورواه الترمذي في « الشمائل »[٨] عن عباس الدوري ، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ ، به نحوه .

---

(١) في الجامع رقم (٣٦٤٢) في المناقب ، وفي الشمائل رقم (٢٢٨) باب ما جاء في ضحك رسول الله ﷺ .
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٢٢) في الفضائل .
(٣) ما بين القوسين أثبته من صحيح مسلم (٤/ ١٨١٠) .
(٤) في مسنده (٧٧١) ، وإسناده حسن من أجل سماك بن حرب .
(٥) في (أ) : كثير الصمت ، وفي المطبوع قليل الصمت وهو خطأ ظاهر ، وماأثبتناه من مسند الطيالسي (٧٧١) ، ودلائل البيهقي (١/ ٣٢٤) .
(٦) رواه أبو داود الطيالسي رقم (٧٧١) وهو في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٢٤) .
(٧) دلائل النبوة (١/ ٣٢٤) .
(٨) الشمائل (٣٤٣) وإسناده ضعيف لجهالة سليمان بن خارجة .

ذكرُ كرمِه عليه الصلاة والسلام

تقدم ما أخرجاه في الصحيحين من طريق الزُّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة(١) .

وهذا التشبيه في غاية ما يكون من البلاغة ، في تشبيهه الكرم بالريح المرسلة ، في عمومها وتواترها وعدم انقطاعها .

وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عُيَينَةَ(٢) ، عن محمد بن المُنْكَدر ، عن جابر بن عبد الله قال : ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قطُّ فقال : لا(٣) .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن موسى بن أنس ، عن أنس ؛ أن رسول الله ﷺ لم يُسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه ، قال : فأتاه رجل فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة . قال : فرجع إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يُعطي عطاءً ما يخشى الفاقة .

ورواه مسلم(٥) ، عن عاصم بن النضر ، عن خالد بن الحارث ، عن حميد .

وقال أحمد(٦) : حدَّثنا عَفّان ، حدَّثنا حمّاد ، حدَّثنا ثابت ، عن أنس ؛ أن رجلاً سأل النبيَّ ﷺ ، فأعطاه غنماً بين جبلين ، فأتى قومَه ، فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمّداً يُعطي عطاء من لايخاف الفاقة . فإن كان الرجل ليجيء إلى رسول الله ما يُريد إلا الدنيا ، فما يُمسي حتى يكونَ دينه أحبَّ إليه وأعزَّ عليه من الدنيا ومافيها .

ورواه مسلم(٧) من حديث حماد بن سلمة به .

وهذا العطاء ليؤلف به قلوب ضعيفي القلوب في الإسلام ، ويتألف آخرين ليدخلوا في الإسلام ؛ كما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦) في بدء الوحي ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٠٨) في الفضائل ، والنسائي في سننه (٤/ ١٢٥) باب الفضل والجود في شهر رمضان ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٣١) .

(٢) في الأصل والمطبوع : سفيان بن سعيد الثوري خطأ ، وماأثبته من الصحيحين .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٣٤) في الأدب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣١١) في الفضائل .

(٤) مسنده (٣/ ١٠٨) .

(٥) في صحيحه رقم (٢٣١٢) في الفضائل . ومعنى « لم يُسأل شيئاً على الإسلام » : أي : من أجل الإسلام .

(٦) في المسند (١/ ٢٨٤) .

(٧) في صحيحه (٢٣١٢) (٥٨) في الفضائل .

فعل يوم حُنين ، قسم[١] تلك الأموال الجزيلة من الإبل والشاء والذهب والفضة في المؤلفة ، ومع هذا لم يُعط الأنصارَ وجمهور المهاجرين شيئاً ، بل أنفقَ فيمن كان يحبُّ أن يتألَّفه على الإسلام ، وترك أولئك لما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، وقال مُسلِّياً لمن سأل عن وجه الحكمة في هذه القسمة لمن عتَب من جماعة الأنصار : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى رِحَالكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله[٢] .

وهكذا أعطى عمَّه العباس بعدما أسلم حين جاءه ذلك المال من البحرين ، فوُضع بين يديه في المسجد وجاء العباسُ فقال : يا رسولَ الله أعطني فقد فاديتُ نفسي يوم بدر وفاديتُ عقيلاً ، فقال : « خذ » فنزع ثوبَه عنه وجعل يضعُ فيه من ذلك المال ، ثم قام ليُقِلَّه فلم يقدر ، فقال لرسول الله : ارفعه عليَّ ، قال : « لاأفعل » فقال : مر بعضَهم ليرفعَه عليَّ ، فقال : « لا » فوضع منه شيئاً ، ثم عاد فلم يقدر ، فسأله أن يرفعَه أو أن يأمرَ بعضَهم برفعه فلم يفعل ، فوضع منه ، ثم احتمل الباقي وخرجَ به من المسجد ، ورسولُ الله ﷺ يُتبعه بصرَه عجباً من حرصه ! .

قلت : وقد كان العباسُ رضي الله عنه رجلاً شديداً طويلاً نبيلاً ، فأقلّ ما احتمل شيء يُقارب أربعين ألفاً ، والله أعلم .

وقد ذكره البخاري في « صحيحه » في مواضع معلّقاً بصيغة الجزم ، وهذا يُورد في مناقب العباس ؛ لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧٠] . وقد تقدم عن أنس بن مالك خادمه عليه الصلاة والسلام أنه قال : كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس ، وأشجعَ الناس . . . الحديث[٣] . وكيف لا يكون كذلك وهو رسولُ الله ﷺ المجبول على أكمل الصفات ، الواثق بما في يدي الله عزّ وجلّ ، الذي أنزل الله عليه في محكم كتابه العزيز : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ الآية [الحديد : ١٠] وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩] . وهو عليه الصلاة والسلام القائل لمؤذنه بلال ، وهو الصادق المصدوق في الوعد والمقال : « أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً »[٤] .

---

(١) كذا في (أ) وفي المطبوع : حين قسم . . .

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند (٤/ ٤٢) والبخاري في صحيحه رقم (٤٣٣٠) في المغازي ، ومسلم في صحيحه رقم (١٠٦١) في الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .

(٣) تقدم الحديث .

(٤) قطعة من حديث رواه البزار في مسنده رقم (٣٦٥٣) . والطبراني في الكبير رقم (١٠٣٠٠) وهو حديث حسن .

وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «ما من يوم تُصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان يقول أحدُهما: اللهم أعطِ مُنفقاً خَلَفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعطِ مُمسكاً تلفاً »[١] .

وفي الحديث الآخر ؛ أنه قال لعائشة : « لا تُوعي فيُوعِي الله عليكِ ، ولا تُوكي فيُوكي الله عليك »[٢] .

وفي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : « يقول الله تعالى : ابن آدم أَنفِق أُنْفِق عَلَيكَ »[٣] .

فكيف لا يكون أكرم الناس ، وأشجع الناس ، وهو المتوكل الذي لا أعظم منه في توكله ، الواثق برزق الله ونصره ، المستعين بربه في جميع أمره ؟ ثم قد كان قبل بعثته وبعدها وقبل هجرته ، ملجأً للفقراء والأرامل ، والأيتام ، والضعفاء ، والمساكين ، كما قال عمُّه أبو طالب فيما قدمناه من القصيدة المشهورة :

وَمَا تَركُ قَومٍ لَا أَبالَكَ سَيِّداً   يَحوطُ الذِّمارَ غيرَ ذَربٍ مُوَاكِلِ
وأبيضَ يُستَسقى الغَمَامُ بِوَجهِهِ   ثِمالُ اليتامَى عِصمَة لِلأرامِلِ
يَلوذُ بِهِ الهُلَّاكُ مِن آلِ هاشِمٍ   فَهُم عِنْدَهُ في نعمةٍ وَفَواضِلِ

ومن تواضعه ﷺ ما روى الإمام أحمد من حديث حمّاد بن سلمة ، عن ثابت ـ زاد النسائي : وحميد ـ عن أنس ؛ أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : يا سيدنا وابن سيدنا ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أيُّها الناس قُولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطانُ ، أنا محمد بن عبد الله ورسوله ، والله ما أحبُّ أن ترفعوني فوقَ ما رفعني الله »[٤] .

وفي صحيح مسلم[٥] ، عن عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تطرُوني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبدُ الله ورسولهُ » .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا يحيى ، عن شعبة ، حدَّثني الحكم ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، قال :

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٤٢) في الزكاة ، ومسلم في صحيحه رقم (١٠١٠) في الزكاة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٣٣) في الزكاة ، ومسلم في صحيحه رقم (١٠٢٩) في الزكاة وفيهما أن النبي ﷺ قال ذلك لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها . ومعنى « تُوعِي » : تحفظي المال فلا تنفقي منه شيئاً .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٤٨٤) في التفسير ، ومسلم في صحيحه رقم (٩٩٣) في الزكاة .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٤١) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٤٨) وهو حديث صحيح .

(٥) هكذا قال المصنف ، ولو قال : « وفي صحيح البخاري » لكان أصح فإن الجملة التي ساقها في أحاديث الأنبياء من صحيح البخاري (٣٤٤٥) ، أما مسلم فقد ساق حديث عمر مختصراً (١٦٩١) (١٥) وليس فيه هذه الجملة ، وهو في مسند أحمد بتمامه (١/ ٥٥ ـ ٥٦) .

قلت لعائشة : ما كان رسول الله ﷺ يصنعُ في أهله ؟ قالت : كان في مَهنةِ أهله ، فإذا حضرتِ الصلاةُ خرجَ إلى الصَّلاة[١] .

وحدَّثنا وكيع ومحمد بن جعفر ، قالا : حدَّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن الأسود قال : قلت لعائشة : ما كان النبي ﷺ يصنعُ إذا دخلَ بيته ؟ قالت : كان يكون في مَهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرجَ فصلَّى[٢] .

ورواه البخاري[٣] ، عن آدم ، عن شعبة .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عبدة ، حدَّثنا هشام بن عروة ، عن رجل ، قال : سُئلت عائشة : ما كان رسول الله ﷺ يصنعُ في بيته ؟ قالت : كان يرقعُ الثوبَ ، ويخصفُ النعل ، ونحو هذا .

وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة وهشام بن عروة عن أبيه ، قال : سأل رجلٌ عائشةَ : هل كان رسول الله ﷺ يعملُ في بيته ؟ قالت : نعم ، كان يخصفُ نعلَه ، ويخيطُ ثوبَه ؛ كما يعمل أحدكم في بيته . رواه البيهقي[٥] فاتصل الإسناد .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن البختري ـ إملاء ـ حدَّثنا محمد بن إسماعيل السُّلَمي ، حدَّثنا أبو صالح ، حدَّثني معاوية بن صالح ، عن يحيى بن سعيد ، عن عَمرَةَ ، قالت : قلت لعائشة : ما كان يعملُ رسولُ الله ﷺ في بيته ؟ قالت : كان رسول الله ﷺ بشراً من البشر ، يَفْلي ثوبَه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه[٦] .

ورواه الترمذي في « الشمائل »[٧] عن محمد بن إسماعيل ، عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن يحيى بن سعيد ، عن عمرة ، قالت : قيل لعائشة : ما كان يعملُ رسولُ الله ﷺ في بيته ؟ . الحديث .

وروى ابن عساكر[٨] ، من طريق أبي أسامة ، عن حارثة بن محمد الأنصاري ، عن عمرة ، قالت :

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٤٩) . ومعنى مهنة أهله : خدمتهم . وهو حديث صحيح .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٢٦) .
(٣) في صحيحه رقم (٦٧٦) في الأذان .
(٤) في المسند (٦/ ٢٤٢) وفيه : أو نحو هذا . وإسناده منقطع كما قال المصنف ، وقد وصله البيهقي في الحديث التالي وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) وهو حديث صحيح .
(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٢٨) وهو عند الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٥٦) عن القاسم ، عن عائشة .
(٧) الشمائل رقم (٣٤٢) باب ماجاء في تواضع رسول الله ﷺ . وهو حديث صحيح .
(٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر (٢/ ٢١٢) وفي سنده حارثة بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن المدني ، وهو ضعيف .

قلتُ لعائشة : كيف كان رسول الله ﷺ في أهله ؟ قالت : كان ألينَ الناس ، وأكرمَ الناس ، وكان ضحَّاكاً بسَّاماً .

وقال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا شعبة ، حدَّثني مسلم أبو عبد الله الأعور ، سمع أنساً يقول : كان رسولُ الله ﷺ يُكثرُ الذكر ، ويُقِلُّ اللَّغو ، ويركبُ الحِمار ، ويلبسُ الصُّوف ، ويُجيب دعوة المملوك ، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه من ليف(١) .

وفي الترمذي وابن ماجه(٢) ، من حديث مسلم بن كيسان الملائي ، عن أنس بعض ذلك .

وقال البيهقي(٣) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ـ إملاء ـ حدَّثنا أبو بكر محمد بن جعفر الأدمي القاري ببغداد ، حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الدَّورَقي ، حدَّثنا أحمد بن نصر بن مالك الخُزَاعي ، حدَّثنا علي بن الحسين بن وَاقِد ، عن أبيه ، قال : سمعتُ يحيى بنَ عقيل يقول : سمعت عبدَ الله بن أبي أَوفى يقول : كان رسولُ الله ﷺ يُكثر الذكرَ ، ويُقِلُّ اللغوَ ، ويُطيل الصلاةَ ، ويقصرُ الخطبةَ ، ولا يَستنكفُ أن يمشيَ مع العبد ، ولا مع الأرملة ، حتى يَفرُغَ لهم من حاجاتهم .

ورواه النسائي(٤) ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن أبي زرعة ، عن الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن يحيى بن عقيل الخزاعي البصري ، عن ابن أبي أوفى ، بنحوه(٥) .

وقال البيهقي(٦) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو بكر إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الفقيه بالريّ ، حدَّثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق ، حدَّثنا هاشم بن القاسم ، حدَّثنا شيبان أبو معاوية ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن أبي بُردَة ، عن أبي موسى ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يركبُ الحمار ، ويلبسُ الصوف ، ويَعتَقِلُ الشاةَ ، ويأتي مُراعاة الضيف .

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي رقم (٢٤٢٥) وهو في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٣٠) والخطام : حبل تقاد به الدابة . في سنده مسلم بن كيسان الأعور أبو عبد الله ، وهو ضعيف .

(٢) رواه الترمذي في الجامع رقم (١٠١٧) في الجنائز ، وقال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مسلم عن أنس ، ومسلم الأعور يُضعَّف ، وهو مسلم بن كيسَان الملائي تُكلم فيه ، وقد روى عنه شعبة وسفيان .
ورواه الترمذي في الشمائل رقم (٣٢٥) باب ما جاء في تواضع رسول الله ﷺ ، وابن ماجه في سننه رقم (٤١٧٨) في الزهد . وإسناده ضعيف كما قال الترمذي .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٢٩) .

(٤) في المجتبى (٣/ ١٠٨) وفي الكبرى (١٧١٦) ، والدارمي (١٦٤٢) وينظر تحفة الأشراف (٥١٨٣) .

(٥) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٤) وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » هكذا قال وهو وهم منه رحمه الله فإن الحسين بن واقد لم يَرْوِ له البخاري إلا تعليقاً ، وشيخه يحيى بن عقيل الخزاعي البصري لم يخرج له شيئاً في الصحيح ، وإنما روى له في « الأدب المفرد » وهما صدوقان من رجال مسلم .

(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٢٩) .

وهذا غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه ، وإسناده جيد .

وروى محمدُ بن سعد[١] ، عن إسماعيل بن أبي فُديك ، عن موسى بن يعقوب الزمعي ، عن سهل مولى غنيمة ، أنه كان نصرانياً من أهل مريس ، وأنه كان في حِجر أمه وعمه ، وأنه قال : قرأت يوماً في مصحف لعمي ، فإذا فيه ورقة بغير الخط ، وإذا فيها نعت محمد ﷺ : لا قصير ولا طويل أبيض ذو ضفيرتين ، بين كتفيه خاتم ، يُكثِرُ الاحتباءَ ، ولا يَقبل الصدقة ، ويركب الحمارَ والبعير ، ويحتلبُ الشاة ، ويلبَس قميصاً مرقوعاً ، ومن فعل ذلك فقد بريء من الكِبر ، وهو من ذرية إسماعيل ، اسمه أحمد . قال : فلما جاء عمي ورآني قد قرأتها ضربني ، وقال : مالك وفتح هذه ؟ فقلت : إن فيها نعت أحمد ، فقال : إنه لم يأت بعد .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثنا أيوب ، عن عمرو بن سعيد ، عن أنس ، قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ . وذكر الحديث .

ورواه مسلم[٣] عن زهير بن حرب ، عن إسماعيل بن عليّة ، به .

وقال الترمذي في « الشمائل »[٤] : حدَّثنا محمود بن غيلان ، حدَّثنا أبو داود ، عن شُعبة ، عن الأشعث بن سُلَيم ، [قال] : سمعتُ عمتي تحدِّث عن عمِّها ، قال : بينا أنا أمشي بالمدينة إذا إنسان خلفي يقول : « ارفع إزارَك فإنه أنقى وأبقى » ، فإذا هو رسول الله ، فقلت : يا رسولَ الله إنما هي بُردة ملحاء ، قال : « أما لك فيَّ أسوة ؟ » (فنظرتُ) فإذا إزارُه إلى نصف ساقيه .

ثم قال[٥] : حدَّثنا سويد بن نصر ، حدَّثنا عبد الله بن المبارك ، عن موسى بن عُبيدة ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : كان عثمان بن عفان متزراً إلى أنصاف ساقيه ، قال : هكذا كانت إزرَة صاحبي ﷺ .

وقال أيضاً[٦] : حدَّثنا يوسف بن عيسى ، حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا الربيع بن صبيح ، حدَّثنا يزيد بن أبان ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يُكثر القناع[٧] ، كأن ثوبه ثوب زيات .

---

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٣٦٣) .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١١٢) .

(٣) في صحيحه (٢٣١٦) في الفضائل .

(٤) رواه الترمذي في الشمائل رقم (١٢٠) باب ما جاء في صفة إزار رسول الله ﷺ وإسناده ضعيف لجهالة عمة الأشعث بن سليم .

(٥) الشمائل (١٢١) ، وإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي .

(٦) الشمائل (٣٣) و(١٢٦) .

(٧) القناع : الدهن الذي يتطيب به .

وهذا فيه غرابة ونكارة ، والله أعلم .

وروى البخاري ، عن علي بن الجَعد ، عن شُعبة ، عن يَسار أبي الحكم ، عن ثابت ، عن أنس ؛ أن رسولَ الله ﷺ مرَّ على صبيان يلعبون فسلَّم عليهم[١] .

ورواه مسلم[٢] من وجه آخر عن شعبة .

ذكرُ مِزَاحِهِ عليه الصَّلاة والسلام

وقال ابن لَهيعة : حدَّثني عُمَارة بن غَزِيَّة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس قال : كان رسولُ الله ﷺ مِن أَفْكَهِ النَّاسِ مع صبيّ[٣] .

وقد تقدم حديثه في ملاعبته أخاه أبا عُمير ، وقوله : « أبا عُمير! ما فعل النغير ؟ » يذكّره بموت نُغر كان يلعبُ به ليخرجَه بذلك ؛ كما جرت به عادة الناس من المداعبة مع الأطفال الصغار .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا خلف بن الوليد ، حدَّثنا خالد بن عبد الله ، عن حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ؛ أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فاستحمله ، فقال رسول الله ﷺ : « إنا حاملوك على ولد ناقة » فقال : يا رسول الله ما أصنعُ بولد ناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « وهل تلدُ الإبل إلا النوق ؟ » .

ورواه أبو داود[٥] عن وهب بن بَقية ، والترمذي[٦] عن قتيبة ، كلاهما عن خالد بن عبد الله الواسطي الطَّحَّان ، به . وقال الترمذي : صحيح غريب .

وقال أبو داود في هذا الباب[٧] : حدَّثنا يحيى بن معين ، حدَّثنا حجَّاج بن محمد ، حدَّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن العَيزَارِ بن حُرَيْث ، عن النعمان بن بشير ، قال : استأذن أبو بكر على النبيّ ﷺ ، فسمعَ صوت عائشة عالياً على رسول الله ، فلما دخل تناولها ليلطمها ، وقال : ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ! فجعل النبي ﷺ يحجزُه ، وخرج أبو بكر مُغضَباً ، فقال رسول الله حين خرج أبو بكر : « كيف رأيتِني أنقذتُك من الرجل ؟ » فمكث أبو بكر أياماً ، ثم استأذن على رسول الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٢٤٧) في الاستئذان .

(٢) في صحيحه رقم (٢١٦٨) (١٥) في السلام .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٣١) وابن لهيعة ضعيف .

(٤) في المسند (٣/ ٢٦٧) .

(٥) في سننه (٤٩٩٨) .

(٦) جامع الترمذي (١٩٩١) في البر ، وفي الشمائل (٢٣٨) .

(٧) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٩٩٩) في الأدب وأخرجه أحمد (٤/ ٢٧١ و٢٧٥) والنسائي في عشرة النساء من سننه الكبرى (٩١٥٥) ، به ولكن ليس فيه « أبو إسحاق » وإسناد أبي داود إسناد صحيح .

فوجدهما قد اصطلحا ، فقال لهما : أدخلاني في سِلمِكما كما أدخلتماني في حربكما ، فقال رسول الله ﷺ : « قد فعلنا ، قد فعلنا » .

وقال أبو داود[١] : حدَّثنا مؤمّل بن الفضل ، حدَّثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن العلاء ، عن بُسْر بن عبيد الله ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : أتيتُ رسولَ الله في غزوة تبوك ، وهو في قبةٍ من أَدَم ، فسلّمتُ فردَّ وقال : « ادخل » فقلت : أكلّي يا رسول الله ؟ فقال : « كلّك » ، فدخلتُ .

وحدَّثنا[٢] صفوان بن صالح ، حدَّثنا الوليد بن عثمان بن أبي العاملة : إنما قال : أدخل كلي ؟ من صغر القبة .

ثم قال أبو داود[٣] : حدَّثنا إبراهيم بن مهدي ، حدَّثنا شريك ، عن عاصم ، عن أنس ، قال : لي رسول الله ﷺ : « يا ذا الأذنين » .

قلت : ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا معمر ، عن ثابت ، عن أنس ؛ أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً ، وكان يُهدي للنبي ﷺ الهديّةَ من البادية ، فيجهزه النبيُّ ﷺ إذا أراد أن يخرجَ ، فقال رسول الله : « إن زاهراً باديتُنا ونحن حاضرُوه » وكان رسول الله ﷺ يحبّه ، وكان رجلاً دميماً ، فأتاه رسول الله ﷺ (يوماً) وهو يبيعُ متاعَه ، فاحتضنه من خلفه ولا يبصره[٥] الرجل ، فقال : أرسلني ، من هذا ؟ فالتفتَ فعرفَ النبي ﷺ ، فجعل لا يألو[٦] ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه ، وجعل رسولُ الله ﷺ يقول : « من يشتري العبد ؟ » فقال : يا رسول الله إذاً والله تجدني كاسداً ، فقال رسول الله ﷺ : « لكن عند الله لست بكاسد » أو قال : « لكن عند الله أنت غال » .

---

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٥٠٠٠) في الأدب ، وأخرجه البخاري مطولاً في صحيحه رقم (٣١٧٦) في الجزية ، وليس فيه قصة الدخول ، وابن ماجه في سننه رقم (٤٠٤٢) و(٤٠٩٥) في الفتن .

(٢) أبو داود في سننه رقم (٥٠٠١) في الأدب ، وقال المنذري : عثمان هذا ـ أي عثمان بن أبي العاتكة ـ فيه مقال . وإسناده ضعيف .

(٣) رواه أبو داود في سننه رقم (٥٠٠٢) في الأدب ، والترمذي في الجامع رقم (١٩٩٢) في البر ، و(٣٨٢٨) في المناقب ، وهو عند الإمام في المسند (٣/ ١٢٧) كلهم عن أنس رضي الله عنه . وإسناده ضعيف لضعف شريك وهو ابن عبد الله النخعي سيِّئ الحفظ ، لكنه قد توبع فيتحسن حديثه .

(٤) مسند أحمد (٣/ ١٦١) .

(٥) كذا في الأصل ، وفي المسند والشمائل وهو لا يبصره .

(٦) « لا يألو » : لا يقصِّر .

وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين ، ولم يروه إلا الترمذي في « الشمائل »[(١)] عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الرزاق .

ورواه ابن حِبّان في « صحيحه »[(٢)] .

ومن هذا القبيل ما رواه البخاري من صحيحه[(٣)] ؛ أن رجلاً كان يُقال له عبد الله ـ ويلقب حماراً ـ وكان يُضحِكُ النبيَّ ﷺ ، وكان يُؤتى به في الشراب ، فجيء به يوماً ، فقال رجل : لعنه الله ما أكثر ما يُؤتى به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تلعنه فإنه يُحِبُّ الله ورسوله » .

ومن هذا ما قال الإمام أحمد[(٤)] : حدَّثنا حجّاج ، حدَّثني شعبة ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ؛ أن النبي ﷺ كان في مسير ، وكان حاد يحدو بنسائه أو سائق ، قال : فكان نساؤُه يتقدمن بين يديه ، فقال : « يا أنجشة ويحك ، ارفق بالقوارير » .

وهذا الحديث في الصحيحين عن أنس[(٥)] ، قال : كان للنبي ﷺ حادٍ يحدو بنسائه يقال له أنجشة ، فحدا ، فأعنقت الإبل ، فقال رسول الله ﷺ : « ويحك يا أنجشة ! ارفق بالقوارير » . ومعنى القوارير : النساء ، وهي كلمةُ دُعابة . صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

ومن مكارم أخلاقه ودعابته وحسن خُلُقه استماعه عليه السلام حديث أُم زرع[(٦)] من عائشة بطوله ، ووقع في بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام هو الذي قصّه على عائشة .

ومن هذا ما رواه الإمام أحمد[(٧)] : حدَّثنا أبو النضر ، حدَّثنا أبو عقيل ـ يعني عبد الله بن عقيل الثقفي ـ . حدَّثنا مجالد بن سعيد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : حدَّث رسولُ الله ﷺ نساءَه ذات ليلة حديثاً ، فقالت امرأة منهن : يا رسولَ الله كأن الحديثَ حديثُ خرافة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرين ما خرافة ؟ إن خرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجن في الجاهلية ، فمكث فيهم دهراً طويلاً ، ثم ردوه إلى الإنس ، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة » .

---

(١) الترمذي في الشمائل رقم (٢٣٩) باب ما جاء في صفة مُزاح رسول الله ﷺ .
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٥٧٩٠) في الحظر والإباحة ، باب المزاح والضحك .
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٧٨٠) في الحدود ، ولفظه : لا تلعنوه ، فوالله ماعلمتُ إنه يُحِبُّ الله ورسوله .
(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٨٧) .
(٥) البخاري في صحيحه رقم (٦١٤٩) في الأدب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٢٣) في الفضائل .
(٦) حديث أم زرع رواه البخاري في صحيحه رقم (٥١٨٩) في النكاح ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٤٨) في الفضائل ، والنسائي في الكبرى كما في التحفة(١٢/ ١١) والترمذي في الشمائل رقم (٢٥١) .
(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٥٧ ـ ١٥٨) .

وقد رواه الترمذي في « الشمائل »[١] عن الحسن بن الصبَّاح البزَّار ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، به .

قلت : وهو من غرائب الأحاديث ، وفيه نكارة ، ومجالد بن سعيد يتكلمون فيه ، فالله أعلم .

وقال الترمذي في باب مُزَاحِ النبي ﷺ من كتابه « الشمائل »[٢] : حدَّثنا عَبدُ بن حُميد ، حدَّثنا مصعب بن المقدام ، حدَّثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : أتت عجوز إلى النبيِّ ﷺ فقالت : يا رسول الله ادع لي أن يدخلني الله الجنة ، قال : « يا أُمَّ فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز » فولَّت العجوز تبكي ، فقال : « أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾[٣] [الواقعة : ٣٥ ـ ٣٦] » وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقال الترمذي[٤] : حدَّثنا عباس بن محمد الدوري ، حدَّثنا علي بن الحسن بن شقيق ، حدَّثنا عبد الله بن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا ، قال : « إني لا أقول إلا حقاً » .

تداعبنا : يعني : تمازحنا . وهكذا رواه الترمذي في « جامعه » في باب البر ، بهذا الإسناد ، ثم قال : وهذا حديث حسن .

بابُ زهده عليه الصلاة والسلام وإعراضُه عن هذه الدار (وإقبالُه واجتهادُه وعملُه لدار القرار)

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١] وقال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] وقال تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ ﴾ [النجم : ٢٩ ـ ٣٠] وقال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٧ ـ ٨٨] والآيات في هذا كثيرة .

---

(١) الشمائل رقم (٢٥٢) باب ما جاء في كلام رسول الله ﷺ في السمر .

(٢) الشمائل رقم (٢٣٧) باب ما جاء في صفة مزاح رسول الله ﷺ ولفظه : قالوا : يارسول الله إنك تداعبنا . قال : نعم ، غير أني لا أقول إلا حقاً .

(٣) رواه الترمذي في الشمائل رقم (٢٤٠) باب ما جاء في صفة مزاح رسول الله ﷺ . والحسن : هو الحسن البصري .

(٤) جامع الترمذي (١٩٩٠) وهو حديث حسن ، كما قال الإمام الترمذي ، فيه أسامة بن زيد الليثي ، فهو صدوق حسن الحديث .

وأما الأحاديث ، فقال يعقوب بن سفيان : حدَّثني أبو العباس حَيوَةُ بن شُريح ، أخبرنا بقيّة ، عن الزُّبيدي ، عن الزُّهري ، عن محمد بن عبد الله بن عباس ، قال : كان ابن عباس يُحدّث أن الله أرسل إلى نبيه مَلَكاً من الملائكة معه جبريل ، فقال المَلَكُ لرسول الله (ﷺ)[١] : « إن الله يُخيِّرك بين أن تكون عبداً نبياً ، وبين أن تكون مَلِكاً نبياً » فالتفت رسولُ الله إلى جبريل كالمستشير له ، فأشار جبريلُ إلى رسول الله أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : « بل أكون عبداً نبياً » قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً مُتَّكِئاً حتى لقيَ الله عز وجل .

وهكذا رواه البخاري في « التاريخ »[٢] عن حَيوةَ بن شريح ، وأخرجه النسائي[٣] عن عمرو بن عثمان ، كلاهما عن بقية بن الوليد به . وأصل هذا الحديث في الصحيح بنحو من هذا اللفظ .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا محمد بن فُضَيل ، عن عُمارة ، عن أبي زُرعة ـ ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة ـ قال : جلس جبريل إلى رسول الله ﷺ فنظر إلى السماء ، فإذا مَلَكٌ ينزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد أرسلني إليك ربك : أفملِكاً نبياً يجعلك أو عبداً رسولاً ؟[٥] .

هكذا وجدته بالنسخة التي عندي بالمسند مختصراً[٦] وهو من أفراده من هذا الوجه .

وثبت في الصحيحين[٧] ، من حديث ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب ، في حديث إيلاء رسول الله ﷺ من أزواجه ، ألا يدخل عليهن شهراً ، واعتزل عنهن في عِليّة ، فلما دخل عليه عمر في تلك العِليّة فإذا ليس فيها سوى صبرة من قرظ ، وأهبة معلقة ، وصبرة من شعير ، وإذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثَّر في جنبه ، فهملت عينا عمر ، فقال : « مالك ؟ » فقلت : يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه ، وكسرى وقيصر فيما هما فيه ! فجلس محمراً وجهه فقال : « أو في شك أنت يا بن الخطاب ؟ » ثم قال : « أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا » .

---

(١) ما بين القوسين أثبته من دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٣٤) .
(٢) التاريخ الكبير (١/ ١/ ١٢٣) .
(٣) في الوليمة من سننه الكبرى (٦٧٤٣) .
(٤) في المسند (٢/ ٢٣١) .
(٥) لم أجده في الصحيح ، إنما أورده ابن حبان في صحيحه (٦٣٦٥) في التاريخ ، باب صفته ﷺ ، وقال محققه : إسناده صحيح على شرط الشيخين . ورواه أحمد (٢/ ٢٣١) . والبزار رقم (٢٤٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .
(٦) في المطبوع من المسند زيادة نصها : « قال جبريل : تواضع لربك يامحمد . قال : بل عبداً رسولاً » ولذلك نبه المصنف إلى هذا الاختصار في نسخته .
(٧) البخاري في صحيحه رقم (٥١٩١) في النكاح ، ومسلم في صحيحه رقم (١٤٧٩) في الطلاق (٣٠) و(٣٥) .

وفي رواية لمسلم « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ » فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : « فاحمد الله عزّ وجلّ » ثم لما انقضى الشهر أمره الله عز وجل أن يخير أزواجه وأنزل عليه قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨ ـ ٢٩] . وقد ذكرنا هذا مبسوطاً في كتابنا التفسير وأنه بدأ بعائشة ، فقال لها : « إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك » وتلا عليها هذه الآية ، قالت : فقلت أفي هذا أستأمر أبوي ؟ فإني أختار الله ورسولَه والدارَ الآخرة . وكذلك قال سائر أزواجه عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهن .

وقال مُباركُ بن فَضَالة ، عن الحسن ، عن أنس ، قال : دخلتُ على رسول الله وهو على سرير مَرمول[١] بالشريط ، وتحت رأسه وسادة من أدم[٢] حشوها ليف ، ودخل عليه عمرُ وناسٌ من أصحابه ، فانحرفَ رسول الله انحرافةً ، فرأى عمرُ أثرَ الشريط في جنبه فبكى ، فقال له : « ما يُبكيك يا عمر ؟ » قال : ومالي لا أبكي وكسرى وقَيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا ، وأنتَ على الحال الذي أرى ؟! فقال : « يا عمر ! أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ » قال : بلى ، قال : « هو كذلك » . هكذا رواه البيهقي[٣] .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا أبو النضر ، حدَّثنا مبارك ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، قال : دخلتُ على رسول الله وهو على سرير مضطجع مزمل بشريط ، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، فدخل عليه نفر من أصحابه ، ودخل عمر فانحرف رسول الله انحرافة ، فلم يرعمر بين جنبه وبين الشريط ثوباً ، وقد أثر الشريط بجنب رسول الله ، فبكى عمر ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما يبكيك يا عمر ؟ » قال : والله ما أبكي إلا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله من كسرى وقيصر ، وهما يعيشان في الدنيا فيما يعيشان فيه ، وأنت يا رسول الله في المكان الذي أرى ؟! فقال رسول الله : « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ » قال : بلى ، قال : « فإنه كذلك »[٥] .

---

(١) « مرْمول » : موصول .
(٢) « من أدم » : من جلد .
(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٣٧) وفيه : قلت : بلى يارسول الله . قال : « فاحمد الله عز وجل » وذكر الحديث ، وإسناده حسن من أجل مبارك بن فضالة فإنه صدوق حسن الحديث . وقد أخرج الشيخان من رواية الحسن عن أنس أحاديث .
(٤) في مسنده (٣/ ١٤٠) .
(٥) وهو حديث حسن كما تقدم .

وقال أبو داود الطيالسي[١] : حدَّثنا المسعودي ، عن عمرو بن مُرّة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : اضطجعَ رسولُ الله على حصير فأثَّر الحصيرُ بجلده ، فجعلتُ أمسحه وأقول : بأبي أنت وأمي ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه ؟ فقال : « مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » .

ورواه ابن ماجه[٢] عن يحيى بن حكيم ، عن أبي داود الطيالسي به .

وأخرجه الترمذي[٣] ، عن موسى بن عبد الرحمن الكندي ، عن زيد بن الحُباب ، كلاهما عن المسعودي به ، وقال الترمذي : حسن صحيح[٤] .

وقد رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس ، فقال[٥] : حدَّثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعفان ، قالوا : حدَّثنا ثابت ، حدَّثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن رسول الله دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثَّرَ في جنبه ، فقال : يا رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثرَ من هذا ، فقال : « مالي وللدنيا ، ما مَثَلي ومثل الدنيا إلا كراكبٍ سارَ في يوم صائفٍ ، فاستظلَّ تحتَ شجرة ساعةً من نهار ، ثم راحَ وتركها » . تفرد به أحمد .

وفي صحيح البخاري[٦] ، من حديث الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله قال : « لو أن لي مثل أحد ذهباً ما سرَّني أن تأتيَ عليّ ثلاثُ ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيء أرصدُه لدَين » .

وفي الصحيحين[٧] ، من حديث عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم اجعل رزقَ آلِ محمدٍ قُوتاً » .

فأما الحديث الذي رواه ابن ماجه[٨] ، من حديث يزيد بن سنان ، عن ابن المبارك ، عن عطاء ، عن أبي سعيد ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « اللهمَّ أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة

---

(١) في مسنده (٢٧٧) .
(٢) في سننه (٤١٠٩) في الزهد .
(٣) في جامعه (٢٣٧٧) .
(٤) وهو كما قال .
(٥) في مسنده (١/ ٣٠١) وإسناده صحيح .
(٦) صحيح البخاري (٢٣٨٩) في الاستقراض ، و(٦٤٤٥) في الرقاق .
(٧) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٤٦٠) في الرقاق ، ومسلم في صحيحه رقم (١٠٥٥) في الزكاة و(١٠٥٥) (١٨) في الزهد والرقائق . ومعنى قوتاً : قيل : كفايتهم من غير إسراف . وقيل : هو سد الرمق .
(٨) رواه ابن ماجه في سننه رقم (٤١٢٦) في الزهد .

المساكين » . فإنه حديث ضعيف لا يثبت من جهة إسناده ؛ لأن فيه يزيد بن سِنان أبا فروة الرُّهاوي ، وهو ضعيف جداً[١] ، والله أعلم .

وقد رواه الترمذي من وجه آخر فقال[٢] : حدَّثنا عبد الأعلى بن واصل الكوفي ، حدَّثنا ثابت بن محمد العابد الكوفي ، حدَّثنا الحارث بن النعمان اللَّيثي ، عن أنس ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة » فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ قال : « إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ، يا عائشة ! لا تَرُدّي المسكين ولو بشِقِّ تمرة ، يا عائشة أحبِّي المساكين وقرّبيهم فإن الله يُقرّبك يومَ القيامة » . ثم قال : هذا حديث غريب .

قلت : وفي إسناده ضعف ، وفي متنه[٣] نكارة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، أنه قيل له : هل رأى (رسولُ الله ﷺ)[٥] النَّقيَّ (قبل موته)[٥] بعينه ـ يعني الحُوَّارى ـ فقال له : ما رأى رسول الله النَّقيَّ بعينه حتى لقي الله عز وجل ، فقيل له : هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ؟ فقال : ما كانت لنا مناخل ، فقيل له : فكيف كنتم تصنعون بالشعير ؟ قال : ننفخه فيطير [منه] ما طار .

وهكذا رواه الترمذي[٦] من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار به ، وزاد : ثم نثريه[٧] ونعجنه . ثم قال : حسن صحيح ، وقد رواه مالك عن أبي حازم .

قلت : وقد رواه البخاري[٨] ، عن سعيد بن أبي مريم ، عن محمد بن مطرف بن غسان المدني ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد به .

---

(١) قال البوصيري في الزوائد : أبو المبارك لا يُعرف اسمه ، وهو مجهول . ويزيد بن سنان ضعيف ، والحديث صححه الحاكم (٤/ ٣٢٢) ، وعدَّه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤١ ـ ١٤٢) وحكم ابن الجوزي بوضعه إسراف، ويمكن أن يكون حسناً لغيره بطرقه وشواهده .
وقال السيوطي في اللآلئ (٢/ ٣٢٦) : قال الحافظ صلاح الدين بن العلائي : الحديث ضعيف السند ، لكن لا يُحكم عليه بالوضع . وانظر : النكت البديعات على الموضوعات (ص٢١٥) .

(٢) رواه الترمذي في الجامع رقم (٢٣٥٢) .

(٣) استغربه الترمذي لضعفه الشديد ، فالحارث بن النعمان الليثي منكر الحديث .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٣٢) .

(٥) ما بين القوسين أثبته من المسند (٥/ ٣٣٢) .

(٦) في جامعه (٢٣٦٤) .

(٧) « نثريه » : يقال ثرّى التراب يثريه ، إذا رش عليه الماء . وفي المطبوع : نذريه .

(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٤١٠) في الأطعمة . ومحمد بن مطرف هو أبو غسان .

ورواه البخاري أيضاً والنسائي[١] ، عن قتيبة ، عن يعقوب بن عبد الرحمن القاري ، عن أبي حازم ، عن سهل به .

وقال الترمذي[٢] : حدَّثنا عباس بن محمد الدُّوريّ ، حدَّثنا يحيى بن أبي بُكير ، حدَّثنا جرير بن عثمان ، عن سُليم بن عامر ، سمعت أبا أمامة يقول : ما كان يَفضُل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير . ثم قال : حسن صحيح غريب .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن كيسان ، حدَّثني أبو حازم ، قال : رأيتُ أبا هريرة يُشير بأصبعه مراراً : والذي نفسُ أبي هريرة بيده! ما شبع نبيُّ الله وأهلُه ، ثلاثةَ أيام تباعاً ، من خبز حنطةٍ حتى فارقَ الدنيا .

ورواه مسلم والترمذي وابن ماجه[٤] ، من حديث يزيد بن كيسان .

وفي الصحيحين[٥] من حديث جرير بن عبد الحميد ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : ما شبع آلُ محمد ﷺ ، منذ قدموا المدينة ، ثلاثة أيام تباعاً ، من خبز بُرٍّ حتى مضى لسبيله .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا هاشم ، حدَّثنا محمد بن طلحة ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد ثلاثاً من خبز بُرٍّ حتى قُبض ، وما رُفع من مائدته كسرةٌ قطّ حتى قُبضَ .

وقال أحمد[٧] : حدَّثنا محمد بن عُبيد ، حدَّثنا مطيع الغزال ، عن كردوس ، عن عائشة ، قالت : قد مضى رسول الله لسبيله وما شبع أهلُه ثلاثة أيام من طعام بُر .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا حُسين[٩] ، حدَّثنا دويد[١٠] ، عن أبي سهل ، عن سليمان بن رومان

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٤١٣) في الأطعمة ، والنسائي في الرقاق من الكبرى كما في التحفة (٤٧٨٥) .
(٢) رواه الترمذي في الجامع رقم (٢٣٥٩) في الزهد ، وفي الشمائل رقم (١٤٤) باب ما جاء في صفة خبز رسول الله ﷺ.
(٣) في المسند (٢/ ٤٣٤) .
(٤) مسلم في صحيحه رقم (٢٩٧٦) في الزهد ، والترمذي في الجامع رقم (٢٣٥٨) في الزهد ، وابن ماجه في سننه رقم (٣٣٤٣) في الأطعمة .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٤١٦) في الأطعمة ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٧٠) في الزهد .
(٦) في المسند (٦/ ١٥٦) وإسناده ضعيف لضعف محمد بن طلحة وهو ابن مصرف وأبي حمزة ميمون الأعور ، لكن قوله : ما شبع آل محمد ثلاثاً من خبز بُر حتى قبض صحيح فهو عند أحمد (٦/ ٤٢) بإسناد صحيح ، ومسلم (٢٩٧٠) (٢١) . وأما قوله « وما رفع من مائدته كسرة قط حتى قبض » فلا يصح .
(٧) في المسند (٦/ ٢٥٥) وهو حديث صحيح بشواهده .
(٨) في مسنده (٦/ ٧١) .
(٩) في المطبوع : « حسن » وهو تحريف ، وهو حسين بن محمد بن بهرام المرُّوذي .
(١٠) دويد بن نافع ، أبو عيسى الشامي ، ويقال : أوله بالمعجمة ، كما في التقريب .

ـ مولى عروة ـ عن عروة ، عن عائشة ؛ أنها قالت : والذي بعث محمداً بالحق ما رأى منخلاً ، ولا أكل خبزاً منخولاً منذ بعثه الله [عزّ وجلّ] إلى أن قُبِض . قلت : كيف كنتم تأكلون الشعير ؟ قالت : كنا نقول أف . تفرد به أحمد من هذا الوجه[١] .

وروى البخاري[٢] عن محمد بن كثير ، عن الثوري ، عن عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : إن كنا لنخرج الكراع بعد خمسة عشر يوماً فنأكله ، قلت : ولم تفعلون ذلك ؟ فضحكت وقالت : ما شبعَ آلُ محمد ﷺ من خبزِ بُرّ مأدوم حتى لحقَ بالله عزّ وجلّ .

وقال أحمد[٣] : حدَّثنا يحيى ، حدَّثنا هشام ، أخبرني أبي ، عن عائشة ، قالت : كان يأتي على آل محمد الشهر ما يُوقدون فيه ناراً ليس إلا التمر والماء ، إلا أن نُؤتى باللحم .

وفي الصحيحين[٤] ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ أنها قالت : إن كنا آل محمد ليمر بنا الهلال ما نُوقد ناراً ، إنما هو الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان حولنا أهل دور من الأنصار يبعثون إلى رسول الله بلبن منائحهم ، فيشربُ ويسقينا من ذلك اللبن .

ورواه أحمد[٥] ، عن يزيد[٦] عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عنها بنحوه .

(وفي مسند)[٧] الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا عبد الله ، حدَّثني أبي ، حدَّثنا حسين ، حدَّثنا محمد بن مطرِّف ، عن أبي حازم ، عن عروة بن الزبير ؛ أنه سمع عائشة تقول : كان يمر بنا هلال وهلال ما يُوقد في بيتٍ من بيوت رسول الله ﷺ نار ، قال قلت : يا خالة ! على أي شيء كنتم تعيشون ؟ قالت : على الأسودين : التمر والماء . تفرد به أحمد .

وقال أبـو داود الطيالسي[٩] ، عن شعبة ، عن أبي إسحـاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن

---

(١) إسناده ضعيف لجهالة أبي سهل شيخ دويد ، وسليمان بن رومان .
(٢) في صحيحه رقم (٥٤٢٣) في الأطعمة ، ولفظه « وإن كنا لنرفع الكُراع فنأكله بعد خمس عشرة ليلة . قيل ما اضطركم إليه ؟ فضحكت . . . » .
(٣) في المسند (٦/ ٥٠) وهو عند البخاري رقم (٦٤٥٨) في الأطعمة .
(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٤٥٩) في الرقاق ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٧٢) في الزهد ، وهو فيهما : عن يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة .
(٥) في مسنده (٦/ ١٨٢ ـ ٢٣٧) .
(٦) في المطبوع : « بريدة » محرف ، وهو يزيد بن هارون . وينظر المسند الجامع للدكتور بشار ورفاقه (٢٠/ ٤١٢ ـ ٤١٣) حديث (١٧٣٢٠) .
(٧) في المطبوع : « وقال » ولا يصح لأنه ساقه من طريق عبد الله بن أحمد عن أبيه .
(٨) مسند الإمام أحمد (٦/ ٧١) وهو حديث صحيح ولكن اختلف فيه على أبي حازم .
(٩) مسند الطيالسي (١٣٨٩) .

الأسود ، عن عائشة قالت : ما شبعَ رسولُ الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قُبِض .

وقد رواه مسلم[١] من حديث شعبة .

(وفي مسند) الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عبد الله ، حدَّثني أبي ، حدَّثنا إسماعيل[٣] ، حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، عن حُميد بن هلال ، قال : قالت عائشة : أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلاً ، فأمسكتُ وقطعَ رسول الله ﷺ ، أو قالت : أمسكَ رسولُ الله ﷺ وقطعتُ . قالت ـ تقول للذي تحدثه ـ هذا على غير مصباح . وفي رواية : لو كان عندنا مصباح لائتدمنا به ، قال : قالت عائشة : إنه ليأتي على آل محمد الشهر ما يختبزون خبزاً ولا يطبخون قدراً .

وقد رواه أيضاً عن بهز بن أسد[٤] ، عن سليمـان بن المغيرة ، وفي روايته[٥] : شهرين ، تفرَّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا خَلَف ، حدَّثنا أبو معشر ، عن سعيد ـ هو ابن أبي سعيد ـ عن أبي هريرة ، قال : كان يمر بآل رسول الله هلال ثم هلال لا يُوقدون في شيء من بيوتهم النار ، لا لخبز ولا لطبيخ ، قالوا : بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : الأسودان التمر والماء ، وكان لهم جيران من الأنصار ، جزاهم الله خيراً ، لهم منائح يُرسلون إليهم شيئاً من لبن ، تفرد به أحمد .

وفي صحيح مسلم[٧] ، من حديث منصور بن عبد الرحمن الحَجَبي ، عن أمه ، عن عائشة ، قالت : تُوفي رسول الله وقد شبع الناس من الأسودين : التمر والماء .

وقال ابن ماجه[٨] : حدَّثنا سُوَيدُ بن سعيد ، حدَّثنا علي بن مُسهِر ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ،

---

(١) في صحيحه (٢٩٧٠) (٢٢) .
(٢) مسند أحمد ٦/ ٢١٧ .
(٣) في المطبوع : « بهز » ولا يصح ، وماأثبتناه هو الصواب ، وهو إسماعيل بن عُلية ، فهذه روايته التي في المسند (٦/ ٢١٧) . أما رواية بهز فسيشير إليها المصنف عقيب انتهاء هذا الطريق . ثم إن رواية إسماعيل هي التي فيها : « إنه ليأتي على آل محمد الشهر » أما رواية بهز فهي : « شهرين » كما سيشير المصنف .
وهذا الحديث ضعيف الإسناد لانقطاعه فإننا لا نعرف سماعاً لحميد بن هلال العدوي من عائشة (بشار) .
(٤) رواية بهز بن أسد أخرجها الإمام أحمد في المسند (٦/ ٩٤) .
(٥) في المطبوع : « رواية » ، ولا يستقيم النص بها .
(٦) في المسند ٢/ ٤٠٥ ، وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي ، لكنه صحيح بشواهده .
(٧) صحيح مسلم (٢٩٧٥) (٣٠) . وعزوه إلى مسلم فيه تقصير من المصنف رحمه الله فهو في البخاري أيضاً بإسناده ومتنه (صحيح البخاري ٥٣٨٣) (بشار) .
(٨) في سننه (٤١٥٠) ، وإسناده حسن من أجل سويد بن سعيد .

عن أبي هريرة ، قال : أُتي رسولُ الله ﷺ يوماً بطعام سُخنٍ فأكلَ ، فلما فرغ قال : « الحمد لله ، ما دخلَ بطني طعام سخنٌ منذ كذا وكذا » .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا (عمار)[٢] أبو هاشم صاحب الزعفراني ، عن أنس بن مالك ؛ أن فاطمة ناولت رسولَ الله ﷺ كسرةً من خبز شعيرٍ فقال : « هذا أول طعام أكلَه أبوكِ من ثلاثة أيام » . تفرد به أحمد[٣] .

وروى الإمام أحمد ، عن عفان ، والترمذي وابن ماجه[٤] جميعاً عن عبد الله بن معاوية ، كلاهما عن ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خبَّاب العبدي الكوفي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن رسول الله ﷺ كان يبيتُ الليالي المتتابعة طاوياً وأهلَه لايجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم خبز الشعير . وهذا لفظ أحمد .

وقال الترمذي في « الشمائل »[٥] : حدَّثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، حدَّثنا عمر بن حفص بن غياث ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي ، عن يزيد بن[٦] أبي أمية الأعور ، عن أبي يوسف عبد الله بن سلام قال : رأيتُ رسولَ الله أخذ كِسرة من خبز الشعير فوضع عليها تمرة ، وقال : « هذه إدام هذه » وأكل .

وفي الصحيحين من حديث الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كان أحب الشراب إلى رسول الله الحلو البارد[٧] .

وروى البخاري[٨] من حديث قتادة عن أنس قال : ما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله ، ولا شاة سميطاً بعينه قط .

---

(١) في المسند (٣/ ٢١٣) .
(٢) ما بين الحاصرتين من المسند .
(٣) حديث حسن ، وهذا إسناد منقطع فإن عماراً أبا هاشم لم يسمع من أنس .
(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) والترمذي في الجامع رقم (٢٣٦٠) في الزهد ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في سننه رقم (٣٣٤٧) في الأطعمة . وهو حديث صحيح كما قال الترمذي .
(٥) الشمائل رقم (١٨٣) باب ماجاء في إدام رسول الله ﷺ ، وإسناده ضعيف ، لجهالة يزيد بن أبي أمية .
(٦) في المطبوع : « عن يزيد ، عن أبي أمية » وهو غلط محض .
(٧) لم أجده في الصحيحين ، وهو عند الترمذي في الجامع رقم (١٨٩٥) في الأشربة ، وقال أبو عيسى : هكذا روى غير واحد عن ابن عُيينة مثل هذا عن معمر ، عن الزهري ، عن عائشة ، والصحيح مارُوي عن الزهري ، عن النبي ﷺ مرسلًا ، ثم ساق الرواية المرسلة (١٨٩٦) ، وقال : وهكذا روى عبد الرزاق (في المصنف ١٩٥٨٣) عن معمر عن الزهري ، عن النبي ﷺ مرسلًا ، وهذا أصح من حديث ابن عُيينة . قلت : وكذلك قال أبو زرعة الرازي كما في العلل لابن أبي حاتم (١٥٨٨) .
(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٣٨٥) في الأطعمة ، ورقم (٦٤٥٧) في الرقاق .

وفي رواية له عنه أيضاً : ما أكلَ رسولُ الله ﷺ على خوان ، ولا في سكرجة ، ولا خُبِزَ له مرقق ، فقلت لأنس : فعلى ما كانوا يأكلون ؟ قال : على السُّفَر .

وله من حديث قتادة أيضاً ، عن أنس ؛ أنه مشى إلى رسول الله ﷺ بخبز شعير وإهَالةٍ سَنِخَة ، ولقد رهن درعَه من يهودي ، فأخذ لأهله شعيراً ، ولقد سمعته ذات يوم يقول : ما أمسى عند آل محمد صاع تمر ولا صاع حب[١] .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عفان ، حدَّثنا أبان بن يزيد ، حدَّثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ لم يجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضَفَفٍ .

ورواه الترمذي في « الشمائل »[٣] عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن عفان . وهذا الإسناد على شرط الشيخين .

وقال أبو داود الطيالسي[٤] : حدَّثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت عمر بن الخطاب يخطب ، فذكر ما فتح الله على الناس ، فقال : لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتلوَّى من الجوع ، ما يجد من الدقل ما يملأُ بطنه . وأخرجه مسلم[٥] من حديث شعبة .

وفي الصحيح أن أبا طلحة قال : يا أم سليم ، لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ أعرف فيه الجوع[٦] . . . وسيأتي الحديث في دلائل النبوة .

وفي قصة أبي الهيثم بن التَّيِّهان : أن أبا بكر وعمر خرجا من الجوع ، فبينما هما كذلك إذ خرج رسول الله ، فقال : « ما أخرجكما ؟ » فقالا : الجوع ، فقال : « والذي نفسي بيده لقد أخرجني الذي أخرجكما » فذهبوا إلى حديقة أبي الهيثم بن التَّيِّهان ، فأطعمهم رطباً ، وذبح لهم شاة ، فأكلوا وشربوا الماء البارد ، وقال رسول الله ﷺ : « هذا من النعيم الذي تُسألون عنه »[٧] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٠٦٩) في البيوع .
و« الإهالة » : الدهن الذي يُؤتدم به . و« السنخة » : المتغيرة الرائحة .
(٢) في المسند (٣/ ٢٧٠) .
(٣) الترمذي في الشمائل رقم (٣٧٦) باب ماجاء في عيش رسول الله ﷺ .
و« الضفف » : كثرة الأيدي على الطعام ، وقيل : الأَكَلَة أكثر من الطعام .
(٤) مسنده (٥٧) .
(٥) مسلم في صحيحه : رقم (٢٩٧٦) في الزهد .
و« الدَّقل » : التمر الرديء .
(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٨٧) في المناقب .
(٧) رواه مسلم رقم (٢٠٣٨) في الأشربة .

وقال الترمذي في « الشمائل »[١] : حدَّثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدَّثنا سيَّار ، حدَّثنا سهل بن أسلم ، عن يزيد بن أبي منصور ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوعَ ورفعنا عن بطوننا عن حجرٍ حجرٍ ، فرفع رسولُ الله ﷺ عن حجرين[٢] . ثم قال : غريب .

وثبت في الصحيحين ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها سُئلت عن فراش رسول الله ﷺ فقالت : كان من أَدَمٍ حشوه ليف[٣] .

وقال الحسن بن عرفة : حدَّثنا عبَّاد بن عبَّاد المُهَلّبي ، عن مُجَالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن مَسروق ، عن عائشة قالت : دخلت عليَّ امرأةٌ من الأنصار فرأت فراشَ رسول الله عباءةً مَثْنِيَّةً ، فانطلقت ، فبعثت إليّ بفراش حشوُه الصوفُ ، فدخلَ عليَّ رسول الله ، فقال : « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت : قلت : يا رسول الله ! فلانةُ الأنصاريّةُ دخلت عليَّ فرأت فراشَك فذهبت فبعثت إليَّ بهذا . فقال : « ردِّيه » قالت : فلم أردَّه وأعجبني أن يكون في بيتي ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، قالت : فقال : « رُدِّيه يا عائشة ، فوالله لو شئت لأجرى الله تعالى معي جبال الذهب والفضة »[٤] .

وقال الترمذي في « الشمائل »[٥] : حدَّثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البصري ، حدَّثنا عبد الله بن مَيْمون[٦] ، حدَّثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : سُئلت عائشةُ ما كان فراشُ رسول الله ﷺ في بيتك ؟ قالت : من أَدَمٍ حشوُه ليف . وسُئلت حفصةُ : ما كانَ فراشُ رسول الله ﷺ ؟ قالت : مَسحاً ، نَثْنِيه ثَنِيّتين ، فينام عليه ، فلما كان ذات ليلة قلت : لو ثنيتُه أربعَ ثنيات كان أوطأَ له ، فثنيناه له بأربع ثنيات ، فلما أصبح قال : « ما فرشتُم لي الليلة ؟ » قالت : قلنا : هو فراشك إلا أنّا ثنيناهُ بأربع ثنيّات ، قلنا : هو أوطأُ لك ، قال : « ردُّوه لحالته الأولى ، فإنه منعتني وطأته صلاتي الليلة » .

وقال الطبراني : حدَّثنا محمد بن أبانٍ الأصبهاني ، حدَّثنا محمد بن عبادة الواسطي ، حدَّثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدَّثنا محمد بن إبراهيم ، حدَّثنا ابن لَهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ،

---

(١) ما بين القوسين سقط من المطبوع ، وأثبته من (أ) . وهو في شمائل الترمذي (٣٧١) .
(٢) ورواه الترمذي في الجامع رقم (٢٣٧١) في الزهد ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٤٥٦) في الرقاق ، ورواه مسلم في صحيحه رقم (٢٠٨٢) (٣٨) في اللباس .
و« الأَدَم » : الجلد المدبوغ .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٤٥) . وفي إسناده مجالد بن سعيد ، قال الحافظ : ليس بالقوي ، وتغير بأخرة .
(٥) رواه الترمذي في الشمائل (٣٢٢) باب ما جاء في فراش رسول الله ﷺ . وإسناده ضعيف جداً بسبب عبد الله بن ميمون ؛ فهو متروك منكر الحديث .
و« مَسحاً » : كساء خشناً يعد للفراش من صوف .
(٦) في المطبوع : « مهدي » محرف ، وهو عبد الله بن ميمون القداح المخزومي .

عن حكيم بن حِزام ، قال : خرجتُ إلى اليمن فابتعتُ حُلّة ذي يزن ، فأهديتها إلى النبي ﷺ فردَّها ، فبعتُها فاشتراها فلبسها ، ثم خرج على أصحابه وهي عليه ، فما رأيت شيئاً أحسنَ منه فيها ، فما ملكتُ نفسي أن قلت :

مَـايَنظُـرُ الحُكَّـامُ بـالفَضـلِ بَعـدَمـا ... بَـدَا واضـحٌ مِـن غُـرَّةٍ وحَجُـولِ[١]

إذَا قَايَسوهُ المَجْدَ أَربَى[٢] عَليهِمُ ... بِمُستَفْـرغٍ مَـاءَ الـذِّنـاب سَجِيـلِ[٣]

فسمعها النبي ﷺ ، فالتفت إليَّ يتبسم ، ثم دخل فكساها أسامة بن زيد[٤] .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثني (حسين بن)[٦] علي ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن رِبعي بن حراش ، عن أُم سلمة قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو ساهم الوجه ، قالت : فحسبت ذلك من وجع ، فقلت : يا رسول الله أراك ساهم الوجه ، أفمن وجع ؟ فقال : « لا ، ولكن الدنانير السبعة التي أتينا بها (أمس ، أمسينا) ولم ننفقها ، نسيتُها في خصْم الفراش »[٧] . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا أبو سلمة ، قال : أخبرنا بكرُ بن مُضر ، حدَّثنا موسى بن جُبير ، عن أبي أمامة بن سهل ، قال : دخلتُ أنا وعروةُ بن الزبير يوماً على عائشة ، فقالت : لو رأيتُما نبيَّ الله ﷺ ذاتَ يوم في مرضٍ مرضه ؟ قالت : وكان له عندي سِتَّةُ دنانير ـ قال موسى : أو سبعة ـ قالت : فأمرني رسولُ الله ﷺ أن أفرّقها ، قالت : فشغلني وجعُ نبي الله ﷺ حتى عافاهُ الله عزَّ وجلَّ ، قالت : ثم سألني عنهـا ، فقال : « ما فعلتِ الستةُ ؟ » ـ قال : أو السبعةُ ـ قلتُ : لا والله لقد شغلني عنها وجعُك ، قالت : فدعا بهـا ثم صفَّها في كفِّه ، فقال : « ما ظنُّ نبيِّ الله لو لقيَ الله وهذه عنده! »[٨] . تفرد به أحمد .

---

(١) « غرة وحجول » : الغرة : بياض في الوجه ، والحجول : بياض في القوائم .
(٢) « أربى » : زاد وفضل .
(٣) « الذناب » : ملء الدلو من الماء ، و« السجيل » : الضخم . والبيتان للحطيئة ، وقد ذكر البيت الثاني الزمخشري في الأساس ، مادة (سجل) .
(٤) المعجم الكبير للطبراني (٣/ ١٩٣) رقم (٣٠٩٤) .
(٥) في مسنده (٦/ ٣١٤) .
(٦) ما بين القوسين سقط من الأصل ، وأثبته من مسند أحمد .
(٧) ورواه أبو يعلى رقم (٧٠١٧) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٣٢٧ رقم ٧٥١) ، والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) . وإسناده صحيح .
و« خصم الفراش » : جانبه .
(٨) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٠٤) والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٤٦) . وإسناده ضعيف .

وقال قتيبة : حدَّثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان رسولُ الله ﷺ لا يَدَّخِرُ شيئاً لغدٍ[١] .

وهذا الحديث في الصحيحين[٢] . والمراد أنه كان لا يدخر شيئاً لغد مما يُسرع إليه الفساد كالأطعمة ونحوها ؛ لما ثبت في الصحيحين[٣] عن عمر أنه قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يُوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب ، فكان يعزل نفقة أهله سنة ، ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عُدّة في سبيل الله عز وجل .

ومما يؤيد ما ذكرناه ما رواه الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا مروان بن معاوية ، (قال : أخبرني)[٥] هلال بن سويد أبو معلى (قال) : سمعت أنس بن مالك وهو يقول : أهديت لرسول الله ﷺ ثلاثة طوائر ، فأطعم خادمَه طائراً ، فلما كان من الغد أتته به ، فقال لها رسول الله ﷺ : « ألم أنهك أن ترفعي شيئاً لغد ، فإن الله يأتي برزق كل غد » .

حديث بلال في ذلك : قال البيهقي[٦] : حدَّثنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو محمد جعفر بن نصير ، حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله البصري ، حدَّثنا بكّار بن محمد ، أخبرنا عبد الله بن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله دخل على بلال فوجدَ عندَه صُبراً من تمر ، فقال : « ما هذا يا بلال ؟ » قال : تمر أدّخره ، قال : « ويحك يا بلال ، أو ما تخافُ أن تكونَ له بُخارٌ في النار ! أنفق بلال ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً » .

قال البيهقي[٧] بسنده عن أبي داود السجستاني[٨] ، وأبي حاتم الرازي ، كلاهما عن أبي تَوبَةَ

---

(١) رواه الترمذي في الجامع رقم (٢٣٦٢) في الزهد ، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٤٦) . وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، وهو حديث حسن .

(٢) لعل الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى أراد أن معناه في الصحيحين من فعل رسول الله ﷺ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٩٠٤) في الجهاد ، ومسلم في صحيحه رقم (١٧٥٧) في الجهاد والسير .

(٤) في مسنده (٣/ ١٩٨) وإسناده ضعيف ، لضعف هلال بن سويد الأحمري .

(٥) ما بين القوسين من المسند (٣/ ١٩٨) .

(٦) في الدلائل (١/ ٣٤٧) وإسناده ضعيف لضعف بكار بن محمد وهو السيريني . ورواه أبو يعلى عن بشر بن سيحان عن حرب بن ميمون عن هشام بن حَسَّان عن ابن سيرين بنحوه ، وإسناده ضعيف جداً ، فإن حرب بن ميمون متروك الحديث ولا عبرة بما ذهب إليه محققه حسين سليم الأسد من تجويد إسناده . على أن الهيثمي قد حسن إسناده من طرق أخرى مجمع الزوائد (٣/ ١٢٦) .

(٧) دلائل النبوة (١/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠) .

(٨) أخرجه أبو داود في سننه (٣٠٥٥) في الإمارة ، وهو حديث صحيح .

الربيع بن نافع ، حدَّثني معاويةُ بن سَلام ، عن زيد بن سَلام ، (أنه سمع أبا سلام قال)[١] : حدَّثني عبد الله الهَوْزَني[٢] قال : لقيتُ بلالاً مؤذنَ رسولِ الله ﷺ بحلبَ ، فقلت : يا بلالُ ، حدثني كيف كانت نفقةُ رسول الله ﷺ فقال : ما كان له شيء ، إلا أنا الذي كنت ألي ذلك منه منذ بعثه الله إلى أن تُوفي ، فكان إذا أتاه الإنسان المسلمُ فرآه عارياً[٣] ، يأمُرني فأنطلقُ فأستقرضُ فأشتري البردةَ والشيءَ فأكسوه وأطعمه ، حتى اعترضني رجلٌ من المشركين فقال : يا بلال ، إن عندي سَعَةً فلا تستقرض من أحد إلا مني ، ففعلتُ ، فلما كان ذات يوم توضأتُ ثم قمت لأؤذِّنَ بالصلاة ، فإذا المشركُ في عِصابة من التُّجار ، فلما رآني قال : يا حبشيُّ ، قال : قلت يا لَبَّيه ، فتجهَّمني ، وقال قولاً عظيماً أو غليظاً ، وقال : أتدري كم بينك وبين الشهر ؟ قلت : قريب ، قال : إنما بينك وبينه أربع ليال ، فآخذك بالذي لي عليك ، فإني لم أعطِكَ الذي أعطيتُك من كرامتك ولا من كرامة صاحبك ، وإنما أعطيتُك لتصير لي عبداً فأذرك[٤] ترعى في الغنم كما كنتَ قبل ذلك ، قال : فأخذني في نفسي ما يأخذُ في أنفس الناس ، فانطلقت ، فناديتُ بالصلاة حتى إذا صلّيتُ العَتمَة ، ورجعَ رسولُ الله ﷺ إلى أهله ، فاستأذنتُ عليه فأذنَ لي ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، إن المشركَ الذي ذكرتُ لك أني كنت أَتَدَيَّن منه قد قال كذا وكذا، وليس عندك ما يقضي عني ، ولا عندي ، وهو فاضحي ، فائْذَنْ لي أن آتيَ إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا حتى يرزقَ الله رسولَه ﷺ ما يقضي عني . فخرجتُ حتى أتيتُ منزلي ، فجعلتُ سيفي وجِرابي ورمحي ونعلي عند رأسي ، فاستقبلتُ بوجهي الأفقَ فكلما نمتُ انتبهتُ ، فإذا رأيتُ عليَّ ليلاً نمتُ حتى انشقَّ عمودُ الصبح الأوّل ، فأردتُ أن أنطلقَ فإذا إنسان يدعو : يا بلال ، أجبْ رسولَ الله ﷺ ، فانطلقتُ حتى أتيتهُ، فإذا أربعُ ركائبَ عليهن أحمالُهُنَّ ، فأتيتُ رسولَ الله فاستأذنتُ ، فقال لي رسول الله : « أبشر فقد جاءَك الله بقضاءِ دَيْنِكَ » ، فحمدتُ الله . وقال : « ألم تمرَّ على الركائب المُناخَات الأربع ؟ » قال : قلت : بلى ، قال : « فإن لك رقابهن وما عليهن » . فإذا عليهن كسوة وطعام أهداهُنَّ له عظيم فَدَكَ ، فاقبضهنَّ إليك ثم اقضِ دينَك ، قال : ففعلتُ فحططتُ عنهن أحمالَهن ثم علقتهن[٥] ، ثم عمدتُ إلى تأذين صلاة الصبح ، حتى إذا صلّى رسولُ الله ﷺ خرجتُ إلى البقيع ، فجعلتُ أصبعي في أذني فقلت : من كان يطلبُ من رسول الله ﷺ دَيْناً فليحضر ، فما زلت أبيعُ وأقضي وأعرض ، حتى لم يبقَ على رسول الله ﷺ دَين في الأرض ، حتى فضلَ عندي أُوقيّتَان أو أوقية ونصف ، ثم انطلقتُ إلى المسجد وقد

---

(١) إضافة من البيهقي وأبي داود لا يستقيم الإسناد من غيرها .

(٢) في المطبوع : « الهوريني » وهو تحريف قبيح .

(٣) في المطبوع : « عائلاً » محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في أبي داود والبيهقي .

(٤) في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٤٩) : وإنما أعطيتك لتجبَ لي عبداً فأردَّك .

(٥) في الدلائل (١/ ٣٥٠) فعَقَلْتُهُنَّ : أي : قيدتهن بالعِقَال .

ذهبَ عامَّةُ النهار ، فإذا رسولُ الله ﷺ قاعدٌ في المسجد وحده ، فسلَّمتُ عليه ، فقال لي : « ما فعلَ ما قِبَلَكَ ؟ » قلتُ : قد قضى الله كلَّ شيءٍ كان على رسول الله ﷺ فلم يبقَ شيءٌ ، قال : « فضلَ شيء ؟ » قلتُ : نعم ، ديناران ، قال : « انظر أن تريحني منهما فلستُ بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما » فلم يأتنا أحدٌ ، فباتَ في المسجد حتى أصبحَ ، وظلَّ في المسجد اليوم الثاني ، حتى إذا كان في آخر النهار جاءَ راكبان فانطلقتُ بهما فكسوتُهما وأطعمتُهما ، حتى إذا صلَّى العَتَمَة دعاني فقال : « ما فعل ذلك قِبَلَك ؟ » قلت : قد أراحَك الله منه ، فكبَّر وحَمِدَ الله شَفَقاً من أن يدركَه الموتُ وعنده ذلك . ثم اتبعتُه حتى جاء أزواجَه فسلَّم على امرأة امرأة ، حتى أتى مبيتَه ، فهذا الذي سألتني عنه .

وقال الترمذي في « الشمائل »[١] : حدَّثنا هارون بن موسى بن أبي علقمةَ المدِيني ، حدَّثني أبي ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب ؛ أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يُعطيَه ، فقال : « ما عندي ما أعطيك ، ولكن ابتع عليّ شيئاً فإذا جاءني شيءٌ قضيتُه » . فقال عمر : يا رسولَ الله قد أعطيتَه ، فما كلَّفَكَ الله ما لا تقدر عليه ، فكرهَ النبيُّ ﷺ قولَ عمر ، فقال رجلٌ من الأنصار : يا رسول الله ! أنفقْ ولا تخفْ من ذِي العرش إقلالاً . فتبسّم رسولُ الله ﷺ ، وعُرِف التبسُّمُ[٢] في وجهه لقول الأنصاري ، وقال : « بهذا أمرت » .

وفي الحديث : « ألا إنهم ليسألوني ويأبى الله عليَّ البخل »[٣] .

وقال يوم حنين حين سألوه قسم الغنائم : « والله لو أن عندي عدد هذه العضاه نعماً لقسمتها فيكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ، ولا جباناً ، ولا كذَّاباً » ﷺ .

وقال الترمذي[٤] : حدَّثنا علي بن حُجْر ، حدَّثنا شَريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الرُّبَيِّع بنتِ معوِّذِ بن عَفراء ، قالت : أتيتُ رسولَ الله بقِنَاع[٥] من رُطب ، وأَجْرٍ زُغب[٦] ، فأعطاني ملءَ كفِّه حُليًّا أو ذَهَباً .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا سفيان ، عن مطرف ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال :

---

(١) الشمائل (٣٥٥) باب ماجاء في خلق رسول الله ﷺ ، وهو ضعيف بسبب جهالة والد هارون .

(٢) في الشمائل : وعُرفَ في وجهه البِشرُ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : ويأبى الله لي البخل، وهو حديث صحيح .

(٤) في الشمائل ، رقم (٣٥٦) ، وإسناده ضعيف .

(٥) بقناع : أي طبق .

(٦) و« أجر زغب » : أجر : بفتح الهمزة وسكون الجيم ؛ أي قثاء صغار ، والزغب : جمع أزغب ، وهو صغار الريش أول طلوعه ، شبه ما يكون على القثاء الصغيرة مما يشبه أطراف الريش أول طلوعه .

(٧) في المسند (٣/ ٧) .

« كيف أنعم وقد التقمَ صاحبُ القرن القرنَ ، وحنى جبهتَه وأصغى سمعه ينتظر متى يُؤمر » قال المسلمون : يا رسول الله فما نقول ؟ قال : « قولوا : حَسبُنَا الله وَنِعمَ الوكيلُ ، على الله تَوَكّلنا » .

ورواه الترمذي ، عن ابن أبي عمر(١) ، عن سفيان بن عيينة ، عن مطرِّف ، ومن حديث خالد بن طهمان(٢) ، كلاهما عن عطية وأبي سعيد العَوفي البَجَلي ، وأبي الحسن الكوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، وقال الترمذي : حسن .

قلت : وقد رُوي من وجه آخر عنه ، ومن حديث ابن عباس كما سيأتي في موضعه .

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام : قال أبو عبد الله بن ماجه(٣) : حدَّثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدَّثنا عمرو بن محمد ، حدَّثنا أسباطُ بن نَصر ، عن السُّدي ، عن أبي سَعدٍ الأزدِيّ ـ وكان قارىء الأزد ـ عن أبي الكَنُود ، عن خَبَّابٍ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٢] قال : جاء الأقرعُ بن حابسٍ التميميُّ ، وعُيينة بن حِصن الفزاري ، فوجدوا رسولَ الله ﷺ مع صُهيب وبلال وعمار وخبَّاب ، قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهُم حولَ رسول الله ﷺ حَقَرُوهم ، فأتوه فخلَوا به ، فقالوا : نريدُ أن تجعلَ لنا منك مجلساً تعرفُ لنا به العربُ فضلَنا ، فإن وفودَ العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العربُ مع هذه الأعبُد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنكَ ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئتَ . قال : « نعم » قالوا : فاكتب لنا عليك كتاباً ، قال : فدعا بصحيفةٍ ودعا عليّاً ليكتب ونحن قعودٌ في ناحية ، فنزل جبريل عليه السلام فقال : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٢] ثم ذكر الأقرعَ بن حابس وعُيينةَ بن حصن فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٣] ثم قال : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] قال : فدنونا منه حتى وضعنا ركبَنا على ركبته ، فكان رسولُ الله ﷺ يجلسُ معنا ، فإذا أرادَ أن يقومَ قامَ وتركنا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف : ٢٨] ولا تجالس الأشـراف ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ يعني عيينةَ والأقرع ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ قال : هلاكاً ، قال : أمرُ عيينة والأقرع . ثم

(١) في الجامع (٣٢٤٣) في التفسير .
(٢) في الجامع (٢٤٣١) في الزهد .
(٣) في سننه (٤١٢٧) في الزهد . وإسناده ضعيف لضعف أبي سعيد الأزدي فهو مقبول عند المتابعة ضعيف عند التفرد ، وقد تفرد . وهو بعد ذلك حديث غريب في تفسير الآية ، فإن الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة ، والصحيح مابعده .

ضربَ لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا . قال خَبَّاب : فكنا نقعد مع رسول الله ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقومُ قمنا وتركناه حتى يقوم .

ثم قال ابن ماجه[١] : حدَّثنا يحيى بن حكيم ، حدَّثنا أبو داود ، حدَّثنا قيسُ بن الربيع ، عن المِقدام بن شُرَيح ، عن أبيه ، عن سعد ، قال : نزلت هذه الآية فينا ، ستةٍ ، فيّ ، وفي ابن مسعود ، وصهيب ، وعمّار ، والمقداد ، وبلال . قال : قالت قريش : يا رسول الله ، إنا لانرضى أن نكون أتباعاً لهم ، فاطردهم عنك ، قال : فدخل قلبَ رسول الله ﷺ من ذلك ما شاءَ الله أن يدخلَ ، فأنزلَ الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ الآية [الأنعام : ٥٢] .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني ، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي ، حدَّثنا أبو الحسن خلف بن محمد الواسطي ، كردوس ، حدَّثنا يزيد بن هارون ، حدَّثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعي ، حدَّثنا المعلّى ـ يعني ابن زياد ـ عن العلاء بن بشير المزني ، عن أبي الصدِّيق النَّاجي ، عن أبي سعيد الخدريّ قال : كنتُ في عصابةٍ من المهاجرين جالساً معهم وإن بعضَهم ليستترُ ببعضٍ من العُري ، وقارىءٌ لنا يقرأُ علينا ، فكنا نسمعُ إلى كتاب الله ، فقال رسول الله : « الحمدُ لله الذي جعلَ من أمتي من أُمِرتُ أن أصبرَ معهم نفسي » قال : فاستدارتِ الحلقةُ وبرزت وجوهُهم ، قال : فما عرفَ رسولُ الله أحداً منهم غيري ، فقال رسول الله : « أبشروا معاشرَ صعاليك المهاجرين بالنور يوم القيامة ، تدخلون قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمسمئة عام »[٢] .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي ، من حديث حمّاد بن سلمة ، عن حميد ، عن أنس ، قال : لم يكن شخصٌ أحبّ إليهم من رسول الله ﷺ ، قال : وكانوا إذا رأوه لم يقومُوا ؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك[٣] .

فَصــل

عبادته عليه الصلاة والسلام واجتهاده في ذلك

قالت عائشة : كان رسولُ الله ﷺ يصومُ حتى نقولَ لا يُفطر ، ويُفطر حتى نقولَ لا يَصوم[٤] ،

---

(١) في سننه رقم (٤١٢٨) في الزهد . وهو عند مسلم في صحيحه رقم (٢٤١٣) في فضائل الصحابة .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٥١ ـ ٣٥٢) وفي إسناده العلاء بن بشير المزني مجهول .

(٣) رواه الترمذي في الجامع رقم (٢٧٥٤) في الأدب ، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٢) ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وعزو المصنف الحديث لأبي داود لا يصح ، فإن أبا داود لم يخرج هذا الحديث في سننه .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٩٦٩) في الصوم ، ومسلم في صحيحه رقم (١١٥٦) في الصيام .

وكان لا تشاء تراهُ من الليل قائماً إلا رأيتَه ، ولا تشاءُ تراه نائماً إلا رأيتَه(١) .

قالت : ومازاد رسول الله ﷺ في رمضان وفي غيره على إحدى عشرة ركعة ، يُصلّي أربعاً ، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يُصلّي أربعاً ، فلا تسأل عن حسنهن وطُولهن ، ثم يوتر بثلاث(٢) .

(وقالت حفصة)(٣) : كان رسول الله ﷺ يقرأ السورةَ فيرتلها حتى تكونَ أطول من أطول منها ، قالت : ولقد كان يقوم حتى أرثي له من شدة قيامه .

وذكر ابن مسعود أنه صلّى معه ليلةً فقرأ في الركعة الأولى البقرة والنساء وآل عمران ، ثم ركع قريباً من ذلك ، ورفع نحوه ، وسجد نحوه(٤) .

وعن أبي ذر : أن رسول الله ﷺ قام ليلة حتى أصبح يقرأ هذه الآية : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] رواه أحمد(٥) .

وكل هذا في الصحيحين وغيرهما من الصحاح ، وموضع بسط هذه الأشياء في « كتاب الأحكام الكبير »(٦) .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن زياد بن عِلاقة ، عن المغيرة بن شعبة : أن رسول الله ﷺ قام حتى تفطرت قدماه ، فقيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً »(٧) .

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٨٥) ومسلم في صحيحه رقم (٧٣٣) في صلاة المسافرين ، ومالك في الموطأ (١/ ١٣٧) في صلاة الجماعة ، والترمذي في الجامع رقم (٣٧٣) في الصلاة ، والنسائي في سننه (٢/ ٢٢٣) في قيام الليل .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١١٤٧) في التهجد ، ومسلم في صحيحه رقم (٧٣٨) في صلاة المسافرين .

(٣) في المطبوع : « قالت » ولا يصح ، فإن هذا الحديث هو حديث أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ، كما سيأتي في تخريجه .

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٧٧٢) في صلاة المسافرين عن حذيفة رضي الله عنه ، وأبو داود في « سننه » رقم (٨٧١) و(٨٧٤) في الصلاة ، والنسائي في سننه (٢/ ١٧٦ و١٧٧) في الافتتاح ، (٣/ ٢٢٥ و٢٢٦) في قيام الليل .
أما عبد الله بن مسعود فقال : صلّيت مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء . . إلخ وهو في البخاري ومسلم .

(٥) مسند أحمد (٥/ ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٧٧) . وهو عند النسائي (٢/ ١٧٧) وابن ماجه (١٣٥٠) ، وينظر المسند الجامع للدكتور بشار ورفاقه (١٦/ ١١٥) حديث (١٢٢٧٣) ، وهو حديث حسن .

(٦) كتاب الأحكام الكبير : أحال إليه ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في مواضع كثيرة من « البداية والنهاية » ، كما أحال إليه في مختصر علوم الحديث ، ص(١٠٨) من الباعث الحثيث . قال الداودي في طبقات المفسرين (١/ ١١١) : وشرع في أحكام كثيرة حافلة ، كتب فيها مجلدات إلى الحج . وقال السيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ (ص٣٦١) : وشرع في كتاب كبير في الأحكام ولم يتمه .

(٧) رواه البخاري في صحيحه رقم (١١٣٠) في التهجد ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨١٩) في صفات المنافقين ، والترمذي في الجامع رقم (٤١٢) في الصلاة ، والنسائي في سننه (٣/ ٢١٩) في قيام الليل .

وتقدم في حديث سلام بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال : « حبب إليَّ الطيب والنساء ، وجُعِلت قُرّة عيني في الصلاة »(١) . رواه أحمد والنسائي .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا عفان ، حدَّثنا حماد بن سَلَمة ، أخبرني علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ؛ أن جبريلَ قال لرسول الله ﷺ : « قد حُبِّبَ إليك الصلاة ، فخذ منها ما شئت »(٢) .

وثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حر شديد ، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة(٣) .

وفي الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن علقمة قال : سألت عائشة هل كان رسول الله ﷺ يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله ديمة . وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع(٤) ؟

وثبت في الصحيحين من حديث أنس وعبد الله بن عمر وأبي هريرة وعائشة أن رسول الله ﷺ كان يواصل ونهى أصحابه عن الوصال وقال : « إني لست كأحدكم ، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني »(٥) .

والصحيح أن هذا الإطعام والسقيا معنويان كما ورد في الحديث الذي رواه ابن ماجه(٦) ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « لاتُكرهوا مَرضاكم على الطعام والشراب ، فإنَّ الله يُطعمهم ويسقيهم »(٧) .

وما أحسن ما قال بعضهم :

لهَا أحادِيثُ مِن ذِكراكَ تَشْغَلُها ... عَنِ الشَّرابِ وتُلْهِيهَا عنِ الزَّادِ

---

(١) تقدم الحديث .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٤٥) رقم (٢٢٠٥) ولفظه « إنه قد حُبِّبَ إليَّ الصلاة . . . » . وإسناده ضعيف .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٩٤٥) ، ومسلم في صحيحه رقم (١١٢٢) في الصوم ، وأبو داود في سننه رقم (٢٤٠٩) في الصوم .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٩٨٧) في الصوم ، ومسلم في صحيحه رقم (٧٨٣) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٩٦١) و(١٩٦٣) و(١٩٦٤) في الصوم ، ومسلم في صحيحه رقم (١١٠٢) و(١١٠٤) و(١١٠٥) في الصوم .

(٦) في المطبوع : عن ابن عاصم عن . . والتصحيح من (أ) ، وهو في سننه (٣٤٤٤) .

(٧) إسناده ضعيف ، لضعف بكر بن يونس بن بكير ، وقال ابن أبي حاتم في العلل بعد أن ساق هذا الحديث : قال أبي : هذا حديث باطل ، وبكر هذا منكر الحديث » (العلل ٢/ ٢٤٢) . وقد حسنه الترمذي واستغربه مما يدل على أنه معلول عنده (جامع الترمذي ٢٠٤٠) (بشار) .

وقال النضر بن شميل ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مئة مرة »(١) .

وروى البخاري : عن الفريابي ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عَبيدة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرأ علي » فقلت ، أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » قال : فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] قال : حسبك ، فالتفت فإذا عيناه تذرفان(٢) .

وثبت في الصحيح : أنه عليه السلام كان يجد التمرة على فراشه فيقول : « لولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها »(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا أسامة بن زيد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله ﷺ وجد تحت جنبه تمرة من الليل ، فأكلها فلم ينم تلك الليلة ، فقال بعض نسائه : يا رسول الله أرقت الليلة ، قال : « إني وجدت تحت جنبي تمرة فأكلتها ، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة ، فخشيت أن تكون منه »(٤) . تفرد به أحمد . وأسامة بن زيد هو اللَّيثي ، من رجال مسلم .

والذي نعتقد أن هذه التمرة لم تكن من تمر الصدقة لعصمته عليه السلام ، ولكن من كمال ورعه عليه السلام أرق تلك الليلة .

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : « [والله إني] لأتقاكم لله وأعلمكم بما أتقي »(٥) . وفي الحديث الآخر أنه قال : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »(٦) .

وقال حماد بن سَلَمة ، عن ثابت ، عن مطرف بن عبد الله بن الشخِّير ، عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلّي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل ، وفي رواية : وفي صدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء(٧) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٠٧) في الدعوات ، والترمذي في الجامع رقم (٣٢٥٩) في تفسير القرآن .

(٢) رواه البخاري رقم (٥٠٥٠) في فضائل القرآن ، ومسلم في صحيحه رقم (٨٠٠) في صلاة المسافرين .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٠٥٥) في البيوع ، ومسلم في صحيحه رقم (١٠٧١) في الزكاة .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٩٣) رقم (٦٨٢٠) وإسناده حسن .

(٥) رواه مسلم في صحيحه رقم (١١٠٨) في الصوم ، ولفظه : « أما والله إني لأتقاكم لله ، وأخشاكم له » . وفي الموطأ (١/ ٢٩١ و٢٩٢) بلفظ : « والله إني لأتقاكم لله ، وأعلمُكم بحدوده » .

(٦) رواه الترمذي في الجامع رقم (٢٥١٨) في صفة القيامة ، والنسائي في سننه (٨/ ٣٢٧) في الأشربة ، من حديث الحسن من علي رضي الله عنهما وإسناده صحيح ، كما رواه أيضاً الإمام أحمد (١/ ٢٠٠) وغيره .

(٧) رواه أبو داود في سننه رقم (٩٠٤) في الصلاة ، والنسائي في سننه (٣/ ١٣) في السهو ، ورواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٣٥ و٢٦) وهو حديث صحيح .

وروى البيهقي من طريق أبي كُرَيب محمد بن العلاء الهمداني ، حدَّثنا معاوية بن هشام ، عن شَيبان ، عن أبي إسحاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسولَ الله ! أراك شِبتَ ، فقال : « شيّبتني هودٌ ، والواقعة ، والمرسلات ، وعمَّ يَتساءلون ، وإذا الشَّمسُ كُوِّرت »[١] .

وفي رواية له عن أبي كُريب ، عن معاويةَ بن هشام ، عن شَيبان ، عن فِراس ، عن عطيّة ، عن أبي سعيد قال : قال عمرُ بن الخطّاب : يا رسولَ الله ! أسرعَ إليك الشَّيبُ ، فقال : « شيّبتني هودٌ وأخواتُها : الواقعةُ ، وعمَّ يَتساءلون ، وإذا الشَّمسُ كُوِّرت »[٢] .

فصـــل
في شجاعته عليه الصلاة والسلام

ذكرنا في « التفسير »[٣] عن بعض من السلف ؛ أنه استنبط من قوله تعالى : ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ [النساء : ٨٤] أن رسول الله ﷺ كان مأموراً ألا يفر من المشركين إذا واجهوه ولو كان وحده من قوله : ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ ﴾ .

وقد كان ﷺ من أشجع الناس وأصبرِ الناس وأجلدهم ، ما فرَّ قطُّ من مصافّ ولو تولى عنه أصحابه .

قال بعضُ أصحابه : كنا إذا اشتدَّ الحربُ وحمي البأسُ ، نَتَّقِي برسول الله ﷺ[٤] ؟ ففي يوم بدر رمى ألف مشرك بقبضة من حصى ، فنالتهم أجمعين حين قال : « شاهت الوجوه » . وكذلك يوم حنين كما تقدم ، وفرّ أكثر أصحابه في ثاني الحال يوم أحد ، وهو ثابت في مقامه لم يبرح منه ولم يبق معه إلا اثنا عشر ، قتل منهم سبعة وبقي الخمسة .

وفي هذا الوقت قَتَلَ أبيَّ بن خلف لعنه الله ، فعجله الله إلى النار .

ويوم حنين ولّى الناسُ كلُّهم وكانوا يومئذ اثنا عشر ألفاً ، وثبت هو في نحو من مئة من الصحابة ، وهو راكبٌ يومئذ بغلته وهو يَركُضُ بها إلى نحو العدو ، وهو ينوّه باسمه ، ويعلن بذلك قائلاً : « أنا النبيُّ

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) ورواه الترمذي في الجامع رقم (٣٢٩٧) في تفسير القرآن ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٣) وصححه . ولكن قال الإمام الترمذي : « هذا حديث حسن غريب لانعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه . . . وقد روي عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة شيء من هذا مرسلاً » . قال بشار : وهذا يعني أن الحديث عنده معلول بالإرسال ، وقد استقصاه الإمام الدارقطني في العلل (ص ١٧) فأجاد ، والصواب أنه مرسل وغلَّط من ذكر فيه ابن عباس (العلل لابن أبي حاتم ٢/ ١١٠) .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٥٨) وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي .

(٣) تفسير القرآن العظيم ؛ للحافظ ابن كثير (١/ ٤١٧) .

(٤) غريب الحديث للهروي (٣/ ٤٧٩) .

لا كذب أنا ابن عبد المطلب »(١) . حتى جعلَ العباسُ وعلي وأبو سفيان يتعلقون في تلك البغلة ليبطِّئوا سَيرَها خوفاً عليه من أن يصلَ أحدٌ من الأعداء إليه . ومازال كذلك حتى نصره الله وأيَّدَه في مقامه ذلك ، وما تراجع الناسُ إلا والأشلاءُ مُجَنْدَلَةٌ بين يديه ، صلواتُ الله وسلامه عليه .

وقال أبو زرعة : حدَّثنا العباس بن الوليد بن صبح الدمشقي ، حدَّثنا مروان ـ يعني ابن محمد ـ حدَّثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « فُضِّلْتُ على النَّاسِ بشدّة البطش »(٢) .

فصـــل

فيما يذكر من صفاته عليه الصلاة والسلام في الكتب المأثورة(٣) عن الأنبياء الأقدمين

قد أسلفنا طرفاً صالحاً من ذلك في البشارات(٤) قبل مولده ، ونحن نذكر هنا غُررًا من ذلك .

فقد روى البخاريُّ ، والبيهقيُّ واللفظ له ، من حديث فُلَيح بن سليمان ، عن هِلال بن عليّ ، عن عَطَاءِ بن يَسار ، قال : لقيتُ عبدَ الله بن عمرو ، فقلت : أخبرني عن صفةِ رسول الله ﷺ في التوراة ، فقال : أجل ، والله إنّه لموصوفٌ في التوراة بِبَعض صفتِه في الفرقان : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الفتح : ٨] وحِرزاً لِلأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سَمَّيتُك المتوكل ، ليس بفظٍّ(٥) ولا غليظٍ ولا سخَّاب(٦) بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء أن يقولوا : ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وأفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً(٧) .

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٣١٦) في المغازي ، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٧٧٠) في السير .

(٢) هذه قطعة من الحديث المنسوب إلى أنس رضي الله عنه ونصه : « فُضِّلت على الناس بأربع : بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش » . وهو حديث باطل كما قال الإمام الذهبي في ترجمة أبي علي الحسين بن علي النخعي من الميزان (١/ ٥٤٣) . أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٨١٢) ، والإسماعيلي في معجمه (٢٥١) ، والخطيب في تاريخ مدينة السلام (٨/ ٦٢٠) طبعة الدكتور بشار ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٦٨) ، وينظر لسان الميزان لابن حجر (٢/ ٣٠٣) وتعليق الدكتور بشار على تاريخ الخطيب .

(٣) في (أ) سقطت كلمة : المأثورة .

(٤) تقدم ذلك في مطلع السيرة النبوية .

(٥) « بفظ » : الفظ : هو الغليظ الجانب ، الخشن الكلام .

(٦) « ولا سخَّاب » : السَّخَّاب : الذي يُكثر المشي والتجول في الأسواق .

(٧) ما بين القوسين سقط من المطبوع وأثبته من دلائل النبوة . وقول عطاء ليس في البخاري . وقد روى البخاري حديث عبد الله بن عمرو في صحيحه رقم (٢١٢٥) في البيوع .

قال عطاء بن يسار : ثم لقيت كعباً الحَبرَ فسألته ، فما اختلفا في حرفٍ ، إلا أن كعباً قال : أعيناً (عمومى ، وآذاناً صُمُومى ، وقُلوباً غُلوفى)[١] .

ورواه البخاري[٢] أيضاً ، عن عبد الله ـ غير منسوب ـ قيل : هو ابن رجاء ، وقيل : عبد الله بن صالح ، وهو الأرجح ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن هلال بن علي به . قال البخاري[٣] : وقال سعيد : عن هلال ، عن عطاء ، عن عبد الله بن سلام . كذا علَّقه البخاري .

وقد روى البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان : حدَّثنا أبو صالح ـ هو عبد الله بن صالح كاتب الليث ـ حدَّثني خالدُ بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أسامة ، عن عَطاء بن يَسار ، عن ابن سَلام ، أنه كان يقول : إنا لنجد صفةَ رسول الله ﷺ ، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً (ونذيراً ، وحِرزاً للأميين)[٤] ، أنت عبدي ورسولي سمَّيته المتوكل ، ليس بفظٍّ ، ولا غليظ ، ولا سخَّاب في الأسواق ، ولايَجزي بالسيئة مِثلَها ، ولكن يعفو ويتجاوز . ولن أقبضَه حتى يُقيمَ المِلَّةَ العَوجاء : بأن يُشهد ﴿ أن لا إله إلا الله ﴾ يفتحُ به أعيُناً عُمياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقُلوباً غُلفاً[٥] .

قال عطاء بن يسار : وأخبرني اللَّيثِيُّ أنه سمع كعبَ الأحبار يقولُ مثلَ ما قال ابنُ سلام .

وقد رُوي عن عبد الله بن سلام من وجه آخر ، فقال الترمذي : حدَّثنا زيد بن أخزم الطائي البصري ، حدَّثنا أبو قُتيبة ـ سَلم بن قُتيبة ـ ، حدَّثني أبو مَودود المدني ، حدَّثنا عثمان بن الضحَّاك ، عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سَلام ، عن أبيه ، عن جده ، قال : مكتوب في التوراة صفة محمد ، وعيسى ابن مريم يُدفن معه . فقال أبو مَودُود : قد بقي في البيت[٦] موضع قبر[٧] . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن . هكذا قال : عثمان بن الضحَّاك ، والمعروف : الضحَّاك بن عثمان المدني .

وهكذا حكى شيخُنا الحافظ المِزّي في كتابه « الأطراف »[٨] عن ابن عساكر ؛ أنه قال مثل قول

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٧٤) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٣٨) في التفسير . وذكر الحافظ ابن حجر : أن رواية أبي ذر ، وأبي علي بن السكن ؛ للبخاري : عن عبد الله بن مسلمة القعنبي . ووقع عند غيرهما : عبد الله غير منسوب ، فتردد فيه أبو مسعود بين أن يكون عبد الله بن رجاء ، وعبد الله بن صالح كاتب الليث . فتح الباري (٨/ ٥٨٥) .

(٣) في صحيحه عقيب حديث (٢١٢٥) في البيوع .

(٤) ما بين القوسين سقط من المطبوع ، وأثبته من (أ) ودلائل النبوة للبيهقي .

(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٧٦) وهو حديث حسن ، فإن كاتب الليث صدوق في حفظه شيء .

(٦) « في البيت » : أي في حجرة عائشة رضي الله عنها .

(٧) رواه الترمذي في الجامع رقم (٣٦١٧) في المناقب ، وإسناده ضعيف . لذلك قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٨) تحفة الأشراف للإمام أبي الحجاج المزي (٤/ ٢٤٩) حديث (٥٣٣٦) .

الترمذي . ثم قال : وهو شيخٌ آخر أقدم من الضحاك بن عثمان ، ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه فيمن اسمه عثمان .

فقد رُوِي هذا عن عبد الله بن سلام ، وهو من أئمة أهل الكتاب ممن آمن . وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد كان له اطلاع على ذلك من جهة زاملتين[1] كان أصابهما يوم اليرموك ، فكان يحدِّث منهما عن أهل الكتاب . وعن كعب الأحبار ، وكان بصيراً بأقوال المتقدمين على ما فيها من خلط وغلط وتحريف وتبديل ، فكان يقولُها بما فيها من غير نقد ، وربما أحسن بعضُ السلف بها الظن فنقلها عنه مُسلَّمة ، وفي ذلك من المخالفة لبعض ما بأيدينا من الحق جملةٌ كثيرة ، لا يَتفطَّنُ لها كثيرٌ من الناس . ثم لِيُعلم أن كثيراً من السلف يُطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب (سواء كانت هذا)[2] المتلوَّ عندَهم ، أو أعمَّ من ذلك ، كما أن لفظ القرآن يُطلق على كتابنا خصوصاً (وقد يُستعمل)[3] ويُراد به غيره ، كما في الصحيح : « خُفِّف على داود القرآن ، فكان يأمر بدوابه فتُسرج ، فيقرأ القرآن مقدار ما يفرغ منها »[4] . وقد بُسط هذا في غير هذا الموضع ، والله أعلم .

وقال البيهقي : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يُونسَ بن بُكير ، عن ابن إسحاق ، حدّثني محمد بن ثابت بن شُرحبيل ، عن أم الدرداء ، قالت : قلت لكعبِ الحَبر : كيف تجدون صفةَ رسول الله ﷺ في التوراة ؟ قال : نجدُه : محمدٌ رسولُ الله ، اسمُه المتوكِّل ، ليس بفظّ ولا غليظٍ ، ولا سخَّابٍ بالأسواق ، وأُعطي المفاتيح ليُبَصِّرَ الله به أعيناً عمياً ، ويُسمعَ به آذاناً وُقراً[5] ، ويُقيم به ألسُناً مُعوجَّة حتى يُشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يُعين المظلوم ويمنعه[6] .

وبه عن يُونسَ بن بُكير ، عن يُونس بن عمروٍ ، عن العَيزَار بن حُرَيثٍ ، عن عائشة : أن رسولَ الله ﷺ مكتوبٌ في الإنجيل : لافظٌ ، ولا غليظٌ ، ولا سخَّابٌ في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة مثلَها ، بل يعفو ويصفح[7] .

وقال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثنا فيضٌ البَجَليّ : حدَّثنا سَلَّامُ بن مِسكين عن مُقاتِل بن حيَّان قال :

---

(١) « زاملتين » : الزاملة : التي يُحمل عليها من الإبل وغيرها ، وكان عليهما بعض كتب أهل الكتاب ، فكان عبد الله بن عمرو يحدث منها .
(٢) ما بين القوسين سقط من المطبوع ، وأثبته من (أ) .
(٣) ما بين القوسين سقط من المطبوع ، وأثبته من (أ) .
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣١٤) والبخاري في صحيحه رقم (٣٤١٧) في الأنبياء .
(٥) « وُقراً » : الوَقر : الصمم .
(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) . وإسناده ضعيف ويشهد له حديث عبد الله بن عمرو في البخاري .
(٧) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٧٧ ـ ٣٣٨) وهو حديث حسن .

أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم . جِدَّ في أمري ولا تهزل ، واسمع وأطع يا بن الطاهر البَتُول ، إني خلقتُك من غير فحل ، وجعلتُك آيةً للعالمين ، فإيايَ فاعبد ، وعليَّ فتوكل ، بيِّن[١] لأهل سُوران[٢] : أني أنا الحقُّ القائم الذي لا أزول ، صَدِّقوا بالنبيّ العربيّ ، صاحب الجمل والمِدرعَة والعَمامة (وهي التَّاجُ)[٣] ، والنعلين والهِرَاوة ، الجَعد الرأس ، الصَّلت[٤] الجبين ، المقرون الحاجبين ، الأدعج[٥] العينين ، الأقنى الأنف ، الواضح الخدين ، الكثّ اللحية ، عَرَقُه في وجهه كاللؤلؤ ، ريحُ المسكِ ينفحُ منه ، كأن عنقَه إبريقُ فضة ، وكأن الذهَب يجري في تراقيه ، له شعراتٌ من لَبّته إلى سُرّته تجري كالقضيب ، ليس على صدره ولا بطنه شعرٌ غيرُه ، شَثْنُ الكفين والقدم ، إذا جاء مع الناس غمرَهم ، وإذا مشى كأنما يَتقلَّع من الصخر ، وينحدرُ في صَبَب ، ذو النسل[٦] القليل[٧] .

وروى الحافظ البيهقي بسنده ، عن وهب بن منبه اليماني ، قال : إن الله عز وجل لما قرّبَ موسى نجيًّا قال : ربِّ إني أجدُ في التوراة أمةً خيرَ أمّةٍ أُخرِجت للناس ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمَّة أحمد ، قال : ربِّ إني أجد في التوراة أمة هم الآخرون من الأمم ، السابقون يوم القيامة ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمّةُ أحمد .

قال : يا ربِّ إني أجدُ في التوراة أمةً أناجيلُهم في صدورهم يقرؤُونها ، وكان مَن قبلهم يقرؤون كتبَهم نَظَراً ولا يحفظُونها ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : ربِّ إني أجدُ في التوراة أمة يُؤمنون بالكتاب الأول والآخر ويُقاتلون رؤوسَ الضلالة حتى يُقاتلوا الأعورَ الكذاب ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمّةُ أحمد .

قال : ربِّ إني أجد في التوراة أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم وكان من قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها ناراً فأكلتها فإن لم تقبل لا تقربها النار ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد .

قال : ربِّ إني أجدُ في التوراة أمةً إذا همّ أحدُهم بسيئة لم تُكتب عليه ، فإن عملَها كُتبت عليه سيئة واحدة ، وإذا همّ أحدُهم بحسنة ولم يعملها كُتبت له حسنة ، فإن عملها كُتبت له عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد .

---

(١) في دلائل النبوة : فَسِّر . وفي المطبوع : فَبَيِّن . وهو تصحيف ظاهر .
(٢) في دلائل النبوة (١/ ٣٧٨) : فسِّر لأهل سوران بالسُّريانيّة ، بلِّغ من بَين يَديك : أني أنا الله الحيُّ القيُّوم .
(٣) ما بين القوسين سقط من المطبوع ، وأثبته من (أ) .
(٤) « الصلت الجبين » : أي واسع الجبين . وقيل : الصلت : الأملس . النهاية (٣/ ٤٥) .
(٥) « الأدعج » : يريد أن سواد عينيه كان شديد السواد . النهاية (٢/ ١١٩) .
(٦) « ذو النسل القليل » . وفي دلائل النبوة تتمة . وكأنه أراد الذكورَ من صُلبه .
(٧) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٧٨) وتهذيب تاريخ ابن عساكر (١/ ٣٤٤) وهو خبر مقطوع عن مقاتل بن حيان ، وهو ظاهر الصنعة والوضع .

قال : ربِّ إني أجد في التوراة أمةً هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد[١] .

قال : وذكر وهبُ بن منبّه في قصة داودَ عليه السلام ، وما أوحى الله إليه في الزبور : يا داود ! إنه سيأتي من بعدك نبيٌّ اسمُه أحمد ومحمد ، صادقاً سيداً ، لا أغضبُ عليه أبداً ، ولا يُغضبُني أبداً ، وقد غفرتُ له قبلَ أن يعصيَني ما تقدَّمَ من ذنب وماتأخر ، وأمتُه مرحومةٌ ، أُعطيهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وافترضتُ عليهم الفرائضَ التي افترضتُ على الأنبياء والرسل ، حتى يأتُوني يومَ القيامة ونورُهم مثلُ نور الأنبياء ، وذلك أني افترضتُ عليهم أن يتطهروا لي لكلّ صلاة ، كما افترضتُ على الأنبياء قبلَهم ، وأمرتُهم بالغسل من الجَنابة كما أمرتُ الأنبياءَ قبلَهم ، وأمرتُهم بالحجّ كما أمرتُ الأنبياء قبلَهم ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم . يا داودُ إني فضّلتُ محمداً وأمته على الأمم كلِّها ، وأعطيتُهم ستَّ خِصال لم أعطها غيرَهم من الأمم : لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان ، وكلُّ ذنبٍ رَكبوه على غير عَمد إن استغفروني منه غفرتُه لهم ، وما قدَّموا لآخرتهم من شيء طيبةً به أنفسهم عجَّلتُه لهم أضعافاً مضاعفة ، ولهم في المدخور عندي أضعافٌ مضاعفة ، وأفضل من ذلك ، وأعطيتُهم على المصائب في البلايا إذا صبروا وقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، الصَّلاةَ والرحمةَ والهُدى إلى جنّات النعيم ، فإن دعوني استجبتُ لهم ، فإما أن يَروه عاجلاً ، وإما أن أصرفَ عنهم سوءاً ، وإما أن أدّخِرَه لهم في الآخرة . يا داود من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لاشريكَ له صادقاً بها ، فهو معي في جنتي وكرامتي ، ومَن لقيني وقد كذَّبَ محمداً أو كذَّبَ بما جاء به ، واستهزأ بكتابي صببتُ عليه في قبره العذابَ صبّاً ، وضربتِ الملائكةُ وجهَه ودُبرَه عند مَنشَرِه من قبره ، ثم أدخلُه في الدَّركِ الأسفلِ من النّار[٢] .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا الشريف أبو الفتح العمري ، حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي شريح الهروي ، حدَّثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدَّثنا عبد الله بن شبيب أبو سعيد الربعي ، حدَّثني محمد بن عمر بن سعيد ـ يعني ابن محمد بن جبير بن مطعم ـ قال : حدَّثتني أم عثمان بنت سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيها ، عن أبيه قال : سمعت أبي جُبير بن مطعم يقول : لما بعث الله نبيه ﷺ وظهرَ أمرُه بمكة ، خرجتُ إلى الشام ، فلما كنت ببُصرى أتتني جماعةٌ من النصارى فقالوا لي : أمن الحرم أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : فتعرف هذا الذي تنبَّأ فيكم ؟ قلت : نعم، قال: فأخذوا بيدي فأدخلوني دَيراً

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) وروى ابن بلبان في المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية (ص٤٤٣) حديثاً مشابهاً عن أبي هريرة بسند ضعيف لا يُحتج به .
وهذا الكلام المنسوب إلى وهب بن منبه هنا ظاهر الصنعة والتكلف ، وكان الأولى أن تُصان كتب السيرة فتبعد عنها مثل هذه الإسرائيليات المصنوعة .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) وهو كلام متكلف مصنوع .

لهم فيه تماثيل وصور ، فقالوا لي : انظر هل ترى صورةَ هذا النبيّ الذي بُعث فيكم ؟ فنظرتُ فلم أرَ صورتَه ، قلتُ : لا أرى صورتَه ، فأدخلوني دَيراً أكبرَ من ذلك الدَّير ، فإذا فيه تماثيلُ وصورٌ أكثرُ مما في ذلك الدَّير ، فقالوا لي : انظر هل ترى صورتَه ؟ فنظرتُ فإذا أنا بصفة رسول الله ﷺ وصورتِه ، وإذا أنا بصفةِ أبي بكر وصورتِه ، وهو آخذ بعَقب رسول الله ﷺ . فقالوا لي : هل ترى صفتَه ؟ قلتُ : نعم ، قالوا : هو هذا ؟ ـ وأشاروا إلى صفة رسول الله ﷺ ـ قلت : اللهم نعم ، أشهدُ أنه هو . قالوا : أتعرفُ هذا الذي آخذٌ بعقبِه ؟ قلتُ : نعم ، قالوا : نشهدُ أن هذا صاحبُكم ، وأن هذا الخليفةُ من بعده[1] .

ورواه البخاري[2] في « التاريخ » ، عن محمد غير منسوب ، عن محمد بن عمر هذا بإسناده ، فذكره مختصراً ، وعنده فقالوا : إنه لم يكن نبيٌّ إلَّا بعدَه نبيٌّ إلَّا هذا النبيّ .

وقد ذكرنا في كتابنا « التفسير »[3] عند قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الآية [الأعراف : ١٥٧] ذكرنا ما أورده البيهقي وغيره ، من طريق أبي أُمامةَ الباهِليّ ، عن هشام بن العاص الأمويّ ، بُعثتُ أنا ورجلٌ من قريش إلى هرقلَ صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ، فذكرَ اجتماعهم به وأن غرفتَه تَنَغَّضَت حين ذكروا الله عز وجل ، فأنزلَهم في دار ضيافتِه ثم استدعاهم بعد ثلاث ، فدعا بشيء نحو الرَّبعة العظيمة فيها بيوت صِغارٌ عليها أبواب ، وإذا فيها صورُ الأنبياء ممثلة في قِطَعٍ من حرير ، من آدمَ إلى محمدٍ صلواتُ الله عليهم أجمعين ، فجعلَ يُخرج لهم واحداً واحداً ويُخبرهم عنه ، وأخرجَ لهم صورةَ آدم ، ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم تعجَّل إخراجَ صورة رسول الله ﷺ ، قال : ثم فتح باباً آخرَ فإذا فيها صورةٌ بيضاء ، وإذا رسولُ الله ﷺ ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، محمّدٌ رسولُ الله ، قال : وبَكينا ، قال : والله يعلمُ أنه قامَ قائماً ثم جلس وقال : والله إنه لهو ؟ قلنا : نعم إنه لهو كما ننظرُ إليه ، فأمسكَ ساعةً ينظر إليها ثم قال : أما إنه كان آخر البيوت ، ولكني عجَّلته لكم لأنظرَ ما عندكم .

ثم ذكر تمامَ الحديث في إخراجه بقيّة صور الأنبياء وتعريفه إياهما بهم ، وقال في آخره : قلنا له : من أين لك هذه الصور ؟ لأنا نعلم أنها على ما صُوِّرت عليه الأنبياءُ عليهم السلام ، لأنا رأينا صورةَ نبيّنا عليه السلام مثلَه ، فقال : إن آدمَ عليه السلام سألَ ربَّه الأنبياءَ من ولدِه ، فأنزلَ عليه صورَهم ، فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس ، فاستخرجَها ذو القرنين من مغرب الشمس ، فدفعَها إلى دانيال ، ثم قال : أما والله إن نفسي طابت بالخروج من مُلكي ، وأني كنتُ عبداً لا يتركُ[4] ملكَه حتى أموت .

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) وإسناده ضعيف .
(٢) التاريخ الكبير ؛ للبخاري (١/ ١/ ١٧٩) وإسناده ضعيف .
(٣) تفسير القرآن العظيم ؛ لابن كثير (٣/ ٥٦٤ ـ ٥٦٧) .
(٤) في (أ) والمطبوع : وأني كنت عبداً لأشركم ملكة . والتصحيح من دلائل النبوة .

قال : ثم أجازنا فأحسنَ جائزتَنا وسرَّحَنا ، فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، حدَّثناه بما رأينا ، وماقال لنا وماأجازنا ، قال : فبكى أبو بكر فقال : مسكين ، لو أراد الله به خيراً لفعل ، ثم قال : أخبرَنا رسولُ الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعتَ محمّد ﷺ عندَهم[١] .

وقال الواقدي : حدَّثني علي بن عيسى الحكِيمي عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعتُ زيدَ بن عمرو بن نُفيل يقول : أنا أنتظرُ نبيًّا من ولد إسماعيل ، ثم من بني عبد المطلب ، ولا أراني أدركُه ، وأنا أؤمن به وأصدّقه وأشهدُ أنه نبي[٢] ، فإن طالت بك مدة فرأيتَه فأقرئه مني السَّلام ، وسأخبرك ما نعتُه ، حتى لا يَخفى عليك . قلتُ : هلمَّ ، قال : هو رجلٌ ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تُفارِقُ عينيه حمرةٌ ، وخاتَمُ النُّبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولدُه ومبعثُه ، ثم يُخرجه قومه منها ، ويَكرهون ما جاء به حتى يُهاجِرَ إلى يثربَ فيظهر أمرُه ، فإياك أن تُخدعَ عنه فإني طُفتُ البلادَ كلَّها أطلبُ دينَ إبراهيم ، فكلٌّ من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وراءَك[٣] ، وينعتُونه مثلَ ما نعتُّه لك ، ويقولون : لم يبق نبيٌّ غيره .

قال عمر بن ربيعة : فلما أسلمتُ أخبرتُ النبيَّ ﷺ قولَ زيد بن عمرو بن نُفيل وأقرأتُه منه السَّلام ، فردَّ عليه السلام وتَرحم عليه ، وقال : « قد رأيتُه في الجنّة يَسحبُ ذُيولًا »[٤] .

***

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ٣٨٥ ـ ٣٩٠) وهو حديث حسن .

(٢) في المطبوع : وأشهد برسالته .

(٣) في المطبوع : وذاك . والتصحيح من (أ) والطبقات .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد (١/ ١٢٨) وإسناده ضعيف .

كتاب دلائل النبوة

وهي معنوية وحسيّة : فمن المعنوية إنزال القرآن العظيم عليه ، وهو أعظمُ المعجزات ، وأبهرُ الآيات ، وأبينُ الحُجج الواضحات ؛ لما اشتملَ عليه من التركيب المعجِز الذي تحدَّى به الإنسَ والجِنَّ أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك ، مع توافر دواعي أعدائه على معارضتِه ، وفصاحتهم وبلاغتهم ، ثم تحدَّاهم بعشر سورٍ منه فعجزوا ، ثم تنازل إلى التحدي بسورة مِن مِثله ، فعجزوا عنه وهم يعلمون عجزَهم وتقصيرَهم عن ذلك ، وأنَّ هذا ما لا سبيلَ لأحد إليه أبداً ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] . وهذه الآية مكية . وقال في سورة الطور وهي مكيّة : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور : ٣٣ ـ ٣٤] . أي : إن كنتم صادقين في أنه قاله من عنده ، فهو بشر مثلكم ، فائتوا بمثل ما جاء به فإنكم مثله . وقال تعالى في سورة البقرة ـ وهي مدنية ـ معيداً للتحدي : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣ ـ ٢٤] وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود : ١٣ ـ ١٤] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس : ٣٧] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس : ٣٨ ـ ٣٩] . فبيَّن تعالى أن الخلقَ عاجزون عن معارضة هذا القرآن ، بل عن عشر سور مثلِه ، بل عن سورة منه ، وأنهم لا يَستطيعون ذلك أبداً ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٤] . أي : فإن لم تفعلوا في الماضي ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل ، وهذان تحدِّيان(١) ، وهو أنه لا يمكن معارضتُهم له لا في الحال ولا في المآل ، ومثل هذا التحدي إنما يصدرُ عن واثقٍ بأنَّ ما جاءَ به لا يُمكن للبشر معارضتُه ولا الإتيان بمثله ، ولو كان من متقول

---

(١) في المطبوع : وهذا تحدٍّ ثان . وهو تصحيف ظاهر .

من عِند نفسه لخاف أن يُعارض ، فيُفتضح ويعود عليه نقيضُ ما قصدَه من متابعة الناس له ، ومعلومٌ لكل ذي لبّ أن محمداً صلوات الله وسلامه[1] عليه من أعقلِ خلق الله ، بل أعقلُهم وأكملُهم على الإطلاق في نفس الأمر ، فما كان ليُقدمَ على هذا الأمر إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته ، وهكذا وقع ، فإنه من لَدنْ رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحدٌ أن يأتيَ بنظيره ولا نظيرِ سورةٍ منه ، وهذا لا سبيلَ إليه أبداً ، فإنه كلامُ ربّ العالمين الذي لا يُشبهُه شيءٌ من خلقه لا في ذاته ولا في صفاتِه ولا في أفعاله ، فأنَّى يُشبه كلامُ المخلوقين كلامَ الخالق ؟ وقول كفار قريش الذي حكاه تعالى عنهم في قوله : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣١] كذبٌ منهم ودعوى باطلة بلا دليل ولا برهان ولا حجّة ولابيان ، ولو كانوا صادقين لأتوا بما يُعارضه ، بل هم يعلمون كذبَ أنفسهم ، كما يعلمون كذبَ أنفسهم في قولهم : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦] . أي : أنزله عالم الخفيات ، ربّ الأرض والسموات ، الذي يعلمُ ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فإنه تعالى أوحى إلى عبده ورسوله النبيّ الأميّ الذي كان لا يُحسن الكتابة ولا يَدريها بالكلية ، ولا يعلمُ شيئاً من علم الأوائل وأخبار الماضين ، فقصَّ الله عليه خبرَ ما كان وما هو كائن على الوجه الواقع سواء بسواء ، وهو في ذلك يفصلُ بين الحقّ والباطل الذي اختلفت في إيراده جملةُ الكتب المتقدمة ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ [المائدة : ٤٨] . الآية وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨ ـ ٥٢] .

فبيَّن تعالى أن نفس إنزال هذا الكتاب المشتمل على علم ما كان وما يكون ، وحكم ما هو كائن بين الناس ، على مِثل هذا النبيّ الأمي وحده ، كان من الدلالة على صدقه ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم

(١) في المطبوع : ﷺ .

بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس : ١٥ ـ ١٧] .

يقول لهم : إني لا أُطيق تبديلَ هذا من تلقاء نفسي ، وإنما الله عزَّ وجلَّ هو الذي يمحو ما يشاء ويُثبت ، وأنا مبلّغ عنه وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به ، لأني نشأت بين أظهركم وأنتم تعلمون نسبي وصدقي وأمانتي ، وأني لم أكذب على أحد منكم يوماً من الدهر ، فكيف يَسعني أن أكذبَ على الله عزّ وجلّ ، مالك الضُّر والنفع ، الذي هو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم ؟ وأي ذنب عنده أعظم من الكذب عليه ، ونسبة ما ليس منه إليه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤ ـ ٤٧] .

أي : لو كذبَ علينا لانتقمنا منه أشدَّ الانتقام ، وما استطاع أحدٌ من أهل الأرض أن يحجزَنا عنه ويمنعنا منه .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وهذا الكلام فيه الإخبار بأن الله شهيدٌ على كل شيء ، وأنه تعالى أعظمُ الشهداء ، وهو مطلع عليّ وعليكم فيما جئتكم به عنه ، وتتضمن قوة الكلام قَسَماً به أنه قد أرسلني إلى الخلق لأنذرهم بهذا القرآن ، فمن بلغه منهم فهو نذير له ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود : ١٧] .

ففي هذا القرآن من الأخبار الصادقة عن الله وملائكته وعرشه ومخلوقاته العلوية والسفلية كالسموات والأرضين وما بينهما وما فيهن ، أمورعظيمة كثيرة مبرهنة بالأدلة القطعية المرشدة إلى العلم بذلك من جهة العقل الصحيح .

كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٨٩] وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٢٧ ـ ٢٨] .

وفي القرآن العظيم الإخبار عما مضى على الوجه الحق ، وبرهانه ما في كتب أهل الكتاب من ذلك

شاهداً له ، مع كونه نزل على رجل أمّيٍّ لا يعرفُ الكتابة ولم يُعَانِ يوماً من الدهر شيئاً من علوم الأوائل ، ولا أخبار الماضين ، فلم يفجأ الناس إلا بوحي إليه عما كان من الأخبار النافعة ، التي ينبغي أن تُذكر للاعتبار بها من أخبار الأمم مع الأنبياء ، وما كان منهم من أمورهم معهم ، وكيف نجّى الله المؤمنين وأهلك الكافرين ، بعبارة لا يستطيع بشر أن يأتي بمثلها أبد الآبدين ، ودهرَ الداهرين .

ففي مكان تُقصُّ القِصَّة موجزة في غاية البيان والفصاحة ، وتارة تُبسط ، فلا أحلى ولا أجلى ولا أعلى من ذلك السياق ، حتى كأنَّ التالي أو السامع مشاهد لما كان ، حاضر له ، معاين للخبر بنفسه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص : ٤٦] وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] وقال تعالى في سورة يوسف : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ۝١٠٢ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٢ ـ ١٠٤] إلى أن قال في آخرها : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه : ١٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٢ ـ ٥٣] .

وعدَ تعالى أنه سيُظهر آيات القرآن وصدقه ، وصدق ما جاء به ، بما يخلقه في الآفاق من الآيات الدالة على صدق هذا الكتاب ، وفي أنفس المنكرين له المكذبين ما فيه حجة عليهم وبرهان قاطع لشبههم ، حتى يستيقنوا أنه منزل من عند الله على لسان الصادق .

ثم أرشد إلى دليل مستقل بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] . أي : في العلم بأن الله يطّلع على هذا الأمر كفاية في صدق هذا المخبر عنه ، إذ لو كان مفترياً عليه لعاجلَه بالعقوبة البليغة كما تقدم بيان ذلك .

وفي هذا القرآن إخبار عما وقع وعما وقع في المستقبل طبق ما وقع سواء بسواء ، وكذلك في الأحاديث حسب ما قررناه في كتابنا « التفسير »[1] وماسنذكره من الملاحم والفتن ؛ كقوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٤٣٩) .

مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل : ٢٠] وهذه السورة من أوائل ما نزل بمكة .

وكذلك قوله تعالى في سورة اقتربت ، وهي مكية بلا خلاف : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر : ٤٥ ـ ٤٦] وقعَ مصداق هذه الهزيمة يومَ بدر بعد ذلك . إلى أمثال هذا من الأمور البيّنة الواضحة ، وسيأتي فصلٌ فيما أخبر به من الأمور التي وقعت بعده عليه الصلاة والسلام طبقَ ما أخبر به .

وفي القرآن الأحكام العادلة أمراً ونهياً ، المشتملة على الحكم البالغة التي إذا تأملها ذو الفهم والعقل الصحيح قطع بأن هذه الأحكام إنما أنزلها العالم بالخفيات ، الرحيم بعباده ، الذي يعاملهم بلطفه ورحمته ، وإحسانه ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] أي : صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأوامر والنواهي ، وقال تعالى : ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] أي : أحكمت ألفاظه وفصلت معانيه ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الفتح : ٢٨] ، أي العلم النافع والعمل الصالح .

وهكذا رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال لكُمَيل بن زياد : هو كتابُ الله ، فيه خبرُ ما قبلكم ، وحكمُ ما بينكم ، ونبأ ما بعدكم . وقد بسطنا هذا كله في كتابنا « التفسير »[١] بما فيه كفاية[٢] .

فالقرآن العظيم معجز من وجوه كثيرة : في فصاحته ، وبلاغته ، ونَظمه ، وتراكيبه ، وأساليبه ، وما تضمنه من الأخبار الماضية والمستقبلة ، وما اشتمل عليه من الأحكام الجلية ، والتحدّي ببلاغة ألفاظه يخصُّ فصحاء العرب ، والتحدي بما اشتمل عليه من المعاني الصحيحة الكاملة ـ وهي أعظم في التحدي عند كثير من العلماء ـ يعمُّ جميعَ أهل الأرض ، من الملّتين[٣] أهل الكتابين ، وغيرهم من عقلاء اليونان والهند والفرس والقبط ، وغيرهم من أصناف بني آدم في سائر الأقطار والأمصار .

وأما من زعم من المتكلمين[٤] أن الإعجاز إنما هو من صَرف دواعي الكفرة عن معارضته مع إنكار ذلك ، أو هو سلبُ قدرتهم على ذلك ، فقولٌ باطل ، وهو مُفَرّعٌ على اعتقادهم أن القرآن مخلوق ، خلقه الله في بعض الأجرام ، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق . وقولُهم هذا كفر وباطل ، وليس

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٠١) .

(٢) في المطبوع زيادة : فلله الحمد والمنّة .

(٣) « الملّتين » : اليهود والنصارى .

(٤) هو إبراهيم النَّظَّام من المعتزلة .

مطابقاً لما في نفس الأمر ، بل القرآن كلامُ الله غير مخلوق ، تكلَّم به كما شاء تعالى وتقدَّس وتنزه عما يقولون علواً كبيراً ، فالخَلقُ كلُّهم عاجزون حقيقة وفي نفس الأمر عن الإتيان بمثله ولو تعاضدوا وتناصروا على ذلك ، بل لا تقدر الرسلُ الذين هم أفصحُ الخلق وأكملُهم ، أن يتكلموا بمثل كلام الله .

وهذا القرآن الذي يبلّغُه الرسولُ ﷺ عن الله ، أسلوبُ كلامه لا يُشبه أساليبَ كلامِ رسول الله ﷺ ، وأساليبُ كلامه عليه الصلاة والسلام المحفوظة عنه بالسند الصحيح إليه ، لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه في فصاحته وبلاغته ، فيما يرويه من المعاني بألفاظه الشريفة ، بل وأسلوبُ كلام الصحابة أعلى من أساليب كلام التابعين ، وهلم جرًّا إلى زماننا .

وعلماء السلف أفصحُ وأعلمُ ، وأقل تكلفاً ، فيما يرونه من المعاني بألفاظهم من علماء الخلف ، وهذا يَشهده من له ذوق بكلام الناس ، كما يُدرك تفاوتَ ما بين أشعار العرب في زمن الجاهلية ، وبين أشعار المولّدين الذين كانوا بعد ذلك .

ولهذا جاء الحديثُ الثابت في هذا المعنى ، وهو فيما رواه الإمام أحمد قائلاً[(١)] : حدَّثنا يونسُ وحجّاج ، حدَّثنا ليث ، حدَّثني سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « ما من الأنبياء نبيٌّ إلا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وَحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكونَ أكثَرهم تابعاً يومَ القيامة » .

وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الليث بن سعد به[(٢)] .

ومعنى هذا أن الأنبياء عليهم السلام كل منهم قد أُوتي من الحجج والدلائل على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بُعث إليهم ، سواء آمنوا به ففازوا بثواب إيمانهم ، أو جحدوا فاستحقوا العقوبة ، وقوله : « وإنما كان الذي أوتيت » أي : جلّه وأعظمه ، الوحي الذي أوحاه إليه ، وهو القرآن ، الحجّة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده ، فإن البراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ، ولم يبق منها إلا الخبر عنها ، وأما القرآن فهو حجة قائمة كأنما يسمعُه السامعُ من في رسول الله ﷺ ، فحجة الله قائمة به في حياته عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته ، ولهذا قال : « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » أي : لاستمرار ما آتاني الله من الحجّة البالغة والبراهين الدامغة ، فلهذا يكون يوم القيامة أكثرَ الأنبياء تبعاً .

---

(١) في المسند (٢/ ٣٤١) .
(٢) البخاري في صحيحه رقم (٤٨٩١) في فضائل القرآن ، ومسلم في صحيحه رقم (١٥٢) في الإيمان .

فصـــل
من الدلائل المعنوية

ومن الدلائل المعنوية أخلاقُه عليه الصلاة والسلام الطاهرة ، وخلقُه الكامل ، وشجاعته وحِلمه ، وكرمه وزهده ، وقناعته وإيثاره ، وجميل صحبته ، وصدقه وأمانته ، وتقواه وعبادته ، وكرم أصله . وطيب مولده ومنشئه ومربَاه ؛ كما قدمناه مبسوطاً في مواضعه ، وما أحسن ما ذكَره شيخُنا العلاّمة أبو العباس بن تيمية رحمه الله في كتابه الذي ردَّ فيه على فِرق النصارى واليهود وما أشبههم من أهل الكتاب وغيرهم ، فإنه ذكر في آخره دلائل النبوة ، وسلكَ فيها مسالك حسنة صحيحة منتِجة ، بكلام بليغ يخضَعُ له كلُّ من تأمله وفهمه .

قال في آخر هذا الكتاب المذكور :

فصل : وسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه وأقوالُه وأفعاله من آياته ، أي : من دلائل نبوته .

قال : وشريعته من آياته ، وأمته من آياته ، ودينهم من آياته ، وكراماتُ صالحي أمته من آياته ، وذلك يَظهر بتدبر سيرته من حين وُلد إلى أن بُعث ، ومن حين بُعث إلى أن مات ، وتدبُّر نسبه وبلده وأصله وفصله .

فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً ، من صميم سلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت بعد إبراهيم نبيٌّ إلا من ذريته ، وجعل الله له ابنين : إسماعيل وإسحاق ، وذكر في التوراة هذا وهذا ، وبشَّر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل ، ولم يكن من ولد إسماعيل من ظَهر فيه ما بَشَّرَت به النبوات غيره ، ودعا إبراهيمُ لذرية إسماعيل بأن يبعث الله فيهم رسولاً منهم .

ثم الرسولُ ﷺ من قريش صفوة بني إبراهيم ، ثم من بني هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أُمّ القرى ، وبلد البيت الذي بناه إبراهيمُ ودعا الناسَ إلى حجّه ، ولم يزل مَحجوجاً من عهد إبراهيم ، مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف .

وكان ﷺ من أكمل الناس تربية ونَشأة ، لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل ، ومكارم الأخلاق ، وترك الفواحش والظلم ، وكلِّ وصف مذموم ، مَشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، ومن آمن به ومن كفر بعد النبوة ، ولا يُعرف له شيءٌ يُعاب به لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه ، ولا جرت عليه كِذبة قط ، ولا ظلم ولا فاحشة .

وقد كان ﷺ خَلقه وصورته من أحسن الصُّور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله ، وكان أمّياً من قوم أمّيين ، لا يعرف هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب من التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ شيئاً من علوم الناس ، ولا جالسَ أهلها ، ولم يدَّع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر هو أعجبُ الأمور

وأعظمُها ، وبكلام لم يَسمع الأولون والآخرون بنظيره ، وأخبرَ بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثلَه .

ثم اتَّبعه أتباعُ الأنبياء ، وهم ضعفاء الناس ، وكذَّبه أهلُ الرياسة وعادوه ، وسعَوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم .

والذين اتَّبعُوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة ، فإنه لم يكن عنده مال يُعطيهم ولا جِهاتٌ يولّيهم إياها ، ولا كان له سيف ، بل كان السيفُ والجاهُ والمالُ مع أعدائه ، وقد آذَوا أتباعَه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون ، لا يرتدون عن دينهم ، لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة .

وكانت مكة يحجُّها العربُ من عهد إبراهيم ، فيجتمع في الموسم قبائل العرب ، فيخرج إليهم يبلّغهم الرسالةَ ، ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب ، وجفاء الجافي ، وإعراض المعرض ، إلى أن اجتمع بأهل يثربَ وكانوا جيران اليهود ، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبيُّ المنتظر الذي يُخبرهم به اليهود ، وكانوا سمعوا من أخباره أيضاً ما عَرفوا به مكانته ، فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة ، فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتَّبعَه إلى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ، ولا برهبة إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حَسُن إسلام بعضهم ، ثم أذن له في الجهاد ، ثم أُمر به .

ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمِّها ، من الصدق والعدل والوفاء ، لا يُحفظ له كِذبة واحدة ، ولا ظلمٌ لأحد ، ولا غدر بأحد ، بل كان أصدقَ الناس وأعدلَهم ، وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال ، من حرب وسلم ، وأمن وخوف ، وغِنًى وفقر ، وقدرة وعجز ، وتمكّن وضعف ، وقلّة وكثرة ، وظهور على العدو تارة ، وظهور العدو تارة .

وهو على ذلك كلِّه لازمٌ لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوةُ في جميع أرض العرب التي كانت مملوءةً من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكُهّان ، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق ، وسفك الدماء المحرّمة ، وقطيعة الأرحام ، لا يَعرفون آخرة ولا مَعاداً ، فصاروا أعلمَ أهل الأرض وأدينَهم وأعدلَهم وأفضلَهم ، حتى أن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا : ما كان الذين صَحِبوا المسيحَ أفضلَ من هؤلاء .

وهذه آثارُ علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم ؛ تعرفُ العقلاء فرقَ ما بين الأمرين .

وهو ﷺ مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ، مات ولم يُخلِّف درهماً ولا ديناراً ، ولاشاة ولا بعيراً ، إلا بغلتَه وسلاحَه ، ودرعُه مرهونةٌ عند يهودي على ثلاثين

وَسقاً[١] من شعير ابتاعها لأهله ، وكان بيده عَقَارٌ يُنفق منه على أهله ، والباقي يصرفُه في مصالح المسلمين ، فحكم بأنه لا يُورَث ولا يأخذ ورثته شيئاً من ذلك .

وهو في كل وقت يظهر من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وَصفه ، ويُخبرهم بما كان وما يكون ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويُحِلُّ لهم الطيبات ويُحَرِّمُ عليهم الخبائثَ ، ويَشرع الشريعةَ شيئاً بعد شيء ، حتى أكمل الله دينَه الذي بعثه به ، وجاءت شريعتُه أكملَ شريعة ، لم يبق معروفٌ تعرف العقولُ أنه معروف إلا أمرَ به ، ولا منكرٌ تعرفُ العقولُ أنه منكر إلا نهى عنه ، لم يأمر بشيء فقيل : ليته لم يأمر به ، ولا نهى عن شيء فقيل : ليته لم ينه عنه ، وأحلَّ لهم الطيبات لم يحرم منها شيئاً كما حُرِّمَ في شريعة غيره ، وحرَّم الخبائثَ لم يُحِلّ منها شيئاً كما استحلَّ غيره .

وجمعَ محاسنَ ما عليه الأمم ، فلا يُذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوعٌ من الخبر عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه ، وأخبرَ بأشياء ليست في الكتب ، وليس في الكتب إيجابٌ لعدل ، وقضاء بفضل ، وندب إلى الفضائل ، وترغيب في الحسنات ؛ إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه .

وإذا نظرَ اللبيبُ في العباداتِ التي شرعَها وعباداتِ غيره من الأمم ظهرَ له فضلُها ورُجحانُها ، وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع .

وأمّته أكملُ الأمم في كل فضيلة ، وإذا قيس علمُهم بعلم سائر الأمم ظهرَ فضلُ علمهم ، وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتُهم لله بغيرهم ظهرَ أنهم أدْيَنُ من غيرهم ، وإذا قيس شجاعتُهم وجهادُهم في سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات الله ، ظهر أنهم أعظمُ جهاداً وأشجعُ قلوباً ، وإذا قيس سخاؤُهم وبرّهم وسماحةُ أنفسهم بغيرهم : ظهر أنهم أسخى وأكرم من غيرهم .

وهذه الفضائلُ به نالوها ، ومنه تعلّموها ، وهو الذي أمرهم بها ، لم يكونوا قبلاً متبعين لكتاب جاء هو بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة ، فكانت فضائلُ أتباع المسيح وعلومُهم بعضُها من التوراة ، وبعضُها من الزبور ، وبعضُها من النبوات ، وبعضُها من المسيح ، وبعضُها ممن بعدَه ؛ كالحواريين وممن بعدَ الحواريين[٢] ، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا ـ لما غيروا دينَ المسيح ـ في دين المسيح أموراً من أمور الكفّار المناقضة لدين المسيح .

وأما أمّةُ محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرؤون كتاباً ، بل عامّتُهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والإنجيل والزبور إلا من جهته ، وهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويُقِرُّوا بجميع الكتب المنزلة

(١) الوسق : ستون صاعاً ، أو حمل بعير .
(٢) كذا في (أ) وكانت العبارة في المطبوع : وبعضها ممن بعده من الحواريين ومن بعض الحواريين .

من عند الله ، ونهاهم عن أن يُفرِّقوا بين أحدٍ من الرسل ، فقال تعالى في الكتاب الذي جاء به : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٦ ـ ١٣٧] وقال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ الآية [البقرة : ٢٨٥ ـ ٢٨٦] وأمته عليه الصلاة والسلام لا يستحلون أن يأخذوا[١] شيئاً من الدين غير ما جاءَ به ، ولا يَبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يَشرعون من الدين ما لم يأذن به الله ، لكن ما قصّه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم ، اعتبروا به ، وما حدَّثهم أهلُ الكتاب موافقاً لما عندهم صدّقوه ، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه ، وماعرفوا بأنه باطل كذَّبوه ، ومن أدخل في الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم ، كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع .

وهذا هو الدِّين الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون ، وهو الذي عليه أئمةُ الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامَّتُهم ، ومن خرجَ عن ذلك كان مذموماً مدحوراً عند الجماعة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، الظاهرين إلى قيام الساعة ، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ، ظاهرين على الحق ، لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذلهم ، حتى تقوم الساعة »[٢] .

وقد يَتنازعُ بعضُ المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل عموماً ، ودين محمد ﷺ خصوصاً ، ومن خالف في هذا الأصل كان عندهم مُلحداً مَذموماً ، ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا ديناً ما قام به أكابر علمائهم وعبَّادهم ، وقاتل عليه ملوكُهم ، ودانَ به جُمهورهم ، وهو دينٌ مُبتدع ليس هو دين المسيح ولا دين غيره من الأنبياء ، والله سبحانه أرسلَ رسلَه بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، فمن اتَّبعَ الرسلَ حصل له سعادة الدنيا والآخرة ، وإنما دخل في البدع من قصَّرَ في اتِّباع الأنبياء علماً وعملاً .
ولما بعثَ الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون أمّتُه ، فكلُّ علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ، أخذوه عن نبيهم ؛ كما ظهر لكل عاقل أن أمَّته أكملُ الأمم في جميع الفضائل ، العلمية والعملية ، ومعلومٌ أن كل كمال في الفرع المتعلِّم هو في الأصل المعلِّم ، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام كان أكمل الناس عِلماً وديناً .

---

(١) في المطبوع : يوجدوا .
(٢) قطعة من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه رقم (١٩٢٠) في الجهاد ، والترمذي في الفتن (٢٢٢٩) ، وابن ماجه في السنة (١٠) ، وفي الفتن (٣٩٥٢) ، وابن حبان (٦٧١٤) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

وهذه الأمور تُوجب العلمَ الضروري بأنه كان صادقاً في قوله : ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] لم يكن كاذباً مفترياً ، فإن هذا القول لا يَقولُه إلا من هو من خيار الناس وأكملهم ؛ إن كان صادقاً ، أو من هو من أشر الناس وأخبثهم إن كان كاذباً ، وما ذُكِرَ من كمال علمه ودينه يُناقض الشرَّ والخبثَ والجهل ، فتعيَّنَ أنه مُتّصفٌ بغاية الكمال في العلم والدين ، وهذا يَستلزم أنه كان صادقاً في قوله : ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

لأن الذي لم يكن صادقاً إما أن يكونَ متعمّداً للكذب أو مُخطِئاً ، والأوّل يُوجب أنه كان ظالماً غاوياً ، والثاني يقتضي أنه كان جاهلاً ضَالّاً ، ومحمد ﷺ كان علمُه يُنافي جهلَه ، وكمالُ دينه يُنافي تعمّدَ الكذب ، فالعلمُ بصفاته يستلزمُ العلمَ بأنه لم يكن يتعمّدُ الكذبَ ولم يكن جاهلاً يكذبُ بلا علم ، وإذا انتفى هذا وذاك تعيَّنَ أنه كان صادقاً عالماً بأنه صادق ، ولهذا نزَّهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ١ ـ ٤] . وقال تعالى عن الملك الذي جاء به : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾ [التكوير : ١٩ ـ ٢١] ثم قال عنه : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٢ ـ ٢٧] وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ [الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥] إلى قوله : ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣] بَيَّن سبحانه أن الشيطان إنما يَنزلُ على مَن يُناسبه ليُحَصِّلَ به غرضَه ، فإن الشيطانَ يقصِد الشرَّ ، وهو الكذب والفجور ، ولا يقصد الصدق والعدل ، فلا يقترن إلا بمن فيه كذبٌ إما عمداً وإما خطأً ، وفجوراً أيضاً ، فإن الخطأ في الدين هو من الشيطان أيضاً ، كما قال ابن مسعود لما سُئل عن مسألة : أقول فيها برأيي ؛ فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان ، والله ورسولُه بريئان منه .

فإن رسول الله بريءٌ من تنزل الشياطين عليه في العمد والخطأ ، بخلاف غير الرسول ؛ فإنه قد يُخطىءُ ويكون خطؤه من الشيطان ، وإن كان خطؤه مغفوراً له ، فإذا لم يُعرف له خبرٌ أخبرَ به كان فيه مخطئاً ، ولا أمرٌ أَمَر به كان فيه فاجراً ، عُلم أن الشيطان لم ينزل عليه ، وإنما ينزل عليه مَلَك كريم ، ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٠ ـ ٤٣] .

انتهى ما ذكره[١] ، وهذا عين ما أورده بحروفه .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٥٢) .

باب
(وأمّا)[١] دلائلُ النبوة الحسيّة
(ـ أعني المشاهدةَ بالأبصار ـ فسماويّةٌ وأرضيّة)[٢]

ومن أعظم ذلك كله انشقاق القمر المنير فرقتين ، قال الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر : ١ ـ ٥] . وقد اتفق العلماءُ مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ ، وقد وردت الأحاديث بذلك من طريق تفيد القطعَ عند الأمة .

رواية أنس بن مالك : قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : سألَ أهلُ مكةَ النبيَّ ﷺ آيةً فانشقَّ القمرُ بمكة مرتين ، فقال : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] .

ورواه مسلم[٤] ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق .

وقال البخاري[٥] : حدَّثني عبد الله بن عبد الوهاب ، حدَّثنا بِشرُ بن المفضل ، حدَّثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن أهلَ مكة سألوا رسولَ الله ﷺ أن يريَهم آيةً فأراهم القمرَ شِقّين ، حتى رأوا حِرَاء بينهما .

وأخرجاه في الصحيحين[٦] من حديث شيبان ، عن قتادة .

ومسلم[٧] من حديث شعبة ، عن قتادة .

رواية جُبير بن مُطعم : قال أحمد[٨] : حدّثنا محمد بن كثير ، حدّثنا سُليمان بن كثير ، عن حُصين بن

---

(١) ما بين قوسين ساقط من الأصل ، وأثبته من (أ) .
(٢) ما بين قوسين ساقط من الأصل ، وأثبته من (أ) .
(٣) في المسند (٣/ ١٦٥) رقم (١٢٦٨٨) ومسلم رقم (٢٨٠٢ و٤٦) .
(٤) صحيح مسلم (٢٨٠٢) (٤٦) .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٦٨) في مناقب الأنصار .
(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٦٧) في التفسير ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٠٢) (٤٦) في صفات المنافقين وأحكامهم .
(٧) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٠٢) (٤٧) في صفات المنافقين .
(٨) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٨٢) .

عبد الرحمن ، عن محمد بن جُبير بن مُطعم ، عن أبيه قال : انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ فصارَ فِرقتين : فرقةٌ على هذا الجبل وفرقةٌ على هذا الجبل ، فقالوا : سحَرَنا محمدٌ ، فقالوا : إن كان سحَرَنا فإنه لا يستطيعُ أن يسحرَ الناسَ (كلَّهم) . تفرد به أحمد[١] .

ورواية ابن جرير والبيهقي[٢] ، من طرقٍ ، عن حُصين بن عبد الرحمن به .

رواية حذيفة بن اليمان : قال أبو جعفر بن جرير[٣] : حدَّثني يعقوب ، حدَّثني ابن عُلَية ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السُّلمي قال : نزلنا المدائنَ فكنا منها على فرسخ ، فجاءت الجمعةُ فحضر أبي وحضرتُ معه ، فخطبنا حُذيفةُ فقال : إن الله تعالى يقول : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشقَّ ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفِراق ، ألا وإن اليومَ المِضمارُ وغداً السباق . فقلت لأبي : أتستبقُ الناس غداً ؟ فقال : يا بني إنك لجاهل ، إنما هو السِّباق بالأعمال . ثم جاءت الجمعةُ الأخرى فحضرَه فخطبَ حذيفةُ ، فقال : ألا إن الله يقول : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] (ألا وإنَّ الساعةَ قد اقتربت ، ألا وإنَّ القمر قد انشقَّ) ألا وإن الدنيا قد آذنت بفِرَاق . (ألا وإن اليوم المضمارُ وغداً السباق ، ألا وإنَّ الغاية النار ، والسابقُ مَن سَبَقَ إلى الجنة) .

ورواه أبو زُرعة الرازي في كتاب « دلائل النبوة » من غير وجه ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن ، عن حذيفة ، فذكر نحوَه ، وقال : ألا وإن القمر قد انشقَّ على عهد رسول الله ﷺ ، ألا وإن اليومَ المضمارُ وغداً السباق ، ألا وإن الغايةَ النار ، والسابقُ من سَبَقَ إلى الجنة .

رواية عبد الله بن عباس : قال البخاري[٤] : حدَّثنا يحيى بن بُكير ، حدَّثنا بكر ، عن جعفر ، عن عراك بن مالك ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبَة ، عن ابن عباس ، قال : انشقَّ القمرُ في زمان النبي ﷺ.

ورواه البخاري أيضاً ومسلم[٥] ، من حديث بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة به .

---

(١) إسناده ضعيف لانقطاعه ، فإن حصين بن عبد الرحمن السلمي لم يسمع هذا الحديث من محمد بن جبير بن مطعم ، بينهما جبير بن محمد بن جبير وهو مجهول ، كما بينه الإمام الترمذي في جامعه (٣٢٨٩) ، والرواية المتصلة أخرجها الطبراني في الكبير (١٥٦٠) ، والحاكم (٢/ ٤٧٢) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٦٨) وهذه الرواية هي الأشبه كما قال الإمام الدارقطني في كتابه العلل (٤/ الورقة ١٠٤) . على أن أصل الحديث في الصحيحين من حديث ابن مسعود ، كما سيأتي .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/ ٥١) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٦٨) .

(٣) تفسير الطبري (٢٧/ ٥١) وما بين الأقواس سقط من الأصل ، وأثبته من التفسير .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٦٦) في التفسير .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٧٠) في مناقب الأنصار ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٠٣) في صفات المنافقين .

طريق أخرى عنه : قال ابن جرير[١] : حدَّثنا ابن المثنى ، حدَّثنا عبد الأعلى ، حدَّثنا داود بن أبي هند ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ١ ـ ٢] قال : قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة انشقَّ القمرُ حتى رَأوا شِقّيه .

وروى العوفي[٢] ، عن ابن عباس نحواً من هذا .

وقد روي من وجه آخر ، عن ابن عباس ، فقال أبو القاسم الطبراني[٣] : حدَّثنا أحمد بن عمرو البزار ، حدَّثنا محمد بن يحيى القُطَعي ، حدَّثنا محمد بن بكير ، حدَّثنا ابن جُريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كُسِفَ القمرُ على عهد رسولِ الله ﷺ فقالوا : سَحَرَ القمرَ ، فنزلت : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ١ ـ ٢] .

وهذا سياق غريب ، وقد يكون حصل للقمر مع انشقاقه كسوف ، فيدل على أن انشقاقه إنما كان في ليالي إبداره ، والله أعلم .

رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب : قال الحافظ أبو بكر البيهقي[٤] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدَّثنا أبو العباس الأصمّ ، حدَّثنا العباس بن محمد الدُّوريّ : حدَّثنا وهبُ بن جرير ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، في قوله عزّ وجلّ : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] قال : وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ ، انشقَّ فِلقتين ؛ فِلقة من دون الجبل ، وفِلقة من خلف الجبل ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اشهد » .

وهكذا رواه مسلم والترمذي[٥] ، من طرق عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد . قال مسلم كرواية مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود . وقال الترمذي : حسن صحيح .

رواية عبد الله بن مسعود : قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا سفيان ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود قال : انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ شقتين ، حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا » .

---

(١) تفسير الطبري (٢٧/ ٥١) وفي الإسناد علي بن أبي طلحة قال الحافظ : أرسل عن ابن عباس ولم يره .
(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ١٢٨) رقم (١٢٦٧١) ، والعوفي هو عطية ، ضعيف .
(٣) المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٢٥٠) .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٢/ ٢٦٧) .
(٥) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٠١) في صفات المنافقين ، والترمذي في الجامع (٢١٨٢) في الفتن ، و(٣٢٨٨) في التفسير .
(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٧٧) .

ورواه البخاري ومسلم[١] ، من حديث سفيان بن عيينة .

وأخرجاه[٢] من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة ، عن ابن مسعود به .

قال البخاري[٣] : وقال أبو الضحى ، عن مسروق عن عبد الله : « انشقَّ بمكة » .

وهذا الذي علَّقه البخاري ، قد أسنده أبو داود الطيالسي في « مسنده »[٤] ، فقال : حدَّثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ ، فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة ، قال : فقالوا : انظروا ما يأتينا به السُّفار ، فإن محمداً لا يستطيعُ أن يسحرَ الناس كلَّهم . قال : فجاء السُّفار فقالوا ذلك .

وروى البيهقي[٥] ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن عباس الدوري[٦] ، عن سعيد بن سُليمان ، عن هُشَيْم[٧] ، عن مغيرة ، عن أبي الضُّحى ، عن مسروقٍ ، عن عبد الله ، قال : انشقَّ القمرُ بمكةَ حتى صَار فِرقتين ، فقالت كفارُ قريش أهل مكة : ذا سحرٌ سحرَكم به ابن أبي كبشة ، انظروا المسافرينَ فإن كانوا رأَوا ما رأيتم فقد صدقَ ، وإن كانوا لم يَروا ما رأيتُم فهو سحرٌ سحرَكم به ، قال : فسُئل السُّفار ـ وقدموا من كل وجه ـ فقالوا : رأيناه .

ورواه ابن جرير[٨] من حديث المغيرة ، وزاد : فأنزل الله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] .

وقال الإمام أحمد[٩] : حدَّثنا مُؤَمَّل ، عن إسرائيل ، عن سِمَاك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٢٦) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٠٠) في صفات المنافقين .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٧١) في مناقب الأنصار ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٠٠) (٤٤) في صفات المنافقين .
(٣) رواه البخاري في صحيحه عقيب حديث (٣٨٦٩) .
(٤) مسند أبي داود الطيالسي (ص٣٨) رقم (٢٩٥) وذكره البيهقي في الشعب (٢/ ٢٦٦) وهو حديث صحيح .
(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) . وقال البيهقي عقبه : استشهد به البخاري في أن ذلك كان بمكة .
(٦) في المطبوع : « ابن عباس الدوري » وهو خطأ بيِّن ، فإنه عباس بن محمد الدوري .
(٧) في المطبوع : « هشام » ولايصح ، وماأثبتناه يعضده مافي دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٦٦) وهو هشيم بن بشير بن القاسم السلمي الواسطي ، وروايته عن مغيرة بن مقسم الضبي في الصحيحين ، كما في تهذيب الكمال للمزي (٣٠/ ٢٧٤) .
(٨) تفسير الطبري (٢٧/ ٥٠ ـ ٥١) .
(٩) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤١٣) وإسناده حسن من أجل سماك بن حرب فإنه صدوق حسن الحديث في روايته عن غير عكرمة ، ومتن الحديث صحيح من غير طريقه .

عبد الله ، قال : انشقَّ القمرُ على عهد رسولِ الله ﷺ ، حتى رأيتُ الجبلَ بين فُرجَتي القمر .

وروى ابن جرير[١] ، عن يعقوب الدَّورقي[٢] عن ابن عُليّة ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، قال : نُبِّئتُ أن ابنَ مسعودٍ كان يقول : لقد انشقَّ القمر .

ففي صحيح البخاري ، عن ابن مسعود ، أنه كان يقول : خمسٌ قد مَضَينَ : الرُّوم ، واللِّزام ، والبَطشَةُ ، والدُّخانُ ، والقمر ، في حديث طويل عنه ، مذكورٌ في تفسير سورة الدخان[٣] .

وقال أبو زرعة في « الدلائل »[٤] : حدَّثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ، حدَّثنا الوليد ، عن الأوزاعي ، عن ابن بُكير قال : انشقَّ القمر بمكةَ والنبيُّ ﷺ قبلَ الهجرة فخرَّ شقتين ، فقال المشركون : سَحَرَه ابنُ أبي كبشة . وهذا مرسل من هذا الوجه .

هذه طرقٌ عن هؤلاء الجماعة من الصحابة ، وشهرةُ هذا الأمر تُغني عن إسناده ، مع وُروده في الكتاب العزيز .

وما يذكُره بعضُ القصّاص : من أن القمر دخل في جيب النبي ﷺ وخرج من كُمّه[٥] ، ونحو هذا الكلام فليس له أصلٌ يُعتمد عليه ، والقمر في حال انشقاقه لم يزايل السماء ، بل انفرق باثنتين ، وسارت إحداهُما حتى صارت وراءَ جبل حِرَاءَ ، والأخرى من الناحية الأخرى ، وصار الجبلُ بينهما ، وكلتا الفِرقتين في السماء ، وأهلُ مكة يَنظرون إلى ذلك ، وظنَّ كثيرٌ من جهلتهم أن هذا شيء سُحرت به أبصارُهم . فسألوا من قَدِمَ عليهم من المسافرين فأخبرُوهم بنظير ما شاهدوه ، فعلموا صِحَّةَ ذلك وتيقنوه .

فإن قيل : فلم لم يُعرف هذا في جميع أقطار الأرض ؟ فالجوابُ : ومن يَنفي ذلك ، ولكن تطاول العهد والكفرةُ يجحدون بآيات الله ، ولعلَّهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبي المبعوث ، تداعت آراؤُهم الفاسدة على كتمانه وتناسيه ، على أنه قد ذَكرَ غيرُ واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلاً بالهند مكتوباً عليه أنه بني في الليلة التي انشقَّ القمرُ فيها .

ثم لما كان انشقاقُ القمر ليلاً قد يَخفى أمرُه على كثير من الناس لأمورٍ مانعةٍ من مشاهدته في تلك الساعة ، من غيومٍ متراكمةٍ كانت تلك الليلة في بلدانهم ، ولنومِ كثيرٍ منهم ، أو لعلّه كان في أثناء الليل حيثُ ينامُ كثيرٌ من الناس ، وغير ذلك من الأمور ، والله أعلم .

---

(١) تفسير الطبري (٢٧/ ٥١) وفيه : قد انشقَّ القمر . وهو موقوف صحيح .
(٢) في المطبوع : « الدوري » محرف ، وما أثبتناه يعضده مافي تفسير الطبري ، ويعقوب الدورقي شيخ الطبري .
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٢٥) في التفسير .
(٤) دلائل النبوة لأبي زرعة (١/ ٣٦٩) .
(٥) انظر المصنوع (ص٢٦١) وكشف الخفاء (٢/ ٥٥٥) وأسنى المطالب (٣٣٠) .

وقد حرَّرنا هذا فيما تقدم في كتابنا « التفسير »[(١)] .

فأما حديث رد الشمس بعد مغيبها : فقد أنبأني شيخُنا المسند الرَّحَّالة بهاء الدين القاسم بن المظفر بن تاج الأمناء بن عساكر[(٢)] إذناً ، قال : أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عساكر المشهور بالنسَّابة ، قال : أخبرنا أبو المظفر بن القُشَيري وأبو القاسم المستملي ، قالا : حدَّثنا أبو عثمان الحيري ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الدَّنْدَقاني[(٣)] بها ، أخبرنا محمد بن أحمد بن محبوب . وفي حديث ابن القشيري : حدَّثنا أبو العباس المَحبوبي ، حدَّثنا سعيد بن مسعود « ح » قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر ، وأخبرنا أبو الفتح الماهاني ، أخبرنا شجاع بن علي ، أخبرنا أبو عبد الله بن منده ، أخبرنا عثمان بن أحمد التِّـنِّيسي ، أخبرنا أبو أميّة محمد بن إبراهيم ، قال : حدَّثنا عبيدُ الله بن موسى ، حدَّثنا فضيل بن مرزوق ، عن إبراهيم بن الحسن ، زاد أبو أميّة : بن الحسن ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن أسماء بنت عُمَيس ، قالت : كان رسولُ الله ﷺ يُوحى إليه ورأسه في حِجر عليّ ، فلم يُصَلِّ العصرَ حتى غربت الشَّمسُ ، فقال رسول الله ﷺ : « صَلَّيتَ العصرَ؟ » وقال أبو أمية : « صَلّيتَ يا علي ؟ » قال : لا ، قال رسول الله ﷺ ، وقال أبو أمية : فقال النبي ﷺ : « اللهم إنه كان في طاعتِك وطاعةِ نبيّك » وقال أبو أمية : « رسولك ، فاردد عليه الشمسَ » قالت أسمـاء : فرأيتُها غَرُبَت ثم رأيتُها طَلَعت بعدما غَرُبَت » .

وقد رواه الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في « الموضوعات »[(٤)] من طريق أبي عبد الله بن منده كما تقدم ، ومن طريق أبي جعفر العقيلي : حدَّثنا أحمد بن داود ، حدَّثنا عمّار بن مطر ، حدَّثنا فضيل بن مرزوق ، فذكره .

ثم قال : وهذا حديث موضوع ، وقد اضطربَ الرواةُ فيه ، فرواه سعيدُ بن مَسعود ، عن عُبيد الله بن موسى ، عن فُضَيل بن مرزوق ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن عليّ بن الحسن ، عن فاطمة بنت عليّ ، عن أسماء . وهذا تخليط في الرواية .

قال : وأحمد بن داود ليس بشيء ، قال الدارقطني[(٥)] : متروك كذاب ، وقال ابن حِبّان[(٦)] : كان

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٦٠) .
(٢) ابن عساكر : القاسم بن أبي غالب المظفر محمود ، من بني هبة الله بن عساكر الدمشقي ، طبيب ، عالم بالحديث ، سمع منه ابن كثير ، ومولده ووفاته بدمشق ، توفي سنة ٧٢٣هـ . الدرر الكامنة (٣/ ٢٣٩) والأعلام (٥/ ١٨٦) .
(٣) نسبة إلى الدنداقان ، وهي بليدة عند مرو ، خرج منها جماعة من المحدثين ، اللباب (١/ ٤٢٦) .
(٤) الموضوعات ؛ لابن الجوزي (١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦) .
(٥) الضعفاء والمتروكون (٥٢) .
(٦) المجروحين (١/ ١٤٦) .

يضعُ الحديث . وعمَّار بن مَطر ، قال فيه العقيلي[(١)] : كان يُحدِّث عن الثقات بالمناكير . وقال ابن عدي[(٢)] : متروك الحديث . قال : وفُضيل بن مَرزوق قد ضعَّفه يحيى[(٣)] . قال ابن حِبّان[(٤)] : يَروي الموضوعات ويُخطئ عن الثقات .

وبه ، قال الحافظ ابن عساكر : وأخبرنا أبو محمد ، عن طاووس ، أخبرنا عاصم بن الحسن ، أخبرنا أبو عمر بن مَهدي ، أخبرنا أبو العباس بن عُقْدة ، حدَّثنا أحمد بن يحيى الصوفي ، حدَّثنا عبد الرحمن بن شَريك ، حدَّثني أبي ، عن عروة بن عبد الله بن قشير ، قال : دخلتُ على فاطمةَ بنت عليّ فرأيتُ في عنقها خرزة ، ورأيت في يديها مَسكتين غليظتين ـ وهي عجوز كبيرة ـ فقلتُ لها : ما هذا ؟ فقالت : إنه يُكره للمرأة أن تتشبَّه بالرجال .

ثم حدَّثتني : أن أسماءَ بنت عُمَيس حدَّثتها : أن عليَّ بن أبي طالب دفعَ إلى النبي ﷺ وقد أُوحي إليه ، فجلَّلَه بثوبه ، فلم يزل كذلك حتى أدبرتِ الشمسُ ـ يقول : غابت أو كادت أن تغيب ـ ثم إن نبيَّ الله ﷺ سُرِّي عنه ، فقال : أصلَّيتَ يا عليّ ؟ قال : لا ، فقال النبي ﷺ : « اللهم ردّ على عليّ الشمس » فرجعتْ حتى بلغت نصفَ المسجد . قال عبد الرحمن : وقال أبي : حدَّثني موسى الجهني نحوَه .

ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث منكر ، وفيه غير واحد من المجاهيل .

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في « الموضوعات »[(٥)] : وقد روى ابنُ شاهين هذا الحديث عن ابن عقدة ، فذكره . ثم قال : وهذا باطل ، والمتهم به ابن عقدة ، فإنه كان رافضياً ، يُحدِّثُ بمثالب الصحابة . قال الخطيب[(٦)] : حدَّثنا علي بن محمد بن نصر ، سمعت حمزة بن يوسف يقول[(٧)] : كان ابن عقدة بجامع « براثا » يملي مثالب الصحابة ـ أو قال : الشيخين ـ فتركته . وقال الدارقطني : كان ابن عقدة رجل سوء ، وقال ابن عدي[(٨)] : سمعت أبا بكر بن أبي غالب يقول : ابن عقدة لا يتديّنُ بالحديث ، لأنه

---

(١) الضعفاء الكبير (٣/ ٣٢٧) .
(٢) الكامل (٥/ ١٧٢٧) .
(٣) هكذا قال ، وفي قوله نظر ، فالمعروف عن يحيى غير ذلك ، فقد وثقه في رواية عباس الدوري (تاريخه ٢/ ٤٧٦) ، وفي رواية ابن أبي خيثمة (الجرح والتعديل ٧/ الترجمة ٤٢٣) ، وقال الكوسج عنه : صالح الحديث ، وقال الدارمي (تاريخه ٦٩٨) : لابأس به . فمثل هذا لا يقال فيه : ضعفه (بشار) .
(٤) المجروحين ٢/ ٢٠٩ .
(٥) الموضوعات ؛ لابن الجوزي (١/ ٣٥٦) .
(٦) الكلام لابن الجوزي وهو في تاريخ الخطيب (٦/ ١٥٨) (ط . الدكتور بشار) .
(٧) هكذا وقع في الموضوعات لابن الجوزي ولا يصح فالكلام رواه حمزة بن يوسف السهمي عن أبي عمر بن حيويه ، كما في سؤالات السهمي (١٦٦) وتاريخ الخطيب (٦/ ١٥٨) .
(٨) الكامل (١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

كان يحملُ شيوخاً بالكوفة على الكذب فيَروي لهم نُسَخاً ويأمرهم أن يروُوها . وقد تبينا[١] ذلك منه في غير شيخ بالكوفة .

وقال الحافظ أبو بشر الدُّولابي[٢] في كتابه « الذرية الطاهرة » : حدَّثنا إسحاق بن يونس ، حدَّثنا سُويد بن سعيد ، حدَّثنا المطلب بن زياد ، عن إبراهيم بن حَيَّان ، عن عبد الله بن حَسَن ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن الحسين ، قال : كان رأسُ رسول الله ﷺ في حِجر علي وهو يُوحَى إليه ، فذكر الحديث بنحو ما تقدم .

إبراهيمُ بن حَيَّان هذا تركه الدارقطني[٣] ، وغيره[٤] .

وقال محمد بن ناصر البغدادي الحافظ : هذا الحديث موضوع ، قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : وصدق ابن ناصر .

وقال ابن الجوزي[٥] : وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج[٦] ، عن أبي هريرة قال : نام رسولُ الله ﷺ ورأسُه في حِجر عليّ ، ولم يكن صلَّى العصرَ ، حتى غَرُبت الشمسُ ، فلما قامَ رسولُ الله دعا له فرُدّت عليه الشمسُ حتى صلَّى ، ثم غابت ثانية . ثم قال : وداود ضعَّفه شعبةُ .

ثم قال ابن الجوزي : ومن تغفيل واضع هذا الحديث أنه نظر إلى صورة فضله ولم يتلمَّح عدمَ الفائدة ، فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاءً ، فرجوع الشمس لا يُعيدها أداءً ، وفي الصحيح[٧] عن رسول الله ﷺ : « إن الشمس لم تُحبَس على أحدٍ إلا ليُوشع » .

قلت : هذا الحديث[٨] ضعيفٌ ومُنكر من جميع طرقه ، فلا تخلو واحدة منها عن شيعيّ ومجهول الحال ، وشيعيّ ومتروك ، ومثل هذا الحديث لا يُقبل فيه خبرُ واحد إذا اتَّصلَ سندُه ، لأنه من باب

---

(١) في الموضوعات لابن الجوزي : « تيقنا » وهو تحريف ، وما أثبتناه من (أ) وهو الذي في كامل ابن عدي (١/ ٢٠٨) وتاريخ الخطيب (٦/ ١٥٧) الذي نقل منه ابن الجوزي .

(٢) أبو بشر الدُّولابي : محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري ، الرازي ، الوراق إمام حافظ ، توفي سنة ٣١٠هـ . السير (١٤/ ٣٠٩) . وكتابه الذرية الطاهرة طبع في مؤسسة الأعلمي بيروت .

(٣) ذكره في الضعفاء والمتروكين (١٥) .

(٤) وقال ابن عدي : أحاديثه موضوعة (الكامل ١/ ٢٥٣) .

(٥) الموضوعات ؛ لابن الجوزي (١/ ٣٥٧) .

(٦) في المطبوع : « من طريق حديث داود بن واهيج » وكله تحريف .

(٧) حديث حبس الشمس على يوشع بن نون رواه البخاري ومسلم ، أما حديث « إن الشمس لم تُحبس لبشر إلا ليوشعَ . . » . فقد رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٢٥) عن أبي هريرة ، بسند صحيح . وانظر فتح الباري (٦/ ٢٢١) .

(٨) أي : حديث ردِّ الشمس لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

ما تتوفر الدواعي على نقله ، فلا بد من نقله بالتواتر والاستفاضة ، لا أقل من ذلك . ونحنُ لا نُنكر هذا في قدرة الله تعالى وبالنسبة إلى جناب رسول الله ﷺ ، فقد ثبتَ في الصحيح[1] أنها رُدّت ليوشع بن نون ، وذلك يوم حاصر بيتَ المقدس ، واتفق ذلك في آخر يوم الجمعة ، وكانوا لايُقاتلون يومَ السبت فنظر إلى الشمس وقد تَنَصَّفَت للغروب فقال : « إنّكِ مأمورةٌ ، وأنا مأمورٌ ، اللهم احبسها عليّ ، فحبَسها الله عليه حتى فتحُوها » .

ورسول الله ﷺ أعظمُ جاهاً ، وأجلُّ منصباً ، وأعلى قدراً من يُوشعَ بن نون ، بل من سائر الأنبياء على الإطلاق ، ولكن لانقول إلا ما صحَّ عندنا عنه ، ولا نُسند إليه ما ليس بصحيح ، ولو صحَّ لكنّا من أول القائلين به ، والمعتقدين له ، وبالله المستعان . (وقال الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه البخاري في كتابه « إثبات إمامة أبي بكر الصديق »)[2] : فإن قال قائل من الروافض : إن أفضلَ فضيلةٍ لأبي الحسن ، وأدلَّ دليل على إمامته ما رُوي عن أسماء بنت عُمَيس ، قالت :

كان رسول الله ﷺ يُوحى إليه ورأسُه في حِجر عليّ بن أبي طالب ، فلم يُصَلِّ العصرَ حتى غَرُبت الشمسُ ، فقال رسول الله ﷺ لعلي : « صَلَّيتَ ؟ » قال : لا ، فقال رسول الله : « اللهم إنه كان في طاعتِك وطاعةِ رسولك ، فاردد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتُها غَرُبَت ، ثم رأيتُها طلعت بعدما غربت .

قيل له : كيف لنا لو صحَّ هذا الحديثُ فنَحتجُّ على مخالفينا من اليهود والنصارى ، ولكنَّ الحديثَ ضعيفٌ جدًّا لا أصلَ له ، وهذا مما كَسبت أيدي الروافض ، ولو رُدّت الشمسُ بعدما غَرُبَت لرآها المؤمنُ والكافرُ ، ونقلوا إلينا أن في يوم كذا في شهر كذا في سنة كذا رُدّت الشمسُ بعدما غَرُبَت .

ثم يقال للروافض : أيجوزُ أن تُرَدَّ الشمسُ لأبي الحسن حين فاتته صلاةُ العصر ، ولا تُرَدُّ لرسول الله ولجميع المهاجرين والأنصار وعليٌّ فيهم حين فاتتهم صلاة الظهر والعصر والمغرب يوم الخندق ؟ .

قال : وأيضاً مرة أخرى عَرَّسَ رسولُ الله ﷺ بالمهاجرين والأنصار حين قفلَ من غزوة خيبر ، فذكرَ نومَهم عن صلاة الصبح ، وصلاتهم لها بعد طلوع الشمس ، قال : فلم يُرَدَّ الليلُ على رسول الله وعلى أصحابه .

قال : ولو كان هذا فضلاً أُعطيه رسولُ الله ، وماكان الله ليمنعَ رسولَه شرفاً وفضلاً ـ يعني أُعطيه علي بن أبي طالب ـ .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١٢٤) في فرض الخمس عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم في صحيحه رقم (١٧٤٧) في الجهاد عن أبي هريرة أيضاً .

(٢) ما بين قوسين ساقط من المطبوع واستدركته من الأصل .

ثم قال : وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني[١] : قلت لمحمد بن عُبيد الطنافسي[٢] : ما تقولُ فيمن يقولُ : رجعت الشمس على عليّ بن أبي طالب حتى صلَّى العصرَ ؟ فقال : مَن قال هذا فقد كذَب . وقال إبراهيم بن يعقوب : سألت يَعلى بن عُبيد الطنافسي[٣] ، قلت : إن ناساً عندنا يقولون : إن عليًّا وصيُّ رسول الله ﷺ ورجعت عليه الشَّمسُ ، فقال : كذبٌ هذا كلُّه .

فصل
في إيراد هذا الحديث من أماكن متفرقة

وقد جمعَ أبو القاسم عُبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحَسَكاني جزءاً ، وسمَّاه « مسألة في تَصحيح ردّ الشَّمس وترغيم النواصِب الشُّمسِ » .

وقال : قد رُوي ذلك من طريق أسماءِ بنت عُميس ، وعليّ بن أبي طالب ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري .

ثم رواه من طريق أحمد بن صالح المصري ، وأحمد بن الوليد الأنطاكي ، والحسن بن داود ، ثلاثتُهم عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ـ وهو ثقة ـ أخبرني محمد بن موسى الفطري المدني ، وهو ثقة أيضاً ، عن عون بن محمد ، قال : وهو ابن محمد ابن الحنفية ، عن أمِّه أمّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء بنت عُمَيس : أن رسولَ الله ﷺ صلَّى الظهرَ بالصهباء من أرضِ خَيبر ، ثم أرسل عليّاً في حاجةٍ ، فجاء وقد صلَّى رسولُ الله العصرَ ، فوضعَ رأسَه في حِجر عليّ ، ولم يحرّكه حتى غَرُبت الشمسُ ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم إن عبدَك عليّاً احتبسَ نفسه على نبيّه فرُدَّ عليه شرقَها » قالت أسماء : فطلعتِ الشمسُ حتى رفعت على الجبال ، فقام عليٌّ فتوضأ وصلَّى العصر ، ثم غابت الشمسُ .

وهذا الإسناد فيه من يُجهل حالُه ؛ فإن عَوناً هذا وأمه لا يُعرف أمرُهما بعدالة وضبط يُقبل بسببهما خبرُهما فيما هو دون هذا المقام ، فكيف يثبتُ بخبرهما هذا الأمر العظيم ، الذي لم يروه أحدٌ من أصحاب الصحاح ولا السنن ولا المسانيد المشهورة ؟ فالله أعلم . ولا ندري أسمعتْ أمُّ هذا من جَدتها أسماء بنت عُميس أم لا ؟ .

---

(١) إبراهيم بن يعقوب السعدي الجُوزجاني ، أبو إسحاق الحافظ ، نزيل دمشق ، روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي ، توفي سنة ٢٥٦هـ ، خَفَضه ابن عدي من جهة النَّصب . ترجمته في توضيح المشتبه (٥/ ٩٧) .

(٢) محمد بن عبيد الطنافسي ، حافظ ثقة من أهل الحديث توفي سنة ٢٠٤ ترجمته في سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٣٦) .

(٣) يعلى بن عبيد الطنافسي أخو محمد بن عبيد ، حافظ ثقة إمام ، توفي سنة ٢٠٩ . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٧٦) .

ثم أورده هذا المصنف من طريق الحسين بن الحسن الأشقر ، وهو شيعي جلد ، وضعَّفه غيرُ واحد عن الفُضيل بن مرزوق ، عن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ، عن فاطمة بنت الحسين الشهيد ، عن أسماء بنت عُمَيس ، فذكر الحديث .

قال : وقد رواه عن فُضيل بن مرزوق جماعة ، منهم عبيد الله بن موسى . ثم أورده من طريق أبي جعفر الطحاوي من طريق عبد الله . وقد قدَّمنا روايتنا له من حديث سعيد بن مسعود ، وأبي أمية الطرسوسي ، عن عُبيد الله بن موسى العبسي ، وهو من الشيعة .

ثم أورده هذا المصنف من طريق أبي جعفر العقيلي ، عن أحمد بن داود ، عن عمار بن مطر ، عن فُضيل بن مرزوق الأغر الرقاشي ويقال الرُّؤاسي أبو عبد الرحمن الكوفي مولى بني عنزة ، وثقه الثوري وابن عيينة ، وقال أحمد : لا أعلم إلا خيراً . وقال ابن معين : ثقة ، وقال مرة : صالح ولكنه شديد التشيّع ، وقال مرة : لا بأس به . وقال أبو حاتم : صدوق صالح الحديث ، يَهِمُ كثيراً ، يُكتب حديثه ولا يُحتج به . وقال عثمان بن سعيد الدارمي : يقال : إنه ضعيف . وقال النسائي : ضعيف . وقال ابن عدي : أرجو أن لا بأس به . وقال ابن حِبّان : منكر الحديث جداً ، كان يُخطئ على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات .

وقد روى له مسلم وأهلُ السنن الأربعة . فمن هذه ترجمته لا يُتهم بتعمّد الكذب ولكنه قد يتساهل ، ولا سيما فيما يُوافق مذهبه ، فيروي عمن لا يعرفه ، أو يحسن به الظن ، فيدلس حديثه ويسقطه ويذكر شيخه ، ولهذا قال في هذا الحديث الذي يجب الاحتراز فيه ، وتوقي الكذب فيه « عن » بصيغة التدليس ، ولم يأت بصيغة التحديث ، فلعل بينهما من يُجهل أمرُه ، على أن شيخَه هذا ـ إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ ليس بذلك المشهور في حاله ، ولم يرو له أحدٌ من أصحاب الكتب المعتمدة ، ولا روى عنه غيرُ الفضيل بن مرزوق هذا ، ويحيى بن المتوكل ، قاله أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان ولم يتعرضا لجرح ولا تعديل .

وأما فاطمةُ بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ وهي أخت زين العابدين ـ فحديثُها مشهور ، روى لها أهلُ السنن الأربعة ، وكانت فيمن قُدِمَ بها مع أهل البيت بعد مقتل أبيها إلى دمشق ، وهي من الثقات ، ولكن لاندري أسمعت هذا الحديث من أسماء أم لا ؟ فالله أعلم .

ثم رواه هذا المصنف من حديث أبي حفص الكَتَّاني : حدَّثنا محمد بن عمر القاضي ، هو الجعابي ، حدَّثني محمد بن القاسم بن جعفر العَسكري من أصل كتابه ، حدَّثنا أحمد بن محمد بن يزيد بن سليم ، حدَّثنا خلف بن سالم ، حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا سفيان الثوري ، عن أشعث أبي الشعثاء ، عن أمّه ، عن فاطمة ـ يعني بنت الحسين ـ عن أسماء ؛ أن رسولَ الله ﷺ دعا لعليّ حتى رُدّت عليه الشمس .

وهذا إسناد غريب جدًّا ، وحديث عبد الرزاق وشيخِه الثوري محفوظٌ عند الأئمة ، لا يكاد يُترك منه شيء من المهمات ، فكيف لم يَرو عن عبد الرزاق مثل هذا الحديث العظيم إلا خلفُ بن سالم بما قبله من الرجال ، الذين لا يُعرف حالُهم في الضبط والعدالة كغيرهم ؟ ثم إن أمّ أشعثَ مجهولةٌ ، فالله أعلم(١) .

ثم ساقه هذا المصنف من طريق محمد بن مرزوق : حدَّثنا حسين الأشقر ـ وهو شيعي وضعيف كما تقدم ـ عن عليّ بن هاشم بن البريد ـ وقد قال فيه ابن حِبّان : كان غالياً في التشيّع ، يَروي المناكير عن المشاهير ـ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن عليّ بن الحسين بن الحسن ، عن فاطمة بنت عليّ ، عن أسماءَ بنت عُمَيس فذكرَه .

وهذا إسناد لا يثبت .

ثم أسنده من طريق عبد الرحمن بن شَريك ، عن أبيه ، عن عروة بن عبد الله ، عن فاطمة بنت عليّ ، عن أسماءَ بنت عُمَيس ، فذكر الحديث كما قدمنا إيراده من طريق ابن عُقدة ، عن أحمد بن يَحيى الصُّوفي ، عن عبد الرحمن بن شريك ، عن عبد الله النخعي . وقد روى عنه البخاريُّ في كتاب « الأدب » وحدَّث عنه جماعة من الأئمة ، وقال فيه أبو حاتم الرازي : كان واهي الحديث ، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال : ربما أخطأ . وأرخ ابن عقدة وفاتَه سنة سبع وعشرين ومئتين .

وقد قدَّمنا أن الشيخ أبا الفرج بن الجوزي قال : إنما أتَّهِمُ بوضعه أبا العباس بن عُقدة ، ثم أورد كلام الأئمة فيه بالطعن والجرح ، وأنه كان يسوي النسخ للمشايخ فيرويهم إياها ، فالله أعلم .

قلت : في سياق هذا الإسناد عن أسماء ؛ أن الشمس رجعت حتى بلغت نصف المسجد ، وهذا يُناقض ما تقدَّم من أن ذلك كان بالصَّهباء من أرض خيبر ، ومثل هذا يُوجب توهينَ الحديث وضعفَه والقدحَ فيه . ثم سردَه من حديث محمد بن عمر القاضي الجعابي : حدَّثنا علي بن العباس بن الوليد ، حدَّثنا عَبّاد بن يعقوب الرَّواجيني ، حدَّثنا علي بن هاشم ، عن صباح ، عن عبد الله بن الحسن ـ أبي جعفر ـ عن حسين المقتول ، عن فاطمة ، عن أسماء بنت عُمَيس قالت : لما كان يوم شُغِل علي ؛ لمكانه من قسم المغنم ، حتى غربت الشمس أو كادت ، فقال رسول الله ﷺ : « أما صلّيت ؟ » قال : لا ، فدعا الله ، فارتفعت الشمس حتى توسطت السماء ، فصلّى عليّ ، فلما غربت الشمس سمعتُ لها صريراً كصرير الميشار في الحديد .

وهذا أيضاً سياقٌ مخالف لما تقدم من وجوه كثيرة ، مع أن إسناده مظلم جدًّا ، فإن صباحاً هذا لا يُعرف ، وكيف يَروي الحسينُ بن علي المقتول شهيداً عن واحد عن واحد عن أسماءَ بنت عُمَيس ؟ هذا

---

(١) ومحمد بن عمر الجعابي فاسق رقيق الدين وتشيعه معروف ، كما في الميزان (٣/ ٦٧٠) .

تخبيط فاحش إسناداً ومتناً ، ففي هذا أن عليًّا شُغل بمجرد قسم الغنيمة ، وهذا لم يقله أحدٌ ولا ذهب إلى جواز ترك الصلاة لذلك ذاهب ، وإن كان قد جوَّز بعضُ العلماء تأخيرَ الصلاة عن وقتِها لعذر القتال ؛ كما حكاه البخاري عن مكحول والأوزاعي وأنس بن مالك في جماعة من أصحابه بتسترَ ، واحتجَّ لهم في بني قريظة . وذهبَ جماعة من العلماء إلى أن هذا نُسِخَ بصلاة الخوف . والمقصودُ أنه لم يقل أحدٌ من العلماء إنه يجوز تأخيرُ الصلاة بعذر قسم الغنيمة ، حتى يُسند هذا إلى صنيع عليّ رضي الله عنه ، وهو الراوي عن رسول الله ﷺ أن الوسطى هي العصر ، فإن كان هذا ثابتاً على ما رواه هؤلاء الجماعة ، وكان عليّ متعمداً لتأخير الصلاة لعذر قسم الغنيمة ، وأقرَّه عليه الشارع صارَ هذا وحدَه دليلاً على جواز ذلك ، ويكون أقطع في الحجة مما ذكره البخاري ، لأن هذا بعد مشروعية صلاة الخوف قطعاً ، لأنه كان بخيبر سنة سبع ، وصلاة الخوف شُرعت قبل ذلك ، وإن كان عليّ ناسياً حتى تركَ الصلاة إلى الغروب فهو معذور ، فلا يحتاج إلى ردّ الشمس ، بل وقتها بعد الغروب ، والحالة هذه إذن ، كما ورد به الحديث ، والله أعلم .

وهذا كلُّه مما يدل على ضعف هذا الحديث .

ثم إن جعلناه قضيّةً أخرى ، وواقعة غير ما تقدم ، فقد تعدد رد الشمس غير مرة ، ومع هذا لم ينقله أحدٌ من أئمة العلماء ، ولا رواه أهلُ الكتب المشهورة ، وتفرد بهذه الفائدة هؤلاء الرواة الذين لا يخلو إسناد منها عن مجهول ومتروك ومتهم ، والله أعلم .

ثم أورده هذا المصنف من طريق أبي العباس بن عُقدة : حدَّثنا يحيى بن زكريا ، حدَّثنا يعقوبُ بن سعيد ، حدَّثنا عمرو بن ثابت ، قال : سألتُ عبدَ الله بن حسن بن حسن بن عليّ (بن أبي طالب) ، عن حديث رد الشمس على عليّ بن أبي طالب : هل يثبتُ عندكم؟ فقال لي : ما أنزلَ الله في كتابه أعظمُ من ردّ الشمس ، قلت : صدقتَ ـ جعلني الله فداك ـ ولكني أحبُّ أن أسمعَه منك ، فقال : حدَّثني أبي ـ الحسن ـ عن أسماء بنت عُمَيس ؛ أنها قالت : أقبل عليُّ بن أبي طالب ذاتَ يوم وهو يُريد أن يصلِّي العصرَ مع رسول الله ﷺ ، فوافق رسولَ الله ﷺ قد انصرفَ ونزل عليه الوحي ، فأسندَه إلى صدره ، فلم يزل مُسندَه إلى صدره ، حتى أفاقَ رسولُ الله ﷺ فقال : « أصلّيتَ العصرَ يا عليّ ؟ » قال : جئتُ والوحيُ ينزلُ عليكَ ، فلم أزل مُسندَك إلى صدري حتى الساعة ، فاستقبلَ رسولُ الله ﷺ القبلةَ ـ وقد غربت الشمس ـ وقال : « اللهم إن عليّاً كان في طاعتِك فارددها عليه » قالت أسماء : فأقبلتِ الشّمسُ ولها صريرٌ كصرير الرحى ، حتى كانت في موضعها وقت العصر . فقام عليٌّ متمكناً فصلَّى ، فلما فرغَ رجعتِ الشمس ولها صرير كصرير الرحى ، فلما غابت اختلطَ الظلامُ ، وبدت النجوم .

وهذا منكرٌ أيضاً إسناداً ومتناً ، وهو مناقض لما قبله من السياقات ، وعمرو بن ثابت هذا هو المتهم بوضع هذا الحديث أو سرقته من غيره ، وهو عمرو بن ثابت بن هرمز البكري الكوفي ، مولى بكر بن وائل ، ويُعرف بعمرو بن المِقدام الحداد ، روى عن غير واحد من التابعين ، وحدَّث عنه جماعة ، منهم

سعيد بن منصور ، وأبو داود وأبو الوليد الطيالسيان ، قال : تركه عبد الله بن المبارك ، وقال : لا تحدِّثوا عنه فإنه كان يسبُّ السلفَ . ولما مرَّت به جنازته توارى عنها . وكذلك تركه عبد الرحمن بن مهدي ، وقال ابنُ معين والنسائي : ليس بثقة ، ولا مأمون ، ولا يكتب حديثه . وقال مرة أخرى هو وأبو زرعة وأبو حاتم : كان ضعيفاً . زاد أبو حاتم : وكان رديء الرأي شديدَ التشيّع ، لا يُكتب حديثه . وقال البخاري : ليس بالقوي عندهم . وقال أبو داود : كان مِن شرار الناس ، كان رافضيًّا خبيثاً رجلَ سُوء ، قال هنا : ولما مات لم أصلِّ عليه ؛ لأنه قال لما مات رسول الله ﷺ كفر الناس إلا خمسة . وجعلَ أبو داود يذمّه . وقال ابن حِبّان : يَروي الموضوعات عن الأثبات . وقال ابن عدي : والضعف على حديثه بيّن ، وأرَّخوا وفاتَه في سنة سبع وعشرين ومئة ، ولهذا قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية : وكان عبد الله بن حسن وأبوه أجلَّ قدراً من أن يُحدِّثا بهذا الحديث .

قال هذا المُصَنِّف لا المنصف : وأما حديث أبي هريرة ؛ فأخبرنا عقيل بن الحسن العسكري ، أخبرنا أبو محمد صالح بن الفتح النسائي ، حدَّثنا أحمد بن عمير بن جوصاء ، حدَّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدَّثنا يحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلي ، عن أبيه ، حدَّثنا داود بن فراهيج ، عن عمارة بن برود ، عن أبي هريرة فذكره . وقال : اختصرته من حديث طويل .

وهذا إسناد مظلم ، ويحيى بن يزيد وأبوه وشيخه داود بن فراهيج كلُّهم مُضعّفون ، وهذا هو الذي أشار ابن الجوزي إلى أن ابن مردويه رواه من طريق داود بن فراهيج عن أبي هريرة ، وضعّف داود هذا شعبة والنسائي وغيرهما .

والذي يظهر أن هذا مفتعل من بعض الرواة ، أو قد أُدخِل على أحدهم وهو لا يشعر ، والله أعلم .

قال : وأما حديث أبي سعيد ، فأخبرنا محمد بن إسماعيل الجرجاني في كتابه ؛ أن أبا طاهر محمد بن علي الواعظ أخبرهم : أخبرنا محمد بن أحمد بن متيم ، أخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب : حدثني أبي ، عن أبيه محمد ، عن أبيه عبد الله ، عن أبيه عمر قال : قال الحسين بن عليّ : سمعتُ أبا سعيد الخدري يقول : دخلتُ على رسول الله ﷺ فإذا رأسُه في حجر عليّ وقد غابت الشمس ، فانتبه النبيّ ﷺ وقال : « يا عليّ ! أصلّيتَ العصر ؟ » قال : لا ، يا رسول الله ما صلَّيت ، كرهتُ أن أضعَ رأسَك من حِجري وأنت وَجِع . فقال رسول الله ﷺ : « يا عليّ ، ادعُ يا عليّ أن تُرَدَّ عليك الشمسُ » ، فقال عليٌّ : يا رسول الله ، ادعُ أنت وأنا أُؤمن ، فقال : « يا ربّ إنَّ عليًّا في طاعتِك وطاعةِ نبيّك فاردد عليه الشمس » . قال أبو سعيد : فوالله لقد سمعتُ للشمس صريراً كصرير البَكَرَة ، حتى رجعت بيضاءَ نقيّة .

وهذا إسناد مظلم أيضاً ، ومتنه منكرٌ مخالف لما تقدّمه من السّياقات ، وكل هذا يدل على أنه موضوع مصنوع مفتعل ، يسرقُه هؤلاء الرافضة بعضُهم من بعض ، ولو كان له أصل من رواية أبي سعيد لتلقاه عنه

كبار أصحابه ؛ كما أخرجا في الصحيحين من طريقه حديث قتال الخوارج ، وقصة المخدج ، وغير ذلك من فضائل علي .

قال : وأما حديثُ أمير المؤمنين عليّ ، فأخبرنا أبو العباس الفرغاني ، أخبرنا أبو المُفَضَّل الشيباني ، حدَّثنا رجاء بن يحيى السَّاماني ، حدَّثنا هارون بن مسلم بن سعدان بسامرَّاء سنة أربعين ومئتين ، حدَّثنا عبد الله بن عمرو بن الأشعث عن داود بن الكُمَيت ، عن عمّه المستهل بن زيد ، عن أبيه زيد بن سلهب ، عن جويرية بنت شهر ، قالت : خرجتُ مع عليّ بن أبي طالب ، فقال : يا جويرية ! إن رسولَ الله ﷺ كان يُوحى إليه ورأسه في حِجري . فذكر الحديث .

وهذا الإسناد مظلم ، وأكثر رجاله لا يُعرفون ، والذي يظهرُ والله أعلم أنه مركّب مصنوع ، مما عملته أيدي الروافضِ قبحهم الله ، ولعن من كذب على رسول الله ﷺ ، وعجَّلَ له ما توعَّدَه الشارعُ من العذاب والنَّكال ، حيث قال وهو الصادق في المقال : « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[١] .

وكيف يدخلُ في عقل أحد من أهل العلم أن يكون هذا الحديث يَرويه علي بن أبي طالب ، وفيه منقبة عظيمة له ، ودلالة معجزة باهرة لرسول الله ﷺ ، ثم لا يُروى عنه إلا بهذا الإسناد المظلم المركّب على رجال لا يُعرفون ، وهل لهم وجود في الخارج أم لا ؟ الظاهر ـ والله أعلم ـ لا .

ثم هو عن امرأة مجهولة العين والحال ، فأين أصحاب علي الثقات ؛ كعَبيدة السلماني ، وشريح القاضي ، وعامر الشعبي ، وأضرابهم .

ثم في ترك الأئمة كمالك ، وأصحاب الكتب الستة ، وأصحاب المسانيد والسنن والصحاح والحسان ؛ رواية هذا الحديث وإيداعه في كتبهم ، أكبر دليل على أنه لا أصل له عندهم ، أو هو مفتعل ، مأفوك بعدهم .

وهذا أبو عبد الرحمن النسائي ، قد جمع كتاباً في « خصائص عليّ بن أبي طالب » . ولم يذكره ، وكذلك لم يروه الحاكمُ في « مُستدركه »[٢] ، وكلاهما يُنسب إلى شيء من التشيع ، ولا رَواهُ من رواه من الناس المعتبرين إلا على سبيل الاستغراب والتعجب ، وكيف يقعُ مثلُ هذا نهاراً جهرة وهو مما تتوفر الدواعي على نقله ، ثم لا يُروى إلا من طرق ضعيفة منكرة ، وأكثرها مركبة موضوعة . وأجودُ ما فيها ما قدَّمناه من طريق أحمد بن صالح المصري ، عن ابن أبي فُديك ، عن محمد بن موسى الفِطْري ، عن عون بن محمد ، عن أمّه أم جعفر ، عن أسماءَ ، على ما فيها من التعليل الذي أشرنا إليه فيما سلف .

وقد اغترَّ بذلك أحمد بن صالح رحمه الله ، ومال إلى صحته ، ورجَّح ثبوتَه .

---

(١) حديث متواتر عن عدد من الصحابة . فرواه البخاري (١١٠) ومسلم (٣) عن أبي هريرة .
(٢) مشكل الآثار للطحاوي (٢/ ١١) .

قال الطحاوي في كتابه « مشكل الحديث » : عن علي بن عبد الرحمن ، عن أحمد بن صالح المصري ؛ أنه كان يقول : لا ينبغي لمن كان سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء في ردّ الشمس ؛ لأنه من علامات النبوة . وهكذا مال إليه أبو جعفر الطحاوي أيضاً فيما قيل .

ونقل أبو القاسم الحسكاني هذا عن أبي عبد الله البصري المتكلم المعتزلي أنه قال : عَودُ الشمس بعد مغيبها آكدُ حالاً فيما يقتضي نقلُه ؛ لأنه وإن كان فضيلة لأمير المؤمنين فإنه من أعلام النبوة ، وهو مُقارِن لغيره في فضائله في كثير من أعلام النبوة .

وحاصل هذا الكلام يقتضي أنه كان ينبغي أن يُنقل هذا نقلاً متواتراً ، وهذا حقّ لو كان الحديث صحيحاً ، ولكنه لم يُنقل كذلك فدلَّ على أنه ليس بصحيح في نفس الأمر ، والله أعلم .

قلت : والأئمة في كلّ عصر يُنكرون صحة هذا الحديث ، ويردُّونه ويُبالغون في التشنيع على رُواته كما قدَّمنا عن غير واحد من الحفّاظ ، كمحمد ويعلى ابني عبيد الطنافِسيِّين ، وكإبراهيم بن يَعقوب الجوزجاني خطيب دمشق ، وكأبي بكر محمد بن حاتم البخاري ، المعروف بابن زنجويه ، وكالحافظ أبي القاسم بن عساكر ، والشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين .

وممن صرَّحَ بأنه موضوع شيخُنا الحافظ أبو الحجاج المِزّي ، والعلاَّمة أبو العباس بن تيمية ، وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : قرأتُ على قاضي القضاة أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي : حدَّثنا عبد الله بن الحسين بن موسى ، حدَّثنا عبد الله بن عليّ بن المديني قال : سمعتُ أبي يقول : خمسةُ أحاديث يروونها ، ولا أصل لها عن رسول الله ﷺ ؛ حديث : لو صدقَ السائلُ ما أفلحَ من رَدَّه ، وحديث : لاوجع إلا وَجَعُ العين ، ولا غمَّ إلا غم الدين ، وحديث : أن الشمس رُدّت على عليّ بن أبي طالب ، وحديث : أنا أكرمُ على الله من أن يدعني تحت الأرض مئتي عام ، وحديث : أفطرَ الحاجمُ والمحجوم ؛ إنهما كانا يَغتابان .

والطحاوي ـ رحمه الله ـ وإن كان قد اشتَبه عليه أمرُه ، فقد روى عن أبي حنيفة رحمه الله إنكاره والتهكم بمن رواه ، قال أبو العباس بن عُقدة : حدَّثنا جعفر بن محمد بن عُمير ، حدَّثنا سليمان بن عبَّاد ، سمعتُ بشّار بن دراع قال : لقي أبو حنيفة محمد بن النعمان ، فقال : عمن رويتَ حديثَ ردّ الشمس ؟ فقال : عن غير الذي رويتَ عنه : يا سارية الجبل .

فهذا أبو حنيفة رحمه الله ، وهو من الأئمة المعتبرين ، وهو كوفيٌّ لا يُتَّهم على حبّ عليّ بن أبي طالب وتفضيله بما فضَّله الله به ورسولُه ، وهو مع هذا يُنكر على راويه ، وقول محمد بن النعمان له ليس بجواب بل مجرد معارضة بما لا يُجدي ، أي : أنا رويتُ في فضل عليّ هذا الحديث ، وهو وإن كان مستغرباً فهو في الغرابة نظيرُ ما رويتَه أنت في فضل عمر بن الخطاب في قوله : يا ساريةَ الجبل . وهذا

ليس بصحيح من محمد بن النعمان ، فإن هذا ليس كهذا إسناداً ولا متناً ، وأين مكاشفة إمام قد شهد الشارع له بأنه مُحَدَّثٌ بأمرِ خيرٍ ، من ردّ الشمس طالعة بعد مغيبها الذي هو أكبر علامات الساعة؟ والذي وقع ليوشع بن نون ليس ردّاً للشمس عليه ، بل حُبِست ساعة قبل غروبها ، بمعنى تباطأت في سيرها حتى أمكنهم الفتح ، والله تعالى أعلم .

وتقدم ما أورده هذا المصنف من طرق هذا الحديث : عن عليّ ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وأسماء بنت عميس ، وقد وقع في كتاب أبي بشر الدولابي في « الذرية الطاهرة »[١] من حديث الحسين بن علي ، والظاهر أنه عنه ، عن أبي سعيد الخدري كما تقدم ، والله أعلم .

وقد قال شيخُ الرافضة جمال الدين يُوسف بن الحسن الملقب بابن المُطَهِّر الحِلِّي في كتابه « في الإمامة » الذي ردَّ عليه شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية ، قال ابن المُطهر : التاسع : رجوع الشمس مرتين : إحداهما في زمن النبي ﷺ ، والثانية بعده . أما الأولى ، فروى جابر وأبو سعيد : أن رسول الله ﷺ نزلَ عليه جبريل يوماً يُناجيه من عند الله ، فلما تغشَّاه الوحيُ توسَّد فخذَ أمير المؤمنين ، فلم يرفع رأسَه حتى غابت الشمس ، فصلَّى عليٌّ العصرَ بالإيماء ، فلما استيقظَ رسولُ الله ﷺ قال له : سل الله أن يردَّ عليك الشمسَ فتُصلِّي قائماً . فدعا فرُدَّتِ الشمسُ فصلّى العصر قائماً .

وأما الثانية فلما أراد أن يعبرَ الفرات ببابل ، واشتغلَ كثيرٌ من الصحابة بدوابّهم ، وصلَّى لنفسه في طائفة من أصحابه العصرَ ، وفاتَ كثيراً منهم ، فتكلّموا في ذلك ، فسأل الله رَدَّ الشمسِ فرُدَّت .

قال : وقد نظمه الحِميَريّ فقال :

رُدَّت عَليـهِ الشمـسُ لَمَّـا فَـاتَـهُ ... وَقـتُ الصَّـلاةِ وقـد دَنَـت للمَغـرِبِ
حَتَّـى تبَلَّـجَ نُـورهـا فـي وَقتِهـا ... لِلعَصـرِ ثُـمَّ هَـوَت هَـوِيَّ الكـوكَـبِ
وَعليـهِ قَـد رُدَّت بِبـابِـلَ مَـرَّةً ... أخـرى وَمـا رُدَّت لِخَلـقِ المغـرِبِ

قال شيخُنا أبو العباس (ابن تيمية) رحمه الله[٢] : فضل عليّ وولايتُه وعلوّ منزلته عند الله معلوم ولله الحمد بطرق ثابتة ، أفادتنا العلم اليقيني ، لا يُحتاج معها إلى ما لا يُعلم صدقُه أو يُعلم أنه كذب ، وحديثُ ردّ الشمس قد ذكرَه طائفةٌ كأبي جعفر الطحاوي ، والقاضي عياض ، وغيرهما ، وعدُّوا ذلك من معجزات رسول الله ﷺ ، لكن المحقّقون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يَعلمون أن هذا الحديث كذبٌ موضوع ، ثم أورَد طرقَه واحدةً واحدةً كما قدّمنا ، وناقش أبا القاسم الحسكاني فيما تقدم ، وقد أوردنا كلَّ ذلك ، وزدنا عليه ونقصنا منه ، والله الموفق .

---

(١) الذرية الطاهرة لأبي بشر الدولابي (ص٩٣) .

(٢) منهاج السنة (٨/ ١٦٥) وهذا الفصل أكثره منه كما سيصرح المصنف .

واعتذرَ عن أحمد بن صالح المِصري في تصحيحه هذا الحديث بأنه اغترَّ بسنده ، وعن الطحاوي بأنه لم يكن عندَه نقلٌ جيّد للأسانيد كجهابذة الحفاظ ، وقال في غضون كلامه : والذي يقطع به أنه كذب مفتعل .

قلت : وإيراد ابن المطهر لهذا الحديث من طريق جابر غريب ، ولكن لم يُسنده ، وفي سياقه ما يقتضي أن عليًّا هو الذي دعا بردِّ الشمس في الأولى والثانية ، وأما إيرادُه لقصة بابل فليس لها إسناد وأظنه ـ والله أعلم ـ من وضع الزنادقة من الشيعة ونحوهم ، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه يومَ الخندق قد غربت عليهم الشمس ولم يكونوا صلّوا العصرَ بل قاموا إلى بُطحان ـ وهو واد هناك ـ فتوضؤوا وصلّوا العصر بعدما غربت الشمس ، وكان عليّ أيضاً فيهم ولم تُرَدّ لهم ، وكذلك كثيرٌ من الصحابة الذين ساروا إلى بني قريظة فاتتهم العصرُ يومئذ حتى غربت الشمسُ ولم ترد لهم ، وكذلك لمَّا نامَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس ، صلّوها بعد ارتفاع النهار ولم يُرَدّ لهم الليل ؛ فما كان الله عزّ وجلّ ليعطي عليّاً وأصحابَه شيئاً من الفضائل لم يعطها رسولَ الله ﷺ وأصحابه .

وأما نظم الحِميَري فليس [فيه] حُجّة ، بل هو كهذيان ابن المُطَهّر ، هذا لا يَعلم ما يقول من النثر وهذا لايدري صحة ما ينظم ، بل كلاهما كما قال الشاعر :

إن كُنــتُ أدري فَعَلــيَّ بَــدَنَــه   مِــن كَثــرَةِ التخلِيـطِ أنّـي مـن أنـه

والمشهور عن عليّ في أرض بابلَ ، ما رواه أبو داود رحمه الله في « سننه » عن عليّ ، أنه مرَّ بأرض بابلَ وقد حانت صلاة العصر ، فلم يُصلّ حتى جاوزَها ، وقال : نهاني خليلي ﷺ أن أُصلّي بأرضِ بابلَ فإنّها ملعونة(١) .

وقد قال أبو محمد بن حزم في كتابه « الملل والنحل » مُبطلاً لردّ الشمس على عليّ بعد كلام ذكره رادّاً على من ادَّعى باطلاً من الأمر ، فقال : ولا فرق بين من ادعى شيئاً مما ذكرنا لفاضلٍ ، وبين دعوى الرافضة ردّ الشمس على عليّ بن أبي طالب مرتين ، حتى ادعى بعضُهم أن حبيب بن أوس قال :

فَرُدَّت عَلَينَا الشمسُ والليلُ راغِمٌ   بِشَمسٍ لَهُم مِن جانِبِ الخِدرِ تَطلَعُ
نضَا ضَوءُها صِبغَ الدِّجنةِ وانطَوى   لِبهجَتِهـا نُـور السَّمـاءِ المُـرَجَّـعُ
فَــوالله مــا أدري أأحــلامُ نــائـمٍ   ألَمّت(٢) بنا أم كَانَ في القومِ يُوشَعُ

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٩٠) في الصلاة . وقال الخطابي : في إسناد هذا الحديث مقال ، ولا أعلم أحداً من العلماء حرَّم الصلاة في أرض بابل ، وقد عارضه ما هو أصحُّ منه ؛ وهو قوله ﷺ : « وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » . .

(٢) كذا في الملل والنحل ؛ لابن حزم (١/ ١٤٧) ، والبيت الثاني في (أ) والمطبوع : =

هكذا أوردَه ابنُ حزم في كتابه[١] ، وهذا الشِّعرُ تظهر عليه الركة والتركيب ، وأنه مصنوع ، والله أعلم .

***

استسقاء الرسول ﷺ

ومما يتعلّق بالآيات السماوية في باب دلائل النبوة ، استسقاؤه عليه الصلاة والسلام ربَّه عزَّ وجلَّ لأمته حين تأخر المطر ، فأجابه إلى سؤاله سريعاً ، بحيث لم ينزل عن مِنبره إلا والمطرُ يتحادرُ على لحيته عليه الصلاة والسلام ، وكذلك استصحاؤه .

قال البخاري : حدَّثنا عمرو بن عليّ ، حدَّثنا أبو قُتيبة ، حدَّثنا عبدُ الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، قال : سمعتُ ابنَ عمر يَتمثَّلُ بشعر أبي طالب :

وَأبيضَ يُستَسقى الغَمامُ بِوَجهِهِ ثِمَالُ[٢] اليتامَى عِصمةٌ لِلأرامِلِ[٣]

قال البخاري[٤] : وقال عُمر بن حمزة : حدَّثنا سالم ، عن أبيه . ربما ذكرتُ قولَ الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ يَستسقي ، فما ينزلُ حتى يَجيشَ كلُّ ميزاب .

وَأَبيضَ يُستسقَى الغَمامُ بِوَجهِهِ ثِمَالُ اليتامَى عِصمَةٌ لِلأرامِلِ

وهو قول أبي طالب . تفرد به البخاري .

وهذا الذي علَّقه[٥] ، قد أسنده ابن ماجه[٦] في « سننه » ، فرواه عن أحمد بن الأزهر ، عن أبي النضر ، عن أبي عقيل ، عن عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه .

وقال البخاري : حدَّثنا محمد ـ هو ابن سَلام ـ حدَّثنا أبو ضمرة ، حدَّثنا شَريك بن عبد الله بن أبي نمر ؛ أنه سمع أنس بن مالك يذكُر أن رجلاً دخلَ المسجدَ يومَ جمعةٍ من باب كان وِجاهَ المِنبر ،

= فوالله ما ندري عليٌّ ما بدا لنا فردّت له أم كان في القوم يوشع

(١) الملل والنحل ؛ لابن حزم (١/ ١٤٧) .

(٢) « ثِمَال » : العماد والملجأ . والمُطعِم والمُغيث والمُعين والكافي .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٠٠٨) في الاستسقاء .

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٠٠٩) معلقاً .

(٥) وقد رواه الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٢/ ٣٨٩) بسنده عن الإمام أحمد ، حدَّثنا أبو النضر ، حدَّثنا أبو عقيل ، حدَّثنا عمر بن حمزة . . إلخ ، والحديث في المسند (٢/ ٩٣) وزاد فيه : على المنبر .

(٦) رواه ابن ماجه في سننه رقم (١٢٧٢) في إقامة الصلاة، باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء، وإسناده ضعيف لضعف عمر بن حمزة ، كما قال الحافظ ابن حجر في « التقريب »، وهو حديث حسن بالذي قبله، ومتن الذي قبله صحيح.

ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يخطب ، فاستقبلَ رسولَ الله ﷺ قائماً ، فقال : يا رسولَ الله هلكتِ الأموال ، وتقطَّعتِ السُّبل ، فادعُ الله لنا يُغيثنا ، قال : فرفعَ رسولُ الله ﷺ يديه فقال : « اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا » قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قَزَعة ولا شيئاً ، ومابيننا وبين سَلع من بيت ولا دار ، قال : فطلعت من ورائه سحابةٌ مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، قال : والله ما رأينا الشَّمسَ سِتًّا ، ثم دخلَ رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسولُ الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائماً ، وقال : يا رسولَ الله هلكت الأموال وانقطعت السُّبل ، ادعُ الله يُمسكها ، قال : فرفعَ رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكَام والجبال والظِّرَاب ومنابت الشجر » قال : فأقلعت ، وخرجنا نمشي في الشمس . قال شريك : فسألتُ أنساً أهو الرجل الذي سأل أولًا ؟ قال : لا أدري[١] .

وهكذا رواه البخاريُّ أيضاً ومسلم[٢] ، من حديث إسماعيل بن جعفر ، عن شريك به .

وقال البخاري : حدَّثنا مُسدَّدٌ ، حدَّثنا أبو عَوانة ، عن قَتادةَ ، عن أنس قال : بينما رسولُ الله ﷺ يخطبُ يومَ جمعة إذ جاء رجل فقال : يا رسول الله قَحَط المطرُ ، فادعُ الله أن يسقينا ، فدعا فمُطرنا ، فما كدنا أن نصلَ إلى منازلنا ، فما زلنا نُمطر إلى الجمعة المقبلة ، قال : فقام ذلك الرجل ـ أو غيرُه ـ فقال : يا رسولَ الله ادعُ الله أن يصرفَه عنا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم حَوالَينا ولا علينا » قال : فلقد رأيتُ السحابَ يتقطَّع يميناً وشِمالًا ، يُمطرون ولا تُمطر[٣] المدينة[٤] . تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال البخاري : حدَّثنا عبدُ الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن شَريك بن عبد الله بن أبي نَمِر ، عن أنس ، قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : هلكتِ المواشي وتقطَّعت السُّبل ، فادعُ الله ، فدعا ، فمُطرنا من الجمعة إلى الجمعة ، ثم جاء فقال : تَهدَّمت البيوتُ وتقطَّعت السبل وهلكت المواشي (فادعُ الله أن يُمسكَها)[٥] فقال : « اللهم ، على الآكام والظِّراب والأودية ومنابت الشجر » ، فانجابت عن المدينة انجيابَ الثوب[٦] .

وقال البخاري : حدَّثنا محمد بن مُقاتل ، حدَّثنا عبد الله ، حدَّثنا الأوزاعي ، حدَّثنا إسحاق بن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٠١٣) في الاستسقاء . والظِّراب : جمع ظَرِب : وهو الجبل المنبسط ، ليس بالعالي .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٠١٤) في الاستسقاء ، ومسلم في صحيحه رقم (٨٩٧) في الاستسقاء .

(٣) كذا في (أ) وفي البخاري : ولا يُمطر أهل المدينة .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٠١٥) في الاستسقاء .

(٥) ما بين القوسين أثبته من البخاري .

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٠١٦) في الاستسقاء .

عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، حدَّثني أنس بن مالك قال : أصابتِ النَّاسَ سَنةٌ على عهد رسول الله ﷺ، فبينا رسولُ الله ﷺ يخطُب على المنبر يوم الجمعة ، فقام أعرابيٌّ فقال : يا رسولَ الله هلك المال ، وجاعَ العيال ، فادعُ الله أن يسقينَا ، قال : فرفعَ رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قَزَعة ، فوالذي نفسي بيده ما وضعَهَا حتى ثارَ سحابٌ أمثالُ الجبال ، ثم لم ينزل عن مِنبره حتى رأيتُ المطرَ يتحادرُ على لحيته قال : فمُطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد ، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابي ـ أو غيره ـ فقال : يا رسول الله تهدَّم البناء ، وغَرِق المالُ ، فادعُ الله لنا ، فرفعَ رسولُ الله ﷺ يديه فقال : « اللهم حَوالَينا ولا علينا » قال : فما جعلَ رسولُ الله ﷺ يُشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت ، حتى صارت المدينة في مثل الجَوبَة ، وسال الوادي ـ وادي قناة ـ شهراً ، ولم يجئ أحدٌ من ناحية إلا حدَّثَ بالجود[١] .

ورواه البخاري أيضاً في الجمعة ، ومسلم[٢] من حديث الوليد ، عن الأوزاعي .

وقال البخاري : وقال أيوب بنُ سليمان : حدَّثني أبو بكر بن أبي أُوَيس ، عن سُليمان بن بلال ، قال : قال يَحيى بن سعيد : سمعت أنس بن مالك ، قال : أتى (رجلٌ) أعرابيٌّ من أهل البدو إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، فقال : يا رسولَ الله هلكتِ الماشيةُ ، هلكَ العيال ، هلك الناس ، فرفع رسولُ الله ﷺ يديه يدعو ، ورفع الناس أيديهم مع رسول الله ﷺ يدعون ، قال : فما خرجنا من المسجد حتى مُطرنا ، فما زلنا نُمطر حتى كانت الجمعة الأخرى ، فأتى الرجلُ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله بَشِقَ المسافرُ ومُنع الطريق[٣] .

قال البخاري : وقال الأوَيسي ـ يعني عبد العزيز بن عبد الله ـ : حدَّثني محمد بن جعفر ـ هو ابن أبي كثير ـ عن يحيى بن سعيد وشَريك ، سمعا أنساً ، عن النبي ﷺ رفعَ يديه حتى رأيتُ بياضَ إبطيه[٤] .

هكذا علَّق هذين الحديثين ، ولم يسندهما أحد من أصحاب الكتب الستة بالكلية .

وقال البخاري : حدَّثنا محمد بن أبي بكر قال : حدَّثنا معتمر ، عن عُبيد الله ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : كان النبيُّ ﷺ يَخطب يومَ جُمعة ، فقام الناس فصاحوا ، فقالوا : يا رسول الله قَحَطَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٠٣٣) في الاستسقاء .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٩٣٣) في الجمعة ، ومسلم في صحيحه رقم (٨٩٧) (٩) في الاستسقاء .
و« الجَوبَة » : الفجوة ، ومعناه تقطّع السحابُ عن المدينة وصار مستديراً حولها ، وهي خالية منه .
(٣) ذكره البخاري تعليقاً في صحيحه رقم (١٠٢٩) في الاستسقاء . وبَشِق المسافر : قلَّ وقيل : ضعف عن السفر وعجز عنه . وقيل : هي مصحفة من لَثِقَ أو مشق ، فتح الباري (٢/ ٥١٦) وهو حديث صحيح .
(٤) ذكره البخاري في صحيحه رقم (١٠٣٠) في الاستسقاء تعليقاً ، وهو متن صحيح ، وانظر البخاري رقم (١٠٣١) .

المَطر ، واحمرَّت الشجر ، وهلكت البهائمُ ، فادعُ الله أن يسقيَنا ، فقال : « اللهم اسقنا » مرتين ، وايمُ الله ما نرى في السماء قزعة من سحاب ، فنشأت سحابة وأمطرت ، ونزل عن المنبر فصلَّى ، فلما انصرف لم تزل تمطر إلى الجمعة التي تليها ، فلما قام النبيُّ ﷺ يَخطب صاحوا إليه : تهدمت البيوت ، وانقطعت السبل ، فادعُ الله يحبسْها عنا ، قال : فتبسَّم رسولُ الله ﷺ ثم قال : « اللهم حوالَينا ولا علينا ، فتكشَّفت[١] المدينة ، فجعلت تُمطر حولَها ولا تُمطر بالمدينة قطرةً ، فنظرتُ إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل[٢] .

وقد رواه مسلم[٣] من حديث معتمر بن سليمان ، عن عبيد الله ـ وهو ابن عمر العمري ـ به .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن حُميد ، قال : سُئل أنس : هل كان رسولُ الله ﷺ يَرفع يديه ؟ فقال : قيل له يوم جمعة : يا رسول الله ! قَحَطَ المطرُ ، وأجدبتِ الأرضُ ، وهلَك المالُ ، قال : فرفع يديه حتى رأيتُ بياضَ إبطيه ، فاستسقى ، ولقد رفعَ يديه وما نرى في السماء سحابةً ، فما قضينا الصَّلاةَ حتى إن الشَّابَّ قريب الدَّار[٤] ليهمّه الرجوعُ إلى أهله ، قال : فلما كانت الجمعة التي تليها قالوا : يا رسولَ الله ! تهدَّمتِ البيوتُ واحتبست الرُّكبان ، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ من سرعة مَلالة ابن آدم ، وقال : « اللهم حوالَينا ولا علينا » ، قال : فتكشَّطَت عن المدينة . وهذا إسناد ثلاثي على شرط الشيخين ، ولم يخرجوه[٥] .

وقال البخاريُّ وأبو داود واللفظ له : حدَّثنا مُسَدَّدٌ ، حدَّثنا حمَّاد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صُهَيب ، عن أنس بن مالك ، وعن يونس بن عُبيد ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : أصابَ أهلَ المدينة قَحطٌ على عهد رسول الله ﷺ ، فبينا هو يخطب يوم جمعة ؛ إذ قام رجل فقال : يا رسول الله ! هلكت الكُراع ، هلكت الشاء ، فادعُ الله يسقينا ، فمدَّ يدَه ودعا . قال أنس : وإن السماء لمثل الزجاجة ، فهاجت الريح فأنشأت سحاباً ، ثم اجتمع ، ثم أرسلت السماء عَزاليها فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا ، فلم تزل تُمطر إلى الجمعة الأخرى ، فقام إليه ذلك الرجل ـ أو غيره ـ فقال : يا رسول الله ! تهدَّمت البيوتُ فادعُ الله يحبسه . فتبسَّم رسول الله ﷺ ثم قال : « حوالينا ولا علينا » فنظرت إلى السحاب يتصدَّع حول المدينة كأنه إكليل[٦] .

---

(١) كذا في (أ) وفي البخاري : فكشَطَت . وفي مسلم : تقشَّعَت ، وهي بمعنى ارتفع الغيم عنها وانكشف وزال .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٠٢١) في الاستسقاء .

(٣) مسلم في صحيحه رقم (٨٩٧) (١٠) في الاستسقاء .

(٤) في المسند : حتى أن قريب الدار الشَّابّ . . .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٠٤) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٣٢) في الجمعة و(٣٥٨٢) في علامات النبوة ، وأبو داود (١١٧٤) في الصلاة . =

فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك ؛ لأنها تُفيد القطعَ عند أئمة هذا الشأن .

وقال البيهقيُّ بإسناده من غير وجه إلى أبي مَعمَر سعيد بن خثيم الهِلَالي ، عن مسلم الملائي ، عن أنس بن مالك قال : جاء أعرابي فقال : يا رسولَ الله ! والله لقد أتيناكَ ، وما لنا بعير يَئِطُّ[١] ، ولا صبيٌّ يَصطبح ، وأنشد :

أَتَينـاكَ والعَـذراءُ يَـدمِـي لُبـانُهـا[٢] وَقَـد شُغِلَـت أُمُّ الصَّبـيِّ عَـنِ الطفـلِ
وَألقـى بِكَفّيـهِ الفَتَـى لاستِكـانَـةٍ مِنَ الجوعِ ضعفاً قائم[٣] وهو لا يُخلي
وَلَا شـيءَ مِمَّـا يَـأكُـلُ النَّـاسُ عِنـدنـا سوى الحَنظَلِ العَامِيِّ والعِلهِزِ الفَسْلِ[٤]
وَلَيْـسَ لنـا إلّا إليـكَ فِـرارُنـا وَأَيـنَ فِـرَارُ النَّـاس إلا إلـى الـرُّسـل

قال : فقام رسول الله ﷺ وهو يجرُّ رداءَه حتى صَعِد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم رفعَ يديه نحوَ السماء وقال : « اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً مَريئاً مَريعاً سريعاً غَدَقاً طَبَقاً ، عاجلاً غير رائثٍ ، نافعاً غير ضار ، تملأ به الضرع ، وتُنبت به الزرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون » . قال : فوالله ما ردَّ يدَه إلى نحره حتى ألقت السماءُ بأوراقها ، وجاء أهلُ البطانة يَصيحون : يا رسولَ الله الغرقَ الغرقَ ، فرفع يديه إلى السماء وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » فانجابَ السَّحابُ عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : « لله درّ أبي طالب لو كان حيّاً قرَّت عيناه ، مَن يُنشد قولَه ؟ » فقام عليُّ بن أبي طالب فقال : يا رسول الله كأنك أردتَ قوله :

وأبيـضَ يُستَسقَـى الغَمـامُ بـوجهِـهِ ثِمَـالُ اليَتَـامـى عصمَـةٌ لـلأرامِـلِ
يَلـوذُ بـه الهُـلَّاكُ مِـن آل هـاشـم فَهُـم عِنـدَهُ فـي نِعمَـةٍ وَفَـواضِـلِ
كَـذبتـمْ وبَيـتِ الله يُبـزَى مُحَمَّـدٌ ولَمـا نُقـاتِـل دُونَـهُ وَنُنَـاضِـل
وَنسلِمُـهُ حتَّـى نُصـرَّعَ حَـولَـهُ وَنَـذهَـل عـن أبنـائِنـا وَالحـلائِـلِ

قال : وقام رجل من بني كِنانة فقال :

= و« الكُراع » : جماعة الخيل .

« عزاليها » جمع عَزْلَاء ، وهي فم المزادة الأسفل الذي يصب فيه الماء ، والمزادة : الراوية . وهو كناية عن شدة المطر وغزارته ، فكأنه ينزل من السماء كنزوله من أفواه القرب .

و« يتصدع » : يتشقق .

(١) « يئط » : يصوِّت .

(٢) « لبانُها » : صدورها .

(٣) كذا في (أ) وفي دلائل النبوة (٦/ ١٤١) من الجوع ضعفاً ما يمرّ ولا يُخلي .

(٤) « الحنظل » : نبات ثمره شديد المرارة ، و« العلهز » : دم الشعر ، « الفَسْل » : الرديء .

لَـكَ الحمـدُ والحمـدُ مِمَّـن شَكَـر سُقينـا بـوَجـهِ النَّبـي المَطَـرْ
دَعـا الله خَـالِقَـهُ دَعـوةً إليـهِ وأشخـصَ مِنـهُ البصَـر
فَلَـم يَـكُ إلا كلـفُّ الـرِّدَاءِ وأَسـرَعَ حتـى رَأينـا الـدِّرَر[١]
دِفَـاقُ العَـزالَـى[٢] عَـمَّ البِقَـاعَ أغـاثَ بِـهِ الله عَينـاً مُضـر
وكَـانَ كمـا قَـالَـهُ عَمُّـهُ أبـو طـالـبٍ أبيـضٌ ذو غُـرَر
بـهِ الله يَسقـي بِصَـوبِ الغَمـامِ وهـذا العيـان كـذَاك الخبـر
فَمَـن يَشكُـرِ الله يَلقـى المزيـدَ ومَـن يكفـر الله يَلقـى الغِيَـر

قال : فقال رسول الله ﷺ : « إن يكُ شاعرٌ يُحسنُ فقد أحسنتَ »[٣] .

وهذا السياق فيه غرابة ، ولا يُشبه ما قدَّمنا من الروايات الصحيحة المتواترة عن أنس ، فإن كان هذا هكذا محفوظاً فهو قصة أخرى غير ما تقدم ، والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو بكر بن الحارث الأصبهاني ، حدَّثنا أبو محمد بن حَيَّان[٤] ، حدَّثنا عبد الله بن مصعب ، حدَّثنا عبد الجبار ، حدَّثنا مروان بن معاوية ، حدَّثنا محمد بن أبي ذئب المدني ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن حاطب الجمحيّ ، عن أبي وَجزَةَ يزيد بن عُبيد السُّلمي ، قال : لما قفلَ رسولُ الله ﷺ من غزوة تبوك أتاه وفدُ بني فَزارة بضعة عشر رجلاً ، فيهم خارجة بن الحصين ، والحرُّ بن قيس ـ وهو أصغرهم ـ ابن أخي عُيينة بن حِصن ، فنزلوا في دار رملةَ بنت الحارث من الأنصار ، وقدموا على إبل ضِعاف عِجاف ، وهم مسنتون[٥] ، فأتوا رسولَ الله ﷺ مُقرّين بالإسلام ، فسألهم رسولُ الله ﷺ عن بلادهم قالوا : يا رسول الله ، أسنتتْ بلادُنا ، وأجدَبت أحياؤنا ، وعَرِيت عيالُنا ، وهلكت مواشينا ، فادعُ ربَّك أن يغيثَنا ، وتشفَّع لنا إلى ربِّك ويشفع ربُّك إليك ، فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله ، ويلك ! هذا ما شفعت إلى ربِّي ، فمن ذا الذي يشَفع ربُّنا إليه ؟ لا إله إلا الله ، وسع كرسيُّه السموات والأرض ، وهو يَئِطُّ من عظمته وجلاله كما يَئِطُّ[٦] الرَّحلُ الجديد » .

وقال رسولُ الله ﷺ : « إن الله يضحكُ من شفقتكم وأزلكُم[٧] وقُربِ غِيَاثِكم » .

---

(١) « الدِّرَر » : المطر المتساقط ، و« الدَّر » : الحلب .
(٢) كذا في الأصل ، وفي دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٤٢) : رقاق العوالي جَمُّ البعاق ، وفيه تصحيف ظاهر .
(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٤١ـ١٤٢) .
(٤) هو أبو الشيخ الأصبهاني .
(٥) « مسنتون » : أي أصابتهم سَنَة ، وهي الجدب والقحط .
(٦) « يئط الرَّحل » : يُصوّت .
(٧) « أزْلكم » : شدتكم .

فقال الأعرابي : ويضحك ربنا يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي : لن نعدم يا رسولَ الله من ربّ يضحكُ خيراً ، فضحكَ رسولُ الله ﷺ من قوله ، فقام رسولُ الله ﷺ فصَعِد المنبرَ وتكلّم بكلام ورفع يديه ـ وكان رسولُ الله ﷺ لا يرفعُ يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء ـ ورفعَ يديه حتى رُئي بياضُ إبطيه ، وكان مما حُفظ من دعائه : « اللهم اسق بلدَك وبهائمك ، وانشر رحمتَك وأَحْي بلدكَ الميّت ، اللهم اسقنا غَيثاً مُغيثاً مَرِيئاً[(١)] مَريعاً[(٢)] طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل ، نافعاً غيرَ ضَارّ ، اللهم سقيا رحمةٍ ولا سُقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق ، اللهم اسقنا الغيثَ وانصرنا على الأعداء » .

فقام أبو لبابة بن عبد المنذر فقال : يا رسول الله ! إن التّمرَ في المرابد ، فقال رسول الله : « اللهم اسقنا » فقال أبو لبابة : التمر في المرابد ، ثلاث مرات ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اسقنا حتى يقومَ أبو لبابة عُريَانَ فيسدّ ثَعلَب[(٣)] مِربده[(٤)] بإزاره » قال : فلا والله ما في السماء من قَزعَةٍ ولا سَحاب ، وما بين المسجد وسَلع من بناء ولا دار ، فطلعت من وراء سلع سحابةٌ مثلُ التُّرس ، فلما توسطتِ السماءَ انتشرت وهم يَنظرون ثم أمطرت ، فوالله ما رأوا الشمسَ ستًّا ، وقام أبو لبابة عُريَانَ يسدّ ثعلبَ مِربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه ، فقال رجل : يا رسولَ الله ! هلكتِ الأموالُ وانقطعتِ السُّبلُ ، فصعِد النبيُّ ﷺ المِنبرَ فدعا ورفعَ يديه حتى رُئي بياضُ إبطيهِ ، ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظِّراب وبطون الأودية ، ومنابتِ الشَّجر » فانجابت السَّحابة عن المدينة كانجياب الثوب[(٥)] .

وهذا السياق يشبه سياق مسلم المُلاَئي عن أنس ، ولبعضه شاهد في سنن أبي داود ، وفي حديث أبي رَزِين العُقَيلي شاهد لبعضه ، والله أعلم[(٦)] .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في « الدلائل » : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن عليّ بن المؤمل ، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم ، حدَّثنا محمد بن حمّاد الظِّهرَاني ، أخبرنا سهل بن عبد الرحمن المعروف بالسندي بن عبد ربه ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي أُويس المدني ، عن عبد الرحمن بن حَرمَلة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي لُبابة بن عبد المنذر

---

(١) « مَرِيئاً » : عاقبتهُ حميدة .
(٢) « مَريعاً » : خصباً .
(٣) « ثَعلب » : مخرج الماء .
(٤) « مربده » : المِربد : المكان الذي يبسط فيه التمر ويجفف .
(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٤٣ ـ ١٤٤) .
(٦) وتقدم أنه قال عن حديث مسلم الملائي أن فيه غرابة ولا يشبه الروايات الصحيحة ، فهذا مثله ، وعبد الله بن محمد بن عمر ذكره الذهبي في الميزان (٢/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) ونقل عن أبي حاتم قوله فيه « محله الصدق » يعني هو تحت الاعتبار ، ثم ذكر الذهبي أنه ليس له شيء في كتب الحديث المعتبرة .

الأنصاري قال: استسقى رسولُ الله ﷺ يومَ جمعة وقال: « اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا » فقام أبو لُبابة فقال: يا رسولَ الله إن التَّمرَ في المَرَابِدِ . وما في السماء من سَحاب نراه ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اسقنا ، حتى يقومَ أبو لبابة يَسدُّ ثَعلَب مِربَده بإزاره » فاستهلّت[١] السماءُ ومَطرت ، وصلَّى بنا رسولُ الله ﷺ ، فأتى أبا لبابةَ[٢] يقولون له : يا أبا لبابة ، إن السَّماءَ والله لن تُقلعَ حتى تقومَ عُريَاناً فتسدَّ ثَعلبَ مِربَدك بإزارك كما قال رسول الله ﷺ ، قال : فقام أبو لبابة عُريَانَ يَسدُّ ثَعلبَ مِربده بإزاره ، فأقلعت السماءُ[٣] .

وهذا إسناد حسن ، ولم يروه أحمد ولا أهلُ الكتب ، والله أعلم .

وقد وقعَ مثلُ هذا الاستسقاء في غزوة تبوك في أثناء الطريق ؛ كما قال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير ، عن عبد الله بن عباس ؛ أنه قيل لعمرَ بن الخطاب : حدِّثنا عن شأن ساعة العُسرة ، فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قَيظ شديد ، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عَطشٌ حتى ظننا أن رقابَنا ستنقطع ، حتى أن كان أحدُنا ليذهبُ فيلتمسُ الرَّحلَ فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى أن الرجل ليَنحرُ بعيره فيعصر فَرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله ! إن الله قد عَوَّدكَ في الدعاء خيراً ، فادعُ الله لنا ، فقال : « أو تحبُّ ذلك ؟ » قال : نعم ، فرفع يديه نحو السماء ، فلم يَرجعهما حتى قالت[٤] السماء فأطلّت[٥] ، ثم سكبت ، فملؤوا ما معهم ، ثم ذهبنا نظر فلم نجدها جاوزت العسكر[٦] .

وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه .

وقد قال الواقدي[٧] : كان مع المسلمين في هذه الغزوة اثنا عشر ألف بعير ومثلَها من الخيلِ ، وكانوا ثلاثين ألفاً من المُقاتلة ، قال : ونزل من المطر ماءٌ أغدقَ الأرض حتى صارت الغُدران تسكبُ بعضُها في بعض ، وذلك في حمأة القيظ ـ أي : شدة الحر البليغ ـ فصلوات الله وسلامه عليه .

وكم له عليه الصلاة والسلام من مثل هذا في غير ما حديث صحيح ، ولله الحمد .

وقد تقدم أنه لما دعا على قريش حين استعصت ؛ أن يُسَلِّطَ الله عليها سَبعاً كسبع يوسف ، فأصابتهم

---

(١) كذا بالأصل ، وفي دلائل النبوة : فأسبَلت .
(٢) في الدلائل : ثم طاف الأنصار بأبي لبابة يقولون . . .
(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٤٤ ـ ١٤٥) .
(٤) « قالت السماء » : امتلأت بالغيوم .
(٥) « فأطلّت » : تهيأت للهطول .
(٦) رواه البزار رقم (١٨٤١) .
(٧) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد (٢/ ١٦٦) .

سنة حَصَّت[١] كلَّ شيء حتى أكلوا العظام والكلاب والعِلْهز ، ثم أتى أبو سفيان يَشفع عنده في أن يدعوَ الله لهم ، فدعا لهم ، فرُفِعَ ذلك عنهم .

وقد قال البخاري : حدَّثنا الحسن بن محمد ، حدَّثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدَّثنا أبي عبد الله بن المثنى ، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ، عن أنس بن مالك ؛ أن عمر بن الخطاب كان إذا قُحطوا استسقى بالعباس ، وقال : اللهم إنا كُنّا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قال : فيُسقون[٢] . تفرد به البخاري .

فصـــل
وأما المعجزات الأرضية

فمنها ما هو متعلّق بالجمادات ، ومنها ما هو متعلّق بالحيوانات ، فمن المتعلّق بالجمادات : تكثيرُه الماءَ في غير ما موطن على صفات متنوعة سنوردُها بأسانيدها إن شاء الله ، وبدأنا بذلك لأنه أنسبُ بإتّباع ما أسلفنا ذكرَه من استسقائه وإجابة الله له .

قال البخاري[٣] حدَّثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ وحانت صلاةُ العصرِ ، والتمسَ النَّاسُ الوضوءَ فلم يجدوه ، فأُتِي رسولُ الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ يدَه في ذلك الإناء ، فأمرَ النَّاسَ أن يتوضؤوا منه ، فرأيت الماءَ ينبعُ من تحت أصابعه ، فتوضأ النَّاسُ حتى توضؤوا من عند آخرهم .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي[٤] ، من طرق ، عن مالك ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

طريق أخرى عن أنس : قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا يونس بن محمد ، حدَّثنا حزم ، سمعت الحسن يقول : حدَّثنا أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ خرجَ ذاتَ يوم لبعضِ مخارجه معه ناس من أصحابه ، فانطلقوا يَسيرون ، فحضرت الصلاة ، فلم يجد القومُ ماءً يتوضؤون به ، فقالوا : يا رسول الله ! ما نجدُ ما نتوضأ به ، ورأى في وجوه أصحابه كراهيةَ ذلك ، فانطلقَ رجلٌ من القوم فجاء بقدح من ماءٍ يسير ،

---

(١) « حصَّت » : أتلفت .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٠١٠) في الاستسقاء .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٦٩) في الوضوء .

(٤) رواه مسلم رقم (٢٢٧٩) في الفضائل وفي الطهارة ، والنسائي في سننه (١/ ٦٠) في الطهارة ، والترمذي في الجامع رقم (٣٦٣١) في المناقب .

(٥) في المسند (٣/ ٢١٦) .

فأخذه نبيُّ الله فتوضأ منه ، ثم مد أصابعه الأربع على القدح ، ثم قال : « هلُمُّوا فتوضؤوا » فتوضأ القومُ حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء ، قال الحسن : سئل أنس كم بلغوا ؟ قال : سبعين أو ثمانين .

وهكذا رواه البخاري ، عن عبد الرحمن بن المبارك العَيشي ، عن حَزْم بن مِهْران القُطَعي به(١) .

طريق أخرى عن أنس : قال الإمام أحمد(٢) : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، ويزيد قال : أخبرنا حُميد المَعْنى ، عن أنس بن مالك ، قال : نُودي بالصلاة فقام كلُّ قريب الدار من المسجد ، وبقي من كان أهله نائي الدار ، فأُتي رسولُ الله ﷺ بمِخْضب من حجارة ، فَصَغُرَ أن يَبسطَ كفَّه فيه ، قال : فضمَّ أصابعه . قال : فتوضأ بقيّتهم . قال حميد : وسُئل أنس : كم كانوا ؟ قال : ثمانين أو زيادة .

وقد روى البخاري(٣) ، عن عبد الله بن منير ، عن يزيد بن هارون ، عن حُميد ، عن أنس بن مالك ، قال : حضرتِ الصَّلاةُ ، فقام من كان قريبَ الدار من المسجد يتوضأ ، وبقي قومٌ ، فأُتي رسولُ الله ﷺ بمِخْضب من حجارة فيه ماء ، فوضع كفَّه ، فَصَغُر المِخْضب أن يبسطَ فيه كفَّه ، فضمَّ أصابعَه فوضعَها في المِخْضب ، فتوضأ القومُ كلُّهم جميعاً . قلت : كم كانوا ؟ قال : كانوا ثمانين رجلاً .

طريق أخرى عنه : قال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا سعيد إملاءً ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك : أن رسولَ الله ﷺ كان بالزَّوراء ، فأُتي بإناء فيه ماء لا يَغمرُ أصابعَه ، فأمرَ أصحابَه يتوضؤوا ، فوضع كفَّه في الماء ، فجعل الماءُ ينبعُ من بين أصابعه وأطراف أصابعه ، حتى توضأ القوم ، قال : فقلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمئة .

وهكذا رواه البخاري ، عن بُنْدار ، عن ابن أبي عدي ، ومسلم عن أبي موسى(٥) ، عن غندر ، كلاهما عن سعيد بن أبي عروبة ، وبعضُهم يقول عن شعبة ، والصحيح سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : أُتي رسولُ الله ﷺ بإناء وهو في الزوراء ، فوضع يدَه في الإناء ، فجعلَ الماءُ ينبعُ من بين أصابعه فتوضَّأ القومُ . قال قتادة : فقلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : ثلاثمئة ، أو زُهاءَ ثلاثمئة . لفظ البخاري .

حديث البراء بن عازب في ذلك : قال البخاري(٦) : حدَّثنا مالك بن إسماعيل ، حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : كنا يومَ الحديبية أربعَ عشرة مئة ، والحُدَيبيةُ بئرٌ فنزحناها حتى

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٤) في المناقب .
(٢) في المسند (٣/ ١٠٦) .
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٥) في المناقب . و« المِخْضب » : وعاء كالإجانة .
(٤) في مسنده (٣/ ١٧٠) .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٢) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٩) (٧) في الفضائل . و« زهاء » : قدر كذا وما يقاربه .
(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٧) في المناقب ، و(٤١٥١) في المغازي .

لم نترك فيها قطرةً ، فجلسَ رسولُ الله ﷺ على شفير البئر ، فدعا بماء فَمَضْمَضَ ومَجَّ في البئر ، فمكثنا غيرَ بعيد ، ثم استقينا حتى روينا ورَوَتْ ـ أو صدرت ـ رِكَابُنا[١] . تفرد به البخاري إسناداً ومتناً .

حديث آخر عن البراء بن عازب : قال الإمام أحمد : حدَّثنا عفَّان وهاشم[٢] ، حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، حدَّثنا حُميد بن هِلال ، حدَّثنا يُونس ـ هو ابن عُبَيدة مولى محمد بن القاسم ـ عن البراء قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأتينا على رَكِيٍّ ذَمَّة[٣] ـ يعني قليلة الماء ـ قال : فنزل فيها ستةُ أناسٍ أنا سادسُهم ومعهم مَاحَةٌ[٤] ، فأُدليتْ إلينا دلوٌ قال : ورسولُ الله ﷺ على شفا الرَّكيّ ، فجعلنا فيها نصفها أو ثلثيها ، فرُفعت إلى رسول الله ﷺ ، قال البراء : فكدتُ[٥] بإنائي هل أجدُ شيئاً أجعلُه في حَلْقي ؟ فما وجدتُ ، فرُفعت الدلو إلى رسول الله ﷺ ، فغمسَ يدَه فيها ، فقال ما شاءَ الله أن يقول ، وأُعيدت إلينا الدلو بما فيها ، قال : فلقد رأيتُ أحدَنا أُخرج بثوبٍ خشيةَ الغرق . قال : ثم ساحتْ ـ يَعني جرتْ نهراً ـ .

تفرد به الإمام أحمد ، وإسنادُه جيّد قوي[٦] ، والظاهر أنها قصة أخرى غير يوم الحديبية ، والله أعلم .

حديث آخر عن جابر في ذلك : قال الإمام أحمد : حدَّثنا سِنان بن حاتم ، حدَّثنا جعفر ـ يعني ابن سليمان ـ حدَّثنا الجَعد أبو عثمان ، حدَّثنا أنس بن مالك ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : اشتكى أصحابُ رسول الله ﷺ إليه العطشَ ، قال : فدعا بعُسٍّ[٧] ، فصبَّ فيه شيءٌ من الماء ، ووضعَ رسول الله ﷺ فيه يدَه ، وقال : « استقوا » فاستقى الناسُ قال : فكنتُ أرى العيونَ تنبعُ من بين أصابع رسول الله ﷺ .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وفي أفراد مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن أبي حَزْرَة يَعقوب بن مُجاهد ، عن عُبادةَ بن الوليد بن عُبادة ، عن جابر بن عبد الله في حديث طويل ، قال فيه :

---

(١) في البخاري : ركائبنا .
(٢) هكذا جمع المصنف بين حديثين للإمام أحمد أحدهما عن عفان عن سليمان (المسند ٤/ ٢٩٧) ، والثاني عن هاشم عن سليمان (المسند ٤/ ٢٩٢) .
(٣) « ركيّ ذمّة » : بئر قليل الماء .
(٤) « الماحة » : جمع مائح ، وهو الذي ينزل في البئر إذا قل ماؤها ، فيملأ الدلو بيده . وفي رواية عفان عن سليمان : فنزلنا فيها ستة أنا سابعُهم ، أو سبعة أنا ثامنهم . قال : ماحة . . .
(٥) « كدتُ » : احتلتُ وبالغت في طلب الماء من الدلو .
(٦) هكذا جَوّد المصنف إسناده ، وفيه نظر ، فإن إسناد الحديث ضعيف لجهالة يونس وهو ابن عُبيد مولى محمد بن القاسم الثقفي ، قال ابن القطان : مجهول ، وقال الذهبي : لا يدرى من هو . وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : مقبول (يعني حيث يتابع وإلا فضعيف) ولم يتابع . وينظر تحرير التقريب (٤/ ١٤٠) (بشار) .
(٧) « بعسٍّ » : بقدح ضخم .

سِرْنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أَفْيَحَ[١] فذهبَ رسولُ الله ﷺ يَقضي حاجتَه ، فاتبعته بإداوةٍ من ماء ، فنظرَ رسولُ الله ﷺ فلم يرَ شيئاً يَسْتترُ به ، وإذا بشجرتين بشاطئ[٢] الوادي ، فانطلق رسولُ الله ﷺ إلى إحداهما ، فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : « انقادي عليَّ بإذن الله » فانقادتْ معه كالبعير المخشوش[٣] الذي يُصَانع قائدَه ، حتى أتى الأخرى ، فأخذَ بغصنٍ من أغصانها ، فقال : « انقادي عليّ بإذن الله » فانقادت معه كذلك ، حتى إذا كان بالمنتصف مما بينهما لأمَ بينهما ـ يعني : جمعهما ـ فقال : « التئما عليَّ بإذن الله » فالتأمتا .

قال جابر : فخرجتُ أُحْضِرُ[٤] مخافةَ أن يُحِسَّ رسولُ الله بقربي فيبتعدَ ، فجلستُ أُحدّث نفسي ، فحانت مني لفتةٌ ، فإذا أنا برسول الله ﷺ ، وإذا بالشجرتين قد افترقتا ، فقامت كلُّ واحدة منهما على ساق ، فرأيتُ رسولَ الله وقفَ وقفةً ، فقال برأسه هكذا : يميناً وشمالاً ، ثم أقبلَ ، فلما انتهى إليَّ قال : « يا جابرُ ! هل رأيتَ مَقَامي » ؟ قلت : نعم يا رسولَ الله ، قال : « فانطلقْ إلى الشجرتين فاقطع من كلِّ واحدةٍ منهما غُصْناً فأقبل بهما ، حتى إذا قمتَ مَقَامي فأرسلْ غُصناً عن يمينك وغصناً عن شمالك » .

قال جابر : فقمتُ فأخذتُ حجراً فكسرتُه وحَسَرْتُه[٥] فانذلق[٦] لي ، فأتيتُ الشجرتين فقطعتُ من كلّ واحدة منهما غصناً ، ثم أقبلتُ حتى قمتُ مَقام رسول الله ﷺ ، أرسلتُ غصناً عن يميني وغصناً عن يَساري ، ثم لحقتُه فقلت : قد فعلتُ يا رسول الله ، قال : فقلت : فلم[٧] ذاك ؟ قال : « إني مررتُ بقبرين يُعذّبان ، فأحببت بشفاعتي أن يُرَفَّه ذلك[٨] عنهما ، ما دامَ الغصنان رَطْبين » .

قال : فأتينا العسكرَ فقال رسول الله ﷺ : « ياجابرُ نادِ الوَضوءَ »[٩] فقلت : ألا وضوءَ ، ألا وضوءَ ، ألا وضوءَ ؟ قال : قلت : يا رسول الله ! ما وجدتُ في الركب من قطرة ، وكان رجلٌ من الأنصار يُبَرِّدُ لرسول الله في أَشْجابٍ[١٠] له على حِمَارةٍ[١١] من جريد ، قال : فقال لي : « انطلق إلى فلانٍ الأنصاريّ ،

---

(١) « أفيح » : واسع .
(٢) « بشاطئ الوادي » : بجانبه .
(٣) « كالبعير المخشوش » : هو الذي يُجعل في أنفه خشاش ، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً ، ويُشد فيه حبلٌ ليذل وينقاد ، وقد يتمانع لصعوبته ، فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئاً ، ولهذا قال : الذي يُصانع قائده .
(٤) « أُحْضِرُ » : أعدو وأسعى سَعياً شديداً .
(٥) « حسرته » : أي أحددته ونحيت عنه مايمنع حدته ، بحيث صار مما يمكن قطع الأغصان به .
(٦) « فانذلق » : أي صار حادّاً .
(٧) في صحيح مسلم : فعمَّ ذاك ؟ .
(٨) في صحيح مسلم : أن يُرَفَّهَ : أي يُخفف .
(٩) في صحيح مسلم : نادِ بوضوء .
(١٠) « أشجاب له » : جمع شِجَاب ، وهو السقاء الذي قد أخلق وبلي وصار شنًّا .
(١١) « حمَارة » : هي أعواد تعلّق عليها أسقية الماء .

فانظرْ هل ترى في أشجابه من شيء ؟ » قال : فانطلقتُ إليه فنظرتُ فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عَزْلاءِ[١] ـ شَجَبٍ منها ـ لو أني أفرغته لشربَه يا بِسُه ، فأتيتُ رسولَ الله فقلت : يا رسول الله! لم أجدْ فيها إلا قطرةً في عَزْلاءِ شَجَبٍ منها ، لو أني أفرغتُه لشربَه يا بسُهُ . قال : « اذهبْ فائْتِني به » فأتيتُه فأخذَه بيده فجعلَ يتكلَّم بشيء لا أدري ما هو ، ويغمزُ بيده[٢] ، ثم أعطانيه فقال : « يا جابرُ ! نادِ بجفنةٍ » فقلتُ : يا جفنةَ الرَّكبِ ، فأُتيتُ بها تُحمل ، فوضعتُها بين يديه ، فقال رسولُ الله بيده في الجَفْنة هكذا ، فبسطَها وفرَّقَ بين أصابعه ، ثم وضعها في قعر الجفنة وقال : « خذْ يا جابرُ ، فصُبَّ عليَّ ، وقل : باسم الله » فصببتُ عليه وقلت : باسم الله ، فرأيتُ الماء يفورُ من بين أصابعِ رسولِ الله ﷺ ، ثم فارتِ الجفنةُ ودارت حتى امتلأت فقال : « يا جابر ! نادِ من كانت له حاجةٌ بماء » قال : فأتى الناسُ فاستقَوْا حتى رَوُوا ، فقلت : هل بقي أحد له حاجة ؟ فرفعَ رسولُ الله ﷺ يدَه من الجفنة وهي ملأى .

قال : وشكا الناسُ إلى رسول الله ﷺ الجوعَ ، فقال : « عسى الله أن يُطعمَكم » فأتينا سَيْفَ[٣] البحر ، فزجرَ زجرةً ، فألقى دابةً فأَوْرَينا على شِقِّها النارَ ، فطبخنا واشتوينا وأكلنا وشبعنا ، قال جابر : فدخلتُ أنا وفلان وفلان وفلان ، حتى عدَّ خمسةً في مَحاجرِ عَيْنها ما يَرانا أحد ، حتى خرجنا وأخذنا ضِلْعاً من أضلاعِها فقوَّسناه ، ثم دعوْنا بأعظم رجل في الركب ، وأعظم جمل في الركب ، وأعظم كِفْل في الركب ، فدخل تحتها ما يُطأطئ رأسَه[٤] .

وقال البخاري[٥] : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدَّثنا حُصين ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عَطِشَ الناسُ يوم الحديبية والنبيُّ ﷺ بين يديْه ركوة نتوضأ فجهش الناس نحوه قال : « ما لكم ؟ » قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مئة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مئة .

وهكذا رواه مسلم من حديث حُصين[٦] . وأخرجاه[٧] من حديث الأعمش . زاد مسلم[٨] : وشعبة ، ثلاثتهم عن سالم ، عن جابر ، به . وفي رواية الأعمش كنا أربع عشرة مئة .

---

(١) « عزلاء » : فم القربة والسِّقاء .
(٢) « يغمز » : يعصر .
(٣) « سيف البحر » : ساحله .
(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٠١٢) في الزهد والرقائق (باب حديث جابر الطويل) .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٦) في المناقب .
(٦) في صحيحه رقم (١٨٥٦) (٧٣) في الإمارة .
(٧) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤١٥٤) في المغازي ، ومسلم في صحيحه رقم (١٨٥٦) (٧٤) . وسالم هو ابن أبي الجَعْد .
(٨) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٨٥٧) في الإمارة .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا يحيى بن حماد ، حدَّثنا أبو عوانة ، عن الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزي ؛ أن جابر بن عبد الله قال : غزونا ـ أو سافرنا ـ مع رسول الله ﷺ ، ونحن يومئذ بضعَ عشرَة ومئتان ، فحضرت الصَّلاةُ ، فقال رسول الله ﷺ : « هل في القوم من ماء ؟ » فجاءَه رجلٌ يَسعى بإداوة فيها شيء من ماء . قال : فصبّه رسولُ الله ﷺ في قدح . قال : فتوضأ رسولُ الله ﷺ فأحسنَ الوضوءَ ، ثم انصرف وتركَ القدحَ ، فركبَ النَّاسُ القدحَ تمسّحوا وتمسّحوا ، فقال رسول الله ﷺ : « على رِسْلكم » حين سمعهم يقولون ذلك ، قال : فوضع رسولُ الله ﷺ كفَّه في الماء ، ثم قال رسول الله ﷺ : باسم الله » ثم قال : « أسبغوا الوضوء » . قال جابر : فوالذي هو ابتلاني ببصري ، لقد رأيتُ العيونَ عيونَ الماء يومئذٍ تخرجُ من بين أصابع رسول الله ﷺ ، فما رفعها حتى توضؤوا أجمعون .

وهذا إسناد جيد تفرد به أحمد[٢] ، وظاهره كأنه قصة أخرى غير ما تقدم .

وفي صحيح مسلم ، عن سلمة بن الأكوع ، قال : قدمنا الحديبيةَ مع رسول الله ﷺ ، ونحن أربع عشرة مئة ـ أو أكثر من ذلك[٣] ـ وعليه خمسون شاة لا تُرْويهَا ، فقعد رسول الله على شفا[٤] الركية ، فإما دعا وإما بصق فيها قال : فجاشت ، فسقينا واستقينا[٥] .

وفي صحيح البخاري ، من حديث الزهري ، عن عروة عن المِسوَر ومروان بن الحكم ، في حديث صُلح الحديبية الطويل : فعدلَ عنهم رسولُ الله ﷺ حتى نزلَ بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ[٦] قليلِ الماءِ يَتَبَرَّضه تَبَرُّضاً[٧] ، فلم يُلَبِّثْه الناسُ حتى نزحوه ، وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطشَ ، فانتزعَ سهماً من كِنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، والله ما زالَ يجيشُ لهم بالرِّيّ حتى صدروا عنه[٨] .

وقد تقدَّم الحديثُ بتمامه في صُلْح الحديبية ، فأغنى عن إعادته .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٩٢) .

(٢) هكذا اقتصر المصنف على تجويد إسناده ولم يصححه ، وكأن ذلك بسبب نبيح بن عبد الله العنزي الذي قال فيه الحافظ ابن حجر في التقريب : مقبول . وفي هذا التجويد وفي قول الحافظ مقبول نظر ، فإن نبيحاً هذا ثقة ، وثقه أبو زرعة الرازي ـ وناهيك به ـ وذكره ابن حبان والعجلي في الثقات ، وصحح حديثه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان ، وقد جهله ابن المديني ، وهو مدفوع بما ذكرنا من التوثيق والتصحيح . (ينظر تحرير التقريب ٤/ ١٠) ، فإسناد الحديث صحيح إن شاء الله تعالى (بشار) .

(٣) في صحيح مسلم (٣/ ١٤٣٣) لا وجود لهذا الشك ، وإنما قال جازماً : ونحن أربع عشرة مئة .

(٤) كذا بالأصل ، وفي صحيح مسلم : على جبا الركيّة . والجبا : ما حول البئر .

(٥) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٨٠٧) في الجهاد ، وهو حديث طويل ، ذكر منه ابن كثير محل الشاهد .

(٦) « على ثمد » : الثمد : الحفيرة فيها الماء القليل .

(٧) « يتبرضه تبرضاً » : يأخذ منه قليلاً قليلاً .

(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٣١) و(٢٧٣٢) بطوله في الشروط .

وروى ابنُ إسحاق عن بعضهم أن الذي نزلَ بالسهم ناجيةُ بن جُندُب سائقُ البُدْن ، قال : وقيل : البَراءُ بن عازب . ثم رجَّحَ ابنُ إسحاق الأول .

حديث آخر عن ابن عباس في ذلك : قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا حسين الأشقر وحدَّثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، قال : أصبحَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم وليس في العسكر ماء ، فأتاه رجلٌ فقال : يا رسولَ الله ! ليس في العسكر ماء ، قال : « هل عندك شيء ؟ » قال : نعم ، قال : « فائتني » قال : فأتاهُ بإناء فيه شيءٌ من ماء قليل ، قال : فجعلَ رسولُ الله ﷺ أصابعَه في فم الإناء وفتحَ أصابعَه ، قال : فانفجرت من بين أصابعِه عيونٌ ، وأمرَ بلالاً فقال : « نادِ في النَّاس الوضوءَ المبارك » .

تفرَّد به أحمد ، ورواه الطبرانيُّ(٢) من حديث عامر الشعبي ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حديث عن عبد الله بن مسعود في ذلك : قال البخاري(٣) : حدَّثنا محمد بن المثنى ، حدَّثنا أبو أحمد الزبيري ، حدَّثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنا نعدُّ الآيات بركةً ، وأنتم تعدُّونها تخويفاً ، كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقلَّ الماء فقال : « اطلبوا فَضْلَةً من ماء » فجاؤوا بإناء فيه ماءٌ قليل ، فأدخل يدَه في الإناء ثم قال : « حيَّ على الطَّهور المبارك ، والبركةُ من الله عزّ وجلّ » قال : فلقد رأيتُ الماءَ ينبعُ من بين أصابعِ رسولِ الله ﷺ ، ولقد كنّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعام وهو يُؤكل .

ورواه الترمذي(٤) ، عن بُنْدار ، عن أبي أحمد ، وقال : حسن صحيح .

حديث عن عمران بن حصين في ذلك : قال البخاري : حدَّثنا أبو الوليد ، حدَّثنا مسلم بن زيد ، سمعت أبا رجاء قال : حدَّثنا عمران بن حُصَيْن : أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في مسير فأدلَجوا ليلتَهم حتى إذا كانوا(٥) في وجه الصبح عرَّسُوا ، فغلبتهم أعينهُم حتى ارتفعت الشَّمسُ ، فكان أوّلَ من استيقظَ من منامه أبو بكر ، وكان لا يُوقظ رسولَ الله ﷺ من منامه حتى يستيقظَ ، فاستيقظَ عمرُ ، فقعدَ أبو بكر عندَ رأسِه فجعلَ يكبِّر ويرفعُ صوتَه حتى استيقظَ النبيُّ ﷺ ، فنزلَ وصلَّى بنا الغداةَ ، فاعتزلَ رجلٌ من القوم لم

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٥١) رقم (٢٢٦٨) وإسناده ضعيف ، وله شاهد عند البخاري من حديث جابر بن عبد الله رقم (٥٦٣٩) ، فهو حديث حسن لغيره .
(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ٨٧) .
(٣) في صحيحه (٣٥٧٩) في الأنبياء .
(٤) في الجامع رقم (٣٦٣٣) في المناقب .
(٥) كذا في (أ) وفي البخاري : حتى إذا كان وجه الصبح .

يصلّ معنا ، فلما انصرفَ قال : « يا فلان ! ما يمنعُك أن تصلّي معنا ؟ » قال : أصابتني جنابة ، فأمره أن يتيمَّم بالصَّعيد ثم صلَّى ، وجعلني رسولُ الله ﷺ في رَكوبٍ بين يديه ، وقد عطشنا عطشاً شديداً ، فبينما نحن نسيرُ مع رسول الله ﷺ إذا نحن بامرأةٍ سادلةٍ رجليها بين مَزادتين ، فقلنا لها : أين الماء؟ قالت : إنه لا ماء . فقلنا : كم بين أهلِك وبينَ الماء ؟ قالت : يومٌ وليلة ، فقلنا : انطلقي إلى رسول الله ﷺ ، قالت : وما رسولُ الله؟ فلم نملِّكْها من أمرها حتى استقبلنا بها النبيَّ ﷺ ، فحدَّثَته الذي حدَّثَتنا ، غيرَ أنها حدَّثته أنها مُؤْتمةٌ[١] ، فأمر بمزادتيها ، فمسحَ في العزلاوين[٢] ، فشربنا عِطَاشاً أربعينَ رجلاً ، حتى روينا وملأنا كلَّ قِرْبةٍ معنا وإدَاوة ، غير أنَّه لم نسقِ بعيراً ، وهي تكادُ تبضُّ من المِلء[٣] ، ثم قال : هاتُوا ما عندكم ، فجمعَ لها من الكِسَر والتَّمر حتى أتت أهلَها ، قالت : أتيتُ أسحرَ النَّاس أو هو نبيٌّ كما زَعموا ، فهدى الله ذاكَ الصِّرم بتلك المرأة فأسلمتْ وأسلمُوا[٤] .

وكذلك رواه مسلم[٥] ، من حديث سَلم بن زريرٍ .

وأخرجاه[٦] من حديث عوف الأعرابي ، كلاهما عن أبي رجاء العُطَاردي ـ واسمه عِمْران بن تَيْم ـ عن عِمرَان بن حُصَيْن ، به .

وفي رواية لهما فقال لها : اذهبي بهذا معك لعيالك ، واعلمي أنّا لم نرزأك[٧] من مائك شيئاً ، غير أن الله سقانا ، وفيه : أنه لما فتح العزلاوين سمّى الله عزّ وجلّ .

حديث عن أبي قتادة في ذلك : قال الإمام أحمد : حدَّثنا يزيد بن هارون ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن رَباح ، عن أبي قتادة قال : كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقال : « إنكم إن لا تُدركوا الماءَ غداً تعطشوا » وانطلق سُرعانُ[٨] النَّاس يُريدون الماءَ ، ولزمتُ رسولَ الله ﷺ ، فمالت برسول الله ﷺ راحلته ، فنعِس رسولُ الله ﷺ ، فدَعَمْتُه فاندعَم ، ثم مال فدَعَمْتُه فاندعمَ ، ثم مال حتى كاد أن يَنْجَفِلَ[٩] عن راحلته فدَعَمْتُه فانتبه ، فقال : « من الرجل ؟ » فقلت : أبو قتادة ، قال : « منذ كم كان مسيرُك ؟ » قلت : منذ الليلة ، قال : « حَفِظَكَ الله كما حَفِظْتَ رسولَه ، ثم قال : لو عَرَّسْنا » .

---

(١) « مؤتمة » : ذات أيتام ، تُوفي زوجها وترك أولاداً صغاراً .
(٢) « العزلاوين » : مثنى العزلاء ، وهو المصب الأسفل للمزادة ، الذي يفرغ منه الماء .
(٣) تبضُّ من الملء : تسيل بسبب أنها ممتلئة . وفي المطبوع : تفضي من الملء .
(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧١) في المناقب .
(٥) في صحيحه رقم (٦٨٢) (٣١٢) في المساجد .
(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٤) في التيمم ، ومسلم في صحيحه رقم (٦٨٢) في المساجد .
(٧) « لم نرزأك » : لم نأخذ ، أو ننقص من مائك شيئاً .
(٨) « سُرْعان الناس » : المسرعون منهم .
(٩) « ينجفل » : يزول .

فمال إلى شجرة فنزلَ فقال : « انظرْ هل ترى أحداً ؟ » قلت : هذا راكب ، هذان راكبان ، حتى بلغ سبعة ، فقال : « احفظوا علينا صلاتنا » فنمنا ، فما أيقظنا إلا حرُّ الشمس ، فانتبهنا ، فركبَ رسولُ الله ﷺ فسارَ وسرنا هُنَيْهَةً ، ثم نزل فقال : « أمعكم ماء ؟ » قال : قلت : نعم ، معي مِيْضَأة فيها شيء من ماء ، قال : « ائت بها » قال : فأتيته بها فقال : « مُسُّوا منها ، مُسُّوا منها » فتوضأ القوم وبقيت جرعة فقال : « ازدهرْ[1] بها يا أبا قَتادة فإنّه سيكونُ لها نبأٌ » .

ثم أذّنَ بلال وصلّوا الركعتين قبل الفجر ، ثم صَلّوا الفجرَ ، ثم ركبَ وركبنا فقال بعضُهم لبعض : فرَّطنَا في صلاتنا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ما تقولون ؟ إن كان أمرُ دنياكم فشأنكم ، وإن كان أمرُ دينكم فإليَّ » قلنا : يا رسول الله ! فرَّطْنا في صلاتنا ، فقال : « لا تفريط في النوم ، إنما التفريطُ في اليَقظة ، فإذا كانَ ذلك فصلُّوها ، ومن الغد وقتها ، ثم قال : « ظنُّوا بالقوم » قالوا : إنك قلتَ بالأمس : إن لا تدركوا الماء غداً تعطشوا ، فالناس بالماء .

قال : فلما أصبحَ الناسُ وقد فقدُوا نبيَّهم ، فقال بعضهم لبعض : إن رسولَ الله ﷺ بالماء ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فقالا : أيُّها الناس إن رسولَ الله ﷺ لم يكن ليسبقَكم إلى الماء ويخلِّفَكم ، وإن يطع الناسُ أبا بكر وعمرَ يَرشدوا ، قالها ثلاثاً .

فلما اشتدَّت الظهيرةُ رُفِعَ لهم رسولُ الله ﷺ فقالوا : يا رسولَ الله هلكنا عطشاً ، تقطَّعت الأعناقُ ، فقال : « لا هُلْكَ عليكم » ، ثم قال : « ياأبا قتادة ! ائت بالميضأة » فأتيته بها ، فقال : « احللْ لي غُمَري[2] ـ يعني قدحه ـ فحللته ، فأتيته به ، فجعلَ يصبُّ فيه ويسقي الناسَ ، فازدحمَ الناسُ عليه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أيّها الناس أحسنوا الملءَ ، فكلّكم سيصدرُ عن رِيّ ، فشربَ القوم حتى لم يبقَ غيري وغير رسول الله ﷺ ، فصبَّ لي ، فقال : « اشرب يا أبا قتادة » قال : قلت : اشربْ أنت يا رسولَ الله ، قال : « إن ساقي القوم آخرُهم » فشربتُ وشربَ بعدي ، وبقي في الميضأة نحو مما كان فيها ، وهم يومئذ ثلاثمئة .

قال عبدُ الله : فسمعني عِمران بن حُصين وأنا أحدِّث هذا الحديثَ في المسجد الجامع ، فقال : مَن الرجل ؟ قلت : أنا عبد الله بن رَباح الأنصاري ، قال : القومُ أعلمُ بحديثهم ، انظر كيف تُحَدِّث فإني أحدُ السبعة تلك الليلة ، فلما فرغتُ قال : ما كنتُ أحسَبُ أحداً يحفظ هذا الحديث غيري[3] .

---

(١) « ازدهر » : احتفظ .
(٢) « غُمَرِي » : الغمر : القدح الصغير .
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٩٨) وهو حديث صحيح .

قال حمادُ بن سَلمة : وحدَّثنا حُميد الطويل ، عن بكر بن عبد الله المزني ، عن عبد الله بن رَباح ، عن أبي قتادة ، عن النبي ﷺ بمثله ، وزاد : قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا عرَّسَ وعليه ليلٌ توسَّدَ يمينَه ، وإذا عرَّسَ الصبحَ وضع رأسَه على كفه اليُمنى وأقام ساعدَه[١] .

وقد رواه مسلم[٢] ، عن شيبانَ بن فروخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن رَبَاح ، عن أبي قتادة الحارث بن رِبعي الأنصاري بطوله .

وأخرج[٣] من حديث حماد بن سلمة ، بسنده الأخير أيضاً .

حديث آخر عن أنس يُشبه هذا : روى البيهقي من حديث الحافظ أبي يعلى الموصلي : حدَّثنا شَيْبان ، حدَّثنا سعيدُ بن سُليمان الضُّبَعي[٤] ، حدَّثنا أنس بن مالك ؛ أن رسولَ الله ﷺ جهَّزَ جيشاً إلى المشركين ، فيهم أبو بكر ، فقال لهم : « جدُّوا[٥] السَّيرَ فإن بينكم وبين المشركين ماء ، إن يَسبقِ المشركون إلى ذلك الماء شقَّ على الناس ، وعطشتُم عطشاً شديداً أنتم ودوابكم » قال : وتخلَّفَ رسولُ الله ﷺ في ثمانية أنا تاسعُهم ، وقال لأصحابه : « هل لكم أن نُعرِّسَ قليلاً ثم نلحق بالناس ؟ » قالوا : نعم يا رسولَ الله ، فعرَّسُوا فما أيقظهم إلا حرُّ الشمس ، فاستيقظَ رسولُ الله ﷺ واستيقظَ أصحابُه ، فقال لهم : « تقدَّموا واقضوا حاجاتِكم » ففعلوا ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فقال لهم : « هل مع أحد منكم ماء ؟ » قال رجل منهم : يا رسولَ الله معي مِيضأة فيها شيء من ماء ، قال : « فجئ بها » فجاء بها ، فأخذَها نبيُّ الله ﷺ فمسحَها بكفيه ، ودعا بالبركة فيها ، وقال لأصحابه : « تعالوا فتوضؤوا » فجاؤوا وجعلَ يصبُّ عليهم رسولُ الله ﷺ حتى توضؤوا كلُّهم ، فأذن رجلٌ منهم وأقام ، فصلَّى رسول الله ﷺ لهم ، وقال لصاحب الميضأة : « ازدهرْ بميضأتِك فسيكون لها شأنٌ » .

وركب رسولُ الله ﷺ قبلَ الناس ، وقال لأصحابه : « ما ترون الناسَ فعلوا ؟ » فقالوا : الله ورسولُه أعلم . فقال لهم : فيهم أبو بكر وعمر ، وسيرشدُ الناس ، فقدمَ الناسُ وقد سبقَ المشركون إلى ذلك الماء ، فشقَّ ذلك على الناس وعطشوا عطشاً شديداً ركابُهم ودوابُّهم ، فقال رسول الله ﷺ : « أين صاحب الميضأة ؟ » قالوا : هو ذا يا رسولَ الله ، قال : « جئني بميضأتك » فجاء بها ، وفيها شيءٌ من ماء ، فقال لهم : « تعالوا فاشربوا » فجعلَ يصبُّ لهم رسولُ الله ﷺ ، حتى شربَ النَّاسُ كلُّهم ، وسقَوا

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٩٨) وهو حديث صحيح .
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٦٨١) في المساجد .
(٣) في صحيحه رقم (٦٨٣) في المساجد أيضاً .
(٤) هو سعيد بن سليم ، وقيل : سليمان ، الضبي ، ويُقال : الضبعي ، ماذكره أحد غير ابن عدي في الكامل (٣/ ١٢٣٨) وضَعَّفه وساق له هذا الحديث ، وقال الأزدي : متروك . وينظر ميزان الاعتدال الذهبي (٢/ ١٤٢) .
(٥) في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٣٤) : أجدوا . .

دوابَّهم ورِكابَهم ، وملؤوا ما كان معهم من إداوة وقِربة ومَزادة ، ثم نهضَ رسول الله ﷺ ، وأصحابُه إلى المشركين ، فبعثَ الله ريحاً فضربَ وجوهَ المشركين ، وأنزل الله نصرَه ، وأمكنَ من أدبارهم ، فقتلوا (منهم)[١] مقتلة عظيمة ، وأسَروا أُسَارى كثيرة ، واستاقُوا غنائمَ كثيرة ، ورجعَ رسولُ الله ﷺ والناسُ وافرين صالحين[٢] .

وقد تقدَّم[٣] قريباً عن جابر ما يشبهُ هذا وهو في صحيح مسلم .

وقدَّمنا في غزوة تبوك ما رواه مسلمٌ ، من طريق مالك ، عن أبي الزبير ، عن أبي الطفيل ، عن مُعاذ بن جبل . فذكرَ حديثَ جمع الصلاة في غزوة تبوك ، إلى أن قال : وقال ـ يعني رسول الله ﷺ ـ : « إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عينَ تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يُضحيَ ضُحى النهار ، فمن جاءَها فلا يمسَّ من مائِها شيئاً حتى آتي » قال : فجئناها وقد سبق إليها رجلان ، والعينُ مثلُ الشِّراكِ تبضُّ بشيء من ماءٍ ، فسألهما رسول الله ﷺ : « هل مسستما من مائها شيئاً ؟ » قالا : نعم ، فسبَّهما ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا (بأيديهم)[٤] من العين قليلاً قليلاً ، حتى اجتمع في شيءٍ ، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهَه ويديْه ، ثم أعادَه فيها فجرتِ العينُ بماء كثير[٥] ، فاستقى الناسُ ، ثم قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ يُوشك إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما هاهنا قد مُلِىء جِنَاناً »[٦] .

وذكرنا في باب الوفود من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن زياد بن الحارث الصُّدائي في قصة وفادته ، فذكر حديثاً طويلاً فيه :

ثم قلنا : يا رسول الله ! إن لنا بئراً إذا كان الشتاءُ وَسِعَنَا ماؤُها واجتمعنا عليها ، وإذا كان الصَّيف قلَّ ماؤُها ، فتفرقنا على مياه حَوْلنا وقد أسلمنا ، وكلُّ من حَوْلنا عدوٌّ ، فادعُ الله لنا في بئرنا فيسعُنا ماؤُها ، فنجتمعُ عليه ولا نتفرق ، فدعا بسبع حَصيات ففركهن بيده ودعا فيهن ، ثم قال : « اذهبوا بهذه الحصياتِ ، فإذا أتيتم البئرَ فألقوا واحدةً واحدة واذكروا الله عزّ وجلّ » .

قال الصدائي : ففعلنا ما قال لنا ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظرَ إلى قَعْرِها ـ يعني البئر ـ .

---

(١) من الدلائل .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥) وإسناده ضعيف ، لضعف سعيد الضبعي .
(٣) تقدم حديث جابر في المعجزات الأرضية .
(٤) من صحيح مسلم .
(٥) كذا في (أ) وفي صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٤) بماءٍ مُنهمر ـ أو قال : غزير ، وإنما ينقل المصنف من دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٢٣٦) فهذا لفظه .
(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٢٨١) (١٠) في الفضائل .

وأصلُ هذا الحديث في المسند ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، وابن ماجه[١] .

وأما الحديث بطوله ففي « دلائل النبوة »[٢] للبيهقي رحمه الله .

وقال البيهقي[٣] :

باب ما ظهرَ في البئر التي كانت بقباء من بركته ﷺ

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي ، حدَّثنا أبو حامد بن الشرقي ، أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله ، أخبرنا أبي ، حدَّثنا إبراهيم بن طهمان ، عن يحيى بن سعيد ؛ أنه حدثه : أن أنس بن مالك أتاهم بقباء فسأله عن بئر هناك ، قال : فدلَلْتُه عليها ، فقال : لقد كانت هذه ، وإنَّ الرجلَ لينضَحُ على حمارِه ، فيُنزحُ ، فجاء رسولُ الله ﷺ وأمرَ بذَنوبٍ فسُقي ، فإما أن يكون توضأ منه ، وإما أن يكون تَفَلَ فيه ، ثم أمرَ به فأُعيد في البئر ، قال : فما نَزَحت بَعدُ . قال : فرأيته بالَ ، ثم جاء فتوضأ ، ومسح على خفّيه ثم صلَّى .

وقال أبو بكر البزار : حدَّثنا الوليد بن عمرو بن مسكين ، حدَّثنا محمد بن عبد الله بن مثنى ، عن أبيه ، عن ثُمَامة ، عن أنس ، قال : أتى رسولُ الله ﷺ ، فنزلنا فسقيناه من بئر لنا في دَارنا ، كانت تسمى النزور في الجاهلية ، فتفلَ فيها ، فكانت لا تَنزَحُ بَعد[٤] . ثم قال : لا نعلم هذا يُروى إلا من هذا الوجه .

باب تكثيره عليه الصلاة والسلام الأطعمة

(للحاجة إليها في غير ما موطنٍ كما سنورده مبسوطاً)[٥] ، وتكثيره اللبن في مواطن أيضاً .

قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا روح ، حدَّثنا عمر بن ذر ، عن مُجاهد ؛ أن أبا هريرة كان يقول : والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنتُ لأشدُّ الحجرَ على بطني من الجوع ، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عزّ وجلّ ؛ ما سألته

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٦٩) والترمذي في الجامع رقم (١٩٩) وأبو داود في السنن رقم (٥١٤) وابن ماجه رقم (٧١٧) وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، قال الحافظ في التقريب : ضعيف في حفظه .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٥/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧) ورواه البغوي ، وابن عساكر وحسنه ، وروى بعضه ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) وإسناده ضعيف .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٣٦) .

(٤) لم أجد هذا الحديث في مسند البزار (البحر الزخّار) ولا في كشف الأستار .

(٥) ما بين القوسين أثبته من (أ) وسقط من المطبوع .

(٦) في المسند (٢/ ٥١٥) .

إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمرَّ عمرُ رضي الله عنه فسألتُه عن آيةٍ من كتاب الله ؛ ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمرَّ أبو القاسم ﷺ فعرفَ ما في وجهي وما في نفسي فقال : « أبا هريرة » قلت له : لبيك يا رسولَ الله ، فقال : « الحق » واستأذنتُ فأذِنَ لي ، فوجدتُ لبناً في قدح ، قال : « من أين لكم هذا اللبن ؟ » فقالوا : أهداه لنا فلان أو آل فلان ، قال : « أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسولَ الله ، قال : « انطلق إلى أهل الصُّفة فادعهم لي » قال : وأهل الصفة أضيافُ الإسلام ، لم يأووا إلى أهل ولا مال ، إذا جاءت رسولَ الله ﷺ هديةٌ أصابَ منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها . قال : وأحزنني ذلك ، وكنت أرجو أن أُصيبَ من اللبن شَرْبةً أتقوّى بها بقيّةَ يومي وليلتي ، وقلت : أنا الرسولُ ، فإذا جاءَ القومُ كنتُ أنا الذي أُعطيهم ، وقلت : ما يبقى لي من هذا اللبن ! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدٌّ ، فانطلقتُ فدعوتُهم ، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم ، فأخذَ الرجلُ القدَح فيشرب حتى يَروى ، ثم يردّ القدحَ حتى أتيتُ على آخرهم ، ودفعتُ إلى رسول الله ﷺ فأخذَ القدحَ فوضعَه في يده ، وبقي فيه فَضلَةٌ ، ثم رفعَ رأسَه ونظرَ إليّ وتبسّم وقال : « أبا هريرة » فقلت : لبيك رسول الله ، قال : « بقيتُ أنا وأنت » فقلت : صدقتَ يا رسول الله ، قال : « فاقعد فاشرب » قال : فقعدتُ فشربتُ ، ثم قال لي : « اشرب » فشربت ، فما زال يقول لي : اشرب فأشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجدُ له فيَّ مَسلكاً ، قال : « ناولني القدح » فرددت إليه القدح ، فشربَ من الفَضلة .

ورواه البخاري[١] ، عن أبي نُعيم ، وعن محمد بن مقاتل ، عن عبد الله بن المبارك . وأخرجه الترمذيُّ[٢] ، عن هَنَّاد ، عن يونس بن بُكير[٣] ، ثلاثتُهم عن عمر بن ذرٍّ ، وقال الترمذي : صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا أبو بكر بن عيَّاش ، حدَّثني (عاصم) ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود ، قال : كنت أرعى غنماً لعُقبةَ بن أبي مُعيط ، فمرَّ بي رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ، فقال : « يا غلام ! هل من لبن ؟ » قال : فقلت : نعم ، ولكني مُؤتمن ، قال : « فهل من شاةٍ لم ينزُ[٤] عليها الفحلُ ؟ » فأتيتُه بشاةٍ فمسحَ ضَرعَها ، فنزل لبنٌ ، فحلَبه في إناء فشربَ وسقى أبا بكر ، ثم قال للضَّرع : « اقلُص »[٥] فقلصَ ، قال : ثم أتيتُه بعدَ هذا ، فقلتُ : يا رسولَ الله علّمني من هذا القول ، قال : فمسحَ رأسي وقال : « يا غلامُ يرحمُك الله ، فإنك غُليم مُعلَّم »[٦] .

---

(١) في صحيحه رقم (٦٤٥٢) في الرقاق .

(٢) في الجامع رقم (٢٤٧٩) في صفة القيامة .

(٣) في المطبوع : « عباد بن يونس بن بكير » وهو تحريف قبيح .

(٤) « لم ينز » : لم يثب . كناية عن عدم الوطء .

(٥) « اقلص » : ارتفع . كناية عن صغر حجمه لعدم وجود اللبن فيه أصلاً .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٧٩ و٤٦٢) رقم (٣٥٩٨) . وابن حبان رقم (٧٠٦١) . وإسناده حسن .

ورواه البيهقيُّ من حديث أبي عوانة ، عن عاصم بن أبي النَّجود ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود ، وقال فيه : فأتيتُه بعَناق[١] جَذعة فاعتقلها ، ثم جعلَ يمسحُ ضَرعَها ويدعو ، وأتاه أبو بكر بجَفنة ، فحلب فيها ، وسقى أبا بكر ، ثم شرب ، ثم قال للضرع : « اقْلُصْ » فقلَص ، فقلت : يا رسولَ الله علّمني من هذا القول ، فمسحَ رأسي وقال : « إنك غُلامٌ مُعَلَّمٌ » ، فأخذتُ عنه سبعينَ سورةً ما نازعنيها بشر[٢] .

وتقدَّم في الهجرة حديثُ أُمّ مَعبدٍ ، وحلبُه عليه الصلاة والسلام شاتَها ، وكانت عَجْفَاءَ لا لبنَ لها ، فشربَ هو وأصحابُه ، وغادَر عندها إناءً كبيراً من لبن حتى جاءَ زوجُها .

وتقدَّم في ذكر من كان[٣] يخدمُه ، من غير مواليه عليه الصلاة والسلام ؛ المقدادُ بن الأسود ، حين شربَ اللبنَ الذي كان قد جاءَ لرسولِ الله ﷺ ، ثم قامَ في الليل ليذبحَ له شاةً ، فوجدَ لبناً كثيراً ، فحلبَ ما ملأ منه إناءً كبيراً جدًّا . . الحديث .

وقال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا زهير ، عن أبي إسحاق ، عن ابنة خَبَّابٍ ؛ أنها أتت رسولَ الله ﷺ بشاةٍ ، فاعتقلَها وحلبَها ، فقال : « ائتني بأعظم إناء لكم » فأتيناه بجفنة العجين ، فحلبَ فيها حتى ملأها ، ثم قال : « اشربوا أنتم وجيرانكم »[٤] .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد ، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفَّار ، أخبرنا محمد بن الفرج الأزرق ، حدَّثنا عصمة بن سليمان الخزاز ، حدَّثنا خلفُ بن خليفة ، عن أبي هاشم الرماني ، عن نافع ـ وكانت له صحبة ـ قال : كنا مع رسول الله في سفر ، وكنا زُهَاءَ أربعمئة ، فنزلنا في موضع ليس فيه ماء ، فشقَّ ذلك على أصحابه ، وقالوا : رسولُ الله ﷺ أعلمُ ، قال : فجاءت شُوَيهةٌ لها قرنان ، فقامت بين يدي رسولِ الله ﷺ فحلبَها ، فشربَ حتى رَوي وسقى أصحابَه حتى رَوَوا ، ثم قال : « يا نافع املكها الليلة ، وماأراك تملكها » قال : فأخذتُها فوتدتُ لها وتداً ، ثم ربطتُها بحبلٍ ، ثم قمتُ في بعض الليل فلم أرَ الشَّاةَ ، ورأيتُ الحبلَ مطروحاً ، فجئت رسولَ الله فأخبرتهُ من قبل أن يسألني ، وقال : « يا نافع ! ذهبَ بها الذي جاءَ بها » .

قال البيهقي : ورواه محمد بن سعد ، عن خلف بن الوليد ـ أبي الوليد الأزدي ـ عن خلف بن

---

(١) « عَناق » : الأنثى من ولد المعز .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٨٤) وطبقات ابن سعد (٣/ ١/ ١٠٦) عن عفان ، عن حماد ، بهذا الإسناد ، وأبو نعيم في الدلائل (ص١١٤) من طريق الطيالسي رقم (٣٥٣) وهو حديث حسن .

(٣) تقدم ذلك في السيرة النبوية .

(٤) رواه أبو داود الطيالسي رقم (١٦٦٣) ودلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٣٨) وفيه : اشربوا وجيرانكم ، وابنة خباب لم نقف لها على ترجمة .

خليفة ، عن أبان (بن بشير ، عن شيخٍ من أهل البصرة ، عن نافع ، فذكره)[١] .

وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا إسناداً ومتناً .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو سعد الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عدي ، أخبرنا العباس بن محمد بن العباس ، حدَّثنا أحمد بن سعيد بن أبي مريم ، حدَّثنا أبو حفص الرياحي ، حدَّثنا عامر بن أبي عامر الخزاز ، عن أبيه ، عن الحسن بن سعد ـ يعني : مولى أبي بكر ـ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « احلب لي العنز » قال : وعهدي بذلك الموضع لا عنزَ فيه ، قال : فأتيتُ فإذا العنزُ حافلٌ ، قال : فاحتلبتُها ، واحتفظتُ بالعنز وأوصيتُ بها ، قال : فاشتغلنا بالرحلة ففقدتُ (العنزَ) فقلتُ : يا رسول الله قد فقدتُ العنزَ ، فقال : « إنَّ لها رَبّاً »[٢] .

وهذا أيضاً حديثٌ غريبٌ جدًّا إسناداً ومتناً ، وفي إسناده من لا يُعرف حالُه .

وسيأتي حديث الغزالة في قسم ما يتعلَّقُ من المعجزات بالحيوانات .

تكثيره عليه الصلاة والسلام السَّمنَ لأُمِّ سُليم

قال الحافظ أبو يَعلى : حدَّثنا شيبان ، حدَّثنا محمد بن زيادة البرجمي ، عن أبي ظِلَال ، عن أنس ، عن أمّه قال : كانت لها شاة ، فجمعت من سمنها في عُكّةٍ[٣] ، فملأت العُكّةَ ثم بعثت بها مع ربيبة ، فقالت : يا ربيبةُ أبلغي هذه العكّةَ رسولَ الله ﷺ يأتدمُ بها ، فانطلقت بها ربيبةُ حتى أتت رسولَ الله ﷺ ، فقالت : يا رسولَ الله ! هذه عكّة سمنٍ بعثت بها إليك أمّ سُليم ، قال : « أفرغوا لها عكتها » ففرغت العكّة فدُفعت إليها ، فانطلقت بها ، وجاءت وأمّ سُليم ليست في البيت ، فعلَّقت العكّة على وتد ، فجاءت أمُّ سُليم فرأت العكّة ممتلئة تقطرُ ، فقالت أم سُليم : يا ربيبة ! أليس أمرتُك أن تنطلقي بها إلى رسول الله ؟ فقالت : قد فعلتُ ، فإن لم تصدقيني فانطلقي فسلي رسولَ الله ﷺ ، فانطلقت ومعها ربيبة ، فقالت : يا رسولَ الله! إني بعثتُ معها إليك بعكّة فيها سمن ، قال : قد فعلت، قد جاءت، قالت: والذي بعثَك بالحقّ ودينِ الحقّ إنها لممتلئةٌ تقطرُ سمناً ، قال : فقال لها رسول الله ﷺ : « يا أمَّ سليم أتعجبينَ إن كان الله أطعمَكِ كما أطعمتِ نبيَّه ؟ كُلي وأطعمي » قالت : فجئتُ إلى البيت فقسمتُ في قَعبٍ[٤] لنا وكذا وكذا ، وتركتُ فيها ما ائتدمنا به شهراً أو شهرين[٥] .

---

(١) ما بين القوسين أثبته من دلائل النبوة (٦/ ١٣٧) .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٣٨) .

(٣) « عكة » : زق صغير يوضع فيه السمن ، وهو من الجلد .

(٤) « قعب » : القدح الضخم .

(٥) مسند أبي يعلى (٤٢١٣) ، وفي إسناده أبو ظلال القسملي هلال بن أبي هلال ضعيف .

حديثٌ آخرُ في ذلك : قال البيهقي[١] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، حدَّثنا عباس الدُّوري ، حدَّثنا علي بن بحر القطان ، حدَّثنا خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم الرُّمَّاني ، عن يوسف بن خالد ، عن أوسٍ بن خالد ، عن أمّ أوسٍ البهزية ، قالت : سَلَيتُ سمناً لي فجعلته في عُكّةٍ فأهديته لرسول الله ، فقبله وترك في العكّة قليلاً ، ونفخ فيها ودعا بالبركة ، ثم قال : « رُدُّوا عليها عكّتها » فردُّوها عليها وهي مملوءةٌ سمناً ، قالت : فظننتُ أنَّ رسولَ الله لم يقبلها ، فجاءت ولها صُراخٌ ، فقالت : يا رسولَ الله ! إنما سليتُه لك لتأكلَه ، فعلم أنه قد استُجيب له ، فقال : « اذهبوا فقولوا لها فلتأكل سمنها وتدعو بالبركة » فأكلت بقيّة عمر النبي ﷺ ، وولاية أبي بكر ، وولاية عمر ، وولاية عثمان ، حتى كان من أمر عليّ ، ومعاوية ما كان .

حديث آخر : روى البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يُونس بن بُكير ، عن عبد الأعلى بن أبي المساور[٢] القرشي ، عن محمد بن عمرو بن عَطاء ، عن أبي هريرة ، قال : كانت امرأة من دوس يقال لها : أمّ شريك ، أسلمت في رمضان ، فذكرَ الحديث في هِجرتها وصحبة ذلك اليهوديّ لها ، وأنها عَطِشَت فأبى أن يسقيَها حتى تهوَّدَ ، فنامت فرأت في النوم مَن يَسقيها ، فاستيقظت وهي ريَّانة ، فلما جاءت رسولَ الله قصَّت عليه القِصَّةَ ، فخطبَها إلى نفسها فرأت نفسَها أقلَّ من ذلك ، وقالت : بل زوّجني من شئتَ ، فزوَّجَها زيداً وأمرَ لها بثلاثين صاعاً ، وقال : « كُلُوا ولا تَكِيلُوا » وكانت معها عكّة سمنٍ هديّة لرسول الله ﷺ ، فأمرت جاريتَها أن تحملَها إلى رسول الله ، فَفُرِّغَت ، وأمرَها رسولُ الله إذا ردتها أن تعلقَها ولا تُوكئها ، فدخلت أم شريك فوجدتها ملأى ، فقالت للجارية : ألم آمرك أن تذهبي بها إلى رسول الله؟ فقالت : قد فعلتُ ، فذكروا ذلك لرسول الله ، فأمرَهم أن لا يوكئوها ، فلم تزل حتى أوكتها أمّ شريك[٣] ، ثم كالوا الشعيرَ فوجدوه ثلاثينَ صاعاً لم ينقص منه شيء[٤] .

حديث آخر في ذلك : قال الإمام أحمد : حدَّثنا حسن ، حدَّثنا ابن لهيعة ، حدَّثنا أبو الزبير ، عن جابر ؛ أن أمَّ مالك البهزية كانت تهدي في عُكّة لها سمناً للنبي ﷺ فبينما بنوها يسألونها الإدام ، وليس

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١١٥) وإسناده ضعيف جدًّا ، يوسف بن خالد هو السمتي متروك ، وكذبه ابن معين ، كما في التقريب وغيره .
(٢) في الأصل : ابن المسور ، وماأثبته من دلائل النبوة .
(٣) في الدلائل : وقد أوكتها أم شريك حين رأتها مملوءَةً ، فأكلوا منها حتى فنيت .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٢٣/ ١٢٤) وإسناده ضعيف جدًّا ، فإن عبد الأعلى بن أبي المساور متروك .

عندَها شيءٌ ، فعمدَت إلى عكّتها التي كانت تُهدي فيها إلى النبي ﷺ (فوجدت فيها سمناً ، فما زال يدوم لها أُدم بنيها حتى عصرته ، وأتت رسولَ الله ﷺ)[١] ، فقال : « أعصرتيه ؟ » فقالت : نعم ، قال : « لو تركتيه ما زال ذلك مُقيماً »[٢] .

ثم روى الإمام أحمد بهذا الإسناد عن جابر ، عن النبي ﷺ ؛ أنه أتاه رجلٌ يستطعمُه فأطعمَه شطرَ وَسقِ شعيرٍ ، فما زالَ الرجلُ يأكلُ منه هو وامرأته ووصيفٌ لهم حتى كالوه ، فقال رسول الله ﷺ : « لو لم تكيلوه لأكلتم منه ، ولقام لكم »[٣] .

وقد روى هذين الحديثين مسلم[٤] من وجه آخر ، عن أبي الزبير ، عن جابر .

ذكرُ ضيافةِ أبي طَلحةَ الأنصاريّ رسولَ الله ﷺ

قال البخاري[٥] : حدَّثنا عبدُ الله بن يُوسف ، أخبرنا مالك ، عن إسحاقَ بن عبدِ الله بن أبي طَلحةَ ؛ أنه سمعَ أنسَ بن مالكٍ يقول : قال أبو طلحة لأمّ سُليم : لقد سمعتُ صوتَ رسول الله ضعيفاً أعرفُ فيه الجوعَ ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخرجت خِماراً لها فلفَّت الخبزَ ببعضه ، ثم دسَّتهُ تحتَ يدي ولاثتني[٦] ببعضِه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال : فذهبتُ به فوجدتُ رسولَ الله ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقمتُ عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : « أرسلكَ أبو طلحة ؟ » فقلت : نعم . قال : « بطعام ؟ » قلت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ لمن معه : « قوموا » فانطلقَ وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرتُه ، فقال أبو طلحة : يا أم سُليم قد جاء رسولُ الله ﷺ والناسُ وليس عندنا ما نُطعمُهم ، فقالت : الله ورسولُه أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسولُ الله وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله : « هلمَّ يا أمَّ سُليم ، ما عندَك ؟ » فأتت بذلك الخبز ، فأمرَ

---

(١) ما بين القوسين سقط من الأصل والمطبوع ، وأثبته من المسند (٣/ ٣٤٠) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٤٠) عن الحسن عن ابن لهيعة بهذا اللفظ ، و(٣/ ٣٤٧) عن موسى عن ابن لهيعة بلفظ : أن أم مالك البهزية كانت تُهدي في عكة لها سمناً للنبي ﷺ ، فبينما بنوها يسألونها عن إدام ، وليس عندها شيء ، فعمدت إلى نِحْيِها التي كانت تهدي فيه السمن إلى النبي ﷺ فوجدت فيه سمناً ، فما زال يقيم لها إدامَ بنيها حتى عصرته ، فأتت النبي ﷺ ، فقال : « أعصرتيه ؟ » قالت : نعم ، قال : « لو تركتيه ما زال ذلك مقيماً » . وإسناده حسن ، وهو بنحوه عند مسلم في الفضائل .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٤٧) عن موسى عن ابن لهيعة ، و(٣/ ٣٣٧) عن الحسن عن ابن لهيعة .

(٤) رواهما مسلم في صحيحه رقم (٢٢٨٠) و(٢٢٨١) في الفضائل .

(٥) في صحيحه (٣٥٧٨) في علامات النبوة .

(٦) « لاثتني » : لفتني به .

به رسولُ الله ﷺ فَفُتَّ ، وعصرت أمُّ سُليم عُكَّةً فأدمته ، ثم قال رسول الله فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : « ائذن لعشرةٍ » ، فأذنَ لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذنَ لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : « ائذن لعشرة » فأكل القومُ كلُّهم والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً .

وقد رواه البخاريُّ في مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم من غير وجه ، عن مالك[١] .

طريقٌ آخرُ عن أنسِ بن مالك رضيَ الله عنه

قال أبو يَعلى : حدَّثنا هُدْبَة بن خالد ، حدَّثنا مُباركُ بن فضالة ، حدَّثنا بكر وثابت البُناني ، عن أنس ؛ أن أبا طلحةَ رأى رسولَ الله ﷺ طاوياً ، فجاء إلى أمّ سُليم فقال : إني رأيتُ رسولَ الله ﷺ طاوياً ؛ فهل عندك من شيء ؟ قالت : ما عندنا إلا نحو من مُدّ دقيق وشعير . قال : فاعجنيه وأصلحيه عسى أن ندعوَ رسولَ الله ﷺ فيأكل عندنا ، قال : فعجنته وخبزته ، فجاء قرصاً ، فقال : يا أنسُ ادعُ رسولَ الله ، فأتيتُ رسولَ الله ومعه أناسٌ . قال مبارك : أحسبه قال : بضعةٌ وثمانون . قال : فقلت : يا رسولَ الله أبو طلحة يدعوك ، فقال لأصحابه : « أجيبُوا أبا طلحةَ » فجئتُ جَزِعاً ، حتى أخبرته أنه قد جاءَ بأصحابه . قال بكر : فعدى قومه وقال ثابت : قال أبو طلحة : رسولُ الله أعلمُ بما في بيتي مني . وقالا جميعاً : عن أنس ، فاستقبلَه أبو طلحة فقال : يا رسولَ الله ما عندنا شيءٌ إلا قرصٌ ، رأيتُك طاوياً فأمرتُ أمَّ سُليم فجعلت لك قرصاً ، قال : فدعا بالقرص ، ودعا بجفنة ، فوضعَه فيها ، وقال : « هل من سمن ؟ » قال أبو طلحة : قد كان في العكّة شيء ، قال : فجاء بها ، قال : فجعل رسولُ الله وأبو طلحة يعصرانها ، حتى خرجَ شيء مسح رسول الله به سبابته ثم مسح القرص فانتفخ وقال : « باسم الله » فانتفخَ القرصُ ، فلم يزل يصنعُ كذلك والقرصُ ينتفخُ حتى رأيتُ القرصَ في الجَفنة يميعُ ، فقال : « ادعُ عشرةً من أصحابي » فدعوتُ له عشرةً ، قال : فوضعَ رسولُ الله ﷺ يدَه وسطَ القرص وقال : « كلوا باسم الله » فأكلوا من حَوالي القرص حتى شبعوا ، ثم قال : « ادعُ لي عشرة أُخرى » فدعوت له عشرة أخرى ، فقال : « كلوا باسم الله » فأكلوا من حوالي القرص حتى شبعوا ، فلم يزل يدعو عشرة عشرة يأكلون من ذلك القرص حتى أكل منه بضعة وثمانون من حوالي القرص ، حتى شبعوا ، وإن وسطَ القرص حيثُ وضعَ رسولُ الله ﷺ يدَه كما[٢] هو .

وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب السنن ، ولم يخرجوه ، فالله أعلم .

---

(١) صحيح البخاري (٤٢٢) في الصلاة ، و(٥٣٨٦) في الأطعمة و(٦٦٨٨) في النذور ، ومسلم (٢٠٤٠) (١٤٢) في الأطعمة .

(٢) مسند أبي يعلى (٤١٥١) .

طريقٌ أخرى عن أنسِ بن مالك

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الله بن نُمَير ، حدَّثنا سعد ـ يعني ابن سعيد بن قيس ـ أخبرني أنس بن مالك ، قال : بعثني أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ لأدعوه ، وقد جعل له طعاماً ، فأقبلتُ ورسولُ الله ﷺ مع الناس ، قال : فنظرَ إليَّ فاستحييتُ فقلت : أجب أبا طلحة ، فقال للناس : « قوموا » ، فقال أبو طلحة : يا رسولَ الله إنما صنعتُ شيئاً لك . قال : فمسَّها رسولُ الله ودعا فيها بالبركة ، ثم قال : « أدخل نفراً من أصحابي عشرة » فقال : « كلُوا » فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، وقال : « أدخل عشرة » فأكلوا حتى شبعوا ، فما زال يُدخل عشرةً ويُخرج عشرة ، حتى لم يبق منهم أحدٌ إلا دخلَ فأكل حتى شبع ثم هيَّأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها .

وقد رواه مسلم[٢] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، ومحمد بن عبد الله بن نُمَير ؛ كلاهما عن عبد الله بن نُمَير ، وعن سعيد بن يَحيى الأموي[٣] ، عن أبيه ، كلاهما عن سعد بن سعيد بن قيس الأنصاري .

طريق أخرى

رواه مسلم[٤] في الأطعمة ، عن عبد بن حميد ، عن خالد بن مَخلَد ، عن محمّد بن مُوسى ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس ، فذكرَ نحو ما تقدم .

وقد رواه أبو يَعلى الموصلي ، عن محمد بن عبّاد المكي ، عن حاتم ، عن معاوية بن أبي مزرد ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أبيه ، عن أبي طلحة ، فذكره ، والله أعلم[٥] .

طريقٌ أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا علي بن عاصم ، حدَّثنا حُصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أنس بن مالك ، قال : أتى أبو طلحة بمُدّين من شعيرٍ ، فأمر به فصُنع طعاماً ، ثم قال لي :

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢١٨) وهو حديث صحيح .
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٠٤٠) (١٤٣) في الأشربة .
(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٣) في الأشربة .
(٤) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٤) في الأشربة .
(٥) لم نقف عليه من هذا الوجه في مسنده ، لكن رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن نمير مثل إسناد مسلم (مسنده ٤١٤٥ و٤٣٣١) .
(٦) في المسند (٣/ ٢٣٢) .

يا أنسُ : انطلق ائت رسولَ الله ﷺ فادعُه ، وقد تعلمُ ما عندنا ، قال : فأتيتُ رسولَ الله ﷺ ، وأصحابُه عنده ، فقلت : إن أبا طلحةَ يدعوك إلى طعامه ، فقام ، وقال للناس : « قوموا » فقاموا ، فجئتُ أمشي بين يديه ، حتى دخلتُ على أبي طلحة فأخبرتُه ، قال : فضَحْتَنا ، قلت : إني لم أستطع أن أردَّ على رسول الله ﷺ أمرَه .

فلما انتهى رسولُ الله ﷺ قال لهم : « اقعدوا » ودخل عاشرُ عشرةٍ ، فلما دخلَ أُتي بالطعام تناولَ فأكلَ وأكلَ معه القومُ حتى شبعوا ، ثم قال لهم : « قوموا ، وليدخل عشرة مكانكم » حتى دخلَ القومُ كلُّهم وأكلوا ، قال : قلت : كم كانوا ؟ قال : كانوا نيّفاً وثمانين ، قال : وفضل لأهل البيت ما أشبعهم .

وقد رواه مسلم في الأطعمة[١] ، عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن جعفر الرقي ، عن عُبيد الله بن عمرو ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أنس ، قال : أمر أبو طلحة أمَّ سُليم قال : اصنعي للنبيّ ﷺ لنفسه خاصةً طعاماً يأكلُ منه . فذكر نحو ما تقدم .

طريقٌ أخرى عن أنس

قال أبو يعلى : حدَّثنا شُجاع بن مَخلَد ، حدَّثنا وَهب بن جرير ، حدَّثنا أبي ، سمعت جريرَ بن زيد يُحَدِّثُ عن عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأى أبو طلحة رسولَ الله في المسجد مضطجعاً ، يتقلّب ظهراً لبطن ، فأتى أمَّ سُلَيم فقال : رأيتُ رسولَ الله مضطجعاً في المسجد ، يتقلَّبُ ظهراً لبطن ، فخبزت أمُّ سُليم قُرصاً . ثم قال لي أبو طلحة : اذهب فادعُ رسولَ الله ، فأتيتُه ، وعنده أصحابه ، فقلت : يا رسولَ الله يدعوكَ أبو طلحة ، فقام وقال : « قوموا » قال : فجئتُ أسعى إلى أبي طلحةَ فأخبرتُه أنَّ رسولَ الله قد كان تبعَه أصحابُه ، فتلقّاه أبو طلحة ، فقال : يا رسولَ الله إنما هو قُرصٌ ، فقال : « إن الله سيُبارك فيه » فدخلَ رسولُ الله ، وجيء بالقرص في قصعةٍ ، فقال : « هل من سمن ؟ » فجيء بشيءٍ من سمنٍ فغوَّرَ القرصَ بأصبعه هكذا ، ورفعَها ، ثم صبَّ وقال : « كلوا من بين أصابعي » فأكلَ القومُ حتى شبعوا ، ثم قال : « أَدخل عليَّ عشرة » فأكلوا حتى شبعوا ، حتى أكل القومُ فشبعوا ، وأكل رسولُ الله ﷺ وأبو طلحة وأم سُليم وأنا حتى شبعنا ، وفضلَت فضلة أهديت لجيران لنا[٢] . ورواه مسلم[٣] في الأطعمة من صحيحه ، عن حسن الحُلوَاني ، عن وهب[٤] ، عن جرير بن

---

(١) في صحيحه (٣/ ١٦١٣) .

(٢) لعله في مسنده الكبير بهذا السند .

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٤) .

(٤) هو وهب بن جرير بن حازم ، فهو عن أبيه جرير .

حازم ، عن عمه جرير بن زيد[١] ، عن عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، فذكر نحو ما تقدم .

طريقٌ أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدَّثنا يُونس بن محمد ، حدَّثنا حمَّاد ـ يعني ابن زيدٍ ـ عن هشام ، عن محمد ـ يعني ابن سيرين ـ عن أنس ـ قال حمَّاد : والجعد قد ذكره[٢] ـ قال : عَمَدَت أُمُّ سُليم إلى نصف مُدّ شعيرٍ فطحنتهُ ، ثم عَمَدَت إلى عُكّةٍ كان فيها شيء من سمن ، فاتَّخذت منه خطيفة[٣] قال : ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال : فأتيتُه وهو في أصحابه فقلتُ : إن أُمَّ سُليم أرسلتني إليك تدعوك ، فقال : « أنا ومن معي » قال : فجاء هو ومن معه ، قال : فدخلتُ فقلتُ لأبي طلحةَ : قد جاءَ رسولُ الله ﷺ ومن معه ، فخرج أبو طلحة فمشى إلى جنب النبي ﷺ ، قال : يا رسولَ الله إنما هو خطيفة اتَّخذَتها أمُّ سُليم من نصف مُدّ شعير ، قال : فدخل فأتى به ، قال : فوضع يدَه فيها . ثم قال : « أدخل عشرة » قال : فدخل عشرةٌ فأكلوا حتى شبعوا ، ثم دخل عشرة فأكلوا ، ثم عشرة فأكلوا ، حتى أكلَ منها أربعون كلُّهم أكلوا حتى شبعوا ، قال : وبقيت كما هي قال : فأكلنا[٤] .

وقد رواه البخاري[٥] في الأطعمة ، عن الصَّلتِ بن محمد ، عن حمّاد بن زيد ، عن الجعد أبي عثمان ، عن أنس . وعن هشام ، عن محمد[٦] ، عن أنس . وعن سِنان بن ربيعة أبي ربيعة[٧] ، عن أنس : أن أم سُليم عَمَدَت إلى مُدٍّ من شعير جَشَّتهُ[٨] وجعلت منه خطيفة ، وعمدت إلى عُكّةٍ فيها شيء من سمن فعصرته ، ثم بعثتني إلى رسول الله وهو في أصحابه . . الحديث بطوله .

ورواه أبو يعلى المَوصلي : حدَّثنا عمرو بن الضحاك ، حدَّثنا أبي ، سمعتُ أشعثَ الحُدَّاني[٩] قال :

---

(١) في الأصل والمطبوع : جرير بن يزيد . والتصحيح من صحيح مسلم .
(٢) ما بين المعترضتين أثبته من المسند ، ومعناه أن الجعد أبا عثمان روى الحديث أيضاً عن أنس كما في رواية البخاري .
(٣) « خطيفة » : دقيق يذر عليه اللبن ثم يُطبخ .
(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٤٧) وهو حديث صحيح .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٤٥٠) في الأطعمة ، كما رواه برقم (٤٢٢) في الصلاة ، و(٣٦٣٤) في المناقب .
(٦) عن محمد : هو ابن سيرين .
(٧) عن سنان أبي ربيعة : « قال الحافظ ابن حجر : سنان بن ربيعة ، وهو أبو ربيعة ، وافقت كنيته اسم أبيه . فتح الباري (٩/ ٥٧٤) .
(٨) « جشَّته » : جعلته جشيشاً ، والجشيش : دقيق غير ناعم .
(٩) في المطبوع : « الحراني » وهو خطأ ظاهر ، وهو أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني من رجال التهذيب .

قال محمد بن سيرين : حدَّثني أنس بن مالك ؛ أن أبا طلحة بلغَه أنه ليس عندَ رسول الله ﷺ طعامٌ ، فذهبَ فأجَّرَ نفسَه بصاعٍ من شعير ، فعَمِل يومَه ذلك ، فجاءَ به وأمرَ أمَّ سُلَيم أن تعملَه خطيفةً[(١)] . وذكر الحديث .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدَّثنا يُونس بن محمد ، حدَّثنا حربُ بن ميمون ، عن النضر بن أنس ، عن أنس بن مالك قال : قالت أمُّ سُليم : اذهب إلى نبي الله ﷺ فقل : إن رأيتَ أن تغدَّى عندنا فافعل ، فجئتُه فبلّغتُه ، فقال : « ومن عندي ؟ » قلت : نعم ، قال : « انهضوا » قال : فجئتُه فدخلتُ على أمِّ سُلَيم وأنا لَدَهِشٌ لمن أقبلَ مع رسول الله ﷺ ، قال : فقالت أم سُلَيم : ما صنعتَ يا أنس ؟ فدخلَ رسولُ الله ﷺ على إثر ذلك ، فقال : « هل عندك سمن؟ » قالت : نعم ، قد كان منه عندي عُكّة فيها شيء من سمن ، قال : « فائتِ بها » قالت : فجئتُ بها ، ففتحَ رباطَها ثم قال : « باسم الله ، اللهم أعظم فيها البركة » قال : فقال : « اقلبيها » فقلبتُها ، فعصرَها نبيُّ الله ﷺ وهو يُسمّي ، فأخذتُ نَقعَ قِدرٍ ، فأكلَ منها بضعٌ وثمانون رجلاً ، وفضل فضلةٌ ، فدفعها إلى أُمّ سُليم فقال : « كلي وأطعمي جيرانك »[(٢)] .

وقد رواه مسلم[(٣)] في الأطعمة ، عن حَجَّاج بن الشاعر ، عن يونس بن محمد المؤدب ، به .

طريق أخرى

قال أبو القاسم البغوي : حدَّثنا علي بن المَديني ، حدَّثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عن عمرو بن يحيى بن عُمارة المازني ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك ؛ أن أمَّه أمّ سُليم صنعت خزيراً[(٤)] . فقال أبو طلحة : اذهب يا بنيّ فادعُ رسولَ الله ﷺ قال : فجئتُه وهو بين ظَهراني الناس ، فقلت : إن أبي يدعوكَ ، قال : فقام وقال للناس : « انطلقوا » قال : فلما رأيتُه قام بالناس تقدّمتُ بين أيديهم ، فجئت أبا طلحة ، فقلت : يا أبت قد جاءَك رسولُ الله ﷺ بالناس ، قال : فقام أبو طلحة على الباب وقال : يا رسول الله إنما كان شيئاً يَسيراً ، فقال : « هلمَّهُ ، فإن الله سيجعلُ فيه البركة » فجاء به ، فجعل رسولُ الله يدَه فيه ، ودعا الله بما شاء أن يدعوَ ، ثم قال : « أدخل عشرة عشرة » فجاءه منهم ثمانون فأكلوا وشبعوا .

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٥/ ٢١٤ ـ ٢١٥) رقم (٢٨٣٠) وإسناده صحيح ، وهو عند مالك رقم (٩) في صفة النبي ﷺ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٤٢) .

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٦١٤) .

(٤) « الخزيرة » : لحم يقطَّع صغاراً ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق . النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٨) .

ورواه مسلم في الأطعمة[١] ، عن عبد بن حُميد ، عن القعنبي ، عن الدراوردي ، عن يحيى بن عُمارة بن أبي حسن الأنصاري المازني ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك ، بنحو ما تقدم .

طريق أخرى

ورواه مسلم في الأطعمة أيضاً[٢] ، عن حرملة ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد اللَّيثي ، عن يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس كنحو ما تقدم .

قال البيهقي[٣] : وفي بعض حديث هؤلاء : ثم أكلَ رسولُ الله ﷺ ، وأكلَ أهلُ البيت ، وأفضلوا ما بلغَ جيرانَهم .

فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه شاهدَ ذلك ، على ما فيه من اختلاف عنه في بعض حروفه . ولكن أصلَ القصة متواترٌ لا محالة كما ترى ، ولله الحمد والمنة ؛ فقد رواه عن أنس بن مالك : إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، وبكر بن عبد الله المُزَني ، وثابت بن أسلم البناني ، والجعد أبو[٤] عثمان ، وسعد بن سعيد أخو يحيى بن سعيد الأنصاري ، وسِنان بن ربيعة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ، ومحمد بن سيرين ، والنضر بن أنس ، ويحيى بن عُمارة بن أبي حسن ، ويَعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة .

وقد تقدَّم في غزوة الخندق حديث جابر في إضافته ﷺ على صاع من شعير وعَناق[٥] ، فعزمَ عليه الصلاة والسلام على أهل الخندق بكمالهم ، وكانوا ألفاً ـ أو قريباً من ألف ـ فأكلوا كلُّهم من تلك العَناق وذلك الصاع حتى شَبِعوا وتركوه كما كان ، وقد أسلفنا بسنده ومتنه وطرقه ، ولله الحمد والمنة .

ومن العجيب الغريب ما ذكرَه الحافظُ أبو عبد الرحمن بن محمد بن المنذر الهروي ـ المعروف بشكر ـ في كتاب « العجائب الغريبة » في هذا الحديث فإنه أسنده وساقه بطوله ، وذكر في آخره شيئاً غريباً ، فقال : حدَّثنا محمد بن علي بن طرخان ، حدَّثنا محمد بن مَسرور ، أخبرنا هاشم بن هاشم ـ ويكنى بأبي برزة ـ بمكة في المسجد الحرام ، حدَّثنا أبو كعب البداح بن سهل الأنصاري من أهل المدينة ، من الناقلة الذين نقلهم هارون إلى بغداد ، سمعتُ منه بالمَصِّيصة ، عن أبيه سهل بن

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٣) .
(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٤) .
(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٩١) .
(٤) في الأصل والمطبوع : الجعد بن عثمان . والتصحيح من تقريب التهذيب (١/ ١٢٨) ومما سبق ، فهو الجعد بن دينار ، أبو عثمان اليشكري .
(٥) « عناقاً » : الأنثى من أولاد المعز .

عبد الرحمن ، عن أبيه عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : أتى جابرُ بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ ، فعرفَ في وجهه الجوع ، فذكر أنه رجعَ إلى منزله ، فذبح دَاجِناً كانت عندهم ، وطبخَها وثردَ تحتها في جَفنة وحملَها إلى رسول الله ﷺ ، فأمره أن يدعوَ له الأنصار ، فأدخلهم عليه أرسالاً ، فأكلوا كلُّهم وبقي مثل ما كان ، وكان رسول الله ﷺ يأمرُهم أن يأكلوا ولا يَكسروا عظماً ، ثم إنه جمعَ العظامَ في وسط الجَفنة[١] فوضعَ عليها يدَه ، ثم تكلَّم بكلام لا أسمعُه إلا أني أرى شفتيه تتحرك ، فإذا الشاة قد قامت تنفضُ أُذنيها ، فقال : « خذ شاتَك يا جابر باركَ الله لك فيها » قال : فأخذتُها ومضيت ، وإنها لتنازعُني أذنَها ، حتى أتيتُ بها البيتَ ، فقالت لي المرأة : ما هذا يا جابر؟ فقلت : هذه والله شاتُنا التي ذبحنَاها لرسول الله ، دعا الله فأحياها لنا ، فقالت : أنا أشهدُ أنه رسولُ الله ، أشهدُ أنه رسولُ الله ، أشهدُ أنه رسولُ الله .

حديث آخر عن أنس في معنى ما تقدم

قال أبو يعلى المَوصلي والبَاغندي : حدَّثنا شَيبان ، حدَّثنا محمد بن عيسى بصري ـ وهو صاحب الطعام[٢] ـ حدَّثنا ثابت البُناني ، قلتُ لأنس بن مالك : يا أنس أخبرني بأعجب شيء رأيتَه ، قال : نعم يا ثابت خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشرَ سنين فلم يعب[٣] عليَّ شيئاً أسأتُ فيه ، وإن نبيَّ الله ﷺ لما تزوَّج زينبَ بنتَ جحش ، قالت لي أمي : يا أنسُ ، إنَّ رسولَ الله ﷺ أصبحَ عَروساً ولا أدري أصبحَ له غداءٌ ، فهلمَّ[٤] تلك العُكَّة ، فأتيتُها بالعُكَّة وبتمرٍ ، فجعلت له حَيساً[٥] ، فقالت : يا أنس اذهب بهذا إلى نبيّ الله وامرأته ، فلما أتيتُ رسولَ الله ﷺ بتورٍ[٦] من حجارة فيه ذلك الحَيس ، قال : « دعه[٧] ناحية البيت ، وادع لي أبا بكر وعمر وعليًا وعثمان » ونفراً من أصحابه ، « ثم ادعُ لي أهل المسجد ومن رأيتَ في الطريق » قال : فجعلتُ أتعجَّب من قلّة الطعام ، ومن كثرة ما يأمُرني أن أدعوَ النَّاسَ ، وكرهتُ أن أعصيَه حتى امتلأ البيتُ والحجرةُ ، فقال : « يا أنسُ هل ترى من أحد؟ » فقلت : لا يا رسولَ الله ، قال : « هات ذلك التَّورَ » فجئتُ بذلك التَّورِ فوضعتُه قدّامه ، فغمسَ ثلاثَ أصابعَ في التَّورِ ، فجعلَ التَّورُ[٨] يربُو

---

(١) « الجفنة » : القصعة للطعام .

(٢) كذا بالأصل ، ولم أجد هذه الجملة المعترضة في مسند أبي يعلى .

(٣) « فلم يعب » : كذا في الأصل ، وفي مسند أبي يعلى : فلم يُغيِّر .

(٤) « فهلمَّ » : أحضر .

(٥) « حيساً » : تمر ينزع نواه ويُدق مع أقط ويعجنان بالسمن ، ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد ، وربما جعل معه سويق .

(٦) « تَور » : إناء يُشرب فيه .

(٧) كذا بالأصل ، وفي مسند أبي يعلى : ضعه .

(٨) في (أ) التمر ، وهو تصحيف .

(ويرتفعُ)[١] فجعلوا يتغذون ويخرجون ، حتى إذا فرغوا أجمعون وبقيَ في التَّورِ نحو ما جئتُ به ، فقال : « ضعه قدّام زينبَ » ، فخرجتُ وأسففت عليهم باباً من جريد .

قال ثابت : قلنا : يا أبا حمزة ، كم ترى كان الذين أكلوا من ذلك التَّورِ ؟ فقال : أحسب واحداً وسبعين أو اثنين وسبعين[٢] .

وهذا حديثٌ غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه .

حديثٌ آخر عن أبي هريرة في ذلك

قال جعفرُ بن محمد الفِريابي[٣] : حدَّثنا عثمان بن أبي شَيبةَ ، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبي يحيى ، عن إسحاق بن سالم ، عن أبي هريرة ، قال : خرجَ عليَّ رسولُ الله ﷺ فقال : « ادعُ لي أصحابَك من أصحابِ الصُّفة » فجعلتُ أُنبِّههم رجلاً رجلاً ، فجمعتُهم ، فجئنا بابَ رسول الله ﷺ فاستأذنا . فأذنَ لنا ، قال أبو هريرة : فوُضِعَت بين أيدينا صَحفَةٌ أظنُّ أن فيها قَدرَ مُدٍّ من شعير ، قال : فوضعَ رسولُ الله ﷺ عليه يدَه وقال : « كُلوا باسم الله » قال : فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيديَنا ، فقالَ رسولُ الله ﷺ حين وُضِعَت الصَّحفَةُ : « والذي نفسي بيده ما أمسى في آلِ محمّدٍ طعامٌ ليس تَرونه » قيل لأبي هريرة : قَدرُ كَم كانت حين فرغتُم منها ؟ قال : مثلها حين وُضعت إلا أن فيها أثـرَ الأصابع[٤] .

وهذه قصة غير قصة أهل الصُّفة المتقدمة في شربهم اللبن ، كما قدَّمنا .

حديث آخر عن أبي أيوب في ذلك

قال جعفر الفريابي : حدَّثنا أبو سلمة يحيى بن خلف ، حدَّثنا عبد الأعلى ، عن سعيد الجريري ، عن أبي الورد ، عن أبي محمد الحضرمي ، عن أبي أيوب الأنصاري ، قال : صنعتُ لرسول الله ﷺ ولأبي بكر طعاماً قَدرَ ما يَكفيهما فأتيتُهما به ، فقال رسول الله ﷺ : « اذهب فادعُ لي ثلاثينَ من أشراف الأنصار »

---

(١) سقطت من (أ) وأثبتها من المسند .

(٢) مسند أبي يعلى (٦/ ١٦٧ ـ ١٦٩) رقم (٣٤٤٩) وإسناده ضعيف جداً ، لضعف محمد بن عيسى ، وهو العبدي . قال البخاري والفلّاس : منكر الحديث . وقال أبو زرعة : لا ينبغي أن يحدَّث عنه . وقال الدارقطني : ضعيف . وقال ابن حبان في المجروحين : لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد . لسان الميزان (٥/ ٣٣٢) والكامل في ضعفاء الرجال (٦/ ٢٢٤٩) .

(٣) الفريابي : جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض ، إمام حافظ ثبت ، شيخ الوقت ، أبو بكر القاضي ، ونسبته إلى فارياب ـ بلدة بنواحي بلخ ـ توفي سنة ٣٠١ . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٩٦) .

(٤) دلائل النبوة للفريابي ، طبعة دار طيبة (ص٢٩) وفي إسناده إسحاق بن سالم ، مجهول الحال كما قال الحافظ في التقريب .

قال : فشقَّ ذلك عليّ ، ما عندي شيءٌ أزيدُه ، قال : فكأني تثاقلتُ ، فقال : « اذهب فادعُ لي ثلاثينَ من أشراف الأنصار » فدعوتُهم ، فجاؤوا ، فقال : « اطعَمُوا » فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسولُ الله ، ثم بايعوه قبل أن يخرجوا ، ثم قال : « اذهب فادعُ لي ستينَ من أشراف الأنصار » قال أبو أيوب : فوالله لأنا بالستين أجود مني بالثلاثين ، قال : فدعوتُهم ، فقال رسولُ الله ﷺ : « تربعوا » فأكلوا حتى صَدَرُوا ثم شَهِدوا أنه رسولُ الله وبايعوه قبل أن يخرجوا ، قال : « فاذهب فادعُ لي تسعين من الأنصار » قال : فلأنا أجود بالتسعين والستين مني بالثلاثين ، قال : فدعوتُهم فأكلوا حتى صَدَروا ثم شهدوا أنه رسولُ الله وبايعوه قبل أن يخرجوا ، قال : فأكل من طعامي ذلك مئة وثمانون رجلاً كلُّهم من الأنصار .

وهذا حديث غريب جدًّا إسناداً[١] ومتناً .

وقد رواه البيهقيُّ[٢] من حديث محمد بن أبي بكر المقدمي ، عن عبد الأعلى ، به .

قصة أخرى في تكثير الطعام في بيت فاطمة

قال الحافظ أبو يعلى : حدَّثنا سهل بن الحنظلية ، حدَّثنا عبد الله بن صالح ، حدَّثني ابن لهيعة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر : أن رسولَ الله ﷺ أقامَ أياماً لم يَطعَم طعاماً حتى شقَّ عليه ، فطافَ في منازل أزواجه فلم يُصِب عندَ واحدةٍ منهنّ شيئاً ، فأتى فاطمةَ فقال : « يابنيّة ، هل عندك شيء آكله فإني جائع ؟ » فقالت : لا والله بأبي أنت وأمي ، فلما خرجَ من عندها رسولُ الله ﷺ بعثت إليها جارةٌ لها برغيفين وقطعة لحم ، فأخذته منها فوضَعته في جَفنةٍ لها وغطَّت عليها ، وقالت : والله لأُوثرنَّ بهذا رسولَ الله ﷺ على نفسي ومن عندي ، وكانوا جميعاً مُحتاجين إلى شبعةِ طعام ، فبعثت حسناً ـ أو حُسيناً ـ إلى رسول الله ﷺ فرجعَ إليها ، فقالت له : بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخبَّأته لك ، قال : « هلمّي يا بنية » فكشفت عن الجفنةِ فإذا هي مملوءةٌ خبزاً ولحماً ، فلما نظرت إليها بُهتت وعرفت أنها بركةٌ من الله ، فحمدتِ الله وصلَّت على نبيه ﷺ وقدَّمته إلى رسول الله ، فلما رآه حَمِدَ الله وقال : « من أين لك هذا يا بنية ؟ » قالت : يا أبتِ هو من عند الله ، إن الله يرزقُ من يشاءُ بغير حساب ، فحَمِد الله وقال : « الحمد لله الذي جعلك يا بنيَّة شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل ، فإنها كانت إذا رزقَها الله شيئاً فسُئلت عنه ، قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزقُ مَن يشاءُ بغير حساب » فبعثَ رسولُ الله ﷺ إلى عليّ ، ثم أكلَ رسولُ الله ﷺ وعليٌّ وفاطمةُ وحسنٌ وحُسين ، وجميعُ أزواج رسولِ الله ﷺ ، وأهلُ بيته جميعاً حتى

---

(١) دلائل النبوة للفريابي (ص٢٨) .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٩٤) وإسناده ضعيف أيضاً .

شبعوا ، قالت : وبقيت الجَفنَةُ كما هي ، فأوسعت بقيّتَها على جميع جيرانها ، وجعلَ الله فيها بركةً وخيراً كثيراً .

وهذا حديث غريب أيضاً إسناداً ومتناً .

وقد قدَّمنا في أوّل البعثة حين نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] حديث ربيعةَ بن ناجد ، عن عليّ في دعوته عليه الصلاة والسلام بني هاشم ـ وكانوا نحواً من أربعين ـ فقدَّمَ إليهم طعاماً من مُدّ ، فأكلوا حتى شَبِعوا وتركوه كما هو ، وسقاهم من عُسٍّ[١] شراباً حتى رووا ، وتركوه كما هو ثلاثة أيام متتابعة ، ثم دعاهم إلى الله ، كما تقدم .

قصة أخرى في بيت رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عليُّ بن عاصم ، حدَّثنا سُليمان التَّيمِي ، عن أبي العَلاء بن الشِّخير ، عن سمُرةَ بن جُندب ، قال : بينما نحن عند النبيّ ﷺ إذ أُتي بقصعةٍ فيها ثريد ، قال : فأكلَ وأكلَ كلُّ القوم ، فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر ، يأكلُ قومٌ ثم يقومون ، ويجيءُ قوم فيتعاقبونه ، قال : فقال له رجل : هل كانت تُمَدُّ بطعامٍ ؟ قال : « أمَّا من الأرضِ فلا ، إلا أن تكون كانت تُمدُّ من السماء » .

ثم رواه أحمد[٣] عن يزيد بن هارون ، عن سُليمان ، عن أبي العلاء ، عن سَمُرة ؛ أن رسولَ الله أُتي بقصعةٍ فيها ثريد ، فتعاقبُوها إلى الظهر من غَدوَة ، يقومُ ناسٌ ويقعدُ آخرون ، قال له رجل : هل كانت تُمَدُّ ؟ فقال له : « فمن أين ؟ ـ تَعجَّبَ ـ ما كانت تُمَدُّ إلا من هاهنا » ، وأشار إلى السماء .

وقد رواه الترمذي والنسائي[٤] أيضاً ، من حديث مُعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي العلاء ـ واسمُه يزيد بن عبد الله بن الشخير ـ عن سَمُرة بن جُندب ، به .

قصة قصعة بيت الصديق

ولعلها هي القصة المذكورة في حديث سمرة ، والله أعلم .

قال البخاري[٥] : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا مُعتَمِرٌ عن أبيه ، حدَّثنا أبو عثمان ؛ أنه حدَّثه

---

(١) « عُسّ » : القدح الضخم .

(٢) في المسند (٥/ ١٢) وهو حديث صحيح ، مع أن إسناده ضعيف لضعف علي بن عاصم ، لأن غيره من الثقات رووه كذلك .

(٣) في المسند (٥/ ١٨) وهو حديث صحيح .

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٣٦٢٥) في المناقب ، والنسائي في الوليمة من سننه الكبرى (٦٧٤٠) .

(٥) في صحيحه ، رقم (٣٥٨١) في المناقب .

عبدُ الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما : أن أصحاب الصُّفة كانوا أناساً فقراءَ ، وأن النبيَّ ﷺ قال مرة : « مَن كان عندَه طعامُ اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عندَه طعامُ أربعة فليذهب بخامس ، أو سادس » أو كما قال ، وإن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلقَ النبيُّ ﷺ بعشرةٍ ، وأبو بكر بثلاثة قال : فهو أنا وأبي وأمي ، ولا أدري هل قال امرأتي وخادم بين بيتنا وبين بيت أبي بكر ، وإن أبا بكر تعشَّى عندَ النبي ﷺ ، ثم لبثَ حتى صلَّى العشاءَ ، ثم رجعَ فلبثَ حتى تعشَى رسولُ الله ﷺ ، فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله ، قالت له امرأتُه : ما حبسكَ عن أضيافك أو ضيفك ؟ قال : أو ما عشّيْتِيهم ؟ قالت : أبوا حتى تجيءَ ، قد عرضوا عليهم فغلبوهم . قال : فذهبتُ فاختبأتُ . فقال : يا غُنثرُ ـ فجَدَّعَ وسبَّ ـ وقال : كلوا . وفي رواية أخرى : لا هنيئاً . وقال : لا أطعَمُه أبداً ، وايم الله ما كنّا نأخذُ من لقمةٍ إلا رَبَا من أسفلها أكثرُ منها ، حتى شبعوا وصارت أكثرَ مما كانت قبلُ . فنظر أبو بكر فإذا هي شيءٌ أو أكثرُ . فقال لامرأته : (وفي رواية أخرى : ما هذا) يا أختَ بني فراس ؟ قالت : لا وَقرّةِ عيني لهي الآن أكثرُ مما قبلُ بثلاثِ مرار . فأكلَ منها أبو بكر ، وقال : إنما كان الشيطانُ ـ يعني يمينَه ـ ثم أكل منها لقمةً ثم حملَها إلى النبيِّ ﷺ ، فأصبحَت عندَه ، وكان بيننا وبين قوم عهدٌ ، فمضى الأجلُ فعرَّفنا[١] اثنا عشر رجلاً مع كلِّ رجلٍ منهم أناسٌ الله أعلمُ كم معَ كلِّ رجلٍ ، غيرَ أنه بَعَثَ معهم ، قال : فأكلوا منها أجمعون ، أو كما قال . وغيرهم يقول : « فتفرقنا »[٢] .

هذا لفظه ، وقد رواه في مواضعَ أخر من صحيحه[٣] ، ومسلم[٤] من غير وجه ، عن أبي عثمان عبد الرحمن بن مُلٍّ النهدي ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر .

حديث آخر عن عبد الرحمن بن أبي بكر في هذا المعنى

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا عارمٌ ، حدَّثنا مُعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ أنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثينَ ومئة ، فقال النبي ﷺ : « هل مع أحد منكم طعام ؟ » فإذا مع رجل صاعٌ من طعام أو نحوُه ، فعجن ، ثم جاء رجل مشرك مُشعانٌّ[٦] طويل بغنم يسوقُها ، فقال النبي ﷺ : « أبَيعاً أم عطيّة ؟ ـ أو قال : أم هدية ؟ » قال : لا ، بل بَيعٌ ، فاشترى منه

---

(١) كذا بالأصل ، وفي البخاري : بين .
(٢) كذا بالأصل وفي البخاري : ففرَّقنا ، وفي آخره : وغيره يقول : فعرفنا ؛ من العِرافة . أي : جعلنا عرفاء .
(٣) صحيح البخاري (٦٠٢) في الصلاة و(٦١٤٠) و (٦١٤١) في الأدب .
(٤) صحيح مسلم (٢٠٥٦) و(٢٠٥٧) .
(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (١/١٩٧ ، ١٩٨) .
(٦) « مشعانّ » : ثائر الرأس ، منتفش الشعر .

شاة ، فصنعت ، وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن يشوى ، قال : وايم الله ما من الثلاثين والمئة إلا قد حز له رسولُ الله حزةً من سَوَاد بطنِها ، إن كان شاهداً أعطاه إياه ، وإن كان غائباً خبَّأ له ، قال : وجعلَ منها قصعتين ، قال : فأكلنا منهما أجمعون وشبعنا وفَضَلَ في القصعتين ، فحملناه على البعير ، أو كما قال .

وقد أخرجه البخاريُّ ومسلم(١) ، من حديث معتمر بن سليمان .

حديث آخر في تكثير الطعام في السفر

قال الإمام أحمد : حدَّثنا فزارة بن عمر ، أخبرنا فُلَيحٌ ، عن سُهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : خرجَ رسول الله ﷺ في غزوة غزاها ، فأرملَ فيها المسلمون ، واحتاجوا إلى الطعام ، فاستأذنوا رسولَ الله ﷺ في نَحرِ الإبل فأذنَ لهم ، فبلغَ ذلك عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال : فجاء فقال : يا رسولَ الله ، إبلُهم تحملُهم وتبلِّغُهم عدوَّهم ينحرونَها ؟ ادعُ يا رسول الله ، بغبراتِ(٢) الزَّادِ ، فادعُ الله عَزَّ وجلَّ فيها بالبركة ، قال : « أجل » فدعا بغبرات الزاد ، فجاء الناس بما بقي معهم ، فجمَعه ثم دعا الله عزّ وجلّ فيه بالبركة ، ودعاهم بأوعيتهم فملأها وفضل فضل كثير ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهدُ أني عبدُ الله ورسوله ، ومن لقيَ الله عزَّ وجلَّ بهما غيرَ شَاكٍّ دخلَ الجنة »(٣) .

وكذلك رواه جعفر الفريابي عن أبي مصعب الزهري ، عن عبد العزيز بن أبي حازم عن سهيل ، به .

ورواه مسلم والنسائي(٤) جميعاً ، عن أبي بكر بن أبي النضر ، عن أبيه ، عن عُبيد الله الأشجعي ، عن مالك بن مِغوَل ، عن طلحة بن مصرف ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، به .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٥) : حدَّثنا زهير ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٢١٦) في البيوع ، ورقم (٢٦١٨) في الهبة ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٥٦) في الأطعمة .

(٢) « بغبرات الزاد » : بقايا الزاد .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) في إسناده فزارة بن عمر ، أبو الفضل ، قال الحافظ في « تعجيل المنفعة » : فيه نظر ، وفليح وإن كان من رجال البخاري لكنه إنما يتحسن حديثه بالمتابعة .

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٧) في الإيمان ، والنسائي في الكبرى (٨٧٩٤) .

(٥) رواه أبو يعلى في مسنده رقم (١١٩٩) .

أبي صالح ، (عن أبي سعيد)[١] ، أو عن أبي هريرة ـ شك الأعمش ـ قال : لما كانت غزوةُ تبوك أصابَ النَّاسَ مجاعةٌ ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذنتَ لنا فنحرنا نواضحَنا فأكلنا وادَّهَنَّا ؟ فقال : « افعلوا » فجاء عمرُ ، فقال : يا رسولَ الله ، إن فعلوا قلَّ الظَّهرُ ، ولكن ادعُهم بفضل أزوادِهم ، ثم ادعُ لهم عليها بالبركة لعلَّ الله أن يجعلَ في ذلك البركة ، فأمرَ رسولُ الله بِنِطعٍ فبُسِطَ ودعا بفضل أزوادهم ، قال : فجعلَ الرجلُ يجيءُ بكفِّ التمرِ ، والآخرُ بالكِسرة ، حتى اجتمعَ على النِّطعِ شيءٌ من ذلك يَسير ، فدعا عليهم بالبركة ، ثم قال : « خذوا في أوعيتكم » فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا مَلؤُوه ، وأكلوا حتى شبِعوا وفضُلَت فَضلَةٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله ، لا يلقى الله بها عبدٌ غيرَ شَاكٍّ فتُحتَجَبُ[٢] عنه الجنّة » .

وهكذا رواه مسلم[٣] أيضاً عن سهل بن عثمان وأبي كُريب ، كلاهما عن أبي مُعاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد أو أبي هريرة ، فذكر مثلَه .

حديث آخر في هذه القصة

قال الإمام أحمد : حدَّثنا علي بن إسحاق ، حدَّثنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ أخبرنا الأوزاعي ، أخبرنا المطلبُ بن حنطب المخزومي ، حدَّثني عبد الرحمن بن أبي عَمرة الأنصاري ، حدَّثني أبي قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فأصاب النَّاسَ مَخمَصةٌ[٤] ، فاستأذنَ النَّاسُ رسولَ الله ﷺ في نحرِ بعض ظُهورهم ، وقالوا : يُبلِّغنا الله به ، فلما رأى عمرُ بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قد همَّ أن يأذنَ لهم في نحر بعض ظُهورهم ، قال : يا رسولَ الله ، كيف بنا إذا نحن لقينا العدوَّ غداً جِياعاً رِجَالاً ؟ ولكن إن رأيتَ يا رسولَ الله ، أن تدعوَ لنا ببقايا أزوادهم وتجمِّعها ، ثم تدعو الله فيها بالبركةِ فإن الله سيبلِّغنا بدعوتك ، أو سيُبارك لنا في دعوتك ، فدعا النبيُّ ﷺ ببقايا أزوادهم ، فجعل النَّاسُ يَجيئون بالحبّة من الطعام وفوقَ ذلك ، فكان أعلاهم من جاءَ بصاعٍ من تمر ، فجمعَها رسولُ الله ﷺ ، ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعوَ ، ثم دعا الجيشَ بأوعيتهم وأمرَهم أن يحتثوا ، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه ، وبقي مثله ، فضحكَ رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجذُه وقال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسولُ الله ، لايلقى اللهَ عبدٌ يُؤمن بها إلا حُجِبَت عنه النَّار يومَ القيامة[٥] » .

---

(١) في الأصل : عن سعيد ، والتصحيح من (أ) ومسند أبي يعلى (٢/ ٤١١ ـ ٤١٢) .
(٢) كذا بالأصل ، وفي المسند : فيُحجبُ عن الجنة .
(٣) في صحيحه رقم (٢٧) في الإيمان .
(٤) « مخمصة » : جوع .
(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤١٧ ـ ٤١٨) .

وقد رواه النسائيّ ، من حديث عبد الله بن المبارك بإسناده نحو ما تقدم[١] .

حديث آخر في هذه القصة

قال الحافظُ أبو بكر البَزَّار : حدَّثنا أحمد بن المُعَلَّى الأَدَمِي ، حدَّثنا عبدُ الله بن رجاء ، حدَّثنا سعيدُ بن سلمة ، حدَّثني أبو بكر ـ أظنُّه من ولد عمرَ بن الخطاب ـ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعةَ ، أنه سمعَ أبا خُنَيْس الغِفاري ، أنه كانَ مع رسول الله ﷺ في غزوة تِهامة حتى إذا كنا بعُسفان جاءَه أصحابُه فقالوا : يا رسولَ الله ، جَهدنَا الجوعُ فأذن لنا في الظهر أن نأكلَه ، قال : نعم ، فأُخبرَ بذلك عمرُ بن الخطاب فجاءَ رسول الله ، فقال : يا نبيَّ الله ما صنعتَ ؟ أمرتَ الناسَ أن يَنحروا الظهرَ فعلى ماذا يركبون ؟ قال : « فما ترَى يا بن الخطاب ؟ » قال : أرى أن تأمرَهم أن يأتُوا بفضل أزوادِهم فتجمعَه في ثوبٍ ثم تدعو لهم ، فأمرهم فجمعوا فضلَ أزوادهم في ثوبٍ ثم دعا لهم ، ثم قال : « ائتوا بأوعيتكم » فملأ كلُّ إنسان وعاءَه ، ثم أذن بالرحيل ، فلما جاوزَ مُطروا ، فنزلَ ونزلوا معه ، وشربوا من ماء السماء ، فجاء ثلاثةُ نفر ، فجلس اثنان مع رسول الله وذهبَ الآخر مُعرضاً ، فقال رسول الله : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما واحدٌ فاستحى من الله فاستحى الله منه ، وأمّا الآخرُ فأقبلَ تائباً فتابَ الله عليه ، وأما الآخر فأعرضَ فأعرضَ الله عنه » .

ثم قال البزار : لا نعلم روى أبو خُنَيس إلا هذا الحديث بهذا الإسناد .

وقد رواه البيهقيّ[٢] عن أبي الحُسين بن بِشران ، عن أبي بكر الشافعي : حدَّثنا إسحاق بن الحسن الحَرْبي[٣] ، أخبرنا أبو رجاء ، حدَّثنا سعيد بن سلمة ، حدَّثني أبو بكر بن عمرو بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة ؛ أنه سمع أبا خُنَيس الغِفاري ، فذكرَه .

حديث آخر عن عمر بن الخطاب في هذه القصة

قال الحافظ أبو يعلى : حدَّثنا أبو هشام ـ محمد بن زيد الرفاعي ـ حدَّثنا ابنُ فُضيل ، حدَّثنا يزيد

---

(١) في السنن الكبرى (٨٧٩٣) وفي عمل اليوم والليلة رقم (١١٤٠) ، وإسناد الحديث حسن .

(٢) البيهقي في الدلائل (٦/ ١٢٢) ورواه الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤/ ٥٢) وقال : وسند الحديث حسن ، وقد سمعناه بعلو في الثاني من أمالي المحاملي رواية الأصبهانيين ، وشاهده في الصحيحين ، وله شاهد آخر عنه عند الحاكم عن أنس .

(٣) في أ والمطبوع : « الخرزي » محرف ، والصواب ما أثبتناه وهو حنبلي من أهل الحربية ببغداد ، كما هو في طبقات الحنابلة (١/ ١١٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٠) والوافي (٨/ ٤٠٩) وغيرها .

ـ وهو ابن أبي زياد ـ عن عاصم بن عُبيد الله بن عاصم ، عن أبيه ، عن جده عمر ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غَزَاة ، فقلنا : يا رسول الله ، إن العدوَّ قد حضرَ ، وهم شِبَاعٌ والنَّاس جِيَاع ، فقالت الأنصار : ألا ننحرُ نواضحَنا فنُطعمَها الناسَ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من كان معه فضل طعامٍ فليجىء به » فجعل الرجلُ يجيء بالمُدِّ والصَّاعِ وأقلّ وأكثر ، فكان جميعُ ما في الجيش بضعاً وعشرين صَاعاً ، فجلسَ النبيُّ ﷺ إلى جنبه فدعا بالبركة ، فقال النبيُّ ﷺ : « خذوا ولا تَنتهبوا » فجعل الرجلُ يأخذُ في جِرَابه[١] وفي غِرَارته[٢] ، وأخذوا في أوعيتهم ، حتى أن الرجل ليربطَ كمَّ قميصه فيملؤُه ، ففرغوا والطعام كما هو ، ثم قال النبي ﷺ : « أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأني رسولُ الله ، لا يأتي بها عبدٌ مُحِقٌّ إلا وَقاه الله حرَّ النار »[٣] .

ورواه أبو يعلى[٤] أيضاً ، عن إسحاق بن إسماعيل الطَّالقانيّ ، عن جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، فذكره .

وما قبلَه شاهد له بالصحة ، كما أنه مُتَابع لما قبله ، والله أعلم .

حديث آخر عن سلمة بن الأكوع في ذلك

قال الحافظ أبو يعلى : حدَّثنا محمد بن بشار ، حدَّثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي القاري ، حدَّثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر ، فأمرَنا أن نجمعَ ما في أزوادِنا ـ يعني من التمر ـ فبسطَ نِطعًا[٥] ، فنثرنا عليه أزوادَنا ، قال : فتمطَّيتُ[٦] فتطاولتُ فنظرتُ ، فحزرتُه[٧] كَربضَةِ[٨] شاةٍ ، ونحن أربع عشرة مئة ، قال : فأكلنا ، ثم تطاولتُ فنظرتُ فحزرته كرَبضَةِ شاةٍ ، وقال رسول الله ﷺ : « هل من وضوء ؟ » قال : فجاء رجلٌ بنطفةٍ في إداوة وقال : فقبضَها فجعلَها في قدحٍ ، قال : فتوضَّأنا كلُّنا ندغفقها[٩] دغفقةً ، ونحن أربع عشرة مئة ، قال : فجاء أناسٌ

---

(١) « جرابه » : الجراب : وعاء ، وقيل : هو المِزود .
(٢) « غِرَارته » : وعاء شبه العدل .
(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (١/ ١٩٩) رقم (٢٣٠) وإسناده ضعيف ، فيه يزيد بن أبي زياد ، وشيخه عاصم بن عبيد الله ابن عاصم ، وهما ضعيفان . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٠٤) : رواه أبو يعلى ، وفيه عاصم بن عُبيد الله العمري ، وثقه العجلي ، وضعَّفه جماعة ، وبقية رجاله ثقات .
(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (١/ ١٩٩) رقم (٢٣٠) وإسناده ضعيف .
(٥) « نِطعاً » : بساطاً .
(٦) « فتمطيت » : تطاولتُ حتى أنظر ، وتمطّى : امتد وطال .
(٧) « فحزرته » : قدرته .
(٨) « ربضة شاة » : مقدار جلوس شاة .
(٩) « ندغفقها » : نصبُّها صبًّا كثيراً .

فقالوا : يا رسولَ الله ألا وضوء ؟ فقال : « قد فرغ الوضوء »[١] .

وقد رواه مسلم[٢] ، عن أحمد بن يُوسف السلميّ ، عن النضر بن محمد ، عن عكرمة بن عمّار ، عن إياس ، عن أبيه سلمة ، وقال : فأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جُرُبَنا .

وتقدَّم[٣] ما ذكرَه ابنُ إسحاق في حفر الخندق ، حيث قال : حدَّثني سعيد بن مِيناء ؛ أنه قد حُدِّث أن ابنةً لبشير بن سعد ـ أخت النُّعمان بن بشير ـ قالت : دعتني أُمّي عمرةُ بنتُ رَواحة ، فأعطتني جَفنةً من تمر في ثوبي ، ثم قالت : أي بنيّة ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بغدائهما . قالت : فأخذتُها فانطلقتُ بها ، فمررتُ برسول الله ﷺ وأنا ألتمسُ أبي وخالي ، فقال : « تعالي يا بنية ! ما هذا معك ؟ » قالت : قلت : يا رسول الله ، هذا تمرٌ بعثتني به أمّي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال : « هاتيه » قالت : فصببتُه في كفّي رسولِ الله ﷺ فما ملأتهما ، ثم أمر بثوبٍ فبُسِطَ له ، ثم دعا بالتمر فنُبِذَ فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عندَه : « اصرخ في أهل الخندق أن هلمَّ إلى الغداء » فاجتمع أهلُ الخندق عليه ، فجعلُوا يأكلون منه وجعلَ يزيدُ حتى صدرَ أهلُ الخندق عنه ، وإنه ليسقطُ من أطرافِ الثوب .

قصّةُ جابر ودَينِ أبيه وتكثيرِه عليه الصلاة والسلام التَّمرَ

قال البخاري في « دلائل النبوة »[٤] : حدَّثنا أبو نُعيم ، حدَّثنا زكريا ، حدَّثني عامر ، حدَّثني جابر ؛ أن أباه تُوفيَ وعليه دينٌ ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ : إن أبي تركَ عليه دَيناً ، وليس عندي إلا ما يُخرجُ نخلُه ، ولا يبلغُ ما يُخرج سنين ما عليه ، فانطلق معي لكيلا يَفحش عليَّ الغرماءُ ، فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا ، ثم آخر ، ثم جلسَ عليه ، فقال : « انزعوه » فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم[٥] .

هكذا رواه هنا مختصراً .

وقد أسندَه من طرق ، عن عامر بن شراحيل الشَّعبي عن جابر به .

وهذا الحديثُ قد رُوي من طرق متعددة عن جابر[٦] ؛ بألفاظ كثيرة ، وحاصلُها أنه ببركةِ

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (١/ ٥٦٠) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٧٢٩) في اللقطة .

(٣) تقدم ذلك في السيرة النبوية .

(٤) المراد به : باب علامات النبوة في الإسلام في صحيح البخاري .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٨٠) في المناقب .

(٦) روى البخاري حديث جابر رضي الله عنه في صحيحه رقم (٢١٢٧) في البيوع ، وأطرافه في (٢٣٩٥) و(٢٣٩٦) و(٢٤٠٥) و(٢٦٠١) و(٢٧٠٩) و(٢٧٨١) و(٣٥٨٠) و(٤٠٥٣) و(٦٢٥٠) ، والنسائي (٦/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦) في الوصايا ، وأبو داود في سننه رقم (٢٨٨٤) في الوصايا أيضاً .

رسول الله ﷺ ودعائِه له ومشيهِ في حائطه وجلوسه على تمره وَفَّى الله دَينَ أبيه ، وكان قد قُتِل يومَ أحد وكان لايرجو وفاءَه في ذلك العام ولا ما بعدَه ، ومع هذا فَضَلَ له من التمر أكثره ، فوقَ ما كان يُؤَمِّلُه ويرجوه ، ولله الحمدُ والمِنّة .

قصة سلمان
في تكثيره ﷺ تلك القطعة من الذهب لوفاء دَينهِ في مكاتبته

قال الإمام أحمد : حدَّثنا يعقوب ، حدَّثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني يزيد بن أبي حبيب ـ رجل من عبد القيس ـ عن سلمان ، قال :

لمّا قلتُ : وأين تقعُ هذه[١] من الذي عليّ يا رسولَ الله ؟ أخذَها رسولُ الله ﷺ فقلّبها على لسانه ثم قال : « خذها فأَوْفِهم منها » فأخذتُها فأوفيتُهم منها حقَّهم أربعين أوقيّة[٢] .

ذكرُ مِزودِ أبي هريرة وتمرِه

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا يونس ، حدَّثنا حمّاد ـ يعني : ابن زيد ـ عن المُهاجر ، عن أبي العَالية ، عن أبي هريرة قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ يوماً بتمراتٍ ، فقال : ادعُ الله لي فيهنَّ بالبركة قال : فصفَّهن بينَ يديه ثم دعا ، فقال لي : « اجعلهن في مِزودٍ ، وأدخل يدَك ولا تنثره » قال : فحملتُ منه كذا وكذا وَسقًا في سبيل الله ، ونأكلُ ونطعَم ، وكان لا يُفارق حقويَّ . فلما قُتل عثمان رضي الله عنه انقطعَ عن حقويّ فسقط[٤] .

ورواه الترمذي ، عن عمران بن موسى القزّاز البصري ، عن حمّاد بن زيد ، عن المُهاجر ، عن أبي مَخلد ، عن رُفيع أبي العالية ، عنه ، وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفّار ، أنبأنا الحسين بن

---

(١) وأين تقعُ هذه : المراد قطعة ذهب ، قال عنها سلمان : فأتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٤٤٤) رقم (٢٣٦٢٨) وفي إسناده ضعف لجهالة الراوي عن سلمان رضي الله عنه .

(٣) في المسند (٢ : ٣٥٢) .

(٤) رواه الترمذي في الجامع رقم (٣٨٣٩) في المناقب ـ مناقب أبي هريرة ، و« حقويّ » : أي وسطي ، والمراد موضع شد الإزار .

يحيى بن عباس القطان ، حدَّثنا حفصُ بن عمرو ، حدَّثنا سهلُ بن زياد أبو زياد ، حدَّثنا أيوب السختياني ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال :

كان رسولُ الله ﷺ في غزاة فأصابهم عَوَزٌ من الطعام فقال : « يا أبا هريرة ، عندكَ شيءٌ ؟ » قال : قلتُ : شيءٌ من تمر في مِزودٍ لي ، قال : « جئ به » قال : فجئتُ بالمِزود ، قال : « هاتِ نِطعاً » فجئتُ بالنطع فبسطتُه ، فأدخلَ يدَه فقبضَ على التمر ، فإذا هو إحدى وعشرون (تمرةً ، ثم قال : باسم الله)[١] فجعل يضعُ كلَّ تمرةٍ ويُسمّي ، حتى أتى على التمر ، فقالَ به هكذا ، فجمَعه ، فقال : « ادعُ فلاناً وأصحابَه » فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، ثم قال : « ادعُ فلاناً وأصحابَه » فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، ثم قال : « ادعُ فلاناً وأصحابَه » فأكلوا وشبعوا وخرَجوا ، ثم قال : « ادعُ فلاناً وأصحابَه » فأكلوا وشبِعوا وخرجوا ، وفضل ، ثم قال لي : « اقعد » فقعدتُ ، فأكلَ وأكلتُ ، وفضل تمرٌ فأدخلتُه في المِزود ، وقال لي : « يا أبا هريرة ، إذا أردتَ شيئاً فأدخل يَدك وخذه ولا تَكفِي[٢] فيُكفَى عليكَ » قال : فما كنتُ أريد تمراً إلا أدخلتُ يدي فأخذتُ منه خمسين وَسقاً في سبيل الله ، قال : وكان معلّقاً خلفَ رحلي ، فوقعَ في زمن عثمان فذهبَ[٣] .

طريق أخرى عن أبي هريرة في ذلك

روى البيهقيُّ من طريقين ، عن سهل بن أسلم العدوي ، عن يزيد بن أبي منصور ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال :

أُصبت بثلاث مُصيباتٍ في الإسلام لم أُصب بمثلهن : موت رسول الله ﷺ وكنتُ صُويحبه ، وقتل عثمان ، والمِزود ، قالوا : وماالمِزود يا أبا هريرة؟ قال : كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقال : « يا أبا هريرة أمعك شيء ؟ » قال : قلت : تمرٌ في مِزود ، قال : « جئ به » فأخرجتُ تمراً فأتيتُه به ، قال : فمسّه ودعا فيه ، ثم قال : « ادع عشرة » فدعوتُ عشرة فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل الجيشُ كلّه ، وبقي من تمر معي في المِزود ، فقال : « يا أبا هريرة ، إذا أردتَ أن تأخذَ منه شيئاً فأدخل يدك فيه ولا تكبّه قال : فأكلتُ منه حياةَ النبي ﷺ ، وأكلتُ منه حياةَ أبي بكر كلّها ، وأكلتُ منه حياةَ عمر كلّها ، وأكلتُ منه حياة عثمان كلّها ، فلما قُتل عثمان انتُهبَ ما في يدي وانتُهبَ المِزود ، ألا أخبرُكم كم أكلتُ منه؟ أكلتُ منه أكثرَ من مئتي وَسق[٤] .

---

(١) ما بين القوسين أثبته من دلائل النبوة (٦/ ١١٠) .

(٢) « ولا تُكفي » : لاتقلب المِزود لتستخرج ما فيه .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٠٩ ـ ١١٠) وإسناده حسن .

(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١١١) وإسناده حسن .

طريق أخرى عن عبد الملك بن عمرو العقدي

قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا أبو عامر ، حدَّثنا إسماعيل ـ يعني ابن مسلم ـ عن أبي المتوكل ، عن أبي هريرة ، قال :

أعطاني رسولُ الله ﷺ شيئاً من تمر ، فجعلتُه في مِكتلٍ فعلّقناه في سقف البيت ، فلم نزل نأكلُ منه حتى كان آخره ، أصابه أهلُ الشَّام حيثُ أغاروا بالمدينة .

تفرَّد به أحمد .

حديثٌ عن العِربَاض بن سارية في ذلك
رواه الحافظُ ابن عساكر في ترجمته من طريق محمد بن عمر الواقدي

حدَّثني ابن أبي سبرةَ ، عن موسى بن سعد ، عن العِرباض ، قال :

كنتُ ألزمُ بابَ رسول الله ﷺ في الحَضرِ والسفر ، فرأينا ليلةً ونحن بتبوك ، فذهبنا لحاجةٍ فرجعنا إلى رسول الله ﷺ وقد تعشَّى ومَن عندَه ، فقال : « أين كنت منذ الليلة ؟ » فأخبرته ، وطلعَ جُعالُ بن سُراقة وعبد الله بن مغفل المزني ، فكنا ثلاثة ، كلُّنا جائع ، فدخلَ رسول الله ﷺ بيتَ أمّ سلمة ، فطلب شيئاً نأكلُه فلم يجده ، فنادى بلالاً : « هل من شيء؟ » فأخذ الجرب ينفضُها فاجتمع سبعُ تمرات ، فوضعَها في صَحفةٍ ، ووضعَ عليهن يدَه وسمَّى الله . وقال : « كلوا باسم الله » فأكلنا ، فأحصيتُ أربَعاً وخمسين تمرة ، كلها أعدُّها ، ونواها في يدي الأخرى ، وصاحباي يصنعان ما أصنع ، فأكل كل منهما خمسينَ تمرة ، ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هنَّ ، فقال : « يابلال ارفعهن في جرابك » فلما كان الغد وضعهنَّ في الصَّحفَة وقال : « كلوا باسم الله » فأكلنا حتى شبعنا وإنا لعشرة ، ثم رفعنا أيدينا وإنهن كما هنّ سبع ، فقال : « لولا أني أستحي من ربّي عز وجل لأكلتُ من هذه التمرات حتى نَرِدَ إلى المدينة عن آخرنا » فلما رجعَ إلى المدينة طلعَ غُلَيم من أهل المدينة ، فدفعهن إلى ذلك الغلام فانطلق يَلُوكهن(٢) .

حديث آخر

روى البخاريُّ ومسلم ، من حديث أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت له :

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٢٤) وهو حديث حسن .
(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٦/ ٣٤١) وفي إسناده الواقدي وهو متروك .

لقد تُوفي رسولُ الله ﷺ وما في بيتي شيءٌ يأكلُه ذو كَبد ، إلا شطرَ شعيرٍ في رفٍّ لي ، فأكلتُ منه حتى طال عليَّ ، فكِلته ففَنِيَ[١] .

حديث آخر

روى مسلم في « صحيحه » ، عن سلمةَ بن شَبيب ، عن الحسن بن أعينَ ، عن مَعقِل ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر :

أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ يستطعمُه فأطعمَه شطرَ وَسقِ شعيرٍ ، فما زال الرجلُ يأكلُ منه وامرأته وضيفُهما حتى كالَه فأتى النبيَّ ﷺ فقال : « لو لم تَكِله لأكلتُم منه ولقامَ لكم »[٢] .

وبهذا الإسناد عن جابرٍ :

أن أمَّ مالكٍ كانت تُهدي إلى رسول الله ﷺ في عُكّتِها سمناً ، فيأتيها بنوها فيسألون الأدمَ وليس عندها شيء ، فتعمد إلى الذي كانت تُهدي فيه إلى رسول الله ﷺ فتجد فيه سمناً ، فما زال يُقيم لها أدم بيتها حتى عصرتها ، فأتت رسولَ الله ﷺ فقال : « أعصرتيها ؟ » قالت : نعم ، فقال : « لو تركتيها ما زالت قائمة »[٣] .

وقد رواهما الإمام أحمد ، عن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر[٤] .

حديث آخر

قال البيهقيُّ[٥] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو جعفر البغدادي ، حدَّثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدَّثنا حسان بن عبد الله ، حدَّثنا ابن لهيعة ، حدَّثنا يونس بن يزيد ، حدَّثنا أبو إسحاق[٦] ، عن سعيد بن الحارث ، عن جده نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ؛ أنه استعانَ رسولَ الله التزويج فأنكحَه امرأةً ، فالتمسَ شيئاً فلم يجده ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ أبا رافع وأبا أيوب بدرعِه فرهناها عندَ رجلٍ من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٤٥١) في الرقاق ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٧٣) في الزهد .
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٢٨١) في الفضائل .
(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٢٨٠) في الفضائل .
(٤) رواهما الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٤٧) .
(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١١٤) وفي إسناده ابن لهيعة ضعيف .
(٦) في المطبوع : « ابن إسحاق » ، وهو خطأ ، إذ يونس بن يزيد الراوي عنه من طبقته . وما أثبتناه هو الصواب ، وهو عمرو بن عبد الله السبيعي من رجال التهذيب ، وقد صَرَّح به الحافظ ابن حجر حينما روى هذا الحديث في ترجمة نوفل بن الحارث من الإصابة (٣/ ٥٧٧) (بشار) .

اليهود بثلاثين صاعاً من شعير ، فدفعه رسولُ الله ﷺ إليه ، قال : فطَعِمنا منه نصفَ سنةٍ ، ثم كِلنَاهُ فوجدناه كما أدخلناه، قال نوفل: فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « لو لم تَكِله لأكلتَ منه ما عِشتَ » .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقي في « الدلائل » : أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصفهاني ، أخبرنا أبو سعيد[1] ابن الأعرابي ، حدَّثنا عباس بن محمد الدُّوريّ ، أخبرنا أحمدُ بن عبد الله بن يونس ، أخبرنا أبو بكر بن عيّاشٍ ، وعن هشام ـ يعني ابن حسّان ـ عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال :

أتى رجلٌ أهلَه فرأَى ما بهم من الحاجة ، فخرجَ إلى البريّة ، فقالت امرأته : اللهم ارزقنا ما نعتجنُ ونختبزُ ، قال : فإذا الجَفنة ملأى خميراً ، والرحا تطحن ، والتنور ملأى خبزاً وشواءً ، قال : فجاء زوجُها فقال : عندكم شيء ؟ قالت : نعم رزقُ الله ، فرفع الرحا فكنسَ ما حَوله ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « لو تركتها لدارت إلى يوم القيامة » .

وأخبرنا علي بن أحمد بن عَبدَان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدَّثنا أبو إسماعيل الترمذي ، حدَّثنا أبو صالح عبدُ الله بن صالح ، حدَّثني اللَّيث بن سعد ، عن سعيد بن أبي سعيدٍ المَقبُري عن أبي هريرة ؛ أن رجلاً من الأنصار كان ذا حاجة ، فخرجَ وليس عند أهله شيء ، فقالت امرأته : لو حرَّكتُ رحايَ ، وجعلتُ في تنّوري سعفاتٍ ، فسمعَ جيراني صوتَ الرحا ورأوا الدخانَ ، فظنوا أن عندنا طعاماً وليس بنا خَصَاصة ؟ فقامت إلى تنوّرها فأوقدته وقعدت تُحرّكُ الرحا ، قال : فأقبلَ زوجُها وسمعَ الرحا ، فقامت إليه لتفتحَ له الباب ، فقال : ماذا كنتِ تطحنين ؟ فأخبرته فدخلا وإن رحاهما لتدور وتصبُّ دقيقاً ، فلم يبقَ في البيت وعاء إلا مُلئ ، ثم خرجت إلى تنوّرها فوجدته مملوءاً خبزاً ، فأقبلَ زوجُها فذكر ذلك للنبي ﷺ قال : « فما فعلت الرحا ؟ » قال : رفعتُها ونفضتها ، فقال رسول الله ﷺ : « لو تركتموها ما زالت لكم حياتي »[2] ـ أو قال : حياتكم[3] .

وهذا غريب سنداً ومتناً .

حديث آخر

وقال مالك : عن سُهَيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة :

---

(١) في دلائل النبوة (٦/ ١٠٥) أنبأنا أبو سعيد بن محمد بن زياد .
(٢) في الدلائل : لو تركتموها ما زالت لكم حياتكم . من غير شك .
(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٠٥ ـ ١٠٦) .

أن رسول الله ﷺ ضافه ضيفٌ كافرٌ ، فأمرَ له بشاة فحُلبت فشربَ حِلَابها ، ثم أخرى فشربَ حِلَابها ، ثم أُخرى فشربَ حِلَابَها[١] ، حى شربَ حِلَابَ سبع شياهٍ ، ثم إنه أصبحَ فأسلمَ ، فأتى رسولَ الله ﷺ فأمرَ له بشاة فحُلِبَت فشربَ حِلَابَها ، ثم أمر له بأخرى فلم يَسْتَتِمَّها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن المسلمَ[٢] يشربُ في مِعىً واحدٍ ، والكافرُ يشربُ في سبعةِ أمعاءٍ[٣] » .

ورواه مسلم[٤] من حديث مالك .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا عليّ بن أحمد بن عَبدان ، حدَّثنا أحمد بن عُبيد الصفَّار ، حدَّثني محمد بن الفضل بن حاتم[٥] ، حدَّثنا الحسين بن عبد الأول ، حدَّثنا حفصُ بن غِياث ، حدَّثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال :

ضافَ النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ ، قال : فطلبَ له شيئاً فلم يجد إلا كِسرةً في كوّة . قال : فجزَّأَها رسولُ الله ﷺ أجزاءً ودعا عليها ، وقال : « كل ! » قال : فأكلَ فأفضَلَ . قال : فقال : يا محمّد إنك لرجلٌ صالح ، فقال له النبي ﷺ : « أسلم » فقال : إنك لرجلٌ صالح[٦] .

ثم رواه البيهقي[٧] من حديث سهل بن عثمان ، عن حفص بن غِيَاث بإسناده ، نحوه .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ ، قال وفيما ذكر عبدان الأهوازي : حدَّثنا محمد بن زياد البرجمي ، حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، عن مِسعَر ، عن زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود قال :

---

(١) في الموطأ (٢/ ٩٢٤) ثم أخرى فشربَه ، ثم أخرى فشربَه .

(٢) في الموطأ (٢/ ٩٢٤) المؤمنُ يشربُ .

(٣) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٢٤) كتاب صفة النبي (باب ما جاء في مِعى الكافر) رقم (١٠) .
و« مِعىً » : مفرد أمعاء ، كعنب وأعناب ، وهي المصارين .
و« حِلابها » : اللبن الذي يُحلب ، والإناء الذي يحلب فيه اللبن ، وهو المحلب .

(٤) في صحيحه (٢٠٦٣) في الأطعمة .

(٥) في الدلائل : ابن جابر وهو مجهول لا يعرف .

(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١١٧) وفي إسناده حسين بن عبد الأول ـ قال أبو زرعة : لا أحدث عنه . وكذبه ابن معين ، الميزان (١/ ٥٣٩) .

(٧) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١١٧ ـ ١١٨) وإسناده ضعيف .

أضاف النبيُّ ﷺ ضيفاً ، فأرسلَ إلى أزواجه يبتغي عندهن طعاماً ، فلم يجد عند واحدةٍ منهن شيئاً ، فقال : « اللهم إني أسألُك من فضلك ورحمتك ، فإنه لا يملكها إلا أنت » قال : فأُهديت له شاةٌ مصليَّةٌ[١] فقال : « هذا من فضل الله ، ونحنُ ننتظر الرحمة »[٢] .

قال أبو علي : حدَّثنيه محمد بن عَبدان الأهوازي عنه ، قال : والصحيح عن زبيد مرسلاً .

حدَّثناه محمدُ بن عَبدان ، حدَّثنا أبي ، حدَّثنا الحسن بن الحارث الأهوازي ، أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن مِسعر ، عن زَبيد[٣] ، فذكره مرسلاً .

حديث آخر

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمي ، حدَّثنا أبو عمرو بن حَمدان ، أنبأنا الحسن بن سفيان، حدَّثنا إسحاق بن منصور ، حدَّثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدَّثنا عمرو بن بشر بن السرح ، حدَّثنا الوليد بن سليمان بن أبي السائب ، حدَّثنا واثلة بن الخطاب ، عن أبيه ، عن جده واثلة بن الأسقع قال : حضرَ رمضانُ ونحن في أهل الصُّفة ، فصمنا فكنّا إذا أفطرنَا أتى كلَّ رجلٍ منا رجلٌ من أهل البَيعة ، فانطلق به فعشَّاه ، فأتت علينا ليلةٌ لم يأتنا أحد ، وأصبحنا صَباحاً ، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحد ، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذي كان من أمرنا ، فأرسلَ إلى كلّ امرأة من نسائه يسألُها هل عندها شيءٌ ، فما بقيت منهنّ امرأة إلا أرسلت تُقسِمُ ما أمسى في بيتها مايأكلُ ذو كبدٍ، فقال لهم رسول الله ﷺ فاجتمعوا، فدعا وقال: «اللهم إني أسألك من فضلِك ورحمتِك فإنها بيدِك لا يملكُها أحدٌ غيرُك» فلم يكن إلا ومستأذنٌ يستأذنُ ، فإذا بشاةٍ مصليَّة ورُغُفٍ ، فأمر بها رسولُ الله ﷺ فوُضعت بين أيدينا ، فأكلنا حتى شَبعنا ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « إنا سألنا الله من فضله ورحمته ، فهذا فضلُه وقد ذَخَر[٤] لنا عندَه رحمتَه »[٥] .

حديث الذِّراع

قال الإمام أحمد : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثنا يحيى بن إسحاق ، حدَّثني رجل من بني غِفَار في مجلس سالم بن عبد الله ، قال : حدَّثني فلان :

---

(١) « مصليّة » : مشويّة .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٢٨) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٥٩) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن زياد البرجمي وهو ثقة . قلت : لكن لا يصح هذا متصلاً كما سيأتي .

(٣) في دلائل النبوة (٦/ ١٢٨ ـ ١٢٩) : عن زبيد قال : أضاف النبي ﷺ وذكره وهو مرسل ، أي ضعيف .

(٤) كذا في الأصل والدلائل : ذخر : أي اختار واتخذ . وفي المطبوع : ادَّخَر .

(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٢٩) وفي إسناده واثلة بن الخطاب عن أبيه لم نقف له على ترجمة .

أن رسولَ الله ﷺ أُتي بطعام من خبز ولحم ، فقال : « ناولني الذراع » فنُوول ذراعاً[١] . قال يحيى : لا أعلمه إلا هكذا ، ثم قال : « ناولني الذراع » فنُووِل ذراعاً ، فأكلها ، ثم قال : « ناولني الذراع » فقال : يا رسولَ الله إنما هما ذراعان ! فقال : « وأبيك لو سكت ما زلتُ أُناول منها ذِراعاً ما دعوتُ به »[٢] .

فقال سالم : أمّا هذه فلا ، سمعتُ عبدَ الله بن عمر يقول : قالَ رسول الله ﷺ : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم » .

هكذا وقعَ إسنادُ هذا الحديث ، وهو عن مُبهم ، عن مثله ، وقد رُوي من طرق أخرى .

قال الإمام أحمد : حدَّثنا خلفُ بن الوليد ، حدَّثنا أبو جعفر - يعني : الرازي - عن شُرحبيل ، عن أبي رافع ، مولى النبي ﷺ قال :

أُهديت له شاةٌ ، فجعلَها في القِدر ، فدخلَ رسولُ الله ﷺ ، فقال : « ما هذا يا أبا رافع ؟ » قال : شاة أُهديت لنا يا رسولَ الله ، فطبختُها في القِدر ، فقال : « ناولني الذراعَ يا أبا رافع » فناولتُه الذراعَ ، ثم قال : « ناولني الذراع الآخر » فناولتُه الذراعَ الآخرَ ، ثم قال : « ناولني الذراع الآخر » فقال : يا رسول الله إنما للشاة ذراعان ، فقال رسول الله ﷺ : « أما إنك لو سكتَّ لناولتني ذِراعاً فذِراعاً ما سكتَّ » ثم دعا بماءٍ فمضمضَ فاه وغسلَ أطرافَ أصابعِه ثم قامَ فصلَّى ، ثم عاد إليهم فوجدَ عندهم لحماً بارداً فأكل ، ثم دخلَ المسجدَ فصلَّى ولم يمسَّ ماءً[٣] .

طريق أخرى عن أبي رافع : قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا مؤمَّل[٥] ، حدَّثنا حماد ، حدَّثني عبد الرحمن ابن أبي رافع ، عن عمته ، عن أبي رافع ، قال :

صُنع لرسول الله ﷺ شاةٌ مَصليّة ، فأتي بها ، فقال لي : « يا أبا رافع ، ناولني الذراع » فناولته ، ثم قال : « يا أبا رافع ، ناولني الذراع » فناولته ، ثم قال : « يا أبا رافع ، ناولني الذراع » فقلتُ : يا رسول الله هل للشاة إلّا ذراعان ؟ فقال : لو سكتَّ لناولتني منها ما دعوتُ به ، قال : وكان رسول الله ﷺ يُعجبه الذِّراع .

قلت : ولهذا لما علمت اليهودُ - عليهم لعائن الله - بخيبرَ سَمُّوه في الذراع في تلك الشاة التي

---

(١) في مجمع الزوائد (٨/ ٣١١) والمسند (٢/ ٤٨) فنُوول ذراعاً فأكلَها .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣١٢) : رواه أحمد وفيه راو لم يُسَمَّ وهو حديث حسن بشواهده .
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٩٢) وإسناده حسن لغيره في قصة مناولة الذراع ، وهذا إسناد ضعيف لضعف شرحبيل بن سعد ، وأبو جعفر الرازي مختلف فيه وقد اختلف عنه ، في هذا الإسناد ، كما بينه الإمام الدارقطني في العلل (٧/ ٢٠) فراجعه تجد فائدة .
(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٨) رقم (٢٣٧٤٩) وهو حديث حسن .
(٥) في المطبوع : « نوفل » ولا نعرف شيخاً لأحمد اسمه نوفل ، والصواب ما أثبتنا من المسند .

أحضرتها زينبُ اليهودية ، فأخبرَه الذراعُ بما فيه من السُّمّ ، لمَّا نَهَسَ[١] منه نهسةً ، كما قدمنا ذلك في غزوة خيبر مبسوطاً .

طريق أخرى : قال الحافظ أبو يعلى : حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدَّثنا زيدُ بن الحُباب ، حدَّثني فائد مولى عُبيد الله بن أبي رافع ، عن أبي رافع قال :

أتيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ الخندق بشاةٍ في مِكتل فقال : « يا أبا رافع ، ناولني الذراع » فناولته ، ثم قال : « يا أبا رافع ، ناولني الذراع » فناولته ، ثم قال : « يا أبا رافع ، ناولني الذراع » فقلت : يا رسولَ الله أللشاة إلا ذراعان ؟ فقال : « لو سكتَّ ساعةً ناولتنيه ما سألتُك » .

فيه انقطاع من هذا الوجه .

وقال أبو يعلى أيضاً : حدَّثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدَّثنا فُضيل بن سليمان ، حدَّثنا فايد مولى عُبيد الله ، حدَّثني عُبيد الله ؛ أن جدَّته سلمى أخبرته : أن النبيَّ ﷺ بعثَ إلى أبي رافع بشاة ، وذلك يومَ الخندق فيما أعلم ، فَصَلاها أبو رافع ليس معها خبز ، ثم انطلق بها ، فلقيَه النبيُّ ﷺ راجعاً من الخندق فقال : « يا أبا رافع ، ضع الذي معك » فوضعه ، ثم قال : يا أبا رافع ، ناولني الذراع » فناولته ، ثم قال : « يا أبا رافع ، ناولني الذراع » فناولته ، ثم قال : « يا أبا رافع ، ناولني الذراع » فقلت : يا رسولَ الله ، هل للشاة غير ذراعين ؟ فقال : لو سكتَّ لناولتني ما سألتك .

وقد رُوي من طريق أبي هريرة . قال الإمام أحمد : حدَّثنا الضحَّاك ، حدَّثنا ابن عَجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة :

أن شاةً طُبخت ، فقال رسول الله ﷺ : « أعطني الذراع » فناولته إياه ، فقال : « أعطني الذراع » فناولته إياه ، ثم قال : أعطني الذراع » فقال : يا رسول الله إنما للشاة ذراعان ، قال : « أما إنك لو التمستَها لوجدتَها »[٢] .

حديثٌ آخر : قال الإمام أحمد : حدَّثنا وكيع (عن إسماعيل ، عن قيس)[٣] ، عن دُكين بن سعيد الخثعمي ، قال : أتينا رسولَ الله ﷺ ، ونحن أربعون وأربعمئة نسألُه الطعامَ ، فقال النبيُّ ﷺ لعمرَ : « قم فأعطهم » فقال : يا رسول الله ، ما عندي إلا ما يَقيظني والصِّبية ، قال وكيع : القيظ في كلام العرب أربعة أشهر . قال : « قم فأعطِهم » قال : يا رسول الله ، سمعاً وطاعة . قال : فقام عمرُ وقمنا معه فصعِدَ

---

(١) « نهسَ » : أخذ من اللحم بأطراف الأسنان ، وبكل الأسنان : نهش .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٢/ ٥١٧) من حديث أبي هريرة ، وإسناده حسن من أجل محمد بن عجلان ، فإن حديثه لا يرتقي إلى مرتبة الصحيح .

(٣) ما بين القوسين سقط من الأصل ، وأثبته من المسند ، وإسماعيل هو ابن أبي خالد ، وقيس هو ابن أبي حازم .

بنا إلى غرفةٍ له فأخرجَ المفتاحَ من حُجزته ، ففتح الباب ، قال دُكين : فإذا في الغرفة من التمر شبيه بالفَصِيل الرَّابض ، قال : شأنكم ، قال : فأخذ كلٌّ رجل منا حاجتَه ما شاء ، ثم التفتَ وإني لمن آخرهم ، فكأنا لم نرزأ منه تمرةً[١] .

ثم رواه أحمد ، عن محمد ويعلى ابني[٢] عبيد ، عن إسماعيل ـ وهو ابن أبي خالد ـ عن قيس ـ وهو ابن أبي حازم ـ عن دُكين به[٣] .

ورواه أبو داود[٤] عن عبد الرحيم بن مُطرف الرَّواسي ، عن عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، به .

حديث آخر : قال عليُّ بن عبد العزيز : حدَّثنا أبو نُعيم ، حدَّثنا حشرج بن نُباتة ، حدَّثنا أبو نضرة ، حدَّثني أبو رجاء ، قال :

خرجَ رسولُ الله ﷺ حتى دخلَ حائطاً لبعض الأنصار ، فإذا هو يَستوفيه ، فقال رسول الله ﷺ : « ما تجعلُ لي إن أرويتُ حائطكَ هذا ؟ » قال : إني أجهدُ أن أرويَه فما أُطيق ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : « تجعلُ لي مئة تمرة أختارُها من تمرك ؟ » قال : نعم ، فأخذ رسولُ الله ﷺ الغَربَ ، فما لبثَ أن أرواهُ ، حتى قال الرجل : غرقت حائطي ، فاختارَ رسول الله ﷺ من تمره مئة تمرةٍ ، قال : فأكلَ هو وأصحابُه حتى شبعوا ، ثم ردَّ عليه مئة تمرة ، كما أخذها[٥] منه .

هذا حديث غريب ، أوردَه الحافظ ابن عساكر في « دلائل النبوة » من أول تاريخه بسنده ، عن علي بن عبد العزيز البغوي ، كما أوردناه .

وقد تقدَّم في ذكر إسلام سلمان الفارسي ما كان من أمر النخيل التي غرسَها رسولُ الله ﷺ بيده الكريمة لسلمانَ ، فلم يهلك منهنّ واحدة ، بل أنجبَ الجميعُ وكنّ ثلاثمئة ، وما كان من تكثيره الذهبَ حين قلَّبه على لسانه الشريف ، حتى قضى منه سلمانُ ما كان عليه من نُجوم كتابته ، وعَتَق رضي الله عنه وأرضاه .

باب انقيادِ الشَّجر لرسول الله ﷺ

قد تقدَّم الحديث الذي رواه مسلم[٦] ، من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن أبي حَرزَةَ يعقوب بن مجاهد ، عن عُبادةَ بن الوليد بن عُبادة ، عن جابر بن عبد الله ، قال :

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٧٤) رقم (١٧٥٠٦) وهو حديث صحيح .
(٢) ذكره ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) في المطبوع : « أبي » وهو تحريف .
(٣) المسند (٤/ ١٧٤) وقد فصل حديثهما .
(٤) في سننه (٥٢٣٨) في الأدب .
(٥) ذكره ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) .
(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٠١١) في الزهد والرقائق (باب حديث جابر الطويل) . وتقدم في المعجزات الأرضية .

سِرنا مع النبي ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيحَ[١] فذهبَ رسولُ الله ﷺ يقضي حاجته ، فاتّبعته بإداوة من ماء فنظر فلم ير شيئاً يستترُ به ، وإذا شجرتان بشاطئ الوادي ، فانطلق إلى إحداهما فأخذَ بغصنٍ من أغصانها ، وقال : « انقادي عليّ بإذن الله » فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يُصانِع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصنٍ من أغصانها وقال : « انقادي عليّ بإذن الله » فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يُصانع قائده ، حتى إذا كان بالمنتصف فيما بينهما لأمَ بينهما ـ يعني : جمعَهما ـ وقال : التئما عليّ بإذن الله » فالتأمتا ، قال جابر : فخرجتُ أُحضِرُ[٢] مخافة أن يُحسَّ بقربي فيبعد ، فجلستُ أحدّث نفسي ، فحانت مني لفتة ، فإذا أنا برسول الله مقبلٌ ، وإذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيتُ رسول الله وقفَ وقفةً وقال برأسه هكذا[٣] ـ يميناً وشمالاً ـ .

وذكر تمامَ الحديث في قصّة الماء ، وقصة الحوت ، الذي دسَرَه[٤] البحرُ ، كما تقدم ، ولله الحمد والمنة .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ـ وهو طلحة بن نافع ـ عن أنس ، قال :

جاء جبريلُ إلى رسول الله ﷺ ذات يوم ، وهو جالس حزين ، قد خُضب بالدماء ، من ضربةٍ بعض أهل مكة ، قال : فقال له : مالك ؟ قال : « فعلَ بي هؤلاء وفعلوا » قال : فقال له جبريل : أتحبُّ أن أريك آية ؟ قال : فقال : نعم ، قال : فنظرَ إلى شجرةٍ من وراء الوادي فقال : ادع تلك الشجرة ، فدعاها ، قال : فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، فقال : مرها فلترجع ، فأمرَها فرجعت إلى مكانها ، فقال رسول الله ﷺ : « حسبي » .

وهذا إسناد على شرط مسلم ، ولم يروه إلا ابن ماجه[٦] ، عن محمد بن طريف ، عن أبي معاوية .

حديث آخر

روى البيهقي ، من حديث حمّاد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي رافع ، عن عمر بن الخطاب :

---

(١) « أفيحَ » : واسعاً .
(٢) « أُحْضر » : أعدو وأسعى سعياً شديداً .
(٣) في صحيح مسلم (٤/ ٢٣٠٧) : وقال برأسه هكذا ـ وأشار أبو إسماعيل برأسه يميناً وشمالاً .
(٤) « دسره البحر » : ألقاه .
(٥) في مسنده (٣/ ١١٣) .
(٦) في سننه رقم (٤٠٢٨) في الفتن .

أن رسول الله كان على الحجون كئيباً لما آذاه المشركون ، فقال : « اللهم أرني اليوم آية لا أُبالي من كذَّبني بعدَها » قال : فأُمِرَ ، فنادى شجرةً من قِبَل عَقَبَةِ أهل المدينة ، فأقبلت تخدُّ الأرضَ حتى انتهت إليه ، قال : ثم أمرَها فرجعت إلى موضِعها ، قال : فقال : « ما أبالي من كذَّبني بعدَها من قومي »(١) .

ثم قال البيهقي : أخبرنا الحاكم وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدَّثنا الأصم ، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن مُبارك بن فَضالة ، عن الحسن ، قال :

خرج رسولُ الله ﷺ إلى بعض شِعَاب مكة ، وقد دخله من الغمّ ما شاء الله من تكذيب قومه إياه ، فقال : « يارب أرني ما أطمئن إليه ، ويذهب عني هذا الغم » فأوحى الله إليه : ادعُ إليك أيّ أغصانِ هذه الشجرة شئتَ ، قال : فدعا غصناً ، فانتزعَ من مكانه ثم خدَّ في الأرض حتى جاء رسولَ الله ﷺ ، فقال له رسول الله : « ارجع إلى مكانك » فرجعَ ، فحمد اللهَ رسولُ الله وطابت نفسُه ، وكان قد قال المشركون : « أفَضَلت أباكَ وأجدادَك يا محمد ؟! فأنزل الله : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ [الزمر : ٦٤] الآيات(٢) .

قال البيهقي(٣) : وهذا المرسل يشهد له ما قبله .

حديث آخر

قال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ـ وهو حصين بن جندب ـ عن ابن عباس ، قال :

أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ من بني عامر فقال : يا رسول الله أرني الخاتَم الذي بين كتفيك فإني من أطبِّ الناس ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « ألا أريك آية ؟ » قال : بلى ، قال : فنظرَ إلى نخلةٍ ، فقال : « ادعُ ذلكَ العِذق » فدعاه ، فجاء ينقز بين يديه ، فقال له رسول الله ﷺ : « ارجع » فرجعَ إلى مكانه ، فقال العامري : يا آل بني عامر ، ما رأيتُ كاليوم رجلاً أسحرَ من هذا(٥) .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٣) في إسناده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف . و« عقبة » : الطريق الصاعد في الجبل ، و« تخد » : تشق .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٤) وهو مرسل عن الحسن البصري .

(٣) في الدلائل : قال البيهقي : وهذا المرسل لما تقدم من الموصول شاهد .

(٤) في مسنده (١/ ٢٢٣) .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٢٣) رقم (١٩٥٤) وهو حديث صحيح .

هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أسنده البيهقيُّ[١] من طريق محمد بن أبي عُبيدة ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبيان ، عن ابن عباس ، قال :

جاءَ رجلٌ من بني عامرٍ إلى رسول الله ﷺ فقال : إنَّ عندي طِبّاً وعلماً ، فما تَشتكي ؟ هل يَريبك من نفسِك شيءٌ ؟ إلى ما[٢] تدعو ؟ قال : « أدعو إلى الله والإسلام » . قال : فإنك لتقول قولاً ، فهل لكَ من آية ؟ قال : « نعم ، إن شئتَ أريتُك آية » وبين يديه شجرةٌ ، فقال لغصنٍ منها : « تعالَ يا غصن » فانقطعَ الغصنُ من الشجرة ، ثم أقبلَ ينقزُ حتى قامَ بين يديه ، فقال : « ارجع إلى مكانِك » فرجعَ . فقال العامريُّ : يا آلَ عامرِ بن صَعصَعة ، لا ألومُكَ على شيءٍ قلتَهُ أبداً .

وهذا يقتضي أنه سلَّم الأمرَ ولم يُجب من كل وجه .

وقد قال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفار وحدَّثنا ابن أبي قماش ، حدَّثنا ابن عائشة ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن عباس قال :

جاء رجلٌ إلى رسول الله ، فقال : ما هذا الذي يقول أصحابُك ؟ قال : وحولَ رسول الله أعذاقٌ وشجرٌ ، قال : فقال رسول الله : « هل لك أن أُريك آيةً ؟ » قال : نعم ، قال : فدعا عِذقاً منها ، فأقبلَ يخدُّ الأرضَ ، حتى وقفَ بين يديه يخدُّ الأرضَ ويسجدُ ويرفعُ رأسه ، حتى وقفَ بين يديه ، ثم أمرَه فرجعَ .

قال : فخرج[٤] العامريُّ وهو يقول : يا آلَ عامر بن صَعصَعة ، والله لا أكذِّبُه بشيءٍ يقولُه أبداً .

طريق أخرى ، فيها أن العامريّ أسلم : قال البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو علي حامد بن محمد بن الرفاء ، أنبأنا علي بن عبد العزيز ، حدَّثنا محمد بن سعيد بن الأصبهاني ، أنبأنا شريك ، عن سِماك ، عن أبي ظَبيان ، عن ابن عباس ، قال :

جاءَ أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ قال : بم أعرفُ أنك رسولُ الله ؟ قال : « أرأيتَ إن دعوتُ هذا العِذق من هذه النخلة ، أتشهدُ أني رسولُ الله ؟ » قال : نعم ، قال : فدعا العِذقَ فجعلَ العِذقُ ينزلُ من النخلة

---

(١) في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٦) .
(٢) في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٦) : إلى من تدعو ؟
(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٦-١٧) وهو حديث صحيح .
(٤) كذا في دلائل النبوة ، وفي (أ) : فرجع .

حتى سقطَ في الأرض ، فجعل ينقزُ حتى أتى رسولَ الله ، ثم قال له : « ارجع » فرجعَ حتى عادَ إلى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وآمن[١] .

قال البيهقي : رواه البخاريُّ في « التاريخ » ، عن محمد بن سعيد الأصبهاني[٢] .

قلت : ولعله قال أولاً إنه سحرٌ ، ثم تَبَصَّرَ لنفسِه ، فأسلمَ وآمنَ لما هداهُ الله عزّ وجلّ ، والله أعلم .

حديث آخر ، عن ابن عمر في ذلك : قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الوراق ، أنبأنا الحسَن بن سفيان ، أنبأنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن أَبان الجُعفي ، حدَّثنا محمد بن فُضيل ، عن أبي حيّان ، عن عطاء ، عن ابن عمر ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابيٌّ ، فلما دنا منه قال له رسول الله : « أين تريد ؟ » قال : إلى أهلي ، قال : « هل لك إلى خير ؟ » قال : ما هو ؟ قال : « تشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأن محمداً عبدُه ورسولهُ » قال : هل من شاهد على ما تقولُ ؟ قال : « هذه الشجرة » فدعاها رسولُ الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي ، فأقبلت تخدُّ الأرض خدّاً ، فقامت بين يديه ، فاستشهدَها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ، ثم إنها رجعت إلى منبتِها ، ورجعَ الأعرابيُّ إلى قومه ، فقال : إن يتبعوني أتيتُك بهم ، وإلا رجعتُ إليك وكنتُ معك[٣] .

وهذا إسنادٌ جيد ولم يخرجوه[٤] ، ولا رواه الإمام أحمد ، والله أعلم .

باب

حنينُ الجِذع ، شَوقاً إلى رسول الله ، وشَغَفَاً من فِراقه

وقد وردَ من حديث جماعة من الصحابة ، بطرق متعددة تفيدُ القطعَ ، عند أئمة هذا الشأن ، وفرسان هذا الميدان .

(قال القاضي عياض في كتابه « الشفاء »[٥] : وهو حديث مشهورٌ منتشرٌ متواتر ، خرَّجه أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم : أبيٌّ ، وجابر ، وأنس ، وابن عمر ، وابن عباس ، وسهل بن سعد ، وأبو سعيد ، وبُريدة ، وأم سلمة ، والمطلبُ بن أبي وداعة ، رضي الله عنهم)[٦] .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٥) . وفي إسناده شريك وهو ابن عبد الله النخعي سيِّء الحفظ ، وسماك هو ابن حرب صدوق حسن الحديث ، فالحديث حسن بشواهده .
(٢) التاريخ الكبير ؛ للبخاري (٣/ ٢/ ٤١٦) .
(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٤ـ١٥) .
(٤) أي في الكتب الستة .
(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (١/ ٤٢٧) .
(٦) مابين القوسين سقط من المطبوع ، وأثبته من (أ) .

الحديث الأول عن أبيّ بن كعب : قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله[١] : حدَّثنا إبراهيم بن محمد ، قال : أخبرني عبدُ الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبيّ بن كعب ، عن أبيه ، قال : كان النبيُّ ﷺ يُصَلِّي إلى جِذع نخلةٍ إذ كان المسجدُ عريشاً ، وكان يخطبُ إلى ذلك الجذع ، فقال رجل من أصحابه : يا رسولَ الله ، هل لك أن نجعل لك مِنبراً تقوم عليه يوم الجمعة ، ويَسمعُ الناسُ خطبتكَ؟ قال : « نعم » فصنعَ له ثلاثَ درجات هنّ اللاتي على المنبر ، فلما صُنع المنبرُ ووُضع موضعه الذي وضعه فيه رسولُ الله ﷺ ، بدا للنبيّ ﷺ أن يقومَ على ذلك المنبر فيخطب عليه ، فمر إليه ، فلما جاوز ذلك الجِذع الذي كان يخطبُ إليه ، خارَ حتى تصدَّع وانشقَّ ، فنزل النبي ﷺ لما سمعَ صوتَ الجِذع فمسحَه بيده ، ثم رجعَ إلى المنبر ، فلما هُدم المسجدُ أخذَ ذلك الجذعَ أبيُّ بن كعب رضي الله عنه ، فكان عنده حتى بليَ وأكلته الأرضةُ ، وعاد رُفاتاً[٢] .

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل[٣] : عن زكريا بن عديّ ، عن عُبيد الله بن عمرو الرقي ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل ، عن أبيّ بن كعب ، فذكره . وعنده : فمسحَه بيده حتى سكنَ ، ثم رجعَ إلى المنبر ، وكان إذا صلَّى صلَّى إليه . والباقي مثله .

وقد رواه ابن ماجه[٤] عن إسماعيل بن عبد الله الرقي ، عن عُبيد الله بن عمرو الرقي ، به .

الحديث الثاني عن أنس بن مالك : قال الحافظ أبو يَعلى المَوصلي[٥] : حدَّثنا أبو خيثمة ، حدَّثنا عمر بن يُونس الحنفي ، حدَّثنا عكرمة بن عمّار ، حدَّثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، حدَّثنا أنس بن مالك :

أن رسول الله كان يوم الجمعة يُسند ظهرَه إلى جِذعٍ منصوبٍ في المسجد فيخطبُ الناس ، فجاءَه روميٌّ فقال : ألا أصنعُ لك شيئاً تقعدُ عليه كأنَّك قائم ؟ فصنعَ له مِنبراً درجتان ، ويقعد على الثالثة ، فلما قعدَ نبيُّ الله على المِنبر خارَ كخُوار الثور ، ارتجَّ لخواره ؛ حزناً على رسول الله ﷺ ، فنزلَ إليه رسولُ الله من المنبر فالتزمَه ، وهو يخورُ ، فلما التزمَه سكتَ ، ثم قال : « والذي نفسُ محمّدٍ بيده لو لم ألتزمه لما زالَ هكذا حتى يوم القيامة حزناً على رسول الله » فأمر به رسولُ الله ﷺ فدُفِنَ .

---

(١) مسند الشافعي (١/ ١٤٢) .

(٢) إسناده ضعيف جدًّا ، فإن شيخ الشافعي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي متروك ، ولكن سيأتي من غير طريقه . كما أن في إسناده أيضاً عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف إنما يعتبر به فيتحسن حديثه عند المتابعة ، ولم يتابع على قصة أخذ أبيّ للجذع ، ولا نعرف مايشهد لها .

(٣) في مسنده (٥/ ١٣٧) ، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل .

(٤) في سننه (١٤١٤) في الإقامة .

(٥) في مسنده (٦/ ٣١١) رقم (٣٣٨٤) .

وقد رواه الترمذي(١) ، عن محمود بن غَيلان ، عن عمر بن يونس ، به . وقال : صحيح غريب من هذا الوجه .

طريق أخرى عن أنس : قال الحافظ أبو بكر البزَّار في « مسنده » : حدَّثنا هدبة ، حدَّثنا حمَّاد ، عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي ﷺ :

(وحبيب بن الشهيد ، عن الحسن ، عن النبي ﷺ)(٢) أنه كان يخطبُ إلى جِذع نخلةٍ ، فلما اتَّخذَ المِنبرَ تحوَّلَ إليه ، فحنَّ فجاءَ رسولُ الله ﷺ حتى احتضنَه فسكنَ ، وقال : « لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة »(٣) وهكذا رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن خَلَّاد ، عن بَهز بن أسد ، عن حمّاد بن سَلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، وعن حمّاد ، عن عمّار بن أبي عمّار ، عن ابن عباس به . وهذا إسناد على شرط مسلم .

طريق أخرى عن أنس : قال الإمام أحمد : حدَّثنا هاشم ، حدَّثنا المبارك ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، قال :

كان رسولُ الله ﷺ إذا خطبَ يومَ الجمعةِ يُسند ظهرَه إلى خَشبةٍ ، فلما كَثُرَ النَّاسُ قال : « ابنوا لي مِنبراً » ـ أراد أن يسمعَهم ـ فبَنَوا له عتبتين ، فتحوَّلَ من الخشبة إلى المِنبر ، قال : فأُخبرَ أنسُ بن مالك أنه سمعَ الخشبةَ تَحِنُّ حنينَ الوالِه ، قال : فما زالت تَحِنُّ حتى نزلَ رسولُ الله ﷺ عن المنبر ، فمشى إليها فاحتضنَها ، فسكنت(٤) .

تفرَّد به أحمد .

وقد رواه أبو القاسم البغوي ، عن شيبان بن فروخ ، عن مُبارك بن فَضَالة ، عن الحسن ، عن أنس فذكره ، وزاد : فكان الحسنُ إذا حدَّثَ بهذا الحديث بَكى ، ثم قال : يا عبادَ الله ، الخشبةُ تَحِنُّ إلى رسول الله شوقاً إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحقُّ أن تَشتاقوا إلى لقائه(٥) .

وقد رواه الحافظ أبو نعيم(٦) ، من حديث الوليد بن مسلم ، عن سالم بن عبد الله الخياط ، عن أنس بن مالك ، فذكره .

---

(١) في الجامع رقم (٣٦٢٧) في المناقب .

(٢) ما بين القوسين سقط من المطبوع وأثبته من (أ) .

(٣) رواه ابن ماجه في سننه رقم (١٤١٥) في كتاب إقامة الصلاة ، عن ابن عباس وعن أنس ، وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات وهو حديث صحيح .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٢٦) رقم (١٣٢٩٦) ، وهو حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن .

(٥) من طريق البغوي رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٠) وهو حديث حسن بشواهده .

(٦) دلائل النبوة لأبي نعيم (٢/ ٥١٣) .

طريق أخرى عن أنس : قال أبو نُعيم : حدَّثنا أبو بكر بن خَلَّاد ، حدَّثنا الحارث بن محمد بن أبي أُسامة ، حدَّثنا يَعلى بن عبَّاد ، حدَّثنا الحكم ، عن أنس ، قال :

كانَ رسولُ الله ﷺ يخطبُ إلى جذع ، فحنَّ الجِذعُ ، فاحتضنَه وقال : « لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة »[١] .

الحديث الثالث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر قال :

كان رسولُ الله ﷺ يخطبُ إلى جِذعِ نخلةٍ ، قال : فقالت امرأةٌ من الأنصار ـ وكان لها غلام نجّار ـ يا رسولَ الله ، إن لي غلاماً نجاراً أفآمُره أن يتَّخذَ لك مِنبراً تخطبُ عليه ؟ قال : « بلى » قال : فاتَّخذ له مِنبراً ، قال : فلما كان يوم الجمعة خطبَ على المنبر ، قال : فأَنَّ الجِذعُ الذي كان يقومُ عليه كما يَئِن الصبيُّ ، فقال النبيُّ ﷺ : « إن هذا بكى لِمَا فَقَدَ من الذِّكر » .

هكذا رواه أحمد .

وقد قال البخاريُّ[٣] : حدَّثنا أبو نُعيم ، حدَّثنا عبد الواحد بن أيمن ، قال : سمعتُ أبي ، عن جابر بن عبد الله :

أن رسولَ الله ﷺ كان يقومُ يومَ الجمعة إلى شجرة ـ أو نخلة ـ فقالت امرأة من الأنصار ـ أو رجل ـ : يا رسولَ الله ، ألا نجعلُ لك منبراً ؟ قال : « إن شِئتم » فجعلُوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة دُفِعَ إلى المِنبر ، فصاحتِ النَّخلةُ صِياحَ الصبيّ ، ثم نزلَ النبيُّ ﷺ فضمَّه إليه يَئِنُّ أنينَ الصبيّ الذي يُسَكَّنُ . قال : « كانت تبكي على ما كانت تسمعُ من الذكر عندَها » .

وقد ذكره البخاري في غير ما موضع من صحيحه ، من حديث عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن أيمن الحبشي المكي ، مولى ابن أبي عمرة المخزومي ، عن جابر ، به .

طريق أخرى عن جابر : قال البخاريُّ : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثني أخي ، عن سُليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، حدَّثني حفصُ بن عُبيد الله بن أنس بن مالك ؛ أنه سمعَ جابرَ بنَ عبد الله الأنصاري يقول : كان المسجدُ مسقوفاً على جذوع من نخل ، فكان النبيُّ ﷺ إذا خطبَ يقومُ إلى جِذعٍ منها ، فلما

---

(١) لم أجده في المطبوع من دلائل أبي نعيم ، ومعلوم أن المطبوع هو المختصر .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٠٠) .
(٣) في صحيحه رقم (٣٥٨٤) في المناقب ، ورقم (٢٠٩٥) في البيوع .

صنع له المنبر ، وكان عليه ، فسمعنا لذلك الجِذعِ صوتاً كصوتِ العِشَار ، حتى جاء النبيُّ ﷺ فوضعَ يدَه عليها فسكنت[١] .

تفرد به البخاري .

طريق أخرى عنه : قال الحافظ أبو بكر البزار ، حدَّثنا محمد بن المثنى ، حدَّثنا أبو المساور ، حدَّثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ـ وهو ذكوان ـ عن جابر بن عبد الله ، وعن أبي إسحاق ، عن كُريب ، عن جابر قال :

كانت خشبةٌ في المسجد يخطبُ إليها النبيُّ ﷺ ، فقالوا : لو اتخذنا لك مِثلَ الكرسي تقومُ عليه ؟ ففعلَ ، فحنَّتِ الخشبةُ كما تَحِنُّ الناقةُ الحلوجُ ، فأتاها فاحتضنها فوضعَ يدَه عليها فسكنت[٢] .

قال أبو بكر البزار : أحسبُ أنا قد حدَّثناه عن أبي عوانة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر ، وعن أبي إسحاق ، عن كريب ، عن جابر بهذه القصة التي رواها أبو المساور ، عن أبي عوانة .

وحدَّثنا محمد بن عثمان بن كرامة ، حدَّثنا عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن أبي كَرِيب[٣] ، عن جابر ، عن النبي ﷺ بنحوه .

والصواب إنما هو سعيدُ بن أبي كرب[٣] ، وكريب خطأ ، ولا نعلم يروي عن سعيد بن أبي كَرِب[٣] إلا أبو إسحاق .

قلت : ولم يخرجوه من هذا الوجه ، وهو جيد .

طريق أخرى عن جابر : قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا يحيى بن آدم ، حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن أبي كرب ، عن جابر بن عبد الله ، قال :

كان النبيُّ ﷺ يخطبُ إلى خشبةٍ ، فلما جُعل له مُنبر حنَّت حنينَ النَّاقة ، فأتاها فوضعَ يدَه عليها فسكنت .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٨٥) في المناقب ، ورقم (٩١٨) في الجمعة .
و« العِشار » : جمع عُشَراء ، وهي الناقة الحامل . وقال الخطابي : العِشار : الحوامل من الإبل التي قاربت الولادة .

(٢) لم أجد هذه الرواية في البحر الزخار ولا في كشف الأستار .

(٣) في المطبوع : « كريب » خطأ .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٩٣) رقم (١٤٠٥١) وإسناده صحيح ، سعيد بن أبي كرب ثقة ، وثقة أبو زرعة الرازي ، وناهيك به . (الجرح والتعديل ٤/ الترجمة ٢٥٣) وكأن الذهبي لم يقف على هذا فذكره في الميزان بسبب تجهيل علي بن المديني له (٢/ ١٥٦) .

تفرد به أحمد .

طريق أخرى عن جابر : قال الحافظ أبو بكر البزار : حدَّثنا محمد بن مَعْمَر ، حدَّثنا محمد بن كَثير ، حدَّثنا سُليمان بن كثير ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن جابر بن عبد الله قال :

كان النبيُّ ﷺ يقومُ إلى جِذع قبلَ أن يُجعل له المنبر ، فلما جُعل المنبرُ حَنَّ الجِذعُ حتى سمعنا حنينَه ، فمسحَ رسولُ الله ﷺ يدَه عليه فسكنَ .

قال البزار : لا نعلمُ رواه عن الزهري إلا سليمان بن كثير .

قلت : وهذا إسنادٌ جيد ، رجاله على شرط الصحيح ، ولم يروه أحدٌ من أصحاب الكتب الستة .

وقال الحافظ أبو نُعيم في « الدلائل »[١] : ورواه عبدُ الرزاق عن مَعْمَر ، عن الزهري ، عن رجل سمَّاه ، عن جابر .

ثم أوردَه[٢] من طريق أبي عاصم بن علي ، عن سُليمان بن كثير ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن جابر مثله .

ثم قال : حدَّثنا أبو بكر بن خَلَّاد ، حدَّثنا أحمدُ بن علي الخراز ، حدَّثنا عيسى بن المساور ، حدَّثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن جابر :

أن رسولَ الله كان يخطبُ إلى جذع ، فلما بُني المنبرُ حنَّ الجذعُ فاحتضنَه فسكنَ ، وقال : « لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة »[٣] .

ثم رواه[٤] من حديث أبي عَوانة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر . وعن أبي إسحاق ، عن كريب ، عن جابر ، مثله .

طريق أخرى عن جابر : قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا ابنُ جُريج ، ورَوح قال : حدَّثنا ابن جُريج : أخبرني أبو الزبير ؛ أنه سمعَ جابر بن عبد الله يقول :

كان النبيُّ ﷺ إذا خطبَ يستندُ إلى جذعِ نخلةٍ من سَواري المسجد ، فلما صُنع له مِنبرُه واستوى عليه ،

---

(١) لم أجده في الدلائل المطبوع ؛ لأنه منتخب من الدلائل ؛ لأبي نُعيم .
(٢) لم أجده في الدلائل المطبوع .
(٣) دلائل النبوة ؛ لأبي نعيم رقم (٣٠٢) طبعة المكتبة العربية بحلب ١٣٩٢هـ وهو حديث حسن بشواهده .
(٤) دلائل النبوة ؛ لأبي نعيم رقم (٣٠٤) وهو حديث حسن بشواهده .
(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٩٥) رقم (١٤٠٧٥) .

فاضطربت تلك السَّاريةُ كحنين الناقة ، حتى سمعَها أهلُ المسجد ، حتى نزلَ إليها رسولُ الله ﷺ فاعتنقَها فسكنت . وقال رَوح : فسكتت .

وهذا إسناد على شرط مسلم ولم يخرجوه .

طريق أخرى عن جابر : قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا محمد بن أبي عديّ ، عن سُليمان ، عن أبي نَضرةَ ، عن جابر ، قال :

كان رسولُ الله ﷺ يقومُ في أصلِ شجرةٍ ـ أو قال : إلى جِذعٍ ـ ثم اتَّخذَ منبراً ، قال : فحنَّ الجِذعُ ، قال جابر : حتى سمعَه أهلُ المسجد ، حتى أتاه رسولُ الله ﷺ فمسَحَه فسكنَ ، فقال بعضُهم : لو لم يأتِه لحنَّ أبَداً إلى يومِ القيامة .

وهذا على شرط مسلم ، ولم يروه إلا ابن ماجه(٢) ، عن بَكر بن خَلف ، عن ابن أبي عديٍّ ، عن سُليمان التَّيمِيِّ ، عن أبي نَضرَةَ ـ المُنذِر بن مالك بن قِطْعَة(٣) العَبديِّ النَّضريِّ ، عن جابر ، به .

الحديث الرابع عن سهل بن سعد : قال أبو بكر بن أبي شيبة(٤) : حدَّثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي حازم ، قال : أَتَوا سهلَ بن سعد فقالوا : من أيّ شيءٍ منبرُ رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان رسولُ الله ﷺ يستندُ إلى جِذعٍ في المسجد يُصلِّي إليه إذا خطبَ ، فلما اتَّخذَ المِنبَرَ فصَعِدَ حنَّ الجِذعُ ، حتى أتاه رسولُ الله ﷺ فوطَّنَه حتى سكنَ .

وأصل هذا الحديث في الصحيحين(٥) ، وإسناده على شرطهما . وقد رواه إسحاق بن راهويه ، وابن أبي فديك ، عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، ورواه عبدُ الله بن نافع ، وابنُ وهب ، عن عبد الله بن عمر ، عن عباسِ بن سهل ، عن أبيه ، فذكره .

ورواه ابنُ لهيعة ، عن عمارة بن عرفة ، عن ابن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، بنحوه .

الحديث الخامس عن عبد الله بن عباس : قال الإمام أحمد(٦) : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا حمَّادٌ ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس رضي الله عنهما :

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٠٦) .
(٢) في سننه رقم (١٤١٧) في إقامة الصلاة .
(٣) في المطبوع : « قطفة » وهو تحريف قبيح .
(٤) مسند ابن أبي شيبة (٨٧) .
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٧٧) في الصلاة ، ومسلم في صحيحه رقم (٥٤٤) (٤٥) .
(٦) في مسنده (١/ ٢٤٩) .

أن رسولَ الله ﷺ كان يخطبُ إلى جِذعٍ قبلَ أن يتَّخِذَ المنبر ، فلما اتَّخذَ المنبر وتحوَّل إليه ، حنّ عليه ، فأتاه فاحتضنَه فسكنَ ، قال : « ولو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة » .

وهذا الإسنادُ على شرط مسلم ، ولم يروه إلا ابن ماجه[(١)] ، من حديث حماد بن سلمة .

الحديث السادس عن عبد الله بن عمر : قال البخاري[(٢)] : حدَّثنا محمد بن المثنى ، حدَّثنا يحيى بن كثير أبو غسان ، حدَّثنا أبو حفص واسمُه عمر بن العلاء ـ أخو أبي عمرو بن العلاء ـ قال : سمعتُ نافعاً ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال :

كان النبيُّ ﷺ يخطبُ إلى جِذعٍ ، فلما اتَّخذَ المِنبَر تحوَّل إليه ، فحنّ الجذعُ ، فأتاهُ فمسحَ يدَه عليه . وقال عبد الحميد : أخبرنا عثمان بن عمر ، أخبرنا معاذُ بن العلاء ، عن نافع بهذا . ورواه أبو عاصم ، عن ابن أبي رواد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ . وهكذا ذكره البخاري .

وقد رواه الترمذي[(٣)] ، عن عمرو بن علي الفَلَّاس ، عن عثمان بن عمرو ويحيى بن كثير أبي غَسَّان العنبري[(٤)] ، كلاهما عن معاذ بن العلاء ، به . وقال : حسن صحيح غريب .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجَّاج المِزِّي في « أطرافه »[(٥)] : ورواه علي بن نصر بن علي الجهضمي ، وأحمد بن خالد الخلال ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في آخرين ، عن عثمان بن عمر ، عن معاذ بن العلاء . قال : وعبد الحميد هذا ـ يعني : الذي ذكره البخاري ـ يقال : إنه عبدُ بن حميد ، والله أعلم .

قال شيخُنا : وقد قيل : إن قول البخاري : عن أبي حفص ، واسمه عُمر[(٦)] بن العلاء ، وهمٌ ، والصواب معاذ بن العلاء ؛ كما وقع في رواية الترمذي .

قلت : وليس هذا ثابتاً في جميع النسخ ، ولم أَرَه في النسخ التي كتبتُ منها تسميته بالكلية ، والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو نُعيم[(٧)] ، من حديث عبد الله بن رجاء ، عن عبد الله بن عمر .

---

(١) في إقامة الصلاة من سننه (١٤١٥) .
(٢) في صحيحه (٣٥٨٣) في دلائل النبوة .
(٣) رواه في الجامع رقم (٥٠٥) في الصلاة .
(٤) في المطبوع : « ويحيى بن كثير عن أبي غسان العنبري » وهو تحريف ظاهر .
(٥) تحفة الأشراف (٥/ ٦١٠) عقيب حديث ٨٤٤٩ (تحقيق الدكتور بشار) .
(٦) في المطبوع « عمرو » خطأ ، وماأثبتناه من التحفة والبخاري .
(٧) لم أجده في المطبوع من دلائل أبي نعيم .

ومن حديث أبي عاصم ، عن ابن أبي رواد ، كلاهما عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، قال :

قال تميمٌ الداريّ : ألا نتخذُ لك منبراً . فذكر الحديث .

طريق أخرى عن ابن عمر : قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا حسين ، حدَّثنا خلفٌ ، عن أبي جَناب ـ وهو يحيى بن أبي حَيّة ـ عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر ، قال :

كان جذعُ نخلةٍ في المسجد يُسند رسولُ الله ﷺ ظهرَه إليه إذا كان يومَ جمعةٍ ، أو حدثَ أمرٌ يُريدُ أن يُكلِّمَ الناسَ ، فقالوا : ألا نجعلُ لكَ يا رسولَ الله شيئاً كقَدرِ قيامِك ؟ قال : « لا عليكم أن تفعلوا » فصنعوا له منبراً ثلاثَ مراقٍ ، قال : فجلس عليه ، قال : فخارَ الجذعُ كما تخورُ البقرةُ جزعاً على رسول الله ﷺ ، فالتزمَه ومسحَه حتى سكنَ .

تفرد به أحمد .

الحديث السابع عن أبي سعيد الخدري : قال عبدُ بن حُميد الكشي(٢) : حدَّثنا علي بن عاصم ، عن الجريري ، عن أبي نضرة العبدي ، حدَّثني أبو سعيد الخدري ، قال :

كان رسولُ الله ﷺ يخطبُ يومَ الجمعة إلى جذعِ نخلةٍ ، فقال له الناس : يا رسول الله ، إنه قد كَثُرَ الناسُ ـ يعني : المسلمين ـ وإنهم ليحبُّون أن يروكَ ، فلو اتَّخذتَ مِنبراً تقومُ عليه ليراكَ الناس ؟ قال : « نعم ، مَن يجعلُ لنا هذا المنبر ؟ » فقامَ إليه رجلٌ فقال : أنا ، قال : « تجعله ؟ » قال : نعم ، ولم يقل : إن شاء الله ، قال : « ما اسمك ؟ » قال : فلان ، قال : « اقعد » فقعدَ ، ثم عاد فقال : « مَن يجعلُ لنا هذا المنبر ؟ » فقام إليه رجل فقال : أنا ، قال : « تجعله ؟ » قال : نعم ، ولم يقل : إن شاء الله ، قال : « ما اسمك ؟ » قال : فلان ، قال : « اقعد » فقعد ، ثم عاد فقال : « مَن يجعلُ لنا هذا المنبر ؟ » فقام إليه رجلٌ ، فقال : أنا ، قال : « تجعلُه ؟ » قال : نعم ، ولم يقل : إن شاء الله ، قال : « ما اسمك ؟ » قال : فلان ، قال : « اقعد » فقعد ، ثم عاد فقال : « مَن يجعلُ لنا هذا المنبر » فقام إليه رجلٌ ، فقال : أنا ، قال : « تجعله ؟ » قال : نعم إن شاءَ الله ، قال : « ما اسمك ؟ » قال : إبراهيم ، قال : « اجعله » .

---

(١) في المسند (٢/١٠٩) .

(٢) كذا في (أ) وفي المطبوع : الليثي . وهو تصحيف ، ويقال فيه الكسي ، بالسين أيضاً ، وطبع المنتخب من مسنده ، وهذا الحديث ليس فيه .

فلما كان يومُ الجمعة اجتمعَ الناسُ للنبيّ ﷺ في آخر المسجد ، فلما صَعِدَ رسولُ الله ﷺ المنبرَ فاستوى عليه فاستقبل وحنَّتِ النخلةُ ، حتى أسمعتني وأنا في آخر المسجد ، قال : فنزلَ رسولُ الله ﷺ عن المِنبر فاعتنقَها ، فلم يزل حتى سكنت ، ثم عاد إلى المِنبر فحمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن هذه النَّخلةَ إنما حنَّت شوقاً إلى رسول الله ، لمَّا فارقَها ، فوالله لو لم أنزل إليها فأعتنقُها ، لما سكنت إلى يوم القيامة » .

وهذا إسناد على شرط مسلم ، ولكن في السياق غرابة ، والله تعالى أعلم .

طريق أخرى عن أبي سعيد : قال الحافظ أبو يَعلى[(١)] : حدَّثنا مسروق بن المَرزُبَان ، حدَّثنا يحيى بن زكريا ، عن مُجالد ، عن أبي الوداك وهو جبرُ بن نوف ، عن أبي سعيد ، قال :

كان النبيُّ ﷺ يقومُ إلى خشبةٍ يتوكَّأُ عليها ، يخطبُ كلَّ جمعةٍ ، حتى أتاه رجلٌ من الروم[(٢)] ، فقال : إن شئتَ جعلتُ لك شيئاً إذا قعدتَ عليه كنتَ كأنك قائم ، قال : « نعم » قال : فجعلَ له المنبرَ ، فلما جلسَ عليه حنَّتِ الخشبةُ حنينَ النَّاقةِ على ولدها ، حتى نزلَ النبيُّ ﷺ فوضعَ يدَه عليها ، فلمـا كان الغدُ رأيتُها قد حُوِّلت ، فقلنا : ما هذا ؟ قالوا : جاء رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر البارحة فحوَّلوها .

وهذا غريب أيضاً[(٣)] .

الحديث الثامن عن عائشة رضي الله عنها : ورواه الحافظ أبو نُعيم[(٤)] من حديث علي بن أحمد الجوربي ، عن قبيصة ، عن حَيّان بن علي ، عن صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بريدة ، عن عائشة ، فذكر الحديثَ بطوله ، وفيه أنه خيَّرَه بين الدنيا والآخرة ، فاختارَ الجِذعُ الآخرةَ ، وغارَ حتى ذهبَ فلم يُعرف[(٥)] .

هذا حديث غريب إسناداً ومتناً .

---

(١) في مسنده (١٠٦٧) .

(٢) في مسند أبي يعلى من القوم . وهو تصحيف .

(٣) وإسناده ضعيف ؛ لضعف مجالد بن سعيد .

(٤) في (أ) البيهقي ، وهو خطأ ؛ لأني لم أجده في دلائل النبوة ؛ للبيهقي ، ووجدته في الدلائل ؛ لأبي نعيم ، بطوله وبهذا الإسناد .

(٥) دلائل النبوة ؛ لأبي نُعيم رقم (٣١٠) وإسناده ضعيف ، لضعف صالح بن حيان . وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٨٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه صالح بن حيان ، وهو ضعيف .

الحديث التاسع عن أم سلمة رضي الله عنها : روى أبو نُعيم ، من طريق شريك القاضي ، وعمرو بن أبي قيس ، ومعلّى بن هلال ، ثلاثتُهم عن عمار الدهني ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أم سلمة ، قالت :

كان لرسول الله ﷺ خشبة يستندُ إليها إذا خطبَ ، فصُنع له كرسيٌّ ـ أو منبر ـ فلما فقدتهُ خارت كما يخورُ الثور ، حتى سمعَ أهلُ المسجد ، فأتاها رسولُ الله ﷺ فسكنت[١] .

هذا لفظ شريك .

وفي رواية معلى بن هلال : أنها كانت من دَوم .

وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه .

وقد روى الإمام أحمد والنسائي[٢] ، من حديث عمار الدُّهني ، عن أبي سلمة ، عن أم سلمة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « قوائمُ مِنبري رواتبُ في الجنة » .

وروى النسائيُّ أيضاً بهذا الإسناد : « ما بينَ بَيتي ومِنبري روضةٌ من رِياض الجنة »[٣] .

فهذه الطرق من هذه الوجوه ، تفيدُ القطعَ بوقوع ذلك عند أئمة هذا الفن ، وكذا من تأملَها وأنعمَ فيها النظر والتأمل ، مع معرفته بأحوال الرجال ، وبالله المستعان .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن ، حدَّثنا عبدُ الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، قال : قال أبي ـ يعني : أبا حاتم الرازي ـ : قال عمرو بن سواد ، قال لي الشافعي :

ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ﷺ ، فقلت له : أعطى عيسى إحياء الموتى ، فقال : أعطى محمداً الجِذعَ الذي كان يخطبُ إلى جنبه حتى هُيِّئ له المنبر ، فلما هُيِّئَ له المِنبر حنَّ الجذعُ حتى سُمعَ صوتُه ، فهذا أكبر من ذلك[٤] .

---

(١) لم أجده في دلائل النبوة لأبي نعيم المطبوع . ووجدته في مجمع الزوائد بلفظ مقارب عن أم سلمة ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله موثقون . قلت : هكذا قال وهو من رواية شريك القاضي السَّيِّئ الحفظ وكلام المصنف أجود منه .

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٣١٨) والنسائي في سننه (٢/ ٣٤) في المساجد .

(٣) أخرجه النسائي في الحج من سننه الكبرى (٤٢٩٠) . ومن هذا الوجه أخرجه الحميدي (٢٩٠) وأحمد (٦/ ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٣١٨) .

(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٦٨) وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٦٠٣) وعزاه إلى ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي .

باب
تسبيحِ الحَصَى في كفِّه عليه الصلاة والسلام

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عَبَدان ، أنبأنا أحمد بن عُبيد الصفار ، حدَّثنا الكُدَيميُّ ، حدَّثنا قريش بن أنس ، حدَّثنا صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري ، عن رجل يُقال له : سُويد بن يزيد السُّلمي ، قال : سمعت أبا ذر يقول :

لا أذكرُ عثمانَ إلا بخير بعد شيء رأيتُه ، كنتُ رجلاً أتَّبعُ خلوات رسولِ الله ﷺ ، فرأيتُه يوماً جالساً وحده ، فاغتنمتُ خلوتَه فجئتُ حتى جلستُ إليه ، فجاءَ أبو بكر فسلَّم عليه ثم جلسَ عن يمين رسولِ الله ﷺ ، ثم جاء عمرُ فسلَّم وجلس على يمينِ أبي بكر ، ثم جاء عثمانُ فسلَّم ثم جلس عن يمين عمر ، وبين يدي رسول الله سبعُ حَصَياتٍ ـ أو قال : تسعُ حصيات ـ فأخذهنَّ في كفِّه فسبَّحن حتى سمعتُ لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أخذهن فوضعهن في كفِّ أبي بكر فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخَرِسنَ ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر ، فسبَّحْنَ حتى سمعتُ لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسنَ ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، فقال النبيُّ ﷺ : « هذه خلافة النبوة »[١] .

قال البيهقيُّ[٢] : وكذلك رواه محمد بن بشار ، عن قريش بن أنس ، عن صالح بن أبي الأخضر ، وصالح لم يكن حافظاً ، والمحفوظ رواية شُعيب بن أبي حمزة ، عن الزهري ، قال : ذكر الوليد بن سُويد أن رجلاً من بني سليم كبير السنّ كان ممن أدرك أبا ذر بالرَّبَذَة ذكرَ له هذا الحديث عن أبي ذر . هكذا قال البيهقي .

وقد قال محمد بن يحيى الذهلي[٣] في « الزهريات » التي جمعَ فيها أحاديثَ الزهري : حدَّثنا أبو اليمان ، حدَّثنا شعيب قال :

ذكر الوليدُ بن سُويد أن رجلاً من بني سُليم كبير السن ، كان ممن أدركَ أبا ذر بالرَّبَذة ، ذكر أنه بينما

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٦٤ـ٦٥) وفي إسناده : محمد بن يونس الكديمي ، أحد المتروكين ، كان يضع الحديث وضعاً ، ولعله وضع أكثر من ألف حديث . المجروحين (٣/ ٣١٢) وصالح بن أبي الأخضر : اختلط عليه ما سمع ، فقال ابن معين : ليس بشيء . وذكره العقيلي في الضعفاء (٢/ ١٩٨) وابن حبان في المجروحين (١/ ٣٦٨) والذهبي في الميزان (٢/ ٢٨٨) .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٦٥) ، وإسناده ضعيف .

(٣) محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي ، الإمام العلامة الحافظ البارع ، عالم أهل المشرق ، وإمام أهل الحديث بخراسان ، جمع علم الزهري ، وصنفه ، وجوّده . توفي سنة ٢٥٨ . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٧٣) .

هو قاعدٌ يوماً في ذلك المجلس وأبو ذر في المجلس ؛ إذ ذُكرَ عثمانُ بن عفان ، يقول السلمي : فأنا أظنُّ أن في نفس أبي ذر على عثمان معتبة لإنزاله إياه بالرَّبَذة ، فلما ذُكر له عثمان عرضَ له بعضُ أهل العلم بذلك ، وهو يظنُّ أن في نفسه عليه مَعتبة ، فلما ذكره قال : لا تقل في عثمان إلا خيراً فإني أشهدُ لقد رأيتُ منه منظراً ، وشهدتُ منه مَشهداً لا أنساه حتى أموت ، كنتُ رجلاً ألتمسُ خلوات النبيِّ ﷺ لأسمعَ منه أو لآخذَ عنه ، فهجَّرتُ يوماً من الأيام ، فإذا النبيُّ ﷺ قد خرجَ من بيته فسألتُ عنه الخادمَ فأخبرني أنه في بيت ، فأتيتُه وهو جالسٌ ليس عندَه أحدٌ من الناس ، وكأني حينئذٍ أرى أنه في وحي ، فسلَّمتُ عليه فردَّ السلام ، ثم قال : « ما جاءَ بك ؟ » فجلستُ إلى جنبه ، لا أسألُه عن شيء ، ولا يذكرُه لي ، فمكثتُ غيرَ كثير ، فجاءَ أبو بكر يمشي مُسرعاً فسلَّم عليه فردَّ السلام ثم قال : « ما جاء بك ؟ » . قال : جاء بي الله ورسولهُ ، فأشار بيده أن اجلس ، فجلس إلى ربوة مُقابل النبي ﷺ ، بينَه وبينها الطريق ، حتى إذا استوى أبو بكر جالساً ، فأشار بيده فجلسَ إلى جنبي عن يميني ، ثم جاءَ عمرُ ففعلَ مثلَ ذلك ، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك ، وجلس إلى جنب أبي بكر على تلك الربوة ، ثم جاءَ عثمانُ فسلَّم فردَّ السلام وقال : « ما جاء بك ؟ » قال : جاء بي الله ورسولُه ، فأشار إليه بيده فقعدَ إلى الربوة ، ثم أشار بيده فقعدَ إلى جنب عمر ، فتكلَّم النبي ﷺ بكلمة لم أفقه أولها غير أنه قال : « قليل ما يبقين » ثم قبضَ على حَصيات سبع ـ أو تسع ، أو قريب من ذلك ـ فسبَّحنَ في يده ، حتى سُمع لهن حنينٌ كحنين النحل في كفّي النبي ﷺ ، ثم ناولَهن أبا بكر وجاوزني ، فسبَّحن في كفِّ أبي بكر كما سبَّحن في كفِّ النبيِّ ﷺ ، ثم أخذَهن منه فوضعهن في الأرض فخرسنَ فصرنَ حصى ، ثم ناولَهن عمر فسبَّحن في كفِّه كما سبحَّن في كفِّ أبي بكر ، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم ناولهن عثمان فسبَّحن في كفِّه نحوَ ما سبَّحن في كفِّ أبي بكر وعمر ، ثم أخذهن فرضعهن في الأرض فخرسن[1] .

قال الحافظ ابن عساكر : رواه صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري ، فقال : عن رجل يُقال له سُويد بن يَزيد السلمي ، وقول شُعيب أصح .

وقال أبو نُعيم[2] في كتاب « دلائل النبوة » : وقد روى داودُ بن أبي هند ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي ، عن جُبير بن نُفير ، عن أبي ذر ، مثله .

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر . جزء عثمان بن عفان ص(١٠٧ ـ ١٠٨) .

(٢) دلائل النبوة ؛ لأبي نعيم رقم (٣٣٨) ، وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٧٩) وقال : أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن أبي حُميد ، وهو ضعيف ، وله طريق أحسن من هذا في علامات النبوة (٨/ ٢٩٩) وإسناده صحيح ، وليس فيها قول الزهري : في الخلافة .
وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٥٩٢) : وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها .

ورواه شهرُ بن حَوشب وسعيد بن المسيّب ، عن أبي سعيد . قال : وفيه عن أبي هريرة .

وقد تقدَّم ما رواه البخاريُّ[١] ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ولقد كنا نسمعُ تسبيحَ الطعام وهو يُؤكل .

حديث آخر في ذلك : روى الحافظ البيهقي ، من حديث عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص ، قال : حدَّثني أبو أمي مالك بن حمزة بن أبي أُسيد السَّاعدي ، عن أبيه ، عن جده أبي أسيد السَّاعدي ، قال :

قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب : « يا أبا الفضل لا تَرِم[٢] منزلك غداً أنت وبنوك حتى آتيَكم ، فإنَّ لي فيكم حاجة » فانتظروه حتى جاء بعدما أضحى ، فدخلَ عليهم فقال : « السلام عليكم » فقالوا : وعليك السلام ورحمةُ الله وبركاته ، قال : « كيف أصبحتم ؟ » قالوا : أصبحنا بخير نحمدُ الله ، فكيف أصبحتَ بأبينا وأمنا أنتَ يا رسولَ الله ؟ قال : « أصبحتُ بخير أحمدُ الله » وقال لهم : « تقاربُوا تقاربُوا يزحفُ بعضُكم إلى بعض » حتى إذا أمكنوه اشتملَ عليهم بمُلاءته ، وقال : « يا ربِّ عمِّي وصِنو أبي ، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النَّار كسَتري إياهم بمُلاءتي هذه » قال : فأمَّنت أُسكُفَّةُ[٣] الباب وحوائط البيت فقالت : آمين آمين آمين[٤] .

وقد رواه أبو عبد الله بن ماجه في « سننه » مختصراً[٥] ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن أبي حاتم الهروي ، عن عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص الوقَّاصي الزهري (به ، وعبد الله بن عثمان الوقاصي)[٦] روى عنه جماعة .

وقد قال ابن معين : لا أعرفه ، وقال أبو حاتم : يروي أحاديث[٧] .

حديث آخر : قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا يحيى بن أبي بُكير ، حدَّثنا إبراهيم بن طَهمَان ، حدَّثني

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٩) في المناقب . وقد تقدم .

(٢) « لا ترم » : لا تبرح .

(٣) « أُسكُفّة الباب » : عتبة الباب ، أو الخشبة التي يطأ عليها الداخل إلى البيت .

(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٧١) وإسناده ضعيف . قال البخاري : مالك بن حمزة ، عن أبيه ، عن جده : أن النبي ﷺ دعا العباس . . الحديث . لا يُتابع عليه .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٠) وقال : رواه الطبراني ، وإسناده حسن . ورواه أبو نعيم في « الدلائل » رقم (٣٤٠) . قلت : هكذا قال بحسن إسناده ولا يصح .

(٥) سنن ابن ماجه ، رقم (٣٧١١) في الأدب .

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة لابد منها لا يستقيم النص من غيرها .

(٧) ينظر تحرير تقريب التهذيب (٢/ ٢٣٨) .

(٨) في مسنده (٥/ ٨٩ و٩٥) وإسناده حسن من أجل سماك بن حرب .

سِمَاك بن حَرب ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرفُ حجراً بمكةَ كان يُسَلِّمُ عليَّ قبل أن أُبعثَ ، إني لأعرفُه الآن » .

رواه مسلم(١) عن أبي بكر بن أبي شَيبة(٢) ، عن يحيى بن أبي بُكير ، به .

ورواه أبو داود الطيالسي(٣) ، عن سليمان بن معاذ ، عن سِماك ، به .

حديث آخر : قال الترمذيُّ(٤) : حدَّثنا عبَّادُ بن يَعقوب الكوفي ، حدَّثنا الوليد بن أبي ثَور ، عن السُّدي ، عن عبَّاد بن أبي يَزيد ، عن عليّ بن أبي طالب ، قال : كنتُ مع النبيّ ﷺ بمكةَ ، فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبلَه جبلٌ ولا شجرٌ إلا قال : السَّلامُ عليكَ يا رسولَ الله . ثم قال : وهذا حديث حسن غريب ، وقد رواه غيرُ واحد ، عن الوليد بن أبي ثور ، عن عبَّاد بن أبي يزيد ، منهم فروة بن أبي المَغْراء(٥) .

ورواه الحافظُ أبو نُعيم ، من حديث زياد بن خيثمة ، عن السُّدي ، عن أبي عمارة الخيواني(٦) ، عن علي ، قال : خرجتُ مع رسول الله ﷺ ، فجعلَ لا يمرُّ على شجرٍ ولا حجرٍ إلا سلَّمَ عليه .

وقدَّمنا في المبعث أنه عليه الصلاة والسلام لمَّا رجعَ وقد أوحي إليه ، جعلَ لايمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ ولا مَدَرٍ ولا شيءٍ إلا قال له : السَّلامُ عليكَ يا رسول الله .

وذكرنا في وقعة بدر ، ووقعة حُنين رميه عليه الصلاة والسلام بتلك القبضة من التراب ، وأمره أصحابه أن يتبعوها بالحملة الصادقة ، فيكون النصر والظفر والتأييد عقب ذلك سريعاً ، أما في وقعة بدر فقد قال الله تعالى في سياقها في سورة الأنفال : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ الآية [الأنفال : ١٧] .

وأما في غزوة حُنين فقد ذكرناه في الأحاديث بأسانيده وألفاظه بما أغنى عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد والمنة .

حديث آخر : ذكرنا في غزوة الفتح أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا دخلَ المسجدَ الحرامَ فوجدَ الأصنامَ حولَ

(١) صحيح مسلم (٢٢٧٧) في الفضائل .
(٢) وهو في مصنفه ١١/ ٤٦٤ .
(٣) في مسنده (١٩٠٧) .
(٤) في جامعه (٣٦٢٦) .
(٥) فهذه هي العلة التي أعله بها الإمام الترمذي رحمه الله فاقتصر على تحسينه واستغرابه ، بل وقع في بعض النسخ والتحفة (١٠١٥٩) : « غريب » فقط ، وهو الصواب (بشار) .
(٦) نسبة إلى : خيوان ، بلدة في اليمن .

الكعبة ، فجعلَ يطعنُها بشيء في يده ويقول : « جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقاً ، قل جاءَ الحقُّ وما يُبدئ الباطلُ وما يُعيد »[١] .

وفي رواية أنه جعلَ لا يُشير إلى صنمٍ منها إلا خرَّ لقفاه ، وفي رواية : إلا سقطَ .

وقال البيهقي[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا بحرُ بن نصر وأحمد بن عيسى اللخمي ، قالا : حدَّثنا بشر بن بَكْر[٣] ، أخبرنا الأوزاعي ، عن ابن شهاب أنه قال : أخبرني القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، عن عائشة ، قالت :

دخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا مُستترة بقِرام فهتكه ثم قال : « إن أشدَّ النَّاس عَذاباً يومَ القيامة الذين يُشَبِّهون بخلق الله »[٤] .

قال الأوزاعي : وقالت عائشة : أُتي رسولُ الله ﷺ بترسٍ فيه تِمثال عِقابٍ ، فوضعَ عليه يدَه ، فأذهبَه الله عزَّ وجلَّ .

باب
ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة
قصة البعير النادّ وسجوده له وشكواه إليه

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا حسين ، حدَّثنا خلف بن خليفة ، عن حفص ـ هو ابن عمر ـ عن عمِّه أنس بن مالك ، قال :

كان أهلُ بيتٍ من الأنصار لهم جملٌ يُسنون[٦] عليه ، وأنه[٧] استصعبَ عليهم فمنعَهم ظهرَه ، وأن الأنصارَ جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : إنه كان لنا جملٌ نُسني عليه ، وأنه استصعبَ علينا ومنعنا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٢٨٧) في المغازي ، ومسلم في صحيحه رقم (١٧٨١) في الجهاد ، والترمذي في الجامع رقم (٣١٣٨) في التفسير . وقد تقدم .
(٢) دلائل النبوة (٦/ ٨١) .
(٣) في المطبوع : « بكير » محرف ، وهو بشر بن بكر التنيسي البجلي ، من رجال التهذيب .
(٤) حديث عائشة : إن أشد الناس عذاباً . . رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٩٥٤) في اللباس ، ومسلم في صحيحه رقم (٢١٠٥) في اللباس .
(٥) في المسند (٣/ ١٥٨) .
(٦) « يسنون » : يسقون بالسانية . والسانية : الساقية . والناقة يُسْتقى عليها من البئر .
(٧) كذا في (أ) والمطبوع ، وفي المسند (٣/ ١٥٨) : وأن الجملَ استصعبَ . . . .

ظهرَه ، وقد عَطِشَ الزرعُ والنَّخلُ ، فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابه : « قوموا » فقاموا ، فدخل الحائطَ والجملُ في ناحيته ، فمشَى النبيُّ ﷺ نحوَه ، فقالت الأنصارُ : يا رسولَ الله ، إنه قد صارَ مثلَ الكَلبِ الكَلِبِ وإنا نخافُ عليك صَولَته ، فقال : « ليس عليَّ منه بأسٌ » فلما نظر الجملُ إلى رسول الله ﷺ أقبلَ نحوَه حتى خرَّ ساجداً بين يديه ، فأخذَ رسولُ الله ﷺ بناصيتِه أذلَّ ما كانت قط ، حتى أدخلَه في العمل ، فقال له أصحابُه : يا رسولَ الله ، هذه البهيمةُ لاتعقلُ تسجدُ لك ، ونحن أحقُّ أن نسجدَ لك ، فقال : « لا يصلحُ لبشرٍ أن يسجدَ لبشرٍ ، ولو صَلَحَ لبشرٍ أن يسجدَ لبشرٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها من عِظَم حقِّه عليها ، والذي نفسي بيده لو كان من قدمِه إلى مَفرِق رأسِه قرحة تنبجسُ[١] بالقيحِ والصَّديد ، ثم استقبلتْه فلحَسَتهُ ما أدّت حقَّه » .

وهذا إسناد جيد ، وقد روى النسائيُّ بعضَه من حديث خلف بن خليفة به[٢] .

رواية جابر في ذلك : قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا مُصعبُ بن سَلَّام ، سمعته من أبي مرتين ، حدَّثنا الأجلَحُ ، عن الذيَّال بن حَرمَلة ، عن جابر بن عبد الله ، قال :

أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى إذا دَفَعنَا إلى حائطٍ من حِيطانِ بني النجار ، إذا فيه جملٌ لا يدخلُ الحائطَ أحدٌ إلا شَدَّ عليه ، قال : فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فجاءَ حتى أتى الحائطَ ، فدعا البعيرَ ، فجاءَ واضعاً مِشفَرَه إلى الأرض حتى بَرَكَ بين يديه ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « هاتوا خِطَاماً » فخطمَه ودفعَه إلى صاحبه ، قال : ثم التفتَ إلى الناس ، فقال : « إنه ليس شيءٌ بين السماءِ والأرض إلا يعلمُ أني رسولُ الله إلا عَاصِي الجِنّ والإنس » .

تفرد به الإمام أحمد[٤] ، وسيأتي عن جابر من وجه آخر بسياق آخر ، إن شاء الله ، وبه الثقة .

رواية ابن عباس

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدَّثنا بشر بن موسى ، حدَّثنا يزيدُ بن مِهران أخو خالد الجبّار ، حدَّثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن الأجلح ، عن الذيَّال بن حرملة ، عن ابن عباس ، قال :

جاء قوم إلى رسول الله ، فقالوا : يا رسولَ الله إن لنا بعيراً قد ندَّ في حائط ، فجاءَ إليه رسولُ الله ﷺ فقال : « تعالَ » فجاءَ مطأطئاً رأسَه حتى خطمه وأعطاه أصحابه ، فقال له أبو بكر الصديق :

---

(١) كذا في (أ) وفي المطبوع : تتفجر .
(٢) في المجتبى (٨/ ٢١٤) في الزينة .
(٣) في المسند (٣/ ٣١٠) .
(٤) إسناده حسن ، الذيال بن حرملة صدوق حسن الحديث ، وهو حديث صحيح لغيره .

يا رسول الله ، كأنه علم أنك نبي ، فقال رسول الله ﷺ : « ما بين لابتيها أحدٌ إلا يعلمُ أني نبيُّ الله ، إلا كفرةُ الجِنّ والإنس »(١) .

وهذا من هذا الوجه ، عن ابن عباس غريب جداً ، والأشبه رواية الإمام أحمد عن جابر ، اللهم إلا أن يكون الأجلح قد رواه عن الذيّال ، عن جابر ، وعن ابن عباس ، والله أعلم .

طريق أخرى عن ابن عباس : قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدَّثنا العباس بن الفضل الأسفاطي ، حدَّثنا أبو عون الزِّيادي ، حدَّثنا أبو عزة الدباغ ، عن أبي يزيد المديني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس :

أن رجلاً من الأنصار ، كان له فحلان فاغتلما(٢) ، فأدخلهما حائطاً فسدَّ عليهما الباب ، ثم جاءَ إلى رسول الله ﷺ فأرادَ أن يدعوَ له ، والنبيُّ قاعدٌ معه نفرٌ من الأنصار ، فقال : يا نبيَّ الله ، إني جئتُ في حاجةٍ فإن فحلين لي اغتلما ، وإني أدخلتُهما حائطاً وسددتُ عليهما البابَ ، فأحبُّ أن تدعوَ لي أن يُسَخِّرَهما الله لي ، فقال لأصحابه : « قوموا معنا » فذهبَ حتى أتى البابَ فقال : « افتح » فأشفقَ الرجلُ على النبيِّ ﷺ ، فقال : « افتح » ففتحَ الباب ، فإذا أحد الفحلين قريباً من الباب ، فلما رأى رسولَ الله ﷺ سجدَ له ، فقال رسولُ الله : « ائتِ بشيءٍ أشدُّ رأسَه وأُمَكِّنُكَ منه » فجاءَ بخطام فشدَّ رأسَه وأمكنَه منه ، ثم مشى إلى أقصى الحائط إلى الفحل الآخر ، فلما رآه وقع له ساجداً ، فقال للرجل : « ائتني بشيءٍ أشدُّ رأسَه » فشدَّ رأسَه وأمكنَه منه ، فقال : « اذهب فإنهما لايَعصيانِك » فلما رأى أصحابُ رسول الله ﷺ ذلك قالوا : يا رسولَ الله ، هذان فحلان سجدا لك ، أفلا نسجدُ لك ؟ قال : « لا آمرُ أحداً أن يسجدَ لأحدٍ ، ولو أمرتُ أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزوجها »(٣) .

وهذا إسناد غريب ومتن غريب .

ورواه الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد في كتابه « دلائل النبوة » عن أحمد بن حمدان السجزي ، عن عمر بن محمد بن بجير البُجيري(٤) ، عن بشر بن آدم(٥) ، عن محمد بن عون أبي عون الزيادي ، به .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٢٠) رقم (١٢٧٤٤) . ورواه أيضاً البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٠) وأبو نعيم في الدلائل رقم (٢٧٩) عن جابر رضي الله عنه كما مرَّ ، والسيوطي في الخصائص الكبرى . وعزاه للبيهقي ولأبي نُعيم وللطبراني .

(٢) « فاغتلما » : هاجا .

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٢٨٢) رقم (١٢٠٠٣) .

(٤) في المطبوع : « البحتري » وهو تصحيف ، وهو منسوب إلى جده بجير كما في « البجيري » من أنساب السمعاني .

(٥) هو بشر بن آدم بن يزيد البصري ، وترجمته في التهذيب (٤/ ٩٠) .

وقد رواه أيضاً من طريق مكي بن إبراهيم ، عن فائد أبي الورقاء ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، عن النبي ﷺ ، بنحو ما تقدَّمَ عن ابن عباس .

رواية أبي هريرة : قال أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه : أخبرنا أحمد بن حمدان ، أخبرنا عمر بن محمد بن بجير ، حدَّثنا يوسف بن موسى ، حدَّثنا جرير ، عن يحيى بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال :

انطلقنا مع رسول الله ﷺ إلى ناحية ، فأشرفنا إلى حائط ، فإذا نحن بناضحٍ ، فلما أقبلَ الناضحُ رفعَ رأسَه فبَصُرَ برسول الله ﷺ فوضعَ جِرَانَه على الأرض ، فقال أصحابُ رسول الله ﷺ : فنحن أحقُّ أن نسجدَ لك من هذه البهيمة ، فقال : « سبحان الله ! أدون الله ؟ ما ينبغي لأحدٍ أن يسجدَ لأحدٍ دون الله ، ولو أمرتُ أحداً أن يسجدَ لشيءٍ من دون الله لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها » .

رواية عبد الله بن جعفر في ذلك : قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا مَهدي بن ميمون ، عن محمد بن أبي يعقوب ، عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر « ح » وحدَّثنا بهز وعفان ، قالا : حدَّثنا مَهدي ، حدَّثنا محمد بن أبي يعقوب ، عن الحسن بن سعد ـ مولى الحسن بن علي ـ عن عبد الله بن جعفر ، قال : أردفني رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم خلفَه ، فأسرَّ إليّ حديثاً لا أخبرُ به أحداً أبداً ، وكان رسولُ الله ﷺ أحبَّ ما استترَ به في حاجته هدفٌ[٢] أو حائشُ[٣] نخلٍ ، فدخلَ يوماً حائطاً من حِيطان الأنصار ، فإذا جملٌ قد أتاه ، فجرجرَ[٤] وذرفَت[٥] عيناه ، وقال بهز وعفان : فلما رأى رسول الله حنَّ وذرفت عيناه . فمسحَ رسولُ الله سَرَاته[٦] وذِفراه[٧] فسكنَ ، فقال : « من صاحبُ الجمل ؟ » فجاءَ فتًى من الأنصار قال : هو لي يا رسولَ الله ، فقال : « أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكها الله ؟ إنه شكا إليَّ أنك تُجِيعه وتُدئبه »[٨] .

---

(١) في المسند (١/ ٢٠٤) .
(٢) « هدف » : أرض مرتفعة .
(٣) « حائش نخل » : جماعة النخل ، لا مفرد له .
(٤) « جَرجَرَ » : ردد صوته في حنجرته .
(٥) « ذرفت » : سالت دموع عينيه من مآقيه .
(٦) « سراته » : ظهره .
(٧) « ذفراه » : الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .
(٨) « تُدئبه » : تتعبه وتجهده بالعمل الزائد .

وقد رواه مسلم[١] من حديث مهدي بن ميمون ، به .

رواية عائشة أُمِّ المؤمنين في ذلك : قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عبد الصمد وعفَّان ، قالا : حدَّثنا حماد ـ هو ابن سلمة ـ (قال عفان : أخبرنا المعنى)[٣] عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن عائشة :

أن رسولَ الله ﷺ كان في نَفَرٍ من المهاجرين والأنصار ، فجاءَ بعيرٌ فسجدَ له ، فقال أصحابه : يا رسولَ الله ، تسجدُ لك البهائمُ والشَّجر ، فنحن أحقُّ أن نسجدَ لك ، فقال : « اعبدوا ربَّكم ، وأكرموا أخاكم ، ولو كنتُ آمراً أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزوجها ، ولو أمرها أن تنقل من جبلٍ أصفرَ إلى جبلٍ أسود ، ومن جبلٍ أسودَ إلى جبلٍ أبيضَ كان ينبغي لها أن تفعَله » .

وهذا الإسناد على شرط السنن ، وإنما روى ابن ماجه[٤] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة[٥] ، عن عفَّان ، عن حماد ، به : « لو أمرت أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها . . » إلى آخره .

روايةُ يَعلَى بن مُرَّة الثَّقَفِيّ ، أو هي قِصَّة أُخرى : قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا أبو سَلمة الخزاعي ، حدَّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن حبيب بن أبي جُبيرة ، عن يعلى بن سيابة[٧] قال :

كنتُ مع النبي ﷺ في مسيرٍ له ، فأراد أن يقضيَ حاجتَه فأمرَ وَديَتين[٨] فانضَمَّت إحداهُما إلى الأخرى ، ثم أمرَهما فرجعتا إلى منابتهما ، وجاء بعيرٌ فضربَ بجِرَانه إلى الأرض ، ثم جرجرَ حتى ابتلَّ ما حولَه ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما يقولُ البعيرُ ؟ إنه يزعمُ أن صاحبَه يُريد نحرَه » فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال : « أواهبه أنت لي ؟ » فقال : يا رسول الله مالي مالٌ أحبّ إليَّ منه ، فقال : « استوصِ به معروفاً » فقال : لا جرمَ لا أكرمُ مالاً لي كرامتَه يا رسولَ الله ، قال : وأتى على قبر يُعَذَّبُ

---

(١) في صحيحه رقم (٣٤٢) في كتاب الحيض مختصراً ، و(٢٤٢٩) .
(٢) في المسند (٦/ ٧٦) ، الشطر الأول منه حسن لغيره .
(٣) ما بين القوسين أثبته من المسند (٦/ ٧٦) .
(٤) في سننه رقم (١٨٥٢) في النكاح ، وإسناده ضعيف بطوله لضعف علي بن زيد بن جدعان ، والقطعة الأولى منه تقوى ببعض الشواهد .
(٥) وهو في مصنفه (٢/ ٥٢٨ و٤/ ٣٠٦) .
(٦) في المسند (٤/ ١٧٢) .
(٧) يعلى بن سيابة : هو يعلى بن مرة ، وسيابة أمه ، وهي بتخفيف التحتانية ، قيده الحافظ ابن حجر وغيره . الإصابة (٤/ ٦٦٩) .
(٨) « وديتين » : الودي : صغار النخل .

صاحبُه فقال : « إنه يُعذبُ في غير كبير » فأمرَ بجريدةٍ فوُضعت على قبره ، وقال : « عسى أن يُخَفَّفَ عنه ما دامت رطبة »[(١)] .

طريق أخرى عنه : قال الإمام أحمد[(٢)] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن حفص ، عن يَعلى بن مرة الثقفي ، قال :

ثلاثةُ أشياء رأيتُهنَّ من رسول الله ﷺ : بينا نحن نسيرُ معه إذ مررنا ببعير يُسنَى عليه ، فلما رآهُ البعيرُ جرجرَ ووضعَ جِرانه ، فوقفَ عليه النبيُّ ﷺ فقال : « أين صاحبُ هذا البعير ؟ » فجاء ، فقال : « بعنيه » فقال : لا ، بَل أهبُه لك ، فقال : « لا ، بل بعنيه » قال : لا ، بل نهبُه لك ، وإنه لأهل بيتٍ ما لهم معيشة غيره ، قال : « أما إذا ذكرتَ هذا من أمره فإنه شكا كثرةَ العملِ وقلّةَ العَلفِ فأحسنوا إليه » . قال : ثم سِرنا فنزلنا منزلاً فنامَ رسولُ الله ﷺ ، فجاءت شجرةٌ تشقُّ الأرضَ حتى غشيتهُ ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرتُ له ، فقال : « هي شجرةٌ استأذنت ربَّها عزَّ وجلَّ في أن تُسَلِّمَ على رسول الله ﷺ فأذِنَ لها » . قال : ثم سِرنا فمررنا بماءٍ فأتته امرأةٌ بابْنٍ لها به جِنَّةٌ ، فأخذَ النبيُّ ﷺ بمنخره فقال : « اخرج إني محمدٌ رسولُ الله » قال : ثم سِرنَا فلمَّا رجعنا من سَفرنا مررنَا بذلك الماء ، فأَتتهُ امرأةٌ بجَزرٍ[(٣)] ولبن ، فأمرها أن تردَّ الجَزرَ ، وأمر أصحابَه فشربُوا من اللبن ، فسألها عن الصبيِّ فقالت : والذي بعثكَ بالحقِّ ما رأينا منه رَيباً بعدكَ[(٤)] .

طريق أخرى عنه : قال الإمام أحمد[(٥)] : حدَّثنا عبد الله بن نُمير ، حدَّثنا عثمان بن حكيم ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن يعلى بن مرة ، قال :

لقد رأيتُ من رسول الله ﷺ ثلاثاً ما رآها أحدٌ قبلي ، ولا يَراها أحدٌ بعدي : لقد خرجتُ معه في سفرٍ حتى إذا كنا ببعض الطريق ، مَرَرنَا بامرأةٍ جالسةٍ معها صبيٌّ لها ، فقالت : يا رسولَ الله ، هذا صبيٌّ أصابَه بلاءٌ ، وأصابنا منه بلاءٌ ، يُؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة ، قال : « ناولينيه » فرفعته إليه ، فجعلته بينَه وبينَ وَاسطةِ الرَّحل ، ثم فغرَ فاه فنفثَ فيه ثلاثاً وقال : « باسم الله ، أنا عبدُ الله ، اخسأ عدوَّ الله » ثم ناولَها إيّاه ، فقال : « القينا في الرجعة في هذا المكان ، فأخبرينا ما فعل » قال : فذهبنا ورجعنا ، فوجدناها في ذلك المكان معها شياهٌ ثلاث ، فقال : « مافعل صبيُّك ؟ » فقالت : والذي بعثَك بالحقِّ

(١) إسناده ضعيف لجهالة حبيب بن أبي جبيرة .
(٢) في المسند (٤/ ١٧٣) .
(٣) « الجَزر » : ما يذبح من الشاء .
(٤) إسناده ضعيف لجهالة عبد الله بن حفص ، واختلاط عطاء بن السائب .
(٥) في المسند (٤/ ١٧٠) .

ما حسَسنَا منه شيئاً حتى الساعة ، فاحترز[١] هذه الغنم ، قال : « انزل فخذ منها واحدةً وردَّ البقيّة » .

قال : وخرجتُ ذاتَ يوم إلى الجبَّانة حتى إذا برزنا قال : « ويحكَ ، انظر هل ترى من شيءٍ يُواريني ؟ » قلت : ما أرى شيئاً يُواريك إلا شجرةٌ ما أراها تُواريك ، قال : « فما بقربها ؟ » قلت : شجرة مثلُها أو قريبٌ منها ، قال : « فاذهب إليهما فقل : إن رسولَ الله ﷺ يأمُركما أن تجتمعا بإذن الله » قال : فاجتمعتا فبرزَ لحاجته ثم رجع ، فقال : « اذهب إليهما فقل لهما : « إن رسولَ الله ﷺ يأمُركما أن ترجعَ كلُّ واحدةٍ منكما إلى مكانها » فرجعت .

قال : وكنتُ معه جالساً ذاتَ يوم إذ جاء جملٌ نجيب حتى ضربَ[٢] بجِرانه بين يديه ، ثم ذرفت عيناه فقال : « ويحك ، انظر لمن هذا الجمل ، إن له لشأناً » قال : فخرجتُ ألتمسُ صاحبَه ، فوجدتُه لرجل من الأنصار فدعوته إليه ، فقال : « ما شأنُ جملِك هذا ؟ » فقال : وما شأنه؟ لا أدري والله ما شأنه ، عملنا عليه ونضَحنَا عليه ، حتى عجزَ عن السِّقاية ، فائتمرنا البارحةَ أن ننحرَه ونقسمَ لحمه ، قال : « فلا تفعل ، هبه لي أو بعنيه » فقال : بل هو لك يا رسول الله ، فوسمَه بسمة الصَّدقةِ ثم بعثَ به[٣] .

طريق أخرى عنه : قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن يعلى بن مرة ، عن النبي ﷺ : أنه أتته امرأةٌ بابن لها قد أصابَه لَمَمٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « اخرج عدوَّ الله ، أنا رسول الله » قال : فبرَأ ، قال : فأهدت إليه كبشين وشيئاً من أقط وشيئاً من سمن ، قال : فقال رسول الله : « خذ الأقطَ والسمنَ وأحدَ الكبشين وردَّ عليها الآخر » ثم ذكر قصة الشجرتين كما تقدَّم[٥] .

وقال أحمد[٦] : حدَّثنا أسود ، حدَّثنا أبو بكر بن عياش ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن يعلى ، قال :

ما أظنُّ أن أحداً من الناس رأى من رسول الله ﷺ إلا دونَ ما رأيتُ فذكرَ أمرَ الصَّبيّ ، والنخلتين ، وأمرَ البعير ، إلا أنه قال : « ما لبعيرك يشكوك ؟ زعم أنك سانيه حتى إذا كَبُر تريدُ أن تنحرَه » قال : صدقتَ والذي بعثَك بالحقِّ نبيّاً قد أردتُ ذلك ، والذي بعثكَ بالحقِّ لا أفعلُ[٧] .

---

(١) كذا في (أ) وفي المطبوع : فاجترر .
(٢) كذا في (أ) ، وفي المسند : صَوَّبَ ، وفي المطبوع : صَوَّى .
(٣) إسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن عبد العزيز .
(٤) في المسند (٤/ ١٧١ و١٧٢) .
(٥) إسناده ضعيف لانقطاعه ، فإن المنهال بن عمرو لم يسمع من يعلى بن مرة .
(٦) في المسند (٤/ ١٧٣) .
(٧) إسناده ضعيف مثل سابقه .

طريق أخرى عنه : روى البيهقي[١] عن الحاكم وغيره ، عن الأصم : حدَّثنا عباس بن محمد الدوري ، حدَّثنا حمدانُ بن الأصبهاني ، حدَّثنا شريك ، عن عُمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة ، عن أبيه ، عن جده ، قال :

رأيتُ من رسول الله ﷺ ثلاثةَ أشياءٍ ما رآها أحدٌ قبلي ، كنتُ معه في طريق مكة ، فمرَّ بامرأةٍ معها ابنٌ لها به لَمَمٌ ما رأيتُ لَمَماً أشدَّ منه ، فقالت : يا رسول الله ، ابني هذا كما ترى ، فقال : « إن شئتِ دعوتُ له » فدعا له . ثم مضى فمرَّ على بعيرٍ نَادٍّ جِرَانَه يَرغو ، فقال : « عليَّ بصاحب هذا البعير » فجيء به ، فقال : « هذا يقول : نتجتُ عندَهم فاستعملوني حتى إذا كبرتُ عندَهم أرادوا أن يَنحروني » .

قال : ثم مضى ورأى شجرتين متفرقتين ، فقال لي : « اذهب فمرهُمَا فلتجتمعا لي » قال : فاجتمعتا ، فقضى حاجتَه .

قال : ثم مضى ، فلما انصرف ، مرَّ على الصبيِّ وهو يلعبُ مع الغلمانِ وقد ذهبَ ما به ، وهيَّأت أمُّه أكبُشَاً ، فأهدت له كبشين ، وقالت : ما عاد إليه شيء من اللمم ، فقال النبي ﷺ : « ما من شيءٍ إلا ويعلم أني رسولُ الله ، إلا كفرةُ ـ أو فسقة ـ الجنّ والإنس »[٢] .

فهذه طرق جيدة متعددة تُفيد غلبةَ الظنِّ والقطع عندَ المتبحّرين ؛ أن يَعلى بن مرة حدَّث بهذه القصة في الجملة ، وقد تفرَّد بهذا كلّه الإمام أحمد دون أصحاب الكتب الستة ، ولم يرو أحدٌ منهم شيئاً سوى ابن ماجه ، فإنه روى عن يعقوب بن حُميد بن كاسِب ، عن يحيى بن سُليم ، عن (ابن) خُثَيم ، عن يونس بن خَبّاب ، عن يَعلى بن مُرّة ؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا ذهبَ إلى الغَائِط أبعدَ[٣] .

وقد اعتنى الحافظ أبو نُعيم بحديث البعير في كتابه « دلائل النبوة » وطرقه من وجوه كثيرة[٤] .

ثم أوردَ حديثَ عبد الله بن قرط اليماني قال : جيء رسول الله ﷺ بست ذَودٍ[٥] فجعلنَ يزدَلفن إليه بأيتهن يبدأ . وقد قدمت الحديث في حجة الوداع .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٢ ـ ٢٣) .

(٢) إسناده ضعيف ، لضعف عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة .

(٣) رواه ابن ماجه في سننه رقم (٣٣٣) في الطهارة ، وهو حديث صحيح . من حديث المغيرة بن شعبة (٣٣١) ، وهذا إسناد ضعيف ، فإن يونس بن خباب ضعيف جداً وإن قال الحافظ ابن حجر في التقريب « صدوق يخطىء ورمي بالرفض » فقد ضعفه يحيى القطان ، وابن مهدي ، وابن معين ، والنسائي ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال مرة : مضطرب الحديث . وقال الجوزجاني : كذاب ، وقال الدارقطني في العلل : رجل سوء فيه شيعية مفرطة (تحرير التقريب ٤/ ١٣٩) .

(٤) في المختصر المطبوع من دلائل النبوة ؛ لأبي نُعيم : الأحاديث من رقم (٢٧٨) إلى (٢٨٧) عن سجود البعير .

(٥) « ذود » : إبل .

قلت : قد أسلفنا عن جابر بن عبد الله نحو قصة الشجرتين ، وذكرنا آنفاً عن غير واحد من الصحابة نحواً من حديث الجمل ؛ لكن بسياق يُشبه أن يكون غيرَ هذا ، فالله أعلم .

وسيأتي حديثُ الصبيّ الذي كان يُصرع ودعاؤه عليه الصلاة والسلام له ، وبرؤه في الحال ، من طرق أخرى .

وقد روى الحافظ البيهقيُّ عن أبي عبد الله الحاكم وغيره ، عن أبي العباس الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يُونس بن بُكير ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال :

خرجتُ مع رسول الله ﷺ في سفرٍ ، وكان رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ البرازَ تباعدَ حتى لا يراهُ أحدٌ ، فنزلنا منزلًا بفلاةٍ من الأرض ليس فيها عَلَمٌ ولا شجر ، فقال لي : « يا جابر ، خذ الأداوَةَ وانطلق بنا » فملأتُ الأداوةَ ماءً وانطلقنا ، فمشينا حتى لا نكادُ نرى ، فإذا شجرتان بينهما أذرعٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « يا جابر ، انطلق فقل لهذه الشجرة : يقولُ لك رسولُ الله : الحقِي بصاحبتِك حتى أجلس خلفَكُما » ففعلت فرجعت فلحِقَت بصاحبتها ، فجلسَ خلفَهما حتى قضَى حاجته .

ثم رجعنا فركبنا رواحلَنَا فسِرنا كأنما على رؤوسنا الطير تُظَلِّلُنَا ، وإذا نحنُ بامرأةٍ قد عَرَضت لرسول الله ﷺ فقالت : يا رسولَ الله ، إن ابني هذا يأخذُه الشيطان كلَّ يوم ثلاثَ مراتٍ لا يدعه ، فوقفَ رسولُ الله ﷺ فتناولَه فجعلَه بينَه وبين مُقدّمة الرَّحل فقال : « اخسأ عدوَّ الله ، أنا رسولُ الله » وأعاد ذلك ثلاثَ مراتٍ ، ثم ناولَها إيّاه ، فلمَّا رجعنا وكنّا بذلك الماء ، عرضَت لنا تلك المرأة ومعها كَبشان تقودُهما والصبيّ تحملُه ، فقالت : يا رسول الله ، اقبل مني هديتي ، فوالذي بعثَك بالحقِّ إن عاد إليه بعدُ ، فقال رسول الله ﷺ : « خذوا أحدَهما وردُّوا الآخرَ » .

قال : ثم سِرنا ورسولُ الله ﷺ بيننا ، فجاءَ جملٌ نادٌّ ، فلما كان بين السِّماطين خرَّ ساجداً ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناسُ ، من صاحبُ هذا الجمل ؟ » فقال فِتية من الأنصار : هو لنا يا رسول الله ، قال : « فما شأنه ؟ » قالوا : سَنَوْنَا عليه منذُ عشرينَ سنةً ، فلما كَبُرَت سِنُّه وكانت عليه شحيمة أردنا نحرَه لنقسمَه بين غِلمَتِنَا ، فقال رسول الله ﷺ : « تبيعونيه ؟ » قالوا : يا رسول الله ، هو لك ، قال : « فأحسنوا إليه حتى يأتيَه أجلُه » قالوا : يا رسولَ الله ، نحن أحقُّ أن نسجدَ لك من البهائم ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يَنبغي لبشرٍ أن يسجدَ لبشرٍ ، ولو كانَ ذلك كانَ النساءُ لأزواجهنّ »[١] .

وقد روى أبو داود وابن ماجه[٢] ، من حديث إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفراء ، عن أبي

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/١٨ـ١٩) ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أبو داود في سننه رقم (٢) في الطهارة ، وابن ماجه في سننه رقم (٣٣٥) في الطهارة ، وهو حديث صحيح بشواهده .

الزبير ، عن جابر : أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا ذهبَ المذهبَ أبعدَ[١] .

ثم قال البيهقي[٢] : وحدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا الحسن بن علي بن زياد ، حدَّثنا أبو حُمَة ، حدَّثنا أبو قرة عن زمعة ، عن زياد ـ هو ابن سعد ـ عن أبي الزبير ؛ أنه سمع يُونس بن خبَّاب الكُوفي يُحدّثُ ؛ أنه سمعَ أبا عبيدة يُحَدِّث ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ : أنه كان في سفر إلى مكّة فذهبَ إلى الغائط ، وكان يُبعِدُ حتى لا يراهُ أحدٌ ، قال : فلم يجد شيئاً يُتوارى به ، فبصرَ بشجرتين ، فذكرَ قصّةَ الشجرتين وقصة الجمل ، بنحو من حديث جابر .

قال البيهقيُّ : وحديث جابر أصح ، قال : وهذه الرواية ينفردُ بها زمعة بن صالح ، عن زياد ـ أظنه ابن سعد ـ عن أبي الزبير .

قلت : وقد تكون هذه أيضاً محفوظةً ، ولا تُنافي حديثَ جابر ويَعلى بن مرة ، بل تشهد لهما ، ويكون هذا الحديث عند أبي الزبير محمد بن مسلم بن تَدرُس المكي ، عن جابر . وعن يُونس بن خَبَّاب ، عن أبي عُبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، والله أعلم[٣] .

وروى البيهقيُّ ، من حديث مُعاوية بن يحيى الصدفي ـ وهو ضعيف ـ عن الزهري ، عن خارجة بن زيد، عن أسامة بن زيد، حديثاً طويلاً نحو سياق حديث يَعلى بن مرة وجابر بن عبد الله ، وفيه قصة الصبيِّ الذي كان يُصرع ، ومجيء أمّهِ بشاةٍ مشويّةٍ فقال : « ناولني الذراعَ » فناولته ، ثم قال : « ناولني الذراع » فناولته ، ثم قال : « ناولني الذراع » فقلت : كم للشاة من ذراع ؟ فقال : « والذي نفسي بيده لو سكتَّ لناوَلتَني ما دعوتُ » ثم ذكر قصةَ النخلات واجتماعهما وانتقال الحِجارة معهما ، حتى صارت الحجارةُ رجماً خلف النخلات[٤] . وليس في سِياقه قصة البعير، فلهذا لم أورده[٥] بلفظه وإسناده، وبالله المستعان.

وقد روى ابنُ عساكر في ترجمة غَيلَان بن سلمةَ الثقفي ، بسنده إلى يَعلى بن منصور الرازي ، عن شبيب بن شيبة ، عن بشر بن عاصم ، عن غَيلان بن سلمة ، قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ فرأينا عَجَباً ، فذكر قصّةَ الشجرتين واستتارَه بهما عندَ الخَلاء ، وقصّةَ الصبيّ الذي كان يُصرع ، وقوله : « باسم الله أنا رسولُ الله ، اخرج عدوَّ الله » فعُوفي . ثم ذكرَ قصّةَ البعيرين النادّين وأنهما سجدَا له ، بنحو ما تقدم في البعير الواحد[٦] . فلعلَّ هذه قصة أخرى ، والله أعلم .

---

(١) لفظه عند أبي داود وابن ماجه(كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد) .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٠) .
(٣) لكن يونس بن خَبّاب ضعيف ، كما بينا .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٤ ـ ٢٦) .
(٥) في الأصل : لم يُورده ، والمتكلم هو ابن كثير رحمه الله تعالى ؛ لأن البيهقي أورده في الدلائل بلفظه وإسناده .
(٦) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٠/ ٢٢٣) .

وقد ذكرنا فيما سلف حديثَ جابر[١] وقصّة جملِهِ الذي كان قد أَعْيَا ، وذلك مرجعَهم من تبوك ، وتأخّره في أخريات القوم ، فلحقَه النبيُّ ﷺ فدعا له وضربَه فسارَ سَيراً لم يسر مثله حتى جعلَ يتقدّمُ أمامَ الناس ، وذكرنا شراءَه عليه الصلاة والسلام منه ، وفي ثمنه اختلاف كثير وقعَ من الرواة لا يَضرُّ أصلَ القِصّة كما بيناه .

وتقدَّم حديثُ أنسٍ[٢] في ركوبه عليه الصلاة والسلام على فرس أبي طلحة حين سَمِعَ الناسُ صَوتاً بالمدينة ، فركبَ ذلك الفرس ، وكان يُبطئ ، وركبَ الفرسانُ نحوَ ذلك الصوت ، فوجدوا رسولَ الله ﷺ قد رجعَ بعدما كشفَ ذلك الأمر ، فلم يجد له حقيقةً ، وكان قد ركبَه عُرياً لا شيءَ عليه وهو مُتقلّدٌ سيفاً ، فرجعَ وهو يقول : « لن تراعوا لن تراعوا ، ما وجدنا من شيء ، وإن وجدناه لبحراً » أي : لسابقاً .

وكان ذلك الفرسُ يُبَطَّأُ قبلَ تلك الليلة ، فكان بعد ذلك لا يُجارى ، ولا يُكشف له غبار ، وذلك كلُّه ببركته عليه الصلاة والسلام .

حديث آخر غريب في قصة البعير : قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه ، في كتابه « دلائل النبوة » ، وهو مجلد كبير حافل كثير الفوائد : أخبرني أبو علي الفارسي ، حدَّثنا أبو سعيد عبد العزيز بن شهلان القوَّاس ، حدَّثنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن خالد الراسبي ، حدَّثنا عبد الرحمن بن علي البصري ، حدَّثنا سلامة بن سعيد بن زياد بن أبي هند الرازي ، حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، حدَّثنا غُنَيم[٣] بن أوس ـ يعني : الرازي ـ قال :

كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ أقبلَ بعيرٌ يعدو حتى وقفَ على رسول الله ﷺ فَزِعاً ، فقال رسول الله ﷺ : « أيُّها البعيرُ اسكن ، فإن تكُ صادقاً فلك صِدقُك ، وإن تك كذاباً فعليك كذبك ، مع أنَّ الله تعالى قد أمَّنَ عائذنا ، ولا يخاف لائذنا » قلنا : يا رسول الله ، ما يقولُ هذا البعير قال : « هذا بعيرٌ هَمَّ أهلُه بنحره ، فهربَ منهم ، فاستغاثَ بنبيّكم » فبينا نحن كذلك ؛ إذ أقبلَ أصحابُه يتعادون ، فلما نظرَ إليهم البعيرُ عادَ إلى هامةِ رسولِ الله ﷺ . فقالوا : يا رسول الله ، هذا بعيرُنا هربَ منا منذُ ثلاثة أيام ، فلم نلقَه إلا بينَ يديكَ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « يشكو مرَّ الشّكاية » فقالوا : يا رسولَ الله ، ما يقول قال : « يقولُ إنه رُبِّي في إبلكم حواراً ، وكنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلأ ، فإذا كان الشتاء رحلتُم إلى موضع الدفء » فقالوا : قد كان ذلك يا رسول الله ، فقال : « ما جزاءُ العبد الصالح من مَواليه ؟ » قالوا :

---

(١) تقدم الحديث .

(٢) تقدم الحديث .

(٣) كذا في المطبوع ، وفي (أ) كأن صورة رسمه : تميم ، ولم أجده في الإصابة بهذين الاسمين ، فظهر أنه مختلق .

يا رسول الله ، فإنا لانبيعُه ولا نَنحَرُه ، قال : « فقد استغاثَ فلم تُغيثوه ، وأنا أولى بالرحمة منكم ، لأن الله نزعَ الرحمةَ من قلوبِ المنافقين وأسكنَها في قلوب المؤمنين » .

فاشتراه النبيُّ ﷺ بمئة درهم ، ثم قال : « أيُّها البعير انطلق فأنت حرٌّ لوجه الله » فرغا على هامة رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله : « آمين » ثم رغا الثانية فقال : « آمين » ثم رغا الثالثة فقال : « آمين » ثم رغا الرابعة ، فبكى رسول الله ﷺ . فقلنا : يا رسول الله ، ما يقولُ هذا البعير؟ قال : يقول : « جزاكَ الله أيُّها النبيُّ عن الإسلام والقرآن خيراً ، قلت : آمين ، قال : سكَّنَ الله رعبَ أمتك يوم القيامة كما سكَّنتَ رعبي قلت : آمين ، قال : حقنَ الله دماءَ أمتك من أعدائها كما حقنتَ دمي ، قلت : آمين ، قال : لا جعلَ الله بأسَها بينها ، فبكيتُ وقلت : هذه خِصال سألت ربي فأعطانيها ومنعني واحدة ، وأخبرني جبريلُ عن الله أن فناءَ أمتك بالسيف ، فجرى القلمُ بما هو كائن »(١) .

قلت : هذا الحديث غريبٌ جداً ، لم أرَ أحداً من هؤلاء المصنفين في الدلائل أورده سوى هذا المُصنِّف ، وفيه غرابةٌ ونكارةٌ في إسناده ومتنه أيضاً ، والله أعلم .

حديث في سجود الغنم له ﷺ

قال أبو محمد عبد الله بن حامد أيضاً : قال يحيى بن صاعد : حدَّثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدَّثنا إبراهيم بن العلاء الزَّبيدي ، حدَّثنا عَبّاد بن يوسف الكندي أبو عثمان ، حدَّثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس بن مالك قال :

دخلَ النبيُّ ﷺ حائطاً للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجلٌ من الأنصار ، وفي الحائط غنمٌ فسجدَت له ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، كنا نحنُ أحقَّ بالسجود لك من الغنم ، فقال : « إنه لا يَنبغي أن يسجدَ أحدٌ لأحد ، ولو كان ينبغي لأحد أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها »(٢) .

غريب ، وفي إسناده من لايُعرف .

قصة الذئب ، وشهادته بالرسالة

قال الإمام أحمد(٣) : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا القاسم بن الفضل الحداني ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال :

---

(١) رحم الله ابن كثير ماكان أغنانا وإياه عن مثل هذه الغرائب التي لاطائل تحتها ولا فائدة . والقصة ظاهرة الصنعة ، بعيدة كل البعد عن منطق النبوة .

(٢) دلائل النبوة ، لعبد الله بن حامد (مخطوط) ، ودلائل النبوة ؛ لأبي نُعيم رقم (٢٧٦) .

(٣) في المسند (٣/ ٨٣ ـ ٨٤) . و« عذبة سوطه » : علاقة السوط وطرفه .

عدا الذئبُ على شاةٍ فأخذَها ، فطلبَه الراعي فانتزعها منه ، فأقعى الذئبُ على ذنبه فقال : ألا تتقي الله ؟ تنزعُ مني رِزقاً ساقَه الله إليَّ ؟ فقال : يا عَجبي ذئبٌ يُكلِّمني كلامَ الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجبَ من ذلك ؟ محمّدٌ ﷺ بيثربَ يُخبر الناسَ بأنباء ما قد سبقَ ، قال : فأقبلَ الراعي يسوقُ غنمَه حتى دخلَ المدينةَ ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَه ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ فنُودي الصلاةُ جامعة ، ثم خرجَ فقال للراعي : أخبرهم ، فأخبرَهم ، فقال رسول الله ﷺ : « صدقَ ، والذي نفسُ محمّدٍ بيده لا تقومُ الساعة حتى يُكَلِّمَ السِّباعُ الإنسَ ، ويُكلِّم الرجلُ عذبةَ سَوطه ، وشِراك نعله ، ويُخبره فخذه بما أحدث أهله بعده » .

وهذا إسناد على شرط الصحيح ، وقد صححه البيهقي ، ولم يروه إلا الترمذيُّ[١] من قوله : « والذي نفسي بيده لا تقومُ السَّاعةُ حتى يكلم السباعُ الإنسَ . . » إلى آخره . عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه ، عن القاسم بن الفضل . ثم قال : وهذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم ، وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث ، وثَّقَه يحيى وابن مهدي .

طريق أخرى عن أبي سعيد الخدري : قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدَّثني عبد الله بن أبي حسين ، حدَّثني شهر ؛ أن أبا سعيد الخدريّ حدَّثه ، عن النبي ﷺ قال :

بينا أعرابيٌّ في بعض نواحي المدينة في غنم له ، عدا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابي ، فاستنقذَها منه وهجهجه[٣] ، فعاندَه الذئبُ يمشي ، ثم أقعى مستذفراً[٤] بذنبه يُخاطبه ، فقال : أخذتَ رزقاً رزقنيه الله ، قال : واعجباً من ذئبٍ مُستذفرٍ بذنبه يُخاطبني ! فقال : والله إنك لتتركُ أعجبَ من ذلك ، قال : وما أعجبُ من ذلك ؟ قال : رسولُ الله ﷺ في النخلتين بين الحرتين يُحَدِّث الناسَ عن أنباءِ ما قد سبقَ وما يكون بعدَ ذلك ، قال : فنعقَ الأعرابيُّ بغنمه حتى ألجأَها إلى بعض المدينة ، ثم مشى إلى النبيِّ ﷺ حتى ضربَ عليه بابَه ، فلما صلَّى النبيُّ ﷺ قال : « أينَ الأعرابيُّ صاحبُ الغنم ؟ » فقام الأعرابي ، فقال له النبي ﷺ : « حدِّث الناسَ بما سمعتَ وبما رأيتَ » فحدث الأعرابي الناس بما رأى من الذئب وما سمعَ منه ، فقال النبي ﷺ عند ذلك : « صدق ، آياتٌ تكون قبلَ الساعة ، والذي نفسي بيده لا تقومُ السَّاعةُ حتى يخرجَ أحدُكم من أهله فيخبرَه نعلُه أو سوطُه أو عَصاه بما أحدث أهلُه بعده » .

---

(١) جامع الترمذي (٢١٨١) في الفتن .
(٢) في المسند ٣/ ٨٩ .
(٣) « هجهجه » : صاح به .
(٤) « مستذفراً » : جاعلاً ذنبه بين رجليه .

وهذا على شرط أهل السنن ، ولم يُخرِّجوه[١] .

وقد رواه البيهقيُّ[٢] من حديث النُّفَيليّ قال : قرأتُ على مَعقل بن عبد الله بن شَهر بن حَوشب ، عن أبي سعيد ، فذكره . ثم رواه عن الحاكم وأبي سعيد بن أبي عمرٍو ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يُونس بن بُكير ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي سعيد فذكره .

ورواه الحافظ أبو نُعيم من طريق عبد الرحمن بن يَزيد بن تميم ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي سعيد ، فذكره[٣] .

حديث أبي هريرة في ذلك : قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أشعث بن عبد الله[٥] ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال :

جاءَ ذئبٌ إلى راعي غنمٍ فأخذَ منها شاةً ، فطلبَه الراعي حتى انتزعَها منه ، قال : فصعِدَ الذئبُ على تلٍّ فأقعى فاستذفَر وقال : عَمدتَ إلى رزقٍ رزقنيه الله عزَّ وجلَّ انتزعتَه منِّي ، فقال الرجل : لله إن رأيتُ كاليوم ذئباً يتكلَّمُ ، فقال الذئب : أعجبُ من هذا رجلٌ في النخلاتِ بين الحرّتين يُخبرُكم بما مضى وما هو كائنٌ بعدَكم ، وكان الرجلُ يهوديًا ، فجاء إلى النبيّ ﷺ فأسلمَ وخبَّرَه فصدَّقه النبيُّ ﷺ ثم قال رسول الله : « إنها أمارة من أماراتٍ بين يدي الساعة ، قد أوشكَ الرجلُ أن يخرجَ فلا يرجعَ حتى تُحدِّثَه نعلاهُ وسوطُهُ بما أحدَثه أهلُه بعَده » .

تفرد به أحمد ، وهو على شرط السنن ، ولم يخرجوه ، ولعل شهر بن حوشب قد سمعَه من أبي سعيد وأبي هريرة أيضاً ، والله أعلم[٦] .

حديث أنس في ذلك : قال أبو نعيم في « دلائل النبوة » : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدَّثنا

---

(١) إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٢-٤٣) ، وإسناده ضعيف ، كما تقدم .

(٣) لم أجده في دلائل أبي نعيم المطبوع بهذا الإسناد ، وإنما هو موجود عن القاسم بن الفضل الحداني عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد .

(٤) في المسند (٢/ ٣٠٦) .

(٥) في المطبوع : « عبد الملك » وهذا يعني أنه أشعث بن عبد الملك الحمراني ، ولا يصح ، وما أثبتناه من مسند أحمد وهو الصواب ، وهو أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني البصري وهو الراوي عن شهر بن حوشب ورَوى عنه معمر ابن راشد كما في تهذيب الكمال ٣/ ٢٧٢ . أما ابن عبد الملك فلم يرو عن شهر ولا روى عنه معمر ، كما في ترجمته من تهذيب الكمال (٣/ ٢٧٧) (بشار) .

(٦) إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب .

محمد بن يحيى بن منده ، حدَّثنا علي بن الحسن بن سالم ، حدَّثنا الحسين الرفاء ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن أنس ، وحدَّثنا سليمان ـ هو الطبراني ـ : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن ناجية ، حدَّثنا هشام بن يُونس اللؤلؤي ، حدَّثنا حسين بن سليمان الرفاء ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن أنس بن مالك قال :

كنتُ مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فشردَت عليَّ غنمي ، فجاءَ الذئبُ فأخذَ منها شاةً ، فاشتدَّ الرِّعَاءُ خلفَه ، فقال : طعمةٌ أطعمنيها الله تنزعونَها مني؟ قال : فبُهِتَ القومُ ، فقال : « ما تعجبون من كلام الذئب وقد نزلَ الوحيُ على محمدٍ فمن مُصدّق ومكذّب »[١] .

ثم قال أبو نُعيم : تفرَّد به حسين بن سليمان ، عن عبد الملك .

قلت : الحسين بن سليمان الرفاء هذا يُقال له الطلحي كوفي ، أورد له ابن عديّ عن عبد الملك بن عُمير أحاديثَ ، ثم قال : لا يُتابع عليها[٢] .

حديث ابن عمر في ذلك : قال البيهقي : أخبرنا أبو سعدٍ الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عدي ، حدَّثنا عبد الله بن أبي داود السجستاني ، حدَّثنا يعقوب بن يوسف بن أبي عيسى ، حدَّثنا جعفر بن حسن ، أخبرني أبو حسن ، حدَّثنا عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : قال ابن عمر :

كان راعٍ على عهد رسول الله ﷺ ، إذ جاءَ الذئبُ فأخذَ شاةً ووثبَ الراعي حتى انتزعَها من فيه ، فقال له الذئبُ : أما تتقي الله أن تمنعني طعمة أطعمنيها الله تنزعُها مني ؟ فقال له الراعي : العجبُ من ذئبٍ يتكلَّم ، فقال الذئبُ : أفلا أدلُّك على ما هو أعجبُ من كلامي ؟ ذلك الرجل في النخل يُخبر الناس بحديث الأوّلين والآخرين أعجبُ من كلامي ، فانطلقَ الراعي حتى جاءَ رسولَ الله ﷺ فأخبرَه وأسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « حدِّث به الناسَ »[٣] .

قال الحافظ ابن عديّ : قال لنا أبو بكر بن أبي داود : وَلدُ هذا الراعي يُقال لهم : بنو مُكلّم الذئب ، ولهم أموالٌ ونَعَمٌ ، وهم من خزاعة ، واسم مُكلّم الذئب أَهبَان ، قال : ومحمد بن أشعث الخزاعي من ولده .

قال البيهقي[٤] : فدلَّ على اشتهار ذلك ، وهذا مِمَّا يُقَوِّي الحديثَ .

---

(١) لم أجده في دلائل النبوة لأبي نعيم المطبوع ـ وإسناده ضعيف كما قال المصنف .
(٢) الكامل في الضعفاء (٢/ ٧٧٣) .
(٣) من المؤكد أن هذه الرواية سقطت من دلائل النبوة ؛ للبيهقي . وفيه بعض السند وبعض كلام الحافظ ابن عدي ، وحديث كلام الذئب للراعي بطرق متعددة مبسوط في الدلائل (٦/ ٤٤) .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٤) وفي إسناده جهالة .

وقد رُوي من حديث محمد بن إسماعيل البخاري في « التاريخ »[(١)] : حدَّثني أبو طلحة ، حدَّثني سفيان بن حمزة الأسلمي ، سمعَ عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن ربيعةَ بن أوس ، عن أنس بن عمرو ، عن أهبان بن أوس ، قال : كنتُ في غنمٍ لي ، فكلَّمه الذئب وأسلَم . قال البخاري : إسنادُه ليس بالقوي .

ثم روى البيهقيُّ عن أبي عبد الرحمن السُّلميّ ، سمعتُ الحسينَ بن أحمد الرازي ، سمعتُ أبا سُليمان المقري يقول :

خرجت في بعض البلدان على حمار فجعلَ الحمارُ يَحيد بي عن الطريق ، فضربتُ رأسَه ضرباتٍ ، فرفعَ رأسَه إليَّ وقال : اضرب يا أبا سُليمان ، فإنما على دماغِك هو ذا تضرب ، قال : قلت له : كلَّمَك كلاماً يُفهم ! قال : كما تُكلِّمني وأكلِّمك .

حديث آخر عن أبي هريرة في الذئب : وقد قال سَعيدُ بن منصور : حدَّثنا حَبَّان بن علي ، حدَّثنا عبد الملك بن عُمير ، عن أبي الأدبر الحارثي ، عن أبي هريرة قال :

جاء الذئبُ فأقعى بين يدي النبيِّ ﷺ وجعلَ يُبَصبِصُ بذنبه ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا وافدُ الذئاب ، جاءَ ليسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئاً » ، قالوا : والله لا نفعلُ ، وأخذَ رجلٌ من القوم حَجَراً فرماه فأدبرَ الذئبُ وله عُوَاء ، فقال رسولُ الله ﷺ : « الذئبُ ، وما الذئبُ ؟ » .

وقد رواه البيهقيُّ[(٢)] ، عن الحاكم ، عن أبي عبد الله الأصبهاني ، عن محمد بن مسلمة ، عن يزيد بن هارون ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عُمير ، به .

ورواه الحافظُ أبو بكر البزار[(٣)] ، عن محمد بن المثنى ، عن غُندر ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن رجل ، عن مَكحول ، عن أبي هريرة ، فذكره . وعن يوسف بن موسى ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن [زياد] أبي الأوبر ، عن أبي هريرة ، قال :

صلَّى رسولُ الله ﷺ يوماً صلاةَ الغداة ثم قال : « هذا الذئبُ ، وما الذئبُ ؟ جاءَكم يسألُكم أن تعطوه أو تشركوه في أموالِكم ، فرمَاه رجلٌ بحجر فمرَّ ـ أو ولَّى ـ وله عُوَاء » .

وقال محمدُ بن إسحاق : عن الزهري ، عن حمزة بن أبي أُسَيدٍ ، قال :

خرجَ رسولُ الله ﷺ في جَنازة رجلٍ من الأنصار بالبقيع ، فإذا الذئبُ مُفترشاً ذِراعيه على الطريق ،

---

(١) التاريخ الكبير ؛ للبخاري (١/ ٢/ ٤٥) .

(٢) في دلائل النبوة (٦/ ٤٠) عن سعيد بن منصور ، و(٦/ ٣٩) عن الحاكم . وفي إسناده حبان بن علي قال الحافظ في التقريب : ضعيف . وعبد الملك بن عمير تغير حفظه وربما دلس .

(٣) كشف الأستار للهيثمي (٣/ ١٤٣) رقم (٢٤٣٢) .

فقال رسول الله ﷺ : « هذا جاءَ[١] يستفرضُ فافرِضُوا له » قالوا : نرى رأيكَ يا رسولَ الله ، قال : « من كُلِّ سائمةٍ شاةٌ في كلّ عام » قالوا : كثير ، قال : فأشارَ إلى الذئب أن خالسهم ، فانطلقَ الذئبُ . رواه البيهقي[٢] .

وروى الواقديُّ عن رجل[٣] سمَّاه ، عن المطلب بن عبد الله بن حَنطب ، قال :

بينا رسولُ الله ﷺ في المدينة إذ أقبلَ ذئبٌ فوقفَ بين يديه ، فقال : « هذا وافدُ السِّبَاعِ إليكم ، فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئاً لا يَعدُوه إلى غيره ، وإن أحببتُم تركتُموه واحترزتُم منه ، فما أخذَ فهو رزقُه » فقالوا : يا رسول الله ، ما تطيبُ أنفُسنا له بشيء ، فأومأَ إليه بأصابعه الثلاث أن خالسهم ، قال : فولَّى وله عَسلان[٤] [٥] .

وقال أبو نُعيم : حدَّثنا سُليمان بن أحمد ، حدَّثنا مُعاذ بن المثنى ، حدَّثنا محمد بن كثير ، حدَّثنا سفيان ، حدَّثنا الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن رجل من مُزينة ـ أو جهينة ـ قال :

أتت وفودُ الذئاب قريبٌ من مئة ذئب حين صلَّى رسولُ الله ، فأقعينَ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « هذه وفودُ الذئابِ ، جئنكم يسألنكم لتفرضوا لهنّ من قُوت طعامِكم وتأمَنوا على ما سواه » فشكَوا إليه الحاجةَ ، فأنذروهم . قال : فخرجنَ ولهنَّ عُواء[٦] .

وقد تكلَّم القاضي عِياض[٧] على حديثِ الذئب ، فذكرَ عن أبي هريرة ، وأبي سعيد ، وعن أهبان بن أوس ، وأنه يُقال له : مُكَلِّم الذئب .

قال : وقد روى ابنُ وهبٍ أنه جرى مثل هذا لأبي سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، مع ذئبٍ وجدَاه أخذَ ظبياً فدخلَ الظبيُ الحرمَ ، فانصرفَ الذئبُ ، فعجبا من ذلك ، فقال الذئبُ : أعجبُ من ذلك محمّدُ بنُ عبد الله بالمدينة يَدعُوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار ، فقال أبو سفيان : واللَّات والعزَّى لأن ذكرتُ هذا بمكّةَ لتتركنها خَلوفاً[٨] .

---

(١) في دلائل النبوة : هذا أُوَيسٌ .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٠) .
(٣) في الطبقات الكبرى (١/ ٣٥٩) قال محمد بن عمر ـ أي الواقدي ـ : حدثني شُعيب بن عبادة ، عن المطلب . .
(٤) « عسلان » : اضطراب .
(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد (١/ ٣٥٩) وقد نقله ابن كثير بتصرف يسير . وأبو نعيم في الدلائل رقم (٢٧٢) عن الواقدي ، وهو متروك .
(٦) لم أجده في دلائل النبوة المطبوع ؛ لأبي نعيم .
(٧) الشفاء ؛ للقاضي عياض (١/ ٤٣٧) بتحقيق البجاوي ط : دار الكتاب العربي .
(٨) « خَلُوفاً » : أي فارغة من غير سكان .

قصة الوحش الذي كان في بيت النبي ﷺ وكان يحترمُه عليه الصلاة والسلام ويُوَقِّرُه ويُجِلُّه

قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا أبو نُعيم ، حدَّثنا يُونس ، عن مجاهد ، قال : قالت عائشة رضي الله عنها :

كان لآلِ رسولِ الله ﷺ وحشٌ ، فإذا خرجَ رسولُ الله ﷺ لَعِبَ واشتدَّ ، وأقبلَ وأدبرَ ، فإذا أحسَّ برسولِ الله ﷺ قد دخل ربضَ فلم(٢) يَتَرَمرم ، ما دامَ رسول الله ﷺ في البيت كراهيةَ أن يُؤذيه .

ورواه أحمد أيضاً عن وكيع(٣) ، وعن أبي(٤) قطن ، كلاهما عن يونس ـ وهو ابن أبي إسحاق السَّبيعي ـ وهذا الإسناد على شرط الصحيح . ولم يُخرِّجوه ، وهو حديث مشهور ، والله أعلم .

قصة الأسد

وقد ذكرنا في ترجمة «سفينة» مولى رسول الله ﷺ حديثَه حين انكسرت بهم السفينةُ فركبَ لوحاً منها ، حتى دخل جزيرةً في البحر فوجد فيها الأسدَ ، فقال له : يا أبَا الحارث إني سفينة مولى رسولِ الله ﷺ، قالَ فضربَ منكبيّ(٥) وجعلَ يُحاذيني حتى أقامَني على الطريق ، ثم هَمْهَمَ ساعةً ، فرأيتُ أنه يُوَدِّعني(٦) .

وقال عبد الرزاق(٧) : حدَّثنا معمر ، عن الجَحْشي(٨) ، عن محمد بن المنكدر :

أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيشَ بأرض الروم ، أو أُسِرَ في أرض الروم ، فانطلقَ هارباً يلتمسُ الجيش ، فإذا هو بالأسد ، فقال : يا أبا الحارث ، إني مولى رسولِ الله ﷺ كان من أمري كَيتَ وكيتَ ، فأقبل الأسد يُبَصبِصُه ، حتى قامَ إلى جنبه ، كلما سمعَ صوتاً أهوى إليه ، ثم أقبل يمشي إلى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيشَ ، ثم رجع الأسدُ عنه .

---

(١) في المسند (٦/ ١١٢ـ١١٣) .
(٢) لم يترمرم » : سكن ولم يتحرك .
(٣) حديث وكيع أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٠٩) .
(٤) سقطت من المطبوع ، وأبو قطن هو عمرو بن الهيثم ، وحديثه في المسند (٦/ ١٥٠) .
(٥) في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٥) حتى ضربني بمنكبهِ ، وفيه : ثم همهم ساعة ، وضربني بذنبه . . .
(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٥) .
(٧) المصنف (١١/ ٢٨١ رقم ٢٠٥٤٤) .
(٨) في المطبوع : « الحجبي » خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وهو الذي في مصنف عبد الرزاق ، وهو سعيد بن عبد الرحمن الجحشي ، صدوق ، من رجال التهذيب .

رواه البيهقي[١] .

حديث الغزالة

قال الحافظ أبو نُعيم الأصبهاني رحمه الله في كتابه « دلائل النبوة » : حدَّثنا سليمان بن أحمد ـ إملاء ـ حدَّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون ، حدَّثنا عبد الكريم بن هلال الجعفي ، عن صالح المُرّي ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، قال :

مرَّ رسولُ الله ﷺ على قومٍ قد اصطَادوا ظَبيَةً فشدُّوها على عمودِ فسطاطٍ ، فقالت : يا رسول الله ، إني أُخذتُ ولي خُشفان[٢] ، فاستأذن لي أُرضعهُما وأعودُ إليهم ، فقال : « أين صاحبُ هذه ؟ » فقال القوم : نحنُ يا رسول الله ، قال : « خلُّوا عنها حتى تأتيَ خُشفَيها تُرضعهُما وترجعُ إليكم » فقالوا : من لنا بذلك ؟ قال : « أنا » فأطلقوها ، فذهبت فأرضعت ، ثم رجعت إليهم فأوثقوها ، فمرّ بهم رسولُ الله ﷺ فقال : « أين أصحابُ هذه ؟ » فقالوا : هو ذا نحنُ يا رسولَ الله ، فقال : « تبيعونها ؟ » فقالوا : هي لكَ يا رسولَ الله ، فقال : « خلُّوا عنها » فأطلقوها فذهبت[٣] .

وقال أبو نُعيم : حدَّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغِطريفي ـ من أصله ـ حدَّثنا أحمد بن موسى بن أنس بن نصر بن عُبيد الله بن محمد بن سيرين بالبصرة ، حدَّثنا زكريا بن يحيى بن خَلَّاد ، حدَّثنا حَسَّان بن أغلب بن تميم ، حدَّثنا أبي ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن ضَبَّةَ بن محصن ، عن أمِّ سلمة زوجِ النبي ﷺ قالت :

بينا رسولُ الله ﷺ في صحراءَ من الأرض إذا هاتفٌ يهتفُ : يا رسول الله ، يا رسولَ الله ، قال : فالتفتُّ فلم أرَ أحداً ، قال : فمشيت غير بعيد فإذا الهاتف : يا رسولَ الله ، يا رسول الله ، قال : فالتفتُّ فلم أر أحداً ، وإذا الهاتف يهتف بي ، فاتَّبعتُ الصوتَ وهجمتُ على ظَبيةٍ مشدودةٍ في وَثاق ، وإذا أعرابيٌّ مُنجَدِلٌ في شملةٍ نائمٌ في الشمس ، فقالت الظبيةُ : يا رسول الله ، إن هذا الأعرابي صادَني قبلُ ، ولي خُشفَان في هذا الجبل ، فإن رأيتَ أن تطلقني حتى أرضعَهما ثم أعودُ إلى وثاقي ؟ قال : « وتفعلين ؟ » قالت : عذبني الله عذابَ العَشَّار إن لم أفعل ، فأطلقَها رسولُ الله ﷺ . فمضت فأرضعت الخُشفَين

---

(١) في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٦) . وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (٢/ ٦٥) عن ابن سعد ، وأبي يعلى ، والبزار ، وابن منده ، والحاكم وصححه ، والبيهقي ، وأبي نُعيم ، وهو حديث حسن .

(٢) « خشفان » : ولدان ، والخُشْف : ولد الغزال .

(٣) دلائل النبوة ؛ لأبي نُعيم رقم (٢٧٤) ، وذكره السيوطي في الخصائص (٢/ ٢٦٦) وقال : أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم من طريق صالح المري ، وهو ضعيف . وكذلك قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٩٥) .

وجاءت ، قال : فبينا رسولُ الله ﷺ يُوثقها إذ انتبَه الأعرابيُّ ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله ، إن أصبتها قُبَيلاً . فلك فيها من حاجة ؟ قال : قلت : « نعم » قال : هي لك ، فأطلقَها ، فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضربُ برجليها في الأرض وتقول : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله[١] .

قال أبو نُعيم : وقد رواه آدم بن أبي إياس ، فقال : حدثني ختني الصدوق ، نوح بن الهيثم ، عن حسان بن أغلب ، عن أبيه ، عن هشام بن حسان ولم يجاوزه .

وقد رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه « دلائل النبوة » من حديث إبراهيم بن مهدي ، عن ابن أغلب بن تميم ، عن أبيه ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن بن ضبة ، عن أمِّ سلمة ، به .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٢] : أنبأني أبو عبد الله الحافظ ـ إجازة ـ أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دُحيم الشيباني ، حدَّثنا أحمد بن حازم بن أبي غَرزَةَ الغِفاري ، حدَّثنا علي بن قَادم ، حدَّثنا أبو العلاء خالد بن طهمان ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال :

مرَّ النبيُّ ﷺ بظَبية مَربوطة إلى خِبَاءٍ ، فقالت : يا رسولَ الله خَلِّني حتى أذهبَ فأرضع خُشْفي ثم أرجع فتربطني ، فقال رسول الله ﷺ : « صَيدُ قومٍ وربيطةُ قوم » قال : فأخذ عليها فحلفت له ، قال : فحلَّها ، فما مَكثت إلا قليلاً حتى جاءت وقد نَفَضَت ما في ضَرعِهَا ، فربطَها رسولُ الله ﷺ ، ثم أتى خِبَاءَ أصحابها ، فاستوهبَها منهم فوهبُوها له فحلَّها ، ثم قالَ رسول الله ﷺ : « لو تعلم البهائمُ من الموت ما تَعلمون ، ما أكلتُم منها سَميناً أبداً » .

قال البيهقي : وروي من وجه آخر ضعيف ؛ أخبرنا أبو بكر أحمد[٣] بن الحسن القاضي ، أخبرنا أبو علي حامد بن محمد الهروي ، حدَّثنا بشرُ بن موسى ، حدَّثنا أبو حفص عَمرو بن علي ، حدَّثنا يعلى بن إبراهيم الغَزَّال ، حدَّثنا الهيثمُ بن حمّاد عن أبي كثير ، عن زيد بن أرقم قال :

كنتُ مع النبي ﷺ في بعض سِكك المدينة ، قال : فمررنا بخباءِ أعرابي ، فإذا ظَبيةٌ مشدودةٌ إلى الخِبَاء ، فقالت : يا رسولَ الله ، إن هذا الأعرابي اصطادني ، وإن لي خَشَفين في البريَّة ، وقد تعقَّد اللبنُ في أخلافي[٤] ، فلا هو يذبحني فأستريحُ ولا هو يدعُني فأرجع إلى خَشَفي في البريّة . فقال لها رسول الله ﷺ : « إن تركتُكِ ترجعين ؟ » قالت : نعم وإلا عذبني الله عذابَ العَشَّار[٥] ، قال : فأطلقَها رسولُ الله ﷺ

---

(١) لم أجده في دلائل أبي نعيم المطبوع ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن أم سلمة رضي الله عنها ، وقال : رواه الطبراني وفيه أغلب بن تميم ، وهو ضعيف .
(٢) في دلائل النبوة ؛ (٦/ ٣٤) وإسناده ضعيف .
(٣) في البيهقي : « محمد » ، خطأ .
(٤) « أخلافي » : مفردها خِلف : وهو حلمة الثدي .
(٥) « العشَّار » : صاحب المكوس الذي يأخذ العشر من الأموال .

فلم تلبث أن جاءت تَلَمَّظ[(١)] فشدَّها رسولُ الله ﷺ إلى الخِبَـاء ، وأقبلَ الأعرابيُّ ومعهُ قِربة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتبيعنيها ؟ » قال : هي لك يا رسولَ الله ، فأطلقَها رسولُ الله ﷺ[(٢)] .

قال زيدُ بن أرقم : فأنا والله رأيتُها تسيحُ في البريّة ، وهي تقولُ : لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله .

ورواه أبو نعيم : حدَّثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن بن مطر ، حدَّثنا بشرُ بن موسى ، فذكره .

قلت : وفي بعضه نكارة ، والله أعلم .

وقد ذكرنَا في باب تكثيره عليه الصلاة والسلام اللبنَ[(٣)] ، حديثَ تلك الشاة التي جاءت وهي في البريّة ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ الحسنَ بن سعيد ، مولى أبي بكر أن يحلبَها فحلبَها ، وأمرَه أن يحفظَها فذهبت وهو لا يشعرُ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ذهبَ بها الذي جاء بها » .

وهو مرويٌّ من طريقين ، عن صحابيين ، كما تقدم ، والله أعلم .

حديث الضبِّ على ما فيه من النكارة والغرابة

قال البيهقي[(٤)] : أخبرنا أبو منصور أحمد بن علي الدامغانيُّ ، من ساكني قرية نامين من ناحية بَيهق ـ قراءة عليه من أصل كتابه ـ حدَّثنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ ـ في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمئة (بجُرجان)[(٥)] حدَّثنا محمد بن علي بن الوليد السلمي ، حدَّثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدَّثنا معمرُ بن سُليمان ، حدَّثنا كهمس ، عن داود بن أبي هندٍ ، عن عامر ، عن ابن عمر ، عن عمرَ بن الخطاب :

أن رسول الله ﷺ كان في محفلٍ من أصحابه إذ جاءَ أعرابيٌّ من بني سُليم قد صاد ضَبّاً . وجعلَه في كمّه ليذهبَ به إلى رَحلِه فَيشويه ويأكُلَه ، فلما رأى الجماعةَ قال : ما هذا ؟ قالوا : هذا الذي يذكرُ أنه نبيٌّ فجاءَ فشقَّ الناسَ فقال : واللات والعزى ما اشتملتِ النساء على ذي لهجةٍ أبغضَ إليَّ منكَ ، ولا أمقتَ منك ، ولولا أن يُسمِّيني قومي عَجولاً لعَجِلتُ عليك فقتلتُك ، فسَرَرتُ بقتلك الأسودَ والأحمرَ والأبيضَ وغيرَهم .

---

(١) « تلمّظ » : تخرج لسانها بعد الأكل أو الشرب فتمسح شفتيها به .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٤ـ٣٥) ودلائل النبوة ؛ لأبي نعيم رقم (٢٧٣) والسيوطي في الخصائص الكبرى (٢/ ٢٦٧) . قال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة يعلى بن إبراهيم الغزَّال : لاأعرفه ، له خبر باطل عن شيخ واه ، ثم ذكره بإسناده . والهيثم بن حمَّاد ، عن أبي كثير : لايُعرف لا هو ولا شيخه .
(٣) تقدم ذلك .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٦ـ٣٨) .
(٥) إضافة من دلائل النبوة .

فقال عمرُ بن الخطاب : يا رسولَ الله ، دعني فأقومُ فأقتلَه . قال : « يا عمر ، أما علمتَ أن الحليمَ كادَ أن يكونَ نبيّاً ؟ » .

ثم أقبلَ على الأعرابي وقال : « ما حملكَ على أن قلتَ ما قلتَ ، وقلتَ غير الحقِّ ولم تكرمني في مجلسي ؟ » فقال : وتكلّمني أيضاً ؟ ـ استخفافاً برسول الله ﷺ ـ واللات والعزى لا آمنتُ بك أو يُؤمن بك هذا الضبُّ ـ وأخرج الضبَّ من كمّه وطرحَه بين يدي رسولِ الله ﷺ ـ فقال رسولُ الله ﷺ : « يا ضبُّ » فأجابه الضبُّ بلسانٍ عربيّ مُبين يسمعُه القومُ جميعاً : لبَّيك وسعديك يا زينَ مَن وافى القيامةَ . قال : « مَن تعبدُ يا ضبُّ ؟ » قال : الذي في السماء عرشُهُ ، وفي الأرض سلطانُه ، وفي البحر سبيلُه ، وفي الجنّة رحمتُه ، وفي النار عقابُه ، قال : « فمن أنا يا ضبُّ ؟ » فقال : رسولُ ربِّ العالمين وخاتمُ النبيين ، وقد أفلحَ من صدَّقَكَ ، وقد خابَ من كذّبك ، فقال الأعرابي : والله لا أتّبعُ أثراً بعدَ عين ، والله لقد جئتُك وما على ظهر الأرض أبغض إليَّ منك ، وإنك اليومَ أحبُّ إليَّ من والدي ، ومن عَيني ، ومِني ، وإني لأحبّك بداخلي وخارجي ، وسِري وعلانيتي ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأنك رسولُ الله ، فقال رسول الله : « الحمد لله الذي هداكَ بي ، إن هذا الدينَ يَعلو ولا يُعلى ولا يُقبل إلا بصلاة ، ولا تُقبل الصلاة إلا بقرآنٍ » .

قال : فعلّمني ، فعلّمه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ قال : زدني فما سمعتُ في البَسِيطِ ولا في الوجيز[١] أحسنَ من هذا ، قال : « يا أعرابيُّ إنَّ هذا كلامُ الله ، ليس بشعر ، إنك إن قرأت ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ مرةً كان لك كأجرِ من قرأَ ثلثَ القرآن ، وإن قرأتَها مرتين كان لك كأجر من قرأ ثلثي القرآن ، وإذا قرأتها ثلاثَ مرات كان لكَ كأجر من قرأَ القرآنَ كلَّه » قال الأعرابي : نِعمَ الإلهُ إلـهنا . يقبلُ اليسيرَ ويُعطي الجزيلَ . فقال رسول الله ﷺ : « ألك مالٌ ؟ » فقال : ما في بني سُليم قاطبةً رجلٌ هو أفقرُ مني ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أعطوه » فأعطوه حتى أبطروه[٢] .

قال : فقال عبدُ الرحمن بن عوف ، يا رسولَ الله ! إن له عندي ناقة عُشَراء[٣] ، دون البختية[٤] وفوق الأغرى[٥] ، تَلحق ولا تُلحق ، أُهديت إليَّ يوم تبوك ، أتقربُ بها إلى الله عزّ وجلّ فأدفعُها إلى الأعرابي . فقال رسول الله ﷺ : « وصفت ناقتك ، فأصِف ما لك عندَ الله يوم القيامة ؟ » قال : نعم ، قال : « لك ناقةٌ من دُرّة جَوفاء قوائمها من زَبَرجَدٍ أخضر ، وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج ، وعلى الهودج

(١) كذا في الأصل وفي دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٧) : الرجز . وهو تحريف .
(٢) « أبطروه » : أشبعوه بالنعم .
(٣) « العشراء » : الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر .
(٤) « البختية » : الإبل الخراسانية .
(٥) « الأغرى » : كل مولود ، أو المهزول .

السندسُ والإستبرق ، وتمرُّ بك على الصراط كالبرق الخاطف . يغبطك بها كل من رآك يوم القيامة » فقال عبدُ الرحمن : قد رضيتُ .

فخرجَ الأعرابيُّ فلقيَه ألفُ أعرابي من بني سُليم على ألف دابّة ، معهم ألفُ سيف وألفُ رمح ، فقال لهم : أين تُريدون ؟ قالوا : نذهبُ إلى هذا الذي سَفَّه آلهتنا فنقتلَه . قال : لا تفعلوا ، أنا أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، وحدَّثهم الحديثَ ، فقالوا بأجمعهم : نشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، ثم دخلوا ، فقيل لرسول الله ، فتلقَّاهم بلا رداءٍ ، ونزلوا عن ركابهم يُقَبِّلون حيث وافوا عنه ، وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم قالوا : يا رسول الله ! مُرنا بأمرك . قال : « كونوا تحت راية خالد بن الوليد » فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألفٌ غيرُهم[١] .

قال البيهقي : قد أخرجه شيخُنا أبو عبد الله الحافظ في المعجزات بالإجازة عن أبي أحمد بن عديّ الحافظ .

قلت : ورواه الحافظ أبو نُعيم في « الدلائل » عن أبي القاسم بن أحمد الطبراني ـ إملاء وقراءة ـ : حدَّثنا محمد بن علي بن الوليد السلمي البصري أبو بكر بن كنانة . فذكرَ مثلَه . ورواه أبو بكر الإسماعيلي عن محمد بن علي بن علي بن الوليد السُّلمي .

قال البيهقي : روي في ذلك عن عائشة وأبي هريرة وما ذكرناه هو أمثلُ الأسانيد فيه ، وهو أيضاً ضعيف ، والحملُ فيه على هذا السُّلَمي ، والله أعلم .

حديث الحِمَار

وقد أنكره غيرُ واحدٍ من الحفَّاظ الكبار ، فقال أبو محمد عبد الله بن حامد : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن حمدان السحركي ، حدَّثنا عمر بن محمد بن بُجير ، حدَّثنا أبو جعفر محمد بن يزيد ـ إملاء ـ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عقبة بن أبي الصهباء ، حدَّثنا أبو حذيفة ، عن عبد الله بن حَبيب الهذلي ، عن أبي عبد الرحمن السُّلمي ، عن أبي منظور ، قال :

لما فتحَ الله على نبيّه ﷺ خيبرَ أصابَه من سهمه أربعةُ أزواجِ بغالٍ وأربعةُ أزواجِ خِفَافٍ ، وعشرُ أواق

(١) ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة ؛ رقم (٢٧٥) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤) وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن علي بن الوليد البصري ، قال البيهقي : والحمل في هذا الحديث عليه . قلت : وبقية رجاله رجال الصحيح . وقد ذهب ابن دحية والذهبي إلى أن حديث الضب موضوع لا أصل له . الميزان (٣/ ٦٥١) . وقال المِزي : لا يصح إسناداً ولا متناً . وهو مطعون فيه ، وقيل : إنه موضوع . شرح المواهب (٤/ ١٤٨ ـ ١٤٩) .

ذهباً وفضة ، وحمار أسود ، ومِكتَل ، قال : فكلَّمَ النبيُّ ﷺ الحمارَ فكلَّمَه الحمارُ ، فقال له : « ما اسمُك » قال : يزيدُ بنُ شهاب ، أخرج الله من نسل جَدّي ستين حِماراً كلُّهم لم يركبهم إلا نبي ، لم يبقَ من نسل جدّي غيري ، ولا من الأنبياء غيرك ، وقد كنتُ أتوقعُك أن تركبني ، قد كنتُ قبلَك لرجل يَهودي ، وكنتُ أعثر به عَمداً ، وكان يُجيعُ بطني ويضربُ ظهري ، فقال النبي ﷺ : « سمّيتُك يَعفور ، يا يعفورُ » قال : لبيك ، قال : « تشتهي الإناث ؟ » قال : لا ، فكانَ النبيُّ ﷺ يركبُه لحاجته ، فإذا نزلَ عنه بعثَ به إلى باب الرجل ، فيأتي البابَ فيقرعُه برأسه ، فإذا خرجَ إليه صاحبُ الدار أومأ إليه أن أَجِب رسولَ الله ﷺ ، فلما قُبض النبيُّ ﷺ جاء إلى بئرٍ كان لأبي الهيثم التَّيِّهَان فتردّى فيها ، فصارت قبرَه ، جزعاً منه على رسول الله ﷺ[١] .

حديث الحُمَّرة ، وهي طائرٌ مشهور

قال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا المَسعودي ، عن الحسن بن سعد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال :

كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فدخلَ رجلٌ غَيضَةً فأخرجَ بيضةَ حمَّرة ، فجاءت الحُمَّرة ترفُّ على رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال : « أيُّكم فجعَ هذه ؟ » فقال رجلٌ من القوم : أنا أخذتُ بيضتَها ، فقال « ردَّه ردَّه رحمةً بها »[٢] .

وروى البيهقي ، عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار : حدَّثنا أبو مُعاوية ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، قال :

كنا مع رسول الله في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حمَّرة فأخذناهما . قال : فجاءت الحمَّرة إلى رسول الله ﷺ وهي تُعَرِّشُ[٣] ، فقال : « من فَجَعَ هذه بفرخيها ؟ » قال : فقلنا : نحن ، قال : « رُدُّوهما » فرددناهما إلى موضعهما ، فلم ترجع[٤] .

---

(١) الخبر باطل ولا أصل له ، وكان الأولى بالحافظ ابن كثير أن يضرب صفحاً عنه ، وهو القائل في كتابه الفصول (ص٢٣٢) بعد أن أشار إليه : فهذا شيء باطل لا أصل له من طريق صحيح ولا ضعيف ، إلا ماذكره أبو محمد بن أبي حاتم من طريق منكر مردود ، ولا يشك أهل العلم بهذا الشأن أنه موضوع . وقد ذكر هذا أبو إسحاق الإسفراييني ، وإمام الحرمين ، حتى ذكره القاضي عياض في كتابه الشفاء استطراداً ، وكان الأولى ترك ذكره ؛ لأنه موضوع . سألت شيخنا أبا الحجاج عنه فقال : ليس له أصل وهو ضحكة .

(٢) مسند الطيالسي (ص٤٤) رقم (٣٣٦) ودلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٢) وهو حديث حسن .

(٣) « تعرّش » : ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها . ووردت في الدلائل وسنن أبي داود : تفرش . وهو تحريف ظاهر .

(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٣) وقد رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٣٩) وصححه ، ووافقه الذهبي . ورواه =

حديث آخر في ذلك ، وفيه غرابة : قال البيهقيُّ : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن الحسين بن داود العلوي ، قالا : حدَّثنا أبو العباس محمد بن يَعقوب الأموي ، حدَّثنا محمد بن عُبيد بن عتبة الكندي ، حدَّثنا محمد بن الصَّلت ، حدَّثنا حِبَّان ، حدَّثنا أبو سعيد البقال ، عن عِكرمة ، عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما ، قال :

كان رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ الحاجةَ أبعدَ ، قال : فذهبَ يوماً فقعدَ تحتَ سَمُرَةٍ ونزعَ خفيّه ، قال : ولبسَ أحدَهما ، فجاءَ طيرٌ فأخذَ الخفَّ الآخرَ فحلَّقَ به في السماء . فانسلتَ منه أسودُ سَالخٌ[١] . فقال رسولُ الله ﷺ : « هذه كرامةٌ أكرمني الله بها ، اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ ما مَشى على رجليه ، ومن شَرِّ ما يَمشي على بطنِه »[٢] .

(باب ما جاء في إضاءة عصا الرجلين من أصحاب النبي ﷺ حين خرجا من عنده)[٣]

قال البخاري[٤] : حدَّثنا محمد بن المثنى ، حدَّثنا مُعاذ ، حدَّثني أبي ، عن قتادة ، قال : حدَّثنا أنس بن مالك :

أن رجلين من أصحاب النبيِّ ﷺ خرجا من عند النبيّ ﷺ في ليلة مظلمة ، ومعهما مثلُ المِصباحين بين أيديهما ، فلما افترقا صارَ مع كلِّ واحدٍ منهما واحدٌ حتى أتى أهله .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ثابت ، عن أنس :

أن أسيد بن حُضير الأنصاري ورجلاً آخر من الأنصار تحدَّثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما ، حتى ذهب من الليل ساعة ، وهي ليلة شديدة الظلمة حتى خرجا من عند رسول الله ﷺ يَنقلبان ، وبيد كل واحد منهما عصية ، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مَشيا في ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطريقُ أضاءت للآخر عصاه ، حتى مشى في ضوئها حتى أتى كلُّ واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله[٥] .

= أبو داود في سننه رقم (٢٦٧٥) في الجهاد ، ورقم (٥٢٦٨) في الأدب عن محبوب بن موسى ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن ابن سعد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه .

(١) « سالخ » : اسم الأسود من الحيّات ، شديد السَّواد ، سُمي بذلك لأنه يسلخ جلده كل سنة .

(٢) وهو عند الطبراني في « الأوسط » رقم (٩٣٠٠) وفي سنده سعد بن طريف ، وهو متروك كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب ، ورماه ابن حبان بالوضع .

(٣) هذا العنوان أثبته من دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٧٧) ، وفي الأصل : حديث آخر ولا صلة له بما قبله .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٦٥) في الصلاة و (٣٦٣٩) في المناقب .

(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٧٧ ـ ٧٨) . وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٨٠) رقم (٢٠٥٤١) ورواه عنه =

وقد علَّقه البخاري[١] . فقال : وقال معمر ، فذكره .

وعلَّقه البخاريُّ أيضاً ، عن حمَّاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : أن عبَّاد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ ، فذكر مثله .

وقد رواه النسائي[٢] ، عن أبي بكر بن نافع عن بَهز بن أسد .

وأسنده البيهقي من طريق يزيد بن هارون كلاهما ، عن حماد بن سلمة ، به .

حديث آخر : قال البيهقي[٣] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الأصبهاني ، حدَّثنا أحمد بن مهران ، حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا كامل بن العلاء ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . قال :

كنا نُصلّي مع رسول الله ﷺ العِشَاءَ ، وكان يُصلّي فإذا سجدَ وثبَ الحسنُ والحسين على ظهره ، فإذا رفعَ رأسَه أخذَهما فوضعهما وضعاً رفيقاً ، فإذا عادَ عادا ، فلما صلَّى جعلَ واحداً هاهنا وواحداً هاهنا ، فجئتُه فقلتُ : يا رسولَ الله ، ألا أذهبُ بهما إلى أمّهما ؟ قال : « لا » . فبرَقت بَرقةٌ[٤] فقال : « الحقا بأمّكما » فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا[٥] .

حديث آخر : قال البخاري في « التاريخ »[٦] : حدَّثني أحمد بن الحجَّاج ، حدَّثنا سفيان بن حمزة ، عن كثير بن زيد ، عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمي ، عن أبيه ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ فتفرَّقنا في ليلة ظلماءَ دَحمسَةٍ ، فأضاءت أصابعي حتى جَمَعُوا عليها ظهرَهم وما هلكَ منهم ، وإن أصابعي لتُنير .

ورواه البيهقي[٧] من حديث إبراهيم بن المنذر الحِزامي ، عن سفيان بن حمزة .

= الحافظ ابن حجر في كتابه تغليق التعليق (٤/ ٧٨) وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (٢/ ٨٠) وعزاه لابن سعد ، والحاكم ، والبيهقي ، وأبي نعيم .

(١) علقهما البخاري في صحيحه بعد رقم (٣٨٠٥) في مناقب الأنصار . وقد وصلهما ابن حجر في كتابه تغليق التعليق (٤/ ٧٨ ـ ٧٩) . وحديث ثابت عن أنس رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٩٠ و ٢٧٢) والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨٨) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

(٢) في المناقب من سننه الكبرى (٨٢٤٥) وهو في فضائل الصحابة ، له (١٤١) .

(٣) في الدلائل (٦/ ٧٦) .

(٤) « برقت برقة » : أظهرت ضوءاً متلألئاً .

(٥) ورواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٥١٣) وإسناده حسن من أجل كامل بن العلاء ، فهو حسن الحديث .

(٦) رواه البخاري في التاريخ (٢/ ١/ ٤٦) .

(٧) في الدلائل (٦/ ٧٩) .

ورواه الطبراني[١] من حديث إبراهيم بن حمزة الزهري ، عن سفيان بن حمزة ، به .

حديث آخر : قال البيهقي[٢] : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو أحمد بن عبد الله المزني ، حدَّثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدَّثنا أبو كُريب ، حدَّثنا زيدُ بن الحُباب ، حدَّثنا عبدُ الحميد بن أبي عَبس الأنصاري من بني حارثةَ ، أخبرني ميمون بن زيد بن أبي عبس ، أخبرني أبي :

أنَّ أبا عبسٍ ، كان يُصلّي مع رسولِ الله ﷺ الصلواتِ ثم يرجعُ إلى بني حارثةَ ، فخرجَ في ليلةٍ مظلمةٍ مَطيرةٍ ، فنُوِّر له في عصاه حتى دخلَ دارَ بني حارثة .

قال البيهقي : أبو عبس ممن شَهِدَ بدراً .

قلتُ : وروينا عن يزيد بن الأسود ، وهو من التابعين ، أنه كان يشهدُ الصَّلاةَ بجامعِ دمشق من جسرين فربما أضاءت له إبهامُ قدمه في الليلة المظلمة[٣] .

وقد قدَّمنا في قصة إسلام الطُّفيل بن عمرو الدَّوسي بمكّةَ قبلَ الهجرة ، وأنه سألَ رسولَ الله ﷺ بآيةٍ يدعو قومَه بها ، فلما ذهبَ إليهم وانهبَطَ من الثنيّة أضاءَ له نورٌ بين عينيه . فقال : اللهم لا يقولوا : هو مُثلَة . فحوَّله الله إلى طرف سَوطِه حتى جعلُوا يَرونه مثلَ القِنديل .

حديث آخر فيه كرامةٌ لتميم الداري : روى الحافظ البيهقي ، من حديث عفَّان بن مسلم ، عن حمَّاد بن سلمة ، عن الجريري ، (عن أبي العلاء)[٤] عن معاوية بن حرمل[٥] ، قال :

خرجت نارٌ بالحرة فجاءَ عمر إلى تميمٍ الداريّ فقال : قم إلى هذه النار ، قال : يا أمير المؤمنين ، ومن أنا وما أنا ؟ قال : فلم يزل به حتى قامَ معه ، قال : وتبعتُهما ، فانطلقا إلى النَّار ، فجعلَ تميمٌ

---

(١) في المعجم الكبير (٣/ ١٥٩) رقم (٢٩٩١) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤١١) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات ، وفي كثير بن زيد خلاف .
و« دحمسة » : شديدة الظلام .

(٢) في دلائل النبوة (٦/ ٧٨ ـ ٧٩) ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) وقال الذهبي : مرسل ، لأن الحاكم لم يذكر في الإسناد ميمون بن زيد بن أبي عبس . ورواه أبو نعيم في الدلائل رقم (٥٠٤) ، وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (٢/ ٣٢٢) ، وفيه مجاهيل .

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٧/ ٣١٨) وذكر قرية زبدين ، وهي قريبة من جسرين .

(٤) ما بين قوسين ساقط من الأصل والمطبوع واستدركته من دلائل النبوة ، وأبو العلاء هذا ، هو يزيد به عبد الله بن الشخير العامري .

(٥) معاوية بن حرمل الحنفي صهر مسيلمة الكذاب ، له إدراك ، وكان مع مسيلمة في الردة ثم قدم على عمر تائباً (الإصابة ٣/ ٤٩٧) .

يَحوشُها بيديه حتى دخلت الشِّعبَ ، ودخل تميمٌ خلفَها ، قال : فجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم ير ، قالها ثلاثاً[١] .

حديث فيه كرامة لوليّ من هذه الأمة

وهي معدودةٌ من المعجزات ، لأن كلَّ ما يثبتُ لوليٍّ فهو معجزةٌ لنبيه .

قال الحسن بن عرفة : حدَّثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي سَبرة النخعي ، قال :

أقبلَ رجلٌ من اليمن فلما كان ببعض الطريق ، نَفَقَ حمارُه ، فقامَ فتوضأ ثم صلَّى ركعتين ، ثم قال : اللهم إني جئتُ من الدثينة[٢] مُجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتِك ، وأنا أشهدُ أنك تُحيي الموتى وتبعثُ مَن في القبور ، لا تجعل لأحدٍ عليَّ اليومَ مِنّة ، أطلبُ إليك اليومَ أن تبعثَ حِمَاري ، فقامَ الحِمَارُ ينفضُ أُذنيه[٣] .

قال البيهقي : هذا إسناد صحيح ، ومثلُ هذا يكون كرامةً لصاحب الشريعة .

قال البيهقي : وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي وغيره ، عن محمد بن عُبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، وكأنه عند إسماعيل[٤] عنهما ، والله أعلم .

طريق أخرى : قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب « من عاش بعد الموت » : حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل وأحمدُ بن بُجَير وغيرهما ، قالوا : حدَّثنا محمد بن عُبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي :

أن قوماً أقبلوا من اليمن مُتطوّعين في سبيل الله ، فنفَقَ حِمَارُ رجلٍ منهم ، فأرادُوه أن ينطلقَ معهم فأبى فقامَ فتوضأ وصلَّى ثم قال : اللهم إني جئتُ من الدثينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مَرضاتك ، وإني أشهدُ أنك تُحيي الموتى وتبعثُ من في القبور ، لا تجعل لأحدٍ عليَّ مِنّة ، فإني أطلبُ إليك أن تبعثَ لي حِماري ، ثم قام إلى الحمار ، فقامَ الحمارُ ينفضُ أذنيه فأسرَجَه وألجمَه ، ثم ركبَه وأجراه ، فلحقَ بأصحابه ، فقالوا له : ما شأنُك ؟ قال : شأني أن الله بعثَ حماري[٥] .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٨٠) وقد نقله ابن كثير مختصراً .

(٢) كذا في الأصل وفي المطبوع : الدفينة ؛ وهي ناحية بين الجَنَد وعدن . . . وقال الزمخشري : الدثينة والدفينة منزل لبني سُليم . معجم البلدان (٢/ ٤٤٠) .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٨) .

(٤) كذا في الأصل ، وفي دلائل البيهقي : وكأنه سمعه منهما .

(٥) من عاش بعد الموت ؛ لابن أبي الدنيا (ص٦٨) ودلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٩) .

قال الشعبي : فأنا رأيتُ الحِمار بيع أو يُباع في الكُناسة ـ يعني بالكوفة ـ .

قال ابن أبي الدنيا : وأخبرني العباسُ بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن مسلم بن عبد الله بن شريك النخعي ، أن صاحبَ الحِمار رجلٌ من النَّخع ، يُقال له : نُباتة بن يزيد خرجَ في زمنِ عمرَ غازياً ، حتى إذا كان بِشِقِّ[1] عُمَيرَةَ نفقَ حمارُه ، فذكرَ القِصَّة[2] . غير أنه قال : فباعَه بعدُ بالكُناسة ، فقيل له : تبيعُ حمارك وقد أحياه الله لك ؟ قال : فكيف أصنعُ ؟ وقد قال رجلٌ من رهطه ثلاثةَ أبياتٍ ، فحفظتُ هذا البيت :

وَمِنَّـا الَّـذي أَحيـا الإلـٰهُ حِمَـارَهُ ... وَقَد مَاتَ مِنهُ كُلُّ عُضوٍ ومَفصِلِ

وقد ذكرنا في باب رَضاعه عليه الصلاة والسلام ، ما كان من حمارة حليمة السعدية ، وكيف كانت تسبقُ الركابَ في رجوعها لمَّا ركبَ معها عليها رسول الله ﷺ وهو رضيع ، وقد كانت أَذَمَّت[3] بالركب في مسيرهم إلى مكة .

وكذلك ظهرت بركتُه عليهم في شارفهم ـ وهي الناقةُ التي كانوا يحلبُونها ـ وشياههم وسمنها وكثرة ألبانها ، صلوات الله وسلامه عليه .

قصة أخرى مع قصة العلاء بن الحضرمي

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدَّثني خالد بن خِدَاش بن عَجلان المُهلّبي وإسماعيل بن إبراهيم بن بَشَّار ، قالا : حدَّثنا صالح المُرّي ، عن ثابت البُناني ، عن أنس بن مالك قال : عدنا شاباً من الأنصار ، فما كان بأسرعَ من أن ماتَ ، فأغمضناه ومدَدنا عليه الثوبَ ، وقال بعضُنا لأمه : احتسبيه ، قالت : وقد مات ؟ قلنا : نعم ، فمدَّت يَدَيها إلى السماء وقالت : اللهم إني آمنتُ بك ، وهاجرتُ إلى رسولك ، فإذا نزلت بي شدةٌ دعوتُك ففَرَّجتَهَا ، فأسألُك اللهم لا تحمل عليَّ هذه المصيبةَ اليوم ، قال : فكشفَ الثوبَ عن وجهه ، فما بَرِحنَا حتى أكلنَا وأكلَ معنا .

وقد رواه البيهقي ، عن أبي سعيد الماليني عن ابن عدي ، عن محمد بن طاهر بن أبي الدُّميك ، عن عُبيد الله بن عائشة[4] ، عن صالح بن بشير المرِّي ـ أحد زُهَّاد البصرة وعُبَّادها ـ مع لين في حديثه عن

---

(١) كذا في الأصل ، وفي دلائل البيهقي : بِسِرِّ عَميرة .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٩) .
(٣) « أذمّت » : أبطأت .
(٤) في المطبوع : « عبد الله بن عائشة » ، وفي المطبوع من دلائل البيهقي : « عُبيد بن عائشة » وكله تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، وهو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر التيمي ، وقيل له ابن عائشة ، لأنه من ذرية عائشة بنت طلحة ، كما في التهذيب وفروعه .

أنس ، فذكرَ القصةَ ، وفيه أن أمَّ السائبِ كانت عجوزاً عمياء[١] .

قال البيهقي : وقد رُوي من وجه آخر مرسل ـ يعني فيه انقطاع ـ عن ابن عدي وأنس بن مالك .

ثم ساقَه من طريق عيسى بن يُونس ، عن عبد الله بن عون ، عن أنس ، قال :

أدركتُ في هذه الأمة ثلاثاً لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمتها الأممُ، قلنا : ما هي يا أبا حمزة؟ قال :

كنّا في الصُّفة عند رسول الله ﷺ فأتته امرأةٌ مُهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضافَ المرأةَ إلى النساء ، وأضاف ابنها إلينا ، فلم يلبث أن أصابَه وباءُ المدينة فمرضَ أياماً ثم قُبِضَ ، فغمَّضَه النبيُّ ﷺ وأمرَ بجهازه ، فلما أردنَا أن نغسلَه ، قال : « يا أنسُ ، ائتِ أمَّه فأعلمها » فأعلمتُها ، قال : فجاءت حتى جلست عند قدميه ، فأخذت بهما ، ثم قالت : اللهم إني أسلمتُ لك طوعاً ، وخالفتُ الأوثان زُهداً ، وهاجرتُ لك رغبةً ، اللهم لا تشمِّت بي عَبَدةَ الأوثان ، ولا تحمِّلني من هذه المُصيبةِ ما لا طاقةَ لي بحملها ، قال : فوالله ما انقضى كلامُها حتى حرَّكَ قدميه وألقى الثوبَ عن وجهِه وعاشَ حتى قَبَضَ الله رسولَه ﷺ ، وحتى هَلَكت أمُّه .

قال : ثم جهَّزَ عمرُ بن الخطاب جَيشاً واستعملَ عليهم العلاء بن الحضرمي ، قال أنس : وكنتُ في غزاتِه فأتينا مغازينا ، فوجدنا القومَ قد نذروا بنا فعَفوا آثارَ الماء ، والحرُّ شديد ، فجَهَدنَا العطشُ ودوابَّنَا ، وذلك يوم الجمعة ، فلما مالتِ الشمسُ لغروبها صلّى بنا ركعتين ، ثم مدَّ يدَه إلى السماء ، وما نرى في السماء شيئاً . قال : فوالله ما حطَّ يدَه حتى بعثَ الله ريحاً وأنشأ سَحاباً ، وأفرغت حتى ملأت الغُدُرَ والشِّعاب ، فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا ، ثم أتينا عدوّنا وقد جَاوزوا خليجاً في البحر إلى جزيرة ، فوقفَ على الخليج وقال : يا عليُّ ، يا عظيمُ ، يا حليمُ ، يا كريمُ ، ثم قال : أجيزوا باسم الله ، قال : فأجزنا ما يبلُّ الماءُ حوافرَ دوابنا ، فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدوَّ عليه فقتلنا وأسرنا وسبينا ، ثم أتينا الخليجَ ، فقال مثلَ مقالته ، فأجزنا ما يبلُّ الماءُ حوافرَ دوابِّنا ، قال : فلم نلبث إلا يسيراً حتى رُمي[٢] في جنازته ، قال : فحفرنا له وغسَّلناه ودفناه ، فأتى رجلٌ بعد فراغِنَا من دفنه ، فقال : من هذا ؟ فقلنا : هذا خيرُ البشر ، هذا ابنُ الحضرميّ ، فقال : إن هذه الأرض تلفظُ الموتى ، فلو نقلتُموه إلى مِيل أو ميلين ، إلى أرض تقبلُ الموتى ، فقلنا : ما جزاءُ صاحبِنا أن نُعَرِّضَه للسباع تأكلُه ، قال : فاجتمعنا على نبشِه ، فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبُنا ليس فيه ، وإذا اللحدُ مدَّ البصر نورٌ يتلألأ ، قال : فأعدنا الترابَ إلى اللحد ثم ارتحلنا[٣] .

---

(١) من عاش بعد الموت ؛ لابن أبي الدنيا (ص٢٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٥١ـ٥٢) .

(٢) في دلائل البيهقي : حتى رؤي في دفنه .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥١ـ٥٣) . ويعارض هذا الخبر ؛ أن العلاء بن الحضرمي عاش إلى أيام عمر بن الخطاب=

قال البيهقي[١] رحمه الله : وقد رُوي عن أبي هريرة في قصة العلاء بن الحضرمي في استسقائه ، ومشيهم على الماء ، دون قصة الموت ، بنحو من هذا .

وذكر البخاريُّ[٢] في « التاريخ » لهذه القصة إسناداً آخر .

وقد أسندَه ابنُ أبي الدنيا ، عن أبي كُريب ، عن محمد بن فُضيل ، عن الصلت بن مطر العجلي ، عن عبد الملك بن سهم ، عن سهم بن منجاب ، قال :

غزونا مع العلاء بن الحضرمي ، فذكرَه . وقال في الدعاء : يا عليمُ ، يا حليمُ ، ويا عليُّ ، يا عظيمُ ، إنا عبيدُك وفي سبيلك نقاتلُ عدوَّك ، اسقنا غَيثاً نشربُ منه ونتوضَّأ ، فإذا تركناه فلا تجعل لأحدٍ فيه نصيباً غيرَنا . وقال في البحر : اجعل لنا سبيلاً إلى عدوِّك . وقال في الموت : اخفِ جثتي ولا تُطلع على عورتي أحداً ، فلم يُقدَر عليه[٣] . والله أعلم .

قصة أخرى : قال البيهقي : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، أنبأنا إسماعيل الصفَّار ، حدَّثنا الحسن بن علي بن عثمان ، حدَّثنا ابن نُمير ، عن الأعمش ، عن بعض أصحابه قال :

انتهينا إلى دجلةَ وهي مادَّةٌ والأعاجمُ خلفَها ، فقال رجلٌ من المسلمين : باسم الله ، ثم اقتحمَ بفرسِه فارتفعَ على الماء ، فقال الناس : باسم الله ، ثم اقتحموا فارتفعُوا على الماء ، فنظر إليهم الأعاجمُ وقالوا : ديوان ديوان[٤] ، ثم ذَهبوا على وجوههم . قال : فما فقدَ الناسُ إلا قدحاً كان مُعلّقاً بِعَذبَةِ سَرجٍ ، فلما خرجوا أصابوا الغنائمَ فاقتسمُوها ، فجعلَ الرجلُ يقول : من يُبادِلُ صفراءَ ببيضاء ؟

قصة أخرى : قال البيهقي[٥] : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمي ، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن محمد السمري ، حدَّثنا أبو العباس السرَّاج ، حدَّثنا الفضل بن سهل وهارون بن عبد الله ، قالا : حدَّثنا أبو النضر ، حدَّثنا سُليمان بن المغيرة : أن أبا مسلم الخولاني جاءَ إلى دجلةَ ، وهي ترمي بالخشب من مَـدِّها ، فمشى على الماء والتفتَ إلى أصحابه ، وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعو الله عزّ وجلّ ؟

قال البيهقي : هذا إسناد صحيح .

= وتوفي بالبصرة .

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥٣) .

(٢) التاريخ الكبير ؛ للبخاري (٣/ ٢/ ٥٠٦) .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٦٣) .

(٤) لفظة فارسية تعني : جِنِّي ، عفريت .

(٥) في الدلائل (٦/ ٥٤) .

قلتُ : وستأتي[١] قصة أبي مسلم الخولاني ـ واسمه عبد الله بن ثُوَب ـ مع الأسود العنسي حين ألقاه في النار ، فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على الخليل إبراهيم عليه السلام .

قصة زيد بن خارجة وكلامُه بعدَ الموت

وشهادتُه بالرسالة لمحمد ﷺ ، وبالخلافة لأبي بكر الصديق ، ثم لعمر ، ثم لعثمان رضي الله عنهم .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي[٢] : أخبرنا أبو صالح بن أبي طاهر العنبري ، أنبأنا جدي يحيى بن منصور القاضي ، حدَّثنا أبو علي محمد بن عمرو كشمرد ، أنبأنا القعنبي ، حدَّثنا سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيّب :

أن زيدَ بن خارجة الأنصاري ، ثم من بني الحارث بن الخزرج تُوفي زمنَ عثمانَ بن عفانَ ، فسُجِّي بثوبه ، ثم إنهم سمعوا جلجلةً في صدره ، ثم تكلَّم ، ثم قال : أحمدُ أحمدُ في الكتاب الأول ، صدقَ صدقَ أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القويّ في أمر الله في الكتاب الأول ، صدقَ صدقَ عمرُ بن الخطاب القويُّ الأمينُ في الكتاب الأول ، صدقَ صدقَ عثمانُ بن عفان على منهاجهم ، مضت أربعٌ وبقيت اثنتان ، أتت الفتنُ ، وأكلَ الشديدُ الضعيفَ ، وقامتِ السَّاعةُ وسيأتيكم عن جيشكم خبر ، بئر أريس ، وما بئر أريس .

قال يحيى : قال سعيد : ثم هلكَ رجلٌ من بني خَطمة ، فسُجِّيَ بثوبه ، فسُمع جلجلةٌ في صدره ، ثم تكلَّم ، فقال : إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدقَ صدقَ .

ثم رواه البيهقيُّ ، عن الحاكم ، عن أبي بكر بن إسحاق ، عن موسى بن الحسن[٣] ، عن القعنبي ، فذكره . وقال : هذا إسناد صحيح ، وله شواهد[٤] .

ثم ساقه من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا ، في كتاب « من عاش بعد الموت » : حدَّثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس ، حدَّثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبي خالد . قال :

جاءنا يزيدُ بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن ، بكتاب أبيه النعمان بن بشير ـ يعني إلى أمه ـ بسم الله الرحمن الرحيم ، من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبي هاشم ، سلامٌ عليكِ ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، فإنَّكِ كتبتِ إليَّ لأكتبَ إليكِ بشأن زيد بن خارجة ، وأنه كان من

---

(١) في الشمائل المطبوع ، بتحقيق د . مصطفى عبد الواحد (ص٢٩٨) : وقد ذكرنا . فلعل ذلك في نسخة .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥٥) .
(٣) في دلائل البيهقي عن قريش بن الحسن .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥٦) .

شأنه أنه أخذَه وجعٌ في حَلقِه ، وهو يومئذٍ من أصحِّ الناس[١] ـ أو أهل المدينة ـ فتوفي بين صلاة الأُولى وصلاة العصر ، فأضجعنَاه لظهره وغشّيناه ببردين وكساء .

فأتاني آتٍ في مقامي ، وأنا أسبِّح بعد المغرب ، فقال : إن زيداً قد تكلَّم بعد وفاته ، فانصرفتُ إليه مسرعاً ، وقد حضرَه قومٌ من الأنصار ، وهو يقولُ أو يُقال على لسانه : الأوسطُ أجلدُ الثلاثة[٢] ، الذي كان لا يُبالي في الله لومةَ لائم ، كان لا يأمرُ الناسَ أن يأكلَ قويُّهم ضعيفَهم ، عبدُ الله أميرُ المؤمنين ، صدقَ صدقَ كان ذلك في الكتاب الأول . ثم قال : عثمانُ أميرُ المؤمنين وهو يُعافي الناسَ من ذنوب كثيرة ، خَلَتِ اثنتان[٣] وبقيَ أربع ، ثم اختلفَ الناسُ وأكلَ بعضُهم بعضاً فلا نظام وأُبيحت الأحماء[٤] ، ثم ارعوى المؤمنون وقالوا : كتاب الله وقدره ، أيُّها الناس : أقبلوا على أميركم واسمعوا وأطيعوا ، فمن تولَّى فلا يعهدَن ذمّاً ، وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً ، الله أكبر هذه الجنة وهذه النار ، ويقول النبيون والصدِّيقون : سلامٌ عليكم . يا عبدَ الله بنَ رواحة ، هل أحسست لي خارجة ، لأبيه ، وسعداً اللذين قُتلا يومَ أحد ؟ ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ [المعارج : ١٥ ـ ١٨] ثم خفتت صوتُه ، فسألتُ الرَّهطَ عما سبقني من كلامه ، فقالوا : سمعناه يقول : أنصتوا أنصتوا ، فنظرَ بعضُنا إلى بعض ، فإذا الصوتُ من تحتِ الثياب ، قال : فكشفنا عن وجههِ فقال : هذا أحمدُ رسولُ الله ، سلامٌ عليك يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاتُه ، ثم قال : أبو بكر الصدِّيقُ الأمين ، خليفةُ رسول الله ، كان ضعيفاً في جسمه ، قوياً في أمر الله ، صدقَ صدقَ وكان في الكتاب الأول[٥] .

ثم رواه الحافظ البيهقي عن أبي نصر بن قتادة ، عن أبي عمرو بن نجيد ، عن علي بن الحسين بن الجنيد ، عن المُعَافى بن سُليمان ، عن زهير بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، فذكره[٦] . وقال : هذا إسناد صحيح .

وقد روى هشام بن عمَّار في كتاب « البعث » عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : حدَّثني عُمير بن هانئ ، حدَّثني النعمان بن بشير ، قال : تُوفي رجلٌ منا يقال له : زيدُ بن خارجة فسجَّينا عليه ثوباً ، فذكرَ نحو ما تقدم .

---

(١) في دلائل البيهقي : من أصح أهل المدينة من غير شك .
(٢) في دلائل البيهقي : أجلد القوم .
(٣) في دلائل البيهقي : خلت ليلتان وهي أربع . وفيها تحريف ظاهر .
(٤) كذا في دلائل البيهقي (٦/ ٥٦) وفي الشمائل : وأنتجت الأكماء والرسم في (أ) يحتمل التحريف .
(٥) من عاش بعد الموت ؛ لابن أبي الدنيا (ص٣٢) ودلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥٧) .
(٦) المصدر السابق (٦/ ٥٧) .

قال البيهقي : وروي ذلك عن حبيب بن سالم ، عن النعمان بن بشير ، وذكرَ فيها بئرَ أريس ، كما ذكرنا في رواية ابن المسيّب .

قال البيهقي[١] : والأمرُ فيها : أن النبيَّ ﷺ اتخذَ خاتماً فكان في يده ، ثم كان في يد أبي بكر من بعده ، ثم كان في يد عمر ، ثم كان في يدِ عثمان حتى وقعَ منه في بئر أريس بعدما مضى من خلافته ستّ سنين ، فعند ذلك تغيَّرت عمّاله ، وظهرت أسبابُ الفتن ، كما قيل على لسان زيد بن خارجة .

قلت : وهي المرادة من قوله : مضت اثنتان وبقي أربع ، أو مضت أربع وبقي اثنتان ، على اختلاف الرواية ، والله أعلم .

وقد قال البخاري[٢] في « التاريخ » : زيدُ بن خارجة الخزرجي الأنصاري شهِدَ بدراً ، تُوفي زمنَ عثمان ، وهو الذي تكلَّم بعد الموت .

قال البيهقي[٣] : وقد روي في التكلّم بعد الموت ، عن جماعة بأسانيد صحيحة ، والله أعلم .

قال ابن أبي الدنيا : حدَّثنا خلف بن هشام البزَّار ، حدَّثنا خالد الطحان ، عن حصين ، عن عبد الله بن عُبيد الأنصاري :

أن رجلاً من بني[٤] سلمة تكلَّم فقال : محمدٌ رسولُ الله ، أبو بكر الصدّيق ، عثمان اللّين الرحيم ، قال : ولا أدري إيش قال في عمر[٥] .

كذا رواه ابن أبي الدنيا في كتابه[٦] .

وقد قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا يحيى بن أبي طالب ، أخبرنا علي بن عاصم ، أخبرنا حُصَينُ بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عُبيد الأنصاري ، قال :

بينما هم يُثوِّرون[٧] القتلى يوم صفين أو يوم الجمل ، إذ تكلَّم رجلٌ من الأنصار من القتلى ، فقال : محمدٌ رسولُ الله ، أبو بكرٍ الصدّيق ، عمرُ الشهيد ، عثمان الرحيم ، ثم سكت[٨] .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥٧) .
(٢) التاريخ الكبير ؛ للبخاري (٢/ ١/ ٣٨٢) .
(٣) دلائل النبوة (٦/ ٥٨) .
(٤) في دلائل البيهقي : من قتلى مسيلمة .
(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥٨) .
(٦) من عاش بعد الموت ؛ لابن أبي الدنيا (٣٧) وفي إسناده عبد الله بن عبيد الأنصاري مجهول .
(٧) « يُثوِّرون » : يرفعون القتلى للدفن .
(٨) دلائل النبوة (٦/ ٥٨) وفي إسناده عبد الله بن عبيد الأنصاري ، قال الحافظ في التقريب : مجهول .

وقال هشامُ بن عمَّار في كتاب « البعث » :

باب
في كلام الأموات وعجائبهم

حدَّثنا الحكم بن هشام الثقفي ، حدَّثنا عبد الحكم بن عُمير ، عن رِبعي بن حِرَاش[١] العبسي قال : مرض أخي : الربيع بن حِرَاش ، فمرَّضتُه ثم ماتَ فذهبنا نُجَهِّزه ، فلما جئنا رفعَ الثوبَ عن وجهه ثم قال : السلام عليكم ، قلنا : وعليكَ السلام ، قَد مِتَّ ، قال : بلى ، ولكن لقيتُ بعدَكم ربي ولقيني بروح ورَيحان وربّ غير غضبان ، ثم كساني ثياباً من سُندسٍ أخضر ، وإني سألتهُ أن يأذنَ لي أن أبشِّركم فأذنَ لي ، وإن الأمرَ كما ترون ، فسدِّدوا وقاربُوا ، وبشِّروا ولا تُنفِّروا ، فلما قالها كانت كحصاة وقعت في ماء .

ثم أورده بأسانيد كثيرة في هذا الباب ، وهي آخر كتابه .

حديث غريب جداً

قال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، حدَّثنا أحمد بن عُبيد الصَّفَّار ، حدَّثنا محمد بن يُونس الكُدَيميُّ ، حدَّثنا شاصُونة[٢] بن عُبيد أبو محمد اليَمَاني ـ وانصَرَفنا من عدن بقرية يقال لها الحَردَة ـ حدَّثني مُعَرِّضُ بن عبد الله بن مُعَرِّض بن مُعيقيب اليمامي ، عن أبيه ، عن جده قال :

حَجَجتُ حَجَّة الوداع فدخلتُ داراً بمكةَ فرأيتُ فيها رسولَ الله ﷺ ووجهُه مثلُ دَارةِ القمر ، وسمعتُ منه عجباً ، جاءه رجلٌ بغلامٍ يومَ وُلد ، فقال له رسول الله ﷺ : « مَن أنا ؟ » قال : أنت رسولُ الله ، قال : « صدقت ، بارك الله فيك » ثم قال : إن الغلامَ لم يتكلَّم بعد ذلك حتى شبَّ ، قال أبي : فكنا نُسَمِّيه مُبارك اليمامة ، قال شَاصُونةُ : وقد كنتُ أمرُّ على مَعمَرٍ فلا أسمعُ منه[٣] .

---

(١) رِبعي بن حِرَاش : أبو مريم العبسي ، الكوفي ، ثقة عابد ، مخضرم توفي سنة مئة ، وروى له الجماعة . تقريب التهذيب (ص٢٠٥) ترجمة رقم (١٨٧٩) .

(٢) وقع في الإصابة : « شاصوية » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه كما في تاريخ الخطيب ٦٩٨/٤ وتهذيب الكمال (٧٥/٢٧) كلاهما بتحقيق الدكتور بشار .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٥٩/٦) وفي إسناده : محمد بن يونس الكُديمي ؛ أحد المتروكين الوضَّاعين ، كان يضع على الثقات الحديث وضعاً ، ولعله وضع أكثر من ألف حديث . المجروحين (٣١٢/٢) والكامل في الضعفاء (٢٢٩٤/٦) . وذكر الحافظ ابن حجر الحديث في الإصابة (٤٤٥/٤) في ترجمة معرض بن معيقيب اليمامي : وقال عقبه : ومعرض وشيخه مجهولان وكذلك شاصونة ، واستنكروه على الكديمي .

قلت : هذا الحديث مما تكلَّم الناسُ في محمدِ بن يُونس الكُدَيمي بسببه وأنكروه عليه ، واستغربوا شيخه هذا ، وليس هذا مما يُنكر عقلاً ولا شرعاً ، فقد ثبتَ في الصحيح[١] في قصة جُرَيج العابد أنه استنطقَ ابنَ تلك البغيّ ، فقال له : يَا بَابُوسُ ، ابن من أنت ؟ قال : ابنُ الراعي ، فعلمَ بنو إسرائيل براءة عرض جريج مما كان نسب إليه . وقد تقدم ذلك .

على أنه قد رُوي هذا الحديث من غير طريق الكُدَيمي ، إلا أنه بإسناد غريب أيضاً .

قال البيهقي : أخبرنا أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمانَ الزاهدُ ، أنبأنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الغساني ـ بثغر صيدا ـ حدَّثنا العباس بن محبوب بن عثمان بن عبيد أبو الفضل ، حدَّثنا أبي ، حدَّثنا جدي شاصُونة بن عُبيد ، حدَّثني مُعرَّض بن عبد الله بن مُعرَّض بن مُعيقيب ، عن أبيه ، عن جده . قال :

حججتُ حجّةَ الوَداع فدخلتُ داراً بمكةَ فرأيتُ فيها رسولَ الله ﷺ وجهه كدارة القمر ، فسمعتُ منه عجباً ، أتاه رجلٌ من أهل اليمامة بغلام يوم وُلد ، وقد لفَّه في خِرقةٍ ، فقال له رسول الله ﷺ : « يا غلام ، من أنا ؟ » قال : أنتَ رسولُ الله ، فقال له : « باركَ الله فيك » ثم إن الغلامَ لم يتكلَّم بعدَها .

قال البيهقي[٢] : وقد ذكرَه شيخُنا أبو عبد الله الحافظ ، عن أبي الحسن علي بن العباس الورَّاق ، عن أبي الفضل أحمد بن خَلَف بن محمد المقري القزويني ، عن أبي الفضل العباس بن محمد بن شَاصُونة ، به .

قال الحاكم : وقد أخبرني الثقة من أصحابنا ، عن أبي عمر الزاهد ، قال :

لما دخلتُ اليمنَ دخلتُ حَردَة ، فسألتُ عن هذا الحديث فوجدتُ فيها لشاصُونة عَقباً ، وحُملتُ إلى قبره فزرتُه[٣] .

قال البيهقي[٤] : ولهذا الحديث أصل من حديث الكوفيين بإسناد مرسل يُخالفه في وقت الكلام .

ثم أوردَ من حديث وكيع ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن بعض أشياخه :

أن النبيَّ ﷺ أُتي بصبيٍّ قد شبَّ لم يتكلَّم قط ، قال : « من أنا ؟ » قال : أنت رسولُ الله[٥] .

---

(١) قصة جريج الإسرائيلي رواها البخاري في صحيحه رقم (١٢٠٦) في العمل في الصلاة ورقم (٣٤٣٦) في أحاديث الأنبياء ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٥٠) في البر والصلة .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥٩ ـ ٦٠) وإسناده تالف لوجود رواة مجهولين كما مرَّ في الحديث السابق .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٦٠) وذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤/ ٤٤٥) . وهذه القصة لا ترفع عن شاصونة الجهالة . وينظر كلام الخطيب على هذا الحديث .

(٤) دلائل النبوة (٦/ ٦٠) وهو مرسل كما ذكر المؤلف والمرسل ضعيف .

(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٦١) والخبر عند البيهقي والحاكم مرسل ، وشمر بن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي ، =

ثم روى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن بعض أشياخه ، قال :

جاءت امرأةٌ بابن لها قد تحرَّك فقالت : يا رسولَ الله ، إن ابني هذا لم يتكلَّم منذ وُلد ، فقال رسول الله ﷺ : « أدنيه مني » فأدنته منه ، فقال : « من أنا ؟ » فقال : أنتَ رسولُ الله .

قصة الصبي الذي كان يُصرع فدعا له عليه الصلاة والسلام فبرأ

قد تقدَّم ذلك من رواية أسامة بن زيد ، وجابر بن عبد الله ، ويعلى بن مرة الثقفي ، مع قصة الجمل . . . الحديث بطوله .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا حماد بن سلمة ، عن فَرقَد السَّبخي ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ :

أن امرأةً جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إن به لَمَماً[٢] وإنه يأخذُه عند طعامِنا فيفسدُ علينا طعامَنا ، قال : فَمسحَ رسولُ الله ﷺ صدرَه ودعا له فثَعَّ ثَعَّةً[٣] ، فخرجَ منه مِثلُ الجرو الأسود يَسعى[٤] ، تفرد به أحمد .

وفرقد السَّبخِي رجلٌ صالح ، ولكنه سيِّئ الحفظ ، وقد روى عنه شعبة وغيرُ واحد ، واحتُمِل حديثُه[٥] ، ولما رواه هاهنا شاهدٌ مما تقدم ، والله أعلم .

وقد تكون هذه القصة هي ما سبقَ إيرادُها ، ويُحتمل أن تكونَ أخرى غيرها ، والله أعلم .

حديثٌ آخر في ذلك : قال أبو بكر البزار : حدَّثنا محمد بن مرزوق ، حَدَّثنا مُسلم بن إبراهيم ، حدَّثنا صدقة ـ يعني ابن موسى ـ حدَّثنا فرقد ـ يعني السبخي ـ عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال :

كان النبيُّ ﷺ بمكّةَ فجاءته امرأةٌ من الأنصار ، فقالت : يا رسولَ الله إن هذا الخبيثَ قد غلَبني ، فقال لها : « إن تَصبِري على ما أنتِ عليه تجيئينَ يوم القيامة ليس عليك ذنوبٌ ولا حسابٌ » . قالت : والذي

= مجمع على توثيقه ، فلا معنى لقول الحافظ ابن حجر في التقريب : صدوق (تحرير التقريب ٢/ ١٢٠) .

(١) في المسند ١/ ٢٣٩ .

(٢) « لمم » : جنون .

(٣) « ثَعَّ » : قاء .

(٤) ورواه الدارمي رقم (١٩) والطبراني رقم (١٢٤٦٠) وإسناده ضعيف .

(٥) قلت : لا يحتمل ، فإن فرقداً السبخي ضعيف ضعفه الأئمة كما هو مبين في تحرير أحكام التقريب (٣/ ١٥٥) .

بعثكَ بالحقِّ لأصبرنَّ حتى ألقى الله ، قالت : إني أخافُ الخبيثَ أن يجرِّدَني ، فدعا لها ، فكانت إذا خشيت أن يأتيَها تأتي أستارَ الكعبة فتعلق بها ، وتقول له : اخسأ ، فيذهبُ عنها[١] .

قال البزار : لا نعلمُه يُروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه ، وصدقةُ ليس به بأس ، وفرقدٌ حدَّثَ عنه جماعةٌ من أهل العلم ، منهم شُعبة وغيرُه ، واحتُمِلَ حديثُه على سوء حفظه فيه .

طريق أخرى عن ابن عباس : قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن عمران بن مسلم أبي بكر ، حدَّثنا عطاء بن أبي رباح ، قال : قال لي ابنُ عباس :

ألا أُريك امرأةً من أهلِ الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه السوداءُ أتت رسولَ الله ﷺ فقالت : إني أُصرع وأتكشفُ ، فادعُ الله لي ، قال : « إن شئتِ صبرتِ ولك الجنّة ، وإن شئت دعوتُ الله لك أن يعافيَك » قالت : لا بل أصبرُ فادعُ الله ألا أنكشفَ ولا ينكشف عني ، فقال : فدعا لها .

وهكذا رواه البخاريُّ[٣] عن مُسدّد عن يحيى ـ وهو ابن سعيد القطّان ـ وأخرجه مسلم[٤] عن القواريري ، عن يحيى القطان ، وبشر بن الفضل ، كلاهما عن عمران بن مسلم أبي بكر الفقيه البصري ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، فذكر مثله ثم قال البخاريُّ : حدَّثنا محمد ، حدَّثنا مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاءٌ ؛ أنه رأى أمَّ زُفَر تلك امرأةٌ طويلةٌ سوداء على ستر الكعبة .

وقد ذكر الحافظ ابن الأثير في « الغابة »[٥] أن أمَّ زفر هذه كانت مَشَّاطةَ خديجة بنت خُويلد قديماً ، وأنها عُمِّرتْ حتى أدركَها عطاءُ بن أبي رباح ، فالله أعلم .

حديث آخر : قال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عَبدان ، أخبرنا أحمد بن عُبيد ، حدَّثنا محمد بن يونس ، حدَّثنا قُرة بن حبيب القَنوي ، حدَّثنا إياس بن أبي تميمة ، عن عطاء ، عن أبي هريرة ، قال :

جاءت الحمّى إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسولَ الله ابعثني إلى أحبِّ قومِك إليكَ ـ أو أحبِّ أصحابك إليك ـ شكَّ قرَّةُ ، فقال : « اذهبي إلى الأنصار » فذهبت إليهم فصرعتهم ، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسولَ الله قد أتت الحمّى علينا ، فادعُ الله لنا بالشفاء ، فدعَا لهم ، فكُشِفَت عنهم ، قال : فاتَّبَعتْهُ امرأةٌ فقالت : يا رسولَ الله ، ادعُ الله لي ، فإني من الأنصار (وإن أبي لمن

---

(١) كشف الأستار (١/ ٣٦٧) رقم (٧٧٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٧) وقال : رواه البزار ، وفيه فرقد السبخي ضعيف .

(٢) مسند أحمد (١/ ٣٤٦ـ٣٤٧) .

(٣) في صحيحه (٥٦٥٢) في المرضى .

(٤) في صحيحه (٢٥٧٦) في البر والصلة .

(٥) أسد الغابة ؛ لابن الأثير (٥/ ٥٨٤) .

الأنصار) ، فادع الله كما دعوت لهم ، فقال : « أيُّهما أحبُّ إليك أن أدعوَ لك فيكشفَ عنك ، أو تصبرينَ وتجبُ لك الجنة ؟ » فقالت : لا والله يا رسولَ الله بل أصبرُ ثلاثاً ولا أجعلُ والله لجنته خطراً[١] .

محمد بن يونس الكديمي ضعيف .

وقد قال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصَّفار ، حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدَّثنا أبي ، حدَّثنا هشام بن لاحق ـ سنة خمس وثمانين ومئة ـ حدَّثنا عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النَّهدي ، عن سلمان الفارسي ، قال :

استأذنتِ الحمَّى على رسول الله ﷺ فقال : « من أنتِ ؟ » قالت : أنا الحمَّى ، أبري اللحم ، وأمصُّ الدَّمَ ، قال : « اذهبي إلى أهل قباء » فأتتهم ، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وقد اصفرَّت وجوهُهم ، فشكوا إليه الحمّى ، فقال لهم : « ما شئتم ؟ إن شئتم دعوتُ الله فيكشف عنكم ، وإن شئتم تركتمُوها فأسقطت ذنوبَكم » قالوا : بل ندعُها يا رسولَ الله[٢] .

وهذا الحديث ليس هو في مسند الإمام أحمد ، ولم يروه أحدٌ من أصحابِ الكتب الستة .

وقد ذكرنا في أول الهجرة دعاءَه عليه الصلاة والسلام لأهل المدينة أن يُذهِبَ حُمَّاها إلى الجُحفة ، فاستجابَ الله له ذلك ، فإن المدينةَ كانت من أوبأ أرضِ الله ، فصحَّحَها الله ببركة حلوله بها ، ودعائِه لأهلها ، صلواتُ الله وسلامه عليه .

حديث آخر في ذلك : قال الإمام أحمد : حدَّثنا روح ، حدَّثنا شعبة ، عن أبي جعفر المديني ، سمعتُ عُمارةَ بن خزيمة بن ثابت يُحدِّث عن عثمان بن حنيف :

أن رجلاً ضريراً أتى النبيَّ ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، ادعُ الله أن يُعافيني ، فقال : « إن شئتَ أخَّرتُ ذلك فهو أفضلُ لآخرتِكَ ، وإن شئتَ دعوتُ لك » قال : لا ، بل ادعُ الله لي ، قال : فأمرَه رسولُ الله ﷺ أن يتوضأ ويُصلّي ركعتين وأن يدعوَ بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألُك وأتوجّه إليك بنبيِّك محمد نبيِّ الرحمة ، يا محمد ، إني أتوجّه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتُقضى وتشفعني فيه وتشفّعه فيَّ » قال : فكان يقولُ مِراراً . ثم قال بعدُ : أحسبُ أن فيها أن « تشفعني فيه » قال : ففعل الرجل فَبَرأ .

وقد رواه أحمد[٣] أيضاً ، عن عثمان بن عمر ، عن شعبة ، به . وقال : « اللهم شفعه فيَّ » ولم يقل الأخرى ، وكأنها غلطٌ من الراوي ، والله أعلم .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٦٠) وإسناده ضعيف جداً لوجود محمد بن يونس الكديمي وهو كذاب وضَّاع .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٥٩ـ١٦٠) وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (٢/ ٨٧) نقلاً عن البيهقي . وفي إسناده هشام بن لاحق ترك حديثه الإمام أحمد ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به ، وقواه النسائي .

(٣) في المسند (٤/ ١٣٨) .

وهكذا رواه الترمذي[١] والنسائي[٢] ، عن محمود بن غيلان ، وابن ماجه[٣] عن أحمد بن منصور بن سَيّار ، كلاهما ، عن عثمان بن عُمر ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي جعفر الخطمي .

ثم رواه أحمدُ[٤] أيضاً ، عن مؤمل بن حماد بن سلمة ، عن أبي جعفر الخطمي ، عن عمارة بن خزيمة ، عن عثمان بن حنيف ، فذكر الحديث .

وهكذا رواه النسائي[٥] ، عن محمد بن معمر ، عن حبان ، عن حماد بن سلمة به .

ثم رواه النسائي[٦] عن زكريا بن يحيى عن محمد بن المثنى ، عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي جعفر ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمّه عثمان بن حنيف .

وهذه الرواية تخالف ما تقدم ، ولعله عند أبي جعفر الخطمي من الوجهين ، والله أعلم .

وقد روى البيهقي والحاكم ، من حديث يعقوب بن سفيان ، عن أحمد بن شبيب بن سعيد الحَبَطي ، عن أبيه ، عن رَوح بن القاسم ، عن أبي جعفر المديني ، عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، قال :

سمعتُ رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضرير ، فشكا إليه ذهابَ بصره ، فقال : يا رسول الله ليس لي قائدٌ وقد شقَّ عليَّ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ائتِ المِيْضَأةَ فتوضَّأ ثم صلِّ ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألُك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبيّ الرحمة ، يا محمّدُ إني أتوجّهُ بك إلى ربِّي فتجلي لي بصري ، اللهم فشفّعه فيَّ وشفِّعني في نفسي » . قال عثمان : فوالله ما تفرَّقنا ، ولا طالَ الحديثُ بنا حتى دخلَ الرجلُ كأنّه لم يكن به ضُرٌّ قط[٧] .

قال البيهقي : ورواه أيضاً هشام الدستوائي ، عن أبي جعفر ، عن أبي أُمامة بن سهل ، عن عمّه عثمان بن حنيف .

حديث آخر : قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدَّثنا محمد بن بشر ، حدَّثنا عبد العزيز بن عمر ، حدَّثني

---

(١) في الجامع رقم (٣٥٧٨) في الدعوات .
(٢) في عمل اليوم والليلة رقم (٦٥٩) وهو حديث صحيح .
(٣) في سننه (١٣٨٥) في الصلاة .
(٤) في المسند (٤/١٣٨) .
(٥) النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٦٥٨) .
(٦) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٦٦٠) .
(٧) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/١٦٨) وهو حديث صحيح بشواهده .

رجلٌ من بني سلامَان بن سعد ، عن أبيه عن أمه ، عن خالِه ـ أو أن خالَه أو خالَها ـ حبيب بن فويك حدَّثها :

أن أباه خرجَ إلى رسول الله ﷺ وعيناه مُبيضَّتان ، لا يُبصر بهما شيئاً أصلاً ، فسأله : « ما أصابَك ؟ » فقال : كنت أُمَرِئ[(١)] جملاً لي فوقعت رجلي على بيض حيّة فأُصبتُ ببصري ، قالَ : فنفثَ رسولُ الله ﷺ في عينيه فأبصرَ ، فرأيتُه وإنه ليُدخِلُ الخيطَ في الإبرة ، وإنه لابن ثمانين سنة ، وإن عينيه لمبيضتان[(٢)] .

قال البيهقي : كذا في كتابه . وغيره يقول : حبيب بن مدرك[(٣)] . قال : وقد مضى في هذا المعنى حديث قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه فسالت حدقته ، فردها رسول الله إلى موضعها ، فكان لا يدري أيهما أصيبت[(٤)] .

قلت : وقد تقدم ذلك في غزوة أحد .

وقد ذكرنا في مقتل أبي رافع مسحَه بيده الكريمة على رجلِ عبد الله بن عتيك ـ وقد انكسرَ ساقُه ـ فبَرأ من ساعته .

وذكر البيهقي بإسناده : أنه ﷺ مسح يد محمد بن حاطب ـ وقد احترقت يده بالنار ـ فبرأ من ساعته[(٥)] وأنه عليه الصلاة والسلام نَفَثَ في كف شُرَحبيل[(٦)] الجُعفِيِّ ، فذهبت من كفِّه سلعَة كانت به .

قلت : وتقدَّم في غزوة خيبر تفلُه في عيني عليٍّ وهو أرمد فبرأ .

وروى الترمذي[(٧)] عن عليٍّ حديثه في تعليمه عليه السلام ذلك الدعاء لحفظ القرآن فحفظه .

وفي الصحيح[(٨)] أنه قال لأبي هريرة وجماعة : « مَن يَبسطُ رداءَه اليوم فإنه لا ينسى شيئاً من مقالتي » ، قال : فبسطته فلم أنس شيئاً من مقالته تلك ، فقيل : كان ذلك حفظاً من أبي هريرة لكل ما سمعه منه في ذلك اليوم ، وقيل : وفي غيره ، فالله أعلم .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي الاستيعاب : أمرّن ، وفي المطبوع : أرعى .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٧٣) وفي إسناده جهالة .
(٣) لم أجد ذلك في دلائل البيهقي المطبوع .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٧٣) .
(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦) والنسائي في السنن الكبرى وفي عمل اليوم والليلة رقم (١٠٢٤) ورواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٥٩) والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٥٣و٢٥٤) وهو حديث حسن .
(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٧٦) وإسناده ضعيف .
(٧) رواه الترمذي في الجامع رقم (٣٥٧٠) في الدعوات ، وقال : هذا حديث غريب (يعني ضعيف) .
(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٤٨) في المناقب .

ودعا لسعد بن أبي وقاص[١] فبرأ .

وروى البيهقي[٢] ؛ أنه دعا لعمه أبي طالب في مرضةٍ مرضها ، وطلب من رسول الله ﷺ أن يدعوَ له ربَّه ، فدعا له فبرأ من ساعته .

والأحاديث في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها .

وقد أورد البيهقيُّ من هذا النوع كثيراً طيِّباً أشرنا إلى أطراف منه ، وتركنا أحاديث ضعيفة الإسناد ، واكتفينا بما أوردنا عما تركنا ، وبالله المستعان .

حديث آخر : ثبت في الصحيحين[٣] من حديث زكريا بن أبي زائدة ، زاد مسلم : والمغيرة ، كلاهما عن شراحيل الشعبي ، عن جابر بن عبد الله :

أنه كان يسيرُ على جمل قد أعيا ، فأراد أن يُسَيِّبَه ، قال : فلحقني رسولُ الله ﷺ فضربَه ودعا لي ، فسارَ سيراً لم يسر مثلَه .

وفي رواية : فما زال بين يدي الإبل قدَّامَها حتى كنتُ أحبسُ خِطامَه فلا أقدرُ عليه ، فقال : « كيف ترى جملك ؟ » فقلت : قد أصابتهُ بركتُك يا رسولَ الله ، ثم ذكرَ أن رسولَ الله ﷺ اشتراه منه .

واختلفَ الرواة في مِقدارِ ثمنِه على روايات كثيرة ، وأنه استثنى حِملانَه إلى المدينة ، ثم لما قدِمَ المدينةَ جاءَه بالجمل فنقدَه ثمنَه وزادَه ، ثم أطلقَ له الجملَ أيضاً ، الحديث بطوله .

حديث آخر : روى البيهقي واللفظ له ، وهو في صحيح البخاري[٤] ، من حديث حسن بن محمد المروزي ، عن جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال :

فَزِعَ الناسُ فركبَ رسولُ الله ﷺ فرساً لأبي طلحة بطيئاً ، ثم خرجَ يركضُ وحده ، فركبَ الناسُ يركضون خلفَ رسول الله ﷺ . فقال : « لن تُراعوا إنه لبحرٌ » قال : فوالله ما سُبق بعدَ ذلك اليوم .

حديث آخر : قال البيهقي[٥] أخبرنا أبو بكر القاضي ، أنبأنا حامد بن محمد الهروي ، حدَّثنا علي بن

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٦٢٨)(٨) في الوصية .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٧٠) وفي إسناده : هيثم البكاء ؛ وهو ضعيف كما ذكر ذلك البيهقي . وقال ابن معين : الهيثم بن جماز الحنفي البكاء : كان قاصاً بالبصرة ، وهو ضعيف وقال مرة : ليس بذاك . المجروحين (٣/ ٩١) وميزان الاعتدال (٤/ ٣١٩) والكامل في الضعفاء (٧/ ٢٥٦٠) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧١٨) في الشروط ، ومسلم في صحيحه رقم (٧١٥)(١٠٩)و(١١٠) في المساقاة .

(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٥٢ـ١٥٣) وهو عند البخاري في صحيحه رقم (٢٩٦٨) في الجهاد .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٥٣) .

عبد العزيز ، حدَّثنا محمد بن عبد الله الرقاشي ، حدَّثنا رافع بن سلمة بن زياد ، حدَّثني عبد الله بن أبي الجعد (الأشجعي) ، عن جُعَيل الأشجعي ، قال :

غزوتُ مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته ، وأنا على فرسٍ لي عَجفَاءَ ضعيفة ، قال : فكنتُ في أخريات الناس ، فلحقني رسولُ الله ﷺ وقال : « سر يا صاحبَ الفرس » فقلت : يا رسولَ الله عَجفَاء ضَعيفة ، قال : فرفعَ رسول الله ﷺ مِخفَقَةً[1] معه فضربَها بها وقال : « اللهم بارك له » قال : فلقد رأيتني أمسكُ برأسِها أن تقدَمَ الناسَ ، ولقد بعتُ من بطنها باثني عشر ألفاً .

ورواه النسائي[2] عن محمد بن رافع ، عن محمد بن عبد الله الرقاشي ، فذكره .

وهكذا رواه أبو بكر بن أبي خيثمة ، عن عبيد بن يعيش ، عن زيد بن الحُباب ، عن رافع بن سلمة الأشجعي ، فذكره .

وقال البخاري في « التاريخ »[3] : وقال رافع بن زياد بن الجعد بن أبي الجعد : حدَّثني أبي ، عن عبد الله بن أبي الجعد أخي سالم ، عن جُعيل ، فذكره .

حديث آخر : قال البيهقي[4] : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد ، أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان ، حدَّثنا محمد بن شاذان الجوهري ، حدَّثنا زكريا بن عدي ، حدَّثنا مروان بن معاوية ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال :

جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال : إني تزوّجتُ امرأةً ، فقال : « هلا نظرتَ إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً ؟ » قال : قد نظرتُ إليها ، قال : « على كم تزوجتَها ؟ » فذكر شيئاً قال : « كأنَّهم يَنحِتُون الذهبَ والفضةَ من عُرضِ هذه الجبال ، ما عندنا اليومَ شيءٌ نعطيكَه ، ولكن سأبعثُك في وجه تُصيب فيه » فبعثَ بَعثاً إلى بني عبس وبعثَ الرجلَ فيهم ، فأتاه ، فقال : يا رسول الله ، أعيَتني ناقتي أن تنبعثَ ، قال : فناوله رسولُ الله ﷺ يدَه كالمعتمد عليه للقيام ، فأتاها فضربَها برجله .

قال أبو هريرة : والذي نفسي بيده لقد رأيتُها تسبقُ به القائدَ .

رواه مسلم[5] في الصحيح عن يحيى بن معين عن مروان .

---

(١) « مخفقة » : شيءٌ يضرب به نحو سَيرٍ أو دِرَّة . القاموس .
(٢) في السنن الكبرى رقم (٨٨١٨) : في السير ، باب ضرب الفرس .
(٣) البخاري في التاريخ (١/ ٢/ ٢٤٩) .
(٤) في دلائل النبوة (٦/ ١٥٤) .
(٥) في صحيحه رقم (١٤٢٤)(٧٥) في النكاح . وفيه : كراهة إكثار المهر بالنسبة إلى حال الزوج .

حديث آخر : قال البيهقي[١] : أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المُزَكِّي ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، حدَّثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا أبو جعفر بن عون، أخبرنا الأعمش، عن مجاهد :

إن رجلاً اشترى بعيراً فأتى رسولَ الله ﷺ فقال : إني اشتريتُ بعيراً فادعُ الله أن يُبارك لي فيه ، فقال : « اللهم بارك له فيه » فلم يلبث إلا يسيراً أن نَفَقَ ، ثم اشترى بعيراً آخر ، فأتى به رسولَ الله ﷺ فقال : إني اشتريتُ بعيراً فادعُ الله أن يُبارك لي فيه ، فقال : « اللهم بارك له فيه » فلم يلبث حتى نَفَقَ ، ثم اشترى بعيراً آخرَ ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، قد اشتريتُ بعيرين فدعوتُ الله أن يُبارك لي فيهما ، فادعُ الله أن يحملني عليه ، فقال : « اللهم احمله عليه » فمكثَ عندَه عشرينَ سنة[٢] .

قال البيهقي : وهذا مرسل ، ودعاؤه عليه الصلاة والسلام صارَ إلى أمر الآخرة في المرتين الأوليين .

حديث آخر : قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمي ، أنبأنا إسماعيل بن عبد الله الميكالي ، حدَّثنا علي بن سعد العسكري ؛ أخبرنا أبو أمية عبد الله بن محمد بن خَلَّاد الواسطيّ ، حدَّثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المُستلمُ بنُ سعيد ، حدَّثنا خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن إساف ، عن أبيه ، عن جده خبيب بن إساف قال :

أتيتُ رسولَ الله ﷺ ، أنا ورجلٌ من قومي في بعض مغازيه ، فقلنا : إنا نشتهي أن نشهَد معك مشهداً ، قال : « أسلمتم ؟ » قلنا : لا ، قال : « فإنا لا نستعينُ بالمشركين على المشركين » قال : فأسلمنا[٣] وشهدتُ مع رسول الله ﷺ فأصابتني ضربةٌ على عاتقي فجافتني ، فتعلَّقَت يدي ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ ، فتفلَ فيها وألزقَها فالتأمت وبرأت ، وقتلتُ الذي ضربني ، ثم تزوّجتُ ابنةَ الذي قتلته[٤] وضربني ، فكانت تقول : لا عدمتُ رجلاً وشَّحَكَ هذا الوِشَاح ، فأقول : لا عدمت رجلاً أعجلَ[٥] أباك إلى النار .

وقد روى الإمام[٦] أحمد هذا الحديث ، عن يزيد بن هارون بإسناده مثلَه ، ولم يذكر : فتفلَ فيها فبرأَت .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٥٤ـ١٥٥) وتتمة كلام البيهقي : ثم سأله صاحب البعير الدعاء بأن يحمله عليه ؛ وقعت الإجابة إليه أفضل زكاة وأطيبها وأنماها . وهو حديث مرسل ، والمرسل ضعيف .

(٢) في دلائل النبوة (٦/ ١٧٨) .

(٣) في دلائل البيهقي : فأسلمت .

(٤) في دلائل البيهقي : ثم تزوجت ابنة الذي ضربته فقتلته . وفيها تحريف .

(٥) في دلائل البيهقي : عجَّلَ .

(٦) في المسند : (٣/ ٤٥٤) ، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة(١/ ٤١٨) عن أحمد بن منيع ، وإسناده ضعيف ، لجهالة والد خبيب بن عبد الرحمن ، على أن قوله : إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ، صحيح من غير هذا الوجه .

حديث آخر : ثبت في الصحيحين ، من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن ورقاء بن عمر السكري ، عن عبد الله بن يزيد ، عن ابن عباس ، قال :

أتى رسولُ الله ﷺ الخلاءَ ، فوضعت له وَضُوءاً ، فلما خرجَ قال : « من صنع هذا ؟ » قالوا : ابنُ عباس ، قال : « اللهم فقهه في الدين »[١] .

وروى البيهقيُّ عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن عباس الدَّورقي ، عن الحسن بن موسى الأشيب ، عن زهير ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس :

أن رسول الله ﷺ وضعَ يدَه على كتفي ـ أو قال : منكبي ، شك سعيد ـ ثم قال : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل »[٢] .

وقد استجاب الله لرسوله ﷺ هذه الدعوة في ابن عمه ، فكان إماماً يُهتدى بهداه ، ويُقتدى بسناه في علوم الشريعة ، ولاسيما في علم التأويل وهو التفسير ، فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبلَه ، وما كان عقلَه من كلام ابن عمه رسول الله ﷺ .

وقد قال الأعمش عن أبي الضحى[٣] ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله بن مسعود : لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشَره أحدٌ منا ، وكان يقول لهم : نعم ترجمان القرآن ابن عباس[٤] .

هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود ببضع وثلاثين سنة ، فما ظنك بما حصله بعده في هذه المدة ؟

وقد روينا عن بعض أصحابه أنه قال : خطبَ النَّاسَ ابنُ عبَّاسٍ في عشيّة عرفَةَ ففسَّرَ لهم سورةَ البقرة ، أو قال سورةً ، ففسَّرَها تفسيراً لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا[٥] . رضي الله عنه وأرضاه .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٣) في الوضوء ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٧٧) في فضائل الصحابة .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٩٢ ـ ١٩٣) والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٣٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ١٠٠) : وهذه اللفظة اشتهرت على الألسنة « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » حتى نسبها بعضهم للصحيحين ، ولم يُصب ، والحديث عند أحمد بهذا اللفظ من طريق ابن خُثَيم عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، وعند الطبراني من وجهين آخرين . وانظر المسند بشرح أحمد شاكر رحمه الله رقم (٣٠٣٣) .

(٣) في دلائل البيهقي : عن مسلم بن صُبيح : وهو أبو الضحى . تقريب التهذيب (ص٥٣٠) ترجمة رقم (٦٦٣٢) طبعة دار الرشيد بحلب ١٤٠٦هـ .

(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ١٩٣) وهما حديثان عند الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٣٧) وصححهما . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ١٠٠) : وروى يعقوب بن سفيان في تاريخه بإسناد صحيح ، عن ابن مسعود : لو أدرك ابن عباس أسناننا . . .

(٥) رواه يعقوب بن سفيان في تاريخه بإسناد صحيح عن أبي وائل ، كما رواه أبو نُعيم في الحلية من وجه آخر . فتح الباري (٧/ ١٠٠) .

حديث آخر : ثبت في الصحيح[١] أنه عليه الصلاة والسلام دعا لأنس بن مالك بكثرة المال والولد ، فكان كذلك ، حتى روى الترمذيُّ[٢] عن محمود بن غيلان ، عن أبي داود الطيالسي ، عن أبي خلدة ، قال : قلتُ لأبي العالية : سمعَ أنس من النبي ﷺ ؟ فقال : خدمه عشر سنين ودعا له ، وكان له بستان[٣] يحمل في السنة الفاكهة مرتين ، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك .

وقد روينا في الصحيح[٤] أنه ولد له لصلبه قريب من مئة أو ما ينيف عليها ، وفي رواية : أنه ﷺ قال : « اللهم أطل عمرَه » فعُمِّر مئة .

وقد دعا ﷺ لأم سُليم ولأبي طلحة في غابر ليلتهما ، فولدت له غلاماً سمَّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله ، فجاءَ من صُلبه تسعة كلُّهم قد حفظَ القرآن ، ثبت ذلك في الصحيح[٥] .

وثبت في صحيح مسلم من حديث عكرمة بن عمار ، عن أبي كثير الغُبَرِيِّ ، عن أبي هريرة :

أنه سألَ رسولَ الله ﷺ أن يدعوَ لأمِّه فيهديَها الله ، فدعا لها ، فذهبَ أبو هريرة فوجدَ أمَّه تغتسلُ خلفَ الباب ، فلما فرغت قالت : أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأشهدُ أنَّ محمّداً رسولُ الله ، فجعلَ أبو هريرة يبكي من الفرح ، ثم ذهبَ فأعلمَ بذلك رسولَ الله ، وسألَه أن يدعوَ لهما أن يُحبِّبَهما الله إلى عباده المؤمنين ، فدعا لهما ، فحصلَ ذلك ، قال أبو هريرة : فليس مؤمنٌ ولا مؤمنةٌ إلا وهو يُحِبُّنا[٦] .

وقد صدقَ أبو هريرة في ذلك رضي الله عنه وأرضاه ، ومن تمام هذه الدعوة أن الله شهر ذكرَه في أيام الجمع حيثُ يذكُره الناسُ بين يدي خُطبةِ الجمعة ، وهذا من التقييض القَدَري والتقدير المعنوي .

وثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام ، دعا لسعد بن أبي وقاص وهو مريضٌ فعُوفِي ، ودعا له أن يكون مُجابَ الدعوة ، فقال : « اللهم أجبْ دعوتَه وسدِّد رَميَتَه »[٧] فكان كذلك ، فنعمَ أميرُ السرايا والجيوش كان .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٣٤) و(٦٣٤٤) في الدعوات، ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٨١) في فضائل الصحابة.

(٢) رواه الترمذي في الجامع رقم (٣٨٣٣) ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) بستان : في البصرة .

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٤٨١) (١٤٣) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٣٠١) في الجنائز ، و(٥٤٧٠) في العقيقة ، ومسلم في صحيحه رقم (٢١٤٤) في الآداب .

(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٤٩١) في فضائل الصحابة .

(٧) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٠٠) بلفظ : اللهم سدد رميته ، وأجب دعوته . وقال : هذا حديث تفرد به يحيى بن هانئ بن خالد الشجري ، وهو شيخ ثقة من أهل المدينة ، ووافقه الذهبي . وإسناده ضعيف وله شواهد فهو بها حسن .

وقد دعا[١] على أبي سَعدة أسامةَ بن قتادة ، حين شَهِدَ فيه بالزّور بطولِ العمر ، وكثرة الفقر ، والتعرّض للفتن ، فكان ذلك ، فكان إذا سُئل ذلك الرجلُ يقول : شيخٌ كبيرٌ مَفتون أصابتني دعوةُ سعد[٢] .

وثبت في صحيح البخاري وغيره : أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد ، ومسحَ بيده على رأسِه[٣] فطالَ عُمُره حتى بلغَ أربعاً وتسعين سنة ، وهو تامُّ القامةِ مُعتدل ، ولم يشب منه موضعٌ أصابت يدُ رسول الله ﷺ ، ومُتِّعَ بحواسه وقواه[٤] .

وقال أحمد : حدَّثنا حرمي بن عُمارة ، حدَّثَنا عَزرَةُ بن ثابت ، حدَّثنا عِلبَاءُ بن أحمر ، حدَّثني أبو زيد الأنصاري ، قال :

قال لي رسول الله ﷺ : « ادنُ مني » فمسحَ بيده على رأسي ، ثم قال : « اللهم جَمِّله وأدم جمالَه » قال : فبلغَ بِضعَاً ومئة ـ يعني سنة ـ وما في لحيته بياضٌ إلا نُبذ يسيرة[٥] ، ولقد كان مُنبسطَ الوجه لم ينقبض وجهُه حتى مات[٦] .

قال السهيلي : إسناده صحيح موصول .

ولقد أوردَ البيهقيُّ لهذا نظائرَ كثيرة في هذا المعنى ، تشفي القلوب ، وتحصّل المطلوب .

وقد قال الإمام أحمد : حدَّثنا عارم ، حدَّثنا معتمر ، وقال يحيى بن معين : حدَّثنا عبد الأعلى ، حدَّثنا معتمر ـ هو ابن سليمان ـ قال : سمعتُ أبي يُحدِّث عن أبي العلاء قال :

كنتُ عند قتادةَ بن مِلحَان في مرضِه الذي مات فيه ، قال : فمرَّ رجلٌ في مؤخر الدار ، قال : فرأيتُه في وجهِ قتادةَ ، وقال : كان رسول الله ﷺ قد مسحَ وجهَهُ ، قال : وكنتُ قلَّما رأيته إلا ورأيتُ كأن على وجهه الدِّهان[٧] .

---

(١) أي سعد بن أبي وقاص .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٥٥) في الأذان ، ومسلم في صحيحه رقم (٤٥٣) في الصلاة .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٤١) في المناقب (باب خاتم النبوة) ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٤٥) في الفضائل (باب إثبات خاتم النبوة) .

(٤) ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٠٩) ما أشار إليه الحافظ ابن كثير من وصف السائب بن يزيد ، وقال : أخرجه الطبراني في الكبير ، ورجال الكبير رجال الصحيح ، غير عطاء مولى السائب ، وهو ثقة .

(٥) كذا في الأصل ، وفي المسند نبذ يسير ، وفي المطبوع : نبذة يسيرة .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٧٧ ، ٣٤٠) وإسناده صحيح .

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٧ـ ٢٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣١٩) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وثبت في الصحيحين[١] ؛ أنه عليه الصلاة والسلام دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة حين رأى عليه ذلك الرَّدعَ[٢] من الزعفران لأجل العُرسِ ، فاستجابَ الله لرسوله ﷺ ، ففتحَ له في المتجر والمغانم ، حتى حصلَ له مال جزيلٌ بحيث إنه لما مات صُولحت امرأةٌ من نسائه الأربع عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً .

وثبت في الحديث من طريق شبيب بن غَرقَدَةَ ؛ أنه سمع الحي يُخبرون عن عروةَ بن أبي الجَعد المازني ، أن رسول الله ﷺ أعطاه ديناراً ليشتري له به شاةً « أُضحيةً » فاشترى به شاتين ، وباع إحداهما بدينار ، وأتاه بشاةٍ ودينار ، فقال له : « باركَ الله لكَ في صفقة يمينك » وفي رواية : فدعا له بالبركة في البيع ، فكان لو اشترى التراب لربح فيه[٣] .

وقال البخاري : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا ابن وهب ، حدَّثنا سعيد بن أبي أيوب ، عن أبي عقيل :

أنه كان يخرج به جدُّه عبدُ الله بن هشام إلى السوق[٤] فيشتري الطعامَ فيلقاهُ ابنُ الزبير وابنُ عمر فيقولان : أشركنا في بَيعك فإنَّ رسولَ الله ﷺ قد دعا لك بالبركة فيشركهم ، فربما أصابَ الراحلةَ كما هي فيبعثُ بها إلى المنزل[٥] .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو سعد الماليني ، أنبأنا ابنُ عدي ، حدَّثنا علي بن محمد بن سليمان الحلبي ، حدَّثنا محمد بن يزيد المستملي ، حدَّثنا شبابة بن عبد الله ، حدَّثنا أيوب بن سَيَّار ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، عن أبي بكر ، عن بلال ، قال :

أذَّنتُ في غداة باردة ، فخرج النبيُّ ﷺ فلم يرَ في المسجد أحداً ، فقال : « أين الناس ؟ » فقلت : منعهم البَردُ ، فقال : « اللهم أذهِب عنهم البَردَ » فرأيتهم يَتَروَّحون[٦] .

ثم قال البيهقي : تفردَ به أيوب بن سيّار ، ونظيرُه[٧] قد مضى في الحديث المشهور عن حذيفة في قصة الخندق .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في النكاح رقم (٢٠٤٩) ، ومسلم في صحيحه رقم (١٤٢٧) في النكاح .
(٢) « الرَّدع » : أثر الطيب .
(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٤٢) وأبو داود رقم (٣٣٨٤) وابن ماجه رقم (٢٤٠٢) وهو حديث صحيح .
(٤) في البخاري : من السوق ـ أو إلى السوق .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٥٣) في الدعوات .
(٦) دلائل النبوة ، للبيهقي (٦/ ٢٢٤) ودلائل النبوة ؛ لأبي نعيم رقم (٣٩٢) ، وإسناده ضعيف ، فيه أيوب بن سيار ضعيف ، وقال النسائي : متروك ، وفيه المستملي ضعيف أيضاً . ميزان الاعتدال ؛ للذهبي (١/ ٢٨٩) والمجروحين (١/ ١٧١) والكامل في الضعفاء ؛ لابن عدي (١/ ٣٤٠) .
(٧) في دلائل البيهقي : ومثله .

حديث آخر : قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني ـ إملاء ـ أنبأنا أبو إسماعيل الترمذي محمد بن إسماعيل ، حدَّثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي ، حدَّثنا علي بن أبي علي اللهبيّ ، عن ابن أبي ذِئب ، عن نافع ، عن ابن عمر :

أن رسولَ الله ﷺ خرجَ وعمر بن الخطاب معه ، فَعَرَضَت له امرأةٌ ، فقالت : يا رسولَ الله ، إني امرأة مسلمةٌ محرمةٌ ، ومعي زوجٌ لي في بيتي مِثل المرأة ، فقال لها رسول الله ﷺ : « ادعي لي زوجك » فدعته وكان جَزّاراً[١] ، فقال له : « ما تقول في امرأتك يا عبد الله ؟ » فقال الرجلُ : والذي أكرَمك ما جفَّ رأسي منها ، فقالت امرأته : جاء[٢] مرةً واحدة في الشهر ، فقال لها رسولُ الله ﷺ : « أتبغضينه ؟ » قالت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : « أدنيا رؤوسَكُما » فوضعَ جبهتَها على جبهةِ زوجِها ثم قال : « اللهم ألّف بينهما وحبِّب أحَدهما إلى صاحبه » .

ثم مرَّ رسول الله ﷺ بسوق النَّمَطِ ومعه عمرُ بن الخطاب ، فطلعتِ المرأةُ تحملُ أدماً على رأسها ، فلما رأت رسولَ الله ﷺ طرحته وأقبلَت فقبّلت رِجليه ، فقال : « كيف أنت وزوجك ؟ » فقالت : والذي أكرمَك ما طارفٌ ولا تالدٌ أحبُّ إليَّ منه ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهدُ أني رسولُ الله » فقال عمر : وأنا أشهدُ أنك رسولُ الله[٣] .

قال أبو عبد الله[٤] : تفرَّدَ به علي بن أبي عليٍّ اللهبي ، وهو كثير الرواية للمناكير .

قال البيهقي : وقد روى يوسف بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ـ يعني هذه القصة ـ إلا أنه لم يذكر عمر بن الخطاب .

حديث آخر : قال أبو القاسم البغوي : حدَّثنا كامل بن طلحة ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمة ، حدَّثنا علي بن زيد بن جُدعان ، عن أبي الطفيل :

أن رجلاً وُلد له غلامٌ ، فأتى به رسولَ الله ﷺ ، فدعا له بالبركة وأخذ بجبهته فنبتت شعرةٌ في جبهته كأنها هُلبَةُ[٥] فرس ، فشبَّ الغلام ، فلما كان زمنُ الخوارج أجابهم فسقطت الشعرةُ عن جبهتِهِ ، فأخذهُ

---

(١) كذا في الأصل ، وفي دلائل البيهقي : خرازاً .

(٢) في دلائل البيهقي : ما مرةٌ واحدة في الشهر .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٢٨) وإسناده ضعيف ، فيه علي بن أبي علي اللَّهبي ، من ولد أبي لهب ، يروي عن الثقات الموضوعات ، وعن الثقات المقلوبات ، لا يجوز الاحتجاج به . وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم والنسائي : متروك . المجروحين (٢/ ١٠٧) الكامل في الضعفاء (٥/ ١٨٣٠) والقصة ظاهرة التكلف والصنعة . بعيدة كل البعد عن إشراقة نور النبوة .

(٤) قال أبو عبد الله : أي الحاكم . وهذا ليس في المستدرك .

(٥) « هُلبة فرس » : الهلبة ما فوق العانة إلى قريب من السرّة . النهاية (٥/ ٢٦٨) .

أبوه فحبسَه وقيَّده مخافةَ أن يلحقَ بهم ، قال : فدخلنا عليه فوعظنَاه وقلنا له : ألم ترَ إلى بركةِ رسولِ الله ﷺ وقعت ؟ فلم نزل به حتى رجعَ عن رأيهم ، قال : فردَّ الله تلك الشعرةَ إلى جبهتهِ إذ تابَ[١] .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن أبي أسامة الكلبي ، عن شريح بن مسلمة[٢] ، عن أبي يحيى إسماعيل بن إبراهيم التيمي ، حدَّثني سيف بن وهب ، عن أبي الطفيل :

أن رجلاً من بني ليث يُقال له : فِراسُ بن عمرو ، أصابَه صداعٌ شديدٌ فذهبَ به أبوه إلى رسول الله ﷺ فأجلسَه بين يديه ، وأخذَ بجلدةٍ بين عينيه فجذبَها حتى تنقصت[٣] ، فنبتت في موضع أصابعِ رسول الله ﷺ شعرةٌ ، وذهب عنه الصُّداع فلم يُصدع[٤] .

وذكر بقيّةَ القصة في الشعرة كنحو ما تقدم .

حديث آخر : قال الحافظ أبو بكر البزار : حدَّثنا هاشم بن القاسم الحرَّاني ، حدَّثنا يَعلى بن الأشدق ، سمعت عبدَ الله بن جَراد العقيلي ، حدَّثني النابغة ـ يعني الجَعدِيّ ـ قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ فأنشدتُه من قولي :

علـونـا العبـادَ عِفَّـةً وتكـرُّمـاً وإنَّـا لنـرجـو فـوقَ ذلـك مَظهَـرا

قال : « أين المظهرُ يا أبا ليلى ؟ » قال : قلت : إلى الجنّة ، قال : « أجل إن شاءَ الله » قال : « أنشدني » فأنشدتُه من قولي :

وَلا خيـرَ فـي حِلـمٍ إذا لَـم يَكُـنْ لَـهُ بَـوادِرُ تَحمـي صَفـوَهُ أن يُكَـدَّرا
وَلَا خَيرَ في جَهلٍ إذا لَم يَكُن لَهُ حَلِيـمٌ إذَا مـا أَورَدَ الأمـر أصـدَرَا[٥]

قال : « أحسنتَ لا يَفضُضِ الله فاك »[٦] .

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٣٠) وفي إسناده علي بن زيد بن جُدعان ، ضعفه ابن سعد والجوزجاني والنسائي ، وقال غيرهم : ليس بقوي . مات سنة ١٣٠هـ . الكامل في الضعفاء (٥/ ١٨٤٠) وتهذيب التهذيب (٦/ ٣٢٢) .

(٢) في المطبوع : « سريج بن مسلم » وهو تحريف ، وما أثبتناه من دلائل البيهقي ، وهو من رجال التهذيب (١٢/ ٤٤٨) وقد نص المزي على روايته عن أبي يحيى إسماعيل بن إبراهيم التيمي .

(٣) كذا في الأصل ، وفي دلائل البيهقي : تَنَقَّصَت ، وفي المطبوع : تبعضت : أي تجزأت .

(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٣١) وفي إسناده إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيمي كوفي يُكنى أبا يحيى ، ضعفه غير واحد . الكامل في الضعفاء (١/ ٣٠٢) وتهذيب التهذيب (١/ ٢٨١) والخبر ظاهر الضعف .

(٥) « أورد الأمر وأصدرا » : طلب تنفيذه ثم تراجع عنه حِلماً منه .

(٦) رواه البزار رقم (٢١٠٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٢٦) وقال : رواه البزار وفيه يعلى بن الأشدق ضعيف .

هكذا رواه البزار إسناداً ومتناً .

وقد رواه الحافظ البيهقي من طريق أخرى فقال : أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن عبدان ، أنبأنا أبو بكر بن محمد بن المؤمل ، حدَّثنا جعفرُ بن محمد بن سَوَّار ، حدَّثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد السكري الرقي ، حدَّثني يَعلى بن الأشدَق قال : سمعتُ النابغةَ ـ نابغةَ بني جَعدة ـ يقول : أنشدتُ رسول الله ﷺ هذا الشعر ، فأعجبَه :

بَلَغْنَا السَّماءَ مَجدَنَا وثراءَنا ... وَإنا لَنرجُو فَوقَ ذَلِكَ مَظهرا[١]

فقال : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » قلت : الجنة . قال : « كذلك إن شاء الله » :

وَلا خيرَ في حِلمٍ إذا لَم يَكُنْ لَهُ ... بَوادِرُ تَحمي صَفوَهُ أن يُكَدَّرا
وَلَا خَيرَ في جَهلٍ إذا لَم يَكُن لَهُ ... حَلِيمٌ إذَا ما أَورَدَ الأمر أصدَرَا

فقال النبي ﷺ : « أجدت لا يَفضُضِ الله فاكَ » .

قال يعلى : فلقد رأيتُه ولقد أتى عليه نيّفٌ ومئة سنة وما ذهب له سِن[٢] .

قال البيهقي[٣] : ورُوي عن مجاهد بن سليم ، عن عبد الله بن جَرَادٍ : سمعتُ نابغةَ يقول : سمعني رسولُ الله ﷺ وأنا أنشدُ من قولي :

بَلَغنا السَّماءَ عِفَّةً وتكَرُّماً ... وإنَّا لَنرجو فَوقَ ذَلِكَ مظهَرا

ثم ذكر الباقي بمعناه ، قال : فلقد رأيتُ سِنَّه كلها كأنها البَرَدُ المُنهَلُّ ما سقط له سنٌّ ولا انفلت .

حديث آخر : قال الحافظ البيهقي[٤] : أخبرنا أبو بكر القاضي وأبو سعيد بن يوسف أبي عمرو ، قالا : حدَّثنا الأصم ، حدَّثنا عباس الدوري ، حدَّثنا علي بن بحر القطّان ، حدَّثنا هشام[٥] بن يوسف ، حدَّثنا معمر ، حدَّثنا ثابت وسليمان التيمي ، عن أنس :

---

(١) « مظهراً » : أي ظهوراً وعلوّاً وشهرة .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٣٢ـ٢٣٣) ودلائل النبوة ؛ لأبي نعيم رقم (٣٨٥) ، والإصابة (٣/ ٥٠٩) وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر مثله : وهكذا أخرجه البزار والحسن بن سفيان في مسنديهما ، وأبو نُعيم في تاريخ أصبهان ، والشيرازي في الألقاب ، كلهم من رواية يعلى بن الأشدق ، قال : وهو ساقط الحديث . . . ثم ذكر عن أبي نعيم شواهد ومتابعات يعتضد بها .

(٣) دلائل النبوة(٦/ ٢٣٣) والخصائص الكبرى ؛ للسيوطي (٢/ ١٦٧) وعزاه لابن السكن . وفي إسناده عبد الله بن جراد مجهول .

(٤) في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٣٦) وإسناده صحيح .

(٥) في المطبوع : « هاشم » محرف ، وهو هشام بن يوسف الصنعاني من رجال البخاري .

أن رسولَ الله ﷺ نظرَ قِبَلَ العراق والشام واليمن ـ لا أدري بأيتهن بدأ ـ ثم قال : « اللهم أقبل بقلوبهم إلى طاعِتك وحطَّ من أوزارهم »[١] .

ثم رواه عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصغاني ، عن علي بن بحر بن بري ، فذكره بمعناه[٢] .

وقال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا عمران القطّان ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن زيد بن ثابت ، قال : نظَرَ رسولُ الله ﷺ قِبَلَ اليمن فقال : « اللهم أقبل بقلوبهم » ثم نظرَ قِبَلَ الشام فقال : « اللهم أقبل بقلوبهم » ثم نظرَ قِبَلَ العراق فقال : « اللهم أقبل بقلوبهم ، وبارك لنا في صَاعِنا ومُدِّنا »[٣] .

وهكذا وقعَ الأمرُ ، أسلمَ أهلُ اليمن قبلَ أهل الشام ، ثم كان الخيرُ والبركةُ قِبَلَ العراق ، وَوُعِدَ أهلُ الشام بالدَّوَام على الهداية والقيام بنصرةِ الدين إلى آخر الأمر .

وروى أحمدُ في « مسنده » : « لا تقومُ الساعة حتى يتحوَّلَ خيارُ أهل العراق إلى الشام ، ويتحوَّلَ شِرَارُ أهل الشام إلى العراق »[٤] .

فَصــل

وروى مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن زيد بن الحباب ، عن عكرمة بن عمار : حدَّثني إياس بن سلمة بن الأكوع ؛ أن أباه حدَّثه :

أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله ، فقال له : « كل بيمينك » قال : لا أستطيع ، قال : « لا استطعت » ما مَنعَه إلا الكبرُ ، قال : فما رفعَها إلى فيه[٥] .

وقد رواه أبو الوليد[٦] الطيالسي ، عن عكرمة ، عن إياس ، عن أبيه ، قال :

أبصرَ رسولُ الله ﷺ بسرَ بن راعي العَير ، وهو يأكل بشماله فقال : « كل بيمينك » قال : لا أستطيع ، قال : « لا استطعت » قال : فما وصلت يدُه إلى فيه بعد .

---

(١) كذا في المطبوع ، وفي الأصل والدلائل : وحط من ورائهم .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٣٦) وفيه : وأحِط من ورائهم .
(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٣٦) ورواه الترمذي (٣٩٣٤) مختصراً : وقال : حسن غريب ، وهو كما قال .
(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٤٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه .
(٥) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٠٢١) في الأشربة ، والرجل المذكور هو بُسر بن راعي العَير الأشجعي ، كذا ذكره ابن منده وأبو نُعيم الأصبهاني وابن ماكولا وآخرون ، وهو صحابي مشهور .
(٦) في المطبوع « أبو داود » وهو غلط ، وما أثبتناه هو الذي في دلائل البيهقي (٦/ ٢٣٨) الذي ينقل منه المصنف .

وثبت في صحيح مسلم ، من حديث شعبة ، عن أبي حمزة[١] ، عن ابن عباس ، قال :

كنتُ ألعبُ مع الغلمان فجاءَ رسولُ الله ﷺ فاختبأتُ منه ، فجاءَني فَحَطَأني[٢] حَطأةً ـ أو حَطأتين ـ وأرسلني إلى معاوية في حاجة ، فأتيته وهو يأكلُ ، فقلت : أتيتُه وهو يأكلُ ، فأرسلني الثانية ، فأتيتُه وهو يأكلُ ، فقلت : أتيتُه وهو يأكلُ ، فقال : « لا أشبع الله بطنَه »[٣] .

وقد روى البيهقي ، عن الحاكم ، عن علي بن حماد ، عن هشام بن علي ، عن موسى بن إسماعيل : حدَّثني أبو عوانة ، عن أبي حَمزَة : سمعتُ ابن عباسٍ قال :

كنتُ ألعبُ مع الغلمان فإذا رسولُ الله قد جاء ، فقلت : ما جاءَ إلا إليّ ، فذهبتُ فاختبأتُ على باب ، فجاء فحطأني حطأةً ، وقال : « اذهب فادعُ لي معاوية » ـ وكان يكتبُ الوحيَ ـ قال : فذهبتُ فدعوتُه له ، فقيل : إنه يأكلُ ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ : إنه يأكلُ ، فقال : « اذهب فادعُهُ لي » فأتيتُه الثانيةَ ، فقيل : إنه يأكلُ ، فأتيتُ رسولَ الله فأخبرتُه ، فقال في الثالثة : « لا أشبعَ الله بطنَه » . قال : فما شبعَ بعدَها[٤] .

قلت : وقد كان معاويةُ رضي الله عنه لا يشبعُ بعدَها ، ووافقته هذه الدعوةُ في أيام إمارته ، فيُقال : إنه كان يأكلُ في اليوم سبعَ مرّاتٍ طعاماً بلحم ، وكان يقول : والله لا أشبعُ وإنما أَعْيَا .

وقدمنا في غزوة تبوك[٥] أنه مرَّ بين أيديهم وهم يُصَلُّون غلامٌ ، فدعا عليه ، فأُقعدَ ، فلم يقم بعدَها .

وجاء من طرق أوردها البيهقي[٦] ، أن رجلاً حاكَى النبي ﷺ في كلامٍ ، واختلجَ[٧] بوجهه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « كن كذلك » فلم يزل يختلجُ ويرتعشُ مدّةَ عمره حتى مات .

وقد ورد في بعض[٨] الروايات أنه الحكم بن أبي العاص ، أبو مروان بن الحكم ، فالله أعلم .

وقال مالك : عن زيد بن أسلم ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني

---

(١) هو عمران بن أبي عطاء الأسدي أبو حمزة القصاب ، وهو ضعيف يعتبر به في المتابعات وحسب .
(٢) « فحطأني حَطأةً » : أي قفدني . وهو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين .
(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٠٤) في البر والصلة .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٢٤٣) وقال بعده : ورُوي عن هُريم ، عن أبي حمزة في هذا الحديث زيادة تدل على الاستجابة .
(٥) تقدم هذا في السيرة النبوية .
(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٣٩ـ٢٤٠) من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي المليكي المدني ، وهو ضعيف ، والإسناد منقطع .
(٧) و« اختلج » : تحرَّك واضطرب .
(٨) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٤٠) .

أنمار ، فذكرَ الحديثَ في الرجل الذي عليه ثوبان قد خَلَقَا ، وله ثوبان في العَيبَة[١] ، فأمرَه رسولُ الله ﷺ فلبسَهُما ، ثم ولَّى ، فقال رسول الله : « ما له ؟ ضرب الله عنقه »[٢] ، فقال الرجل : في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : « في سبيل الله » فقُتِل الرجلُ في سبيل الله[٣] .

وقد ورد من هذا النوع كثير .

وقد ثبَت في الأحاديث الصحيحة بطرق متعددة عن جماعة من الصحابة تفيدُ القطعَ كما سنُوردها قريباً في باب فضائله ﷺ ؛ أنه قال : « اللهم من سَبَبْتُه أو جلدتُه أو لعنتُه وليس لذلك أهلاً ، فاجعل ذلك قربةً له تقرِّبُه بها عندكَ يومَ القيامة » .

وقد قدمنا في أوّل البعثة حديثَ ابن مسعود في دعائه ﷺ على أولئك النفر السبعة ، الذين أحدهم أبو جهل بن هشام وأصحابه ، حين طرَحوا على ظهره عليه الصلاة والسلام سَلا[٤] الجزور ، وألقته عنه ابنته فاطمة ، فلما انصرفَ قال : « اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، وشَيبَة بن ربيعة ، وعُتبةَ بن ربيعة ، والوليد بن عُتبة » ثم سمّى بقيّة السبعة ، قال ابن مسعود : فوالذي بعثَه بالحق لقد رأيتُهم صرعى في القَلِيبِ[٥] قليبِ بدر[٦] . . . الحديث . وهو متفق عليه .

حديث آخر : قال الإمام أحمد[٧] : حدَّثني هاشم ، حدَّثنا سليمان ـ يعني ابن المغيرة ـ عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال :

كان مِنَّا رجلٌ من بني النجار قد قرأَ البقرةَ وآل عمران ، وكان يكتبُ لرسول الله ﷺ ، فانطلقَ هارباً حتى لَحِقَ بأهل الكتاب ، قال : فرفعُوه ، وقالوا : هذا كان يكتُبُ لمحمّد ، وأُعجبُوا به ، فما لبث أن قصمَ الله عنقَه فيهم ، فحفروا له فوارَوه ، فأصبحتِ الأرضُ قد نبذتهُ على وجهِها ، ثم عادُوا فحفروا له ووَارَوه ، فأصبحتِ الأرضُ قد نبذتهُ على وجهِها ، فتركُوه مَنبوذاً .

---

(١) « العَيبَة » : مستودع الثياب .

(٢) في الموطأ : فقال رسولُ الله ﷺ : ما له ؟ ضرب الله عنقه ، أليس هذا خيراً له ؟ والحافظ ابن كثير ذكره باختصار .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٤٤) وهو عند مالك في الموطأ (٢/ ٩١٠) في اللباس من حديث زيد بن أسلم عن جابر . ورواه الحاكم (٤/ ١٨٣) من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن جابر ، وإسناده حسن .

(٤) « سلا الجزور » : الذي يكون فيه الولد في بطن أمه ، وقيل : هو الكرش .

(٥) « القليب » : البئر لا ماء فيه .

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٠) في الوضوء وغيره ، ومسلم في صحيحه رقم (١٧٩٤) في الجهاد ، والنسائي في سننه (١/ ١٦١ـ١٦٢) في الطهارة .

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٢٣) وفيه تكرار الحفر والنبذ ثلاث مرات . ومعنى نبذته : طرحته على وجهها عبرة للناظرين .

ورواه مسلم[١] ، عن محمد بن رافع ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، به .

طريق أخرى عن أنس : قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يزيدُ بن هارون ، حدَّثنا حُميد ، عن أنس :

أن رجلاً كان يكتبُ للنبي ﷺ ، وكان قد قرَأ البقرةَ وآل عمران ، وكان الرجلُ إذا قرأ البقرة وآل عمران عزَّ[٣] فينا ـ يعني عَظُمَ ـ فكان رسول الله ﷺ يُملي عليه : غفوراً رحيماً ، فيكتبُ : عليماً حكيماً ، فيقول له النبيُّ ﷺ : « اكتب كذا وكذا » فيقول : أكتبُ كيفَ شِئتُ ، ويُملي عليه : عليماً حكيماً ، فيكتبُ : سميعاً بصيراً ، فيقول : أكتبُ كيف شئتُ ، قال : فارتدَّ ذلكَ الرجل عن الإسلام فلحِقَ بالمشركين . وقال : أنا أعلمُكم بمحمد ، وإني كنتُ لا أكتبُ إلّا ما شئتُ ، فماتَ ذلك الرجل ، فقال النبي ﷺ : « إن الأرض[٤] لا تقبله » .

قال أنس : فحدَّثني أبو طلحة أنه أتى الأرضَ التي ماتَ فيها ذلك الرجل فوجدَه منبوذاً ، فقال أبو طلحة : ما شأنُ هذا الرجل ؟ قالوا : قد دفنّاه مِرَاراً فلم تقبله الأرضُ .

وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجوه .

طريق أخرى عن أنس

وقال البخاري[٥] : حدَّثنا أبو مَعمر ، حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال :

كان رجلٌ نصراني فأسلمَ وقرأ البقرةَ وآل عمران ، وكان يكتبُ للنبيّ ﷺ فعادَ نصرانياً ، وكان يقولُ : لا يدري محمّدٌ إلا ما كتبتُ له ، فأماتَه الله فدفنوه ، فأصبحَ وقد لَفَظَته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ـ لما هربَ منهم نَبَشُوا عن صاحبنا فألقَوه ـ ، فحفروا له فأعمَقُوا له في الأرض ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظَته الأرضُ ، فعلِمُوا أنه ليس من الناس فألقَوه .

باب

المسائل التي سُئل عنها رسُول الله ﷺ فأجابَ عنها بما يُطابقُ الحقَّ الموافقَ لها في الكتب الموروثة عن الأنبياء

قد ذكرنا في أول البعثة ما تَعنَّتَت به قريشٌ ، وبعثت إلى يهود المدينة يَسألونَهم عن أشياء يسألونَ عنها

---

(١) في صحيحه رقم (٢٧٨١) في صفات المنافقين .
(٢) في مسنده (٣/ ١٢٠) .
(٣) في المسند : جدَّ وهي بمعنى عَظُم .
(٤) في المسند : لم تقبله .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦١٧) في المناقب (باب علامات النبوة في الإسلام) .

رسولَ الله ﷺ ، فقالوا : سَلوه عن الروح ، وعن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يُدرى ما صَنعوا ، وعن رجلٍ طوّافٍ في الأرض بلغَ المشارقَ والمغاربَ ، فلما رجعوا سألُوا عن ذلك رسولَ الله ﷺ ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وأنزلَ سورةَ الكهف يشرحُ فيها خبرَ الفِتية الذين فارقوا دينَ قومهم وآمنوا بالله العزيز الحميد ، وأفردُوه بالعبادة ، واعتزلُوا قومَهم ، ونزلوا غاراً وهو الكهف ، فنامُوا فيه ، ثم أيقظَهم الله بعد ثلاثمئة سنة وتسع سنين ، وكان من أمرهم ما قصَّ الله علينا في كتابه العزيز ، ثم قصَّ خبرَ الرجلين المؤمن والكافر ، وما كان من أمرِهما ، ثم ذكرَ خبرَ موسى والخضر وما جرى لهما من الحكم والمواعظ .

ثم قال : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف : ٨٣] .

ثم شرحَ ، ثم ذكرَ خبرَه وما وصلَ إليه من المشارق والمغارب ، وما عَمِلَ من المصالح في العالم ، وهذا الإخبارُ هو الواقعُ في الواقع ، وإنما يُوافقه من الكتب التي بأيدي أهل الكتاب ، ما كان منها حقاً ، وأما ما كان مُحرَّفاً مُبدَّلاً فذاك مردود ، فإن الله بعثَ محمداً بالحقِّ وأنزل عليه الكتاب ليبيِّنَ للناس ما اختلفوا فيه من الأخبار والأحكام ، قال الله تعالى بعد ذكر التوراة والإنجيل : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ ﴾ [المائدة : ٤٨] . وذكرنا في أول الهجرة قصّة إسلام عبد الله بن سَلام ، وأنه قال :

لما قدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة انجفلَ الناسُ إليه ، فكنتُ فيمنِ انجفلَ ، فلما رأيتُ وجهه علمت[(١)] أن وجهَه ليسَ بوجه كذَّاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « أيها النَّاسُ ، أفشُوا السَّلامَ ، وصِلُوا الأرحامَ ، وأطعموا الطَّعامَ ، وصَلُّوا بالليل والناسُ نيام ، تَدخُلوا الجنَّة بسلام »[(٢)] .

وثبتَ في صحيح البخاري وغيره ، من حديث إسماعيل بن عَطيّة ، وغيره ، عن حُميد ، عن أنس :

قصة سؤاله رسول الله ﷺ : عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ ، ما أوّل أشراط الساعة ؟ وما أوّل طعام يأكلُه أهلُ الجنّة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أخبرني بهنَّ جبريل آنفاً ، ثم قال : أما أوّلُ أشراط الساعة فنارٌ تحشرُ الناسَ من المشرق إلى المغرب ، وأما أوّلُ طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنّةِ فزيادةُ كَبِدِ الحوت ، وأما الولدُ فإذا سبقَ ماءُ الرجل ماءَ المرأة نَزَعَ الولدُ إلى أبيه ، وإذا سبقَ مَاءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ نَزَعَ الولدُ إلى أمّه »[(٣)] .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : قلت .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٤٥١) وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٥٣٦ و ٦٢٤) و (١٤/ ٩٥) والترمذي في الجامع رقم (٢٤٨٥) في صفة القيامة ، وابن ماجه في سننه رقم (١٣٣٤) في إقامة الصلاة وهو حديث صحيح .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٩٣٨) في مناقب الأنصار ، وهو عند الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٠٨) كلاهما عن=

وقد رواه البيهقيُّ ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يُونس بن بُكير ، عن أبي مَعشر ، عن سعيد المقبري ، فذكر مُساءَلَةَ عبد الله بن سلام إلا أنه قال : فسأله عن السَّوَاد الذي في القمر ، بدلَ أشراط الساعة ، فذكرَ الحديث إلى أن قال : « وأما السَّوادُ الذي في القمر فإنهما كانا[١] شمسين ، فقال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ [الإسراء : ١٢] . فالسَّوَادُ الذي رأيتَ هو المحو » فقال عبدُ الله بن سلام : أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأن محمّداً رسولُ الله[٢] .

حديث آخر في معناه : قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم المزكي ، أنبأنا أبو الحسن ـ أحمد بن محمد بن عبدوس[٣] ـ حدثنا عثمان بن سعيد ، أخبرنا الرَّبيعُ بن نافع ، أبو توبة ، حدَّثنا معاويةُ بن سَلام ، عن زيد بن سَلام ؛ أنه سمع أبا سَلامٍ يقول : أخبرني أبو أسماء الرَّحَبيّ ؛ أن ثَوبانَ حدَّثه ، قال :

كنتُ قائماً عندَ رسول الله ﷺ فجاءَه حَبرٌ من أحبارِ اليهود ، فقال : السَّلامُ عليك يا محمّد ، فدفعتُه دفعةً كاد يُصرع منها ، قال : لمَ تدفعني ؟ قال : قلت : ألا تقول : يا رسول الله ؟ قال : إنما سمّيته باسمه الذي سمَّاه به أهلُه ، فقال رسول الله ﷺ : « إن اسمي الذي سمَّاني به أهلي محمد » فقال اليهودي : جئتُ أسألُكَ ، فقال رسول الله ﷺ : « ينفعُك شيءٌ إن حدَّثتُك ؟ » قال : أسمعُ بأذني ، فنكتَ بعودٍ معَه فقال له : سل ، فقال له اليهودي : أينَ النَّاسُ يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض والسَّموات ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ : « في الظُّلمة دون الجسر » قال : فمن أوّل الناس إجازةً ؟ فقال : « فقراء المهاجرين » قال اليهودي : فما تُحفَتُهم حين يدخلونَ الجنّة ؟ قال : « زيادةُ كَبِدِ الحُوت » قال : وما غذاؤهم على إثره ؟ قال : « يُنحَرُ لهم ثَورُ الجنّةِ الذي كان يأكلُ من أطرافِها » قال : فما شرابُهم عليه ؟ قال : « من عين فيها تُسمَّى سَلسَبيلاً » قال : صدقت .

قال : وجئتُ أسألُك عن شيءٍ لا يعلمُه أحدٌ من الأرض إلا نبيٌّ أو رجلٌ أو رجلان . قال : « ينفعُك إن حدَّثتُك ؟ » قال : أسمع بأذني ، قال : جئتُ أسألُك عن الولد ، قال : « ماءُ الرجل أبيض وماءُ المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فَعَلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل أنّثا

= أنس رضي الله عنه ، والسائل هو عبد الله بن سَلام .

(١) في دلائل البيهقي : فإنهما كأنهما شمسين .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٦٢) وإسناده ضعيف ، لضعف أبي معشر نجيح السندي ؛ قال ابن أبي شيبة : كان يحدّث عن المقبري بأحاديث منكرة .

(٣) كذا في الأصل ودلائل البيهقي ، وفي المطبوع : عيدروس .

بإذن الله » فقال اليهودي : صدقتَ ، وإنك لنبيّ ، ثم انصرفَ ، فقال النبي ﷺ : « إنه سألني عنه وما أعلم شيئاً منه حتى أتاني الله به »[١] .

وهكذا رواه مسلم[٢] ، عن الحسن بن عليّ الحلواني ، عن أبي توبة ، الربيع بن نافع ، به ، وهذا الرجلُ يُحتملُ أن يكونَ هو عبد الله بن سلام ، ويُحتمل أن يكون غيره ، والله أعلم .

حديث آخر : قال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، حدَّثني ابنُ عباس ، قال :

حضرت عصابة من اليهود يوماً عند رسولِ الله ﷺ فقالوا : يا رسولَ الله حدِّثنا عن خلالٍ نسألُك عنها لا يعلمُها إلا نبيّ ، قال : « سَلوني عما شِئتم ، ولكن اجعلُوا لي ذمَّةَ الله وما أخذَ يعقوبُ على بنيه إن أنا حدَّثتُكم بشيءٍ تعرفونَه صِدقاً لتُتَابِعُنِّي[٣] على الإسلام » قالوا : لك ذلك ، قال : « سَلُوا عما شِئتم » قالوا : أخبرنا عن أربع خِلال ثم نسألُك ، أخبرنا عن الطعام الذي حرَّمَ إسرائيلُ على نفسه من قبل أن تنزلَ التوراة ، وأخبرنا عن ماءِ الرجلِ كيف يكونُ الذكرُ منه حتى يكونَ ذكراً ، وكيف تكونُ الأنثى حتى تكونَ أنثى ، وأخبرنا عن هذا النبيِّ في النوم ، ومن وليّك من الملائكة ؟ قال : « فعليكم عهدُ الله لئن أنا حدَّثتُكم لتُتَابِعُنِّي » فأعطوه ما شاءَ من عهد وميثاق ، قال : « أنشدُكم بالله الذي أنزلَ التوراةَ على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيلَ ـ يعقوب ـ مَرِضَ مرضاً شديداً طال سقمُه فيه ، فنذرَ لله نَذرَاً لئن شفاهُ الله من سقمِه ليحرمَنَّ أحبَّ الشرابِ إليه وأحبَّ الطعام إليه ، وكان أحبَّ الشرابِ إليه ألبانُ الإبل ، وأحبَّ الطعام إليه لحمان الإبل ؟ » قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله : « اللهم اشهد عليهم » قال : فأنشُدكُم الله الذي لا إلهَ إلا هو ، الذي أنزلَ التوراةَ على موسى ، هل تعلمونَ أنَّ ماءَ الرجلِ أبيض ، وأن ماء المرأة رقيقٌ أصفر ، فأيُّهما علا كان له الولد والشَّبَه بإذن الله ، وإن علا ماءُ الرجل ماءَ المرأة كان ذكراً بإذن الله ، وإن علا ماءُ المرأةِ ماءَ الرجل كان أنثى بإذن الله ؟ » قالوا : اللهم نعم . قال رسول الله : « اللهم اشهد عليهم » .

قال : « وأنشدُكم بالله الذي لا إلهَ إلا هو ، الذي أنزلَ التوراةَ على موسى ، هل تعلمونَ أن هذا النبيَّ تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبُه ؟ » قالوا : اللهم نعم . قال : « اللهم اشهد عليهم » .

قالوا : أنت الآن حدِّثنا عن وليِّك من الملائكةِ ، فعندَها نجامعُكَ أو نفارِقُكَ ، قال : « وليّي جبريلُ

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٦٣ـ٢٦٤) وإسناده صحيح . ومعنى فنكت : خط في الأرض بعود وأثَّر فيها . والجسر : الصراط . وتحفتهم : ما يهدى إلى الرجل ويخصف له ويُلاطف . وآنثا : كان الولد أنثى .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣١٥) في الحيض .

(٣) في دلائل البيهقي (٦/ ٢٦٦) لتبايعنِّي . والتحريف فيها قريب .

عليه السلام ، ولم يبعثِ الله نبيّاً قطُّ إلا وهو وليّه » فقالوا : نفارقُك ، لو كان وليُّك غيره من الملائكة لبايعنَاك وصدَّقناكَ ، قال : « فما يمنعُكم أن تُصدِّقوه ؟ » قالوا : إنه عدوُّنا من الملائكة ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [البقرة : ٩٧] ، ونزلت ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ الآية[١] [البقرة : ٩٠] .

حديث آخر : قال الإمام أحمد ، حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا شُعبة عن عمرو بن مُرّةَ ، سمعت عبدَ الله بن سلمة يُحدِّث عن صفوان بن عسال المرادي ، قال :

قال يهوديٌّ لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبيِّ حتى نسألَه عن هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء : ١٠١] فقال : لا تقل له شيئاً ، فإنه لو سمعَك لصارت له أربعُ أعين ، فسألاه : فقال النبي ﷺ : « لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببريءٍ إلى ذي سلطان ليقتلَه ، ولا تقذفوا محصنةً ، أو قال : لا تَفِرُّوا من الزحف ـ شعبةُ الشَّاكُّ ـ وأنتم يا معشرَ يهود عليكم خاصة ألَّا تَعدُوا في السَّبت » قال : فقبَّلا يديه ورجليه وقالا : نشهدُ أنَّك نبيّ ، قال : فما يمنعُكما أن تَتَّبِعَاني ؟ قالا : إن داودَ عليه السلام دعا ألا يزالَ من ذريته نبيّ ، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنَا يهودُ .

وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي[٢] من طرق ، عن شُعبة ، به ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيح .

قلت : وفي رجاله من تُكُلِّمَ فيه[٣] ، وكأنه اشتُبِه على الراوي التسعُ الآيات بالعشر الكلمات ، وذلك أن الوصايا التي أوصاها الله إلى موسى وكلَّمه بها ليلة الطور بعدما خرجوا من ديار مصر ، وشعبُ بني إسرائيل حول الطور حضورٌ ، وهارون ومن معه من العلماء وقوف على الطور أيضاً ، وحينئذ كلَّم الله موسى آمراً له بهذه العشر كلمات ، وقد فُسِّرَت في هذا الحديث ، وأما التسعُ الآيات فتلك دلائلُ وخوارق عاداتٍ أُيِّدَ بها موسى عليه السلام ، وأظهرَها الله على يديه بديار مصر ، وهي العصا ، واليد ، والطوفان ، والجراد ، والقُمّل ، والضفادع ، والدم ، والجدب ، ونقص الثمرات .

وقد بسطتُ القولَ على ذلك في « التفسير »[٤] بما فيه الكفاية ، والله أعلم .

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي رقم (٢٧٣١) ولكن المصنف نقله من دلائل البيهقي (٦/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) .
(٢) رواه الترمذي (٢٧٣٣) في الاستئذان ، والنسائي (٧/ ١١١) وهو في الكبرى (٣٥٤١) و (٨٦٥٦) ، وابن ماجه (٣٧٠٥) في الأدب ، وابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٧٢) ، والحاكم (١/ ٩) ، والبيهقي في السنن (٨/ ١٦٦) .
(٣) لعله يشير إلى عبد الله بن سلمة المرادي ، فهو ضعيف يعتبر به كما هو مبين في تحرير التقريب (٢/ ٢١٧) .
(٤) تفسير القرآن العظيم ؛ لابن كثير (٣/ ٦٦) .

فَصـــل

وقد ذكرنا في « التفسير » عند قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٩٤ ـ ٩٥] ، ومثلها في سورة الجمعة ، وهي قوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٦ ـ ٧] ، وذكرنا أقوال المفسرين في ذلك ، وأن الصوابَ أنه دعاهم إلى المباهلة ، وأن يدعُوا بالموت على المبطل منهم أو المسلمين ، فنَكلُوا عن ذلك لعلمِهم بظلم أنفسهم ، وأن الدعوةَ تنقلبُ عليهم ، ويعودُ وَبالُها إليهم .

وهكذا دعا النصارى من أهل نجران حين حاجُّوه في عيسى ابن مريم ، فأمرَه الله أن يدعوَهم إلى المباهلة في قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٦١] .

وهكذا دعا على المشركين على وجه المباهلة في قوله : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ [مريم : ٧٥] . وقد بسطنا القول في ذلك عند هذه الآيات في كتابنا « التفسير » بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة .

حديثٌ آخر : يتضمّن اعترافَ اليهود بأنه رسولُ الله ﷺ ويتضمّن تحاكُمَهم إليه ، ولكن بقصدٍ منهم مذموم

وذلك أنهم ائتمروا بينهم : أنه إن حكمَ بما يُوافق هواهُم اتَّبعوه ، وإلا فاحذَرُوا ذلك ، وقد ذمَّهم الله في كتابه العزيز على هذا القصد .

قال عبد الله بن المبارك : حدَّثنا معمر ، عن الزهري ، قال : كنتُ جالساً عند سعيد بن المسيب ، وعند سعيد رجلٌ وهو يوقِّره ، وإذا هو رجلٌ من مُزينة ، كان أبوه شهدَ الحُدَيبية ، وكان من أصحاب أبي هريرة ، قال : قال أبو هريرة : كنتُ جالساً عندَ رسول الله ﷺ إذ جاءَ نفرٌ من اليهود ـ وقد زنى رجل منهم وامرأة ـ فقال بعضُهم لبعض : اذهبوا بنا إلى هذا النبيِّ فإنه نبيٌّ بُعث بالتخفيف ، فإن أفتانا حدّاً دون الرجم فعلنَاه واحتجَجنا عند الله حين نلقاهُ بتصديق نبيٍّ من أنبيائه .

قال مُرّة : عن الزهري : وإن أمرنا بالرجم عصيناه ، فقد عَصَينَا الله فيما كتبَ علينا من الرجم في التوراة .

فأتوا رسولَ الله ﷺ وهو جالسٌ في المسجد في أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ما تَرى في رجلٍ منا زنى بعد ما أُحصِنَ ؟ فقام رسولُ الله ﷺ ولم يَرجع إليهم شيئاً ، وقام معه رجالٌ من المسلمين ، حتى أَتَوا بيتَ مِدراس اليهود ، فوجدوهم يَتدارسون التوارةَ ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « يا معشر اليهود ، أنشدُكم بالله الذي أنزلَ التوراةَ على موسى ، ما تَجدون في التوراةِ من العقوبةِ على مَن زنى إذا أُحصِنَ ؟ » قالوا : نجبيه[1] ، والتجبية أن يحملوا اثنين على حِمار ، فيُولّوا ظهرَ أحدهما ظهرَ الآخر . قال : وسكتَ حَبرُهم ، وهو فتى شاب ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ صَامتاً ألظَّ به النَّشدَةَ .

فقال حَبرُهم : أما إذ نشدتَهم فإنا نجدُ في التوراة الرجمَ على من أُحصِنَ ، قال النبي ﷺ : « فما أولُ ما تَرَخَّصتُم أمرَ الله عزّ وجلّ ؟ » فقال : زنى رجلٌ منا ذو قرابةٍ بملِكٍ من مُلوكنا ، فأَخَّر عنه الرجمَ ، فزنى بعدَه آخرُ في إثرِه من الناس فأراد ذلك الملكُ أن يرجمَه ، فقام قومُه دونَه ، فقالوا : لا والله لا نرجمُهُ حتى يرجمَ فلاناً ابنَ عمِّه ، فاصطلحوا بينَهم على هذه العقوبة ، فقال رسول الله ﷺ : « فإني أحكم بما حُكِمَ في التوراة » فأمرَ رسولُ الله ﷺ بهما فرُجِمَا .

قال الزهري : وبلغنا أن هذه الآيات نزلت فيهم : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

وله شاهدٌ في الصحيح عن ابن عمر .

قلت : وقد ذكرنا ما وردَ في هذا السياق من الأحاديث عند قوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ [المائدة : ٤١] يعني الجلد والتحميم الذي اصطلحوا عليه وابتدعوه من عند أنفسهم ، يعني : إن حكم لكم محمد بهذا فخذوه : ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾ [المائدة : ٤١] ، يعني : وإن لم يحكم لكم بذلك فاحذرُوا قبولَه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٤١] إلى أن قال : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٤٣] فذمَّهم الله تعالى على سوء ظنِّهم وقصدهم بالنسبة إلى اعتقادهم في كتابهم ، وأن فيه حكم الله بالرجم ، وهم مع ذلك يعلمون صحته ، ثم يعدلون عنه إلى ما ابتدعوه من التحميم والتجبية .

وقد روى هذا الحديثَ محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، قال : سمعتُ رجلاً من مزينةَ يُحدِّث سعيدَ بن المسيب ؛ أن أبا هريرة حدَّثهم فذكرَه ، وعنده : فقالَ رسولُ الله ﷺ لابن صوريا : « أنشدُك بالله

---

(١) كذا في الأصل ، وفي دلائل البيهقي : نجبّه . وبهامشه : نحممه .

وأذكّرك أيامَه عند بني إسرائيل ، هل تعلمُ أنَّ الله حكمَ فيمن زنى بعدَ إحصانِه بالرجمِ في التوراة ؟ » فقال : اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم ، إنهم يَعرفون أنك نبيٌّ مرسل ، ولكنَّهم يَحسدونَك .

فخرجَ رسولُ الله ﷺ فأمرَ بهما فرُجِما عندَ باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار .

قال : ثم كفرَ بعد ذلك ابنُ صوريا ، فأنزل الله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ [المائدة : ٤١] الآيات .

وقد وردَ ذكرُ عبد الله بن صُوريا الأعور في حديث ابن عمر وغيره ، بروايات صحيحة قد بيَّنَّاها في « التفسير » .

حديث آخر : قال حمَّادُ بن سلمة : حدَّثنا ثابت ، عن أنس ؛ أن غلاماً يهودياً كان يخدمُ النبيَّ ﷺ فمرضَ ، فأتاه رسولُ الله ﷺ يعودُه ، فوجدَ أباه عندَ رأسِه يقرأُ التوراةَ ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « يا يهوديُّ ، أنشدُكَ بالله الذي أنزلَ التوارةَ على موسى ، هل تجدونَ في التوارة نَعتي وصِفَاتِي ومَخرجي ؟ » فقال : لا ، فقال الفتى : بلى والله يا رسولَ الله ، إنا نجد في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال النبيُّ لأصحابه : « أقيمُوا هذا من عند رأسه ، وَلُوا[١] أخاكم » . رواه البيهقيُّ من هذا الوجه بهذا اللفظ[٢] .

حديث آخر : قال أبو بكر بن أبي شيبة ، حدَّثنا عفّان ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عُبيدة بن عبد الله ، عن أبيه ، قال :

إن الله ابتعثَ نبيَّه ﷺ لإدخال رجلٍ الجنَّةَ ، فدخلَ النبيُّ ﷺ كنيسةً ، وإذا يهوديٌّ يقرأُ التوراةَ ، فلما أتى على صفتِه أمسكَ ، قال : وفي ناحيتها رجلٌ مريض ، فقال النبيُّ ﷺ : « ما لكم أمسكتُم ؟ » فقال المريضُ : إنهم أَتَوا على صفة نبيٍّ فأمسَكُوا ، ثم جاء المريضُ يَحبُو حتى أخذَ التوراة وقال : ارفع يدَك ، فقرأَ حتى أتى على صفتِه ، فقال : هذه صفتُك وصفةُ أمّتك ، أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأشهدُ أنَّ محمّداً رسولُ الله ، ثم ماتَ ، فقال النبي ﷺ : « لوا أخاكم »[٣] .

حديث آخر : إن النبي ﷺ : وقف على مِدراس اليهود فقال : « يا معشرَ يهودَ أسلموا ، فوالذي لا إلهَ إلا هو إنَّكم لتعلمونَ أني رسولُ الله إليكم » فقالوا : قد بلَّغتَ يا أبا القاسم ، فقال : « ذلك أريد »[٤] .

---

(١) « ولوا » : من الولاية : أي اهتموا بتجهيزه ودفنه .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٧٢) وهو حديث حسن .
(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٧٢_٢٧٣) وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود . ولكن يشهد له الذي قبله .
(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٩٤٤) في الإكراه ، ومسلم في صحيحه رقم (١٧٦٥) في الجهاد والسير بلفظ متقارب . وبيت المِدراس : المراد به كبير اليهود ، ونسب البيت إليه لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم أي : =

فصل

فالذي يقطعُ به كتابُ الله وسنّة رسولهِ ، ومن حيث المعنى : أن رسولَ الله ﷺ قد بشَّرت به الأنبياء قبلَه ، وأتباعُ الأنبياء يعلمون ذلك ، ولكنَّ أكثرَهم يكتمون ذلك ويُخفونه .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧ ـ ١٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام : ١١٤] وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] وقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [آل عمران : ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] وقال تعالى : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ ﴾ [هود : ١٧] وقال تعالى : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس : ٧٠] .

فذكر تعالى بعثته إلى الأمّيينَ وأهلِ الكتاب وسائرِ الخلق من عربهم وعجمهم ، فكل من بلغَه القرآنُ فهو نذيرٌ له ، قال ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ولا يُؤمن بي إلا دخلَ النار » . رواه مسلم(١) .

وفي الصحيحين : « أعطيت خمساً لم يُعطَهن أحدٌ من الأنبياء قبلي : نُصِرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرٍ ، وأُحِلَّت لي الغنائمُ ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي ، وجُعلت لي الأرضُ مَسجداً وطَهوراً ، وأُعطيت الشفاعةَ ، وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومه وبُعثت إلى الناس عامّة »(٢) .

= قراءتها . الفتح (١٢/ ٣٩٣) .

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٥٣) في الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، وأحمد في المسند (٢/ ٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : « والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار » .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٥) في التيمم في أوله ، ورقم (٤٣٨) في الصلاة ، باب قول النبي ﷺ : جعلت=

وفيهما : « بُعثت إلى الأسود والأحمر »(١) قيل : إلى العرب والعجم ، وقيل : إلى الإنس والجن ، والصحيح أعمُّ من ذلك .

والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تناهتِ النبوّةُ إلى آخر أنبياء بني إسرائيل ، وهو عيسى ابن مريم ، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل ، وقصَّ الله خبرَه في ذلك ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .

فأخبارُ محمّدٍ صلواتُ الله وسلامُه عليه بأن ذكرَه موجودٌ في الكتب المتقدمة ، فيما جاء به من القرآن ، وفيما وردَ عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدَّمَ ، وهو مع ذلك من أعقلِ الخلق باتفاق المُوافق والمُفارق ، يدلّ على صدقه في ذلك قطعاً ، لأنه لو لم يكن واثقاً بما أخبرَ به من ذلك ، لكان ذلك من أشدِّ المُنَفِّراتِ عنه ، ولا يُقدم على ذلك عاقل ، والغرضُ أنه من أعقلِ الخلقِ حتى عند من يُخالفه بل هو أعقلُهم في نفس الأمر .

ثم إنه قد انتشرت دعوتُه في المشارق والمَغارب ، وعمَّت دولةُ أمَّتِه في أقطار الآفاق عموماً لم يحصل لأمةٍ من الأمم قبلَها ، فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً ، لكان ضررُه أعظمَ من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذَّرَ عنه الأنبياءُ أشدَّ التحذير ، ولنفَّروا أممَهم منه أشدَّ التنفير ، فإنهم جميعهم قد حذَّروا من دعاة الضلالة في كتبهم ، ونهوا أممَهم عن اتِّباعِهم والاقتداء بهم ، ونصُّوا على المسيح الدجال ، الأعورِ الكذَّاب ، حتى قد أنذرَ نوح ـ وهو أوّلُ الرسل ـ قومَه ، ومعلومٌ أنه لم يَنصَّ نبيٌّ من الأنبياء على التحذير من محمّد ، ولا التنفير عنه ، ولا الإخبار عنه بشيء خلافَ مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتباعه ، والنهي عن مخالفته ، والخروج من طاعته .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ٨١ ـ ٨٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما بعثَ الله نبياً إلا أخذَ عليه الميثاق ؛ لئن بُعث محمد وهو حيٌّ ليُؤمِننّ به ولينصرنَّه ، وأمرَه أن يأخذَ على أُمّته الميثاقَ لئن بُعث محمّدٌ وهم أحياء ليُؤمِنُنَّ به وليتبعُنَّه(٢) . رواه البخاري(٣) .

= لي الأرض مسجداً وطهوراً . ومسلم في صحيحه (٥٢١) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٥٢١) بلفظ « بعثت إلى كل أحمر وأسود » وهو جزء من حديث جابر الذي قبله .

(٢) في فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٣٧) : لينصرنَّه .

(٣) لم يروه البخاري، ولم يذكره ابن كثير في تفسيره عن البخاري ، وقد ذكره من كلام علي وابن عباس وإنما هو غلط ، =

وقد وجدت البشارات بِه ﷺ في الكتب المتقدمة ، وهي أشهرُ من أن تُذكرَ وأكثرُ من أن تُحصر .

وقد قدَّمنا قبلَ مولده عليه الصلاة والسلام طَرفاً صالحاً من ذلك ، وقرَّرنا في كتاب « التفسير » عند الآيات المقتضية لذلك آثاراً كثيرة .

ونحنُ نُورد هاهنا شيئاً مما وُجد في كتبهم التي يَعترفون بصحتها ، وَيتديَّنون بتلاوتِها ، مما جمعَه العلماءُ قديماً وحديثاً ممن آمن منهم ، واطَّلعَ على ذلك من كتبهم التي بأيديهم .

ففي السِّفر الأوّل من التوراة التي بأيديهم في قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسَّلام ما مضمونُه وتعريبُه : إن الله أوحى إلى إبراهيمَ عليه السلام ، بعدما سلَّمَه من نار النمروذ : أن قم فاسلُك الأرضَ مشارقَها ومغاربَها لولدك . فلما قصَّ ذلك على سارة طمعت أن يكونَ ذلك لولدها منه ، وحرصت على إبعاد هاجرَ وولدها ، حتى ذهبَ بهما الخليلُ إلى بريّة الحجازِ وجبالِ فاران ، وظن إبراهيم عليه السلام أن هذه البشارة تكونُ لولده إسحاق ، حتى أوحى الله إليه ما مضمونُه : أما ولدُك إسحاق فإنه يُرزق ذريّةً عظيمةً ، وأما ولدُك إسماعيل فإني باركتُه وعظّمتُه ، وكثَّرتُ ذرِّيتَه ، وجعلتُ من ذرِّيّته ماذ ماذ ؛ يعني محمداً ﷺ ، وجعلتُ في ذرّيته اثنا عشر إماماً ، وتكون له أمّة عظيمة .

وكذلك بُشِّرَت هاجر حين وضعها الخليلُ عند البيت فعطِشَت وحزنت على ولدها ، وجاءَ الملَكُ فأنبعَ زمزمَ ، وأمرَها بالاحتفاظ بهذا الولد ، فإنه سيُولد منه عظيمٌ ، له ذريّةٌ عددَ نجوم السماء .

ومعلوم أنه لم يُولد من ذريّة إسماعيلَ ، بل من ذريّة آدم ، أعظمُ قدراً ولا أوسعُ جاهاً ، ولا أعلى منزلةً ، ولا أجلُّ منصباً ، من محمد ﷺ ، وهو الذي استولت دولةُ أمّتِه على المشارق والمغارب ، وحكموا على سائرِ الأمم .

وهكذا في قصة إسماعيل من السِّفر الأوّل : أن ولد إسماعيل تكونُ يدُه على كل الأمم ، وكلُّ الأمم تحتَ يده ، وبجميع مساكن إخوته يسكن . وهذا لم يكن لأحدٍ يصدقُ على الطائفة إلا لمحمد ﷺ .

وأيضاً في السفر الرابع في قصة موسى ، أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام : أن قل لبني إسرائيلَ : سأقيم لهم نبيّاً من أقاربهم مثلَك يا موسى ، وأجعلُ وحيي بفيه وإيَّاه تَسمعون .

= ولعله من النساخ ، وإنما رواه ابن جرير الطبري كما ذكر ذلك الشوكاني في تفسيره فتح القدير (١/ ٤٣٧) عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ . . . ﴾ آية (٨١) من سورة آل عمران .
قال الشوكاني : وأخرج ابن جرير عن علي قال : لم يبعث الله نبياً آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد من محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ، ولينصرنَّه ويأمره فيأخذ العهد على قومه ، ثم تلا ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ . . . ﴾ وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس نحوه ، وأخرج ابن أبي حاتم نحوه رقم (٨٧٦) عن ابن عباس ، ورقم (٨٧٧) عن ابن طاووس عن أبيه طاووس ، وانظر بقية الروايات في فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٣٧) .

وفي السِّفر الخامس ـ وهو سفر الميعاد ـ أن موسى عليه السلام خطبَ بني إسرائيلَ في آخر عمره ـ وذلك في السنة التاسعة والثلاثين من سني التيه ـ وذكَّرَهم بأيام الله ، وأياديه عليهم ، وإحسانه إليهم ، وقال لهم فيما قال : واعلموا أن الله سيبعثُ لكم نبيَّاً من أقاربِكم مثلَ ما أرسلني إليكم ، يأمرُكم بالمعروف ، وينهاكم عن المنكر ، ويُحِلُّ لكم الطيبات ، ويُحرِّم عليكم الخبائث ، فمن عَصَاهُ فله الخزيُ في الدنيا ، والعذابُ في الآخرة .

وأيضاً في آخر السِّفر الخامس وهو آخر التوراة التي بأيديهم : جاء الله من طُور سَيناء ، وأشرقَ من ساعير ، واستعلنَ من جبال فاران ، وظهرَ من ربوات قدسه ، عن يمينه نور ، وعن شماله نار ، عليه تجتمع الشعوب . أي : جاء أمرُ الله وشرعه من طُور سَيناء ـ وهو الجبل الذي كلَّم الله موسى عليه السلام عنده ـ وأشرقَ من ساعير وهي جبال بيت المقدس ـ المَحلّة التي كان بها عيسى ابن مريم عليه السلام ـ واستعلنَ ، أي ظهرَ وعلا أمرُه من جبال فاران ، وهي جبالُ الحجاز بلا خلاف ، ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد ﷺ .

فذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعي ، ذكر مَحلّة موسى ، ثم عيسى ، ثم بلد محمد ﷺ ، ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضلَ أوّلاً ، ثم الأفضلَ منه ، ثم الأفضلَ منه على قاعدة القسم ، فقال تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ والمراد بها محلة بيت المقدس حيث كان عيسى عليه السلام ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين : ١ ـ ٣] وهو البلد الذي ابتعث منه محمداً ﷺ .

قاله غير واحد من المفسرين في تفسير هذه الآيات الكريمات .

وفي زبور داود عليه السلام صفة هذه الأمة بالجهاد والعبادة ، وفيه مَثَلٌ ضَربَه لمحمّدٍ ﷺ ، بأنه خِتَام القبّة المبنية ، كما وردَ به الحديث في الصحيحين(١) : « مَثلي ومثلُ الأنبياء قَبلي كمَثَلِ رجلٍ بنى داراً فأكملَها إلا موضِعَ لَبِنَةٍ . فجعلَ الناسُ يُطيفون بها ويقولون : هلاّ وضعت هذه اللَّبنة ؟ » ومِصداقُ ذلك أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وفي الزبور صفةُ محمّد ﷺ بأنه ستنبسطُ نبوّتُه ودعوتُه وتنفذُ كلمتُه من البحر إلى البحر ، وتأتيه الملوكُ من سائر الأقطار طائعينَ بالقرابين والهدايا ، وأنه يُخَلِّصُ المضطرَ ، ويَكشفُ الضُّرَّ عن الأمم ، ويُنقذُ الضعيفَ الذي لا ناصرَ له ، ويُصَلّى عليه في كل وقت ، ويُبارِكُ الله عليه في كلّ يوم ، ويَدوم ذكرُه إلى الأبد . وهذا إنما ينطبق على محمد ﷺ .

(١) رواه البخاري رقم (٣٥٣٥) . ومسلم رقم (٢٢٨٦و٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وهو في مسند أحمد (٢/ ٣٩٨) .

وفي صحف شعيا عليه السلام في كلام طويل فيه معاتبة لبني إسرائيل ، وفيه : فإني أبعثُ إليكم وإلى الأمم نبيّاً ليس بفظٍّ ولا غليظ القلب ، ولاسخَّابٍ في الأسواق ، أُسَدِّده لكل جميل ، وأهبُ له كلَّ خُلُقٍ كريم ، ثم أجعلُ السكينةَ لباسَه ، والبِرَّ شعارَه ، والتقوى في ضميره ، والحكمَ معقولَه ، والوفاءَ طبيعتَه ، والعدلَ سيرتَه ، والحقَّ شريعتَه ، والهدى مِلَّتَه ، والإسلام دينَه ، والقرآنَ كتابَه ، أحمدُ اسمه ، أهدي به من الضلالة ، وأرفعُ به بعدَ الخمالة ، وأجمعُ به بعد الفرقة ، وأؤلّفُ به بين القلوب المختلفة ، وأجعلُ أمّتَه خيرَ أمّةٍ أُخرجت للناس ، قرابينُهم دماؤهم ، أناجيلُهم في صدورهم ، رهباناً بالليل ، ليوثاً بالنهار ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

وفي الفصل العاشر من كلام شعيا : يدوسُ الأممَ كدوس البَيَادر ، ويُنزلُ البلاءَ بمشركي العرب ، ويَنهزمون قدّامه .

وفي الفصل السادس والعشرين منه : ليفرح أرضَ البادية العطشى ، ويعطي أحمد محاسن لبنان ، ويرون جلال الله ببهجته .

وفي صحف إلياس عليه السلام : أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحاً ، فلما رأى العربَ بأرض الحجاز قال لمن معه : انظروا إلى هؤلاء فإنهم هم الذين يَملكون حصونكم العظيمة ، فقالوا : يا نبيَّ الله ، فما الذي يَكون مَعبودُهم ؟ فقال : يُعظمون ربَّ العزة فوقَ كل رابية عالية .

ومن صحف حزقيل : إن عبدي خيرتي أنزل عليه وحيي ، يُظهر في الأمم عدلي ، اخترتُه واصطفيتُه لنفسي ، وأرسلتُه إلى الأمم بأحكام صادقة .

ومن كتاب النبوات : أن نبياً من الأنبياء مرّ بالمدينة فأضافَه بنو قُريظة والنضير ، فلما رآهم بكى ، فقالوا له : ما الذي يُبكيك يا نبيَّ الله ؟ فقال : نبيٌّ يَبعثه الله من الحرّة ، يُخَرِّبُ ديارَكم ويَسبي حريمَكم ، قال : فأرادَ اليهودُ قتلَه فهربَ منهم .

ومن كلام حزقيل عليه السلام : يقول الله : من قبل أن صوَّرتُك في الأحشاء قدَّستُك ، وجعلتك نبيّاً ، وأرسلتُك إلى سائر الأمم .

وفي صحف شعيا أيضاً ، مثلٌ مضروب لمكّة شرَّفها الله : افرحي يا عاقرُ بهذا الولد الذي يَهَبُه لكِ ربُّك ، فإن ببركته تتسعُ لك الأماكن ، وتثبتُ أوتادُك في الأرض ، وتعلو أبوابُ مساكنك ، ويأتيك مُلوكُ الأرض عن يمينك وشمالِك بالهدايا والتقادم ، وولدُك هذا يرثُ جميعَ الأمم ، ويملك سائر المدنِ والأقاليم ، ولا تَخافي ولا تحزني ، فما بقي يلحقُكِ ضيمٌ من عدوٍّ أبداً ، وجميعُ أيام تَرَمُّلك تنسيها .

وهذا كله إنما حصلَ على يدي محمد ﷺ ، وإنما المرادُ بهذه العاقر مكة ، ثم صارت كما ذُكر في هذا

الكلام لا محالة . ومن أرادَ من أهل الكتاب أن يصرفَ هذا ويتأوّله على بيت المقدس ، فهذا لا يناسبُه من كلّ وجه ، والله أعلم .

وفي صحف أرميا : كوكبٌ ظهرَ من الجنوب ، أشعتُه صواعق ، سِهامُه خوارق ، دُكّت له الجبال . وهذا المراد به محمد ﷺ .

وفي الإنجيل يقولُ عيسى عليه السلام : إني مُرتقٍ إلى جناتِ العُلى ، ومرسلٌ إليكم الفارقليط ، روحُ الحقّ يُعلّمكُم كلَّ شيء ، ولم يقل شيئاً من تِلقاء نفسه .

والمراد بالفارقليط محمدٌ صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا كما تقدم عن عيسى أنه قال : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .

وهذا بابٌ متسع ، ولو تقصّينا جميعَ ما ذكرَه الناسُ لطالَ هذا الفصلُ جداً ، وقد أشرنا إلى نُبَذٍ من ذلك يَهتدي بها من نوَّرَ الله بصيرَته ، وهدَاه إلى صراطه المستقيم ، وأكثرُ هذه النصوص يعلمُها كثيرٌ من علمائهم وأحبارهم ، وهم مع ذلك يتكاتمُونها ويُخفونها .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقيُّ(١) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا محمد بن عُبيد الله بن أبي داود المُنادي ، حدَّثنا يُونس بن محمد المُؤدِّب ، حدَّثنا صالح بن عمر ، حدَّثنا عاصم بن كُليب ، عن أبيه ، عن الفلتان بن عاصم ، قال :

كنا جلوساً عند النبيِّ ﷺ ، إذ شخصَ بصرُه إلى رجلٍ فدعَاه ، فأقبلَ رجلٌ من اليهود مُجتمعٌ عليه قميصٌ وسراويلُ ونعلان(٢) . فجعلَ يقول : يا رسولَ الله ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يقول : « أتشهدُ أني رسولُ الله ؟ » فجعلَ لا يقولُ شيئاً إلا قال : يا رسول الله ، فيقولُ : « أتشهد أني رسولُ الله ؟ » فيأبى ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أتقرأُ التوراة ؟ » قال : نعم ، قال : « والإنجيل ؟ » قال : نعم ، والفرقان وربّ محمد لو شئتُ لقرأتُه . قال : « فأنشدُك بالذي أنزلَ التوراة والإنجيلَ ـ وأشياء حَلَّفَه بها ـ تجدني فيهما ؟ » قال : نجدُ مثلَ نَعتِكَ ، يخرجُ من مَخرجِك ، كنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجتَ رأينا أنَّك هو ، فلما نظرنَا إذا أنتَ لستَ به ، قال : « من أين ؟ » قال : نجدُ من أمّتك سبعينَ ألفاً يدخلون الجنَّة بغير حساب ، وإنما أنتم قليل ، قال : فهلَّلَ رسول الله ﷺ وكبَّر ، وهلَّلَ وكبَّر ، ثم قال : « والذي نفسُ محمّدٍ بيده إنني لأنا هو ، وإنَّ من أمّتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين وسبعين »(٣) .

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٢٧٣) .

(٢) « ونعلان » : ليست في دلائل البيهقي .

(٣) ورواه ابن حبان رقم (٦٥٨٠) . والبزار رقم (٣٥٥٤) . والطبراني في الكبير (١٨/ ٨٥٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٢) و(١٠/ ٤٠٧و٤٠٨) : رواه البزار ورجاله ثقات . وهو حديث حسن .

حديث في جوابه عليه الصلاة والسلام
لمن سأل عما سأل ، قبلَ أن يسألَه عن شيء منه

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عفان ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمة ، أخبرنا الزبير أبو عبد السلام ، عن أيوب بن عبد الله بن مكرز ـ ولم يسمعه منه ـ قال : حدَّثني جلساؤُه وقد رأيتُه ، عن وابصة الأسدي ، وقال[٢] عفان : حدَّثنا[٣] غيرَ مرّة ولم يقل : حدَّثني جلساؤه ، قال :

أتيتُ رسولَ الله ﷺ وأنا أُريدُ ألَّا أدعَ شيئاً من البرِّ والإثم إلا سألتُه عنه ، وحولَه عصابةٌ من المسلمين يستفتُونه ، فجعلتُ أتخطَّاهم ، فقالوا : إليك يا وابصةُ عن رسول الله ، فقلتُ : دعوني فأدنو منه ، فإنه أحبُّ الناس إليَّ أن أدنوَ منه ، قال : « دعوا وابصةَ ، ادنُ يا وابصةَ » مرتين أو ثلاثاً ، قال : فدنوتُ منه حتى قعدتُ بين يديه ، فقال : « يا وابصةُ أخبرُك أم تسألُني ؟ » فقلت : لا ، بل أخبرني . فقال : « جئتَ تسألُ عن البرِّ والإثم » فقلت : نعم ، فجمعَ أناملَه فجعلَ ينكتُ بهنَّ في صدري ويقول : « يا وابصةُ ، استفتِ قلبكَ واستفتِ نفسكَ ـ ثلاث مرات ـ البرُّ ما اطمأنت إليه النفسُ ، والإثمُ ما حاكَ في النفس وتردَّدَ في الصدر ، وإن أفتاكَ الناسُ وأفتوكَ »[٤] .

باب
ما أخبر به ﷺ من الكائنات المستقبلة في حياته وبعده
فوقعت طِبق ما أخبرَ به سواءً بسواء

وهذا باب عظيم لا يُمكن استقصاءُ جميع ما فيه لكثرتها ، ولكن نحن نُشير إلى طرفٍ منها ، وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله العزيز الحكيم ، وذلك منتزع من القرآن ، ومن الأحاديث .

أما القرآن ، فقال تعالى في سورة المزمل ـ وهي من أوائل ما نزل بمكة ـ ﴿ عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ

---

(١) في المسند (٤/ ٢٢٨) .
(٢) في المسند : قال .
(٣) في المسند : حدَّثني .
(٤) إسناده ضعيف جداً ، الزبير أبو عبد السلام هو الزبير بن جواتشير ، ضعفه الدولابي في الكنى (٢/ ٧٢) ، وسماه ابن حبان أيوب بن عبد السلام (المجروحين ١/ ٦٥) فذكر الدارقطني أنه هو (كما في الموضوعات لابن الجوزي ١/ ١٢٧) ، وهو بعد ذلك منقطع فإن الزبير هذا على ما فيه لم يسمع من أيوب بن عبد الله بن مكرز .

﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المزمل : ٢٠] ومعلوم أن الجهاد لم يُشرع إلا بالمدينة بعد الهجرة .

وقال تعالى في سورة اقتربت ـ وهي مكية ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر : ٤٤ ـ ٤٥] ووقعَ هذا يوم بدر ، وقد تلاها رسولُ الله ﷺ وهو خارجٌ من العريشِ ، ورماهم بقبضةٍ من الحَصباء فكان النصرُ والظَّفرُ ، وهذا مِصداقُ ذاك .

وقال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد : ١ ـ ٥] فأخبرَ أن عمَّه عبد العزى بن عبد المطلب ـ المُلقَّب بأبي لَهب ـ سيدخلُ النار هو وامرأته ، فقدَّر الله عزَّ وجلَّ أنهما ماتا على شركهما لم يُسلما ، حتى ولا ظاهراً ، وهذا من دلائل النبوة الباهرة .

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] وقال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ الآية [البقرة : ٢٣ ـ ٢٤] ، فأخبرَ أن جميعَ الخليقة لو اجتمعوا ، وتعاضَدُوا وتناصَروا وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحتِه وبلاغتِه ، وحلاوتِه وإحكام أحكامِه ، وبيان حَلاله وحَرامه ، وغير ذلك من وجوه إعجازه ، لما استطاعوا ذلك ، ولما قَدَروا عليه ولا على عَشرِ سورٍ منه ، بل ولا سورةٍ ، وأخبرَ أنهم لن يفعلوا ذلك أبداً ، ولن لنفي التأبيد[(١)] في المستقبل ، ومثل هذا التحدّي ، وهذا القطع ، وهذا الإخبار الجازم ، لا يصدرُ إلا عن واثقٍ بما يُخبر به ، عالمٍ بما يَقوله ، قاطعٍ أن أحداً لا يُمكنه أن يعارضَه ، ولا يأتي بمثل ما جاء به عن ربه عزّ وجلّ .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] الآية ، وهكذا وقع سواءٌ بسواء ، مَكَّنَ الله هذا الدين وأظهره ، وأعلاه ونشرَه في سائر الآفاق ، وأنفذَه وأمضاه ، وقد فسَّرَ كثيرٌ من السلف هذه الآية بخلافة الصديق ، ولا شكَّ في دخوله فيها ، ولكن لا تختصُّ به ، بل تعمُّه كما تعمُّ غيرَه ، كما ثبت في الصحيح « إذا هلكَ قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعدَه ، والذي نفسي بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل الله »[(٢)] وقد كان ذلك في زمن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وأرضاهم .

---

(١) كذا في الأصل ، والصحيح أن يقال : ولن لنفي الفعل في المستقبل .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » رقم (٢٩١٨) في الفتن وأشراط الساعة ، ولفظه : « وقد مات كسرى فلا كسرى بعدَه ، وإذا هلك قيصر » وتتمته سواء .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] وهكذا وقع وعمَّ هذا الدين ، وغلبَ وعلا على سائر الأديان ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وعلت كلمتُه في زمن الصحابة ومَن بعدَهم ، وذلَّت لهم سائرُ البلاد ، ودان لهم جميعُ أهلها ، على اختلاف أصنافهم ، وصارَ الناسُ إما مؤمنٌ داخلٌ في الدين ، وإما مُهادِنٌ باذلٌ الطاعةَ والمال ، وإما مُحاربٌ خائفٌ وَجِلٌ من سَطوة الإسلام وأهله .

وقد ثبت في الحديث : « إن الله زوى لي الأرضَ مشارقَها ومغاربَها ، وسيبلغ ملكُ أمتي ما زوى لي منها »[١] .

وقال تعالى : ﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ ﴾ [الفتح : ١٦] الآية ، وسواء كان هؤلاء هوازن أو أصحاب مُسيلمة ، أو الروم ، فقد وقعَ ذلك .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢٠ وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴾ [الفتح : ٢٠ ـ ٢١] وسواء كانت هذه الأخرى خيبرَ أو مكةَ ، فقد فُتحت وأُخذت كما وقع به الوعد سواءً بسواء .

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] فكان هذا الوعدُ في سنة الحُديبية عامَ ست ، ووقعَ إنجازه في سنة سبع عام عُمرة القضاء كما تقدم . وذكرنا هناكَ الحديثَ بطوله ، وفيه أن عمر قال : يا رسولَ الله ألم تكن تُخبرُنا أنا سنأتي البيتَ ونطوفُ به ؟ قال : « بلى ، أفأخبرتُك أنك تأتيه عامَك هذا ؟ » قال : لا ، قال : « فإنَّك تأتيه وتطوفُ به »[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ ﴾ [الأنفال : ٧] وهذا الوعد كان في وقعة بدر لمَّا خرجَ رسولُ الله ﷺ من المدينة ليأخذَ عيرَ قريش ، فبلغَ قريشاً خروجُه إلى عيرهم ، فنَفروا في قريبٍ من ألف مُقاتل ، فلما تحقَّقَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه قدومَهم وعدَه الله إحدى الطائفتين أن سيُظفِره بهم[٣] ، إما العيرُ وإما النفيرُ ، فودَّ كثيرٌ من الصحابة ـ ممن كان

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٩٢٠) و (٢٨٨٩) في الفتن وأشراط الساعة ، ولفظه : « إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها » ورواه الترمذي في الجامع رقم (٢١٧٦) في الفتن ، وأبو داود في سننه رقم (٤٢٥٢) في الفتن ، وهو عند أحمد في المسند (٥/ ٢٧٨) .

(٢) تقدم ذلك في السيرة النبوية .

(٣) كذا في (أ) وفي المطبوع : سيظفره بها .

معه ـ أن يكونَ الوعدُ للعير ، لما فيه من الأموال وقلّةِ الرجال ، وكرهوا لقاءَ النفير ، لما فيه من العَدد والعُدد ، فخَارَ الله لهم وأنجزَ لهم وعدَه في النفير ، فأوقع بهم بأسَه الذي لا يُرَدّ ، فقُتِلَ من سَراتِهم سبعون ، وأُسِرَ سبعون ، وفادُوا أنفسَهم بأموال جزيلة ، فجمعَ لهم بين خيري الدنيا والآخرة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٧] . وقد تقدم بيان هذا في غزوة بدر .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧٠] وهكذا وقع ؛ فإن الله عوَّضَ مَن أسلمَ منهم بخير الدنيا والآخرة .

ومن ذلك ما ذكرَه البخاريُّ[1] أنَّ العباسَ جاءَ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، أعطني ، فإني فاديتُ نفسي ، وفاديتُ عَقيلاً ، فقال له : « خذ » فأخذَ في ثوبٍ مقداراً لم يُمكنهُ أن يُقِلَّه ، ثم وضعَ منه مرةً بعد مرةٍ حتى أمكنَه أن يحملَه على كاهله ، وانطلقَ به كما ذكرناه في موضعه مبسوطاً . هذا من تصديق هذه الآية الكريمة .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ الآية [التوبة : ٢٨] ، وهكذا وقعَ ، عوَّضَهم الله عما كان يغدو إليهم مع حُجَّاج المشركين ، بما شرَعه لهم من قتال أهل الكتاب ، وضَربِ الجِزية عليهم ، وسلبِ أموالِ من قُتل منهم على كفره ، كما وقع بكفّار أهل الشام من الروم ومَجوس الفرس ، بالعراق وغيرها من البلدان التي انتشرَ الإسلام على أرجائها ، وحكم على مدائنها وفَيفائها ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ ﴾ الآية [التوبة : ٩٥] ، وهكذا وقع ، لمَّا رجعَ ﷺ من غزوة تبوك ، كان قد تخلَّفَ عنه طائفةٌ من المنافقين ، فجعلوا يَحلِفون بالله لقد كانوا معذورينَ في تخلّفهم ، وهم في ذلك كاذبون ، فأمرَ الله رسولَه أن يُجريَ أحوالَهم على ظاهرها ، ولا يفضحَهم عند الناس ، وقد أطلَعه الله على أعيان جماعةٍ منهم أربعةَ عشرَ رجلاً كما قدَّمناه لك في غزوة تبوك ، فكان حُذيفةُ بن اليَمان ممن يعرفُهم بتعريفه إياه ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٦] وهكذا وقع ، لما اشتوروا عليه ليثبتوه ، أو يقتلوه ، أو يُخرجوه من بين أظهرهم ، ثم وقع الرأي على القتل ، فعند ذلك أمر الله رسولَه بالخروج من بين أظهرهم ، فخرجَ هو وصديقُه أبو بكر ،

---

(١) تقدم الحديث .

فكَمَنا في غار ثورٍ ثلاثاً ، ثم ارتحلا بعدَها كما قدَّمنا ، وهذا هو المرادُ بقوله : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] وهو المراد من قوله : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ولهذا قال : ﴿ لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٦] وقد وقعَ كما أخبرَ فإن الملأ الذين اشتورُوا على ذلك لم يلبثوا بمكة بعد هجرته ﷺ إلا ريثما استقرَّ ركابُه الشريف بالمدينة وتابعه المهاجرون والأنصار ، ثم كانت وقعة بدرٍ فقُتلت تلك النفوسُ ، وكُسِرَت تلك الرؤوس ، وقد كان ﷺ يعلمُ ذلك قبل كونه من إخبار الله له بذلك ، ولهذا قال سعدُ بن معاذ لأميّة بن خلف : أما إني سمعتُ محمّداً ﷺ يذكرُ أنه قاتلُك ، فقال : أنت سمعتَه ؟ قال : نعم ، قال : فإنه والله لا يكذبُ ، وسيأتي الحديثُ في بابه .

وقد قدَّمنا أنه عليه الصلاة والسلام جعلَ يُشيرُ لأصحابه قبلَ الوقعة إلى مَصارع القتلى ، فما تعدَّى أحدٌ منهم موضعَه الذي أشارَ إليه ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ١ ـ ٦] وهذا الوعدُ وقعَ كما أخبرَ به ، وذلك أنه لما غَلبت فارسُ الرومَ فرحَ المشركون ، واغتمَّ بذلك المؤمنون ، لأن النصارى أقربُ إلى الإسلام من المجوس ، فأخبرَ الله رسوله ﷺ بأنَّ الرومَ ستغلبُ الفرسَ بعد هذه المدة بسبع سنين ، وكان من أمر مُراهنةِ الصدّيق رؤوس المشركين على أن ذلك سيقعُ في هذه المدة ، ما هو مشهورٌ كما قرّرناهُ في « التفسير »(١) فوقعَ الأمرُ كما أخبرَ به القرآن ، غَلبتِ الرومُ فارسَ بعد غَلَبِهم غَلَباً عظيماً جداً ، وقصّتُهم في ذلك يطولُ بسطُها ، وقد شرحناها في « التفسير » بما فيه الكفاية ، ولله الحمدُ والمِنّةُ .

وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] وكذلك وقع ، أظهرَ الله من آياته ودلائله في أنفس البشر وفي الآفاق بما أوقعه من الناس بأعداء النبوة ، ومخالفي الشرع ممن كذَّبَ به من أهلِ الكتابين ، والمجوس والمشركين ، ما دلَّ ذوي البصائر والنُّهى على أن محمداً رسول الله حقاً ، وأن ما جاءَ به من الوحي عن الله صدق ، وقد أوقعَ له في صدور أعدائه وقلوبهم رُعباً ومهابةً وخوفاً ، كما ثبتَ عنه في الصحيحين أنه قال : « نُصرتُ بالرعب

---

(١) تفسير القرآن العظيم ؛ لابن كثير (٣/ ٤٢٢) .

مسيرةَ شهر »[١] وهذا من التأييد والنصر الذي آتاه الله عزَّ وجلَّ ، وكان عدوّه يخافُه وبينه وبينه مسيرة شهر ، وقيل : كان إذا عزمَ على غزو قومٍ أُرعبوا قبل مجيئه إليهم ، وورودِه عليهم بشهر ، صلواتُ الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

فَصـــل

وأما الأحاديث الدّالة على إخباره بما وقعَ كما أخبر ، فمن ذلك ما أسلفنَاه في قصة الصحيفة التي تعاقدت فيها بطونُ قريش ، وتمالؤوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يُؤووهم ، ولا يُناكحوهم ، ولا يُبايعوهم ، حتى يُسلِّموا إليهم رسولَ الله ﷺ .

فدخلت بنو هاشم وبنو المطلب ، بمُسلمهم وكافرهم شِعبَ أبي طالب آنِفينَ لذلك مُمتنعينَ منه أبداً ، ما بَقُوا دائماً ، ما تَناسلوا وتَعاقبوا . وفي ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللامية التي يقول فيها :

كـذَبتُـم وَبَيـتِ الله نبزي[٢] مُحَمَّـداً ... وَلَمّـا نُقَـاتِـل دُونَـهُ وَنُنَـاضِـلِ
ونُسلِمُـهُ حَتَّـى نُصَـرَّعَ حَـولَـهُ ... ونَـذهَـلَ عَـنْ أَبنـائِنَـا والحَـلائِـلِ
وَمَـا تَـرْكُ قَـومٍ لَا أبـا لَـكَ سَيّـداً ... يَحُـوطُ الـذِّمَـارَ غيـرَ ذَرْبٍ مُـواكِـلِ
وَأَبيـضَ يُستَسْقـى الغَمـامُ بِـوَجْهِـهِ ... ثِمَـالُ اليَتـامَـى عِصْمَـةٌ لِـلأرامِـلِ
يَلُـوذُ بِـهِ الهُـلاّكُ مِـن آلِ هـاشِـمٍ ... فَهُـمْ عِنْـدَهُ فـي نِعْمَـةٍ وَفَـواضِـلِ

وكانت قريشٌ قد علَّقت صحيفة التعاقد في سقف الكعبة ، فسلَّطَ الله عليها الأَرَضَةَ فأكلتْ ما فيها من أسماء الله ، لئلا يجتمعَ بما فيها من الظلم والفجور ، وقيل : إنها أكلتْ ما فيها إلا أسماء الله عزّ وجلّ ، فأخبرَ بذلك رسولُ الله ﷺ عمَّه أبا طالب ، فجاء أبو طالب إلى قريش فقال : إن ابن أخي قد أخبرَني بخبرٍ عن صحيفَتكم ، فإن الله قد سلَّطَ عليها الأَرَضَة فأكلتهَا إلا ما فيها من أسماء الله ، أو كما قال : فأَحْضِرُوها ، فإن كان كما قال وإلا أسلمتُه إليكم ، فأنزلُوها ففتحوها فإذا الأمرُ كما أخبرَ به رسولُ الله ﷺ فعند ذلك نقضُوا حكمَها ودخلتْ بنو هاشم وبنو المطلب مكة ، ورجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك ، كما أسلفنا[٣] ذكرَه ، ولله الحمد .

ومن ذلك حديثُ خبّاب بن الأرت ، حين جاء هو وأمثالهُ من المستضعفين يَستنصرون النبيَّ ﷺ ، وهو يتوَسَّدُ رداءَه في ظلِّ الكعبة فيدعو لهم لما هم فيه من العذاب والإهانة ، فجلسَ مُحْمَرّاً وجهُه وقال :

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٥) في التيمم ، ومسلم في صحيحه رقم (٥٢١) في المساجد .
(٢) كذا في (أ) ، و« نبزي » : نقهر . وفي نسخة « يُبْزىٰ » .
(٣) تقدم ذلك في قسم السيرة النبوية .

« إن من كان قبلكم كان أحدُهم يُشقُّ باثنتين ، ما يصرفُه ذلك عن دينه ، والله ليتمَّنَّ الله هذا الأمرَ ولكنّكم تَستعجلون »(١) .

ومن ذلك الحديث الذي رواه البخاري : حدَّثنا محمد بن العلاء ، حدَّثنا حمَّادُ بن أسامة ، عن بُرَيد بن عبد الله بن أبي بُردة ، عن أبيه ، عن جده أبي بُردة ، عن أبي موسى ؛ أُراهُ عن النبي ﷺ قال : « رأيتُ في المنام أني أهاجرُ من مكّةَ إلى أرضٍ فيها نخلٌ ، فذهبَ وَهَلي(٢) إلى أنها اليَمَامةُ أو هَجَرٌ ، فإذا هي المدينةُ يَثرب ، ورأيتُ في رؤياي هذه أني هززتُ سيفاً فانقطعَ صدرُه ، فإذا هو ما أُصيبَ من المؤمنينَ يومَ أُحدٍ ، ثم هززتُه أخرى فعادَ أحسنَ ما كان ، فإذا هو ما جاءَ به من الفتح واجتماعِ المؤمنينَ ، ورأيتُ فيها بَقراً والله خيرٌ ، فإذا هُم المؤمنون يومَ أُحدٍ ، وإذا الخيرُ ما جاء الله به من الخير وثوابِ الصدقِ الذي آتانا الله بعدَ يوم بدر »(٣) .

ومن ذلك قصة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف حين قدم عليه مكة .

قال البخاري : حدَّثنا أحمدُ بن إسحاق ، حدَّثنا عُبيد الله بن موسى ، حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود قال :

انطلقَ سعدُ بن معاذ مُعتمراً ، فنزلَ على أُميّةَ بن خلف ، أبي صفوانَ ، وكان أميّةُ إذا انطلقَ إلى الشام فمرَّ بالمدينة نزلَ على سعدٍ ، فقال أميّةُ لسعدٍ : انتظر حتى إذا انتصفَ النهارُ وغفلَ الناسُ انطلقتَ فطفتَ ، فبينما سعدٌ يطوفُ فإذا أبو جهل ، فقال : من هذا الذي يطوفُ بالكعبة ؟ فقال سعدٌ : أنا سعد ، فقال أبو جهل : تطوفُ بالكعبة آمناً وقد آويتُم محمّداً وأصحابَه ؟ فقال : نعم ، فتلاحيا بينهما ، فقال أميّةُ لسعدٍ : لا ترفع صوتَك على أبي الحكم فإنه سيّدُ أهل الوادي ، ثم قال سعد : والله لئن منعتني أن أطوفَ بالبيت لأقطعنَّ متجرَك بالشام ، قال : فجعلَ أميّةُ يقولُ لسعدٍ : لا ترفع صوتَك ، وجعل يُمسكه ، فغضِبَ سعدٌ فقال : دعنا عنكَ ، فإني سمعتُ محمّداً ﷺ يزعمُ أنه قاتلُك ، قال : إيايَ ؟ قال : نعم ، قال : والله ما يكذبُ محمّدٌ إذا حدَّثَ ، فرجعَ إلى امرأته فقال : أما تعلمينَ ما قال لي أخي اليثربي ؟ قالت : وما قالَ لكَ ؟ قال : زعمَ أنه سمعَ محمّداً يزعمُ أنه قاتلي ، قالت : فوالله ما يكذبُ محمّد ، قال : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخُ ، قالت له امرأته : أما ذكرتَ ما قالَ لك أخوك اليثربيُّ ؟ قال : فأرادَ ألا يخرجَ ، فقال له أبو جهل : إنك من أشرافِ الوادي ، فسر يوماً أو يومَين ، فسارَ معهم فقتلَهُ الله(٤) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦١٢) في المناقب (باب علامات النبوة) .
(٢) « وَهَلي » : ظني ، يقال : وَهَل إلى الشيء : إذا ذهب وهمه إليه .
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٢٢) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٢) في الرؤيا ، عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ من غير شك .
(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٣٢) في المناقب .

وهذا الحديث من أفراد البخاري ، وقد تقدَّمَ بأبسطَ من هذا السياق .

ومن ذلك قصة أبيّ بن خلف الذي كان يعلفُ حِصَاناً له ، فإذا مرَّ برسول الله ﷺ يقول : إني سأقتلُك عليه ، فيقولُ له رسول الله ﷺ : « بل أنا أقتلُك إن شاء الله »[١] فقتلَه يوم أحد كما قدَّمنا بسطَه .

ومن ذلك إخبارُه عن مَصارع القتلى يومَ بدرٍ كما تقدم الحديثُ في الصحيح ؛ أنه جعل يشيرُ قبلَ الوقعةِ إلى محلها ويقول : « هذا مصرعُ فلان غداً إن شاء الله ، وهذا مصرعُ فلان »[٢] قال : فو الذي بعثَه بالحقِّ ما حادَ أحدٌ منهم عن مكانه الذي أشارَ إليه رسولُ الله ﷺ .

ومن ذلك قولُه لذلك الرجل الذي كان لا يتركُ للمشركين شاذّةً ولا فاذّةً إلا اتبعها ففراها بسيفه ، وذلك يوم أحد ، وقيل : خيبر ـ وهو الصحيح ـ وقيل : في يوم حُنين ، فقال الناس : ما أغنى أحدٌ اليوم ما أغنى فلان ، يقال : إنه قَزْمَان ، فقال : « إنه من أهل النار » فقال بعضُ الناسِ : أنا صاحبُه ، فاتَّبعَه ، فجُرح ، فاستعجلَ الموتَ ، فوضعَ ذُبَابَ سيفه في صدرِه ثم تحاملَ عليه حتى أنفذَه ، فرجعَ ذلك الرجل فقال : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّكَ رسولُ الله ، فقال : « وما ذاك ؟ » فقال : إن الرجلَ الذي ذكرتَ آنفاً كان من أمره كيتَ وكيتَ . فذكرَ الحديث[٣] ، كما تقدم .

ومن ذلك إخبارُه عن فتح مدائن كسرى وقصور الشام وغيرها من البلاد يومَ حَفر الخندق ، لمَّا ضربَ بيده الكريمة تلك الصخرةَ فَبَرِقَت من ضربه ، ثم أخرى ، ثم أُخرى ، كما قدَّمناه[٤] .

ومن ذلك إخبارُه ﷺ عن ذلك الذراع[٥] أنه مسمومٌ ، فكان كما أخبرَ به ، اعترف اليهودُ بذلك ، وماتَ من أكلَ معه ـ بِشْرُ بن البراء بن مَعرور ـ .

ومن ذلك ما ذكرَه عبدُ الرزاق ، عن مَعمر ؛ أنه بلغَه أن رسولَ الله ﷺ قال ذات يوم : « اللهم نجِّ

---

(١) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٣/ ٢٥٨) عن الحاكم أبي عبد الله ، وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، ورواه موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، ورواه عبد الرحمن بن خالد بن معافر ، عن ابن شهاب ، عن ابن المسيب . والحديث في سيرة ابن هشام (٣/ ٣٧) ومغازي الواقدي (١/ ٢٥٠) وهو مرسل ، وله شاهد .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٧٧٩) في الجهاد ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وأبو داود في سننه رقم (٢٦٨١) في الجهاد عن موسى بن إسماعيل .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٢٠٢) و(٤٢٠٧) في المغازي باب غزوة خيبر. ومعنى لا يترك شاذة ولا فاذة: أي لا يترك عدواً إلا قتله؛ منفرداً كان أو مع الجماعة. ورجح الحافظ ابن حجر أن تكون القصة قد وقعت في غزوة خيبر؛ كما أوردها البخاري. فتح الباري (٧/ ٤٧٢) وقد تقدم هذا الموضوع مستوفى عند ابن كثير في قسم السيرة النبوية.

(٤) تقدم ذلك في السيرة النبوية ؛ باب معجزاته ﷺ في غزوة الخندق .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١٦٩) في الجزية ، ورقم (٥٧٧٧) في الطب ، ورواه مسلم في صحيحه رقم (٢١٩٠) في السلام .

أصحابَ السفينة »[١] ثم مكثَ ساعةً ، ثم قال : « قد استمرَّتْ » والحديثُ بتمامه في « دلائل النبوة » للبيهقي ، وكانت تلك السفينة قد أشرفتْ على الغرق ، وفيها الأشعريون الذين قَدِمُوا عليه وهو بخيبر .

ومن ذلك إخبارُه عن قبر أبي رِغَال ، حين مرَّ عليه وهو ذاهبٌ إلى الطائف وأنَّ معه غصناً من ذهب ، فحفرُوه فوجدُوه كما أخبرَ ، صلواتُ الله وسلامُه عليه .

رواه أبو داود[٢] ، من حديث أبي إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن بجير بن أبي بجير ، عن عبد الله بن عمرو به .

ومن ذلك قولُه عليه الصلاة والسلام للأنصار ، لمَّا خطبَهم تلك الخطبة مسلِّياً لهم عمَّا كان وقعَ في نفوس بَعضِهم من الإيثار عليهم في القِسْمَة لما تألَّفَ قلوبَ من تألَّفَ من ساداتِ العرب ، ورؤوس قريش ، وغيرهم ، فقال : « أما ترضون أن يذهبَ الناسُ بالشاة والبعير ، وتذهبُون برسول الله تَحوزُونه إلى رحالكم ؟ »[٣] .

وقال : « إنكم ستجدون بعدي أثرةً فاصبرُوا حتى تلقوني على الحوض »[٤] .

وقال : « إنَّ الناسَ يكثُرون وتقلّ الأنصار »[٥] .

وقال لهم في الخطبة قبلَ هذا على الصفا : « بل المَحْيَا مَحْيَاكم ، والمماتُ مماتكم »[٦] . وقد وقع جميعُ ذلك كما أخبرَ به سواءً بسواء .

وقال البخاري[٧] : حدَّثنا يحيى بن بكير ، حدَّثنا اللَّيث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : وأخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : « إذا هَلَكَ كِسْرى فلا كِسْرى بعدَه ، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه ، والذي نفسُ محمّد بيده لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله » .

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٥٤) رقم (١٩٨٩١) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٩٨) عن معمر بلاغاً وفيه : فقال : اللهم نجِّ أصحاب السفينة ، وإسناده منقطع .

(٢) رواه أبو داود في سننه رقم (٣٠٨٨) في الخراج ، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٩٧) وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٢٩٧) في ترجمة بُجير بن أبي بُجير وإسناده ضعيف

(٣) رواه البخاري رقم (٤٣٣١) ومسلم رقم (١٠٥٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٧٦) في المساقاة ، ورقم (٣٧٩٤) في مناقب الأنصار ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ورقم (٣٧٩٢) في مناقب الأنصار ، عن أُسيد بن حضير ، وهو عند مسلم برقم (١٨٤٥) في الإمارة ، ولفظه عند الجميع إنكم ستلقون بعدي . . .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٠٠) في مناقب الأنصار ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢/ ٤٢) .

(٧) في صحيحه (٣٦١٨) في المناقب .

ورواه مسلم[(١)] عن حرملة ، عن ابن وهب ، عن يونس ، به .

وقال البخاري[(٢)] : حدَّثنا قبيصة ، حدَّثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن جابر بن سمرة ، رفعه :

« إذا هلكَ كِسرى فلا كسرى بعدَه ، وإذا هَلَكَ قيصرُ فلا قيصَرَ بعدَه » وقال : « لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله » .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث جرير[(٣)] ، وزاد البخاري وأبي عَوانة ثلاثتُهم عن عبد الملك بن عُمير ، به .

وقد وقعَ مِصداقُ ذلك بعدَه في أيام الخلفاء الثلاثة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، استوثقت هذه الممالكُ فتحاً على أيدي المسلمين ، وأُنفقتْ أموالُ قيصرَ ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، في سبيل الله ، على ما سنذكُره بعدُ إن شاء الله .

وفي هذا الحديث بشارةٌ عظيمة للمسلمين ، وهي أن مُلكَ فارسَ قد انقطعَ فلا عودةَ له ، ومُلك الروم للشام قد زالَ عنها ، فلا يملكوه بعدَ ذلك ، ولله الحمدُ والمِنّة .

وفيه دلالةٌ على صحّة خلافةِ أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، والشهادةُ لهم بالعدل ، حيث أُنفقت الأموال المغنومة في زمانهم في سبيل الله على الوجه المَرضيّ الممدوح .

وقال البخاري[(٤)] : حدَّثنا محمد بن الحكم ، حدَّثنا النضر ، حدَّثنا إسرائيلُ ، حدَّثنا سعدٌ الطائيُّ ، أخبرنا مُحِلُّ بن خليفةَ ، عن عديّ بن حاتم ، قال :

بينا أنا عند النبيّ ﷺ إذ أتاه رجلٌ ، فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخرُ فشكا إليه قَطْعَ السبيل ، فقال : « يا عديُّ هل رأيتَ الحِيْرةَ ؟ » قلتُ : لم أرَها ، وقد أُنبئتُ عنها ، قال : « فإن طالتْ بك حياةٌ لترَينَّ الظعينةَ ترتحلُ من الحيرةِ حتى تطوفَ بالكعبة ما تخافُ أحَداً إلا الله عزَّ وجلّ » . قلتُ فيما بيني وبين نفسي : فأينَ دُعَّارُ طيىء[(٥)] الذين قد سَعَّروا[(٦)] البلادَ ؟ « ولئن طالتْ بك حياةٌ لتفتحنَّ كنوز كسرى »

---

(١) في صحيحه (٢٩١٨) في الفتن .

(٢) في صحيحه (٣٦١٩) في المناقب .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١٢١) في الخمس ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٩١٩) في الفتن ، وجرير هو ابن عبد الحميد الرازي . حديث أبي عوانة أخرجه البخاري في الأيمان والنذور من صحيحه (٦٦٢٩) عن موسى بن إسماعيل عنه .

(٤) صحيح البخاري (٣٥٩٥) في المناقب .

(٥) « دُعَّار طيىء » : جمع داعر ، وهو الشاطر الخبيث المفسد ، والمراد قطاع الطرق .

(٦) « سَعَّروا » : أوقدوا نار الفتنة ، وملؤوا الأرض شراً وفساداً . وقبيلة « طيىء » مشهورة ، منها عدي بن حاتم رضي=

قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : « كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترينَّ الرجلَ يُخرجُ مِلءَ كفِّه من ذهبٍ أو فضّةٍ ، يطلبُ من يَقبلُه منه فلا يجدُ أحداً يقبلُه منه ، وليلقينَّ الله أحدُكم يومَ يلقاه وليس بينه وبينه ترجمانٌ يُترجم له ، فيقولنَّ له : ألم أبعثْ إليك رسولاً فيُبلِّغكَ ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطِكَ مالاً وولداً[١] وأُفضل عليكَ ؟ فيقول : بلى ، فينظرُ عن يمينه فلا يرى إلا جهنَّمَ ، وينظرُ عن يساره فلا يرى إلا جهنَّمَ » . قال عدي : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « اتَّقوا النَّارَ ولو بشقِّ تمرة ، فإن لم[٢] تجد فبكلمةٍ طيّبة » .

قال عدي : فرأيتُ الظعينةَ ترتحلُ من الحِيرة حتى تطوفَ بالكعبة فلا تخافُ إلا الله عزَّ وجلَّ ، وكنتُ فيمن افتتحَ كنوزَ كسرى بن هرمز ، ولئن طالتْ بكم حياةٌ لترونَّ ما قال النبيُّ أبو القاسم ﷺ : « يُخرجُ ملءَ كفّه » .

ثم رواه البخاري[٣] عن عبد الله بن محمد ـ هو أبو بكر بن أبي شيبة ـ عن أبي عاصم النبيل ، عن سَعدان بن بشرٍ ، عن أبي مجاهد ـ سعد الطائي ـ عن مُحِلّ عنه ، به .

وقد تفرَّد به البخاريُّ من هذين الوجهين .

ورواه النسائيُّ[٤] ، من حديث شعبة ، عن مُحِلّ عنه : « اتقوا النَّار ولو بِشق تمرة » .

وقد رواه البخاري من حديث شعبة ، ومسلم من حديث زهير ، كلاهما عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن مَعْقِلٍ ، عن عدي مرفوعاً : « اتقوا النَّارَ ولو بشق تمرةٍ »[٥] .

وكذلك أخرجاه في الصحيحين[٦] ، من حديث الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن خيثمة ، عن عدي .

= الله عنه ، وبلادهم ما بين العراق والحجاز ، وكانوا يقطعون الطريق على من مرَّ عليهم بغير جواز ، ولذلك تعجب عدي كيف تمرُّ المرأة عليهم وهي غير خائفة .

(١) كذا بالأصل ، وفي البخاري : ألم أعطِك مالاً وأفضل عليك .

(٢) كذا بالأصل ، وفي البخاري : فمن لم يجد شِقَّ تمرة فبكلمةٍ طيّبة .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤١٣) في الزكاة .

(٤) رواه النسائي في سننه (٥/ ٧٤ ـ ٧٥) في الزكاة .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤١٧) في الزكاة واللفظ له ، ومسلم في صحيحه رقم (١١١٦) في الزكاة ، ولفظه : من استطاع منكم أن يستترَ من النار ولو بشِقّ تمرةٍ فليفعل .

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٣٩) في الرقاق ، ومسلم في صحيحه رقم (١٠١٦) (٦٧) و(٦٨) في الزكاة ، وكان السند في الأصل : من حديث الأعمش ، عن خيثمة ، عن عبد الرحمن ، عن عدي ، والتصحيح من البخاري ومسلم .

وفيهما[١] ، من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن خيثمة ، عن عدي ، به .

وهذه كلُّها شواهدُ لأصل هذا الحديث الذي أوردناه .

وقد تقدم في غزوة الخندق الإخبار بفتح مدائن كسرى وقصوره ، وقصور الشام ، وغير ذلك من البلاد .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا محمد بن عُبيد ، حدَّثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن خبَّاب قال :

أتينا رسولَ الله ﷺ وهو في ظِلِّ الكعبةِ مُتَوَسِّداً بردةً له ، فقلنا : يا رسولَ الله ، ادعُ الله لنا واستنصِرْه ، قال : فاحمرَّ لونُه أو تغيَّر ، فقال : « لقد كان من قبلَكم تُحفر له الحُفيرةُ ، ويُجاء بالميشار فيُوضع على رأسه فيُشقّ ما يصرفُه عن دينه ، ويُمْشَط بأمشاط الحديد ما دونَ عظمٍ أو لحمٍ أو عَصَبٍ ما يصرفُه عن دينه ، وليُتِمَّنَّ الله هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ ما بين صنعاءَ إلى حضرَموْت ما يَخشى إلا الله والذئبَ على غنمه ، ولكنَّكم تَعجلون » .

وهكذا رواه البخاريُّ[٣] عن مُسَدد ، ومحمّد بن المثنى ، عن يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به .

ثم قال البخاريُّ في كتاب « علامات النبوة » : حدَّثنا سعيدُ بن شُرحبيل ، حدَّثنا ليث ، عن يزيدَ بن أبي حَبيب ، عن أبي الخير ، عن عقبةَ ، عن النبي ﷺ ؛ أنه خرجَ[٤] يوماً فصلَّى على أهل أُحُدٍ صلاتَه على الميّت ، ثم انصرفَ إلى المِنبَرِ فقال : « أنا[٥] فَرَطُكم ، وأنا شهيدٌ عليكم ، وإني والله لأنظرُ إلى حَوْضي الآن ، وإني قد أُعطيت مفاتيحَ خزائن الأرض ، وإني والله ما أخافُ بعدي أن تُشْرِكُوا ، ولكني أخافُ أن تَنافَسُوا فيها »[٦] .

وقد رواه البخاري أيضاً ، من حديث حَيوَةَ بن شُريح ، ومسلم ، من حديث يحيى بن أيوب ، كلاهُما عن يزيد بن أبي حَبيب ، كرواية الليث عنه[٧] .

ففي هذا الحديث مما نحنُ بصدده أشياء ، منها : أنه أخبرَ الحاضرين أنه فرَطُهم ، أي : المتقدم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٢٣) في الأدب ، ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٤) في الزكاة .
(٢) في المسند (٥/ ١٠٩) وينظر الدلائل (٦/ ٣١٥) .
(٣) البخاري في صحيحه رقم (٣٦١٢) في المناقب .
(٤) في صحيح البخاري : عن النبي ﷺ خرجَ .
(٥) في صحيح البخاري : إني .
(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٩٦) في المناقب ، باب علامات النبوة .
(٧) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٠٤٢) في المغازي ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٩٦)(٣١) في الفضائل .

عليهم في الموت ، وهكذا وقعَ ، فإن هذا كان في مرض موْته عليه الصلاة والسلام ، ثم أخبرَ أنه شهيدٌ عليهم وإن تقدَّمتْ وفاتُه عليهم ، وأخبرَ أنه أُعطي مفاتيحَ خزائن الأرض ، أي : فُتحت له البلاد كما جاء في حديث أبي هريرة المتقدم .

قال أبو هريرة : فذهبَ رسولُ الله ﷺ وأنتم تفتحونها كَفرًا كَفرًا ؛ أي بلداً بلداً ، وأخبرَ أن أصحابَه لا يُشركون بعدَه ، وهكذا وقعَ ولله الحمد والمِنّة ، ولكن خافَ عليهم أن ينافسُوا في الدنيا ، وقد وقعَ هذا في زمان عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما ، ثم مَن بعدَهما ، وهلمَّ جراً إلى وقتنا هذا .

ثم قال البخاري : حدَّثنا عليُّ بن عبد الله ، أخبرنا أزهرُ بن سعد ، أخبرنا ابنُ عَوْن ، أنبأني موسى بنُ أنس بن مالك ، عن أنس :

أن النبيَّ ﷺ افتقدَ ثابتَ بن قَيْس ، فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، أنا أعلمُ لك علمَه ؟ فأتاه فوجدَه جالساً في بيته مُنكِّساً رأسَه ، فقال : ما شأنُك ؟ فقال : شراً ، كان يرفعُ صوتَه فوقَ صوتِ النبيِّ ﷺ ، فقد حَبِطَ عملُه ، وهو من أهلِ النَّار ، فأتى الرجلُ فأخبَره أنه قال كذا وكذا ، قال موسى : فرجعَ المرّة الآخِرَة ببشارةٍ عظيمةٍ ، فقال : « اذهبْ إليه فقل له : إنك لستَ من أهلِ النَّار ، ولكن من أهلِ الجنة » .

تفرد به البخاري(١) .

وقد قُتل ثابتُ بن قيس بن شمّاس شهيداً يوم اليمامة كما سيأتي تفصيلُه .

وهكذا ثبتَ في الحديث الصحيح البشارة لعبد الله بن سَلام أنه يموتُ على الإسلام ، ويكون من أهل الجنة ، وقد مات رضي الله عنه على أكملِ أحوالِه وأجملها ، وكان الناسُ يَشهدون له بالجنة في حياته ؛ لإخبار(٢) الصادق عنه بأنه يموتُ على الإسلام ، وكذلك وقع .

وقد ثبتَ في الصحيح الإخبار عن العشرة(٣) بأنهم من أهل الجنة .

بل ثبتَ أيضاً الإخبار عنه ﷺ « بأنه لا يدخل النَّارَ أحدٌ بايعَ تحتَ الشجرة(٤) » وكانوا ألفاً وأربعمئة ،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦١٣) في المناقب باب علامات النبوة .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٨١٢) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٨٣) في فضائل الصحابة .

(٣) المبشرون بالجنة أكثر من ذلك بكثير ، ولكن هؤلاء العشرة اجتمعت أسماؤهم في حديث واحد ، رواه أبو داود في سننه رقم (٤٦٤٨) و(٤٦٤٩) و(٤٦٥٠) في السنة ، والترمذي في الجامع رقم (٣٧٤٨) و(٣٧٥٧) في المناقب عن سعيد بن زيد . وهو حديث صحيح ، وثبتت البشارة لهم في البخاري ومسلم : الخلفاء الأربعة وكلٌّ بمفرده ، رضي الله عنهم جميعاً . وهذا ما أراده ابن كثير رحمه الله تعالى بقوله : وقد ثبت في الصحيح .

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٤٩٦) ، في فضائل الصحابة ، وأبو داود في سننه رقم (٤٦٥٣) في السنة ، والترمذي في الجامع رقم (٣٨٦٠) في المناقب كلهم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

وقيل : وخمسمئة ، ولم يُنقلْ أن أحداً من هؤلاء رضي الله عنه عاشَ إلا حميداً ، ولا ماتَ إلا على السَّداد والاستقامة والتوفيق ، ولله الحمد والمنة . وهذا من أعلام النبوات ، ودلائل[١] الرسالة .

فصـــل

في الإخبار بغيوبٍ ماضية ومُستقبلة

روى البيهقي ، من حديث إسرائيل ، عن سِماك ، عن جابر بن سمرة ، قال :

جاءَ رجلٌ فقال : يا رسول الله إن فلاناً مات ، فقال : « لم يمتْ » فعادَ الثانية فقال : إن فلاناً مات ، فقال : « لم يمت » فعاد الثالثة فقال : إن فلاناً (مات) نحرَ نفسه بِمشقصٍ عندَه ، فلم يصلِّ عليه[٢] .

ثم قال البيهقي : تابعه زهير عن سماك .

ومن ذلك الوجه رواه مسلم[٣] مختصراً في الصلاة .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا أسود بن عامر ، حدَّثنا هُرَيم بن سفيان ، عن بَيَان بن بِشر ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي شَهم ، قال :

مرَّتْ بي جاريةٌ بالمدينة فأخذتُ بكَشْحها[٥] ، قال : وأصبحَ الرسولُ ﷺ يُبايع الناسَ ، قال : فأتيتُه فلم يُبايعْني ، فقال : « صاحبُ الجبيذة ؟ »[٦] قال : قلتُ : والله لا أعودُ ، قال : فبايعني .

ورواه النسائي[٧] عن محمد بن عبد الرحمن المُخَرَّمي ، عن أسود بن عامر ، به .

ثم رواه أحمد عن سُرَيج ، عن يزيد بن عَطاء ، عن بَيان بن بِشر ، عن قيس ، عن أبي شَهْم ، فذكره[٨] .

---

(١) كذا بالأصل ، وفي المطبوع : ودلالات .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٠٢) وقد أخرجه الترمذي في الجامع رقم (١٠٦٨) في الجنائز ، والنسائي في سننه (٤/ ٦٦ـ٦٧) في الجنائز ، وقال الترمذي : حسن .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٩٧٨) في (الجنائز) ولفظه : أُتي النبيُّ ﷺ برجلٍ قتلَ نفسَه بمشاقص ، فلم يُصلِّ عليه . ومشاقص : سهام عِراض ، واحدها مِشقص .

(٤) في المسند (٥/ ٢٩٤) وإسناده صحيح .

(٥) « بكشحها » : الكِشْح : ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف .

(٦) « الجبيذة » : تصغير الجبذة ، وهي الجذبة .

(٧) في الكبرى (٧٣٢٩) .

(٨) المسند (٥/ ٢٩٤) .

وفي صحيح البخاري[١] : عن أبي نُعيم ، عن سفيانَ ، عن عبد الله بن دِينار ، عن عبد الله بن عمر ، قال : كنا نتقي الكلامَ والانبساطَ إلى نسائِنا في عهدِ رسولِ الله ﷺ خشيةَ أن ينزلَ فينا شيءٌ ، فلما توفي النبي ﷺ تكلّمنا وانبَسطنا .

وقال ابنُ وهب[٢] : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد أنه قال : والله لقد كان أحدنا يكف عن الشيء مع امرأته وهو وإياها في ثوب واحد تخوفاً أن ينزل فيه شيء من القرآن .

وقال أبو داود[٣] : حدَّثنا محمد بن العلاء ، حدَّثنا ابن إدريس ، حدَّثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن رجل من الأنصار ، قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فرأيتُ رسولَ الله ﷺ وهو على القبر يُوصي الحافر : « أوسعْ من قبل رجليه ، أوسع من قبل رأسه » فلما رجع استقبله داعي امرأة ، فجاء وجيء بالطعام فوضع يده فيه ووضع القوم أيديهم فأكلوا فنظر آباؤنا رسولَ الله ﷺ يلوك لقمة في فيه ، ثم قال : « أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها ، قال : فأرسلت المرأة : يا رسول الله إني أرسلت إلى البقيع يشترى لي شاة فلم توجد ، فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة : أن أرسل بها إليَّ بثمنها فلم يوجد ، فأرسلت إلى امرأته فأرسلت إليَّ بها ، فقال رسول الله ﷺ : « أطعميه الأسارى » .

فصـــل

في ترتيب الإخبار بالغيوب المستقبلة بعده عليه الصلاة والسلام

ثبت في صحيح البخاري ومسلم ، من حديث الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حُذيفة بن اليَمان : قال : قامَ رسول الله فينا مَقاماً ، ما تركَ فيه شيئاً إلى قيامِ السَّاعة إلا ذكرَه ، عَلِمَه مَن عَلِمَه ، وجَهِلَه مَن جَهِلَه ، وقد كنتُ أرى الشيءَ قد كنتُ نسيتُه فأعرفه كما يعرفُ الرجلُ الرجلَ إذا غابَ عنه فرآهُ فعرفَه[٤] .

وقال البخاري[٥] : حدَّثنا يحيى بن موسى ، حدَّثنا الوليدُ ، حدَّثني ابن جابر ، حدَّثني بُسر بن

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥١٨٧) في النكاح ، باب الوصاة بالنساء ، وهو عند أحمد في المسند (٢/ ٦٢) . ومعنى نتقي : نجتنب .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٠٧) وإسناده حسن .

(٣) في سننه (٣٣٣٢) في البيوع ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٦٠٤) في القدر ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٩١) في الفتن ، وأبو داود في سننه رقم (٤٢٤٠) في الفتن .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٦) في المناقب، باب علامات النبوة. و« الدخن » : الحقد ، وقيل: الدَّغَل ، =

عُبيد الله الحضرميّ ، حدَّثني أبو إدريس الخَولاني ؛ أنه سمع حذيفةَ بن اليَمان يقولُ : كان الناسُ يَسألون رسولَ الله ﷺ عن الخيرِ ، وكنتُ أسألُه عن الشر مخافةَ أن يُدركَني ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، إنا كنّا في جَاهليةٍ وشرّ ، فجاءَ الله بهذا الخير ، فهل بعدَ هذا الخير من شرّ ؟ قال : « نعم » قلتُ : وهل بعد ذلك الشرِّ من خَيْر ؟ قال : « نعم ، وفيه دَخَنٌ » قلتُ : وما دَخَنُه ؟ فقال : « قومٌ يَهْدُون بغير هَديي تَعرفُ منهم وتُنكر » قلت : فهل بعد ذلك الخيرِ من شرٍّ ؟ قال : « نعم ، دُعاةٌ على أبواب جهنّم ، مَن أجابَهم إليها قَذَفوه فيها » قلتُ : يا رسولَ الله صِفهم لنا ، قال : « هم من جِلدتِنَا ، ويتكلّمون بألسنتنا » قلت : فما تَأْمُرني إن أدركني ذلك ؟ قال : « تلزمُ جَماعةَ المسلمين وإمامَهم » قلت : فإن لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ ؟ قال: « فاعتزلْ تلكَ الفِرقَ كلَّها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرةٍ حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك » .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم[١] ، عن محمد بن المثنى ، عن الوليد ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، به .

قال البخاري ، حدَّثنا محمد بن مثنى ، حدَّثنا يحيى بنُ سعيد ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن حذيفةَ قال : تعلَّمَ أصحابي الخيرَ ، وتعلّمتُ الشرَّ . تفرد به البخاري[٢] .

وفي صحيح مسلم من حديث شعبةَ ، عن عديّ بن ثابت ، عن عبد الله بن يَزيد ، عن حذيفةَ ، قال : لقد حدَّثني رسولُ الله ﷺ بما يكونُ حتى تقومَ الساعةُ ، غير أني لم أسألْه ما يُخرجُ أهلَ المدينة منها[٣] .

وفي صحيح مسلم ، من حديث عِلْبَاء بن أحمر ، عن أبي زيد ـ عمرو بن أخطب ـ قال : أخبرنا رسولُ الله ﷺ بما كان وبما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، فأعلمنا أحفظُنا[٤] .

وفي الحديث الآخر : حتى دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ[٥] .

وقد تقدَّمَ حديثُ خبَّاب بن الأرت : « والله ليتمنّ الله هذا الأمرَ ولكنّكم تستعجلون »[٦] .

وكذا حديث عدي بن حاتم[٧] في ذلك .

= وقيل : فساد القلب .

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٠٨٤) في الفتن ، ومسلم في صحيحه رقم (١٨٤٧) في الإمارة .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٧) في المناقب .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٩١)(٢٤) في الفتن ، ولفظه : فما منه شيءٌ إلا قد سألتُه ، إلا أني لم أسألْه : ما يُخرج . . .

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٩٢) في الفتن وأشراط الساعة .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٩٤٣) في الإكراه ، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٩١) رقم (٦٦٩٨) في التاريخ .

(٦) تقدم الحديث .

(٧) تقدم الحديث .

وقال الله تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة : ٣٣] وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [النور : ٥٥] .

وفي صحيح مسلم ، من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدنيا حُلوَة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون ، فاتَّقُوا الدنيا ، واتَّقُوا النساءَ ، فإنَّ أولَ فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »[١] .

وفي حديث آخر : « ما تركتُ بعدي فِتنةً هيَ أضرُّ على الرجال من النساء »[٢] .

وفي الصحيحين ، من حديث الزهري ، عن عروةَ بن المِسْوَر ، عن عمرو بن عَوْف ، فذكرَ قصّةَ بعثِ أبي عُبيدة إلى البحرين قال : وفيه قال : قال رسول الله ﷺ : « أبشِروا وأمِّلُوا ما يسرُّكم ، فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسطَ عليكم الدنيا كما بُسطت على مَن كان قبلَكم ، فتنافَسوها كما تنافَسوها ، فتهلكَكم كما أهلكَتْهُم »[٣] .

وفي الصحيحين ، من حديث سفيان الثوري ، عن محمد بن المُنْكدر ، عن جابرٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « هل لكم من أنماط ؟ » قال : قلت يا رسولَ الله : وأنى يكونُ لنا أنماط ؟ فقال : « أما إنها ستكونُ لكم أنماط » . قال : فأنا أقولُ لامرأتي : نَحِّي عني أنماطَك ، فتقول : ألم يقلْ رسولُ الله : « إنها ستكون لكم أنماط ؟ » فأتركها[٤] .

وفي الصحيحين ، والمسانيد ، والسنن وغيرها ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن أبي زُهير ، قال :

قال رسولُ الله ﷺ : « تُفتحُ اليمنُ ، فيأتي قومٌ يَبُسُّون[٥] فيتحمَّلون بأهليهم ومن أطاعَهم ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعلمون »[٦] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٧٤٢) في الذكر والدعاء . وفيه : فينظرُ كيف تعملون .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٧٤١) في الذكر والدعاء ، عن أسامة بن زيد بن حارثة ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ولفظه : ما تركتُ بعدي في الناس فتنةً أضرَّ . . .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١٥٨) في الجزية ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٦١) في الزهد .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٣١) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٨٣) في اللباس . وأنماطاً : جمع نَمَط ، وهو ظهارة الفراش ، وقيل : ظهر الفراش . ويطلق أيضاً على بساط لطيف له خَمْل يُجعل على الهودج ، وقد يُجعل ستراً .

(٥) « يبسُّون » : يسوقون الإبل ويزجرونها في السير ، المعنى : أنهم يسوقون بهائمهم سائرين عن المدينة إلى غيرها . والأصل فيه : أنه بَسْ بَسْ : زجر للإبل .

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٨٧٥) في فضائل المدينة ، ومسلم في صحيحه رقم (١٣٨٨) في الحج ، ومالك في الموطأ (٢/ ٨٨٧ و٨٨٨) في الجامع (باب ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها) .

كذلك رواه عن هشام بن عروة جماعةٌ كثيرون .

وقد أسندَه الحافظُ ابن عساكر ، من حديث مالك ، وسفيان بن عُيينة ، وابن جُريج ، وأبي مُعاوية ، ومالك بن سعد بن الحسن ، وأبي ضَمْرة أنس بن عِيَاض ، وعبد العزيز بن أبي حازم سلمة بن دينار ، وجرير بن عبد الحميد .

ورواهُ أحمد[١] ، عن يونس ، عن حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة . وعبد الرزاق[٢] ، عن ابن جريج ، عن هشام . ومن حديث مالك[٣] ، عن هشام به بنحوه .

ثم روى أحمد[٤] ، عن سُليمان بن داود الهاشمي ، عن إسماعيل بن جعفر ، أخبرني يزيدُ بن خُصَيْفة ؛ أن بُسْرَ بن سعيد أخبرَه ، أنه سمعَ[٥] في مجلس الليثيين يذكرون أن سُفيان أخبرَهم ، فذكر قصة ، وفيها :

أن رسولَ الله ﷺ قال له : « ويُوشك الشامُ أن يُفتح فيأتيه رجالٌ من هذا البلد ـ يعني : المدينة ـ فيعجبُهم ريفُه ورخاؤه ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعلمون ، ثم يُفتح العراق فيأتي قوم يَبُسُّون ، فيتحملون بأهليهم ومَن أطاعهم ، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون »[٦] .

وأخرجه ابن خزيمة من طريق إسماعيل .

ورواه الحافظ ابنُ عساكر من حديث أبي ذر ، عن النبي ﷺ بنحوه .

وكذا حديث ابن[٧] حوالة .

ويشهدُ لذلك : « مَنَعتِ الشَّامُ مدها ودينارَها ، وَمَنعتِ العراقُ درهمها وقَفِيزَها ، ومنعت مصرُ أَرْدُبَّهَا ودينارَها ، وعُدتم من حيث بَدأتم » وهو في الصحيح[٨] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٢٠) رقم (٢١٨١٤) وهو حديث صحيح .
(٢) مسند أحمد (٥/ ٢٢٠) وهو في مصنف عبد الرزاق (٩/ ٢٦٥) رقم (١٧١٥٩) وهو بمعنى الذي قبله .
(٣) مسند أحمد (٥/ ٢٢٠) وهو في موطأ الإمام مالك رقم (١٨٥١) .
(٤) في المسند (٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) .
(٥) كذا في الأصل ، وفي المسند (٥/ ٢١٩) أنه في مجلس الليثيين .
(٦) في سنده جهالة الليثيين ولكن له شاهد في الصحيحين فهو حسن .
(٧) ابن حوالة : هو عبد الله بن حوالة ، قال البخاري : له صحبة ، توفي بالشام سنة ٨٠هـ ، روى عن رسول الله ﷺ حديثاً فيه البشارة بفتح الشام ، ويأمره ﷺ فيه بلزومها . . . وسيُورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث برواياته قريباً . الإصابة (٢/ ٣٠٠) .
(٨) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٩٦) في الفتن وأشراط الساعة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه وأوله : منعت العراق درهمها . . وفيه : ومنعت الشام مُدّيها . . ومُدْيَها على وزن قُفْل ، مكيال معروف لأهل الشام ، يسع خمسة عشر=

وكذلك حديث : المواقيت لأهل الشام واليمن ، وهو في الصحيحين[١] ، وعند مسلم[٢] : ميقات أهل العراق .

ويشهد لذلك أيضاً حديث : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عزَّ وجلَّ »[٣] .

وفي صحيح البخاري ، من حديث أبي إدريس الخَوْلاني ، عن عَوْف بن مالك ؛ أنه قال :

قال رسولُ الله ﷺ في غزوة تبوك : « اعدد ستاً بين يدي الساعة . . . » فذكرَ موته عليه الصلاة والسلام ، ثم فتحَ بيت المقدس ، ثم مُوتان ـ وهو الوباء ـ ثم كثرةَ المال ، ثم فتنةً ، ثم هدنةً بين المسلمين والروم »[٤] وسيأتي الحديث فيما بعد .

وفي صحيح مسلم ، من حديث عبد الرحمن بن شُمَاسَة ، عن أبي ذر ، قال :

قال رسولُ الله ﷺ : « إنكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القيراطُ فاستوصُوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذِمّةً وَرَحِماً ، فإذا رأيتَ رجلين يَختصمان في موضع لَبِنَة فاخرج منها »[٥] .

قال : فمرَّ بربيعةَ وعبد الرحمن ابني شُرحبيل بن حَسَنَة يختصمان في موضع لَبِنة ، فخرجَ منها . يعني ديار مصر ، على يدي[٦] عمرو بن العاص في سنة عشرين ، كما سيأتي .

وروى ابن وهب ، عن مالك والليث ، عن الزهري ، عن ابن لكعب بن مالك[٧] ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا افتتحتم مصر فاستوصُوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً » .

ورواه البيهقي ، من حديث إسحاق بن راشد[٨] ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن

= مكوكاً . و« قفيزها » : مكيال معروف لأهل العراق . يسع خمسة عشر مكوكاً . و« إردبّها » : مكيال معروف لأهل مصر ، يسع أربعة وعشرين صاعاً .

(١) حديث المواقيت المكانية رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١١٨٣) في الحج ، عن جابر رضي الله عنهما .

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١٧٦) في الجزية والموادعة .

(٥) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٤٣)(٢٢٧) في فضائل الصحابة ، وهو في المسند (٥/ ١٧٤) . والقيراط : جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ، وكان أهل مصر يُكثرون من استعماله والتكلم به .

(٦) أي فُتحت ديار مصر على يدي عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٧) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٢٢) وفيه : عن أبي بن كعب بن مالك ، وهو تصحيف .

(٨) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٢٢). وفيه : عن إسحاق بن أسد ، وهو تصحيف ، إنما هو إسحاق بن راشد الجزري .

مالك ، عن أبيه[١] .

وحكى أحمد بن حنبل ، عن سفيان بن عيينة أنه سُئل عن قوله : « ذمةً ورحماً » فقال : مِن الناس مَن قال : إن أم إسماعيل ـ هاجر ـ كانت قبطية ، ومن الناس من قال : أم إبراهيم .

قلت : الصحيحُ الذي لا شكَّ فيه أنهما قبطيتان كما قدَّمنا ذلك ، ومعنى قوله : « ذمةً » يعني بذلك هديَّة المُقوقس إليه وقبولَه ذلك منه ، وذلك نوع ذِمام ومُهادنة ، والله تعالى أعلم .

وتقدَّم ما رواه البخاريُّ من حديث مُحِلّ بن خليفة ، عن عديّ بن حاتم ، في فتح كنوز كسرى وانتشار الأمن ، وفيضان المال حتى لا يتقبَّلَه أحدٌ ، وفي الحديث أن عديّاً شهدَ الفتحَ ، ورأى الظعينةَ ترتحلُ من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله ، قال : ولئن طالت بكم حياةٌ لترونَّ ما قال أبو القاسم ﷺ ، من كثرة المال حتى لا يقبلَه أحدٌ .

قال البيهقيُّ : وقد كان ذلك في زمن عمرَ بن عبد العزيز[٢] .

قلت : ويُحتمل أن يكون ذلك متأخراً إلى زمن المَهدي ؛ كما جاء في صفته ، أو إلى زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال ، فإنه قد ورد في الصحيح[٣] أنه يقتلُ الخِنزيرَ ، ويكسرُ الصليبَ ، ويفيضُ المالُ حتى لا يقبلَه أحدٌ ، والله تعالى أعلم .

وفي صحيح مسلم من حديث ابن أبي ذِئب ، عن مُهاجر بن مِسمَار ، عن عامر بن سعد ، عن جابر بن سَمُرة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا يزالُ هذا الدينُ قائماً ما كان اثنا عشرَ خليفة كلّهم من قريش ، ثم يخرج كذَّابون بين يدي الساعة ، وليفتحنَّ عصابةٌ من المسلمين كنزَ القصر الأبيض ، قصر كسرى ، وأنا فَرَطُكم على الحوض » الحديث بمعناه[٤] .

وتقدم حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن همّام ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً : « إذا هلكَ قيصرُ فلا

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٢٢) وهو حديث صحيح يشهد له حديث مسلم المتقدم .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٢٣) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٥٥) في الإيمان ، وهو عند أحمد (٢/ ٤٩٣) وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٢٨) رقم (٦٨١٦) .

(٤) الحديث رواه مسلم في صحيحه رقم (١٨٢٢) في الإمارة ، عن جابر بن سمرة ؛ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يزال الدينُ قائماً حتى تقومَ الساعةُ . أو يكونَ عليكم اثنا عشر خليفة كلُّهم من قريش » وسمعته يقول : « عُصَيْبةٌ من المسلمين يفتتحون البيتَ الأبيضَ ، بيتَ كسرى ، أو آل كسرى » . وسمعته يقول : « إن بين يدي الساعة كذّابين فاحذروهم » وسمعته يقولُ : « إذا أعطى الله أحدَكم خيراً فليبدأ بنفسِه وأهل بيته » وسمعته يقول : « أنا الفَرَطُ على الحوض » وهو في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٢٤) والحافظ ابن كثير ذكره بمعناه من رواية البيهقي .

قيصرَ بعده ، وإذا هلكَ كسرى فلا كسرى بعدَه ، والذي نفسي بيده لتنفقنَّ كنوزَهما في سبيل الله عزَّ وجلَّ » أخرجاه[١] .

وقال البيهقي[٢] : المراد زوال ملك قيصر ، عن الشام ، ولا يبقى كبقاءِ ملكهِ على الروم ، لقوله عليه السلام ، لما عظم كتابه : ثبت ملكه ، وأما ملك فارس فبادَ بالكلية ، لقوله : « مزَّق الله ملكَه » .

وقد روى أبو داود[٣] عن محمد بن عُبيد ، عن حمّاد ، عن يونس ، عن الحسن ؛ عن عمر بن الخطاب . وروينا[٤] من طريق أخرى عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، لما جيء بفروة كِسرى وسيفه ومنطقته وتاجه وسواريه ألبسَ ذلك كلَّه لسراقةَ بن مالك بن جُعشم ، وقال : قل الحمد لله الذي ألبسَ ثيابَ كسرى لرجل أعرابي من البادية .

قال الشافعيُّ[٥] : إنما ألبسَه ذلك لأن النبيَّ ﷺ قال لسراقة ـ ونظر إلى ذراعيه ـ : « كأني بك وقد لبستَ سواري كسرى » والله أعلم .

وقال سفيان بن عيينة : عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عدي بن حاتم ، قال :

قال رسول الله ﷺ : « مُثِّلَت لي الحيرةُ كأنياب الكلاب ، وإنكم ستفتحونها » فقام رجلٌ ، فقال : يا رسول الله ، هب لي ابنةَ بُقَيْلَة ، قال : « هي لك » فأعطوه إياها ، فجاء أبوها فقال : أتبيعها ؟ قال : نعم ، قال : فبكم ؟ قال : احكم ما شئتَ ، قال : ألف درهم . قال : قد أخذتها ، فقالوا له : لو قلت ثلاثين ألفاً لأخذها ، فقال : وهل عددٌ أكثرُ من ألف[٦] ؟

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا عبدُ الرحمن بن مهدي ، حدَّثنا معاوية ، عن ضَمرة بن حبيب ، أن ابنَ زُغبٍ الإيادي حدَّثه قال : نزلَ عليَّ عبدُ الله بن حوالة الأزدي ، فقال لي (وإنه لنازلٌ عليَّ في بيتي)[٨] : بعثنا رسول الله ﷺ حولَ المدينة على أقدامنا لنغنمَ ، فرجعنا ولم نغنم شيئاً ، وعرف الجَهْدَ في وجوهنا ،

---

(١) هو عند البخاري رقم (٣١٢٠) ومسلم رقم (٢٩١٨)(٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) دلائل النبوة (٦/ ٣٢٥) وقد تصرف الحافظ ابن كثير بكلام البيهقي وذكر معناه .
(٣) دلائل النبوة (٦/ ٣٢٥) .
(٤) دلائل النبوة (٦/ ٣٢٥) .
(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٢٥) .
(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٢٦) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢١٢) ، وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .
(٧) في المسند (٥/ ٢٨٨) .
(٨) ما بين القوسين أثبته من المسند (٥/ ٢٨٨) .

فقام فينا فقال : « اللهم لا تَكِلْهُم إليَّ فأضعفَ ، ولا تَكِلْهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولا تَكِلْهم إلى النَّاس فيستأثروا عليهم » ثم قال : « لتفتحنَّ لكم الشامُ والرومُ وفارسُ ، أو الرومُ وفارسُ ، وحتى يكونَ لأحدِكُم من الإبل كذا وكذا ، ومن البقر كذا وكذا ، ومن الغنم كذا وكذا ، وحتى يُعطى أحدُكم مئةَ دينار فيَسْخَطُها » ثم وضعَ يدَه على رأسي أو على هامتي فقال : « يا بنَ حَوَالَةَ ، إذا رأيتَ الخلافَةَ قد نزلت الأرضَ المقدسةَ فقد دنت الزلازلُ والبَلابِلُ[١] والأمورُ العظام ، والسَّاعة يومئذ أقربُ إلى النَّاس من يدي هذه من رأسِك » .

ورواه أبو داود[٢] : حديث معاوية بن صالح[٣] .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا حيوةُ بن شريح ، ويزيدُ بن عبد ربه قالا : حدَّثنا بقيّة ، حدَّثني بَحِير بن سعد ، عن خالد بن مَعْدَان ، عن أبي قُتَيْلَةَ ، عن ابن حوالة ؛ أنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « سيصيرُ الأمرُ إلى أن تكون جنودٌ مجنّدةٌ ، جندٌ بالشام ، وجندٌ باليمن ، وجندٌ بالعراق » فقال ابن حَوَالَة : خِرْ لي يا رسولَ الله إن أدركتُ ذلك ، فقال : « عليكَ بالشام فإنه خِيْرَةُ الله من أرضِه يَجتبي إليه خيرتَه من عباده ، فإن أبيتُم فعليكم بيمنِكم واسْقُوا من غُدُره ، فإنَّ الله تكفَّل لي بالشام وأهله .

وهكذا رواه أبو داود[٥] ، عن حيوة بن شريح به .

وقد رواه أحمد[٦] أيضاً ، عن عصام بن خالد وعلي بن عيّاش ، كلاهُما عن حَريز بن عثمان ، عن سليمان بن شمير ، عن عبد الله بن حوالة ، فذكر نحوَه .

ورواه الوليدُ بن مسلم الدمشقي ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحولٍ وربيعةَ بن يزيد ، عن أبي إدريس ، عن عبدِ الله بن حَوَالة ، به[٧] .

---

(١) كذا في الأصل والمطبوع وسنن أبي داود ، والبلابل : الهموم والأحزان ، وبلبلة الصدر : وسواس الهموم واضطرابها فيه . وفي المسند : البلايا .

(٢) رواه أبو داود في سننه رقم (٢٥٣٥) في الجهاد .

(٣) إسناده ضعيف ، لجهالة ابن زغب الإيادي ، قال أبو نعيم : مختلف في صحبته يعد من تابعي أهل حمص ، وقد تفرد بالرواية عنه ضمرة بن حبيب . وفي متن الحديث نكارة بينة ، لعلها من معاوية بن صالح ، فقد عرف عنه مثل هذه النكارة لا سيما أنه لم يتابع على هذا الحديث (بشار) .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١١٠) وهو حديث صحيح بطرقه ، وهذا إسناد ضعيف لضعف بقية فإنه كان يدلس تدليس التسوية ، وهو أمر قادح في عدالته . و« غُدُره » : كذا في الأصل ، وفي المسند وسنن أبي دواد : غُدُركم : جمع غدير ، وهي القطعة من الماء يغادرها السيل .

(٥) في سننه (٢٤٨٣) في الجهاد . وهذا إسناد حسن .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٨٨) وهو حديث صحيح .

(٧) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٢٧) وهو حديث حسن .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفر ، حدَّثنا يعقوب بن سفيان ، حدَّثنا عبدُ الله بن يوسف ، حدَّثنا يحيى بن حمزة ، حدَّثني أبو علقمة ـ نصرُ بن علقمة ـ يَردُّ الحديثَ إلى جُبَيْر بن نُفَيْر . قال : قال عبد الله بن حَوَالة : كنّا عندَ رسولِ الله ﷺ فشكونا إليه العُرْيَ والفقرَ ، وقِلَّةَ الشيء ، فقال : « أبشروا فوالله لأنا بكثرةِ الشيء أخوفني عليكم من قِلّته ، والله لا يزالُ هذا الأمرُ فيكم حتى يفتَح الله عليكم أرضَ الشام ـ أو قال : أرضَ فارسَ وأرضَ الروم وأرضَ حِمْيَرَ ـ وحتى تكونوا أجناداً ثلاثة : جنداً بالشام ، وجنداً بالعراق ، وجنداً باليمن ، وحتى يُعطى الرجل المئة ، فيسخَطُها » قال ابنُ حَوَالة : قلت : يا رسولَ الله ، ومن يستطيعُ الشام وبه الروم ذاتُ القرون ؟ قال : « والله ليفتحنَّها الله عليكم ، وليستخلفنّكم فيها حتى تظلَّ العصابةُ البِيضُ منهم قُمُصُهم ، الملحمة[1] أقفاؤهم ، قياماً على الرُّوَيْجل الأسودِ منكم المحلوق ، ما أمرَهم من شيءٍ فعلوه . . . » وذكر الحديث .

قال أبو علقمة : سمعتُ عبد الرحمن بن مهدي يقول : فعرفَ أصحابُ رسولِ الله نَعْتَ هذا الحديث في جَزءِ بن[2] سُهيل السُّلمي ، وكان على الأعاجم في ذلك الزمان ، فكانوا إذا راحوا إلى المسجد نظروا إليه وإليهم قياماً حولَه ، فيتعجبون بنعت رسول الله ﷺ فيه وفيهم[3] .

وقال أحمد : حدَّثنا حجّاج ، حدَّثنا اللَّيث بن سعد ، حدَّثني يزيد بن أبي حبيب[4] ، عن ربيعة بن لقيط التجيبي ، عن عبد الله بن حَوَالة الأزدي ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال : « من نجا من ثلاثٍ فقد نجا » (قاله ثلاث مرات) قالوا : ماذا يا رسولَ الله ؟ قال : « موتي ، ومن قتل خليفةٍ مصطبر بالحق يعطيه ، والدجال »[5] .

وقال أحمد : حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدَّثنا الجُرَيْري ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عبد الله بن حَوالة ، قال : أتيتُ على[6] رسول الله ﷺ وهو جالسٌ في ظل دَوْمةٍ[7] ، وهو[8] عنده كاتب له يُملي

---

(١) كذا في الأصل ، وفي مجمع الزوائد : المحلقة .

(٢) جزء بن سهيل : قال الحافظ ابن حجر : جاء ذكره في حديث ذكره ابن عساكر في تاريخه ، وثابت بن قاسم في الدلائل من طريق نصر بن علقمة ، عن جُبير بن نُفَيْر ، عن عبد الله بن حَوَالة . . وكان جزء أسود قصيراً ، فكانوا يرون تلك الأعاجم ، وهم حوله قيام لا يأمرهم بشيء إلا فعلوه ، فيتعجبون من هذا الحديث . الإصابة (١/ ٢٣٤) .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٢٧) وفيه بعض التحريف في ألفاظه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢١١ـ٢١٢) وقال : رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح ، غير نصر بن علقمة ، وهو ثقة .

(٤) كذا في الأصل ، وهو الصحيح ، وفي المسند : « يزيد بن أبي حكيم » محرف .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٨٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٤) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ربيعة بن لقيط ، وهو ثقة ، ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٠١) وصححه .

(٦) كذا في الأصل ، وفي المسند : أتيتُ رسول الله .

(٧) « دَوْمة » : نوع من الشجر .

(٨) كذا في الأصل ، وفي المسند : وعنده كاتب . . . .

عليه ، فقال : « ألا نكتبك[١] يا بن حوالة ؟ » قلتُ : لا أدري ما خارَ الله لي ورسولُه ، فأعرضَ عني ، وأكبَّ على كاتبه يُملي عليه . ثم قال : « ألا نكتبك يا بن حوالة؟ » قلت : لا أدري ما خار الله لي ورسوله ، فأعرض عني ، وأكبَّ على كاتبه يملي عليه . قال : فنظرتُ فإذا في الكتاب عمر ، فقلت : لا يكتبُ عمرَ إلا في خير ، ثم قال : « أنكتبك[٢] يا بن حوالة ؟ » قلت : نعم ، فقال : « يا بن حَوالة ، كيف تفعلُ في فتنة تخرجُ في أطراف الأرض كأنها صَيَاصِي[٣] بقر ؟ » قلت : لا أدري ما خارَ الله لي ورسولُه ، قال : « فكيف تفعلُ في أخرى تخرجُ بعدهَا كأن الأولى فيها انتفاجةُ[٤] أرنب ؟ » قلت : لا أدري ما خارَ الله لي ورسولُه ، قال : « اتبعُوا هذا » قال : ورجلٌ مقفٍّ حينئذ ، فانطلقتُ فسعيْتُ ، وأخذتُ بمنكبيه فأقبلتُ بوجهه إلى رسول الله ﷺ فقلتُ : هذا ؟ قال : « نعم » قال : فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه . »[٥] .

وثبت في صحيح مسلم ، من حديث يحيى بن آدم ، عن زهير بن معاوية ، عن سُهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « منعتِ العراقُ درهمَها وقفيزَها ، منعتِ الشّامُ مُدْيَها ودِينارَها ، ومنعتِ مصرُ إردبها ودينارها ، وعُدتُم من حيث بدأتُم ، وعدتُم من حيث بدأتُم ، وعدتُم من حيث بدأتُم ، شهدَ على ذلك لحمُ أبي هُريرة ودمُه »[٦] .

وقال يحيى بن آدم وغيره من أهل العلم : هذا من دلائل النبوة حيث أخبرَ عما ضربَه عمرُ على أرض العراق من الدراهم والقفزان ، وعما ضربَ من الخراج بالشام ومصر قبل وجود ذلك ، صلواتُ الله وسلامه عليه .

وقد اختلفَ الناسُ في معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « منعتِ العراقُ . . . » إلخ ، فقيل : معناه أنهم يُسلمون فيسقطُ عنهم الخراجُ ، ورجَّحه البيهقيُّ[٧] ، وقيل : معناه أنهم يَرجعون عن الطاعة ولا يُؤدُّون الخراجَ المضروبَ عليهم ، ولهذا قال : وعدتُم من حيثُ بدأتم ، أي : رجعتُم إلى ما كنتم عليه قبل ذلك ؛ كما ثبت في صحيح مسلم : « إن الإسلامَ بدأ غريباً وسيعودُ غريباً فطُوبى للغرباء »[٨] .

---

(١) في المسند : ألا أكتبك .
(٢) كذا في المسند تكرار قول النبي ﷺ : ألا نكتبك . . . مرتين ، وفي الأصل لم يتكرر ، وفي المطبوع تكرر ثلاث مرات .
(٣) « صياصي » : قرون .
(٤) « انتفاجةُ أرنب » : وثبة أرنب .
(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٠٩ـ١١٠) وإسناده صحيح ، والجريري وإن اختلط لكن سماع إسماعيل من قبل الاختلاط .
(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٩٦) في الفتن وأشراط الساعة ، وقد تقدم ، وذكره هنا أتم وأكمل .
(٧) دلائل النبوة (٦/ ٣٣٠) .
(٨) رواه مسلم (١٤٥) في الإيمان .

ويؤيّدُ هذا القولَ ما رواه الإمامُ أحمد[(١)] : حدَّثنا إسماعيل ، عن الجُرَيْري ، عن أبي نضرة ، قال : كنا عند جابر بن عبد الله فقال : يُوشك أهلُ العراق ألا يجبى إليهم قفيزٌ ولا درهمٌ ، قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل العجم ، يَمنعون ذلك ، ثم قال : يُوشك أهلُ الشام ألا يُجبى إليهم دينارٌ ولا مُدٌ ، قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل الروم ، يَمنعون ذلك ، قال : ثم سكتَ[(٢)] هُنيهة ، ثم قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يكونُ في آخر أمتي خليفة يَحْثي المال حَثْياً[(٣)] ، لا يعدُّه عداً » .

قال الجُرَيْرِيُّ : فقلتُ لأبي نضرة وأبي العلاء : أترياِنه عمرَ بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ؟ فقالا : لا .

وقد رواه مسلم[(٤)] ، من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيّة وعبد الوهاب الثقفي ، كلاهُما عن سعيد بن إياس الجُرَيْرِي ، عن أبي نَضْرةَ المُنذر بن مالك بن قُطَعَة العَبْدي ، عن جابر ، كما تقدم .

والعجب أن الحافظ أبا بكر البيهقي احتجَّ به على ما رجَّحه من أحد القولين المتقدمين ، وفيما سلكه نظر ، والظاهر خلافه .

وَثبت في الصحيحين[(٥)] ، من غير وجه ؛ أن رسولَ الله ﷺ وقَّتَ لأهل المدينة ذا الحُلَيفة ، ولأهل الشام الجُحْفة ، ولأهل اليمن يَلَمْلَم ، وفي صحيح[(٦)] مسلم ، عن جابر : ولأهل العراق ذاتِ عرق . فهذا من دلائل النبوة ، حيث أخبرَ عما وقعَ من حجِّ أهل الشَّام واليمن والعراق ، صلواتُ الله وسلامه عليه .

وفي الصحيحين ، من حديث سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ليأتينَّ على النَّاسِ زمانٌ يغزو فيه فِئَامٌ من النَّاس ، فيُقال لهم : هل فيكم من صَحِبَ رسولَ الله ﷺ ؟ فيقال : نعم . فيفتحُ الله لهم ، ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئامٌ من الناس ، فيُقال لهم : هل فيكم من صحبَ أصحابَ رسول الله ﷺ ؟ فيُقال : نعم ، فيُفْتَحُ لهم ، ثم يأتي على الناس زمان يغزو فيه فئامٌ من الناس ، فيقال : هل فيكم من صَحِبَ من صاحبَهم ؟ فيُقال : نعم ، فيفتح الله لهم »[(٧)] .

---

(١) في المسند (٣/ ٣١٧) .
(٢) في المسند : ثم أمسك .
(٣) في المسند : حَثواً ، وكلاهما صحيح ، والحثو : الحفن باليد ، وهو دليل على كثرة المال والسخاء .
(٤) رواه في صحيحه رقم (٢٩١٣) في الفتن وأشراط الساعة .
(٥) حديث المواقيت المكانية رواه البخاري في صحيحه رقم (١٥٢٤) في الحج ، عن ابن عباس ، و(١٥٢٢) في الحج عن ابن عمر ، ومسلم في صحيحه رقم (١١٨١) في الحج ، عن ابن عباس و(١١٨٢) في الحج عن ابن عمر .
(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (١١٨٣)(١٨) في الحج .
(٧) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٩٧) في الجهاد ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٣٢) في فضائل الصحابة .

وثبت في الصحيحين ، من حديث ثور بن زيد ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فأُنزلتْ عليه سورةُ الجمعة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾ [الجمعة : ٣] فقال رجلٌ : مَن هؤلاء يا رسولَ الله ؟ فوضَعَ يدَه على سلمانَ الفارسي وقال : « لو كان الإيمانُ عند الثُّرَيَّا لنالَه رجالٌ من هؤلاء »[١] وهكذا وقع كما أخبر به عليه الصلاة والسلام .

وروى الحافظُ البيهقي من حديث محمد بن عبد الرحمن بن عِرْقٍ ، عن عبد الله بن بُسْرٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لتُفتحنَّ عليكم فارسُ والروم حتى يكثرَ الطعام فلا يُذكرُ عليه اسمُ الله عزّ وجلّ »[٢] .

وروى الإمام أحمد والبيهقي وابن عدي وغيرُ واحدٍ من حديث أوس بن عبد الله بن بريدة ، عن أخيه سهل ، عن أبيه عبد الله بن بُريدة بن الخصيب مرفوعاً : « ستُبعثُ بعوثٌ ، فكنْ في بَعْثِ خُراسان ، ثم اسكنْ مدينةَ مرو ، فإنه بناها ذو القرنين ، ودعا لها بالبركة ، وقال : لا يُصيبُ أهلَها سوء »[٣] .

وهذا الحديثُ يُعدُّ من غرائب المسند ، ومنهم من يجعلُه موضوعاً ، فالله أعلم[٤] .

وقد تقدَّم حديث أبي هريرة[٥] ، من جميع طرقه في قتال الترك ، وقد وقع ذلك كما أخبر به سواء بسواء ، وسيقعُ أيضاً .

وفي صحيح البخاري ، من حديث شعبة ، عن فُراتٍ القَزّاز ، عن أبي حَازمٍ ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : « كانت بنو إسرائيلَ تسوسُهم الأنبياءُ ، كلما هلكَ نبيٌّ خلفَه نبيٌّ ، وإنه لا نبيَّ بعدي ، وإنه سيكون خُلفاءُ فيَكثُرون » قالوا : فما تأمُرنا يا رسولَ الله ؟ قال : « فُوا ببيعةِ الأوّل فالأول ، وأعطوهم حقَّهم ، فإن الله سائلُهم عما استرعاهُم »[٦] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٩٧) في تفسير سورة الجمعة ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٤٦)(٢٣١) في فضائل الصحابة ، وعندهما أن الرجل سأل رسول الله ﷺ مرة أو مرتين أوثلاثاً . وفي البخاري أنه سأل ثلاثاً .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٣٤) بأطول مما هاهنا ، والحافظ ابن كثير ذكر منه آخره ، ورواه ابن ماجه في سننه رقم (٣٢٦٣) في الأطعمة ، وذكره من أوله مختصراً . وقال في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٣٢) وهو عند الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٥٧) وابن عدي في « الكامل » (٢/ ٨٤١) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٤) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بنحوه ، وفي إسناد أحمد والأوسط : أوس بن عبد الله ، وفي إسناد الكبير : حسام بن مصك ؛ مجمعٌ على ضعفهما .

(٤) العجب من الحافظ ابن حجر أنه حَسَّنه في القول المسدد (١٣٣) ، وأمارات الوضع بادية عليه .

(٥) تقدم الحديث .

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٥٥) في الأنبياء ، ورواه مسلم في صحيحه رقم (١٨٤٢) في الإمارة و« تسوسهم الأنبياء » : يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية ، والسياسة : القيام على الشيء بما يُصلحه .

وفي صحيح مسلم ، من حديث أبي رافع ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما كان نبيٌّ إلا كان له حواريّون يَهدون بهديه ، ويَسْتَنُّون بسنّته ، ثم يكونُ من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون ويعملون ما تنكرون »[١] .

وروى الحافظ البيهقي ، من حديث عبد الله بن الحارث بن محمد (بن عمرو) بن حاطب الجُمَحِي ، عن سُهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون بعد الأنبياء خلفاء يَعملون بكتاب الله ، ويَعدلونَ في عبادة الله ، ثم يكونُ من بعد الخلفاء ملوكٌ يأخذون بالثأر ، ويقتلون الرجالَ ، ويصطفون الأموالَ ، فمغيِّرٌ بيده ، ومغيِّرٌ بلسانه ، وليس وراءَ ذلك من الإيمان شيءٌ »[٢] .

وقال أبو داود الطيالسي[٣] : حدَّثنا جرير بن حازم ، عن ليث ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن أبي ثعلبة الخشني ، عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، عن النبيِّ ﷺ فقال : « إن الله بدأَ هذا الأمرَ نُبُوَّةً ورحمةً ، وكائناً خلافة ورحمة ، وكائناً مُلكاً عضوضاً ، وكائناً عزةً وجبرية وفساداً في الأمة ، يستحلُّون الفروج والخمور والحرير ، ويُنصرون على ذلك ، ويُرزقون أبداً حتى يلقوا الله عزّ وجلّ »[٤] .

وهذا كله واقع .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي ـ وحسَّنه ـ والنسائي ، من حديث سعيد بن جُمْهان ، عن سفينةَ مولى رسول الله ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً » وفي رواية : « ثم يُؤتي الله ملكَه مَنْ يشاء »[٥] .

وهكذا وقع سواء ، فإن أبا بكر رضي الله عنه كانت خلافتُه سنتين وأربعة أشهر وعشر ليالٍ[٦] ، وكانت خلافةُ عمر عشرَ سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وخلافةُ عثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، وكانت خلافة علي بن أبي طالب خمس سنين إلا شهرين[٧] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٥٠) في الإيمان ، واللفظ الذي ذكره الحافظ ابن كثير هو من رواية البيهقي في الدلائل (٦/ ٣٣٩) .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٣٩) .
(٣) مسند الطيالسي (ص٣١) رقم (٢٢٨) وإسناده ضعيف .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٣٤٠) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٢١) وأبو داود في سننه رقم (٤٦٤٦) و(٤٦٤٧) في السنة ، والترمذي في الجامع رقم (٢٢٢٦) في الفتن ، والنسائي في فضائل الصحابة (٥٢) ، قال الحافظ في الفتح : أخرجه أصحاب السنن ، وصححه ابن حبان ، وقال الترمذي : وفي الباب عن عمر وعلي قالا : لم يعهد النبي ﷺ في الخلافة شيئاً .
(٦) في الأصل ، ودلائل النبوة (٦/ ٣٤٢) إلا عشر ليال .
(٧) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٢٤٢) .

قلت : تكميلُ الثلاثين بخلافة الحسن بن علي نحواً من ستة أشهر ، حتى نزلَ عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة ، كما سيأتي بيانه وتفصيله .

وقال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثني محمد بن فُضيل ، حدثنا مُؤمل ، حدَّثنا حمّاد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة (عن أبيه)[١] ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « خلافة نبوة ثلاثون[٢] عاماً ، ثم يُؤتي الله ملكَه مَنْ يشاء »[٣] .

فقال معاوية : رضينا بالملك .

وهذا الحديث فيه ردٌّ صريح على الروافض المنكرين لخلافة الثلاثة ، وعلى النواصب من بني أمية ومَن تَبِعَهم من أهل الشام ، في إنكار خلافة عليّ بن أبي طالب .

فإن قيل : فما وجهُ الجمع بين حديث سفينةَ هذا ، وبين حديث جابر بن سَمُرة المتقدم في صحيح مسلم : « لا يزالُ هذا الدينُ قائماً ما كان على الناس اثنا عشرَ خليفة كلُّهم من قريش »[٤] ؟ فالجوابُ : أن من الناس من قال : إن الدينَ لم يزلْ قائماً حتى ولي اثنا عشر خليفة ، ثم وقع تخبيطٌ بعدَهم في زمان بني أمية ، وقال آخرون : بل هذا الحديث فيه بشارةٌ بوجود اثني عشرَ خليفة عادلاً من قريش ، وإن لم يُوجدوا على الولاء ، وإنما اتفق وقوع المُتابعة بعد النبوة في ثلاثين سنة ، ثم قد كان خلفاءُ راشدون .

فمنهم عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي رحمه الله ، وقد نصَّ على خلافتِه وعدله وكونه من الخلفاء الراشدين ، غيرُ واحد من الأئمة ، حتى قال أحمدُ بن حنبل : ليس قولُ أحدٍ من التابعين حجّة إلا قول عمر بن عبد العزيز .

ومنهم من ذَكر من هؤلاء المَهدي بأمر الله العباسي . والمَهدي المُبَشّر بوجوده في آخر الزمان منهم أيضاً بالنص على كونه من أهل البيت ، واسمُه محمد بن عبد الله ، وليس بالمنتظر في سرداب سامرا ، فإن ذاك ليس بموجود بالكلية ، وإنما ينتظرُه الجهلة من الروافض .

وقد تقدَّم في الصحيحين ، من حديث الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال : « لقد هممتُ أن أدعوَ أباكِ وأخاكِ وأكتبَ كتاباً لئلا يقولَ قائلٌ ، أو يتمنى متمنّ » ثم قال رسولُ الله ﷺ :

---

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من دلائل النبوة ، ولا بد منها .

(٢) كذا في الأصل ، وفي الدلائل : ثلاثين .

(٣) دلائل النبوة ، للبيهقي (٦/ ٣٤٢) .

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٨٢٢) في الإمارة ، ولفظه : لا يزالُ الدين قائماً حتى تقوم السَّاعة ، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلهم من قريش .

« يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكرٍ »(١) .

وهكذا وقع ، فإن الله ولَّاه ، وبايَعه المؤمنون قاطبةً كما تقدم .

وفي صحيح البخاري : أن امرأة قالت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن جئتُ فلم أجدْك ؟ كأنها تُعَرِّضُ بالموت ـ فقال : « إن لم تجديني فائْتِ أبا بكر »(٢) .

وثبت في الصحيحين ، من حديث ابن عمر وأبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا نائمٌ رأيتني على قَليب فنزعتُ منها ما شاءَ الله ، ثم أخذَها ابن أبي قُحَافة فنزعَ منها ذَنُوباً أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعفٌ والله يغفر له ، ثم أخذها ابنُ الخطاب فاستحالت غَرْباً ، فلم أرَ عبقرياً من الناس يفري فريَه ، حتى ضربَ الناسُ بعطن »(٣) .

قال الشافعي(٤) رحمه الله : رؤيا الأنبياء وحي ، وقوله : « وفي نزعه ضعف » قصر مدته ، وعجلة موته ، واشتغاله بحرب أهل الردة عن الفتح الذي ناله عمر بن الخطاب في طول مدته .

قلت : وهذا فيه البشارة بولايتهما على الناس ، فوقعَ كما أخبرَ سواء .

ولهذا جاء في الحديث الآخر الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان ، من حديث ربعي بن خِراش ، عن حذيفة بن اليمان ، عن النبي ﷺ ؛ أنه قال : « اقتدوا باللذين من بعدي ، أبي بكر وعمر »(٥) رضي الله عنهما . وقال الترمذي : حسن .

وأخرجه(٦) من حديث ابن مسعود ، عن النبي ﷺ .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٦٦٦) في المرضى ، ورقم (٧٢١٧) في الأحكام ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٨٧) في فضائل الصحابة .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٥٩) في فضائل الصحابة ورقم (٧٢٢٠) في الأحكام و(٧٣٦٠) في الاعتصام بالكتاب والسنة .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٧٦) في فضائل الصحابة عن عبد الله بن عمر ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٩٢) في فضائل الصحابة عن أبي هريرة رضي الله عنه .
و« قليب » : البئر غير المطوية . و« ذَنُوباً » : الدلو المملوءة . و« غرْباً » : الدلو العظيمة . و« عبقرياً » : هو السيد ، وقيل : الذي ليس فوقه شيء . و« ضرب الناس بعطن » : أي أرووا إبلهم ثم آووها إلى عطنها ، وهو الموضع الذي تُساق إليه بعد السقي لتستريح .

(٤) مسند الشافعي (٢/ ١٩٥) .

(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٥ و٣٩٩ و٤٠٢) والترمذي في الجامع رقم (٣٦٦٢) في المناقب ، وابن ماجه في سننه رقم (٩٧) في المقدمة ، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣٢٧) رقم (٦٩٠٢) ، والحاكم (٣/ ٧٥) وإسناده حسن كما قال الترمذي .

(٦) يعني : الترمذي ، وهو في جامعه (٣٨٠٥) وقال : غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود لا نعرفه إلا من=

وتقدَّم من طريق الزهري ، عن رجل عن أبي ذر ، حديث تسبيح الحصى في يد رسول الله ، ثم يد أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « هذه خلافة النبوة »[١] .

وفي الصحيح ، عن أبي موسى ، قال : دخلَ رسولُ الله ﷺ حائطاً فدلَّى رجليه في القف ، فقلت : لأكوننَّ اليوم بَوَّابَ رسول الله ﷺ ، فجلستُ خلفَ الباب ، فجاء رجل فقال : افتحْ ، فقلت : من أنت ؟ قال : أبو بكر ، فأخبرت رسولَ الله ﷺ فقال : « افتحْ له وبشِّره بالجنة » ثم جاء عمر فقال كذلك ، ثم جاء عثمان فقال : « ائذنْ له وبشِّره بالجنّة على بلوى تُصيبه » فدخل وهو يقول : الله المستعان[٢] .

وثبت في صحيح البخاري ، من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : صَعِدَ رسولُ الله ﷺ أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجفَ بهم الجبلُ ، فضربَه رسول الله ﷺ برجله وقال : « اثبتْ ، فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان »[٣] .

وقال عبد الرزاق[٤] : أخبرنا معمر ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ؛ أن حِراءَ ارتجَّ وعليه النبيُّ ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان ، فقال النبيُّ ﷺ : « اثبتْ ما عليك إلا نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان » .

قال معمر : قد سمعتُ قتادة يُحدِّث عن النبي ﷺ مثله .

وقد روى مسلم ، عن قتيبةَ ، عن الدراوردي[٥] ، عن أبيه ، عن أبي هُريرة ؛ أن رسولَ الله ﷺ كان على حِرَاءٍ ، هو وأبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبير ، فَتَحَرَّكَت الصخرةُ ، فقال النبي ﷺ : « اهدأ فما عليكَ إلا نبيٌّ أو صدِّيق أو شهيد »[٦] .

وهذا من دلائل النبوة ، فإن هؤلاء كلّهم أصابوا الشهادة ، واختصَّ رسولُ الله ﷺ بأعلى مراتب الرسالة والنبوة ، واختصَّ أبو بكر بأعلى مقامات الصديقية .

وقد ثبتَ في الصحيح الشهادة للعشرة بالجنة ، بل لجميع من شهدَ بيعةَ الرضوان عام الحُديبية ،

= حديث يحيى بن سلمة بن كهيل ، ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث ، وينظر تمام تخريجه في تعليق الدكتور بشار على جامع الترمذي .

(١) تقدم الحديث .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٧٤) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٠٣) في فضائل الصحابة .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٧٥) في فضائل أصحاب النبي ﷺ .

(٤) المصنف لعبد الرزاق (١١/ ٢٢٩) رقم (٢٠٤٠١) وهو في دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٣٥١) وإسناده صحيح .

(٥) الدراوردي : هو عبد العزيز بن محمد ، أبو محمد الجهني ، مولاهم ، المدني . توفي سنة ٨٦ أو ٨٧هـ . تقريب التهذيب (ص٣٥٨) ترجمة (٤١١٩) .

(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٤١٧) في فضائل الصحابة .

وكانوا ألفاً وأربعمئة ، وقيل : وثلاثمئة ، وقيل : خمسمئة ، وكلُّهم استمرَّ على السَّدَاد والاستقامة حتى مات ، رضي الله عنهم أجمعين .

وثبت في صحيح البخاري[1] البشارة لعُكَّاشَة بأنه من أهل الجنة ، فقُتل شهيداً يوم اليمامة .

وفي الصحيحين ، من حديث يونس ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ؛ أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ، تُضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » فقام عُكَّاشة بن مِحْصَن الأسدي يجرُّ نمرةً عليه ، فقال : يا رسولَ الله ادعُ الله أن يجعلَني منهم ، فقال ﷺ : « اللهم اجعله منهم » ثم قام رجلٌ من الأنصار فقال : يا رسولَ الله ، ادعُ الله أن يجعلَني منهم ، فقال : « سبقك بها عُكَّاشة »[2] .

وهذا الحديث قد روي من طرق متعددة تُفيد القطعَ ، وسنُورده في باب صفة الجنة ، وسنذكرُ في قتال أهل الردة أن طلحةَ الأسدي قتلَ عُكَّاشَة بن مِحْصن شهيداً رضي الله عنه ، ثم رجعَ طلحةُ الأسديُّ عما كان يدعيه من النبوة وتاب إلى الله ، وقدم على أبي بكر الصديق واعتمرَ وحَسُنَ إسلامه .

وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال : « بينا أنا نائم رأيتُ كأنه وُضع في يدي سِواران فقطعتهما ، فأُوحي إليّ في المنام : أن انفخْهما ، فنفختُهما فطارا ، فأوّلتُهما كذَّابين يَخرجان ، صاحبَ صنعاء ، وصاحبَ اليمامة »[3] .

وقد تقدَّم في الوفود أنَّه قالَ لمُسيلمةَ حينَ قَدِمَ مع قومِه وجعلَ يقولُ إنْ جعلَ لي محمّد الأمرَ مِن بعدِه اتَّبعتُه ، فوقفَ عليه رسولُ الله ﷺ وقالَ به : « والله لو سَألتَنِي هَذَا العَسِيْبَ مَا أعطيتُكه ، ولئنْ أدبرتَ ليعقرنَّك الله ، وإنِّي لأراكَ الذي أُريتُ إليه ما أُريتُ »[4] .

وهكذا وقعَ ، عقرَه الله وأهانَه وكسرَه وغلبَه يومَ اليَمامةَ ، كما قُتل الأسودُ العَنْسِيُّ بصنعاءَ ، وعلى ما سنُورده إن شاء الله تعالى .

وروى البيهقيُّ من حديث مبارك بن فَضالة ، عن الحسن ، عن أنس ، قال : لقي رسولَ الله ﷺ مسيلمةُ ، فقال له مسيلمة : أتشهدُ أني رسولُ الله ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « آمنتُ بالله ورسولِه » ثم قالَ رسولُ الله ﷺ : « إنَّ هذا رجلٌ أُخِّرَ لِهَلَكَةِ قومِه »[5] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٤١) في الرقاق ، وهو عند مسلم في صحيحه رقم (٣٦٧) في الإيمان .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٤١) في الرقاق ، وهو عند مسلم في صحيحه رقم (٣٦٧) في الإيمان .
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٠٣٧) في التعبير وفي المغازي ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٤) في الرؤيا .
(٤) تقدم .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٣٥٩) وهو حديث حسن يشهد له ما بعده .

وقد ثبتَ في الحديث الآخر ، أنَّ مسيلمةَ كتبَ بعد ذلك إلى النبيِّ ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، مِن مسيلمةَ رسولِ الله ، إلى محمّدٍ رسولِ الله ، سلامٌ عليكَ ، أمَّا بعدُ قد أُشْرِكْتُ في الأمرِ معكَ ، فلكَ المَدَرُ ولي الوَبَرُ ، ولكنَّ قُريشاً قومٌ يعتدُونَ . فكتبَ إليه رسولُ الله ﷺ : « بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، مِن محمّدٍ رسولِ الله إلى مُسيلمةَ الكَذَّابِ ، سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدى ، أمَّا بعدُ فإنَّ الأرضَ لله يُورثها مَن يَشَاءُ مِن عبادِه والعَاقِبَةُ للمُتَّقين »[١] . وقد جعل الله العاقبةَ لمحمّدٍ وأصحابِه لأنَّهم هُم المتَّقون ، وهم العَادِلون المؤمنون ، لا مَن عَداهُم .

وقد وردتِ الأحاديثُ المَرويَّةُ من طُرق عنه ﷺ في الأخبار عن الرِّدة التي وقعت في زمن الصِّدِّيقِ ، فقاتلَهم الصِّدّيقُ بالجُنُودِ المُحمَّديَّةِ حتى رَجعُوا إلى دين الله أفواجاً ، وعَذُبَ مَاءُ الإيمان كما كانَ بعدما صَار أُجاجاً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، قال المفسرون : هم أبو بكر وأصحابُه رضي الله عنهم .

وثبتَ في الصحيحين : من حديث عَامرٍ الشَّعبيِّ ، عن مَسْروق ، عن عائشَةَ ، في قِصَّة مسَارَّةِ النبيِّ ﷺ ابنتَه فاطمةَ وإخبارِه إيَّاهَا بأنَّ جبريلَ كان يُعارضهُ بالقرآنِ في كلِّ عام مرَّةً « وإنَّه عارضني العَامَ مرتين ، وما أرى ذلك إلا لاقترابِ أَجَلي » فبكت ، ثم سارَّها ، فأخبرَها بأنها سَيِّدَةُ نِساءِ أهلِ الجنَّة ، وأنَّها أوَّلُ أهلِه لُحوقاً به[٢] . وكانَ كما أخبرَ . قال البيهقيُّ : واختلفُوا في مُكثِ فاطمةَ بعدَ رسولِ الله ﷺ ، فقيل : شهرانِ ، وقيلَ : ثلاثة ، وقيل : ستة ، وقيل : ثمانية ، قالَ : وأصحُّ الروايات رواية الزهري : عن عروةَ ، عن عائشةَ ، قالت : مكثت فاطمةُ بعدَ رسولِ الله ﷺ ستةَ أشهرٍ . أخرجاه في الصحيحين[٣] .

ومن كتاب دلائل النبوة

في باب إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغُيوبِ المستقبلة

فمن ذلك ما ثبتَ في الصحيحين : من حديث إبراهيم بن سَعد ، عن أبيه ، عن أبي سَلَمَة ، عن عائشة ، قالت : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّه قد كانَ في الأُمم مُحدَّثونَ ، فإن تكن في أُمَّتي فعمرُ بنُ الخطَّاب »[٤] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢١٠) ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٣١) وهو حديث حسن .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٢٤) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٥٠) في فضائل الصحابة .

(٣) قطعة من حديث رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٢٤٠) في المغازي ، ومسلم في صحيحه رقم (١٧٥٩) (٥٢٠) في الإمارة .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٦٩) في أحاديث الأنبياء، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٩٨) في فضائل الصحابة.

وقال يعقوبُ بن سُفيان : حدَّثنا عُبيد الله بن مُوسى ، أخبرنا أبو إسرائيلَ كوفي ، عن الوليدِ بن العَيْزَار ، عن عمرو بن ميمون ، عن عليٍّ رضي الله عنه ، قال : ما كنَّا ننكرُ ونحنُ مُتوافِرونَ أصحاب محمّد ﷺ ، أنَّ السكينةَ تنطقُ على لسان عُمَر[١] . قال البيهقيُّ : تابعه زرُّ بن حُبَيْش ، والشعبيُّ عن عليٍّ .

وقالَ يعقوبُ بن سُفيان : حدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدَّثنا شعبةُ ، عن قَيس بن مُسلم ، عن طارق بن شِهاب ، قال : كنَّا نُحدَّثُ أنَّ عمرَ بنَ الخَطَّابِ ينطقُ على لِسَانِ مَلَك[٢] .

وقد ذكرنَا في سيرةِ عمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه أشياءَ كثيرة ، من مُكاشفاتِه وما كانَ يُخبرُ به من المُغَيَّبات ، كقِصَّةِ ساريةَ بن زُنَيم[٣] ، وما شاكلَها ، ولله الحمدُ والمِنَّةُ .

ومن ذلك ما رواه البخاريُّ : من حديث فِراس ، عن الشعبيِّ ، عن مَسروق ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ أنَّ نساءَ النبيِّ ﷺ اجتمعنَ عندَه ، فقلنَ يوماً : يا رسولَ الله ! أيَّتُنا أسرعُ بكَ لُحوقاً ؟ فقال : « أطولكن يداً » فكانت سودةُ أطولنا ذراعاً ، فكانت أسرعنا به لحوقاً . هكذا وقع في الصحيح عند البخاري أنها سودة[٤] . وقد رواه يُونس بن بكير : عن زكريا بن أبي زائدة ، عن الشعبي ، فذكرَ الحديث مُرسلاً ، وقال : فلما تُوفيت زينبُ علمنَ أنها كانت أطولَهُنَّ يداً في الخير والصدقة[٥] . والذي رواه مسلم : عن محمود بن غيلان ، عن الفضل بن موسى ، عن طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . . فذكرَ الحديثَ ، وفيه : فكانت زينبُ أطولَنا يداً ، لأنها كانت تعملُ بيدها وتَصدَّق[٦] . وهذا هو المشهور عن علماء التاريخ ؛ أن زينبَ بنت جحش كانت أوَّل أزواج النبي ﷺ وفاةً . قال الواقدي : تُوفيت سنة عشرين ، وصلَّى عليها عمر بن الخطاب[٧] .

قلت : وأما سودة فإنها توفيت في آخر إمارة عمر بن الخطاب أيضاً ، قاله ابن أبي خيثمة .

ومن ذلك ما رواه مسلم[٨] : من حديث أُسيد بن جابر ، عن عمرَ بن الخطَّاب ، في قصة أُويس القرنيّ ، وإخباره عليه الصلاة والسلام عنه بأنه خيرُ التابعين ، وأنه كان به بَرَصٌ ، فدعا الله فأذهبَه عنه ،

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٧٠) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٢) وهو حديث حسن .

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٧٠) وهو حديث حسن .

(٣) سارية بن زُنَيم : الدِّيلي ، الصحابيّ ، كان من أشد الناس حُضْراً (عدواً) وهو الذي ناداه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو يخطبُ الجمعة بالمدينة المنورة ، يا ساريةُ ! الجبلَ الجبلَ . وتمام القصة في أسد الغابة (٢/ ٣٠٦) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٢٠) في الزكاة .

(٥) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٧٤) وهو مرسل ، ولكن يشهد له رواية مسلم بعده .

(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٤٥٢) في فضائل الصحابة .

(٧) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٩١) .

(٨) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٤٥٢) في فضائل الصحابة .

إلا موضعَ قَدْرِ الدِّرهم من جسده ، وأنه بَارٌّ بأُمّه ، وأمرُه لعمرَ بن الخطاب أن يستغفرَ له ، وقد وُجد هذا الرجل في زمان عمرَ بن الخطَّاب على الصفة والنعت الذي ذكرَه في الحديث سواء . وقد ذكرتُ طرقَ هذا الحديث وألفاظه والكلام عليه مطوّلًا في الذي جمعته من مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولله الحمد والمنة .

ومن ذلك ما رواه أبو داود : حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا الوليد بن عبد الله بن جُميع ، حدَّثني جرير بن عبد الله وعبد الرحمن بن خَلَّاد الأنصاري ، عن أم ورقة بنت نوفل ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ لما غزا بدراً قالت : يا رسول الله ! ائذنْ لي في الغزو معكَ ، أُمرِّضُ مرضاكم ، لعلَّ الله يرزقني الشهادة ، فقال لها : « قرّي في بيتك فإنَّ الله يرزقكِ الشهادةَ[١] » فكانت تسمَّى الشهيدة ، وكانت قد قرأتِ القرآن ، فاستأذنت النبيَّ ﷺ أن يتخذ في دارها[٢] مؤذناً يُؤذِّن لها ، وكانت دَبَّرت غلاماً لها وجارية ، فقاما إليها بالليل فغمَّاها[٣] في قطيفةٍ لها حتى ماتت ، وذهبا ، فأصبح عمر ، فقام في الناس وقال : من عنده من هذين علم أو من رآهما فليجئ بهما ، فجيء بهما ، فأمر بهما فصُلبَا ، فكانا أوّلَ مصلوبين بالمدينة . وقد رواه البيهقي : من حديث أبي نُعيم : حدَّثنا الوليد بن جُميع ، حدَّثتني جدَّتي ، عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، فكان رسولُ الله ﷺ يزورُها ويُسمِّيها الشهيدة ، فذكر الحديث ، وفي آخره فقال عمر : صدقَ رسولُ الله ﷺ كان يقول : « انطلقوا بنا نزور الشهيدةَ »[٤] .

ومن ذلك ما رواه البخاري[٥] : من حديث أبي إدريس الخَوْلاني ، عن عَوْف بن مالك في حديثه عنه ، في الآيات الست بعد موته ، وفيه : « ثم مُوتانٌ يأخذ[٦] فيكم كقُعاص[٧] الغنم » وهكذا وقع في أيام عمرَ ، وهو طاعون عمَواس سنة ثماني عشرة ، ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة ، منهم معاذ بن جبل ، وأبو عُبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشُرحبيل بن حَسَنة ، وأبو جندل بن سهيل بن عمرو وأبوه ، والفَضْل بن العبَّاس بن عبد المطلب ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال الإمام أحمد : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا النَّهَّاسُ بن قَهْم ، حدَّثنا شدَّاد أبو عمَّار ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال رسول الله ﷺ : « سِتٌّ من أشراط الساعة : موتي ، وفتح بيت المقدس ، وموتٌ يأخذ

---

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٥٩١) في الصلاة ، وإسناده ضعيف .
(٢) كذا في الأصل وفي المطبوع : أن تتخذ في بيتها .
(٣) « فغمَّاها » : أي : وضعا فوق رأسها قطيفة أو وسادة وخنقاها .
(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) ، ورواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٤٠٥) وأبو داود رقم (٥٩٢) وإسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن خلاد، و جدة الوليد بن عبد الله بن جميع ، فضلاً عن اضطراب الوليد بن جميع فيه .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١٧٦) في الجزية والموادعة .
(٦) في نسخة : يأخذكم .
(٧) في نسخة : كعقاع . والتصحيح من الأصل والبخاري . القُعَاص : داءٌ يأخذُ الغنم ، لا يُلبثُها أن تموتَ .

الناسَ كقُعاص الغنم ، وفتنة يدخل حريمها بيت كل مسلم ، وأن يعطى الرجل ألف دينار فيسخطها ، وأن يعدو الروم فيسيرون إليكم بثمانين بنداً ، تحت كل بند اثنا عشر ألفاً »(١) .

وقد قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا بَحْر بن نصر ، حدَّثنا ابن وَهْب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن عبد الله بن حيَّان ؛ أنه سمع سُليمان بن موسى يذكر : أنَّ الطاعونَ وقع بالناس يوم جسر عموسة(٢) ، فقام عمرو بن العاص ، فقال : يا أيها الناس ، إنما هذا الوجع رجسٌ فتنحَّوا عنه . فقام شُرحبيل بن حسنة ، فقال : يا أيها الناس ، إني قد سمعتُ قولَ صاحبكم ، وإني والله لقد أسلمتُ وصلَّيتُ ، وإن عمراً لأضلُّ من بعير أهله ، وإنما هو بلاءٌ أنزلَه الله عزَّ وجلَّ ، فاصبروا . فقام معاذُ بن جبل فقال : يا أيُّها الناس! إني قد سمعتُ قولَ صاحبيْكم هذين ، وإن هذا الطاعون رحمةُ ربِّكُم ودعوة نبيِّكم ﷺ ، وإني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنكم ستَقدَمون الشَّامَ ، فتنزلون أرضاً يُقال لها : أرض عموسة ، فيخرج بكم فيها خُرجَانٌ له ذُبَابٌ كذُباب الدُّمَّل ، يستشهد الله به أنفسَكم وذراريكم ، ويُزَكِّي به أموالَكم » اللَّهُمَّ إنْ كنتَ تعلم أني قد سمعتُ هذا من رسول الله ﷺ فارزقْ معاذاً وآلَ معاذ منه الحظَّ الأوفى ولا تُعافِه منه ، قال : فطُعنَ في السَّبَّابة ، فجعلَ ينظر إليها ، ويقول : اللَّهُمَّ باركْ فيها ، فإنَّكَ إذا باركتَ في الصغير كان كبيراً ، ثم طُعن ابنه ، فدخلَ عليه فقال : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة : ١٤٧] فقال : ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٣) [الصافات : ١٠٢] .

وثبت في الصحيحين : من حديث الأعمش وجامع بن أبي راشد ، عن شقيق بن سَلَمة ، عن حُذيفةَ ، قال : كُنَّا جلوساً عند عمرَ ، فقال : أيُّكم يحفظُ حديثَ رسول الله ﷺ في الفتنة ؟ قلتُ : أنا ، قال : هاتِ ، إنَّك لجريء ، فقلت : ذكر فتنةَ الرَّجُلِ في أهله ومالِه وولدِه وجارِه ، يُكفِّرُها الصَّلاة والصَّدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال : ليس هذا أعني ، إنما أعني التي تموجُ مَوجَ البحر ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ! إنَّ بينكَ وبينَها باباً مُغْلقاً ، قال : وَيْحَكَ ! أيُفتحُ الباب أم يُكسرُ ؟ قلت : بل يُكسرُ ، قال : إذاً لا يُغلقُ أبداً . قلت : أجل . فقلنا لحُذيفة : فكان عمر يعلمُ من الباب ؟ قال : نعم ، إني حدَّثته حديثاً ليس بالأغاليط ، قال : فهبنا أن نسألَ حذيفةَ من الباب ، فقلنا لمَسْروق ، فسأله ، فقال : مَنِ الباب ؟ قال : عمر(٤) .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٢٨) وفي إسناده النهاس بن قهم ضعيف ، ولكن له شاهد عند البخاري من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه ، فهو به حسن .

(٢) كذا في الدلائل ، وفي معجم البلدان : إمَواس : كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، ومنها كان الطاعون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) ورواه بطوله البيهقي في الدلائل (٦/ ٣٨٤ـ٣٨٥) وفي إسناده ضعف، وهو في مسند أحمد (٤/ ١٩٥ ـ ١٩٦) مختصراً.

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٠٩٦) في الفتن ، ومسلم في صحيحه رقم (١٤٤/ ٢٦) في الفتن وأشراط الساعة .

وهكذا وقعَ من بعد مقتل عمر ، وقعت الفتنُ في النَّاس ، وتأكَّد ظهورُها بمقتل عثمانَ بن عفَّان رضي الله عنه .

وقد قال يَعلى بن عُبيد ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن عَزْرة بن قَيْس ، قال : خطبنا خالدُ بن الوليد ، فقال : إنَّ أميرَ المؤمنينَ عمر بعثني إلى الشام ، فحين ألقى بَوانِيَهُ[١] بَثْنِيّة وعسلاً ، أراد أن يُؤثِرَ بها غيري ويبعثني إلى الهند ، فقال رجلٌ من تحته : اصبرْ أيُّها الأمير فإنَّ الفتنَ قد ظهرتْ ، فقال خالد : أما وابنُ الخطاب حيٌّ فلا ، وإنما ذاك بعدَه[٢] .

وقد روى الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق[٤] ، عن مَعمَر ، عن الزُّهريِّ ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : أبصرَ رسولُ الله ﷺ على عمرَ ثوباً ، فقال : « أجديدٌ ثوبُكَ أم غسيلٌ ؟ » قالَ : بل غَسيل ، قال : « البسْ جديداً ، وعِشْ حَمِيْداً ، ومُتْ شَهيداً » وأظنُّه قال : « ويرزقُك الله قُرَّة عَيْنٍ في الدُّنيا والآخرة » . وهكذا رواه النسائيُّ[٥] وابن ماجه[٦] من حديث عبد الرزاق به . ثم قال النّسائي : هذا حديث منكرٌ ، أنكرَه يحيى القطَّان على عبد الرزاق ، وقد رُوي عن الزّهريّ من وجه آخر مُرسلاً ، وقال حمزةُ بن محمَّد الكِناني الحافظ : لا أعلمُ أحداً رواه عن الزُّهريّ غيرَ مَعْمَر ، وما أحسبه بالصحيح ، والله أعلم .

قلت : رجال إسناده واتصاله على شرط الصحيحين ، وقد قَبِلَ الشيخان تَفرُّدَ مَعمر عن الزُّهريِّ في غير ما حديث . ثم قد روى البَزَّارُ هذا الحديثَ من طريق جابرِ الجُعفيّ ـ وهو ضعيف ـ عن عبد الرحمن بن سَابط ، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً مثلَه سَواء[٧] . وقد وقعَ ما أُخبرَ به في هذا الحديث ، فإنه رضي الله عنه قُتل شهيداً وهو قائمٌ يصلِّي الفجرَ في مِحرابهِ من المسجدِ النبويِّ ، على صاحبهِ أفضلُ الصَّلاة والسَّلام .

---

(١) في الدلائل : وهو يهمه فألقى بوائنَهُ بَثنيَّةً وعسلاً .
(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٨٧) وفي إسناده عزرة بن قيس ، وهو ضعيف .
(٣) في المسند (٢/ ٨٨) .
(٤) هو في مصنفه (٢٠٣٨٢) .
(٥) في عمل اليوم والليلة (٣١١) .
(٦) في سننه (٣٥٥٨) .
(٧) هكذا دافع المصنف عن هذا الحديث ، وفي دفاعه نظر من أوجه :
الأول : إن استدلاله بحديث جابر الجعفي غير صحيح لأنه ضعيف .
الثاني : إن النسائي لم ينفرد بهذا القول فهو قول يحيى بن سعيد القطان ، وناهيك به ، وهو قول يحيى بن معين على ما نقله ابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٤٨) ، وقال أبو حاتم فيما نقله عنه ابنه في العلل (١/ ٤٩٠) : هو حديث باطل .
وقال البزار : لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلا عبد الرزاق ، ولم يتابع عليه ؛ فحديث ينكره ويعله يحيى القطان ، وابن معين ، وأبو حاتم والنسائي وغيرهم من الجهابذة لا ينفعه تصحيح المتأخرين .
الثالث : إن الشيخين كانا ينتقيان من أحاديث الثقات ولا يرويان كل حديثهم (بشار) .

وقد تقدَّمَ حديثُ أبي ذرٍّ في تسبيح الحصى في يد أبي بكر ، ثم عمرَ ، ثم عثمان ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « هذه خلافة النبوة »(١) .

وقال نعيم بن حمَّاد : حدَّثنا عبدُ الله بن المبارك ، أنبأنا حَشْرَجُ بن نُباتة ، عن سعيد بن جُمْهَان ، عن سفينة ، قال : لمَّا بنَى رسولُ الله ﷺ مسجدَ المدينة ، جاء أبو بكر بحجرٍ فوضعَه ، ثم جاءَ عمرُ بحجرٍ فوضعَه ، ثم جاءَ عثمانُ بحجرٍ فوضعَه ، فقال رسول الله : « هؤلاء يكونون الخلفاء بعدي »(٢) .

وقد تقدَّم في حديث عبد الله بن حَوالة قوله ﷺ : « ثَلاثٌ مَن نَجا مِنهنَّ فقد نَجا : موتي ، وقتلُ خليفة مضطهداً ، والدَّجَّال »(٣) وفي حديثه الآخر ، الأمر باتباع عثمان عند وقوع الفتنة .

وثبتَ في الصحيحين ، من حديث سُليمان بن بِلال ، عن شَريك بن أبي نَمر ، عن سَعِيد بن المُسيِّب ، عن أبي مُوسى ، قال : تَوَضَّأتُ في بَيتي ، ثم خَرَجْتُ فقلتُ : لأكوننَّ اليومَ مع رسولِ الله ﷺ ، فجئتُ المسجدَ فسألتُ عنه ، فقالُوا : خرجَ وتوجَّه هاهنا ، فخرجتُ في أثرِهِ حتى جئتُ بئرَ أريس ـ وبَابُها من جَريد ـ فمكثتُ عند بابها حتَّى ظننت أنَّ رسولَ الله ﷺ قد قَضى حاجتَه وجلسَ ، فجئتُه فسلَّمتُ عليه فإذا هو قد جلسَ على قُفِّ بئرِ أريسٍ ، فتوسَّطَه ثم دلَّى رِجْلَيهِ في البئرِ وكشفَ عن سَاقيه ، فرجعتُ إلى البابِ وقلتُ : لأكُوننَّ بَوَّابَ رسولِ الله ﷺ ، فلم أَنْشب أن دقَّ البابُ ، فقلتُ : مَنْ هذا ؟ قال : أبو بكر ، قلتُ : على رِسْلِكَ ، وذهبتُ إلى النبيِّ ﷺ فقلتُ : يا رسولَ الله ! هذا أبو بكر يستأذنُ ، فقالَ : « ائذنْ له وَبَشِّرهُ بالجنَّةِ » ، قالَ : فخرجتُ مُسرعاً حتَّى قلتُ لأبي بكرٍ : ادخل ورسولُ الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بالجَنَّة ، قالَ : فدخلَ حتى جلسَ إلى جَنْبِ النبيِّ ﷺ في القُفِّ على يمينه ، ودلَّى رِجْلَيهِ وكشفَ عن سَاقيه ، كما صنعَ النبيُّ ﷺ . قالَ : ثم رجعتُ وقد كنتُ تركتُ أخي يَتَوَضَّأُ وقد كانَ قال لي : أنا على إثْرِكَ . فقلتُ : إن يُرِدِ الله بفلانٍ خيراً يأتِ به ، قال : فسمعتُ تحريكَ البابِ ، فقلتُ : مَن هذا ؟ قال : عمرُ ، فقلتُ : على رِسْلِكَ . قال : وجئتُ النبيَّ فسلَّمتُ عليه وأخبرتُه ، فقالَ : « ائذنْ له وبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ » . قالَ : فجئتُ وأَذِنْتُ له وقلتُ له : رَسولُ الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بالجَنَّةِ . قالَ : فدخلَ حتَّى جلسَ مع رسولِ الله ﷺ على يَسارِه ، وكشفَ عن سَاقيْه ودلَّى رِجْليه في البئرِ كمَا صنعَ النبيُّ ﷺ وأبو بكر ، قالَ : ثم رجعتُ فقلتُ : إن يُرِد الله بفلانٍ خيراً يأتِ به ، يُريدُ أخَاه ، فإذا تحريكُ البَابِ ، فقلتُ : مَن هَذا ؟ قال : عُثمانُ بنُ عفان ، قلتُ : على رِسْلِكَ . وذهبتُ إلى رسولِ الله ﷺ فقلتُ : هذا عثمانُ يستأذنُ ، فقالَ : « ائذنْ له وبَشِّرهُ بالجَنَّةِ على بَلْوَى تُصيبُه » قالَ : فجئتُ ، فقلتُ : رسولُ الله ﷺ يأذنُ لكَ ويُبَشِّرُكَ بالجَنَّةِ

(١) تقدم الحديث .
(٢) رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن (ص٥٩) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٥٣) وإسناده ضعيف .
(٣) تقدم وفي مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٤) ومسند أحمد (٤/ ١٠٥) وفيهما : وقتل خليفة مصطبر .

مع[١] بَلْوَى أو بَلاءٍ يُصيبُكَ ، فدخلَ وهو يقولُ : الله المُستعانُ ، فلم يجد في القُفِّ مَجْلِساً ، فجلسَ وِجَاهَهُمْ مِنْ شِقِّ البئرِ ، وكشفَ عن سَاقَيْهِ ودَلَّاهُمَا في البئرِ ، كمَا صنعَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعُمَرُ ، رضي الله عنهما ، قالَ سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ : فأَوَّلْتُها قُبورهم ، اجتمعت وانفرد عثمان[٢] .

وقد روى البيهقي من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور ، عن إبراهيم بن محمد بن حَاطب ، عن عبد الرحمن بن محيريز ، عن زيدِ بن أرقمَ ، قال : بَعثَني رسولُ الله ﷺ فقالَ : « انطلقْ حتى تأتيَ أبا بكرٍ فتجدَه في دَارِه جالساً مُحْتَبِياً ، فقلْ : إنَّ رسولَ الله ﷺ يقرأُ عليكَ السَّلام ويقولُ : أبشرْ بالجَنَّة ، ثم انطلقْ حتَّى تأتيَ الثَّنِيَّة فتلقى عمرَ راكباً على حِمَارٍ تلوحُ صَلْعَتُه فقلْ : إنَّ رسولَ الله ﷺ يقرأُ عليكَ السَّلامَ ، ويقولُ : أبشرْ بالجَنَّةِ ، ثم انصرفْ حتى تأتيَ عثمانَ ، فتجدَه في السُّوق يبيعُ ويَبتاعُ ، فقل : إنَّ رسولَ الله ﷺ يقرأُ عليكَ السَّلامَ ، ويقولُ : أبشرْ بالجَنَّةِ بعدَ بَلَاءٍ شَديدٍ » . فذكرَ الحديثَ في ذهابهِ إليهم ، فوجدَ كُلًّا منهم كما ذكرَ رسولُ الله ﷺ ، وكُلًّا منهم يقولُ : أينَ رسولُ الله ؟ فيقولُ : في مَكانِ كذا وكذا ، فيذهبُ إليه ، وأن عثمانَ لمَّا رجعَ قال : يا رسول الله ! وأيُّ بَلاء يُصيبُني ؟ والذي بعثَكَ بالحَقِّ ما تَغَيَّبْتُ ولا تَمَنَّيْتُ ولا مَسَسْتُ ذكري بيميني منذ بايعتُك ، فأيّ بَلاء يُصيبُني ؟ فقالَ : « هو ذاك »[٣] . ثم قالَ البيهقيُّ : عبدُ الأعلى ضعيفٌ ، فإن كانَ حفظَ هذا الحديثَ فيحتملُ أنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَ إليهم زيدَ بنَ أرقمَ ، فجاءَ وأبو مُوسى الأشعريّ جالسٌ على الباب كما تقدم .

وهذا البلاءُ الذي أصابَه[٤] هو ما اتَّفقَ وقوعه على يدي مَنْ أنكرَ عليه من رُعَاع أهل الأمصار بلا علم ، فوقعَ ما سنذكُره في دولته إن شاء الله من حَصْرِهم إيَّاه في دارِه ، حتَّى آلَ الحالُ بَعدَ ذاك كُلِّه إلى اضطهاده وقتله وإلقائه على الطريق أيَّاماً ، لا يُصلَّى عليه ولا يُلتفتُ إليه ، حتَّى غُسِّلَ بعد ذلك وصُلِّيَ عليه ودُفن بحَشِّ كَوْكَبٍ[٥] ـ بستان في طرفِ البَقيع ـ رضي الله عنه وأرضاه ، وجعلَ جَنَّاتِ الفردوسِ متقلَّبه ومَثْواه .

كما قال الإمامُ أحمدُ[٦] : حدَّثنا يحيى ، عن إسماعيل بن قيس ، عنِ أبي سهلة مولى عثمان ، عن عائشة ، قالت : قالَ رسولُ الله ﷺ : « ادعُوا لي بعضَ أصحَابي » قلتُ : أبو بكر ؟ قال : « لا » قلتُ : عمرُ ؟ قال : « لا » قلتُ : ابنُ عَمِّكَ عَليٌّ ؟ قال : « لا » قلتُ : عثمانُ ؟ قال : « نعم » فلمَّا جاءَ

---

(١) في مسلم : على .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٧٤) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٢٣)(٢٩) في فضائل الصحابة .

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٣٩٠) وفيه : عبد الرحمن بن بُجير ، وفي الأصل : عبد الرحمن بن جبر ، وكلاهما خطأ ، وفي سنده عبد الأعلى بن أبي المساور ، وهو متروك .

(٤) البلاء الذي أصاب عثمان : الفتنة التي ألَّبت الناس عليه وأدت إلى مقتله رضي الله عنه .

(٥) « حَشّ كوكب » : بستان في المدينة عند بقيع الغرقد ، اشتراه عثمان بن عفان رضي الله عنه وزاده في البقيع .

(٦) في المسند (٦/ ٥٢) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٣٩١) وهو حديث صحيح .

عُثمانُ ، قال : « تَنَحَّي » فجعلَ يُسارُّه ولونُ عثمانَ يَتغيَّرُ . قال أبو سَهلة : فلمَّا كانَ يومُ الدَّار وحضرَ فيها ، قلتُ : يا أميرَ المؤمنين! ألا تقاتلُ ؟ قالَ : لا ، إنَّ رسولَ الله ﷺ عَهِدَ إليَّ عَهْداً وإنِّي صَابرٌ نَفْسِي عليه . تفرَّد به أحمدُ .

ثم قد رواه أحمدُ[١] : عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن عائشة ، فذكرَ مثلَه ، وأخرجه ابنُ ماجه[٢] من حديث وكيع .

وقال نُعيم بنُ حمَّاد في كتابه « الفتن والملاحم »[٣] : حدَّثنا عتَّاب بن بَشير ، عن خُصَيْف ، عن مُجاهد ، عن عائشَةَ رضي الله عنها ، قالت : دخلتُ على رسولِ الله ﷺ وعثمانُ بين يَديْه يُناجيه ، فلم أُدركْ مِن مَقالتِه شيئاً إلا قولَ عثمان : أظلماً وعُدواناً يا رسولَ الله ؟! فمَا دريتُ ما هو ، حتَّى قُتِلَ عثمانُ ، فعلمتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ إنَّما عَنى قتلَه . قالت عائشةُ : وما أحببتُ أن يصل إلى عثمانَ شيءٌ إلَّا وصلَ إليَّ مثلُه ، غيرَ أَنَّ الله علمَ أَنِّي لم أُحبَّ قتلَه . ولو أحببتُ قتلَه لقُتِلتُ . وذلكَ لمَّا رُمي هودجُها من النَّبْل حتَّى صارَ مثلَ القُنفذ .

وقال أبو داود الطَّيالسي[٤] : حدَّثنا إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المُطَّلب ، عن حذيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ السَّاعة حتَّى تقتلُوا إمامَكم ، وتَجتلِدُوا بأسيافِكُم ، ويرثَ دنياكُم شِرارُكُم » .

وقال البيهقيُّ : أخبرنا أبو الحُسين بن بشران ، أخبرنا علي بن محمد المصري ، حدَّثنا محمد بن إسماعيل السُّلمي ، حدَّثنا عبد الله بن صالح ، حدَّثني اللَّيث ، حدَّثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن رَبيعة بن سَيف ، أنَّه حَدَّثه أنَّه جلسَ يوماً مع شُفَيٍّ الأصبحيّ فقالَ : سمعتُ عبدَ الله بن عمرو يقولُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « سيكونُ فيكم اثنا عشرَ خليفةً : أبو بكر الصِّديق ، لا يلبثُ خلفي إلا قليلاً ، وصاحبُ رَحى العرب ، يَعيشُ حَميداً ويموتُ شهيداً ، فقال رجل : ومَنْ هو يا رسولَ الله ؟ قال : عمرُ بن الخطَّاب . ثم التفتَ إلى عثمانَ ، فقالَ : وأنتَ يسألُكَ النَّاسُ أن تخلعَ قميصاً كسَاكَه الله ، والذي بعثني بالحَقِّ إن خلعتَه لا تدخلُ الجنَّةَ حتَّى يلجَ الجملُ في سَمِّ الخِياط »[٥] .

---

(١) في مسنده (٦/ ٢١٤) .

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١١٣) في المقدمة ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن (ص٤٧) في سنده خصيف بن عبد الرحمن الجزري ، صدوق سيِّئ الحفظ خلط بأخرة ، ونعيم بن حماد نفسه ضعيف .

(٤) رواه أبو داود الطيالسي رقم (٤٣٩) وإسناده ضعيف . عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب لم يرو عن حذيفة ، وإنما يروي عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الأشهلي .

(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٣٩٣) وفي إسناده ربيعة بن سيف ، قال الحافظ في التقريب : صدوق له مناكير .

ثم روى البيهقيُّ من حديث مُوسى بن عُقبة : حدَّثني جَدِّي أبو أمِّي ، أبو حَبيبة ، أنه دخلَ الدَّارَ وعثمانُ مَحصورٌ فيها ، وأنَّه سمعَ أبا هُريرة يستأذنُ عثمانَ في الكلام ، فأذنَ له ، فقامَ فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم قالَ : إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إنَّكم سَتلقون بعدي فتنةً واختلافاً » . فقالَ له قائلٌ من الناس : فمَن لنا يا رسولَ الله ؟ أو ما تأمرُنا ؟ فقال : « عَليكُم بالأمينِ وأصحابهِ » وهو يُشير إلى عثمانَ بذلك[١] .

وقد رواه الإمام أحمد[٢] : عن عفَّان ، عن وُهيب ، عن موسى بن عُقبة ، به . وقد تقدَّم في حديث عبد الله بن حَوالة شاهدان له بالصحة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبدُ الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور ، عن ربعي ، عن البراء بن ناجية ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ عن النبيِّ ﷺ قال : « تدورُ رَحى الإسلام لخمسٍ وثلاثينَ ، أو سِتّ وثلاثينَ ، أو سبعٍ وثلاثينَ ، فإن هلكوا فسبيلُ مَنْ قد هلكَ ، وإن يقم لهم دينُهم يقم لهم سبعين عاماً » قال : قلت : أمِمَّا مضى أو مِمَّا بقيَ ؟ قال : « مما بقي » .

ورواه أبو داود[٤] : عن محمد بن سُليمان الأنباري ، عن عبد الرحمن بن مَهدي ، به .

ثم رواه أحمد : عن إسحاق[٥] ، وحجَّاج[٦] ، عن سفيان ، عن منصور ، عن رَبعي ، عن البراء بن ناجية الكاهلي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ رَحى الإسلام ستزول لخمسٍ وثلاثينَ أو ست وثلاثين ، أو سبعٍ وثلاثينَ ، فإن تهلك فسبيلُ مَنْ هلك ، وإن يقمْ لهم دِينُهم يقمْ لهم سبعينَ عاماً » قال : قال عمر : يا رسولَ الله ! أبما مضى أو بما بقيَ ؟ قال : « بل بما بقيَ » .

وهكذا رواه يعقوب بن سفيان : عن عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن منصور به ، فقال له عمرُ : فذكرَه . قال البيهقيُّ[٧] : وقد تابعَ إسرائيلُ الأعمشَ وسفيانَ الثوري عن منصور . قال : وبلغني أنَّ في هذا إشارة إلى الفتنة التي كان فيها قتل عثمان سنة خمس وثلاثين ، ثم إلى الفتن التي كانت في أيام عليّ ، وأرادَ بالسبعينَ ملكَ بني أمية ، فإنه بقيَ ما بينَ أن استقرَّ لهم المُلك إلى أن ظهرتِ الدعاة بخراسان ، وضَعُفَ أمرُ بني أُميّة ودخلَ الوَهَن فيه ، نحواً من سبعين سنة .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٣٩٣) وهو حديث حسن .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٤٥) رقم (٨٥٤١) والحاكم (٣/ ٩٩) وصححه ، وهو حديث حسن .
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٩٣) وهو حديث حسن من أجل البراء بن ناجية .
(٤) في سننه (٤٢٥٤) في الفتن .
(٥) في المسند (١/ ٣٩٣) .
(٦) في المسند (١/ ٣٩٥) وهو حديث حسن .
(٧) في دلائل النبوة (٦/ ٣٩٤) .

قلت : ثم انطوتْ هذه الحروبُ أيَّام صِفِّين ، وقاتلَ عليٌّ الخوارجَ في أثناء ذلك ، كما تقدَّم الحديث المتفق على صِحته ، في الإخبار بذلك ، وفي صِفتهم وصفةِ الرجل المُخَدَّج(١) فيهم .

حديث آخر

قال الإمام أحمد(٢) : حدَّثنا إسحاق بن عيسى ، حدَّثني يحيى بن سُلَيْم ، عن عبد الله بن عثمان ، عن مجاهد ، عن إبراهيم بن الأشتر ، عن أبيه ، عن أُمِّ ذَرٍّ قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيتُ . فقال : ما يُبكيكِ ؟ فقلتُ : وما لي لا أبكي وأنتَ تموتُ بفلاةٍ من الأرض ولا يَد لي بدفنِكَ ، وليس عندي ثوبٌ يسعكَ فأُكفِّنكَ فيه . قال : فلا تبكي وأبشري ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لنَفرٍ : « ليموتنَّ رجل منكم بفَلاةٍ من الأرض ، يشهدُه عِصابةٌ من المؤمنين » وليس من أولئك النَّفر أحدٌ إلا وقد مات في قرية أو جماعة ، وإنِّي أنا الذي أموتُ بالفَلاة ، والله ما كذبَ ولا كذبتُ .

تفرَّد به أحمدُ رحمه الله ، وقد رواه البيهقيُّ من حديث عليِّ بن المَديني ، عن يحيى بن سُليم الطَّائفي به مطوَّلاً(٣) . والحديث مشهور في موته رضي الله عنه بالرَّبَذة سنة ثنتين وثلاثين ، في خلافة عثمان بن عفان ، وكان في النَّفَر الذين قدموا عليه وهو في السياق(٤) عبد الله بن مسعود ، وهو الذي صلَّى عليه ثم قدم المدينة فأقام بها عشرَ ليال ومات رضي الله عنه .

حديث آخر

قال البيهقيُّ : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، حدَّثنا محمد بن إسحاق الصَّغَّاني ، حدَّثنا عمر بن سعيد الدمشقي ، حدَّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن إسماعيل بن عُبيد الله ، عن أبي عبد الله الأشعري ، عن أبي الدرداء ، قال : قلتُ : يا رسولَ الله ! بلغني أنَّكَ تقول : « لَيَرْتَدَّنَّ أقوامٌ بعد إيمانهم » . قال : « أجل ، ولستَ منهم » . قال : فتوفي أبو الدرداء قبلَ أن يُقتلَ عثمان(٥) .

وقال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثنا صفوان ، حدَّثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثنا عبد الله أو عبد الغفار بن إسماعيل بن عُبيد الله ، عن أبيه أنه حدَّثه عن شيخ من السَّلف ، قال : سمعتُ أبا الدرداء يقول : قال

---

(١) « المُخَدَّج » : الناقص الخلقة ، وتقدم الحديث .

(٢) في المسند (٥/ ١٥٥) ورواه ابن حبان رقم (٦٦٧٠) والبزار رقم (٢٧١٦) وهو حديث حسن .

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٠١ـ٤٠٢) وهو حديث حسن .

(٤) أي : في الاحتضار .

(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٠٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٧) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الأشعري وهو ثقة .

رسولُ الله ﷺ : « إنِّي فَرَطُكُم على الحوض ، أنتظرُ من يَرِدُ عليَّ منكم ، فلا أُلفينَّ أُنازعُ أحدَكم ، فأقولُ : إنه من أُمَّتي ، فيقال : هل تدري ما أَحدثوا بعدكَ ؟ » قال أبو الدرداء : فتخوَّفتُ أن أكونَ منهم ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فذكرتُ ذلك له ، فقال : « إنَّكَ لستَ منهم » . قال : فتوفي أبو الدرداء قبل أن يُقتلَ عثمان ، وقبل أن تقعَ الفتنُ .

قال البيهقي : تابعه يزيد بن أبي مريم ، عن أبي عُبيد الله مسلم بن مِشْكم[١] ، عن أبي الدرداء إلى قوله : « لستَ منهم »[٢] .

قلت : قال سعيد بن عبد العزيز : توفي أبو الدرداء لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال الواقدي وأبو عُبيد وغير واحد : توفي سنة اثنتين وثلاثين ، رضي الله عنه[٣] .

ذكر إخباره ﷺ عن الفتن الواقعة في آخر أيام عثمان بن عفَّان وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عُيينة ، عن الزهري ، عن عروةَ ، عن أسامة بن زيد : أنَّ رسولَ الله ﷺ أشرفَ على أُطُمٍ من آطام المدينة ، فقال : « هل ترونَ ما أرى ؟ إنِّي لأرى مواقعَ الفتن خلالَ بيوتِكم كمواقعِ القَطر »[٤] .

وروى الإمام أحمد ومسلم من حديث الزهريّ ، عن أبي إدريس الخَوْلانيِّ : سمعتُ حذيفةَ بنَ اليمان يقول : والله إنِّي لأعلمُ النَّاس بكلِّ فتنةٍ هي كائنةٌ فيما بيني وبينَ الساعة ، وما ذاكَ أن يكون رسولُ الله ﷺ حدَّثني من ذلك شيئاً أَسَرَّه إليَّ لم يكن حدَّث به غيري ، ولكنَّ رسولَ الله ﷺ قال : ـ وهو يُحدِّثُ مجلساً أنا فيه ـ سُئل عن الفتن وهو يَعُدُّ الفتنَ : « فيهن ثلاث لا يذرنَ شيئاً ، منهنَّ كرياح الصَّيف ، منها صغار ومنها كبار » قال حذيفةُ : فذهبَ أولئك الرَّهطُ كلُّهم غيري . وهذا لفظ أحمد[٥] .

قال البيهقي : مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل عثمانَ ، وقبل الفتنتين الأُخرَيَين في أيَّام عليٍّ[٦] . قلت : قال العِجْليُّ ، وغير واحد من علماء التاريخ : كانت وفاة حذيفةَ بعد مقتل عثمان بأربعين

---

(١) في المطبوع : « يشكر » محرف ، وهو مسلم بن مشكم الخزاعي كاتب أبي الدرداء ، من رجال التهذيب .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٠٤) وهو حديث حسن .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد (٧/ ٣٩٣) والسير ؛ للذهبي (٢/ ٣٥٣) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٨٧٨) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٨٥) في الفتن . والأُطُم : القصر والحصن .

(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٨١٩) في الفتن .

(٦) دلائل النبوة (٦/ ٤٠٦) .

يوماً[١] . وهو الذي قال : لو كان قتلُ عثمانَ هدىً لاحتلبتْ به الأُمَّة لبناً ، ولكنَّه كان ضلالةً ، فاحتلبتْ به الأُمَّة دماً ، وقال : ولو أن أحداً ارفضَّ لِمَا صنعتُم بعثمانَ ، لكان جديراً أن يرفضَّ .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا سفيان بن عُيينة ، عن الزُّهريِّ ، عن عروةَ ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن حَبيبةَ بنت أُمِّ حَبيبة بنت أبي سفيان ، عن أُمِّها أم حَبيبة ، عن زينبَ بنت جَحْشٍ زوج النبيِّ ﷺ ـ قال سفيان : أربع نسوة ـ قالت : استيقظَ النبيُّ ﷺ من نومه وهو مُحْمَرُّ الوجه ، وهو يقول : « لا إلهَ إلا الله ، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقتربَ ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه ـ وحلَّقَ بأصبعه الإبهام والتي تليها ـ قلتُ : يا رسولَ الله ! أنهلكُ وفينا الصَّالحون ؟ » قال : « نعم ، إذا كثر الخبث »[٢] .

هكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عُيينة به ، وكذلك رواه مسلم[٣] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وسعيد بن عمرو الأَشْعَثي ، وزُهير بن حَرْب ، وابن أبي عُمرَ ، كلّهم عن سفيان بن عُيينة به سواء . ورواه الترمذي[٤] عن سعيد بن عبد الرحمن المخزوميّ وغير واحد ، كلّهم عن سفيان بن عُيينة . وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقال الترمذي : قال الحُمَيْديّ عن سفيانَ : حفظت من الزهريِّ في هذا الإسناد أربع نسوة .

قلت : وقد أخرجه البخاري[٥] : عن مالك بن إسماعيل ، ومسلم[٦] : عن عمرو الناقد ، عن سفيان بن عُيينة ، عن الزهري ، عن عُروةَ ، عن زينبَ ، عن أُمِّ حَبيبة ، عن زينبَ بنت جَحْش ، فلم يذكروا حبيبة في الإسناد ، وكذلك رواه عن الزهري : شعيب ، وصالح بن كيسان ، وعقيل ، ومحمد بن إسحاق ، ومحمد بن أبي عتيق ، ويونس بن يزيد ؛ فلم يذكروا عنه في الإسناد حَبيبة . فالله أعلم .

فعلى ما رواه أحمد ومن تابعه عن سفيان بن عُيينة ، يكون قد اجتمعَ في هذا الإسناد تابعيان ، وهما الـزُّهري وعروة بن الزبير ، وأربع صحابيات ، وبنتان ، وزوجتان ، وهذا عزيزٌ جداً . ثم قال البخاري بعد رواية الحديث المتقدِّم : عن أبي اليَمَان ، عن شُعيب ، عن الزُّهْريّ ، فذكره إلى آخره[٧] . ثم قال : وعن الزُّهْريّ : حدَّثتني هندُ بنت الحارث ، أَنَّ أُمَّ سلمةَ ، قالت : استيقظَ رسولُ الله ﷺ فقال : « سبحان الله ! ماذا أنزل من الخزائن ؟! وماذا أنزل من الفتن ؟! » . وقد أسنده[٨] البخاريُّ في مواضع أخر

---

(١) الطبقات الكبرى (٦/ ١٥) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٢٨) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٨٠) في الفتن .
(٤) رواه الترمذي في جامعه رقم (٢١٨٧) في الفتن .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٤٦) الأنبياء ورقم (٧٠٥٩)و(٧١٣٥) في الفتن .
(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٨٠)(١) في الفتن .
(٧) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦١٢٨) في الأدب .
(٨) في نسخة : أسند .

من طُرق عن الزهريّ به . ورواه الترمذيُّ من حديث مَعْمَر عن الزهريِّ ، وقال : حسن صحيح[١] .

وقال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا الصَّلْتُ بن دينار ، حدَّثنا عُقبةُ بن صهبان وأبو رجاء العطاردي ، قالا : سمعنا الزبيرَ وهو يتلو هذه الآية : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥] . قال : لقد تلوتُ هذه الآية زمناً وما أُراني من أهلها ، فأصبحنا مِن أهلها[٢] .

وهذا الإسناد ضعيف ، ولكن روي من وجه آخر ، فقال الإمام أحمد : حدَّثنا أسود بن عامر ، حدَّثنا جرير ، قال : سمعتُ الحسن قال : قال الزُّبيرُ بن العوَّام : نزلت هذه الآية ونحن متوافرون مع النبي ﷺ ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥] فجعلنا نقول : ما هذه الفتنة ؟ وما نشعرُ أنَّها تقعُ حيث وقعت[٣] .

ورواه النسائي عن إسحاق بن إبراهيم عن ابن مهدي ، عن جرير بن حازم ، به[٤] .

وقد قُتل الزبير بوادي السِّباع مرجعه من قتال يوم الجمل ؛ على ما سنورده في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال أبو داود السجستاني في « سننه » : حدَّثنا مُسَدَّد ، حدَّثنا أبو الأحوص ـ سَلَّام بن سُلَيم ـ عن منصور ، عن هِلال بن يَساف ، عن سعيد بن زيد ، قال : كنَّا عند النبيِّ ﷺ فذكرَ فتنةً فعظَّم أمرَها . فقلنا : يا رسولَ الله ! لئن أدركَتْنا هذه لتُهلِكُنا . فقال : « كلَّا ، إنَّ بِحَسْبِكُم القتل »[٥] قال سعيد : فرأيتُ إخواني قُتلوا . تفرد به أبو داود .

وقال أبو داود السجستاني : حدَّثنا الحسن بن علي ، حدَّثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن محمد ، قال : قال حذيفة : ما أحدٌ من النَّاس تدركُه الفتنة إلا أنا أخافُها عليه إلَّا محمد بن مسلمة ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تَضرُّك الفتنة » . وهذا منقطع[٦] .

وقال أبو داود الطيالسيّ ، حدَّثنا شعبة ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، سمعت أبا بُرْدةَ يُحدِّث ، عن ثعلبة بن أبي ضُبيعة[٧] ، سمعتُ حذيفة يقول : إني لأعرف رجلاً لا تضرُّه الفتنةُ ، فأتينا المدينة فإذا

---

(١) رواه الترمذي في الجامع رقم (٢١٩٦) في الفتن ، وهو كما قال .
(٢) رواه الطيالسي في مسنده (١٩٢) وفي إسناده الصلت بن دينار ، وهو متروك ، ولكن يشهد لمعناه الذي بعده .
(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ١٦٧) رقم (١٤٣٨) وهو حديث حسن .
(٤) رواه النسائي في الكبرى (١١٢٠٦) .
(٥) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٢٧٧) في الفتن ، وهو حديث صحيح . وأراد سعيد بإخوانه الذين قُتلوا : عثمان وطلحة والزبير وعلياً رضي الله عنهم .
(٦) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٦٦٣) في السنة .
(٧) ويقال : ضبيعة بن حصين ، وهو مجهول ، تفرد بالرواية عنه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري لم يوثقه غير ابن حبان .

فُسطاطٌ مضروب ، وإذا محمد بن مسلمة الأنصاري ، فسألته : فقال : لا أستقرُّ بمصرٍ من أمصارهم حتَّى تنجليَ هذه الفتنة عن جماعة المسلمين[١] . قال البيهقي : ورواه أبو داود ـ يعني السجستاني ـ عن عمرو بن مرزوق ، عن شعبة ، به[٢] . وقال أبو داود : حدَّثنا مُسَدَّد ، حدَّثنا أبو عوانة ، عن أشعث بن سُلَيم ، عن أبي بُرْدةَ ، عن ضُبيعة بن حصين الثعلبي ، عن حذيفة ، بمعناه[٣] . قال البخاري[٤] في « التاريخ » : هذا عندي أولى .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا حمَّاد بن سَلَمَة ، عن عليِّ بن زيد ، عن أبي بُرْدة ، قال : مررتُ بالرَّبذَة فإذا فُسْطاط ، فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لمحمد بن مَسْلَمة ، فاستأذنت عليه فدخلتُ عليه فقلت : رحمكَ الله إنَّكَ من هذا الأمر بمكان ، فلو خرجتَ إلى الناس فأمرتَ ونهيتَ ، فقال : إنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنها[٥] ستكون فتنةٌ وفرقةٌ واختلافٌ ، فإذا كانَ ذلك فائتِ بسيفك أُحُداً فاضربْ به عَرْضَه ، واكسر نبلَكَ ، واقطعْ وَتَرَكَ ، واجلسْ في بيتِكَ حتى تأتيَكَ يدٌ خاطئةٌ أو يُعافيك الله عزَّ وجلَّ » . فقد كان ما قال رسولُ الله ﷺ ، وفعلتُ ما أمرني به ، ثم استنزلَ سيفاً كان مُعلَّقاً بعمود الفُسطاط ، واختَرطَه فإذا سيفٌ من خشب ، فقال : قد فعلتُ ما أمرَني به ، واتَّخذتُ هذا أُرهبُ به الناسَ . تفرَّد به أحمد[٦] .

وقال البيهقي : أخبرنا الحاكم[٧] ، حدَّثنا عليُّ بن عيسى المَدني ، أخبرنا أحمد بن نجدة[٨] القُرشيُّ ، حدَّثنا يحيى بن عبد الحميد ، أخبرنا إبراهيم بن سعد ، حدَّثنا سالم بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن محمود بن لبيد ، عن محمد بن مسلمة ؛ أنه قال : يا رسول الله ! كيف أصنعُ إذا اختلفَ المُصلُّون ! قال : « تخرجُ بسيفك إلى الحرَّة فتضربَها به ، ثم تدخلُ بيتَك حتَّى تأتيَك مَنِيَّةٌ قاضِيَةٌ أو يدٌ خاطئةٌ » .

وقال الإمام أحمد[٩] : حدَّثنا عبدُ الصَّمد ، حدَّثنا زياد بن مسلم أبو عمر ، حدَّثنا أبو الأشعث

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٣٣) وصححه ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٤٤) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٠٧) وإسناده ضعيف لجهالة ضبيعة بن حصين .

(٢) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٦٦٤) في السنة ، وهو في دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٠٨) .

(٣) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٦٦٥) في السنة وإسناده ضعيف كما قدمنا .

(٤) تاريخ البخاري (٢/ ٢/ ٣٤٣) وأراد بالأولى : حديث أبي عوانة ، كما في الدلائل ؛ للبيهقي (٦/ ٤٠٨) .

(٥) في المسند (٣/ ٤٩٣) : إنه . وفي نسخة : قال لي : ستكون .

(٦) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٣) رقم (١٦٠٢٩) وإسناده ضعيف ، لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان .

(٧) وهو في مستدركه (٣/ ١١٧) .

(٨) في المطبوع « بحرة » محرف .

(٩) في المسند (٤/ ٢٢٦) إسناده حسن من أجل زياد بن مسلم فهو صدوق حسن الحديث .

الصَّنعاني ، قال : بعثنا يزيدُ بن معاوية إلى ابن الزبير ، فلمَّا قدمتُ المدينةَ دخلتُ على فلان ـ نسي زياد اسمَه ـ فقال : إنَّ النَّاس قد صَنعُوا ما صَنعُوا فما ترى ؟ قال : أوصاني خليلي أبو القاسم إن أدركت شيئاً من هذه الفتن فاعتمد إلى أُحدٍ فاكسر به حدَّ سيفِك ثم اقعدْ في بيتِك ، فإن دخلَ عليكَ أحدٌ البيتَ فقم إلى المَخْدَع ، فإن دخلَ عليك المَخْدَعَ فاجْثُ على ركبتيْكَ وقل : بؤ[1] بإثمي وإثمك فتكونَ من أصحاب النَّار وذلك جزاءُ الظالمين ، فقد كسرتُ سيفي وقعدتُ في بيتي .

هكذا وقعَ إيرادُ هذا الحديث في مسند محمَّد بن مَسْلَمة عند الإمام أحمد ، ولكنْ وقعَ إبهامُ اسمه ، وليس هو لمحمَّد بن مَسْلَمَة بل صحابي آخر ، فإن محمد بن مَسْلَمة رضي الله عنه ، لا خلافَ عند أهل التاريخ أنه تُوفِّي فيما بين الأربعين إلى الخمسين ، فقيل سنة ثنتين ، وقيل : ثلاث ، وقيل : سبع وأربعين ، ولم يُدركْ أيَّام يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير بلا خلاف ، فتعيَّنَ أنه صحابيٌّ آخر خبرُه كخبر محمَّد بن مسلمة .

وقال نُعيم بن حمَّاد في « الفتن والملاحم » : حدَّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حمَّاد بن سلمة ، حدَّثنا أبو عمرو القسملي ، عن ابنة أهبان[2] الغفاري ؛ أنَّ علياً أتى أهبان فقال : ما يمنعُكَ أن تتبعنا ؟ فقال : أوصاني خليلي وابنُ عمِّكَ ﷺ : « أنْ ستكونُ فرقةٌ وفتنةٌ واختلاف ، فإذا كان ذلك فاكسرْ سيفَك واقعدْ في بيتِكَ واتَّخذْ سيفاً من خشب »[3] . وقد رواه أحمد بن عفَّان ، وأسود بن عامر ، ومُؤَمِّل ، ثلاثتهم عن حمَّاد بن سلمة به ، وزاد مُؤَمّلٌ في روايته بعد قوله : واتَّخذْ سيفاً من خشبٍ « واقعدْ في بيتِكَ حتى تأتيَك خاطئةٌ أو مَنِيةٌ قاضِيَة »[4] .

ورواه الإمام أحمد أيضاً والترمذيُّ وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عُبيد الدِّيلي ، عن عُدَيْسَةَ بنتِ أُهْبَانَ بن صَيْفِيّ ، عن أبيها به[5] . وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عُبيد ، كذا قال ، وقد تقدَّم من غير طريقه .

وقال البخاريُّ : حدَّثنا عبد العزيز الأويسي ، حدَّثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كَيْسَان ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المُسيّب وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي[6] هريرة رضي الله عنه ، قال :

---

(١) « بؤ » : ارجع ، من باء يبوء بالشيء : رجعَ .
(٢) هي عديسة ابنة أهبان .
(٣) رواه نعيم بن حماد في الفتن والملاحم (ص٨٠) .
(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٥/ ٦٩) وهو حديث حسن .
(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٦٩) والترمذي في جامعه (٢٢٠٣) في الفتن وابن ماجه في سننه رقم (٣٩٦٠) في الفتن وهو حديث حسن .
(٦) في البخاري : أن أبا هريرة قال : . . .

قال رسولُ الله ﷺ : « ستكون فتنة[(١)] القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي ، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعي ، من تشرَّف لها تَسْتَشْرِفْهُ ، ومَنْ وجدَ ملجأً أو مَعاذاً فَلْيَعُذْ به »[(٢)] .

وعن ابن شهاب : حدَّثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن مُطيع بن الأسود ، عن نَوْفَل بن مُعاوية مثل حديث أبي هريرة هذا[(٣)] .

وقد روى مسلمٌ حديثَ أبي هريرة من طريق إبراهيم بن سعد كما رواه البخاري ، وكذلك حديثَ نوفل بن مُعاوية بإسناد البخاري ولفظه[(٤)] .

ثم قال البخاري : حدَّثنا محمد بن كثير ، أخبرني سُفيان ، عن الأعمش ، عن زيد بن وَهْبٍ ، عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : « ستكونُ أَثَرَةٌ وأمورٌ تُنكرونها ، قالوا : يا رسولَ الله ! فما تأمرُنا ؟ قال : تُؤَدُّونَ الحَقَّ الذي عليكم وتسألونَ اللهَ الذي لكم »[(٥)] . ورواه مسلم من حديث الأعمش به[(٦)] .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا رَوْحٌ ، حدَّثنا عثمانُ الشَّحَّام ، حدَّثنا سَلمةُ بن أبي بَكْرَةَ ، عن أبي بَكْرَةَ ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنها ستكونُ فتنةٌ ، ثم تكونُ فتنةٌ ، ألا فالماشي فيها خيرٌ من السَّاعي إليها ، والقاعدُ فيها خيرٌ من القائم فيها ، ألا والمُضْطَجِعُ فيها خيرٌ من القاعد ، ألا فإذا نزلتْ فمن كان له غنمٌ فليلحقْ بغنمهِ ، ألا ومَنْ كانت له أرضٌ فليلحقْ بأرضه ، ألا ومن كانت له إبلٌ فليلحقْ بإبله » فقال رجلٌ من القوم : يا نبيَّ الله ! جعلني الله فداكَ ، أرأيتَ مَنْ ليست له غنمٌ ولا أرضٌ ولا إبلٌ ، كيف يصنعُ ؟ قال : « ليأخذْ سيفَه ثم ليَعْمَدْ إلى صخرةٍ ، ثمَّ ليدقَّ على حدِّه بحجرٍ ، ثم لينجُ إن استطاعَ النَّجاء ، اللَّهُمَّ هلْ بلَّغتُ » إذ قال رجلٌ : يا رسولَ الله ! جعلني الله فداكَ ، أرأيتَ إن أُخِذَ بيدي مُكرهاً حتى يُنطلقَ بي إلى أحد الصَّفَّين أو إحدى الفئتين ؟ ـ عثمانُ يشكُّ ـ فيَحْذفِني رجل بسيفه فيَقْتُلني ، ماذا يكونُ من شأني ؟ قال : « يبوءُ بإثمكَ وإثمهِ ، ويكون من أصحاب النَّار »[(٧)] . وهكذا رواه مسلم من حديث عثمان الشَّحَّام بنحوه[(٨)] .

وهذا إخبارٌ عن إقبال الفتن ، وقد وردت أحاديث كثيرة في معنى هذا .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي البخاري : فتنٌ .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠١) في المناقب .
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٢) في المناقب .
(٤) رواهما مسلم في صحيحه رقم (٣٨٨٦) (١١) و(١٢) في الفتن وأشراط الساعة .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٣) في المناقب .
(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٨٤٣) في الإمارة .
(٧) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٨) وهو حديث حسن .
(٨) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٨٧)(١٣) في الفتن .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا يحيى بن إسماعيل ، حدَّثنا قيس ، قال : لما أقبلتْ عائشةُ ـ يعني في مسيرها إلى وقعة الجمل ـ بلغتْ مياهَ بني عامرٍ ليلاً ، نبحتِ الكِلابُ ، فقالت : أيُّ ماءٍ هذا ؟ قالوا : ماء الحَوْأَب ، فقالت : ما أَظُنُّنِي إلا أني راجعةٌ . فقالَ بعضُ مَنْ كانَ معها : بل تَقْدَمِينَ فيرَاكِ المسلمون ، فيصلحُ الله ذاتَ بينهم . قالت : إن رسول الله ﷺ قالَ لها ذاتَ يومٍ : « كيفَ بإحداكُنَّ تنبحُ عليها كِلابُ الحَوْأب »[1] . ورواه نُعيم بن حمَّاد في « الملاحم » : عن يزيد بن هارون ، عن إسماعيل بن خالد ، عن قيس بن أبي حازم[2] به .

ثم رواه أحمد : عن غُنْدَر ، عن شعبةَ ، عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن قَيْسِ بن أبي حَازم ؛ أنَّ عائشةَ لما أتتْ على الحوأبِ ، فسمعتْ نباح الكِلاب فقالت : ما أظنني إلا راجعةً ، إن رسول الله ﷺ قال لنا : « أَيَّتُكُنَّ تنبح عليها كِلابُ الحَوْأب » فقال لها الزُّبيرُ : ترجعينَ ؟ عسى الله أن يُصلحَ بكِ بينَ النَّاس[3] . وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يُخرِّجوه .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار : حدَّثنا محمد بن عثمان بن كرامة ، حدَّثنا عُبيدُ الله بن موسى ، عن عصام بن قُدامة البَجَليِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ليتَ شِعْري أيتكم صاحبة الجمل الأدبب[4] تسير حتى تنبحها كلاب الحوأب ، يقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير »[5] . ثم قال : لا نعلمه يُروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد .

وقال الطبراني : حدَّثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ، حدَّثنا إسماعيل بن عمرو البَجَلِيّ ، حدَّثنا نُوح بن درَّاج ، عن الأَجْلح بن عبد الله ، عن زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما بلغَ أصحابُ عليّ ، حينَ ساروا إلى البصرة ؛ أنَّ أهلَ البصرةِ قد اجتمعوا لطلحةَ والزُّبير ، شقَّ عليهم ، ووقع في قلوبهم ، فقال عليّ : والذي لا إله غيره ليظهرنَّه على أهل البصرة ، وليقتلنَّ طلحةَ والزُّبير ، وليخرجنَّ إليكم من الكوفة ستة آلاف وخمسمئة وخمسون رجلاً ، أو خمسةُ آلافٍ وخمسمئة وخمسون رجلاً ـ شكَّ الأجلح ـ قال ابنُ عباس : فوقع ذلكَ في نفسي . فلما أتى الكوفةَ خرجتُ ، فقلت : لأنظرنَّ ، فإن كانَ كما يقولُ ، فهو أمرٌ سمعَه ، وإلا فهو خديعةُ الحربِ ، فلقيتُ رجلاً من الجيش فسألته ، فوالله ما عَتَمَ أنْ قالَ ما قالَ عليّ ، قال ابن عباس : وهو ما كان رسول الله ﷺ يُخبره[6] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٥٢) وهو حديث حسن .

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن (ص٤٥) وفيه : عن أبي خالد عن قيس بن حازم . والتصحيح من التهذيب .

(٣) رواه أحمد في المسند (٦/ ٩٧) .

(٤) الأدبب : هو الكثير وَبر الوجه .

(٥) رواه البزار كما في كشف الأستار (٣٢٧٣) وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٣٤) : رجاله ثقات وهو حديث حسن .

(٦) رواه الطبراني في الكبير (١٠٧٣٨) وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٣٦) وقال : فيه إسماعيل بن عمرو البجلي ، وهو ضعيف .

وقال البيهقي : أخبرنا عبد الله الحافظ ؛ حدَّثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ، حدَّثنا أحمد بن نصر ، حدَّثنا أبو نُعيم الفَضْل بن دُكَيْن ، حدَّثنا عبد الجبَّار بن الوَرْد ، عن عمَّار الدُّهني ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن أُمِّ سلمةَ ، قالت : ذكرَ النبيُّ ﷺ خروجَ بعض نسائه أمهات المؤمنين ، فضحكت عائشةُ ، فقال لها : « انظُري يا حُميراء ألا تكوني أنتِ » ثم التفتَ إلى عليّ وقال : « يا عليّ ! إن وليتَ من أمرِها شيئاً فَارْفُقْ بها » . وهذا حديث غريب جداً[١] .

وأغربُ منه ما رواه البيهقي أيضاً ، عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن محمد بن إسحاق الصَّنعاني ، عن أبي نُعيم ، عن عبد الجبار بن العباس الشَّباميِّ ، عن عطاءِ بن السَّائب ، عن عمرَ بن الهُجَنَّع ، عن أبي بكرة ، قال : قيل له ما يمنعُك ألا تكونَ قاتلتَ على نصرتك يوم الجمل ؟ فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يخرجُ قوم هَلْكَى لا يُفلحون ، قائدُهم امرأة ، قائدُهم في الجنَّة »[٢] وهذا منكرٌ جداً .

والمحفوظ ما رواه البخاريُّ من حديث الحسن البصري ، عن أبي بكرةَ ، قال : نفعني الله بكلمة سمعتُها من رسول الله ﷺ ـ وبلغه أنَّ فارسَ ملَّكُوا عليهم امرأةَ كسرى ـ فقال : « لن يُفلحَ قومٌ وَلوْا أمرَهم امرأةً »[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا شُعبةُ ، عن الحكم ، سمعتُ أبا وائل قال : لمَّا بعثَ عليٌّ عمَّاراً والحسنَ إلى الكوفة يستنفرُهم ، خطبَ عمَّار فقال : إنِّي لأعلمُ أنها زوجته في الدُّنيا والآخرة ، لكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[٤] . ورواه البخاريُّ عن بندار عن غندر[٥] .

وهذا كلُّه وقع في أيام الجمل ، وقد ندمت عائشةُ رضي الله عنها على ما كان من خروجها ، على ما سنُورده في موضعه ، وكذلك الزبير بن العوَّام أيضاً ، تذكَّر وهو واقفٌ في المعركة أن قتالَه في هذا الموطن ليس بصواب ، فرجعَ عن ذلك .

قال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَرُ ، عن قتادة ، قال : لما وَلَّى الزبيرُ يومَ الجمل بلغَ عليّاً ، قال : لو كانَ ابنُ صفيَّةَ يعلم أنَّه على حقٍّ ما ولَّى ، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ لقيَهما في سقيفةِ بني ساعدةَ ، فقال : « أتحبُّه يا زبيرُ ؟ » فقال : وما يَمنعُني ؟ قال : « فكيف بك إذا قاتلتَه وأنتَ ظالمٌ له ؟ » قال : فيرون أنه إنما وَلَّى لذلك . وهذا مرسل من هذا الوجه[٦] .

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ١١٩) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤١١) .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤١٣) وعمر بن الهجنَّع : ذكره العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ١٩٦) وابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٣٤١) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٠٩٩) في الفتن .

(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٥) وهو حديث صحيح .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٧٧٢) في فضائل الصحابة .

(٦) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٤١) وهو عند البيهقي في الدلائل (٦/ ٤١٤) وهو حديث مرسل ، أي : ضعيف .

وقد أسنده الحافظ البيهقيُّ من وجه آخر فقال : أخبرنا أبو بكر ـ أحمد بن الحسن القاضي ـ حدَّثنا أبو عمرو بن مطر ، أخبرنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمي الكوفي ، حدَّثنا منجاب بن الحارث ، حدَّثنا عبد الله بن الأجلح ، حدَّثنا أبي ، عن يزيد الفقير ، عن أبيه ، قال : وسمعتُ المفضل بن فَضَالة يُحدِّث أبي ، عن أبي حرب بن أبي الأسود الدُّؤلِيِّ ، عن أبيه ، دخلَ حديثُ أحدهما في حديث صاحبه ، قال : لما دنا عليٌّ وأصحابُه من طلحة والزبير ، ودنتِ الصفوفُ بعضُها من بعض ، خرجَ عليٌّ وهو على بغلة رسول الله ﷺ ، فنادى : ادعوا لي الزبيرَ بن العوّام ، فإنِّي عليٌّ ، فدُعي له الزبيرُ ، فأقبلَ حتى اختلفتْ أعناقُ دوابِّهما ، فقال عليٌّ : يا زبير نشدتُكَ بالله ، أتذكرُ يوم مرَّ بك رسولُ الله ﷺ مكانَ كذا وكذا ، فقال : « يا زبيرُ تحبُّ عليّاً ؟ » فقلتَ : ألا أحبُّ ابنَ خالي وابنَ عمِّي وعلى ديني ؟ فقال : « يا عليّ أتحبُّه ؟ » فقلت : يا رسولَ الله ! ألا أحبُّ ابن عمَّتي وعلى ديني ؟ فقال : « يا زبيرُ ! أما والله لَتقاتلنَّه وأنت ظالمٌ له » فقال الزبيرُ : بلى ، والله لقد نسيتُه منذ سمعتُه من رسول الله ﷺ ثم ذكرتُه الآن ، والله لا أقاتلُكَ ، فرجعَ الزبيرُ على دابَّته يشقُّ الصفوفَ ، فعرضَ له ابنه عبدُ الله بن الزبير فقال : ما لكَ ؟ فقال : ذكَّرني عليٌّ حديثاً سمعتُه من رسول الله ﷺ ، سمعتُه يقول : « لتقاتلنَّهُ وأنت ظالمٌ له » فلا أقاتله . فقال : وللقتال جئت ؟ إنما جئتَ تصلحُ بين الناس ، ويُصلح الله هذا الأمرَ . قال : قد حلفتُ أن لا أقاتله ، قال : فأعتق غلامك جَرْجِسَ ، وقفْ حتى تُصلحَ بين الناس ، فأعتقَ غلامَه ووقفَ ، فلمَّا اختلفَ أمرُ الناس ذهبَ على فرسِه[(١)] .

قال البيهقيُّ : وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الإمام أبو الوليد ، حدَّثنا الحسنُ بن سفيان ، حدَّثنا قَطَنُ بن بشير ، حدَّثنا جعفرُ بن سُليمان ، حدَّثنا عبدُ الله بن محمد الرَّقاشيُّ ، حدَّثنا جدي ـ وهو عبد الملك بن مسلم ـ عن أبي جَرْو المازنيّ ، قال : سمعتُ عليّاً والزبير ، وعليٌّ يقول له : نشدتك[(٢)] الله يا زبيرُ ! أما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول : « إنك مُقاتلي[(٣)] وأنتَ لي ظالمٌ ؟ » قال : بلى ، ولكنِّي نسيتُ[(٤)] . وهذا غريب كالسياق الذي قبله .

وقد روى البيهقيُّ من طريق الهُذيل بن بلال ـ وفيه ضعفٌ ـ عن عبد الرحمن بن مسعود العَبْدي ، عن

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤١٤ ـ ٤١٥) والحاكم في المستدرك بنحوه (٣/ ٣٦٦) وهو ضعيف .
(٢) كذا في الدلائل ، وفي نسخة : سألتك بالله .
(٣) كذا بالأصل ، وفي الدلائل : تُقاتِلُني .
(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤١٥) وأبو يعلى رقم (٦٦٦) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٥) وقال : رواه أبو يعلى وفيه عبد الملك بن مسلم الرقاشي ، قال البخاري : لم يصح حديثه .

عليٍّ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سرَّه أن ينظرَ إلى رجلٍ يسبقُه بعضُ أعضائه إلى الجنَّة فلينظرْ إلى زيدِ بن صُوحَان[١] » قلت : قُتل زيد هذا في وقعة الجمل من ناحية عليٍّ .

وثبتَ في الصحيحين من حديث همَّام بن منبه ، عن أبي هريرة ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ الساعة حتى تقتتلَ فئتان عظيمتان دعواهما واحدة »[٢] . ورواه البخاريُّ أيضاً : عن أبي اليَمان ، عن شُعيب ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة[٣] . مثله .

وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل ، وأصحاب صِفِّين ، فإنهما جميعاً يدعون إلى الإسلام ، وإنما يتنازعون في شيء من أمور المُلْك ، ومراعاة المصالح العائد نفعُها على الأمَّة والرعايا ، وكان ترك القتال أولى من فعله ، كما هو مذهب جمهور الصحابة على ما سنذكره .

وقد قال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثنا أبو اليمان ، حدَّثنا صفوان بن عمرو ، قال : كان أهلُ الشام ستين ألفاً ، فقُتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مئة وعشرين ألفاً ، فقُتل منهم أربعون ألفاً . ولكن كان عليٌّ وأصحابُه أدنى الطائفتين إلى الحقِّ من أصحاب معاوية ، وأصحابُ معاوية كانوا باغين عليهم ، كما ثبتَ في صحيح مسلم : من حديث شعبة ، عن أبي سلمة ، عن أبي نضرةَ ، عن أبي سعيد الخدريّ ، قال : حدَّثني من هو خير مني ـ يعني أبا قتادةَ ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعمَّار : « تَقتلُكَ الفئة الباغيةُ »[٤] .

ورواه أيضاً من حديث ابن عُليَّةَ ، عن ابن عَوْن ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أُمِّ سلمة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « تقتلُ عمَّاراً الفئةُ الباغيةُ »[٥] . وفي رواية : « وقاتلُه في النَّار » .

وقد تقدَّم الحديثُ بطرقه عند بناء المسجد النبوي في أوَّل الهجرة النبوية ، وما يزيدُه بعضُ الرافضة في هذا الحديث من قولهم بعد ذلك : لا أنالَها الله شفاعتي حتى يوم القيامة . فليس له أصل يُعتمد عليه ، بل هو من اختلاق الروافض ـ قبَّحهم الله ـ .

وقد روى البيهقي من حديث أبي عُبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر عن مولاة لعمَّار قالت : اشتكى عمَّارٌ شكوى ، أَرِقَ منها ، فغُشي عليه ، فأفاقَ ونحنُ نبكي حولَه ، فقال : ما تبكون ؟ أتخشونَ أن أموتَ على فراشي ؟ أخبرني حبيبي ﷺ أنه تَقْتُلُني الفئةُ الباغيةُ ، وأنَّ آخرَ زادي من الدنيا مَذْقة من لبن[٦] .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤١٦) وقال : هذيل بن بلال غير قوي . وفي ميزان الاعتدال (٤/ ٢٩٤) : ضعفه النسائي والدارقطني ، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال ابن حبان : متروك .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٣٥) في استتابة المرتدين ، ومسلم في صحيحه رقم (١٥٧)(١٧) في الفتن .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧١٢١) في الفتن .

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٩١٦)(٧٢) في الفتن .

(٥) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٩١٦)(٧٣) في الفتن .

(٦) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٢١) ورواه أحمد في المسند (٤/ ٤١٩) والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٩) وهو حديث حسن يشهد له الذي بعده . ومَذْقَةُ اللَّبن : شَرْبةُ اللبن الممزوج بالماء .

وقال الإمام أحمد : حدَّثني وكيع ، حدَّثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البَخْتَرِيِّ ، قال : قال عمَّارٌ يومَ صِفِّين : ائتوني بِشَرْبَةِ لَبَنٍ ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « آخرُ شَرْبَةٍ تشربُها من الدنيا شَرْبَةُ لَبَنٍ » فشربَها ثم تقدَّم فقُتل(١) . وحدَّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن أبي البَخْتَرِيِّ ، أن عمَّار بن ياسر أُتي بشَرْبةِ لَبَنٍ فضحكَ ، وقال : إنَّ رسول الله ﷺ قال لي : آخرُ شرابٍ أشربُه لَبَنٌ حتَّى أموتَ(٢) .

وروى البيهقيُّ من حديث عمَّار الدُّهني ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن مسعود ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إذا اختلفَ النَّاسُ كان ابن سُمية مع الحقِّ »(٣) .

ومعلومٌ أن عمَّاراً كان في جيش عليٍّ يوم صِفِّين ، وقتلَه أصحابُ معاوية من أهل الشام ، وكان الذي تولَّى قَتْلَه رجل يُقال له أبو الغادية ، رجل من أفناء الناس ، وقيل : إنه صحابي . وقد ذكره أبو عمر بن عبد البر(٤) وغيره من أسماء الصحابة ، وهو أبو الغادية مسلم ، وقيل : يَسَار بن أزيهر الجهنيّ من قُضاعة ، وقيل : مزنيٌّ ، وقيل : هما اثنان(٥) . سكَنَ الشام ثم صار إلى واسط ، روى له أحمد حديثاً ، وله عند غيره آخر ، قالوا : وهو قاتل عمَّار بن ياسر . وكان يذكرُ صفة قتله لعمَّار لا يتحاشى من ذلك ، وسنورد ترجمتَه عند قتله لعمَّار أيَّام معاوية في وقعة صِفِّين ، وأخطأ من قال : كان بدرياً .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدَّثنا يزيد بن هارون ، حدَّثنا العوَّام ، حدَّثني أسود بن مسعود ، عن حنظلةَ بن خُويلد العنزي ، قال : بينما أنا عند معاوية إذ جاءَه رجلان يختصمان في رأس عمَّار ، يقولُ كلُّ واحد منهما : أنا قتلتُه ، فقال عبد الله بن عمرو : ليطبْ به أحدُكما لصاحبه نفساً ، فإنِّي سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية : ألا نحِّ عنا مجنونَك يا عمرو ، فما بالك معنا ؟! قال : إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال : « أطعْ أباكَ ما دامَ حيَّاً ولا تعصِه » فأنا معكم ولست أُقاتل .

وقال الإمام أحمد(٧) : حدَّثنا أبو معاويةَ ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣١٩) والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٩) وصححه وهو حديث حسن .
(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣١٩) وهو حديث حسن .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٢١) وإسناده ضعيف .
(٤) الاستيعاب (٤/ ١٧٢٥) .
(٥) أسد الغابة (٦/ ٢٣٧ و٢٣٨) .
(٦) في المسند (٢/ ١٦٤ و٢٠٦) رقم (٦٥٣٨) و(٦٩٢٩) ، ومن طريق يزيد ذكره المزي في تهذيب الكمال (٧/ ٤٣٧) ، وهو حديث صحيح .
(٧) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٦١) رقم (٦٤٩٩) والنسائي في خصائص عليّ رقم (١٦٧) والبزار رقم (٣٢٨١) وهو حديث صحيح .

عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : إني لأسيرُ مع معاوية مُنصرفه من صِفِّين ، بينه وبين عمرو بن العاص ، فقال عبد الله بن عمرو : يا أبة ، أما سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول لعمَّار : « ويحكَ يا بن سُميَّة ! تَقتُلُكَ الفئةُ الباغيةُ ؟ » قال : فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع ما يقول هذا ؟ فقال معاوية : لا تزال تأتينا بِهَنَةٍ ، أو نحنُ قتلناهُ ؟ إنما قتلَه الذين جاؤوا به .

ثم رواه أحمد عن أبي نُعيم ، عن الثوريِّ ، عن الأعمش ، عن عبد الرحمن بن أبي زياد[١] ، فذكرَ مثله[٢] .

فقول معاوية : إنما قتلَه من قدَّمه إلى سيوفنا ، تأويلٌ بعيدٌ جداً ، إذ لو كان كذلك لكان أميرُ الجيش هو القاتلَ للذين يُقتلون في سبيل الله ، حيث قدَّمهم إلى سُيوف الأعداء .

وقال عبدُ الرزاق : أخبرنا ابن عُيينة ، أخبرني عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مُليكة ، عن المِسْوَر بن مَخْرمةَ ، قال عمرُ لعبد الرحمن بن عوف : أما علمتَ أنَّا كنَّا نقرأ ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج : ٧٨] في آخر الزمان ، كما جاهدتُم في أوَّله ؟ فقال عبد الرحمن : ومتى ذلك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : إذا كان بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء . ذكره البيهقي هاهنا ، وكأنه يستشهد به على ما عقد له الباب بعده من ذكر الحكمين وما كان من أمرهما ، فقال : « باب ما جاء في إخباره ﷺ عن الحكمين اللذين بُعثا في زمان عليٍّ رضي الله عنه » .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عُبيد الصفَّار ، حدَّثنا إسماعيل بن الفضل ، حدَّثنا قُتيبة بن سعيد ، عن جرير ، عن زكريا بن يحيى ، عن عبد الله بن يزيد وحبيب بن يسار ، عن سُويد بن غَفَلة قال : إني لأمشي مع عليٍّ بشطِّ الفُرات فقال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ بني إسرائيلَ اختلفوا فلم يزلْ اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضَلاَّ وأضلا من اتَّبعَهما ، وإنَّ هذه الأمة ستختلفُ فلا يزالُ اختلافهم بينَهم حتى بعثوا حكمين ضَلاَّ وأضَلاَّ من اتَّبَعَهُما »[٣] .

هكذا أورده ولم يُبيِّن شيئاً من أمره ، وهو حديث منكر جداً ، وآفته من زكريا بن يحيى هذا ـ وهو الكِنْديُّ الأعمى ـ قال يحيى بن معين : ليس بشيء ، والحَكَمان كانا من خيار الصحابة ، وهما عمرو بن العاص السَّهْمِيُّ من جهة أهل الشام ، الثاني أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعريُّ ، من جهة أهل العراق ،

---

(١) تقدم في الرواية السابقة أنه « عبد الرحمن بن زياد » فيقال فيه : ابن أبي زياد أيضاً ، كما في تهذيب الكمال (١٧/ ١١٢) وقد ساق المزي هذا الحديث في التهذيب من طريق المسند الأحمدي .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٦١) و(٢٠٦) رقم (٦٥٠٠) و(٦٩٢٦) والنسائي في خصائص عليّ رقم (١٦٨) وهو حديث صحيح .

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٢٣) وهو حديث منكر جداً ، وقد أوضح ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تتمة الحديث .

وإنما نُصِبَا ليُصلحا بين النَّاس ويتفقا على أمر فيه رِفْقٌ بالمسلمين ، وحقنٌ لدمائهم ، وكذلك وقع ، ولم يَضِلَّ بسببهم إلا فرقة الخوارج حيث أنكروا على الأميرين التحكيم ، وخرجوا عليهما وكفَّروهما ، حتى قاتلَهم عليُّ بن أبي طالب ، وناظرَهم ابنُ عباس ، فرجعَ منهم شِرذِمَة إلى الحقِّ ، واستمرَّ بقيَّتُهم حتى قُتِلَ أكثرُهم بالنَّهْرَوان وغيره ، من المواقف المرذولة عليهم ، كما سنذكره .

ذكر إخباره عليه الصلاة والسلام عن خروج الخوارج ، وعلامتهم بالرجل المُخَدَّج ذي الثدية ، فوُجد ذلك في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال البخاري : حدَّثنا أبو اليمان ، حدَّثنا شُعيب ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني أبو سلمةَ بنُ عبد الرحمن ، أنَّ أبا سعيدٍ الخدريَّ ، قال : بينما نحنُ عند رسول الله ﷺ وهو يَقسم قَسْماً ، أتاه ذُو الخُويصرة ـ وهو رجلٌ من بني تَميمٍ ـ فقال : يا رسولَ الله ! اعدلْ ، فقال : « ويلكَ ، ومَنْ يعدلُ إذا لم أعدلْ ؟ قد خبت وخسرت إن لم أكنْ أعدلُ » فقال عمر : يا رسول الله ! ائذن لي فيه فأضربَ عنقَه ، فقال : « دعْه فإنَّ له أصحاباً يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم ، وصيامَه مع صيامِهم ، يقرؤون القرآن لا يُجاوزُ تَراقيَهم ، يَمْرُقون[١] من الدِّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ ، يُنظرُ إلى نَصْلِهِ فلا يُوجد فيه شيءٌ ، ثم يُنظرُ إلى رِصَافِهِ فلا يُوجدُ فيه شيءٌ ، ثم ينظرُ إلى نَضِيّه ـ وهو قِدْحُهُ ـ فلا يُوجدُ فيه شيءٌ ، ثم يُنْظَرُ إلى قُذَذِهِ فلا يُوجد فيه شيءٌ ، قد سبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ ، آيتُهم رجلٌ أسود ، إحدى عَضُدَيهِ مِثْلُ ثَدْيِ المرأةِ أو مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ ، ويخرجونَ على حينِ فُرْقةٍ من النَّاس » .

قال أبو سعيد : فأشهدُ أنِّي سمعتُ هذا الحديث من رسول الله ﷺ ؟ وأشهدُ أنَّ عليَّ بن أبي طالب قاتلَهم وأنا معه ، فأمرَ بذلك الرجل فالتُمسَ ، فأُتي به ، حتى نظرتُ إليه على نَعْتِ رسولِ الله ﷺ الذي نعتَه[٢] .

وهكذا رواه مسلم من حديث أبي سلمة عن أبي سعيد[٣] .

ورواه البخاريُّ أيضاً من حديث الأوزاعيِّ ، عن الزُّهْريِّ ، عن أبي سَلَمَة والضَّحَّاك ، عن أبي سعيد[٤] .

---

(١) « يمرقون من الدين » : يخرجون منه .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٤٤) في استتابة المرتدين ، ورقم (٣٦١٠) في المناقب .
(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٤)(١٤٨) في الزكاة .
(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦١٦٣) في الأدب .

وأخرجه البخاريُّ أيضاً من حديث سفيان بن سعيد الثوري عن أبيه[١] . ومسلم عن هَنَّاد ، عن أبي الأحوصِ سَلَّام بن سُلَيم ، عن سعيدِ بن مَسروقٍ ، عن عبد الرحمن بن أبي نُعْم ، عن أبي سعيد الخدري[٢] به .

وقد روى مسلم في صحيحه : من حديث داود بن أبي هند ، والقاسم بن الفضل ، وقتادة ، عن أبي نضرةَ عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « تمرقُ مارقةٌ عند فُرْقةٍ من المسلمين يقتلُها أولى الطائفتين بالحقِّ »[٣] .

ورواه أيضاً من حديث أبي إسحاق الثَّوْريِّ ، عن حبيبِ بن أبي ثابت ، عن الضحَّاك المشرقيِّ ، عن أبي سعيد ، مرفوعاً[٤] . وروى مسلم : عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن ابن مُسْهر ، عن الشيبانيِّ ، عن بشير بن عمرو ، قال : سألت سهلَ بن حُنيف ، هل سمعتَ رسول الله ﷺ يذكر هؤلاء الخوارج ؟ فقال : سمعتُه وأشارَ بيده نحو المشرق ـ وفي رواية نحو العِراق ـ « ويخرجُ قومٌ يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يُجاوز تراقيَهم ، يَمْرقُون من الدِّين كما يمرقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّة ، مُحَلَّقَةٌ رؤوسُهم »[٥] .

وروى مسلم : من حديث حُميد بن هلال ، عن عبد الله بن الصَّامت ، عن أبي ذر نحوَه ، وقال : « سيماهُم التَّحْليقُ ، شرُّ الخَلْقِ والخَلِيقة »[٦] .

وكذلك رواه محمد بن كثير المِصِّيصي : عن الأوزاعي ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك مرفوعاً ، وقال : « سيماهُمُ التَّحليقُ ، شرُّ الخَلْقِ والخَلِيقة[٧] » .

وفي الصحيحين : من حديث الأعمش ، عن خيثمةَ ، عن سُويد بن غَفَلَة ، عن عليٍّ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يخرجُ قومٌ في آخر الزمان حُدَثَاءُ الأسنان ، سُفَهَاءُ الأحلام ، يقولونَ مِن قولِ خيرِ البَرِيَّةِ ، لا يُجاوز إيمانُهم حناجرَهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلُوهُم ، فإن في قَتلِهم أجراً لمن قَتلَهم إلى يوم القيامة »[٨] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٤٤) في الأنبياء .
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٤)(١) في الزكاة .
(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٤) (١٥٠ ـ ١٥٢) في الزكاة .
(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٤)(١٥٣) في الزكاة .
(٥) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٨)(١٥٩) و(١٦٠) في الزكاة .
(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٧)(١٥٨) في الزكاة .
(٧) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٧٦٥) في السنة ، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤٣٠) وقد ذكره الحافظ ابن كثير مختصراً وهو حديث صحيح .
(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦١١) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (١٠٦٦)(١٥٤) في الزكاة .

وقد روى مسلم : عن قُتيبة ، عن حمَّاد ، عن أيوب ، عن محمد بن عبدة ، عن عليّ في خبر « مودون اليد ، وهو ذو الثدية »[(١)] .

وأسنده من وجه آخر : عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة عن عليٍّ وفيه : أنه حلَّفَ علياً على ذلك ، فحلفَ له أنَّه سمعَ ذلك من رسول الله ﷺ .

ورواه مسلم : عن عبد بن حُميد ، عن عبد الرزاق ، عن عبد الملك بن أبي سُليمان ، عن زيد بن وَهْب ، عن عليّ بالقصة مطوَّلة ، وفيه قصة ذي الثُّدْيَة[(٢)] .

ورواه : من حديث عُبيد الله بن أبي رافع ، عن عليٍّ[(٣)] . ورواه أبو داود الطيالسي : عن حمَّاد بن زيد ، عن حميد بن مُرَّة ، عن أبي الوضيِّ السُّحَيْميِّ ، عن عليٍّ في قصة ذي الثدية[(٤)] . ورواه الثوري : عن محمد بن قيس عن أبي موسى ـ رجل من قومه ـ عن عليٍّ بالقصة[(٥)] . وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا الحُمَيْدي ، حدَّثنا سفيان ، حدَّثني العلاء بن أبي العباس أنه سمع أبا الطفيل يُحدِّث عن بكر بن قِرْواش ، عن سعد بن أبي وقَّاص ، قال : ذكرَ رسولُ الله ﷺ ذا الثُّدْيَة فقال : « شيطانُ الرَّدْهَة ، كراعي الخيل ، يحذرُه رجل من بَجِيلةَ ، يقال له : الأشهب ـ أو ابن الأشهب ـ علامة في قوم ظلمة » قال سفيان : فأخبرني عمار الدُّهنِيّ أنه جاء رجل منهم يُقال له : الأشهب ـ أو ابن الأشهب[(٦)] ـ .

قال يعقوب بن سفيان : وحدَّثنا عُبيد الله بن مُعاذ ، عن أبيه ، عن شُعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حامد الهَمْداني ، سمعت سعدَ بن مالك يقول : قتلَ عليُّ بن أبي طالب شيطانَ الرَّدْهَة ـ يعني المُخْدَجَ ـ يُريد والله أعلم ـ قتلَهُ أصحابُ عليّ[(٧)] . وقال عليُّ بن عياش : عن حبيب ، عن سلَمَةَ ، قال : لقد علمتْ عائشةُ أن جيشَ المَرْوَة وأهلَ النَّهْرَوانِ ملعونونَ على لسان محمد ﷺ[(٨)] .

قال ابن عيَّاش : جيش المروة قَتَلَةُ عثمان . رواه البيهقي .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٦)(١٥٥) في الزكاة . وموودن اليد : ناقص اليد ، ومثدون اليد : صغير اليد مجتمعها .
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٦)(١٥٦) في الزكاة .
(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٦)(١٥٧) في الزكاة .
(٤) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٦٩) ورواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٣٣) وهو بمعنى الذي قبله .
(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٣٣) .
(٦) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٣٣ـ ٤٣٤) وفي سنده بكر بن قرواش ، قال الذهبي في الميزان : لا يعرف ، والحديث منكر .
(٧) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٣٤) وفي سنده حامد الهمداني ، لم نجده .
(٨) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٣٤) .

ثم قال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمُّ ، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبَّار ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن منكم من يُقاتلُ على تأويل القرآن ، كما قاتلتُ على تنزيله » فقال أبو بكر : أنا هو يا رسولَ الله ، قال : « لا » فقال عمر : أنا هو يا رسولَ الله ، قال : « لا ، ولكن خاصِفُ النَّعلِ ـ يعني عليّاً »[١] .

وقال يعقوب بن سفيان : عن عُبيد الله بن مُعاذ ، عن أبيه ، عن عمران بن جرير عن لاحق ، قال : كان الذين خرجوا على عليٍّ بالنَّهْرَوان أربعة آلاف في الحديد ، فركبَهم المسلمون فقتلوهُم ، ولم يقتلوا من المسلمين إلا تسعة رهط ، وإن شئتَ فاذهبْ إلى أبي برزةَ فإنه يشهدُ بذلك .

قلت : الأخبار بقتال الخوارج متواترة عن رسول الله ﷺ ، لأن ذلك من طرق تُفيد القطعَ عند أئمة هذا الشأن ، ووقوع ذلك في زمان عليّ معلومٌ ضرورة لأهل العلم قاطبةً ، وأما كيفية خروجهم وسببه ومناظرة ابن عباس لهم في ذلك ، ورجوع كثير منهم إليه ، فسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

إخباره ﷺ بمقتل عليٍّ بن أبي طالب فكان كما أخبرَ

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عليُّ بن بحر ، حدَّثنا عيسى بن يُونس ، حدَّثنا محمد بن إسحاق ، حدَّثني يزيد بن محمد بن خُثَيم المحاربي ، عن محمد بن كعب [القرظي ، عن محمد] بن خُثَيْم ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعلي ـ حين وَلَّى في غزوة العُشَيْرة : « يا أبا تراب ! ـ لِمَا يرى عليه من التراب ـ ألا أُحَدِّثُكَ بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يا رسول الله! قال : أُحَيْمِرُ ثمودَ الذي عقرَ الناقة ، والذي يضربُك يا علي على هذه ـ يعني قرنَه ـ حتى تَبُلَّ هذه ـ يعني لحيتَه » ـ .

وروى البيهقيُّ[٣] : عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن الحسن بن مكرم ، عن أبي النَّضْر ، عن محمد بن راشد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن فَضَالة بن أبي فَضَالة الأنصاريّ ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : خرجتُ مع أبي عائداً لعليِّ بن أبي طالب في مرضٍ أصابَه ثَقُلَ منه ، قال : فقال له أبي : ما يُقيمُك بمنزِلكَ هذا ؟ فلو أصابَكَ أجلُكَ لم يكن[٤] إلا أعرابُ جهينة ! تُحملُ إلى المدينة ، فإن أصابَك أجلُكَ وَلِيَكَ أصحابُكَ وصَلَّوا عليكَ . فقال عليٌّ : إنَّ رسولَ الله ﷺ عَهِدَ إليَّ ألا أموتَ حتَّى تُخضبَ هذه

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٣٦) وهو حديث حسن .
(٢) في المسند (٤/ ٢٦٣) ومعنى ولَّى : انصرف . وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن خثيم ، ولانقطاعه بين يزيد بن محمد ومحمد بن كعب ، وبين محمد بن كعب وابن خثيم ، وبين ابن خثيم وعمار . تاريخ البخاري الكبير (١/ ٧١) .
(٣) في الدلائل (٦/ ٤٣٨) .
(٤) كذا في الأصل ، وفي دلائل النبوة ؛ للبيهقي والمسند : لم يَلِكَ .

ـ يعني لحيته ـ من دم هذه ـ يعني : هامته ـ فقُتِلَ ، وقُتِلَ أبو فَضَالة مع عليٍّ يومَ صِفِّين[١] .

وقال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا شَريك ، عن عثمانَ بن المغيرة ، عن زيد بن وَهْب ، قال : جاء رأسُ الخوارج إلى عليّ فقال له : اتَّقِ الله فإنَّكَ مَيِّتٌ ، فقال : لا والذي فلقَ الحبَّةَ وبَرَأَ النَّسْمَةَ ، ولكن مقتولٌ من ضربةٍ على هذه تَخْضِبُ هذه ـ وأشارَ بيده إلى لحيته ـ عهدٌ معهودٌ ، وقضاءٌ مقضيٌّ ، وقد خابَ من افترى[٢] .

وقد روى البيهقي : بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم ، عن أبي سِنان الدُّؤليّ ، عن عليٍّ ، في إخبار النبيِّ ﷺ بقتله[٣] . وروى : من حديث هُشَيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي إدريس الأزدي ، عن عليٍّ ، قال : إنَّ مما عَهِدَ إليَّ رسولُ الله ﷺ : أنَّ الأُمَّةَ ستغدرُ بكَ بعدي[٤] . ثم ساقَه من طريق فِطْر بن خليفةَ وعبد العزيز بن سِيَاه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ثعلبةَ بن يزيد الحِمَّاني ، قال : سمعتُ علياً يقول : إنَّه لعهدُ النبيِّ الأُمِّي إليَّ ، إنَّ الأمة ستغدرُ بكَ بعدي . قال البخاري : ثعلبة هذا فيه نظر ، ولا يُتابع على حديثه هذا[٥] .

وروى البيهقي : عن الحاكم ، عن الأصمِّ عن محمد بن إسحاق الصَّغَّاني ، عن أبي الجوَّاب الأحوص بن جَوَّاب ، عن عمَّار بن زُريق ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ثعلبة بن يزيد ، قال : قال علي : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتُخْضَبَنَّ هذه من هذه ، للحيته من رأسه ، فما يحبس[٦] أشقاها ؟ فقال عبدُ الله بن سَبُعٍ : والله يا أميرَ المؤمنين ! لو أنَّ رجلاً فعل ذلك لأبرْنا[٧] عشيرته ، فقال : أنشدُ بالله ألا يُقتل بي غير قاتلي . قالوا : يا أمير المؤمنين ! ألا تستخلفُ ؟ قال : لا ، ولكنْ أتركُكُم كما تَرَكَكُم رسولُ الله ﷺ ، قالوا : فما تقولُ لربِّك إذا تركتَنا هَمَلاً ؟ قال : أقولُ : اللَّهُمَّ استخلفتَني فيهم ما بدا لكَ ، ثم قبضتَني وتركتُكَ فيهم ، فإن شئتَ أصلحتَهم ، وإن شئتَ أفسدتَهم[٨] .

---

(١) وهو في المسند (١/ ١٠٢) رقم (٨٠٢) ومجمع الزوائد (٩/ ١٣٦) وفيها زيادة : إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ أني لا أموت حتى أُؤمَّرَ ثم تخضبُ . . . وفضالة بن أبي فضالة مجهول . الميزان للذهبي (٣/ ٣٤٩) وعبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص٢٣) وفي إسناده شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي ، وهو صدوق يخطئ كثيراً ، تغير حفظه .

(٣) رواه البيهقي في السنن كما في الدلائل (٦/ ٤٣٩) .

(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٠) .

(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٠) .

(٦) سقطت كلمة (يحبس) من الأصل .

(٧) « لأبَرْنا عشيرته » : أهلكناهم . وفي الدلائل : لأبرنا عترته ، أي : عشيرته .

(٨) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٣٩) في سنده ثعلبة بن يزيد الحماني ، ضعيف .

هكذا روى البيهقيُّ هذا ، وهو موقوف ، وفيه غَرَابةٌ من حيث اللفظ ومن حيث المعنى ، ثم المشهورُ عن عليٍّ أنَّه لما طعنَه عبدُ الرحمن بن مُلْجَم الخارجيُّ ، وهو خارجٌ لصلاة الصبح عند السُّدَّة ، فبقيَ عليٌّ يومين من طعنته ، وحُبس ابن مُلْجَم ، وأوصى عليٌّ إلى ابنه الحسن بن عليّ كما سيأتي بيانه ، وأمر أن يركبَ في الجنود ، وقال له : لا يَجُرْ عليٌّ كما تَجُرِ الجاريةُ . فلما ماتَ قُتِلَ عبدُ الرحمن بن مُلْجَم قَوَداً ، وقيل : حَدّاً ، والله أعلم ، ثم ركبَ الحسنُ بن علي في الجنود ، وسارَ إلى معاويةَ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

ذكر
إخباره عليه الصلاة والسلام بذلك ،
وسيادة ولده الحسن بن عليّ في تركه الأمرَ من يده ،
وإعطائه ذلك الأمر لمعاوية ، ما كان سواه يقومُ بأعبائه

قال البخاري في دلائل النبوة[١] : حدَّثنا عبد الله بن محمد ، حدَّثنا يحيى بن آدم ، حدَّثنا حسين الجُعْفِيّ ، عن أبي موسى ، عن الحسن ، عن أبي بكرةَ ، قال : أخرجَ النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ الحسنَ بنَ عليٍّ فصَعِدَ به على المنبر فقال : « إنَّ ابني هذا سَيِّدٌ : ولعلَّ الله أَنْ يُصلحَ به بين فئتين من المُسلمين » .

وقال في كتاب الصلح[٢] : حدَّثنا عبدُ الله بن محمد ، حدَّثنا سُفيان ، عن أبي موسى ، قال : سمعتُ الحسنَ يقولُ : استقبلَ والله الحسنُ بن عليّ معاويةَ بن أبي سفيان بكتائبَ أمثالِ الجبال ، فقال عمرو بن العاص : إنِّي لأرى كتائبَ لا تُولِّي حتى تَقْتُلَ أقرانَها ، فقال له معاويةُ ، ـ وكان والله خيرَ الرجلين ـ : أي عمرو ! إنْ قتلَ هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، مَن لي بأُمورِ النَّاس ؟ مَنْ لي بنسائهم ؟ مَنْ لي بضَيْعتِهم ؟ فبعثَ إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس ، عبدَ الرحمن بن سَمُرة ، وعبدَ الله بنَ عامِر[٣] بن كُرَيْز ، فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعْرِضَا عليه وقُولا له واطْلُبَا إليه ، فأَتَياه فدخلا عليه فتكلَّما وقالا له ، وطلبَا إليه ، فقال لهما الحسنُ بنُ عليّ : إنا بنو عبد المطلب قد أَصَبْنَا من هذا المال ، وإنَّ هذه الأمة قد عاثتْ في دمائها ، قالا : فإنه يعرضُ عليكَ كذا وكذا ، ويطلبُ إليكَ ويسألُكَ ، قال : فمن لي بهذا ؟ قالا : نحنُ لك به ، فما سألَهما شيئاً إلا قالا : نحنُ لك به ، فصالحَه ، فقال الحسنُ : ولقد سمعتُ أبا بكرة يقول : رأيتُ رسول الله ﷺ على المِنبر والحسنُ بن عليّ إلى جَنْبِه ، وهو يُقبلُ على النَّاس مرَّةً وعليه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٢٩) في دلائل النبوة .
(٢) في صحيحه رقم (٢٧٠٤) .
(٣) في الأصل : عبد الله بن عباس . وهو خطأ ظاهر ، والتصحيح من البخاري .

أُخرى ، ويقول : « إنَّ ابني هذا سَيِّدٌ ، ولعلَّ الله أن يُصلحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

وقال البخاري[١] : قال لي علي بن المديني : إنما ثبت عندنا سَماعُ الحسن من أبي بكرةَ بهذا الحديث . وقد رواه البخاري أيضاً في فضل الحسن[٢] ، وفي كتاب الفتن عن عليِّ بن المدينيّ[٣] ، عن سفيان بن عُيينة ، عن أبي موسى ـ وهو إسرائيل بن يُونس بن أبي إسحاق ـ .

ورواه أبو داود[٤] والترمذي[٥] : من حديث أشعث . وأبو داود أيضاً والنَّسائي[٦] : من حديث عليّ بن زيد بن جدعان ، كلُّهم عن الحسن البصري ، عن أبي بكرة به . وقال الترمذي : صحيح . وله طرق عن الحسن مرسلاً ، وعن الحسن وعن أم سلمة به .

وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبيُّ ﷺ سواء ، فإنَّ الحسنَ بن عليّ لمَّا صارَ إليه الأمرُ بعد أبيه ، وركبَ في جيوش أهل العراق ، وسار[٧] إليه معاوية ، فتصافَّا بصِفِّينَ ، على ما ذكرَه الحسنُ البصريُّ[٨] ، فمالَ الحسنُ بن عليٍّ إلى الصُّلْح ، وخطبَ النَّاسَ وخلعَ نفسَه من الأمر وسلَّمه إلى معاوية ، وذلك سنة أربعين ، فبايَعه الأُمراءُ من الجيشين ، واستقلَّ بأعباء الأُمَّة ، فسُمِّي ذلك العام عامَ الجماعة ، لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد ، وسنُورد ذلك مُفَصَّلاً في موضعه إن شاء الله تعالى . وقد شهدَ الصادقُ المصدوقُ للفِرْقتين بالإسلام ، فمن كفَّرهم أو واحداً منهم بمجرد ما وقعَ فقد أخطأ وخالفَ النَّصَّ النَّبَوِيَّ المُحَمَّدِيَّ الذي لا ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى ، وقد تَكمُلُ بهذه السَّنة المُدَّة التي أشار إليها رسول الله ﷺ أنها مدة الخلافة المتابعة بعدَه ، كما تقدَّم في حديث سفينةَ مولاهُ أنه قال : « الخِلافةُ بعدي ثلاثونَ سَنَةً ، ثم تكونُ مُلْكاً »[٩] وفي رواية « عَضُوضًا » وفي رواية عن معاوية ، أنه قال : رَضِيْنَا بها مُلْكاً .

وقد قالَ نُعَيْم بن حمَّاد في كتابه « الفتن والملاحم » : سمعتُ محمد بن فضيل عن السَّرِيِّ بن إسماعيل ، عن عامر الشعبي ، عن سفيان بن اللَّيل قال : سمعتُ الحسنَ بن عليٍّ يقول : سمعتُ عليًّا يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « لا تذهبُ الأيَّام واللَّيالي حتَّى يجتمعَ أمرُ هذه الأُمَّة على

---

(١) قول البخاري عقيب حديث رقم (٢٧٠٤) .
(٢) في صحيحه (٣٧٤٦) في المناقب .
(٣) في صحيحه (٧١٠٩) .
(٤) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٦٦٢) في السنة .
(٥) رواه الترمذي في الجامع رقم (٣٧٧٣) .
(٦) في فضائل الصحابة (٦٣) وفي الصلاة (١٧١٨) من سننه الكبرى ، وهو في المجتبى (٣/ ١٠٧) .
(٧) في نسخة : وصار .
(٨) تقدم الخبر قبل قليل .
(٩) تقدم الحديث . والمُلكُ العَضُوضُ : الذي يصيب النَّاسَ فيه عسفٌ وظلم ، كأنَّهم يعضُّون فيه عضّاً .

رَجُلٍ واسعِ القدم ، ضخم البُلعوم ، يأكلُ ولا يشبعُ وهو معاوية »[١] .

هكذا وقع في هذه الرواية ، وفي رواية بهذا الإسناد : « لا تذهبُ الأيَّام واللَّيالي حتَّى تجتمعَ هذه الأُمَّة على مُعاوية » .

وروى البيهقيُّ من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر ـ وهو ضعيف ـ عن عبد الملك بن عُمَيْر قال : قال معاوية : والله ما حمَلني على الخِلافة إلا قولُ رسول الله ﷺ لي : « يا معاوية ! إنْ ملكتَ فأحسنْ »[٢] .

ثم قال البيهقيُّ : وله شواهد ، من ذلك ، حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص ، عن جدِّه سعيد ، أن معاويةَ أخذَ الإداوة ، فتبعَ رسولَ الله ﷺ ، فنظر إليه ، فقال له : « يا معاويةُ ! إن وَلِيْتَ أمراً فَاتَّقِ الله واعدلْ » قال معاويةُ : فما زلتُ أظنُّ أنِّي مُبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ[٣] .

ومنها : حديث الثوري ، عن ثور بن يزيد ، عن راشد بن سعد المَقْرائي ، عن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّكَ إنِ اتَّبَعْتَ عوراتِ النَّاسِ أفسدتَهم ، أو كِدْتَ أن تُفسدَهم » . ثم يقول أبو الدرداء : كلمةً سمعها معاويةُ من رسول الله ﷺ فنفعهَ الله بها . رواه أبو داود[٤] .

وروى البيهقيُّ من طريق هُشَيْم عن العوَّام بن حَوْشبٍ ، عن سُليمان بن أبي سُليمان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الخِلافةُ بالمدينة والمُلْكُ بالشام »[٥] .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا إسحاق بن عيسى ، حدَّثنا يحيى بن حمزة ، عن زيد بن واقد ، حدَّثني بُسْر بن عُبيد الله ، حدَّثني أبو إدريس الخَوْلاني ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائمٌ إذ رأيتُ عمودَ الكتابِ رُفعَ احتُمِلَ من تحتِ رأسي ، فظننتُ أنه مذهوبٌ به ، فأتبعتهُ بصري ، فعُمِدَ به إلى الشام ، ألا وإنَّ الإيمانَ ـ حين تقعُ الفتنُ ـ بالشام » .

وها هنا رواه البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان ، عن عبد الله بن يُوسف ، عن يحيى بن حمزة

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣١٧٠٨) وذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٣/ ٥٣) في ترجمة : سفيان بن الليل الكوفي ، وقال : روى عنه الشعبي ، قال العقيلي : كان ممن يغلو في الرَّفض ، لا يصح حديثه . وقال الحافظ : لأن حديثه انفرد به السَّرِيُّ بن إسماعيل ، أحد الهلكى عن الشعبي .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٦) .

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٦) وهو حديث صحيح .

(٤) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٨٨٨) في الأدب ، وهو حديث صحيح .

(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٧) وفيه سليمان بن أبي سليمان الهاشمي مولى ابن عباس ، لا يكاد يعرف ، هو وأبوه مجهولان .

(٦) في المسند (٥/ ١٩٨) وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح .

السلمي به . قال البيهقي : هذا إسناد صحيح ، وروي من وجه آخر[١] . ثم ساقَه من طريق عقبةَ بن علقمةَ ، عن سعيد بن عبد العزيز الدِّمشقيّ ، عن عطيَّةَ بن قيس ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنِّي رأيتُ أنَّ عمودَ الكتابِ انتُزِعَ من تحتِ وِسَادَتِي ، فنظرتُ فإذا هو نورٌ ساطعٌ عُمِدَ به إلى الشام ، ألا إنَّ الإيمانَ إذا وقعتِ الفتنُ بالشام »[٢] . ثم أورده البيهقيُّ : من طريق الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن يُونس بن ميسرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال لي رسول الله ﷺ ، فذكرَ نحوَه ، إلا أنه قال : فَاتَّبَعْتُه بَصري حتَّى ظننتُ أنه مذهوبٌ به » قال : وإنِّي أَوَّلتُ أنَّ الفتنَ إذا وقعت ، أنَّ الإيمانَ بالشَّام[٣] . قال الوليد : وحدَّثني عُفَيرُ بن مَعدان أنه سمعَ سليمانَ بن عامر يُحدِّث ، عن أبي أُمامةَ ، عن رسول الله ﷺ مثلَ ذلك[٤] . وقال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثني نصرُ بن محمد بن سليمان الحمصي ، حدَّثنا أبو ضمرة ـ محمد بن سليمان السُّلَمي ـ حدَّثني عبدُ الله بن أبي قيس ، سمعتُ عمرَ بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ عَمُوداً من نورٍ خرجَ من تحتِ رأسي ساطِعاً حتَّى استقرَّ بالشام »[٥] .

وقال عبدُ الرزاق : أخبرنا معمرُ ، عن الزهريِّ ، عن عبد الله بن صَفْوان ، قال : قال رجلٌ يومَ صِفِّين : اللَّهُمَّ العنْ أهلَ الشَّام ، فقال له عليٌّ : لا تسبَّ أهلَ الشَّام جَمًّا غَفِيْراً ، فإنَّ بها الأبدالَ ، فإنَّ بها الأبدالَ ، فإنَّ بها الأبدالَ[٦] . وقد روي من وجه آخر عن عليّ ، قال الإمام أحمد : حدَّثنا أبو المغيرة ، حدَّثنا صفوان ، حدَّثني شريح ـ يعني ابن عبيد الحضرمي ـ قال : ذُكِرَ أهلُ الشام عند عليّ بن أبي طالب وهو بالعراق ، فقالوا : العنْهم يا أميرَ المؤمنين ، قال : لا ، إنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « الأبدالُ يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلَّما ماتَ رجلٌ أبدلَ الله مكانَه رجلاً ، يُستسقى بهم الغيثُ ، ويُنتصرُ بهم على الأعداء ، ويُصرفُ عن أهل الشام بهمُ العذابُ »[٧] . تفرَّدَ به أحمد ، وفيه انقطاع ، فقد نصَّ أبو حاتم الرازيُّ على أن شُرَيح بن عُبيد هذا لم يسمع من أبي أُمامة ولا من أبي مالك الأشعري وأن روايته عنهما مرسلة ، فما ظَنُّكَ بروايته عن علي بن أبي طالب ، وهو أقدم وفاة منهما ؟! .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٧) وهو حديث صحيح .
(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٨) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٩) وصححه .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٨) وهو حديث حسن .
(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٨) وهو حديث حسن .
(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٩) وهو حديث حسن .
(٦) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٤٩) وإسناده ضعيف .
(٧) رواه أحمد في المسند (١/ ١١٢) وينظر كلام الإمام ابن القيم في المنار المنيف (ص١٣٦) .

إخباره عليه الصلاة والسلام عن غزوة البحر إلى قبرص التي كانت في أيام أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان رضي الله عنه

قال مالك : عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يدخل على أُمِّ حَرَام بنت مِلْحَانَ ، فتُطعمُه ، وكانت تحتَ عُبادةَ بن الصَّامتِ ، فدخلَ عليها يوماً فأطعمتهُ ثم جلست تَفْلِي رأسَه ، فنامَ رسول الله ﷺ ، ثم استيقظَ وهو يضحكُ ، قالت : فقلتُ : ما يُضحِكُكَ يا رسول الله ؟! قال : « ناسٌ من أُمَّتي عُرِضوا عليّ غُزاةً في سبيلِ الله يركبون ثبج هذا البحر ، ملوكاً على الأسرَّة ـ أو مثل الملوك على الأسرَّة ـ » شك إسحاق ، فقلت : يا رسول الله ! ادعُ الله أنْ يجعلَني منهم ، فدعَا لها ، ثم وضعَ رأسَه فنامَ ثم استيقظَ وهو يضحكُ ، قالت : قلتُ ما يُضحِكُكَ يا رسولَ الله ؟ قال : « ناسٌ مِن أُمَّتي عُرِضُوا عليَّ غُزاةً في سبيل الله » كما قال في الأولى ، قالت : فقلت : يا رسولَ الله : ادعُ الله أن يجعلَني منهم ، قال : « أَنْتِ من الأوَّلين » قال : فركبت أُمُّ حَرَام بنت مِلْحَانَ البحرَ في زمان معاويةَ ، فصُرعت عن دابَّتِها حينَ خرجت من البحر فهلكت .

رواه البخاريُّ عن عبد الله بن يُوسف . ومسلم عن يحيى بن يحيى ، كلاهما عن مالك به[١] .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث اللَّيْث[٢] وحمَّاد بن زيد[٣] ، كلاهما عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن يحيى بن حبَّان ، عن أنس بن مالك ، عن خالته أم حَرَام بنت مِلْحَان ، فذكر الحديث إلى أن قال : فخرجتْ مع زوجها عبادةَ بن الصَّامت غازيةً أَوَّلَ مَا رَكِبُوا مع معاوية ، أو أَوَّلَ ما ركبَ المسلمون البحر مع معاوية بن أبي سفيان ، فلما انصرفُوا من غَزَاتهم قافلين فنزلُوا الشَّامَ ، فقُرِّبَتْ إليها دَابَّةٌ لتركبَها فصَرَعَتْهَا فماتت .

ورواه البخاريُّ من حديث أبي إسحاق الفَزَاري ، عن أبي حَوَالة عبد الله بن عبد الرحمن ، عن أنس به[٤] .

وأخرجه أبو داود : من حديث معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أخت أم سُلَيم[٥] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٨٨) و(٢٧٨٩) في الجهاد . ومسلم في صحيحه رقم (١٩١٢) (١٦١) و(١٦٢) في الإمارة .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٩٩) و(٢٨٠٠) في الجهاد والسير باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم ، ومسلم في صحيحه رقم (١٩١٢) (١٦٢) في الإمارة ، باب فضل الغزو في البحر .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٩٤) و(٢٨٩٥) في الجهاد ، ومسلم (١٩١٢)(١٦١) في الجهاد أيضاً .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٧٧) و(٢٨٧٨) في الجهاد والسير ، باب غزو المرأة في البحر .

(٥) رواه أبو داود في سننه رقم (٢٤٩٠) في الجهاد .

باب
ما قيل في غزو الروم

وقال البخاريُّ : حدَّثنا إسحاقُ بن يزيد الدِّمشقي ، حدَّثنا يحيى بن حمزة ، حدَّثني ثورُ بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدَان أن عمير بن الأسود العَنْسيَّ حدَّثه : أنه أتى عبادةَ بن الصَّامت وهو نازلٌ إلى ساحل[١] حمصَ ، وهو في بناءٍ له ، ومعه أُمُّ حَرَام ، قال عُمير : فحدَّثتنا أُمّ حَرَام أنَّها سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « أَوَّلُ جيشٍ مِن أُمَّتي يَغزونَ البحرَ قد أَوْجَبُوا » قالت أُمُّ حَرَام : فقلتُ : يا رسولَ الله ! أنا فيهم ؟ قال : « أنتِ فيهم » قالت : ثم قال النبيُّ ﷺ : « أَوَّلُ جَيْشٍ مِن أُمَّتِي يغزونَ مدينةَ قيصرَ مغفورٌ لهم » قلتُ : أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : « لا »[٢] . تفرَّد به البخاريُّ دون أصحاب الكتب الستة .

وقد رواه البيهقيُّ في الدلائل : عن الحاكم ، عن أبي عمرو بن أبي جعفر ، عن الحسن بن سُفيان ، عن هشام بن عمَّار الخطيب ، عن يحيى بن حمزة القاضي به ، وهو يُشبه معنى الحديث الأول[٣] .

وفيه من دلائل النبوة ثلاث : إحداها الإخبار عن الغزوة الأولى في البحر ، وقد كانت في سنة سبع وعشرين مع معاويةَ بن أبي سفيان حين غزا قبرصَ ، وهو نائبُ الشام عن عثمان بن عفان ، وكانت معهم أُمُّ حَرَام بنت مِلْحَان هذه ، صُحْبَةَ زوجها عبادةَ بن الصَّامت ، أحدِ النُّقَبَاء ليلةَ العقبة ، فتُوفِّيَتْ مرجعهم من الغزو قبلُ بالشَّام ، كما تقدم في الرواية عند البخاري . وقال ابنُ زيد : تُوفِّيَتْ بقبرصَ سنة سبع وعشرين ، الغزوة الثانية غزوة قسطنطينيةَ مع أَوَّل جيش غزاها ، وكان أميرها يزيدُ بن معاويةَ بن أبي سُفيان ، وذلك في سنة ثنتين وخمسين ، وكان معهم أبو أيوب ، خالدُ بن زيد الأنصاريُّ ، فماتَ هنالك رضي الله عنه وأرضاه ، ولم تكن هذه المرأةُ معهم ؛ لأنَّها كانت قد تُوفِّيت قبل ذلك في الغزوة الأولى .

فهذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة : الإخبار عن الغزوتين ، والإخبار عن المرأة بأنها من الأوَّلِيْنَ وليست من الآخِرين ، وكذلك وقعَ كما أخبرَ صلواتُ الله وسلامُه عليه .

الإخبارُ عن غزوة الهند

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا هُشيم ، عن سيَّار ، عن جبر بن عبيدة ، عن أبي هريرة قال : وعدَنا

---

(١) كذا في الأصل ، وفي البخاري : في ساحة .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٩٢٤) في الجهاد .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٥٢) .
(٤) في المسند (٢/ ٢٢٩) رقم (٧١٢٨) وإسناده ضعيف لجهالة جبر بن عبيدة ، واستنكره الإمام الذهبي في الميزان (١/ ٣٨٨) .

رسولُ الله ﷺ غزوة الهند ، فإن استُشهدتُ كنتُ من خيرِ الشهداء ، وإن رجعتُ فأنا أبو هريرة المُحرَّر .

ورواه النَّسائيُّ(١) : من حديث هُشيم ، وزيد بن أبي أُنيسة ، عن سيَّار ، عن جَبْر ـ ويُقال : جُبَيْر ـ عن أبي هريرة ، قال : وعدَنا رسولُ الله ﷺ غزوة الهند . . . وذكره .

وقال أحمد(٢) : حدَّثنا يحيى بن إسحاق ، حدَّثنا البراءُ ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، قال : حدَّثني خليلي الصَّادقُ المصدوقُ ، رسولُ الله ﷺ ، أنه قال : « يكونُ في هذه الأمة بعثٌ إلى السِّند والهند ، فإنْ أنا أدركتُه فاستشهدتُ فذاك ، وإن أنا » فذكرَ كلمة « رجعتُ » فأنا أبو هريرة المُحَرَّر قد أعتقني من النار . تفرَّد به أحمد .

وقد غزا المسلمون الهندَ في أيام مُعاويةَ سنة أربعٍ وأربعينَ ، وكانت هنالك أمورٌ سيأتي بسطُهَا في مَوْضِعِها ، وقد غزا الملكُ الكبيرُ الجليلُ محمود بن سُبُكْتُكين ، صاحب غَزْنَةَ ، في حدود سنة أربعمئة ، بلاد الهند فوغَلَ فيها وقتلَ وأسرَ وسبى وغنم ودخل السومنات وكسرَ البدّ الأعظم الذي يعبدونه ، واستلبَ سيوفَه وقلائدَه ، ثم رجع سالماً مؤيَّداً منصوراً ، كما سيأتي .

فصــل

في الإخبار عن قتال التُّرْك كما سنبيّنه إن شاء الله

قال البخاري : حدَّثنا أبو اليمان ، أخبرنا شُعيب ، حدَّثنا أبو الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « لا تقومُ السَّاعةُ حتى تُقاتلوا قوماً نعالُهم الشعر ، وحتَّى تُقاتلوا التّركَ صغارَ الأعين حُمْرَ الوجوه ، ذُلْفَ الأنوف ، كأن وجوهَهُم المِجَانُّ المُطْرَقَةُ ، وتجدونَ مِن خير النَّاس أشدَّهُم كراهيةً لهذا الأمر حتى يقعَ فيه ، والنَّاس معادنُ : خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام ، ولَيَأتينَّ على أحدِكُم زمانٌ لأن يراني أحبُّ إليه من أنْ يكونَ له مِثْلُ أهلِهِ ومالِه »(٣) . تفرَّد به من هذا الوجه .

ثم قال البخاري : حدَّثنا يحيى ، حدَّثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن هَمَّام ، عن أبي هريرة ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « لا تقومُ الساعة حتَّى تُقاتلوا خُوزاً وكِرْمانَ من الأعاجم ، حُمْرَ الوجوه ، فُطْسَ الأُنوفِ ،

---

(١) رواه النسائي في سننه (٦/ ٤٢) في الجهاد وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٩) وإسناده ضعيف لضعف البراء بن عبد الله الغنوي ، ولانقطاعه فإن الحسن مدلس وقد عنعنه ، وهو لم يسمع من أبي هريرة .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٨٧ و٣٥٨٨ و٣٥٨٩) في المناقب ، والمجان : التروس .

صِغَارَ الأَعينِ ، كأن وجوهَهم المِجَانَّ المُطْرَقةُ[١] ، نِعالُهم الشَّعرُ »[٢] تابَعهُ غيرُه عن عبد الرزاق .

وقد ذُكر عن الإمام أحمد أنه قال : أخطأ عبدُ الرزاق في قوله : « خُوزاً » بالخاء ، وإنما هو بالجيم « جُوزاً وكِرْمَانَ » هما بلدان معروفان بالشرق[٣] ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا سفيان ، عن الزُّهْري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة فبلغَ به النبيَّ ﷺ : « لا تقومُ السَّاعةُ حتى تُقاتلوا قوماً كأنَّ وجوهَهم المِجَانُّ المُطْرَقةُ ، نعالُهم الشَّعْر » . وقد رواه الجماعة إلا النَّسَائي من حديث سُفيان بن عُيينة به[٤] . وقال البخاريُّ : حدَّثنا عليُّ بن عبد الله ، حدَّثنا سُفيانُ ، قال : قال إسماعيلُ : أخبرني قيسٌ ، قال : أتينا أبا هريرة رضيَ الله عنه ، فقال : صحبتُ رسولَ الله ﷺ ثلاثَ سِنينَ لم أكنْ في سِنِيَّ أحرصَ على أن أعيَ الحديثَ مِنِّي فيهنَّ ، سمعتُه يقول : ـ وقال هكذا بيده ـ « بين يدي السَّاعة تقاتلون قوماً نِعالُهم الشَّعَر ، وهو هذا البارِزُ » وقال سفيانُ مرَّةً : وهم أهلُ البارز »[٥] .

وقد رواه مسلم : عن أبي كُرَيْب ، عن أبي أُسامَة ووكيع ، كلاهُما عن إسماعيلَ بن أبي خالد عن قَيْسِ بن أبي حَازمٍ ، عن أبي هُريرةَ ، قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ القِيامةُ حتَّى تُقاتِلُوا قوماً نعالُهم الشَّعَر ، كأنَّ وُجوهَهم المِجَانُّ المُطْرَقَةُ ، حُمْرُ الوجوه ، صِغَارُ الأَعيُنِ »[٦] .

قلت : وأما قول سُفيان بن عُيينةَ : أنَّهم هم أهلُ البَازِر ، فالمشهورُ في الرواية تقديمُ الراء على الزاي ، ولعلَّه تصحيف اشتبهَ على القائل « البارز » وهو السُّوق بلغتهم ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا جرير بن حازم ، سمعتُ الحسنَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بن تَغْلب ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إنَّ من أشراطِ السَّاعة أن تُقاتلوا قوماً نِعالُهم الشَّعَر ـ أو ينتعلون الشَّعرَ ـ وإنَّ من أشراطِ السَّاعة أن تُقاتلوا قوماً عِراضَ الوجوه كأنَّ وجوهَهم المِجَانُّ المُطْرَقَة »[٧] .

ورواه البخاريُّ : عن سُليمانَ بن حَرْبٍ ، عن جرير بن حازمٍ به[٨] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٨٧ و٣٥٨٨ و٣٥٨٩) في المناقب ، والمجان : التروس .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٩٠) في المناقب .
(٣) فتح الباري (٦/ ٦٠٧) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٣٠) والبخاري في صحيحه رقم (٣٥٩١) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٩١٢) في الفتن ، وأبو داود في سننه رقم (٤٣٠٤) في الملاحم ، والترمذي في جامعه رقم (٢٢١٥) في الفتن ، وابن ماجه في سننه رقم (٤٠٩٦) في الفتن .
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٩١) في المناقب .
(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٩١٢)(٦٦) في الفتن وأشراط الساعة .
(٧) رواه أحمد في المسند (٥/ ٧٠) وهو حديث صحيح .
(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٩٢) في المناقب .

والمقصودُ أنَّ قتالَ الترك وقع في آخرِ أيام الصحابة ، قاتلوا القان الأعظم[١] ، فكسروه كسرةً عظيمةً على ما سنُورده في موضعه إذا انتهينا [إليه] بحول الله وقُوَّته ، وحسن توفيقه[٢] .

خبرُ عبدِ الله بن سَلَام

قال الإمام أحمد : حدَّثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، حدَّثنا ابن عون ، عن محمد ـ هو ابن سيرين ـ عن قيس بن عُبَاد ، قال : كنتُ في المسجد فجاءَ رجلٌ في وجههِ أثرُ خُشوعٍ ، فدخلَ فصلَّى ركعتين فأوجزَ فيهما ، فقال القومُ : هذا رجلٌ من أهل الجنَّةِ ، فلمَّا خرجَ اتَّبعْتُه حتى دخلَ منزلَه ، فدخلتُ معه فحدَّثْتُه ، فلما استأنسَ ، قلت له : إنَّ القومَ لما دخلتَ [قبلَ][٣] المسجدِ قالُوا كذا وكذا ، قال : سبحان الله ! والله ما ينبغي لأحدٍ أن يقولَ ما لا يعلم ، وسأُحَدِّثُكَ ، إنِّي رأيتُ رؤيا على عهدِ رسولِ الله ﷺ فَقَصَصْتُها عليه ، رأيت كأني في روضةٍ خضراءَ ـ قال ابنُ عَوْن : فذكر من خُضْرتِها وسَعَتِها ـ وَسْطها عمودُ حديدٍ أسفلُه في الأرض وأعلاه في السَّماءِ ، في أعلاهُ عُروةٌ ، فقيل لي : اصعدْ عليه ، فقلتُ : لا أستطيعُ ، فجاءَ بنَصِيفٍ[٤] ـ قال ابن عون : هو الوصيفُ ـ فرفعَ ثيابي من خَلْفِي فقال : اصعدْ عليه ، فَصَعِدْتُ حتى أخذتُ بالعُروة ، فقال : استمسكْ بالعُروةِ ، فاستيقظتُ وإنَّها لفي يدي ، قال : فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقصصتُها عليه ، فقال : « أما الروضةُ فروضةُ الإسلام ، وأمَّا العمودُ فعمودُ الإسلام ، وأما العروةُ فهي العروةُ الوثقى ، أنتَ على الإسلام [حتَّى] تموتَ »[٥] قال : وهو عبد الله بن سلام .

ورواه البخاريُّ من حديث ابن عونٍ[٦] .

ثم قد رواه الإمامُ أحمدُ[٧] : من حديث حمَّاد بن سلمةَ ، عن عاصم بن بهدلةَ ، عن المُسَيَّب بن رافع ، عن خرشةَ بن الحر ، عن عبد الله بن سلام ، فذكرَه مُطوَّلًا ، وفيه قال : حتى انتهيت إلى جبل زَلَق ، فأخذ بيدي وزجلَ بي ، فإذا أنا على ذروته ، فلم أتقارَّ ولم أتماسك ، فإذا عمودٌ من حديدٍ في ذروته حَلَقةُ ذَهَبٍ ، فأخذَ بيدي فزجلَ بي حتَّى أخذتُ بالعروة . . . وذكرَ تمامَ الحديث .

---

(١) القان الأعظم : الخان .
(٢) هذا الفصل سقط من نسخة الأحمدية .
(٣) زيادة من المسند والبخاري .
(٤) في المسند : فجاءني مِنْصَفٌ . والمِنْصَفُ : الخادم . وفسَّره ابن عون بالوصيف .
(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٥٢) والبخاري في صحيحه رقم (٣٨١٣) في مناقب الأنصار .
(٦) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٥٢) والبخاري رقم (٣٨١٣) . والذروة : القمة . وأتقارّ : أثبت . وزجل بي : رماني ودفع بي .
(٧) في مسنده (٥/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣) وإسناده حسن .

وأخرجه مسلم في صحيحه[١] : من حديث الأعمش ، عن سُليمانَ بن مُسْهرٍ ، عن خرَشَةَ بن الحُرِّ ، عن عبدِ الله بن سَلَام فذكرَه ، وقال : حتَّى أتى بي جبلاً فقال لي : اصعدْ ، فجعلتُ إذا أردتُ أن أصعدَ خررتُ على اسْتِي ، حتى فعلتُ ذلك مراراً ، وأنَّ رسول الله ﷺ قال له حين ذكر رؤياه : « وأما الجبلُ فهو منزلُ الشُّهداء ، ولنْ تنالَه » .

قال البيهقيُّ[٢] : وهذه معجزةٌ ثانية ، حيث أخبرَ أنه لا ينالُ الشهادةَ ، وهكذا وقعَ ، فإنَّه ماتَ سنة ثلاث وأربعين فيما ذكره أبو عُبيد القاسم بن سَلَّام وغيرُه .

الإخبارُ عن مَوْتِ ميمونةَ بنت الحارِث بِسَرِف

قال البخاريُّ في « التاريخ »[٣] : أخبرنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا عبدُ الواحد بن زياد ، حدَّثنا عبدُ الله بن عبد الله بن الأصمّ ، حدَّثنا يزيدُ بن الأصمّ ، قال : ثَقَلَتْ ميمونةُ بمكَّة وليس عندَها من بني أخيها أحدٌ ، فقالت : أخرجوني من مَكَّةَ فإني لا أموتُ بها ، إنَّ رسولَ الله ﷺ أخبرني أنِّي لا أموتُ بمكَّةَ ، فحملُوها حتى أتوا بها سَرِفَ ، إلى الصخرة التي بَنى بها رسولُ الله ﷺ تحتَها في موضع القُبَّةِ ، فماتت رضي الله عنها . قلتُ : وكان موتُها سنة إحدى وخمسين على الصحيح .

ما رُوي في إخباره عن مَقْتَلِ حُجْرِ بن عديٍّ وأصحابه

قال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا ابن بُكير ، حدَّثنا ابنُ لهيعة ، حدَّثني الحارث بن يزيد ، عن عبد الله بن زُرير الغافقي قال : سمعتُ عليَّ بن أبي طالب ، يقول : يا أهل العراق! سيُقتل منكم سبعة نفر بِعَذْراءَ ، مثلُهم كَمَثل أصحاب الأخدود ، فقُتل حُجْر بن عديّ وأصحابُه[٤] .

وقال يعقوب : قال أبو نعيم : ذكرَ زياد بن سُمَيَّة عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه على المِنْبر ، فقبضَ حُجْرٌ على الحَصْبَاء ثم أرسلَها ، وحصبَ مَنْ حولَه زياداً ، فكتب إلى معاويةَ يقول : إن حُجْراً حَصَبَنِي وأنا على المِنْبر ، فكتبَ إليه معاويةُ أن يَحْمِلَ إليه حُجْراً ، فلما قربَ من دمشق بعث من يَتَلَقَّاهُم ، فالتقى معهم بعذراءَ فقتلَهم .

قال البيهقيُّ : لا يقولُ عليٌّ مثلَ هذا إلا أن يكونَ سمعَه من رسول الله ﷺ[٥] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٤٨٤)(١٥٠) في فضائل الصحابة .

(٢) ذكره البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٣٠) .

(٣) رواه البخاري في التاريخ (٣/ ١/ ١٢٨) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤٣٧) .

(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٥٦) وإسناده ضعيف ، لضعف ابن لهيعة .

(٥) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٥٦) .

وقال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثنا حرملةُ ، حدَّثنا ابنُ وهب ، أخبرني ابنُ لَهيعة ، عن أبي الأسود قال : دخلَ معاويةُ على عائشةَ ، فقالت : ما حملكَ على قتل أهل عذراءَ حجرٍ وأصحابهِ ؟ فقال : يا أمَّ المؤمنينَ ، إنِّي رأيتُ قتلَهم إصلاحاً للأمة ، وأن بقاءَهم فساداً ، فقالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « سيُقتلُ بعذراءَ ناسٌ يغضبُ الله لهم وأهلُ السماء »(١) .

وقال يعقوب : حدَّثنا عمرو بن عاصم ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمةَ ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المُسيّب ، عن مروان بن الحكم ، قال : دخلتُ مع معاويةَ على أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها ، فقالت : يا معاويةُ ! قتلتَ حُجْراً وأصحابَه ، وفعلتَ الذي فعلتَ ، أما خشيتَ أن أُخَبِّئ لك رجلاً فيقتلكَ ؟ قالَ : لا ، إني في بيتِ أمانٍ ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « الإيمانُ قيَّدَ الفَتْكَ ، لا يفتكُ مؤمنٌ » يا أُمَّ المؤمنينَ ، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتِكِ ؟ قالت : صالح . قال : فدعيني وحُجْراً حتى نلتقي عندَ ربِّنا عزّ وجلّ(٢) .

خبر آخر

قال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا عُبيد الله بن مُعاذ ، حدَّثنا أبي ، حدَّثنا شعبةُ ، عن أبي سَلَمةَ ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي هريرة ، أن رسولَ الله ﷺ قال لعَشَرةٍ من أصحابِه : « آخرُكم موتاً في النَّار » فيهم : سمرةُ بن جُنْدَبٍ ، قال أبو نضرة : فكانَ سمرة آخرهم موتاً(٣) .

قال البيهقي : رواتُه ثقات إلا أن أبا نضرة العَبْديّ لم يثبت له من أبي هريرة سماع ، والله أعلم(٤) .

ثم رُوي من طريق إسماعيل بن حكيم ، عن يُونسَ بن عُبيد ، عن الحسن ، عن أنس بن حَكيم قال : كنتُ أمرءٌ بالمدينة فألقى أبا هريرةَ ، فلا يبدأُ بشيءٍ حتَّى يسألني عن سَمُرةَ ، فإذا أخبرتُه بحياته وصِحَّته فرحَ وقال : إنَّا كنا عشرةً في بيتٍ ، وإنَّ رسول الله قامَ علينا ونظرَ في وُجوهنا وأخذَ بعَضادَتَي الباب وقال : « آخرُكم موتاً في النَّار » فقد ماتَ منا ثمانيةٌ ولم يبقَ غيري وغيرُه ، فليس شيءٌ أحبَّ إليَّ من أن أكون قد ذقتُ الموتَ(٥) . وله شاهد من وجه آخر .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٥٧) ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٥٧) بطوله ، وفي سنده ابن جدعان ، ضعيف ، وروى المرفوع منه أبو داود في سننه رقم (٢٧٦٩) في الجهاد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي راويه عن أبي هريرة ، وقد ساقه المزي بسنده من طريق أبي نعيم به (تهذيب الكمال ٧١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) .

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٥٨) .

(٤) وقال الذهبي في السير (٣/ ١٨٤) : هذا حديث غريب جداً ، ولم يصح لأبي نضرة سماع من أبي هريرة .

(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٥٩) وفي سنده أنس بن حكيم ، وهو مجهول .

قال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثنا حجَّاج بنُ مِنهالٍ ، حدَّثنا حمَّادُ بن سلمةَ ، عن عليِّ بن زيد ، عن أوسِ بن خالد ، قال : كنتُ إذا قدمتُ على أبي محذورة سألني عن سَمُرةَ ، وإذا قدمتُ على سَمُرةَ سألني عن أبي محذورةَ ، فقلتُ لأبي محذورةَ : ما لكَ إذا قدمتُ عليكَ تسألُني عن سَمُرةَ ، وإذا قدمتُ على سَمُرةَ سألني عنكَ ؟ فقال : إنِّي كنتُ أنا وسَمُرةَ وأبو هريرة في بيتٍ ، فجاءَ النبيُّ ﷺ ، فقال : « آخرُكم موتاً في النَّار » قال : فماتَ أبو هريرة ثم ماتَ أبو محذورة ثم مات سَمُرة(١) . وقال عبدُ الرزاق : أخبرنا معمرُ : سمعتُ ابنَ طاووس وغيرَه يقولون : قال النبيُّ ﷺ لأبي هُريرةَ وسَمُرةَ بن جُنْدَبٍ ولرجلٍ آخرَ : « آخرُكم موتاً في النَّار » فماتَ الرجلُ قبلَهما ، بقي أبو هريرة وسَمُرَة ، فكانَ الرجلُ إذا أرادَ أن يغيظَ أبا هريرة يقول : مات سَمُرة ، فإذا سمعَه غُشِي عليه وصَعِقَ ، ثم مات أبو هريرة قبل سَمُرَة . وقتلَ سمرةُ بشراً كثيراً(٢) .

وقد ضعَّفَ البيهقيّ عامَّة هذه الروايات ، لانقطاع بعضها وإرساله ، ثم قال : وقد قال بعض أهل العلم : إن سَمُرة ماتَ في الحريق ، ثم قال : ويَحتملُ أن يُوردَ النَّارَ بذنوبه ، ثم ينجو منها بإيمانه ، فيخرجُ منها بشفاعة الشافعين ، والله أعلم(٣) . ثم أوردَ من طريق هلال بن العَلاء الرَّقي : أنَّ عبدَ الله بن معاوية حدَّثهم عن رجل قد سمَّاه ؛ أنَّ سمرةَ استجمرَ فغفلَ عن نفسه وغفلَ أهلُه عنه حتى أخذته النَّار(٤) .

قلتُ : وذكرَ غيرُه أن سمرةَ بن جندب رضي الله عنه أصابه كُزاز(٥) شديد ، فكان يُوقد له على قِدْر مملوءةٍ ماءً حاراً فيجلسُ فوقَها فيتدفأ ببخارها ، فسقطَ يوماً فيها فماتَ رضي الله عنه ، وكان موتُه سنة تسع وخمسين بعد أبي هريرة بسنة ، وقد كان ينوبُ عن زياد بن سُمَيَّة في البصرة إذا سار إلى الكوفة ، وفي الكوفة إذا سارَ إلى البصرة ، فكان يُقيم في كلٍّ منهما ستةَ أشهرٍ من السنة ، وكان شديداً على الخوارج ، مُكثراً للقتل فيهم ، ويقولُ : هم شرُّ قتلى تحتَ أديمِ السماء ، وقد كان الحسنُ البصريُّ ومحمد بن سيرين وغيرُهما من علماء البصرة يُثنون عليه ، رضي الله عنه .

خبر رافع بن خديج

روى البيهقي : من حديث مسلم بن إبراهيم ، عن عمرو بن مرزوق الواشحي ، حدَّثنا يحيى بن

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٥٩) في سنده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف .
(٢) الدلائل للبيهقي (٦/ ٤٥٩) وهو مرسل .
(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٦٠) .
(٤) رواه في الدلائل (٦/ ٤٦٠) بلاغاً . قال الذهبي في السير (٣/ ١٨٥) : هذا إن صحَّ فهو مراد النبي ﷺ ، يعني نار الدنيا .
(٥) داء يأخذ الإنسان من شدّة البرد . تاج العروس ـ مادة كزَزَ .

عبد الحميد بن رافع ، عن جدته ؛ أنَّ رافعَ بن حديج رُمِيَ ـ قال : ولا أدري أيهما قال ـ يوم أحد أو يوم حنين بسهم في ثَنْدُوَته[١] ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله أنزعُ السَّهْمَ ، فقال له : « يا رافعُ ! إن شئتَ نزعتُ السَّهمَ والقُطْبةَ[٢] جميعاً ، وإن شئتَ نزعتُ السَّهمَ وتركتُ القُطبة وشهدتُ لك يوم القيامة أنَّك شهيدٌ » فقال : يا رسولَ الله انزعِ السَّهمَ واتركْ القُطْبة واشهدْ لي يومَ القيامةِ أنِّي شهيدٌ[٣] . قال : فعاشَ حتى كانت خلافةُ معاويةَ ، انتقضَ الجرحُ فماتَ بعد العصر .

هكذا وقع في هذه الرواية أنه مات في إمارة معاوية ، والذي ذكرَه الواقديُّ[٤] وغيرُ واحد أنه مات في سنة ثلاث ، وقيل : أربع وسبعين . ومعاويةُ رضي الله عنه كانت وفاته في سنة ستين بلا خلاف ، فالله أعلم .

ذكر

إخباره عليه الصلاة والسلام لما وقعَ من الفتن من بني هاشم بعد موته وغير ذلك

قال البخاريُّ : حدَّثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سُفيانُ ، عن الأعْمَشِ ، عن زيدِ بن وَهب ، عن ابن مسعود ، عن النبيِّ ﷺ قال : « ستكون أثَرَةٌ وأمورٌ تُنْكِرونَها » . قالوا : يا رسولَ الله ! فما تأمُرنا ؟ قال : « تُؤَدُّونَ الحَقَّ الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم »[٥] .

وقال البخاري : حدَّثنا محمد بن عبد الرحيم ، أخبرنا أبو مَعْمَرٍ إسماعيلُ بن إبراهيم ، حدَّثنا أبو أسامةَ ، حدَّثنا شعبةُ ، عن أبي التَّيَّاح ، عن أبي زُرْعَةَ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُهلِكُ النَّاسَ هذا الحيُّ من قُريش » قالوا : فما تأمُرنا يا رسولَ الله ؟ قال : « لو أن النَّاس اعتزلُوهم »[٦] .

ورواه مسلمٌ عن أبي بكر بن أبي شيبةَ ، عن أبي أُسَامةَ[٧] .

---

(١) « الثَّنْدُوَةُ » : وهي للرجل كالثدي للمرأة .

(٢) « القطبة » : نصل صغير قصير مُربع في طرف السهم .

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٢٦٣) ورواه أحمد في المسند (٦/ ٣٧٨) والطبراني في الكبير (٤٢٤٢) وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٤٦) وقال : امرأة رافع إن كانت صحابية ، وإلا فإني لم أعرفها وبقية رجاله ثقات . والذي شكَّ هو عمرو بن مرزوق .

(٤) ترجمته في المستدرك للحاكم (٢/ ٥٦٢) وطبقات خليفة بن خياط ترجمة رقم (٥١٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٣) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٣) في المناقب .

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٤) في المناقب .

(٧) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٩١٧)(٧٤) في الفتن .

وقال البخاريُّ : حدَّثنا محمودٌ ، حدَّثنا أبو داودَ ، أخبرنا شعبةُ ، عن أبي التَّيَّاح ، قال : سمعتُ أبا زُرْعَةَ[١] .

وحدَّثنا أحمدُ بن محمد المَكِّيُّ ، حدَّثنا عمرو بن يحيى بن سَعيد الأُمويُّ عن جَدِّه ، قال : كنتُ مع مروانَ وأبي هُريرةَ ، فسمعتُ أبا هريرة يقولُ : سمعتُ الصَّادق المَصْدوقَ يقولُ : « هلاكُ أُمَّتي على يَدَي غِلْمَةٍ من قُريشٍ » فقال مروانُ : غِلْمَةٌ ؟ قال أبو هريرة : إن شئتَ أن أُسمِّيهم بني فلانٍ وبني فلان[٢] .

تفرَّد به البخاري .

وقال أحمد[٣] : حدَّثنا روح ، حدَّثنا أبو أُمَيَّةَ عمرو بن يحيى ، عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، قال : أخبرني جَدِّي سعيدُ بن عمرو بن سعيد ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هلاكُ أُمَّتي على يدي غِلْمَةٍ من قريش » قال مروان : ـ وهو معنا في الحلقة قبلَ أن يليَ شيئاً ـ فلعنةُ الله عليهم من غِلْمَة ؟ قال : أما والله لو أشاءُ أقولُ : بنو فلانٍ وبنو فلانٍ لفعلتُ . قال : فقمتُ أخرجُ مع أبي وجَدِّي إلى بني مروان ـ بعدما ملكوا ـ فإذا هم يُبايعون الصِّبيانَ ، ومنهم مَن يُبايَعُ له وهو في خِرْقَةٍ ، قال لنا : هل عسى أصحابُكم هؤلاء أن يكونوا الذين سمعتُ أبا هريرة يذكرُ ، إنَّ هذه الملوك يشبه بعضُها بعضاً .

وقال أحمد : حدَّثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن سماك ، حدَّثني عبدُ الله بن ظالم[٤] قال : سمعتُ أبا هريرة قال : سمعتُ حِبِّي أبا القاسم ﷺ يقول : « إنَّ فسادَ أُمَّتي على يدي غِلْمَةٍ سفهاءَ مِن قُريش »[٥] .

ثم رواه أحمد عن زيد بن الحُباب ، عن سفيان ـ وهو الثوريُّ ـ عن سِماك ، عن مالكِ بن ظَالم ، عن أبي هريرة . . . فذكره[٦] .

ثم روى عن غندر[٧] وروح بن عبادة ، عن شعبة ، عن سِماكِ بن حَرْب ، عن مالك بن ظالم قال : سمعت أبا هريرة ، زاد روح : يحدث مروان بن الحكم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ أبا القاسم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٤) في المناقب .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٥) في المناقب .
(٣) في المسند (٢/ ٣٢٤) رقم (٨٢٨٧) وهو حديث صحيح .
(٤) الصواب : مالك بن ظالم ، كما في الرواية التي بعدها .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٤ و٤٨٥) رقم (٨٠٢٠) و(١٠٢٤١) وهو متن صحيح ، وهذا إسناد ضعيف عبد الله بن ظالم هو مالك بن ظالم أخطأ فيه عبد الرحمن بن مهدي فسماه كذلك ، وهو مجهول .
(٦) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٨٨) رقم (٧٨٥٨) وهو حديث صحيح وإسناده ضعيف .
(٧) هو محمد بن جعفر الهذلي .

الصَّادقَ المَصْدوق ، يقول : « هلاكُ أمتي على يدِ غِلْمَة أمراء سفهاء من قريش »[١] .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا أبو عبد الرحمن ، حدَّثنا حَيْوَة ، حدَّثني بشيرُ بن أبي عمرو الخَوْلاني : أنَّ الوليدَ بن قَيْس التُّجيبي حدَّثه ؛ أنَّه سمعَ أبا سعيد الخُدْريَّ يقولُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « يكونُ خَلْفٌ مِنْ بعدِ الستين سنة ﴿ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] ثم يكون خَلْفٌ يقرؤون القرآنَ لا يَعْدُو تَراقِيهم ، ويقرأُ القرآنَ ثلاثة : مؤمن ، ومنافق ، وفاجر . قال بشيرٌ : فقلتُ للوليد : ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال : المنافقُ كافرٌ به ، والفاجرُ يتأكَّلُ به ، والمؤمنُ يُؤمن به[٢] . تفرَّد به أحمد ، وإسناده جيد قويٌّ على شرط السنن .

وقد روى البيهقيُّ : عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن الحسن بن عليّ بن عفَّان ، عن أبي أُسامةَ ، عن مجالد ، عن الشَّعبِيِّ ، قال : لما رجَع عليٌّ من صِفِّين قال : أيُّها النَّاسُ ، لا تكرهوا إمارةَ معاويةَ فإنه لو فَقَدْتُموه لقد رأيتم الرؤوس تَنْزو[٣] من كواهِلها كالحَنْظَلِ[٤] .

ثم روى : عن الحاكم وغيره ، عن الأَصمِّ ، عن العبَّاس بن الوليد بن مَزْيَد ، عن أبيه ، عن ابن جابر ، عن عُمير بن هانئ ، أنَّه حدَّثه قال : كان أبو هريرة يَمْشي في سُوقِ المدينة وهو يقول : اللهم لا تُدْرِكني سنةُ الستين ، ويحكم تمسَّكوا بصُدْغَيْ معاويةَ ، اللَّهُمَّ لا تُدْرِكني إمارةُ الصِّبيَان[٥] .

قال البيهقي : وعلي وأبو هريرة إنما يقولان : هذا الشيءُ سمعناه من رسول الله ﷺ[٦] .

وقال يعقوبُ بن سُفيان : أخبرنا عبدُ الرحمن بن عمرو الحرَّاني ، حدَّثنا محمد بن سُليمان ، عن أبي غنيم البَعْلَبَكي ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخُشَني ، عن أبي عُبيدة بن الجراح ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزالُ هذا الأمرُ معتدلاً قائماً بالقِسْطِ حتى يُثْلِمَه رجلٌ من بني أمية »[٧] .

وروى البيهقيُّ : من طريق عَوْف الأعرابيِّ ، عن أبي خلدة ، عن أبي العالية ، عن أبي ذرّ ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ أَوَّلَ من يُبَدِّلُ سُنَّتي رجلٌ من بني أمية »[٨] وهذا منقطعٌ بين أبي العالية

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩٩ و٣٢٨) وفيه : على رؤوس غلمة رقم (٧٩٦١) و(٨٣٢٩) وهو حديث صحيح ، وهذا إسناد ضعيف .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٨ ـ ٣٩) وفي الأصل المخطوط : « مؤمن ، ومنافق ، وكافرٌ » ورواه ابن حبان رقم (٧٥٥) والحاكم (٢/ ٣٧٤) وهو كما قال المصنف .

(٣) كذا في الدلائل ، وفي الأصل : تبدو . والتحريف فيها قريب .

(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٦٦) عن الشعبي عن علي ، ولم يرو الشعبي عن علي رضي الله عنه .

(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٦٦) عن عمير بن هانئ أنه حدث عن أبي هريرة ، وإسناده صحيح .

(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٦٦) .

(٧) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٦٧) وإسناده منقطع ، وانظر المطالب العالية رقم (٤٥٣١) .

(٨) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٦٧) .

وأبي ذر ، وقد رجَّحه البيهقيُّ بحديث أبي عُبيدة المُتقدِّم ، قال : ويُشبه أن يكونَ هذا الرجلُ هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، والله أعلم .

قلت : النَّاسُ في يزيد بن معاوية أقسامٌ : فمنهم من يُحبُّه ويتولاه ، وهم طائفةٌ من أهل الشَّام ، مِنَ النَّواصِب ، وأما الرَّوافضُ فيُشَنِّعون عليه ، ويفترونَ عليه أشياء كثيرة ليست فيه ، ويتهمه كثيرٌ منهم أو أكثرهم بالزندقة ، ولم يكنْ كذلك ، وطائفةٌ أخرى لا يُحِبُّونه ولا يَسبُّونه ، لما يَعلمونَ من أنه لم يكن زنديقاً كما تقولُه الرافضةُ ، ولِما وقع في زمانِه من الحَوادثِ الفظيعة ، والأمور المُستَنْكَرة البَشِعةِ الشَّنيعةِ ، فمِنْ أَنْكَرِها قتلُ الحُسين بن عليّ بكَرْبلاَءَ ، ولكن لم يكن ذلك عن علم منه ، ولعلَّه لم يرضَ به ولم يَسُؤهُ ، وذلكَ من الأمور المُنكرة جِدّاً ، ووقعةُ الحَرَّة ، وكانت من الأمور القبيحة بالمدينة النَّبَوِيَّة على ما سنُورده إذا انتهينا إليه في التاريخ إن شاء الله تعالى .

الإخبار بمقتل الحُسين بن عليٍّ رضي الله عنهما

وقد ورد الحديث في مقتل الحُسين ، فقال الإمام أحمد : حدَّثنا عبدُ الصمد بن حسَّان ، حدَّثنا عمارةُ ـ يعني ابن زاذان ـ عن ثابت ، عن أنس ، قال : استأذنَ مَلَكُ القَطْرِ أن يأتيَ النبيَّ ﷺ ، فأذنَ له ، فقالَ لأُمِّ سلمةَ : « احفظِي علينا البابَ لا يدخل علينا أحدٌ » فجاءَ الحُسينُ بن عليٍّ ، فوثبَ حتَّى دخلَ ، فجعلَ يصعدُ على مِنْكَبِ النبيِّ ﷺ ، فقال له المَلَكُ : أتحبُّه ؟ فقال النبي ﷺ : « نعم » قال : فإنَّ أُمَّتَكَ تَقْتُلُهُ ، وإن شئتَ أريتُكَ المكانَ الذي يُقتلُ فيه ، قال : فضربَ بيدِه فأراهُ تُراباً أحمرَ . فأخذت أُمُّ سلمةَ ذلك الترابَ فَصَرَّته في طَرَفِ ثوبها ، قال : وكنَّا نسمعُ [أنه] يُقتلُ بكربلاء[1] .

ورواه البيهقيُّ من حديث بشر بن موسى ، عن عبد الصمد ، عن عمارة[2] . . فذكره . ثم قال : وكذلك رواه شيبانُ بن فَرُّوخ ، عن عُمارة[3] .

وعمارة بن زاذان هذا هو الصَّيْدلانيُّ ، أبو سلمةَ البصريُّ ، اختلفوا فيه . وقد قال فيه أبو حاتم[4] : يُكتب حديثه ولا يُحْتَجُّ به ، ليس بالمتين . وضعَّفه أحمدُ مرَّةً ووثَّقه أخرى[5] . وحديثُه هذا قد رُوي عن غيره من وجه آخر .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٦٥) رقم (١٣٧٢٩) وابن حبان رقم (٢٢٤٢) موارد .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٦٩) وهو حسن .

(٣) المصدر السابق (٦/ ٤٦٩) .

(٤) الجرح والتعديل (٦/ الترجمة ٢٠١٦) .

(٥) ولكن قال الإمام أحمد : يروي عن أنس أحاديث مناكير ، كما في الجرح والتعديل (٦/ الترجمة ٢٠١٦) وتهذيب الكمال (٢١/ ٢٤٥) فهذا منها .

فرواهُ الحافظُ البيهقيُّ من طريق عمارة بن غَزِيَّة ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة ، عن عائشة رضي الله عنها نحو هذا[١] .

وقد قال البيهقيُّ : أخبرنا الحاكم في آخرين ، قالوا : أخبرنا الأصم ، أخبرنا عباس الدوري ، حدَّثنا خالد بن مخلد ، حدَّثنا موسى بن يعقوب ، عن هاشم بن هاشم بن[٢] عُتبة بن أبي وقاص ، عن عبد الله بن وَهْب بن زَمْعة ، أخبرتني أُمُّ سلمةَ : أنَّ رسولَ الله ﷺ اضطجعَ ذاتَ يوم للنوم ، فاستيقظَ وهو حائرٌ ، ثم اضطجعَ فرقدَ ، ثم استيقظَ وهو حائرٌ دونَ ما رأيتُ منه في المرة الأولى ، ثم اضطجعَ واستيقظَ وفي يده تربةٌ حمراء وهو يُقلِّبها ، فقلتَ : ما هذه التربةُ يا رسول الله ؟! قال : « أخبرني جبريلُ أن هذا يُقتلُ بأرضِ العراقِ ـ للحسين ـ قُلتُ له : يا جبريلُ أرني تربةَ الأرض التي يُقتل بها ، فهذه تربتُها »[٣] .

ثم قال البيهقيُّ : تابعه موسى الجُهَنِيّ ، عن صالح بن يزيد النخعي ، عن أمِّ سلمةَ ، وأبان عن شهر بن حوشَب ، عن أُمِّ سلمة[٤] . وقال الحافظُ أبو بكر البزار في « مسنده » : حدَّثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي ، حدَّثنا الحُسين بن عيسى ، حدَّثنا الحَكَم بن أَبَان ، عن عِكْرمةَ ، عن ابن عباس ، قال : كان الحسينُ جالساً في حِجْر النبيِّ ﷺ فقال جبريلُ : أتحبُّه ؟ فقال : « وكيف لا أحبُّه وهو ثمرةُ فُؤادي ؟! » فقال : أما إنَّ أمَّتَكَ ستقتُله ، ألا أُريكَ مِن مَوضعِ قَبرِهِ ؟ فقبضَ قبضةً فإذا تربةٌ حمراء »[٥] .

ثم قال البزار : لا نعلمُه يُروى إلا بهذا الإسناد ، والحُسين بن عيسى قد حدَّث عن الحكم بن أبان بأحاديث لا نعلمُها عند غيره .

قلت : هو الحسين بن عيسى بن مسلم الحنفي أبو عبد الرحمن الكوفي أخو سليم القاري ، قال فيه البخاري : مجهول الحال ـ وإلا فقد روى عنه سبعةُ نفرٍ ـ وقال أبو زُرعة : منكرُ الحديث . وقال أبو حاتم : ليس بالقويِّ ، رَوى عن الحَكَمِ بن أَبَان أحاديثَ منكرة . وذكره ابنُ حِبَّان في « الثقات » ،

---

(١) هذا غلط محض ، لم يقله البيهقي ، فإما أن يكون قد وقع سقط من النص ، أو يكون المصنف رحمه الله قد وهم في حال النقل ، وهو الأرجح ، وآية ذلك أنَّ البيهقي قد ذكر هذا الحديث في الدلائل (٦/ ٤٧٠) مرسلاً ، فقال أبو سلمة ابن عبد الرحمن ، كان لعائشة . وهو مرسل صحيح الإسناد ، لا يحتج به لإرساله . ثم ذكره موصولاً من طريق ضعيف جداً . فقال : « هكذا رواه يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية مرسلاً . ورواه إبراهيم بن أبي يحيى عن عمارة موصولاً ، فقال : عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة ، عن عائشة » والذي وصله هو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي وهو متروك ، فسقط الاستدلال بالحديث (بشار) .

(٢) في المطبوع : « عن » وهو تحريف قبيح .

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٦٨) وإسناده ضعيف لضعف خالد بن مخلد ، فهو لا يحتمل تفرده ، وكذلك شيخه موسى بن يعقوب وهو الزمعي .

(٤) ذكره البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٦٨) .

(٥) رواه البزار رقم (٢٦٤٠) .

وقال ابن عديّ : قليل الحديث ، وعَامَّةُ حديثه غرائب ، وفي بعض أحاديثه المنكرات .

وروى البيهقيُّ : عن الحكم وغيره ، عن أبي الأحوص ، عن محمد بن الهيثم القاضي : حدَّثنا محمد بن مُصعب ، حدَّثنا الأوزاعي ، عن أبي عمَّار شدَّاد بن عبد الله ، عن أُمِّ الفضل بن الحارث أنها دخلت على رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسولَ الله ! إني رأيتُ حُلُماً منكراً الليلة ، قال : وما هو ؟ قالت : رأيتُ كأنَّ قطعةً من جَسدِكَ قُطِعَتْ ووُضِعَتْ في حِجْري ، فقال : « رأيتِ خيراً ، تلدُ فاطمةُ إن شاء الله غلاماً فيكونُ في حِجْرِك » فولدتْ فاطمةُ الحسينَ ، فكان في حِجْري ، كما قال رسول الله ﷺ ، فدخلتُ يوماً على رسول الله ﷺ فوضعتُه في حِجْره ، ثم حانت مِنِّي التفاتةٌ ، فإذا عينا رسول الله ﷺ تُهريقان الدموعَ ، قالت : قلتُ : يا نبيَّ الله ! بأبي أنتَ وأُمِّي ، مالكَ ؟ فقال : « أتاني جبريلُ عليه السلام فأخبرَني أنَّ أُمَّتي ستقتلُ ابني هذا » فقلتُ : هذا ؟ قال : « نعم ، وأتاني بتربةٍ من تُربته حمراء »[١] .

وقد روى الإمام أحمد[٢] : عن عفَّان ، عن وُهيب ، عن أَيوب ، عن صالح أبي الخليل ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أُمِّ الفَضْلِ ، قالت : أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ : إنِّي رأيتُ في منامي أنَّ في بيتي وفي حِجْري عضواً من أعضائِكَ ، قال : « تلدُ فاطمةُ إن شاءَ الله غلاماً تكفلينَه » فولدتْ فاطمةُ حُسيناً ، فدفعته إليها ، فأرضعَتْه بلبنِ قُثَم ، وأتيتُ به رسولَ الله ﷺ يوماً أزورُه ، فأخذَه فوضعَه على صدره فبالَ فأصابَ البولُ إزارَه ، فزخختُ بيدي على كَتفيْه ، فقال : أوجعتِ ابني أصلَحكِ الله ـ أو قال : رَحِمَكِ الله ـ فقلتُ : أعطني إزارَك أَغْسِله ، فقال : « إنَّما يُغسلُ بولُ الجارية ويُصبُّ على بول الغلام » .

ورواه أحمد أيضاً : عن يحيى بن بُكير ، عن إسرائيلَ ، عن سِماك ، عن قابوس بن أبي المُخَارق ، عن أُمِّ الفضل[٣] . . فذكرَ مثلَه سواء ، وليس فيه الإخبار بقتله[٤] ، فالله أعلم .

وقال الإمامُ أحمد : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا حمَّاد ، أخبرنا عمَّار بن أبي عمَّار ، عن ابن عباس . قال : رأيتُ النبيَّ ﷺ فيما يرى النائم بنصفِ النَّهار وهو قائلٌ ، أشعثَ أغبرَ ، بيده قارورةٌ فيها دمٌ ، فقلتُ : بأبي أنتَ وأُمِّي يا رسولَ الله ، ما هذا ؟ قال : « دمُ الحُسين وأصحابِه ، لم أزلْ ألتقطُه منذ اليومَ » قال عمَّارٌ : فأحصينا ذلكَ اليومَ فوجد قُتلَ في ذلك اليوم[٥] . رضي الله عنه .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٦٩) وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٣٤٠) رقم (٢٦٧٥٧) وهو حديث صحيح . وزَخَختُ : دفعتُه في قفاه .

(٣) رواه أحمد في المسند (٦/ ٣٣٩) (٢٦٧٥٣) وهو حديث حسن .

(٤) على أن بعض الروايات تذكر هنا عن « الحسن » وليس الحسين .

(٥) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٨٣) رقم (٢٥٥٣) و(٢١٦٥) ورواه الطبراني (٢٨٢٢) و(١٢٨٣٧) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٧) وصححه على شرط مسلم ، وإسناده قوي من أجل حماد بن سلمة ، وهذه رؤيا ، والرؤيا لا تصلح دليلاً .

قال قتادةُ : قُتل الحسينُ يومَ الجمعة ، يومَ عاشوراء سنة إحدى وستين ، وله أربعٌ وخمسون سنة وستة أشهر ونصف شهر ، وهكذا قال اللَّيث ، وأبو بكر بن عيَّاش ، والواقديُّ ، وخليفةُ بن خيَّاط ، وأبو مَعْشر ، وغيرُ واحد : إنه قُتل يومَ عاشوراء عام إحدى وستين . وزعمَ بعضُهم أنَّه قُتل يوم السبت ، والأوَّلُ أصحُّ[1] . وقد ذَكروا في مَقْتَلِه أشياءَ كثيرة ، أنَّها وقعتْ : من كسوف الشمس يومئذ ، وهو ضعيف ، وتغيير آفاقِ السماء ، ولم يُقلبْ حجرٌ إلا وُجد تحتَه دمٌ ، ومنهم مَنْ خَصَّصَ ذلك بحجارةِ بيت المقدس ، وأن الورسَ استحالَ رماداً ، وأن اللَّحم صارَ مِثْلَ العلقم وكان فيه النَّار ، إلى غير ذلك مما في بعضها نكارةٌ ، وفي بعضها احتمالٌ ، والله أعلم .

وقد ماتَ رسولُ الله ﷺ وهو سيِّدُ ولدِ آدمَ في الدنيا والآخرة ، ولم يقعْ شيءٌ من هذه الأشياء ، وكذلك الصِّدِّيق بعدَه ، مات ولم يكن شيءٌ من هذا ، وكذا عمرُ بن الخطَّاب قُتل شهيداً وهو قائمٌ يُصَلِّي في المحراب صلاةَ الفَجر ، وحُصِرَ عثمانُ في داره ، وقُتِل بعدَ ذلك شهيداً ، وقُتلَ عليُّ بن أبي طالب شهيداً بعدَ صلاة الفجر ، ولم يكن شيءٌ من هذه الأشياء ، فالله أعلم . وقد روى حمَّادُ بن سلمة : عن عمَّار بن أبي عمَّار ، عن أُمِّ سَلَمَةَ ؛ أنَّها سمعتِ الجِنَّ تنوحُ على الحُسين بن عليّ[2] . وهذا صحيح .

وقال شهرُ بن حَوْشب : كنَّا عند أُمِّ سلمةَ ، فجاءَها الخبرُ بقتلِ الحُسين ، فخَرَّتْ مغشيةً عليها[3] .

وكان سببُ قتل الحُسين أنه كتبَ إليه أهلُ العراق يطلبون منه أن يقدَم إليهم ليُبايعوه بالخلافة ، وكثرَ تواترُ الكتب عليه من العامَّة ومن ابن عمه مُسلم بن عقيل ، فلما ظهرَ على ذلك عبيدُ الله بن زياد نائبُ العراق ليزيدَ بن معاوية ، فبعثَ إلى مسلم بن عقيل فضربَ عنقَه ورماه من القصر إلى العامَّة ، فتفرَّق ملؤهم وتبدَّدت كلمتُهم ، هذا وقد تجهَّز الحسينُ من الحجاز إلى العراق ، ولم يشعرْ بما وقعَ ، فتحمَّل بأهله ومن أطاعَه ، وكانوا قريباً من ثلاثمئة ، وقد نهاه عن ذلك جماعةٌ من الصحابة ، منهم أبو سعيد ، وجابر ، وابن عبَّاس ، وابن عمر ، فلم يُطعْهم ، وما أحسنَ ما نهاه ابنُ عمر عن ذلك ، واستدلَّ له على أن لا يقع ما يُريده ، فلم يقبلْ ، فروى الحافظ البيهقي : من حديث يحيى بن سالم الأَسدي ، ورواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » عنه ، قال : سمعتُ الشعبيَّ يقول : كان ابنُ عمر قدمَ المدينة فأُخبرَ أن الحسينَ بن عليٍّ قد تَوَجَّه إلى العراق ، فلحقَه على مسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة ، فقال : أين تريدُ ؟ قال : العراق ، ومعه طواميرُ وكتبٌ ، فقال : لا تأتِهمْ ، فقال : هذه كُتبهم وبَيْعَتُهم ، فقال : إنَّ الله خيَّر نبيَّه ﷺ بينَ الدنيا والآخرة ، فاختارَ الآخرة ولم يُردِ الدنيا ، وإنَّكُم بضعةٌ من رسول الله ﷺ ، والله لا يَليها أحدٌ

---

(١) ذكر الذهبي تاريخ استشهاد الحسين رضي الله عنه في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٨) .

(٢) ذكره الذهبي في السِّيَر (٣/ ٣١٦) ورواه الطبراني في الكبير (٢٨٦٧) ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٩٩) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٨) .

منكم أبداً ، وما صرفَها عنكم إلَّا للذي هو خير لكم ، فارجعوا ، فأبى . وقال : هذه كتبهم وبَيْعَتُهم ، قال : فاعتنقَه ابن عمر وقال : أستودعُك الله من قتيل[١] .

وقد وقع ما فهمه عبدُ الله بن عمر من ذلك سواء ، من أنه لم يلِ أحدٌ من أهل البيت الخلافةَ على سبيل الاستقلال ويتمُّ له الأمر ، وقد قال ذلك عثمان بن عفَّان ، وعليّ بن أبي طالب : إنه لا يلي أحدٌ من أهل البيت أبداً . رواه عنهما أبو صالح الخليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ في كتاب « الفتن والملاحم » .

قلت : وأما الخلفاءُ الفاطميُّون الذين كانوا بالديار المصرية ، فإنَّ أكثرَ العلماء على أنهم أدعياء ، وعليُّ بن أبي طالب من أهل البيت ، ومع هذا لم يتمَّ له الأمرُ كما كان للخلفاء الثلاثة قبلَه ، ولا اتَّسعت يدُه في البلاد كلِّها ، ثم تنكَّدتْ عليه الأمورُ . وأما ابنه الحسن رضي الله عنه فإنَّه لمَّا جاء في جيوشه وتَصافَى هو وأهلُ الشام ، ورأى أنَّ المصلحةَ في تركِ الخلافة ، تركَها لله عزَّ وجلَّ ، وصيانةً لدماءِ المسلمين وأثابَه الله ورضي الله عنه ، وأما الحُسينُ رضي الله عنه فإنَّ ابن عمر لما أشار عليه بترك الذهاب إلى العراق وخالفَه ، اعتنقَه مُوَدِّعاً وقال : أستودعكُ الله من قتيل ، وقد وقعَ ما تفرَّسه ابنُ عمر ، فإنَّه لمَّا استقلَّ ذاهباً بعثَ إليه عبيد الله بن زياد كتيبةً فيها أربعة آلاف يَتقدَّمهُم عمرُ بن سعد بن أبي وقَّاص ، وذلك بعد ما استعفاه فلم يُعفه ، فالتقوا بمكان يُقال له « كربلاء » بالطَّفِّ ، فالتجأ الحسين بن علي رضي الله عنه وأصحابه إلى مقصبة هنالك ، جعلوها منهم بظهر ، وواجهوا أولئك ، وطلبَ منهم الحسينُ إحدى ثلاث : إما أن يدَعُوه أن يرجعَ من حيثُ جاء ، وإما أن يذهبَ إلى ثغْرٍ من الثُّغور فيقاتل فيه ، أو يتركوه حتى يذهبَ إلى يزيد بن معاوية فيضعَ يدَه في يده ، فيحكم فيه بما شاء ، فأبَوْا عليه واحدةً منهنَّ ، وقالوا : لا بُدَّ من قدومك على عُبيد الله بن زياد فيرى فيكَ رأيه ، فَأبى أن يقدَم عليه أبداً ، وقاتلَهم دون ذلك ، فقتلُوه رحمه الله ، وذهبُوا برأسه إلى عُبيد الله بن زياد فوضعُوه بين يديه فجعل ينكتُ[٢] بقضيب في يده على ثناياه ، وعندَه أنسُ بن مالك جالسٌ ، فقال له : يا هذا ! ارفعْ قضيبكَ ، قد طالما رأيتُ رسولَ الله يُقَبِّلُ هذه الثنايا . ثم أمرَ عُبيد الله بن زياد أن يُسارَ بأهلِه ومَنْ كان معه إلى الشام ، إلى يزيدَ بن معاوية ، ويُقال : إنَّه بعثَ معهم بالرأس حتى وُضع بين يديْ يزيد ، فأنشدَ حينئذٍ قولَ بعضهم :

نُفَلِّقُ هاماً مِنْ رِجالٍ أَعِزَّةٍ عَلينَا وَهُم كانَوا أَعقَّ وأَظلَما[٣]

ثم أمرَ بتجهيزهم إلى المدينة النبويَّة ، فلمَّا دخلوها تَلَقَّتْهم امرأةٌ من بنات عبد المطلب ناشرةً شعرها ، واضعةً تراباً على رأسها تبكي وهي تقول شعراً :

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٧٠) .
(٢) « ينكت » : يقلِّب ويُحرِّك .
(٣) « أعق » : من العقوق ، وهو عدم البر .

مَاذَا تَقُولون إنْ قالَ النَّبيُّ لَكُم ... مَـاذَا فَعلتُـمْ وَأَنتـمْ آخِـرُ الأُمَـمِ
بِعترتـي وبِـأَهلـي بَعْـدَ مُفتَقَـدي ... مِنْهُم أسارى وَقَتلَى ضُرِّجوا بِدَمِ(١)
مَا كان هذَا جَزائي إذْ نَصَحتُ لَكُمْ ... أَن تَخْلفُوني بشرٍّ في ذَوِي رَحمي

وسَنُورد هذا مفصَّلاً في موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد رثاه الناس بمراثٍ كثيرةٍ ، ومن أحسنِ ذلك ما أوردَه الحاكمُ أبو عبد الله النيسابوري ، وكان فيه تشيع :

جاؤوا بِرَأْسِكَ يا بنَ بِنتِ مُحمَّدٍ ... مُتَـزَمِّـلاً بـدِمـائِـه تَـزْميـلا(٢)
فَكَأَنَّما بِكَ يا بنَ بنتِ مُحَمَّدٍ ... قَتلُـوا جِهَـاراً عَـامِـدِيـن رَسُـولا
قَتَلـوكَ عَطْشـانـاً وَلَـمْ يَتَـرَقَّبُـوا ... فـي قَتلِـكَ التنـزِيـلَ والتـأويـلا
ويُكَبِّـرون بِـأَنْ قُتِلـتَ وإنَّمـا ... قَتَلـوا بِـكَ التكبِيـرَ والتهليـلا

ذكر الإخبار عن وقعة الحَرَّة التي كانت في زمن يزيد أيضاً

قال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثني إبراهيمُ بن المنذر ، حدَّثني ابن فُلَيْح ، عن أبيه ، عن أيوب بن عبد الرحمن ، عن أيوب بن بشير المُعَافِرِيّ ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ في سفر من أسفاره ، فلمَّا مرَّ بحرَّةِ زُهْرَة وقفَ فاسترجعَ ، فساءَ ذلك مَنْ معه ، وظَنُّوا أنَّ ذلكَ من أمر سفرهم ، فقالَ عمرُ بن الخطاب : يا رسولَ الله ! ما الذي رأيتَ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أما إنَّ ذلكَ ليس مِن سَفرِكم هذا » قالوا : فما هو يا رسولَ الله ؟ قال : « يُقتل بهذه الحَرَّة خيارُ أمتي بعد أصحابي »(٣) . هذا مرسل .

وقد قالَ يعقوبُ بن سفيان : قال وهبُ بن جرير : قال جويريةُ : حدَّثني ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء تأويلُ هذه الآية على رأس ستين سنة ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا ﴾ [الأحزاب : ١٤] قال : لأعطوها . يعني إدخال بني حارثة أهلَ الشام على أهل المدينة(٤) .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، وتفسير الصحابي في حكم المرفوع عند كثير من العلماء .

وقال نُعَيْمُ بن حمَّاد في كتاب « الفتن والملاحم » : حدَّثنا أبو عبد الصمد العَمِّيُّ ، حدَّثنا أبو عمران الجَوني ، عن عبد الله بن الصَّامت ، عن أبي ذر ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « يا أبا ذر ! أرأيتَ إن

---

(١) « العِترة » : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى .
(٢) « مُتزمِّلا » : ملتفاً ومتشحاً .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٧٣) .
(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٧٣-٤٧٤) .

النَّاسُ قُتلوا حتى تغرقَ حجارةُ الزَّيتِ من الدِّماء ، كيف أنتَ صانعٌ ؟ » قال : قلتُ : الله ورسولهُ أعلمُ ، قال : « تدخلُ بيتَك » قال : قلت : فإن أتى عليَّ ؟ قال : « يأتي من أنت منه » قال : قلت : « وأحمل السلاح ؟ » قال : « إذاً تُشرك معهم » قال : قلت : فكيفَ أصنعُ يا رسول الله ؟ قال : « إن خفتَ أن يبهرَكَ شعاعُ السيف فألقِ طائفةً من رِدائِك على وجهكِ يبوءُ بإثمِك وإثمِه »[١] .

ورواه الإمام أحمد في « مسنده » عن مرحوم ـ هو ابن عبد العزيز[٢] ـ عن أبي عمران الجَوني . . فذكرَه مطوَّلًا .

قلت : وكان سببُ وقعةِ الحرَّة أن وفداً من أهل المدينة قَدِمُوا على يزيدَ بن معاوية بدمشق ، فأكرمَهم وأحسنَ جائزتهم ، وأطلقَ لأميرهم ـ وهو عبدُ الله بن حنظلةَ بن أبي عامر ـ قريباً من مئة ألف ، فلمَّا رَجعُوا ذَكروا لأهليهم عن يزيدَ ما كان يقعُ منه من القبائح في شُرْبهِ الخمرَ ، وما يتبعُ ذلك من الفواحش التي من أكبرها تركُ الصَّلاة عن وقتِها ، بسبب السُّكْر ، فاجتمعُوا على خَلْعِه ، فخلعُوه عند المنبرِ النَّبويِّ ، فلما بلغَه ذلك بعثَ إليهم سريةً ، يَقْدمُها رجلٌ يُقال له مسلم بن عُقبةَ ، وإنَّما يُسمِّيه السَّلفُ : مُسْرِف بن عُقبةَ ، فلما وردَ المدينةَ استباحَها ثلاثة أيام ، فَقتلَ في غُضون هذه الأيام بشراً كثيراً ، حتَّى كادَ لا يُفلتُ أحدٌ من أهلها ، وزعمَ بعضُ علماء السَّلف أنه قتلَ في غُضون ذلك ألفَ بكرٍ ، والله أعلم .

وقال عبدُ الله بن وَهْبٍ ، عن الإمام مالك : قُتِلَ يومَ الحَرَّة سبعمئة رجلٍ من حَمَلةِ القُرآن ، حسبت أنه قال : وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وذلك في خلافة يزيد[٣] .

وقال يعقوبُ بن سُفيان : سمعتُ سعيدَ بن كَثير بن عُفير الأنصاري ، يقول : قُتلَ يومَ الحَرَّة عبد الله بن زيد المازني ، ومَعْقل بن سنان الأشجعيُّ ، ومعاذ بن الحارث القاري ، وقُتل عبدُ الله بن حنظلةَ بن أبي عامر[٤] .

قال يعقوبُ : وحدَّثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن اللَّيث ، قال : كانتْ وقعةُ الحَرَّة يومَ الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاثٍ وستين[٥] .

ثم انبعثَ مُسرفُ بن عُقبَةَ إلى مكة قاصداً عبد الله بن الزبير ليقتلَه بها ، لأنه فرَّ من بيعةِ يزيدَ ، فماتَ يزيدُ بن معاوية في غضون ذلك ، واستفحلَ أمرُ عبد الله بن الزبير في الخِلافة بالحجاز ، ثم أخذَ العراقَ

---

(١) رواه نُعيم بن حمَّاد في كتاب الفتن (ص٩٣) وإسناده ضعيف لضعف نعيم بن حماد .
(٢) مسند أحمد (٥/ ١٤٩) ورواه عن عبد العزيز بن عبد الصمد العمي به (٥/ ١٦٣) .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٧٤) رقم (٢١٣٣٧) وهو حديث صحيح، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٥).
(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٧٤) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٦) .
(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٧٥) .

ومِصْرَ ، وبُويع بعد يزيدَ لابنه معاويةَ بن يزيد ، وكانَ رجلاً صالحاً ، فلم تطلْ مُدَّتُه ، مكثَ أربعين يوماً ، وقيل : عشرين يوماً ، ثم مات رحمه الله ، فوثبَ مروانُ بن الحَكَم على الشام فأخذَها ، فبقي تسعة أشهر ثم مات ، وقام بعدَه ابنه عبدُ الملك ، فنازعَه فيها عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان نائباً على المدينة من زمن معاوية وأيَّام يزيدَ ومروان ، فلما هلكَ مروانُ زعمَ أنَّه أوصى له بالأمر من بعد ابنه عبد الملك ، فضاقَ به ذرعاً[١] ، ولم يزل به حتى أخذه بعدما استفحلَ[٢] أمره بدمشقَ فقتلهُ في سنة تسع وستين ، ويقالُ : في سنة سبعين . واستمرَّت أيام عبد الملك حتى ظفر بابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ، قتلَه الحَجَّاج بن يُوسف الثَّقَفِيّ عن أمره بمكَّة ، بعد مُحاصرةٍ طويلة ، اقتضتْ أنْ نصبَ المنجنيقَ على الكعبة ، من أجل أنَّ ابنَ الزبير لجأ إلى الحَرَمِ ، فلم يزلْ له حتى قتلَه ، ثم عَهِدَ في الأمر إلى بنيه الأربعة بعدَه : الوليدُ ، ثم سليمانُ ، ثم يزيدُ ، ثم هشامُ بن عبد الملك .

وقد قال الإمام أحمد : حدَّثنا أسودُ ويحيى بن أبي بكر ، حدَّثنا كاملٌ أبو العلاء ، سمعتُ أبا صالح ـ وهو مولى ضباعة المؤذن ، واسمه مينا ـ قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « تعوَّذوا بالله من رأس السبعين ، وإمارة الصِّبيان » . وقال : « لا تذهب الدنيا حتى تصيرَ لِلُكَع[٣] بن لُكَع »[٤] . وقال الأسود : يعني اللئيم ابن اللئيم .

وقد روى الترمذيُّ : من حديث أبي كامل ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « عُمْرُ أُمَّتي من ستينَ إلى سبعينَ سنة »[٥] ثم قال : حسن غريب .

وقد روى الإمام أحمد ، عن عفَّان وعبد الصمد ، عن حمَّاد بن سلمة ، عن علي بن زيد حدَّثني من سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَيَنْعَقَنَّ ـ وقال عبدُ الصمد في روايته : لَيَرْعَفَنَّ ـ جَبَّارٌ من جبابرةِ بني أُميَّةَ على منبري هذا » زادَ عبدُ الصمد « حتَّى يسيلَ رُعَافُه » قال : فحدَّثني من رأى عمروَ بنَ سعيد بن العاص : يَرْعَفُ على مِنْبر النبيِّ ﷺ حتى سال رُعَافُه[٦] .

قلت : علي بن زيد بن جُدْعان في روايته غَرابة ونكارة ، وفيه تَشيُّعٌ .

---

(١) « ضاق به ذرعاً » : كرهه وتبرَّم منه .
(٢) « استفحلَ أمره » : اشتد واستطار .
(٣) « اللُّكَع » : اللئيم .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٦) و (٤٤٨) وإسناده ضعيف لجهالة أبي صالح .
(٥) رواه الترمذي في جامعه رقم (٢٣٣١) ، وهو كما قال الترمذي ، ورواه الترمذي أيضاً برقم (٣٥٥٠) ، وابن ماجه (٤٢٣٦) ، وأبو يعلى (٥٩٩٠) ، وابن حبان (٢٩٨٠) ، والحاكم(٢/ ٤٢٧) والبيهقي في السنن (٣/ ٣٧٠) وغيرهم من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة ، بنحوه .
(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٢٢) وهو حديث حسن بطرقه ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة .

وعمرو بن سعيد هذا ، يُقال له : الأشدق ، كان من سادات المسلمين وأشرافهم في الدُّنيا لا في الدِّين[(١)] ، رأى النبيَّ[(٢)] ﷺ ، وروى عن جماعة من الصحابة ، منهم في صحيح مسلم عن عثمان في فضل الطهور ، وكان نائباً على المدينة لمعاوية ولابنه يزيد من بعده ، ثم استفحل أمره حتى كادَ يُصاولُ عبدَ الملك بن مروان ، ثم خدعَه عبدُ الملك حتى ظفرَ به فقتلَه في سنة تسع وستين ، أو سنة سبعين ، فالله أعلم . وقد رُوي عنه من المكارم أشياء كثيرة من أحسنِها أنَّه لمَّا حضرتْ أباه الوفاة قال لبنيه ، وكانوا ثلاثة ، عمرو هذا ، وأُميَّة ، وموسى ، فقال لهم : من يتحمَّل ما عليَّ ؟ فبدرَ ابنه عمرو هذا وقال : أنا يا أبة ، وما عليكَ ؟ قال : ثلاثون ألفَ دينار ، قال : نعم ، قال : وأخواتك لا تُزوجْهنَّ إلا بالأكفاء ولو أكلنَ خبزَ الشعير ، قال : نعم ، قال : وأصحابي مِن بعدي ، إن فقدوا وجهي فلا يفقدوا مَعروفي ، قال : نعم ، قال : أما لئن قلتَ ذلك ، فلقد كنتُ أعرفه من حَماليقِ وجهكَ وأنتَ في مَهْدِكَ[(٣)] .

وقد ذكرَ البيهقيُّ : من طريق عبد الله بن صالح ـ كاتب الليث ـ عن حرملةَ بن عمران ، عن أبيه ، عن يزيدَ بن أبي حبيب ؛ أنَّه سمعَه يُحدِّث عن محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفيِّ ، قال : اصطحبَ قيسُ بن خَرَشَة وكعبٌ حتى إذا بلغا صِفِّينَ ، وقفَ كعبُ الأحبار ، فذكرَ كلامَه فيما يقعُ هناك من سفك دماءِ المسلمين ، وأنَّه يجدُ ذلك في التوراة ، وذكرَ عن قيس بن خرشةَ أنه بايع رسول الله ﷺ على أن يقولَ الحقَّ ، وقال : يا قيس بن خرشةَ ! عسى أن يمُدَّ لكَ الدَّهرُ حتى يليكَ بعدي من لا تستطيعُ أن تقولَ بالحقِّ معهم . فقال : والله لا أبايعُكَ على شيءٍ إلا وَفَّيْتُ لك به ، فقال رسول الله ﷺ : « إذاً لا يضرُّك بشر » فبلغَ قيسٌ إلى أيام عُبيد الله بن زياد بن أبي سفيان ، فنقمَ عليه عبيد الله في شيء فأحضرَه فقال : أنتَ الذي زعمَ أنه لا يضرُّك بشرٌ ؟ قال : نعم ، قال : لتعلمنَّ اليوم أنك قد كذبتَ ، ائتوني بصاحبِ العذاب ، قال : فمالَ قيسٌ عند ذلك فماتَ[(٤)] .

معجزة أخرى

روى البيهقي : من طريق الدراوردي ، عن ثور بن زيد ، عن مُوسى بن مَيْسرةَ ؛ أنَّ بعضَ بني

---

(١) كذا في الأصل ، ولعل الحافظ ابن كثير احترزَ بهذا عمَّا ذكرَه السُّهيلي في الروض الأنف (٢/ ٢٧٧) من أخباره المذمومة ، وأنه كان يُسمَّى لطيمَ الشيطان ، وكان جبَّاراً شديدَ البأس . وفي كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ؛ للثعالبي (ص٧٥) لطيم الشيطان : يُقال لمن به لقوة أو شتر : يا لطيم الشيطان ، وكان عمرو بن سعيد بن العاص يُلَقَّبُ بذلك . واللقوة : داء في الوجه ، والشَّتَر : انقلاب في جفن العين .

(٢) جزمَ الحافظ ابن حجر في الإصابة أنه لم يرَ النبي ﷺ ، لأن أباه سعيداً كان له من العمر ثماني سنين أو نحوها عند وفاة النبي ﷺ . الإصابة (٥/ ١٧٨) .

(٣) العقد الثمين ؛ للفاسي (٦/ ٣٩٣) .

(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٧٦) وفي سنده محمد بن أبي زياد الثقفي ، قال الحافظ ابن حجر : مجهول الحال .

عبد الله[١] سايره في بعض طريق مكة ، قال : حدَّثني العبَّاسُ بنُ عبد المُطَّلب أنَّه بعثَ ابنه عبدَ الله إلى رسول الله ﷺ في حاجةٍ ، فوجدَ عندَه رجلاً فرجعَ ولم يُكلِّمه من أجل مكان الرجل معه ، فلقيَ العبَّاسُ رسولَ الله ﷺ فأخبرَه بذلك ، فقال : « ورآه ؟ » قال : نعم ، قال : « أتدري مَنْ ذلكَ الرجلُ ؟ ذاكَ جبريلُ ، ولن يموتَ حتى يذهبَ بصرُه ويُؤتى علماً »[٢] .

وقد ماتَ ابنُ عبَّاس سنة ثمان وستين[٣] بعدما عَمِيَ رضي الله عنه .

وروى البيهقي[٤] : من حديث المعتمر بن سُليمان ، حدَّثنا نباتةُ بنت بريد ، عن حمادة ، عن أنيسةَ بنت زيد بن أرقم ، عن أبيها ؛ أنَّ رسول الله ﷺ دخلَ على زيد يعودُه من مرضٍ كان به ، قال : « ليس عليكَ مِنْ مَرَضِكَ هذا بأسٌ ، ولكنْ كيفَ بك إذا عُمِّرتَ بعدي فَعَمِيْتَ ؟ » قال : إذن أحتسب وأصبر ، قال : « إذن تدخلَ الجنَّةَ بغير حساب » قال : فَعَميَ بعدما مات رسول الله ﷺ ، ثم ردَّ الله عليه بصرَه ، ثم مات . وذلك في سنة [ثمان وستين][٥] .

فصــل

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ، وعند مسلم عن جابر بن سَمُرَة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ بينَ يدي السَّاعة ثلاثينَ كذَّاباً دجَّالاً ، كلُّهم يزعمُ أنه نبيٌّ »[٦] .

وقال البيهقي[٧] عن الماليني ، عن أبي أحمد بن عديّ ، عن أبي يَعلى المَوصليّ ، حدَّثنا عثمانُ بن أبي شيبة ، حدَّثنا محمد بن الحسن الأسديّ ، حدَّثنا شَريك ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يخرجَ ثلاثون كذَّاباً ، منهم مسيلمةُ ، والعنسيُّ ، والمختارُ . وشرُّ قبائل العربِ بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف » . قال ابنُ عديّ[٨] : محمد بن الحسن له أفرادات ، وقد حدَّث عنه الثقات ، ولم أر بحديثه بأساً ، وقال البيهقي : لحديثه في المختار شواهدُ صحيحة .

---

(١) أي : بني عبد الله بن عباس .
(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/٤٧٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٧٧) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجاله ثقات . قلت : لكن الراوي عن العباس مجهول .
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣١) .
(٤) دلائل النبوة (٦/ ٤٧٩) وإسناده ضعيف ، نباتة وحمادة وأنيسة مجهولون .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من الأصل وأثبته من السير (٣/ ١٦٥) .
(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٩) في المناقب ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٢٣) في الفتن .
(٧) دلائل النبوة (٦/ ٤٨٠ـ٤٨١) .
(٨) الكامل لابن عدي (٦/ ٢١٨٢) .

ثم أوردَ من طريق أبي داود الطيالسي ، حدَّثنا الأسود بن شيبان ، عن أبي نوفل بن أبي عقرب ، عن أسماء بنت أبي بكر ؛ أنها قالت للحجَّاج بن يُوسف : أما إن رسول الله ﷺ حدَّثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً ، فأمَّا الكذَّابُ فقد رأيناه ، وأما المبيرُ فلا إخالُكَ إلا إيَّاه(١) .

قال : ورواه مسلم(٢) من حديث الأسود بن شيبان ، وله طرق عن أسماء وألفاظ سيأتي إيرادها في موضعه .

وقال البيهقي(٣) : أخبرنا الحاكمُ وأبو سعيد ، عن الأصمِّ ، عن عبَّاس الدراوردي ، عن عبد الله بن الزبير الحُميدي(٤) ، حدَّثنا سفيان بن عُيينة ، عن أبي المحيَّاة(٥) ، عن أمه ، قالت : لما قتلَ الحجَّاجُ عبدَ الله بن الزبير دخلَ الحجَّاجُ على أسماءَ بنت أبي بكر ، فقال : يا أُمَّة ، إن أميرَ المؤمنين أَوْصاني بكِ ، فهل لكِ مِنْ حاجة ؟ فقالت : لستُ لكَ أُمّاً ، ولكنِّي أُمّ المصلوبِ على رأسِ الثنيَّة ، وما لي مِن حاجة ، ولكن انتظرْ حتى أُحدِّثَكَ ما سمعتُ من رسول الله ﷺ ، يقول : « يخرجُ من ثقيفَ كذَّابٌ ومُبيرٌ » فأمَّا الكذَّابُ فقد رَأَيْنَاهُ ، وأمَّا المُبيرُ فأنتَ ، فقال الحجَّاجُ : مُبير المنافقين .

وقال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا شريك ، عن أبي عَلْوان ـ عبد الله بن عِصْمة ـ عن ابن عمر قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ في ثقيف كذَّاباً ومُبيراً »(٦) » .

وقد تواترَ خبر المختار بن أبي عُبيد الكذَّاب الذي كانَ نائباً على العراق ، وكان يزعمُ أنَّه نبيّ ، وأنَّ جبريلَ كان يأتيه بالوحي ، وقد قيل لابن عمر ـ وكان زوجَ أختِ المختار صفيَّة ـ : إن المختارَ يزعمُ أنَّ الوحيَ يأتيه . قال : صدقَ ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

وقال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا قرَّةُ بن خالد ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن رِفاعة بن شدَّاد ، قال : كنتُ أبطنَ شيءٍ بالمختار الكذَّاب ، قال : فدخلتُ عليه ذاتَ يوم ، فقال : دخلتَ وقد قامَ جبريلُ قبلُ من هذا الكرسيّ ! قال : فأهويتُ إلى قائم السيف لأضربَه حتى ذكرتُ حديثاً حدَّثنيه عمرُو بن الحَمِقِ الخُزاعيّ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا أمَّنَ الرجلُ الرَّجلَ على دمِه ثم قتلَه رُفعَ له لواءُ الغدر يومَ القيامة(٧) » فكففتُ عنه .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨١) وهو في مسند الطيالسي (١٦٤١) . والمبير : المهلك ، وهو حديث صحيح .
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٤٥)(٢٢٩) في فضائل الصحابة .
(٣) في الدلائل (٦/ ٤٨١ ـ ٤٨٢) وهو حديث صحيح .
(٤) وهو في مسنده (٣٢٦) .
(٥) هو يحيى بن يعلى من رجال التهذيب .
(٦) رواه الطيالسي في مسنده (ص٢٦٠) رقم (١٩٢٥) ومسلم رقم (٢٥٤٥) .
(٧) رواه الطيالسي في المسند (ص١٨١) رقم (١٢٨٦) والبيهقي في الدلائل من طريقه (٦/ ٤٨٢) وهو حديث حسن .

وقد رواه أسباطُ بن نصر وزائدةُ والثوريُّ ، عن إسماعيل السُّديِّ ، عن رِفاعة بن شدَّاد القِتْباني ، فذكرَ نحوه[١] .

وقال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثنا أبو بكر الحُميدي ، حدَّثنا سُفيان بن عُيينة ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : فاخرتُ أهلَ البصرة فغلبتُهم بأهل الكوفة ، والأحنفُ ساكتٌ لا يتكلَّم ، فلما رآني غلبتُهم أرسلَ غلاماً له فجاءَ بكتابٍ فقال : هاكَ اقرأْ . فقرأتُه فإذا فيه : من المختار إليه ، يذكرُ أنَّه نبي ، يقولُ الأحنف : أنَّى فينا مثلُ هذا[٢] . ؟!

وأما الحجَّاج بن يُوسف ، فقد تقدَّم الحديث أنه الغلام المبير الثقَفِيّ ، وسنذكرُ ترجمته إذا انتهينا إلى أيامه ، فإنَّه كان نائباً على العراق لعبد الملك بن مَرْوان ، ثم لابنه الوليد بن عبد الملك ، وكان من جبابرة الملوك ، على ما كان فيه من الكَرم والفصاحة على ما سنذكره .

وقد قال البيهقيُّ : حدَّثنا الحاكم ، عن أبي نصر الفقيه ، عن عثمان بن سعيد الدَّارميِّ ، أنَّ معاويةَ بن صالح حدَّثه ، عن شُريح بن عُبيد ، عن أبي عَذَبَةَ قال : جاءَ رجلٌ إلى عمرَ بن الخطاب ، فأخبرَه أنَّ أهلَ العراق قد حَصَبُوا أميرَهم ، فخرجَ غضبانَ ، فصلَّى لنا الصَّلاةَ ، فسَها فيها حتَّى جعلَ النَّاسُ يقولون : سبحان الله ! سبحان الله ! فلمَّا سلَّمَ أقبلَ على النَّاس ، فقال : من هاهنا من أهل الشام ؟ فقام رجل ثم قام آخر ، ثم قمت أنا ثالثاً أو رابعاً ، فقال : يا أهل الشام ! استعدُّوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باضَ فيهم وفرَّخَ ، اللهم إنهم قد لبَّسُوا عليَّ ، فألبسْ عليهم وعَجِّلْ عليهم بالغُلام الثَّقَفِيِّ ، يحكمُ فيهم بحكم أهل الجاهلية ، لا يقبلُ مِن مُحسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم[٣] .

قال عبد الله : وحدَّثني ابن لهيعة بمثله ، قال : وما وُلدَ الحجَّاجُ يومئذٍ[٤] .

ورواه الدارمي أيضاً : عن أبي اليَمان ، عن حريز بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن ميسرة ، عن أبي عَذَبَة الحِمْصي ، عن عمر ، فذكرَ مثله[٥] .

قال اليَمَان : علمَ عمرُ أنَّ الحجَّاج خارجٌ لا محالة ، فلما أغضبوه استعجلَ لهم العقوبة[٦] .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٣) .
(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٣) . وإسناده ضعيف لضعف مجالد ، وهو ابن سعيد .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٨) وفي سنده (أبو عذبة) مجهول .
(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٨) وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو ضعيف .
(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٧) وفي سنده أبو عذبة ، مجهول .
(٦) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٨) .

قلت : فإن كان هذا نقلَه عمرُ عن رسول الله ﷺ لقد تقدَّم له شاهدٌ عن غيره ، وإن كان عن تحديثٍ ، فكرامةُ الوَلِيِّ معجزةٌ لنبيِّه .

وقال عبدُ الرزاق : أخبرنا جعفر ـ يعني ابن سليمان ـ عن مالك بن دينار ، عن الحسن ، قال : قال عليٌّ لأهل الكوفة : اللَّهُمَّ كما ائتمنتُهم فخانُوني ، ونصحتُ لهم فغشُّوني ، فسلِّط عليهم فتى ثقيف الذيَّال الميَّال ، يأكلُ خُضْرتَها ، ويلبسُ فروتَها ، ويحكمُ فيهم بحكم الجاهلية . قال : فتوفي الحسنُ وما خلقَ الله الحجاج يومئذ[١] . وهذا منقطع .

وقد رواه البيهقيُّ أيضاً من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أيوب ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان ، عن عليِّ بن أبي طالب ، أنه قال : الشَّابُّ الذيَّال أميرُ المِصْريين ، يَلْبَسُ فروتَها ، ويأكلُ خضرتَها ، ويقتلُ أشرافَ أهلها ، يَشتدُّ منه العرق ، ويكثُر من الأرَق ، ويُسلِّطه الله على شيعته[٢] .

وله من حديث يزيد بن هارون : أخبرنا العوَّامُ بن حَوْشب ، حدَّثني حبيبُ بن أبي ثابت ، قال : قال عليّ : لا مُتَّ حتى تدركَ فتى ثقيف . فقيل له : يا أميرَ المؤمنين ! وما فتى ثقيف ؟ فقال : لَيُقَالَنَّ له يوم القيامة : اكفنا زاويةً من زوايا جهنَّم ، رجلٌ يملك عشرين سنة أو بضعاً وعشرين سنة ، لا يدعُ لله معصيةً إلا ارتكبَها ، حتى لو لم يبقَ إلا معصيةٌ واحدة وكان بينَه وبينَها بابٌ مُغلقٌ لَكَسَرهُ حتَّى يرتكبَها ، يقتلُ بمن أطاعَه مَنْ عصاه[٣] . وهذا معضل ، وفي صحته عن عليٍّ نظر ، والله أعلم .

وقال البيهقي : عن الحاكم ، عن الحُسين بن الحَسن بن أيوب ، عن أبي حاتم الرازي ، عن عبد الله بن يوسف التِّنِّيسي ، حدَّثنا هشام بن يحيى الغسَّاني ، قال : قال عمرُ بن عبد العزيز : لو جاءتْ كلُّ أُمَّةٍ بخبيثها ، وجئناهم بالحجَّاج لغَلبنَاهم[٤] . وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النَّجود : ما بقيتْ لله حُرْمَةٌ إلا وقد ارتكبَها الحجَّاج[٥] . وقال عبدُ الرزَّاق : عن معمر ، عن ابن طاووس ؛ أن أباه لما تحقَّق موتَ الحجَّاج تلا قوله تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٦] [الأنعام : ٤٥] .

قلت : وقد تُوفي الحجَّاجُ سنة خمس وتسعين .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٨) .
(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٨) .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٩) .
(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٩) .
(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٩) .
(٦) تقدم تخريج الحديث .

ذكر

الإشارة النبويَّة إلى دولة عمرَ بن عبد العزيز تاجِ بني أميَّة

قد تقدَّم حديث أبي إدريس الخَوْلاني ، عن حذيفة ، قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ هل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « نعم وفيه دَخَنٌ » قلتُ : وما دخنُه ؟ قال : « قومٌ يَستنُّون بغير سُنَّتي ، ويهدونَ بغير هَديي ، يُعرف منهم ويُنكر »[١] . . . الحديث . فحملَ البيهقيُّ وغيرُه هذا الخبر الثاني على أيَّام عمرَ بن عبد العزيز .

وروى : عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن العبَّاس بن الوليد بن مزيد ، عن أبيه ، قال : سُئل الأوزاعيُّ عن تفسير حديث حُذيفة حين سألَ رسولَ الله ﷺ عن الشَّرِّ الذي يكون بعد ذلك الخير ، فقال الأوزاعيُّ : هي الرِّدَّةُ التي كانت بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وفي مسألة حُذيفة : فهل بعد ذلك الشرِّ من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دَخَنٌ ، قال الأوزاعي : فالخيرُ الجماعة ، وفي ولاتهم من يعرفُ سيرتَه ، وفيهم من يُنكرُ سيرتَه ، قال : فلم يأذن رسولُ الله ﷺ في قِتالهم ما صَلُّوا الصَّلاة[٢] .

وروى أبو داود الطيالسي : عن داود الواسطي ـ وكان ثقةً ـ عن حبيب بن سالم ، عن نُعمان بن بشير بن سعد ، عن حُذيفةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم في النبوة ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاج النبوة تكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء ، ثم تكون جبرية ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة » ، قال : فقدمَ عمرُ بن عبد العزيز ومعه يزيدُ بن النُّعمان ، فكتبتُ إليه أُذَكِّرُه الحديثَ ، وكتبتُه إليه ، أقول : إني أرجو أن تكونَ أميرَ المؤمنين بعد الجبرية ، قال : فأخذ يزيدُ الكتابَ فأدخلَه على عمر ، فسُرَّ به وأعجبَه[٣] .

وقال نعيمُ بن حمَّاد : حدَّثنا رَوْحُ بن عُبادة ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، قال : قال عمرُ بن عبد العزيز : رأيتُ رسولَ الله ﷺ وعندَه عمرُ وعثمان وعليّ ، فقال لي : « ادنُ » فدنوتُ حتى قمتُ بين يديْه ، فرفعَ بصرَه إليَّ ، وقال : « أَما إنَّكَ سَتَلِي أمرَ هذه الأمَّة وستعدلُ عليهم »[٤] .

وسيأتي في الحديث الآخر إن شاءَ الله : « إنَّ الله يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لها

---

(١) أي : البيهقي .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩١) .

(٣) رواه أبو داود الطيالسي رقم (٤٣٨) وإسناده حسن .

(٤) رواه أبو نعيم في الفتن صفحة (٢٩١) وهو ضعيف .

أمرَ دينِها »[١] وقد قالَ كثيرٌ من الأئمة : إنه عمرُ بن عبد العزيز ، فإنه توفي سنة إحدى ومئة .

وقال البيهقيُّ : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا أبو حامد أحمد بن علي المقري ، حدَّثنا أبو عيسى الترمذي ، حدَّثنا أحمد بن إبراهيم ، حدَّثنا عفَّان بن مسلم ، حدَّثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال : إن من ولدي رجلاً بوجهه شين يلي فيملأ الأرض عدلاً ، قال نافع من قبله : ولا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز[٢] .

وقد رواه نُعيم بن حمَّاد : عن عثمان بن عبد الحميد به ، ولهذا طرقٌ عن ابن عمر أنه كان يقول : ليتَ شِعري ، مَنْ هذا الذي من ولدِ عمرَ بن الخطاب في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً[٣] . وقد روي ذلك عن عبد الرحمن بن حرملةَ ، عن سعيد بن المسيب نحواً من هذا .

وقد كان هذا الأمرُ مشهوراً قبل ولايته وميلاده بالكلية ؛ أنه يلي رجل من بني أمية يقال له : أشجّ بني مروان ، وكانت أمُّه أروى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان أبوه عبد العزيز بن مروان نائباً لأخيه عبد الملك على مصر ، وكان يُكرمُ عبد الله بن عمر ، ويبعثُ إليه بالتحف والهدايا والجوائز فيقبلُها ، وبعث إليه مرة بألف دينار فأخذَها ، وقد دخلَ عمر بن عبد العزيز يوماً إلى إصطبل أبيه وهو صغير ، فرمَحه فرسٌ فشجَّه في جبينه ، فجعل أبوه يسلتُ عنه الدَّمَ ، ويقول : أما لئن كنتَ أشجَّ بني مروان ، إنَّكَ إذاً لسعيد ، وكان النَّاسُ يقولون : الأشجُّ والنَّاقِصُ أعدلا بني مروان . فالأشجُّ هو عمر بن عبد العزيز ، والنَّاقصُ هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الذي يقول فيه الشاعر :

رَأَيتُ اليَزِيدَ بنَ الوليدِ مُباركاً شَدِيداً بأَعباءِ الخلافَةِ كاهِلُه

قلت : وقد وُلِّي عمرُ بن عبد العزيز بن سُليمانَ بن عبد الملك سنتين ونصفاً ، فملأ الأرض عدلاً ، وفاضَ المالُ حتى كان الرجلُ يَهمُّه لمن يُعطي صدقتَه ، وقد حمل البيهقيُّ الحديثَ المتقدِّم عن عديِّ بن حاتم ، على أيام عمر بن عبد العزيز ، وعندي في ذلك نظر ، والله أعلم .

وقد روى البيهقي من حديث إسماعيل بن أبي أُويس : حدَّثني أبو مَعْن الأنصاري : حدَّثنا أُسيد قال : بينما عمرُ بن عبد العزيز يَمشي إلى مكَّةَ بفلاةٍ من الأرض إذ رأى حيَّة ميتة فقال : عليَّ بِمحفار ، فقالوا : نكفيكَ أصلحكَ الله ، قال : لا ، ثم أخذَه ، ثم لفَّه في خِرْقة ودفنَه ، فإذا هاتفٌ يهتف : رحمة الله عليك يا سُرَّق ، فقال له عمرُ بن عبد العزيز : مَنْ أنتَ يرحمُكَ الله ؟ قال : أنا رجلٌ من الجِنّ وهذا سُرَّق ، ولم

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٩١) والحاكم (٤/ ٥٢٢) وهو حديث صحيح .
(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٢) .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٢) .

يبق ممن بايع رسول الله ﷺ غيري وغيره ، وأشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « تموتُ يا سُرَّقُ بفلاةٍ من الأرض ويدفِنُكَ خيرُ أُمَّتي »[١] .

وقد روي هذا من وجه آخر ، وفيه : أنهم كانوا تسعةً بايعوا رسولَ الله ﷺ ، وفيه : أن عمرَ بن عبد العزيز حلَّفه ، فلما حلفَ بكى عمرُ بن عبد العزيز[٢] . وقد رجَّحه البيهقي وحسنه ، فالله أعلم .

حديث آخر
في صحته نظر ، في ذكر وَهْبِ بن مُنبِّه بالمَدْح ، وذِكْر غَيْلَان بالذَّمِّ

روى البيهقي : من حديث هشام بن عمّار وغيره ، عن الوليد بن مسلم ، عن مروان بن سالم القرقساني ، عن الأحوص بن حكيم ، عن خالد بن مَعْدان ، عن عُبادة بن الصامت ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يكونُ في أُمَّتي رجلٌ يُقال له : وَهْب ، يَهَب الله له الحكمةَ ، ورجلٌ يُقال له : غَيْلان ، هو أضرُّ على أُمَّتي من إبليس »[٣] . وهذا لا يصحُّ ؛ لأن مروانَ بن سالم هذا متروك ، وبه : إلى الوليد ، حدَّثنا ابنُ لهيعةَ ، عن موسى بن وردان ، عن أبي هُريرة ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « ينعقُ الشيطانُ بالشَّام نعقةً يُكَذِّبُ ثلثاهم بالقَدَر » . قال البيهقي : وفي هذا ـ إن صحَّ ـ وأمثاله ؛ إشارة إلى غَيْلان وما ظهرَ بالشام بسببه من التَّكذيب بالقَدَر حتى قُتِلَ[٤] .

الإشارة إلى محمد بن كعب القُرَظيّ وعلمه بتفسير القرآن وحفظه

قال حرملةُ عن ابن وَهْب : أخبرني أبو صَخْر ، عن عبد الله بن مغيث بن أبي بردة الظفري ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يخرج في أحد الكاهنين رجلٌ قد درسَ القرآنَ دراسةً لا يدرسُها أحدٌ يكون من بعده »[٥] .

وروى البيهقي : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن إسماعيل القاضي ، حدَّثنا أبو ثابت ، حدَّثنا ابن وَهْب ، حدَّثني عبد الجبار بن عمر ، عن ربيعةَ بن أبي عبد الرحمن ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يكونُ في أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسةً لا يدرسُها أحدٌ غيره »[٦] . قال : فكانوا يرون أنَّه محمدُ بن

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٤) وفي إسناده ضعف .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ذكره البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٦) .
(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٧) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٨) . والكاهنان : قبيلة قريظة والنضير .
(٦) رواه ابن عساكر في تاريخه (٥/ ٣٢٣) ، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٨) مرسلاً وهو ضعيف .

كعب القُرَظيّ ، قال أبو ثابت : الكاهنان : قريظة والنضير .

وقد رُوي من وجه آخر مرسل : « يخرجُ من الكاهنين رجل أعلمُ الناسِ بكتابِ الله »[١] .

وقد قالَ عَوْنُ بن عبد الله : ما رأيتُ أحداً أعلم بتأويل القرآن من محمد بن كعب[٢] .

ذكر

الإخبار بانخرام قرنه عليه الصلاة والسلام بعد مئة سنة من ليلة إخباره فكانَ كما أخبرَ

ثبتَ في الصحيحين : من حديث الزهري ، عن سالم وأبي بكر بن سُليمانَ بن أبي خيثمةَ ، عن عبد الله بن عمر ، قال : صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ العِشاء في ليلةٍ في آخر عُمُره ، فلما سلَّمَ قامَ فقال : « أرأيتُم ليلَتكم هذه ؟ فإنَّ على رأسِ مئةِ سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحدٌ »[٣] قال عمر : فَوَهَلَ النَّاسُ في مَقالةِ رسولِ الله ﷺ ، إلى ما يتحدَّثون من هذه الأحاديث عن مئة سنة ، وإنما يُريد بذلك أنَّها تخرمُ ذلكَ القرنَ . وفي رواية : إنَّما أراد رسول الله ﷺ انخرام قرنه .

وفي صحيح مسلم : من حديث ابن جريج : أخبرني أبو الزُّبير ، أنه سمعَ جابرَ بنَ عبد الله ، يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول قبل موته بشهر : « تسألوني عن السَّاعة ، وإنَّما علمُها عند الله ، فأقسم بالله ما على ظهر الأرض من نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ اليومَ ، يأتي عليها مئةُ سنةٍ[٤] .

وهذا الحديث وأمثالُهُ مما يَحتجُّ به من ذهبَ من الأئمة إلى أن الخَضِرَ ليس بموجود الآن ، كما قدَّمنا ذلك في ترجمته في قصص الأنبياء عليهم السلام ، وهو نصٌّ على أن جميعَ الأحياء في الأرض يموتون إلى تمام مئة سنة من إخباره عليه الصلاة والسلام ، وكذا وقعَ سواء ، فما نعلمُ تأخَّرَ أحدٌ من أصحابه إلى ما يُجاوز هذه المدة ، وكذلك جميع الناس . ثم قد طردَ بعضُ العلماء هذا الحكمَ في كلِّ مئة سنةٍ ، وليسَ في الحديث تعرُّض لهذا ، والله أعلم .

حديث آخر

قال محمَّدُ بن عمرَ الواقديّ : حدَّثني شُرَيْح بن يزيد ، عن إبراهيم بن محمد بن زياد الألْهاني ، عن

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ١٤) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٩) وهو مرسل ضعيف .
(٢) ذكره البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٩) .
(٣) رواه البخاري رقم (٦٠١) . ومسلم رقم (٢٥٣٧) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(٤) رواه مسلم رقم (٢٥٣٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

أبيه ، عن عبد الله بن بُسْر ، قال : وضعَ رسولُ الله ﷺ يدَه على رأسي وقال : « هذا الغلامُ يعيشُ قَرْناً[١] قال : فعاشَ مئة سنة .

وقد رواه البخاريُّ في « التاريخ » : عن أبي حيوة شريح بن يزيد به . . فذكرَه[٢] . قال : وزاد غيرُه : وكان في وجهه ثُؤْلولٌ ، فقال : « ولا يموتُ حتى يذهبَ الثُّؤْلول من وجهه » فلم يمتْ حتى ذهبَ الثُّؤْلول من وجهه[٣] . وهذا إسناد على شرط السنن . ولم يُخَرِّجوه .

ورواه البيهقيُّ : عن الحاكم ، عن محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى ، عن الفَضْل بن مُحْرز الشعراني ، حدَّثنا حيوة بن شريح ، عن إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني ، عن أبيه ، عن عبد الله بن بُسْر ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له : « يعيشُ هذا الغلامُ قرناً »[٤] فعاش مئة سنة . قال الواقدي وغيرُ واحد : توفي عبد الله بن بُسْر بحمصَ سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين[٥] ، وهو آخرُ من بقي من الصحابة بالشام .

الإخبارُ عن الوليد بما فيه له من الوعيد الشديد
وإن صحَّ فهو الوليدُ بن يزيد لا الوليد بن عبد الملك

قال يعقوب بن سفيان : حدَّثني محمد بن خالد بن العبَّاس السَّكْسَكِي ، حدَّثني الوليد بن مسلم ، حدثني أبو عمرو الأوزاعي ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، قال : ولد لأخي أم سلمة[٦] غلام ، فسمَّوه الوليدَ ، فقال رسول الله ﷺ : « قد جعلتُم تُسمُّون بأسماءِ فراعنتِكُم ، إنَّه سيكونُ في

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٥٠٣) وإسناده ضعيف جداً ، محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، قال الحافظ ابن حجر في التقريب : متروك مع سعة علمه ، وإبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً .

(٢) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (١/ ٣٢٣) وفي سنده إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً . ورواه أحمد في المسند رقم (٤/ ١٨٩) بلفظ : « لتبلغن قرناً » وهو حديث حسن .
وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٤٠٥) وقال : رواه الطبراني وأحمد ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير الحسن بن أيوب ، وهو ثقة ، ورجال الطبراني ثقات . أقول : فهو حديث حسن .

(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٥٠٣) وفي سنده أيضاً إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٠) وهو حديث حسن .

(٥) انظر الإصابة ـ ترجمة عبد الله بن بسر (٢/ ٢٨٢) .

(٦) في نسخة : أم سليم .

هذه الأمة رجلٌ يُقالُ له الوليدُ ، هو أضرُّ على أُمَّتِي مِن فرعونَ على قومه »[١] .

قال أبو عمرو الأوزاعي : فكان النَّاسُ يَرَوْنَ أنَّه الوليد بن عبد الملك ، ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد لفتنة الناس به ، حين خَرجُوا عليه فقتلُوه ، وانفتحت على الأمة الفتنة والهَرْج[٢] .

وقد رواه البيهقيُّ : عن الحاكم ، وغيره ، عن الأصمِّ ، عن سعيد بن عُثمان التَّنُوخِي ، عن بِشْر بن بَكْر ، عن الأوزاعيّ ، عن الزُّهريّ ، عن سعيد . . . فذكرَه . ولم يذكر قولَ الأوزاعيّ ، ثم قال : وهذا مرسلٌ حسن[٣] .

وقد رواه نُعيم بن حمَّاد : عن الوليد بن مسلم به ، وعندَه قال الزهري : إنِ استُخْلِفَ الوليدُ بن يزيد ، فهو هو ، وإلا فهو الوليدُ بن عبد الملك[٤] .

وقال نُعيمُ بن حمَّاد : حدَّثنا هُشيم عن أبي حمزةَ ، عن الحسن ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « سيكونُ رجلٌ اسمُه الوليدُ ، يُسَدُّ به ركنٌ من أركان جهنَّمَ وزاويةٌ من زواياها »[٥] . وهذا مرسل أيضاً .

حديث آخر

قال سليمانُ بن بلال : عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا بلغَ بنو أبي العاص أربعينَ رجلاً ، اتَّخذُوا دينَ الله دَغَلاً ، وعبادَ الله خَوَلاً ، ومالَ الله دُوَلاً »[٦] . رواه البيهقي من حديثه .

وقال نُعَيْمُ بن حمَّاد : حدَّثنا بقيَّةُ بن الوليد وعبد القدُّوس ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن راشدِ بن سعد ، عن أبي ذر ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إذا بلغتْ بنو أمية أربعينَ ، اتَّخذُوا عبادَ الله خَوَلاً ، ومالَ الله نِحَلاً ، وكتابَ الله دَغَلاً »[٧] وهذا منقطع بين راشد بن سعد وبينَ أبي ذر .

وقال إسحاق بن راهويه : أخبرنا جريرٌ ، عن الأعمش ، عن عطيَّة ، عن أبي سعيد ، قال : قال

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٠٥) وهو مرسل .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥٠٦) .
(٣) دلائل النبوة (٦/ ٥٠٥) .
(٤) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥٠٥) .
(٥) رواه نعيم بن حماد في الفتن والملاحم (ص٧٤) .
(٦) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٠٧) ومعنى خَوَلاً : أتباعاً وخدماً .
(٧) رواه نُعيم بن حماد في الفتن والملاحم (ص٧٢) ومعنى نِحَلاً : عطايا وهبات ، دَغَلاً : أي أدغلوا في التفسير ، وأدغلَ في الأمر : أدخل فيه ما يُفسده ويُخالفه . وفي النهاية : اتخذوا دين الله دغلاً : أي يخدعون به الناس .

رسول الله ﷺ : « إذا بلغَ بنو أبي العاص ثلاثينَ رجلاً اتَّخذوا دينَ الله دغلاً ، ومالَ الله دُولاً ، وعبادَ الله خَوَلًا »[1] » .

ورواه أحمد : عن عثمان بن أبي شيبة ، عن جرير به[2] .

وقال البيهقي : أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمدُ بن عبيد الصَّفَّار ، حدَّثنا بسَّام ـ وهو محمد بن غالب ـ ، حدَّثنا كاملُ بن طلحة ، حدَّثنا ابن لَهيعة ، عن أبي قبيل ؛ أن ابنَ وَهْبٍ أخبرَه ، أنه كان عند معاويةَ بن أبي سفيان فدخلَ عليه مروانُ فكلَّمه في حاجته ، فقال : اقضِ حاجَتِي يا أميرَ المؤمنين ، فوالله إنَّ مُؤْنَتِي لعظيمةٌ ، وإنِّي لأبو عشرة ، وعم عشرة ، وأخو عشرة . فلما أدبرَ مروانُ ـ وابنُ عبَّاس جالسٌ مع معاويـةَ على السرير ـ قال معاوية : أنشدُك بالله يا بنَ عبَّاس ، أما تعلم أن رسولَ الله ﷺ قال : « إذا بلغَ بنو الحكم ثلاثينَ رجلاً اتَّخذوا مالَ الله بينهم دُولاً ، وعبادَ الله خَوَلًا ، وكتابَ الله دَغَلًا ؟ » فإذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمئة ، كان هلاكهم أسرع من لوك ثمرة ؟ فقال ابنُ عبَّاس : اللَّهُمَّ نعم . قال : وذكرَ مروانُ حاجةً له ، فردَّ مروان عبدَ الملك إلى معاوية فكلَّمَه فيها ، فلما أدبرَ عبدُ الملك قال معاويةُ : أنشدُك بالله يا بنَ عبَّاس ، أما تعلمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكرَ هذا فقال : « أبو الجبابرة الأربعة ؟ » فقال ابن عباس : اللَّهُمَّ نعم[3] .

وهذا الحديثُ فيه غرابةٌ ونكارةٌ شديدة ، وابنُ لَهِيعَة ضعيف .

وقد قال أبو محمد عبدُ الله بن عبد الرحمن الدَّارميّ : حدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدَّثنا سعدُ بن زيد ، أخو حمَّاد بن زيد ، عن عليِّ بن الحكم البناني ، عن أبي الحسن ، عن عمرو بن مرَّة ـ وكانت له صحبة ـ قال : جاءَ الحَكَمُ بن أبي العاص يستأذنُ النبيَّ ﷺ ، فعرفَ كلامَه ، فقال : « ائذنُوا له ، حيَّة ـ أو ولد حيَّة ـ عليه لعنة الله ، وعلى مَنْ يخرجُ من صُلْبه إلا المؤمنينَ ، وقليلٌ ما هم ، لَيُتْرَفُونَ في الدُّنيا ويُوضعونَ في الآخرة ، ذوو مكر وخديعة ، يُعطون في الدنيا ومالهم في الآخرة من خَلَاق »[4] . قال الدارمي : أبو الحسن هذا حمصيٌّ .

وقال نُعيم بن حمَّاد في « الفتن والملاحم » : حدَّثنا عبد الله بن مروان بن الحكم ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن راشد بن سعد ، أن مروان بن الحكم لما وُلدَ دُفعَ إلى النبيِّ ﷺ ليدعوَ له ، فأَبى أن يفعل ، ثم قال : « ابنُ الزَّرْقاء ، هَلاكُ أُمَّتي على يَدَيْه ويدي ذريَّته » . وهذا حديث مرسل .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٠٧) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٨٠) وهو حديث ضعيف لضعف عطية العوفي ، ومعنى : دُولًا : جمع دُولة ؛ أي : ما يُتداول من المال ، فيكون لقوم دون قوم .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) .
(٤) ذكره الهيثمي في المجمع بنحوه (٥/ ٢٤٣) وفي إسناده ضعف .

ذكر
الإخبار عن خُلفاء بني أميَّة جملةً من جملة والإشارة إلى مدَّة دولتهم

قال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا أحمدُ بن محمد أبو محمد الزرقي ، حدَّثنا الزنجي ـ يعني مسلم بن خالد ـ عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : « رأيتُ في المنام بني الحكم ـ أو بني أبي العاص ـ ينزونَ على مِنْبري كما تنزو القِرَدَةُ » قال : فما رُئي رسولُ الله ﷺ مُستجمعاً ضَاحِكاً حتى تُوفي[١] .

وقال الثوريُّ : عن عليِّ بن زيد بن جُدْعان ، عن سعيد بن المسيب قال : رأى رسول الله ﷺ بني أمية على منبره فساءَه ذلك ، فأُوحي إليه : « إنما هي دنيا أُعطوها » فقرَّت به عينُه ، وهي قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] يعني : بلاءً للناس[٢] . عليُّ بن زيد بن جُدْعان ضعيف ، والحديثُ مرسلٌ أيضاً .

وقال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا القاسم بن الفضل ـ وهو الحَدَّاء ـ حدَّثنا يُوسف بن مازن الرَّاسِبي ، قال : قامَ رجلٌ إلى الحسن بن عليٍّ بعدما بايعَ مُعاوية ، فقال : يا مُسَوِّدَ وجوهَ المؤمنين ، فقال الحسن : لا تُؤَنِّبْني رحمك الله ، فإن رسول الله ﷺ رأى بني أمية يَخطُبون على مِنبره رجلاً رجلاً ، فساءَه ذلك ، فنزلتْ : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : ١] ـ يعني نهراً في الجنة ـ ونزلت : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر : ١ ـ ٣] . يملكه بنو أمية . قال القاسم : فحسبنا ذلك فإذا هو ألف شهر لا يزيد يوماً ولا ينقصُ يوماً .

وقد رواه الترمذي وابن جرير الطبري ، والحاكمُ في « مستدركه » ، والبيهقيُّ في « دلائل النبوة »[٣] ، كلُّهم من حديث القاسم بن الفضل الحُدَّاني ـ وقد وثَّقه يحيى بن سعيد القَطَّان ، وابن مَهدي ـ عن يوسف بن سعد ، ويقال : يُوسف بن مازن الراسبي ، وفي رواية ابن جرير : عيسى بن مازن ، قال الترمذي : وهو رجلٌ مجهول ، وهذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه . فقوله : إن يوسف هذا مجهول ، مشكل ، والظاهر أنه أراد أنه مجهول الحال ، فإنه قد روى عنه جماعة ، منهم حمَّاد بن سلمة ، وخالد الحَذَّاء ، ويُونس بن عُبيد . وقالَ يحيى بن معين : هُو مشهور ، وفي رواية عنه قال : هو ثقة ،

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١١) .
(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٠٩) .
(٣) رواه الترمذي في جامعه (٣٣٥٠) ، والحاكم (٣/ ١٧٠ و١٧٥) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) وقال : الترمذي غريب (أي ضعيف) .

فارتفعت الجهالة عنه مطلقاً ، قلت : ولكن في شهوده قصة الحسن ومعاوية نظر ، وقد يكون أرسلَها عمن لا يُعتمد عليه ، والله أعلم . وقد سألتُ شيخنا الحافظ أبا الحجَّاج المِزِّي ـ رحمه الله ـ عن هذا الحديث فقال : هو حديث منكر .

وأما قول القاسم بن الفضل رحمه الله : إنه حَسَبَ دَوْلَةَ بني أميَّة فوجدَها ألفَ شهرٍ ، لا تزيدُ يوماً ولا تنقصه ، فهو غريب جداً ، وفيه نظر ، وذلك لأنه لا يُمكن إدخال دولة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكانت ثنتا عشرة سنة ، في هذه المدة ، لا من حيث الصورة ولا من حيث المعنى ، وذلك أنها ممدوحة ، لأنه أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المَهْدِيِّين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون .

وهذا الحديثُ إنما سِيق لذمِّ دَوْلتِهم ، وفي دلالة الحديث على الذمِّ نظر ، وذلك أنه دلَّ على أن ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر التي هي دَوْلتهم ، وليلةُ القَدْر ليلةٌ خَيِّرةٌ ، عظيمةُ المِقْدار والبَركة ، كما وصفَها الله تعالى به ، فلم يلزم من تفضيلها على دولتهم ذمُّ دولتهم ، فليتأمل هذا فإنه دقيقٌ يدلُّ على أنَّ الحديثَ في صحته نظر ، لأنه إنما سيق لذم أيامهم ، والله تعالى أعلم .

وأما إذا أراد أن ابتداء دولتهم منذ وَلِيَ معاوية حين تسلَّمها من الحسن بن علي ، فقد كان ذلك سنة أربعين ، أو إحدى وأربعين ، وكان يُقال له عامَ الجماعة ، لأن النَّاسَ كلَّهم اجتمعوا على إمام واحد . وقد تقدَّم الحديثُ في صحيح البخاري عن أبي بكرة ؛ أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ للحسن بن عليٍّ : « إن ابني هذا سَيِّدٌ ، ولعلَّ الله أن يُصْلِحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[١] فكان هذا في هذا العام ، ولله الحمد والمنة .

واستمرَّ الأمرُ في أيدي بني أمية من هذه السنة إلى سنة ثنتين وثلاثين ومئة ، حتى انتقلَ إلى بني العباس كما سنذكره[٢] ، ومجموعُ ذلك ثنتان وتسعون سنة ، وهذا لا يُطابق ألف شهر ، لأن مُعدَّل ألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، فإن قال : أنا أُخرجُ منها ولاية ابن الزبير وكانت تسع سنين ، فحينئذ يبقى ثلاث وثمانون سنة ، فالجواب أنه وإن خرجت ولاية ابن الزبير ، فإنه لا يكون ما بقي مُطابقاً لألف شهر تحديداً ، بحيث لا ينقص يوماً ولا يزيده ، كما قاله ، بل يكون ذلك تقريباً ، هذا وجه .

والثاني : أن ولاية ابن الزبير كانت بالحجاز والأهواز والعراق في بعض أيامه ، وفي مصر في قول ، ولم تنسلب يد بني أميَّة من الشام أصلاً ، ولا زالت دولتهم بالكلية في ذلك الحين ، الثالث : أن هذا يقتضي دخولَ دولة عمر بن عبد العزيز في حساب بني أمية ، ومقتضى ما ذكره أن تكون دولته مذمومة ، وهذا لا يقوله أحد من أئمة الإسلام ، وإنَّهم مُصرِّحون بأنه أحد الخلفاء الراشدين ، حتى قرنوا أيامه تابعة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٠٤) .

(٢) في الأصل : على ما سنذكره .

لأيام الأربعة ، وحتَّى اختلفوا في أيِّهما أفضل ؟ هو أو معاوية بن أبي سفيان أحد الصحابة . وقد قالَ أحمد بن حنبل : لا أرى قولَ أحدٍ من التابعين حجَّةً إلا قول عمر بن عبد العزيز ، فإذا علم هذا ، فإن أخرجَ أيَّامَه من حسابه انخرمَ حسابُه ، وإن أدخلَها فيه مذمومةً ، خالف الأئمة ، وهذا لا محيدَ عنه . وكلُّ هذا مِمَّا يدلُّ على نَكَارة هذا الحديث ، والله أعلم .

وقال نُعيم بن حمَّاد : حدَّثنا سُفيان ، عن العلاء بن أبي العباس ، سمعَ أبا الطفيل ، سمعَ علياً يقول : لا يزالُ هذا الأمر في بني أمية ما لم يختلفوا بينهم[١] .

حدَّثنا ابنُ وَهْب عن حرملةَ بن عمران عن سعيد بن سالم ، عن أبي سالم الجيشاني ، سمعَ عليّاً يقول : الأمرُ لهم حتى يقتلوا قتيلَهم ، ويتنافسوا بينهم ، فإذا كان ذلك بعث الله عليهم أقواماً من المشرق يقتلوهم بدداً ويحصوهم عدداً ، والله لا يملكون سنة إلا ملكنا سنتين ، ولا يملكون سنتين إلا ملكنا أربعاً[٢] .

وقال نعيم بن حمَّاد : حدَّثنا الوليد بن مسلم عن حصين بن الوليد ، عن الأزهر بن الوليد ، سمعت أم الدرداء سمعت أبا الدرداء يقول : إذا قتل الخليفة الشاب من بني أمية بين الشام والعراق مظلوماً ، ما لم تزل طاعة يستخف بها ، ودم مسفوك بغير حق ـ يعني : الوليد بن يزيد[٣] ـ ومثل هذه الأشياء إنما تقال عن توقيف .

ذكر
الإخبار عن دولة بني العباس
وكان أول ظهورهم من خُراسان بالرايات السُّود سنة اثنتين وثلاثين ومئة

قال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثني محمَّدُ بن خالد بن العبَّاس ، حدَّثنا الوليدُ بن مسلم ، حدَّثني أبوعبد الله ، عن الوليد بن هشام المعيطي ، عن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، قال : قدمَ عبدُ الله بن عبَّاس على معاويةَ وأنا حاضرٌ ، فأجازَه فأحسنَ جائزتَه ، ثم قال : يا أبا العباس ! هل لكم دولة ؟ فقال : اعفِني يا أميرَ المؤمنين ! فقال : لَتُخبِرُني . قال : نعم . قال : فمن أنصارُكم ؟ قال : أهلُ خُراسانَ ، ولبني أميَّة من بني هاشم بُطْحَاتٌ . رواه البيهقي[٤] .

(١) رواه نُعيم بن حمَّاد في الفتن والملاحم (ص١١٠) ، وإسناده ضعيف .
(٢) رواه نُعيم بن حمَّاد في الفتن والملاحم (ص١١٠) ، وإسناده ضعيف .
(٣) رواه نُعيم بن حمَّاد في الفتن والملاحم (ص١١١) ، وإسناده ضعيف .
(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٣) .

وقال ابنُ عَدِيّ : سمعتُ ابن حمَّاد ، أخبرنا محمد بن عبدةَ بن حَرْب ، حدَّثنا سُويد بن سعيد ، حدَّثنا حجَّاج بن تميم ؛ عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : مررتُ بالنبيِّ ﷺ وإذا معه جبريلُ ، وأنا أظنُّه دحيةَ الكَلْبيّ ، فقال جبريل للنبيِّ ﷺ : إنه لَوَسِخُ الثياب وسَيَلْبَسُ ولدُه من بعده السَّوادَ[١] .

وذكرَ تمامَ الحديث في ذهاب بصره ، ثم عودته إليه قبل موته . قال البيهقي[٢] : تفرَّد به حجَّاج بن تميم وليس بالقوي .

وقال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، حدَّثنا أبو بكر بن إسحاق ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه في آخرين ، قالوا : حدَّثنا عبدُ الله بن أحمد بن حنبل ، حدَّثنا يحيى بن معين ، حدَّثنا عُبيد بن أبي قرَّة ، حدَّثنا الليث بن سعد ، عن أبي قبيل ، عن أبي ميسرةَ مولى العبَّاس ، قال : سمعتُ العبَّاسَ ، قال : كنتُ عندَ النبيِّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فقال : « انظر هل ترى في السَّماء مِن شيء ؟ قلتُ : نعم ، قال : ما ترى ؟ قلتُ : الثُّريَّا ، قال : أما إنه سيملكُ هذه الأمة بعددها مِن صُلْبِكَ »[٣] . قال البخاري : عُبيد بن أبي قرَّة بغدادي سمعَ الليثَ ، لا يُتابعُ على حديثه في قصة العباس[٤] .

وروى البيهقيُّ : من حديث محمد بن عبد الرحمن العامريّ ـ وهو ضعيف ـ عن سُهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ للعبَّاس : « فيكُم النبوة وفيكم الملكُ »[٥] .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدَّثنا يحيى بن مَعين ، حدَّثنا سفيانُ ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي مَعْبَد قال : قال ابنُ عبَّاس : كما فتحَ الله بأوَّلنا فأرجو أن يختمَه بنا[٦] . هذا إسنادٌ جيّد ، وهو موقوفٌ على ابن عباس من كلامه .

وقال يعقوبُ بن سفيان : حدَّثني إبراهيمُ بن أيوب ، حدَّثنا الوليد ، حدَّثنا عبدُ الملك بن حُميد بن أبي غَنِيَّة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : سَمِعنَا ابنَ عباس ونحن نقول : اثنا عشر أميراً واثنا عشر أميراً ، ثمَّ هي السَّاعة ، فقال ابنُ عبَّاس : ما أحمقكم ؟! إنَّ مِنَّا أهلَ البيت بعد ذلك ، المنصور ، والسَّفَّاح ، والمَهْدِيُّ ، يدفعُها إلى عيسى ابن مريم[٧] . وهذا أيضاً موقوف .

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٦٤٧) وقال : حجاج بن تميم هذا ، ليس له كبير رواية . وترجمته في الميزان (١/ ٤١٠) وقال الذهبي : أحاديثه تدلُّ على أنه واهٍ .
(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥١٨) .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٨) وابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٨٨) .
(٤) نقله ابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٨٨) .
(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٧) بلفظ : « فيكم النبوة والمملكة » .
(٦) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٧) .
(٧) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٤) .

وقد رواه البيهقي من طريق الأعمش ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس مرفوعاً : « منا السَّفَّاح ، والمنصور ، والمهدي »[١] . وهذا إسناد ضعيف ، والضحَّاك لم يسمع من ابن عباس شيئاً على الصحيح ، فهو منقطع ، والله أعلم .

وقد قال عبدُ الرزَّاق : عن الثوري ، عن خالد الحذَّاء ، عن أبي قِلَابة ، عن أبي أسماء ، عن ثَوْبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقْتَتِلُ عندَ كَنْزِكُم ثلاثةٌ ، كلُّهم وَلَدُ خليفةٍ ، ثمَّ لا يصيرُ إلى واحد منهم ، ثم تُقبل الراياتُ السُّود من خراسان ، فيقتلونَهم مقتلةً لم يروا مثلَها ، ثم يجيءُ خليفةُ الله المَهْدِيُّ ، فإذا سمعتُم فائتُوه فبايعوه ولو حَبوَاً على الثَّلْجِ ، فإنَّه خليفةُ الله المهدي » . أخرجه ابن ماجه عن أحمد بن يوسف السُّلمي ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، كلاهما عن عبد الرزاق به[٢] .

ورواه البيهقي من طرقٍ عن عبد الرزاق ، ثم قال : تفرَّد به عبد الرزاق . قال البيهقي : ورواه عبد الوهاب بن عطاء ، عن خالد الحذَّاء ، عن أبي قِلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبانَ ، موقوفاً[٣] .

ثم قال البيهقي : أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عُبيد الصَّفَّار ، حدَّثنا محمد بن غالب ، حدَّثنا كثير بن يحيى ، حدَّثنا شريك ، عن علي بن زيد ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقبلت الرايات السُّود من عَقِب خُراسانَ ، فائْتُوها ولو حَبْواً على الثَّلْجِ ، فإنَّ فيها خليفةَ الله المَهْدي »[٤] .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار : حدَّثنا الفَضل بن سَهْل ، حدَّثنا عبد الله بن داهر الرَّازي ، حدَّثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحاكم ، عن إبراهيم ، عن عبد الله بن مسعود ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكرَ فِتْيةً من بني هاشم ، فاغرورقتْ عيناه ، وذكرَ الرَّاياتِ ، قال : « فمن أدركَها فليأْتِها ولو حَبْواً على الثَّلْجِ »[٥] . ثم قال : وهذا الحديث لا نعلمُ رواه عن الحاكم إلا ابن أبي ليلى ، ولا نعلمُ يُروى إلا من حديث داهر بن يحيى ، وهو من أهل الرأي صالح الحديث ، وإنما يُعرف من حديث يزيد بن أبي زياد ، عن إبراهيم[٦] .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدَّثنا أبو هشام بن يزيد بن رفاعة ، حدَّثنا أبو بكر بن عيَّاش ، حدَّثنا يزيد بن أبي زياد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « تجيءُ راياتٌ سُود من قِبَلِ المَشْرق ، وتخوضُ الخيلُ الدِّماء إلى ثُنَّتِها ، يُظهرونَ العدلَ ، ويَطلبونَ

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٤) .
(٢) رواه ابن ماجه في سننه رقم (٤٠٨٤) في الفتن ، وإسناده ضعيف .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٥) وقال : وروي من وجه آخر عن أبي قلابة ، وليس بالقويِّ .
(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٥) وإسناده ضعيف .
(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣١٦) وقال : فيه زياد بن أبي زياد ، وهو ليِّنٌ .
(٦) وإسناده ضعيف .

العَدْلَ فلا يُعطونه ، فيَظْهَرُون ، فيُطلَبُ منهم العَدْلُ فلا يُعطونه »[١] . وهذا إسناد حسن[٢] .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا يحيى بن غَيْلان ، وقُتيبة بن سعيد ، قالا : حدَّثنا رشدين بن سعد . قال يَحيى بن غيلان في حديثه ، قال : حدَّثني يُونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن قبيصة ـ هو ابن ذؤيب الخزاعي ـ عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يخرجُ من خراسان راياتٌ سودٌ لا يردّها شيء حتى تُنْصَبَ بإيلياء » .

وقد رواه الترمذي[٤] عن قتيبة به وقال : غريب .

ورواه البيهقي والحاكم : من حديث عبد الله بن مسعود ، عن رشدين بن سعد . وقال البيهقي : تفرد به رشدين بن سعد ، وقد رُوي قريبٌ من هذا عن كعب الأحبار ، ولعله أشبه ، والله أعلم[٥] .

ثم رُوي من طريق يعقوب بن سُفيان : حدَّثنا محمد ، عن أبي المغيرة عبد القدوس ، عن إسماعيل بن عيَّاش ، عمَّن حدَّثه عن كعب الأحبار ، قال : تظهرُ راياتٌ سودٌ لبني العبَّاس حتَّى ينزلوا بالشَّام ، ويقتلُ الله على أيديهم كلَّ جبَّار ، وكلَّ عدو لهم[٦] .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا عثمان ـ هو ابن أبي شيبة ـ حدَّثنا جريرٌ ، عن الأعمش ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرجُ عندَ انقطاعٍ من الزمان ، وظهور من الفِتن ، رجلٌ يُقالُ له السَّفَّاح ، فيكونُ إعطاؤه المالَ حَثْواً » .

ورواه البيهقيُّ[٨] : عن الحاكم ، عن الأصَمِّ ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن أبي عَوَانة ، عن الأعمش به ، وقال فيه : « يخرجُ رجلٌ مِن أهل بيتي يُقال له السَّفَّاح . . » فذكرَه . وهذا الإسناد على شرط أهل السنن ولم يُخَرِّجوه .

فهذه الأخبار في خروج الرايات السُّود من خُراسانَ ، وفي ولاية السَّفَّاح ، وهو ابن العبَّاس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العبَّاس بن عبد المطلب ، وقد وقعت ولايتُه في حدود سنة ثنتين وثلاثين ومئة ، ثم ظهرَ بأعوانه ومعهم الراياتُ السُّود ، وشعارهم لبسُ السَّواد ، كما دخلَ رسولُ الله ﷺ مكة يومَ

---

(١) رواه أبو يعلى في المسند (٥٠٨٤) .
(٢) هكذا قال وفي قوله نظر ففي إسناده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف ، كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٥) رقم (٨٧٦٠) .
(٤) في الجامع (٢٢٦٩) في الفتن .
(٥) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٦) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦٤) وقال الذهبي في التلخيص : هذا موضوع .
(٦) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٧) وإسناده ضعيف .
(٧) في المسند (٣/ ٨٠) .
(٨) في الدلائل (٦/ ٥١٤) وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي .

الفتح ، وعلى رأسه المِغْفَرُ وفوقَه عِمامةٌ سوداء . ثم بعثَ عمَّه عبد الله بن عليّ لقتال بني أميَّةَ ، فكسَرهم في سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، وهربَ من المعركة آخرُ خلفائهم ، وهو مروان بن محمد بن مروان ، ويُلقَّبُ بمروانَ الحمار ، ويُقال له : مروان الجَعْدِيّ ، لاشتغاله على الجَعْد بن درهم فيما قيل . ودخلَ عمُّه دمشقَ واستحوذَ على ما كانَ لبني أُميَّةَ من الملك والأملاك والأموال ، وجرتْ خُطوب كثيرة سنُوردها مُفَصَّلةً في موضعها إن شاء الله .

وقد وردَ عن جماعةٍ من السلف في ذكر الرايات السُّود التي تخرجُ من خُراسانَ بما يطولُ ذكره ، وقد استقصَى ذلك نُعيمُ بن حمَّاد في كتابه ، وفي بعض الروايات ما يدلُّ على أنه لم يقع أمرها بعدُ ، وأن ذلك يكونُ في آخر الزمان ، كما سنُورده في موضعه إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد روى عبد الرَّزاق عن معمر ، عن الزهريِّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ السَّاعةُ حتى تكونَ الدنيا للكع ابن لكع » قال أبو معمر : هو أبو مسلم الخراساني ـ يعني : الذي أقامَ دولة بني العباس ـ .

والمقصودُ أنَّه تحوَّلت الدولة من بني أمية إلى بني العبَّاس في هذه السنة ، وكان أول قائم منهم أبو العبَّاس السَّفَّاح ، ثم أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور باني مدينة السلام بغداد ، ثم من بعده ابنه المهدي محمد بن عبد الله ، ثم من بعده ابنه الهادي ، ثم ابنه الآخر هارون الرشيد ، ثم انتشرتِ الخلافةُ في ذُرِّيَّتهِ على ما سنُفصِّله إذا وصلنَا إلى تلك الأيام .

وقد نطقتْ هذه الأحاديث التي أوردناها آنفاً بالسَّفَّاح والمنصور والمَهْدي ، ولا شكَّ أنَّ المَهْدي الذي هو ابن المنصور وثالث خلفاء بني العباس ، ليس هو المَهْديُّ الذي وردت الأحاديث المستفيضة بذكره ، وأنَّه يكونُ في آخر الزمان ، يملأ الأرضَ عَدْلاً وقِسْطاً كما مُلِئتْ جَوراً وظُلماً ، وقد أفردنَا للأحاديث الواردة فيه جزءاً على حِدَة ، كما أفردَ له أبو داود كتاباً في « سننه » ، وقد تقدَّمَ في بعض هذه الأحاديث آنفاً أنه يُسَلِّمُ الخلافةَ إلى عيسى ابن مريم إذا نزلَ إلى الأرض ، والله أعلم .

وأمَّا السَّفَّاحُ فقد تقدَّم أنه يكونُ في آخر الزمان ، فيبعدُ أن يكونَ هو الذي بُويع أوَّلَ خلفاء بني العباس ، فقد يكون خليفةً آخر ، وهذا هو الظاهر ، فإنه قد روى نُعيمُ بن حمَّاد : عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن عمرو المعافري ، عن تدوم الحميري ، سمعَ تبيع بن عامر ، يقول : يعيشُ السَّفَّاحُ أربعينَ سنة ، اسمُه في التوراة طائر السماء[1] .

قلت : وقد تكون صفة للمهدي الذي يظهرُ في آخر الزمان ، لكثرة ما يَسفحُ ـ أي : يُريق من الدماء لإقامة العدل ، ونشر القسط ـ وتكونُ الرايات السود المذكورة في هذه الأحاديث إن صَحَّتْ هي التي تكون مع المَهْديّ ، ويكونُ أول ظهور بيعتِه بمكَّة ، ثم تكون أنصاره من خُراسانَ ، كما وقع قديماً للسَّفَّاح ،

---

(١) رواه نُعيم بن حمَّاد في الفتن والملاحم رقم (٢٧٢) .

والله تعالى أعلم . هذا كلُّه تفريعٌ على صِحَّة هذه الأحاديث ، وإلا فلا يخلو سندٌ منها عن كلام ، والله سبحانه وتعالى أعلمُ بالصواب .

ذِكْرُ
الإخبار عن الأئمة الاثني عشر الذين كلّهم من قريش

وليسوا بالاثني عشر الذين يدعون إمامتَهم الرافضة ، فإن هؤلاء الذين يزعمون لم يلِ أمرَ الناس منهم إلا عليّ بن أبي طالب وابنه الحسن ، وآخرُهم في زعمهم المَهْدي المنتظر في زعمهم بسرداب سامرّا ، وليس له وجود ، ولا عينٌ ، ولا أثر ، بل هؤلاء من الأئمة الاثني عشر المخبر عنهم في الحديث ، الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ، رضي الله عنهم ، ومنهم عمرُ بن عبد العزيز ، بلا خلاف بين الأئمة على كلا القولين لأهل السنة في تفسير الاثني عشر على ما سنذكره بعدَ إيراد الحديث .

ثبت في صحيح البخاري من حديث شعبة ، ومسلم من حديث سفيان بن عُيينة ، كلاهما عن عبد الملك بن عُمير ، عن جابرِ بن سَمُرةَ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكونُ اثنا عشرَ خليفة » ثم قال كلمة لم أسمعها ، فقلت لأبي : ما قال : قال : « كلُّهم من قريش »[١] .

وقال نُعيم بن حماد في كتاب الفتن والملاحم[٢] : حدَّثنا عيسى بن يونس ، حدَّثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يكونُ بعدي من الخلفاء عِدة أصحاب موسى » .

وقد رُوي مثل هذا عن عبد الله بن عمر ، وحذيفةَ ، وابن عبَّاس ، وكعب الأحبار ، من قولهم .

وقال أبو داود : حدَّثنا عمرو بن عثمان ، حدَّثنا مروانُ بن مُعاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبيه ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا يزال هذا الأمرُ قائماً حتى يكونَ عليهم اثنا عشر خليفة ـ أو أميراً ـ كلّهم تجتمع عليه الأمَّة » وسمعتُ كلاماً من النبيِّ ﷺ لم أفهمه ، فقلتُ لأبي : ما يقولُ ؟ قال : يقول : « كلُّهم من قريش »[٣] .

وقال أبو داود أيضاً : حدَّثنا ابن نُفَيْل ، حدَّثنا زهيرُ بن مُعاوية ، حدَّثنا زياد بن خَيْثمة ، حدَّثنا الأسود بن سعيد الهَمْدَاني ، عن جابـر بن سَمُـرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تزال هذه الأمة مستقيماً أمرها ، ظاهرةً على عدوِّها ، حتى يمضيَ منهم اثنا عشرَ خليفة ، كلُّهم من قريش » قال : فلما

---

(١) رواه البخاري في الأحكام (٧٢٢٢) و(٧٢٢٣) ومسلم في الإمارة (١٨٢١)(٦) .
(٢) الفتن والملاحم (ص٥٢) وروايته : « عدّة نقباء موسى » .
(٣) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٢٧٩) في أول كتاب المهدي ، وهو صحيح ، دون قوله : « تجتمع عليه الأمة » .

رجعَ إلى منزله أتته قريشٌ فقالوا : ثم يكونُ ماذا ؟ قال : « ثم يكون الهَرْج »[١] .

قال البيهقي[٢] : ففي الرواية الأولى بيان العدد ، وفي الثانية بيان المراد بالعدد ، وفي الثالثة بيان وقوع الهَرْج ، وهو القتل بعدهم ، وقد وُجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ثم وقعَ الهَرْج والفتنة العظيمة كما أخبر في هذه الرواية ، ثم ظهرَ ملك العبَّاسيَّة ، كما أُشير إليه في الباب قبلَه ، وإنما يزيدون على العدد المذكور في الخبر ، إذا تُركت الصفة المذكورة فيه ، أو عُدَّ منهم من كان بعد الهَرْج المذكور فيه ، وقد قال النبي ﷺ : « لا يزال هذا الأمرُ في قريش ما بقي من الناس اثنان »[٣] .

ثم ساقَه من حديث عاصم بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ . . . فذكرَه[٤] .

وفي صحيح البخاري : من طريق الزهري ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعم ، عن معاويةَ بن أبي سفيان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا الأمرَ في قريش لا يُعاديهم أحدٌ إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّين »[٥] .

قال البيهقي[٦] : أي : أقاموا معالمَه وإن قصَّروا هم في أعمال أنفسهم .

ثم ساقَ أحاديث تقتضي ما ذكره من هذا ، والله أعلم .

فهذا الذي سلكه البيهقي ، وقد وافقَه عليه جماعةٌ ، من أن المراد بالخلفاء الاثني عشر المذكورين في هذا الحديث هم المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق ، الذي قدَّمنا الحديث فيه بالذم والوعيد ، فإنه مسلك فيه نظر .

وبيان ذلك أن الخلفاء إلى زمن الوليد بن يزيد هذا أكثر من اثني عشر على كل تقدير ، وبرهانُه أنَّ الخلفاء الأربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ، خلافتُهم محقَّقة بنص حديث سفينة : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة »[٧] . ثم بعدَهم الحسنُ بن عليّ كما وقعَ ، لأن علياً أوصى إليه ، وبايَعه أهلُ العراق ، وركبَ وركبُوا معه لقتال أهل الشام حتى اصطلح هو ومعاوية ، كما دلَّ عليه حديث أبي بكرة في صحيح

---

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٢٨١) في كتاب المهدي ، وهو صحيح إلى قوله : « كلهم من قريش »فقط .

(٢) دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٥٢٠) .

(٣) رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٠) .

(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٢١) .

(٥) رواه البخاري في الأحكام (٧١٣٩) .

(٦) دلائل النبوة (٦/ ٥٢١) .

(٧) رواه أحمد (٥/ ٢٢١) وأبو داود (٤٦٤٦) و(٤٦٤٧) في السنة ؛ والترمذي في جامعه (٢٢٢٦) في الفتن وهو حديث حسن كما قال الترمذي .

البخاري[١] ، ثمَّ معاوية ، ثم ابنه يزيد بن معاوية ، ثم ابنه معاوية بن يزيد ، ثم مروان بن الحكم ، ثم ابنه عبد الملك بن مروان ، ثم ابنه الوليد بن عبد الملك ، ثم سليمان بن عبد الملك ، ثم عمرُ بن عبد العزيز ، ثم يزيدُ بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك .

فهؤلاء خمسة عشر ، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فإن اعتبرنا ولاية الزبير قبلَ عبد الملك صارُوا ستة عشر رجلاً ، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز ، فهذا الذي سلكه على هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن معاوية ، ويخرج منهم عمر بن عبد العزيز ، الذي أطبقَ الأئمة على شكره وعلى مدحه ، وعدُّوه من الخلفاء الراشدين ، وأجمعَ النَّاسُ قاطبةً على عدله ، وأن أيَّامَه كانت من أعدل الأيام ، حتى إنَّ الرافضة يعترفونَ بذلك . فإن قال : أنا لا أعتبر في هذا إلا من اجتمعت الأمَّةُ عليه ، لزمَه على هذا القول أن لا يَعُدَّ عليَّ بن أبي طالب ولا ابنه ؛ لأن الناس لم يجتمعوا عليهما ، وذلك أن أهل الشام بكمالهم لم يُبايعوهما ، وعَدَّ معاوية ، وابنه يزيد ، وابن ابنه معاوية بن يزيد ، ولم يعتدَّ بأيَّام مروان ولا ابن الزبير ؛ لأن الأمَّةَ لم تجتمع على واحد منهما ، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عادًّا للخلفاء أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم معاوية ، ثم يزيد بن معاوية[٢] ، ثم عبد الملك ، ثم الوليد ، ثم سليمان ، ثم عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد ، ثم هشام ، فهؤلاء اثنا عشرة ، ثم من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق ، ولكنَّ هذا لا يمكن أن يُسلكَ لأنه يلزم منه إخراج عليّ وابنه الحسن من هؤلاء الاثني عشر ، وهو خلاف ما نصَّ عليه أئمةُ السُّنَّة ، بل والشيعة . ثم هو خلاف ما دلَّ عليه نصاً حديث سفينة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الخلافةُ بعدي ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلْكاً عَضُوضاً »[٣] . وقد ذكَرَ سفينة تفصيلَ هذه الثلاثين سنة ، فجمعَها من خلافة الأربعة ، وقد بينَّا دخولَ خلافة الحسن ، وكانت نحواً من ستة أشهر فيها أيضاً ، ثم صار الملكُ إلى معاويةَ لما سَلَّم الأمرَ إليه الحسنُ بن عليّ ، وهذا الحديث فيه المنع من تسمية معاوية خليفةً ، وبيانُ أنَّ الخِلافةَ قد انقطعتْ بعد الثلاثين سنة لا مطلقاً ، بل انقطعَ تتابُعها ، ولا ينفي وجودَ خلفاءَ راشدين بعد ذلك ، كما دلَّ عليه حديث جابر بن سَمُرة .

وقال نُعيمُ بن حمَّاد : حدَّثنا راشد بن سعد ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حذيفة بن اليمان قال : « يكونُ بعدَ عثمان اثنا عشر ملكاً من بني أمية » قيل له : خلفاء ؟ قال : « لا ، بل ملوك »[٤] .

وقد روى البيهقيُّ : من حديث حاتم بن [أبي صغيرة] ، عن أبي بَحْر ، قال : كان أبو الجَلْد جاراً

---

(١) تقدم تخريج الحديث .

(٢) [ثم معاوية بن يزيد] وقد سقط هذا الاسم من المخطوط ، ولا بد منه ليكتمل العدد .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) رواه نعيم بن حماد في الفتن والملاحم (ص٥٣) وفي سنده ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، ونعيم ضعيف أيضاً .

لي ، فسمعتُه يقولُ ـ يحلفُ عليه ـ : إنَّ هذه الأُمَّةَ لن تهلكَ حتى يكونَ فيها اثنا عشر خليفة ، كلّهم يعمل بالهُدى ودين الحق ، منهم رجلان من أهل البيت ، أحدُهما يعيشُ أربعينَ سنة ، والآخر ثلاثين سنة[١] .

ثم شرعَ البيهقيُّ في ردِّ ما قاله أبو الجَلْد بما لا يحصلُ به الرَّدُّ ، وهذا عجيبٌ منه ، وقد وافقَ أبا الجَلْدِ طائفةٌ من العلماء ، ولعلَّ قولَه أرجحُ لما ذكرنا ، وقد كان ينظر في شيء من الكتب المتقدمة .

وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه : إن الله تعالى بشَّر إبراهيمَ بإسماعيل ، وإنه يُنَمِّيه ويُكَثِّره ، ويجعلُ من ذريته اثني عشر عظيماً .

قال شيخنا العلَّامة أبو العباس ابن تيمية : وهؤلاء المُبَشَّر بهم في حديث جابر بن سَمُرة ، وقرَّرَ أنهم يكونون مُفَرَّقِين في الأُمَّة ، ولا تقومُ الساعة حتى يُوجدوا ، قال : وغلط كثير ممن تشرَّف بالإسلام من اليهود فظنُّوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقةُ الرافضة فاتَّبعوهم .

وقد قال نعيمُ بن حمَّاد : حدَّثنا ضمرةُ ، عن ابن شَوْذب ، عن أبي المِنْهال ، عن أبي زياد ، عن كعب ، قال : إنَّ الله وَهبَ لإسماعيلَ من صُلْبه اثني عشر قيِّماً ، أفضلُهم وخيرُهم أبو بكر وعمرُ وعثمان .

وقال نُعيمٌ : حدَّثنا ضمرةُ ، عن ابن شَوْذب ، عن يحيى بن أبي عمرو السَّيْبَاني قال : ليس من الخلفاء من لم يملك المَسجِديْن : المسجدَ الحرام ، والمسجدَ الأقصى[٢] .

ذِكْرُ
الإخبار عن أمور وقعت في دولة بني العباس إلى زماننا هذا

فمن ذلك : [ما وقع في زمن] أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبَّاس الخليفة بعد أخيه الخليفة السَّفَّاح ، وهو المنصورُ الباني لمدينة بغداد ، في سنة خمس وأربعين ومئة .

قال نُعيم بن حمَّاد في كتابه : عن أبي المُغيرة ، عن أرطأة بن المنذر ، عمن حَدَّثه ، عن ابن عباس ، أنه أتاه رجل وعنده حذيفة فقال : يا بن عباس قوله : ﴿ حم عسق ﴾ فأطرقَ ساعة وأعرَض عنه ، ثم كرَّرها فلم يُجبْه بشيء ، فقال له حذيفة : أنا أنبئك ، وقد عرفتُ لم كَرَّرَها ، إنما نزلتْ في رجلٍ من أهل بيته يُقال له عبد الإله ، أو عبد الله ، ينزلُ على نهر من أنهار المشرق ، يبني عليه مدينتين يشقُّ النهرُ بينهما شقّاً ، يَجتمعُ فيهما كلُّ جبَّار عنيد[٣] .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/٥٢٣) .
(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن والملاحم (صفحة٥٨) وفيه : ومسجد بيت المقدس ، وفي نسخة : وبيت المقدس .
(٣) رواه نُعيم بن حماد في الفتن والملاحم (ص١١٩) وفي إسناده جهالة .

وقال أبو القاسم الطبراني[١] : حدَّثنا أحمدُ بن عبد الوهاب بن نَجْدة الحَوْطي ، حدَّثنا أبو المُغيرة ، حدَّثنا عبدُ الله بن السَّمْط ، حدَّثنا صالحُ بن عليّ الهاشميّ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن النبي ﷺ ، قال : « لأن يُرَبِّي أحدُكم بعد أربع وخمسين ومئة جروَ كلبٍ ، خيرٌ من أن يُرَبِّي ولداً لصُلْبِه » . قال شيخنا الذهبيُّ[٢] : هذا الحديث موضوع ، واتُّهمَ به عبدَ الله بن السَّمْط هذا .

وقال نعيمُ بن حمَّاد الخُزَاعي شيخ البخاريّ ، في كتابه « الفتن والملاحم »[٣] : حدَّثنا أبو عمرو البَصْريّ ، عن أبي بيان المعافريّ ، عن بديع ، عن كعب ، قال : إذا كانت سنة ستين ومئة انتقصَ فيها حلمُ ذوي الأحلام ، ورأيُ ذَوِي الرأي .

حديث آخر

فيه إشارة إلى مالك بن أنس الإمام

روى الترمذي[٤] : من حديث ابن عُيينة ، عن ابن جُريج ، عن أبي الزُّبير ، عن أبي صالح ، عن أبي هُريرة رواية : يُوشك أن يضربَ النَّاسُ أكبادَ الإبل يَطلبونَ العلمَ ولا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة[٥] . ثم قال : « هذا حديث حسن ، وهو حديث ابن عيينة ، وقد رُوي عنه أنه قال : هو مالك بن أنس ، وكذا قال عبد الرزاق » .

قلت : وقد تُوفي مالك رحمه الله سنة تسع وسبعين ومئة .

حديث آخر

فيه إشارة إلى محمد بن إدريس الشافعي

قال أبو داود الطيالسي[٦] : حدَّثنا جعفر بن سليمان ، عن النضر بن مَعْبد الكندي ـ أو العبدي ـ عن

---

(١) في المعجم الكبير (١٠٦٨٥) .
(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢ و٤٣٦) .
(٣) الفتن والملاحم (ص٣٦) .
(٤) الجامع للترمذي رقم (٢٦٨٠) في العلم .
(٥) رواه أيضاً الحميدي (١١٤٧) ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٩) وإسناده ضعيف بسبب تدليس ابن جريج وهو عبد الملك بن عبد العزيز . وقال الحافظ الذهبي في السير (٨/ ٥٦) بعد أن ساق الحديث بروايته : « هذا حديث نظيف الإسناد غريب المتن رواه عدة عن سفيان بن عيينة . . . وقد رواه المحاربي عن ابن جريج موقوفاً ، ويروى عن محمد بن عبد الله الأنصاري عن ابن جريج مرفوعاً » .
(٦) مسند أبي داود الطيالسي (٣٠٩) وإسناده ضعيف جداً ، فإن النضر الكندي متروك . وتمام تخريجه في تاريخ الخطيب (٢/ ٢٩٨) تحقيق الدكتور بشار .

الجارود ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : قالَ رسول الله ﷺ : « لا تَسبُّوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرضَ علماً ، اللَّهُمَّ إنَّكَ أذقتَ أوَّلَها وَبالاً ، فأذقْ آخرَها نَوالاً » .

وقد رواه الحاكم من طريق أبي هُريرة(١) .

قال الحافظُ أبو نُعيم الأصبهاني : وهو الشافعيُّ .

قلت : وقد تُوفِّي الشافعيُّ رحمه الله في سنة أربع ومئتين ، وقد أفردنا ترجمتَه في مجلد ، وذكرنا معه تراجمَ أصحابه من بعده .

حديث آخر

وروى روَّاد بن الجرَّاح : عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي ، عن حذيفة ، مرفوعاً : « خيرُكم بعد المئتين خفيفُ الحَاذِّ » قالوا : وما خفيفُ الحَاذِّ يا رسول الله ؟ قال : « من لا أهل له ولا مال ولا ولد »(٢) .

حديث آخر

قال ابن ماجه(٣) : حدَّثنا الحسنُ بن عليّ الخَلَّال ، حدَّثنا عَوْن بن عُمارة ، حدَّثني عبدُ الله بن المُثنَّى ، ابنُ(٤) ثُمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أنس بن مالك ، عن أبي قتادة قال :

قال رسولُ الله ﷺ : « الآيات بعد المئتين »(٥) .

وحدَّثنا نصرُ بن عليّ الجَهْضَمِيّ ، حدَّثنا نُوح بن قَيْس ، حدَّثنا عبدُ الله بن معقل ، عن يزيد الرَّقَاشي ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال : « أُمَّتي على خمسِ طبقاتٍ ، فأربعونَ سنة ، أهلُ بِرٍّ وتَقوى ، ثم الذين يَلونَهم إلى عشرين ومئة سنة ، أهلُ تَراحُمٍ وتَواصُلٍ ، ثم الذين يلونَهم إلى ستين ومئة ، أهلُ تَدابُرٍ وتَقاطع ، ثم الهَرجُ الهَرْجُ ، النَّجَاء النَّجاء »(٦) .

---

(١) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٣٨٧٦) ولم نجده عند الحاكم ، وهو ضعيف .

(٢) ذكره الحوت في « أسنى المطالب » رقم (٦٢١) وقال : وفي سنده روّاد بن الجراح ، ضعفه الحافظ .

(٣) رواه ابن ماجه في الفتن . من سننه (٤٠٥٧) .

(٤) في المطبوع : « حدثنا » خطأ ، وهذه رواية ابن ماجه . وراجع ما قاله المزي في تهذيب الكمال (٢٧/ ١٩٧) وتعليق الدكتور بشار على سنن ابن ماجه .

(٥) في إسناده عون بن عمارة العَبْدي ، وهو ضعيف ، وهو حديث موضوع .

(٦) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠٥٨) وفي إسناده يزيد بن أبان الرَّقاشيُّ ، وهو ضعيف ، والراوي عنه عبد الله بن معقل =

وحدَّثنا نصرُ بن عليّ ، حدَّثنا حازم أبو محمد العَنَزِيّ ، حدَّثنا المِسْور بن الحسن ، عن أبي مَعْن ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمتي على خمس طبقاتٍ ، كلُّ طبقةٍ أربعونَ عاماً ، فأمَّا طَبقتِي وطبقةُ أَصحابي فأهلُ علم وإيمان ، وأما الطبقةُ الثانية ما بينَ الأربعينَ إلى الثمانين ، فأهلُ بِرٍّ وتَقوى »[١] ثم ذكر نحوه .

هذا لفظه ، وهو حديث غريب من هذين الوجهين ، لا يَخلُو عن نكارةٍ ، والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدَّثنا وكيعٌ ، حدَّثنا الأعمشُ ، حدَّثنا هلالُ بن يسار ، عن عمرانَ بن حُصين ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « خيرُ النَّاس قَرْني ثم الذين يَلونَهم ، ثم الذين يَلونَهم ، ثم يجيءُ قومٌ يتسمَّنون ، يُحِبُّونَ السِّمَنَ ، يُعطون الشهادة قبلَ أن يُسألوها »[٢] .

ورواه الترمذي[٣] من طريق الأعمش .

وقد رواه البخاري ومسلم من حديث شعبة عن أبي حمزة ، عن زَهْدَم بن مُضَرِّبٍ ، سمعت عِمرانَ بن حُصَيْن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ـ قال عمران : فلا أدري أذكرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ـ ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » لفظ البخاري[٤] .

وقال البخاري : حدَّثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن عَبِيْدَة ، عن عبد الله ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « خيرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثمَّ الذينَ يلونَهم ، ثمَّ الذين يَلونَهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يَجيءُ قوم تسبق شهادةُ أحدِهم يمينَه ، ويمينُه شهادَتَه »[٥] . قال إبراهيم : وكانوا يضربُوننا على الشهادة والعهد ونحنُ صغار .

وقد رواه بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق متعدِّدة عن منصورٍ به[٦] .

= مجهول ومتن الحديث منكر .

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠٥٨) وأبو معن ، والمسور بن الحسن ، وخازم العنزي ؛ مجهولون . وقال أبو حاتم : هذا حديث باطل . وقال الذهبي في ترجمة المسور : حديثه منكر ، وينظر تعليق الدكتور بشار على سنن ابن ماجه .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/٤٢٦) وهو حديث صحيح .

(٣) رواه الترمذي في الشهادات (٢٣٠٢) وهو حديث صحيح .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٦٥٠) ومسلم رقم (٢٥٣٥)(٢١٤) .

(٥) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٦٥٠) .

(٦) رواه مسلم (٢٥٣٣)(٢١٠) و(٢١١) و(٢١٢) في الفضائل ، والترمذي (٣٨٥٩) في المناقب ، والنسائي في الكبرى (٦٠٣١) في القضاء ، وابن ماجه (٢٣٦٢) في الأحكام . وهو في مسند أحمد (١/٣٧٨) .

حديث آخر

قال نُعيم بن حمَّاد : حدَّثنا أبو عمرو البَصْري ، عن ابن لَهِيْعَة ، عن عبد الوهاب بن حُسين ، عن محمد بن ثابت البُناني ، عن أبيه ، عن الحارث الهَمَداني ، عن ابن مسعود ، عن النبيِّ ﷺ قال : « السابع من ولد العباس يدعُو النّاسَ إلى الكفر فلا يُجيبونه ، فيقولُ له أهلُ بيته : تُريد أن تُخرجَنا من معايشنا ؟ فيقولُ : إني أسيرُ فيكم بسيرة أبي بكر وعمرَ ، فيأبون عليه ، فيقتلَه عدوٌّ له من أهل بيته من بني هاشم ، فإذا وثبَ عليه اختلفُوا فيما بينَهم »[١] فذكرَ اختلافاً طويلاً إلى خروج السُّفيانيّ .

وهذا الحديثُ ينطبقُ على عبد الله المأمون ، الذي دعا النَّاسَ إلى القول بخَلْق القرآن ، ووقى الله شَرَّها ، كما سنورد في موضعِه ، والسُّفْيَانِيُّ رجل يكون آخر الزمان ، منسوبٌ إلى أبي سفيان ، يكونُ من سلالته ، وسيأتي في آخر كتاب الملاحم .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدَّثنا هاشم ، حدَّثنا ليث ، عن معاويةَ بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جُبير ، عن أبيه ، سمعتُ أبا ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيّ صاحب رسول الله ﷺ ، أنه سمعَه يقولُ ـ وهو بالفُسْطاط في خلافةِ معاويةَ ـ ، وكان معاوية أغزى النَّاس القُسطنطينية ، فقال : والله لا تَعْجِزُ هذه الأمَّةُ من نصفِ يومٍ إذا رأيتَ الشام مائدةَ رجلٍ واحدٍ وأهلِ بيته ، فعندَ ذلك فتحُ القُسطنطينية[٢] .

هكذا رواه أحمد موقوفاً على أبي ثعلبة ، وقد أخرجه أبو داود في « سننه » : من حديث ابن وَهْب ، عن معاويةَ بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جُبير ، عن أبيه ، عن أبي ثعلبة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يُعْجِزَ الله هذه الأُمَّة من نصفِ يومٍ »[٣] تفرد به أبو داود .

ثم قال أبو داود : حدَّثنا عمرو بن عثمان ، حدَّثنا أبو المُغيرةَ ، حدَّثني صَفوان ، عن شُرَيْح بن عُبيد ، عن سعد بن أبي وقَّاص ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « إنِّي لأرجُو أنْ لا تعْجزَ أُمَّتِي عندَ ربِّها أن يُؤخِّرَهم نصفَ يوم »[٤] قيل لسعدٍ : وكم نصفُ يومٍ ؟ قال : خمسمئة سنة . تفرَّد به أبو داود ، وإسناده جيد .

---

(١) رواه نُعيم بن حمَّاد في كتاب الفتن والملاحم (ص٢٤) وإسناده ضعيف ، لضعف نعيم بن حماد وابن لهيعة والحارث الأعور .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٩٣) رقم (١٧٦٦٣) عن أبي ثعلبة الخشني ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤٩) ، وقد رجح الإمام البخاري الرواية الموقوفة . كما في فتح الباري (١١/ ٣٥١) .

(٤) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٥٠) .

وهذا من دلائل النبوة فإن هذا يقتضي وقوع تأخير الأمة نصف يوم ، وهو خمسمئة سنة ، كما فسَّره الصحابيُّ ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] ثم هذا الإخبار بوقوع هذه المدة لا ينفي وقوع ما زاد عليها ، فأمَّا ما يذكره كثيرٌ من الناس من أنه عليه الصلاة والسلام لا يُؤَلِّف في قبره ، بمعنى لا يمضي عليه ألف سنة من يوم مات إلى حين قيام الساعة ، فإنه حديث لا أصل له في شيء من كتب الإسلام ، والله أعلم .

حديث آخر

فيه الإخبار عن ظهور النَّار التي كانت بأرض الحجاز ، حتى أضاءت لها أعناقُ الإبل ببصرى ، وقد وقعَ هذا في سنة أربع وخمسين وستمئة .

قال البخاري في صحيحه : حدَّثنا أبو اليَمان ، حدَّثنا شُعيب ، عن الزُّهري ، قال : قال سعيدُ بن المُسيِّب : أخبرني أبو هُريرة ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا تقومُ السَّاعةُ حتى تخرجَ نارٌ من أرضِ الحجاز تضيءُ لها أعناقُ الإبل ببصرى » . تفرَّد به البخاري[1] .

وقد ذكرَ أهلُ التاريخ وغيرُهم من الناس ، وتواترَ وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمئة ، قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين في زمانه ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المُلَقَّب بأبي شامة في « تاريخه » : إنها ظهرت يومَ الجُمعة في خامس جُمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمئة ، وأنها استمرَّت شهراً وأزيدَ منه ، وذكرَ كتباً متواترةً عن أهل المدينة ، في كيفية ظهورها شرقي المدينة من ناحية وادي شظاة[2] ، تلقاءَ أُحد ، وأنها ملأت الأودية ، وأنَّه يخرجُ منها شررٌ يأكلُ الحِجارة ، وذكرَ أن المدينةَ زُلزلت بسببها ، وأنهم سمعوا أصواتاً مزعجة قبلَ ظهورها بخمسة أيام ، أَوَّلُ ذلك مستهلّ الشهر يوم الإثنين ، فلم تزل ليلاً ونهاراً حتَّى ظهرت يومَ الجمعة خامسه ، فانبجستْ تلك الأرض عند وادي شظاة عن نار عظيمة جداً صارت مثل الوادي ، طوله أربعة فراسخ في عرض أربعة أميال وعمقه قامة ونصف ، يسيلُ الصَّخر حتى يبقى مثل الآنك ، ثم يصيرُ كالفحم الأسود ، وذكر أن ضوءها يمتد إلى تَيْمَاء ، بحيث كتب الناس على ضوئها في الليل ، وكأن في بيت كل منهم مصباحاً ، ورأى النَّاسُ سناها من مكة شرَّفها الله .

قلت : وأما بصرى فأخبرني قاضي القضاة صدر الدين عليّ بن أبي قاسم التَّيِمِيّ الحنفي قال : أخبرني والدي ، وهو الشيخ صفيّ الدين أحد مدرسي بُصرى ، أنه أخبرَه غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة

---

(١) رواه البخاري في الفتن (٧١١٨) .

(٢) وادي شظاة : يأتي من شرقي المدينة ، من أماكن بعيدة إلى أن يصل السد الذي أحدثته نار الحرة التي ظهرت في المدينة المنورة في جمادى الآخرة ، سنة أربع وخمسين وستمئة . انظر تحقيق النصرة للمراغي (ص١٩٠) .

من كان بحاضرة بلدة بصرى أنهم رأوا صفحاتِ أعناق إبلهم في ضوء هذه النَّار التي ظهرت من أرض الحجاز .

وقد ذكرَ الشيخ شهاب الدين أن أهل المدينة لجؤوا في هذه الأيام إلى المسجد النبوي ، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها ، واستغفروا عند قبر النبيِّ ﷺ مما سلفَ منهم وأعتقوا الغلمانَ ، وتصدَّقوا على فقرائهم ومَحاوِيجهم ، وقد قال قائلُهم في ذلك :

يا كاشِفَ الضُّرّ صَفحاً عن جَرائِمنا ... فَقَد[1]أَحاطَت بِنَا يَا رَبُّ بأسَاءُ
نَشْكو إليكَ خُطوباً لا نُطيق لَها ... حَملاً ونحنُ بها حقاً أَحِقَّاءُ
زَلازِلاً تَخْشعُ الصُّمُّ الصِّلادُ لَها ... وَكَيف تَقوى على الزلزالِ صَمَّاءُ
أَقامَ سَبْعَاً يَرُجُّ الأرضَ فانصدَعَتْ ... عَن مَنْظَرٍ مِنهُ عينُ الشمسِ عَشْواءُ[2]
بَحرٌ مِنَ النارِ تَجري فَوقَهُ سُفُنٌ ... مِنَ الهِضَابِ لها في الأرضِ إرساءُ
يُرَى لَها شَرَرٌ كالقَصْرِ طَائِشة ... كَأَنَّها دِيمةٌ تَنصَبُّ هَطْلاءُ[3]
تَنْشَقُّ منها قُلوبُ الصخر إن زَفَرَتْ ... رُعباً وَتَرعُدُ مِثْلُ الشُّهبِ أَضواءُ
مِنْها تكاثَفَ في الجوِّ الدُّخانُ إلى ... أَن عادَتِ الشمسُ مِنهُ وَهيَ دَهماءُ[4]
قَدْ أَثَّرَتْ سُعفةً في البدر لَفحتها ... فَلَيْلَةُ التمِّ بَعْد النُّورِ لَيلاءُ[5]
فَيَا لها آيةٌ من مُعجِزاتِ رَسو ... لِ الله يَعقِلُها القَومُ الأَلِبَّاءُ[6]

ومما قيل في هذه النَّار مع غرق بغداد وفي هذه السنة إلى آخرها :

سُبحانَ مَنْ أَصْبَحَت مَشِيئَتُهُ ... جَارِيَةً في الوَرى بِمقدَار
أَغرقَ بَغدادَ بالمِيَاهِ كَمَا ... أَحرَقَ أَرْضَ الحِجازِ بِالنَّارِ

حديث آخر

قال الإمام أحمد[7] : حدَّثنا أبو عامر ، حدَّثنا أفلح بن سعيد الأنصاري ـ شيخٌ من أهلِ قباء من

(١) في « أ » : لقد .
(٢) « انصدعت » : انشقت . و« عشواء » : لا تبصر .
(٣) « شرر كالقصر » : كل شرارة كالبناء المشيد في العظم والارتفاع . و« هطلاء » : ممطرة .
(٤) « دهماء » : مسودَّة .
(٥) « ليلاء » : مظلمة ، شديدة الظلمة .
(٦) « الألباء » : العقلاء .
(٧) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٣) رقم (٨٢٧٦) و(٨٠٥٩) ورواه مسلم رقم (٢٨٥٧) (٥٣) و(٥٤) من حديث أبي =

الأنصار ـ حدَّثني عبدُ الله بن رافع مولى أمِّ سلمة ، قال : سمعتُ أبا هريرة يقولُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنْ طالتْ بكم مُدَّةٌ أوشكَ أن تَرَوا قوماً يَغدونَ في سَخَطِ الله ويَروحُون في لعنتهِ ، في أيديهم مثلُ أذناب البقر » .

ورواه مسلم : عن محمد بن عبد الله بن نُمير ، عن زيد بن الحُباب ، عن أفلحَ بن سعيد به[١] .

وروى مسلم أيضاً : عن زهير بن حرب ، عن جرير ، عن سُهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال ﷺ : « صنفانِ مِن أهل النَّار لم أرَهُما بعدُ ، قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقر يضربونَ بها النَّاسَ ، ونساءٌ كاسياتٌ عاريات ، مائلاتٌ مُمِيْلاتٌ رؤُوسهنَّ كأسنمةِ البُخْتِ المائلة ، لا يدخلنَ الجَنَّةَ ، ولا يجدنَ ريحَها ، وإنَّ ريحَها ليُوجدُ مِن مَسيرةِ كذا وكذا »[٢] .

وهذان الصنفان وهما الجَلَّادون الذين يُسمَّون بالرجالة ، والجاندارية ، كثيرون في زماننا هذا ، ومن قبله ، وقبلَ قبله بدهر ، والنساء الكاسيات العاريات ، أي : عليهن لبس لا يُواري سوءاتهنَّ ، بل هو زيادة في العورة ، وإبداء للزينة ، مائلات في مشيهنَّ ، مميلات غيرهنَّ إليهن ، وقد عمَّ البلاء بهنَّ في زماننا هذا ، ومن قبله أيضاً ، وهذا من أكبر دلالات النبوة ، إذ وقع الأمر في الخارج طِبْقَ ما أخبرَ به عليه الصلاة والسلام ، وقد تقدَّم حديثُ جابر : « أما إنها ستكون لكم أنماط »[٣] وذكر تمامَ الحديث في وقوع ذلك ، واحتجاج امرأته عليه بهذا .

حديث آخر

روى الإمام أحمد : عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن داود بن أبي هند[٤] .

وأخرجه البيهقي من حديثه : عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي ، عن طلحةَ بن عمرو البصري ؛ أنَّه قدمَ المدينةَ على رسول الله ﷺ ، فبينما هو يُصلِّي إذ أتاه رجلٌ فقال : يا رسول الله أحرقَ بُطونَنا التَّمرُ ، وتحرَّقت عنا الجيف ، قال : فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : « لقد رأيتني وصاحبي وما لنا طعامٌ غير البَرِيْر ، حتَّى أتينَا إخواننا من الأنصار فآسونا من طعامهم وكان جلّ طعامهم التمر ، والذي لا إله إلا هو لو قَدِرْتُ لكم على الخبز والتمر لأطعمتكُموه ، وسيأتي عليكم زمان ـ أو مَن أدركَه منكم ـ يلبسون مثلَ أستار

= هريرة رضي الله عنه ، وقد أخطأ ابن الجوزي فذكره في الموضوعات (٣/ ١٠١) ، وتبعه ابن حبان أيضاً (المجروحين ١/ ١٧٦) والحديث صحيح .

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٧)(٥٣) .

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)(١٢٥) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٩٤) رقم (١٤٠٦٤) وهو حديث صحيح .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٨٧) رقم (١٥٩٣٠) وهو حديث صحيح .

الكعبة ، ويُغْدى ويُراح عليكم بالجِفَان ، قالوا : يا رسولَ الله ! أنحنُ يومئذٍ خيرٌ أم اليوم ؟ قال : بل أنتم اليومَ خيرٌ ، أنتُم اليومَ إخوانٌ ، وأنتمُ يومئذٍ يَضْرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ »(١) .

وقد روى سفيانُ الثوريُّ : عن يحيى بن سعيد ، عن أبي موسى يُحَنِّس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مَشَتْ أُمَّتي المُطَيْطَاءَ ، وخدَمتهم فارسٌ والرُّومُ ، وسلَّط الله بعضَهم على بعض »(٢) .

وقد أسندَه البيهقيُّ من طريق موسى بن عُبيدة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ(٣) .

حديث آخر

قال أبو داود : حدَّثنا سليمانُ بن داود المَهْريّ ، حدَّثنا ابنُ وَهْب ، حدَّثنا سعيدُ بن أبي أيوب ، عن شَرَاحِيْلَ بن يزيد المَعَافِريّ ، عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة ـ فيما أعلم ـ عن رسول الله ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يُجَدِّد لها أمرَ دينها »(٤) . قال أبو داود : رواه عبدُ الرحمن بن شريح الإسكندراني لم يَجُزْ به شراحيلَ ، تفرَّد به أبو داود .

وقد ذكرَ كلُّ طائفة من العلماء في رأس كل مئة سنة عالماً من علمائهم ، ينزلون هذا الحديث عليه ، وقال طائفة من العلماء : بل الصحيح أن الحديث يشملُ كلَّ فرد من آحاد العلماء في هذه الأعصار ممن يقومُ بفرض الكفاية في أداء العلم عمَّن أدركَ من السلف إلى من يُدركه من الخلف ، كما جاء في الحديث من طرق مرسلة وغير مرسلة : « يحملُ هذا العلمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدوله ، ينفون عنه تحريفَ الغالين ، وانتحالَ المبطلين »(٥) . وهذا موجودٌ ولله الحمد والمِنَّة إلى زماننا هذا ، ونحنُ في القرن الثامن ، والله المسؤول أن يختمَ لنا بخير ، وأن يجعلَنا من عباده الصَّالحين ، ومن ورثة جنَّة النعيم آمين آمين يا رب العالمين .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٢٤) وهو حديث صحيح وذكره الحافظ في الإصابة (٢/ ٢٣١) والبرير : هو تمر الأراك عامة ، وهو أول ما يظهر من تمر الأراك ، وهو حلو .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٢٥) ، وهو مرسل ، فهو ضعيف .

(٣) وكذلك أسنده قبله ابن المبارك في الزهد (١٨٧) ، والترمذي في الجامع (٢٢٦١) وقال : غريب ، أي ضعيف . والرواية الموقوفة أصح ، وقد تابع سفيان مالك فرواه كذلك أيضاً . وينظر بلا بد تعليق الدكتور بشار على جامع الترمذي (٤/ ١١١) من طبعته .

(٤) رواه أبو داود في أول كتاب الملاحم (٤٢٩١) باب ما يذكر في قرن المئة ، وهو حديث صحيح .

(٥) وهو حديث مشهور ، صححه ابن عبد البر ، وروي عن أحمد بن حنبل أنه قال : حديث صحيح ، ولكن الحديث في إسناده ضعف ، ولكن له روايات كثيرة ، فهو حسن بمجموعها . وانظر كتاب « العواصم والقواصم » لمحمد بن إبراهيم الوزير (١/ ٣٠٨ ـ ٣١٠) .

وسيأتي الحديث المخرج في الصحيح : « لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرينَ على الحَقِّ لا يضرُّهم من خذلَهم ولا من خالفَهم حتى يأتيَ أمرُ الله[١] وهم كذلك » .

وفي صحيح البخاري : وهم بالشام[٢] . وقد قال كثيرٌ من علماء السلف : إنهم أهلُ الحديث ، وهذا أيضاً من دلائل النبوة ، فإن أهلَ الحديث بالشام أكثر من سائر أقاليم الإسلام ، ولله الحمد ، ولا سيما بمدينة دمشق حَماها الله وصانَها ، كما ورد في الحديث الذي سنذكرُه ؛ أنها تكون معقلَ المسلمين عند وقوع الفتن .

وفي صحيح مسلم عن النَّوَّاس بن سمعان ؛ أنَّ رسول الله ﷺ أخبرَ عن عيسى ابن مريم ، أنه ينزلُ من السماء على المنارة البيضاء شرقيّ دمشق[٣] . ولعلَّ أصل لفظ الحديث « على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق » وقد بلغني أنه كذلك في بعض الأجزاء ، ولم أقف عليه إلى الآن ، والله المُيَسِّرُ ، وقد جُدِّدت هذه المنارة البيضاء الشرقية بجامع دمشق بعدما أحرَقها النصارى في أيامنا هذه بعد سنة أربعين وسبعمئة ، فأقامُوها من أموال النَّصارى مقاصَّة على ما فعلوا من العُدوان ، وفي هذا حكمة عظيمة ، وهو أن ينزلَ على هذه المَبْنيَّة من أموالهم عيسى ابن مريم نبيّ الله ، فيُكَذِّبُهم فيما افتروه عليه من الكذب عليه وعلى الله ، ويكسرُ الصليبَ ، ويقتل الخنزيرَ ويضعُ الجزيةَ ـ أي : يتركها ـ ولا يقبل من أحد منهم ولا من غيرهم إلا الإسلام ، يعني : أو يقتله ، وقد أخبرَ بهذا عنه رسول الله ﷺ وقرَّره عليه وسوَّغه له ، صلواتُ الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين[٤] .

باب
التنبيه على ذكر معجزاتٍ لرسول الله ﷺ مماثلةٍ لمعجزاتِ جماعةٍ من الأنبياء قبلَه ، وأعلى منها ، خارجةٍ عما اختصَّ به من المعجزات العظيمة التي لم يكن لأحد قبلَه منهم عليهم السلام

فمن ذلك القرآن العظيم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] فإنَّه معجزةٌ مستمرة على الآباد ، ولا يخفى برهانُها ، ولا يتفحص مثلها . وقد تحدَّى به الثقلين من الجن والإنس على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور ، أو بسورة من مثله ، فعجزوا عن ذلك كما تقدَّم تقرير ذلك في أول كتاب المعجزات ، وقد سبقَ الحديثُ المتفق على إخراجه في الصحيحين من طريق الليث بن سعد

---

(١) رواه البخاري في الاعتصام (٧٣١١) ومسلم في الإمارة (١٩٢١) وكلاهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .
(٢) رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١) . وقوله : « وهم بالشام » من قول معاذ رضي الله عنه .
(٣) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢١٣٧) (١١٠) .
(٤) في المطبوع : وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان .

عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجُو أَنْ أكونَ أكثَرهم تابعاً يومَ القيامة »[1] . والمعنى أَنَّ كلَّ نبي قد أوتي من خوارق العادات ما يقتضي إيمان من رأى ذلك من أُولي البَصائر والنُّهى ، لا من أهل العِناد والشقاء ، وإنما كان الذي أُوتيه ، أي : جلُّه وأعظمُه وأبهرُه ، القرآن الذي أوحاه الله إليه ، فإنه لا يبيدُ ولا يذهبُ كما ذهبت معجزات الأنبياء وانقضت بانقضاء أيامهم ، فلا تُشاهد ، بل يخبر عنها بالتواتر والآحاد ، بخلاف القرآن العظيم الذي أوحاه الله إليه فإنه معجزة متواترة عنه ، مستمرة دائمة البقاء بعده ، مسموعة لكل من ألقى السمع وهو شهيد .

وقد تقدَّم في الخصائص ذكر ما اختصَّ به رسولُ الله ﷺ : عن بقية إخوانه من الأنبياء عليهم السلام ، كما ثبت في الصحيحين : عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحد قبلي ، نصرتُ بالرُّعْب مسيرةَ شهر ، وجُعلتْ ليَ الأرضُ مسجداً وطَهُوراً ، فأيما رجل مِن أمتي أدركته الصَّلاة فليُصَلِّ ، وأُحِلَّتْ لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي ، وأُعطِيت الشفاعة ، وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومه ، وبُعثت إلى الناس عامة »[2] . وقد تكلَّمنا على ذلك وما شاكلَه فيما سلفَ بما أغنى عن إعادته ولله الحمد .

وقد ذكرَ غيرُ واحد من العلماء أَنَّ كلَّ معجزة لنبيٍّ من الأنبياء فهي في الحقيقة معجزة لخاتمهم محمد ﷺ ، وذلك أَنَّ كلاًّ منهم بَشّر بمبعثه ، وأمر بمتابعته ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ٨١ ـ ٨٢] وقد ذكرَ البخاريُّ وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما بعثَ الله نبياً من الأنبياء إلا أخذَ عليه العهدَ والميثاق لئن بُعثَ محمد وهو حيٌّ لَيؤمِنُنَّ به وليتبعنَّه ولينصرنَّه ، وأمره أن يأخذ العهد على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه[3] .

وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء ، لأن الولي إنما نالَ ذلك ببركة متابعته لنبيِّه ، وثواب إيمانه به .

والمقصود أنه كان الباعث لي على عقد هذا الباب أنِّي وقفتُ على مولد اختصرَه من سيرة الإمام محمد بن إسحاق بن يَسار وغيرها شيخنا الإمام العلاَّمة شيخ الإسلام كمال الدين أبو المَعالي محمَّدُ بن

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨١) والاعتصام (٧٢٧٣) ومسلم في الإيمان (١٥٢)(٢٣٩) .
(٢) رواه البخاري في التيمم (٣٣٥) ومسلم في المساجد (٥٢١)(٣) .
(٣) ليس عند البخاري ، وقد رواه المصنف في تفسيره عن علي وابن عباس من قولهما . ولم يسنده إلى البخاري .

عليِّ الأنصاري السِّماكي ، نسبة إلى أبي دجانة الأنصاري ، سِمَاك بن أوس بن خرشة الأوسيّ ، رضي الله عنه ، شيخ الشافعية في زمانه بلا مدافعة ، المعروف بابن الزملكاني رحمه الله وبلَّ بالرحمة ثراهُ ، وقد ذكر في أواخره شيئاً من فضائل رسول الله ﷺ ، وعقدَ فصلاً في هذا الباب فأوردَ فيه أشياء حسنة ، ونبَّه على فوائد جمة ، وفرائد مهمة ، وتركَ أشياءَ أخرى حسنة ، ذكرَها غيرُه من الأئمة المُتقدِّمين ، ولم أره استوعبَ الكلامَ إلى آخره ، فإما أنه قد سقطَ من خطِّه ، أو أنه لم يُكمل تصنيفَه ، فسألني بعضُ أهله من أصحابنا ممن تتأكَّدُ إجابتهُ ، تكرَّرَ ذلك منه ، في تكميله ، وتبويبه ، وترتيبه ، وتهذيبه ، والزيادة عليه ، والإضافة إليه ، فاستخرت الله تعالى حيناً من الدهر ، ثم نشطتُ لذلك ابتغاءَ الثواب والأجر ، وقد كنتُ سمعتُ من شيخنا الإمام العلامة الحافظ الجِهْبِذ ، أبي الحجَّاج المِزِّي تغمَّده الله برحمته ، أنَّ أوَّلَ من تكلَّم في هذا المقام الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله .

وقد روى الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه دلائل النبوة[١] : عن شيخه الحاكم أبي عبد الله ، أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، عن أبيه ، قال عمرو بن سوَّاد : قال الشافعي : ما أعطى الله نبيَّاً ما أعطى محمّداً ﷺ ، فقلتُ : أعطى عيسى إحياءَ الموتى ، فقال : أعطى محمَّداً ﷺ الجِذْعَ الذي كان يخطبُ إلى جنبه حينَ بُني له المنبر ، حنّ الجِذعُ حتَّى سُمِعَ صوتُه ، فهذا أكبرُ من ذلك ، هذا لفظه رحمه الله تعالى .

والمراد من إيراد ما نذكره في هذا الباب ، التنبيه على ما أعطى الله أنبياءَه عليهم السلام من الآيات البيِّنات ، والخَوارق القاطعاتِ ، والحُجَج الواضحات ، وأن الله تعالى جمعَ لعبده ورسوله سيد الأنبياء وخاتمهم من جميع أنواع المحاسن والآيات ، مع ما اختصَّه به مما لم يُؤتِ أحداً قبله ، كما ذكرنا في خصائصه وشمائله ﷺ .

ووقفتُ على فصل مليح في هذا المعنى ، في كتاب دلائل النبوة للحافظ أبي نُعيم ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، وهو كتابٌ حافلٌ في ثلاث مجلدات[٢] ، عقد فيه فصلاً في هذا المعنى ، وكذا ذكرَ ذلك الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد ، في كتابه « دلائل النبوة » وهو كتابٌ كبيرٌ جليل حافل ، مشتملٌ على فرائد نفيسة . وكذا الصَّرْصَرِي الشاعر ، يُورد في بعض قصائده أشياء من ذلك كما سيأتي .

وها أنا أذكرُ بعون الله مجامعَ ما ذكرنا من هذه الأماكن المتفرقة بأوجز عبارة ، وأقصرِ إشارة ، وبالله المستعان ، وعليه التُّكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم .

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٦٨) .

(٢) هذا من أوكد الأدلة على أن المطبوع هو مختصر الكتاب (بشار) .

القولُ فيما أُوتي نوح عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٠ ـ ١٥] وقد ذكرت القصة مبسوطة في أول هذا الكتاب ، وكيف دعا على قومه ، فنجّاه الله ومن اتّبعَه من المؤمنين ، فلم يهلك منهم أحدٌ ، وأغرقَ من خالفَه من الكافرينَ ، فلم يسلم منهم أحد ، حتى ولا ولده(١) .

قال شيخنا العلَّامة أبو المَعالي محمد بن عليّ الأنصاري بن الزملكاني(٢) ، ومن خطه نقلتُ : وبيان أن كل معجزة لنبيٍّ فلنبيِّنا مثلها ، إذا تمَّ يستدعي كلاماً طويلاً ، وتفصيلاً لا يسعه مُجلَّدات عديدة ، ولكن نُنبِّه بالبعض على البعض ، فلنذكر جلائلَ معجزات الأنبياء عليهم السلام ، فمنها نجاة نوح في السفينة بالمؤمنين ، ولا شكَّ أنَّ حملَ الماء للناس من غير سفينة أعظمُ من السُّلوك عليه في السفينة ، وقد مشى كثيرٌ من الأولياء على متن الماء ، وفي قصة العلاء بن زياد ، صاحب رسول الله ﷺ ما يدلُّ على ذلك ؛ روى سهمُ بن مِنْجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي « دَارِيْن »(٣) ، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبتْ له ، فنزلنا منزلاً فطلبَ الماء فلم يجده ، فقام وصلَّى ركعتين ، وقال : اللّهُمَّ إنَّا عبيدُك وفي سبيلك ، نقاتلُ عدوَّك ، اللّهُمَّ اسقنا غيثاً نتوضَّأ به ونشربُ ، ولا يكونُ لأحد فيه نصيبٌ غيرنا ، فسرنا قليلاً فإذا نحن بماءٍ حين أقلعتِ السَّماءُ عنه ، فتوضأنا منه وتزوَّدْنا ، وملأتُ إداوتي وتركتها مكانَها حتى أنظر هل استجيب له أم لا ، فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي : نسيتُ إداوتي فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط ، ثم سرنا حتى أتينا « دارين » والبحر بيننا وبينهم ، فقال : يا عليُّ يا حكيمُ يا عظيم ! إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك ، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً ، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا ، ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شيء . . . وذكر بقية القصة . قال : فهذا أبلغُ من ركوب السفينة ، فإنَّ حملَ الماء للسفينة معتاد ، وأبلغ من فلق البحر لموسى ، فإنَّ هناك انحسرَ الماء حتَّى مشوا على الأرض ، فالمعجزةُ انحسار الماء، وها هنا صار الماءُ جسداً يمشون عليه كالأرض ، وإنما هذا منسوبٌ إلى النبيِّ ﷺ

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٦٨) .

(٢) المتوفى سنة (٧٢٧) ، كما في البداية والنهاية (١٤/ ١٣١) وهو من شيوخ الحافظ ابن كثير كما تقدم في الصفحة السابقة .

(٣) « دارين » : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المِسْك من الهند ، والنسبة إليها داريٌّ . وفي كتاب سيف : أن المسلمين اقتحموا إلى دارين البحر مع العلاء بن الحضرمي . ثم قال ياقوت : وهذه صفة « أُوال » أشهر مدن البحرين اليوم ، ولعلَّ اسمها أُوال ودارين . انظر معجم البلدان (٢/ ٤٣٢) .

وبركته . انتهى ما ذكره بحروفه فيما يتعلَّق بنوح عليه السلام ، وهذه القصة التي ساقها شيخُنا ذكرَها الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه « الدلائل » : من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا ، عن أبي كريب ، عن محمد بن فُضيل ، عن الصَّلْت بن مطر العجلي ، عن عبد الملك بن أخت سهم ، عن سَهْم بن مِنْجَاب ، قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي فذكره(١) .

وقد ذكرَها البخاريُّ في التاريخ الكبير من وجه آخر .

ورواها البيهقي : من طريق أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أنه كان مع العلاء وشاهدَ ذلك .

وساقَها البيهقيُّ : من طريق عيسى بن يونس ، عن عبد الله بن عَوْن ، عن أنس بن مالك ، قال : أدركتُ في هذه الأمة ثلاثاً لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمتها الأمم [ولكان عجباً](٢) قلنا : ما هنَّ يا أبا حمزة ؟! قال : كنا في الصُّفَّة عند رسول الله ﷺ ، فأتته امرأةٌ مهاجرةٌ ، ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة إلى النساء ، وأضاف ابنها إلينا ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة ، فمرض أيَّاماً ثم قُبِضَ ، فغمَّضَه النبيُّ ﷺ وأمرَ بجهازه ، فلما أردنا أن نُغَسِّلَه قال : « يا أنس ! ائتِ أمَّه ، فأَعلمْها » فأعلمتُها ، قال : فجاءتْ حتى جلستْ عند قَدَمَيْه ، فأخذتْ بهما ثم قالت : اللَّهم إني أسلمتُ لك طَوعاً ، وخلعتُ الأوثانَ ، فلا تُحَمِّلْني من هذه المُصيبة ما لا طاقةَ لي بحملِه . قال : فوالله ما انقضَى كلامُها حتَّى حرَّكَ قدميْه ، وألقى الثوبَ عن وجههِ ، وعاشَ حتَّى قبضَ الله رسولَه ﷺ ، وحتى هلكت أُمُّه .

قال أنس : ثم جَهَّزَ عمرُ بن الخَطَّاب جيشاً ، واستعمل عليهم العلاء بن الحَضْرمِيّ ، قال أنس : وكنتُ في غزاته ، فأتينا مَغازينا فوجدنا القوم قد نذروا بنا فعَفَوا آثارَ الماء ، الحرُّ شديدٌ ، فجَهِدَنا العطشُ ودوابَّنا ، وذلك يومَ الجمعة ، فلمَّا مالتِ الشَّمسُ لمغرِبِها ، صلَّى بنا ركعتين ، ثم مدَّ يدَه إلى السماء وما نرى في السماء شيئاً ، قال : فوالله ما حَطَّ يدَه حتى بعثَ الله ريحاً وأنشأ سَحاباً وأفرغت حتى ملأت الغُدُرَ والشِّعاب ، فشربنا ، وسَقَيْنا رِكَابنا ، واسْتَقَيْنا ، قال : ثم أتينا عدوَّنا وقد جاوزوا خليجاً في البحر إلى جزيرة ، فوقفَ على الخليج وقال : يا عليُّ يا عظيمُ ! يا حليمُ يا كريمُ ! ثم قال : أجيزوا باسم الله ، قال : فأجزنا ما يبلُّ الماء حوافر دوابِّنا ، فلم نلبثْ إلا يسيراً ، فأصبنا العدوَّ غيلةً فقَتَلْنا وأسرْنا وسَبَيْنَا ، ثم أتينا الخليجَ ، فقال مثل مقالته ، فأجزنا ما يبلُّ الماء حوافرَ دوابِّنا . ثم ذكرَ موتَ العلاء ودفنَهم إيَّاه في أرض لا تقبلُ الموتى ، ثم إنهم حفروا عليه لينقلوه منها إلى غيرها فلم يجدوه ثَمَّ ، وإذا اللَّحْد يتلألأُ نوراً ، فأعادوا التراب عليه ثم ارتحلوا(٣) .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٣) .
(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من دلائل النبوة ؛ للبيهقي .
(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٢ _ ٥٣) .

فهذا السِّياق أتمُّ ، وفيه قصة المرأة التي أحيا الله لها ولدَها بدعائها ، وسننبِّه على ذلك فيما يتعلَّق بمعجزاتِ المسيح عيسى ابن مريم ، مع ما يُشابهها إن شاء الله تعالى ، كما سنُشير إلى قصة العلاء هذه مع ما سنُورده معها هاهنا ، فيما يتعلَّق بمعجزات موسى عليه السلام ، في قصَّة فَلْق البحر لبني إسرائيل ، وقد أرشدَ إلى ذلك شيخنا في عيون كلامه .

قصة أخرى تُشبه قصَّةَ العَلاء بن الحضرميّ

روى البيهقي في « الدلائل » ـ وقد تقدَّم ذلك أيضاً ـ : من طريق سُليمان بن مهران الأعمش ، عن بعض أصحابه ، قال : انتهينا إلى دجلةَ وهي مَادَّة والأعاجم خلفَها ، فقال رجلٌ من المسلمين : باسم الله ، ثم اقتحمَ بفرسِه فارتفعَ على الماء ، فقال النَّاسُ : باسم الله ، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء ، فنظرَ إليهم الأعاجمُ ، وقالوا : ديوان ، ديوان ، أي : مجانين ، ثم ذهبوا على وجوههم ، قال : فما فقدَ النَّاسُ إلا قَدَحاً كان معلَّقاً بعلابة سرج ، فلما خرجوا أصابوا الغنائمَ فاقتسموها ، فجعل الرجل يقول : مَن يبادل صفراءَ ببيضاء[١] ؟

وقد ذكرنا في « السيرة العمرية » وأيَّامها ، وفي التفسير[٢] أيضاً : أن أول من اقتحم دجلة يومئذ أبو عُبيد الثَّقفي[٣] أمير الجيوش في أيام عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنه نظرَ إلى دجلةَ فتلا قولَه تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ثم سمَّى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحمَ الجيشُ وراءَه ، ولما نظرَ إليهم الأعاجمُ يفعلون ذلك جعلوا يقولون : ديوانا ديوانا ، أي : مجانين مجانين ، ثم وَلَّوا مُدبرينَ ، فقتلَهم المسلمون ، وغنموا منهم مغانمَ كثيرة .

قصة أخرى شبيهة بذلك

روى البيهقي : من طريق أبي النضر ، عن سليمان بن المغيرة ، أن أبا مسلم الخَوْلاني جاء إلى دجلةَ وهي ترمي الخشبَ مِنْ مَدِّها فمشَى على الماء والتفتَ إلى أصحابِه ، وقال : هل تفقدونَ من متاعِكم شيئاً ، فندعو الله تعالى ؟ ثم قال : هذا إسناد صحيح[٤] .

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٤) .
(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٠١) طبعة دار ابن كثير بدمشق .
(٣) كذا في الأصل ، وفي التفسير ؛ للمؤلف رحمه الله أن أول من اقتحم دجلة : هو حُجْر بن عديٍّ . وسعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه هو أمير الجيش في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . أما أبو عُبيد الثقفي فاستشهد في معركة الجسر قبل سنتين من عبور المسلمين دجلة لفتح المدائن .
(٤) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٤) وأبو مسلم الخولاني : هو عبد الله بن ثوب وقيل : ابن ثواب وقيل : ابن أثوب ، =

قلت : وقد ذكر الحافظ الكبير ، أبو القاسم ، بن عساكر ، في ترجمة أبي مسلم عبد الله بن ثوب الخَوْلاني هذه القصة بأبسط من هذا من طريق بقيَّة بن الوليد ، حدَّثني محمد بن زياد ، عن أبي مسلم الخولاني أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال : أجيزوا باسم الله ، قال : ويمر بين أيديهم فيمرون على الماء ، فما يبلغ من الدواب إلا إلى الركب ، أو بعض ذلك ، أو قريباً من ذلك ، قال : فإذا جازوا قال للناس : هل ذهبَ لكم شيء ؟ من ذهبَ له شيء فأنا له ضامنٌ ، قال : فألقى بعضهم مِخْلاةً عَمْداً ، فلما جاوزوا قال الرجلُ : مخلاتي وقعت في النهر ، قال له : اتبعني ، فإذا المِخْلاةُ قد تعلَّقت ببعض أعواد النَّهْر ، فقال : خذها[١] . وقد رواه أبو داود : من طريق ابن الأعرابي عنه ، عن عمرو بن عثمان ، عن بقية ، به .

ثم قال أبو داود : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، عن حُميد : أن أبا مسلم الخولاني أتى على دجلةَ وهي ترمي بالخشب من مَدِّها ، فوقفَ عليها ، ثم حَمِدَ الله وأثنى عليه ، وذكرَ مسيرَ بني إسرائيل في البحر ، ثم لهزَ دابّته فخاضتِ الماءَ ، وتبعَه النَّاسُ حتى قطعُوا ، ثم قال : هل فقدتُم شيئاً من مَتاعِكُم فأدْعُو الله أن يَردَّه عليَّ[٢] ؟ .

وقد رواه ابنُ عساكر : من طريق أخرى عن عبد الكريم بن رشيد عن حُميد بن هلال العدوي ، حدَّثني ابن عَمِّي أخي أبي ، قال : خرجت مع أبي مسلم في جيش فأتينا على نهر عجاج منكر ، فقلنا لأهل القرية : أين المخاضة ؟ فقالوا : ما كانت ها هنا مخاضة قطُّ ولكن المخاضة أسفل منكم على ليلتين ، فقال أبو مسلم : اللَّهُمَّ أجزتَ بني إسرائيل البحرَ ، وإنا عبيدك وفي سبيلك ، فأجزنا هذا النهرَ اليوم ، ثم قال : اعبُروا باسم الله ، قال ابن عَمِّي : وأنا على فرس ، فقلت : لأدفعنَّه أَوَّل النَّاس خلفَ فرسِه ، قال : فوالله ما بلغَ الماءُ بطونَ الخيل ، حتَّى عبرَ النَّاسُ كلُّهم ، ثم وقفَ فقال : يا معشر المسلمين ! هل ذهبَ لأحدٍ منكم شيءٌ فأدعو الله تعالى أن يردَّه[٣] ؟ .

فهذه الكراماتُ لهؤلاء الأولياء ، هي معجزات لرسول الله ﷺ كما تقدَّم تقريره ، لأنهم إنما نالوها ببركة متابعته ، ويُمْن سفارته ، إذ فيها حجة في الدين ، وحاجةٌ أكيدةٌ للمسلمين ، وهي مشابهة لمعجزة نوح عليه السلام في مسيره فوقَ الماء بالسفينة التي أمره الله تعالى بعملها ، ولمعجزة موسى عليه السلام في فَلْقِ البحر ، وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك ، من جهة مسيرهم على متن الماء من غير حائل ، ومن جهة أنه ماء جار والسير عليه أعجبُ من السير على الماء القَارِّ الذي يُجاز ، وإن كان ماء الطوفان أَطمَّ وأعظم ،

= أبو مسلم ، التابعي ، الداراني الزاهد ، المتوفى سنة ٦٢هـ .
(١) تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ١٠) .
(٢) ذكره الحافظ الذهبي في السير (٤/ ١١) وتاريخ الإسلام (٣/ ١٠٤) .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ٢١١) .

فهذه خارقة ، والخارقُ لا فرقَ بين قليله وكثيره ، فإن من سلكَ على وجه الماء الخِضَمِّ الجاري العجاج فلم تبتلَّ منه نعالُ خيولهم ، أو لم يَصلْ إلى بُطونها ، فلا فرقَ في الخارق بين أنْ يكونَ قامة أو ألف قامة ، أو أن يكون نهراً أو بحراً ، بل كونه نهراً عجاجاً كالبرق الخاطف والسَّيْل الجاري ، أعظمُ وأغربُ ، وكذلك بالنسبة إلى فلق[1] البحر ، وهو جانب بحر القلزم ، حتى صار كل فِرْقٍ كالطود العظيم ، أي : الجبل الكبير ، فانحاز الماء يميناً وشمالاً ، حتى بدت أرض البحر ، وأرسلَ الله عليها الريحَ حتى أيبسَها ، ومشت الخيولُ عليها بلا انزعاج حتى جاوزوا عن آخرهم ، وأقبلَ فرعون بجنوده : ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه : ٧٨ ـ ٧٩] وذلك أنهم لما توسَّطوه وهمَّ أولهم بالخروج منه ، أمر الله البحر فارتطمَ عليهم فَغرِقُوا عن آخرهم ، فلم يفلت منهم أحدٌ ، كما لم يفقد من بني إسرائيل واحدٌ ، ففي ذلك آية عظيمة بل آيات معدودات ، كما بسطنا ذلك في « التفسير »[2] ولله الحمد والمنة .

والمقصود أنَّ ما ذكرناه من قصة العلاء بن الحضرمي ، وأبي عُبيد[3] الثقفي ، وأبي مسلم الخَولاني ، من مسيرهم على تيَّار الماء الجاري ، فلم يُفقد منهم أحد ، ولم يفقدوا شيئاً من أمتعتهم ، هذا وهم أولياء ، منهم صحابيٌّ وتابعيان ، فما الظن لو احتيجَ إلى ذلك بحضرة النبيّ ﷺ ، سيّد الأنبياء وخاتمهم ، وأعلاهم منزلة ليلة الإسراء ، وإمامهم [ليلتئذ] ببيت المقدس ، والذي هو محل ولايتهم ، ودار بدايتهم ، وخطيبهم يوم القيامة ، وأعلاهم منزلة في الجنة ، وأول شافع في المحشر ، وفي الخروج من النار ، وفي دخول الجنة ، وفي رفع الدرجات بها ، كما بسطنا أقسام الشفاعة وأنواعها ، في آخر الكتاب في أحوال يوم القيامة ، وبالله المستعان .

وسنذكر في المعجزات الموسوية ما وردَ من المعجزات المحمَّدية ، ما هو أظهر وأبهر منها ، ونحنُ الآن فيما يتعلَّق بمعجزات نوح عليه السلام ، ولم يذكر شيخنا سوى ما تقدَّم ، وأما الحافظ أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، فإنه قال في آخر كتابه في « دلائل النبوة » ، وهو في مجلدات ثلاث : الفصل الثالث والثلاثون : في ذكر موازنة الأنبياء في فضائلهم ، بفضائل نبيِّنا ، ومقابلة ما أُوتوا من الآيات بما أُوتي ، إذ أُوتي ما أوتوا وشبهَه ونظيرَه ، فكان أوَّل الرسل نوح عليه السلام ، وآيتُه التي أُوتي شفاء غيظه ، وإجابة دعوته ، في تعجيل نقمة الله لمُكذِّبيه حتى هلك من على بسيط الأرض من صامت وناطق ، إلا من آمن به ودخل معه في سفينته . ولعَمْري إنَّها آية جليلة ، وافقت سابقَ قَدَر الله وما قد علمه في هلاكهم ، وكذلك نبيُّنا ﷺ لما كذَّبه قومُه وبالغوا في أذيَّته ، والاستهانة بمنزلته من الله عزّ وجلّ ، حتى ألقى السفيهُ عقبةُ بن أبي مُعيط سَلا الجزور على ظهره وهو ساجد ، فقال : « اللهم عليكَ بالملأ من

---

(١) في نسخة : بالتشبيه إلى فرق .
(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٣) .
(٣) بل هو حُجْرُ بن عدي كما سبق .

قريش[١] » ثم ساقَ الحديثَ عن ابن مسعود ، كما تقدَّم ذِكْرُنا له في صحيح البخاري وغيره في وضع الملأ من قريش على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد عند الكعبة سلا تلك الجزور ، واستضحاكهم من ذلك ، حتَّى إنَّ بعضَهم يميلُ على بعض من شدة الضحك ، ولم يزل على ظهره ، حتى جاءت ابنتُه فاطمةُ عليها السلام فطرحته عن ظهره ، ثم أقبلتْ عليهم تسبهم ، فلما سلَّم رسول الله ﷺ من صلاته رفع يديه فقال : « اللهم عليك بالملإ من قريش » ثم سمَّى فقال : « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، وعتبةَ ، وشيبةَ ، والوليد بن عتبة ، وأميَّة بن خلف ، وعقبة بن أبي مُعيط ، وعمارة بن الوليد » .

قال عبد الله بن مسعود : فوالذي بعثَه بالحقِّ رأيتُهم صرعى يوم بدر ، ثم سُحبوا إلى القَليب قَليب بدر .

وكذلك لما أقبلت قريشٌ يومَ بدر في عُددها وعَديدها[٢] ، فحين عاينَهم رسولُ الله ﷺ : قال رافعاً يديه : « اللهم هذه قريش جاءَتك بفخرها وخيلائها ، تحادُّك وتُكَذِّب رسولَك ، اللهم أحِنْهم الغداةَ »[٣] فقُتل من أشرافهم[٤] سبعون ، وأُسر من أشرافهم سبعون . ولو شاء الله لاستأصلَهم عن آخرهم ، ولكن من حِلْمِ وشَرف نبيِّه أبقى منهم مَنْ سبقَ في قَدَرِه أن سيُؤمنُ به وبرسول الله ﷺ ، وقد دعا على عتبة بن أبي لَهَبٍ أن يُسَلِّط عليه كلبَه بالشام ، فقتله الأسدُ عند وادي الزرقاء قبل مدينة بُصرى[٥] . وكم له من مثلها ونظيرها [مما سلفَ ذكرناه وما لم نذكره وكذلك دعا على قريش سبعاً][٦] كسبعِ يُوسفَ فقُحِطوا حتى أكلوا العِلْهِزَ ، وهو الدَّمُ بالوبر ، وأكلوا العظامَ وكلَّ شيء ، ثم توسَّلوا إلى تراحمه وشفقته ورأفته ، فدعا لهم ، ففرَّج الله عنهم ، وسُقوا الغيثَ ببركة دعائه .

وقال الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد في كتاب « دلائل النبوة » ـ وهو كتاب حافل ـ : ذكرُ ما أُوتيَ نوح عليه السلام من الفضائل ، وبيان ما أُوتي محمد ﷺ مما يُضاهي فضائلَه ويزيد عليها : إن قوم نوح لما بلغوا من أذِيَّتِه والاستخفاف به ، وترك الإيمان بما جاءهم به من عند الله ، دعا عليهم فقال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] فاستجابَ الله دعوتَه ، وغرق قومه ، حتى لم يسلم شيء من الحيوانات والدوَّاب إلا مَنْ ركبَ السفينة ، وكان ذلك فضيلة أُوتيها ؛ إذ أُجيبتْ دعوتُه ، وشفى صَدْرَه بإهلاك قومه . قلنا : قد أُوتي محمَّد ﷺ مثلَه حين نالَه من قريش ما نالَه من التَّكذيب والاستخفاف ،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٤٠) في الوضوء و(٥٢٠) في الصلاة .
(٢) في نسخة « حَدِّها وحديدها » .
(٣) انظر السيرة النبوية ؛ لابن إسحاق (١/ ٦٢١) .
(٤) في نسخة « من سَراتهم » .
(٥) تقدم الحديث .
(٦) سقط ما بين حاصرتين من المطبوع .

فأنزلَ الله إليه مَلَكَ الجبال وأمرَه بطاعته فيما يأمُره به من إهلاك قومه ، فاختارَ الصبر على أَذِيَّتِهم ، والابتهال في الدعاء لهم بالهداية .

قلت : وهذا أحسن ، وقد تقدَّمَ الحديث بذلك عن عائشة ، عن رسول الله ﷺ ؛ في قصة ذهابه إلى الطائف ، فدعاهم فآذوه ، فرجع وهو مهموم ، فلما كان عند قَرنِ الثعالب ناداه مَلَكُ الجبال فقال : يا محمَّد ! إنَّ ربَّكَ قد سمعَ قولَ قومِكَ وما ردُّوا عليكَ ، وقد أرسلني إليكَ لأفعلَ ما تأمُرني به ، فإن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين ـ يعني : جبلي مكة اللذين يكتنفانها جنوباً وشمالاً ، أبو قبيس والأحمر ـ فقال : « بل أستأني بهم لعلَّ الله أن يُخرجَ من أصلابهم من لا يشرك بالله شيئاً »[1] . وقد ذكرَ الحافظُ أبو نُعيم في مقابلة قوله تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر : ١٠ ـ ١٢] أحاديث الاستسقاء عن أنس وغيره ، كما تقدَّم ذكرنا لذلك في دلائل النبوة قريباً ؛ أنه ﷺ سأله ذلك الأعرابي أن يدعوَ الله لهم ، لما بهم من الجدب والجوع ، فرفعَ يديه وقال : « اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا »[2] فما نزلَ عن المنبر حتى رُئيَ المطرُ يتحادرُ على لحيته الكريمة ﷺ ، فاستحضرَ من استحضرَ من الصحابة رضي الله عنهم قولَ عمِّه أبي طالب فيه :

وأَبيضَ يُستسقَى الغَمَامُ بوجهِهِ ثِمالُ اليَتامَى عِصمةٌ لِلأرامِلِ
يَلُوذ بهِ الهلاكُ مِن آلِ هاشِمٍ فَهُم عِندَه في نِعمَةٍ وَفَواضِلِ

وكذلك استسقى في غير ما موضع للجدب والعطش فيُجاب كما يُريدُ على قَدْرِ الحاجة المائيَّة ، ولا أزيد ولا أنقص ، وهذا أبلغُ في المعجزة ، وأيضاً فإن هذا ماءُ رحمةٍ ونعمة ، وماءُ الطُّوفان ، ماءُ غَضَبٍ ونقمة ، وأيضاً فإنَّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه كان يَستسقي بالعبَّاس عمِّ النبيِّ ﷺ فيُسقون ، وكذلك ما زالَ المسلمون في غالب الأزمان والبلدان ، يَستسقونَ فيُجابون فيُسقون ، و[غيرُهم] لا يُجابون غالباً ولا يُسقون ، ولله الحمد .

قال أبو نُعيم : لبثَ نوحٌ في قومه ألفَ سنة إلا خمسين عاماً ، فبلَغَ جميعُ من آمن به رجالاً ونساء ، الذين ركبوا معه في السفينة ، دون مئة نفس ، وآمنَ بنبيِّنا ـ في مدة عشرين سنة ـ النَّاسُ شرقاً وغرباً ، ودانت له جبابرةُ الأرض وملوكها ، وخافت زوال ملكهم ، ككسرى وقيصر ، وأسلم النجاشيُّ والأقيال رغبة في دين الله ، والتزمَ من لم يُؤمن به من عظماء الأرض الجزية ، والإيادة عن صَغار ، أهلُ نجران ، وهجر ، وأيلة ، وأكيدر دومة ، فذلُّوا له منقادينَ ، لما أيده الله به من الرُّعب الذي يسير بين يديه شهراً ،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٢٣١) في بدء الخلق ، ومسلم في صحيحه رقم (١٧٩٥) في الجهاد والسير ، و« الأخشبان » : هما الجبلان المطيفان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهُه على قُعَيْقِعَان . والأخشب : كل جبل خشن غليظ الحجارة .

(٢) تقدم الحديث .

وفتح الفتوح ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً كما قال الله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [النصر : ١ ـ ٢] .

قلت : ماتَ رسولُ الله ﷺ وقد فتحَ الله له المدينةَ وخيبرَ ومكّةَ وأكثرَ اليمن وحضر موت ، وتوفي عن مئة ألف صحابيٍّ أو يزيدون ، وقد كتبَ في آخر حياته الكريمة إلى سائر ملوك الأرض يدعُوهم إلى الله تعالى ، فمنهم من أجابَ ، ومنهم من توقَّفَ ، ومنهم مَن صانعَ ودَارى عن نفسه ، ومنهم من تكبَّر فخابَ وخسر ، كما فعلَ كسرى بن هرمز حين عتى وبغى وتكبَّر ، فمُزِّق مُلكُه ، وتفرَّق جندُه شَذَرَ مَذَرَ ، ثم فتحَ خلفاؤُه من بعده ، أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليّ التالي على الأثر ، مشارقَ الأرض ومغاربَها ، من البحر الغربيّ إلى البحر الشرقيّ ، كما قال رسولُ الله ﷺ : « زُويت لي الأرضُ فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها ، وسيبلغُ ملكُ أمتي ما زُوي لي منها »(١) .

وقال ﷺ : « إذا هلكَ قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه ، وإذا هلكَ كسرى فلا كسرى بعدَه ، والذي نفسي بيده لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل الله »(٢) . وكذا وقعَ سَواءً بسواء ، فقد استوسقت الممالكُ الإسلامية على ملك قيصر وحواصله ، إلا القسطنطينية ، وجميع ممالك كسرى وبلاد المشرق ، وإلى أقصى بلاد المغرب ، إلى أن قُتل عثمانُ رضي الله عنه في سنة ست وثلاثين . فكما عمَّت جميعَ أهل الأرض النقمة بدعوة نوحُ عليه السلام ، لما رأى ما هم عليه من التمادي في الضَّلال والكفر والفُجور ، فدعا عليهم غضباً لله ولدينه ورسالته ، فاستجاب الله له ، وغضبَ لغضبه ، وانتقمَ منهم بسببه ، كذلك عمَّت جميعَ أهل الأرض النِّعمةُ ببركة رسالة محمد ﷺ ودعوته ، فآمن من آمن من الناس ، وقامت الحجة على من كفر منهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] وكما قال ﷺ : « إنما أنا رحمة مهداة »(٣) .

---

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٣٩٥٢) عن ثوبان رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣١٢٠) في فرض الخمس ، ومسلم في الفتن (٢٩١٨) (٧٥) .

(٣) رواه الدارمي (١/ ٩) عن إسماعيل بن خليل عن علي بن مُسْهر ، وابن أبي شيبة (المصنف ١١/ ٥٠٤) عن وكيع ، كلاهما (علي بن مسهر ووكيع) عن الأعمش عن أبي صالح مرسلاً . ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٥) والبيهقي في الدلائل (١/ ١٥٨) من طريق مالك بن سعير ، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة موصولاً . وصححه الحاكم ، ولم يصب في ذلك ، فإن الرواية المرسلة هي الصحيحة رواها ثقتان عن الأعمش وهما وكيع وعلي بن مسهر ، فتبين أن مالك بن سعير قد تفرد بوصله فأخطأ ، وهو صدوق ، وقد ضعفه أبو داود ، وقال الأزدي : عنده مناكير (كما في تهذيب الكمال ٢٧/ ١٤٦ ـ ١٤٧ والتعليق عليه) ، فأين هو من الثقتين وكيع وعلي بن مسهر ؟ فالمرسل هنا علة للموصول . أما رواية عبد الله بن نصر بن وكيع لهذا الحديث عن وكيع موصولاً (كما في كامل ابن عدي ٤/ ١٥٤٦) فهو مما رده ابن عدي وغلَّطه فيه ، وذكر أن الحديث المرفوع هو حديث مالك بن سعير ، والحمد لله على منّه (بشار) .

وقال هشام بن عمّار في كتاب « المبعث » : حدَّثني عيسى بن عبد الله النعماني ، حدَّثنا المسعودي ، عن أبي سعيد وعن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس في قوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] قال : من آمن بالله ورسله تمَّت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يُؤمن بالله ورسله عُدَّ فيمن يستحقُّ تعجيلَ ما كان يُصيب الأمم قبل ذلك من العذاب والفتن والقذف والخسف .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] قال ابن عباس : النعمةُ محمّد ، والذين بَدَّلوا نعمةَ الله كفراً كفار قريش ـ يعني : وكذلك كل من كذب به من سائر الناس ـ كما قال : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود : ١٧] .

قال أبو نُعيم : فإن قيل : فقد سمَّى الله نوحاً عليه السلام باسم من أسمائه الحُسنى ، فقال : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] . قلنا : وقد سمَّى الله محمَّداً ﷺ باسمين من أسمائه فقال : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] قال : وقد خاطبَ الله الأنبياءَ بأسمائهم ، يا نوحُ ! يا إبراهيم ! يا موسى ! يا داود ! يا يحيى ! يا عيسى ابن مريم ، وقال مخاطباً لمحمد ﷺ : يا أيُّها الرسول ! يا أيُّها النبي ! يا أيها المُزمِّل ! يا أيها المُدثِّر ! وذلك قائم مقام الكنية بصفة الشرف .

ولما نسبَ المشركون أنبياءَهم إلى السَّفَه والجُنون ، كلٌّ أجابَ عن نفسه ، قال نوحٌ : ﴿ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٧] وكذا قال هود عليه السلام . ولما قال فرعون : ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠١] قال [موسى] ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٢] إلى أمثال ذلك ، وأما محمد ﷺ فإن الله تعالى هو الذي يتولَّى جوابَهم عنه بنفسه الكريمة ، كما قال : ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الحجر : ٦ ـ ٧] قال الله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر : ٨] وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٥ ـ ٦] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور : ٣٠ ـ ٣١] وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة : ٤١ ـ ٤٣] ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم : ٥١] وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [القلم : ٥٢] وقال تعالى : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ١ ـ ٤] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] .

القول فيما أوتي هود عليه السلام

قال أبو نعيم ما معناه : إن الله تعالى أهلكَ قومَه بالريح العقيم ، وكانت ريحَ غضبٍ ، ونصرَ الله تعالى محمّداً ﷺ بالصَّبَا يومَ الأحزاب ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] . ثم قال : حدَّثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدَّثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة (ح) وحدَّثنا عثمان بن محمد العثماني ، أخبرنا زكريا بن يحيى السَّاجي ، قالا : حدَّثنا أبو سعيد الأشج ، حدَّثنا حفصُ بن غياث ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يومُ الأحزاب انطلقت الجَنُوب إلى الشَّمأل فقالت : انطلقي بنا ننصرُ محمَّداً رسولَ الله ﷺ ، فقالت الشَّمْأل للجَنُوب : إنَّ الحُرَّةَ لا تَسرِي بالليل ، فأرسلَ الله عليهم الصَّبا ، فذلك قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[1] [الأحزاب : ٩] .

ويشهدُ له الحديثُ المتقدم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « نصرت بالصَّبَا وأُهلكت عادٌ بالدبور »[2] .

القول فيما أُوتي صالحٌ عليه السلام

قال أبو نعيم : فإن قيل : فقد أخرجَ الله لصالح ناقةً من الصَّخرة جعلَها الله له آيةً وحُجَّةً على قومه ، وجعلَ لها شُربَ يوم ، ولهم شُربَ يومٍ معلوم ، قلنا : وقد أعطى الله مُحمَّداً ﷺ مثلَ ذلك ، بل أبلغَ ، لأن ناقةَ صالح لم تُكلِّمْه ولم تشهد له بالنبوة والرسالة ، ومحمَّدٌ ﷺ شهدَ له البعيرُ النَّادُّ بالرسالة ، وشكا إليه ما يلقَى من أهله ، من أنهم يُجيعونه ويُريدون ذبحَه ، ثم ساقَ الحديثَ[3] بذلك كما قدَّمنا في دلائل النبوة بطرقه وألفاظه وغُرَرِه بما أغنى عن إعادته هاهنا ، وهو في الصِّحاح والحِسان والمسانيد ، وقد ذكرنا مع ذلك حديثَ الغزالة[4] ، وحديثَ الضَّبِّ[5] ، وشهادتَهما له ﷺ بالرسالة ، كما تقدَّم التنبيه على ذلك والكلام فيه ، وثبتَ الحديث في الصحيح[6] بتسليم الحجر عليه قبل أن يُبعثَ ، وكذلك سلامُ الأشجار والأحجار والمدر عليه قبل أن يُبعثَ ﷺ .

---

(١) رواه الطبري في التفسير (١٠/ ٢٦٣) وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٨١) والسيوطي في الدر المنثور (٥٧٣) .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٢٨) والبخاري في الاستسقاء (١٠٣٥) ومسلم في صلاة الاستسقاء (٩٠٠) (١٧) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) سبق تخريجه .

القول فيما أُوتي إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلام

قال شيخنا العلامة أبو المَعالي بن الزَّمَلْكاني رحمه الله وبلَّ بالرحمة ثراه : وأما خمود النار لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقد خمدت لنبينا محمد ﷺ نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وكان خمود نار فارس لمولده ﷺ وبينه وبينها مسافة أشهر كذا ، وهذا الذي أشار إليه من خمود نار فارس ليلة مولده الكريم ، قد ذكرناه بأسانيده وطرقه في أول السيرة[١] ، عند ذكر المولد المُطهَّر الكريم[٢] ، بما فيه كفاية ومقنع .

ثم قال شيخنا : مع أنه قد أُلقي بعض هذه الأمة في النَّار فلم تُؤَثِّر فيه ببركة نبيِّنا محمد ﷺ ، منهم أبو مسلم الخولاني ، قال : بينما الأسود بن قيس العَنْسي باليمن ، فأرسل إلى أبي مسلم الخولاني فقال : أتشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهدُ أني رسولُ الله ؟ قال : ما أسمع . فأعاد إليه ، فقال : ما أسمع . فأمر بنار عظيمة قد أُجِّجَتْ ، فطُرح فيها أبو مسلم فلم تضرَّه ، فقيل له : لئن تركتَ هذا في بلادك أفسدها عليكَ ، فأمرهَ بالرحيل ، فقدم المدينة وقد قُبِضَ رسولُ الله ﷺ واستُخلفَ أبو بكر ، فقام إلى ساريةٍ من سواري المسجد يُصلِّي ، فبَصُرَ به عمرُ فقال : من أينَ الرَّجلُ ؟ فقال : من اليمن . قال : ما فعلَ عدوُّ الله بصاحبنا الذي حرَّقه بالنار فلم تضرَّه ؟ قال : ذاك عبد الله بن ثوب[٣] ، قال : نشدتُك بالله أنتَ هو ؟ قال : اللهم نعم . قال : فَقبَّلَ ما بين عينيْه ثم جاء به وأجلسَه بينه وبين أبي بكر الصديق ، وقال : الحمدُ لله الذي لم يُمتني حتى أراني في أُمَّة محمّد ﷺ من فُعِلَ به كما فُعِلَ بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وهذا السِّياق الذي أوردَه شيخُنا بهذه الصفة قد رواه الحافظ الكبير ، أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله في ترجمة أبي مسلم عبد الله بن ثُوَب . في « تاريخه » من غير وجه : عن عبد الوهاب بن الضحَّاك ، عن إسماعيل بن عياش الحمصي ، حدَّثني شرحبيل بن مسلم الخَوْلاني : أن الأسودَ بن قيس ذا الخمار العَنْسي تنبَّأ باليمن ، فأرسلَ إلى أبي مسلم الخَوْلاني فأتي به ، فلمَّا جاء به قال : أتشهدُ أنِّي رسولُ الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسولُ الله ؟ قال : نعم ، قال : فردَّد عليه ذلك مراراً ، ثم أمرَ بنار عظيمة فأُجِّجت ، فأُلقي فيها فلم تضرَّه ، فقيل للأسود : انفهِ عنكَ وإلا أفسدَ عليكَ مَنِ اتَّبعكَ . فأمرَه ، فارتحلَ أبو مسلم ، فأتى المدينةَ وقد قُبِضَ رسولُ الله ﷺ ، واستُخلفَ أبو بكر ، فأناخَ أبو مسلم

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) في نسخة « المشرف المكرم » .

(٣) في نسخة « ثوب » وهو صحيح كما تقدم في نسبه .

راحلتَه بباب المسجد ، ثم دخلَ المسجدَ وقام يُصلِّي إلى ساريةٍ ، فَبَصُرَ به عمرُ بن الخطَّاب ، فأتاه فقال : مَن الرَّجلُ ؟ فقال : من أهل اليمن . قال : ما فعلَ الرجلُ الذي حرَّقه الكذَّابُ بالنَّار ؟ قال : ذاك عبد الله بن ثُوبٍ ، قال : فأنشدكَ بالله أنتَ هو ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فاعتنقه ثم بكى ، ثم ذهبَ به حتى أجلسَه بينه وبين أبي بكر الصديق ، فقال : الحمدُ لله الذي لم يُمِتْني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فُعِلَ به كما فُعِلَ بإبراهيم خليل الرحمن .

قال إسماعيلُ بن عيَّاش : فأنا أدركتُ رجالاً من الأمداد الذين يَمُدُّونَ إلينا من اليمن مِن خَولان ، [من] ربما تمازحوا ، فيقولُ الخَوْلانيـون للعنسيين : صاحبُكم الكذَّابُ حرَّق صاحبَنا بالنَّار فلم تضرَّه[1] .

وروى الحافظ ابنُ عساكر أيضاً من غير وجه : عن إبراهيم بن دُحَيْم : حدَّثنا هشام بن عمَّار ، حدَّثنا الوليد ، أخبرني سعيد بن بشير ، عن أبي بشر ـ جعفر بن أبي وحشية ـ أن رجلاً من خَولانَ أسلم فأرادَه قومُه على الكفر فألقوه في نار فلم يحترقْ منه إلا أنملة لم يكن فيما مضى يُصيبها الوضوء ، فقدمَ على أبي بكر فقال له : استغفر لي ، قال : أنتَ أحق ، قال أبو بكر : أنت أُلقيت في النار فلم تحترق ، فاستغفر له ثم خرج إلى الشام ، وكانوا يُشَبِّهونه بإبراهيم عليه السلام ، وهذا الرجل هو أبو مسلم الخولاني . وهذه الرواية بهذه الزيادة تُحَقِّقُ أنه إنما نالَ ذلك ببركة متابعته الشريعة المحمَّدية المُطَهَّرة المُقدَّسة ، كما جاء في حديث الشفاعة : « وحرَّم الله على النَّار أن تأكلَ مواضعَ السُّجود »[2] .

وقد نزلَ أبو مسلم بداريَّا من غربيّ دمشق ، وكان لا يسبقه أحدٌ إلى المسجد الجامع بدمشق وقتَ الصبح ، وكان يُغازي ببلاد الروم ، وله أحوالٌ وكراماتٌ كثيرة جدًّا ، وقبرُه مشهور بداريا ، والظاهر أنه مقامُه الذي كان يكون فيه ، فإن الحافظ ابن عساكر رجَّح أنه مات ببلاد الروم ، في خلافة معاوية ، وقيل : في أيام ابنه يزيد ، بعد الستين[3] ، والله أعلم .

وقد وقعَ لأحمد بن أبي الحواري من غير وجه : أنه جاء إلى أستاذه أبي سليمان الدَّاراني يُعلمه بأن التَّنُّور قد سَجَرُوه ، وأهلُه ينتظرون ما يأمرُهم به ، فوجدَه يُكلِّمُ النَّاسَ وهم حولَه ، فأخبره بذلك فاشتغلَ عنه بالناس ، ثم أعلمَه فلم يلتفتْ إليه ، ثم أعلمه مع أولئك الذين حولَه ، فقال : اذهبْ فاجلسْ فيه ، فذهبَ أحمدُ بن أبي الحَواري إلى التَّنُّور فجلسَ فيه وهو يتضرَّم ناراً ، فكان عليه برداً وسلاماً ، وما زالَ فيه حتَّى استيقظَ أبو سُليمان من كلامه ، فقال لمن حولَه : قوموا بنا إلى أحمد بن أبي الحَواري ، فإني أظنُّه قد

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ٢٠١) .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٨٠٦) في الأذان ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٩) في الإيمان .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ٢٣٠) .

ذهبَ إلى التَّنوُّر فجلسَ فيه امتثالاً لما أمرته به ، فذهبُوا فوَجدُوه جالساً فيه ، فأخذ بيده الشيخُ أبو سليمان وأخرجَه منه ، رحمة الله عليهما[١] .

ثم قال شيخنا أبو المعالي : وأما إلقاؤه ـ يعني إبراهيم عليه السلام ـ من المِنْجنيق ، فقد وقعَ في حديث البراء بن مالك في وقعة مسيلمة الكذَّاب ، أنَّ أصحابَ مسيلمة انتهوا إلى حائط حفير فتحصَّنوا به وأغلقوا البابَ ، فقال البراء بن مالك : ضَعُوني على تُرْسٍ واحملوني على رؤوس الرماح ، ثم ألقوني من أعلاها داخلَ الباب ، ففعلوا ذلك وألقوه عليهم فوقعَ وقامَ وقاتلَ المشركين حتى قتل عشرةً أو أكثر ، وفتحَ البابَ للمسلمين وكان سببَ هلاك المشركين ، وقتلِ مُسيلمة .

قلت : وذكرتُ ذلك مستقصًى في أيام الصِّدِّيق حين بعثَ خالدَ بن الوليد لقتال مسيلمة وبني حنيفة ، وكانوا في قريبٍ من مئة ألف أو يزيدون ، وكان المسلمون بضعة عشر ألفاً ، فلما التَقوا جعلَ كثيرٌ من الأعراب يفرُّون ، فقال المهاجرون والأنصار : أخلصنا يا خالد! فميَّزَهم عنهم ، وكان المهاجرون والأنصار قريباً من ألفين وخمسمئة ، فصمَّموا الحملةَ وجعلوا يتذامرون[٢] ويقولون : يا أصحابَ سورة البقرة ! بطلَ السِّحر اليومَ ! فهزموهم بإذن الله وألجؤوهم إلى حديقةٍ هناك ، وتُسمَّى حديقة الموت ، فتحصَّنوا بها ، فحاصروهم فيها ، ففعل البراءُ بن مالك ، أخو أنس بن مالك ـ وكان الأكبر ـ ما ذكرَ من رفعه على الأسنة فوقَ الرِّماح حتى تمكَّنَ من أعلى سُورها ، ثم ألقى نفسَه عليهم ، ونهضَ سريعاً إليهم ، ولم يزلْ يُقاتلُهم وحدَه ويُقاتلونه حتى تَمكَّن من فتح باب الحديقة ، ودخلَ المسلمون يُكَبِّرونَ ، وانتهوا إلى قصر مُسيلمةَ الكذَّاب وهو واقفٌ خارجَه عند جدار كأنه جمل أورق ـ أي من سمرته ـ فابتدَره وحشيُّ بن حَرْب الأسود ، قاتلُ حمزة ، بحربته ، وأبو دُجانة سِماكُ بن خرشة الأنصاري ـ وهو الذي يُنسب إليه شيخنا هذا أبو المعالي بن الزَّمَلْكانيّ ـ فسبقَه وحشيٌّ فأرسلَ الحربةَ عليه من بُعدٍ فأنفذَها منه ، وجاء إليه أبو دُجانة فعلاه بسيفه فقتلَه ، لكن صرخت جارية من فوق القصر فقالت : واأميراه ! قتلَه العبد الأسود . ويقال : إن عمرَ مسيلمة ـ لعنه الله ـ يومَ قُتل مئة وأربعون سنة ، فهو ممن طالَ عمرُه وساءَ عمله قبَّحه الله .

هذا ما ذكرَه شيخُنا فيما يتعلَّق بإبراهيمَ الخليل عليه السلام .

وأما الحافظ أبو نُعيم فإنه قال : فإن قيل : فإنَّ إبراهيمَ خُصَّ بالخُلَّة مع النبوة ، قيل : فقد اتَّخذَ الله محمّداً خليلاً وحبيباً ، والحبيبُ ألطفُ من الخليل . ثم ساق من حديث شعبة : عن أبي إسحاق ، عن أبي

---

(١) ذكر الحافظُ الذهبي في السير (١٢/ ٩٣) هذه الحكاية وقال : نقل السُّلمي حكاية منكرة . . . وفيها أنه كان بين أبي سليمان الداراني وأحمد بن أبي الحواري عقدٌ لا يُخالفه في أمر . .ومثل هذا العقد ربما يؤدي إلى معصية الله عز وجل ، وهو مخالفٌ للحديث النبوي الصريح « إنما الطاعة في المعروف » .

(٢) « يتذامرون » : يحض بعضهم بعضاً .

الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كنتُ مُتَّخِذاً خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً ، ولكنَّ صاحبَكم خليلُ الله »(١) .

وقد رواه مسلم : من طريق شعبة والثوري ، عن أبي إسحاق ، ومن طريق عبد الله بن مرَّة ، وعبد الله بن أبي الهذيل ، كلُّهم عن أبي الأحوص عوف بن مالك الجشيمي ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يُحدِّثُ عن رسول الله ﷺ قال : « لو كنتُ مُتَّخِذاً خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً ، ولكنَّه أخي وصاحبي ، وقد اتَّخذَ الله صاحبَكم خليلاً »(٢) هذا لفظ مسلم .

ورواه مسلم أيضاً منفرداً به : عن جندب بن عبد الله البجلي كما سأذكره(٣) ، وأصلُ الحديث في الصحيحين : عن أبي سعيد(٤) . وفي أفراد البخاري : عن ابن عباس(٥) ، وابن الزبير(٦) ، كما سقتُ ذلك في فضائل الصِّدِّيق رضي الله عنه . وقد أوردناه هنالك من رواية أنس ، والبراء ، وجابر ، وكعب بن مالك ، وأبي الحسين بن المُعلَّى ، وأبي هريرة ، وأبي واقد اللَّيْثي ، وعائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنهم أجمعين .

ثم إنما رواه أبو نُعيم من حديث عُبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أُمامة ، عن كعب بن مالك ، أنه قال : عهدي بنبيكم ﷺ قبلَ وفاته بخمسة أيام ، فسمعتُه يقول : « لم يكنْ نبيٌّ إلا له خليلٌ من أمته ، وإن خليلي أبو بكر ، وإن الله اتَّخذَ صاحبَكم خليلاً »(٧) . وهذا الإسناد ضعيف .

ومن حديث محمد بن عَجْلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لكلِّ نبيٍّ خليلٌ ، وخليلي أبو بكر بن أبي قُحافةَ ، وخليلُ صاحبكم الرحمن »(٨) . وهو غريب من هذا الوجه .

ومن حديث عبد الوهاب بن الضَّحَّاك ، عن إسماعيل بن عيَّاش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن كثير بن مرة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله اتَّخذَني خليلاً كما اتَّخذَ إبراهيمَ خليلاً ، منزلي ومنزل إبراهيم في الجنة تجاهين ،

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٥٩٩) وعزاه لأبي نُعيم في « فضائل الصحابة » وهو حديث صحيح .
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٨٣)(٣) في فضائل الصحابة .
(٣) سيأتي تخريجه في الصفحة التالية .
(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣٦٥٤) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه (٢٣٨٢)(٢) في فضائل الصحابة .
(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣٦٥٦) في فضائل الصحابة .
(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣٦٥٨) في فضائل الصحابة .
(٧) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٩/ ٤٥) وقال : في إسناده علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف ولكن له شواهد يقوى بها .
(٨) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٥٩٨) وعزاه لأبي نُعيم ، وفي سنده محمد بن عجلان المدني ، وهو صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة .

والعباس بيننا مؤمن بين خليلين » . غريبٌ ، وفي إسناده نظر[(١)] ، انتهى ما أورده أبو نُعيم رحمه الله .

وقال مسلمُ بن الحجَّاج في « صحيحه » : حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ وإسحاقُ بن إبراهيم ، قالا : حدَّثنا زكريا بن عديّ ، حدَّثنا عُبيد الله بن عمرو ، حدَّثنا زيد بن أبي أُنَيْسَةَ ، عن عمرِو بن مُرَّةَ ، عن عبد الله بن الحارث ، حدَّثني جُنْدَبُ بن عبد الله ، قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ قبل أن يموتَ بخمسٍ وهو يقولُ : « إنِّي أبرأُ إلى الله عزَّ وجلَّ أن يكونَ لي بينكم خليلٌ ، فإن الله قد اتَّخذني خليلاً كما اتَّخذَ إبراهيم خليلاً ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً مِن أُمَّتِي خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً ، ألا وإنَّ مَن كانَ قبلَكُم يتَّخذون قبورَ أنبيائِهم وصالحِيهم مَساجِدَ ، ألا فلا تَتَّخذوا القبورَ مساجدَ ، إني أنهاكُم عن ذلك »[(٢)] .

وأما اتِّخاذُه حَبيباً خليلاً ، فلم يتعرَّض لإسناده أبو نُعيم ، وقد قال هشام بن عمَّار في كتابه «المبعث» : حدَّثنا يحيى بن حمزة الحَضْرَميّ وعثمان بن علاَّن القُرشي ، قالا : حدَّثنا عروة بن رُويم اللَّخْمِي ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ الله أدركَ بي الأجلَ المرقومَ ، وأخذَني لقُرْبِهِ ، واحتضرني احتضاراً ، فنحنُ الآخرون ، ونحن السَّابقون يومَ القيامة ، وأنا قائلٌ قولاً غيرَ فخر : إبراهيمُ خليلُ الله ، وموسى صفيُّ الله ، وأنا حبيبُ الله ، وأنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامة ، وإنَّ بيدي لواءَ الحمد ، وأجارَني الله عليكم من ثلاث : ألا يُهلكَكُم بسَنَة ، وألا يستبيحَكُم عدوَّكُم ، وألا تجتمعوا على ضلالة »[(٣)] .

وأما الفقيه أبو محمد عبدُ الله بن حامد ، فتكلَّم على مقام الخُلَّة بكلام طويل إلى أن قال : ويُقال : الخليل : الذي يَعبدُ ربَّه على الرغبة والرهبة ، من قوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] من كثرة ما يقول: أوَّاه. والحبيبُ : الذي يعبدُ ربَّه على الرؤية والمحبَّة . ويُقالُ : الخليل : الذي يكون معه انتظار العَطاء ، والحبيبُ : الذي يكون معه انتظار اللِّقاء . ويُقال : الخليل : الذي يصلُ بالواسطة من قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] والحبيبُ : الذي يصل إليه من غير واسطة ، من قوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم : ٩] وقال الخليل : ﴿ يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٨٢] وقال الله للحبيب محمد ﷺ : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] وقال الخليل : ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [الشعراء : ٨٧] وقال الله للنبيِّ : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ [التحريم: ٨] وقال الخليلُ حين أُلقي في النَّار : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] وقال الله لمحمد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] وقال الخليل : ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات : ٩٩] وقال الله لمحمد : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى : ٧] وقال

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (١٤١) في المقدمة ، وهو موضوع وآفته شيخ ابن ماجه عبد الوهاب بن الضحاك ، فإنه كذاب وضاع . وينظر تعليق الدكتور بشار عليه .

(٢) رواه مسلم (٥٣٢)(٢٣) في المساجد ومواضع الصلاة .

(٣) عروة بن رويم اللَّخمي ثقة يرسل كثيراً ، كما قال الحافظ في التقريب ، وهذا مرسل .

الخليل : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] وقال الله للحبيب : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] وقال الخليل : ﴿ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الشعراء : ٨٥] وقال الله لمحمد : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : ١] وذكرَ أشياءَ أخرَ .

وسيأتي الحديثُ في صحيح مسلم : عن أُبيِّ بن كعب ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنِّي سأقومُ مقاماً يومَ القيامة يرغبُ إليَّ الخلقُ كلُّهم حتى أبوهم إبراهيم الخليلُ فدلَّ على أنه أفضلُ منه ؛ إذ هو يحتاجُ إليه في ذلك المقام ، ودلَّ على أنَّ إبراهيمَ أفضلُ الخلق بعده ، ولو كان أحد أفضل من إبراهيم بعدَه لذكرَه » .

ثم قال أبو نُعيم : فإن قيل : إنَّ إبراهيمَ عليه السلام حُجِبَ عن نمروذ بحُجُبٍ ثلاثة ، قيل : فقد كان كذلك ، وحُجِبَ محمّد ﷺ عمن أرادوه بخمسة حجب ، قال الله تعالى في أمره : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ٩] فهذه ثلاث ، ثم قال : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥] ثم قال : ﴿ فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ [يس : ٨] فهذه خمسُ حُجُب .

وقد ذكرَ مثلَه سواء الفقيه أبو محمد بن حامد ، وما أدري أيُّهما أخذَ من الآخر ، والله أعلم .

وهذا الذي قاله غريبٌ ، والحُجُب التي ذكرَها لإبراهيم عليه السلام لا أدري ما هي ، كيف وقد ألقاه في النَّار التي نجّاه الله منها! وأما ما ذكرَه من الحُجُبِ التي استدلَّ عليها بهذه الآيات ، فقد قيل : إنها جميعها معنوية لا حِسِّيَّة ، بمعنى أنهم مصروفون عن الحقِّ ، لا يصلُ إليهم ، ولا يخلصُ إلى قلوبهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصلت : ٥] وقد حرَّرنا ذلك في التفسير ، وقد ذكرنا في السيرة وفي التفسير أنَّ أمَّ جميل امرأةَ أبي لهبٍ ، لما نزلت السورة في ذمِّها وذمِّ زوجها ، ودخولهما النَّارَ ، وخسارهما ، جاءت بفِهْر[1] ـ وهو الحجر المستطيل ـ لترجُمَ النبي ﷺ ، فانتهت إلى أبي بكر وهو جالس عند النبيِّ ﷺ ، فلم ترَ رسول الله ﷺ وقالت لأبي بكر : أين صاحبُك ؟ فقال : وماله ؟ فقالت : إنَّه هجاني ، فقال : وما هجاكِ ؟ فقالت : والله لئن رأيته لأضربنَّه بهذا الفهر[2] ثم رجعت وهي تقول :

مُـــذَمّمـــاً أَتينـــا ودِيْنَـــه قَلَيْنَـــا

وكذلك حُجِبَ ومُنع من أبي جهل حين همَّ أن يطأ برجلِه رأسَ النبيِّ ﷺ وهو ساجد ، فرأى جدثاً من نار ، وهَوْلًا عظيماً ، وأجنحةَ الملائكة دونه ، فرجعَ القهقرى وهو يَتَّقِي بيديه ، فقالت له قريش :

(١) « الفِهْر » : حجر رقيق ، قدر ما يملأ الكفَّ ، يُسحق به الطِّيب والأدوية .

(٢) في نسخة « خندقاً » و« الجَدَثُ » : القبر .

مالكَ ، ويحَك ؟ فأخبرَهم بما رأى . وقال النبي ﷺ : « لو تقدَّمَ لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » .

وكذلك لما خرجَ رسولُ الله ﷺ ليلة الهجرة وقد أرصدوا على مدرجته وطريقه ، وأرسلوا إلى بيته رجالاً يحرسونه لئلا يخرجَ ، ومتى عاينوه قتلوه ، فأمرَ عليّاً فنامَ على فراشه ، ثم خرجَ عليهم وهم جلوس ، فجعل يذرُّ على رأس كلِّ إنسان منهم تراباً ، ويقول : « شاهتِ الوجوه[1] » ثم خرجَ ولم يروه ، حتَّى صارَ هو وأبو بكر الصِّدِّيق إلى غار ثَورٍ ، كما بسطنا ذلك في السيرة .

وكذلك ذكرنا أن العنكبوت سدَّ على باب الغار ؛ ليُعَمِّيَ الله عليهم مكانَه ، وفي الصحيح : أنَّ أبا بكر قال : يا رسولَ الله ! لو نظرَ أحدُهم إلى موضع قدميه لأبصرنَا ، فقال : « يا أبا بكر ! ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما ؟ »[2] وقد قال بعض الشعراء في ذلك :

نَسجُ داودَ ما حَمَى صاحِبَ الغا ... رِ وَكانَ الفَخارُ لِلعَنْكَبُوتِ

وكذلك حُجبَ ومُنعَ مِن سراقةَ بن مالكِ بن جُعشُم حين اتَّبعَهم ، بسقوط قوائم فرسه في الأرض ، حتى أخذ منه أماناً ، كما تقدَّم بَسطُه في الهجرة .

وذكر ابنُ حامدٍ في كتابه في مقابلة إضجاع إبراهيم عليه السلام ولدَه للذبح مُستسلماً لأمر الله تعالى ، ببذل رسول الله ﷺ نَفسَه للقتل يومَ أُحد وغيره حتَّى نالَ منه العدو ما نالوا ، من هَشم رأسه ، وكَسْر ثنيَّته اليُمنى السُّفلى ، كما تقدَّم بسطُ ذلك في السيرة .

ثم قال : قالوا كان إبراهيمُ عليه السلام ألقاه قومُه في النَّار فجعلَها الله برداً وسلاماً ، قلنا : وقد أُوتي رسولُ الله ﷺ مثلَه ، وذلك أنَّه لما نزل بخيبر سمَّته الخيبريةُ ، فصيَّر ذلك السُّمَّ في جوفه برداً وسلاماً إلى مُنتهى أجلهِ ، والسُّمُّ يحرقُ إذ يستقرُّ في الجوف ـ كما تحرقُ النَّارُ . قلت : وقد تقدَّمَ الحديثُ بذلك في فتح خيبرَ ، يُؤَيِّدُ ما قالَه أن بِشْرَ بن البَراء بن مَعرور مات سريعاً من تلك الشاة المسمومة ، وأخبرَ ذراعُها رسولَ الله ﷺ بما أُودعَ فيه من السُّمِّ ، وكان قد نَهَشَ منه نَهْشَة ، وكان السُّمُّ فيه أكثر ، لأنهم كانوا يفهمون أنه ﷺ يُحبُّ الذِّراعَ ، فلم يَضرّه السُّمُّ الذي حصلَ في باطنه بإذن الله عزَّ وجلَّ ، حتى انقضى أجلُه ﷺ ، فذكرَ أنَّه وجدَ حينئذٍ من ألمِ ذلك السُّمِّ الذي كان في تلك الأكلة ﷺ .

وقد ذكرنا في ترجمة خالد بن الوليد المَخزوميِّ ، فاتحِ بلاد الشَّام ، أنه أُتي بسُمٍّ فحثاه بحضرة الأعداء ليرهبَهم بذلك ، فلم يرَ بأساً ، رضي الله عنه .

ثم قال أبو نُعيم : فإن قيل : فإن إبراهيمَ خصمَ نمروذَ ببرهان نُبوَّته فَبَهَتَه ، قال الله تعالى : ﴿ فَبُهِتَ

---

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام (١/ ٦٢٨) أن النبيَّ ﷺ قال ذلك في غزوة بدر .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٤) والبخاري في صحيحه (٣٦٥٣) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه (٢٣٨١) في فضائل الصحابة .

﴿ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] قيل : محمد ﷺ أتاه الكذَّابُ بالبعثِ ، أُبيُّ بن خَلَف ، بعظم بالٍ ففركَه وقال : ﴿ يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨] فأنزل الله تعالى البرهان الساطع : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٩] فانصرف مبهوتاً ببرهان نبوَّته . قلت : وهذا أقطعُ للحُجَّة ، وهو استدلالُه للمَعَاد بالبَداءةِ ، فالذي خلقَ الخَلقَ بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، قادرٌ على إعادتِهم ، كما قال : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس : ٨١] أي : يُعيدهم كما بدأهم ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الأحقاف : ٣٣] وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم : ٢٧] هذا وأمرُ المَعاد نَظَريٌّ لا فِطريّ ، ضروريٌّ في قول الأكثرين .

فأما الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه فإنه مُعاندٌ مكابرٌ ، فإنَّ وجودَ الصانع مركوزٌ في الفِطَر ، وكلُّ واحد مفطورٌ على ذلك ، إلا من تغيَّرت فِطْرتُه ، فيصيرُ نظرياً عندَه ، وبعضُ المُتكلِّمين يجعلُ وجودَ الصانع من باب النظر لا الضروريات ، وعلى كلِّ تقدير فدعواه أنه هو الذي يُحيي الموتى ، لا يقبلُه عقلٌ ولا سمعٌ ، وكلُّ واحد يُكذِّبه بعقله في ذلك ، ولهذا ألزمَه إبراهيمُ بالإتيان بالشمس من المغرب إن كان كما ادَّعى ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

وكان ينبغي أن يذكر مع هذا ؛ أنَّ الله تعالى سلَّطَ محمَّداً على هذا المعاندِ لمَّا بارزَ النبيَّ ﷺ يوم أُحد ، فقتلَه بيده الكريمة ، طعنه بحربةٍ فأصابَ ترقوته فتردَّى عن فرسه مِراراً ، فقالوا له : ويحكَ مالك ؟ فقال : والله إن بي لَما لو كانَ بأهل ذي المَجاز لمَاتُوا أجمعين : ألم يقل : « بل أنا أقتلُه[١] ؟ » والله لو بصقَ عليَّ لقتلني ـ وكان أُبيٌّ هذا لعنه الله قد أعدَّ فرساً وحربةً ليقتل بها رسولَ الله ﷺ ، فقال : « بل أنا أقتلُه ـ إن شاء الله[٢] ـ » فكان كذلك يوم أُحد .

ثم قال أبو نُعيم : فإن قيل : فإن إبراهيمَ عليه السلام كسَّر أصنامَ قومه غضباً لله ، قيل : فإن محمَّداً ﷺ كسَّر ثلاثمئة وستين صنماً نُصبت حول الكعبة ، فأشارَ إليهن فتساقطنَ ، ثم روى من طريق عبد الله العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحولَ البيت ثلاثمئة وستون صنماً قد ألزمَها الشيطان بالرَّصاصِ والنُّحاس ، فكان كلَّما دنا منها بمخصَرَته تَهوي من غير أن يمسَّها ، ويقولُ : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] فتساقط لوجوهها ، ثم أمرَ بهنَّ فأُخرجنَ إلى المسيل .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ١٣٧) وانظره في الدر المنثور (٥/ ٦٩) .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة .

وهذا أظهرُ وأجلى من الذي قبلَه ، وقد ذكرنا هذا في أوّل دخول النبيِّ ﷺ مكة عام الفتح بأسانيده وطرقه من الصحاح وغيرها ، بما فيه كفاية .

وقد ذكر غيرُ واحد من علماء السِّيرة ، أنَّ الأصنامَ تساقطت أيضاً لمولده الكريم ، وهذا أبلغُ وأقوى في المعجزة من مباشرة كسرها . وقد تقدَّم[١] أنَّ نارَ فارسَ التي كانوا يعبدُونها خَمَدَت أيضاً ليلتئذ ، ولم تَخْمَدْ قبل ذلك بألف عام ، وأنَّه سقط من شُرفات قصر كسرى أربعَ عشرة شرفة ، مؤذنةً بزوال دولتهم بعد هلاك أربعة عشر من ملوكهم في أقصر مدة ، وكان لهم في الملك قريب من ثلاثة آلاف سنة .

وأما إحياءُ الطيور الأربعة لإبراهيمَ عليه السلام ، فلم يذكره أبو نُعيم ولا ابنُ حامد ، وسيأتي في إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام ؛ ما وقعَ من المعجزات المحمَّدية من هذا النَّمَط ، ما هو مثل ذلك وأعلى من ذلك ، كما سيأتي التنبيه عليه إذا انتهينا إليه ، من إحياء أمواتٍ بدعواتٍ من أُمَّتِه ، وحنين الجِذع ، وتسليم الحَجَر والشَّجَر والمَدَر عليه ، وتكليم الذراع له ، وغير ذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] والآيات بعدَها ، فقد قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] وقد ذكر ذلك ابنُ حامدٍ فيما وقفتُ عليه بعدُ ، وقد ذكرنا في أحاديث الإسراء من كتابنا هذا ، ومن التفسير ما شاهدَه رسولُ الله ﷺ ليلة أُسري به من الآيات فيما بينَ مكَّة إلى بيت المقدس ، وفيما بين ذلك إلى سماء الدنيا ، ثم ما عاينَ من الآيات في السَّموات السبع وما فوقَ ذلك ، وسدرة المُنتهى ، وجنَّة المأوى ، والنَّار التي هي بئسَ المصير والمَثوى ، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام في حديث المنام ـ وقد رواه أحمد والترمذي وصحَّحه ، وغيرهما ـ « فتجلَّى لي كلُّ شيء وعرفتُ »[٢] .

وذكرَ ابنُ حامد في مقابلة ابتلاءِ الله يعقوبَ عليه السلام بفقدِه ولدَه يوسفَ عليه السلام ، وصبرِه واستعانتِه ربَّه عزَّ وجلَّ ، موتَ إبراهيم بن رسول الله ﷺ وصبرَه عليه ، وقوله : « تدمع العينُ ، ويحزنُ القلبُ ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربَّنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون »[٣] . قلتُ : وقد ماتت بناته الثلاثة : رقيَّة ، وأُمُّ كلثوم ، وزينبُ ، وقُتِلَ عمّه حمزةُ ، أسدُ الله وأسدُ رسوله يومَ أُحد ، فصبرَ واحتسبَ . وذكرَ في مقابلة حُسنِ يوسفَ عليه السلام ما ذُكِرَ من جمال رسولِ الله ﷺ ومهابتِه وحلاوتِه شكلاً ونفعاً وهَدياً ، ودلًّا ، ويُمناً ، كما تقدَّم في ذكر شمائله من الأحاديث الدَّالَّةِ على ذلك ، كما قالت الرُّبَيِّعُ بنت مُعَوِّذ :

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٤٣) والترمذي في سننه ، في التفسير (٣٢٣٥) وهو صحيح كما قال الترمذي .

(٣) رواه مسلم في الفضائل (٢٣١٥) .

« لو رأيتَه لرأيتَ الشَّمسَ طالعةً »(١) . وذكرَ في مقابلةِ ما ابتُلي به يوسفُ عليه السلام من الفُرقة والغُربة ، هجرةِ رسولِ الله ﷺ مِن مكَّةَ إلى المدينة ، ومفارقته وطنَه وأهلَه وأصحابَه الذين كانوا بها .

القول فيما أُوتي موسى عليه السلام من الآيات البيِّنات

وأعظمُهن تسعُ آياتٍ ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ [الإسراء : ١٠١] وقد شرحناها في التفسير(٢) ، وحَكَينا قولَ السَّلف عليها ، واختلافهم فيها ، وأن الجمهور على أنها : هي العصا في انقلابها حيَّة تسعى ، واليدُ إذا أدخلَ يدَه في جَيْبِ درعه ثم أخرجَها تُضيء كقطعة قمر يتلألأُ إضاءَةً ، ودعاؤُه على قومِ فرعونَ حين كذَّبوه ، فأرسلَ عليهم الطُّوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضَّفادِعَ والدَّمَ ، آياتٍ مُفَصَّلاتٍ ، كما بسطنا ذلك في « التفسير »(٣) وكذلك أخذَهم الله بالسِّنين ، وهي نقصُ الحُبوب ، وبالجَدْب ، وهو نقصُ الثِّمار ، وبالموت الذريع ، وهو نقصُ الأنفس ، والطُّوفان في قول . ومنها : فَلْقُ البحر لإنجاءِ بني إسرائيلَ وإغراقِ آل فرعون ، ومنها : تظليلُ بني إسرائيل في التيه بالغمام ، وإنزال المَنّ والسَّلْوى عليهم ، واستسقاؤُه لهم ، فجعلَ الله ماءَهم يخرجُ من حَجَرٍ يُحملُ معهم على دَابَّة ، له أربعةُ وجوه ، إذا ضربَه موسى بعصاه يخرجُ مِن كلِّ وجه ثلاثةُ أعين ، لكلِّ سِبطٍ عَينٌ ، ثم يضربُه فينقلع ، إلى غير ذلك من الآياتِ الباهراتِ ، كما بسطنا ذلك في التفسير ، وفي قصَّة موسى عليه السلام من كتابنا هذا في قصص الأنبياء منه ، ولله الحمدُ والمِنَّة ، وقتل كلِّ من عَبَدَ العجْلَ منهم ثم أحياهُم الله تعالى ، وقصَّة البقرة .

أما العصا ، فقال شيخنا العلَّامة ابنُ الزَّملكانِيّ : وأما حياة عصا موسى ، فقد سبَّح الحَصى في كفِّ رسولِ الله ﷺ وهو جَماد ، والحديثُ في ذلك صحيحٌ(٤) ، وهذا الحديثُ مشهورٌ عن الزُّهريّ ، عن رجل ، عن أبي ذَرٍّ ، وقد قدَّمنا ذلك مبسوطاً في دلائل النبوة بما أغنى عن إعادته ، وقيل : إنهن سبَّحنَ في كفِّ(٥) أبي بكر ثم عمرَ ثم عثمان ، كما سبَّحنَ في كفِّ رسول الله ﷺ ، فقال : هذه خِلافةُ النُّبُوَّة .

وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلى بكر بن خنيس ، عن رجل سمَّاه قال : كانَ بيد أبي مُسلم الخَوْلاني سُبْحَةٌ يُسَبِّحُ بها ، قال : فنامَ والسُّبْحَةُ في يدِه ، قال : فاستدارتِ السُّبْحَةُ فالتفَّتْ على ذراعِه

---

(١) رواه الدارمي كما ذكر الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٩٣) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وابن الأثير في أسد الغابة (٧/ ١٠٨) وهو حديث حسن .
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٣/ ٨٦) .
(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٣/ ٨٦) .
(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٩٩) وقد تقدم في الدلائل .
(٥) في نسخة « في يد » .

وهي تقولُ : سبحانَكَ يا مُنْبِتَ النَّبَاتِ ويا دائمَ الثَّبَاتِ . فقال : هلمَّ يا أُمَّ مسلم وانظُري إلى أعجبِ الأعاجيبِ . قال : فجاءت أُمُّ مُسلمٍ والسُّبحةُ تدورُ وتُسَبِّحُ ، فلما جلستْ سَكنت[(١)] .

وأصحُّ من هذا كُلِّه وأصرحُ حديثُ البخاريِّ عن ابن مسعود قال : كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطعام وهو يُؤكلُ[(٢)] .

قال شيخنا : وكذلك قد سلَّمت عليه الأحجارُ . قلت : وهذا قد رواه مسلم عن جابر بن سَمُرةَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إني لأعرفُ حجراً كَان يُسلِّم عليّ بمكة قبلَ أن أُبعثَ ، إني لأعرفهُ الآن »[(٣)] فقال بعضهم : هو الحجرُ الأسودُ .

وقال الترمذيُّ : حدَّثنا عبَّاد بن يعقوب الكُوفيّ ، حدَّثنا الوليد بن أبي ثَوْر ، عن السُّدي ، عن عبَّاد بن يزيدَ ، عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : كنتُ مع النبيِّ ﷺ بمكة في بعضِ نواحيها ، فما استقبلَه جبلٌ ولا شجرٌ إلا قالَ : السَّلامُ عليكَ يا رسولَ الله[(٤)] . ثم قال : غريب .

ورواه أبو نُعيم في « الدلائل » من حديث السُّدِّي ، عن أبي عُمارة الحيواني ، عن علي قال : خرجتُ مع رسول الله ﷺ فجعلَ لا يمرُّ على حَجَرٍ ولا شَجَرٍ ولا مَدَرٍ ولا شَيءٍ إلا سلَّم عليه .

وقدَّمنا في أول المبعث أنه لما أوحى جبريلُ أوَّلَ ما أوحى إليه ، فرجعَ لا يمرُّ بحجرٍ ولا مَدَرٍ ولا شيءٍ إلا قال : السَّلامُ عليكَ يا رسولَ الله .

قال : وأقبلتِ الشَّجَرة عليه بدعائِه ، وذكرَ اجتماعَ تينك الشجرتين لقضاءِ حاجتِه من ورائهما ، ثم رجوعهما إلى منابتهما ، وكِلا الحديثين[(٥)] في الصحيح ، ولكن لا يلزمُ من ذلك حلولُ حياة فيهما ، إذ قد يكونان ساقَهما سائقٌ ، ولكن في قوله : « انقادي عليَّ بإذن الله »[(٦)] ما يدلُّ على حصول شعور منهما لمخاطبته ، ولا سيما مع امتثالهما ما أمرَهما به .

قال : وأمرَ عِذْقاً من نَخْلةٍ أن ينزلَ ، فنزلَ ينقز في الأرض حتى وقفَ بينَ يديْه ، فقال : « أتشهدُ أنِّي رسولُ الله »[(٧)] فشهدَ بذلك ثلاثاً ثم عادَ إلى مكانه . وهذا أليقُ وأظهرُ في المطابقة من الذي قبلَه ، ولكن هذا السِّياق فيه غرابةٌ .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ٢١٧) وفي سنده بكر بن خنيس ، وهو ضعيف .
(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٥٧٩) في المناقب وفي إسناده ضعيف .
(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢٢٧٧) في الفضائل .
(٤) رواه الترمذي في سننه (٣٦٢٦) في المناقب .
(٥) أي : حديث تسليم الحجر ، وحديث انقياد الشجرة . وكلاهما في صحيح مسلم .
(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٠١١) في الزهد والرقائق (باب حديث جابر الطويل) .
(٧) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ١٦) .

والذي رواه الإمام أحمد وصحَّحه التِّرمذيُّ(١) ، ورواه البيهقي والبخاريُّ في التاريخ : من رواية أبي ظبيانَ حُصين بن المُنْذر ، عن ابن عبَّاس قال : جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ فقال : بم أعرفُ أنَّكَ رسولُ الله ؟ قال : « أرأيتَ إن دعوتُ هذا العِذْقَ من هذه النَّخْلة أتشهدُ أنِّي رسولُ الله ؟ » قال : نعم . قال : فدعا العِذْقَ ، فجعلَ العِذْقُ ينزلُ من النَّخْلةِ حتى سقطَ في الأرض ، فجعل ينقزُ حتَّى أتى رسولَ الله ﷺ ، ثم قال له : « ارجعْ » فرجع حتَّى عاد إلى مكانه ، وقالَ : أشهدُ أنَّكَ رسولُ الله ، وآمن به(٢) . هذا لفظ البيهقيِّ ، وهو ظاهرٌ في أنَّ الذي شهدَ بالرسالة هو الأعرابيُّ ، وكان رجلاً من بني عامرٍ ، ولكن في رواية البيهقيِّ : من طريق الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءَ رسولٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : ما هذا الذي يقولُ أصحابُكَ ؟ قال : وحولَ رسولِ الله ﷺ أعذاقٌ وشجرٌ ، فقال : « هل لكَ أنْ أُريكَ آيةً ؟ » قال : نعم ، فدعا غُصْناً منها ، فأقبلَ يخدُّ الأرضَ حتَّى وقفَ بين يديْه ، وجعلَ يسجدُ ويرفعُ رأسَه ، ثم أمرَه فرجعَ ، قال : فرجعَ العامريُّ وهو يقولُ : يا بني عامر بن صَعْصَعَةَ : والله لا أُكَذِّبُه في شيءٍ يقولُه أبداً(٣) .

وتقدَّم فيما رواه الحاكم في مستدركه مُتفرِّداً به : عن ابن عمر ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ دعا رجلاً إلى الإسلام ، فقال : هل من شاهدٍ على ما تقولُ ؟ قال : « هذه الشجرة » فدعاها رسولُ الله ﷺ وهي على شاطىء الوادي ، فأقبلتْ تخدُّ الأرضَ خَدّاً ، فقامت بين يديه ، فاستشهدَها ثلاثاً ، فشهدتْ أنَّه كما قال ، ثم إنها رجعت إلى مَنْبتِها ، ورجعَ الأعرابي إلى قومه ، وقال : إن يَتَّبِعُوني أتيتُكَ بهم ، وإلا رجعتُ إليك وكنتُ معكَ(٤) .

قال : وأما حنينُ الجِذْعِ الذي كانَ يخطبُ إليه النبيُّ ﷺ ، فعُمِلَ له المِنْبَرُ ، فلما رَقَى عليه وخطبَ حنَّ الجِذعُ إليه حنينَ العِشار ، والنَّاسُ يسمعونَ بمشهدِ الخَلْقِ يومَ الجمعة ، ولم يزل يَئِنُّ ويَحِنُّ حتى نزلَ إليه النبيُّ ﷺ فاعتنقَه وسَكَّنَه وخيَّره بينَ أن يرجعَ غُصناً طَرِيّاً أو يُغرسَ في الجنَّةِ يأكلُ منه أولياءُ الله ، فاختارَ الغَرْسَ في الجنَّة وسكنَ عند ذلك . فهو حديثٌ(٥) مشهورٌ معروف ، قد رواه من الصحابة عددٌ كثير متواترٌ ، وكان بحضور الخلائق ، وهذا الذي ذكرَه من تواتر حنين الجِذْعِ هو كما قال ، فإنه قد روى هذا الحديثَ جماعةٌ من الصحابة ، وعنهم أعدادٌ من التابعين ، ثم مِنْ بَعدِهم آخرون عنهم لا يُمكن تَواطؤُهم

---

(١) هكذا قال ، والترمذي لم يخرجه فضلاً عن تصحيحه ! فكأنه سبق قلم من المصنف .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ١٥ ـ ١٦) وهو عند الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٢٣) رقم (١٩٥٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٤١٦) . وقد تقدم . وهو حديث حسن .

(٣) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ١٦ ـ ١٧) وتقدم .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٠) وتقدم أيضاً .

(٥) انظر الشفا ؛ للقاضي عياض (١/ ٤٢٧) .

على الكذب ، فهو مقطوعٌ به في الجملة . وأما تخييرُ الجِذع كما ذكرَه شيخُنا فليس بمتواتر ، بل ولا يصحُّ إسناده .

وقد أوردتُه في الدلائل عن أُبيِّ بن كعب ، وذُكِرَ في مسند أحمد ، وسنن ابن ماجه . وعن أنسٍ من خمس طرق إليه ، صحَّح الترمذيُّ إحداها ، وروى ابنُ ماجه أخرى ، وأحمد ثالثةً ، والبزَّارُ رابعةً ، وأبو نُعيم خامسةً . وعن جابر بن عبد الله في صحيح البخاري من طريقين عنه ، والبزّار من ثالثة ورابعة ، وأحمد من خامسة وسادسة ، هذه على شرط مسلم . وعن سهل بن سعد في مصنف ابن أبي شيبةَ على شرط الصحيحين . وعن ابن عبَّاس في مسند أحمد وسنن ابن ماجه بإسناد على شرط مسلم ، وعن ابن عمر في صحيح البخاري ، ورواه أحمد من وجه آخر عن ابن عمر . وعن أبي سعيد في مسند عبد بن حُميد بإسناد على شرط مسلم ، وقد رواه أبو يَعْلى المَوْصلي من وجه آخر عنه . وعن عائشة رواه الحافظ أبو نُعيم من طريق عليّ بن أحمد الجوربي ، عن قبيصة ، عن حيَّان بن عليّ ، عن صالح بن حيَّان ، عن عبد الله بن بُريدة ، عن عائشة ، فذكرَ الحديث بطوله ، وفيه أنَّه خيَّره بين الدنيا والآخرة ، فاختارَ الجِذعُ الآخرةَ ، وغارَ حتَّى ذهبَ فلم يُعرف ، وهذا غريب إسناداً ومتناً . وعن أُمِّ سلمة رواه أبو نُعيم بإسناد جيد .

وقد تقدَّمتِ[1] الأحاديث ببسط أسانيدها وتحرير ألفاظها وعزوها ، بما فيه كفايةٌ عن إعادته هاهنا ، ومَنْ تدبَّرها حصلَ له القطعُ بذلك ، ولله الحمدُ والمِنَّة .

قال القاضي عياض بن موسى السبتي المالكي في كتابه « الشفا »[2] : وهو حديثٌ مشهور متواتر خرَّجه أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم : أبيّ ، وأنس ، وبُريدة ، وجابر ، وسهل بن سعد ، وابن عبَّاس ، وابن عمر ، والمطلب بن أبي وداعة ، وأبو سعيد ، وأُمُّ سلمة رضي الله عنهم أجمعين .

قال شيخنا : فهذه جمادات ونباتات ، وقد حييت[3] وتكلَّمت ، وفي ذلك ما يُقابل انقلاب العصا حيَّة .

قلت : وسنُشير إلى هذا عند ذكر معجزات عيسى عليه السلام في إحيائه الموتى بإذن الله تعالى في ذلك ، كما رواه البيهقيُّ : عن الحاكم ، عن أبي أحمد بن أبي الحسين ، عن عبد الرحمن بن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن سواد ، قال : قال لي الشافعيُّ : ما أَعطى الله نبيَّاً ما أَعطى محمَّداً ﷺ . فقلت :

(١) تقدمت الأحاديث بطرقها المتعددة في الدلائل .
(٢) انظر الشفا ؛ للقاضي عياض (١/ ٤٢٧) .
(٣) في نسخة « حَنَّت » .

أُعطي عيسى إحياءَ الموتى ، فقال : أُعطي محمَّدٌ الجِذعَ الذي كان يَخطبُ إلى جنبه حتى هُيِّيءَ له المنبرُ ، فلما هُيِّيءَ له حنّ الجِذعُ حتى سُمِعَ صوتُه ، فهذا أكبرُ من ذلك[١] .

وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى الشافعيِّ رحمه الله ، وهو مما كنتُ أسمعُ شيخَنا الحافظَ أبا الحجَّاج المِزِّي رحمه الله يذكرُه عن الشافعي رحمَه الله وأكرمَ مثواه ، وإنما قال : فهذا أكبرُ من ذلك ؛ لأن الجِذعَ ليس مَحَلًّا للحياة ، ومع هذا حصلَ له شعورٌ ، ووَجِدَ لما تحوَّل عنه إلى المِنبر ، فأنَّ وحنَّ حنينَ العِشار حتَّى نزلَ إليه رسول الله ﷺ فاحتضنَه وسكَّنَه حتى سكنَ . قال الحسن البصري : فهذا الجِذْعُ حَنَّ إليه ، فأنتُم أحقُّ أن تحِنُّوا إليه . وأما عودُ الحياة إلى جسد كانت فيه بإذن الله فعظيمٌ ، وهذا أعجبُ وأعظمُ من إيجاد حياة وشعور في محلٍّ ليس مألوفاً لذلك ، ولم تكن فيه قبلُ بالكُلِّيَّة ، فسبحان الله رب العالمين ! .

تنبيه : وقد كان لرسول الله ﷺ لواءٌ يُحملُ معه في الحرب ، يخفقُ في قلوب أعدائه مسيرةَ شهر بين يديه ، وكانت له عَنَزَةٌ تُحملُ بين يديه ، فإذا أرادَ الصَّلاة إلى غير جدار ولا حائل رُكِّزت بين يديه ، وكان له قضيبٌ يتوكَّأ عليه إذا مشى ، وهو الذي عَبَّرَ عنه سَطيح في قوله لابن أخته عبد المسيح بن بُقيلة : يا عبدَ المسيح ! إذا كثرت التلاوة، وظهرَ صاحبُ الهَراوة وغاضتْ بُحيرة ساوة ، فليستِ الشامُ لسَطِيح شاماً[٢] .

ولهذا كان ذكرُ هذه الأشياء عند إحياء عصا موسى وجَعلِها حَيَّةً أليقُ ، إذ هي مساويةٌ لذلك ، وهذه مُتعدِّدة في مَحالّ متفرِّقة ، بخلاف عصا موسى فإنها وإن تعدَّد جَعلُها حيَّة ، فهي ذاتٌ واحدة ، والله أعلم . ثم نُنبِّه على ذلك عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى لأنَّ هذه أعجبُ وأكبرُ وأظهر ، والله أعلم .

قال شيخنا : وأما أنَّ الله كَلَّمَ موسى تكليماً ، فقد تقدَّمَ حصولُ الكلام للنبيِّ ﷺ ليلة الإسراء مع الرؤية ، وهو أبلغ . ويشهدُ له : « فنُوديت : أن يا محمَّدُ! كمَّلت فريضتي ، وخَفَّفتُ عن عبادي »[٣] وسياقُ بقية القِصَّة يُرشد إلى ذلك ، وقد حكى بعضُ العلماء الإجماعَ على ذلك ، لكن رأيتُ في كلام القاضي عياض[٤] نقل خلافٍ فيه ، والله أعلم . وأما الرؤيةُ ففيها خلاف مشهور بين الخَلَف والسَّلَف ، ونصرَها من الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خُزيمة المشهور بإمام الأئمة ، واختارَ ذلك القاضي[٥] عياض والشيخ محيي الدين النووي[٦] .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٦٨) .

(٢) انظر قصة سطيح مع ابن أخته في دلائل النبوة ؛ للبيهقي (١/ ١٢٦ ـ ١٣٠) وتقدمت في فصل ما وقع من الآيات ليلة مولده ﷺ .

(٣) رواه البيهقي (٢/ ٣٩٥) في الدلائل عن أبي سعيد الخدري ، وفيه أبو هارون العبدي متروك .

(٤) الشفا ، للقاضي عياض (١/ ٣٩٠) .

(٥) المصدر السابق (١/ ٣٨٦) .

(٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٥) .

وجاء عن ابن عبَّاس تصديق الرؤية ، وجاء عنه تفنيدها ، وكلاهما في صحيح مسلم[١] .

وفي الصحيحين[٢] عن عائشة إنكار ذلك ، وقد ذكرنا في الإسراء : عن ابن مسعود ، وأبي هريرة ، وأبي ذر ، وعائشة رضي الله عنهم ، أنَّ المرئيَّ في المرتين المذكورتين في أول سورة النَّجْم ، إنما هو جبريلُ عليه السلام .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذرٍّ قال : قلت : يا رسولَ الله ! هل رأيتَ رَبَّكَ ؟ فقال : « نور أنَّى أراه »[٣] ؟ وفي رواية : « رأيت نوراً »[٤] .

وقد تقدَّم بسطُ ذلك في الإسراء في السيرة ، وفي التفسير في أول سورة بني إسرائيل .

وهذا الذي ذكرَه شيخنا فيما يتعلَّق بالمعجزات الموسوية عليه أفضل الصلاة والسلام .

وأيضاً فإن الله تعالى كلَّم موسى وهو بطُور سَيْناء ، وسألَ الرؤيةَ فَمُنِعَها ، وكلَّم محمداً ﷺ ليلةَ الإسراء وهو بالملأ الأعلى حين رُفع لمستوًى سمع فيه صريفَ الأقلام ، وحصلت له الرؤيةُ في قول طائفة كبيرة من علماء السَّلَفِ والخَلَف ، والله أعلم . ثم رأيتُ ابنَ حامد قد طرقَ هذا في كتابه وأجادَ وأفادَ ، وقال ابنُ حامد : قال الله تعالى لموسى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [طه : ٣٩] وقال لمحمد : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] وأما اليد التي جعلَها الله برهاناً وحُجَّةً لموسى على فرعون وقومه ، كما قال تعالى بعد ذكر صيرورة العَصا حيَّة : ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾ [القصص : ٣٢] . وقال في سورة طه : ﴿ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ [طه : ٢٢ ـ ٢٣] فقد أعطى الله محمّداً انشقاقَ القمر بإشارته إليه فرقتين ، فرقة من وراء جبل حِرَاء ، وأخرى أمامه ، كما تقدَّم بيان ذلك بالأحاديث المتواترة ، مع قوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ١ ـ ٢] ولا شَكَّ أنَّ هذا أجلُّ وأعظم وأبهر في المعجزات وأعمُّ وأظهر وأبلغ من ذلك .

وقد قال كعبُ بن مالك في حديثه الطويل في قصة توبته : وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجهُه كأنَّه فلقة قمر ، وذلك في صحيح البخاري[٥] . وقال ابنُ حامد : قالوا : فإن موسى أعطي اليدَ البيضاءَ ،

---

(١) روى مسلم تفنيد الرؤية عن ابن عباس (٢٨٤) و(٢٨٥) في الإيمان . أما إثبات الرؤية عن ابن عباس فهي عند الترمذي (٣٢٨٠) في التفسير ، باب تفسير سورة النجم . وانظر تفصيل هذا الموضوع في زاد المعاد (٣/ ٣٦ ـ ٣٧) .

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٥) في التفسير ، ومسلم (١٧٧) في الإيمان .

(٣) رواه مسلم (١٧٨)(٢٩١) و(٢٩٢) في الإيمان .

(٤) رواه مسلم (١٧٨)(٢٩١) و(٢٩٢) في الإيمان .

(٥) رواه البخاري (٤٤١٨) في المغازي ، باب حديث كعب بن مالك .

قلنا لهم : فقد أُعطي مُحمَّدٌ ﷺ ما هو أفضلُ من ذلك ؛ نوراً كان يُضيءُ عن يمينه حيث ما جلسَ ، وعن يساره حيث ما جلس وقامَ ، يراه النَّاسُ كلُّهم ، وقد بقي ذلك النُّورُ إلى قيام الساعة ، ألا ترى أنه يُرى النُّورُ السَّاطع من قبره ﷺ من مسيرةِ يوم وليلة ؟ هذا لفظه .

وهذا الذي ذكرَه من هذا النور غريب جداً .

وقد ذكرنا في السيرة عند إسلام الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوسيّ ؛ أنه طلبَ من النبيِّ ﷺ آيةً تكون له عَوْناً على إسلام قومه فدعا له ، وذهبَ إلى قومِه ، فلما أشرفَ على قومِه من بيتِه هناكَ ؛ سطعَ نورٌ بينَ عينَيه كالمصبَاح ، فقال : اللَّهُم في غير هذا الموضع فإنهم يَظنُّونَه مُثلَةً ، فتحوَّلَ النُّور إلى طرف سوطه ، فجعلوا ينظرون إليه كالمصباح ، فهداهم الله على يديه ببركة رسول الله ﷺ وبدعائه لهم في قوله : « اللهم اهدِ دَوساً ، وائتِ بهم »[1] وكان يُقال للطُّفَيْل : ذو النور ، لذلك .

وذكرَ أيضاً حديثَ أُسَيْد بن حُضَيْر وعبَّاد بن بِشْر في خروجهما من عند النبيِّ ﷺ في ليلة مُظْلِمَةٍ ، فأضاءَ لهما طرفُ عصا أحدهما ، فلما افترقا أضاء كل واحد منهما طرف عصاه ، وذلك في صحيح البخاري[2] وغيره .

وقال أبو زُرعةَ الرازيُّ في كتاب دلائل النبوة : حدَّثنا سُليمان بن حرب ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمةَ ، عن ثابت بن أنس بن مالك ، أنَّ عبَّاد بن بِشْر وأُسيْد بن حُضَيْر خرجا من عند النبيِّ ﷺ في ليلةٍ ظلماءَ حِندس[3] ، فأضاءت عصا أحدهما مثل السِّراج ، وجعلا يمشيان بضوئها ، فلما تفرَّقا إلى منزلهما أضاءت عصا ذا وعصا ذا .

ثم روى عن إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوَّام ، وعن يعقوب بن حُميد المدني ، كلاهما عن سفيان بن حمزة ، عن كثير بن زيد ، عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلميّ ، عن أبيه ، قال : سرنا في سفرٍ مع رسول الله ﷺ في ليلةٍ ظلماءَ دِحْمِسَة ، فأضاءت أصابعي ، حتَّى جَمَعُوا عليها ظهرَهم ، وما هلكَ منهم ، وإنَّ أصابعي لتستنيرُ[4] .

وروى هشام بن عمَّار في « المبعث » : حدَّثنا عبدُ الأعلى بن محمد البَكْري ، حدَّثنا جعفرُ بن سُليمان البصري ، حدَّثنا أبو التَّيَّاح الضَّبْعي ، قال : كان مُطَرِّف بن عبد الله يبدو ، فيدخل كلَّ جمعة ، فرُبما نُوِّرَ

---

(١) رواه البخاري (٤٣٩٢) في المغازي ، ومسلم (٢٥٢٤) في الفضائل .
(٢) رواه البخاري (٣٨٠٥) في مناقب الأنصار ، باب منقبة أُسيد بن حضير وعبَّاد بن بشر رضي الله عنهما .
(٣) « حِنْدس » : مظلمة حالكة .
(٤) رواه البخاري في تاريخه (٣/ ٤٦) والبيهقي في دلائله (٦/ ٧٩) وأبو نُعيم في الحلية (٤٩٤) والسيوطي في الخصائص (٢/ ٨١) وفيها : وإن أصابعي لتُنير . واستنار : أضاء .

له في سوطه ، فأدلجَ ذاتَ ليلةٍ وهو على فرسه ، حتّى إذا كان عند المقابر هوَّم به ، قال : فرأيتُ صاحبَ كلِّ قبرٍ جالساً على قبره ، فقال : هذا مُطَرِّفٌ يأتي الجمعةَ ، فقلتُ لهم : وتعلمونَ عندَكم يومَ الجمعة ؟ قالوا : نعم ، ونعلم ما تقولُ فيه الطَّيرُ ، قلتُ : وما تقول فيه الطير ؟ قالوا : تقول : ربِّ سَلِّم سَلِّم ، يومٌ صالح[1] .

وأما دعاؤه عليه السلام عليهم بالطُّوفان ، وهو الموت الذريع في قول ، وما بعدَه من الآيات ، والقحْط والجَدْب ، فإنما كان ذلك لعلَّهم يرجعون إلى متابعته ويُقلعون عن مخالفته ، فما زادهم إلا طُغياناً كبيراً ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٨ ـ ٤٩] ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٢ ـ ١٣٦] وقد دعا رسولُ الله ﷺ على قريش حين تمادوا في مخالفته بسبعٍ كَسَبْعِ يوسفَ ، فقُحطوا حتّى أكلوا كلَّ شيء ، وكان أحدُهم يرى بينَه وبين السماء مثل الدُّخان من الجوع . وقد فسَّر ابن مسعود قوله تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان : ١٠] بذلك ، كما رواه البخاري[2] عنه في غير ما موضع من صحيحه . ثم توَسَّلوا إليه ، صلوات الله وسلامه عليه ، بقرابتِهم منه مع أنه بُعث بالرحمة والرأفة ، فدعا لهم ، فأقلعَ عنهم ، ورُفع عنهم العذاب ، وأحيوا بعدما كانوا أشرفوا على الهلكة .

وأما فَلْقُ البحر لمُوسى عليه السلام حينَ أمرَه الله تعالى ـ حين تَراءى الجمعان ـ أن يضربَ البحرَ بعصاه فانفلقَ فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّودِ العظيم ، فإنه معجزةٌ عظيمة باهرة ، وحُجَّةٌ قاطعة قاهرة ، وقد بسطنا ذلك في التفسير وفي قصص الأنبياء من كتابنا[3] هذا .

وفي إشارته ﷺ بيده الكريمة إلى قمرِ السَّماء فانشقَّ القمرُ فِلْقَتَين وَفقَ ما سألَه قريش ، وهم معه جلوسٌ في ليلة البدر ، أعظمُ آية ، وأيمنُ دلالة ، وأوضحُ حجَّة ، وأبهرُ بُرهانٍ على نبوته وجاهه عند الله

---

(١) رواه أحمد في الزهد (٢٤٦) وأبو نُعيم في الحلية (٢/ ٢٠٥) وذكره الذهبي في السِّير (٤/ ١٩٣) وفيه : تقول : سلام سلام من يوم صالح . ومعنى « يبدو » : يخرج إلى البادية ، و« هوَّمَ به » : هزَّ رأسه من النعاس ، أو نام نوماً خفيفاً .

(٢) رواه البخاري (٤٥٤٤) في التفسير ، باب تفسير سورة حم (الدخان) و(٩٦٢) و(٩٧٤) في الاستسقاء .

(٣) انظر كتاب قصص الأنبياء للمؤلف .

تعالى ، ولم يُنقل معجزةٌ عن نبيٍّ من الأنبياء من الآيات الحِسِّيَّات أعظمُ من هذا ، كما قرَّرنا ذلك بأدلته من الكتاب والسُّنة ، في التفسير وفي أول البعثة[١] والله أعلمُ .

وهذا أعظمُ من حَبس الشَّمس قليلاً ليُوشعَ بن نون حتَّى تَمَكَّن من الفتح ليلة السبت ، كما سيأتي تقريرُ ذلك مع ما يُناسب ذكره عنده .

وقد تقدَّم من سيرة العَلاء الحَضرميِّ ، وأبي عُبيد الثَّقَفِيِّ وأبي مُسلم الخَولانيّ ، وسَيرِ الجُيوش التي كانت معهم على تيّار الماء ، ومنها دجلة ، وهي جاريةٌ عجَّاجةٌ[٢] ، تقذفُ بالخشب من شِدَّة جريها ، وتقدَّم تقريرُ أنَّ هذا أعجبُ من فَلَقِ البحر لموسى من عدة وجوه ، والله أعلم .

وقال ابن حامد : فإن قالوا : فإنَّ موسى عليه السلام ضربَ بعصاه البحرَ فانفلقَ ، فكان ذلك آيةً لموسى عليه السلام . قلنا : فقد أُوتي رسولُ الله ﷺ مثلَها . قال عليٌّ رضي الله عنه : لمَّا خرجنا إلى خيبرَ فإذا نحن بواد سُحتٍ ، وقدَّرنَاه فإذا هو أربع عشرة قامة ، فقالوا : يا رسول الله ! العدوُّ من ورائِنا والوادي من أمامنا ، كما قال أصحاب موسى : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء : ٦١] فنزلَ رسول الله ﷺ ثم قال : اللهم إنَّكَ جعلتَ لكل مرسلٍ دلالةً ، فأرني قدرتكَ ، فركبَ رسول الله ﷺ فعبرتِ الخيلُ لا تُبدي حوافرَها ، والإبلُ لا تُبدي أخفافَها ، فكان ذلك فتحاً .

وهذا الذي ذكرَه بلا إسناد ، ولا أعرفُه في شيءٍ من الكتب المُعتمدة بإسناد صحيح ولا حسن ، بل ولا ضعيف ، فالله أعلم .

وأما تظليلُه بالغَمام في التِّيه ، فقد تقدَّم ذكرُ حديث الغَمامة[٣] التي رآها بحيرا تُظِلُّه من بين أصحابه ، وهو ابنُ اثنتي عشرة سنة ، صُحْبَةَ عمِّه أبي طالب وهو قادم إلى الشام في تجارة ، وهذا أبهرُ من جهةِ أنَّه كان وهو قبل أن يُوحى إليه ، وكانت الغَمامة تُظِلُّه وحدَه من بين أصحابه ، فهذا أشدُّ في الاعتناء ، وأظهرُ من غَمام بني إسرائيل وغيرهم ، وأيضاً فإن المقصود من تظليل الغَمام إنَّما كان لاحتياجهم إليه من شِدَّة الحَرِّ .

وقد ذكرنا في الدلائل حين سُئل النبيُّ ﷺ أن يدعوَ لهم ليُسقَوا ، لما هم عليه من الجُوع والجَهد والقَحط ، فرفَعَ يديه وقال : « اللَّهُمَّ اسقِنا ، اللَّهُمَّ اسقِنا ، اللَّهُمَّ اسقِنا » قال أنس : ولا والله ما نرى في السَّماء من سَحابٍ ولا قَزَعة[٤] ، وما بيننا وبين سَلع من بيتٍ ولا دار ، فأنشأت من ورائه سحابة مثل التُّرس ، فلما تَوسَّطتِ السماءَ انتشرت ثم أمطرت ، قال أنس : فلا والله ما رأينا الشَّمسَ سبتنا . ولمَّا

---

(١) تقدم من هذا الجزء .

(٢) « عجَّاجة » : صوت تدفق الماء في النهر .

(٣) تقدم الحديث ، وفيه كلام فراجعه .

(٤) « قزعة » : قطعة من السحاب المتفرِّق .

سألوه أن يستصحيَ لهم رفعَ يدَه وقال : « اللَّهُمَّ حَوَالَينا ولا علينا » ، فما جعلَ يُشيرُ بيديه إلى ناحيةٍ إلا انحازَ السَّحابُ إليها[١] حتى صارت المدينةُ في مثلِ الإكليل يُمطرُ ما حولَها ولا تُمطر[٢] . فهذا تظليلُ غَمام محتاج إليه ، آكدُ من الحاجة إلى ذلك ، وهو أنفعُ منه ، والتصرُّف فيه ، وهو يشير ، أبلغُ في المعجز وأظهرُ في الاعتناء ، والله أعلم .

وأما إنزالُ المَنِّ والسَّلوى عليهم فقد كثَّر رسولُ الله ﷺ الطَّعامَ والشَّرابَ في غير ما موطن ، كما تقدَّم بيانُه في دلائل النبوة من إطعام الجَمِّ الغفير من الشيء اليسير ، كما أطعمَ يومَ الخندق من شويهة[٣] جابر بن عبد الله وصاعِه الشعير ، أزيدَ من ألف نفسٍ جائعة ، صلواتُ الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

وأطعمَ من حفنة قوماً من الناس ، وكانت تُمَدُّ من السماء ، إلى غير ذلك من هذا القَبيل مما يطولُ ذكره .

وقد ذكرَ أبو نُعيم وابنُ حامد أيضاً هاهنا : أن المرادَ بالمَنّ والسَّلوى إنما هو رزقٌ رُزقُوه من غير كَدٍّ منهم ولا تعب ، ثم أوردَ في مقابلتِه حديثَ تحليل المغنم ولا يحل لأحد قبلنا ، وحديث جابر في سرية أبي عُبيدة ، وجوعهم حتى أكلوا الخَبَطَ فحسرَ البحرُ لهم عن دَابَّة ، تُسمَّى العنبرَ ، فأكلوا منها ثلاثين من يوم وليلة حتى سَمِنُوا وتكرَّست عُكَنُ بطونهم ، والحديث في الصحيح كما تقدَّمَ[٤] ، وسيأتي عند ذكر المائدة في معجزات المسيح ابن مريم .

قصة أبي مسلم الخَوْلاني

أنه خرجَ هو وجماعة من أصحابه إلى الحج وأمرَهم ألا يَحملوا زاداً ولا مَزاداً ، فكانوا إذا نزلوا منزلاً صلَّى ركعتين ، فيُؤتون بطعامٍ وشرابٍ وعَلَفٍ يَكفيهم ويَكفي دَوابَّهم غداءً وعَشاء مُدَّة ذهابهم وإيابهم[٥] .

وأما قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ ﴾ الآية [البقرة : ٦٠] . فقد ذكرنا بسطَ ذلك في قِصَّة موسى عليه السلام وفي التفسير .

وقد ذكرنا الأحاديث[٦] الواردةَ في وَضع النبيِّ ﷺ يدَه في ذلك الإناء الصغير الذي لم يتسع لبسطها

---

(١) « الإكليل » : العصابة ، وتُطلق على كل محيط بالشيء .
(٢) رواه بمعناه البخاري (١٠١٧) في الاستسقاء ، ومسلم (٨٩٧) باب الدعاء في الاستسقاء .
(٣) « الشويهة » : الشاة الصغيرة .
(٤) تقدم الحديث .
(٥) تقدمت قصة أبي مسلم .
(٦) تقدمت الأحاديث .

فيه ، فجعلَ الماءُ ينبعُ من بَينِ أصابِعه أمثالَ العُيون ، وكذلك كَثَّرَ الماءَ في غير ما موطن ؛ كمَزادَتي تلكَ المرأة ، ويومَ الحُدَيبية ، وغير ذلك ، وقد استسقى اللهَ لأصحابه في المدينة وغيرها فأُجيب طِبقَ السُّؤالِ وَفقَ الحاجةِ لا أزيدَ ولا أنقصَ ، وهذا أبلغُ في المُعجز .

ونبعُ الماء من بين أصابِعه من نفس يده ، على قول طائفة كثيرة من العلماء ، أعظمُ من نبع الماء من الحَجَرِ فإنَّه محلٌّ لذلك .

قال أبو نُعيم الحافظ : فإن قيل : إن موسى كان يضربُ بعصاه الحجرَ فينفجرُ منه اثنتا عشرة عيناً في التيه ، قد علمَ كلُّ أُناسٍ مَشربَهم . قيل : كان لمحمَّدٍ ﷺ مثلُه أو أعجبُ ، فإنَّ نبعَ الماء من الحَجَر مشهورٌ من المعلوم والمتعارف ، وأعجبُ من ذلك نبعُ الماء من بين اللَّحم والدَّم والعَظم ، فكان يُفرِجُ بينَ أصابعه في مخضب ، فينبع من بين أصابعه الماء ، فيشربون ويَستقون ماءً جارياً عذباً ، روى العددَ الكثير من الناس والخيل والإبل[1] .

ثم روى من طريق المُطَّلب بن عبد الله بن حَنطَبَ : حدَّثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري ، حدَّثني أبي . قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها ، فباتَ النَّاسُ في مَخمَصَة ، فدعا بِركوَةٍ فوُضِعت بينَ يديه ، ثم دعا بماءٍ فصبَّه فيها ، ثم مجَّ فيها وتكلَّم ما شاء الله أن يتكلَّم ، ثم أدخلَ إصبعه فيها ، فأقسمَ بالله لقد رأيتُ أصابعَ رسول الله ﷺ تَتفجَّر منها ينابيعُ الماء ، ثم أمرَ النَّاسَ فسُقوا وشَربوا وملؤوا قِرَبَهم وإداواتِهم[2] .

وأما قِصَّةُ إحياء الذين قُتلوا بسبب عبادة العجل وقصة البقرة ، فسيأتي ما يُشابههما من إحياء حيواناتٍ وأُناس ، عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى ابن مريم ، والله أعلم .

وقد ذكر أبو نُعيم ها هنا أشياءَ أُخرَ تركناها اختصاراً واقتصاراً .

وقال هشام بن عمَّار في كتابه « المبعث » :

باب
فيما أُعطي رسولُ الله ﷺ وما أُعطي الأنبياء قبله

حدَّثنا محمد بن شعيب ، حدَّثنا رَوحُ بن مدرك ، أخبرني عمرُ بن حسَّان التميمي ؛ أن موسى عليه السلام أُعطي آيةً من كُنوز العرش : « ربِّ لا تُولج الشيطان في قلبي ، وأعذني منه ومن كلِّ سوء ، فإنَّ لك

(١) انظر دلائل النبوة ؛ لأبي نعيم (١/ ٧٥٢) .
(٢) رواه أبو نعيم كما في حجة الله على العالمين ؛ للنبهاني (٦/ ٦٢٦) ولم أجده في الحلية ولا في الدلائل .

اليدَ والسُّلطانَ والمُلكَ والمَلكوت ، ودهرَ الدَّاهرين ، وأبدَ الآبدين ، آمين آمين »[١] . قال : وأُعطي محمَّدٌ ﷺ آيتان من كُنوز العرش[٢] ، آخر سورة البقرة : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ . . . ﴾ إلى آخرها [البقرة : ٢٨٥ ـ ٢٨٦] .

قِصَّة حَبس الشمس

على يُوشَع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ، عليهم السلام ، وقد كان نبيَّ بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ، وهو الذي خرجَ ببني إسرائيل من التِّيه ، ودخلَ بهم بيتَ المقدس بعد حصار ومقاتلة ، وكان الفتحُ قد ينجزُ بعدَ العصر يومَ الجمعة ، وكادتِ الشَّمسُ تغربُ ، ويدخلُ عليهم السَّبتُ ، فلا يَتمكَّنونَ معه من القتال ، فنظرَ إلى الشَّمس فقال : إنَّكِ مأمورةٌ وأنا مأمورٌ ، ثم قال : اللَّهُمَّ احبِسها عليَّ ، فحبسَها الله عليه حتَّى فتحَ البلدَ ، ثم غَرَبَت .

وقد قدَّمنا في قِصَّة من قِصَص الأنبياء الحديثَ الواردَ في صحيح مسلم : من طريق عبد الرزاق ، عن مَعْمَرَ بن هَمَّام ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « غزا نبيٌّ من الأنبياء ، فدنا من القرية حينَ صَلَّى العصرَ أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورةٌ وأنا مأمورٌ ، اللَّهُمَّ أمسكْها عليّ شيئاً »[٣] فحُبستْ عليه حتَّى فتحَ الله عليه . . الحديث بطوله .

وهذا النبيُّ هو يُوشَعُ بن نون ، بدليل ما رواه الإمام أحمد : حدَّثنا أسود بن عامر ، حدَّثنا أبو بكر بن هشام ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الشَّمسَ لم تُحبس لبشرٍ إلا ليُوشعَ عليه السلام لياليَ سارَ إلى بيتِ المقدس »[٤] تفرَّدَ به أحمدُ وإسناده على شرط البُخاري .

إذا عُلمَ هذا ، فانشقاقُ القمر فِلْقَتَيْنِ حتَّى صارت فلقة من وراء الجبل ـ أعني حراء ـ وأخرى من دونه ، أعظمُ في المعجزة من حبس الشمس قليلاً .

وقد قدَّمنا في الدلائل حديثَ رَدِّ الشَّمْس بعد غُروبها ، وذكرنا ما قيل فيه من المقالات ، فالله أعلم .

قال شيخنا العَلَّامة أبو المعالي بن الزملكاني : وأما حبسُ الشَّمس ليُوشعَ في قتال الجبَّارين ، فقد انشقَّ القمرُ لنَبيِّنا ﷺ ، وانشقاق القمر فِلْقَتَينِ أبلغُ من حَبْسِ الشَّمس عن مسيرها .

---

(١) لم أجده ، وكتاب المبعث لهشام بن عمار لم أره مطبوعاً .

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٣) والنسائي في الكبرى (٨٠٢٢) والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢١٣) وفي الشعب (٢٣٨) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٧٤٧) في الجهاد ، وتقدم .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٢٥) رقم (٨٢٩٨) وهو حديث تقدم .

وصَحَّتِ الأحاديث[١] وتواترت بانشقاق القمر ، وأنه كان فرقة خلف الجبل وفرقة أمامه ، وأنَّ رسول الله ﷺ قال : « اشهدوا »[٢] ، وأنَّ قريشاً قالوا : هذا سحرَ أبصارَنا ، فوردَ المسافرون وأخبروا أنهم رأوه مفرَّقاً ، قال الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ١ ـ ٢] قال : وقد حُبست الشَّمسُ لرسول الله ﷺ مرَّتين ، إحداهُما ما رواه الطحاوي وقال : رواته ثقات ، وسمَّاهم وعدَّهم واحداً واحداً ؛ وهو أن النبيَّ ﷺ كان يُوحى إليه ورأسه في حِجر عليٍّ رضي الله عنه ، فلم يرفع رأسَه حتَّى غَرَبَت الشَّمسُ ، ولم يكن عليّ صلَّى العصرَ ، فقال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ إنه كان في طاعتِك وطاعةِ رسولك[٣] ، فَارْدُد عليه الشَّمسَ »[٤] فردَّ الله عليه الشَّمسَ حتى رُئِيَتْ ، فقامَ عليٌّ فصَلَّى العصرَ ، ثم غَرَبَتْ .

والثانيةُ صبيحة الإسراء ، فإنه ﷺ أخبرَ قريشاً عن مَسْراه من مكَّة إلى بيت المقدس ، فسألوه عن أشياءَ من بيت المقدس ، فجلَّاه الله له حتَّى نظرَ إليه ووصفَه لهم ، وسألوه عن عِيْرٍ كانت لهم في الطريق فقال : « إنَّها تصلُ إليكم مع شروق الشمس » فتأخَّرتْ ، فحبسَ الله الشمسَ عن الطُّلوع حتى جاءتِ العيرُ .

روى ذلك ابن بُكير[٥] في زياداته على السيرة .

أما حديث ردِّ الشمس بسبب عليّ رضي الله عنه ، فقد تقدَّم ذكرنا له من طريق أسماء بنت عميس وهو أشهرها ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، وعليّ نفسه ، وهو مُستنكرٌ من جميع الوجوه ، وقد مال إلى القول بتقويته أحمد بن صالح المصري الحافظ ، وأبو جعفر الطحاوي ، والقاضي عِياض ، وكذا صحَّحه جماعة من العلماء الرافضة ، كابن المُطَهِّر[٦] وذويه . وردَّه وحكمَ بضعفه آخرون من كبار حفَّاظ الحديث ونُقَّادهم ، كعليِّ بن المَديني ، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، وحكاه عن شيخه محمد ويعلى ابني عبيد الطنافسيين ، وكأبي بكر محمد بن حاتم البخاري المعروف بابن زنجويه أحد الحفَّاظ ، والحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر ، وذكره الشيخ جمالُ الدين أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات ، وكذلك صرَّحَ بوضعه شيخاي الحافظان الكبيران أبو الحجَّاج المِزِّي ، وأبو عبد الله الذهبي . وأما ما ذكرَه يُونس بن بُكير في زياداته على السيرة من تأخُّر طلوع الشمس عن إبَّان طُلوعها ، فلم ير لغيره من علماء

---

(١) انظر الأحاديث في معجزة انشقاق القمر (ص٧٧ ـ ٨٠) .
(٢) تقدم الحديث .
(٣) في نسخة : « وطاعة نبيِّك » .
(٤) تقدم الحديث .
(٥) هو يونس بن بكير المتوفى سنة (١٩٩هـ) وهو راوي السيرة عن ابن إسحاق ، وله عليها زيادات .
(٦) هو ابن المطهر الحلي صاحب كتاب « منهاج الكرامة » والذي ألف الإمام ابن تيمية كتابه « منهاج السنة » في الرد عليه .

السِّير . على أن هذا ليس من الأمور الشاهدة ، وأكثر ما في الباب أن الراوي رأى تأخيرَ طلوعها ، ولم يُشاهد حبسها عن وقتها .

وأغرب من هذا ما ذكرَهُ ابنُ المُطَهَّر في كتابه « المنهاج » ، أنَّها رُدَّت لعليٍّ مرتين ، فذكرَ الحديث المُتقدِّم ، كما ذكر ، ثم قال : وأما الثانية فلمَّا أراد أن يعبرَ الفراتَ ببابلَ ، اشتغلَ كثيرٌ من أصحابه بسبب دَوابِّهم ، وصلَّى لنفسه في طائفة من أصحابه العصرَ ، وفاتت كثيراً منهم ، فتكلَّموا في ذلك ، فسألَ الله ردَّ الشمس فرُدَّت . وقد نظمه الحميريُّ ، فقال :

رُدَّت عليـه الشمـس لمَّـا فـاتَـه وقـت الصلاة وقـد دنتْ للمغـربِ
حتـى تسلَّـخ نـورهـا فـي وقتهـا للعصـر ثـم هـوت هـويَّ الكـوكـبِ
عليـه قـد رُدَّت ببـابـل مـرَّةً أخـرى ومـا ردت لخلـق مقـرب

قال : وذكر أبو نُعيم بعدَ موسى إدريس عليه السلام ، وهو عند كثير من المفسرين من أنبياء بني إسرائيل ، وعند محمّد بن إسحاق بن يَسار وآخرين من علماء النسب قبلَ نوح عليه السلام ، في عمود نسبه إلى آدم عليه السلام ، كما تقدَّم التنبيه على ذلك . فقال :

القول فيما أُعطي إدريس عليه السلام

من الرفعة التي نوَّهَ الله بذكرها ، فقال : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧]

قال : والقول فيه أن نبينا محمداً ﷺ أُعطي أفضلَ وأكملَ من ذلك ، لأن الله تعالى رفعَ ذكرَه في الدنيا والآخرة فقال : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] فليس خطيبٌ ولا شفيعٌ ولا صاحبُ صلاة إلا يُنادي بها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقرنَ الله اسمَه باسمِه ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك مفتاحاً للصلاة المفروضة .

ثم أوردَ حديثَ ابن لهيعة : عن درَّاج ، عن أبي الهيثم[١] ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ قال : قال لي جبريلُ : قال الله : « إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ »[٢] . ورواه ابن جرير وابن أبي عاصم من طريق دَرَّاج .

ثم قال : حدَّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي ، حدَّثنا موسى بن سهل الجوني ، حدَّثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيتي ، حدَّثنا نصرُ بن حمَّاد ، عن عثمان بن عطاء ، عن الزهري ، عن

---

(١) في المطبوع : « الهشيم » محرف ، وهو أبو الهيثم العُتْواري ، وهذا إسناد ضعيف .
(٢) رواه أبو يعلى في المسند (١٣٨٠) وابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٣٥) وابن حبان في صحيحه (١٧٧٢) موارد ، وإسناده ضعيف .

أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لما فرغتُ مما أمرني الله تعالى به من أمر السمواتِ والأرض قلت : يا ربِّ إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا قد كرَّمته ، جعلتَ إبراهيمَ خليلاً ، وموسى كليماً ، وسخَّرت لداودَ الجبالَ ، ولسليمانَ الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلتَ لي ؟ قال : أوليس قد أعطيتُك أفضلَ من ذلك كله ، أنّي لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي ، وجعلتُ صدورَ أمتك أناجيلَ يقرؤون القرآن ظاهراً ، ولم أُعطِها أُمّةً ، وأنزلتُ عليك كلمة من كنوز عرشي : لا حول ولا قوة إلا بالله »[(١)] . وهذا إسناد فيه غرابة ، ولكن أورد له شاهداً من طريق أبي القاسم بن بنت منيع البغوي ، عن سليمان بن داود المهراني ، عن حمَّاد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه .

وقد رواه أبو زُرعة الرازي في كتاب « دلائل النبوة » بسياق آخر ، وفيه انقطاع ، فقال : حدَّثنا هشام بن عمَّار الدمشقي ، حدَّثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثنا شعيب بن زريق أنه سمع عطاءَ الخراساني ، يُحدِّث عن أبي هريرة وأنس بن مالك ، عن النبي ﷺ من حديث ليلة أُسري به . قال : « فأراني الله من آياتِه ، فوجدتُ ريحاً طيِّبة ، فقلت : ما هذا يا جبريلُ ؟! قال : هذه الجنَّةُ ، تقولُ : يا ربِّ ائتني بأهلي ، قال الله تعالى : لك ما وعدتُكَ ، كل مؤمن ومؤمنة لم يتخذ من دوني أنداداً ، من أقرضني قرَّبته ، ومن توكَّل عليَّ كفيتُه ، ومن سألني أعطيتُه ، ولا ينقص نفقته ، ولا ينقص ما يتمنى ، لك ما وعدتُكَ ، فنعم دار المتقين أنت ، قلت : رضيت ، فلما انتهينا إلى سدرة المنتهى خررت ساجداً فرفعتُ رأسي فقلت : يا رب ! اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمت موسى تكليماً ، وآتيت داود زبوراً ، وآتيتَ سليمان ملكاً عظيماً ، قال : فإني قد رفعتُ لك ذكركَ ، ولا تجوز لأمتك خطبة حتى يشهدوا أنك رسولي ، وجعلتُ قلوبَ أمتك أناجيل ، وآتيتك خواتيم سورة البقرة من تحت عرشي »[(٢)] .

ثم روى من طريق الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة ، حديث الإسراء بطوله ، كما سقناه من طريق ابن جرير في التفسير ، وقال أبو زُرعة في سياقه : ثم لقيَ أرواحَ الأنبياء عليهم السلام ، فأثنوا على ربِّهم عزَّ وجلَّ .

فقال إبراهيمُ عليه السلام : الحمدُ لله الذي اتَّخذني خليلاً ، وأعطاني مُلكاً عظيماً ، وجعلني أمَّة قانتاً لله محياي ومماتي ، وأنقذني من النار ، وجعلَها عليَّ برداً وسلاماً .

ثم إنَّ موسى عليه السلام أثنى على ربِّه ، فقال : الحمد لله الذي كلَّمني تكليماً ، واصطفاني برسالته وبكلامه ، وقرَّبني نجياً ، وأنزل عليَّ التوراة ، وجعلَ هلاك فرعون على يديَّ ونجاة بني إسرائيل على يديَّ .

---

(١) رواه أبو نُعيم في الدلائل كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٩٤) وفي إسناده ضعف .

(٢) رواه أبو زرعة الرازي في دلائله ، كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥) و(٣/ ٢٩) .

ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمدُ لله الذي جعلني ملكاً ، وأنزل عليَّ الزبور ، وألان لي الحديد ، وسخَّر لي الجبال يُسبِّحنَ معي والطَّيرَ ، وآتاني الحكمة وفصل الخطاب .

ثم إن سليمان عليه السلام أثنى على ربِّه فقال : الحمدُ لله الذي سخَّر لي الرياح والجِنَّ والإنس ، وسخَّر لي الشياطين يعملون لي ما شئتُ من محاريبَ وتماثيلَ وجِفَانٍ كالجَواب وقدور راسيات ، وعلَّمني منطقَ الطير ، وأسالَ لي عَينَ القِطْر ، وأعطاني ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي .

ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على الله عز وجل فقال : الحمدُ لله الذي علَّمني التوراة والإنجيل ، وجعلني أُبرىءُ الأكمَه والأبرصَ وأُحيي الموتى بإذن الله ، وطهَّرني ورفعَني من الذين كفروا ، وأعاذني من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل .

ثم إنَّ محمداً ﷺ أثنى على ربه فقال : كلُّكُم أثنى على ربِّه ، وأنا مُثنٍ على ربِّي ، الحمدُ لله الذي أرسلني رحمةً للعالمين ، وكافَّة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزلَ عليَّ الفُرقان فيه بيان لكل شيء ، وجعلَ أمتي خير أمة أُخرجت للناس ، وجعل أمتي أُمَّةً وسطاً ، وجعل أُمَّتي هم الأوَّلون وهم الآخرون ، وشرحَ لي صدري ، ووضعَ عنِّي وزري ، ورفعَ لي ذِكري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً .

فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فَضَلَكم محمد ﷺ »[١] .

ثم أورد الحديثَ المتقدم ، فيما رواه الحاكم والبيهقي ، من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطَّاب ، مرفوعاً في قول آدم : « يا ربِّ أسألُكَ بحقِّ محمّد إلا غفرتَ لي ، فقال الله : وما أدراكَ ولم أَخلُقه بعدُ ؟ فقال : لأني رأيتُ مكتوباً مع اسمك على ساقِ العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفتُ أنَّكَ لم تُضفْ إلى اسمِكَ إلا أحبَّ الخلق إليكَ ، فقال الله : صدقتَ يا آدمُ ، ولولا محمد ما خلقتُكَ »[٢] .

وقال بعضُ الأئمة : رفعَ الله ذكرَه ، وقرَنه باسمه في الأوَّلين والآخرين ، وكذلكَ يرفعُ قدرَه ، ويقيمُه مقاماً مَحمُوداً يومَ القيامة ، يغبطُه به الأوَّلُون والآخِرون ، ويرغبُ إليه الخلق كلُّهم حتى إبراهيم الخليل ، كما وردَ في صحيح مسلم[٣] فيما سلفَ ، وسيأتي أيضاً .

فأما التنويه بذكره في الأمم الخالية ، والقرون السابقة ، ففي صحيح البخاري[٤] : عن ابن عباس

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٧ ـ ١١) وذكره ابن كثير في تفسير مطلع سورة الإسراء (٣/ ٢٥ ـ ٢٦) .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٩٧ ـ ٤٠٢) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٥) وصححه الحاكم ، وتعقبه الذهبي فقال : بل موضوع ، وعبد الرحمن واهٍ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٩٤)(٣٢٧) في الإيمان .

(٤) ذكره المؤلف في التفسير (١/ ٤٦٣) عن علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، ولم يعزه ، ولم أجده في البخاري في صحيحه ، ولعله في التاريخ .

قال : ما بعثَ الله نبيًا إلا أخذَ عليه الميثاق لئن بُعِثَ محمَّدٌ وهو حي ليُؤمِنَنَّ به وليتبعنه ولينصرنَّه ، وأمرَه أن يأخذَ على أمته العهدَ والميثاق لئن بُعثَ محمَّد وهم أحياء ليؤمننَّ به وليتبعنَّه .

وقد بشَّرت بوجوده الأنبياء حتى كان آخر من بشَّر به عيسى ابن مريم خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وكذلك بشَّرت به الأحبارُ والرهبان والكهَّان ، كما قدَّمنا ذلك مبسوطاً .

ولما كانت ليلة الإسراء رُفِعَ من سماء إلى سماء حتَّى سلَّم على إدريس عليه السلام ، وهو في السماء الرابعة ، ثم جاوزَه إلى الخامسة ثم إلى السادسة ، فسلَّم على موسى بها ، ثم جاوزَه إلى السابعة فسلَّم على إبراهيم الخليل بها عند البيت المعمور ، ثم جاوز ذلك المقام ، فرُفِعَ لمستوى سمعَ فيه صريفَ الأقلام ، وجاء سدرة المنتهى ، ورأى الجنَّة والنَّار ، وغير ذلك من الآيات الكبرى ، وصلَّى بالأنبياء ، وشيَّعه من كل سماءٍ مقرَّبُوها ، وسلَّم عليه رضوانُ خازنُ الجِنان ، ومالك خازن النار . فهذا هو الشرف ، وهذه هي الرِّفعة ، وهذا هو التكريم والتنويه والإشهار والتقديم والعلوّ والعظمة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين .

وأما رفع ذكره في الآخرين ، فإنَّ دينَه باقٍ ناسخٌ لكلِّ دين ، ولا يُنسخُ هو أبدَ الآبدين ودَهرَ الدَّاهرين إلى يوم الدين ، ولا تزالُ طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرُّهم من خذلَهم ولا من خالفَهم حتى تقومَ الساعة . والنِّداءُ في كل يوم خمس مرَّات على كل مكان مرتفع من الأرض : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله . وهكذا كلُّ خطيبٍ يخطبُ لا بُدَّ أن يذكرَه في خطبته ، وما أحسنَ قول حسان :

أَغَــرُّ عَليــهِ للنبــوّةِ خَــاتَــمٌ مِــنَ الله مَشهــودٌ يَلــوحُ ويَشهَــدُ
وضَمَّ الإله اسمَ النبيِّ إلى اسمِهِ إذَا قَالَ في الخَمسِ المؤَذِّن أشهدُ
وشَــقَّ لَــهُ مِــن اسمــهِ ليُجِلَّــهُ فَذُو العرشِ مَحمودٌ وهذا مُحمَّدُ

وقال الصرصريُّ[1] :

لا يصــحُّ الأذانُ فــي الفــرض إلا باسمه العذب في الفم المرضي

وقال أيضاً :

أَلــم تــرَ أنَّــا لا يَصــحُّ أَذانُنــا وَلَا فـرضنَـا إن لـم نكـرِّرْهُ فيهِمـا

---

(١) هو يحيى بن يوسف الصرصري ، الشاعر ، المتوفى سنة (٦٥٦هـ) .

القول فيما أوتي داود عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٧ ـ ١٩] وقال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ : ١٠ ـ ١١] وقد ذكرنا في قصته عليه السلام وفي التفسير ، طيب صوته عليه السلام ، وأن الله تعالى كان قد سخَّر له الطير تُسبِّحُ معه ، وكانت الجبالُ أيضاً تُجيبه وتُسبِّح معه ، وكان سريع القراءة ، يأمر بدوابِّه فتسرج فيقرأ الزبور بمقدار ما يفرغ من شأنها ثم يركب ، وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، صلوات الله وسلامه عليه ، وقد كان نبينا محمّد ﷺ حسنَ الصوت ، طَيِّبَه بتلاوة القرآن ، قال جُبير بن مطعم : قرأ رسول الله ﷺ في المغرب بالتين والزيتون ، فما سمعتُ صوتاً أطيبَ من صوته ﷺ[١] . وكان يقرأ ترتيلاً كما أمره الله عز وجل بذلك . وأما تسبيحُ الطير مع داودَ ، فتسبيحُ الجبال الصُّمِّ أعجبُ من ذلك ، وقد تقدَّم في الحديث أن الحصى سبَّحَ في كفِّ رسولِ الله ﷺ ، قال ابن حامد : وهذا حديث معروف مشهور ، وكانت الأحجارُ والأشجارُ والمَدَرُ تُسلِّم عليه ﷺ .

وفي صحيح البخاري[٢] : عنِ ابن مسعود قال : لقد كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعام وهو يُؤكل ـ يعني بين يدي النبيِّ ﷺ ـ .

وكلَّمه ذراع الشاة المسمومة ، وأعلمَه بما فيه من السُّمِّ ، وشهدت بنبوته الحيواناتُ الإنسية والوحشية ، والجماداتُ أيضاً ، كما تقدَّم بسط ذلك كله ، ولا شكَّ أن صدورَ التسبيح من الحصى الصِّغار الصُّمِّ التي لا تجاويفَ فيها ، أعجبُ من صدور ذلك من الجبال ، لما فيها من التجاويف والكهوف ، فإنها وما شاكلَها تُردِّدُ صدَى الأصواتِ العالية غالباً ، كما كان عبد الله بن الزبير إذا خطبَ ـ وهو أميرُ المؤمنين بالحرم الشريف ـ تُجاوبُه الجبال ، أبو قبيس وزرود[٣] ، ولكن من غير تسبيح ، فإن ذلك من معجزات داود عليه السلام . ومع هذا فتسبيح الحصى في كفِّ رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، أعجب . وأما أكلُ داود من كسب يده ، فقد كانَ رسولُ الله ﷺ ، يأكلُ من كسبه أيضاً ، كما كان يرعى غنماً لأهل مكة على قراريط . وقال : « ما من نبيٍّ إلا وقد رعى الغنمَ »[٤] . وخرجَ إلى الشام في تجارة لخديجة مضاربةً ، وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ

---

(١) رواه البخاري في الصلاة (٧٦٩) باب الجهر في العشاء ، ومسلم (٤٦٥)(١٧٧) في الصلاة ، باب القراءة في العشاء ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، وصوابه : قرأ في العشاء .

(٢) رواه البخاري في المناقب (٣٥٧٩) باب علامات النبوة في الإسلام .

(٣) لم أجد في جبال مكة جبلاً بهذا الاسم .

(٤) رواه البخاري في الإجارة (٢٢٦٢) .

فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٧ ـ ٩] إلى قوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٢٠] أي : للتكسب والتجارة طلباً للربح الحلال ، ثم لما شرعَ الله له الجهادَ بالمدينة ، كان يأكلُ مما أباحَ له من المغانم التي لم تُبَحْ لنبيٍّ قبلَه ، ومما أفاءَ عليه من أموال الكفّار التي أُبيحت له دون غيره ، كما جاء في المسند والترمذي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « بُعثت بالسيف بين يدي السَّاعة حتى يُعبَد الله وحدَه لا شريكَ له ، وجُعِلَ رزقي تحتَ ظِلِّ رُمحِي ، وجُعِلَ الذلَّة والصَّغار على من خالف أمري ، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم »[١] . وأما إلانة الحديد له عليه السلام ، فكان من المعجزات الباهرات ، كان الحديدُ يلين بين يديه من غير نار كما يلينُ العجينُ في يده ، فكانَ يصنعُ هذه الدروعَ الداودية ، وهي الزَّرَدِيَّات السَّابغات ، وأمره الله تعالى بكيفية عملها : ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ [سبأ : ١١] أي : ألا يدقَّ المسمار فيسلس ، ولا يعظمه فيفصم ، كما جاء في البخاري[٢] . وقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٨٠] وقد قال بعض الشعراء في معجزات النبوة :

نَسْجُ داودَ ما حَمَى صَاحِبَ الغَا ... رِ وَكَانَ الفَخَارُ لِلعَنكَبوتِ

والمقصود المعجز في إلانة الحديد ، وقد تقدَّم في السيرة عند ذكر حفر الخندق عام الأحزاب ، وفي سنة أربع ، وقيل : خمس ، أنهم عَرَضَت لهم كُدْيةٌ ـ وهي الصَّخرة في الأرض ـ فلم يقدروا على كسرها ولا شيءَ منها ، فقامَ إليها رسولُ الله ﷺ ـ وقد ربطَ حَجراً على بطنه من شدة الجوع ـ فضربَها ثلاثَ ضَرباتٍ ، لمعتِ الأولى حتَّى أضاءت له منها قصورُ الشام ، وبالثانية قصورُ فارسَ ، وثالثة ، ثم انسالت الصَّخرة كأنها كثيبٌ من الرَّمل ، ولا شكَّ أن انسيالَ الصخرة التي لا تنفعلُ ولا بالنار ، أعجبُ من لين الحديد الذي إن أحمي لانَ ، كما قال بعضهم :

فَلو أَنَّ ما عَالجتَ لِينَ فُؤادِها ... بِنَفسي لَلَانَ الجَندَلُ الصَّلدُ

والجَندل : الصخر ، فلو كان شيء أشدَّ قسوة من الصخر لذكَره هذا الشاعر المُبَالِغ ، وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة : ٧٤] الآية . وأما قوله تعالى :

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٠) و(٩٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣١٣) وأخرج الجملة الأخيرة منه أبو داود رقم (٤٠٣١) وليس الحديث عند الترمذي ، وحسنه الحافظ في الفتح ، وعلق البخاري طرفاً منه في صحيحه ، ورواه الطحاوي في « مشكل الآثار » (١/ ٨٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٢) من طريق آخر فالحديث حسن .

(٢) رواه البخاري في الأنبياء من صحيحه ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (٤/ ١٩٤) قبل حديث (٣٤١٧) تعليقاً ، وفيه : « ولا يدقَّ المسمار فيتسلسل ، ولا تعظم فيفصم » . ومعنى : يتسلسل : يسلت . وتعظم : تجعله عظيماً كبيراً ، فيفصم : يكسر الحلقة .

﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾ [الإسراء : ٥٠ ـ ٥١] الآية ، فذلك لمعنى آخر في التفسير ، وحاصلُه أنَّ الحديدَ أشدُّ امتناعاً في الساعة الراهنة من الحجر ما لم يُعالج ، فإذا عُولجَ انفعلَ الحديدُ ولا ينفعلُ الحجر ، والله أعلم .

وقال أبو نُعيم : فإن قيل : فقد ليَّن الله لداود عليه السلام الحديدَ حتى سردَ منه الدروعَ السوابغَ ، قيل : لُيِّنَتْ لمحمد ﷺ الحجارةُ وصُمُّ الصُّخور ، فعادت له غاراً استتر به من المشركين ، يوم أحد مال ﷺ برأسه إلى الجبل ليخفيَ شخصَه عنهم فليَّنَ الله له الجبلَ حتى أدخلَ رأسَه فيه ، وهذا أعجبُ لأن الحديدَ تُلَيِّنُه النَّارُ ، ولم تُر النَّارُ تُلَيِّنُ الحجرَ ، قال : وذلك بعد ظاهر باق يراه الناس . وقال : وكذلك في بعض شِعاب مكة حجرٌ من جبل أصمُّ استروحَ في صلاته إليه ، فلانَ الحجرُ حتى أثَّرَ فيه بذراعيهِ وساعديه ، وذلك مشهورٌ يقصدُه الحجَّاجُ ويزورونه . وعادتِ الصخرةُ ببيت المقدس ليلةَ أُسري به كهيئة العجين ، فربطَ بها دابَّتَه ـ البُراق ـ وموضعه يلمسُه الناس إلى يومنا هذا[١] .

وهذا الذي أشارَ إليه ، من يوم أحد ، وبعض شعاب مكة غريب جداً ، ولعلَّه قد أسندَه هو فيما سلفَ ، وليس ذلك بمعروف في السيرة المشهورة .

وأما ربطُ الدابة في الحجر فصحيحٌ ، والذي ربطَها جبريل كما هو في صحيح[٢] مسلم رحمه الله .

وأما قوله : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٠] فقد كانت الحكمةُ التي أوتيها محمد ﷺ والشِّرْعة التي شرعت له أكملَ من كلِّ حكمة وشِرْعة كانت لمن قبلَه من الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، فإن الله جمعَ له محاسنَ مَن كان قبلَه ، وفضلَه ، وأكملَ له ما لم يُؤتِ أحداً قبلَه ، وقد قال ﷺ : « أوتيتُ جوامعَ الكَلم ، واختُصِرَت ليَ الحكمةُ اختصاراً »[٣] ولا شكَّ أن العربَ أفصحُ الأمم ، وكان النبيُّ ﷺ أفصحَهم نطقاً ، وأجمعُ لكلِّ خلقٍ جميلٍ مطلقاً .

القول فيما أُوتي سليمان بن داود عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٣٦ ـ ٤٠] وقال الله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ

---

(١) دلائل النبوة ؛ لأبي نعيم (٢/ ٧٥٩) ولا وجه للمقارنة بين ما هو قطعي الثبوت في كتاب الله تعالى ، وبين ما يفتقر إلى السند الصحيح والثبوت .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٦٢)(٢٥٩) وفيه أن الرسول ﷺ هو الذي ربط البراق بحلقة باب المسجد الأقصى .

(٣) رواه الدارقطني في سننه (٤/ ١٤٥) عن ابن عباس ، والبيهقي في الشعب (١٤٣٦) عن عمر ، ولفظه : « أُعطيت جوامع الكلم ، واختُصر لي الحديث اختصاراً » . وذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وقال : إسناده حسن .

لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨١ ـ ٨٢] وقال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ ـ ١٣] وقد بسطنا ذلك في قصته ، وفي التفسير أيضاً ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد[١] وصحَّحه الترمذي[٢] ، وابن ماجه[٣] وابن حبان[٤] ، والحاكم في مستدركه[٥] : عن عبد الله بن عمرو ، عن النبيِّ ﷺ : « أن سليمانَ عليه السلام لما فرغَ من بناء بيت المقدس سألَ الله خلالاً ثلاثاً ، سألَ الله حكماً يُوافق حكمَه ، ومُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده ، وأنه لا يأتي هذا المسجد أحدٌ إلا خرجَ من ذنوبه كيومَ ولدته أُمُّه » .

أما تسخيرُ الريح لسليمان ، فقد قال الله تعالى في شأن الأحزاب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] .

وقد تقدَّم في الحديث الذي رواه مسلم : من طريق شعبة ، عن الحَكَم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « نُصرتُ بالصبا وأُهلكت عاد بالدبور »[٦] .

ورواه مسلم : من طريق الأعمش ، عن مسعود بن مالك ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ مثله[٧] .

وثبتَ في الصحيحين : « نُصرتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهر »[٨] .

ومعنى ذلك أنه ﷺ كان إذا قصدَ قتالَ قوم من الكفَّار ألقى الله الرعبَ في قلوبهم منه قبلَ وصوله إليهم بشهر ، ولو كان مسيرُه شهراً ، فهذا في مقابلة ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ : ١٢] بل هذا أبلغ في التمكين والنصر والتأييد والظفر ، وسُخِّرَتْ له الرياحُ تسوقُ السَّحابَ لإنزال المطر الذي امتنَّ الله تعالى به حين استسقى رسولُ الله ﷺ لأصحابه في غير ما موطن كما تقدَّمَ . وقال أبو نُعيم : فإن قيل : فإن سليمانَ سُخِّرَت له الريحُ فسارت به في بلاد الله ، وكان غدوُّها شهراً ورواحُها شهراً . قيل : ما أعطي محمّدٌ ﷺ

---

(١) في مسنده (٢/ ١٧٦) وإسناده صحيح .
(٢) كذا قال ، ولا يصح ، فإن الترمذي لم يخرجه أصلاً .
(٣) في سننه (١٤٠٨) .
(٤) في صحيحه (١٦٣٣) و (٦٤٢٠) .
(٥) مستدرك الحاكم (٢/ ٤٣٤) .
(٦) رواه مسلم في صلاة الاستسقاء (٩٠٠)(١٧) باب في ريح الصبا والدبور .
(٧) رواه مسلم في الاستسقاء (٩٠٠)(١٨) .
(٨) رواه البخاري في التيمم (٣٣٥) ومسلم في المساجد (٥٢٣) .

أعظمُ وأكبرُ ، لأنه سارَ في ليلةٍ واحدةٍ من مكَّة إلى بيت المقدس مسيرةَ شهرٍ ، وعُرج به في ملكوتِ السموات مسيرة خمسينَ ألف سنة ، في أقل من ثلث ليلة ، فدخلَ السمواتِ سماءً سماءً ، ورأى عجائبها ، ووقفَ على الجنَّة والنَّار ، وعُرِضتْ عليه أعمالُ أمته ، وصلَّى بالأنبياء وبملائكةِ السموات ، واخترقَ الحُجُبَ ، وهذا كلُّه في ليلة واحدة ، أكبر وأعجب .

وأما تسخيرُ الشياطين بين يديه ، تعملُ ما يشاء من محاريبَ وتماثيلَ وجِفانٍ كالجواب وقدور راسيات ، فقد أنزلَ الله الملائكةَ المقرَّبين لنصرة عبده ورسوله محمد ﷺ في غير ما موطن ، يوم أحد وبدر ، ويوم الأحزاب ، ويوم حنين ، كما تقدَّم ذكرنا ذلك مفصلاً في مواضعه . وذلك أعظم وأبهر ، وأجلُّ وأعلى من تسخير الشياطين . وقد ذكر ذلك أبو حامد في كتابه .

وفي الصحيحين : من حديث شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إن عفريتاً من الجِنِّ تفلَّت عليَّ البارحة ـ أو كلمةً نحوَها ـ ليقطعَ عليَّ الصلاة ، فأمكنني الله منه ، فأردتُ أن أربطَه إلى ساريةٍ من سَواري المسجد حتى تُصبحوا وتنظروا إليه كلكم ، فذكرتُ دعوةَ أخي سليمان : ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي »[١] . قال روح : فردَّه الله خاسئاً . لفظ البخاري . ولمسلم : عن أبي الدرداء نحوه ، قال : « ثم أردتُ أخذَه ، والله لولا دعوةُ أخينا سليمان لأصبح مُوثَقاً يلعبُ به وِلدانُ أهل المدينة »[٢] .

وقد روى الإمام أحمد بسند جيد[٣] : عن أبي سعيد ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قامَ يُصلِّي صلاةَ الصبح ، وهو خلفه ، فقرأ فالتبست عليه القراءةُ ، فلما فرغَ من صلاته قال : « لو رأيتموني وإبليس فأهويتُ بيدي فما زلتُ أختنقه حتى وجدتُ بردَ لُعابه بين أُصبعيَّ هاتين ، الإبهام والتي تليها ، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبحَ مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعبُ به صِبْيان أهل المدينة » .

وقد ثبت في الصِّحاح والحِسان والمسانيد ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال : « إذا دخلَ شهرُ رمضانَ فتحت أبواب الجنان وغُلِّقَتْ أبوابُ النيران وصُفِّدت الشياطين »[٤] وفي رواية : « مردة الجن » . وهذا من بركة ما شرَعه الله له من صيام شهر رمضان وقيامه ، وسيأتي عند ذكر إبراء الأكمه والأبرص من معجزات المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، دعاء رسول الله ﷺ لغير ما واحد ممن أسلم ، من الجِنِّ[٥] ،

---

(١) رواه البخاري (٤٤٩) في المساجد ، باب الأسير يُربط في المسجد ، ومسلم في المساجد (٥٤١) باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة .

(٢) رواه مسلم في المساجد (٥٤٢) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٨٢ ـ ٨٣) وهو كما قال المؤلف .

(٤) رواه البخاري (١٨٩٩) في الصوم ، باب هل يقال رمضان ، ومسلم (١٠٧٩) في الصوم ، باب فضل شهر رمضان .

(٥) أي : من مسِّ الجن .

فشُفِي ، وفارَقَهم خوفاً منه ومهابة له ، وامتثالاً لأمره ، صلوات الله وسلامه عليه . وقد بعث الله إليه نفراً من الجِنِّ يسمعونَ القرآنَ ، فآمنوا به وصدَّقوه ، ورجعوا إلى قومهم فدَعَوهم إلى دين محمّد ﷺ ، وحذَّرُوهم مخالفَته ، لأنه كان مبعوثاً إلى الإنس والجِنِّ ، فآمنت طوائفُ من الجِنِّ كثيرة كما ذكرنا ، ووفدت إليه منهم وفودٌ كثيرة وقرأ عليهم سورةَ الرحمن ، وخبَّرهم بما لِمَن آمنَ منهم من الجِنان ، وما لِمَن كفرَ من النيران ، وشرعَ لهم ما يأكلون وما يُطعمون دوابَّهم ، فدلَّ على أنه بَيَّنَ لهم ما هو أهمُّ من ذلك وأكبر .

وقد ذكر أبو نُعيم[١] هاهنا حديثَ الغول التي كانت تسرقُ التمرَ من جماعةٍ من أصحابه ﷺ ، ويُريدون إحضارَها إليه ، فتمتنعُ كلَّ الامتناع خوفاً من المثول بين يديه ، ثم افتدت منهم بتعليمهم قراءة آية الكرسيّ التي لا يقربُ قارئَها الشيطانُ ، وقد سقنا ذلك بطرقه وألفاظه عند تفسير آية الكرسي من كتابنا التفسير[٢] ولله الحمد . والغولُ : هي الجِنُّ المتبدّي بالليل في صورة مرعبة .

وذكر أبو نُعيم هاهنا حمايةَ جبريل له عليه السلام غير ما مرة من أبي جهل كما ذكرنا في السِّيرة ، وذكر مقاتلة جبريل وميكائيل عن يمينه وشماله يومَ أُحد .

وأما ما جمعَ الله تعالى لسليمانَ من النبوة والمُلك كما كان أبوه من قبله ، فقد خيَّر الله عبدَه محمّداً ﷺ بين أن يكونَ مَلِكاً نبيًّا أو عَبداً رسولاً ، فاستشارَ جبريلَ في ذلك فأشارَ إليه وعليه أن يتواضعَ ، فاختارَ أن يكونَ عبداً رسولاً ، وقد روي ذلك من حديث عائشة وابن عباس ، ولا شكَّ أن منصبَ الرسالة أعلى . وقد عُرِضَت على نبيِّنا ﷺ كنوز الأرض فأباها . قال : « ولو شئتُ لأجرى الله معي جبالَ الأرض ذهباً ، لكن أجوعُ يوماً وأشبعُ يوماً » وقد ذكرنا ذلك كلَّه بأدلته وأسانيده في التفسير وفي السيرة أيضاً ، ولله الحمد والمنة .

وقد أوردَ الحافظُ أبو نُعيم هاهنا طرفاً منها ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد وأبي سلمةَ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بينا أنا نائمٌ جِيءَ بمفاتيح خزائنِ الأرض فجُعِلتْ في يدي »[٣] .

ومن حديث الحسين بن واقد ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، مرفوعاً : « أوتيتُ بمفاتيح خزائن الدنيا على فرس أبلق ، جاءني به جبريل عليه قطيفة من سندس »[٤] . ومن حديث القاسم ، عن أبي أمامة ،

---

(١) دلائل النبوة ؛ لأبي نعيم (٢/ ٧٦٦) .
(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٨ ـ ٣٨٢) .
(٣) ورواه البخاري (٢٩٧٧) بنحوه في الجهاد ، ومسلم (٥٢٣)(٦) في المساجد ، من حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٨) وإسناده ضعيف فإن أبا الزبير مدلس وقد عنعنه .

مرفوعاً : « عرضَ عليَّ ربِّي ليجعلَ لي بطحاءَ مكَّة ذهباً ، فقال : لا ياربّ ، ولكن أشبعُ يوماً وأجوعُ يوماً ، فإذا جعتُ تضرَّعتُ إليك وذكرتُكَ ، وإذا شبعتُ حمدتُك وشكرتُك »[١] .

قال أبو نعيم : فإن قيل : فإنَّ سليمان عليه السلام كان يفهمُ الطَّير والنَّملة كما قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ [النمل : ١٦] الآية وقال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ الآية [النمل : ١٨ ـ ١٩] . قيل : قد أعطي محمّد ﷺ مثل ذلك وأكثر منه ، فقد تقدَّم ذكرنا لكلام البهائم والسِّباع ، وحنين الجذع ، ورُغاء البعير ، وكلام الشَّجَرِ ، وتسبيح الحصى والحجر ، ودعائه إياه واستجابته لأمره ، وإقرار الذئب بنبوَّته ، وتسخير الطير لطاعته ، وكلام الظبية وشكواها إليه ، وكلام الضَّبِّ وإقراره بنبوَّته ، وما في معناه ، كلُّ ذلك قد تقدَّم في الفصول بما يُغني عن إعادته . انتهى كلامه .

قلت : وكذلك أخبره ذراع الشاة بما فيه من السُّمِّ ، وكان ذلك بإقرار من وضعه فيه من اليهود .

وقال : « إن هذه السَّحابةَ لتستهِلُّ بنصرك يا عمرو بن سالم ـ يعني الخزاعي[٢] ـ » حين أنشدَه تلك القصيدةَ يستعديه فيها على بني بكر الذين نَقَضُوا صُلحَ الحديبية ، وكان ذلك سببَ فتح مكَّة كما تقدَّم .

وقال ﷺ : « إني لأعرفُ حَجَراً كان يُسلِّمُ عليَّ بمكة قبلَ أَن أُبعثَ ، إنِّي لأعرفُه الآن[٣] » فهذا إن كان كلاماً كما يليق بحاله ففهم عنه الرسول ذلك ، فهو من هذا القبيل وأبلغ ، لأنه جماد بالنسبة إلى الطير والنمل ، لأنهم من الحيوانات ذوات الأرواح ، وإن كان سلاماً نطقياً وهو الأظهر ، فهو أعجب من هذا الوجه أيضاً ، كما قال عليّ : خرجتُ مع رسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة ، فما مرَّ بحجر ولا شجر ولا مدر إلا قال : السلام عليك يا رسولَ الله[٤] ! فهذا نطقٌ سمعه رسول الله ﷺ وعليّ رضي الله عنه .

ثم قال أبو نُعيم : حدَّثنا أحمدُ بن محمد بن الحارث العنبري ، حدَّثنا أحمد بن يوسف بن سفيان ، حدَّثنا إبراهيمُ بن سُويد النخعي ، حدَّثنا عبد الله بن أذينة الطائي ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ بن جبل قال : أتى النبي ﷺ ـ وهو بخيبر ـ حمار أسود فوقف بين يديه فقال : « من أنت ؟ » فقال : أنا عمرو بن فهران ، كنا سبعة إخوة وكلنا رَكِبَنا الأنبياءُ وأنا أصغرُهم ، وكنتُ لك فملكني

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٢٣٤٧) مكرر في الزهد وإسناده ضعيف .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام (٢/ ٣٩٥) ، وانظر فتح الباري (٧/ ٥٢٠) والبيهقي في السنن (٩/ ٢٣٣) وهو حديث حسن .

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢٢٧٧) في الفضائل .

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦٠) ، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، والتابعي أبو عمارة الحيواني لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات وفي إسناده ضعف .

رجل من اليهود ، وكنت إذا ذكركَ عثرتُ به ، فيُوجعني ضرباً . فقال النبي ﷺ : « فأنتَ يعفورُ »[١] .

وهذا الحديث فيه نكارةٌ شديدة ولا يُحتاج إلى ذكره مع ما تقدَّم من الأحاديث الصحيحة التي فيها غُنيَةٌ عنه ، وقد رُوي على غير هذه الصِّفة ، وقد نصَّ على نكارته ابن أبي حاتم عن أبيه ، والله أعلم .

القول فيما أُوتي عيسى ابن مريم عليه السلام

ويُسمَّى المسيح[٢] ، فقيل : لمسحه الأرض ، وقيل : لمسح قدمه ، وقيل : لخروجه من بطن أمه ممسوحاً بالدهان ، وقيل : لمسح جبريل بالبركة ، وقيل : لمسح الله الذنوب عنه ، وقيل : لأنه كان لا يمسحُ أحداً إلا برأ . حكاها كلَّها الحافظُ أبو نعيم رحمه الله .

ومن خصائصه أنه عليه السلام مخلوق بالكلمة من أُنثى بلا ذكر ، كما خُلقت حواء من ذكر بلا أُنثى ، وكما خُلقَ آدم عليه السلام لا من ذكر ولا من أنثى ، وإنما خلقه الله تعالى من تراب ، ثم قال له : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] . وكذلك يكون عيسى بالكلمة وبنفخ جبريل مريم فخلق الله منها عيسى .

ومن خصائصه وأمه أن إبليس لعنه الله حين وُلد ، ذهبَ يطعن فطعنَ في الحجاب كما جاء في الصحيح[٣] .

ومن خصائصه أنه حيٌّ لم يمت ، وهو الآن بجسده في السماء الدنيا ، وسينزل قبلَ يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما مُلئت جوراً وظلماً ، ويحكمُ بهذه الشريعة المحمَّدية ، ثم يموتُ ويُدفن بالحجرة النبوية ، كما رواه الترمذي[٤] . وقد بسطنا ذلك في قصته من كتابنا هذا . وقال شيخنا العلامة ابن الزملكاني رحمه الله تعالى : وأما معجزات عيسى عليه السلام ، فمنها إحياء الموتى ، وللنبيّ ﷺ من ذلك كثير ، وإحياء الجماد أبلغ من إحياء الميت ، وقد كلَّم النبيَّ ﷺ الذراعُ المسمومةُ ، وهذا الإحياء أبلغ من إحياء الإنسان المَيِّت من وجوه ، أحدُها : إنَّه إحياءُ جزءٍ من الحيوان دون بقيَّة بدنه ، وهذا معجز لو كان متصلاً بالبدن . الثاني : أنه أحياه وحدَه منفصلاً عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت البقية . الثالث : أنه أعاد عليه الحياة مع الإدراك والعقل ، ولم يكن هذا الحيوانُ يعقل في حياته فصار جزؤه حيَّاً يعقل . الرابع : أنه أقدره الله على النطق والكلام ولم يكن

---

(١) ذكره القاضي عياض في « الشفا » (١/ ٣١٤) والسهيلي في « الروض الأنف » وفي « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » (ص٢٥٩) قال الحافظ ابن كثير : سألت شيخنا : أبا الحجاج المزي عن هذا الخبر ، فقال : ليس له أصل وهو ضحكة .

(٢) الصواب أن المسيح لَقَبٌ ، وأصله في العبرانية مشيحا ، ومعناه في العربية : الصديق .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣٢٨٦) في بدء الخلق .

(٤) رواه الترمذي في سننه في المناقب رقم(٣٦١٧) ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وفي إسناده ضعف .

الحيوان الذي هو جزؤه مما يتكلَّم ، وفي هذا ما هو أبلغُ من حياة الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ﷺ .

قلت : وفي حلول الحياة والإدراك والعقل في الحَجَر الذي كان يُخاطبُ النبيَّ ﷺ بالسلام عليه ، كما قد روي في صحيح مسلم[١] ، من المُعجز ما هو أبلغُ من إحياء الحيوان في الجملة ، لأنه كان محلاً للحياة في وقت ، بخلاف هذا حيث لا حياة له بالكلية قبل ذلك ، وكذلك تسليمُ الأحجار والمَدَر عليه ، وكذلك الأشجار والأغصان وشهادتها له بالرسالة ، وحنين الجذع إليه صلوات الله وسلامه عليه .

قال شيخنا رحمه الله تعالى : وقد جمع ابن أبي الدنيا كتاباً فيمن عاش بعدَ الموت ، وذكرَ منها كثيراً ، وقد ثبتَ عن أنس رضي الله عنه أنه قال : دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريضٌ يعقل ، فلم نبرح حتى قُبِضَ[٢] ، فبسطنا عليه ثوبه وسجَّيناه ، وله أُمٌّ عجوز كبيرة عند رأسه ، فالتفت إليها بعضُنا وقال : يا هذه احتسبي مصيبَتك عندَ الله ! فقالت : وما ذاك ! أماتَ ابني ؟ قلنا : نعم . قالت : أحقٌّ ما تقولونَ ؟ قلنا : نعم ، فمدَّت يدها إلى الله تعالى ، فقالت : اللهم إنَّكَ تعلمُ أنِّي أسلمتُ وهاجرتُ إلى رسولك رجاءَ أن تُعينني عند كل شِدَّة ورخاء ، فلا تُحَمِّلني هذه المصيبة اليوم . قال : فكشفَ الرجلُ عن وجهه وقعدَ ، وما بَرِحْنا حتى أكلنَا معه[٣] . وهذه القصة قد تقدَّم التنبيه عليها في دلائل النبوة ، وفي ذكر معجزة الطُّوفان مع قصَّة العَلاء بن الحضرمي .

وهذا السياق الذي أوردَه شيخنا ذكرَ بعضه بالمعنى ، وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا ، والحافظ أبو بكر البيهقي[٤] من غير وجه : عن صالح بن بشير المُرِّي ـ أحد زهاد البصرة وعبادها ـ وفي حديثه لين ، عن ثابت ، عن أنس فذكره .

وفي رواية البيهقي : أنَّ أمَّه كانت عجوزاً عمياءَ ، ثم ساقَه البيهقيُّ[٥] من طريق عيسى بن يُونس ، عن عبد الله بن عَون ، عن أنسٍ كما تقدَّم ، وسياقُه أتمُّ ، وفيه : أن ذلك كان بحضرة رسولِ الله ﷺ ، وهذا إسناد رجاله ثقات ، ولكن فيه انقطاع بين عبد الله بن عون وأنس ، والله أعلم .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٢٧٧) في الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

(٢) في نسخة « قضى » .

(٣) رواه البيهقي في دلائله (٦/ ٥١) ، وفي إسناده صالح بن بشير المري ، قال عنه البيهقي : من صالحي أهل البصرة ، وقصَّاصهم ، تفرد بأحاديث مناكير عن ثابت وغيره . وقال عنه النسائي : « متروك » انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٢٨٩) .

(٤) انظر الدلائل ؛ للبيهقي (٦/ ٥٠) وإسناده ضعيف .

(٥) المصدر السابق (٦/ ٥١) .

قصة أخرى

قال الحسن بن عرفة : حدَّثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي سبرة النخعي قال : أقبلَ رجلٌ من اليمن ، فلما كان ببعض الطريق نَفَقَ حمارُه ، فقامَ وتوضَّأ ، ثم صلَّى ركعتين ، ثم قال : اللهم إني جئتُ من الدَّثينَة[١] مجاهداً في سبيلك وابتغاءِ مرضاتك ، وأنا أشهدُ أنك تُحيي الموتى وتبعثُ من في القبور ، لا تجعل لأحدٍ عليَّ اليوم مِنَّة ، أطلبُ إليك اليومَ أن تبعثَ حماري ، فقامَ الحِمارُ ينفضُ أذنيه[٢] .

قال البيهقي : هذا إسناد صحيح ، ومثلُ هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة .

قال البيهقي[٣] : وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي وغيره ، عن محمد بن عُبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، وكأنه عند إسماعيل من الوجهين ، والله أعلم .

قلت : كذلك رواه ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل ، عن الشعبي ، فذكره . قال الشعبيُّ : فأنا رأيتُ الحِمارَ بيعَ ـ أو يُباعُ ـ في الكُناسَة ـ يعني الكوفة ـ وقد أوردَها ابن أبي الدنيا من وجه آخر ، وأن ذلك كان في زمن عمر بن الخطاب ، وقد قال بعضُ قومه في ذلك :

ومِنَّا الَّذي أَحيَا الإلهُ حمارَهُ وَقَد ماتَ مِنهُ كُلُّ عُضوٍ ومَفصِلِ[٤]

وأما قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت وشهادته للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان بالصدق فمشهورة مروية من وجوه كثيرة صحيحة .

قال البخاري في التاريخ الكبير : زيد بن خارجة الخزرجي الأنصاري ، شهد بدراً ، وتوفي في زمن عثمان ، وهو الذي تكلَّم بعد الموت[٥] .

وروى الحاكمُ في مستدركه ، والبيهقي في دلائله ، وصحَّحه كما تقدَّم من طريق القعنبي ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ؛ أن زيدَ بن خارجةَ الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج ، توفي زمنَ عثمان بن عفَّان ، فسُجِّي في ثوبه ، ثم إنهم سمعوا جَلجَلَةً في صدره ، ثم تكلَّم فقال : أحمد أحمد في الكتاب الأول ، صدقَ صدقَ . أبو بكر الضعيف في نفسه ، القوي في أمر الله ، في الكتاب الأول صدقَ صدقَ ، عمر بن الخطاب القويُّ في الكتاب الأول ، صدقَ

---

(١) « الدَّثينة » : ناحية بين الجَنَد وعَدَن . معجم البلدان (٢/ ٤٤٠) .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨) .

(٣) انظر دلائل النبوة ؛ للبيهقي (٦/ ٤٩) .

(٤) دلائل النبوة (٦/ ٤٩) .

(٥) انظر التاريخ الكبير ؛ للبخاري (٢/ ١/ ٣٨٨) .

صدقَ . عثمان بن عفَّان على منهاجهم ، مضت أربع وبقيت ثنتان . أتتِ الفتنُ وأكلَ الشديدُ الضعيفَ ، وقامتِ السَّاعةُ ، وسيأتيكم عن جيشكم خبرٌ(١) ، بئر أريسَ وما بئر أريس .

قال يحيى بن سعيد : قال سعيد بن المُسيِّب : ثم هلكَ رجلٌ من بني خطمةَ فسُجِّي بثوبه ، فسُمعَ جَلْجَلَةٌ في صدره ، ثم تكلَّم فقال : إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدقَ صدقَ(٢) .

ورواه ابن أبي الدنيا والبيهقيُّ أيضاً من وجه آخر بأبسطَ من هذا وأطول ، وصحَّحه البيهقيُّ . قال : وقد روي في التكلُّم بعد الموت عن جماعة بأسانيدَ صحيحة(٣) ، والله أعلم .

قلت : وقد ذكرتُ في قصة سخلة جابر يومَ الخندق ، وأكل الألف منها ومن قليلِ شعيرٍ ما تقدَّم(٤) . وقد أورد الحافظُ محمد بن المنذر المعروف بـ شَكَّر(٥) ، في كتابه الغرائب والعجائب بسنده كما سبقَ ؛ أنَّ رسول الله ﷺ جمعَ عظامَها ثم دعا الله تعالى فعادت كما كانت ، فتركَها في منزله ، والله أعلم .

قال شيخُنا : ومن معجزات عيسى الإبراء من الجُنون ، وقد أبرأَ النبيُّ ﷺ ـ يعني من ذلك ـ هذا آخر ما وجدته فيما حكيناه عنه .

فأما إبراء عيسى من الجنون ، فما أعرف فيه نقلاً خاصاً ، وإنما كان يُبرىء الأكمهَ والأبرصَ ، والظاهر : ومن جميع العاهات والأمراض المزمنة .

وأما إبراءُ النبيِّ ﷺ من الجنون ، فقد روى الإمام أحمد والحافظ البيهقي ، من غير وجه : عن يَعلَى بن مرة ، أن امرأةً أتت بابن لها صغير به لَمَمٌ ما رأيتُ لَمَماً أشدَّ منه ، فقالت : يا رسول الله ! ابني هذا كما ترى أصابَه بَلاءٌ ، وأصابنا منه بَلاءٌ ، يُوجد منه في اليوم ما يُؤذي ، ثم قالت : مره ، فقال رسول الله ﷺ : « ناولينيه » فجعلَه بينَه وبين واسطة الرحل ، ثم فغر فاه ونفثَ فيه ثلاثاً وقال : « باسم الله ، أنا عبدُ الله ، اخسأ عدوَّ الله » ثم ناولَها إياه ، فذكرت أنه بريء من ساعته ، وما رابهم شيء بعد ذلك(٦) .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٥) . قال ابن الأثير في « أسد الغابة » (٢/ ٢٨٤) : وأما كلام زيد فإنه أُغمي عليه قبل موته ، فظنوه ميتاً ، فسجَّوا عليه ثوبه ، ثم راجعته نفسه ، فتكلم بكلام حُفظ في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، ولم أجد الخبر في المستدرك .

(٢) دلائل النبوة (٦/ ٥٥) .

(٣) المصدر السابق (٦/ ٥٨) .

(٤) تقدمت القصة .

(٥) هو أبو عبد الرحمن وأبو جعفر الحافظ المتقن ، توفي سنة (٣٠٣هـ) انظر السير (٤/ ٢٢١) وتذكرة الحفَّاظ (٢/ ٧٤٨) .

(٦) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٧١) رقم (١٧٥٤٩) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢١) ، وإسناده ضعيف لانقطاعه .

وقال أحمد : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا حمَّاد بن سلمة ، عن فرقد السَّبخيّ عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن امرأةً جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ! إن به لَمَماً ، وإنَّه يأخذه عند طعامنا فيُفسد علينا طعامَنا ، قال : فمسحَ رسولُ الله ﷺ صدرَه ودعا له ، فثعَّ ثعَّة ، فخرجَ منه مثلُ الجرو الأسود فشُفي[١] .

غريب من هذا الوجه ، وفرقد فيه كلام ، وإن كان من زهَّاد البصرة ، لكن ما تقدَّم له شاهد ، وإن كانت القِصَّة واحدة ، والله أعلم .

وروى البزَّار من طريق فرقد أيضاً : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبَّاس قال : كان رسولُ الله ﷺ بمكة ، فجاءته امرأةٌ من الأنصار ، فقالت : يا رسولَ الله ! إن هذا الخبيث قد غلَبني ، فقال لها : « تصبِّري على ما أنتِ عليه وتجيئي يوم القيامة ليس عليك ذنوبٌ ولا حساب ؟ » فقالت : والذي بعثكَ بالحقِّ لأصبرنَّ حتى ألقى الله . ثم قالت : إني أخاف الخبيث أن يُجرِّدَني ، فدعا لها ، وكانت إذا أحسَّت أن يأتيها تأتي أستارَ الكعبة فتتعلَّق بها وتقولُ له : اخسأ ، فيذهبُ عنها[٢] .

وهذا دليل على أن فرقدَ قد حفظ ، فإنَّ هذا له شاهد في صحيح البخاري ومسلم من حديث عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : ألا أُريك امرأةً من أهلِ الجنَّة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه السوداء ، أتت رسولَ الله ﷺ فقالت : إني أُصرعُ وأتكشَّفُ فادعُ الله لي ، قال : « إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنَّة ، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يُعافيَكِ » قالت : لا ، بل أصبرُ ، فادعُ الله ألا أتكشفَ ، قال : فدعا لها ، فكانت لا تتكشف[٣] .

ثم قال البخاريُّ : حدَّثنا محمد ، حدثنا مخلد عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء أنه رأى أم زفر ـ امرأة طويلة سوداء ـ على ستر الكعبة[٤] .

وذكر الحافظُ ابن الأثير في كتاب « أسد الغابة » في أسماء الصحابة ، أنَّ أُمَّ زفر هذه كانت ماشطة لخديجةَ بنت خُويلد ، وأنها عمِّرت حتى رآها عطاءُ بن أبي رباح[٥] .

وأما إبراء عيسى الأكمه ، وهو الذي يُولد أعمى ، وقيل : هو الذي لا يُبصر في النهار ويُبصر في الليل ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٥٤) رقم (٢٢٨٨) وإسناده ضعيف .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٠٧) وقال : رواه البزار ، وفيه فرقد السبخي ، وهو ضعيف .

(٣) رواه أحمد في المسند (١/٣٤٧) والبخاري في صحيحه (٥٦٥٢) في المرضى ، ومسلم في صحيحه (٢٥٧٦) في البر والصلة .

(٤) رواه البخاري في المرضى (٥٦٥٢) .

(٥) أسد الغابة ؛ لابن الأثير (٧/ ٣٣٣) .

وقيل : غير ذلك ، كما بسطنا ذلك في التفسير[١] . والأبرص : الذي به بَهَقٌ ، فقد ردَّ رسولُ الله ﷺ يومَ أُحد عينَ قتادة بن النعمان إلى موضعها بعدما سالت على خدِّه ، فأخذها في كفِّه الكريم وأعادَها إلى مقرِّها ، فاستمرت بحالها وبصرها ، وكانت أحسن عينيه رضي الله عنه ، كما ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة[٢] وغيره ، وكذلك بسطناه ثمَّ ، ولله الحمد والمنة .

وقد دخلَ بعضُ ولده وهو عاصم بن عمر بن قتادة على عمر بن عبد العزيز فسأل عنه فأنشأ يقول :

أنا ابنُ الَّذي سَالَت على الخَدِّ عَينُهُ ... فَرُدَّت بِكَفِّ المُصطفى أَحسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَت كَما كانت لأوَّلِ أَمرِها ... فَيا حُسنَ ما عَينٍ ويا حُسنَ ما خَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز :

تِلكَ المَكارِمُ لا قَعبَان مِن لَبَنٍ ... شِيبا بماءٍ فَعادا بَعدُ أَبوالاَ[٣]

ثم أجازه فأحسن جائزته[٤] .

وقد روى الدارقطنيُّ أنَّ عينيه أُصيبتا معاً حتى سالتا على خدَّيه ، فردَّهما رسولُ الله ﷺ إلى مكانهما . والمشهورُ الأول كما ذكر ابن إسحاق .

قصة الأعمى الذي ردَّ الله عليه بصرَه بدعاء الرسول ﷺ

قال الإمام أحمد : حدَّثنا رَوح وعثمان بن عمر ، قالا : حدَّثنا شعبة ، عن أبي جعفر المديني ، سمعتُ عمارة بن خزيمة بن ثابت يُحدث عن عثمان بن حنيف ، أن رجلاً ضريراً أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ادعُ الله لي أن يعافيني ، فقال : « إن شئتَ أخَّرتُ ذلك فهو أفضلُ لآخرتِك ، وإن شئتَ دعوتُ » قال : لا ، بل ادعُ الله لي ، قال : فأمرَه رسولُ الله ﷺ أن يتوضَّأ ويُصلِّيَ ركعتين ، وأن يدعو بهذا الدعاء : « اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك وأتوجَّه إليكَ بنبيِّكَ محمد نبي الرحمة ، يا محمد! إني أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه فتقضى » .

وقال في رواية عثمان بن عمر[٥] : « فشَفِّعه فيَّ » قال : ففعل الرجلُ فبرأ[٦] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٨) طبعة دار ابن كثير .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام (٢/ ٨٢) والدلائل للبيهقي (٢/ ٦٥) والدلائل لأبي نُعيم (٢/ ٦٢١ ـ ٦٢٢) .

(٣) « قَعْبَان » : مثنى قَعْب ، وهو القدح الضخم الغليظ . وشيب : مُزج .

(٤) أسد الغابة (٤/ ٣٩٠) والاستيعاب ؛ لابن عبد البر (٣/ ١٢٧٥) .

(٥) هو شيخ الإمام أحمد .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٣٨) رقم (١٧١٧٥) من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

ورواه الترمذيُّ[١] وقال : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي جعفر الخَطْمِيِّ .

وقد رواه البيهقي[٢] : عن الحاكم بسنده إلى أبي جعفر الخَطمِيِّ ، عن أبي أُمامة بن سَهل بن حُنيف ، عن عمِّه عثمان بن حنيف ، فذكرَ نحوَه ، قال عثمان : فوالله ما تفرَّقنا ولا طالَ الحديث بنا حتى دخلَ الرجل كأن لم يكن به ضُرٌّ قطُّ .

قصة أخرى

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدَّثنا محمدُ بن بشر ، حدَّثنا عبد العزيز بن عمر ، حدَّثني رجل من بني سَلامَان بن سعد ، عن أُمِّه ، عن خاله ـ أو أنَّ خالَه أو خالها ـ حبيب بن فويك حدَّثها أن أباه خرجَ إلى رسول الله ﷺ وعيناه مبيضَّتان لا يُبصر بهما شيئاً ، فقال له : « ما أصابَكَ ؟ » قال : كنت أرعى جملاً لي فوقعت رجلي على بيض حيَّة فأُصيب بصري . فنفثَ رسولُ الله ﷺ في عينيه فأبصر ، فرأيتُه وإنه ليُدخلُ الخيطَ في الإبرة ، وإنَّه لابن ثمانينَ سنة ، وإن عينيه لمُبيضَّتان[٣] .

قال البيهقيُّ : وغيرُه يقول : حبيب بن مدرك[٤] .

وثبت في الصحيح[٥] أنَّ رسول الله ﷺ نفث في عيني عليٍّ يومَ خيبر وهو أرمد فبَرَأ من ساعته ، ثم لم يرمد بعدها أبداً .

ومسحَ رجلَ عبد الله بن عتيك ، وقد انكسرت رجلُه ليلة قتل أبا رافع ـ تاجر أهل الحجاز الخيبري ـ فبرأ من ساعته أيضاً[٦] .

وروى البيهقيُّ أنه ﷺ مسحَ يد محمد بن حاطب ، وكانت قد احترقت بالنار فبرأ من ساعته[٧] .

ومسحَ رجلَ سلمة بن الأكوع وقد أُصيبت يوم خيبر فبرأت من ساعتها[٨] . ودعا لسعد بن أبي وقاص أن يُشفى من مرضه ذلك ، فشُفي[٩] .

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٨) في الدعوات ، وهو حديث صحيح كما قال الترمذي .

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٦٧) .

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٣٠٨) وابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٣٣٠) بهامش الإصابة . وفيهما : حبيب بن فديك ، وأمرِّن جملاً ـ وأروِّض جملاً ، بدل : أرعى .

(٤) انظر البيهقي في الدلائل (٦/ ١٧٣) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤٢١٠) في المغازي ، ومسلم في صحيحه (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة .

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤٠٣٩) في المغازي .

(٧) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ١٧٤) وأحمد في المسند (٤/ ٢٥٩) وابن حبان رقم (١٤١٥) موارد ، وهو حديث حسن.

(٨) رواه البخاري في صحيحه (٤٢٠٦) في المغازي .

(٩) رواه مسلم في صحيحه (١٦٢٨)(٨) في الوصية .

وروى البيهقي أنَّ عمَّه أبا طالب مرض ، فسأل منه ﷺ أن يدعوَ له ربَّه ، فدعا له ، فشُفي من مرضه ذلك[١] .

وكم له من مثلها وعلى مسلكها ، من إبراء آلام ، وإزالة أسقام ، مما يطول شرحه وبسطه .

وقد وقع في كرامات الأولياء إبراء الأعمى بعد الدعاء عليه بالعمَى أيضاً ، كما رواه الحافظ ابن عساكر من طريق سعيد أبي سعيد بن الأعرابي ، عن أبي داود : حدَّثنا عمر بن عثمان ، حدَّثنا بقية ، عن محمد بن زياد ، عن أبي مسلم : أن امرأة خبثت عليه امرأتَه ، فدعا عليها فذهبَ بصرُها ، فأتتهُ فقالت : يا أبا مسلم ! إني كنتُ فعلت وفعلتُ ، وإني لا أعودُ لمثلها ، فقال : اللَّهُمَّ إن كانت صادقةً فارددْ عليها بصرَها ، فأبصرت[٢] .

ورواه أيضاً من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا : حدَّثنا عبد الرحمن بن واقد ، حدَّثنا ضمرة ، حدَّثنا عاصم ، حدَّثنا عثمان بن عطاء ، قال : كان أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله كبَّر ، فإذا بلغَ وسطَ الدار كبَّر وكبَّرت امرأته ، فإذا بلغ البيتَ كبَّر وكبَّرت امرأته ، فيدخل فينزع رداءَه وحذاءَه ، وتأتيه بطعام فيأكل ، فجاءَ ذاتَ ليلة فكبَّر فلم تُجبه ، ثم جاء إلى باب البيت فكبَّر وسلَّم فلم تُجبه ، وإذا البيتُ ليس فيه سراج ، وإذا هي جالسة بيدها عود تنكتُ في الأرض به ، فقال لها : مالكِ ؟ فقالت : الناس بخير ، وأنت أبو مسلم ، لو أتيتَ معاوية فيأمر لنا بخادم ويُعطيك شيئاً نعيشُ به ، فقال : اللهم من أفسدَ عليَّ أهلي فأعمِ بصرَه . قال : وكانت أتتها امرأةٌ فقالت لامرأة أبي مسلم : لو كلَّمتِ زوجكِ ليُكلِّم معاوية فيُخدمكم ويُعطيكم ؟ قال : فبينما هذه المرأة في منزلها والسراج يُزهر ، إذ أنكرتْ بصرَها ، فقالت : سراجُكم طفيء ؟ قالوا : لا ، قالت : أنا ! ذهبَ بصري ، فأقبلت كما هي إلى أبي مُسلم ، فلم تزلْ تُناشده وتتلطَّف إليه ، فدعا الله فردَّ بصرَها . ورجعت امرأته إلى حالها التي كانت عليها[٣] .

وأما قصة المائدة التي قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٢ ـ ١١٥] وقد ذكرنا في التفسير[٤] بسط ذلك واختلاف المفسرين فيها ، هل

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦/ ١٨٤) وفي إسناده هيثم البكَّاء ، ضعيف .
(٢) ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ، كما في المختصر ؛ لابن منظور (١٢ـ٦٠) .
(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٠/ ١٥٤) طبعة دار ابن كثير .
(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٠/ ١٥٤) طبعة دار ابن كثير .

نزلت أم لا ؟! على قولين ، والمشهور عن الجمهور أنها نزلت ، واختلفوا فيما كان عليها من الطعام على أقوال . وذكرَ أهل التاريخ أنَّ موسى بن نصير ، الذي فتحَ البلاد المغربية أيام بني أمية وجدَ المائدة ، ولكن قيل : إنها مائدة سليمان بن داود مرصَّعة بالجواهر ، وهي من ذهب ، فأرسل بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فكانت عنده حتى مات ، فتسلَّمها أخوه سليمان ، وقيل : إنها مائدة عيسى ، لكن يبعد هذا أن النصارى لا يعرفون أمر المائدة كما قاله غير واحد من العلماء(١) ، والله أعلم .

والمقصود أن المائدة سواء كانت قد نزلت أم لم تنزل ، فقد كانت موائدُ رسول الله ﷺ تُمدُّ من السماء ، وكانوا يسمعون تسبيحَ الطعام وهو يُؤكل بين يديه ، وكم قد أشبعَ من طعام يسير ألوفاً ومئات وعشرات بعد عشرات ، صلوات الله وسلامه عليه ما تعاقبت الأوقات ، وما دامت الأرض والسموات .

وهذا أبو مسلم الخولاني ، قد ذكرَ الحافظ ابن عساكر في ترجمته من تاريخه أمراً عجيباً وشأناً غريباً ، حيث روى من طريق إسحاق بن يحيى الملطي ، عن الأوزاعي ، قال : أتى أبا مسلم الخولاني نفرٌ من قومه فقالوا : يا أبا مسلم ! أما تشتاقُ إلى الحج ؟ قال : بلى لو أصبتُ لي أصحاباً ، فقالوا : نحن أصحابُك ، قال : لستم لي بأصحاب ، إنما أصحابي قوم لا يُريدون الزاد ولا المزاد ، فقالوا : سبحان الله ! وكيف يسافر قوم بلا زاد ولا مزاد ؟ قال لهم : ألا ترون إلى الطير تغدو وتروح بلا زاد ولا مزاد ، والله يرزقها ؟ وهي لا تبيع ولا تشتري ، ولا تحرث ولا تزرع والله يرزقها ؟ قال : فقالوا : فإنا نسافر معك ، قال : تهيؤوا على بركة الله تعالى ، قال : فغَدوا من غوطة دمشق ليس معهم زاد ولا مزاد ، فلما انتهوا إلى المنزل قالوا : يا أبا مسلم ! طعام لنا وعلف لدوابنا ، قال : فقال لهم : نعم ، فتنحَّى غير بعيد فتسنَّم مسجدَ أحجار ، فصلَّى فيه ركعتين ، ثم جثا على ركبتيه فقال : إلهي قد تعلمُ ما أخرجني من منزلي ، وإنما خرجتُ آمراً لك ، وقد رأيتُ البخيل من ولد آدم تنزل به العِصابة من الناس فيُوسعهم قِرىً ، وإنا أضيافُك وزوَّارك ، فأطعمنا ، واسقنا ، واعلف دوابَّنا ، قال : فأتي بسفرة فمدَّت بين أيديهم ، وجيء بجفنة من ثريد يبخرُ ، وجيء بقلَّتين من ماء ، وجيء بالعلف لا يدرون من يأتي به ، فلم تزل تلك حالهم منذ خرجوا من عند أهاليهم حتى رجعوا ، لا يتكلَّفون زاداً ولا مزاداً(٢) . فهذه حال وليٍّ من هذه الأمة ، نزل عليه وعلى أصحابه مائدة كل يوم مرتين مع ما يُضاف إليها من الماء والعلوفة لدواب أصحابه ، وهذا اعتناء عظيم ، وإنما نال ذلك كلَّه ببركة متابعته لهذا النبيِّ الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم .

وأما قوله تعالى عن عيسى ابن مريم عليه السلام : إنه قال لبني إسرائيل : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ الآية . [آل عمران : ٤٩] فهذا شيء(٣) يسير على الأنبياء ، بل وعلى كثير من

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٥٥) .

(٢) أخرجه الحافظ ابن عساكر في دمشق ، وذكره ابن منظور في التهذيب (١٢/ ٦١) .

(٣) في نسخة « سهل يسير » .

الأولياء ، وقد قال يوسُف الصدِّيق عليه السلام لذينك الفتيين المحبوسين معه : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ ﴾ الآية [يوسف : ٣٧] .

وقد أخبرَ رسولُ الله ﷺ بالأخبار الماضية طبقَ ما وقعَ ، وعن الأخبار الحاضرة سواء بسواء ، كما أخبرَ عن أكل الأرَضة لتلك الصحيفة الظالمة التي كانت بطونُ قريش قديماً كتبتها على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب حتى يُسلموا إليهم رسولَ الله ﷺ ، وكتبوا بذلك صحيفةً وعلَّقوها في سقف الكعبة ، فأرسلَ الله الأَرَضة فأكلتها إلا مواضع اسم الله تعالى[١] . وفي رواية : فأكلت اسمَ الله منها تنزيهاً لها أن تكون مع الذي فيها من الظلم والعدوان ، فأخبرَ بذلك رسولُ الله ﷺ عمَّه أبا طالب وهم بالشِّعب ، فخرجَ إليهم أبو طالب وقال لهم عمَّا أخبرَهم به ، فقالوا : إن كان كما قال وإلا فسلِّموه إلينا ، فقالوا : نعم ، فأنزلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبرَ عنها رسولُ الله ﷺ سواء بسواء ، فأقلعت بطونُ قريش عما كانوا تمالؤوا عليه لبني هاشم وبني المطلب ، وهدى الله بذلك خلقاً كثيراً[٢] . وكم له مثلها كما تقدَّم بسطه وبيانه في مواضع من السيرة[٣] وغيرها ، ولله الحمد والمِنَّة .

وفي يوم بدر لما طلب من العباس عمه فداء ادعى أنه لا مالَ له ، فقال له : « فأينَ المال الذي دفنته أنت وأم الفضل تحت أسكفَّة الباب ، وقلت لها : إن قتلت فهو للصبية ؟ » فقال : والله يا رسول الله إنَّ هذا شيء لم يطلع عليه غيري وغير أم الفضل إلا الله عز وجل[٤] .

وأخبرَ بموت النجاشيّ يوم مات وهو بالحبشة ، وصلَّى عليه[٥] .

وأخبرَ عن قتل الأمراء يوم مؤتة واحداً بعد واحد ، وهو على المِنبر وعيناه تذرفان[٦] .

وأخبرَ عن الكتاب الذي أرسلَ به حاطبُ بن أبي بلتعة مع سارة مولاة بني عبد المطلب ، وأرسل في طلبها علياً والزبير والمقداد ، فوجدوها قد جعلته في عقاصها ، وفي رواية : في حجزتها ، وقد تقدَّم ذلك في غزوة الفتح[٧] .

وقال لأميري كسرى اللَّذين بعثَ بهما نائب اليمن لكسرى ، ليستعلما أمرَ رسول الله ﷺ : « إنَّ ربِّي

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام (١/ ٣٧٧) .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام (١/ ٣٧٧) .
(٣) تقدم هذا في السيرة النبوية .
(٤) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٦٣٤) وأبو نعيم في الدلائل (٢/ ٦١٤) .
(٥) تقدم الحديث .
(٦) تقدم الحديث .
(٧) تقدم الحديث .

قد قتلَ الليلة ربَّكما » فأرَّخا تلكَ الليلة ، فإذا كسرى قد سلَّط الله عليه ولدَه فقتلَه ، فأسلما وأسلمَ نائبُ اليمن ، وكان سبب ملك اليمن لرسول الله ﷺ(١) .

وأما إخباره ﷺ عن الغيوب المستقبلة فكثيرة جداً كما تقدَّم بسط ذلك ، وسيأتي في أنباء التواريخ ليقع ذلك طبق ما كان سواء .

وذكرَ ابن حامد في مقابلة جهاد عيسى عليه الصلاة والسلام جهادَ رسول الله ﷺ ، وفي مقابلة زهد عيسى عليه الصلاة والسلام زهادة رسول الله ﷺ عن كنوز الأرض حين عُرِضت عليه فأباها ، وقال : « أجوع يوماً وأشبعُ يوماً »(٢) وأنه كان له ثلاث عشرة زوجة يمضي عليهن الشهر والشهران لا تُوقد عندهن نار ولا مصباح ، إنما هو الأسودان التمر والماء ، وربَّما ربطَ على بطنه الحجرَ من الجوع ، وما شبعوا من خبز بر ثلاثَ ليالٍ تباعاً ، وكان فراشُه من أدم وحشوه ليف ، وربما اعتقلَ الشاة فيحلبَها ، ورقعَ ثوبَه ، وخصفَ نعلَه بيده الكريمة ﷺ ، وماتَ ﷺ ودرعه مرهونة عند يهوديٍّ على طعام اشتراه لأهله ، هذا وكم آثر بالألوف المؤلفة والإبل والشاء والغنائم والهدايا على نفسه وأهله ، للفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين .

وذكرَ أبو نُعيم في مقابلة تبشير الملائكة لمريم الصِّدِّيقة بوضع عيسى ما بشَّرت به آمنة أمّ رسول الله ﷺ حين حملتْ به في منامها ، وما قيل لها : إنَّك قد حملتِ بسيِّد هذه الأمة فسمِّيه محمداً . وقد بسطنا ذلك في المولد كما تقدَّم . وقد أوردَ الحافظُ أبو نُعيم هاهنا حديثاً غريباً مطوَّلاً بالمولد أحببنا أن نسوقَه ، ليكون الختام ، نظيرَ الافتتاح ، وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولله الحمد .

فقال : حدَّثنا سليمان بن أحمد ، حدَّثنا حفص بن عمر بن الصباح ، حدَّثنا يحيى بن عبد الله البابلي ، أخبرنا أبو بكر بن أبي مريم ، عن سعيد بن عمرو الأنصاري ، عن أبيه ، قال : قال ابن عباس : فكان من دلالات حمل محمد ﷺ أنَّ كلَّ دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : قد حُمِلَ برسول الله ﷺ وربّ الكعبة ، وهو أمانُ الدنيا وسراجُ أهلها ، ولم يبق كاهنةٌ في قريشٍ ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حُجبت عن صاحبتها ، انتُزع علمُ الكهنة منها ، ولم يبق سريرُ مَلكٍ من مُلوك الدنيا إلا أصبحَ منكوساً ، والمَلِكُ مُخرَساً لا ينطقُ يومَه ذلكَ ، وفرَّت وحوشُ المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهلُ البحار بشَّر بعضُهم بعضاً ، وفي كل شهر من شهور نداء في الأرض ونداء في السموات :

أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرجَ إلى الأرض ميموناً مباركاً قال : وبقي في بطن أمه تسعة أشهر كمَّلاً ، لا تشكو وجعاً ولا ريحاً ولا مغصاً ، ولا ما يعرض للنساء ذواتِ الحمل ، وهلكَ أبوه عبدُ الله وهو

---

(١) تقدم الحديث .

(٢) تقدم الحديث .

في بطن أُمِّه ، فقالت الملائكة : إلهنا ، وسيدنا ، بقيَ نبيُّك هذا يتيماً ، فقال الله تعالى للملائكة : أنا له وليٌّ وحافظ ونصير ، فتبرَّكوا بمولده ميموناً مباركاً . وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنَّاته ، وكانت آمنة تُحدِّث عن نفسها وتقول : أتاني آتٍ حتى مرَّ لي من حمله ستة أشهر فوكَزني برجله في المنام وقال : ياآمنة ! إنَّكِ حملتِ بخير العالمين طُرّاً ، فإذا ولدتيه فسمِّيه محمَّداً ، واكتمي شأنَك . قال : فكانت تُحدِّث عن نفسها وتقول : لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ، ذكر ولا أنثى ، وإنِّي لوحيدةٌ في المنزل ، وعبدُ المطلب في طوافه ، قالت : فسمعتُ وجبةً شديدةً ، وأمراً عظيماً ، فهالني ذلك ، وذلك يوم الإثنين ، ورأيتُ كأن جناح طير أبيض قد مسحَ على فؤادي فذهبَ كلّ رعب وكل فزع ووجع كنتُ أجد ، ثم التفتُّ فإذا أنا بشربةٍ بيضاءَ ظننتُها لبناً ، وكنت عطشى ، فتناولتُها فشربتُها فأضاء فيَّ نورٌ عالٍ ، ثم رأيتُ نسوةً كالنخل الطِّوال ، كأنهنَّ من بنات عبد المطلب يُحدِّقنَ بي ، فبينا أن أعجبُ وأقول : واغوثاه ، من أينَ علمنَ بي ؟ واشتدَّ بي الأمر وأنا أسمعُ الوجبةَ في كل ساعة أعظم وأهول ، وإذا أنا بديباج أبيض قد مُدَّ بين السماء والأرض ، وإذا قائل يقول : خذوه عن أعين النَّاس ، قالت : ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريقُ فِضَّة ، وأنا يرشحُ مني عرقٌ كالجُمان ، أطيبُ ريحاً من المسك الأذفر ، وأنا أقولُ : يا ليتَ عبد المطلب قد دخل عليَّ ، قالت : ورأيت قطعةً من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعرُ حتى غطَّت حجرتي ، مناقيرُها من الزمرّد ، وأجنحتُها من اليواقيت ، فكشفَ الله لي عن بصري : فأبصرتُ من ساعتي مشارقَ الأرض ومغاربَها ، ورأيتُ ثلاثَ أعلام مضروباتٍ ، علمٌ بالمشرق ، وعلمٌ بالمغرب ، وعلمٌ على ظهر الكعبة ، فأخذني المَخاضُ واشتدَّ بي الطَّلق جدّاً ، فكنتُ كأنِّي مستندة إلى أركان النساء ، وكثرنَ عليَّ حتى كأنَّ الأيدي معي في البيت وأنا لا أرى شيئاً فولدت محمداً ، فلما خرج من بطني درتُ فنظرتُ إليه فإذا هو ساجد وقد رفعَ أصبعيه كالمُتضرِّع المبتهل ، ثم رأيت سحابةً بيضاءَ قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيتُه ، فغُيِّبَ عن عيني ، فسمعتُ منادياً يُنادي يقول : طُوفوا بمحمد ﷺ شرقَ الأرض وغربَها ، وأدخلوه البحارَ كلَّها ، ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ، ويعلموا أنه سُمِّي الماحي ، لا يبقى شيءٌ من الشرك إلا مُحي به . قالت : ثم تَخلَّوا عنه في أسرع وقت ، فإذا أنا به مدرجٌ في ثوب صوف أبيض ، أشدُّ بياضاً من اللَّبَن ، وتحته حريرةٌ خضراء ، وقد قبضَ محمَّد ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرَّطب الأبيض ، وإذا قائل يقول : قبضَ محمَّدٌ مفاتيح النصر ، ومفاتيح الريح ، ومفاتيح النبوة[1] .

---

(١) ذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١١٨) وقال : أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢/ ٧٨٠) ثم قال بعد أربع صفحات بعد أن ذكر أثراً آخر عن ابن عباس ، وهذا الأثر والأثران قبله فيها نكارة شديدة . وقال : لم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ، ولم تكن نفسي لتطيبَ بإيرادها ، لكني تبعت الحافظ أبا نُعيم في ذلك . ورحم الله الحافظ ابن كثير كيف طابت نفسه أن يختم بهذا الأثر ، وهو كما يقول : غريب جداً !.

هكذا أوردَه وسكت عليه ، وهو غريب جداً .

وقال الشيخ جمال الدين أبو زكريا ، يحيى بن يوسف بن منصور بن عمر الأنصاري الصَّرصَري[١] ، المادح الماهر ، الحافظ للأحاديث واللغة ، ذو المحبّة الصادقة لرسول الله ﷺ فلذلك يُشبَّه في عصره بحسَّان بن ثابت رضي الله عنه ، في ديوانه المكتوب عنه في مديح رسول الله ﷺ ، وقد كان ضريرَ البصر ، بصيرَ البصيرة ، وكانت وفاتُه ببغداد في سنة ست وخمسين وستمئة ، قتله التتار في كائنة بغداد ، كما سيأتي ذلك في موضعه ، في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة ، وعليه التكلان ، قال في قصيدته ، من حرف الحاء المهملة ، من ديوانه :

مُحمَّدٌ المبعُوثُ لِلنَّاسِ رَحمَةً ... يُشيِّدُ مَا أَوهَى الضلالُ ويصلحُ
لَئِنْ سَبَّحَتْ صُمُّ الجِبالِ مجيبَةً ... لِداودَ أَو لَانَ الحديدُ المصَفَّحُ
فَإنَّ الصُّخُور الصُّمَّ لَانَت بِكَفِّه ... وَإنَّ الحَصى في كَفِّهِ لِيُسَبِّحُ
وَإن كانَ مُوسَى أَنبَعَ الماءَ بالعَصَا ... فَمِن كَفِّهِ قد أصبَحَ الماءُ يَطفَحُ
وَإن كانَت الريحُ الرُّخاءُ مُطيعةً ... سُليمانَ لا تَألو تَروحُ وتسرَحُ
فإنَّ الصَّبا كانَت لِنصرِ نَبِيِّنا ... بِرعبٍ عَلى شَهرٍ به الخصمُ يُكلَحُ[٢]
وَإن أُوتيَ الملكَ العظيمَ وسُخِّرت ... لَهُ الجِنُّ تشفي مارِضيهِ وتَلدَحُ[٣]
فَإنَّ مَفاتيح الكُنُوزِ بِأَسرِهَا ... أَتَتْهُ فَرَدَّ الزَّاهِدُ المترَجِّحُ
وَإن كان إبراهيمُ أُعطي خِلَّةً ... ومُوسى بتكليم على الطُّور يُمنحُ
فَهذَا حَبيبٌ بَل خَليلٌ مُكَلَّم ... وخُصِّصَ بالرؤيا وبالحقِّ أشرَحُ
وَخُصِّصَ بالحوضِ العظيمِ وباللوا ... ويَشفَعُ لِلعَاصِينَ والنَّار تَلفحُ
وبالمقعَدِ الأعلى المُقَرَّبِ عِندَهُ ... عَطاءٌ بِبُشراهُ أَقَرُّ وأَفرَحُ
وبالرتبةِ العُليا الأسِيلَةِ دونها ... مَراتبُ أربابِ المواهِبِ تُلمَحُ[٤]
وَفي جَنَّةِ الفِردَوس أوَّلُ دَاخِلٍ ... لَه سائِرُ الأبواب بالخار تُفتَحُ[٥]

---

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات (٤/ ٢٩٨ ـ ٣١٩) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٢) وشذرات الذهب (٧/ ٤٩٣) . والصَّرصَري : نسبة إلى صرصر ، وهي قرية من قرى بغداد .
(٢) « يُكْلَحُ » : يزداد عبوساً وتجهماً ، بسبب هزيمته .
(٣) « تَلْدَحُ » : اللَّدْح : الضرب باليد .
(٤) « الأسيلة » : الناعمة الرقيقة .
(٥) « الخار » : الغلبة الخَيِّرة .

وهذا آخر ما يسَّرَ الله جمعَه من الأخبار بالمغيَّبات التي وقعت إلى زماننا ، مما يدخل في دلائل النبوة ، والله الهادي . وإذا فرغنا إن شاء الله من إيراد الحادثات من بعد موته عليه الصلاة والسلام إلى زماننا ، نتبع ذلك بذكر الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان ، ثم نسوقُ بعد ذلك أشراط الساعة ، ثم نذكرُ البعثَ والنشورَ ، ثم ما يقعُ يوم القيامة من الأهوال وما فيه من العظمة ، ونذكر الحوضَ والميزانَ والصراطَ ، ثم نذكرُ صفةَ النَّار ثم صفة الجنَّة .

•••

كتاب(١)

تاريخُ الإسلام الأوّل من الحوادث الواقعة في الزمان ، ووفيات المشاهير والأعيان

سنة إحدى عشرة من الهجرة

تقدَّم ما كان في ربيع الأول منها من وفاة رسول الله ﷺ في يوم الإثنين وذلك لثاني عشر منه على المشهور ، وقد بسطنا الكلام في ذلك بما فيه كفايةٌ وبالله التوفيق .

خلافةُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وما فيها من الحوادث

قد تقدم أنَّ رسولَ الله ﷺ توفي يوم الاثنين وذلك ضُحى ، فاشتغل الناس ببيعة أبي بكر الصّديق في سَقيفة بني ساعدة ، ثم في المسجد البيعة العامَّة في بقيّة يوم الاثنين وصبيحة الثلاثاء كما تقدَّم ذلك بطُوله ، ثمّ أخذوا في غَسْل رسول الله ﷺ ، وتكفينه ، والصلاةِ عليه ﷺ تسليماً بقية يوم الثلاثاء ، ودفنوه ليلة الأربعاء كما تقدّم ذلك مبرهناً في موضعه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار(٢) : حدَّثني الزُّهري ، حدَّثني أنس بن مالك قال :

لما بُويع أبو بكر في السَّقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر فقام عمر فتكلَّم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أيها الناس إني قد قلت لكم بالأمس مقالةً ما كانت [إلا عن رأيي](٣) وما وجدتُها في كتاب الله ولا كانت عهداً عَهِدهُ إليَّ رسول الله ﷺ ولكني قد كنت أرى أنّ رسولَ الله ﷺ سيدبّر أمرَنا ، حتى(٤) يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم الذي به هدى رسول الله ﷺ فإن اعتصمتُم به هداكم الله لما كان هَداهُ الله ،

---

(١) تم مقابلة هذا الجزء مع مخطوطة الأحمدية (أ) فماوجدناه زيادة على المطبوع (ط) وضعناه بين معقوفين [ ] وما كان زيادة من (ط) على (أ) وضعناه بين قوسين ، وبيّنا الفوارق بينهما ، فماوجدناه صحيحاً متوافقاً مع المراجع الموثوقة ومصادر الكتاب أثبتناه ، وبيَّنَّا خطأ النسختين أو إحداهما إن وُجد .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٤٢) وتاريخ الطبري (٣/ ٢١٠) .

(٣) زيادة من الطبري .

(٤) في ط والسيرة : يقول ، وما أثبتناه عن (أ) والطبري .

وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحبِ رسول الله ﷺ ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه . فبايع الناس أبا بكر بعد بيعة السَّقيفة ، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال :

أما بعدُ ، أيُّها الناس فإني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم فإنْ أحسنتُ فأعينوني وإن أسأتُ فقوِّموني .

الصدقُ أمانةٌ والكذبُ خيانةٌ ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أُرْجِعَ عليه حقَّه إن شاء الله ، والقويُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخذَ الحقَّ منه إن شاء الله ، لا يدعُ قومٌ الجهادَ في سبيل الله إلا خذلهم اللهُ بالذلّ ، ولا تشيعُ الفاحشةُ في قومٍ إلا عمَّهم اللهُ بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت اللهَ ورسولَه ، فإذا عصيْتُ الله ورسولَه فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

وهذا إسناد صحيح .

وقد اتّفقَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم على بيعة الصّدّيق في ذلك الوقت ، حتى عليّ بن أبي طالب والزُّبير بن العَوّام رضي الله عنهما ، والدليل على ذلك ما رواه البيهقيُّ(١) حيث قال :

أخبرنا أبو الحسن(٢) عليُّ بن محمدٍ بن علي الحافظ الإسفراييني ، حدَّثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ ، حدَّثنا أبو بكر بن خُزَيْمَة(٣) وإبراهيم بن أبي طالب قالا : حدَّثنا بُنْدار بن بشّار(٤) ، حدَّثنا أبو هشام المَخْزومي ، حدَّثنا وُهَيْب ، حدَّثنا داود بن أبي هِنْد ، حدَّثنا أبو نَضْرَة(٥) ، عن أبي سعيد الخُدْري قال :

قُبِضَ رسولُ الله ﷺ واجتمعَ الناسُ في دارِ سعدِ بن عُبادَةَ ، وفيهم أبو بكر وعمرُ قال : فقام خطيبُ الأنصار فقال : أتعلمون أنَّا أنصارُ رسولِ الله ﷺ فنحن أنصار خليفتِه كما كنَّا أنصارَه ، قال : فقام عمر بن الخطاب فقال : صدق قائلُكم ، ولو قلتم غيرَ هذا لم نبايعْكم ، فأخذ بيد أبي بكرٍ وقال : هذا صاحبُكم فبايعوه ، فبايعه عمرُ ، وبايعه المهاجرونَ والأنصارُ ، وقال : فصعد أبو بكرٍ المنبرَ فنظرَ في وجوه القوم فلم يرَ الزبيرَ ، قال : فدعا الزبيرَ ، فجاءَ ، قال : قلتُ : ابنَ عمَّةِ رسولِ الله ﷺ أردتَ أن تَشُقَّ عصا المسلمين ؟ قال : لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ الله ، فقام فبايعه ، ثم نظرَ في وجوه القوم فلم يرَ علياً ، فدعا

---

(١) السنن الكبرى (٨/ ١٤٣) .

(٢) في ط : أبو الحسين ، تحريف ، والتصحيح من السنن الكبرى . وترجمة أبي الحسن الإسفراييني في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠٥) .

(٣) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة ، أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥) .

(٤) في ط : بن يسار ؛ تحريف ، والتصحيح من السنن الكبرى . وترجمة بندار في سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤٤) .

(٥) في ط : أبو نصرة ، بالصاد ؛ تحريف ، والتصحيح من السنن الكبرى . وهو المنذر بن مالك بن قُطعة ، ابو نضرة العبدي . سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٩) .

بعلي بن أبي طالب ، قال : قلت : ابنَ عمِّ رسولِ الله ﷺ وخَتَنهُ على ابنتهِ ، أردتَ أن تَشُقَّ عصا المسلمين ؟ قال : لا تثريب يا خليفةَ رسول الله فبايَعَه .

هذا أو معناه . قال الحافظ أبو علي النَّيسابوري : سمعتُ ابنَ خُزيمة يقول : جاءني مسلمُ بنُ الحجاج فسألني عن هذا الحديثِ فكتبتُه له في رُقْعة وقرأت عليه ، فقال : هذا حديث يساوي بَدنةً ، فقلتُ : يَسْوى بدَنةً ، بل هذا يَسْوى[١] بَدْرَة[٢] .

وقد رواه الإمامُ أحمد عن الثقةِ عن وُهَيْب مختصراً[٣] .

وأخرجه الحاكمُ في « مستدركِه »[٤] من طريقِ عفانَ بن مسلم ، عن وهيب مطوَّلاً كنحو ما تقدَّم .

وروينا من طريق المَحَاملي ، عن القاسمِ بن سعيد بن المُسيّب ، عن علي بن عاصم ، عن الجُرَيْري[٥] ، عن أبي نَضْرَة ، عن أبي سعيدٍ فَذَكَره مثلَه في مبايعةِ علي والزبير رضي الله عنهما يومئذٍ .

وقال موسى بن عقبة[٦] في « مغازيه » عن سعد بن إبراهيم : حدَّثني أبي أن أباه عبد الرحمن بنَ عوفٍ كانَ معَ عمرَ وأنَّ محمَّد بنَ مَسْلمة كسر سيفَ الزُّبير ، ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى النَّاس وقال : واللهِ ما كنتُ حريصاً على الإمارةِ يوماً ولا ليلةً ، ولا سألتُها اللهَ في سِرٍّ ولا علانيةٍ ، فقَبِلَ المهاجرونَ مقالتَه ، وقال عليٌّ والزبيرُ : ما [غضبنا][٧] إلا لأنَّنا أُخِّرْنا عن المشورة ، وإنا نرى أبا بكرٍ أحقَّ النّاسِ بها ، إنَّه لصاحبُ الغارِ ، وإنَّا لنعرفُ شرفَه وخَيْره . ولقد أمَرَه رسولُ الله ﷺ بالصلاةِ بالنّاسِ وهو حيٌّ[٨] . وهذا اللائقُ بعليٍّ رضي الله عنه ، والذي يدلُّ عليه الآثارُ من شهودِه معه الصلواتِ ، وخُرُوجِه معه إلى ذي القَصَّة[٩] بعد موت رسول الله ﷺ كما سنورده ، وبذلِه له النصيحةَ والمشورة ، بين يديه .

---

(١) يَسْوى : نادرة ، وهي لغة أهل الحجاز . اللسان (سوا) .

(٢) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف . اللسان (بدر) .

(٣) هكذا وقع هذا النص ، وهو غلط لا شك فيه ، لا أدري إن كان من المصنف أو من النساخ ، وصوابه فيما أرى أن يكون : « وقد رواه الإمام أحمد عن عفان عن وهيب مختصراً ، ورواه بتمامه ثقة عن عفان » ، هكذا وجدته بخط الإمام الذهبي (تاريخ الإسلام ، أياصوفيا ٣٠٠٥ ورقة ١٧٣) ، وهو الذي في المسند (٥/ ١٨٥ ـ ١٨٦) ، إذ لم يروه أحمد عن الثقة البتة (بشار) .

(٤) المستدرك على الصحيحين (٣/ ٧٦) .

(٥) في ط : الحريري ؛ تحريف ، وهو سعيد بن إياس ، أبو مسعود الجُريري البصري . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥٣) .

(٦) موسى بن عقبة ، صاحب المغازي ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/ ١١٤) قال الإمام الذهبي : كان بصيراً بالمغازي النبوية ألّفها في مجلد .

(٧) ساقطة من أ ، ط واستدركت من المستدرك .

(٨) الخبر بأطول مما هنا في المستدرك (٣/ ٦٦) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٩) ذو القصة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً ، وهو طريق الربذة . معجم البلدان (٤/ ٣٦٦) معجم ما استعجم (١٠٧٦) .

وأما ما يأتي من مبايعته إياه بعد موت فاطمةَ ، وقد ماتت بعد أبيها عليه الصلاة والسلام بستة أشهر ، فذلك محمولٌ على أنَّها بيعةٌ ثانيةٌ أزالت ما كان قد وقعَ من وحشةٍ بسبب الكلام في الميراث ومنعِه إياهم ذلك بالنص عن رسولِ الله ﷺ : في قوله : « لا نُورث ، ما تركنا فهو صدقة »[١] . كما تقدم إيراد أسانيده وألفاظه ولله الحمد .

وقد كتبنا هذه الطرقَ مستقصاةً في الكتاب الذي أفردناه في سيرة الصدِّيقِ رضي الله عنه ، وما أسنده من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وما رُوي عنه من الأحكام مُبوَّبةً على أبواب العلم ولله الحمدُ والمنة .

وقال سيف بن عمر التميمي[٢] : عن أبي ضَمرة ، عن أبيه ، عن عاصم بن عدي ، قال :

نادى منادي أبي بكر من الغد من مُتوفَّى رسول الله ﷺ ليتمّم بعثَ أسامةَ : ألا لا يبقينّ بالمدينة أحدٌ من جيش أسامة إلَّا خرج إلى عسكره بالجُرف[٣] .

وقام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : « أيها الناسُ إنما أنا مثلكم وإني [لا أدري][٤] لعلكم تُكلّفوني ما كان رسولُ الله ﷺ يُطيق ، إنَّ الله اصطفى محمداً على العالمين ، وعَصَمهُ من الآفاتِ ، وإنما أنا متَّبع ولست بمُبتدع ، فإن استقمتُ فبايعوني ، وإن زُغْتُ[٥] فقوِّموني ، وإن رسول الله ﷺ قُبض وليس أحدٌ من هذه الأمة يطلبُه بمظلمةٍ ضربة سوط فما دونها ، وإنَّ لي شيطاناً يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثرُ في أشعاركم وأبشاركم[٦] وإنكم تَغْدون وتَروحون في أجَلٍ قد غُيِّب عنكم علمُه ، وإن استطعتُم أن لا يمضيَ يوم إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، وسابقوا في مهلِ آجالكم من قبل أن تُسْلِمكُم آجالُكم إلى انقطاع الأعمال ، فإنَّ قوماً نسُوا آجالَهم وجعلوا أعمالَهم بعدهم ، فإياكم أن تكونوا أمثالهم ، الجدَّ الجَدَّ ، النجاةَ النجاةَ ، الوحَا الوحا[٧] فإن وراءكم طالباً حثيثاً ، وأجلاً أمرُه سريعٌ ، احذروا الموتَ ، واعتبروا بالآباءِ والأبناءِ والإخوان ولا تُطيعوا الأحياءَ إلا بما تطيعوا به الأمواتَ » .

قال : وقام أيضاً فحمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : إنّ الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أُريد به وجهُه ، فأريدوا اللهَ بأعمالكم ، فإنّما أخلصتم لحين فقرِكم وحاجتكم ، اعتبروا عبادَ الله بمنْ مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم ، أين كانوا أمس ، وأين هم اليومَ ، أين الجبّارونَ الذين كان لهم ذكرُ القتالِ

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٠٩٣) في فرض الخمس .
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٣) .
(٣) «الجرف» : موضع قرب المدينة ، كان المسلمون يعسكرون هناك إذا أرادوا الغزو . معجم ما استعجم (٣٧٦ ـ ٣٧٨) .
(٤) زيادة من الطبري يقتضيها السياق .
(٥) زاغ عن الطريق زوغاً وزيغاً : عدل ؛ والياء أفصح . اللسان (زوغ) .
(٦) أشعار جمع شعر . وأبشار جمع بشرة .
(٧) الوحا الوحا في حديث أبي بكر أي : السرعة السرعة . يمدد ويقصر . اللسان (وحى) .

والغلبةِ في مواطن الحروبِ ، قد تضعضعَ بهم الدهرُ ، وصاروا رميماً ، قد تولَّت عليهم العالاتُ[١] ، الخبيثاتُ للخبيثين ، والخبيثونَ للخبيثاتِ ، وأينَ الملوكُ الذين أثاروا الأرضَ وعمروها ؟ قد بعدُوا ونُسِيَ ذكرُهم ، وصاروا كلا شيءَ ، ألا إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أبقى عليهم التبعاتِ ، وقطَعَ عنهم الشهواتِ ، ومضوا والأعمالُ أعمالُهم ، والدنيا دنيا غيرِهم ، وبُعثنا خلَفَاً بعدَهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نَجَوْنا ، وإن انحدرنا كنا مثلهم ، أين الوضاءةُ الحسنة وجوههم ، المعجبونَ بشبابهم ؟ صاروا تراباً ، وصار ما فرَّطوا فيه حسرةً عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصَّنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيبَ؟ قد تركوها لمن خلفَهم ، فتلك مساكنُهم خاويةٌ وهم في ظلماتِ القبور ، ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم : ٩٨] ؟ أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم ، قد انتهت بهم آجالُهم ، فرُدُّوا على ما قدموا ، فحلُّوا عليه وأقاموا للشقوة أو السعادة بعد الموت ، ألا إن الله لا شريكَ له ، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف به عنه سوءاً ، إلَّا بطاعته واتباعِ أمره ، واعلموا أنَّكم عبيدٌ مدينون ، وأنّ ما عنده لا يُدركُ إلا بطاعته ، أما آن لأحدكم أن تحسر عنه النارُ ولا تَبْعُدُ عنه الجنة ؟ .

فصل
في تنفيذ جيش أسامةَ بن زيدٍ

الذين كانوا قد أمرَهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تُخُومِ البَلقاء من الشام ، حيث قُتل زيدُ بن حارثة ، وجعفر ، وابن رُواحةَ : فيغتزوا على تلك الأراضي ، فخرجوا إلى الجُرف فخيَّموا به ، وكان بينهم عمرُ بن الخطاب ، ويقال : وأبو بكر الصديق فاستثناه رسول الله منهم للصلاة ، فلما ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ أقاموا هنالك ، فلما مات عَظُمَ الخطبُ واشتدَّ الحالُ ونجم النفاقُ بالمدينة ، وارتدَّ من ارتدَّ من أحياءِ العرب حولَ المدينة ، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصدِّيق ، ولم يبقَ للجمعة مُقامٌ في بلدٍ سوى مكةَ والمدينة ، وكانت جُواثى من البحرين أول قرية أقامت الجمعةَ بعد رجوع الناس إلى الحق ، كما في صحيح البخاري[٢] ، عن ابن عباس كما سيأتي .

وقد كانت ثقيفُ بالطائف ثَبَتوا على الإسلام ، لم يفرُّوا ولا ارتدّوا ، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثيرٌ من الناس على الصديق أن لا يُنفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم ، لأنَّ ما جهز بسببه في حال السلامة ، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب ، فامتنع الصدّيق من ذلك ، وأبى أشدَّ الإباء ، إلا أن يُنفذَ جيشَ أسامةَ ، وقال : والله لا أحلُّ عقدةً عقدها رسولُ الله ﷺ ، ولو أنَّ الطير تَخْطفُنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو أنَّ الكلابَ جرت بأرجلِ أمهات المؤمنين لأجَهّزن جيشَ أسامةَ وآمر الحرس يكونون حول المدينة ، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالةُ تلك ،

(١) في الطبري : القالات .
(٢) خبر ابن عباس في صحيح البخاري رقم (٨٩٢) في الجمعة ، ورقم (٤٣٧١) في المغازي ونصه : إن أول جمعة جمعت .

فساروا لا يمرُّون بحيٍّ من أحياءِ العرب إلا أرعبوا منهم ، وقالوا : ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعَةٌ شديدة ، فقاموا أربعين يوماً ويقال سبعين يوماً ، ثم أَتَوْا سالمين غانمين ، ثم رجعوا فجهّزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المُرْتدة ، ومانعي الزكاة على ما سيأتي تفصيلُه .

قال سيفُ بن عمر[١] : عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال :

لما بُويع أبو بكر وجمع الأنصارُ في الأمر الذي افترقوا فيه ، قال :

ليتمّ بعثُ أسامة ، وقد ارتدت العرب ؛ إما عامة وإما خاصة ، في كل قبيلة ، ونجم[٢] النّفاق واشرأبّت اليهوديةُ والنصرانية ، والمسلمون كالغنم المَطِيرة[٣] في الليلة الشاتيةِ ، لفقد نبيهم ﷺ ، وقلّتهم وكثرة عدوّهم ، فقال له الناس : إن هؤلاء جلُّ المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقضتْ بك ، وليس ينبغي لك أن تُفرق عنك جماعةَ المسلمين ، فقال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباعَ تَخْطفني لأنفذتُ بعثَ أسامةَ كما أمرَ به رسولُ الله ﷺ ؛ ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته .

وقد روي هذا عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، ومن حديث القاسم وعمرة ، عن عائشة قالت :

لما قبض رسول الله ﷺ ارتدتِ العربُ قاطبةً وأُشْربت النفاق ، والله لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها[٤] ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم مِعْزًى[٥] مطيرة في حُشٍّ[٦] في ليلة مطيرة بأرض مَسْبَعَةٍ[٧] ، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلَّا طارَ أبي بِحَظِّها وغنائها وفَضْلها[٨] ، ثم ذكرت عمر فقالت : من رأى عمر علم أنه خلق غنى للإسلام ، كان والله أحوذياً[٩] نسيج وحدِه وقد أعد للأمور أقرانها[١٠] .

وقال الحافظ أبو بكر البَيْهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العبّاس محمد بن يعقوب ،

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٥) .
(٢) نجم الشيء ينجم ـ بالضم ـ نجوماً : طلع وظهر . اللسان (نجم) .
(٣) العبارة عند الطبري : والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية .
(٤) هاضها ؛ من الهيض : وهو كسر دون الهدِّ وفوق الرضِّ . اللسان (هضض) .
(٥) معزى ؛ يجوز تنوينها ومنعها ، ورجح سيبويه الأول . اللسان (معز) .
(٦) الحشُّ : البستان . اللسان (حشش) .
(٧) أرض مَسْبَعة : ذات سباع كثيرة . اللسان (سبع) .
(٨) في المطبوع : « بخطلها وعنانها وفصلها » وكله تصحيف لا معنى له ، والصواب ما أثبتنا ، ويعضده الذي في سنن البيهقي .
(٩) أحوذياً وأحوزياً : هو الحسن السبَّاق للأمور ، وفيه بعض النِّفار ، وقيل : هو الخفيف . النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٥٧ و٤٥٩) .
(١٠) خبر عائشة من طريق القاسم عنها في سنن البيهقي (٨/ ٢٠٠) .

حدَّثنا محمد بن علي الميموني ، حدَّثنا الفِرْيابي ، حدَّثنا عبَّاد بن كَثير عن الأعرج[١] عن أبي هريرة قال :

والله الذي لا إله إلَّا هو ، لولا أن أبا بكر استُخلف ما عُبد اللهُ ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، فقيل له : مه يا أبا هريرة ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ وجَّهَ أسامةَ بن زيد في سبعمئة إلى الشام ، فلما نزل بذي خُشُب[٢] قُبضَ رسولُ الله ﷺ وارتدَّتِ العربُ حولَ المدينة ، فاجتمعَ إليه أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا بكر ردّ هؤلاء ، تُوجه إلى الرّوم وقد ارتدَّتِ العربُ حولَ المدينة ؟ فقال : والذي لا إله غيرُه لو جرت الكلاب بأرجل أزواجِ رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجَّهه رسولُ الله ﷺ ، ولا حللتُ لواءً عقدَه رسولُ الله ﷺ فوجَّه أسامة ، فجعل لا يمرُّ بقبيلٍ يريدون الارتداد إلَّا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوةً ما خرجَ مثلُ هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعُهم حتى يَلْقوا الرومَ ، فلقُوا الرومَ فهزموهم وقتلوهم ، ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام .

عبّاد بن كثير هذا أظنه البرمكيَّ لرواية الفِرْيابي عنه ، وهو مقارب الحديث ، فأما [عباد بن كثير] البصري الثقفي فمتروك الحديث ، والله أعلم .

وروى سيف بن عمر[٣] ، عن أبي ضَمْرَة وأبي عمرو وغيرهما ، عن الحسن البصري : أن أبا بكر لما صمَّم على تجهيز جيش أسامة قال بعض الأنصار لعمر : قل له فليُؤَمِّرْ علينا غيرَ أسامة ، فذكر له عمرُ ذلك ، فيقال : إنه أخذَ بلحيته وقال : ثكلتْكَ أمُّك يا بن الخطاب ، أُؤَمِّر غيرَ أميرِ رسول الله ﷺ؟ ثم نهض بنفسه إلى الجُرْفِ فاستعرضَ جيشَ أسامة وأمرهم بالمسير ، وسارَ معهم ماشياً ، وأسامةُ راكباً ، وعبدُ الرحمن بن عوف يقود براحلةِ الصِّدِّيق ، فقال أسامةُ : يا خليفةَ رسولِ الله : إما أن تركبَ وإما أن أنزلَ ، فقال : والله لستَ بنازلٍ ولستُ براكبٍ ، ثم استطلقَ الصدِّيقُ من أسامة عمرَ بن الخطاب ـ وكان مكتتباً في جيشه ـ فأطلقهُ له ، فلهذا كان عمرُ لا يلقاه بعد ذلك إلا قال : السلام عليكَ أيها الأميرُ .

مقتلُ الأسْود العَنْسي ، المُتَنبِّيء الكذَّاب

قال أبو جعفر بنُ جَرِير[٤] : حدَّثني عمر بن شَبَّة[٥] النُّمَيْري ، حدَّثنا عليّ بن محمد ـ يعني المَدَائني ـ عن أبي مَعْشر ويزيد بن عياض بن جُعْدُبة[٦] وغسّان بن عبد الحميد وجُوَيْرية بن أسماء ، عن مَشْيختهم قالوا :

---

(١) في المطبوع : « عن أبي الأعرج » وهو تحريف ، وهو عبد الرحمن بن هرمز ، من رجال التهذيب .

(٢) ذو خشب : موضع على مرحلة من المدينة على طريق الشام . معجم ما استعجم (٤٩٩) .

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٥ـ٢٢٦) .

(٤) في تاريخه (٣/ ٢٤٠) .

(٥) في ط : عمرو بن شيبة ؛ وهو تحريف . والتصحيح من الطبري ، وترجمة ابن شبَّة في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧٢) .

(٦) في ط : عن جُعدٍ به ، خطأ ، والتصحيح من الطبري وتقريب التهذيب (٦٠٤) .

أمضى أبو بكر جيشَ أسامةَ بن زيد في آخر ربيع الأول ، وأتى مقتل الأسود في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ، فكان ذلك أولَ فَتْحٍ فَتَحَ أبو بكر وهو بالمدينة .

صِفَةُ خُروجِهِ وتَمْليكِهِ ومَقْتَلِهِ

قد أسلفنا فيما تقدَّم أنَّ اليمنَ كانت لِحِمْيَر ، وكانت ملوكهم يُسَمَّون التَّبابعة ، وتكلَّمنا في أيام الجاهلية على طرفٍ صالح من هذا .

ثم إنّ ملك الحبشة بعث أميرين من قواده ، وهما أبرهةُ الأشرمُ ، وأرياطُ ، فتملّكا له اليمن من حمير ، وصار مُلْكُها للحبشة ، ثم اختلف هذان الأميران ، فقُتِلَ أرياطُ واستقلَّ أبرهةُ بالنيابة . وبنى كنيسةً سماها القُلَّيْسَ[١] ، لارتفاعها ، وأراد أن يصرفَ حجَّ العربِ إليها دونَ الكعبةِ ، فجاء بعضُ قريشٍ فأحدث في هذه الكنيسة ، فلما بلغه ذلك حلفَ ليخربنَّ بيتَ مكة ، فسار إليه ومعه الجنود والفيلُ محمود ، فكان من أمرهم ما قصَّ اللهُ في كتابه .

وقد تقدَّم بسطُ ذلك في موضعه ، فرجعَ أبرهةُ ببعض من بقيَ من جيشه في أسوإ حالٍ وشرّ خيبةٍ ، وما زال تسقطُ أعضاؤُه أنملةً أنملةً ، فلمّا وصلَ إلى صنعاء انصدع صدرُه فماتَ ، فقام بالملك بعده ولده يكسوم[٢] بن أبرهة ثم أخوه مسروق بن أبرهة ، فيقال : إنه استمرَّ مُلك اليمن بأيدي الحبشة سبعين سنةً .

ثم ثار سيفُ بن ذي يزن الحِمْيريُّ ، فذهب إلى قيصرَ ملكِ الروّم يستنصرُه عليهم ، فأبى ذلك عليه ـ لما بينه وبينهم من الاجتماع في دين النَّصرانية ـ فسارَ إلى كسرى ملكِ الفرس فاستغاث به ، وله معه مواقفُ ومقاماتٌ في الكلام تقدَّم بسط بعضها ، ثم اتفق الحالُ على أنْ بَعَثَ معه ممن بالسجونِ طائفةً تقدمهم رجل منهم يقال له : وهرز ، فاستنقذ مُلْك اليمن من الحبشة ، وكسرَ مَسروق بن أبرهة وقتله ، ودخلوا إلى صنعاءَ وقرروا سيفَ بن ذي يزن في المُلك على عادة آبائه ، وجاءتِ العربُ تُهنِّئُهُ من كل جانب ، غير أن لكسرى نوايا على البلاد[٣] ؛ فاستمرّ الحالُ على ذلك حتى بُعث رسولُ الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام ، ثم هاجر إلى المدينة فلما كتب كتبه إلى الآفاق يدعوهم إلى عبادة الله وحدَهُ لا شريكَ له ، فكتب في جملة ذلك إلى كسرى ملكِ الفرس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ رسولِ الله إلى كسرى عظيمِ الفرسِ ، سلامٌ على منِ اتّبعَ الهُدى ، أما بعدُ ، فأسلمْ تَسْلمْ . . . إلى آخره .

---

(١) في ط : العانس ؛ وهو تصحيف وتحريف ، والقُلَّيس بالتشديد : بيعة للحبش كانت بصنعاء بناها أبرهة . وفي التهذيب : القُلَّيسة : بيعة كانت بصنعاء للحبشة . اللسان (قلس) .

(٢) في ط : بلسيوم ، وهو تحريف ؛ وما أثبتناه عن الكامل (١/ ٤٣٣) .

(٣) الخبر بأطول مما هنا في الكامل لابن الأثير (١/ ٤٥١) .

فلما جاءه الكتابُ قال : ما هذا؟ قالوا : هذا كتابٌ جاء من عند رجلٍ بجزيرة العرب يزعُمُ أنه نبيٌّ ، فلما فتحَ الكتابَ فوجده قد بدأ باسمه قبل اسمِ كسرى ، غضبَ كسرى غضباً شديداً ، وأخذَ الكتابَ فمزّقه قبل أن يقرأه ، وكتب إلى عامله على اليمن ـ وكان اسمه باذام[(١)] ـ أما بعد فإذا جاءك كتابي هذا فابعث من قِبَلك أميرين إلى هذا الرجلِ الذي بجزيرة العرب ، الذي يزعم أنه نبيٌّ ، فابعثه إليَّ في جامعة[(٢)] ، فلما جاء الكتاب إلى باذام ، بعثَ منْ عنده أميرين عاقلين ، وقال : اذهبا إلى هذا الرجل ، فانظرا ما هو ، فإن كان كاذباً فخُذاه في جامعةٍ حتى تذهبا به إلى كسرى ، وإن كان غير ذلك فارجعا إليَّ فأخبراني ما هو ، حتى أنظرَ في أمره ، فقدما على رسولِ الله ﷺ إلى المدينة ، فوجداه على أسَدِّ الأحوالِ وأرشدِها ، ورأيا منه أموراً عجيبةً ، يطول ذكرها ، ومكَثَا عنده شهراً حتى بلغا ما جاءا له ، ثم تقاضاهُ الجواب بعد ذلك ، فقال لهما : ارجعا إلى صاحبِكما فأخبراه أن ربِّي قد قتل الليلةَ ربَّه ، فأرَّخا ذلك عندَهما ثم رجعا سريعاً إلى اليمن فأخبرا باذامَ بما قال لهما ، فقال : احصوا تلك الليلة ، فإن ظهرَ الأمرُ كما قال فهو نبيٌّ ، فجاءت الكتبُ من عند ملكهم أنه قد قُتل كسرى في ليلة كذا وكذا ، لتلك الليلة ، وكان قد قتله بنوه ولهذا قال بعضُ الشعراء[(٣)] : [من الوافر]

وكِسْـرى إذ تَقَـاسمـهُ بَنُـوه بأسيافٍ كما اقْتُسِم اللِّحامُ[(٤)]
تمخّضتِ[(٥)] المنونُ له بيومٍ أتـى ولكـلِّ حـاملـةٍ تمـامُ

وقام بالمُلك بعده ولده شيرويه وكتب إلى باذام أن خُذْ ليَ البيعة من قبلك، واعمد إلى ذلك الرجل فلا تهنه وأكرمْهُ ، فدخل الإسلامُ في قلب باذام وذريتِه من أبناء فارسَ ممن باليمن ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه ، فبعث إليه رسولُ الله ﷺ بنيابة اليمنِ بكمالها[(٦)] ، فلم يعزله عنها حتى مات ، فلما مات استنابَ ابنه شهر بن باذام على صنعاءَ وبعض مخاليف ، وبعث طائفةً من أصحابه نوّاباً على مخاليف أُخر ، فبعث أولاً في سنة عشرٍ عليّاً وخالداً ، ثم أرسل معاذاً وأبا موسى الأشعريَّ وفرّق عِمَالَة اليمن بين جماعةٍ من الصحابة ، فمنهم شَهْر بن باذام ، وعامر بن شَهْر الهَمْداني على همدان ، وأبو موسى على مأرب ، وخالد بن سعيد بن العاص على عامر نَجْران ورَفْعٍ وزَبيد ، ويَعْلى بن أمية على الجَنَد ، والطاهر بن

---

(١) في الكامل (٢/ ٣٣٦) : بأذان بالنون .
(٢) الجامعة : الغُلُّ ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق . اللسان (جمع) .
(٣) تقدم ذكر هذين البيتين في الجزء الثالث من هذا الكتاب في باب : ما آل إليه أمر الفرس باليمن ، منسوبين إلى خالد الشيباني وببعض الخلاف في الرواية .
(٤) اللِّحام : جمع اللَّحم . اللسان (لحم) .
(٥) تمخضت المنون في اللسان : أنتجت . وفي القاموس : تمخض الدهر بالفتنة : أتى بها ، والمعنى أن الموت ولد له بيوم أتاه .
(٦) الخبر بكماله في تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٣٦) .

أبي هالة على عَك[١] والأشعريين ، وعمرو بن حرام على نَجْران ، وعلى بلاد حضرموتَ زيادُ بن لبيد ، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور[٢] بن أخضر ، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله بن قيس ، وبعث معاذ بن جبل معلِّماً لأهل البلدين ـ اليمن وحضرموت ـ يتنقَّلُ من بلدٍ إلى بلدٍ، ذكره سيف بن عمر، وذلك كله في سنة عشر، آخر حياة رسول الله ﷺ فبينما هم على ذلك إذ نجم[٣] هذا اللعين الأسود العنسي .

خروجُ الأسودِ العنسي

واسمه عَبْهَلَة[٤] بن كَعْب بن غَوْث ـ من بلد يقال لها : كهف خُبان[٥] ـ في سبعمئة مقاتل ، وكتب إلى عُمّال النبي ﷺ : أيّها المتمرِّدون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفِّروا ما جمعتم ، فنحن أولى به ، وأنتم على ما أنتم عليه ، ثم ركب فتوجّه إلى نَجْران فأخذها بعد عشرِ ليالٍ من مخرجه ثم قصد إلى صنعاء ، فخرج إليه شَهْر بن باذام فتقاتلا ، فغلبه الأسودُ وقتله ، وكسر جيشه من الأبناء واحتلّ بلدة صنعاء لخمسٍ وعشرين ليلةً من مخرجه ، ففرَّ معاذ بن جبل من هنالك واجتاز بأبي موسى الأشعري فذهبا إلى حضرموت ، وانحاز عُمّال رسول الله ﷺ إلى الطاهر ، ورجع عمرو بن حرام وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة ، واستوثقت اليمن بكمالها للأسود العَنْسي ، وجعل أَمْرُهُ يَسْتطير[٦] استطارةَ الشرَّارَةِ ، وكان جيشُه يومَ لقي شهراً سبعمئة فارس ، وأمراؤه . قيس بن عبد يغوث ، ومعاوية بن قيس ، ويزيد بن محرم ويزيد بن حصن الحارثي ، ويزيد بن الأفكل الأزدي ، واشتدّ ملكه ، واستغلظ أمره ، وارتدّ خلق من أهل اليمن ، وعامله المسلمون الذين هناك بالتقية ، وكان خليفته على مَذْحِج عمرو بن معدي كرب ، وأسند أمر الجند إلى قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز الدَّيْلمي وداذويه ، وتزوَّج بامرأة شهر بن باذام وهي ابنةُ عمِّ فيروز الدَّيلمي ، واسمها زاذ ، وكانت امرأةً حسناءَ جميلةً ، وهي مع ذلك مؤمنةٌ بالله ورسوله محمد ﷺ ، ومن الصالحات .

قال سيف بن عمر التميمي[٧] : وبعثَ رسولُ الله ﷺ كتابَه ، حين بلغه خبرُ الأسودِ العنسي مع رجلٍ يُقال له : وبر بن يُحَنّس الديلمي : يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العَنْسي ومصاولته ، وقام معاذ بن جَبَل بهذا الكتاب أتمَّ القيام ، وكان قد تزوّج امرأةً من السَّكون يُقال لها : رَمْلة ، فَحَدَبت عليه

---

(١) في ط : عل ؛ وهو تحريف ، والتصحيح من الكامل والاشتقاق لابن دريد (٤٨٩) والأعلام للزركلي (٥/ ٤٢) .
(٢) في ط والأصل : مور ؛ تحريف ، والتصحيح من الطبري وابن الأثير .
(٣) نجم : ظهر وطلع . القاموس (نجم) .
(٤) أخباره في تاريخ الطبري (٣/ ٢٣٠) والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٣٦) .
(٥) في ط : كهف حنان ؛ وهو تحريف ، والتصحيح من معجم البلدان (٢/ ٣٤٣) والمصادر .
(٦) استطار يستطير استطارة : انتشر . اللسان (طر) .
(٧) تاريخ الطبري (٣/ ٢٣١) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٣٨) .

السَّكون لصهره فيهم[١] ، وقاموا معه في ذلك ، وبلغوا هذا الكتاب إلى عُمّال النبي ﷺ ، ومن قدروا عليه من الناس ، واتّفق اجتماعهم بقيس بن عبد يغوث أمير الجُنْد ـ وكان قد غضبَ على الأسود ـ واستخفَّ به ، وهمَّ بقتله ـ وكذلك كان أمر فَيْروز الدَّيْلَمي ، قد ضعف أيضاً ، وكذا داذَوَيْه ، فلما أعلم وبر بن يُحنَّس قيس بن عَبْدِ يَغُوث ، وهو قيس بن مَكْشُوح ، كان كأنّما نزلوا عليه من السَّماء ، ووافقهم على الفَتْك بالأسود ، وتوافق المسلمون على ذلك ، وتعاقدوا عليه ، فلما أيقنَ ذلك في الباطن اطَّلَعَ شيطان الأسود للأسود على شيء من ذلك ، فدعا قَيْس بن مكشوح ، فقال له : يا قَيْسُ ما يقولُ هذا؟ قال : وما يقول؟ قال يقول : عمدت إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منه كلَّ مدخل ، وصار في العزّ مثلَكَ ، مال ميلَ عدوّك ، وحاول ملكك ، وأضمرَ على الغَدْر ، إنّه يقول : يا أسودُ يا أسود يا سوءة يا سوءة ، فطُفْ به وخُذْ من قيس أعلاه ، وإلا سلبكَ وقطفَ قبلك ، فقال له قيس وحلف له فكذب : وذي الخمار لأنتَ أعظمُ في نفسي وأجلُّ عندي من أن أحدّث بك نفسي ، فقال له الأسودُ : ما إخالك تُكَذِّبُ المَلَك ، فقد صدقَ المَلَكُ وعرفَ الآن أنّك تائبٌ عما اطلع عليه منك ، ثم خرج قيسٌ من بين يديه فجاء إلى أصحابه فيروز وداذويه ، وأخبرهم بما قال له وردَّ عليه : فقالوا : إنّا كلُّنا على حَذَرٍ ، فما الرأيُ؟ فبينما هم يشتورون إذ جاءهم رسولُه فأحضرهم بين يديه ، فقال : ألم أشَرِّفكم على قومكم؟ قالوا : بلى ، قال : فماذا يبلغني عنكم؟ فقالوا : أقِلْنا مَرّتنا هذه ، فقال : لا يبلغني عنكم فأقيلكم ، قال : فخرجنا من عنده ولم نكد ، وهو في ارتيابٍ من أمرنا ، ونحنُ على خطرٍ ، فبينما نحن في ذلك إذ جاءتنا كتبٌ من عامر بن شَهْر ، أمير هَمْدان ، وذي ظُلَيْم ، وذي كلاع ، وغيرهم من أمراء اليمن ، يبذلون لنا الطّاعة والنَّصْر ، على مخالفة الأسود ، وذلك حين جاءهم كتابُ رسول الله ﷺ يَحُثُّهم على مصاولة الأسودِ العَنْسي ، فكتبنا إليهم أن لا يُحْدِثُوا شيئاً حتى نبرم الأمر[٢] قال قيس : فدخلت على امرأته زاذ ، فقلت : يا ابنةَ عمّي قد عرفت بلاءَ هذا الرجل عند قومك ، قتلَ زوجَك ، وطأطأ[٣] في قومك القتلَ ، وفضحَ النساءَ ، فهل عندك ممالأةٌ عليه؟ قالت : على أي أمر ، قلتُ إخراجه ، قالت : أو قتله ، قلت : أو قتله ، قالتْ : نعم ، واللهِ ما خلقَ اللهُ شخصاً هو أبغضُ إليَّ منه ، فما يقومُ لله على حقٍّ ولا ينتهي له عن حرمة ، فإذا عزمتمْ أخبروني أعلمكم بما في هذا الأمر ، قال فأخرج فإذا فيروز وداذويه ، ينتظران يريدون أن يناهضُوه ، فما استقرّ اجتماعُه بهما حتى بعثَ إليه الأسود فدخلَ في عشرةٍ من قومه ، فقال : ألم أخبرْك بالحقّ وتخبرني بالكذابة؟ إنه يقول : يا سوأة يا سوأة ، إن لم تقطع من قيس يده يقطع رقبتك العليا ، حتى ظنَّ قيسٌ أنّه قاتلُهُ ، فقال : إنه ليس من الحقّ ، إنّ أهلكَ وأنتَ رسول الله ، فقتلي أحبُّ إليَّ من موتاتٍ أموتُها كلَّ

---

(١) في المطبوع : « فخربت عليه السكون لصبره فيهم » وهو تحريف ولا معنى له ، والصواب ما أثبتنا ، ويعضده ما في تاريخ الطبري (٣/ ٢٣٠) : « فحدبوا لصهره علينا » .

(٢) نبرم الأمر : ننفذ ، بعد إمعان الرأي فيه .

(٣) طأطأ في قتلهم : اشتد وبالغ . اللسان (طأطأ) .

يوم ، فرقَّ له وأمره بالانصرافِ ، فخرجَ إلى أصحابه فقال : اعملوا عملَكم ، فبينما هم وقوف بالباب يشتورون ، إذ خرجَ الأسودُ عليهم وقد جمعَ له مئةً ما بين بقرةٍ وبعيرٍ ، فقام وخطَّ خطاً وأقيمت من ورائه ، وقام دونها ، فنحرها ، غير مُحْبَسَةٍ ولا مُعقَّلة ، ما يقتحم الخطَّ منها شيء ، فجالت إلى أن زهقت أرواحها ، قال قيس : فما رأيتُ أمراً كانَ أفظعَ منه ، ولا يوماً أوحشَ منه ، ثم قال الأسود : أحقٌّ ما بلغني عنكَ يا فيروز ؟ لقد هممت أن أنحركَ فألحقكَ بهذه البهيمة ، وأبدى له الحربةَ ، فقال له فيروز : اخترتنا لصهرك ، وفضلتنا على الأبناء ، فلو لم تكن نبياً ما بعنا نصيبنا منك بشيء ، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمرُ الآخرة والدنيا ؟ فلا تقبلْ علينا أمثالَ ما يبلغُكَ ، فأنا بحيث تحبُّ ، فرضي عنه وأمره بقسم لحوم تلك الأنْعام ، ففرَّقها فيروز في أهل صنعاء ، ثم أسرعَ اللحاقَ به ، فإذا رجلٌ يحرّضُه على فيروز ويسعى إليه فيه ، واستمع له فيروز ، فإذا الأسود يقول : أنا قاتلُه غداً وأصحابه ، فاغْدُ عليَّ به ، ثم التفت فإذا فيروز ، فقال : مه ، فأخبره فيروز بما صنعَ من قسم ذلك اللحم ، فدخل الأسود داره ، ورجع فيروز إلى أصحابه فأعلمهم بما سمعَ وبما قالَ وقيل له ، فاجتمعَ رأيُهم على أن عاودوا المرأة في أمره ، فدخلَ أحدهم ـ وهو فيروز ـ إليها فقالت : إنه ليس من الدار بيت إلا والحرس محيطون به ، غير هذا البيت ، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطّريق ، فإذا أمسيتُم فانقبوا عليه من دون الحرس ، وليس من دون قتله شيءٌ ، وإني سأضعُ في البيت سراجاً وسلاحاً ، فلما خرج من عندها تلقّاهُ الأسودُ فقال له : ما أدخلك على أهلي ؟ ووجأ رأسه ، وكان الأسود شديداً ، فصاحت المرأةُ فأدهشته عنه ، ولولا ذلك لقتله ، وقالت : ابنُ عميّ جاءني زائراً ، فقال : اسكتي لا أبا لك ، قد وهبتُه لكِ ، فخرجَ على أصحابه فقال : النجاءَ النجاءَ ، وأخبرهم الخبر ، فحاروا ماذا يصنعون ؟ فبعثت المرأةُ إليهم تقولُ لهم : لا تَنْثنوا عما كنتم عازمين عليه ، فدخلَ عليها فيروزُ الدَّيلمي فاسْتَثْبَتَ منها الخبرَ ، ودخلوا إلى ذلك البيت فنقبوا من داخله بطائن ليهونَ عليهم النقبُ من خارج ، ثم جلسَ عندهما جهرةً كالزائر ، فدخل الأسود فقال : وما هذا ؟ فقالت : إنه أخي من الرّضاعة ، وهو ابن عمّي ، فنهره وأخرجَه ، فرجعَ إلى أصحابه ، فلما كان الليلُ نقبوا ذلك البيتَ فدخلوا فوجدوا فيه سراجاً تحتَ جفنةٍ فتقدّم إليه فيروز الديلمي والأسود نائمٌ على فراشٍ من حرير ، قد غرقَ رأسُه في جسده ، وهو سكرانُ يغطُّ ، والمرأةُ جالسةٌ عنده ، فلما قام فيروزُ على الباب أجلسَه شيطانهُ وتكلَّم على لسانه ـ وهو مع ذلك يغطُّ ـ فقال : مالي ومالكَ يا فيروزُ ؟ فخشيَ إن رجعَ يهلكُ وتهلكُ المرأةُ ، فعاجلَه وخالطه وهو مثلُ الجملِ فأخذَ رأسه فدقّ عنقه ووضع ركبتيه في ظهره حتى قتلَه ، ثم قام ليخرجَ إلى أصحابه ليخبرهم ، فأخذت المرأة بذيله وقالت : أين تذهبُ عن حرمتك . فظنَّتْ أنها لم تقتله ، فقال : أخرج لأعلمهم بقتله ، فدخلوا عليه ليحتّزوا رأسه ، فحركه شيطانه فاضطرب ، فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على ظهره ، وأخذت المرأةُ بشعره ، وجعلَ يبربرُ بلسانه فاحتزَّ الآخرُ رقبتَه ، فخار كأشدّ خوارِ ثورٍ سُمع قطُّ ، فابتدر الحرسُ إلى المقصورة ، فقالوا : ما هذا ما هذا ؟ فقالتِ المرأة : النبيّ يُوحى إليهِ ، فرجعوا ، وجلس قيسٌ وداذويه وفيروزُ يأتمرون كيف يعلمون أشياعَهم ، فاتّفقوا على أنّه إذا كان الصباحُ ينادون بشعارهم الذي بينهم وبين المسلمين ، فلما كان الصباحُ قام

أحدُهم ، وهو قيسٌ على سور الحصن فنادى بشعارهم . فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن ، فنادى قيسٌ ويقال : وبر بن يحنس ، الأذان : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأن عبهلة كذاب ، وألقى إليهم رأسه فانهزم أصحابُه وتبعهم الناسُ يأخذونهم ويرصدونهم في كلّ طريقٍ يأسرونهم ، وظهر الإسلام وأهلُه ، وتراجعَ نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم وتنازعَ أولئك الثلاثةُ في الإمارة ، ثم اتَّفقوا على معاذِ بن جَبَلٍ يصلّي بالناس ، وكتبوا بالخبر إلى رسولِ الله ﷺ ، وقد أطلعَه الله على الخبر من ليلتِه ، كما قال سيف بن عمر التميمي[١] عن أبي القاسم الشنوي ، عن العلاء بن زياد[٢] عن ابن عمر : أتى الخبرُ إلى النبي ﷺ من السماء الليلةَ التي قُتل فيه العنسي ليبشّرنا ، فقال : قُتل العنسيُّ البارحةَ ، قتله رجلٌ مباركٌ من أهل بيتٍ مباركين ، قيل : ومنْ؟ قال : فيروزُ فيروزُ .

وقد قيل : إنَّ مدةَ مُلْكه منذ ظهر إلى أن قتل ثلاثة أشهر ، ويقال : أربعة أشهر ، فالله أعلم .

وقال سيفُ بن عمر[٣] : عن المُسْتَنير ، عن عروة ، عن الضحّاك ، عن فيروز ، قال :

قتلنا الأسودَ ، وعاد أمرُنا في صنعاء كما كان إلا أنّا أرسلنا إلى معاذ بن جبل فتراضَيْنا عليه ، فكان يُصلّي بنا في صنعاء ، فو الله ما صلّى بنا إلا ثلاثةَ أيام حتى أتانا الخبرُ بوفاةِ رسولِ الله ﷺ ، فانتقضت الأمور ، وأنكرنا كثيراً مما كنا نعرفُ ، واضطربتِ الأرض .

وقد قدمنا أن خبرَ العنسي جاء إلى الصّدّيق في أواخر ربيع الأول بعدما جَهَّز جيشَ أسامة ، وقيل : بل جاءت البشارةُ إلى المدينة صبيحةَ توفي رسول الله ﷺ والأول أشهر ، والله أعلم .

والمقصود أنه لم يجئهم فيما يتعلق بمصالحهم واجتماع كلمتهم وتأليف ما بينهم والتمسّك بدين الإسلام إلا الصديق رضي الله عنه ، وسيأتي إرساله إليهم من يمّهد الأمور التي اضطربت في بلادهم ويقوّي أيدي المسلمين ، ويثبّت أركان دعائم الإسلام فيهم ، رضي الله عنهم .

فصل
في تصدّي الصِّدّيق لِقتالِ أهلِ الرِّدة ومانِعي الزَّكاة

قد تقدَّم أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا توفي ارتدَّت أحياءٌ كثيرةٌ من الأعراب ، ونجمَ النّفاق بالمدينة ، وانحازَ إلى مُسَيْلمَةَ الكَذَّاب بنو حَنيفةَ وخلقٌ كثيرٌ باليمامة ، والتفَّت على طُلَيْحة الأسدي بنو أَسَدٍ وطيِّء ، وبشرٌ كثيرٌ أيضاً ، وادَّعى النبوَّة أيضاً ، كما ادّعاها مُسَيْلمةُ الكَذَّاب ، وعظمَ الخَطْبُ واشتدّتِ الحالُ ، ونفذَ الصِّدّيق جيشَ أُسامةَ ، فقلَّ الجندُ عند الصّدّيق فطمعت كثيرٌ من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٣٦) .
(٢) في ط : زيد ؛ تحريف ، والتصحيح من الطبري وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٢) .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٣٦) والخبر أيضاً في الكامل لابن الأثير (٢/ ٣٤١) .

عليها ، فجعلَ الصّدّيق على أنقابِ المدينةِ حُرّاساً يبيتون بالجيوش حولَها ، فمن أمراءِ الحرس : عليُّ بن أبي طالب ، والزُّبَيْر بن العَوّام ، وطَلْحةُ بن عبيد الله ، وسَعْدُ بن أبي وقاص ، وعبدُ الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وجَعَلَتْ وفودُ العرب تقدم المدينة يقرُّون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة ، ومنهم من امتنعَ من دفعها إلى الصّدّيق ، وذكر أن منهم من احتَجَّ بقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣] قالوا : فلسنا ندفعُ زكاتنا إلّا إلى منْ صلاتُهُ سكنٌ لنا ، وأنشد بعضهم : [من الطويل]

أطعنَا رسولَ اللهِ إذْ كانَ بَيْننا فواعَجَباً ما بَالُ مُلْكِ أبي بَكْرِ

وقد تكلَّم الصحابةُ مع الصّديق في أن يتركهم وما هم عليه من منعِ الزكاةِ ويتألَّفهم حتى يمكّنَ الإيمانُ في قلوبهم : ثم هم بعد ذلك يُزَكُّونَ ، فامتنعَ الصّديق من ذلك وأباه .

وقد روى الجماعةُ في كتبهم سوى ابن ماجه(١) ، عن أبي هريرة :

أنَّ عمرَ بن الخطاب قال لأبي بكر : علامَ تقاتلُ الناسَ ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » . فقال أبو بكر : والله لو مَنَعوني عَناقاً ، وفي رواية : عِقالاً كانو يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتِلَنَّهم على منعها ، إنَّ الزكاةَ حقُّ المال ، واللهِ لأقاتِلَنَّ منْ فرَّقَ بينَ الصلاةِ والزكاةِ ، قال عمر : فما هو إلا أن رأيتُ اللهَ قد شرحَ صدرَ أبي بكر للقتال ، فعرفتُ أنه الحقُّ .

قلت : وقد قال الله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] .

وثبت في الصحيحين(٢) : بُني الإسلام على خمسٍ : شهادةِ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاءِ الزكاةِ ، وحجِّ البيتِ ، وصومِ رمضان .

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبَابة بن سوَّار : حدَّثنا عيسى بن يزيد المديني ، حدَّثني صالح بن كيسان ، قال : لما كانت الرِّدّة قام أبو بكرٍ في الناس فحمدَ الله وأثنى عليه ثم قال : الحمدُ الله الذي هَدى فكفَى ، وأعطى فأغْنَى ، إنَّ اللهَ بعثَ محمداً ﷺ والعلم شريد ، والإسلام غريبٌ طريدٌ ، قد رثَّ حبلُه ، وخَلِقَ عهدُه ، وضلَّ أهلُه منه ، ومقتَ الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم ، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم ، قد غيَّروا كتابهم ، وألحقوا فيه ما ليس منه ، والعربُ الآمنون يحسبون

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٩٢٤ و٦٩٢٥) في استتابه المرتدين ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٠) في الإيمان ، وأبو داود في سننه رقم (١٥٥٦) في الزكاة ، والترمذي في جامعه رقم (٢٦٠٧) في الإيمان ، والنسائي في سننه (٥/١٤) في الزكاة وهو في مسند الإمام أحمد (٥٢٨/٢) وغيره . قال ابن حجر في فتح الباري (٢٧٨/١٢) : والعَناق ـ بفتح المهملة والنون ـ الأنثى من ولد المعز .

(٢) صحيح البخاري (٨) في الإيمان ، وصحيح مسلم (١٦ و٢٢) في الإيمان .

أنَّهم في مَنَعة من اللهِ لا يعبدونه ولا يدعونه ، فأجهدهم عيشاً ، وأضلَّهم ديناً ، في ظلف[١] من الأرض مع ما فيه من السحاب ، فختمهم الله بمحمدٍ ، وجعلهم الأمة الوسطى ، نصرهم بمن اتَّبعهم ، ونصرهم على غيرهم ، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطانُ مركبَهُ الذي أنزله عليه ، وأخذ بأيديهم ، وبغى هلكتهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] إنّ منْ حولكم من العرب منعوا شاتَهم وبعيرَهم ، ولم يكونوا في دينهم ـ وإن رجعوا إليه ـ أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا ، على ما تقدَّم من بركةِ نبيّكم ﷺ ، وقد وكلكم إلى المولى الكافي ، الذي وجدَهُ ضالاًّ فهداه ، وعائلاً فأغناه ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] الآية ، والله لا أدعُ أن أقاتلَ على أمر الله حتى يُنْجزَ اللهُ وعدَه ، ويوفي لنا عهدَه ، ويُقْتل من قُتل منّا شهيداً من أهل الجنة ، ويَبْقى من بَقي منها خليفتَه ، وذريَّته في أرضِهِ ، قضاءُ اللهِ الحقُّ ، وقولُه الذي لا خلفَ له ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور : ٥٥] الآية ، ثم نزلَ .

وقال الحسن وقتادة وغيرهما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] الآية ، قالوا : المرادُ بذلك أبو بكر وأصحابُه ، في قتالهم المُرْتدِّين ، ومانعي الزكاة[٢] .

وقال محمد بن إسحاق : ارتدَّتِ العربُ عند وفاةِ رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين ، مكة ، والمدينة ، وارتدَّت أسد وغطفان وعليهم طُلَيْحة بن خُوَيْلدٍ الأسدي الكاهن ، وارتدَّت كندةُ ومن يليها ، وعليهم الأشعثُ بن قيس الكِنْدي ، وارتدَّتْ مَذْحجٌ ومن يليها ، وعليهم الأسود بن كعب العَنْسي الكاهن ، وارتدَّتْ ربيعةُ مع المعرور بن النعمان بن المنذر ، وكانت حنيفةُ مقيمةً على أمرها مع مُسَيْلمة بن حبيب الكذّاب ، وارتدَّت سليم مع الفجاءة ، واسمه أنس بن عبد يا ليل ، وارتدَّتْ بنو تَميم مع سَجَاحِ الكاهنة .

وقال القاسم بن محمد[٣] : اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طُلَيْحة الأسدي ، وبعثوا وفوداً إلى المدينة ، فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم إلا العباس ، فحملوا بهم إلى أبي بكر ، على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة ، فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال : لو مَنَعوني عِقالاً لجاهَدْتُهم ، فردَّهم فرجَعوا إلى عشائرهم ، فأخبروهم بقلَّة أهل المدينة ، وطمَّعوهم فيها ، فجعلَ أبو بكر الحرسَ على أنقاب[٤] المدينة ، وألزمَ أهلَ المدينة بحضور المسجد وقال : إنّ الأرضَ كافرةٌ ، وقد رأى وفدهم منكم قلّةً ، وإنكم لا تدرون ليلاً يأتون أم نهاراً ، وأدناهم منكم على بريدٍ ، وقد كان القومُ يُؤَمِّلون أن نقبل منهم

(١) الظَلَف من الأرض ـ بفتح الظاء واللام ـ الغليظ الصلب من الأرض مما لا يبين فيه أثر . اللسان (ظلف) .
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٥) طبعة دار الأندلس .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨) .
(٤) أنقاب : جمع نَقْب ونُقب : الطريق . اللسان (نقب) .

ونوادعهم وقد أَبَيْنا عليهم، فاستعدّوا وأعدّوا، فما لبثوا إلّا ثلاثاً حتى طرقُوا المدينة غارةً ، وخلَّفوا نصفَهم بذي حُسَى ليكونوا ردءاً لهم ، وأرسلَ الحرس إلى أبي بكر يخبرونه بالغارةِ ، فبعث إليهم : أن الْزموا مكانَكم . وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النَّواضِح [١] إليهم ، فانفشَّ العدوُّ واتَّبعهم المسلمونَ على إبلهم ، حتى بلغوا ذا حُسَى [٢] ، فخرجَ عليهم الرِّدْء فالتقوا مع الجمع ، فكان الفتح وقد قال: [من الطويل]

أطَعَنْا رسولَ الله ما كانَ وَسطَنا فَيا لعبادِ الله ما لأبي بكرِ
أيورثنا بَكْراً إذا ماتَ بعدَه وتِلكَ لَعمرُ الله قاصِمَةُ الظَّهرِ
فَهَلّا رَدَدتُم وَفْدنا بِزَمانِهِ ؟ وَهلَّا خَشِيتُم حِسَّ راغيةِ البكرِ ؟
وإنَّ التي سألوكموا فَمَنَعْتُموا لكالتَّمرِ أو أحلى إليَّ منَ التَّمر

وفي جمادى الآخرة ركب الصّدّيقُ في أهل المدينة وأمراءِ الأنقاب ، إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها ، فلما تواجه هو وأعداؤه من بني عَبْسٍ ، وبنى مُرَّة ، وذبيان ، ومنْ ناصب معهم من بني كنانة ، وأمدَّهم طُلَيْحة بابنه حبال ، فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدةً وهي أنهم عمدوا إلى أنحاء [٣] فنفخوها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال ، فلما رأتها إبلُ أصحاب الصديق نفرت وذهبت كلَّ مذهبٍ، فلم يملكوا من أمرها شيئاً إلى الليل، وحتى رجعت إلى المدينة، فقال في ذلك الخُطَيْل بن أوس: [من الطويل]

فِدىً لِبَني ذبيان رحلي وناقتي عَشِيَّةَ يَحدي [٤] بالرِّماحِ أبو بكر
ولكن يُدَهْدى [٥] بالرِّجَالِ فَهَبنهُ إلى قدر ما أن تقيمَ ولا تسري [٦]
ولله أجنادٌ تُذاقُ مَذَاقَهُ لِتُحسبَ فيما عُدَّ من عَجَب الدَّهرِ
أطعنا رسولَ الله ما كان بيننا فَيا لعبادِ الله ما لأبي بَكرِ

فلما وقع ما وقع ظنَّ القوم بالمسلمين الوَهن ، وبعثوا إلى عشائرهم من نواحي أُخَر ، فاجتمعوا ، وباتَ أبو بكر رضي الله عنه قائماً ليله يُعَبِّىءُ الناسَ ، ثم خرجَ على تعبئة من آخر الليل ، وعلى ميمنته النُّعمانُ بن مُقَرِّنٍ ، وعلى المَيْسرة أخوه عبد الله بن مُقرِّن ، وعلى السَّاقةِ أخوهما سُويد بن مُقرِّن ، فما طلعَ الفجرُ إلا وهم والعدوُّ في صعيدٍ واحدٍ ، فما سمعوا للمسلمين حساً ولا همساً ، حتى وضعوا فيهم السيوف ، فما طلعتِ الشمسُ حتى ولُّوهم الأدبار ، وغلبوهم على عامةِ ظهرهم ، وقُتل حبال ، واتَّبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة ، وكان أول الفتح ، وذلّ بها المشركون ، وعزّ بها المسلمون ، ووثب بنو

(١) النَّواضح من الإبل : التي يستقى عليها واحدها ناضح . اللسان (نضح) .
(٢) ذو حُسى : واد بأرض الشَّرَبَّة من ديار عبس وغطفان . معجم البلدان (٢/ ٢٥٨) .
(٣) الأنحاء : جمع نحو وهو الظرف . اللسان (نحو) .
(٤) في الطبري (٣/ ٢٤٥) : يحذى .
(٥) دهده ودهدى يدهدي : دحرج وقلب بعضه على بعض . اللسان (دهده) .
(٦) في الطبري : إلى قَدرٍ ما إن يزيدُ ولا يَحري .

ذبيان وعَبْس على منْ فيهم من المسلمين فقتلوهم ، وفعل منْ وراءهم كفعلهم ، فحلفَ أبو بكر ليقتلنَّ من كلِّ قبيلةٍ بمنْ قتلوا من المسلمين وزيادة ، ففي ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمي : [من الوافر]

غَداةَ سعَى أبو بكر إليهم كما يَسْعى لموتَتِهِ حَلالُ
أراحَ على نواهِقِها عَلِيّاً ومَجَّ لَهُنَّ مُهجَتَهُ حبالُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

أقمنَا لَهم عُرضَ الشِّمالِ فَكُبْكِبوا[١] كَكَبْكبةِ الغُزَّى[٢] أنَاخُوا على الوفْرِ
فما صَبرُوا لِلْحرْبِ عِنْدَ قيامها صَبيحةَ يَسْمُوا بالرِّجَالِ أبو بكْرِ
طَرقْنا بني عَبْس بأدنَى نِبَاجِها[٣] وَذُبيانَ نَهْنَهْنَا[٤] بِقاصِمَةِ الظَّهرِ[٥]

فكانت هذه الوقعةُ من أكبر العونِ على نَصْرِ الإسلام وأهله ، وذلك أنه عزَّ المسلمون في كلّ قبيلةٍ ، وذلَّ الكفار في كلّ قبيلة ، ورجعَ أبو بكر إلى المدينة مؤيّداً مَنْصوراً ، سالماً غانماً ، وطرقتِ المدينة في الليل صدقات عديّ بن حاتم ، وصفوان والزّبرقان ، إحداها في أول الليل ، والثانية في أوسطه ، والثالثة في آخره ، وقدم بكلّ واحدة منهن بشيرٌ من أمراء الأنقاب ، فكان الذي بشّر بصفوان سعد بن أبي وقاص ، والذي بشَّر بالزبرقان عبد الرحمن بن عوف ، والذي بشَّر بعدي بن حاتم عبد الله بن مسعود ، ويقال : أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه[٦] .

وذلك على رأس ستّين ليلةً من متَوَفَّى رسول الله ﷺ .

ثم قدم أسامة بن زيد بعد ذلك بليالٍ[٧] ، فاستخلفَهُ أبو بكر على المدينة ، وأمرهم أن يريحوا ظهرهم ، ثم ركب أبو بكر في الذين كانوا معه ، في الوقعة المتقدمة ، إلى ذي القصة ، فقال له المسلمون : لو رجعتَ إلى المدينة وأرسلتَ رجلاً ، فقال : والله لا أفعل ، ولأواسينَّكم بنفسي ، فخرج في تعبئته ، إلى ذي حسى وذي القصة ، والنعمان وعبد الله وسويد بنو مُقرِّن على ما كانوا عليه ، حتى نزلَ على أهل الرَّبَذة بالأبرق وهناك جماعةٌ من بني عبس وذبيان ، وطائفة من بني كنانة ، فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفاً ، وأُخذ الحطيئةُ أسيراً ، فطارت بنو عبس وبنو بكر ، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً وقد غلبَ بني ذبيان على البلادِ ، وقال : حرام على بني ذبيان أن يتملّكوا هذه البلاد ، إذ غنمناها الله وحمى

(١) كُبْكبوا : دُحْوِروا وجمعوا ، طرح بعضهم على بعض . اللسان (كبب) .
(٢) الغُزّى : جمع غاز .
(٣) النباج : شدة الصوت . اللسان (نبج) .
(٤) نهنهتُ فلاناً ؛ إذا زجرته فتنهنه أي كففته فكفَّ . اللسان (نهنه) .
(٥) الأبيات في تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٧) .
(٦) تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٧) .
(٧) المصدر نفسه .

الأبرق بخيول المسلمين ، وأرعى سائر بلاد الرَّبَذة . ولما فرَّت عبس وذبيان صاروا إلى مؤازرة طليحة وهو نازل على بُزاخة ، وقد قال في يوم الأبرق زيادُ بن حنظلة : [من الوافر]

وَيَومٌ بالأبارقِ قد شَهِدْنا ... على ذبيان يلتهبُ التِهابا
أتيناهم بداهيةٍ نَسُوفٍ ... مَعَ الصِّديق إذ تركَ العِتابا

خروجُه إلى ذي القصَّة حينَ عقدَ ألويةَ الأمراءِ الأحَدَ عَشَرَ

وذلك بعدما جمَّ جيش أسامة واستراحوا ، ركبَ الصّدّيقُ أيضاً في الجيوش الإسلامية شاهراً سيفه مسلولاً ، من المدينة إلى ذي القصة ، وهي من المدينة على مرحلةٍ ، وعليُّ بن أبي طالب يقودُ براحلةِ الصّدّيق رضي الله عنهما ، كما سيأتي ، فسأله الصحابةُ ، منهم عليٌّ وغيره ، وألحّوا عليه أن يرجع إلى المدينة ، وأن يبعثَ لقتالِ الأعراب غيره ممن يؤمِّره من الشجعانِ الأبطال ، فأجابهم إلى ذلك ، وعقدَ لهم الألويةَ لأحدَ عشرَ أميراً ، على ما سنفصِّله قريباً إن شاء الله .

وقد روى الدارقطني[١] من حديث عبد الوهاب بن موسى الزُّهري ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيّب ، عن ابن عمرَ قال : لما برزَ أبو بكر إلى القصّة واستوى على راحلته ، أخذ عليُّ بن أبي طالب بزمامها وقال : إلى أين يا خليفةَ رسولِ الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ : لمّ سيفَكَ ولا تَفْجَعْنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن فُجعنا بك لا يكونُ للإسلام نظامٌ أبداً ، فرجع .

هذا حديث غريب من طريق مالك ، وقد رواهُ زكريا السّاجي من حديث عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، والزهري أيضاً عن أبي الزّناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : خرجَ أبي شاهراً سيفَه راكباً على راحلته إلى وادي القصّة ، فجاء عليُّ بن أبي طالب فأخذَ بزمام راحلتِه فقال : إلى أينَ يا خليفةَ رسول الله ؟ أقول لك ما قالَ رسولُ الله يومَ أُحُدٍ : « لمَّ سيفَكَ ولا تَفْجَعْنا بنفسِك ، فوالله لئن أُصبنا بك لا يكونُ للإسلام بعدكَ نظامٌ أبداً » . فرجع وأمضى الجيش .

وقال سيفُ بن عمر[٢] : عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد : لما استراحَ أسامةُ وجندُه ، وقد جاءت صدقاتٌ كثيرةٌ تفضل عنهم ، قطع أبو بكر البعوث ، وعقد الألوية : فعقد أحدَ عَشَرَ لواءً :

عقدَ لخالد بن الوليد وأمره بطُلَيْحة بن خُوَيْلد ، فإذا فرغَ سار إلى مالك بن نُوَيْرَةَ بالبطاح إن أقام له .

ولعكرمة بن أبي جهل ، وأمره بمُسَيْلمة .

وبعث شرحبيل بن حَسَنة في أثره إلى مُسَيْلمة الكذّاب ، ثم إلى بني قُضاعة .

---

(١) لعله روى ذلك في كتاب « غرائب مالك » ولم يصل إلينا .
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٩) .

وللمهاجر بن أبي أمية ، وأمره بجنود العَنْسي ، ومعونة الأبناء على قيس بن مَكْشوح .

قلت : وذلك لأنه كانَ قد نزع يده من الطاعة ، على ما سيأتي .

قال : ولخالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام .

ولعمرو بن العاص إلى جماع قضاعة ووديعة والحارث .

ولحذيفة بن محصن الغطفاني وأمره بأهل دبا وبعرفجة وهرثمة وغير ذلك .

ولطرفة بن حاجب ، وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن .

ولسويد بن مُقرِّن ، وأمره بتهامة اليمن .

وللعلاء بن الحَضْرمي ، وأمره بالبحرين ، رضي الله عنهم .

وقد كتب لكلِّ أمير كتاب عهده على حدته ، ففصل كل أمير بجنده من ذي القصّة .

ورجع الصِّدِّيق إلى المدينة ، وقد كتب معهم الصديق كتاباً إلى المُرْتَدَّة(١) وهذه نسخته(٢) :

« بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى منْ بلغه كتابي هذا ، من عامةٍ وخاصةٍ ، أقامَ على إسلامه أو رجعَ عنه ، سلامٌ على من اتَّبع الهُدى ، ولم يرجع بعدَ الهُدَى إلى الضلالةِ والهَوى ، فإني أحمدُ اللهَ إليكم الذي لا إلهَ إلا هو ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأن محمداً عبدُهُ ورسولُه ، نقرُّ بما جاء به ، ونُكَفِّر من أبى ذلك ونجاهده . أما بعدُ فإن الله أرسلَ بالحقّ من عنده ، إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذْنِه وسراجاً منيراً ، لينذرَ منْ كان حيّاً ويحقّ القولُ على الكافرين ، فهدى الله بالحق منْ أجابَ إليه ، وضربَ رسولُ الله ﷺ منْ أدبرَ عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعاً أو كرهاً ، ثم توفَّى اللهُ رسولَه ، وقد نفَّذَ لأمر الله ، ونصحَ لأمته ، وقضَى الذي عليه ، وكان الله قد بيَّن له ذلك ، ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] فمن كان إنّما يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد ماتَ ، ومنْ كانَ إنما يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ ، ولا تأخذُهُ سنةٌ ولا نومٌ ، حافظٌ لأمره ، مُنْتقمٌ من عدوِّه . وإني أوصيكُمْ بتَقْوى الله وحظكم ونصيبكم وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدينِ الله ، فإنَّ كلَّ منْ لم يهدِهِ اللهُ ضالٌّ ، وكلّ منْ لم يُعِنْهُ اللهُ مخذولٌ ، ومنْ هداهُ غيرُ اللهِ كانَ ضالاً ، قال الله تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] ولن يُقْبَلَ له في الدنيا عملٌ حتى يقرَّ به ، ولن يُقْبَلَ له في الآخرة صرفٌ ولا عدلٌ ، وقد بلغني رجوعُ منْ رَجَعَ منكم عن دينه بعد أن أقرَّ

---

(١) في المطبوع : « الربذة » وهو تحريف عجيب !

(٢) نص الكتاب في تاريخ الطبري (٣/ ٢٥٠) .

بالإسلام وعملَ به ، اغتراراً بالله وجهلاً بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٠] وقال : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] وإني بعثتُ إليكم فلاناً في جيشٍ من المهاجرين والأنصار ، والتّابعين بإحسان ، وأمرتُه أن لا يقبلَ من أحدٍ إلاّ الإيمان بالله ، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عزَّ وجلَّ ، فإن أجابَ وأقرَّ وعملَ صالحاً قُبل منه ، وأعانه عليه ، وإن أبى حاربَه عليه حتى يفيءَ إلى أمر الله ، ثم لا يُبْقي على أحدٍ منهم قدرَ عليه ، وأن يحرقهم بالنار وأن يقتلهم كلَّ قتلة ، وأن يسبيَ النساءَ والذَّراري ولا يقبل من أحدٍ غير الإسلام ، فمن اتَّبعه فهو خيرٌ له ، ومن تركَه فلن يعجزَ اللهَ ، وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابه في كلِّ مَجْمعٍ لكم ، والداعية الأذان ، فإذا أذَّنَ المسلمون فأذنوا فكُفُّوا عنهم ، وإن لم يُؤَذِّنوا فسلوهم ما عليهم ، فإنْ أبوا عاجِلوهم ، وإن أقرُّوا حُمِل منهم على ما ينبغي لهم » .

رواه سيفُ بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك .

فصل
في مَسِيرةِ الأُمراءِ من ذي القصة على ما عُوهدوا عليه

وكان سيدَ الأمراءِ ورأس الشُّجعان الصَّناديد أبو سليمان خالد بن الوليد .

روى الإمام أحمد(١) من طريق وَحْشي بن حَرْب ، أن أبا بكر الصديق لما عقدَ لخالدِ بن الوليدِ على قتالِ أهلِ الرِّدَّة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نعم عبدُ الله وأخو العشيرة ، خالدُ بن الوليد ، سيفٌ من سيوف الله سلَّه اللهُ على الكفار والمنافقين » .

ولما توجَّهَ خالد(٢) من ذي القصة وفارقَه الصديقُ ، واعده أنَّه سيلقاهُ من ناحيةِ خيبر بمن معه من الأمراء ـ وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعرابَ ـ وأمره أن يذهبَ أولاً إلى طُلَيْحة الأسدي ، ثم يذهب بعده إلى بني تميم ، وكان طُلَيْحة بن خُوَيْلد في قومه بني أسد ، وفي غطفان ، وانضمّ إليهم بنو عبس وذبيان ، وبعث إلى بني جديلة والغوث وطيِّىء يستدعيهم إليه ، فبعثوا أقواماً منهم بين أيديهم ، ليلحقوهم على أثرهم سريعاً ، وكان الصديق قد بعثَ عديَّ بن حاتم قبل خالد بن الوليد ، وقال له : أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم ، فذهب عدي إلى قومه بني طيِّىء فأمرهم أن يبايعوا الصديق ، وأن يراجعوا أمر الله ، فقالوا : لا نبايع أبا الفضل أبداً ـ يعنون أبا بكر رضي الله عنه ـ فقال : والله ليأتينكم جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنَّه أبو الفحل الأكبر ، ولم يزل عدي يفتل لهم في الذروة والغارب

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٨) رقم (٤٣) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٢٥٣) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٤٧) .

حتى لانوا ، وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وبعث بين يديه ثابتَ بن أقرمَ ، وعُكَّاشةَ بن محصن طليعةً ، فتلقاهما طُلَيْحةُ وأخوه سلمة فيمن معهما ، فلما وجدا ثابتاً وعُكَّاشة تبارزوا فقتل عُكَّاشة حبال[١] بن طُلَيْحة ، وقيل : بل كان قتل حبالاً قبل ذلك وأخذ ما معه ، وحمل عليه طُلَيْحة فقتله وقَتل هو وأخوه سلمة ، ثابتَ بن أقرم ، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين ، فشقّ ذلك على المسلمين . وقد قال طليحة في ذلك[٢] : [من الطويل]

عَشِيَّةَ غَادَرْتُ ابنَ أقرَمَ ثاوياً ... وعُكَّاشةَ الغَنْميَّ تَحتَ مَجَالِ
أَقَمْتُ لَهُ صَدْرَ الحمالةِ[٣] إنَّها ... معـوَّدةٌ قبـلَ الكُمَـاةِ نـزالِ
فيوماً تراها في الجلالِ مَصُونةً ... وَيَوماً تَراها في ظِلال عوالي
وإن يَكُ أولادٌ أُصِبْنَ ونسوةٌ ... فلمْ يَذهبوا فُرغاً بقتلِ حِبَالِ

ومال خالدٌ إلى بني طيِّء ، فخرج إليه عديٌّ بن حاتم فقال : أَنْظِرْني ثلاثةَ أيامٍ ، فإنَّهم قد استنظروني حتى يبعثوا إلى منْ تعجَّل منهم إلى طُلَيْحةَ حتى يرجعوا إليهم ، فإنهم يخشون إنْ تابعوكَ أن يقتلَ طليحةُ من سار إليه منهم ، وهذا أحبُّ إليك من أن يعجلهم إلى النار ، فلما كان بعد ثلاثٍ جاءه عديٌّ في خمسمئة مقاتلٍ ممَّن راجعَ الحقَّ ، فانضافوا إلى جيش خالدٍ وقصد خالدٌ بني جديلة[٤] فقال له : يا خالد ، أجِّلني أياماً حتى آتيهم فلعلَّ الله أن ينقذهم كما أنقذَ طَيِّئاً ، فأتاهم عديٌّ فلم يزل بهم حتى تابعوه ، فجاء خالداً بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألفُ راكبٍ ، فكان عديٌّ خيرَ مولودٍ وأعظَمَهُ بركةً على قومه ، رضي الله عنهم .

قالوا : ثم سارَ خالدٌ حتى نزلَ بأجأ وسَلْمى ، وعَبَّأَ جيشَه هنالك والتقى مع طُلَيْحة الأسديِّ بمكانٍ يقال له : بُزاخَة[٥] ، ووقفتْ أحياءٌ كثيرةٌ من الأعراب ينظرون على منْ تكونُ الدائرةُ ، وجاء طُلَيْحة فيمن معه من قومه ومن التفَّ معهم وانضافَ إليهم ، وقد حضر معه عُيَيْنة بن حصن في سبعمئة من قومه ، بني فزارة ، واصطفّ الناسُ ، وجلس طُلَيْحةُ مُلْتفاً في كساءٍ له يَتَنبَّأ لهم ينظر ما يُوحى إليه فيما يزعم ، وجعلَ عيينةُ يقاتلُ ما يقاتلُ ، حتى إذا ضجرَ من القتال يجيء إلى طُلَيْحةَ وهو مُلْتفٌّ في كسائه فيقول : أجاءك

(١) في ط : جبال بالجيم . قال ابن الأثير (٢/٣٤٩) : حبال ؛ بكسر الحاء المهملة ، وفتح الباء الموحدة ، وبعد الألف لام .

(٢) البيت الأول في الاشتقاق لابن دريد (٥٥١) والأبيات خمسة في السيرة النبوية لابن هشام (١/٦٣٧) برواية وترتيب مختلفين .

(٣) في هامش السيرة ؛ أن الحمالة اسم فرس طليحة .

(٤) في المطبوع : أديلة ؛ والتصحيح من تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير .

(٥) « بُزَاخة » : بالضم والخاء المعجمة : ماء لطيِّء بأرض نجد ، وقيل لبني أسد ، كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق مع طليحة الأسدي . معجم البلدان (١/٤٠٨) .

جبريلُ ؟ فيقول : لا ، فيرجع فيقاتل ، ثم يرجع فيقول له مثلَ ذلك ويردّ عليه مثل ذلك ، فلما كان في الثالثة قال له : هل جاءك جبريلُ ؟ قال : نعم ، قال ؛ فما قال لك ؟ قال : قال لي : إنَّ لكَ رحاءً كرحاه ، وحديثاً لا تنساه ، قال يقول عيينة : أظنّ أن قد علم الله سيكون لك حديث لا تنساه ، ثم قال : يا بني فزارة انصرفوا ، وانهزمَ وانهزمَ الناسُ عن طُلَيْحة ، فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد أعدّها له ، وأركبَ امرأتَه النُّوار على بعيرٍ له ، ثم انهزمَ بها إلى الشام وتفرَّق جمعُه ، وقد قتل الله طائفةً ممن كان معه ، فلما أوقعَ الله بطليحةَ وفزارة ما أوقع ، قالت بنو عامر وسليم وهوازن : ندخلُ فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلِّم لحكمه في أموالنا وأنفسنا .

قلت : وقد كان طُلَيْحةُ الأسديُّ ارتدَّ في حياةِ النبي ﷺ فلما مات رسول الله ﷺ قام بمؤازرته عُيَيْنة بن حصن من بدر ، وارتدَّ عن الإسلام ، وقال لقومه : والله لنبيٌّ من بني أسدٍ أحبُّ إليَّ من نبيٍّ من بني هاشم ، وقد مات محمدٌ وهذا طُلَيْحةُ فاتَّبعوه ، فوافق قومُه بنو فزارة على ذلك ، فلما كسرهما خالدٌ هربَ طُلَيْحةُ بامرأته إلى الشام ، فنزل على بني كلبٍ ، وأسر خالدٌ عيينةَ بن حصن ، وبعثَ به إلى المدينة مجموعة يداه إلى عنقه ، فدخل المدينةَ وهو كذلك فجعلَ الولدانُ والغلمانُ يطعنونه بأيديهم ، ويقولون : أي عدوَّ الله ، ارتددتَ عن الإسلام ؟ فيقول : والله ما كنتُ آمنتُ قطُّ ، فلما وقفَ بين يدي الصّدّيق استتابه وحقنَ دمه ، ثم حَسُنَ إسلامُه بعد ذلك ، وكذلك منَّ على قرّة بن هبيرة ، وكان أحد الأمراء مع طُلَيْحة ، فأسره مع عُيَيْنة ، وأما طُلَيْحة فإنه راجعَ الإسلام بعد ذلك أيضاً ، وذهب إلى مكةَ مُعتمراً أيامَ الصّدّيق ، واستحيى أن يواجهه مدةَ حياتِه ، وقد رجعَ فشهدَ القتالَ مع خالدٍ ، وكتبَ الصّدّيق إلى خالدٍ ، أن استَشِرْهُ في الحرب ولا تُؤَمِّره ـ يعني معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرئاسة في الباطن ـ وهذا من فقه الصّدّيق رضي الله عنه وأرضاه .

وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طُلَيْحة ممَّنْ أسلمَ وحَسُنَ إسلامُه : أخبرنا عمّا كان يقولُ لكم طُلَيْحةُ من الوحي ، فقال : إنه كان يقول : الحمام واليمام ، والصُّرد الصَّوَّام ، قد صُمن قبلكم بأعوام ليبلغنَّ ملكنا العراقَ والشام ، إلى غير ذلك من الخرافات والهذيانات السمجة .

وقد كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان في صفه وقام بنصره فكتب إليه : ليزدك ما أنعم الله به خيراً واتّقِ الله في أمرك ، فإن الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هم محسنون ، جدّ في أمرك ولا تلنْ ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكَّلْتَ به ، ومن أخذت ممن حادَّ الله أو ضادَّه ممن يرى أن في ذلك صلاحاً فاقتله .

فأقام خالد[١] ببُزاخةَ شهراً ، يُصعِّدُ فيها ويُصوِّبُ ويرجعُ إليها في طلب الذين وصّاه بسببهم الصديق ، فجعل يتردّد في طلب هؤلاء شهراً يأخذه بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدّوا ،

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٢) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٥٠) .

فمنهم من حرَّقَهُ بالنار ، ومنهم من رَضَخهُ بالحجارة ، ومنهم من رَمَى به من شواهقِ الجبال ، كلّ هذا ليعتبرَ بهم من يسمعُ بخبرهم من مُرْتدَّةِ العرب ، رضي الله عنه .

وقال الثوري عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : لما قدم وفد بُزَاخة ـ أسد وغطفان ـ على أبي بكر يسألونه الصلحَ ، خَيَّرهم أبو بكر بين حرب مجليَّة أو خطة مخزية ، فقالوا : يا خليفة رسول الله أما الحرب المجليَّة فقد عرفناها ، فما الخطة المخزية؟ قال : تؤخذ منكم الحلقة والكراع وتتركون أقواماً يتبعون أذناب الإبل حتى يُرِيَ اللهُ خليفة نبيه والمؤمنين أمراً يعذرونكم به ، وتؤدّون ما أصبتم منا ، ولا نؤدي ما أصبنا منكم ، وتشهدون أنّ قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار ، وتدون قتلانا ولا ندي قتلاكم ، فقال عمر : أما قولك : تدون قتلانا ، فإنّ قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم ، فامتنع عمر وقال عمر في الثاني : نعم ما رأيت .

ورواه البخاري[1] من حديث الثوري بسنده مختصراً .

وقعة أخرى

كان قد اجتمع طائفةٌ كثيرةٌ من الفُلَّال[2] يوم بُزاخة من أصحاب طُلَيْحة ، من بني غطفان فاجتمعوا إلى امرأةٍ يُقال لها : أم زمل ـ سلمى بنت مالك بن حذيفة ـ وكانت من سيِّداتِ العرب ، كأمِّها أمّ قِرفة ، وكان يُضربُ بأمها المثلُ في الشَّرفِ لكثرةِ أولادها[3] وعزَّةِ قَبيلتها وبيتها ، فلما اجتمعوا إليها ذمرتْهم لقتال خالد ، فهاجوا لذلك ، وتأشَّب[4] إليهم آخرون من بني سليم وطيِّيء وهوازن وأسد ، فصاروا جيشاً كثيفاً وتفحّل أمرُ هذه المرأة ، فلما سمعَ بهم خالد بن الوليد سار إليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً وهي راكبةٌ على جملِ أمِّها الذي كانَ يُقال له : منْ يَمسُّ جَمَلها فله مئةٌ من الإبلِ وذلك لعزِّها ، فهزمهم خالدٌ وعقرَ جَمَلها وقتلَها وبعثَ بالفتح إلى الصِّدّيق رضي الله عنه .

قصة الفجاءة[5]

واسمه إياسُ بن عبد الله بن عَبد يا ليل بن عميرة بن خفاف من بني سليم ، قاله ابن إسحاق ، وقد كان الصّدّيق حرقَ الفجاءةَ بالبقيع في المدينة ، وكان سببه أنَّه قدمَ عليه فزعمَ أنه أسلمَ ، وسأل منه أن يجهز معه

(١) صحيح البخاري (٧٢٢١) في الأحكام .
(٢) هم قوم فَلٌّ : منهزمون ، والجمع فُلول وفُلال . اللسان (فلل) . والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٧) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٥٠) .
(٣) ذكر الطبري أولادها : قُرفة وحَكَمة وجُراشة وزِمْلاً وحُصيناً وشَريكاً وعبداً وزُفَر ومُعاوية وحمَلة وقَيساً ولأياً .
(٤) تأشب : التجأ .
(٥) الخبر بأطول مما هنا في تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٤) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٥٠) .

جيشاً يقاتل به أهل الرِّدَّة ، فجهَّز معه جيشاً ، فلما سار جعلَ لا يمرّ بمسلم ولا مُرْتدٍّ إلا قتلَه وأخذَ ماله ، فلما سمعَ الصّديقُ بعث وراءه جيشاً فردَّه ، فلما أمكنَه بعثَ به إلى البقيع ، فجُمعت يداه إلى قفاه وأُلقي في النار فحرقه وهو مقموط .

قصة سَجَاحِ وبني تميم[١]

كانت بنو تميم قد اختلفتْ أراؤُهم أيامَ الرِّدَّة ، فمنهم من ارتدَّ ومنعَ الزكاة ، ومنهم منْ بعثَ بأموالِ الصَّدقات إلى الصدِّيق ، ومنهم من توقف لينظر في أمره ، فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجاح بنتُ الحارث بن سويد بن عقفان التغلبية من الجزيرة ، وهي من نصارى العرب ، وقد ادَّعتِ النبوَّة ومعها جنودٌ من قومها ومن التفَّ بهم ، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق ، فلما مرَّتْ ببلاد بني تميم دَعَتْهُمْ إلى أمرها ، فاستجابَ لها عامَّتُهم ، وكان ممَّن استجابَ لها مالكُ بن نُوَيْرة التميمي ، وعُطَاردُ بن حاجبٍ ، وجماعةٌ من سادات أمراء بني تميم ، وتخلَّفَ آخرون منهم عنها ، ثم اصطلحوا على أن لا حربَ بينهم ، إلا أن مالكَ بن نُوَيْرة لما وادعها ثناها عن عودها ، وحرَّضها على بني تميم ، ثم اتفق الجميعُ على قتال الناس ، وقالوا : بمن نبدأ ؟ فقالتْ لهم فيما تسجِّعُهُ : أعدّوا الرِّكاب ، واستعدّوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرّباب ، فليس دونهم حجاب . ثم إنهم تعاهدوا على نصرها ، فقال قائل منهم : [من الوافر]

أَتَتْنا أُختُ تغلِبَ في رجالٍ[٢] جلائِبَ من سُراةِ بني أبينا
وَأرسَتْ دَعْوةً فينا سَفاهاً وكانتْ من عَمائِرَ آخرينا
فما كنا لنرزيهم زبالاً وما كانت لتُسلمَ إذ أتينا
ألا سَفِهَتْ حلومُكمُ وضَلَّتْ عَشيَّةَ تَحشدُون لها ثَبينا

وقال عُطاردُ بن حاجبٍ في ذلك[٣] : [من البسيط]

أمستْ نَبيَّتُنا أُنثَى نُطيفُ بها وأصبحَتْ أنبياءُ النَّاس ذُكرانا

ثُمَّ إنّ سَجَاح قصدتْ بجنودها اليمامةَ ، لتأخذَها من مُسَيْلمة بن حبيبٍ الكَذّاب ، فهابه قومُها ، وقالوا : إنه قد استفحلَ أمره وعَظُمَ ، فقالت لهم فيما تقوله : عليكم باليمامَةْ ، دفُّوا[٤] دَفيف الحَمامة ، فإنّها غزوةُ صرامَةْ ، لا تلحقكُمْ بعدها ملامَة . قال : فعمدوا لحرب مُسَيلمةَ ، فلما سمعَ بمسيرها إليه خافها على بلاده ، وذلك أنه مشغولٌ بمقاتلةِ ثُمامة بن أُثالٍ ، وقد ساعدَه عكرمةُ بن أبي جَهْلٍ بجنودِ

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٧) وما بعدها ، والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٥٣ـ ٣٥٧) .
(٢) في تاريخ الطبري : فاستهدَّتْ .
(٣) البيت في أسد الغابة (٤/ ٤٣) .
(٤) دفَّ : أي حرك جناحيه من الطير كالحمام . القاموس (دف) .

المُسْلمين ، وهم نازلونَ ببعضِ بلادِه ينتظرون قدومَ خالدٍ كما سيأتي ، فبعث[١] إليها يستأمنُها ويضمنُ لها أن يعطيها نصفَ الأرضِ الذي كان لقريشٍ لو عدلَتْ ، فقد ردَّهُ الله عليك فحباك به ، وراسلَها ليجتمعَ بها في طائفةٍ من قومه ، فركبَ إليها في أربعينَ من قومِه ، وجاء إليها فاجتمعا في خيمةٍ ، فلما خلا بها وعرضَ عليها ما عرضَ من نصف الأرضِ ، وقبلت ذلك . قال مسيلمة : سمعَ الله لمن سمعْ ، وأطمعَهُ بالخير إذا طمعْ ، ولا يزالُ أمرُه في كل ما يسر مجتمعْ ، رآكم ربكم فحيّاكُمْ ، ومن وحشته أخلاكمْ ، ويوم دينه أنجاكم فأحياكم ، علينا من صلواتِ معشر أبرارْ ، لا أشقياء ولا فجّار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربكم الكبار ، ربِّ الغيوم والأمطار .

وقال أيضاً : لما رأيتُ وجوههم حسنتْ ، وأبشارهم صفتْ ، وأيديهم طَفُلَتْ[٢] ، قلت لهم : لا النساءَ تأتونْ ، ولا الخمر تشربونْ ، ولكنكم معشرٌ أبرارٌ تصومونْ ، فسبحان الله إذا جاءتِ الحياةُ كيف تَحْيَون ، وإلى ملك السماء كيف تَرْقَوْن . فلو أنها حبةُ خردلةٍ لقام عليها شهيدٌ يعلم ما في الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثبور[٣] .

وقد كان مسيلمةُ لعنه الله شرعَ لمن اتبعه أن الأعزب يتزوج فإذا ولد له ذكر فيحرم عليه النساء حينئذ ، إلا أن يموت ذلك الولد الذكر ، فتحل له النساء حتى يولد له ذكر ، هذا مما اقترحه لعنه الله ، من تلقاء نفسه .

ويقال : إنه لما خلا بسَجاحٍ سألها ماذا يُوحَى إليها ؟ فقالت : وهل يكونُ النساءُ يبتدئن ؟ بل أنت ماذا أوحيَ إليك ؟ فقال : ألم ترَ إلى ربّك كيف فَعَلَ بالحُبْلى ؟ أخرج منها نسمةً تَسْعى ، من بين صفاقٍ[٤] وحشاً . قالت : وماذا ؟ فقال : إنَّ اللهَ خلقَ للنساء أفراجاً[٥] ، وجعلَ الرجالَ لهن أزواجا ، فنولج فيهن قَعْساً[٦] إيلاجاً ، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجاً ، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً . فقالت : أشهد أنك نبيٌّ ؛ فقال لها : هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العربَ ؟ قالت : نعم ، فقال : [من الهزج]

ألا قـومـي إلـى النَّيْـكِ فقـدَ هُـيِّءْ لَـكِ المَضْجَـعْ
فَـإنْ شِئْـتِ فَفِـي البَيْـتِ وإنْ[٧] شِئْت ففي المَخْدَعْ
وإنْ شِئْـــتِ سَلْقنَـــاكِ وَإنْ شِئْــتِ عَلَــى أرْبَــعْ

---

(١) في المطبوع : فبعثني ؛ خطأ . وما هنا للسياق .
(٢) طَفُل : صار ناعماً . اللسان (طفل) .
(٣) الثبور : الهلاك والويل . القاموس (ثبر) .
(٤) الصِّفاق : ككتاب : الجلد تحت الجلد الذي عليه الشعر ، وجلد البطن كله . القاموس (صفق) .
(٥) الأفراج كما يبدو جمع فرج ، قال ابن منظور : الفرج والجمع فروج ، لا يُكسَّر على غير ذلك . اللسان (فرج) .
(٦) القَعْس في المعاجم العربية : الناتيء ، والمعنى المقصود هنا لم يرد فيها لأنه مجاز يفهم من السياق .
(٧) في ط : إن ؛ ولا يستقيم الوزن بها ، وما هنا للوزن العروضي .

وإنْ شِئْـــتِ بِثُلْثَيْـــهِ وَإنْ شِئْــتِ بــِهِ أجْمَــعْ

فقالت : بل به أجمع ، فقال : بذلك أوحي إليّ ، وأقامت عنده ثلاثة أيام ، ثم رجعت إلى قومها فقالوا : ما أصدقَكِ ؟ فقالت : لم يصدقني شيئاً ، فقالوا : إنه قبيحٌ على مثلك أن تتزوج بغير صَداق فبعثت إليه تسألُه صَداقاً ، فقال : أرسلي إليَّ مؤذنك ، فبعثته إليه ـ وهو شَبَت بن رِبعي ـ فقال : نادِ في قومك : إن مسيلمةَ بن حبيب رسولَ الله قد وضعَ عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد ـ يعني صلاة الفجرِ وصلاة العشاءِ الآخرةِ ـ فكان هذا صداقها عليه لعنهما الله . ثم انثنت سَجَاح راجعةً إلى بلادها وذلك حين بلغَها دنوُّ خالد من أرض اليمامة فكرَّتْ راجعةً إلى الجزيرة بعدما قبضَتْ من مسيلمة نصفَ خراجِ أرضِهِ ، فأقامت في قومها بني تَغْلِب ، إلى زمان معاوية ، فأجلاهم منها عامَ الجماعة كما سيأتي بيانه في موضعه .

فصل في خبرِ مالكِ بن نُوَيْرَةَ اليَرْبوعي التَّميمي(١)

كان قد صانع سَجاحِ حين قدمتْ من أرض الجزيرةِ ، فلما اتّصلتْ بمسيلمةَ لعنهما الله ، ثم ترحلت إلى بلادها ـ فلما كان ذلكَ ـ ندمَ مالكُ بن نُوَيْرَة على ما كان من أمره ، وتلوَّم في شأنه ، وهو نازل بمكان يقال له : البطاح ، فقصدها خالدٌ بجنوده ، وتأخّرت عنه الأنصار ، وقالوا : إنّا قد قضينا ما أمرنا به الصدِّيق ، فقال لهم خالد : إن هذا أمرٌ لا بدَّ من فعله ، وفرصةٌ لا بدَّ من انتهازها ، وإنه لم يأتني فيها كتابٌ ، وأنا الأمير وإليّ تردُ الأخبارُ ، ولست بالذي أجبركم على المسير ، وأنا قاصدٌ البطاحَ . فسارَ يومين ثم لحقَهُ رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار ، فلحقوا به ، فلما وصلَ البطاحَ وعليها مالك بن نوَيْرة ، فبثَّ خالدٌ السرايا في البطاح يدعونَ الناسَ ، فاستقبله أمراءُ بني تميم بالسمعِ والطاعةِ ، وبذلوا الزكوات ، إلَّا ما كانَ من مالك بن نويرة فإنّه متحيرٌ في أمره ، مُتَنحٍّ عن الناس ، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابَه ، واختلفت السريةُ فيهم ، فشهد أبو قتادة ـ الحارث بن ربعي الأنصاري ـ أنهم أقاموا الصلاةَ ، وقال آخرون : إنهم لم يُؤَذّنوا ولا صَلّوا ، فيقال : إن الأسارى باتوا في كبولهم(٢) في ليلة شديدةِ البردِ ، فنادى منادي خالدٍ : أن أدفئوا أسراكم ، فظنَّ القوم أنّه أراد القتلَ ، فقتلوهم ، وقتل ضرارُ بن الأزور مالكَ بن نُوَيْرة ، فلما سمعَ الداعية خرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه .

واصطفى خالد امرأةَ مالكِ بن نُوَيْرة وهي أم تميم ابنة المنهال ، وكانت جميلةً ، فلما حَلَّتْ بنى بها ، ويقال : بل استدعى خالدٌ مالكَ بن نويرة ، فأنّبه على ما صدر منه من متابعة سَجَاح ، وعلى منعِه الزكاة وقال : ألم تعلمْ أنها قرينةُ الصلاة ؟ فقال مالكٌ : إن صاحبَكم كان يزعمُ ذلك ، فقال : أهو صاحبُنا وليس

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٢٧٦) ومصدره كتاب « الفتوح والردة » لسيف بن عمر ، وهو تالف ومتروك ، والمتن فيه طعن ظاهر بعدالة الصحابة ، واتهام لخالد بن الوليد رضي الله عنه بأنه لا يتحرى في الدماء ، وتساهل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في محاسبته . وانظر ضعيف تاريخ الطبري (٨/ ٥٤) .

(٢) كبول : جمع كبْل وهو القيد ـ ويكسر . القاموس (كبل) .

بصاحبك ؟ يا ضرار اضربْ عُنُقَه ، فضُربت عنقه ، وأمر برأسه فجُعل مع حجرين وطبخ على الثلاثة قدراً، فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب بذلك الأعراب ، من المُرْتدَّةِ وغيرهم ، ويقال : إن شَعْرَ مالكٍ جعلتِ النارَ تعملُ فيه إلى أن نضجَ لحمُ القِدر ولم تفرغ الشعر لكثرته ، وقد تكلّم أبو قتادة مع خالد فيما صنع ، وتقاولا في ذلك حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق ، وتكلَّم عمرُ مع أبي قتادة في خالدٍ ، وقال للصدّيق : اعزلْهُ فإنَّ في سيفه رَهَقاً[(١)] ، فقال أبو بكر : لا أشيم[(٢)] سيفاً سلّه اللهُ على الكفار ، وجاء مُتمّم بن نُوَيْرة فجعل يشكو إلى الصديق خالداً ، وعمرُ يساعده وينشد الصديقَ ما قال في أخيه من المراثي، فوداه[(٣)] الصديق من عنده .

ومن قول متمم في ذلك : [من الطويل]

وكنّا كنُدْمانَيْ جَذيمةَ بُرهةً   منَ الدَّهرِ حتَّى قيلَ لن يتصَدَّعا
وَعشْنا بِخَيرٍ ما حَيْنا وقَبلنا   أبادَ المنايَا قومَ كِسْرى وتُبَّعا
فلمّا تَفَرَّقنا كأنِّي ومَالِكاً   لِطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

وقال أيضاً : [من الطويل]

لقد لامني عِنْدَ القعورِ على البُكى   رَفيقي لِتذْرافِ الدموعِ السَّوافِكِ
وَقال أتبكي كُلَّ قَبْرٍ رَأيْتَهُ   لِقبرٍ ثوى بينَ اللِّوى فالدَّكادِكِ[(٤)]
فَقُلْتُ لهُ إنَّ الأسى يبعثُ الأسى   فَدَعني فهذا كُلُّه قَبْر مالِكِ[(٥)]

والمقصودُ أنه لم يزلْ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يُحرِّضُ الصديقَ ويُذَمِّره[(٦)] على عزل خالد عن الإمرةِ ويقول : إن في سيفه لرهَقَاً ، حتى بعثَ الصديقُ إلى خالد بن الوليد فقدم عليه المدينة ، وقد لبسَ درعَه التي من حديد ، وقد صَدِىءِ من كثرةِ الدماء ، وغرز في عمامته النشاب المُضمَّخ بالدماء ، فلما دخل المسجد قام إليه عمرُ بن الخطاب فانتزعَ الأسهم من عمامةِ خالدٍ فحطَّمها ، وقال : أرياءً قتلتَ امرأً مسلماً ثم نزوتَ على امرأته ، والله لأرجمنَّك بالجنادلِ . وخالد لا يكلّمُهُ ، ولا يظنُّ إلَّا أنّ رأيَ الصديق فيه

---

(١) الرَّهقُ : ـ محركة ـ السَّفه ، والخفة وركوب الشرّ والظلم . القاموس (رهق) .
(٢) شام سيفه يشيمُه : غمده واستله ضد . القاموس (شيم) قلت : والمقصود هنا : لا أغمدُ .
(٣) وَدَاهُ (كدعاه) : أعطى ديته . القاموس (ودى) .
(٤) الدكادك ؛ بفتح أوله على لفظ جمع دَكْدك : موضع في بلاد بني أسد . قال متمم بن نويرة : فقال . . . البيت . ويروى ـ فالدوانك ـ وهو أيضاً هناك ، مجاور الدكادك ، وكان مالك بن نويرة أخو متمم المرثي بهذا الشعر قتل بالملا ـ وقبره هناك ـ والملا في بلاد بني أسد . قال الأصمعي : قدم متمم العراق فجعل لا يمرُّ بقبر إلا بكى عليه ، فقيل له : يموت أخوك بالملا وتبكي أنت على قبر بالعراق ؟ فقال هذه الأبيات . معجم ما استعجم (٥٥٤ ـ ٥٥٥) .
(٥) البيتان الثاني والثالث في معجم ما استعجم (٥٥٤ ـ ٥٥٥) .
(٦) الذَّمْرُ : الحض . القاموس (ذمر) .

كرأي عمر ، حتى دخلَ على أبي بكر فاعتذرَ إليه فعذره وتجاوز عنه ما كان منه في ذلك وودى مالك بن نويرة ، فخرجَ من عنده وعمرُ جالسٌ في المسجد ، فقال خالد : هلمّ إليَّ يا بن أمِّ شملةَ ، فلم يردَّ عليه وعرفَ أنَّ الصديقَ قد رضيَ عنه ، واستمرَّ أبو بكر بخالدٍ على الإمرة ، وإن كان قد اجتهد في قتلِ مالك بن نويرة وأخطأ في قتله ، كما أنَّ رسول الله ﷺ لما بعثه إلى بني جَذيمة فقتل أولئك الأسارى الذين قالوا : صبأنا صبأنا[١] ، ولم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فوداهم رسول الله ﷺ حتى ردَّ إليهم ميلغة[٢] الكلب ، ورفع يديه وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، ومع هذا لم يعزل خالداً عن الإمرة .

مَقْتَلُ مُسَيْلَمَةَ الكَذّاب لعنه الله[٣]

لما رضيَ الصدِّيقُ عن خالد بن الوليد وعذَرَهُ بما اعتذرَ به ، بعثَه إلى قتالِ بني حنيفة باليمامة ، وأوعب[٤] معه المسلمون ، وعلى الأنصار ثابتُ بن قيس بن شمّاس ، فسار لا يمرّ بأحدٍ من المُرْتدّين إلَّا نكَّلَ بهم ، وقد اجتازَ بخيولٍ لأصحاب سَجَاح فشرَّدَهُمْ وأمرَ بإخراجهم من جزيرة العرب ، وأردفَ الصديق خالداً بسريةٍ لتكونَ رِدْءاً[٥] له من ورائهِ وقد كان بعثَ قبله إلى مسيلمةَ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ ، وشرحبيلَ بن حسنةَ ، فلم يقاوما بني حنيفة ، لأنهم نحو أربعين ألفاً من المقاتلةِ ، فعجلَ عكرمةُ قبل مجيء صاحبه شرحبيل فناجزَهم فنُكب ، فانتظر خالداً ، فلما سمع مسيلمةُ بقدوم خالدٍ عسكر بمكانٍ يقال له : (عقربا) في طرف اليمامة والريفُ وراءَ ظهورهم ، وندبَ الناسَ وحثَّهم ، فحشدَ له أهلُ اليمامة ، وجعل على مَجْنبتي جيشه المحكم بن الطفيل ، والرَّجّال بن عُنْفوة بن نهشل .

وكان الرَّجَّال هذا صديقه الذي شهدَ له أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ : إنه قد أشركَ معه مسيلمةَ بن حبيب في الأمر ، وكان هذا الملعون من أكبر ما أضل أهل اليمامة ، حتى اتبعوا مُسيلمة ، لعنهما الله .

وقد كان الرَّجالُ هذا قد وفدَ إلى النبي ﷺ وقرأ البقرةَ ، وجاء زمَن الردّة إلى أبي بكر ، فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام ، فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة .

قال سيف بن عمر[٦] عن طلحة ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة : كنت يوماً عند النبي ﷺ في رهطٍ معنا الرَّجَّال[٧] بن عُنْفوة ، فقال : « إنّ فيكم لرجلاً ضرسُه في النار أعظمُ من أُحدٍ » فهلكَ القومُ وبقيت أنا

---

(١) صبأ : خرج من دين إلى دين آخر . وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابىء ؛ لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام . اللسان (صبأ) .

(٢) المِيلغ والمِيلغةُ بكسرهما : الإناء يَلغُ فيه الكَلْبُ في الدَّم . القاموس (ولغ) .

(٣) أخبار مسيلمة الكذاب في تاريخ الطبري (٣/ ٢٨١ ـ ٣٠١) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦٦) .

(٤) أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو . اللسان (وعب) .

(٥) « الرِّدءُ » : العون والناصر . اللسان (ردأ) .

(٦) تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٧) .

(٧) في « طبقات ابن سعد » (١/ ٣١٦) رحَّال بن عُنْفُوة .

والرَّجَّال وكنت متخوفاً لها ، حتى خرجَ الرَّجّال مع مسيلمة ، وشهدَ له بالنبوة ، فكانت فتنةُ الرجَّال أعظمَ من فتنة مسيلمة[١] .

رواه ابن إسحاق عن شيخ عن أبي هريرة .

وقرب خالد وقد جعل على المقدمة شرحبيل بن حسنة ، وعلى المَجْنبتين زيداً وأبا حذيفة ، وقد مرَّت المقدمة في الليل بنحو من أربعين وقيل ستين فارساً ، عليهم مجاعة بن مرارة ، وكان قد ذهب لأخذ ثأرٍ له في بني تميم وبني عامر وهو راجعٌ إلى قومه فأخذوهم ، فلما جيء بهم إلى خالد عن آخرهم فاعتذروا إليه فلم يصدِّقهم ، وأمر بضربِ أعناقهم كلِّهم ، سوى مجاعة فإنه استبقاهُ مقيَّداً عنده ـ لعلمه بالحرب والمكيدة ـ وكان سيِّداً في بني حنيفة ، شريفاً مطاعاً ، ويقال : إن خالداً لما عرضوا عليه قال لهم : ماذا تقولون يا بني حنيفة ؟ قالوا : نقول منا نبي ومنكم نبي ، فقتلهم إلَّا واحداً اسمه سارية ، فقال له : أيها الرجل إن كنتَ تريد بأهل اليمامة غداً خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجل ـ يعني مجاعة بن مرارة ـ فاستبقاه خالد مقيداً ، وجعله في الخيمة مع امرأته ، وقال : استوصي به خيراً ، فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه : اليوم يوم الغيرة ، اليوم إن هُزمتم تُستنكح النساء سَبيّاتٍ ، ويُنكحن غيرَ حظيّاتٍ ، فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم .

وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يُشرف على اليمامة ، فضرب به عسكره ، ورايةُ المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، ورايةُ الأنصار مع ثابت بن قيس بن شمّاس، والعرب على راياتها، ومجاعة بن مرارة مقيَّدٌ في الخيمة مع أم تميم امرأة خالد ، فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمتِ الأعرابُ حتى دخلت بنو حنيفة خيمةَ خالد بن الوليد وهمّوا بقتل أم تميم ، حتى أجارها مجاعة وقال : نعمتِ الحُرَّةُ هذه ، وقد قُتل الرَّجَّالُ بن عنفوة لعنه الله في هذه الجولة ، قتله زيدُ بن الخطاب .

ثم تذامر[٢] الصحابة بينهم . وقال ثابت بن قيس بن شماس : بئس ما عوَّدتم أقرانَكم ، ونادَوْا من كل جانب : أخلصنا يا خالد ، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحمى البراء بن مالك ـ وكان إذا رأى الحرب أخذته العُرَوَاء[٣] فيجلس على ظهره الرجال حتى يبول في سراويله ، ثم يثور كما يثور الأسد . وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله .

وجعلت الصحابة يتواصَون بينهم ويقولون : يا أصحاب سورةِ البقرةِ ، بَطلَ السِّحْرُ اليوم ، وحفر ثابتُ بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصافِ ساقَيْه ، وهو حاملُ لواءِ الأنصارِ بعدما تحنَّطَ وَتكفَّنَ ، فلم

---

(١) الحديث في تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٩) وإتحاف السادة المتقين للزبيدي (٧/ ١٨١) وإسناده ضعيف جداً .

(٢) تذامروا : تلاوموا على ترك الفرصة ، وقد تكون بمعنى تحاضُّوا على القتال . اللسان (ذمر) ، وفي المطبوع من تاريخ الطبري (٣/ ٢٩٠) : « تداعوا » ، ولكنها وردت كما هنا في مكان آخر (٣/ ٢٩١) .

(٣) العرواء : رعدة تصيب الإنسان ، وهي في الأصل : برد الحمى .

يزل ثابتاً حتى قُتل هناك ، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة : أتخشى أن نؤتى من قبلك ؟ فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً ، وقال زيد بن الخطاب : أيها الناس عَضُّوا على أضراسكم ، واضربوا في عدوّكم وامضوا قدماً، وقال: والله لا أتكلَّمُ حتّى يهزمهم اللهُ أو ألقىَ اللهَ فأكلِّمه بحجّتي، فقُتل شهيداً رضي الله عنه .

وقال أبو حذيفة : يا أهلَ القرآنِ زيِّنوا القرآنَ بالفِعال ، وحملَ فيهم حتى أبعدَهم وأصيب رضي الله عنه ، وحملَ خالدُ بن الوليد حتى جاوزَهم ، وسار لحيال مسيلمة وجعل يترقَّب أن يصلَ إليه فيقتلَه ، ثم رجع ثم وقف بين الصَّفَّيْن ودعا البراز ، وقال : أنا ابن الوليد العَوْد[١] ، أنا ابن عامر وزيد ، ثم نادى بشعار المسلمين ـ وكان شعارهم يومئذ : يا محمداه ـ وجعل لا يبرز لهم أحدٌ إلا قتله ، ولا يدنو منه شيء إلا أكله .

ودارت رحى المسلمين ، ثم اقترب من مسيلمة ، فعرض عليه النَّصَفَ[٢] والرجوع إلى الحق ، فجعل شيطانُ مسيلمةَ يلوي عنقه ، لا يقبلُ منه شيئاً ، وكلّما أراد مسيلمةُ يقاربُ من الأمر صرفه عنه شيطانه ، فانصرف عنه خالد وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب ، وكل بني أبٍ على رايتهم ، يقاتلون تحتها ، حتى يعرفَ الناسُ من أين يُؤْتون ، وصبرت الصحابةُ في هذا الموطن صبراً لم يُعْهد مثلُه ، ولم يزالوا يتقدَّمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم ، وولى الكفارُ الأدبارَ ، واتَّبعوهم يقتلون في أقفائهم ، ويضعونَ السيوفَ في رقابهم حيث شاؤوا ، حتى ألجؤوهم إلى حديقة الموت ، وقد أشار عليهم محكَّمُ اليمامة ـ وهو محكَّم بن الطفيل لعنه الله ـ بدخولها ، فدخلوها وفيها عدوُّ الله مسيلمةُ لعنه الله ، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكمَ بن الطفيل فرماه بسهمٍ في عنقه وهو يخطب فقتله ، وأغلقتْ بنو حنيفة الحديقةَ عليهم ، وأحاط بهم الصحابةُ ، وقال البراءُ بن مالك : يا معشرَ المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة[٣] ، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها ، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقةَ من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المُرْتدَّةِ من أهل اليمامة ، حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله ، وإذا هو واقفٌ في ثُلْمةِ جدارٍ كأنه جملٌ أورقُ[٤] ، وهو مُزْبدٌ يتساندُ ، لا يعقلُ من الغَيْظِ ، وكان إذا اعتراه شيطانُه أزبدَ حتى يخرج الزَّبَدُ من شِدْقَيْه ، فتقدّم إليه وحشيُّ بن حرب مولى جُبَيْر بن مُطْعِم ـ قاتل حمزة ـ فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر ، وسارع إليه أبو دُجانة سماك بن خرشة ، فضَربه بالسيْف فسقطَ ، فنادت امرأةٌ من القصر : وا أمير الوضاءة ، قتله العبدُ الأسود .

---

(١) « العَوْد » : الجمل المسن وفيه بقية وهو المدرَّب . اللسان (عود) والنهاية في غريب الحديث (٣/ ٣١٧) .

(٢) النَّصَفُ والنَّصفةُ والإنصاف : اعطاء الحق . اللسان (نصف) .

(٣) في ط : الحديثة ؛ تحريف .

(٤) الأورق من الإبل : الذي في لونه بياض إلى سواد . وقال أبو عبيد : الأورق : أطيب الإبل لحماً وأقلها شدة على العمل والسير وليس بمحمود عندهم في عمله وسيره . اللسان (ورق) .

فكان جملة من قُتلوا في الحديقة وفي المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وقيل : أحد وعشرون ألفاً ، وقتل من المسلمين ستمئة ، وقيل : خمسمئة ، فالله أعلم ، وفيهم من سادات الصحابة ، وأعيان الناس من يُذْكر بعد .

وخرج خالد وتبعه مجاعةُ بن مرارة يرسفُ في قيوده ، فجعل يريه القتلى ليعرّفه بمسيلمة ، فلما مرّوا بالرَّجَّال بن عُنْفوة قال له خالد : أهذا هو ؟ قال لا ، والله هذا خيرٌ منه ، هذا الرَّجَّال بن عُنْفُوة .

قال سيف بن عمر : ثم مرّوا برجلٍ أصفر أخنس[١] ، فقال : هذا صاحبكم ، فقال خالد : قبَّحكم الله على اتّباعكم هذا .

ثم بعثَ خالدٌ الخيولَ حولَ اليمامة يلتقطونَ ما حول حصونها من مالٍ وسبيٍ . ثم عزمَ على غزو الحُصون ولم يكن بقيَ فيها إلا النساءُ والصبيانُ والشيوخُ الكبار ، فخدعه مجاعة فقال : إنّها ملأى رجالاً ومقاتلة ، فهلمّ فصالحني عنها ، فصالحه خالدٌ لما رأى بالمسلمين من الجَهد وقد كَلُّوا من كثرة الحروب والقتال ، فقال : دعني حتى أذهبَ إليهم ليوافقوني على الصلح ، فقال : اذهب . فسارَ إليهم مجاعة ، فأمر النساءَ أن يلبسن الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون ، فنظر خالدٌ فإذا الشرفاتُ ممتلئةٌ من رؤوس الناس فظنهم كما قال مجاعة فانتظر الصلحِ ، ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق . وردّ عليهم خالدٌ بعضَ ما كان أخذ من السبي ، وساق الباقين إلى الصدِّيق .

وقد تسرَّى علي بن أبي طالب بجارية منهم ، وهي أم ابنه محمد الذي يقال له : محمد بن الحنفية رضي الله عنه .

وقد قال ضرار بن الأزور في غزوة اليمامة هذه : [من الطويل]

فلـو سُئِلـتْ عنَّـا جَنـوبٌ لأخبـرَتْ ... عَشِيَّـةَ سَـالَـتْ عَقـربـاءٌ ومَلهَـمُ
وسـالَ بفـرعِ الـوادِ حتـى تَـرَقْـرَقَـتْ ... حِجـارتُـهُ فيـه مـنَ القـومِ بـالـدَّمِ
عَشيَّـةَ لا تُغنـي الـرِّمـاحُ مكـانهـا ... وَلا النَّبـلُ إلَّا المشـرفـيُّ المُصمِّـمُ
فَـإن تَبتغـي الكفَّـارَ غيـر مُسَيْلـم[٢] ... جنـوبٌ فـأنـي تـابـعُ الـديـنِ مسلـمُ
أُجـاهـدُ إذ كـانَ الجِهـادُ غَنيمـةً ... ولَلَّـهُ بـالمـرءِ المجـاهـدِ أعلـمُ

وقد قال خليفة بن خياط[٣] ، ومحمد بن جرير[٤] ، وخلق من السلف : كانت وقعةُ اليمامة في سنة إحدى عشرةَ . وقال ابن قانع : في آخرها ، وقال الواقدي وآخرون : كانت في سنة ثنتي عشرة ، والجمع

---

(١) الخنس ، قريب من الفَطَس وهو لصوق القصبة بالوجنة وضِخمُ الأرنبة ، وقيل غير ذلك . اللسان (خنس) .
(٢) عند الطبري (٣/ ٢٩٧) : مُليحةٍ .
(٣) في تاريخه (ص١٠٧) .
(٤) تاريخه (٣/ ٣١٤) .

بينهـا أن ابتداءهـا في سنة إحدى عشرة ، والفراغ منهـا في سنة ثنتي عشرة ، والله أعلم .

ولما قدمت[١] وفود بني حنيفة على الصدّيق قال لهم : أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة ، فقالوا : أو تعفينا يا خليفةَ رسول الله . فقال : لا بدَّ من ذلك ، فقالوا : كان يقول : يا ضفدعُ بنتَ الضِّفْدعين نِقِّي لكمْ تَنِقّين ، لا الماءَ تكدّرين ، ولا الشاربَ تمنعين ، رأسُكِ في الماء ، وذنبُكِ في الطِّين ، وكان يقول : والمُبْذراتِ زَرْعاً ، والحاصِداتِ حَصْداً ، والذّاريات قَمْحاً ، والطّاحنات طَحْناً ، والخَابزاتِ خبزاً ، والثّارداتِ ثَرْداً ، واللاّقماتِ لقماً ، إهالةً[٢] وسمناً ، لقد فضلتُمْ على أهل الوَبَر ، وما سبَقَكُمْ أهل المَدَر ، رفيقكم فامنعوه ، والمُعْتَرّ[٣] فآووه ، والنّاعي فواسوه .

وذكروا أشياءَ من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون ، فيقال : إنَّ الصّدّيق قال لهم : ويحكم ، أينَ كانَ يذهبُ بقولكم ؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ[٤] .

وكان يقول : والفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلوم[٥] طويل ، وكان يقول : والليل الدامسِ ، والذئب الهامس ، ما قطعت أسد من رطبٍ ولا يابس . وتقدم قوله : لقد أنعمَ اللهُ على الحُبْلى ، أخرج منها نَسْمةً تَسْعى ، من بين صفاق وحشى ، وأشياء من هذا الكلام السخيف الركيك البارد السميج .

وقد أورد أبو بكر بن الباقلاني[٦] رحمه الله في كتابه إعجاز القرآن أشياء من كلام هؤلاء الجَهَلة المُتَنبئين كمُسيلمة وطُلَيْحة والأسود وسَجاحِ وغيرهم ، مما يدلّ على ضعفِ عقولهم وعقولِ من اتَّبعهم على ضلالهم ومحالهم .

وقد روينا عن عمرو بن العاص أنه وفدَ إلى مُسَيْلمة في أيّام جاهليته ، فقال له مُسيلمةُ : ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أنزل عليه سورةً وجيزةً بليغةً ، فقال : وما هي ؟ قال : أنزل عليه ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ١ ـ ٣] قال : ففكّر مسيلمةُ ساعةً ثم رفعَ رأسه فقال : ولقد أُنزلَ عليَّ مثلها ، فقال له عمرو :

---

(١) خبر الوفد في تاريخ الطبري (٣/ ٣٠٠) .

(٢) « الإهالة » : ما أذبت من الشحم ، وقيل : الإهالة : الشحم والزيت ، وقيل : كل دهن أو تدم به إهالة ، والإهالة : الودك . اللسان (أهل) .

(٣) « المُعْتَرّ » : الفقير ، وقيل المتعرض للمعروف من غير أن يسأل . اللسان (عرر) .

(٤) في حديث أبي بكر رضي الله عنه ـ لما عرض عليه سجع مسيلمة ـ إن هذا لم يخرج من إل : أي من ربوبية . وقيل : الإلّ : الأصل الجيد أي لم يجىء من الأصل الذي جاء منه القرآن . وقيل : الإلّ : النسب والقرابة ، فيكون المعنى : هذا كلام غير صادر من مناسبة الحق والإدلاء بسبب بينه وبين الصّدّيق . النهاية (١/ ٦١) . واللسان (ألل) .

(٥) « زلوم » : يقصد خرطوم الفيل ، والزلمة تكون للمعزى في حلوقها متعلقة كالقرط . اللسان (زلم) .

(٦) إعجاز القرآن (٢٣٨ ـ ٢٣٩) دار المعارف بمصر .

وما هي ؟ فقال مسيلمة : يا وَبر[١] يا وَبر ، إنما أنتَ إيراد وصَدر ، وسائرك حَقْرٌ نَقْر[٢] . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنكَ لتعلمُ أني أعلمُ أنكَ تكذبُ .

وذكر علماء التاريخ[٣] أنه كان يتشبَّهُ بالنبي ﷺ ، بلغه أن رسولَ الله ﷺ بَصَقَ في بئر فغزرَ ماؤُه ، فبصقَ في بئرٍ فغاض ماؤُه بالكلية ، وفي أخرى فصارَ ماؤه أُجاجاً[٤] ، وتوضَّأ وسقى بوضوء نخلاً فَيَبِستْ وهلَكتْ ، وأتى بولدان يُبَرِّك[٥] عليهم فجعلَ يَمْسحُ رؤوسَهم فمنهم من قَرِعَ رَأْسُهُ[٦] ، ومنهم من لَثَغ لسانُه . ويقال : إنه دعا لرجلٍ أصابه وجعٌ في عينيه فمَسَحَهُما فَعَمي .

وقال سيف بن عمر[٧] ، عن خليد بن زفر النَّمري ، عن عمير بن طلحة ، عن أبيه : أنه جاء إلى اليمامة فقال : أين مُسيلمةُ ؟ فقال : مه رسول الله ، فقال : لا حتّى أراهُ ، فلما جاء قال : أنت مسيلمةُ ؟ فقال : نعم . قال : من يأتيكَ ؟ قال : رحمن[٨] ، قال : أفي نورٍ أم في ظُلْمةٍ ؟ فقال : في ظُلْمةٍ ، فقال أشهد أنَّك كذّابٌ وأن محمداً صادقٌ ، ولكن كذّابَ ربيعة أحبُّ إلينا من صادقِ مُضَر ، واتبعه هذا الأعرابيُّ الجلفُ لعنه الله حتى قُتل معه يوم عقرباء ، لا رحمه الله .

ذكرُ ردَّةِ أهْلِ البَحْرين وعودهم إلى الإسلام[٩]

كان من خبرهم أنَّ رسولَ الله ﷺ كان قد بعثَ العلاءَ بن الحَضْرميّ إلى مَلِكِها ، المُنْذر بن ساوى العَبْدي ، وأسلم على يديه وأقام فيهم الإسلامَ والعدلَ ، فلما توفي رسولُ الله ﷺ توفي المنذر بعدَه بقليلٍ ، وكان قد حضر عنده في مرضه عمرو بن العاص ، فقال له : يا عمرو هل كان رسولُ الله ﷺ يجعلُ للمريض شيئاً من ماله ؟ قال : نعم ، الثلث ، قال : ماذا أصنعُ به ؟ قال : إن شئتَ تصدقتَ به على أقربائك ، وإن شئت على المَحاويج ، وإن شئتَ جعلتَه صدقةً من بعدك حبساً محرماً ، فقال : إني أكرهُ

---

(١) « الوَبْر » : بسكون الباء : دُوَيْبةٌ على قدر السنَّور غبراء أو بيضاء من دواب الصحراء ، حسنة العينين تكون بالغَوْر ، والعرب تقول : قالت الأرنب للوَبْر : وَبْرٌ وَبْرٌ ، عَجُزٌ وصَدْر ، وسائرك حَقْرٌ نقرٌ !! فقال لها الوَبْرُ : أرانِ أرانْ ، عجز وكتفانْ ، وسائرك أكلتان . اللسان (وبر) .

(٢) « الحَقْر » ـ في كل المعاني ـ الذلّة ، « والنَّقْر » : إتباع له وتوكيد . اللسان (حقر ونقر) .

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) .

(٤) « ماء أجاج » : أي مِلْحٌ ، وقيل : مُرٌّ ، وقيل : شديد المرارة ، وقيل : الأجاج ؛ شديد الحرارة . اللسان (أجج) .

(٥) « برَّك عليه » : أي : دعا له بالبركة . اللسان (برك) .

(٦) « قَرْعُ الرأس » : وهو أن يصلع فلا يبقى على رأسه شعر . اللسان (قرع) .

(٧) تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٦) .

(٨) في ط : رجس والتصحيح من الطبري .

(٩) أخبار ردة أهل البحرين في تاريخ الطبري (٣/ ٣٠١) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٦٨) .

أن أجعله كالبَحيرةِ والسّائبة والوَصِيلةِ والحامِ(١) ، ولكنّي أتصدّقُ به ، ففعل ، وماتَ فكان عمرو بن العاص يتعجّب منه(٢) .

فلما مات المنذرُ ارتدَّ أهلُ البحرين وملَّكوا عليهم الغرور ، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر . وقال قائلهم : لو كان محمد نبياً ما مات ، ولم يبق بها بلدةٌ على الثبات سوى قريةٍ يقال لها جُواثا(٣) ، كانت أولَ قريةٍ أقامت الجمعة من أهل الردة كما ثبت ذلك في البخاري عن ابن عباس ، وقد حاصرهم المُرْتدون وضيَّقوا عليهم ، حتى منعوا من الأقوات وجاعوا جوعاً شديداً حتى فَرَّجَ اللهُ ، وقد قال رجل منهم يقال له عبد الله بن حذف ، أحد بني بكر بن كلاب ، وقد اشتد عليه الجوع(٤) : [من الوافر]

ألا أبلِـغْ أبـا بَكْـرٍ رَسـولاً ... وَفتيـانَ المَـدينـةِ أجْمَعينـا
فهَـلْ لكُـمُ إلـى قـومٍ كـرامٍ ... قُعـود فـي جُـواثـا مُحصـرينـا
كَـأنَّ دِمـاءَهـم فـي كُـلِّ فـجٍّ ... شُعاعُ الشمسِ يَغشى الناظرينا
تَـوكلْنـا علـى الـرَّحْمٰـنِ إنَّـا ... وَجَـدْنـا الصَّبْـرَ(٥) للمُتَـوكِّلينـا

وقد قام فيهم رجلٌ من أشرافهم ، وهو الجارود بن المُعلَّى ـ وكان ممَّن هاجروا إلى رسول الله ﷺ ـ خطيباً وقد جمعهم فقال : يا معشرَ عبد القيسِ ، إنّي سائلُكُم عن أمرٍ فأخبروني إن علمتموه ، ولا تُجيبوني إن لم تَعْلموه ، فقالوا : سلْ ، قال : أتعلمونَ أنَّه كان لله أنبياء قبلَ محمدٍ ؟ قالوا : نعم ، قال : تعلمونَه أم تَرَوْنهُ ؟ قالوا : نعلمُه ، قال : فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا ، قال : فإنَّ محمداً ﷺ ماتَ كما ماتوا ، وإني أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقالوا : ونحن أيضاً نشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً

---

(١) قال الزمخشري : كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر ، بحروا أذنها ، أي شقوها وحرّموا ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ومرعى ، وإذا لقيها المعيي لم يركبها . واسمها البحيرة . وكان يقول الرجل : إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة . وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها . وقيل : كان الرجل إذا أعتق عبداً قال : هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث . وإذا ولدت شاة أنثى فهي لهم ، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم ، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حمى ظهره ، فلا يركب ، ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى . الكشاف (١/ ٦٨٤ـ٦٨٥) .

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٣٠٢) .

(٣) جواثاء ـ بالضم وبين الألفين ثاء مثلثة يمدّ ويقصر ـ حصن لعبد القيس بالبحرين فتحه العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه سنة ١٢ عنوة . وقال ابن الأعرابي : جواثا ، مدينة الخط ، ورواه بعضهم جؤاثا بالهمزة . وجؤاثا أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة . وقال عياض : وبالبحرين أيضاً موضع يقال له : قصر جواثا ، ويقال : ارتدت العرب كلها بعد النبي ﷺ إلا أهل جواثا . معجم البلدان (٢/ ١٧٤) ومعجم ما استعجم (٤٠١) .

(٤) الأبيات في معجم البلدان (١/ ١٧٤ـ١٧٥) .

(٥) في معجم البلدان : وجدنا النصر .

رسول الله ، وأنتَ أفضلُنا وسيِّدنا ، وثَبَتوا على إسلامهم ، وتركُوا بقيةَ الناس فيما هم فيه[١] .

وبعث الصديق رضي الله عنه كما قدمنا إليهم العلاءَ بن الحَضْرمي ، فلما دَنَا من البحرين جاءَ إليه ثُمامة بن أُثال في مَحْفلٍ كبيرٍ ، وجاء كل أمراءِ تلك النواحي فانضافوا إلى جيشِ العلاءِ بن الحَضْرمي ، فأكرمهم العلاءُ ورَحَّبَ[٢] بهم وأحسنَ إليهم ، وقد كان العلاء من ساداتِ الصحابةِ العلماءِ العُبَّادِ مجابي الدعوة ، اتَّفَقَ له في هذه الغزوة أنه نزلَ منزلاً فلم يستقر الناسُ على الأرض حتى نَفَرتِ الإبلُ بما عليها من زادِ الجيش وخيامهم وشرابهم ، وبقوا على الأرض ليس معهم شيءٌ سوى ثيابهم ـ وذلك ليلاً ـ ولم يقدروا منها على بعيرٍ واحدٍ ، فركبَ الناسَ من الهمِّ والغم ما لا يُحدُّ ولا يُوصفُ ، وجعلَ بعضُهم يوصي إلى بعض ، فنادى منادي العلاء ، فاجتمعَ الناسُ إليه ، فقال : أيها الناسُ ألستم المسلمين ؟ ألستُم في سبيل الله ؟ ألستُم أنصارَ الله ؟ قالوا : بلى ، قال : فأبشروا فوالله لا يخذل اللهُ منْ كانَ في مثل حالكم ، ونُودي بصلاةِ الصبحِ ، حين طلعَ الفجرُ فصلَّى بالناس ، فلما قضى الصلاةَ جثا على رُكبتيه وجثا الناسُ ، ونصبَ في الدعاء ورفع يديه وفعلَ الناسُ مثله حتى طلعتِ الشمسُ ، وجعلَ الناسُ ينظرون إلى سراب الشمس يلمعُ مرةً بعد أخرى ، وهو يجتهدُ في الدعاء فلمّا بلغَ الثالثةَ إذا قد خلق الله إلى جانبهم غديراً عظيماً من الماءِ القَراح ، فمشى ومشى الناسُ إليه فشربوا واغتسلوا ، فما تعالى النهارُ حتى أقبلتِ الإبل من كلِّ فجٍّ بما عليها ، لم يفقدِ الناسُ من أمتعتهم سِلْكاً[٣] ، فَسَقوا الإبلَ عَللاً بعد نَهل . فكان هذا مما عاينَ الناس من آيات الله بهذه السرية .

ثم لما اقترب من جيوش المرتدة ـ وقد حشدوا وجمعوا خلقاً عظيماً ـ نزل ونزلوا ، وباتوا مُتجاورين في المنازل ، فبينما المسلمون في الليل إذ سمعَ العلاءُ أصواتاً عاليةً في جيشِ المُرْتدين ، فقال : منْ رجلٌ يكشفُ لنا خبرَ هؤلاء ؟ فقام عبدُ الله بن حذف فدخل فيهم فوجدهم سُكارى لا يعقلون من الشراب ، فرجعَ إليه فأخبره ، فركبَ العلاءُ من فَوْره والجيشُ معه فكبسوا أولئك فقتلوهم قتلاً عظيماً ، وقلَّ منْ هربَ منهم ، واستولى على جميعِ أموالهم وحواصلهم وأثقالهم ، فكانت غنيمةً عظيمةً جسيمةً .

وكان الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة من سادات القوم نائماً ، فقامَ دَهِشاً حين اقتحمَ المسلمون عليهم ، فركبَ جوادَهُ فانقطع ركابُه فجعلَ يقولُ : منْ يُصْلح لي ركابي ؟ فجاءَ رجلٌ من المسلمين في الليل فقال : أنا أصلحُها لك ، ارفع رجلك ، فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه ، فقال له : أجْهِزْ عليَّ ، فقال : لا أفعل ، فوقعَ صريعاً كلما مرَّ به أحدٌ يسأله أن يقتلَه فيأبى ، حتى مرَّ به قيسُ بن عاصم فقال له : أنا الحطم فاقتلني فقتله ، فلما وجدَ رجلَه مقطوعة ندمَ على قتله وقال : واسوأتاه ، لو أعلمُ ما به لم أحرِّكْهُ .

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٠٢) .

(٢) في ط : « وترحب » خطأ ، فلا وجود لهذا الفعل في العربية .

(٣) « السِّلكة » : الخيط الذي يخاط به الثوب ، وجمعه سِلْك وسلُوك وأسلاك . اللسان (سلك) .

ثم ركبَ المسلمون في آثار المُنْهَزمين ، يقتلونَهم بكلِّ مَرْصَدٍ[١] وطريق ، وذهب مَنْ فرَّ منهم أو أكثرُهم في البحر إلى دَارِين[٢] ركبوا إليها السفن .

ثم شرع العلاءُ بن الحضرمي في قسْم الغنيمة ونقل الأثقال وفرغَ من ذلك . وقال للمسلمين : اذهبوا بنا إلى دَارين لنغزو منْ بها من الأعداء ، فأجابوا إلى ذلك سَريعاً ، فسارَ بهم حتَّى أتى ساحلَ البحر ليركبوا في السُّفُنِ ، فرأى أن الشُّقَّة بعيدةٌ لا يصلونَ إليهم في السفن حتى يذهبَ أعداءُ الله ، فاقتحمَ البحرَ بفرسه وهو يقولُ : يا أرحمَ الراحمين ، يا حكيمُ يا كريمُ ، يا أحدُ يا صمدُ ، يا حيُّ يا مُحيي ، يا قيّومُ ، يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت يا ربَّنا . وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا ، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليجَ بإذن الله يمشون على مثل رملةٍ دمثةٍ فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل ، ولا يصلُ إلى ركبِ الخيلِ ، ومسيرتُه للسفنِ يومٌ وليلةٌ ، فقطعَه إلى الساحل الآخر فقاتلَ عدوَّه وقهرهم واحتازَ غنائمهم ثم رجعَ فقطَعَهُ إلى الجانبِ الآخر ، فعاد إلى موضعه الأول ، وذلك كلُّه في يومٍ ، ولم يتركْ من العدوّ مُخبراً ، واستَاقَ الذَّراري والأنعام والأموالَ ، ولم يفقدِ المسلمون في البحر شيئاً سوى عَليقة[٣] فرس لرجلٍ من المسلمين ومع هذا رجعَ العلاءُ فجاءه بها .

ثم قسَمَ غنائمَ المسلمين فيهم ، فأصابَ الفارسُ ألفين والراجل ألفاً ، مع كثرةِ الجيش ، وكتبَ إلى الصديق فأعلمه بذلك ، فبعثَ الصديق يشكرُه على ما صنعَ .

وقد قال رجل من المسلمين في مرورهم في البحر . وهو عفيف بن المنذر[٤] : [من الطويل]

ألَمْ تَرَ أنَّ الله ذَلَّل بَحْرَهُ وأنزلَ بِالكُفَّارِ إحدى الجلائِلِ
دَعونا إلى شقِّ البحارِ فجاءنا بِأعجب من فَلَقِ البحار الأوائِلِ

وقد ذكر سيفُ بن عمر التميمي[٥] أنه كان مع المسلمين في هذه المواقف والمشاهد التي رَأوْها من أمر العلاءِ ، وما أجرى الله على يديه من الكرامات ، رجل من أهل هَجَر راهب فأسلم حينئذ ، فقيل له : ما دعاكَ إلى الإسلام ؟ فقال : خشيتُ إن لم أفعلْ أن يمسخني الله ، لما شاهدتُ من الآياتِ . قال : وقد سمعتُ في الهواء وقتَ السَّحَر دعاءً ، قالوا : وما هو ؟ قال : اللهم أنت الرحمنُ الرحيمُ ، لا إله غيرك والبديع ليس قبلك شيء ، والدائم غير الغافل ، والذي لا يموت ، وخالق ما يُرى وما لا يُرى ، وكلَّ يومٍ

(١) « المَرْصدُ » : الطريق . اللسان (رصد) .

(٢) دارين : فرضة بالبحرين ، بينها وبين الساحل يوم وليلة ، فتحت في أيام أبي بكر سنة ١٢ . معجم البلدان (٢/ ٤٣٢) .

(٣) « العليقة » : البعير والناقة يوجهه الرجل مع القوم إذا خرجوا ممتارين ويدفع إليهم دراهم يمتارون له عليها . اللسان (علق) .

(٤) البيتان في تاريخ الطبري (٣/ ٣١١) ومعجم البلدان (٢/ ٤٣٢) .

(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٣١٢) .

أنتَ في شأنٍ ، وعلمتَ اللّهم كلَّ شيءٍ علماً ، قال : فعلمتُ أنَّ القوم لم يعانوا بالملائكة إلّا وهم على أمر الله ، قال : فحسُنَ إسلامه وكان الصحابةُ يسمعون منه .

ذكرُ ردَّةِ أهلِ عُمان ومَهَرَةِ[١] اليَمَنِ

أما أهل عُمان فنبغ[٢] فيهم رجلٌ يقال له : ذو التّاج لَقيطُ بن مالك الأَزدي ، وكان يُسَمَّى في الجاهلية الجُلَنْدَى ، فادّعى النُّبوَّة أيضاً ، وتابعَهُ الجَهَلَةُ من أهل عُمان ، فتغلَّب عليها وقهر جيفراً وعباداً وألجأهما إلى أطرافها ، من نواحي الجبال والبحر ، فبعثَ جيفر إلى الصديق فأخبره الخبر واستجاشه ، فبعث إليه الصديق بأميرين وهما حذيفة بن محصن الحميري ، وعرفجة البارقي من الأزد ؛ حذيفة إلى عمان ، وعرفجة إلى مهرة ، وأمرهما أن يجتمعا ويتّفقا ويبتدئا بعُمان ، وحذيفة هو الأمير فإذا ساروا إلى بلاد مهرة فعرفجة الأمير .

وقد قدمنا أن عكرمةَ بن أبي جهل لمّا بعثه الصديقُ إلى مسيلمةَ وإتباعِه بشرحبيل بن حسنة ، عجَّل عكرمةُ وناهضَ مسيلمةَ قبلَ مجيءِ شرحبيل ليفوز بالظَّفر وحدَه ، فناله من مسيلمة قرحٌ والذين معه ، فتقهقر حتى جاء خالدُ بن الوليد ، فقهرَ مسيلمة كما تقدّم ، وكتب إليه الصديق يلومُه على تسرُّعه ، قال : لا أرينَّك ولا أسمعن بك إلا بعد بلاء ، وأمره أن يلحقَ بحذيفة وعرفجة إلى عُمان ، وكل منكم أميرٌ على جيشه وحذيفة ما دمتم بعمان فهو أمير الناس ، فإذا فرغتُم فاذهبوا إلى مهرة ، فإذا فرغتُم منها فاذهب إلى اليمن وحضرموت فكن مع المُهاجر بن أبي أمية ، ومن لقيته من المرتدة بين عمان إلى حضرموت واليمن فنكِّلْ به ، فسار عكرمةُ لما أمره به الصديق ، فلحق حذيفة وعرفجة قبل أن يصلا إلى عمان ، وقد كتب إليهما الصديق إن ينتهيا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ من السير من عُمان أو المقام بها ، فساروا فلما اقتربوا من عمان راسلوا جيفراً ، وبلغَ لقيطَ بن مالك مجيءُ الجيش ، فخرجَ في جموعه فعسكر بمكانٍ يقال له : دبا[٣] ، وهي مصر تلك البلاد وسوقُها العُظمى ، وجعل الذراري والأموال وراءَ ظهورهم ليكونَ أقوى لحربهم ، واجتمع جيفر وعباد بمكانٍ يقال له صُحار[٤] ، فعسكرا به وبعثا إلى أمراء الصديق فقدموا على المسلمين ، فتقابل الجيشان هنالك ، وتقاتلوا قتالاً شديداً ، وابتُلي المسلمون وكادوا أن يُولُّوا ، فمنَّ الله

---

(١) خبر ردة أهل عمان ومهرة اليمن في تاريخ الطبري (٣/ ٣١٣) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٧٢) ، وقال ياقوت : ومَهْرة ـ بالفتح ثم السكون ـ هكذا يرويه عامة الناس ، والصحيح : مَهرة بالتحريك وجدته بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لا يختلفون فيه . وباليمن لهم مخلاف يقال بإسقاط المضاف إليه ، وبينه وبين عمان نحو شهر وكذلك بينه وبين حضرموت . معجم البلدان (٥/ ٢٣٤) .

(٢) نبغ منه شاعر : خرج ، ونبغ الشيء : ظهر اللسان (نبغ) .

(٣) دبا بفتح أوله والقصر : سوق من أسواق العرب بعمان وكانت قديماً قصبة عمان . معجم البلدان (٢/ ٤٣٦) .

(٤) « صُحار » : قصبة عُمان مما يلي الجبل ، وتؤام قصبتها ممايلي الساحل ، وقال البكري صحار في بلاد بني تميم باليمامة أو ما يليها . معجم البلدان (٣/ ٣٩٣) ومعجم ما استعجم (٨٢٥) .

بكرمه ولطفه أن بعثَ إليهم مَدداً ، في الساعة الراهنة من بني ناجية وعبد القيس ، في جماعةٍ من الأمراءِ ، فلما وصلوا إليهم كان الفتحُ والنصرُ ، فولَّى المشركون مُدْبرين ، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل ، وسَبَوا الذراري ، وأخذوا الأموال والسوق بحذافيرها ، وبعثوا بالخُمْس إلى الصديق رضي الله عنه مع أحد الأمراء ، وهو عرفجة ، ثم رجع إلى أصحابه .

وأما مهرة فإنهم لما فرغوا من عُمان كما ذكرنا ، سار عكرمة بالناس إلى بلاد مهرة ، بمن معه من الجيوش ومن أضيف إليهم ، حتى اقتحم على مَهرة بلادها ، فوجدهم جندين ؛ على أحدهما ـ وهم الأكثر ـ أميرٌ يُقالُ له : المصبح ، أحد بني محارب ، وعلى الجند الآخر أمير يُقال له : شخريت ، وهما مختلفان ، وكان هذا الاختلاف رحمةً على المؤمنين ، فراسل عكرمةُ شخريت فأجابه وانضاف إلى عكرمة فقوي بذلك المسلمون ، وضعف جأش المصبح ، فبعث إليه عكرمة يدعوه إلى الله وإلى السمع والطاعة ، فاغترّ بكثرةِ منْ مَعهُ ومخالفةً لشخريت ، فتمادى على طغيانه فسار إليه عكرمةُ بمنْ معه من الجنود فاقتتلوا مع المصبح أشدَّ من قتال دبا المتقدم ، ثم فتحَ اللهُ بالظفر والنصر ، ففر المشركون وقتل المصبح ، وقتل خلقٌ كثيرٌ من قومه ، وغنم المسلمون أموالهم ، فكان في جملة ما غنموا ألفا نجيبة ، فَخمَّسَ عكرمة ذلك كله وبعثَ بخُمْسه إلى الصديق مع شخريت ، وأخبره بما فتح الله عليه ، والبشارة مع رجل يقال له : السائب ، من بني عابد من مخزوم ، وقد قال في ذلك رجل يقال له علجوم : [من الطويل]

جَزى اللهُ شخريتاً وأفناء هاشم[1] وَفِرضمَ إذ سارَت إلينا الحلائبُ
جَزاءَ مُسيءٍ لم يُراقب لذمَّةٍ ولم يَرْجُها فيما يُرجّى الأقاربُ
أعِكْرمُ لولا جَمعُ قومي وفِعلُهُم لضاقَت عليكُم بالفَضاءِ المذاهبُ
وكُنَّا كمَن إقتادَ كَفَّاً بأختِها وَحلَّتْ علينا في الدُّهورِ النوائِبُ

وأما أهل اليمن فقد قَدَّمنا أن الأسود العنسي لعنه الله لما نبغ باليمن ، أضلَّ خلقاً كثيراً من ضعفاء العقول والأديان حتى ارتدَّ كثير منهم أو أكثرهم عن الإسلام ، وأنه لما قتله الأمراء الثلاثة قيس بن مكشوح وفيروز الديلمي ، وداذويه ، وكان ما قدمنا ذكره ، ولما بلغهم موت رسول الله ﷺ ازداد بعضُ أهل اليمن فيما كانوا فيه من الحيرة والشك ، أجارنا الله من ذلك ، وطمعَ قيسُ بن مكشوح في الإمرة باليمن ، فعمل لذلك ، وارتدّ عن الإسلام وتابَعَهُ عوامُّ أهل اليمن ، وكتب الصدِّيق إلى الأمراء والرؤساء ، من أهل اليمن أن يكونوا [عوناً إلى] فيروز والأبناء[2] على قيس بن مَكشوح حتى تأتيهم جنوده سريعاً ، وحرص قيس على قتل الأميرين الأخيرين ، فلم يقدر إلا على داذويه ، واحترز منه فيروز الديلمي ، وذلك أنه عملَ

(١) في تاريخ الطبري (٣/ ٣١٧) : هيْشم .
(٢) الأبناء : قوم من أبناء فارس أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة فنصروه وملكوا اليمن وتديّروها وتزوجوا من العرب . فقيل لأولادهم الأبناء وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم . اللسان (بنى) .

طعاماً وأرسل إلى داذويه أولاً ، فلما جاءه عجَّلَ عليه فقتلَهُ ، ثم أرسلَ إلى فيروز ليحضرَ عنده فلما كان ببعض الطريق سمع امرأةً تقول لأخرى : وهذا أيضاً والله مقتولٌ كما قُتل صاحبُه ، فرجع من الطريق وأخبر أصحابه بقتل داذويه ، وخرج إلى أخواله خولان فتحصَّن عندهم وساعدته عقيلٌ ، وعكٌّ وخلقٌ .

وعمد قيسٌ إلى ذراري فيروز وداذويه والأبناء فأجلاهم عن اليمن ، وأرسل طائفة في البر وطائفة في البحر ، فاحتدّ فيروزُ فخرجَ في خلقٍ كثيرٍ ، فتصادفَ هو وقيسٌ فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزم قيساً وجنده من العوام ، وبقية جند الأسود العنسي ، فهزموا في كل وجه وأسر قيسٌ وعمرو بن معديكرب ، وكان عمرو قد ارتدَّ أيضاً ، وبايع الأسودَ العنسيَّ ، وبعث بهما المُهاجر بن أبي أمية إلى أبي بكر أسيرين ، فعنَّفَهما وأنّبهما ، فاعتذرا إليه فقبل منهما علانيتهما ، ووكل سرائرهما إلى الله عزَّ وجلَّ ، وأطلقَ سراحهما وردّهما إلى قومهما .

ورجعت عمَّالُ رسول الله ﷺ الذين كانوا باليمن إلى أماكنهم التي كانوا عليها في حياته عليه السلام بعد حروبٍ طويلة ، لو استقصينا إيرادها لطال ذكرها ، ومُلَخصُها أنه ما من ناحية من جزيرة العرب إلا وحصلَ في أهلها ردَّةٌ لبعض الناس ، فبعثَ الصدِّيقُ إليهم جيوشاً وأمراء يكونون عوناً لمن في تلك الناحية من المؤمنين فلا يتواجه المشركون والمؤمنون في موطنٍ من تلك المواطن إلا غلب جيشُ الصدِّيق لمن هناك من المرتدين ، ولله الحمد والمنة ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وغنموا مغانم كثيرة ، فيتقوون بذلك على منْ هنالك ، ويبعثون بأخماسِ ما يغنمون إلى الصديق فينفقه في الناس فيحصل لهم قوةُ أيضاً ويستعدُّون به على قتال من يريدون قتلهم من الأعاجم والروم ، على ما سيأتي تفصيله .

ولم يزل الأمر كذلك حتى لم يبق بجزيرة العرب إلَّا أهل طاعة لله ولرسوله ، وأهل ذمة من الصديق ، كأهل نجران وما جرى مجراهم ولله الحمد .

وعامة ما وقع من هذه الحروب كان في أواخر سنة إحدى عشرة وأوائل سنة ثنتي عشرة .

ولنذكر بعد إيراد هذه الحوادث منْ توفي في هذه السنة من الأعيان والمشاهير وبالله المستعان .

وفيها رجع معاذ بن جبل من اليمن .

وفيها استبقى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

ذكر من توفي في هذه السنة

أعني سنة إحدى عشرة من الأعيان والمشاهير ، وذكرنا معهم من قتل باليمامة لأنها كانت سنة إحدى عشرة على قول بعضهم ، وإن كان المشهور أنها في ربيع سنة ثنتي عشرة .

توفي فيها رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، وذلك في ربيعها الأول يوم الإثنين ثاني عشرِهِ على المشهور ، كما قدمنا بيانه .

وبعده بستة أشهر على الأشهر ، توفيت ابنته فاطمة[١] رضي الله عنها ، وتُكْنَى بأم أبيها ، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه عهد إليها أنها أول أهله لحوقاً به ، وقال لها مع ذلك : « أما ترضين أن تكوني سيدةَ نساءِ أهلِ الجنة ؟ »[٢] وكانت أصغرَ بناتِ النبي ﷺ على المشهور ولم يبق بعده سواها ، فلهذا عَظم أجرها لأنّها أُصيبت به عليه الصلاة والسلام ، ويقال : إنها كانت توأماً لعبد الله ابن رسول الله ﷺ وليس له عليه الصلاة والسلام نسلٌ إلّا من جهتها .

قال الزبير بن بكار : وقد رُوي أنّه عليه الصلاة والسلام ليلةَ زفافِ عليٍّ على فاطمةَ توضّأ وصبَّ عليه وعلى فاطمةَ ودعا لهما أن يباركَ في نسلهما . وقد تزوجها ابنُ عمها عليُّ بن أبي طالب بعد الهجرة ، وذلك بعد بدر . وقيل : بعد أحدٍ ، وقيل : بعد تزويجِ رسول الله ﷺ عائشةَ بأربعةِ أشهر ونصف ، وبنى بها بعد ذلك بسبعةِ أشهرٍ ونصف ، فأصدقَها درعَه الحُطَمية[٣] وقيمتُها أربعمئة درهم ، وكان عمرُها إذ ذاك خمسَ عشرةَ سنةً وخمسة أشهر ، وكان عليٌّ أسنَّ منها بستِّ سنين .

وقد وردتْ أحاديثُ موضوعةٌ في تزويج عليٍّ بفاطمة لم نذكرها رغبة عنها .

فولدت له حسناً وحسيناً ومحسناً وأم كلثوم ـ التي تزوجَ بها عمرُ بن الخطاب بعد ذلك ـ .

وقد قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا عفان ، حدَّثنا حماد ، أنبأنا عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن علي : أنَّ رسول الله لما زوَّجهُ فاطمةَ بعَثَ معها بخميلةٍ ووسادةٍ من أدم حشوها ليفٌ ، ورحى وسقاء وجرَّتين ، فقال علي لفاطمة ذات يوم : والله لقد سنوتُ[٥] حتى لقد اشتكيتُ صدري ، وقد جاء الله أباك بسبيٍ فاذهبي فاستخدميه ، فقالت : وأنا واللهِ لقد طحنتُ حتى مجلت[٦] يداي ، فأتت النبيَّ ﷺ فقال : « ما جاء بك أي بنية ؟ » قالت : جئتُ لأسلِّم عليك ـ واستَحْيَتْ أن تسألَه ـ ورجعتْ ، فقال : ما فعلتِ؟ قالت : استحييتُ أن أسأله ، فأتياه جميعاً ، فقال علي : يا رسولَ الله والله لقد سَنَوْتُ حتى اشتكيتُ صدري ، وقالت فاطمة : لقد طَحَنْتُ حتى مَجَلَتْ يداي ، وقد جاءكَ الله بسبيٍ وسَعة فأخدمنا ، فقال : « والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفَّة تَطْوَى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم »[٧] فرجعا فأتاهما رسول الله ﷺوقد

---

(١) ترجمة فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٢٢٢) والاستيعاب (٤/ ١٨٩١) وأسد الغابة (٧/ ٢١٧) وسير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨ ـ ١٣٤) والإصابة (٤/ ٣٧٧ ـ ٣٨٠) .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٢٤) ومسلم رقم (٢٤٥٠) (٩٨) و(٩٩) .

(٣) الحُطَميَّةُ : دروع كانت تنسب إلى رجل كان يعملها وكان لعلي رضي الله عنه درع يقال لها : الحطميَّة وهي التي تحطم السيوف أي تكسرها ، وقيل : هي العريضة الثقيلة ، وقيل : هي منسوبة إلى بطن من عبد قيس يقال لهم حُطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع . قال : وهذا أشبه الأقوال . اللسان (حطم) .

(٤) مسنده (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧) رقم (٨٣٨) وإسناده حسن ، وهو حديث صحيح .

(٥) سنوت ، ونسنو أي نستقي . النهاية (٢/ ٤١٥) واللسان (سنا) .

(٦) مجلت : تقرَّحت من العمل .

(٧) بعد هذا في المسند : « ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم » .

دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما ، وإذا غطت أقدامهما تكشفت رؤوسهما ، فثارا ، فقال : مكانكما ، ثم قال : ألا أخبركما بخير مما سألتماني ؟ قالا : بلى ، قال : « كلمات علمنيهن جبريل ، تُسَبِّحانِ اللهَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ عشراً ، وتحمدانِ عشراً ، وتكبِّران عشراً ، وإذا آويتما إلى فراشكما فسبِّحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبِّرا أربعا وثلاثين » قال : فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ ، قال : فقال له ابن الكوا : ولا ليلة صفّين ؟ فقال : قاتلكم الله يا أهل العراق ، نعم ولا ليلة صفين .

وآخر هذا الحديث ثابتٌ في الصَّحيحين[١] من غير هذا الوجه ، فقد كانت فاطمةُ صابرةً مع عليٍّ على جَهْدِ العيشِ وضيقِه ، ولم يتزوجْ عليها حتى ماتَتْ ، ولكنّه أرادَ أن يتزوجَ في وقتٍ بدرةَ[٢] بنت أبي جهل ، فأنف رسول الله ﷺ من ذلك ، وخطب الناسَ فقال : « لا أحرِّمُ حلالاً ولا أحلّ حراماً ، وإنّ فاطمةَ بضعةٌ مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها ، وإني أخشى أن تُفْتن عن دينها ، ولكن إني أحبُّ ابنَ أبي طالب أن يطلِّقَها ويتزوجَ بنتَ أبي جهل ، فإنّه واللهِ لا تجتمعُ بنتُ نبيِّ الله وبنت عدوِّ اللهِ تحتَ رجُلٍ واحدٍ أبداً »[٣] قال : فترك عليٌّ الخطبة .

ولما مات رسول الله ﷺ سألت من أبي بكر الميراث فأخبرها أن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا فهو صدقةٌ »[٤] فسألتْ أن يكونَ زوجُها ناظراً على هذه الصدقة فأبى ذلك ، وقال : إني أعول منْ كان رسول الله يعول ، وإني أخشى إن تركتُ شيئاً مما كان رسول الله ﷺ يفعله أن أضلَّ ، ووالله لقرابةُ رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي ، فكأنها وجدت في نفسها من ذلك ، فلم تزل تبغضه مدة حياتها ، فلما مرضت جاءها الصديقُ فدخلَ عليها فجعلَ يترضّاها وقال : واللهِ ما تركتُ الدارَ والمالَ والأهلَ والعشيرةَ إلَّا ابتغاء مرضاةِ الله ومرضاةِ رسوله ومرضاتكم أهلَ البيت ، فرضيتْ رضي الله عنهما .

رواه البيهقي[٥] من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، ثم قال : وهذا مرسل حسن بإسناد صحيح .

ولما حضرتها الوفاة أوصتْ إلى أسماء بنت عُمَيْس ـ امرأة الصديق ـ أن تُغَسِّلَها ، فَغَسَّلَتْها هي وعليُّ بن أبي طالب ، وسلمى أم رافع ، قيل : والعبّاسُ بنُ عبد المطلب .

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ـ (٣٧٠٥) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه ـ (٢٧٢٧) (٨٠) في الذكر والدعاء .

(٢) في جامع الأصول (١٣/ ٢٨٠) هي جويرية ، وقيل جميلة .

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٢٦) بألفاظ متقاربة ، والبخاري في صحيحه (٣١١٠) في فرض الخمس ، ومسلم في صحيحه (٢٤٤٩) (٩٥) في فضائل الصحابة .

(٤) حديث صحيح سبق تخريجه في خلافة أبي بكر الصديق من هذا الجزء .

(٥) في السنن الكبرى (٦/ ٢٩٨) ودلائل النبوة (٧/ ٢٨٠) .

وما رُوي من أنّها اغتسلتْ قبلَ وفاتها وأوصتْ أن لا تُغسَّلَ بعد ذلك فضعيفٌ لا يُعوَّلُ عليه ، والله أعلم .

وكان الذي صلَّى عليها زوجُها عليٌّ ، وقيل : عمُّها العباسُ ، وقيل أبو بكر الصديق ، فالله أعلم . ودُفنت ليلاً وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلونَ من رمضان سنة إحدى عشرة وقيل : إنها توفيت بعدَه عليه السلام بشهرين ، وقيل : بسبعين يوماً ، وقيل : بخمسة وسبعين يوماً ، وقيل : بثلاثة أشهر ، وقيل : بثمانية أشهر ، والصحيح ما ثبت في الصحيح[(١)] من طريق الزُّهري عن عروة عن عائشة : أن فاطمة عاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر ، ودفنت ليلاً ، ويقال إنّها لم تَضْحك في مدة بقائها بعده عليه السلام ، وأنّها كانت تذوبُ من حُزْنها عليه ، وشوقها إليه .

واختلف في مقدار سنّها يومئذ فقيل : سبع ، وقيل : ثمانٍ وقيل : تسع وعشرون ، وقيل : ثلاثون ، وقيل : خمس وثلاثون سنة ، وهذا بعيد وما قبله أقرب منه ، والله أعلم .

ودفنت بالبقيع ، وهي أول من سُتر سريرها .

وقد ثبت في الصحيح[(٢)] أن عليّاً كان له وجهٌ من الناس حياة فاطمة ، فلما ماتت التمس مبايعة الصدِّيق فبايعه كما هو مروي في البخاري ، وهذه البيعة لإزالة ما كان وقع من وحشةٍ حصلت بسبب الميراث ، ولا ينفي ما ثبتَ من البيعة المتقدمة عليها كما قررنا ، والله أعلم .

وممَّنْ تُوفِّي هذه السنة :

أمّ أيمن بَرَكةُ[(٣)] بنت ثَعْلَبَة بن عَمْرو بن حِصْن[(٤)] بن مالك بن سَلَمة بن عَمْرو بن النُّعْمان ، مولاةُ رسول الله ﷺ ورثها من أبيه ، وقيل من أمه ، وحضنتْهُ وهو صغير ، وكذلك بعد ذلك ، وقد شربت بولَهُ ، فقال لها : لقد احتظرت بحظار[(٥)] من النار ، وقد أعتقها وزوَّجها عُبيداً[(٦)] فولدت منه ابنها أيمن فعرفت به ، ثم تزوجها زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ، فولدت أسامة بن زيد ، وقد هاجرت الهجرتين إلى

---

(١) صحيح الإمام البخاري (٤٢٤٠) و(٤٢٤١) في المغازي ، وصحيح مسلم (١٧٥٩) (٥٢) في الجهاد والسير .

(٢) نفس المصادر السابقة وصحيح ابن حبان (٤٨٢٣) في السير .

(٣) ترجمة ـ أم أيمن ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧) والاستيعاب (٤/ ١٧٩٣) وأسد الغابة (٧/ ٣٧) وجامع الأصول (١٢/ ١٧٧) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٩) والإصابة (٤/ ٤٣٢ ـ ٤٣٤) والشذرات (١/ ١٣٥) .

(٤) في ط : « حُصين » محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في تهذيب الكمال (٣٥/ ٣٢٩) وفروعه ، والاستيعاب (٤/ ١٧٩٣) والإصابة وغيرها .

(٥) في ط : احتضرت بحضار ؛ خطأ . ومعنى احتظرت بحظار : لقد احتميت بحمى عظيم من النار يقيك حرّها ويؤمنك دخولها . النهاية (١/ ٤٠٤) واللسان (حظر) .

(٦) هو عُبيد بن الحارث الخزرجي .

الحبشة والمدينة ، وكانت من الصالحات ، وكان عليه السلام يزورها في بيتها ويقول : هي أمي بعد أمي ، وكذلك كان أبو بكر وعمر يزورانها في بيتها ، كما تقدم ذلك في ذكر الموالي ، وقد توفيت بعده عليه الصلاة والسلام بخمسة أشهر وقيل بستة أشهر .

ومنهم :

ثابتُ[١] بن أقْرم بن ثَعْلبة بن عَدِيّ بن العَجْلان البَلَوي ، حليف الأنصار ، شهدَ بدراً وما بعدها ، وكان ممَّن حَضَرَ مُؤْتَةَ فلما قُتِلَ عبدُ الله بن رَوَاحةَ دُفعت الرايةُ إليه فسلَّمها لخالدِ بن الوليد ، وقال : أنت أعلمُ بالقتالِ منّي ، وقد تقدَّم أن طُليحة الأسدي قَتَله وقتلَ معه عُكَّاشةَ بن مِحْصن وذلك حين يقول طُلَيْحةُ[٢] :

[من الطويل]

عشِيَّةَ غـادرتُ ابـن أقـرم ثـاوِيـاً وعُكَّـاشَـةَ الغَنمـيَّ تحـتَ مَجـالِ

وذلك في سنة إحدى عشرة ، وقيل سنة ثِنْتي عشرةَ ، وعن عروة أنه قُتل في حياةِ النبي ﷺ وهذا غريب ، والصحيح الأول ، والله أعلم .

ومنهم :

ثابتُ بن قيس بن شَمَّاس[٣] الأنْصاري الخَزْرجي ، أبو محمد خطيبُ الأنصار ويقال له أيضاً : خطيب النبي ﷺ وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه بشَّره بالشهادة ، وقد تقدم الحديث في دلائل النبوة ، فقُتل يوم اليمامة شهيداً ، وكانت راية الأنصار يومئذ بيده .

وروى الترمذي[٤] بإسناد على شرط مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نعم الرجل ثابتُ بن قيس بن شمّاس » .

وقال أبو القاسم الطبراني[٥] : حدثنا أحمد بن المعلَّى الدمشقي : حدَّثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدَّثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن عطاء الخراساني قال : قدمتُ المدينةَ فسألتُ عمَّن يحدثني بحديث ثابت بن قيس بن شَمّاس ، فأرشدوني إلى ابنته ، فسألتها فقالت : سمعت أبي يقول :

---

(١) ترجمة ـ ثابت بن أقرم ـ في الاستيعاب (١/ ١٩٩) ، وأسد الغابة (١/ ٢٦٥) والإصابة (١/ ١٩٠) .

(٢) مر تخريج الأبيات وخبر قتله ص١٧ من هذا الجزء .

(٣) ترجمة ـ ثابت بن قيس ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٠٦) والاستيعاب (٢/ ٢٠٠) وجامع الأصول (١٣/ ٢١٨ ـ ٢١٩) وأسد الغابة (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٠٨ ـ ٣١٤) والإصابة (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .

(٤) الجامع (٣٧٩٥) في المناقب . وقال هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث سهيل . قال بشار : وهو كما قال ، وإنما اقتصر على تحسينه لغرابة في متنه وللاختلاف في وصله وإرساله ، كما هو مبين في تخريجه .

(٥) في المعجم الكبير رقم (١٣٢٠) .

لما أُنزلَ على رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان : ١٨] اشتدَّتْ على ثابتٍ وغلقَ عليه بابَه ، وطفِقَ يبكي ، فأُخبر رسول الله ، فسأله فأخبره بما كَبُرَ عليه منها ، وقال : أنا رجلٌ أحبُّ الجَمال ، وأن أَسُودَ قومي ، فقال : « إنّك لست منهم ، بل تعيش بخير وتموت بخير ، ويُدْخلكَ اللهُ الجنةَ » . فلما أنزل على رسول الله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾ [الحجرات : ٢] فعلَ مثلَ ذلك ، فأخبر النبيُّ ﷺ فأرسلَ إليه فأخبره بما كَبُر عليه منها ، وأنه جَهيرُ الصَّوت ، وأنه يتخوَّفُ أن يكونَ ممَّنْ حَبِطَ عملُه ، فقال : « إنك لستَ منهم ، بل تعيشُ حميداً وتُقْتلُ شهيداً ويُدخلكَ اللهُ الجنة » فلما استنفر أبو بكر المسلمين إلى أهل الردَّةِ واليمامةِ ومُسَيْلمة الكذابِ ، سار ثابت فيمنْ سارَ ، فلما لَقُوا مسيلمة وبني حنيفة هزموا المسلمين ثلاث مرات ، فقال ثابتٌ وسالمٌ مولى أبي حذيفة : ما هكذا كنَّا نقاتلُ مع رسول الله ﷺ ، فجعلا لأنفسهما حفرةً فدخلا فيها فقاتلا حتى قُتلا .

قالت : وأُرِيَ رجلٌ من المسلمين ثابتَ بن قيس في منامه فقال : إني لما قُتلت بالأمس مرَّ بي رجلٌ من المسلمين فانتزعَ منيّ درعاً نفيسةً ومنزلُه في أقصى العسكر وعند منزله فرسٌ يَسْتنُّ[١] في طوله ، وقد أكفأ على الدرع بُرْمةً، وجعل فوق البُرْمة رَحْلا ، وائت خالد بن الوليد فليبعث إلى درعي فليأخذها ، فإذا قدمتَ على خليفة رسول الله فأعلمه أنَّ عليَّ من الدَّين كذا ، ولي من المال كذا ، وفلان من رقيقي عتيق ، وإيّاك أن تقول : هذا حلم فتُضيِّعه ، قال : فأتى خالداً فوجَّه إلى الدرع فوجدها كما ذكر ، وقدم على أبي بكر فأخْبَرهُ ، فأنفذَ أبو بكر وصيَّتهُ بعد موته ، فلا نعلم أحداً جازَتْ وصيَّتهُ بعد موته إلَّا ثابت بن قيس بن شمّاس[٢] .

ولهذا الحديث وهذه القصة شواهد أخر . والحديث المتعلق بقوله : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ في صحيح مسلم[٣] عن أنس .

وقال حماد بن سلمة : عن ثابت عن أنس : أن ثابت بن قيس بن شمَّاس ، جاء يوم اليمامة وقد تحنّط ونشر أكفانه وقال : اللهم إنّي أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، وأعتذرُ إليك مما صنعَ هؤلاء ، فقُتل وكانت له درعٌ فسُرقت فرآه رجل فيما يرى النائم فقال : إن درعي في قدر تحتَ الكانون في مكان كذا وكذا ، وأوصاه بوصايا ، فطلبوا الدرع فوجدوها ، وأنفذوا الوصايا . رواه الطبراني[٤] أيضاً .

---

(١) في ط : تبن ، وهو تحريف . وما هنا عن مصادره ، واستنّ الفرسُ يَسْتنُّ استناناً أي : عَدا لمرحه ونشاطه لطول حبله . النهاية (٣/ ٤١٠) واللسان (سنن) .

(٢) في إسناد هذا الحديث بنت ثابت بن قيس بن شماس مجهولة ، ولكن القصة كما قال المصنف لها شواهد .

(٣) صحيح مسلم (١١٩) (١٨٨) في الإيمان .

(٤) المعجم الكبير رقم (١٣٠٧) .

ومنهم :

حَزْن[١] بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ[٢] بن عمران المَخْزُومي ، له هجرةٌ : ويقال : أسلم عامَ الفتح ، وهو جدُّ سعيد بن المُسَيّب . أراد رسولُ الله ﷺ أن يسميه سَهْلاً فامتنعَ وقال : لا أغيّرُ اسماً سمانيه أبواي ، فلم تزل الحزونة فينا[٣] . استُشهد يومَ اليمامة . وقتل معه أيضاً ابناه عبد الرحمن ووهب ، وابن ابنه حكيمُ بن وَهْبِ بن حزن .

وممَّنِ استُشهد في هذه السنة داذَويه الفارسي أحدُ أمراءِ اليمنِ الذين قتلوا الأسودَ العَنْسي ، قتله غيلةً قيسُ بن مَكْشوح حين ارتدَّ قبل أن يرجعَ إلى الإسلام ، فلما عنَّفه الصدِّيقُ على قتله أنكر ذلك ، فقبل علانيته وإسلامه .

ومنهم :

زيد[٤] بن الخطاب بن نُفَيْل القُرشي العَدوي أبو محمد ، وهو أخو عمر بن الخطّاب لأبيه ، وكان زيدٌ أكبر من عمر ، أسلم قديماً ، وشهدَ بدراً ، وما بعدها ، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معن بن عديّ الأنصاري وقد قُتلا جميعاً باليمامة ، وقد كانت رايةُ المهاجرين يومئذ بيده ، فلم يزل يتقدَّم بها حتى قُتل فسقطت ، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة ، وقد قتل زيد يومئذ الرّجّال بن عُنفوة ، واسمه نهار ، وكان الرَّجَّال هذا قد أسلم وقرأ البقرة ثم ارتدَّ ورجعَ فصدَّق مسيلمةَ وشهد له بالرسالة ، فحصل به فتنة عظيمة ، فكانت وفاته على يد زيد ، رضي الله عن زيد . ثم قتلَ زيداً رجل يقال له : أبو مريم الحنفي ، وقد أسلم بعد ذلك وقال لعمر : يا أميرَ المؤمنين إن الله أكرم زيداً بيدي ولم يُهنِّي على يده ، وقيل : إنما قتله سلمةُ بن صبيح ابن عمِّ[٥] أبي مريم هذا ، ورجَّحه أبو عمر[٦] وقال : لأن عمر استقضى أبا مريم ، وهذا لا يدلّ على نفي ما تقدم ، والله أعلم .

وقد قال عمر لما بلغَهُ مقتلُ زيد بن الخطاب : سبقني إلى الحُسَنيينِ ، أسلمَ قبلي ، واستُشهد قبلي .

---

(١) ترجمة ـ حزن بن أبي وهب ـ في الاستيعاب (١/ ٤٠١) وجامع الأصول (١٣/ ٣١٣) وأسد الغابة (٢/ ٤) وتهذيب الكمال (٥/ ٥٩٠) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٤٣) والإصابة (١/ ٣٢٥) .

(٢) في ط : « عامر » محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في مصادر ترجمته .

(٣) صحيح البخاري (٦١٩٠) في الأدب .

(٤) ترجمة ـ زيد بن الخطاب ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٤) وحلية الأولياء (١/ ٣٦٧) والاستيعاب (٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥٣) وجامع الأصول (١٤/ ١٠٩) وأسد الغابة (٢/ ٢٨٥) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩) وتهذيب الكمال (١٠/ ٦٥) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤١١) والإصابة (١/ ٥٦٥) .

(٥) في ط : ابن عمر ؛ تصحيف ، وما هنا عن الاستيعاب .

(٦) قال أبو عمر رحمه الله : النفس أميل إلى هذا ، لأن أبا مريم لو كان قاتل زيد ما استقضاه عمر ، والله أعلم . الاستيعاب (٥٥٢) .

وقال لمُتَمِّم بن نويرة حين جعلَ يرثي أخاه مالكاً بتلك الأبيات المتقدم ذكرها : لو كنتُ أحسنُ الشعرَ لقلتُ كما قلت ، فقال له متمِّم : لو أن أخي ذهب على ما ذهبَ عليه أخوك ما حزنتُ عليه ، فقال له عمر : ما عزّاني أحد بمثل ما عزَّيْتني به ، ومع هذا كان عمرُ يقول : ما هبَّتِ الصَّبا إلا ذَكَّرَتْني زيدَ بن الخطاب ، رضي الله عنه .

ومنهم :

سالم[١] بن عبيد ويقال : ابن مَعْقل[٢] مولى أبي حذيفة بن عُتْبة بن رَبيعة ، وإنما كان مُعْتقاً لزوجته ثُبَيْتة بنت يَعَار[٣] وقد تَبنّاهُ أبو حُذَيْفة[٤] وزوَّجَهُ بابنةِ أخيه فاطمة بنت الوليد بن عُتْبة ، فلما أنزل الله ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٥] جاءت امرأة أبي حُذَيْفة سَهْلة بنت سَهْل بن عمرو فقالت : يا رسولَ الله إنَّ سالماً يدخل عليَّ وأنا غفلٌ ، فأمرها أن تُرْضِعهُ فأرْضَعَتْهُ فكانَ يدخلُ عليها بتلك الرضاعة ، وكان من سادات المسلمين ، أسلمَ قديماً وهاجرَ إلى المدينة قبل رسول الله ﷺ فكان يُصلِّي بمن بها من المُهاجرين ، وفيهم عمر بن الخطاب لكثرةِ حفظِهِ القرآن ، وشهد بدراً وما بعدها ، وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « استقرئوا القرآنَ من أربعةٍ »[٥] فذكر منهم سالماً مولى أبي حذيفة .

وروي عن عمر أنه قال لما احتُضِر : لو كانَ سالمٌ حيّاً لما جعلتها شُورى ، قال أبو عمر بن عبد البر[٦] . معناه أنّه كان يصدرُ عن رأيه فيمن يُولّيه الخلافةَ . ولما أخذ الرايةَ يومَ اليمامةِ بعد مَقْتل زيدِ بن الخطاب قال له المهاجرون : أتَخْشَى أنْ نُؤْتى من قبلك ؟ فقال : بئسَ حاملُ القرآن أنا إذاً . انقطعت يدُه اليمنى فأخذها بيساره ، فقُطعت فاحتضنها وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] فلما صرع قال لأصحابه : ما فعل أبو حُذَيْفة ؟ قالوا : قُتل ، قال : فما فعلَ فلانٌ ؟ قالوا : قُتل ، قال : فأضجعوني بينهما . وقد بعثَ عمرُ بميراثه إلى مولاته التي أعْتقَتْه « بثينة »[٧] فردَّته وقالتْ : إنّما أعْتَقَتْهُ سائبةٌ ، فجعله عمر في بيت المال .

---

(١) ترجمة ـ سالم مولى أبي حذيفة ـ في حلية الأولياء (١/١٧٦ ـ ١٧٧) والاستيعاب (٢/٥٦٧) وجامع الأصول (١٤/١٥٤ ـ ١٥٧) وأسد الغابة (٢/٣٠٧ ـ ٣٠٩) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٢٠٦ ـ ٢٠٧) وسير أعلام النبلاء (١/١٦٧ ـ ١٧٠) والإصابة (٢/٦ ـ ٨) .

(٢) في ط ؛ ابن يعمل ؛ تحريف ، والتصحيح من مصادره .

(٣) في ط : يعاد ؛ تحريف ، والتصحيح من مصادر الترجمة .

(٤) في ط : حنيفة ؛ تحريف .

(٥) تمام الحديث : « استقرؤوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل » أخرجه مسلم في صحيحه (٢٤٦٤) (١١٧) في فضائل الصحابة .

(٦) الاستيعاب (٢/٥٦٨) .

(٧) تقدم قبل أسطر اسمها : ثُبَيْتة ؛ وفي اسمها خلاف بين هذين الاسمين وثالث هو عمرة . الاستيعاب (٢/٥٦٨) .

ومنهم :

أبو دُجَانة سِماك[١] بن خَرَشَة ويقال سِماك بن أوْس بن خَرَشَة بن لَوْذان بن عَبْدِ ودٍّ بن زيد بن ثَعْلَبة بن الخَزْرجِ بن ساعدة بن كَعب بن الخَزْرج الأنْصاري الخَزْرجي . شهدَ بدراً وأبلى يومَ أُحُدٍ ، وقاتلَ شديداً وأعطاهُ رسولُ الله ﷺ يومئذٍ سَيْفاً فأعطاهُ حَقَّه وكانَ يَتَبَخْترُ عندَ الحَرْب ، فقال عليه السلام : « إنَّ هذه لمشيةٌ يبغضها اللهُ ، إلا في هذا الموطن »[٢] . وكان يعصبُ رأسَهُ بعصابةٍ حمراء ، شعاراً له بالشجاعة . وشهدَ اليمامةَ ويُقال إنَّه ممَّنِ اقْتَحم على بني حنيفةَ يومئذٍ الحديقةَ فانكسرت رجلُه ، فلم يزل يُقاتل حتى قُتل يومئذ . وقد قَتل مُسَيْلمةَ مع وَحْشيٍّ بن حَرْب رماه وَحْشيّ بالحربة وعلاهُ أبو دُجانة بالسَّيْف ، قال وحشي : فَربُّك أعلمُ أيُّنا قَتَله . وقد قيل إنه عاش حتَّى شَهدَ صِفِّين مع عليٍّ ، والأول أصح . وأما ما يروى عنه من ذكر الحِرْزِ[٣] المنسوب إلى أبي دُجانة فإسناده ضعيف ولا يُلتفت إليه ، والله أعلم .

ومنهم :

شجاع[٤] بن وَهْب بن رَبيعة الأسَدي ، حليف بني عبد شمس ، أسلمَ قديماً وهاجرَ وشهدَ بدراً وما بعدها ، وكان رسولَ رسولِ الله إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني فلم يُسْلم ، وأسلم حاجبُه سوي . واستُشهد شُجاعُ بن وهب يومَ اليمامةِ عن بضعٍ وأربعين سنة ، وكان رجلاً طوالاً نحيفاً أجناً[٥] .

ومنهم :

الطُّفيل[٦] بن عَمْرو بن طَريف بن العاص بن ثَعْلبة بن سُلَيْم بن فَهْم[٧] بن غَنْم بن دَوْس الدَّوْسي ، أسلم قديماً قبل الهجرة ، وذهب إلى قومه فدعاهم إلى الله فهداهم الله على يديه ، فلمّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة جاءه بتسعين أهل بيت من دَوْس مسلمين ، وقد خرج عامَ اليمامة مع المسلمين ومعه ابنه عمرو ، فرأى الطُّفَيْل في المَنام كأنّ رأسه قد حُلقَ ، وكأنّ امرأةً أدخلته في فرجها ، وكأنَّ ابنه يجهتدُ أن يلحقه فلم

---

(١) ترجمة ـ أبي دجانة ـ في الاستيعاب (٢/ ٦٥١) وجامع الأصول (١٤/ ١٩٥ ـ ١٩٦) وأسد الغابة (٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥) والإصابة (٢/ ٧٧) .
(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٢٣) ومسلم في صحيحه (٢٤٧٠) في فضائل الصحابة .
(٣) قال الذهبي في سيره (١/ ٢٤٥) : وحرز أبي دجانة شيء لم يصحّ ما أدري منْ وضعه . وقد أورد المحققان الفاضلان للجزء الأول من سير أعلام النبلاء هذا الحرز كاملاً في الهامش .
(٤) ترجمة ـ شجاع بن وهب ـ في الاستيعاب (٢/ ٧٠٧) وأسد الغابة (٢/ ٥٠٥) والإصابة (٢/ ١٣٨) .
(٥) في ط : أجنى ؛ تحريف وأجنأ : أحدب الظهر . اللسان (جنأ) .
(٦) ترجمة ـ الطفيل بن عمرو ـ في الاستيعاب (٢/ ٧٥٧) وجامع الأصول (١٤/ ٣٨٩) وأسد الغابة (٣/ ٧٨ ـ ٨١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٧) والإصابة (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) .
(٧) في ط : فهر ؛ وهو تحريف ، والتصحيح من مصادره .

يصل . فأولها بأنه سيقتل ويدفن ، وأن ابنه يحرص على الشهادةِ فلا ينالُها عامَه ذلك . وقد وقع الأمر كما أوّلها ، ثم قُتل ابنُه شهيداً يوم اليرموك كما سيأتي[١] .

ومنهم :

عَبّاد[٢] بن بِشْر بن وَقْش الأنصاري : أسلم على يدَيْ مُصْعب بن عُمَيْر قبلَ الهجرة قبلَ إسلام مُعاذ ، وأُسَيْد بن الحُضيْر ، وشهد بدراً وما بعدها . وكان ممَّنْ قتل كَعْب بن الأشرف ، وكانت عصاهُ تُضيءُ له إذا خرج من عند رسول الله في ظلمةٍ .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : قُتل يوم اليمامةِ شَهيداً عن خمسٍ وأربعين سنة ، وكان له بلاءٌ وعناءٌ .

وقال محمد بن إسحاق : عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة قالت :

تهجَّدَ رسولُ الله فسمع صوتَ عَبّاد فقال : « اللَّهم اغْفِرْ لَهُ »[٣] .

ومنهم :

السَّائِب[٤] بن عُثْمان بن مَظْعون : بَدْريٌّ من الرماة ، أصابه يومَ اليمامةِ سَهْمٌ فقتَله وهو شابٌّ ، رحمه الله .

ومنهم :

السَّائبُ بن العَوَّام[٥] أخو الزُّبَيْر بن العَوَّام واستُشهدَ يومئذ ، رحمه الله .

---

(١) ستأتي ترجمته مع وفيات سنة ١٣ من هذا الجزء .

(٢) ترجمة ـ عباد بن بشر ـ في الاستيعاب (٨٠١) وجامع الأصول (١٤/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) وأسد الغابة (٣/ ١٥٠ ـ ١٥١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٣٧ ـ ٣٤٠) والإصابة (٢/ ٢٦٣) .

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه معلقاً (٢٦٥٥) في الشهادات بلفظ : « اللهم ارحم عباداً » ، ووصله أبو يعلى في مسنده رقم (٤٣٨٨) من حديث عباد عن عائشة قالت : تهجد النبي ﷺ في بيتي وتهجد عباد بن بشر في المسجد ، فسمع رسول الله ﷺ صوته ، فقال : « اللهم ارحم عباداً » وفيه عنعنة ابن إسحاق وانظر الفتح (٥/ ٢٦٥) . (ملاحظة : وقع في المطبوع من مسند أبي يعلى : عن يحيى بن عباد ، عن عائشة : وهو غلط بين ، فإن يحيى بن عباد لم يلق عائشة ، وإنما رواه عن أبيه : عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة ، كما صَرَّح به الحافظ ابن حجر في الفتح . أما كلام محققه ففيه تخبيط عجيب ، وآية ذلك أن يحيى بن عباد ولد بلا شك بعد وفاة عائشة) (بشار) .

(٤) ترجمة ـ السائب بن عثمان ـ في الاستيعاب (٥٧٥) وأسد الغابة (١/ ٣١٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٦٣) والإصابة (٢/ ١١) .

(٥) ترجمة ـ السائب بن العوام ـ في الاستيعاب (٥٧٥) وأسد الغابة (٢/ ٣١٨ ـ ٣١٩) والإصابة (٢/ ١١ـ١٢) .

ومنهم :

عبد الله[١] بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عَبْد ودٍّ القُرَشي العامري ، أسلمَ قديماً وهاجرَ ثم استُضعِفَ بمكة ، فلما كان يوم بدر خرج معهم فلما تواجَهوا فرَّ إلى المسلمين فشهدها معهم ، وقُتل يومَ اليمامة ، فلما حجَّ أبو بكر عَزَّى أباه فيه ، فقال سُهيل : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشهيدَ ليشفعُ لسبعين من أهله »[٢] فأرجو أن يبدأ بي .

ومنهم :

عبد الله[٣] بن عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول الأنصاري الخزرجي ، كان من سادات الصَّحابة وفضلائهم ، شهدَ بدراً وما بعدَها ، وكان أبوه رأسَ المنافقين ، وكان أشدَّ الناس على أبيه ، ولو أذن له رسول الله فيه لضربَ عُنُقه ، وكان اسمه الحُباب ، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله ، وقد استشهد يومَ اليمامة رضي الله عنه .

ومنهم :

عبد الله بن أبي بَكْر الصِّدِّيق[٤] أسلم قديماً ، ويقال : إنه الذي كانَ يأتي بالطعامِ والشرابِ والأخبار إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي بكر وهما بغارِ ثَوْرٍ ، ويبيتُ عندهما ويصبحُ بمكة كبائتٍ ، فلا يسمع بأمر يكادان به إلا أخبرهما به . وقد شهد الطائف فرماه رجلٌ يُقال له أبا محجن الثَّقفي بسهمٍ فَذَوى ، فاندمَلَتْ ولكنْ لم يزلْ منها حمتاً[٥] حتى مات في شوال سنة إحدى عشرة .

ومنهم :

عُكَّاشة بن مِحْصنٍ[٦] بن حُرْثان بن قيس بن مرة بن كَبير[٧] بن غَنْم بن دُودان بن أَسَد بن خُزيمة الأسدي

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن سهيل ـ في الاستيعاب (٩٢٥) وأسد الغابة (٣/ ٢٧١) والإصابة (٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) .

(٢) الحديث رواه أبو داود في سننه (٢٥٢٢) في الجهاد ، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٦٦٠) في السير كلاهما عن أبي الدرداء ، وهو حديث صحيح .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٨٩ ـ ٩٠) والاستيعاب (٦/ ٢٧٣) وجامع الأصول (١٤/ ٤٧٠ ـ ٤٧١) وأسد الغابة (٣/ ٢٩٦) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٧٦) والإصابة (٦/ ١٤٢ـ١٤٣) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن أبي بكر ـ في الاستيعاب (٨٧٤ـ٨٧٥) وجامع الأصول (١٤/ ٤٣٩) وأسد الغابة (٣/ ١٨٨ و٢٩٩ ـ ٣٠٠) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٢) والإصابة (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) .

(٥) حمت ـ كفرح ـ تغيَّر وفسد . اللسان والقاموس والتاج (همت) .

(٦) ترجمة ـ عكاشة بن محصن ـ في حلية الأولياء (٢/ ١٢) والاستيعاب (١٠٨٠ ـ ١٠٨١) وجامع الأصول (١٤/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣) وأسد الغابة (٤/ ٦٧) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٨) وسير أعلام النبلاء ((١/ ٣٠٧ـ٣٠٨) والإصابة (٢/ ٤٩٤ـ٤٩٥) .

(٧) في ط والاستيعاب : كثير ، وفي الإصابة : بكير ؛ وكلاهما تحريف ، وما هنا عن جامع الأصول وتوضيح المشتبه (٧/ ٢٩٧) .

حليف بني عبد شمس ، يكنى أبا مِحْصن ، وكان من سادات الصّحابة وفضلائهم ، هاجرَ وشهدَ بدراً ، وأبلى يومئذ بلاءً حسناً ، وانكسر سيفُه ، فأعطاهُ رسولُ الله يومئذ عرجوناً ، فعادَ في يده سيفاً أمضى من الحديد شديد المتن . وكان ذلك السيف يسمى « العون » . وشهدَ أُحداً والخندق وما بعدها .

ولما ذكر رسول الله ﷺ السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنةَ بغير حساب ، فقال عُكاشة : يا رسول الله ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم . فقال : « اللَّهُمّ اجعلْه منهم »(١) ثم قام رجل آخر فقال : يا رسولَ الله ادعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال : « سَبَقك بها عُكّاشَة » . والحديث مروي من طرق تفيد القطع .

وقد خرج عكاشة مع خالد يوم إمرةِ الصديق بذي القصة فبعثَه وثابتَ بن أقْرم بين يديه طليعةً ، فتلقاهما طُلَيْحةُ الأسديُّ وأخوه سلمة فقتلاهما ، وقد قَتَل عكاشةُ قَبْلَ مَقْتلهِ حِبال بن طُلَيْحة ، ثم أسلم طُلَيْحة بعد ذلك كما ذكرنا ، وكان عمر عكاشة يومئذ أربعاً وأربعين سنة ، وكان من أجملِ الناس رضي الله عنه .

ومنهم :

مَعْنُ(٢) بن عَدِيّ بن الجدِّ(٣) بن عَجْلان بن ضُبَيْعة البَلَوي ، حليف بني عمرو بن عوف . وهو أخو عاصم بن عدي ، شهد العَقَبة وبدراً وأُحداً والخَنْدق وسائرَ المشاهد ، وكان قد آخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين زيد بن الخطّاب فقُتلا جميعاً يوم اليمامة رضي الله عنهما .

وقال مالك : عن ابن شهاب ، عن سالم ، عن أبيه قال :

بكى الناس على رسول الله ﷺ حين مات وقالوا : والله وددنا أن مُتْنا قبلَه ونخشى أن نُفْتتنَ بعده ، فقال معن بن عدي : لكنّي والله ما أحب أن أموتَ قبله لأصدقه ميتاً كما صدقته حياً .

ومنهم :

الوليد وأبو عُبَيْدة ابنا عُمارة بن الوليد بن المُغيرة(٤) ، قُتلا مع عمِّهما خالد بن الوليد بالبطاح ، وأبوهما عمارة بن الوليد ، وهو صاحب عمرو بن العاص إلى النجاشي ، وقضيته مشهورة .

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٥٦) والبخاري في صحيحه (٥٨١١) في اللباس ، ومسلم في صحيحه (٢١٦ و٣٦٨) في الإيمان من طرق متعددة .

(٢) ترجمة ـ معن بن عدي ـ في الاستيعاب (١٤٤١) وجامع الأصول (١٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٠٧) وأسد الغابة (٥/ ٢٣٨) والإصابة (٣/ ٤٤٨) .

(٣) في ط : الجعد ؛ تحريف . والتصحيح من مصادره .

(٤) ترجمتهما وأخبارهما في الاستيعاب (١٥٥٧ ـ ١٥٥٨) وفيه أن أبا عبيدة أبوه وهو خطأ لا بد من تصحيحه ، وأسد الغابة (٥/ ٤٥٣) والإصابة (٣/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩) .

ومنهم :

أبو حذيفة[١] بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس القُرشي العَبْشمي : أسلم قديماً قبل دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة وشهد بدراً وما بعدها ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عَبَّاد بن بِشْر وقد قُتلا شَهيدين يومَ اليمامة . وكان عُمْرُ أبي حذيفة يومئذ ثلاثاً أو أربعاً وخمسين سنةً ، وكان طويلاً حسنَ الوجه ، أثْعل ، ـ وهو الذي له سِنٌّ زائدة ـ وقيل[٢] اسمه هُشَيْم ، وقيل هاشم .

ومنهم[٣] :

أبو دجانة واسمه سماك بن خرشة تقدم قريباً .

وبالجملة فقد قتل من المسلمين يوم اليمامة أربعمئة وخمسون من حَملة القرآن ومن الصَّحابة وغيرهم . وإنما أوردنا هؤلاء لشهرتهم وبالله المستعان .

قلت : وممَّن استُشهدَ يومئذ من المهاجرين :

مالك بن عمرو حليف بني غنم[٤] ، مهاجريٌّ بدري .

ويزيد بن رُقَيْش بن رئاب[٥] الأسدي ، بدري .

والحَكَم بن سَعيد بن العاص بن أمية الأموي[٦] .

وجبير[٧] بن مالك بن بُحينة أخو عبد الله بن مالك الأزدي ، حليف بني المطلب بن عبد مناف .

وعامر بن البُكَيْر[٨] اللَّيْثي ، حليف بني عدي ، بدري .

ومالك بن ربيعة حليف بني عبد شمس .

---

(١) ترجمة ـ أبي حذيفة ـ في الاستيعاب (١٦٣١ ـ ١٦٣٢) وفيه : يقال اسمه : مُهشِّم ، وقيل هشيم ، وقيل هاشم ، وجامع الأصول (١٥/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) وفيه : أبو حذيفة هشام ، وقيل إن اسمه هُشَيم ، وأسد الغابة (٥/ ٢٨٢) مُهشم و(٥/ ٤٠٣) هشام و(٥/ ٤٠٦) هشيم و(٦/ ٧٠ ـ ٧٢) أبو حذيفة ، وسير أعلام النبلاء (١/ ١٦٤ ـ ١٦٧) والإصابة (٤/ ٤٢ ـ ٤٣) وفيه : قال معاوية : اسمه مهشم ، وقيل : هشيم ، وقيل هاشم ، وقيل قيس .

(٢) في ط : وكان ، وما هنا للسياق .

(٣) تبين لنا من المقابلة أنَّ هذا الفصل نقله المصنف من تاريخ الإسلام لشيخه الذهبي ، وقد وصلت هذه القطعة منه بخط الذهبي (مجلد أياصوفيا ٣٠٠٥) ومصورتها عندي ، فضبطنا الأعلام عليها (بشار) .

(٤) في الاستيعاب (١٣٥٥) : مالك بن عمرو السلمي حليف بني عبد شمس .

(٥) في ط : رباب ؛ تحريف ، والتصحيح من الاستيعاب (١٥٧٤) وأسد الغابة (٥/ ٤٨٧) .

(٦) الاستيعاب (٣٥٥ ـ ٣٥٦) .

(٧) في ط : وحسن ؛ وهو تصحيف ، وترجمة جبير في تاريخ خليفة (١/ ٩٢) والاستيعاب (٢٣٤) .

(٨) في ط : عامر بن البكر ؛ تحريف ، وترجمة ابن البكير في تاريخ خليفة (٩٣) والاستيعاب (٧٨٨) .

وأبو أمية صفوان[١] بن أمية بن عمرو .

ويزيد بن أوس[٢] حليف بني عبد الدار .

وحُبَّى[٣] ويقال : مُعَلَّى[٤] بن حارثة[٥] الثقفي .

وحبيب بن أسيد بن جارية الثقفي .

والوليد بن عبد شمس المخزومي .

وعبد الله بن عمرو بن بُجرة العدوي .

وأبو قيس بن الحارث بن قيس السهمي ، وهو من مهاجرة الحبشة .

وعبد الله بن الحارث بن قيس .

وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عَبْد ودّ بن نَصْر العامري ، من المهاجرين الأولين ، شهد بدراً وما بعدها ، وقتل يومئذ .

وعمرو بن أويس[٦] بن سعد بن أبي سرح العامري .

وسَليط بن سليط[٧] بن عمرو العامري .

وربيعة بن أبي خَرشة العامري .

وعبد الله بن الحارث بن رحضة من بني عامر .

ومن الأنصار غير من ذكرنا تراجمهم :

عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان النجاري ، وهو أخو عمرو بن حزم ، كانت معه رايةُ قومه يومَ الفتح ، وقد شهد بدراً وقُتل يومئذ .

وعُقبة بن عامر بن نابىء بن زيد بن حرام السَّلَمِي ، شهد العقبة الأولى وشهد بدراً وما بعدها .

---

(١) تاريخ خليفة (٩١) والاستيعاب (٧٢٢) .

(٢) تاريخ خليفة (٩٢) والاستيعاب (٣/ ٦٤٩) هامش الإصابة .

(٣) بضم الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة الممالة ، قيده الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٣١٠) وقبله الأمير في الإكمال (٢/ ٥٨٣) ، وهو كذلك بخط الذهبي في تاريخ الإسلام . ويقال فيه : « حيي » بياءين آخر الحروف ، ويقال « حيّ » بالحاء المهملة وياء واحدة ، كما في تاريخ خليفة (٩٢) ونص عليه الأمير نقلاً عن الطبري (بشار) .

(٤) هكذا بخط الذهبي (الورقة ١٨٧ في تاريخ الإسلام) من مجلد آيا صوفيا .

(٥) وقيل : « جارية » كما بينه الأمير في الإكمال (٢/ ٥٨٣ ـ ٥٨٤) ، ووجدناه مجوداً بخط الذهبي في تاريخ الإسلام .

(٦) هكذا بخط الذهبي أيضاً (الورقة ١٨٧ من مجلد آيا صوفيا ٣٠٠٥) ، وفي الاستيعاب (٣/ ١٧١٩) : عمرو بن أبي أويس .

(٧) سقط هذا الاسم من ط ، وأثبتناه من الاستيعاب (٢/ ٦٤٥) ، وخط الذهبي .

وثابت بن هزَّال من بني سالم بن عوف ، بدري . في قول .

وأبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة من بني جَحْجَبى ، شهد بدراً وما بعدها ، فلما كان يوم اليمامة أصابه سهم فنزعه ثم تحزم وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل ، وقد أصابته جراحات كثيرة .

وعبد الله بن عتيك .

ورافع بن سهل .

وحاجب بن زيد[١] الأشهلي .

وسهل بن عدي .

ومالك بن أوس .

وعمير[٢] بن أوس .

وطلحة بن عتبة من بني جَحْجبى .

ورَباح مولى الحارث .

ومعن بن عدي .

وجزء بن مالك بن عامر من بني جَحْجَبَى .

وودقة[٣] بن إياس بن عمرو الخَزْرجي بدري .

وجَرْول[٤] بن العباس .

وعامر بن ثابت .

وبشر بن عبد الله الخزرجي .

وكليب بن تميم[٥] .

وعبد الله بن عِتْبان .

---

(١) في تاريخ خليفة (٩٤) والاستيعاب (٢٨٠) وأسد الغابة (١/ ٣٧٧) : حاجب بن يزيد ، وفي الإصابة (١/ ٢٧٣) : ابن زيد أو يزيد .

(٢) في ط : عمر ؛ وما هنا عن تاريخ خليفة (٩٥) وكلاهما أخوان ، وعمير هو المقصود ، وأما عمر فقتل يوم جسر أبي عبيد ، الاستيعاب (١١٦٥ و١٢١٢) .

(٣) في اسمه واسم أبيه خلاف كبير . تاريخ خليفة (١/ ٩٤) والاستيعاب (٦٧) وأسد الغابة (٥/ ٤٤٢) .

(٤) في ط : مروان ، وهو تحريف ، والتصحيح من تاريخ خليفة (٩٥) والاستيعاب (٢٦٢) .

(٥) في بعض المصادر : كليب بن بشر بن تميم . وترجمته في تاريخ خليفة (٩٥) . والاستيعاب (١٣٢٨) وفي مصادر أخرى : كليب بن تميم بن نسر . الإصابة (٣/ ٣٠٦) .

وإياس بن وَديعة[١] .

وأسعد[٢] بن يربوع .

وسعد بن حارثة[٣] .

وسعد[٤] بن حمان .

ومخاشن[٥] من[٦] حمير .

وسلمة بن مسعود ، وقيل : مسعود بن سنان .

وضمرة بن عياض .

وعبد الله بن أنيس[٧] .

وأبو حَبَّة بن غَزِيّة المازني .

---

(١) هكذا في ط وتاريخ الإسلام للذهبي بخطه ، وكتب الذهبي في حاشية نسخته « ودفة » أي أنه يقال فيه ذلك أيضاً . وقد رجح ابن الأثير في أسد الغابة « ودفة » بالفاء .

(٢) هكذا في الأصل والمطبوع ، وهو كذلك بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (الورقة ١٨٧ من مجلد أيا صوفيا ٣٠٠٥) ، وكذا ترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٩٥) ، وابن حجر في الإصابة (١/ ٥٠) وغيرهم . وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٨٢) وابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٨٨) وابن حجر في الإصابة (١/ ٣٥) « أسعد بن يربوع الأنصاري الخزرجي الساعدي » وذكروا جميعاً أنه استشهد يوم اليمامة أيضاً . ولم يشيروا إلى هذا الخلف الواقع في الأسماء ، فهل هما أخوان استشهدا يوم اليمامة أم هو اختلاف في التسمية بين المؤرخين ؟ وأنا أرجح الأخير ، فالذي « أُسيداً » هو ابن إسحاق والواقدي والعسكري ووثيمة ، وذكره موسى بن عقبة عن الزهري . أما الذي ذكره باسم « أسعد » فهو سيف بن عمر ومن أخذ عنه ، فهما واحد ، والله أعلم (بشار) .

(٣) في تاريخ خليفة (٩٦) والإصابة (١/ ٢٣) : سعد بن جارية ، وهو كما هنا في الاستيعاب (٥٨٣) وأسد الغابة (٢/ ٣٤٢) وتاريخ الإسلام (بخط الذهبي) .

(٤) في ط : سهل ؛ وهو تحريف . وفي اسم أبيه خلاف بين حمار وجَمَّاز . تاريخ خليفة (٩٦) والاستيعاب (٥٨٥) وأسد الغابة (٢/ ٣٤١) والإصابة (٢/ ٢٣) .

(٥) في ط : محاسن ؛ تحريف . تاريخ خليفة (٩٦) والاستيعاب (١٤٦٥) .

(٦) في ط : « من » خطأ ، وما هنا يعضده ما في تاريخ الإسلام للذهبي (بخطه) وهو الذي ينقل منه المصنف ، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : « مخاشن الحميري » (بشار) .

(٧) هكذا في خ وط وتاريخ الإسلام للذهبي بخطه ، وهي رواية الواقدي فيما ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢/ الترجمة ٤٥٤٨) . ثم ذكر أنه هو الجهني . وأشار ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٧٤٩) أن ضمرة بن عياض الجهني هو ابن عم عبد الله بن أُنيس ، وهو بذلك لا يقر بأن عبد الله بن أنيس صحابي استشهد يوم اليمامة ـ كما ذكره الواقدي ـ بل كأنه يشير إلى عبد الله بن أنيس الذي عاش إلى سنة ٥٤هـ كما في الاستيعاب (٣/ ٨٦٩ ـ ٨٧٠) وتهذيب الكمال (١٤/ ٣١٦) . وإنما ذكر الذهبي رواية الواقدي في أسماء شهداء اليمامة ، فتابعه المؤلف ابن كثير (بشار) .

وحبيب(١) بن زيد .

وحبيب بن عمرو بن محصن .

وثابت بن خالد .

وفروة بن النعمان .

وعائذ بن ماعص .

ويزيد بن ثابت بن الضحاك ، أخو زيد بن ثابت .

قال خليفة بن خياط(٢) :

فجميع من استشهد من المهاجرين والأنصار يوم اليمامة ثمانية وخمسون رجلاً .

يعني وبقية الأربعمئة والخمسين من غيرهم والله أعلم .

وقد قُتل من الكفار فيما سُقْنا من المواطن التي التقى فيها المسلمون والمشركون في هذه وأوائل التي قبلها ، ما ينيف على خمسين ألفاً ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .

فمن مشاهيرهم :

الأسود العنسي لعنه الله ، واسمه عبهلة بن كعب بن غوث ، خرج أول مخرجه من بلدة باليمن يقال لها كهف خبان ومعه سبعمئة مقاتل ، فما مضى شهر حتى تَملَّك صنعاء ثم استوسقت(٣) له اليمن بحذافيرها في أقصر مدة ، وكان معه شيطان يحذق له ولكن خانه أحوج ما كان إليه . ثم لم تمض له ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر حتى قتله الله على يدي إخوان صدق ، وأمراء حق ، كما قدمنا ذكره وهم داذَوَيْه الفارسي ، وفَيْروز الديلمي ، وقيس بن مَكْشوح المُرادي ، وذلك في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة ، قبل وفاة رسول الله ﷺ بليال ، وقيل بليلة ، فالله أعلم .

وقد أطلع الله رسوله ليلة قتله على ذلك كما أسلفناه .

ومنهم :

مُسَيْلمة بن حَبيب اليَماميّ الكَذَّاب : قدمَ المدينةَ وافداً إلى رسول الله ﷺ مع قومه بني حنيفة ، وقد وقف عليه رسول الله ﷺ فسمعه وهو يقول : إن جعلَ لي محمدٌ الأمرَ من بعده اتَّبعته ، فقال له : « لو سألتني هذا العود ـ لعرجون في يده ـ ما أعطيتكه ، ولئن أدبرت ليعقرنَّكَ اللهُ ، وإني لأراك الذي أريت فيه

(١) كتب الذهبي في الحاشية أنه في نسخة : « خباب » ، وكذلك جاء في ط .

(٢) في الأصل : حنَّاط ، وهو خطأ ، والخبر في تاريخه ص(١١٥) .

(٣) في ط : « استوثقت » محرفة ، واستوسق : اجتمع .

ما أريت » وكان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام كأن في يده سوارين من ذهب فأهمَّه شأنهما ، فأوحى الله إليه في المنام انفخهما ، فنفخهما فطارا ، فأوَّلهما بكذَّابين يخرجان ، وهما صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة . وهذا وقع ، فإنهما ذهبا وذهب أمرهما ، أما الأسودُ فذُبح في داره ، وأما مُسيلمةُ فعقره الله على يَدَيْ وَحْشي بن حرب ، رماهُ بالحربة فأنفذه كما تُعْقرُ الإبلُ ، وضربه أبو دُجانة على رأسه ففَلَقَهُ وذلك بعُقْرِ داره في الحديقةِ التي يقال لها حديقةُ الموتِ[١] .

وقد وقف عليه خالد بن الوليد وهو طريحٌ ـ أراه إياه من بين القتلى مُجَّاعة بن مُرارة ـ ويقال : كان أصفر أُخينس ، وقيل : كان ضخماً أسمرَ اللون كأنه جملٌ أورقُ ، ويقال : إنه ماتَ وعمرُه مئةٌ وأربعون سنة ، فالله أعلم .

وقد قتل قبله وزيراه ومستشاراه لعنهما الله ، وهما :

مُحكَّمُ بن الطُّفَيْل الذي يقال له مُحكَّمُ اليمامة ، قتله عبد الرحمن بن أبي بكر ، رماه بسهم وهو يخطبُ قومه يأمرهم بمصالح حربهم فقتله .

والآخر نَهار بن عُنْفُوة الذي يقال له الرَّجَّالُ بن عُنْفُوة ، وكان ممَّن أسلم ثم ارتدَّ وصدَّقَ مسيلمةَ لعنهما الله في هذه الشهادة ، وقد رزق الله زيد بن الخطاب قتله قبل أن يُقتل زيد رضي الله عنه .

ومما يدل على كذب الرَّجَّال في هذه الشهادة الضرورة في دين الإسلام ، وما رواه البخاري وغيره أن مسيلمةَ كتبَ إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك : أما بعدُ فإني قد أُشركت معكَ في الأمر ، فلك المدرُ ولي الوبرُ ـ ويُروى فلكم نصف الأرض ولنا نصفها ـ ولكنَّ قريشاً قوم يعتدون .

فكتب إليه رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب ، سلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى ، أما بعد فإن الأرضَ لله يورثُها من يشاءُ من عباده والعاقبةُ للمتقين » .

وقد قدمنا ما كان يتعاطاه مسيلمةُ ويتعاناه لعنه الله من الكلام الذي هو أسخفُ من الهَذَيان ، مما كان يزعمُ أنه وحيٌ من الرحمن ، تعالى الله عمّا يقولُه وأمثاله علواً كبيراً .

ولما مات رسول الله ﷺ زعمَ أنه استقلّ بالأمر من بعده واستخفَّ قومَهُ فأطاعوه ، وكان يقول : [من المتقارب]

خُذي الدُّفَّ يا هذهِ والعبي ... وَبُثّي محاسِنَ هذا النَّبي
تولَّى نبيُّ بَني هاشم ... وَقَام نَبيُّ بني يَعربِ

فلم يُمهله اللهُ بعد وفاةِ رسول الله ﷺ إلّا قليلاً حتى سلَّط اللهُ عليه سيفاً من سيوفه ، وحتفاً من حتوفه

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٤٣٧٨) و(٤٣٧٩) في المغازي و(٧٤٦١) في التوحيد .

فبعج بطنَه ، وفلقَ رأسه ، وعجّل الله بروحه إلى النار فبئس القرار ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٣] فمُسَيْلمةُ والأسودُ وأمثالهما لعنهم الله أحقُّ الناس دخولاً في هذه الآية الكريمة ، وأولاهم بهذه العقوبة العظيمة .

سنة[١] اثنتي عشرة من الهجرة النبوية

استُهلَّت هذه السنة ، وجيوشُ الصديقِ وأُمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الرّدّة جَوّالون في البلاد يميناً وشمالاً ، لتمهيد قواعد الإسلام ، وقتال الطُّغاة من الأنام ، حتى ردَّ شاردَ الدّين بعد ذهابه ، ورجعَ الحقُّ إلى نصابه ، وتمهدتْ جزيرةُ العرب ، وصار البعيدُ الأقْصى كالقريب الأدْنى [الأقرب][٢] .

وقد قال جماعةٌ من علماءِ السِّير والتواريخ : إنّ وقعة اليمامةِ كانت في ربيع الأول من هذه السنة ، وقيل إنها كانت في أواخر [السنة] التي قبلها ، والجَمْعُ بينَ القولين أنَّ ابتداءها كان في السنة الماضية ، وانتهاءَها وقع في هذه السنة الآتية ، وعلى هذا القول ينبغي[٣] أن يُذْكروا في السنة الماضية كما ذكرناه لاحتمال أنهم قُتلوا في الماضية ، ومُبادرة إلى استيفاء تراجمهم قبل أن يُذْكروا مع منْ قُتل بالشام[٤] والعراق في هذه السنة على ما سنذكر[٥] إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد قيل : إن وقعةَ جُواثا وعُمان ومهرة وما كان من الوقائع التي أشرنا إليها إنما كانت في سنة ثنتي عشرة [من الهجرة] .

وفيها كان قتلُ الملوك الأربعة : جَمْدٍ ومِخْوسٍ وأبْضَعة ومِشْرَحٍ[٦] ، وأسروا أختهم العَمَرَّدة

---

(١) هنا ينتهي خرم النسخة (أ) .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من النسخة أ ، وسنكتفي بهذه الإشارة عن المرات القادمة .

(٣) في أ : فعلى قول الأولين .

(٤) في أ : في الشام .

(٥) في أ : على ما سيذكر .

(٦) في ط : حمد ومحرس وأبضعة ومشرحاً ، وفي أ : حميد ومجوس ومشرح وأبضعة ؛ وفي كلا الروايتين تصحيف وتحريف . وقال الفيروزأبادي في القاموس (حاس) : ومحوس ـ كمنبر ـ ومِشْرح وجمْد ، وأبضعة : بنو معديكرب الملوك الأربعة الذين لعنهم رسول الله ﷺ ولعن أختهم العَمرَّدة ، وفدوا مع الأشعث ، فأسلموا ثم ارتدوا ، فقتلوا يوم النُّجير فقالت نائحتهم : يا عين بكِّي لي الملوك الأربعة . وفي النهاية في غريب الحديث (١/ ١٣٤) : أبْضعة بوزن أرْنبة ، وقيل : هو بالصاد . تاريخ خليفة (٩٨) .

الذين ورد الحديث في مسند أحمد[١] بلعنهم ، وكان الذي قتلهم زياد بن لبيد الأنصاري .

بعْثُ خالدِ بن الوليدِ إلى العراق[٢]

لمَّا فَرَغ خالدُ بن الوليد من اليمامة ، بعثَ إليه الصِّدِّيقُ أن يسيرَ إلى العراقِ ، وأن يبدأ بفَرْجِ[٣] الهند ، وهي الأُبُلَّة ، ويأتي العراقَ من أسافلها ، وأن يَتألَّفَ الناسَ ويدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزيةَ فإن امتنعوا عن[٤] ذلك قاتلهم ، وأمره أن لا يُكْرِه أحداً على المسير معه ، ولا يستعينَ بمنِ ارتدّ عن الإسلام وإن كان [قد] عاد إليه . وأمره أن يستصحبَ كلَّ امرىء[٥] مرَّ به من المسلمين .

وشرع أبو بكر في تجهيز السَّرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد رضي الله عنه .

قال الواقدي : اختُلف[٦] في خالدٍ ؛ فقائلٌ يقولُ : مَضَى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق . وقائلٌ يقول : رجعَ من اليمامة إلى المدينة ثم سار إلى العراق من المدينة فمرّ على طريقِ الكوفة حتى انتهى إلى الحيرة .

قلت : والمشهور الأول .

وقد ذكر المدائني بإسناده أن خالداً توجّه إلى العراق في المحرم سنة اثنتي عشرة ، فجعل طريقه البصرة [فاستخلف][٧] فيها قطبة بن قتادة ، وعلى الكوفة المثنى بن حارثة[٨] الشيباني .

وقال محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان . إن أبا بكر كتب إلى خالد أن يسير إلى العراق فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقُريّات من السواد يقال لها بانِقيا[٩] وبارُوسْما[١٠]

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٨٧) وهو قطعة من حديث طويل ، وفيه : « لعن الله الملوك الأربعة جمداً ومشرحاً ومخوساً وأبضعة وأختهم العمردة » وهو حديث صحيح من حديث عمرو بن عبسة السلمي ، إذ رواه أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الخولاني ، عن صفوان بن عمرو السكسكي ، عن شريح بن عبيدة عن عبد الرحمن ابن عائذ الأزدي ، عن عمرو ، وهؤلاء كلهم ثقات .

(٢) أخبار بعث خالد في تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٣) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٨٤) .

(٣) من معاني الفرج : الثغر . القاموس : (فرج) .

(٤) في أ : من ذلك كله .

(٥) في أ : كل أمير ؛ وما أثبتناه أجود .

(٦) في أ : فاختلف .

(٧) في أ : وفيها ، والخبر في تاريخ خليفة (١٠١) .

(٨) في أ : وعلى نواحي الكوفة خارجة ؛ واللفظة الأخيرة محرفة . تاريخ خليفة (١٠٢) .

(٩) بانقيا ـ بكسر النون ـ ناحية من نواحي الكوفة ذكرها في الفتوح . معجم البلدان (١/ ٣٣١) .

(١٠) بارُوسما : الواو والسين ساكنتان : ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما : باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الأستان الأوسط . معجم البلدان (١/ ٣٢٠) .

[وأُلَّيس][(١)] وصاحبها جابان[(٢)] ، فصالحه أهلها .

قلت : وقد قَتَل منهم المسلمون قبلَ الصلح خلقاً كثيراً . وكان الصلح على[(٣)] ألف درهم ، وقيل دينار ، في رجب ،وكان الذي صالحه بصُبهري بن صلوبا ، (ويقال صلوبا بن بصبهري)[(٤)] [وصاحبها جابان وملوك الأعاجم ، فهزمه خالد ، وقتل أصحابه ، ثم طلبوا الصلح] فقبل منهم خالد وكتب لهم كتاباً[(٥)] .

ثم أقبل حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها ، مع قَبِيصة بن إياس بن حبَّة الطَّائي ، وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر ، فقال لهم خالد : أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين ، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم [الجزية] فقد أتيتكم بأقوام هم أحرصُ على الموتِ منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فقال له قبيصة : ما لنا بحربك من حاجةٍ بل نُقيم على ديننا ونعطيكم الجزية [فقبل منهم خالد][(٦)] فلقيه [منهم] رجلان أحدهما أعجمي والآخر عربي[(٧)]فاستبدل بالعجميّ ، ثم صالحهم على تسعين ألفاً ، (وفي رواية مئتي ألف درهم) ، فكانت أول جزيةٍ أخذت من العراق ، وحُملت إلى المدينة هي والقريات قبلها التي صالح عليها ابن صلوبا .

قلت : وقد كان مع نائب كسرى على الحيرة ممَّنْ وفدَ إلى خالد عمرو بن عبد المسيح بن حيان[(٨)] بن بُقَيْلة ، وكان من نصارى العرب ، فقال له خالد : من أين أثرك ؟ قال : من ظهر أبي ، قال : ومن أين خرجت[(٩)] ؟ قال : من بطن أمي ، قال : ويحك على أي شيء أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : ويحك[(١٠)] وفي أي شيء أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : ويحك تعقل ؟ قال : نعم وأُقيِّد ، قال : إنما

---

(١) عن أ وحدها . وأُلَّيس مُصَغّر بوزن فُلَّيس والسين مهملة : الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية . وفي كتاب الفتوح : أُلَّيس قرية من قرى الأنبار . معجم البلدان (١/ ٢٤٨) .

(٢) في ط : « حابان » بالحاء المهملة ، مصحف . وينظر تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٥ و٣٥٥ و٣٥٦ و٤٤٨ . . .) إلخ .

(٣) في أ : على ألف ألف درهم ؛ والصحيح ما أثبتناه . ونص كتاب الصلح في معجم البلدان (١/ ٣٣٢) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من أ ، وكل سقط منها سنضعه بين قوسين مماثلين ، وسنكتفي بهذه الإشارة عن المرات القادمة .

(٥) نص هذا الكتاب أورده ياقوت في معجم البلدان (بانقيا) .

(٦) مكان ما بين المعقوفين في ط : فقال لهم خالد : تباً لكم إن الكفر فلاة مضلة ، فأحمق العرب من سلكها . ويبدو أنها في غير مكانها الطبيعي .

(٧) في أ : أحدها أعجمي والآخر عربي فتركه .

(٨) في أ : حبان ، وما أثبتناه موافق لجمهرة أنساب العرب (٣٧٤) .

(٩) في أ : ومن أين جئت .

(١٠) في أ : ويلك .

أسألكَ ، قال : وأنا أُجيبكَ ، قال : أَسِلْمٌ أنت أم حربٌ ؟ قال : بل سِلمٌ ، (قال) : فما[(١)] هذه الحصون التي أرى ؟ قال : بنيناها للسفيه نحبسه حتى يجيء الحليم فينهاه ، ثم دعاهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال ، فأجابوا إلى الجزية بتسعين أو[(٢)] مئتي ألف كما تقدّم .

ثم بعث خالد بن الوليد كتاباً إلى أمراء كسرى بالمدائن (ومرازبته) ووزرائه .

كما قال هشام بن الكلبي : عن أبي مِخْنف ، عن مُجالد ، عن الشَّعبي[(٣)] قال :

أقرأني بنو بُقيلة كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن : من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس : سلامٌ على من اتَّبع الهُدى ، أما بعد فالحمد لله الذي فض خدمتكم[(٤)] وسلبَ مُلْككم ووهنَ كيدكَم ، وإنَّ منْ صلَّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكلَ ذبيحتنا فذلك[(٥)] المسلمُ الذي له ما لنا وعليه ما علينا ، أما بعد فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليَّ بالرُّهن واعتقدوا مني الذِّمة[(٦)] ، و (إلا) فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبّون الموتَ كما تحبّون أنتم الحياة ، فلما قرؤوا الكتاب أخذوا يتعجبون .

وقال سيف بن عمر[(٧)] : عن طلحة بن الأعلم[(٨)] ، عن المغيرة بن عُتيبة[(٩)] ـ وكان قاضي أهل الكوفة ـ قال : فرّقَ خالدٌ ـ مخرجه من اليمامة إلى العراق ـ جندَه ثلاثَ فرقٍ ، ولم يحملهم على طريق واحدة ، فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر[(١٠)] ، وسرح عديَّ بن حاتم وعاصم بن عمرو ، ودليلاهما[(١١)] مالك بن عباد وسالم بن نصر ، أحدهما قبل صاحبه بيوم ، وخرج خالد ـ يعني في آخرهم ـ ودليله رافع ، فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به ، ويصادموا عدوهم ، وكان فرج الهند [ويسمَّى فرجَ الذهب وهو الأبلق[(١٢)] ، وهو] أعظمُ فروجِ فارس بأساً وأشدها شوكة وكان صاحبه يحارب العربَ في البر والهند في البحر وهو هرمز ، فكتب إليه خالدٌ فبعث هرمزُ بكتابِ خالدٍ إلى شيرَى بن كسرى ، وأردشير بن شيرَى ،

---

(١) في أ : بل سلم ماهذه .
(٢) في أ : بتسعين ومئتي ألف .
(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٦) .
(٤) في أ : حديثكم ، وفي ط : « خدمكم » ، وما أثبتناه من تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٦) ، وخدمتكم : جماعتكم .
(٥) في ط : « فذلكم » ، وما أثبتناه من أ ، وهو الذي في تاريخ الطبري الذي ينقل منه المصنف .
(٦) في أ : يالذمة . وما هنا يعضده ما في الطبري .
(٧) تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٨) .
(٨) في ط والأصل : طليحة الأعلم ، والتصحيح من الطبري وتوضيح المشتبه (٢/ ١٤٩) .
(٩) في ط والأصل : عيينة ؛ تحريف ، والتصحيح من الطبري وتوضيح المشتبه (٦/ ١٧٠) .
(١٠) في أ : ظفرح ؛ ويبدو أن الحاء زائدة .
(١١) في أ : ودليلهما .
(١٢) بعدها في أ : صاحبه يحارب في البر والهند وسترد بعدُ . وما بين الحاصرتين ليس في تاريخ الطبري .

وجمع هرمز ، وهو نائب كسرى جموعاً كثيرةً وسار بهم إلى كاظمة[(١)] ، وعلى مَجْنَبَتَيْهِ قباذ وأنوشجان ـ وهما من بيت الملك ـ وقد تقرن[(٢)] الجيش في السلاسل لئلا يفروا [فَتيمَّنَ المسلمون بذلك وقالوا هذا طائر مشؤوم قيدوا نفوسهم بالحديد] وكان هرمز ـ هذا ـ من أَخْبَثِ النّاسِ طويّةً وأشدِّهم كُفْراً ، وكان شريفاً في الفرس ، وكان الرجل كلما ازداد شرفاً زاد في حليته ، فكانت قلنسوة هرمز بمئة ألفٍ ، وقدم خالد بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفاً فنزل تجاههم على غير ماءٍ فشكى [إليه] أصحابُه ذلك فقال : جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء ، فإن الله جاعل [الماء] لأصبر الطائفتين .

فلما استقرَّ بالمسلمين المنزلُ وهم ركبان على خيولهم ، بعث الله سحابةً فأمطرتهم حتى صار[(٣)] لهم غدران من ماءٍ . فقوي المسلمون بذلك ، وفرحوا فرحاً شديداً ، فلما تواجه الصفان وتقابل[(٤)] الفريقان ، ترجَّلَ هرمزُ ودعا إلى البراز ، فترجَّل خالدٌ وتقدَّم إلى هرمز ، فاختلفا[(٥)] ضربتين واحتضنهُ خالدٌ ، وجاءت حاميةُ هرمز فما شغله عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو[(٦)] على حامية هرمز فأناموهم[(٧)] ، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل واستحوذ [المسلمون و] خالد على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر ألف بعير ، وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لكثرة من سلسل بها من فرسان فارس [ومنعتهم السلاسل من الهزيمة وقتل منهم ثلاثين ألفاً سوى من غرق وبعث بالسلاسل إلى الصّدّيق] (وأفلت قباذ وأنو شجان) .

ولما رجع الطلب نادى منادي خالد بالرحيل ، فسار بالناس وتبعته الأثقالُ حتى نزلَ بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم ، وبعث بالفتح والبشارة والخمس ، مع زِرّ[(٨)] بن كُلَيْب ، إلى الصدّيق ، وبعث معه بفيل ، فلما رآه نسوةُ أهل المدينة جعلن يقلن : أمنْ خَلْقِ الله هذا أم شيءٌ مصنوعٌ ؟ فردَّه الصديق مع زرٍّ ، وبعث أبو بكر لمّا بلغه الخبرُ إلى خالد ، فنفله سلبَ هرمز ، وكانت قلنسوته بمئة ألف ، (وكانت) مُرَصَّعةً بالجوهر ، وبعث خالدٌ الأمراءَ يميناً وشمالاً يحاصرون حَصُوناً هنالك ففتحوها عنوةً وصلحاً ، وأخذوا منها أموالاً جمةً ، ولم يكن خالدٌ يتعرَّضُ للفلاحين ـ من لم يقاتل منهم ـ ولا لأولادهم[(٩)] بل للمقاتلة من أهل فارس .

---

(١) قال ياقوت : على سيف البحر طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان معجم البلدان (٤/ ٤٣١) قلت : وهي التي تسمى اليوم الكويت .
(٢) في ط : تفرقد ؛ تحريف . وفي نسخة « اقترن » .
(٣) في ط : ثار لهم .
(٤) في ط : وتقاتل .
(٥) في ط : النزال فترجل خالد وتقدم إلى هرمز فاختلفوا .
(٦) في ط : القعقاع بن عمر . وهو كما أثبتنا ، في الاستيعاب (١٢٨٣) والإصابة (٣/ ٢٣٩) .
(٧) في أ : فأباتوهم ؛ وما أثبتنا موافق للطبري (٣/ ٣٤٩) .
(٨) في أ : رزين بن كليب ، تحريف . والصحيح ما أثبتناه . أسد الغابة (٢/ ٢٥٣) .
(٩) في ط : أولادهم .

[وقعة المذار]

ثم كانت وقعة المذار[١] في صفر من هذه السنة . ويقال لها : وقعة الثني ، وهو النهر ، قال ابن جرير[٢] : ويومئذ (قال الناس) : صفر الأصفار ، فيه يقتل كل جبار ، على مجمع الأنهار . وكان سببها أنّ هرمز[٣] كان قد كتب إلى أردشير وشيرَى بقدوم خالدٍ نحوهُ من اليمامة ، فبعث إليه كسرى بمدد مع أمير يقال له : قارن[٤] بن قريانس ، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم ، وفرَّ منْ فرَّ من الفرس ، فتلقّاهم قارن ، فالتفوا عليه فتذامروا[٥] واتفقوا على العود إلى خالد ، فساروا إلى موضع يقال له : المذار ، وعلى مجنبتي قارن قباذ وأنوشجان[٦] ، فلما انتهى الخبر إلى خالد ، قسم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة يوم ذات السلاسل ، وأرسل إلى الصديق بخبره مع الوليد بن عقبة ، وسار خالدٌ بمنْ معه من الجيوش حتى نزَلَ على المَذار ، وهو على تعبئته ، فاقتتلوا قتال حنقٍ وحفيظةٍ ، وخرج قارن يدعو إلى البراز فبرز إليه خالد وابتدره الشجعان من الأمراء ، فقتل معقل بن الأعشى بن النباش[٧] قارناً ، وقتل عديُّ بن حاتم قباذ ، وقتل عاصم أنوشجان ، وفرت الفرس وركبهم المسلمون في ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفاً وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه ، وأقام خالد بالمذار وسلّم الأسلابَ إلى من قتل ، وكان (قارن) قد انتهى شرفه في أبناء فارس .

وجمع بقية الغنيمة وخَمَّسها ، وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى الصّدّيق مع سعيد بن النعمان ، أخي بني عدي بن كعب ، وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسبَى ذراري مَنْحضره من المقاتلة ، دون الفلاحين فإنّه أقرّهُمْ بالجزية ، وكان في هذا السبي حبيب أبو الحسن البصري ، وكان نصرانياً ، ومافنَّة مولى عثمان ، وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبة .

ثم أمّر على الجند سعيدَ بن النعمان وعلى الجزية سويدَ بن مُقَرِّن ، وأمره أن ينزل الحفير ، ليجبي إليه الأموال وأقام خالد يتحسس الأخبار عن الأعداء .

---

(١) المذار ـ بالفتح وآخره راء ـ ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصبة ميسان ، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . معجم البلدان (٥/ ٨٨) وقال البكري : المذار أرض قرب الكوفة . معجم ما استعجم (١٢٠٣) .

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٣٥١) .

(٣) في ط : أن هرمزاً ؛ وهو خطأ يخالف السياق النحوي .

(٤) في أ : فازن .

(٥) في أ : فتدابروا ؛ وتذامروا : تلاوموا . اللسان (ذمر) .

(٦) في أ : وعلى مجنبتي فازن وأبو شجان .

(٧) في أ : معقل بن النباش الأعشى فارن . وما أثبت موافق للطبري .

[ذكر وقعة الولجة]

ثم كان أمر الولجة[١] في صفر أيضاً من هذه السنة ، فيما ذكره ابن جرير[٢] وذلك لأنه لما انتهى الخبر بما كان بالمذار[٣] من قتل قارن وأصحابه إلى أردشير وهو ملك الفرس يومئذ ، بعث أميراً شجاعاً يقال له الأنذر زغر[٤] ، وكان من أبناء السواد ، وولد بالمدائن ، ونشأ بها وأمده بجيشٍ آخر مع أمير يقال له بهمن جاذَوَيه ، فساروا حتى بلغوا مكاناً يقال له : الولجة [وهي مما يلي كَسْكَر عن ناحية البر] ، فسمع بهم خالد ، فسار بمنْ معه من الجنود ووصَّى من استخلفه هناك بالحَذَر وقلَّة الغفلة ، فنازل أنذر زغر ومن ناشب معه ، واجتمع عنده بالولجة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، هو أشدّ مما قبله ، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ ، واستبطأ كمينه الذي كان قد أرصدهم وراءه في موضعين ، فما كان إلا يسيراً حتى خرج الكمينان من هاهنا ومن هاهنا ، ففرَّت صفوف الأعاجم فأخذهم خالدٌ من أمامهم والكمينان من ورائهم ، فلم يعرف رجل منهم مقتل[٥] صاحبه ، وهرب الأنذر زغر من الوقعة فمات عطشاً [وقتل منهم سبعون ألفاً] ، وقام خالدٌ في الناس خطيباً فرغَّبهم في بلاد الأعاجم وزهَّدَهم في بلاد العرب ، وقال : ألا تَرَون ما هاهنا من الأطعمات ؟ وتالله[٦] لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن [إلا] المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممَّنِ اثّاقَلَ[٧] عما أنتم عليه . ثم خمَّس الغنيمة ، وقسم أربعة أخماسها بين الغانمين ، وبعثَ الخُمس إلى الصديق ، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة ، وأقرَّ الفلاحين بالجزية .

وقال سيف بن عمر[٨] : عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : بارز خالدٌ يوم الولجة رجلاً من الأعاجم يُعْدَلُ بألف[٩] رجلٍ فقتله ، ثم اتكأ عليه وأُتِيَ بغدائه فأكله وهو مُتَّكىءٌ عليه بين الصَّفَّيْن .

---

(١) في أ : الوليجة ؛ تحريف . والولجة بأرض كسكر موضع فيما يلي البر واقع فيه خالد بن الوليد جيش الفرس فهزمهم سنة ١٢هـ .
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٣) .
(٣) في أ : بما كان من المذار من قتل فازن وأصحابه .
(٤) في أ : الأندرز عن .
(٥) في أ : فلم يفلت رجل منهم فقتل صاحبه .
(٦) في ط : وبالله .
(٧) في أ : ممن تناقل .
(٨) تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٤) .
(٩) في أ : يوم الوليجة رجل من الأعاجم بعد مبارزة ألف رجل .

[وقعة أُلَّيْس](١)

ثم كانت وقعة أُلَّيس في صفر أيضاً وذلك أن خالداً كان قد قتل يوم الولجة طائفةً من بكر بن وائل ، من نصارى العرب ممَّنْ كانَ مع الفرس ، فاجتمعَ عشائرهم وأشدهم حنقاً عبد الأسود(٢) العجلي ، وكان قد قُتل له ابنٌ بالأمس ، فكاتبوا الأعاجمَ فأرسلَ إليهم أردشير جيشاً [مددا] ، فاجتمعوا بمكان يقال (له) : أُلَّيس ، فبينما هم قد نصبوا لهم سماطاً (فيه طعام يريدون أكله) ، إذ غافلهم خالد بجيشه فلما رأوه أشار من أشار منهم بأكل الطعام وعدم الاعتناء بخالد ، وقال أمير كسرى [واسمه جابان] : بل ننهض إليه ، فلم يسمعوا منه . فلما نزل خالد تقدم بين يدي جيشه ، ونادى بأعلى صوته لشجعان(٣) من هنالك من الأعراب : أين فلان ، أين فلان ؟ فكلهم تلكّؤوا عنه إلا رجلاً يقال له مالك بن قيس ، من بني جذرة ، فإنه برز إليه ، فقال (له) خالد : يا بن الخبيثة(٤) ، ما جرَّأك عليَّ من بينهم وليس فيك وفاء ؟ فضربه(٥) فقتله . ونفرت الأعاجمُ عن الطّعام ، (وقاموا إلى السلاح) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً جداً ، والمشركون يرقبون قدوم بهمن مدداً من جهة الملك إليهم ، فهم في قوة وشدة وكلب في القتال . وصبر المسلمون صبراً بليغاً ، وقال خالد : اللهم لك عليَّ إن منحتنا أكتافهم أن لا أستبقي منهم أحداً (أقدر) عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم . ثم إن الله عزَّ وجلَّ منحَ المسلمين أكتافهم فنادى منادي خالد : الأسرَ ، الأسرَ ، لا تقتلوا إلا من امتنع من الأسر ، فأقبلتِ الخيولُ بهم أفواجاً يساقون (سوقاً) ، وقد وكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر ، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة وتطلبهم(٦) في الغد ومن بعد الغد ، وكلَّما حضر منهم أحدٌ ضُربت عنقه في النهر ، وقد صرف ماء النهر ، إلى موضعٍ آخر فقال له بعض الأمراء : إنّ النهر لا يجري بدمائهم حتى ترسل الماء على الدم فيجري معه فتبرَّ بيمينك ، فأرسله فسال النهر دماً عبيطاً ، فلذلك سمي نهر الدم إلى اليوم ، فدارت الطواحين بذلك الماء المختلط بالدم العبيط ما كفى العسكر بكماله ثلاثة أيام ، وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً ، [وقيل مئة وخمسين ألفاً] ، ولما هزم خالد الجيش ورجع مَنْ رجع من الناس ، عدل خالد إلى الطعام الذي كانوا قد وضعوه ليأكلوه فقال للمسلمين : هذا نفل فانزلوا فكلوا ، فنزل الناس فأكلوا عشاءً . وقد جعل الأعاجم على طعامهم مرققاً(٧) كثيراً فجعل من يراه من أهل البادية من الأعراب يقولون : ما هذه الرقع ؟ يحسبونها ثياباً ، فيقول لهم من يعرف ذلك من

---

(١) خبر وقعة ألَّيس في تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٤) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٨٨) .
(٢) في أ : واشدهم حتفاً عبد بن سود العجلي .
(٣) في أ : يا شجعان .
(٤) في أ : يا بن الحبشية .
(٥) في أ : وضربه .
(٦) في ط : ويطلبهم .
(٧) في أ : جردقاً .

(أهل) الأرياف والمدن : أما سمعتم برقيق[١] العيش ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فهذا رقيق العيش ، فسموه يومئذ رقاقاً ، وإنما كانت (العرب تسميه القرى)[٢] .

وقد قال سيف بن عمر[٣] : عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، عمن حدث عن خالد :

أن رسولَ الله ﷺ نفل الناسَ يومَ خيبرَ الخبز والطبيخ[٤] والشواء وما أكلوا غير ذلك غير متأثليه[٥] .

وكان كل[٦] من قُتل بهذه الوقعة يوم أُلَّيس من بلدة يقال لها أمْغيشيا[٧] ، فعدل ، إليها خالد وأمر بخرابها ، واستولى على ما بها ، فوجدوا بها مغنماً عظيماً ، فقسم بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفاً وخمسمئة غير ما تهيأ (له) مما قبله .

وبعث خالد إلى الصديق بالبشارة والفتح والخُمس من الأموال والسبي مع رجل يقال له جندل من بني عجل ، وكان دليلاً صارماً ، فلما بلغ الصدِّيق الرسالة وأدى الأمانة ، أثنى عليه وأجازه جارية من السبي ، وقال الصدِّيق : يا معشر قريش إن أسدكم قد عدا على الأسد (فغلبه على خراديله)[٨] ، عجزتِ النساءُ أن يلدنَ مثلَ خالد بن الوليد ، [وقد صدق الصدِّيق رضي الله عنه] .

ثم جرت أمورٌ طويلةٌ لخالد في أماكن متعددة يملُّ سماعها ، وهو مع ذلك لا يكلّ ولا يملّ ولا يهن ولا يحزن ، بل كل ما له في قوةٍ وصرامةٍ وشدةٍ وشهامةٍ ، ومثل هذا إنما خلقه الله عزاً للإسلام وأهله ، وذلاً للكفر وشتات شمله .

فصـــل

ثم سار خالدٌ فنزل الخَوَرْنق والسَّدير[٩] بالنجف وبثَّ سراياه هاهنا وهاهنا ، يحاصرون الحصون من

---

(١) في ط : رقيق .
(٢) مكان القوسين في أ : القرن ، وما أثبتناه يوافق ما في تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٧) .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٧) .
(٤) في ط : والبطيخ ؛ خطأ ، وما أثبتناه من الطبري .
(٥) متأثليه : المتأثِّلُ : الجامع . اللسان (أثل) .
(٦) في أ : جلّ .
(٧) في أ : أمعيشا ، وفيها تحريفان . وأُمغيشيا ـ بفتح أوله وبضم ، وسكون ثانيه ، والغين معجمة مكسورة ، وياء ساكنة ، والشين معجمة وياء وألف ـ موضع كان بالعراق كانت فيه وقعة بين المسلمين وأميرهم خالد بن الوليد ، وبين الفرس ، فلما ملكها المسلمون أمر خالد بهدمها ، وكانت مصراً كالحيرة وكان فرات بادَقْلي ينتهي إليها ، وكانت أُلَّيس من مسالحها ، فأصاب المسلمون فيها ما لم يصيبوا مثله قبله . معجم البلدان (١/ ٢٥٤) .
(٨) لحم خراديل : إذا كان مقطَّعاً اللسان (خردل) والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٥٩) .
(٩) الخَورنق والسَّدير : قصران بالحيرة . معجم البلدان (٢/ ٤٠١) و(٣/ ٢٨) .

الحيرة ويستنزلون[١] أهلها قسراً وقهراً ، وصلحاً ويسراً ، وكان في جملة من[٢] نزل بالصلح قوم من نصارى العرب فيهم ابن بُقَيْلة المتقدم ذكره ، وكتب لأهل الحيرة كتابَ أمان ، فكان[٣] الذي راوده عليه عمرو بن عبد المسيح بن بُقيلة[٤] ووجد خالد معه كيساً ، فقال : ما في هذا ؟ ـ وفتحه خالد فوجد فيه شيئاً ـ فقال ابن بقيلة : هو سمٌّ ساعة ، فقال : ولم استصحبته معك ؟ فقال حتى إذا رأيت مكروهاً في قومي أكلته فالموت أحب إليَّ من ذلك ، فأخذه خالد في يده وقال : إنه لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها ، ثم قال : بسم الله خير الأسماء ، رب الأرض والسماء ، الذي ليس يضرُّ مع اسمه داء ، الرحمن الرحيم ، قال : وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه فبادرهم فابتلعه ، فلما رأى ذلك ابن بُقَيْلة قال : والله يا معشر[٥] العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد ، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال : لم أر كاليوم أوضح إقبالاً من هذا ، ثم دعاهم وسألوا خالداً الصلحَ فصالحهم وكتب لهم كتاباً بالصلح ، وأخذ منهم أربعمئة (ألف) درهم عاجلة ، ولم يكن صالحهم حتى سلموا كرامة بنت عبد المسيح إلى رجل من الصحابة يقال له شويل[٦] ، وذلك أنه لما ذكر رسول الله ﷺ قصور الحيرة كأن شُرُفها أنياب الكلاب فقال له : يا رسولَ الله هَبْ لي ابنةَ بُقَيْلة ، فقال : « هي لك » فلما فُتحت ادَّعاها شويل وشهد له اثنان من الصحابة ، فامتنعوا من تسليمها إليه وقالوا : ما تريدُ إلى امرأةٍ ابنةِ ثمانين سنة ؟ فقالت لقومها : ادفعوني إليه فإني سأفتدي منه ، وإنه[٧] قد رآني وأنا شابة ، فسُلمت إليه فلما خلا بها قالت : ما تريد إلى امرأة بنت ثمانين سنة ؟ وأنا أفتدي منك فاحكم بما أردتَ ، فقال : والله لا أفديك بأقلّ من عشر مئة فاستكثرتها خديعة منها ، ثم أتت قومها فأحضروا له[٨] ألف درهم ، ولامه الناس وقالوا : لو طلبتَ أكثر من مئة ألف لدفعوها إليك ، قال : وهل عددٌ أكثر من عشر مئة ؟ وذهب إلى خالد وقال[٩] : إنما أردتُ أكثرَ العدد ، فقال خالد : أردتَ أمراً وأراد اللهُ غيره ، وإنا نحكم بظاهر قولك ، ونيتُك عند الله ، كاذباً أنت أم صادقاً[١٠] .

---

(١) في أ : يسترقون .
(٢) في ط : ما .
(٣) في أ : وكان .
(٤) في أ ، ط : نقيلة ؛ وهو تحريف وتقدم التعريف به .
(٥) في أ : يا معاشر العرب .
(٦) في أ : شريك ؛ وما هنا موافق لما عند الطبري (٣/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) .
(٧) في أ : وكأنه .
(٨) في أ : إليه .
(٩) في أ : فقال .
(١٠) في أ : كاذب أنت أم صادق . والحديث في تاريخ الطبري (٣/ ٣٦٦) وسنن البيهقي (٩/ ١٣٦) .

وقال سيف بن عمر[١] : عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي : لما افتتح خالدٌ الحيرةَ صلَّى ثماني ركعات بتسليمةٍ واحدةٍ .

وقد قال عمرو بن القعقاع في هذه الأيام ومن قتل من المسلمين بها وأيام الردة[٢] : [من الطويل]

سقى الله قَتلى بالفُراتِ[٣] مُقيمةً ... وأُخرى بأَثْباجِ النِّجافِ الكوانِفِ
وَنحنُ وَطئنا بالكواظِمِ هرمزاً ... وَبالثني قَرْني قارنٍ بالجوارفِ
وَيَومَ أحَطْنا بالقُصور تَتابعتْ ... على الحيرة الروحاءِ إحدى المصارف
حَططناهمُ منْها[٤] وقد كان عرشُهُم ... يميل بهمْ فِعْلَ الجَبانِ[٥] المُخالفِ
رمينا عليهم بالقبولِ وقد رأوا ... غَبوقَ المنايا حولَ تِلكَ المحارِف[٦]
صَبيحةَ قالوا نَحْنُ قَوْمٌ تنزَّلوا ... إلى الرِّيف من أرض العريبِ المَقانِفَ

وقد قدم جرير بن عبد الله البجلي على خالد بن الوليد[٧] وهو بالحيرة بعد الوقعات المتعددة ، والغنائم المتقدم ذكرها ، ولم يحضر شيئاً منها ، وذلك لأنه كان قد بعثه الصديق مع خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام ، فاستأذن خالد بن سعيد في الرجوع إلى الصديق ليجمع له قومه من بجيلة فيكونوا معه[٨] ، فلما قدم على الصديق فسأله (ذلك) غضب الصديق وقال : أتيتني لتشغلني عما هو أرضى لله من الذي تدعونني إليه ، ثم سيره (الصديق) إلى خالد بن الوليد بالعراق .

قال سيف بأسانيده :

ثم جاء ابن صلوبا فصالح خالداً على بانِقْيا وبرسوما[٩] وما حول ذلك على عشرة آلاف دينار ، وجاءه دهاقين تلك البلاد فصالحوه[١٠] على بلدانهم وأهاليهم كما صالح أهل الحيرة[١١] .

واتفق في تلك الأيام التي كان [خالد] قد تمكن بأطراف العراق واستحوذ على الحيرة وتلك

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٦٦) .
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٣٦٥) .
(٣) في أ : بالعراق .
(٤) في أ : فيها .
(٥) في أ : الجناب .
(٦) ليس البيت في أ .
(٧) في أ : وهم .
(٨) تاريخ الطبري (٣/ ٣٦٧ ـ ٣٧٠) .
(٩) في ط : وبسما ، وقد تقدم التعريف بها .
(١٠) في أ : وصالحوه .
(١١) في أ : أهل الحيرة على الحيرة .

البلدان[١] وأوقع بأهل أُلَّيس والثني وما بعدها بفارس ومن ناشب معهم ما أوقع من القتل الفظيع في فرسانهم ، أن عدت فارس على ملكهم الأكبر أردشير وابنه شيرين فقتلوهما وقتلوا كل من ينسب[٢] إليهما ، وبقيت الفرس حائرين لمن يولُّوه أمرهم ، واختلفوا فيما بينهم ، غير أنَّهم قد جهَّزوا جُيوشاً تكونُ حائلةً بين خالدٍ وبين المدائن التي فيها إيوانُ كسرى وسرير مملكته ، فحينئذ كتبَ خالدٌ إلى من هنالك من المرازبة والأمراءِ والدولة يدعوهم إلى اللهِ وإلى الدخولِ إلى دينِ الإسلام ليُثبتَ ملكَهُم عليهم ، وإلا فليدفعوا الجزيةَ وإلا فليعلموا وليستعدّوا لقدومه عليهم بقومٍ يُحبُّون الموتَ كما يحبُّونَ [هم] الحياةَ ، فجعلوا يُعْجبون من جرأةِ خالدٍ وشجاعته ، ويسخرونَ من ذلكَ لحماقتهم ورعونتهم في أنفسهم ، وقد أقامَ خالدٌ هنالك بعد صلح الحيرةِ سنةً يتردَّدُ في بلادِ فارس هاهنا وهاهنا ، ويوقعُ بأهلها من البأس الشديد ، والسطوةِ الباهرةِ ، ما يُبْهرُ الأبصارَ لمن شاهدَ ذلك ويُشنِّفُ أسماعَ منْ بَلَغه ذلك ويحيِّر العقولَ لمن تدبَّرهُ .

فَتْحُ خالدٍ للأنبار ، وتُسمى هذه الغزوة ذات العيون

ركبَ خالدٌ في جيوشه ، فسارَ حتّى انتهى إلى الأنْبار ، وعليها رجلٌ من أعقل الفُرْس وأسودهم في أنفسهم ، يقال له شيرزاذ ، فأحاط بها خالدٌ وعليها خندقٌ وحولهُ أعرابٌ من قومهم على دينهم ، واجتمعَ معهم أهلُ أرضهم ، فمانَعوا خالداً أن يصلَ إلى الخندقِ فضربَ معهم رأساً ، ولما تواجَهَ الفريقانِ أمرَ خالدٌ أصحابَه فرشقوهم بالنبال حتى فقؤوا[٣] منهم ألف عين ، فتصايحَ الناسُ : ذهبت عيونُ أهلِ الأنبارِ ، وسُمِّيت هذه الغزوةُ ذات العيون ، فراسلَ شيرزاذ خالداً في الصُّلْح ، فاشترطَ خالد[٤] أموراً امتنع شيرزاذ من قبولها ، فتقدم خالد إلى الخندق فاستدعى برذايا[٥] الأموال من الإبل فذبحها حتى ردم الخندق بها وجاز هو وأصحابه فوقها ، فلما رأى شيرزاذ ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد ، وسأله أن يرده إلى مأمنه فوفّى له خالد بذلك ، وخرج شيرزاذ من الأنبار وتسلمها خالد ، فنزلها واطمأن بها ، وتعلَّم الصحابة ممن بها من العرب الكتابة العربية ، وكان هؤلاء[٦] العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إياد ، كانوا بها في زمان بختنصر حين أباح العراق للعرب ، وأنشدوا خالداً قول بعض إياد يمتدح قومه[٧] : [من المنسرح]

---

(١) في أ : البلاد .

(٢) في أ : ينتسب .

(٣) في أ : حتى قلعوا . والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٤) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٩٤) .

(٤) في أ ، ط : خالداً ؛ وما هنا للسياق اللغوي .

(٥) في أ : بردي ؛ وما هنا عن الطبري ، والرذايا : جمع رذية ؛ وهي الناقة المهزولة من السير .

(٦) في ط : أولئك .

(٧) البيتان في تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٤٣) وهما في ديوان أمية بن أبي الصلت ثمانية .

قَــوْمــي إيــادُ لــوْ أنّهُــمْ أُمــمُ أو لــوْ أقــامــوا فتُهْــزل[١] النَّعــمُ
قــومٌ لهــم بــاحــةُ العِــراقِ إذا ســاروا جميعــاً واللَّــوْحُ والقَلَــمُ[٢]

ثم صالح خالدٌ أهلَ البوازيج وكلْوَاذَى ، قال[٣] : ثم نَقض أهلُ الأنبارِ ومنْ حَوْلَهم عهدَهم لمّا اضطربَتْ بعض الأحوال ، ولم يبق على عهده سوى البوازيج وبانقْيا .

قال سيف [بن عمر][٤] عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت قال :

ليس لأحد من أهل السواد عهدٌ قبلَ الوقعة ، إلا بني صلوبا . ـ وهم أهل الحيرة ـ وكَلْواذى وقرى من قُرى الفرات ، غَدَروا حتى دَعوا إلى الذمة بعدما غادروا .

وقال سيف[٥] عن محمد بن قيس : قلت للشَّعبي : أُخذ السَّواد عنوة [قال : نعم] وكل أرضٍ إلا بعض القلاع والحصون فإن بعضهم صالح وبعضهم غالب .

قلت : فهل لأهل السَّواد ذمَّةٌ اعتقدوها قبل الحرب[٦] ؟ قال : لا ، ولكنهم لما دُعوا ورضوا بالخراج وأُخذ منهم (صاروا ذمَّة) .

وقعة عين التمر

لما استقرَّ[٧] خالدٌ بالأنبار استنابَ عليها الزِّبْرِقانَ بن بَدْرٍ ، وقصدَ عينَ التَّمْر وبها يومئذ مِهران بن بهرام (جُوبين) في جمعِ عظيمٍ من العرب ، وحولهم من الأعراب طوائفُ من النَّمر[٨] وتغلب وإياد ومنْ لاقاهم وعليهم عَقَّة[٩] بن أبي عقَّة ، فلما دنا خالد قال عقة لمهران : إن العربَ أعلمُ بقتالِ العرب ، فدعنا وخالداً ، فقال له : دونكم وإياهم ، وإن احتجتم إلينا أعَنَّاكُم ، فلامتِ العجمُ أميرَهم على هذا ، فقال : دعوهم فإن غلبوا خالداً فهو لكم[١٠] ، وإن غُلبوا قاتلنا خالداً ، وقد ضعفوا ونحن أقوياء ، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم .

---

(١) في أ : قامت النعم ؛ ولا يستقيم بها الوزن .
(٢) في تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٥) : والخط والقلم .
(٣) في أ : قالوا ؛ خطأ ، والقائل هنا ابن جرير الطبري في تاريخه (٣/ ٣٧٥) .
(٤) تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٥) .
(٥) نفس المصدر .
(٦) في أ : قبل الهرب .
(٧) في ط : استقلّ .
(٨) في ط : التمر ؛ وهو تحريف .
(٩) في أ : عقبة ؛ والتصحيح من تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٦) .
(١٠) في أ : لهم .

وسار خـالد وتلقاه عقّة فلما تواجهوا قال خالد لمَجْنَبَتَيْهِ : احفظوا مكانكم فإني حامل ، وأمرَ حماتَه أن يكونوا من ورائه ، وحمل على عقّة وهو يسوّي الصفوف فاحتضنه وأسره وانهزم جيش عقّة من غير قتال فأكثروا[١] فيهم الأسْرَ ، وقصدَ خالدٌ حصنَ عَيْنِ التَّمْرِ ، فلما بلغَ مهرانَ هزيمةُ عقة وجيشه ، نزلَ من الحصن وهربَ وتركه ، ورجعتْ فُلَّالُ[٢] نصارى الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحاً فدخلوه واحتَموْا به ، فجاء خالدٌ وأحاط بهم وحاصرهم أشدَّ الحصار ، فلما رأوا ذلك سألوه الصلح فأبى إلا أن ينزلوا على حكم خالد ، فنزلوا على حكمه فجعلوا في السلاسل وتسلم الحصن ثم أمر فضربت عنق عقة[٣] ومن كان أُسر معه والذين نزلوا على حكمه أيضاً أجمعين . وغنم جميع ما [كان] في ذلك الحصن ،ووجد في الكنيسة التي به أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل وعليهم بابٌ مغلقٌ ، فكسره خالد وفرَّقهم في الأمراء وأهل الغناء ، وكان [فيهم] حمران صـار إلى عثمان بن عفان من الخمس ، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين أخذه أنس بن مالك . وجمـاعة آخرون من الموالي المشاهير ، أراد بهم وبذراريهم خيراً . ولما قدم الوليد بن عقبة على الصدّيق بالخُمس ردَّه الصديق إلى عياض بن غنم مدداً له وهو محاصرٌ دومةَ الجندلِ ، فلما قدم عليه وجده في ناحية (من) العراق يُحاصر قوماً ، وهم قد أخذوا عليه الطرقَ فهو محصور أيضاً ، فقال عياض للوليد : إن بعض الرأي خير من جيش كثيف ، ماذا ترى فيما نحن فيه ؟ فقال له الوليد : اكتب إلى خالد يمدك بجيش من عنده ، فكتب إليه يستمده فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر وهو يستغيث به ، فكتب إليه : من خالد [بن الوليد] إلى عياض ، (إياك) أريد[٤] : [من الرجز]

لَبِّثْ قليلاً تأتِكَ الحلائبُ[٥] يَحملنَ آساداً عليها القاشب[٦]

كتائب تتبعها كتائب

---

(١) في أ : وأكثروا .

(٢) الفلّ : المنهزمون ، وهم قوم فلٌّ منهزمون والجمع فُلُولٌ وفُلالٌ . اللسان (فلل) .

(٣) في أ : ثم أمر بضرب عنق عقبة والهذيل .

(٤) كتاب خالد والأشطار الثلاثة في تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٧) .

(٥) الشطرة الأولى مثل عربي قديم أوردته في معجم الأمثال العربية (١/ ٤٨٣) ومصادره في المستقصى (٢/ ٢٧٧) واللسان (حلب) والحلائب : الجماعات . وقال الأصمعي : حلائب الرجل : أنصاره من بني عمه خاصة .

(٦) في أ ، ط : القشائب ، وما هنا هو الأشبه للوزن . والقِشْبُ والقَشَبُ : السُّمُّ . اللسان (قشب) .

خبرُ دُوْمَةِ[١] الجَنْدَلِ

لما فرغَ خالدٌ من عَيْنِ التَّمْر قصدَ إلى دومة الجندل ، واستخلفَ على عين التمر عويمر (بن) الكاهن[٢] الأسلمي ، فلما سمع أهل دومة الجندل بمسيره إليهم ، بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وتنوخ وكلب[٣] وغسان والضجاعم ، فأقبلوا إليهم وعلى غسان وتنوخ ابن الأيهم ، وعلى الضجاعم ابن الحدرجان ، وجماعُ الناس بدومة إلى رجلين أُكيدر بن عبد الملك ، والجودي بن ربيعة ، فاختلفا ، فقال أُكيدر : أنا أعلم الناس بخالد ، لا أحد أيمن طائراً منه في حرب ،ولا أحدُّ منه ، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً ، قلوا أم كثروا إلا انهزموا عنه ، فأطيعوني وصالحوا القومَ ، فأبَوْا عليه ، فقال : لن أمالئكم على حرب خالد وفارقهم ، فبعث إليه خالد عاصم بن عمرو فعارضه فأخذه ، فلما أتى به خالداً أمر فضربت عنقه وأخذ ما كان معه ، ثم تواجه خالد وأهل دومة الجندل وعليهم الجودي بن ربيعة ، وكلُّ قبيلةٍ مع أميرها من الأعراب ، وجعل خالدٌ دومةَ بينه وبين جيش عياض بن غنم ، وافترق جيش الأعراب فرقتين ، فرقة نحو خالد ، وفرقة نحو عياض ، حمل خالد على من قبله ، وحمل عياض على أولئك ، فأسرَ خالدٌ الجودي ، وأسرَ الأقرع (بن حابس) وديعة ، وفرت الأعراب إلى الحصن فملؤوه وبقي منهم خلق ضاق عنهم ، فعطفت بنو تميم على منْ هو خارج الحصن (فأعطوهم ميرة فنجا بعضُم ، وجاءَ خالدٌ فضربَ أعناقَ منْ وجده خارج الحصن) ، وأمر بضرب عنقِ الجودي ومنْ كان معه من الأسارى[٤] ، إلا أسارى بني كلب ، فإنَّ عاصمَ بن عمرو والأقرع بن حابسٍ ، وبني تميم أجاروهم ، فقال لهم خالد : ما لي وما لكم أتحفظون أمرَ الجاهلية وتضيِّعونَ أمرَ الإسلام ؟ فقال له عاصمُ بن عمرو : أتحسدونهم العافية وتحوذونهم الشيطان[٥] ، ثم أطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه ، واقتحموا الحصن فقتلوا منْ فيه من المُقاتلة ، وسَبَوا الذَّراري فبايعوهم بينهم فيمن يزيد ، واشترى خالدٌ (يومئذ) ابنةَ الجودي ، وكانت موصوفةً بالجمال ، وأقام بدومة الجندل وردّ الأقرع إلى الأنبار ، ثم رجع خالد إلى الحيرة ، فتلقاه أهلها من أهل الأرض بالتقليس[٦] ، فسمع رجلاً منهم يقول لصاحبه : مُرَّ بنا فهذا يومُ فَرَحِ الشَّرِّ[٧] .

---

(١) دومة ـ بضم أوله وفتحه ـ وعدّ ابن دريد الفتح من أغلاط المحدثين . وهي على سبع مراحل من دمشق إلى المدينة المنورة من القريات . معجم البلدان (٢/ ٤٨٧) .

(٢) في تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٨) : عويم بن الكاهل الأسلمي .

(٣) في أ : وكعب وغسان .

(٤) في أ : الأسرى إلا أسارى .

(٥) في أ : وتجوزونهم إلى الشيطان .

(٦) في أ : فتلقاه أهل من أهل الأرض بالتعليس . والتقليس : الضرب بالدف والغناء واستقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو . اللسان (قلس) .

(٧) تحتمل اللفظة في أ : السد والشك . وفي الطبي (٣/ ٣٧٩) : فرج الشر .

خبر وقعتي الحُصَيْد[١] والمُصَيَّخ[٢]

قال سيف[٣] : عن محمد وطلحة والمهلب قالوا : وكان خالد أقام بدُومة الجَنْدل ، فظنَّ الأعاجم به وكاتبوا عرب الجزيرة فاجتمعوا لحربه ، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من الزِّبرقان ، وهو نائب خالدٍ عليها ، فلما بلغ ذلك الزِّبرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو نائب خالد على الحيرة ، فبعث[٤] القعقاع أعْبَدَ بن فَدكي[٥] السَّعديّ ، وأمره بالحُصَيْد ، وبعث عُروة بن أبي الجعد البارقيّ وأمره بالخَنافس ، ورجع خالد من دومة إلى الحيرة وهو عازم على مصادمة أهل المدائن محلة كسرى ، لكنه يكره أن يفعل ذلك بغير إذن أبي بكر الصديق ، وشغله ما قد اجتمع من جيوش الأعاجم مع نصارى الأعراب يريدون حربه ، فبعث القعقاع بن عمرو أميراً على الناس ، فالتقوا بمكان يقال له الحُصَيْد ، وعلى العجم رجل منهم يقال له روزبه ، وأمده أمير آخر يقال له زَرْمهر[٦] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وهزم المشركون ، فقتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً ، وقتل القعقاع (بيده) زرمهر ، وقتل رجل يقال له عصمة بن عبد الله الضبي روزبه[٧] . وغنم المسلمون شيئاً كثيراً ، وهرب من هرب من العجم ، فلجؤوا إلى مكان يقال له خنافس ، فسار إليهم أبو ليلى (بن) فدكي السعدي ، فلما أحسوا بذلك ساروا إلى المُصَيَّخ ، فلما استقروا بها بمنْ معهم من الأعاجم والأعراب قصدهم خالد بن الوليد بمن معه من الجنود ، وقسم الجيش ثلاث فرق ، وأغار عليهم ليلاً وهم نائمون فأنامهم[٨] ، ولم يفلت منهم إلا اليسير فما شبهوا إلا بغنم مُصرَّعةٍ .

وقد روى ابن جرير[٩] عن عدي بن حاتم قال :

انتهينا في هذه الغارة إلى رجل يقال (له) حُرْقُوص بن النعمان النمري ، وحوله بنوه وبناته وامرأته ، وقد وضع لهم جفنة من خمر وهم يقولون : أحد يشرب هذه الساعة وهذه جيوش خالد قد أقبلت ؟ فقال لهم : اشربوا شربَ وداعٍ فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها ، فشربوا وجعل يقول[١٠] : [من الطويل]

---

(١) معجم ما استعجم (٤٥٢) .
(٢) ط : المضيح ؛وكذا في معجم ما استعجم (١٢٣٥) وقال ياقوت : المُصيخ بين حوران والقلت وكانت به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب . معجم البلدان (٥/ ١٤٤) .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٠) والخبر أيضاً في الكامل لابن الأثير (٢/ ٣٩٧) .
(٤) في أ : فكتب ، تصحيف .
(٥) في أ : عبد بن فزكي السعدي .
(٦) في أ : وزمهر .
(٧) في أ : رويزة .
(٨) أنامهم : هنا بمعنى : قتلهم . اللسان (نوم) .
(٩) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٢) .
(١٠) البيت مع الخبر مختصراً في معجم البلدان (٥/ ١٤٤) .

أَلا يا اسْقِياني[١] قبلَ نائِرةِ[٢] الفَجرِ[٣] لعلَّ مَنَايانا قريبٌ ولا نَدْري

القصيدة إلى آخرها ، قال : فهجم الناسُ عليه فضربَ رجلٌ رأسه فإذا هو في جفنته ، وأخذت بنوه وبناته وامرأته .

وقد قتل في هذه المعركة رجلان كانا قد أسلما ومعهما كتاب من الصدّيق بالأمان ولم يعلم بذلك المسلمون ، وهما عبد العُزَّى بن أبي رُهم[٤] بن قِرْواش ، قتله جرير بن عبد الله البجلي ، والآخر لَبيد بن جرير ، قتله بعض المسلمين ، فلما بلغ خبرهما الصّديق وداهما ، وبعث بالوصاة بأولادهما ، وتكلّم عمر بن الخطاب في خالد بسببهما ، كما تكلّم فيه بسب مالك بن نويرة ، فقال له الصدِّيق : كذلك يلقى من يساكن أهل الحرب في ديارهم ، أي الذنب لهما في مجاورتهما المشركين ، وهذا كما في الحديث « أنا بريءٌ من كُلِّ منْ ساكنَ المشركَ في داره »[٥] وفي الحديث الآخر[٦] « لا تراءى ناراهما » أي : لا يجتمع المسلمون والمشركون في محلة واحدة .

ثم كانت وقعة الثَّنيّ[٧] والزُّمَيْل[٨] وقد بيتوهم فقتلوا منْ كان هنالك من الأعراب والأعاجم فلم يُفلت منهم أحد ولا انبعث بخبر[٩] ، ثم بعث خالد بالخمس من الأموال والسبيِّ إلى الصدِّيق ، وقد اشترى عليُّ بن أبي طالب من هذا السبيِّ جاريةً من العرب وهي ابنة ربيعة بن بُجَيْر التغلبي ، فاستولدها عمر ورقية رضي الله عنهم (أجمعين) .

---

(١) في أ : فاسقياني ، وفي معجم البلدان : ألا يا اصحباني .
(٢) نأرت نائرة : هاجت هائجة . اللسن (نأر) .
(٣) في معجم البلدان : ألا يا اصحباني قبل جيش أبي بكر .
(٤) في أ : هروم ؛ وهو تحريف .
(٥) رواه أبو داود في سننه (٢٦٤٥) في الجهاد ، والترمذي في جامعه (١٦٠٤) و(١٦٠٥) في السير . ونصه : « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » قالوا : يا رسول الله ؛ لم ؟ قال : « لا تراءى ناراهما » وهو حديث ساقه الترمذي موصولاً ومرسلاً والصحيح أنه مرسل ، أقول : وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٦) العبارة الآتية في الحديث السابق .
(٧) الثني بالفتح ثم الكسر وياء مشددة : موضع بالجزيرة شرقي الرُّصافة تجمعت فيه بنو تغلب ، وبنو بجير لحرب خالد بن الوليد فأوقع بهما وقتلهم شر قتلة سنة ١٢ في أيام أبي بكر الصديق . معجم البلدان (٢/ ٨٦) .
(٨) الزُّميل : عند البشر بالجزيرة شرقي الرصافة ، أوقع فيه خالد ببني تغلب ونمير وغيرهم سنة ١٢ أيام أبي بكر الصديق . معجم البلدان (٣/ ١٥١) .
(٩) في أ : فلم يفلت منهم أحداً ولا انبعث مخبر .

وقْعةُ الفِراض(١)

ثم سار خالد بمن معه من المسلمين إلى الفِراض وهي تُخومُ الشّام والعراق والجزيرة ، فأقام هنالك شهرَ رمضان مُفْطراً لشُغله بالأعداء ، ولما بلغ الرومَ أمرُ خالدٍ ومصيرُه إلى قرب بلادهم ، حموا وغضبوا وجمعوا جموعاً كثيرة ، واستمدوا تغلب وإياد والنَّمِر ، ثم ناهدوا خالداً فحالت الفرات بينهم فقالت الروم لخالد : اعبر إلينا ، وقال خالد للروم : بل اعبروا أنتم ، فعبرت الروم إليهم ، وذلك للنصف من ذي القعدة سنة ثنتي عشرة ، فاقتتلوا هنالك قتالاً عظيماً بليغاً ، ثم هزمَ اللهُ جموعَ الروم وتمكّن المسلمون من اقتفائهم فقتلَ في هذه المعركة مئة ألف ، وأقام خالد بعد ذلك بالفراض عشرةَ أيام ، ثم أذن بالقفول إلى الحيرة ، لخمس بقين من ذي القعدة ، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة وأمر شجرة بن الأعز أن يسير في الساقة ، (وأظهر خالد أنه يسير في الساقة) ، وسار خالد في عدة من أصحابه وقصد شطر المسجد الحرام ، وسار إلى مكة في طريقٍ لم يُسْلكْ قبله قطُّ ، وتأتّى له(٢) في ذلك أمر لم يقعْ لغيره ، فجعلَ يسيرُ مُعْتَسِفا(٣) على غير جادَّةٍ ، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة ، ثم عاد فأدرك أمر الساقة قبل أن يصلوا إلى الحيرة ، ولم يعلمْ أحدٌ بحجِّ خالدٍ هذه السنة إلا القليل من الناس ممَّنْ كانَ معه ، ولم يعلم أبو بكر الصديق بذلك أيضاً إلا بعدما رجع أهل الحجّ من الموسم ، فبعث يعتب عليه في مفارقته الجيش وكانت عقوبته عنده أن صرفه من غزو العراق إلى غزو الشام ، وقال له فيما كتب إليه : يقول له : وإن الجموعَ لم تُشجَ(٤) بعون الله شجيكَ فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة ، فأتممْ يُتمِّمِ الله لكَ ، ولا يدخلنك عُجْبٌ فتخسر وتخذل ، وإياك أن تُدلَّ بعمل فإنَّ اللهَ له المنُّ وهو وليّ الجزاء .

ولما قرأ خالد الكتاب قال(٥) : هذا من عمل الأعيسر ـ يعني عمر بن الخطاب ـ حَسَدني أن يكون فتح العراق على يدي . ولما انفصل خالد عن العراق استخلف عليه المثنى بن حارثة ، ومعه من تخلف من الصحابة وغيرهم، فانحاز بهم المثنى نحو البريّة فيما يلي الأنهار مخافة عليهم من الفرس حتى يأتيه المدد.

---

(١) الفراض ـ بكسر أوله ـ تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات ، واجتمعت الروم والعرب والفرس فأوقع بهم وقعة عظيمة . قال سيف : قتل فيها مئة ألف ، ثم رجع خالد إلى الحيرة لعشر بقين من ذي الحجة سنة ١٢ . معجم البلدان (٤/ ٢٤٤) . وأخبار وقعة الفراض في تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٣) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٩٩) .

(٢) في ط : ويأتي ؛ وما هنا عن أ وهو بالسياق أشبه .

(٣) في أ : متعسفاً ، وَعسَف عن الطريق واعتسفه وتعسَّفه : مال وعدل وسار بغير هداية ولا توخّي صوب . القاموس والتاج (عسف) .

(٤) في تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٥) : فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك وهي من أشجاه الهم والحزن : بمعنى هيجه . اللسان (شجا) .

(٥) الكلام في تاريخ الطبري (٣ / ٤١٥) عن ابن إسحاق وفي إسناده ابن حميد الرازي متهم ، وسلمة بن الفضل ضعيف ، وابن إسحاق رواه معضلاً . وفي متنه نكارة ؛ غمز وحقد وحسد ، لا يصدر مثله عن الصحابة العدول في خير القرون . وانظر ضعيف تاريخ الطبري (٨/ ٧٣) .

فصل فيما كان من الحوادث في هذه السنة(١)

فيها أمرَ الصديق زيدَ بن ثابتٍ أن يجمعَ القرآن من اللِّخافِ(٢) والعُسُب وصدور الرجال ، وذلك بعد ما استَحَرَّ(٣) القتلُ في القُرّاء يوم اليمامة كما ثبت به الحديث في صحيح البخاري(٤) .

وفيها تزوج علي بن أبي طالب بأُمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ، وهي من أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس الأموي ، وقد توفي أبوها في هذا العام ، وهذه هي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة فيضعها إذا سجد ويرفعها إذا قام .

وفيها تزوَّجَ عمر بن الخطاب عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وهي ابنة عمه ، وكان لها محباً وبها معجباً ،وكان لا يمنعها من الخروج إلى الصلاة ويكره خروجَها ، فجلس لها ذات ليلة في الطريق في ظلمة ، فلما مرَّتَ ضربَ بيده على عجزها ، فرجعتْ إلى منزلها ولم تخرج بعد ذلك ، وقد كانت قبله تحت [أخيه] زيد بن الخطاب ، فيما قيل ، فقتل عنها ، وكانت قبل زيد تحت عبد الله بن أبي بكر (فقتل عنها) ، ولما مات عمر تزوَّجها بعده الزبير ، فلما قُتل خطبها علي بن أبي طالب فقالت : إني أرغب بك عن الموت ، وامتنعت عن التزوج(٥) حتى ماتت .

وفيها اشترى عمر مولاه أسلم ، ثم صار منه أن كان أحد سادات التابعين ، وابنه زيد بن أسلم أحد الثقات الرفعاء .

وفيها حج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان . رواه ابن إسحاق(٦) ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحُرقة ، عن رجل من بني سهم ، عن ابن ماجدة(٧) ، قال : حجَّ بنا أبو بكر في خلافته سنة ثنتي عشرة ، فذكر حديثاً في القصاص من قطع الأذن ، وأن عمر حكم في ذلك بأمر الصديق . قال ابن إسحاق : (وقال بعض الناس) لم يحجّ أبو بكر في خلافته ، وأنه بعث على الموسم سنة ثنتي عشرة عمر بن الخطاب ، أو عبد الرحمن بن عوف .

---

(١) في أ : ومما كان من الحوادث هذه السنة ، فصل كان من الحوادث هذه السنة .

(٢) في ط : اللحاف ، تحريف ، واللخاف : جمع لَخْفَة وهي حجارة بيض رقاق . النهاية (٣/ ٢٤٤) واللسان (لخف) .

(٣) استحرَّ القتل ، وحرَّ بمعنى اشتدَّ . اللسان (حرر) .

(٤) حديث جمع القرآن في صحيح البخاري (٤٩٨٦) في فضائل القرآن .

(٥) في أ : وامتنعت من التزويج .

(٦) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٦) .

(٧) في أ وط : أبي ماجدة ، والتصحيح من تاريخ الطبري ، واسم ابن ماجدة : علي ، وهو من رجال التهذيب .

فصل فيمن توفي في هذه السنة

قد قيل إن وقعةَ اليمامة وما بعدها (كانت) في سنة ثنتي عشرة ، فليذكر هاهنا من تقدَّم ذكره في سنة إحدى عشرة من قتل باليمامة وما بعدها ، ولكن المشهور ما ذكرناه .

[وممن توفي في هذه السنة] :

بشير بن سَعْد بن ثعلبة الخزرجي[١] والدُ النُّعمان بن بشير ، شهد العقبةَ الثانيةَ ، وبدراً وما بعدها ، ويقال : إنه أولُ من أسلم من الأنصار ، وهو أول من بايعَ الصديقَ يومَ السقيفة من الأنصار ، وشهدَ مع خالدٍ حروبه إلى أن قُتل بعين التمر رضي الله عنه ، وروى له النسائي[٢] حديث النُّحْل .

والصَّعْبُ بن جَثَّامة اللَّيْثي[٣] أخو مُحلِّم[٤] بن جَثَّامة ، له عن رسول الله ﷺ أحاديث . قال أبو حاتم[٥] : هاجر وكان ينزل ودَّان[٦] ومات في خلافة الصدِّيق .

وأبو مَرْثَد الغَنوي[٧] واسمه كَنَّاز[٨] بن الحصن[٩] ـ ويقال ابن حصين ـ بن يربوع بن (عمرو بن

---

(١) ترجمة ـ بشير بن سعد ـ في الاستيعاب (١٧٧) وأسد الغابة (١/ ٢٣٣) وجامع الأصول (١٣/ ١٥٦) والوافي بالوفيات (١٠/ ١٦٦) والإصابة (١/ ١٦٨) .

(٢) رواه النسائي في المجتبى ، رقم (٦/ ٢٥٩ ـ ٢٦١) ، وهو في النُّحْل من سننه الكبرى (٦٥٠٢) (٦٥٠٣) و(٦٥٠٥) و(٦٥١٠) . ورواه مسلم (١٦٢٣) وغيره من حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ ، وهو المحفوظ .

(٣) ترجمة ـ الصعب بن جثّامة ـ في التاريخ الكبير (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) والجرح والتعديل (٤/ ٤٥٠) والاستيعاب (٧٣٩) وجامع الأصول (١٤/ ٣٤٧) وأسد الغابة (٣/ ٢٠) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٩) وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٢١) . والإصابة (٢/ ١٨٤ ـ ١٨٥) .

(٤) في ط : محكم ؛ تحريف ، وقال ابن الأثير : محلم ـ بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد اللام المكسورة ـ جامع الأصول (١٥/ ١٧١) .

(٥) الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٠) .

(٦) ودّان : موضع بين مكة والمدينة ينسب إليها الصعب بن جثامة الليثي الوداني ، كان ينزلها فنسب إليها . معجم ما استعجم (١٣٧٤) ومعجم البلدان (٥/ ٣٦٥) .

(٧) ترجمة ـ أبي مرثد الغنوي ـ في التاريخ الكبير (٧/ ٢٤١) والجرح والتعديل (٧/ ١٧٤) وحلية الأولياء (٢/ ١٩) والاستيعاب (١٣٣٣) وجامع الأصول (١٥/ ١١٧ ـ ١١٨) وأسد الغابة (٤/ ٥٠٠) وتهذيب الكمال (٢٤/ ٢٢٣) والإصابة (٣/ ٣٠٧) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٤٨) ومرثد ـ بفتح الميم وسكون الراء ، وفتح الثاء المثلثة ـ جامع الأصول .

(٨) في ط : معاذ ؛ تحريف ، وكناز بفتح الكاف ، وتشديد النون ، وبالزاي . جامع الأصول .

(٩) في أ ، ط : الحصين ويقال ابن الحصن . وما هنا عن مصادره .

يربوع) بن خَرَشَة[١] بن سَعْدِ بن طَرِيف بن جِلَّان[٢] بن غَنْم بن غَني بن أعصر[٣] بن سَعْد بن قَيْس بن غيلان بن مُضَر بن نزار أبو مَرْثَد الغَنوي ، شهد هو وابنه مَرْثَد بدراً ، ولم يشهدها رجلٌ هو وابنه سواهما ، واستُشهد ابنُه مَرْثَد يوم الرَّجيع كما تقدَّم ، وابنُ ابنهِ أُنَيس بن مَرْثَد بن أبي مَرْثَد له صحبة أيضاً ، شهد الفتح وحنيناً وكان عينَ رسول الله ﷺ يوم أوطاس ، فهم ثلاثة نسقا ، وقد كان أبو مرثد حليفاً للعباس بن عبد المطلب ، ورُوي له عن النبي ﷺ حديثٌ واحدٌ أنّه قال : « لا تُصلّوا إلى القبور ، ولا تَجْلسُوا إليها » [رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من طريق واثلة بن الأسقع عنه][٤] . قال الواقدي : توفي سنة اثنتي عشرة ، زاد غيره بالشام ، وزاد غيره عن ست وستين سنة ، وكان رجلاً طويلاً كثير الشعر .

قلت : وفي قبلي دمشق قبر يعرف بقبر كثير[٥] ، والذي قرأته على قبره : هذا قبر كَنّاز بن الحصين صاحب رسول الله ﷺ ، ورأيت على ذلك المكان روحاً وجلالة ، والعجب أن الحافظ ابن عساكر لم يذكره في تاريخ الشام ، فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة :

أبو العاص[٦] بن الرَّبيع بن عَبْدِ العُزَّى بن عَبْدِ شَمْسِ بن عَبْدِ مُنافِ بن قُصيّ القُرشيّ العَبْشمي : زوج أكبر بنات رسول الله ﷺ زينب ، وكان مُحْسناً إليها ومُحبّاً لها ، ولما أمره المشركون بطلاقها[٧] حين بُعث رسول الله ﷺ أبى عليهم ذلك ، وكان ابنَ أختِ خديجة بنت خويلد ، واسم أُمه هالة ، ويقال هند بنت خويلد ، واختلف في اسمه فقيل[٨] : (لقيط) ، وهو الأشهر ، وقيل : مِهْشَم[٩] ، وقيل : هُشَيْم ، وقد شهد بدراً من ناحية الكفار فأسر : فجاء أخوه عمرو بن الربيع ليفاديه وأحضر معه في الفداء قلادةً كانت خديجة أخرجتها مع ابنتها زينب حين تزوج أبو العاص بها ، فلما رآها رسولُ الله رقَّ رقةً شديدةً وأطلقه بسببها ، واشترط عليه أن يبعث له زينب إلى المدينة فوفَّى له بذلك ، واستمرّ أبو العاص على كفره بمكة إلى قُبيل الفتح بقليل ، فخرج في تجارةٍ لقريش فاعترضه زيدُ بن حارثة في سرية فقتلوا جماعة من أصحابه

---

(١) خرشة ـ بفتح الخاء المعجمة ، وفتح الراء وبالشين المعجمة ـ جامع الأصول .
(٢) في ط : خيلان ، تحريف ، وجلان ـ بكسر الجيم ـ وتشديد اللام ، وبالنون .
(٣) كذا في الأصلين ، وفي الاستيعاب وأسد الغابة : يعصر .
(٤) صحيح مسلم (٩٧٢) و(٩٧) و(٩٨) في الجنائز ، وسنن أبي داود (٣٢٢٩) في الجنائز ، وجامع الترمذي (١٠٥٠) و (١٠٥١) في الجنائز ، وسنن النسائي (٢/ ٦٧) في القبلة .
(٥) في أ : زيادة : وكأنه من تصحيف بعض العامة .
(٦) ترجمة ـ أبي العاص ـ في الاستيعاب (٤/ ١٧٠١) وجامع الأصول (١٥/ ٢١٩) وأسد الغابة (٦/ ١٨٥) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) . والإصابة (٤/ ١٢١ ـ ١٢٣) .
(٧) في ط : أمره المسلمون بطرقها ؛ خطأ . والتصويب من الاستيعاب .
(٨) في أ : وقيل قاسم ، وقيل ياسر .
(٩) مهشم : بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، وفتح الشين المعجمة ، وقيل بضم أوله وفتح ثانيه وكسر الشين الثقيلة .

وغنموا العير ، وفرَّ أبو العاص هارباً إلى المدينة فاستجار بامرأته زينب فأجارته ، فأجاز رسول الله جوارها ، ورد عليه ما كانَ معه من أموالِ قريشٍ ، فرجع بها أبو العاص إليهم ، فرد كلَّ مالٍ إلى صاحبه ، ثم تشهد شهادة الحق وهاجر إلى المدينة ، ورد عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول ، وكان بين فراقها له وبين اجتماعها[١] ست سنين ، وذلك بعد سنتين من وقت تحريم المسلمات على المشركين في عمرة الحديبية ، وقيل إنما ردَّها عليه بنكاح جديد ، فالله أعلم .

وقد ولد من زينب علي بن أبي العاص [وأمامة بنت أبي العاص] .

وخرج مع عليٍّ إلى اليمن حين بعثه إليها رسولُ الله ﷺ وكان رسولُ الله ﷺ يثني عليه خيراً في صهارته ، ويقول : « حدَّثني فصدَقني وواعدني فوَفاني »[٢] وقد توفي في أيام الصديق سنة ثنتي عشرة .

وفي هذه السنة تزوج عليُّ بن أبي طالب بابنته أمامة بنت أبي العاص ، بعد وفاة خالتها فاطمة ، وما أدري هل كان ذلك قبل وفاة أبي العاص أو بعده ، فالله أعلم[٣] .

سنة ثلاث عشرة من الهجرة

استهَلَّتْ هذه السنة والصدِّيقُ عازم على جمع الجنود ليبعثَهم إلى الشام ، وذلك بعد مرجعه من الحج [وذلك] عملاً بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] وبقوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ الآية [التوبة : ٢٩] . واقتداءً برسول الله ﷺ فإنه جمعَ المسلمين لغزو الشّام ـ وذلك عام تبوكَ ـ حتّى وَصلها في حرٍّ شديد وجهد ، فرجع عامَهُ ذلك ، ثم بعثَ قبل موته أسامةَ بن زيدٍ مولاه ليغزوَ تخوم الشام كما تقدم . ولما فرغ[٤] الصدِّيقُ من أمر جزيرة العرب بسط يمينَه إلى العراق ، فبعث إليها خالد بن الوليد ثم أراد أن يبعث إلى الشام كما بعث إلى العراق ، فشرع في جمع الأمراء في أماكنَ متفرقةٍ من جزيرة العرب . وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاعة معه الوليدُ بن عقبة فيهم ، فكتب إليه يستنفره إلى الشام[٥] : إنّي كنتُ قد رددتكَ على العمل الذي ولاَّكهُ رسولُ الله ﷺ مرةً ، وسمّاه لك أخرى ، وقد أحببت ـ أبا عبد الله ـ أن أفرّغك لما هو خيرٌ لك في حياتك ومعادك منه ، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحبّ إليك .

---

(١) من قوله : فراقها إلى هنا بياض في (أ) .

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد في مسنده (٤/٣٢٦) والبخاري في صحيحه (٣١١٠) في فرض الخمس ، ومسلم في صحيحه (٢٤٤٩) (٩٥) في فضائل الصحابة .

(٣) بعده في ط : تم الجزء السادس من البداية والنهاية ، ويليه الجزء السابع ، وأوله : سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية . نسأل الله التوفيق والإعانة . بسم الله الرحمن الرحيم سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

(٤) في أ : ولما تفرغ .

(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٩) .

فكتب إليه عمرو بن العاص : إنّي سهمٌ من سهام الإسلام ، وأنت عبد[١] الله الرامي بها ، والجامع لها ، فانظرْ أشدَّها وأخشاها فارم (بي) فيها . وكتب إلى الوليد بن عقبة بمثل[٢] ذلك ورد عليه مثله ، وأقبلا بعد ما استخلفا في عملهما ، إلى المدينة . وقدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن ، فدخل المدينةَ وعليه جبَّةُ ديباج ، فلما رآها عمرُ عليه أمر من هناك من الناس بتحريقها[٣] عنه ، فغضب خالد بن سعيد وقال لعلي بن أبي طالب : يا أبا الحسن ! أغُلبْتُم يا بني عبد مناف عن الإمرة ؟ فقال له علي : أمغالبة تراها أو خلافة ؟ فقال لا يغالب[٤] على هذا الأمر أولى منكم ، فقال له عمر بن الخطاب : اسكت فضَّ اللهُ فاك ، والله لا تزال كاذباً تخوض فيما قلت ثم لا تضر إلا نفسك . وأبلغها عمر أبا بكر فلم يتأثر لها أبو بكر .

ولما اجتمع عند الصدِّيق من الجيوش ما أراد قام في الناس خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم حثَّ الناسَ على الجهاد فقال : ألا [إنّ][٥] لكلِّ أمرٍ جوامع ، فمنْ بلغَها فهي حسبُه ، ومن عملَ لله كفاهُ اللهُ ، عليكم بالجدِّ والقصد فإنَّ القصدَ أبلغُ ، ألا إنه لا دينَ لأحدٍ لا إيمانَ له ، ولا إيمانَ لمنْ لا حسبةَ[٦] له ، ولا عملَ لمن لا نيّة له ، ألا وإن في كتابِ الله من الثواب على الجهادِ في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحبَّ أن يُخصَّ به ، هي التجارة[٧] التي دلَّ اللهُ عليها ، إذ نَجّى بها من الخزي ، وألحق بها [من] الكرامة .

ثم شرعَ الصدِّيقُ في توليةِ الأمراءِ وعقدِ الألويةِ والرايات ، فيُقال إنَّ (أولَ) لواءٍ عَقَدَهُ لخالدِ بن سعيد بن العاص ، فجاء عمر (بن الخطاب) فثناه عنه وذكَّره بما قال . فلم يتأثر (به الصديق كما تأثر به عمر ، بل عزله عن الشام وولاه أرض « تيماء » يكون بها فيمن) معه من المسلمين حتى يأتيه أمره .

ثم عقدَ لواءَ يزيد بن أبي سفيان ومعه جمهورُ الناس ، ومعه سهيلُ بن عمرو ، وأشباهُه من أهل مكة ، وخرج معه ماشياً يوصيه (بما اعتمده في حربه ومن معه من المسلمين ، وجعل له دمشق . وبعث أبا عبيدة بن الجراح على جند آخر ، وخرج معه ماشياً يوصيه) ، وجعل له نيابةَ حمص . وبعثَ عمرو بن العاص ومعه جندٌ أُخر وجعله على فلسطين . وأمر كلَّ أميرٍ أن يسلكَ طريقاً غير طريق الآخر ، لما لحظ في ذلك من المصالح . وكان الصدِّيقُ اقتدى في ذلك بنبيِّ الله يعقوب حين قال لبنيه : ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ

---

(١) في أ : فعبد الله ، وفي الطبري : بعد الله .
(٢) في أ : قبل ذلك ، وفي الطبري : بنحو ذلك .
(٣) في تاريخ الطبري (٣/ ٣٨٨) : فصاح عمر بمن يليه مزّقوا عليه جبته .
(٤) في أ : لا يخالف .
(٥) استدراك من الطبري .
(٦) في أ : خشية . وفي نسخة « ولا أجر لمن لا حسبة له » .
(٧) في أ ، ط : هي النجاة ؛ وما هنا عن الطبري (٣/ ٣٩٠) .

مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف : ٦٧] . فكان سلوكُ يزيد بن أبي سفيان على تبوك .

قال المدائنيّ بإسناده عن شيوخه قالوا : وكان أبو بكر بعث هذه الجيوش في أول سنة ثلاث عشرة .

قال محمد بن إسحاق[(١)] عن صالح بن كيسان : خرج أبو بكر ماشياً ويزيد بن أبي سفيان راكباً فجعل يوصيه ، فلما فرغ قال : أقرئك السلام وأستودعك الله ، ثم انصرف ومضى يزيد وأجدَّ السيرَ . ثم تبعه شرحبيل بن حسنة ، ثم أبو عبيدة مدداً لهما . فسلكوا (غير) ذلك الطريق .

وخرج عمرو بن العاص حتى نزل فلسطين من[(٢)] الشام . ويقالُ إن يزيدَ بن أبي سفيان نزلَ البلقاء أولًا . ونزل شرحبيلُ بالأردنّ ، ويقال ببُصْرى . ونزلَ أبو عبيدة بالجابية . وجعلَ الصدِّيقُ يمدُّهم بالجيوش ، وأمر كل واحد منهم أن ينضاف إلى من أحبَّ من الأمراءِ . ويُقال إن أبا عبيدة لما مرَّ بأرض البلقاءِ قاتلهم حتى صالحوه ، وكان أولَ صلحٍ وقعَ بالشامِ .

ويقالُ : إنَّ أولَ حربٍ وقع بالشام أن الرومَ اجتمعوا بمكانٍ يقال له العَرَبة[(٣)] من أرض فلسطين ، فوجه[(٤)] إليهم أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم ، وقتل منهم بطريقاً عظيماً . ثم كانت بعد هذه وقعة مَرْجِ الصُّفَّر استُشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين . ويقال إنَّ الذي استُشهد في مَرْجِ الصُّفَّر ابنٌ لخالد بن سعيد [بن العاص ، وجماعة من المسلمين ، وأما خالد بن سعيد] ففرَّ حتى انحاز إلى أرضِ الحجاز ، فالله أعلم ، حكاه ابن جرير[(٥)] .

قال ابن جرير[(٦)] : ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم في جمع[(٧)] كثير من نصارى العرب ، من بَهْراء[(٨)] ، وتنوخ ، وبني كَلْب ، وسَليح ، ولَخْم وجُذام ، وغَسّان ، فتقدم إليهم خالد بن سعيد ، فلمّا اقتربَ منهم تفرّقوا عنه ودخلَ كثيرٌ منهم في الإسلام ، وبعثَ إلى الصديق يُعلمُه بما وقعَ من الفتح ، فأمرَهُ الصديق أن يتقدَّم ولا يُحْجم ؛ وأمدَّه بالوليد بن عقبة[(٩)]

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٥) .

(٢) في ط : العرمات من أرض الشام ، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٥) : نزل بغمر العَربات .

(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٠٥) وفيه : واجتمع للروم جمع بالعَربة من أرض فلسطين . وفي ط : العرية . وعند ياقوت : الغَزيَّة قرية من أعمال زُرْع من نواحي حوران . معجم البلدان (٤/ ٢٧) ، والمصنف ينقل من تاريخ الطبري وفيه كما هنا .

(٤) في أ : فتوجه .

(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٦) .

(٦) تاريخه (٣/ ٣٨٩) .

(٧) في أ : ومعهم كثير .

(٨) في ط : من غيرا ؛ تحريف .

(٩) في ط : الوليد بن عتبة ؛ خطأ ، والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٠) .

وعكرمة بن أبي جهل وجماعة ، فسارَ إلى قريبٍ من إيلياء فالتقى هو وأميرٌ من الروم يقال له باهان[١] فكسره ، ولجأ[٢] باهان إلى دمشق ، فلحقه خالدُ بن سعيد ، وبادرَ الجيش إلى لحوق دمشق وطلب الحظوة ، فوصلوا إلى مرج الصُّفَّر فانطوت عليه مسالح باهان وأخذوا عليهم الطريق ، وزحف باهان ففرَّ خالدُ بن سعيد ، فلم يزل إلى ذي المروة . واستحوذَ الرومُ على عسكرهم إلَّا من فرَّ على الخيل ، وثبت عكرمة بن أبي جهل ، وقد تقهقر عن الشام قريباً وبقي ردءاً لمن نفر إليه ، وأقبلَ شرحبيلُ بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد إلى الصدِّيق ، فأمَّره على جيشه وبعثه إلى الشام ، فلما مر بخالد بن سعيد بذي المروة ، أخذ جمهورُ أصحابه الذين هربوا معه إلى ذي المروة .

ثم اجتمع عند الصديق طائفةٌ من الناس فأمَّر عليهم معاويةَ بن أبي سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبي سفيان . ولما مرَّ بخالد بن سعيد أخذ منْ كان بقي معه بذي المروة إلى الشام . ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد في الدخول إلى المدينة وقال : كان عمر أعلم بخالد .

وقعةُ اليَرْموك

على ما ذكره سيف بن عمر في هذه السنة قبل فتح دمشق ، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله .

وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فإنه نقل[٣] عن يزيد بن أبي عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبي معشر : أنها كانت في سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق .

وقال محمد بن إسحاق : كانت في رجب سنة خمس عشرة .

وقال خليفة بن خياط[٤] : قال ابن الكلبي : كانت وقعة اليرموك يوم الإثنين لخمسٍ مَضَيْن من رجب سنة خمس عشرة .

قال ابن عساكر : وهذا هو المحفوظ ، وما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه .

قلت : وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير[٥] وغيره . قال :

ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً ، وكتبوا إلى هرقل

---

(١) في ط : ماهان ؛ تحريف وما هنا عن الطبري .
(٢) في أ : ونجا ؛ تحريف .
(٣) في تاريخ دمشق (١/ ٥٢٧ ـ ٥٢٩) .
(٤) في تاريخه (ص١٣٠) .
(٥) في تاريخه (٣/ ٣٩٢) .

يعلمونه بما كان من الأمر . فيقال : إنه كان يومئذ بحمص ، ويقال : [بل] كان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس . فلما انتهى إليه الخبر . قال لهم : ويْحكم إن (هؤلاء) أهلُ دينٍ جديد ، وإنهم لا قبلَ لأحدٍ بهم ، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحونهم على نصفِ خراج الشام ويبقى لكم جبالُ الروم ، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم ، فنخروا من ذلك نخرةَ حُمُرِ الوَحْش كما هي عاداتهم في قلة[١] المعرفة والرأي بالحرب والنصرة في الدِّين والدنيا . فعند ذلك سار إلى حمص ، (وأمر هرقل بخروج)[٢] الجيوش الرومية صحبةَ الأمراء ، في مقابلة كلّ أمير من المسلمين جيشٌ كثيفٌ . فبعث إلى عمرو بن العاص أخاً له لأبويه تَذَارق في تسعين ألفاً من المقاتلة . وبعث جرجه بن توذرا إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان ، فعسكر بإزائه[٣] في خمسين ألفاً أو ستين ألفاً . وبعث الدُّراقص إلى شُرحبيل بن حَسَنة . وبعث الفيقار[٤] ويقال القيقلان ـ قال ابن إسحاق وهو خصيّ هرقل نسطورس ـ في ستّين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح . وقالت الروم : (والله) لنشغلنَّ أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا . وجميع عساكر المسلمين أحد وعشرون ألفاً سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل . وكان واقفاً في طرف الشام[٥] ردءاً للناس ـ في ستة آلاف ـ فكتب الأمراء إلى أبي بكر وعمر يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم ، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا[٦] جنداً واحداً والقوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله والله ناصرٌ[٧] منْ نَصَره ، وخاذلٌ من كَفَره ، ولن يُؤْتى مثلُكم عن قلة ، ولكن من تلقاء الذُّنوب فاحترسوا منها ، وليصلّ كل رجل منكم بأصحابه .

وقال الصدِّيق : والله لأشغلنَّ النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد . وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على منْ به ، فإذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق ، فكان ما سنذكره .

ولما بلغ هرقل ما أمر به الصدِّيقُ أمراءه من الاجتماع ، بعث إلى أُمرائه أن يجتمعوا أيضاً وأن ينزلوا بالجيش (منزلًا) واسع العطن[٨] ، واسع المُطَّرَدِ[٩] ، ضيقَ المَهْرب ، وعلى الناس أخوه بذارق ، وعلى المقدمة جرجه ، وعلى المَجْنبتين باهان والدُّراقص ، وعلى البحر القيقلان .

وقال محمد بن عائذ[١٠] : عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن عبد العزيز : إنَّ المسلمين كانوا أربعةً

---

(١) في أ : عاداتهم فرط المعرفة .
(٢) مكان القوسين في أ : في .
(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٢) .
(٤) في ط : اللقيقار ، وما هنا عن الطبري .
(٥) في أ : طرف المدينة .
(٦) في أ : أن يجتمعوا ويكونوا .
(٧) في ط : والله ينصر . وكتاب أبي بكر هذا في تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٣) .
(٨) العطن للإبل كالوطن للناس ، ومعنى واسع العطن : أي واسع الناحية . اللسان (عطن) .
(٩) من طراد الخيل ، وهو عدوها وتتابعها . اللسان (طرد) ومعنى مطرد : أي يتسع لعدو الخيل وتتابعها .
(١٠) الخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر (١/ ٥٢٩) .

وعشرين ألفاً ، وعليهم أبو عبيدة ، والرُّوم كانوا عشرين ومئة ألفٍ عليهم باهان وسقلاب يوم اليرموك .

وكذا ذكر [محمد بن] إسحاق : أن سقلاب الخصي كان على الروم يومئذ في مئة ألف ، وعلى المقدّمة جرجه ـ من أرمينية ـ في اثني عشر ألفاً ، ومن المُسْتعربة اثني عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم ، والمسلمون في أربعةٍ وعشرين ألفاً ، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قاتلت النساء من ورائهم أشدَّ القتال .

وقال الوليد : عن صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير قال : بعث هرقلُ مئتي ألف عليهم باهان الأرمني .

قال سيف[1] : فسارت الروم فنزلوا الواقوصة قريباً من اليرموك ، وصار الوادي خندقاً عليهم . وبعث الصحابةُ إلى الصدّيق يستمدُّونه ويعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك ، فكتب الصدِّيق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن معه إلى الشام ، فإذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم . فاستناب المثنى بن حارثة على العراق ، وسار خالد مسرعاً في تسعة آلاف وخمسمئة ، ودليله رافع بن عُمَيْرة الطّائي ، فأخذ به على السماوة[2] حتى انتهى إلى قُراقِر[3] ، وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحدٌ ، فاجتابَ البراري والقفار ، وقطعَ الأوديةَ ، وتصعَّد على الجبال ، وسار في غير مهيع[4] ، وجعل رافع يدلُّهم في مسيرهم على الطريق ، وهو في مفاوز مُعْطشة ، وعَطَّشَ النوقَ وسقاها الماء عللاً بعد نهل[5] ، وقطع مشافرها وكعمها[6] حتى لا تجترّ وخلّى أدبارها ، واستاقها معه ، فلما فقدوا [ذلك] الماء نحرها ، فشربوا ما في أجوافها من الماء ، ويقال : بل سقاه الخيل وشربوا ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها . ووصل ولله الحمد والمنة في تسعة[7] أيام ، فخرج على الروم من ناحية تدمر ، فصالح أهل تدمر وأركة[8] ، ولما مر بعذراء[9] أباحها وغنم لغسان أموالاً[10] عظيمة ، وخرج من شرقي دمشق ، ثم

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٣) .

(٢) في ط : السماق ، تحريف . والسماوة بادية بين الكوفة والشام قفرى . معجم البلدان (٣/ ٢٤٥) .

(٣) قراقر : واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق نزله خالد بن الوليد عند مقصده الشام . معجم البلدان (٤/ ٣١٧) .

(٤) مَهْيع : طريق مَهيعٌ واضح واسع بيّن ، وجمعه مهايع اللسان (هيع) .

(٥) العلل : الشربة الثانية ، والنهل : الأولى . اللسان (علل ونهل) .

(٦) كعم البعير يكعمُه كعْماً : شدّ فاه . اللسان (كعم) .

(٧) في ط : خمسة ، وما هنا عن أ والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٠٧ ـ ٤٠٩) .

(٨) كذا في أ ، ط وهي في تاريخ الخميس (١/ ٢٣٢) : أوروكة ، وفي معجم البلدان (٢/ ١٥٣) : أرك ـ بفتحتين ـ وضم ابن دريد همزته : مدينة صغيرة في طرف برية حلب قرب تدْمُر ، وهي من فتوح خالد بن الوليد في اجتيازه من العراق إلى الشام .

(٩) عذراء : قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة إليها ينسب مرجها ، وإذا انحدرت من ثنية العقاب وأشرفت على الغوطة فتأملت على يسارك رأيتها أول قرية تلي الجبل . معجم البلدان (٤/ ٩١) قلت : ويلفظها أهل دمشق اليوم عدرا .

(١٠) في أ : ولما مر بعذراء أغار على عسا وغنم غسان أموالاً عظيمة . وما هنا أوضح .

سار حتى وصل إلى قناة بصرى ، فوجد الصحابة تحاربها ، فصالحه صاحبها وسلمها إليه ، فكانت أول مدينة فتحت من الشام ولله الحمد .

وبعثَ خالدٌ بأخماس ما غنم من غسان مع بلال بن الحارث المزني إلى الصديق (ثم سار وأبو عبيدة ومرثد وشرحبيل إلى عمرو بن العاص ـ وقد قصده الروم بأرض العربا من المعور ـ فكانت واقعة أجنادين) . وقد قال رجل من المسلمين في مسيرهم هذا مع خالد[١] [من الرجز] :

لله عَيْنَـا[٢] رافِـعٍ أنَّـى اهْتـدى
فَـوّزَ مـنْ قُـراقِـرٍ إلـى سُـوى
خمساً إذا ما سارها الجيشُ بكى
مـا سـارَهـا قَبلَـكَ إنسـيٌّ أرى

وقد كان بعضُ العرب قال له في هذا المسير : إن أنتَ أصبحتَ عند الشجرة الفلانية نجوتَ أنتَ ومنْ معكَ ، وإن لم تدركْها هلكتَ أنتَ ومنْ معك ، فسار خالد بمن معه وسَرَوا سروةً عظيمةً فأصبحوا عندها ، فقال خالد : عندَ الصَّباح يحمد القوم السُّرى . فأرسلها مثلاً ، وهو أول من قالها رضي الله عنه .

(ويقول غير ابن إسحاق ، كسيف بن عمر وأبي مِخْنَف وغيرهما في تكميل السياق الأول :

حين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقوصة) وانتقل الصحابة من منزلهم الذي كانوا فيه ، فنزلوا قريباً من الروم في طريقهم الذي ليس لهم طريق غيره ، فقال عمرو بن العاص : أبشروا أيها الناس ، فقد حصرت (والله) الروم ، وقلما جاء محصور بخير .

ويقال : إنّ الصحابة لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى الروم ، جلس الأمراء لذلك فجاء أبو سفيان فقال : ما كنت أظنّ أني أعمَّر حتّى أدرك قوماً يجتمعون لحرب ولا أحضرهم ، ثم أشار أن يتجزَّأ الجيشُ ثلاثةَ أجزاء ، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم ، ثم تسير الأثقال والذراري في الثلث الآخر ، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل (إليهم) البُرُد والمَدد . فامتثلوا ما أشار به ونعم الرأي هو .

وذكر الوليد عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير :

أن الروم نزلوا فيما بين دير أيوب واليرموك ، ونزل المسلمون من وراء النهر من الجانب الآخر ، وأذرعات خلفهم ليصل إليهم المدد من المدينة . ويقال إن خالداً إنما قدم عليه بعدما نزل الصحابة تجاه الروم بعد ما صابروهم (وحاصروهم) شهر ربيع الأول بكماله ، فلما انسلخ وأمكن القتال لقلة الماء بعثوا

---

(١) الأشطار الثلاثة الأولى في معجم ما استعجم (١٠٥٨) وهي أربعة في معجم البلدان (٤/٣١٨) وهي في تاريخ الطبري (٣/٤١٦) كما هنا .

(٢) في معجم ما استعجم : ضل ضلال رافع ، وفي معجم البلدان : لله در رافع .

إلى الصديق يستمدونه فقال : خالد لها ، فبعث إلى خالد فقدم عليهم في ربيع الآخر ، فعند وصول خالد إليهم أقبل باهان مدداً للروم ومعه القساقسة ، والشمامسة والرهبان يحثونهم ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية ، فتكامل جيش الروم أربعون ومئتا ألف ، ثمانون ألف مسلسل بالحديد والحبال ، وثمانون ألف فارس ، وثمانون ألف راجل .

قال سيف[١] : وقيل بل كان الذين تسلسلوا كل عشرة سلسلة لئلا يفروا ثلاثين ألفاً ، فالله أعلم .

(قال سيف) وقدم عكرمةُ بمنْ معه من الجيوش فتكاملَ جيشُ الصحابةِ ستةً وثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً .

وعند ابن إسحاق والمدائني (أيضاً) : أن وقعةَ أجنادين قبل وقعة اليرموك وكانت وقعةُ أجنادين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، وقتل بها بشر كثير من الصحابة ، وهزم الروم وقتل أميرهم القيقلان . وكان قد بعث رجلاً من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة ، فلما رجع إليه قال : وجدتُ قوماً رهباناً بالليل فرساناً بالنهار ، والله لو سرقَ فيهم ابنُ ملكهم لقطعوه ، أو زنى لرجموه . فقال له القيقلان : والله لئن كنت صادقاً لَبَطْنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

(وقال سيف بن عمر في سياقه) :

ووجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبي عبيدة وعمرو بن العاص ناحية ، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية . فقام خالد في الناس خطيباً .

(وقال سيف بن عمر في وقعة اليرموك) فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف . فاجتمع الناس وتَصافُّوا مع عدوّهم في أول جمادى الآخرة ، وقام خالد بن الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، وإن هذا يوم له ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم ، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبداً ، فتعالوا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضُنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد ، حتى يتأمّر كلكم ، ودعوني اليوم أليكم ، فأمّروه عليهم وهم يظنون أن الأمرَ يطول جداً ، فخرجت الروم في تعبئة لم يُر (مثلها) قبلها قط ، وخرج خالد في تعبئة لم تعبئها العرب قبل (ذلك) . فخرج في ستة وثلاثين كردوساً (إلى الأربعين) كلُّ كردوسٍ ألفُ رجلٍ عليهم أميرٌ ، وجعل أبا عبيدة في القلب ، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة ، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان . وأَمَّرَ على كل كردوس أميراً ، وعلى الطلائع قُبَاث[٢] بن أشيم ، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود ، والقاضي يومئذ أبو الدرداء ، وقاصّهم الذي

---

(١) قول سيف وخبر وقعة اليرموك في تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٤ ـ ٤١١) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤١٠ ـ ٤١٥) .

(٢) في أ ، ط : قباب ؛ وهو تحريف ، وهو قُباث بن أشيم بن عامر بن الملوّح اللّيثي ويقال التميمي والكناني وهو الأكثر . الاستيعاب (٤/ ١٣٠٣) والإكمال (٧/ ٩٧) وجامع الأصول (١٥/ ٥٥) وأسد الغابة (٤/ ٣٧٩) والإصابة (٣/ ٢٢١) .

يعظُهم ويحثُّهم على القتال أبو سفيان بن حرب ، وقارؤهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآياتِ الجهاد المِقْداد بن الأسود .

وذكر إسحاق بن بشر بإسناده : أنَّ أمراء الأرباع يومئذ كانوا أربعة ، أبو عبيدة وعمرو بن العاص وشُرحبيل بن حَسَنة ويزيد بن أبي سفيان ، وخرج الناس على راياتهم وعلى الميمنة مُعاذ بن جَبَل ، وعلى المَيْسرة نفاثة بن أسامة الكناني ، وعلى الرجَّالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى الخيَّالة خالد بن الوليد وهو المشير في الحرب الذي يصدر الناس كلهم عن رأيه ، ولما أقبلت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء يصيحون(١) بأصوات مرتفعة (ورهبانهم) يتلون الإنجيلَ ويحثُّونهم على القتال ، وكان خالد في الخيل بين يدي الجيش(٢) فساق بفرسه إلى أبي عبيدة فقال له : إني مشيرٌ بأمر ، فقال : قُلْ ما أمرَكَ الله أسمعُ لك وأطيع . فقال له خالد (إن) هؤلاء (القوم) لا بدَّ لهم من حملة عظيمة لا محيدَ لهم عنها ، وإني أخشى على الميمنة والميسرة (وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين وأجعلها وراء) (الميمنة والميسرة) حتى إذا صدموهم (كانوا لهم ردءاً فنأتيهم من ورائهم)(٣) . فقال له : نِعْمَ ما رأيتَ . فكان خالدٌ في أحد الخيلين من وراء الميمنة ، وجعل قَيْسَ بن هُبَيْرة في الخيل الأخرى ، وأمر أبا عبيدةَ أن يتأخَّر عن القلبِ إلى وراءِ الجيش كلِّه لكي إذا رآه المنهزمُ استحيى منه ورجع إلى القتال ، فجعل أبو عبيدة مكانَه في القلب سعيدَ بن زيد أحدَ العشرة رضي الله عنهم ، وساقَ خالدٌ إلى النساء من وراء الجيش ومعهنَّ عددٌ من السيوف وغيرها ، فقال لهن : من رأيتموه مولِّياً فاقتلنه ، ثم رجع إلى موقفه رضي الله عنه .

ولما تراءى الجمعان وتبارزَ الفريقان وعظَ أبو عبيدة المسلمين فقال :

عبادَ الله انصرُوا الله ينصرْكمْ ويُثبِّتْ أقدامكم ، يا معشر(٤) المسلمين اصبروا فإن الصبرَ منجاةٌ من الكفر ومرضاةٌ للربّ ومدحضةٌ للعار ، ولا تبرحوا مصافَّكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدؤوهم بالقتال ، وشرِّعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمت إلا من ذِكْرِ الله (في أنفسكم) حتى آمركم إن شاء الله تعالى .

قالوا : وخرج معاذُ بن جبَلٍ على الناس فجعلَ يُذكِّرُهُم ويقولُ : يا أهلَ القرآن ، ومتحفِّظي(٥) الكتاب وأنصار الهدى والحقّ ، إن رحمة الله لا تُنال وَجنَّتهُ لا تُدْخلُ بالأماني ، ولا يؤتي اللهُ المغفرةَ والرحمةَ

---

(١) في أ : يضجّون .
(٢) في أ : بين يدي الميسرة .
(٣) مكان القوسين في أ : رأوا أنفسهم من ورائهم .
(٤) في أ : يا معاشر .
(٥) في أ : ومستحفظي .

الواسعةَ إلا الصادقَ المُصدِّق ، ألم تسمعوا لقول الله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور : ٥٥] الآية . فاستحيوا رحمكم اللهُ من ربكم أن يراكُمْ فراراً من عدُوِّكم وأنتم في قَبْضتهِ وليس لكم مُلْتحدٌ من دونه ولا عزٌّ بغيره .

وقال عمرو بن العاص : يا أيُّها المسلمون غُضّوا الأبصارَ ، واْجثوا على الرُّكَب ، واشرعوا الرماحَ ، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنَّة فثبوا إليهم وَثْبة الأسدِ ، فوالذي يرضى الصدق ويُثيبُ عليه ويمقتُ الكذب ويجزي بالإحسان إحساناً ، لقد سمعتُ أن المسلمين سيفتحونها كَفْراً كَفْراً وقَصْراً قَصْراً ، فلا يهولنَّكم[١] جموعُهُم ولا عددُهم ، فإنكم لو صدقتموهم [في] الشد تطايروا تطاير أولاد الحَجَل .

وقال أبو سفيان : يا معشرَ المسلمين أنتم العربُ ، وقد أصبحتُم في دار العَجم منقطعين عن الأهل نائين[٢] عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتُم بإزاء عدوٍّ كثير عددُه ، شديد عليكم حنقه[٣] ، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنَّة لازمة وأن الأرض وراءكم ، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحاري وبراري ، ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خيرُ معول ، فأمتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هي الحصون . ثم ذهب إلى النساء فوصاهنَّ ثم عاد فنادى : يا معاشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا ما ترون رسول الله والجنة[٤] أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم . ثم سار إلى موقفه رحمه الله .

وقد وعظَ الناسَ أبو هريرة أيضاً فجعل يقول : سارعوا إلى الحُور العين وجوار ربكم عزَّ وجلَّ في جنات النعيم ، ما أنتم إلى ربكم في موطنٍ بأحبّ إليه منكم في مثل هذا الموطن ، ألا وإن للصابرين فضلهم .

قال سيف بن عمر بإسناده عن شيوخه ، إنهم قالوا[٥] :

كان في ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة ، منهم مئة من أهل بدر . وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول : اللهَ اللهَ ، إنكم دارة العرب وأنصارُ الإسلام ، وإنهم دارةُ الرومِ وأنصارُ الشِّرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك . قالوا : ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد : ما أكثر الرومَ وأقلَّ المسلمينَ !! فقال خالد :

---

(١) في ط : فلا يهولكم .
(٢) في أ : نائبين .
(٣) في أ : ضيقة .
(٤) في أ : حضر ما ترون فهذا ما ترون والجنة أمامكم .
(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٧) فما بعدها .

ويلك ، أتخوّفني بالروم ؟ وإنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه ، وأنهم أضعفوا في العدد ـ وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق ـ ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور ، والحارث بن هشام ، وأبو جندل بن سهيل ، ونادوا : إنما نريد أميركم لنجتمع به ، فأذن لهم في الدخول على تذارق ، وإذا هو جالسٌ في خيمةٍ من حرير . فقال الصحابة : لا نستحلُّ دخولها ، فأمرَ لهم بفرشٍ بسطٍ من حرير ، فقالوا : ولا نجلس على هذه . فجلس معهم حيث أحبُّوا وتراضوا على الصلح ، ورجع[١] عنهم الصحابة بعد ما دعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ فلم يتم ذلك .

وذكر الوليد بن مسلم : أن باهان طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا في مصلحةٍ لهم فقال باهان : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهدُ والجوعُ ، فهلموا إلى أن أعطي كلَّ رجلٍ منكم عشرةَ دنانير وكسوةً وطعاماً وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل[٢] بعثنا لكم بمثلها ، فقال خالد : إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير أنّا قومٌ نشربُ الدماء ، وأنه بلغنا أنه لا دمَ أطيبُ من دم الروم ، فجئنا لذلك . فقال أصحاب باهان : هذا والله ما كنا نُحدَّثُ به عن العرب قالوا : ثم تقدَّم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو ـ وهما على مَجْنبتي القلب ـ أن ينشبا القتال ، فبدرا يرتجزان ودَعوا إلى البراز ، وتنازل الأبطال ، وتجاولوا ، وحمي الحرب ، وقامت على ساقٍ . هذا وخالدٌ مع كردوس من الحماة[٣] الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف ، والأبطال يتصاولون من الفريقين بين يديه ، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل ، ويدبِّر أمر الحرب أتم تدبير .

وقال إسحاق بن بشر[٤] : عن سعيد بن عبد العزيز ، عن قدماء مشايخ دمشق ، قالوا :

ثم زحف باهان فخرج أبو عبيدة ، وقد جعل على المَيْمنة مُعاذَ بن جَبَلٍ ، وعلى المَيْسرة قُباثَ بن أشْيم الكناني ، وعلى الرجَّالة هاشم بن عتبة (بن أبي وقاص) ، وعلى الخيل خالد بن الوليد ، وخرج الناس على راياتهم ، وسار أبو عبيدة بالمسلمين ، وهو يقول : عبادَ الله انصروا الله ينصرُكم ويُثبِّتْ أقدامَكُم ، يا معاشرَ المسلمين ٱصبْروا فإنَّ الصبرَ منجاةٌ من الكفر ، (ومرضاة للرب) ، ومدحضةٌ للعار ، ولا تبرحوا مصافَّكُم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدؤوهم بالقتال ، وأشرِعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمتَ إلا من ذِكْر الله .

وخرج معاذ بن جَبَل فجعل يُذكِّرهم ، ويقول : يا أهلَ القرآن ، ومستحفظي الكتاب ، وأنصار الهدى والحق ، إنَّ رحمةَ الله لا تُنال ، وجنَّته لا تُدْخلُ بالأماني ، ولا يُؤْتي اللهُ المغفرة والرحمة الواسعة إلا

---

(١) في أ : ورجعوا ؛ على لغة ـ أكلوني البراغيث ـ وهي لغة مفضولة .
(٢) في أ : العام القابل .
(٣) في أ : من الجماعة .
(٤) الخبر في تاريخ دمشق ـ ترجمة عمر ـ (٥٣٧) .

للصادق المُصدِّق ، ألم تسمعوا لقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [النور : ٥٥] إلى آخر الآية ؟ فاسْتَحيُوا ـ رحمكم الله ـ من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم ، وأنتم في قبضته ، وليس لكم مُلْتحدٌ من دونه .

وسار عمرو بن العاص في الناس وهو يقول : أيُّها المسلمون غُضّوا الأبصار واجثوا على الركب ، وأشرعوا الرماحَ ، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فَثِبُوا وثبةَ الأسدِ ، فوالذي يرضى الصدق ويُثيب عليه ويَمْقتُ الكذبَ ويجزي بالإحسان إحساناً ، لقد سمعتُ أنَّ المسلمين سيفتحونها كَفْراً كَفْراً وقَصْراً قَصْراً ، فلا يهولنكم جموعُهم ولا عددُهم ، فإنكم لو صدقتموهم الشد لتطايروا[١] [تطاير] أولاد الحجل .

ثم تكلم أبو سفيان فأحسن وحثَّ على القتال فأبلغ في كلام طويل . ثم قال حين تواجه الناس : يا معشرَ أهل الإسلام حضر ما ترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم . وحرَّض أبو سفيان النساء فقال : من رأيتنه[٢] فاراً فاضربنه بهذه الأحجار والعصيّ حتى يرجع .

وأشار خالد أن يقف في القلب سعيد بن زيد ، وأن يكون أبو عبيدة من وراء الناس ليردَّ المُنهزمَ . وقسم خالد الخيلَ قسمين فجعل فرقةً وراء الميمنة ، وفرقة وراء الميسرة ، لئلا يفرَّ الناسُ وليكونوا ردءاً لهم من ورائهم . فقال له أصحابه : افعلْ ما أراكَ اللهُ ، وامتثلوا ما أشارَ به خالدٌ رضي الله عنه . وأقبلت الرومُ رافعة[٣] صلبانها ولهم أصواتٌ مزعجةٌ كالرعد ، والقساقسة والبطارقة تحرّضُهم على القتال وهم في عَددٍ وعُدَدٍ[٤] لم يرَ مثله ، فالله المستعان وعليه التّكلان .

وقد كان فيمن شهد اليرموكَ الزبيرُ بن العوّام ، وهو أفضل منْ هُناك من الصحابة ، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ (فقالوا) : ألا تحملُ فنحملُ معك ؟ فقال : إنكم لا تَثْبتون . فقالوا : بلى . فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوفَ الرُّوم أحجموا وأقدم هو فاخترقَ صفوفَ الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه . ثم جاؤوا إليه مرةً ثانيةً ففعل كما فعل في الأولى ، وجُرح يومئذ جرحان بين كتفيه ، وفي روايةٍ جرحٌ . وقد روى البخاري معنى ما ذكرناه في صحيحه[٥] . وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول : اللهم زلزل

---

(١) في أ : لطاروا .
(٢) في أ : من رأيتموني . والمثبت هو الأصح .
(٣) في أ : واقفة .
(٤) في أ : في عدد وعديد .
(٥) صحيح الإمام البخاري (٣٧٢١) كتاب فضائل الصحابة . والخبر عن عروة عن أبيه : أن أصحاب النبي ﷺ قالوا : للزبير يوم وقعة اليرموك : ألا تشدُّ فنشدّ معك ؟ فحمل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر . قال عروة : فكنت أُدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير .

(أقدامهم) ، وأرعب قلوبهم ، وأنزل علينا السكينة ، وألزمنا كلمة التقوى ، وحبِّبْ إلينا اللقاء ، وأرضنا بالقضاء . وخرج باهان فأمر صاحب الميسرة وهو الديريجان ، وكان عدو الله متنسكاً فيهم ، فحمل على الميمنة وفيها الأزد ومذحج وحضرموت (وخولان) ، فثبتوا حتى صدّوا أعداء الله ، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال . فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب ، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر ، وثبت صور[١] من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم ، وانكشفت زبيد . ثم تنادوا فتراجعوا وحملوا حتى نهنهوا من أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس ، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم[٢] بالخشب والحجارة وجعلت خولة (بنت ثعلبة) تقول : [من الرجز] :

يـا هَـارِبـاً عـن نِسْـوَةٍ تَقِيّـات فعَنْ قَليلٍ ما ترى سَبِيّات
ولا حَصِياتٍ ولا رضيّات

قال : فتراجع الناس إلى مواقفهم .

وقال سيف بن عمر[٣] : عن أبي عثمان الغَسَّاني ، عن أبيه . قال قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك : قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفرُّ منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدَّامَ فسطاطِ خالدٍ حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنهم .

وقد ذكر الواقدي وغيره :

أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماءً فجيء إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم . رضي الله عنهم أجمعين .

ويقال : إنَّ أول منْ قُتل من المسلمين يومئذ شهيداً رجلٌ جاءَ إلى أبي عبيدة فقال : إنّي قد تهيأتُ لأمري فهل لكَ من حاجة إلى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، تُقرئه عني السلام وتقول : يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . قال : فتقدَّم هذا الرجلُ حتى قُتل ، رحمه الله .

قالوا : وثبتَ كلُّ قومٍ على رايتهم حتى صارتِ الرومُ تدورُ كأنها الرحا . فلم تر يوم اليرموك (إلا) مُخّاً ساقطاً ، ومعصماً نادراً[٤] ، وكفاً طائرة من ذلك الموطن . ثم حملَ خالدٌ بمن معه من الخيّالة على المَيْسرة التي حملتْ على مَيْمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب ، فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف

---

(١) الصور والسور واحد .
(٢) في أ : يضربونهم ؛ وما هنا أقرب للسياق .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٤٠١) .
(٤) ندر الشيء يندر ندوراً فهو نادر : سقط وشذّ . اللسان (ندر) .

منهم ، ثم قال : والذي نفسي بيده لم يبقَ عندهم من الصبر والجلد غيرُ ما رأيتُمْ ، وإنّي لأرجو أن يمنحَكُم الله أكتافهُمْ . ثم اعترضَهُم فحملَ بمئة فارس معه على نحو من مئة ألف فما وصل إليهم حتى انفضَّ جمعُهم ، وحمل المسلمون عليهم حملةَ رجلٍ واحد ، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم .

قالوا : وبينما هُمْ في جولةِ الحرب وحومةِ الوَغى والأبطالُ يتصاولون من كلِّ جانبٍ ، إذ قدم البريدُ من نحو الحجاز فدُفع إلى خالد بن الوليد فقال له : ما الخبرُ ؟ فقال له ـ فيما بينه وبينه ـ : إن الصدِّيقَ رضي الله عنه قد توفي واستخلفَ عمرَ ، واستنابَ على الجيوش أبا عبيدةَ عامرَ بن الجرّاح . فأسرّها خالدٌ ولم يُبْد ذلك للناس لئلا يحصل ضعفٌ ووهنٌ في تلك الحال ، وقال له[١] والناسُ يسمعون : أحسنتَ ، وأخذ منه الكتابَ فوضعه في كنانته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة ، وأوقف الرسول الذي جاء بالكتاب ـ وهو محمية بن زنيم ـ إلى جانبه . كذا ذكره ابن جرير[٢] بأسانيده .

قالوا[٣] : وخرجَ جرجة أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالدَ بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجة : يا خالد أخبرني فاصدقني ولا تكذبني ، فإنَّ الحُرَّ لا يكذب ، ولا تخادعني فإنّ الكريمَ لا يُخادع المسترسل بالله ، هل أنزل (الله) على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسلّه على أحد إلا هزمتهم ؟ قال : لا ! قال : فبم سُمِّيت سيفَ الله ؟ قال : إن الله بعثَ فينا نبيَّه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه[٤] ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت فيمن كذَّبه وباعدَه ، ثم إنّ اللهَ أخذَ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ، فقال لي : أنت سيفٌ من سيوفِ الله سله (الله) على المشركين . (ودعا لي بالنصر ، فَسُمِّيتُ سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين) .

فقال جرجة : يا خالد إلى ما تدعون ؟ قال : إلى شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدُه ورسولُه والإقرار بما جاء به من عند الله عزَّ وجلَّ . قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعهم . قال : فإن لم يُعْطها ؟ قال : نؤذنه بالحرب ثم نقاتله ، قال : فما منزلةُ (من) يُجيبكم ويدخلُ في هذا الأمر اليوم ؟ قال منزلتنا واحدة فما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا . قال جرجة : فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حيٌّ بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويُرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا[٥] ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقةٍ ونيّةٍ كان أفضلَ منا ؟ فقال

---

(١) في أ : وقال له : أحسنت ؛ والناس يسمعون .
(٢) تاريخه (٣/ ٣٩٨) .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠) .
(٤) في أ : وبايعه .
(٥) في أ : لو رأيتم .

جرجة : بالله لقد صَدَقْتني ولم تُخادعني ؟ قال : تالله لقد صَدَقْتُك وإنَّ اللهَ وليُّ ما سألتَ عنه . فعند ذلك قلبَ جرجة الترسَ ومال مع خالد . وقال : علّمْني الإسلامَ ، فمال به خالدٌ إلى فسطاطه فسنّ[١] عليه قربةً من ماءٍ ثم صلَّى به ركعتين . وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام . فركب خالد وجرجة معه والروم خلال المسلمين، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الرومُ إلى مواقفهم وزحف خالدٌ بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجةمن لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب . وصلَّى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماءً ، وأُصيب جرجة رحمه الله ولم يصلِّ لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنهما . وضعضعت الروم عند ذلك . ثم نهدَ خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الرُّوم ، فعند ذلك هربت[٢] خيالتهم ، وأسندتْ[٣] بهم في تلك الصحراء ، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا . وأخَّر الناس صلاتي العشاءين حتى استقر الفتح ، وعمد خالد إلى رحل الرُّوم وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائطٌ قد هُدِمَ ، ثم تبعوا من فرَّ من الخيالة ، واقتحم خالد عليهم خندقهم ، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوصة ، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحدٌ منهم سقط الذين معه .

قال ابن جرير[٤] وغيره :

فسقط فيها وقتل عندها ,مئة ألف وعشرون ألفاً سوى منْ قُتل في المعركة . وقد قاتل نساءُ المسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم ، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن : أين تذهبون وتدعوننا للعلوج ؟ فإذا زَجَرْنَهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجعَ إلى القتال .

قال : وتجلل القيقلان وأشراف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا : إذا لم نقدر[٥] على نصر دين النصرانية فلنمتْ على دينهم . فجاء المسلمون فقتلوهم عن آخرهم .

قالوا : وقتل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو ، وسلمة[٦] بن هشام ،

---

(١) سنَّ عليه الماء : صبَّه . اللسان (سنن) .

(٢) في أ : ذهبت .

(٣) سندنا في الجبل وأسندنا جبلها فيها : أي صعدنا فيه . اللسان (سند) .

(٤) تاريخه (٣/ ٤٠٠) .

(٥) في أ : قال وتخلخل القيقلان وأشراف قومه من الروم برأسهم وقالوا : إذا لم يقدر . .

(٦) في أ : ابن سلمة ؛ وهو زيادة لا ضرورة لها ، فسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، من خيارالصحابة وفضلائهم ، وهو أخو أبي جهل بن هشام . قتل سنة ١٤ في خلافة عمر وقيل سنة ١٣ قبل موت أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً . ترجمته في الاستيعاب (٦٤٣) وجامع الأصول (١٤/ ١٩٢) وأسد الغابة (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) والإصابة (٢/ ٦٨ ـ ٦٩) .

وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وأثبت[١] خالد بن سعيد فلا يُدرى أين ذهب ، وضرار بن الأزور ، وهشام بن العاص ، وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي ، وحقَّقَ اللهُ رؤيا أبيه[٢] يوم اليمامة . وقد تسلل[٣] في هذا اليوم جماعة من الناس ؛ انهزم عمرو بن العاص في أربعة حتى وصلوا إلى النساء ثم رجعوا حين زجرهم[٤] النساء ، وانكشف شرحبيل بن حسنة وأصحابه ثم تراجعوا حين وعظهم الأمير بقوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ [التوبة : ١١١] .

وثبت يومئذ يزيدُ بن أبي سفيان وقاتلَ قتالاً شديداً ، وذلك أن أباه مرَّ به فقال له : يا بني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجلٌ بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوفاً بالقتال ، فكيف بك وبأشباهك الذين ولّوا أمور المسلمين ؟! أولئك أحقّ الناس بالصبر والنصيحة ، فاتّقِ اللهَ يا بُنيَّ ولا يكوننَّ أحدٌ من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجرأ على عدوِّ الإسلام منك . فقال : أفعل إن شاء الله . فقاتل يومئذ قتالاً شديداً وكان من ناحية القلب رضي الله عنه .

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال : هدأتِ الأصواتُ يومَ اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول : يا نصر الله اقترب ، الثباتَ الثباتَ يا معشرَ المسلمين ، قال : فنظرنا فإذا هو أبو سفيان (تحت راية ابنه يزيد) ، وأكمل خالدٌ ليلته في خيمة تذارق أخي هرقل ـ وهو أميرُ الروم كلهم يومئذ ـ هرب فيمن هرب ، باتت الخيول تجول نحو خيمةِ خالدٍ يقتلون من مرَّ بهم من الروم حتى أصبحوا وقتل تَذارِق وكان له ثلاثون سرادقاً وثلاثون رواقاً من ديباج بما فيها من الفرش والحرير ، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم . وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصدِّيق حين أعلمهم خالد بذلك ، ولكن عوضهم الله بالفاروق رضي الله عنه .

وقال خالد حين عزّى المسلمين في الصدِّيق : الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت ، وكان أحبَّ إليَّ من عمر ، والحمد لله الذي ولى عمر وكان أبغضَ إليَّ من أبي بكر وألزمني حبَّه[٥] .

وقد اتبع خالد منِ انهزمَ من الروم حتى وصلَ إلى دمشقَ فخرج إليه أهلها فقالوا : نحن على عهدنا وصلحنا ؟ قال : نعم . ثم اتبعهم إلى ثنيَّةِ العقاب فقتلَ منهم خلقاً كثيراً ثم ساقَ وراءهم إلى حمص فخرج إليه أهلُها فصالحهم كما صالح أهل دمشق .

وبعث أبو عبيدة عياضَ بن غَنْم وراءهم أيضاً فساقَ حتى وصلَ مَلَطْيَة[٦] فصالحه أهلُها ورجعَ . فلما بلغَ

---

(١) في أ : وابنه ؛ وهو تحريف . وأثبت أي جرح جرحاً عميقاً وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٢) وأثبت خالد بن سعيد فلا يدرى أين مات بعد .

(٢) في أ : رؤيا ابنه .

(٣) في ط : اتلف ، ولا معنى لها .

(٤) في أ : زجرنهم ؛ على لغة أكلوني البراغيث .

(٥) التعزية في تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٢) وهي من كتاب « الفتوح والردة » لسيف بن عمر التالف المتروك، وصيغتها تدل على نكارة وتكلف سمج في الجمع بين التعزية والتهنئة في عبارة متحولة . وانظر ضعيف تاريخ الطبري (٨/ ١٤٤) .

(٦) في أ : مليطة ؛ وهو تحريف . ومَلَطية بلدة في بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام . معجم البلدان (٥/ ١٩٢) .

هرقل (ذلك) بعثَ إلى مقاتليها فحضروا بين يديه وأمر بمَلْطَيَه فحُرقت وانتهت الرومُ منهزمةً إلى هرقل وهو بحمص والمسلمون في آثارهم يقتلون ويأسرون ويغنمون . فلما وصل الخبر إلى هرقل ارتحل من حمص وجعلها بينه وبين المسلمين وترس (بها) وقال هرقل : أما الشامُ فلا شام، وويلٌ للرومِ من المولودِ المشؤوم .

ومما قيل من الأشعار في يوم اليرموك قول القعقاع بن عمرو : [من الوافر]

أَلَمْ تَرَنَا عَلَى اليَرْموكِ فُزْنا ... كَما فُزْنا بأيّامِ العِراقِ
وعذراءَ المدائنِ قد فَتَحْنا ... ومَرْجِ الصُّفرِ بالجُرْدِ العِتَاقِ[١]
فتَحْنا قَبْلها بُصْرَى وكَانَتْ ... مُحرَّمةَ الجناب لدى النعاقِ[٢]
قَتَلْنَا مَنْ أقامَ لَنا وفِينا ... نَهابُهُمُ بأَسْيافٍ رقاقِ
قَتَلْنا الرُّومَ حتى ما تساوَى ... على اليرموكِ معروقُ الوراق
فَضَضْنا جمْعهُم لما استجالوا ... على الواقوصِ بالبُتْرِ الرِّقاقِ[٣]
غداةَ تهافتوا فيها فَصَاروا ... إلى أمرٍ فعُضِّلَ بالذواقِ

وقال الأسود أبو مفزّر[٤] التميمي : [من الطويل]

وكمْ قَدْ أغَرْنا غارةً بعد غارةٍ ... وَيَوْماً وَيَوماً قد كَشَفْنا أهاوِلَه
ولولا رجالٌ كانَ عشو[٥] غنيمةٍ ... لدى مأقطٍ[٦] رَجَّتْ علينا أوائله
لقيناهم[٧] اليَرْموك لمَّا تَضَايَقَتْ ... بمنْ حَلَّ باليَرْموكِ منهُ حمائلهُ
فلا يَعْدِمنْ [منَّا] هرقلُ كَتَائباً ... إذا رَامَها رامَ الَّذي لا يُحاوِلُهْ

وقال عمرو بن العاص : [من الرجز]

القَوْمُ لخمٌ وجذامٌ في الحربْ ... ونحْنُ والرُّومُ بمَرْجٍ نَضْطربْ
فإنْ يَعُودوا بها لا نَصْطحبْ ... بل نَعْصِبُ الفُرّارَ بالضَّرْبِ الكَرِبْ

وروى أحمد بن مروان المالكي[٨] في « المجالسة » : حدَّثنا أبو إسماعيل الترمذي حدَّثنا

---

(١) في أ : ومرج الصفرين على العتاق .
(٢) نعق ينعق نعقاً ونعاقاً ونعيقاً ونعقاناً : صاح بها . اللسان (نعق) .
(٣) أ : على الواقوصة البتر .
(٤) في ط : الأسود بن مقرن ، وفي أ : أبو الأسود المقرر ؛ وكلاهما خطأ . والأبيات في تاريخ دمشق ـ ط دار الفكر ـ (٩/ ٦٩) ومختصره لابن منظور (٤/ ٣٨٨) .
(٥) أ : عسو ، وفي تاريخ ابن عساكر ومختصره : حشو ، والشطر غير واضح المعنى .
(٦) المأقط : المضيق في الحرب جمعه مآقط . اللسان (أقط) .
(٧) في التاريخ ومختصره : كفيناهم .
(٨) أحمد المالكي الدينوري محدث فقيه ، نزل مصر وبها توفي من تآليفه كتاب « المجالسة » الذي يرويه البوصيري=

أبو معاوية ، عن عمرو ، عن أبي إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبتُ لهم العدوُّ فُواقَ ناقةٍ[١] عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على أنطاكية لمّا[٢] قدمت منهزمةُ الروم : ويْلَكُم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا : بلى [وقال] : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثرُ منهم أضعافاً في كلِّ موطن . قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخٌ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ، ونزني ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغْصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عمَّا يُرضي الله ونفسد في الأرض . فقال : أنت صدقتني .

وقال الوليد بن مسلم : أخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قالا : لمّا نزل المسلمون بناحية الأردن ، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق (منها) قبل ذلك ، فبينا نحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجئناه فقال : أنتما من العرب ؟ قلنا : نعم ! قال : وعلى النصرانية ؟ قلنا : نعم . فقال : ليذهب أحدُكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم ، وليثبت الآخر على متاع صاحبه . ففعل ذلك أحدنا ، فلبثَ ملياً ثم جاءه فقال : جئتكَ من عند رجال[٣] دقاق يركبون خيولاً عتاقاً ، أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان ، يريشون النبل ويبرونها ، ويثقفون القنا ، لو حدَّثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر . قال فالتفت إلى أصحابه وقال : أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به .

انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة [في الدولة العمرية وذلك] بعد وقعة اليرموك وصيرورة الإمرة بالشّام إلى أبي عبيدة أولَ منْ سُمِّي أميرَ الأُمراء

قد تقدم أن البريد قدم بموت الصديق والمسلمون مصافو الروم يوم اليرموك ، وأن خالداً كتم ذلك عن المسلمين لئلا يقع وهن ، فلما أصبحوا أجلى لهم الأمر وقال ما قال ، ثم شرع أبو عبيدة في جمع الغنيمة وتخميسها ، وبعث بالفتح والخمس مع قُباث[٤] بن أَشْيم إلى الحجاز ، ثم نودي بالرحيل إلى دمشق ، فساروا حتى نزلوا مرج الصُّفَّر ، وبعث أبو عبيدة بين يديه طليعةً أبا أمامة الباهلي ومعه رجلان من أصحابه .

قال أبو أمامة : فسرتُ فلمّا كان ببعض الطريق أمرتُ الآخر فكَمَنَ هناك وسرتُ أنا وحدي حتى جئتُ بابَ البلد ، وهو مغلقٌ في الليل ، وليس هناك أحد ، فنزلتُ وغرزت رمحي بالأرض ، ونزعت لجامَ فرسي ،

= وغيره توفي بعد الثلاثين والثلاث مئة . سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٢٧) ومعجم المؤلفين (٢/ ١٧٤) .

(١) فواق ناقة : أي قدر ما بين الحلبتين .

(٢) في ط : كما ؛ تحريف ، وما هنا أقرب للسياق .

(٣) في أ : قوم .

(٤) في ط : قباب ؛ تحريف . وقد تقدمت ترجمته .

وعلقت عليه مخلاتَه ونمتُ، فلما أصبحَ الصباحُ قمتُ فتوضَّأتُ وصَلّيتُ الفَجْرَ، فإذا بابُ المدينة يقعقعُ[١] فلما فُتح حملتُ على البواب فطعنتُه بالرمح فقتلته، ثم رجعتُ والطلب ورائي، فلما انتهينا إلى الرجل الذي في الطريق من أصحابي ظنوا أنه كمينٌ فرجعوا عني، ثم سرنا حتى أخذنا [صاحبنا] الآخر، وجئت إلى أبي عبيدة فأخبرته بما رأيت، فأقام أبو عبيدةَ ينتظرُ كتابَ عمر فيما يعتمده من أمر دمشق، فجاء[٢] الكتاب يأمره بالمسير إليها، فساروا إليها حتى أحاطوا بها. واستخلف أبو عبيدة على اليرموك بُشَيْر بن كعب في خيلٍ هناك.

وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام

وذلك أنَّ أهلَ فارسٍ اجتمعوا بعدَ مقتلِ ملكهم وابنه على تمليك شهريار[٣] بن أزدشير بن شهريار واستغنموا غيبةَ خالد عنهم، فبعثوا إلى نائبه المُثَنَّى بن حارثة جيشاً كثيفاً نحواً من عشرة آلاف عليهم هُرْمز بن جَاذَوَيْه، وكتب شهريار إلى المثنى: إنّي قد بعثت إليك جنداً من وَخْشِ[٤] أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلُكَ إلَّا بهم.

فكتب إليه المثنى: من المُثَنّى إلى شهريار إنما أنتَ أحدُ رجلين إما باغ فذلك[٥] شرٌّ لك وخيرٌ لنا، وإما كاذبٌ فأعظمُ الكاذبين عقوبةً وفضيحةً عند الله في الناس الملوكُ، وأما الذي يدلُّنا عليه الرأيُ؛ فأنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد الله الذي ردَّ كيدَكم إلى رعاة الدجاج والخنازير. قال: فجزع[٦] أهلُ فارس من هذا الكتابِ، ولاموا شهريارَ على كتابه إليه واستهجنوا رأيَه. وسار المثنى من الحيرة[٧] إلى بابل، ولمّا التقى المُثَنَّى وجيشهم بمكان عند عدوة الصَّراة[٨] الأولى، اقتتلوا قتالاً شديداً جداً، وأرسل الفرس فيلاً بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله، وأمر المسلمين فحملوا، فلم تكن إلا هزيمة الفرس فقتلوهم قتلاً ذريعاً، وغنموا منهم مالاً عظيماً، وفرَّت الفرسُ حتى انتهوا إلى المدائن في شرِّ حالةٍ، ووجدوا الملكَ قد ماتَ فملَّكوا عليهم ابنةَ كسرى « بوران[٩] بنت أبرويز » فأقامتِ العدلَ، وأحسنت السيرةَ، فأقامت سنةً وسبعةَ شهور، ثم ماتَتْ،

---

(١) في أ: تقعقع.
(٢) في أ: فجاءه.
(٣) في أ: شهريار بن أدشير بن شهريار. وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤١١): شَهْرَ برازين أردشير بن شهريار.
(٤) في أ وط: وحش؛ تحريف، والوخش: رذالة الناس وصغارهم وغيرهم، يكون للواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد. اللسان (وخش).
(٥) في ط: لذلك.
(٦) في أ: فخرج؛ تحريف.
(٧) في ط: الحرة؛ تحريف.
(٨) في أ: غزوة الصراة. وذكر هذه الغزوة ياقوت في معجمه (٢/ ٣٩٩) والطبري في تاريخه (٣/ ٤١٢).
(٩) في أ: نوران؛ تحريف.

فملّكوا عليهم أختها « آزَرْمِيدُخْت زنان » فلم ينتظم لهم أمرٌ ، فملّكوا عليهم « سابور بن شهريار » ، وجعلوا أمره إلى الفَرُّخْزاذ بن البِنْدوان فزوّجه سابور بابنة كسرى « آزرميدخت » (فكرهت ذلك وقالتْ : إنّما هذا عبدٌ من عبيدنا . فلمّا كان ليلة عُرْسها عليه همُّوا إليه فقتلوه ، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضاً . وملّكوا عليهم هذه المرأة وهي « آزرْمِيدُخْت ») ابنة كسرى . ولعبت فارس بملكها لعباً كثيراً ، وآخر ما استقرَّ أمرُهم عليه (في هذه السنة) أن ملّكوا امرأةً وقد قال رسول الله ﷺ : « لن يُفْلح قومٌ ولَّوْا أمرَهم امرأةً »[١] . وفي هذه الوقعة التي ذكرنا يقول عبدة بن الطبيب السَّعدي[٢] ، وكان قد هاجر لمهاجرة حليلة (له) حتى شهد وقعةَ بابل هذه ، فلما آيسته رجع إلى البادية وقال[٣] : [من البسيط]

هَلْ حَبْلُ خَوْلة بَعْدَ البَيْنِ مَوصُولُ ... أمْ أنتَ عَنْها بَعيدُ الدَّارِ مَشْغُولُ
وَلِلأحبَّةِ أيّامٌ تَذكَّرُها ... ولِلنَّوى قَبْلَ يَوْمِ البَيْنِ تأويلُ
حَلَّتْ خُوَيْلةُ في حيٍّ عَهِدْتُهُمْ ... دونَ المدينةِ[٤] فيها الدِّيكُ والفِيلُ
يُقارعُونَ رُؤوسَ العُجْمِ[٥] ضَاحيَةً ... منه فوارسُ لا عُزْلٌ ولا ميلُ

وقد قال الفرزدق في شعره يذكر قتل المثنى ذلك الفيل[٦] : [من الطويل]

وبيتُ المُثَنَّى قاتِلِ الفيلِ عَنْوةً ... ببابلَ إذْ في فَارسٍ مُلْكُ بَابِلِ

ثُمَّ إنَّ المُثَنَّى بن حارثة استبطأ أخبارَ الصدِّيق لتشاغله بأهل الشام ، وما فيه من حربِ اليرموك المتقدم ذكره ، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق ، واستناب على العراق بشير بن الخصاصيَّة ، وعلى المسالح سعيدَ ابن مُرَّة العِجْلي ، فلما انتهى المُثنّى إلى المدينة وجد الصدِّيق في آخر مرضِ الموت . وقد عهد إلى عمر ابن الخطاب ، ولما رأى الصديق المثنى قال لعمر : إذا أنا متُّ فلا تمسين حتى تندب الناسَ لحربِ أهل العراق مع المثنى ، وإذا فتح الله على أمرائنا بالشام فأرددْ أصحابَ خالد إلى العراق فإنهم أعلم بحربه .

فلما مات الصدِّيقُ ندبَ عمرُ المسلمين إلى الجهاد بأرض العراق لقلة من بقيَ فيه من المُقاتلة بعد خالد ابن الوليد، فانتدب خلقاً وأمَّرَ عليهم أبا عبيدة بن مسعود ، وكان شاباً شجاعاً ، خبيراً بالحرب والمكيدة .

وهذا آخر ما يتعلق بخبر العراق إلى آخر أيام الصدِّيق وأول دولة الفاروق .

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٤٤٢٥) كتاب المغازي ، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٣ و٤٧) .

(٢) هو عبدة بن يزيد بن عمرو بن علي المعروف بعبدة بن الطبيب ، من تميم . شاعر فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، كان أسود شجاعاً ، شهد الفتوح وقتال الفرس مع المثنى بن حارثة بالمدائن ، توفي سنة ٢٥هـ . الشعر والشعراء (٢٧٩) والأغاني (١٨/ ١٦٣) والإصابة (٣/ ١٠٠) ولقب أبيه : الطبيب . ووقع لقب أبيه في بعض المصادر ، ومنها الإصابة : الطيِّب ، وهو تحريف .

(٣) الأبيات في تاريخ الطبري (٣/ ٤١٢-٤١٣) والأول والأخير في الإصابة (٣/ ١٠٠) .

(٤) في تاريخ الطبري : دون المدائن .

(٥) في الإصابة : الفرس .

(٦) البيت في ديوان الفرزدق ـ دار صادر ـ (١١٢) برواية : وبيت المثنى عاقر الفيل .

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه

كانت وفاة الصدِّيق رضي الله عنه في يوم الإثنين عشيةً ، وقيل بعدَ المغرب ودفن من ليلته ، وذلك لثمانٍ بقينَ من جمادى الآخرة سنة ثلاثَ عشرةَ بعد مرض خمسة عشر يوماً ، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين ، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان ، وقرىء على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا .

فكانت خلافة الصدِّيق سنتين وثلاثة أشهر ، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين سنة ، للسن الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ، وقد جمع الله بينهما في التربة ، كما جمع بينهما في الحياة ، فرضي الله عنه وأرضاه .

وقال محمد بن سعد[١] : عن أبي قطن عمرو بن الهيثم ، عن ربيع بن حسان[٢] الصائغ ، قال :

كان نقش خاتم أبي بكر « نعم القادر الله » . وهذا غريب .

وقد ذكرنا ترجمة الصدِّيق رضي الله عنه ، وسيرته[٣] وأيامه وما روى من الأحاديث ، وما روي عنه من الأحكام في مجلد ولله الحمد والمنة .

فقام بالأمر من بعده أتمَّ القيام الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهو أوّلُ من سُمِّي بأمير المؤمنين ، وكان أول من حيّاه بها المغيرةُ بن شعبة ، وقيل غيره كما بسطنا ذلك في ترجمة عمر بن الخطاب وسيرته التي أفردناها[٤] في مجلد ، ومسنده والآثار المروية مرتباً على الأبواب في مجلد آخر ولله الحمد .

وقد كتب بوفاة الصدِّيق إلى أمراء الشام مع شدَّاد بن أوس ، ومَحْمِيَة بن جَزْء[٥] ، فوصلا والناس مصافون جيوش الروم يوم اليرموك كما قدمنا . وقد أمَّر (عمر) على الجيوش أبا عبيدة (حين ولاه) وعزل خالد بن الوليد .

وذكر سلمةُ عن محمد بن إسحاق :

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٧٣) .
(٢) في أ : عمرو بن الهيثم بن ربيع بن حبان الصائغ .
(٣) في أ : وخيرته وأيامه .
(٤) في أ : أوردناها .
(٥) في أ : محنة بن جريج ، وفي ط : محمد بن جريج ؛ وكلاهما خطأ ، والصحيح ما أثبتناه عن تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٤) وترجمة محمية هذا في الاستيعاب (١٣٤٣) وجامع الأصول (١٥/ ١٨٠) والإصابة (٣/ ٣٨٨) .

أن عمر إنما عزل خالداً لكلام[١] بلغه عنه ، ولِما كان من أمر مالك بن نُويرة ، وما كان يعتمده في حربه . فلما ولي عمر كان أولَ ما تكلّم به أن عزل خالداً ، وقال : لا يلي لي عملاً أبداً . وكتب عمر إلى أبي عبيدة : إن أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه ، وإن لم يكذب نفسه فهو معزول ، فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين . فلما قال أبو عبيدة ذلك لخالد قال له خالد : أمهلني حتى أستشير أختي ، فذهب إلى أخته فاطمة ـ وكانت (تحت) الحارث بن هشام ـ فأستشارها في ذلك ، فقالت له : إن عمر لا يحبك أبداً ، وإنه سيعزلك وإن كذبت نفسك . فقال لها : صدقت والله . فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ [إحدى][٢] نعليه وترك له الأخرى[٣] ، وخالد يقول سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين .

وقد روى ابن جرير[٤] عن صالح بن كيسان أنه قال : كان أولَ كتابٍ كتبه عمرُ إلى أبي عبيدة حين ولاه وعزل خالداً أن قال : « وأوصيك بتقوى الله الذي يَبْقى ويَفْنى ما سواه ، الذي هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وقد استعملتك على جُنْد خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذي يحق عليك ، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تَسْتريده[٥] لهم وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية إلَّا في كَثْفٍ[٦] من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك ، فَغُضَّ بصرَكَ عن الدنيا ، وألْهِ قلبَكَ عنها ، وإياكَ أن تُهْلِكَكَ[٧] كما أهلكت منْ كانَ قبلَكَ ، فقد رأيت مصارعَهم . وأمرهم بالمسير إلى دمشق » .

وكان بعدما بلغه الخبر بفتح اليرموك وجاءته به البشارةُ ، وحُمل الخُمس إليه .

وقد ذكر ابن إسحاق أن الصحابةَ قاتلوا بعد اليرموك بأجنادين ثم بفِحْلٍ من أرض الغور قريباً من بيسان بمكانٍ يقال له الرَّدَغة[٨] سمي بذلك لكثرة ما لقوا من الأوحال فيها ، فأغلقوها عليهم ، وأحاط بها الصحابةُ .

قال : وحينئذ جاءت الإمارة لأبي عبيدة من جهة عمر وعُزِلَ خالدٌ ، وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من مجيء الإمارة لأبي عبيدة في حصار دمشق هو المشهور .

---

(١) خبر العزل في تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٧) كتبه عن سيف بن عمر ، فإسناده ضعيف ، ولمتنه شواهد في مسند أحمد (٣٤٤) وصحيح ابن حبان (٤٧٦٦) . ومن أسباب العزل : تفوق أبي عبيدة في الفضل والقيادة ، والمسؤولية الشاملة ، والمركزية الدقيقة ؛ المتحفزتان في شخصية عمر رضي الله عنه . والله أعلم . وانظر صحيح تاريخ الطبري (٣/ ١٤٣ و١٥٦) .

(٢) كذا في ط : وسقطت اللفظة من أ .

(٣) في ط : الآخرة ، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٧) فأخذ نعلاً وأعطاه نعلاً . ومسألة عزل خالد رضي الله عنه كثر فيها اللغط ، والصيد بالماء العكر ، وقد أشبعها بحثاً وبين وجه الحق فيها الشيخ العرجون في كتابه عن « خالد بن الوليد » ص (٢٧٥ ـ ٣٤٩) فانظره لزاماً .

(٤) تاريخه (٣/ ٤٣٤) .

(٥) في أ : تستزيده ؛ تحريف ، وراد لهم روداً ورياداً ، وارتاد واستراد ، والرود مصدر فعل الرائد وهو الذي يرسل في التمام النجعة وطلب الكلأ . اللسان (رود) .

(٦) في أ : كتف ، وفي ط : كنف ، وما هنا عن الطبري (٣/ ٤٣٤) أي في حشد وجماعة . اللسان (كثف) .

(٧) في ط : تهلك وما هنا عن أ ويوافق ما عند الطبري .

(٨) الرَّدْغَةُ والرَّدَغَةُ والرَّدغ : الماء والطين والوحل الكثير الشديد . اللسان (ردغ) .

[ذكر] فتح دمشق

قال سيف بن عمر[١] :

لما ارتحل أبو عبيدة من اليرموك فنزل بالجنود على مرج الصُّفَّر وهو عازم على حصار دمشق إذ[٢] أتاهُ الخبرُ بقدوم مددهم من حمص ، وجاءه الخبرُ بأنَّه قد ٱجتمع طائفةٌ كبيرة[٣] من الروم بفِحْلٍ من أرض فلسطين ، وهو لا يدري بأي الأمرين يبدأ . فكتب إلى عمر في ذلك ، فجاء الجواب أن ٱبدأ بدمشق فإنها حصنُ الشام وبيتُ مملكتهم ، فانهد لها وأشغلوا عنكم أهل فِحْلٍ بخيولٍ تكون تلقاءهم ، فإن فتحَها اللهُ قبلَ دمشق فذلك الذي نحبُّ[٤] ، وإن فُتحت دمشقُ قبلَها فسرْ أنت ومن معكَ واستخلفْ على دمشقَ ، فإذا فتح الله عليكم فِحْلَ[٥] فسر أنت وخالد إلى حمص وٱترك عمراً وشرحبيل على الأردن وفلسطين .

قال : فسرّح أبو عبيدة إلى فِحْل عشرةَ أمراء ، مع كلِّ أميرٍ خمسة أمراء ، وعلى الجميع عمارة بن مخشي الصحابي ، فساروا من مرج الصُّفّر إلى فِحْل فوجدوا الروم هنالك قريباً من ثمانين ألفاً ، وقد أرسلوا المياه حولهم حتَّى أرْدَغَتِ الأرض[٦] فسموا ذلك الموضع الرَّدَغة ، وفتحها اللهُ على المسلمين فكانت أولَ حصنٍ فُتح قبل دمشق على ما سيأتي تفصيله .

وبعث أبو عبيدة جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين ، وبعث ذا الكلاع في جيش يكون بين دمشق وبين حمص ليرد من يرد إليهم من المدد من جهة هرقل . ثم سار أبو عبيدة من مرج الصُّفَّر قاصداً دمشق ، وقد جعل خالد بن الوليد في القلب ، وركب أبو عبيدة وعمرو بن العاص في المجنبتين ، وعلى الخيل عياض بن غَنْم ، وعلى الرَّجَّالة شرحبيل بن حسنة ، فقدموا دمشق وعليها نِسطاس بن نُسْطُورس[٧] ، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي وإليه باب كيسان أيضاً ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية (الكبير ، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية) الصغير ، ونزل عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد ، ونصبوا المجانيق والدَّبابات ، وقد أرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش ببرزة ردءاً

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٦) .
(٢) في ط : إذا .
(٣) في أ : كثيرة .
(٤) في ط : يحب وهي مهملة النقط في أ ، وما هنا عن الطبري (٣/ ٤٣٨) .
(٥) قال ياقوت في معجمه (٤/ ٢٣٧) : اسم موضع بالشام ، كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم ، ويوم فحل مذكور في الفتوح ، وأظنه عجمياً ، لم أره في كلام العرب ، قتل فيه ثمانون ألفاً من الروم ، وكان بعد فتح دمشق بعام واحد . أما الطبري فقد صرفها في قوله : وزعم أن فحلاً كانت بعد دمشق . تاريخه (٣/ ٤٤١) .
(٦) أرْدَغتِ الأرض : كثر رِداغُها . والرِّداغ جمع رَدَغة وهي الماء والطين والوحل الشديد . القاموس (ردغ) .
(٧) في أ : قسطاس بن بسطوس ، وفي ط : نسطاس بن نُسْطُوس ، وما هنا عن تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٨) والضبط عنه .

له ، وكذا الذي بينه وبين حمص وحاصروها حصاراً شديداً سبعين ليلة ، وقيل أربعة أشهر ، وقيل ستة أشهر ، وقيل أربعة عشر شهراً ، فالله أعلم .

وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع ، ويرسلون إلى ملكهم هرقل ـ وهو مقيمٌ بحمص ـ يطلبون منه المددَ فلا يمكن وصولُ المدد إليهم من ذي الكلاع ، الذي قد أرصده أبو عبيدة رضي الله عنه بين دمشق وبين حمص ـ عن دمشق ليلة ـ فلما أيقنَ أهلُ دمشق أنه لا يصلُ إليهم مدد أبلسوا[١] وفشلوا وضعفوا ، وقويَ المسلمون واشتدَّ حصارُهم .

وجاء فصل الشتاء واشتدّ البردُ وعسر الحال وعسر القتال ، فقدر الله الكبير المتعال ، ذو العزة والجلال ، أنْ وُلد لبطريقِ دمشق مولودٌ في تلك الليالي فصنع لهم طعاماً وسقاهم بعده شراباً . وباتوا عنده في وليمته قد أكلوا وشربوا وتعبوا فناموا عن مواقفهم ، واشتغلوا عن أماكنهم ، وفطن لذلك أميرُ الحرب خالد بن الوليد ، فإنه كان لا ينام ولا يترك أحداً ينام ، بل مراصد لهم ليلاً ونهاراً ، وله عيون وقُصّاد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحاً ومساءً . فلما رأى جَمْدة تلك الليلة ، وأنه لا يقاتل على السُّور أحدٌ كان قد أعدَّ سلالم من حبال ، فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال ، مثل القعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عدي ، وقد أحضر جيشه عند الباب وقال لهم : إذا سمعتُم تكبيرنا فوقَ السّور فأرقوا إلينا . ثم نهد هو وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقِربٍ في أعناقهم ، فنصبوا تلك السلالم وأثبتوا أعاليها بالشرفات ، وأكدوا أسافلها خارج الخندق ، وصعِدوا فيها ، فلما استووا[٢] على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير ، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السلالم ، وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السّور إلى البوّابين فقتلوهم ، وقطع خالد وأصحابه أغاليقَ الباب بالسيوف ، وفتحوا الباب عنوةً ، فدخل الجيشُ الخالديُّ من الباب الشرقي . ولمّا سمع أهلُ البلد التكبير ثاروا ، وذهبَ كلُّ فريق إلى أماكنهم من السور ، لا يدرون ما الخبر ، فجعل كلما قدم أحدٌ من أصحاب الباب الشرقي قتله أصحاب خالد ، ودخل خالد البلدة[٣] عنوةً فقتل منْ وجده . وذهب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذي عند الباب من خارج الصلح ـ وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فيأبون عليهم ـ فلما دعوهم إلى ذلك أجابوهم . ولم يعلم بقيةُ الصحابة ما صنعَ خالدٌ . ودخل المسلمون من كل جانبٍ وبابٍ ، فوجدوا خالداً وهو يقتل من وجده ، فقالوا له : إنا قد أمَّنّاهم ، فقال : إني فتحتُها عنوةً . والتقت الأمراء في وسط البلد عند كنيسة المقسلاط بالقرب من درب الريحان اليوم .

هكذا ذكره سيف بن عمر وغيره وهو المشهور أن خالداً فتح الباب قسراً .

---

(١) أبلس : يئس وتحيّر . القاموس (بلس) .

(٢) من قوله : وصعدوا . . إلى هنا . مستدرك في هامش أ .

(٣) في أ : الباب .

وقال آخرون : بل الذي فتحها عنوةً أبو عبيدة . وقيل يزيد بن أبي سفيان ، وخالد صالحَ أهلَ البلد فعكسوا المشهور المعروف ، والله أعلم .

وقد اختلف الصحابةُ ، فقال قائلون هي صلح ـ يعني على ما صالحهم الأمير (في الأمر وهو أبو عبيدة ـ وقال آخرون : بل هي عنوة ، لأن خالداً افتتحها بالسيف) أولاً كما ذكرنا ، فلما أحسوا بذلك ذهبوا إلى بقية الأمراء ومعهم[١] أبو عبيدة فصالحوهم ، فاتفقوا فيما بينهم على أن جعلوا نصفَها صلحاً ونصفَها عنوةً ، فملك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأُقروا عليه ، واستقرت يدُ الصحابة على النصف . ويُقوِّي هذا ما ذكره سيفُ بن عمر[٢] من أن الصحابة كانوا يطلبون إليهم أن يصالحوهم على المشاطرة فيأبون ، فلما أحسّوا باليأس أنابوا إلى ما كانت الصحابةُ دعوهم إليه فبادروا إلى إجابتهم ، ولم تعلم الصحابة بما كان من خالد إليهم ، والله أعلم .

[الكنائس التي تركت لأهل دمشق]

ولهذا أخذ الصحابةُ نصفَ الكنيسة العظمى التي كانت بدمشق وتعرف « بكنيسة يوحنا » فاتخذوا الجانب الشرقي منها مسجداً ، وأبقوا لهم نصفها الغربي كنيسة ، وقد أبقوا لهم مع ذلك أربع عشرة كنيسة أخرى مع نصف الكنيسة المعروفة « بيوحنا » ، وهي جامع دمشق اليوم . وقد كتب لهم[٣] بذلك خالد بن الوليد كتاباً ، وكتب فيه شهادته أبو عبيدة وعمرو بن العاص ويزيد وشرحبيل :

إحداها كنيسة المقسلاط[٤] التي اجتمع عندها أمراء الصحابة ، وكانت مبنية على ظهر السوق الكبير ، وهذه القناطر المشاهدة في سوق الصابونيين من بقية القناطر التي كانت تحتها ، ثم بادت فيما بعد وأخذت حجارتها في العمارات .

الثانية : كنيسة كانت في رأس درب القرشيين وكانت صغيرة ، قال الحافظ ابن عساكر[٥] : وبعضها باقٍ إلى اليوم وقد تشعثت .

الثالثة : كانت بدار البطيخ العتيقة[٦] . قلت : وهي داخل البلد بقرب الكوشك ، وأظنها هي المسجد الذي قبل هذا المكان المذكور ، فإنها خربت من دهر ، فالله أعلم .

---

(١) في أ : ومنهم .
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٤٤٠) .
(٣) يلاحظ أن الورقتين اللتين تبدأان بهذه اللفظة ورقمهما ١٦٧ و١٦٨ غير واضحتين بسبب الحبر الذي طمس كثيراً من الكلمات أحياناً والحروف أحياناً أخرى .
(٤) تاريخ دمشق (٢/ ١٢٩ و١٣٠) .
(٥) تاريخ دمشق (٢/ ١٣٠) .
(٦) في تاريخ دمشق (٢/ ١٢٩) : بحضرة سوق الفاكهة . وفي (٢/ ١٣٠) : وأما التي بسوق الفاكهة فكانت في دار البطيخ فخربت .

الرابعة : كانت بدرب بني نصر بين درب الحبالين ودرب التميمي . قال الحافظ ابن عساكر[١] : وقد أدركت بعض بنيانها ، وقد خرب أكثرها .

الخامسة : كنيسة بولص ، قال ابن عساكر[٢] : وكانت غربيَّ القيساريةِ الفخرية [خربت] وقد أدركت من بنيانها بعض أساس الحنيّة .

السادسة : كانت في موضع دار الوكالة وتعرف (اليوم) بكنيسة القلانسيين . قلت : والقلانسيين هي الخواصين[٣] اليوم[٤] .

السابعة : التي بدرب السقيل اليوم وتعرف بكنيسة حميد بن درة سابقاً ، لأن هذا الدرب كان أقطاعاً له وهو حميد بن عمرو بن مساحق القرشي العامري ، ودرة أمه ، وهي درّة ابنة [أبي] هاشم بن عتبة بن ربيعة ، فأبوها خال معاوية . وكان قد أقطع هذا الدرب فنسبت هذه الكنيسة إليه ، وكان مسلماً ، ولم يبق لهم اليوم سواها ، وقد خرب أكثرها .

ولليعقوبية منهم كنيسة داخل باب توما بين رحبة خالد ـ وهو خالد بن أسيد بن أبي العاص[٥] ـ وبين درب طلحة بن عمرو بن مرة الجهني ، وهي الكنيسة الثامنة .

وكانت لليعقوبيين كنيسة أخرى فيما بين درب التنوي وسوق علي . قال ابن عساكر[٦] : قد بقي من بنائها بعضه ، وقد خربت منذ دهر . وهي الكنيسة التاسعة .

وأما العاشرة فهي الكنيسة المصلبة . قال الحافظ ابن عساكر[٧] : وهي باقية إلى اليوم بين الباب الشرقي وباب توما بقرب النيبطن عند السور . والناس اليوم يقولون النيبطون . قال ابن عساكر : وقد خرب أكثرها ، هكذا قال . وقد خربت هذه الكنيسة وهدمت في أيام صلاح الدين فاتح القدس بعد الثمانين وخمسمئة بعد موت الحافظ ابن عساكر رحمه الله .

الحادية عشرة : كنيسة مريم داخل الباب الشرقي . قال ابن عساكر[٨] : وهي من أكبر ما بقي بأيديهم . قلت : ثم خربت بعد موته بدهر في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري على ما سيأتي بيانه .

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ١٣٠ ـ ١٣١) .
(٢) تاريخ دمشق (٢/ ١٣١) والاستدراك عنه .
(٣) في ط : الحواحين ؛ تحريف ، والتصحيح من تاريخ دمشق (٢/ ١٥٤) .
(٤) أضاف بعدها ابن عساكر (٢/ ١٣١) : فكانت موضع دارالوكالة فخربت .
(٥) في ط : العيص ؛ خطأ . تاريخ ابن عساكر (٢/ ١٣١) .
(٦) تاريخ دمشق (٢/ ١٣٠) .
(٧) تاريخ دمشق (٢/ ١٣١ ـ ١٣٢) .
(٨) نفس المصدر (٢/ ١٣١) .

الثانية عشرة : كنيسة اليهود التي بأيديهم اليوم في حارتهم[١] ، ومحلها معروف بالقرب من الحير وتسميه الناس اليوم بستان القط .

وكانت لهم كنيسة في درب البلاغة لم تكن داخلة في العهد فهدمت فيما بعد ، وجعل مكانها المسجد المعروف بمسجد ابن الشهرزوري[٢] ، والناس اليوم يقولون درب الشاذوري .

قلت : وقد أخربت لهم كنيسة كانوا قد أحدثوها لم يذكرها أحد من علماء التاريخ لا ابن عساكر ولا غيره ، وكان إخرابها في حدود سنة سبع عشرة وسبعمئة ولم يتعرض الحافظ ابن عساكر لذكر كنيسة السامرة بمرَّة .

ثم قال ابن عساكر[٣] : ومما أحدث ـ يعني النصارى ـ كنيسة بناها أبو جعفر المنصور لبني قطيطا في الفورنق[٤] ، وقد أُخربتْ فيما بعد وجعلت مسجداً يعرف بمسجد الجينيق[٥] وهو مسجد أبي اليمن .

قال[٦] : ومما أحدث كنيستا[٧] العباد إحداهما عند دار ابن الماشلي[٨] وقد جعلت مسجداً . والأخرى التي في رأس درب النقاشين وقد جعلت مسجداً .

انتهى ما ذكره الحافظ ابن عساكر الدمشقي رحمه الله .

[متى فتحت دمشق]

قلت : وظاهر سياق سيف بن عمر يقتضي أن فتح دمشق وقع في سنة ثلاث عشرة ، ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من أنها فتحت في نصف رجب سنة أربع عشرة ؛ كذا حكاه الحافظ ابن عساكر[٩] من طريق محمد بن عائذ القرشي الدمشقي ، عن الوليد (بن مسلم عن عثمان بن

---

(١) في أ : بحارتهم .
(٢) في ط : السهروردي ؛ وهو تحريف ؛ والتصحيح من الدارس (٢/ ٣١٧) .
(٣) تاريخ دمشق (٢/ ١٣٠) .
(٤) في ط : بناها أبو جعفر المنصور بني قطيطا في الفريق عند قناة صالح قريباً من دازبها وأرمن اليوم . وما هنا عن أ ويوافق ما في تاريخ دمشق (٢/ ١٣٠) .
وقد حولت هذه الكنيسة إلى مسجد . الأعلاق الخطيرة (١١٤ و٢٧٦) والدارس (٢/ ٣٢٦ و٣٢٧) .
(٥) في ط : الجينق ؛ خطأ ، ،التصويب من تاريخ دمشق (٢/ ٧٠ و٧١) . والأعلاق الخطيرة (١١٤ و١١٥ و٢٧٦) والدارس (٢/ ٣٢٦ و٣٢٧) .
(٦) أي ابن عساكر في تاريخه (٢/ ١٣٠ و١٣٢) .
(٧) في أ : كنيسة ؛ وهو مخالف للسياق .
(٨) كذا في الأصلين ، وفي تاريخ دمشق (٢/ ١٣٢) والأعلاق الخطيرة (٢٧٦) : ابن الماشكي .
(٩) في تاريخه (٢/ ١٠٩) ط دار الفكر .

حصن[١] بن عَلَّاق ، عن يزيد بن عبيدة قال : فتحت دمشق سنة أربع عشرة . ورواه دحيم عن الوليد) . قال : سمعت أشياخاً يقولون : إن دمشق فتحت سنة أربع عشرة .

وهكذا قال سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر ومحمد بن إسحاق ومعمر والأموي وحكاه عن مشايخه وابن الكلبي وخليفة بن خياط[٢] وأبو عبيد القاسم بن سلَّام ، إن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة .

وزاد سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر والأموي : وكانت اليرموك بعدها بسنة .

وقال بعضهم : (بل) كان فتحها في شوال سنة أربع عشرة .

وقال خليفة : حاصرهم أبو عبيدة في رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح في ذي القعدة .

وقال الأموي في « مغازيه » : كانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى ، ووقعة فِحل في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة ـ يعني ووقعة دمشق سنة أربع عشرة ـ .

وقال دحيم عن الوليد : حدَّثني الأموي أن وقعة فِحْل وأجْنادين كانت في خلافة أبي بكر ، ثم مضى المسلمون إلى دمشق فنزلوا عليها في رجب سنة ثلاث عشرة ، يعني ففتحوها في سنة أربع عشرة . وكانت اليرموك سنة خمس عشرة ، وقدم عمر إلى بيت المقدس سنة ست عشرة .

فصل : [هل فتحت دمشق صلحاً أو عنوة]

واختلف العلماءُ في دمشقَ هل فُتحت صُلْحاً أو عنوة ؟ فأكثرُ العلماء على أنَّه استقرَّ أمرُها على الصلح ، لأنهم شكُّوا في المتقدم على الآخر أفتحت عنوةً ثم عدَلَ الرومُ إلى المصالحة ، أو فُتحت صلحاً ، أو اتّفق الاستيلاءُ من الجانب الآخر قسراً ؟ فلما شكُّوا في ذلك جعلوها صلحاً احتياطاً .

وقيل : بل جُعل نصفُها صلحاً ونصفُها عنوةً ، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة في الكنيسة العظمى التي كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا لهم نصفها ، والله أعلم[٣] .

ثم قيل : إن أبا عبيدة هو الذي كتب لهم كتابَ الصلح ، وهذا هو الأنسبُ والأشهرُ ، فإن خالداً كان قد عزل عن الإمرة ، وقيل : بل الذي كتب لهم الصلحَ خالد بن الوليد ، ولكن أقرَّهُ على ذلك أبو عبيدة فالله أعلم[٤] .

وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر أن الصدِّيقَ توفي قبلَ فتح دمشق ، وأنَّ عمرَ كتب إلى أبي عبيدة يُعَزّيه

---

(١) في ط : حصين بن غلاق ، وفي تاريخ دمشق : خضر عن علاف ؛ وكلاهما تحريف . وحصن بن علَّاق . من رجال التهذيب .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (١٢٥ ـ ١٢٦) .

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٤٤٠) .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط (١٢٥ ـ ١٢٦) .

والمسلمين في الصدِّيق ، وأنه قد استنابه على منْ بالشام ، وأمره أن يستشير خالداً في الحرب ، فلما وصلَ الكتابُ إلى أبي عبيدة كتمهُ من خالد حتى فُتحت دمشقُ بنحو من عشرين ليلةً ، فقال له خالدٌ : يرحمك الله ، ما منعك أن تعلمني حين جاءك ؟ فقال : إني كرهتُ أن أكسر عليك[١] حربكَ ، وما سلطان الدنيا أريدُ ، ولا للدنيا أعملُ ، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنّما نحن أخَوان ، وما يضرُّ الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه .

[هل كان إمداد خالد زمن أبي بكر أم زمن عمر]

ومن أعجب ما يُذْكرُ هاهنا ما رواه يعقوب بن سفيان الفسوي[٢] : حدَّثنا هشام بن عمار ، حدَّثنا عبد الملك بن محمد ، حدَّثنا راشد بن داود الصنعاني (حدَّثني أبو عثمان الصنعاني) شراحيل بن مرثد ، قال :

بعث أبو بكر خالدَ بن الوليد إلى أهل اليمامة ، وبعثَ يزيدَ بن أبي سفيان إلى الشام ، فذكر الراوي قتالَ[٣] خالد لأهل اليمامة إلى أن قال : ومات أبو بكر واستُخلف عمر ، فبعث أبا عبيدة إلى الشام فقدم دمشق فاستمدَّ أبو عبيدة عمر فكتب عمر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى أبي عبيدة بالشام . فذكر مسير خالد من العراق إلى الشام كما تقدم ، وهذا غريب جداً ، فإنَّ الذي لا يُشكُّ فيه أن الصديقَ هو الذي بعث أبا عبيدة وغيره من الأمراء إلى الشام ، وهو الذي كتب إلى خالد بن الوليد أن يقدم من العراق إلى الشام ليكون مدداً لمن به وأميراً عليهم ، ففتح الله تعالى عليه وعلى يديه جميعَ الشام على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

[بعثناه بريداً فعاد أميراً]

وقال محمد بن عائذ : قال الوليد بن مسلم : أخبرني صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير :

أن المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا أبا عبيدة (بن الجراح) وافداً إلى أبي بكر بشيراً بالفتح ، فقدمَ المدينةَ فوجد أبا بكر قد تُوفي واستُخْلفَ عُمرُ بن الخطاب ، فأعظم أن يتأمَّر أحد من الصحابة[٤] عليه فولاه جماعة الناس ، فقدم عليهم فقالوا : مرحباً بمن بعثناه بريداً فقدم علينا أميراً .

---

(١) في أ : عنك .
(٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣١٥ـ٣١٦) .
(٣) في ط : فقال .
(٤) في أ : أصحابه .

[مسألة فقهية في المسح على الخفين]

وقد روى الليثُ وابنُ لهيعة وحيوة بن شريح ومفضل بن فضالة وعمر بن الحارث وغير واحد عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن الحكم عن عُلَيّ بن رباح عن عقبة بن عامر :

أنه بعثه أبو عبيدة بريداً بفتح دمشق قال : فقدمت على عمر يوم الجمعة فقال لي : منذ كم لم تنزع خُفَّيك ؟ فقلت من يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة . فقال : أصبت السُّنَّةَ .

قال الليث : وبه نأخذ ، يعني أن المسحَ على الخُفَّيْن للمُسافر لا يتأقَّتُ ، بل له أن يمسحَ عليهما ما شاء ، وإليه ذهب الشافعي في القديم . وقد روى أحمد وأبو داود عن أُبيّ بن عِمارة مرفوعاً مثل هذا(١) .

والجمهور على ما رواه مسلم عن علي في تأقيت المسح للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وللمُقيم يوم وليلة(٢) .

ومن الناس من فصَّل بين البريد ومن في معناه وغيره ، فقال في الأول لا يتأقَّت ، وفيما عداه يتأقت لحديث عقبة(٣) وحديث علي ، والله أعلم .

فصل : [فتح البقاع وبيروت وتدمر]

ثم إن أبا عبيدة بعث خالد بن الوليد إلى البقاع ففتحه بالسيف . وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون(٤) ، وعلى الروم رجل يقال له « سنان »(٥) تحدر على المسلمين من عقبة بيروت فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون « عين ميسنون » عين الشهداء . واستخلف أبو عبيدة

---

(١) لم يرو الإمام أحمد لأُبي بن عمارة شيئاً . تهذيب الكمال (٢/ ٢٦٠) بل روى حديثه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٤٥) وأبو داود في سننه رقم (١٥٨) كتاب الطهارة ، ونص الحديث : قلت : يا رسول الله! أمسح على الخفين ؟ قال : « نعم يوماً » قال : قلت : يا رسول الله يوماً ؟ قال : « نعم ويومين . . . الحديث ، » وفي آخره : قال : « نعم وما شئت » . ورواه ابن ماجه بمعناه (٥٥٧) من طريق عبادة بن نسي ، عنه .
وقد روى الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢١٣) حديث خزيمة بن ثابت قال : رخص لنا رسول الله ﷺ ، أن نمسح ثلاثاً ، ولو استزدناه لزادنا .

(٢) حديث علي رواه مسلم في صحيحه رقم (٨٥) (٢٧٦) كتاب الطهارة . ونصه : قال رسول الله ﷺ : للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن وللمقيم يوم وليلة .

(٣) حديث عقبة الموقوف هو المتقدم .

(٤) في أ : ميستون ، ولم نجدها فيما توافر لدينا من كتب البلدان ، ولعلها « ميسون » التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان .

(٥) في أ : سسان .

على دمشق[١] يزيد بن أبي سفيان كما وعده بها الصديق . وبعث يزيد دِحْيَة بن خَليفة إلى تدمر في سرية ليمهِّدوا أمرها . وبعث[٢] أبا الزهراء القشيري إلى البَثَنِيَّة وحوران فصالح أهلها .

[فتح سائر مدن دمشق صلحاً]

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله[٣] :

افتتح خالد دمشق صلحاً ، وهكذا سائر مدن الشام كانت صلحاً دون أرضيها . فعلى يدي يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة . وقال الوليد بن مسلم : أخبرني غير واحد من شيوخ دمشق بينما هم على حصار دمشق إذ أقبلت خيل من عقبة السلمية مخمرة بالحرير ، فثار إليهم المسلمون فالتقوا فيما بين بيت لهيا والعقبة[٤] التي أقبلوا منها ، فهزموهم وطردوهم إلى أبواب حمص ، فلما رأى أهل حمص ذلك ظنوا أنهم قد فتحوا دمشق ، فقال لهم أهل حمص إنا نصالحكم على ما صالحتم عليه أهل دمشق ففعلوا .

وقال خليفة بن خياط[٥] : حدَّثني عبد الله بن المُغيرة ، عن أبيه قال : افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ، ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه . وهكذا قال ابن الكلبي . وقالا : بعث أبو عبيدة خالداً فغلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً .

وقال ابن المغيرة عن أبيه : وصالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، ووضع الخراج . وقال ابن إسحاق وغيره : وفي سنة أربع عشرة فُتحت حمص وبعلبك صلحاً على يدي أبي عبيدة في ذي القعدة ، قال خليفة : ويقال في سنة خمس عشرة .

وقعة فِحْل

[بكسر الفاء ، وقيل والحاء ، والصحيح تسكينها]

وقد ذكرها كثيرٌ من علماء السِّيَر قبل فتحِ دمشق (وإنما ذكرها الإمام أبو جعفر بن جرير[٦] بعد فتح دمشق) وتبع في ذلك سياق سيف بن عمر فيما رواه عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حارثة

(١) في أ : على الشام .
(٢) في أ : وبعث يزيداً دحية بن خليفة أبا الزهراء .
(٣) الخبر في فتوح البلدان للبلاذري (١٦٩) .
(٤) في فتوح البلدان (١٧٨) : والثنيَّة .
(٥) تاريخه (١٢٩) .
(٦) تاريخ الطبري (٣/ ٤٤٢) .

القيسي[١] قالا : خلف الناس يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق وساروا[٢] نحو فحل ، وعلى الناس الذين هم بالغور شرحبيل بن حَسَنة ، وقد جعل على المقدمة خالد بن الوليد ، وأبو عبيدة على الميمنة ، وعمرو بن العاص على الميسرة ، وعلى الخيل ضرار بن الأزور ، وعلى الرَّجَّالة عياض بن غنم ، فوصلوا إلى فِحْل : وهي بلدة بالغور ، وقد انحاز الرومُ إلى بَيْسان ، وأرسلوا مياه تلك الأراضي على [ما] هنالك من الأراضي ، فحال بينهم وبين المسلمين ، وأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم وما صنعَهُ الرومُ من تلك المكيدة ، إلا أن المسلمين في عيش [رغيد] ومدد كبير ، وهم على أُهبة من أمرهم .

وأمير هذا الحرب شرحبيل بن حسنة وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة . وظن الروم أن المسلمين على غِرة ، فركبوا في بعض الليالي ليبيتوهم ، وعلى الروم سقلاب[٣] بن مخراق ، فهجموا على المسلمين فنهضوا إليهم[٤] نهضة رجل واحد لأنهم على أُهبة دائماً ، فقاتلوهم حتى الصباح وذلك اليوم بكماله إلى الليل . فلما أظلمَ الليلُ فرَّ الرومُ وقتل أميرُهم (سقلاب) وركب المسلمون أكتافهم وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل[٥] الذي كانوا قد كادوا به المسلمين فغرَّقهم الله فيه ، وقتل منهم المسلمون بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفاً لم ينجُ منهم إلا الشريد ، وغنموا منهم شيئاً كثيراً ومالاً جزيلاً . وانصرف أبو عبيدة وخالد بمن معهما من الجيوش نحو حمص كما (أمر) أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب . واستخلف أبو عبيدة على الأردن شُرحبيل بن حَسَنة ، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص فحاصر بَيْسان ، فخرجوا إليه ، فقتلَ منهم مقتلةً عظيمةً ، ثم صالحوه على مثل ما صالحتْ عليه دمشقُ ، وضرب عليهم الجزيةَ والخراجَ على أراضيهم[٦] ، وكذلك فعل أبو الأعور السّلمي بأهل طبرية سواء .

[فصلٌ فيـ]ـما وقع بأرض العراق آنذاك[٧] من القتال

وقد قدمنا أنَّ المثنى بن حارثة لما سار خالد من العراق بمن صحبه إلى الشام ، وقد قيل : إنه سار بتسعة آلاف ، وقيل: بثلاثة آلاف ، وقيل: بسبعمئة، وقيل : بأقل ، إلا أنّهم صناديدُ جيشِ العراق ، فأقام المثنى بمن بقي ، فاستقلَّ عددهم ، وخاف من سطوة الفرس لولا اشتغالهم بتبديل ملوكهم وملكاتهم ، واستبطأ المثنى خبرَ الصدِّيق فسارَ إلى المدينة فوجد الصدِّيقَ في السياق ، فأخبره بأمر العراق ، فأوصى

---

(١) في تاريخ الطبري : العبشمي ، ولم أجد له ترجمة . وفي نسخة « العتبي » .
(٢) في ط : وسار .
(٣) في تاريخ الطبري (٣/ ٤٤٢) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٣٠) : سقلار .
(٤) في أ : عليهم .
(٥) في أ : وأسكتتهم هزيمتهم إلى ذلك الرجل .
(٦) في أ : أرضهم .
(٧) في أ : في هذه المدة .

الصدِّيق عمر أن يندبَ الناسَ لقتال أهل العراق . فلما ماتَ الصدِّيقُ ودُفن ليلةَ الثلاثاء أصبح عمر فندب الناسَ وحثَّهمْ على قتالِ أهلِ العراق ، وحرضهم ورغَّبهم في الثواب على ذلك ، فلم يقم أحدٌ لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم ، وشدة قتالهم ، ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يقم أحد[١] . وتكلَّم المثنى بن حارثة فأحسن ، وأخبرهم بما فتحَ اللهُ تعالى على يدي خالد من معظم أرض العراق ، وما لهم هنالك من الأموال والأملاك والأمتعة والزاد ، فلم يقم أحدٌ في اليوم الثالث .

فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي ثم تتابعَ الناسُ في الإجابة ، وأمر عمر طائفة من أهل المدينة وأمَّر على الجميع أبا عبيد هذا ولم يكن صحابياً ، فقيل لعمر : هلا أمَّرت عليهم رجلاً من الصحابة ؟ فقال : إنما أؤَمِّرُ أولَ من استجابَ ، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين ، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم[٢] . ثم دعاه فوصّاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، وأمره أن يستشير أصحابَ رسول الله ﷺ ، وأن يستشير سَلِيط بن قَيْس فإنه رجلٌ باشرَ الحروب . فسار المسلمون إلى أرض العراق ، وهم سبعةُ آلاف رجلٍ ، وكتب عمرُ إلى أبي عبيدة أن يرسلَ منْ كانَ بالعراق ممن قدمَ مع خالدٍ إلى العراق ، فجهز عشرةَ آلاف عليهم هاشم بن عتبة ، وأرسل عمر جريرَ بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفةَ ، ثم خرج منها فواقع هرقران المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة ، فلما وصل الناسُ إلى العراق وجدوا الفرسَ مضطربين في ملكهم ، وآخر ما استقرّ عليه أمرهم أن ملكوا عليهم «بُوران[٣] بنت كسرى بعد ما قتلوا التي كانت قبلها (آزَرْميدُخت) وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم (بن فَرُّخزاذ على أن يقوم بأمر الحرب ، ثم يصير الملك إلى كسرى ، فقبل ذلك . وكان رُسْتم) هذا منجماً يعرف النجوم وعلمها جيداً ، فقيل له : ما حملك على هذا ؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا (الأمر) لا يتمّ لك ، فقال : الطمعُ وحبُّ الشرف .

وقعة النَّمَارِق

بعث رستم أميراً يقال له « جابان » وعلى مَجْنَبَتَيْه رجلان يُقال لأحدهما « حشنس ماه » ويقال للآخر « مردانشاه » وهو خصيٌّ أمير حاجب الفرس ، فالتقوا مع أبي عُبيد بمكان يقال له النَّمارِق[٤] ـ بين الحيرة والقادِسيَّة ـ وعلى الخيل المُثَنَّى بن حارثة ، وعلى المَيْسرة عمرو بن الهيثم ، فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً ، وهزمَ اللهُ الفرسَ ، وأسر جابان ومردانشاه . فأما مردانشاه فإنَّه قتلهُ الذي أسره ، وأما جابان فإنه خدَعَ

(١) في أ : فلم يقم أحد في اليوم الثالث .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٤٤٦) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٣٢) .
(٣) في أ : نوران ؛ تحريف ، والخبر عند الطبري (٣/ ٤٤٦) .
(٤) النَّمارق : موضع قرب الكوفة من أرض العراق ، نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق . معجم البلدان (٥/ ٣٠٤) .

الذي أسره حتى أطلقه فأمسكه المسلمون وأبوا أن يُطلقوه ، وقالوا : إن هذا هو الأمير وجاؤوا به إلى أبي عُبيد فقالوا : اقتله فإنه الأمير ، فقال وإن كان الأمير فإني لا أقتله ، وقد أمَّنه رجلٌ من المسلمين ، ثم ركب أبو عُبيد في آثار[١] من انهزمَ منهم وقد لجؤوا إلى مدينة كَسْكَر[٢] التي لابن خالة كسرى واسمه نَرْسي فوازرهم نَرْسي على قتال أبي عبيد ، فقهرهم[٣] أبو عبيد وغنم منهم شيئاً كثيراً وأطعمات كثيرة جداً ، ولله الحمد . وبعث بخُمس ما غنمَ من المال والطعام إلى عمر بن الخطاب بالمدينة وقد قال في ذلك رجل من المسلمين[٤] : [من الطويل]

لَعَمْـري ومـا عَمـري عَلـيَّ بَهيِّـنٍ لقد صُبِّحتْ بالخِزْي أهلُ النَّمارقِ
بأيدي رجالٍ هاجَرُوا نَحْو ربِّهمْ يَجُوسونَهُمْ ما بين دُرْتا[٥] وبارِقِ[٦]
قَتَلْنـاهُـمُ مـا بيْنَ مـرجِ مُسَلَّـحٍ[٧] وبين الهَوَافي[٨] من طريقِ التدارقِ[٩]

فالتقَوْا بمكان بين كَسْكَر والسَّقَاطيَّة[١٠] وعلى ميمنة نَرْسي ومَيْسرته ابنا خاله بِنْدَويه وَتِيرَويْه[١١] أولاد نظام[١٢] ، وكان رستم قد جَهَّز الجيوشَ مع الجالينوس[١٣] ، فلما بلغ أبو عُبَيد ذلك أعجل نَرْسي بالقتال قبل وصولهم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمتِ الفرسُ وهرب نَرْسي والجالينوس إلى المدائن بعد وقعة جَرَتْ من أبي عبيد مع الجالينوس بمكان يقال له (باروسما) فبعثَ أبو عُبيد المُثَنَّى بن حارثة وسرايا أُخر إلى متاخم تلك الناحية كنهر جور[١٤] ونحوها ، ففتحها صلحاً وقهراً ، وضربوا الجزيةَ والخراج وغنموا

---

(١) في أ : في إثر .
(٢) كَسْكر ، بالفتح ، ثم السكون ، وكاف أخرى ، وراء : كورة من آخر سقي النهروان إلى أن تصب دجلة في البحر وكانت قصبتها خسروسابور . معجم البلدان (٤/ ٤٦١) .
(٣) في أ : فهزمهم .
(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٣/ ٤٥٠) ومعجم البلدان (٥/ ١٢٩) منسوبة إلى عاصم بن عمرو .
(٥) في أ : دريا ، وفي ط : درنا ؛ وكلاهما تحريف ، وما هنا عن الطبري وياقوت .
(٦) بارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة من أعمال الكوفة . معجم البلدان (١/ ٣١٩) .
(٧) مرج مُسَلَّح : بالعراق ، ذكره عاصم بن عمرو التميمي في شعر له أيام الفتوح . معجم البلدان (٥/ ١٢٩) .
(٨) في الأصلين : الهواني ؛ وما هنا عن الطبري . والهَوافي : موضع بأرض السواد ، ذكره عاصم بن عمرو التميمي ـ وكان فارساً مع جيش أبي عبيد الثقفي ـ معجم البلدان (٥/ ٤١٩) .
(٩) كذا في الأصلين . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٥١) : البذارق ، ولم أجدهما في ما لدي من كتب البلدان .
(١٠) في الأصلين : السفاطية ؛ وما هنا عن معجم البلدان (٣/ ٢٢٦) قال ياقوت : السُّقاطية : ناحية بكسكر من أرض واسط وقع عندها أبو عبيد الثقفي بالنِّرسيان صاحب جيوش الفرس فهزمه شر هزيمة .
(١١) في ط : بيرويه . وما هنا عن أ والطبري (٣/ ٤٥١) .
(١٢) في تاريخ الطبري : بسطام .
(١٣) في تاريخ الطبري : الجالنوس .
(١٤) في تاريخ الطبري (٣/ ٤٥١) : نهر جوبر ، والذي في معجم البلدان (٥/ ٣١٩) : نهر جوبرة بالبصرة . وأما نهر جور فهو بين الأهواز وميسان .

الأموالَ[١] الجزيلةَ ولله الحمد والمنة ، وكسروا الجالينوس الذي جاء لنصرة جابان وغنموا جيشه وأمواله ، وكرَّ هارباً إلى قومه حقيراً ذليلاً .

وقعة جسر أبي عُبَيْدٍ ومَقْتَلُ أمير المُسلمين وخلق كثير منهم

لما رجع الجالينوس هارباً مما لقي من المسلمين تذامرت[٢] الفرس بينهم واجتمعوا إلى رستم فأرسل جيشاً كثيفاً عليهم ذا الحاجب « بَهْمَن[٣] جاذويه » وأعطاه راية أفريدون وتسمى دِرفْش كابيان ، وكانت الفرس تتيمَّن بها . وحملوا معهم راية كسرى وكانت من جلودِ النمور ، عرضُها ثمانية أذرع . فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر ، فأرسلوا : إما (أن) تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم . فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيد : أُؤْمُرْهُمْ فليعبروا هم إلينا . فقال : ما هُم بأجرأ على الموت منّا ، ثم اقتحمَ إليهم فاجتمعوا في مكانٍ ضيّقٍ هنالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهدْ مُثْله ، والمسلمون في نحوٍ من عشرة آلاف ، وقد جاءت الفرسُ معهم بأفيلةٍ كثيرةٍ عليها الجلاجلُ ، قائمة لتذعر خيولَ المسلمين ، فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرَّت خيولُهم من الفيلةِ ومما تَسْمعُ من الجلاجل التي عليها ، ولا يثبت منها إلا القليل على قسْر ، وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولُهم على الفيلة ، وَرَشَقَتْهُم الفرسُ بالنبل ، فنالوا منهم خلقاً كثيراً وقتلَ المسلمون منهم مع ذلك ستةَ آلاف .

وأمـر أبو عُبَيْد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولاً ، فاحتوشوها[٤] فقتلوها عن آخرها ، وقد قدَّمتِ الفرسُ بين أيديهم فيلاً عظيماً أبيض ، فتقدَّم إليه أبو عُبيد فضربَهُ بالسيف فقطع ذلومه[٥] فحمي الفيل ، وصاح صيحةً هائلةً وحمل فتخبطه برجليه فقتله ووقفَ فوقه ، فحمل على الفيل خليفة أبي عبيد الذي كان أوصى أن يكون أميراً بعده فقتل ، ثم آخر ، ثم آخر ، حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نصَّ أبو عُبيد عليهم واحـداً بعد واحـد ، ثم صارت إلى المُثنّى بن حارثة بمُقْتضى الوصية أيضاً . وقد كانت دَوْمةُ امرأةُ أبي عبيد رأت مناماً[٦] يدل على ما وقع سواء بسواء . فلما رأى المسلمون ذلك وَهَنوا عند ذلك ، ولم يكن

---

(١) هذه أول لفظة من الورقة (١٧٣ و١٧٤) التي لا تبين فيها الحروف والكلمات بسبب الحبر .
(٢) تذامر المشركون : أي تلاوموا على ترك الفرصة ، وقد تكون بمعنى تحاضوا على القتال . اللسان (ذمر) .
(٣) في ط : بهمس حادويه . وما هنا عن أ والطبري (٣/ ٤٥٤) وابن الأثير (٢/ ٤٣٨) .
(٤) احتوش القوم على فلان : جعلوه وسطهم . اللسان (حوش) .
(٥) لم أجدها في كتب اللغة ، وفي « تاج العروس » : زلم أنفه : إذا قطعه ، وازدلم أنفه : استأصله ، وازدلم رأسه : قطعه . ـ ورواية الطبري (٣/ ٤٥٧) : مِشفره ـ .
(٦) رأت دَوْمة ـ امرأة أبي عبيد ـ أن رجلاً نزل من السماء بإناءٍ فيه شراب فشرب أبو عبيد وجَبْر في أناس من أهله ، فأخبرت بها أبا عبيد فقال : هذه الشهادة ، وعهد أبو عبيد إلى الناس ، فقال : إن قتلت فعلى الناس جبر ، فإن قتل فعليكم فلان حتى أمَّر الذين شربوا من الإناء على الولاء من كلامه . ثم قال : إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنى . الطبري (٣/ ٤٥٦) .

بقيَ إلا الظفر بالفُرْس ، وضعف أمرهم ، وذهب ريحهم ، وولَّوْا مُدْبرين ، وساقت الفرسُ خلفهم فقتلوا بشَراً كثيراً وانكشف الناس (فكان) أمراً بليغاً ، وجاؤوا إلى الجسر فمر بعض الناس . ثم انكسر الجسر فتحكَّم فيمن وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق في الفرات نحواً من أربعة آلاف . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وسار المثنى بن حارثة فوقف عند الجسر الذي جاؤوا منه ، وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقي بنفسه في الفرات فيغرق ، فنادى المثنى : أيُّها الناسُ على هِينتِكُمْ ، فإني واقفٌ على فمِ الجسر لا أجوزُه حتى لا يَبْقى منكم أحدٌ هاهنا ، فلما عدَّى الناسَ إلى الناحيةِ الأخرى سارَ المثنى فنزل بهم أولَ منزلٍ ، وقام يحرسُهم هو وشجعانُ المسلمين ، وقد جُرح أكثرُهم وأُثْخِنوا ، ومن الناس منْ ذهب في البرية لا يدرى أين ذهب ، ومنهم من رجعَ إلى المدينة النبوية مذعوراً .

وذهب بالخبر عبد الله بن زيد بن عاصم المازني إلى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر ، فقال له عمر : ما وراءك يا عبد الله بن زيد؟ فقال : أتاك الخبر اليقين يا أمير المؤمنين ، ثم صعد إليه المنبر فأخبره الخبر سراً .

ويقال : كان أول من قدم بخبرِ الناس عبدُ الله بن يزيد[1] بن الحُصَيْن الخَطْمي[2] ، فالله أعلم .

قال سيف بن عمر : وكانت هذه الوقعة في شعبان من سنة ثلاث [عشرة] بعد اليرموك بأربعين يوماً فالله أعلم .

وتراجع المسلمون بعضهم إلى بعض وكان منهم منْ فَرَّ إلى المدينة فلم يُؤَنِّب عمرُ الناسَ بل قالَ : أنا فيئكم .

وأشغل اللهُ المجوسَ بأمر مَلِكهم .(وذلك[3] أنَّ أهلَ المدائن عَدَوْا على رُستم فخلعوه ثم وَلَّوه وأضافوا إليه الفَيْرُزان ، واختلفوا على فرقتين ، فركب الفرس إلى المدائن ولحقهم المُثَنّى بن حارثة في نَفَرٍ من المسلمين ، فعارضه أميران من أمرائهم في جيشهم ، فأسرهما وأسر معهما بشراً كثيراً فضرب أعناقهم . ثم أرسل المُثنى إلى منْ بالعراق من أمراء المسلمين يستمدُّهم ، فبعثوا إليه بالأمداد ، وبعثَ إليه عمر بن الخطاب بمددٍ كثير فيهم جرير بن عبد الله البَجَلي ، في قومه بَجيلة بكمالها ، وغيره من سادات المسلمين حتى كثر جيشه .

---

(١) في تاريخ الطبري (٣/ ٤٥٨) عبد الله بن زيد ؛ وهو خطأ . وترجمة عبد الله بن يزيد في الاستيعاب (١٠٠١) .
(٢) في ط : الحطمي : تصحيف .
(٣) من هذه اللفظة سقط في أ يستمر مايقرب من ورقة كاملة إلى آخر الأبيات التي على قافية النون .

وقْعةُ البُوَيْبِ التي اقْتَصَّ فيها المسلمون من الفرس

فلما سمعَ بذلك أمراءُ الفرس ، وبكثرةِ جيوشِ المُثَنَّى ، بعثوا إليه جيشاً آخر مع رجلٍ يقال له مِهْران فتوافَوْا هم وإياهم بمكان يُقال له : « البُوَيْب »[١] قريب من مكانِ الكوفةِ اليوم وبينهما الفرات . فقالوا : إما أن تعبروا إلينا ، أو نعبر إليكم . فقال المسلمون : بل اعبروا إلينا . فعبرتِ الفرسُ إليهم فتوافقوا ، وذلك في شهرِ رمضان . فعزمَ المُثَنَّى على المسلمين في الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم ، وعُبي الجيش ، وجعلَ يمرُّ على كلِّ رايةٍ من راياتِ الأمراءِ على القبائلِ ويعظهم ويحثُّهم على الجهاد والصبر والصمت . وفي القوم جرير بن عبد الله البجلي في بَجِيلة وجماعة من سادات المسلمين . وقال المثنى لهم : إني مُكبِّر ثلاثَ تكبيرات فتهيَّؤوا ، فإذا كَبَّرْتُ الرابعةَ فاْحملوا . فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول . فلما كبَّر أولَ تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم[٢] ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ورأى المُثَنَّى في بعض صفوفه خللاً ، فبعث إليهم رجلاً يقول : الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : لا تفضحوا العرب اليوم فاعتدلوا . فلما رأى ذلك منهم ـ وهم بنو عجل ـ أعجبه وضحك . وبعث إليهم يقول : يا معشر المُسلمين عاداتكم ، انصروا الله ينصركُمْ . وجعلَ المُثَنّى والمسلمون يدعون اللهَ بالظَّفَر والنصر . فلما طالت مدة الحرب جمع المُثَنّى جماعةً من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مِهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنةَ ، وحمل غلامٌ من بني تغلب نصراني فقتلَ مِهْران وركب فرسه . كذا ذكره سيف بن عمر[٣] .

وقال محمد بن إسحاق : بل حمل عليه المُنْذِر بن حسَّان بن ضرار الضّبّي فطعنه واحتزَّ رأسه جرير بن عبد الله البجلي ، واختصما في سَلَبِهِ[٤] ، فأخذ جرير السلاح ، وأخذ المنذر مِنْطقته .

وهربتِ المجوسُ وركبَ المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلاً . وسبق المثنى بن حارثة إلى الجسر فوقف عليه ليمنعَ الفرسَ من الجواز عليه ليتمكَّن منهم المسلمون . فركبوا أكتافَهم بقيةَ ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن أبعد إلى الليل ، فيُقال : إنه قتل منهم يومئذ ، وغرقَ قريبٌ من مئة ألفٍ ، ولله الحمد والمنة . وغنمَ المسلمون مالاً جزيلاً وطعاماً كثيراً ، وبعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر رضي الله عنه . وقد قُتل من سادات المسلمين في هذا اليوم بَشَرٌ كثيرٌ أيضاً . وذلَّتْ لهذه الوقعة رقابُ الفُرْس وتمكّن الصحابةُ من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة ، فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره . وجرت

---

(١) في ط : البويث ، تحريف . والبويب : نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، كان عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس . معجم البلدان (١/ ٥١٢) .

(٢) في تاريخ الطبري (٣/ ٤٦٥) : خالطوهم .

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٦) .

(٤) في تاريخ الطبري : سلاحه . والسَّلَبُ ـ بالتحريك ـ ما يسلب . القاموس (سلب) .

أمورٌ يطول ذِكرها بعد يوم البُوَيْب ، وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام . وقد قال الأعْورُ الشَّنيُّ[١] العَبْدِيُّ في ذلك[٢] : [من البسيط]

هـاجَـتْ لأعْـورَ دارُ الحيِّ أحْـزانـا ... واسْتَبْدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ القَيْسِ حَسَّانا[٣]
وَقَـدْ أرانـا بهـا والشَّمْـلُ مُجْتمـعٌ ... إذ بـالنُّخَيْلـةِ قتْلَـى جُنْـدِ مِهْـرانـا
إذْ كان[٤] سارَ المُثَنَّى بالخيُولِ لهم ... فَقتَّلَ الزَّحفَ مـن فُـرْسٍ وجِيـلانـا
سَمـا لِمهـرانَ والجيشِ الـذي مَعـهُ ... حَتَّـى أبـادَهُـمُ مَثْنـى وَوُحْـدانـا)

فصل

ثم بعثَ أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطّاب سعدَ بن أبي وقّاص الزهري أحدَ العشرة في ستة آلاف أميراً على العراق ، وكتب إلى جرير بن عبد الله والمُثَنى بن حارثة أن يكونا تبعاً له وأن يسمعا له ويُطيعا ، فلما وصل إلى العراق كانا معه ، وكان قد تنازعا الإمرةَ ، فالمثنى يقول لجرير : إنما بعثكَ أميرُ المؤمنين مَدداً إليَّ . ويقول جرير[٥] : إنما بعثني أميراً عليكَ . فلما قدم سعد على إمارة[٦] العراق انقطع نزاعهما .

قال ابن إسحاق : وتوفي المثنى بن حارثة في هذه السنة[٧] : كذا قال ابن إسحاق . والصحيح أن بعثَ عمر سعداً إنّما كان في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي .

ذكر اجتماع الفرس على يَزْدَجِرْد بعد اختلافهم

كان شيرين قد جمعَ آلَ كسرى في القصر الأبيض ، وأمر بقتلِ ذُكرانه كلّهم ، وكانت أم يزدجرد فيهم ومعها ابنها وهو صغير ، فواعدت أخواله فجاؤوا وأخذوه منها ، وذهبوا به إلى بلادهم ، فلما وقع ما وقع يوم البُوَيْبِ وقُتل منْ قُتل منهم كما ذكرنا ، وركب المسلمون أكتافَهُمْ وانتصروا عليهم وعلى أخذ بلدانهم ، ومحالّهم وأقاليمهم . ثم سمعوا (بقدوم سعد بن أبي وقاص من جهة عمر) ، اجتمعوا فيما بينهم وأحضروا الأميرين الكبيرين فيهم وهما رُسْتم والفيرزان فتذامروا[٨] فيما بينهم وتواصَوْا وقالوا لهما :

---

(١) الأعور الشني : هو بشر بن منقذ بن عبد القيس ، أبو منقذ كان شاعراً محسناً وله ابنان شاعران ، حبسه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم خلّى عنه . الشعر والشعراء (٤٢٥ـ٤٢٦) ط . دار الكتب العلمية .
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٣/ ٤٧١) .
(٣) في تاريخ الطبري : خفانا .
(٤) في ط : إذا كان ، ولا يستقيم بها الوزن ، وفي تاريخ الطبري : أزمان .
(٥) في أ : وجرير يقول .
(٦) في ط : على أمر العراق .
(٧) أرخ خليفة بن خياط وفاة المثنى بن حارثة سنة أربع عشرة . تاريخه (١٢٩) .
(٨) تذامروا : أي تلاوموا أو تحاضُّوا على القتال . اللسان (ذمر) .

لئن لم تقوما بالحرب كما ينبغي لنقتلنكما ونشتفي بكما . ثم رأوا فيما بينهم أن يبعثوا خلف نساء كسرى من كل فج ومن كل بقعة ، فمن كان لها ولد من آل كسرى مَلَّكوه عليهم . فجعلوا إذا أتوا بالمرأة عاقبوها[١] هل لها ولد وهي تُنكر ذلك خوفاً على ولدها إن كان لها ولد ، فلم يزالوا حتى دُلُّوا على أم يَزْدَجِرْدَ ، فأحضروها وأحضروا ولدها فملَّكوه عليهم وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وهو من ولد[٢] شهريار بن كسرى وعزلوا بوران ، واستوثقت الممالك له ، واجتمعوا عليه وفرحوا به ، وقاموا بين يديه بالنصر أتمَّ قيام ، واستفحلَ أمره فيهم وقويت شوكتُهم به ، وبعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعةَ للصحابة ونقضوا عهودهم وذممهم ، وبعث الصحابة إلى عمر بالخبر ، فأمرهم عمر أن يتبرَّزوا من بين ظهرانيهم وليكونوا على أطرافِ البلاد حولهم على المياه ، وأن تكون كلُّ قبيلةٍ تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث[٣] حدث على قبيلة لا يَخْفى أمرُها على جيرانهم . وتفاقمَ الحالُ جداً ، وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاثَ عشرةَ .

وقد حجَّ بالناس عمرُ في هذه السنة ، وقيل : بل حجَّ بهم عبد الرحمن بن عوف[٤] ، ولم يحجَّ عمر هذه السنة ، والله أعلم .

[ذكر] ما وقع [في هذه السنة ـ أعني] سنة ثلاث عشرة من الحوادث [إجماعاً ومن توفي من الأعيان]

كانت فيها وقائع تقدم تفصيلها ببلاد (العراق) على يَديْ خالدِ بن الوليد رضي الله عنه ، فُتحت فيها الحيرةُ والأنبارُ وغيرُهما من الأمصار .

وفيها سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على المشهور .

وفيها كانت وقعة اليرموك في قول سيف بن عمر ، واختيار ابن جرير ، وقتل بها من (قتل من) الأعيان ممَّنْ يطولُ ذكرُهم وتراجمُهم رضي الله عنهم أجمعين .

وفيها توفي أبو بكر الصدِّيق . وقد أفردنا سيرته في مجلد ولله الحمد .

وفيها ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها .

فولَّى قضاءَ المدينة عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

واستناب على الشام أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري .

---

(١) عاقبوها : يقصد بذلك : عذَّبوها ؛ كما يفهم من رواية الطبري (٣/ ٤٧٧) .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٤٧٧) .
(٣) في أ : إذا أحدث ؛ تحريف .
(٤) تاريخ الطبري (٣/ ٤٧٩) .

وعَزلَ عنها خالد بن الوليد المخزومي ، وأبقاه على شُورى الحربِ .

وفيها فُتحت بصرى صُلْحاً وهي أولُ مدينة فُتحت من الشام .

وفيها فتحت دمشق في قول سيف وغيره ـ كما قدمنا ـ واستنيب فيها يزيدُ بن أبي سفيان ، فهو أولُ من وليها من أمراء المسلمين رضي الله عنهم .

وفيها (كانت وقعة) فحل من أرض الغور وقتل بها جماعة من الصحابة وغيرهم .

وفيها كانت وقعة جسر أبي عُبَيْد فقتل فيها أربعة آلاف من المسلمين ، منهم أميرُهم أبو عُبَيْد بن مسعود الثقفي ، وهو والد صفية امرأة عبد الله بن عمر ، وكانت امرأةً صالحةً رحمهما الله . ووالد المُخْتار بن أبي عُبَيْد كذّاب ثقيف ، وقد كان نائباً على العراق في بعض (وقعات) العراق كما سيأتي .

وفيها توفي المُثَنَّى بن حارثة في قول ابن إسحاق ، وقد كان نائباً على العراق ، استخلفه خالدُ بن الوليد حين سار إلى الشام ، وقد شهد مواقفَ مشهورةً ، وله أيامٌ مذكورةٌ ولاسيَّما يوم البُوَيْب[١] بعد جسر أبي عُبَيْد ، قتل فيه من الفرس وغرق بالفرات قريبٌ من مئة ألف ، والذي[٢] عليه الجمهورُ أنّه بقيَ إلى سنة أربعَ عشرةَ كما سيأتي بيانه .

وفيها حج بالناس عمرُ بن الخطاب في قول بعضهم ، وقيل : بل حجَّ عبد الرحمن بن عوف .

وفيها استنفرَ عمرُ قبائلَ العرب لغزو العراق والشام فأقبلوا من كلّ النّواحي فرمى بهم الشامَ والعراق .

(وفيها) كانت وقعة أَجْنَادين في قول ابن إسحاق يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى منها . وكذا عند الواقدي فيما بين الرملة وبيت جَبْرين[٣] وعلى الروم القيقلان[٤] وأمير المسلمين عمرو بن العاص ، وهو في عشرين ألفاً في قول ، فقتل القيقلان وانهزمت الروم وقتل منهم خلق كثير . واستشهد من المسلمين أيضاً جماعةٌ منهم هشام بن العاص ، والفضل بن العباس ، وأبان بن سعيد ، وأخواه خالد وعمرو ، ونعيم بن عبد الله بن النحَّام ، والطفيل بن عمرو ، وعبد الله بن عمرو الدَّوْسيّان ، وضرار بن الأزور ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعمّه سلمة بن هشام ، وهبّار بن سفيان[٥] ، وصخر بن نصر ، وتميم وسعيد ابنا الحارث بن قيس رضي الله عنهم .

---

(١) في ط : البويت ؛ تحريف .

(٢) في ط : الذي ـ بلا واو ـ .

(٣) في أ وط : وبين جسرين ؛ وما هنا عن الطبري (٣/ ٤١٧) .

(٤) كذا في الأصلين ، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤١٧) : القُبْقلار .

(٥) في تاريخ الطبري (٣/ ٤١٨) : هبّار بن الأسود بن عبد الأسد .

وقال محمد بن سعد[١] : قتل يومئذ طليب بن عمير[٢] وأمُّه أروى بنت عبد المطلب عمةُ رسول الله ﷺ .

وممن قُتل يومئذ عبدُ الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة فيما ذكره الواقدي[٣] ، قال : ولم يكن له روايةٌ ، وكان ممن صبر يوم حنين .

قال ابن جرير : وقتل يومئذ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة والحارث بن أوس بن عتيك رضي الله عنهم .

وفيها كانت وقعة مرج الصُفَّر في قول خليفة بن خَيّاط[٤] وذلك لاثنتي عشرةَ بقيتْ من جمادى الأولى ، وأميرُ الناس خالدُ بن سعيد بن العاص فقُتل يومئذ ، وقيل : إنَّما قُتل أخوه عمرٌو ، وقيل : ابنُه فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكان أمير الروم فلقط[٥] ، فقتل من الروم مقتلةً عظيمة حتى جرت طاحون هناك من دمائهم . والصحيح أن وقعة مرج الصُّفر في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي .

ذكر المُتَوفَّين في هذه السنة مُرَتَّبينَ على الحروف
كما ذكرهم [شيخنا] الحافظ الذهبي [في تاريخه][٦]

ـ أبانُ[٧] بن سَعيد بن العاص بن أمية الأموي أبو الوليد (المكي) صحابيٌّ جليلٌ ، وهو الذي أجار عُثمان بن عفّان يومَ الحُدَيْبية حتى دخل مكةَ لأداءِ رسالة رسول الله ﷺ . أسلم بعد مرجع أخويه من الحبشة خالد ، وعمرو ، فدعواه إلى الإسلام فأجابهما ، وساروا فوجدوا رسولَ الله ﷺ قد فتح خيبر . وقد استعمله رسول الله ﷺ سنةَ تسع على البحرين وقتل بأجْنادين .

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٣) .
(٢) في أ ، ط : عمر ، تحريف ، وما هنا عن الطبقات والطبري ، وسيرد اسمه صحيحاً في ترجمته بعد صفحات .
(٣) لم أجده في طبقات ابن سعد ، إنما ذكر وفاته في هذه السنة ابن الأثير في الكامل (٢/ ٤١٨) وقال : وكان عمره يوم مات النبي ﷺ نحو ثلاثين سنة .
(٤) تاريخه (ص١٢٠) والخبر أيضاً في تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٦) .
(٥) في ط : قلقط . وما هنا عن الأصل وتاريخ خليفة .
(٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٦)ط : مكتبة القدسي ـ القاهرة .
(٧) ترجمة ـ أبان بن سعيد ـ في نسب قريش (١٧٤ ـ ١٧٥) وتاريخ خليفة (١٢٠) والاستيعاب (١/ ١١٩) وجامع الأصول (١٣/ ٨ ـ ٩) وأسد الغابة (١/ ٤٦ ـ ٤٨) ومختصر تاريخ دمشق (٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٦١) والوافي (٥/ ٢٩٩) والإصابة (١/ ١٦) .

ـ أنسة[١] مولى رسول الله ﷺ المشهور أنه قتل ببدر فيما ذكره البخاري وغيره ، وزعم الواقدي[٢] فيما نقله عن أهل العلم أنه شهد أحداً وأنه بقي بعد ذلك زماناً . قال : وحدَّثني ابن أبي الزناد عن محمد بن يوسف أن أنسةَ ماتَ في خلافة أبي بكر الصدِّيق ، وكان يُكْنَى أبا مسروح[٣] . وقال الزُّهْري[٤] : كان يأذن للناس على النبي ﷺ .

تميم[٥] بن الحارث بن قيس السهمي وأخوه قيس، صحابيان جليلان هاجرا إلى الحبشة (وقُتلا بأجنادين.

الحارث[٦] بن أوس بن عتيك من مهاجرة الحبشة . قتل بأجنادين .

خالد[٧] بن سعيد بن العاص الأموي من السابقين الأولين ، ممن هاجر إلى الحبشة) وأقام بها بضعَ عشرة سنةً ، ويقال : إنه كان على صنعاء من جهة رسول الله ﷺ ، وأمَّره الصدِّيقُ على بعض الفتوحات ، كما تقدم . قُتل يوم مَرْج الصُّفَّر في قولٍ ، وقيل : بل هرب فلم يُمكّنه الصديقُ من دخول المدينة تعزيراً[٨] له ، فأقام شهراً[٩] في بعض ظواهرها حتى أذن له . ويقال : إن الذي قتله أسلم ، وقال (رأيت له) حين قتلته نوراً ساطعاً إلى السماء رضي الله عنه .

سعد[١٠] بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حَزِيمة[١١] . ويقال حارثة بن حَزِيمة بن ثَعْلَبة بن طَرِيف بن

---

(١) ترجمة ـ أنسة ـ في الاستيعاب (١/ ١٣٧ـ١٣٨) وأسد الغابة (١/ ١٥٦) والإصابة (١/ ٧٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨) .

(٣) في مصادره : أبو مسروح ، وقيل : أبو مسرح . قال بشار : قد جَوّد الذهبي تقييده بخطه في تاريخ الإسلام « مُسَرِّح » بضم الميم وفتح السين المهملة وكسر الراء المشددة . وبه قيده ابن نقطة في إكمال الإكمال مستدركاً على الأمير ابن ماكولا ، ونقله العلامة ابن ناصر الدين في توضيحه فقال: « كذا قاله ابن نقطة، وذكر أنه نقله من خط أبي بكر ابن الخاضبة، وقيل: كنيته أبو مسروح؛ حكى الوجهين مصعب بن عبد الله الزبيري، وجزم بالثاني إبراهيم الحربي (٨/ ١٦٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٩) .

(٥) ترجمة ـ تميم بن الحارث السهمي ـ في الاستيعاب (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣) وأسد الغابة (١/ ٢٥٧) والإصابة (١/ ١٨٤) .

(٦) ترجمة ـ الحارث بن أوس بن عتيك ـ في الاستيعاب (١/ ٢٨١) وأسد الغابة (١/ ٣٧٩) والإصابة (١/ ٢٧٤) وفيه : الحارث بن أوس بن عتاب .

(٧) ترجمة ـ خالد بن سعيد بن العاص ـ في التاريخ الكبير (٣/ ١٥٢) والجرح والتعديل (٣/ ٣٣٤) والاستيعاب (٢/ ٤٢٠) وجامع الأصول (١٣/ ٤١٤) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٤٤) . وأسد الغابة (٢/ ٩٧) والإصابة (٣/ ٥٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٥٩) والإصابة (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) .

(٨) في ط : تعزيزاً ؛ تحريف .

(٩) في أ : أشهراً .

(١٠) ترجمة ـ سعد بن عبادة ـ في التاريخ الكبير (٤/ ٤٤) والجرح والتعديل (٤/ ٨٨) والاستيعاب (٥٩٤) وجامع الأصول (١٤/ ١٦٨) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٣٥) وتهذيب الأسماء واللغات (٦/ ٩٢) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠) والإصابة (٢/ ٣٠) .

(١١) في ط : ابن أبي خزيمة ، ويقال حارثة بن خزيمة . وفي أ : بن أبي خريمة ، ويقال حارثة بن خرم بن خزيمة بن=

الخَزْرج بن ساعدَة بن كَعْب بن الخَزْرج الأنصاري الخزرجي سيِّدهم ، أبو ثابت ، ويقال : أبو قيس : صحابيٌّ جليلٌ كان أحدَ النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدراً في قول عروة وموسى بن عقبة والبخاري[١] وابن ماكولا[٢] . وروى ابن عساكر[٣] من طريق حجاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس : أن راية المهاجرين يوم بدر كانت مع علي ، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة رضي الله عنهما .

قلت : والمشهور أنَّ هذا كان يوم الفتح ، والله أعلم .

وقال الواقدي[٤] : لم يشهدها لأنه نهشته[٥] حيةٌ فشغلته عنها بعد أن تجَّهز لها ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ، وشهد أُحداً وما بعدها . وكذا قال خليفة بن خياط[٦] . وكانت له جفنة تدورُ مع النبيّ حيث دار من بيوت نسائه بلحمٍ وثَريدٍ ، أو لبن وخبز ، أو خبز بسمن ، أو بِخلٍّ وزيت ، وكان ينادي عند أطمة[٧] كلّ ليلة لمن أراد القِرى . وكان يحسن الكتابةَ بالعربيّ ، والرميَ والسباحةَ ، وكان يُسمَّى منْ أحسنَ ذلك كاملاً . وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر[٨] ما ذكره غير واحد من علماء التاريخ أنه تخلف عن بيعة الصدّيق حتى خرج إلى الشام فمات بقرية من حوران سنة أربع[٩] عشرة [وقيل : توفي][١٠] (في خلافة الصدِّيق . قاله ابن إسحاق والمدائني وخليفة . قال : وقيل في أول خلافة عمر . وقيل سنة أربع عشرة) ، وقيل سنة خمس عشرة . وقال الفَلاس وابن بُكَيْر سنة ست عشرة .

قلتُ : أما بيعةُ الصدِّيق ، فقد روينا في مسند الإمام أحمد[١١] أنه سلم للصدِّيق ما قاله من إن الخلفاء من قريش . وأما موته بأرض الشام فمُحقّقٌ والمشهور أنه بحوران .

قال محمد بن عائذ الدمشقي : عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال :

أول مدينة فُتحت من الشام بصرى ، وبها توفي سعد بن عبادة . وعند كثير من أهل زماننا أنه دفن بقريةٍ

= ثعلبة . وأثبتنا ما في مصادره وتوضيح المشتبه (٣/ ٢٢٢) .
(١) التاريخ الكبير (٤/ ٤٤) .
(٢) في الإكمال لابن ماكولا (٣/ ١٤١) لم يشهد بدراً .
(٣) تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٤٩) طبعة دار الفكر .
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٦١٤) .
(٥) نهشه ـ كمنعه : لسعه . القاموس (نهش) .
(٦) تاريخه (ص١٣٥) .
(٧) تأطّمُ الليل : ظلمته . اللسان (أطم) .
(٨) الاستيعاب (٢/ ٥٩٩) .
(٩) في ط : ثلاث ؛ وما هنا عن أ والاستيعاب .
(١٠) زيادة يقتضيها سياق النص .
(١١) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٨٥) ونص الحديث : أن النبي ﷺ قال « الخلافة في قريش ، والحكم في الأنصار . . . » وإسناده ضعيف ، ولكن عبارة « الخلافة في قريش » صحيحة من غير هذا الوجه .

من غوطة دمشق ، يقال لها « المنيحة » وبها قبر مشهور به . ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرَّض لذكر هذا القبر[١] في ترجمته بالكلية ، فالله أعلم .

قال ابن عبد البر[٢] : ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله ، وقد اخضرَّ جسدُه ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول[٣] : [من الهزج]

قَتَلْنـا سَيِّـدَ الخَـزْرَ ج سَعْـدَ بْـن عُبَـادة
رَمَيْنـاهُ بسهميـن[٤] فلَـم يخطـىء فـؤادَهْ

قال ابن جريج : سمعت عطاءً [يقول] سمعت أن الجنَّ قالوا في سعد بن عبادة هذين البيتين .

له عن النبي ﷺ أحاديثُ ، وكان رضي الله عنه من أشد الناس غيرةً ، ما تزوّج امرأةً إلا بكراً ، ولا طلَّق امرأة فتجاسر أحدٌ أن يخطبها بعده .

وقد روي أنّه لما خرج من المدينة قسم ماله بين بنيه، فلما توفي، ولد له ولد، فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه (قيس) بن سعد فأمراه أن يدخل هذا معهم، فقال إني لا أغير ماصنع سعد ، ولكن نصيبي لهذا الولد.

سلمة[٥] بن هشام بن المغيرة ، أخو أبي جهل بن هشام ، أسلم سلمةُ قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، فلما رجع منها حبسه أخوه وأجاعه ، فكان رسول الله ﷺ يدعو له في القنوت ولجماعةٍ معه من المستضعفين . ثم انسلّ فلحق برسول الله ﷺ بالمدينة بعد الخندق ، وكان معه بها ، وقد شهد أجنادين ، وقتل بها رضي الله عنه .

ضرار[٦] بن الأزور الأسدي ، كان من الفرسان المشهورين ، والأبطال المذكورين ، له (مواقف) مشهودة ، وأحوال محمودة . ذكر عروة وموسى بن عقبة أنه قتل بأجنادين . له حديث[٧] في استحباب إبقاء شيء من اللبن في الضرع عند الحلب .

---

(١) لقد تعرض ابن عساكر رحمه الله تعالى في أوّل ترجمة سعد بن عبادة من تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٣٧) لذكر هذا القبر وقال: وقيل إن قبره بالمنيحة من إقليم بيت الآبار. وصدق الله تعالى ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

(٢) الاستيعاب (٢/ ٥٩٩) .

(٣) البيتان في الاستيعاب ، وتاريخ دمشق (٢٠/ ٢٦٦) وأسد الغابة (٢/ ٢٥٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٧) وقد أضاف المحقق كلمة (قد) قبل البيت الأول والواو قبل البيت الثاني فتحول وزنه من الهزج إلى مجزوء الرمل ـ والبيتان ـ مُخْتلا الوزن ـ في جامع الأصول .

(٤) في الأصلين والاستيعاب : بسهم ؛ ولا يستقيم بها الوزن .

(٥) ترجمة ـ سلمة بن هشام ـ في الجرح والتعديل (٤/ ١٧٦) والاستيعاب (٦٤٣) وجامع الأصول (١٤/ ١٩٢) وأسد الغابة (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) والإصابة (٢/ ٦٨ ـ ٦٩) .

(٦) ترجمة ـ ضرار بن الأزور ـ في الاستيعاب (٧٤٦) وتاريخ دمشق (٢٤/ ٣٧٨ ـ ٣٩٢) ـ طبعة دار الفكر ـ واسد الغابة (٣/ ٥٢) والإصابة (٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٣٩) والدارمي في سننه (٢/ ٨٨) ونصه : عن ضرار بن الأزور رضي الله عنه=

طُلَيْب[١] بن عُمَيْر بن وَهْب بن كبير[٢] بن عبد[٣] بن قُصَيّ القُرَشي العبدي ، أمهُ أروى بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهدَ بدراً ، قاله ابن إسحاق والواقدي والزبير بن بكار . ويقال إنه أول من ضرب مشركاً ، وذلك أن أبا جهل سبَّ النبي ﷺ فضربَه طُلَيْب بلَحْي[٤] جمل فشجَّه . استشهد طليب بأجنادين وقد شاخ رضي الله عنه .

عبد الله[٥] بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي (الهاشمي ، ابن) عم النبي ﷺ كان من الأبطال المذكورين ، والشجعان المشهورين ، قُتل يوم أجنادين بعد ما قتل عشرةً من الروم مبارزةً كلهم بطارقةٌ أبطال .

وله من العمر يومئذ بضع وثلاثون سنة .

عبد الله[٦] بن عمرو الدوسي قتل بأجنادين . (وليس هذا الرجل معروفاً .

عثمان[٧] بن طلحة العبدري الحجبي ، قيل إنه قتل بأجنادين) ، والصحيح أنه تأخر إلى ما بعد الأربعين .

= قال : أُهديت لرسول الله ﷺ لقحة ؛ فأمرني أن أحلبها ، فحلبتها فجهدت في حلبها ، فقال : « دع داعي اللبن » وإسناده ضعيف .

(١) ترجمة ـ طليب بن عمير ـ في الاستيعاب (٧٧٢) وتاريخ دمشق (٢٥/ ١٤٢) ـ طبعة دار الفكر ـ وأسد الغابة (٣/ ٩٤) والإصابة (٢/ ٢٣٣) وفيه : طليب بن عمير ـ بالتصغير ـ أو عمرو .

(٢) في ط : « وهب بن كثير » ، وفي أ : « وهب بن أبي كثير » ، وكله تصحيف ، والصواب ما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (الورقة ١٩٢ من مجلد أيا صوفيا) وهو الذي ينقل منه المصنف ، فالمفروض أن يكون ما عند ابن كثير موافقاً لما عند الذهبي . وهذا الذي قاله الذهبي قاله ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٢٣) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ٤٩٩) .
على أنه وقع في سلسلة نسبه خلف بين المصادر ، فذكر المصعب الزبيري (نسب قريش ٢٥٦) وابن حزم في الجمهرة (١٢٨) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/ ١٤٢) وغيرهم أنه : « طليب بن عمير بن وهب بن عبد » ليس فيه « ابن كثير » . وذكر يونس بن بكير وغيره عن ابن إسحاق أنه « طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد » (تاريخ دمشق ٢٥/ ١٤٦) ، وكذلك قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٧٧٢) وابن حجر في الإصابة (٢/ ٢٣٣) وهو في الأصل قول موسى بن عقبة والزهري (كما في أسد الغابة ٣/ ٩٤) ، وفصّل فيه الفاسي في العقد الثمين (٥/ ٧٣) (بشار) .

(٣) في ط : « هند » وهو تحريف بيِّن .

(٤) اللَّحْي : العظم الذي فيه الأسنان من داخل الفم من الإنسان والحيوان . اللسان (لحا) .

(٥) ترجمة ـ عبد الله بن الزبير ـ في الاستيعاب (٩٠٤) وتاريخ دمشق (٢٨/ ١٣٧ـ١٤٠) وأسد الغابة (٣/ ٢٤١) والإصابة (٢/ ٣٠٨) .

(٦) ترجمة ـ عبد الله بن عمرو الدوسي ـ في الاستيعاب (٩٥٦) وأسد الغابة (٣/ ٣٤٩) والإصابة (٢/ ٣٥١) .

(٧) ترجمة ـ عثمان بن طلحة ـ في الاستيعاب (١٠٣٤) وجامع الأصول (١٤/ ٥١٤) وأسد الغابة (٣/ ٥٧٨) والإصابة (٢/ ٤٦٠) .

عتاب[١] بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن أمير مكة نيابةً عن رسول الله ﷺ استعمله عليها عامَ الفتح ، وله من العمر عشرون سنة ، فحجَّ بالناس عامئذٍ ، واستنابه عليها أبو بكر بعده عليه السلام . وكانت وفاته بمكة ، قيل : يوم توفي أبو بكر رضي الله عنهما . له حديث واحدٌ رواه أهلُ السنن الأربعة[٢] .

عكرمة[٣] بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو عثمان القرشي المخزومي ، كان من سادات الجاهلية كأبيه ، ثم أسلم عام الفتح بعدما فرَّ ، ثم رجع إلى الحق . واستعمله الصدِّيقُ على عُمان حين ارتدُّوا ، فظفر بهم كما تقدم . ثم قدم الشام وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال : إنه لا يُعرفُ له ذنبٌ بعد ما أسلم .

وكان يُقبِّلُ المصحفَ ويبكي ويقول ، كلامُ ربي ، كلام ربي[٤] . احتجَّ بهذا الإمام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته . وقال الشافعي : كان عكرمة محمود البلاء في الإسلام . وقال عروة : قتل بأجنادين . وقال غيره : باليرموك بعد ما وجد به بضع وسبعون ما بين ضربةٍ وطعنةٍ رضي الله عنه .

الفضل[٥] بن العباس بن عبد المطلب ، قيل إنه توفي في هذه السنة ، والصحيح أنه تأخر إلى سنة ثماني عشرة .

نعيم بن عبد الله النَّحَّام[٦] أحد بني عدي ، أسلمَ قديماً قبل عمر ، ولم يتهيَّأ له هجرةٌ إلى ما بعد الحُدَيْبية ، وذلك لأنه كان فيه بِرٌّ بأقاربه ، فقالت له قريش : أقم عندنا على أي دينٍ شئتَ ، فوالله

---

(١) ترجمة ـ عتاب بن أسيد ـ في التاريخ الكبير (٧/ ٥٤) والجرح والتعديل (٧/ ١١) والاستيعاب (١٠٢٣) وجامع الأصول (١٤/ ٥٠٧) وأسد الغابة (٣/ ٥٦٦) والإصابة (٢/ ٤٥١) .

(٢) نص الحديث عن عتاب بن أسيد : أن النبي ﷺ كان يبعث على الناس من يخرص عليهم كرومهم وثمارهم . رواه أبو داود في سننه رقم (١٦٠٣) كتاب الزكاة ، والترمذي في الجامع الصحيح رقم (٦٤٤) كتاب الزكاة ، والنسائي في سننه رقم (٢٦١٨) كتاب الزكاة وابن ماجه في سننه رقم (١٨١٩) كتاب الزكاة ، وفي إسناده ضعف .

(٣) ترجمة ـ عكرمة بن أبي جهل ـ في التاريخ الكبير (٧/ ٤٨) والجرح والتعديل (٧/ ٧٠٦) والاستيعاب (١٠٨٢) وجامع الأصول (١٤/ ٥٣٥) وأسد الغابة (٤/ ٧٠) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٨) ومختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٣١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٣) والإصابة (٢/ ٤٩٦) .

(٤) الخبر رواه الدارمي في سننه (٢/ ٤٤٠) بلفظ « كان يضع المصحف على وجهه ، ويقول : كتاب ربي ، كتاب ربي » .

(٥) ترجمة ـ الفضل بن العباس ـ في التاريخ الكبير (٣/ ٥٠٢) والجرح والتعديل (٤/ ٤٨) والاستيعاب (٦٢١) وجامع الأصول (١٥/ ٣٠) وأسد الغابة (٢/ ٣٩١) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٤) والإصابة (٢/ ٤٧) .

(٦) ترجمة ـ نعيم بن عبد الله ـ في التاريخ الكبير (٨/ ٩٢) والجرح والتعديل (٨/ ٤٥٩) والاستيعاب (١٥٠٧) وجامع الأصول (١٥/ ٤١٢) وأسد الغابة (٥/ ٣٤٦) والإصابة (٣/ ٥٦٧) .

لا يتعرضكَ أحدٌ إلا ذهبت أنفسنا دونك . استشهد يوم أجنادين ، وقيل : يوم اليرموك رضي الله عنه .

هَبَّارُ[١] بن الأسود بن أسد أبو الأسود القُرشي الأسدي ، هذا الرجل كان قد طعن راحلة زينب بنت النبي ﷺ يوم خرجتْ من مكةَ حتى أسقطت ، ثم أسلم بعدُ فحَسُنَ إسلامُه ، وقُتل بأجنادين رضي الله عنه .

هَبَّار[٢] بن سُفْيان بن عبد الأسد المَخْزومي ابن أخي أم سلمة . أسلمَ قديماً وهاجرَ إلى الحبشة واستُشهد يوم أجْنَادين على الصحيح ، وقيل : قتل يوم مؤتة ، والله أعلم .

هشام[٣] بن العاص بن وائل السَّهْمي أخو عمرو بن العاص . روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال « ابنا العاص مؤمنان »[٤] وقد أسلم هشام قبل عمرو ، وهاجر إلى الحبشة ، فلما رجع منها احتبس بمكة . ثم هاجر بعد الخندق ، وقد أرسله الصديق إلى ملك الروم . وكان من الفرسان . وقتل بأجْنادين ، وقيل : باليرموك ، والأول أصح ، والله أعلم .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه تقدم ، وله ترجمة مفردة ولله الحمد .

* * *

سنة أربع عشرة من الهجرة

استهلَّتْ هذه السنة ، والخليفة عمر بن الخطاب يحثُّ الناسَ ويحرِّضُهم على جهادِ أهل العراق ، وذلك لِما بلغَه من قتل أبي عُبَيْد يومَ الجِسْر ، وانتظامِ شَمْلِ الفرس ، واجتماعِ أمرهم على يَزْدَجِرْد الذي أقاموه من بيت الملك ، ونقض أهل الذمة[٥] بالعراق عهودهم ، ونبذهم المواثيق التي كانت عليهم ، وآذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم . وقد كتب عمر إلى من هنالك من الجيش أن يتبرزوا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد .

قال ابن جرير رحمه الله : وركب عمر رضي الله عنه في أول يوم من المحرم هذه السنة في الجيوش من

---

(١) ترجمة ـ هبار بن الأسود ـ في الاستيعاب (١٥٣٦) وأسد الغابة (٥/ ٣٨٤) والإصابة (٣/ ٥٩٧) .
(٢) ترجمة ـ هبار بن سفيان ـ في الاستيعاب (١٥٣٦) وأسد الغابة (٥/ ٣٨٥) والإصابة (٣/ ٥٩٩) .
(٣) ترجمة ـ هشام بن العاص ـ في الاستيعاب (١٥٣٩) وأسد الغابة (٥/ ٤١) والإصابة (٣/ ٦٠٤) .
(٤) لم يخرجه الترمذي بهذا اللفظ . وإنما أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٤) و(٣٢٧) و(٣٥٣) ، والنسائي في فضائل الصحابة (١٩٥) ، وإسناده حسن . أما الترمذي فقد أخرج في جامعه (٣٨٤٤) من حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » وقال عقيبه : غريب (يعني ضعيف) .
(٥) في ط : أهل المدينة ، والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٤٨٢) .

المدينة فنزل على ماءٍ يقال له صِرار[١] ، فعسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه ، واستخلفَ على المدينة عليَّ بن أبي طالب ، واستصحب معه عثمان بن عفان وساداتِ الصحابة . ثم عقدَ مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه ، ونودي أنّ الصلاةَ جامعةٌ ، وقد أرسل إلى علي[٢] فقدم من المدينة ، ثم استشارهم فكلهم وافقه[٣] على (الذَّهاب إلى) العراق ، إلا عبد الرحمن بن عوف فإنَّه قالَ له : إنِّي أخشى إن كسرتَ أن يضعفَ المسلمون في سائر أقطار الأرض ، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة . فأرثا[٤] عمر والناس عند ذلك واستصوبوا رأيَ ابن عوف . فقال عمر : فمن ترى أن نبعثَ إلى العراق ؟ فقال : قد وجدتُه . قال : ومن هو ؟ قال الأسد (في براثنه)[٥] سعد بن مالك الزهري .

فاستجادَ قوله وأرسلَ إلى سعدٍ ، فأمَّره على العراق وأوصاه ، فقال :

« يا سعد بن وهيب لا يغرَّنَّك من الله أن قيل : خالُ رسول الله ﷺ وصاحبُه ، فإنَّ اللهَ لا يمحو السيِّءَ بالسيِّءِ ، ولكن يمحو السيِّءَ بالحسنِ ، وإن الله ليس بينه وبين أحدٍ نسبٌ إلا بطاعته ، فالناس شريفُهم ووضيعُهم في ذات اللهِ سواء ، الله ربهم وهم عبادُه ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عند الله بالطاعة ، فانظر الأمرَ الذي رأيتَ رسولَ الله ﷺ منذ بُعِثَ إلى أن فارقنا عليه فألزمْهُ ، فإنَّه الأمرُ . هذه عِظتي إيّاك ، إن تركتَها ورغبتَ عنها حَبِطَ[٦] عملُك وكنتَ من الخاسرين » .

ولما أراد فراقَه قالَ له : « إنَّكَ سَتَقْدَمُ على أمرٍ شديدٍ ، فالصبرَ الصبرَ على ما أصابَكَ ونابكَ ، تجتمع[٧] لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين ، في طاعته واجتناب معصيته ، وإنَّما أطاعه من أطاعه ببغضِ[٨] الدنيا وحبِّ الآخرة ، وإنما عصيان من عصاه بحبِّ الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائقُ يُنْشئها الله إنشاءً ، منها السرُّ ، ومنها العلانية ، فأما العلانيةُ فأن يكون[٩] حامدهُ وذامُّه في الحقِّ سواء ، وأمّا السرُّ فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس ، ومن محبة الناس فلا

---

(١) في أ : ضرار ، وما هنا عن تاريخ الطبري . وصرار ـ بكسر أوله وبالراء المهملة أيضاً في آخره ـ موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . معجم البلدان (٣/ ٣٩٨) .

(٢) في أ : عدي ؛ تحريف ، وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٣/ ٤٨٠ـ٤٨١) .

(٣) في ط : وافقوه .

(٤) كذا في أ ، ط ولعلها : فأرفأ بمعنى سكن واطمأن . اللسان (رفأ ورمأ) .

(٥) براثن الأسد جمع بُرْثُن : وهو مِخْلبه ، وقيل : هو للسبع كالإصبع للإنسان . وقيل : البرثن : الكف بكمالها مع الأصابع . اللسان (برثن) .

(٦) حبط : بطل ثواب عمله . اللسان (حبط) .

(٧) في أ ، ط : تجمع ؛ وما هنا عن الطبري .

(٨) في ط : ببعض ؛ وهو عكس المعنى المقصود .

(٩) في ط : تكون ؛ تحريف .

تزهدْ في التحبُّب فإنَّ النبيّين قد سألوا محبتهم ، وإنّ الله إذا أحب عبداً حبّبه ، وإذا أبغض عبداً بغّضه ، فاْعتبر منزلتكَ عندَ الله بمنزلتكَ عند الناس » .

قالوا : فسارَ سعدٌ نحوَ العراقِ في أربعة آلاف ، ثلاثة آلاف من أهل اليمن ، وألف من سائر الناس ، وقيل في ستة آلاف . وشَيَّعَهُمْ عمر من صِرارٍ إلى الأعوص[١] ، وقام عمر في الناس خطيباً هنالك فقال :

« إن الله إنّما ضربَ لكمُ الأمثالَ ، وصرَّفَ لكم القول لتحيى [به] القلوب فإنَّ القلوبَ ميتةٌ في صدورها حتى يُحْييها اللهُ . من عَلِم شيئاً فلينتفع[٢] به ، فإنَّ للعدلِ أمارات وتباشير ، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين . وأما التباشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمر باباً ، ويسر لكل باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ؛ ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الأموال . والزهد أخذ الحق من كلّ أحدٍ قِبَلَهُ حقٌّ والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف ، فإنْ لم يكفه الكفاف لم يُغْنه شيءٌ . إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحدٌ ، وإنَّ اللهَ قد ألزمني دفعَ الدعاء عنه فانهوا شكاتكم إلينا ، فمن لم يستطع فإلى من يُبَلِّغُناها نأخذ[٣] له الحقَّ غَيْرَ متعتع »[٤] .

ثم سار سعد إلى العراق ، ورجع عمر بمنْ معه من المسلمين إلى المدينة .

ولما انتهى سعد إلى نهر زَرود ، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالمثنى بن حارثة إلا اليسير ، وكل منهما مشتاق إلى صاحبه ، انتقض جرح المثنى بن حارثة الذي كان جرحه يوم الجسر فمات رحمه الله ورضي الله عنه . واستخلف على الجيش بشير بن الخصاصية ، ولما بلغ سعداً موتُه ترحَّم عليه وتزوج زوجته سلمى . ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها ، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره ، وأمدَّه عمر بأمداد أخر حتى اجتمع معه يوم[٥] القادسية ثلاثون ألفاً ، وقيل ستة وثلاثون .

وقال عمر : والله لأرمينَّ ملوكَ العجم بملوك العرب . وكتب إلى سعد أن يجعل الأمراء على القبائل ، والعرفاء على كل عشرة[٦] عريفاً على الجيوش ، وأن يواعدهم إلى القادسية ، ففعل ذلك سعدٌ ، عرَّفَ العُرفاء ، وأمَّر على القبائل ، وولّى على الطلائع ، والمقدِّمات ، والمَجْنبات والسَّاقات ، والرّجّالة ، والركبان ، كما أمرَ أمير المؤمنين عمر .

قال سيف[٧] بإسناده عن مشايخه قالوا : وجعل عمر على قضاء الناس عبدَ الرحمن بن ربيعة الباهلي

---

(١) في أ : الأعرص ، وهو تحريف . والأعوص على أميال من المدينة المنورة . معجم البلدان (١/ ٢٢٣) .
(٢) في ط : فلينفع ؛ وما هنا الوجه والطبري (٣/ ٤٨٥) .
(٣) في أ : جعلناها فيأخذ .
(٤) متعتع : أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه . اللسان (تعع) .
(٥) في أ : اجتمع له في القادسية .
(٦) في أ : على كل عشيرة . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٨٨) : فَعشَّر الناس ، وهذا يوافق ما أثبتناه .
(٧) تاريخ الطبري (٣/ ٤٨٩) .

ذا النون . وجعل إليه الأقباض وقسمة الفَيْء ، وجعلَ داعيةَ الناس وقاصَّهُم سلمانَ الفارسيَّ . وجعل الكاتبَ زيادَ بن أبي سفيان .

قالوا : وكان في هذا الجيش كلّه من الصحابة ثلاثمئة وبضعة عشر صحابياً ، منهم بضعة وسبعون بدرياً ، وكان فيه سبعمئة من أبناء الصحابة رضي الله عنهم .

وبعث عمر كتاباً إلى سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية ، والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وأن يكون بين الحجر والمدر ، وأن يأخذ الطرقَ والمسالكَ على فارس ، وأن يبدروهم بالضرب والشدة ، ولا يهولنك[١] كثرةُ عددهم وعُدَدهم ، فإنّهم قومٌ خَدَعةٌ مَكَرةٌ ، وإن أنتم صبرتم واحتسبتم[٢] ونويتم الأمانة[٣] رجوتُ أن تُنْصروا عليهم ، ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً إلَّا أن يجتمعوا ، وليست معهم قلوبهم . وإن كانت الأخرى فارجعوا إلى ما وراءكم حتى تصلوا (إلى) الحجر فإنكم عليه[٤] أجرأ ، وإنهم عنه أجبن ، وبه أجهل ، حتى يأتي اللهُ بالفتح عليهم ويردَّ لكم الكرّة . وأمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه ، وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فإنَّ النصر يأتي من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ، وسلوا الله العافية ، وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، واكتب إليّ بجميع أحوالكم وتفاصيلها ، وكيف تنزلون وأين يكون منكم عدوكم ، واجعلني بكتبك إليَّ كأني أنظر إليكم ، واجعلني من أمركم على الجلية ، وخفِ الله وارْجُهُ ولا تدل بشيء[٥] ، واعلم أن الله قد توكّل لهذا الأمر بما لا خُلْفَ له ، فاحذر أن يصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم .

فكتب إليه سعد يصفُ له كيفيةَ تلك المنازل والأراضي بحيث كأنه يشاهدها ، وكتب إليه يخبره بأن الفرس قد جرَّدُوا لحربه رُسْتم وأمثاله ، فهم يطلبوننا ونحن نطلبهم ، وأمر الله بعدُ ماضٍ ، وقضاؤه مسلَّم[٦] ، إلى ما قدّر لنا وعلينا ، فنسأل الله خيرَ القضاء وخيرَ القدر في عافية .

وكتب إليه عمر : قد جاءني كتابك وفهمته ، فإذا لقيتَ عدوَّك ومنحكَ الله أدبارهم ، فإنه قد أُلْقيَ في رُوعي أنّكم ستهزمونهم فلا تشكَّنَّ في ذلك ، فإذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابُها إن شاء الله . وجعل عمر يدعو لسعدٍ خاصةً وله وللمسلمين عامةً .

---

(١) في أ : ولا يهولنكم .
(٢) في ط : وأحسنتم ، وما هنا عن الطبري .
(٣) في أ : الإنابة .
(٤) في أ : عليهم ، وفي تاريخ الطبري : عليها .
(٥) في أ : ولا تذل لشيء . وما هنا موافق للطبري .
(٦) في أ : مسلم لنا إلى .

ولما بلغ سعد العُذَيْب[١] اعترضَ للمسلمين جيشٌ للفرس مع شيرزاذ بن آزاذويه[٢] ، فغنموا مما معه شيئاً كثيراً ووقع منهم موقعاً كبيراً ، فَخَمَّسَها سعد وقسمَ أربعةَ أخماسها في الناس واستبشر الناسُ بذلك وفرحوا ، وتفاءلوا ، وأفرد سعد سرية تكون حياطة لمن معهم من الحريم ، على هذه السرية غالب بن عبد الله الليثي .

[فصل في] غَزْوة القادسيَّة

ثم سار سعدٌ فنزلَ القادسيةَ ، وبثَّ سراياه ، وأقامَ بها شهراً لم ير أحداً من الفرس ، فكتب إلى عمر بذلك ، والسرايا تأتي بالمِيرة . من كلِّ مكانٍ ، فعجَّت رعايا الفُرْس من أطراف بلادهم إلى يَزْدَجِردَ من الذين يلقون (من المسلمين) من النهب والسبي . وقالوا : إن لم تنجدونا وإلا أعطينا (ما) بأيدينا وسلَّمنا إليهم الحصون . واجتمع رأي الفرس على إرسال رُسْتم إليهم ، فبعث إليه يَزْدَجرْدَ فأمَّره على الجيش فاستعفى رستم من ذلك ، وقال : إن هذا ليس برأي في الحرب ، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشدّ على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيفاً مرة واحدة . فأبى الملك إلا ذلك . فتجهز رستم للخروج[٣] . ثم بعث سعد كاشفاً إلى الحيرة (وإلى صلوبا) فأتاه الخبر بأن الملكَ قد أمَّر على الحرب رُسْتم بن الفرخزاذ الأرمني ، وأمدَّه بالعساكر . فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر : لا يكربنك ما يأتيك[٤] عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأي والجَلَد يدعونه ، فإن الله جاعلٌ دعاءهم توهيناً لهم وفَلْجاً[٥] عليهم ، واكتب إليّ في كل يوم . ولما اقترب رُسْتم بجيوشه وعسكر بساباط[٦] كتب سعد إلى عمر يقول : إن رستم قد عسكر بساباط وجرَّ الخيول والفيول وزحف علينا بها ، وليس شيء أهمَّ عندي ، ولا أكثر ذكراً مني لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة[٧] والتَّوكُّل . وعبأ رستم فجعل على المقدمة وهي أربعون ألفاً الجالنوس ، وعلى الميمنة الهرمزان ، وعلى الميسرة مهران بن بهرام وذلك ستون ألفاً ، وعلى الساقة البندران في عشرين ألفاً ، فالجيش كله ثمانون ألفاً فيما ذكره سيف[٨] وغيره .

---

(١) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة . . وكانت مسلحة للفرس . معجم البلدان (٤/ ٩٢) .
(٢) في ط : ارادويه . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٤٩٢) : آزاذ .
(٣) في أ : فعزم رستم على الخروج .
(٤) في أ : ما بلغك .
(٥) في أ : وملجأ . والفلج : الظَّفرُ والفَوْزُ . اللسان (فلج) .
(٦) ساباط ، يقال ساباط كسرى : بالمدائن موضع معروف . معجم البلدان (٣/ ١٦٦) .
(٧) في أ : الاستغاثة .
(٨) تاريخ الطبري (٣/ ٥٠٥) .

وفي رواية كان رستم في مئة ألف وعشرين ألفاً ، يتبعها ثمانون ألفاً ، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً منها فيل أبيض كان لسابور ، فهو أعظمها وأقدمها ، وكانت الفيلة تألفه . ثم بعث سعدٌ جماعةً من السادات منهم النعمان بن مُقرِّن ، وفُرات بن حَيَّان ، وحَنْظلة بن الربيع التميمي ، وعطارد بن حاجب ، والأشعث بن قيس ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معديكرب ، يدعون رستم إلى الله عزَّ وجلَّ . فقال لهم رستم : ما أقدمكم ؟ فقالوا : جئنا لموعود الله إيانا ، أخذ بلادكم وسبي نسائكم (وأبنائكم) وأخذ أموالكم ، فنحن على يقين من ذلك ، وقد رأى رستم في منامه كأنَّ ملكاً نزل من السماء فختم على سلاح الفرس كله ودفعه إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله ﷺ إلى عمر .

وذكر سيف بن عمر[١] أنَّ رستم طاول سعداً في اللقاء حتى كان بين خروجه من المدائن وملتقاه سعداً بالقادسية أربعة أشهر ، كل ذلك لعله يضجر سعداً ومن معه[٢] ليرجعوا ، ولولا أن الملك استعجله ما التقاه ، لما يعلم من غلبة المسلمين لهم ونصرهم عليهم ، لما رأى في منامه ، ولما يتوسَّمه ، ولما سمع منهم ، ولما عنده من علم النجوم الذي يعتقد صحته في نفسه لما له من الممارسة لهذا الفن .

ولما دنا جيش رستم من سعد أحبَّ سعدٌ أن يطَّلعَ على أخبارهم على الجلية ، فبعثَ سرية لتأتيه برجلٍ من الفرس وكان في السرية طُلَيْحة الأسدي الذي كان ادَّعى النبوةَ ثم تاب . وتقدَّمَ الحارثُ مع أصحابه حتى رجعوا . فلما بعث سعدٌ السريةَ اخترقَ طُلَيْحةُ الجيوشَ والصفوفَ ، وتَخطَّى الألوفَ ، وقتل جماعة من الأبطال حتّى أسرَ أحدَهم وجاء به لا يملكُ من نفسه شيئاً ، فسأله سعدٌ عن القوم فجعل يصف شجاعةَ طليحة ، فقال : دَعْنا من هذا وأخبرنا عن رستم ، فقال : هو في مئة ألف وعشرين ألفاً ، ويتبعها مثلها . وأسلم الرجل من فوره رحمه الله .

[رستم والمغيرة بن شعبة]

قال سيف[٣] عن شيوخه : ولما تواجه الجيشان بعث رستم إلى [سعد] أن يبعثَ إليه برجلٍ عاقلٍ عالمٍ بما أسأله عنه . فبعث إليه المغيرةَ بن شعبة رضي الله عنه . فلما قدم عليه جعل رستم يقول له : إنكم جيراننا وكنا نُحسن[٤] إليكم ونكفُّ الأذى عنكم ، فارجعوا إلى بلادكم ، ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا . فقال له المغيرة : إنّا ليس طلبنا الدنيا ، وإنما همنا[٥] وطلبنا الآخرة ، وقد بعث الله إلينا رسولاً قال له : إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدنْ بديني (فأنا) منتقم بهم ، منهم ، وأجعل لهم

---

(١) نفس المصدر (٣/ ٥٠٩) .
(٢) في أ : ومن تبعه .
(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) .
(٤) في أ : ونحن محسنون .
(٥) في أ : وإنما جئنا .

الغلبةَ ما داموا مُقِرِّين به ، وهو دين الحق ، لا يرغبُ عنه أحدٌ إلا ذلَّ ، ولا يعتصم به إلا عزَّ . فقال له رستم : فما هو ؟ فقال : أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله ، فقال ما أحسن هذا ؟! وأي شيء أيضاً . قال وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله . قال : وحسن أيضاً ، وأي شيء أيضاً ؟ قال : والناس بنو آدم ، فهم إخوة لأب وأم ، قال : وحسن أيضاً . ثم قال رستم : أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا ؟ قال : إي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة . قال: وحسن أيضاً . (قال) : ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام فأَنِفُوا ذلك وأَبَوْا أن يدخلوا فيه ، قبَّحهم الله وأخزاهم، وقد فعل .

[رستم وربعي بن عامر]

قالوا[١] : ثم بعث إليه سعد رسولاً آخر بطلبه وهو رِبْعي بن عامر ، فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسَهُ بالنمارق المذهَّبة[٢] والزرابي الحرير[٣] ، وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة . وقد جلس على سرير من ذهب . ودخل رِبْعي بثياب صفيقة[٤] وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه . فقالوا له : ضع سلاحك . فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا وإلَّا رجعت . فقال رستم : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قَبِلَ ذلك (قبلنا) منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود[٥] الله . قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنةُ لمن ماتَ على قتال منْ أبى ، والظفرُ لمن بقي . فقال رستم : قد سمعتُ مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظرَ فيه وتنظروا ؟ قال : نعم ! كم أحبُّ إليكم ؟ يوماً أو يومين ؟ قال : لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال : ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخِّر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فٱنظر في أمرك وأمرهم وٱختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال: أسيدهم أنت ؟ قال ! لا: ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم . فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قطّ أعزَّ وأرجحَ من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا: معاذَ الله أن تميل إلى شيء من هذا ، وتدعَ دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ، فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب،

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٣/٥١٨ ـ ٥١٩) .
(٢) النمارق : الوسائد . اللسان (نمرق) .
(٣) الزرابي : البسط ، وقيل كل ما بسط واتكىء عليه . وقيل هي الطنافس وقيل هي النمارق . اللسان (نمرق) .
(٤) في أ : ضعيفة . والصفيقة : السخيفة الرثّة .
(٥) في أ : موعد .

وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة . إن العربَ يستخفّون بالثياب والمأكل ، ويصونون الأحساب .

ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلاً فبعث إليهم حذيفة بن محصن فتكلم نحو ما قال ربعي .

وفي اليوم الثالث المغيرة بن شعبة فتكلم بكلام حسن طويل . قال فيه رستم للمغيرة : إنما مَثَلُكم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل . فقال منْ يوصلني إليه وله درهمان ؟ فلما سقط عليه غرق فيه ، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده ، وجعل يقول منْ يُخلِّصني وله أربعة دراهم ؟ ومَثَلُكم كمثل ثعلب ضعيفٍ دخل جحراً في كَرْم ، فلما رآه صاحب الكَرْم ضعيفاً رحمه فتركه ، فلما سمنَ أفسدَ شيئاً كثيراً فجاء بجيشه ، واستعانَ عليه بغلمانه فذهبَ ليخرجَ فلم يستطع لسمنه فضربه حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا . ثم استشاط غضباً وأقسم بالشمس لأقتلنكم غداً (فقال المغيرة : ستعلم . ثم قال رستم للمغيرة : قد أمرتُ لكم بكسوةٍ ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا . فقال المغيرة : أبعد أن أوهنَّا ملككم وضعضعنا[١] عزّكم ، ولنا مدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يدٍ وأنتم صاغرون ، وستصيرون لنا عبيداً على رغمكم ؟! فلما قال ذلك استشاط غضباً) .

وقال ابن جرير[٢]: حدَّثني محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي ، حدَّثنا أمية بن خالد ، حدَّثنا أبو عوانة ، عن حُصَين بن عبد الرحمن . قال قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسية ومعه الناس قال : لا أدري لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف (أو ثمانية آلاف) بين ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفاً ، أو نحو ذلك ، فقالوا : لا يَدَ لَكُمْ ولا قوةَ ولا سلاح ، ما جاء بكم ؟ ارجعوا . قال : قلنا ما نحن براجعين ، ، فكانوا يضحكون من نَبْلِنا[٣] ويقولون دوك دوك ويشبِّهونها بالمغازل . فلما أبينا عليهم أن نرجع قالوا : ابعثوا إلينا رجلاً من عقلائكم يبين لنا ما جاء بكم . فقال المغيرة بن شعبة : أنا ، فعبر إليهم فقعد مع رستم على السرير ، فنخروا[٤] وصاحوا ، فقال : إنَّ هذا لم يزدني رفعةً ولم يُنْقص صاحبكم . فقال رستم : صدق ، ما جاء بكم ؟ فقال : إنّا كنّا قوماً في شرٍّ وضلالةٍ ، فبعث الله إلينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه ، فكان فيما رزقنا حبةٌ تنبتُ في هذا البلد فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبرَ لنا عنها ، أنزلونا هذه الأرضَ حتى نأكلَ من هذه الحبة . فقال رستم إذاً نقتلكم . قال إن قتلتمونا دخلنا الجنة ، وإن قتلناكم دخلتم النار ، وأدّيتم الجزية (قال : فلما قال : وأديتم الجزية) نخزوا[٥] وصاحوا وقالوا : لا صلحَ بيننا وبينكم . فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم ؟ فقال رستم : بل نعبر إليكم ، فاستأخر المسلمون حتى عبروا ، فحملوا عليهم فهزموهم .

---

(١) في ط : وضعفنا .

(٢) تاريخه (٣/٤٩٦) .

(٣) في أ : قلتنا .

(٤) نَخَرَ ـ يَنْخِر ويَنْخُر ـ نخيراً : مدّ الصوت والنَّفَس في خياشيمه . اللسان (نخر) .

(٥) نخزوا : كنخروا .

وذكر سيف[١] : أن سعداً كان به عِرْق النَّسا يومئذ ، وأنَّه خطبَ الناسَ وتلا قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ، وصلّى بالناس الظهر ثم كبَّر أربعاً ، وحملوا بعد أن أمرهم أن يقولوا[٢] : لا حول ولا قوة إلا بالله ، في طردهم إياهم ، وقتلهم لهم . وقعودهم لهم كل مرصد ، وحصرهم لبعضهم في بعض الأماكن حتى أكلوا الكلاب والسنانير . وما رد شاردهم حتى وصل إلى نهاوند ، ولجأ أكثرهم إلى المدائن ، ولحقهم المسلمون إلى أبوابها .

وكان سعد قد بعث طائفةً من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم ، وخرجَ أهلُ البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم ، والنعال في أرجلهم ، وخيولهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بأرجلها . وجعلوا يتعجبون منها[٣] غاية العجب كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشَهم مع كثرة عددها وعُددها .

ولما استأذنوا على الملك يَزْدجردَ أذن لهم وأجلسهم بين يديه ، وكان متكبِّراً قليل الأدب ، ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها ؟ عن الأردية ، والنعال ، والسياط ، ثم كلما قالوا له شيئاً من ذلك تفاءل ، فردَّ الله فأله على رأسه . ثم قال لهم : ما الذي أقدمكم هذه البلاد ؟ أظننتم أنا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا ؟ . فقال له النعمان بن مُقرِّن : إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلُّنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلَّا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواصّ ، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينهد إلى منْ خالفه من العرب ويبدأ بهم ، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكروه عليه فاغتبط ، وطائع[٤] إياه فازداد . فعرفنا جميعاً فضلَ ما جاء به على الذي كنّا عليه من العداوة والضيق ، وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الإسلام حَسَّن[٥] الحسنَ وقبَّح القَبيح كله ، فإن أبيتم فأمرٌ من الشرِّ هو أهونُ من آخر شرٍّ منه الجزيةُ ، فإن أبيتم فالمناجزة ، وإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وإن أتيتمونا بالجزية[٦] قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم .

قال : فتكلم يَزْدَجرد فقال : إني لا أعلم في الأرض أمةً كانت أشقى ولا أقلَّ عدداً ولا أسوأ ذات بينٍ منكم ، قد كنّا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم ، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم . فإن

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٥٣١) .
(٢) في أ : وحملوا بعدها وهم يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله .
(٣) في أ : منهم .
(٤) في أ : وطامع ؛ وهو تحريف .
(٥) في أ : فحسَّن .
(٦) في أ : وإن أبقيتمونا فالجزية .

كان عددكم كَثُرَ فلا يغرَّنكم منا ، وإن كان الجهْدُ دعاكم فرضنا لكم قوتاً (إلى) خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملَّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم . فأسكت القوم .

فقام المغيرة بن شعبة فقال : أيها الملك إن هؤلاء رؤوسُ العرب ووجوهُهم ، (وهم) أشراف[١] يستحيون من الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا له جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه[٢] ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ، فجاوبني فأكون (أنا) الذي أبلغك ويشهدون على ذلك . إنك قد وصفتنا صفةً لم تكن بها عالماً ، فأما ما ذكرت من سوء الحال ، فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا ، فلم يكن يشبه[٣] الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، وأن يبغي[٤] بعضنا على بعض ، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه ، وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرتُ لك وفي المعاد على ما ذكرتُ لك ، فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبَه ونعرفُ وجهَه ومولدَه ، فأرضه[٥] خير أرضنا ، وحَسَبُه خيرُ أحسابنا ، وبيتُه خيرُ بيوتنا ، وقبيلتُه خيرُ قبائلنا ، وهو نفسه كان خيرَنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا ، فدعانا إلى أمرٍ فلم يجبْه أحدٌ . أول تربٍ كانَ له الخليفة من بعده ، فقال وقلنا ، وصدق وكذَّبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً إلا كان ، فقذف الله في قلوبنا التصديقَ له واتّباعه ، فصار فيما بيننا وبين ربّ العالمين . فما قالَ لنا فهو قولُ الله ، وما أمرنا فهو أمرُ الله ، فقال لنا : إنَّ ربَّكم يقول : [إني] أنا اللهُ وحدي لا شريكَ لي ، كنتُ إذ لم يكن شيءٌ ، وكلُّ شيءٍ هالك إلا وجهي ، وأنا خلقتُ كلَّ شيءٍ ، وإليَّ يصيرُ كلُّ شيءٍ ، وإنَّ رحمتي أدركَتْكُم فبعثتُ إليكم هذا الرجلَ لأدلَّكم على السبيل التي أنجيكم بها بعد الموت من عذابي ، ولأحلَّكُمْ داري ، دارَ السلام . فنشهد عليه أنه جاءَ بالحق من عند الحق . وقال : منْ تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومنْ أَبى فاعْرِضُوا عليه الجزيةَ ، ثم امنعوه ممّا تمنعون منه أنفسَكم ، ومنْ أبى فقاتلوه فأنا الحكمُ بينكم ، فمنْ قُتل منكم أدخلته جنَّتي ، ومنْ بقيَ منكم أعقبته النصر على منْ ناوأه . فاخْتَرْ إنْ شئتَ الجزيةَ وأنت صاغرٌ ، وإن شئت فالسيفُ ، أو تُسْلم فتُنْجي نفسَكَ .

فقال يَزْدَجِرْدُ : استقبلتني بمثل هذا ؟ فقال : ما استقبلت إلَّا منْ كلَّمني ، ولو كلَّمني غيرُك لم أستقبلك به . فقال : لولا أن الرسل لا تُقْتَلُ لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي . وقال : ائتوني بوقْرٍ من تُرابٍ

---

(١) في أ : والأشراف .
(٢) في أ : عنه .
(٣) في أ : شبه .
(٤) في أ : يغير .
(٥) في أ : وارضه .

فاحملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات[١] المدائن . ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسلٌ إليه رستم حتى يدفنه[٢] وجنده في خندق القادسية وينكِّل به وبكم من بعد ، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدّ مما نالكم من سابور .

ثم قال : من أشرفُكم ؟ فسكتَ القوم ، فقال عاصم بن عمرو وافْتَأَتَ[٣] ليأخذ التراب : أنا أشرفهم ، أنا سيدُ هؤلاء فحمّلنيه ، فقال : أكذلك ؟ قالوا : نعم . فحمله على عنقه ، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها ، ثم انجذب في السير فأتوا[٤] به سعداً وسبقهم عاصم فمر بباب قُدَيْس[٥] فطواه فقال[٦] بَشِّروا الأمير بالظفر ، ظفرنا إن شاء الله (تعالى ، ثم مضى حتى جعل التراب في الحِجْر ، ثم رجع فدخل على سعد ، فأخبره الخبر . فقال : أبشروا) فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم .

وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم . ثم لم يزل أمر الصحابة يزداد في كلّ يومٍ عُلوّاً وشَرَفاً ورفعةً ، وينحطّ أمرُ الفرس سُفلاً وذُلّاً ووهناً . ولما رجعَ رستم إلى الملك يسأله[٧] عن حالٍ من رأى من المسلمين ؟ فذكر (له) عقلهم وفصاحتهم وحدَّةَ جوابهم ، وأنهم يرومون أمراً يوشك أن يدركوه . وذكر ما أمر به أشرفهم من حمل التراب وأنه استحمق أشرفهم في حمله التراب على رأسه ، ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أشعر . فقال له رستم : إنه ليس أحمق ، وليس هو بأشرفهم ، إنما أراد أن يفتدي قومه بنفسه ، ولكن والله ذهبوا بمفاتيح أرضنا . وكان رستم مُنجِّماً ، ثم أرسل رجلاً وراءهم وقال : إن أدرك التراب فردَّه تداركنا أمرنا ، وإن ذهبوا به إلى أميرهم غلبونا على أرضنا .

قال : فساق وراءهم فلم يدركهم بل سبقوه إلى سعد بالتراب . وساء ذلك فارس وغضبوا من ذلك أشدَّ الغضب واستهجنوا رأي الملك .

فصل

كانت وقعةُ القادسية وقعةً عظيمة لم يكن بالعراق أعجبَ منها ، وذلك أنه لما تواجه الصفَّان كان سعد رضي الله عنه قد أصابه عِرْقُ النَّسا ، ودمامل في جسده ، فهو لا يستطيع الركوب ، وإنما هو في قصر متكىء على (صدره فوق) وسادة وهو ينظر إلى الجيش ويدبّر أمره ، وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن

---

(١) في تاريخ الطبري : باب .
(٢) في تاريخ الطبري : حتى يدفنكم ويدفنه .
(٣) افتأت : اختلق . اللسان (فأت) .
(٤) في ط : ليأتوا .
(٥) قُدَيْس : موضع بناحية القادسية نزله سعد لما قدم القادسية بينما نزل زُهرة حيال قنطرة العتيق وموضع القادسية اليوم . معجم البلدان (٤/ ٣١٤) .
(٦) في ط : وقال .
(٧) في أ : سأله .

عُرْفُطة ، وجعل على الميمنة جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح ، وكان قيس والمغيرة بن شعبة قد قدما على سعد مدداً من عند أبي عبيدة من الشام بعدما شهدا وقعة اليرموك .

وزعم ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف ، وأن رستماً[١] كان في ستين ألفاً ، فصلَّى سعدٌ بالناس الظهر ، ثم خطب الناسَ فوعظهم وحثهم وتلا قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] وقرأ القُرّاءُ آياتِ الجهاد وسُوَرَهُ ، ثم كبَّر سعدٌ أربعاً ، ثم حملوا بعد الرابعة ، فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا ، وقد قتل من الفريقين بشرٌ كثيرٌ ، ثم أصبحوا إلى مواقفهم فاقتتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم ، ثم أصبحوا (كما أمسوا) على[٢] مواقفهم ، فاقتتلوا حتى أمسوا ، ثم اقتتلوا في اليوم الثالث كذلك ، وأمست هذه الليلة تسمى ليلة الهَرير ، فلما أصبح اليومُ الرابعُ اقتتلوا قتالاً شديداً وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمراً بليغاً ، وقد أباد الصحابة الفيلةَ ومنْ عليها ، وقلعوا عيونها ، وأبلى جماعةٌ من الشجعان في هذه الأيام مثل طُلَيْحة الأسدي، وعمرو بن مَعْديكرب، والقَعْقاع بن عمرو، وجَرير بن عبد الله البَجَلي، وضِرار بن الخَطّاب ، وخالد بن عرفطة ، وأشكالهم وأضرابهم ، فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم ويسمى يوم القادسية ، وكان يوم الإثنين من المحرم سنة أربعَ عشرةَ كما قاله سيف بن عمر التميمي ، هبت ريحٌ شديدةٌ فرفعت[٣] خيامَ الفرس عن أماكنها وألقتْ سريرَ رستم الذي هو منصوب له ، فبادر فركب بغلته وهرب، فأدركه المسلمون فقتلوه وقتلوا الجالينوس مقدمَ الطلائع القادسية، وانهزمت الفرسُ ، ولله الحمد والمنة عن بكرة أبيهم ، ولحقهم المسلمون في أقفائهم فقُتل يومئذ المُسلْسَلون بكمالهم وكانوا ثلاثين ألفاً، وقتل في المعركة عشرة آلاف ، وقتلوا قبل ذلك قريباً من ذلك . وقُتل من المسلمين في هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمسمئة رحمهم الله . وساق المسلمون خلفَ المنهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة[٤] الملك وهي المدائن التي فيها الإيوان الكسروي ، وقد أذن لمن ذكرنا عليه ، فكان منهم إليه ما قدمنا .

وقد غنم المسلمون من وقعةِ القادسية هذه من الأموال والسلاح ما لا يُحدُّ ولا يُوصف كثرةً ، فحصلت الغنائمُ بعد صرف الأسلاب وخُمِّستْ وبُعث بالخمس والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد كان عمر رضي الله عنه يستخبرُ عن أمر القادسية كلَّ منْ لقيهُ من الركبان ، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يستنشقُ الخبرَ ، فبينما[٥] (هو ذات) يوم من الأيام إذا هو براكبٍ يلوحُ من بُعْدٍ ، فاستقبلهُ عمرُ فاستخبره ، فقال له : فتحَ الله على المسلمين بالقادسية وغنموا غنائمَ كثيرةً ،

---

(١) كذا في الأصلين .
(٢) في أ : إلى .
(٣) في أ : وهبت ريح شديدة فوقعت .
(٤) في أ : إلى مدينة .
(٥) في أ : فلما .

وجعل يحدّثُه ، وهو لا يعرفُ عمر ، وعمر ماشٍ تحت راحلته ، فلما اقتربا من المدينة جعلَ الناس يُحيُّونَ عمرَ بالإمارة ، فعرفَ الرجلُ عمرَ فقال : يرحمكَ الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتني أنَّكَ الخليفةُ ؟ فقال لا حرجَ عليك يا أخي .

وقد تقدَّم أنَّ سعداً رضي الله عنه كان به قروحٌ وعِرقُ النّسا ، فمنعَهُ من شهودِ القتال ، لكنه جالسٌ في رأس القصر ينظرُ في مصالح الجيش ، وكان مع ذلك لا يُغلقُ عليه بابَ القصر (لشجاعته) ، ولو فرَّ الناسُ لأخذته الفُرسُ قبضاً باليد ، لا يمتنع منهم ، وعنده امرأتُه سلمى بنت خصفة التي كانت قبله عند المُثنَّى بن حارثة ، فلما فَرَّ بعضُ الخيل يومئذٍ فزعتْ وقالت : وامُثنياه ولا مُثَنَّى لي اليوم . فغضبَ سعدٌ من ذلك ولطمَ وجهها ، فقالت : أغيرةً وجبناً ـ يعني أنها تعيِّره بجلوسه في القصر يوم الحرب ـ وهذا عناد منها ، فإنها أعلم الناس بعذره وما هو فيه من المرض المانع[١] من ذلك .

وكان عنده في القصر رجلٌ مسجونٌ على الشراب كان قد حُدَّ فيه مراتٍ متعددةٍ ، يقالُ سبعَ مراتٍ ، فأمر به سعدٌ فَقُيِّدَ وأُودِعَ في القصر ، فلما رأى الخيول تجول حول حمى القصر وكان من الشُّجعان الأبطال قال[٢] : [من الطويل]

كفَى حزناً أنْ تدحمَ الخيلَ بالفتى[٣] وأُتْــرَكَ مَشْــدُوداً عَلــيَّ وِثَــاقيــا
إذا قمتُ غنّاني الحديدُ وغُلّقتْ[٤] مصــاريعُ مـن دونـي تصـمُّ المناديـا
وقــدْ كنـتُ ذا مــالٍ كثيـرٍ وإخــوةٍ وقدْ تركوني مفرداً[٥] لا أخا ليا[٦]

ثم سأل من زَبْراء[٧] أم ولد سعد أن تطلقه وتعيره فرس سعد ، وحلف لها أنه يرجع آخر النهار فيضع رجله في القيد فأطلقته ، وركب فرس سعد وخرج فقاتل قتالاً شديداً ، وجعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها وينكرها[٨] ويشبهه بأبي محجن ولكن يشك لظنه أنه في القصر موثق ، فلما كان آخر النهار رجع فوضع رجله في قيدها ونزل سعد فوجد فرسه يعرق فقال : ما هذا ؟ فذكروا له قصة أبي محجن فرضي عنه وأطلقه رضي الله عنهما .

---

(١) في أ : المتتابع .
(٢) في أ : فقال . والأبيات كما هنا عدداً ورواية في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٥) ، وهي أربعة فيه (٣/ ٥٤٨) وسبعة في الأغاني (١٩/ ٥) وهي عشرة في منح المدح ص(٢٨٩ ـ ٢٩١) .
(٣) في تاريخ الطبري والأغاني : أن تردي الخيل بالقنا . وفي منح المدح : أن تلتقي البيض بالقنا .
(٤) في أ : وأطلقت ؛ ولا معنى لها . وفي تاريخ الطبري والمنح : وأغلقت .
(٥) في تاريخ الطبري والأغاني والمنح : واحداً .
(٦) بعده في الطبري بيت ، وبعده في الأغاني أربعة ، وبعده في المنح : سبعة .
(٧) في تاريخ الطبري (٣/ ٥٤٨) والأغاني (١٩/ ٥) : سلمى بنت أبي حفصة .
(٨) في أ : ثم ينكرها وشبهه . وهي كما هنا في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٥) .

وقد قال رجل من المسلمين في سعد رضي الله عنه[١] : [من الطويل]

نُقاتِلُ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ نَصْرهُ وَسَعْدٌ ببابِ القادِسيَّةِ مُعْصِمُ
فأُبْنا وَقَدْ آمَتْ نساءٌ كَثيرةٌ ونِسْوة سَعْدٍ ليسَ فيهنّ أيّمُ

فيقالُ : إن سعداً نزل إلى الناس فاعتذر إليهم مما فيه من القروح في فخذيه وأليتيه ، فعذره الناسُ . ويذكر أنه دعا على قائل هذين البيتين وقال : اللهم إن كان كاذباً ، أو قال الذي قال رياءً وسمعةً وكذباً فاقطع لسانَهُ ويَدهُ . (فجاءه سهم) وهو واقفٌ بين الصَّفَّين فوقعَ في لسانه فبطل شقه فلم يتكلم حتى مات .

رواه سيف[٢] عن عبد الملك بن عُمَيْر عن قبيصة بن جابر فذكره . وقال سيف عن المقدام بن شريح الحارثي عن أبيه .

قال : قال جرير بن عبد الله البجلي[٣] : [من الرجز]

أنا جريرُ كنيتي[٤] أبو عمرو قدْ فتحَ اللهُ وسعدٌ في القصْر

فأشرف سعد من قصره وقال[٥] : [من الوافر]

وما أرْجو بَجِيْلة غيرَ أنّي أُؤمِّلُ أجْرَها[٦] يَوْمَ الحِساب
وقدْ لقيتْ خيولُهُم خيولاً وَقَدْ وَقَعَ الفوارسُ في الضِّرابِ[٧]
وقد دلفت[٨] بعَرْصَتِهِمْ خُيولٌ[٩] كأنّ زهاءَها إبلُ الجِرابِ[١٠]
فَلَولا[١١] جَمْعُ قَعْقاعِ بن عَمْرو وحمّالٌ للجُوا في الرِّكابِ[١٢]
وَلَوْلا ذاك ألْفَيْتُمْ رعاعاً تسيلُ جُموعُكم مِثْل[١٣] الذُّبابِ

---

(١) البيتان في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٧ و٥٨٠) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ١١٥) برواية مختلفة .
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٥٨٠) .
(٣) البيت في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٧) برواية : قد نصر الله . وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠/ ٣٥٣) ـ طبعة دار الفكر ـ .
(٤) في أ ، ط : وكنيتي . وما هنا عن مصادره وهو الأشبه .
(٥) الأبيات الثلاثة الأولى في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٧) وهي ستة في تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٥٣) ـ طبعة دار الفكر ـ .
(٦) في تاريخ الطبري وتاريخ ابن عساكر : أجرهم .
(٧) في تاريخ الطبري : ضراب .
(٨) في أ : وقد دهمت .
(٩) في تاريخ الطبري : فيول ، وهو جمع فيل .
(١٠) في تاريخ الطبري وتاريخ ابن عساكر : جراب ؛ مما أوقع البيت في الإقواء .
(١١) في تاريخ دمشق : ولو جمع ؛ وهو خطأ عروضي لابد من تصحيحه .
(١٢) في تاريخ دمشق : في الكذاب . وبعده فيه بيت آخر .
(١٣) في تاريخ دمشق : سلَّ الذباب .

وقد روى محمد بن إسحاق[١] ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم البجلي ـ وكان ممن شهد القادسية ـ قال :

كان معنا رجل من ثقيف فلحق بالفُرس مرتدّاً ، فأخبرهم أن بأسَ الناس في الجانب الذي فيه بجيلة . قال : وكُنَّا رُبع الناسِ ، قال : فوجَّهوا إلينا ستةَ عشرَ فيلاً ، وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسكَ الحديد ، ويرشقوننا بالنُّشّاب ، فلكأنه المطر ، وقرنوا[٢] خيولهم بعضها إلى بعض لئلا ينفروا .

قال : وكان عمرو بن مَعْدِيكرب الزُّبَيْدي يَمُرُّ بنا فيقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أُسوداً فإنما الفارسي تيسٌ .

قال : وكان فيهم أسوارٌ لا تكاد تسقطُ له نُشَّابةٌ ، فقلنا له يا أبا ثور اتَّقِ[٣] ذاك الفارسيّ[٤] فإنّه لا تسقطُ له نُشَّابةٌ ، فوجه إليه الفارسيّ ورماه بنشابة[٥] فأصاب ترسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه فاستلبه سوارين من ذهب ، ومِنْطقة من ذهبٍ ، ويَلْمقاً[٦] من ديباجٍ .

قال : وكان المسلمون ستةَ آلافٍ أو سبعةَ آلافٍ ، فَقَتَلَ اللهُ رستماً[٧] ، وكان الذي قتله رجلٌ يقال له هلال بن علقمة[٨] التميمي ، رماه رستم بنُشّابة فأصاب قدمه ، وحمل عليه هلال فقتله واحتزَّ رأسه ، وولت الفرسُ فاتبعهم المسلمون يقتلونهم فأدركوهم في مكانٍ قد نزلوا فيه واطمأنّوا[٩] ، فبينما هم سكارى قد شربوا ولعبوا إذ هجمَ عليهمُ المسلمون فقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وقُتل هنالك الجالينوس ، قتله زهرة بن حَوِيَّة[١٠] التميمي . ثم ساروا خلفهم ، فكلما تواجه الفريقان نصرَ اللهُ حزبَ الرحمن ، وخذلَ حزبَ الشيطان وعَبَدة النيران . واحتاز المسلمون من الأموال ما يعجزُ عن حَصْرِهِ ميزانٌ وقبَّانٌ ، حتى إنَّ منهم من يقول من يقايض[١١] بيضاء بصفراء لكثرةِ ما غنموا من الفرسان . ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفراتَ وراءهم وفتحوا المدائنَ وجلولاءَ على ما سيأتي تفصيلُه في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

---

(١) تاريخ الطبري : (٣/ ٥٧٦) .
(٢) في ط : وقرَّبوا .
(٣) في ط : نق .
(٤) في ط : الفارس .
(٥) في أ : فوجه إليه ورماه الفارسي بنشابة .
(٦) اليلمق : القباء . القاموس (يلمق) .
(٧) كذا في الأصلين ، والذي في الطبري (٣/ ٥٧٦) : فقتل الله رستم وهو الأصح لسياق اللغة .
(٨) في تاريخ الطبري : هلال بن علقة التيمي .
(٩) في أ : واطمأنوا فيه سكارى .
(١٠) الضبط عن تاريخ الطبري (٣/ ٥٦٥) وتوضيح المشتبه (٢/ ٥٠٩) .
(١١) في أ : من يقارص ؛ وهو تحريف .

وقال سيفُ بن عمر[١] : عن سليمان بن بشير ، عن أمّ كثير امرأةِ همام بن الحارث النّخعي قالت : شهدنا القادسيةَ مع سعدٍ مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس ، شدَدْنا علينا ثيابنا وأخذنا الهَراوَى ثم أتينا القتلى ، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، ومن كانَ من المشركين أجهزنا عليه ، ومعنا الصبيانُ فنوليهم ذلك ـ تعني استلابهم ـ لئلا يكشفن عن عوراتِ الرجال .

وقال سيفٌ بأسانيده عن شيوخه قالوا[٢] : وكتب سعد إلى عمر يخبره بالفتح وبعدَّةِ منْ قَتَلوا من المشركين . وبعدَّة منْ قُتل من المسلمين ، وبعث[٣] بالكتاب مع سَعْدِ بن عُمَيْلَةَ[٤] الفزاري وصورته :

أما بعدُ فإنَّ الله نَصرنا على أهل فارس ومنحناهم[٥] سنن منْ كانَ قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتالٍ طويلٍ ، وزَلْزالٍ شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدَّةٍ لم يَرَ الرّاؤُون مثلَ زُهائها ، فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سلبوه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتَّبعهم المسلمون على الأنهار ، وصفوف[٦] الآجام ، وفي الفجاج . وأصيب من المسلمين سعد بن عُبيد القاري وفلان وفلان ، ورجالٌ من المسلمين لا يعلمهم إلا الله ، فإنّه بهم عالمٌ كانوا يُدَوُّون[٧] بالقرآن إذا جنَّ عليهم الليلُ كدويّ النَّحْل ، وهم آسادٌ في النهار لا تشبههم الأسود ، ولم يَفْضل منْ مَضَى منهم منْ بقي إلا بفضل الشهادة إذْ[٨] لم تُكْتبْ لهم .

فيقالُ : إنَّ عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر رضي الله عنهم . ثم قال عمر للناس : إني حريصٌ على أن لا أرى[٩] حاجةً إلا سددتُها ، ما اتسع بعضنا لبعض ، فإذا عجزَ ذلك عنّا تآسينا في عيشنا حتى نَسْتوي في الكَفاف ، ولوددتُ أنّكم علمتمُ من نفسي مثلَ الذي وقع فيها لكم ، ولستُ معلِّمُكم إلا بالعمل ، إنّي واللهِ لستُ بملكٍ فأستعبدكم ، ولكنّي عبدُ الله ، عَرَضَ عليَّ الأمانة فإن أبيتُها ورددتُها عليكم واتَّبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم ، وتَروَوْا سعدتُ بكم ، وإنْ أنا حملتُها واستتبعتكم (إلى بيتي) شقيتُ بكم ، ففرحتُ قليلاً ، وحزنتُ طويلاً ، فبقيتُ لا أُقال ولا أُرَدّ فأستعتب .

وقال سيفٌ عن شيوخه قالوا[١٠] : وكانت العربُ من العُذَيْب إلى عَدَنِ أبين ، يتربَّصون وقعةَ القادسية

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٥٨١) .
(٢) المصدر نفسه (٣/ ٥٨٣) .
(٣) في ط : بعث ؛ بلا واو .
(٤) الضبط عن تاريخ الطبري .
(٥) في بعض النسخ : ومنحهم .
(٦) في تاريخ الطبري : طفوف ، وهي الأشبه ، لأن الطفوف جمع طفّ وهو جانب البرّ وطرفه . اللسان (طفف) .
(٧) الدَّويّ : صوت ليس بالعالي كصوت النحل ونحوه دَوَّىٰ يُدوّي تَدْوية . اللسان (دوا) .
(٨) في أ ، ط : إذا ؛ وما هنا عن الطبري وهو أقرب للصواب .
(٩) في تاريخ الطبري : أن لا أدع ؛ وهو الأشبه .
(١٠) تاريخ الطبري (٣/ ٥٨١ ـ ٥٨٢) .

هذه ، يَرَونَ أنّ ثباتَ مُلْكهم وزوالَه بها ، وقد بعثَ أهلُ كلّ بلدةٍ قاصداً يكشفُ ما يكونُ من خبرهم ، فلما كان ما كان من الفتح سبقتِ الجنُّ بالبشارةِ إلى أقصى البلادِ قبل رُسُلِ الإنس فسمعت امرأة ليلاً بصنعاء على رأس جبل وهي تقول : [من الطويل]

فحُيِّيتِ عنَّا عِكْرم ابْنَة خالدٍ ... وما خيرُ زادٍ بالقَليلِ المُصَرَّدِ[١]
وَحَيّتكِ عنّي الشمسُ عندَ طلوعها ... وحَيّاك عني كلُّ ناجٍ مُفَرَّدِ[٢]
وَحَيَّتْكِ عنّي عُصْبة نَخعيَّةٌ ... حِسانُ الوُجوه آمنوا بمُحمدِ
أقاموا لكسرى يَضْربون جُنودهُ ... بكُلِّ رقيقِ الشَّفْرتينِ مُهنّدِ
إذا ثَوّبَ[٣] الدَّاعي أناخوا بكَلْكلٍ[٤] ... من الموتِ مسودِّ الغياطل أجردِ[٥]

قالوا : وسمع أهلُ اليمامة مُجْتازاً يُغنّي بهذه الأبيات : [من الوافر]

وجدنا الأكثرينَ[٦] بني تَميم ... غداةَ الرَّوعِ أكثرُهم رجالا
هُمُوا ساروا بأرْعَن مُكفهرٍّ ... إلى لَجِبٍ فَزَرّتهم[٧] رعالا
بحورٌ للأكاسرِ من رجالٍ ... كأُسدِ الغابِ تَحْسَبُهم جبالا[٨]
تَرَكْن لهم بقادسَ عزَّ فَخرٍ ... وبالخيفَيْنِ أيّاماً طوالا
مُقَطَّعةً أكُفُّهُمُ وسوقٌ ... بمُرْدٍ[٩] حيث قابلتِ الرجالا[١٠]

قالوا : وسُمع ذلك في سائر بلاد العرب ، وقد كانت بلاد العراق بكمالها التي فتحها خالد نقضت العهود والذمم والمواثيق التي كانوا أعطوها خالداً ، سوى أهل بانِقْيا وباروسما ، وأهل أُلَّيس[١١] الآخرة

(١) التصريد في العطاء : تقليله . وفي الحديث : « لن يدخل الجنة إلا تصريداً » وصرّدَ العطاء : قَلَّلَهُ . اللسان (صرد) .
(٢) البيت في أ ، ط : وحييت . . . وحييت عني كل ناج وما هنا عن الطبري وهو الأشبه .
(٣) ثوّب الداعي : إذا دعا مرة بعد أخرى . اللسان (ثوَّب) .
(٤) الكلكل : الصدر . اللسان (كلل) .
(٥) في تاريخ الطبري : تسود الغياطل مُجْرَدِ . والغياطل جمع غيطل : الظلمة . اللسان (غطل) .
(٦) في ط : الأكرمين .
(٧) في ط : يرونهم . وفي أ : فزرّتهم وعالا .
(٨) في أ : جمالا .
(٩) في تاريخ الطبري : بمرْدى ؛ وكلاهما موضع .
(١٠) في أ : الجبالا .
(١١) سبق التعريف بهذه البلدان في ذكر مسير خالد إلى العراق ، وقد دعاهم خالد إلى الإسلام أو الجزية أو المحاربة ، فاختاروا الجزية وكتب لهم كتاباً في الصلح .

ثم عاد الجميع بعد هذه الوقعة التي أوردناها ، وادَّعَوْا أن الفرس أجبروهم على نقض العهود ، وأخذوا منهم الخَراجَ وغير ذلك . فصدقوهم في ذلك تألفاً[١] لقلوبهم ، وسنذكر حكم أهل[٢] السواد في كتابنا « الأحكام الكبير » إن شاء الله تعالى . (وقد ذهبَ ابنُ إسحاق وغيرُه إلى أنَّ وَقْعَةَ القادسية كانت في سنة خمس عشرة . وزعمَ الواقديُّ أنَّها كانت في سنة ست عشرة . وأما سيفُ بن عمر وجماعةٌ فذكروها في سنة أربع عشرة ، وفيها ذكرها ابن جرير[٣] ، فالله أعلم) .

قال ابن جرير[٤] والواقدي : في سنة أربع عشرة جمع عمرُ بن الخطاب الناسَ على أُبيّ بن كعب في التَّراويح وذلك في شهر رمضان منها ، وكتب إلى سائر الأمصار يأمرهم بالاجتماع في قيام شهر رمضان .

قال ابن جرير[٥] : وفيها (بعث) عمر بن الخطاب عتبةَ بن غزوان إلى البصرة وأمره أن ينزل فيها[٦] بمن معه من المسلمين ، وقطعَ مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني ، وروايته .

قال : وزعم سيف أنَّ البصرةَ إنّما مُصِّرتْ في ربيع من سنة ست عشرة ، وأن عتبة بن غزوان إنما خرجَ إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت ، وجَّههُ إليها سعدٌ بأمرِ عمر رضي الله عنهم .

وقال أبو مخنف[٧] : عن مجالد ، عن الشعبي : إنَّ عمر رضي الله عنه بعثَ عتبةَ بن غزوان إلى أرض البصرة في ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً ، وسار[٨] إليه من الأعراب ما كمل معه خمسمئة ، فنزلها في ربيع الأول سنة أربع عشرة ، والبصرة يومئذ تُدْعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشنة ، وجعل يرتاد لهم منزلاً حتى جاؤوا حيال الجسر الصغير فإذا فيه[٩] حَلْفاء وقَصب نابت ، فنزلوا . فركب إليهم صاحبُ الفرات في أربعة آلاف أسوار[١٠] ، فالتقاه عتبة بعد ما زالت الشمس ، وأمر الصحابة فحملوا عليهم فقتلوا الفُرْسَ عن آخرهم ، وأسروا صاحبَ الفرات ، وقام عتبة خطيباً فقال في خطبته : إن الدنيا قد آذنت بصَرْمٍ[١١] ، وولَّت حَذَّاء[١٢] ، ولم يبق منها

---

(١) في أ : تأليفاً .
(٢) ساقطة من أ .
(٣) في تاريخه (٣/ ٥٩٠) ونقل الأقوال السابقة .
(٤) تاريخ الطبري (٣/ ٥٩٠) نقلاً عن الواقدي .
(٥) في تاريخه (٣/ ٥٩٠) .
(٦) في أ : بها . وفي تاريخ الطبري : وأمره بنزولها .
(٧) نقل هذا الخبر بسنده الطبري في تاريخه (٣/ ٥٩٠ ـ ٥٩١) .
(٨) في أ : وصار .
(٩) في أ : عند خلفا قصب نابت .
(١٠) الأسوار والإسوار : قائد الفرس . اللسان (سور) .
(١١) في اللسان : إن الدنيا قد أدبرت بصرم : أي بانقطاع وانقضاء ـ النهاية واللسان (صرم) .
(١٢) في هامش الطبري : حذّاء : مسرعة ؛ قال في « تاج العروس » : الحذَّاء : السريعة الماضية ومنه قول عتبة بن غزوان في خطبته : إن الدنيا قد آذنت بصرم وولَّت حَذَّاء .

إلا صُبابَةٌ[١] كصبابة الإناءِ ، وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا عما بحضرتكم ، فقد ذُكر لي لو أنَّ صخرةً أُلقيتْ من شَفير جهنم هوتْ سبعين خريفاً ولتملأنَّه ، أو عجبتم ؟ ولقد ذُكر لي أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنّة مسيرةَ أربعين عاماً ، وليأتينَّ عليه يومٌ وهو كظيظ من الزّحام ، ولقد رأيتُني وأنا سابعُ سبعةٍ ، وأنا مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق السَّمُر[٢] ، حتى تقرَّحتْ[٣] أشداقُنا ، والتقطتُ بُردةً فشققتها بيني وبين سعد ، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا هو أمير على مِصْر من الأمصارِ ، وسيُجَرِّبون الناسَ بعدنا . وهذا الحديث في صحيح مسلم[٤] بنحو من هذا السياق .

وروى علي بن محمد المدائني : أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة[٥] : يا عُتبة إنّي استعملتك على أرضِ الهندِ وهي حَوْمة[٦] من حومةِ العدوّ ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، وأن يُعينكَ عليها ، وقد كتبت إلى العَلاء بن الحضْرمي يمدّكَ بعَرْفجة بن هرثمة . فإذا قدم عليك فاستشره وقرِّبه ، وادعُ إلى الله ، فمنْ أجابَكَ فاقبلْ منه ، ومنْ أبى فالجزية عن صَغارٍ وذلَّةٍ ، وإلا فالسيفُ في غيرهوادة ، واتّقِ اللهَ فيما وُلِّيت ، وإياكَ أن تنازعَكَ نفسُك إلى كِبْرٍ فتفسد عليك آخرتك[٧] ، وقد صحبتَ رسول الله ﷺ فعززتَ بعد الذلّة ، وقويتَ بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مُسلَّطاً ، وملكاً مُطاعاً ، تقول فيُسمع منك ، وتأمر فيُطاع أمرك ، فيا لها نعمة إذا لم ترق فوق قدرك ، وتبطر على من دونك ، احتفظ من النعمة احتفاظَكَ من المَعْصية ، وهي أخوفُهما عندي عليك أن يستدرجك[٨] ويخدعك فتسقط سقطةً تصير[٩] بها إلى جهنم ، أعيذك بالله ونفسي من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأردِ الله ولا تردِ الدنيا ، واتّق مصارع الظالمين .

وقد فتح عتبة الأُبُلَّة في رجب أو شعبان من هذه السنة . ولما ماتَ عتبةُ بن غزوان في هذه السنة استعمل عمرُ على البصرة المغيرةَ بن شعبة سنتين ، فلما رُمي بما رُمي به عزلَه وولَّى عليها أبا موسى الأشعري رضي الله عنهم .

وفي هذه السنة ضرب عمرُ بن الخطاب ابنهُ عُبَيْدَ الله في الشراب (هو وجماعة معه .

---

(١) الصُّبَّةُ والصُّبابة ـ بالضم ـ بقية الماء واللبن وغيرهما تبقى في الإناء والسقاء . اللسان (صبب) .

(٢) السَّمرة من شجر الطلح ، والجمع سَمُرٌ وسَمُرات وأسمر ، وقيل : ضرب من العضاه ، وقيل : من الشجر صغار الورق قصار الشوك . اللسان (سمر) .

(٣) تقرَّحت : أي تجرّحت من أكل ذلك الورق . اللسان (قرح) .

(٤) صحيح مسلم (٢٩٦٧) (١٤) في الزهد والرقائق .

(٥) كتاب عمر هذا في تاريخ الطبري (٣/ ٥٩٣) ،

(٦) حومة كل شيء : معظمه . اللسان (حوم) .

(٧) في تاريخ الطبري : إخوتك ؛ تحريف لا بد من تصحيحه .

(٨) في تاريخ الطبري (٣/ ٥٩٤) : تستدرجك وتخدعك .

(٩) في ط : فتصير . وما هنا عن الطبري .

وفيها ضرب أبا محجن الثقفي في الشراب) أيضاً سبع مرات ، وضربَ معه (ربيعة) بن أمية بن خلف .

وفيها نزل سعد بن أبي وقاص بالكوفة .

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب .

قال : وكان بمكة عتاب بن أسيد ، وبالشام أبو عبيدة ، وبالبحرين عثمان بن أبي العاص ـ وقيل : العلاء بن الحضرمي ـ وعلى العراق سعد ، وعلى عُمان حُذَيْفة بن مِحْصَن .

ذكرُ منْ تُوفّي في هذا العام من المشاهير [والأعيان]

ففيها توفي :

سعدُ[١] بن عبادة في قولٍ ، والصحيح في التي قبلها ، والله أعلم .

عتبة[٢] بن غزوان بن جابر بن أهيب المازني ، حليف بني عبد شمس صحابي بدري ، وأسلم قديماً بعد سنة وهاجر إلى أرض الحبشة ، وهو أول من اختطَّ البصرة عن أمر عمر في إمرته له على ذلك كما تقدم ، وله فضائل ومآثر ، وتوفي سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، وقيل سنة عشرين ، فالله أعلم[٣] . وقد جاوزَ الخمسين ، وقيل : بلغَ ستّين سنةً رضي الله عنه .

عمرو[٤] بن أمّ مكتوم الأعْمى ، ويقال اسمه عبد الله ، صحابي مهاجري ، هاجر بعد مُصعب بن عُمَيْر ، قَبْلَ النبي ﷺ ، فكَان يُقْرىء الناسَ القرآنَ ، وقد استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة غيرَ مرةٍ ، فيقال : ثلاث عشرة مرة ، وشهد القادسيَّة مع سعد زمنَ عمر ، فيقال : إنه قُتل بها شهيداً ويقال : إنه[٥] رجع إلى المدينة وتوفي بها ، والله أعلم .

---

(١) ترجمة ـ سعد بن عبادة ـ في الاستيعاب (٥٩٤) وجامع الأصول (١٤/١٦٨) وأسد الغابة (٢/٣٥٦ ـ ٣٥٨) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٩٢ ـ ١١٣) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٣٥ ـ ٢٧٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧٩) والإصابة (٢/ ٣٠) وشذرات الذهب (١/ ١٦٢) وتهذيب تاريخ دمشق لبدران (٦/ ٨٦ ـ ٩٣) .

(٢) ترجمة ـ عتبة بن غزوان ـ في الاستيعاب (١٠٢٦) وجامع الأصول (١٤/ ٥١٠ ـ ٥١١) وأسد الغابة (٣/ ٥٦٥ ـ ٥٦٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦) والإصابة (٢/ ٤٥٥) .

(٣) في أ : والله .

(٤) ترجمة ـ عمرو بن أم مكتوم ـ في الاستيعاب (١١٩٨) وجامع الأصول (١٤/ ٥٦١ ـ ٥٦٢) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٦٠ ـ ٣٨٤) . وأسد الغابة (٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) والإصابة (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) .

(٥) في أ : بل .

المثنى[١] بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مُرَّة بن ذُهْل بن شيبان الشيباني ، نائب خالد على العراق ، وهو الذي صارت إليه الإمرةُ بعد أبي عُبَيْد يومَ الجسر ، فدارى بالمسلمين حتى خلَّصَهم من الفُرْس يومئذ ، وكان أحد الفرسان الأبطال ، وهو الذي ركبَ إلى الصدّيق فحرضه[٢] على غزو العراق ، ولما تُوفي تزوّج سعدُ بن أبي وقاص بامرأته سلمى بنت حفص رضي الله عنهما وأرضاهما . وقد ذكره ابن الأثير في كتابه « الغابة[٣] في أسماء الصحابة[٤] » .

أبو زيد الأنصاري النَّجّاري[٥] أحدُ القُرّاء الأربعة الذين حفظوا القرآن من الأنصار في عهد رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك في حديث أنس بن مالك ، وهم معاذ بن جبل ، وأُبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال أنس أحد عمومتي . قال الكلبي واسم أبي زيد هذا : قيس بن السَّكن بن قَيس بن زَعُوراء بن (حَرَام[٦] بن) جُنْدب بن غَنْم[٧] بن عَديّ بن النَّجّار شهد بدراً . قال موسى بن عقبة : واستُشهد يومَ جسرِ أبي عُبَيْد وهي عنده في سنة أربع عشرة ، وقال بعض النّاس : أبو زيد الذي يجمع القرآن سعد بن عُبَيْد ، وردّوا هذا برواية قتادة عن أنس بن مالك .

قال : افتخرتِ الأوسُ والخزرجُ ، فقالت الأوسُ : منّا غسيلُ الملائكة حنظلةُ بن أبي عامر ، ومنَّا الذي حمته الدَّبْر[٨] عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح[٩] ، ومنَّا الذي اهتزَّ له عرشُ الرحمن سعد بن معاذ ، ومنَّا الذي جعلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت .

فقالت الخزرجُ : منَّا أربعةٌ جمعوا القرآن (على عهد رسول الله ﷺ) أبيٌّ ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ ، وأبو زيد رضي الله عنهم أجمعين .

أبو عُبَيْد بن مسعود[١٠] بن عمرو الثقفي والد المختار بن أبي عُبَيْد أمير العراق ، ووالد صَفيّة امرأة عبد الله بن عمر .

---

(١) ترجمة ـ المثنى بن حارثة ـ في الاستيعاب (١٤٥٦ ـ ١٤٥٧) وأسد الغابة (٥/ ٥٩ ـ ٦٠) والإصابة (٣/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) .
(٢) في أ : يحرضه .
(٣) كذا في أ ، ط : واسم الكتاب في كل طبعاته : أسد الغابة في معرفة الصحابة .
(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة (٥/ ٥٩ ـ ٦٠) .
(٥) ترجمة ـ أبي زيد الأنصاري ـ في الاستيعاب (١٢٩٣) وجامع الأصول (١٤/ ١٧١ ـ ١٧٢) وأسد الغابة (٤/ ٤٢٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٣٥) والإصابة (٣/ ٢٥٠) وفي اسمه خلاف .
(٦) في ط : حزم ؛ وهو تحريف والتصحيح من مصادره ، وضبط اللفظة في جامع الأصول بقوله : حرام : ضد حلال .
(٧) في أ : تميم ؛ تحريف .
(٨) قال ابن الأثير : الدَّبْر ـ بسكون الباء ـ النحل ، وهي الزنابير . النهاية (٢/ ٩٩) .
(٩) في أ ، ط : الأقلح ؛ تحريف . وقد ضبطه ابن الأثير بالحرف في جامع الأصول (١٤/ ٤١٩) .
(١٠) ترجمة ـ أبي عبيد الثقفي ـ في الاستيعاب (١٧٠٩ ـ ١٧١٠) .

أسلم أبو عبيد(١) في حياة النبي ﷺ وذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر في الصحابة .

قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي(٢) : ولا يبعد أن يكون له رؤية(٣) ، والله أعلم .

أبو قُحافة والدُ الصدِّيق(٤) واسم أبي بكر الصدِّيق عبد الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو(٥) بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب ، أسلم أبو قحافة عامَ الفتح فجاء به الصدِّيقُ يقودُه إلى النبي ﷺ فقال : « هلا أقررتم الشيخَ في بيته حتى كُنّا نحن نأتيه » تكرمةً لأبي بكر رضي الله عنه ، فقال : بل هو أحقُّ بالسَّعي إليكَ يا رسول الله . فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه ورأسه كالثغامة(٦) بياضاً ودعا له ، وقال « غيِّروا هذا الشيب بشيء وجنِّبوه السوادَ »(٧) . ولما توفي رسول الله ﷺ وصارت الخلافة إلى الصدِّيق أخبره المسلمون بذلك وهو بمكة ، فقال : أو أقرت بذلك بنو هاشم وبنو مخزوم ؟ قالوا : نعم ! قال : ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء . ثم أُصيب بابنه الصدِّيق رضي الله عنه . ثم توفي أبو قحافة في محرم وقيل في رجب سنة أربع عشرة بمكة ، عن أربع وسبعين سنة رحمه الله وأكرم مثواه .

وممن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي(٨) من المستشهدين في هذه السنة مرتبين على الحروف

أوس بن أوس بن عتيك قُتل يوم الجسر .

بشير بن عنبس بن يزيد الظَّفَري ، أُحُديٌّ ، وهو ابنُ عم قتادة بن النعمان ، ويعرف بفارس الحواء اسم فرسه .

ثابت بن عتيك ، من بني عمرو بن مبذول ، صحابي قتل يوم الجسر .

ثعلبة بن عمرو بن مِحْصن النّجّاري بدري قتل يومئذ .

(الحارث بن عتيك بن النعمان النجاري شهد أحداً قتل يومئذ .

الحارث بن مسعود بن عبدة صحابي أنصاري قتل يومئذ .

---

(١) في ط : أبو عبيدة ؛ تحريف .
(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٨) ط : مكتبة القدسي ـ القاهرة ـ .
(٣) في ط : رواية ؛ تحريف .
(٤) ترجمة ـ أبي قحافة والد الصدّيق ـ في الاستيعاب (١٧٣٢ ـ ١٧٣٣) وأسد الغابة (٥/ ٣٧٥) والإصابة (٤/ ٢٢٢) و(٨/ ١٥٦) .
(٥) تصحف في ط إلى صخر .
(٦) الثغامة : هو نبت أبيض الزَّهر والثمر يشبَّه به الشيب . النهاية (ثغم) .
(٧) الحديث بطوله أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٦٠) من حديث أنس ، والحاكم في مستدركه (٣/ ٤٦) وابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٨٧ ـ ١٨٨) رقم (٧٢٠٨) من حديث أسماء ، وهو حديث صحيح .
(٨) في تاريخ الإسلام (٢/ ٦ ـ ٧) .

الحارث بن عدي بن مالك أنصاري أُحدي قتل يومئذ) .

خالد بن سعيد بن العاص ، قيل : إنه استشهد يوم مرج الصفر ، وكان في سنة أربع عشرة في قولٍ .

خزيمة بن أوس الأشْهَلي قتل يوم الجسر .

ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أرخ وفاته في هذه السنة ابنُ قانع .

زيد بن سراقة يوم الجسر .

سعد بن سلامة بن وقش الأشْهلي .

سعد بن عبادة في قول .

سلمة بن أسلم بن حَرِيش يوم الجسر .

ضمرة بن غزية يوم الجسر .

عبّاد وعبد الله وعبد الرحمن بنو مِرْبَع بن قيظي قتلوا يومئذ .

عبد الله بن صعصعة بن وهب الأنصاريّ النَّجَّاري ، شهد أحداً وما بعدها . قال ابن الأثير في الغابة[١] : وقتل يوم الجسر .

عتبة بن غزوان تقدم .

عقبة وأخوه عبد الله حضرا الجسر مع أبيهما قيظي بن قيس وقتلا يومئذ .

العلاء بن الحضرمي توفي في هذه السنة في قول وقيل بعدها وسيأتي .

عُمر[٢] بن أبي اليَسَر قتل يوم الجسر .

قيس بن السكن أبو زيد الأنصاري رضي الله عنه تقدم .

المثنى بن حارثة الشيباني ، توفي في هذه السنة رحمه الله وقد تقدم .

نافع بن غيلان قتل يومئذ .

نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكان أسنَّ من (عمه) العباس ، قيل إنه توفي في هذه السنة والمشهور قبلها كما تقدم .

واقد بن عبد الله قتل يوم [الجسر][٣] .

---

(١) أسد الغابة (٣/ ١٨٥) .

(٢) في ط : « عمرو » ، وما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (الورقة ٢٠١ كم مجلد أيا صوفيا ٣٠٠٥) وهو المصدر الذي ينقل منه المصنف .

(٣) بياض في أ . وقد توفي واقد بن عبد الله في خلافة عمر كما في الاستيعاب (١٥٥١) وأسد الغابة (٥/ ٤٣٣) =

يزيد بن قيس بن الخَطِيم الأنصاري الظفري[(١)] شهد أحداً وما بعدها ، قتل يوم الجسر ، وقد أصابه يوم أُحُدٍ جراحاتٌ كثيرةٌ ، وكان أبوه شاعراً مشهوراً .

أبو عُبَيْد بن مسعود الثقفي أمير يوم الجسر وبه عرف لقتله عنده ، تخبّطه الفيل حتى قتله رضي الله عنه بعدما قطع بسيفه خرطومه كما تقدم .

أبو قحافة التَّيْمي والد أبي بكر الصدِّيق ، توفي في هذه السنة رضي الله عنه .

هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن أمية الأموية ، والدة معاوية بن أبي سفيان ، وكانت من سيدات نساء قريش ذات رأي ودهاءٍ ورياسة في قومها ، وقد شهدت يوم أُحُد مع زوجها وكان لها تحريض على قتل المسلمين يومئذ ، ولما قُتل حمزة مَثَّلَتْ به وأخذت من كبده فلاكَتْها فلم تستطع إساغتها ، لأنه كان قد قتل أباها وأخاها يوم بدر ، ثم بعد ذلك كله أسلمت وحَسُنَ إسلامها عام الفتح ، بعد زوجها بليلةٍ . ولما أرادت الذهاب إلى رسول الله ﷺ لتبايعه استأذنت أبا سفيان فقال لها : قد كنت بالأمس مكذِّبة بهذا الأمر ، فقالت والله ما رأيت الله عُبد حقَّ عبادته بهذا المسجد قبل هذه الليلة ، والله لقد باتوا ليلهم[(٢)] كلّهم يُصَلّون فيه . فقال لها : إنك قد فعلتِ ما فعلتِ فلا تذهبي وحدك . فذهبت إلى عثمان بن عفان ويقال إلى أخيها أبي حذيفة بن عتبة فذهب معها ، فدخلت وهي مُتَنقِّبَة[(٣)] ، فلما بايعها رسولُ الله ﷺ مع غيرها من النساء قال : « على أن لا تُشْرِكْنَ بالله شيئاً ولا تَسْرُقْنَ ولا تَزْنين » فقالت : أوتزني الحرة ؟ « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قد ربيناهم صغاراً نقتلهم كباراً ؟! فتبسم رسول الله ﷺ ، « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك »[(٤)] فبادرت وقالت : في معروف . فقال : في معروف[(٥)] . وهذا من فصاحتها وحزمها .

وقد قالت لرسول الله ﷺ : والله يا محمد ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ من أن يذلوا من أهل خبائك ، فقد والله أصبح[(٦)] اليوم وما على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إليّ من أن يعزّوا من أهل خبائك . فقال : وكذلك والذي نفسي بيده . وشَكَتْ من شُحِّ أبي سفيان فأمرها أن تأخذ ما يكفيها ويكفي

= وتاريخ الإسلام (٢/ ٩) وقال الذهبي قتل يومئذ ـ يقصد يوم الجسر ـ . وقال ابن حجر في الإصابة : مات واقد هذا في أول خلافة عمر (٣/ ٦٢٨) .

(١) في أ : الطفوي ، وهو تحريف ، والتصحيح من الاستيعاب (١٥٧٨) وتاريخ الإسلام (٢/ ٩) .

(٢) في أ : ليلتهم .

(٣) تنقبت المرأة وانتقبت : وضعت النقاب . اللسان (نقب) .

(٤) في أ : يعصين .

(٥) أخرج الحديث ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٣٧) وقال ابن حجر في الإصابة : سنده صحيح .

(٦) في أ : أمسى ، وما هنا عن مصادر الحديث .

بنيها بالمعروف[١] . وقصتها مع الفاكه بن المغيرة مشهورة ، وقد شهدت اليرموك مع زوجها . وماتت يومَ ماتَ أبو قُحافة في سنة أربع عشرة ، وهي أم معاوية بن أبي سفيان .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير[٢] : قال بعضهم فيها مَصَّر سعدُ بن أبي وقاص الكوفةَ ، دلَّهم عليها ابن بُقيلة[٣] ، قال لسعد : أدلُّكَ على أرضٍ ارتفعت عن البَقِّ ، وانحدرتْ عن الفلاة ؟ فدلَّهم على موضع الكوفة اليوم .

[وقعة مرج الروم]

قال : وفيها كانت وقعةُ مرجِ الرُّوم ، وذلك لما انصرف أبو عبيدة وخالدٌ من وقعة فِحْل قاصدين إلى حمص حسب ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما تقدم في رواية سيف بن عمر ، فسارا حتَّى نزلا على ذي الكَلاع ، فبعث هرقل بطريقاً يقال له توذَرا[٤] في جيش معه ، فنزل بمرج دمشق وغربها ، وقد هجم الشتاءُ ، فبدأ أبو عبيدة بمرج الرُّوم ، وجاء أمير آخر من الروم يقال له شنس[٥] وعسكرٌ معه كثيفٌ ، فنازله أبو عبيدة فاشتغلوا به عن توذَرا ، فسار توذَرا نحو دمشق لينازلها وينتزعها من يزيد بن أبي سفيان ، فاتَّبعه خالد بن الوليد وبرز إليه يزيد بن أبي سفيان من دمشق ، فاقتتلوا وجاء خالد ، وهم في المعركة ، فجعل يقتلهم من ورائهم ويزيد يفصل فيهم من أمامهم ، حتى أناموهم[٦] ولم يفلت منهم إلا الشارد ، وقتل خالد توذَرا وأخذوا من الروم أموالاً عظيمة فاقتسماها ورجع يزيد إلى دمشق وانصرف خالد إلى أبي عبيدة ، فوجده قد واقع شنس بمرج الروم فقاتلهم فيه مقاتلةً عظيمةً حتى أنتنت الأرض من زَهَمِهم[٧] ، وقَتَلَ أبو عبيدة شنسَ وركبوا أكتافهم إلى حمص فنزل عليها يحاصرها .

وقعة حمص الأولى

لما وصلَ أبو عبيدة في اتّباعه الروم المنهزمين إلى حمص ، نزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصاراً شديداً ، وذلك في زمنِ البردِ الشديدِ ، وصابرَ أهلُ البلد رجاء أن يصرفَهم عنهم شدة البرد ، وصبرَ الصحابةُ صبراً عظيماً بحيث إنه ذكر غيرُ واحدٍ أنّ من الروم منْ كان يرجع وقد سقطت

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٦٦٤١) في الأيمان والنذور ، ومسلم في صحيحه (١٧١٤) (٩) في الأقضية .

(٢) في تاريخه (٣/ ٥٩٨) .

(٣) في أ : مقيلة ؛ وهو تحريف .

(٤) في أ : بوذرا . وما هنا موافق للطبري .

(٥) في أ : سيس . وما هنا موافق للطبري .

(٦) قال الزمخشري : ومن المجاز : نام الرجل مات . أساس البلاغة (نوم) .

(٧) الزهم : الريح المنتنة ، أراد أن الأرض تنتن من جيفهم . اللسان (زهم) .

رجله وهي في الخفّ ، والصحابةُ ليس في أرجلهم شيءٌ سوى النِّعال ، ومع هذا لم يُصَبْ منهم قدَمٌ ولا أصبعٌ أيضاً ، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتدَّ الحصارُ ، وأشارَ بعضُ كبار أهل حمص عليهم بالمُصالحة ، فأبوا عليه ذلك وقالوا : أنصالحُ والملكُ منا قريبٌ ؟ فيقال : إن الصحابةَ كبّروا في بعض الأيام تكبيرة ارتجَّت منها المدينة حتى تَفَطَّرت منها بعض الجدران ، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور ، فجاءت عامتُهم إلى خاصَّتهم فقالوا : ألا تنظرون إلى ما نزل بنا ، وما نحن فيه ؟ ألا تصالحون القومَ عنا ؟ قال : فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق ، على نصف المنازل ، وضرب الخراج على الأراضي ، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر[١] . وبعث أبو عبيدة بالأخماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود . وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعة من الأمراء ، منهم بلال والمقداد[٢] وكتب أبو عبيدة إلى عمر ، يخبره بأنَّ هرقلَ قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهرُ تارةً ويخفى أخرى . فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده .

وقعة قِنَّسْرين

لما فتح أبو عبيدة حمص بعث خالد بن الوليد إلى قِنَّسْرين ، فلما جاءها ثار إليه أهلُها ومنْ عندهم من نصارى العرب ، فقاتلهم خالدٌ (فيها) قتالاً شديداً ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فأما منْ هناك من الروم فأبادهم وقتل أميرهم ميتاس[٣] . وأما الأعراب فإنهم اعتذروا إليه بأنَّ هذا القتالَ لم يكن عن رأينا فقبل منهم خالدٌ وكفَّ عنهم ثم خلصَ إلى البلدِ فتحصَّنوا فيه[٤] ، فقال لهم خالد : إنكم لو كنتم في السَّحاب لحَمَلنا اللهُ إليكم أو لأنزلكم إلينا . ولم يزَلْ بهم حتى فتَحها الله عليه ولله الحمد .

فلما بلغَ عمرُ ما صنعهُ خالدٌ في هذه الوقعة قال : يرحمُ الله أبا بكر ، كان أعلمَ بالرجالِ منِّي ، والله إنّي لم أعزلْهُ عن ريبةٍ ولكن خشيتُ أن يُوكلَ الناسُ إليه .

وفي هذه السنة تقهقر هرقل بجنوده ، وارتحلَ عن بلاد الشام إلى بلاد الروم . هكذا ذكره ابن جرير[٥] ، عن محمد بن إسحاق قال : وقال سيف : كان ذلك في سنة ست عشرة ، قالوا : وكان هرقل كلَّما حجَّ إلى بيت المقدس وخرجَ منها يقولُ : عليكِ السلامُ يا سورية ، تسليم مُودِّعٍ لم يَقْضِ منك وطره وهو عائدٌ . فلما عزم على الرحيلِ من الشام وبلغَ الرُّها ، طلبَ من أهلها أن يصحبوه إلى الروم ، فقالوا : إن بقاءَنا هاهنا أنفعُ لكَ من رحيلنا معك ، فتركَهم . فلما وصل إلى شمشاط[٦] وعلا على شرف هنالك

---

(١) في أ : بحسب الغني والفقير .

(٢) في أ : بلال بن المقدام ، وفيها زيادة وتحريف . والخبر في تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٠) .

(٣) في أ : سيناس وفي تاريخ الطبري (٣/ ٦٠١) ورد الاسم مرتين وبشكلين مختلفين فمرة ميناس وأخرى ميتاس .

(٤) في أ : منه .

(٥) في تاريخه (٣/ ٦٠٣) .

(٦) في ط ؛ شمشان ؛ خطأ ، وما هنا عن الطبري ، وهي مدينة بالروم على شاطىء الفرات . معجم البلدان (٣/ ٣٦٢).

التفت إلى نحو بيت المقدس وقال : عليكِ السلامُ يا سوريةُ سلاماً لا اجتماع بعده إلا أن أسلِّمَ عليكِ تسليمَ المُفارقِ ، ولا يعودُ إليكِ روميٌّ أبداً إلا خائفاً حتى يولدَ المولودُ المشؤومُ ، ويا ليتَهُ لم يولدْ . ما أحْلَى فعلَه وأمرَّ عاقبته على الروم !! ثم سار هرقلُ حتى نزلَ القسطنطينيةَ واستقرّ بها ملكه ، وقد سأل رجلاً ممَّن اتّبعه كان قد أُسِرَ مع المسلمين ، فقال : أخبرني عن هؤلاء القوم ، فقال : أخبركَ كأنَّك تنظرُ إليهم ، هم فرسانٌ بالنهارِ ، رهبانٌ بالليلِ ، لا يأكلون في ذمتهم إلَّا بثمنٍ ، ولا يدخلون إلَّا بسلام ، يقفونَ على منْ حاربوه حتى يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقتني ليملكن[١] موضعَ قدميَّ هاتين[٢] .

قلتُ : وقد حاصرَ المسلمون قسطنطينية في زمانِ بني أمية فلم يملكوها ولكن سيملكها المسلمون في آخر الزمان كما سنبينه في كتاب الملاحم ، وذلك قبل خروج الدجال بقليل على ما صحَّتْ به الأحاديث عن رسول الله ﷺ في صحيح مسلم[٣] وغيره من الأئمة ، ولله الحمد والمنة .

وقد حرَّم الله على الروم أن يملكوا بلادَ الشام برُمَّتها إلى آخر الدهر ، كما ثبت به الحديث في الصحيحين[٤] عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إذا هلكَ كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عزَّ وجلَّ »[٥] .

وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت ، وسيكون ما أخبر به جزماً لا يعود ملكُ القياصرة إلى الشام أبداً لأنّ قيصرَ علَمُ جنسٍ عند العرب يُطلق على كلٍّ منْ ملكَ الشَّام مع بلاد الرومِ ، فهذا لا يعود لهم أبداً .

---

(١) في تاريخ الطبري : ليرثُنّ .

(٢) في أ : قدمي هذا .

(٣) صحيح مسلم (٢٨٩٧) (٣٤) في الفتن وأشراط الساعة ، وأخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٢٤) رقم (٦٨١٣) في كتاب التاريخ بنفس السند والسياق ونص الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺقال : لا تقوم الساعة حتى ينزل الرومُ بالأعماق ، أو بدابق : فيخرج إليهم جيش من المدينة ، من خيار أهل الأرضِ يومئذ ؛ فإذا تصافّوا قالت الروم : خلّوا بيننا وبين الذين سَبَوْا منا نقاتلهم . فيقول المسلمون : لا والله ! لا نخلِّي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم ، أفضل الشهداء عند الله ، ويفتتح الثلث . لا يفتنون أبداً ، فيفتتحون قُسْطُنْطينية . فبينما هم يقتسمون الغنائم ، قد علّقوا سيوفهم بالزيتون ؛ إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل ، فإذا جاؤوا الشام خرج ـ يعني الدجال ـ فبينما هم يُعِدُّون للقتال ، يُسوُّون الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم عليه السلام ؛ فأمَّهم . فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لانذاب حتّى يهلك . ولكن يقتله الله بيده ، فيُريهم دمه في حربته .
وقد فتح الله القسطنطينية للمسلمين على يد السلطان العثماني محمد الفاتح عام ٨٥٧ للهجرة النبوية .

(٤) البخاري في صحيحه (٣٦١٨) في المناقب ، ومسلم في صحيحه (٢٩١٨) في الفتن .

(٥) وهو أيضاً عند أحمد في مسنده (٢/ ٢٣٣ و٢٤٠ ، والترمذي (٢٢١٦) ، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٨٣) رقم (٦٦٨٩) .

وقعة قَيْسارِيَّة[١]

قال ابن جرير[٢] : وفي هذه السنة أمَّر عمر معاويةَ بن أبي سفيان على قَيْسارِيَّة وكتب إليه : أما بعدُ فقد ولَّيْتُكَ قَيْسَارِيَّة فسرْ إليها واستَنْصرِ اللهَ عليهم ، وأكْثِرْ منْ قولِ لا حولَ ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم ، اللهُ ربُّنا وثقَتنا ورجاؤُنا ومولانا فنعمَ المولى ونعم النَّصير . فسار إليها فحاصرها ، وزاحَفَه أهلُها مراتٍ عديدةً ، وكان (آخرها) وقعةً أن قاتلوا قتالاً عظيماً ، وصمَّمَ عليهم معاوية ، واجتهدَ في القتالِ حتّى فتحَ اللهُ عليه فما انفصل الحال[٣] حتى قتلَ منهم نحواً من ثمانين ألفاً ، وكمَّلَ المئة الألف من الذين انهزموا عن المعركة ، وبعثَ بالفتح والأخماسِ إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

قال ابن جرير[٤] : وفيها كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيلياء ، ومناجزة صاحبها ، فاجتاز في طريقه عند الرملة بطائفة من الروم فكانت[٥] :

وقعة أجْنادين[٦]

وذلك أنه[٧] سار بجيشه وعلى ميمنته ابنُه عبدُ الله بن عمرو ، وعلى مَيْسرته جُنادةُ بن تَميم المالكي ، من بني مالك بن كنانة ، ومعه شُرَحبيلُ بن حَسَنة ، واستخلفَ على الأردن أبا الأعور السُّلمي ، فلما وصلَ إلى الرَّملة وجدَ عندها جَمْعاً من الرُّوم عليهم الأرْطبون ، وكان أدْهى الرُّوم وأبعدها غَوْراً ، وأنكاها فِعْلاً ، وقد كان وضعَ بالرملةِ جُنْداً عظيماً وبإيلياء جُنْداً عظيماً ، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر . فلما جاءهُ كتابُ عمرو قال : قد رَمَيْنا أرْطَبونَ الرُّومِ بأرْطبون العَرَبِ ، فانظروا عما تنفرجُ[٨] . وبعثَ عمرُو بن العاص علقمةَ بن حكيم الفراسيّ ، ومسروقَ[٩] بن بلال العكّي على قتالِ أهلِ إيلياء . وأبا أيوبَ المالكي إلى الرملةِ ، وعليها التَّذارق ، فكانوا بإزائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه ، وجعل عمرو كلما قدم عليه إمداد من جهة عمر يَبعث منهم طائفةً إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء . وأقام عمرو على أجنادين

---

(١) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تُعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . معجم البلدان (٤/ ٤٢١).

(٢) في تاريخه (٣/ ٦٠٣) والخبر أيضاً في الكامل لابن الأثير (٢/ ٤٩٧) .

(٣) في أ : انفصل منهم .

(٤) في تاريخه (٣/ ٦٠٥) والخبر أيضاً في الكامل لابن الأثير (٢/ ٤٩٨) .

(٥) في أ : وكانت .

(٦) أجنادين : موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين ، كانت به وقعة مشهورة بين المسلمين والروم . معجم البلدان (١/ ١٠٣) .

(٧) في أ : وذلك أنه لما سار .

(٨) في تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٥) تتفرّج .

(٩) في أ : الفارسي ومروان بن بلال العلي . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٥) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٩٨) ومسروق ابن فلان العكّي .

لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسولٌ ، فأبلغه ما يريدُ وسمعَ كلامَه وتأمل حضرته[١] حتى عرف ما أراد ، وقال الأرطبون في نفسه : والله ِإنَّ هذا لعمرو أو أنّه الذي يأخذُ عمرو برأيه ، وما كنتُ لأصيبَ القومَ بأمرٍ هو أعظم من قتله . فدعا حَرَسِيًا فسارَّه فأمره بقتله[٢] فقال : اذهب فقم في مكان كذا وكذا ، فإذا مر بك[٣] فاقتله ، ففطن عمرو بن العاص ، فقال للأرطبون : أيها الأميرُ إني قد سمعتُ كلامَكَ وسمعتَ كلامي ، وإني واحدٌ من عشرة بعثنا عمرُ بن الخطابِ لنكونَ مع هذا الوالي لنشهدَ أمورَهُ ، وقد أحببتُ أن آتيكَ بهم ليسمَعُوا كلامَكَ ويروا ما رأيتَ . فقال الأرطبون : نعم ! فاذهبْ فأتني بهم ، ودعا رجلاً فسارَّه فقال : اذهب إلى فلانٍ فردَّه . وقام عمرو فذهبَ إلى جيشه ثم تحقَّق الأرطبونُ أنه عمرُو بن العاص ، فقال : خَدَعني الرجلُ ، هذا والله أدهَى العربِ . وبلغت عمرَ بن الخطاب فقال : لله در عمرو . ثم ناهضه عمرو فاقتتلوا بأجنادين قتالاً عظيماً ، كقتال اليرموك ، حتى كثرتِ القتلى بينهم ثم اجتمعت بقيةُ الجيوشِ إلى عمرو بن العاص ، وذلك حين أعياهم صاحب إيلياء وتحصَّنَ منهم بالبلدِ ، وكثُر جيشُه ، فكتب الأرطبون إلى عمرو بأنَّكَ صديقي ونظيري أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتحُ من فلسطين شيئاً بعد أجنادين فارجع ولا تغرَّ فتلقى مثلَ ما لقي الذين قبلك من الهزيمة ، فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالرُّومية ، فبعثه إلى أرطبون وقال : اسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني . وكتبَ إليه معه : جاءني كتابُكَ وأنتَ نظيري ومثلي في قومك ، لو أخطأَتْكَ خَصْلَةٌ تجاهلت فضيلتي وقد علمتَ أنّي صاحب فتح هذه البلاد ، واَقرأ كتابي هذا بمحضرٍ من أصحابك ووزرائك . فلما وصله الكتاب جمع وزراءه ، وقرأ عليهم الكتاب . فقالوا للأرطبون : من أين علمتَ أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد ؟ فقال : صاحبُها رجلٌ اسمه على ثلاثة أحرف . فرجع الرسولُ إلى عمرو فأخبره بما قال . فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له : إني أعالج حرباً[٤] كؤوداً صدوماً ، وبلاداً اُدخرَتْ لكَ ،فرأيكَ . فلما وصل الكتاب إلى عُمر علم أن عَمْراً لم يقل ذلك إلا لأمرٍ علمه ، فعزم عمرُ على الدخول إلى الشام لفتح بيتِ المقدسِ كما سنذكر تفصيله .

[دخل عمر الشامَ أربع مرات]

قال سيفُ بن عمر عن شيوخه : وقد دخل عمرُ الشام أربعَ مراتٍ ، الأولى كان راكباً فرساً حين فتح بيت المقدس ، والثانية على بعيرٍ ، والثالثة وصلَ إلى سَرْغ[٥] ثم رجع لأجل ما وقعَ بالشام

---

(١) في أ : خصومة . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٥) : حصونه . وهي الأشبه .

(٢) في ط : بفتكه .

(٣) في أ : فإذا أمرتك .

(٤) في أ : كرباً .

(٥) في ط : سرع . وسرغ : هو أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام ، وهناك لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمراء الأجناد . معجم البلدان (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢) .

من الوباء . والرابعة دخلها على حمار هكذا نقله ابن جرير عنه[١] .

فَتْحُ بيتِ المَقْدسِ على يَدَيْ عُمرَ بن الخطَّابِ

ذكره أبو جعفر بن جرير[٢] في هذه السنة عن رواية سيف بن عمر ، ومُلَخَّص ما ذكره هو وغيره : أنّ أبا عبيدة لما فرغَ من دمشق كتبَ إلى أهل إيلياء[٣] يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، أو يبذلون الجزيةَ أو يؤذنوا بحربٍ . فأبَوْا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه . فركبَ إليهم في جنوده واستخلفَ على دمشق سعيدَ بن زَيْد ، ثم حاصرَ بيت المَقْدس وضيَّقَ عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرطِ أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فكتب إليه أبو عبيدة بذلك ، فاستشار عمر الناسَ في ذلك ، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركبَ إليهم ليكونَ أحقرَ لهم وأرغمَ لأنوفهم ، وأشار عليٌّ بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكونَ أخفَّ وطأةً على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهوي ما قالَ عليّ ، ولم يهو ما قال عثمان . وسار بالجيوش نحوهم واستخلف على المدينة عليَّ بن أبي طالب ، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته ، فلما وصل إلى الشام تَلقّاه أبو عبيدة ورؤوسُ الأمراءِ ، كخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، فترجَّل أبو عبيدة ، وترجَّل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبّل يد عمر فهم عمرُ بتقبيل رِجلِ أبي عبيدة ، فكفَّ عمر . ثم سار حتى صالحَ نصارى بيت المقدس ، واشترطَ عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ليلةَ الإسراء . ويقال إنه لبَّى حينَ دخل بيت المقدس فصلَّى فيه تحية المسجد بمحراب داود ، وصلَّى بالمسلمين فيه صلاةَ الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه ، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل ، ثم جاء إلى الصخرة فاستدلّ على مكانها من كعب الأحبار ، وأشار عليه كعب أن يجعلَ المسجد من ورائه[٤] ، فقال : ضاهيت اليهودية . ثم جعل المسجد في قِبْلِي بيت المقدس ، وهو العُمَريّ اليوم ، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه ، ونقل المسلمون معه في ذلك ، وسخَّر أهل الأردن في نقل بقيتها ، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلةً لأنها قبلة اليهودِ ، حتى إنَّ المرأة كانت ترسلُ خرقةَ حيضتها من داخل الحوز لتلْقى في الصخرة ، وذلك مكافأة لما كانت اليهودُ عاملتْ به القمامةَ ، وهي المكانُ الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوبَ فجعلوا يُلْقون على قبره القمامة ، فلأجل ذلك سُمّي ذلك الموضع القمامة وانسحبَ هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك .

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبويّ ، وهو بإيلياء ، وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء

(١) في تاريخه (٣/ ٦٠٧) و(٤/ ٥٧) .
(٢) في تاريخه (٣/ ٦٠٧) .
(٣) إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس : قيل معناه : بيت الله .
(٤) في أ : من ورائها .

الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود ، قال لهم : إنكم لخليقٌ أن تقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد ، كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا ، ثم أمروا بإزالتها فشرعوا في ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون، فأزالها عمر بن الخطاب وقد استقصى هذا كله بأسانيده ومتونه الحافظ بهاء الدين بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر في كتابه « المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » .

وذكر سيفٌ[١] في سياقه : أن عمر رضي الله عنه ركبَ من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها عليَّ بن أبي طالب ، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطبَ بالجابية خطبةً طويلةً بليغةً منها : « أيها الناسُ أَصْلِحُوا سَرائرَكُم تَصْلُحْ علانيتُكُمْ ، واعملُوا لآخرتِكُم تُكْفَوا أمرَ دنياكم ، واعلموا أن رجلًا ليس بينه وبين آدم أبٌ حيٌّ ، ولا بينه وبين الله هوادةٌ ، « فمن أراد بُحْبُوحَةَ[٢] الجنة فليلزمِ الجماعة ، فإنّ الشيطانَ مع الواحدِ وهو مع الاثنين أبعد ، ولا يخلون أحدُكم بامرأةٍ فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما ، ومن سرَّتْهُ حَسَنتُهُ وساءَتْهُ سَيِّئتُهُ فهو مؤمن »[٣] . وهي خطبةٌ طويلةٌ اختصرناها .

ثم صالح عمرُ أهلَ الجابية ورحل إلى بيتِ المَقْدسِ وقد كتب إلى أمراءِ الأجْنادِ أن يوافوه في اليوم الفلاني إلى الجابية فتوافَوْا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية ، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبي سفيان ، ثم أبو عبيدة ، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامقُ[٤] الدِّيباح ، فسار إليهم عمر ليحصبهم[٥] فاعتذروا إليه بأنَّ عليهم السلاحَ ، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم . فسكت عنهم واجتمعَ الأمراءُ كلهم بعد ما استخلفوا على أعمالهم ، سوى عمرو بن العاص وشُرَحبيل فإنهما مواقفان[٦] الأرطبون بأجنادين .

فبينما عمر في الجابية إذا بكُردوس من الروم بأيديهم سيوفٌ مُسلَّلة ، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر : إن هؤلاء قومٌ يستأمنون . فساروا نحوهم فإذا هم جندٌ من بيت المقدس يطلبون الأمانَ والصلحَ من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه ، فأجابهم عمرُ رضي الله عنه إلى ما سألوا ، وكتب لهم كتابَ أمانٍ ومصالحة ، وضرب عليهم الجزيةَ ، واشترطَ عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير[٧] ، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وهو كاتب الكتاب ، وذلك في سنة خمسة عشر .

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ١١١) .
(٢) في الأصل والمطبوع : لحب وجه ، وهو تحريف والتصحيح من مسند أحمد وغيره .
(٣) الخطبة : أوردها الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٨ و٢٦) . والترمذي رقم (٢١٦٥) وابن ماجه رقم (٢٣٦٣) .
(٤) يلامق : جمع يَلْمق وهو القَباء نوع من الثياب . اللسان (يلمق ـ قبا) .
(٥) يحصبهم : يرميهم بالحصباء ، وهو الحصى الصغار . النهاية (١/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤) .
(٦) واقفه مواقفة ووقافاً : وقف معه في حرب أو خصومة . اللسان (وقف) .
(٧) في تاريخه (٣/ ٦٠٩) .

ثم كتب لأهل لُدٍّ[١] ومَنْ هنالك من الناس كتاباً آخر وضربَ عليهم الجزيةَ ، ودخلوا فيما صالحَ عليه أهل إيلياء ، وفرَّ الأرطبون إلى بلاد مصر ، فكان بها حتى فتحَها عمرو بن العاص ، ثم فرَّ إلى البحر فكان يلي بعض السرايا الذين يقاتلون المسلمين ، فظفر به رجل من قيس فقطع يد القيسي وقتله القيسي وقال في ذلك : [من البسيط]

فإنْ يكنْ أرطبونُ الرُّومِ أفسدها ... فإنَّ فيها بحمدِ اللهِ مُنْتَفعا
وإنْ يكنْ أرطبونُ الرومِ قطَّعها ... فقد تركتُ (بها) أوصالَه قِطَعا

ولما صالح أهلُ الرملة وتلك البلاد ، أقبلَ عمرو بن العاص وشُرَحْبيل بن حَسَنة حتى قدما الجابيةَ فوجدا أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب راكباً ، فلما اقتربا منه أكبَّا على ركبتيه فقبَّلاها واعتنقهما عمر معاً رضي الله عنهم .

قال سيف[٢] : ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية وقد توحّى[٣] فرسه فأتوه ببرذون فركبه فجعل يهملج[٤] به فنزل عنه وضرب وجهه ، وقال : لا علّم الله من علّمك ، هذا من الخيلاء ، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده ، ففُتحت إيلياء وأرضُها على يديه ما خلا أجنادين فعلى يدي عمرو . وقيسارية فعلى يدي معاوية .

هذا سياق سيف بن عمر ، وقد خالفه غيره من أئمة السير فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة .

قال محمد بن عائذ : عن الوليد بن مسلم ، عن عثمان بن حصن بن علان ، قال يزيد بن عبيدة : فتحت بيت المَقْدس سنةَ ستَّ عشرةَ ، وفيها قدم عمرُ بن الخطاب الجابية . وقال أبو زرعة الدمشقي[٥] : عن دُحَيم ، عن الوليد بن مسلم قال : ثم عاد في سنة سبع عشرة فرجع من سَرْغ[٦] ، ثم قدم سنة ثماني عشرة فاجتمع إليه الأمراء وسلّموا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال فقسَّمها وجنَّد الأجناد ومصَّر الأمصار ثم عاد إلى المدينة .

وقال يعقوب بن سفيان[٧] : ثم كان فتح الجابية وبيت المقدس سنة ست عشرة . وقال أبو معشر : ثم

(١) لدٌّ : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها يدرك عيسى بن مريم الدجال فيقتله . معجم البلدان (٥/ ١٥).
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٦١٠) .
(٣) الوحَى : العجلة ، وتوحّى : أسرع . اللسان (وحي) وفي تاريخ الطبري : يتوجّى .
وقال محققه : وجى الفرس وتوجى إذا وجد وجعاً في حافره .
(٤) الهَمْلجة والهِملاج : الحسن السير في سرعة وبخترة . اللسان (هملج) .
(٥) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص١٧٨) .
(٦) في أ ، ط : سرع ؛ خطأ والصحيح ما أثبت ، وقد مر التعريف بها قبل صفحات .
(٧) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩) طبعة مؤسسة الرسالة ، والخبر من القسم المفقود وهو من استدراكات المحقق .

كان عَمَواس والجابية في سنة ستَّ عشرة . ثم كانت سَرْغ في سبع عشرة ، ثم كان عام الرمادة في سنة ثماني عشرة ، قال : وكان فيها طاعون عَمَواس ـ يعني فتح البلدة المعروفة بعَمَواس[١] ـ فأما الطاعون المنسوب إليها فكان في سنة ثماني عشرة كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى .

قال أبو مخنف[٢] : لمَّا قدمَ عمرُ الشامَ فرأى غوطةَ دمشق ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين تلا قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٥ ـ ٢٨] . ثم أنشد قول النابغة[٣] . [من الطويل]

هُمـا فَتَيـا دَهْـرٍ يكُـرُّ عليهمـا نهـارٌ وليـلٌ يلحقـانِ التَّـواليا
إذا مـا هُمـا مَـرّا بحيٍّ بغبطـةٍ أناخا بهم حتى يُلاقوا الدَّواهيا

وهذا يقتضي بادئَ الرأي أنه دخلَ دمشقَ وليس كذلك ، فإنّه لم ينقل أحدٌ أنه دخلها في شيء من قدَماته الثلاث إلى الشام ، أما الأولى وهي هذه فإنه سارَ من الجابية إلى بيت المقدس ، كما ذكر سيف وغيره والله أعلم ، وقال الواقدي : أما رواية غير أهل الشام فهي أنَّ عمرَ دخلَ الشامَ مرتين ورجع الثالثةَ من سَرْغ سنة سبع عشرة ، وهم يقولون دخلَ في الثالثة دمشق وحمص وأنكر الواقديُّ ذلك .

قلت : ولا يعرف أنّه دخل دمشق إلا في الجاهلية قبل إسلامه كما بسطنا ذلك في سيرته . وقد روينا أن عمر حين دخلَ بيتَ المقدس سأل كعب الأحبار عن مكان الصخرة فقال : يا أميرَ المؤمنين اْذرع (من) وادي جهنَّم كذا وكذا ذراعاً فهي ثمَّ . فذرعوا فوجدوها ، وقد اتَّخذها النَّصارى مَزْبلةً ، كما فعلتِ اليهودُ بمكانِ القُمامة ، وهو المكانُ الذي صُلب فيه المَصْلوب الذي شُبِّه بعيسى فاعتقدتِ النصارى واليهودُ أنه المسيحُ . وقد كذَّبوا في اعتقادهم هذا كما نصَّ الله تعالى على خطئهم في ذلك . والمقصودُ أنَّ النصارى لما حكَّموا على بيت المقدس قبلَ البعثة بنحوٍ من ثلاثمئة سنة ، طَهَّروا مكان القُمامة واتخذُوه كنيسةً هائلةً بَنَتْها أمُّ الملك قسطنطين باني المدينة المنسوبة إليه ، واسم أمه هيلانة (الحرانية) البندقانية[٤] . وأمرت ابنها فبنى للنَّصارى بيتَ لحم على موضع الميلاد ، وبنت هي على موضع القبر فيما يزعمون . والغرضُ أنَّهم اتخذوا مكانَ قبلة اليهود مزبلةً أيضاً ، في مقابلة ما صنعوا في قديم الزمان وحديثه . فلما فتحَ عمرُ بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة ، أمر بإزالة ما عليها من الكناسة حتى قيل إنه كنسها بردائه ، ثم

---

(١) عَمَواس : قرية من قرى الشام ، بين الرملة وبين بيت المقدس ، وهي التي ينسب إليها الطاعون لأنه منها بدَا . معجم ما استعجم (٩٧١) .
(٢) الخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر ـ ترجمة عمر ـ (ص٤) ط : مؤسسة الرسالة .
(٣) البيت الأول في ديوان النابغة الجعدي (١٦٩) والبيت الثاني في المنازل والديار لابن منقذ (٤٩٣) وهما أيضاً في تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة عمر بن الخطاب ص(٤) .
(٤) في أ : الفندقانية .

استشار كعباً أين يضعُ المَسْجد ؟ فأشار[(١)] عليه بأن يجعله وراءَ الصخرة ، فضربَ في صدره وقال . يا ابنَ أمِّ كعب ضارعتَ اليهودَ[(٢)] وأمر ببنائه في مُقَدَّمِ بيت المقدس .

قال (الإمام) أحمد[(٣)] : حدَّثنا أسود بن عامر ، حدَّثنا حماد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب أنَّ عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال قال ابن سلمة ؛ فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ قال إن أخذت (عني) صليت خلفَ الصخرة وكانت القدسُ كلُّها بين يديك ، فقال عمر : ضاهيتَ اليهوديةَ لا ولكن أصلِّي حيثُ صلَّى رسولُ الله ﷺ ، فتقدَّم إلى القبلة فصلَّى ، ثم جاء فبسط رداءَهُ وكَنَس الكُناسة في ردائه وكنسَ الناسُ .

وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه « المُسْتخرج » وقد تكلَّمنا على رجاله في كتابنا الذي أفردناه في « مسند عمر »[(٤)] ما رواه من الأحاديث المرفوعة وما روي عنه من الآثار الموقوفة مبوباً على أبواب الفقه ولله الحمد والمنة .

وقد رَوى سيفُ بن عمر[(٥)] عن شيوخه[(٦)] عن سالم قال : لمّا دخلَ عمرُ الشامَ تلقاه رجلٌ من يهود دمشق ، فقال السلامُ عليك يا فاروقُ ، أنتَ صاحبُ إيلياء ؟ لا ها لله لا ترجع حتى يفتح اللهُ عليك إيلياء .

وقد روى أحمد بن مروان الدِّينوري[(٧)] ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عدي ، عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه ، عن جده أسلم ـ مولى عمر بن الخطاب ـ أنّه قدم دمشق في تجار من قريش ، فلما خرجوا تخلَّف عمرُ لبعض حاجته ، فبينما هو في البلد إذا ببطْريقٍ يأخذُ بعنقه ، فذهب ينازعه فلم يقدر ، فأدخل داراً فيها ترابٌ وفأس ومجرفةٌ وزنبيلٌ ، وقال له : حوّل هذا من هاهنا إلى هاهنا ، وغلق عليه الباب ، وانصرف فلم يجيء إلى نصف النهار .

قال : وجلست مفكراً ولم أفعل مما قال لي شيئاً . فلما جاء قال : مالك لم تفعل ؟ ولكمني في رأسي بيده قال : فأخذت الفأس فضربته بها فقتلته وخرجت على وجهي فجئت ديراً لراهبٍ فجلستُ عنده من

---

(١) في أ : فشار .
(٢) في أ : اليهودية .
(٣) في مسنده (١/ ٣٨) رقم (٢٦١) ومن طريقه الضياء في المختارة رقم (٢٤١) .
(٤) مسند عمر (١/ ١٦٠) ، وقال هناك : هذا حديث حسن ، وهو اجتهاده رحمه الله ، وفي إسناده عيسى بن سنان الحنفي القسملي ، ضعفه ابن معين وأحمد وأبو زرعة ووثقه بعضهم ، وقال أبو حاتم : ليس يقوى في الحديث ، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : ليّن الحديث ، وهو كما قال ، فمثله لا يحتمل التفرد .
(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٨) .
(٦) في أ : عن مبشر عن سالم .
(٧) أحمد بن مروان الدِّينوري ، محدث ، فقيه نزل مصر وبها توفي سنة (٢٩٨) من تآليفه مناقب مالك ، والرد على الشافعي ، وكتاب المجالسة . معجم المؤلفين (٢/ ١٧٤) .

العشي ، فأشرفَ علي فنزل وأدخلني الدير فأطعمني وسقاني ، وأتحفني ، وجعل يحقّق النظر فيّ ، وسألني عن أمري فقلت : إني أضللت أصحابي . فقال : إنك لتنظر بعينِ خائفٍ ، وجعل يتوسّمني ثم قال : لقد علم أهل دين النصرانية أني أعلمهم بكتابهم ، وإني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لكَ أن تكتبَ لي كتابَ أمانٍ على ديري[١] هذا ؟ فقلت : يا هذا لقد ذهبتَ غير مذهب . فلم يزل بي حتى كتبت له صحيفةً بما طلب مني ، فلما كان وقتُ الانصراف أعطاني أتاناً فقال لي : اركبها ، فإذا وصلت إلى أصحابك فابعث إليَّ بها وحدَها فإنها لا تمرّ بدير إلا أكرموها . ففعلتُ ما أمرني به ، فلما قدم عمر لفتح بيت المقدس أتاه ذلك الراهب وهو بالجابية بتلك الصحيفة فأمضاها له عمر واشترط عليه ضيافة من يمرّ به من المسلمين ، وأن يرشدهم إلى الطريق .

رواه ابن عساكر[٢] وغيره . وقد ساقه ابن عساكر[٣] من طريق أخرى في ترجمة يحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي البَلْقاوي عن زيد بن أسلم ، عن أبيه فذكر حديثاً[٤] طويلاً عجيباً هذا (بعضه) . وقد ذكرنا الشروطَ العمرية على نصارى الشام مَطوّلاً في كتابنا « الأحكام » وأفردنا له مصنفاً على حِدَةٍ ولله الحمد والمنة .

(وقد) ذكرنا خطبته في الجابية بألفاظها وأسانيدها في الكتاب الذي أفردناه لمسند عمر ، وذكرنا تواضعه في دخوله الشام في السيرة التي أفردناها له .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدَّثني الربيعُ بن ثَعْلب ، حدَّثنا أبو إسماعيل المؤدّب ، عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمز المكّي ، عن أبي العالية[٥] الشامي قال : قدمَ عمرُ بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جملٍ أوْرَق[٦] ، تلوحُ صلعتُه للشمس ، ليس عليه قلنسوةٌ ولا عمامةٌ ، تصطفقُ رجلاه بين شعبتي الرَّحل بلا ركاب ، وِطاؤُه[٧] كِساءٌ أنْبجانيٌّ[٨] ذو صُوف هو وطاؤُه إذا ركب ، وفراشُه إذا نزل ، حقيبته نمرة[٩] أو شملة محشّوة ليفاً ، هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل ، وعليه قميصٌ منكرابيس[١٠] قد

---

(١) في أ : على ديني هذا .
(٢) في تاريخ دمشق ـ ترجمة عمر بن الخطاب ـ ص(٤ـ٥) طبعة مؤسسة الرسالة .
(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٧/ ٢٦٩ ـ ٢٧٤) .
(٤) في أ : خبراً .
(٥) في ط : أبي الغالية . خطأ .
(٦) الأورق من الإبل : الذي في لونه بياض إلى سواد ، الوُرْقة : سواد في غبرة . اللسان (ورق) .
(٧) الوِطاء : خلاف الغطاء . اللسان (وطأ) .
(٨) أنبجاني : كساء يتخذ من الصوف له خَمْلٌ ولا علم له ، منسوب إلى بلد اسمه أنبجان ـ بكسر الباء ـ اللسان (نبج) .
(٩) النَّمِرَة : بردة من صوف مخطَّطة كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض . اللسان (نمر) .
(١٠) كَرابيس : جمع كِرْباس وهو القطن . اللسان (كربس) .

رسم[١] وتَخرَّق جنبه . فقال : أدعوا لي رأسَ القوم ، فدعوا له الجلومس ، فقال : اغسلوا قميصي وخَيِّطوه وأعيروني ثوباً أو قميصاً . فأُتي بقميص كتانٍ فقال : ما هذا ؟ قالوا : كتان . قال : وما الكتان ؟ فأخبروه فنزعَ قميصَه فغُسل ورُقع وأُتي به فنزعَ قميصَهم ولبس قميصَه . فقال له الجلومس : أنتَ ملكُ العرب وهذه بلادٌ لا تصلح بها الإبلُ ، فلو لبستَ شيئاً غير هذا وركبتَ برذوناً لكان ذلك أعظم في أعين الروم . فقال : نحن قوم أعزَّنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً . فأُتي ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرجٍ ولا رحلٍ فركبه بها فقال : احبسوا احبسوا ، ما كنتُ أرى الناسَ يركبونَ الشيطان قبل هذا فأُتي بجمله فركبه .

وقال إسماعيل بن محمد الصَّفّار[٢] : حدَّثنا سعدان بن نصر ، حدَّثنا سفيان ، عن أيوب الطائي ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال :

لمّا قدم عمرُ الشامَ عرضتْ له مخاضةٌ فنزل عن بعيره ونزعَ موقيه[٣] فأمسكهما بيدٍ[٤] وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة : قد صنعتَ اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ، قال : فصكَّ في صدره وقال : أوَ لَوْ غيرك يقولُها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس ، فأعزَّكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزَّ بغيره يذلكم الله .

قال ابن جرير[٥] : وفي هذه السنة ـ أعني سنة خمس عشرة ـ كانت بين المسلمين وفارس وقعات في قول سيف بن عمر . وقال ابن إسحاق والواقدي : إنما كان ذلك في سنة ست عشرة ، ثم ذكر ابن جرير وقعاتٍ كثيرةً كانت بينهم ، وذلك حين بعث عمرُ بن الخطاب إلى سعدِ بن أبي وقاص يأمره بالمسير إلى المدائن ، وأن يخلف النساء والعيال بالعتيق[٦] في خيل كثيرة كثيفة . فلما تفرَّغَ سعدٌ من القادسيَّةِ بعثَ على المقدِّمة زُهْرة بن حويَّة ، ثم أتبعه بالأمراء واحداً بعد واحد ، ثم سار في الجيوش ، وقد جعل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على خلافته مكان خالد بن عُرْفطة . وجعل خالداً هذا على الساقة ، فساروا في خيول عظيمة ، وسلاح كثير ، وذلك لأيامٍ بقينَ من شوّال من هذه السنة ، فنزلوا الكوفة وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن ، فلقيه بها بُصْبُهرى في جيش من فارس فهزمهم زُهْرة وذهبت الفرس في هزيمتهم

---

(١) الرسم : الأثر . اللسان (رسم) أراد أن القميص لم يبق منه إلا أثر .
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ـ ترجمة عمر بن الخطاب ـ ص(٣) .
(٣) موقيه : خُفَّيْه . اللسان (موق) .
(٤) في أ : بيده .
(٥) تاريخه (٣/٦١٨) .
(٦) في ط : « بالعقيق » وهو تحريف ، وما أثبتناه يعضده ما في تاريخ الطبري ، وهو الذي يتفق والسياق الجغرافي والتاريخي ، فالعتيق : واد بظاهر البصرة مما يلي سفوان (كما في معجم البلدان ٤/ ١٤٠) وغيره ، فأمِن سعد منه ، وهو بالقادسية !

إلى بابل (وبها جمع كثير ممن انهزم يوم القادسية قد جعلوا عليهم الفيرُزان ، فبعث زُهرة إلى سعد فأعلمه باجتماع المنهزمين ببابل ، فسار سعد بالجيوش إلى بابل) ، فتقابل هو والفيرُزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لفَّة الرِّداء ، وانهزموا (بين يديه) فرقتين ففرقة ذهبت إلى المدائن ، وأخرى سارت[(١)] إلى نهاوند ، وأقام سعد ببابل أياماً ، ثم سار منها نحو المدائن ، فلقوا جمعاً آخر من الفُرس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وبارزوا[(٢)] أميرَ الفُرس ، وهو شهريار ، فبرز إليه رجلٌ من المسلمين يقال له نائل الأعرجي أبو نباتة[(٣)] من شجعان بني تميم ، فتجاولا ساعةً بالرّماح ، ثم ألقياها فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما ، ثم تعانقا وسقطا عن فرسَيْهما إلى الأرض ، فوقع شهريار على[(٤)] صدر أبي نباتة ، وأخرج خنجراً ليذبحه بها ، فوقعت أصبعه في فم أبي نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه ، وأخذ الخنجر فذبح شهريار بها وأخذ فرسه وسِوَارَيْه وسَلَبَه ، وانكشف أصحابه فهزموا ، فأقسم سعد على نائل ليلبس سِوَاري شهريار وسلاحه ، وليركبنَّ فرسه إذا كان حربٌ ، فكان يفعل ذلك ، قالوا : وكان أول من تسوَّر بالعراق ، وذلك بمكانٍ يقال له كوثى[(٥)] . وزار المكان الذي حُبس فيه الخَليل وصلَّى عليه وعلى سائر الأنبياء ، وقرأ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] الآية .

بَهُرَ سِير[(٦)]

قالوا : ثم قدّم سعد زهرة بين يديه من كوثى إلى بَهُر سير فمضى إلى المقدمة وقد تلقاه شيرزاذ إلى ساباط بالصلح والجزية فبعثه إلى سعد فأمضاه ، ووصل سعد بالجنود إلى مكان يقال له مظلم ساباط ، فوجدوا هنالك كتائب كثيرة لكسرى يسمونها بوران[(٧)] ، وهم يقسمون كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا ، ومعهم أسد كبير لكسرى يقال له المقرَّط ، قد أرصدوه في طريق المسلمين ، فتقدم إليه ابن أخي سعد ، وهو هاشم بن عتبة ، فقتل الأسد والناس ينظرون ، وسمي يومئذ[(٨)] سيفه المتين ، وقبَّل سعدٌ يومئذ رأسَ هاشم ، وقبَّل هاشمٌ قدم سعد . وحملَ هاشمٌ على الفُرس فأزالهم عن أماكنهم وهزمهم وهو

---

(١) في أ : صارت .
(٢) في أ : وبارز .
(٣) في أ : نائل الأعرج أبو نباتة . وفي تاريخ الطبري (٣/ ٦٢١) : أبو نباتة نائل بن جعشم الأعرجي .
(٤) في أ : عن .
(٥) كوثى ـ بالضم ثم السكون ، والثاء مثلثة ، وألف مقصورة تكتب بالياء لأنها رابعة الاسم ـ موضع بسواد العراق في أرض بابل سار إليها سعد بعد القادسية . معجم البلدان (٤/ ٤٨٧) وبلدان الخلافة الشرقية (٩٤) .
(٦) في أ ، ط : نهرشير ، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٦٢٢) : بَهُرَ سير وكذلك في معجم البلدان (١/ ٥١٥) وضبطها ياقوت بالفتح ، ثم الضم ، وفتح الراء ، وكسر السين المهملة ، وياء ساكنة وراء من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، وقيل هي إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن .
(٧) في أ : نوزان ؛ تحريف . وهي كما أثبتنا في تاريخ الطبري (٣/ ٦٢٢) .
(٨) في أ : وسمى سيفه يومئذ .

يتلو[١] قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٤] فلما كان الليلُ ارتحل المسلمون ونزلوا بَهُرَ سير فجعلوا كُلَّما وقفوا كَبَّروا ، وكذلك حتى كان آخرهم مع سعد فأقاموا بها شهرين ودخلوا في الثالث وفرغت السنة .

قال ابن جرير[٢] : وفيها حجَّ بالنَّاس عُمر ، وكان عامله فيها على مكَّة عَتّاب (بن أسيد) ، وعلى الشام أبو عُبَيْدة ، وعلى الكوفة[٣] والعراق سعد ، وعلى الطائف يعلى بن أمية[٤] وعلى البحرين واليمامة عثمان بن أبي العاص ، وعلى عُمان حُذَيفة بن محصن[٥] .

قلت : وكانت وقعة اليرموك في سنة خمس عشرة في رجب منها عند الليث بن سعد وابن لهيعة وأبي معشر والوليد بن مسلم ويزيد بن عبيدة وخليفة بن خَيّاط وابن الكلبي ومحمد بن عائذ وابن عساكر وشيخنا أبي عبد الله الذهبي الحافظ[٦] . وأما سيف بن عمر وأبو جعفر بن جرير فذكروا وقعة اليرموك في سنة ثلاث عشرة . وقد قدمنا ذكرها هنالك تبعاً لابن جرير ، وهكذا وقعة القادسية عند بعض الحفاظ أنها كانت في أواخر هذه السنة ـ سنة خمس عشرة ـ وتبعهم في ذلك شيخنا الحافظ الذهبي[٧] . والمشهور أنها كانت في سنة أربع عشرة كما تقدم . ثم ذكر شيخنا الذهبي[٨] :

من توفي في هذه السنة مرتبين على الحروف :

سعد[٩] بن عبادة الأنصاري الخزرجي : وهو أحد أقوال المؤرخين وقد تقدم .

سعد[١٠] بن عُبَيْد بن النُّعمان أبو زيد الأنصاري الأوْسي : قُتل بالقادسية، ويقال إنه أبو زيد القارىء أحد الأربعة الذين جَمَعوا القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ . وأنكر آخرون ذلك ، ويقال إنه والد عُمَيْر بن سَعْد

---

(١) في أ : وهو يتلو له .
(٢) في تاريخه (٣/ ٦٢٣) .
(٣) في تاريخ الطبري : وعلى قضائها أبو قرة .
(٤) في تاريخ الطبري : منية ـ وهي أمه ـ وترجمته في جامع الأصول (١٥/ ٥٤٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٠) .
(٥) بعده في تاريخ الطبري : وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة .
(٦) تاريخ خليفة (ص١٣٠) وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ١٠) وقال الذهبي : وقيل سنة ثلاث عشرة وأراه وهماً .
(٧) في تاريخه (٢/ ١١) .
(٨) المصدر نفسه (٢/ ١٣ـ١٧) .
(٩) ترجمة ـ سعد بن عبادة ـ في الاستيعاب (٥٩٤) وجامع الأصول (١٤/ ١٦٨) . وأسد الغابة (٢/ ٣٥٦) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٩/ ٢٣٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠) .
(١٠) ترجمة ـ سعد بن عبيد ـ في الاستيعاب (٦٠٠) وجامع الأصول (١٤/ ١٧٠) وأسد الغابة (٢/ ٣٥٩) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٩) والإصابة (٢/ ٣١) .

الزاهد أمير حمص . وذكر محمد بن سعد وفاته بالقادسية وقال[١] : كانت في سنة ست عشرة والله أعلم .

سهيل بن عمرو[٢] بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ أبو يزيد العامري : أحد خطباء قريش وأشرافهم ، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان سمحاً جواداً فصيحاً كثيرَ الصلاة والصوم والصدقة وقراءة القرآن والبكاء . ويقال إنه قام وصام حتى شحب لونه . وله سعيٌ مشكورٌ في صلح الحُدَيبية . ولما مات رسول الله ﷺ خطب الناسَ بمكة خطبةً عظيمةً تُثبّتُ الناسَ على الإسلام ، وكانت خطبته بمكة قريباً من خطبة الصدّيق بالمدينة ، ثم خرج في جماعةٍ إلى الشام مجاهداً فحضر اليرموكَ وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال إنه استشهد يومئذ . وقال الواقديّ والشافعي : توفي بطاعون عَمَواس .

عامر[٣] بن مالك بن أُهيب الزُّهري أخو سَعْد بن أبي وقَّاص ، هاجر إلى الحبشة ، وهو الذي قدم بكتاب عمر إلى أبي عبيدة بولايته على الشام وعزل خالد عنها ، استشهد يوم اليرموك .

عبد الله[٤] بن سُفيان بن عبد الأَسَدَ المَخْزومي ، صحابي هاجر إلى الحبشة مع عمه أبي سلمة بن عبد الأسد . روى عنه عمرو بن دينار منقطعاً لأنه قتل يوم اليرموك .

(عبد الرحمن[٥] بن العوام ، أخو الزبير بن العوام ، حضر بدراً مشركاً ثم أسلم واستشهد يوم اليرموك في قول) .

عُتْبة بن غَزْوان توفي فيها في قول[٦] .

عكرمة بن أبي جهل استشهد باليرموك في قول[٧] .

عمرو بن أم مكتوم استشهد يوم القادسية وقد تقدم[٨] . ويقال بل رجع إلى المدينة .

عمرو بن الطفيل[٩] بن عمرو تقدم .

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٤٥٨) .

(٢) في أ : سهل بن عمرو ؛ تحريف . وترجمة ـ سهيل بن عمرو ـ في الاستيعاب (٦٦٩) وجامع الأصول (١٤/ ٢٠٦) وأسد الغابة (٢/ ٤٨٠) والإصابة (٢/ ٩٣) .

(٣) ترجمة ـ عامر بن مالك ـ في الاستيعاب (٧٩٩) وأسد الغابة (٣/ ١٤٠) والإصابة (٢/ ٢٥٧) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن سفيان ـ في الاستيعاب (٩٢١) وأسد الغابة (٣/ ٢٦٣) والإصابة (٢/ ٣١٩) .

(٥) ترجمة ـ عبد الرحمن بن العوام ـ في الاستيعاب (٨٤٤) وأسد الغابة (٣/ ٤٧٩) والإصابة (٢/ ٤١٥) .

(٦) تقدمت ترجمة المصنف له في وفيات سنة ١٤هـ وذكر الاختلاف في سنة وفاته ، وتنظر مصادر ترجمته هناك .

(٧) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ١٣هـ . وتنظر مصادر ترجمته هناك .

(٨) تقدم في وفيات سنة ١٤هـ . وتنظر مصادر ترجمته هناك .

(٩) ترجمة ـ عمرو بن الطفيل ـ في الاستيعاب (١١٨٤) وأسد الغابة (٤/ ٢٤٣) والإصابة (٢/ ٥٤٤) ، وتقدم ذكره في ترجمة والده في وفيات سنة ١١هـ .

عيَّاش[١] بن أبي ربيعة تقدم .

فراس[٢] بن النضر بن الحارث يقال استشهد يوم اليرموك .

قيس[٣] بن عدي (بن سهم) من مهاجرة الحبشة) قُتل باليرموك .

قيس[٤] بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف الأنصاري المازني : شهد العقبة وبدراً ، وكان أحد أمراء الكراديس يوم اليرموك ، وقتل يومئذ ، وله حديث قال : قلت يا رسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال : « في خمس عشرة . . . » الحديث[٥] ، قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي[٦] : ففيه دليل على أنه ممن جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ .

نُضَيْر[٧] بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري ، أسلم عام الفتح ، وكان من علماء قريش ، وأعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مئة من الإبل ، فتوقف في أخذها وقال : لا أرتشي على الإسلام ، ثم قال : والله ما طلبتها[٨] ولا سألتها ، وهي عطية من رسول الله ﷺ ، فأخذها وحسن إسلامه ، واستشهد يوم اليرموك .

نوفل[٩] بن الحارث بن عبد المطلب (ابن عم رسول الله ﷺ ، كان أسن من أسلم من بني عبد المطلب) وكان ممن أسر يوم بدر ففاداه العباسُ ، ويُقال إنه هاجر أيام[١٠] الخندق وشهد الحديبية والفتح ، وأعان رسول الله ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف رمح ، وثبت يومئذ وتوفي سنة خمس عشرة ، وقيل سنة عشرين والله أعلم ، توفي بالمدينة وصلَّى عليه عمر ومشى في جنازته ودُفن بالبقيع وخلف عدة أولاد فضلاء وأكابر .

---

(١) في ط : « عامر » ، وهو تحريف ، وما هنا يعضده ما نقله الذهبي ، وهو عياش بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة المخزومي .
(٢) ترجمة ـ فراس بن النضر ـ في الاستيعاب (١٢٦٨) وأسد الغابة (٤/ ٣٥٤) والإصابة (٣/ ٢٠٢) .
(٣) ترجمة ـ قيس بن عدي ـ في الإصابة (٣/ ٢٨٤) .
(٤) ترجمة ـ قيس بن أبي صعصعة ـ في الاستيعاب (١٢٩٤) وأسد الغابة (٤/ ٤٢٩) والإصابة (٣/ ٢٥١) .
(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٤٤) رقم (٨٧٧) وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٦٩) وفيه ابن لهيعة وفيه كلام .
(٦) في تاريخ الإسلام (٢/ ١٦) .
(٧) ترجمة ـ نضير بن الحارث ـ في الاستيعاب (١٤٩٣) وأسد الغابة (٥/ ٣١٧) وفيه : النضر . والإصابة (٣/ ٥٥٤) .
(٨) في أ : لا طلبتها ، وما هنا يعضده ما نقله الذهبي .
(٩) ترجمة ـ نوفل بن الحارث ـ في الاستيعاب (١٥١٢) وأسد الغابة (٥/ ٣٦٩) والإصابة (٣/ ٥٧٧) .
(١٠) في أ : يوم .

هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص تقدم[١] وقال ابن سعد[٢] : قتل يوم اليرموك .

* * *

ثم دخلت سنة ست عشرة

استُهِلَّتْ هذه السنة وسعدُ بن أبي وقّاص منازلٌ مدينة بَهُرَسِير ، وهي إحدى مدينتي كسرى مما يلي دجلةَ من الغرب وكان قدومُ سعدٍ إليها في ذي الحجة من سنة خمس عشرة ، واستُهلت هذه السنة وهو نازل عندها . وقد بعثَ السرايا والخيول في كل وجهٍ ، فلم يجدوا واحداً من الجند ، بل جمعوا من الفلاحين مئة ألفٍ فحبسوا حتى كتب إلى عمر ما يفعل بهم ، فكتب إليه عمر : إنَّ منْ كان من الفلاحين لم يعنْ عليكم وهو مقيمٌ ببلده فهو أمانة ، ومنْ هرب فأدركتموه فشأنكم به . فأطلقهم سعدٌ بعد ما دعاهم إلى الإسلام فأبوا إلا الجزية . ولم يبقَ من غربي دجلة إلى أرض العرب[٣] أحد من الفلاحين إلا تحت الجزية والخراج ، وامتنعت بَهُرَسير من سعد أشدَّ الامتناع ، وقد بعث إليهم سعد سلمان الفارسي فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ أو الجزية أو المقاتلة ، فأبوا إلا المقاتلةَ والعصيان ، ونصبوا المجانيق والدبَّابات ، وأمر سعد بعمل المجانيق فعُملت عشرون منجنيقاً ، ونصبت على بَهُرَسير ، واشتدَّ الحصار ، وكان أهل[٤] بَهُرَسير يخرجون فيقاتلون قتالاً شديداً ويحلفون أن لا يفروا[٥] أبداً ، فأكذبهم الله وهزمهم[٦] زُهْرة بن حَويَّة بعد ما أصابه سهم وقَتَل بعد مصابه كثيراً[٧] من الفرس ، وفرُّوا بين يديه ولجؤوا إلى بلدهم ، فكانوا[٨] يحاصرون فيه أشدَّ الحصار ، وقد انحصر أهل البلد حتى أكلوا الكلابَ والسنانير ، وقد أشرف رجلٌ منهم على المسلمين فقال : يقول لكم الملك : هل لكم إلى المصالحة على أنَّ لنا ما يلينا من دجلة إلى (جبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى) جبلكم ؟ أما شبعتم ؟ لا أشبع الله بطونَكُم . قال : فبدر الناس رجلٌ يُقال له أبو مُفَزِّر[٩] الأسود بن قُطْبة فأنطقه الله بكلامٍ لم يَدْرِ ما قال لهم ، قال : فرجع الرجل

---

(١) تقدم في وفيات سنة ١٣هـ . وتنظر مصادر ترجمته هناك .
(٢) الطبقات الكبرى (٤/ ١٩٢) .
(٣) في أ : المغرب .
(٤) في أ : وكانوا أهل ؛ وهي لغة مفضولة .
(٥) في أ : أن لا ينفرون ؛ خطأ .
(٦) في أ : أهزمهم .
(٧) في أ : بعد اتصاله به كثير الفرس .
(٨) في أ : وكانوا .
(٩) في أ ، ط : مقرن ؛ تحريف . والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ٧) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٩/ ٦٨) ـ ط دار الفكر ـ . وينظر إكمال ابن ماكولا (٧/ ٢٨٣) .

ورأيناهم يقطعون من بَهُرَسير إلى المدائن . فقال الناس لأبي مُفَزِّز : ما قلت لهم ؟ فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما قلتُ لهم إلا أن عليَّ سكينة وأنا أرجو أن أكون قد أنطقْتُ بالذي هو خير ، وجعل الناس ينتابونه يسألونه عن ذلك ، وكان فيمن سأله سعد بن أبي وقاص ، وجاءه سعد إلى منزله فقال : يا أبا مُفَزِّرٍ ما قلتَ ؟ فوالله إنهم هُرَّابٌ . فحلفَ له أنَّه لا يدري ما قال . فنادى سعد في الناس ونهد بهم إلى البلد والمجانيق تضرب في البلد ، فنادى رجل من البلد بالأمان فأمّناه ، فقال والله ما بالبلد أحد ، فتسور الناس السورَ فما وجدنا فيها أحداً إلا قد هربوا إلى المدائن . وذلك في شهر صفر من هذه السنة فسألنا ذلك الرجل وأناساً من الأسارى فيها لأي شيء هربوا ؟ قالوا بعثَ الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجابه ذلك الرجل بأنه لا يكون بينكم وبينه صلحٌ أبداً حتى نأكلَ عسل أفريذين بأترج كوثى . فقال الملك : يا ويلاه ! إنَّ الملائكةَ لتتكلمُ على ألسنتهم ، تردُّ علينا وتُجيبنا عن العرب . ثم أمر الناسَ بالرحيل من هناك إلى المدائن ، فجازوا في السفن منها إليها وبينهما دجلة ، وهي قريبة منها جداً ولما دخل المسلمون بَهُرَسير لاح لهم القصر الأبيض من المدائن وهو قصر الملك الذي ذكره رسول الله ﷺ أنه سيفتحه اللهُ على أمّتهِ ، وذلك قريب الصباح ، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخَطّاب ، فقال : الله أكبر أبيضُ كِسْرى ، هذا ما وعدنا الله ورسوله . ونظر الناس إليه فتتابعوا التكبير إلى الصبح .

ذكر فتح المدائن [التي هي مستقرّ ملك كسرى]

لمّا فتحَ سعدٌ بَهُرَسِير واستقرَّ بها ، وذلك في صفة لم يجد فيها أحداً ولا شيئاً مما يغنم ، بل قد تحوّلوا بكمالهم إلى المدائن ، وركبوا السفن (وضمّوا السفنَ إليهم ، ولم يجد سعدٌ رضي الله عنه شيئاً من السفن) ، وتعذَّرَ عليه تحصيلُ شيء منها بالكُلِّية ، وقد زادت دجلةُ زيادةً عظيمةً واسودّ ماؤها ، ورمت بالزَّبد من كثرة الماء بها ، وأخبر سعدٌ بأنّ كسرى يَزْدَجرد عازمٌ على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان ، وأنك إن لم تدركه قبلَ ثلاث فات عليك ، وتفارط الأمر . فخطبَ سعدٌ المسلمين على شاطىء دجلة ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه وقال : إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون إليهم معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا [(١)] فَيُناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تُؤْتوا منه ، وقد رأيتُ أن تبادروا جهادَ العدو بنيّاتكم قبل أن تحصركم [(٢)] الدنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم ، فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . فعند (ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول : من يبدأ فيحمي لنا الفراض ـ يعني ثغرة) المخاضة من الناحية الأخرى ـ ليجوز الناس إليهم آمنين ، فانتدب عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس قريب من ستمئة ، فأمّر سعد عليهم عاصم بن عمرو ووقفوا على حافَّة دجلة فقال عاصم : من ينتدب (معي) لنكون قبل الناس دخولاً في هذا البحر ،

---

(١) في أ : إذا شاؤوا وفي السفن وليس ورائكم .

(٢) في أ : أن تبادروا جهاد العدو بنسياكم قبل أن تحصدكم الدنيا .

فنحمي الفراض من الجانب الآخر . ؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين ـ والأعاجم وقوف[١] صفوفاً من الجانب الآخر ـ فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة ، فقال : أتخافون من هذه النطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس ، وقد افترق الستون فرقتين : أصحاب الخيل الذكور ، وأصحاب الخيل الإناث . فلما رآهم الفُرْس يطفون على وجه الماء قالوا : ديوانا ديوانا ، يقولون : مجانين (مجانين) . ثم قالوا : والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جنّاً . ثم أرسلوا فرساناً منهم في الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء ، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماحَ ويتَوَخَّوا الأعين ، ففعلوا ذلك بالفُرس فقلعوا عيونَ خيولهم ، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كفَّ خيولهم حتى خرجوا من الماء، واتَّبعهم عاصمٌ وأصحابُه فساقُوا وراءهم حتى طَرَدُوهم عن الجانب الآخر ، ووقفوا على حافة الدجلة من الجانب الآخر . ونزل بقيةُ أصحاب عاصم من (الستمئة) في دجلة (فخاضوها) حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نَفَوْا الفرس عن ذلك الجانب ، وكانوا يُسمُّون الكتيبةَ الأولى كتيبةَ الأهوال، وأميرها عاصم بن عمرو ، والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء ، وأميرها القعقاع بن عمرو . وهذا كلُّه وسعدٌ والمسلمون ينظرون إلى ما يصنع[٢] هؤلاء الفرسان بالفرس ، وسعد واقع على شاطىء[٣] دجلة . ثم نزل سعدٌ ببقية الجيش ، وذلك حينَ نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصَّنَ بمَنْ حصلَ فيه من الفرسان المسلمين ، وقد أمر سعدٌ المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا : نستعينُ بالله ونتوكَّلُ عليه ، حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم . ثم اقتحم بفرسه دجلةَ واقتحمَ الناس لم يتخلَّفْ عنه أحدٌ ، فساروا فيها كأنّما يسيرون على وجه الأرض حتى ملؤوا ما بين الجانبين ، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدّثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن ، والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده ، ولأنَّ أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ . ودعا له . فقال : « اللهم أجبْ دعوتَه ، وسَدِّدْ رميتَهُ »[٤] والمقطوع به أن سعداً دعا لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر ، وقد رمى بهم في هذا اليَمّ فسدَّدَهُم الله وسلمهم ، فلم يُفْقَدْ من المسلمين

---

(١) في أ : وقوفاً .
(٢) في أ : ما صنع .
(٣) في أ : شفير .
(٤) روى هذا الحديث الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٣٠٨)، والترمذي (٣٧٥١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٠٨) وابن حبان (٦٩٩٠)، والحاكم (٣/ ٤٩٩ و٥٠٠) من حديث قيس بن أبي حازم عن سعد مرفوعاً. واقتصر بعضهم على الاستجابة لدعوته حسب. وقد أعله الإمامان الترمذي والدارقطني في العلل (٤/ ٣٧٨ سؤال ٦٤٠) بالإرسال، فذكرا أنَّ المرسل هو المحفوظ، ليس فيه سعد، وهو الذي أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى (٣/ ١٤٢) (بشار).

رجلٌ واحدٌ غير أنَّ رجلاً (واحداً) يقال له غَرْقَدَة[١] البارقي . زلّ عن فرس له شقراء ، فأخذ القعقاعُ بن عمرو بلجامها ، وأخذ بيد الرجل حتى عدَّله على فرسه ، وكان من الشجعان ، فقال : عجزَ النساءُ أن يلدنَ مثل القعقاع بن عمرو . ولم يعدم للمسلمين شيء من أمتعتهم غير قدح من خشبٍ لرجلٍ يُقال له مالك بن عامر ، كانت علاقته رثَّة فأخذه الموج ، فدعا صاحبُه اللهَ عزَّ وجلَّ ، وقال : اللهم لا تجعلني من بينهم يذهب متاعي ، فردَّه الموج إلى الجانب الذي يقصدونه ، فأخذه الناس ، ثم ردُّوه على صاحبه بعينه . وكان الفَرَسُ إذا أعيا ، وهو في الماء ، يُقيِّضُ الله له مثل النشز المرتفع فيقف عليه فيستريح ، وحتى إنَّ بعضَ الخيل ليسير وما يصلُ الماءُ إلى حزامها ، وكان يوماً عظيماً وأمراً هائلاً ، وخطباً جليلاً ، وخارقاً باهراً ، ومعجزةً لرسول الله ﷺ ، خلقها الله لأصحابه لم يُرَ مثلها في تلك البلاد ، ولا في بقعة من البقاع ، سوى قضية العلاء بن الحضرمي المتقدمة ، بل هذا أجلُّ وأعظمُ ، فإن هذا الجيش كان[٢] أضعافَ ذلك .

قالوا : وكان الذي يساير سعد بن أبي وقاص في الماء سلمان الفارسي ، فجعلَ سعدٌ يقول : حَسْبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ . والله لينصرنَّ الله وليَّه وليظهرنَّ اللهُ دينَه ، وليهزمنَّ اللهُ عدوَّه ، إن لم يكن في الجيش بغيٌ أو ذنوبٌ تغلب الحسنات . فقال له سلمان : إنَّ الإسلام جديد . ذُلِّلَتْ لهم والله البحورُ كما ذُلِّل (لهم) البر ، أما والذي نفسُ سلمانَ بيده ليخرِجنَّ منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً . فخرجوا منه كما قال سلمان لم يغرق منهم أحدٌ ، ولم يفقدوا شيئاً .

ولما استقلَّ المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلةً ، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائنَ ، فلم يجدوا بها أحداً ، بل قد أخذ كسرى أهله ، وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل ، وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام والثّياب والمتاع ، والآنية والألطاف والأدْهان ما لا يدرى قيمتُه . وكان في خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ألف دينار ثلاث مرات فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه ، وتركوا ما عجزوا عنه ، وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه . فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم الكتيبة الخرساء ، فأخذوا في سككها[٣] لا يلقون أحداً ولا يخشونه غير القصر الأبيض ففيه مقاتلةٌ وهو محصَّنٌ .

فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي ، فلما كانَ اليوم الثالث نزلوا منه وسكنه سعدٌ ، واتّخذ الإيوان مُصلّىً ، وحين دخله تلا قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٥ ـ ٢٨] ثم تقدَّم إلى صدره فصلَّى ثمان ركعات صلاةَ الفَتْحِ .

---

(١) في أ : عروة ؛ تحريف . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١٢) .

(٢) في أ : كانوا .

(٣) في أ : كتيبة الأولى ثم الكتيبة الخرسا . فأخذوا في سلكها . وما هنا موافق للكامل لابن الأثير (٢/ ٥١٣) .

وذكر سيف في روايته أنه صلاها بتسليمةٍ واحدة وأنه جمَّعَ بالإيوان في صفر[١] من هذه السنة ، فكانت أولَ جمعةٍ جمِّعت بالعراق، وذلك لأنَّ سعداً نوى الإقامة بها، وبعثَ إلى العيالات فأنزلهم دور[٢] المدائن واستوطنوها ، حتى فتحوا جلولاء وتكريت والموصل ، ثم تحوّلوا إلى الكوفة بعد ذلك كما سنذكره .

ثم أرسل السرايا في إثر كسرى يَزْدَجِرْدَ فلحق بهم[٣] طائفة فقتلوهم وشَرَّدوهم واستَلَبُوا منهم أموالاً عظيمة. وأكثر ما استرجعوا من ملابس كسرى وتاجه وحليه. وشرعَ سعدٌ في تحصيل ما هنالك من الأموال والحواصل والتحف ، مما لا يقوّم ولا يُحدُّ ولا يوصف كثرةً وعظمةً . وقد روينا أنه كان هناك[٤] تماثيل من جصٍّ فنظر سعد إلى أحدها وإذا هو يشير بأصبعه إلى مكان، فقال سعد: إن هذا لم يوضع هكذا سدى، فأخذوا ما يسامت[٥] أصبعه فوجدوا قبالتها كنزاً عظيماً من كنوز الأكاسرة الأوائل ، فأخرجوا منه أموالاً عظيمة جزيلة ، وحواصل باهرة ، وتحفاً فاخرة . واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم يَرَ أحدٌ في الدنيا أعجب منه . وكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مُكلَّلٌ بالجواهر النفيسة التي تُحيِّر الأبصار ، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقباؤه وبساط إيوانه ، وكان مربعاً ستون ذراعاً في مثلها ، من كل جانب ، والبساط مثله سواء ، وهو منسوج بالذَّهب واللآلىء والجواهر الثمينة ، وفيه مصور جميع ممالك كسرى ، بلاده بأنهارها وقلاعها ، وأقاليمها ، وكنوزها ، وصفة الزروع والأشجار التي في بلاده . فكان إذا جلس على كرسيّ مملكته ودخل تحت تاجه ، وتاجُه معلَّقٌ بسلاسل الذهب ، لأنه كان لا يستطيع أن يقلّه[٦] (على رأسه) لثقله ، بل كان يجيء فيجلسُ تحته ثم يُدخل رأسه تحت التاج والسلاسل الذهب تحمله عنه ، وهو يستره حال لبسه فإذا رفع الحجاب عنه خرَّتْ له الأمراء سجوداً . وعليه المنطقةُ والسواران والسيفُ والقباءُ المُرَصَّعُ بالجواهر فينظر في البلدان واحدة واحدة ، فيسأل عنها ومن فيها من النواب ، وهل حدث فيها شيء من الأحداث ؟ فيخبره بذلك ولاة الأمور بين يديه . ثم ينتقل إلى الأخرى ، وهكذا حتى يسأل عن أحوال بلاده في كل وقت ، لا يهمل أمر المملكة ، وقد وضعوا هذا البساط بين يديه تذكاراً له بشأن الممالك ، وهو إصلاحٌ جيدٌ منهم في أمر السياسة . فلمّا جاءَ قَدَرُ الله زالت تلك الأيدي عن تلك الممالك (والأراضي) وتسلمها المسلمون من أيديهم قسراً ، وكسروا شوكتَهم عنها وأخذوها بأمر الله صافية (ضافية) ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) في أ : من صفر .
(٢) في أ : دون .
(٣) في أ : فلحقوا .
(٤) في أ : هنالك .
(٥) يسامت : من السمت ، وهو السير على الطريق بالظن ، والمراد هنا : أنهم بحثوا قبالة إشارة الإصبع .
(٦) في أ : ينقله .

وقد جعل سعد بن أبي وقاص على الأقباض[(١)] عمرو بن عمرو[(٢)] بن مُقرِّن فكان أول ما حصل ما كان في القصر الأبيض ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن ، وما كان بالإيوان مما ذكرنا ، وما يفد من السرايا الذين في صحبة زُهْرة بن حَوية ، وكان فيما رَدّ زُهْرة بغلٌ كان قد أدركه وغصبه من الفرس ، وكانت تحوطه بالسيوف فاستنقذه منهم ، وقال : إنَّ لهذا لشأناً فردّه إلى الأقباض وإذا عليه سفطان فيهما ثياب كسرى وحليه ، ولبسه الذي كان يلبسه على السرير كما ذكرنا ، وبغل آخر عليه تاجه الذي ذكرنا في سفطين أيضاً رُدَّا[(٣)] من الطريق مما استلبه أصحابُ السرايا ، وكان فيما رَدَّتِ السرايا أموالٌ عظيمةٌ وفيها أكثر أثاث كسرى وأمتعته والأشياء النفيسة التي استصحبوها معهم ، فلحقهم المسلمون فاستلبوها منهم . ولم تقدر الفَرَس على حمل البساط لثقله عليهم ، ولا حمل الأموال لكثرتها . فإنه كان المسلمون يجيئون بعض تلك الدور فيجدون البيت ملآن[(٤)] إلى أعلاه من أواني الذهب والفضة ، ويجدون من الكافور شيئاً كثيراً ، فيحسبونه ملحاً ، وربما استعمله بعضهم في العجين فوجدوه مُرَّاً حتى تبيَّنوا[(٥)] أمره فتحصل الفيء على أمر عظيم من الأموال ، وشرع سعد فخمَّسه وأمر سلمان الفارسي فقسم أربعة[(٦)] الأخماس بين الغانمين ، فحصل لكلّ واحد من الفرسان اثني عشر ألفاً ، وكانوا كلهم فرساناً ، ومع بعضهم جنائب ، واستوهب سعد أربعة أخماس البساط ولبس كسرى من المسلمين ، ليبعثه إلى عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجَّبوا منه ، فطيبوا له ذلك وأذنوا فيه ، فبعثه سعد إلى عمر مع الخُمس مع بشير بن الخصاصية ، وكان الذي بشَّر بالفتح قبله خنيس[(٧)] بن فلان الأسدي ، فروينا أن عمر لما نظر إلى ذلك قال إنَّ قوماً أدَّوْا هذا لأمناءُ ، فقال له علي بن أبي طالب : إنك عَفَفْتَ فَعَفَّتْ رَعيتُكَ ، ولو رَتَعْتَ لرَتَعتْ . ثم قسم عمر ذلك في المسلمين فأصاب علياً[(٨)] قطعة من البساط فباعها بعشرين ألفاً .

وقد ذكر سيفُ بن عمر[(٩)] أنَّ عمر بن الخطاب ألبسَ ثياب كسرى لخشبة ونصبها أمامه ليرى الناس ما في هذه الزينة من العجب ، وما عليها من زهرة الحياة الدنيا الفانية . وقد روينا أنَّ عمرَ ألبس ثياب كسرى لسُراقة بن مالك بن جُعْشُم أمير بني مُدْلج رضي الله عنه .

---

(١) الأقباض : جمع قَبَض ـ بفتحتين ـ وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن يُقسم . اللسان (قبض) .
(٢) في أ : عمر بن عمر ؛ خطأ . وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ١٦) .
(٣) في أ : ردوا .
(٤) في ط : ملآنا ؛ وما هنا أقرب للسياق النحوي .
(٥) في أ : ثبتوا .
(٦) في ط : الأربعة الأخماس .
(٧) في أ ، ط : حليس ؛ خطأ . وما هنا عن تاريخ الطبري (٤/ ٢٢) .
(٨) في أ : علي .
(٩) تاريخ الطبري (٤/ ٢٢ ـ ٢٣) .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في « دلائل النبوة »[(١)] : أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي ، قال : وجدت في كتابي بخطّ يدي عن أبي داود ، حدَّثنا محمد بن عُبيد ، حدَّثنا حمّاد ، حدَّثنا يونس ، عن الحسن :

أن عمر بن الخطاب أُتي بفروةِ كسرى فوُضعت بين يديه وفي القوم سُراقة بن مالك بن جُعْشُم ، قال فألقى إليه سِوَاري كسرى بن هرمز فجعلهما في يده فبلغا منكبيه ، فلما رآهما في يدي سُراقة قال : الحمدُ لله : سواري [كسرى][(٢)] بن هرمز في يدي سُراقة بن مالك بن جُعْشُم أعرابي من بني مُدْلج . وذكر الحديث . هكذا ساقه البيهقي .

ثم حكى عن الشافعي أنه قال : وإنما ألبسهما سُراقة لأنَّ رسول الله ﷺ قال لسُراقة ونظر إلى ذراعيه : « كأني بك وقد أُلبست سواري كسرى » (قال الشافعي : وقد قال عمر لسراقة حين ألبسه سواري كسرى) : قل : الله أكبر . فقال : الله أكبر . ثم قال : قل الحمدُ لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابي من بني مدلج .

وقال الهيثم بن عدي[(٣)] : أخبرنا أسامة بن زيد اللّيثي، حدَّثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر. قال: بعث سعد بن أبي وقاص أيام القادسية إلى عمر بقباء كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه وسراويله وقميصه وتاجه وخُفَّيه، قال فنظر عمر في وجوه القوم. وكان أجسمهم وأبدنهم قامة سراقة بن مالك بن جُعْشُم فقال يا سراق: قم فالبس ، قال سراقة : فطمعت فيه فقمت فلبست فقال [له] : أدبر فأدبرت ، ثم قال أقبل فأقبلت ، ثم قال بخٍ بخٍ . أُعيرابيٌّ من بني مُدْلج عليه قَباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفَّاه . رُبَّ يومٍ يا سُراقَ بنَ مالك ، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى ، كان شرفاً لك ولقومك ، انزع. فنزعت. فقال: اللهم إنَّكَ منعتَ هذا رسولك ونبيك ، وكان أحبّ إليك مني (وأكرم عليك مني). ومنعته أبا بكر وكان أحبَّ إليك مني ، وأكرم عليك مني ، وأعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي . ثم بكى حتى رحمه من كان عنده . ثم قال لعبد الرحمن بن عوف : أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تمسي .

وذكر سيف بن عمر التميمي[(٤)] : أن عمر حينَ ملك تلك الملابس والجواهر جيء[(٥)] بسيف كسرى ومعه عدةُ سيوف منها سيفُ النعمان بن المنذر نائب كسرى على الحيرة ، وأن عمر قال : الحمدُ لله

(١) دلائل النبوة (٦/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) .
(٢) ساقطة من الأصل واستدركت من الدلائل .
(٣) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي البحتري الكوفي ، أبو عبد الرحمن ، مؤرخ ـ عالم بالأدب والنسب ـ توفي سنة ٢٠٧هـ وله : « بيوتات العرب » و« نزول العرب في خراسان والسواد » و« نسب طيِّء » و« تاريخ الأشراف » و« التاريخ » وغيرها . الأعلام (٨/ ١٠٤) ، ولكنه كذاب متروك .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٢٣) .
(٥) مكان اللفظة في أ : مع ذلك بسيف .

الذي جعلَ سيفَ كسرى فيما يضره ولا ينفعه . ثم قال : إن قوماً أَدَّوْا هذا لأُمَنَاءُ ، أو لذووا أمانة . ثم قال : إنَّ كسرى لم يـزدْ على أن تشاغلَ بمـا أوتي عن آخرته فجمع لزوج امرأته ، أو زوج ابنته ، ولم يقدّم لنفسه ، ولو قدَّم لنفسه ووضع الفضول في مواضعها لحصلَ له . وقد قال بعض المسلمين وهو أبو نجيد[1] نافع بن الأسود (في ذلك)[2] : [من الخفيف]

وأَسَلْنا[3] على المدائن[4] خيلاً ... بحـرُهـا مثـلُ بَـرِّهـنّ أريضـا
فانتثلنا[5] خزائن المرءِ كسرى ... يـوم ولّـوا وحـاصَ منا جـريضـا

وقعة جلولاء[6]

لما سار كسرى وهو يَزْدَجِرْد بن شهريار من المدائن هارباً إلى حلوان شرعَ في أثناء الطريق في جمع رجال وأعوان وجنود ، من البلدان التي هناك ، فاجتمع إليه خلقٌ كثير ، وجم غفير من الفرس وأمَّرَ على الجميع مهران ، وسار كسرى إلى حلوان[7] فأقام[8] الجمع الذي جمعه بينه وبين المسلمين في جلولاء ، واحتفروا خندقاً عظيماً حولها ، وأقاموا بها في العَددَ والعُددَ[9] وآلات الحصار ، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك . فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة (أميراً على الجيش الذي يبعثه إلى كسرى ، ويكون على المقدمة القعقاع) بن عمرو ، وعلى الميمنة سعد بن مالك وعلى الميسرة أخوه عمر بن مالك ، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجُهني . ففعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشاً كثيفاً يقارب اثني عشر ألفاً . من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار ، ورؤوس العرب . وذلك في صفر من هذه السنة بعد فراغهم من أمر المدائن ، فساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولاء قد خندقوا عليهم ، فحاصرهم هاشم بن عتبة ، وكانوا يخرجون من بلدهم للقتال في كل وقت فيقاتلون قتالاً لم يُسمع بمثله . وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد ، وكذلك سعد يبعث المددَ إلى ابن أخيه ، مرةً بعد أخرى ، وحمي القتالُ ، واشتد النزالُ ، واضطرمت نار الحرب ، وقام في الناس هاشمٌ فخطبهم غيرَ

---

(١) في تاريخ الطبري : أبو بجيد ـ بالباء ـ وتحتمل الوجهين في أ .
(٢) البيتان في تاريخ الطبري (٤/ ١٠) .
(٣) في أ : وأملننا ، وفي ط : وأملنا . وما هنا عن تاريخ الطبري والكامل (٣/ ٥١٤) .
(٤) في أ : على الخزائن خيلاً نحرها .
(٥) في ط : فانتشلنا .
(٦) جَلَولاء : بالمد : طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان ، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ ، بها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ ، فاستباحهم المسلمون ، فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون معجم البلدان (٢/ ١٥٦) .
(٧) حلوان العراق : موضع في آخر حدود السواد فمايلي الجبال من بغداد . معجم البلدان (٢/ ٢٩٠) .
(٨) في أ : وأقام .
(٩) في أ : في العدد والعديد .

مرةٍ ، فحرَّضهم على القتال والتوكل على الله . وقد تعاقدت الفرس وتعاهدت ، وحلفوا بالنار أن لا يفرّوا أبداً حتى يفنوا العرب . فلما كان الموقف الأخير ، وهو يوم الفيصل والفرقان ، تواقفوا من أول النهار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يُعْهدْ مثله حتى فني النُّشّابُ من الطَّرفين ، وتَقَصَّفَت الرماحُ من هؤلاء ومن هؤلاء ، وصاروا إلى السيوف والطبرزينات[١] ، وحانت صلاةُ الظهر فصلَّى المسلمون إيماءً ، وذهبت فرقة المجوس وجاءت مكانها أخرى ، فقام القعقاع بن عمرو في المسلمين فقال : أهالكم ما رأيتم أيها المسلمون ؟ قالوا : نعم إنا كالّون[٢] وهم مريحون ، فقال : بل إنا حاملون عليهم ومُجدُّون في طلبهم ، حتى يحكم الله بيننا ، فاحملوا عليهم حملةً رجلٍ واحدٍ حتى نخالطهم ، فحمل وحمل الناس ، فأما القعقاع فإنه صمَّم الحملة في جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان ، حتى انتهى إلى باب الخندق ، وأقبل الليل بظلامه ، وجالت بقية الأبطال بمنْ معهم في الناس وجعلوا يأخذون في التحاجز من أجل إقبال الليل وفي الأبطال[٣] يومئذ طُلَيْحة الأسَدي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، وقَيْس بن مَكْشوح ، وحجر بن عدي . ولم يعلموا بما صنعه القعقاع في ظلمة الليل ، ولم يشعروا بذلك ، لولا مناديه ينادي : أين أيها المسلمون[٤] هذا أميركم على باب خندقهم . فلما سمع ذلك المجوس فرّوا وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو فإذا هو على باب الخندق قد ملكه عليهم ، وهربت الفرس كلَّ مَهْربٍ ، وأخذهم المسلمون من كل وجه ، وقعدوا لهم كل مرصد ، فقتل منهم في ذلك الموقف مئة ألف حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء . وغنموا من الأموال والسلاح والذهب والفضة قريباً مما[٥] غنموا من المدائن قبلها .

وبعث هاشم بن عتبة القعقاع بن عمرو في إثر من انهزمَ منهم وراء كسرى ، فساق خلفهم حتى أدرك مِهْران منهزماً ، فقتله القعقاع بن عمرو ، وأفلتهم الفيرزان فاستمرَّ منهزماً ، وأسر سبايا كثيرة بعث بها إلى هاشم بن عتبة ، وغنموا دوابَّ كثيرة جداً . ثم بعث هاشم بالغنائم والأموال إلى عمه سعد بن أبي وقاص فنفَّل سعد ذوي النجدة ثم أمر بقسم ذلك على الغانمين .

قال الشعبي : كان المال المتحصّل من وقعة جلولاء ثلاثين ألف ألف . وكان خمسه ستة آلاف ألف وقال غيره : كان الذي أصاب كل فارس يوم جلولاء نظير ما حصل له يوم المدائن ـ يعني اثني عشر ألفاً لكل فارس ـ وقيل أصاب كل فارس تسعة آلاف وتسع[٦] دواب . وكان الذي ولي قسم ذلك بين المسلمين

---

(١) في هامش ط : الطبرزينات : نوع من السلاح يشبه الفأس . وكذا في هامش تاريخ الطبري (٤/ ٢٧) ، وينظر معجم دوزي (٧/ ١٤) من الترجمة العربية .

(٢) كالّون : جمع كالٍّ وهو من كلَّ يكلُّ إذا أعيا . اللسان (كلل) .

(٣) بعدها في أ : إعادة لبعض الكلمات في السطر السابق .

(٤) في أ : أيها الناس .

(٥) في أ : بما .

(٦) حفي أ : سبع .

وتحصيله ، سلمان الفارسي رضي الله عنه . ثم بعث سعد بالأخماس من المال والرقيق والدواب مع زياد بن أبي سفيان ، وقضاعي بن عمرو ، وأبي مفزر[١] الأسود . فلما قدموا على عمر (سأل عمر) زياد بن أبي سفيان عن كيفية الوقعة فذكرها له ، وكان زياد فصيحاً ، فأعجب إيراده لها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأحبَّ أن يسمعَ المسلمون منه ذلك ، فقال له : أتستطيع أن تخطب الناس بما أخبرتني به ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه ليس أحد على وجه الأرض أهيب عندي منك ، فكيف لا أقوى على هذا مع غيرك ؟ فقام في الناس فقصَّ عليهم (خبر) الوقعة ، وكم قتلوا ، وكم غنموا ، بعبارة عظيمة بليغة فقال عمر : إنّ هذا لهو الخطيب المِصْقَع[٢] ـ يعني الفصيح ! فقال زياد : إن جندنا أطلقوا بالفَعال لساننا . ثم حلف عمر بن الخطاب أن لا يجنّ هذا المال الذي جاؤوا به سقف حتى يقسمه ، فبات عبد الله بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه في المسجد ، فلما أصبح جاء عمر في الناس ، بعد ما صلى الغداةَ وطلعتِ الشمس ، (فأمر) فكشف عنه جلابيبه ، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وذهبه الأصفر وفضته البيضاء ، بكى عمر ، فقال له عبد الرحمن : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا لموطن شكر ، فقال عمر : والله ما ذاك يبكيني ، وتالله ما أعطى الله قوماً (إلا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا) إلا ألقى بأسهم بينهم ، ثم قسمه كما قسم أموال القادسية .

وروى سيف بن عمر[٣] عن شيوخه أنهم قالوا : وكان فتح جلولاء في ذي القعدة من سنة ست عشرة ، وكان بينه وبين فتح المدائن تسعة أشهر . وقد تكلم ابن جرير هاهنا فيما رواه عن سيف على ما يتعلّق بأرض السواد وخراجها ، وموضع تحرير ذلك كتاب « الأحكام » .

وقد قال هاشم بن عُتبة في يوم جلولاء[٤] : [من الرجز]

يومُ جَلولاءَ ويومُ رُسْتم[٥] ... ويومُ زحفِ الكوفةِ المُقَدّمْ
ويومُ عَرَضِ النَّهر[٦] المُحرَّم ... وأيامٌ خَلَتْ من بينهنّ صُرَّمْ[٧]
شَيَّبْنَ أصداغي فهُنَّ هُرَّمْ ... مِثْلُ ثَغامِ[٨] البلدِ المُحرَّمْ

---

(١) في أ : مط : مقرن ، تحريف وتقدم الحديث عنه .
(٢) المصقع : البليغ . اللسان (صقع) .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٢) .
(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٣٣) .
(٥) جاءت القافية في أ ، ط : مكسورة . وما هنا عن الطبري (٤/ ٣٣ـ٣٤) .
(٦) في أ ، ط : الشهر .
(٧) في تاريخ الطبري : من بين أيام خلون صرّم ؛ وهي الأشبه .
(٨) الثَّغام : نبات أبيض الثمر والزهر يشبّه بياض الشيب به . اللسان (ثغم) .

(وقال أبو نجيد[١] في ذلك[٢]) : [من الطويل]

وَيَـوْم جَلـولاءَ الـوَقيعـة أصْبحـتْ كتـائبُنـا تَـرْدي بـأسـدٍ عَـوابـسِ
فضضتُ[٣] جموعَ الفُرْسِ ثم أنَمتُهُمْ فتبّـاً لأجْسـادِ المَجُـوسِ النَّجـائـسِ
وأفْلَتَهـنَّ الفيـرزانُ بجـرْعـةٍ ومِهْـرانَ أرْدَتْ يـومَ حَـزِّ القَـوانـسِ
أقـامـوا بـدارٍ لِلْمَنيَّـةِ مَـوْعـدٍ وللتُّرْبِ تَحْثوها خَجُوج[٤] الروامسِ[٥]

ذكر فتح حلوان[٦]

ولما انقضت الوقعة أقام هاشم بن عتبة بجلولاء عن أمر عمر بن الخطاب ـ في كتابه إلى سعد ـ وتقدم القعقاع بن عمرو إلى حلوان ، عن أمر عمر أيضاً ليكون ردءاً للمسلمين هنالك ، ومرابطاً لكسرى حيث هرب . فسار كما قدمنا ، وأدرك أمير الوقعة وهو مِهْران الرازي ، فقتله وهرب منه الفيرزان ، فلما وصل إلى كسرى وأخبره بما كان من أمر جلولاء ، وما جرى على الفرس بعده ، وكيف قتل منهم مئة ألف ، وأدرك مِهْران فقتل ، هرب عند ذلك كسرى من حلوان إلى الري ، واستناب على حلوان أميراً يقال له خسروشُنُوم[٧] ، (فتقدم إليه القعقاع بن عمرو ، وبرز إليه خسروشنوم) إلى مكان خارج من حلوان ، فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً ثم فتحَ اللهُ ونصرَ المسلمين وانهزمَ خسروشنوم ، وساق القعقاع إلى حلوان فتسلمها[٨] ودخلها المسلمون فغنموا وسَبَوا ، وأقاموا بها ، وضربوا الجزيةَ على منْ حولها من الكُور والأقاليم ، بعدما دعوا[٩] إلى الدخول في الإسلام فأبَوْا إلَّا الجزيةَ . فلم يزلِ القعقاعُ بها حتى تحوَّل سعد من المدائن إلى الكوفة ، فسار إليها كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

فتح تَكْريت[١٠] والموصِل

لما افتتحَ سعدٌ المدائنَ بلغه أن أهلَ الموصل قد اجتمعوا بتكريت على رجل من الكفرة يقال له

(١) في تاريخ الطبري : أبو بجيد .
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٣٤) .
(٣) في تاريخ الطبري : ففَضَّتْ .
(٤) الخجوج من الرياح : الشديد المرّ ، وقيل هي الشديدة من كل ريح ما لم تثر عجاجاً . اللسان (خجج) .
(٥) الروامس : الرياح التي تثير التراب وتدفن الآثار . اللسان (رمس) .
(٦) حلوان : بليدة بقوهستان نيسابور ، وهي آخر حدود خراسان ممايلي أصبهان . معجم البلدان (٢/ ٢٩٤) .
(٧) في أ : حرسيوم ، وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ٣٤) .
(٨) في أ : فتسلموها .
(٩) في أ : دلوا .
(١٠) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهي غربي دجلة . معجم البلدان (٢/ ٣٨) .

الأنطاق، فكتب إلى عمر بأمر جلولاء واجتماع الفرس بها، وبأمر أهل الموصل، فتقدم ما ذكرناه من كتاب عمر في أهل جلولاء، وما كان من أمرها. وكتب عمر في قضية أهل الموصل الذين قد اجتمعوا بتَكْريت على الأنطاق، أن يعيِّن جيشاً لحربهم، ويؤمّر عليه عبد الله بن المُعْتَمّ[١]، وأن يجعل على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي[٢]، وعلى الميمنة الحارث بن حسّان الذّهلي، وعلى الميسرة فرات بن حيان العِجْلي، وعلى السَّاقة هانىء بن قيس، وعلى الخيل عَرْفَجة بن هَرْثَمة. ففصل عبد الله بن المُعْتَمّ في خمسة آلاف من المدائن! فسار في أربع حتى نزل بتكريت على الأنطاق، وقد اجتمع إليه جماعة من الروم، ومن الشهارجة، ومن نصارى العرب، ومن إياد وتغلب والنمر. وقد أحدقوا بتكريت، فحاصرهم عبد الله بن المعتمّ أربعين يوماً. وزاحفوه[٣] في هذه المدة أربعاً وعشرين مرة. ما من مرة إلا وينتصر عليهم ويفلّ جموعهم، فضَعُفَ جانبُهم، وعزمت الرومُ على الذهاب في السفن بأموالهم وراسل عبد الله بن المعتم إلى منْ هنالك من الأعراب، فدعاهم إلى الدخول معه في النصرة على أهل البلد، (فجاءت القصاد) إليه عنهم بالإجابة إلى ذلك، فأرسل إليهم: إن كنتم صادقين فيما قلتم فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقِرُّوا بما جاء من عند الله. فرجعت القصاد إليه بأنهم قد أسلموا، فبعث[٤] إليهم: إن كنتُم صادقين فإذا كبّرنا وحملنا على البلد الليلةَ فأمسكوا علينا أبواب السفن، وامنعوهم أن يركبوا فيها، واقتلوا منهم منْ قدرتم على قتله. ثم شدّ عبد الله وأصحابه، وكبَّروا تكبيرة رجلٍ واحدٍ، وحملوا على البلد، فكبرت الأعراب من الناحية الأخرى، فحار أهل البلد، وأخذوا في الخروج من الأبواب التي تلي دجلة، فتلقتهم[٥] إياد والنمر وتغلب، فقتلوهم قتلاً ذريعاً، وجاء عبد الله بن المعتم بأصحابه من الأبواب الأخر فقتل جميعَ أهلِ البلد عن بكرة أبيهم، ولم يسلم إلا منْ أسلم من الأعراب من إياد وتغلب والنمر، وقد كان عمر عهد في كتابه[٦] إذا نُصروا على تكريت أن يبعثوا ربعي بن الأفكل إلى الحصنين وهي الموصل سريعاً، فسار إليها (كما أمر عمر، ومعه سرية كثيرة، وجماعة من الأبطال، فسار إليها) حتى فجئها قبل وصول الأخبار إليها، فما كان إلا أن واقفها حتى أجابوا إلى الصلح[٧] فضربت عليهم الذِّلَّة[٨] (عن يد) وهم صاغرون، ثم قسمت الأموال التي تحصلت من تكريت، فبلغ سهم الفارس

---

(١) قيده الأمير ابن ماكولا في الإكمال (٧/ ٢٧٣) وابن ناصر الدين في توضيح المشتبه (٨/ ٢٠٦) بضم أوله وسكون العين المهملة وفتح المثناة تليها ميم مشددة.

(٢) تحرفت في ط إلى: الغزي.

(٣) في أ: وري وراي حفرة!

(٤) في أ: فبعثوا.

(٥) في أ: فلقيهم.

(٦) في أ: أن إذا.

(٧) في أ: المصالحة.

(٨) كذا في (أ) وفي المطبوع: الذمة.

ثلاثة آلاف ، وسهم الراجل ألف درهم . وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حيان ، وبالفتح مع الحارث بن حسان ، وولي إمرة حرب الموصل ربعي بن الأفكل ، وولي الخراج بها عَرْفَجة بن هَرْثَمة .

فتح ماسَبَذان[١] من أرض العراق

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى عمر بالمدائن ، بلغ سعداً أن آذين بن الهرمزان قد جمع طائفة من الفرس ، فكتب إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه أن ابعث جيشاً وأمّر عليهم ضرار بن الخطّاب . فخرج ضرار في جيش من المدائن ، وعلى مقدمته ابن الهزيل[٢] الأسدي ، فتقدم ابن الهزيل بين يدي الجيش ، فالتقى مع آذين وأصحابه قبل وصول ضرار إليه، فكسر ابن الهزيل طائفة الفرس، وأسر آذين بن الهرمزان، وفرَّ عنه أصحابه، وأمر ابن الهزيل فضرب عنق آذين بين يديه، وساق وراء المنهزمين حتى انتهى إلى ماسَبَذان ـ وهي مدينة كبيرة ـ فأخذها عنوة ، وهرب أهلها في رؤوس الجبال والشعاب ، فدعاهم فاستجابوا له ، وضرب على منْ لم يسلم الجزيةَ ، وأقام نائباً عليها حتى تحوّل سعد من المدائن إلى الكوفة كما سيأتي .

فتح قَرْقِيسياء وهيت[٣] في هذه السنة

قال ابن جرير[٤] وغيره: لما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن وكان أهل الجزيرة قد أمدوا هرقل على أهل حمص على قتال أبي عبيدة وخالد ـ لما كان هرقل بقنسرين ـ واجتمع أهل الجزيرة في مدينة هيت ، كتب سعد إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه أن يبعث إليهم جيشاً ، وأن يؤمِّر عليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، فسار فيمن معه من المسلمين إلى هيت، فوجدهم قد خندقوا عليهم ، فحاصرهم حيناً فلم يظفر بهم ، فسار في طائفة من أصحابه ، واستخلف على محاصرة هيت الحارث بن يزيد ، فراح عمر ابن مالك إلى قرقيسياء فأخذها عنوة، وأنابوا إلى بذل الجزية ، وكتب إلى نائبه على هيت : إن لم يصالحوا أن يحفر من وراء خندقهم خندقاً ، ويجعل له أبواباً من ناحيته . فلما بلغهم ذلك أنابوا إلى المصالحة .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ الذهبي[٥] : وفي هذه السنة بعث أبو عبيدة عمرو بن العاص بعد فراغه

---

(١) ما سَبَذان : إحدى مدن الفرس ، وأصلها ماه سبذان مضاف إلى اسم القمر . معجم البلدان (٥/ ٤١) .
(٢) كذا في أ ، ط وفي تاريخ الطبري (٤/ ٣٧) : ابن الهذيل .
(٣) قرقيسياء : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق ، وكان سعد بن أبي وقاص قد أنفذ جيشاً وهو بالمدائن إلى هيت وقرقيسيا ورئيسهم عمر بن مالك الزهري فنزلوا على حكمه . معجم البلدان (٤/ ٣٢٨) .
وهيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبرية . معجم البلدان (٥/ ٤٢١) .
(٤) في تاريخه (٤/ ٣٧ ـ ٣٨) .
(٥) في تاريخ الإسلام (٢/ ٢٠) طبعة مكتبة القدسي .

من اليرموك إلى قنسرين فصالح أهل حلب ، ومنبج ، وأنطاكية ، على الجزية . وفتح سائر بلاد قنّسرين عنوة .

قال : وفيها افتتحت سَروج والرُّها[١] على يدي عياض بن غنم .

قال : وفيها فيما ذكر ابن الكلبي سار أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فحاصر إيلياء فسألوا الصلح على أن يقدم عمر فيصالحهم على ذلك ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر ، فقدم حتى صالحهم وأقام أياماً ثم رجع إلى المدينة .

قلت : قد تقدم هذا فيما قبلَ هذه السنة ، والله أعلم .

قال الواقدي : وفي هذه السنة حمى عمر الرَّبذة بخيل المسلمين .

وفيها غرَّب عمر أبا محجن الثقفي إلى باضع[٢] .

وفيها تزوَّج عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عُبيد .

قلت : الذي قُتل يوم الجسر ، وكان أمير السّرية ، وهي أخت المختار بن أبي عُبيد أمير العراق فيما بعد ، وكانت امرأةً صالحةً ، وكان أخوها فاجراً وكافراً أيضاً .

قال الواقدي : وفيها حجَّ عمرُ بالناس ، واستخلف على المدينة زيدَ بن ثابت . قال : وكان نائبه على مكة عتّاب ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى العراق سعد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن يعلى بن أمية ، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحَضْرمي ، وعلى عُمان حذيفة بن محصن ، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة ، وعلى الموصل ربعي بن الأفكل ، وعلى الجزيرة عِياض بن غَنْم الأشعري .

[وضع عمر رضي الله عنه التأريخ الهجري]

قال الواقدي : وفي ربيع الأول من هذه السنة ـ أعني سنة ست عشرة ـ كتب عمر بن الخطاب التاريخ[٣] ، وهو أول من كتبه . قلت : قد ذكرنا سببه في سيرة عمر ، وذلك أنه رُفع إلى عمر صكٌّ مكتوبٌ لرجل على آخر بدَيْنٍ يحلّ عليه في شعبان ، فقال : أي شعبان ؟ أمن هذه السنة أم التي قبلها ، أم التي بعدها ؟ ثم جمع الناس فقال : ضعوا للناس شيئاً يعرفون فيه حلول ديونهم . فيقال إنهم أراد بعضهم

---

(١) سَروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر ، غلب عياض بن غنم على أرضها ثم فتحها صلحاً على مثل صلح الرّها في سنة ١٧ في أيام عمر رضي الله عنه . معجم البلدان (٣/ ٢١٦) .
والرُّها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، سميت باسم الذي استحدثها . معجم البلدان (٣/ ١٠٦) .

(٢) في أ : ما صنع ؛ تحريف ، وباضع : جزيرة في بحر اليمن . معجم البلدان (١/ ٣٢٤) .

(٣) ينظر تاريخ الطبري (٤/ ٣٨) والكامل في التاريخ (٢/ ٥٢٦) .

أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم ، كلما هلك ملك أرّخوا من تاريخ ولاية الذي بعده ، فكرهوا ذلك . ومنهم من قال : أرخوا بتاريخ الروم من زمان إسكندر فكرهوا ذلك ، ولطوله أيضاً ، وقال قائلون : أرِّخوا من مولد رسول الله ﷺ : وقال آخرون من مبعثه عليه السلام . وأشار علي بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مكة إلى المدينة لظهوره لكلّ أحد فإنه أظهر من المولد والمبعث . فاستحسن ذلك عمر والصحابة ، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ وأرخوا من أول تلك السنة من محرَّمها ، وعند مالك رحمه الله فيما حكاه السهيلي[١] وغيره أن أول السنة من ربيع الأول لقدومه عليه الصلاة والسلام إلى المدينة . والجمهورُ على أنَّ أول السنة من المحرم ، لأنه أضبطُ لئلا تختلف الشهور ، فإنَّ المحرمَ أول السنة الهلالية العربية .

وفي هذه السنة ـ أعني سنة ست عشرة ـ توفيت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وذلك في المحرم منها فيما ذكره الواقدي وابن جرير[٢] وغير واحد ، وصلَّى عليها عمر بن الخطاب ، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها ، ودُفنت بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها ، وهي مارية القبطية ، أهداها صاحب إسكندرية ـ وهو جريج بن مينا ـ في جملة تحفٍ وهدايا لرسول الله ﷺ ، فقبل ذلك منه ، وكان معها أختُها سيرين[٣] التي وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان . ويقال أهدى المقوقس معهما جاريتين أُخْرَيين[٤] ، فيُحتمل أنهما كانتا خادمتين لمارية وسيرين . وأهدى معهن غلاماً خَصِيّاً اسمه مأبور ، وأهدى مع ذلك بغلةً شهباءَ اسمها الدُّلدُل ، وأهدى حلةَ حرير من عمل الإسكندرية . وكان قدوم هذه الهدية في سنة ثمان . فحَملت مارية من رسول الله ﷺ بإبراهيم عليه السلام ، فعاش عشرين شهراً ، ومات قبل أبيه رسول الله ﷺ (بسنة سواء . وقد حزن عليه رسول الله ﷺ) وبكى عليه وقال : « تدمع العينُ ، ويحزنُ القلبُ ، ولا نقول إلا ما يُرْضي ربَّنا ، وإنا بك يا إبراهيمُ لمحزونون »[٥] . وقد تقدم ذلك في سنة عشر . وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان . وقد حظيت عند رسول الله ﷺ وأُعجب بها ، وكانت جميلة ملاَّحة ، أي : حلوة ، وهي تشابه هاجر سرية الخليل ، فإن كلًّا منهما من ديار مصر وتسرّاها نبيٌّ كريم ، وخليل جليل ، عليهما السلام .

* * *

---

(١) في الأصل والمطبوع : حكاه عن السهيلي ، و(عن) مقحمة .

(٢) في تاريخه (٤/ ٣٨) .

(٣) في أ ، ط : شيرين ، وما أثبتنا عن الاستيعاب (٤/ ١٨٦٨) والإصابة (٤/ ٣٣٩) .

(٤) في ط : أخرتين ؛ وهو تحريف .

(٥) الحديث عن أنس رضي الله عنه ، وهو في مسند أحمد (٣/ ١٩٤) ومسلم في صحيحه (٢٣١٥) في الفضائل ، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٦٢) رقم (٢٩٠٢) في الجنائز .

ثم دخلت سنة سبع عشرة

في المُحرم منها انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة ، وذلك أنَّ الصحابةَ استوخموا[١] المدائن ، وتَغيَّرتْ ألوانُهم ، وضعفتْ أبدانُهم ، لكثرةِ ذبابها وغبارها ، فكتبَ سعدٌ إلى عمر في ذلك ، فكتب (عمر) : إنَّ العربَ لا تصلحُ إلا حيثُ يوافق إبلَها . فبعث سعدٌ حُذَيْفة وسلمان (بن زياد) يرتادان[٢] للمسلمين منزلًا مناسباً يصلحُ لإقامتهم . فمرَّا على أرض الكوفة ، وهي حصباء في رملة حمراء ، فأعجبتهما ووجدا هنالك ديرات ثلاث[٣] دير حرقة بنت النعمان ، ودير أم عمرو ، ودير سلسلة ، وبين ذلك خصاص[٤] خلال هذه الكوفة ، فنزلا فصلَّيا هنالك ، وقال كل واحد منهما : اللهم ربّ السماء وما أظَلَّتْ ، وربّ الأرض وما أقلَّتْ ، وربّ الريح وما ذَرَتْ ، والنجوم وما هَوَتْ ، والبحار وما جَرَتْ ، والشياطين وما أضلَّتْ ، والخصاص وما أجنَّتْ ، باركْ لنا في هذه الكوفة واجعلها منزلَ ثباتٍ ، ثم كتبا إلى سعد بالخبر .

فأمر سعد باختطاط الكوفة ، وسار إليها في أول هذه السنة في محرمها ، فكان أول بناء[٥] وضع فيها المسجد . وأمر سعد رجلًا رامياً شديد الرمي ، فرمى من المسجد إلى الأربع جهات فحيثُ سقطَ سهمُه بنى الناسُ منازلهم ، وعَمَّر قصراً تلقاء[٦] محراب المسجد للإمارة وبيت المال ، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب ، فاحترقت[٧] في أثناء السنة ، فبنوها باللَّبِنِ عن أمر عمر ، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحدَّ . وبعث سعد إلى الأمراء والقبائل فقدموا عليه ، فأنزلهم الكوفةَ ، وأمر سعد أبا هَيّاج[٨] الموكل بإنزال الناس فيها بأن يعمُروا ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعاً . ولما دون ذلك ثلاثين وعشرين ذراعاً ، وللأزقَّة سبعة أذرع . وبُني لسعد قصرٌ قريبٌ من السُّوق ، فكانت غوغاء الناس [تمنع] سعداً من الحديث ، فكان يغلق بابه ويقول : سكِّنِ الصويت ، فلما بلغت هذه الكلمة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة ، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدح زناده ويجمع حطباً ويحرق باب القصر ثم يرجع من فوره . فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر ، وأمر سعداً أن لا يغلق بابه عن الناس ، ولا يجعل على

---

(١) بلدة وَخِمَة ووخيمة إذا لم يوافق سكنُها وقد استوخمتُها . اللسان (وخم) .
(٢) في أ : يريدان ؛ والمثبت هو الأشبه .
(٣) في أ : ثلاث ديرات حربة ابن النعمان . وما هنا موافق للسان (دير) .
(٤) الخصاص : جمع خص وهو البيت من الشجر أو القصب . اللسان (خصص) .
(٥) في أ : أول ما وضع .
(٦) في أ : قصراً أبلقاً .
(٧) في أ : فاحترق .
(٨) في تاريخ الطبري (٤/ ٤٤) : أبو الهيّاج بن مالك .

بابه أحداً يمنع الناس عنه ، فامتثل ذلك سعد وعرض على محمد بن مسلمة شيئاً من المال فامتنع من قبوله ، ورجع إلى المدينة ، واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة ثلاث سنين ونصفاً[١] ، حتى عزله عنها عمر ، من غير عجز ولا خيانة .

قصة أبي عبيدة وحصر الروم له بحمص وقدوم عمر إلى الشام [أيضاً لينصره]

وذلك أن جمعاً من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بحمص ، واستجاشوا[٢] بأهل الجزيرة ، وخلق ممن هنالك ، وقصدوا أبا عبيدة ، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنّسرين ، وكتب إلى عمر بذلك ، واستشار أبو عبيدة المسلمين في أن يناجر[٣] الروم ، أو يتحصَّنَ بالبلد حتى يجيء أمرُ عمر ؟ فكلّهم أشار بالتَّحصُّنِ ، إلا خالداً فإنه أشار بمناجزتهم ، فعصاهُ وأطاعهم . وتحصَّن بحمص وأحاط به الروم ، وكلُّ بلدٍ من بلدان الشام مشغولٌ أهله[٤] عنه بأمرهم ، ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى حمص لا نخرم النظام في الشام كله .

وكتب عمر إلى سعد أن يندبَ الناس مع القعقاع بن عمرو ، ويسيّرهم إلى حمص من يوم يقدم عليه الكتاب ، نجدة لأبي عبيدة فإنه محصورٌ ، وكتب إليه أن يُجهّز جيشاً إلى أهل الجزيرة الذين مالؤوا الروم على حصار أبي عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عِياض بن غَنْم . فخرج الجيشان معاً من الكوفة : القعقاع في أربعة آلاف نحو حمص لنجدة أبي عبيدة ، وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة ، فبلغ الجابية ، وقيل إنما بلغ سَرْغ . قاله ابن إسحاق ، وهو أشبه ، والله أعلم .

فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على حمص أن الجيش قد طرق بلادهم ، انشمروا[٥] إلى بلادهم ، وفارقوا الروم ، وسمعت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جداً . وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهُزمت الرومُ هزيمةً فظيعةً . وذلك قبل ورود عمر عليهم ، وقبل وصول الأمداد إليهم بثلاث ليالٍ . فكتب أبو عبيدة إلى عمر ، وهو بالجابية ، يخبره بالفتح ، وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليال وسأله[٦] هل يدخلهم في القَسْم معهم مما أفاء الله عليهم ؟ فجاء الجوابُ بأن يدخلهم معهم في الغنيمة ، فإنَّ العدوَّ إنما ضعف ، وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم ، فأشركهم أبو عبيدة في

---

(١) في أ ، ط : ونصف ، وما هنا أقرب للسياق . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٠) .
(٢) استجاشه : أي طلب منه جيشاً . اللسان (جيش) .
(٣) في أ : أن يناجزوا .
(٤) في أ : مشغول بأهله .
(٥) انشمروا : عادوا ورجعوا .
(٦) في أ : وسألهم ؛ وهو خطأ .

الغنيمة . وقال عمر : جزى الله أهل الكوفة خيراً يحمون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار .

فتح الجزيرة

(قال ابن جرير[١] : وفي هذه السنة فتحت الجزيرة[٢] فيما قاله سيف بن عمر) . قال ابن جرير : في ذي الحجة من سنة سبعَ عشرةَ . فوافقَ سيف بن عمر في كونها في هذه السنة . وقال ابن إسحاق : كان ذلك في سنة تسع عشرة . سار إليها عياض بن غنم . وفي صحبته أبو موسى الأشعري وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، وهو غلام صغير السنّ ليس إليه من الأمر شيء ، وعثمان بن أبي العاص . فنزل الرُّها فصالحه أهلها على الجزية ، وصالحت حَرَّان على ذلك . ثم بعث أبا موسى (الأشعري) إلى نَصيبين ، وعمر بن سعد إلى رأس العين ، وسار بنفسه إلى دارا ، فافتتحت هذه البلدان ، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية ، فكان عندها شيء من قتال ، قتل فيه صفوان بن المُعطَّل السُّلمي شهيداً . ثم صالحهم عثمان بن أبي العاص على الجزية ، على كل أهل بيت دينار .

وقال سيف في روايته : جاء عبد الله بن عبد الله بن غسان فسلك على رجليه حتى انتهى إلى الموصل فعبر إلى بلد حتى انتهى إلى نَصيبين ، فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرَّقَّة . وبعث إلى عمر برؤوس النصارى من عرب أهل الجزيرة ، فقال لهم عمر : أدُّوا الجزيةَ . فقالوا : أبْلِغْنا مأمننَا فَوالله لئن وضعت علينا الجزية لندخلن[٣] (أرض الروم) ، والله لتفضحنا من بين العرب . فقال لهم : أنتم فضحتم أنفسَكم ، وخالفتم أُمتكم ، ووالله لتؤدُنَّ الجزيةَ وأنت صَغَرَةٌ قَمَأَةٌ[٤] ، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبنَّ فيكم ، ثم لأسبينَّكم . قالوا : فخذ منا شيئاً ولا تُسمِّه[٥] جزية . فقال : أما نحن فنسميه جزية ، وأما أنتم فسمُّوه ما شئتم . فقال له علي بن أبي طالب : ألم يُضْعف عليهم سعد الصدقة ؟ قال : بلى : وأصغى إليه ورضي به منهم .

[قدوم عمر رضي الله عنه إلى الشام]

قال ابن جرير[٦] : وفي هذه السنة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام فوصل إلى سَرْغ في قول محمد بن إسحاق ، وقال سيف : وصل إلى الجابية . قلت : والأشهر أنه وصل سَرْغ ، وقد تلقّاه

(١) في تاريخه (٤/٥٣) .
(٢) في ط : الجزائر . وما هنا عن الطبري .
(٣) في أ : لنرحلن ؛ تحريف .
(٤) صَغَرة : من الصَّغَر والصَّغار وهو الذل والهوان . اللسان (صغر) . قَمأة : جمع قميء من قمأ الرجل وغيره : ذلَّ وصَغُر وصار قميئاً . اللسان (قمأ) .
(٥) في أ ، ط : تُسمِّيه ، وما هنا للسياق النحوي .
(٦) في تاريخه (٤/٥٦) .

أمراءُ الأجناد ، أبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، إلى سَرْغ فأخبروه بأن الوباء قد وقع بالشام ، فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فاختلفوا عليه ، فمن قائل يقول : أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه . ومن قائل يقول : لا نرى أن تقدم بوجوه أصحاب رسول الله ﷺ على هذا الوباء . فيقال إن عمر أمر الناس بالرجوع من الغد[١] . فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ قال : نعم ! نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو هبطت وادياً ذا عدوتين إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة ، فإن رعيت الخِصبة رعيتها بقدر الله ، وإن أنت رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم قال : لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة .

قال ابن إسحاق في روايته وهو في صحيح البخاري[٢] : وكان عبد الرحمن بن عوف متغيباً في بعض شأنه ، فلما قدم قال : إن عندي من ذلك علماً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه » . فحمد الله عمر ـ (يعني) لكونه وافق رأيه ـ ورجع بالناس .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا سفيان ، عن حبيب[٤] بن أبي ثابت ، عن إبراهيم بن سعد ، عن سعد بن مالك بن أبي وقاص وخزيمة بن ثابت وأسامة بن زيد قالوا : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ هذا الطاعون رجزٌ وبقيةُ عذابٍ عُذِّب به قومٌ قبلكم ، فإذا وقع بأرض وأنتم بها[٥] فلا تخرجوا منها فراراً منه ، وإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تدخلوا عليه » .

ورواه (الإمام) أحمد[٦] أيضاً من حديث سعيد بن المسيّب ويحيى بن سعد[٧] ، عن سعد بن أبي وقاص به .

قال سيف بن عمر[٨] : كان الوباء قد وقعَ بالشام في المُحَرَّم من هذه السنة ثم ارتفع ، وكأن سيفاً يعتقدُ أنَّ هذا الوباء هو طاعون عَمَواس ، الذي هلك فيه خلق من الأمراء ووجوه المسلمين ، وليس الأمر كما زعم ، بل طاعون عَمَواس ، من السنة المستقبلة بعد هذه ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى .

وذكر سيف بن عمر أن أمير المؤمنين عمر كان قد عزمَ على أن يطوفَ البلدان ، ويزورَ الأمراء . وينظر

(١) في أ : من الغزو .
(٢) صحيح البخاري (٥٧٢٩) في الطب .
(٣) في المسند (١/ ١٨٢ و٥/ ٢١٣) ، وإسناده صحيح .
(٤) في ط : « سفيان بن حسين » خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وسفيان هو الثوري .
(٥) في ط : فيها ، وما هنا عن أ والمسند .
(٦) في المسند (١/ ١٧٤ و١٨٠ و١٨٦) من حديث سعيد بن المسيب .
(٧) في ط : « سعيد » وهو خطأ ، وهو يحيى بن سعد بن أبي وقاص ، وروايته عن أبيه أخرجها أحمد في المسند كما ذكر المصنف في (١/ ١٧٣ و١٧٥ و١٧٦) .
(٨) تاريخ الطبري (٤/ ٥٨) .

فيما اعتمدوه وما آثروا من الخير ، فاختلف عليه الصحابة فمن قائلٍ يقولُ إبدأ بالعراق ، ومن قائل يقول بالشام . فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قَسْمِ مواريث منْ مات من المسلمين في طاعون عمواس ، فإنه أشكل قَسْمُها على المسلمين بالشام فعزم على ذلك . وهذا يقتضي أن عمر عزمَ على قدوم الشام بعد طاعون عمواس ، وقد كان الطاعون في سنة ثماني عشرة كما سيأتي ، فهو قدوم آخر غير قدوم سَرْغ . والله أعلم .

قال سيف : عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بن النعمان قالوا : قال عمر : ضاعت مواريثُ الناس بالشام ، أبدأ بها فأقسم المواريث وأقيم لهم ما في نفسي ، ثم أرجع فأتقلّب في البلاد وأنبذ إليهم أمري . قالوا : فأتى عمر الشام أربعَ مراتٍ مرتين في سنة ست عشرة ، ومرتين في سنة سبع عشرة . (ولم يدخلها في الأولى من الأخريين . وهذا يقتضي ما ذكرناه عن سيف أنه يقول بكون طاعون عمواس في سنة سبع عشرة) وقد خالفه محمد بن إسحاق وأبو معشر وغير واحد ، فذهبوا إلى أنه كان في سنة ثماني عشرة . وفيه توفي أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان ، وغيرهم من الأعيان ، على ما سيأتي تفصيله[١] إن شاء الله تعالى .

[ذكر] شيءٍ من أخبار طاعون عَمَوَاس[٢]

الذي توفي فيه أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أشراف الصحابة وغيرهم ، أورده ابن جرير[٣] في هذه السنة .

قال محمد بن إسحاق[٤] : عن شعبة ، عن المخارق[٥] بن عبد الله البَجَلي عن طارق بن شهاب البَجَلي قال : أتينا أبا موسى ، وهو في داره بالكوفة ، لنتحدَّث عنده ، فلما جلسنا قال : لا تَخفّوا[٦] فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ، ولا عليكم أن تتنزهوا عن هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها ، حتى يرتفع[٧] هذا البلاء ، فإني سأخبركم بما يكرَه مما يتقى ، من ذلك أن يظنَّ منْ خرج أنه لو

---

(١) في أ : تعيينه .

(٢) عَمَوَاس : ـ ورواه الزمخشري بكسر أوله ، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه ـ وهي كورة من فلسطين بالقرب من فلسطين ، ومنها كان ابتداء الطاعون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة رضي الله عنهم ، ومن غيرهم وذلك في سنة ١٨ للهجرة . معجم البلدان (٤/ ١٥٧ ـ ١٥٨) .

(٣) في تاريخه (٤/ ٦٠) .

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٦٠ ـ ٦١) .

(٥) في ط : « المختار » ، محرف ، وهو مخارق بن عبد الله بن جابر ، ويقال : مخارق بن خليفة ، من رجال التهذيب .

(٦) في أ ، ط : تحفوا ، وما هنا عن تاريخ الطبري .

(٧) في أ : يرفع هذا الوباء .

قام مات ! ويظن منْ أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يُصِبْهُ ، فإذا لم يظنّ ذلك هذا المـرءُ المسلمُ فلا عليه أن يخرجَ وأن يتنزَّه عنه، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عَمَواس ، فلما اشتعل[١] الوجعُ وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه : أن سلامٌ عليكَ ، أمّا بعد ، فإنّه قد عرضَت لي إليكَ حاجةٌ أريدُ أن أشافِهَكَ بها ، فعزمتُ عليك إذا نظرت في كتابي هذا أن لا تضعه من يدك حتى تُقبل إليَّ .

قال : فعرفَ أبو عبيدة أنَّه إنَّما أرادَ أن يستخرجَه من الوباء ، فقال : يغفر اللهُ لأميرِ المؤمنين . ثم كتبَ إليه يا أمير المؤمنين إنّي قد عرفت حاجتَكَ إليَّ ، وإني في جندٍ من المسلمين لا أجدُ بنفسي رغبةً عنهم ، فلستُ أريدُ فراقهم حتى يقضيَ الله فيّ وفيهم أمرَهُ وقضاءَهُ ، فخلِّني من عزمتك[٢] يا أمير المؤمنين ، ودعني في جندي[٣] .

فلما قرأ عمر الكتابَ بكى . فقال الناس : يا أمير المؤمنين أماتَ أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكأن قد . قال : ثم كتب إليه سلام : عليك (أما بعد فإنك)[٤] أنزلت الناس أرضاً عميقة فٱرفعهم إلى أرضٍ مرتفعةٍ نزهةٍ .

قال أبو موسى : فلما أتاه كتابه دعاني فقال : يا أبا موسى ، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى ، فٱخرج فٱرتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم ، فرجعتُ إلى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت ، فرجعتُ إليه وقلتُ : والله لقد كان في أهلي حدثٌ . فقال : لعلَّ صاحبتَك قد أصيبتْ ؟ قلت : نعم ، فأمر ببعير فرحِّل له ، فلما وضع رجلَه في غرْزِهِ طُعِنَ فقال : والله لقد أُصِبْتُ ، ثم سار بالناس حتى نزل الجابيةَ ورفعَ عن الناس الوباءَ .

وقال محمد بن إسحاق[٥] ، عن أبان بن صالح ، عن شهر بن حوشب ، عن رابّه ـ رجلٍ من قومه ـ وكان قد خلف على أمّه بعد أبيه ، وكان قد شهد طاعون عَمَواس . قال : لما اشتعل الوجعُ قام أبو عبيدة في الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجعَ رحمةُ ربِّكم[٦] ودعوةُ نبيّكم وموتُ الصالحين قبلكم (وإنَّ أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظَّه ، فطُعِنَ ، فماتَ وٱستخلف على الناس معاذ بن جبل ، فقام خطيباً بعده . فقال : أيّها الناسُ ، إنَّ هذا الوجع رحمة ربِّكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم) وإن معاذاً يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ حظَّهم ، فطُعِنَ ابنهُ عبد الرحمن فمات ، ثم قام فدعا

---

(١) في أ : استقل ؛ تحريف .
(٢) في أ : عزيمتك .
(٣) في أ : ودعني وجندي .
(٤) في أ : وإني أنزلت .
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٦١ ـ ٦٢) .
(٦) في ط : رحمة بكم .

لنفسه ، فطُعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليهـا ، ثم يقلب[١] ظهر كفه ، ثم يقول : ما أحبُّ أنَّ لي بما (فيك) شيئاً من الدنيا . فلما ماتَ استخلف على الناس عمرو بن العاص ، فقام فيهم خطيباً فقال أيها الناس ، إن هذا الوجعَ إذا وقعَ فإنّما يشتعلُ اشتعالَ النار ، فتحصَّنوا[٢] منه في الجبال . فقال أبو واثلة[٣] الهُذَليّ : (كذبت) والله لقد صحبتُ رسولَ الله ﷺ وأنت شرٌّ من حماري هذا . فقال : والله ما أردّ عليك ما تقول ، وأيم الله لا نقيم عليه . قال : ثم خرج وخرج الناسُ فتفرقوا ودفعه الله عنهم . قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص فوالله ما كرهه .

قال ابن إسحاق : ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ، أمَّر معاوية على جند دمشق وخراجها ، وأمّر شُرحْبيل بن حَسَنة على جندِ الأردن وخراجها .

(وقال سيف بن عمر عن شيوخه قالوا : لما كان طاعون عَمَواس وقع مرتين لم ير مثلهما وطال مكثه ، وفني خلق كثيرٌ من الناس ، حتى طمع العدوّ وتخوفتْ قلوبُ المسلمين لذلك .

قلتُ : ولهذا قدم عمر بعد ذلك إلى الشام فقسم مواريث الذين ماتوا لمَّا أشكل أمرها على الأمراء . وطابت قلوب الناس بقدومه ، وانقمعت الأعداء من كل جانب لمجيئه إلى الشام ولله الحمد والمنة .

([٤]وقال سيف ـ بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس في آخر سنة سبع عشرة ـ قال : فلما أراد القُفول إلى المدينة في ذي الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ألا إني قد ولِّيْتُ عليكم وقضيتُ الذي عليَّ في الذي ولّاني اللهُ من أمركم إن شاء الله ، فبسطنا[٥] بينكم فيأكم ومنازلكم ومغازيكم ، وأبلغناكم ما لدينا ، فجنَّدنا لكم الجنود ، وهيَّأنا لكم الفُروج[٦] وبوأنا لكم ، ووسعنا عليكم ما بلغَ فَيْؤُكُمْ وما قاتلتم عليه من شامكم ، وسمينا لكم أطعماتكم ، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم . فمن علم شيئاً ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

قال وحضرت الصلاة فقال الناس : لو أمرتَ بلالاً فأذَّن ؟ فأمره فأذَّنَ فلم يبقَ أحدٌ كان أدرك رسولَ الله وبلال يؤذن إلّا بكى[٧] حتى بلَّ لحيتَه ، وعمرُ أشدُّهم بكاءً ، وبكى من لم يدركه لبكائهم ولذكره ﷺ .

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ٦٢) : يقبّل .
(٢) في تاريخ الطبري : فتجبّلوا ، وفي هامشه : تجبل القوم أي دخلوا في الجبل .
(٣) في أ ، ط : أبو وائل ؛ خطأ ، والمثبت من تاريخ الطبري (٤/ ٦٢) والإصابة (٤/ ٢١٥) وأبو واثلة الهذلي : صحابي شهد فتوح الشام وخبره هذا ، أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٩٦) وابن عساكر في تاريخ دمشق المختصر (٢٩/ ١٧٤) .
(٤) سيرد ما بين القوسين في أ قبل فقرة (كائنة غريبة) .
(٥) في تاريخ الطبري : قسطنا .
(٦) في أ : فيأكم وبوأنا ، وفي ط : العروج ؛ وهو تحريف . والفروج : هي الثغور . النهاية (٣/ ٤٢٣) .
(٧) في أ : إلّا وبكى .

وذكر ابن جرير[(١)] في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي المجالد أن عمر بن الخطاب بعث ينكر على خالد بن الوليد في دخوله إلى الحمام ، وتدلكه بعد النُّورة بعصفر معجون بخمر ، فقال في كتابه : إن الله قد حرَّم ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرَّم ظاهر الإثم وباطنه ، وقد حرم مسّ الخمر فلا تمسّوها أجسامكم فإنها نجس ، فإن فعلتم فلا تعودوا . فكتب إليه خالد : إنا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر . فكتب إليه عمر : إني أظنّ أن آل المغيرة قد ٱبتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فٱنتهى لذلك[(٢)]) .

قال سيف : وأصاب أهلَ البصرة تلك السنة طاعونٌ أيضاً فماتَ بشرٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ ، رحمهم الله ورضي الله عنهم أجمعين .

قالوا : وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهله إلى الشام فلم يرجع منهم إلا أربعة . فقال المهاجر بن خالد[(٣)] في ذلك : [من السريع]

مَـنْ يسكـنِ الشَّـام يُعـرِّسْ بـهِ   والشّـامُ إنْ لـمْ يُفْنِنـا كـارِبُ
أفنـى بنـي رَيْطـة فُـرسـانَهُـمْ   عِشْرون لمْ يُقْصصْ لهم شاربُ
ومـنْ بنـي أعْمـامِهـمْ مِثْلهـمْ   لِمِثْلِ هذا يعجبُ[(٤)] العاجبُ
طَعْنـاً وطـاعـونـاً منـايـاهُـمُ   ذلـكَ مـا خـطَّ لنـا الكـاتـبُ

كائنةٌ غَريبةٌ فيها عزل خالد عن قِنّسرين أيضاً

قال ابن جرير[(٥)] : وفي هذه السنة أدرب خالد بن الوليد وعياض بن غنم ، أي : سلكا درب الروم وأغارا عليهم ، فغنموا أموالاً عظيمة وسبياً كثيراً . ثم روى من طريق سيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع وأبي المجالد ، قالوا : لما رجع خالدٌ ومعه أموالٌ جزيلةٌ من الصائفة انتجعه الناس يبتغون رفده ونائله ، فكان ممَّن دخل عليه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف ، فلما بلغ ذلك عمر[(٦)] كتب إلى أبي عبيدة يأمره أن يقيم خالداً ويكشف عمامته وينزع عنه قلنسوته ويقيّده بعمامته ويسأله عن هذه العشرة آلاف ، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سَرَفٌ ، وإن كان من مال الصائفة فهي خيانة[(٧)] ، ثم اعزله عن عمله . فطلب أبو عبيدة خالداً وصعد أبو عبيدة المنبر ، وأقيم خالد بين يدي المنبر ، وقام إليه بلال ففعل

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٤/٦٦) منقول كناية من « الفتوح والردة » لسيف بن عمر ؛ التالف المتروك ، وفي الإسناد تلميذه شعيب بن إبراهيم الهالك أكثر من شيخه في الحقد على الصحابة ، ومتنه منكر ومستبعد ؛ ومع ذلك فإن خالداً رضي الله عنه اجتهد ، ولما علم خطأه انتهى إلى الحق . وانظر ضعيف تاريخ الطبري (٨/ ٣١٩) .
(٢) في تاريخ الطبري : إليه ذلك .
(٣) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٦٥) للمهاجر بن خالد بن الوليد .
(٤) في أ : عجب ، وفي تاريخ الطبري : أعجب .
(٥) في تاريخه (٤/ ٦٦) .
(٦) في أ : فلما بلغ عمر ذلك .
(٧) في أ : جناية .

ما أمر به عمر بن الخطاب هو والبريد[١] الذي قدم بالكتاب . هذا وأبو عبيدة ساكتٌ لا يتكلّمُ ، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد مما كان بغير اختياره وإرادته ، فعذره خالد وعرف أنه لا قصد له في ذلك . ثم سار خالد إلى قِنَّسرين فخطب أهل البلد وودَّعهم[٢] ، وسار بأهله إلى حمص فخطبهم أيضاً وودعهم وسار إلى المدينة ، فلما دخل (خالد على) عمر أنشد عمر قول الشاعر[٣] : [من الطويل]

صَنَعْتَ فَلَمْ يَصْنعْ كَصُنعكَ صانعٌ ... وما يَصْنع الأقْوامُ فَاللهُ صانِعُ

ثم سأله من أين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف ، فقال : من الأنفال والسهمان . قال : فما زاد على الستين ألفاً فلك ، ثم قوَّم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً ثم قال : والله إنك عليّ لكريم ، وإنك إليّ لحبيب ، ولن تعمل لي بعد اليوم على شيء .

وقال سيف[٤] ، عن عبد الله ، عن المستورد ، عن أبيه ، عن عدي بن سهل[٥] قال : كتب عمر إلى الأمصار : إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فأحببت (أن يعلموا) أن الله هو الصانعُ .

ثم رواه سيف ، عن مبشِّر ، عن سالم ، قال : لما قدم خالد على عمر . . . فذكر مثله . قال الواقدي :

وفي هذه السنة اعتمر عمر في رجب منها ، وعمَّر في المسجد الحرام وأمر بتجديد أنصاب الحرم ، أمر بذلك لمخرمة بن نوفل ، وأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العُزَّى ، وسعيد بن يربوع .

قال الواقدي : وحدَّثني كثير بن عبد الله المزني ، عن أبيه ، عن جده قال : قدم عمر مكة في عمرة سنة سبع عشرة ، فمر في الطريق فكلّمه أهل المياه أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة ـ ولم يكن قبل ذلك بناء ـ فأذنَ لهم وشرطَ عليهم أنَّ ابن السبيل أحقُّ بالظلِّ والماء .

قال (الواقدي) : وفيها تزوّج عمر بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ودخل بها في ذي القعدة . وقد ذكرنا في سيرة عمر ومسنده صفة تزويجه بها وأنه أمهرها أربعين ألفاً ، وقال : إنما تزوجتُها لقول رسول الله ﷺ « كل سبب ونسب فإنه ينقطعُ يومَ القيامة إلَّا سببي ونسبي »[٦] .

---

(١) في أ : والبريدي .
(٢) في أ : وودهم .
(٣) في أ : فلما دخل عمر أنشده .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٦٨) .
(٥) في تاريخ الطبري : ابن سهيل .
(٦) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٣٥)، الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٢) وغيرهما وهو حديث حسن.

[ذكر خبر عزل المغيرة بن شعبة عن البصرة وولاية أبي موسى]

قال : وفي هذه السنة ولّى عمر أبا موسى الأشعري البصرة ، وأمره أن يشخصَ إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأول . فشهد عليه فيما حدَّثني معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : أبو بكرة ، وشبل بن معبد البَجَلي ، ونافع بن عبيد ، وزياد . ثم ذكر الواقدي وسيف[(١)] هذه القصة وملخصها :

أن امرأةً كان يُقال لها أمَّ جميل بنتَ الأفْقَم ، من نساء بني عامر بن صعصعة ، ويقال من نساء بني هلال . وكان زوجُها من ثقيف قد توفي عنها ، وكانت تغشى نساءَ الأمراءِ والأشرافِ ، وكانت تدخل على بيت المغيرة بن شُعبة وهو أمير البصرة ، وكانت دار المغيرة تجاه دار أبي بكرة ، وكان بينهما الطريقُ ، وفي دار أبي بكرة كُوَّةٌ تُشرفُ على كُوَّةٍ في دار المغيرة ، وكان لا يزال بين المغيرة وبين أبي بكرة شَنَآنٌ[(٢)] . فبينما أبو بكرة في داره وعنده جماعة يتحدَّثون في العُلِّيَّةِ[(٣)] ، إذ فَتحتِ الريحُ بابَ الكُوَّة فقام أبو بكرة ليُغلقها ، فإذا كوةُ المغيرة مفتوحة ، وإذا هو على صدر امرأة وبين رجليها ، وهو يُجامعها ، فقال أبو بكرة لأصحابه : تعالوا فانظروا إلى أميركم يزني بأمِّ جميل . فقاموا فنظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة ، فقالوا لأبي بكرة : ومن أين قلتَ إنها أم جميل ؟ ـ وكان رأساهما من الجانب الآخر ـ . فقال : انتظروا ، فلما فرغا قامت المرأة فقال أبو بكرة : هذه أم جميل . فعرفوها فيما يظنون . فلما خرج المغيرة ـ وقد اغتسل ـ ليصلّي بالناس منعه أبو بكرة أن يتقدم .

وكتبوا إلى عمر في ذلك ، فولى عمر أبا موسى (الأشعري) أميراً على البصرة . وعزل المغيرة ، فسار إلى البصرة فنزل البرد[(٤)] . فقال المغيرة : والله ما جاء أبو موسى تاجراً ولا زائراً (ولا جاء) إلا أميراً . ثم قدم أبو موسى على الناس ، وناولَ المغيرةَ كتاباً من عمر هو أوجز كتاب فيه : أما بعد فإنه بلغني نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلِّم ما في يديك والعجل . وكتب إلى أهل البصرة : إني قد وليتُ عليكم أبا موسى ليأخذ من قويكم لضعيفكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن دينكم ، وليجبي لكم فيأكم (ثم ليقسمه بينكم) وأهدى المغيرة لأبي موسى جاريةً من مولدات الطائف تُسمَّى عقيلة (وقال : إنّي رضيتُها لك ، وكانت فارهة[(٥)] . وارتحل المغيرة والذين شهدوا عليه) وهم أبو بكرة ، ونافع بن كلدة ، وزياد بن أمية ، وشبل بن معبد البجلي . فلما قدموا على عمر جمع بينهم وبين المغيرة . فقال المغيرة : سَلْ هَؤلاء الأعبد كيف رأوني ؟ مستقبلهم أو مستدبرهم ؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها ، فإن كانوا مستقبلي فكيف لم

---

(١) القصة بكاملها في تاريخ الطبري (٤/ ٦٩ ـ ٧٢) .
(٢) يقال : شنئته أشنَؤُه شَنْئاً وشنآناً : أبغضته . النهاية (٢/ ٥٠٣) .
(٣) علِّيَّه ـ هي بضم العين وكسرها ـ الغرفة والجمع العلالي . النهاية (٣/ ٢٩٥) والقاموس (علا) .
(٤) في أ : فبرد البريد .
(٥) جارية فارهة : إذا كانت حسناء مليحة . اللسان (فره) .

يستتروا[١] ؟ أو مستدبريَّ فكيف استحلّوا النظر في منزلي على[٢] امرأتي ؟ والله ما أتيت إلا امرأتي وكانت تشبهها . فبدأ عمر بأبي بكرة فشهد عليه أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة ، قال : كيف رأيتهما ؟ (قال) : مستدبرهما . قال : فكيف استبنت[٣] رأسها[٤] قال : تحاملتُ . ثم دعا شبل بن معبد فشهد بمثل ذلك ، فقال استقبلتهما أم استدبرتهما ؟ قال : استقبلتهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكرة ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم . قال : رأيته جالساً بين رجلي امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين يخفقان وآستين مكشوفتين ، وسمعت حفزاناً[٥] شديداً . قال : هل رأيت كالميل[٦] في المكحلة ؟ قال : لا . قال : فهل تعرف المرأة ؟ قال : لا ولكن أشبهها . قال : فتنحَّ . وروي أن عمر رضي الله عنه كبر عند ذلك ثم أمر بالثلاثة فجُلدوا الحدَّ ، وهو يقرأ قوله تعالى : ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النور : ١٤] فقال المغيرة : آشفني من الأعبد . قال : اسكت ، أسكتَ اللهُ فاكَ ، والله لو تمَّتِ الشهادة لرجمناكَ بأحجارِكَ .

فتح الأهْواز ومَنَاذِر[٧] ونهر تِيْرَى[٨]

قال ابن جرير[٩] : كان في هذه السنة ، (وقيل : في سنة) ست عشرة . ثم روى من طريق سيف عن شيوخه أن الهُرْمزان كان قد تغلَّب على هذه الأقاليم (وكان ممَّنْ فَرَّ يوم القادسية من الفرس ، فجهَّز أبو موسى من البصرة ، وعتبة) بن غزوان من الكوفة جيشين لقتاله ، فنصرهم الله عليه ، وأخذوا منه ما بين دجلة إلى دجيل ، وغنموا من جيشه ما أرادوا ، وقتلوا من أرادوا ، ثم صانعَهم وطلب مصالحتهم عن بقية بلاده ، فشاورا في ذلك عتبة بن غزوان فصالحه ، وبعث بالأخماس والبشارة إلى عمر ، وبعث وفداً فيهم الأحنف بن قيس . فأعجب عمر به وحظي عنده . وكتب إلى عتبة يوصيه به ويأمره بمشاورته والاستعانة برأيه . ثم نقض الهُرْمزان العهد والصلح ، واستعان بطائفةٍ من الأكراد ، وغرَّته نفسه ، وحَسَّن له الشيطانُ عملَه في ذلك . فبرز إليه المسلمون فنُصِروا عليه وقتلوا من جيشه جماً غفيراً ، وخلقاً كثيراً ،

---

(١) في تاريخ الطبري : لم أستتر .
(٢) في أ : إلى .
(٣) في تاريخ الطبري : استثبتَّ .
(٤) في أ : رؤوسهما .
(٥) حفزاناً : النفس الشديد المتتابع . اللسان (حفز) .
(٦) في أ : كالمرود .
(٧) مناذر : قرية من قرى الأهواز . وهما قريتان . معجم ما استعجم (٤/ ١٢٦٣) ومعجم البلدان (٥/ ١٩٩) .
(٨) تيرى : مقصور : نهر تيرى من نواحي الأهواز . معجم البلدان (٢/ ٦٦) .
(٩) في تاريخه (٤/ ٧٢) .

وجمعاً عظيماً ، واستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى تُسْتَر[(١)] ، فتحصن بها ، وبعثوا إلى عمر بذلك . وقد قال الأسود بن سريع في ذلك ـ وكان صحابياً رضي الله عنه[(٢)] ـ [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما أضاعَ بنو أبينا[(٣)] ... ولكنْ حافَظوا فيمنْ يُطِيعُ[(٤)]
أطاعوا ربَّهُم وعَصاهُ قَوْمٌ ... أضاعوا أمْرَهُ فيمَنْ يُضيعُ
مَجوسٌ لا يُنَهْنِهُها كِتابٌ ... فلاقوا كَبَّةً فيها قبوعُ
وولّى الهُرْمزانُ على جَوادٍ ... سريعِ الشدِّ يَثْفِنُهُ[(٥)] الجميعُ
وخَلَّى سُرَّةَ الأهوازِ كَرْهاً ... غَداةَ الجِسْرِ إذ نجَم[(٦)] الرَّبيعُ

وقال حُرْقوص بن زهير السَّعدي وكان صحابياً أيضاً : [من الوافر]

غَلَبْنا الهُرْمُزانَ على بلادٍ ... لها في كلِّ ناحيةٍ ذخائرْ
سواءٌ بَرُّهُمْ والبَحْرُ فيها ... إذا صارت نواحيها[(٧)] بَواكرْ
لها بَحْرٌ يَعجّ بجانِبَيْهِ ... جَعَافِرُ[(٨)] لا يزالُ لها زواخِرْ

فتح تُسْتَر المرَّة الأولى صلحاً

قال ابن جرير[(٩)] : كان ذلك في هذه السنة في قول سيف وروايته . وقال غيره : في سنة ست عشرة وقال غيره : كانت في سنة تسع عشرة . ثم قال ابن جرير : ذكر الخبر عن فتحها ، ثم ساق من طريق سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو[(١٠)] قالوا : ولما افتتح حُرْقُوص بن زُهَيْر سوق الأهواز ، وفرَّ الهُرْمزان بين يديه ، فبعث في إثره جَزْء بن معاوية ـ وذلك عن كتاب عمر بذلك ـ فما زال جَزْء يتبعه حتى انتهى إلى رامَهُرْمُز[(١١)] فتحصن الهُرْمزان في بلادها ، وأعجز جَزْءاً تَطلُّبُهُ ، واستحوذ جَزْء على تلك البلاد

---

(١) تُسْتَر : ـ بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء ـ أعظم مدينة بخوزستان . معجم البلدان (٢/ ٢٩) .
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٧٦) .
(٣) في أ : بنوبنينا ؛ تحريف .
(٤) في أ ، ط : يطيعوا ، وما هنا عن تاريخ الطبري وهو الأشبه .
(٥) في أ : يتبعه ، والروايتان بمعنى واحد .
(٦) نجم طلع . اللسان (نجم) .
(٧) كذا في أ ، ط . وفي تاريخ الطبري : نواجبها .
(٨) الجعافر : جمع جعفر ، وهو النهر . اللسان (جعفر) .
(٩) في تاريخه (٤/ ٧٧) .
(١٠) في أ : وعمر ؛ خطأ .
(١١) رامَهُرْمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان ، وهي من بين مدن خوزستان تجمع النخل والجوز والأترنج . معجم البلدان (٣/ ١٧) .

والأقاليم والأراضي ، فضرب الجزية على أهلها ، وعمر عامرها ، وشق الأنهار إلى خرابها ومواتها ، فصارت في غاية العمارة والجودة . ولما رأى الهُرْمُزان ضيقَ بلاده عليه لمجاورة المسلمين ، طلب من جَزْء بن معاوية المصالحة ، فكتب إلى حُرْقوص ، فكتب حرقوص إلى عُتبة بن غزوان ، وكتب عتبة إلى عمر في ذلك . فجاء الكتاب العمري بالمصالحة على رامهُرْمز ، وتُسْتَر ، وجُنْدَيْ سابور[1] ، ومدائن أخر مع ذلك . فوقع الصلحُ على ذلك كما أمر به عمر رضي الله عنه .

ذكر غزو (بلاد) فارس من ناحية البحرين
(عن)[2] ابن جرير عن سيف

وذلك أنَّ العلاء بن الحَضْرمي كان على البحرين في أيام الصدِّيق، فلما كان عمر عزله عنها وولاها لقدامة بن مظعون . ثم أعاد العلاءَ بن الحضْرمي إليها . وكان العلاء بن الحضرمي يباري سعد بن أبي وقاص. فلما افتتح سعد القادسية، وأزاح كسرى عن داره، وأخذ حدود ما يلي السواد، واستعلى وجاء بأعظم مما جاء به العلاء بن الحضرمي من ناحية البحرين. فأحب (العلاء) أن يفعل فعلاً في فارس نظيرَ ما فعله سعدٌ فيهم، فندب الناس إلى حربهم، فاستجاب له (أهل) بلاده ، فجزَّأهم أجزاء ، فعلى فرقة الجارود بن المُعلَّى، وعلى الأخرى السوّار بن همام، وعلى الأخرى خُلَيْد بن المُنْذر بن ساوَى، وخُليد هو أمير الجماعة. فحملهم في البحر إلى فارس، وذلك بغير إذن عمر له في ذلك ـ وكان عمر يكره ذلك لأن رسول الله ﷺ وأبا[3] بكر (ما) غزيا فيه المسلمين ـ فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا من عند إصطخر ، فحالت فارس بينهم وبين سفنهم ، فقام في الناس خُليد بن المنذر فقال : أيها الناس، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم، وأنتم جئتم لمحاربتهم، فاستعينوا بالله وقاتلوهم، فإنما الأرض والسفن لمن غلب، واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في مكان من الأرض يدعى طاوُس ، ثم أمر خُليد المسلمين فترجّلوا وقاتلوا فصبروا ، ثم ظفروا فقتلوا فارس مقتلةً لم يُقتلوا قبلها مثلَها . ثم خرجوا يريدون البصرةَ فغرقت بهم سفنهم ، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً ، ووجدوا شَهْرَكَ في أهل اصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق ، فعسكروا وامتنعوا من العدو . ولما بلغ عمر ما صنع العلاء بن الحضرمي، اشتد غضبُه عليه ، وبعث إليه فعزله وتوعَّده ، وأمره بأثقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجوه إليه . فقال : الحق بسعد بن أبي وقاص (فخرج العلاءُ إلى سعد بن أبي وقاص) مضافاً إليه ، وكتب عمر إلى عُتبة بن غزوان : إن العلاء بن الحضرمي خرج بجيش فأقطعهم أهل فارس وعصاني ،

---

(١) جُنْديسابور : مدينة بخوزستان ، خصبة واسعة الخير بها النخل والزروع والمياه .

(٢) في أ : وذلك فيما حكاه . والخبر في تاريخ الطبري (٧٩/٤) .

(٣) في أ : ولى أبا بكر ؛ خطأ .

وأظنّه لم يردِ اللهَ بذلك، فخشيتُ عليهم إلَّا يُنْصروا ، أن يُغْلبوا ويُنْشَبوا[١] ، فاندب إليهم الناسَ واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا . فندب[٢] عتبة المسلمين وأخبرهم بكتاب عمر إليه في ذلك ، فانتدب جماعة من الأمراء الأبطال ، منهم هاشم بن أبي وقاص ، وعاصم بن عمرو ، وعرفجة بن هَرْثمة ، وحذيفة بن محصن ، والأحْنف بن قيس ، وغيرهم ، في اثني عشر ألفاً . وعلى الجميع (أبو) سَبْرة بن أبي رُهْم . فخرجوا على البغال يجنبون الخيل سراعاً ، فساروا على الساحل لا يلقون أحداً حتى انتهوا إلى (موضع) الوقعة التي كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء ، وبين أهل فارس بالمكان المسمى بطاوُس ، وإذا خُلَيد بن المنذر ومن معه[٣] من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب ، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه ، وقد تكاملت أمداد المشركين ، ولم يبق إلا القتال . فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم ، فالتقوا مع المشركين رأساً ، فكسر أبو سبرة المشركين كسرةً عظيمةً . وقتل منهم مقتلةً عظيمةً جداً . وأخذ منهم أموالًا جزيلةً باهرةً ، واستنقذ خُلَيداً ومنْ معه من المسلمين من أيديهم ، وأعزَّ به الإسلام وأهلَه ، ودفعَ الشركَ وذلَّه ولله الحمد والمنة ثم عادوا إلى عُتبة بن غزوان إلى البصرة .

ولما استكمل عتبة فتح تلك الناحية ، استأذن عمر في الحج فأذن له فسار إلى الحجِّ واستخلف على البصرة أبا سَبْرة بن أبي رُهْم ، واجتمع بعمر في الموسم ، وسأله أن يقيله فلم يفعل ، وأقسم عليه ليرجعن إلى عمله . فدعا عتبة الله عزَّ وجلَّ فمات ببطن نخلة ، وهو منصرفٌ من الحج ، فتأثر[٤] عليه عمر وأثنى عليه خيراً ، وولَّى بعده بالبصرة المغيرةَ بن شُعبة ، فوليها بقية تلك السنة والتي تليها ، لم يقع في زمانه حدثٌ ، وكان مرزوق السلامة في عمله . ثم وقع الكلام في تلك المرأة من أبي بكرة ، فكان من أمره ما قدمنا . ثم بعث إليها أبا موسى الأشعري والياً عليها رضي الله عنهم .

ذكر فتح تُسْتَر ثانية [عنوةً والسوس[٥] ورامهرمز] وأسر الهرمزان وبعثه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن جرير[٦] : كان ذلك في هذه السنة في رواية سيف بن عمر التميمي . وكان سبب ذلك أن

---

(١) ينشبوا من النشاب ، أو يقعوا في أمر لا خلاص منه .

(٢) في أ : أن يحتاجوا فانتدب .

(٣) في أ : ومن تبعه .

(٤) في أ : فتأسف .

(٥) السوس : بلدة بخوزستان ، فتحت في أيام عمر رضي الله عنه على يد أبي موسى الأشعري ، ووجد بها موضعاً فيه جثة دانيال النبي عليه السلام ، فسأل عن ذلك فأخبر أن بختنصَّر نقله إليها لما فتح بيت المقدس ، وأنه مات هناك فكان أهل تلك البلاد يستسقون بجثته إذا قحطوا ، وأمر عمر رضي الله عنه بدفنه ، فَسَكر نهراً ثم حفر تحته ودفنه فيها وأجرى الماء عليه فلا يدرى أين قبره إلى الآن . معجم البلدان (٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) .

(٦) في تاريخه (٤/ ٨٩) .

يَزْدجرد كان يحرّض أهل فارس في كل وقت ويُؤنّبهم بملك العرب بلادهم وقصدهم إياهم في حصونهم فكتب إلى أهل الأهواز وأهل فارس فتحرّكوا وتعاهدوا وتعاقدوا على حرب المسلمين ، وأن يقصدوا البصرةَ . وبلغ الخبر إلى عمر ، فكتب إلى سعد ـ وهو بالكوفة ـ أن أبعث جيشاً كثيفاً إلى الأهواز مع النُّعمان بن مُقرِّن وعجّل وليكونوا بإزاء الهُرْمزان ، وسمى رجالاً من الشجعان الأعيان الأمراء يكونون في هذا الجيش ، منهم جريرُ بن عبد الله البجلي ، وجَرير بن عبد الله الحِمْيري ، والنُّعمان بن مُقرِّن ، وسُوَيْد بن مُقَرِّن : وعبد الله بن ذي السَّهمين . وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة أن ابعثْ إلى الأهواز جنداً كثيفاً[١] وأمّر عليهم سهيل بن عدي ، وليكن معه البَراء بن مالك ، وعاصم بن عمرو ، ومَجْزَأة بن ثَوْر ، وكعب بن ثور ، وعرفجة بن هَرْثَمة ، وحذيفة بن محصن ، وعبد الرحمن بن سهل ، والحصين بن معبد . وليكن على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سَبْرة بن أبي رُهم ، وعلى كل منْ أتاه من المدد . قالوا : فسار النُّعمان بن مُقَرّن بجيش الكوفة فسبق البصريين فانتهى إلى رامهرمز وبها الهرمزان ، فخرج إليه الهرمزان في جنده ونقض العهد بينه وبين المسلمين ، فبادره طمعاً أن يقتطعه قبل مجيء أصحابه من أهل البصرة رجاء أن ينصر أهل فارس ، فالتقى معه النعمان بن مُقَرّن بإربل ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، فهزم الهرمزان وفر إلى تُسْتر ، وترك رامهرمز فتسلّمها النعمان عنوةً وأخذ ما فيها من الحواصل والذخائر والسلاح والعدد . فلما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيون بالهرمزان وأنه [قد] فرّ فلجأ إلى تُسْتَر ، ساروا إليها ولحقهم أهلُ الكوفة حتى أحاطوا بها فحاصروها جميعاً ، وعلى الجميع أبو سَبْرة فوجدوا الهُرْمزان قد حشد بها خلقاً كثيراً ، وجماً غفيراً . وكتبوا إلى عمر في ذلك وسألوه أن يمدَّهم ، فكتب إلى أبي موسى أن يسير إليهم . فسار إليهم ـ وكان أمير أهل البصرة واستمرّ أبو سَبْرة على الإمرة على جميع أهل الكوفة والبصرة ، فحاصرهم[٢] أشهراً وكثر القتل من الفريقين ، وقتل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك يومئذ مئة مبارزٍ سوى منْ قتل غير ذلك ، وكذلك فعل كعب بن سُور[٣] ، ومَجْزَأة بن ثَوْر ، وأبو يمامة وغيرهم من أهل البصرة ، وكذلك أهل الكوفة قَتل منهم جماعة مئة مبارزة كحبيب بن قرة ، وربعي بن عامر ، وعامر بن عبد الأسود[٤] وقد تزاحفوا أياماً متعددة ، حتى إذا كان في آخر زحف قال المسلمون للبراء بن مالك ـ وكان مجابَ الدعوة ـ : (يا براء) أقسم على ربك ليهزمنّهم لنا . فقال : اللهم اهزمهم لنا ، واستشهدني قال : فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم ، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به ، وقد ضاقت بهم البلد ، وطلب رجل من أهل البلد الأمانَ من أبي موسى فأمّنه ، فبعث يدلُّ المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد ، وهو من مدخل

---

(١) في أ : كثيراً .

(٢) في أ : فحاصروهم .

(٣) في ط : ثور ؛ تحريف . والتصحيح من تاريخ الطبري .

(٤) في أ : عبد الأسد ، والمثبت عن تاريخ الطبري .

الماء إليها ، فندب الأمراءُ الناسَ إلى ذلك فانتدب [لذلك] رجال من الشجعان والأبطال ، وجاؤوا فدخلوا مع الماء ـ كالبطّ ـ إلى البلد ، وذلك في الليل ، فيُقال كان أول من دخلها عبد الله بن مُغَفَّل[١] المُزَني ، وجاءوا إلى البوابين فأناموهم[٢] وفتحوا الأبواب ، وكبّر المسلمون فدخلوا البلد ، وذلك في وقت الفجر إلى أن تعالى النهار ، ولم يصلّوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس كما حكاهُ البخاريُّ[٣] عن أنس بن مالك قال : شهدت فتح تُسْتَر ، وذلك عند صلاة الفجر ، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلا بعد طلوع الشمس فما أحب أن لي بتلك الصلاة حمرَ النعم[٤] . احتج بذلك البخاري لمكحول والأوزاعي في ذهابهما إلى جواز تأخير الصلاة لعُذْرِ القتال . وجنح إليه البخاري واستدلّ بقصة الخندق في قوله عليه السلام « شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً »[٥] وبقوله يوم بني قريظة « لا يصلينَّ أحدٌ منكم العصر إلَّا في بني قريظة »[٦] فأخَّرها فريقٌ من الناس إلى بعد غروب الشمس ، ولم يعنِّفهم ، وقد تكلّمنا على ذلك في غزوة الفتح .

والمقصود أن الهُرْمُزان لما فُتحت البلدُ لجأ إلى القلعة ، فتبعه جماعةٌ من الأبطال ممن ذكرنا وغيرهم فلما حصروه في مكان من القلعة ولم يبق إلا تلافُه أو تلافُهم ، قال لهم بعد ما قتل البراء بن مالك ومَجْزأة بن ثور رحمهما الله : إن معي جعبةً فيها مئة سهم ، وإنه لا يتقدَّم إليَّ أحدٌ منكم إلا رميته بسهم قتلته ، ولا يسقط لي سهم إلا في رجل منكم ، فماذا ينفعكم إن أسرتموني بعدما قتلتُ منكم مئة رجل ؟ قالوا : فماذا تريد ؟ قال : تؤمّنوني حتى أسلِّمكم يدي فتذهبوا بي إلى عمر بن الخطاب فيحكم فيّ بما يشاء . فأجابوه إلى ذلك فألقى قوسه ونُشّابه وأسروه فشدوه وثاقاً وأرصدوه[٧] ليبعثوه إلى أمير المؤمنين عمر ، ثم تسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل فاقتسموا أربعة أخماسه ، فنال كلُّ فارسٍ ثلاثةَ آلاف وكل راجلٍ ألفَ درهم .

---

(١) في أ : ابن معقل ؛ تحريف . والتصحيح من الاستيعاب (٩٩٦) وجامع الأصول (١٤/ ٢٨٥) وأسد الغابة (٣/ ٣٦٨) والإصابة (٢/ ٣٧٢) .

(٢) أناموهم : أي قتلوهم . اللسان (نوم) .

(٣) صحيح الإمام البخاري (الفتح ٢/ ٤٣٤ عقيب الحديث رقم ٩٤٤) في صلاة الخوف كتاب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو .

(٤) لفظ البخاري : وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها .

(٥) الحديث عن علي كرم الله وجهه رواه البخاري في صحيحه (٢٩٣١) في الجهاد ، ومسلم في صحيحه (٦٢٧) (٢٠٥) في الصلاة .
أما الحديث الذي احتج به البخاري لمكحول والأوزاعي فرواية أخرى بسنده إلى جابر بن عبد الله قال : جاء عمر يوم الخندق فجعل يسُبُّ كفّار قريش ويقول : يا رسول الله ، ما صليت العصر حتى كادت الشمس أن تغيب . فقال النبي ﷺ : « وأنا والله ما صلَّيتها بعدُ » قال : فنزل إلى بُطْحان فتوضأ وصلّى العصر بعدما غابت الشمس ، ثم صلّى المغرب بعدها . صحيح البخاري رقم (٩٤٥) في الخوف .

(٦) صحيح البخاري رقم (٩٤٦) في الخوف .

(٧) أرصده وترصَّده : راقبه . اللسان (رقب) .

فتح السوس

ثم ركب أبو سَبْرة في طائفة من الجيش ومعه أبو موسى الأشعري والنُّعمان بن مُقَرِّن ، واستصحبوا معهم الهُرْمزان ، وساروا في طلب المنهزمين من الفرس حتى نزلوا على السوس ، فأحاطوا بها . وكتب أبو سَبْرة إلى عمر فجاء الكتاب بأن يرجعَ أبو موسى إلى البصرة ، وأمر عمر زرَّ بن عبد الله بن كُلَيب الفُقَيْمي[١] ـ وهو صحابيٌّ ـ أن يسير إلى جُنْديسابُور . فسار . ثم بعث أبو سَبْرة بالخُمْس والهُرْمُزان[٢] مع وفدٍ فيهم أنسُ بن مالك والأحنفُ بن قيس ، فلما اقتربوا من المدينة هيؤوا[٣] الهُرْمزان بلبسه الذي كان يَلبسه من الدّيباج والذَّهب المُكلل بالياقوت واللآلىء . ثم دخلوا المدينةَ وهو كذلك فتيمَّموا به منزلَ أمير المؤمنين ، فسألوا عنه فقالوا : إنَّه ذهب إلى المسجد بسبب وفد من الكوفة . فجاؤوا المسجد فلم يَرَوْا أحداً فرجعوا ، فإذا غِلْمانٌ يلعبون فسألوهم عنه فقالوا : إنه نائمٌ في المسجد متوسداً برنساً له . فرجعوا إلى المسجد فإذا هو متوسد[٤] برنساً له كان قد لبسه للوفد ، فلما انصرفوا عنه توسَّد البرنس ونام ، وليس في المسجد غيره ، والدِّرَّة معلقةٌ في يده . فقال الهُرْمُزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا . وجعل الناس يخفضون أصواتهم لِئَلا ينبهوه ، وجعل الهُرْمزان يقول : وأين حُجَّابُهُ ؟ أين حَرَسُهُ ؟ فقالوا : ليس له حُجّابٌ ولا حَرسٌ ، ولا كاتبٌ ولا ديوانٌ . فقال : ينبغي أن يكون نبياً . فقالوا : بل يعملُ عمل الأنبياء . وكثر[٥] الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً ، ثم نظر إلى الهُرْمُزان ، فقال : الهُرمُزان ؟ قالوا : نعم فتأمَّله وتأمَّلَ ما عليه ثم قال : أعوذُ بالله من النار وأستعين[٦] بالله . ثم قال : الحمدُ الله الذي أذلَّ بالإسلام هذا وأشياعَه ، يا معشرَ المسلمين تمسّكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدي نبيكم ، ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غَرَّارَةٌ[٧] . فقال له الوفد : هذا ملكُ الأهواز فكلِّمْهُ . فقال : لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيءٌ. ففعلوا ذلك وألبسوه ثوباً صفيقاً[٨] ، فقال عمر : يا هُرْمُزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : يا عمرُ : إنا وإيّاكم في الجاهلية كان الله قد خلَّى بيننا وبينكم فغلبناكم ، (إذ لم يكن معنا ولا معكم) ، فلما كان معكم غلبتمونا . فقال عمر : إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرّقنا . ثم

---

(١) في ط : العقيمي ، تحريف .
وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ٨٦) .
(٢) في أ : وبالهرمزان .
(٣) في أ : بعثوا إلى الهرمزان .
(٤) في أ : يتوسط .
(٥) في أ : وكبر الناس .
(٦) في أ : واستغفر الله ، وفي تاريخ الطبري : وأستعين الله .
(٧) في ط : غدارة ، وما هنا عن أ وتاريخ الطبري .
(٨) في أ : مفتقاً .

قال : ما عذركَ وما حجتكَ في انتقاضك[١] مرةً بعد مرةٍ ؟ فقال : أخافُ أن تقتلني قبل أن أخبرك . قال : لا تَخَفْ ذلك . فاستسقى الهرمزان ماءً فأتي به في قدح (غليظ ، فقال : لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في هذا . فأتي به في قدح) آخر يرضاه فلما أخذه جعلت يده ترعد ، وقال : إني أخاف أن أُقتل وأنا أشربُ . فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه ، فقال عمر : أعيدوه عليه ولا تجمعوا عليه القتلَ والعطشَ . فقال : لا حاجةَ لي في الماء ، إنما [أردت] أن أستأنس[٢] به . فقال له عمر : إني قاتلُك ، فقال : إنك أمَّنتني . قال : كذبتَ ، فقال أنس : صدقَ يا أميرَ المؤمنين ، فقال عمر : ويحك يا أنس أنا أُؤمن من قتل مَجْزأة والبراء ؟ لتأتيني بمخرج وإلا عاقبتك ، قال : قلت لا بأس عليك حتى تخبرني . وقلت لا بأس عليك حتى تشربه ، وقال له منْ حوله مثل ذلك . فأقبل على الهُرْمزان فقال : خدعتني ، والله لا أنخدع إلا أن تُسلم . فأسلم ففرض (له) في ألفين وأنزله المدينة .

وفي روايةٍ أنَّ الترجمان بين عمر وبين الهرمزان كان[٣] المغيرة بن شعبة ، فقال له عمر : قُلْ له من أي أرضٍ أنت ؟ قال مهرجاني . قال : تكلّم بحجتك . فقال : أكلام حي أم ميت ؟ قال : بل كلام حي . فقال قد أمَّنتني ، فقال : خدعتني ولا أقبل ذلك إلا أن تسلم . فأسلم ففرض له في ألفين وأنزله المدينة . ثم جاءزيد فترجم بينهما أيضاً .

قلت : وقد حَسُن إسلام الهرْمزان وكان لا يفارقُ عمر حتى قُتل عمر فاتَّهمه بعضُ الناس بممالأة أبي لؤلؤة هو وجفينة ، فقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان وجفينة على ما سيأتي تفصيله .

وقد روينا أن الهرمزان لما علاه عبيد الله بالسيف قال : لا إله إلا الله . وأما جفينة فصلب على وجهه .

والمقصود أن عمر كان يحجر على المسلمين أن يتوسَّعوا في بلاد العجم خوفاً عليهم من العجم ، حتى أشار عليه الأحنف بن قيس بأن المصلحة تقتضي توسُّعهم في الفتوحات ، فإن الملك يَزْدَجِرْد لا يزال يستحثّهم على قتال المسلمين ، وإن لم يستأصل شأفة[٤] العجم وإلا طمعوا في الإسلام وأهله ، فاستحسن عمر ذلك منه وصوَّبه . وأذن للمسلمين في التوسع في بلاد العجم ، ففتحوا بسبب ذلك شيئاً كثيراً ، ولله الحمد . وأكثر ذلك وقع في سنة ثماني عشرة كما سيأتي بيانه فيها .

ثم نعودُ إلى فتح السوس وجُنْديسابور وفتح نهاوند في قول سيف . كان قد تقدّم أن أبا سبْرة سار بمن معه من علية الأمراء من تُستر إلى السُّوس ، فنازلها حيناً وقُتل من الفريقين خلقٌ كثيرٌ ، فأشرف عليه علماءُ

(١) في ط : إنقاضك .
(٢) في تاريخ الطبري (٤/ ٨٨) : أردت أن أستأمن .
(٣) في أ : إن الترجمان كان بين عمر وبين الهرمزان المغيرة .
(٤) في ط : شأو .

أهلها فقالوا : يا معشر المسلمين لا تتعبوا في حصار هذا البلد فإنا نأثر فيما نرويه[١] عن قدمائنا من أهل هذا البلد أنه لا يفتحه إلا الدجّال أو قوم معهم الدجال ، واتفق أنه كان في جيش أبي موسى الأشعري صاف بن صَيّاد ، فأرسله أبو موسى فيمن يحاصره ، فجاء إلى الباب فدقه[٢] برجله فتقطعت السلاسل ، وتكسرت الأغلاق ، ودخل المسلمون البلد فقتلوا من وجدوا حتى نادوا بالأمان ودعوا إلى الصلح فأجابوهم إلى ذلك ، وكان على السوس شهريار أخو الهرمزان ، فاستحوذ المسلمون على السوس ، وهو بلدٌ قديمُ العمارة في الأرض يقال إنه أول بلد وضع على وجه الأرض ، والله أعلم .

وذكر ابن جرير[٣] أنهم وجدوا قبر دانيال بالسوس ، وأن أبا موسى لما أقام[٤] بها بعد مضيّ أبي سَبْرة إلى جُنْدَيْ سابور ، كتب إلى عمر في أمره[٥] فكتب إليه أن يدفنه وأن يُغيِّب عن الناس موضعَ قبره ، ففعل . وقد بسطنا ذلك في سيرة عمر ولله الحمد .

قال ابن جرير : وقال بعضهم إنَّ فتحَ السوس ورامهرمز وتسيير الهُرمُزان من تُسْتَر إلى عمر في سنة عشرين والله أعلم ، وكان الكتاب العمريّ قد ورد بأن النعمان بن مُقَرِّن يذهب إلى أهل نهاوند فسار إليها فمر بماه ـ بلدة كبيرة قبلها ـ فافتتحها ثم ذهب إلى نهاوند ففتحها ولله الحمد .

قلت : المشهور أن فتح نهاوند إنما وقع في سنة إحدى وعشرين كما سيأتي فيها بيان ذلك ، وهي وقعةٌ عظيمة وفتحٌ كبيرٌ ، وخبرٌ غريبٌ ، ونبأٌ عجيبٌ ، وفتح زر بن عبد الله الفُقَيْمي مدينة جُنْدَيْ سابور فاستوثقت[٦] تلك البلاد للمسلمين . هذا وقد تحول يَزْدَجرد من بلد إلى بلد [ومن ذلك البلد إلى غيره] حتى انتهى أمره إلى الإقامة بأصبهان ، وقد كان صرف طائفة من أشراف أصحابه قريباً من ثلاثمئة من العظماء[٧] عليهم رجل يقال له سياه ، فكانوا يفرّون من المسلمين من بلدٍ إلى بلدٍ حتى فتح المسلمون تُسْتر وإصطخرَ ، فقال سياه لأصحابه : إنَّ هؤلاء بعد الشقاء والذلّة ملكوا أماكن الملوك الأقدمين ، ولا يلقون جنداً إلا كسروه ، والله ما هذا عن باطل . ودخل في قلبه الإسلام وعظمته فقالوا له : نحن تبعٌ لك . وبعث عمارُ بن ياسر في غضون ذلك يدعوهم إلى الله ، فأرسلوا إلى أبي موسى الأشعري بإسلامهم [وكتب فيهم إلى عمر في ذلك ، فأمره أن يفرض لهم في ألفين ألفين ، وفرض لستة منهم في ألفين

---

(١) في أ : ترونه .
(٢) في أ : فرفسه .
(٣) في تاريخه (٤/ ٩٢) .
(٤) في ط : قدم .
(٥) في أ : من أمره بهذا .
(٦) في أ : فاستوسقت .
(٧) في أ : العلماء .

وخمسمئة ، وحسن إسلامهم][١] وكان لهم نكاية عظيمة في قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم أنهم حاصروا حصناً فامتنع عليهم فجاء أحدهم فرمى بنفسه في الليل على باب الحصن[٢] وضمَّخَ ثيابه بدمٍ ، فلما نظروا إليه حسبوا أنه منهم ، ففتحوا إليه باب الحصن ليُؤْووه فثار إلى البوّاب فقتله ، وجاء بقية أصحابه ففتحوا ذلك الحصن ، وقتلوا منْ فيه من المَجوس ، إلى غير ذلك من الأمور العجيبة ، والله يهدي منْ يشاء إلى صراط مستقيم .

وذكر ابن جرير[٣] أنّ عمرَ بن الخطاب عقدَ الألويةَ والرايات الكبيرة في بلاد خراسان والعراق لغزو فارس والتوسع في بلادهم كما أشار عليه بذلك الأحنفُ بن قيس ، فحصل بسبب ذلك فتوحات كثيرة في السنة المستقبلة بعدها كما سنبينه وننبه عليه ولله الحمد والمنة .

قال : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم ذكر نُوّابه على البلاد ، وهم منْ ذكر في السنة قبلها غير المغيرة فإن على البصرة بدله أبو موسى الأشعري .

قلت : وقد توفي في هذه السنة أقوام قيل إنهم توفوا قبلها وقد ذكرناهم ، وقيل فيما بعدها وسيأتي ذكرهم في أماكنهم ، والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثماني عشرة

المشهور الذي عليه الجمهورُ أنَّ طاعونَ عَمَواس كان بها ، وقد تبعنا قول سيف بن عمر وابن جرير في إيراده ذلك في السنة التي قبلها ، لكنّا نذكرُ وفاةَ منْ ماتَ في الطّاعون في هذه السنة إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق وأبو معشر : كان في هذه السنة طاعون عَمَواس وعام الرَّمادة ، فتفانى فيهما الناسُ .

قلتُ : كان في عام الرمادة جَدبٌ عمَّ أرضَ الحجاز ، وجاع الناسُ جوعاً شديداً . وقد بسطنا القولَ في ذلك في سيرة عمر . وسُمِّيتْ عام الرمادة لأنّ الأرضَ اسودّت من قلّة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد . وقيل : لأنها تسفي[٤] الريح تراباً كالرماد . ويمكن أن تكون (سميت) لكل[٥] منهما والله أعلم . وقد أجدبت الناس في هذه السنة بأرض الحجاز ، وجفلت[٦] الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد ، فلجؤوا إلى أمير المؤمنين ، فأنفقَ فيهم من حواصل بيت المال ممّا فيه من الأطعمة والأموال

---

(١) وضعت هذه العبارة في ط بين معقوفين وكأنها مضافة على النسخة المعتمدة ، وهي واردة في (أ) .
(٢) في أ : باب الحبس .
(٣) في تاريخه (٤/ ٩٤) .
(٤) سفت الريح التراب تسفيه سفياً : ذرته ، وقيل حملته . اللسان (سفا) .
(٥) في أ : أن يكون لكل منهما .
(٦) جفل : ذهب وأسرع . اللسان (جفل) .

حتى أنفده ، وألزمَ نفسه لأن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس ، فكان في زمن الخصب يبث[١] له الخبز باللبن والسمن ، ثم كان عام الرمادة يبث له بالزيت والخل ، وكان يستمرىء الزيت . وكان لا يشبع مع ذلك ، فاسودّ لون عمر رضي الله عنه وتغيّر جسمه حتى كاد يُخْشى عليه من الضعف . واستمرّ هذا الحال في الناس تسعةَ أشهرٍ ، ثم تحوّل الحال إلى الخصب والدعة وانشمر الناس عن المدينة إلى أماكنهم .

قال الشافعي : بلغني أنّ رجلاً من العرب قال لعمر حين ترحلت[٢] الأحياء عن المدينة : لقد انجلت عنك ولأنّك لابن حرة . أي : واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنت إليهم .

وقد روينا أن عمر عس[٣] المدينة ذات ليلة عامَ الرمادة فلم يجدْ أحداً يضحك ، ولا يتحدّث الناس في منازلهم على العادة ، ولم ير[٤] سائلاً يسأل ، فسأل عن سبب ذلك فقيل له : يا أمير المؤمنين إن السُّؤَّال سألوا فلم يُعْطوا فقطعوا السؤال ، والناسُ في همٍّ وضيقٍ فهم لا يتحدّثون ولا يضحكون . فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد . وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمة محمد . فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البُر وسائر الأطعمات ، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة . وهذا الأثر جيد الإسناد ، لكنَّ ذِكْرَ عمرو بن العاص في عام الرمادة مُشْكل ، فإن مصر لم تكن فُتحت في سنة ثماني عشرة ، (فإمّا أن يكونَ عامُ الرمادة بعد سنة ثماني عشرة) ، أو يكون ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة وهمٌ ، والله أعلم .

وذكر سيف عن شيوخه أنّ أبا عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاماً ، فأمره عمر بتفريقها[٥] في الأحياء حول المدينة ، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها ، فألحَّ عليه عمر حتى قبلها .

([٦]وقال سيف بن عمر[٧] ، عن سهل بن يوسف السُّلَمي ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة ، وأول سنة ثماني عشرة ، أصاب أهلَ المدينةِ وما حولها جوعٌ فهلك كثير من الناس ، حتى جعلتِ الوحشُ تأوي إلى الإنس ، فكان[٨] الناس بذلك وعمر

---

(١) كذا في ط ، وفي أ : يبس ، ولعل الصح : يفت .
(٢) في أ : ترحل .
(٣) عَسَّ ـ يَعُسُّ عَسّاً وعُسّاً ـ أي طاف بالليل . اللسان (عسس) .
(٤) في أ : يجد .
(٥) في أ : بتفرقتها .
(٦) هذه الفقرة جاءت في أ بعد الأبيات الرائية .
(٧) تاريخ الطبري (٤/ ٩٨) .
(٨) في أ : وكان .

كالمحصور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر فقال : أنا رسولُ رسولِ الله إليك ، يقول لك رسول الله ﷺ : « لقد عهدتُكَ كيساً ، وما زلتَ على ذلك ، فما شأنُكَ » ؟ قال : متى رأيتَ هذا ؟ قال : البارحةَ . فخرج فنادى في الناس الصلاة جامعة ، فصلَّى بهم ركعتين ثم قام فقال : أيها الناس أنشدكم[١] الله هل تعلمون مني أمراً غيره خير[٢] منه ؟ فقالوا : اللهم لا ، فقال : إن بلال بن الحارث يزعم ذَيَّة وذَيَّة[٣] . قالوا : صدق بلال فاستغث بالله ثم المسلمين . فبعث إليهم ـ وكان عمر عن ذلك محصوراً ـ فقال عمر : الله أكبر ، بلغ البلاء مدته فانكشف . ما أذنَ لقوم في الطلب إلا وقد رُفِعَ عنهم الأذى والبلاء . وكتب إلى أُمراء الأمصار أن أغيثوا أهلَ المدينة ومنْ حولها ، فإنه قد بلغ جَهْدهم . وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه[٤] العباس بن عبد المطلب ماشياً ، فخطب وأوجز وصلى ثم جثا لركبتيه وقال : اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا . ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغُدْران) .

ثم روى سيف[٥] ، عن مبشر بن الفضيل ، عن جبير بن صخر ، عن عاصم بن عمر بن الخطاب : أن رجلاً من مزينة عام الرّمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شيء . فألحوا عليه ، فذبح شاة فإذا عظامُها حمرٌ . فقال : يا محمداه[٦] . فلما أمسى أري في المنام أنَّ رسول الله يقول له : « أبشرْ بالحياة[٧] ، ائت عمر ، فأقرئه منّي السلام وقل له : إن عهدي بك وفيُّ العهد شديد العقد ، فالكَيْس الكَيْس يا عمر » ، فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه : استأذن لرسول رسول الله ﷺ . فأتى عمر فأخبره ففزع ثم صعد عمر المنبر فقال للناس : أنشدكم الله الذي[٨] هداكم للإسلام هل رأيتم مني شيئاً تكرهونه ؟ فقالوا : اللهم لا ، وعم ذاك ؟ فأخبرهم بقول المزني[٩] ـ وهو بلال بن الحارث ـ ففطنوا ولم يفطن . فقالوا : إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا . فنادى في الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال : اللهم عجزتْ عنا أنصارُنا ، وعجزَ عنا حولُنا وقوتنا ، وعجزتْ عنا أنفسُنا ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بكَ ، اللهم اسْقنا وأحْي العبادَ والبلادَ .

---

(١) في أ : أنشدتكم .
(٢) في أ : خيراً منه .
(٣) ذَيَّة وذَيَّة : كيت وكيت . اللسان والقاموس (ذيت) .
(٤) في أ : ومعه .
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٩٩) .
(٦) هذه استغاثة بغير الله تعالى ، ولا يجوز ذلك وهي من مرويات سيف .
(٧) في تاريخ الطبري : أبشر بالحيا .
(٨) في أ : أنشدكم بالذي .
(٩) هذا الرجل ، لم يثبت أنه بلال بن الحارث ، والرواية التي تقول : إنه بلال بن الحارث ، من رواية سيف وهو متروك .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[١] : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا : حدَّثنا أبو عَمْرو[٢] بن مطر ، حدَّثنا إبراهيم بن علي الذُّهلي ، حدَّثنا يحيى بن يحيى ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن مالك قال :

أصاب الناسَ قحطٌ في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجلٌ إلى قبر النبي ﷺ فقال : يا رسولَ الله استسقِ اللهَ لأمتك فإنهم قد هلكوا . فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال : ائت عمر فأقرئه مني السلامَ وأخبرهم أنهم مُسْقَوْن[٣] ، وقل له عليك بالكيس الكَيْس . فأتى الرجل فأخبر عمر فقال : يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه . وهذا إسناد صحيح[٤] .

وقال الطبراني[٥] : حدَّثنا أبو مسلم الكشّي ، حدَّثنا محمد الأنصاري[٦] ، حدَّثنا أبي ، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ، عن أنس : أن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس معه يستسقي يقول : اللهم إنّا كُنّا إذا قُحِطنا على عهد نبيّنا توسَّلنا إليك بنبينا ، وإنا نتوسَّل إليك بعمّ نبينا ﷺ .

وقد رواه البخاري[٧] عن الحسن بن محمد ، عن محمد بن عبد الله [الأنصاري] به ولفظه عن أنس : أنَّ عمرَ كان إذا قُحِطوا يستسقي بالعباس بن عبد المطلب فيقول : اللهم إنّا كُنّا نتوسَّلُ إليكَ بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبينا فاسْقِنا . قال : فيُسْقَوْنَ .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا ـ في كتاب المطر وفي كتاب مجابي الدعوة ـ حدَّثنا أبو بكر النيسابوري ، حدَّثنا عطاء بن مسلم ، عن العُمري ، عن خوَّات بن جبير قال : خرج عمر يستسقي بهم فصلّى ركعتين فقال : اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك فما برحَ من مكانه حتى مُطِروا ، فقدم أعراب فقالوا : يا أمير المؤمنين بينا نحن في وادينا في ساعة كذا إذ أظلتنا غمامة فسمعنا منها صوتاً : أتاك الغوث أبا حفص ، أتاك الغوث أبا حفص .

وقال ابن أبي الدنيا : حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدَّثنا سفيان ، عن مطرف بن طريف ، عن الشَّعبي قال : خرج عمر يستسقي بالناس فما زاد على الاستغفار حتى رجع ، فقالوا: يا أمير المؤمنين

(١) دلائل النبوة (٧/ ٤٧) والخبر أيضاً في تاريخ ابن عساكر (ترجمة عمر بن الخطاب/ ٢٤٩) .

(٢) في ط : « أبو عمر » محرف ، وهو أبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابوري المزكي ، ترجمه الذهبي في السير (١٦/ ١٦٢) .

(٣) في أ : يسقون .

(٤) أي إلى مالك الدار ، ومالك الدار مجهول ، فالقصة ضعيفة .

(٥) المعجم الأوسط (٣/ ٢١٨) رقم (٢٤٥٨) .

(٦) في ط : « أبو محمد الأنصاري » خطأ ، وهو محمد بن عبد الله بن مثنى الأنصاري ، من رجال التهذيب ، وجاء على الصواب في السند الذي بعده .

(٧) صحيح البخاري (٣٧١٠) في فضائل الصحابة .

ما نراك استسقيتَ . فقال : لقد طلبتُ المطرَ بمجاديح[١] السماء التي يستنزل بها المطر[٢] ثم قرأ : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح : ١٠ ـ ١١] ثم قرأ : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هود : ٣] .

وذكر ابن جرير[٣] في هذه السنة من طريق سيف بن عمر ، عن أبي المجالد والربيع (وأبي) عثمان وأبي حارثة ، وعن عبد الله بن شُبرُمة ، عن الشَّعبي قالوا : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضرار وأبو جندل بن سهل ، فسألناهم فقالوا : خُيِّرنا فاختَرْنا . قال : فهل أنتم مُنْتهون ؟ (ولم يعزم . فجمعَ عمرُ الناسَ فأجمعوا على خلافهم ، وأن المعنى : فهل أنتم منتهون) أي : انتهوا . وأجمعوا على جلدهم ثمانين ثمانين . وأن منْ تأوّل هذا التأويل وأصرَّ عليه يُقْتل . فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعُهُم فسلهم عن الخمر ، فإن قالوا هي حلال فاقتلهم ، وإن قالوا هي حرام فاجلدهم ، فاعترف[٤] القوم بتحريمها ، فجُلدوا الحدّ ، وندموا على ما كان منهم من اللّجاجة فيما تأولوه[٥] ، حتى وُسْوس أبو جندل في نفسه ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر في ذلك ، وسأله أن يكتب إلى أبي جندل[٦] ويذكره ، فكتب إليه عمر بن الخطاب في ذلك : من عمر إلى أبي جندل ، إن الله لا يغفر أن يُشْركَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فتُبْ وارفَعْ رأسَكَ وابرز ولا تقنط فإن الله تعالى يقول ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣]
وكتب عمر إلى الناس : أن عليكم أنفسكم ومن غيَّر فغيِّروا عليه ، ولا تُعيِّروا أحداً فيفشوا فيكم البلاء ، وقد قال أبو الزهراء القشيري في ذلك[٧] : [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الـدَّهْـرَ يَعْثُرُ بـالفَتَـى ... وليسَ على صَرْفِ المَنونِ بقَادِرِ[٨]

---

(١) في الأصل والمطبوع : محاديج ، بتقديم الحاء والجيم في آخره ، وهو تحريف ، صوابه (مجاديح) بتقديم الجيم وفي آخره حاء ، قال ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث » جدح ، المجاديح ، واحدها مِجْدَح ، والمجدح : نجم من النجوم . وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر ، انظر صحيح مسلم رقم (٧١) و(٧٢) و(٧٣) وابن حبان رقم (٦١٣٠) .

(٢) روى أحمد في مسنده رقم (١٠٩٨٣) (٣/ ٧) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً (لو أمسك الله القطر عن الناس سبع سنين ، ثم أرسله ، لأصبحت طائفة به كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء المِجْدَح) والمجدح : كوكب وهو عند ابن حبان في صحيحه رقم (٦١٣٠) والدارمي في سننه (٢/ ٣١٤) وأبي يعلى رقم (١٣١٢) وهو حديث حسن وفي الباب عن أبي هريرة ، انظر مسند أحمد (٢/ ٣٦٢) ومسلم رقم (٧٢) وعن ابن عباس رقم (٧٣) .

(٣) في تاريخه (٤/ ٩٦ ـ ٩٧) .

(٤) في أ : فاعترفوا القوم ؛ وهي لغة مفضولة .

(٥) في أ : قالوه .

(٦) في أ : إليه عمر ويذكره .

(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٩٧ ـ ٩٨) .

(٨) في أ : لقادر ؛ وهي تخرج القافية عن الكسر .

صَبَرْتُ ولَمْ أَجْزَعْ وَقَدْ ماتَ إِخْوتي ... ولستُ عن الصَّهباءِ[١] يوماً بصابِرِ
رماها أميرُ المُؤمنينَ بحَتْفِها ... فخُلَّانُها يَبْكُونَ حولَ المَعاصِرِ[٢]

قال الواقدي[٣] وغيره : وفي هذه السنة في ذي الحجة منها حَوَّلَ عمرُ المقام ـ وكان مُلْصقاً بجدار الكعبة ـ فأخّره إلى حيث هو الآن لئلا يشوِّشَ المصلون عنده على الطّائفين .

قلت : قد ذكرت أسانيد ذلك في سيرة عمر ولله الحمد (والمنة) .

قال : وفيها استقضى عمر شريحاً على الكوفة ، وكعب بن سور على البصرة .

قال : وفيها حجَّ عمرُ بالناس ، وكان نوابه فيها الذين تقدَّم ذكرهم في السنة (الماضية) .

وفيها فُتحت الرَّقَّة والرُّها وحَرّان على يدي عياض بن غنم .

قال : وفُتحت رأس عين الوردة[٤] على يدي عمر بن سعد بن أبي وقاص . وقال غيره خلاف ذلك .

وقال شيخنا الحافظ الذهبي في « تاريخه »[٥] : وفيها ـ يعني هذه السنة ـ افتتح أبو موسى الأشعري الرُّها وسُمَيْساط[٦] عنوةً ، وفي أوائلها وجَّه أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فوافق أبا موسى فافتتحا حران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وقيل : صلحاً . وفيها سار عياض إلى الموصل فافتتحها وما حولها عنوة . وفيها بنى سعد جامع الكوفة .

وقال الواقدي : وفيها كان طاعون عَمَواس فمات فيه خمسة وعشرون ألفاً . قلت : هذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عَمَواس ـ وهي بين القدس والرملة ـ لأنها كان أول ما نجم الداء بها ، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون .

قال الواقدي : توفي في عام طاعون عَمَواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفاً . وقال غيره : ثلاثون ألفاً . وهذا ذكر طائفة من أعيانهم رضي الله عنهم .

الحارث بن هشام[٧] ، أخو أبي جهل ، أسلم يوم الفتح ، وكان سيداً شريفاً في الإسلام كما كان

---

(١) الصهباء : الخمر . اللسان (صهب) .
(٢) في أ ، ط : المقاصر ؛ وما هنا عن تاريخ الطبري وهو الأشبه .
(٣) جملة هذه الأخبار في تاريخ الطبري (٤/ ١٠١) وتاريخ ابن الأثير (٢/ ٥٦٢) .
(٤) عين الوردة : مدينة مشهورة بالجزيرة . معجم البلدان (٤/ ١٨٠) .
(٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٦) طبعة القدسي .
(٦) في ط : « شمشاط » ، وما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخه (مجلد أيا صوفيا ٣٠٠٥ مصورتها عند الدكتور بشار) وهي مدينة على شاطىء الفرات بطرف بلاد الروم على غربي الفرات ، وهي غير شمشاط (ينظر معجم البلدان (٣/ ٢٥٨ و٣٦٢ ـ بيروت) .
(٧) ترجمة ـ الحارث بن هشام ـ في الطبقات الكبرى (٥/ ٤٤٤) والاستيعاب (١/ ٣٠١) وجامع الأصول (١٣/ ٣٠٠) وأسد الغابة (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) ومختصر ابن منظور (٦/ ١٦٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٩) والإصابة =

في الجاهلية ، استشهد بالشام في هذه السنة في قول ، وتزوج عمر بعده بامرأته فاطمة .

شُرَحْبِيل ابن حَسَنَة(١) ، أحد أمراء الأرباع ، وهو أمير فلسطين ، وهو **شُرَحبيل بن عبد الله بن المُطاع** ابن قطن الكِنْدي حليف بني زُهْرة ، وحَسَنَةُ أمه ، نسب إليها وغلب عليه ذلك . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة وجهزه الصّدّيق إلى الشام ، فكان أميراً على ربع الجيش ، وكذلك في الدولة العمرية ، وطعن هو وأبو عبيدة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد سنة ثماني عشرة . له حديثان روى ابن ماجه أحدهما في الوضوء وغيره(٢) .

عامر بن عبد الله بن الجرّاح(٣) بن هِلال بن أُهَيْب (بن ضَبَّة بن الحارث) بن فِهْر القُرَشي أبو عبيدة (بن الجَرّاح) الفِهْري ، أمينُ هذه الأمة ، وأحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحدُ الخمسة الذين أسلموا في يوم واحدٍ ، وهم عُثمان بن مَظْعون ، وعُبَيْدة بن الحارث ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وأبو عُبَيْدة بن الجَرّاح . أسلموا على يدي الصديق . ولما هاجروا آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ ، وقيل بين محمد بن مسلمة . وقد شهدَ بدراً وما بعدها ، وقال رسول الله ﷺ : « إن لكلِّ أمةٍ أميناً وأمينُ هذه الأمة أبو عُبَيْدة بن الجَرّاح » ثبت ذلك في الصحيحين(٤) . وثبت في الصحيحين(٥) أيضاً أنّ الصّدّيق قال يوم السَّقيفة : وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين فبايعوه - يعني عمر بن الخطاب وأبا عُبَيْدة . وبعثه الصديق أميراً على ربع الجيش إلى الشام ، ثم لما انتدب خالداً على العراق كان أميراً على أبي عبيد وغيره لعلمه بالحروب(٦) . فلما انتهت الخلافةُ إلى عمر عزلَ خالداً وولّى أبا عبيدة بن الجراح ، وأمره أن يستشير خالداً ، فجمعَ للأمة بين أمانة أبي عُبَيْدة وشجاعة خالد .

قال ابن عساكر : وهو أولُ من سُمِّي أميرَ الأمراء بالشام . قالوا : وكان أبو عبيدة طوالاً نحيفاً أَجْنَأَ(٧)

= (١/ ٢٩٣) وشذرات الذهب (١/ ١٦٩) .

(١) ترجمة - شرحبيل بن حسنة - في الطبقات الكبرى (٤/ ١٢٧ - ١٢٨) والاستيعاب (٢/ ٧٠١) وجامع الأصول (١٤/ ٣٠٥) وأسد الغابة (٢/ ٥١٢ - ٥١٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٢ - ٢٤٣) والإصابة (٢/ ١٤٣) .

(٢) سنن ابن ماجه (٤٥٥) في الطهارة . ونص الحديث عن رسول الله ﷺ : « أتموا الوضوء ويل للأعقاب من النار » وهو حديث صحيح .

(٣) ترجمة - عامر بن عبد الله بن الجراح - في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٠٩) والاستيعاب (٢/ ٧٩٢ - ٧٩٥) وجامع الأصول (١٢/ ٣١٨ - ٣٢٠) وأسد الغابة (٣/ ١٢٨ - ١٣٠) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٥٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ٥ - ٢٣) والإصابة (٢/ ٢٥٢ - ٢٥٤) .

(٤) صحيح البخاري (٣٧٤٤) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٤١٩) في فضائل الصحابة .

(٥) صحيح البخاري (٦٨٣٠) في المحاربين . وأما مسلم فأخرج طرفاً من حديث عمر لكن ليس فيه قول أبي بكر الصديق (١٦٩١) في الحدود . والحديث في مسند أحمد (١/ ٥٦) من رواية ابن عباس عن عمر .

(٦) في أ : بعلمه الحروب .

(٧) أجنأ : أي أحدب الظهر . اللسان (جنأ) ،

معروف الوجه ، خفيف اللحية ، أهتم[١] ، وذلك لأنه لما انتزع الحلقتين من وَجْنتي رسول الله ﷺ يوم أُحد خاف أن يؤلم رسول الله ﷺ فتحامل على ثنيتيه فسقطتا ، فما رُئِيَ أحسن هتماً منه . توفي بالطاعون عام عَمَواس كما تقدم سياقه في سنة ست عشرة عن سيف بن عمر . والصحيح أنّ عَمَواس كانت في هذه السنة ـ سنة ثماني عشرة ـ بقرية (فِحْل) ، وقيل بالجابية . وقد اشتهر في هذه الأعصار قبر بالقرب من عقبة ينسب إليه ، والله أعلم . وعمره يوم مات ثمانٍ وخمسون سنة .

الفضل بن عباس بن عبد المطلب[٢] ، كان حسناً وسيماً جميلاً ، أردفه رسول الله ﷺ وراءه يوم النحر من حجة الوداع ، وهو شاب حسن ، وقد شهد فتح الشام ، واستُشهد بطاعون عَمَواس ، في قول محمد بن سعد والزبير بن بكار وأبي حاتم وابن البرقي[٣] ، وهو الصحيح . وقيل يوم مرج الصفر ، وقيل بأجنادين . ويقال باليرموك [ويقال] سنة ثمان وعشرين .

معاذ بن جَبَل[٤] بن عمرو بن أوس بن عائذ[٥] بن عَدي بن كَعْب بن عَمرو بن أُدَيّ بن [سعد بن] علي بن أَسَد بن سارِدَة بن يزيد بن جُشَم بن الخزرج الأنصاري الخَزرجي أبو عبد الرحمن المَدني :

صحابيٌّ جليلٌ كبيرُ القَدْرِ . قال الواقديُّ : كان طُوالاً حسنَ الشَّعرِ والثَّغرِ بَرّاق الثّنايا ، لم يولد له . وقال غيره : بل وُلد له ولد وهو عبد الرحمن . شهد معه اليرموك . وقد شهد معاذ العقبة . ولما هاجر الناس آخى رسول الله ﷺ بينه وبين ابن مسعود . وحكى الواقديّ الإجماعَ على ذلك . وقد قال محمد بن إسحاق : آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب ، وشهد بدراً وما بعدها . وكان أحدَ الأربعة من الخزرج الذين جمعوا القرآنَ في حياةِ النبيّ ﷺ ، وهم : أُبيّ بن كعبٍ ، وزَيْدُ بن ثابتٍ ، ومُعاذُ بن جَبَلٍ ، وأبو زيد عمّ أنس بن مالك[٦] . وصحَّ في الحديث الذي رواه أبو داود والنّسائي[٧] من حديث حَيْوة بن شُرَيْح ، عن عقبة بن مسلم ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلّي ، عن الصُّنابحي ، عن مُعاذ أن رسول الله ﷺ قال له : « يا مُعاذ والله إني لأحبُّكَ ، فلا تدعنَّ أن تقولَ في دبُرَ كلِّ صلاةٍ : اللَّهُمّ أعنّي على ذكرك وشُكرِكَ

---

(١) هَتَم فاه يَهْتِمُهُ : القى مُقَدَّم أسنانه كأهتمه ، وكفرح : انكسرت ثناياه من أصولها فهو أهتم . القاموس (هتم) .

(٢) ترجمة ـ الفضل بن العباس ـ في الطبقات الكبرى (٤/ ٥٤) والاستيعاب (٣/ ١٢٦٩ ـ ١٢٧٠) وجامع الأصول (١٥/ ٣٠ ـ ٣١) وأسد الغابة (٤/ ٣٦٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٤) مختصر ابن منظور (٢٠/ ٢٧٧) والإصابة (٣/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

(٣) في أ : السري .

(٤) ترجمة ـ معاذ بن جبل ـ في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٤٧) والاستيعاب (٣/ ١٤٠٢) وجامع الأصول (١٥/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) وأسد الغابة (٥/ ١٩٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٤٣) والإصابة (٣/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) .

(٥) في ط والإصابة : عابد ؛ وهو تحريف لأن ابن الأثير ضبطها بالحرف في جامع الأصول .

(٦) روى هذا الخبر أنس بن مالك وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٧٧) والبخاري في صحيحه (٣٨١٠) في مناقب الأنصار وغيرهما . وأبو زيد هذا قال أنس : هو أحد عمومتي ، واختلف في اسمه .

(٧) سنن أبي داود رقم (١٥٢٢) في الصلاة ، وسنن النسائي (٣/ ٥٣) رقم (١٣٠٣) في الصلاة ، وهو حديث صحيح .

وحُسنِ عبادتك ». وفي المُسند والنَّسائي وابن ماجه[١] من طريق أبي قِلابة، عن أنسٍ مرفوعاً: « وأعْلَمهم بالحلالِ والحرامِ مُعاذ بن جبل » وقد بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال له: « بم تحكمُ »؟ فقال: بكتاب الله . . . الحديث[٢]. وكذلك أقرَّه الصّديق على ذلك يعلّم الناس الخيرَ باليمن. ثم هاجر إلى الشام فكان بها حتى مات بعد ما استخلفه أبو عبيدة حين طُعن ثم طُعن بعده في هذه السنة. وقد قال عمر بن الخطاب: « إن معاذاً يبعث أمام العلماء برتوة »[٣]. ورواه محمد بن كعب مُرْسلاً[٤]. وقال ابن مسعود: كنا نُشبِّهه بإبراهيم الخليل. وقال ابن مسعود: إن معاذاً كان قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين[٥]. وكانت وفاته شرقي غور بَيْسان سنة ثماني عشرة. وقيل سنة تسع عشرة، وقيل (سبع عشرة، عن ثمان وثلاثين سنة على المشهور وقيل) غير ذلك والله أعلم.

يزيد بن أبي سفيان[٦] أبو خالد يزيد بن صَخْر بن حَرْب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف القُرَشي الأموي، أخو معاوية، وكان يزيد أكبرَ وأفضلَ. وكان يقال له يزيد الخير، أسلم عام الفتح، وحضر حُنَيناً، وأعطاه رسول الله ﷺ مئة (من الإبل) وأربعين أوقية، واستعمله الصّدّيق على ربع الجيش إلى الشام، وهو أول أمير وصل إليها، ومشى الصّدّيق في ركابه يوصيه، وبعث معه أبا عبيدة وعمرو بن العاص وشُرَحْبيل بن حَسَنة، فهؤلاء أمراء الأرباع. ولما افتتحوا دمشق دخلَ هو من باب الجابية الصغير عنوةً كخالد في دخوله من الباب الشرقي عنوةً، وكان الصدِّيق قد وعده بإمرتها، فوليها عن أمر عمر وأنفذ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٨٤ و٢٨١) فضائل الصحابة للنسائي (١٨٢). وسنن ابن ماجه رقم (١٥٤) في المقدمة، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٦ و٢٤٢) وأبو داود في سننه (٣٥٩٣) في الأقضية، والترمذي في جامعه (١٣٢٧) في الأحكام، من طريق ناس من أصحاب معاذ عن معاذ، وقال الترمذي: « هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل ». وضعَّفه بسبب جهالة من روى عن معاذ جملةٌ من جهابذة أهل العلم، منهم إمام الصنعة: البخاري، والعقيلي، والدارقطني، وابن حزم، والذهبي، وابن حجر فضلاً عن الإمام الترمذي. وقبله بعض العلماء المتأخرين، منهم: الخطيب في كتابه الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠)، وابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ٢٠٢). وينظر تعليق الدكتور بشار على طبعته من جامع الترمذي (٣/ ١٠).

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/ ٥٩٠)، وأحمد في مسنده (١/ ١٨)، وفي الفضائل له (١٢٨٧)، وعمر بن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ٨٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٨ و٢٢٩) من طرق مختلفة عن عمر، مرفوعاً، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده. والرتوة: رمية سهم، وقيل: مد البصر. وقد تحرفت في ط إلى « ربوة » (بشار).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ حديث ٤١)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٩) من طريق عمارة بن غزية عن محمد بن عبد الله الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً (بشار).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٠) والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٧١) وصححه وهو أيضاً في سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥١).

(٦) ترجمة ـ يزيد بن أبي سفيان ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٥) والاستيعاب (٤/ ١٥٧٥) وأسد الغابة (٥/ ٤٩١) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٦٢) ومختصر ابن منظور (٢٧/ ٣٦٢) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٨) والإصابة (٦/ ٣٤١).

له ما وعده الصّدّيق ، وكان أولَ من وليها من المسلمين . المشهور أنه مات في طاعون عَمَواس كما تقدم . وزعم الوليد بن مسلم أنه توفي سنة تسع عشرة بعد ما فتح قيسارية . ولما مات كان قد استخلف أخاه معاوية على دمشق فأمضى عمر بن الخطاب له ذلك رضي الله عنهم . وليس له في الكتب شيء ، وقد روى عنه أبو عبد الله الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « مثلُ الذي يُصلِّي ولا يُتمُّ ركوعَهُ ولا سجوده مثلُ الجائعِ الذي لا يأكلُ إلا التمرةَ والتمرتين لا يغنيان عنه شيئاً »(١) .

أبو جَنْدل بن سُهَيْل(٢) بن عمرو ، وقيل اسمه العاص : أسلم قديماً ، وقد جاء يوم صلح الحديبية مسلماً يرسف في قيوده لأنّه كان قد استضعف فردّه أبوه وأبى أن يصالح حتى يُردّ ، ثم لحق أبو جندل بأبي بَصير(٣) إلى سِيف البحر(٤) ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد فتح الشام . وقد تقدم أنه تأول آية الخمر ثم رجع(٥) ، ومات بطاعون عَمَواس رحمه الله ورضي عنه .

أبو عبيدة بن الجراح هو عامر بن عبد الله تقدم .

أبو مالك الأشعري(٦) ، قيل اسمه كعب بن عاصم ، قدم مهاجراً سنة خيبر مع أصحاب السفينة ، وشهد ما بعدها ، واستُشهد بالطاعون عام عَمَواس هو وأبو عبيدة ومعاذ في يوم واحد رضي الله عنهم أجمعين .

ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال الواقدي وغيره : كان فتحُ المدائن وجلولاء فيها . والمشهورُ خلافُ ما قال كما تقدَّم . وقال محمد بن إسحاق : كان فتحُ الجزيرة والرُّها وحَرّان ورأس العين ونَصيبين في هذه السنة . وقد خالفه غيره(٧) . وقال أبو معشر وخليفة(٨) وابن الكلبي : كان فتح قَيْسارِيّة في هذه السنة وأميرُها معاويةُ . وقال غيره يزيد بن أبي سفيان . وقد تقدّم أن معاوية افتتحها قبل هذا بسنتين . وقال محمد بن إسحاق : كان

---

(١) أخرجه البخاري في تاريخه الكبير (٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/ ٢٣٩) ، ورواه الطبراني في الكبير (٤/ ٣٨٤٠) وأبو يعلى الموصلي ، رقم (٧١٨٤) وابن خزيمة في صحيحه رقم (٦٦٥) وغيرهم ، فهو حديث حسن.

(٢) ترجمة ـ أبي جندل ـ في الطبقات الكبرى (٧/ ٤٠٥) والاستيعاب (٤/ ١٦٢١) وجامع الأصول (١٣/ ٢٧٣) وأسد الغابة (٦/ ٥٤ ـ ٥٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٩٢) والإصابة (٤/ ٣٤) .

(٣) في أ : نصير ، وهو تحريف .

(٤) قصة إسلامه مشهورة ذكرها البخاري في صحيحه رقم (٢٧٠٠) في الصلح ، وقد أوردها المصنف رحمه الله مطولة في السيرة .

(٥) تقدم الخبر صفحة ١٤٨ من هذا الجزء .

(٦) ترجمة ـ أبي مالك الأشعري ـ في الطبقات الكبرى (٤/ ٣٥٨) والاستيعاب (٣/ ١٣٢١) وجامع الأصول (١٥/ ١١١) وأسد الغابة (٤/ ٤٧٠) والإصابة (٣/ ٢٩٣) .

(٧) قال الطبري في تاريخه (٤/ ١٠٢) بعد ذكره الخبرين : وقد ذكرنا قول من خالفهم في ذلك قبل .

(٨) تاريخ خليفة (ص١٤١) .

فتحُ قَيْسارية من فلسطين ، وهرب هرقل ، وفتح مصر في سنة عشرين . وقال سيف بن عمر : كان فتح قيسارية وفتح مصر في سنة ست عشرة . قال ابن جرير[١] : فأما فتحُ قيسارية فقد تقدم ، وأما فتح مصر فإني سأذكره في سنة عشرين إن شاء الله تعالى .

قال الواقدي : وفي هذه السنة ظهرت نارٌ من حرّةِ ليلى[٢] فأراد عمر أن يخرج بالرجال إليها ، ثم أمر المسلمين بالصدقة فطفئت ولله الحمد .

ويقال كان فيها وقعة أرمينية وأميرها عثمان بن أبي العاص ، وقد أصيب فيها صفوان بن المُعَطَّل بن رَحْضَة[٣] السُّلَمي ثم الذَّكواني ، وكان أحد الأمراء يومئذ . وقد قال فيه رسول الله ﷺ « ما علمت عليه إلا خيراً »[٤] وهو الذي ذكره المنافقون في قصة الإفك فبرَّأَ اللهُ ساحتَه ، وجنابَ أمّ المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ مما قالوا . وقد كان إلى حين قالوا لم يتزوج ، ولهذا قال : والله ما كشفت كنف أنثى قط . ثم تزوج بعد ذلك ، وكان كثير النوم ربما غلب عليه عن صلاة الصبح في وقتها ، كما جاء في سنن أبي داود[٥] وغيره . وكان شاعراً ثم حصلت له شهادةٌ في سبيل الله ، قيل بهذا البلد ، وقيل بالجزيرة ، وقيل بسُمَيْساط[٦] . وقد تقدَّم بعضُ هذا فيما سلف .

وفيها فُتحت تكريتُ في قولٍ ، والصحيح قبل ذلك .

وفيها فيما ذكرنا أسرت الروم عبدَ الله بن حُذافة[٧] .

وفيها في ذي الحجة منها كانت وقعةٌ بأرض العراقِ قتل فيها أميرُ المجوس[٨] شهرك ، وكان أمير المسلمين يومئذ الحكم بن أبي العاص رضي الله عنه .

قال ابن جرير[٩] ، وفيها (حجَّ) بالناس عمرُ ، ونوابه في البلاد وقضاته هم المذكورون قبلها والله أعلم .

---

(١) في تاريخه (٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣) .

(٢) حرّة ليلى : موضع لبني مرة بن عوف يطؤها الحاج في طريقهم إلى المدينة . معجم البلدان (٢/ ٢٤٨) .

(٣) في جامع الأصول : رُبَيْضَة ، وفي الاستيعاب : ربيعة ، وفي الإصابة : رُبيعة ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الذي بخط الذهبي في تاريخ الإسلام ، وفي السير (٢/ ٥٤٥) .

(٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦٦١) في الشهادات ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٣ ـ ١٩) رقم (٧٠٩٩) في مناقب الصحابة .

(٥) سنن أبي داود رقم (٢٤٥٩) في الصوم من حديث أبي سعيد الخدري ، وهو حديث صحيح .

(٦) في ط : « بشميشاط » : وما هنا بخط الذهبي في تاريخ الإسلام ، وهي كذلك في السير (٢/ ٥٤٦) .

(٧) ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٨٨٨) وتاريخ دمشق ـ (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد ـ/ ١٢٠ ـ ١٣٥) وجامع الأصول (١٤/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩) وأسد الغابة (٣/ ٢١١) والإصابة (٢/ ٥٤) .

(٨) في أ : أمير الجيوش . والخبر في تاريخ خليفة (ص١٤١) .

(٩) في تاريخه (٤/ ١٠٣) .

(ذكر من توفي فيها من الأعيان)

وممن توفي فيها من الأعيان :

أُبيُّ بن كعب[١] **سيد القراء** ، وهو أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زَيْد بن مُعاوية بن عَمْرو بن مالك بن النَّجّار ، أبو المُنْذر وأبو الطُّفَيْل ، الأنصاري النَّجّاري سيِّد القُرّاء : شهد العَقَبَة وبدراً وما بعدهما ، وكان سَيِّداً جليلَ القدر . وهو أحد القراء الأربعة الخزرجيين الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ وقد قال لعمر يوماً : إني تلقيت القرآن ممن تلقاه منه جبريل وهو رطب . وفي المسند والنسائي وابن ماجه[٢] من طريق أبي قِلابة عن أنس مرفوعاً : « أقرأ أُمتي أُبي بن كعب » وفي الصحيح[٣] أنَّ رسول الله ﷺ قال له : « إنَّ اللهَ أمرني أن أقرأ عليكَ القرآن » . قال : وسمّاني لكَ ؟ قال : « نعم » فذرفَتْ عيناه . وقد تكلّمنا على ذلك في التفسير عند سورةِ ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة : ١] .

قال الهَيْثَم بن عَدِيّ : توفي أُبي سنة تسع عشرة .

وقال يحيى بن مَعين : سنة سبع عشرة أو عشرين .

وقال الواقدي عن غير واحد : توفي سنة اثنتين وعشرين . وبه قال أبو عبيد وابن نمير وجماعة . وقال الفلاس وخليفة[٤] : توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وفيها مات **خَبّاب**[٥] **مولى عُتْبَة بن غَزْوان** من المهاجرين شهد بدراً وما بعدها ، وهو صحابيٌّ من السّابقين وصلّى عليه عمرُ .

ومات فيها **صَفْوان بن المُعطَّل**[٦] في قول كما تقدم ، والله أعلم .

---

(١) ترجمة ـ أبي بن كعب ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٩٨) والاستيعاب (١/ ١٢٦) وجامع الأصول (١٣/ ١٠ ـ ١١) وأسد الغابة (١/ ٦١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٩ ـ ٤٠٢) . والإصابة (١/ ٢٦) .

(٢) مسند أحمد (٣/ ١٨٤) وفضائل الصحابة للنسائي (ص١٨٢) وسنن الترمذي رقم (٣٧٩٠) . وتمام الحديث : « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في الله عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ألا وإن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح » ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٣) صحيح الإمام البخاري (٤٩٥٩) في المناقب ، وصحيح مسلم (٧٩٩) (١٢١) في فضائل الصحابة .

(٤) تاريخ خليفة (ص١٦٧) .

(٥) هو خباب بن الأرت وقد أوردت المصادر نسبه كاملاً ، وترجمته في الطبقات الكبرى (٣/ ٦٤) والاستيعاب (١/ ٤٣٧) وجامع الأصول (١٣/ ٤١٩) وأسد الغابة (٢/ ١١٤) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥) والإصابة (١/ ٤١٦).

(٦) ترجمة ـ صفوان بن المعطل ـ في الاستيعاب (٢/ ٧٢٥) وجامع الأصول (١٤/ ٣٥١) وأسد الغابة (٣/ ٣٠ ـ ٣١)=

سنة عشرين من الهجرة

قال محمد بن إسحاق : فيها كان فتحُ مصر . وكذا قال الواقدي : إنّها فُتحت هي وإسكندرية في هذه السنة . وقال أبو معشر : فُتحت مصر سنة عشرين ، وإسكندرية في سنة خمس وعشرين . وقال سيف : فتحت مصر وإسكندرية في سنة ست عشرة في ربيع الأول منها[١] . ورجّح ذلك أبو الحسن بن الأثير في « الكامل »[٢] لقصة بعث عمرو الميرة من مصر عام الرّمادة ، وهو معذور فيما رجحه ، والله أعلم .

وفيها كان فتح تُسْتَر في قول طائفةٍ من علماء السير بعد محاصرة سنتين وقيل سنة ونصف ، والله أعلم .

صفة فتح [بلاد] مصر [مجموعاً من كلام][٣] ابن إسحاق وسيف [وغيرهما]

قالوا : لما استكملَ (عمر) والمسلمون فتحَ الشام بعثَ عمرو بن العاص إلى مصرَ . وزعم سيفٌ أنَّه بعثه بعد فتح بيت المقدس ، وأردفه بالزُّبير بن العَوَّام وفي صحبته بُسْر بن أرطاة[٤] ، وخارِجَة بن حُذافَة وعُمَيْر بن وَهْب الجُمَحي . فاجتمعا على باب مصر فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر ، ومعه الأسقفّ[٥] أبو مريام في أهل الثبات[٦] ، بعثه المُقَوْقِسُ صاحب إسْكَنْدَرِيَّة لمنع بلادهم ، فلما تصافُّوا قال عمرو بن العاص لا تعجلوا حتى نُعْذرَ ، ليبرز إليَّ أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد ، فبرزا إليه ، فقال لهما عمرو بن العاص : أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا ، إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ﷺ ، وأدَّى إلينا كلّ الذي أُمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا (إليه) فمثلنا ، ومن لم يجبنا[٧] عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة ، وقد أعلمنا [ﷺ] أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا منكم ، وإنَّ لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة . ومما عهد إلينا أميرنا : استوصوا بالقِبْطيِّين خيراً ، فإنّ رسول الله ﷺ أوصانا بالقِبْطيِّين

= وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٤٥ ـ ٥٥٠) والإصابة (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١) .

(١) جملة هذه الأقوال في تاريخ الطبري (٤/ ١٠٤) .

(٢) الكامل في التاريخ (٢/ ٥٦٤) .

(٣) مكان هاتين المعقوفتين لفظة / عن/ في ط .

(٤) في ط : بشر بن أرطأة ؛ خطأ . والتصحيح من الاستيعاب (١/ ١٥٧) وجامع الأصول (١٣/ ١٥٢) وأسد الغابة (١/ ٢١٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٠٩) والإصابة (١/ ١٤٧ ـ ١٤٨) .

(٥) الأسقف : رئيس النصارى في الدين ، أعجمي تكلّمت به العرب ولا نظير له إلا أُسْرُبّ ، والجمع : أساقف وأساقفة .

(٦) في تاريخ الطبري (٤/ ١٠٧) : النيات .

(٧) في أ : ومن لم يجب .

خيراً ، لأن لهم رحماً وذمة[١] . فقالوا : قرابةٌ بعيدةٌ لا يصل مثلها إلا الأنبياءُ معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل مَنْف والملك فيهم ، فأديل[٢] عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم[٣] عليه السلام مرحباً به وأهلاً . أمِّنَّا حتى نرجع إليك ، فقال عمرو : إن مثلي لا يخدع ولكنّي أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتناظرا قومكما وإلا ناجزتكم . قالا : زدنا ، فزادهم (يوماً ، فقالا : زدنا . فزادهم يوماً) فرجعا إلى المُقَوْقِس فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم ، فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم . وقد بقيتْ أربعةُ أيامٍ (قاتلوا) وأشار عليهم بأن يبيِّتوا[٤] للمسلمين ، فقال الملأ منهم : ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصرٍ وغلبوهم على بلادهم ، فألحّ الأرطبون في أن يبيّتوا للمسلمين ففعلوا فلم يظفروا بشيء بل قتل منهم طائفة منهم الأرطبون ، وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع . وارتقى الزبير عليهم سورَ البلد ، فلما أحسُّوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه واخترقَ الزُّبير البلدَ حتى خرجَ من الباب الذي عليه عمرو فأمْضوا الصلحَ وكتب لهم عمرو كتاب أمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهلَ مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبهم وبرّهم وبَحْرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ، ولا يُنتقص ولا يساكنهم النوبة ، وعلى أهل مصر أن يُعْطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادةُ نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم جَنَى لُصُوتِهم[٥] ، فإن أبى أحدٌ منهم أن يجيبَ رُفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمّتنا ممن أبى بريئة . وإن نقص نهرهم من غايته [إذا انتهى] رفع عنهم بقدر ذلك ومنْ دخل في صلحهم من الروم والنوبة ، فله مثل مالهم وعليه مثل ما عليهم ، ومنْ أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثاً ، (في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم) . على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة[٦] صادرة ولا واردة ، شهد الزُّبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر » فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيولُ بمصر وعَمَروا الفسطاط[٧] ، وظهر أبو مريم وأبو مريام فكلَّما عَمْراً في السبايا التي أصيبت بعد

---

(١) في أ : ذمة ورحماً ، والحديث رواه مسلم رقم (٢٥٤٣) .
(٢) في أ : منهم فتغلب .
(٣) في أ : فلهذا صارت لإبراهيم .
(٤) في أ : أن يثتبوا .
(٥) في ط : ما حق لصونهم ؛ تحريف ، واللُّصوت : جمع لصت هو اللص في لغة طيىء . اللسان (لصت) .
(٦) في أ : ولا يمنعونا من غارة .
(٧) « الفسطاط » : مجتمع أهل الكورة حَوالي مسجد جماعتهم ، ومنه قيل لمدينة مصر التي بناها عمرو بن العاص . معجم البلدان (٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) .

المعركة . فأبى عمرو أن يردّها عليهما ، وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه ، فلما بلغ ذلك أميرَ المؤمنين عمر بن الخطاب أمر أنّ كلّ سبي أخذ في الخمسة أيام التي أمَّنوهم فيها أن يرد عليهم ، وكلّ سبي أخذ ممن لم يقاتل وكذلك منْ قاتل فلا يردّ عليه سباياه . وقيل إنّه أمره أن يخيِّروا منْ في أيديهم من السبي بين الإسلام وبين أن يرجع إلى أهله ، فمنِ اختار الإسلامَ فلا يردّوه إليهم ، ومن اختارهم ردّوه عليهم وأخذوا منه الجزيةَ ، وأما ما تفرّق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرهما ، فإنه لا يقدر على ردّهم ولا ينبغي أن يصالحهم على ما يتعذر[١] الوفاء به . ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين ، وجمع السبايا وعرضوهم وخيَّروهم ، فمنهم من اختار الإسلامَ ، ومنهم من عاد إلى دينه ، وانعقد الصلحُ بينهم . ثم أرسل عمرو جيشاً إلى إسكندرية ـ وكان المُقَوْقسُ صاحب الإسكندرية قبل ذلك يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم ـ فلما حاصره عمرو بن العاص جمع أساقفته وأكابر دولته وقال لهم : إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقيصر وأزالوهم عن ملكهم ولا طاقة لنا بهم . والرأي عندي أن نؤدي الجزية إليهم . ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول : إني كنت أؤدّي الخراج إلى منْ هو أبغضُ إليَّ منكم ـ فارس والروم ـ ثم صالحهم على أداء الجزية ، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وذكر سيف أن عمرو بن العاص لما التقى مع المُقَوْقِس جعل كثير من المسلمين يفرّ من الزحف فجعل عمرو يُذَمِّرهم[٢] ويحثهم على الثبات : فقال له رجلٌ من أهل اليمن : إنّا لم نخلق من حجارة ولا حديد . فقال له عمرو : اسكت فإنما أنت كلب . فقال له الرجل : فأنت إذاً أمير الكلاب[٣] . فأعرض عنه عمرو ونادى يطلب أصحابَ رسول الله ﷺ فلما اجتمع إليه منْ هناك من الصحابة قال لهم عمرو : تقدّموا فَبِكُم ينصرُ اللهُ المسلمين ـ فنهدوا إلى القوم ففتحَ اللهُ عليهم وظفروا أتمَّ الظفر .

قال سيف : ففتُحت مصرُ في ربيع الأول من سنة ستّ عشرة، وقام فيها ملك الإسلام ولله الحمد والمنة .

وقال غيره : فُتحت مصر في سنة عشرين ، وفتحت إسكندرية في سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوةً ، وقيل صلحاً على اثني عشر ألف دينار . وقد ذكر أنّ المُقَوْقِس سأل من عمرو أن يهادنه أولاً ، فلم يقبل عمرو وقال له : قد علمتم ما فعلنا بملككم الأكبر هرقل . فقال المُقَوْقس لأصحابه : صدقَ فنحن أحقُّ بالإذعان . ثم صالح على ما تقدم .

وذكر غيره أن عَمراً والزبير سارا إلى عين شمس[٤] فحاصراها وأن عمراً بعث إلى الفرما[٥] أبرهة بن

---

(١) في أ : ما لا يعذر .

(٢) يُذَمِّرهم ، أي يحضُّهم ويُشجِّعهم . وفي بعض النسخ : يزمرهم .

(٣) في أ : إذاً أنت كبير الكلاب .

(٤) عين شمس : اسم مدينة فرعون موسى بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ ، كانت مدينة كبيرة ، وبها آثار قديمة وأعمدة تسميها العامة مسالّ فرعون . معجم البلدان (٤/ ١٧٨) .

(٥) الفرما : مدينة على الساحل من ناحية مصر تشرف على بحر القُلْزم [الأحمر] ، فتحها عمرو بن العاص عنوة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨ . معجم البلدان (٤/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

الصباح ، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية فقال كل منهما لأهل بلده : إن نزلتم فلكم الأمان . فتربّصوا ماذا يكون من أهل عين شمس ، فلما صالحوا صالح الباقون . وقد قال عوف بن مالك لأهل إسكندرية : ما أحسنَ بلدَكُم ؟ فقالوا : إنّ إسكندر لمّا بناها قال : لأبنينَّ مدينةً فقيرةً إلى الله غنيةً عن الناس . (فبقيت بهجتها) .

وقال أبرهة لأهل الفرما ، ما أقبحَ[1] مدينتكم ؟ فقالوا : إن الفرما ـ وهو أخو الإسكندر ـ لمّا بناها قال لأبنينّ مدينة غنيةً عن الله فقيرةً إلى الناس . فهي لا يزال[2] ساقطاً بناؤها ، فشوهت بذلك .

وذكر سيفٌ أنَّ عبدَ الله بن سعد بن أبي سَرْح لمّا ولي مصر بعد ذلك زاد في الخراج عليهم رؤوساً من الرقيق يهدونها إلى المسلمين في كلّ سنة ، ويعوّضهم المسلمون بطعام مسمى وكسوةٍ . وأقرّ ذلك عثمان ابن عفان وولاة الأمور بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فأمضاه أيضاً نظراً لهم ، وإبقاءً لعهدهم[3] .

قلت : وإنما سميت ديار[4] مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص ، وذلك أنّه نصب خيمتَه وهي الفسطاط موضع مصر اليوم ، وبنى الناس حوله ، وتركت مصر القديمة من زمان عمرو بن العاص وإلى اليوم ، ثم رفع الفسطاط وبنى موضعه جامعاً وهو المنسوب إليه اليوم .

وقد غزا المسلمون بعد فتح مصر النوبة فنالهم جراحات كثيرة ، وأصيبت أعين كثيرة ، لجودة رمي النوبة فسموهم جند الحدق . ثم فتحها الله بعد ذلك وله الحمد والمنة .

وقد اختلف في بلاد مصر فقيل : فتحت صلحاً إلَّا الإسكندرية ، وهو قول يزيد بن أبي حبيب . وقيل : كلّها عنوة ، وهي قول ابن عمر وجماعة . وعن عمرو بن العاص أنه خطب الناس فقال : ما قعدت مقعدي هذا ولأحدٍ من القبط عندي عهدٌ إن شئت ـ قبلت ، وإن شئت بعت ، وإن شئت خمست ، إلا لأهل الطابلس فإنّ لهم عهداً نُوفي[5] به .

قصة نيل مصر[6]

روينا من طريق ابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، عمن حدَّثه قال : لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص ـ حين دخل بؤنة من أشهر العجم ـ فقالوا : أيها الأمير ، لنيلنا[7] هذا سُنّة لا يجري إلا

(١) في تاريخ الطبري (٤/١٠٨) : ما أخلق .

(٢) في أ : فهي لا تزال .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٤/١١١) .

(٤) في أ : بلاد مصر .

(٥) في أ : نفي .

(٦) رواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر ، وأبو الشيخ في العظمة ، واللالكائي في السنة ، وابن عساكر عن قيس بن الحجاج عمّن حدّثه ، وهو خبر ضعيف لجهالةٍ في سنده ، انظر كتاب « كرامات الصحابة » لسعيد عاشور ص(١١٦) .

(٧) في أ : إن لنيلنا .

بها . قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت ثنتا[(١)] عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضلَ ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما قبله . قال : فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً ، حتى همّوا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي[(٢)] ، فألقها في النيل . فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر . أما بعد ، فإن كنتَ إنما تجري من قِبَلِكَ ومن أمركَ فلا تَجْرِ فلا حاجةَ لنا فيكَ ، وإن كنتَ إنّما تجري بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذي يُجريكَ فنسألُ الله تعالى أن يجريكَ » قال : فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله [تلك] السُّنَّةَ عن أهل مصر إلى اليوم .

قال سيف بن عمر[(٣)] : وفي ذي القعدة من هذه السنة ـ وهي عنده سنة ست عشرة ـ جعل عمر[(٤)] المسالح[(٥)] على أرجاء مصر ، وذلك لأن هرقل أغزا الشام ومصر في البحر .

قال ابن جرير[(٦)] : وفي هذه السنة غزا أرض الروم أبو بَحْرِية[(٧)] عبد الله بن قيس العبدي ـ وهو أولُ من دخلها فيما قيل ـ فسلم وغنم . وقيل : أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي .

قال الواقدي : وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين (وحدّه[(٨)] في الشراب ، وولّى على البحرين) واليمامة أبا هريرة الدوسي رضي الله عنه .

قال : وفيها شكا أهل الكوفة سعداً في كل شيء ، حتى قالوا : لا يُحسن يُصلّي ، فعزله عنها وولى عليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان ـ وكان نائب سعد ـ وقيل بل ولاها عمَّار بن ياسر[(٩)] .

وقال الإمام أحمد[(١٠)] : حدَّثنا سفيان ، عن عبد الملك ، سمعه من جابر بن سَمُرَة . قال : شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر فقالوا : إنه لا يُحسن يصلِّي ، قال الأعاريب ؟ والله ما آلو بهم صلاة رسول الله ﷺ

---

(١) في ط : اثنتي ؛ خطأ .
(٢) في أ : كتابي هذا .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١١١) .
(٤) في ط : عمرو ؛ خطأ .
(٥) المسالح : جمع مَسْلحة وهي الثغر والقوم ذوو السلاح . القاموس (السلاح) .
(٦) في تاريخه (٤/ ١١٢) .
(٧) في أ : أبو بحيرة ؛ تحريف . وما هنا موافق لتاريخ الطبري .
(٨) أي أقام عليه الحدّ .
(٩) في الأصل والمطبوع : عمرو . وهو خطأ ، وسيأتي على الصواب صفحة (٢٣٩) .
(١٠) مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٩) وهو في الصحيحين : البخاري (٧٥٥) و(٧٥٨) في الأذان ومسلم (٤٥٣) (١٥٨) في الصلاة عن طريق عبد الملك بن عمير ، به .

في الظهر والعصر ، أردّد في الأولبين وأصرف في الأُخريين[١] . فسمعتُ عمر يقول : كذا الظنُّ بك يا أبا إسحاق .

وفي صحيح مسلم[٢] أن عمر بعث من يسأل عنه أهل الكوفة فأثنوا خيراً إلا رجلاً يقال له : أبو سعدة أسامة بن قتادة[٣] قام فقال : أما إذ أنشدتنا فإنَّ سعداً لا يقسم بالسَّوية ، ولا يعدل في القضية ، ولا يخرج في السَّرِيَّة . فقال سعد : اللهمّ إن كان عبدكَ هذا قام مقام رياءٍ وسمعةٍ ، فأطل عمره وأدم فقرَهُ وعرِّضْهُ للفتن . فأصابته دعوةُ سعد ـ فكان شيخاً كبيراً يرفع حاجبيه عن عينيه . ويتعرّض للجواري في الطرق فيغمزهن ، فيقال له في ذلك ، فيقول : شيخ كبير مفتون أصابته دعوة سعد .

وقد قال عمر في وصيته ـ وذكره في الستة[٤] ـ فإن أصابت الإمرَة سعداً فذاك ، وإلا فليستعنْ به أيّكم ولّي ، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة . قال : وفيها أجلى عمرُ يهودَ خيبر عنها إلى أذرعات وغيرها .

وفيها أجلى عمر يهود نجران منها أيضاً إلى الكوفة ، وقسم خيبر ، ووادي القرى ، ونجران بين المسلمين .

قال وفيها دوّنَ عمر الدواوين ، وزعم غيره أنّه دوّنها قبل ذلك ، فالله أعلم .

قال : وفيها بعث عمر عَلْقَمة بن مُجَزِّز المُدْلجي[٥] إلى الحبشة في البحر فأصيبوا ، فآلى عمر على نفسه أن لا يبعث جيشاً في البحر بعدها . وقد خالف الواقدي في هذا أبو معشر فزعم أن غزوة الحبشة إنما كانت في سنة إحدى وثلاثين ـ يعني في خلافة عثمان بن عفان ـ والله أعلم .

قال الواقدي . وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد ، التي مات عنها الحارث بن هشام في الطاعون ، وهي أخت خالد بن الوليد .

قال : وفيها مات هلال[٦] بدمشق .

---

(١) في ط : الأخيرين ؛ خطأ . الذي في مسند أحمد « أركد في الأولين ، وأحذف في الأخريين » .

(٢) هكذا نسب المصنف هذه الزيادة لمسلم ، ولم أقف عليها في المطبوع منه ، وإنما أخرجها البخاري (٧٥٥) . وينظر دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٨٩ ـ ١٩٠) (بشار) .

(٣) في ط : قتادة بن أسامة ؛ خطأ . وما هنا موافق للبخاري ولتاريخ الطبري (٤/ ١٢١) والكامل لابن الأثير (٣/ ٦) .

(٤) الستة الذين أوصى عمر رضي الله عنه أن يكون الأمر لأحدهم من بعده وهم عليّ وطلحة ، وعثمان والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد رضي الله عنهم . ونص هذه الوصية في مسند أحمد (١/ ١٥) وصحيح البخاري رقم (٣٧٠٠) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم رقم (٥٦٧) في المساجد : وصحيح ابن حبان ـ الإحسان ـ (١٥/ ٣٥٠ ـ ٣٥٥) رقم (٦٩١٧) وثمة تخريج واف لهذه الوصية .

(٥) ضبطه عن جامع الأصول (١٤/ ٥٣٧) وفي هامشه قائمة بمصادره .

(٦) هو هلال بن مرّة الأشجعي ؛ ترجمته في جامع الأصول (١٥/ ٥٠٠) وأسد الغابة (٥/ ٤١٢) والإصابة (٣/ ٦٠٧) .

وأُسَيْد بن الحُضَيْر في شعبان .

وزينب بنت جَحْش أم المؤمنين ، وهي أول منْ مات من أمهات المؤمنين رضي الله عنها .

قال : وفيها مات هرقل وقام بعده ولده قسطنطين .

قال : وحج بالناس في هذه السنة عمر ، ونُوَّابُه وقضاتُه منْ تقدم في التي قبلها ، سوى منْ ذكرنا أنه عزله وولى غيره .

ذكر المتوفين [في هذه السنة] من الأعيان

أُسَيْد بن الحُضَيْر[١] بن سِمَاك الأنصاري الأشْهلي من الأوس ، أبو يحيى : أحد النقباء ليلة العقبة ، وكان أبوه رئيس الأوس يوم بعاث ، وكان قبل الهجرة بست سنين وكان يقال له حُضَيْر الكتائب . يقال إنه أسلم على يَدَيْ مُصْعب بن عُمَيْر . ولما هاجر الناس آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ، ولم يشهد بدراً . وفي الحديث الذي صححه الترمذي[٢] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أُسَيْد بن الحُضَيْر » وذكر جماعة . وقدم الشام مع عمر ، وأثنت عليه عائشة ، وعلى سعد بن معاذ ، وعبّاد بن بشر ، رضي الله عنهم ، وذكر ابن بكير أنه توفي بالمدينة سنة عشرين ، وأن عمر حمل بين عموديه وصلَّى عليه ودفن بالبقيع ، وكذا أرَّخَ وفاته سنة عشرين الواقدي وأبو عبيد وجماعة .

أُنَيْس بن مَرْثَد (بن أبي) مَرْثَد الغَنَوي[٣] : هو وأبوه وجده صحـابة وكان أنيس (هذا) عيناً لرسول الله يوم حُنَيْن ، ويقال[٤] إنه الذي قال له رسول الله ﷺ : « واغْدُ يا أُنَيْس إلى امرأةِ هذا فإن اعْتَرَفَتْ فارْجُمْها »[٥] والصحيح أنه غيره ، فإن في الحديث : فقال لرجل من أسلم ، فقيل : إنه أُنَيْس بن الضَّحاك

---

(١) ترجمة ـ أسيد بن حضير ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٦٠٣) والاستيعاب (١/ ٩٢ ـ ٩٤) وجامع الأصول (١٣/ ٢٠ ـ ٢١) وأسد الغابة (١/ ١١١ ـ ١١٣) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٤/ ٣٩١ ـ ٣٩٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣) والإصابة (١/ ٤٩) .

(٢) هكذا قال إن الترمذي صححه ، وهو غلط محض انتقل إليه من شيخه الذهبي في تاريخ الإسلام ، وإنما اقتصر الترمذي على تحسينه ، فقال : « هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث سهيل » . ولعل الإمام الترمذي اقتصر على تحسينه لغرابة متنه ولأنه معلول عنده ، وهي عادته عند التحسين ، فقد روى موصولاً ومرسلاً ، فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ١١ ـ ١٢ و١٣٦ ـ ١٣٧ من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن النبي ﷺ ليس فيه أبو هريرة (بشار) .

(٣) ترجمة ـ أنيس بن مرثد ـ في الاستيعاب (١/ ١١٣ ـ ١١٤) وجامع الأصول (١٣/ ٣٣) . وأسد الغابة (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤) والإصابة (١/ ٧٣) ويقال في اسمه : أنس .

(٤) في ط : يقال .

(٥) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١١٥) والبخاري في صحيحه (٦٨٥٩ و٦٨٦٠) في الحدود ، ومسلم في

الأسلمي . وقد مال ابن الأثير إلى ترجيحه ، والله أعلم . له حديث في الفتنة[١] قال إبراهيم بن المنذر : توفي في ربيع الأول سنة عشرين .

بلال بن رَبَاح الحَبَشي[٢] المُؤَذِّن مولى أبي بَكْر : ويُقال له بلال بن حَمامة . وهي أمه . أسلم قديماً فعُذِّبَ في الله فصبر فاشتراه الصديق فأعتقه . شهد بدراً وما بعدها[٣] . وكان عمر يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا . رواه البخاري[٤] . ولما شرع الأذان بالمدينة كان هو الذي يؤذن بين يدي رسول الله ﷺ وابن أم مكتوم يتناوبان . تارة هذا وتارة هذا ، وكان بلال نديَّ الصوت حسنهُ ، فصيحاً ، وما يُروى « أنَّ سين بلال عند الله شينا » فليس له أصل . وقد أذّن يوم الفتح على ظهر الكعبة . ولما توفي رسول الله ﷺ ترك الأذان ، ويقال أذّن للصدّيق أيام خلافته ولا يصحّ . ثم خرج إلى الشام مجاهداً . ولمّا قدم عمر إلى الجابية أذّن بين يديه بعد الخطبة لصلاة الظهر ، فانتحب الناس بالبكاء . وقيل إنه زار المدينة في غضون ذلك فأذّن فبكى الناس بكاءً شديداً ويحق لهم ذلك رضي الله عنهم . وثبت في الصحيح[٥] أن رسول الله ﷺ قال لبلال « إني دخلت الجنة فسمعت خشف[٦] نعليك أمامي فأخبرني بأرجى عمل عملته » . فقال : ما توضأت إلا وصليت ركعتين . فقال : « بذاك » . وفي رواية « ما أحدثت إلا توضأت وما توضأت إلا رأيت أن علي أن أصلّي ركعتين » قالوا : وكان بلال آدم[٧] شديد الأدمة طويلاً نحيفاً كثير الشعر خفيف العارضين . قال ابن بكير : توفي بدمشق في طاعون عَمَواس سنة ثماني عشرة . وقال محمد بن إسحاق وغير واحد : توفي سنة عشرين . قال الواقدي : ودفن بباب الصغير وله بضع وستون سنة . وقال غيره : مات بداريا، ودفن بباب كيسان . وقيل: دفن بداريا ، وقيل : إنه مات بحلب . والأول أصح ، والله أعلم .

سعيد بن عامر بن حِذْيَم[٨] : من أشراف بني جُمَح ، شهدَ خيبر وكان من الزُّهّاد والعُبّاد ، وكان أميراً

= صحيحه (١٦٩٧) في الحدود ، وابن الأثير في جامع الأصول رقم (١٨٤٧) (٣/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧) .

(١) في أ : الفقه ؛ تحريف ، وما هنا موافق للاستيعاب وتاريخ الإسلام ولم أجد هذا الحديث في المصادر الحديثة المتوفرة لدي والله أعلم .

(٢) ترجمة ـ بلال مؤذن رسول الله ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٣٢) والاستيعاب (١/ ١٧٨) وأسد الغابة (١/ ٢٤٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٣٦ ـ ١٣٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٧ ـ ٣٦٠) والإصابة (١/ ٢٧٣) .

(٣) في أ : وما بعدها فأعتقه .

(٤) صحيح البخاري (٣٧٥٤) في المناقب .

(٥) صحيح البخاري (١١٤٩) في التهجد ، وصحيح مسلم (٢٤٥٨) في الفضائل . والرواية الثانية من حديث أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٤ و٣٦٠) والترمذي في جامعه (٣٦٨٩) في المناقب .

(٦) الخشف : الصوت ليس بالشديد .

(٧) آدم : الأدمة : السمرة .

(٨) في ط : خذيم ، تحريف ، وترجمة ـ سعيد بن عامر ـ في الاستيعاب (٢/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) وأسد الغابة (٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤) والإصابة (٢/ ٤٨ ـ ٤٩) وفيه : حديم .

لعمر على حمص بعد أبي عبيدة ، بلغ عمر أنه قد أصابته حاجة[(١)] شديدة ، فأرسل إليه بألف دينار فتصدَّق بها جميعها ، وقال لزوجته : أعطيناها لمن يتجر لنا فيها رضي الله عنه . قال خليفة[(٢)] : فتح هو ومعاوية قَيْسارية كل منهما أمير على من معه .

عِيَاضُ بن غَنْمٍ[(٣)] أبو سعد الفِهْري من المهاجرين الأولين ، شهد بدراً وما بعدها ، وكان سمحاً جواداً ، شجاعاً ، وهو الذي افتتح الجزيرة ، وهو أول من جاز درب الروم غازياً ، واستنابه أبو عبيدة بعده على الشام فأقره عمر عليها إلى أن مات سنة عشرين عن ستين سنة .

أبو سفيان بن الحارث[(٤)] بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ قيل : اسمه المغيرة . أسلم عام الفتح فحسُنَ إسلامُه جداً ، وكان قبل ذلك من أشد الناس على رسول الله ﷺ، وعلى دينه ومن تبعه ، وكان شاعراً مطبقاً ، يهجو الإسلام وأهله ، وهو الذي ردَّ عليه حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله[(٥)] : [من الوافر]

ألا أبْلِـغْ أبَـا سُفيـانَ عَنّـي ... مُغَلْغلَـةً فَقَـدْ بَـرِح الخَفَـاءُ[(٦)]
هَجَوْتَ مُحمَّداً وأجَبْتُ[(٧)] عنه ... وعنـدَ اللهِ فـي ذاكَ الجَـزاءُ
أتَهْجُـوهُ ولَسْـتَ لَـهُ بكُـفْءٍ ... فشَـرُّكما لخَيْـرِكُما الفِـداءُ

ولما جاء هو وعبد الله بن أبي أمية ليسلما لم يأذن لهما عليه السلام حتى شفعتْ أمُّ سلمة لأخيها فأذن له ، وبلغه أنّ أبا سفيان هذا قال : والله لئن لم يأذن لي لآخذن بيد بنيَّ هذا ـ لولد معه صغير ـ فلأذهبن فلا يدرى أين أذهب، فرقَّ حينئذ له رسول الله ﷺ وأذن له ، ولزم رسول الله ﷺ يوم حنين[(٨)] وكان آخذاً بلجام بغلته يومئذ، وقد روي أن رسول الله ﷺ أحبه وشهد له بالجنة، وقال: « أرجو أن تكون خلفاً من حمزة »[(٩)]

---

(١) في ط : جراحة ؛ تحريف .
(٢) تاريخ خليفة بن خياط (ص١٤١) .
(٣) ترجمة ـ عياض بن غنم ـ في الطبقات الكبرى (٧/ ٣٩٨) والاستيعاب (٣/ ١٢٣٤) وأسد الغابة (٤/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) الإصابة (٧/ ١٨٩) .
(٤) ترجمة ـ أبي سفيان بن الحارث ـ في الطبقات الكبرى (٤/ ٤٩) والاستيعاب (٤/ ١٦٧٣ ـ ١٦٧٧) وجامع الأصول (١٤/ ٢٧٩) وأسد الغابة (٦/ ١٤٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥) والإصابة (٤/ ٩٠ ـ ٩١) .
(٥) الأبيات في ديوان حسان (ص١٨) .
(٦) في الديوان : فأنت مجوّف نخب هواء .
(٧) في الديوان : فأجبت .
(٨) في أ : يوم خيبر . تحريف .
(٩) أورده ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ١٦٧٥) ، والذهبي في تاريخ الإسلام (وفيات سنة ٢٠) من غير إسناد ، وإنما نقله المصنف من الذهبي .

وقد رَثَى رسول الله ﷺ حين توفي بقصيدةٍ ذكرناها فيما سلف[١] وهي التي يقول فيها[٢] : [من الوافر]

أرقْـتُ فَبَـاتَ لَيْلـي لا يَـزُولُ ... وَلَيْـلُ أخِ المُصيبـةِ فيـهِ طُـولُ
وَأسْعـدنـي البُكـاءُ وذاكَ فيمـا ... أُصيـبَ المسلمـونَ بـهِ قَليـلُ
فقـدْ عَظُمـتْ مُصيبتنـا وجَلّـت ... عَشِيَّـةَ قيـلَ قـد قُبِـضَ الـرَّسُـولُ
فَقَـدْنـا الـوَحْـي والتَّنـزيـلَ فينـا ... يَـروحُ بـه ويَغْـدو جِبْـرئِيـلُ

ذكروا أنَّ أبا سفيان حجَّ فلما حلق رأسَه قطع الحالق ثؤلولاً (له) في رأسه فتمرض منه فلم يزل كذلك حتى مات بعد[٣] مرجعه إلى المدينة ، وصلّى عليه عمر بن الخطاب . وقد قيل إن أخاه نوفلاً توفي قبله بأربعة أشهر ، والله أعلم .

أبو الهَيْثَم بن التَّيِّهان[٤] هو مالك بن مالك بن عسل بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زَعور بن جُشَم بن الحارث بن الخَزْرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنْصاري الأوْسي ، شهد العقبة نقيباً ، وشهد بدراً وما بعدها ، ومات سنة عشرين ، وقيل إحدى وعشرين ، وقيل إنه شهد صفين مع علي ، قال ابن الأثير وهو الأكثر . وقد ذكره شيخنا[٥] هنا ، فالله أعلم .

زينب بنت جَحْش[٦] بن رياب الأسدية من أسد خزيمة ، أول أمهات المؤمنين وفاةً ، أمها أميمة بنت عبد المطلب ، وكان اسمها بَرَّة ، فسمّاها رسول الله زينب ، وتكنى أم الحكم ، وهي التي زوَّجه الله بها ، وكانت تفتخر[٧] بذلك على سائر أزواج النبي ﷺ فتقول : زوَّجَكُنَّ أهلوكن وزوَّجني اللهُ من السماء[٨] . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] الآية . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة . فلما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ . قيل كان ذلك في سنة ثلاث وقيل أربع وهو الأشهر . وقيل

(١) تقدم ذكر هذه القصيدة في حوادث سنة ١١ وهذه الأبيات منها : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ .
(٢) الأبيات في الاستيعاب (٤/ ١٦٧٦) وعددها عشرة ، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) وعددها اثنا عشر .
(٣) في أ : من بعد .
(٤) ترجمة ـ ابن التيهان ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٤٧) والاستيعاب (٣/ ١٣٤٨) وجامع الأصول (١٥/ ١٥٧) وأسد الغابة (٥/ ١٤) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧٩ ـ ٨٠) وتاريخ الإسلام (٢/ ٣٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٨٩) والإصابة (٣/ ٣٤١) و(٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وفي هذه المصادر خلاف كبير في اسمه واسم آبائه وأجداده .
(٥) يقصد الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام .
(٦) ترجمة ـ زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها في الطبقات الكبرى (٨/ ١٠١) والاستيعاب (٤/ ١٨٤٩ ـ ١٨٥٢) وجامع الأصول (١٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) وأسد الغابة (٧/ ١٢٥ ـ ١٢٧) وتاريخ الإسلام (٢/ ٣٤ ـ ٣٥) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢١١ ـ ٢١٨) . والإصابة (٤/ ٣١٣) .
(٧) في أ : تفخر .
(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٤٢٠) والترمذي رقم (٣٢١٣) من حديث أنس رضي الله عنه .

سنة خمس ، وفي دخوله عليه السلام بها نزل الحجاب كما ثبت في الصحيحين[١] عن أنس وهي التي كانت تسامي عائشة بنت الصديق في الجمال والحُظْوة ، وكانت ديّنةً ورعةً عابدةً كثيرةَ الصّدقة . وذاك الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « أسْرَعُكُنَّ لحاقاً بي أطولُكُنَّ يداً »[٢] أي : بالصدقة . وكانت امرأةً صناعاً تعمل بيديها وتتصدق على الفقراء ، قالت عائشة[٣] : ما رأيتُ امرأةً قطُّ خيراً في الدّين وأتْقَى لله وأصدقَ حديثاً وأوصلَ للرحم وأعظمَ أمانةً وصدقةً من زينب بنت جحش . ولم تحجّ بعد حجة الوداع لا هي ولا سودة ، لقوله عليه السلام لأزواجه : « هذه ثم ظهور الحصر »[٤] وأما بقية أزواج النبي ﷺ فكنّ يخرجن إلى الحجّ ، وقالت[٥] زينب وسودة : والله لا تحركنا بعده دابة . قالوا : وبعث عمر إليها فرضها اثني عشر ألفاً فتصدقت به في أقاربها . ثم قالت : اللهمَّ لا يدركني عطاءُ عمر بعدَ هذا . فماتَتْ في سنة عشرين وصلى عليها عمر . وهي أول من صُنع[٦] لها النعشُ[٧] ، ودفنت بالبقيع .

صَفِيَّة بنت عبد المُطَّلب[٨] عمّة رسول الله ﷺ : وهي أمّ الزبير بن العوام ، وهي شقيقةُ حَمْزَةَ والمُقَوَّم وحَجْل ، أُمُّهم هالةُ بنت وهيب بن عبد مَنافِ بن زهرة . لا خلافَ في إسلامها وقد حضرت يوم أحد ووجدتْ على أخيها حمزةَ وَجْداً كثيراً ، وقَتَلَتْ يومَ الخندقِ رجلاً من اليهود جاء فجعل يطوف[٩] بالحصنِ التي هي فيه وهو فارع حصن حسَّان فقالت لحسان : انزل فاقتله ، فأبى ، فنزلت إليه فقتلته ثم قالت : انزل فاسلبه فلولا أنه رجل لاستلبته[١٠] . فقال : لا حاجةَ لي فيه . وكانت أولَ امرأةٍ قتلتْ رجلاً من المشركين .

وقد اختُلِف في إسلام من عداها من عَمّاتِ النبي ﷺ فقيل : أسلمتْ أرْوَى وعاتكةُ . قال ابن الأثير وشيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ : والصحيح أنه لم يسلم منهن غيرُها . وقد تزوجتْ أولاً بالحارث بن

---

(١) صحيح الإمام البخاري (٦٢٣٨) في الاستئذان ، وصحيح مسلم (١٤٢٨) (٨٩) في النكاح .
(٢) الحديث في صحيح مسلم (٢٤٥٢) (١٠١) في فضائل الصحابة .
(٣) الاستيعاب (٤/ ١٨٥١) .
(٤) الحديث في مسند أحمد (٢/ ٤٤٦ و٥/ ٢١٨) وسنن أبي داود (١٧٢٢) في المناسك ، وهو حديث حسن .
(٥) في ط : وقالتا وهي لغة مفضولة .
(٦) في أ : وضع .
(٧) ذكر الذهبي في السير (٢/ ٢١٢) أنه لما ماتت زينب بنت جحش أمر عمر منادياً : ألا يخرج معها إلا ذو محرم . فقالت بنتُ عُميس : يا أمير المؤمنين ؛ ألا أريك شيئاً رأيت الحبشة تصنعُه بنسائهم ؟ فجعلتْ نعشاً وغشته ثوباً . فقال : ما أحسن هذا وأستره ! فأمر منادياً ، فنادى : أن اخرجوا على أمّكم . وهو في الطبقات الكبرى (٨/ ١١١).
(٨) ترجمة ـ صفيّة بنت عبد المطلب ـ في الطبقات الكبرى (٨/ ٤١) والاستيعاب (٤/ ١٨٧٣) وجامع الأصول (١٤/ ٣٦٤) وأسد الغابة (٧/ ١٧٣) وتاريخ الإسلام (٢/ ٣٨) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧١) والإصابة (٤/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩) .
(٩) في أ : يطيف .
(١٠) في أ : استلبته .

حرب بن أمية . ثم خلف عليها العوام بن خُوَيلد فولدتْ له الزبيرَ وعبدَالكعبةِ . وقيل تزوَّج بها العوامُ بكراً ، والصحيحُ الأولُ . توفيتْ بالمدينة سنةَ عشرين عن ثلاثٍ وسبعين سنةً . ودفنتْ بالبقيعِ رضي الله عنها . وقد ذكر ابن إسحاق من توفي غيرها .

عُوَيْم بن ساعِدَة الأنْصاري(١) : شهد العَقَبَتَيْنِ والمشاهدَ كلَّها . وهو أولُ من استنجى بالماء ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] وله رواياتٌ . توفي هذه السنة بالمدينة .

بِشْر بن عَمرو بن حَنَش يُلَقَّبُ بالجَارُودِ(٢) ، أسلم في السنة العاشرة ، وكان شريفاً مُطاعاً في عبد القيس ، وهو الذي شهد على قُدامة بن مَظْعون أنه شربَ الخمرَ ، فعزله عمر عن البحرين وحدَّهُ . قُتِلَ الجارودُ شهيداً .

أبو خِراش(٣) **خُوَيْلد بن مُرَّة الهُذَلي** ، كان شاعراً مجيداً مُخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام وكان إذا جرى سبَقَ الخَيْلَ(٤) . نهشته حية فمات بالمدينة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

وكانت وقعة نَهاوَند(٥) [وفتحها على المشهور]
وهي وقعةٌ عظيمةٌ جداً لها شأن رفيع ونبأ عجيب ، وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح

قال ابن إسحاق والواقدي : كانت وقعة نَهاوندَ في سنة إحدى وعشرين . وقال سيف : كانت في سنة سبع عشرة . وقيل في سنة تسع عشرة والله أعلم . وإنما ساق أبو جعفر بن جرير(٦) قصَّتَها في هذه السنة فتبعناه في ذلك وجمعنا كلامَ هؤلاء الأئمة في هذا الشأن سياقاً واحداً ، حتى دخل سياقُ بعضهم في بعض .

---

(١) ترجمة ـ عويم عن ساعدة ـ في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٥٩) والاستيعاب (٣/ ١٢٤٨) وجامع الأصول (١٤/ ٥٦٨) وأسد الغابة (٤/ ٣١٢) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤٠) والإصابة (٣/ ٤٤) .

(٢) ترجمة ـ بشر بن عمرو ـ في الطبقات الكبرى (٥/ ٥٥٩) والاستيعاب (١/ ٢٦٢) وجامع الأصول (١٣/ ١٥٤ و٢٣٩) وأسد الغابة (١/ ٣١١) والوافي بالوفيات (١٠/ ١٥١) والإصابة (١/ ٢١٦) .

(٣) في ط : أبو خراشة ، وترجمة ـ أبو خراش ـ هذا في الطبقات الكبرى (٧/ ٥٠٠) وساق له حديثاً ، والاستيعاب (٤/ ١٦٣٦ ـ ١٦٣٩) وجامع الأصول (١٣/ ٤٥٠) وضبط خِرَاش بالحرف . والإصابة (٤/ ٥١) .

(٤) في أ : وكان إذا جرى مع الخيل سبقهم .

(٥) نهاوَنْد : بفتح النون وتكسر ، والواو مفتوحة ، ونون ساكنة ، ودال مهملة : هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام ، كانت فيها وقعة المسلمين والفرس سنة ٢١ أيام عمر . معجم البلدان (٥/ ٣١٣ ـ ٣١٤) .

(٦) في تاريخه (٤/ ١١٤) .

قال سيف وغيره : وكان الذي هاجَ هذه الوقعةَ أنَّ المسلمين لما افتتحوا الأهوازَ ومنعوا جيشَ العلاء من أيديهم واستولَوْا على دار الملك القديم من إصطخر مع ما حازوا من دار مملكتهم حديثاً ، وهي المدائن ، وأخذوا[١] تلك المدائن والأقاليم والكور والبلدان الكثيرة ، فحموا عند ذلك واستجاشهم يَزْدَجِرْدُ الذي تقهقر من بلدٍ إلى بلدٍ حتى صار إلى أصبهان مُبْعَداً طَريداً ، لكنّه في أسرة من قومه وأهله وماله ، وكتب إلى ناحية نهاوَنْد وما والاها من الجبال والبلدان ، فتجمَّعُوا وتراسلُوا حتى كمل لهم من الجنود ما لم يجتمع لهم قبل ذلك .

فبعثَ سعدٌ إلى عمر يعلمه بذلك ، وثار أهلُ الكوفة على سعد في غضون هذا الحال . فَشَكَوْهُ في كلِّ شيءٍ حتى قالوا : لا يُحسنُ يُصلِّي . وكان الذي نهضَ بهذه الشكوى رجلٌ يقال له : الجَرَّاح بن سنان الأسَديّ في نفر معه ، فلمَّا ذهبوا إلى عمر فشكَوْه قال لهم عمر : إنَّ الدليل على (ما عندكم من الشر)[٢] نهوضكم في هذا الحال عليه ، وهو مستعدٌّ لقتال أعداء الله ، وقد جمعوا لكم ، ومع هذا لا يمنعني أن أنظرَ في أمركم .

ثم بعث محمد بن مسلمة ـ وكان رسولَ العُمّال ـ فلما قدم محمد بن مسلمةَ الكوفة طافَ على القبائل والعشائر والمساجد بالكوفة . فكلٌّ يُثْني على سعدٍ خيراً إلا ناحية الجَرَّاح بن سنان فإنّهم سكتوا فلم يذمُّوا ولم يشكروا ، حتى انتهى إلى بني عبس ، فقام رجل يُقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة ، فقال : أما إذ ناشدتنا[٣] فإنَّ سعداً لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في الرعية ، ولا يغزو في السريّة . فدعا عليه سعدٌ فقال : اللهمّ إنْ كانَ قالها كذباً ورياءً وسمعةً فأعم بصرَهُ ، وكَثِّرْ عيالَهُ ، وعَرِّضْهُ لمُضِلَّاتِ الفِتن . فَعَميَ واجتمعَ عنده عشرُ بناتٍ ، وكانَ يسمعُ بالمرأة فلا يزال حتى يأتيها فيجسها فإذا عُثر عليه قال : دعوةُ سعدٍ الرجلِ المباركِ . ثم دعا سعد على الجَرّاحِ وأصحابه فكلٌّ أصابته قارعةٌ في جسده ، ومصيبةٌ في ماله بعد ذلك . واستنفر محمد بن مسلمة أهلَ الكوفة لغزو أهل نَهاوند في غضون ذلك عن أمر عمر بن الخطاب .

ثم سار سعد ومحمد بن مسلمة والجَرّاح وأصحابه حتى جاؤوا عمر فسأله عمر : كيف يُصلي ؟ فأخبره أنه يطوّلُ في الأولين ويُخفِّفُ في الأُخريين وما آلو ما اقتديتُ به من صلاةِ رسول الله ﷺ . فقال له عمر : ذاك الظنُّ بك يا أبا إسحاق .

وقال سعدٌ في هذه القصة : لقد أسلمتُ خامسَ خمسةٍ ، ولقد كنا وما لنا طعام إلا ورق الحُبْلَةِ[٤] حتى تَقَرَّحتْ أشداقُنا ، وإنّي لأولُ رجلٍ رمى بسهمٍ في سبيل الله ، ولقد جمع لي رسولُ الله ﷺ أبويه

(١) في ط : وأخذ .
(٢) في أ : من الدليل على شركم . والخبر عند الطبري (٤/ ١٢١) وقد مرّ أيضاً في حوادث سنة عشرين صفحة (١٥٧) من هذا الجزء .
(٣) في أ : أنشدتنا .
(٤) الحُبْلَة : بالضم وسكون الباء : ثمر السَّمُر يشبه اللُّوبياء ، وقيل : هو ثمر العضاه . النهاية (١/ ٣٣٤) .

وما جمعهما لأحد قبلي ، ثم أصبحت بنو أسد يقولون : لا يُحسن يُصلّي ـ وفي رواية يغرر بي على الإسلام ـ لقد خبتُ إذاً وضلَّ عملي[١] .

ثم قال عمر لسعد : منِ استخلفتَ على الكوفة ؟ فقال : عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان[٢] ، فأقرّهُ عمر على نيابته[٣] الكوفة ـ وكان شيخاً كبيراً من أشراف الصحابة حليفاً لبني الحُبلي من الأنصار ـ واستمرّ سعدٌ معزولاً من غير عجْزٍ ولا خيانةٍ ويهدّدُ أولئك النفرَ ، وكادَ يوقعُ بهم بأساً . ثم تركَ ذلك خوفاً من أن لا يشكوَ أحد[٤] أميراً .

والمقصودُ أنَّ أهلَ فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند ، حتى اجتمع منهم مئة ألف وخمسون ألف مقاتل ، وعليهم الفيرزان ويقال : بندار ، ويقال ذو الحاجب . وتذامروا فيما بينهم ، وقالوا : إنَّ محمداً الذي جاء العربَ بالدين لم يتعرَّضْ لبلادنا ، ولا أبو بكر الذي قام بعده تعرَّض لنا في دار مُلكنا ، وإن عمر بن الخطاب هذا لمّا طال ملكه انتهكَ حرمَتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عُقْر دارنا ، وأخذ بيتَ المملكة وليس بمُنْتهٍ حتى يخرجكم من بلادكم . فتعاهدوا وتعاقدوا على أن يقصدوا البصرةَ والكوفةَ ثم يشغلوا عمر عن بلاده ، وتواثقوا من أنفسهم وكتبوا بذلك عليهم كتاباً .

فلما كتب سعد بذلك إلى عمر ـ وكان قد عزل سعداً في غضون ذلك ـ شافه[٥] سعد عمر بما تمالؤوا عليه وقصدوا إليه ، وأنه قد اجتمع منهم مئة وخمسون ألفاً . وجاء كتاب عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظَفَر العَبْدي بأنّهم قد اجتمعوا وهم منحرفون متذامرون على الإسلام وأهله ، وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن نقصدهم فنعاجلهم عما هَمُّوا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا . فقال عمر لحامل الكتاب : ما اسمُكَ ؟ قال : قريبٌ . قال : ابنُ منْ ؟ قال : ابن ظَفَر . فتفاءل عمر بذلك وقال : ظَفَرٌ قريبٌ . ثم أمر فنُودي : الصلاةُ جامعةٌ ، فاجتمع الناسُ وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبي وقاص ، فتفاءل عمر أيضاً بسعد ، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال : إن هذا يومٌ له

---

(١) خبر سعد هذا أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٢٧) و(٣٧٢٨) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه (٢٩٦٦) (١٢) في أول كتاب الزهد . ولكن دون ذكر : ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه وما جمعهما لأحد قبلي . فهذا خبر آخر أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٧٢٥) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه (٢٤١٢) في فضائل الصحابة وينظر تفاصيل تخريجه في مسند سعد من كتاب « المسند الجامع » للدكتور بشار وزملائه (٦/ ١٣٤ ـ ١٣٨) ، الأحاديث (٤١٢٨) و(٤١٢٩) و(٤١٣٠) و(٤١٣١) و(٤١٣٢) و(٤١٣٣) و(٤١٣٤) و(٤١٣٥) .

(٢) ترجمته وخبر نيابته في تاريخ الطبري (٤/ ١٢٢) والكامل (٣/ ٦ ـ ٧) وأسد الغابة (٣/ ٢٩٩) والإصابة (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) .

(٣) في أ : نيابة .

(٤) في أ ، ط : أحداً ؛ وما أثبته للسياق اللّغوي .

(٥) في أ : شاور .

ما بعده من الأيام ، ألا وإني قد هممت بأمر[١] فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم ، إني قد رأيتُ أن أسيرَ بمن قِبَلي حتى أنزل منزلاً وسطاً بين هذين المِصْرين فأستنفر الناس ، ثم أكون لهم رِدْءاً حتى يفتح اللهُ عليهم . فقام عثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ وعبد الرحمن بن عوفٍ في رجالٍ من أهل الرأي ، فتكلَّم كلٌّ منهم بانفراده فأحسنَ وأجادَ ، واتّفق رأيُهم على أن لا يسير من المدينة ، ولكن يبعث البعوثَ ويحصرهم برأيه ودعائه .

وكان من كلام عليٍّ رضي الله عنه أن قال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ هذا الأمرَ لم يكن نصرُهُ ولا خذلانُهُ بكثرةٍ ولا قلةٍ ، هو دينُهُ الذي أظْهَرَ ، وجندُهُ الذي أعزَّه وأمدَّه بالملائكة حتى بلغَ ما بلغَ . فنحن على موعودٍ من الله ، واللهُ منْجزٌ وعده ، وناصرٌ جنده ، ومكانكَ منهم يا أمير المؤمنين مكان النظام من الخَرز يجمعه ويمسكه ، فإذا انحلَّ تفرَّق وما فيه وذهب ، ثم لم يجتمعْ بحذافيره أبداً . والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرٌ عزيزٌ بالإسلام ، فأقم مكانَكَ واكتبْ إلى أهل الكوفةِ فهم أعلامُ العرب ورؤساؤهم ، فليذهبْ منهم الثُلثان ويقيم الثُّلث ، واكتب إلى أهلِ البصرة يمدُّوهم[٢] أيضاً .

وكان عثمان قد أشار في كلامه أن يمدَّهم في جيوش[٣] من أهل اليمن والشام . ووافق عمرُ على الذهابِ إلى ما بين البصرة والكوفة ـ فرد عليّ على عثمان في موافقته على الذهاب إلى ما بين البصرة والكوفة كما تقدم ، وردَّ رأيَ عثمان فيما أشار به من استمداد أهل الشام خوفاً على بلادهم إذا قلَّ جيوشها من الروم . ومن أهل اليمن خوفاً على بلادهم من الحبشة . فأعجبَ عمرَ قولُ عليٍّ وسُرَّ به .

وكان عمرُ إذا استشار أحداً لا يبرم أمراً حتى يشاور العباسَ ـ فلما أعجبه كلام الصحابة في هذا المقام عرضه على العباس فقال : يا أمير المؤمنين خَفِّضْ عليكَ ، فإنما اجتمعَ هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم .

ثم قال عمر : أشيروا عليَّ بمن أولّيه أمرَ الحربِ وليكن عراقياً . فقالوا : أنت أبصرُ بجندك يا أميرَ المؤمنين . فقال : أما والله لأولِيَنَّ رجلاً يكون أولَ الأسنّةِ إذا لقيها غداً . قالوا : من يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : النُّعمان بن مُقَرِّنٍ . فقالوا[٤] : هو لها ـ وكان النعمانُ قد كتبَ إلى عمر وهو على كَسْكَر[٥] وسأله أن يعزلَه عنها ويوليه قتالَ أهل نَهاوَنْد ـ فلهذا أجابه إلى ذلك وَعَيَّنَه له ، ثم كتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجنود منها ، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة .

وكتب إلى النعمان ـ وكان بالبصرة ـ أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نَهاوند ، وإذا اجتمع الناسُ فكلُّ أميرٍ على جيشه والأميرُ على الناس كلِّهم النُّعمانُ بن مُقَرِّنٍ . فإذا قُتل فحذيفةُ بن اليَمَان ، فإن قُتل

---

(١) في أ : عزمت على أمر .
(٢) في ط : يمدونهم ؛ خطأ .
(٣) في أ : بجيوش .
(٤) في أ : قالوا .
(٥) كسكر : كورة واسعة قصبتها واسط التي بين الكوفة والبصرة . معجم البلدان (٤/ ٤٦١) .

فجَرير بن عبد الله ، فإن قتل فقَيْس بن مَكْشوح ، فإن قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى عَدَّ سبعةً أحدهم المُغيرة بن شعبة ، وقيل : لم يُسمَّ فيهم ، والله أعلم .

وصورة الكتاب[١] : « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى النُّعمان بن مُقَرّن سلامٌ عليكَ ، فإني أحمدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعدُ فإنّه قد بلَغني أنَّ جموعاً من الأعاجم كثيرةً قد جمعوا لكم بمدينة نَهاوند ، فإذا أتاكَ كتابي هذا فَسِرْ بأمرِ الله ، وبعونِ الله ، وبنصر الله ، بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيَهم ، ولا تمنعْهم حقَّهم فتكفِّرَهم ، ولا تدخلهم غَيْضَةً ، فإن رجلاً من المسلمين أحبُّ إليَّ من مئة ألف دينار ، والسلام عليك . فَسِرْ في وجهك ذلك حتى تأتي ماه[٢] ؛ فإنّي قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوكَ بها ، فإذا اجتمعَ إليكَ جنودكَ فَسِرْ إلى الفيرُزان ومن جمعَ معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا وأكثروا مِنْ لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله .

وكتب عمر إلى نائب الكوفة ـ عبد الله بن عبد الله ـ أن يعينَ جيشا ويبعثهم[٣] إلى نِهاوند ، وليكُنِ الأميرُ عليهم حذيفةَ بن اليَمَان حتّى ينتهيَ إلى النُّعمان بن مُقَرِّنٍ ، فإن قُتل النعمانُ فحذيفة فإن قُتل فنُعيم بن مقرّن . وولّى السائب بن الأقرع قَسْمَ الغنائم . فسار حذيفةُ في جيشٍ كثيفٍ نحو النعمان بن مُقَرِّن ليوافوه بماه ، وسار مع حذيفة خلقٌ كثيرٌ من أمراء العراق ، وقد أرصدَ في كلِّ كورةٍ ما يكفيها من المقاتلة ، وجعل الحرس في كلِّ ناحية ، واحتاطوا احتياطاً عظيماً ، ثم انتهوا إلى النُّعمان بن مُقَرِّن حيث اتَّعدوا ، فدفع حُذيفة بن اليمان إلى النُّعمان كتاب عمر وفيه الأمرُ له بما يعتمده في هذه الوقعة ، فكمل جيش المسلمين في ثلاثين ألفاً من المقاتلة فيما رواه سيف عن الشَّعبي ، فمنهم من سادات الصحابة ورؤوس العرب خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ ، منهم عبد الله بن عمر أمير المؤمنين ، وجَرير بن عبد الله البَجَلي ، وحُذَيْفَة بن اليمان ، والمُغيرة بن شُعبة ، وعمرو بن معدي كرب الزُّبيدي ، وطُلَيْحة بن خُوَيْلد الأسدي ، وقَيْس بن مَكْشوح المُرادي . فسار الناسُ نحو نِهاوند وبعثَ النعمان بن مُقَرّن الأمير بين يديه طليعةً ثلاثة وهم طُلَيْحة ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، وعمرو بن أبي سلمى[٤] ويقال له عمرو بنُ ثبيّ أيضاً ، ليكشفوا له خبرَ القوم وما هم عليه . فسارتِ الطليعةُ يوماً وليلةً فرجع عمرو بن ثُبيٍّ فقيل له : ما رجعكَ ؟ فقال : كنتُ في أرض العجم وقَتَلَتْ أرضٌ جاهلَها وقَتَلَ أرضاً عالمُها . ثم رجع بعده عمرو بن معدي كرب وقال : لم نرَ[٥] أحداً وخفتُ أن يؤخذَ علينا الطريق ، ونفذ طليحة ولم يحفِل برجوعهما فسار بعد ذلك نحواً من بضعة

---

(١) بعض هذا الكتاب في تاريخ الطبري (٤/ ١١٤ ـ ١١٥) والكامل لابن الأثير (٣/ ٩) .

(٢) ماه : بالهاء خالصة : قصبة البلد ، ومنه قيل ماه البصرة وماه الكوفة وماه فارس ويقال لنهاوند وهمذان وقمّ ماه البصرة . معجم البلدان (٥/ ٤٨) .

(٣) في أ : ويتبعهم .

(٤) في ط : عمرو بن أبي سلمة ؛ خطأ . وما هنا موافق لتاريخ الطبري .

(٥) في أ : لم أر .

عشر فرسخاً حتى انتهى إلى نِهاوند ، ودخل في العجم وعلم من أخبارهم ما أحبَّ ـ ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك ، وأنه[١] ليس بينه وبين نِهاوند شيءٌ يكرهُهُ . فسار النّعمانُ على تعبئته ، وعلى المقدمة نُعيم بن مقرن ، وعلى المَجْنَبَتَيْنِ حُذيفة وسُويد بن مُقَرّن ، وعلى المجرَّدة القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود ، حتى انتهوا إلى الفُرس وعليهم الفيرُزان ، ومعه من الجيش كلّ من غاب عن القادسية في تلك الأيام المتقدمة ، وهو في مئة وخمسين ألفاً ، فلما تراءى الجمعان كبَّر النعمانُ وكبَّر المسلمون ثلاثَ تكبيراتٍ ، فزلزلت الأعاجم ، ورعبوا من ذلك رعباً شديداً .

ثم أمر النعمانُ بحطّ الأثقالِ وهو واقفٌ ، فحطَّ الناسُ أثقالَهم ، وتركوا رحالَهم ، وضربوا خيامَهم وقبابَهم ، وضُربت خيمةٌ للنعمان عظيمةٌ ، وكان الذين ضربوا أربعة عشر من أشرافِ الجيش ، وهم حُذَيْفة بن اليمان ، وعُتبة بن عمرو ، والمُغيرة بن شعبة ، وبَشير بن الخصاصية ، وحَنظلة الكاتب ، وابن الهَوْبَر ، ورِبعيّ بن عامر ، وعامر بن مَطَر ، (وجرير بن عبد الله الحِمْيريّ)[٢] ، وجرير بن عبد الله البَجَلي ، والأقرع بن عبد الله الحِمْيري ، والأشعث بن قَيْس الكِنْدي ، وسعيد بن قيس الهَمْداني ، ووائل بن حُجْر ، فلم يُرَ بالعراق خيمة عظيمة أعظم من بناء هذه الخيمة ، وحين حَطّوا الأثقال أمرَ النعمانُ بالقتال وكان يوم الأربعاء ، فاقتتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سجالٌ ، فلما كان يوم الجمعة انحجزوا في حصنهم ، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله ، والأعاجم (يخرجون) إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا .

وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلاً من المسلمين ليكلّمه ، فذهب إليه المغيرةُ بن شعبة ، فذكر من عظم[٣] ما رأى عليه من لبسه ومجلسه ، وفيما خاطبه به من الكلام في احتقار العرب واستهانته بهم ، وأنهم كانوا أطولَ الناس جوعاً ، وأقلَّهم داراً وقدراً ، وقال : ما يمنعُ هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنُّشاب إلا تنجُّساً[٤] من جيفكم ، فإن تذهبوا نخلِّ عنكم ، وإن تأبَوا ؟ نُرِزْكُم[٥] مصارِعَكُم .

قال : فتشهدتُ وحمدتُ الله وقلت : لقد كنا أسوأ حالاً مما[٦] ذكرتَ ، حتى بعث الله رسولَه فوعدنا النصرَ في الدنيا والخيرَ في الآخرة ، وما زلنا نتعرَّف من ربنا النصرَ منذ بعث الله رسولَه إلينا ، وقد جئناكم في بلادكم وإنا لن نرجعَ إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على بلادكم وما في أيديكم أو نُقْتلَ بأرضكم . فقال : أما والله إن الأعور لقد صدقكم ما في نفسه .

---

(١) في أ : وأن .
(٢) ما بين قوسين ساقط من أ وما هنا موافق لتاريخ الطبري (١٢٩/٤) .
(٣) في أ : عظمة .
(٤) في ط : محاً ؛ خطأ ، وما هنا موافق لتاريخ الطبري (١١٨/٤) .
(٥) في تاريخ الطبري : نركم .
(٦) في أ : كما .

فلما طال على المسلمين هذا الحالُ واستمرَّ ، جمع النعمان بن مُقَرّن أهل الرأي من الجيش ، وتشاوروا في ذلك ، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون في صعيدٍ واحدٍ .

فتكلّم عمرو بن أبي سلمى أولاً ـ وهو أسنُّ من كان هناك ـ فقال : إن بقاءَهم على ما هم عليه أضرّ عليهم من الذي يطلبه منهم وأبقى على المسلمين . فردَّ الجميعُ عليه وقالوا : إنّا لعلى يقين من إظهار ديننا ، وإنجاز موعود الله لنا .

وتكلّم عمرو بن معدي كرب فقال : ناهِدْهُم وكاثِرْهم ولا تَخَفْهم .

فردّوا جميعاً عليه وقالوا : إنما تناطح بنا الجدران ، والجدرانُ أعوانٌ لهم علينا .

وتكلم طُلَيْحَةُ الأسديُّ فقال : إنهما لم يصيبا ، وإني أرى أن تبعثَ سريةً فتحدق بهم ويناوشوهم بالقتال ويحمشوهم[1] فإذا برزوا إليهم فليفروا إلينا هراباً ، فإذا استطردوا وراءهم وانتهوا[2] إلينا عزمنا أيضاً على الفرار كلّنا ، فإنهم حينئذ لا يشكّون في الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرةِ أبيهم ، فإذا تكاملَ خروجُهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضيَ اللهُ بيننا . فاستجادَ الناسُ هذا الرأيَ ، وأمَّر النعمان على المجرَّدة القعقاع بن عمرو ، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم . ففعل القعقاعُ ذلك ، فلما برزوا من حصونهم نكص القعقاعُ بمنْ معه ثم نكص ثم نكص فاغتنمها الأعاجمُ ، ففعلوا ما ظنَّ طُلَيْحةُ ، وقالوا : هي هي ، فخرجوا بأجمعهم ولم يبقَ بالبلد من المُقاتلة إلا من يحفظُ لهم الأبوابَ ، حتى انتهَوْا إلى الجيش ، والنعمانُ بن مقرّن على تعبئته . وذلك في صدر نهار جمعة ، فعزم الناس على مصادمتهم ، فنهاهم النعمان وأمرهم أن لا يقاتلوا حتى تزول الشمس ، وتهب الأرواح ، وينزل النصرُ كما كان رسول الله ﷺ يفعل . وألَحَّ الناس على النعمان في الحملة فلم يفعل ـ وكان رجلاً ثابتاً ـ فلما حانَ الزوالُ صلّى بالمسلمين ثم ركبَ بِرْذَوْناً له أحْوَى[3] قريباً من الأرض ، فجعل يقف على كل راية ويحثهم على الصبر ويأمرهم بالثبات ، ويقدم على المسلمين أنه يُكبِّر الأولى فيتأهبُ الناسُ للحملة ، ويُكبِّر الثانية فلا يبقى لأحد أُهبة ، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة . ثم رجع إلى موقفه . وتعبَّئتِ الفرس تعبئةً عظيمةً واصطفّوا صفوفاً هائلة ، في عدد وعُدد لم ير مثله ، وقد تغلغل[4] كثيرٌ منهم بعضهم في بعض وألقوا حَسَكَ الحديد وراء ظهورهم حتّى لا يمكنهم الهربُ ولا الفرارُ ، ولا التحيّز .

ثم إن النعمانَ بن مُقَرّن رضي الله عنه كبَّر الأولى وهزّ الرايةَ فتأهّب الناسُ للحملة ، ثم كبَّر الثانيةَ وهزَّ

---

(١) حَمَشَ الرجلَ ؛ أحمشه : أغضبه . اللسان (حمش) .
(٢) في ط : وانتموا .
(٣) الحُوَّة : سواد إلى الخضرة ، ،قيل : حمرة تضرب إلى السواد ، وهو أحوى اللسان (حوا) .
(٤) في أ : ويغلغل .

الرايةَ فتأهّبوا أيضاً ، ثم كبّر الثالثةَ (وحمل) وحمل[١] الناس على المشركين وجعلت راية النعمان تنقض على[٢] الفرس كانقضاضِ العقاب على الفريسة ، حتى تصافحوا بالسيوف فاقتتلوا قتالاً لم يُعْهَدْ مثله في موقفٍ من المواقف المتقدمة ، ولا سمعَ السامعون بوقعة[٣] مثلها ، قُتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتلى ما طبّقَ وجهَ الأرض دماً ، بحيث إن الدواب كانت تطبع فيه ، حتى قيل : إن الأمير النعمانَ بن مُقَرِّن زلق به حصانُه في ذلك الدم فوقع وجاءه سهمٌ في خاصرته (فقتله) ، ولم يشعر به أحدٌ سوى أخيه سُوَيْد ، وقيل نُعَيْم ، وقيل غَطّاهُ بثوبه ، وأخفى موتَه ، ودفع الرايةَ إلى حُذيفة بن اليمان ، فأقام حذيفة أخاه نُعيماً مكانَه ، وأمر بكتم موته حتى ينفصلَ الحالُ لئلا ينهزم الناس .

فلما أظلم الليلُ انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون وكان الكُفّار قد قرنوا منهم ثلاثين ألفاً بالسلاسل وحفروا حولهم خندقاً ، فلما انهزموا وقعوا في الخندق وفي تلك الأودية نحو مئة ألف وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم فهلك منهم بشرٌ كثيرٌ نحو مئة ألف أو يزيدون ، سوى منْ قُتل في المعركة ، ولم يُفلت منهم إلا الشَّريد . وكان الفيرزان أميرهم قد صرع في المعركة فانفلت وانهزم واتبعه نُعيم بن مُقَرّن ، وقدم القعقاع بين يديه وقصد الفيرزان هَمَذان فلحقه القَعْقاعُ وأدركه عند ثنية هَمَذان ، وقد أقبل منها بغالٌ كثيرٌ وحُمُر تحمل عسلاً ، فلم يستطع الفيرزان صعودها منهم ، وذلك لحينه فترجَّلَ وتعلَّق في الجبل فاتبعه القعقاعُ حتى قتله ، وقال المسلمون يومئذ : إنَّ لله جنوداً من عسل ، ثم غنموا ذلك العسل وما خالطه من الأحمال وسُمِّيتْ تلك الثَّنيةُ ثَنيَّةَ العسل . ثم لحق القعقاعُ بقيةَ المنهزمين منهم إلى هَمَذان وحاصرها وحوى ما حولها ، فنزل إليه صاحبُها ـ وهو خُسْرَشَنُوم ـ فصالحه عليها . ثم رجع القعقاع إلى حُذيفة ومنْ معه من المسلمين ، وقد دخلوا بعد الواقعةِ نهاوند عنوةً ، وقد جمعوا الأسلابَ والمغانمَ إلى صاحب الأقباض[٤] ، وهو السائبُ بن الأقرع . ولما سمع أهلُ ماه بخبر أهلِ هَمَذان بعثوا إلى حُذَيْفة وأخذوا لهم منه[٥] الأمان ، وجاء رجل يقال له الهِرْبذ[٦] ـ وهو صاحب نارهم ـ فسأل من حذيفة الأمان ويدفع إليهم وديعةً لكسرى ، ادخرها لنوائب الزمان ، فأمَّنه حُذيفة وجاء ذلك الرجل بسفطين مملوءين[٧] جوهراً ثميناً لا يُقَوَّم ، غير أنّ المسلمين لم يَعْبَؤُوا به ، واتَّفق رأيهم على بعثه[٨] لعمر خاصة ، وأرسلوه

---

(١) في هامش أ : قال : إني داعٍ فأمنوا على دعائي ثم قال : اللهم ارزقني الشهادة بنصر المسلمين وافتح عليهم ؛ فأمن القوم على دعائه ، ثم إن النعمان بن مقرن رضي الله عنه . . .

(٢) في أ : نحو .

(٣) في أ : بموقعة .

(٤) الأقباض جمع قَبَضَ وهو ما جُمع من الغنائم قبل أن تُقسم . اللسان (قبض) .

(٥) في أ : بقية .

(٦) في أ ،ط : الهرند وما هنا عن تاريخ الطبري (٤/ ١٣٣) .

(٧) في ط : مملوءتين . وما هنا أقرب للسياق اللغوي .

(٨) في أ : يعثهم .

صحبةَ الأخماس والسبي صحبةَ السائب بن الأقْرع ، وأرسل قبله بالفتح مع طريف بن سهم ، ثم قسم حُذَيْفة بقيةَ الغنيمة في الغانمين ، ورضخ ونفل لذوي النجدات ، وقسم لمن كان قد أرصد من الجيوش لحفظ ظهور المسلمين من ورائهم ، ومن كان ردءاً لهم ، ومنسوباً إليهم ، وأما أمير المؤمنين فإنّه[١] كان يدعو اللهَ ليلاً ونهاراً لهم ، دعاءَ الحوامل المقربات ، وابتهال ذوي الضرورات ، قد استبطأ الخبر عنهم فبينا رجل (من المسلمين) ظاهرَ المدينة إذا هو براكبٍ فسأله من أين أقبل ؟ فقال : من نِهاوند . فقال : ما فعلَ الناسُ ؟ قال : فتحَ الله عليهم وقُتل الأميرُ ، وغنم المسلمون غنيمةً عظيمة أصاب الفارسَ ستةُ آلافٍ ، والراجلَ ألفان . ثم فاته وقدم ذلك الرجل المدينةَ فأخبر الناسَ وشاعَ الخبرُ حتى بلغ أمير المؤمنين فطلبه فسأله عمَّن أخبره ، فقال : راكب . فقال : إنه لم يجئني ، وإنما هو رجل من الجنّ وهو يريدُهم واسمه عُثَيْم ، ثم قدم طَريف بالفتح بعد ذلك بأيام ، وليس معه سوى الفتح ، فسأله عمَّنْ قتل[٢] النعمانَ ، فلم يكن معه علم حتى قدم الذين معهم الأخماسُ ، فأخبروا بالأمر على جليته ، فإذا ذلك الجني قد شهدَ الوقعةَ ورجع سريعاً إلى قومه نذيراً . ولما أُخبر عمر بمقتل النعمان بكى وسأل السائب عمَّنْ قُتل من المسلمين فقال : فلان وفلان وفلان ، لأعيان الناس وأشرافهم .

ثم قال وآخرون من أفناد[٣] الناس ممَّن لا يعرفهم أمير المؤمنين فجعل يبكي ويقول : وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين ؟ لكنَّ الله يعرفهم وقد أكرمهم الله بالشهادة ، وما يصنعون بمعرفة عمر . ثم أمر بقسمة الخُمْسِ على عادته ، وحُملت ذانك السفطان إلى منزل عمر ، ورجعت الرسلُ ، فلما أصبح عمر طلبهم فلم يجدهم ، فأرسل في إثرهم البُرُدَ فما لحقهم البريدُ إلا بالكوفة .

قال السائب بن الأقرع : فلما أنختُ بعيري بالكوفة ، أناخَ البريدُ على عرقوب بعيري ، وقال : أجبْ أميرَ المؤمنين ، فقلت : لماذا ؟ فقال : لا أدري . فرجعنا على إثرنا ، حتى انتهيتُ إليه . قال : مالي ولك يا ابنَ أمّ السائب ، بل ما لابن أمّ السائب ومالي ، قال : فقلتُ : وما ذاك يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : ويحكَ ! والله إن هو إلا أن نمتُ في الليلة التي خرجتَ فيها فباتت ملائكةُ الله تسحبني إلى ذينك[٤] السفطين وهما يشتعلان ناراً ، يقولون لَنَكْوِيَنَّكَ بهما . فأقول : إني سأقسمهما بين المسلمين . فاذهبْ بهما لا أبالكَ فبعْهُما فاقسمهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم ، فإنهم لا يدرون ما وهبوا ولم تَدْرِ أنتَ معهم .

قال السائب : فأخذتُهما حتى جئتُ بهما مسجدَ الكوفة وغشيتْني التجارُ فابتاعهما مني عمرو بن حُرَيْث المَخْزومي بألفَيْ ألفٍ . ثم خرج بهما إلى أرضِ الأعاجم فباعَهما بأربعةِ آلافِ ألفٍ . فما زال أكثرَ أهلِ الكوفة مالاً بعد ذلك .

---

(١) في أ : وكان .
(٢) في أ : فسأله عمر عن قتال النعمان .
(٣) أفناد : جماعات متفرقين . اللسان (فند) .
(٤) في أ : تستحثني إلى ذلك . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١١٧) .

قال سيف : ثم قسم ثمنَهما بين الغانمين فنالَ كلّ فارس أربعة آلاف درهم من ثمن السفطين .

قال الشعبي : وحصل للفارس من أصل الغنيمة ستة آلاف وللراجل ألفان وكان المسلمون ثلاثين ألفاً .

قال : وافتُتحتْ نهاوندُ في أول سنة تسعَ عشرةَ لسبع سنين من إمارة عمر .

ورواه سيفٌ عن عمرو بن محمد عنه . وبه عن الشعبي قال : لما قدم سبي[1] نِهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة ـ فيروز غلام المغيرة بن شعبة ـ لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال : أكل عُمر كبدي ـ وكان أصل أبي لؤلؤة من نهاوند ، فأسرته الرومُ أيامَ فارس وأسرته المسلمون بعد ، فنسب إلى حيث سُبي[2] ـ قالوا : ولم تقم للأعاجم بعد هذه الوقعة قائمة ، وأتحف عمر الذين أبلوا فيها بألفين[3] تشريفاً لهم وإظهاراً لشأنهم .

[فتح أصبهان[4]]

وفي هذه السنة افتتح المسلمون أيضاً بعد نِهاوند مدينة جيّ ـ وهي مدينة أصبهان ـ بعد قتال كثير وأمور طويلة ، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمان وصلح ، وفرَّ منهم ثلاثون نفراً إلى كرمان لن يصالحوا المسلمين . وقيل : إن الذي فتح[5] أصبهان هو النعمان بن مُقَرّن وأنه قتل بها ، ووقع أمير المجوس وهو ذو الحاجبين عن فرسه فانشقّ بطنه ومات وانهزم أصحابه .

والصحيح أن الذي فتح أصبهان عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ـ الذي كان نائب الكوفة .

وفيها افتتح أبو موسى قُمّ وقاشان[6] ، وافتتح سهيل بن عدي مدينة كرمان[7] .

وذكر ابن جرير[8] عن الواقدي : أن عمرو بن العاص سار في جيش معه إلى طرابلس قال : وهي برقة فافتتحها صلحاً على ثلاثة عشر ألف دينار في كل سنة .

---

(١) في أ : لما قدم بسبي .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٣٦) .
(٣) في أ : وألحق عمر الذين أبلو في ألفين .
(٤) أصبهان : مدينة عظيمة مشهورة في بلاد فارس . معجم البلدان (١/ ٢٠٦ ـ ٢١٠) .
(٥) في أ : افتتح .
(٦) قم بالضم ، وتشديد الميم ، وهي كلمة فارسية : مدينة تذكر مع قاشان ، وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها . معجم البلدان (٤/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) . وقاشان : مدينة قرب أصبهان ، بينهما ثلاث مراحل . معجم البلدان (٤/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .
(٧) كرمان : هي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان .
(٨) في تاريخه (٤/ ١٤٤) .

قال : وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري إلى زويلة ففتحها بصلح ، وصار ما بين برقة إلى زويلة سلماً للمسلمين .

قال : وفيها ولَّى عمرُ عمار بن ياسر على الكوفة بدل زياد بن حنظلة الذي ولاه بعد عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ، وجعل عبد الله بن مسعود على بيت المال ، فاشتكى أهل الكوفة من عمار فاستعفى عمار من عمله ، فعزله وولَّى جُبَيْر بن مُطْعم ، وأمره أن لا يُعلم أحداً ، وبعث المُغيرة بن شعبة امرأته إلى امرأة جبير يعرض عليها طعاماً للسفر فقالت : اذهبي فأتيني به . فذهب المغيرة إلى عمر فقال : بارك الله يا أمير المؤمنين فيمن وليت على الكوفة . فقال : وما ذاك ؟ وبعث إلى جُبير بن مطعم فعزله وولى المُغيرة بن شعبة ثانية ، فلم يزل عليها حتى مات عمر رضي الله عنهم .

قال : وفيها حجَّ عمر واستخلف على المدينة زيدَ بن ثابت ، وكان عُمَّالُهُ على البلدان المتقدمون في السنة التي قبلها سوى الكوفة .

قال الواقدي : وفيها توفي خالد بن الوليد بحمص وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال غيره توفي سنة ثلاث وعشرين ، وقيل بالمدينة . والأول أصح .

وقال غيره : وفيها توفي العلاء بن الحضرمي فولَّى عمرُ مكانَه أبا هريرة . وقد قيل إن العلاء توفي قبل هذا كما تقدم ، والله أعلم .

وقال ابن جرير فيما حكاه عن الواقدي : وكان أمير دمشق في هذه السنة عمير بن سعيد ، وهو أيضاً على حمص وحوران وقنَّسرين والجزيرة ، وكان معاوية على البلقاء والأردن ، وفلسطين والسواحل وأنطاكية ، وغير ذلك .

ذكر من توفي [في هذه السنة ـ أعني] سنة إحدى وعشرين ـ

خالد بن الوليد[١] بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم القرشي أبو سُليمان المَخْزومي ، سيفُ الله ، أحد الشجعان المشهورين ، لم يُقهر في جاهليةٍ ولا إسلامٍ . وأمُّه ، عَصْماء بنت الحارث ، أخت لبابة[٢] بنت الحارث ، وأخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين .

---

(١) ترجمة ـ خالد بن الوليد ـ في الطبقات الكبرى (٤/ ٢٥٢ و٧/ ٣٩٤) والاستيعاب (١/ ٤٢٧ ـ ٤٣١) وتاريخ دمشق ـ ط دار الفكر ـ (١٦/ ٢١٦ ـ ٢٨٢) ومختصره لابن منظور (٨/ ٥ ـ ٢٧) وجامع الأصول (١٣/ ٤١٧ ـ ٤١٩) وأسد الغابة (٢/ ١٠٩ ـ ١١٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٧٢ ـ ١٧٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٦٦ ـ ٣٨٤) والإصابة (٣/ ٧٠) وبدران (٥/ ٩٥ ـ ١١٧) .

(٢) قال ابن الأثير : وأمه لبابة الصغرى وقيل الكبرى ، والأكثر الأول بنت الحارث أخت ميمونة زوج النبي ﷺ . جامع الأصول (١٣/ ٤١٨) وقال ابن عساكر (١٦/ ٢٢٢) : وأمه لبابة الكبرى ويقال لها : عصماء بنت الحارث . . .

قال الواقدي : أسلم أول يوم من صفر سنة ثمان ، وشهد مؤتة وانتهت إليه الإمارة يومئذ عن غير إمرة ، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً لم يُرَ مثله ، اندقّت في يده تسعةُ أسيافٍ ، ولم تثبت في يده إلا صفيحة يمانية . وقد قال رسول الله ﷺ : « أخذ الراية زيدٌ فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه »[١] .

وقد رُويَ أن خالداً سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب فجعل يستحثّ في طلبها فعوتب في ذلك ، فقال : إن فيها شيئاً من شعر ناصية رسول الله ﷺ ، وإنها ما كانت معي في موقف إلا نُصرتُ بها[٢] .

وقد روينا في مسند أحمد[٣] من طريق الوليد بن مسلم ، عن وَحْشي بن حرب ، عن أبيه ، عن جدّه وَحْشي بن حرب ، عن أبي بكر الصديق أنه لما أمَّر خالداً على حرب أهل الردة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نعم عبدُ الله وأخو العشيرة خالدُ بن الوليد ، خالد بن الوليد سيفٌ من سيوف الله سلَّه الله على الكفار والمنافقين » . وقال أحمد[٤] : حدَّثنا حسين الجعفي عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال : استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد ، فقال خالد : بعث إليكم أمين هذه الأمة ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » فقال أبو عبيدة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خالدٌ سيفٌ من سيوف الله نِعْمَ فَتى العشيرة » .

وقد أورده ابن عساكر[٥] من حديث عبد الله بن أبي أوفى ، وأبي هريرة ، ومن طرق مرسلة يقوي بعضها بعضاً .

وفي الصحيح[٦] : « وأما خالدٌ فإنكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدراعه وأعبده في سبيل الله » .

وشهد الفتح وشهد حنيناً وغزا بني جذيمة أميراً في حياته عليه السلام . واختلف في شهوده خيبر (وقد دخل مكةَ أميراً على طائفة من الجيش وقتل خلقاً كثيراً من قريش ، كما قدمنا ذلك مبسوطاً في موضعه ولله الحمد والمنة . وبعثه رسول الله ﷺ إلى العزى ـ وكانت لهوازن ـ فكسر قمَّتها أولاً ثم

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٠٤) والبخاري في صحيحه (٣٧٥٧) في فضائل الصحابة و(٤٢٦٢) في المغازي .

(٢) هذا الخبر أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٩٩) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٤٦) من طريق هشيم عن عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، عن خالد بن الوليد . وذكره البوصيري في مختصر إتحاف السادة المهرة (٧٦٦٨) وقال : « رواه أبو يعلى بسند صحيح » .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٨) وهو حديث حسن ، وهذا إسناد ضعيف لجهالة حرب بن وحشي .

(٤) مسنده (٤/ ٩٠) وهو حديث حسن .

(٥) في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٣٩ ـ ٢٤٥) .

(٦) صحيح البخاري (١٤٦٨) في الزكاة ، وصحيح مسلم (٩٨٣) (١١) في الزكاة .

دعثرها(١) وجعل يقول : يا عُزَّى كفرانك لا سبحانك . إني رأيت الله قد أهانك . ثم حرقها) وقد استعمله الصدّيق بعد رسول الله ﷺ على قتال أهل الردة ومانعي الزكاة ، فشفى واشتفى ، ثم وجهه إلى العراق ثم أتى الشام فكانت له من المقامات ما ذكرناها مما تقرُّ بِهَا القلوب والعيون ، وتَتَشَنَّفُ بها الأسماع . ثم عزله عمر عنها وولَّى أبا عبيدة وأبقاه مستشاراً في الحرب ، ولم يزل بالشام حتى مات على فراشه رضي الله عنه .

وقد روى الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه قال : لما حضرت خالداً الوفاةُ بكى ثم قال : لقد حضرتُ كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبرٌ إلا وفيه ضربةُ سيفٍ ، أو طعنةٌ برمحٍ ، أو رميةٌ بسهمٍ ، وها أنا أموت على فراشي حتفَ أنفي كما يموت البعيرُ ، فلا نامت(٢) أعينُ الجبناء .

وقال أبو يعلى(٣) : حدَّثنا سرَيج(٤) بن يونس ، حدَّثنا يحيى بن زكريا ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس . قال : قال خالد بن الوليد : ما ليلة يُهدى إليَّ فيها عروس ، أو أُبَشَّرُ فيها بغلامٍ بأحبَّ إليَّ من ليلةٍ شديدةِ الجليد في سَرِيّة من المهاجرين أُصَبِّح بهم العدو(٥) .

وقال أبو بكر بن عَيَّاش ، عن الأعمش ، عن خَيْثَمة قال : أُتِيَ خالدٌ برجلٍ معه زقُّ خمرٍ فقال : اللهمّ اجعله عسلاً ، فصارَ عسلاً . وله طرق ، وفي بعضها مرَّ عليه رجلٌ معه زقُّ خَمرٍ فقال له خالد : ما هذا ؟ فقال : عَسَلٌ فقال : اللهم اجعله خلاً ، فلما رجع إلى أصحابه قال : جئتكم بخمرٍ لم يشربِ العربُ مثلَه ، ثم فتحه فإذا هو خلٌّ ، فقال أصابته والله دعوة خالدٍ رضي الله عنه .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثمامة ، عن أنس . قال : لقي(٦) خالد عدواً له فولَّى عنه المسلمون منهزمين وثبتَ هو وأخو البراء بن مالك ، وكنت بينهما واقفاً ، قال : فنكسَ خالدٌ رأسه ساعةً إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء ساعةً ـ قال : وكذلك كان يفعل إذا أصابه مثل هذا ـ ، ثم قال لأخي البراء : قم ، فركبا ، واختطب خالد منْ معه من المسلمين وقال : ما هو إلا الجنة وما إلى المدينة سبيل. ثم حمل بهم فهزم المشركين .

وقد حكى مالك عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكر : اكتب إلى خالد أن لا يعطي شاةً ولا بعيراً إلا بأمرك . فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك ، فكتب إليه خالد : إما أن تدعني وعملي ، وإلا فشأنك بعملك . فأشار عليه عمر بعزله ، فقال أبو بكر : فمن يجزي عني جزاء خالد ؟ قال عمر : أنا . قال : فأنت ،

---

(١) دعثر : هدم وصرع وكسر . اللسان (دعثر) .

(٢) في أ : فلا عاشت .

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (١٣/ ١٤١) رقم (٧١٨٥) وإسناده صحيح .

(٤) في ط : شريح ؛ تحريف .

(٥) في مسند أبي يعلى : بها .

(٦) في أ : التقى .

فتجهز عمر حتى أنيخ الظهر في الدار(١) ، ثم جاء الصحابة فأشاروا على الصديق بإبقاء عمر بالمدينة وإبقاء خالد بالشام . فلما ولي عمر كتب إلى خالد بذلك فكتب إليه خالد بمثل ذلك فعزله ، وقال : ما كان (الله) ليراني آمر أبا بكر بشيء لا أنفذه أنا .

وقد روى البخاري في « التاريخ »(٢) وغيره من طريق عُلَي بن رباح عن ناشرة بن سُمي اليَزَني(٣) ، قال : سمعتُ عمر يعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد ، فقال : أمرتُه أن يحبسَ هذا المالَ على ضعفَةِ المهاجرين ، فأعطاه ذا البأس ، وذا الشرف واللسان ، وأمَّرْتُ أبا عبيدة . فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة : ما اعتذرت يا عمر ، لقد نزعتَ عاملاً استعمله رسول الله ﷺ ، ووضعتَ لواءً رفعه رسول الله ﷺ ، وأغمدت سيفاً سلَّه الله ، ولقد قطعتَ الرحم ، وحسدتَ ابنَ العمّ . فقال عمر : إنك قريبُ القرابة ، حديثُ السن مغضبٌ في ابن عمك .

قال الواقدي رحمه الله ، ومحمد بن سعد وغيرُ واحد : مات سنة إحدى وعشرين بقريةٍ على ميلٍ من حمص ، وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال دُحيم وغيره : مات بالمدينة . والصحيحُ الأولُ . وقدمنا (فيما سلف) تعزير عمر له حين أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف ، وأخذه من ماله عشرين ألفاً أيضاً . وقدمنا عتبةُ عليه لدخوله الحمّام وتدلكه بعد النورة بدقيقِ عصفرٍ معجونٍ بخمر ، واعتذار خالد إليه بأنه صار غسولاً .

وروينا عن خالد أنه طلَّق امرأةً من نسائه وقال : إني لم أطلقها عن ريبة ، ولكنها لم تمرض عندي ولم يصبها شيء في بدنها ولا رأسها ولا في شيء من جسدها .

وروى سيف وغيره : أن عمر قال حين عزل خالداً عن الشام ، والمثنى بن حارثة عن العراق : إنما عزلتهما ليعلم الناسُ أنَّ اللهَ نصرَ الدِّين لا بنصرهما وأن القوةَ لله جميعاً .

وروى سيفٌ أيضاً أن عمر قال حين عزل خالداً عن قِنَّسرين وأخذ منه ما أخذ : إنك عليَّ لكريمٌ ، وإنك عندي لعزيزٌ ، ولن يصل إليك مني أمرٌ تكرهه بعد ذلك .

وقد قال الأصمعي : عن سَلَمة ، عن بلال ، عن مُجالد ، عن الشَّعبي قال : اصطرع عمر وخالد وهما غلامان ـ وكان خالد ابنَ خالِ عمر ـ فكسر خالدٌ ساقَ عمر ، فعُولجت وجُبرت ، وكان ذلك سببَ العداوة بينهما(٤) .

وقال الأصمعي ، عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال : دخل خالد على عمر وعليه قميص حرير

(١) في أ : فعزم به حتى أنيخت الركائب في الدار .
(٢) التاريخ الأوسط المطبوع باسم التاريخ الصغير (١/ ٥٧) والخبر أيضاً أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٧٥) .
(٣) في ط : « ياسر بن سمي البرني » ، والصواب ما أثبتنا ، وهو من رجال التهذيب .
(٤) في إسناد هذه القصة مجالد بن سعيد ، وهو ضعيف .

فقال عمر : ما هذا يا خالد ؟ فقال : وما بأسٌ يا أميرَ المؤمنين ، أليس قد لبسه عبد الرحمن بن عوف ؟ فقال : وأنت مثل ابن عوف ؟ ولك مثل ما لابن عوف ؟ عزمتُ على منْ بالبيت إلا أخذَ كلٌّ واحد منهم بطائفة مما يليه . قال : فمزَّقوه حتى لم يبق منه شيء[١] .

وقال عبد الله بن المبارك : عن حماد بن زيد ، حدَّثنا عبد الله بن المختار ، عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ـ ثم شك حماد في أبي وائل ـ قال : ولما حضرت خالدَ بن الوليد الوفاةُ قال[٢] : لقد طلبتُ القتلَ في مظانّه فلم يُقَدَّر لي إلا أن أموتَ على فراشي . وما من عملي شيءٌ أرْجَى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتُّها وأنا مُتترّسٌ والسماء تهلّني ننتظر الصبح[٣] ، حتى نُغير على الكفار . ثم قال : إذا أنا متُّ فانظروا إلى سلاحي وفرسي[٤] فاجعلوه عدّة في سبيل الله . فلما توفي خرج عمر على جنازته فذكر قوله : ما على آل نساء الوليد أن يَسْفَحْنَ على خالدٍ من دموعِهِنَّ ما لم يكن نَقْعاً أو لَقْلَقَةً .

قال ابن المختار : النقع : التراب على الرأس ، واللقلقة : الصوت .

وقد علّق البخاري في صحيحه[٥] بعض هذا فقال : وقال عمر : دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقعٌ أو لقلقةٌ .

وقال محمد بن سعد[٦] : حدَّثنا وكيع وأبو معاوية وعبد الله بن نمير قالوا : حدَّثنا الأعمش ، عن شقيق بن سلمة قال : لما مات خالد بن الوليد اجتمع نسوة بني المغيرة في دار خالد يبكين عليه فقيل لعمر : إنهنَّ قد اجتمعن في دار خالد يبكين عليه ، وهنّ خلقاء أن يسمعنك بعض ما تكره . فأرسلْ إليهنَّ فانههنَّ . فقال عمر : وما عليهنَّ أن ينزفن من دموعهنّ على أبي سليمان ، ما لم يكن نقعاً أو لقلقة . ورواه البخاري في « التاريخ »[٧] من حديث الأعمش بنحوه .

وقال إسحاق بن بشر وقال محمد : مات خالد بن الوليد بالمدينة فخرج عمر في جنازته وإذا أمه تندبه وتقول[٨] : [من الخفيف]

---

(١) رخص رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف لبس الحرير لحكة كانت في جسده والخبر في ذلك أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٢٢ و١٢٧) والبخاري في صحيحه (٢٩١٩ ـ ٢٩٢٢) . في الجهاد ورقم (٥٨٣٩) في اللباس ، ومسلم في صحيحه (٢٠٧٦) في اللباس . وغيرهم .

(٢) الخبر في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨١) والإصابة (٣/ ٧٤) .

(٣) في ط : تهلني تمطر إلى الصبح .

(٤) في أ : وقوسي .

(٥) صحيح الإمام البخاري معلقاً ـ فتح الباري ـ (٣/ ١٦٠ عقيب الحديث ١٢٩٠) .

(٦) الطبقات الكبرى (٤/ ٢٥٣) .

(٧) التاريخ الأوسط المنشور باسم الصغير (١/ ٤٦ ـ ٤٧) .

(٨) الخبر في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨١) وقال الذهبي : ويروى بإسناد ساقط أن عمر خرج في جنازة خالد بالمدينة .

أنتَ خيرٌ من ألفِ ألفٍ[١] من القو ... مِ إذا مــا كُبِّــتْ وُجــوهُ الــرِّجــالِ

فقال : صدقتِ (واللهِ) إن كان لكذلك .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم[٢] . قال : فأقام خالدٌ في المدينة حتى إذا ظن عمر أنه قد زال ما كان يخشاه من افتتان الناس به . وقد عزم على توليته بعد أن يرجع من الحج ، واشتكى[٣] خالد بعدُ[٤] ، وهو خارج من المدينة زائراً لأمه فقال لها : احدُروني إلى مهاجري ، فقدمت به المدينة ومرَّضته فلما ثقل وأظل[٥] قدوم عمر (لقيه لاقٍ على مسيرة) ثلاث صادراً عن حجه فقال له عمر : مَهْيَمْ[٦] . فقال : خالدُ بن الوليد ثقيلٌ لما به . فطوى عمر ثلاثاً في ليلة فأدركه حين قَضَى ، فرقَّ عليه واسترجع وجلس ببابه حتى جُهّز ، وبكَتْهُ البواكي ، فقيل لعمر : ألا تسمعُ ؟ ألا تَنْهاهن ؟ فقال : وما على نساءِ قريشٍ أن يبكينَ أبا سليمان ؟ ما لم يكن نَقْعٌ ولا لَقْلَقَةٌ . فلما خرج لجنازته رأى عمر امرأة محترفة تبكيه وتقول : [من الخفيف]

أنتَ خيرٌ منْ ألف ألفٍ منَ النا ... سِ إذا ما كُبَّتْ وجُوهُ[٧] الرِّجالِ
أشُجَاعٌ فـأنـتَ أشجعُ مـنْ ليـ ... ـثِ عَريـنٍ جهـم[٨] أبـي أشبالِ
أجَـوادٌ فـأنـتَ أجْـودُ مـنْ سَيْـلٍ ... رئـاسٍ[٩] يَسيـلُ[١٠] بيـن الجبـال

فقال عمر : مَنْ هذه ؟ فقيل له : أمّه . فقال أمُّه ـ والإلّه ـ ثلاثاً . وهل قامت النساء عن مثل خالد .

قال : فكان عمر يَتمثَّل في طيه تلك الثلاث في ليلة وفي قدومه : [من الوافي]

أتبكـي مـا وصلْـتَ بـهِ النـدامـى ... ولا تبكــي فــوارسَ كــالجبــالِ
أولئــكَ إنْ بكيــتَ أشــدُّ فقــداً ... من الإذهابِ والعكرِ[١١] الجلالِ[١٢]

---

(١) في أ : ألفِ ألفِ ألفٍ ، ولا يستقيم الوزن بها .
(٢) الخبر في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٧٠) .
(٣) في أ : ظن عمر أن قد سبله ونصر الناس حج وقد عزم على توليته واشتكى خالد .
(٤) في ط : بعده . وما هنا موافق لتاريخ دمشق .
(٥) في أ : وأطال .
(٦) في أ ، ط : تهم ؛ تحريف وما هنا عن تاريخ دمشق . ومهيم : كلمة استفهام أي ما حالك ؟ وما شأنك ؟ أو ما وراءك ؟ القاموس (مهيم) .
(٧) في أ : إذا ما كنت من وجوه .
(٨) في ط : ضمر بن جهم ، وفي تاريخ دمشق : عرين حميم .
(٩) في ط وتاريخ دمشق : دياس ؛ وما هنا عن مختصر ابن منظور ، وفي اللسان : رأس السيل الغثاء جمعه واحتمله .
(١٠) في أ : من سيل قد سال من الجبال ؛ ولا يستقيم الوزن بها .
(١١) العكر : ما بين الخمسين والمئة من الإبل .
(١٢) البيت في أ : كثير التحريف .

تَمَنّى بعدهم قومٌ مداهم فلمْ يدنوا لأسبابِ الكمالِ

وفي رواية أنَّ عمر قال لأمِّ خالد : أخالداً أو أجره تُرزئين ؟ عزمت عليك أن لا تبيني حتى تسودَّ يداك من الخضاب . وهذا كله[١] يقتضي موته بالمدينة النبوية ، وإليه ذهب دُحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي .

ولكنّ المشهور عن الجمهور وهم الواقدي ، وكاتبه محمد بن سعد ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وإبراهيم بن المنذر ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ، وأبو عبد الله العصفري ، وموسى بن أيوب ، وأبو سليمان بن أبي محمد وغيرهم : أنه مات بحمص سنة إحدى وعشرين . زاد الواقدي : وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقد روى محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وغيره قالوا : قدم خالد المدينة بعدما عزله عمر فاعتمر ثم رجع إلى الشام ، فلم يزل بها حتى مات في سنة إحدى وعشرين . وروى الواقدي أنَّ عمر رأى [بالمدينة قوماً] حجاجاً يصلّون[٢] بمسجد قباء فقال : أين نزلتم بالشام ؟ قالوا : بحمص ، قال : فهل من معرفة خبر ؟ قالوا : نعم مات خالد بن الوليد ، قال : فاسترجع عمر وقال : كان والله سداداً لنحور العدو ، ميمون النقيبة . فقال له علي : فلم عزلته ؟ قال : لبذله المال لذوي الشرف واللسان .

وفي رواية أنَّ عمر قال لعلي : ندمت على ما كانَ منّي . وقال محمد بن سعد[٣] : أخبرنا عبد الله بن الزبير الحميدي ، حدَّثنا سفيان بن عيينة ، حدَّثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمعت قيس بن أبي حازم يقول : لما مات خالد بن الوليد قال عمر : رحم الله أبا سليمان ، لقد كنا نظن به أموراً ما كانت .

وقال جويرية ، عن نافع قال : لما مات خالد لم يوجد له إلا فرسه وغلامه وسلاحه .

وقال القاضي المعافى بن زكريا الجريري : حدَّثنا أحمد بن العباس العسكري ، حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، حدَّثني عبد الرحمن بن حمزة اللّخمي ، حدَّثنا أبو علي الحرْمازي[٤] قال : دخل هشام بن البَخْتري في ناس من بني مخزوم على عمر بن الخطاب فقال له : يا هشام أنشدني شعرَكَ في خالدٍ . فأنشده فقال : قصَّرتَ في الثناء على أبي سليمان رحمه الله ، إنه كان ليحب أن يُذِلَّ الشركَ[٥] وأهلَه ، وإن كان الشامتُ به لمتعرضاً لمقت الله . ثم قال عمر قاتل الله أخا بني تميم ما أشعره ؛ [من الطويل]

وَقُلْ للَّذي يبقَى خِلافَ الذي مضى تَهَيَّأ لأُخرى مثلَها فكأنْ قَدِ

---

(١) في أ : وهذا كله مما يقتضي .
(٢) في أ : يقيلون .
(٣) الطبقات الكبرى (٧/ ٣٩٧) .
(٤) في ط : الحرنازي ؛ تحريف . والتصويب من تاريخ دمشق (١٦/ ٢٧٩) .
(٥) في أ : الشر .

فما عيشُ منْ قد عاش بعدي بنافعي ولا موتُ منْ قد ماتَ يوماً بمخلدي[(١)]

ثم قال عمر : رحم الله أبا سليمان ، ما عند الله خيرٌ له ممّا كان فيه . ولقد مات فقيداً[(٢)] وعاش حميداً ، ولكن رأيت الدهر ليس بقائل[(٣)] .

طُلَيْحَة بن خُوَيْلدِ[(٤)] بن نَوْفَل بن نَضْلَة بن الأَشْتَر بن حَجْوان بن فَقْعس بن طَريف بن عَمرو[(٥)] بن قُعَيْن ابن الحارث بن ثَعْلَبة بن دُودَانَ[(٦)] بن أسَد بن خُزيمة الأَسَدي الفَقْعسي . كان ممن شهد الخندقَ ، من ناحية المشركين . ثم أسلم سنة تسعٍ ، ووفدَ على رسول الله ﷺ إلى المدينة . ثم ارتدَّ بعد وفاة رسول الله ﷺ في أيام الصديق ، وآدّعى النبوةَ ـ كما تقدم ـ وروى ابن عساكر[(٧)] أنه ادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ وأنّ ابنه خيال[(٨)] قدم على رسول الله ﷺ فسأله : « ما آسمُ الذي يأتي إلى أبيك ؟ » فقال : ذو النون الذي لا يكذب ولا يخون ، ولا يكون كما يكون . فقال : « لقد سمَّى مَلَكاً عظيمَ الشأن » . ثم قال لابنه : « قتلكَ الله وحرمك الشهادة » . ورده كما جاء .

فقتل خيال في الردّة في بعض الوقائع ، قتله عُكّاشَة بن مِحْصَن ثم قَتَلَ طُلَيْحة عُكّاشة وله مع المسلمين وقائع . ثم خذله الله على يدي خالد بن الوليد ، وتفرق جنده فهرب حتى دخل الشام فنزل على آل جفنة ، فأقام عندهم حتى مات الصديق حياءً منه .

ثم رجع إلى الإسلام وآعتمر ، ثم جاء يسلِّم[(٩)] على عمر فقال له : آغرب عنّي فإنك قاتلُ الرجلين الصالحين ، عُكَّاشة بن مِحْصن ، وثابت بن أقْرَم ، فقال : يا أمير المؤمنين هما رجلان أكرمهما الله على يدي ولم يهني بأيديهما . فأعجبَ عمرَ كلامُه ورضي عنه . وكتب له بالوصاة إلى الأمراء أن يشاوَرَ ولا يُولَّى شيئاً من الأمر ، ثم عاد إلى الشام مجاهداً فشهدَ اليرموكَ وبعضَ حروبٍ كالقادسية ونهاوند الفرس ، وكان من الشجعان المذكورين ، والأبطال المشهورين ، وقد حَسُنَ إسلامه بعد هذا كله .

---

(١) في تاريخ دمشق : من قد مات بعدي بمخلد . ويروى : ولا موت من قد مات قبلي .

(٢) في ط : سعيداً . وما هنا عن تاريخ دمشق .

(٣) في تاريخ دمشق : ليس بقابل ؛ وفي هامشه إشارة إلى رواية الجليس الصالح : ليس بقاتل .

(٤) ترجمة ـ طليحة بن خويلد ـ في تاريخ خليفة (١٠٢ ـ ١٠٤) والاستيعاب (٢/ ٧٧٣) وتاريخ دمشق ـ ط دار الفكر ـ (٢٥/١٤٩ ـ ١٧٢) وأسد الغابة (٣/ ٩٥) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣١٦ـ ٣١٧) والإصابة (٥/ ٢٤٣) وبدران (٧/ ٩٣ـ١٠٦) .

(٥) في الأصل والمطبوع : عمر ، والتصحيح من كتب الأنساب .

(٦) في أ : بن فضيلة بن الأشتر بن حمران بن بقعس بن طريف بن عمر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن داود . وفي ط : بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمر بن قعير بن الحارث بن ثعلبة بن داود . وما هنا عن مصادره .

(٧) تاريخ دمشق ـ دار الفكر ـ (٢٥/ ١٥٤) .

(٨) في تاريخ دمشق : حبال . وقد ورد مثل هذا الخلاف في اسمه في حروب الردة من هذا الجزء .

(٩) في أ : فسلّم .

وذكره محمد بن سعد[(١)] في الطبقة الرابعة من الصحابة وقال : كان يعد بألف فارس لشدّته وشجاعته وبصره بالحرب[(٢)] .

وقال أبو نصر بن ماكولا : أسلم ثم ٱرتدّ ثم أسلم وَحَسُنَ إسلامُهُ ، وكان يعدل بألفِ فارسٍ .

ومن شعره أيام ردته وادّعائه النبوة في قتل المسلمين أصحابه[(٣)] : [من الطويل]

فما ظنُّكم بالقومِ إذْ تَقْتُلونَهُمْ ... أَلَيْسُوا وإنْ لَمْ يُسْلِموا برجالِ
فإنْ تكُ أذواد أصبن[(٤)] ونسوةً ... فلم يذهبوا فَزَعاً بقتلِ خيالِ
نَصَبْتُ لهم صَدْرَ الحمالةِ إنَّها ... معاودةٌ قِيلَ الكُماةِ نَزالِ
فيوماً تراها في الجلال مَصُونَةً ... (ويوماً تراها غَيْرَ ذاتِ جلالِ)
(ويَوْماً تَراها تُضيءُ المَشْرَفيَّة نَحْوها) ... ويوماً تراها في ظلالِ عوالي
عَشِيَّةَ غادَرتُ ابْنَ أَقْرَم ثاوياً ... وعُكَّاشَةَ الغَنْميّ[(٥)] عندَ مجالِ

وقال سيف بن عمر[(٦)] ، عن مبشر بن الفضيل ، عن جابر بن عبد الله . قال : باللهِ الذي لا إله إلا هو ما اطَّلعنا على أحدٍ من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد ٱتهمنا ثلاثةَ نفرٍ ، فما رأينا كما هجمنا عليهم من أمانتهم وزهدهم : طُلَيْحة بن خُوَيْلد الأسدي ، وعَمْرو بن معدي كرب ، وقيس بن المكشوح .

قال ابن عساكر : ذكر أبو الحسين[(٧)] محمد بن أحمد بن القواس[(٨)] الورّاق أنّ طليحة ٱستشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النُّعمان بن مُقَرِّن ، وعمرو بن معديكرب رضي الله عنهم .

عَمْرو بن مَعْدي كَرِب[(٩)] بن عبد الله بن عَمْرو بن عاصم[(١٠)] بن عمرو بن زُبَيْد الأصغر [وهو مُنَبِّه] بن

(١) لم أجد لطليحة ترجمة في الطبقات وربما كان ضمن الجزء المفقود من الكتاب. والخبر في تاريخ دمشق (١٦/١٤٩).
(٢) في تاريخ دمشق : وصبره بالحرب .
(٣) الأبيات في تاريخ دمشق (٢٥/١٦٦ و١٧٧) بثلاث روايات ، الأوليان في خمسة أبيات والأخيرة في ستة أبيات ترتيبها مختلف عما هنا .
(٤) في أ ، ط : فإن يكن أزواد أصبن . وما هنا عن تاريخ دمشق .
(٥) في ط : العمي ؛ تحريف .
(٦) تاريخ دمشق ـ ط دار الفكر ـ (٢٦/ ١٧٢) .
(٧) كذا في أ ، ط وفي تاريخ دمشق : أبو الحسن .
(٨) في ط : الفراس ؛ تحريف .
(٩) ترجمة ـ عمرو بن معديكرب ـ في الاستيعاب (٣/١٢٠١ ـ ١٢٠٥) وتاريخ دمشق (٤٦/٣٦٣) وأسد الغابة (٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥) والإصابة (٣/ ١٨ ـ ٢١) .
(١٠) كذا في ط ، والاستيعاب وتاريخ دمشق والإصابة . وهي : (خصم) في أ وأسد الغابة ، وهي : (عصم) في مقدمة ديوانه .

ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنبِّه[١] ـ وهو[٢] زُبَيْد الأكبر ـ بن الحارث بن صَعْب[٣] بن سَعْد العشيرة بن مَذْحج الزُّبيدي المَذْحجي أبو ثَوْر : أحد الفرسان المشاهير الأبطال ، والشجعان المذاكير . قدمَ على رسول الله ﷺ سنة تسع[٤] ، وقيل عشر مع وفد مُراد ، وقيل في وفد زُبَيْدٍ قومه . وقد ارتدَّ مع الأسود العَنْسي ، فسار إليه خالد بن سعيد بن العاص ، فقاتله فضربه خالد بن سعيد بالسيف على عاتقه فهرب وقومه ، وقد استلب خالد سيفَه الصمصامةَ ، ثم أُسر ودُفع إلى أبي بكر فأنَّبه وعاتبه وٱستتابه ، (فتاب) وحسُنَ إسلامُه بعد ذلك . فسيَّره إلى الشام ، فشهد اليرموكَ ، ثم أمره عمر بالمسير إلى سعدٍ ، وكتب بالوصاة به ، وأن يشاوَرَ ولا يُولَّى شيئاً ، فنفعَ اللهُ به الإسلامَ وأهلهُ ؛ وأبلى بلاءً حسناً يوم القادسية . وقيل إنه قُتل بها ، وقيل بنِهاوند ، وقيل ماتَ عَطَشاً في بعض القُرى يُقال لها روذة[٥] ، فالله أعلم . وذلك كله في [سنة] إحدى وعشرين ، فقال بعض من رثاه من قومه[٦] [من الطويل]

لَقَدْ غادرَ الرُّكبانَ يومَ تَحَمَّلوا ... بِرُوذةَ شَخْصاً لا جَباناً ولا غَمْرا
فَقُلْ لِزُبَيْدٍ بل لمَذْحِجَ كُلِّها ... رُزِئْتُمْ أبا ثورٍ قَريعَ الوَغى[٧] عَمْرا

وكان عمرو بن معديكرب رضي الله عنه من الشعراء المجيدين ، فمن شعره[٨] : [من الوافر]

أعاذلَ عُدَّتي بَدني ورُمْحي ... وَكُلُّ مُقَلَّصٍ سَلِسِ القِيادِ
أعاذلَ إنَّما أُفْني شَبابي ... إجابتيَ الصَّريخَ إلى المُنادي
معَ الأبْطالِ حتَّى سُلَّ جسمي ... وأقرعَ عاتقي حملُ النِّجادِ
وَيَبْقى بَعْدَ حِلْمِ القَوْمِ حِلْمي[٩] ... وَيَفْنى قَبْلَ زادِ القَوْمِ زادي
تَمَنَّى أن يلاقيني قييسٌ ... وَددتُ وأيْنَما منّي وِدادي

---

(١) في ط والإصابة : ابن شيبة .
(٢) في أ والاستيعاب : بن زبيد .
(٣) في ط والإصابة : ضعف .
(٤) في أ : سبع ؛ تحريف .
(٥) روذة : قرية بالرّي ، قال ياقوت : « قالوا : وبها مات عمرو بن معديكرب منصرفاً عن الري ودفن في موضع يقال له كرمانشاه » . معجم البلدان (٣/ ٧٨) .
(٦) الأبيات في الاستيعاب وتاريخ دمشق وتاريخ دمشق وأسد الغابة والإصابة ، وأوردهما محقق ديوانه ثلاثة في مقدمته (ص٣١) .
(٧) في أ ، والاستيعاب وتاريخ دمشق وتاريخ دمشق وأسد الغابة : قريعكم . وفي مقدمة ديوانه : سنانكم .
(٨) الأبيات في ديوانه (ص١٠٦ ـ ١٠٧) وقد أورد المحقق حفظه الله روايات مختلفة من مصادر مختلفة ، ولم أجد ضرورة لإثبات هذه الخلافات لسهولة العودة إلى ديوانه .
(٩) في أ : حكم القوم حكمي .

فَمـنْ ذا عـاذري مـن ذي سَفَـاهٍ يـرودُ بنفسـهِ شـرَّ المَـرَادِ[١]
أُريـدُ حيـاتَـهُ ويُـريـدُ قتلـي عَـذِيـرك مـنْ خليلـكَ مـنْ مُـراد

له حديث واحد في التلبية رواه شراحيل بن القعقاع عنه ، قال : كُنَّا نقولُ في الجاهلية إذا لَبَّيْنا[٢] :

[من الرجز]

لَبَّيْـكَ تعظيمـاً إليـكَ عُـذْرا هـذي زُبيـدٌ قـدْ أتَتْـكَ قَسْـرا
يعـدو بهـا مُضمَّـراتٌ شُـزراً تَقْطعـن خَبْنـاً وجبـالاً وَعْـرا
قد تركوا الأوثان خِلْواً صِفرا

قال عمرو : فنحنُ نقولُ الآن ، ولله الحمد ، كما علَّمنا رسولُ الله ﷺ : لبّيك اللهم لبّيك ، لبّيك لا شريك لك لبّيك ، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لكَ والملك ، لا شريك لك .

العلاء بن الحَضْرميّ[٣] أميرُ البحرين لرسول الله ﷺ ، وأقرَّه عليها أبو بكر ثم عمر . تقدّم أنه تُوفي سنة أربع عشرة . ومنهم منْ يقول : إنّه تأخَّر إلى سنة إحدى وعشرين ، وعزله عمر عن البَحْرين وولّى مكانه أبا هريرة . وأمره عمر على الكوفة ، فمات قبل أن يصل إليها منصرفَهُ من الحجِّ . كما قدَّمنا ذلك والله أعلم . وقد ذكرنا في دلائل النبوة قصته في سيره بجيشه على وجه الماء وما جرى له من خرق العادات ولله الحمد .

النُّعْمان بن مُقَرِّن بن عائذ المُزَني[٤] أمير وقعة نهاوند ، صحابيّ جليل . قدم مع قومه من مُزَيْنة في أربعمئة راكب ، ثم سكن البصرة ، وبعثه الفاروقُ أميراً على الجنود إلى نِهاوند ، ففتحَ اللهُ على يديه فتحاً عظيماً . ومكّن الله له في تلك البلاد ، ومكّنه من رقاب أولئك العباد ، ومكّن به للمسلمين هنالك إلى يوم التَّناد ، ومنحه النصر في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وأتاح[٥] له بعدما أراه ما أحبَّ شهادةً عظيمةً وذلك غايةُ المراد ، فكان ممَّن قال الله تعالى في حقّه في كتابه المبين وهو صراطه المستقيم : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

---

(١) في ط : مني المرادي .
(٢) الأبيات في الاستيعاب (٣/١٢٠٣) وأسد الغابة (٤/ ٢٧٤) والإصابة (٣/ ١٩) .
(٣) ترجمة ـ العلاء بن الحضرمي ـ في الاستيعاب (٢/ ١٠٨٥) وجامع الأصول (١٤/ ٥٣٦) وأسد الغابة (٤/ ٧٤ ـ ٧٥) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) والإصابة (٢/ ٤٩٧) .
(٤) ترجمة ـ النعمان بن مقرّن ـ في تاريخ خليفة (ص١٤٩) والاستيعاب (٣/ ١٥٠٥) وجامع الأصول (١/ ٤١١) وأسد الغابة (٥/ ٣٤٢) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٦) ، وفي جامع الأصول : مُقَرِّن : بضم الميم ، وفتح القاف ، وتشديد الراء المكسورة وبالنون . وفي أ : النعمان بن مقرن المزني ، بحذف لفظة : عائذ . وفي تقريب التهذيب (٥٦٤) : ووهم من زعم أنه النعمان بن عمرو بن مقرن ؛ فذاك آخر وهو ابن أخي هذا وهو تابعي .
(٥) في أ : وأباح .

فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

ثم دخلت سنة اثنتين[١] وعشرين

وفيها كانت فتوحات كثيرة منها[٢] : فتح هَمَذان ثانية ثم الرَّيّ وما بعدها ثم أذْرَبِيجان

قال الواقدي وأبو معشر : كانت في سنة اثنتين وعشرين . وقال سيف : كانت في سنة ثماني عشرة بعد فتح هَمَذان والرَّيّ وجُرْجان . وأبو معشر يقول بأنّ أذْرَبيجان كانت بعد هذه البلدان ، ولكن عنده أنّ الجميع كان في هذه السنة[٣] . وعند الواقدي أنَّ فتحَ هَمَذان والرَّيّ في سنة ثلاثٍ وعشرين ، فَهَمذان افتتحها المُغيرة بعد مقتل عُمر بستةِ أشهرٍ ، قال : ويقال كان فتح الرَّيّ قبلَ وفاة عمر بسنتين ، إلا أنَّ الواقديَّ وأبا معشر متفقان على أن أذْرَبيجانَ في هذه السنة ، وتبعهما ابن جرير[٤] وغيره .

وكان السبب في ذلك أنّ المسلمين لما فرغوا من نهاوند وما وقع من الحرب المتقدم ، فتحوا[٥] حُلوان وهَمَذَان بعد ذلك . ثم إنَّ أهلَ هَمَذان نقضوا عهدهم[٦] الذي صالحهم عليه القعقاعُ بن عمرو ، فكتب عمر إلى نُعَيْم بن مُقَرِّن أن يسير إلى هَمَذان ، وأن يجعل على مقدِّمته أخاه سُوَيْد بن مقرِّن ، وعلى مَجْنَبَتَيْه رِبْعي بن عامر الطّائي ، ومُهلهل بن زيد التَّميمي . فسار حتى نزل على ثَنِيَّة العَسَل ، ثم تحدَّر على هَمَذان ، واستولى على بلادها ؛ وحاصرها ، فسألوه الصلحَ فصالحهم ودخلها ، فبينما هو فيها ومعه اثنا[٧] عشر ألفاً من المسلمين إذ تكاتب[٨] الروم والديلم وأهل الرَّي وأهل أذْرَبيجان ، واْجتمعوا على حرب نُعَيْم بن مُقَرِّن في جمعٍ كثير ، فعلى الديلم ملكهم واسمه موتا[٩] ، وعلى أهل الري أبو الفَرُّخان وعلى أذربيجان إسْفَنْدياذ أخو رستم ، فخرج إليهم بمنْ مَعهُ من المسلمين ، حتى التَقَوْا بمكانٍ يقال له واج

(١) في أ : ثنتين .
(٢) مكان اللفظة في أ : فيما ذكره ابن جرير وغيره في هذا الشأن .
(٣) بعدها في أ : وتبعهما .
(٤) جملة هذه الأقوال في تاريخ الطبري (٤/١٤٦) .
(٥) في أ : فتح .
(٦) في أ : عهودهم .
(٧) في أ ، ط : اثني . وما هنا موافق للسياق .
(٨) في ط : تكاتف . وما هنا عن الطبري .
(٩) في أ : موتى .

الرُّوذ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تكُ دونها ، فقتلوا من المشركين جمعاً كثيراً ، وجماً غفيراً لا يُحصَوْن كَثْرَةً ، وقتل ملك الديلم موتاوتمزَّق شملُهم ، وانهزموا بأجمعهم ، بعد من قتل بالمعركة منهم . فكان نُعَيْم بن مُقَرِّن أولَ من قاتل الديلم من المسلمين .

وقد كان نُعيم كتب إلى عمر يعلمه بٱجتماعهم فهمَّه ذلك واغتمَّ له . فلم يفجأه إلَّا البريد بالبشارة فحمد الله وأثنى عليه ، وأمر بالكتاب فقُرِىء على الناس ، ففرحوا وحمدوا الله عزَّ وجلَّ . ثم قدم عليه بالأخماس ثلاثةٌ من الأمراء وهم سِمَاك بن خَرَشَة ، ويعرف بأبي دُجانة ، وسِماك بن عُبَيد ، وسِماك بن مَخْرَمة . فلما ٱستسماهم عمر قال[1] : اللهم أسمكْ بهمُ الإسلام ، وأمدَّ بهم الإسلام ، ثم كتب إلى نُعيم بن مُقَرِّن بأن يستخلف على همذان ويسير إلى الري فٱمتثل نُعيم . وقد قال نعيم في هذه الوقعة[2] :

[من الطويل]

وَلَمّـا أتـانـي أنَّ مـوتـا وَرَهْطَـهُ ... بَني باسلٍ جَرُّوا جُنود الأعـاجـمِ
نَهَضْتُ إلَيْهِمْ بالجُنودِ مُسامِياً ... لأمْنَع منْهُمْ ذِمَّتي بالقَواصِمِ[3]
فَجِئْنا إلَيْهِم بالحَديدِ كَأنَّنا ... جِبالٌ تَراءَى مِنْ فُروعِ القَلاسِمِ
فَلَمّا لَقيناهُم بها مُسْتَفيضةً ... وَقَدْ جَعَلُوا يَسْمُونَ فعلَ المُساهِمِ
صَدَمْناهُمُ في واجِ رُوذ بِجَمْعِنا ... غَداةَ رَمَيْناهُمْ بإحْدَى العَظائِمِ
فَمَا صبَرُوا في حَوْمةِ المَوْتِ ساعَةً ... لِحَدِّ[4] الرِّماحِ والسُّيوفِ الصَّوارِمِ
كأنَّهُمُ عِنْدَ انْبثاثٍ[5] جُمُوعِهِمْ ... جِدارٌ تَشَظَّى لَبْنُهُ للهوادمِ
أصَبْنا بها موتا[6] ومنْ لَفَّ جَمْعَهُ ... وفيها نهابٌ قَسْمُهُ[7] غَيْرُ عاتِمِ
تَبِعْناهُمُ حَتّى أوَوْا في شِعابِهِمْ ... فَنَقْتُلُهمْ[8] قَتْلَ الكِلابِ الجَواحِمِ[9]

---

(١) في أ : قال عمر .
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/١٤٩) وأورد ياقوت خمسة منها وهي : ١ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ في معجم البلدان (واج ، روذ) .
(٣) القواصم : جمع قاصمة ، وقاصمة الظهر : البلية والمصيبة . أساس البلاغة (قصم) .
(٤) في معجم البلدان : بحد الرماح .
(٥) بثّه فانبثّ : فرّقه فتفرّق ونَشَره ، وكذلك بَثَّ الخيلَ في الغارة يبثُّها بثّاً فانبثت . اللسان (بثث) .
(٦) في معجم البلدان : أصبنابها موثا ومن لفَّ لفَّه .
(٧) في معجم البلدن : قسمها غير غانم .
(٨) في تاريخ الطبري : نُقَتِّلهم .
(٩) الجواحم جمع جاحم : وهو المصاب بداء يكون منه بين عينيه . اللسان (جحم) .

كَـــأنَّهُـــمُ فـــي واجِ رُوذَ وَجَـــوِّهِ ضَئينٌ[١] أَصَابَتْها[٢] فُروجُ المَخَارِمِ[٣]

فتح الرَّيّ

ٱستخلف نُعَيْم بن مُقَرِّن على هَمَذان يزيدَ بن قَيْس الهَمْدَاني وسار بالجيوش حتى لحق بالرَّيّ ، فلقي هناك جمعاً كثيراً من المشركين[٤] ، فاقتتلوا عند سفح جبل الرَّيّ فصبروا صبراً عظيماً ثم ٱنهزموا ، فقَتَلَ منهم نُعيم[٥] بن مُقَرّن مقتلةً عظيمةً بحيث عُدُّوا بالقصب فيها ، وغنموا منهم غنيمة عظيمة قريباً مما غنم المسلمون[٦] من المدائن . وصالح أبو الفَرُّخان على الرَّيّ ، وكتب له أماناً[٧] بذلك ، ثم كتب نُعَيْم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس ، ولله الحمد والمنة .

فتح قُومِس

ولما ورد البشيرُ بفتح الرَّيّ وأخماسها كتب عمر إلى نُعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سُوَيد بن مُقَرّن إلى قُومِس . فسار إليها سُوَيْد ، فلم يقم له شيء حتى أخذها سلماً وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان[٨] (وصلح) .

فتح جُرْجان

لما عسكر سُوَيْد بقُومس بعث إليه أهلُ بلدانٍ شتَّى منها جُرجان وطبرستان وغيرُها يسألونه الصلحَ على الجزية ، فصالحَ الجميعَ وكتبَ لأهل كلِّ بلدةٍ كتابَ أمانٍ وصلحٍ . وحكى المدائني أن جُرجان فُتحت في سنة ثلاثين أيّام عثمان ، فالله أعلم .

وهذا فتح أَذْرَبيجان

لما افتتح نُعَيْم بن مُقَرِّن همذان ثم الرَّيَّ ، وكان قد بعث بين يديه بُكَيْر بن عبد الله من هَمَذان إلى

---

(١) الضَّئين والضِّئين اسمان لجمع الضأن . اللسان (ضأن) .
(٢) في معجم البلدان : وجره * ضئين أغانتها .
(٣) البيت الأخير ساقط من أ .
(٤) في أ : جمعاً من المشركين عظيماً .
(٥) في ط : النعمان ؛ وهو تحريف .
(٦) في أ : مقتلة عظيمة قريباً مما غنموا المسلمون من المدائن .
(٧) كتاب الأمان هذا في تاريخ الطبري (٤/ ١٥١) .
(٨) نص الكتاب في تاريخ الطبري (٤/ ١٥٢) .

أذْرَبيجان وأردفه بسِماك بن خَرَشَة ، فلقي إسفَنْدياذ بن الفرخزاذ بُكَيْراً وأصحابه ، قبل أن يقدم عليهم سِماك ، فاقتتلوا فهزم الله المشركين ، وأسر بُكَيْر إسفَنْدِياذ ، فقال له إسْفَندياذ : الصلحُ أحبُّ إليكَ أم الحربُ ؟ فقال : بل الصلحُ . قال : فأمسكني عندك . فأمسكه ثم جعل يفتحُ بلداً بلداً وعتبة بن فَرْقَد أيضاً يفتحُ معه بلداً بلداً في مقابلته من الجانب الآخر . ثم جاء كتاب عمر بأن يتقدَّم بُكَيْر إلى الباب وجعل سِماك [بن خَرَشَة] موضعه نائباً لعُتبة بن فرقد ، وجمع عمر أذربيجان كلها لعُتبة بن فرقد ، وسلَّم إليه بُكَير إسْفَنْدياذ ، وسار كما أمره عمر إلى الباب . قالوا : وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاذ لعتبة بن فرقد ، فهزمه عتبة وهرب بهرام فلما بلغ ذلك إسفندياذ وهو في الأسر عند بُكير قال : الآن تمَّ الصلح (وطفئت الحرب . فصالحه فأجاب إلى ذلك كلهم) . وعادت أذربيجان سلماً ، وكتب بذلك عُتبة وبُكير إلى عمر . وبعثوا بالأخماس إليه ، وكتب عتبة حين انتهت إمرة أذربيجان لأهلها كتابَ أمانٍ وصلحٍ[١] .

فتح الباب[٢]

قال ابن جرير[٣] : وزعم سيف أنه كان في هذه السنة كتب عمر بن الخطاب كتاباً بالإمرة على هذه الغزوة لسُراقة بن عمرو ـ المُلقَّب بذي النور[٤] ـ وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ، ويقال له ـ ذو النور أيضاً ـ وجعل على إحدى المَجْنَبتين حُذيْفَة بن أَسِيد ، وعلى الأخرى بُكَيْر بن عبد الله اللّيثي ـ وكان قد تقدمهم إلى الباب ـ وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة . فساروا كما أمرهم عمر ، وعلى تعبئته ، فلمَّا انتهى مقدِّم العساكر ـ وهو عبد الرحمن بن ربيعة ـ إلى الملك الذي هناك عند الباب وهو شهربراز ملك أرْمينية وهو من بيت الملك الذي قتل بني إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان . فكتب شهربراز لعبد الرحمن واستأمنه فأمَّنه عبد الرحمن بن ربيعة ، فقدم عليه الملك ، فأنهى إليه أنّ صَغْوَه[٥] إلى المسلمين ، وأنه مناصحٌ للمسلمين . فقال له : إنَّ فوقي رجلاً فاذهب إليه . فبعثه إلى سُراقة بن عمرو أمير الجيش ، فسأل من سراقة الأمانَ ، فكتب إلى عمر فأجاز ما أعطاه من الأمان ، واستحسنه ، فكتب له سراقة كتاباً بذلك . ثم بعث سُراقة بُكيراً . وحبيب بن مسلمة ، وحُذَيْفة بن أُسيد ، وسلمان بن ربيعة ، إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرْمينية جبال اللان وتَفْليس وموقان ، فافتتح بُكير موقان ، وكتب لهم كتاب أمان ومات في غضون ذلك أميرُ المسلمين هنالك ، وهو سُراقة بن عمرو ، واستُخلف بعده عبد الرحمن ابن ربيعة ، فلما بلغ عمر ذلك أقره على ذلك وأمره بغزو الترك .

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١٥٥) .

(٢) المقصود به باب الأبواب : وهو الدَّربند دربند شروان ؛ مدينة كبيرة على ساحل بحر طبرستان ـ الخزر ـ ربما أصاب ماء البحر حائطها ، وفي وسطها مرسى السفن . معجم البلدان (١/ ٣٠٣ـ٣٠٦) .

(٣) في تاريخه (٤/ ١٥٥) .

(٤) في أ : ومعجم البلدان : النون ـ وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ١٥٥) والكامل لابن الأثير (٣/ ٢٨) .

(٥) صغوه : ميله . اللسان (صغو) .

أول غزو الترك

وهو تصديق الحديث المُتقدم الثابت في الصحيح[١] عن أبي هريرة وعمرو بن تغلب[٢] ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا قوماً عِرَاض الوجوه ، ذُلْفَ[٣] الأنوف ، حمرَ الوجوه ، كأنه وجوهَهم المَجانُّ[٤] المُطَرَّقَةُ » وفي رواية « يَنْتَعِلون[٥] الشَّعَر » .

لما جاء كتابُ عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو التركَ[٦] ، سار حتى قطع البابَ قاصداً لما أمره عمر ، فقال له شهربراز : أين تريدُ ؟ قال : أريدُ ملك الترك بلنجر ، فقال له شهربراز : إنّا لنرضى منهم بالموادعة ، ونحن من وراء الباب . فقال له عبد الرحمن : إن الله بعث إلينا رسولاً ، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر ، ونحن لا نزال منصورين ، فقاتل الترك وسار في بلاد بلنجر مئتي فرسخ ، وغزا مرات متعددة . ثم كانت له وقائع هائلة في زمن عثمان كما سنورده (في موضعه) إن شاء الله تعالى .

وقال سيف بن عمر ، عن الغصن بن القاسم ، عن رجل ، عن سلمان بن ربيعة[٧] . قال : لمّا دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة بلادَهم حال الله بين الترك والخروج عليه ، وقالوا : ما ٱجترأ علينا هذا الرجلُ إلا ومعهم الملائكة تمنعُهم من الموت . فَتَحصَّنوا منه وهربوا بالغُنْم (والظَّفر) . ثم إنّه غزاهم غزواتٍ في زمن عثمان فظفر بهم ، كما كان يظفر بغيرهم . فلمّا ولّى عثمان على الكوفة بعضَ من كان ارتدّ غزاهم ، فتذامرت التركُ وقال بعضهم لبعض : إنّهم لا يموتون ، (قال : انظروا ، وفعلوا) فٱختفوا لهم في الغياض فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين على غِرَّةٍ فقتله وهرب عنه (أصحابه) ، فخرجوا على المسلمين بعد ذلك حتى عرفوا أنّ المسلمين يموتون ، فٱقتتلوا قتالاً شديداً ، ونادى منادٍ من الجو : صبراً آل[٨] عبد الرحمن وموعدكم الجنَّة ، فقاتل عبدُ الرحمن حتى قُتل ، وٱنكشف الناس ، وأخذ الراية

---

(١) صحيح البخاري رقم (٢٩٢٨) في الجهاد عن أبي هريرة . ورقم (٢٩٢٧) في الجهاد عن عمرو بن تغلب .

(٢) في أ : ثعلب ؛ تحريف .

(٣) ذُلف الأنوف أي صغارها ـ فتح الباري (٦/ ١٠٤) ـ وقال ابن الأثير في النهاية (٢/ ١٦٥) : الذَّلَفُ ـ بالتحريك ـ قصر الأنف وانبطاحه وقيل ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته ، والذُّلْف ـ بسكون اللام ـ جمع أذلف كأحمر وحمر .

(٤) المجانّ : جمع مجنّ وهو الترس والمُطرَّقَة التي ألبست الأطرقة من الجلود وهي الأغشية . فتح الباري (٦/١٠٤) .

(٥) في أ ، ط : يبتلعون ؛ تحريف .

(٦) في أ : بأن يقطع النهر بأن يغزو الترك .

(٧) في أ : قال سيف بن عمر عن القبض بن القاسم عن حرحان قال ؛ خطأ . وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ١٥٨ ـ ١٥٩) .

(٨) في أ : صبراً لله عبد الرحمن . وما هنا موافق للطبري .

سلمانُ بن ربيعة ، فقاتل بها ، ونادى المنادي من الجو : صبراً آل سلمان بن ربيعة ، فقاتل قتالاً شديداً ثم تحيّز سلمان وأبو هريرة بالمسلمين ، وفروا من كثرة الترك ورميهم الشديد السديد على جِيلان فقطعوها إلى جُرْجان ، وٱجترأت الترك بعدها ، ومع هذا أخذت التركُ عبد الرحمن بن ربيعة فدفنوه في بلادهم ، فهم يستسقون بقبره إلى اليوم . سيأتي تفصيل ذلك كله .

قصة السدّ

ذكر ابن جرير[١] بسنده أنَّ شهربراز قال لعبد الرحمن بن ربيعة لمّا قدم عليه حين وصل إلى الباب ، وأراه رجلاً ، فقال شهربراز : أيُّها الأميرُ إنّ هذا الرجلُ كنتُ بعثته نحو السدّ ، وزودته مالاً جزيلاً وكتبتُ له إلى الملوك الذين يلوني[٢] ، وبعثتُ لهم هدايا ، وسألتُ منهم أن يكتبوا له إلى منْ يليهم من الملوك حتى ينتهي إلى سدِّ ذي القرنين ، فينظر إليه ويأتينا بخبره . فسار حتى ٱنتهى إلى الملك الذي السَّد في أرضه ، فبعثه إلى عامله مما يلي السدّ ، فبعث معه بازياره[٣] ومعه عقابه ، فلما انتهَوا إلى السدّ إذا جبلان بينهما سدٌّ مسدودٌ ، حتى ٱرتفع على الجبلين ، وإذا دون السدّ خندقٌ أشدُّ سواداً من الليل لبعده ، فنظر إلى ذلك كله وتفرَّس فيه ، ثم لمّا همّ بالانصراف قال له البازيارُ على رِسْلكَ ، ثم شرح بضعة لحم معه فألقاها في ذلك الهواء[٤] ، وٱنقضَّ عليها العقاب . فقال : إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء[٥] ، وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء . قال : فلم تدركها حتى وقعت في أسفله وأتبعها العقاب فأخرجها فإذا فيها ياقوتة (وهي هذه) . ثم ناولها الملك شهربراز لعبد الرحمن بن ربيعة ، فنظر إليها عبد الرحمن ثم ردَّها إليه ، فلمّا ردّها إليه فرح وقال : واللهِ لهذه خيرٌ من مملكة هذه المدينة ـ يعني مدينة باب الأبواب التي هو فيها ـ ووالله لأنتم أحبُّ إليَّ اليومَ من مملكة آل كسرى ، ولو كنت في سلطانهم وبلغهم[٦] خبرها لانتزعوها (مني) ، وايم الله لا يقوم لكم شيءٌ ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر ، ثم أقبل عبد الرحمن بن ربيعة على الرسول الذي ذهب على السدّ فقال : ما حالُ هذا الردم ؟ ـ يعني ما صفته ـ فأشار إلى ثوب في زرقةٍ وحمرةٍ فقال : مثل هذا . فقال رجل لعبد الرحمن : صدق والله لقد نفذ ورأى . (فقال : أجل) وصف صفة الحديد والصُّفْر : قال الله تعالى : ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف : ٩٦] .

---

(١) في تاريخه (٤/١٥٩) .
(٢) في ط : الملوك يولوني . وما هنا عن أ وهو قريب مما عند الطبري .
(٣) البَيْزار الذي يحمل البازي ، ويقال له البازيار ، وكلاهما دخيل والبيازرة جمعه . اللسان (بزر) .
(٤) في أ : الوادي .
(٥) في أ : إن أدركها في الهوي فلا شيء وإن لم تدركها تقع فذاك قال .
(٦) في أ : ثم بلغهم .

وقد ذكرت صفة السدّ في التفسير ، وفي أوائل هذا الكتاب .

وقد ذكر البخاري في صحيحه[١] تعليقاً أنّ رجلاً قال للنبي ﷺ رأيت السدَّ . فقال : « كيف رأيته » ؟ قال : مثل البُرْدِ المُحَبرِ . [« قال : قد][٢] رأيته » .

قالوا : ثم قال عبد الرحمن بن ربيعة لشهربراز : كم كانت هديتك ؟ قال : قيمة مئة ألف في بلادي وثلاثة آلاف ألف في تلك البلدان .

بقية من خبر السد

أوردَ شيخُنا أبو عبد الله الذَّهبي[٣] الحافظ في هذه السنة ما ذكره صاحبُ كتاب « مسالك الممالك » عمّا أملاه عليه سلامٌ الترجمان ، حين بعثه الواثق بأمرالله بن المعتصم ـ وكان قد رأى في النوم كأنَّ السدَّ قد فُتح ـ فأرسل سلاماً هذا[٤] وكتب له إلى الملوك بالوصاة به ، وبعث معه ألفَيْ بغلٍ تحملُ طعاماً فساروا بين سامراء إلى إسحاق بتَفْليس ، فكتب لهم إلى صاحب السرير ، وكتب لهم صاحب السرير إلى ملك اللان ، فكتب لهم إلى قبلان شاه ، فكتب لهم إلى ملك الخزر ، فوجّه معه خمسة أَدلَّاء[٥] فساروا ستة وعشرين يوماً . انتهوا إلى أرضٍ سوداءَ منتنةٍ حتى جعلوا يَشمُّون[٦] الخَلَّ ، فساروا فيها عشرةَ أيامٍ ، فأنتهوا إلى مدائن خرابٍ مدة سبعة وعشرين يوماً ، وهي التي كانت يأجوج ومأجوج تطرقها فخربت من ذلك الحين ، وإلى الآن ، ثم أنتهوا إلى حصنٍ[٧] قريب من السَّدِّ فوجدوا قوماً يعرفون بالعربية وبالفارسية ويحفظون القرآن ، ولهم مكاتب ومساجد ، فجعلوا يعجبون منهم ويسألونهم من أين أقبلوا ، فذكروا لهم أنَّهم من جهة أمير المؤمنين (الواثق) فلم يعرفوه بالكلّية . ثم أنتهوا إلى جبلٍ أملسَ ليس عليه خضراء[٨] وإذا السدُّ هنالكَ من لِبْنِ حديد مغيب في نحاس ، وهو مرتفعٌ جداً لا يكادُ البصرُ ينتهي إليه ، وله شرفاتٌ من حديدٍ ، وفي وسطه بابٌ عظيمٌ بمصراعين مغلقين ، عرضُهما مئة ذراع ، في طول مئة ذراع في ثخانة خمسة أذرع ، وعليه قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع ـ وذكر أشياء كثيرة ـ وعند ذلك المكان حرسٌ

---

(١) صحيح الإمام البخاري معلقاً ـ فتح الباري ـ (٦/٣٨١ عقيب ٣٣٤٥) قال الحافظ : وصله ابن أبي عمر ، والطبراني .

(٢) ما بين معقوفين ساقط من أ ، ط .

(٣) في تاريخ الإسلام (٢/٤٧ ـ ٤٩) . ط المقدسي .

(٤) في أ : فأرسل غلاماً .

(٥) في ط : أولاد ؛ تحريف . وفي أ : أدلاء فساروا من سامراء إلى إسحاق فساروا في ستة وعشرين .

(٦) في أ : يشتمون .

(٧) في أ : حصون .

(٨) في أ : ليس عليه خضراً .

يضربون عند القُفل في كلّ يومٍ فيسمعون بعد ذلك صوتاً عظيماً مزعجاً [فيعلمون] أنَّ وراءَ هذا الباب حرساً[١] وحفظة ، وقريب من هذا الباب حصنان عظيمان بينهما عين ماءٍ عذبة ، وفي إحداهما بقايا العمارة من مغارف ولِبْنٍ من حديد وغير ذلك ، وإذا طول اللبنة ذراع ونصف في مثله . في سمك شبر . وذكروا أنهم سألوا أهل تلك البلاد هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج فأخبروهم أنهم رأوا منهم يوماً أشخاصاً فوق الشرفات ، فهبت الريح فألقتهم إليهم ، فإذا طول الرجل منهم شبرٌ أو نصفُ شبر والله أعلم .

قال الواقدي[٢] : وفي هذه السنة غزا معاوية الصائفةَ ، من بلاد الروم ، وكان معه حمادٌ والصحابة فسار وغنمَ ورجعَ سالماً .

وفيها ولد يزيد بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان .

وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب وكان عماله فيها على البلاد ، هم الذين كانوا في السنة (قبلها) .

وذكر أنّ عمر عزل عماراً في هذه السنة عن الكوفة اشتكاه أهلها وقالوا : لا يحسن السياسة ، فعزله وولّى أبا موسى الأشعري ، فقال أهل الكوفة : لا نريده ، وشكوا من غلامه فقال : دعوني حتى أنظر في أمري ، وذهب إلى طائفة من المسجد ليفكّر من يولّي . فنام من الهمّ فجاءه المغيرة فجعل يحرسه حتى استيقظ فقال (له) : إنّ هذا الأمر عظيم يا أمير المؤمنين ، الذي بلغ بك هذا . قال : وكيف [لا] وأهل الكوفة مئة ألف لا يرضون عن أميرٍ ، ولا يرضى عنهم أمير . ثم جمع الصحابة وٱستشارهم ، هل يولّي عليهم قوياً مشدّداً أو ضعيفاً مسلماً ؟ فقال له المغيرة بن شعبة : (يا أمير المؤمنين) ، إنّ القويَّ قوته لك وللمسلمين وتشديده لنفسه ، وأما الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وإسلامه لنفسه . فقال عمر للمغيرة ـ وٱستحسن ما قال (له) ـ : ٱذهب فقد وليّتك الكوفة . فردَّه إليها بعد ما كان عزله عنها بسبب ما كان شهد عليه الذين تقدّم حدهم بسبب قذفه ، والعلم عند الله عزَّ وجلَّ . وبعث أبا موسى الأشعري إلى البصرة (فقيل لعمار : أساءك العزل ؟ فقال : والله ما سرتني الولاية ، ولقد ساءني العزل . وفي رواية أنّ الذي سأله عن ذلك عمر رضي الله عنه) ثم أراد عمر أن يبعثَ سعدَ بن أبي وقاص على الكوفة بدلَ المُغيرة فعاجلته المنيةُ في سنة ثلاثٍ وعشرين على ما سيأتي بيانه ، ولهذا أوصى لسعدٍ به .

قال الواقدي : وفي هذه السنة غزا الأحنفُ بن قيس بلادَ خراسان ، وقصد البلد الذي فيه يَزْدجردُ ملكُ الفرس . قال ابن جرير[٣] : وزعم سيفٌ أنّ هذا كان في سنة ثماني عشرة . قلت : والأول هو المشهور ، والله أعلم .

---

(١) في أ ، ط : حرس . وما هنا للسياق .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١٦٠) والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٨) .
(٣) في تاريخه (٤/ ١٦٦) .

قصة يزدجرد بن شهريار بن كسرى
[الذي كان ملك الفُرس]

لما ٱستلب سعدٌ من يديه مدينة ملكِهِ ، ودارَ مقرّه ، وإيوانَ سلطانِه ، وبساطَ مشورتِه وحواصله ، تحوّل من هناك إلى حُلوان ، ثم جاء المسلمون ليحاصروا حلوان فتحوّل إلى الري ، وأخذ المسلمون حلوان ثمَّ أُخذت الريّ ، فتحوّل منها إلى أصبهان ، فأخذت أصبهان فسار إلى كِرمان فقصد المسلمون كِرمان فٱفتتحوها : فٱنتقل إلى خراسان فنزلها ، هذا كلُّه والنارُ التي يعبدُها من دون الله يسير بها معه من بلد إلى بلد ، ويبني لها في كل بيت توقد فيهم على عادتهم ، وهو يُحمل في اللَّيل في مسيره إلى هذه البلدان على بعيرٍ عليه هودجٌ ينامُ فيه . فبينما هو ذاتَ ليلةٍ في هودجه وهو نائمٌ فيه ، إذ مرّوا به على مخاضة فأرادوا أن ينبّهوه قبلها لئلا ينزعجَ إذا ٱستيقظ في المخاضة ، فلما أيقظوه تغضّب عليهم شديداً وشتَمهم ، وقال : حرمتموني أن أعلم مدةَ بقاء هؤلاء في هذه البلاد وغيرها ، إني رأيتُ في منامي هذا أنّي ومحمداً [تناجينا] عند الله ، فقال له : ملككم مئة سنة ، فقال : زدني . فقال : عشراً ومئة ، فقال : زدني فقال : عشرين ومئة سنة . فقال : زدني فقال : لك . وأنبهتموني ، فلو تركتموني لعلمت مدة هذه الأمة .

[غزو المسلمين بلاد]
خراسان مع الأحنف بن قيس

وذلك أنّ الأحنفَ بن قيسٍ هو الذي أشار على عمر بأن يتوسَّع المسلمون[١] بالفتوحات في بلاد العجم ، ويضيِّقوا على كسرى يزدجرد ، فإنّه هو الذي يستحثّ الفرسَ والجنودَ على قتال المسلمين . فأذنَ عمرُ بن الخطاب في ذلك عن رأيه ، وأمَّرَ الأحنفَ ، وأمَرَهُ بغزو بلاد خراسان . فركب الأحنف في جيشٍ كثيفٍ إلى خراسان قاصداً حرب يَزْدجردَ . فدخل خراسان فافتتح هراةَ عنوةً وٱستخلف عليها صُحار بن فُلان العَبْدي ، ثم سار إلى مرو الشَّاهْجان وفيها يَزْدجردُ ، وبعث الأحنفُ بين يديه مطرّف بن عبد الله بن الشخِّير إلى نيسابور ، والحارث بن حسان إلى سرخس . ولما[٢] ٱقترب الأحنف من مرو الشاهجان ، ترحل منها يزدجرد إلى مرو الرَّوْذ (فٱفتتح الأحنف مرو الشاهجان فنزلها . وكتب يزدجرد حين نزل مرو الروذ) إلى خاقان ملك الترك يستمده وكتب إلى (ملك) الصُّغد [يستمده ، وكتب إلى ملك الصين][٣] يستعينه . وقصده الأحنف بن قيس إلى مَرْو الرَّوْذِ وقد ٱستخلف على مَرْو الشّاهْجَان

---

(١) في أ : المسلمين ؛ خطأ .
(٢) في أ : فلما .
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من أ ، ط واستدرك من تاريخ الطبري (٤/ ١٦٧) .

حارثة[١] بن النُّعمان ، وقد وفدت إلى الأحنف أمدادٌ من أهل الكوفة مع أربعة أمراء ، فلمّا بلغ مسيره إلى يزدجرد (ترحل إلى بلخ ، فٱلتقى معه ببلخ يزدجرد) فهزمه الله عزَّ وجلَّ وهرب هو ومنْ بقي معه من جيشه فعبر النهر واستوثق ملكَ خراسان على يدي الأحنف بن قيس ، واستخلف في كل بلدة أميراً ، ورجع الأحنف فنزل مرو الروذ ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان . بكمالها . فقال عمر : وددتُ أنّه كان بيننا وبين خراسان بحرٌ من نار . فقال له علي : ولم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنّ أهلها سينقضون عهدهم ثلاث مرات فيُجتاحون في الثالثة ، فقال : يا أمير المؤمنين (لأن يكون ذلك بأهلها ، أحب إليّ من) أن يكون ذلك بالمسلمين ، وكتب عمر إلى الأحنف ينهاه عن العبور[٢] إلى ما وراء النهر وقال : ٱحفظ ما بيدك من بلاد خراسان . ولمّا وصل رسول يزدجرد إلى اللذين استنجد بهما لم يحتفلا بأمره ، فلمّا عبر يزدجرد النهر ودخل في بلادهما تعيّن عليهما إنجاده في شرع الملوك ، فسار معه خاقانُ الأعظمُ ملكُ الترك ، ورجع يزدجرد بجنود عظيمة فيهم ملكُ التتار خاقان ، فوصل إلى بلخ وٱسترجعها[٣] ، وفرَّ عمالُ الأحنف إليه (إلى مرو الروذ ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف) بمرو الروذ ، فتبرّز[٤] الأحنف بمنْ معه من أهل البصرة وأهل الكوفة والجميع عشرون ألفاً فسمع رجلاً يقول لآخر : إن كان الأمير ذا رأي فإنّه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره ويبقى هذا النهر خندقاً حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة . فلما أصبح الأحنفُ أمرَ المسلمين فوقفوا في ذلك الموقف بعينه ، وكان أمارةَ النصر والرّشد ، وجاءت الأتراك والفرس في جمع عظيم هائل مزعج ، فقام الأحنفُ في الناس خطيباً فقال : إنكم قليلٌ وعدوُّكم كثيرٌ ، فلا يُهولنَّكُمْ ، ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] فكانتِ التركُ يُقاتلون بالنهار ولا يدري الأحنف أين يذهبون في الليل . فسار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو جيش خاقان ، فلمّا كان قريبَ الصُّبح خرج فارسٌ من الترك طليعة وعليه طوق وضرب بطبله فتقدم إليه الأحنف ، فٱختلفا طعنتين فطعنه الأحنفُ فقتله وهو يرتجز[٥] : [من الرجز]

إنَّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقَّاً … أنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَة أو تَنْدَقَّا[٦]
إنّ لها شَيْخاً بها مُلَقَّى … سَيْف[٧] أبي حَفْصٍ الَّذي تَبَقَّى

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ١٦٧) : حاتم بن النعمان الباهلي . وما هنا موافق للكامل لابن الأثير (٣/ ٣٤) .
(٢) في أ : الغزوة .
(٣) في أ : فاسترجعها .
(٤) في أ : فينزل .
(٥) البيتان في تاريخ الطبري (٤/ ١٦٩) .
(٦) في أ ، ط : يندقاه . وما هنا عن تاريخ الطبري .
(٧) في أ ، ط : بسيف . وما هنا عن تاريخ الطبري .

قال : ثم ٱستلب التركيَّ طوقَه ووقف موضعه ، فخرج آخرُ عليه طوقٌ ومعه طبلٌ فجعل يضرب بطبله . فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضاً وٱستلبه طوقه ، ووقف موضعه فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه ، ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحدٌ من الترك بالكلية . وكان من عادتهم أنهم لا يخرجون من مبيتهم حتى تخرج ثلاثةٌ من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطبله ، ثم الثاني ثم الثالث . ثم يخرجون بعد الثالث. فلما خرجت الترك (ليلتئذ) بعد[1] الثالث ، فأتَوْا على فرسانهم مُقَتَّلين ، تشاءم بذلك الملك خاقان وتَطيَّر ، وقال لعسكره : قد طال مقامنا وقد أصيب[2] هؤلاء القوم بمكانٍ لم نصب بمثله ، ما لنا في قتال هؤلاء القوم من خير ، فٱنصرفوا بنا . فرجعوا إلى بلادهم وٱنتظرهم المسلمون يومهم ذلك ليخرجوا إليهم من شُعَبهم فلم يَرَوْا أحداً منهم ، ثمّ بلغهم ٱنصرافُهم إلى بلادهم راجعين عنهم (وقد كان يَزْدَجرد ـ وخاقان في مقابلة الأحنف بن قيس ومقاتلته ـ ذهب) إلى مرو الشاهجان فحاصرها وحارثة[3] بن النعمان بها ، وٱستخرج منها خزانته التي كان دفنها بها ، ثم رجع وانتظره خاقان ببلخ حتى رجع إليه .

وقد قال المسلمون للأحنف : ما ترى في ٱتباعهم ؟ فقال : أقيموا بمكانكم ودعوهم . وقد أصاب الأحنف في ذلك ، فقد جاء في الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم »[4] وقد ﴿ رد ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . ورجع كسرى خاسراً الصفقةَ لم يُشْفَ له غَليلٌ ، ولا حصلَ على خيرٍ ، ولا انتصرَ كما كان في زعمه ، بل تخلّى عنه من كان يرجو النصرَ منه ، وتنحَّى عنه وتبرَّأ منه أحوجَ ما كانَ إليه ، وبقي مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٨٨] وتحيَّر في أمره ماذا يصنع ؟ وإلى أين يذهب ؟ وقد أشار عليه بعض أولي النُّهى من قومه حين قال : قد عزمت أن أذهب إلى بلاد الصِّين أو أكون مع خاقان في بلاده. فقالوا : إنا نرى أن نصانع هؤلاء القوم فإنَّ لهم ذمَّة وديناً يرجعون إليه ، فنكون في بعض هذه البلاد وهم مجاورينا[5] ، فهم خيرٌ لنا من غيرهم . فأبى عليهم كسرى ذلك . ثم بعث إلى ملك الصّين يستغيث به ويستنجده فجعلَ ملكُ الصين يسأل الرسولَ عن صفةِ هؤلاء القوم الذين قد فتحوا البلادَ وقهروا رقابَ العباد ، فجعل يخبره عن صفتهم ، وكيف يركبون الخيلَ والإبل ، وماذا يصنعون ؟ وكيف يُصلُّون . فكتب معه إلى يزدجرد : إنه لم يمنعني أن أبعثَ إليكَ بجيش أوّلهُ بمرو وآخره بالصّين ، الجهالةُ بما يحقُّ عليَّ[6] ، ولكنَّ هؤلاء

(١) في ط : سعد ؛ تحريف .
(٢) في أ : أصيبت .
(٣) فحاصر حارثة بن النعمان بها .
(٤) رواه أبو داود مختصراً رقم (٤٣٠٢) والنسائي (٦/ ٤٣) بلفظ « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » وهو حديث حسن .
(٥) كذا في الأصل والمطبوع : وهو مجاورينا ، والصواب : وهم مجاورونا .
(٦) في أ : بما نحن عليه .

القوم الذين وصفَ لي رسولُك (صفتَهم لو يحاولون الجبال لهدُّوها ، ولو جئتُ لنصركَ أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسولك) فسالِمْهُم وٱرضَ منهم بالمسالمة .

فأقام كسرى وآل كسرى في بعض البلاد مقهورين . ولم يزل ذلك دأبه حتى قُتل بعد سنتين من إمارة عثمان كما سنورده في موضعه .

ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح ، وما أفاءَ اللهُ عليهم من أموال الترك ومنْ كانَ معهم ، وأنَّهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلةً عظيمةً . ثم ردّهم اللهُ بغيظهم لم ينالوا خيراً . فقام عمرُ على المنبر وقُرىء الكتابُ بين يديه ، ثم قال عمر : إنّ اللهَ بعثَ محمداً بالهدى ووعد على أتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] فالحمدُ لله الذي أنجز وعدَه ! ونصرَ جندَه . ألا وإنَّ اللهَ قد أهلكَ ملكَ المجوسية ، وفرَّق شملَهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شِبْراً يُضير بمسلمٍ ، ألا وإنَّ الله قد أورثكم أرضَهم وديارَهم وأموالَهم وأبناءَهم ، لينظرَ كيف تعملون !! فقوموا في أمره ، على وَجَلٍ ، يُوفّ لكم بعهده ، ويُؤْتِكم وعدَه ، ولا تغيِّروا يستبدل قوماً غيركم ، فإنّي لا أخاف على هذه الأمة أن تُؤْتى إلا من قبلكُم .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ[١] في تاريخ هذه السنة ـ أعني سنة اثنتين[٢] وعشرين ـ : وفيها فتحت أَذْرَبيجان على يَدَي المُغيرة بن شُعبة . قاله ابن إسحاق : فيقال : إنه صالحهم على ثمانمئة ألف درهم . وقال أبو عبيدة : فتحها حبيب بن مَسْلَمة[٣] الفِهْري بأهل الشام عنوةً ، ومعه أهلُ الكوفة فيهم حُذَيْفة فافتتحها بعد قتال شديد ، والله أعلم . وفيها افتتح حذيفة الدينور عنوة ـ بعد ما كان سعد افتتحها فانتقضوا[٤] عهدهم ـ .

وفيها افتتح حذيفة ماه سندان عنوةً ـ وكانوا نَقَضُوا أيضاً عهدَ سعد ـ وكان مع حذيفة أهل البصرة[٥] (فلحقهم أهل الكوفة) فاختصموا في الغنيمة ، فكتب عمر : إنَّ الغنيمةَ لمنْ شهدَ الوقعة . قال أبو عبيدة : ثم غزا حذيفة هَمَذان فافتتحها عنوةً ، ولم تكن فُتحت قبل ذلك ، وإليها انتهى فتوح حذيفة . قال : ويقال : افتتحها جريرُ بن عبد الله بأمر المغيرة ويقال : افتتحها المغيرة سنة أربع وعشرين .

وفيها افتُتحت جُرجان .

---

(١) في تاريخ الإسلام (٢/ ٤٥) .
(٢) في أ : ثنتين .
(٣) في ط : سلمة ؛ تحريف .
(٤) في أ : فانتقض .
(٥) في أ : الشام .

قال خليفة[١] : وفيها افتتح عمرو بن العاص طرابلس المغرب ، ويقال في السنة التي بعدها .

قلت : وفي هذا كلّه غرابة لنسبته[٢] إلى ما سلف ، والله أعلم .

قال شيخنا : وفيها توفي أُبيّ بن كعب في قول الواقدي وابن نمير والذهلي والترمذي ، وقد تقدم في سنة تسع عشرة .

ومعضد بن يزيد الشيباني استشهد بأذربيجان ولا صحبة له .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

وفيها وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال الواقدي وأبو معشر[٣] : فيها كان فتح إصطخر وهَمَذان . وقال سيف : كان فتحها بعد فتح تَوَّج[٤] الآخرة . ثم ذكر أنَّ الذي افتتح تَوّج مجاشعُ بن مسعود ، بعد ما قَتَلَ من الفرس مقتلةً عظيمةً وغنِمَ منهم غنائمَ جمةً ، ثم ضربَ الجزية على أهلها ، وعقدَ لهم الذمةَ ، ثم بعث بالفتح وخُمْسِ الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ثم ذكر أنَّ عثمان بن أبي العاص افتتح جُور[٥] بعد قتالٍ شديدٍ كان عندها ، ثم افتتح المسلمون إصطخر ـ وهذه المرة الثانية ـ ، وكان أهلها قد نقضوا (العهد) بعد ما كان جند العلاء بن الحضرمي افتتحوها حين جاز في البحر ـ من أرض البحرين ـ والتقوا هم والفرس في مكان يقال له طاوس ، كما تقدَّم بسط ذلك في موضعه . ثم صالحه الهِرْبذُ على الجزية ، وأن يضرب لهم الذمة . ثم بعث بالأخماس والبشارة إلى عمر .

قال ابن جرير[٦] : وكانت الرسل لها جوائز ، وتُقْضى لهم حوائج ، كما كان رسول الله ﷺ يعاملهم بذلك .

ثم إنَّ شهرك خلع العهد ، ونقضَ الذمّة ، ونشَّط الفرسَ ، فنقضوا ، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص ابنَه وأخاه الحكم ، فاقتتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين ، وقتلَ الحكمُ بن أبي العاص شهرك ، وقتلَ ابنَه معه أيضاً . وقال أبو معشر : كانت فارس الأولى وإصْطَخر الآخرة سنة ثمانٍ وعشرين في إمارة عثمان ، وكانت فارس الآخرة و (وقعة) جُور في سنة تسعٍ وعشرين .

---

(١) تاريخ خليفة (ص١٥٢) .

(٢) في أ : بالنسبة .

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١٧٤) والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٩ ـ ٤٠) .

(٤) توّج : مدينة بفارس قريبة من كازرون شديدة الحرّ لأنها في غور من الأرض ذات نخل ـ معجم البلدان (٢/ ٥٦) .

(٥) جور : مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً ، وهي مدينة نزهة طيبة . معجم البلدان (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢) .

(٦) في تاريخه (٤/ ١٧٥) .

فتح فَسَا ودَارَابجَرْد وقصة سارية بن زُنَيْم

ذكر سيفٌ[١] عن مشايخه أنَّ سارية بن زُنَيْم قصدَ فَسَا ودارابجَرْد ، فاجتمع[٢] له جموعٌ ـ من الفرس والأكراد ـ عظيمة ، ودهمَ المسلمين منهم أمرٌ عظيمٌ وجمعٌ كثيرٌ ، فرأى[٣] عمر في تلك الليلة فيما يرى النائمُ معركتَهم وعددَهم في وقتٍ من النهار ، وأنهم في صحراء وهناك جبلٌ إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فنادى من الغد الصلاة جامعة ، حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها ، خرج إلى الناس وصعد المنبر ، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى ، ثم قال : يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ ، ثم (أقبل عليهم) وقال : إن لله جنوداً ولعلَّ بعضَها أن يبلغهم . قال : ففعلوا ما قال عمر ، فنصرهم اللهُ على عدوهم ، وفتحوا البلد .

وذكر سيف[٤] في رواية أخرى عن شيوخه أنَّ عمر (بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ) قال : يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ الجبلَ . فلجأ المسلمون إلى جبلٍ هناك فلم يقدر العدو عليهم إلا من جهةٍ واحدةٍ فأظفرهم الله بهم ، وفتحوا البلد . وغنموا شيئاً كثيراً ، فكان من جملة ذلك سفط من جوهر فاستوهبه ساريةُ من المسلمين لعمر ، فلما وصل إليه مع الأخماس قدم الرسول بالخمس فوجد عمر قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سماطهم ، فلما رآه عمر قال له : اجلس ـ ولم يعرفه ـ ، فجلس الرجل فأكل مع الناس ، فلمَّا فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبعه الرجل ، فاستأذن فأذن له ، وإذا هو قد وُضع له خبزٌ وزيتٌ وملحٌ ، فقال : ادنُ فكُلْ . قال : فجلستُ فجعل يقول لامرأته : ألا تخرجين يا هذه فتأكلين ؟ فقالت : إني أسمع حسَّ رجلٍ عندك . فقال : أجل ، فقالت : لو أردتَ أن أبرزَ للرجال اشتريتَ لي غيرَ هذه الكسوة . فقال : أو ما ترضَيْنَ أن يُقال أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر . فقالت : ما أقلَّ غَناء ذلك (عني) . ثم قال للرجل : ادنُ فكُل فلو كانت راضية لكانَ أطيبَ مما ترى [قال] فأكلا فلما فرغا قال : أنا رسول ساريةَ بن زُنَيْمٍ يا أمير المؤمنين . فقال : مرحباً وأهلاً . ثم أدناه حتى مست ركبتُه ركبتَه ، ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن سارية (بن زُنَيْم) ، فأخبره ثم ذكر له شأنَ السفط من الجوهر ، فأبى أن يقبله ، وأمر بردِّه إلى الجند . وقد سأل أهل المدينة رسولَ ساريةَ عن الفتح فأخبرهم ، فسألوه : هل سمعوا صوتاً يوم الوقعة ؟ قال : نعم ، سمعنا قائلاً يقول : يا ساريةُ الجبلَ ، وقد كدنا[٥] نهلك فلجأنا إليه ، ففتح الله علينا .

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ١٧٨) .
(٢) في أ : واجتمع .
(٣) في أ : ورأى .
(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ١٧٨) والكامل لابن الأثير (٣/ ٤٢ ـ ٤٣) وتاريخ الإسلام (٢/ ٤٩) .
(٥) في أ : كنا . وما عنا موافق لتاريخ الطبري .

ثم رواه سيفٌ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ بنحو هذا .

وقال عبد الله بن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن ابن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر أنَّ عمرَ وجَّه جيشاً ورأَّسَ عليهم رجلاً (يقال له سارية) قال : فبينما عمرُ يخطب (فجعل ينادي) : يا ساري الجبل (يا ساري الجبل ثلاثاً) ثم قدم رسولُ الجيش فسأله عمر : فقال : يا أميرَ المؤمنين هُزمنا ، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً : يا سارية الجبلَ ، ثلاثاً ـ فأسندنا ظهورنا بالجبل ، فهزمهم الله . قال : فقيل لعمر : إنك كنتَ تصيحُ بذلك . وهذا إسناد جيد حسن .

وقال الواقدي : حدَّثني نافعُ بن أبي نُعيم ، عن نافع مولى ابن عمر . أنَّ عمر قال على المنبر : يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ . فلم يدرِ الناسَ ما يقولُ حتى قدم ساريةُ بن زُنَيْم المدينةَ على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كنّا محاصري العدوّ فكنَّا نُقيم الأيامَ لا يخرج علينا منهم أحدٌ ، نحن في خفضٍ من الأرض وهم في حصنٍ عالٍ ، فسمعتُ صائحاً يُنادي بكذا وكذا يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ ، فعلوتُ بأصحابي الجبلَ ، فما كان إلا ساعةً حتى فتحَ اللهُ علينا .

وقد رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي من طريق مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر بنحوه ، وفي صحته من حديث مالك نظر .

وقال الواقدي : حدَّثني أسامةُ بن زيد عن أسلم عن أبيه ، وأبو سليمان عن يعقوب بن زيد قالا : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة إلى الصلاة ، فصعدَ المنبر ، ثم صاح : يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ (يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ) ، ظُلِمَ مَنِ اسْتَرْعى الذئبَ الغنمَ . ثم خطب حتى فرغ ، فجاء كتابُ سارية إلى عمر : إنَّ الله قد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كذا وكذا ـ لتلك الساعة التي خرج فيها عمر فتكلم[١] على المنبر ـ قال : سارية فسمعت صوتاً يا سارية بن زُنَيْم الجبلَ ، يا سارية بن زنيم الجبل ، ظلم من استرعى الذئب الغنم ، فعلوت بأصحابي الجبل ، ونحن قبلَ ذلك في بطن وادٍ ، ونحن محاصرو العدوِّ . ففتحَ الله علينا . فقيل لعمر بن الخطاب : ما ذلك الكلام ؟ فقال : والله ما ألقيت له إلَّا بشيء أُلْقِيَ على لساني . فهذه طرقٌ يشدُّ[٢] بعضُها بعضاً .

[فتح كَرْمان وسِجْسِتان ومُكْران]

ثم ذكر ابنُ جرير[٣] من طريق سيفٍ عن شيوخه فتحَ كَرْمان على يديْ سُهَيْل بن عدي وأمدَّه عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ، وقيل على يَدَيْ عبد الله بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعي ، وذكر فتح سِجْسِتان[٤] على

(١) في أ : ليتكلم .
(٢) في أ : تشدّ .
(٣) في تاريخه (٤/ ١٨٠ ـ ١٨١) .
(٤) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة ، تقع جنوبي هراه وبينهما عشرة أيام ثمانون فرسخاً ، وأرضها كلّها رملية =

يَدَيْ[١] عاصم بن عمرو ، بعد قتالٍ شديدٍ ، وكانت ثغورها متسعةً ، وبلادها متنائية[٢] ، ما بين السند إلى نهر بلخ ، وكانوا يقاتلون القُنْدَهار والترك من ثغورها وفروجها . وذكر فتح مُكران على يَدَي الحَكم بن عمرو ، وأمدّه بشهاب بن المخارق بن شهاب ، وسُهَيْل بن عدي ، وعبد الله بن عبد الله واقتتلوا[٣] مع ملك السند فهزمَ اللهُ جموعَ السِّند، وغنم المسلمون منهم غنيمةً كثيرةً، وكتب الحكم بن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع صُحار العَبْديّ ، فلمّا قدم على عمر سأله عن أرض مُكران فقال : يا أمير المؤمنين ، أرضٌ سهلُها جبلٌ ، وماؤُها وَشَلٌ[٤] ، وتَمْرُها[٥] دَقَلٌ[٦] ، وعدوُّها بطلٌ، وخيرُها قليلٌ، وشرُّها طويلٌ، والكثيرُ بها قليلٌ ، والقليلُ بها ضائعٌ ، وما وراءها شرٌّ منها . فقال عمر : أسجّاعٌ أنتَ أم مُخْبِر ؟ (فقال : لا ، بل مُخْبِرٌ) ، فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو أن لا يغزو بعد ذلك مُكران ، وليقتصروا على ما دون النهر .

وقد قال الحكم بن عمرو في ذلك[٧] : [من الوافر]

لَقَدْ شَبِعَ الأراملُ غيرَ فَخْرٍ ... بِفَيْءٍ جاءَهم من مُكْرانِ
أتَاهُمْ بَعْدَ مَسْغَبَةٍ وجَهْدٍ ... وقدْ صَفِرَ الشِّتاءُ مِنَ الدُّخانِ
فَإنّي لا يَذُمُّ الجَيْشُ فِعْلي ... ولا سَيْفي يُذَمُّ ولا لساني[٨]
غَدَاة أُدافِعُ[٩] الأوْباش دَفْعاً ... إلى السِّنْدِ العَريضة والمَداني
ومِهْرانٌ لنا فيما أرَدْنا ... مُطِيعٌ غير مُسْترخي العِنانِ[١٠]
فَلَوْلا ما نَهى عنه أميري ... قَطعْناهُ إلى البُدُدِ الزَّواني

غزوة الأكراد

ثم ذكر ابن جرير[١١] بسنده ، عن سيفٍ ، عن شيوخه : أن جماعةً من الأكراد والتفَّ إليهم طائفةٌ من

= سبخة . معجم البلدان (٣/ ١٩٠ ـ ١٩٢) .

(١) في أ : على يد .
(٢) في أ : متباينة .
(٣) في أ : فاقتتلوا .
(٤) الوشل : الماء القليل . اللسان (وشل) .
(٥) في أ ، ط : ثمرها . وما هنا عن الطبري .
(٦) الدَّقَلُ من التمر : هو أردأ أنواعه .
(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣) ومعجم البلدان (٥/ ١٧٩) دون الأخير .
(٨) في تاريخ الطبري والمعجم : ولا سناني .
(٩) في تاريخ الطبري : أُدَفِّعُ . وفي معجم البلدان : أُرَفِّعُ .
(١٠) في معجم البلدان : الهوان .
(١١) في تاريخه (٤/ ١٨٣) .

الفرس اجتمعوا ، فلقيهم أبو موسى بمكانٍ من أرض بَيْرُوذ قريب من نهر تيرَى ، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف على حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد ، فتسلَّم الحرب وحنق[١] عليهم ، فهزم اللهُ العدوَّ وله الحمدُ والمنةُ ، كما هي عادته المستمرة وسنته المستقرَّة ، في عباده المؤمنين ، وحزبه المفلحين ، من أتباع سيد المرسلين . ثم خُمست الغنيمة وبعث بالفتح والخمس إلى عمر رضي الله عنه ، وقد سار ضَبَّة بن مِحْصن العَنَزيّ ، فاشتكى أبا موسى إلى عمر ، وذكر عنه أموراً لا ينقم عليه بسببها ، فاستدعاه عمر فسأله عنها ، فاعتذر منها بوجوهٍ مقبولةٍ فسمعها عمر وقبلها ، وردّه إلى عمله وعذر ضَبَّةَ فيما تأوّله ، ومات عمر ، وأبو موسى على صلاة البصرة .

خبر سلمة بن قيس الأشْجَعي والأكراد

بعثه عمر على سرية ووصاه بوصايا كثيرة بمضمون حديث بُرَيْدة في صحيح مسلم[٢] « اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله . . . » الحديث إلى آخره ، فساروا فلقوا جمعاً من المشركين فدعوهم إلى إحدى ثلاث خلال ، فأبوا أن يقبلوا واحدة منها ، فقاتلوهم فقتلوا مقاتلتهم ، وسبوا ذراريهم ، وغنموا أموالهم .

ثم بعث سلمة بن قيس رسولاً إلى عمر بالفتح وبالغنائم ، فذكروا وروده على عمر وهو يطعم الناس ، وذهابه معه إلى منزله ، كنحو ما تقدَّم من قصة أمِّ كلثوم بنت علي ، وطلبها الكسوة كما يكسي طلحة وغيره أزواجهم ، فقال : ألا يكفيك أن يقال بنت علي وامرأة أمير المؤمنين ؟ ثم ذكر طعامه الخشن ، وشرابه من سُلْت[٣] ، ثم شرع يستعلمه عن أخبار المهاجرين ، وكيف طعامهم وأشعارهم ، وهل يأكلون اللحم الذي هو شجرتهم ، ولا بقاء للعرب دون شجرتهم ؟ وذكر عرضه عليه ذلك السفط من الجوهر ، فأبى أن يأخذه وأقسم على ذلك ، وأمره بأن يردَّه فيقسم بين الغانمين . وقد أورده ابن جرير[٤] مطولاً جداً .

وقال ابن جرير[٥] : وفي هذه السنة حجَّ عمرُ بأزواجِ النبي ﷺ ، وهي آخر حجَّةٍ حجَّها رضي الله عنه .

قال : وفي هذه السنة كانت[٦] وفاته . ثم ذكر صفة قتله مطولاً أيضاً[٧] ، وقد ذكرت ذلك مستقصى في آخر سيرة عمر ، فليكتب من هناك إلى هنا .

---

(١) في أ : وهو حتف .
(٢) صحيح مسلم (١٧٣١) (٣) في الجهاد والسير .
(٣) السُّلْتُ : سويق الحنطة أو الشعير . اللسان (سلت) .
(٤) في تاريخه (٤/١٨٦ ـ ١٩٠) .
(٥) في تاريخه (٤/١٩٠) .
(٦) في أ : كانت سنة وفاته .
(٧) تاريخ الطبري (٤/١٩٠ ـ ٢٤١) .

[وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

وهو عُمر بن الخَطّاب[١] بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عديّ بن كَعْب بن لُؤَيّ (بن غالب) بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان القرَشي ، أبو حَفْص العَدوي ، المُلَقَّب بالفاروق ، قيل : لقَّبه بذلك أهلُ الكتاب .

[وأمه حَنْتَمة بنت هشام أخت أبي جهل بن هشام[٢] . أسلم عمر وعمره سبعُ وعشرون سنة ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهدَ كلَّها مع النبي ﷺ ، وخرج في عدة سرايا ، وكان أميراً على بعضها ، وهو أولُ من دُعي أميرَ المؤمنين ، وأولُ من كتب التاريخ ، وجمع الناس على التّراويح ، وأولُ من عَسَّ بالمدينة ، وحمل الدِّرَّة وأدَّب بها ، وجلد في الخمر ثمانين ، وفتح الفتوح ، ومصَّر الأمصار ، وجنَّد الأجناد . ووضع الخَراج ، ودوَّنَ الدواوين ، وفرض الأعطية ، واستقضى القضاة ، وكوَّر الكُورَ ، مثل السَّواد والأهْواز والجبال وفارس وغيرها ، وفتح الشام كلّه ، والجزيرةَ والموصلَ ، ومَيّا فارقين ، وآمد ، وأرْمينية ، ومصر وإسكندرية . ومات وعساكرُه على بلاد الرّيّ . فتح من الشام اليَرْموك وبُصرى ودمشق والأرْدُن ، وبَيْسان ، وطَبَريَّة ، والجابية ، وفلسطين ، والرَّمْلة ، وعَسْقَلان ، وَغزَّة ، والسواحل ، والقُدْس . و(فتح) مصر وإسكندرية وطرابلس الغرب وبرقة ، ومن مدن الشام : بعلبك ، وحمص ، وقنّسرين ، وحلب ، وأنطاكية و(فتح) الجزيرةَ وحرّان والرُّها والرَّقة ونَصيبين ورأس عين وسُمَيْساط

---

(١) لا يخلو كتاب من كتب التراجم من ترجمة عمر رضي الله عنه ، ونكتفي هنا بذكر أهم هذه المصادر وهي : تاريخ الطبري (٤/ ١٩٠ ـ ٢٤١) والاستيعاب (٣/ ١١٤٤ ـ ١١٥٩) وتاريخ دمشق (مجلد بكامله) وأسد الغابة (٤/ ١٤٥ ـ ١٨٦) وتهذيب الكمال (٢١/ ٣١٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٥٠ ـ ٦٠) والإصابة (٣/ ٥١٨ ـ ٥١٩) وتاريخ الخلفاء ـ بتحقيق الأستاذ إبراهيم الصالح ـ (١٣٣ ـ ١٧٧) .

(٢) اختلفت المصادر في أم عمر رضي الله عنه ، هل هي بنت هشام فتكون أخت أبي جهل أم بنت هاشم فتكون بنت عمه . والذي قال بالرأي الأول غير ابن كثير الطبري في تاريخه (٤/ ١٩٥) وابن الأثير في جامع الأصول (١٢/ ٣٠٥) والذهبي في تاريخ الإسلام (٢/ ٥٠) ، وقال بالرأي الآخر ابن حجر في الإصابة (٢/ ٥١٨) وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١١٤٤) وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٤٥) والمزي في تهذيب الكمال (٢١/ ٣١٧) وقال : بنت هاشم أصح ؛ بل إن ابن عبد البر خطَّأ من قال بالرأي الأول وهو أنها أخت أبي جهل ، وقد لخّص ابن الأثير المشكلة فيمايلي وقال : وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وقيل : حنتمة بنت هشام بن المغيرة ، فعلى هذا تكون أخت أبي جهل ، وعلى الأول تكون ابنة عمه . قال أبو عمر : ومن قال ذلك ـ يعني بنت هشام ـ فقد أخطأ ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل والحارث ابني هشام ، وليس كذلك وإنما هي ابنة عمهما ؛ لأن هشاماً وهاشماً ابني المغيرة أخوان ، فهاشم والدحنتمة ، وهشام والد الحارث وأبي جهل ، وكان يقال لهاشم جدّ عمر ذو الرمحين . وقال ابن مندة : أم عمر أخت أبي جهل . وقال أبو نعيم : هي بنت هشام أخت أبي جهل ، وأبو جهل خاله ، ورواه عن ابن إسحاق . وقال الزبير : حنتمة بنت هاشم فهي ابنة عم أبي جهل ـ كما قال أبو عمر ـ وكان لهاشم أولاد فلم يعقبوا .

وعين وردة وديار بكر وديار ربيعة وبلاد المَوْصل وأرمينية جميعها ، وبالعراق : القادسية والحيرة ونهر شير وساباط ومدائن كسرى وكورة الفرات ودجلة والأُبُلَّة والبصرة والأَهْواز وفارس ونَهاوند وهَمَذان والرَّيّ وقُومس وخراسان وإِصْطخر وأصبهان والسّوس ومرو ونَيْسابور وجُرجان وأَذْرَبيجان وغير ذلك ، وقطعت جيوشه النهر مراراً .

وكان متواضعاً في الله ، خشن العيش ، خشن المطعم ، شديداً في ذات الله ، يرقع الثوب بالأديم ، ويحمل القربة على كتفيه ، مع عظم هيبته ، ويركب الحمار عرياً ، والبعير مخطوماً بالليف ، وكان قليل الضحك ، لا يمازح أحداً ، وكان نقش خاتمه : كَفَى بالموتِ واعظاً يا عُمَر(١) .

وقال النبي ﷺ : « أشد أمتي في دين الله عمر »(٢) . وعن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر ، وإنَّهما السمع والبصر »(٣) .

وعن عائشة أنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ الشيطان يَفْرَق من عمر »(٤) .

وقال : « أرحمُ أمتي أبو بكر ، وأشدُّها في دين الله عمر »(٥) .

وقيل لعمر : إنك قضاء . فقال : الحمدُ الله الذي ملأ قلبي لهم رُحماً ، وملأ قلوبهم لي رعباً .

وقال عمر : لا يحلُّ لي من مال الله إلا حلَّتان حلَّة للشتاء وحلَّة للصيف ، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ، ثم أنا رجل من المسلمين .

وكان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين واشترط عليه أن لا يركب برذوناً ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابهَ دون ذوي الحاجات . فإن فعل شيئاً من ذلك حَلَّتْ عليه العقوبةُ .

وقيل إنَّه كان إذا حدَّثه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر : احبس هذه احبس هذه ، فيقول الرجل : والله كلُّ ما حدَّثتك به حقٌّ غير ما أمرتني أن أحبسه .

وقال معاوية بن أبي سفيان : أمَّا أبو بكر فلم يُرد الدنيا ولم تُرده ، وأما عمر فأرادته فلم يردها ، وأما

(١) الخبر في تاريخ ابن عساكر ـ مجلد عمر بن الخطاب ـ (ص٢٢١) .

(٢) سيأتي تخريجه بعد قليل .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي [في جامعه (٣٦٨٠) في المناقب] وإسناده ضعيف ، والجملة الأخيرة منه « هذان السمع والبصر » رواه الترمذي رقم (٣٦٧١) من حديث عبد الله بن حنطب ، وهو حديث حسن .

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣٥٣) والترمذي رقم (٣٦٩٠) من حديث بريدة ، وهو حديث صحيح .

(٥) قطعة من حديث عن أنس رضي الله عنه أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٨٤) والترمذي (٣٧٩١) والنسائي في فضائل الصحابة رقم (١٨٢) وابن حبان في صحيحه ـ الإحسان ـ (١٦/ ٧٤ و٨٥) رقم (٧١٣١ و٧١٣٧) ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

نحن فتمرَّغنا فيها ظَهْراً لبطنٍ . وعُوتب عمر فقيل له : لو أكلتَ طعاماً طيباً كان أقوىَ لك على الحقِّ ؟ فقال : إنّي تركتُ صاحبيَّ على جادةٍ ، فإن أدركتُ جادَّتهما فلم أدركهما في المنزل . وكان يلبسُ ، وهو خليفةٌ ، جبةَ صوفٍ مرقوعة بعضها بأدم ، ويطوفُ بالأسواق على عاتقه الدِّرَّةُ يُؤدِّبُ بها الناسَ ، وإذا مرَّ بالنوى وغيره يلتقطه ويرمي به في منازل الناس ينتفعون به .

وقال أنس : كان بين كَتفَيْ عمر أربعُ رقاعٍ ، وإزارُه مرقوعٌ بأدمٍ ، وخطبَ على المنبر ، وعليه إزارٌ فيه اثنتا عشرة رقعةً ، وأنفقَ في حجته ستة عشر ديناراً ، وقال لابنه : قد أسرفنا .

وكان لا يستظلُّ بشيء غيرَ أنَّه كان يُلقي كساءَه على الشجر ويستظلُّ تحتَهُ ، وليس له خيمةٌ ولا فُسطاط[١] . ولما قدمَ الشامَ لفتح بيتِ المقدس كان على جملٍ أورق[٢] ، تلوحُ صلعته للشمس ، وليس عليه قلنسوةٌ ولا عمامةٌ قد طبق رجليه بين شعبي الرَّحل بلا ركاب ، ووطاؤه كبشٌ[٣] من صوف ، وهو فراشُه إذا نزل ، وحقيبته[٤] محشوةٌ ليفاً ، وهي وسادتُه إذا نام ، وعليه قميصٌ من كرابيس[٥] قد رُسِّمَ[٦] وتخرَّق جيبه ، فلمَّا نزل قال : ادعوا لي رأسَ القرية ، فَدَعَوْهُ فقال : اغسلوا قميصي وخَيِّطُوه وأَعيروني قميصاً ، فأُتي بقميصِ كتانٍ ، فقال : ما هذا ؟ فقيل كَتَّانٌ . فقال : فما الكَتَّان ؟ فأخبروه . فنزعَ قميصَه فغسلوه وخاطوه[٧] ثم لبسه ، فقال له : أنت ملكُ العرب ، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوبُ الإبل . فأُتي ببِرْذَونٍ فطُرح عليه قطيفةٌ بلا سَرْج ولا رَحْلٍ ، فلمَّا سار جعل [البرذون][٨] يهملج[٩] به فقال لمن معه : احبسوا ، ما كنتُ أظنُّ الناسَ يركبون الشياطينَ ، هاتُوا جَمَلي . ثم نزل وركب الجملَ .

وعن أنس قال : كنتُ مع عمر فدخل حائطاً لحاجته ، فسمعتُه يقول ـ وبيني وبينه جدارُ الحائط ـ عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بَخٍ بَخٍ ، والله لَتَتَّقينَّ اللهَ بنيّ الخطاب أو ليُعَذِّبَنَّكَ . وقيل : إنه حملَ قربةً على عاتقه ، فقيل له في ذلك فقالَ : إنَّ نفسي أعجبتني ، فأردتُ أن أذلَّها ؟ وكان يصلِّي بالناس العشاء[١٠] ثم يدخل بيتَه ، فلا يزالُ يصلِّي إلى الفجر[١١] . وما مات حتى سَرَد الصومَ ، وكان في عام

---

(١) الفُسطاط : بيت من شَعرٍ ، وفيه لغات : فُسْطاط ، وفسْتاط ، وفسّاط ، وكسر الفاء لغة فيهن . اللسان (فسط) .
(٢) الأورق من الإبل ؛ الذي في لونه بياض إلى سواد . اللسان (ورق) .
(٣) ثوب أكباش من برود اليمن . اللسان (كبش) .
(٤) الحقيبة تكون على عجز البعير ، وهي وعاء يجعل الرجل فيه زاده . اللسان (حقب) .
(٥) كرابيس : جمع كرباس : وهو القطن . اللسان (كربس) .
(٦) ثوب مُرَسَّمٌ ـ بالتشديد ـ مخطط . اللسان (رسم) .
(٧) في أ : وخيَّطوه .
(٨) كذا في ط وليس اللفظ في أ .
(٩) الهَمْلجة والهملاج : الحسن السير في سرعة وبخترة . اللسان (هملج) .
(١٠) في أ : العشيّ .
(١١) في هذا الكلام مبالغة .

الرَّمادة لا يأكلُ إلا الخبزَ والزيتَ حتى اسودَّ جلدُه ويقول : بئسَ الوالي أنا إن شبعتُ والناسُ جياعٌ . وكان في وجهه خطَّان أسودان من البكاء ، وكان يسمعُ الآيةَ من القرآن فيغشى عليه فيُحمل صريعاً إلى منزله فيعاد أياماً ليس به مرض إلَّا الخوف(١) .

وقال طلحة بن عبيد الله(٢) : خرج عمر ليلةً في سواد الليل فدخل بيتاً فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى ذلك البيت فإذا عجوزٌ عمياء مقعدةٌ فقلت لها : ما بالُ هذا الرجل يأتيك ؟ فقالت : إنَّه يتعاهدني مدةَ كذا وكذا يأتيني بما يُصلحني ويُخرجُ عنّي الأذى . فقلت لنفسي : ثكلتكَ أمُّك يا طلحة ، أعثراتِ عمر تتبع ؟ .

وقال أسلم مولى عمر : قدم المدينةَ رفقةٌ من تجارٍ ، فنزلوا المُصلَّى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لكَ أن تحرسهم الليلة ؟ قال نعم ! فباتا يحرسانهم ويُصليان ، فسمع عمر بكاءَ صبيٍّ فتوجَّه نحوه فقال لأمِّه : اتقي الله تعالى وأحسني إلى صبيِّكِ . ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلمَّا كان آخرَ الليل سمع بكاء الصبيّ فأتى إلى أمِّه فقال لها : ويحك ، إنك أم سوء ، ما لي أرى ابنَك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟! فقالت : يا عبدَ الله إني أشغلُه عن الطعام فيأبى ذلك ، قال : ولم ؟ قالت : لأنَّ عمر لا يفرض إلا للمفطوم . قال : وكم عمر ابنك هذا ؟ قالت : كذا وكذا شهراً ، فقال : ويحك لا تعجليه عن الفطام . فلمَّا صلَّى الصبحَ وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء . قال : بُؤساً لعمر . كم قتلَ من أولاد المسلمين . ثم أمر مناديه فنادى ، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام . وكتب بذلك إلى الآفاق .

وقال أسلم : خرجتُ ليلةً مع عمر إلى ظاهر المدينة ، فلاحَ لنا بيتُ شعر ، فقصدناهُ ، فإذا فيه امرأةٌ تمخض وتبكي ، فسألها عمر عن حالها فقالت : أنا امرأة غَرِيبَةٌ(٣) وليس عندي شيء . فبكى عمر ، وعاد يُهَرْوِلُ إلى بيته ، فقال لامرأته أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب : هل لكِ في أجر ساقَهُ اللهُ إليكِ ؟ وأخبرها الخبر ، فقالت : نعم ، فحمل على ظهره دقيقاً وشحماً ، وحملت أم كلثوم ما يصلحُ للولادة وجاءا ، فدخلت أم كلثوم على المرأة ، وجلس عمر مع زوجها ـ وهو لا يعرفه ـ يتحدث ، فوضعتِ المرأةُ غلاماً ، فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين بَشِّرْ صاحبَكَ بغلامٍ . فلما سمعَ الرجلُ قولَها استعظمَ ذلك ، وأخذ يعتذرُ إلى عمر . فقال عمر : لا بأس عليك ، ثم أوصلهم بنفقةٍ وما يصلحهم وانصرف .

وقال أسلم : خرجتُ ليلةً مع عمر إلى حرة واقم(٤) ، حتى إذا كنا بصرار(٥) إذا بنار فقال : يا أسلم

---

(١) في هذا الكلام مبالغة .

(٢) في الأصل والمطبوع : عبد الله .

(٣) في ط : عربية .

(٤) في أ : إلى الحرّة فإذا بنار فقال . . . وحرة واقم : إحدى حرّتي المدينة ، وهي الشرقية ، سميت برجل من العماليق اسمه واقم ، وكان قد نزلها في الدهر الأول . معجم البلدان (٢/٢٤٩) .

(٥) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . معجم البلدان (٣/٣٩٨) .

هاهنا ركبٌ قد قَصَّر بهم الليلُ ، انطلقْ بنا إليهم ، فأتيناهم فإذا امرأةٌ معها صبيانٌ لها وقِدْرٌ منصوبةٌ على النار وصبيانها يتضاغَوْن ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضَّوْء ، قالت : وعليكَ السلامُ . قال : أأدنو ؟ قالت : ادن [بخيرٍ] أو دَعْ . فدنا فقال : ما بالُكم ؟ قالت : قصَّرَ بنا الليلُ والبردُ . قال : فما بال هؤلاء الصبية يَتَضَاغَوْن ؟)[١] قالت : من الجوع . فقال : وأي شيءٍ على النار ؟ قالت : ماء أعللهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر . فبكى عمر ، ورجع يُهرول إلى دار الدّقيق ، فأخرج عِدْلًا من دقيقٍ وجرابَ شحمٍ ، وقال : يا أسلم احمله على ظهري ، فقلتُ : أنا أحملُه عنك . فقال : أنتَ تحملُ وزري يومَ القيامة ؟ فحملته[٢] على ظهره وانطلقنا إلى المرأة[٣] فألقى عن ظهره وأخرجَ من الدقيق في القدر ، وألقى عليه من الشَّحم ، وجعل ينفخُ تحت القدر والدخان يَتَخَلَّل لحيتَه ساعةً ، ثم أنزلها عن النار وقال : إيتيني بصَحْفة . فأُتي بها فغرفها[٤] ثم تركها بين يدي الصِّبيان وقال : كُلُوا ، فأكلوا حتى شبعوا ـ والمرأةُ تدعو له وهي لا تعرفُه ـ فلم يزل عندهم حتى نام الصغار[٥] ، ثم أوصلهم بنفقةٍ وانصرفَ ، (ثم أقبلَ عَلَيَّ) فقال : يا أسلم ، الجوعُ الذي أسهرهم وأبكاهم .

وقيل : إنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه رأى عمر وهو يعدو إلى ظاهر المدينة فقال له : إلى أين يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : قد ندَّ بعيرٌ من إبل الصَّدَقة فأنا أطلبه . فقال : قد أتعبتَ الخلفاءَ من بعدك .

وقيل : إنَّه رأى جارية تتمايل من الجوع فقال : مَنْ هذه ؟ فقالت ابنة عبد الله : هذه ابنتي . قال : فما بالُها ؟ فقالت إنك تحبس عنَّا ما في يدك فيصيبنا ما ترى . فقال : يا عبدَ الله ، بيني وبينكم كتابُ الله ، والله ما أعطيكم إلَّا ما فرضَ الله لكم ، أتريدون مني أن أُعطيَكم ما ليس لكم ؟ فأعود خائناً ؟ رُوي ذلك عن الزهري .

[تسمية عمر أمير المؤمنين]

وقال الواقدي[٦] : حدَّثنا أبو حَزْرَة[٧] يعقوب بن مجاهد، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي عمرو قال: قلت لعائشة : من سمَّى عمرَ الفاروقَ (أميرَ المؤمنين) قالت : النبي ﷺ قال : « أمير المؤمنين هو »[٨] .

---

(١) ما بين قوسين ساقط من أ .
(٢) في أ : فحمله .
(٣) في أ : الامرأة .
(٤) في أ : ثم غرفها .
(٥) في أ : حتى ناموا الصغار وهي لغة مفضولة .
(٦) الخبر في طبقات ابن سعد (٣/ ٣٧٢) .
(٧) في ط : أبو حمزة ؛ خطأ . ترجمته في تقريب التهذيب رقم (٦٠٨) ونزهة الألباب في الألقاب رقم (٢٩٨٢) .
(٨) في سنده الواقدي ، وهو متروك عند المحدثين .

وأوَّلُ من حَيَّاهُ بها المغيرةُ بن شعبة ، وقيل غيره ، فالله أعلم .

وقال ابن جرير[١] : حدَّثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، حدَّثتني أم عمرو بنت حسان الكوفية ـ وكان قد أتى عليها مئة وثلاثون سنة ـ عن أبيها قال : لما ولي عمر قالوا : يا خليفةَ خليفةِ رسولِ الله . فقال عمر : هذا أمرٌ يطولُ ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم . فسمي أمير المؤمنين .

وملخص ذلك[٢] أنَّ عمر رضي الله عنه لمَّا فرغَ من الحجِّ سنةَ ثلاثٍ وعشرين ونزل بالأبطح دعا اللهَ عزَّ وجلَّ وشكا إليه أنَّه قد كبرت[٣] سنُّه وضعفت قوّتُه ، وانتشرت رعيتُه ، وخاف من التقصير ، وسأل الله أن يقبضَه إليه ، وأن يمنَّ عليه بالشهادة في بلدِ النبي ﷺ ، كما ثبت عنه في الصحيح[٤] أنَّه كان يقول : اللهم إني أسألك شهادةً في سبيلك ، وموتاً في بلد رسولك ، فاستجاب له الله[٥] هذا الدعاءَ ، وجمعَ له بين هذين الأمرين الشهادةَ في المدينة النبوية وهذا عزيز جداً ، ولكنَّ الله لطيفٌ بما يشاء تبارك وتعالى ، فاتَّفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل ، الرومي الدار ، وهو قائمٌ يصلِّي في المحراب ، صلاةَ الصبح من يوم الأربعاء ، لأربعٍ بقين من ذي الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين ، فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ستّ ضربات ، إحداهن تحت سُرَّتِهِ قطعت السفاق فخرَّ من قامته ، واستخلف عبد الرحمن بن عوف ، ورجع العِلْجُ بخنجره لا يمرُّ بأحدٍ إلَّا ضربَهُ ، حتى ضربَ ثلاثةَ عشرَ رجلاً مات منهم ستة ، فألقى عليه عبد الله بن عوف بُرْنُساً فانتحر[٦] نفسه ـ لعنه الله ـ ، وحُمل عمر إلى منزله والدَّمُ يسيل من جرحه ـ وذلك قبل طلوع الشمس ـ فجعل يفيق ثم يُغْمَى عليه ، ثم يذكِّرونه بالصلاة فيفيق ويقول : نعم ، ولا حظَّ في الإسلام لمن تركها . ثم صلَّى في الوقت ، ثم سأل عمَّن قتله مَنْ هو ؟ فقالوا له : هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . فقال الحمد لله الذي لم يجعل منيَّتي على يَدَيْ رجل يَدَّعي الإيمانَ ولم يسجد لله سجدة . ثم قال : قبَّحه الله ، لقد كنَّا أمرنا به معروفاً ـ وكان المغيرةُ قد ضرب عليه في كل يوم درهمين ، ثم سأل من عمر أن يزيد في خراجه فإنه نجَّار نقَّاش حدَّاد ، فزاد في خراجه إلى مئة في كل شهر ـ وقال له : لقد بلغني أنك تُحسن أن تعمل رحا تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة : أما والله لأعملنَّ لك رحا يتحدث عنها الناس في المشارق والمغارب ـ وكان هذا يوم الثلاثاء عشية ـ وطعنه صبيحةَ الأربعاء لأربعٍ بقينَ من ذي الحجة . وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده في ستةٍ ممن تُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وهم عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ،

(١) في تاريخه (٤/٢٠٨) .
(٢) الخبر في طبقات ابن سعد (٣/ ٣٣٤) .
(٣) في أ : كبر سنه ؛ وهو خطأ لأن السنّ أنثى كما في اللسان (سنن) .
(٤) صحيح البخاري رقم (١٧٩١) في فضائل المدينة .
(٥) في أ : فاستجاب الله له .
(٦) كذا في أ ، ط والذي في اللسان : انتحر الرجل أي نحر نفسه .

ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العَدَوي فيهم ، لكونه من قبيلته ، خشيةَ أن يُراعَى في الإمارةِ بسببه ، وأوصى مَنْ يستخلفُ بعده بالناس خيراً على طبقاتهم ومراتبهم ، ومات رضي الله عنه بعد ثلاثٍ ، ودُفن في يوم الأحد مستهلّ المحرم من سنة أربعٍ وعشرين ، بالحجرة النبوية ، إلى جانب الصدّيق ، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك ، وفي ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قال الواقدي[١] رحمه الله : حدَّثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال : طُعِنَ عمر يوم الأربعاء لأربعِ ليالٍ بقينَ من ذي الحجة سنة ثلاثٍ وعشرين ، ودُفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربعٍ وعشرين ، فكانت ولايته عشرَ سنين وخمسةَ أشهرٍ وأحداً وعشرين يوماً ، وبويع لعثمان يوم الإثنين لثلاثٍ مضينَ من [شهر] المحرم .

قال : فذكرتُ ذلك لعثمان الأخنسي[٢] فقال : ما أراكَ إلا وهلت[٣] . توفي عمر لأربعِ ليالٍ بقين من ذي الحجة ، وبويع لعثمان لليلةٍ بقيتْ من ذي الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربعٍ وعشرين .

وقال أبو معشر : قُتل عمر لأربع بقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاثٍ وعشرين وكانت خلافته عشرَ سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وبويع عثمان بن عفان[٤] .

وقال ابن جرير[٥] : حدثت عن هشام بن محمد قال : قُتل عمر لثلاثٍ بقينَ من ذي الحجة سنة ثلاثٍ وعشرين ، فكانت خلافته عشرَ سنين وستةَ أشهرٍ وأربعةَ أيامٍ .

وقال سيف : عن خليد بن ذَفْرَة[٦] ومجالد قالا استخلف عثمان [لثلاث][٧] من المحرم فخرج فصلَّى بالناس صلاة العصر .

وقال علي بن محمد المدائني ، عن شريك ، عن الأعمش ـ أو جابر الجعفي ـ عن عوف بن مالك الأشجعي وعامر بن أبي محمد ، عن أشياخٍ من قومه ، وعثمان بن عبد الرحمن ، عن الزُّهري قال : طُعن عمر يوم الأربعاء لسبعٍ بقينَ من ذي الحجة . والقول الأول هو الأشهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٦٥) .
(٢) في ط : الأخنس ، وما هنا عن أ والطبقات ، وهو عثمان بن محمد الأخنسي وهو من رجال التهذيب .
(٣) وَهِلَ وَهَلاً : ضعف . اللسان (وهل) .
(٤) في هامش أ : وبويع لعثمان يوم الإثنين لثلاث مضين من شهر محرم سنة ٢٤ .
(٥) في تاريخه (٤/ ١٩٤) .
(٦) في ط : وفرة ؛ خطأ ، والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ١٩٤) وتوضيح المشتبه (١٤/ ٣٩) .
(٧) سقطت من ط .

صفته رضي الله عنه

كان رجلاً طوالاً أصلعَ أعسرَ أيسرَ أحورَ العينين ، آدم[١] اللون ، وقيل كان أبيضَ شديد البياض تعلوه حمرةٌ ، أشنب[٢] الأسنان ، وكان يصفّر لحيته ، ويرجل رأسه بالحنّاء .

واختلف في مقدار سنّه يوم مات رضي الله عنه على أقوال عدتها عشرة :

فقال ابن جرير : حدَّثنا زيد بن أخزم[٣] ، حدَّثنا أبو قتيبة ، عن جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قُتل عمر بن الخطاب وهو ابنُ خمس وخمسين سنة .

ورواه الدراوَرْدي عن عبيد الله[٤] ، عن نافع ، عن ابن عمر . وقاله عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن الزُّهري ، ورواه أحمد ، عن هُشَيْم ، عن علي بن زيد ، عن سالم بن عبد الله بن عمر .

وعن نافع رواية أخرى ستّ وخمسون (سنة) .

قال ابن جرير وقال آخرون : كان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ، حدثت بذلك عن هشام بن محمد .

ثم روى عن عامر الشَّعبي أنَّه توفي وله ثلاث وستون سنة .

قلتُ : وقد تقدَّم في عُمْر الصدِّيق مثله .

وروي عن قتادة أنه قال : توفي عمر وهو ابن إحدى وستين سنة .

وعن ابن عمر والزُّهري خمس وستون .

وعن ابن عباس ست وستون .

وروى ابن جرير ، عن أسلم مولى عمر أنَّه قال : توفي وهو ابن ستين سنة . قال الواقدي[٥] : وهذا أثبت الأقاويل عندنا .

وقال المدائني : توفي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة .

ذكر زوجاته وأبنائه وبناته

قال الواقدي وابن الكلبي وغيرهما :

---

(١) الآدم من الناس : الأسمر . اللسان (أدم) ، وقد ساق ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٢٥) خبراً عن عبد الله بن عمر يقول فيه : كان أبي أبيض لا يتزوج النساء لشهوة إلا لطلب الولد . . إنما جاءتنا الأدمة من قبل أخوالي .

(٢) الشنب : البياض والبريق والتحديد في الأسنان . اللسان (أشنب) .

(٣) في ط : أحزم ؛ تحريف ، والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ١٩٧) وتقريب التهذيب .

(٤) في ط : عبد الله ؛ خطأ والتصحيح من أ وتاريخ الطبري (٤/ ١٩٧) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٨) وتاريخ الطبري (٤/ ١٩٨) .

تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مَظْعُون[١] أخت عثمان بن مَظْعُون فولدت له عبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة رضي الله عنهم .

وتزوج مليكة بنت جَرْول . فولدت له عُبيد الله ، فطلقها في الهُدْنة ، فخلف عليها أبو الجَهْم بن حُذَيْفة[٢] ، قاله المدائني .

وقال الواقدي : هي أمُّ كلثوم بنت جَرْول . فولدت له عُبيد الله وزيداً الأصغر . قال المدائني وتزوَّج قريبة[٣] بنت أبي أمية المخزومي ففارقها في الهُدْنة ، فتزوّجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر .

قالوا : وتزوج أمَّ حكيم[٤] بنت الحارث بن هشام بعد زوجها ـ حين قتل في الشام ـ فولدت له فاطمة ثمَّ طلَّقها . قال المدائني وقيل لم يطلِّقها .

قالوا : وتزوَّج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح من الأوس .

وتزوَّج عاتكة[٥] بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر[٦] ولما قُتل عمر تزوجها بعده الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنهم ، ويُقال هي أم ابنه عياض فالله أعلم .

قال المدائني : وكان قد خطب أمّ كلثوم[٧] ابنة أبي بكر الصديق وهي صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أم كلثوم : لا حاجةَ لي فيه ، فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنه خشنُ العيش ، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فصدَّه عنها . ودلّه على أم كلثوم[٨] بنت علي بن أبي طالب ، ومن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وقال : تعلَّقْ منها بسبب من رسول الله ﷺ ، فخطبها من علي فزوَّجه إياها ، فأصدقها عمر رضي الله عنه أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ، ورقية .

قالوا : وتزوَّج لُهَيَّة[٩] ـ امرأة من اليمن ـ فولدت له عبد الرحمن الأصغر ، وقيل الأوسط . وقال الواقدي هي أمّ ولد وليست زوجة .

قالوا وكانت عنده فُكَيْهة[١٠] أم ولد فولدت له زينب . قال الواقدي وهي أصغر ولده .

---

(١) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٨٥٧) .
(٢) الاستيعاب (٤/ ١٦٢٣) .
(٣) في أ : بدينة ؛ وهو تحريف ، وترجمتها في تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) والإصابة (٤/ ٣٩٠) .
(٤) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٩٣٢) والإصابة (٤/ ٤٢٣) .
(٥) ترجمتها في الاستيعاب (٤/ ١٨٧٦) .
(٦) في ط : مليكة ؛ خطأ والتصحيح من أ والاستيعاب (٤/ ١٨٧٧) وتاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) .
(٧) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) .
(٨) الاستيعاب (٤/ ١٩٥٤) وتاريخ الطبري (٤/ ٢٠٠) .
(٩) في أ : لهبة ؛ تحريف ، والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) والإصابة (٤/ ٣٩٩) .
(١٠) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩) .

قال الواقدي : وخطب أم أبان[١] بنت عتبة بن شيبة فكرهته وقالت : يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابساً ويخرج عابساً .

قلت : فجملة أولاده رضي الله عنه وأرضاه ثلاثة عشر ولداً ، وهم زيد الأكبر ، وزيد الأصغر ، وعاصم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأوسط ، قال الزبير بن بكار وهو أبو شحمة ، وعبد الرحمن الأصغر ، وعبيد الله ، وعياض ، وحفصة ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة ، رضي الله عنهم .

ومجموع نسائه اللاتي تزوَّجهنَّ في الجاهلية والإسلام ممن طلقهن أو مات عنهن سبع ، وهي جميلة بنت عاصم بن ثابت بن [أبي] الأقلح ، وزينب بنت مَظْعون ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وقُرَيْبة[٢] بنت أبي أمية ، ومُليكة بنت جَرْول ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، وأم كلثوم أخرى وهي مُلَيْكة بنت جَرْول . وكانت له أمتان له منهما أولاد ، هما فكيهة ولُهَيَّة ، وقد اختلف في لُهَيَّة هذه فقال بعضهم : كانت أم ولد ، وقال بعضهم : كان أصلها من اليمن وتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فالله أعلم .

ذكر بعض ما رُثي به

قال علي بن محمد المدائني : عن ابن دأب وسعيد بن خالد ، عن صالح بن كيسان ، عن المُغيرة بن شعبة ، قال : لما مات عمر بكته ابنةُ أبي حَثْمة[٣] فقالت : واعمراه ، أقام الأوَد ، وأبرَّ العَهْد ؛ أمات الفِتَن ، وأحيا السُّنَن ؛ خرج نقيَّ الثوب ، بريئاً من العَيْب .

قال : فقال عليُّ بن أبي طالب : والله لقد صدقتِ ، ذهب بخيرها ، ونجا من شرِّها ، أما والله ما قالت ولكن قُوِّلت .

قال : وقالت عاتكةُ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل في زوجها عمر[٤] : [من الطويل]

فَجَّعَني فَيْروز لا دَرَّ دَرُّهُ[٥] ... بِأَبْيَضَ تَالٍ لِلْكتابِ مُنيبِ

رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدى ... أَخي[٦] ثِقَةٍ في النّائباتِ نَجيبِ

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٠٠) والاستيعاب (٤/ ١٩٢٤) .
(٢) في أ : قرينة ؛ تحريف ، وترجمتها في الإصابة (٤/ ٣٩٠) .
(٣) في ط : خيثمة ؛ تحريف ، والتصحيح من الطبري (٤/ ٢١٨) .
(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢١٩) .
(٥) في أ : فجعني في روح الادر دره : وما هنا موافق لرواية الطبري .
(٦) في أ : أخا ثقة .

مَتَى ما يَقُلْ لا يُكْذِبِ القَوْلَ فِعْلُهُ سَريعٍ إلى الخَيْراتِ غَيْرِ قَطوبِ

وقالت أيضاً[١] : [من الخفيف]

عينُ جُودي بعَبْرَةٍ وَنحيبِ لا تَمَلِّي على الإمامِ النَّجيبِ
فَجَّعَتْنا[٢] المَنُونُ بالفارسِ المُعْـ ـلمِ يومَ الهِياجِ والتَّلبيبِ[٣]
عِصْمةِ النّاسِ والمعينِ على الدَّهْـ ـرِ وغيثِ المُنْتابِ والمَحْروبِ[٤]
قل لأهل السّراءِ[٥] والبؤسِ موتوا قد سَقَتْهُ المَنُونُ كَأْسَ شَعُوبِ[٦]

[وقالت امرأة من المسلمين تبكيه[٧] : [من الهزج]

سَيبكيكَ نِساءُ الحَيْ يِ[٨] يبكينَ شجياتِ
وَيَخْمشْنَ وُجوهاً كالد دنانيرِ نَقيّاتِ
وَيَلْبَسْنَ ثِيابَ الحُزْ نِ[٩] بَعْدَ القُصبياتِ]

وقد ذكر ابن جرير[١٠] ترجمة طويلة لعمر بن الخطاب ، وكذلك أطال ابن الجوزي[١١] في سيرته ، وشيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي في « تاريخه »[١٢] وقد جمعنا متفرقات كلام الناس في مجلد مفرد ، وأفردنا لما أسنده وروي عنه من الأحكام مجلداً آخر كبيراً مرتباً على أبواب الفقه ولله الحمد .

قال ابن جرير[١٣] : وفي هذه السنة توفي قتادة بن النُّعمان ، وفيها غزا معاويةُ الصائفةَ حتى بلغ

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢١٩) وتاريخ دمشق ـ مجلد عمر ـ ٤١٢ ، وأسد الغابة (٤/ ١٨١) وتاريخ الخلفاء (١٧٧) .
(٢) في المصادر السابقة : فجعتني .
(٣) في تاريخ الخلفاء : والتأنيب . ولبَّب الرجل : جعل ثيابه في عنقه في الخصومة ثم قبضه وجره . اللسان (لبب) .
(٤) المحروب : حُرِبَ ماله أي سُلِبَهُ فهو محروب وحريب . اللسان (حرب) .
(٥) في أ وتاريخ الخلفاء : الضراء ، وفي تاريخ دمشق السرور .
(٦) في أ ، ط : سغوب ، وما هنا عن مصادره ، ولم يرد البيت في أسد الغابة .
(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢١٩) وتاريخ دمشق ـ مجلد عمر ـ (٤١٢) وليست الأبيات في أ ، ووضع في ط بين معقوفين ، وفي الهامش : زيادة عن المصرية .
(٨) في تاريخ دمشق : تبكيك نساء الجن ؛ وعلى هذه الرواية فالبيت مخروم كما أشارت إلى ذلك المحققة في الهامش .
(٩) في تاريخ دمشق : ثياب السود .
(١٠) في تاريخه (٤/ ١٩٠ ـ ٢٤١) .
(١١) لابن الجوزي كتاب منفرد في سيرة عمر رضي الله عنه سماه « مناقب عمر بن الخطاب » .
(١٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٥٠ ـ ٦٥) طبعة القدسي .
(١٣) في تاريخه (٤/ ٢٤١) .

عمورية ومعه من الصحابة عُبادة بن الصّامت ، وأبو أيوب ، وأبو ذر ، وشدّاد بن أوس . وفيها فتح معاوية عسقلان صلحاً .

قال : وفيها كان على قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة كعب بن سُور(١) .

قال : وأما مصعب الزبيري فإنه ذكر أن مالكاً روى عن الزهري أن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في « تاريخه »(٢) في سنة ثلاث وعشرين . فيها كانت قصة سارية بن زنيم .

وفيها فتحت(٣) كرمان وأميرها سهيل بن عدي .

وفيها فتحت سجستان ، وأميرُها عاصمُ بن عمرو .

وفيها فُتحت مكران ، وأميرُها الحكمُ بن أبي العاص ، أخو عثمان ، وهي من بلاد الجبل .

وفيها رجع أبو موسى الأشعري من بلاد أصبهان وقد افتتح بلادها .

وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية .

[قتادة بن النعمان الأنصاري الأوسي](٤)

ثم ذكر وفاة من مات فيها . فمنهم قَتَادة بن النُّعْمان الأنْصاري الأوْسي الظفري أخو أبي سعيد الخُدري لأمِّه ، وقتادة أكبر منه ، شهد بدراً وأُصيبتْ عينُه في يوم أُحد حتى وقعت على خدّه فردَّها رسولُ الله ﷺ فصارت أحسنَ عينيه ، وكان من الرُّماة المذكورين ، وكان على مُقَدّمة عمر حين قدم إلى الشام . توفي في هذه السنة على المشهور عن خمس وستين سنة ، ونزل عمر في قبره ، وقيل إنه توفي في التي قبلها .

ثم ذكر ترجمة عمر بن الخطاب فأطال فيها وأكثر وأطنب ، وأتى بمقاصد كثيرة مهمة ، وفوائد جمة ، وأشياء حسنة ، فأثابه الله الجنة .

ثم قال : ذكر من توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

الأَقْرَعُ بن حابِس(٥) بن عِقَال بن محمد بن سُفيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن

---

(١) في الأصل والمطبوع : سوار ، والتصحيح من كتب الرجال ، وقد مرَّ على الصواب صفحة (٢١٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٤٩) .

(٣) في أ : فتح .

(٤) ترجمة ـ قتادة بن النعمان ـ في جامع الأصول (١٥/ ٥٩) والاستيعاب (٣/ ١٢٧٤) وتاريخ ابن عساكر ـ المختصر ـ (٢١/ ٦٧) وأسد الغابة (٤/ ٣٨٩) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٣) والإصابة (٨/ ١٣٨) .

(٥) ترجمة ـ الأقرع بن حابس ـ في الاستيعاب (١/ ١٠٣ـ١٠٤) وجامع الأصول (١٣/ ٢٧ ـ ٢٨) وأسد الغابة (١/ ١٢٨ ـ ١٣٠) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٤) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٥/ ١٣ ـ ١٩) والإصابة (١/ ٥٨ ـ ٥٩) .

زيد مَناة بن تَميم التَّميمي المُجَاشعي . قال ابن دريد[١] : واسمه فراس بن حابس ولُقّب بالأَقْرع لقَرَعٍ في رأسه . وكان أحدَ الرؤساء ، قدم على رسول الله ﷺ مع وفد بني تميم ، وهو الذي نادى من وراء الحجرات : يا محمد إنَّ مدحي زين ، وذمي شين ، وهو القائل ـ وقد رأى الله يقبل الحسن ـ أتقبِّله ؟ والله إنَّ لي عشرةً من الولد ما قبَّلت واحداً منهم . فقال « منْ لا يَرْحم لا يُرحم »[٢] . وفي رواية « ما أملك إن نزعَ اللهُ الرحمةَ من قلبك » وكان ممَّنْ تألَّفه رسول الله ﷺ فأعطاه يوم حُنين مئة من الإبل ، وكذلك لعيينة بن حصن الفزاري ، وأعطى عباس بن مرداس خمسين من الإبل فقال[٣] : [من المتقارب]

أتجعـل نهبـي ونهـبَ العبيـ ـدِ بيـنَ عُيينـة والأقـرعِ
فما كـانَ حصنٌ ولا حـابسٌ يفـوقـانِ مـرداسَ فـي مجمـعِ
وما كنتُ دونَ امرىءٍ منهما ومـنْ يُخْفـضِ اليـومَ لا يُـرْفَـعِ

فقال له رسول الله ﷺ أنت القائل :

أتجعـلُ نهبـي ونهـبَ العبيـ ـدِ بيـنَ الأقـرعِ وعيينـةَ

رواه البخاري[٤] قال السهيلي[٥] : إنما قدَّم رسول الله ﷺ ذكر الأقرع قبل عيينة ، لأنَّ الأقرع كان خيراً من عيينة ، ولهذا لم يرتدَّ بعد النبي ﷺ كما ارتد عيينة ، فبايع طليحة وصدَّقه ثمَّ عاد .

والمقصود أن الأقرعَ كان سيداً مطاعاً ، وشهد مع خالد وقائعه بأرض العراق ، وكان على مقدمته يوم الأنبار .

ذكره شيخنا فيمن توفي في خلافة عمر بن الخطاب .

والذي ذكره ابن الأثير في الغابة[٦] أنه استعمله عبد الله بن عامر على جيش وسيَّره إلى الجُوْزجان فقتل وقتلوا جميعاً ، وذلك في خلافة عثمان كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

---

(١) الاشتقاق (٢٣٩) .
(٢) الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه وأخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٩٧) في الأدب ومسلم في صحيحه (٢٣١٨) في الفضائل . والرواية الثانية عند البخاري (٥٩٩٨) عن عائشة رضي الله عنها .
(٣) الأبيات هي الأولى من سبعة وردت في الاستيعاب (٢/ ٨١٨) .
(٤) الحديث من أفراد مسلم رقم (١٠٦٠) وليس عنده قول النبي ﷺ : أنت القائل . . . وانظر « الجمع بين الصحيحين » للحميدي رقم (٧٧٢) . ومرَّ على الصواب في قسمة غنائم هوازن فيما تقدم .
(٥) الروض الأنف (٤/ ٢٢٢) . وفيه تقديم الأقرع على عيينة ، وفي الأصول والمطبوع : عيينة والأقرع والسياق ينفيه وقد تقدم ذلك على الصواب في قسمة غنائم هوازن .
(٦) أسد الغابة (١/ ١٣٠) .

حُباب بن المُنْذِر[١] بن الجَموح بن زيد بن حَرَام بن كَعْب بن غَنْم بن كَعْب بن سلمة أبو عمر ويقال أبو عمرو الأنْصاري الخَزْرجي السلمي ، ويقال له ذو الرأي لأنه أشار يوم بدر أن ينزل رسول الله ﷺ على أدنى ماءٍ يكون إلى القوم ، وأن يغور ما وراءهم من القُلب فأصاب في هذا الرأي ، ونزل الملَك بتصديقه وأما قوله يوم السقيفة : أنا جُذَيْلُها المُحكَّكُ ، وعُذَيقها المُرَجَّب[٢] ، منا أمير ومنكم أمير . فقد رده عليه الصديق والصحابة .

ربيعة بن الحارث[٣] بن عبد المطلب [الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ] .

عتبة بن مسعود[٤] الهذلي ، هاجر مع أخيه لأبويه ، عبد الله إلى الحبشة شهد أحداً وما بعدها . قال الزُّهري[٥] : ما كان عبدُ الله بأفقه منه ، ولكن مات عتبةُ قبله ، وتوفي زمن عمر على الصحيح ، ويقال في زمن معاوية سنة أربع وأربعين .

عَلْقَمة بن عُلَاثَة[٦] بن عَوْف بن الأحوص بن جَعْفر بن كلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة العامري الكلابي ، أسلم عام الفتح وشهد حُنيناً ، وأُعطي يومئذ مئة من الإبل تأليفاً لقلبه ، وكان يكون بتهامة ، وكان شريفاً مطاعاً في قومه ، وقد ارتدَّ أيامَ الصدّيق ، فبعث إليه سريةً فانهزم ، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامُه ، ووفد على عمر في خلافته ، وقدم دمشق في طلب ميراثٍ له ثمَّ ، ويقال استعمله عمرُ على حوران فمات بها ، وقد كان الحطيئة قصدَه ليمتدحه[٧] فمات قبل مقدمه بليالٍ فقال[٨] : [من الطويل]

فما كانَ بيني لو لَقيتُك سالماً وبين الغِنَى[٩] إلا ليالٍ قلائلُ

---

(١) ترجمة ـ حباب بن المنذر ـ في أسد الغابة (١/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) والإصابة (١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) .

(٢) مثل عربي قديم أوردته في معجم الأمثال العربية (١/ ٣١٧) وفيه ذكر مصادره القديمة . وفي اللسان (عذق ورجب وجذل) : عنى بالجُذيل هنا الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفي به ، والعذيق ـ تصغير عذق النخلة ـ وهو غصنها وهو تصغير تعظيم ، وأراد من هذا المثل : أنه قد جربتني الأمور . وقد جاءت اللفظة في ط : ومزيجها ؛ وهو تحريف .

(٣) ترجمة ـ ربيعة بن الحارث ـ في الاستيعاب (١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) وجامع الأصول (١٤/ ٥٠) وأسد الغابة (٢/ ٢٠٩) والإصابة (١/ ٥٠٦) .

(٤) ترجمة ـ عتبة بن مسعود الهذلي ـ في الطبقات لابن سعد (٤/ ٩٣) والاستيعاب (٣/ ١٠٣٠) وأسد الغابة (٣/ ٥٦٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٠) والإصابة (٢/ ٤٥٦) .

(٥) في أ : الترمذي ؛ خطأ .

(٦) ترجمة ـ علقمة بن علاثة ـ في الاستيعاب (٣/ ١٠٨٨) وجامع الأصول (١٤/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧) وأسد الغابة (٤/ ٨٦) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤٢) والإصابة (٢/ ٥٠٣ ـ ٥٠٥) .

(٧) القصيدة في ديوانه (٢١٣ ـ ٢١٥) .

(٨) البيت مطلع قصيدة أخرى جاءت في ديوانه بعد الأولى (٢١٦ ـ ٢١٧) .

(٩) في أ : العلى .

علقمة بن مُجَزِّز[١] بن الأعْور بن جَعْدَة بن مُعاذ بن عُتْوارَة بن عمرو بن مُدْلج الكِناني المُدْلجي ، أحد أمراء رسول الله ﷺ ، على بعض السرايا ، وكانت فيه دُعابةٌ ، فأجَّج ناراً وأمر أصحابه أن يدخلوا فيها فامتنعوا ، فقال النبي ﷺ : « لو دخلوا فيها ما خرجوا منها »[٢] وقال « إنما الطاعة في المعروف » . وقد كان علقمة جواداً ممدحاً رثاه جواس العذري[٣] فقال : [من الكامل]

إنَّ السَّلامَ وحُسْنَ كلِّ تَحيَّةٍ تَغْدو على ابنِ مُجَزِّزٍ وتَروحُ

عُوَيْم بن ساعِدَة[٤] بن عَابس[٥] أبو عبد الرحمن الأنْصاري الأوْسي ، أحد بني عمرو بن عوف ، شهد العقبة وبدراً وما بعدها ، له حديث عند أحمد[٦] وابن ماجه[٧] في الاستنجاء بالماء . قال ابن عبد البر[٨] : توفي في حياة النبي ﷺ وقيل في خلافة عمر . وقال وهو واقف على قبره : لا يستطيع أحد أن يقول أنا خيرٌ من صاحب هذا القبر ما نُصبت رايةٌ للنبي ﷺ (إلا وهو واقف تحتها . وقد روى هذا الأثر ابن أبي عاصم كما أورده ابن الأثير من طريقه .

غيْلان بن سَلَمة الثَّقفي[٩] أسلم عام الفتح على عشر نسوة فأمره رسول الله ﷺ) أن يختار منهنَّ أربعاً ،

---

(١) ترجمة ـ علقمة بن مجزز ـ في أسد الغابة (٤/ ٨٧) والإصابة (٢/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦) .

(٢) الحديث بشقيه رواه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٩٤) والبخاري في صحيحه (٧٢٥٧) في أخبار الآحاد ، ومسلم في صحيحه (١٨٤٠) في الإمارة .

(٣) هو جَوَّاس بن قُطْبَة العذري أحد بني الأحبّ رهط بثينة ، وكان وأخوه عبد الله يهاجيان جميلاً ، وكان عمر رضي الله عنه قد بعثه في جيش إلى الحبشة فماتوا جميعاً من ماء مسموم شربوه ، فرثاه جواس بأبيات أوردها الأغاني (٢٢/ ١٥٠ و١٥٤ـ١٥٥) .

(٤) ترجمة ـ عويم بن ساعدة ـ في الاستيعاب (٣/ ١٢٤٨) وجامع الأصول (١٤/ ٥٦٨) وأسد الغابة (٤/ ٣١٥ ـ ٣١٦) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤١) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٤٦٦) والإصابة (٣/ ٤٤) .

(٥) عابس : بالباء الموحدة ومهملتين ، قيده الحافظ ابن حجر في « التقريب » ، وكذلك هو بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (الورقة ٢٣٣ من مجلد أيا صوفيا ٣٠٠٥) والمصنف إنما ينقل منه هنا . ومثله في تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٦٦) والإصابة (٣/ ٤٤) . ووقع في بعض المصادر كطبقات ابن سعد (٣/ ٤٥٩) والاستيعاب (٣/ ١٢٤٨) ، وأسد الغابة (٤/ ٣١٥) : « عائش » ، والمختار ما أثبتناه (بشار) .

(٦) مسند أحمد (٣/ ٤٢٢) وهو حديث حسن .

(٧) هكذا قال المصنف ، وإنما أخرج ابن ماجه في سننه (١٨٦١) حديث : « عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً ، وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير » ، واسمه فيه : عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري . وقد ذكر المزي هذا الحديث في مسند عتبة بن عويم من تحفة الأشراف (٦/ حديث ٩٧٥٦) ثم أفرد مسنداً لعويم بن ساعدة وأحال على مسند عتبة بن عويم ، والصواب أنه من مسند عويم بن ساعدة ، كما في معجم الطبراني الكبير (١٧/ حديث ٣٥٠) والأوسط (٤٥٨) ، وتهذيب الكمال (١٠/ ١٦٤) .

(٨) في الاستيعاب (٣/ ١٢٤٨) .

(٩) ترجمة ـ غيلان بن سَلَمة الثقفي ـ في الاستيعاب (٣/ ١٢٥٦) وتاريخ دمشق ـ ط دار الفكر ـ (٤٨/ ١٣٣ ـ ١٤٢)=

وقد وفد قبل الإسلام على كسرى فأمره أن يبني له قصراً بالطائف ، وقد سأله كسرى : أيُّ ولدك أحبُّ إليكَ ؟ قال الصغير حتى يكبر ، والمريضُ حتى يبرأ ، والغائبُ حتى يقدم ، فقال له كسرى أنّى لكَ هذا ؟ هذا كلام الحكماء . قال : فما غذاؤك ؟ قال : البُرّ . قال : نعم هذا من البُرّ لا من التمر واللبن .

معمر بن الحارث[١] بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي أخو حاطب وحطاب ، أمهم قَيْلة[٢] بنت مظعون ، أخت عثمان بن مظعون ، أسلم معمر قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، وشهد بدراً وما بعدها ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاذ بن عفراء .

ميسرة بن مسروق العبسي[٣] : شيخٌ صالحٌ . قيل إنه صحابي . شهدَ اليرموك ، ودخل الرومَ أميراً على جيش ستة آلاف ، وكانت له همة عالية فقتل وسبى وغنم وذلك في سنة عشرين ، وروى عن أبي عبيدة وعنه أسلم (مولى عمر ، لم يذكره ابن الأثير في « الغابة ») .

واقد بن عبد الله[٤] بن عبد مناف بن عَزيز[٥] الحَنْظلي اليَرْبوعي ، حليف بني عَدِيّ بن كَعْب ، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرْقَم ، وشهد بدراً وما بعدها ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور ، وهو أول من قتل في سبيل الله عزَّ وجلَّ ببطن نخلة ، مع عبد الله بن جحش حين قتل عمرو بن الحَضْرمي ، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه .

أبو خِرَاش الهُذَلي[٦] الشاعر[٧] واسمه خُوَيْلد بن مُرَّة ، كان يسبق الخيلَ على قدميه ، وكان فَتَّاكاً في الجاهلية ، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامه ، وتوفي في زمن عمر . أتاه حُجاج فذهب يأتيهم بماء فنهشته حيةٌ فرجع إليهم بالماء وأعطاهم شاة وقدراً ، ولم يعلمهم بما جرى له ، فأصبح فمات فدفنوه . ذكره ابن عبد البر وابن الأثير في أسماء الصحابة ، والظاهر أنه ليست له وفادة ، وإنما أسلم في حياة النبي ﷺ فهو مخضرم ، والله أعلم .

= وجامع الأصول (١٥/ ٨) وأسد الغابة (٤/ ٣٤٣) ومختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٢٢) والإصابة (٣/ ١٨٩) .

(١) ترجمة ـ معمر بن الحارث ـ في الطبقات (٣/ ٤٠٢) والاستيعاب (٣/ ١٤٣٣) ، وأسد الغابة (٥/ ٢٣٤) والإصابة (٣/ ٤٤٨) .

(٢) هكذا في أ وط ، وهو الموافق لما جاء في تاريخ الإسلام (الورقة ٢٣٥ من مجلد أياصوفيا ٣٠٠٥ بخطه) والمصنف ينقل منه . واسمها في مصادر الترجمة « قتيلة » .

(٣) ترجمة ـ ميسرة بن مسروق العبسي ـ في الإصابة(٣/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠) .

(٤) ترجمة ـ واقد بن عبد الله ـ في الطبقات (٣/ ٣٩٠) وأسد الغابة (٥/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) والإصابة (٣/ ٦٢٨) .

(٥) في ط : « عرين » ، محرف .

(٦) ترجمة ـ أبي خراش الهذلي ـ في الاستيعاب (٤/ ١٦٣٦) وأسد الغابة (١/ ٣٨٧) والإصابة (١/ ٤٦٥) .

(٧) في هامش أ : ترجمة أبو خراش الهذلي الشاعر .

أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب[١] بن عمرو الأنصاري شهد أُحداً وما بعدها ، إلّا تبوك فإنه تخلف لعذر الفقر[٢] ، وهو أحد البكائين المذكورين .

سَوْدَة بنت زَمْعَة[٣] القرشية العامرية أم المؤمنين ، أول من دخل بها رسول الله ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها ، وكانت صَوَّامةً قَوَّامةً ، ويقال : كان في خلقها حدّةٌ ، وقد كبرت فأراد رسول الله ﷺ أن يفارقها ـ ويقال : بل فارقها ـ فقالت : يا رسول الله لا تفارقني ، وأنا أجعل يومي لعائشة ؛ فتركها رسول الله ﷺ وصالحها على ذلك . وفي ذلك أنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ ﴾ [النساء : ١٢٨] الآية . قالت عائشة : نزلت في سودة بنت زمعة ، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب .

هند بنت عتبة[٤] يقال : ماتت في خلافة عمر وقيل توفيت قبل ذلك كما تقدم فالله أعلم[٥] .

* * *

(١) ترجمة ـ عبد الرحمن بن كعب ـ في الاستيعاب (٣/ ٨٥٢) وجامع الأصول (١٤/ ٤٩٩) وأسد الغابة (١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) والإصابة (٢/ ٤٢) .

(٢) في أ : فإنه تعذر بالفقر .

(٣) ترجمة ـ أم المؤمنين سودة ـ في الاستيعاب (٤/ ١٨٦٧) وجامع الأصول (١٤/ ٣/ ٢١) وأسد الغابة (٧/ ١٥٧) وتهذيب الأسماء واللغات (١٢/ ٣٤٨) . وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٩) والإصابة (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .

(٤) ترجمة ـ هند بن عتبة ـ في الاستيعاب (٤/ ١٩٢٢) وتاريخ دمشق ـ ط دار الفكر/ تراجم النساء ـ (٤٣٧ ـ ٤٥٩) وأسد الغابة (٧/ ٢٩٢) . والإصابة (٤/ ٤٢٥) .

(٥) بعدها في أ : والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ـ مما يدخل في باب تجزئة الكتاب ، ولذلك فقد جاء في بداية الورقة التالية : يتلوه خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٢٤ من الهجرة النبوية .

خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

ثم استهلت سنة أربع وعشرين [من الهجرة النبوية]

ففي أوّل يوم منها دُفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك يوم الأحد في قولٍ ، وبعد ثلاثة[١] أيام بُويع أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

كان عمر رضي الله عنه قد جعل الأمر بعده شورى بين ستّة نفرٍ ، وهم : عثمان بن عَفّان ، وعليُّ بن أبي طالب ، وطلحة بن عُبيد الله ، والزُّبير بن العَوّام ، وسعد بن أبي وَقّاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم . وتحرَّج أن يجعلها لواحدٍ من هؤلاء على التعيين ، وقال : لا أتحمّل أمرهم حياً وميتاً ، وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء ، كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ ، ومن تمام[٢] ورعه لم يذكر في الشورى سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل لأنه ابنُ عمه ، خشي أن يراعَى فيُولّى لكونه ابن عمه ، فلذلك تركه . وهو أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة ، بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه أنه استثناه من بينهم ، وقال لَسْتُ مدخله فيهم ، وقال لأهل الشورى : يحضركم عبد الله ـ يعني ابنه ـ وليس إليه من الأمر شيء ـ يعني بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يُولّى شيئاً ـ وأوصى أن يصلِّي بالناس صُهَيْب بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى ، وأن يجتمع أهل الشورى ويوكل بهم أناس حتى ينبرم الأمر ، ووكل بهم خمسين رجلاً من المسلمين وجعل عليهم مُستحثّاً أبا طلحة الأنصاري والمقداد بن الأسود الكندي .

وقد قال عمر بن الخطاب : ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلي أحداً ، إنهما كانا يكتبان الوحي بين يَدَيْ رسول الله ﷺ بما ينزل به جبريل عليه .

قالوا : فلما مات عمر رضي الله عنه وأُحضرت جنازتُه تبادر إليها عليٌّ وعثمانُ أيهما يصلِّي عليه ، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف : لستُما من هذا في شيء ، إنَّما هذا إلى صُهيب الذي أمره عمر أن يصلِّي بالناس . فتقدَّم صهيبٌ وصلَّى عليه ، ونزل في قبره مع ابنه عبد الله أهل الشورى سوى طلحة فإنَّه كان غائباً ، فلمَّا فرغ من شأن عمر جمعهم المقداد بن الأسود في بيت المسور بن مخرمة ، وقيل في حجرة عائشة ، وقيل في بيت المال ، وقيل في بيت فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ، والأول أشبه والله أعلم .

(١) أ ، ط : ثلاث ؛ وما هنا للسياق النحوي .
(٢) في أ : وحسبي أنه من . .

فجلسوا في البيت وقام أبو طلحة يحجبهم ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا من وراء الباب فحصبهما[١] سعد بن أبي وقاص وطردهما وقال جئتما لتقولا : حضرنا أمر الشورى ؟ رواه المدائني عن مشايخه والله أعلم بصحته .

والمقصود أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم ، فكثر القول ، وعلتِ الأصواتُ وقال أبو طلحة : إني كنت أظن أن تدافعوها ولم أكن أظنُّ أن تنافسوها ، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فَوّض ثلاثةٌ منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علي ، وفوض سعد ما له في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، وترك طلحة حقَّه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوضُ الأمر إليه والله عليه والإسلام ليولينَّ أفضلَ الرجلين الباقيين فأسكت الشيخان علي وعثمان ، فقال عبد الرحمن : إني أترك حقي من ذلك والله علي والإسلام أن أجتهد فأولّي أَوْلاكما بالحقِّ ، فقالا نعم ! ثم خاطب كلَّ واحدٍ منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهدَ والميثاقَ لئن ولاه ليعدلنَّ ولئن ولِّي عليه ليسمعنَّ وليطيعنَّ ، فقال كل منهما نعم ! ثم تفرقوا ، ويروى أنَّ أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين في أفضلهم ليولِّيه ، فيذكر أنه سأل [كل] من يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا يشير إلَّا بعثمان بن عفان ، حتى أنَّه قال لعلي : أرأيت إن لم أولّكَ بمن تشير به (علي ؟ قال : بعثمان . وقال لعثمان : أرأيت إن لم أولِّكَ بمن تشير به ؟) قال : بعلي بن أبي طالب .

والظاهر أنَّ هذا كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل والله عليه والإسلام ليجتهدنّ في أفضل الرجلين فيولِّيه .

ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيهما ويجمع رأي المسلمين برأي رؤوس[٢] الناس وأقيادهم جميعاً وأشتاتاً ، مثنئ وفرادى ، ومجتمعين ، سراً وجهراً ، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهنَّ وحتى سأل الولدان في المكاتب ، وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة ، في مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان في تقدُّم عثمان بن عفان ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلي بن أبي طالب ، ثم بايعا مع الناس على ما سنذكره .

فسعى في ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يغتمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاءً واستخارة ، وسؤالاً من ذوي الرأي عنهم ، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان رضي الله عنه .

فلمَّا كانت الليلة يسفر صباحُها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن أخته[٣]

---

(١) في ط : فحصبهم .
(٢) في أ : المسلمين برؤوس . .
(٣) في أ : منزل أخيه ، خطأ . ينظر تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٨٢) ، وما يأتي من الكلام .

المسور بن مخرمة فقال : أنائم يا مسور ؟ والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث ، اذهب فادع لي[١] علياً وعثمان . قال المسور : فقلت بأيهما أبدأ ؟ فقال بأيهما شئت ، قال فذهبت إلى علي فقلت أجب خالي ، فقال : أمركَ أن تدعوَ معي أحداً ؟ قلتُ : نعم ! قال : من ؟ قلتُ : عثمان بن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟ قلت : لم يأمرني بذلك ، بل قال ادعُ لي أيهما شئت أولاً ، فجئت إليك قال فخرج معي ، فلمَّا مررنا بدار عثمان بن عفان جلس عليٌّ حتى دخلت فوجدته يُوتر مع الفجر ، فقال لي كما قال لي علي سواء ، ثم خرج فدخلت بهما على خالي وهو قائم يصلِّي ، فلمَّا انصرف[٢] أقبل على علي وعثمان فقال : إنّي قد سألتُ الناس عنكما فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً ، ثم أخذَ العهدَ على كلٍّ منهما أيضاً لئن ولاه ليعدلنّ ، ولئن ولِّي عليه ليسمعنّ وليطيعن[٣] .

ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التي عمَّمه رسول الله ﷺ ، وتقلَّد سيفاً ، وبعث إلى وجوه (الناس) من المهاجرين والأنصار ، ونُودي في الناس عامة : الصلاة جامعة ، فامتلأ المسجد حتى غصَّ بالناس ، وتراصّ الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع يجلسُ إلا في أُخريات الناس ـ وكان رجلاً حيياً رضي الله عنه ـ ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله ﷺ ، فوقف وقوفاً طويلاً ، ودعا دعاءً طويلاً ، لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال : أيها الناس إني [قد] سألتكم سراً وجهراً بأمانيكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما علي وإما عثمان ، فقم إلي يا علي[٤] ، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي ، قال فأرسل يده وقال : قم (إلي) يا عثمان ، فأخذ بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم ! فقال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال : اللهمَّ اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إني قد جعلت[٥] ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان .

قال وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر ، قال : فقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبايعونه ، وبايعه علي بن أبي طالب أولاً ، ويقال آخراً .

وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير[٦] وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن :

---

(١) في ط : إلي .
(٢) في ط : انصرفت ؛ خطأ : إذ المقصود انصرافه من الصلاة .
(٣) في أ : ويطيعن .
(٤) في أ : يا عثمان ؛ خطأ .
(٥) في ط : خلعت .
(٦) قصة الشورى في صحيح البخاري (٣٧٠٠) عن عمرو بن ميمون ، و(٧٢٠٧) عن المسور بن مخرمة . وما ذكره الطبري (٤/ ٤٣٤) فإسناده ضعيف جداً ، فيه عبد العزيز بن عبد الله بن جعفر متروك ، وفي متنه نكارة وافتراء على عليٍّ رضي الله عنه بأنه كان مخدوعاً في مجلس الشورى ، وأن عبد الرحمن بن عوف خدعه !! .
وانظر صحيح تاريخ الطبري (٣/ ٣٢٦) وضعيفه (٨/ ٤٤٩) .

خدعتني ، وإنك إنما ولّيته لأنَّه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه ، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠] إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائليها وناقليها ، والله أعلم .

والمظنون بالصحابة خلاف ما يَتَوَهَّمُ كثيرٌ من الرافضة وأغبياء القصَّاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ، ومستقيمها وسقيمها ، ومُنْـآدها[١] وقويمها ، والله الموفق للصواب .

وقد اختلف علماء السير في اليوم الذي بويع فيه لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فروى الواقدي عن شيوخه أنه بويع يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين ، وهذا غريب جداً .

وقد روى الواقدي أيضاً عن ابن جريج[٢] عن ابن أبي مليكة قال : بويع لعثمان بن عفان لعشرٍ خلونَ من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليالٍ ، وهذا أغرب من الذي قبله .

وكذا روى[٣] سيف بن عمر عن عامر الشَّعبي أنه قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاثٍ خلونَ من المحرم سنة أربع وعشرين ، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمع الناس بين الأذان والإقامة فخرج فصلَّى بهم العصر .

وقال سيف عن خُلَيد بن زفر[٤] ومجالد قالا : استُخلف عثمان لثلاثٍ خلونَ من المحرم سنة ثلاث وعشرين فخرج فصلَّى بالناس العصر ، وزاد الناسَ ـ يعني في أعطياتهم ـ مئة ، ووفد أهل الأمصار ، وهو أولُ من صنع ذلك[٥] .

قلت : ظاهر ما ذكرناه من سياق بيعته يقتضي أنَّ ذلك كان قبل الزوال ، لكنَّه لمَّا بايعه الناس في المسجد ذهب به إلى دار الشورى على ما تقدم فيها من الخلاف ، فبايعه بقية الناس ، وكأنه لم يتم البيعة إلا بعد الظهر ، وصلَّى صهيب يومئذ الظهر في المسجد النبوي ، وكان أول صلاة صلاها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر ، كما ذكره الشعبي وغيره .

وأما أول خطبة خطبها بالمسلمين فروى سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه قال : لما بايع أهلُ الشورى عثمان خرج وهو أشدّهم كآبةً فأتى منبر النبي ﷺ فخطبَ الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبي ﷺ ، وقال : إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، (فلقد

---

(١) في ط : مبادها ، ومنآدها : أي معوجها . القاموس (أود) .
(٢) في أ ، ط : ابن جرير ؛ خطأ والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ٢٤٢) .
(٣) في أ : روي عن .
(٤) في الأصل والمطبوع : خليفة بن زفر ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٥) جملة هذه الأخبار في تاريخ الطبري (٤/ ٢٤٢) .

أتيتم صُبِّحتم أو مسِّيتم ، ألا وإنَّ الدنيا طويت على الغرور) فلا تغرَّنكم (الحياة) الدنيا ولا يغرَّنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ثم جدُّوا ولا تغفلوا . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومُتِّعوا بها طويلاً ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة فإن اللهَ قد ضربَ لها مثلاً ، بالذي هو خير فقال تعالى : ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ [الكهف : ٤٥ ـ ٤٦] قال : وأقبل الناس يبايعونه .

قلت : وهذه الخطبة : إمَّا بعد صلاة العصر يومئذ ، أو قبل الزوال (وعبد الرحمن بن عوف جالس في رأس المنبر) وهو الأشبه ، والله أعلم . وما يذكره بعض الناس (من أن عثمان لمَّا خطب أول خطبة أُرتجَ عليه فلم يدرِ ما يقول حتى قال : أيها الناس ،) إنَّ أول مركب صعب ، وإن أعش فستأتيكم الخطبة على وجهها ، فهو شيء يذكره صاحب العقد[١] وغيره ، ممن يذكر طرف الفوائد ، ولكن لم أر هذا بإسناد تسكن النفس إليه ، والله أعلم .

وأمَّا قول الشعبي إنه زاد الناس مئة (مئة) ـ يعني في عطاء كل واحد من جند المسلمين ـ زاده على ما فرض له عمر مئة درهم من بيت المال وكان عمر قد جعل لكل نفس من المسلمين في كل ليلة من رمضان درهماً من بيت المال يفطر عليه ، ولأمهات المؤمنين درهمين (درهمين) فلما ولِّي عثمان أقر ذلك وزاده . واتخذ سماطاً في المسجد أيضاً للمتعبدين ، والمعتكفين ، وأبناء السبيل ، والفقراء ، والمساكين رضي الله عنه .

وقد كان أبو بكر إذا خطب يقوم على الدرجة التي تحت الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يقف عليها ، فلما ولِّي عمر نزل درجة أخرى عن درجة أبي بكر رضي الله عنهما ، فلمَّا ولِّي عثمان قال إنَّ هذا يطول فصعد إلى الدرجة التي كان يخطب عليها رسول الله ﷺ وزاد الأذان الأول يوم الجمعة ، قبل الأذان الذي كان يُؤَذَّن به بين يدي رسول الله ﷺ إذا جلس على المنبر .

وأما أول حكومة حكم فيها فقضية عبيد الله بن عمر ، وذلك أنه غدا على ابنة أبي لؤلؤة قاتل عمر فقتلها ، وضرب (رجلاً) نصرانياً يقال له جفينة بالسيف فقتله ، وضرب الهرمزان الذي كان صاحب تُسْتر فقتله ، وكان قد قيل إنهما مالأا أبا لؤلؤة على قتل عمر ، فالله أعلم .

و(قد) كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده ، فلما ولِّي عثمان وجلس للناس كان أول ما تحوكم إليه في شأن عبيد الله ، فقال علي : ما من العدل تركه ، وأمر بقتله ، وقال بعض المهاجرين : أيقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم ؟ فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين قد برأك الله من ذلك ، قضية لم تكن في أيامك فدعها عنك ، فودى عثمان رضي الله عنه أولئك القتلى من ماله ، لأن أمرهم إليه ، إذ

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (٤/ ٦٦) .

لا وارث لهم إلا بيت المال ، والإمام يرى الأصلح في ذلك ، وخلَّى سبيل عبيد الله . قالوا : فكان زياد بن لبيد البياضي إذا رأى عبيد الله بن عمر يقول[١] : [من الطويل]

ألا يا عُبَيْدَ اللهِ مالكَ مهربٌ[٢] ولا ملجأٌ من ابن أروى ولا خَفَرْ
أَصَبْتَ دماً واللهِ في غيرِ حِلِّهِ حراماً وقتلُ الهُرْمزانِ لهُ خَطَرْ
على غيرِ شيءٍ غيرَ أنْ قالَ قائلٌ أتَتَّهمُونَ الهُرْمُزانَ على عُمَرْ
فقالَ سفيهٌ والحوادثُ جَمَّةٌ نَعَمْ أتَّهمهُ قد أشارَ وَقَدْ أمَرْ
وكان[٣] سلاحُ العَبْدِ في جَوْفِ بيتِهِ يُقَلِّبها والأمرُ بالأمْرِ يُعتبرْ

قال : فشكا عبيد الله بن عمر زياداً إلى عثمان فاستدعى عثمان زياد بن لبيد فأنشأ زياد يقول في عثمان : [من الوافر]

أبا عمرو عُبَيْدُ اللهِ رهنٌ فلا تَشْكُكْ بقَتْلِ الهُرْمزانِ
فإنَّكَ إنْ غَفَرْتَ الجُرْمَ عنهُ وأسبابُ الخطا فَرَسا رِهانِ[٤]
أتعفُو إذْ عفوتَ بغيرِ حقٍّ فمالكَ بالذي تحكي[٥] يدانِ

قال : فنهاه عثمان عن ذلك وزبره فسكت زياد بن لَبيد عمَّا يقول .

ثم كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار أمراء الحرب ، والأئمة على الصلوات ، والأمناء على بيوت المال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثّهم على طاعة الله وطاعة رسوله ، ويحرضهم على الاتِّباع وترك الابتداع .

قال ابن جرير[٦] : وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرةَ بن شعبة عن الكوفة وولَّى عليها سعد بن أبي وقاص فكان أول عامل ولاه ، لأن عمر قال : فإن أصابت الإمرة سعداً فذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ولِّي ، فإني لم أعزله عن عجزٍ ولا خيانة ، فاستعمل سعداً عليها سنة وبعض أخرى .

ثم رواه ابن جرير من طريق سيف ، عن مجالد ، عن الشَّعبي ، وقال الواقدي فيما ذكره عن زيد بن أسلم عن أبيه أنَّ عمر أوصى أن تقر عماله سنة ، فلما ولِّي عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة [ثم عزله ، واستعمل سعداً ثم عزله وولَّى الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط .

---

(١) الأبيات ذكرها الطبري في تاريخه (٤/ ٢٣٩) عن المسور ، وسبق أن ذكرنا (ص٢٨٢) ضعف هذه الرواية سنداً ومتناً ، والأبيات فيها نكارة واتهام عثمان رضي الله عنه بالتقاعس عن إقامة العدل وإحقاق الحق . وانظر ضعيف تاريخ الطبري (٨/ ٤٥٤) .
(٢) أ : هارب ؛ وما هنا هو الأشبه .
(٣) أ : بأنّ .
(٤) البيت ليس في أ .
(٥) في ط : تخلي ؛ وما أثبتنا هو الأشبه وهي رواية الطبري .
(٦) في تاريخه (٤/ ٢٤٤) .

قال ابن جرير : فعلى ما ذكره الواقدي تكون ولاية سعد على الكوفة سنة][1] خمس وعشرين .

قال ابن جرير[2] : وفي هذه السنة ـ أعني سنة أربع وعشرين ـ غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام في أيام[3] عمر بن الخطاب ، وهذا في رواية أبي مخنف ، وأما في رواية غيره فإن ذلك كان في سنة ست وعشرين ، ثم ذكر ابن جرير هاهنا هذه الوقعة وملخصها أنَّ الوليد بن عقبة سار بجيش الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية ، حين نقضوا العهدَ فوطىء بلادهم وأغار بأراضي تلك الناحية فغنم وسبى وأخذ أموالاً جزيلة فلمَّا أيقنوا بالهلكة صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حُذيفة بن اليمان ثمانمئة ألف درهم في كل سنة ، فقبض منهم جزية سنة ثم رجع سالماً غانماً إلى الكوفة ، فمرَّ بالموصل . وجاءه كتاب عثمان وهو بها يأمره أن يمدَّ أهل الشام على حرب أهل الروم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى عثمان رضي الله عنه يستمدّونه فكتب إلى الوليد بن عقبة : أن إذا جاءك كتابي هذا فٱبعث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام . فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً حينَ وصلَ إليه كتابُ عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناسَ وحثَّهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام ، وأمَّر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فٱنتدب في ثلاثة أيام ثمانيةَ آلافٍ ، فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيبُ بن مَسْلَمَةَ[4] الفهري ، فلمَّا ٱجتمع الجيشان شَنُّوا الغاراتِ على بلاد الروم فغنموا وسَبَوْا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرةً ولله الحمد .

وزعم الواقدي أنَّ الذي أمدَّ أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنّما هو سعيد بن العاص عن كتاب عثمان رضي الله عنه فبعث سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى ٱنتهى إلى حبيب بن مسلمة وقد أقبل إليه المَوْريان[5] الرومي في ثمانين ألفاً من الروم والترك ، وكان حبيب بن مسلمة شجاعاً شهماً ، فعزم على أن يبيّت جيش الروم فسمعته امرأته يقول للأمراء ذلك فقالت له : فأين موعدي[6] معك ـ تعني أين أجتمع بك غداً ـ فقال لها : موعدك سرادق المَوْريان أو الجنة ، ثم نهض إليهم في ذلك الليل بمن معه من المسلمين ، فقتل من أشرف له وسبقته امرأته إلى سرادق المَوْريان فكانت أول ٱمرأة من العرب ضُرب عليها سرادق . وقد مات عنها حبيب بن مسلمة بعد ذلك ، فخلف عليها بعده الضحّاكُ بن قيس الفهري ، فهي أم ولده .

---

(١) زيادة من أ .
(٢) في تاريخه (٤/٢٤٦) .
(٣) في أ : ما كانوا صولحوا عليه في أيام عمر .
(٤) في أ ، ط : مسلم ، وما هنا عن الطبري .
(٥) في أ : المرزبان ، وما هنا عن الطبري والضبط عنه .
(٦) في أ : بوعدي .

قال ابن جرير[١] : واختلف فيمن حجَّ بالناس في هذه السنة فقال الواقدي وأبو معشر : حجَّ بهم عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان . وقال آخرون : حجَّ بالناس عثمان بن عفَّان رضي الله عنه . والأول هو الأشهر فإنَّ عثمان لم يتمكن من الحجِّ في هذه السنة لأجل رعاف أصابه مع الناس في هذه السنة حتى خشي عليه ، وكان يقال لهذه السنة سنة الرعاف .

وفيها افتتح أبو موسى الأشعري الرّيَّ بعدما نقضوا العهد الذي كان واثقَهُمْ عليه حُذَيْفة بن اليمان رضي الله عنه .

وفيها توفي :

سُراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلِجي[٢] . ويكنى بأبي سفيان ، وكان ينزل قديداً ، وهو الذي اتَّبع رسول الله ﷺ وأبا بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أُرَيْقط الدّيلي حين خرجوا من غار ثور قاصدين المدينة فأراد أنْ يردَّهم على أهل مكة لمَّا جعلوا في كل واحد من النبي ﷺ وأبي بكر مئة من الإبل ، فطمع أن يفوز بهذا الجعل ، فلم يسلّطه الله عليهم ، بل لمَّا اقترب منهم وسمع قراءة رسول الله ﷺ ساخت قوائم فرسه في الأرض حتى ناداهم بالأمان ، فأعطوه الأمان ، وكتب له أبو بكر كتاب أمان عن إذن رسول الله ﷺ (ثم قدم به بعد غزوة الطائف فأسلم وأكرمه النبي ﷺ) وهو القائل : يا رسول الله أعُمْرَتُنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال له : « بل لأبد الأبد ـ دخلت العمرة في الحجِّ إلى يوم القيامة »[٣] .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

وفيها[٤] نقض أهل الإسكندرية العهدَ ، وذلك أن ملكَ الروم بعث إليهم منويل الخصي[٥] في مراكب من البحر فطمعوا في النُّصْرة ونقضوا ذمتهم ، فغزاهم عمرو بن العاص في ربيع الأول ، فافتتح الأرض عنوةً وافتتح المدينة صلحاً .

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وفيها في قول سيف عَزل عثمانُ سعداً عن الكوفة وولى الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعيط مكانه ، فكان هذا مما نقم على عثمان .

---

(١) في تاريخه (٤/ ٢٤٩) .

(٢) ترجمة ـ سراقة بن مالك ـ في الاستيعاب (١/ ٥٨١) وجامع الأصول (١٤/ ١٦٣) وأسد الغابة (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٣) والإصابة (٢/ ١٩) وشذرات الذهب (١/ ١٨١ ـ ١٨٣) .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٢٠) والبخاري في صحيحه (١٧٨٥) في العمرة ، ومسلم في صحيحه (١٢١٨) في الحج . وهو حديث طويل يرويه جابر بن عبد الله .

(٤) في أ : فيها .

(٥) في أ : الحمصي ، وفي ط : « معويل » ، وكلاهما خطأ ، وما أثبتناه يعضده ما نقله الذهبي في تاريخ الإسلام .

وفيها وجه عمرو بن العاص عبدَ الله بن سعد بن أبي سَرْح لغزو بلاد المغرب ، وٱستأذنه ابن أبي سَرْح في غزو إفريقية فأذن له .

ويقال فيها أيضاً عزلَ عثمانُ عمرو بن العاص عن مصر وولَّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وقيل بل كان هذا في سنة سبع وعشرين كما سيأتي ، والله أعلم .

وفيها فتح معاوية الحصون .

وفيها ولد ابنه يزيد بن معاوية .

ثم دخلت سنة ستٍّ وعشرين

قال الواقدي : فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم .

وفيها وُسِّعَ المسجد الحرام . وفيها عَزَلَ سعداً عن الكوفة وولّاها[1] الوليد بن عُقْبة ، وكان سبب عزل سعدٍ أنَّه اقترض من ابن مسعود مالاً من بيت المال ، فلما تقاضاه به ابن مسعود ولم يتيَّسر قضاؤُه تقاولا ، وجرت بينهما خصومةٌ شديدةٌ ، فغضب عليهما[2] عثمان فعزل سعداً واستعمل الوليد بن عُقْبة[3] . وكان عاملاً لعمر على عرب الجزيرة ـ فلما قدمها أقبل عليه أهلها ، فأقام بها خمس سنين ، وليس على داره باب ، وكان فيه رفقٌ برعيّته .

قال الواقدي : وفيها حجَّ بالناس عثمانُ بن عفان رضي الله عنه .

وقال غيره . وفيها افتتح عثمانُ بن أبي العاص سابور صلحاً على ثلاثة آلاف ألف وثلاثمئة ألف .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين

قال الواقدي وأبو معشر : وفيها[4] عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولَّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ـ وكان أخا عثمان من الرّضاع ـ وهو الذي شفع له يوم الفتح حين كان أهدر رسولُ الله ﷺ دمَه .

---

(١) في أ : وولّى .
(٢) في أ : عليه .
(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٢٥١) .
(٤) في أ : فلما .

غزوة إفريقية

أمر عثمانُ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح أن يغزوَ بلاد إفريقية ، فإذا فتحها[١] الله عليه فله خُمس الخُمس من الغنيمة نفلاً ، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها سهلَها وجبلَها ، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها ، ثم اجتمعوا[٢] على الطاعة والإسلام ، وحسن إسلامهم ، وأخذ عبد الله بن سعد خُمسَ الخُمس من الغنيمة ، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان ، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش ، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار .

قال الواقدي : وصالحه بطريقها على ألفي ألف دينار [وخمسمئة ألف دينار] وعشرين ألف دينار ، فأطلقها كلها (عثمان) في يوم واحد لآل الحَكم ، ويقال لآل مروان[٣] .

غزوة الأندلس

لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين[٤] من فورهما إلى الأندلس ، فأتياها من قِبلِ البَحْر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : إن القسطنطينية إنّما تُفتح من قِبلِ البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلسَ فأنتم شركاء لمن يفتتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام ، قال فساروا إليها فافتتحوها ولله الحمد والمنة .

وقعة جرجير والبربر مع المسلمين

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفاً إفريقية ، وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وفي جيشه عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، صمدَ إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومئة ألف ، وقيل في مئتي ألف ؛ فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالةً ، فوقف المسلمون في موقف لم يُرَ أشنعُ منه ولا أخوف عليهم منه .

قال عبد الله بن الزبير : فنظرتُ إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون ، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس ، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك ، فجهّز معي جماعةً من الشجعان ، قال : فأمر بهم فحموا ظهري ، وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه ـ وهم يظنّون أنّي في رسالة إلى الملك ـ فلما اقتربتُ منه أحسّ مني الشرّ ففر على

---

(١) في ط : افتتحها .
(٢) في أ : أجمعوا .
(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٢٥٦) عن الواقدي ، وهو ضعيف ومتروك ، وفي متنه نكارة باتهام عثمان رضي الله عنه بمحاباة أهله ، ومنحهم أموالاً طائلة من بيت مال المسلمين ! . وانظر ضعيف تاريخ الطبري (٨/ ٤٧١) .
(٤) في أ : بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد قيس من فورهما .

برذونه ، فلحقته فطعنته برمحي ، وذففت[١] عليه بسيفي ، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبّرت ، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا ، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة وأموالاً كثيرة ، وسبياً عظيماً ، وذلك ببلد يقال له سُبَيْطِلَة[٢] ـ على يومين من القيروان ـ فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وعن أبيه وأصحابهما أجمعين .

قال الواقدي : وفي هذه السنة ٱفتتحت إصطخر ثانية على يديْ عثمان بن أبي العاص .

وفيها غزا معاوية قنَّسرين[٣] .

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان .

قال ابن جرير : قال بعضهم : وفي هذه السنة غزا معاوية قبرص[٤] . وقال الواقدي : كان ذلك في سنة ثمان وعشرين . وقال أبو معشر : غزاها معاوية سنة ثلاث وثلاثين ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وعشرين

فتح قبرص

ففيها ذكر ابن جرير[٥] فتحَ قبرص تبعاً للواقدي ، وهي جزيرةٌ غربي بلاد الشام في البحر ، مخلصة وحدها ، ولها ذَنَبٌ مستطيلٌ إلى نحو الساحل مما يلي دمشق ، وغربيها أعرضها[٦] ، وفيها فواكه كثيرة ، ومعادن ، وهي بلدٌ جيدٌ ، وكان فتحها على يدي معاوية بن أبي سفيان ، ركب إليها في جيش كثيف من المسلمين ومعه عُبادة بن الصّامت وزوجته[٧] أم حرام بنت ملحان التي تقدَّم حديثها في ذلك حين نام رسول الله ﷺ في بيتها ثم استيقظ يضحكُ فقالت : ما أضحككَ يا رسولَ الله فقال : « ناسٌ من أمتي عرضوا عليَّ يركبون ثبج[٨] هذا البحر مثل الملوك على الأسِرَّةِ » . فقالت : يا رسول الله ٱدعُ اللهَ أن يجعلني منهم . فقال : « أنت منهم » ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقال مثل ذلك فقالت : ادعُ الله أن

---

(١) ذففت : أجهزت عليه . اللسان (ذفف) .
(٢) قال ياقوت : سُبَيطلة : بضم أوله وفتح ثانيه . . مدينة من مدن إفريقية بينها وبين القيروان سبعون ميلاً . معجم البلدان (٣/ ١٨٧) .
(٣) في تاريخ الطبري : قنسرين .
(٤) في أ : غزا .
(٥) في تاريخه (٤/ ٢٥٨) .
(٦) في أ : أعرض .
(٧) في أ : في زوجته .
(٨) ثَبَجُ كلِّ شيء : معظمه ووسطه وأعلاه والجمع أثباج وثبوج . اللسان (ثبج) .

يجعلني منهم فقال : « أنتِ من الأولين »[١] فكانت في هذه الغزوة وماتتْ بها ، وكانت الثانية عبارة عن غزوة قسطنطينية بعد هذا كما سنذكره .

والمقصود أن معاوية ركب البحر في مراكب فقصد الجزيرة المعروفة بقبرص ، ومعه جيش عظيم من المسلمين ، وذلك بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه له في ذلك بعد سؤاله إياه ، وقد كان سأل في ذلك عمر بن الخطاب فأبى أن يُمكِّنه من حمل المسلمين على هذا الخلق العظيم الذي لو اضطرب لهلكوا عن آخرهم ، فلما كان عثمان لحَّ معاوية عليه في ذلك ، فأذنَ له فركبَ في المراكب فانتهى إليها ، ووافاه عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح إليها من الجانب الآخر . فألتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً ، وسبَوْا سبايا كثيرة ، وغنموا مالاً جزيلاً جيداً ، ولما جيء بالأسارى جعل أبو الدرداء يبكي ، فقال له جُبَيْر بن نُفَيْر : أتبكي وهذا يوم أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله ؟ فقال : ويحك إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك ، فلما ضيَّعوا أمر الله صيَّرهم إلى ما ترى ، سلّط الله عليهم السبي ، وإذا سلِّط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة ، وقال ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره ؟! ثم صالحهم معاويةُ على سبعة آلاف دينار في كل سنة ، وهادنهم ، فلما أرادوا الخروج منها قُدمِّتْ لأم حرام بغلةٌ لتركبها فسقطت عنها فأندقت عنقها ، فماتت هناك ، فقبرها هنالك يُعظِّمونه ويستسقون به ويقولون قبر المرأة الصالحة .

قال الواقدي : وفي هذه السنة غزا حبيب بن مَسْلمة سوريةَ من أرض الروم . وتزوّج عثمان نائلة بنت الفُرافصة الكَلبية ـ وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل[٢] بها .

وفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزَّوراء .

وفيها حج بالناس أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ففيها[٣] عزلَ عثمان بن عفان أبا موسى الأشعري عن البصرة ، بعد عمله ستَّ سنين ، وقيل ثلاث ، وأمَّر عليها عبدالله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة بن حَبيب بن عَبْد شَمْسٍ ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، وجمع له بين جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص ، وله من العمر خمس وعشرون سنة ، فأقام بها ستَّ سنين . وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارسَ في قول الواقدي وأبي معشر . وزعم سيف أنه كان قبل هذه السنة ، فالله أعلم .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد (٦/ ٣٦١) والبخاري في صحيحه (٢٧٩٩) في الجهاد ، ومسلم في صحيحه (١٩١٢) (١٦١) في الإمارة .

(٢) في أ : قبل الدخول بها .

(٣) في أ : فيها .

وفيها وسَّع عثمانُ بن عفان مسجدَ النبي ﷺ ، وبناه بالقَصَّة[١] ـ وهي الكلس ـ كان يؤتى به من بطن نخل[٢] ، والحجارة المنقوشة ، وجعل عمده حجارةً مرصعةً ، وسقفه بالساج ، وجعل طوله ستين ومئة ذراع ، وعرضه خمسين ومئة ذراع ، وجعل أبوابه ستة ، على ما كانت (عليه) في زمان عمر بن الخطاب ، ابتدأ بناءه في ربيع الأول منها .

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان ، وضرب له بمنى فسطاطاً ، فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى ، وأتمَّ الصلاة عامه هذا ، فأنكر ذلك عليه غيرُ واحد من الصحابة ، كعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود ، حتى قال ابن مسعود ليتَ حظّي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان ، وقد ناظره عبد الرحمن بن عوف فيما فعله ، فروى ابن جرير[٣] أنه قال : تأهلت بمكة ؟ فقال له : ولك أهل بالمدينة وإنك تقوم حيث أهلك بالمدينة . قال : وإن لي مالاً بالطائف أريد أن أطلعه بعد الصدر ، قال : إن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ، فقال : وإن طائفة من أهل اليمن قالوا : إن الصلاة بالحضر ركعتان فربما رأوني أصلي ركعتين فيحتجون بي ، فقال له : قد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي (والناس يومئذ الإسلام فيهم قليل) ، وكان يصلّي هاهنا ركعتين ، وكان أبو بكر يصلّي هاهنا ركعتين ، وكذلك عمر بن الخطاب ، وصليتَ أنتَ ركعتين صدراً من إمارتك ، قال فسكت عثمان ثم قال : إنما هو رأي رأيته .

سنة ثلاثين من الهجرة النبوية

فيها افتتح سعيدُ بن العاص طبرستان في قول الواقدي وأبي معشر والمدائني ، وقال : هو أول من غزاها . وزعم سيف أنهم كانوا صالحوا سويد بن مُقَرّن قبل ذلك على ألا يغزوها ، على مالٍ بذله له أصبهبذها ، فالله أعلم . فذكر المدائني أن سعيد بن العاص ركب في جيش فيه الحسن والحسين ، والعبادلة الأربعة ، وحذيفة بن اليمان ، في خلق من الصحابة فسار بهم فمرَّ على بلدانٍ شتَّى يصالحونه على أموال جزيلة ، حتى انتهى إلى بلد معاملة جُرْجان ، فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف ، فسأل حذيفة : كيف صلى رسول الله ﷺ ؟ فأخبره فصلَّى كما أخبره ، ثم سأله أهل ذلك الحصن الأمانَ ، فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً ، ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلاً واحداً ، وحوى ما كان في الحصن[٤] . فأصاب رجل من بني نهد سفطاً مقفولاً فاستدعى به سعيد ؟ ففتحوه فإذا فيه خرقة سوداء

---

(١) القَصَّة والقِصَّة والقَصّ : الجص . اللسان (قصص) .

(٢) في أ : نخلة . وبطن نخل : قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة ، بينهما الطرفُ على الطريق ، وهو بعد أبرق العَزَّاف للقاصد إلى مكة . معجم البلدان (١/ ٤٤٩) .

(٣) في تاريخه (٤/ ٢٦٨) .

(٤) في أ : ما كان فيه .

مدرجة فنشروها ، فإذا فيها خرقة حمراء (فنشروها) ، وإذا داخلها خرقة صفراء ، وفيها أيْران كُميت وورد (فقال شاعر) يهجو بهما بني نهد[١] : [من الطويل]

آبَ الكِـرامُ بـالسَّبـايـا غَنيمـةً ... وفازَ بنو نَهْدٍ بأيْرين في سَفَطْ
كُمَيْـتٍ وورْدٍ وافِـرَيْـنِ كِـلاهُمـا ... فظَنُّوهُما غُنْماً فناهِيكَ[٢] من غَلَطْ

قالوا : ثم نقضَ أهلُ جُرجان ما كان صالَحَهُمْ عليه سعيدُ بن العاص ، وامتنعوا عن أداء المال الذي ضربه عليهم ـ وكان مئة ألفِ دينار وقيل مئتي ألف دينار وقيل ثلاثمئة ألف دينار ـ ثم وجه إليهم[٣] يزيد بن المهلب ، بعد ذلك كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة عزل عثمانُ بن عفان الوليدَ بن عُقبة عن الكوفة ، وولّى عليها سعيد بن العاص وكان سببُ عزله أنَّه صلَّى بأهل الكوفة الصبحَ أربعاً ثم التفتَ فقال أزيدُكُمْ؟ فقال قائل : مازلنا منكَ منذ اليوم في زيادة . ثم إنّه تصدَّى له جماعةٌ يقال كان بينهم وبينه شنآن ، فشَكَوْه إلى عثمان ، وشهد بعضُهم عليه أنه شربَ الخمر ، وشهد آخرُ أنَّه رآه يتقيَّؤها ، فأمر عثمان بإحضاره وأمر بجلده ، فيقال إن علياً نزعَ عنه حلته ، وأن سعيد بن العاص جلده ، بين يدي عثمان بن عفان ، وعزله وأمَّر مكانَه على الكوفة سعيد بن العاص[٤] .

وفي هذه السنة سقطَ خاتمُ النبيّ ﷺ من يد عثمان في بئر أَرِيس[٥] ، وهي على ميلين من المدينة ، وهي من أقل الآبار ماءً ، فلم يدرك خبره بعد بذل مال جزيل ، والاجتهاد في طلبه حتى الساعة ، فاستخلف عثمان بعده خاتماً من فضةٍ ، ونقشَ عليه « محمدٌ رسولُ الله ﷺ » ، فلما قُتل عثمان ذهب الخاتم فلم يُدْرَ[٦] من أخذه .

وقد روى ابن جرير[٧] هاهنا حديثاً طويلاً في اتخاذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب ، ثم من فضة ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى كسرى ، ثم دحية إلى قيصر ، وإن الخاتم (الذي) كان في يد النبي ، ثم في يد أبي بكر ، ثم في يد عمر ، ثم في يد عثمان ست سنين ، ثم إنه وقع في بئر أريس ، وقد تقدم بعض هذا في الصحيح[٨] .

---

(١) البيتان في تاريخ الطبري (٤/ ٢٧٠) .
(٢) في أ : فناهيك .
(٣) في أ : عليهم .
(٤) خبر عزل الوليد بن عقبة في تاريخ الطبري (٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٨) مطولاً .
(٥) قال ياقوت ـ نقلاً عن أحمد بن يحيى بن جابر ـ : نسبت إلى أريس رجل من المدينة من اليهود . معجم البلدان (١/ ٢٩٨) .
(٦) في أ : فلا يدري .
(٧) في تاريخه (٤/ ٢٨١ ـ ٢٨٣) .
(٨) يذكر ابن جرير أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من حديد ، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : انبذه من أصبعك ، وأمر=

وفي هذه السنة وقع بين معاوية وأبي ذرٍّ بالشام ، وذلك أن أبا ذرٍّ أنكر على معاوية بعض الأمور ، وكان ينكر على من يقتني مالاً من الأغنياء . ويمنع أن يدَّخر فوقَ القُوت ، ويوجب أن يُتصدّقَ بالفضل ، ويتأوّلَ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [التوبة : ٣٤] فينهاه معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع ، فبعث يشكوه[١] إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى أبي ذرٍّ أن يقدمَ عليه المدينةَ ، فقدمها فلامه عثمانُ على بعض ما صدر منه ، واسترجعه فلم يرجع فأمره بالمقام بالرَّبَذَةِ ـ وهي شرقي المدينة ـ ويقال إنه سأل عثمان أن يقيم (بها) وقال : إن رسول الله ﷺ قال (لي) : « إذا بلغ البناء سلعا[٢] فاْخرج منها »[٣] وقد بلغ البناء سلعاً ، فأذن له عثمان بالمقام بالرَّبَذَة ، وأمره أن يتعاهد المدينة في بعض الأحيان ، حتى لا يرتدّ أعرابياً بعد هِجْرتهِ ، ففعل فلم يزل مقيماً بها حتى مات على ما سنذكره رضي الله عنه .

وفي هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزَّوْراء[٤] .

فصل

وممن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي[٥] أنه توفي في هذه السنة ـ أعني سنة ثلاثين :

أُبيّ بن كعب[٦] فيما صححه الواقدي[٧] .

(جَبّار) بن صَخْر[٨] بن أُميَّة بن خَنْساء ، أبو عبد الرحمن الأنصاري ، عقبيٌّ بدريٌّ ، وقد بعثه

= بخاتم أخر من نحاس ، فقال له جبريل عليه السلام : انبذه من أصبعك ، فنبذه رسول الله ﷺ من أصبعه ، وأمر بخاتم من ورق ، فجعله في أصبعه فأقره جبريل ، وأمر أن ينقش عليه : « محمد رسول الله » . ولم يذكر أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب ، وكذلك في الصحيح فقد وصف خاتم رسول الله البخاري في صحيحه رقم (٥٨٧٠) في اللباس وابن حبان في صحيحه ـ كما في الإحسان ـ (١٤/ ٣٠٣) رقم (٦٣٩٢) وغيرهما .

(١) في أ : فبعث شكواه .

(٢) سَلْع : موضع بقرب المدينة . معجم البلدان (٣/ ٢٣٦) .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٠١) .

(٤) الزَّوْراء : موضع عند سوق المدينة قرب المسجد . معجم البلدان (٣/ ١٥٦) والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٧).

(٥) في تاريخ الإسلام (٢/ ٨٤ ـ ٨٥) .

(٦) ترجمة ـ أبي بن كعب ـ في الاستيعاب (١/ ١٢٦) وجامع الأصول (١٣/ ١٠) وأسد الغابة (١/ ٦١) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٠٨) ومختصر تاريخ دمشق (٤/ ١٩٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٩ ـ ٤٠٢) والإصابة (١/ ٢٦) .

(٧) قيل إنه مات سنة ١٩ ، وقيل سنة ٢٠ ، وقيل سنة ٢٢ ، وقيل سنة ٣٢ .

(٨) ترجمة ـ جبار بن صخر ـ في الاستيعاب (١/ ٢٢٨) وجامع الأصول (١٣/ ٢٤٠) وأسد الغابة (١/ ٣١٦) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٣) والإصابة (١٠/ ٢٢٠) .

رسول الله ﷺ إلى خَيْبَر خارصاً[١] ، وقد توفي عن ستين سنة .

حَاطِب بن [أبي] بَلْتَعَة[٢] عَمْرو[٣] بن عُمَيْر اللَّخمي حليف بني أسد بن عبد العُزَّى ، شهد بدراً وما بعدها ، وهو الذي كان كتب إلى المشركين يُعْلِمُهم بعَزْمِ رسولِ الله ﷺ (على فتح مكة ، فعذره رسول الله ﷺ) بما اعتذر به ، ثم بعثه بعد ذلك برسالةٍ إلى المقوقس ملك الإسْكندريَّة .

الطُّفيل بن الحارث[٤] بن المُطَّلِب أخو عبيدة ، وحصين ، شهد بدراً . قال سعيد بن عُفَيْر[٥] : توفي في هذه السنة :

عبد الله بن كعب[٦] بن عمرو المازني أبو الحارث ، وقيل أبو يحيى الأنصاري ، شهد بدراً وكان على الخمس يومئذ .

عبد الله بن مَظْعُون[٧] أخو عثمان بن مَظْعون هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً .

عِياض بن زُهَيْر[٨] بن أبي شَدّاد بن ربيعة بن هِلال أبو سعد[٩] القرشي الفِهْري ، شهد بدراً وما بعدها .

مسعود بن ربيعة[١٠] وقيل ابن الربيع أبو عُمَيْر القاريّ[١١] [شهد بدراً وما بعدها . توفي عن نيف وستين سنة .

---

(١) خرصت النخل والكرم أخرُصه خَرْصاً إذا حزرت ما عليها من الرطب تمراً ، ومن العنب زبيباً وهو من الظن ، وفاعل ذلك الخارص ، والجمع الخُرّاص . اللسان (خرص) .

(٢) ترجمة ـ حاطب بن أبي بلتعة ـ في الاستيعاب (١/ ٣١٢) وجامع الأصول (١٣/ ٣٠٢) وأسد الغابة (١/ ٤٣١) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣) والإصابة (١/ ٣٠٠) .

(٣) في أ وط : « ابن عمرو » وهو خطأ ، والذي أثبتناه هو الذي نص عليه الذهبي في تاريخ الإسلام ، واتفقت عليه مصادر ترجمته .

(٤) ترجمة ـ الطفيل بن الحارث ـ في الاستيعاب (٢/ ٧٥٦) وأسد الغابة (٣/ ٧٦) والإصابة (٢/ ٢٢٤) .

(٥) في ط : « عمير » خطأ ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الذي بخط الذهبي في تاريخ الإسلام .

(٦) ترجمة ـ عبد الله بن كعب ـ في الاستيعاب (٢/ ٩٨١) وأسد الغابة (٣/ ٣٧٥) والإصابة (٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) .

(٧) ترجمة ـ عبد الله بن مظعون ـ في الاستيعاب (٢/ ٩٩٥) وأسد الغابة (٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) والإصابة (٢/ ٣٧١) .

(٨) ترجمة ـ عياض بن زهير ـ في الاستيعاب (٣/ ١٢٣٢) وأسد الغابة (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) والإصابة (٣/ ٤١٠) .

(٩) في ط : « سعيد » محرف ، والتصويب من مصادر ترجمته .

(١٠) ترجمة ـ مسعود بن ربيعة ـ في الاستيعاب (٣/ ١٣٩٢) وأسد الغابة (٥/ ١٦٠) والإصابة (٣/ ٤١٠) .

(١١) في ط : « أبو عمرو القارىء » ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه من أ وهو الموافق لما في تاريخ الإسلام للذهبي . ولما قاله ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٣٩٢) .

معْمَر بن أبي سَرْح[١] بن ربيعة بن هلال القُرشي أبو سعد[٢] الفِهْري][٣] ، وقيل اسمه عمرو ، بدري قديم الصحبة .

أبو أسيد[٤] مالك بن ربيعة . قال الفَلَّاس : مات في هذه السنة ، والأصح أنه مات سنة أربعين ، وقيل سنة ستين فالله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ففيها كانت غزوة الصَّواري ، وغزوة الأساودة في البحر فيما ذكره الواقدي (وقال أبو معشر : كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين . وملخص ذلك فيما ذكره الواقدي) وسيف وغيرهما : أن الشامَ كان قد جمعها[٥] لمعاوية بن أبي سفيان لسنتين مضتا من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد أحرزه غايةَ الحفظ وحمى حَوْزته ، ومع هذا له في كلّ سنة غزوة في بلاد الروم في زمن الصيف ، ـ ولهذا يسمُّون هذه الغزوة الصائفة ـ فيقتلون خلقاً ، ويأسرون آخرين ، ويفتحون حصوناً ويغنمون أموالًا ويُرْعبون الأعداء ، فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح منْ أصاب من الفرنج والبربر ، ببلاد إفريقية والأندلس ، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل ، وساروا إلى المسلمين في جمع لم يُر مثله منذ كان الإسلام ، خرجوا في خمسمئة مركب ، وقصدوا عبد الله بن أبي سَرْح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ، فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسقسون[٦] ويُصلِّبون ، وبات المسلمون يقرؤون ويُصلُّون ، فلما أصبحوا صفَّ عبد الله بن سعد أصحابه صفوفاً في المراكب ، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن .

قال بعض من حضر ذلك : فأقبلوا إلينا في أمر لم يُرَ مثله من كثرة المراكب ، وعقدوا[٧] صواريها ، وكانت الريح لهم وعلينا ، فأرسينا ثم سكنت الريحُ عنّا ، فقلنا لهم : إنْ شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البر فمات الأعجل[٨] منّا ومنكم ، قال فنخروا نخرةَ رجلٍ واحدٍ وقالوا : الماء الماء ، قال : فدنونا منهم ،

---

(١) ترجمة ـ معمر بن أبي سرح ـ في الاستيعاب (٣/ ١٤٣٣) وأسد الغابة (٤/ ٢٣٥) والإصابة (٤/ ٤٤٨) .
(٢) في الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١١٧٦) وأسد الغابة (٤/ ٢٢٨) : « أبو سعيد » . نقلاً عن الواقدي . أما المؤلف فينقل من تاريخ الإسلام للذهبي ، والذي ينقل بدوره من طبقات ابن سعد (٣/ ٤١٧) وكنيته فيهما « أبو سعد » كما أثبتناه وهذا القسم من تاريخ الذهبي بخطه .
(٣) ما بين معقوفين ساقط من أ .
(٤) ترجمة ـ أبي أسيد ـ في الطبقات (٣/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨) والاستيعاب (٣/ ١٣٥١) وأسد الغابة (٥/ ٢٣) والإصابة (٣/ ٣٤٤) .
(٥) في أ : جمع بناته .
(٦) في أ : يفسفسون .
(٧) في أ : وتعداد صواريها .
(٨) في أ : الأعجز .

وربطنا سفننا بسفنهم ، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف يثبُ الرجالُ بالسيوف والخناجر ، وضَربتِ الأمواجُ في عيونِ تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل ، وألقتِ الأمواجُ جثثَ الرجال إلى الساحل ، حتى صارت مثل الجبل العظيم ، وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يُعْهد مثلُه قطُّ ، وقُتل منهم بشرٌ كثيرٌ ، ومن الروم أضعاف ذلك ، ثم أنزلَ الله نصرَهُ على المسلمين فهربَ قسطنطيينُ وجيشُه ـ وقد قلُّوا جداً ـ وبه جراحات شديدة مكينة[1] مكث حيناً يداوى منها بعد ذلك ، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ، ثم رجع مُؤَيَّداً منصوراً مُظَفَّراً .

قال الواقدي : فحدثني معمر عن الزُّهري قال : كان في هذه الغزوة محمد بن أبي حذيفة ، ومحمد ابن أبي بكر ، فأظهرا[2] عيبَ عثمان وما غيّر وما خالفَ أبا بكرٍ وعمر ، ويقولان دمُه حلالٌ لأنّه استعملَ عبد الله بن سعد ـ وكان قد ارتدّ وكفر بالقرآن العظيم ، وأباحَ رسولُ الله ﷺ دَمَه ، وأخرج رسولُ الله ﷺ أقواماً واستعملهم عثمان ، ونزع أصحاب رسول الله ﷺ واستعمل[3] سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر ، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال : لا تركبا معنا ، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين ، ولقوا العدو فكانا أنكل[4] المسلمين قتالاً ، فقيل لهما في ذلك فقالا : كيف نُقاتل مع رجلٍ لا ينبغي لنا أن نُحكِّمهُ ؟ فأرسل إليهما عبد الله بن سعد فنهاهما أشدَّ النهي وقال : والله لولا لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما .

قال الواقدي : وفي هذه السنة فُتحتْ أرمينية على يَدَيْ حَبيب بن مَسْلمة .

وفي هذه السنة قتل كسرى ملك الفرس .

كيفية قتل كسرى ملك الفرس[5] وهو يَزْدَجِرْدُ

قال ابن إسحاق : هرب يَزْدَجِرْد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مَرْو ، فسأل من بعض أهلها مالاً فمنعوه وخافوه على أنفسهم ، فبعثوا إلى التُّرك يَسْتَفِزُّونهم عليه ، فأتَوْه فقتلوا أصحابه ، وهربَ ـ هو ـ حتَّى أتى منزل رجل ينقر الأرحية[6] على شط ، فأوى إليه ليلاً ، فلما نام قتله .

وقال المدائني : لما هربَ بعد قتل أصحابه انطلقَ ماشياً عليه تاجُه ومِنْطَقتُهُ وسيفُه ، فانتهى إلى منزل

---

(١) في أ : كثيرة .
(٢) في أ : فأظهروا . وهي رواية الطبري في تاريخه (٤/ ٢٩٠) .
(٣) في أ : ونزع الصحابة واستعمل .
(٤) في تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٢) : أكلَّ ؛ ولعل ما أثبتنا هو الأشبه .
(٥) في أ : حبيب بن مسلمة كيف مقتل ملك الفرس .
(٦) ينقر الأرحية : النقر : ضرب الرحى والحجر وغيره بالمنقار ـ وهو حديدة كالفأس يقطع به ـ والأرحية : جمع رحى وهي الطاحون . اللسان (نقر ـ رحى) .

هذا الرجل الذي يَنْقر الأرْحية ، فجلس عنده فاستغفله وقتله وأخذ ما كان عليه وجاءتِ الترك في طلبه فوجدوه قد قتله وأخذ حاصله ، فقتلوا ذلك الرجل وأهلَ بيته ، وأخذوا ما كان مع كسرى ، ووضعوا كسرى في تابوتٍ ، وحملوه إلى إصطخر ، وقد كان يَزْدَجِرْد وطىء امرأةً من أهل مرو قبل أن يُقْتل ، فحملت منه ، ووضعت بعد قتله غلاماً ذاهب الشق ، وسُمِّي ذلك الغلامُ (المُخْدَج)[١] وكان له نسل وعقب في خراسان ، وقد سَبى قتيبةُ بن مسلمٍ في بعض غزواته بتلك البلاد جاريتين من نسله . فبعث بإحداهما إلى الحَجّاج ، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له ابنَه يزيدَ بن الوليد المُلقب بالنّاقِص .

وقال المدائني في رواية عن بعض شيوخه : إن يَزْدَجرد لمّا انهزم عنه أصحابُه عقرَ جوادَه وذهب ماشياً حتى دخل رحى على شطٍّ نهر يقال له المَرْغاب[٢] فمكث فيه ليلتين ، والعدوُّ في طلبه لم يدرِ أين هو ، ثم جاء صاحبُ الرحى ، فرأى كسرى وعليه أُبَّهتُهُ ، فقال له : ما أنت ؟ إنسيٌّ أم جنيٌّ ؟ قال : إنسيٌّ ، فهل عندك طعامٌ ؟ قال نعم ! فأتاه بطعام . فقال : إني مزمزم فأتني بما أزمزم به ، قال : فذهب الطحّانُ إلى أسوار من الأساورة فطلب منه ما يزمزم به ، قال : وما تصنع به ؟ قال : عندي رجلٌ لم أر مثله قطُّ ، وقد طلب مني هذا ، فذهب به الأسوار إلى ملك البلد ـ مرو ، واسمه ماهويه بن باباه ـ فأخبره خبره فقال : هذا[٣] يزدجرد ، اذهبوا فجيئوني برأسه ، فذهبوا مع الطحّان (فلما دنوا من دار الرحى هابوا أن يقتلوه وتدافعوا وقالوا للطحان) ادخلْ أنت فاقتلْه ، فدخل فوجده نائماً ، فأخذ حجراً فشدخَ به رأسَه ثم احتزَّه فدفعه إليهم وألقى جسده في النهر ، فخرجت العامةُ إلى الطحان فقتلوه ، وخرج أسقف ، فأخذ جسده من النهر ، وجعله في تابوتٍ ، وحمله إلى إصطخر فوضعه في ناووس .

ويروى أنه مكث في منزل ذلك الطحان ثلاثة أيام لا يأكلُ حتى رقَّ له وقال له : ويحك يا مسكين ألا تأكل ؟ وأتاه بطعام ، فقال : إنّي لا أستطيعُ أن آكل إلاّ بزمزمة فقال له : كُلْ وأنا أزمزم لك ، فسأل أن يأتيه بمزمزم ، فلما ذهب يطلب له من بعض الأساورة شمّوا رائحة المسك من ذلك الرجل ، فأنكروا رائحة المسك[٤] منه فسألوه فأخبرهم فقال : إنَّ عندي رجلاً من صفته كيت وكيت ، فعرفوه وقصدوه مع الطّحّان ، وتقدم الطحانُ فدخل عليه ، وهمَّ بالقبض عليه ، فعرف يزدجرد ذلك فقال له : ويحك خُذْ خاتمي وسواري ومنْطقتي ودعني أذهب من هاهنا ، فقال لا ، أعطني أربعة دراهم وأنا أطلقك ، فزاده إحدى قرطيه[٥] من أذنه ، فلم يقبل حتى يعطيه أربعة دراهم (أخرى) . فهم في ذلك إذ دهمهم الجند .

---

(١) مُخْدج : أي ناقص الخلق . اللسان (خدج) .
(٢) المرغاب : نهر في مرو الشاهجان . معجم البلدان (٥/ ١٠٨) .
(٣) في ط : هو .
(٤) في أ : فأنكروا ريحه .
(٥) في أ : قرطه .

فلما أحاطوا به وأرادوا قتله قال : ويحكم لا تقتلوني ، فإنّا نجدُ في كتبنا أنّ من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق[١] في الدنيا مع ما هو قادم عليه ، فلا تقتلوني واذهبوا بي إلى الملك أو إلى العرب ، فإنهم يستحيون من قتل الملوك ، فأبَوْا عليه ذلك ، فسَلَبوه ما كان عليه من الحلي ، فجعلوه في جراب ، وخنقوه بوتر ، وألقوه في النهر ، فتعلّق بعود فخذه أسقف ـ واسمه إيليا ـ فحنَّ عليه مما كان من أسلافه من الإحسان إلى النصارى الذين كانوا ببلادهم ، فوضعه في تابوت ، ودفنه في ناووس ، ثم حمل ما كان عليه من الحلي إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ففُقِدَ قرطٌ من حليه[٢] فبعث إلى دهقان تلك البلاد فأغرمه ذلك .

وكان مُلْكُ يزدجرد عشرين سنة ، منها أربع سنين في دعة ، وباقي ذلك هارباً[٣] من بلد إلى بلد ، خوفاً من الإسلام وأهله . وهو آخر ملوك الفرس في الدنيا على الإطلاق ، لقول رسول الله ﷺ « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » رواه البخاري[٤] . وثبت في الحديث (الصحيح)[٥] أنّه لما جاء كتاب النبي ﷺ مَزَّقَه ، فدعا عليه النبي ﷺ أن يمزّق كل مُمزَّق ، فوقع الأمر كذلك .

وفي هذه السنة فتح ابن عامر فتوحات كثيرة كان قد نقض أهلها ما كان لهم من الصلح ، فمن ذلك ما فتح عنوة ، ومن ذلك ما فتح صلحاً ، فكان في جملة ما صالح عليه بعض المدائن وهي مرو على ألفي ألف ومئتي ألف ، وقيل على ستة آلاف ومئتي ألف .

وفي هذه السنة حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

وفيها غزا معاوية بلادَ الروم حتى بلغَ المضيق ـ مضيق القسطنطينية ـ ومعه زوجتُه عاتكةُ ، ويقالُ : فاطمة بن قرطة بنت عبد (عمرو بن) نوفل بن عبد مناف . قاله أبو معشر والواقدي .

وفيها استعمل سعيد بن العاص سلمانَ بن ربيعة على جيشٍ وأمره أن يغزو الباب ، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة نائب تلك الناحية بمساعدته ، فسار حتى بلغ بَلَنْجَر فحصروها . ونُصبت عليها

---

(١) في أ : بالخرس . وما أثبت موافق لتاريخ الطبري (٤/٢٩٨) .
(٢) في أ : من حليته .
(٣) في أ : هاوياً .
(٤) صحيح البخاري (٣٦١٨) في المناقب برواية أبي هريرة ، و(٣٦١٩) في المناقب برواية جابر بن سمُرة ، وللحديث أطراف متعددة .
(٥) الحديث في صحيح البخاري (٦٤) في العلم .

المجانيقُ والعَرّادات . ثم إن أهل بَلَنْجر خرجوا إليهم ، وعاونهم الترك فاقتتلوا قتالاً شديداً ـ وكانت الترك تهابُ قتالَ المسلمين ، ويظنّون أنهم لا يموتون ـ حتى اجترؤوا عليهم بعد ذلك ، فلما كان هذا اليوم التقَوا معهم فاقتتلوا ، فقُتل يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة ـ وكان يقال له ذو النون ـ وانهزم المسلمون فافترقوا فرقتين ، ففرقة ذهبت إلى بلاد الخزَر . وفرقة سلكوا ناحية بلاد جيلان وجرجان ، وفي هؤلاء أبو هريرة وسلمان الفارسي . وأخذت الترك جسد عبد الرحمن بن ربيعة ـ وكان من سادات المسلمين وشجعانهم ـ فدفنوه في بلادهم فهم يستسقون عنده إلى اليوم ، ولما قُتل عبد الرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة ، وأمدّهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة ، فتنازع حبيب وسلمان في الإمرة حتى اختلفا ، فكان أولَ اختلافٍ وقعَ بين أهل الكوفة وأهل الشام ، حتى قال في ذلك رجل من أهل الكوفة وهو أوس[١] : [من الطويل]

فإنْ[٢] تضربوا سلمانَ نضْربْ حَبيبكمْ وَإنْ تَـرْحَلـوا نَحْـو ابـن عَفّـان نَـرْحـلُ
وإنْ تُقْسِطُـوا فـالثَّغـرُ ثغـرُ أميـرنـا[٣] وهــذا أميــرٌ فــي الكتـائـبِ مُقبـلُ
ونَحْــنُ ولاةُ الثَّغْــرِ كُنّــا حُمَــاتَــهُ لَيَـالـيَ نَـرْمـي كُـلَّ ثَغْـرٍ ونُنْكِـلُ[٤]

وفيها فتح ابن عامر مروَ الرَّوْذ والطالقان والفارياب والجُوْزجان وطُخارستان . فأما مرو الرَّوْذ فبعث إليهم[٥] ابن عامر الأحنفَ بن قَيْس فحصَرَها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى كسرهم فاضطرَّهم إلى حصنهم ، ثم صالحوه على مالٍ جزيلٍ وعلى أن يضرب على أراضي الرعية الخراجَ ، ويدعَ الأرض التي كان اقتطعها[٦] كسرى لوالد المرزبان ، صاحب مرو ، حين قتل الحيةَ التي كانت تقطع الطريق على الناس وتأكلهم ، فصالحهم الأحنف على ذلك ، وكتب لهم كتاب صلح بذلك ، ثم بعث الأحنف الأقرعَ بن حابسٍ إلى الجُوْزجان ففتحها بعد قتال وقع بينهم ، قتل فيه خلقٌ من شُجعان المسلمين ، ثم نُصروا فقال في ذلك أبو كثير النَّهْشلي قصيدة طويلة فيها[٧] : [من الوافر]

سَقَـى مُـزْنُ السَّحَـاب إذا اسْتَهلَّـتْ مَصَـارعَ فِتْيَـةٍ بـالجُـوزَجَـان
إلى القَصْرينِ منْ رُسْتاقِ خُوطٍ[٨] أبَـادَهُـمُ هُنَـاك الأقْـرَعَـانِ

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٠) والقائل : أوس بن مغراء .
(٢) في تاريخ الطبري : إن .
(٣) في أ : أميرها .
(٤) في أ : موكل .
(٥) في أ : إليها .
(٦) في أ : أقطعها .
(٧) البيتان في تاريخ الطبري (٤/ ٣١٣) ومعجم البلدان (٢/ ١٨٢) وفيه منسوبان إلى : كثير بن العزيزة النَّهشلي .
(٨) في أ ، ط : حوط ؛ وما هنا عن مصدريهما .

ثم سار الأحنف من مرو الرّوذ إلى بلخ فحاصرهم حتى صالحوه على أربعمئة ألف واستناب[١] ابن عمه أسيد بن المُتَشمِّس[٢] على قبض المال ، ثم ارتحل يُريد الجهادَ ، وداهمه الشتاء فقال لأصحابه : ما تشاؤون ؟ فقالوا : قد قال عمرو بن معدي كرب[٣] : [من الوافر]

إذا لـم تَسْتَطـعْ شَيْئـاً فَـدَعْـهُ وجَـاوِزْهُ إلـى مـا تستَطيـعُ

فأمر الأحنف بالرَّحيل إلى بلخ فأقام بها مدة الشتاء ، ثم عاد إلى[ابن] عامر فقيل لابن عامر : ما فتح على أحد ما فتح عليك ، فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان ، فقال : لا جرمَ ، لأجعلنَّ شُكْري لله على ذلك أن أحرم بعمرةٍ من موقفي هذا مُشمِّراً فأحرمَ بعمرة من نيسابور ، فلما قدم على عثمان لامه على إحرامه من خراسان .

وفيها أقبل قارن في أربعين ألفاً فالتقاه عبد الله بن حازم في أربعة آلاف ، وجعل لهم مقدمة ستمئة رجل ، وأمر كلاً منهم أن يحمل على رأس رمحه ناراً ، وأقبلوا إليهم في وسط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم فناوشتهم المقدمة فاشتغلوا بهم ، وأقبل عبد الله بن حازم بمن معه من المسلمين فاتفقوا هم وإياهم ، فولى المشركون مدبرين ، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤوا وكيف شاؤوا ، وغنموا شيئاً كثيراً وأموالاً جزيلة ، ثم بعث عبد الله بن حازم [بالفتح إلى ابن عامر ، فرضي عنه وأقره على خراسان ـ وكان قد عزله عنها ـ فاستمر بها عبد الله بن حازم][٤] إلى ما بعد ذلك .

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

العباس بن عبد المطلب[٥] بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الفضل المكي عم رسول الله ﷺ ، ووالد الخلفاء العباسيين ، وكان أسنَّ من رسول الله ﷺ بسنتين أو ثلاث ، أسر يوم بدر فافتدى نفسه بمالٍ ، وافتدى ابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث . وقد ذكرنا أنه لما أُسر وشُدَّ في الوثاق وأمسى الناس ، أرقَ رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله مالك ؟ فقال « إني أسمع أنين العباس في وثاقه فلا

---

(١) في أ : واستشار .
(٢) في ط : « المشمس » خطأ ، وما أثبتناه يعضده ما في تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١٢) ، وثقات ابن حبان (٤/ ٤٢) ، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (١/ ٢١٢) .
(٣) البيت في تاريخ الطبري (٤/ ٣١٣) وديوان عمرو بن معديكرب .
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من أ ومستدرك عن الطبعة المصرية .
(٥) ترجمة ـ العباس بن عبد المطلب ـ في الطبقات (٤/ ٥ ـ ٣٣) والاستيعاب (٢/ ٨١٠) وجامع الأصول (١٤/ ٤٣٢) وتاريخ دمشق ـ عبادة ، عبد الله ـ (١٠٤ ـ ٢٠٨) وأسد الغابة (٣/ ١٦٤ ـ ١٦٧) وتاريخ الإسلام (٢/ ٩٨) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٧٨ ـ ١٠٣) والإصابة (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .

أنام »[١] فقام رجل من المسلمين فحلَّ من وثاق العباس حتى سكن أنينه فنام رسول الله ﷺ ، ثم أسلم عام الفتح ، وتلقّى رسول الله ﷺ إلى الجحفة فرجع معه ، وشهد الفتح ، ويقال إنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة بإذن النبي ﷺ له في ذلك ، كما ورد به الحديث[٢] ، فالله أعلم .

وقد كان رسول الله ﷺ يُجلُّه ويُعظِّمه ويُنْزله منزلةَ الوالدِ من الولد ، ويقول : « هذا بقيةُ آبائي »[٣] وكان من أوصل الناس لقريش وأشفقهم عليهم ، وكان ذا رأي وعقل تام وافٍ[٤] ، وكان طويلاً جميلاً أبيض بضّاً[٥] ذا ضفيرتين ، وكان له من الولد عشرةُ ذكور سوى الإناث ، وهم تمام ـ وكان أصغرهم ـ والحارث ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعون ، والفضل ، وقثم ، وكثير ، ومعبد . وأعتق سبعين مملوكاً من غلمانه .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا علي بن عبد الله قال : حدَّثني محمد بن طلحة التيمي[٧] من أهل المدينة ، حدَّثني أبو سهيل نافع بن مالك ، عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ للعباس : « هذا العباس بن عبد المطلب أجودُ قريش كَفّاً وأوصلُها » تفرَّد به[٨] .

وثبت في الصحيحين[٩] : أن رسول الله ﷺ قال لعمر حين بعثه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه ، وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله ، وأما العباس فهي عليَّ ومثلُها » ثم قال « يا عمر أما شعرت أن عمَّ الرجل صنو أبيه »[١٠] ؟ .

وثبت في صحيح البخاري[١١] عن أنس : أن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس معه يستسقي به ، وقال : اللهم إنّا كنّا إذا قحطنا توسّلنا إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا ، قال : فيسقون .

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٢ ، ١٣) وابن عساكر (١١٩) .
(٢) أورد الذهبي هذا الحديث وهو قول رسول الله ﷺ: « اطمئن يا عمُّ، فإنك خاتم المهاجرين ، كما أنا خاتم النبيين ». واذن له بالرجوع إلى مكة . إسناده ضعيف . . . وأورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٦٩) وهو حديث ضعيف .
(٣) الحديث أورده ابن عساكر في تاريخه ـ عبادة ، عبد الله ـ (ص١٤١) .
(٤) في أ : تام وافر .
(٥) الرجل البضُّ : الناصع البياض في سمن . اللسان (بضض) .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٨٥) ، وإسناده حسن .
(٧) في ط : التميمي ، تحريف ، والتصحيح من مسند أحمد وتقريب التهذيب .
(٨) هكذا قال ، وهو وهم منه رحمه الله ، فقد أخرجه النسائي في الكبرى (٨١٧٤) عن حميد بن مخلد عن علي بن عبد الله ، به ، وحميد بن مخلد ثقة ثبت ، وهو من رجال التهذيب (بشار) .
(٩) صحيح البخاري (١٤٦٨) في الزكاة ، ومسلم (٩٨٣) في الزكاة .
(١٠) الصنو: المِثْل، يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد، وهو مثل أبي أو مثلي وجمعه صنوان. النهاية لابن الأثير (٣/ ٥٧).
(١١) صحيح الإمام البخاري (١٠١٠) في الاستسقاء .

ويقال : إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا إذا مرا بالعباس وهما راكبان ترجّلا إكراماً له .

قال الواقدي وغير واحد : توفي العباس في يوم الجمعة لاثنتي[١] عشرة ليلة خلت من رجب ، وقيل من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ، عن ثمان وثمانين سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع وقيل توفي سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين ، وفضائله ومناقبه كثيرة جداً .

عبد الله بن مَسْعُود[٢] بن غَافل بن حبيب بن شَمْخ بن فار[٣] بن مَخْزُوم بن صاهِلَة بن كاهِل بن الحارث بن تميم[٤] بن سعد بن هُذَيْل بن مُدْركة بن إلياس بن مُضر الهُذَلي ، أبو عبد الرحمن[٥] حليف بني زهرة ، أسلم قديماً قبل عمر ، وكان سبب إسلامه حين مرَّ به رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، وهو يرعى غنماً فسأله لبناً فقال : إني مؤتمن ، قال فأخذ رسول الله ﷺ عناقاً[٦] لم ينز[٧] عليها الفحل ، فاعتقلها ثمَّ حلب وشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع : « أقلص »[٨] فقلص ، فقلت : علّمني من هذا الدعاء فقال : « إنك غلام[٩] معلَّم » الحديث[١٠] .

وروى محمد بن إسحاق[١١] ، عن يحيى بن عروة [عن عروة][١٢] ، عن أبيه : أنَّ ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن بمكة ، بعد النبي ﷺ عند البيت ، وقريش في أنديتها قرأ سورة ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن : ١ ـ ٢] فقاموا إليه فضربوه ، ولزم رسول الله ﷺ حين أسلم ، وكان يحمل نعليه وسواكه ، وقال له : « إذنك عليَّ أن تسمعَ سوادي »[١٣] ولهذا كان يقال له صاحب السواك والسِّواد[١٤] ،

(١) في أ : لثنتي .
(٢) ترجمة ـ عبد الله بن مسعود ـ في الطبقات (٢/ ٣٤٢ـ٣٤٤) والاستيعاب (٢/ ٩٨٧) وتاريخ بغداد (١/ ١٤٧) وجامع الأصول (١٤/ ٤٨٢) وأسد الغابة (٣/ ٣٨٤) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١ ـ ٥٠٠) وتاريخ الإسلام (٢/ ١٠٠) والإصابة (٢/ ٣٦٨ـ٣٧٠) .
(٣) في جامع الأصول (١٤/ ٤٨٤) : قار ؛ بالقاف وقيل بالفاء والراء .
(٤) في ط والإصابة : تيم ؛ تحريف لا بدَّ من تصحيحه .
(٥) في أ : أبو عبد الرحمن الهذلي .
(٦) العناق : الأنثى من أولاد المعز له سنة . النهاية (٣/ ٣١١) .
(٧) لم ينز عليها الفحل : لم يثب عليها للنسل . النهاية (٥/ ٤٤) .
(٨) قال للضرع : اقلص فقلص : أي اجتمع . النهاية (٤/ ١٠٠) .
(٩) في أ : غليم .
(١٠) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٧٩) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٧٢) وإسناده حسن .
(١١) الخبر في السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٣٦) .
(١٢) ساقط من أ .
(١٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٦٩) في السلام ، وابن ماجه في سننه (١٣٩) في المقدمة .
(١٤) في ط : والوساد ؛ خطأ . والسِّواد بالكسر : السّرار . النهاية (٢/ ٤١٩) .

وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، وهو الذي قتل أبا جهل بعد ما أثبته ابنا عفراء[١] ، وشهد بقية المشاهد .

وقال له رسول الله ﷺ يوماً : « اقرأ علي » فقلت أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] فبكى رسول الله ﷺ وقال : « حسبك »[٢] .

وقال أبو موسى : قدمت أنا وأخي من اليمن وما كنا نظن إلا أن ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبي ﷺ ، لكثرة دخولهم بيت النبي ﷺ .

وقال حذيفة : ما رأيت أحداً أشبه برسول الله ﷺ في هَدْيِهِ ودَلِّه وسَمْتِهِ من ابن مسعود .

ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى ، وفي الحديث « وتمسكوا بعهد ابن أم عبد »[٣] .

وفي الحديث الآخر الذي رواه أحمد[٤] ، عن محمد بن فضيل ، عن مغيرة ، عن أمِّ موسى[٥] ، عن علي : أن ابن مسعود صعد شجرة يجتني الكَبَاث[٦] فجعل الناس يعجبون من دِقة ساقيه ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحُد » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وقد نظر إلى قصره وكان يوازي بقامته الجلوس ـ فجعل يتبعه ثمَّ قال : هو كُنَيف[٧] مليء علماً .

وقد شهد ابن مسعود بعد النبي ﷺ مواقف كثيرة ، منها اليرموك وغيرها ، وكان قدم من العراق حاجاً فمر بالرَّبذة فشهد وفاة أبي ذر ودفنه ، ثم قدم إلى المدينة فمرض بها فجاءه عثمان بن عفان عائداً ، فيروى

---

(١) الخبر في تاريخ الإسلام (٢/ ١٠٢) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٤٠٤٩) في فضائل القرآن ، ومسلم في صحيحه (٨٠٠) في المسافرين ، والترمذي في جامعه رقم (٣٠٢٥) في التفسير .

(٣) الحديث رواه بهذا اللفظ الترمذي رقم (٣٨٠٥) واستغربه والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٥) وإسناده ضعيف جداً ، فإنه من رواته إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن جده ، وإبراهيم ضعيف وأبوه وجده متروكان . أما ما ورد في بعض نسخ الترمذي أنه قال : « حسن غريب » فلا يصح ، كما بيناه في طبعتنا من الترمذي وأخرجه الترمذي بلفظ : « وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه » (٣٧٩٩) من حديث حذيفة ، وحسنه ، وهو حديث لا يتحسن إلا بالطرق المتعددة والشواهد (بشار) .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١١٤) ومستدرك الحاكم (٣/ ٣١٧) وهو حديث صحيح .

(٥) تحرفت في ط ، أ : إلى : حرسي ؛ والتصحيح من مسند أحمد وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٧٧) .

(٦) الكَبَاث : هو النضيج من ثمر الأراك . النهاية (٤/ ١٣٩) .

(٧) كنيف : هو تصغير تعظيم للكنف وهو الوعاء . النهاية (٤/ ٢٠٥) والخبر في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٤) .

أنه قال له : ما تشتكي ؟ قال ذنوبي ، قال فما تشتهي ؟ قال رحمة ربي ، قال ألا آمر لك بطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضني ، قال : ألا آمر لك بعطائك ؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ فقال : لا حاجة لي فيه . فقال : يكون لبناتك من بعدك . فقال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إني أمرتُ بناتي أن يقرأْنَ كلَّ ليلةٍ سورةَ الواقعة ، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « منْ قرأ الواقعةَ كلَّ ليلةٍ لم تُصِبْهُ فاقةٌ أبداً »[١] . وأوصى عبد الله بن مسعود إلى الزّبير بن العوّام ، فيقال إنه هو الذي صلى عليه ليلاً ، ثمّ عاتب عثمانُ الزبير على ذلك ، وقيل بل صلَّى عليه عثمان ، وقيل عمَّار ، فالله أعلم . ودفن بالبقيع عن بضع وستين سنة .

عبد الرحمن بن عوف[٢] بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو محمد القرشي ، الزُّهري ، أسلم قديماً على يديْ أبي بكر ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، وشهد بدراً وما بعدها ، وأمَّره رسول الله ﷺ حين بعثه إلى بني كلب وأرخى له عذبة[٣] بين كتفيه ، ليكون أمارة عليه للإمارة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، ثمَّ أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم ، كما ذكرنا ، ثمّ كان هو الذي اجتهد في تقديم عثمان رضي الله عنه ، وقد تقاول هو وخالد بن الوليد في بعض الغزوات فأغلظ له خالد في المقال ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وهو في الصحيح[٤] .

وقال معمر ، عن الزُّهري : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدَّق بأربعين ألفاً ، ثمّ تصدّق بأربعين ألف دينار ، ثمّ حمل على خمسمئة فرس في سبيل الله ، ثمّ حمل على خمسمئة راحلة في سبيل الله[٥] . وكان عامة ماله من التجارة ، فأمّا الحديث الذي قال عبْدُ بن حُميد في « مسنده »[٦] حدَّثنا يحيى بن إسحاق ، حدَّثنا عمارة بن زاذان ، عن ثابت البُناني ، عن أنس بن مالك ، أن عبد الرحمن بن عوف لمّا هاجر آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عثمان بن عفان فقال له : إن لي حائطين فاختر أيهما شئت ، فقال : بارك الله لك في حائطيك ، ما لهذا أسلمت ، دلَّني على السوق ، قال

(١) أخرجه ابن السني رقم (٦٨٠) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٢٤٩٨) و(٢٤٩٩) وإسناده ضعيف .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن عوف ـ في الطبقات (٣/ ١٢٤) والاستيعاب (٨٤٤ ـ ٨٥٠) وجامع الأصول (١٢/ ٣١٧) وأسد الغابة (٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ٦٨ ـ ٩٢) وتاريخ الإسلام (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٧) والإصابة (٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧) .

(٣) العذبة : طرف الشيء . النهاية (٣/ ١٩٥) .

(٤) صحيح الإمام البخاري (٣٦٧٣) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٥٤٠) في فضائل الصحابة .

(٥) الخبر في معجم الطبراني رقم (٢٦٥) والحلية لأبي نعيم (١/ ٩٩) .

(٦) مسند عبد بن حميد (٤٠٧) رقم (١٣٨٣) .

فدلّه فكان يشتري السمنة[١] والأُقَيْطة[٢] والإهاب[٣] ، فجمع فتزوج فأتى النبي ﷺ فقال : « بارك الله لك أولمْ ولو بشاة » قال فكثر ماله حتى قدمت له سبعمئة راحلة تحمل البرّ وتحمل الدقيق والطعام ، قال : فلما دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجّة ، فقالت عائشة : ما هذه الرجّةُ ؟ فقيل لها عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف سبعمئة تحمل البُرَّ والدقيقَ والطعامَ . فقالت عائشة : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول « يدخلُ عبد الرحمن بن عوف الجنة حَبْواً »[٤] فلما بلغ عبد الرحمن ذلك قال : أُشهدكِ يا أمه أنَّها بأحمالها وأحلاسها[٥] وأقتابها في سبيل الله .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا عبد الصمد بن حسان ، حدَّثنا عمارة ـ هو ابن زاذان ـ عن ثابت ، عن أنس قال : بينما عائشة في بيتها إذ سمعتْ صوتاً في المدينة قالت : ما هذا ؟ قالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمتْ من الشّام تحملُ كلَّ شيء ـ قال وكانت سبعمئة بعير ـ قال فارتجَّتِ المدينةُ من الصوت ، فقالت عائشة : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « قد رأيتُ عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حَبْواً » فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال : لئن استطعتُ لأدخلنّها قائماً ، فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله . فقد تفرّد به عمارة بن زاذان الصيدلاني وهو ضعيف .

وأما قوله[٧] في سياق عبد بن حميد : إنه آخى بينه وبين عثمان بن عفان ، فغلط[٨] محض مخالف لما في صحيح البخاري[٩] من أن الذي آخى بينه وبينه إنما هو سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنهما .

وثبت في الصحيح[١٠] أن رسول الله ﷺ صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر في بعض الأسفار ، وهذه منقبةٌ عظيمةٌ لا تُبارى .

ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمئة دينار ـ وكانوا مئة ـ فأخذوها حتى عثمان وعلي، وقال علي: اذهب يا بن عوف فقد أدركت صفوها ، وسبقت زيفها ، وأوصى لكلّ امرأةٍ من أمُّهات المؤمنين بمبلغٍ كثيرٍ حتّى كانت عائشةُ تقولُ : سقاهُ اللهُ من السَّلْسَبيل . وأعتقَ خلقاً من مماليكه .

---

(١) في أ : السميذ ، وفي مسند ابن حميد : السمينة .
(٢) الأقيطة : تصغير الأقط ، وهو لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به . النهاية (١/ ٥٧) .
(٣) الإهاب : الجلد . النهاية (١/ ٨٣) .
(٤) الحديث في مسند أحمد (٦/ ١١٥) ومعجم الطبراني (٢٦٤) وطبقات ابن سعد (٣/ ٩٣) وإسناده ضعيف كما سيأتي .
(٥) الحلس : كساء على ظهر البعير ، أو كل شيء وليَ ظَهْرَ البعير والدابة تحت الرحل . اللسان (حلس) .
(٦) مسند الإمام أحمد (٦/ ١١٥) .
(٧) في أ : وقوله .
(٨) في أ : غلط محظى .
(٩) صحيح البخاري رقم (٣٧٨٠) في مناقب الأنصار .
(١٠) صحيح البخاري رقم (١٨٢) في الوضوء .

ثمّ تركَ بعد ذلك كلِّه مالاً جزيلاً ، من ذلك ذهبٌ قُطِّعَ بالفُؤوس حتى مجلت[١] أيدي الرجال ، وتركَ ألفَ بعيرٍ ومئةَ فرسٍ ، وثلاثةَ آلافِ شاةٍ تَرْعى بالبقيع .

وكان نساؤُهُ أربعاً فصُولحت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفاً[٢] .

ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان ، وحَمَلَ في جنازته سعدُ بن أبي وقاص ، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة .

وكان أبيضَ مُشْرَباً (حمرةً) ، حسنَ الوجه ، دقيقَ البشرة ، أعين[٣] ، أهدبَ الأشفار[٤] ، أقنى[٥] ، له جمةٌ ، ضخم الكفّين ، غليظ الأصابع ، لا يغيِّر شيبه رضي الله عنه .

أبو ذَرٍّ الغِفَارِي[٦] واسمه جُنْدُبُ بنُ جُنَادَة على المشهور ، أسلم قديماً بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة . وقصة إسلامه تقدمت قبل الهجرة ، وهو أول من حيَّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام ، ثم رجع إلى بلاده وقومه ، فكان هناك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فهاجر بعد الخندق ثم لزمَ رسولَ الله ﷺ حضراً وسفراً ، وروى عنه أحاديث كثيرة .

وجاء في فضله أحاديث كثيرة من أشهرها : ما رواه الأعمشُ ، عن أبي اليقظانِ عثمان بن عُمَيْر ، عن أبي حَرْب بن أبي الأسود ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « ما أظلَّتِ الخَضْراء ، ولا أقلَّت الغَبْراء أصدقَ لهجةً من أبي ذر »[٧] وفيه ضعف .

ثمَّ لما[٨] مات رسول الله ﷺ ، ومات أبو بكر خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية فاستقدمه عثمانُ إلى المدينة ، ثمَّ نزل الرَّبَذَة فأقامَ بها حتى مات في ذي الحجة من هذه السنة ، وليس عنده سوى امرأتِه وأولادِه ، فبينما هم كذلك لا يقدرون على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه ، فحضروا موته ، وأوصاهم كيف يفعلون به ، وقيل قدموا بعد وفاته فولوا غسله

---

(١) في أ : دكلت . ومجلت يده تمجُلُ ومَجَلت تمْجَلُ مَجَلاً إذا ثخن جلدها وتعجَّر وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة . النهاية (٤/ ٣٠٠) .

(٢) الخبر في طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٦) .

(٣) الأعين : واسع العين . النهاية (٣/ ٣٣٣) .

(٤) أهدب الأشفار : أي طويل شعر الأجفان . النهاية (٥/ ٢٤٩) .

(٥) أقنى : القنا في الأنف طوله ورقة أرنبته مع حَدَب في وسطه . النهاية (٤/ ١١٦) .

(٦) ترجمة ـ أبي ذر الغفاري ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٢١٩ ـ ٢٣٧) وحلية الأولياء (١/ ١٥٦ ـ ١٧٠) والاستيعاب (١/ ١٦٩ ـ ١٧٧) وأسد الغابة (١/ ٢٥٧) و(٦/ ٩٩ ـ ١٠١) والإصابة (٤/ ٦٢) .

(٧) الحديث أخرجه الترمذي (٣٨٠١) في فضائل الصحابة ، وابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٢٨) والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٤٢) .

(٨) في أ : ومات .

ودفنه ، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاةً من غنمه ليأكلوه بعد الموت ، وقد أرسلَ عثمانُ بن عفان إلى أهله فضمهم إلى[١] أهله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

فيها كانَ فتحُ قبرص في قولِ أبي معشرٍ ، وخالفه الجمهورُ فذكروها قبل ذلك كما تقدم .

وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية ثانيةً ، حين نقض أهلها العهد .

وفيها سيَّر أميرُ المؤمنين جماعةً من قُرَّاءِ أهلِ الكوفة إلى الشام ، وكان سببُ ذلك أنَّهم تكلَّموا بكلامٍ قبيحٍ في مجلسِ سعيد بن العاص ، فكتب إلى عثمان في أمرهم ، فكتب إليه عثمان أن يُجْلِيَهم عن بلده إلى الشام ، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشّام أنه قد أخرج[٢] إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم . فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتّباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد[٣] ، فأجابه متكلمهم والمترجم عنهم بكلامٍ فيه بشاعةٌ وشناعةٌ ، فاحتملهم معاوية لحلمه ، وأخذ في مدح قريش ـ وكانوا قد نالوا منهم ـ وأخذ في المدح لرسول الله ﷺ ، والثناء عليه ، والصلاة والتسليم . وافتخر معاوية بوالده وشرفه في قومه ، وقال فيما قال : (وأظن) أبا سفيان لو ولد الناس كلهم لم يلد إلا حازماً ، فقال له صَعْصَعةُ بن صُوحان : كذبت ، قد ولد الناس كلُّهم لمن هو خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده ، ونفخَ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البرُّ والفاجرُ ، والأحمقُ والكيّسُ . ثمَّ بذل لهم النصح مرةً أخرى فإذا هم يتمادون[٤] في غيّهم ، ويستمرّون على جهالتهم وحماقتهم ، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام ، لئلا يُشَوِّشوا عقولَ الطغام[٥] ، وذلك أنه كان يشتمل مطاوي كلامهم على القدح في قريشٍ كونهم فرَّطوا وضيَّعوا ما يجب عليهم من القيام فيه ، من نُصْرَة الدين وقمع المفسدين . وإنما يريدون بهذا التنقيصَ والعيبَ ورجمَ الغيب ، وكانوا يشتمون عثمانَ وسعيدَ بن العاص ، وكانوا عشرةً ، وقيل تسعة وهو الأشبه، منهم كُمَيْل بن زياد، والأشتر النَّخعي ـ واسمه مالك بن [الحارث، وصَعْصَعة بن صوحان وأخوه زيد بن صوحان، وكعب بن مالك الأرحبي، والأسود بن][٦] يزيد ـ وعلقمة بن قيس النَّخعيّان، وثابت بن

(١) في ط : مع أهله .
(٢) في أ : خرج .
(٣) في أ : والانتفاء .
(٤) في أ : متمادون .
(٥) في أ : الطغاة ، تحريف . والطغام من لا عقل معه ولا معرفة ، وقيل هم أوغاد الناس وأراذلهم . النهاية (٣/ ١٢٨) .
(٦) ما بين الحاصرتين عن أ وحدها ، وهي موافقة لما في تاريخ الطبري (٤/ ٣٢٦) .

قيس النَّخَعي ، وجندب بن زهير العامري ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعُروة بن الجَعْد وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي . فلما خرجوا من دمشق أووا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ـ وكان نائباً على الجزيرة . ثمَّ ولي حمص بعد ذلك ـ فهددهم وتوعدهم . فاعتذروا إليه وأنابوا إلى الإقلاع عمّا كانوا عليه ، فدعا لهم وسيَّر مالكاً الأشتر النَّخعي إلى عثمان بن عفان ليعتذر إليه عن أصحابه بين يديه ، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخيّرهم أن يقيموا حيث أحبّوا ، فاختاروا أن يكونوا في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فقدموا عليه حمص ، فأمرهم بالمقام بالسّاحل ، وأجرى عليهم الرزق . ويقال بل لما مقتهم معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردّهم إليه ، فلما رجعوا كانوا أَذْلَق[١] ألسنة ، وأكثرَ شرّاً ، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان ، فأمره أن يسيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ، وأن يلزموا الدروب[٢] .

وفي هذه السنة سَيَّر عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام ، وإلى مصر بأسباب مسّوغة لما فعله رضي الله عنه ، فكان هؤلاء ممن يؤلِّب عليه ويمالىء الأعداء في الحط والكلام فيه ، وهم الظالمون في ذلك ، وهو البارّ الراشد رضي الله عنه .

وفي هذه السنة حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وتَقَبَّل الله منه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قال أبو معشر : فيها كانت وقعة الصواري ، والصحيح في قول غيره أنها كانت قبل ذلك[٣] كما تقدم .

وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن (طاعة) عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة ـ وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة ، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة ، وتألَّبوا عليه ، ونالوا منه ومن عثمان ، وبعثوا إلى عثمان منْ يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثيرٍ من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه ، وأغلظوا له في القول ، وطلبوا منه أن يعزل عمّاله ويستبدل أئمة غيرهم (من السابقين ومن الصحابة) ، حتى شقَّ ذلك عليه جدًّا ، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم ، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام ، وعمرو بن العاص (أمير مصر) ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح أمير المغرب ، وسعيد بن العاص أمير الكوفة ، وعبد الله ابن عامر أمير البصرة ، فاستشارهم فيما حدث من الأمر (وافتراق الكلمة) ؛ فأشار عبد الله بن عامر

---

(١) أذلق : أفصح وأبلغ . النهاية (٢/ ١٦٥) .
(٢) في أ : بالدروب .
(٣) في أ : أنها قبل كما تقدم .

أن يشغلهم بالغزو عمّا هم فيه من الشرّ ، فلا يكون همّ أحدهم إلا نفسه ، وما هو فيه من دبر دابته وقمل[١] فروته (فإنّ غوغاء الناس إذا تفرغوا وبطلوا اشتغلوا بما لا يُغْني وتكلّموا بما لا يُرضي وإذا تفرَّقوا نفعوا أنفسهم وغيرهم) .

وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل[٢] شأفة المفسدين ، ويقطع دابرهم[٣] ، وأشار معاوية بأن يردّ عمَّالَه إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشرّ ، فإنَّهم أقلُّ وأضعفُ جنداً .

وأشار عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح بأن يتألَّفهم بالمال فيعطيهم منه ما يكفّ به شرَّهم ، ويأمن غائلتهم[٤] ، ويعطف به قلوبهم إليه .

وأما عمرو بن العاص فقام فقال : أما بعدُ يا عثمانُ فإنَّك قد ركبت الناس ما يكرهون ، فإما أن تعزلَ عنهم ما يكرهون ، وإما أن تقدم فتنزل عمالك على ما هم عليه ، وقال له كلاماً فيه غلظةٌ ، ثم اعتذر إليه في السر بأنه إنما قال هذا ليبلغ عنه من كان حاضراً من الناس إليهم ليرضوا من عثمان بهذا ، فعند ذلك قرَّر عثمانُ عمالَه على ما كانوا عليه ، وتألَّف قلوبَ أولئك بالمال ، وأمر بأن يُبعثوا إلى الغزو إلى الثغور ، فجمع بين المصالح كلها ، ولما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ، ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمكنوه من الدخول فيها حتى يعزله عثمان ويولّي عليهم أبا موسى الأشعري ، وكان اجتماعهم بمكانٍ يقال له الجرعة ، (وقد قال يومئذ الأشتر النخعي : والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا ، وتواقف الناس بالجرعة) وأحجم سعيدٌ عن قتالهم وصمَّموا على منعه ، وقد اجتمع في مسجد الكوفة في هذا اليوم حذيفة وأبو مسعود عقبة بن عمرو ، فجعل أبو مسعود يقول : [والله لا يرجع سعيد بن العاص حتى يكون دماء . فجعل حذيفة يقول][٥] : والله ليرجعن ولا يكون فيها محجمة من دم ، وما أعلم اليوم شيئاً إلا وقد علمته ومحمد ﷺ حي . والمقصود أن سعيد بن العاص كر راجعاً إلى المدينة وكسر الفتنة ، فأعجب ذلك أهل الكوفة ، وكتبوا إلى عثمان (أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري) بذلك ، فأجابهم عثمان إلى ما سألوا إزاحة لعذرهم ، وإزالة لشبههم ، وقطعاً لعللهم .

وذكر سيف بن عمر[٦] أن سببَ تألُّبِ الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الإسلام وصار إلى مصر ، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه ، مضمونه أنه يقول للرجل : أليس قد ثبت أن عيسى ابن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل : نعم ! فيقول له

---

(١) في أ : وحمل فروته ، وأشار سعيد .
(٢) في أ : تستأصل . والشأفة الأصل . اللسان (شأف) والتعبير بمعنى أن يُقضي عليهم .
(٣) دابر القوم : آخر من بقي منهم ، وقطع دابرهم : أي جميعهم حتى لا يبقى منهم أحد . النهاية (٢/ ٩٨) .
(٤) الغائلة : أمر منكر داهٍ . اللسان (غول) .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من ط .
(٦) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٠) .

فرسول الله ﷺ أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم يقول : وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب ، فمحمد خاتم الأنبياء ، وعليّ خاتم الأوصياء ، ثُمَّ يقول : فهو أحق بالإمرة من عثمان ، وعثمان معتدٍ في ولايته ما ليس له . فأنكروا عليه وأظهروا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر . فافُتتن به بشرٌ كثيرٌ من أهل مصر ، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة ، فتمالؤوا على ذلك ، وتكاتبوا فيه ، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان ، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته أقرباءه وذوي رحمه وعزله كبار الصحابة . فدخل هذا في قلوب كثير من الناس ، فجمع عثمان بن عفان نوّابه من الأمصار فاستشارهم فأشاروا عليه بما تقدم ذكرنا له ، فالله أعلم .

وقال الواقدي[١] فيما رواه عن عبد الله بن محمد ، عن أبيه قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين أكثر الناس (بالمقالة) على عثمان بن عفان ونالوا منه[٢] أقبح ما نيل من أحد ، فكلَّم الناس علي (بن أبي طالب) أن يدخلَ على عثمان ، فدخل عليه فقال له : إنَّ الناس (ورائي و) قد كلَّموني فيك ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلُّكَ على أمرٍ لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه ، وما خُصصنا بأمورٍ خَفيَ عنك إدراكُها ، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله ﷺ ونلت صهره ، (وما ابن أبي قحافة بأولى بعملِ الحقِّ منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيءٍ من الخيرِ منك ، وإنك أقربُ إلى رسول الله ﷺ رحماً ، ولقد نلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينالا ، ولا سبقاك إلى شيء) ، فاللهَ اللهَ في نفسك ، فإنَّك واللهِ ما تُبصرُ من عَمىً ، ولا تعلمُ من جَهْلٍ . وإنَّ الطريقَ لواضحٌ بيّنٌ ، وإن أعلام الدين لقائمةٌ ، تعلَّم يا عثمان أن أفضلَ عباد الله عند الله إمامٌ عادلٌ ، هُديَ وهَدَى ، فأقام سُنّة معلومةً ، وأماتَ بدعةً معلومةً ، فوالله إن كُلًّا لبيّنٌ ، وإن السنن لقائمةٌ لها أعلامٌ ، وإن البدعَ لقائمةٌ لها أعلامٌ ، وإن شرَّ الناس عندَ الله إمام جائر ضل وأضل به فأمات سنةً معلومة وأحيا بدعةً متروكةً ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُؤْتى يومَ القيامة بالإمام الجائر ، وليس معه نصير ولا عاذر[٣] ، فيُلْقى في جهنم ، فيدورُ فيها كما تدورُ الرَّحا ، ثمَّ يرتطم في غمرة جهنَّم »[٤] وإنِّي أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقمته ، فإن عذابه أليم شديد ، واحذر أن تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فإنه كان يُقال يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، وتلبس أمورها عليها ، ويتركون شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرحون فيها مرحاً . فقال عثمان : قد والله علمتُ لتقولن الذي قلت ، (أما والله) لو كنت مكاني ما عنفتك

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٣٦) .

(٢) في أ : لما كان سنة أربع وثلاثين كثر الناس على عثمان ونالوا منه .

(٣) مكان اللفظة بياض في أ بقدر ثلاث كلمات .

(٤) هو من رواية الواقدي ، وهو متروك عند المحدثين .

(ولا أسلمتك) ، ولا عبت[١] عليك ، ولا جئت منكراً ، إني وصلتُ رحماً ، وسددتُ خلة ، وآويتُ ضائعاً ، ووليت شبيهاً بمنْ كان عمرُ يُولّي ، أنشدك الله يا علي هل تعلم أنَّ المغيرةَ بن شعبة ليس هناك ؟ قال : نعم ! قال : فتعلمُ أن عمرَ ولاه ؟ قال : نعم ! قال : فلم تلوموني[٢] أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته[٣] ؟ فقال علي : سأخبرك أنَّ عمر كان كلما ولى أميراً[٤] فإنما يطأ على صماخيه[٥] ، وأنه (إن) بلغه حرف جاء به ، ثمَّ بلغ به أقصى الغاية في (العقوبة) ، وأنت لا تفعل ، ضعفت ورفقت[٦] على أقربائك . فقال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً ، فقال علي : لعمري[٧] إنَّ رحمَهم مني لقريبةٌ ، ولكنَّ الفضلَ في غيرهم . قال عثمان : هل تعلمُ أنَّ عمرَ ولّى معاويةَ خلافته كلَّها ، فقد وليتُه ، فقال عليٌّ : أنشدك (الله) هل تعلم أن معاوية كان أخوفَ من عمر من يَرْفأ غلام عمرَ منه ؟ قال : نعم! قال علي : فإنَّ معاويةَ يقطعُ الأمورَ دونك (وأنت تعلمها) ويقول للناس : هذا أمر عثمان ، فليبلغك[٨] (فلا تنكر) ولا تغير على معاوية ثم خرج عليّ من عنده وخرج عثمان على إثره فصعد المنبر [فخطب الناس][٩] فوعظ وحذَّر وأنذرَ ، وتهدَّد وتوعد ، وأبرقَ وأرعدَ ، فكان فيما قال : ألا فقد (والله) عبتُم عليَّ بما أقررتُمْ به لابن الخطّاب ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم[١٠] بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأت لكم كتفي ، وكففتُ يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم عليَّ ، أما واللهِ لأنا أعزُّ نفراً وأقربُ ناصراً وأكثرُ عدداً وأقْمن ، إن قلت : هلمّ إليّ إليّ ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلتُ عليكم فضولاً ، وكشرت لكم عن نابي ، فأخرجتم مني خُلُقاً لم أكن أُحسنه ، ومنطقاً لم أنطق به ، فكفّوا ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم ، فإنّي قد كففتُ عنكم منْ لو كان هو الذي يليكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ، ألا فما تفقدون من حقكم ؟ فوالله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ، ثمّ اعتذر عما كان يعطي أقرباءه[١١] بأنه من فضل ماله . فقام مروان بن الحكم فقال : إن شئتم والله حكَّمنا بيننا وبينكم السيف ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر : [من الطويل]

---

(١) في أ : ولا بحثت عليك .
(٢) في أ : قال يلومونني أن .
(٣) مكان اللفظة بياض في أ بقدر كلمة أو كلمتين .
(٤) في أ : أن عمر كان كل من ولى فإنما يطأ .
(٥) الصماخ هنا بمعنى الأذن . اللسان (صمخ) .
(٦) في أ : وزقت .
(٧) في أ : فقال علي : أجل إن رحمهم .
(٨) الأصوب أن يقال : فيبلغك .
(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من ط .
(١٠) في أ : وقهركم ، وكذلك في تاريخ الطبري (٤/ ٣٣٨) .
(١١) في أ : أقاربه .

فرشنا لكم أعراضنا فَنَبَتْ بكمْ مغارسُكُم[١] تبنونَ في دِمنِ الثرى

فقال عثمان : اسكت لا سكتَّ ، دعني وأصحابي ، ما منطقك في هذا[٢] ، ألم أتقدَّمْ إليكَ أن لا تنطق . فسكتَ مروان ونزل عثمان رضي الله عنه .

وذكر سيف بن عمر[٣] وغيره : أن معاوية لما ودّعه عثمان حين عزم على الخروج إلى الشام عرض عليه أن يرحل معه إلى الشام فإنهم قوم كثيرة طاعتهم للأمراء . فقال : لا أختار بجوار رسول الله ﷺ سواه . فقال : أجَهّز لك جيشاً من الشام يكونون[٤] عندك ينصرونك ؟ فقال : إني أخشى أن أضيِّق بهم بلد رسول الله ﷺ على أصحابه من المهاجرين والأنصار . قال معاوية : فو الله يا أمير المؤمنين لتُغْتالن ـ أو قال : لتُغزَين ـ فقال عثمان : حسبي الله ونعم الوكيل .

ثم خرج معاوية من عنده وهو مُتقلِّدٌ السيفَ وقوسُه في يده ، فمرّ على ملأ من المهاجرين (والأنصار) ، فيهم علي بن أبي طالب ، وطلحة ، والزبير ، فوقف عليهم واتكأ على قوسه وتكلَّم بكلام بليغ يشتمل[٥] على الوصاة بعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، والتحذير من إسلامه إلى أعدائه ، ثُمَّ انصرف ذاهباً . فقال الزبير : ما رأيتُه أهيبَ في عيني من يومه هذا .

وذكر ابنُ جرير[٦] أن معاوية استشعر الأمر لنفسه من قدمته هذه إلى المدينة ، وذلك أنه سمع حادياً يرتجز في أيام الموسم في هذا العام وهو يقول : [من الرجز]

قَدْ علمتْ ضَوامرُ المَطيِّ وضمَّـراتُ عَـوَجِ القِسـيِّ
أنَّ الأميـرَ بَعْـدهُ علـيُّ وفـي الـزُّبَيْـرِ خَلَفٌ رَضِيُّ
وطلحةُ الحافي لها وليُّ

[فقال كعب الأحبار وهو يسير خلف عثمان : والله إن الأمير بعده صاحب البغلة الشهباء . وأشار إلى معاوية][٧] فلما سمعها معاوية لم يزل ذلك في نفسه ، حتى كان ما كان على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

---

(١) في أ : وتاريخ الطبري (٤/ ٣٣٩) : معارسكم .
(٢) في أ : وما منطقك وبعدها بياض بقدر كلمة واحدة .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) .
(٤) في أ : يكون .
(٥) في أ : مشتمل .
(٦) في تاريخه (٤/ ٣٤٣) .
(٧) ما بين الحاصرتين زيادة من أ ، وهي موافقة لما عند الطبري .

قال ابن جرير[(١)] : وفي هذه السنة مات :

أبو عبس بن جبير[(٢)] بالمدينة وهو بدري .

ومات أيضاً مسطح بن أثاثة[(٣)] .

وعاقل بن البكير[(٤)] .

وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ففيها مقتل عثمان [بن عفان رضي الله عنه][(٥)]

وكان السبب في ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر ولَّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح . وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص ، (مقهورين معه لا يستطيعون أن يتكلَّموا بسوء في خليفة ولا أمير) .

فما زالوا حتى شكوه[(٦)] إلى عثمان لينزعه عنهم ويُوَلِّي عليهم من هو ألينُ منه . فلم يزل ذلك دأبُهم حتى عزل عَمراً[(٧)] عن الحرب وتركه على الصلاة ، وولَّى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح . ثمَّ سَعَوْا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما ، حتى كان بينهما كلامٌ قبيحٌ . فأرسل عثمان فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر ، خراجها (وحربها) وصلاتها ، وبعث إلى عمرو يقول له : لا خير لك في المقام[(٨)] عند من يكرهك ، فاقدم إليَّ ، فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر عظيم وشر كبير ، فكلَّمه فيما كان من أمره بنفس ، وتقاولا في ذلك ، وافتخر عمرو بن العاص بأبيه على

---

(١) في تاريخه (٤/ ٣٣٩) .

(٢) تحرفت في ط إلى : جبير ، وهو عبد الرحمن بن جبر بن عمرو . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٨) .

(٣) ترجمة ـ مسطح بن أثاثة ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٣٦) وأسد الغابة (٥/ ٥٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٨٧) والإصابة (٣/ ٤٠٨) .

(٤) تحرف في ط إلى غافل ، وترجمة ـ عاقل بن البكير ـ في الطبقات (٣/ ٢٨٢) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٨٥) والإصابة (٢/ ٢٤٧) .

(٥) زيادة من أ .

(٦) في أ : فجعلوا يعملون عليه حتى شكوه .

(٧) في أ : عمرو بن العاص .

(٨) في أ : يقول إنه لا خير لك في الإقامة .

أبي عثمان ، وأنه كان أعز منه[١] . فقال له عثمان : دَعْ هذا فإنّه من أمر الجاهلية . وجعل عمرو بن العاص يؤلِّبُ الناسَ على عثمان . وكان بمصر جماعة يبغضون[٢] عثمان ويتكلَّمون فيه بكلام قبيحٍ على ما قدمنا ، وينقمون عليه (في عزله جماعة من عِلْيَة) الصحابة وتوليته من دونهم ، أو منْ لا يصلح عندهم للولاية . وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، بعد عمرو بن العاص ، واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب ، وفتحه بلاد البربر والأندلس وإفريقية . ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلِّبون الناس على حربه والإنكار عليه ، وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، حتى استنفرا[٣] نحواً من ستمئة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب ، لينكروا على عثمان ، فساروا إليها تحت أربع رفاق[٤] ، وأمرُ الجميع إلى عمرو بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخُزاعي ، وعبد الرحمن بن عُدَيْس (البلوي ، وكنانة بن بشر) التُّجيبي ، (وسُودان بن حُمْران السَّكُوني) . وأقبل معهم محمد بن أبي بكر ، وأقام بمصر محمد بن أبي حُذَيْفة يُؤَلِّبُ الناسَ ويدافع عن هؤلاء (وكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء) القوم إلى المدينة مُنْكرين عليه في صفة مُعْتمرين .

فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان علي[٥] بن أبي طالب أن يخرجَ إليهم ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة . ويقال : بل ندب الناس إليهم ، فانتدب علي لذلك فبعثه ، وخرج معه جماعة الأشراف وأمره أن يأخذ معه عمار بن ياسر . فقال علي لعمار فأبى عمار أن يخرج معه ، فبعث عثمان سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى عمار ليحرِّضه على الخروج مع علي إليه ، فأبى عمار كلَّ الإباء ، وامتنع أشدَّ الامتناع ، وكان متعصباً على عثمان بسبب (تأديبه له فيما تقدم على أمر وضربه إياه في ذلك ، وذلك بسبب) شتمه عباس بن عتبة بن أبي لهب ، فأدبهما عثمان ، فتآمر عمّارٌ عليه لذلك ، وجعل يحرِّضُ الناسَ عليه ، فنهاه سعد بن أبي وقاص عن ذلك ولامه عليه ، فلم يُقْلِعْ عنه ولم يرجع ولم ينزع ، فانطلق علي بن أبي طالب إليهم وهم بالجحفة ، وكانوا يعظمونه ويبالغون[٦] في أمره ، فردَّهم وأنَّبهم وشَتَمهم ، فرجعوا على أنفسهم بالملامة ، وقالوا : هذا الذي تحاربون الأمير بسببه ، وتحتجون عليه[٧] به . ويقال إنه ناظرهم في عثمان ، وسألهم ماذا ينقمون[٨] عليه ، فذكروا أشياء منها أنه حمى

---

(١) ضعيف الطبري (٨/ ٥٥٠ ـ ٥٥٤) وفي سنده الواقدي ، متروك .
(٢) في أ : ينقصون .
(٣) في أ : استنفروا .
(٤) في أ : أربع رايات . وفي تاريخ الطبري (٤/٣٤٨) : أربع رفاق في أربعة أمراء .
(٥) في أ : علياً رضي الله عنه .
(٦) في أ : ويتغالون .
(٧) في أ : عليهم .
(٨) في أ : ينقمون .

الحمى[١] ، وأنَّه حرقَ المصاحف وأنّه أتم الصلاة ، وأنه ولَّى الأحداث (الولايات وترك الصحابة الأكابر) وأعطى[٢] بني أمية أكثر من الناس .

فأجاب علي[٣] عن ذلك : أما الحمى فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن ، ولم يَحْمِهِ لإبله ولا لغنمه ، وقد حماه عمر من قبله . وأما المصاحفُ فإنّما حرق ما وقع فيه اختلاف ، وأبقى لهم المتفق عليه ، كما ثبت في العرضة الأخيرة ، وأما إتمامه الصلاة بمكة ، فإنه كان قد تأهَّلَ بها ونوى الإقامة فأتمها ، أما توليته الأحداث فلم يولِّ إلا رجلاً سوياً عدلاً ، وقد ولَّى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد (على مكة) وهو ابن عشرين (سنة) ، وولَّى أسامةَ بن زيد بن حارثة ، وطعن[٤] الناس في إمارته فقال : « إنه لخليقٌ بالإمارة »[٥] وأما إيثارُهُ قومَه بني أمية فقد كان رسول الله ﷺ يُؤْثِر قريشاً على الناس ، ووالله لو أن مفتاحَ الجنة بيدي لأدخلتُ بني أمية إليها . ويقال : إنهم عتبوا عليه في عمّارٍ ومحمد بن أبي بكر ، فذكر عثمان عذره في ذلك ، وأنه أقام فيهما[٦] ما كان يجب عليهما .

وعتبوا عليه في إيوائه الحَكم بن أبي العاص ، وقد نفاه رسول الله ﷺ إلى الطائف ، فذكر أن رسول الله ﷺ كان قد نفاه إلى الطائف ثمَّ ردَّه ، ثمَّ نفاه إليها ، قال : فقد نفاه رسول الله ﷺ ثم رَدَّه .

وروي أنَّ عثمان خطب الناس بهذا كلِّه بمحضرٍ من الصحابة ، وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له ، ويروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا خطبة عثمان هذه ، فلما تمهدت[٧] الأعذار ، وانزاحت عللهم ، ولم يبق لهم شبهة ، أشار جماعة من الصحابة على عثمان بتأديبهم فصفح عنهم [وتركهم] ، رضي الله عنه . وردَّهم إلى قومهم ، فرجعوا خائبين من حيث أتوا ، ولم ينالوا شيئاً مما كانوا أمَّلوا وراموا ، ورجع عليٌّ إلى عثمان ، فأخبره برجوعهم عنه ، وسماعهم منه ، وأشار على عثمان أن يخطب الناس خطبةً يعتذر إليهم فيها مما كان وقع من الأثرة لبعض أقاربه ، ويشهدهم عليه بأنه قد تاب من ذلك ، وأناب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشيخين قبله[٨] ، وأنه لا يحيد عنها ، كما كان الأمر أولاً في مدة ست سنين الأُول ، فاستمع عثمان هذه النصيحة ، وقابلها بالسمع والطاعة .

ولما كان يوم الجمعة وخطب الناس ، رفع يديه في أثناء الخطبة ، وقال : اللهم إني أستغفرك وأتوب

---

(١) في ط : أنه في الحمى .
(٢) في أ : وأنه أعطى .
(٣) في أ : عثمان .
(٤) في أ : فطعن .
(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٠) والبخاري في صحيحه (٣٧٣٠) في الفضائل ، ومسلم في صحيحه (٢٤٢٦) (٦٣) في المناقب .
(٦) في أ : فإنه أقام فيها .
(٧) تمهيد العذر : بسطه وقبوله .
(٨) في أ : سيرة الشيخين فيه .

إليك ، اللهم إني أول تائب مما كان مني ، وأرسل عينيه بالبكاء فبكى المسلمون أجمعون ، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم ، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك ، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان ، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأنه قد سبل[١] بابه لمن أراد الدخول عليه ، لا يمنع أحد من ذلك ، ونزل فصلّى بالناس ثمَّ دخل منزله ، وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أو مسألة أو سؤال ، لا يمنع أحد من ذلك مدة .

قال الواقدي : فحدَّثني علي بن عمر ، عن أبيه قال : ثمَّ إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له : تكلم كلاماً يسمعه[٢] الناس منك ويشهدون عليك ، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة ، فإن البلاد قد تمخضت عليك ، ولا آمن ركباً آخرين[٣] يقدمون من قبل الكوفة ، فتقول : يا علي اركب إليهم ، ويقدم آخرون من البصرة فتقول : يا علي اركب إليهم ، فإن لم أفعل قطعت رحمك واستخففت بحقك . قال : فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها ، وأعلم الناس من نفسه التوبة ، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فوالله ما عاب من عاب شيئاً أجهله ، وما جئتُ شيئاً إلا وأنا أعرفه ، ولكن ضلَّ رشدي ، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من زلَّ فليتبْ ، ومن أخطأ فليتب ، ولا يتمادى في الهلكة ، إن من تمادى في الجور كان أبعد عن الطريق »[٤] فأنا[٥] أولُ من اتَّعظَ ، أستغفر الله مما فعلتُ وأتوبُ ، فمثلي نزع وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم ، فوالله لأكوننَّ كالمرقوق إن مُلِكَ صبر ، وإن عُتِقَ شكر ، وما عن الله مذهبٌ إلا إليه .

قال : فرقَّ الناسُ له [يومئذٍ][٦] وبكى منْ بكى ، وقام إليه سعيد بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ! الله الله في نفسك ! فأتمم على ما قلت . فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعةً من أكابر الناس ، وجاءه مروان بن الحكم فقال : أتكلم يا أمير المؤمنين أم أصمت ؟ فقالت امرأة عثمان ـ نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ من وراء الحجاب : بل اصمت ، فو الله إنهم لقاتلوه ، ولقد قال مقالة لا ينبغي النزوع عنها . فقال لها : وما أنت وذاك ؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن (أن) يتوضَّأ . فقالت له : دع (ذكر) الآباء ، ونالت من أبيه الحكم ، فأعرض عنها مروان . وقال لعثمان : يا أمير المؤمنين أتكلَّم أم أصمت ؟ فقال له عثمان : بل تكلّم ؛ فقال مروان : بأبي أنت وأمي ، لوددتُ أنَّ مقالتك هذه كانت وأنت ممتنعٌ[٧]

---

(١) سَبَّلْتُ الشيء إذا أبحته كأنك جعلت إليه طريقاً مطروقة . اللسان (سبل) .
(٢) في ط : تسمعه .
(٣) في أ : آخر .
(٤) هو من رواية الواقدي ، وهو متروك عند المحدِّثين .
(٥) في أ : وأنا .
(٦) زيادة عن تاريخ الطبري (٤/ ٣٦١) .
(٧) في ط : ممنع ، وما هنا عن أ وتاريخ الطبري (٤/ ٣٦٢) .

منيعٌ ، فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ، ولكنك قلت ما قلت حين جاوز[١] الحزام الطُّبْيَيْنِ ، وبلغ[٢] السيلُ الزُّبى ، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لإقامةٌ على خطيئةٍ يُسْتَغفَرُ منها ، خيرٌ من توبة خُوِّفَ عليها ، وإنك لو شئت لعزمت[٣] التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : (قم) فاخرج إليهم فكلّمهم ، فإني أستحيي أن أكلمهم .

قال : فخرج مروان إلى الباب ، والناسُ يركب بعضهم بعضاً ، فقال[٤] : ما شأنكم كأنكم قد جئتم لنهب ، شاهت الوجوه[٥] (كل إنسان آخذ بأذن صاحبه) إلا من أريدَ ، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ، اخرجوا عنا ، (أما والله لئن رمتمونا)[٦] ليمرَّن عليكم أمرٌ يسوؤكم ولا تحمدوا غبّه ، ارجعوا إلى منازلكم ، فوالله ما نحن مغلوبين على ما بأيدينا .

قال : فرجع الناس ، وخرج بعضهم حتى أتى عليًا فأخبره الخبر ، فجاء علي مغضباً حتى دخل على عثمان ، فقال : أما رضيتَ من مروان ولا رضي منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك ؟! وإن مثلك مثل جمل الظعينة[٧] سار حيث يسار به ، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه، وايم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك[٨] ، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أذهبتَ سوقك[٩] ، وغُلبت على أمرك .

فلما خرج عليٌّ دخلت نائلةُ على عثمان فقالت : أتكلَّم أو أسكت ؟ فقال : تكلّمي ، فقالت : [قد] سمعتُ قولَ عليٍّ أنه ليس يعاودك ، وقد أطعتَ مروان [يقودك][١٠] حيث شاء ، قال : فما أصنع ؟ قالت : تَتَّقي اللهَ وحده لا شريك له ، وتتَّبع سُنَّةَ صاحِبَيْكَ من قبلك ، فإنك متى أطعت مروان قَتَلَكَ ومروان ليس له عند أحد[١١] قدرٌ ولا هَيْبَةٌ ولا محبةٌ ، فأرسلْ إلى علي فاستصلحه فإن له قرابةً منك وهو

---

(١) في أ : بلغ ، والروايتان واردتان للمثل : انظر معجم الأمثال العربية لرياض عبد الحميد مراد (١/ ٢٠١ و٣٧٧ و٤٤٢) وفيه ذكر لمصادر المثل ، ويضرب هذا المثل للأمر يبلغ غايته في الشدّة والصعوبة ، وهو أيضاً في جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ٢٢٠) .

(٢) في أ : وخلف ، والمثل في معجم الأمثال العربية (١/ ٢٢) وفيه ذكر لمصادره : ويضرب أيضاً للأمر يبلغ غايته في الصعوبة والشدة .

(٣) في أ : تقريب التوبة ، وما هنا موافق للطبري (٤/ ٣٦٢) .

(٤) ضعيف الطبري (٨/ ٥٥٦) وفي السند الواقدي ، وهو متروك .

(٥) شاهت الوجوه : قبحت . اللسان : (شوه) .

(٦) مكان القوسين بياض في أ بقدر ثلاث كلمات .

(٧) الظعينة : الهودج تكون فيه المرأة أو لا تكون . اللسان (ظعن) .

(٨) الصَّدَر نقيض الوِرْد ومعناه الرجوع ، ويقال للذي يبتدىء أمراً ثم لا يتمّه يورد ولا يُصْدر . اللسان (صدر) .

(٩) كذا في أ ، ط وفي تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٢) : شرفك ؛ ولعلها هي الأشبه .

(١٠) الزيادة عن تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٢) .

(١١) في ط : عند الله ، وفي تاريخ الطبري : عند الناس .

لا يُعصى . قال فأرسل عثمان إلى علي فأبى أن يأتيه ، وقال : قد أعلمته أني لست بعائد .

قال : وبلغ مروان قول نائلة (فيه فجاء إلى عثمان فقال : أتكلَّم أو أسكت ؟ فقال : تكلَّم ، فقال : إن نائلة) بنت الفرافصة . ـ فقال[١] عثمان لا تذكرها بحرف فأسوِّيء[٢] لك وجهك ، فهي والله أنصح لي منك . (قال : فكف مروان) .

ذِكْرُ مجيء الأحزابِ إلى عثمان للمرَّةِ الثانية من مصر [وغيرها في شوال من هذه السنة]

وذلك أن أهل الأمصار لما بلغهم خبر مروان ، وغضب علي على عثمان بسببه ، ووجدوا الأمر على ما كان عليه لم يتغير (ولم يسلك سيرة صاحبيه) فكاتب أهل مصر وأهل الكوفة و(أهل) البصرة وتراسلوا ، وزُوِّرتْ كتبٌ على لسان الصحابة الذين بالمدينة ، وعلى لسان عليٍّ وطلحة والزبير ، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونُصرة الدين ، وأنه أكبر الجهاد اليوم .

وذكر[٣] سيف بن عمر التميمي عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، وقاله غيرهم أيضاً ، قالوا : لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين ، خرج أهل مصر في أربع رِفاق على أربعة أمراء ، المُقَلِّلُ لهم يقول ستمئة ، والمُكْثِرُ يقول : ألف . على الرفاق عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوي . وكنانة بن بشر اللَّيْثي[٤] ، وسُودان بن حُمْران السَّكوني ، وقُتَيْرة[٥] السَّكوني ، وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العَكّي ، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً ، ومعهم ابن السوداء ـ وكان أصله ذمياً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قوليةً وفعليةً ، قبحه الله ـ وخرج أهل الكوفة في عدتهم في أربع رفاق (أيضاً) ، وأمراؤهم : زيد بن صُوحان ، والأشتر النَّخعي ، وزياد بن النَّضْر الحارثي ، وعبد الله بن الأصمّ ، وعلى الجميع عمرو بن الأصَمّ . وخرج أهل البصرة في عدتهم أيضاً في أربع رايات مع حُكَيْم بن جَبَلَة العَبْدي ، وبشر بن شُرَيْح بن ضُبَيْعة القيسي ، وذَريح بن عباد العبدي ، وعليهم كلّهم حرقوص بن زهير السعدي ، وأهل مصر مصرون على ولاية علي بن أبي طالب ، وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزُّبير ، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة . لا تشكّ كلّ فرقةٍ أن أمرها سيتمّ ، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة ، كما تواعدوا في كتبهم ، في شهر شوال فنزل طائفة منهم بذي خُشُبٍ ، وطائفة بالأعْوَص ، والجمهور بذي المروَة ، وهم على وجل من أهل المدينة ، فبعثوا قصَّاداً وعيوناً بين أيديهم ليخبروا الناس

---

(١) في أ : فقال له .
(٢) في ط : فأسوء إلى وجهك .
(٣) في أ : وأنه أكبر الجهاد البر ، وقال سيف . . والخبر في تاريخ الطبري (٣٤٨/٤) .
(٤) في تاريخ الطبري : التجيبي . وقد تقدم .
(٥) في تاريخ الطبري : قتيرة بن فلان السَّكوني .

أنهم [إنما] جاؤوا للحجّ لا لغيره ، وليستعفوا هذا الوالي من بعض عماله ، ما جئنا إلا لذلك ، واستأذنوا للدخول[١] ، فكُلُّ الناس أبى دخولهم ونهى عنه ، فتجاسروا واقتربوا من المدينة ، وجاءت طائفة من المصريين إلى علي وهو في[٢] عسكر عند أحجار الزيت[٣] ، عليه حلّة أفواف[٤] ، معتم بشُقَيْقَةٍ[٥] حمراء يمانية ، متقلداً السيف وليس عليه قميص .

وقد سَرَّحَ[٦] ابنَه الحسنَ إلى عثمان فيمن اجتمع إليه ، فسلّم عليه المصريون فصاح بهم وطردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خُشُبٍ ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فارجعوا لا صبَّحكم الله ، قالوا : نعم ! وانصرفوا من عنده على ذلك ، وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب ـ وقد أرسل ابنيه إلى عثمان ـ فسلّموا عليه فصاح بهم واطَّردهم وقال لهم كما قال عليّ لأهل مصر ، وكذلك كان ردّ الزُّبير على أهل الكوفة ، فرجع كل فريق (منهم) إلى قومهم ، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم ، وساروا أياماً راجعين ، ثم كرّوا عائدين إلى المدينة ، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير ، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها ، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان وقالوا للناس : منْ كفَّ يده فهو آمنٌ ، فكفَّ الناسُ ولزموا بيوتَهم ، وأقام الناسُ على ذلك أياماً . هذا كلُّه ولا يدري (الناس) ما القوم صانعون ، ولا على ما هم عازمون ، وفي كل ذلك أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه يخرج من داره فيصلّي بالناس ، فيصلّي وراءه أهلُ المدينة وأولئك الآخرون ، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم ويعذلونهم على رجوعهم ، حتى قال علي لأهل مصر : ما رَدَّكُم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟ فقالوا : وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا ـ وكذلك قال البصريون لطلحة ، والكوفيون للزبير . وقال أهل كل مصر : إنما جئنا[٧] لننصر أصحابنا . فقال لهم الصحابة : كيف علمتم بذلك من أصحابكم ، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل ؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه ، فقالوا : ضعوه على ما أردتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعتزلنا ونحن نعتزله ـ يعنون (أنه) إن نزل عن الخلافة تركوه آمناً ـ وكان المصريون فيما ذ كر ، لما رجعوا إلى بلادهم[٨] وجدوا في الطريق بريداً يسير ،

---

(١) في أ : واستأذنوا في الدخول .
(٢) في أ : وهو على عسكر .
(٣) أحجار الزيت : موضع بالمدينة قريب من الزوراء ، وهو موضع صلاة الاستسقاء . معجم البلدان (١ / ١٠٩) .
(٤) في أ : حلّة أثواب ، والفوف : ضرب من برود اليمن . وفي حديث عثمان : خرج وعليه حلة أفواف . الأفواف جمع فوف وهو القطن ، وواحدة الفوف : فوفة ، يقال برد أفواف وحلةٍ أفواف . اللسان (فوف) .
(٥) الشُّقة : جنس من الثياب ، وتصغيرها شُقَيقة ، وقيل هي نصف ثوب . اللسان (شقق) .
(٦) في ط : أرسل ، وهما بمعنى . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٥٠) .
(٧) في أ : رجعنا .
(٨) في أ : بلدتهم .

فأخذوه ففتشوه ، فإذا معه في إداوة كتاباً[١] على لسان عثمان فيه الأمر بقتل طائفة (منهم) ، وبصلب آخرين ، وبقطع أيدي آخرين منهم وأرجلهم ، وكان على الكتاب طابع بخاتم عثمان ، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جَمَله ، فلما رجعوا جاؤوا بالكتاب وداروا به على الناس ، فكلَّم الناسُ أميرَ المؤمنين في ذلك ، فقال بيِّنةٌ عليَّ بذلك وإلا فوالله لا كتبت[٢] ولا أمليت ، ولا دريت بشيء من ذلك ، والخاتم قد يزوّر على الخاتم ، فصدَّقه الصادقون في ذلك ، وكذَّبه الكاذبون .

ويقال : إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبي سَرْح ، ويُولِّي محمد بن أبي بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما وجدوا[٣] ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبي بكر [وآخرين معه] فرجعوا[٤] وقد حنقوا عليه حنقاً شديداً ، وطافوا بالكتاب على الناس ، فدخل ذلك في أذهان كثير من الناس .

وروى ابن جرير[٥] من طريق محمد بن إسحاق ، عن عمه عبد الرحمن بن يسار ، أن الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السُّلمي ، على جَمَلٍ لعثمان .

وذكر ابن جرير[٦] من هذه الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه، وهذا كذب على الصحابة، وإنما كُتبت كتبٌ مزورةٌ عليهم، كما كتبوا من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج كتباً مزورة عليهم أنكروها ، وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً ، فإنه لم يأمر به ولم يعلم به أيضاً . واستمرّ عثمان يصلّي بالناس في تلك الأيام كلها ، وهم أحقر في عينه من التراب، فلمّا كان في بعض الجمعات وقام على المنبر، وفي يده العصا التي كان يعتمد عليها رسول الله ﷺ في خطبته ، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده ، فقام إليه رجل من أولئك فسبَّه ونال منه ، وأنزله عن المنبر ، فطمع الناس فيه من يومئذ ، كما قال الواقدي[٧] : حدَّثني أسامة بن زيد ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، قال : بينا أنا أنظر إلى عثمان [يخطب] على عصا النبي ﷺ التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر ، فقال له جهجاه : قم يا نعثل[٨] فانزل عن هذا المنبر ، وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها (فيها) فبقي الجرح حتى أصابته الأَكَلَة ، فرأيتها تدوِّد ،

(١) الصواب أن يقال : كتاب .
(٢) في أ : ما كتبت .
(٣) في أ : فلما رجعوا وجدوا .
(٤) في الأصل : فأجابهم إلى ذلك ، وهي مكررة .
(٥) تاريخه (٤/ ٣٦٣) .
(٦) المصدر نفسه (٤/ ٣٦٩) .
(٧) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) .
(٨) « نعثل » : رجل من أهل مصر ، كان طويل اللحية ، قيل إنه كان يشبه عثمان رضي الله عنه ، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شُبِّه بهذا الرجل المصري لطول لحيته ، ولم يكونوا يجدون فيه عيباً غير هذا . اللسان (نعثل) .

فنزل عثمان (وحملوه) وأمر بالعصا فشدوها ، فكانت مضببة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خَرْجَة أو خرجتين ، حتى حُصِر فقتل .

قال ابن جرير : وحدَّثنا أحمد بن إبراهيم ، حدَّثنا عبد الله بن إدريس ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع : أنَّ الجهجاه الغِفاري أخذ عصاً كانت في يد عثمان فكسرها على ركبته ، فرُمي في ذلك المكان بأكَلَةٍ .

وقال الواقدي(١) : وحدَّثني ابن أبي الزناد ، عن موسى بن عُقْبة ، عن أبي حَبيبة قال : خطب عثمان الناس في بعض أيامه فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين إنك قد ركبت نهابير(٢) وركبناها معك ، فتُبْ نَـتُبْ (معك) . فاستقبلَ عثمانُ القبلةَ وشهرَ يديه .

قال أبو حبيبة : فلم أرَ يوماً أكثر باكياً ولا باكيةً من يومئذ . ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهجاه الغفاري فصاح (إليه) : يا عثمانُ ألا إن هذه شارف(٣) قد جئنا بها عليها عباءةوجامعة(٤) ، فانزل فلندرجك في العباءة ولنَطْرَحكَ في الجامِعَةِ ولنَحْمِلْكَ على الشَّارِفِ ثم نَطْرحكَ في جبل الدخان . فقال عثمان : قبَّحكَ اللهُ وقبَّح ما جئتَ به ، ثمّ نزل عثمان . قال أبو حبيبة : وكان آخر يومٍ رأيتُه فيه .

وقال الواقدي : حدَّثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد . قال : كان أول من اجترأ على عثمان بالنُّطْقِ السيِّء جَبَلة بن عمرو الساعدي ؛ مرَّ به عثمان وهو في نادي قومه ، وفي يد جبلة جامعة ، فلما مرَّ عثمان سلَّم فردَّ القومُ ، فقال جبلة : لم تردُّون عليه ؟ رجل قال كذا وكذا ، ثمّ أقبل على عثمان فقال : والله لأطرحنَّ هذه الجامعة في عنقكَ أو لتتركنَّ بطانتك هذه ، فقال عثمان : أيّ بطانة ؟ فوالله [إني] لأتخيَّر الناسَ ، فقال : مروان تخيرته ، ومعاوية تخيرته ، وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز تخيرته ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْحٍ تخيرته ، منهم من نزل القرآن بذمّه ، وأباح رسول الله ﷺ دمه ، قال فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم .

قال الواقدي : وحدَّثني محمد بن صالح ، عن عبيد الله بن رافع بن نقاخة ، عن عثمان بن الشَّريد . قال : مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعديّ وهو بفناء داره ، ومعه جامعة ، فقال يا نَعْثَلُ ! والله لأقتلنَّك ولأحملنَّك على قَلوصٍ جَرْباء ، ولأخرجنَّك إلى حرَّةِ النارِ . ثمّ جاءه مرةً أخرى ، وعثمانُ على المنبر فأنزله عنه .

وذكر سيف بن عمر أن عثمان بعد أن صلَّى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم أيضاً فقال في خطبته : يا هؤلاء الغرباء ! الله الله ، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ ،

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٤/٣٦٦) .
(٢) النهابر والنهابير : المهالك . القاموس .
(٣) الشارف من الإبل : المسنّ أو المسنّة . اللسان (شرف) .
(٤) الجامعة : القيد .

فامحوا الخطأ[١] بالصواب ، فإنَّ الله لا يمحو السيِّء إلا بالحسن ، فقام محمد بن مسلمة فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده ، فقام زيد بن ثابت فقال : إنه في الكتاب . فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي مريرة[٢] فأقعده وقال : يا نطع ، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشياً عليه ، فاحتمل وأدخل داره ، وكان المصريون لا يطمعون في أحد من الناس أن يساعدهم إلا محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر ، وعمار بن ياسر .

وأقبل علي وطلحة والزبير إلى عثمان في أناس يعودونه ويشكون إليه بثَّهم وما حلَّ بالناس ، ثمّ رجعوا إلى منازلهم ، واستقبل جماعة من الصحابة ، منهم أبو هريرة ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت في المحاربة عن عثمان ، فبعث إليهم يقسم عليهم لما كفوا أيديهم وسكنوا حتى يقضي الله ما يشاء .

ذكر[٣] حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

لما وقع ما وقع يومَ الجمعة ، وشُجَّ أميرُ المؤمنين عثمانُ ، وهو في رأس المنبر ، وسقط مغشياً عليه ، واحتملَ إلى داره وتفاقم الأمرُ ، وطمع فيه أولئك الأجلافُ الأخلاطُ من الناس ، وألجؤوه إلى داره وضيَّقوا عليه ، وأحاطوا بها محاصرين له ، ولزم كثيرٌ من الصحابة بيوتهم ، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة ، عن أمر آبائهم ، منهم الحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير ـ وكان أمير الدار ـ وعبد الله بن عمرو ، وصاروا يحاجّون عنه ، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم ، وأسلمه بعض الناس رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدة مما سألوا ، فإنهم كانوا قد طلبوا منه إما أن يعزل نفسه ، أو يسلِّم إليهم مروانَ بن الحكم ، ولم يقع في خلد أحد أن القتل كان في نفس الخارجين[٤] ، وانقطع عثمان عن المسجد فكان لا يخرج إلا قليلاً في أوائل الأمر ، ثم انقطع بالكلية في آخره ، وكان يصلي (بالناس) في هذه الأيام الغافقي بن حرب . وقد استمر الحصر[٥] أكثر من شهر . وقيل أربعين يوماً . حتى كان آخر ذلك أنْ قُتلَ شهيداً رضي الله عنه ، على ما سنبينه إن شاء الله تعالى .

والذي ذكره ابن جرير أنَّ الذي كان يصلِّي بالناس في هذه المدة وعثمان محصور ، طلحة بن عبيد الله[٦] .

وروى الواقديّ أن علياً صلى أيضاً ، وصلى أبو أيوب ، وصلى بهم سهل بن حُنَيْف ، وكان يجمع

---

(١) في أ : الخطايا .
(٢) في أ : مرة .
(٣) في أ : صفة حصر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه .
(٤) في أ : أن يقتل كما كان في أنفس أولئك الخارجين عليه .
(٥) في أ : الحصار .
(٦) بعدها في ط : « وفي صحيح البخاري عن » . وفي هامشه إشارة إلى هذا الانقطاع .

بهم علي ، وهو الذي صلّى بهم بعد[١] ، وقد خاطب الناس في غبوب ذلك بأشياء ، وجرت أمور سنورد منها ما تيسر وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا بهز ، حدَّثنا أبو عوانة ، حدَّثنا حصين ، عن عمرو بن جاوان قال : قال الأحنف : انطلقنا حجاجاً فمررنا بالمدينة ، فبينا نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال : الناس [من فزع] (في المسجد) ، فانطلقتُ أنا وصاحبي ، فإذا الناسُ مجتمعون على نفرٍ في المسجد ، قال : فتخللتهم حتى قمت عليهم ، فإذا علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي ، فقال : هاهنا علي ؟ قالوا : نعم ! قال : هاهنا الزبير ؟ قالوا نعم ! قال : هاهنا طلحة ؟ قالوا : نعم ! قال : هاهنا سعد (بن أبي وقاص) ؟ قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له » فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إني قد ابتعته ، فقال : « اجعله في مسجدنا وأجره لك » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من يبتاع بئر رومة » فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت إني (قد) ابتعتُها ـ يعني بئر رومة ـ قال : « اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك »[٣] قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العُسْرة فقال : « من يجهز هؤلاء غفر الله له » فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال[٤] : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثم انصرف .

ورواه النسائي[٥] من حديث حصين وعنده : إذ جاء عثمان[٦] وعليه ملاءة صفراء .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد[٧] : حدَّثني عبيد الله[٨] بن عمر القواريري ، حدَّثني القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري ، حدَّثني أبو عبادة الزُّرقي الأنصاري ، من أهل المدينة ، عن زيد بن أسلم عن أبيه . قال : شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز ، ولو أُلْقي حجرٌ لم يقع إلا على رأس رجل ، فرأيتُ عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل ، فقال : أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها

---

(١) في أ : صلّى بهم العيد .
(٢) مسند أحمد (١/ ٧٠ ـ ٧١) وهو حديث صحيح بطرقه .
(٣) في ط : « ولك أجرها » ، وما هنا من أ ومسند أحمد .
(٤) في ط : « فقال » وما هنا من أ ومسند أحمد .
(٥) السنن الكبرى (٦/ ١٤١) في وقف المساجد رقم (٦٤٣٣) .
(٦) في ط : « رجل » وما هنا من أ وسنن النسائي .
(٧) مسند أحمد (١/ ٧٥) وإسناده ضعيف .
(٨) في المطبوع : عبد الله ، والتصحيح من كتب الرجال .

الناس : أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفيكم طلحة[١] ؟ فقام طلحة بن عبيد الله ، فقال له عثمان : ألا أراك هاهنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع ندائي إلى آخر ثلاث مرات ، ثم لا تجيبني ؟ أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا ، ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لك رسول الله ﷺ : « يا طلحة إنه ليس من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه في الجنة ، وإن عثمان بن عفان هذا (يعنيني) رفيقي معي في الجنة » فقال طلحة : اللهم نعم ! ثم انصرف ، لم يخرجوه .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد[٢] : حدَّثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدَّثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدَّثنا هلال بن حِقٍّ[٣] ، عن الجريري ، عن ثمامة بن حَزْن[٤] القشيري . قال : شهدت الدار يوم أصيب عثمان ، فأطلع عليهم اطلاعة ، فقال ادعوا لي صاحبيكم اللذين ألبّاكم عليَّ ، فدعيا له ؛ فقال : أنشدكما الله أتعلمان[٥] أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله ، فقال : مَنْ يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين ، وله خير منها في الجنة » ؟ فاشتريتُها من خالص مالي ، فجعلتُها بين المسلمين ، وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين . ثم قال : أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا (بئر) رومة فقال رسول الله ﷺ : « منْ يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين ، وله خير منها في الجنة » ؟ فاشتريتُها من (خالص) مالي ، وأنتم تمنعوني أن أشرب منها . ثم قال : هل تعلمون أني صاحب جيش العُسْرة ؟ قالوا : اللهم نعم ! .

وقد رواه الترمذي[٦] : عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي[٧] وعباس الدُّوري وغير واحد .

وأخرجه النسائي[٨] : عن زياد بن أيوب كلهم عن سعيد بن عامر ، عن يحيى بن أبي الحجاج المنقري[٩] ، عن أبي مسعود الجُرَيري به ، وقال الترمذي : حسن صحيح[١٠] .

---

(١) في أ : طلحة بن عبيد الله .
(٢) مسند أحمد (١/ ٧٤ ـ ٧٥) وإسناده حسن .
(٣) في الأصل والمطبوع : هلال بن إسحاق ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٤) في ط : جزء ؛ خطأ .
(٥) في أ : أتعلمون .
(٦) جامع الترمذي (٣٧٠٣) في المناقب .
(٧) في أ : الرازي .
(٨) السنن الكبرى (٦/ ١٤٣) رقم (٦٤٣٥) في وقف المساجد ، وفي المجتبى للنسائي رقم (٣٦٠٨) .
(٩) في أ : البصري ، وهو منقري بصري . ينظر تهذيب الكمال (٣١/ ٢٦٣) .
(١٠) هكذا نقل عن الترمذي ولا يصح ، فإن الإمام الترمذي اقتصر على تحسينه حسب ، كما في المطبوع منه ، وكما نص=

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الصمد[٢] ، حدَّثنا القاسم ـ يعني ابن الفضل[٣] ـ حدَّثنا عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : دعا عثمان رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم عمار بن ياسر ، فقال : إني سائلكم وإني أحب أن تصدقوني ، نشدتكم[٤] الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان يُؤْثر قريشاً على الناس ، ويُؤْثر بني هاشم على سائر قريش ؟ فسكت القوم . فقال : لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم . فبعث (إلى) طلحة والزبير فقال عثمان : ألا أحدثكما عنه ـ يعني (عماراً) ـ أقبلت مع رسول الله ﷺ . أخذ بيدي نتمشّى في البطحاء حتى أتى على أبيه وأمه وهم يعذبون ، فقال أبو عمار : يا رسول الله ، الدهر هكذا ؟ فقال له النبي ﷺ : « ٱصبر » ثم قال : « اللهم ٱغفر لآل ياسر وقد فعلت » . تفرَّد به أحمد ولم يخرجه أحدٌ من أصحاب الكتب .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا إسحاق بن سليمان ، سمعت مغيرة بن مسلم أبا سلمة[٦] يذكر عن مطرٍ ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن عثمان أشرف على أصحابه وهو محصور ، فقال : علام تقتلونني ؟ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث ، رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرَّجْمُ ، أو قتل عمداً فعليه القود[٧] ، أو ارتدَّ بعد إسلامه فعليه القتل » . فوالله ما زنيتُ في جاهليةٍ ولا إسلام ، ولا قتلتُ أحداً فأُقيد نفسي[٨] منه ، ولا ارتددتُ منذ أسلمتُ ، إني أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

رواه النسائي[٩] عن أحمد بن الأزهر ، عن إسحاق بن سليمان (به) .

= عليه المزي في تحفة الأشراف (٦/ ٥٣٦ من طبعة الدكتور بشار) . وفي إسناد الترمذي يحيى بن أبي الحجاج لين الحديث ، لكن تابعه هلال بن حق ، وهو صدوق ، فتحسن الحديث (بشار) .

(١) مسند أحمد (١/ ٦٢) وإسناده ضعيف لانقطاعه .

(٢) في أ : عبد الله ؛ خطأ .

(٣) في ط : المفضل ؛ وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٤) في أ : أنشدكم .

(٥) مسند أحمد (١/ ٦٣) وهو حديث حسن .

(٦) في ط : معاوية بن سلم أن سلمة ، خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٧) في ط : القتل ، وما هنا موافق للمسند .

(٨) القَوَد : القصاص ، وأقاد الأمير القاتل بالقتيل : قتله به قوداً . المصباح المنير (قود) .

(٩) سنن النسائي (٧/ ١٠٣) رقم (٤٠٥٧) .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عفان ، حدَّثنا حماد بن زيد ، حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، قال : كنت مع عثمان في الدار ، وهو محصورٌ ، قال : وكُنَّا ندخل مدخلاً إذا دخلناه سمعنا كلامَ منْ على البلاط ، قال : فدخل عثمان يوماً لحاجته فخرج إلينا منتقعاً لونه ، فقال ، إنهم ليتواعدوني بالقتل آنفاً . قال : فقلنا يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين ، قال : وبم يقتلونني ؟ فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً بغير نفس » فوالله ما زنيتُ في جاهليةٍ ولا إسلام قطُّ ، ولا تمنيتُ بدلاً بديني منذ هداني الله له ، ولا قتلتُ نفساً ، فبم يقتلونني ؟ .

وقد رواه أهل السنن الأربعة[٢] من حديث حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد ، حدَّثني أبو أمامة[٣] . زاد النسائي : وعبد الله بن عامر بن ربيعة قالا : كنّا مع عثمان ، فذكره . (وقال الترمذي : حسن . وقد رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد فرفعه) .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا [أبو قطن] ، حدَّثنا يونس ـ يعني ابن أبي إسحاق ـ عن أبيه ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : أشرف عثمان (من القصر) وهو محصور ، فقال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حِراء إذ اهتزَّ الجبل فركله[٥] بقدمه ثم قال : « اسكن حراءُ ، ليس عليكَ إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيدٌ » وأنا معه ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ [يوم] بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة فقال : « هذه يدي وهذه يد عثمان »[٦] . فبايع لي ؟ فانتشد له رجالٌ . ثم أنشد بالله من شهدَ رسولَ الله ﷺ قال : « من يوسِّع[٧] لنا بهذا البيت في المسجد ببيت[٨] له

---

(١) مسند أحمد (١/ ٦٥) وهو حديث صحيح .

(٢) وسنن الترمذي (٢١٥٨) في الفتن ، وسنن أبي داود (٤٥٠٢) في الديات ، وسنن ابن ماجه (٢٥٣٣) في الحدود . سنن النسائي (٧/ ٩١ ـ ٩٢) رقم (٤٠١٩) .

(٣) في ط : عن يحيى بن سعيد عن أبي أسامة .

(٤) مسند أحمد (١/ ٥٩) ، وهو حديث صحيح .

(٥) في أ : فوكزه . وما هنا موافق للمسند وتاريخ ابن عساكر ـ ترجمة عثمان ـ (٣٤٢) والاستدراك عنه .

(٦) في ط بعد هذا : « ووضع يديه إحداهما على الأخرى » وليست في مسند أحمد ولا في (أ) ولم ترد في تاريخ دمشق (٣٤٢) الذي ينقل من مسند أحمد .

(٧) في أ : من وسَّع .

(٨) في ط : بنيت له بيتاً في الجنة .

في الجنة » فابتعتُه من مالي فوسعتُ به المسجد . فانتشد له رجالٌ . ثم قال : وأنشد[١] بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العُسْرَة قال : « من ينفق اليوم نفقة متقبَّلة » ؟ فجهزتُ نصفَ الجيش من مالي ، فانتشد له رجال . (ثم) قال : وأنشد الله من شهد رومة يباع ماؤها ابنَ السبيل ، فابتعتها من مالي فأبحتُها ابن السبيل قال : فانتشد له رجال .

ورواه النسائي[٢] عن عمران بن بكار ، عن خطاب بن عثمان ، عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن جده أبي إسحاق السبيعي به .

وقد ذكر ابنُ جرير[٣] أن عثمان رضي الله عنه لمّا رأى ما فعل هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار ، من محاصرته في داره ، ومنعه الخروج إلى المسجد ، كتب إلى معاوية بالشام وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة ، يستنجدهم في بعث جيش يطردون هؤلاء من المدينة ، فبعث معاويةُ مسلمةَ بن حبيب ، وانتدب يزيد بن أسد القشيري في جيش ، وبعث أهل الكوفة جيشاً ، وأهل البصرة جيشاً ، فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمَّمُوا في الحصار ، فما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم قتلُ عثمان رضي الله عنه كما سنذكره .

وذكر ابن جرير[٤] أن عثمان استدعى الأشتر النخعي ووضعت لعثمان وسادة في كُوَّة من داره ، فأشرف على الناس ، فقال له عثمان : يا أشتر ماذا يريدون[٥] ؟ فقال : إنهم يريدون منك إما أن تعزل (نفسك) عن الإمرة ، وإما أن تُقيدَ من نفسك منْ قد ضربتَه ؛ أو جلدتَه ، أو حبستَه ، وإما أن يقتلوك . وفي رواية أنهم طلبوا منه أن يعزل نوابَه عن الأمصار ويولّي عليها منْ يريدون هم ، وإن لم يعزل نفسه أن يسلم لهم[٦] مروان بن الحكم فيعاقبوه كما زوّر على عثمان كتابه إلى مصر ، فخشي عثمان إن سلمه إليهم أن يقتلوه ، فيكون سبباً في قتل امرىء مسلم ، وما فعل من الأمر ما يستحقّ بسببه القتل ، واعتذر عن الاقتصاص مما قالوا بأنه رجل ضعيف البدن كبير السن . وأما ما سألوه من خلعه[٧] نفسه فأنه لا يفعل [ذلك] ولا ينزع قميصاً قمصه الله إياه ، ويترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض (ويولي السفهاء من الناس من يختاروه هم فيقع الهرج ويفسد الأمر بسبب ذلك ، ووقع الأمر كما ظنه فسدت الأمة ووقع الهرج) ، وقال لهم فيما قال . وأي شيء إليَّ من الأمر إنْ كنتُ كلمّا كرهتم أميراً عزلتُه ، وكلما رضيتُم

(١) في ط : أنشد .
(٢) سنن النسائي (٦/ ٢٣٦) .
(٣) تاريخه (٤/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) .
(٤) تاريخه (٤/ ٣٧١) .
(٥) في أ : ماذا تريدون .
(٦) في أ : إليهم .
(٧) في أ : من خلع نفسه .

عنه ولّيته ؟ وقال لهم فيما قال : واللهِ لئن قتلتموني لا تتحابُّوا بعدي ، ولا تصلّوا جميعاً أبداً ، ولا تقاتلوا بعدي عدواً جميعاً أبداً ، وقد صدق رضي الله عنه فيما قال .

وقال الإمام أحمد[1] : حدَّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدَّثنا معاوية بن صالح ، عن ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله بن أبي قيس ، حدَّثني النعمان بن بشير قال : كتب معي معاوية إلى عائشة كتاباً فدفعت إليها كتابه ، فحدثتني أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول لعثمان : « إن الله لعله يقمّصك قميصاً ، فإن أرادك أحدٌ على خلعه فلا تخلعه » ثلاث مرات ، قال النعمان : فقلت يا أمَّ المؤمنين ! فأين كنت عن هذا الحديث ؟ فقالت : يا بني والله أُنسيتُه .

وقد رواه الترمذي[2] من حديث اللَّيث ، عن معاوية بن صالح[3] ، عن ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله بن عامر[4] ، عن النعمان ، عن عائشة به . ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

ورواه ابن ماجه[5] من حديث الفرج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد ، عن النعمان ، فأسقط عبد الله[6] ابن عامر .

[قال الإمام أحمد[7] : حدَّثنا يحيى ، عن إسماعيل[8] ، حدَّثنا قيس ، عن أبي سهلة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ادعوا لي بعض أصحابي » قلت : أبو بكر ؟ قال : « لا » قلت : عمر ؟ قال : « لا » قلت : ابن عمك عليّ ؟ قال : « لا » قالت : قلت : عثمان ؟ قال : « نعم » فلما جاء قال : « تَنَحّيْ » فجعل يسارُّه ، ولون عثمان يتغيَّر ، فلما كان يوم الدار وحُصِرَ فيها ، قلنا : يا أمير المؤمنين ألا تقاتل ؟ قال : لا ! إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً وإني[9] صابر نفسي عليه . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد[10] : حدَّثنا علي بن عياش ، حدَّثنا الوليد بن مسلم ، أخبرنا الأوزاعي ، عن

---

(١) مسند أحمد (٦/ ١٤٩) والحديث أيضاً في تاريخ دمشق (٢٧٨) وهو حديث صحيح .
(٢) جامع الترمذي (٣٧٠٥) في المناقب .
(٣) في أ : معاوية بن أبي صالح ؛ خطأ ، وأثبتنا الصحيح كما في تقريب التهذيب (٥٣٨) .
(٤) في أ : « عبد الملك بن عامر » وهو خطأ ، وجاء على الصواب في طبعة الدكتور بشار من جامع الترمذي (٦/ ٧٣) وتحفة الأشراف للمزي (١١/ ٧٥٣ حديث ١٧٦٧٥ من طبعة الدكتور بشار) ، وعبد الله بن عامر هو اليحصبي القارىء من رجال التهذيب .
(٥) سنن ابن ماجه (١١٢) في المقدمة وفيه الفرج بن فضالة وهو ضعيف ، ولكن يشهد له حديث أحمد والترمذي الذي قبله ، فهو حسن .
(٦) في أ : « عبد الملك » خطأ ، كما بيناه قبل قليل .
(٧) مسند أحمد (٦/ ٥٢) وهو حديث صحيح .
(٨) في ط : يحيى بن إسماعيل ؛ تحريف . وما هنا عن المسند وأ .
(٩) في أ : وأنا .
(١٠) مسند أحمد (١/ ٦٧) وإسناده ضعيف لانقطاعه .

محمد بن عبد الملك بن مروان أنَّه حدَّثه ، عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال : إنَّك إمام العامَّة ، وقد نزل بك ما ترى ، وإنِّي أعرضُ عليك خصالاً ثلاثاً ، اختر إحداهن : إمَّا أن تخرج فتقاتلهم ، فإن معك عدداً وقوة ، وأنت على الحق ، وهم على الباطل ، وإمَّا أن نخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة ، فإنَّهم لن يستحلوك وأنت بها ، وإمّا أن تلحق بالشام ، فإنَّهم أهل الشام ، وفيهم معاوية . فقال رضي الله عنه : أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أولَ من خَلَفَ رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء ؛ وأما أن أخرج إلى مكة وإنهم لن يستحلوني بها ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُلْحدُ رَجُلٌ من قُرَيشٍ بمكَّةَ يكون عليه نصفُ عذابِ العالم » ولن أكون أنا [إيَّاه] ؛ وأما أن ألحق بالشام فإنَّهم أهل الشام وفيهم معاوية ؛ فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ .

وقال أحمد[١] : حدَّثنا إسماعيل بن أبان الوراق ، حدَّثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبْزَى ، عن عثمان قال : قال له [عبد الله بن] الزبير حين حُصِرَ : إن عندي رواحل قد أعددتها لك فهل لك أن تَحوَّلَ إلى مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك . قال : لا ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُلْحدُ بمكة كَبْشٌ من قريش اسمه عبد الله عليه مثل [نصف] أوزار الناس » . تفرَّد به ، وهذا غريب جداً وإسناد رجاله ثقات إلا يعقوب فإنه القمي ـ فيما يغلب على الظن ـ وهو شيعي فلعل الآفة منه][٢] .

وقال محمد بن عائذ الدمشقي . حدَّثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثنا عبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن عمرو أنه سمع أبا ثور الفَهْمي[٣] يقول : قدمت على عثمان ، فبينا أنا عنده فخرجتُ ، فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا ، فدخلتُ على عثمان فأعلمته ، قال : فكيف[٤] رأيتهم ؟ فقلت : رأيت في وجوههم الشر ، وعليهم ابن عُدَيْس البَلَوي ، فصعِد ابن عُدَيْس منبر رسول الله ﷺ فصلّى بهم الجمعة ، وتنقَّص عثمان في خطبته ، فدخلتُ على عثمان ، فأخبرته بما قال فيهم ، فقال : كذب والله ابن عُدَيْس ، ولولا ما ذكر ما ذكرت[٥] ، إني رابع أربعة في الإسلام ، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته ثمَّ توفيت ، فأنكحني ابنته الأخرى ، ولا زنيت ولا سَرقت في جاهلية ولا إسلام ، ولا تغنَّيت ولا تمنَّيت منذ أسلمت ، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولا أتت عليّ جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت ، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية . ورواه يعقوب بن سفيان ، عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن لهيعة ، قال : لقد اختبأت عند ربي عشراً ، فذكرهن[٦] .

---

(١) مسند أحمد (١/ ٦٤) .
(٢) وهذان الأثران ليسا في المطبوع .
(٣) في ط : الفقيمي : وهو تحريف .
(٤) في أ : فقال : وكيف .
(٥) في أ : ولولا ذكر ما ذكره إني رابع .
(٦) وفي إسناده ضعف .

فصل

كان الحصار مستمراً من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة ، فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار ـ وكانوا قريباً من سبعمئة ، فيهم عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير[١] والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من مواليه ، ولو تركهم لمنعوه فقال لهم : أقسم على من لي عليه حق أن يكفّ يده وأن ينطلق إلى منزله ، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جمٌّ (غفير) وقال لرقيقه : من أغمد سيفه فهو حرٌّ . فبرد القتالُ من داخلٍ ، وحمي من خارجٍ ، واشتدَّ الأمرُ ، وكان سببُ ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلّت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده ، وشوقاً إلى رسول الله ﷺ وليكن كخير ابني آدم حيث قال حين أراد أخوه قتله[٢] : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٩] وروي أنّ آخرَ من خرجَ من عند عثمان من الدار ، بعد أن عزم عليهم في الخروج ، الحسنُ بن عليّ وقد خرج ، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم .

وروى موسى بن عقبة عن سالم أو نافع أن ابن (عمر) لم يلبس سلاحه بعد رسول الله ﷺ إلا يوم (الدار) ويوم نجدة الحروري .

قال أبو جعفر الرازي[٣] ، عن أيوب السّختياني ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن عثمان رضي الله عنه أصبح يحدّث الناس ، قال : رأيت النبيَّ في المنام فقال : « يا عثمانُ أفطر عندنا » فأصبح صائماً وقُتل من يومه .

وقال سيف بن عمر ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعُم ، عن رجل قال : دخل عليه كثير بن الصلت فقال : يا أمير المؤمنين اخرجْ فٱجلسْ بالفِناء فيرى (الناس) وجهَكَ فإنَّك إن فعلت ارتدعوا . فضحك وقال : يا كثير رأيت البارحة وكأنّي دخلتُ على نبي الله ﷺ وعنده أبو بكر وعمر ، فقال : « ٱرجع فإنَّك مُفْطرٌ عندي غداً » ثم قال عثمان : ولن تغيب (الشمس) والله غداً أو كذا وكذا إلا وأنا من أهل الآخرة قال : فوضع سعدٌ وأبو هريرة السلاحَ وأقبلا حتى دخلا على عثمان[٤] .

وقال موسى بن عقبة : حدَّثني أبو علقمة ـ مولى لعبد الرحمن بن عوف ـ حدَّثني ابن الصَّلت قال : أغفى عثمانُ بن عفان في اليوم الذي قُتل فيه فاستيقظَ فقال : لولا أن يقول الناس تمنّى عثمان أمنيةً

---

(١) في أ : فيهم ابن عمر وابن الزبير .
(٢) في أ : قال له حيث أراد قتله .
(٣) في ط : الداري ؛ تحريف ، والتصويب من سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤٦) .
(٤) في أ : عمار ؛ خطأ .

لحدَّثتكم . قال : قلنا أصلحك الله ، حدِّثنا فلسنا نقول ما يقول الناس ، فقال : إنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ في منامي هذا ، « فقال : إنكَ شاهدٌ معنا الجمعةَ » .

وقال ابن أبي الدنيا[١] : حدَّثنا أبو عبد الرحمن القرشي : حدَّثنا خلف بن تميم ، حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البَجَلي ، حدَّثنا عبد الملك بن عُمَيْر ، حدَّثني كثير بن الصَّلْت قال : دخلت على عثمان وهو محصورٌ ، فقال لي : يا كثير ما أراني إلا مقتولاً يومي هذا . قال : قلتُ ينصركَ الله على عدوكَ يا أمير المؤمنين ، قال : ثم أعاد عليَّ فقلتُ وقّت لك في هذا اليوم (شيء) ؟ أو قيل لك شيء ؟ قال : لا ! ولكنّي سهرتُ في ليلتي هذه الماضية ، فلما كان عند[٢] السحر أغفيتُ إغفاءةً فرأيت فيما يرى النائم رسولَ الله ﷺ ، وأبا بكر وعمر ، ورسول الله ﷺ يقول لي : يا عثمان الحقنا لا تحبسنا ، فإنا ننتظرك » قال : فقتل من يومه ذلك .

وقال ابن أبي الدنيا[٣] : حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدَّثنا يزيد بن هارون ، عن فرج بن فَضَالة ، عن مروان بن أبي أمية ، عن عبد الله بن سَلَام . قال[٤] :

أتيت عثمان لأُسلِّم عليه وهو محصورٌ ، فدخلتُ عليه فقال : مرحباً بأخي[٥] ، رأيتُ رسولَ الله ﷺ الليلةَ في هذه الخَوْخَة ـ قال : وخوخة في البيت ـ فقال : « يا عثمان حصروك ؟ » قلتُ : نعم ! قال : « عطَّشوك ؟ » قلت : نعم ! فأدلى دلواً فيه ماءٌ فشربت حتى رويت حتى إني لأجد برده بين ثَدْيَيَّ و (بين) كتفي ، وقال لي : « إن شئت نُصِرْتَ[٦] عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا » فاخترتُ أن أفطر عنده ؛ فقُتل ذلك اليوم .

وقال محمد بن سعد[٧] : أخبرنا عفان بن مسلم ، حدَّثنا وُهَيْب ، حدَّثنا داود ، عن زياد بن عبد الله ، عن أم هلال بنت وكيع ، عن امرأة عثمان ـ قال : وأحسبها بنت الفرافصة ـ قالت :

أغفى عثمان فلمّا استيقظ قال : إن القومَ يقتلونني ، قلت : كلا يا أمير المؤمنين . قال : إني رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر ، فقالوا : أفطرْ عندنا الليلةَ ، أو إنّك مفطرٌ عندنا الليلة .

وقال الهيثم بن كليب : حدَّثنا عيسى بن أحمد العَسْقَلاني ، حدَّثنا شَبابة ، حدَّثنا يحيى بن أبي راشد

---

(١) الخبر في كتاب المنامات لابن أبي الدنيا (١٢٣) ، وتاريخ دمشق (٣٩١) .
(٢) في ط : وقت السحر .
(٣) المنامات لابن أبي الدنيا (٦٦) .
(٤) الخبر في تاريخ دمشق (٣٩١ ـ ٣٩٢) .
(٥) في أ : يا أخي .
(٦) في أ : صبرت .
(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٧٥) ، وبعدها في أ : حدَّثنا محمد بن عمر ؛ زيادة .

مولى عمرو بن حُرَيْث ، عن محمد بن عبد الرحمن الجرشي ، وعقبة بن أسيد[١] ، عن النعمان بن بشير ، عن نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ امرأة عثمان ـ قالت :

لما حُصِرَ عثمانُ ظَلَّ اليوم الذي كان فيه قتله[٢] صائماً ، فلما كان عند إفطاره سألهم الماءَ العذبَ فأبَوْا عليه ، وقالوا : دونَكَ ذلك الرُّكِيَّ[٣] . ورُكِيٌّ في الدّار الذي يُلْقى فيه النتنُ ـ قالت : فلم يُفْطِرْ فأتيت جارات لنا على أجاجير[٤] متواصلة ـ وذلك في السحر ـ فسألتهم الماءَ العذب ، فأعطوني كوزاً من ماءٍ ، فأتيته فقلت : هذا ماء عذب أتيتك به ، قالت : فنظر فإذا الفجر قد طلع فقال : إني أصبحت صائماً ، قالت : فقلتُ : ومن أين أكلت ؟ ولم أر أحداً أتاك بطعام ولا شراب ؟ فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ اطلع عليّ من هذا السقف ومعه دلو من ماءٍ فقال : « اشربْ يا عثمانُ » فشربتُ حتى رويتُ ، ثم قال : « ازدد » فشربتُ حتى نهلت[٥] ، ثم قال : « أما إنَّ القوم سينكرون[٦] عليك ، فإن قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا » قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه .

وقال أبو يعلى الموصلي وعبد الله بن الإمام أحمد[٧] : حدَّثني عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا يونس بن أبي يَعْفُور[٨] العَبْدي ، عن أبيه ، عن مسلم أبي[٩] سعيد مولى عثمان بن عفان[١٠] :

أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ودعا بسراويل فشدّها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، وأبا بكر وعمر ، وإنّهم قالوا لي : اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة ، ثُمّ دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه .

قلت : إنما لبس السراويلَ رضي الله عنه في هذا اليوم لئلا تبدو عورتُه إذا قُتل فإنّه كانَ شديدَ الحياء ، كانت تستحيي منه ملائكة[١١] السماء ، كما نطق بذلك النبي ﷺ ، ووضع بين يديه المصحفَ يتلو فيه ،

---

(١) في ط : « أسد » خطأ . وتنظر ترجمته في الجرح والتعديل (٦/ ٣٠٨) وثقات ابن حبان (٨/ ٤٩٩) .
(٢) في أ : الذي كان قبله بيوم صائماً .
(٣) الرُّكيُّ : جمع رَكِيَّةٍ وهو البئر . القاموس (ركو) .
(٤) أجاجير : جمع إجار وهو السطح . القاموس (أجر) .
(٥) في أ : نهدت .
(٦) في أ : مستنكرون .
(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٢) ولم أجده في مسند أبي يعلى ، وهو في الكبير كما قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٢) ، وإسناده ضعيف .
(٨) في أ : يعقوب ؛ تحريف . ويَعْفُور ـ بفتح التحتانية ، وسكون المهملة ، وضم الفاء ـ واسم أبي يعفور : وقدان بالقاف . تقريب التهذيب (٦١٤) .
(٩) في أ : مسلم بن سعيد .
(١٠) الخبر في تاريخ دمشق (٤٠٥) .
(١١) في أ : تسحتي منه الملائكة كما نطق .

واستسلم لقضاء الله عزَّ وجلَّ ، وكفَّ[١] يده عن القتال ، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه ، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه ، ولكن كان أمرُ الله قدراً مقدوراً .

وقال هشام بن عروة ، عن أبيه : إن عثمان رضي الله عنه أوصى إلى الزبير .

وقال الأصمعي : عن العلاء بن الفضل ، عن أبيه . قال[٢] :

لما قتل عثمان فتّشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوه فوجدوا فيه حُقَّةً فيها ورقةٌ مكتوب فيها : هذه وصيةُ عثمان . بسم الله الرحمن الرحيم ، عثمانُ بن عفّان يشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، وأن الجنةَ حقٌّ ، وأن النارَ حقٌّ ، وأن الله يبعثُ مَنْ في القبور ، ليوم لا ريبَ فيه ، إنَّ الله لا يُخلفُ الميعاد ، عليها يحيا[٣] وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى .

وروى ابن عساكر[٤] أن عثمان رضي الله عنه قال يوم دخلوا عليه فقتلوه : [من الطويل]

أرى المَوْتَ لا يُبقي عَزيزاً ولم يَدَعْ لعادٍ ملاذاً في البلادِ ومرتقى[٥]

وقال أيضاً : [من الطويل]

يُبَيِّتُ[٦] أهلَ الحصنِ والحصنُ مغلقٌ ويأتي الجبالَ الموتُ في شماريخها العلا[٧]

صفة قتله رضي الله عنه

وقال خليفة بن خياط[٨] : حدَّثنا ابن عُلَيَّة ، حدَّثنا ابن عون ، عن الحسن قال : أنبأني وثّابٌ . قال : بعثني عثمان فدعوت له الأشترَ فقال : ما يريد الناس ؟ قال : ثلاث ليس من إحداهن بدٌّ ، قال : ما هن ؟ قال : يخيّرونك بينَ أن تخلعَ لهم أمرهم ، فتقول : هذا أمركم فاختاروا منْ شئتم ، وبين أن تقتصَّ[٩] من نفسك ، فإن أَبَيْتَ فإنَّ القومَ قاتِلوكَ . فقال : أما أن أخلعَ لهم أمرهم فما كنتُ لأخلعَ سِرْبالاً

---

(١) في أ : فكف .
(٢) الخبر في تاريخ دمشق (٤٠٦) .
(٣) في أ : عليها نحيى .
(٤) تاريخ دمشق (٤٠٧) .
(٥) في أ : ومرتعا .
(٦) بيَّتَ القوم والعدو أوقع بهم ليلاً وأتاهم وهم غارُّون . اللسان (بيت) .
(٧) في أ : ويأتي الجبال في شماريخها العلاه .
(٨) اختار ابن كثير هذه القصة الشنيعة والحادثة النكراء من تاريخ خليفة بن خياط ، وتاريخ دمشق ، لابن عساكر ، وتاريخ الطبري . وكثير من روايات الطبري كتبها من « الفتوح والردة » لسيف بن عمر التالف المتروك ، ومتونها لا تخلو من تهجم وطعن بعدالة الصحابة . ويستثنى من ذلك رواية سيف بن عمر : عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان (٤/ ٣٨٩ـ٣٩٢) فإسنادها ضعيف، ولمتنها شواهد من كتب الحديث والأخبار التاريخية الصحيحة . وانظر صحيح تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٢) وضعيفه (٨/ ٥٥٨) .
(٩) في الأصل : تقص يقال أقصّه الحاكم إذا مكّنه من أخذ القصاص وهو أن يفعل مثل فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح . اللسان (قصص) .

سَرْبَلَنيه اللهُ ، وأما أن أقتصَّ لهم من نفسي فوالله لقد علمت أن صاحبيّ بين يدي وقد كانا يعاقبان وما يقوم بدني بالقصاص ،وأما أن تقتلوني[١] فوالله لئن قتلتموني لا تَحابُّون بعدي ، ولا تُصلُّون بعدي جميعاً ، ولا تقاتلون بعدي جميعاً عدوًّا أبداً[٢] . قال : وجاء رويجل كأنه ذئب ، فاطَّلع من باب ورجع ، وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً ، فأخذ بلحيته فقال بها حتَّى سمعتُ وقعَ أضراسه ، فقال : ما أغنى عنكَ معاوية ، وما أغنى عنك ابنُ عامر ، وما أغنت عنك كتبك ، قال : أرْسلْ لحيتي يا بن أخي ، قال : فأنا رأيته استعدى رجلاً من القوم بعينه ـ يعني أشار إليه ـ فقام إليه بمِشْقَص[٣] فوجأ به رأسه . قلت : ثم مَهْ[٤] ؟ قال : ثم تعاوروا[٥] عليه حتى قتلوه .

قال سيف بن عمر التميمي رحمه الله : عن الغُصْنِ[٦] بن القاسم ، عن رجل ، عن خنساء مولاة أسامة بن زيد ـ وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان ـ :

أنها كانت في الدّار [يومئذ][٧] ودخل محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه فوجأ بها في حلقه ، فقال : مهلاً يا بن أخي ، فوالله ِلقد أخذتَ مأخذاً ما كان أبوكَ ليأخذَ به ، فتركه وانصرف مُستحيياً نادماً ، فاستقبله القوم على باب الصفة فردّهم طويلاً حتى غلبوه ، فدخلوا وخرجَ محمدُ راجعاً ، فأتاه رجلٌ بيده جريدة يقدمهم حتَّى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجَّه ، فقطر دمُه على المصحف حتى لطَّخه ، ثم تعاوروا[٨] عليه فأتاه رجل فضربه على الثدي بالسيف [فسقط] ووثبت نائلة بنت الفرافصة (الكلبية فصاحت) وألقت نفسَها عليه ، وقالت : يا بنتَ شيبة أيقتل أميرُ المؤمنين ؟ وأخذتِ السيفَ ، فقطعَ الرجل يدها ، وانتهبوا متاع الدار[٩] ومرّ رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف وقال : ما رأيتُ كاليوم وجهَ كافرٍ أحسنَ ولا مضجعَ كافرٍ أكرم[١٠] . قال : فلا والله ما تركوا في داره شيئاً حتى الأقداح إلا ذهبوا به[١١] .

---

(١) من قوله : فوالله لقد علمت . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٢) في أ : أبداً ، ولا تقاتلون عدواً جميعاً ، وفي تاريخ دمشق : ولا تقاتلون بعدي عدواً جميعاً أبداً .
(٣) مشقص ـ كمنبر : نصل عريض . القاموس (شقص) .
(٤) مه : أصلها ما الاستفهامية ، والهاء للسكت بدل الألف . اللسان (مهه) .
(٥) في أ : ثم تعاونوا .
(٦) في أ : الحصين . وفي ط : العيص وما هنا عن تاريخ دمشق (٤١٠) ، وهو الصواب .
(٧) الاستدراك من تاريخ دمشق .
(٨) في أ : تعاونوا ، وفي تاريخ دمشق : تغاووا .
(٩) في أ : وانتهبوا المتاع ومر .
(١٠) في أ : أكره .
(١١) وإسناده ضعيف .

وروى (الحافظ) ابنُ عساكر[١] : أن عثمان لما عزم على أهل الدار في الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوّروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه ، وليس فيهم أحدٌ من الصحابة ولا أبنائهم إلا محمد بن أبي بكر ، وسبقه بعضهم ، فضربوه حتى غشي عليه ، وصاح النسوة فانذعروا وخرجوا ، ودخل محمد بن أبي بكر ، وهو يظنّ أنّه قد قُتل ، فلما رآه قد أفاق قال : على أي دين[٢] أنت يا نعثل ؟ قال : على دين الإسلام ، ولست بنعثل ولكني أمير المؤمنين ، فقال : غَيَّرتَ كتابَ الله ، فقال : كتاب الله بيني وبينكم ، فتقدّم إليه وأخذ بلحيته وقال : إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب : ٦٧] وشحطه بيده من البيت إلى باب الدار ، وهو يقول : يا بن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي . وجاء رجلٌ من كِندة من أهل مصر ، يُلقّب حماراً ، ويكنى بأبي رومان . وقال قتادة : اسمه رومان ، وقال غيره : كان أزرقَ أشقرَ ، وقيل : كان اسمه سُودان بن رومان المرادي .

وعن ابن عمر قال : كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حُمران ضربه بحربة وبيده السيف صلتاً قال : ثم جاء فضربه به في صدره حتى أقعصه[٣] ، ثم وضع ذُباب السيف في بطنه واتكى عليه وتحامل حتى قتله ، وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضي الله عنها ، ويروى أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت في حلقه . والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره ، وأنه استحيا ورجع حين قال له عثمان : لقد أخذت بلحيةٍ كان أبوك يكرمها . فتذمم[٤] من ذلك وغطّى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً .

وروى ابن عساكر[٥] ، عن ابن عون : أن كنانة بن بشر ضرب جبينَه ومقدَّم رأسه بعمودِ حديدٍ فخر لجنبه ، وضربه سُودان بن حُمران المرادي بعدما خر لجنبه فقتله ، وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره ، وبه رمق ، فطعنه تسع طعنات ، وقال : أما ثلاث منهن فلله ، وست لما كان في صدري عليه .

وقال الطَّبراني[٦] : حدَّثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي ، وإسحاق بن داود الصواف التُّسْتَري قالا : حدَّثنا محمد بن خالد بن خِداش ، حدَّثنا سلم[٧] بن قتيبة حدَّثنا مبارك عن الحسن . قال : حدَّثني سياف عثمان :

---

(١) تاريخ دمشق (٤٠٨) .
(٢) في أ : على أي ذنب أنت غيرت كتاب الله .
(٣) مكان اللفظة بياض في أ . وقعصه ـ كمنعه ـ قتله في مكانه ، كأقعصه . القاموس (قعص) .
(٤) في أ : فتندم . وتذمَّم : استنكف . القاموس (ذمم) .
(٥) تاريخ دمشق (٤١٤) .
(٦) المعجم الكبير (١/ ٣٩ رقم ١١٨) .
(٧) في أ ، ط : مسلم ؛ خطأ ، والتصحيح من تهذيب الكمال (١١/ ٢٣٢) .

أن رجلاً من الأنصار دخل على عثمان فقال : ارجع يا بن أخي فلست بقاتلي ، قال : وكيف علمت ذلك[١] ؟ قال : لأنه أُتي بك النبيُّ ﷺ يومَ سابِعك فَحنَّكَكَ ودعا لك بالبركة ، ثم دخل عليه رجل (آخر) من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء . ثم دخل محمد بن أبي بكر فقال : أنت قاتلي . قال : وما يدريك يا نَعْثَلُ ؟ قال : لأنّه أُتي بك رسولُ الله ﷺ يومَ سابِعَك لِيُحَنِّكَكَ ويدعو لك بالبركة ، فخريتَ . . . ، قال : فوثب على صدره وقبض على لحيته ، ووجأه بمشاقص كانت في يده . هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة .

(وثبت) من غير وجه أنَّ أولَ قطرةٍ من دمه سقطت على قوله تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة أيضاً حين دخلوا عليه ، وليس ببعيد ، فإنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن .

وروى ابن عساكر[٢] أنّه لما طُعن قال : بسم الله توكَّلْتُ على الله ، فلما قطر[٣] الدم قال : سبحان الله العظيم .

وقد ذكر ابن جرير في « تاريخه »[٤] بأسانيده أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد إلى أمير مصر ، فيه الأمر بقتل بعضهم ، وصلب بعضهم ، وبقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ، وكان قد كتبه مروان بن الحكم على لسان عثمان ، متأولاً قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣] وعنده أن هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه من جملة المُفْسدين في الأرض ، ولا شكَّ أنَّهم كذلك ، ولكن لم يكن له أن يفتئت على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه ، ويزوّر على خطّه وخاتمه ، ويبعث غلامه على بعيره ، بعدما وقعَ الصلحُ بين عثمان وبين المصريين ، على تأمير محمد بن أبي بكر على مصر ، بخلاف ذلك كله ، ولهذا لمّا وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتفاق عليه ، وظنّوا أنه من عثمان ، أعظموا ذلك ، مع ما هم مشتملون عليه من الشر فرجعوا إلى المدينة فطافوا به على رؤوس الصحابة ، وأعانهم على ذلك قومٌ آخرون ، حتى ظنَّ بعضُ الصحابة أن هذا عن أمر عثمان رضي الله عنه ، فلما قيل لعثمان رضي الله عنه في أمر هذا الكتاب بحضرة جماعة من أعيان الصحابة وجمهور المصريين ، حلفَ باللهِ العظيم ، وهو الصادقُ البارُّ الراشدُ ، أنَّه لم يكتبْ هذا الكتاب ولا أملاه على منْ كتبه ، ولا علم به ، فقالوا له : فإنَّ عليه خاتمك . فقال : إن الرجل قد يزور على خطه (وخاتمه) قالوا : فإنه مع غلامك

(١) في أ : ذاك .

(٢) تاريخ دمشق (٤١٨ ـ ٤١٩) .

(٣) في أ : نظر ، وما هنا موافق لتاريخ دمشق .

(٤) انظر روايات الطبري في « ضعيف الطبري » (٨/٥٥٨ ـ ٥٥٩) وأغلبها عن الواقدي ، وهو متروك .

وعلى جملك . فقال : واللهِ لم أشعرْ بشيءٍ من ذلك . فقالوا له ـ بعد كلِّ مقالة ـ إن كنتَ قد كتبتَه فقد خنتَ ، وإن لم تكن قد كتبته بل كُتِبَ على لسانك وأنتَ لا تعلم فقد عجزتَ ، ومثلُكَ لا يصلُحُ للخلافةِ ، إما لخيانتك ، وإما لعجزك ، وهذا الذي قالوا باطلٌ على كلّ تقدير فإنه لو فرض أنه كتب الكتاب ، وهو لم يكتبه في نفس الأمر ، لا يضرّه ذلك لأنه قد يكون رأى ذلك مصلحة للأمة في إزالة شوكة هؤلاء البغاة الخارجين على الإمام ، وأما إذا لم يكن قد علم به فأي عجزٍ ينسب إليه إذا لم يكن قد اطَّلع عليه وزُوّر على لسانه ؟ وليس هو بمعصوم بل الخطأ[١] والغفلةُ جائزان عليه رضي الله عنه . وإنما هؤلاء الجهلةُ البغاةُ مُتَعنتون خَونةٌ ، ظَلَمةٌ مُفْترون ، ولهذا صمَّموا بعد هذا على حصره والتضييق عليه ، حتى منعوه الميرة والماء والخروج إلى المسجد ، وتهددوه بالقتل ، ولهذا خاطبهم بما خاطبهم به من توسعة المسجد وهو أول من منع منه ، ومن وقفه بئر رومة على المسلمين وهو أول من منع ماءها ، ومن أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أنه لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب (الزاني) ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وذكر أنه لم يقتل نفساً ، ولا ارتدَّ بعد إيمانه ، ولا زنى في جاهلية ولا إسلام ، بل ولا مسَّ فرجَه بيمينه بعد أن بايع بها رسول الله ﷺ ، وفي رواية بعد أن كتب بها المُفصَّل . ثمَّ ذكر لهم من فضائله ومناقبه ما لعله ينجع فيهم بالكف عنه والرجوع إلى الطاعة لله[٢] ولرسوله ولأولي الأمر منهم ، فَأَبَوْا إلا الاستمرارَ على ما هم عليه من البغي والعدوان ، ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده ، حتى اشتدَّ عليه الحالُ ، وضاق المجالُ ، ونفد ما عنده من الماء ، فاستغاث بالمسلمين في ذلك ، فركب علي بنفسه وحمل معه قُرَباً من الماء ، فبالجهد حتى أوصلها إليه بعدما ناله من جهلة أولئك كلام غليظ ، وتنفير لدابته ، وإخراق عظيم بليغ ، وكان قد زجرهم أتم الزجر ، حتى قال[٣] لهم فيما قال : والله إن فارسَ والرومَ لا يفعلون كفعلكم هذا لهذا[٤] الرجل ، والله إنهم ليأسرون فيطعمون ويسقون ، فأبوا أن يقبلوا منه حتى رمى بعمامته في وسط الدار . وجاءت أم حبيبة راكبة بغلةً وحولها حشمها وخدمها فقالوا : ما جاء بك ؟ فقالت : إن عنده وصايا[٥] بني أمية ، لأيتامٍ وأرامل ، فأحببتُ أن أذكِّره بها ، فكذّبوها في ذلك ونالها منهم شدة عظيمة ، وقطعوا حزام البغلة (ونَدَّت بها) وكادت أو سقطت عنها ، وكادت تُقتل لولا تلاحق بها الناس فأمسكوا بدابتها ، ووقع أمر كبير[٦] جداً ، ولم يبق يحصل لعثمان وأهله من الماء إلا ما يوصله إليهم آل عمرو بن حزم في الخفية ليلاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) في أ : بل الغفلة والخطأ .
(٢) في أ : بالكف عنه بالرجوع إلى طاعة الله ورسوله ولأولي الأمر منهم .
(٣) في أ : وقال لهم .
(٤) في أ : بهذا الرجل .
(٥) في أ : قضايا .
(٦) في أ : كثير .

ولمّا وقعَ هذا أعظمه الناس جداً ، ولزم أكثر الناس بيوتَهم ، وجاء وقت الحج فخرجت أم المؤمنين عائشة في هذه السنة إلى الحج ، فقيل لها : إنك لو أقمت كان أصلح ، لعل هؤلاء القوم يهابونك ، فقالت : إني (أخشى أن) أشيرَ عليهم برأي فينالني منهم من الأذية ما نال أم حبيبة ، فعزمت على الخروج[(١)] . واستخلف عثمان رضي الله عنه في هذه (السنة) على الحج عبد الله بن عباس ، فقال له عبد الله بن عباس : إن مقامي على بابك أحاجف[(٢)] عنك أفضلُ من الحج . فعزم عليه ، فخرج بالناس إلى الحج، واستمرّ الحصارُ بالدّار حتى مضت أيامُ التَّشْريق ورجع البشير من الحجّ، فأخبر بسلامة الناس ، وأخبر أولئك بأنّ أهلَ الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفوكم عن أمير المؤمنين . وبلغهم أيضاً أن معاوية قد بعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة ، وأن عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح قد نفذ آخر مع معاوية بن خديج ، وأن أهل الكوفة قد بعثوا القعقاعَ بن عمرو (في جيش) ، وأنَّ أهلَ البصرة بعثوا مجاشعاً (في جيش) ، فعند ذلك صمَّموا على أمرهم وبالغوا فيه ، وانتهزوا الفرصة بقلَّة الناس وغيبتهم في الحجّ ، وأحاطوا بالدار ، وجدّوا في الحصار ، وأحرقوا الباب ، وتسوروا من الدار المتاخمة للدار ، كدار[(٣)] عمرو بن حزم وغيرها ، وحاجفَ الناس عن عثمان أشدَّ المحاجفة ، واقتتلوا على الباب قتالاً شديداً ، وتبارزوا وتراجزوا بالشعر في مبارزتهم ، وجعل أبو هريرة (يقول) : هذا يوم طاب في الضراب فيه . وقُتل طائفة من أهل الدار وآخرون من أولئك الفجار ، وجُرح عبد الله بن الزبير جراحات كثيرة ، وكذلك جرح الحسن بن علي ومروانُ بن الحكم فقطع إحدى علباويه[(٤)] فعاش أوقص[(٥)] حتى مات . (ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان ، زياد بن نعيم الفهري) ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق ، ونيار بن عبد الله الأسلمي ، في أناس وقت المعركة ، ويقال إنه انهزم أصحابُ عثمان ثم رجعوا[(٦)] . ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم ، فانصرفوا كما تقدم ، فلم يبق عنده أحد سوى أهله ، فدخلوا عليه من الباب ، ومن الجدران ، وفزع عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه ، وكان سريع القراءة ـ فقرأها والناس في غلبة عظيمة ، قد احترق الباب والسقيفة (التي) عنده ، وخافوا أن يصل[(٧)] الحريق إلى بيت المال ، ثمَّ فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف ، وجعل يتلو هذه الآية : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] فكان أول من

---

(١) في أ : الحج .
(٢) المحاجف : المقاتل . القاموس واللسان (حجف) .
(٣) في أ : الدور المتلاحمة كدار عمرو .
(٤) علباويه ـ العِلْباء ممدود : عَصَب العنق وهما علباوان يميناً وشمالاً بينهما منبت العنق ، وإن شئت قلت علباءان . اللسان (علب) .
(٥) أوقص : قصير العنق . القاموس (وقص) .
(٦) في أ : ثم تراجعوا .
(٧) في أ : أن يميل .

دخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فخنقه خنقاً شديداً حتى غشي عليه ، وجعلت نفسه تتردد في حلقه ، فتركه وهو يظن أنه قد قتله ، ودخل[١] ابن أبي بكر فمسك بلحيته ثم ندم[٢] وخرج ، ثمّ دخل عليه ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها ، فقيل : إنه أبانها : وقيل : بل قطعها ولم يبنها ، إلا أن عثمان قال : والله إنها لأول[٣] يد كتبت المُفَصَّلَ ، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] ثم جاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته نائلةُ بنت الفرافصة لتمنعَه منه ، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها . ثمّ إنّه تقدّم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه [حتى قتله] ، رضي الله عن عثمان . وفي رواية أنَّ الغافقيَّ بن حرب تقدم إليه بعد محمد بن أبي بكر فضربه بحديدة في يده[٤] ، ورفس المصحف الذي بين يديه برجله فاستدار المصحف ثم استقر بين يدي عثمان رضي الله عنه . وسالت عليه الدماء ، ثم تقدم سُودان بن حُمران بالسيف فمانعته نائلة فقطع أصابعها فولت فضرب عجيزتها بيده وقال : إنها لكبيرة العجيزة . وضرب عثمان فقتله (غضب الله ولعنته على قاتله) ، (فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله) ، فضرب الغلام رجل يقال له قترة[٥] فقتله .

وذكر[٦] ابن جرير[٧] أنهم أرادوا حزَّ رأسه بعد قتله ، فصاح النساء[٨] وضربن وجوههن ، فيهن امرأتاه نائلة وأم البنين[٩] ، وبناته ، فقال ابن عديس : اتركوه ، فتركوه . ثم مال هؤلاء الفَجَرَةُ على ما في البيت[١٠] فنهبوه ، وذلك أنه نادى مناد منهم[١١] : أيحلّ لنا دمُه ولا يحلّ لنا ماله ، فانتهبوه ثم خرجوا فأغلقوا[١٢] الباب على عثمان وقتيلين معه ، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قترة فقتله ، وجعلوا لا يمرّون على شيء إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كلثوم التجيبي ، ملاءةَ نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله ، وقُتل الغلامُ أيضاً ، ثمَّ تنادى القوم : أن أدركوا بيت المال لا تستبقوا إليه ، فسمعهم حفظة بيت المال (فقالوا : يا قوم النجاء النجاء ، فإن هؤلاء القوم لم يصدقوا فيما قالوا من أن قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ادعوا أنهم إنما قاموا لأجله

(١) أ : ثم دخل .
(٢) في ط : ثم ند وخرج .
(٣) في ط : أول يد .
(٤) في ط : في فيه .
(٥) في أ : قتيرة ، وكذا في تاريخ الطبري (١/ ٣٩١) .
(٦) في أ : وروى .
(٧) في تاريخه (٤/ ٤١٤) .
(٨) في أ : فصاح الناس .
(٩) في أ : أم اليدين .
(١٠) في أ : بيت المال .
(١١) في أ : مناديهم .
(١٢) في أ : وأغلقوا .

وكذبوا إنما قصدهم الدنيا ، فانهزموا وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال) وكان فيه شيء كثير جداً[١] .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر[٢] في ترجمة سهم بن خنبش أبو خنبش أو [أبو] خنيس[٣] الأزدي ـ وكان قد شهد الدار ـ ورواه محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبي عنه ، وكان قد استدعاه عمر بن عبد العزيز إلى دير سمعان فسأله عن مقتل عثمان فذكر ما ملخصه :

أنَّ وفدَ الأشقياء ـ وهم وفد مصر ـ كانوا قدموا على عثمان رضي الله عنه فأجازهم وأرضاهم فانصرفوا راجعين ثمَّ كروا إلى المدينة فوافوا عثمان قد خرج لصلاة الغداة أو الظهر فحصبوه بالحصباء والنعال والخفاف فانصرف إلى الدار ومعه أبو هريرة والزبير وابنه عبد الله وطلحة ومروان والمغيرة بن الأخنس في أناس ، وأطاف وفد مصر بداره ، فاستشار الناس فقال عبد الله بن الزبير : يا أمير المؤمنين ؛ إني أشير بإحدى ثلاث خصال ، إما أن نُحرمَ بعمرةٍ فتحرم عليهم دماؤنا ، وإما أن نركبَ معك إلى مأمننا بالشام ، وإما أن نخرج فنضرب بالسيف حتى يحكم الله بيننا فإنا على الحق وهم على الباطل . فقال عثمان : أما ما ذكرت من الإحرام بعمرة ليحرموا دماءنا فإنهم يرونا حلالاً الآن وحال الإحرام وبعد الإحرام ، وأما الذهاب إلى الشام ، فإني أستحيي [أن آتي أهل الشام هارباً][٤] من بلدي خائفاً ليؤمنني أهل الشام ، وأما القتال فإني أرجو أن ألقى الله وليس يهراق بسببي محجمة[٥] دم .

قال : ثم صلينا معه صلاةَ الصبح ذات يوم فلما فرغ أقبل على الناس فقال : إني رأيتُ أبا بكرٍ وعمرَ الليلةَ فقالا : صم يا عثمان إنك تفطر عندنا ، وأنا أشهدكم أني قد أصبحت صائماً ، وإني أعزم على منْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالماً مسلوماً منه . فقلنا : يا أمير المؤمنين إن خرجنا لم نأمنهم علينا ، فأذن لنا أن نكون في بيت من الدار يكون لنا فيه جماعةٌ ومنعةٌ ، فأذن لهم وأمر بباب الدار ففتح ودعا بالمصحف فأكبَّ عليه وعنده امرأتاه بنت الفرافصة الكلبية وبنت شيبة ؛ فكان أول من دخل عليه محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته فقال : دَعْها يا بن أخي ، فوالله لقد كان أبوك ليتلطف بها بأدنى من هذا ؛ فاستحيا فخرج فقال : قد أشعرته لكم . وأخذ عثمان ما أُسْقِطَ[٦] من لحيته فأعطاه إحدى امرأتيه ، ثم دخل رومان بن سودان رجل أزرق قصير مخدد[٧] عدادُه من مرادٍ ، ومعه جرز[٨] من حديد فاستقبله فقال

---

(١) بعد هذه اللفظة سقط في ط بقدر ورقة وأخر إلى ما قبل (بعض الأحاديث الواردة في فضائل عثمان) .
(٢) الخبر في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٠/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩) بخلاف في الرواية .
(٣) في الأصول : سهم بن حنيش أو حنش أو جنيش الأزدي ، والتصحيح من مختصر ابن عساكر لابن منظور .
(٤) الاستدراك عن مختصر ابن منظور .
(٥) « المحجم والمحجمة » : قارورة الدم . اللسان (حجم) .
(٦) في مختصر ابن عساكر : ما امتعط .
(٧) مخدد من خدد لحمه وتخدد : هزل ونقص . اللسان (خدد) .
(٨) الجُرْزُ : العمود من الحديد . اللسان (جرز) .

على أي ملة يا نَعْثَلُ . فقال : لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان ، وأنا على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كنت من المشركين . فقال : كذبت فضربه بالجرز على صدغه الأيسر فقتله فخر .

وأدخلته بنت الفرافصة بينها وبين ثيابها ـ وكانت امرأةً جسيمةً ضليعةً[(١)] ـ وألقت بنت شيبة نفسَها على ما بقي من جسده ودخل رجل من [أهل][(٢)] مصر بالسيف مصلتاً فقال : والله لأقطعن أنفه فعالج المرأة عنه فغلبته ، فكشف عنها درعها من خلفها حتى نظر إلى متنها ؛ فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين درعها ومنكبها فقبضت على السيف فقطع أناملها . فقالت : يا رباح ـ لغلام لعثمان أسود ـ يا غلام اغن عني[(٣)] هذا الرجل ، فمشى إليه الغلام فقتله وخرج أهل البيت فقاتلوا عن أنفسهم فقُتل المغيرةُ بن الأخنس وجُرح مروان . قال : فلما أمسينا قلنا : إن تركتم صاحبكم حتى يصبح مَثَّلوا به ، فاحتملناه إلى بقيع الغَرْقَد في جوف الليل ، وغشينا سواد من خلفنا حتى هبناهم ، وكدنا أن نتفرق عنه ، فنادى منادٍ منهم ألّا رَوْعَ عليكم ، اثبتوا وإنما جئنا لنشهده معكم ، فكان أبو خنيس يقول : هم ملائكة الله ؛ فدفناه ثم هربنا إلى الشام من ليلتنا [فلقينا أهل الشام][(٤)] بوادي القرى عليهم حبيب بن مسلمة[(٥)] قد أتوا في نُصرة عثمان ، فأخبرناهم بقتله ودفنه .

فصل

ولما وقع هذا الأمر العظيم ، الفظيع الشنيع ، أسقط في أيدي الناس ، فأعظموه[(٦)] جداً ، وندم أكثرُ هؤلاء الجهلة الخوارج بما[(٧)] صنعوا ، وأشبهوا من تقدمهم ممن قصّ الله علينا خبرهم في كتابه العزيز ، من الذين عبدوا العجل . في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٩] .

ولما بلغ الزبيرَ مقتلُ عثمان ـ وكان قد خرج من المدينة ـ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ترحَّم على عثمان ، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا فقال : تبّاً لهم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس : ٤٩ ـ ٥٠] وبلغ علياً قتلهُ فترحَّم عليه . وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦] ولما بلغَ سعدَ بن أبي وقاصٍ قتلُ عثمان استغفر له

(١) « الضليع » : العظيم الخلق الشديد . اللسان (ضلع) .
(٢) عن المختصر .
(٣) في المختصر : أعن على هذا فمشى .
(٤) الاستدراك من المختصر .
(٥) هنا نهاية السقط .
(٦) في أ : وعظموه .
(٧) في أ : وندم أكثر هؤلاء الجهلة على ما صنعوا .

وترحّم عليه ، وتلا في حق الذين قتلوه : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٤] ثم قال سعد : اللهم أنْدِمْهم ثمّ خُذْهم . وقد أقسم بعض السلف بالله إنه ما مات أحد من قتلة[١] عثمان إلا مقتولاً . رواه ابن جرير[٢] .

وهكذا ينبغي أن يكون لوجوهٍ : (منها) دعوةُ سعد المستجابة كما ثبت في (الحديث) الصحيح . وقال بعضهم : ما مات أحد منهم حتى جن .

وقال الواقدي : حدَّثني عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن عبد الرحمن بن الحارث قال : الذي قتل عثمان كنانة بن بشر بن عتّاب[٣] التجيبي ، وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول : خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل ، حتى إذا كنا بالمَرْج سمعنا رجلاً يُغني تحت الليل[٤] : [من الطويل]

ألا إنَّ خيـرَ النّـاس بعـد ثـلاثـةٍ قتيلُ التُّجَيْبِي الذي جاء من مِصْر

ولما رجع الحج وجدوا عثمان رضي الله عنه قد قُتل ، وبايع الناسُ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه . ولما بلغ أمهات المؤمنين في أثناء الطريق أنَّ عثمان قد قُتل ، رجعن إلى مكة فأقمن بها نحواً من أربعة أشهر كما سيأتي .

فصل

كانت مدة حصار[٥] عثمان رضي الله عنه في داره أربعين يوماً على المشهور ، وقيل كانت بضعةً وأربعين يوماً . وقال الشعبي : كانت ثنتين وعشرين ليلةً . ثم كان قتله رضي الله عنه في يوم الجمعة بلا خلاف . قال سيف بن عمر عن مشايخه : في آخر ساعة منها ، ونص عليه مصعب[٦] بن الزبير وآخرون . وقال آخرون ضحوة (نهارها) ، وهذا أشبه ، وكان ذلك لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة على المشهور ، وقيل في أيام التشريق ، رواه ابن جرير[٧] : حدَّثني أحمد بن زهير ، حدَّثنا أبو خيثمة ، حدَّثنا وهب بن جرير ، سمعت يونس بن يزيد ، عن الزُّهري . قال : قُتل عثمان ، فزعم بعضُ الناس أنه قُتل في أيام التشريق [ورواه عبد الله بن أحمد بن عبيد الله بن معاذ ، عن معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن

---

(١) في أ : ممن قتل .
(٢) في تاريخه (٤/ ٣٩٢) .
(٣) في أ : غياث ؛ تحريف ، والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٤) .
(٤) البيت في تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٤) .
(٥) في أ : كان مدة حصار . .
(٦) في أ : مصعب الزبيري .
(٧) في تاريخه (٤/ ٤١٧) .

أبي عثمان قال : قتل عثمان في أوسط أيام التشريق] ، وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثلاث خلت من ذي الحجة . وقيل قتل يوم النحر ، حكاه ابن عساكر ويستشهد له بقول الشاعر :

ضَحّوا بأشمط عنوان السجودِ بهِ يقطّـعُ الليـلَ تسبيحـاً وقـرآنـاً

قال : والأول هو الأشهر ، وقيل[١] إنه قتل يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور، وقيل سنة ست وثلاثين ، قال مصعب بن الزبير[٢] وطائفة : وهو غريب. فكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، لأنه بويع له في مستهلّ المحرم سنة أربع وعشرين .

فأما[٣] عُمره رضي الله عنه فإنه جاوز ثنتين وثمانين سنة ، وقال صالح بن كيسان : توفي عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر ، وقيل : أربع وثمانون سنة[٤] ، وقال أحمد[٥] عن حسن بن موسى (حدثنا أبو هلال)[٦] عن قتادة : توفي عن ثمانٍ وثمانين أو تسعين سنة. وفي رواية عنه توفي عن ثنتين[٧] وثمانين سنة . وعن هشام بن الكلبي [أنه] توفي عن خمس وسبعين سنة، وهذا غريب جداً، وأغرب منه ما رواه (سيف) بن عمر عن مشايخه ، وهم محمد وطلحة وأبو عثمان وأبو حارثة أنهم قالوا : قتل عثمان رضي الله عنه عن ثلاث وستين سنة[٨] .

وأما موضع قبره فلا خلاف أنه (دفن) بحشّ كوكب ـ شرقي البقيع ـ وقد بني عليه في زمن[٩] بني أمية قبة عظيمة وهي باقية إلى اليوم . قال الإمام مالك رضي الله عنه : بلغني أن عثمان رضي الله عنه كان يمرّ بمكان قبره من حشّ كوكب فيقول : إنه سيدفن هاهنا رجل صالح .

وقد ذكر ابن جرير[١٠] أن عثمان رضي الله عنه بقي بعد أن قتل ثلاثة أيام لا يدفن .

قلت : وكأنه اشتغل الناس عنه بمبايعة علي رضي الله عنه حتى تَمّتْ ، وقيل إنه مكث ليلتين ، وقيل بل دفن من ليلته ، ثم كان دفنه [في] ما بين المغرب والعشاء خيفة[١١] من الخوارج ، وقيل : بل استؤذن

(١) في أ : وهو أنه قتل .
(٢) في أ : مصعب الزبيري .
(٣) في أ : وأما .
(٤) اضطرب النص في أ وط اضطراباً شديداً ، فتكررت العبارات وتداخلت ، والصواب ما أثبتناه إن شاء الله تعالى .
(٥) مسند أحمد (١/ ٧٤) ، وإسناده منقطع .
(٦) إضافة من مسند أحمد لا بد منها ، وهو محمد بن سليم الراسبي .
(٧) في أ : عن ست .
(٨) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤١٨) .
(٩) في ط : زمان .
(١٠) في تاريخه (٤/ ٤١٢) .
(١١) في أ : خفية .

في ذلك بعض رؤسائهم ، فخرجوا به في نفر قليل من الصحابة ، فيهم[١] حكيم بن حزام ، وحُوَيْطب بن عبد العُزّى ، وأبو الجهم بن حذيفة ، ونيار[٢] بن مكرم الأسلمي ، وجُبَيْر بن مُطْعم ، وزيد بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وطلحة والزبير ، وعلي بن أبي طالب وجماعة من أصحابه ونسائه ، منهن امرأتاه نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين ، وصبيان . ـ وهذا مجموع من كلام الواقدي وسيف بن عمر التميمي [وقال أحمد[٣] : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : صلى الزبير على عثمان ودفنه وكان أوصى إليه] .

وروى عبد الله[٤] من طريق إبراهيم بن عبد الله بن فروخ (عن أبيه قال :)[٥] : شهدت عثمان دفن في ثيابه بدمائه ولم يغسل] [وقيل : إن] جماعة من خدمه حملوه على باب بعدما غسَّلوه وكفَّنوه . وزعم بعضهم أنه لم يغسل ولم يكفن ، والصحيح الأول . وصلى عليه جُبَيْر بن مطعم ، وقيل الزبير بن العوام ، وقيل حكيم بن حزام ، وقيل مروان بن الحكم ، وقيل المسور بن مَخْرَمة ، وقد عارضه بعض الخوارج وأرادوا رجمه ، وإلقاءه عن سريره ، وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع ، حتى بعث علي رضي الله عنه إليهم من نهاهم عن ذلك .

وحمل جنازته حكيم بن حزام ، (وقيل مروان بن الحكم ، وقيل المسور بن مخرمة) ، وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مكرم ، وجبير بن مطعم .

وذكر الواقدي[٦] أنه لما وضع ليُصَلَّى عليه ـ عند مصلَّى الجنائز ـ أراد بعض الأنصار أن يمنعهم من ذلك ، فقال أبو جهم بن حذيفة : ادفنوه فقد صلَّى الله عليه وملائكته ثم قالوا : لا يدفن في البقيع ، ولكن ادفنوه وراء الحائط ، فدفنوه شرقي البقيع تحت نخلات هناك .

وذكر الواقدي[٧] أن عمير بن ضابىء نزا على سريره وهو موضوع للصلاة عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال : أحبست ضابئاً حتى مات في السجن . وقد قتل الحجاج فيما بعد عمير بن ضابىء هذا وقال البخاري في « التاريخ »[٨] : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، عن عيسى بن منهال ، حدَّثنا غالب ، عن محمد بن سيرين قال : كنتُ أطوفُ بالكعبة وإذا رجلٌ يقول : اللهم اغفر لي ، وما أظن أن تغفر لي ،

---

(١) في أ : منهم .
(٢) في أ : بيان ، خطأ .
(٣) مسند أحمد (١/ ٧٤) وإسناده منقطع .
(٤) مسند أحمد (١/ ٧٢) .
(٥) إضافة من مسند أحمد لا بد منها .
(٦) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤١٣) .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) لم أجده في تاريخ البخاري .

فقلت : يا عبد الله ما سمعت أحداً يقول ما تقول ، قال : كنتُ أعطيتُ لله عهداً إن قدرتُ أن ألطم وجهَ عثمان إلا لطمته ، فلما قُتل ووضع على سريره في البيت والناس يجيئون فيصلون عليه ، فدخلتُ كأنّي أصلّي عليه ، فوجدت خلوة فرفعتُ الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته وقد يبست يميني . قال ابن سيرين : فرأيتها يابسة كأنها عود .

ثم خرجوا[١] بعَبْدَي عثمان اللذين قتلا في الدار ، وهما صبيح ونجيح ، رضي الله عنهما ، فدفنا إلى جانبه بحشّ كَوْكَب ، وقيل إن الخوارج لم يمكنوا من دفنهما ، بل جرُّوهما بأرجلهما حتى ألقوهما بالبلاط فأكلتهما[٢] الكلاب ، وقد اعتنى معاوية في أيام إمارته بقبر عثمان ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع ، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله (حتى اتصلت بمقابر المسلمين) .

ذكر صفته رضي الله عنه

كان رضي الله عنه حسنَ الوجـه دقيقَ البشرة ، كبيرَ[٣] اللحية ، معتدلَ القامة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، كثيرَ شعر الرأس ، حسنَ الثغر ، فيه سمرة[٤] ، وقيل كان في وجهه شيء من آثار الجدري ، رضي الله عنه . وعن الزهري : كان حسنَ الوجه والثغر ، مربوعاً ، أصلع ، أزوح[٥] الرجلين (يخضب بالصفرة ، وكان قد شد أسنانه بالذهب وقد كسى ذراعيه الشعر) .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا سالم أبو جُمَيع ، حدَّثنا الحسن ـ وذكر عثمان وشدة حيائه ـ فقال : إن كان ليكون بالبيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه .

وقال عبد الله[٧] : حدَّثنا زياد بن أيوب ، حدَّثنا هُشَيْم ، قال : زعم أبو المقدام ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : دخلت المسجد فإذا بعثمان بن عفان متوكىء على ردائه ؛ فأتاه سقاءان يختصمان فقضى بينهما ثم أتيته فنظرت إليه ؛ فإذا رجل حسن الوجه ، بوجنتيه نكتات جدريّ ، وإذا شعره قد كسا ذراعيه .

وقال واقد بن عبد الله[٨] : حدَّثني من رأى عثمان بن عفان أنه ضبب أسنانه بالذهب .

---

(١) في ط : ثم أخرجوا .
(٢) في أ : فأكلتهم .
(٣) في أ : رقيق البشرة كثير اللحية .
(٤) في أ : سمرة وقيل بيان .
(٥) أزوح من زاح : إذا تباعد . اللسان (زاح) .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٣ ـ ٧٤) .
(٧) مسند أحمد (١/ ٧٣) وإسناده ضعيف .
(٨) مسند أحمد (١/ ٧٣) وهو من رواية عبد الله .

وقال الواقدي[١] : حدَّثنا ابن أبي سبرة ، عن سعيد بن أبي زيد ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ، ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمئة ألف درهم ، [وخمسون] ومئة ألف دينار ، فانْتُهِبتْ وذهبت ، وترك ألف بعير بالرَّبَذَة ، وترك صدقات كان تصدق بها ، بئر أريس ، وخيبر ، ووادي القرى ، فيه مئتا ألف دينار . (وبئر رومة كان اشتراها في حياة النبي ﷺ وسبَّلها) .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا أبو المغيرة ، حدَّثنا أرطاة بن المنذر ، حدَّثنا أبو عون الأنصاري : أن عثمان قال لابن مسعود : هل أنت مُنتهٍ عما بلغني عنك ؛ فاعتذر بعض العذر ؛ فقال عثمان : إني قد سمعت وحفظت وليس كما سمعت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه سيقتل أمير ، وينتزي منتز[٣] وإني أنا المقتول وليس عمر ، إن عمر قتله واحد ، وإنه سيجتمع عليَّ .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس قال : حدَّثني أبو سهلة أن عثمان قال يوم الدار : إن رسول الله ﷺ عهد لي عهداً فأنا صابر عليه . قال قيس : فكانوا يرونه ذلك اليوم .

ورواه الترمذي[٥] من حديث وكيع ويحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد به . وفي مسند أبي يعلى من طريق أبي سهلة قال : قال لي رسول الله ﷺ : ستبتلى بعدي فلا تقاتل .

فصل

قال الأعمش عن زيد بن وهب ، عن حذيفة أنه قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن الدجال . وروى (الحافظ) ابن عساكر[٦] من طريق شبابة ، عن حفص بن مورِّق الباهلي ، عن حَجّاج بن أبي عثمان[٧] الصوَّاف عن زيد بن وهب عن حذيفة . قال :

أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال ، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حُبِّ قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه آمن به في قبره .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا وغيره : (أخبرنا محمد بن سعد) ، أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي ، حدَّثنا أبو الأشهب ، حدَّثني عوف ، عن محمد بن سيرين أن حذيفة بن اليمان قال :

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٧٦) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٦٦) وإسناده ضعيف .
(٣) في الأصول : إنه سيقتل امرؤ ، ويتبرأ متبرىء ، وهو خطأ ، والصحيح من مسند أحمد .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٥٨) .
(٥) سنن الترمذي (٣٧١١) في الفضائل ، وقال الترمذي : حسن صحيح .
(٦) تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (٢٦٦) .
(٧) في ط : بن أبي عمار ، وهو تحريف ، والتصحيح من تقريب التهذيب (١٥٣) .

اللهمَّ إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً ، فليس لي فيه نصيب ؛ وإن كان قتله شراً فأنا منه بريء ، والله لئن كان قتله خيراً ليحلبنه لبناً ، وإن كان قتله شراً ليمتصن[١] به دماً . وقد ذكره البخاري في « صحيحه »[٢] .

طريق أخرى عنه

قال محمد بن عائذ : ذكر يحيى[٣] بن حمزة ، حدَّثني أبو عبد الله النَّجْراني[٤] ، أن حذيفة بن اليمان في مرضه الذي هلك فيه ، كان عنده رجلٌ من إخوانه ، وهو يناجي امرأته ، ففتح عينيه فسألهما فقالا خيراً ، فقال : شيئاً تسرانه دوني ما هو بخير ، قال : قتل الرجلُ ـ يعني عثمانَ ـ قال : فاسترجع ثم قال : اللهم إنّي كنت من هذا الأمر بمعزلٍ ، فإن كان خيراً فهو لمن حضره ، وأنا منه بريء ، وإن كان شراً فهو لمنْ حضره وأنا منه بريء ، اليوم تغيرت القلوب يا عثمان ، الحمد لله الذي سبق بي الفتن قادتها وعلوجها ، الحَظيُّ من تردّى بعيره فشبع شحماً وقلَّ عمله .

وقال الحسن بن عرفة : حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيَة ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي موسى الأشعري ، قال :

لو كان قتل عثمان هُدًى لاحتلبت به الأُمَّةُ لبناً ، ولكنّه كان ضلالاً فاحتلبت به الأُمَّةُ دماً . وهذا منقطع .

وقال محمد بن سعد[٥] : أخبرنا عارم[٦] بن الفضل ، أخبرنا الصَّعق بن حَزْن ، حدَّثنا قتادة ، عن زَهْدم الجَرْمي . قال : خطب ابن عبّاس فقال : لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء . وقد رُوي من غير هذا الوجه عنه .

وقال الأعمش وغيره عن ثابت بن عبيد بن أبي جعفر[٧] الأنصاري . قال :

لما قُتل عثمان جئت علياً وهو جالس في المسجد ، وعليه عمامةٌ سوداءُ ، فقلت له : قُتل عثمان ، فقال : تباً لهم آخر الدهر[٨] ـ وفي رواية : خيبة لهم ـ .

---

(١) في أ : لتحتلبنه لبناً ولئن كان قتله شراً لنمتصن به دماً .

(٢) هكذا قال ، وما أظنه صواباً ، فإننا لم نقف عليه في صحيح البخاري .

(٣) في ط : « محمد » محرف ، وهو من رجال التهذيب .

(٤) في أ : البحراني ، وفي ط : الحرّاني ، وما هنا عن تاريخ دمشق (٤٨٨) وهو يزيد بن عبد الله النجراني .

(٥) الطبقات (٣/ ٨٠) .

(٦) في ط : حازم ؛ تحريف وهو محمد بن الفضل أبو النعمان السدوسي ، البصري ، المعروف بعارم . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٦٥) .

(٧) في أ : ثابت بن عبد عن أبي جعفر ؛ خطأ . وانظر تقريب التهذيب (١٣٢) .

(٨) الخبر في تاريخ دمشق (٤٦٠) .

وقال أبو القاسم البغوي : أنبأنا علي بن الجعد ، أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى . قال :

سمعت علياً وهو بباب المسجد ، أو عند أحجار الزَّيت ، رافعاً صوته يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان .

وقال أبو هلال : عن قتادة ، عن الحسن . قال :

قُتل عثمان وعليٌّ غائب في أرض له ، فلما بلغه قال : اللهم إني لم أرض ولم أمالىء[(١)] .

وروى الربيع بن بدر ، عن سيّار بن سلامة عن أبي العالية :

أن علياً دخل على عثمان فوقع عليه وجعل يبكي حتى ظنّوا أنه سيلحق به .

وقال الثوري وغيره عن ليث ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : قال علي يوم قتل عثمان :

والله ما قتلت ولا أمرتُ ولكني غُلبت . ورواه غير ليث ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، عن علي نحوه[(٢)] .

وقال حبيب بن أبي العالية ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال علي : إن شاء الناس حلفت لهم عند مقام إبراهيم بالله ما قتلتُ عثمان ولا أمرت بقتله ، ولقد نهيتهم فعصوني ، وقد رُوي من غير وجه عن علي بنحوه .

وقال محمد بن يونس الكُدَيْمي[(٣)] : حدَّثنا هارون بن إسماعيل ، حدَّثنا قرَّة بن خالد ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد . قال : سمعت علياً يوم الجمل يقول :

(اللهم) إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قُتل عثمان ، وأنكرت نفسي ، وجاؤوني للبيعة فقلت : والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ : « إني لأستحيي ممن تستحيي منه الملائكة » وإني لأستحيي من الله أن أُبايع وعثمان قتيل (في) الأرض لم يُدْفَن بعد ، فانصرفوا ، فلما دُفن رجع الناس يسألوني[(٤)] البيعة فقلت : اللهم إني أشفق[(٥)] مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزمة فبايعت . فلما قالوا : أمير المؤمنين كان صدع قلبي وأسكت نفرة من ذلك .

وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر[(٦)] بجمع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم

---

(١) جملة هذه الأخبار في تاريخ دمشق (٤٦١) ترجمة عثمان .

(٢) في أ : بنحوه .

(٣) في أ : المكرمي ؛ تحريف . انظر تقريب التهذيب (٥١٥) .

(٤) في أ : فسألوني .

(٥) في أ : لمشفق .

(٦) تاريخ دمشق (٤٦١ ـ ٤٦٢) ـ ترجمة عثمان ـ .

عثمان ، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله لا مالأ ولا رضي به ، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه . ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث ولله الحمد والمنة .

وثبت عنه أيضاً من غير وجه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] وثبت عنه[١] أيضاً من غير وجه أنه قال : ﴿ إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ﴾ [المائدة : ٩٣] وفي رواية أنه قال : كان عثمان رضي الله عنه خيرنا وأوصلنا للرحم ، وأشدنا حياء ، وأحسننا طهوراً ، وأتقانا للرب عزَّ وجلَّ .

وروى يعقوب بن سفيان[٢] ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن مجالد ، عن عمير بن زوذي[٣] أبي كثير . قال :

خطب علي فقطع الخوارج عليه خطبته فنزل فقال : إنَّ مَثَلي ومَثَل عثمان كمثل أثوارٍ ثلاثةٍ ، أحمر وأبيض وأسود ، ومعهم في أجَمةٍ أسدٌ ، فكان كلما أراد قتلَ أحدهم منعَه الآخران ، فقال للأسود والأحمر : إنّ هذا الأبيضَ قد فضحنا في هذه الأجمة فخلِّيا عنه حتى آكله ، (فخلَّيا عنه فأكله) ، ثم كان كُلَّما أرادَ أحدَهما منعَه الآخرُ فقال للأحمر : إن هذا الأسود قد فضحنا (في هذه الأجَمة) ، وإنَّ لوني على لونك ، فلو خَلَّيْتَ عنه أكلته ، فَخَلَّى عنه الأحمر فأكله ، ثم قال للأحمر[٤] : إنّي آكلُكَ ، فقال : دَعْني حتى أصيحَ ثلاثَ صيحاتٍ ، فقال دونك ، فقال : ألا إني إنما أُكلتُ يومَ أُكلَ الأبيض[٥] ثلاثاً (فلو أنّي نَصَرْتُه لما أُكِلْتُ) ثم قال علي : وإنما أنت وهنت يوم قُتِلَ عثمان ، (ولو أني نصرته لما وهنت) قالها ثلاثاً .

وروى ابنُ عساكر[٦] من طريق محمد بن هارون الحَضْرمي ، عن سَوّار بن عبد الله العَنْبَري[٧] القاضي ، عن (ابن) مهدي ، عن حمّاد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المُسَيّب . قال :

وكانت[٨] المرأةُ تجيءُ في زمان عثمان إلى بيتِ المال فتحملُ وَقرَها وتقول : اللهم بدِّلْ ، اللهم غَيِّر . فقال حسان بن ثابت حين قتل عثمان رضي الله عنه[٩] : [من الرمل]

---

(١) في أ : وثبت أيضاً عنه أنه سُئل عن عثمان فقال : كان من الذين آمنوا وعملوا . .
(٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ١١٨) ، وهو في تاريخ دمشق أيضاً .
(٣) في ط : « رودي » بالراء المهملة ، مصحف . ينظر الجرح والتعديل (٦/ الترجمة ٢٠٧٨) .
(٤) في أ : الآخر فأكله ثم قال للآخر .
(٥) في ط : البيض .
(٦) تاريخ دمشق (٤٨٣) ـ ترجمة عثمان ـ .
(٧) في أ ، ط : سويد ، وفي ط : القشيري ، وكلاهما تحريف . وانظر تقريب التهذيب (٢٥٩) .
(٨) في أ ، ط : كانت ، والواو عن تاريخ دمشق .
(٩) البيتان أربعة في ديوان حسان (١/ ١٢٢) .

قُلْتُمُ بَدِّلْ فبُدِّلتمْ به[١] سَنةً حَرَّى وحَرْباً كاللَّهبْ
ما نَقَمْتُمْ من ثيابٍ خِلْفَةٍ وعَبيدٍ وإماءٍ وذَهَبْ

قال : وقال أبو حميد أخو بني ساعدة ـ وكان ممن شهد بدراً ، وكان ممن جانب عثمان ـ فلما قتل قال : والله ما أردنا قَتْلَه ، ولا كُنّا نرى أن يبلغ منه القتلُ ، اللَّهُمّ إنَّ لكَ عليّ أن لا أفعل كذا وكذا[٢] ولا أضحك حتى ألقاك .

وقال محمد بن سعد[٣] : أخبرنا عبد الله بن إدريس ، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل . قال :

لقد رأيتُني وإنَّ عمرَ مُوثقي وأختَه على الإسلام ، ولو ارْفضَّ أحَدٌ فيما صنعتم بابن عفّان لكان حقيقاً .

وهكذا رواه البخاري في « صحيحه »[٤] .

وروى محمد بن عائذ[٥] ، عن إسماعيل بن عياش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر . قال : سمع عبد الله بن سلام رجلاً يقول لآخر : قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيه عنزان . فقال ابن سلام أجل ! إن البقر والمعز لا تنتطح في قتل الخليفة ، ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح ، والله ليُقْتلنَّ به أقوامٌ إنهم لفي أصلابِ آبائهم ما ولدوا بعدُ .

وقال ليث[٦] : عن طاووس . قال : قال ابن سلام :

يحكَّم عثمان يوم القيامة في القاتل والخاذل .

وقال أبو عبد الله المحاملي : حدَّثنا أبو الأشعث ، حدَّثنا حزم بن أبي حزم ، سمعت أبا الأسود يقول : سمعت أبا بكرة يقول[٧] : لأن أخرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليَّ من أن أُشْرَكَ في قتل عثمان .

وقال أبو يعلى[٨] : حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرة ، حدَّثنا محمد بن عباد الهنائي ، حدَّثنا البراء بن أبي فضالة ، حدَّثنا الحضرمي ، عن أبي مريم رضيع الجارود . قال :

كنت بالكوفة فقام الحسن بن علي خطيباً فقال : أيها الناس! رأيتُ البارحةَ في منامي عجباً ، رأيتُ

---

(١) في ط والديوان : فقد بد لكم .
(٢) ليست اللفظة في أ ولا في تاريخ دمشق .
(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٧٩) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٤٨٥) ـ ترجمة عثمان ـ .
(٤) صحيح البخاري (٣٨٦٢) في مناقب الأنصار ، وقال ابن حجر رحمه الله : ارفضَّ أي زال عن مكانه ، وفي رواية : انقض بالنون والقاف بدل الراء والفاء أي سقط .
(٥) الخبر في تاريخ دمشق (٤٩٠) .
(٦) المصدر السابق (٤٩١) .
(٧) تاريخ دمشق (٤٩٢) .
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (١٢/ ٦٧٦٧) والخبر في تاريخ دمشق (٤٩٥) ـ ترجمة عثمان ـ وإسناده ضعيف .

الربَّ تباركَ وتعالى فوقَ عرشه فجاء رسول الله ﷺ حتى قام عند قائمةٍ من قوائم العرش ، فجاء أبو بكر فوضع يده على منكب النبي ﷺ ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبي بكر ، ثم جاء عثمان فكان بيده[١] ـ يعني رأسه ـ فقال : ربِّ سلْ عبادَكَ فيم قتلوني ؟ فانبعثَ من السماء ميزابان من دمٍ في الأرض . قال : فقيل لعلي ألا ترى ما يحدِّثُ به الحسن ؟! فقال : حدَّثَ بما رأى .

ورواه أبو يعلى[٢] أيضاً : عن سفيان بن وكيع ، عن جُميع بن عُمَير[٣] بن عبد الرحمن : عن مجالد ، عن طُحْرُب[٤] العِجْلي : سمعت الحسن بن علي يقول :

ما كنت لأقاتل بعد رؤيا رأيتها ، رأيت العرش ورأيت رسول الله ﷺ متعلقاً بالعرش ، ورأيت أبا بكر واضعاً يده على (منكب رسول الله ، وكان عمر واضعاً يده على منكب أبي بكر ، ورأيت عثمان واضعاً يده على) منكب عمر ، ورأيت دماً دونهم ، فقلت : ما هذا؟ فقيل : دم عثمان يطلب الله به .

وقال مسلم بن إبراهيم : حدَّثنا سلام بن مسكين ، عن وهب بن شبيب ، عن زيد بن صوحان أنه قال : يوم قتل عثمان نفرت القلوب منافرها ، والذي نفسي بيده لا تتألف إلى يوم القيامة .

وقال محمد بن سيرين[٥] : قالت عائشة : مُصتموه مَوْصَ[٦] الإناء ثم قتلتموه ؟

وقال خليفة بن خياط[٧] : حدَّثنا أبو قتيبة ، حدَّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن عون بن عبد الله بن عتبة . قال : قالت عائشة : غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف ؟! استَعْتبتُموه حتى إذا تركتموه كالقُلْب[٨] المُصَفَّى قتلتموه .

وقال أبو معاوية[٩] : عن الأعمش ، عن خَيْثمة ، عن مسروق ، قال : قالت عائشة رضي الله عنها حين قتل عثمان :

تركتموه كالثوب النقيِّ من الدَّنسِ ثمَّ قتلتموه . وفي رواية : ثم قربتموه فذبحتموه كما يُذْبحَ الكَبْشُ ؟ فقال لها مسروقٌ : هذا عملكِ ، أنتِ كتبتِ إلى الناس تأمرينهم أن يخرجوا إليه ، فقالتْ :

---

(١) في تاريخ دمشق (٤٩٥) : فكان نَبْذَةً ـ وفي حديث ابن حمدان : فكان بيده ـ يعني رأسه ، وهو وهم ـ ثم اتفقا ـ فقال . . .
(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٦٧٦٨/١٢) والخبر في تاريخ دمشق (٤٩٤) ـ ترجمة عثمان ـ وإسناده ضعيف .
(٣) في أ ، ط : عمير عن عبد الرحمن ؛ خطأ .
(٤) في ط : « حرب » محرف ، وتنظر ترجمته في ميزان الذهبي (٢/ ٣٣٥) .
(٥) تاريخ دمشق (٤٩٥) .
(٦) المَوْص والغسل واحد . تاريخ دمشق (٤٩٨) .
(٧) تاريخ خليفة بن خياط (١٧٥) والخبر في تاريخ دمشق (٤٩٥) .
(٨) القُلْب : السِّوار من الفضة . اللسان (قلب) والنهاية (٩٨/٤) .
(٩) تاريخ دمشق (٤٩٦) .

لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كتبتُ لهم سوداءَ في بيضاءَ حتى جلست مجلسي هذا .

قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إليها . وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله ، زوّروا كتباً على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان ، كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة .

وقال أبو داود الطيالسي[١] : حدَّثنا حزم القُطَعي ، حدَّثنا أبو الأسود [والد] سوادة[٢] أخبرني طلق بن خشاف[٣] قال :

قتل عثمان فتفرَّقنا في أصحاب محمد ﷺ نسألهم عن قتله، فسمعت عائشة تقول: قُتل مظلوماً لعن الله قَتَلَتَهُ .

وروى محمد بن عبد الله الأنصاري[٤] : عن أبيه ، عن ثُمامة ، عن أنس . قال : قالت أم سليم لما سمعت بقتل عثمان رحمه الله ، أما إنه لم يحلبوا بعده إلَّا دماً .

وأما كلام أئمة التابعين في هذا الفصل فكثير جداً يطول ذكرنا له ، فمن ذلك قول أبي مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قدموا من قتله[٥] : إنكم مثلهم أو أعظم جرماً ، أما مررتم ببلاد ثمود قالوا : نعم ! قال : فأشهد أنكم مثلهم ، لخليفة الله أكرم عليه من ناقته .

وقال ابن علية : عن يونس بن عبيد ، عن الحسن . قال[٦] :

لو كان قتلُ عثمان هدى لاحتلبتْ به الأمةُ لبناً ، ولكنه كان ضلالاً فاحتلبت به الأمة دماً .

وقال أبو جعفر الباقر[٧] :

كان قتل عثمان [بن عفان] على غير وجه الحق .

وهذا ذكر بعض ما رُثي به رضي الله عنه

قال مجالد: عن الشعبي: ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك[٨] : [من الطويل]

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق (٤٩٧) ـ ترجمة عثمان ـ من طريق الطيالسي .
(٢) في ط : أبو الأسودبن سوادة ، خطأ .
(٣) في ط : حسان ، خطأ .
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر مجلد عثمان (٤٩٩) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٠٠) .
(٧) المصدر السابق .
(٨) الأبيات في تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤٧ ـ ٥٤٨) وديوان كعب بن مالك (٩١ ـ ٩٢) .

فَكَـفَّ يَـدَيْـهِ ثُـمَّ أغْلَـق بـابَـهُ ... وأيْقَـن أنَّ اللهَ ليـسَ بغـافِـلِ
وقـالَ لأهـلِ الـدّارِ لا تقتلـوهُـمُ[١] ... عفـا اللهُ عـن كُـلِّ امـرِىءٍ لـم يُقـاتـلِ
فكيـفَ رأيـتَ اللهَ صـبَّ عليهـمُ الـ ... ـعـداوةَ والبَغْضـاءَ بَعْـدَ التَّـواصـلِ
وكيـفَ رأيـتَ الخَيْـرَ أدبـرَ بعـدهُ ... عنِ الناسِ إدبارَ[٢] النَّعامِ الجَوافِلِ

وقد نسب هذه الأبيات سيف بن عمر إلى المغيرة [بن] الأخنس[٣] بن شريق .

وقال سيف بن عمر : وقال حسان بن ثابت[٤] : [من الطويل]

ماذا أرَدْتُمْ منْ أخي الدِّين باركتْ ... يـدُ اللهِ فـي ذاكَ الأديـمِ المُقَـدَّدِ
قَتَلْتُـمْ ولـيَّ اللهِ فـي جَـوْفِ دارِهِ ... وجئتُـمْ بـأمْـرٍ جائـرٍ غَيْـرِ مُهْتـدِ
فَهـلا رَعَيْتُـمْ ذمَّـةَ اللهِ بينكـمْ[٥] ... وَأوْفَيْتُـمْ بـالعَهْـدِ عَهْـدِ مُحمَّـدِ
ألَـمْ يَـكُ فيكـمْ ذا بَـلاءٍ ومَصْـدَقٍ ... وأوْفـاكُـمُ عهـداً[٦] لـدى كُـلِّ مَشْهـدِ
فَـلا ظَفِـرَتْ أيمـانُ قَـوْمٍ تَبـايَعُـوا[٧] ... علـى قَتْـلِ عُثْمـانَ الـرَّشيـدِ المُسـدَّدِ

وقال ابن جرير[٨] : وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه[٩] : [من البسيط]

منْ سرَّهُ الموتُ صِرْفاً لا مِزاجَ لهُ ... فَلْيَـأْتِ مَـأْسَـدَةً[١٠] فـي دارِ عُثْمـانـا
مُسْتَحْقِبي حَلَقَ الماذيّ قد شَفَعَتْ ... فَوْقَ المَخَاطِم بيض[١١] زان أبدانا
ضَحُّوا بأشْمَط عُنوانُ السُّجودِ بهِ ... يُقَطِّـعُ اللَّيْـلَ تَسْبيحـاً وقُـرآنـا
صَبْراً[١٢] فِدىً لَكُمُ أمّي وما وَلَدتْ ... قد يَنْفعُ الصَّبْرُ في المَكْروهِ أحْياناً
فقد رضينا[١٣] بأرض الشَّامِ نافرةً ... وبـالأميـر وبـالإخـوانِ إخـوانـا

---

(١) في ديوان كعب بن مالك : (وقال لمن في داره لا تقاتلوا . . .) .
(٢) في أ : أدبر عنهم وولى كإدبار . .
(٣) في ط : إلى أبي المغيرة الأخنس ، وما هنا عن أ وتاريخ دمشق وهو الصواب .
(٤) الأبيات في تاريخ دمشق (٥٤٥) وديوان حسان بن ثابت (١/ ٣٢٠) .
(٥) في ديوان حسان : سطكم .
(٦) في تاريخ دمشق : وأوفاكم قدماً .
(٧) في الديوان : تظاهرت .
(٨) في تاريخه (٤/ ٤٢٥) .
(٩) ديوان حسان (١/ ٩٦) .
(١٠) في أ : مأدبة .
(١١) في الديوان : بيضاً .
(١٢) في الديوان : ويهاً .
(١٣) في الديوان : وقد رضيت بأهل الشام زافرة .

إنّي لَمِنْهُمْ وإنْ غابوا وإنْ شَهِدوا ... ما دمتُ حيّاً[١] وما سُمّيتُ حسانا
لتسمعنَّ وشيكاً في ديارهمُ ... الله أكبر يا ثاراتِ عثمانا
يا ليتَ[٢] شِعْري وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبرني ... ما كانَ شَأْنُ عليٍّ وابنِ عَفّانا

(وهو القائل أيضاً[٣] : [من البسيط]

إنّ تُمْسِ دارُ ابن أروى[٤] منهُ خاويةً ... نابٌ صريعٌ وبابٌ مُحْرَقٌ خَرِبُ
فقدْ يُصادفُ باغي العرفِ[٥] حاجَتَهُ ... فيها ويأوي إليها المَجْدُ[٦] والحَسَبُ
يا مَعْشَرَ النّاسِ[٧] أبْدوا ذات أنْفسكُم ... لا يستوي الصِّدْقُ عندَ اللهِ والكَذِبُ

وقال الفرزدق[٨] : [من البسيط]

إنَّ الخِلافةَ لما أظْعنتْ ظَعَنَتْ ... عنْ أهلِ يثربَ إذْ غيرَ الهُدى سَلكوا
صارتْ إلى أهلها منهمْ ووارثها ... لما رأى الله في عثمانَ ما انتهكوا
السّافكي دَمهُ ظُلْماً ومَعْصيةً ... أيُّ دمٍ ـ لا هُدوا ـ من غَيّهم سفكوا

وقال راعي الإبل النميري في ذلك[٩] : [من الوافر]

عَشِيَّةَ يَدْخلون بغَيرِ إذنٍ ... على مُتوكّلٍ أوفى وطابا
خليلُ محمّدٍ ووزيرُ صدقٍ ... ورابعُ خيرِ مَنْ وطىء التُّرابا

فصل

إن قالَ قائلٌ : كيفَ وقعَ قتلُ عثمان رضي الله عنه بالمدينة ، وفيها جماعةٌ من كبار الصحابة رضي الله عنهم ؟ فجوابه من وجوه :

أحدها : أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلّهم لم يكن يظنّ أنه يبلغ الأمر إلى قتله ، فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتلَه عيناً ، بل طلبوا منه أحدَ أمورٍ ثلاثةٍ ، إما أن يَعْزلَ نَفْسَه ، أو يُسْلمَ إليهم مروانَ بن

---

(١) في الديوان : حتى الممات وما .
(٢) في الديوان : بل ليت شعري .
(٣) الأبيات خمسة في ديوان حسان (٢٠٦) .
(٤) في الديوان : بني عفان .
(٥) في الديوان : باغي الخير .
(٦) في الديوان : الذكر والحسب .
(٧) في الديوان : يا أيها الناس .
(٨) لم أجد الشعر في ديوانه ولا في تاريخ دمشق .
(٩) البيتان في تاريخ دمشق (٥٥٥) مجلد عثمان .

الحكم ، أو يقتلوه ، فكانوا يرجون أن يسلِّم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل (نفسه) ويستريح من هذه الضائقة الشديدة . وأما القتل فما كان يظن أحد[١] أنه يقع ، ولا أنَّ هؤلاء يجترئون عليه إلى ما هذا حدّه ، حتى وقع ما وقع ، والله أعلم .

الثاني : أنَّ الصحابةَ مانعوا دونه أشدَّ المُمانعة ، ولكن لمّا وقعَ التَّضييق الشديد ، عزم عثمانُ على الناس أن يكفّوا أيديهم ويغمدوا أسلحتَهم ففعلوا ، فتمكَّنَ أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ما ظن (أحد من) الناس أنه يقتل بالكلية .

الثالث : أنَّ هؤلاء الخوارجَ لمّا اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة [أو أكثرهم] في أيّام الحجّ ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة ، بل لمَّا اقترب مجيئهم ، انتهزوا فرصتهم ، قبحهم الله ، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم .

الرابع : أنَّ هؤلاء الخوارج كانوا قريباً من ألفي مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدَّة من المقاتلة ، لأنَّ الناسَ كانوا في الثُّغور وفي الأقاليم في كل جهة [وفي الحج] ، ومع هذا كان كثير من الصحابة [قد] اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتَهم ، ومنْ كان يحضرُ منهم المسجدَ لا يجيء إلا ومعه السيف ، يضعه على حبوته إذا احتبى ، والخوارجُ محدقون بدار عثمان رضي الله عنه ، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ، ولكن [كان] كبار الصحابة قد بعثوا أولادَهم إلى الدار يحاجفون[٢] عن عثمان رضي الله عنه ، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته ، فما فوجىء الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها ، وأحرقوا بابها ، وتسوَّروا عليه حتى قتلوه ، وأما ما يذكره بعضُ الناس من أنَّ بعضَ الصحابة أسلمه ورضي بقتله ، فهذا لا يصحّ عن[٣] أحد من الصحابة أنّه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقته وسب من فعله ، ولكن (بعضهم) كان يودّ لو خلع نفسه من الأمر ، كعمّار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر ، و (عمرو) بن الحمق وغيرهم[٤] .

قال أبو عمر بن عبد البر[٥] : دفنوا عثمان رضي الله عنه . بحش كوكب ـ وكان قد اشتراه وزاده في البقيع .

ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول[٦] وقد سئل عن عثمان : هو أمير البررة ، وقتيل الفجرة ، مخذول من خذله ، منصور من نصره .

---

(١) في أ : ما كان أحد يظن أنه يقع .
(٢) حاجفت فلاناً إذا عارضته ودافعته . اللسان (حجف) .
(٣) في أ : من .
(٤) بعد هذه اللفظة يرد حديث سهم بن حنيش أبي خنيس عن يوم الدار رواه ابن عساكر وقد تقدم .
(٥) الاستيعاب (٣/ ١٠٤٨) واللفظ مختلف . وكوكب : رجل من الأنصار ، وحش : البستان .
(٦) في أ : حيث يقول .

وقال (شيخنا) أبو عبد الله الذهبي في آخر ترجمة عثمان وفضائله[١] ـ بعد حكايته هذا الكلام : الذين قتلوه أو ألّبوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته ، والذين خَذلوه خُذلوا وتنَغَّصَ عيشهم ، وكان الملك بعده في نائبه معاوية وبنيه[٢] ، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته ، استطالوا حياته وملُّوه مع فضله وسوابقه ، فتملك عليهم من هو من بني عمه بضعاً وثمانين سنة ، فالحكم لله العلي الكبير . وهذا لفظه بحروفه .

بعض[٣] الأحاديث الواردة في فضائل [أمير المؤمنين] عثمان بن عفان

هو عثمان[٤] بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَد بن عدنان ، أبو عمرو وأبو عبد الله ، القرشي ، الأموي ؛ أمير المؤمنين ، ذو النورين ، وصاحب الهجرتين ، وزوج الابنتين ، وأمُّه أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن عبد شمس . وأمُّها أمُّ حكيم وهي البَيْضاء بنت عبد المطلب عمةُ رسول الله ﷺ ، وهو أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحدُ الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستّة ، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، فكان[٥] ثالثَ الخلفاء الرّاشدين ، والأئمة المَهْديين ، المأمور[٦] باتباعهم والاقتداء بهم .

أسلم عثمانُ رضي الله عنه قديماً على يدي أبي بكر الصّدّيق ، وكان سبب إسلامه عجيباً[٧] فيما ذكره الحافظ ابن عساكر[٨] ، وملخص ذلك أن لما بلغه أن رسول الله ﷺ زوج ابنته رقية ـ وكانت ذات جمال ـ من ابن عمها عتبة بن أبي لهب ، تأسف إذ لم يكن هو تزوجها ، فدخل على أهله مهموماً فوجد عندهم خالته سعدى بنت كريز ـ وكانت كاهنة ـ فقالت له[٩] : [من الرجز]

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٧٨) ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ ط : دار الكتاب العربي .
(٢) في أ : وكان الملك بعده نائبه معاوية واستديم في وزيره .
(٣) في أ : فصل في الإشارة إلى شيء من فضائل عثمان . . .
(٤) ترجمة ـ عثمان رضي الله عنه ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٥٣) ونسب قريش (٢٣٦) حلية الأولياء (١/ ٥٥) والاستيعاب (٣/ ١٠٤٨) وأسد الغابة (٣/ ٢٧٦) وتاريخ دمشق لابن عساكر (مجلد كامل) والإصابة (٢/ ٤٦٢) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٢٩) والعقد الثمين (٦/ ٣٢) والرياض النضرة (١/ ١٩٢) .
(٥) في أ : فصار .
(٦) في ط : والمأمور .
(٧) في أ : عجباً .
(٨) تاريخ دمشق (٢٠) مجلد عثمان .
(٩) الأبيات في تاريخ دمشق (٢٠) وقد جاءت في ط وكأنها نثر لا شعر .

أبْشِـرْ وحييّـتَ ثـلاثـاً تترى ثـم ثـلاثـاً وثـلاثـاً أخـرى
ثـم بـأخـرى كـي تتـم عشـراً أتـاك خيـرٌ ووقيـتَ شـرّا
أُنكحـتَ والله حصـانـاً زَهْـرا وأنـت بكـر ولقيـت بكـرا
وافيتهـا بنـتَ عظيـم قـدرا بنيـتَ أمـراً[١] قـد أشـاد ذكـرا

قال عثمان : فعجبت من أمرها حيث تبشرني بامرأة قد تزوجت غيري فقلت : يا خالة ما تقولين ؟ فقالت : عثمانُ [من الرجز]

لك الجمال ولك اللسان هـذا نبي[٢] معه البرهـانُ
أرسلـه بحقّـه الـديـانُ وجـاءه التنزيـل والفرقـان
فاتْبعه لا تغتالك الأوثان

قال : فقلت إنك لتذكرين أمراً ما وقع ببلدنا . فقالت : محمد بن عبد الله ، رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو به إلى الله ، ثم قالت : [مجزوء الرجز]

مصباحُهُ مصباحُ ودينُـهُ فـلاحُ
وأمـرُه نجـاحُ وقـرنُـه نطّـاحُ
ذلّتْ له البطاحُ ما ينفع الصيّاح[٣]
لو وقع الذّباح وسُلَّـتِ الصفـاح
ومُدَّتِ الرّماحُ

قال عثمان : فانطلقت مفكراً فلقيني أبو بكر فأخبرته ، فقال : ويحكَ يا عثمانُ إنَّك لرجلٌ حازمٌ ، ما يخفى عليك الحقُّ من الباطل ، ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا ؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضرُّ ولا تنفع ؟ قال : قلت بلى ! والله إنها لكذلك ، فقال : والله لقد صدقتك خالتك ، هذا رسول الله محمد بن عبد الله ، قد بعثه الله إلى خلقه برسالته ، هل[٤] لك أن تأتيه ؟ فاجتمعنا برسول الله ﷺ فقال : « يا عثمان أجب الله إلى جنته[٥] فإنّي رسول الله إليك وإلى خلقه » . قال : فوالله ما تمالكتُ حين سمعت[٦] قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم لم ألبث أن

---

(١) في أ : بنت امرىء قد أشار ذكراً .
(٢) في ط : هذا النبي .
(٣) في أ : المصباح .
(٤) في أ : فهل لك .
(٥) في ط : إلى حقه .
(٦) في ط : ما تمالكت نفسي منذ سمعت رسول الله ﷺ . وما هنا عن أ وتاريخ دمشق .

تزوجت رقية بنت رسول الله ﷺ فكان يقال : [أحسن زوج رقية وعثمان . قال عمارة بن زيد وكان يقال][١] : [من الرجز]

أحسـنُ زوجٍ رآهُ إنسـانُ   رقيّـةٌ وزوجُهـا عثمـانُ

فقالت في ذلك سعدى بنت كريز[٢] : [من الطويل]

هَدَى اللهُ عُثماناً بقَوْلي إلى الهُدى   وأرْشَـدَهُ واللهُ يَهْـدي إلـى الحـقِّ
فَتَـابـعَ بـالـرَّأيِ السَّديـدِ مُحمَّداً   وكان برأيٍ لا يَصُد[٣] عن الصِّدْقِ
وأنْكحَـهُ المَبْعـوثُ بـالحـقِّ بنتَـهُ   فكانا كبدْرٍ مازَجَ الشَّمْسَ في الأُفْقِ
فِـداؤكَ يـا بـنَ الهـاشِمِيِّيـنَ مُهْجتـي   وأنـتَ أميـنُ اللهِ أُرسِلْـتَ للخَلْـقِ

قال : ثم جاء أبو بكر من الغد بعثمان بن مَظْعون ، وبأبي عبيدة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، فأسلموا ، وكانوا مع من اجتمع مع رسول الله ثمانية وثلاثون رجلاً .

وهاجر إلى الحبشة أوّلَ الناس ومعه زَوْجتهُ رقية بنت رسول الله ﷺ ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ، فلما كانت وقعةُ بدرٍ اشتغلَ بتمريض ابنة رسول الله ﷺ ، وأقام بسببها في المدينة ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها وأجره فيها ، فهو معدودٌ فيمن شهدها . فلما تُوفِّيت زوَّجهُ رسولُ الله ﷺ بأُخْتها أمِّ كلثوم فتوفيت أيضاً في صحبته ، وقال رسول الله ﷺ : « لو كان عندنا أخرى لزوجناها لعثمان »[٤] .

وشهد أُحداً وفر يومئذ فيمن تولَّى ، وقد نصَّ اللهُ على العفو عنهم ، وشهد الخندق والحديبية ، وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدى يديه ، وشهد خيبر وعمرة القضاء ، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك ، وجهز جيش[٥] العسرة .

وتقدّم عن عبد الرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمئة بعير بأقتابها وأحلاسها ، وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبَّها في حجر رسول الله ﷺ (فقال : « ما ضرَّ عثمانَ ما فعلَ بعد هذا اليوم »[٦] مرتين) .

وحجَّ مع رسول الله ﷺ حجةَ الوداع ، وتوفي وهو عنه راضٍ ، وصحب أبا بكرٍ فأحسنَ صُحْبته ،

---

(١) الاستدراك عن تاريخ دمشق (٢١) .
(٢) الأبيات في تاريخ دمشق (٢١) .
(٣) في أ : وكان برأي لا بعيد عن الصدق .
(٤) الحديث رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨) .
(٥) في أ : وجهز فيها جيش العسرة .
(٦) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٦٣) والترمذي رقم (٣٧٠١) وهو حديث حسن .

وتوفي وهو عنه راضٍ ، وصحب عمر فأحسنَ صحبتَهُ وتوفي وهو عنه راضٍ . ونصَّ عليه في أهل الشورى الستة ، فكان خيرَهم كما سيأتي .

فولي الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأمصار ، وتوسعت المملكة الإسلامية ، وامتدت الدولة المحمدية ، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها ، وظهر للناس مصداق قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥] وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] وقوله ﷺ : « إن الله زوى لي مشارق الأرض ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها »[١] وقوله ﷺ : « إذا هلكَ قيصرٌ فلا قيصرَ بعده ، وإذا هلكَ كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله »[٢] وهذا كله تحقَّق وقوعه وتأكَّدَ وتوطَّد في زمان عثمان رضي الله عنه .

وقد كان رضي الله عنه حسنَ الشكل ، مليحَ الوجه ، كريمَ الأخلاق ، ذا حياءٍ كثير ، وكرمٍ غزيرٍ ، يُؤْثرُ أهلَه وأقاربَه[٣] في الله ، تأليفاً لقلوبهم من مَتاعِ الحياةِ الدُّنيا الفاني ، لعله يرغِّبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى ، كما كان النبيُّ ﷺ يُعطي أقواماً ويدَعُ آخرين ، يعطي أقواماً خشيةَ أن يَكبَّهُمْ اللهُ على وجوههم في النار ، وَيَكلُ آخرين إلى ما جَعلَ اللهُ في قلوبهم من الهُدى والإيمان ، وقد تَعنَّتَ عليه بسب هذه الخصلة أقوامٌ ، كما تَعنَّتَ بعضُ الخوارج على رسول الله ﷺ في الإيثار . وقد قدمنا ذلك في غزوة حُنين حيث قسم غنائمها . وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في فضل عثمان رضي الله عنه نذكر ما تيسر منها إن شاء الله وبه الثقة وهي قسمان :

الأول : فيما ورد في فضائله مع غيره

فمن ذلك الحديثُ الذي رواه البخاريّ في صحيحه[٤] : حدَّثنا مُسدد ، حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد ، عن قتادة أن أنساً[٥] حدَّثهم قال :

« صعدَ النبيُّ أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجفَ فقال : اسكن أحد ـ أظنُّه ضربَه برجله ـ فليس عليك إلّا نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان » تفرد[٦] به دون مسلم .

---

(١) قطعة من حديث رواه ثوبان ، أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٨٩) في الفتن ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٧١٤) في التاريخ .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٠) ومسلم في صحيحه (٢٩١٨) (٧٥) في الفتن .

(٣) في أ : يؤثر أقاربه وأهله .

(٤) صحيح البخاري (٣٦٩٩) في فضائل الصحابة .

(٥) في ط : إنساناً ؛ خطأ .

(٦) في أ : انفرد .

وقال الترمذي[١] : حدَّثنا قتيبة ، حدَّثنا عبد العزيز بن محمد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة :

أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال النبي ﷺ : « اهدئي فما عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد » .

ثم قال في الباب : عن عثمان وسعيد بن زيد وابن عباس ، وسهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وبُرَيْدة الأسلمي ، وهذا حديث صحيح . قلت : ورواه أبو الدرداء ، ورواه الترمذي عن عثمان في خطبته يوم الدار ، وقال : على ثبير .

حديث آخر

وهو [ما ثبت في الصحيحين[٢] من حديث] أبي عثمان النَّهدي ، عن أبي موسى الأشعري قال : كنتُ مع رسول الله ﷺ في حائط ، فأمرني بحفظ الباب ، فجاء رجلٌ يستأذن فقلت : من هذا ؟ قال : أبو بكر ، فقال رسول الله ﷺ : « ائذنْ له وبشّره بالجنَّة » . ثمَّ جاء عمر فقال : « ائْذنْ له وبشّره بالجنَّة » ثمَّ جاء عثمان فقال : « ائذن له وبشّره بالجنة على بلوى تصيبُه » . فدخل وهو يقول : اللهمَّ صبراً وفي رواية ـ الله المستعان ، رواه عنه قتادة وأيوب السختياني .

وقال البخاري[٣] : وقال حماد بن زيد : حدَّثنا عاصم الأحول وعليّ بن الحكم ، سمعا أبا عثمان يحدِّث عن أبي موسى الأشعري بنحوه ، وزاد عاصم : أن رسول الله ﷺ كان قاعداً في مكان فيه ماء قد انكشف[٤] عن ركبتيه ، أو ركبته ، فلما دخل عثمان غطاها .

وهو في الصحيحين[٥] أيضاً من حديث سعيد بن المسيِّب ، عن أبي موسى ، وفيه : أن أبا بكر وعمر دلَّيا أرجلهما مع رسول الله في باب القفّ وهو في البئر ، وجاء عثمان فلم يجد له موضعاً [فجلس ناحيةً] » قال سعيد [بن المسيب] : فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان .

وقال[٦] الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا يزيد بن هارون[٨] ، حدَّثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سَلمة . قال : قال نافع بن عبد الحارث :

---

(١) سنن الترمذي (٣٦٩٦) في المناقب ، والرواية الثانية ـ خطبة عثمان ـ (٣٧٠٣) .
(٢) صحيح البخاري (٣٦٩٥) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٤٠٣) (٢٨) في فضائل الصحابة .
(٣) في صحيحه (٧/ ٥٣) ـ فتح الباري ـ رقم (٣٦٩٥) .
(٤) في ط : في مكان قد انكشف . . ، وما هنا عن أ وصحيح البخاري .
(٥) صحيح البخاري (٧٠٩٧) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٤٠٣) (٢٩) في فضائل الصحابة .
(٦) في أ : وقد قال .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٠٨) .
(٨) في ط : يزيد بن مروان ؛ تحريف وما هنا عن مسند أحمد وتاريخ دمشق (١٢٢) .

خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً فقال : « أمسك عليَّ البابَ » ، فجاء حتى جلس على القُفِّ[١] ودلَّى رجليه ، فضرب الباب فقلتُ : منْ هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر ، قال : « ائذن له وبشِّره بالجنَّة » . فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ على القُفَّ ودلَّى رجليه في البئر ، ثم ضُرِبَ البابُ : فقلت : منْ هذا ؟ قال : عمر : قلت : يا رسول الله هذا عمر ، قال : « ائذن له وبشِّره بالجنة » (ففعلت) ، فجاء فجلس مع رسول الله ﷺ على القُفِّ ودلّى رجليه في البئر ثم ضُربَ البابُ فقلت : منْ هذا ؟ قال : عثمان ، قلت : يا رسول الله هذا عثمان ، قال : « ائذن له وبشِّره بالجنة معها بلاء » فأذنت له وبشرته بالجنة ، فجلس مع رسول الله ﷺ على القُفِّ ودلَّى رجليه في البئر .

هكذا وقع في هذه الرواية ، وقد أخرجه أبو داود والنسائي[٢] من حديث أبي سلمة ، فيحتمل أن أبا موسى ونافع بن عبد الحارث كانا مُوكَّلين بالباب ، أو أنها قصة أخرى .

وقد رواه الإمام أحمد[٣] : عن عفَّان ، عن وهيب ، عن موسى بن عقبة سمعت أبا سلمة ولا أعلمه إلا عن نافع بن عبد الحارث .

« أنَّ رسول الله ﷺ دخل حائطاً فجلس على قُفِّ البئر ، فجاء أبو بكر فاستأذن فقال لأبي موسى : ائذن له وبشِّره بالجنة . ثم جاء عمر فقال : ائذن له وبشِّره بالجنة » ثمَّ جاء عثمان فقال : « ائذن له وبشره بالجنة وسيلقى بلاءً » .

وهذا السياق أشبه من الأول ، على أنه قد رواه النسائي[٤] من حديث صالح بن كيسان ، عن أبي الزناد ، عن أبي سلمة ، عن عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث ، عن أبي موسى الأشعري فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا يزيد ، أخبرنا همام ، عن قتادة ، عن ابن سيرين ومحمد بن عبيد ، عن عبد[٦] الله بن عمرو قال : كنت مع رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر فاستأذن فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » ثم جاء عمر فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » ثم جاء عثمان فاستأذن فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » . قال : قلت فأين أنا ؟ قال : أنت مع أبيك . تفرّد به أحمد . وقد رواه البزار وأبو يعلى من حديث أنس بن مالك بنحو ما تقدم .

---

(١) القف : هو الدكة التي تجعل حول البئر . اللسان (قفف) .
(٢) سنن أبي داود (٥١٨٨) في الأدب ، والنسائي في الكبرى (٨١٣٢) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٠٨) .
(٤) في الكبرى (٨١٣١) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٦٥) وهو حديث صحيح .
(٦) في أ : عبيد الله ؛ تحريف .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا حجاج ، حدَّثنا ليث ، حدَّثني عقيل ، عن ابن شهاب ، عن يحيى بن سعيد بن العاص ، أن سعيد بن العاص أخبره ، أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدَّثاه : أن أبا بكر استأذن على النبي ﷺ وهو مضطجعٌ على فراشه لابسٌ مرطَ[٢] عائشة ، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، فاستأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، قال عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس وقال : « اجمعي عليك ثيابك » فقضيت إليه حاجتي ثم انصرف ، فقالت عائشة : يا رسول الله ! مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن عثمان رجل حييٌّ ، وإني خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحالة ألا يبلغ إليَّ حاجته » قال (الليث) : وقال جماعة الناس : إنَّ رسول الله ﷺ قال لعائشة : « ألا أستحي ممن تستحي منه [ملائكة الرحمن» . ورواه مسلم[٣] من حديث الليث بن سعد به ، ومن حديث صالح بن كيسان ، عن الزهري به] ؟ . ورواه مسلم[٤] من حديث محمد بن أبي حرملة ، عن عطاء وسليمان بن يسار (عن) أبي سلمة ، عن عائشة . ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث سهيل ، عن أبيه ، عن عائشة . ورواه جبير بن نفير وعائشة بنت طلحة عنها .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا مروان ، حدَّثنا عبد الله[٥] بن سيَّار[٦] : سمعت عائشة بنت طلحة تذكر ، عن عائشة أم المؤمنين : أن رسول الله ﷺ كان جالساً كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه ، فلما قاموا قلتُ : يا رسولَ الله استاذنَ عليكَ أبو بكرٍ وعمرُ فأذنتَ لهما وأنتَ على حالك ، فلما استأذن عليك عثمان أرخيتَ عليكَ ثيابكَ . فقال : « يا عائشةُ ألا أستحي من رجل ـ والله ـ إن الملائكة لتستحي منه ؟ » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

طريق أخرى عن حفصةَ

رواه الحسن بن عرفة ، وأحمد بن حنبل[٧] ، عن روح بن عبادة (عن ابن جريج) ؛ أخبرني أبو خالد

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٧١) وهو حديث صحيح .

(٢) « المرط » : الثوب من الصوف أو الخز . اللسان (مرط) .

(٣) صحيح مسلم (٢٤٠٢) في فضائل الصحابة ، وبالطريق الثانية (٢٤٠٢) في فضائل الصحابة .

(٤) مسند الإمام أحمد (٦/ ٦٢) وبهذا السند أيضاً في تاريخ دمشق (٨١ ـ ٨٢) مجلد عثمان .

(٥) في تاريخ دمشق : « عبيد الله » خطأ ، وتنظر ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ١١٠) ، والجرح والتعديل (٥/ ٧٦) ، وثقات ابن حبان (٧/ ١٧) .

(٦) في أ : سيار ؛ تحريف .

(٧) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٨٨) ولهذه الرواية طرق متعددة في تاريخ دمشق (٨٣ ـ ٨٤) .

عثمان بن خالد ، عن عبد الله بن أبي سعيد المدني : حدَّثتني حفصة ، فذكر مثل حديث عائشة ، وفيه : فقال : « ألا أستحي[١] ممن تستحي منه الملائكة » .

طريق أخرى عن ابن عبّاس

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدَّثنا أبو كريب ، حدَّثنا يونس بن بكير ، حدَّثنا النضر ـ هو ابن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز الكوفي ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال قال رسول الله ﷺ « ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة عثمان بن عفان ؟ » ثم قال البزار : لا نعلمه يُروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد . قلت وهو على شرط الترمذي ولم يخرجوه[٢] .

طريق أخرى عن ابن عمر

قال الطبراني[٣] : حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدَّثنا محمد بن أبي بكر المقدَّمي ، حدَّثنا أبو معشر ، حدَّثني إبراهيم بن عمر بن أبان ، حدَّثني أبي : عمر بن أبان ، عن أبيه . قال سمعت عبد الله بن عمر يقول : بينما رسول الله ﷺ جالسٌ ، وعائشةُ وراءه ، إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثم استأذن عمر فدخل ، ثم استأذن سعد بن مالك فدخل ، ثم استأذن عثمان بن عفان فدخل ، ورسول الله ﷺ يتحدث كاشفاً عن ركبته ، فردَّ ثوبَه على ركبته حين استأذن عثمان ، وقال لامرأته : « استأخري » فتحدثوا ساعةً ثم خرجوا ، فقالت عائشة : يا نبيَّ الله ! دخل أبي وأصحابه فلم تُصلح ثوبَكَ على ركبتك ، ولم تؤخرني عنك ، فقال النبي ﷺ : « يا عائشة ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ والذي نفسي بيده إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله ، ولو دخل ، وأنت قريب مني ، لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفيه زيادةٌ على ما قبله ، وفي سنده ضعف .

قلت : وفي الباب عن علي وعبد الله بن أبي أوفى ، وزيد بن ثابت . وروى أبو مروان القرشي ، عن أبيه ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « عثمان حيي تستحي منه الملائكة »[٤] .

---

(١) في ط : ألا نستحي .

(٢) النضر بن عبد الرحمن الخزاز متروك ، فإسناد الحديث ضعيف جداً ، ولم أفهم قوله : « على شرط الترمذي » !! (بشار) ، أقول : الحديث حسن بطرقه وشواهده الكثيرة ، وقد تقدم بعضها .

(٣) المعجم الكبير (١٢/ ٣٢٧) رقم (١٣٢٥٣) وهو أيضاً في تاريخ دمشق (٨٥ ـ ٨٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٨٦) بهذا السند .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خالد الحذّاء ، عن أبي قلابة ، عن أنس . قال قال رسول الله ﷺ : « أرحمُ أمَّتي أبو بكر ، وأشدُّها في دين الله عمرُ ، وأشدُّها حياءً عثمانُ ، وأعلمُها بالحلال والحرام معاذُ بن جبل ، وأقرؤُها لكتاب الله أبيٌّ ، وأعلمُها بالفرائض زيدُ بن ثابت ، ألا وإن لكلِّ أمةٍ أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » (وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه[٢] من حديث خالد الحذاء ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وفي صحيح البخاري ومسلم[٣] آخره « ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ») وقد روى هشيم ، عن كوثر[٤] بن حكيم ، عن نافع ، عن ابن عمر مثل حديث أبي قِلابة عن أنس أو نحوه .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا يزيدُ بن عبد ربه ، حدَّثنا محمد بن حرب ، حدَّثني الزُّبيدي ، عن ابن شهاب ، عن عمرو بن أبان بن عثمان ، عن جابر بن عبد الله ، أنه كان يحدّث أن رسول الله ﷺ قال : « أري الليلةَ رجلٌ صالحٌ أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ، ونيط عمر بأبي بكر ، ونيط عثمان بعمر » فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ، وأما ما ذكره[٦] رسول الله ﷺ من نوط بعضهم ببعض ، فهؤلاء ولاةُ هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ .

ورواه أبو داود[٧] عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب ، ثم قال : ورواه يونس وشعيب عن الزهري فلم يذكرا عَمراً .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٨]: حدَّثنا أبو داود ـ عمر بن سعد ـ حدَّثنا بدر بن عثمان، عن عُبيد الله بن

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٨٤) .
(٢) جامع الترمذي رقم (٣٧٩١) في المناقب ، فضائل الصحابة للنسائي (١٨٢) سنن ابن ماجه (١٥٤) و(١٥٥) في المقدمة .
(٣) صحيح البخاري رقم (٤٣٨٢) في المغازي ، وصحيح مسلم رقم (٢٤١٩) (٥٣) في فضائل الصحابة .
(٤) في أ : كريب ، وفي ط : كريز ؛ كلاهما تحريف ، وما هنا عن مصادر الحديث .
(٥) مسند أحمد (٣/ ٣٥٥) وفي إسناده ضعيف .
(٦) في أ : وأما ما ذكر وفي مسند أحمد : وأما ذكر .
(٧) سنن أبي داود (٤٦٣٦) في السنة وفي إسناده ضعف . ونيط : تعلق . هامش السنن (٥/ ٣١) .
(٨) في مسنده (٢/ ٧٦) وبهذا السند أيضاً في تاريخ دمشق (١٠٦) وإسناده ضعيف .

مروان[١] ، عن أبي عائشة ، عن ابن عمر قال : خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ بعد طلوعِ الشمس فقال :

« رأيتُ قبلَ الفجرِ كأنّي أعطيتُ المقاليدَ والموازينَ ، فأما المقاليدُ ، فهذه المفاتيحُ ، وأما الموازين فهي التي يوزن بها ، فوضعتُ في كفة ، ووضعت أمتي في كفة ، فوزنت بهم فرجحت ، ثم جيء بأبي بكر فوزن فوزن بهم ، ثم جيء بعمر فوزن فوزن بهم ، ثم جيء بعثمان فوزن فوزن بهم ، ثم رفعت » .

تفرد به أحمد .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا هشام بن عمار ، حدَّثنا عمرو بن واقد ، حدَّثنا يونس بن ميسرة ، عن أبي إدريس ، عن معاذ بن جبل ، قال قال رسول الله ﷺ :

« إني رأيت أني وُضعت في كفَّةٍ وأمتي في كفة فعدلتها ، ثم وضع أبو بكر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ، ثم وضع عمر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ، ثم وضع عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلها »[٢] .

حديث آخر

قال أبو يعلى[٣] : حدَّثنا عبد الله بن مطيع ، حدَّثنا هشيم ، عن العَوَّام ، عمن حدَّثه ، عن عائشة ، قالت : لما أسَّس رسول الله ﷺ مسجدَ المدينة جاء بحجر فوضعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه ، وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : « هم أمراء الخلافة من بعدي » .

وقد تقدم هذا الحديث في بناء المسجد ، أولَ مقدمِهِ المدينةَ عليه الصلاة والسلام .

وكذلك تقدم في دلائل النبوة من حديث الزُّهري : عن رجل ، عن أبي ذر في تسبيح الحصا في يده عليه السلام ، ثمَّ في كفِّ أبي بكر ، ثمَّ في كفِّ عمر ، ثُمَّ في كفِّ عثمان ، رضي الله عنهم .

وفي بعض الروايات : فقال رسول الله ﷺ : « هذه خلافة النبوة »[٤] .

وسيأتي حديث سفينة أن رسول الله ﷺ قال : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً »[٥] فكانت

---

(١) في الأصول والمطبوع : عبد الله ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٠٥) بهذا السند ، وإسناده ضعيف جداً ، فإن عمرو بن واقد القرشي متروك .

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (٨/ ٢٩٥) رقم (٤٨٨٤) ونص الحديث : « هذا أمر الخلافة من بعدي » وإسناده ضعيف.

(٤) تقدم تخريجه في الجزء الخامس دلائل النبوة .

(٥) الحديث رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٠ و٢٢١) والبغوي في شرح السنة رقم (٣٨٦٥) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١٥/ ٣٩٢) رقم (٦٩٤٣) وهو حديث حسن .

ولاية عثمان ومدتها اثنتي عشرة سنة ، من جملة هذه الثلاثين بلا خلاف بين العلماء العاملين ، كما أخبر به سيد المرسلين ﷺ وصحبه أجمعين .

حديث آخر

وهو ما روي من طرق متعدِّدةٍ عن رسول الله ﷺ أنه شهدَ للعشرة بالجنة ، (وهو أحدهم بِنصٍّ النبي ﷺ) .

حديث آخر

قال البخاري(١) : حدَّثنا محمد بن حاتم(٢) بن بزيع ، حدَّثنا شاذان ، حدَّثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدلُ بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نذر(٣) أصحاب النبي ﷺ لا نفاضلُ بينهم .

تابعه عبد الله بن صالح عن عبد العزيز ، تفرَّد به البخاري ، ورواه إسماعيل بن عياش ، والفرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن نافع ، عن ابن عمر .

ورواه أبو يعلى(٤) عن أبي معمر ، عن يزيد بن هارون ، عن اللَّيث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن عمر به .

طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد(٥) : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن ابن عمر . قال : كنا نعُدُّ ، ورسولُ(٦) الله ﷺ وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر وعثمان ثم نسكت .

طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ آخر

قال الحافظ أبو بكر البزّار(٧) : حدَّثنا عمرو بن علي وعقبة بن مكرم قالا : حدَّثنا أبو عاصم ، عن

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٩٨) في فضائل الصحابة .
(٢) في ط : محمد بن حازم ؛ تحريف .
(٣) في أ : ثم نزل ، تحريف .
(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (٩/٤٥٦) رقم (٥٦٠٤) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٢/١٤) ، وإسناده صحيح .
(٦) في ط : « كنا نعد رسول الله » خطأ ، وما أثبتناه يعضده ما في المسند .
(٧) كشف الأستار (٢/٢٢٤) رقم (١٥٦٩) .

عمر بن محمد ، عن سالم ، عن أبيه . قال : كنا نقول في عهد النبي ﷺ : أبو بكر وعمر وعثمان ـ يعني في الخلافة ـ وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجوه ، لكن قال البزار : وهذا الحديث قد روي عن ابن عمر من وجوه : كنا نقول أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم لا نفاضل بعد . وعمر بن محمد لم يكن بالحافظ ، وذلك ـ يتبين في حديثه[١] إذا روى عن غير سالم فلم يقل شيئاً .

وقد رواه غير واحد من الضعفاء عن الزُّهري ، عن سالم ، عن أبيه به .

وقد اعتنى الحافظ ابن عساكر[٢] بجمع طرقه عن ابن عمر فأفاد وأجاد .

فأما الحديث الذي قال الطبراني[٣] : حدَّثنا سعيد بن عبد ربه الصَّفار البغدادي ، حدَّثنا علي بن جميل[٤] الرَّقي ، أخبرنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس . قال : قال رسول الله ﷺ :

« في الجنة شجرة ـ أو ما في الجنة شجرة ـ شك علي بن جميل ، ما عليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين » فإنه حديث ضعيف ، في إسناده من تكلم فيه ولا يخلو من نكاره ، والله أعلم .

القسم الثاني فيما ورد من[٥] فضائله وحده

قال البخاري[٦] : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا أبو عوانة ، حدَّثنا عثمان بن موْهَب ، قال : جاء رجلٌ من أهل مصر حجَّ البيتَ ، فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : قريشٌ ، قال : فمن[٧] الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا بن عمر! إني سائلُكَ عن شيء فحدِّثني ، هل تعلم أنّ عثمانَ فرّ يومَ أحد ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيَّب يوم بدر ولم يشهدها ؟ قال : نعم! قال : تعلم أنه تغيَّب عن بيعةِ الرضوان ولم يشهدها ؟ قال : نعم ! قال : الله أكبر ، قال ابن عمر : تعال أبيِّن لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله وكانت مريضة ، فقال له رسول الله : « إن لك أجرَ رجلٍ ممن شهد بدراً وسهمه » . وأما تغيبه[٨] عن بيعة الرضوان فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة

---

(١) في أ : وذلك في حديثه متبين .
(٢) تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (١٥١ ـ ١٦١) .
(٣) في المعجم الكبير (١١٠٩٣) .
(٤) في أ : علي بن حنبل ، وهو تصحيف .
(٥) في أ : في .
(٦) صحيح البخاري (٣٦٩٩) في فضائل الصحابة .
(٧) في أ : من بلا فاء ، وما هنا موافق لرواية البخاري .
(٨) في أ : وأما تخلفه .

الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى : « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال : « هذه لعثمان » فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك . تفرد به دون مسلم .

طريق أخرى

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا معاوية بن عمرو ، حدَّثنا زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق[٢] . قال : لقي عبد الرحمن بن عوف الوليدَ بن عقبة ، فقال له الوليد[٣] : ما لي أراك جفوتَ أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال له عبد الرحمن : أبْلِغْهُ أني لم أفرَّ يوم عَيْنَيْنِ ، قال عاصم : يقول يوم أُحُد ـ ولم أتخلَّف يوم بدر ، ولم أترك سُنَّة عمر ، قال : فانطلق فخبَّر بذلك عثمان فقال : أما قوله : إني لم أفرّ يوم عَيْنين ؛ فكيف يعيرني بذنب وقد عفا الله عني فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ ﴾ [آل عمران : ١٥٥] وأما قوله : إني تخلفت يوم بدر ، فإنّي كنتُ أمرّضُ رقيةَ بنتَ رسول الله ﷺ وقد ضربَ لي رسول الله ﷺ بسهمي ، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شهد ، وأما قوله : ولم أترك سُنّة عمر ، فإنّي لا أطيقها ولا هو ، فائْتِهِ فحدِّثْهُ بذلك .

حديث آخر

قال البخاري[٤] : حدَّثنا أحمد بن شبيب بن سعيد[٥] ، حدَّثنا أبي ، عن يونس ، قال ابن شهاب : أخبرني عروة أن عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره : أن المِسْور بن مَخْرَمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : ما يمنعكَ أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه ؟ فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة . فقلت : إنَّ لي إليك حاجةً ، وهي نصيحة لك ، فقال : يا أيها المرء منك . قال أبو عبد الله قال معمر : أعوذ بالله منك ـ فانصرفتُ فرجعتُ إليهما إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله بعث محمداً ﷺ بالحقّ وأنزلَ عليه الكتابَ ، وكنتَ ممن استجاب لله ولرسوله ، وهاجرتَ الهجرتين ، وصحبتَ رسول الله ﷺ ورأيتَ هديه ، وقد أكثرَ النَّاسُ في شأن الوليد . فقال : أدركتَ رسول الله ﷺ ؟ قلتُ[٦] : لا ! ولكن خلص إليّ من علمه ما يخلصُ إلى العذراءِ في سِترها ، قال : أما بعد ! فإن الله بعث محمداً بالحق ، وكنتُ ممن استجاب لله ولرسوله ، فآمنت بما بعث به ، وهاجرت الهجرتين كما قلتَ ، وصحبتُ رسولَ الله ﷺ وبايعتُهُ ، فوالله ما عصيتُهُ ولا غششتُهُ حتى توفاه الله

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٦٨) وإسناده حسن .

(٢) في ط : عن عاصم عن سفيان ؛ تحريف .

(٣) في أ : الوليد بن عقبة .

(٤) صحيح البخاري (٣٦٩٦) في فضائل الصحابة .

(٥) في ط : بن سعد ؛ تحريف . وهو من رجال التهذيب .

(٦) في ط : فقلت : وما هنا عن أ والبخاري .

عزَّ وجلَّ ، ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر مثله ، ثم استخلفتُ ، أفليس لي من الحق مثلُ الذي لهم ؟ قلت : بلى ! قال : فما هذه الأحاديث التي تبلغُني عنكم ؟ أمّا ما ذكرت من شأن الوليد فسآخذ[١] فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يجلده فجلده ثمانين .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا أبو المغيرة ، حدَّثنا الوليد بن سليمان[٣] ، حدَّثني ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله بن عامر ، عن النعمان بن بشير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ ، فلما رأينا إقبالَ رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر [كلام][٤] كلَّمه أن ضرب منكبه وقال : « يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني » ثلاثاً . فقلت لها : يا أم المؤمنين ؟ فأين كان هذا عنك ؟ قالت : نسيتُه والله ما ذكرته ، قال : فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرضَ بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين : أن اكتبي إليّ به ، فكتبت إليه به كتاباً .

وقد رواه أبو عبد الله الجَسْري[٥] : عن عائشة وحفصة بنحو ما تقدم .

ورواه قيس بن أبي حازم وأبو سلمة[٦] عنها .

ورواه أبو سهلة : عن عثمان : إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً فأنا صابر نفسي عليه .

ورواه فرج بن فضالة : عن محمد بن الوليد الزبيدي ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة فذكره[٧] ، (قال الدارقطني : تفرد به الفرج بن فضالة) .

ورواه أبو مروان محمد بن[٨] عثمان بن خالد العُثماني[٩] ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة .

---

(١) في البخاري : فسنأخذ .
(٢) مسند الإمام أحمد (٦/ ٨٦ ـ ٨٧) وهو حديث صحيح .
(٣) في الأصول والمطبوع : الوليد بن مسلم ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٤) زيادة من المسند .
(٥) في ط : « الجيري » محرف ، واسمه حميري بن بشير ، من رجال التهذيب .
(٦) في ط : سلمة ؛ تحريف .
(٧) في أ : بنحوه .
(٨) في ط : « عن » محرفة .
(٩) في ط : « العماني » محرف ، وهو من رجال التهذيب .

ورواه ابن عساكر[١] من طريق المنهال بن بحر[٢] ، عن حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة عن أبيه عنها . ورواه ابن أسامة عن الجريري حدَّثني أبو بكر العدوي قال : سألت عائشة ، وذكر عنها نحو ما تقدم ، تفرّد به الفرج بن فضالة . ورواه خصيف : عن مجاهد ، عن عائشة بنحوه .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا محمد بن كناسة[٤] الأسدي أبو يحيى ، حدَّثنا إسحاق[٥] بن سعيد عن أبيه ، قال : بلغني أن عائشة قالت : ما استمعت رسول الله ﷺ إلَّا مرة ، فإن عثمان جاءه في نحر[٦] الظهيرة ، فظننت أنه جاءه في أمر النساء ، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعته يقول : « إن الله ملبسك قميصاً تريدك أمتي على خلعه فلا تخلعه » . فلما رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلَّا خلعه علمت أنه عهد من رسول الله ﷺ الذي عهد إليه .

طريق أخرى

قال الطَّبراني : حدَّثنا مطلب بن سعيد الأزْدي ، حدَّثنا عبد الله بن صالح ، حدَّثنا الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن ربيعة بن سيف ، قال : كنا عند شُفي[٧] الأصبحي فقال : حدَّثنا عبد الله بن عمر قال :

« التفت رسولُ الله ﷺ فقال : يا عثمان كساك الله[٨] قميصاً فأرادكَ الناسُ على خلعِه فلا تَخْلعه ، فوالله لئن خلعتَه لا ترى الجنةَ حتى يلجَ الجملُ في سمّ الخِياط » .

وقد رواه أبو يعلى[٩] من طريق عبد الله بن عمر عن أخته حفصة أم المؤمنين . وفي سياق متنه غرابة والله أعلم .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨٢) مجلد عثمان .

(٢) تحرفت في ط إلى عمر .

(٣) مسند الإمام أحمد (٦/ ١١٤) وهو حديث ضعيف بهذه السياقة ، وقد تقدم بنحوه ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٤) في أ : محمد بن خالد وفي ط : محمد بن كنانة ، كلاهما تحريف . وما هنا عن مسند أحمد وتاريخ دمشق (٢٨١) .

(٥) في أ : أبو إسحاق ؛ خطأ .

(٦) في ط : بحر ؛ تحريف . وما هنا عن أ ومصادره .

(٧) مكان اللفظة بياض في أ .

(٨) في ط : إن الله كساك ، وما هنا عن أ وهو موافق لرواية ابن عساكر .

(٩) في مسنده (٧٠٤٥) .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[(١)] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثتني فاطمة بنت عبد الرحمن قالت : حدَّثتني أمي أنها سألت عائشة وأرسلها عمُّها فقال : قولي إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فإنّ الناسَ قد شتموه ، فقالت :

لعنَ اللهُ من لعنهُ ، فوالله لقد كان قاعداً عند رسول الله ﷺ ، وإن رسولَ الله ﷺ لمسندٌ ظهره إليَّ ، وإنّ جبريلَ ليوحي إليه القرآن ، وإنه ليقول له : « اكتب يا عُثَيْم » قالت عائشة : فما كان الله لينزلَ تلك المنزلة إلَّا كريماً على الله ورسوله .

ثم رواه الإمام أحمد : عن يونس ، عن عمر بن إبراهيم[(٢)] اليشكري ، عن أمه ، أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله .

حديث آخر

قال البزَّار[(٣)] : حدَّثنا عمر بن الخطاب قال : ذكر أبو المغيرة ، عن صفوان بن عمرو ، عن ماعز التميمي ، عن جابر :

أن رسولَ الله ﷺ ذكرَ فتنةً فقال أبو بكر : أنا أدركها ؟ فقال : « لا » ! فقال عمر : أنا يا رسول الله أدركها ؟ قال : « لا » ! فقال عثمان : يا رسول الله فأنا أدركها ؟ قال : « بك يُبْتَلَوْنَ » .

قال البزار : وهذا لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[(٤)] : حدَّثنا أسود بن عامر[(٥)] ، حدَّثنا سنان بن هارون ، حدَّثنا كليب بن وائل ، عن ابن عمر . قال :

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٥٠) والرواية الثانية (٦/ ٢٦١) والخبر أيضاً بالسندين في تاريخ دمشق (٩٢ ـ ٩٣) مجلد عثمان ، وإسناده ضعيف .

(٢) في أ : يونس عن عبد الله بن إبراهيم .

(٣) كشف الأستار (٤/ ٨٩) رقم (٣٢٦٤) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٢/ ١١٥) وهو حديث حسن .

(٥) في ط : عمر ؛ خطأ والتصحيح من أ والمسند .

« ذكر رسول الله ﷺ فتنةً [فمر رجل][١] فقال : « يقتل فيها هذا المُقنَّع يومئذٍ مظلوماً » فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان .

ورواه الترمذي[٢] عن إبراهيم بن سعيد ، عن شاذان به وقال : حسن غريب .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عفَّان ، حدَّثنا وُهيب[٤] ، حدَّثنا موسى بن عقبة ، حدَّثني أبو أمي أبو حبيبة[٥] أنه دخل الدار وعثمانُ محصورٌ فيها ، وأنّه سمع أبا هريرة يستأذنُ عثمانَ في الكلام فأذن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنكم تلقون بعدي فتنةً واختلافاً » ـ أو قال : اختلافاً وفتنةً ـ فقال له قائل من الناس : فمنْ لنا يا رسول الله؟ قال : « عليكم بالأمين[٦] وأصحابه » وهو يشير إلى عثمان بذلك . تفرّد به أحمد وإسناده جيد حسن ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا أبو أسامة حماد[٨] بن أسامة، حدَّثنا كَهْمَس بن الحسن ، عن عبد الله بن شَقيق ، حدَّثني هرمي[٩] بن الحارث وأسامة بن خُرَيم ـ وكانا يغازيان فحدثاني حديثاً ولم يشعر كل واحد منهما أن صاحبه حدَّثنيه عن مرّة البَهزي قال : « بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقال : كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر » قالوا : نصنع ماذا يا رسول الله؟ قال : « عليكم هذا وأصحابه ـ أو اتبعوا هذا وأصحابه ـ » قال : فأسرعتُ حتى عييتُ فأدركتُ الرجلَ فقلتُ : هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذا » فإذا هو عثمانُ بن عفّان . فقال : هذا وأصحابه فذكره .

طريق أخرى

وقال الترمذي[١٠] في « جامعه » : حدَّثنا محمد بن بشار ، حدَّثنا عبد الوهَّاب الثقفي ، حدَّثنا

---

(١) ما بينهما ساقط من أ ، ط .
(٢) جامع الترمذي (٣٧٠٨) في المناقب .
(٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٤٥) .
(٤) في أ : ابن وهيب ، خطأ .
(٥) في ط : أبو حنيفة ؛ تحريف .
(٦) في أ : عليكم بالأمير ؛ تحريف .
(٧) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥) وبهذا السند أيضاً في تاريخ دمشق (٢٦٨) مجلد عثمان .
(٨) في ط : أبو أسامة حدَّثنا حماد . . ؛ خطأ .
(٩) في أ : جرير بن الحارث ؛ تحريف . وفي ط : هرم ؛ وما هنا عن المسند .
(١٠) سنن الترمذي (٣٧٠٤) في الفضائل .

أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أبي الأشعث الصَّنْعاني أن خُطَباء قامت بالشام وفيهم رجالٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ رجل يقال له مُرَّة بن كعب ، فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت ، وذكر الفتن فقرَّبها فمر رجل مُقَنَّع[١] في ثوب ، فقال : « هذا يومئذ على الهدى » فقمت إليه . فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت عليه بوجهه فقلت : هذا؟ قال : « نعم » ! ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عُجْرة[٢] .

قلت : وقد رواه أسد بن موسى ، عن معاوية بن صالح ، حدَّثني سليم بن عامر ، عن جبير بن نفير ، عن مرة بن كعب البَهْزي فذكر نحوه .

وقد رواه الإمام أحمد[٣] عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، عن سليم بن عامر ، عن جبير بن نفير ، عن كعب بن مرة البَهْزي ، الصحيح مرة بن كعب كما تقدم[٤] .

وأما حديث ابن حوالة ، فقال حماد بن سلمة عن سعيد الجريري ، عن عبد الله بن شقيق[٥] ، عن عبد الله بن حوالة . قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنت وفتنة تكون في أقطار الأرض؟ » قلت : ما خار الله لي ورسوله ، قال : « اتبع هذا الرجل ، فإنه يومئذ ومن اتبعه على الحق » قال : فاتبعته فأخذت بمنكبه ففتلته فقلت : هذا يا رسول الله ؟ فقال : « نعم » ! فإذا هو عثمان بن عفان .

وقال حرملة : عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لقيط ، عن ابن حوالة . قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من نجا منهن فقد نجا : موتي ، وخروج الدجال ، وقتل خليفة مصطبر[٦] قوَّام بالحقّ يعطيه » .

وأما حديث كعب بن عجرة .

فقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا إسحاق بن سليمان الرازي ، أخبرني مغيرة بن مسلم[٨] ، عن مطر الوراق ، عن ابن سيرين ، عن كعب بن عجرة قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقرَّبها وعظَّمها ، قال : ثم مرَّ رجلٌ مُقَنَّعٌ في ملحفة فقال : « هذا يومئذٍ على الحق » . قال : فانطلقتُ مُسرعاً أو محضراً

---

(١) في ط : متقنع ؛ وما هنا عن أ وهي موافقة لسنن الترمذي .
(٢) جملة هذه الروايات وغيرها في تاريخ دمشق (٢٦٧ ـ ٢٧٢) مجلد عثمان .
(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٣٦) .
(٤) قال الذهبي في التذهيب (٣٢١) : كعب بن مرة أو عكسه . . . نزيل البصرة ثم الأردن ، صحابي .
(٥) في ط : بزيادة عن عبد الله بن سفيان عن عبد الله بن شقيق ، وما هنا عن المسند أحمد (٤/ ١٠٩) وتاريخ دمشق (٢٧٠) .
(٦) في أ : أو مصطبر .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٤٢) والحديث أيضاً بهذا السند في تاريخ دمشق (٢٧٣) وهو حديث صحيح .
(٨) في ط : معاوية بن سلم ؛ تحريف .

فأخذت بضبعيه[١] فقلت : هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذا » فإذا هو عثمان بن عفان .

ثم رواه أحمد[٢] : عن يزيد بن هارون ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن كعب بن عُجْرة فذكر مثله .

ورواه أبو يعلى : عن هُدْبَة ، عن هَمّام ، عن قتادة ، عن محمد بن سيرين ، عن كعب بن عُجْرة .

وكذا رواه أبو عون : عن ابن سيرين ، عن كعب .

وقد تقدم[٣] حديث أبي ثور الفَهْمي عنه في قوله في الخطبة التي خاطب بها الناس من داره : والله ما تَعنَّيتُ ولا تمنَّيتُ ولا زَنيتُ في جاهلية ولا إسلام ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ، وأنه كان يعتق كل يوم جمعة عتيقاً ، فإن تعذّر عليه أعتق في الجمعة الأخرى عتيقين . وقال مولاه حمران : كان عثمان يغتسل كل يوم منذ أسلم . رضي الله عنه .

حديث آخر

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا علي بن عيَّاش ، حدَّثنا الوليد بن مسلم ، أنبأنا الأوزاعي ، عن محمد بن عبد الملك بن مروان أنه حدَّثَه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصورٌ فقال : إنك إمامُ العامة ، وقد نزلَ بك ما تَرى ، وإني أعرضُ عليكَ خصالاً ثلاثاً اختر إحداهن : إمّا أن تخرجَ فتقاتلهم فإن معك عدداً وقوةً وأنت على الحق وهم على الباطل ، وإما أن نخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق مكة ، فإنهم لن يستحلّوك وأنت بها ، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية . فقال عثمان : أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أولَ من خلفَ رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء ، وأما أن أخرجَ إلى مكة فإنَّهم لن يستحلّوني بها ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُلْحِدُ رجُلٌ من قريشٍ بمكَّة يكون عليه نصفُ عذابِ العالم »[٥] ولن أكون أنا ، وأما أن ألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا أبو المغيرة ، حدَّثنا أرطاة ـ يعني ابن المنذر ـ حدَّثني أبو عون الأنصاري ، أن عثمان قال لابن مسعود : هل أنتَ مُنتهٍ عمَّا بلغني عنْكَ ؟ فاعتذر بعضَ العذر ، فقال عثمان : ويحك ! إني قد سمعتُ وحفظتُ ـ وليس كما سمعتَ ـ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « سيقتل

---

(١) ضبعيه : العضد أو الإبط . حاشية ط .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٤٣) .
(٣) تقدم صفحة (٣٣٠) من هذا الجزء ، وإسناده ضعيف .
(٤) مسند أحمد (١/ ٦٧) وقد تقدم ص(٣٢٩ و٣٣٠) وإسناده ضعيف .
(٥) في أ : أهل الدنيا . مضروباً عليها .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٦٦) .

أميرٌ ، ويَنْـتَزي مُنْـتَزٍ »[١] وإني أنا المقتول ، وليس عمر ، إنما قتل عمر واحد ، إنه يُجْتمعُ عليَّ . وهذا الذي قاله لابن مسعود قبل مقتله بنحو من أربع سنين فإنه ماتَ قبلَه بنحو ذلك .

حديث آخر

قال عبد الله بن أحمد[٢] : حدَّثنا عُبَيْد الله بن عمر القَواريري[٣] ، حدَّثنا القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري ، حدَّثني أبو عبادة الزُّرقي الأنصاري ـ من أهل المدينة ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : شهدتُ عثمان يوم حُصِرَ في موضع الجنائز ، ولو أُلْقي حجرٌ لم يقع إلا على رأس رجل ، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي باب مقام جبريل ، فقال : أيها الناسّ أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفيكم طلحة بن عبيد الله ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فقام طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان : ألا أراك هاهنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع ندائي آخر ثلاث مرات ، ثم لا تجيبني[٤] ؟ أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنتُ أنا وأنتَ مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا ليس معه أحدٌ من أصحابه غيري وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لكَ رسولُ الله ﷺ « إنه ما من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق في الجنة ، وإن عثمان بن عفان هذا ـ يعني نفسه ـ رفيقي في الجنة ؟ » فقال طلحة : اللهم نعم ! . تفرَّدَ به أحمد .

حديث آخر عن طلحة

قال الترمذي[٥] : حدَّثنا أبو هشام الرِّفاعي ، حدَّثنا يحيى بن اليمان ، عن شيخ من بني زهرة ، عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب[٦] ، عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله ﷺ : « لكلِّ نبيّ رفيقٌ ورفيقي في الجنة عثمانُ » ثم قال : هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوي ، وإسناده منقطعٌ .

ورواه أبو مروان[٧] محمد بن عثمان عن أبيه عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة .

وقال الترمذي[٨] : حدَّثنا الفضل بن أبي طالب البغدادي وغير واحد قالوا : حدَّثنا عثمان بن زُفَر ، حدَّثنا محمد بن زياد ، عن محمدبن عجلان ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : أتي النبيُّ ﷺ بجنازة رجل

---

(١) في ط : ويتبرىء متبرّىء ؛ تحريف . والانتزاء : الوثوب وتسرع الإنسان إلى الشر . اللسان (نزا) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٤) وإسناده ضعيف .
(٣) تحرفت في ط إلى : الفربري ، وترجمة القواريري في سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤٢) .
(٤) في ط : ثم لا تجيئني .
(٥) سنن الترمذي (٣٦٩٨) في الفضائل .
(٦) في الأصول والمطبوع : وثاب ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٧) في ط : أبو عثمان ؛ خطأ وما هنا عن أ وتاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (٩٨) . وهو من رجال التهذيب .
(٨) سنن الترمذي (٣٧٠٩) في الفضائل ، وهو أيضاً في تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (١١٩) .

لِيُصلِّي عليه فلم يُصلِّ عليه ، فقيل : يا رسول الله ، ما رأيناك تركت الصلاة على أحدٍ قبل هذا ؟ فقال : « إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عزَّ وجلَّ » ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ، ومحمد بن زياد هذا صاحب ميمون بن مهران ضعيف الحديث جداً ، ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة بصري ثقة ، يكنى أبا الحارث ، ومحمد بن زياد الألهاني(١) صاحب أبي أمامة ثقة شامي يكنى أبا سفيان .

حديث آخر

روى الحافظ ابن عساكر(٢) من حديث أبي مروان العثماني(٣) : حدَّثنا أبي عثمانُ بن خالد ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ لقي عثمان بن عفان على باب المسجد فقال : « يا عثمان ! هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوَّجك أم كلثوم بمثل صداق رقية ، وعلى مثل مصاحبتها » وقد روى ابن عساكر(٤) أيضاً من حديث ابن عباس وعائشة وعمارة بن رُوَيْبة وعصمة بن مالك الخطمي وأنس بن مالك وابن عمر وغيرهم ، وهو غريب ومنكر(٥) من جميع طرقه .

وروي بإسناد ضعيف عن علي(٦) أن رسول الله ﷺ قال « لو كان لي أربعون ابنة لزوجتهن بعثمان واحدة بعد واحدة ، حتى لا يبقى منهن واحدة » .

وقال محمد بن سعيد الأموي : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن المهلب بن أبي صفرة قال : سألتُ أصحابَ رسول الله ﷺ لم قلتم في عثمان : أعلاها(٧) فُوقاً ؟ قالوا : لأنه لم يتزوج رجل من الأولين والآخرين ابنَـتَيْ نبي غيره . رواه ابن عساكر(٨) .

وقال إسماعيل بن عبد الملك(٩) ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه حتى يبدو ضَبْعَيْه(١٠) إلا لعثمان بن عفان ، إذا دعا له .

---

(١) في أ : الإهابي ، تحريف ، وما هنا عن الترمذي ، وترجمة محمد بن زياد الألهاني في تهذيب الكمال (٢١٩/٢٥) وفي السير (١٨٨/٦) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٤) ـ مجلد عثمان ـ .

(٣) في أ : النعماني ؛ تحريف .

(٤) جمع ابن عساكر هذه الروايات في ترجمة عثمان ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥) .

(٥) في أ : وينكر .

(٦) تاريخ دمشق (٣٦ و٣٧) .

(٧) في ط : أعلانا فوقاً ؛ وما هنا عن ابن عساكر . وأعلاها فوقاً : أي خيرنا وأكملنا ، تاماً في الإسلام والسابقة والفضل . اللسان (فوق) .

(٨) تاريخ دمشق (٤٦) .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) الضبْع ـ بسكون الباء ـ العضد . اللسان (ضبع) .

وقال مسعر[١] : عن عطية ، عن أبي سعيد قال : رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول : « اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه » .

وفي رواية يقول لعثمان[٢] : « غفر الله لك ما قدمتَ وما أخرتَ ، وما أسررتَ وما أعلنتَ وما كان منك وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة » .

ورواه الحسن بن عرفة : عن محمد بن القاسم الأسدي ، عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، عن النبي ﷺ مرسلاً .

وقال ابن عدي[٣] : عن أبي يعلى عن عمار أبي ياسر المستملي ، عن إسحاق بن إبراهيم المستملي ، عن أبي إسحاق ، عن أبي وائل ، عن حذيفة : أن رسول الله ﷺ بعث إلى عثمان يستعينه في غزاةٍ غزاها ، فبعث إليه عثمانُ بعشرةِ آلافِ دينارٍ ، فوضعها بين يديه ، فجعل يقلّبها بين يديه ويدعو له : « غفر الله لكَ يا عثمان ما أسررتَ وما أعلنتَ وما أخفيتَ وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها » .

حديث آخر

وقال ليث بن أبي سليم[٤] : أول من خَبَّص الخبيصَ عثمان ، خلطَ بين العسلِ والنَّقِيّ[٥] ثم بعث به إلى رسول الله ﷺ إلى منزل أمّ سلمة ، فلم يصادفه ، فلما جاء وضعوه بين يديه ، فقال ؛ من بعث هذا ؟ قالوا : عثمان : قالت : فرفع يديه إلى السماء فقال : « اللَّهم إنَّ عثمان يترضاك فارض عنه » .

حديث آخر

روى أبو يعلى[٦] عن شيبان بن فروخ ، عن طلحة بن زيد ، عن عبيدة[٧] بن حسان ، عن عطاء الكَيْخاراني ، عن جابر أن رسول الله ﷺ اعتنق عثمان وقال : « أنت وليّ في الدنيا ووليي في الآخرة »[٨] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٨) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الكامل في الضعفاء لابن عدي (١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) وإسناده ضعيف .
(٤) تاريخ دمشق (٤٩) رواه ابن عساكر عن ليث بن أبي سليم مرسلاً ، وهو ضعيف .
(٥) النقيّ : الحُوّارى ، وهو الدقيق الأبيض . اللسان (نقا) .
(٦) مسند أبي يعلى (٤/ ٤٤) والحديث أيضاً في تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (٩٤) .
(٧) في أ : عبيد : خطأ .
(٨) وإسناده ضعيف .

حديث آخر

قال أبو داود الطَّيالسي[١] : حدَّثنا حمّاد بن سلمة وحمّاد بن زيد ، عن الجُرَيْري ، عن عبد الله بن شَقيق[٢] ، عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول الله ﷺ : « تهجمون على رجل مُعْتَجر[٣] ببردةٍ من أهل الجنة ، يبايع الناس » قال فهجمنا على عثمان بن عفان فرأيناه مُعْتجراً يبايع الناس .

[فصل في] ذكر شيء من سيرته وهي دالّة على فضيلته

قال ابن مسعود[٤] : لما توفّي عمر بايعنا خيرنا ولم نأل ، وفي رواية بايعوا خيرهم ولم يألوا .

وقال الأصمعي[٥] : عن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : كان نقش خاتم عثمان آمنت بالذي خلق فسوى .

وقال محمد بن المبارك[٦] بلغني أنه كان نقش خاتم عثمان آمن عثمان بالله العظيم .

وقال البخاري في « التاريخ »[٧] : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا مبارك بن فضالة ، قال : سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان على ما نقموا عليه . قلَّما يأتي على الناس يومٌ إلا وهم يقتسمون فيه خيراً ، يقال لهم : يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم ، فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على السمن والعسل ، الأعطيات جارية ، والأرزاق دارَّةٌ ، والعدو منفيٌّ[٨] ، وذات البين حسن ، والخيرُ كثيرٌ ، وما من مؤمن يخاف مؤمناً ، من[٩] لقيه فهو أخوه من كان أُلفَتُه ونصيحتُه ومودتُه ، قد عُهد إليهم أنها ستكون أثرة[١٠] ، فإذا كانت فاصبروا . قال الحسن : فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير ، قالوا لا والله

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي رقم (٢٢٥٠) .
(٢) سقط عبد الله بن شقيق من المطبوع من مسند الطيالسي ، والصواب ما في البداية والنهاية .
(٣) الاعتجار : لف العمامة دون التلحي . اللسان (عجر) .
(٤) تاريخ دمشق (٢٠٧) .
(٥) المصدر نفسه (٢٠٣) .
(٦) المصدر نفسه (٢٠٤) .
(٧) وهو في تاريخ دمشق لابن عساكر ـ ترجمة عثمان ـ (٢٢٠) .
(٨) في ط : متقي ؛ وما هنا عن أ ومصادره .
(٩) في ط : ومن .
(١٠) أثرة : الاستئثار : الانفراد بالشيء أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء . اللسان (أثر) .

ما[١] نصابرها : فوالله ما وردوا وما سلموا ، والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الإسلام فسلّوه على أنفسهم ، فوالله ما زال مسلولاً إلى يوم الناس هذا ، وايم الله إنّي لأراه سيفاً مسلولاً إلى يوم القيامة .

وقال غيرُ واحد : عن الحسن البصري[٢] قال : سمعت عثمان يأمر في خطبته بذبح الحمام وقتل الكلاب .

وروى سيف بن عمر[٣] : أن أهل المدينة اتخذ بعضهم الحمام ورمى بعضهم بالجلاهقات (فوكل عثمان رجلاً من بني ليث يتبع ذلك ، فيقص الحمام ويكسر الجلاهقات) ـ وهي قسى البندق ـ .

وقال محمد بن سعد[٤] : أنبأنا القعنبي وخالد بن مخلد ، حدَّثنا محمد بن هلال عن جدته ـ وكانت تدخل على عثمان وهو محصور ـ فولدت هلالاً ، ففقدها يوماً فقيل له : إنها قد ولدت هذه الليلة غلاماً ، قالت : فأرسل إليّ بخمسين درهماً وشُقَيْقَة سنبلانية[٥] ، وقال : هذا عطاء ابنك وكسوته ، فإذا مرت به سنة رفعناه إلى مئة .

وروى الزبير بن أبي بكر[٦] : عن محمد بن سلام ، عن ابن دأبٍ[٧] قال : قال ابن سعيد بن يربوع بن عَنْكثة[٨] المخزومي : انطلقت وأنا غلام في الظهيرة ومعي طير أرسله في المسجد ، والمسجد يُبْنى[٩] ، فإذا شيخ جميل حسن الوجه نائم ، تحت رأسه لبنة أو بعض لَبنة ، فقمت أنظر إليه أتعجب من جماله ، ففتح عينيه فقال : من أنت يا غلام ؟ فأخبرته ، فإذا غلام نائم قريباً منه فدعاه فلم يُجْبه ، فقال لي : ادعه ! فدعوته فأمره بشيء، وقال لي : اقعد ! فذهب الغلامُ ، فجاء بحلَّةٍ وجاء بألف درهم ، ونزع ثوبي وألبسني الحلَّة ؟ وجعل الألف درهم فيها ، فرجعت إلى أبي فأخبرته ؟ فقال : يا بُنيَّ منْ فعلَ هذا بك ؟ فقلت : لا أدري إلا أنه رجل في المسجد نائم لم أر قطُّ أحسنَ منه ، قال : ذاك أميرُ المؤمنين عثمانُ بن عفان .

وقال عبد الرزاق[١٠] : عن ابن جريج ، أخبرني يزيد[١١] بن خصيفة ، عن أبي السائب بن يزيد ، أن

---

(١) في أ : لا نصابرها .
(٢) تاريخ دمشق (٢٢٢) .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٨) وتاريخ دمشق (٢٢١) .
(٤) الطبقات الكبرى (٥/ ٢٣) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٢٢١) .
(٥) الشُّقَّةُ : جنس من الثياب وتصغيرها : شُقَيْقة ، وقيل هي نصف ثوب . والسنبلانية : سابغة الطول . اللسان (سنبل وشقق) .
(٦) تاريخ دمشق (٢٢٢) ـ ترجمة عثمان ـ
(٧) في ط : ابن بكار ؛ تحريف . وما هنا عن أ ومصادره .
(٨) في ط : عتكة ؛ تحريف والتصحيح عن تاريخ دمشق (٢٢٢) والاستيعاب (٦٢٦) .
(٩) في ط : بيننا ؛ تحريف . وفي أ : يبنا بالألف الممدودة .
(١٠) مصنف عبد الرزاق (٣/ ٢٤) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٢٢٥ ـ ٢٢٦) .
(١١) في أ : زيد ؛ تحريف .

رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي[١] عن[٢] صلاة طلحة بن عبيد الله [قال : إن شئت] أخبرتك عن صلاة عثمان قال : نعم ! قال : قلت : لأغلبنَّ الليلةَ النفرَ على الحجر ـ يعني المقام ـ فلما قمتُ فإذا رجلٌ يزحمني مُقنَّعاً قال : فالتفت فإذا بعثمان[٣] ، فتأخرت[٤] عنه فصلَّى فإذا هو يسجد بسجود القرآن ، حتى إذا قلت هذا هو أذان الفجر أوتر بركعة لم يصلِّ غيرها ثم انطلق .

وقد روي هذا[٥] من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود ، أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه .

ولهذا روينا عن ابن عمر[٦] أنه قال في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٩] قال : هو عثمان بن عفان . وقال ابن عباس[٧] في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل : ٧٦] قال : هو عثمان .

وقال حسان[٨] : [من البسيط]

ضَحُّوا بأشْمط عُنْوانُ السُّجودِ به   يُقَطِّـعُ اللَّيْـلَ تَسْبيحـاً وقُـرْآنـا

وقال سفيان بن عيينة : حدَّثنا إسرائيل بن موسى ، سمعت الحسن يقول قال عثمان : لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا ، وإني لأكره أن يأتي عليّ يوم لا أنظر في المصحف . وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه .

وقال أنس ومحمد بن سيرين[٩] : قالت امرأة عثمان يوم الدار : اقتلوه أو دعوه ، فوالله لقد كان يحيي الليل بالقرآن في ركعة .

وقال غير واحد[١٠] : إنه رضي الله عنه كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه ، إلا أن يجده يقظاناً[١١] ، وكان يصوم الدهر ، وكان يعاتب فيقال : لو أيقظت بعض الخدم ؟

---

(١) في ط : التميمي ؛ تحريف .
(٢) في ط : أهي صلاة طلحة . . . ، وليست اللفظة لا التي تليها في أ .
(٣) في ط : فإذا بعثمان يزحمني ولم ترد اللفظة في أ .
(٤) في تاريخ دمشق (٢٢٦) فأخرت ؛ وما هنا موافق لراوية عبد الرزاق في مصنفه .
(٥) تاريخ دمشق (٢٢٦) .
(٦) الخبر في تاريخ دمشق (٢٢٤) .
(٧) المصدر نفسه (٢١٠) .
(٨) ديوان حسان (١/ ٩٦) .
(٩) تاريخ دمشق (٢٢٨) .
(١٠) المصدر نفسه (٢٢٩) .
(١١) كذا في الأصلين ، وفي لغتنا اليوم ممنوعة من الصرف .

فيقول : لا ! الليل لهم يستريحون فيه . وكان[١] إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه ، وهو في بيت مغلق عليه ، ولا يرفع صلبه جيداً من شدة حيائه رضي الله عنه .

[فصل في ذكر] شيء من خطبه

قال الواقدي[٢] : حدَّثني إسماعيل بن إبراهيم[٣] بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، عن أبيه .

أن عثمانَ لمّا بويع خرجَ إلى الناس فخطبهم ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أيها النّاس أولُ كلِّ مركبٍ صعبٌ ، وإنَّ بعد اليوم أيّاماً ،وإن أعشْ تأتِكُم الخطبة على وجهها ، وما كنا خطباء وسيُعلمُنا الله .

وقال الحسن : خطبَ عثمان فحمدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! اتَّقوا الله فإنَّ تقوى الله غُنْمٌ ، وإن أكيسَ الناس من دانَ نفسَهُ ، وعملَ لما بعدَ الموتِ ، واكتسب من نورِ اللهِ نوراً لظلْمةِ القَبْرِ ، وليَخْشَ عبدٌ أن يحشرَه الله أعمى ، وقد كان بصيراً ، وقد يلقي الحكيم جوامع الكلم ، والأصمُّ ينادى من مكانٍ بعيدٍ ، واعلموا أنَّ منْ كانَ الله له لم يَخَفْ شيئاً ، ومنْ كانَ الله عليه فمنْ يرجو بعدَه ؟ .

وقال مجاهد : خطب عثمان فقال : ابنَ آدمَ ! ، اعلم أنَّ ملكَ الموتِ الذي وكل بك لم [يزل][٤] يُخْلفكَ ويَتَخطَّى إلى غيركَ منذ أنتَ في الدنيا ، وكأنه قد تَخطَّى غيرَك إليكَ ، وَقَصدكَ ، فخُذْ حِذْرَكَ ، واستعدّ له ، ولا تَغْفُلْ فإنّه لا يَغْفُلُ عنكَ ، واعلم ابنَ آدم إنْ غفلتَ عن نفسكَ ولم تستعدَّ لها لم يستعدّ لها غيرُكَ ، ولا بدَّ من لقاء الله ، فخُذْ لنفسك ولا تَكِلْها إلى غيركَ والسلام .

وقال سيف بن عمر : عن بدر بن عثمان ، عن عمه ، قال : آخر خطبةٍ خطبها عثمانُ في جماعة : إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرةَ ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تَفْنى وإن الآخرة تَبْقى ، لا تُبْطرنكم الفانية ، ولا تشغلنَّكم عن الباقية ، فآثروا ما يَبْقى على ما يَفْنى ، فإنَّ الدنيا منقطعةٌ وإن المصيرَ إلى الله ، اتَّقوا اللهَ فإنَّ تقواه جُنّةٌ من بأسه ، ووسيلةٌ عنده واحذروا من الله الغِيَرَ ، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] إلى آخر الآيتين .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٣٠) .
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٦٢) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٢٣٠) .
(٣) في ط : إبراهيم بن إسماعيل ؛ خطأ . وما هنا عن أ ومصادره . وهو من رجال التهذيب .
(٤) زيادة من تاريخ دمشق (٢٣١) والمطبوع .

فصل

قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا هُشيم ، حدَّثنا محمد بن قيس الأسدي ، عن موسى بن طلحة . قال : سمعت عثمان بن عفان وهو على المنبر والمؤذن يقيم الصلاة وهو يستخبر الناس يسألهم عن أخبارهم ، وأسعارهم(٢) .

وقال أحمد(٣) : حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدَّثنا يونس ـ يعني ابن عُبَيْد ـ حدَّثني عطاء بن فروخ مولى القرشيين :

أن عثمان اشترى من رجلٍ أرضاً فأبطأ عليه فلقيه فقال : ما منعكَ من قبض مالكَ ؟ قال : إنك غَبْنتني ، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني ، قال : أذلك يمنعك ؟ قال : نعم ! قال : فاختر بين أرضكَ ومالكَ ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « أدخل الله الجنةَ رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً ، وقاضياً مقتضياً » .

وروى ابنُ جرير(٤) أنَّ طلحة لقيَ عثمانَ وهو خارجٌ إلى المسجد فقال له طلحة : إن الخمسين ألفاً التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها(٥) ، فقال له عثمان : إنا قد وهبناكها لمروءتك .

وقال الأصمعي(٦) : استعمل ابنُ عامر قَطَنَ بن عوف الهلالي على كرمان ، فأقبل جيشٌ من المسلمين ـ أربعة آلاف ـ وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم ، وخشي قَطَنٌ الفوتَ فقال : من جاز الوادي فله ألفُ درهم ، فحملوا أنفسهم على العوم(٧) ، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قَطنٌ : أعطوه جائزَتَهُ ، حتى جازوا جميعاً وأعطاهم أربعةَ آلافِ ألفِ درهم ، فأبى ابنُ عامر أن يَحْسِبَها له ، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان ، فكتب عثمان : أن ٱحْسِبْها له ، فإنه إنَّما أعانَ المسلمين في سبيل الله . فمن ذلك اليوم سُمِّيتِ الجوائزَ لإجازةِ الوادي ، فقال الكناني في ذلك : [من الوافر]

فِـدَىً لـلأكْـرَميـن بنـي هِـلالٍ   علـى عِـلاتِهِـمْ أهلـي ومـالِـي
هُمُـوا سَنّـوا الجَـوائِـزَ فـي مَعَـدٍّ   فَعـادَتْ سُنّـةً أخـرى اللّيـالـي
رمـاحُهُـمُ تَـزيـدُ علـى ثَمـانٍ   وعَشْـرٍ قَبْـلَ تَـرْكيـبِ النِّصـالِ

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٣) وهو حديث صحيح .
(٢) في ط : وأسفارهم ؛ وما هنا عن المسند .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٥٨) وهو حديث حسن .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) .
(٥) في أ : يقتضيها ، وما هنا عن الطبري .
(٦) الخبر في تاريخ دمشق (٢٢٢ ـ ٢٢٣) والكامل لابن الأثير (٣/ ١٨٤) مع بعض الخلاف في الرواية .
(٧) في أ : على العُظْم ، وما هنا عن مصادره .

فصل : [من مناقبه]

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنَّه جمعَ الناسَ على قراءة واحدةٍ ، وكتب المصحفَ على العرضة الأخيرة ، التي درسَها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سنيِّ حياته ، وكان سبب ذلك أن حُذَيْفَة بن اليَمان كان في بعض الغزوات ، وقد اجتمع فيها خلقٌ من أهل الشام ، ممَّنْ يقرأُ على قراءةِ المِقْدادِ بن الأسْود ، وأبي الدَّرْداء ، وجماعة من أهل العراق ، ممَّنْ يَقْرأُ على قراءة عبد الله بن مسعود ، وأبي موسى ، وجعل من لا يعلم بَسَوغان القراءة على سبعة أحرف ، يفضل قراءته على قراءة غيره ، وربما خَطَّأ الآخر أو كَفَّره ، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد ، وانتشار في الكلام السيء بين الناس ، فركبَ حُذَيْفَة إلى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرِكْ هذه الأمةَ قبلَ أن تختلف في كتابها كاختلافِ اليهود والنصارى في كتبهم . وذكر له مشاهدَ من اختلاف الناس في القراءة ، فعند ذلك جمعَ عثمانُ الصحابةَ وشاورهم في ذلك ، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد ، وأن يجمعَ الناسَ في سائر الأقاليم على القراءة به ، دون ما سواه ، لما رأى في ذلك من مصلحةِ كفِّ المنازعةِ ، ودفعِ الاختلافِ ، فاستدعى بالصُّحف التي كان الصّديقُ أمر زيدَ بن ثابت بجمعها ، فكانت عند الصديق أيام حياته ، ثم كانت عند عمر ، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين ، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتبَ وأن يمليَ عليه سعيدُ بن العاص الأموي ، بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغةِ قريشٍ ، فكتبَ لأهل الشام مصحفاً ، ولأهل مصر آخر ، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر ، وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله ، وأقر بالمدينة مصحفاً . ويقال لهذه[1] المصاحف الأئمة ، وليست كلها بخطّ عثمان ، بل ولا واحد منها ، وإنما هي بخطّ زيد بن ثابت ، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبةً إلى أمره وزمانه ، وإمارته ، كما يقال دينار هرقلي ، أي ضُرب في زمانه ودولته .

قال الواقدي[2] : حدَّثنا ابن أبي سبرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة . ورواه غيره من وجه آخر عن أبي هريرة قال :

لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال : أَصَبْتَ ووُفِّقْتَ ، أشهد لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ أشدَّ أمتي حُبّاً لي قومٌ يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ، يعملون بما في الورق المُعلَّق »[3] فقلت : أيّ ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ، قال : فأعجب ذلك عثمان ، وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف ، وقال : والله ما علمتُ أنك لتحبس علينا حديث نبينا ﷺ .

---

(١) في أ : ويقال لها .

(٢) تاريخ دمشق (٢٣٧) .

(٣) رواه ابن عساكر في ترجمة عثمان صفحة (٢٣٧) من طريق الواقدي ، وهو ضعيف جداً .

ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه ، لئلا يقع بسببه اختلاف .

فقال أبو بكر بن أبي داود ـ في كتاب « المصاحف »[(١)] ـ حدَّثنا محمد بن بشار ، حدَّثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا : حدَّثنا شعبة ، عن علقمة بن مَرْثِد[(٢)] عن رجل عن سُوَيْد بن غَفَلَة قال : قال لي عليٌّ حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعْه هو لصنعته .

وهكذا رواه أبو داود الطَّيالسي[(٣)] وعمرو بن مرزوق ، عن شُعبة مثله .

وقد رواه البَيْهقي[(٤)] وغيره من حديث محمد بن أبان ـ زوجِ أختِ حسين ـ عن علقمة بن مرثد قال : سمعتُ العَيْزار بن جرول سمعت سُويد بن غَفَلَة قال : قال عليٌّ : أيها الناس! إياكم والغُلُوَّ في عثمان تقولون حرّق المصاحف ، والله ما حرّقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلتُ (مثل) الذي فعل .

وقد روي عن ابن مسعود[(٥)] أنه تعتّب لما أخذ منه مصحفه فحرِّق ، وتكلَّم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف ، وأمر أصحابه أن يغلُّوا[(٦)] مصاحفهم ، وتلا قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٦١] فكتب إليه عثمان رضي الله عنه يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك ، وجمع الكلمة ، وعدم الاختلاف ، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال أبو إسحاق : عن عبد الرحمن بن يزيد :

أن عبد الله بن مسعود دخل مسجد منى فقال كم صلَّى أميرُ المؤمنين الظهرَ؟ قالوا : أربعاً ، فصلَّى ابنُ مسعود أربعاً ، فقالوا : ألم تُحدِّثنا أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر صلّوا ركعتين ؟ فقال : نعم ! وأنا أحدثكموه الآن ، ولكني أكره الاختلاف . وفي الصحيح[(٧)] أن ابن مسعود قال : ليت حظي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين .

وقال الأعمش[(٨)] : حدَّثني معاوية بن قرة ـ بواسط ـ عن أشياخه قالوا :

---

(١) المصاحف (١٢) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٢٤١) .
(٢) في أ : يزيد ؛ تحريف وما هنا عن مصادره .
(٣) مسند أبي داود الطيالسي (ص١٩) .
(٤) سنن البيهقي (٩/ ١١٩) والخبر أيضاً بهذا السند في تاريخ دمشق (٢٣٨) .
(٥) خبره في تاريخ دمشق (٢٣٩) .
(٦) في أ : أن تعلق .
(٧) صحيح البخاري (١٠٨٤) تقصير الصلاة ، ومسلم (٦٩٥) (١٩) في صلاة المسافرين .
(٨) الخبر والذي قبله في تاريخ دمشق (٢٤٨ ـ ٢٤٩) .

صلى عثمان الظهر بمنى أربعاً فبلغ ذلك ابن مسعود فعاب عليه ، ثم صلى بأصحابه العصرَ في رَحْلِهِ أربعاً ، فقيل له : عَتبتَ على عثمان وصليتَ أربعاً ؟ فقال : إني أكره الخلاف ـ وفي رواية : الخلاف شر ـ فإذا كان هذا متابعة من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن ؟ والاقتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرؤوا بها لا بغيرها ؟

وقد حكى الزُّهري[١] وغيره : أن عثمان إنما (أتم) خشية على الأعراب أن يعتقدوا أن فرض الصلاة ركعتان ، وقيل : بل قد تأهل بمكة .

فروى أبو يعلى[٢] ، وغيره من حديث عكرمة بن إبراهيم ، حدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ذباب[٣] ، عن أبيه :

أنَّ عثمانَ صلَّى بهم بمنى أربع ركعات ، ثم أقبل عليهم فقال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إذا تزوَّجَ الرجلُ ببلد فهو من أهله » وإني أتممت لأني تزوجتُ بها منذ قدمتها . وهذا الحديث لا يصح ، وقد تزوَّجَ رسول الله ﷺ في عمرة القضاء بميمونة بنت الحارث ولم يتمّ الصلاة ، وقد قيل إن عثمان تأول أنه أمير المؤمنين حيث كان ، وهكذا تأولت عائشة فأتمت ، وفي هذا التأويل نظر ، فإن رسول الله ﷺ هو رسول الله حيث كان ، ومع هذا ما أتمَ الصلاةَ في الأسفار . ومما كان يعتمده عثمان بن عفان أنه كان يُلْزِمُ عُمَّاله بحضور الموسم كلَّ عام ، ويكتب إلى الرعايا : منْ كانتْ له عند أحدٍ منهم مَظْلمةٌ فليوافِ إلى الموسم فإني آخذُ له حقَّه من عامله ، وكان عثمانُ قد سمحَ لكثيرٍ من (كبار) الصحابة في المسير حيث شاؤوا من البلاد ، وكان عمر يحجر عليهم في ذلك ، حتى ولا في الغزو ، ويقول : إني أخاف أن تروا الدنيا وأن يراكم[٤] أبناؤها ، فلما خرجوا في زمان عثمان اجتمع عليهم الناس ، وصار لكل واحد أصحاب ، وطمع كل قوم في تولية صاحبهم الإمارةَ العامةَ بعد عثمان ، فاستعجلوا موته ، واستطالوا حياته ، حتى وقعَ ما وقعَ من بعض أهلِ الأمصار ، كما تقدَّم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العزيز الحكيم ، العلي العظيم .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم

تزوج برُقيّة بنت رسول الله ﷺ فولد له منها عبد الله ، وبه كان يُكنى ، بعدما كان يُكنى في الجاهلية بأبي عمرو .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٤٩) .
(٢) لم أجده في مسند أبي يعلى ، ولعله في الكبير ، والخبر بتمامه في تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان ـ (٢٥٠) .
(٣) في أ : ذياب ؛ تحريف ، وضبطه في تقريب التهذيب (٣١٠) .
(٤) في أ : أن تزول الدنيا أو تراكم .

ثمَّ لما توفيت تزوَّج بأختها أم كلثوم .

ثمَّ توفيت فتزوج بفاختة بنت غزوان بن جابر ، فولد له منها عبيد الله الأصغر .

وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدية ، فولدت له عَمراً ، وخالداً ، وأبانا ، وعمر ، ومريم .

وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية . فولدت له الوليد وسعيداً .

وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ، فولدت له عبد الملك ، ويقال : وعتبة .

وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو ، بنات عثمان .

وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضَمْضَم بن عدي بن حيان بن كليب[1] ، فولدت له مريم ، ويقال : وعنبسة . وقتل رضي الله عنه وعنده أربع : نائلة ، ورملة ، وأم البنين ، وفاختة . ويقال : إنه طلق أم البنين وهو محصور .

فصل

تقدم في دلائل النبوة الحديث الذي رواه الإمام أحمد[2] وأبو داود[3] من حديث سفيان الثَّوري عن منصور عن ربعي بن ناجية الكاهلي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال قال رسول الله ﷺ : « إن رحا الإسلام ستدور لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين ، أو سبع وثلاثين ، فإن تهلك[4] فسبيل ما هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً » قال : فقال عمر يا رسول الله أبما مضى أم بما بقي؟ قال : « بل بما بقي » وفي لفظ له ولأبي داود « تدور رحا الإسلام لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين » الحديث . وكأن هذا الشك من الراوي ، والمحفوظ في نفس الأمر خمس وثلاثون ، فإن فيها قتل أمير المؤمنين عثمان على الصحيح ، وقيل ست وثلاثين ، والصحيح الأول وكانت أمور شنيعة ولكن الله سلَّم ووقى بحوله وقوّته فلم يكن بأسرع من أن بايع الناس علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانتظم الأمر ، واجتمع الشمل ، ولكن جرت[5] بعد ذلك أمورٌ في يوم الجمل وأيام صفين على ما سنبينه إن شاء الله تعالى .

---

(١) في أ : بن خباب بن كلب .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٩٣) وهو حديث صحيح .
(٣) سنن أبي داود (٤٢٥٤) في الفتن والملاحم .
(٤) في أ : يهلك ، وفي المسند : يهلكوا .
(٥) في أ : حدث .

فصل

في ذكر من توفي في زمان دولة[(١)] عثمان ممن لا يعرف وقت وفاته على التعيين [على ما ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي[(٢)]]

أنس بن معاذ[(٣)] بن أنس بن قيس الأنصاري النجاري ، ويقال له أُنَيس أيضاً ، شهد المشاهد كلها رضي الله عنه .

أوس بن الصّامت[(٤)] ، أخو عُبادة بن الصّامت الأنصاريان[(٥)] شهدا بدراً ، وأوس هو زوج المجادلة المذكور في قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] (وامرأته) خولة[(٦)] بنت ثعلبة .

أوس بن خَوَليّ[(٧)] الأنْصاري من بني الحُبْلى ، شهد بدراً ، وهو المنفرد من بين الأنصار بحضور غسل النبي ﷺ ، والنزول مع أهله في قبره ، عليه الصلاة والسلام .

الجدُّ[(٨)] بن قيس[(٩)] ، كان سيداً في الأنصار ، ولكن كان بخيلاً ومتهماً بالنفاق ، يقال إنه شهد بيعة الرضوان فلم يبايع ، واستتر ببعير له ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾ [التوبة : ٩٤] الآية . وقد قيل إنه تاب وأقلع ، فالله أعلم .

الحُطَيْئَة[(١٠)] الشاعر المشهور . قيل اسمه جَرْوَل ويكنى بأبي مُلَيْكَة ، من بني عبس ، أدرك أيام الجاهلية ، وأدرك صدراً من الإسلام ، وكان يطوف في الآفاق يمتدح الرؤساء من الناس ، ويستجديهم ويقال كان بخيلاً مع ذلك ، سافر مرة فودع امرأته فقال لها : [من الكامل]

---

(١) في ط : توفي زمان عثمان . . .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٣٧ ـ ٣٦٢) ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ ط : دار الكتاب العربي .

(٣) ترجمة ـ أنس بن معاذ ـ في الاستيعاب (١/ ١٠٨) وأسد الغابة (١/ ١٥٤) والإصابة (١/ ٧٤) .

(٤) ترجمة ـ أوس بن الصامت ـ في الاستيعاب (١/ ٢١٨) وجامع الأصول (١٣/ ٣٧) وأسد الغابة (١/ ١٧٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠) والوافي (٩/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) وتهذيب التهذيب (١/ ٣٨٣) .

(٥) في أ : الأنصاري .

(٦) في أ : خويلة ؛ تحريف . وترجمتها في الاستيعاب (١٨٣٠) وجامع الأصول (١٣/ ٤٤٨) .

(٧) ترجمة ـ أوس بن خَوَليّ ـ في الاستيعاب (١/ ١١٧) وأسد الغابة (١/ ١٧٠) والإصابة (١/ ٨٤) وخوليّ : محركة وقد تسكن (القاموس خول) .

(٨) في ط : « الحر » وهو تحريف قبيح ، فهو صحابي معروف .

(٩) ترجمة ـ الجدّ بن قيس ـ في الاستيعاب (١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) وأسد الغابة (١/ ٣٢٧) والإصابة (١/ ٢٢٨) .

(١٠) ترجمة ـ الحطيئة ـ في الشعر والشعراء (٣٢٢) والاشتقاق لابن دريد (١٧٠) والأغاني (٢/ ٤١ ـ ٥٩) و(١٩/ ٣٨ ـ ٤٠) والإصابة (٢/ ٦٣ ـ ٦٤) .

عدّي السنينَ إذا خرجتُ لغيبةٍ[١] ودَعــي الشهــورَ فــإنهــنَّ قصــارُ

(وكان مدّاحاً هجّاء ، وله شعر جيد ، ومن شعره ما قاله بين يَدَيْ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاد منه قوله[٢] : [من البسيط]

من يَفْعلِ الخيرَ لم يَعْدَمْ جَوائِزَهُ[٣] لا يَذْهبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنّاسِ)

خُبَيْب بن يساف[٤] بن عتبة الأنصاري أحد من شهد بدراً .

سلمان بن ربيعة الباهلي[٥] ، يقال له صحبةٌ ، كان من الشجعان الأبطال (المذكورين) ، والفرسان المشهورين ، ولّاه عمر قضاء الكوفة ، ثم ولي في زمن عثمان إمرة على قتال الترك ، فقتل ببَلَنْجرَ[٦] ، فقبره هناك في تابوت يستسقي به الترك إذا قحطوا .

عبد الله بن حُذافة بن قيس القُرشي السَّهْمي[٧] ، هاجر هو وأخوه قيس إلى الحبشة ، وكان من سادات الصحابة ، وهو القائل : يا رسول الله من أبي[٨] ؟ ـ وكان إذا لاحى الرجالُ دعي لغير أبيه ـ فقال : « أبوك حذافة »[٩] .

وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى كسرى فدفع كتابه إلى عظيم بصرى فبعث معه من يوصله إلى هرقل[١٠] كما تقدَّم ، وقد أسرته الرومُ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في جملة ثمانين من المسلمين ، فأرادوه على الكفر فأبى عليهم ، فقال له الملك : قبِّل رأسي وأنا أطلقك ومن معك من المسلمين ، فقبَّل رأسه (فأطلقهم ، فلما قدم على عمر قال له : حقٌّ على كل مسلم أن يقبِّل رأسك ، ثم قام عمر فقبَّل رأسه) قبل الناس رضي الله عنه .

عبد الله بن سراقة[١١] بن المعتمر، العدوي صحابي أُحُديٌّ، وزعم الزهريُّ أنه شهد بدراً، فالله أعلم .

---

(١) في أ : إذا حضرت أفيته .
(٢) البيت في ديوانه ـ رواية ابن حبيب ـ (١٠٩) .
(٣) في الديوان : لا يقدم جوازيه . .
(٤) ترجمة ـ خبيب بن يساف ـ في حلية الأولياء (١/ ٣٦٤) والاستيعاب (٣/ ١٨٨) وأسد الغابة (٢/ ١١٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) والإصابة (٣/ ٧٩) .
(٥) ترجمة ـ سليمان بن ربيعة ـ في الاستيعاب (٦٣٢) وأسد الغابة (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦) والإصابة (٢/ ٦١) .
(٦) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب . معجم البلدان (١/ ٤٨٩) .
(٧) ترجمة ـ عبد الله بن حذافة ـ في الاستيعاب (٨٨٨) وأسد الغابة (٢/ ٢١١) وسير أعلام النبلاء (٢/ ١١ ـ ١٦) والإصابة (٢/ ٢٩٦) .
(٨) في أ : من لي يا رسول الله .
(٩) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٩٢) في العلم ، ومسلم في صحيحه (٢٣٥٩) في الفضائل .
(١٠) في أ : كان رسول الله ﷺ بعثه إلى هرقل .
(١١) ترجمة ـ عبد الله بن سراقة بن المعتمر ـ في الاستيعاب (٩١٦) وأسد الغابة (٣/ ٢٥٥) والإصابة (٢/ ٣١٥) .

عبد الله بن قيس[١] بن خالد الأنصاري ، شهد بدراً .

عبد الرحمن بن سهل[٢] بن زيد الأنصاري الحارثي ، شهد أحداً وما بعدها .

وقال ابن عبد البر : شهد بدراً . استعمله عمر على البصرة بعد موت عتبة بن غزوان ، وقد نهشته حية فرقاه عمارة بن حزم ، وهو القائل لأبي بكر ـ وقد جاءته جدتان فأعطى السدس أم الأم وترك الأخرى وهي أم الأب ـ فقال له : أعطيت التي لو ماتت لم ترثها ، (وتركت التي لو ماتت لورثتها) ، فشرَّك بينهما .

عمرو بن سراقة[٣] بن المعتمر العدوي أخو عبد الله بن سراقة ، وهو بدري كبير ، روي أنه جاع مرة فربط حجراً على بطنه من شدة الجوع ، ومشى يومه ذلك إلى الليل ، فأضافه قوم من العرب ومن معه ، فلما شبع قال لأصحابه : كنت أحسب الرِّجْلَيْن يحملان البطن ، فإذا البطن يحمل الرِّجْلَيْن .

عمير بن سعد الأنصاري[٤] الأوسي ، صحابي جليل القدر ، كبير المحل ، كان يقال له نسيجَ وحدِهِ ، لكثرة زهادته وعبادته ، شهد فتحَ الشام مع أبي عُبيدة ، ونابَ بحمص وبدمشق أيضاً في زمان عمر ، فلما كانت خلافةُ عثمان عزله وولّى معاويةَ الشامَ بكماله ، وله أخبار يطول ذكرها .

عروة بن حزام[٥] أبو سعيد العُذري كان شاعراً مُغْرَماً في ابنةِ عمٍ له ، وهي عفراء بنت مهاجر ، يقول فيها الشعر واشتهر بحبها . فارتحل أهلها من الحجاز إلى الشام ، فتبعهم عروة فخطبها إلى عمه فامتنع من تزويجه لفقره ، وزوجها بابن عمها الآخر ، فهلك عروة هذا في محبتها ، وهو مذكور في كتاب « مصارع العشاق »[٦] ، ومن شعره فيها قوله[٧] : [من الطويل]

وما هو[٨] إلا أنْ أراها فُجاءةً ... فأبهتُ حتَّى ما أكادُ أجيبُ
وأُصْرَفُ عن رَأْيي الذي كنت أرتئي ... وأنْسَى الَّذي أعْددتُ حينَ تَغيبُ

قطبة بن عامر[٩] أبو زيد الأنصاري عَقَبيٌّ بَدْري .

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن قيس ـ في الإصابة (٢/ ٣٥٩) .
(٢) ترجمة ـ عبد الرحمن بن سهل ـ في الاستيعاب (٢/ ٨٣٦) وأسد الغابة (٣/ ٤٥٧) والإصابة (٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٢) .
(٣) ترجمة ـ عمرو بن سراقة ـ في الاستيعاب (٣/ ١١٧٦) وأسد الغابة (٤/ ٢٢٧) والإصابة (٣/ ١٧٤) .
(٤) ترجمة ـ عمير بن سعد ـ في الاستيعاب (٣/ ١٢١٥) وجامع الأصول(١٤/ ٥٦٦) وأسد الغابة (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) والإصابة (٣/ ٣٢) .
(٥) ترجمة ـ عروة بن حزام ـ في الشعر والشعراء (٦٢٢) والأغاني (٢٠/ ١٥٢ ـ ١٥٨) .
(٦) كتاب مصارع العشاق لأبي محمد السَّرَّاج .
(٧) البيتان في الشعر والشعراء (٦٢٢ ـ ٦٢٣) .
(٨) في ط : هي .
(٩) ترجمة ـ قطبة بن عامر ـ في الاستيعاب (٢/ ١٢٨٢) وأسد الغابة (٤/ ٤٠٦) والإصابة (٣/ ٢٣٧) .

قيس بن قهد[١] بن قيس بن ثعلبة الأنصاري النجاري ، له حديث في الركعتين قبل الفجر ، وزعم ابن ماكولا أنه شهد بدراً ، قال مصعب الزبيري : هو جد يحيى بن سعيد الأنصاري ، وقال الأكثرون : بل هو جد أبي مريم عبد الغفار بن القاسم الكوفي ، فالله أعلم .

لبيد بن ربيعة[٢] أبو عقيل العامري الشاعر المشهور . صح أن رسول الله ﷺ قال[٣] : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد » . [من الطويل]

ألا كـلُّ شـيءٍ مـا خـلا اللهَ بـاطـلُ وتمام البيت : وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

فقال عثمان بن مظعون : إلا نعيم الجنة ، وقد قيل إنه توفي سنة إحدى وأربعين ، فالله أعلم .

المسيب بن حزن[٤] بن أبي وهب المخزومي ، شهد بيعة الرضوان وهو والد سعيد بن المسيب سيد التابعين .

معاذ بن عمرو بن الجموح[٥] الأنصاري شهد بدراً ، وضرب يومئذ أبا جهل بسيفه فقطع رجله ، وحمل عكرمة بن أبي جهل على معاذ هذا فضربه بالسيف فحل يده من كتفه ، فقاتل بقية يومه وهي معلقة يسحبها خلفه ، قال معاذ : فلما انتهيت وضعت قدمي عليها ثم تمطيت عليها حتى طرحتها رضي الله عنه . (وعاش بعد ذلك إلى هذه السنة سنة خمس وثلاثين) .

محمد بن جعفر[٦] بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي ، ولد لأبيه وهو بالحبشة ، فلما هاجر إلى المدينة سنة خيبر ، وتوفي يوم مؤتة شهيداً ، جاء رسول الله ﷺ إلى منزلهم فقال لأمهم أسماء بنت عميس : « إيتيني ببني أخي » فجيء بهم كأنهم أفرخ فجعل يقبّلهم ، ويشمهم ويبكي ، فبكت أمهم فقال : « أتخافين عليهم العيلة وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ » ثم أمر الحلاق فحلق رؤوسهم[٧] . وقد

---

(١) في ط : بن مهدي ؛ تحريف . وترجمة ـ قيس بن قهد ـ في الإكمال (٧/ ٧٧) والاستيعاب (١٢٩٨) وأسد الغابة (٤/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) والإصابة (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .

(٢) ترجمة ـ لبيد بن ربيعة ـ في طبقات فحول الشعراء (١٢٣) والشعر والشعراء (٢٧٤) والأغاني (١٥/ ٣٦١) والاستيعاب (١٣٣٥) وجامع الأصول (١٥/ ١٤٤) وأسد الغابة (٤/ ٥١٤) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧١) والإصابة (٣/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٨ و٤٤٤) والبخاري في صحيحه (٣٨٤١) في مناقب الأنصار ، ومسلم (٢٢٥٦) في الشعر من حديث أبي هريرة .

(٤) ترجمة ـ المسيب بن حزن ـ في الاستيعاب (١٤٠٠) وأسد الغابة (٥/ ١٧٧) وجامع الأصول (١٥/ ١٩٦) والإصابة (٣/ ٤٢٠) .

(٥) ترجمة ـ معاذ بن عمرو ـ في الاستيعاب (١٤١٣) وجامع الأصول (١٥/ ٢٠٤) وأسد الغابة (٥/ ٢٠٥) والإصابة (٣/ ٤٣١) .

(٦) ترجمة ـ محمد بن جعفر ـ في الاستيعاب (١٣٦٧) وأسد الغابة (٥/ ٨٣ ـ ٨٤) والإصابة (٣/ ٣٧٢) .

(٧) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٠٤) والنسائي في سننه (٨/ ١٨٢) في الزينة .

مات محمد وهو شاب في أيام عثمان كما ذكرنا ، وزعم ابن عبد البر[١] أنه توفي في تستر ، فالله أعلم .

معبد بن العباس[٢] بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ ، قتل شاباً بإفريقية من بلاد المغرب .

مُعَيْقيب بن أبي فاطمة الدَّوْسي[٣] ، صاحب خاتم النبي ﷺ ، قيل توفي في أيام عثمان ، وقيل قبل ذلك ، وقيل سنة أربعين ، والله أعلم .

منقذ بن عمرو الأنصاري[٤] ، أحد بني مازن بن النجار ، كان قد أصابته آمَّة[٥] في رأسه فكسرت لسانه ، وضعف عقله ، وكان يكثر من البيع والشراء ، فقال له النبي ﷺ[٦] : « من بايعت فقل لا خِلابة ، ثم أنت بالخيار في كل ما تشتريه ثلاثة أيام » قال الشافعي : كان مخصصاً بإثبات الخيار ثلاثة في كل بيع ، سواء اشترط الخيار أم لا .

نعيم بن مسعود[٧] ، أبو سلمة الغطفاني ، وهو الذي خذَّل بين الأحزاب وبين بني قريظة كما قدمناه ، فله بذلك اليد البيضاء ، والراية العليا .

أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي[٨] ، الشاعر ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد موت النبي ﷺ ، وشهد يوم السقيفة وصلى على النبي ﷺ ، وكان أشعر هذيل ، وهذيل أشعر العرب ، وهو القائل[٩] : [من الكامل]

وإذا المَنيَّةُ أنشَبَتْ أظْفَارها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَميمةٍ لا تَنْفعُ
وتَجلُّدي للشّامتينَ أريهمُ ... أنّي لِرَيْب الدَّهْرِ لا أتَضَعْضَعُ

توفي غازياً بإفريقية في خلافة عثمان .

أبو رهم سبرة بن عبد العزى القرشي الشاعر ذكره في هذا الفصل محمد بن سعد وحده[١٠] .

---

(١) الاستيعاب (١٣٦٨) .
(٢) ترجمة ـ معبد بن العباس ـ في الاستيعاب (١٤٢٧) وأسد الغابة (٥/ ٢٢٠) والإصابة (٣/ ٤٧٥) .
(٣) ترجمة ـ ميعقيب بن أبي فاطمة ـ في الاستيعاب (١٤٧٨) وجامع الأصول (١٥/ ٢١٤) وأسد الغابة (٥/ ٢٤٠) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٢) والإصابة (٣/ ٤٥١) .
(٤) ترجمة ـ منقذ بن عمرو ـ في الاستيعاب (١٤٥١) وأسد الغابة (٥/ ٢٧٣) والإصابة (٣/ ٤٦٤) .
(٥) وفي (أ) : آفة ، وفي الاستيعاب وأسد الغابة : ضربة ، والأمّة ـ بتشديد الميم ـ الضربة التي تبلغ أم الرأس .
(٦) الحديث في مسند الإمام أحمد (٢/ ٧٢) عن ابن عمر ورواه البخاري رقم (٢١١٧) ومسلم رقم (١٥٣٣) .
(٧) ترجمة ـ نعيم بن مسعود ـ في الاستيعاب (١٥٠٨) وأسد الغابة (٥/ ٣٤٨) والإصابة (٣/ ٥٦٨) .
(٨) ترجمة ـ أبي ذؤيب ـ في الشعر والشعراء (٦٥٣) والأغاني (٦/ ٥٦ ـ ٦١) والاستيعاب (١٤٤٨) والإصابة (٤/ ٦٥) .
(٩) أشعار الهذليين (٣) .
(١٠) لم نقف عليه في المطبوع من طبقاته .

أبو زبيد الطائي[١] ، الشاعر ، اسمه حرملة بن المنذر (كان نصرانياً) وكان يجالس الوليد بن عقبة فأدخله على عثمان فاستنشده شيئاً من شعره ، فأنشده قصيدة له في الأسد بديعة ، فقال له عثمان : تفتأ تذكر الأسد ما حييت ؟ إني لأحسبك جباناً نصرانياً .

أبو سبرة بن أبي رهم العامري[٢] ، أخو أبي سلمة بن عبد الأسد ، أمهما برة بنت عبد المطلب ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وما بعدها ، قال الزبير : لا نعلم بدرياً سكن مكة بعد النبي ﷺ سواه ، قال : وأهله ببدر في ذلك .

أبو لبابة[٣] بن عبد المنذر أحد نقباء ليلة العقبة ، وقيل إنه توفي في خلافة علي ، والله أعلم .

أبو هاشم بن عتبة تقدم وفاته في سنة إحدى وعشرين ، وقيل في خلافة عثمان ، والله أعلم[٤] .

***

(١) ترجمة ـ أبي زبيد ـ في الشعر والشعراء (٣٠١ ـ ٣٠٤) والأغاني (١١/ ٢٣ ـ ٣٠) والاشتقاق (٢٣١) والإصابة (٢/ ٦٠) .

(٢) ترجمة ـ أبي سبرة ـ في الاستيعاب (١٦٦٦) وأسد الغابة (٦/ ١٣٠) والإصابة (٤/ ٨٤) .

(٣) ترجمة ـ أبي لبابة ـ في الاستيعاب (١٧٤٠) واسد الغابة (٦/ ٢٦٠) والإصابة (٤/ ١٦٨) .

(٤) بهذه اللفظة ينتهي الجزء الخامس من الكتاب ، ويبدأ الجزء السادس ، وعلى صفحة غلافه جملة التمليكات والتحبيسات، وعليه ختم المدرسة الأحمدية بحلب ، وعلى الصفحة الأولى وقف عليها . والنسخة مختلفة عن سابقتها بالترقيم ، وبالخط ، وبالتعليقات التي تمتلىء بها الهوامش وسنثبت في الحواشي ما نجده ذا فائدة منها إن شاء الله تعالى .

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[١] رضي الله عنه

ولنذكر شيئاً[٢] من ترجمته على سبيل الاختصار قبل ذلك .

هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ واسمه عبد مناف ـ بن عبد المطلب ـ واسمه شيبة ـ بن هاشم ـ واسمه عمرو ـ بن عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ بن قصي ـ واسمه زيد بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضر بن نِزار بن مَعدّ بن عدنان ، أبـو الحسن والحسين ، ويكنى بأبي تراب ، وأبي القاسم[٣] الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وختنه[٤] على ابنته فاطمة الزهراء . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي ، ويقال : إنَّها أولُ هاشميةٍ ولدت هاشمياً[٥] . وكان له من الأخوة : طالبٌ ، وعقيلٌ ، وجعفرٌ[٦] ، وكانوا أكبرَ منه ، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين ، له أختان ؛ أم هانىء وجمانة ، وكلهم من فاطمة بنت أسد ، وقد أسلمت وهاجرت . وكان عليٌّ أحدَ العشرةِ المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان ممن توفي رسول الله ﷺ [وهو] راضٍ عنهم . وكان رابعَ الخلفاء الراشدين وكان رجلاً آدمَ شديد الأدمة أشكل العينين عظيمهما ، ذو بطن ، أصلع ، وهو إلى القصر أقرب ، وكان عظيم اللحية ، قد ملأت صدره ومنكبيه ، أبيضها ، وكان كثيرَ شعر الصَّدْرِ والكتفين ، حسنَ الوجه ، ضحوكَ السّنِّ ، خفيف المشي على الأرض . أسلم عليٌّ قديماً ، وهو ابن سبع ، وقيل (ابن) ثمان ، وقيل تسع ، وقيل عشر ، وقيل إحدى عشرة ، وقيل اثنتي عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ،

---

(١) ترجمة ـ الإمام علي كرم الله وجهه ـ في نسب قريش (٣٩) وحلية الأولياء (١/ ٦١) والاستيعاب (١٠٨٩) وجامع الأصول (٩/١٢) وفيه قائمة بمصادره ، وأسد الغابة (٩١/٤) وتاريخ دمشق لابن عساكر (مجلد منفرد) ومختصر تاريخ دمشق (٢٩٧/١٧) و(٥/١٨ ـ ٩٩) وتاريخ الإسلام (مجلد الخلفاء الراشدين) والإصابة (٥٠٧/٢ ـ ٥١٠) .

(٢) في أ : شيء ، وما هنا للسياق النحوي .

(٣) في أ : وأبي القضم .

(٤) في هامش أ : يعني زوج بنته .

(٥) في أ : هاشمي ؛ وما هنا للسياق .

(٦) بعدها في أ : وحرث .

وقيل أربع عشرة ، وقيل (ابن) خمس عشرة ، أو ست عشرة سنة قاله عبد الرزاق[١] عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن .

ويقال إنه أول من أسلم[٢] من الغلمان ، كما أن خديجة أول من أسلمت[٣] من النساء ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار[٤] .

وكان سبب إسلام عليّ صغيراً أنه كان في كفالة رسول الله ﷺ ، لأنه كان قد أصابتهم سنةُ مجاعةٍ ، فأخذه من أبيه ، فكان عنده[٥] ، فلما بعثه الله بالحقّ آمنت خديجة وأهل البيت ومن جملتهم علي ، وكان الإيمان النافع المتعدي نفعه إلى الناس إيمان الصّدّيق رضي الله عنه .

وقد ورد عن علي أنه قال : أنا أولُ من أسلم . ولا يصحّ إسناده إليه . وقد رُوي في هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساكر[٦] [وهي] كثيرة منكرة لا يصحّ شيءٌ منها ، والله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد[٧] من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، سمعت أبا حمزة ـ رجلاً من موالي الأنصار ـ قال : سمعت زيد بن أرقم يقول :

أول من أسلم مع رسول الله ﷺ عليٌّ . وفي رواية أول من صلَّى . قال عمرو : فذكرت ذلك للنَّخعي فأنكره ، وقال : أبو بكر أول من أسلم[٨] .

وقال محمد بن كعب القرظي : أول من آمن من النساء خديجة وأول رجلين آمنا أبو بكر وعلي ، ولكن كان أبو بكر يظهر إيمانه وعلي يكتم إيمانه .

قلت : يعني خوفاً من أبيه ، ثم أمره أبوه بمتابعة ابن عمه ونصرَته ، وهاجر عليٌّ بعد خروج رسول الله ﷺ من مكة وكان قد أمره بقضاء ديونه وردّ ودائعه ، ثم يلحق به ، فامتثل ما أمره به ، ثم هاجر ، وآخى النبي ﷺ . بينه وبين سهل بن حنيف .

وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين نفسه[٩] ، وقد

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٢٥) .
(٢) زيدت بعدها في ط : والصحيح أنه أول من أسلم .
(٣) في أ : أسلم .
(٤) في هامش أ : وقف مدرسة الأحمدية بحلب المحمية .
(٥) في أ : فكان في كفالته لما بعثه الله .
(٦) تاريخ دمشق (٤/ ٤٢) وما بعدها .
(٧) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٨) فقد صححه الإمام الترمذي (٣٧٣٥) في المناقب .
(٨) في هامش أ : يمكن التوفيق بين هذين القولين مما سبق آنفاً في بيان أول من آمن . قلت : يقصد أن أبا بكر أول من آمن من الرجال ، وعلياً أول من آمن من الغلمان .
(٩) في أ : ولا يصح .

ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها لضعف أسانيدها ، ورِكَّة بعض متونها .

فإنَّ في بعضها : « أنت أخي ووارثي وخليفتي وخير من أُمِّر بعدي » وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت في الصحيحين[١] وغيرهما ، والله أعلم[٢] .

وقد شهد علي بدراً وكانت له اليدُ البيضاء فيها ، بارز يومئذ فغلب وظهر وفيه ، وفي عمه حمزة وابن عمه عبيدة بن الحارث وخصومهم الثلاثة ـ عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ـ نزل قوله تعالى : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج : ١٩] الآية . وقال الحكم وغيره عن مِقْسَم عن ابن عباس قال[٣] : دفعَ النبيُّ الرايةَ يوم بدرٍ إلى عليّ وهو ابن عشرين سنة .

وقال الحسن بن عرفة : (حدَّثني) عمار بن محمد ، عن سعيد بن محمد الحنظلي ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال :

نادى منادٍ في السماء يومَ بدر يُقال له رضوان : لا سيفَ إلا ذو الفقار ولا فتىً إلا علي .

قال ابن عساكر[٤] : وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه من علي بعد ذلك .

وقال يونس بن بُكَيْر : عن مسعر[٥] ، عن أبي عوف عن أبي صالح عن علي قال : قيل لي يوم بدر ولأبي بكر قيل لأحدنا معك[٦] جبريل ومع الآخر ميكائيل قال وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون في الصف . وشهد عليٌّ أُحُداً وكان على الميمنة ومعه الراية بعد مصعب بن عمير ، وعلى الميسرة المنذر بن عمرو الأنصاري ، وحمزة بن عبد المطلب على القلب ، وعلى الرَّجَّالة الزبير بن العوام وقيل المقداد بن الأسود ، وقد قاتل علي يوم أحد[٧] قتالاً شديداً ، وقتل خلقاً كثيراً من المشركين ، وغسل عن وجه النبي ﷺ الدم الذي كان أصابه من الجراح حين شُجَّ في وجهه[٨] وكُسرتْ[٩] رباعيتُه ، وشهدَ يوم الخندق فقَتلَ يومئذ فارسَ العرب ، وأحدَ شجعانهم المشاهير ، عمرو بن عَبْد ودٍّ العامري ، كما قدّمنا ذلك في غزوة الخندق ، وشهدَ الحُدَيْبية وبيعةَ الرِّضْوان ، وشهدَ خيبرَ وكانت له بها مواقفُ هائلةٌ ،

---

(١) في أ : في الصحيح وغيرها .
(٢) في هامش أ : مطلب الأحاديث الواقعة في حق علي وأنها موضوعة .
(٣) المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٣١١) .
(٤) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ١٥٨) .
(٥) في أ : مسعود .
(٦) في أ : مع أحدكما جبريل .
(٧) في هامش أ : بيان يوم أحد .
(٨) في أ : الدم حين شج يومئذ في رأسه .
(٩) في هامش أ : معطوف على قوله : وشهد علي بدراً .

ومشاهد طائلة ، منها أنَّ رسول الله ﷺ قال[١] : « لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ الله ورسولَه ، ويحبُّه الله ورسولُه » فباتَ الناس [ليلتهم] يدوكون أيّهم يعطاها ، فدعا علياً ـ وكان أرمدَ ـ فدعا له ، وبصقَ في عينه فلم يرمد بعدها ، فبرأ وأعطاه الرايةَ ، ففتح الله على يديه ، وقتل مرحباً[٢] اليهودي .

وذكر محمد بن إسحاق[٣] : عن عبد الله بن حسن عن بعض أهله عن أبي رافع أن يهودياً ضرب علياً فطرح ترسه ، فتناول باباً عند الحصن فتترس به ، فلم يزل في يده حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه من يده ، قال أبو رافع : فلقد رأيتني أنا وسبعة (معي) نجتهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع .

وقال ليث : عن أبي جعفر عن جابر أن علياً حمل الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، فلم يحمله إلا أربعون رجلاً .

ومنها أنه قتل مرحباً فارس يهود وشجعانهم .

وشهد عليٌّ عمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ[٤] : « أنت مني ، وأنا منك » وأما [ما] يذكره كثير من القصاص في مقاتلة عليّ[٥] الجن في بئر ذات العلم ـ وهو بئر قريب من الجحفة ـ فلا أصل له ، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يغتر به[٦] .

وشهد الفتح وحنيناً والطائف ، وقاتل في هذه المشاهد قتالاً كثيراً ، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله ﷺ ولما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك واستخلفه على المدينة ، قال له : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال[٧] : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » .

وبعثه رسول الله ﷺ أميراً وحاكماً على اليمن ، ومعه خالد بن الوليد ، ثم وافى رسول الله ﷺ عام [حجة] الوداع ، إلى مكة ، وساق معه هدياً ، وأهلَّ كإهلال النبيّ ﷺ ، فأشركه في هَدْيِهِ ، واستمرَّ على

---

(١) الحديث رواه سهل بن سعد وغيره من الصحابة ، وأخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٠١) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٣٣) .
(٢) في هامش أ : المرحب : ملك اليهود .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٤٥) .
(٤) الحديث رواه البراء بن عازب وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٩٨) والبخاري في صحيحه (١٨٤٤) في جزاء الصيد .
(٥) في ط : وما يذكره كثير من القصاص في مقاتلة الجن . .
(٦) في أ : فلا يعتبر به .
(٧) الحديث عن ابن عباس وغيره أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٣١) والبخاري في صحيحه (٣٧٠٦) في فضائل الصحابة .

إحرامه ، (ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما كما تقدم) ولما مرض رسول الله ﷺ قال له العباس : سلْ رسولَ الله ﷺ فيمن الأمر بعده ؟ فقال : والله لا أسأله فإنه إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً ، والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة ، بل لوّح بذكرِ الصدِّيقِ ؛ وأشار [إشارة] مفهمة ظاهرة جداً إليه ، كما قدمنا ذلك ولله الحمد .

وأما ما يفتريه كثيرٌ من جَهَلَةِ الشِّيعة والقصاص (الأغبياء) ، من أنه أوصى إلى عليٍّ بالخلافة ، فكذبٌ وبهتٌ وافتراءٌ عظيمٌ يلزمُ منه خطأٌ كبيرٌ ، من تخوين[١] الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى منْ أوصى إليه ، وصرفهم إياها إلى غيره ، لا لمعنى ولا لسبب ، وكلُّ مؤمنٍ بالله ورسوله متحقق[٢] أنّ دينَ الإسلام هو الحق ، يعلم بطلان هذا الافتراء ، لأنّ الصحابةَ كانوا خيرَ الخلقِ بعد الأنبياء ، وهم خيرُ قرون هذه الأمة ، التي هي أشرفُ الأمم بنصّ القرآن ؛ وإجماع السلف والخلف ، في الدنيا والآخرة ، (ولله الحمد) .

وما قد يقصُّه بعضُ القُصّاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعليّ في الآداب والأخلاق[٣] في المأكل والمشرب والملبس مثل ما يقولون : يا علي لا تعتمّ وأنت قاعد ، يا علي لا تلبس سراويلك وأنت قائم ، يا علي لا تمسك عضادتي الباب ، ولا تجلس على أُسْكُفَّة الباب ، ولا تُخيّطْ ثوبك وهو عليك ، ونحو ذلك ، كل ذلك من الهذيانات ، فلا أصل لشيء منه[٤] ، بل هو اختلاق[٥] (بعض السَّفلة الجَهلة ، ولا يعوّل على ذلك ويغتر به إلا غبي عيي) .

ثم لما مات رسول الله ﷺ كان عليٌّ من جملة من غسله وكفنه وولي دفنه كما تقدم ذلك (مفصلاً ولله الحمد والمنة) . وسيأتي في باب فضائله ذكر تزويج رسول الله ﷺ له من فاطمة بعد وقعة بدر فولد له منها حسن وحسين ومحسن (كما قدّمنا) . وقد وردت أحاديثُ في ذلك لا يصحّ شيء منها بل أكثرها من وضع الروافض والقصاص .

ولما بويع الصديقُ يومَ السقيفة كان علي من جملة من بايعَ بالمسجد (كما قدّمنا) . وكان بين يدي الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضاً عليه ، وأحب الأشياء إليه .

ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر ـ وكانت قد تغضبت بعض الشيء[٦] على أبي بكر بسبب الميراث الذي فاتها من أبيها عليه السلام ، ولم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون ، فلما

(١) في أ : جور الصحابة وتماليهم .
(٢) في ط : يتحقق .
(٣) في أ : بآداب وأخلاق .
(٤) في أ : فلا أصل له .
(٥) في أ : اختلاق وكذب وزور .
(٦) في أ : بعض التغضب .

بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظراً على هذه[١] الصدقة ، فأبى ذلك عليها ، فبقي في نفسها شيء كما قدّمنا ، واحتاج عليّ أن يداريها بعض المداراة ، فلما توفيت جدد البيعةَ مع الصديق رضي الله عنهما ، فلما توفي أبو بكر وقام عمر في الخلافة بوصية أبي بكر إليه بذلك : كان علي من جملة من بايعه ، وكان معه يشاوره في الأمور ، ويقال إنه استقضاه في أيام خلافته ، وقدم معه من جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام ؛ وشهد خطبته بالجابية ، فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى في ستةٍ أحدُهم عليٌّ ، (ثم خلص منهم بعثمان وعلي كما قدمنا) ، فقدم عثمان على عليٍّ ، فسمع وأطاع .

فلما قُتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرةَ خلت من ذي الحجة سنة خمسٍ[٢] وثلاثين على المشهور ، عدل الناس إلى علي فبايعوه ، قبل أن يدفن عثمان . وقيل بعد دفنه كما تقدم ، وقد امتنع علي من إجابتهم[٣] إلى قبول الأمارة حتى تكرر قولهم له وفر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبذول ، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه ، وجاءوا معهم بطلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير ، ولم يزالوا به حتى أجاب .

ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة

يقال : إنَّ أولَ من بايعه طلحةُ بيده اليُمنى وكانت شَلَّاءَ[٤] من يوم أُحدٍ ـ لما وقى بها رسولَ الله ﷺ ـ فقال بعضُ القوم : والله إن هذا الأمر لا يتمّ ، وخرج عليٌّ إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزارٌ وعمامةُ خزٍّ ونعلاه في يده ، يتوكّأ على قوسه ، فبايَعه عامَّةُ الناس ، وذلك يوم السَّبت التاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، ويقال : إن طلحة والزبير إنما بايعاه بعد أن طلبهما وسألاه أن يؤمِّرهما على البصرة والكوفة ، فقال لهما : بل تكونان عندي أستأنسُ بكما .

ومن الناس من يزعم أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار ، منهم حَسَّان بن ثابتٍ ، وكعبُ بن مالكٍ ، ومسلمة بن مخلدٍ ، وأبو سعيد ، ومحمد بن مسلمة ، والنُّعمان بن بَشير ، وزيدُ بن ثابتٍ ، ورافع بن خديجٍ ، وفضالةُ بن عبيد ، وكعب بن عُجْرة .

ذكره ابن جرير[٥] من طريق المدائني ، عن شيخ من بني هاشم ، عن عبد الله بن الحسن .

قال المدائني : حدَّثني منْ سمع الزهري يقول : هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا

---

(١) في هامش أ : وصرّح في « رحمة الأمة في اختلاف الأئمة » حيث قال : إن الأنبياء لا يورثون وإن ما تركوه صدقة في مصالح المسلمين ، ولم يخالف في ذلك إلا الشيعة . لمحرره .

(٢) في أ : خمسة ، تحريف .

(٣) في أ : مبايعتهم وفرّ منهم إلى بني عمرو بن مبذول وأغلق بابه ، وامتنع من قبول الإمارة حتى تقرر قولهم في الناس .

(٤) في هامش أ : تعليق لا يتضح منها إلا بعض كلمات .

(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٩ـ٤٣٠) .

علياً ، ولم يبايعه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن سلام ، والمغيرة بن شعبة .

قلت : وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام .

وقال الواقدي[١] : بايع الناسُ علياً بالمدينة، وتربص سبعة نفر لم يبايعوا ، منهم ابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص، وصهيب، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن أبي مسلمة ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، وأسامة بن زيد ، ولم يتخلَّف أحدٌ من الأنصار إلَّا بايع فيما نعلم .

وذكر سيف بن عمر[٢] عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيتِ المدينةُ خمسةَ أيامٍ بعد مقتل عثمان وأميرُها الغافقيُّ بن حرب ، يلتمسون منْ يُجيبهم إلى القيام بالأمر . والمصريون يلحُّون على عليّ وهو يهربُ منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزُّبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم ، فقالوا فيما بينهم لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا : إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم ، ثم راحوا[٣] إلى ابن عمر فأبى عليهم ، فحاروا في أمرهم ، ثم قالوا : إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناسُ في أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا إلى عليٍّ فألحوا عليه ، وأخذ الأشترُ بيده فبايعه وبايعه الناسُ .

وأهل الكوفةِ يقولون : أولُ من بايعه الأشترُ النَّخعي وذلك يوم الخميس الرابعُ والعشرون من ذي الحجة ، وذلك بعد مراجعة الناس له في ذلك ، وكلهم يقول : لا يصلح لها إلا عليّ ، فلما كان يوم الجمعة وصعد (عليٌّ) المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء ، فقال قائل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم الزبير ، ثم قال الزبير : إنما بايعت علياً واللج على عنقي والسلام[٤] ، ثم راح إلى مكة فأقام أربعة أشهر ، وكانت هذه البيعة يوم الجمعة لخمسٍ[٥] بقين من ذي الحجة .

وكان أول خطبةٍ[٦] خطبها أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بيَّن فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشرَّ ، إن الله حَرَّم حُرَماً [غير] مجهولة ، وفَضَّلَ حُرْمةَ المُسلم على الحُرَم كلِّها ، وشدَّ بالإخلاصِ والتوحيدِ حقوقَ المسلمين ، والمسلمُ من سلم المسلمون[٧] من لسانه ويده إلَّا بالحقّ ، لا يحلّ لمسلم أذى مسلم إلا بما يجبُ ، بادروا أمر العامة ، وخاصَّة أحدكم الموت[٨] ، فإنّ

(١) المصدر نفسه (٤/ ٤٣١) .
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٣٢) .
(٣) في أ : جاؤوا .
(٤) في أ : بايعت والسلاح عليّ ثم راح .
(٥) في ط : لخمسة .
(٦) الخطبة في تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٦) .
(٧) في تاريخ الطبري : الناس .
(٨) في أ : بالموت .

الناسَ أمامكم ، وإنما خلفَكم الساعة تحدوكم فتخففوا تلحقوا ، فإنما ينتظر بالناس أخراهم ، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده ، فإنكم مسؤولون (حتى) عن البقاع والبهائم ، (ثم) أطيعوا الله ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به (وإذا رأيتم الشرّ فدعوه) ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال : ٢٦] **الآية .**

فلما فرغ من خطبته قال المصريون[١] : [من الرجز]

خُذْها إلَيْكَ واحْذَرَنْ أبا الحَسَنْ ... إنّا نُمِرُّ الأمْرَ إمْرارَ الرَّسَنْ
صَوْلَةُ آساد كآسادِ السُّفُنْ ... بمَشْرفياتٍ كغُدْرانِ اللَّبَنْ
ونَطْعنُ المُلْكَ بلَيْنٍ كالشَّطَنْ ... حَتَّى يُمرَّنَّ على غَيْرِ عَنَنْ

فقال علي مجيباً لهم[٢] :

إنّي عجزتُ عَجْزةً لا أعْتَذِرْ ... سوفَ أكيسُ بَعْدها وأسْتمِرْ
أرْفَعُ منْ ذَيْليَ ما كُنتُ أجُرْ ... وأجْمَعُ الأمْرَ[٣] الشَّتيتَ المُنْتشرْ
إن لمْ يُشاغِبْني (العَجول) المُنْتَصِرْ ... أن يَتْركُوني[٤] والسِّلاحُ يُبْتدرْ

وكان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة ، و (على) الحرب القعقاع بن عمرو ، وعلى الخراج جابر بن فلان المزني ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وقد تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة ، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان ، ونوابه على حمص عبدُ الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قِنَّسرين حبيبُ بن مَسْلَمَة ، وعلى الأردنّ أبو الأعور ، وعلى فلسطين حكيم بن علقمة ، وعلى أَذْرَبيجان الأشعثُ بن قيس ، وعلى قَرْقيسيا جريرُ بن عبد الله البجلي ، وعلى حُلْوان عُتَيْبة[٥] بن النَّهّاس ، وعلى قيسارية[٦] مالك بن حبيب ، وعلى همذان حبيش[٧] ، هذا ما ذكره ابن جرير من نواب عثمان الذين توفي وهم نواب الأمصار ، وكان على بيت المال عقبة بن عمرو ، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت .

ولما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مُضَمَّخٌ بدمه ، ومعه أصابع نائلة

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٧) وقد جاءت الأشعار مضطربة في أ .
(٢) ديوان الإمام علي (٩٩) .
(٣) في أ : وأجمع السهل .
(٤) في الديوان : إن لم يباغتني . . . أو تتركوني .
(٥) في أ : عبد الله بن النهاس ؛ خطأ . وما هنا موافق للطبري (٤/ ٤٢٢) .
(٦) في تاريخ الطبري : ماه .
(٧) في أ : حبيش بن . . وفي الطبري النّسير .

التي أُصيبتْ حين حاجَفَتْ[١] عنه بيدها ، فقُطعتْ مع بعض الكفّ فورد به على معاوية بالشام ، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس ، وعلق الأصابع في كم القميص ، وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه ، فتباكى الناس حول المنبر ، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة ، والناس يتباكون حوله سنة ، وحث[٢] بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره ، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام ، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرِّضون الناسَ على المطالبة بدم عثمان ، ممَّن قتله من أولئك الخوارج : منهم عُبادة بن الصّامِت ، وأبو الدَّرداء ، وأبو أمامة ، وعمرو بن عَبَسَة[٣] وغيرهم من الصحابة ، ومن التابعين : شريك بن حباشة ، وأبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن غَنْم ، وغيرهم من التابعين . ولما استقرَّ أمرُ بيعة عليٍّ دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم ، وطلبوا (منه) إقامة الحدود ، والأخذ بدم عثمان . فاعتذر إليهم بأنَّ هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا ، فطلب منه الزبير أن يوليه إمرةَ الكوفة ليأتيه بالجنود ، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرةَ البصرة ، ليأتيه منها بالجنود ليقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج ، وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في قتل عثمان رضي الله عنه ، فقال لهما : مهلاً[٤] عليَّ ، حتى أنظر في هذا الأمر . ودخل عليه المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له : إني أرى أن تُقرَّ عمالكَ على البلاد ، فإذا أتتكَ طاعتُهم استبدلتَ بعد ذلك بمن شئت وتركتَ منْ شئت ، ثم جاءه من الغد ، فقال له : إني أرى أن تعزلهم لتعلمَ من يُطيعكَ (ممن يعصيك) ، فعرضَ ذلك عليّ على ابن عباس فقال : لقد نصحك بالأمس وغشَّك اليومَ ، فبلغ ذلك المغيرةَ فقال : نعم نصحتُه فلما لم يقبل غششتُه ثم خرج المغيرة فلحق بمكة ، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير : وكانوا قد استأذنوا عليّاً في الاعتمار فأذن لهم ، ثم إنّ ابن عباس أشار على عليٍّ باستمرار نوابه في البلاد ، إلى أن[٥] يتمكن الأمر ، وأن يقر معاوية خصوصاً على الشام وقال له : إني أخشى إن عزلته عنها أن يطلبك[٦] بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يتكلما[٧] عليك بسبب ذلك ، فقال علي : إني لا أرى هذا ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد ولَّيتُكَها ، فقال ابن عباس لعلي : إنّي أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يحبسني لقرابتي منك ، ولكن اكتب (معي) إلى معاوية فمنِّه وعِدْهُ ، فقال علي : والله

(١) حاجفت : أي دافعت . اللسان (حجف) .

(٢) في أ : يحث .

(٣) في ط : عنبسة ؛ تحريف ، وترجمة ابن عَبَسة في الاستيعاب (١١٩٢) وجامع الأصول (١٤/ ٥٥) وأسد الغابة (٤/ ٢٥١) والإصابة (٣/ ٥ـ٦) .

(٤) في أ : امهلا .

(٥) في أ : إلى حين .

(٦) في أ : يطالبك .

(٧) في أ : أن ينكرا .

إنَّ هذا ما لا يكون أبداً، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين : « الحرب خدعة »[١] كما قال رسول الله ﷺ، فوالله لئن أطعتني لأوردنهم بعد صدرهم[٢] ونهى ابن عباس علياً فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسِّنون إليه الرحيل[٣] إلى العراق ، ومفارقة المدينة ، فأبى عليه ذلك كله ، وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة قصد قسطنطين بن هرقل بلاد المسلمين في ألف مركب ، فأرسل الله عليه قاصفاً من الريح فغَرَّقه الله بحوله وقوته ، ومن معه ، ولم ينج منهم أحد إلا الملك في شرذمة قليلة من قومه ، فلما دخل صقلية عملوا له حماماً (فدخله) فقتلوه فيه ، وقالوا : أنت قتلت رجالنا .

ثُمَّ دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة

استهلت هذه السنة وقد توَلَّى أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب الخلافةَ ، وولَّى على الأمصار نواباً ، فولى عبيد الله[٥] بن عباس على اليمن ، وولى سمرة بن جندب[٦] على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة ، وقيس بن سعد بن عبادة[٧] على مصر ، وعلى الشام سهل بن حُنَيْف بدل معاوية ، فسار حتى بلغ تبوك فتلقَّتْهُ خيلُ معاوية ، فقالوا : منْ أنْتَ ؟ فقال : أميرٌ ، قالوا : على أيِّ شيءٍ ؟ قال : على الشام ، فقالوا : إن كان عثمانُ بعثَكَ فحيَّهلا بك ، وإن كانَ غيرُه فارجعْ . فقال : أوما سمعتُم الذي كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع إلى عليٍّ .

وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهلُ مصر فبايع له الجمهور ، وقالت طائفةٌ : لا نبايعُ حتى نقتُلَ قتلةَ عثمان ، وكذلك أهل البصرة .

وأما عمارة بن شهاب المبعوثُ أميراً على الكوفة فصدَّه عنها طلحةُ بن خُوَيْلد غضباً لعثمان ، فرجعَ إلى عليٍّ فأخبره .

---

(١) حديث « الحرب خدعة » من رواية ابن عباس أخرجه ابن ماجه (٢٨٣٤) وأبو يعلى (٢٥٠٤) وإسناده ضعيف جداً فيه مطر بن ميمون متروك . لكن متن الحديث صحيح عن عدد من الصحابة ، ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري ، فهو في الصحيحين ؛ البخاري (٣٠٣٠) ، ومسلم (١٧٣٩) (بشار) .
(٢) في أ : صدورهم .
(٣) في أ : الدخول .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٤١) .
(٥) في ط : عبد الله ، تحريف ، والتصحيح من أ والطبري .
(٦) هكذا قال ، وهو وهم بين فإن سمرة لم يتول لعلي رضي الله عنه ، وإنما استخلفه عليها زياد بن أبيه ، وفي تاريخ الطبري : عثمان بن حنيف ، وهو الصواب وهو كذلك في السير للذهبي (٢/ ٣٢٢) وغيره ، وسيأتي في أثناء الكلام أنه عثمان بن حنيف .
(٧) في أ : عباد .

وانتشرت الفتنة وتفاقمَ الأمرُ ، واختلفت الكلمةُ ، وكتب أبو موسى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم .

وبعث عليٌّ إلى معاوية كتباً كثيرة فلم يرد عليه جوابها[١] ، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر ، ثم بعث معاوية طوماراً[٢] مع رجلٍ فدخل به على عليٍّ فقال : ما وراءك ؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود[٣] كلهم موتور[٤] ، تركت ستين ألف[٥] شيخ يبكون تحت قميص عثمان ، وهو على منبر دمشق ، فقال عليٌّ : اللهم إنّي أبرأ إليك من دم عثمان ، ثم خرج رسول معاوية من بين يدي عليٍّ فهمّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله ، فما أفلتَ إلا بعدَ جهدٍ .

وعزم عليٌّ رضي الله عنه على قتالِ أهلِ الشامِ ، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناسَ لقتالهم ، وإلى أبي موسى بالكوفة ، وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك ، وخطبَ الناسَ فحثَّهم على ذلك . وعزم على التّجهُّزِ ، وخرج من المدينة ، واستخلف عليها قُثَمَ بن العباس ، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه منْ عصاه ، وخرج عن أمره (ولم يبايعه مع الناس) ، وجاء إليه ابنهُ الحسنُ بن علي فقال : يا أبتِ دَعْ هذا فإنّ فيه سفكَ دماءِ المسلمين ، ووقوع الاختلاف بينهم ، فلم يقبل منه ذلك ، بل صمم على القتال ، ورتب الجيش ، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية ، وجعل ابن العباس على الميمنة ، وعمر[٦] بن أبي سلمة على الميسرة ، وقيل : (جعل على الميسرة) عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر[٧] بن الجراح ، ابن أخي أبي عبيدة ، واستخلف (على المدينة) قُثَمَ بن العباس ، ولم يبقَ شيء إلا أن يخرج (من المدينة) قاصداً (إلى) الشام ، حتى جاءه[٨] ما شغله عن ذلك كله وهو ما سنورده .

ابتداء وقعة الجمل

ولما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق ، وكان أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين) قد خرجْنَ إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة ، فلما بلغ الناسَ أنَّ عثمانَ قد قُتل ، أقمنَ بمكةَ بعد ما خرجوا منها ،

---

(١) في أ : لها جوابها .
(٢) الطامور والطومار : الصحيفة . القاموس (طمر) .
(٣) القود ـ محركة ـ القصاص . القاموس (قود) .
(٤) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك يومه . القاموس (وتر) .
(٥) في ط : سبعين ، والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤٤٤) .
(٦) في ط : وعمرو ؛ خطأ وما هنا عن الطبري (٤/ ٤٤٥) .
(٧) في ط : عمرو ؛ خطأ .
(٨) في أ : من .

(ورجعوا إليها وأقاموا بها) وجعلوا ينتظرون ما يصنع (الناس ويتحسسون الأخبار) فلما بُويع لعلي وصار حظ الناس عنده ـ بحكم الحال وغلبة الرأي ، لا عن اختيار منه لذلك ـ رؤوس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان، مع أن علياً في نفس الأمر يكرههم ، ولكنه تربص بهم الدوائر ، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم ، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه ، وحجبوا عنه (عِلْيَةَ) الصحابة فرّ جماعةٌ من بني أمية وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحةُ والزبيرُ في الاعتمار، فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهم خلقٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ ، وكان علي لما عزم على قتال أهل الشام قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبَوْا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر بن الخطاب وحرَّضه على الخروج معه ، فقال : إنما أنا رجلٌ من أهل المدينة ، إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، ولكن لا أخرج للقتال في هذا العام ، ثم تجهَّز ابنُ عمر وخرج إلى مكة .

وقدم إلى مكة (أيضاً في) هذا العام يَعْلى بن أمية من اليمن ، ـ وكان عاملاً عليها لعثمان ـ ومعه ستمئة بعير وستمئة ألف (درهم)، وقدم إليها عبد الله بن عامر من البصرة ، وكان نائبها لعثمان ، فاجتمع فيها[١] خلق من سادات الصحابة وأمهات المؤمنين ، فقامت عائشة رضي الله عنها في الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان ، وذكرتْ ما افْتاتَ به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام[٢] ، ولم يراقبوا جوار رسول الله ﷺ وقد سفكوا الدماء ، وأخذوا الأموال . فاستجاب الناس لها ، وطاوعوها على ما تراه من الأمر (بالمصلحة) ، وقالوا لها : حيثما سرتِ سرنا معك ، فقال قائل : نذهب إلى الشام ، فقال بعضهم : إن معاوية قد كفاكم أمرها ، ولو قدموها لغلبوا ، واجتمع الأمر كله لهم ، لأن أكابر الصحابة معهم . وقال آخرون : نذهب إلى المدينة فنطلب من علي أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا ، وقال آخرون : بل نذهب إلى البصرة فنتقوى (من هنالك) بالخيل والرجال ، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان . فاتفق الرأي على ذلك ، وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على المسير إلى المدينة[٣] ، فلما اتفق الناس على المسير إلى البصرة رجعن عن ذلك وقلن : لا نسير إلى غير المدينة ، وجهز الناس يعلى بن أمية فأنفق فيهم ستمئة بعير وستمئة ألف درهم[٤] ، وجهزهم ابن عامر أيضاً بمال كثير ، وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة ، فمنعها أخوها عبد الله من ذلك ، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة ، وسار الناسُ صحبةَ عائشةَ في ألفِ فارسٍ ، وقيل تسعمئة (فارس) من أهل المدينة ومكة ، وتلاحق بهم آخرون ، فصاروا في ثلاثة آلاف ، وأم المؤمنين[٥] عائشة تُحْملُ في

---

(١) في أ : فاجتمع بها .
(٢) في أ : في بلد نبي الله في الشهر الحرام .
(٣) في أ : إلى البصرة .
(٤) في أ : ستمئة ألف وستمئة بعير .
(٥) في أ : وأم المؤمنين تحمل ـ وتحت السطر ـ : أي عائشة رضي الله عنها .

هَوْدجٍ على جملٍ اسمه عسكر ، اشتراه يعلى بن أمية من رجل من عرينة بمئتي دينار ، وقيل بثمانين ديناراً ، وقيل غير ذلك ، وسار معها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق ففارقنها هنالك وبكين للوداع ، وتباكى الناس ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم النحيب ، وسار الناس قاصدين البصرة ، وكان الذي يُصلِّي بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد الله بن الزبير ، ومروان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات[(١)] ، وقد مروا في مسيرهم ليلاً بماء يقال له الحَوْأَب[(٢)] ، فنبحتهم كلابٌ عنده ، فلما سمعتْ ذلك عائشة قالت : ما اسم هذا المكان قالوا الحَوْأب ، فضربتْ بإحدى يديها على الأخرى وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أظنني إلا راجعة ، قالوا : ولم ؟ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول (لنسائه) : « ليت شعري أيتكن التي تنبحها كلاب الحَوْأَب »[(٣)] ، ثم ضربت عضدَ بعيرها فأناخته ، وقالت : ردّوني ردّوني ، وأنا والله صاحبة ماء الحَوْأب .

وقد أوردنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في دلائل النبوة . كما سبق ، فأناخ الناس حولها يوماً وليلة ، وقال لها عبد الله بن الزبير : إن الذي أخبرك أن هذا ماء الحَوْأَب قد كذب ، ثم قال الناس : النجا النجا ، هذا جيش علي بن أبي طالب ، قد أقبل ؛ فارتحلوا نحو البصرة ، فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رؤوس الناس ، أنها قد قدمت ، فبعث عثمانُ بن حُنَيْف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي[(٤)] إليها ليعلما ما جاءت له ، فلما قدما عليها سلّما عليها واستعلما منها ما جاءت له ، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان ، لأنه قُتل مظلوماً في شهر حرام وبلدٍ حرام . وتلت قوله تعالى : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٤] فخرجا من عندها فجاءا إلى طلحة فقالا له : ما أقدمكَ ؟ فقال : الطلبُ بدم عثمان ، فقالا : ما بايعت علياً ؟ قال : بلى والسيف على عنقي ، ولا أستقيله إن هو لم يُخلِ بيننا وبين قتلةِ عثمان . فذهبا إلى الزبير فقال مثل ذلك ، قال : فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حُنَيْف ، فقال أبو الأسود[(٥)] : [من الرجز]

يا بنَ حُنَيْفٍ[(٦)] قد أُتيتَ فانْفرِ وطاعنِ القَوْمَ وجالِدْ واصْبِرِ
وَاخرجْ لَهُمْ مُسْتَلْئِماً وَشَمِّرِ[(٧)]

---

(١) في هامش أ : مطلب إما عسكر عائشة عبد الله بن الزبير ومروان مؤذنهم .

(٢) في أ : الحوب . وفي معجم ما استعجم (٢/ ٤٧٢) : الحؤب ، وتخفف الهمزة فيقال : الحوب ؛ وهو ماء قريب من البصرة على طريق مكة إليها .

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده (٦/ ٥٢ ـ ٩٧) وأبو يعلى (٤٨٦٨) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١٥/ ١٢٦) رقم (٦٧٣٢) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤١٠) وهو حديث صحيح .

(٤) في أ : الديلي .

(٥) الأشطر في تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٣) .

(٦) في ط : يا ابن الأحنف ، ولا يستقيم بها الوزن .

(٧) لم يرد هذا الشطر في أ ، وروايته في تاريخ الطبري : وابرز لهم مستلئماً وشمّر .

فقال عثمان بن حُنَيْف : إنا لله وإنا إليه راجعون ، دارت رحا الإسلام ورب الكعبة ، فانظروا بأي زَيَفانٍ نزيف[١] ، فقال عمران : إي والله لَنَعْرُكَنَّكُمْ عركاً طويلاً . يشير[٢] عثمان بن حنيف إلى حديث ابن مسعود مرفوعاً « تدور رحا الإسلام لخمس وثلاثين » الحديث كما تقدم ، ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين : أَشِرْ عَلَيَّ ، فقال : أعتزل فإني قاعدٌ في منزلي ، أو قال : قاعد على بعيري ، فذهب . فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتيَ أميرُ المؤمنين ، فنادى في الناس يأمرهم بلبس السلاح والاجتماع في المسجد ، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهُّز .

فقام رجل[٣] (وعثمان على المنبر) فقال : أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤوا خائفين فقد جاؤوا من بلد يأمنُ فيه الطيرُ ، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته ، فأطيعوني وردُّوهم من حيث جاؤوا .

فقام الأسود بن سريع السعدي[٤] فقال : إنَّما جاؤوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منّا ومن غيرنا ، فحصبه الناس ، فعلم عثمان بن حُنَيْف أن لقتلة عثمان بالبصرة أنصاراً ، فكره ذلك .

وقدمت أم المؤمنين بمن معها من الناس ، فنزلوا المِرْبد من أعلاه قريباً من البصرة ، وخرج إليها من أهل البصرة منْ أرادَ أن يكونَ معها[٥] ، وخرج عثمان بن حُنَيْف بالجيش ، فاجتمعوا بالمِرْبَد ، فتكلَّم طلحة ـ وكان على الميمنة ـ فندب إلى الأخذ بثأر عثمان ، والطَّلب بدمه ، وتابعه الزُّبَيْر فتكلَّم بمثل مقالته ، فردَّ عليهما ناسٌ من جيش عثمان بن حُنَيْف[٦] ، وتكلَّمت أم المؤمنين فحرَّضَتْ وحثّتْ على القتال ، فتناور طوائف من أطراف الجيش فترامَوْا بالحجارة ، ثم تحاجزَ الناسُ ، ورجعَ كلُّ فريقٍ إلى حَوْزَتِهِ ، وقد صارت طائفةٌ من جيش عثمان بن حُنَيْف إلى جيش عائشة ، فكثروا .

وجاء حارثة بن قدامة السعدي فقال : يا أم المؤمنين! والله لقتلُ عثمان أهونُ من خروجكِ من بيتكِ على هذا الجمل عرضةً للسلاح ، إن كنتِ أتيتنا طائعةً فارجعي من حيثُ جئتِ إلى منزلك ، وإن كنتِ أتيتنا مكرهةً فاستعيني بالناس في الرجوع .

وأقبل حكيم بن جبلة ـ وكان على خيل عثمان بن حُنَيف ـ فأنشب القتال وجعل أصحابُ أمِّ المؤمنين يكفُّون أيديهم ويمتنعون من القتال ، وجعل حكيمٌ يقتحمُ عليهم فاقتتلوا على فم السّكّةِ ، وأمرت عائشةُ أصحابها فتيامنوا حتى انتهَوْا إلى مقبرة بني مازن ، وحجزَ الليلُ بينهم .

---

(١) في أ : بأي زيفان زيف أنتم فقال عمران . .
(٢) هذا التعليق من ابن كثير رحمه الله .
(٣) هو قيس بن العَقَديّة الحُميسي كما في الطبري (٤/ ٤٦٣) .
(٤) في أ : الأسود بن سريع ، والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٣) .
(٥) في أ : وخرج إليها من أراد من أهل البصرة فكان منها .
(٦) في أ : حبيش بن حنيف .

فلما كان اليوم الثاني قَصَدوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، إلى أن زالَ النهارُ ، وقُتل خلقٌ كثيرٌ من أصحاب ابن حُنَيْف ، وكثرت الجراح في الفريقين ، فلما عضتهم الحرب تداعَوْا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتاباً ويبعثوا رسولاً إلى أهل المدينة يسأل أهلها ، إن كان طلحة والزبير أُكرها على البيعة ، خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها ، وإن لم يكونا أكرها على البيعة خرج طلحة والزبير عنها وأخلوها لهم ، وبعثوا بذلك كعبَ بن سُور القاضي ، فقدمَ المدينة يومَ الجمعة ، فقام في الناس ، فسألهم : هل بايعَ طلحةُ والزبيرُ طائعين أو مُكْرهين؟ فسكت الناس فلم يتكلم إلا أسامة بن زيد، فقال: بل كانا مُكْرهين، فثار إليه بعض الناس فأرادوا ضربه ، فحاجف[١] دونه صهيبٌ ، وأبو أيوب ، وجماعة حتى خلصوه ؛ وقالوا له : ما وسعك ما وسعنا من السكوت[٢] ؟ فقال : لا والله ما كنت أرى أن الأمر ينتهي إلى هذا .

وكتب عليٌّ إلى عثمان بن حُنَيْف يقول له : إنهما لم يكرها على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلعَ فلا عذرَ لهما ، وإن كانا يريدان غيرَ ذلك نظرا ونظرنا ، وقدم كعب بن سُور على عثمان بكتاب عليٍّ ، فقال عثمان : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، وبعث طلحة والزبير إلى عثمان بن حُنَيْف أن يخرج إليهما فأبى ، فجمعا الرجالَ في ليلةٍ مظلمةٍ وشهدا بهم صلاةَ العشاء في المسجد الجامع ، ولم يخرج عثمان بن حنيف[٣] تلك الليلة ، فصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، ووقع من رعاع الناس من أهل البصرة كلام وضرب ، فقتل منهم نحواً [من] أربعين رجلاً ، ودخل الناسُ على عثمان بن حنيف قصرَهُ فأخرجوه إلى طلحة والزبير ، ولم يبقَ في وجهه شعرة إلا نتفوها ، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلماها الخبرَ ، فأمرت أن يُخلى سبيله ، فأطلقوه وولَّوْا على بيتِ المال عبد الرحمن بن أبي بكر ، وقسم طلحة والزبير أموالَ بيتِ المال في الناس وفضَّلوا أهلَ الطاعة ، وأكبَّ عليهم الناسُ يأخذون أرزاقهم ، وأخذوا الحرسَ ، واسْتبَدُّوا في الأمر بالبصرة ، فحمي لذلك جماعةٌ من قوم قتلةِ عثمانَ وأنصارهم ، فركبوا في جيشٍ قريبٍ من ثلاثمئة ، ومقدّمُهُم حكيم بن جبلة ، وهو أحدُ من باشر قتلَ عثمان ، فبارزوا وقاتلوا ، فضربَ رجلٌ رِجلَ حكيم بن جبلة فقطعها ، فزحف حتى أخذها وضربَ بها ضاربه فقتله ثم اتَّكأ عليه وجعل يقول[٤] : [من مجزوء الرجز]

يا ساق[٥] لن تُراعي إنَّ لـــكِ ذراعــــي
أحمي بها كُراعي[٦]

(١) حاجفت فلاناً إذا عارضته ودافعته . اللسان (حجف) .

(٢) الصحيح أن طلحة والزبير بايعا عليًّا رضي الله عنهم غير مكرهين ، انظر « صحيح الطبري » (٣/٤٠٦) ط دار ابن كثير ، و« الانصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف » للدكتور حامد خليفة ص (٣٠٨) .

(٣) في أ : ولم يخرج ابن حنيف .

(٤) الأشطر في الطبري (٤/٤٧١) .

(٥) في الطبري : يا فخذ .

(٦) في أ : ذراعي .

وقال أيضاً[١] : [من الرجز]

فليسَ عليٌّ أنْ أموتَ عارُ والعارُ في النّاسِ هو الفِرارُ
والمَجْدُ لا يَفْضحُهُ الدَّمارُ

فمر عليه رجل وهو مُتَّكِئ برأسه على ذلك الرجل ، فقال له : منْ قتلكَ ؟ فقال له : وسادتي . ثم مات حكيم قتيلاً هو ونحوٌ من سبعين من قَتلةِ عثمانَ وأنصارهم (أهل المدينة) ، فضعف جأشُ منْ خالفَ طلحةَ والزبير من أهل البصرة .

ويقال : إنَّ أهل البصرة بايعوا طلحةَ والزبيرَ ، وندب الزبيرُ ألفَ فارسٍ يأخذها معه ، ويلتقي بها عليًّا قبل أن يجيء فلم يجبه أحد ، وكتبوا بذلك إلى أهل الشام يبشّرونهم بذلك ، وقد كانت هذه الوقعةُ لخمسٍ ليالٍ بقينَ من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين[٢] **.**

وقد كتبت عائشة إلى زيد بن صُوحان تدعوه إلى نصرتها والقيام معها فإنْ لم يَجيء فليكفَّ يده وليلزم منزله ، أي : لا يكون عليها ولا لها ، فقال : أنا في نصرتك ما دمت في منزلك ، وأبى أن يطيعها في ذلك ، وقال : رحمَ اللهُ أمَّ المؤمنين ، أمرَها اللهُ أن تلزمَ بيتَها وأمرنا أن نقاتل ، فخرجت من منزلها وأمرتنا بلزوم بيوتنا التي كانت هي أحقّ بذلك منا ، وكتبت (عائشة) إلى أهل اليمامة والكوفة بمثل ذلك .

[ذكر] مسير [أمير المؤمنين]
علي بن أبي طالب من المدينة إلى البصرة بدلاً[٣] من [مسيره إلى] الشام

بعد أن كان قد تجهَّز قاصداً الشام كما ذكرنا ، فلما بلغه قَصْدُ طلحة والزبير البصرةَ ، خطبَ الناسَ وحثَّهم على المسير إلى البصرة ليمنعَ أولئك من دخولها ، إن أمكن ، أو يطردَهم عنها إن كانوا قد دخلوها ، فتثاقل عنه أكثرُ أهل المدينة ، واستجابَ له بعضُهم .

قال الشعبي : ما نهض معه في هذا الأمر غيرُ ستة نفرٍ من البَدْريّين ليس لهم سابع . وقال غيره : أربعة .

وذكر ابن جرير[٤] **وغيره قال : كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التّيهان ، وأبو قتادة الأنصاري ، وزياد بن حنظلة ، وخزيمة بن ثابت . قالوا : وليس بذي الشهادتين ، ذاك مات في زمن عثمان رضي الله عنه .**

وسار علي من المدينة نحو البصرة على تعبئته المتقدم ذكرها ، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن

---

(١) الأشطر في الطبري (٤/ ٤٧١) .
(٢) ضعيف الطبري (٨/ ٦٦٥) وفي سنده سليمان بن أرقم ، وهو ضعيف ، وفي المتن نكارة .
(٣) في أ : عن مسيره .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٧٧) .

عباس (وعلى) مكة قُثَم بن عبّاس وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

وخرجَ (علي من المدينة) في نحو من تسعمئة مقاتل ، وقد لقي عبد الله بن سلام رضي الله عنه علياً وهو بالرَّبَذَةِ[١] ، فأخذ بعنان فرسه وقال : يا أمير المؤمنين! لا تخرج (منها) فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ، فسبَّه بعض الناس ، فقال علي : دعوه فنعمَ الرجلُ من أصحاب النبي ﷺ .

وجاء الحسن بن علي إلى أبيه في الطريق فقال : لقد نهيتُكَ فعَصَيْتني تُقْتلُ غداً بمضيعةٍ لا ناصر لك . فقال له علي : إنك لا تزال تحنّ عليَّ حنينَ الجارية ، وما الذي نهيتَني عنه فعَصْيتُكَ ؟ فقال : ألم آمرك قبل مَقْتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها ، فيقول قائل أو يتحدث متحدث ؟ ألم آمرك أن لا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم ؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فعصيتني في ذلك (كله) ؟ فقال له علي : أما قولك أني خرجت[٢] قبل مقتل عثمان فلقد أُحيط بنا كما أُحيط به ، وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الأمصار فكرهتُ أن يضيعَ هذا الأمر ، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه . فتريد مني[٣] أن أكونَ كالضَّبع التي يحاط بها ، ويقال ليست هاهنا ، حتى يشق عرقوبها فتخرج ، فإذا لم أنظر فيما يلزمني في هذا الأمر ويعنيني ، فمن ينظر فيه ؟ فكُفَّ عنّي يا بنيّ ، ولمّا انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة (من الأمر الذي قدمنا) كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر ، إني قد اخترتكم على (أهل) الأمصار ، فرغبت إليكم وفزعت لما حدث ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً ، وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود[٤] هذه الأمة إخواناً ، فمضيا ، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب ، وقام في الناس خطيباً فقال : إنَّ الله أعزّنا بالإسلام ، ورفعنا به ، وجعلنا به إخواناً ، بعد ذلّةٍ وقلةٍ وتباغضٍ وتباعدٍ ، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلامُ دينُهم ، والحقُّ قائمٌ بينهم ، والكتاب إمامُهم ، حتى أُصيبَ هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم[٥] الشيطان لينزغَ بين هذه الأمة ، ألا وإنَّ هذه الأمة لا (بد) مفترقة كما افترقتِ الأممُ قبلها ، فنعوذ بالله من شرّ ما هو كائن . ثم عاد ثانية فقال : (إنه) لا بدَّ مما هو كائن أن يكون ، ألا وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقةً ، شرُّها فرقة تحبّني ولا تعمل بعملي ، وقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم ، واهتدوا بهدْيي فإنَّه هدي نبيِّكم ، واتبعوا سُنَّته ، وأعرضوا

---

(١) في هامش أ : اسم موضع . وهي من قرى المدينة على بعد ثلاثة أيام منها على طريق مكة . معجم البلدان (٣/ ٢٤) .

(٢) في ط : أن أخرج .

(٣) في أ : فتريدني .

(٤) في أ : وانهضوا إلينا بالإصلاح لتعود .

(٥) في أ : أذلهم . ونزع : أغرى وأفسد . اللسان (نزع) .

عمّا أشكلَ عليكم ، حتى تعرضوه على الكتاب ، فما عرفه القرآن فالزموه[١] ، وما أنكره فردُّوه ، وارضوا بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن حكماً وإماماً .

قال : فلما[٢] عزم على المسير من الرَّبَذَة قام إليه ابن أبي رفاعة بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين أي شيء تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذي نريد وننوي فالإصلاح ، إن قبلوا منا وأجابوا إليه ، قال : فإن لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر . قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذاً .

فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري فقال : لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول ، والله لينصرني الله كما سمَّانا أنصاراً .

قال : وأتت جماعة من طيِّءٍ وعليٌّ بالربذة ، فقيل له : هؤلاء جماعة جاؤوا من طيِّءٍ منهم منْ يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد السلام عليك ، فقال : جزى الله كلاًّ خيراً ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥] قالوا : فسار علي[٣] من الربذة على تعبئته وهو راكبٌ ناقةً حمراءَ يقودُ فرساً كميتاً فلما كان بفَيْد[٤] جاءه جماعة من أسد وطيء ، فعرضوا أنفسهم عليه فقال : فيمن معي كفاية ، وجاء رجل من أهل الكوفة يقال له عامر بن مطر الشيباني ، فقال له عليٌّ : ما وراءك ؟ فأخبره الخبر ، فسأله عن أبي موسى فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه ، وإن أردت القتالَ فليس بصاحبه ، فقال علي : والله ما أريد إلا الصلح ممن تمرد علينا ، وسار ، فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليَّته ، من قتل ومن إخراج عثمان بن حُنَيْف من البصرة، وأخذهم أموال بيت المال، جعل يقول : اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير ، فلما انتهى إلى ذي قار أتاه عثمان بن حنيف مهشماً ، وليس في وجهه شعرة فقال : يا أمير المؤمنين بعثتني إلى البصرة وأنا ذو لحية ، وقد جئتك أمرداً[٥] ، فقال : أصبت خيراً وأجراً . وقال عن طلحة والزبير : اللهم احْلل ما عَقَدا[٦]، ولا تُبرم ما أحْكما في أنفسهما ، وأرهما المَسَاءة فيما قد عَمِلا ـ يعني في هذا الأمر ـ وأقام عليٌّ بذي قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبي بكر وصاحبه محمد بن جعفر ـ وكانا قد قدما بكتابه على أبي موسى وقاما في الناس بأمره ـ فلم يجابا في شيء ، فلما أمسوا دخل أناس من ذوي الحجى على أبي موسى يعرضون عليه الطاعة لعلي ، فقال : كان هذا بالأمس فغضب محمد ومحمد فقالا له قولاً غليظاً : فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لفي

(١) في أ : فما عرفه فاعرفوه .
(٢) في هامش أ : مطلب الفرق .
(٣) في أ : ثم سار من الربذة .
(٤) فيد : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة . معجم البلدان (٤/ ٢٨٢) .
(٥) كذا في الأصول والأصح : أمردَ .
(٦) رواه الطبري عن شيخه عمر بن شبَّه (٤/ ٤٨٠) وفي إسناده عبد الله بن عمير تابعي مجهول ، عن أبي محمد مجهول أيضاً ، فالإسناد ضعيف ، والمتن فيه نكارة ، لأن دعاء علي رضي الله عنه على طلحة والزبير يتعارض مع الروايات الصحيحة في بيان فضلهما . انظر ميزان الاعتدال (٤/ ١٥٧) وضعيف تاريخ الطبري (٨/ ٦٧٠) وفيه الدعاء أطول وأشد نكارة .

عنقي وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بد من قتال فلا نقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ومن كانوا ، فانطلقا إلى عليٍّ فأخبراه الخبرَ ، وهو بذي قار ، فقال للأشتر : أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض[١] في كل شيء فاذهب أنت وابن عباس فأَصْلِحْ ما أفسَدْتَ ، فخرجا فقدما الكوفةَ وكلَّما أبا موسى واستعانا عليه بنفرٍ من الكوفة فقام في الناس فقال : أيها الناس ، إن أصحاب محمد ﷺ الذين صحبوه أعلمُ بالله ورسوله ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً وأنا مؤدٍّ إليكم نصيحةً ، كان الرأي أن لا تستخفُّوا بسلطان الله وألا تجترئوا على أمره ، وهذه فتنةٌ النائمُ فيها خيرٌ من اليقظان ، واليقظانُ خيرٌ من القاعد ، والقاعدُ خير من القائم والقائم خير من (الراكب ، والراكب خير) من الساعي فأغمدوا السيوفَ وأنصلوا الأسنةَ ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المضطَهَدَ والمظلومَ حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة ، فرجع ابنُ عباس والأشتر إلى علي فأخبراه الخبر ، فأرسل الحسنَ وعمّار بن ياسر ، وقال لعمار : انطلق فأصلحْ ما أفسدتَ ، فانطلقا حتى دخلا المسجدَ فكان أول من سلم عليهما مسروق بن الأجدع ، فقال لعمار : علام قتلتم عثمان ؟ فقال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا[٢] ، فقال : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولو صبرتم لكان[٣] خيراً للصابرين .

قال : وخرج أبو موسى فلقي الحسن بن علي فضمَّه إليه ، وقال لعمار : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين عثمان قتلته ؟ فقال : لم أفعل ، ولم يسؤني ذلك ، فقطع عليهما الحسن بن علي فقال لأبي موسى : لمَ تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، فقال : صدقتَ بأبي وأمي ، ولكنَّ المستشارَ مؤتمنٌ ، سمعتُ النبي ﷺ يقول[٤] : « إنها ستكون فتنةٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من الراكب » وقد جعلنا الله إخواناً ، وحرّم علينا دماءنا وأموالنا ، فغضب عمار وسبَّه ، وقال : يا أيها الناس ، إنما قال له رسولُ الله ﷺ وحدَه أنت فيها قاعداً خير منك قائماً ، فغضب رجلٌ من بني تميم لأبي موسى ونال من عمارٍ ، وثار آخرون ، وجعل أبو موسى يكفكف الناس ، وكثر اللَّغط ، وارتفعت الأصوات .

وقال أبو موسى : أيها الناس ، أطيعوني وكونوا خيرَ قومٍ من خيرِ أمم العرب ، يأوي إليهم المظلوم ، ويأمن فيهم الخائف ، وإن الفتنة إذا أقبلت شبَّهت ، وإذا أدبرت بيَّنَتْ[٥] ثم أمر الناس بكفِّ أيديهم ولزوم بيوتهم .

---

(١) في ط : أنت صاحب أبي موسى والمعرض ، وفي أ : والغرض في كل شيء ، والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤٨٢).
(٢) أبشارنا : جلودنا ، القاموس (بشر) .
(٣) في أ : ولا صرتم فكان . .
(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤١٦) والترمذي في جامعه (٢٢٠٤) في الفتن ، وأبو داود في سننه (٤٢٥٩) في الفتن ، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١٣/ ٢٩٧) رقم (٥٩٦٢) وهو حديث صحيح .
(٥) في ط : تبينت والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٤٨٤) .

فقام زيد بن صُوحان فقال : أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين ، وسيّد المسلمين ، سيروا إليه أجمعون .

فقام القعقاع بن عمرو فقال : إن الحقَّ ما قاله الأميرُ ، ولكن لابدَّ للناس من أمير يردع الظالم ويُعْدِي[١] المظلومَ ، وينتظم به شملُ الناس ، وأمير المؤمنين عليٌّ ملي بما ولي ، وقد أنصف في الدعاء[٢] ، وإنما يريدُ الإصلاح ، فانفروا إليه .

وقام عبد خير[٣] فقال : الناس أربع فرق ، عليٌّ بمَنْ مَعَهُ في ظاهر الكوفة ، وطلحةُ والزبيرُ بالبصرة ، ومعاويةُ بالشام ، وفرقةٌ بالحجاز لا تقاتلُ ولا عناء بها ، فقال أبو موسى : أولئك خير الفرق ، وهذه فتنةٌ . ثم تراسل الناسُ في الكلام ، ثم قام عمّارٌ والحسنُ بن علي في الناس على المنبر يدعوان[٤] الناسَ إلى النَّفير إلى أمير المؤمنين ، فإنه إنما يريد الإصلاحَ بين الناس ، وسمع عمارٌ رجلاً يسبُّ عائشة فقال : اسكت مقبوحاً منبوحاً ، والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكنَّ الله ابتلاكُمْ بها ليعلم أتطيعوه أو إياها ، رواه البخاري[٥] .

وقام حجر بن عدي فقال : أيها الناس ، سيروا إلى أمير المؤمنين ، ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١] وجعل الناس كلَّما قام رجل فحرَّض[٦] الناس على النفير يُثَبِّطُهم أبو موسى من فوق المنبر ، (وعمار والحسن معه على المنبر) حتى قال له الحسن بن علي : ويحك ! اعتزلْنا لا أمَّ لكَ ، ودع منبرنا .

ويقال إن علياً بعث الأشتر فعزل أبا موسى عن الكوفة وأخرجه من قصر الإمارة من تلك الليلة ، واستجاب الناس للنفير فخرج مع الحسن تسعة آلاف في البرّ وفي دجلة ، ويقال : سار معه اثنا عشر ألف رجل ورجل واحد ، وقدموا[٧] على أمير المؤمنين فتلقّاهم بذي قار إلى أثناء الطريق في جماعةٍ ، منهم ابن عباس فرحَّبَ بهم وقال : يا أهل الكوفة ! أنتم لقيتُم ملوكَ العجم ففَضَضْتمُ جموعَهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فإن يرجعوا فذاك الذي نُريده ، وإن أبَوْا داويناهم بالرِّفْقِ حتى يَبْدؤونا بالظلم ، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى .

فاجتمعوا عنده بذي قار ، وكان (من) المشهورين من رؤساء من انضاف إلى عليٍّ : القعقاع بن

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ٤٨٤) : إنه لابد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم وتعز المظلوم .
(٢) في ط : بالدعاء .
(٣) هو الخَيْوانيّ صاحب علي رضي الله عنه .
(٤) في أ : يدعون .
(٥) صحيح البخاري (٣٧٧٢) في فضائل الصحابة .
(٦) في أ : يحرض .
(٧) في أ : فقدموا .

عمرو ، سِعْر[١] بن مالك ، وهند بن عمرو ، والهيثم بن شهاب ، وزيد بن صُوحان ، والأشتر ، وعديٌّ بن حاتم ، والمسيّب بن نَجبة ، ويزيد بن قيس ، وحُجْر بن عَدي وأمثالهم .

وكانت عبد القيس بكمالها بين علي وبين البصرة ينتظرونه وهم ألوفٌ ، فبعث عليٌّ القعقاع رسولاً إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألْفةِ والجماعة ، ويُعظم عليهما الفرقةَ والاختلافَ .

فذهب القعقاعُ إلى البصرة فبدأ بعائشة أمِّ المؤمنين ، فقال : أي أماه ! ما أقدمكِ هذا البلدَ ؟ فقالت : أي بنيّ ! الإصلاحُ بين الناس ، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها ، فحضرا ، فقال القعقاع : إنّي سألتُ أمَّ المؤمنين ما أقدمها ؟ فقالت إنما جئت للإصلاح[٢] بين الناس ، فقالا : ونحن كذلك .

قال : فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ وعلى أي شيء يكون ؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن ، ولئن أنكرناه لا نصطلحن ، قالا : قتلة عثمان ، فإن هذا إن ترك[٣] كان تركاً للقرآن ، فقال : قتلتما قتلته[٤] من أهل البصرة ، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمئة رجل ، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم ، وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف ، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون ، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه ـ يعني أن الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة ، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها ـ وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير ، لقيام ستة آلاف في منعه ممن يريد قتله ، فَعَليٌّ أعذرُ في تركه الآن قتل قتلة عثمان ، وإنما أخَّرَ قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم ، فإنَّ الكلمة في جميع الأمصار مختلفة[٥] ، ثم أعلمهم أن خلقاً من ربيعة ومضر قد اجتمعوا[٦] لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع .

فقالت له عائشة (أم المؤمنين) : فماذا تقول أنت ؟ قال : أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين ، فإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامةُ خيرٍ وتباشيرُ رحمةٍ ، وإدراكُ الثأر ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرةَ هذا الأمر وائتنافه كانت علامةَ شرٍّ وذهابَ هذا الملك ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيحَ خيرٍ كما كنتم أولاً ، ولا تعرِّضونا للبلاء فتتعرضوا له ، فيصرعنا الله وإياكم ، وايم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر

---

(١) في ط : « سعد » ، محرف ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الذي في تاريخ الطبري (٤/ ٢٤ و٤٨٨) وقد قيده الأمير في الإكمال (٤/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) فلا مجال بعد ذلك إلى الاجتهاد .
(٢) في أ : فقالت الإصلاح .
(٣) في أ : إن يترك .
(٤) في أ : قتلة عثمان .
(٥) في أ : مختلفة عليه .
(٦) في أ : قد أجمعوا .

الذي قد حدث أمرٌ عظيمٌ ، وليس كقتل الرجل الرجلَ ، (ولا النفرالرجل) ، ولا القبيلة القبيلة .

فقالوا : قد أصبتَ وأحسنتَ فارجع ، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر ، قال : فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه .

وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاءت للإصلاح[1] ، ففرح هؤلاء وهؤلاء .

وقام عليٌّ في الناس خطيباً فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها ، وذكر الإسلام وسعادة أهل بالأُلفة والجماعة ، وأن الله جمعهم بعد نبيه ﷺ على الخليفة أبي بكر الصديق ، ثم بعده على عمر بن الخطاب ، ثم على عثمان ثم حدث هذا الحدث الذي جرَّه على الأمة أقوامٌ طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها ، وعلى الفضيلة التي منّ الله بها ، وأرادوا ردَّ الإسلام والأشياء على أدبارها ، واللهُ بالغُ أَمْرِهِ . ثم قال : ألا إني مرتحلٌ غداً فارتحلوا ، ولا يرتحل معي أحدٌ أعانَ على قتل عثمان بشيء من أمور الناس .

فلما قال هذا اجتمع من رؤوسهم جماعة كالأشتر النَّخعي ، وشُريح بن أوفى ، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وسالم بن ثعلبة ، وعِلباء[2] بن الهيثم ، وغيرهم في ألفين وخمسمئة ، وليس فيهم صحابي ولله الحمد ، فقالوا : ما هذا الرأي ، وعلي ـ والله ـ أعلم[3] بكتاب الله [وهو] ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقرب إلى العمل بذلك ، وقد قال ما سمعتم ، وغداً يجمع عليكم الناس ، وإنما يريد القوم كلهم أنتم ، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم ، فقال الأشتر : قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا ، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم ، فإن كان قد اصطلح معهم فإنهم اصطلحوا على دمائنا ، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا علياً بعثمان ، فرضي القوم منا بالسكوت ، فقال ابن السوداء : بئس ما رأيت ، لو قتلناه قتلنا[4] ، فإنا يا معشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمئة ، وطلحة والزبير (وأصحابهما) في خمسة آلاف ، لا طاقة لكم بهم ، وهم إنما يريدونكم ، فقال عِلباء بن الهيثم : دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها ، فقال ابن السوداء : (بئس ما قلتَ ، إذاً والله كان يتخطفكم الناس ، ثم قال ابن السوداء) قبحه الله : يا قوم إن عِزَّكم في خُلْطة الناس[5] [فصانعوهم][6] فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله طلحة والزبير ومنْ معهما عمّا يُحبّون ، ويأتيهم ما يكرهون ، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه .

وأصبح عليٌّ مرتحلاً ومرَّ بعبد القيس فساروا معه حتى نزلوا بالزاوية ، وسار منها يريد البصرة ، وسار

(١) في ط : « للصلح » .
(٢) في ط : غلاب ؛ وما هنا عن أ والطبري (٤/ ٤٩٣) .
(٣) في أ : وعلي أبصر بكتاب الله .
(٤) في أ : ما رأيت قلنا لها قتلنا .
(٥) في ط : إن عيركم ، وفي ا : إن عزكم في خلطتكم بالناس .
(٦) زيادة عن تاريخ الطبري (٤/ ٤٩٤) .

طلحة والزبير ومن معهما للقائه ، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد ، ونزل الناس كلٌّ في ناحية . وقد سبق علي جيشه وهم يتلاحقون به ، فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم ، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، فأشار[١] بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة ، من قتلة عثمان فقالا : إن علياً أشار بتسكين هذا الأمر ، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك ، وقام عليٌّ في الناس خطيباً .

فقام إليه الأعور بن بُنان[٢] المِنْقُري ، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة ، فقال : الإصلاح ، وإطفاء الثائرة ليجتمع الناسُ على الخير ، ويلتئم شملُ هذه الأمة ، قال : فإن لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال : فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا ، قال : نعم !

وقام إليه أبو سلام[٣] الدَّالاني ، فقال : هل لهؤلاء القوم حجةٌ فيما طلبوا من هذا الدم ، إن كانوا أرادوا اللهَ في ذلك ؟ قال : نعم ! قال : فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك ؟ قال : نعم! قال ؛ فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحدٌ نقَّى قلبه لله إلا أدخله اللهُ الجنةَ .

وقال في خطبته : أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيدِيَكم وألسنتكم ، وإياكم أن يسبقونا غداً ، فإن المخصوم غداً مخصوم اليوم .

وجاء في غبون ذلك الأحنفُ بن قيس في جماعةٍ فانضافَ إلى عليٍّ .

وكان قد منع حرقوص بن زهير من طلحة والزبير وكان قد بايع علياً بالمدينة وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير : إن قتل عثمان من أبايع ؟ فقالوا بايع علياً فلما قتل عثمان بايع علياً قال : ثم رجعت إلى قومي فجاءني بعد ذلك ما هو أفظع ، حتى قال الناس : هذه عائشة جاءت لتأخذ بدم عثمان ، فحرتُ في أمري لمن أتبع ، فمنعني الله بحديث سمعتُه من أبي بكر قال : قال رسول الله ﷺ وقد بلغه أنَّ الفرس قد ملَّكوا عليهم ابنةَ كسرى فقال : « لن يفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة » وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري[٤] .

والمقصود أن الأحنف لما انحاز إلى علي ومعه ستة آلاف [قوس ، فقال لعلي : إن شئت قاتلت معك ، وإن شئت كففت عنك عشرة آلاف سيف ، فقال : اكفف عنا][٥] عشرة آلاف سيف ، ثم بعث علي إلى طلحة والزبير يقول : إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا

---

(١) في أ : وقد أشار .

(٢) في ط : نيار ، وفي أ : بيان ، وما هنا عن تاريخ الطبري (٤/ ٤٩٥) .

(٣) كذا في الأصلين ، وفي الطبري : أبو سلامة .

(٤) صحيح البخاري (٤٤٢٥) في المغازي .

(٥) ما بينهما ساقط من أ ومستدرك من هامشها .

الأمر ، فأرسلا إليه في جواب رسالته : إنا على ما فارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس ، فاطمأنت النفوس وسكنت ، واجتمع كل فريق بأصحابه[١] من الجيشين ، فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم ، وبعثوا إليه محمد بن طليحة السجَّاد وبات الناس بخير ليلة ، وبات قتلةُ عثمان بشرٍّ ليلةٍ ، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس ، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريبٌ من ألفي رجلٍ فانصرفَ كلُّ فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف ، فثارت[٢] كلُّ طائفة إلى قومهم ليمنعوهم ، وقام الناسُ من منامهم إلى السلاح ، فقالوا : طرقتنا أهلُ الكوفة ليلاً ، وبيتونا وغدروا بنا ، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب علي فبلغ الأمر علياً فقال : ما للناس ؟ فقالوا ، بيتنا أهل البصرة ، فثار كل فريق إلى سلاحه[٣] ولبسوا اللأْمة[٤] وركبوا الخيولَ ، ولا يشعر أحدٌ منهم بما وقع الأمرُ عليه في نفس الأمر ، وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً ، وقامت الحربُ على ساقٍ وقدمٍ ، وتبارز الفرسان ، وجالت الشجعان[٥] ، فنشبت الحرب ، وتواقف الفريقان ، وقد اجتمع مع عليٍّ عشرون ألفاً ، والتفَّ[٦] على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والسابئة أصحاب ابن السوداء قبَّحه الله لا يفترون عن القتل ، ومنادي عليٍّ ينادي : ألا كُفّوا ، ألا كُفّوا ، فلا يسمع أحد .

وجاء كعب بن سُور قاضي البصرة فقال : يا أم المؤمنين أدركي الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس ، فجلست في هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع ، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركاتهم[٧] ، فتصاولوا وتجاولوا[٨] .

وكان في جملة من تبارز الزبير وعمار ، فجعل عمار ينخزه بالرمح والزبير كافٌّ عنه ، ويقول له ، أتقتلني يا أبا اليقظان ؟ فيقول : لا يا أبا عبد الله ، وإنما تركه الزبير لقول رسول الله ﷺ : « تقتلكَ الفئةُ الباغيةُ » وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه ، فلهذا كفَّ عنه .

وقد كان من سنَّتهم في هذا اليوم أنه لا يُذَفَّف على جريح ، ولا يتبع مدبر ، وقد قتل مع هذا خلق كثير جداً ، حتى جعل علي يقول لابنه الحسن : يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً فقال له : يا أبتِ قد كنتُ أنهاكَ عن هذا .

---

(١) في أ : بأصحابهم .
(٢) في أ : فثار .
(٣) في أ : سلاحهم .
(٤) لبس اللأمة : الدرع . القاموس (لأم) .
(٥) جاءت هذه العبارة بعد سطر في أ قبل : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٦) في أ : مع علي عشرين ألفاً والتقت على عائشة . وفي ط : والتف على عائشة نحواً .
(٧) في أ : عند معركتهم .
(٨) في هامش أ : مطلب عدد عسكر علي وعدد عسكر أم المؤمنين عائشة .

قال سعيد بن أبي عروبة[١] : عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عبادة قال :

قال عليٌّ يوم الجمل : يا حسنُ ليتَ أباك مات منذ عشرين سنة ، فقال له : يا أبهْ قد كنت أنهاك عن هذا ، قال : يا بني إني لم [أكن] أرى أن الأمر يبلغ هذا .

وقال مبارك بن فضالة ، عن الحسن بن أبي بكرة : لما اشتدَّ القتالُ يومَ الجمل ، ورأى عليٌّ (الرؤوس) تُنْدر[٢] أخذ عليٌّ ابنَه الحسنَ فضمَّه إلى صدره ، ثم قال : إنا لله يا حسن ! أيُّ خيرٍ يُرْجَى بعد هذا ؟ فلما ركبَ الجيشان وتراءى[٣] الجمعان ، طلبَ عليٌّ طلحةَ والزبيرَ ليُكَلِّمَهُما ، فاجتمعوا حتَّى التفَّتْ أعناقُ خيولهم ، فيُقال إنه قال لهما : إني أراكما قد جمعتما خيلاً ورجالاً وعدداً ، فهل أعددتما[٤] عذراً يوم القيامة كذلك ؟ فاتَّقيا اللهَ ولا تكونا كالتي نَقَضَتْ غَزْلَها من بعد قوة أنكاثاً ، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما ، فهل من حديث أحلَّ لكما دم أخيكما[٥] ؟ فقال طلحة : [أنت] أَلَّبتَ على عثمان . فقال علي : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ [النور : ٢٥] . ثم قال : لعن الله قتلة عثمان ، ثم قال : يا طلحة ! أجئت بِعِرْسِ رسول الله ﷺ تقاتل بها ، وخبأت عِرْسكَ في البيت ؟ أما بايعتني ؟ فقال : بايعتك والسيفُ على عنقي . وقال للزُّبير : ما أخرجكَ ؟ قال : أنت ، ولا أراك بهذا الأمر أولى به منّي . فقال له علي : أما تذكرُ يومَ مررتُ مع رسول الله ﷺ في بني غَنْم فنظر إليَّ وضحك وضحكتُ إليه ، فقلت : لا يَدع[٦] ابن أبي طالب زَهوهُ ، فقال لك رسول الله ﷺ : « إنه ليس بمزْهُوٍّ[٧] لتقاتلنَّه وأنت ظالمٌ له ؟ » فقال الزبير : اللهم نعم! ولو ذكرت [ذلك] ما سرت مَسيري هذا ، ووالله لا أقاتلكَ ، وفي هذا السياق كله نظر .

والمحفوظ منه الحديث ، كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي[٨] فقال : حدَّثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدَّورقي[٩] ، حدَّثنا أبو عاصم ، عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرَّقاشيّ ، عن جده عبد الملك ، عن أبي جرو المازني قال :

شهدت علياً والزُّبير حين تواقفا ـ [يعني يوم الجمل] ـ فقال له عليٌّ : يا زُبير ! أنشدكَ الله أسمعتَ

---

(١) في ط : عجرة ؛ خطأ . والتصحيح من أ وتقريب التهذيب (٢٣٩) وسير أعلام النبلاء (٦/ ٤١٣) .
(٢) ندر : سقط . القاموس (ندر) .
(٣) في أ : وترايا .
(٤) في أ : فهل اعتدتا ؛ وما هنا أقرب للسياق .
(٥) في ط : دمي .
(٦) في أ : لا يدين .
(٧) في ط : بمتمرد .
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ٦٦٦) : وإسناده ضعيف .
(٩) في ط : الدوري ، وما هنا عن سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤١) .

رسولَ الله ﷺ يقول : « إنك تقاتلني وأنت ظالم [لي] » ؟ قال : نعم ! ولم[١] أذكره إلا في موقفي هذا ، ثم انصرف .

وقد رواه البيهقي[٢] : عن الحاكم ، عن أبي الوليد الفقيه ، عن الحسن بن سفيان ، عن قَطن بن بشير ، عن جعفر بن سليمان ، عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرَّقَّاشي ، عن جدِّه ، عن أبي جرو[٣] المازني ، عن علي والزبير به .

وقال عبد الرزاق[٤] : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال :

لما ولَّى الزبير يوم الجمل ، بلغ علياً فقال : لو كان ابن صفيَّة يعلم أنه على حق [وخير] ما ولَّى ، وذلك أن رسول الله ﷺ لقينا[٥] في سقيفة بني ساعدة فقال : « أتحبه يا زبير » ؟ فقال : وما يمنعني [أن أحبه] ؟ قال : « فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له ؟ » قال : فيرون أنَّه إنَّما ولَّى لذلك .

قال البيهقي[٦] : وهذا مرسل .

وقد روي موصولاً من وجه آخر :

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن[٧] القاضي ، أخبرنا أبو عامر[٨] بن مطر ، أخبرنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن سوَّار الهاشمي الكوفي ، أخبرنا منجاب بن الحارث ، حدَّثنا عبد الله بن الأجلح ، حدَّثنا أبي ، عن يزيد الفقير[٩] ، عن أبيه . قال : وسمعت المُفَضَّل بن فضالة يُحدِّثُ عن حرب بن أبي الأسود الدُّئلي ، عن أبيه[١٠] ـ دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه ـ قال :

لما دنا عليٌّ وأصحابه من طلحة والزُّبير ، ودنت الصفوف بعضها من بعض ، خرجَ عليٌّ وهو على بغلةِ رسولِ الله ﷺ فنادى : ادعوا لي الزبيرَ بن العوّام فإني عليٌّ ، فدُعي له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابِّهما ، فقال عليٌّ : يا زبيرُ ! نشدتكَ بالله ، أتذكرُ يومَ مرّ بك رسول الله ﷺ ونحنُ في مكانِ كذا وكذا ،

---

(١) في ط : لم ؛ بدون الواو .
(٢) دلائل النبوة (٦/ ٤١٥) .
(٣) في أ : عن أبي حسن المازني ؛ خطأ ، وإنما هو أبو جرو المازني . ميزان الاعتدال (٤/ ٥١٠) .
(٤) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤١) .
(٥) في ط : لقيهما .
(٦) دلائل النبوة (٦/ ٤١٤ـ٤١٥) .
(٧) في أ : أبو بكر بن الحسن القاضي ، وفي هامشه : بن أحمد بن .
(٨) في أ : أبو عمرو .
(٩) في ط : مرثد الفقيه ، وما هنا عن تقريب التهذيب (٦٠٢) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧) ولقب بالفقير لأنه كان يشكو فقار ظهره .
(١٠) في ط : عن حرب بن الأسود الدؤلي دخل .

فقال : « يا زبير أتحب[(١)] علياً » ؟ فقلت : ألا أحبُّ ابنَ خالي وابنَ عمّي وعلى ديني ؟ فقال : « يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له ؟ » فقال الزبير : بلى ! والله لقد نسيتُه منذ سمعته من رسول الله ﷺ ، ثم ذكرتُه الآن ، والله لا أقاتلك . فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف ، فعرض[(٢)] له ابنه عبد الله بن الزبير ، فقال : ذكّرني عليٌّ حديثاً سمعتُه من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول « لتقاتلنه وأنت ظالمٌ له » فقال : أو للقتال جئت ؟ إنما جئت لتصلحَ بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر ، قال : قد حلفت أن لا أقاتله ، قال : أعتق غلامكَ سرجس[(٣)] وقف حتى تصلح بين الناس . فأعتق غلامه ووقف ، فلما اختلف أمر الناس[(٤)] ذهب على فرسه . [وروى البراء ، عن أحمد بن عبدة[(٥)] ، عن الحسين بن الحسن ، عن رفاعة بن إياس بن أبي إياس ، عن أبيه ، عن جده قال (سمعت علياً رحمه الله يقول يوم الجمل لطلحة : أنشدك الله يا طلحة أما)[(٦)] : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » قال : بلى ، وانصرف . وقد استغربه البزار[(٧)] وهو جدير بذلك][(٨)] .

قالوا : فرجع الزبير إلى عائشة فذكر لها أنه قد آلى ألا يقاتلَ علياً ، فقال له ابنه عبد الله : إنك [قد] جمعت الناس ، فلما تراءى بعضهم لبعض خرجت من بينهم ، كفِّر عن يمينك واحضر . فأعتق غلاماً ، له اسمه مكحول ، وقيل غلامه سرجس . وقد قيل إنه إنما رجع عن القتال لمّا رأى عماراً مع علي وقد سمع رسول الله ﷺ يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فخشي أن يُقْتل عمارٌ في هذا اليوم .

وعندي أن الحديث الذي أوردناه[(٩)] إن كان صحيحاً عنه فما رجعه سواه ، ويبعد أن يكفِّر عن يمينه ثم يحضر بعد ذلك لقتال علي[(١٠)] ، والله أعلم .

والمقصود أن الزبيرَ لمّا رجعَ يومَ الجمل سار فنزل[(١١)] وادياً يُقال له وادي السباع[(١٢)] ، فاتبعه (رجل

(١) في أ : ألا تحب .
(٢) في أ : من الصفوف فتعرض .
(٣) في أ : جرجس .
(٤) في أ : فلما رأى اختلاف الأمر من الناس .
(٥) في أ : عبلة ؛ تحريف ، والتصحيح من مسند البزار .
(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من مسند البزار لا يصح النص إلا بها .
(٧) ما بينهما زيادة من أ .
(٨) البحر الزخار ـ المعروف بمسند البزار ـ (٣/ ١٧١) طبعة مؤسسة علوم القرآن .
(٩) في أ : رويناه .
(١٠) في أ : ويقاتل علياً .
(١١) في أ : حتى نزل .
(١٢) وادي السباع الذي قتل فيه الزبير بن العوام بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال . معجم البلدان (٥/ ٣٤٣) .

يقال له) عمرو[١] بن جرموز ، فجاءه وهو نائم فقتله غيلةً كما سنذكر تفصيله[٢] . وأما طلحة فجاءه في المعركة سهم غرب[٣] يقال رماه به مروان بن الحكم ، فالله أعلم ، فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول : إليّ عباد الله ، (إليّ عباد الله) ، فاتبعه مولى له فأمسكها ، فقال له : ويحك ! اعدل[٤] بي إلى البيوت ، وامتلأ خفه دماً ، فقال لغلامه [انزعه وأردفني] ، وذلك أنه نزفه الدم وضعف ، فركب [الغلام] وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه ، رضي الله عنه .

وتقدمت عائشة رضي الله عنها (في هودجها) وناولت كعبَ بن سُور قاضي البصرة مصحفاً وقالت : ادعهم إليه ـ وذلك أنه حين اشتدّ الحربُ وحميَ القتالُ ، ورجع الزبير ، وقُتل طلحة رضي الله عنهما ـ فلما تقدم كعب بن سُور بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة[٥] جيش الكوفيين ، وكان[٦] عبد الله بن سبأ ـ وهو ابن السوداء ـ وأتباعه بين[٧] يدي الجيش ، يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة ، لا يتوقفون في أحد ، فلما رأوا كعب بن سُور رافعاً المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فقتلوه ، ووصلت النبال إلى هودج (أم المؤمنين) عائشة رضي الله عنها ، فجعلت تنادي : الله الله ! يا بني اذكروا يوم الحساب ، ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان ، فضجَّ الناسُ معها بالدعاء حتى وصلت[٨] الضجة إلى علي فقال : ما هذا ! فقالوا : أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم . فقال : اللهم العن قتلة عثمان ، وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقي مثل القنفذ ، وجعلت تحرض الناس على منعهم وكفهم ، فحملت معه الحفيظة فطردوهم حتى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب ، فقال لابنه محمد بن الحنفية : ويحك ! تقدم بالراية ، فلم يستطع ، فأخذها علي من يده فتقدّم بها ، وجعلت الحرب تأخذ وتعطي ، فتارة لأهل البصرة ، وتارة لأهل الكوفة ، وقُتل[٩] خلقٌ كثيرٌ ، وجمٌّ غفيرٌ ، ولم تُر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة ، وجعلت عائشة تحرّض الناس على أولئك النفر من قتلة عثمان ، ونظرت عن يمينها فقالت : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : نحن بكر بن وائل ، فقالت : لكم يقول القائل[١٠] : [من الطويل]

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/٤٩٩) : عمير بن جرموز .
(٢) في أ : كما سنذكره مفصلاً .
(٣) يقال : أصابه سهم غَرْبٍ ، ويحرّك ، وسَهْمٌ غربٌ ، نعتاً : أي لا يُدْري راميه . القاموس (غرب) .
(٤) في أ : اعتزل بي البيوت .
(٥) في أ : مقدم .
(٦) في أ : وهو .
(٧) في أ : وهم بين .
(٨) في ط : بلغت .
(٩) في أ : حتى قتل .
(١٠) البيت في تاريخ الطبري (٤/٥١٦) .

وجـاؤوا إلينـا بـالحـديـدِ كـأنّهـمْ   منَ العزَّةِ القعساءِ بكرُ بنُ وائلِ

ثم لجأ[١] إليها بنو ناجية ثم بنو ضبة فقتل عندها[٢] منهم خلق كثير ، ويقال إنه قطعت يد سبعين رجلاً وهي آخذة بخطام الجمل فلما أثخنوا تقدم بنو عدي بن عبد مناف فقاتلوا قتالاً شديداً ، ورفعوا رأس الجمل ، وجعل أولئك يقصدون الجمل وقالوا : لا يزال الحرب قائماً ما دام هذا الجمل واقفاً ، ورأس الجمل في يد عمرة[٣] بن يثربي ، وقيل أخوه عمرو بن يثربي (ثم صمد عليه علباء بن الهيثم) وكان من الشجعان المذكورين [والفرسان المشهورين] ، فتقدم إليه [نفيل بن] عمرو الجملي فقتله ابن يثربي [ثم عمد إليه علباء بعد الهيثم فقتله ابن يثربي أيضاً] وقتل زيد[٤] بن صوحان ، وأرتث صعصعة بن صوحان فدعاه عمار إلى البراز فبرز له ، فتجاولا بين الصفين ـ وعمار [يومئذ] ابن تسعين سنة عليه فروة قد ربط وسطه بحبل ليف ـ فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون الآن يُلحق عماراً بأصحابه ، فضربه ابن يثربي بالسيف فاتقاه عمار بدرقته فغاص فيها السيف ونشب ، وضربه عمار فقطعَ رجليه وأخذ أسيراً[٥] إلى بين يَدَيْ علي فقال : استبقني يا أمير المؤمنين ، فقال : أبعد ثلاثة تقتلهم ؟ ثم أمر به فقتل واستمر زمام الجمل بعده بيد رجل[٦] كان قد استنابه فيه من بني عدي فبرز إليه ربيعة العقيلي فتجاولا حتى قتل كل واحد [منهما] صاحبه وأخذ الزمام الحارث الضبي فما رؤي أشدَّ منه وجعل يقول[٧] : [من الرجز]

نحن بني[٨] ضبّةَ أصحابُ الجَملْ   نُبـارزُ القـرْنَ إذا القـرنُ نَـزل
نَنْعَى ابنَ عفّان بأطْرافِ الأسَلْ[٩]   المـوْتُ أحْلَـى عِنْـدنـا مـن العَسَـلْ
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

[وقد] قيل : إنَّ هذه الأبياتَ لوسيم بن عمرو الضبي . فكلما قُتل واحدٌ ممن يمسك الجملَ يقوم[١٠] غيره حتى قُتل منهم أربعون رجلاً ، قالت عائشة : ما زال جملي معتدلاً حتى فقدتُ أصواتَ بني ضبة ثم أخذ الخطامَ سبعون رجلاً من قريش وكلُّ واحدٍ يُقتلُ بعد صاحبه ، فكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسّجّاد فقال لعائشة مريني بأمرك يا أمه . فقالت : آمرك أن تكون كخير ابني آدم ، فامتنع أن

---

(١) في أ : ثم جاء .
(٢) في ط : « عنده » .
(٣) في أ : عمير .
(٤) في أ : سيحان بن صوحان وأثبت صعصعة .
(٥) في أ : فاتقاه عمار بدرقته فغضب السيف فيها فضربه فقطع يده وأخذه أسيراً .
(٦) في أ : زمام الجمل بيد رجل بعده كان .
(٧) أشطر الرجز في تاريخ الطبري (٤/ ٥١٨) .
(٨) في الأصول : بنو ، وما هنا عن الطبري وقد نصب بني على الاختصاص .
(٩) في أ : ننصر عثمان بن عفان بأطراف الأسل .
(١٠) في أ : وكلما قتل واحد ممن يمسك الجمل تقدم .

ينصرف وثبت في مكانه وجعل يقول : حم لا ينصرون ، فتقدَّم إليه نفرٌ فحملوا عليه فقتلوه وصار كل واحد منهم بعد ذلك يدَّعي قتله ، وقد طعنه بعضهم بحربة فأنفذه وقال(١) : [من الطويل]

وَأشْعَثَ قوّامٍ بآياتِ رَبِّهِ ... قَليلِ الأذى فيما ترى العَيْنُ مُسْلمِ
هتكتُ له بالرُّمْحِ جَيْبَ قَميصهِ ... فَخرَّ صَريعاً لليَدينِ وللْفَمِ
يُناشدُني(٢) حاميمُ(٣) والرُّمْحُ شاجرٌ ... فهلا تَلا حاميمَ قبلَ التَّقَدُّمِ
على غَيْرِ شيءٍ غيرَ أنْ ليسَ تابعاً ... عَليّاً ومنْ لا يتْبَعِ الحَقَّ يَنْدمِ

وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا خبطه(٤) بالسيف فأقبل إليه الحارث بن زهير الأزدي وهو يقول(٥) : [من الرجز]

يا أمنا يا خيرَ أمٍّ نعلمُ(٦) ... أما ترين كمْ شجاعٍ يُكْلَمُ
وتُجتلى هامتُهُ والمعصم

فاختلفا(٧) ضربتين فقتل كل واحد صاحبه ، وأحدق أهل النجدات [والمروءات] والشجاعة بعائشة ، فكان لا يأخذ الراية ولا بخطام الجمل(٨) إلا شجاع معروف ، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك ، وقد فقأ بعضهم عين عدي بن حاتم ذلك اليوم ، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فأخذ بخطام الجمل وهو لا يتكلم فقيل لعائشة إنه ابنك وابن أختك فقالت : واثكل أسماء ! وجاء مالك بن الحارث الأشتر النخعي فاقتتلا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً وضربه عبد الله [بن الزبير] ضربةً خفيفة(٩) ثم اعتنقا وسقطا إلى الأرض يعتركان فجعل عبد الله بن الزبير يقول : [من مجزوء الخفيف]

اقتلوني ومالكاً ... واقتلوا مالكاً معي

[فأرسلها مثلاً] وجعل(١٠) الناس لا يعرفون مالكاً من هو وإنما هو معروف(١١) بالأشتر ، فحمل أصحابُ عليّ وعائشة فخلَّصوهما وقد جُرح عبدُ الله بن الزبير يومَ الجمل بهذه الجراحة سبعاً وثلاثين

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/٥٢٦) .
(٢) في تاريخ الطبري : يذكرني .
(٣) في الأصول : حم ؛ وما هنا للسياق .
(٤) في ط : حطه .
(٥) الأشطر في تاريخ الطبري (٤/٥٢١) .
(٦) في أ : تعلم .
(٧) في ط : واختلفا .
(٨) في أ : فكان لا يأخذ الراية والخطام إلا شجاع معروف فيقتل من قتله ثم يقتل .
(٩) في أ : ضربة ضعيفة .
(١٠) في ط : فجعل .
(١١) في أ : يعرف .

جراحةً، وجُرح مروان بن الحكم أيضاً، ثم جاء رجل فضرب الجملَ على قوائمه فعقره وسقط إلى الأرض، فسُمع له عجيج ما سُمع أشد ولا أنفذ منه، وآخر من كان الزمام بيده زُفَر بن الحارث، فعُقر الجمل وهو في يده، ويقال إنه اتفق هو وبجير بن دلجة على عقره، ويقال إنَّ الذي أشار بعقر الجمل عليٌّ، وقيل القعقاع بن عمرو لئلا تصاب أم المؤمنين، فإنها صارت(١) غرضاً للرماة، ومن يمسك بالزمام بُرْجاساً(٢) للرِّماح، ولينفصل هذا الموقفُ الذي قد تَفَانى فيه الناس ولما سقط الجمل(٣) إلى الأرض انهزم من حوله من الناس، وحُمل هودجُ عائشة وإنه لكالقنفذ من السهام(٤)، ونادى منادي عليٍّ في الناس: إنه لا يتبع مدبر ولا يُذَفَّفُ على جريحٍ، ولا تُدخل(٥) الدور، وأمر علي نفراً أن يحملوا الهودجَ من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر وعماراً أن يضربا عليه قبة، وجاء إليها أخوها محمد فسألها هل وصل إليك شيء من الجراح؟ فقالت: (لا)! وما أنت ذاك يا بن الخثعمية. وسلَّم عليها عمار فقال: كيف أنت يا أمُّ(٦)؟ فقالت: لست لك بأمٍّ. قال: بلى! وإن كرهتِ، وجاء إليها عليُّ بن أبي طالب (أمير المؤمنين) مسلِّماً فقال: كيف أنت (يا أمَّهْ؟) قالت: بخير فقال: يغفر الله لك. وجاء وجوهُ الناس [إليها] من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين(٧) رضي الله عنها، ويقال إن أَعْيَن(٨) بن ضُبيعة المُجاشعي اطلع في الهودج فقالت: إليك لعنك الله، فقال: والله ما أرى إلا حُمَيْراء، فقالت: هتكَ الله ستركَ وقطعَ يدكَ وأبدى عورتكَ. فقُتل بالبصرة، وسُلب، وقُطعت يده، ورمي عرياناً في خربة من خَرابات الأزد. فلمَّا كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرةَ ـ ومعها أخوها محمد بن أبي بكر ـ فنزلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي ـ وهي أعظم دار بالبصرة ـ على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار(٩)، وهي أم طلحة الطلحات [بن] عبد الله بن خلف، وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة(١٠)، وقد طاف علي بين القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحّم(١١) عليه ويقول: يعز عليَّ أن أرى قريشاً صرعى. وقد مر علي فيما ذكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتولٌ فقال: لهفي عليك

---

(١) في ط: بقيت.
(٢) البُرْجاس: غرض في الهواء يُرمى به. اللسان (برجس).
(٣) في ط: البعير.
(٤) في أ: من كثرة النشاب.
(٥) في ط: يدخلوا.
(٦) في أ: يا أم المؤمنين.
(٧) في أ: يسلمون عليها.
(٨) في أ: أيمن، وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ٥٣٢-٥٣٣).
(٩) في أ: في دار أم عبد الله بن خليل الخزاعية. والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٣٤).
(١٠) بعدها في أ: وأقام علي بظاهر البصرة ثلاثاً. وسترد بعد.
(١١) في أ: يترحم.

يا أبا محمد ، إنا لله وإنا إليه راجعون والله لقد كنت كما قال الشاعر : [من الطويل]

فتىً كانَ يدنيهِ الغنى منْ صديقهِ إذا مـا هـو استغنـى ويبعـدهُ الفقـرُ

وأقام علي بظاهر البصرة ثلاثاً ثمَّ صلَّى على القتلى من الفريقين ، وخَصَّ قريشاً بصلاة من بينهم ، ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة ، فمن عرف شيئاً هو لأهلهم فليأخذه ، إلا [أن يكون] سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان .

وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف : خمسة من هؤلاء ، وخمسة من هؤلاء ، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم[١] . وقد سأل بعض أصحاب علي علياً أن يقسِّم فيهم [أموالهم يعني] أموال أصحاب طلحة والزبير (فأبى عليهم) فطعن فيه السبئية وقالوا : كيف تحل[٢] لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم ؟ فبلغ ذلك علياً فقال : أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه ؟ فسكت القومُ ، ولهذا لما دخل البصرةَ فضَّ في أصحابه أموالَ بيت المال ، فنال كل رجلٍ منهم خمسمئة ، وقال : لكم مثلها من الشام [في أعطياتكم] ، فتكلم فيه السبئية أيضاً ونالوا منه من وراء وراء .

فصل

ولما فرغ علي من أمر الجمل أتاه وجوهُ الناس يسلّمون عليه ، فكان ممن جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد ـ وكانوا قد اعتزلوا القتال ـ فقال له علي : تربصت[٣] ـ (يعني) بنا ـ فقال : ما كنتُ أراني إلا قد[٤] أحسنت ، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فارفق فإن طريقك الذي سلكت بعيد ، وأنت إليَّ غداً أحوج منك أمس ، فاعرف إحساني ، واستبق مودتي لغد ، ولا تقل (لي) مثل هذا فإني لم أزل لك ناصحاً .

قالوا : ثم دخل عليٌّ البصرة يوم الإثنين فبايعه أهلُها على راياتهم ، حتى الجرحى والمستأمنة[٥] . وجاءه عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي فبايعه فقال له علي : أين المتربص[٦] ؟ ـ يعني أباه ـ فقال : إنه والله مريض يا أمير المؤمنين ، وإنه[٧] على مسرتك لحريص . فقال : امش أمامي ، فمضى إليه فعاده ، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره ، وعرض عليه البصرة (فامتنع وقال : رجل من أهلك يسكن إليه الناس ،

---

(١) مكان اللفظة في أ : أجمعين .
(٢) في ط : يحل .
(٣) في ط : تربعت ؛ تحريف .
(٤) في أ : قد كنت أحسنت .
(٥) في أ : والمستأنية . وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٤/ ٥٤١) .
(٦) في ط : المريض . وما هنا موافق للطبري (٤/ ٥٤٣) .
(٧) في ط : « وإن » ، ولا معنى لها ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٣) .

وأشار إليه بابن عباس فولاه على البصرة) ، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد ـ وكان زياد معتزلاً ـ ثم جاء علي إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة ، فاستأذن ودخل فسلَّم عليها ورحبَّتْ به ، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على منْ قُتل ، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف ، فعبد الله قُتل مع عائشة ، وعثمان قُتل مع علي ، فلما دخل عليٌّ قالت له صفية امرأة عبد الله ، أم طلحة الطلحات : أيتم الله منك أولادكَ كما أيتمتَ أولادي ، فلم يردّ عليها عليٌّ شيئاً ، فلما خرج أعادت عليه المقالةَ أيضاً فسكت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع ؟ فقال : ويحك ! إنا أُمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات ، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات[١] ؟

فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر عليٌّ القعقاعَ بن عمرو أن يجلدَ كلَّ واحدٍ منهما مئة وأن يخرجَهما من ثيابهما .

وقد سألت عائشة عمن قتل معها من المسلمين[٢] ومن قتل من عسكر عليٍّ فجعلت كلما ذكر لها واحدٌ منهم تَرَحَّمتْ عليه ودَعَتْ له .

ولما أرادات (أم المؤمنين) عائشة الخروجَ من البصرة بعثَ إليها علي رضي الله عنه بكلّ ما ينبغي من مركبٍ وزادٍ ومتاعٍ وغير ذلك ، وأذنَ لمن نجا ممَّنْ جاء في الجيش معها أن يرجع[٣] إلا أن يحبَّ المقامَ ، واختارَ لها أربعين امرأةً من نساء أهل البصرة المعروفات ، وسير[٤] معها أخاها محمد (بن أبي بكر) . فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء عليٌّ فوقفَ على الباب وحضرَ الناسُ ، وخرجت من الدار في الهودج فودَّعتِ الناس ودعتْ لهم ، وقالت : يا بنيَّ لا يعتب بعضنا على بعض[٥] ، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه على معتبتي [له] لمن الأخيار . فقال علي : صدقتِ والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك ، وإنها لزوجةُ نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة . وسار عليٌّ معها مودِّعاً ومشيعاً أميالاً ، وسرّح بنيه معها بقية ذلك اليوم ـ وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين ـ وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضي الله عنها .

وأما مروان بن الحكم فإنه لما فرَّ استجار بمالك بن مسمع فأجاره ، ووفى له ، ولهذا كان بنو مروان يكرمون مالكاً ويشرفونه ، ويقال إنه نزل دار بني خلف فلما خرجت عائشة خرج معها ، فلما سارت هي إلى مكة سار [هو] إلى المدينة .

---

(١) في أ : أن نكف عن النساء المشركات أفلا نكف عن المؤمنات .
(٢) في أ : سكتت عائشة عمن قتل معها ومع علي من المسلمين .
(٣) في أ : سلم ممن جاء في جيشها أن يرجع معها .
(٤) في أ : وبعث .
(٥) في أ : أن يعتب بعضنا بعضاً .

قالوا : وقد علم منْ بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة (يوم الوقعة) ، وذلك مما كانت النسور تخطفه من الأيدي والأقدام فيسقط[١] منها هنالك ، حتى إنَّ أهل المدينة علموا بذلك يوم الجمل قبل أن تغرب الشمس ، وذلك أن نسراً مرَّ بهم ومعه شيء فسقط [منه] فإذا هو كفٌّ فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب .

هذا ملخص ما ذكره (أبو جعفر) بن جرير رحمه الله عن أئمة هذا الشأن ، وليس فيما ذكره[٢] أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلقة على الصحابة والأخبار الموضوعة التي ينقلونها بما فيها ، وإذا دُعوا [إلى الله وإلى] الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا : لنا أخبارنا ولكم أخباركم ، (فنحن حينئذ) نقول لهم : سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين .

فصل

في ذكر أعيان من قُتل يومَ الجَمَل من السّادة النُّجباء من الصَّحابة وغيرهم من الفريقين رضي الله عنهم أجمعين ، وقد قدَّمنا أن عدَّة القَتْلى نحو من عشرة آلافٍ ، وأمّا الجَرْحى فلا يُحْصون كثرةً ، ولم يكن في الفريقين من الصحابة إلا القليل .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات ألوف فلم يحضرها منهم مئة ، بل لم يبلغوا ثلاثين .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدَّثنا إسماعيل ـ هو ابن عليّة ـ حدَّثنا منصور بن عبد الرحمن قال : قال الشعبي : لم يشهد الجمل من أصحاب النبي ﷺ غير علي وعمّار وطلحة والزبير ؛ فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب . قلت : قد حضرتها عائشة وابن الزبير والحسن والحسين ومحمد بن أبي بكر وسهل بن حنيف وآخرون .

قلت : قد يكون الشعبي أراد أنه لم يحضرها من المهاجرين غير من ذكر والله أعلم . فممن قتل يوم الجمل[٣] في المعركة :

طلْحةُ بن عُبَيْد الله[٤] بن عُثمان بن عَمْرو بن كعب بن سَعْد[٥] بن تَيم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن

---

(١) في أ : وذلك أن النسور والطيور كانت تخطف من الأيدي والأقدام فسقطت . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٣٥) .

(٢) في أ : يذكره .

(٣) في أ : يومئذ .

(٤) ترجمة ـ طلحة بن عبيد الله ـ في الاستيعاب (٧٦٤ ـ ٧٧٠) وأسد الغابة (٣/ ٨٥ ـ ٨٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٣ ـ ٤٠) والإصابة (٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٥) .

(٥) في أ : سعيد ؛ تحريف .

غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانةَ أبو محمد القُرشي التَّيمي ، ويعرف بطَلْحة الخَيْر ، وطلحة الفَيّاض لكرمه ولكثرة جوده .

أسلم قديماً على يَديْ أبي بكر الصِّدّيق ، فكان[١] نوفل بن خُوَيْلد بن العدوية يشدُّهما في حبل واحد ، ولا تستطيع بنو تَيْم أن تمنعهما منه ، فلذلك كان يقال لطلحة وأبي بكر القرينان .

وقد هاجر وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري ، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ إلا بدراً ـ فإنَّه كان بالشام لتجارة ـ وقيل في رسالة ، ولهذا ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره من بدر . وكانت له يوم أحد اليدُ البيضاءُ وشَلت يده يومئذ لأنه وقى بها رسول الله ﷺ واستمرت كذلك إلى أن مات . وكان الصديق إذا حدث عن يوم أحد يقول : ذاك يوم [كان] كله لطلحة ، وقد قال له رسول الله ﷺ يومئذ : « أوجب طلحة »[٢] وذلك أنه كان على رسول الله ﷺ درعان فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع ، فطأطأ له طلحة فصعد على ظهره حتى استوى عليها ، وقال[٣] : « أَوْجَبَ طلحة » .

وهو أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحدُ الستة أصحاب الشورى ، وقد صحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته حتى توفي وهو عنه راض ، وكذلك أبو بكر وعمر ، فلما كانت قضية عثمان اعتزل عنه فنسبه بعض الناس إلى تحامل عليه[٤] ، فلهذا لمّا حضر يوم الجمل واجتمع به عليٌّ فوعظه تأخّر فوقف في بعض الصفوف ، فجاءه سهمٌ غَرْبٌ فوقع في ركبته وقيل في رقبته ، والأول أشهر ، وانتظم السهمُ مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه ، وجعل يقول : إليّ عباد الله ، فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها ، ويقال إنه مات بالمعركة ، وأنَّ علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل[٥] يمسحُ عن وجهه التُّرابَ وقال : رحمة الله عليك أبا محمد ، يعز عليَّ أن أراك مُجَدَّلاً[٦] تحت نجوم السماء ، ثم قال : إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري[٧] ، والله لوددتُ أنّي كنتُ متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة . ويقال إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم ، وقال لأبان بن عثمان : قد كفيتك رجالاً[٨] من قتلة عثمان ، وقد قيل إن الذي رماه غيره ، وهذا عندي أقرب ، وإن كان الأول مشهوراً والله أعلم .

---

(١) في أ : وكان .
(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٦٥) والترمذي في جامعه (١٦٩٢) و(٣٨٢١) في الجهاد ، وهو حديث حسن .
(٣) في أ : فقال .
(٤) في ط : فيه .
(٥) في أ : وأن علياً رآه بين القتلى فجعل .
(٦) في ط : مجدولاً .
(٧) قال الأصمعي : معناه سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي . سير أعلام النبلاء (١/ ٣٦) .
(٨) في أ : رجلاً . وفي أسد الغابة : قد كفيتك بعض قتلة أبيك .

وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخر سنة ست وثلاثين ، ودفن طلحة إلى جانب الكلأ[١] وكان عمره ستين سنة ، وقيل : بضعاً وستين سنة ، وكان آدم ، وقيل أبيض ، حسن الوجه كثير الشعر إلى القصر أقرب ، وكانت غلته في كل يوم ألف درهم .

وروى حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أبيه : أن رجلاً رأى طلحة في منامه ، وهو يقول : حوِّلوني عن قبري فقد آذاني الماء ، ثلاث ليالٍ ، فأتى ابن عباس ـ وكان نائباً على البصرة ـ فأخبره[٢] فاشتروا له داراً بالبصرة بعشرة آلاف درهم فحوّلوه من قبره إليها ، فإذا قد اخضّر من جسده ما يلي الماء ، وإذا هو كهيئته يوم أصيب .

وقد وردت له فضائل كثيرة . فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي عاصم : حدَّثنا الحسن بن علي ، حدثنا سليمان [بن أيوب] بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، حدَّثني أبي ، عن جده ، عن موسى بن طلحة عن أبيه قال : سمّاني رسول الله ﷺ يومَ أحدٍ طلحةَ الخير ، ويوم العسرة طلحة الفياض . ويوم حنين طلحة الجود[٣] .

وقال أبو يعلى الموصلي[٤] : حدَّثنا أبو كُريب ، حدَّثنا يونس بن بُكَيْر ، عن طلحة بن يحيى ، عن موسى وعيسى ابني طلحة ، عن أبيهما أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل عمَّن قَضَى نَحْبهُ فقالوا : سلْ رسول الله ﷺ فسأله في المسجد ، فأعرض عنه ، ثمّ سأله ، فأعرض عنه ، ثُمّ اطَّلعتُ من باب المسجد ، وعليَّ ثيابٌ خضرٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « أين السائل ؟ » قال هاأنا ذا فقال : « هذا ممَّن قضى نحبهُ » .

وقال أبو القاسم البغوي : حدَّثنا داود بن رُشَيْد ، حدَّثنا مسلم بن إبراهيم[٥] ، حدَّثنا الصلت بن دينار ، عن أبي نَضْرة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله »[٦] .

وقال الترمذي[٧] : حدَّثنا أبو سعيد الأشج ، حدَّثنا أبو عبد الرحمن بن منصور العنزي[٨] ـ اسمه

---

(١) قال الذهبي في السير (١/ ٤٠) : وقبره بظاهر البصرة .
(٢) في أ : فأتى ابن عباس فأخبره .
(٣) رواه ابن أبي عاصم في « السنة » رقم (١٤٠٣) والحاكم (٣/ ٣٧٤) وإسناده ضعيف .
(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (٦٦٣) ، وإسناده حسن .
(٥) في ط : حدَّثنا مكي حدَّثنا علي بن إبراهيم . . ، وفي أ : حدَّثنا علي بن إبراهيم . . .
(٦) رواه الترمذي رقم (٣٧٣٩) وأبو محمد البغوي في شرح السنة (١٤/ ١٢٠) وإسناده ضعيف جداً ، فإن الصلت بن دينار متروك ، ولذلك استغربه الترمذي ، وحق له .
(٧) جامع الترمذي (٣٧٤١) في المناقب ، وإسناده ضعيف ، كما قال الترمذي .
(٨) في أ : العنبري ؛ تحريف .

النضر ـ حدَّثنا عقبة بن علقمة اليَشكُري سمعت علي بن أبي طالب يقول : سمعت أُذناي رسول الله ﷺ يقول : « طلحة والزبير جاراي في الجنة » وقد روي من غير وجه عن علي أنه قال[١] : إني أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

وقال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، فجعل سعدٌ ينهاه ويقول : لا تقع في إخواني فأبى فقام[٢] فصلَّى ركعتين ثم قال : اللهم إن كان [هذا] سخطاً لك فيما يقول ، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرةً . فخرج الرجل فإذا ببختي[٣] يشقُّ الناسَ فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته[٤] والبلاط فسحقه حتى قتله . قال سعيد بن المسيب : فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون : هنيئاً لك أبا إسحاق أُجيبت دعوتُك .

والزُّبير بن العَوّام بن خُوَيْلد[٥] بن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي ، وأمه صفيَّة بنت عبد المطلب عمةُ رسول الله ﷺ أسلم قديماً وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل أقل وقيل أكثر . هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش[٦] ، وقد شهد المشاهد كلَّها .

وقد قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال : أنا ، ثم ندب الناس فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ لكل نبيٍّ حوارياً وحواريَّ الزبير »[٧] ثبت ذلك من رواية زِرٍّ عن علي[٨] .

وثبت عن الزُّبير أنه قال : جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم بني قريظة .

وروي أنه أولُ من سلَّ سيفاً في سبيل الله ، وذلك بمكة حين بلغ الصحابة أنَّ رسول الله قد قُتل فجاء

(١) الخبر أخرجه ابن سعد (٣/ ١٦٠) والطبري في تفسيره (١٤/ ٣٦) وهو في السير (١/ ٣٩) ، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان .

(٢) في أ : فقام سعد .

(٣) البُخْتُ : الإبل الخراسانية كالبختية (القاموس) .

(٤) الكِركرة ـ بالكسر ـ رحى زور البعير أو صدر كل ذي خف . القاموس .

(٥) ترجمة ـ الزبير بن العوام ـ في الاستيعاب (٥١٠) وأسد الغابة (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٢) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤١ ـ ٦٧) والإصابة (٥/ ٧ ـ ٩) .

(٦) في ط : سلمة بن وقش ؛ وما هنا موافق للسير .

(٧) قال مصعب الزبيري : الحواريّ : الخالص من كل شيء . وقال الكلبي : الحوراي : الخليل . سير أعلام النبلاء (١/ ٤٩) .

(٨) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٨٩ و١٠٢ و١٠٣) والترمذي في جامعه (٣٧٤٤) والطبراني في الكبير رقم (٢٤٣) في المناقب ، وهو حديث صحيح .

[الزبير] شاهراً سيفه حتى رأى رسول الله ﷺ فشام[١] سيفه ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وصحب الصدّيق فأحسنَ صحبتَه ، وكان خَتنه على ابنته أسماء[٢] وابنه عبد الله منها أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة ، وخرج مع الناس إلى الشام مجاهداً فشهد[٣] اليرموك فتشرفوا بحضوره ، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء ، اخترق عساكر[٤] الروم وصفوفهم [من بين الناس] مرتين من أولهم إلى آخرهم ، وكان من جملة من دافع عن عثمان (وحاجف عنه) ، فلما كان يوم الجمل ذكَّره علي بما ذكّره به [كما تقدم] فرجع عن القتال وكرَّ راجعاً إلى المدينة ، فمر بقوم الأحنف بن قيس ـ وكانوا قد اعتزلوا[٥] عن الفريقين ـ فقال قائل [منهم] يقال له الأحنف : ما بال هذا جمع بين الناس حتى إذا التقوا كرَّ راجعاً إلى بيته ؟ من رجل يكشف لنا خبره ؟ فاتبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم فيقال إنهم لما أدركوه تعاوروا عليه حتى قتلوه ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو : إن لي إليك حاجة فقال : ادن ! فقال مولى الزبير ، واسمه عطية ـ إن[٦] معه سلاحاً فقال : وإن [كان] ، فتقدَّم إليه فجعل يحدثه[٧] وحان[٨] وقت الصلاة فقال له الزبير : الصلاة فقال : الصلاة فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله .

ويقال : بل أدركه (عمرو) بواد يقال له وادي السباع وهو نائم (في القائلة) فهجم عليه فقتله وهذا القول هو الأشهر ، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وهي[٩] آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها [أيضاً] وكانت قبله[١٠] تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها فلما قتل الزبير رثته بقصيدة [جيدة الشعر] محكمة المعنى فقالت[١١] : [من الكامل]

غَدَرَ ابنُ جُرْموزٍ بفارسِ بُهمةٍ[١٢] يَوْمَ اللّقاءِ وكان غَيْرَ مُعَرِّدِ[١٣]
يا عَمْرو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لا طائشاً رَعْشَ الجنان ولا اليد

---

(١) شام : غمد .
(٢) في ط : أسماء بنت الصديق .
(٣) في أ : فجاهد وشهد .
(٤) في ط : جيوش .
(٥) في ط : انعزلوا عن الفريقين .
(٦) في أ : إن أرى معه .
(٧) في أ : يحادثه .
(٨) في ط : وكان .
(٩) في ط : وكانت .
(١٠) في أ : قبل عمر .
(١١) الأبيات في سير أعلام النبلاء (١ / ٦٧) وفي هامشه مصادرها .
(١٢) البهمة : الشجاع وقيل هو الفارس الذي لا يُدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه .
(١٣) المعرِّد : اسم فاعل من عرد تعريداً بمهملات : إذا فرَّ وهرب .

ثَكِلَتْـك أمُّـكَ إنْ ظَفِـرْتَ بِمِثْلِـه ممـنْ بقـي ممـنْ يَـروحُ ويَغْتـدي[(١)]
كـمْ غَمْـرَةٍ قَـدْ خـاضَهـا لـم يَثْنِـهِ عَنْها طِرادُكَ[(٢)] يا بنَ فَقْعٍ[(٣)] الفَدفَدِ[(٤)]
واللهِ رَبّـي[(٥)] إن قتلـتَ لمُسْلمـاً حلّـتْ عَلَيْـكَ عُقـوبـةُ المُتعمِّـدِ[(٦)]

ولما قتله عمرو (بن جرموز) احتزَّ رأسَه وذهب به إلى عليٍّ ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده، فاستأذنَ فقال عليّ : لا تأذنوا له وبشِّروه بالنار ، وفي رواية أن علياً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بشر قاتلَ ابن صفية بالنار »[(٧)] (ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال علي : إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ) ، فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه ، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه ، فقيل لمصعب : إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختفٍ ، فهل لك فيه ؟ فقال : مروه فليظهر فهو آمن ، والله ما كنت لأقيد[(٨)] للزبير منه فهو أحقر من أن[(٩)] أجعله عدلاً للزبير .

وقد كان الزُّبير ذا مال جزيل وصدقات كثيرة جداً ، ولمّا كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله ، فلما قُتل وجدوا عليه من الدين ألفي ألف ومئتا ألف فوفوها عنه ، وأخرجوا بعد ذلك ثُلْثَ ماله الذي [كان] أوصى به ، ثم قُسمت التَّركة بعد ذلك فأصاب كلَّ واحدة من زوجاته وكنّ أربعاً[(١٠)] من ربع الثُّمن ألف ألف ومئتا ألف درهم ، فعلى هذا يكون (مجموع) ما قُسم بين الورثة ثمانيةً وثلاثين ألف ألف وأربعمئة ألف (والثلث الموصى به تسعة عشر ألف ألف ومئتا ألف فتلك الجملة سبعة) وخمسون ألف ألف وستمئة ألف ، والدَّين (المخرج) قبل ذلك ألفا ألف ومئتا ألف[(١١)] فعلى هذا يكون جميع ما تركه من

---

(١) في السير : فيما مضى مما تروح وتغتدي .
(٢) في أ : نظيرك .
(٣) الفقع : نوع أبيض من رديء الكمأة . والفدفد : الأرض المستوية ؛ وفقع الفدفد مَثَلٌ للذليل .
(٤) في ط : العردد .
(٥) في السير : ربك .
(٦) في هامش السير : أشارت بقولها : عقوبة المتعمد . . . ؛ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] . وقال غيره : عقوبة المتعمد أن يقتل قصاصاً .
(٧) رواه أحمد في المسند (١/ ٨٩) عن علي رضي الله عنه موقوفاً عليه ، وإسناده حسن .
(٨) في أ : لأفتد .
(٩) في أ : من ذلك أن أجعله .
(١٠) في ط : من الزوجات الأربع .
(١١) في هامش أ : والدين قبل ذلك ألف ألف فالجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمئة .

الدين والوصية والميراث تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمئة ألف ، وإنما نبَّهنا على هذا لأنه وقع في صحيح البخاري[١] ما فيه نظر ينبغي أن ينتبه[٢] له ، والله أعلم .

وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الغزيرة[٣] مما أفاء الله عليه من الجهاد ومن خمس الخمس ما يخص[٤] أمه منه ، ومن التجارة المبرورة (وقد) قيل إنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فربما تصدَّقَ في بعض الأيام بخراجهم كلِّهم رضي الله عنه وأرضاه .

وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد نيف على الستين[٥] بست أو سبع .

وكان أسمر ربعةً من الرجال ، معتدلَ اللحم ، خفيفَ اللحية ، رضي الله عنه .

وفي هذه السنة أعني سنة ست وثلاثين

ولَّى عليٌّ بن أبي طالب [أمير المؤمنين] نيابةَ الدّيار المصرية لقيس[٦] بن سعد بن عبادة ، وكان على نيابتها في أيام عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فلمّا توجّه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان [ليقتلوه] ؛ وكانَ الذي جَهَّزهم إليه مع عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء محمد بن أبي حذيفة بن عتبة ، وكان لما قتل أبوه باليمامة ، [قد] أوصى به إلى عثمان ، فكفله [عثمان] ورباه في حجره ومنزله وأحسن إليه إحساناً كثيراً ونشأ في عبادة وزهادة ، وسأل من عثمان أن يوليه عملاً فقال له : متى ما صرت أهلاً لذلك وليتك ، فتعتب[٧] في نفسه على عثمان فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له ، فقصد الديارَ المصريةَ وحَضَرَ مع أميرها عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزوةَ الصَّواري كما قدمنا ، وجعل[٨] ينتقص عثمان رضي الله عنه وساعده[٩] على ذلك محمد بن أبي بكر [الصديق] ، فكتب بذلك ابن أبي سَرْح إلى عثمان يشكوهما (إليه) فلم يعبأ بهما عثمان ، ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبي حذيفة حتى استنفرَ أولئك إلى عثمان فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان تغلب على الديار المصرية وأخرج منها

(١) صحيح (٣١٢٩) في فرض الخمس .
(٢) في ط : « ينبه » ولا تصح ، لأنها لو كانت كذلك لقال « ينبه عليه » .
(٣) في أ : والمآثر الوثيرة من الحلال .
(٤) في أ : مما يختص به منه .
(٥) في أ : الستين سنة بست .
(٦) في أ : لبشر بن سعد ؛ خطأ . وما هنا موافق للطبري (٤/٥٤٧) .
(٧) في أ : فبقيت .
(٨) في أ : وشرع .
(٩) في أ : وساعده أولئك .

(عبد الله) بن سعد بن أبي سرح ، وصلى بالناس فيها ، فلما كان ابن أبي سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل (أمير المؤمنين) عثمان فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وبلغه أن علياً قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عبادة ، فشمت بمحمد بن أبي حذيفة ، إذ لم يمتَّع بملك الديار المصرية سنة ، وسار عبد الله بن سعد[١] إلى الشام إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره بديار مصر ، وأن محمد بن أبي حذيفة قد استحوذ عليها ، فسار معاوية وعمرو بن العاص [إليه] ليخرجاه منها لأنه من أكبر الأعوان على قتل عثمان ، مع أنه كان قد رباه (وكفله) وأحسن إليه ، فعالجا دخول مصر فلم يقدرا فلم يزالا يخدعانه حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصَّن بها ، وجاء عمرو بن العاص فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا ، ذكره محمد بن جرير[٢] ، ثم سار إلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بولاية من علي[٣] ، فدخل مصر في سبعة نفر ، فرقي المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٤] .

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم فإني أحمد الله [إليكم] كثيراً الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن الله بحسن صنيعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله ، وبعث به الرسل إلى عباده وخصَّ به من انتخب[٥] من خلقه ، فكان مما أكرم الله به هذه الأمة ، وخصَّهم به من الفضيلة أن بعث محمداً يعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة[٦] ، لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما يتفرقوا ، وزكاهم لكي يتطهَّروا ، ووفَّقهم لكيلا يجوروا . فلمّا قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه وبركاته ورحمته ، ثم إن المسلمين استخلفوا بعده أميرين صالحين ، عَمِلا بالكتاب و [السنة] وأحسنا السيرةَ ولم يعدُوا السنَّة ثم توفاهما الله فرحمهما الله ، ثم ولي بعدهما والٍ أحدث أحداثاً ، فوجدت الأمة عليه مقالاً فقالوا ، ثم نقموا عليه فغيّروا ، ثم جاؤوني فبايعوني فأستهدي الله بهداه وأستعينه على تقواه[٧] ، ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ، والقيام عليكم بحقه[٨] والنصح لكم بالغيب واللهُ المستعانُ وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد بعثت إليكم قيسَ بن سعد بن عبادة فوازروه وكانفوه وأعينوه على

---

(١) في أ : وسار ابن أبي سرح إلى الشام .
(٢) تاريخ الطبري (٥٤٧/٤) وما بعدها .
(٣) في أ : فسار إلى مصر قيس بن سعد بولاية علي فدخلها في سبعة نفر .
(٤) نص الكتاب في تاريخ الطبري (٥٤٨/٤) .
(٥) في أ : من انتخبه .
(٦) في أ : والسنن لكي يهتدوا ، وجمعهم لكيلا يتفرقوا .
(٧) في ط : « التقوى » ، وما أثبتناه من أ وهو أليق .
(٨) في أ : بالحق .

الحق ،وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم[١] والرفق بعوامكم وخواصّكم ، وهو ممن أرضى هديه ، وأرجو صلاحه ونصيحته ، أسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً وثواباً جزيلاً ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب عبد الله[٢] بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين .

قال : ثم قام قيس بن سعد فخطب[٣] الناس ودعاهم إلى البيعة لعلي ، فقام الناس فبايعوه ، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها خِربتا[٤] ، فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان ـ وكانوا سادة الناس ووجوههم وكانوا في نحو من عشرة آلاف [منهم بشر بن أبي أرطاة ومسلمة بن مخلَّد ومعاوية ابن حديج وجماعة من الأكابر] وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث المُدْلجي ـ وبعثوا إلى قيس بن سعد فوادعهم ، وكذلك مسلمة بن مُدْلج الأنصاري تأخّر عن البيعة فتركه قيس (بن سعد) ووادعه .

ثم كتب معاوية بن أبي سفيان ـ وقد استوسق[٥] له أمر الشام بحذافيره ـ إلى أقصى بلاد الروم والسواحل وجزيرة قبرص أيضاً تحت حكمه[٦] وبعض بلاد الجزيرة كالرها وحران وقرقيسيا وغيرها، وقد ضوى إليها[٧] الذين هربوا يوم الجمل من العثمانية ، وقد أراد الأشتر انتزاع هذه البلاد من نوّاب معاوية ، فبعث إليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففر منه الأشتر[٨] ، واستقرّ أمرُ معاوية على تلك البلاد [فلما استوسقت له البلاد كما ذكرنا] كتب إلى قيس بن سعد يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان وأن يكون مؤازراً له على ما هو بصدده من القيام في ذلك ، ووعده أن يكون نائبه على العراقين إذا تمّ له الأمر ما دام سلطاناً فلمّا بلغه الكتاب ـ وكان قيس رجلاً حازماً ـ لم يخالفه ، ولم يوافقه بل بعث يلاطف معه الأمر وذلك لبعده عن علي وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود ، فسالمه قيس وتاركه ولم يواقعه على ما دعا إليه ولا وافقه[٩] عليه : فكتب إليه معاوية[١٠] : إنه لا يسعك معي تسويفك بي وخديعتك لي ولا بد أن أعلم أنك سلم[١١] أو عدو ـ وكان معاوية حازماً أيضاً ـ

---

(١) في أ : مريبكم ومسيئكم .
(٢) في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤) : عبيد الله .
(٣) خطبة قيس في تاريخ الطبري (٤/٥٤٩) .
(٤) في أ : جربيا ؛ تحريف . وخربتا : قال القضاعي : يُعد كُورَ مصر . وهو حوالي الإسكندرية . معجم البلدان (٢/٣٥٥) .
(٥) في أ : بعد أن استوثق .
(٦) في أ : تحت حكمه يأتيه حملها .
(٧) في أ : وقد أتاه الذين .
(٨) في أ : ففر منه الأشتر وهرب .
(٩) في أ : ولا خالفه .
(١٠) في أ : معاوية إليه .
(١١) في أ : معي تسويفك لي فلابد أن أعلم أنك سلم لي .

فكتب إليه [قيس] لما صمم عليه : إني مع علي إذ هو أحق بالأمر منك ، فلما بلغ ذلك معاوية يئس منه ورجع ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيس بن سعد[١] يكاتبهم في الباطن ويمالئهم على أهل العراق .

وروى ابن جرير[٢] أنه جاء من جهته كتاب مزور بمبايعته معاوية والله أعلم بصحته . ولما بلغ ذلك علياً فاتهمه وكتب له أن يغزو أهل خِرِبْتا[٣] الذين تخلفوا عن البيعة ، فبعث إليه يعتذر إليه بأنهم عدد كثير ، وهم وجوه الناس .

وكتب إليه : إن كنت إنما أمرتني بهذا لتختبرني لأنك اتَّهمتني [في طاعتك] ، فابعث على عملك بمصر غيري ، فبعث علي على إمرة مصر الأشتر النحعي ، فسار إليها فلما بلغ القلزم شرب شربة من عسل فكان فيها حتفه ، فبلغ ذلك أهل الشام فقالوا : إن لله جنداً من عسل ، فلما بلغ علياً مهلك الأشتر بعث محمد بن أبي بكر على إمرة مصر ، وقد قيل وهو الأصح إن علياً ولى محمد بن أبي بكر[٤] بعد قيس بن سعد ، فارتحل قيس إلى المدينة ، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى علي فاعتذر إليه قيس بن سعد فعذره علي ، وشهدا معه صفين كما سنذكره ، فلم يزل محمد بن أبي بكر بمصر قائم الأمر مهيباً بالديار المصرية ، حتى (كانت) وقعة صفين ، وبلغ أهل مصر خبر معاوية ومن معه من أهل الشام على قتال أهل العراق ، وصاروا إلى التحكيم فطمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجترأوا عليه وبارزوه بالعداوة ، فكان من أمره ما سنذكره . وكان عمرو بن العاص قد بايع معاوية على القيام بطلب دم عثمان ، وكان قد خرج من المدينة حين أرادوا حصره لئلا يشهد مهلكه ، مع أنه كان متعتباً عليه[٥] بسبب عزله له عن ديار مصر وتوليته عليها[٦] عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فتسرح عن المدينة على تغضب[٧] فنزل قريباً من الأردن ، فلما قتل عثمان رضي الله عنه صار إلى معاوية فبايعه على ما ذكرنا [من القيام بدم عثمان] .

فصل
في [ذكر وقعة صفّين]
بين أهل العراق [من أصحاب عليّ] وبين أهل الشام [من أصحاب معاوية]

قد تقدم ما رواه (الإمام) أحمد ، عن إسماعيل بن علية ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، أنه

---

(١) في أ : أن قيساً يكاتبهم .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٣) .
(٣) في أ : فلما جاء الكتاب إلى علي اتهمه وكتب إليه أن يغزوا جربيا .
(٤) في أ : أنه إنما ولاه مصر .
(٥) في أ : متعتباً على عثمان .
(٦) في أ : وهو الذي فتحها وتوليته بدلها . .
(٧) في أ : فخرج من المدينة على تغضب وغيظ فنزل .

قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مئة ، بل لم يبلغوا ثلاثين .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا أمية بن خالد قال لشعبة إن أبا شيبة روى عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :

شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً ، فقال : كذب أبو شيبة ، والله لقد ذاكرنا الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خُزَيْمة بن ثابت ؟ وقد قيل إنه شهدها من أهل بدر سهل بن حُنَيْف ، وكذا أبو أيوب الأنصاري ؛ قاله شيخنا العلامةُ ابنُ تَيْمية في كتاب الرَّد على الرافضة .

وروى ابن بطة بإسناده عن بكير[١] بن الأشج أنه قال أما إن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلَّا إلى قبورهم .

وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة ، سار من البصرة إلى الكوفة[٢] .

قال أبو الكنُود عبد الرحمن بن عبيد فدخلها علي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلةً خَلَتْ من رجب سنةَ ستٍّ وثلاثين فقيل له : انزل بالقصر الأبيض ، فقال : لا ! إن عمر (بن الخطاب) كان يكره نزوله فأنا أكرهه كذلك ، فنزل في الرحبة وصلَّى في الجامع الأعظم ركعتين ، ثم خطب الناس فحثَّهم على الخيْر ونهاهم عن الشر ، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه ، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله ـ وكان على همذان من زمان عثمان ـ وإلى الأشعث بن قيس ـ وهو على نيابة أذربيجان من زمان[٣] عثمان ـ [يأمرهما] أن يأخذا البيعة [له] على من هنالك (من الرعايا) ثم يقبلا إليه ، ففعلا ذلك . فلما أراد علي رضي الله عنه أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه إلى بيعته . قال جرير بن عبد الله : أنا أذهب إليه (يا أمير المؤمنين) فإن بيني وبينه وداً ، فآخذ لك منه البيعة[٤] ، فقال الأشتر : لا تبعثه يا أمير المؤمنين فإني أخشى أن يكون هواه معه . فقال علي : دعه ، وبعثه[٥] وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ، ويخبره بما كان في وقعة الجمل ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس . فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب فطلب[٦] معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان ، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان ، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتل

---

(١) في أ : بكر ؛ تحريف وبكير هذا من رجال التهذيب .
(٢) في أ : لما فرغ من وقعة الجمل سار إلى الكوفة .
(٣) في أ : من أيام .
(٤) في أ : البيعة منه .
(٥) في أ : فبعثه .
(٦) في أ : وطلب .

قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه . فرجع[١] جرير إلى علي فأخبره بما قالوا ، فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ألم أنهك[٢] أن تبعث جريراً ؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته . فقال له جرير : لو كنت ثمَّ لقتلوكَ بدم عثمان . فقال الأشتر : والله لو بعثني لم يعنني جواب معاوية ولأعجلنه عن الفكرة ، ولو أطاعني قبل لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة ، فقام جرير مغضباً وأقام بقرقيسيا ، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وما قيل له ، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه .

وخرج[٣] أمير المؤمنين علي (بن أبي طالب) من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فعسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عمرو[٤] البدري الأنصاري وكان قد أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة ويبعث الجنود . وأشار آخرون[٥] أن يخرج فيهم بنفسه ، وبلغ معاوية أن علياً قد خرج [إليه] بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له : اخرج أنت أيضاً بنفسك ، وقام عمرو بن العاص في الناس فقال إن صناديد أهل الكوفة والبصرة قد تفانوا [يوم الجمل ، ولم يبق مع علي إلَّا شرذمة قليلة (من الناس) ، ممن قتل ، (وقد قتل) الخليفة أمير المؤمنين عثمان][٦] (بن عفان) ، فالله الله في حقّكم أن تضيِّعوه ، وفي دم عثمان خليفة الله فلا تطلبوه[٧] .

وكتب إلى أجناد الشام فحضروا ، وعقدت الألوية والرايات للأمراء ، وتهيَّأ أهلُ الشام وتأهّبوا ، وخرجوا أيضاً إلى نحو الفرات من ناحية صفين ـ حيث يكون مقدم علي (بن أبي طالب رضي الله عنه) ـ وسار علي رضي الله عنه بمنْ معه من الجنود من النخيلة قاصداً أرض الشام .

قال أبو إسرائيل ، عن الحكم بن عتيبة[٨] : وكان في جيشه ثمانون بدرياً ومئة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة .

رواه ابن ديزيل . وقد اجتاز في طريقه براهب فكان من أمره ما ذكره [إبراهيم بن] الحسين بن ديزيل[٩] في كتابه فيما رواه عن يحيى بن عبد الله الكرابيسي ، عن نصر بن مزاحم[١٠] ، عن عمر بن سعد ، حدَّثني مسلم الأعور ، عن حبَّة العُرني قال :

---

(١) في أ : عثمان وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم فرجع . . .
(٢) في أ : ألم أنهك يا أمير المؤمنين .
(٣) في هامش أ : مطلب خروج علي رضي الله عنه بنية القتال مع معاوية .
(٤) في ط : عامر ؛ تحريف . وعقبة بن عمرو هذا من رجال التهذيب .
(٥) في أ : آخرون عليه بالخروج بنفسه فخرج .
(٦) ما بين الحاصرتين في هامش أ .
(٧) في ط : وفي دمكم أن تطلوه .
(٨) في ط : عيينة ؛ تحريف ، وهو من رجال التهذيب .
(٩) في ط : الحسين بن ديزيل ؛ خطأ وترجمة ابن ديزيل في سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٤) .
(١٠) نصر بن مزاحم هذا كذاب ، كما في الميزان (٤/ ٢٥٤) ، فلا يشك عاقل بأن هذا الخبر كذب محض .

لما أتى علي الرَّقَّة نزل بمكانٍ يقال له البليخ[(١)] على جانب الفرات فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلي : إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى ابن مريم عليهما السلام ، أعرضه عليك ؟ فقال (علي) : نعم ! فقرأ الراهب (الكتاب) :

« بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر ، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكّيهم ويدلّهم على سبيل الله ، لا فظّ ولا غليظ ولا صخاب[(٢)] في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمَّادون[(٣)] الذين يحمدون اللهَ على كل شرف ، وفي كل صعود وهبوط ، وتذلّ ألسنتهم بالتهليل والتكبير ، وينصره الله على كل منْ ناوأه فإذا توفّاه الله اختلفت (أمته) ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت[(٤)] ثم يمر رجل من أمته بشاطىء هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا ينكس الحكم ، الدنيا أهون (عليه من الرماد) أو قال التراب ـ في يوم عصفت فيه الريح ـ والموت أهون عليه من شرب الماء ، يخاف الله في السر ، وينصح[(٥)] في العلانية ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة .

ثم قال لعلي : فأنا أصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما (أصابك) فبكى عليٌّ ثم قال : الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسياً منسياً ، والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار . فمضى الراهب معه وأسلم فكان مع عليّ حتى أصيب يوم صفين . فلما[(٦)] خرج الناس يطلبون[(٧)] قتلاهم قال علي : اطلبوا الراهب ، فوجدوه قتيلاً ، (فلما وجدوه) صلَّى عليه ودفنه واستغفرَ له .

وقد بعث علي بين يديه زياد بن النضر الحارثي طليعةً في ثمانية آلاف ، ومعه شريح بن هانىء ، في أربعة آلاف ، فساروا في طريق بين يديه غير طريقه .

وجاء علي [كرم الله وجهه] فقطع دجلة من جسر منبج وسارت المقدمتان ، فبلغهم أنَّ معاويةَ قد ركب في أهل الشام ليلتقي[(٨)] أمير المؤمنين علياً فهمّوا بلقياه فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه ، فعدلوا عن طريقهم وجاءوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات فساروا فعبروا من هيت ثم لحقوا علياً ـ وقد

(١) في أ : اليلبج : تحريف . والبليخ اسم نهر بالرقة . معجم البلدان (١/ ٤٩٣) .
(٢) في أ : ولا سخاب .
(٣) في أ : الحامدون .
(٤) في أ : فتلبث في ذلك ما شاء الله ثم تختلف .
(٥) في أ : ويصفح .
(٦) في أ : حتى انقضت وقعة فلما .
(٧) في أ : يدفنون .
(٨) في أ : ليلقا علياً فهمّوا بلقائه .

سبقهم ـ فقال علي : مقدمتي تأتي من ورائي ؟ فاعتذروا إليه بما جرى لهم ، فعذرهم ثم قدمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبروا[١] الفرات فتلقاهم أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في مقدمة أهل الشام فتواقفوا ، ودعاهم[٢] زياد بن النضر أمير مقدمة أهل العراق إلى البيعة ، فلم يجيبوه بشيء فكتب إلى علي بذلك فبعث إليهم عليٌّ الأشتر النخعي أميراً ، وعلى ميمنته زياد [بن النضر] ، وعلى ميسرته شريح ، وأمره أن لا يتقدم إليهم بقتال حتى يبدؤوه [أولاً] بالقتال ، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرةً بعد مرةٍ ، فإن امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوه ولا يقرب منهم قرب من يريد الحرب ، ولا يبتعد منهم ابتعاد مَنْ يهاب الرجال ، ولكن صابرهم حتى آتيك فأنا حثيث السير وراءك إن شاء الله (فتحاجزوا يومهم ذلك ، فلما كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور السلمي) وبعث معه بكتاب الإمارة على المقدمة مع الحارث بن جهمان الجعفي ، فلما قدم الأشتر على [أمير] المقدمة امتثل ما أمره به علي ، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبو الأعور [فتخاصموا يومهم ذلك من كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور] السلمي ، فثبتوا له واصطبروا لهم ساعة[٣] ثم انصرف أهل الشام عند المساء ، فلما كان الغد تواقفوا أيضاً وتصابروا فحمل الأشتر ، فقُتِلَ عبد الله بن المنذر التنوخي ـ وكان من فرسان أهل الشام ـ قتله[٤] رجل من أهل العراق يقال له ظبيان بن عمارة التميمي ، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بمن معه ، فتقدموا إليهم وطلب الأشتر من أبي الأعور أن يبارزه فلم يجبه أبو الأعور إلى ذلك ، وكأنه رآه غير كفء له في ذلك والله أعلم . ثم تحاجز القوم عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثاني[٥] .

فلما كان صباح اليوم الثالث أقبل علي رضي الله عنه في جيوشه ، وجاء معاوية رضي الله عنه في جنوده ، فتواجه الفريقان وتقاتل الجمعان وبالله المستعان ، فتوافقوا طويلاً . وذلك بمكان يقال له : صفين[٦] (وذلك) في أوائل ذي الحجة ، ثم عدل علي رضي الله عنه فارتاد لجيشه منزلاً ، وقد كان معاوية سبق بجيشه (فنزلوا) على مشرعة الماء في أسهل موضع وأفيحه[٧] ، فلما جاء علي نزل[٨] بعيداً من الماء ، وجاء سرعان أهل العراق ليردوا من الماء فمنعهم أهل الشام ، فوقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك ، وقد كان معاوية وكل[٩] على الشريعة أبا الأعور السُّلمي ، وليس هناك مشرعةٌ سواها ، فعطشَ أصحابُ

---

(١) في ط : عبر .
(٢) في أ : فدعاهم .
(٣) في أ : وصبروا ساعة .
(٤) في أ : فقتله .
(٥) ينظر تاريخ الطبري (٤/ ٥٦٧) .
(٦) في هامش أ : مطلب اسم معركة علي ومعاوية .
(٧) في ط : وأفسحه .
(٨) في ط : فلما جاء علياً ؛ وهو خطأ .
(٩) في أ : وكان معاوية قد وكل .

عليٍّ عطشاً شديداً فبعث عليٌّ الأشعثَ بن قيس الكندي (في جماعة) ليصلوا إلى الماء فمنعهم أولئك وقال : موتوا عطشاً كما منعتم عثمان الماء ، فترامَوْا بالنبل ساعة ، ثم تطاعنوا بالرماح أخرى ، ثم تقاتلوا بالسيوف بعد ذلك كله ، وأمدَّ كل طائفة أصحابها[١] ، حتَّى جاء الأشترُ النخعي من ناحية العراقيين وعمرو بن العاص من ناحية الشاميين ، واشتدت الحرب بينهم أكثر مما كانت ، وقد قال رجل من أهل العراق ـ وهو عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي ـ وهو يقاتل[٢] : [من الرجز]

خَلُّوا لنا ماءَ الفُراتِ الجاري أو اثبتــوا لِجَحْفَــلٍ جَــرّارِ
لِكُلِّ قَرْمٍ مَستميت شاري[٣] مُطــاعــنٍ بــرُمْحِــهِ كَــرّار
ضَرّابِ هاماتِ العِدا مِغْوارِ

ثم ما زال أهلُ العراق يكشفون الشاميين عن الماء حتى أزاحوهم عنه وخلوا بينهم وبينه ، ثم اصطلحوا على الورود حتى صاروا يزدحمون في تلك الشريعة لا يكلم أحدٌ أحداً ، ولا يؤذي إنسانٌ[٤] إنساناً .

وفي رواية أنَّ معاوية لما أمر أبا الأعور بحفظ الشريعة وقف دونها برماحٍ مشرعةٍ ، وسيوفٍ مسللةٍ ، وسهامٍ مفوقةٍ ، وقسيٍّ موترة[٥] ، فجاء أصحابُ عليٍّ علياً فَشَكوا إليه ذلك فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاوية يقول له : إنا جئنا كافين عن قتالكم حتى نقيم عليكم الحجة ، فبعثت إلينا مقدمتك فقاتلتنا قبل أن نبدأكم [بالقتال] ثم هذه أخرى قد منعونا[٦] الماء ، (فلما بلغه ذلك) قال معاوية للقوم : ماذا ترون[٧] ؟ فقال عمرو[٨] : خلِّ بينهم وبينه ، فليس من النصف أن نكون ريَّانين وهم عطاش ، فقال الوليد [بن عقبة] : دعهم يذوقوا[٩] من العطش ما أذاقوا أمير المؤمنين عثمان حين حصروه (في داره) ، ومنعوه طيب الماء والطعام أربعين صباحاً[١٠] ، وقال عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح : امنعهم الماء إلى الليل فلعلَّهم يرجعون إلى بلادهم . فسكت معاوية فقال له صعصعة بن صوحان : ماذا جوابك ؟ فقال : سيأتيكم رأيي بعد هذا ، فلمّا رجع صعصعة فأخبر الخبر ركب[١١] الخيل والرجال ، فما زالوا حتى

---

(١) في ط : أهلها .
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٥٧٠) .
(٣) في أ ، ط : مشرب تيار . . ؛ وما هنا عن الطبري .
(٤) في أ : إنسان منهم إنساناً . والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٧١) .
(٥) في أ : موتورة .
(٦) في أ : منعتمونا .
(٧) في ط : تريدون .
(٨) في أ : عمرو بن العاص .
(٩) في أ : دعهم حتى يذوقوا .
(١٠) في أ : يوماً .
(١١) في أ : ركبت .

أزاحوهم عن الماء ووردوه قهراً ، ثم اصطلحوا فيما بينهم على ورود الماء[١] ، لا يمنع أحد أحداً منه ، وأقام عليٌّ يومين لا يكاتب معاويةَ ولا يكاتبه معاويةُ ، ثم دعا عليٌّ بشير بن عمرو الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشَبَث بن ربعي السَّهمي فقال : إيتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول (لكم) ، فلما دخلوا على معاوية[٢] قال له بشير بن عمرو : يا معاوية ! إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، والله محاسبك بعملك ، ومجازيك بما قدمت يداك ، وإني أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن[٣] تسفك (دماءها) بينها . فقال له معاوية : هلا أوصيت[٤] بذلك صاحبكم ؟ فقال له : (إنَّ) صاحبي أحقُّ هذه البرية بالأمر في فضله ودينه وسابقته وقرابته ، وإنه يدعوك إلى مبايعته فإنه أسلمُ لك في دنياك ، وخيرٌ لك في آخرتك[٥] . فقال معاوية : ويُطلُّ دمُ عثمان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، ثم أراد سعيد بن قيس الهمداني أن يتكلم فبدره شبَث بن ربعي فتكلم قبله بكلام فيه غلظة وجفاء في حقّ معاوية ، فزجره معاوية وزبره في افتئاته على من هو [أكبر منه و] أشرف وكلامه[٦] بما لا علم له به ، ثم أمر بهم فأخرجوا من بين يديه ، وصمَّم على القيام[٧] بطلب دم عثمان (الذي قتل مظلوماً) ، [فلما أخبروا علياً بما قالوا له وما رد عليهم ؛] فعند ذلك نشبت الحرب بينهم ، وأمر علي بالطلائع والأمراء أن يتقدموا[٨] للحرب ، وجعل عليٌّ يُؤمِّر على كل قوم من الحرب أميراً ، فمن أمرائه على الحرب : الأشتر النخعي ـ وهو أكبر من كان يخرج للحرب ـ وحجر بن عدي ، وشَبَث بن رِبْعي ، وخالد بن المعمر[٩] وزياد بن النَّضْر ، وزياد بن خَصَفة[١٠] ، وسعيد بن قيس[١١] ، ومعقل بن قيس ، وقيس بن سعد ، وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميراً[١٢] ، فمن أمرائه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبو الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلم ، وذو الكلاع الحميري ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وشرحبيل بن السمط ، وحمزة بن مالك الهمداني ، وربما اقتتل الناس في اليوم مرتين ، وذلك في شهر ذي الحجة بكماله .

---

(١) في أ : والرجال فأزاحوهم عن الماء ووردوه قهراً ، ثم اصطلحوا على وروده وألا يمنع أحد أحداً منه .
(٢) في أ : عليه .
(٣) في أ : وأن لا .
(٤) في أ : وصيت بذلك صاحبك .
(٥) في أ : أخراك .
(٦) في أ : وأشرف وفي كلامه .
(٧) في أ : على القتال .
(٨) في ط : تتقدم .
(٩) في ط : المعتمر ؛ تحريف . والتصحيح عن أ والطبري (٤/ ٥٧٤) ومصادر ترجمته .
(١٠) في أ ، ط : حفصة ؛ وما هنا عن الطبري ومصادر ترجمته .
(١١) في ط : أيس ؛ تحريف .
(١٢) في أ : وكذلك فعل معاوية كان كل يوم يبعث على الحرب أمير .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن عباس عن أمر علي له بذلك .

فلما انسلخ ذو الحجة ودخل المحرم تداعى الناس للمتاركة ، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دمائهم ، فكان ما سنذكره ، إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

استُهِلَّت هذه السنة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه متواقف هو ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، كل منهما في جنوده بمكانٍ يقال له صفّين بالقرب من الفرات شرقي بلاد الشام ، وقد اقتتلوا في مدة شهر ذي الحجة [بكماله] كل يوم ، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ، وجرت (بينهم) حروبٌ يطولُ ذكرها .

والمقصود أنه لما دخل شهرُ المحرّم تحاجزَ القومُ رجاءَ أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دمائهم .

فذكر ابن جرير[١] من طريق (هشام عن) أبي مخنف قال : حدَّثني سعد أبو المجاهد[٢] الطائي عن مُحِلّ بن خليفة أن علياً بعث عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي ، وشَبَث بن رِبْعي وزياد بن خَصَفة إلى معاوية ، فلما دخلوا عليه ـ وعمرو بن العاص إلى جانبه ـ قال عدي بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد يا معاوية فإنا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا[٣] وتحقن به الدماء[٤] ، ويؤمِّن[٥] به السبل ، ويصلح ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله بالذي رَأَوْا ، فلم يبق أحدٌ غيرك وغير من معك من شيعتك ، فانتَهِ يا معاويةُ لا يصبْكَ الله وأصحابه مثل [ما أصاب الناس] يوم الجمل .

فقال له معاوية : كأنك إنما جئت متهدداً[٦] ولم تأت مصلحاً ، هيهات والله[٧] يا عدي ، كلا والله إني لابن حرب ، لا يقعقع[٨] لي بالشِّنان[٩] ، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان ، وإنك لمن قَتَلَتِهِ ،

(١) تاريخ الطبري (٥/٥) .
(٢) في ط : سعيد بن المجاهد ؛ تحريف .
(٣) في ط : وأمرنا .
(٤) في أ : وتحقن دماءنا .
(٥) في أ : ونأمن .
(٦) في ط : مهدداً . واللفظة موافقة لما في الطبري .
(٧) ليست لفظة الجلالة في أ ولا في الطبري .
(٨) في أ : وأنا من لا يقعقع بالشنان له .
(٩) مثل عربي قديم ورد في معجم الأمثال العربية (قعقع ـ شنن) ومصادره فيه مجمع الأمثال (٢/٢٦١) وأمثال القاسم بن سلام (٩٦) وجمهرة الأمثال (٢/٤١٢) والمستقصى (٢/٢٧٤) .

وإني لأرجو أن تكونَ ممَّن يقتله الله به ، وتكلّم شَبَث بن رِبعي وزياد بن خَصَفَة فذكرا من فضل عليٍّ وقالا : اتق الله يا معاوية ولا تخالفه فإنا والله ما رأينا رجلاً قطّ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهدَ في الدنيا ، ولا أجمعَ لخصال الخير كلها منه .

فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنكم دعوتموني إلى الجماعة والطاعة ، فأما الجماعة فمعنا هي ، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلاً أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله ؟ ونحن لا نردّ ذلك عليه ولا نتهمه به ، ولكنه آوى قتلته[١] ، فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة . فقال له شَبَث بن ربعي : أنشدك الله يا معاوية ، لو تمكنت من عمار أكنت قاتله بعثمان ؟ قال معاوية : [والله] لو تمكنت من ابن سُمَيَّة ما قتلته بعثمان ، ولكني كنت قتلته بغلام عثمان . فقال له شَبَث بن ربعي : وإلَه الأرض والسماء لا تصل إلى قتل عمار حتى تندر الرؤوس عن كواهلها ، ويضيق فضاء الأرض ورحبها عليك . فقال معاوية : ولو قد كان ذلك كانت عليك أضيق .

وخرج القوم من بين يديه فذهبوا إلى علي فأخبروه بما قال[٢] .

وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري . وشُرَحبيل بن السِّمْط ، ومعن بن يزيد بن الأخْنَس إلى عليٍّ ، فدخلوا عليه فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفةً مهدياً عمل بكتاب الله وثبت[٣] لأمر الله ، فاستثقلتم حياته ، واستبطأتم[٤] وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلته إن زعمت أنك لم تقتله ، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم ، فيولي الناس أمرهم منْ جمع عليه رأيهم . فقال له علي : وما أنت لا أم لك ، وهذا الأمر وهذا العزل ، فاسكت فإنكَ لستَ هناك ولا بأهل لذاك . فقال له حبيب : أما والله لتريني[٥] حيث تكره ، فقال له علي : وما أنتَ ولو أجلبتَ بخيلك ورَجِلِكَ لا أبقى الله عليك إن أبقيت ، اذهب فصعِّدْ وصوِّب ما بدا لك .

ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي ، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر فإن في مطاوي ذلك الكلام من [كلام] عليٍّ ما ينتقص فيه معاويه وأباه ، وأنهم إنما دخلوا في الإسلام [كرهاً] ولم يزالا في تردد فيه وغير ذلك وأنه قال في غبون ذلك : لا أقول إن عثمان قُتل مظلوماً ولا ظالماً . فقالوا : نحن نبرأ ممن لم يقل إن عثمان قُتل مظلوماً ، وخرجوا من عنده ، فقال عليٌّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ۝٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل : ٨٠-٨١]

---

(١) في أ : قتلة عثمان .
(٢) في أ : فأخبروه الخبر .
(٣) في تاريخ الطبري (٥ / ٧) : وينيب .
(٤) في أ : واستطلتم .
(٥) في أ : لترين مني .

ثم قال لأصحابه : لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالتهم منكم بالجد في حقكم وطاعة نبيكم ، وهذا عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه .

وقد روى ابن ديزيل من طريق عمرو بن سعد بإسناده : أن قراء أهل العراق (وقراء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً ، وإن جماعة من قراء العراق) منهم عبيدة السلماني[١] ، وعلقمة بن قيس ، وعامر بن عبد قيس ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم جاؤوا معاوية[٢] فقالوا له : ما تطلب ؟ قال : أطلب بدم عثمان قالوا : فمن تطلب به ؟ قال : علياً ، قالوا : أهو قتله ؟ قال : نعم ! وآوى قتلته ، فانصرفوا إلى علي فذكروا له ما قال فقال : كذب ! لم أقتله وأنتم تعلمون أني لم أقتله . فرجعوا إلى معاوية فقال : إن لم يكن قتله بيده فقد أمر بقتله ومالأ عليه[٣] فرجعوا إلى علي [فأخبروه] فقال : والله لا قتلت ولا أمرت ولا ماليت . فرجعوا [إلى معاوية] فقال معاوية فإن كان صادقاً فليقدنا من قتلة عثمان ، فإنهم في عسكره وجنده ، فرجعوا [إلى علي] فقال علي : تأول القوم عليه القرآن في فتنة ووقعت الفرقة لأجلها وقتلوه في سلطانه وليس لي عليهم سبيل . فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال : إن كان الأمر على ما يقول فما له أنفذ[٤] الأمر دوننا من غير مشورة منا ولا ممن هاهنا ؟ فرجعوا إلى علي فقال علي : إنما الناس مع[٥] المهاجرين والأنصار ، فهم شهود الناس على ولايتهم وأمر دينهم ، ورضوا[٦] وبايعوني ، ولست أستحل أن أدع مثل معاوية يحكم على الأمة ويشق عصاها ، فرجعوا إلى معاوية فقال : ما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ؟ فرجعوا فقال علي : إنما هذا للبدريين دون غيرهم ، وليس على وجه الأرض بدري إلا وهو معي ، وقد [تابعني و] بايعني وقد رضي [بي] ، فلا يغرنكم من دينكم وأنفسكم ، قال : فأقاموا يتراسلون في ذلك شهر ربيع الآخر وجماديين ويقرعون في غبون ذلك القرعة بعد القرعة ويزحف بعضهم على بعض ، ويحجز بينهم القراء ، فلا يكون [في ذلك] قتال قال : فقرعوا في ثلاثة أشهر خمسة وثمانين قرعة . قال : وخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلا على معاوية فقالا له : يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله إنه أقدم[٧] منك ومن أبيك إسلاماً ، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك . فقال : أقاتله على دم عثمان لأنه آوى قتلته ، فاذهبا إليه فقولا له فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشام ، فذهبا إلى علي فقالا له ذلك فقال : هؤلاء الذين تريان فخرج خلق كثير فقالوا : كلنا قتلة عثمان

---

(١) في أ : السماني ؛ تحريف .
(٢) في أ : إلى معاوية .
(٣) في ط : أمر رجالاً .
(٤) في أ : انتهز .
(٥) في أ : إنما الناس تبع للمهاجرين .
(٦) في أ : وقد رضوا بي .
(٧) في أ : لأقدم .

فمن شاء فليرمنا [ويكدنا] . قال : فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم قتالاً بل لزما بيوتهما .

وقال عمرو بن سعد بإسناده : حتى إذا كان رجب وخشي معاوية أن يبايع القراء كلهم علياً كتب في سهم : من عبد الله الناصح : يا معشر أهل العراق ! إن معاوية يريد أن يفجِّر عليكم الفرات ليغرقكم فخذوا حذركم ، ورمى به في جيش أهل العراق . فأخذه الناس فقرؤوه وتحدثوا به ، وذكروه لعلي فقال : إن هذا ما لا يكون ولا يقع ، وشاع ذلك [فيهم] وبعث معاوية مئتي فاعل يحفرون في جنب الفرات وبلغ الناس ذلك فتشوش[١] أهل العراق من ذلك وفزعوا إلى علي فقال : ويحكم ! إنه يريد أن يخدعكم ويوهن كيدكم ليزيلكم[٢] عن مكانكم هذا وينزل فيه لأنه خير من مكانه . فقالوا : لابد من أن نخلي[٣] عن هذا الموضع فارتحلوا منه ، وجاء معاوية فنزل بجيشه ـ وكان علي آخر من ارتحل ـ فنزل بهم وهو يقول :

فَلَوْ أنِّي أطعْتُ عَصَمْتُ قَوْمي ... إلـى رُكْـنِ اليَمـامـةِ أو شَـآمِ[٤]
ولٰكنـي إذا أبْـرَمْـتُ أمْـراً ... يخالفه[٥] الطَّغامُ بنو الطَّغامِ

قال : فأقاموا إلى شهر ذي الحجة ثم شرعوا في المقاتلة فجعل علي يؤمِّر على الحرب كلَّ يوم رجلاً وأكثر من كان يؤمِّر الأشتر . وكذلك معاوية يُؤمّر كلَّ يوم أميراً فاقتتلوا شهر ذي الحجة بكماله ؛ (وربما اقتتلوا في بعض الأيام مرتين) .

قال ابن جرير رحمه الله[٦] : (ثم) لم تزل الرسل تتردَّد بين علي ومعاوية والناس كافّون عن القتال حتى انسلخ المحرمُ من هذه السنة ولم يقع بينهم صلحٌ ، فأمر علي بن أبي طالب يزيدَ بن الحارث الجشمي فنادى أهل الشام عند غروب الشمس : ألا إنّ أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد استأنيتكم لتراجعوا[٧] الحق ، وأقمت عليكم الحجة فلم تجيبوا ، وإني قد نبذت[٨] إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي ينادي فنهض عند ذلك معاوية وعمرو فَعَبَّأا الجيش ميمنة وميسرة ، وبات علي يعبِّىء جيشه من ليلته ، فجعل على خيل أهل الكوفة الأشتر النخعي ، وعلى رجَّالتهم عمار بن ياسر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجَّالتهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ، وعلى قرائهم سعد بن فدكي التميمي ، وتقدم علي إلى الناس أن لا يبدؤوا

---

(١) في أ : فخاف .
(٢) في ط : إنه يريد خديعتكم ليزيلكم .
(٣) في أ : لابد أن نرتحل عن هذا .
(٤) في أ : شمام .
(٥) في أ : يخالفني .
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ١٠) .
(٧) في أ : لترجعوا إلى الحق .
(٨) في أ : وإني قد أعددت إليكم ونبذت .

أحداً[١] بالقتال حتى يبدأ أهل الشام ، وأنه لا يُذَفَّفُ على جريحٍ ولا يتبع مدبرٌ ولا يُكْشفُ سترُ امرأةٍ ولا تُهان ، وإن شتمت أمراء الناس وصلحاءهم ، وبرز معاوية صبح تلك الليلة ، وقد جعل على الميمنة ابن ذي الكلاع الحميري ، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى المقدمة أبا الأعور السلمي ، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص ، وعلى رجالتهم الضحاك بن قيس . ذكره ابن جرير .

وروى (ابن) ديزيل[٢] : من طريق جابر الجعفي ، عن أبي جعفر الباقر زيد[٣] بن الحسن بن علي وغيرهما . قالوا: لما بلغ معاوية سير عليٍّ، سار معاوية نحو عليّ ، واستعمل على مقدمته سفيان بن عمرو أبا الأعور السلمي وعلى الساقة بسر بن أبي أرطاة حتى توافوا جميعاً سائرين إلى جانب صفين[٤] . وزاد ابن الكلبي فقال : جعل على المقدمة أبا الأعور السلمي ، وعلى الساقة بسراً، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر، ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وجعل على الميمنة حبيب بن مسلمة، وعلى رجَّالتها يزيد بن زحر العنسي[٥] ، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى رجالتها حابس بن سعد الطائي، وعلى خيل دمشق الضحاك بن قيس وعلى رجالتهم يزيد بن لبيد بن كرز البجلي، وجعل على[٦] أهل حمص ذا الكلاع وعلى أهل فلسطين مسلمة بن مُخَلَّد، وقام معاوية في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[٧] : أيها الناس ! والله ما أصبت الشام إلا بالطاعة ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطف، وقد تهيأتم وسرتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق، وسار القوم ليمنعوا العراق ويأخذوا الشام ولعمري ما للشام رجاء[٨] في العراق ولا أموالها، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصائرها، مع أن القوم وبعدهم أعداؤهم ، وليس بعدكم غيركم فإن غلبتموهم لم تغلبوا[٩] إلا مِن أناتكم وصبركم وإن غلبوكم غلبوا من بعدكم والقوم لاقوكم بكيد أهل العراق، ورقة أهل اليمن وبصائر أهل الحجاز ، وقسوة أهل مصر ، وإنما ينصر غداً من ينصر اليوم ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ[١٠] بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] وقد بلغ علياً خطبة معاوية فقام[١١] في أصحابه فحرضهم على الجهاد ومدحهم بالصبر وشجعهم بكثرتهم بالنسبة إلى أهل الشام.

---

(١) في ا : لا يبدؤوا واحداً .

(٢) هو إبراهيم بن الحسين بن علي الهمذاني ، أبو إسحاق ، إمام ، حافظ ، ثقة ، ـ والنقل من كتابه صفين وهو مفقود ـ ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٤) .

(٣) في ط : « يزيد » خطأ ، وترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٨) .

(٤) في أ : حتى توافقوا جميعاً بفنا صرير إلى جانب صفين .

(٥) في أ : العبسي .

(٦) في أ : وعلى أهل حمص .

(٧) في أ : خطيباً فقال .

(٨) في ط : رجال العراق .

(٩) في أ : فليس تغلبوهم .

(١٠) تبدأ الآية في أ عند هذه الكلمة ، وفي آخرها : إن الله مع الصابرين .

(١١) في أ : فلما بلغ . . قام في أصحابه أيضاً خطيباً وحضَّهم على الجهاد .

قال جابر الجعفي : عن أبي جعفر الباقر وزيد بن حسن[١] وغيرهما قالوا : سار علي [إلى الشام] في مئة وخمسين ألفاً من أهل العراق وأقبل معاوية في نحو منهم من أهل الشام . وقال غيرهم : أقبل علي في مئة ألف أو يزيدون ، وأقبل معاوية في مئة ألف وثلاثين ألفاً ـ رواها[٢] ابن ديزيل في كتابه ـ وقد تعاقد جماعة من أهل الشام على أن لا يفروا فعقلوا أنفسهم بالعمائم ، وكان هؤلاء خمسة صفوف[٣] ومعهم ستة صفوف آخرين وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفاً أيضاً فتواقفوا على هذه الصفة أول يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء ، وكان أمير الحرب يومئذ (للعراقيين) الأشتر (النخعي) ، وأمير الحرب يومئذ للشاميين[٤] حبيب بن مسلمة ، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد انتصف بعضهم من بعض وتكافؤوا في القتال ، ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب أهل العراق[٥] هاشم بن عتبة ، وأمير الشاميين يومئذ أبا الأعور السلمي فاقتتلوا قتالاً شديداً تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافؤوا ثم خرج في اليوم الثالث ـ وهو يوم الجمعة ـ عمّار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج[٦] إليه عمرو بن العاص في الشاميين فاقتتل الناس قتالاً شديداً وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه وبارز زياد بن النضر الحارثي وكان على الخيالة رجلاً فلما توافقا تعارفا فإذا هما أخوان من أم ، فانصرف كل واحد منهما إلى قومه وترك صاحبه ، وتراجع الناس من العشي وقد صبر كل فريق لصاحبه ، وخرج في اليوم الرابع ـ وهو يوم السبت ـ محمد بن علي ـ وهو ابن الحنفية[٧] ـ ومعه جمع عظيم فخرج إليه في كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، وبرز عبيد الله بن عمر فطلب[٨] من ابن الحنفية أن يبرز إليه فبرز إليه ؟ فلما كادا أن يقتربا قال علي : من المبارز ؟ قالوا محمد ابنك وعبيد الله [بن عمر] ، فيقال إن علياً حرك دابته وأمر ابنه أن يتوقف وتقدم إلى عبيد الله[٩] [بن عمر] فقال له تقدم إلي قال [عبيد الله] له : لا حاجة لي في مبارزتك ، فقال : بلى ، فقال : لا ! فرجع عنه علي وتحاجز الناس يومهم ذلك .

ثم خرج في اليوم الخامس ـ وهو يوم الأحد ـ في العراقيين عبد الله بن عباس وفي الشاميين الوليد بن

---

(١) في ط : « زيد بن أنس » خطأ .
(٢) في أ : وذكر ذلك .
(٣) في أ : وكانوا خمس صفوف .
(٤) في أ : يومئذ الأشتر من جهة علي وأمير الشاميين .
(٥) في أ : وأمير حرب العراقيين .
(٦) في أ : ياسر من جهة علي وخرج . . .
(٧) في أ : محمد بن علي بن الحنفية ؛ خطأ .
(٨) في أ : فخرج إليه من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جحفل كثير من الشاميين فطلب .
(٩) في أ : وأمر ابنه أن يكف عنه وتقدم علي إلى عبيد الله .

عقبة ، واقتتل الناس قتالاً شديداً ، وجعل الوليد ينال من ابن عباس فيما ذكره أبو مخنف ويقول : قتلتم خليفتكم ولم تنالوا ما طلبتم ؛ ووالله إن الله ناصرنا عليكم . فقال له ابن عباس : فابرز إلي فأبى عليه ، ويقال إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالاً شديداً بنفسه رضي الله عنه .

ثم خرج في اليوم السادس ـ وهو يوم الاثنين ـ وعلى الناس من جهة العراقيين[١] قيس بن سعد [بن عبادة] ، ومن جهة أهل الشام ابن ذي الكلاع فاقتتلوا قتالاً شديداً أيضاً وتصابروا ثم تراجعوا .

ثم خرج الأشتر النخعي في اليوم السابع ـ وهو يوم الثلاثاء [من جهة علي] ـ وخرج إليه قِرْنه [من جهة معاوية] حبيب بن مسلمة فاقتتلوا قتالاً شديداً أيضاً ولم يغلب أحد أحداً في هذه الأيام كلها .

قال أبو مخنف : حدَّثني مالك بن أعين الجُهَني ، عن زيد بن وهب : أن علياً قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ ثم قام في الناس عشية الأربعاء[٢] بعد العصر فقال : الحمد لله الذي لا يبرم[٣] ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضلَه ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار وجمعت[٤] بيننا في هذا المكان ، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع فلو شاء لعجل النقمة وكان منه التغيير[٥] حتى يكذب الله الظلم ، ويعلم الحقُّ أين مصيرُه ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم : ٣١] ألا وإنكم لاقوا القوم غداً فأطيلوا الليلةَ القيامَ ، وأكثروا تلاوةَ القرآن ، واسألوا الله النصر والصبر والقَوْهم[٦] بالجدّ والحزم وكونوا صادقين . قال : فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها .

قال : ومر بالناس وهم كذلك كعب بن جُعَيْل[٧] التغلبي فرأى ما يصنعون[٨] فجعل يقول : [من الرجز]

أَصْبَحَتِ الأمَّةُ في أمْرٍ عَجَبْ والمُلْكُ مَجْموعٌ غداً لمنْ غَلَبْ
فَقُلْتُ قَوْلاً صادقاً غيرَ كَذِبْ إنّ غداً تهلكُ أعْلامُ العَرَبْ

قال : ثم أصبح علي في جنوده قد عبَّأهم كما أراد ، وركب معاوية في جيشه قد عبَّأهم كما أراد ، وقد

(١) في أ : الإثنين من جهة علي على العراقيين .
(٢) في تاريخ الطبري (٥/ ١٣) عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد العصر .
(٣) في أ : لا يبرم أحد ما نقض .
(٤) في ط : وألقت ، وفي تاريخ الطبري (٥/ ١٣) : فلقت .
(٥) في ط : التعسير .
(٦) في ط : والقوة .
(٧) في ط : جعل ؛ وما هنا موافق للطبري (٥/ ١٤) .
(٨) في ط : يصفون .

أمر عليٌّ كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام [ثم زحف الناس بعضهم إلى بعض] فتقاتل[(١)] الناس قتالاً عظيماً لا يفرُّ أحدٌ من أحد ولا يغلب أحد أحداً ، ثم تحاجزوا عند العشي ، وأصبح عليّ فصلى الفجر بغلس وباكر القتال ، ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم ، فقال علي فيما رواه أبو مخنف عن مالك بن أعين ، عن زيد بن وهب : اللهم رب السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته سقفاً لليل والنهار ، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم ، وجعلت فيه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة ، ورب [هذه] الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوام والأنعام[(٢)] ، وما لا يحصى مما نرى وما لا نرى[(٣)] من خلقك العظيم ، ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض ، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم ، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق [منافع و] متاعاً ، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي والفساد وسددنا للحق ، وإن أظهرتهم علينا فارزقني[(٤)] الشهادة وجنب بقية أصحابي من الفتنة . ثم تقدم علي وهو في القلب في أهل المدينة وعلى ميمنته يومئذ عبد الله بن بُديل ، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس ، وعلى القراء عمار بن ياسر وقيس بن سعد ، والناس على راياتهم فزحف بهم نحو[(٥)] القوم ، وأقبل معاوية ـ وقد بايعه أهل الشام على الموت ـ فتواقف الناس في موطن مهول وأمر عظيم ، وحمل عبد الله بن بديل أمير ميمنة علي على ميسرة أهل الشام وعليها حبيب بن مسلمة ، فاضطره [ابن بُديل] حتى ألجأه إلى القلب ، وفيه معاوية ، وقام عبد الله بن بُديل خطيباً في الناس يحرّضهم على القتال ويحثهم على الصبر والجهاد ، وحرض أمير المؤمنين عليٌّ الناس على الصبر والثبات والجهاد ، وحثهم على قتال أهل الشام ، وقام كل أمير في أصحابه يحرضهم ، وتلا عليهم آيات القتال من أماكن متفرقة من القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] ثم[(٦)] قال : قدموا المدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس ، فإنه أنكأ للسيوف عن الهام ، وألبوا إلى أطراف الرماح فإنه أفوق للأسنة ، وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأثبت[(٧)] للقلب ، وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وأولى[(٨)] بالوقار ، راياتكم لا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي[(٩)] شجعانكم .

---

(١) في أ : فتقاتلوا قتلاً .
(٢) في أ : قراراً للأنام والأنعام والهوام .
(٣) في أ : مما يرى ومما لا يرى .
(٤) في أ : فارزقنا .
(٥) في ط : إلى القوم .
(٦) العبارة مختلفة عماهنا في أ .
(٧) في ط : واسكن .
(٨) في أ : وأمسكوا .
(٩) في أ : إلا بيدي .

وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن علياً رضي الله عنه بارز في أيام صفين وقاتل وقتل خلقاً حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمئة ، فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق [مبارزة] ثم وضعهم تحت قدميه ثم نادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه عليٌّ فتجاولا ساعة ثم ضربه عليٌّ فقتله ثم قال علي : هل من مبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتله ، ثم برز إليه رواد بن الحارث الكلاعي فقتله ، ثم برز إليه المطاع بن المطلب القيسي فقتله . فتلا[١] علي قوله تعالى : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤] ثم نادى : ويحك يا معاوية ! ابرز إلي ولا تفني العرب بيني وبينك ، فقال له عمرو بن العاص : [يا معاوية] اغتنمه فإنه قد أثخن بقتل هؤلاء الأربعة ، فقال له معاوية : والله لقد علمت أن علياً لم يقهر قط ، وإنما أردت قتلي لتصيب الخلافة من بعدي ، اذهب إليك ! فليس مثلي يخدع .

وذكروا أن علياً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضربه بالرمح فألقاه إلى الأرض فبدت سوءته فرجع عنه [علي] فقال له أصحابه : مالك يا أمير المؤمنين رجعت عنه ؟ فقال : أتدرون ما هو ؟ قالوا : لا ! قال : هذا[٢] عمرو بن العاص تلقاني بسوءته فذكرني بالرحم فرجعت عنه ، فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له : احمد الله واحمد استك .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : حدَّثنا يحيى ، حدَّثنا[٣] نصر[٤] ، حدَّثنا عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي ، عن نمير الأنصاري قال : والله لكأني أسمع علياً وهو يقول لأصحابه يوم صفين أما تخافون مقت الله حتى متى ، ثم انفتل إلى القبلة يدعو ثم قال : والله ما سمعنا برئيس أصاب بيده [من القتل] ما أصاب علي يومئذ إنه قتل فيما ذكر العادُّون زيادة على خمسمئة رجل ، يخرج فيضرب بالسيف حتى ينحني ثم يجيء فيقول : معذرةً إلى الله وإليكم ، والله لقد هممتُ أن أقلعَه ولكن يحجزني عنه أنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا سيفَ إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي »[٥] قال : فيأخذه فيصفحه ثم يرجع به .

وهذا إسناد ضعيف وحديث منكر .

وحدَّثنا يحيى (حدَّثنا) ابن وهب ، أخبرني اللَّيث ، عن يزيد بن حبيب أنه أخبره من حضر صفّين مع علي ومعاوية .

قال ابن وهب : وأخبرني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لقيط قال : شهدنا صفين مع علي ومعاوية قال فمطرت السماء علينا دماً عبيطاً .

---

(١) في أ : ثم تلا .
(٢) في أ : أتدرون من هو ؟ قالوا : قال : هو عمرو .
(٣) في أ : ثنا يحيى بن نصر .
(٤) هو نصر بن مزاحم المنقري الكذاب صاحب كتاب « صفين » .
(٥) وهو حديث موضوع آفته عمرو بن شمر ، كذاب ، وجابر بن يزيد الجعفي ، ضعيف ، فعلي ما قال هذا أبداً .

قال الليث في حديثه : حتى إن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية قال ابن لهيعة : فتمتلىء ونهريقها .

وقد ذكرنا أن عبد الله بن بدير كسر[(١)] الميسرة التي فيها حبيب بن مسلمة حتى أضافها إلى القلب[(٢)] فأمر معاوية الشجعان أن يعاونوا حبيباً على الكرَّة وبعث إليه معاوية يأمره بالحملة (والكرَّة) على ابن بُديل ، فحمل حبيب بمن معه من الشجعان على ميمنة أهل العراق (فأزالوهم عن أماكنهم وانكشفوا عن أميرهم حتى لم يبق معه إلا زهاء ثلاثمئة وانجفل بقية أهل العراق) ، ولم يبق مع علي من تلك القبائل إلا أهل مكة[(٣)] وعليهم سهل بن حنيف ،وثبت ربيعة مع علي رضي الله عنه واقترب أهل الشام منه حتى جعلت نبالهم تصل إليه ، وتقدم إليه مولى لبني أمية فاعترضه مولى لعلي فقتله الأموي وأقبل يريد علياً وحوله بنوه الحسن والحسين ومحمد بن حنفية ، فلما وصل إلى علي أخذه علي بيده فرفعه ثم ألقاه على الأرض فكسر عضده ومنكبه وابتدره الحسين ومحمد (بأسيافهما) فقتلاه فقال علي للحسن ابنه (وهو واقف معه) : ما منعك أن تصنع كما صنعا فقال : كفياني أمره (يا أمير المؤمنين) وأسرع إلى عليٍّ أهل الشام فجعل علي لا يزيد قربهم منه سرعة في مشيته ، بل هو سائر على هينته ، فقال له ابنه الحسن : يا أبتِ لو سعيتَ أكثرَ من مشيتك هذه[(٤)] فقال : يا بني إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطىء به عنه[(٥)] السعي ولا يعجل به إليه المشي إن أباك والله ما يبالي وقع على الموت أو وقع عليه [الموت] ثم إن علياً أمر الأشتر النخعي أن يلحق المنهزمين فيردهم فسار فأسرع[(٦)] حتى استقبل المنهزمين من العراق[(٧)] فجعل يؤنبهم ويوبخهم ويحرض القبائل والشجعان منهم على الكرة فجعل طائفة تتابعه[(٨)] وآخرون يستمرون في هزيمتهم فلم يزل ذلك دأبه حتى اجتمع عليه خلق عظيم من الناس فجعل[(٩)] لا يلقى قبيلة [من الشاميين] إلا كشفها ولا طائفة إلَّا ردها حتى انتهى إلى أمير الميمنة وهو عبد الله بن بُديل ومعه نحو من ثلاثمئة قد ثبتوا في مكانهم فسألوا عن أمير المؤمنين فقالوا[(١٠)] حي صالح فالتفوا عليه ، فتقدم بهم حتى تراجع كثير من الناس وذلك ما بين صلاة العصر إلى الغروب[(١١)] ، وأراد ابن بُديل أن يتقدم إلى أهل الشام فأمره الأشتر أن يثبت مكانه

(١) في أ : وتهراق وقد ذكر ابن بديل كسر .
(٢) في أ : حتى أدخلها في القلب .
(٣) في أ : المدينة .
(٤) في أ : أكثر من هذا .
(٥) في ط : عند .
(٦) في أ : فيردهم فساق بأسرع سوق .
(٧) بعدها في أ : من بين أيديهم .
(٨) في أ : فتابعه طائفة واستمر آخرون في هزيمتهم .
(٩) في أ : عليه منهم جمع عظيم فرجع بهم إلى أهل الشام فجعل .
(١٠) فسألوه عن أمير المؤمنين فقال .
(١١) في أ : المغرب .

فإنه خير له فأبى عليه (ابن بُديل) ، وحمل نحو معاوية ، فلما انتهى إليه وجده واقفاً أمام أصحابه وفي يده سيفان وحوله كتائب أمثال الجبال ، فلما اقترب ابن بُديل حمل عليه[١] جماعة منهم فقتلوه وألقوه إلى الأرض قتيلاً ، وَفَرّ أصحابه منهزمين وأكثرهم مجروح ، فلما انهزم[٢] أصحابه قال معاوية لأصحابه : انظروا إلى أميرهم ، فجاؤوا إليه فلم يعرفوه فتقدم معاوية إليه فإذا هو عبد الله بن بُديل ، فقال معاوية : هذا والله[٣] كما قال الشاعر ، وهو حاتم الطّائي[٤] : [من الطويل]

أخُو الحَرْبِ إنْ عضّتْ به الحَرْبُ عَضَّها ... وإنْ شَمَّـرَتْ يَـوْمـاً بـه الحَـرْبُ شَمَّـرا

ويَحْمـي إذا مـا المـوتُ حـان[٥] لقـاؤُهُ ... كذلك ذو الأشْبالِ يَحْمي إذا ما تأمّرا[٦]

كَلَيْـثٍ هِـزَبْـرٍ كـان يَحْمـي ذِمـارَهُ ... رَمَتْـهُ المَنـايـا سَهْمَهـا فتَقَطَّـرا

ثم حمل الأشتر النخعي بمن رجع معه من المنهزمين ، فصدق الحملةَ حتى خالط الصفوف الخمسة الذين تعاقدوا [وتعاهدوا على الموت و] أن لا يفروا وهم حول معاوية ، فخرق منهم أربعة وبقي بينه وبين معاوية صفٌّ ، قال الأشتر فرأيت هولاً عظيماً ، وكدت أن أفرّ فما ثبتني إلا قول ابن الإطنابة وهي أمه من بلْقين وكان هو معه من الأنصار وهو جاهلي[٧] : [من الوافر]

أبَـتْ لـي عِفَّتـي وأبَـى بَـلائـي ... وإقْـدامـي علـى البَطَـل المُشيـحِ

وإعْطـائـي علـى المَكْـروهِ مـالـي ... وضَرْبي هامةَ الرجلِ[٨] السميحِ

وَقَوْلي كُلَّما جَشَأتْ وَجاشَتْ ... مكـانَـكِ تُحمَـدي أو تَسْتـريحـي

قال : فهذا الذي ثَبَّتني في ذلك الموقف .

والعجب أن ابن ديزيل روى في كتابه أن أهل العراق حملوا حملةً واحدةً ، فلم يبق لأهل الشام صفٌّ إلا أزالوه حتى أفْضَوْا إلى معاوية فدعا بفرسه لينجو عليه ، قال معاوية : فلما وضعتُ رِجْلي في الرِّكاب تمثلتُ بأبيات عَمْرو بن الإطنابة :

أبَتْ لي عِفَّتي وأبَى بَلائي ... وأخْذي الحَمْدَ بالثَّمَن الرَّبيحِ

وإعْطائي على المَكْروهِ مالي ... وَضَرْبي هامَةَ البَطَلِ المُشيحِ

---

(١) في ط : تقدم إليه .

(٢) في أ : فلما انهزموا قال معاوية لأصحابه : انظروا من أميرهم .

(٣) في أ : فتقدم إليه معاوية فعرفه ، قال : هذا عبد الله بن بديل ، وهذا والله .

(٤) ديوان حاتم (١٣٢) والبيت الأول في تاريخ الطبري (٥/ ٢٤) .

(٥) في ط : كان لقاؤه .

(٦) في أ : إذا ما فرا .

(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٢٤) .

(٨) في أ : هامة البطل .

وَقَوْلي كُلَّما جَشَأَتْ وجَاشَتْ مكـانَـكِ تُحمـدي أو تَسْتَـريحـي

قال : فثبت .

ونظر معاوية إلى عمرو بن العاص [يوم صفين] فقال : اليوم صبر وغداً فخر ، فقال له عمرو : صدقت . قال معاوية : فأصبت خير الدنيا وأنا أرجو أن أصيب خير الآخرة .

ورواه محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الرحمن بن حاطب ، عن معاوية ، وبعث معاوية إلى خالد بن المعتمر وهو أمير الخيالة لعلي فقال له : اتبعني على ما أنت عليه ولك إمرةُ العراق ، فطمع فيها ، فلما ولي معاوية[١] (ولاه العراق فلم يصل إليها خالد رحمه الله) ، ثم إن علياً لما رأى الميمنة قد اجتمعت رجع إلى الناس فأنّب بعضَهم وعذر بعضهم وحرّض الناس وثبّتهم ثم تراجع أهلُ العراق فاجتمع شملُهم ودارت رحى الحرب بينهم ، وجالوا في الشاميين وصالوا ، وتبارز الشجعان فقُتل خلقٌ كثيرٌ من الأعيان من الفريقين فإنا لله وإنا إليه راجعون . [وقيل ممن قتل في هذا اليوم][٢] عبيد الله بن عمر بن الخطاب من الشاميين ، واختلفوا فيمن قتله من العراقيين[٣] ، وقد ذكر إبراهيم بن الحسين (بن) ديزيل أن عبيد الله لما خرج يومئذ أميراً على الحرب [من جهة معاوية] أحضر امرأتيه[٤] أسماء بنت عطارد بن حاجب التميمي وبحرية بنت هانىء بن قبيصة الشيباني ـ فوقفتا وراءه في راحلتين لينظرا إلى قتاله وشجاعته وقوته ، فواجهته من[٥] جيش العراقيين ربيعة الكوفة وعليهم زياد بن خَصَفَة التيمي ، فشدوا عليه شدة رجل واحد[٦] فقتلوه بعدما انهزم عنه أصحابه ، ونزلت ربيعة فضربوا لأميرهم خيمة فبقي طنب[٧] منها لم يجدوا له وتداً فشدوه برجل عبيد الله [بن عمر] ، وجاءت امرأتاه تولولان حتى وقفتا عليه وبكتا عنده ، وشفعت امرأته بحرية إلى الأمير فأطلقه[٨] لهما فاحتملتاه معهما في هودجهما وقتل معه أيضاً ذو الكلاع [الحميري] ، وقال الشعبي : ففي مقتل عبيد الله بن عمر [بن الخطاب] يقول كعب بن جُعَيْل[٩] التغلبي[١٠] : [من الطويل]

أَلا إنَّمـا تَبْكـي العُيـونُ لفـارِسٍ بصِفِّيـن وَلَّـتْ خَيْلُـهُ وَهُـو واقِـفُ

---

(١) في أ : فلما ولي معاوية لم يعطه شيئاً ، ثم إن علياً .
(٢) بدل ما بين الحاصرتين في أ : منهم .
(٣) في أ : من قاتله من أهل العراق من هو .
(٤) في أ : امرأته .
(٥) في أ : فواجهه جيش .
(٦) في أ : شدة واحدة .
(٧) في أ : بقي فيها طنب لم يجدوا له .
(٨) في أ : إلى الأمير أن يطلقه .
(٩) في ط : جعل ، تحريف .
(١٠) الأبيات الثلاثة الأولى في تاريخ الطبري (٥/ ٣٧) .

تبـدّل مـن أسمـاءَ أسْيـافُ وائـلٍ وكـانَ فتـىً لـو أخطَـأتْـهُ المَتـالِـفُ
تـركـنَ عُبَيْـدَ اللهِ بـالقـاعِ ثـاويـاً تسيـلُ دمـاهُ والعـروق نـوازفُ[١]
يَنـوءُ ويَغْشـاهُ شَـآبيـبُ مـن دمٍ كمَا لاحَ من جَيْبِ القَميصِ الكَفائفُ
وقدْ صَبَرَتْ حولَ ابن عمِّ محمدٍ لَدى الموت أربابُ المَناقبِ شارفُ
فما برحوا حتّى رأى اللهُ صَبْرهمْ وحتى رقتْ فَوْقَ الأكُفِّ المَصاحِفُ

وزاد غيره فيها :

مَعـاوي لا تَنْهَـضْ بغيـرِ وثيقـةٍ فـإنـكَ بَعْـدَ اليَـومِ بـالـذُّلِّ عـارِفُ

وقد أجابه أبو جهم الأسدي بقصيدة فيها أنواع من الهجاء تركناها قصداً .

مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه

وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله أهل الشام . وبان وظهر بذلك سرُّ ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية ، وبان بذلك أن علياً محق وأن معاوية باغ ، وما في ذلك من دلائل[٢] النبوة .

ذكر ابن جرير[٣] من طريق أبي مخنف ، حدَّثني مالك بن أعين الجُهني ، عن زيد بن وهب الجُهني ، أن عماراً قال يومئذ : [أين] من يبتغي رضوان الله ولا يلوي[٤] إلى مال ولا ولد ، قال : فأتته عصابةٌ من الناس فقال : أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبتغون دم عثمان ويزعمون أنه قُتل مظلوماً ، والله ما قصدُهم الأخذُ بدمه ولا الأخذ بثأره ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا واستحلوها واستمرؤوا الآخرة فَقَلَوْها ، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرّغون فيه من دنياهم وشهواتهم ، ولم يكن للقوم سابقةٌ في الإسلام يستحقُّون بها طاعةَ الناس لهم ولا الولاية عليهم ، ولا تمكَّنتْ من قلوبهم خشيةُ الله التي تمنعُ منْ تمكنتْ من قلبه عن نيل الشهوات ، وتعقله عن إرادة الدنيا وطلب العلو فيها ، وتحمله على اتّباع الحقّ والميل إلى أهله ، فخدعوا أتباعَهم بقولهم إمامُنا قُتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرةً ملوكاً ، وتلك مكيدةٌ بلغوا بها ما تَرَون ، ولولا ذلك ما تبعهم من الناس رجلان ولكانوا أذلَّ وأخسَّ وأقلَّ ، ولكنَّ قولَ الباطل له حلاوةٌ في أسماعِ الغافلين ، فسيروا إلى الله سيراً جميلاً ، واذكروه ذكراً كثيراً .

---

(١) في أ : من عروق ذوارفِ ، وفي هذه الرواية إقواء ، ورواية الطبري : تمجّ دم الخرق العروقُ الذوارف .
(٢) في أ : وظهر بذلك دلائل النبوة .
(٣) تاريخ الطبري (٥/٣٨) .
(٤) في ط : من يبتغي رضوان ربه ولا يلوي . وفي تاريخ الطبري (٥/٣٩) . ولا يئوب إلى مال .

ثم تقدم فلقيه عمرو بن العاص وعبيد الله بن عمر فلامهما وأنبهما[١] ووعظهما ، وذكروا من كلامه لهما ما فيه غلظة ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمعت عبد الله بن سلمة يقول : رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالا آخذاً الحربة[٣] بيده ويده ترعد ، فقال : والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة ، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات[٤] هجر لعرفت أن مُصْلِحينا على الحق ، وأنهم على الضلالة .

وقال (الإمام) أحمد[٥] : حدَّثنا (محمد بن) جعفر ، حدَّثنا شعبة . وحجاج ، قال : حدَّثني شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث عن أبي نضرة . قال حجاج : سمعت أبا نضرة ، عن قيس بن عُبَاد قال : قلت لعمار بن ياسر : أرأيت قتالكم مع علي رأيا[٦] رأيتموه ، فإن الرأي يخطىء ويصيب ، أو عهد عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة .

وقد رواه مسلم[٧] : من حديث شعبة . وله تمام عن عمار عن حذيفة في المنافقين .

وهذا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما[٨] عن جماعة من التابعين ، منهم الحارث بن سويد ،

---

(١) في أ : وانتهرهما .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/٣١٩) وإسناده ضعيف ، فإن عبد الله بن مسلمة المرادي قد اختلط ، وسماع عمرو بن مرة منه بعد الاختلاط ، ولذلك قال البخاري : لا يتابع في حديثه .
(٣) في أ : الراية .
(٤) في المسند : شعفات . وسعفات : جمع سَعفة ـ بالتحريك ـ أغصان النخيل .
(٥) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٢٠) وهو حديث صحيح .
(٦) في أ : رأي .
(٧) صحيح مسلم (٢٧٧٩) (١٦) في صفات المنافقين .
(٨) أخرجه الحميدي (٤٠) وأحمد في مسنده (١/ ٧٩) والبخاري (١١١) في العلم ، و(٣٠٤٧) في الجهاد ، و(٦٩١٥) في الديات ، ومسلم رقم (١٣٧٠) والترمذي (١٤١٢) في الديات ، والنسائي (٨/ ٢٤) في القسامة ، وابن ماجه (٢٦٥٨) في الديات ، من طرق عن مطرف ، عن الشعبي ، عن أبي جحيفة ، عن علي . . .
وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٢٢) وأبو داود (٤٥٣٠) في الديات من طريق يحيى بن سعيد ، أخبرنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن عن قيس بن عباد . .
وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ١١٩) وابنه في زوائده على المسند (١/ ١٢٢) والنسائي (٨/ ٢٣) في القسامة ، من طريق قتادة عن أبي حسان الأعرج ، عن علي .
وأخرجه أحمد (١/ ١٠٠ ـ ١٢٦) من طريقين عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه يزيد بن شريك ، عن علي . .
وأخرجه أحمد (١/ ١٥١) عن محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد .

وقيس بن عبادة ، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السّوائي ، ويزيد بن شريك ، وأبو حسان الأعرج وغيرهم أن كلاًّ منهم قال : قلت لعلي : هل عندكم شيء عهده إليكم رسول الله ﷺ لم يعهده إلى الناس ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ فإذا فيها العقل وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرم ما بين ثبير إلى ثور .

وثبت في الصحيحين[١] أيضاً من حديث الأعمش ، عن أبي وائل ، عن سفيان بن مسلم ، عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين : يا أيها الناس ! اتهموا الرأي على الدين ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر لرددتُ على رسول الله ﷺ أمره ، ووالله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر يقطعنا إلا أسهل بنا إلى أمر نعرفه ، غير أمرنا هذا ، فإنا لا نسدّ منه خُصْماً إلا انفتح لنا غيره لا ندري كيف نبالي له .

وقال أحمد[٢] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البختري ، قال : قام عمار يوم صفين فقال : إئتوني بشربة لبن ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « آخر شربة تشربها من الدنيا (شربة لبن » .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن أبي البختري أن عماراً أتي) بشربة لبن فضحك وقال : إن رسول الله قال لي : « آخر شراب أشربه (لبن) حين[٤] أموت » .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : حدَّثنا يحيى ، حدثنا نصر[٥] ، حدَّثنا عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي قال : سمعت الشعبي عن الأحنف بن قيس : قال : ثم حمل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن حوى السكسكي وأبو الغادية الفزاري ، فأما أبو الغادية فطعنه ، وأما ابن حوى فاحتز رأسه . وقد كان ذو الكلاع سمع قول عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شربة تشربها صاع لبن » فكان ذو الكلاع يقول لعمرو : ويحك[٦] ! ما هذا يا عمرو ؟! فيقول له عمرو : إنه سيرجع إلينا . قال : فلما أصيب عمار بعد ذي الكلاع قال عمرو لمعاوية : ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً ، بقتل عمار أو ذي الكلاع ، والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة أهل الشام [إلى علي] ولأفسد علينا جندنا . قال : وكان لا يزال يجيء رجل فيقول لمعاوية وعمرو : أنا قتلت

---

(١) صحيح البخاري (٤١٨٩) في المغازي ، وصحيح مسلم (١٧٨٥) (٩٤) في الجهاد والسير .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/٣١٩) ، وهو حديث صحيح .
(٣) مسند الإمام أحمد (٤/٣١٩) .
(٤) في المسند : حتى .
(٥) في ط : « يحيى بن نصر » خطأ ، فيحيى هو ابن عبد الله االكرابيسي ، ونصر هو ابن مزاحم المنقري الكذاب صاحب كتاب « صفين » ، وقد تقدم هذا الإسناد غير مرة .
(٦) في أ : يقول لعمرو ماهذا ويحك يا عمرو .

عماراً فيقول له عمرو : فما سمعته يقول ؟ فيخلطون حتى جاء [ابن] حوى فقال أنا سمعته يقول :

اليـوم أَلْقَـى الأحبَّـه مُحمَّـداً وحِـزْبَـه

فقال له عمرو : صدقت أنت إنك لصاحبه[١] ، ثم قال له[٢] : رويداً ، أما والله ما ظفرت يداك ولقد أسخطت ربك .

وقد روى ابن ديزيل من طريق أبي يوسف ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الرحمن الكندي ، عن أبيه ، عن عمرو بن العاص : أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

ورواه أيضاً من حديث جماعة من التابعين أرسلوه منهم عبد الله بن أبي الهذيل ومجاهد وحبيب بن أبي ثابت وحَبّة العُرْني .

وساقه من طريق أبان عن أنس مرفوعاً ، ومن حديث عمرو بن شمر عن جابر الجُعْفي عن أبي الزبير عن حذيفة مرفوعاً : « ما خُيِّر عمار بين شيئين إلا اختار أرشدهما » .

وبه عن عمرو بن شمر عن السريِّ عن يعقوب بن راقط[٣] قال : اختصم رجلان في سلب عمار وفي قتله ، فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص ليتحاكما[٤] إليه ، فقال لهما : ويحكما اخرجا عني ، فإن رسول الله ﷺ قال : ولعبت قريش بعمار ـ : « ما لهم ولعمار ؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، قاتله وسالبه في النار » قال : فبلغني أن معاوية قال : إنما قتله من أخرجه ، يخدع بذلك أهل الشام .

وقال إبراهيم بن الحسين : حدَّثنا يحيى ، حدَّثنا عدي[٥] بن عمر ، حدَّثنا هشيم ، حدَّثنا العوام بن حوشب عن[٦] الأسود بن مسعود ، عن حنظلة بن خويلد ـ وكان يأتي من عند علي ومعاوية ـ قال : بينا هو عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار ، فقال لهما عبد الله بن عمرو : ليطب[٧] كل واحد منكما نفساً لصاحبه بقتل عمار ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية لعمرو : ألا تنهى عنا مجنونك هذا ؟! . ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له : فلم تقاتل معنا ؟ فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرني بطاعة والدي ما كان حياً وأنا معكم ولست أقاتل .

---

(١) في أ : صدقت أنت صاحبه .

(٢) في أ : ثم قال لابن حوى .

(٣) في أ : ابن أوسط .

(٤) في أ : فتحاكما .

(٥) في أ : عيسى .

(٦) في ط : « بن » وهو تحريف بين ، فالعوام بن حوشب هو ابن يزيد الشيباني أبو عيسى الواسطي ، من رجال التهذيب ، والأسود بن مسعود هو العنبري البصري ، من رجال التهذيب أيضاً ، وكلاهما ثقة .

(٧) في أ : لتطيب نفس كل .

وحدَّثنا يحيى حدثنا[١] نصر ، حدَّثنا حفص بن عمران البرجمي [قال :] حدَّثني نافع بن عمر الجمحي ، عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن عمرو قال لأبيه : لولا أن رسول الله ﷺ أمرني بطاعتك ما سرت معك هذا المسير ، أما سمعت رسول الله يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

وحدَّثنا يحيى ، حدَّثنا عبد الرحمن بن زياد ، حدَّثنا هشيم ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمرو [بن العاص] فقال : إئذن له وبشره بالنار . فقال الرجل : أوما تسمع ما يقول عمرو . فقال معاوية[٢] : صدق ؟ إنما قتله الذين جاؤوا به .

وقال ابن جرير[٣] : وحدَّثنا أحمد بن محمد ، حدَّثنا الوليد بن صالح ، حدَّثنا عطاء بن مسلم ، عن الأعمش قال : قال أبو عبد الرحمن السلمي : كنّا مع علي بصفين وكنا قد وكّلنا بفرسه نفسين يحفظانه ويمنعانه أن يحمل [بنفسه على القوم خوفاً عليه] فكان إذا حانت منهما غفلة حمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه ، فألقاه إليهم وقال : لولا أنه انثنى ما رجعت ، قال : ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علي فقال : يا هاشم تقدم[٤] ! الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في أطراف الأسنة ، وقد فتحت أبواب الجنة[٥] وتزينت الحور العين .

اليـوم أَلْقَـى الأحبَّـة مُحمَّـــداً وحِـــزْبـــه

ثم حملا هو وهاشم فقتلا رحمهما الله تعالى ، قال : وحمل حينئذ علي وأصحابه على أهل الشام حملة رجل واحد كأنهما : كان ـ يعني عماراً وهاشماً ـ علَماً لهم قال : فلما كان الليل قلت لأدخلن الليلة إلى العسكر الشاميين حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ؟ ـ وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم ـ فركبت فرسي وقد هدأت الرِّجل ، ثم دخلت عسكرهم فإذا أنا بأربعة يتسامرون[٦] ، معاوية وأبو الأعور السلمي ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله بن عمرو وهو خير الأربعة . قال : فأدخلت فرسي بينهم مخافةَ أن يفوتني ما يقول بعضهم لبعض ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبة قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، قال : وما قال ؟ قال[٧] : ألم يكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ، ولبنة لبنة ، وعمار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين ؟ فأتاه

---

(١) في ط : « بن » محرف ، كما بيناه قبل قليل .
(٢) في ط : قال .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٠) .
(٤) في أ : تقدم إلى الجنة .
(٥) في أ : السماء .
(٦) هذه اللفظة غير واضحة في أ .
(٧) في أ : فقال وما قال فقال .

رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « ويحك يا بن سمية الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة ، وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر (وكنت مع ذلك) ويحك تقتلك الفئة الباغية » قال فرجع عمرو صدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال : يا معاوية أما تسمع ما يقول عبد الله ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول وأخبره[١] الخبر فقال معاوية إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك ، أو نحن قتلنا عماراً ؟ إنما قتل عماراً من جاء به ؟ قال : فخرج الناس من عند فساطيطهم وأخبيتهم وهم يقولون : إنما قتل عماراً من جاء به ، فلا أدري من كان أعجب هو أو هم .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا الأعمش ، عن عبد الرحمن بن أبي زياد قال : إني لأسير مع معاوية منصرفه من صفّين بينه وبين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو : يا أبه أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار : « ويحك يا بن سُميَّة تقتلك الفئة الباغية قال فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع ما يقول عبد الله هذا ؟! فقال معاوية لا يزال يأتينا بهنة بعد هنة ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله الذين جاؤوا به .

ثم رواه أحمد[٣] عن أبي نعيم ، عن سفيان الثوري ، عن الأعمش به نحوه ، تفرد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه ، وهذا التأويل الذي سلكه معاوية رضي الله عنه بعيد ، ثم لم ينفرد عبد الله بن عمرو بهذا الحديث بل قد روي من وجوه أخر .

قال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن أبي سعيد الخُدري أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

وقد روى البخاري في صحيحه[٥] من حديث عبد العزيز بن المختار وعبد الوهاب الثقفي ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن أبي سعيد في قصة بناء المسجد أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « يا ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن ، وفي بعض نسخ البخاري : « يا ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » .

وقال أحمد[٦] : حدَّثنا سليمان بن داود ، حدَّثنا شعبة ، حدَّثنا[٧] عمرو بن دينار ، عن

---

(١) في أ : قال وما يقول فأخبره الخبر .
(٢) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٦١) وهو حديث صحيح .
(٣) المصدر السابق .
(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٢) وهو حديث صحيح .
(٥) صحيح البخاري (٤٤٧) في الصلاة ، وهي الرواية الثانية التي أشار إليها المصنف رحمه الله . قال بشار : الصحيح عندنا أن البخاري لم يورد هذه الجملة في صحيحه ، وقد أخطأ الناشرون في إثباتها ، كما بيناه مفصلاً في غير هذا الموضع .
(٦) مسند الإمام أحمد(٣/ ٢٨) وهو حديث صحيح .
(٧) في المسند : حدَّثنا شعبة بن عمرو بن دينار ؛ خطأ إنما هو شعبة بن الحجاج بن الورد وعمرو بن دينار يروي عنه .

أبي هشام[١] ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

وروى مسلم[٢] من حديث شعبة ، عن [أبي مسلمة ، عن][٣] أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : حدَّثني من هو خير مني ـ يعني أبا قتادة ـ أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

(وروى مسلم[٤] أيضاً : من حديث شعبة ، عن خالد الحذاء ، عن الحسن وسعيد بن أبي الحسن عن أمهما خيرة عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

ورواه[٥] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن ابن علية ، عن ابن عون ، عن الحسن ، عن أمه عن أم سلمة به) وفي رواية : وقاتله في النار .

وروى البيهقي[٦] عن الحاكم ، وغيره ، عن الأصم ، عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصغاني ، عن أبي الجوَّاب ، عن عمار بن رزيق ، عن عمّار الدُّهني ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (لعمار) : « إذا اختلف الناس كان ابن سُمية مع الحق » .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في « سيرة علي » : حدَّثنا يحيى بن عبيد[٧] الله الكرابيسي ، حدَّثنا أبو كريب ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن عمّار بن رزيق ، عن عمّار الدُّهني ، عن سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : إن الله قد أَمَّننا أن يظلمنا ولم يؤمنا أن يفتننا ، أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله ، قلت : أرأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا اختلف[٨] الناس كان ابن سُمية مع الحق » .

وروى ابن ديزيل عن عمرو بن العاص نفسه حديثاً في ذكر عمار وأنه مع الحق ، وإسناده غريب .

وروى البيهقي[٩] : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الأسفاطي ، حدَّثنا أبو مصعب ، حدَّثنا[١٠] يوسف بن الماجشون ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ،

---

(١) في المسند : عن هشام .
(٢) صحيح مسلم (٢٩١٥) (٧٠) في الفتن وأشراط الساعة .
(٣) ما بينهما ساقط من أ ، ط .
(٤) صحيح مسلم (٢٩١٦) (٧٢) في الفتن وأشراط الساعة وتحرفت (خيرة) في أ ، ط إلى (حرة) وهي خيرة مولاة أم سلمة . تقريب التهذيب .
(٥) صحيح مسلم (٢٩١٦) (٧٣) في الفتن وأشراط الساعة وهو في مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٢) .
(٦) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٢٢) .
(٧) في أ : عبد الله .
(٨) في أ : اختلفت .
(٩) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٢١) .
(١٠) مكان السند في أ : من طريق يوسف بن الماجشون .

عن مَوْلاةٍ لعمّار قالت : « اشتكى عمار شكوى أرق منها فغُشي عليه ، فأفاق ونحنُ نبكي حوله ، فقال : ما تبكون ؟ أتخشون أن أموت على فراشي ؟ أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية ، وأن آخر أدمي من الدنيا مذقة من لبن » .

وقال أحمد[١] : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المسجد فجعلنا ننقل لبنة لبنة ، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين ، فتترب رأسه قال : فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله ﷺ أنه جعل ينفض رأسه ويقول : « ويحك يابن سمية تقتلك الفئة الباغية » . تفرد به أحمد ، وما زاده الروافض[٢] في هذا الحديث بعد قوله « الباغية » : لا أنالها والله شفاعتي يوم القيامة ، فهو كذب وبهت على رسول الله ﷺ فإنه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله عليه وسلامه بتسمية الفريقين مسلمين ، كما سنورده قريباً إن شاء الله .

قال ابن جرير[٣] وقد ذكر أن عماراً لما قُتل قال علي لربيعة وهمدان : أنتم درعي ورمحي ، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً ، وتقدمهم علي ببغلته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلي يقاتل ويقول[٤] : [من الرجز]

أَضْـرِبُهـم ولا أرى مُعـاويـهْ　　الجاحظَ العَيْنِ عَظيم الحاويهْ

قال : ثم دعى عليٌّ معاوية إلى أن يبارزه فأشار عليه عمرو بن العاص [أن يبرز إليه] فقال له معاوية : إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل (قط) إلا قتله ، ولكنك طمعت فيها بعدي ، ثم قدم علي ابنه محمداً في عصابة كثيرة (من الناس) ، فقاتلوه قتالاً شديداً ثم تبعه علي في عصابة أخرى ، فحمل بهم فقُتِلَ في هذا الموطن خلقٌ كثير من الفريقين (لا يعلمهم إلا الله) وقتل من العراقيين خلق كثير أيضاً ، وطارت أكفٌّ ومعاصمُ ورؤوسٌ عن كواهلها ، رحمهم الله . ثم حانت صلاة المغرب فما صلّى بالناس إلّا إيماءً صلاتي العشاءِ واستمرّ القتال في هذه الليلة كلها وهي من أعظم الليالي شرًّا بين المسلمين ، وتسمى (هذه الليلة) ليلة الهرير ، وكانت ليلة الجمعة تقصفت [فيها] الرماح ونفدت النبال ، وصار الناس إلى السيوف ، وعليٌّ رضي الله عنه يحرّضُ القبائل ، ويتقدَّم إليهم يأمر بالصَّبْر والثبات[٥] وهو أمام الناس في قلب الجيش ، وعلى الميمنة الأشتر [النخعي] ، تولاها بعد قتل[٦] عبد الله بن بُدَيْل عشية الخميس ليلة الجمعة ـ وعلى الميسرة ابن عباس ، والناس يقتتلون من كل جانب [وذلك لما قتل عمار عرف أهل العراق

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥) وهو حديث صحيح .
(٢) في أ : وما رواه بعض الرواة في هذا الحديث ، وهو قوله : لا أنا لها الله .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤١) .
(٤) الأبيات في الطبري (٥/ ٤٢) وهو مع ثلاثة أشطر أخرى في هامشه منسوباً للأشتر عن كتاب صفين (٤٥٤) .
(٥) في أ : ويتقدم إليهم بالأمر بالثبات والصبر .
(٦) في أ : مقتل .

أن أهل الشام بغاة ليس معهم حق] فذكر غير واحد من علماء السير ـ أنهم اقتتلوا بالرماح حتى تقصفت[(١)]، وبالنبال حتى فنيت ، وبالسيوف حتى تحطمت ثم صاروا إلى أن تقاتلوا بالأيدي والرمي بالحجارة والتراب في الوجوه ، وتعاضُّوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا[(٢)] ثم يجلسان يستريحان ، وكل واحد منهما يهمر على الآخر ويهمر عليه ثم يقومان فيقتتلان كما كانا [ولا يتمكن أحدهما الفرار من الآخر] فإنا لله وإنا إليه راجعون . ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك وصلى الناس الصبح إيماءً وهم[(٣)] في القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق[(٤)] على أهل الشام ، وذلك أن الأشتر النخعي صارت إليه إمرة الميمنة [وكان من الشجعان الأبطال الذين يعرفون الحروب ولا يهابون القتل] ، فحمل بمن معه على أهل الشام وتبعه علي فتنقضت غالب صفوفهم وكادوا ينهزمون[(٥)] ، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح : وقالوا : هذا بيننا وبينكم قد فني الناس فمن للثغور ؟ ومن لجهاد المشركين والكفار[(٦)] .

وذكر ابن جرير[(٧)] وغيره من أهل التاريخ أن الذي أشار برفع المصاحف[(٨)] عمرو بن العاص ، وذلك لما رأى أن أهل العراق قد ظهروا وانتصروا[(٩)] في ذلك الموقف ، أحب أن ينفصل الحال وأن يتأخر الأمر فإن كلًّا من الفريقين صابر للآخر ، والناس يتفانون . فقال لمعاوية : إني قد رأيت أمراً لا يزيدنا هذه الساعة إلا اجتماعاً ولا يزيدهم[(١٠)] إلا فرقة ، أرى أن نرفع المصاحف وندعوهم إليها ، فإن أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال [هذه الساعة] وإن اختلفوا فيما بينهم بأن يقول بعضهم نجيبهم وبعضهم[(١١)] لا نجيبهم ، فشلوا وذهب ريحهم .

وقال الإمام أحمد[(١٢)]، حدَّثنا يعلى بن عبيد ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت قال :

---

(١) في أ : تكسَّرت .

(٢) في أ : فكان يقتتل الرجلان حتى يثخنان ثم يجلسان .

(٣) في أ : واستمروا في القتال .

(٤) في أ : وتوجه لأهل العراق على الشام .

(٥) في أ : فانقضت غالب صفوف أهل الشام ولم يبق إلا الهزيمة والكسر والفرار . . . مكراً منهم بأهل العراق وخديعة .

(٦) في أ : والكافرين .

(٧) رفع المصاحف أكذوبة افتراها أبو مخنف (لوط بن يحيى) فيما رواه في تاريخ الطبري (٥/ ٤٧ ـ ٤٩) ومتون مروياته طافحة بتجريح الصحابة، وإخراجهم عن إسلامهم وإيمانهم ، وإجراء السب واللعن على ألسنتهم ضد مخالفيهم ، متناسياً فضل البدريين وأصحاب بيعة الرضوان منهم . والصحيح الحجة في البخاري (٤٨٤٤) ومسند أحمد (١٥٩٧٥) أن عمرو بن العاص قال لمعاوية : أرسل إلى علي بمصحف وادعه إلى كتاب الله . . وذكر الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ٢٣] فقال عليٌّ رضي الله عنه : نعم .
وانظر صحيح تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٨) وضعيفه (٨/ ٧٩٥) .

(٨) في ط : بهذا هو .

(٩) في ط : استظهروا .

(١٠) في أ : ولا يزيد أهل الشام إلا فرقة واختلافاً .

(١١) في ط : فمن قائل نجيبهم وقائل .

(١٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٥) وهو حديث صحيح .

أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليٌّ بالنهروان فيما استجابوا له وفيما فارقوه ، وفيما استحلَّ قتالهم فقال : كنا بصفّين فلما استحرّ القتال بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية : أرسل إلى علي بمصحف فادعُهُ إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك [الإجابة إلى كتاب الله] فجاء به رجل [منهم] فقال : بيننا وبينكم كتاب الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣] فقال علي : نعم ! أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله ، قال : فجاءته الخوارجُ ونحن ندعوهم يومئذ القُرّاء وسيوفهم على عواتقهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما ينتظر هؤلاء القوم الذين على التلّ ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فتكلم سهل بن حُنيف فقال : يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية ـ يعني[1] الصلح الذي كان بين رسول الله وبين المشركين ـ ولو نرى قتالاً لقاتلنا ، فجاء عمر إلى رسول الله ، فقال : (يا رسول الله) ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ [قال : « بلى »] وذكر تمام الحديث كما تقدم في موضعه .

[ذكر] رفع أهل الشام المصاحف[2]

فلما رُفعت المصاحفُ قال أهل العراق : نُجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه .

قال أبو مخنف[3] : حدَّثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن علياً قال :

عباد الله أمضوا إلى حقّكم وصدقكم وقتال عدوكم ، فإنَّ معاويةَ وعمرو بن العاص وابنَ أبي مُعَيْط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سَرْح والضّحّاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، صحبتهم أطفالاً ، وصحبتهم رجالاً ، فكانوا شرَّ أطفالٍ وشرَّ رجالٍ ، ويحكم والله إنهم ما رفعوها أنهم يقرؤونها ولا يعملون بما فيها وما رفعوها إلا خديعة ودهاءً ومكيدة . [ومكراً وتخذيلاً لكم وكسراً لحدتكم وقتالكم ، ولم يبق إلا هزيمتهم وفرارهم ونصركم عليهم] فقالوا له : ما يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ، فقال لهم : (إني) إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فإنهم قد عَصَوا الله فيما أمرهم به ، وتركوا عهده ، ونبذوا [أمره] وكتابه . فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السبائي في عصابة معهما من القُرّاء الذين صاروا بعد ذلك خوارج : يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيتَ إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان ، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه ، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك . قال : فاحفظوا عني نهيي إياكم واحفظوا مقالتكم لي ، أما أنا فإن تطيعوني فقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم ، قالوا : فابعث إلى الأشتر فليأتك ويكفّ عن القتال ، فبعث إليه علي ليكفَّ عن القتال .

---

(١) في أ : يوم .

(٢) جاء هذا العنوان في هامش أ بخط مغاير .

(٣) ضعيف الطبري (٨/ ٧٩٥ ـ ٨٤٨) وانظر صحيح الأخبار في ذلك في « صحيح الطبري » (٣/ ٤٤٥) ، والانصاف لحامد خليفة ص (٤٦٠) .

وقد ذكر الهيثم بن عدي[١] في كتابه الذي صنَّفه في الخوارج فقال : قال ابن عباس : فحدَّثني[٢] محمد بن المنتشر الهمداني ، عمن شهد صفين وعن ناس من رؤوس الخوارج ممن لا يتهم[٣] على كذب :

أن عمار بن ياسر كره ذلك وأبى ، وقال في علي بعض ما أكره ذكره ، ثم قال : من رائح إلى الله قبل أن يبتغي غير الله حكماً ؟ فحمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه . وكان ممن دعا إلى ذلك [في ذلك اليوم من] سادات الشاميين عبد الله بن عمرو بن العاص قام في أهل العراق فدعاهم إلى الموادعة والكف وترك القتال والائتمار بما في القرآن ، وذلك عن أمر معاوية له بذلك[٤] رضي الله عنهما ، وكان ممن أشار على علي بالقبول والدخول في ذلك الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه .

فروى أبو مخنف[٥] من وجه آخر أن علياً لما بعث إلى الأشتر قال : قل له إنه (ليس) هذه ساعة ينبغي أن (لا) تزيلني عن موقفي فيها ، إني قد رجوت أن يفتح الله علي ، فلا تعجلني ، فرجع الرسول - وهو يزيد بن هانىء - إلى علي فأخبره عن الأشتر بما قال[٦] ، وصمم الأشتر على القتال لينتهز الفرصة ، فارتفع الهرج وعلت الأصوات فقال أولئك القوم لعلي : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ، فقال : أرأيتموني ساررت الرسول[٧] ؟ ألم أبعثْ إليه جهرةً وأنتم تسمعون ؟ فقالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك ، فقال : عليٌّ لزيد بن هانىء : ويحك ! قل له أقبل إلي ، فإن الفتنة قد وقعت ، فلما رجع إليه يزيد بن هانىء فأبلغه عن أمير المؤمنين أنه (ينصرف عن القتال و) يقبل إليه ، جعل [الأشتر] يتململ[٨] ويقول : ويحك ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر ولم يبق إلا القليل ؟ فقلت له : أيهما أحب إليك أن تقبل أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان ؟ ثم ماذا يغني عنك نصرتك هاهنا ؟ قال : فأقبل الأشتر إلى علي وترك القتال فقال :

يا أهل العراق ! يا أهل الذل والوهن[٩] أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف

---

(١) هو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن ، البحتري ، الكوفي ، مختص بمجالس الخلفاء - وكتابه الخوارج مفقود - ترجمته في كشف الظنون (٦/ ٥١١) .
(٢) في أ : وحدّثني . وفي النص خلافات كثيرة لا تخرج عن المعنى المراد ضربنا عنها صفحاً لكثرتها .
(٣) في أ : لم يتهم .
(٤) في أ : في ذلك .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩) .
(٦) في أ : فأخبره بما قال الأشتر .
(٧) في ط : ساررته .
(٨) في أ : يتمثل .
(٩) في أ : والدهب .

يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، وسنة من أنزل عليه [القرآن][١] ، فلا تجيبوهم ، (أمهلوني) فإني قد أحسست بالفتح ، قالوا : لا ! قال : أمهلوني عدوَ الفَرَسِ فإني قد طمعت في النصر ، قالوا إذاً ندخل معك في خطيئتك ، ثم أخذ الأشتر يناظر أولئك القراء الداعين إلى إجابة أهل الشام بما حاصله : إن كان أول قتالكم هؤلاء حقاً فاستمروا عليه ، وإن كان باطلاً فاشهدوا لقتلاكم بالنار ، فقالوا : دعنا منك فإنا لا نطيعك ولا صاحبك أبداً ، ونحن قاتلنا هؤلاء في الله ، وتركنا قتالهم لله ، فقال لهم الأشتر : خُدعتم والله فانخدعتم ، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم ، يا أصحاب السوء كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، يا أشباه النيب الجَلالة ما أنتم بربانيين بعدها . فابعدوا كما بعد القوم الظالمون . فسبّوه وسبَّهم فضربوا وجه دابته بسياطهم ، وجرت بينهم أمور طويلة ، ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدة لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين ، فإن الناس تفانوا في هذه المدة ، ولا سيما في هذه الثلاثة أيام المتأخرة التي آخر أمرها ليلة الجمعة وهي ليلة الهرير . كل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس يوجد في الدنيا مثله ، ولهذا[٢] لم يفرَّ أحدٌ عن أحد ، بل صبروا حتى قتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفاً : خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام ، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق .

قاله غير واحد منهم [محمد] بن سيرين وسيف وغيره . وزاد أبو الحسن بن البراء ـ وكان في أهل العراق ـ خمسة وعشرون بدرياً ، قال : وكان بينهم في هذه المدة تسعون زحفاً واختلفوا[٣] في مدة المقام بصفين ، فقال سيف : سبعة أشهر أو تسعة أشهر . وقال أبو الحسن بن البراء مئة [يوم] وعشرة أيام .

قلت : ومقتضى كلام أبي مخنف أنه كان من مستهلّ ذي الحجة في يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من صفر وذلك سبعة وسبعون يوماً ، فالله سبحانه أعلم .

وقال الزُّهري : بلغني أنه كان يدفن في القبر الواحد خمسون نفساً . هذا كله ملخص من كلام ابن جرير وابن الجوزي في المنتظم[٤] .

وقد روى البيهقي[٥] : من طريق يعقوب بن سفيان ، عن أبي اليمان ، عن صفوان بن عمرو : كان أهل الشام ستين ألفاً فقتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مئة وعشرين ألفاً فقتل منهم أربعون ألفاً .

---

(١) في أ : وسنة من أنزلت عليه .

(٢) في أ : التي كان آخرها ليلة الجمعة وهي ليلة الهزيز ، وقد صبر كل من الجيشين للآخر صبراً لم ير مثله لما كان فيهم من الشجعان والأبطال مما ليس يوجد مثلهم في الدنيا ولهذا . .

(٣) في ط : واختلفا .

(٤) المنتظم لابن الجوزي (٥/ ١١٧ـ١٢٣) طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤١٩) .

وحمل البيهقيّ هذه الوقعة على الحديث الذي أخرجاه في الصحيحين[١] (من طريق عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن هَمّام بن منبِّه) عن أبي هريرة .

ورواه البخاري[٢] (من حديث شعيب ، عن الزهري ، عن أبي سلمة) عن أبي هريرة ، (ومن حديث شعيب ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة) عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة » .

ورواه مجالد عن أبي الحواري عن أبي سعيد مرفوعاً مثله[٣] .

ورواه الثوري عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد . قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما[٤] واحدة فبينما هم كذلك مرق منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » .

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد[٥] عن مهدي وإسحاق عن سفيان عن منصور عن ربعي بن حِراش عن البراء بن ناجية الكاهلي عن ابن مسعود . قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن رحى الإسلام ستزول لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل[٦] من هلك ، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً » فقال عمر : يا رسول الله أممّا مضى أم مما بقي ؟ قال : « بلى مما بقي » .

وقد رواه إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتاب جمعه في « سيرة علي » [رواه عن إبراهيم] عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن شريك عن منصور به مثله .

وقال أيضاً : حدَّثنا أبو نعيم ، حدَّثنا شريك بن عبد الله النخعي ، عن مجالد ، عن عامر الشعبي ، عن مسروق ، عن عبد الله . قال : قال لنا رسول الله ﷺ :

« إن رحى الإسلام ستزول بعد خمسٍ وثلاثين سنة فإن يصطلحوا فيما بينهم يأكلوا (الدنيا) سبعين عاماً رغداً ، وإن يقتتلوا يركبوا سنن منْ كانَ قبلهم ؟ » .

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٠٩) في المناقب ، وصحيح مسلم (٢٢١٤) (١٧) في الفتن .
(٢) صحيح البخاري (٣٦٠٨) في المناقب ومن الطريق التي تليها (٧١٢١) في الفتن .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٢ و٤٨) وصحيح مسلم (١٠٦٤) (١٥٠) في الزكاة .
(٤) في أ : دعواهما .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٩٥) .
(٦) في المسند : فكسبيل .

وقال ابن ديزيل : حدَّثنا عبد الله بن عمر ، حدَّثنا عبد الله بن خراش الشيباني ، عن العَوّام بن حَوْشَب ، عن إبراهيم التيمي[١] . قال قال رسول الله ﷺ :

« تدور رحى الإسلام عند قتل رجل من بني أمية » ـ يعني عثمان رضي الله عنه ـ .

وقال أيضاً : حدَّثنا الحكم عن نافع عن صفوان بن عمرو عن الأشياخ :

أن رسول الله ﷺ دعي إلى جنازة رجل من الأنصار فقال ـ وهو قاعد ينتظرها ـ « كيف أنتم إذا رأيتم خليفتين[٢] في الإسلام ؟ » قال أبو بكر[٣] : أو يكون ذلك في أمة إلٓهها واحد ونبيها واحد ؟ قال : « نعم » ! قال : أفأدرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : « لا ! » قال عمر : أفأدرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : « لا ! » قال عثمان : أفأدرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم ! بك ينشبون الحرب »[٤] وقال أيضاً عمر [بن الخطاب] لابن عباس : كيف يختلفون وإلٓههم واحد وكتابهم واحد وملتهم[٥] واحدة ؟ فقال : إنه سيجيء قوم لا يفهمون القرآن كما نفهمه[٦] ، فيختلفون فيه فإذا اختلفوا فيه اقتتلوا . فأقرّ عمر بن الخطاب بذلك .

وقال أيضاً : حدَّثنا أبو نعيم ، حدَّثنا سعيد بن عبد الرحمن ـ أخو أبي حمزة ـ حدَّثنا محمد بن سيرين قال :

لما قتل عثمان قال عدي بن حاتم : لا ينتطح في قتله عنزان[٧] فلما كان يوم صفين فقئت عينه فقيل : لا ينتطح في قتله عنزان[٨] ، فقال : بلى وتُفقأ عيون كثيرة .

وروي عن كعب الأحبار أنه مر بصفين فرأى حجارتها فقال : لقد اقتتل في هذا الموضع بنو إسرائيل تسع مرات ، وإن العرب ستقتتل فيها العاشرة ، حتى يتقاذفوا بالحجارة التي تقاذف بها[٩] بنو إسرائيل ويتفانوا كما تفانوا .

---

(١) في الأصل والمطبوع : التميمي ، وهو خطأ ، صوابه : التيمي .
(٢) في ط : إذا راعيتم جيلين .
(٣) في أ : قالوا .
(٤) في ط : يفتنون وقال .
(٥) في أ : وقبلتهم .
(٦) في أ : نفهم .
(٧) هذا المثل في معجم الأمثال العربية لرياض مراد (نطح ـ عنز) وفيه المصادر القديمة التالية : الفاخر (٣١٢) ومجمع الأمثال (٢/ ٢٢٥) وجمهرة الأمثال (٢/ ٣٧٦ و٤٠٣) والمستقصى (٢/ ٢٧٧) .
(٨) في أ : فقيل له ينتطح في قتله عنزان قال .
(٩) في ط : فيها .

وقد ثبت في الحديث[١] أن رسول الله ﷺ قال: «سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم[٢] فيستبيح بيضتهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط بعضهم على بعض فمنعنيها».

ذكرنا ذلك[٣] عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام : ٦٥] قال رسول الله : هذا أهون .

قصة التحكيم[٤]

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم ، وهو أن يحكّم كل واحد من الأميرين ـ علي ومعاوية ـ رجلاً من جهته . ثم يتفق الحكمان على ما فيه المصلحة للمسلمين . فوكّل معاوية عمرو بن العاص ، وأراد عليّ أن يوكل عبد الله بن عباس ـ وليته فعل ـ ولكنه منعه القُرّاء [الخوارج] ممن ذكرنا وقالوا : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري .

وذكر الهيثم بن عدي[٥] في كتاب « الخوارج » : أنَّ أولَ من أشار بأبي موسى الأشعري الأشعث بن قيس ، وتابعه أهل اليمن ، ووصفوه أنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال ، وكان أبو موسى قد اعتزل في بعض أرض الحجار . قال علي : فإني أجعل الأشتر حكماً ، فقالوا : وهل سعر الحرب وسعر الأرض إلا الأشتر ؟ قال : فاصنعوا ما شئتم ، فقال الأحنف لعلي : والله لقد رميت بحجر ، إنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل منهم ، يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ، ويبتعد حتى[٦] يصير بمنزلة النجم ، فإن أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً ، فإنه لن يعقد عقدة إلا أحلها[٧] ، ولا يحل عقدة عقدتها إلا عقدت لك أخرى مثلها أو أحكم منها . قال : فأبوا إلا أبا موسى الأشعري فذهبت الرسل إلى أبي موسى الأشعري ـ وكان قد اعتزل ـ فلما قيل له إن الناس قد اصطلحوا قال : الحمد لله ، قيل له : وقد جُعلت حكماً ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علي رضي الله عنه وكتبوا بينهم كتاباً هذه صورته[٨] .

---

(١) الحديث رواه سعد بن أبي وقاص وأخرجه أحمد في المسند (١/ ١٨١ـ١٨٢) ومسلم في صحيحه (٢٨٩٠) (٢٠) في الفتن .

(٢) في ط : من سواهم .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٤١) .

(٤) قصة التحكيم اختارها ابن كثير من كتاب « الخوارج » للهيثم بن عدي ، وأعرض عن مرويات أبي مخنف المفتراة في تاريخ الطبري (٥/ ٥٠ ـ ٦٠) ، والتي تُظهر أن عليًّا رضي الله عنه أُكره على التحكيم ، وتتجاهل أن علياً هو أمير المؤمنين وأن معاوية هو الأمير . وتقدّم عمرو بن العاص داهية محتالاً ، وأبا موسى الأشعري ضعيف الرأي مغفلاً ! . وهما رضي الله عنهما على الضد من ذلك استقامةً ، وعزةً ، وتقوى . وانظر صحيح تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٨) وضعيفه (٨/ ٧٩٥ ـ ٨٠٥) .

(٥) في أ : الهيثم بن علي ؛ خطأ .

(٦) في أ : رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد عنهم حتى .

(٧) في أ : إلا حللتها .

(٨) صورة الكتاب في تاريخ الطبري (٥/ ٥٣ـ٥٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما قاضى[١] عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فقال عمرو بن العاص : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم وليس بأميرنا ، فقال الأحنف : لا تكتب إلا أمير المؤمنين ، فقال علي : امح أمير المؤمنين[٢] واكتب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ثم استشهد علي بقصة[٣] الحديبية حين امتنع أهل مكة [من قوله] « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فامتنع المشركون من ذلك وقالوا : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فكتب الكاتب : هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى عليّ على أهل العراق ومنْ معهم من شيعتهم والمسلمين ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومنْ كان معه من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزل عند حكم الله وكتابه ونحيي ما أحيى الله عزَّ وجلَّ ، ونميت ما أمات الله ، فما وجد الحكمان في كتاب الله ـ وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ـ عملا به ، وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المتفرقة[٤] .

ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما[٥] آمنان على أنفسهما وأهلهما ، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه[٦] ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنهما على ما في هذه الصحيفة ، وأجّلا القضاء إلى رمضان ، وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك على تراضٍ منهما ، وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين ، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان ، ومع كل واحد من الحكمين أربعمئة من أصحابه ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح ، وقد ذكر الهيثم [بن عدي] في كتابه في الخوارج أنَّ الأشعث بن قيس لما ذهب إلى معاوية بالكتاب وفيه : هذا ما قاضى عبد الله علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان .

قال معاوية : لو كان أمير المؤمنين لم أقاتله ، ولكن ليكتب اسمه ، وليبدأ به قبل اسمي لفضله وسابقته ، فرجع إلى علي فكتب كما قال معاوية .

وذكر الهيثم : أن أهل الشام أبوا أن يبدؤوا[٧] باسم علي قبل معاوية ، وباسم أهل العراق قبلهم ، حتى كُتب كتابان ، كتاب لهؤلاء فيه تقديم معاوية على علي ، وكتاب (آخر لأهل العراق بتقديم اسم علي

---

(١) في أ : تقاضي .
(٢) في أ : امحه واكتب .
(٣) في أ : بقضية .
(٤) في أ : المفرقة .
(٥) في أ : ومن الجندين العهود والمواثيق على أنهما .
(٦) في أ : لهما أنصاراً على الذي يتقاضيان عليه ويتفقان .
(٧) في ط : يبدأ .

وأهل العراق على معاوية وأهل الشام)[١] وهذه تسمية من شهد على هذا التحكيم[٢] من جيش علي : عبد الله بن عباس ، والأشعث بن قيس الكندي ، وسعيد[٣] بن قيس الهمداني ، وعبد الله بن الطفيل (المعافري) ، وحجر بن عدي[٤] الكندي ، وورقاء بن سمي العجلي ، وعبد الله بن بلال العجلي ، وعقبة بن زياد الأنصاري ، ويزيد بن جحفة التميمي ، ومالك بن كعب الهمداني ، فهؤلاء عشرة .

وأما من الشاميين فعشرة آخرون ، وهم : أبو الأعور السُّلمي ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد ، ومخارق بن الحارث الزبيدي ، ووائل بن علقمة[٥] العدوي ، وعلقمة بن يزيد الحضرمي ، وحمزة ابن مالك الهمداني ، وسُبيع[٦] بن يزيد الحضرمي ، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية ، ويزيد بن الحُرّ العبسي .

وخرج الأشعث بن قيس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه على الطائفتين . ثم شرع الناس في دفن قتلاهم .

قال الزُّهري : بلغني أنه كان يدفن[٧] في كل قبر خمسون نفساً ، وكان علي قد أسر جماعة من أهل الشام ، فلما أراد الانصراف [عن صفين] أطلقهم ، وكان مثلهم أو قريباً منهم [قد أسرهم أهل الشام] وكان معاوية قد عزم[٨] على قتلهم لظنه أنه[٩] قد قتل أسراهم ، فلما جاءه أولئك الذين أطلقهم[١٠] أطلق معاوية الذين في يده ، ويقال إن رجلاً يقال له عمرو بن أوس ـ من الأزد ـ كان من الأسارى فأراد معاوية قتله فقال : امنن علي فإنك خالي ، فقال له : ويحك ! من أين أنا خالك ؟ فقال : إن أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ وهي أم المؤمنين وأنا ابنها وأنت أخوها فأنت خالي ، فأعجب ذلك معاوية وأطلقه .

وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ـ وذكر أهل صفين ـ فقال : كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية فالتقوا في الإسلام معهم على[١١] الحمية وسنة الإسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا احتجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، (وهؤلاء في عسكر هؤلاء) فيستخرجون قتلاهم فيدفنوهم وقال الشعبي : هم أهل الجنة ، لقي بعضهم بعضاً فلم يفر أحد من أحد .

---

(١) مكان القوسين في أ : لهؤلاء بما أرادوا .
(٢) في أ : الكتاب والتحكيم .
(٣) في أ : وسعد ؛ وما هنا موافق للطبري .
(٤) في ط : يزيد ؛ خطأ .
(٥) في أ : بن عمر ؛ وهذا الاسم غير موجود في الطبري .
(٦) في أ : وشبيبة ؛ خطأ وما هنا موافق للطبري .
(٧) في ط : أنه دفن في .
(٨) في ط : قريب منهم في يد معاية وكان قد عزم على قتلهم .
(٩) في أ : لظنه أن علياً .
(١٠) في أ : أطلقهم علي .
(١١) في أ : بتلك الحمية ونهية الإسلام .

[ذكر] خروج الخوارج

وذلك أن الأشعث بن قيس مرَّ على ملأ من بني تميم فقرأ عليهم الكتاب فقام إليه عروة بن أذينة وهي أمه وهو عروة بن جرير من بني ربيعة بن حنظلة وهو أخو أبي بلال (بن) مرداس بن جرير فقال : أتحكمون في دين الله الرجال ؟ ثم ضرب بسيفه عجزَ دابة الأشعث بن قيس ، فغضب الأشعث وقومه ، وجاء الأحنف بن قيس وجماعة من رؤسائهم[١] يعتذرون إلى الأشعث (بن قيس) من ذلك ، قال الهيثم بن عدي : والخوارج يزعمون أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسبي .

(قلت): والصحيح الأول وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل[٢] طوائف من أصحاب علي من القراء وقالوا : لا حكم إلا لله ، فسُمُّوا المُحكَّمية . وتفرَّق الناسُ إلى بلادهم من صفين . وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه، ورجع علي إلى الكوفة على طريق هيت فلما دخل الكوفة[٣] سمع رجلاً يقول: ذهب علي ورجع في غير شيء . فقال علي : لَلَّذين فارقناهم [آنفاً] خيرٌ من هؤلاء ، وأنشأ يقول[٤] : [من الطويل]

أخوك الّذي إنْ أحْرَجَتْك[٥] مُلِمَّةٌ   منَ الدَّهْرِ لم يَبْرح لبثِّك راحما[٦]
وليس أخوك بالذي إن تَشَعَّبَتْ   عليك أمورٌ[٧] ظلَّ يلحاكَ لائما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الإمارة من الكوفة ، ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل[٨] من جيشه قريبٌ من - اثني عشر ألفاً - وهم الخوارج ، وأبوا أن يساكنوه في بلده ، ونزلوا[٩] بمكان يقال له حروراء وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون (أنه) ارتكبها ، فبعث إليهم عليٌّ رضي الله عنه عبدَ الله بن عباس فناظرهم فرجع اكثرُهم وبقي بقيتهم ، فقاتلهم عليٌّ بن أبي طالب وأصحابه كما سيأتي بيانه (وتفصيله) قريباً إن شاء الله تعالى .

والمقصود أن هؤلاء الخوارج (هم) المشار إليهم في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ :

---

(١) في أ : من رؤساء بني تميم .
(٢) في أ : عن الرجل .
(٣) في أ : من صفين فرجع علي إلى الكوفة على طريق هيت ورجع معاوية إلى الشام بأصحابه فلما دخل علي الكوفة . .
(٤) البيتان في تاريخ الطبري (٥/ ٦٣) .
(٥) في أ : أجر ستك .
(٦) في الطبري : واجماً .
(٧) في أ : وليس أخاً لك بالذي قد تشعبت عليك الأمور .
(٨) في أ : انخزل .
(٩) في أ : فنزلوا .

قال : « تمرقُ مارقةٌ على حين فرقة من الناس ـ وفي رواية من المسلمين ، وفي رواية من أمتي ـ فيقتلها أولى الطائفتين »(١) . وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة .

قال الإمام أحمد(٢) : حدَّثنا وكيع وعفان(٣) حدَّثنا القاسم بن الفضل ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » ورواه مسلم(٤) عن شيبان بن فَرُّوخ ، عن القاسم بن الفضل(٥) ، به .

وقال أحمد(٦) : حدَّثنا أبو عوانة ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ :

« تكون أمتي فرقتين تخرج بينهما مارقة تلي قتلها أولاهما » .

ورواه مسلم(٧) من حديث قتادة وداود(٨) بن أبي هند عن أبي نضرة به .

وقال أحمد(٩) : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن سليمان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد : أن رسول الله ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس ، سيماهم التحليق : « هم شر الخلق ـ أو من شر الخلق ـ يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق » . قال أبو سعيد : فأنتم قتلتموهم يا أهل العراق .

وقال أحمد(١٠) : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا عوف(١١) ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد (الخدري) . قال قال رسول الله ﷺ :

« تفترق أمتي فرقتين فتمرق بينهما مارقة فيقتلها(١٢) أولى الطائفتين بالحق » ورواه [أيضاً] عن يحيى القطان عن عوف(١٣) الأعرابي به مثله .

---

(١) في أ : وفي رواية : أولى طائفتين بالحق .

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٢ و٩٧) .

(٣) في ط : وعفان بن القاسم بن الفضل ؛ خطأ . وما هنا عن (أ) والمسند .

(٤) صحيح مسلم (١٠٦٥) (١٥٠) في الزكاة .

(٥) في ط : « محمد » خطأ ، وما هنا يعضده ما في صحيح مسلم ، ولا نعرف لشيبان بن فروخ رواية عن رجل اسمه القاسم بن محمد ، وروايته عن القاسم بن الفضل الحداني ثابتة في تهذيب الكمال (١٢/ ٥٩٩) .

(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٥) وفي سنده : حدَّثنا بهز ، حدَّثنا أبو عوانة . وفي متنه : أولاهما بالحق .

(٧) صحيح مسلم (١٠٦٥) (١٥١ و١٥٢) في الزكاة .

(٨) في أ : عن قتادة عن داود بن أبي هند ؛ خطأ ، بل هما طريقان عند مسلم ذكرناهما آنفاً .

(٩) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥) وأخرجه مسلم رقم (١٠٦٥) .

(١٠) مسند الإمام أحمد (٣/ ٧٩) وهو حديث صحيح .

(١١) في أ : عون ؛ تحريف .

(١٢) في أ : فتقتلها ، وما هنا كالمسند .

(١٣) في أ : عون ، تحريف ، وإنما هو عوف بن أبي جميلة العبدي ، المعروف بالأعرابي . من رجال التهذيب .

فهذه طرق متعددة عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قُطَعَة العبدي ، وهو أحد الثقات الرفعاء .

ورواه مسلم[١] أيضاً من حديث سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن الضحاك المشرقيِّ ، عن أبي سعيد بنحوه .

فهذا الحديث من دلائل النبوة ، إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحُكْمُ بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق ، لا كما تزعمه[٢] فرقة الرافضة والجهلة الطغام[٣] ، من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً [في قتاله له وقد أخطأ فهو] مأجور إن شاء الله ، ولكن علي هو الإمام [المصيب] فله أجران [إن شاء الله تعالى] كما ثبت في صحيح البخاري[٤] (من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال :) « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » وسيأتي بيان كيفية قتال (علي رضي الله عنه) للخوارج ، وصفة المخدج الذي أخبر عنه عليه السلام فوجد كما أخبر ففرح بذلك علي رضي الله عنه وسجد شكراً لله عزَّ وجلَّ[٥] .

فصل

قد تقدم أن علياً رضي الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين ، ذهب إلى الكوفة ، فلما دخلها انعزل[٦] عنه طائفة من جيشه ، قيل ستة عشر ألفاً وقيل اثني عشر ألفاً ، وقيل أقل من ذلك ، فباينوه وخرجوا عليه وأنكروا [عليه] أشياء ، فبعث إليهم (عبد الله) بن عباس فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه شبهة ، ولم يكن له حقيقة (في نفس الأمر) ، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلالهم[٧] حتى كان منهم ما سنورده قريباً [إن شاء الله] ، ويقال إن علياً رضي الله عنه ذهب إليهم فناظرهم (فيما نقموا عليه) حتى استرجعهم عما كانوا عليه ، ودخلوا معه الكوفة ، ثم إنهم عاهدوا فنكثوا ما عاهدوا عليه وتعاهدوا[٨] فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام على الناس في ذلك ثم تحيزوا إلى موضع يقال له النهروان ، وهناك قاتلهم[٩] علي كما سيأتي .

---

(١) صحيح مسلم (١٠٦٥) (١٥٣) في الزكاة .
(٢) في أ : تزعمه .
(٣) في أ : أهل الجهل والجور .
(٤) صحيح البخاري (٧٣٥٢) في الاعتصام ، وأوله : إذا حكم الحاكم فاجتهد . .
(٥) في ط : للشكر .
(٦) في أ : اعتزله .
(٧) في أ : على ضلالة .
(٨) في أ : عادوا فنكثوا ما عاهدوه عليه وتعاقدوا .
(٩) في أ : ثم تحيزوا لناحية إلى مكان يقال له النهروان وفيه قاتلهم .

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا إسحاق بن عيسى الطَّباع ، حدَّثني يحيى بن سليم ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن عبيد الله[٢] بن عياض بن عمرو القارىء قال : جاء عبد الله بن شدَّاد فدخل على عائشة ونحن عندها مرجعه من العراق ليالي قُتل[٣] علي ، فقالت : له يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه ؟ حدِّثني[٤] عن هؤلاء القوم الذي قتلهم علي ، فقال : وما لي لا أصدقك ؟ قالت : فحدثني عن قصتهم ، قال : فإن علياً لما كاتب معاوية وحكَّم الحكمين خرج عليه ثمانية آلاف من قُراء الناس فنزلوا بأرضٍ يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وأنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميصٍ ألبَسَكهُ اللهُ ، واسمٍ سمّاك له اللهُ ثم انطلقت فحكمت في دين الله ولا حكم إلا لله ، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه ، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين (رجل) إلا رجلاً قد حمل القرآن ، فلما (أن) امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحفّ حدث الناس فناداه الناس (فقالوا) يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق ، ونحن نتكلم بما روينا منه ، فماذا تريد ؟ قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله ، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء : ٣٥] فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية كتبت علي بن أبي طالب ، و(قد) جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشاً فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : كيف تكتب ؟ قال : أكتب باسمك اللهم ! فقال رسول الله ﷺ : « اكتب » فكتب ، فقال : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً ، يقول الله تعالى في كتابه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾ [الأحزاب : ٢١] فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطت عسكرهم فقام ابن الكوا فخطب الناس فقال يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه ، هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٨] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله ، فقال بعضهم : والله لنواضعنه فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه وإن جاء بباطل لنكبتنه بباطله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام ، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب ، منهم ابن الكوا ، حتى أدخلهم على عليّ

---

(١) مسند أحمد (١/٨٦) .

(٢) في أ ، ط : عبد : خطأ .

(٣) في أ ، ط : قبل ، تحريف .

(٤) في ط : فحدثني .

الكوفة ، فبعث علي إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم ، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا[(١)] ذمة فإنّكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[الأنفال : ٥٨] فقالت له عائشة : يا بن شداد فقتلهم فقالوا والله ما بعثت إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا أهل الذمة ، فقالت آلله ، قال : آلله الذي لا إله إلا هو قد كان ذلك ، قالت : فما شيء بلغني[(٢)] عن أهل العراق يقولون ذو الثدي وذو الثدية ؟ قال : قد رأيته وكنت مع علي في القتلى[(٣)] فدعا الناس فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول : قد رأيته في مسجد بني فلان [يصلي ويقرأ] ورأيته في مسجد بني فلان يصلي ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك . قالت : فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال سمعته يقول صدق الله ورسوله قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا ! قالت أجل ! صدق الله ورسوله ، يرحم الله علياً إنه كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله ، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث .

تفرد به أحمد وإسناده صحيح ، واختاره الضياء ، ففي هذا السياق ما يقتضي أن عدتهم كانت[(٤)] ثمانية آلاف ، لكن من القُرّاء ، وقد يكون واطأهم على مذهبهم آخرون من غيرهم حتى بلغوا اثني عشر ألفاً ، أو ستة عشر ألفاً . ولمّا ناظرهم ابن عباس رجع منهم أربعة آلاف وبقي بقيتهم على ما هم عليه .

وقد رواه يعقوب بن سفيان ، عن موسى بن مسعود ، عن عكرمة بن عمار ، عن سماك أبي[(٥)] زميل ، عن ابن عباس فذكر القصة وأنهم عتبوا عليه في كونه حكَّم الرجال ، وأنه محا اسمه من الإمرة ، وأنه غزا يوم الجمل فقتل الأنفس الحرام ولم يقسم الأموال والسبي ، فأجاب عن الأولين بما تقدم ، وعن الثالث بأن قال : قد كان في السبي أم المؤمنين [عائشة] فإن قلتم ليست لكم بأم فقد كفرتم ، وإن استحللتم سبي أمكم[(٦)] فقد كفرتم . قال : فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فتقاتلوا . وذكر غيره أن ابن عباس لبس حلة لما دخل[(٧)] عليهم ، فناظروه في لبسه إياها ، فاحتج بقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[الأعراف : ٣٢] الآية .

---

(١) في أ : ولا تظلموا .
(٢) في أ : فإنني بلغني .
(٣) في مسند أحمد : وقمت مع علي عليه في القتلى .
(٤) في ط : كانوا .
(٥) في أ : « سماك بن زميل » . خطأ ، فهو أبو زميل سماك بن الوليد الحنفي ، من رجال التهذيب .
(٦) في ط : أمهاتكم .
(٧) في أ : لما خرج إليهم .

وذكر ابن جرير[(١)] : أن علياً خرج بنفسه إلى بقيتهم فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة وذلك يوم عيد الفطر أو الأضحى شك الراوي في ذلك ، ثم جعلوا يعرضون[(٢)] له في الكلام ويسمعونه شتماً ويتأولون بتأويل في أقواله[(٣)] .

قال الشافعي رحمه الله : قال رجل من الخوارج لعلي وهو في الصلاة : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] فقرأ علي : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم : ٦٠] .

وقد ذكر ابن جرير[(٤)] أن هذا [الكلام إنما قاله] وعلي في الخطبة [لا في الصلاة] . وذكر ابن جرير أيضاً أن علياً بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال : يا علي أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلَّا لله ، فتنادوا من كل جانب لا حكم إلَّا لله ، لا حكم إلَّا لله ، فجعل علي يقول : هذه كلمة حق يراد[(٥)] بها باطل ، ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم فيئاً ما دامت أيديكم معنا ، وأن لا نمنعكم مساجد الله ، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤونا ثم إنهم خرجوا بالكلية عن الكوفة وتحيزوا إلى النهروان على ما سنذكره بعد حكم الحكمين .

اجتماع الحكمين أبي موسى[(٦)] وعمرو بن العاص بدومة الجندل

و[كان] ذلك في شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصفين ، وقال الواقدي[(٧)] : اجتمعوا في شعبان . وذلك أن علياً رضي الله عنه لما كان مجيء رمضان بعث أربعمئة فارس مع شريح بن هانىء ، ومعهم أبو موسى ، وعبد الله بن عباس ، وإليه الصلاة ، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة فارس من أهل الشام ومنهم عبد الله بن عمرو[(٨)] ، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح ـ وهي نصف [المسافة] بين الكوفة والشام ، بينها وبين كل من البلدين تسع مراحل ـ وشهد [ذلك] معهم جماعة من رؤوس الناس ، كعبد الله بن عمر [بن الخطاب] ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ،

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٧٢) .
(٢) في أ : ثم جعلوا بعد ذلك يعرضون له .
(٣) في ط : قوله .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٧٣) .
(٥) في أ : أريد ، وفي تاريخ الطبري : يلتمس .
(٦) في أ : صفة اجتماع الحكمين وهما أبو موسى الأشعري .
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٧١) .
(٨) في ط : بن عمر ؛ خطأ .

وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبي جهم بن حذيفة . وزعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم (أيضاً) ، وأنكر حضوره آخرون .

وقد ذكر ابن جرير[(١)] : أن عمر بن سعد خرج إلى أبيه وهو على ماءٍ لبني سليم بالبادية معتزل ؛ فقال يا أبة : قد بلغك ما كان من الناس بصفين ، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش ، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله ﷺ وأحد أصحاب الشورى ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة . فقال : لا أفعل ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الخفي التقي » والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً .

وقد قال الإمام أحمد[(٢)] : حدَّثنا أبو بكر الحنفي عبد الكبير بن عبد المجيد ، حدَّثنا بكير[(٣)] بن مسمار ، عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما أتاه حدَّثنا : يا أبة أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة ؟ فضرب سعد صدر عمر وقال : اسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي » .

وهكذا رواه مسلم في صحيحه[(٤)] .

وقال أحمد[(٥)] (أيضاً) : حدَّثنا عبد الملك بن عمرو ، حدَّثنا كثير بن زيد الأسلمي ، عن المطلب ، عن عمر بن سعد ، عن أبيه أنه جاءه ابنه عامر فقال : يا أبة : الناس يتقاتلون[(٦)] على الدنيا وأنت هاهنا[(٧)] ؟ فقال : يا بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأساً ؟ لا والله حتى أعطى سيفاً إن ضربت به مؤمناً نبا عنه وإن ضربت به كافراً قتله ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يحب الغني الخفي التقي » . وهذا السياق كان عكس الأول ، والظاهر أن عمر بن سعد استعان بأخيه عامر على أبيه ليشير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلهم يعدلون عن معاوية وعلي ويولونه ؛ فامتنع سعد من ذلك وأباه أشد الإباء ، وقنع بما هو فيه من الكفاية والخفاء ، كما ثبت في صحيح مسلم[(٨)] أن رسول الله ﷺ قال : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » وكان عمر بن سعد هذا يحب [الدنيا و] الإمارة ، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٧) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ١٦٨) .
(٣) في الأصل والمطبوع : بكر ، والتصحيح من مسند أحمد .
(٤) صحيح مسلم (٢٩٦٥) (١١) في الزهد والرقائق .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٧) .
(٦) في ط : يقاتلون .
(٧) قوله : « يا أبة : الناس يتقاتلون على الدنيا وأنت هاهنا » ليست في مسند الإمام أحمد .
(٨) صحيح مسلم (١٠٥٤) (١٢٥) في الزكاة .

السرية[١] التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه كما سيأتي بيانه في موضعه ، ولو قنع بما كان أبوه عليه لم يكن شيء من ذلك ، والله أعلم .

والمقصود أن سعداً رضي الله عنه لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولا همَّ به ، وإنما حضره من ذكرنا . فلما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين ، ونظرا في تقدير أمور ثم اتفقا على أن يعزلا عليًّا ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما ، وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال له عمرو : فولِّ ابني عبد الله فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد . فقال له أبو موسى : إنك قد غمست ابنك في الفتن [والدنيا] معك ، وهو مع ذلك رجل صدق .

قال أبو مخنف[٢] : فحدَّثني محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال عمرو بن العاص : إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويطعم . وكان ابن عمر فيه غفلة ، فقال له ابن الزبير : افطن وانتبه ، فقال ابن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً ، ثم قال : يا بن العاص إنَّ العرب قد أسندت إليكَ أمرَها بعدما تقارعت بالسيوف ، وتشاكت[٣] بالرماح ، فلا تردنهم في فتنة مثلها أو أشدّ منها ، ثم إن عمرو بن العاص حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه ، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله (بن عمرو) هوالخليفة ، فأبى أيضاً ، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر [بن الخطاب] فامتنع[٤] عمرو أيضاً ، ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعليًّا ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على منْ يختاروه[٥] لأنفسهم ، ثم جاءا إلى المجمع الذي فيه الناس ـ وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى ، بل يقدمه في كل الأمور أدباً وإجلالاً ـ فقال له : يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه ، فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم صلَّى على رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلحَ لها ولا ألمَّ لشعثها من رأي [قد] اتفقت أنا وعمرو عليه ، وهو أنَّا نخلعُ عليًّا ومعاوية ونتركُ الأمر شورى ، وتستقبلُ الأمةُ هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه [واختاروه] وإني قد خلعت عليًّا ومعاوية . ثم تنحَّى ، وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذا [قد] قال ما [قد] سمعتم ، وإنه قد خلعَ صاحبه ، وإني قد خلعته [أيضاً] كما خلعه وأثبتُّ صاحبي معاويةَ فإنَّه وليّ عثمان بن عفان ، والطالب بدمه ، وهو أحقُّ الناس بمقامه ـ وكان عمرو (بن العاص) رأى [من المصلحة] أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدي إلى مفسدة طويلة

---

(١) في أ : كان من السرية .

(٢) ضعيف الطبري (٨/ ٨١٤) من رواية أبي مخنف ، وهو متروك .

(٣) في تاريخ الطبري : وتناجزت الرماح .

(٤) في أ : فأبى .

(٥) كذا في أ ،ط وفيها مخالفة للسياق النحوي .

عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف ، فأقرَّ معاوية لما رأى [في] ذلك من المصلحة ، [فاجتهد] والاجتهاد يخطىء ويصيب . ويقال إن أبا موسى تكلّم معه[٢] بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله .

وذكر (ابن جرير)[٣] : أن شريح بن هانىء ـ مقدم جيش علي ـ وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابنٌ لعمرو فضربه (بالسوط) ، وتفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم ، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة ، وأما أبو موسى فاستحيى من علي فذهب إلى مكة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانىء إلى علي فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو ، فاستضعفوا رأي أبي موسى وعرفوا أنه لا يوازن عمرو بن العاص .

فذكر أبو مخنف[٤] ، عن أبي جناب[٥] الكلبي أن علياً لما بلغه ما فعل عمرو كان يلعن في قنوته معاوية ، وعمرو (بن العاص)[٦] ، وأبا الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلمة ، والضحاك بن قيس ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والوليد بن عقبة[٧] ، فلما بلغ ذلك معاوية كان يلعن في قنوته عليًّا وحسناً وحسيناً وابن عباس والأشتر (النخعي) ، ولا يصح هذا [عنهم رضي الله عنهم] والله أعلم .

فأما الحديث الذي قال البيهقي في « الدلائل »[٨] : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفّار ، حدَّثنا إسماعيل بن الفضل ، حدَّثنا قتيبة بن سعيد ، عن جرير ، عن زكريا بن يحيى ، عن عبد الله بن يزيد ، وحبيب بن يسار ، عن سويد بن غفلة قال :

إني لأمشي مع علي بشط[٩] الفرات فقال : قال رسول الله ﷺ : « إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا[١٠] حكمَيْن فَضَلَّا وأضَلا ، وإن هذه الأمة ستختلف ؛ فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين فيَضلان ويُضِلان من اتبعهما » فإنه حديث منكر ورفعه موضوع ، والله أعلم . إذ لو كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكمين حتى لا يكون سبباً لإضلال الناس ، كما نطق به

(١) في أ : أعظم .
(٢) في أ : مع عمرو .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٧١) .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٧١) .
(٥) في الأصل والمطبوع : عن أبي حباب ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٦) في أ : وعمراً .
(٧) في ط : عتبة ؛ تحريف .
(٨) دلائل النبوة (٦/ ٤٢٣) .
(٩) في أ : على شط .
(١٠) في أ : فلم يزل اختلافهم حتى يبعثوا حكمين فيَضلان ويُضلان .

هذا[١] الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى وهو الكندي الحميري الأعمى قال ابن معين : ليس بشيء .

[ذكر] خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً [بالعداوة والمخالفة وقتال علي إياهم وما روي في ذلك من الأحاديث]

لما بعث علي أبا موسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج وبالغوا في النكير على عليّ وصرحوا بكفره ، فجاء إليه رجلان منهم ، وهما زرعة بن البرج (الطائي)[٢] وحُرْقوص بن زُهير السَّعدي فقالا : لا حكم إلَّا لله ، فقال علي : [نعم] لا حكم إلا لله ، فقال له حرقوص : تب [إلى الله] من خطيئتك [وارجع عن قضيتك] واذهب بنا إلى عدونا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال علي : قد أردتكم على ذلك فأبيتم ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم [كتاباً و] عهوداً وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل : ٩١] الآية . فقال له حرقوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه ، فقال علي : ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأي ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتكم عنه ، فقال له زُرْعة بن البُرْج : أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه[٣] ، فقال علي : تباً لك ما أشقاك ! كأني بك قتيلاً تسفي عليك الريح ، فقال : وددت أن قد كان ذلك ، فقال له علي : إنك لو كنت محقاً كان في الموت تعزية عن الدنيا ، ولكن الشيطان قد استهواكم . فخرجا من عنده يحكمان [أمرهما] وفشى فيهم ذلك ، وجاهروا به الناس ، وتعرضوا لعلي في خطبته[٤] وأسمعوه السبَّ والشتمَ والتعريضَ بآيات من القرآن ، وذلك أن علياً قام خطيباً في بعض الجمع ، فذكر أمر الخوارج فذمه وعابه . فقام جماعة منهم كل يقول لا حكم إلا لله ، وقام رجل منهم وهو واضع إصبعه في أذنيه يقول : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] فجعل علي يقلب يديه هكذا وهكذا وهو على المنبر ويقول : حكم الله ننتظر فيكم . ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم [مساجدنا ما لم تخرجوا علينا ، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم] حتى تقاتلونا .

وقال أبو مخنف[٥] عن عبد الملك بن أبي حرّة[٦] أن علياً لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة اجتمع

(١) في أ : كما في هذا الحديث .
(٢) ساقطة من أ وما هنا موافق لتاريخ الطبري (٥/ ٧٢) .
(٣) في أ : وجه الله ورضوانه فقال له .
(٤) في ط : خطبه .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٧٤) .
(٦) في ط : عن أبي حرّة .

الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الرّاسبيّ فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في هذه الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة ، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال : فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال ، أو بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه الأحكام الجائرة .

ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا تَدْعونَّكم زينتُها أو بهجتها إلى المقام بها ، ولا تلتفت بكم[١] عن طلب الحق وإنكار الظلم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

فقال سنان بن حمزة الأسدي : يا قوم إن الرأيَ ما رأيتُم ، وإن الحقَّ ما ذكرتم ، ، فولوا أمركم رجلاً منكم ، فإنه لابد لكم من عماد وسناد ، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها ، فبعثوا إلى زيد بن حصين[٢] الطائي ـ وكان من رؤوسهم ـ فعرضوا عليه الإمارة [عليهم] فأبى ، ثم عرضوها على حرقوص (ابن زهير) فأبى ، (وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى ، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى) وعرضوها[٣] على عبد الله بن وهب (الراسبي) فقبلها وقال : أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت . واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصين الطائي السنبسي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] و (كذا) التي بعدها وبعدها ﴿ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ثم قال : فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ، ونبذوا حكم الكتاب ، وجاروا في القول والأعمال ، وأن جهادهم حق على المؤمنين .

فبكى[٤] رجل منهم يقال له عبد الله بن سخبرة السُّلمي ، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس ، وقال في كلامه : اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم ، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره ، وإن قتلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته[٥] .

قلت : وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم ، فسبحان من نوَّع خلقه كما أراد ، وسبق

---

(١) في أ : ولا يلفتنكم عن طلب الحق وإنكار الظلم أمير مسلط ولا سلطان غشوم .
(٢) في ط : حصن ؛ خطأ .
(٣) في أ : فأبى ثم عرضوها .
(٤) في أ : قال فبكى .
(٥) في أ : أفضل من الصبر والمصير إلى الله ورضوانه وجنته .

في قدره العظيم[١] . وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج إنهم المذكورون في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٥] والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال ، (والأشقياء) في الأقوال والأفعال ، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها (على الناس) ويتحصنوا بها ويبعثوا[٢] إلى إخوانهم وأضرابهم ـ ممن هو على رأيهم ومذهبهم[٣] ، من أهل البصرة وغيرها ـ فيوافوهم إليها . ويكون اجتماعهم عليها . فقال لهم زيد بن حصين الطائي : إن المدائن لا تقدرون عليها ، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها[٤] منكم ، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى[٥] ، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات ، ولكن اخرجوا وحداناً لئلا يفطن بكم[٦] ، فكتبوا كتاباً عاماً إلى منْ هو على مذهبهم (ومسلكهم) من أهل البصرة وغيرها وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى [ذلك] النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس ، ثم خرجوا يتسللون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم[٧] من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخالات[٨] وفارقوا سائر القرابات ، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم (وعقلهم) أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر [والذنوب] الموبقات ، (والعظائم والخطيئات) ، وأنه مما زينه[٩] لهم إبليس (الشيطان الرجيم المطرود عن السموات، الذي نصب العداوة لأبينا آدم ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات ، والله المسؤول أن يعصمنا منه بحوله وقوته إنه مجيب الدعوات) ، وقد تدارك جماعة من الناس[١٠] بعض أولادهم وإخوانهم فردوهم وأنبوهم ووبخوهم[١١] ، فمنهم منِ استمرّ على الاستقامة ، ومنهم منْ فرَّ بعد ذلك (فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة) ، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم منْ كانوا كتبوا[١٢] إليه من أهل البصرة وغيرها ، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت

---

(١) في أ : وسبق في قدره ذلك وما أحسن .
(٢) في أ : ثم يبعثوها .
(٣) في أ : ممن هو على ما هم عليه من أهل البصرة .
(٤) في أ : وسيمنعوها ، وفيها مخالفة للسياق النحوي .
(٥) نهر جوخى : نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد ، قالوا : ولم يكن ببغداد مثل كورة جوخى . . معجم البلدان (٢/ ١٧٩) .
(٦) في أ : لئلا يشعر .
(٧) في أ : فيمنعونهم .
(٨) في أ : والأعمام والعمات .
(٩) في أ : بزينة .
(١٠) في أ : جماعة منهم .
(١١) في أ : أولادهم وقراباتهم وإخوانهم فردوهم ووبخوهم .
(١٢) في أ : من كاتبوه .

لهم شوكة ومنعة ، وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة [وثبات وصبر] وعندهم أنهم متقربون بذلك [إلى الله عزَّ وجلَّ] فهم لا يُصطلى لهم بنار ، ولا يطمع (في) أن يؤخذ منهم بثأر ، وبالله المستعان .

قال أبو مخنف[١] : عن أبي رَوْق ، عن الشَّعبي : أن علياً لما خرجت الخوارج إلى النهروان وهرب أبو موسى [الأشعري] إلى مكة ، ورد ابن عباس إلى البصرة ، قام في الناس (بالكوفة) خطيباً فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدثان الجليل الكادح[٢] ، وأشهد أن لا إله غيره وأن محمداً رسول الله ، أما بعد فإن المعصية تشين وتسوء وتورث الحسرة ، وتعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة بأمري ، ونحلتكم رأيي ، فأبيتم إلا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن فأجاز[٣] : [من الطويل]

بذلتُ لهم نُصْحي بمُنْعرج اللِّوى فلم يستبينوا الرُّشْدَ إلا ضُحى الغدِ

ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما ما حكما به وأنَّبهما ، وقال ما فيه حط عليهما[٤] ، ثم ندب الناس إلى الخروج إلى الجهاد في أهل الشام[٥] ، وعيَّن لهم يوم الاثنين يخرجون فيه ، وكتب[٦] إلى ابن عباس والي البصرة يستنفر له الناس إلى الخروج إلى (أهل) الشام ، وكتب إلى الخوارج يعلمهم أن الذي حكم به (الحكمان مرود عليهما ، وأنه قد عزم على الذهاب إلى الشام ، فهلموا حتى نجتمع) على قتالهم . فكتبوا إليه : أما بعد فإنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك وإن (شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد) نابذناك على سواء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] ، فلما قرأ عليٌّ كتابهم يئس منهم وعزم على الذهاب إلى الشام ليناجزهم ، وخرج من الكوفة إلى النُّخيلة[٧] في عسكر كثيف ـ خمسة وستين ألفاً ـ وبعث إليه ابن عباس بثلاثة آلاف ومئتي فارس من أهل البصرة مع جارية[٨] بن قدامة ألف وخمسمئة ، ومع أبي الأسود الدؤلي ألف وسبعمئة ، فكمل جيش علي في ثمانية وستين ألف فارس ومئتي فارس وقام عليٌّ أمير المؤمنين خطيباً[٩] فحثهم على الجهاد والصبر عند لقاء (العدو) ، وهو عازم على [غزو أهل] الشام ، (فبينما هو كذلك) إذ بلغه أن الخوارج

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٧٧) .
(٢) في هامش أ : القادح .
(٣) البيت لدريد بن الصمة في ديوانه ـ محمد خير بقاعي ـ ص(٤٧) .
(٤) في أ : فرد عليهما فيما حكما به وأنبهما ، وبيّن ما في ذلك من هوى وزور ومحبة للدنيا وقلة نصح ونظر للأمة ، وحط عليهما .
(٥) في أ : الخروج إلى أهل الشام والجهاد فيهم .
(٦) في ط : وندب .
(٧) النُّخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام . معجم البلدان (٥/ ٢٧٨) .
(٨) في أ : حارثة ؛ تحريف ، وجارية بن قدامة ترجمته في الاستيعاب (١/ ٢٢٦) .
(٩) في أ : علي في الناس خطيباً .

قد عاثوا في الأرض فساداً وسفكوا الدماء وقطعوا السبل واستحلوا المحارم ، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب[١] (صاحب رسول الله ﷺ) ، أسروه وامرأته معه وهي حامل فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ وإنكم قد روعتموني فقالوا : لا بأس عليك ، حدِّثنا ما سمعت من أبيك فقال : سمعت أبي يقول : (سمعت رسول الله ﷺ يقول) : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي »[٢] فاقتادوه[٣] بيده ، فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم [بسيف] فشق جلده فقال له آخر : لم فعلت هذا وهو لذمي ؟ فذهب إلى ذلك الذمي فاستحله [مما فعل] وأرضاه ، وبينا هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه ، فقال له آخر : بغير إذن ولا ثمن ؟ فألقاها ذاك من فمه ، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب فذبحوه ، وجاؤوا إلى امرأته فقالت : إني امرأة حبلى ، ألا تتقون الله ، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها ، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم بهذا الصنع ، فخافوا غائلتهم[٤] ، وأشاروا على عليّ بأن يبدأ بهؤلاء ، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام[٥] بعد ذلك والناس آمنون من شر هؤلاء فاجتمع الرأي على هذا وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضاً [إذ لو قوي هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عراقاً وشاماً ، ولم يتركوا طفلاً ولا طفلة ولا رجلاً ولا امرأة ، لأن الناس عندهم قد فسدوا فساداً لا يصلحهم إلا القتل جملة] .

فأرسل علي إلى الخوارج رسولاً من جهته وهو الحارث[٦] بن مرة العبدي ، فقال : اخبر لي خبرهم ، واعلم لي أمرهم واكتب إلي به على الجلية ، فلما قدم عليهم قتلوه ولم ينظروه ، فلما بلغ ذلك علياً عزم على الذهاب إليهم[٧] أولاً قبل أهل الشام .

[ذكر] مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج

(لما عزم عليٌّ ومن معه من الجيش على البداءة بالخوارج) نادى مناديه في الناس بالرحيل [إليهم] فعبر الجسر فصلى ركعتين عنده ثم سلك علي دير عبد الرحمن ، ثم دير أبي موسى ، ثم على شاطىء

---

(١) في أ : بن حباب ، تحريف ، وعبد الله بن خباب ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٨٩٤) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ١١٠) وهو حديث حسن بشواهده ، دون سياق القصة فهي ضعيفة .
(٣) في أ : فقادوه .
(٤) في أ : وديارهم ويفعلوا هذا الصنيع وخافوا غائلتهم .
(٥) في أ : بأن يبدأ بهم ثم إذا فرغ منهم ساروا معه إلى الشام .
(٦) في ط : الحرب ؛ تحريف .
(٧) في أ : علياً سار إليهم وترك أهل الشام .

الفرات ، فلقيه هنالك منجم فأشار عليه بوقت من النهار يسير فيه ولا يسير في غيره فإنه [إن سار في غيره] يخشى عليه فخالفه علي فسار على خلاف ما قال [المنجم وقال : نسير ثقة بالله وتوكلاً عليه وتكذيباً لقول المنجم] فأظفره الله عزَّ وجلَّ وقال علي : إنما أردت أن أبين للناس خطأه وخشيت أن يقول (جاهل[١] ، إنما ظفر لكونه وافقه ، وسلك عليٌّ ناحية الأنبار وبعث) بين يديه قيس بن سعد ، وأمره أن يأتي المدائن وأن يتلقاه بنائبها سعد بن مسعود ، وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفي - في جيش المدائن فاجتمع الناس هنالك على علي ، وبعث إلى الخوارج : أن ادفعوا[٢] إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم ثم أنا تارككم وذاهب إلى العرب - يعني أهل الشام[٣] - ثم لعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه . فبعثوا إلى علي يقولون : كلنا قتل إخوانكم ونحن مستحلون دماءهم ودماءكم[٤] ، فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم ، (والخطب الجسيم) ، فلم ينفع ، وكذلك أبو أيوب الأنصاري أنبهم ووبخهم فلم ينجع[٥] ، وتقدم (أمير المؤمنين) علي (بن أبي طالب) إليهم فوعظهم وخوّفهم وحذرهم وأنذرهم[٦] وتوعدهم وقال : إنكم أنكرتم علي أمراً أنتم دعوتموني إليه [وأبيتم إلا إياه] فنهيتكم عنه فلم تقبلوا وها أنا وأنتم فارجعوا إلى ما خرجتم منه ولا ترتكبوا محارم الله فإنكم[٧] قد سوَّلت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين ، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيماً عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟ فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيّؤوا للقاء الرب عزَّ وجلَّ ، الرواح الرواح إلى الجنة . وتقدموا فاصطفوا للقتال وتأهبوا للنزال فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي السنبسي ، وعلى الميسرة شريح بن أوفى ، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان ، وعلى الرجَّالة حُرقوص بن زُهير السَّعدي . ووقفوا مقاتلين لعليٍ وأصحابه . وجعل عليٌّ على ميمنته : حجر بن عدي ، وعلى الميسرة شبث بن ربعي ومعقل بن قيس الرياحي ، وعلى الخيل[٨] أبا أيوب الأنصاري ، وعلى الرجَّالة أبا قتادة الأنصاري ، وعلى أهل المدينة - وكانوا (في) سبعمئة - قيس بن سعد بن عبادة ، وأمر عليٌّ أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان[٩] للخوارج ويقول لهم : من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا

---

(١) في أ : الناس .
(٢) في أ : أن ابعثوا .
(٣) في أ : منكم لنقتلهم ثم أنا تارككم وذاهبون عنكم إلى الشام .
(٤) في أ : وأموالكم .
(٥) في أ : فلم ينفع ذلك فيهم وكذلك فعل أبو أيوب الأنصاري أتاهم ووبخهم فلم ينجع فيهم .
(٦) في أ : وتهددهم .
(٧) في أ : فإنه .
(٨) في أ : خيالته .
(٩) في أ : الأنصاري يرفع رايته أماناً ويقول .

فيكم[١] إلا فيمن قتل إخواننا ، فانصرف منهم طوائف كثيرون ـ وكانوا في أربعة آلاف ـ فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي[٢] ، فزحفوا إلى عليّ فقدّم علي بين يديه الخيل وقدم منهم الرماة وصفَّ الرجالة وراء الخيالة ، وقال لأصحابه : كُفّوا عنهم حتى يبدؤوكم ، وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله ، الرواح الرواح إلى الجنة ، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم عليّ ، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة ، وأخرى إلى الميسرة ، فاستقبلهم[٣] الرماة بالنبل ، فرموا وجوههم ، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول ، وقتل أمراؤهم : عبد الله بن وهب ، وحُرقوص (بن زهير) ، وشريح (بن أوفى) ، وعبد الله بن سخبرة (السلمي ، قبحهم الله) .

قال أبو أيوب : وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح فأنفذته من ظهره وقلت له : أبشر يا عدو الله بالنار ، فقال : ستعلم أينا أولى بها صلياً .

قالوا : ولم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة نفر ، وجعل علي يمشي بين القتلى منهم ويقول : بؤساً لكم ! لقد ضرَّكم من غرَّكم ، فقالوا : (يا أمير المؤمنين) ومن غرَّهم ؟ قال : الشيطان[٤] وأنفس بالسوء أمارة ، غرتهم بالأماني وزينت لهم المعاصي ، ونبأتهم أنهم ظاهرون .

ثم أمر بالجرحى من بينهم فإذا هم أربعمئة ، فسلمهم إلى قبائلهم ليداووهم ، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم .

وقال الهيثم بن عدي في كتاب « الخوارج » : وحدَّثنا محمد بن قيس الأسدي ومنصور بن دينار ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن النزال بن سبرة : أن علياً لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان ولكن رده إلى أهله[٥] كله حتى كان آخر ذلك مرجل أتي به فرده .

وقال أبو مخنف[٦] : حدَّثني عبد الملك بن أبي حرة : أن علياً خرج في طلب ذي الثدية ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو حرة ، والريان بن صبرة بن هوذة فوجده الريان في حفرة على جانب النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً ، قال : فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة له حلمة [كحلمة الثدي] عليها شعرات سود ، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الأخرى ثم تنزل[٧] فتعود

---

(١) في أ : في دمائكم .
(٢) في تاريخ الطبري (٥/ ٨٦) : فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمئة .
(٣) في أ : واستقبلتهم .
(٤) في أ : إبليس .
(٥) في أ : إلى أهليهم .
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٨٨) .
(٧) في أ : ثم تترك .

إلى منكبه كثدي المرأة ، فلما رآه علي قال : أما والله ما كذبت لولا أن تتكلوا على العمل[١] لأخبرتكم بما قضى الله في قتالهم عارفاً للحق .

وقال الهيثم بن عدي في كتابه في « الخوارج » : وحدَّثني محمد بن ربيعة الأخنسي[٢] ، عن نافع بن مسلمة الأخنسي ، قال :

كان ذو الثدية رجلاً من عرنة من بجيلة[٣] ، وكان أسودَ شديدَ السّواد ، له ريح منتنة معروف في العسكر ، (وكان) يرافقنا قبل ذلك وينازلنا وننازله .

وحدَّثني أبو إسماعيل الحنفي عن الريّان بن صبرة الحنفي . قال : شهدنا النهروان مع علي ، فلما وجد المخدج سجد سجدة طويلة .

وحدَّثني سفيان الثوري ، عن محمد بن قيس الهمداني ، عن رجل من قومه يكنى أبا موسى : أن علياً لما وجد المخدج سجد (سجدة طويلة) .

وحدَّثني يونس بن أبي إسحاق ، حدَّثني إسماعيل[٤] عن حبة العرني ، قال : لما أقبل أهل النهروان[٥] جعل الناس يقولون : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي قطع دابرهم . فقال علي : كلا والله إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فإذا خرجوا من بين الشرايين فقلما يلقون أحداً إلا ألفوا[٦] أن يظهروا عليه .

قال : وكان عبد الله بن وهب الراسبي قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة السجود ، وكان يقال له : ذو الثَّفِنات[٧] .

وروى الهيثم عن بعض الخوارج أنه قال : ما كان عبد الله بن وهب من بغضه علياً يسميه إلا الجاحد .

وقال الهيثم (بن عدي) : حدَّثنا إسماعيل ، عن خالد ، عن علقمة بن عامر قال : سئل علي عن أهل

---

(١) في ا : تتكلوا على غير العمل .
(٢) في أ : الأحمسي .
(٣) في أ : من عرينة من بني بجيلة .
(٤) في أ : إسماعيل بن سعيد بن عروة .
(٥) في أ : لما قتل أهل النهروان .
(٦) في ط : ألبوا .
(٧) في أ : ذو المنقبات ، وفي ط : « ذو البينات » وكله تصحيف ، والصواب ما أثبتنا ، والثفنة : الركبة من البعير ، ونص على ذلك الفيروزآبادي في القاموس المحيط ، قال في « ثفن » : « وعبد الله بن وهب رئيس الخوارج ، لأن طول السجود أثر في ثفناته » .

النهروان أمشركون هم ؟ فقال : من الشرك فروا ، قيل : أفمنافقون ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا . فقيل : فما هم يا أمير المؤمنين ؟ قال : إخواننا بَغَوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا . هذا ما أورده ابن جرير وغيره في هذا المقام .

ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة(١)

الحديث الأول : عن علي رضي الله عنه ، ورواه(٢) عنه : زيد بن وهب ، وسويد بن غفلة ، وطارق بن زياد ، وعبد الله بن شداد ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وعَبِيدة بن عَمْرو السلماني ، وكليب أبو عاصم ، وأبو كثير وأبو مريم ، وأبو موسى ، وأبو وائل ، [وأبو] الوضيء(٣) فهذه اثنتا عشرة طريقاً إليه ستراها بأسانيدها وألفاظها ، ومثل هذا يبلغ حد التواتر(٤) .

الطريق الأولى

قال مسلم(٥) : حدَّثنا عَبْدُ بن حُميد ، حدَّثنا عبد الرزَّاق بن همام(٦) ، حدَّثنا عبد الملك بن أبي سُليمان ، حدَّثنا سَلمة بن كُهيل ، حدَّثني زيدُ بن وهب الجُهنيُّ أنه كان في الجيش الذين كانوا مع عليٍّ الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي : يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم » . لو يعلمُ الجيش الذين يصيبونهم ، ما قُضي لهم على لسان نبيهم ﷺ ، لاتَّكَلوا عن العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلًا له عَضُد ليس له ذراع ، على رأس عضده [مثل] حلمة الثَّدي ، عليه شعراتٌ بيضٌ ، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام ، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريِّكم وأموالكم ، و [الله] إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القومَ ، فإنَّهم قد سفكوا الدَّم الحرام وأغاروا في سرح الناس ، فسيروا على اسم الله .

قال سلمة : فنزلني(٧) زيد بن وهب منزلًا ، حتى مرُّوا على قنطرة فلما التقينا ـ وعلى الخوارج يومئذ

(١) في أ : ولنذكر الأحاديث الواردة فيهم الآن المرفوعة إلى رسول الله ﷺ .
(٢) في أ : رواه ـ بلا واو ـ .
(٣) في أ : أبو الرضى فهذه اثنا عشر طريقاً وزاد : طريق أبي جحيفة ، وأبي مؤمن .
(٤) بعده في أ : حديث الثدي الذي تقدم قبل صفحات . قال بشار : في قوله : ومثل هذا يبلغ حد التواتر ، فيه مبالغة ظاهرة ، ذلك أن أكثر هذه الطرق ضعيفة ، كما سيأتي !
(٥) صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٦) في الزكاة .
(٦) في الأصل والمطبوع : عن همام ، وهو خطأ ، والتصحيح من صحيح مسلم .
(٧) في ط : « فذكر » ، وما هنا من أ وهو الذي في صحيح مسلم الذي ينقل منه المصنف .

عبد الله بن وهب الراسبي ـ فقال لهم : ألقوا الرماح وسُلّوا سيوفكم واكسروا جفونَها[١] فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلّوا السيوف فشجرهم الناس برماحهم .

قال : وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان ، فقال[٢] علي : التمسوا فيهم المُخْدَج[٣] ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام عليٌّ بنفسه حتى أتى ناساً [قد قتل] بعضهم على بعض ، فقال : أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض[٤] فكبر [علي] ثم قال : صدق الله وبلغ رسوله .

قال : فقام إليه عَبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله (إلَّا هو لسمعت هذا من رسول الله ﷺ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو) ، فاستحلفه ثلاثاً وهو يحلف له أنه سمعه من رسول الله ﷺ ، هذا لفظ مسلم . وقد رواه أبو داود[٥] عن الحسن بن علي الخلال ، عن عبد الرزاق[٦] بنحوه .

طريق أخرى عن علي[٧]

قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا الأعمش وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن سويد بن غَفَلة ، قال قال علي : إذا حدَّثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإنّ الحربَ خدعةٌ ، سمعت رسول الله ﷺ : « يخرجُ قومٌ في آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البريَّة (يقرؤون القرآنَ لا يجاوز حناجرهم ـ قال عبد الرحمن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ـ) يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة[٩] ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة » وأخرجاه في الصحيحين[١٠] من طرق عن الأعمش به .

---

(١) في مسلم : « وسلُّوا سيوفكم من حفونها » .
(٢) في ط : قال .
(٣) المخدج : الناقص . اللسان (خدج) .
(٤) في ط : تكرار للجملة ، فقال أخروهم فوجدوهم ممايلي الأرض .
(٥) سنن أبي داود (٤٧٦٨) في السنة .
(٦) مصنف عبد الرزاق (١/١٤٧ ـ ١٤٩) .
(٧) مكان العنوان في أ بياض ، ولفظه : عنه .
(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ١٣١) .
(٩) الرّميّة : الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك ، وقيل : هي كل دابة مرمية . النهاية (٢/ ٢٦٨) .
(١٠) صحيح البخاري (٦٩٣٠) في استتابة المرتدين ، ومسلم (١٠٦٦) (١٥٤) في الزكاة .

طريق أخرى

قال (الإمام) أحمد[١] : حدَّثنا أبو نعيم ، وحدَّثنا[٢] الوليد بن القاسم الهمداني ، قالا : حدَّثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى ، عن طارق بن زياد قال :

سار علي إلى النهروان قال الوليد في روايته : وخرجنا معه فقتل[٣] الخوارج فقال اطلبوا المُخْدَج فإنّ رسول الله ﷺ قال : « سيجيء قومٌ يتكلمون بكلمة الحق لا تجاوز حلوقهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرقُ السهمُ من الرمية ، سيماهم أو فيهم رجلٌ أسود مخدج اليد في يده شعرات سودٌ ، إن كان فيهم [فقد] قتلتم شر الناس ، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس » قال الوليد في روايته : فبكينا قال : [ثم] إنا وجدنا المُخْدَجَ فخررنا سجوداً وخرَّ عليٌّ (ساجداً) معنا . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه .

طريق أخرى

رواه عبد الله بن شداد عن عليّ كما تقدّم قريباً (إيراده) بطوله[٤] .

طريق أخرى عن علي

قال مسلم[٥] : حدَّثني أبو الطَّاهر ويونس بن عبد الأعلى قالا : أخبرنا عبدُ الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بُكير بن الأشَجّ ، عن بُسْر بن سعيد ، عن عُبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله : أن الحرورية لما خرجت ـ وهو مع علي بن أبي طالب ـ قالوا : لا حكمَ إلا لله ، قال علي : كلمةُ حقّ أريدَ بها باطل ، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء « يقولون الحقَّ بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم ـ وأشار إلى حلقه ـ من أبغض خلق الله ، منهم أسود . إحدى يديه طُبْيُ[٦] شاة أو حلمة ثدي » فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال : انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً فقال : ارجعوا فانظروا فوالله ما كذَبْتُ ولا كُذبْتُ ـ مرتين أو ثلاثاً ـ فوجدوه[٧] في خَرِبَة ، فأتوا به علياً حتى وضعوه بين يديه ، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم ، وقول علي فيهم . زاد يونس في روايته : قال بُكير : وحدَّثني رجل عن ابن حنين أنه قال : رأيت ذلك الأسود . تفرد به مسلم .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤٧ و١٠٧) وهو حديث حسن ، وإسناده ضعيف لجهالة طارق بن زياد الكوفي .

(٢) في ط : حدَّثنا ؛ والصحيح ما أثبت وهي طريق أخرى عن إسرائيل .

(٣) في ط : قتل .

(٤) تقدم صفحة ٤٧٢ . وفيه أن عائشة رضي الله عنها سألت عبد الله بن شداد عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان .

(٥) صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٧) في الزكاة .

(٦) الطُّبْيُ والطِّبْي : حلمات الضرع . اللسان (طبي) .

(٧) في أ : ثم وجدوه .

طريق أخرى[١]

قال أحمد[٢] : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثنا أيوب ، عن محمد ، عن عَبِيدة ، عن علي قال : ذكرت الخوارج عند علي فقال : فيهم مُخْدجُ اليد (أو مَثْدون[٣] اليد) ؟ ـ أو قال مودن[٤] اليد ـ ولولا أن تبطروا لحدَّثُكم بما وعدَ اللهُ الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ ، قال : قلت : أنتَ سمعتَه من محمد ﷺ ؟ قال : إي وربِّ الكعبة : إي وربِّ الكعبة ، إي وربِّ الكعبة .

وقال أحمد[٥] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء ، عن ابن سيرين سمعاه ، عن عَبيدة ، عن علي قال قال رسول الله ﷺ :

« يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد ، ولولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان نبيه ﷺ » قال عَبيدة قلت لعليٍّ : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة [إي ورب الكعبة] .

وقال أحمد[٦] : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة قال : قال علي لأهل النهروان : فيهم رجل مثدون اليد أو مخدج[٧] اليد ، لولا أن تبطروا لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه ﷺ لمن قتلهم ، (قال عبيدة :) فقلت لعلي : أنت سمعته[٨] ؟ قال : إي ورب الكعبة ، يحلف عليه ثلاثاً .

وقال أحمد[٩] : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن ابن عون[١٠] عن محمد قال قال عبيدة : لا أحدثك إلا ما سمعت منه ، قال محمد : فحلف لنا عبيدة ثلاث مرات[١١] ، وحلف له علي قال : لولا أن تبطروا

---

(١) مكان العنوان بياض في أ .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٣) وهو حديث صحيح .
(٣) مثدون اليد : أي صغير اليد مجتمعها ، ويُروى : مُثَدَّن اليد ، أي : تشبه يده ثدي المرأة ، ويُروى : مُثْدن اليد ، ومعناه مخدج اليد ، وقيل المثدن مقلوب ثند يريد أنه يشبه ثندوة الثَّدْي ، وهي رأسه . اللسان (ثدن) .
(٤) المودَن والمَوْدون : القصير العنق الضيّق المنكبين ، الناقص الخلق قال بعضهم : مع قصر ألواح اليدين ، وفي حديث ذي الثدية أنه كان مودون اليد ، وفي رواية : مودن اليد ، وفي أخرى : إنه لمودن اليد ، أي ناقص اليد صغيرها . قال الكسائي وغيره : المودن اليد : القصير اليد . اللسان (ودن) .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٩٥) .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤٤) .
(٧) في ط : مخدوج .
(٨) في أ : سمعته من رسول الله ﷺ .
(٩) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٥) .
(١٠) في ط : أبي بن عون ، وهو خطأ .
(١١) في المسند : مرار .

لأنبأتكم[١] ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ قال : قلت أنت سمعته ؟ قال : إي ورب الكعبة ، (إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة) ، فيهم رجل مُخْدَج اليد ، أو مَثْدُون اليد ، أحسبه قال : أو مُودَن اليد .

وقد رواه مسلم[٢] من حديث إسماعيل بن عُلَيّة وحمَّاد بن زيد كلاهما ، عن أيوب ، عن محمد بن المثنى ، عن ابن أبي عدي ، عن ابن عون كلاهما : عن محمد بن سيرين ، عن عَبيدة ، عن علي .

وقد ذكرناه من طرق متعددة تفيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين ، وقد حلف (على) أنه سمعه من عبيدة ، وحلف عبيدة أنه سمعه من علي [وحلف عليٌّ] أنه سمعه[٣] من رسول الله ﷺ ، (وقد) قال (علي) : لأنْ أخرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليَّ من أن أكذب على رسول الله ﷺ .

طريق أخرى

قال عبد الله ابن (الإمام) أحمد (بن حنبل)[٤] : حدَّثني إسماعيل أبو معمر ، حدَّثنا عبد الله بن إدريس ، حدَّثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه قال :

كنت جالساً عند علي ، إذ دخل رجل عليه ثياب السفر ، فاستأذن على عليٍّ ، وهو يكلّم الناسَ ، فشُغل عنه ، فقال علي : إني دخلت على رسول الله ﷺ وعنده عائشة فقال [لي] : « كيف أنت وقوم[٥] كذا وكذا ؟ » فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : فقال : « قوم يخرجون من قبل المشرق ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدِّين كما يمرقُ السهمُ من الرميَّةِ ، فيهم رجل مُخْدجُ اليد كأن يديه ثَدْيُ حَبَشيَّةٍ » أنشدكم بالله هل أخبرتكم أنه فيهم ؟ فذكر الحديث بطوله . ثم رواه عبد الله بن أحمد[٦] عن أبي خيثمة زهير بن حرب ، عن القاسم بن مالك ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن علي ، فذكر نحوه وإسناده جيد [ولم يخرجوه] .

طريق أخرى[٧]

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي[٨] : أخبرنا أبو القاسم الأزهري ، أخبرنا علي بن عبد الرحمن

---

(١) في المسند : لنبأتكم .
(٢) صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٤) في الزكاة .
(٣) في أ : سمع ذلك .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٦٠) .
(٥) في ط : ويوم .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٦٠) .
(٧) مكان اللفظة بياض في أ .
(٨) تاريخ مدينة السلام (١/ ٥٦١) (بتحقيق الدكتور بشار) .

البَكَّائي[١] أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي[٢] أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني[٣] أخبرنا خالد بن عبيد الله ، عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال قال أبو جحيفة : قال علي :

حين فرغنا من الحرورية[٤] إن فيهم رجلاً ليس في عضده عظم ثَمَّ ، عضده كحلمة الثدي عليها شعرات طوال عقف ، فالتمسوه فلم يجدوه قال : فما رأيت علياً جزع جزعاً أشد من جزعه يومئذ ، فقالوا : ما نجده يا أمير المؤمنين ، فقال : ويلكم ما اسم هذا المكان ؟ قالوا : النهروان ، قال : كذبتم إنه لفيهم فثورنا[٥] القتلى فلم نجده فعدنا إليه فقلنا : يا أمير المؤمنين ما نجده[٦] ، قال : ما اسم هذا المكان ؟ قلنا : النهروان ، قال : صدق الله ورسوله وكذبتم ، إنه لفيهم فالتمسوه ، فالتمسناه فوجدناه في ساقية فجئنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم وعليها كحلمة ثدي المرأة عليها شعرات طوال عقف[٧] .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدَّثنا إسماعيل بن مسلم العبدي ، حدَّثنا أبو كثير مولى الأنصار قال : كنتُ مع سيدي مع علي (بن أبي طالب) حيث قَتَلَ أهلَ النهروان ، فكأنَّ الناسَ وجدوا في أنفسهم من قتلهم ، فقال عليٌّ : يا أيّها الناسُ إنَّ رسولَ الله ﷺ « قد حدثنا بأقوام يمرقـون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فُوقه ، وإن آيَةَ ذلك أن فيهم رجلاً أسود مُخْدجَ اليدِ ، إحدى يديه كَثَدْي المرأة ، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة ، حوله سبع هلبات فالتمسوه فإني أُراه فيهم » فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى فأخرجوه فكبَّر عليٌّ ، فقال : الله أكبر ! صدق الله ورسوله، وإنّه لمُتقلِّدٌ قوساً له عربية، فأخذها بيده فجعل يطعنُ بها في مُخْدَجته[٩] ويقول: صدق الله ورسوله . وكبّر الناسُ حين رأوه واستبشروا ، وذهب عنهم ما كانوا يجدون » تفرد به أحمد .

---

(١) في ط : الكناني ، تحريف ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠٩) .
(٢) في ط : « محمد بن عبد الله بن عطاء عن سليمان الحضرمي » ، وهو تحريف قبيح ، والتصحيح من تاريخ الخطيب (١/ ٥٦١) و(٩/ ١٩٨) ، وهو المعروف بمطيَّن ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤١) .
(٣) في أ : الحمامي ؛ تحريف ، والتصحيح من تاريخ بغداد وتوضيح المشتبه (٢/ ٤١٧) .
(٤) في ط : الحرب .
(٥) ثورنا : بحثنا .
(٦) في أ : ما وحدناه .
(٧) إسناده ضعيف ، عطاء بن السائب ثقة اختلط ، ورواية خالد بن عبد الله عنه بعد الاختلاط ، وانظر بيان ذلك في ترجمة عطاء بن السائب من « تحرير التقريب » ، ولكن متن الحديث صحيح ، كما هو معروف .
(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٨) وهو حديث حسن ، وهذا إسناد ضعيف ، لجهالة أبي كثير مولى الأنصار .
(٩) في أ : إلى مخدجته .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد[١] : حدَّثنا أبو خيثمة ، حدَّثنا شبابة بن سوّار ، حدَّثني نعيم بن حكيم ، حدَّثني أبو مريم، حدَّثنا علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال : « إن قوماً يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، علامتهم رجل مُخْدَج [اليد][٢] ».

وقال أبو داود في « سننه »[٣] : حدَّثنا بِشْرُ بن خالد ، حدَّثنا شَبَابة بن سَوّار ، عن نُعَيم بن حكيم ، عن أبي مريم[٤] قال : إن كان ذاك المُخْدج لمعنا يومئذ في المسجد نجالسه بالليل[٥] والنهار ، وكان فقيراً ، ورأيته مع المساكين يشهد طعامَ عليٍّ مع الناس ، وقد كسوتُه برنساً لي . قال أبو مريم : وكان المُخْدج يسمى نافعاً ذا الثُّدية ، وكان في يده مثل ثدي المرأة ، على رأسه حَلَمةُ مثل حَلَمة الثَّدي عليه شعرات مثل سبالة السِّنَّور .

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في « الدلائل »[٦] : أخبرنا أبو علي الروذباري ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عمرو بن شوذب المقرىء الواسطي بها ، حدَّثنا شعيب بن أيوب ، حدَّثنا أبو نعيم[٧] الفضل بن دكين ، عن سفيان ـ هو الثوري ـ عن محمد بن قيس ، عن أبي موسى رجلٍ من قومه قال : كنتُ مع علي فجعل يقول : التمسوا المُخْدج فالتمسوه فلم يجدوه . قال : فأخذ يَعْرق ويقول : والله ما كذبت ولا كُذبت . فوجدوه في نهر أو دالية ، فسجد .

طريق أخرى

قال أبو بكر البزار[٨] : حدَّثني محمد بن مثنى ومحمد بن معمر[٩] ، حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥١) وهو حديث حسن ، وإسناده ضعيف لجهالة أبي مريم .
(٢) ساقطة من أ ، ط .
(٣) سنن أبي داود (٤٧٧٠) في السنة ، وإسناده ضعيف .
(٤) في أ : أبو تميم .
(٥) في : الليل .
(٦) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٣) وفيه : أخبرنا أبو الحسين بن محمد الروذباري ، وهو خطأ ، والصواب : أبو علي الحسين ، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن علي .
(٧) سقط من ط ، فصار اسمه كنيةً له !
(٨) البحر الزخار (٣/ ١١٣ ـ ١١٤) ، وإسناده ضعيف لجهالة أبي المؤمن ، فقد تفرد سويد بن عبيد العجلي بالرواية عنه ولم يوثقه أحد وقال الذهبي في الميزان : لا يعرف .
(٩) في أ : معتمر ؛ خطأ .

سُوَيد بن عبيد العجلي ، حدَّثنا أبو مُؤَمِّن ، قال : شهدت علي بن أبي طالب يوم قتل الحرورية ، وأنا مع مولاي فقال : اُنظروا فإن فيهم رجلاً إحدى يديه مثل ثدي المرأة ، وأخبرني النبي ﷺ أني صاحبه ، فقلبوا القتلى فلم يجدوه ، وقالوا : سبعة نفر تحت النخلة لم نقلبهم بعد فقال : ويلكم اُنظروا ، قال أبو مؤمن : فرأيت في رجليه حبلين يجرونه بهما حتى ألقوه بين يديه ، فخرَّ عليٌّ ساجداً وقال : أبشروا قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار . ثم قال البزار : لا نعلم روى أبو مؤمن[١] عن علي غير هذا الحديث .

طريق أخرى

قال البزار[٢] : حدَّثنا يوسف بن موسى ، حدَّثنا إسحاق بن سليمان الرازي ، سمعت أبا سنان ، عن حبيب بن أبي ثابت قال : قلت لشقيق بن سلمة ـ يعني أبا وائل ـ حدَّثني عن ذي الثدية ، قال : لما قاتلناهم قال علي : اطلبوا رجلاً علامته كذا وكذا ، فطلبناه فلم نجده ، فبكى [علي] وقال : اطلبوه ، فوالله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ ، قال : (فطلبناه فلم نجده فبكى وقال : اطلبوه فوالله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ ، قال : فطلبناه فلم نجده قال : فركب بغلته الشهباء فطلبناه فوجدناه تحت بردي . فلما رآه سجد .

ثم قال البزار : لا نعلم روى حبيب عن شقيق عن علي إلَّا هذا الحديث[٣] .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد[٤] : حدَّثني عبيد الله بن عمرو القواريري ، حدَّثنا حماد بن زيد ، حدَّثنا جميل[٥] بن مرة ، عن أبي الوَضِيء ، قال : شهدت علياً حيث قتل أهل النهروان ، قال : التمسوا المُخدج : فطلبوه في القتلى فقالوا ليس نجده فقال : اُرجعوا فالتمسوه فوالله ما كَذبت ولا كُذبت ، فرجعوا فطلبوه فردّد ذلك مراراً ، كل (ذلك) يحلفُ بالله ما كذبت ولا كُذبت ، فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين ، فاستخرجوه ، فجيء به ، قال أبو الوَضِيء : فكأني أنظر إليه حبشي عليه ثَدْي قد طبق إحدى يديه مثل ثدي المرأة ، عليها[٦] شعرات مثل شعرات تكون على ذنب اليربوع .

وقد رواه أبو داود[٧] عن محمد بن عبيد بن حساب[٨] عن حماد بن زيد حدَّثنا جميل بن مرة حدَّثنا أبو الوضيء ـ واسمه عباد بن نسيب ـ ولكن اختصره .

---

(١) في ط : أبو موسى ؛ تحريف .
(٢) البحر الزخار (٢/ ١٨٦) .
(٣) الأصح أنه مرسل ، فإن في رواية أبي وائل عن علي نظر ، كما أشار أبو حاتم الرازي (العلل ٨٨ ـ ٨٩) .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٣٩) وهو حديث صحيح .
(٥) في أ : حميد ؛ تحريف .
(٦) في أ : له حلمة عليها ، وهي زيادة عن المسند .
(٧) سنن أبي داود رقم (٤٧٦٩) .
(٨) في أ : حسان .

قال عبد الله بن أحمد أيضاً[(١)] : حدَّثنا حجاج بن يوسف الشاعر ، حدَّثني عبد الصمد بن عبد الوراث ، حدَّثنا يزيدُ بن أبي صالح أن أبا الوضيء عباداً حدّثه أنه قال : كنَّا عائدين[(٢)] إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب ، فلما بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاثاً من حروراء شذَّ منا ناسٌ كثيرون ، فذكرنا ذلك لعلي فقال : لا يهولنكم أمرهم فإنهم سيرجعون ، فذكر الحديث (بطوله) قال : فحمد اللهَ علي (بن أبي طالب) وقال : إنّ خليلي أخبرني « أن قائد هؤلاء مُخْدَج اليد على حلمة ثديه شعراتٌ كأنهن ذنب اليربوع » فالتمسوه (فلم يجدوه) فأتيناه فقلنا : (إنا لم نجده) [فقال : التمسوه ، فوالله ما كذبت ولا كُذّبت ، ثلاثاً فقلنا : لم نجده فجاء علي بنفسه][(٣)] فجعل يقول : اقلبوا ذا ، اقلبوا ذا ؟ حتى جاء رجل من أهل الكوفة فقال : هو ذا ؟ فقال علي : الله أكبر ، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه ، فجعل الناس يقولون : هذا مالك ، هذا مالك[(٤)] ، فقال علي : ابن مَنْ ؟

وقال عبد الله بن أحمد أيضاً[(٥)] : حدَّثني حجاج بن الشاعر ، حدَّثني عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدَّثنا يزيد بن أبي صالح أنَّ أبا الوضيء عباداً حدثه قال : كنّا عائدين[(٦)] إلى الكوفة مع علي ، فذكر حديث المُخْدَج قال علي : فوالله ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ ثلاثاً ، ثم قال علي : أما إن خليلي أخبرني بثلاثة إخوة من الجن ، هذا أكبرهم ، والثاني له جمع كثير ، والثالث فيه ضعف .

وهذا السياق فيه غرابة [شديدة] جداً . وقد يمكن أن يكون ذو الثدية من الجن ؟ بل هو من الشياطين إما شياطين الإنس أو شياطين الجن ، إن صح هذا السياق ، والله تعالى أعلم .

والمقصود أن هذه طرق متواترة عن علي ؛ إذ قد روي من طرق متعددة عن جماعة متباينة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، فأصل القصة محفوظ[(٧)] وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة ولكن معناها وأصلها الذي تواطأت الروايات عليه صحيح لا يُشك فيه عن علي أنه رواه عن رسول الله ﷺ أنه أخبر[(٨)] عن صفة الخوارج و [صفة] ذي الثدية الذي هو علامة عليهم .

وقد روي ذلك من طريق جماعة من الصحابة (غير علي كما تراها بأسانيدها وألفاظها وبالله

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤٠) وإسناده حسن .
(٢) في المسند : عامدين .
(٣) زيادة من المسند .
(٤) في أ : ملك ، والصحيح من المسند والمطبوع .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤١) .
(٦) في المسند : عامدين .
(٧) في أ : وأصل القصة محفوظة .
(٨) في أ : أخبره .

المستعان) منهم أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ورافع بن عمرو الغفاري ، وسعد بن أبي وقاص ، (وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، وسهل بن حُنيف ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عَمرو) ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو ذَرّ ، وعائشة (أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين)[١] .

وقد قدمنا حديث علي بطرقه لأنه أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة وصاحب القصة . ولنذكر بعده حديث ابن مسعود لتقدم وفاته على وقعة الخوارج .

الحديث الثاني (عن ابن مسعود رضي الله عنه)

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يحيى بن أبي بُكَيْرٍ ، حدَّثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام ، أحداث ـ أو قال حُدَثاء ـ الأسنان ، يقولون من خيرِ قولِ الناس يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فمن أدركهم فليقتُلهم ، فإن في قتلهم أجراً عظيماً عند الله لمن قتلهم » .

وقد رواه الترمذي[٣] عن أبي كريب وأخرجه ابن ماجه[٤] عن أبي بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن عامر بن زرارة ثلاثتهم عن أبي بكر بن عيَّاش به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

ابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بنحو من خمس سنين ، فخبره في ذلك من أقوى الأسانيد[٥] .

الحديث الثالث عن أنس بن مالك

قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثنا سليمان التيمي ، حدَّثنا أنس قال : ذُكِرَ لي أن نبي الله ﷺ قال ـ ولم أسمعه منه ـ : « إنَّ فيكم قوماً[٧] يعبدون ويدأبون[٨] حتى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسُهم ، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية » .

---

(١) سيأتي بعد ذلك أن منهم سلمان الفارسي ، ولم يرد ذكره هنا !

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٤٠٤) وهو حديث صحيح .

(٣) سنن الترمذي (٢١٨٨) في الفتن .

(٤) سنن ابن ماجه (١٦٨) المقدمة .

(٥) في أ : الاعتضاد . قال بشار : هكذا قال ، وهذا لا يدل على أن النبي ﷺ أراد بهم الخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي . ثم تدبر قول رسول الله ﷺ : « يخرج قوم في آخر الزمان » ، فهل كان زمان سيدنا علي هو آخر الزمان ! ومتن هذا الحديث لا يشك أهل المعرفة بالحديث في صحته .

(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٨٩) ، وهو صحيح .

(٧) في ط : فرقة ، والتصحيح من المسند و (أ) .

(٨) في الأصول والمطبوع : يدينون ، والتصحيح من مسند أحمد .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا أبو المغيرة ، حدَّثنا الأوزاعي ، حدَّثني قتادة ، عن أنس بن مالك وأبي سعيد ، قال أحمد : وقد حدَّثنا أبو المغيرة عن أنس ، عن أبي سعيد (ثم رجع أن النبي ﷺ قال) : « سيكون في أمتي اختلاف وفُرقة ، قومٌ يحسنون القيل ويُسيئون الفعل ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة ، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فُوقه(٢) ، هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلوه(٣) ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ، مَنْ قاتلهم كان أولى بالله منهم » قالوا : يا رسول الله ما سيماهم ؟ قال : « التحليق » .

وقد رواه أبو داود في « سننه »(٤) عن نصر بن عاصم الأنطاكي ، عن الوليد بن مسلم ومبشِّر بن إسماعيل الحلبي كلاهما عن الأوزاعي ، عن قتادة ، عن أبي سعيد وأنس به . وأخرجه أبو داود وابن ماجه(٥) من حديث عبد الرزاق(٦) ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس وحده . وقد روى البزار(٧) من طريق أبي سفيان ، وأبو يعلى(٨) من طريق يزيد الرقاشي كلاهما عن أنس بن مالك حديثاً في الخوارج قريباً من حديث أبي سعيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

(الحديث الرابع عن جابر بن عبد الله)

قال الإمام أحمد(٩) : حدَّثنا حسن بن موسى ، حدَّثنا أبو(١٠) شهاب ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال :

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٢٤) وهو حديث صحيح .
(٢) في المسند : لا يرجعون حتى يرتدوا على فوقه .
(٣) في ط : أو قتلوه .
(٤) سنن أبي داود (٤٧٦٥) في السنة .
(٥) سنن أبي داود (٤٧٦٦) في السنة ، وسنن ابن ماجه (١٧٥) في المقدمة .
(٦) مصنف عبد الرزاق (١٨٦٦٩) .
(٧) لم أجده في المطبوع من البحر الزخار ، وربما كان من الجزء المفقود .
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (٥/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) .
(٩) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٥٣) وهو حديث صحيح .
(١٠) في أ ، ط : ابن شهاب ، وما هنا عن المسند .

كنت[١] مع رسول الله ﷺ عام الجِعِرّانَة وهو يقسم فضة في ثوب بلال للناس فقال رجل : يا رسول الله ، اعْدِلْ ، فقال : « وَيْلَكَ ومَنْ يَعْدِلُ إذا لم أَعْدل ؟ لقد خِبت إن لم أكن أعدل » فقال عمر : يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق ، فقال : « معاذ الله أن يتحدَّثَ الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، أو تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق[٢] السهم من الرمية » .

وقال أحمد[٣] : حدَّثنا علي بن عياش ، حدَّثنا إسماعيل بن عياش ، حدَّثني يحيى بن سعيد ، أخبرني أبو الزبير (قال) : سمعت جابراً يقول : بصر عيني وسمع أذني رسول الله ﷺ بالجِعِرّانَة وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبضها للناس يعطيهم ، فقال رجل : اعدل فقال : « وَيْلكَ مَنْ يَعدلُ إذا لم أكن أَعْدِلُ ؟ » فقال عمر (بن الخطاب) : دعني أقتلْ هذا المنافقَ الخبيثَ ، فقال رسول الله ﷺ : « معاذ الله أن يتحدثَ الناسُ أني أقتلُ أصحابي ، هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوزُ تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

ثم رواه أحمد[٤] عن أبي المغيرة ، عن معاذ بن رفاعة ، حدَّثنا أبو الزبير ، عن جابر (بن عبد الله) قال : لما قسم رسول الله ﷺ غنائم هوازن بالجِعرّانة قام رجل من بني تميم فقال : اعدلْ يا محمد فقال : « ويلك ومَنْ يعدلُ إن لم أعدل ؟ لقد خبتُ وخسرتُ إن لم أعْدِلْ » . قال : فقال عمر : يا رسول الله ألا أقوم فأقتلُ هذا المنافق ؟ قال : « معاذ الله أن تتسامع الأمم أن محمداً يقتل أصحابه » ثم قال رسول الله ﷺ : « إن هذا وأصحاباً له يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق المرماة[٥] من الرمية » قال معاذ : فقال لي أبو الزبير : فعرضت هذا الحديث على الزهري فما خالفني فيه إلا أنه قال النضي[٦] قلت القدح قال : ألست رجلاً عربياً[٧] ؟ .

وقد رواه مسلم[٨] عن محمد بن رُمْح ، عن اللَّيث . وعن محمد بن المُثَنَّى ، عن عبد الوهاب الثقفي .

وأخرجه النسائي من حديث الليث ومالك بن أنس كلهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به بنحوه .

---

(١) في المسند : جئت .
(٢) في أ : كما يمرق ، وما هنا كالمسند .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٥٤) ، وإسناده حسن من أجل إسماعيل بن عياش ، والحديث صحيح .
(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٥٥) .
(٥) في ط : كما يمرق السهم ، وما هنا كالمسند .
(٦) في الأصول والمطبوع : النضو ، وقلت ، وهو خطأ ، والتصحيح من المسند .
(٧) في أ : فقال ألست رجلاً غريباً . وفي المسند : ألست برجل عربي .
(٨) صحيح مسلم (١٠٦٣) (١٤٢) في الزكاة .

حديث (رافع)[١] بن عمرو الأنصاري مع حديث أبي ذر رضي الله عنهما

الحديث الخامس عن سعد بن أبي وقاص

قال يعقوب بن سفيان[٢] : حدَّثنا الحميدي[٣] ، حدَّثنا سفيان ـ هو ابن عيينة ـ حدَّثني العلاء بن أبي العباس أنه سمعَ أبا الطفيل يحدِّثُ عن بكر بن قرواش ، عن سعد بن أبي وقاص قال : ذكر رسول الله ﷺ ذا الثديَّة[٤] فقال : « شيطان الردهة كراعي الجَبَل يحتدره[٥] رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب علامة في قوم ظَلَمةٍ » قال سفيان : فأخبرني عمار الدُّهني أنه جاء[٦] به رجل يقال له : الأشهب [أو ابن الأشهب] .

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد[٧] عن (سفيان) بن عيينة به مختصراً ولفظه « شيطان الرَّدْهة يحتدره » [يعني] رجلاً من بجيلة . تفرد به أحمد . وحكى البخاري[٨] : عن علي بن المديني قال : لم أسمع بذكر بكر بن قرواش إلا في هذا الحديث[٩] .

وروى يعقوب بن سفيان : عن عبد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حامد الهمداني قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : « قتل عليٌّ شيطان الرَّدهة » قال (الحافظ أبو بكر) البيهقي[١٠] : يريد والله أعلم قتله أصحاب علي بأمره .

وقال الهيثم بن عدي[١١] : حدَّثنا إسرائيل بن يونس ، عن جده أبي إسحاق السبيعي ، عن رجل قال : بلغ سعد بن أبي وقاص أن عليَّ بن أبي طالب قتل الخوارج فقال : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة .

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة منا للتوضيح .

(٢) هذا في القسم الضائع من « المعرفة » ليعقوب ، وقد نقله محققة الفاضل في مستدركه الذي عمل في آخر الكتاب (٣/ ٣١٥ ـ ٣١٦) من البداية والنهاية .

(٣) مسند الحميدي (١/ ١٩٠) رقم (٧٤) .

(٤) الثُّديّة : تصغير الثدي ، وإنما أدخل فيه الهاء وإن كان الثدي مذكراً ، كأنه أراد قطعة من ثدي ، ويُروى ذو اليُدية بالياء بدل الثاء تصغير اليد وهي مؤنثة . النهاية (١/ ٢٠٨) .

(٥) يحتدره ، بالدال المهملة : أي يسقطه .

(٦) في ط : جاء رجل .

(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٩) .

(٨) التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٩٤) .

(٩) ولذلك فإسناده ضعيف .

(١٠) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤) .

(١١) في أ : علي ، تحريف ، والهيثم بن عدي كذاب .

الحديث السادس عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري
وله طرق (عنه) الأولى منها

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا بكر بن عيسى ، حدَّثنا جامع بن مطر[٢] الحبطي ، حدَّثنا أبو رؤبة شداد بن عمران القيسي[٣] عن أبي سعيد الخُدري أن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل مُتخشّعٌ حسن الهيئة يصلي ، فقال له رسول الله ﷺ : « اذهب إليه فاقتله [قال] فذهب إليه (أبو بكر) فلما رآه على تلك الحال[٤] كره أن يقتله » . فرجع[٥] إلى رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ لعمر : « اذهب إليه فاقتله » قال : فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال : يا رسول الله إني رأيته متخشعاً فكرهت أن أقتله . قال : « يا علي اذهب فاقتله » فذهب علي فلم يره فرجع ، فقال : يا رسول الله إني لم أره ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقيهم يمرقون من الدين كما يمرُقُ السَّهم من الرمية [ثم] لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه ، فاقتلوهم هم شرّ البريَّة » .

تفرد به أحمد[٦] . وقد روى البزار في « مسنده »[٧] : من طريق الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس بن مالك ، وأبو يعلى[٨] : عن أبي خيثمة ، عن عمر بن يونس ، عن عكرمة بن عمار ، عن يزيد الرَّقاشي ، عن أنس من هذه القصة[٩] وأطول منها وفيها زيادات أخرى .

الطريق الثاني

قال (الإمام) أحمد[١٠] : حدَّثنا أبو أحمد ، حدَّثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن الضحاك المِشْرقيِّ ، عن أبي سعيد الخُدري عن النبي ﷺ في حديث « ذكر قوماً يخرجون على فرقة من الناس

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٥) .
(٢) في الأصول والمطبوع : جامع بن قطر ، وهو خطأ ، والتصحيح من المسند .
(٣) في ط : شداد بن عمر العنسي ؛ وما هنا كالمسند .
(٤) في ط : الحالة .
(٥) في ط : فجاء .
(٦) وإسناده ضعيف ، فإن أبا رؤبة شداد بن عمران مجهول الحال ، وفي ألفاظ الحديث نكارة ظاهرة إذ كيف يكره أبو بكر وعمر قتل من أمر النبي ﷺ في قتله .
(٧) كشف الأستار ١٨٥١٠) .
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ١٥٤ـ١٥٦) .
(٩) في أ : عن عكرمة بن عمر ، عن يزيد الرقاشي عن أنس نحواً من هذا أو أطول .
(١٠) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٢) .

مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق » . أخرجاه في الصحيحين[١] كما سيأتي في ترجمة أبي سلمة عن أبي سعيد .

الطريق الثالث

قال (الإمام) أحمد[٢] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا عكرمة بن عمار ، حدَّثنا عاصم بن شُميخ ، عن أبي سعيد الخُدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا حلف فاجتهد في اليمين قال : « لا والذي نفس أبي القاسم بيده[٣] ليخرجن قوم من أمتي تحقرون أعمالكم عند أعمالهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهمُ من الرمية » قالوا : فهل من علامة يُعرفون بها ؟ قال : « فيهم رجل ذو يُدَيَّة[٤] أو ثُدَيّة مُحَلِّقي رُؤُوسِهم » . قال أبو سعيد : فحدَّثني عشرون أو بضع[٥] وعشرون من أصحاب النبي ﷺ أن علياً ولي قتلهم . قال : فرأيت أبا سعيد بعدما كبر ويديه ترتعش ويقول : قتالهم عندي أحل من قتال عدتهم من الترك . وقد رواه أبو داود[٦] عن أحمد بن حنبل به .

الطريق الرابع

قال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن أبيه ، عن (ابن) أبي نُعْم ، عن أبي سعيد (الخدري) قال : بعث علي وهو باليمن إلى النبي[٨] ﷺ بذُهَيبةٍ في تربتها فقسمها رسول الله ﷺ بين الأقرع بن حابس الحنظلي ثم أحد بني مجاشع وبين عُيَينة بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة[٩] أحد بني كلاب ، وبين زيد الخير[١٠] الطائي ، ثم أحد بني نبهان . قال فغضبت قريش والأنصار . قالوا : يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا ؟ قال : « إنما أتألفهم » . قال : فأقبل رجل غائر العينين ، ناتىء الجبين ، كثُّ اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس فقال : يا محمد اتق الله فقال : « من يطع الله إذا عصيته ؟ يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني » قال : فسأل رجل من القوم قتله النبي ﷺ ـ أراه خالد بن

(١) صحيح البخاري (٤٠٠٤) في المغازي ، وصحيح مسلم (١٠٦٣) (١٤٣) في الزكاة .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣) .
(٣) في أ : نفس محمد بيده ، وما هنا كالمسند .
(٤) تقدم أنه يجوز يُدية تصغير يد كما يجوز ثُدية .
(٥) في ط : بضعة .
(٦) سنن أبي داود (٣٢٦٤) في الأيمان والنذور ، وإسناده ضعيف ، لجهالة عاصم بن شميخ .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٦٨ و٧٣) .
(٨) في ط : رسول الله .
(٩) في الأصل والمطبوع : إقحام (أو عامر بن الطفيل) أحد .
(١٠) في ط : الخيل .

الوليد ـ فمنعه ، فلما ولَّى قال : « إن من ضئضىء[١] هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام مروق السَّهم من الرميَّة يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » .

رواه البخاري[٢] من حديث عبد الرزاق به ، ثم رواه أحمد[٣] ، عن محمد بن فضيل ، عن عمارة بن القعقاع ، عن عبد الرحمن بن أبي نعم[٤] ، عن أبي سعيد ، وفيه الجزم بأن خالداً سأل أن يقتل ذلك الرجل ، ولا ينافي سؤال عمر بن الخطاب .

وهو في الصحيحين[٥] من حديث عمارة بن القعقاع بن شبْرمة[٦] : وقال فيه « إنه سيخرج من [ضئضىء هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم » وليس المراد بهم أنه يخرج من] صلبه ونسله ، لأن الخوارج الذين ذكرنا[٧] لم يكونوا من سلالة هذا ، بل ولا أعلم أحداً منهم من نسله ، وإنما أراد من ضئضىء هذا ، أي : من شكله وشبهه وصفته فعلاً وقولاً ، فالله أعلم . [وهذا الشكل وهذه الصفة كثيرة في الناس جداً في كل زمان وكل مكان في قرّاء القرآن وغيرهم لمن تأملها ، والله أعلم] . وهذا الرجل [المذكور] هو ذو الخُويصرَة التميمي وسماه بعضهم حرقوصاً ، فالله أعلم .

الطريق الخامس

قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا (عفّان ، حدَّثنا) مهدي بن ميمون ، حدَّثنا محمد بن سيرين ، عن معبد بن سيرين ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « يخرجُ أناسٌ من قِبَلِ المشرقِ يقرؤون القرآن لا يجاوز تَرَاقيهم يمرقون من الدين كما يمرقُ السهم من الرَّميَّة ، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السَّهم على فُوقه » قيل : ما سيماهم ؟ قال : « سيماهم التحليق أو التسبيد »[٩] ورواه البخاري[١٠] عن أبي النعمان محمد بن الفضل[١١] عن مهدي بن ميمون به .

---

(١) الضئضىء : الأصل ، يريد أنه يخرج من نسله وعقبه . النهاية (٣/ ٦٩) .
(٢) صحيح البخاري (٧٤٣٢) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤) .
(٤) في أ : نعيم ؛ خطأ .
(٥) صحيح البخاري (٤٣٥١) في المغازي ، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٤) في الزكاة .
(٦) في ط : من سيرته ؛ تحريف .
(٧) في أ : المذكورين .
(٨) مسند الإمام أحمد (٣/ ٦٤) .
(٩) في أ : التسبيل ، تحريف ، وفي المسند : التسبيت ـ بالتاء ـ والتسبيد : هو الحلق واستئصال الشعر ، وقيل : هو ترك التدهّن وغسل الرأس . النهاية (٢/ ٣٣٣) .
(١٠) صحيح البخاري (٧٥٦٢) في التوحيد .
(١١) في أ : محمد بن أبي الفضل ، خطأ .

الطريق السادس

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا محمد بن عبيد ، حدَّثنا سويد بن نجيح ، عن يزيد الفقير قال : قلت لأبي سعيد : إنَّ منَّا رجالاً هم أقرؤنا للقرآن ، وأكثرنا صلاة ، وأوصلنا للرَّحم ، وأكثرنا صوماً ، خرجوا علينا بأسيافهم . فقال أبو سعيد : سمعت النبي ﷺ يقول : « يخرج قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة » تفرّد به أحمد ولم يخرجوه في الكتب الستة ، وإسناده لا بأس به رجاله كلهم ثقات وسويد (بن نجيح هذا) مستور[٢] .

الطريق السابع

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد قال بينا رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذي الخويصرة[٤] التميمي فقال : اعدل يا رسول الله . فقال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أتأذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال « دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرّميَّة فينظر في قُذَذِه[٥] فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نضيَّتِهِ[٦] فلا يوجد فيه شيء » ، ثم ينظر في رضافه[٧] فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم[٨] رجل أسود إحدى يديه [أو قال : إحدى ثدييه][٩] مثل ثدي المرأة ، أو مثل البَضْعَة تَدَرْدَرُ[١٠] ، يخرجون على حين فترة[١١] من الناس » فنزلت فيه ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة : ٥٨] الآية . قال أبو سعيد : (فأشهد) أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥٢) وهو حديث حسن .

(٢) قال الحافظ في « تعجيل المنفعة » (١٧٢) : قال أحمد : ما أرى به بأساً ، ووثقه ابن معين . وقال أبو حاتم : شيخ يكتب حديثه .

(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥٦) .

(٤) في أ : فقال ذو الخويصرة ، وما هنا كالمسند .

(٥) القُذذ : ريش السهم واحدتها قذَّة . النهاية (٤/ ٢٨) .

(٦) النضيُّ : نصل السهم ، وقيل هو السهم . النهاية (٥/ ٧٣) .

(٧) رضف الركبة ورضافها : جلدها وقيل عظمها . اللسان (رضف) .

(٨) في المسند : منهم رجل أسود .

(٩) ما بنيهما ساقط من ط .

(١٠) تدَرْدَر : أي ترجرج تجيء وتذهب . النهاية (٢/ ١١٢) .

(١١) في أ : فرقة .

وأشهد أن علياً حين قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ . ورواه البخاري[١] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام بن يوسف عن معمر [به] .

ورواه البخاري[٢] [أيضاً] من حديث شعبة . ومسلم[٣] من حديث يونس بن بكير[٤] ، عن الزهري به ، لكن في رواية مسلم : عن حرملة وأحمد بن عبد الرحمن كلاهما ، عن ابن وهب[٥] ، عن يونس ، عن الزُّهري ، عن أبي سلمة ، والضحاك الهمداني [المِشْرقي] عن أبي سعيد به .

ثم رواه أحمد[٦] : عن محمد بن مصعب ، عن الأوزاعي ، عن الزُّهري ، عن أبي سلمة والضحاك المشرقي ، عن أبي سعيد ، فذكر نحو ما تقدم من هذا السياق ، وفيه أنه عمر هو [الذي] استأذن [رسول الله ﷺ] في قتله ، وفيه « يخرجون على (حين) فرقة من الناس يقتلُهُمْ أَوْلَى الطائفتين بالله » قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأني شهدت علياً حين قتلهم ، فالتمس في القتلى فوجد على النعت الذي نعته رسول الله ﷺ .

ورواه البخاري[٧] : عن دُحيم ، عن الوليد ، عن الأوزاعي كذلك .

وقال أحمد[٨] : قرأت على عبد الرحمن : مالك[٩] ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يخرج فيكم قومٌ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهم من الرَّمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر في القدح فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر في الريش[١٠] فلا يرى شيئاً ويتمارى في الفُوق » .

قال عبد الرحمن : حدَّثنا به مالك ـ يعني هذا الحديث ـ

(١) صحيح البخاري (٦٩٣٣) في استتابة المرتدين .
(٢) صحيح البخاري (٣٦١٠) في المناقب .
(٣) صحيح مسلم (١٠٦٤) (١٤٨) في الزكاة .
(٤) في ط : يزيد ، خطأ .
(٥) في أ : وهيب ، خطأ .
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٦٥) .
(٧) صحيح البخاري (٦١٦٣) في الأدب .
(٨) مسند الإمام أحمد (٣/ ٦٠) .
(٩) في الأصول والمطبوع : عبد الرحمن بن مالك ، وهو إقحام .
(١٠) في أ : ثم ينظر في الريش فلا يرى شيء ثم ينظر في القدح فلا يرى شيء ؛ وما هنا كالمسند .

ورواه البخاري[١] عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك به .

ورواه البخاري ومسلم[٢] : عن محمد بن المثنى ، عن عبد الوهاب ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة وعطاء بن يسار ، عن أبي سعيد به .

وقال أحمد[٣] : حدَّثنا يزيد، حدَّثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة قال : جاء رجل إلى أبي سعيد فقال : هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر في الحرورية شيئاً ؟ فقال : سمعته يذكر قوماً يتعمَّقون[٤] في الدين يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم ، وصومه عند صومهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة ، أخذ سهمه فنظر في نصله فلم ير شيئاً ثم نظر في رضافه فلم ير شيئاً ، [ثم نظر في قدحته فلم ير شيئاً][٥] ثم نظر في القذذ فتمارى هل يرى شيئاً أم لا » ورواه ابن ماجه[٦] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون به .

الطريق الثامن

قال (الإمام) أحمد[٧] : حدَّثنا ابن أبي عدي ، عن سليمان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق « هم شر الخلق ، أو من شر الخلق تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » قال : فضرب النبي ﷺ لهم مثلاً ـ أو قال قولاً ـ « الرجل يرمي الرمية ـ أو قال الغرض ـ فينظر في النصل فلا يرى بصيرة ، وينظر في النّضيِّ فلا يرى بصيرة ، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة » فقال أبو سعيد : وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق .

وقد رواه [مسلم][٨] عن محمد بن المثنى ، عن محمد بن أبي عديٍّ ، عن سُليمان ـ وهو ابن طرخان التيمي ـ عن أبي نَضْرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة ، عن أبي سعيد الخدري بنحوه .

الحديث الثامن[٩]

عن سلمان الفارسي

قال الهيثم بن عدي : حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال قال : جاء رجل إلى قوم فقال :

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٥٨) في فضائل القرآن .
(٢) صحيح البخاري (٦٩٣١) في استتابة المرتدين ، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٧) في الزكاة .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣ ـ ٣٤) .
(٤) في أ : قوماً متعمقين .
(٥) زيادة من المسند .
(٦) سنن ابن ماجه (١٦٩) في المقدمة .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥) .
(٨) صحيح مسلم (١٠٦٤) (١٤٩) في الزكاة .
(٩) لعل المؤلف قد تجاوز السابع ، لأنه عدَّ حديث رافع [الذي سيأتي مع حديث أبي ذر] سابعاً .

لمن هذه الخباء ؟ قالوا : لسَلْمان الفارسي ، قال أفلا تنطلقون معي فيحدِّثنا ونسمع منه[١] ، فانطلق معه بعض القوم فقال : يا أبا عبد الله لو أدنيت خباءك [إلينا] وكنتَ منا قريباً فحدَّثتنا وسمعنا منك ؟ فقال : ومن أنت ؟ قال : فلان بن فلان . قال سَلْمان : قد بلغني عنك معروف . بلغني أنك تخفُّ في سبيل الله ، وتقاتل العدو ، وتخدم أصحاب رسول الله ﷺ ، فإن أخطأتك واحدة أن تكون من هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله ﷺ قالوا : فوجد ذلك الرجل قتيلاً في أصحاب النهروان[٢] .

الحديث التاسع
عن سهل بن حنيف الأنصاري

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا أبو النضر ، حدَّثنا حزام بن إسماعيل العامري ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن يُسَيْر[٤] بن عمرو قال : دخلت على سهل بن حُنيف [الأنصاري] فقلت حدّثني ما سمعت من رسول الله ﷺ قال في الحرورية ، قال : أحدثك ما سمعت من النبي ﷺ لا أزيدك عليه شيئاً ، سمعت رسول الله ﷺ « يذكر قوماً يخرجون من هاهنا ـ وأشار بيده نحو العراق ـ يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية » قال : قلت هل ذكر لهم علامة ؟ قال : هذا ما سمعت لا أزيد عليه [شيئاً] .

وقد أخرجاه في الصحيحين[٥] من حديث عبد الواحد بن زياد .

ومسلم[٦] من حديث علي بن مسهر ، والعوام بن حوشب .

والنسائي[٧] من حديث محمد بن فضيل كلّهم عن أبي إسحاق الشيباني به .

وقد رواه مسلم[٨] ، حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدَّثنا علي بن مسهر ، عن الشيباني عن يُسَيْر بن عمرو قال : سألت سهل بن حُنيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر الخوارج ؟ فقال : سمعته ـ وأشار بيده نحو المشرق ـ « قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة » .

---

(١) في أ : فتسمع منه .
(٢) في سنده الهيثم بن عدي ، وهو كذاب ، ومتروك .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٦) .
(٤) في ط : بسر ؛ تحريف .
(٥) صحيح البخاري (٦٩٣٤) في استتابة المرتدين ، وصحيح مسلم (١٠٦٨) (١٥٩) في الزكاة .
(٦) صحيح مسلم (١٠٦٨) (١٦٠) في الزكاة .
(٧) السنن الكبرى (٥/ ٣٢) .
(٨) صحيح مسلم (١٠٦٨) (١٥٩) .

حدَّثنا أبو كامل ، حدَّثنا عبد الواحد ، حدثنا سليمان الشيباني بهذا الإسناد وقال : « يخرج منه أقوام » .

حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق جميعاً عن يزيد قال أبو بكر : حدَّثنا يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب ، حدَّثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن يُسَيْر بن عمرو ، عن سهل بن حنيف ، عن النبي ﷺ قال : « يتيهُ[(١)] قومٌ قبل المشرق مُحَلَّقةٌ رُؤُوسُهُم » .

الحديث العاشر عن ابن عباس

قال (الحافظ أبو بكر) البزار : حدَّثنا يوسف بن موسى ، حدَّثنا الحسن بن الربيع ، حدَّثنا أبو الأحوص ، عن سِماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « يقرأ[(٢)] القرآن أقوام من أمتي يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

ورواه ابن ماجه[(٣)] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وسويد بن سعيد كلاهما عن أبي الأحوص بإسناده مثله .

الحديث الحادي عشر عن ابن عمر

قال الإمام أحمد[(٤)] : حدَّثنا يزيد ، حدَّثنا أبو جناب[(٥)] يحيى بن أبي حَيّة[(٦)] ، عن شهر بن حَوْشب قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من أمتي قوم يسيؤون الأعمال يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم » قال يزيد : لا أعلمه إلا قال : « يحقر أحدكم عمله مع عملهم يقتلون أهل الإسلام ، فإذا خرجوا فاقتلوهم فطوبى لمن قتلهم ، وطوبى لمن قتلوه ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فردد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد ثبت من حديث سالم ونافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال[(٧)] : « الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ! وأشار بيده نحو المشرق » .

---

(١) في أ ، ط : فتنة قوم من قبل . . . ؛ وما هنا عن صحيح مسلم (٢/ ٧٥٠) .

(٢) في أ : ليقرأن ، وهي موافقة لرواية ابن ماجه .

(٣) سنن ابن ماجه (١٧١) في المقدمة ، وهو حديث حسن يشهد له الحديث الذي بعده عند ابن ماجه رقم (١٧٢) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٢/ ٨٤) ، وقد أخرجه ابن ماجه من وجه آخر رقم (١٧٢) بإسناد حسن .

(٥) في ط : حساب ، وفي أ : حباب ؛ كلاهما تحريف .

(٦) في ط : حبة ـ بالباء ـ تحريف .

(٧) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٢١) والبخاري في صحيحه (٣٥١١) في المناقب ، ومسلم في صحيحه (٢٩٠٥) (٥٠) في الفتن .

الحديث الثاني عشر عن عبد الله بن عمرو

قال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا عبد الرزَّاق ، أنا مَعْمر ، عن قتادة عن شَهْر بن حَوْشب قال : لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية ، قدمت الشام ، فأخبرت بمقام يقومه نَوْف البكالي ، فجئته فجاء رجل فانتبذ(٢) الناس ، عليه خميصة ، فإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، فلما رآه نوف أمسك عن الحديث ، فقال عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مهاجَر إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، تلفظهم أرضهم ، تقذرهم نفس الرحمن(٣) ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلَّف » قال : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيخرج ناس من أمتي [من] قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، كلَّما خرج منهم قرن قُطِع حتى عدها زيادة على عَشر مرَّات ، كُلَّما خرج منهم قرن قُطع حتى يخرج الدجال في بقيَّتهم » .

وقد روى أبو داود(٤) أوله في كتاب الجهاد من « سننه » عن القواريري ، عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة [به] وقد تقدم حديث عبد الله بن مسعود وحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

الحديث الثالث عشر عن أبي ذر

قال مسلم بن الحجاج(٥) : حدَّثنا شيبان بن فرّوخ ، حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، حدَّثنا حُميد(٦) بن هلال ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر . قال قال رسول الله ﷺ : « إن بعدي من أمتي ـ أو سيكون بعدي من أمتي ـ قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميَّة لا يعودون فيه [هم] شر الخلق والخليقة » .

قال ابن الصامت : فلقيت رافع بن عمرو الغفاري أخا الحَكم(٧) الغفاري . قلت : ما حديث سمعته من أبي ذرٍّ كذا وكذا ؟ فقال : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ . لم يروه البخاري .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/١٩٩) وإسناده ضعيف ، ولبعضه شواهد .
(٢) في المسند : بمقام يقومه نوف فجئته فجاء رجل فاشتد الناس .
(٣) في المسند : الله .
(٤) سنن أبي داود (٢٤٨٢) في الجهاد .
(٥) صحيح مسلم (١٠٦٧) (١٥٨) في الزكاة .
(٦) في ط : حبيب ؛ خطأ .
(٧) في ط : الحاكم ؛ خطأ .

الحديث الرابع عشر عن (أم المؤمنين) عائشة

قال (الحافظ) البَيْهقي[(١)] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدَّثنا أبو العباس الأصمّ ، حدَّثنا السري بن يحيى ، حدَّثنا أحمد بن يونس ، حدَّثنا علي بن عياش ، عن حبيب ، عن سَلَمة . قال قال علي : لقد علمت عائشة أن جيش المَرَدةِ وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد ﷺ . قال ابن عياش : جيش المَرَدة قتلة عثمان رضي الله عنه .

وقال الهيثم بن عدي[(٢)] : حدَّثني إسرائيل ، عن يونس ، عن جده أبي إسحاق السبيعي ، عن رجل عن عائشة قال : بلغها [قتل] علي الخوارج فقالت : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة ـ تعني المُخْدج ـ .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدَّثنا محمد بن عمارة بن صبيح ، حدَّثنا سهل[(٣)] بن عامر البَجلي ، حدَّثنا أبو خالد ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال : « شِرارُ أمتي يقتلهم خيار أمتي »[(٤)] .

قال[(٥)] : وحدَّثناه إبراهيم بن سعيد ، حدَّثنا حسين بن محمد ، حدَّثنا سليمان بن قرم ، حدَّثنا عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن مسروق[(٦)] ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ فذكر نحوه قال : فرأيت علياً قتلهم وهم أصحاب النهروان : ثم قال البزار : لا نعلم روى (عن) عطاء ، عن أبي الضحى ، عن مسروق إلَّا هذا الحديث ، ولا نعلم رواه عن عطاء إلا سليمان بن قرم .

[قلت :] وسليمان بن قرم قد تكلّموا فيه لكن الإسناد الأول يشهد لهذا كما أن هذا يشهد للأول[(٧)] فهما متعاضدان ، وهو غريب من حديث أم المؤمنين[(٨)] ، وقد تقدم في حديث عبد الله بن شداد[(٩)] ، عن

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٤) ، وإسناده ضعيف ، سلمة هو ابن أبي الطفيل فيما أظن أو لا نعرف راوياً عن علي بهذا الاسم غيره ، وهو مجهول الحال ، وقد جهله ابن خراش ، ولم يصنع الحافظ ابن حجر شيئاً حين رد جهالته في التعجيل (١٦٠) اللهم إلا إذا أراد أنه ليس بمجهول العين ، وهذا إسناد غريب ، فنحن لا نعرف رواية لعلي بن عياش عن حبيب ، ولا نعرف رواية لحبيب عن سلمة !! (بشار) .

(٢) الهيثم كذاب .

(٣) في أ : سهيل .

(٤) إسناده ضعيف لضعف مجالد .

(٥) في أ : وقال البزار .

(٦) في أ : عن مشرف ؛ خطأ .

(٧) في أ : يشهد له كما أن هذا يشهد كذلك . .

(٨) في أ : عائشة .

(٩) في ط : شيبة ؛ خطأ .

علي ما يدل على أن عائشة استغربت حديث الخوارج ولاسيما خبر ذي الثدية كما تقدم ، وإنما أوردنا هذه الطرق كلّها ليعلم الواقف عليها أن ذلك حق وصدق وهو من أكبر دلالات النبوة ، كما ذكره غير واحد من الأئمة فيها ، والله تعالى أعلم .

وقال : سألت عائشة رضي الله عنها بعد ذلك عن خبر ذي الثدية فتيقنته من طرق متعددة .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في « الدلائل »[١] : أنا أبو عبد الله [الحافظ] أنا الحسين بن الحسن بن عامر الكندي بالكوفة من أصل سماعه ، حدَّثنا [أحمد بن] محمد بن صدقة الكاتب ، حدَّثني محمد[٢] بن أبان فقرأت فيه : حدثني الحسن بن الحر ، قال : حدَّثنا الحكم بن عتيبة وعبد الله بن أبي السفر ، عن عامر الشعبي ، عن مسروق ، قالت عائشة : عندك علم عن ذي الثَّدية الذي أصابه علي في الحرورية ؟ قلت : لا . قالت : فاكتب لي بشهادة من شهدهم ، فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع فكتبت شهادة عشرة من كل سُبع ، ثم أتيتها بشهادتهم فقرأتها عليها ، قالت : أكل هؤلاء عاينوه ؟ قلت : لقد سألتهم فأخبروني بأن كلهم قد عاينه فقالت : لعن الله فلاناً فإنه كتب إلي أنه أصابهم بنيل[٣] مصر ثم أرخت[٤] عينيها فبكت فلما سكنت عبرتها قالت : رحم الله علياً لقد كان على حق ، وما كان بيني وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها .

حديث آخر عن رجلين من الصحابة[٥]

قال الهيثم بن عدي في كتاب « الخوارج » : حدَّثني سليمان بن المغيرة ، عن حميد[٦] بن هلال قال : أقبل رجلان من أهل الحجاز حتى قدما العراق فقيل لهما : ما أقدمكما العراق ؟ قالا : رجونا أن ندرك هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله ﷺ ، فوجدنا علي بن أبي طالب قدسبقنا إليهم ـ يعنيان أهل النهروان[٧] ـ.

(١) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥) .
(٢) في ط : أحمد ، وفي الدلائل : حدَّثنا عمر بن عبد الله بن عمر بن محمد بن إبان بن صالح ، قال : هذا كتاب جدي ، محمد بن أبان فقرأت فيه .
(٣) في ط : بليل .
(٤) في أ : ثم رجعت .
(٥) في أ : عن رجلين مؤمنين من أصحابه .
(٦) في ط : حبيب ؛ تحريف .
(٧) الهيثم بن عدي : كذاب متروك .

حديث [آخر] في مدح علي رضي الله عنه على قتاله[١] الخوارج

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا حسين بن محمد ، حدَّثنا فِطْر[٣] ، عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الزبيدي ، عن أبيه قال : سمعت أبا سعيد يقول : كنّا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ ؛ فخرج علينا من بيوت بعض نسائه ، قال : فقمنا معه ، فانقطعت[٤] نعله ، فتخلف عليها علي يخصفها ، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه ، ثم قام ينتظره وقمنا معه ، فقال : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » فاستشرفنا لها وفينا[٥] أبو بكر ، وعمر فقال : « لا ، ولكنه خاصفُ النعل » قال : فجئنا نبشّره قال : فكأنه قد سمعه .

ورواه أحمد[٦] عن وكيع وأبي أسامة ، عن فطر بن خليفة .

فأما الحديث الذي قال الحافظ أبو يعلى[٧] : حدَّثنا إسماعيل بن موسى ، حدَّثنا الربيع بن سهل ، عن سعيد بن عبيد ، عن علي بن ربيعة قال : سمعت علياً على مِنْبركم هذا يقول : عَهدَ إليّ النبي ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين .

وقد رواه أبو بكر بن المقرىء ، عن الجد بن عبادة البصري ، عن يعقوب بن عباد[٨] ، عن الربيع بن سهل الفزاري به ، فإنه حديث غريبٌ ومنكرٌ ، على أنه قد روي من طرقٍ عن علي وعن غيره ، ولا تخلو واحدة منها عن ضعف .

والمراد بالناكثين : يعني : أهل الجمل ، وبالقاسطين : أهل الشام [والقاسط هو الجائر الظالم] وأما المارقون : فالخوارج لأنهم مرقوا من الدين .

وقد رواه الحافظ أبو أحمد بن عدي في « كامله »[٩] عن أحمد بن جعفر البغدادي ، عن سليمان بن

---

(١) في ط : قتال الخوارج .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٢) وهو حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن .
(٣) في ط ، أ : مطر ؛ تحريف ، وهو فطر بن خليفة المخزومي ، من رجال التهذيب .
(٤) في أ : فانقطع ، والنعل مؤنثة كما في المذكر والمؤنث لابن الأنباري .
(٥) في ط : وفيهم ؛ وما هنا الجادة ، وهو الذي في المسند .
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣) .
(٧) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٣٩٧) رقم (٥١٩) وهو ضعيف ، كما قال المصنف .
(٨) في أ : « عبادة » ، خطأ ، وهو الرواجني الشيعي ، من رجال التهذيب .
(٩) الكامل لابن عدي (٢/ ٦٣٦) والسند في ط : عن أحمد بن حفص البغدادي ، عن سليمان بن يوسف . وما هنا عن أ والكامل .

سيف ، عن عبيد الله[١] بن موسى ، عن فطر ، عن حكيم بن جبير ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن علي قال : أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي[٢] : أخبرني الأزهري ، حدَّثنا محمد بن المظفر ، حدَّثنا محمد بن أحمد بن ثابت قال : وجدت في كتابي جدّي محمد بن ثابت ، حدَّثنا أشعث[٣] بن الحسن السُّلمي ، عن جعفر الأحمر ، عن يونس بن الأرْقَم ، عن أبان ، عن خُلَيد العَصَري[٤] ، قال : سمعت علياً أمير المؤمنين يقول يوم النَّهروان : أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين [٥] .

وقد رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث محمد بن نوح الجنديسابوري ، أخبرنا هارون بن إسحاق ، حدَّثنا أبو غسان ، عن جعفر ـ أحسبه الأحمر ـ عن عبد الجبار الهمداني ، عن أنس بن عمرو ، عن أبيه ، عن علي قال : أمرت بقتال ثلاثة : المارقين والقاسطين والناكثين .

وقال الحاكم أبو عبد الله : أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن غنم الحنظلي بقنطرة بَرَدان ، حدَّثنا محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي ، حدَّثني أبي ، حدَّثني عَمِّي عمرو بن[٦] عطية بن سعد ، عن أخيه الحسن بن عطية ، حدَّثنا جدي ، سعد بن جنادة ، عن علي رضي الله عنه قال : أمرت بقتال ثلاثة ؛ القاسطين ، والناكثين ، والمارقين ، فأما القاسطون فأهل الشام ، وأما الناكثون فذكرهم ، وأما المارقون فأهل النهروان ـ يعني الحرورية[٧] ـ .

وقال الحافظ ابن عساكر[٨] : أخبرنا أبو القسم زاهر[٩] بن طاهر ، أخبرنا أبو سعد الأديب ، أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين ، حدَّثنا محمد بن أحمد الصوفي ، حدَّثنا محمد بن عمرو الباهلي ، حدَّثنا كثير بن يحيى ، حدَّثنا أبو عوانة ، عن أبي الجارود ، عن زيد بن علي بن الحسين بن علي ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي قال : أمرني رسـول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

---

(١) في أ : عبد الله ؛ خطأ .
(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٣٠٠) (ط . د. بشار) في ترجمة خليد بن عبد الله العَصَري .
(٣) في ط : « شعيب » محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في تاريخ الخطيب .
(٤) في ط : المصري ، تحريف وما هنا عن أ وتاريخ بغداد .
(٥) إسناده ضعيف جداً ، أبان هو ابن أبي عياش متروك الحديث ، ولم نقف عليه من هذا الوجه عند غير الخطيب .
(٦) في ط : حدَّثني عمي عن عمرو عن عطية ؛ خطأ وما هنا عن أ وتاريخ دمشق .
(٧) إسناده ضعيف .
(٨) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٢٠٠) .
(٩) في أ : أنا القاسم بن زاهر بن الطاهر أبو سعيد الأديب .

حديث ابن مسعود في ذلك

قال الحافظ : حدَّثنا الإمام أبو بكر أحمد بن الفقيه[١] ، أنا الحسن بن علي ، حدَّثنا زكريا بن يحيى الخراز المقرىء ، حدَّثنا إسماعيل بن عباد المقرىء ، حدَّثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : خرج [علينا] رسول الله ﷺ فأتى منزل أم سلمة فجاء عليّ فقال رسول الله ﷺ : « يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي »[٢] .

حديث [آخر عن] أبي سعيد في ذلك

قال الحاكم : حدَّثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دُحَيم الشيباني ، حدَّثنا الحسين بن الحكم الحيري ، حدَّثنا إسماعيل بن أبان ، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي ، عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري قال : أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلت : يا رسول الله ! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من ؟ فقال : « مع علي بن أبي طالب ، معه يُقتل عمار بن ياسر »[٣] .

حديث أبي أيوب في ذلك

قال الحاكم[٤] : أخبرنا أبو الحسن[٥] علي بن حمشاذ[٦] المعدل ، حدَّثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ، حدَّثنا عبد العزيز بن الخطاب ، حدَّثنا محمد بن كثير ، عن الحارث بن حصيرة ، عن أبي صادق ، عن مخنف بن سُليم : قال : أتينا أبا أيوب فقلنا : قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال : أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

قال الحاكم[٧] : وحدَّثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ، حدَّثنا الحسن بن علي بن شبيب المَعْمَري[٨] ، حدَّثنا محمد بن حميد ، حدَّثنا سلمة بن الفضل ، حدَّثني أبو زيد الأحول ، عن عتاب بن ثعلبة [حدَّثني أبو أيوب الأنصاري] في خلافة عمر بن الخطاب قال : أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب .

---

(١) في ط : أحمد بن الحسين ؛ خطأ وما هنا موافق لتاريخ دمشق .
(٢) إسناده ضعيف ، لضعف شريك .
(٣) إسناده ضعيف جداً ، فإن أبا هارون العبدي متروك .
(٤) في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٢١٣) .
(٥) في أ : أبو الحسين ، خطأ .
(٦) في ط : « حماد » محرف ، وهو شيخ الحاكم ، مترجم في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٩٨) .
(٧) الحديث بتمامه في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٢١٣) .
(٨) في الأصول والمطبوع : العمري ، والتصحيح من كتب الرجال .

وقال الخطيب البغدادي[(١)] : حدَّثنا الحسن بن علي بن عبد الله المقرىء ، حدَّثنا أحمد بن محمد بن يوسف ، حدَّثنا محمد بن جعفر المطيري ، حدَّثنا أحمد بن عبد الله المؤدب بسرَّ منْ رأى ، حدَّثنا المُعَلَّى بن عبد الرحمن ببغداد ، حدَّثنا شريك ، عن سليمان بن مِهران الأعمش[(٢)] ، [قال : حدَّثنا إبراهيم][(٣)] عن علقمة والأسود قالا : أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفِّين فقلنا له : يا أبا أيوب ! إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حين أناخت ببابك دون الناس ، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله ؟ فقال : يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله ، وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي ، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل ، طلحة والزبير ، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم ـ يعني معاوية وعَمْراً ـ وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات[(٤)] وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات[(٥)] ، والله ما أدري أين هم ، ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله .

قال : وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت مذ ذاك مع الحق[(٦)] والحق معك ، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك (الناس) غيره فأسلك مع علي فإنّه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى ، يا عمار من تقلَّدَ سيفاً أعان به علياً على عدوه قلَّدهُ الله يوم القيامة وشاحين (من در ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدو عليٍّ عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين) من نار . فقلنا : يا هذا ! حسبك رحمكَ اللهُ (حسبك رحمك الله) » .

هذا السياق الظاهر أنه موضوع وآفته من جهة المعلى بن عبد الرحمن فإنه متروك الحديث ، والله أعلم[(٧)] .

فصل[(٨)]

قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال[(٩)] : وذكر

---

(١) تاريخ بغداد (١٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) (ط . د. بشار) في ترجمة المعلّى بن عبد الرحمن الواسطي .

(٢) في ط : مهران عن الأعمش . خطأ .

(٣) زيادة من تاريخ بغداد .

(٤) في ط : « الطرفات » ، وما هنا من أ وهو الذي في تاريخ الخطيب .

(٥) في ط : « النهروان » ، وما هنا من أ وهو الذي في تاريخ الخطيب الذي ينقل منه المؤلف .

(٦) في أ : منذ إذ ذاك مع الخوف والحق معك .

(٧) بل هو كذاب يسرق الحديث ، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١١) وانظر تعليق الدكتور بشار عليه .

(٨) ذهب التصوير بهذه اللفظة في أ ومكانها بياض .

(٩) لكنه كذاب متروك !

عيسى بن داب قال : لما انصرف عليٌّ رضي الله عنه من النهروان قام في الناس خطيباً فقال : بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ : أما بعد فإنّ الله قد أعزَّ نصركم فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشام . فقاموا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين نفِدتْ نبالنا وكلَّتْ سيوفُنا ونصلت أسنتنا ، فانصرفْ بنا إلى مصرنا حتى نستعدَّ بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة منْ فارقنا وهلك منا فإنه أقوى لنا على عدونا ـ وكان الذي تكلّم بهذا الأشعث بن قيس الكندي ، فتابعهم[١] وأقبل بالناس حتى نزل بالنخيلة وأمرهم أن يلزموا معسكرهم ويوطنوا أنفسهم على جهاد عدوهم ويُقلوا زيارةَ نسائهم وأبنائهم ، فأقاموا معه أياماً متمسكين[٢] برأيه وقوله ، ثم تسلَّلوا حتى لم يبق منهم أحد إلا رؤوس[٣] أصحابه ، فقام عليٌّ فيهم خطيباً فقال : الحمد لله فاطر الخلق ، وفالق الإصباح ، وناشر الموتى ، وباعث من في القبور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأوصيكم بتقوى الله فإنَّ أفضل ما توسل به العبدُ الإيمانُ والجهادُ في سبيله وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة ، وإقام الصلاة فإنها الملة ، وإيتاء الزكاة فإنها من فرائض الله[٤] ، وصوم شهر رمضان فإنه جُنة من عذابه[٥] ، وحج البيت فإنه منفاة للفقر مدحضة للذنب ، وصلة الرحم فإنها مثراة في المال ، منسأة في الأجل ، محبة في الأهل ، وصدقة السرّ فإنها تكفِّر الخطيئةَ وتُطفئ غضبَ الربّ ، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتةَ السّوء ويقي مصارع الهول ، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وُعدَ المتقون فإن وعد الله أصدقُ الوعد ، واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدى ، واَستنُّوا بِسنَّته فإنها أفضل السنن ، وتعلَّموا كتابَ الله فإنه أفضل الحديث ، وتفقهوا في الدين فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاءٌ لما في الصدور ، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص ، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرْحَمون ، وإذا هُديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون ، فإن (العالم) العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستقيم عن جهله[٦] ، بل قد رأيت أن الحجة أعظم ، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحيّر في جهله ، وكلاهما مضلل مثبور ، لا ترتابوا فتشكوا ، ولا تشكوا فتكفروا[٧] ، ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهلوا ، ولا تذهلوا[٨] في الحق فتخسروا ، ألا وإن من الحزم أن تثقوا ، ومن الثقة أن لا تغتروا ، وإنّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه وإنَّ أغشَّكم لنفسه أعصاكم لربّه ، من يطع الله يأمنْ

---

(١) في ط : فبايعهم ؛ تحريف .
(٢) في أ : مستمسكون ؛ خطأ .
(٣) في ط : راسل ، تحريف .
(٤) في ط : فريضته .
(٥) في أ : من عذاب الله .
(٦) في أ : فإن العامل بغير علم كالجاهل الحاير الذي لا يستقيم من جهله .
(٧) في أ : وكلاهما حائر مضلل مبتور لا يرتاب فتشك ولا تشك فتكفر .
(٨) في أ : ولا تدهنون .

ويستبشر ، ومن يعصِ الله يَخَفْ ويندم ، (ثم) سلوا اللهَ اليقينَ وارغبوا إليه في العافية ، وخير ما دام في القلب اليقين ، إن عوازم الأمور أفضلها ، وإن محدثاتها شرارها[١] وكل مُحْدثةٍ بدعةٌ وكلَّ مُحْدثٍ مُبْتدعٌ ، ومن ابتدع فقد ضيَّع ، وما أحدث محدثٌ بدعةً إلا ترك بها سنةً ، المغبون من غبن دينه ، والمغبون من خسر نفسه ، وإن الرياء من الشرك ، وإن الإخلاص من العمل[٢] والإيمان ، ومجالس اللهو تنسى القرآن ويحضرها الشيطان ، وتدعو إلى كل غي ، ومجالسة[٣] النساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الأبصار ، وهي مصايد الشيطان ، فاصدقوا الله فإن الله مع من صدقَ وجانبوا الكذبَ فإن الكذب مجانب للإيمان ، ألا إنَّ الصدقَ على شرف منجاة وكرامة ، وإن الكذب على شرف رديء وهلكة [وإهانة] ألا وقولوا الحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، وأدُّوا الأمانةَ إلى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم ، وعودوا بالفضل على من حرمكم ، وإذا عاهدتم فأوفوا ، وإذا حكمتم فاعدلوا ، ولا تفاخروا بالآباء ، ولا تنابزوا بالألقاب ، ولا تمازحوا ، ولا يغضب بعضكم بعضاً ، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله (وابن السبيل) والسائلين وفي الرقاب ، وارحموا الأرملة واليتيم ، وأفشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢] وأكرموا الضيف ، وأحسنوا إلى الجار ، وعودوا المرضى ، وشيعوا الجنائز ، وكونوا عباد الله إخواناً ، أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت[٤] وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم وغداً السباق ، وإن السبقة الجنة والغاية النار[٥] ، ألا وإنكم في أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل ، فمن أخلص لله عمله في أيام مهله[٦] قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله ، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله ، وضره أمله ، فاعملوا في الرغبة والرهبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة ، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة ، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى ، ولمن شكر بالزيادة ، وإني لم أر مثل الجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ولا أكثر متكسباً من شيء كسبه ليوم تدخر فيه الذخائر ، وتبلى فيه السرائر ، وتجتمع فيه الكبائر ، [ألا] وإنه منْ لا ينفعه الحقُّ يضره الباطلُ ، ومن لا يستقيم على[٧] الهدى يجرُّبه الضلال ، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك ، ومن لا ينفعه حاضر لبِّه[٨] فعازبه عنه

---

(١) في أ : وإن محدثاها شرّها .
(٢) في أ : من العلم .
(٣) في أ : ومحادثة .
(٤) في ط : قد أظلت .
(٥) في أ : وإن السيقة والغاية الجنة والنار .
(٦) في أ : مهلته .
(٧) في ط : به .
(٨) في ط : حاضره .

أعور[١] ، وغائبه عنه أعجز . [ألا] وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد [فاعملوا على المراد] ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنان طول الأمل واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فيُنْسِي الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق[٢] ، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ، ولا تكونوا من بني الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل .

وهذه الخطبة [عظيمة] بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر . وقد روي لها شواهد من وجوه أخرى متصلة ولله الحمد والمنة .

وقد ذكر ابن جرير[٣] : أن علياً رضي الله عنه لما نكل أهل العراق عن الذهاب معه إلى الشام خطبهم فوبخهم وأنبهم وتوعدهم وهددهم وتلا عليهم آيات في الجهاد من سور متفرقة ، وحث على المسير إلى عدوهم فأبوا من ذلك وخالفوه ولم يوافقوه ، واستمروا في بلادهم ، وتفرقوا عنه هاهنا وهاهنا . [قيل إن ذلك بسبب قتله الخوارج لأنهم كانوا قراباتهم وإخوانهم ويرونهم أفضلهم وخيرهم لعبادتهم وقراءتهم فتثاقلوا عنه وهجروه ، فدخل عند ذلك إلى الكوفة في حالة الله بها عليم] .

فصل

وقد ذكر الهيثم بن عدي أنه خرج على علي رضي الله عنه بعد [قتله أهل] النهروان رجل يقال له : الخِرِّيت[٤] بن راشد الناجي ، قدم مع أهل البصرة ، فقال لعلي : إنك قد قاتلت من أهل النهروان في كونهم أنكروا عليك قصة[٥] التحكيم وتزعم أنك (قد) أعطيت أهل الشام عهودك ومواثيقك ، وإنك[٦] لست بناقضها ، وهذان الحكمان قد اتفقا على (خلعك) ثم اختلفا في ولاية معاوية ، فولاه عمرو [بن العاص] وامتنع أبو موسى من ذلك[٧] ، فأنت مخلوع باتفاقهما ، وأنا قد خلعتك وخلعت معاوية معك ، وتبع الحارث هذا بشر كثير من قومه ـ بني ناجية وغيرهم ـ وتحيزوا ناحية ، فبعث إليهم علي معقل بن قيس الرماحي في جيش كثيف فقتلهم معقل قتلاً ذريعاً وسبى من بني ناجية خمسمئة أهل بيت فقدم بهم على عليٍّ فتلقّاه رجلٌ يقال له : مصقلة بن هبيرة أبو المغلّس ـ وكان عاملاً لعلي على بعض الأقاليم ـ فتضرروا إليه

(١) في أ : أخون .
(٢) في أ : فطول الأمل ينسي الآخرة واتباع الهوى يبعد عن الحق .
(٣) تاريخ الطبري (٥/١١٣) .
(٤) في الأصل والمطبوع : الحارث ، وما هنا عن الطبري ، وما سيأتي بعد قليل .
(٥) في أ : قضية .
(٦) في أ : فإنك .
(٧) في أ : من ولايته .

وشكوا ما هم فيه من السبي[١] ، فاشتراهم مصقلة من معقل بخمسمئة ألف (درهم) وأعتقهم ، فطالبه بالثمن فهرب منه إلى ابن عباس بالبصرة ، فكتب معقل إلى ابن عباس [في ذلك] فقال له مصقلة : إني إنما جئت لأدفع ثمنهم إليك ، ثم هرب منه[٢] إلى علي فكتب ابن عباس ومعقل إلى علي فطالبه علي فدفع من الثمن مئتي ألف ثم انشمر هارباً[٣] فلحق بمعاوية (بن أبي سفيان) بالشام ، فأمضى علي عتقهم وقال : ما بقي من المال في ذمة مصقلة ؟ وأمر بداره في الكوفة فهدمت .

وقد روى الهيثم ، عن سفيان الثوري وإسرائيل ، عن عمّار الدُّهني ، عن أبي الطفيل ، أن بني ناجية ارتدوا فبعث إليهم معقل بن قيس فسباهم فاشتراهم مصقلة من علي بثلاثمئة ألف فأعتقهم ثم هرب إلى معاوية . قال الهيثم : وهذا قول الشيعة ولم يسمع بحيٍّ من العرب ارتدوا [عن الإسلام] بعد الردة التي كانت في أيام الصديق .

وقال الهيثم : حدَّثني عبد[٤] الله بن تميم بن طرفة الطائي ، حدَّثني أبي أن عدي بن حاتم قال مرة لعلي بن أبي طالب وهو يخطب : قتلت أهل النهروان على إنكار الحكومة ، وقتلت الخريت[٥] بن راشد على مسألته إياك (أيضاً الحكومة) ، والله ما بينهما موضع قدم . فقال له علي : اسكت إنما كنت أعرابياً تأكل الضبع بجبل طيء بالأمس . فقال له عدي : وأنت والله قد رأيناك بالأمس تأكل البلح بالمدينة .

قال الهيثم : ثم خرج[٦] على علي (رجل) من أهل البصرة فقتل فأمَّر أصحابه عليهم الأشرس بن عوف الشيباني ، فقتل هو وأصحابه ، قال : ثم خرج على علي الأشهب بن بشر البجلي ، ثم أخذ عرينة من أهل الكوفة فقتل هو وأصحابه . قال : ثم خرج (على علي) سعيد بن نغد التميمي[٧] ثم (من بني) ثعلبة من أهل الكوفة فقتل بقنطرة درربجان فوق المدائن . قال الهيثم أخبرني بذلك عبد الله بن عياش عن مشيخته[٨] .

فصل

ذكر ابن جرير[٩] عن أبي مخنف لوط بن يحيى ـ وهو أحد أئمة هذا الشأن ـ أن قتال علي للخوارج

---

(١) في أ : فتضرع السبي إليه وشكوا ما هم فيه فاشتراهم .
(٢) في أ : من ابن عباس .
(٣) في أ : ثم هرب فلحق .
(٤) في أ : عبيد .
(٥) في ط : الحريث .
(٦) في أ : ثم خرج رجل على علي .
(٧) في أ : سعيد بن فعل التيمي .
(٨) مكان اللفظة بياض في أ .
(٩) تاريخ الطبري (٥/ ٩٢) .

(يوم النهروان ، كان في هذه السنة ـ أعني سنة سبع وثلاثين ـ قال ابن جرير : وأكثر أهل السير على أن ذلك) كان في سنة ثمان وثلاثين وصححه ابن جرير ، قلت : وهو الأشبه كما سننبه عليه في السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة ـ يعني سنة سبع وثلاثين ـ عبيد الله بن عباس نائب علي على اليمن ومخاليفها . وكان نائب مكة قثم بن العباس ، وعلى المدينة تمام بن عباس ، وقيل سهل بن حنيف ، وعلى البصرة عبد الله بن عباس ، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي ، وعلى مصر محمد بن أبي بكر ، و(علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين (مقيم) بالكوفة ، ومعاوية بن أبي سفيان مستحوذ على الشام . قلت : ومن نيته أن يأخذ مصر من محمد بن أبي بكر [الصديق] .

ذكر من توفي [في هذه السنة] من الأعيان[١]

خَبّاب بن الأرتّ[٢] بن جَنْدَلَة بن سعد بن خزيمة . كان قد أصابه سبي في الجاهلية فاشترته أم سباع بنت أنْمار الخُزاعية التي كانت تختن النساء ، وهي أم سباع بن عبد العُزّى الذي قتله حمزة يوم أحد وحالف[٣] بني زهرة ، أسلم خباب قديماً قبل دار الأرقم ، وكان ممن يؤذى في الله فيصبر[٤] ويحتسب ، وهاجر وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد .

قال الشعبي : دخل [خباب] يوماً على عمر فأكرم مجلسه وقال : ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا بلال ، فقال : يا أمير المؤمنين إن بلالاً كان يؤذى وكان له من يمنعه ، وإني كنت لا ناصر لي ، والله لقد سلقوني يوماً في نار أججوها ووضع رجل رجله على صدري فما اتقيت الأرض إلا بظهري ، ثم كشف عن ظهره فإذا هو برص رضي الله عنه ، ولما مرض دخل عليه أناس من الصحابة يعودونه فقالوا : أبشر

غـداً تلقـى الأحبـة محمـداً وحـزبـه

فقال : والله إن إخواني مضوا ولم يأكلوا من دنياهم[٥] شيئاً ، وإنا قد أينعت لنا ثمرتها فنحن نهدبها[٦] ،

---

(١) هذا الفصل نقله المصنف من تاريخ الإسلام للذهبي .

(٢) ترجمة ـ خباب بن الأرت ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ١٦٤) والتاريخ الكبير (٣/ ٢١٥) والجرح والتعديل (٣/ ٣٩٥) والاستيعاب (٢/ ٤٣٧) وأسد الغابة (٢/ ١١٤) والإصابة (١/ ٤١٦) وتهذيب التهذيب (٣/ ١٣٣) .

(٣) في أ : حالف خباب .

(٤) في الله عزَّ وجلَّ ويصبر .

(٥) في أ : من أجرهم .

(٦) هدَبَهُ يهدبه : قطعه . القاموس (هدب) .

فهذا الذي يهمني . قال : وتوفي بالكوفة في هذه السنة عن ثلاث وستين سنة ، وهو أول من دفن بظاهر الكوفة .

خُزَيْمة بن ثابت[١] بن الفاكِه بن ثَعْلبة بن ساعِدة الأنصاري ، ذو الشهادتين وكانت راية بني خَطْمة معه يوم الفتح ، وشهد صفين مع علي ، وقتل يومئذ رضي الله عنه .

سفينة[٢] مولى رسول الله ﷺ . قد قدمنا ترجمته في الموالي المنسوبين إليه صلوات الله وسلامه عليه .

عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم[٣] أسلم عام الفتح وكتب بين يدي رسول الله ﷺ . وقد تقدم مع كتاب الوحي .

عبد الله بن بديل[٤] بن ورقاء الخزاعي ، قتل يوم صفين وكان أمير الميمنة لعلي فصارت أمرتها للأشتر النخعي[٥] .

عبد الله بن خباب بن الأرت[٦] . ولد في حياة[٧] النبي ﷺ وكان موصوفاً بالخير ، قتله[٨] الخوارج كما قدمنا (بالنهروان) في هذه السنة ، (فلما جاء علي قال لهم : أعطونا قتلته ثم أنتم آمنون فقالوا : كلنا قتله فقاتلهم) .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح[٩] : أحد كتّاب الوحي أيضاً ، أسلم قديماً (وكتب الوحي) ثم ارتدّ ثم عاد إلى الإسلام عام الفتح واستأمن له عثمان [بن عفان رسول الله ﷺ] ـ وكان أخاه لأمه ـ وحسن إسلامه وقد ولاه عثمان نيابة مصر بعد عمرو بن العاص ، فغزا إفريقية وبلاد النوبة ، وغزا[١٠] ذات الصواري مع

---

(١) ترجمة ـ خزيمة بن ثابت ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٧٨) والاستيعاب (٢/ ٤٤٨) وأسد الغابة (٢/ ١٣٣) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٥) والإصابة (٣/ ٩٣) .

(٢) ترجمة ـ سفينة ـ في الاستيعاب (٢/ ١٢٩) وأسد الغابة (٢/ ٩٠) والوافي بالوفيات (١٥/ ٤٠٥) والإصابة (٢/ ٥٨) .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم ـ في الاستيعاب (٢/ ٨٦٥) وأسد الغابة (٣/ ١٧٢) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٢) والإصابة (٢/ ٥٨) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن بديل ـ في الاستيعاب (٣/ ٨٧٢) وأسد الغابة (٣/ ١٨٤) والإصابة (٢/ ٢٨٠) .

(٥) في أ : وكان أمير ميمنة علي فأخذها بعده الأشتر .

(٦) ترجمة ـ عبد الله بن خباب ـ في الاستيعاب (٢/ ٨٩٤) وأسد الغابة (٣/ ٢٢٣) والإصابة (٢/ ٣٠٢) .

(٧) في أ : ولد في زمن .

(٨) في أ : قتلته .

(٩) ترجمة ـ عبد الله بن سعد ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٩٦) والاستيعاب (٣/ ٩١٨) وتاريخ دمشق (٣٤/ ١٦) وجامع الأصول (١٤/ ٤٥٨) وأسد الغابة (٣/ ١٧٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣) والإصابة (٢/ ٣١٦) والشذرات (١/ ٢٨٣) .

(١٠) قبلها في أ، ط : وفتح الأندلس؛ خطأ إذ أن فتح الأندلس كان سنة اثنتين وتسعين هجرية في عهد الوليد بن عبد الملك.

الروم في البحر فقتل منهم ما صبغ وجه[(١)] الماء من الدماء[(٢)] ، ثم لمّا حُصر عثمان تغلّب عليه محمد بن أبي حذيفة وأخرجه من مصر فمات في هذه السنة وهو معتزل علياً ومعاوية ، في صلاة الفجر بين التسليمتين رضي الله عنه .

عَمَّار بن ياسر[(٣)] أبو اليَقْظان العَنْسي من عنس اليمن ، وهو حليف بني مخزوم ، أسلم قديماً وكان ممن يُعذَّبُ في الله هو وأبوه وأمه سُميَّة ، ويُقال إنه أولُ من اتَّخذَ مسجداً في بيته يتعبَّدُ فيه[(٤)] ، وقد شهد بدراً وما بعدها وقد قدمنا كيفية مقتله يوم صفين وأن رسول الله ﷺ قال : « تقتلك الفئة الباغية »[(٥)] وروى الترمذي[(٦)] من حديث الحسن ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة ، إلى علي وعمار وسلمان » .

وفي الحديث الآخر الذي رواه الثوري وقيس بن الربيع وشريك القاضي وغيرهم عن أبي إسحاق عن هانىء بن هانىء عن علي أن عماراً استأذن على رسول الله ﷺ فقال : « مرحباً بالطيب المطيب »[(٧)] .

وقال إبراهيم بن الحسين : حدَّثنا يحيى ، حدَّثني نصر ، حدَّثنا سفيان الثوري ، عن الأعمش[(٨)] ، عن أبي عمار ، عن عمرو بن شرحبيل[(٩)] ، عن رجل من أصحاب رسول الله أن رسول الله ﷺ قال : « لقد ملىء عمار إيماناً من قدمه[(١٠)] إلى مُشاشِه[(١١)] » .

وحدَّثنا يحيى بن معلّى ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة أنها قالت : ما من أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ أشاء أن أقول فيه إلا عمار بن ياسر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) مكان اللفظة بياض في أ .
(٢) في أ : من الدنيا ؛ خطأ .
(٣) ترجمة ـ عمار بن ياسر ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٦ و٦/ ١٤) والاستيعاب (٣/ ١١٣٥) وتاريخ بغداد (١/ ١٥٠) وأسد الغابة (٤/ ١٢٩ ـ ١٣٥) وجامع الأصول (١٤/ ٥٤٠ ـ ٥٤١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٦ ـ ٤٢٨) والإصابة (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٣) وشذرات الذهب (١/ ٢١٣) .
(٤) في هامش أ : مطلب أول من اتخذ مسجداً في بيته عمار بن ثابت !
(٥) في أ : وقد قدمنا كيفية مقتله بصفين ، وكان مع علي وأخبر رسول الله ﷺ أنه تقتله الفئة الباغية . والحديث في جامع الترمذي (٣٨٠٠) في المناقب .
(٦) جامع الترمذي (٣٧٩٧) في المناقب وإسناده ضعيف .
(٧) الحديث بهذا السند رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٢٦) ورواه الترمذي (٣٧٩٩) وابن ماجه رقم (١٤٦) وهو حديث صحيح .
(٨) في الأصول والمطبوع : عن أبي الأعمش ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٩) في أ : عن عمرو بن سفيان .
(١٠) في أ : قرنه .
(١١) مُشاش : جمع مُشاشه ـ بالضم ـ رأس العظم الممكن المضغ . القاموس (مشش) والحديث رواه النسائي رقم (٨/ ١١١) (٥٠٠٧) وابن ماجه رقم (١٤٧) وهو حديث صحيح .

« إن عمار بن ياسر حُشِي[١] ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنه إيماناً »[٢] .

وحدَّثنا يحيى ، حدَّثنا عمرو بن عون[٣] أنا هشيم ، عن العوام بن حوشب ، عن سلمة بن كهيل ، عن علقمة قال : أتيت أهل الشام فلقيت خالد بن الوليد فحدَّثني قال : كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام في شيء فشكاني إلى رسول الله ﷺ فقال : « يا خالد ! لا تؤذ عماراً فإنه من يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يعادِ عماراً يعاده الله »[٤] قال : فعرضت له بعد ذلك فسللت ما في نفسه .

وله أحاديث كثيرة في فضائله رضي الله عنه . قتل بصفين عن إحدى[٥] وقيل ثلاث وقيل أربع وتسعين سنة ، طعنه أبو الغادية فسقط ثم أكب عليه رجل فاحتز رأسه ، ثم اختصما إلى معاوية أيهما قتله فقال لهما عمرو بن العاص : اندرا فوالله إنكما لتختصمان في النار ، فسمعها منه معاوية فلامه على تسميعه إياهما ذلك ، فقال له عمرو : والله إنك لتعلم ذلك ، ولوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة .

قال الواقدي[٦] : حدَّثني الحسن بن الحسين بن عمارة ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم ، أن علياً صلَّى عليه ولم يُغَسّله وصلى (معه) على هاشم بن عتبة ، فكان عمار مما يلي عليًّا ، وهاشم إلى نحو القبلة . قالوا : وقبره هنالك .

وكان آدمَ اللونِ ، طويلاً ، بعيد ما بين المنكبين : أشهل العينين ، رجلاً لا يغير شيبه رضي الله عنه .

الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ[٧] بن عَفْراء[٨] أسلمت قديماً وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ إلى الغزوات فتداوي الجرحى ، وتسقي الماء للكَلْمى [وغيرهم] ، وروت أحاديثَ كثيرةً .

وقد قتل في هذه السنة في أيام صفين خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفير ، فقيل : قتل من أهل الشام خمسةٌ وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً . وقيل : قتل من أهل العراق أربعون ألفاً ـ من مئة وعشرين

---

(١) في أ : إلا عماراً فإنه حُشي . وفي هامشه التعليقة التالية : يعني مملوء ، يقال ثوب محشي يعني بالقطن ، وفراش محشي يعني بالصوف .

(٢) الحديث في طبقات ابن سعد (٣/ ١٦٣) .

(٣) في أ : حدثنا يحيى بن عمرو بن عوف .

(٤) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٩٠) وصححه بهذا الإسناد ، وهو إسناد معلول فقد اختلف فيه على سلمة بن كهيل ، وأعلَّ الحافظان أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان طريق العوام من حوشب ، إذ ذكرا أنه أسقط عدة منه ، فهو منقطع (العلل لابن أبي حاتم ٢/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) .

(٥) في أ : في فضائله ـ يعني علقمة ـ قتل عمار يوم صفين بها عن إحدى .

(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩) .

(٧) مكان اللفظة بياض في أ .

(٨) ترجمة ـ الرُّبيع بنت معوذ ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٤٤٧) والاستيعاب (٤/ ١٨٣٧) وأسد الغابة (٥/ ٤٥١) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٨ ـ ٢٠٠) والإصابة (٤/ ٣٠٠) .

ألفاً ـ وقتل من أهل الشام عشرون ألفاً من ستين ألفاً ، وبالجملة فقد كان فيهم أعيانٌ ومشاهيرُ يطولُ استقصاؤهم وفيما ذكرناه كفايةٌ ، والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثين

فيها بعث معاوية عمرو بن العاص إلى ديار مصر فأخذها من محمد بن أبي بكر واستناب معاوية عَمْراً عليها ، وذكر كما سنبينه ، وقد كان علي رضي الله عنه استناب عليها قيس بن سعد بن عبادة وانتزعها من يد محمد بن أبي حذيفة [حين كان استحوذ عليها ومنع عبد الله][(١)] بن (سعد) بن أبي سَرْح من التصرّف فيها ، حين حُصر عثمان ـ وقد كان عثمان استخلفه عليها وعزل عنها عمرو بن العاص ـ وعمرو كان هو الذي افتتحها كما قدمنا ذكر ذلك . ثم إن علياً عزل[(٢)] قيس بن سعد عنها وولى عليها محمد بن أبي بكر وقد ندم علي على عزل قيس بن سعد عنها ، وذلك أنه كان كفؤاً لمعاوية[(٣)] وعمرو ، ولما ولي محمد بن أبي بكر لم يكن فيه قوةٌ تعادلُ معاوية وعَمراً ، وحين عُزل قيسُ بن سعد عنها رجع إلى علي بالعراق فكان معه ، وكان معاوية يقول : (والله) لقيس بن سعد عند علي أبغض إلي من مئة ألف مقاتل بدله عنده ، فشهد معه صفين[(٤)] فلما فرغ علي من صفين وبلغه أن أهل مصر قد استخفُّوا بمحمد بن أبي بكر لكونه شاباً ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك عزم على رد مصر إلى قيس بن سعد ، وكان[(٥)] قد جعله على شرطته أو إلى الأشتر النخعي وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين ، فكتب إليه بعد صفين فاستقدمه عليه ثم ولاه مصر[(٦)] ، [وقيل إنه استمر بقيس عنده وولى الأشتر النخعي مصر][(٧)] فلما بلغ معاوية تولية (علي) للأشتر (النخعي ديار) مصر بدل محمد بن أبي بكر (عظم ذلك عليه ، وذلك أنه كان قد طمع في مصر واستنزاعها من يد محمد بن أبي بكر) ، وعلم أن الأشتر سيمنعها منه لحزمه[(٨)] وشجاعته ، فلما سار الأشتر إليها وانتهى إلى القلزم[(٩)] استقبله الخانسار[(١٠)] وهو مُقدَّم [عليٍّ] على

---

(١) مكان ما بين الحاصرتين في أ : وقد كان أخذها من .
(٢) في أ : ابن أبي سرح نائب عثمان عليها وكان عثمان قد عزل عنها عمرو بن العاص ، وكان عمرو هو الذي افتتحها كما تقدم ذلك ثم إن علياً عزل .
(٣) في أ : محمد بن أبي بكر وكان قيس كفوأ لمعاوية .
(٤) في أ : مقاتل تكون معه بدله فلما فرغ .
(٥) في أ : عزم علي على رد قيس بن سعد إليها ، وكان علي قد جعله على شرطته ، وكان نائبه .
(٦) في أ : فكتب إليه فاستقدمه عليه وولاه مصر .
(٧) زيادة عن أ .
(٨) في أ : لجرأته .
(٩) في أ : فسار الأشتر فلما بلغ القلزم استقبله الخانسار .
(١٠) هكذا في ط وأ ، وفي تاريخ الطبري (٥/ ٩٥ و٩٦) : « الجايستار » .

الخراج فقدم إليه طعاماً وسقاه شراباً من عسل فمات منه ، فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا : إن لله جنوداً من عسل .

وقد ذكر ابن جرير في « تاريخه »[١] أن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل في أن يحتال على الأشتر ليقتله[٢] ووعده على ذلك بأمور ففعل ذلك ، وفي هذا نظر ، وبتقدير صحته فمعاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان رضي الله عنه . والمقصود أن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحاً شديداً بموت الأشتر النخعي[٣] ، ولما بلغ ذلك علياً : تأسف على شجاعته وغَنَائه ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر ، غير أنه ضعف جأشه مع ما كان فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلد خربتا[٤] ، وقد كانوا استفحل أمرهم حين انصرف علي من صفين ، (وحين) كان من أمر التحكيم ما كان ، وحين نكل أهل العراق عن قتال أهل الشام ، وقد كان أهل الشام حين انقضت[٥] الحكومة بدومة الجندل سلَّموا على معاوية بالخلافة وقوي أمرهم جداً ، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه : عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن السمط ، [وحبيب بن مسلمة] وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والضحاك بن قيس ، وبسر بن أبي أرطاة ، وأبا الأعور السلمي ، وحمزة بن سنان الهمداني وغيرهم ، فاستشارهم في المسير إلى مصر فاستجابوا له وقالوا : سر حيث شئت فنحن معك ، وعيَّن معاوية نيابتها لعمرو بن العاص إذا[٦] فتحها ففرح بذلك عمرو ، ثم قال لمعاوية : أرى أن تبعث إليهم رجالاً مع رجل مأمون عارف بالحرب[٧] ، فإن بها جماعة ممن يوالي عثمان فيساعدونه على حرب من خالفهم ، فقال معاوية : لكن أرى أن أبعث إلى شيعتنا ممن هنالك كتاباً يعلمهم بقدومهم عليهم[٨] ، ونبعث إلى مخالفينا كتاباً ندعوهم فيه إلى الصلح . وقال[٩] معاوية [لعمرو بن العاص] : إنك يا عمرو رجل بورك لك في العجلة وإني امرؤ بورك لي في التؤدة ، فقال عمرو : افعل ما أراك الله ، (فوالله) ما أمرك وأمرهم إلا سيصير إلى الحرب العوان ، فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري ، وإلى معاوية بن حديج السكوني ـ وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر ممن لم يبايع علياً ولم يأتمر بأمر نوابه بمصر في نحو من عشرة آلاف ـ يخبرهم بقدوم الجيش عليهم سريعاً ، وبعث به مع مولى له يقال له سبيع ، فلما وصل الكتاب إلى مسلمة

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٩٥ ـ ٩٦) .
(٢) في أ : فيقتله .
(٣) في أ : بموته .
(٤) عدة قرى حول الإسكندرية . قال القضاعي : وهو يعدُّ كورَ مصر . معجم البلدان (٢/ ٤٠٦) .
(٥) في أ : لما انقضت .
(٦) في أ : الذي فتحها .
(٧) في أ : إليهم رجلاً معه جند مأمون عارفاً بالحرب .
(٨) في أ : نعلمهم بقدومنا عليهم .
(٩) في أ : من الجيش فعند ذلك .

ومعاوية بن حديج فرحا به وردًّا جوابه بالاستبشار والمعاونـة والمناصرة له ولمن يبعثه من الجيوش والجند والمدد إن شـاء الله تعالى ، فعند ذلك جهز معاويـة عمرو بن العاص في ستة آلاف ، وخرج معاوية[١] مودعاً وأوصاه بتقوى الله والرفق والمهل (والتؤدة) ، وأن يقتل من قاتل ويعفو عمن أدبر ، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر[٢] الناس عندك ، فسار عمرو بن العاص إلى مصر ، فلما قدمها[٣] اجتمعت عليه العثمانية فقادهم ، وكتب عمرو إلى محمد بن أبي بكر : أما بعد فتنح فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر ، فإن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان[٤] ، فاخرج منها فإني لك لمن الناصحين والسلام . وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه : أما بعد[٥] فإن غب البغي والظلم عظيم الوبال ، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه[٦] من النقمة في الدنيا ، والتبعة الموبقة في الآخرة . وإنّا لا نعلمُ أحداً كان أشدَّ خلافاً على عثمان منك حين تطعن بمشاقصك بين حشاشته وأوداجه[٧] ، ثم إنك تظن أني عنك نائم أو ناس ذلك لك[٨] ، حتى تأتي فتأمَّر على بلاد أنت بها جاري وجلُّ أهلها أنصاري ، وقد بعثت إليك بجيوش يتقربون إلى الله بجهادك ولن يسلمك الله من القصاص أينما كنت والسلام . قال : فطوى محمد بن أبي بكر الكتابين وبعث بهما إلى علي وأعلمه بقدوم عمرو إلى مصر في جيش من قبل معاوية ، فإن كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إلي بأموال ورجال والسلام . فكتب إليه [علي] يأمره بالصبر وبمجاهدة العدو ، وأنه سيبعث إليه الرجال والأموال ، ويمده بما أمكنه من الجيوش .

وكتب محمد بن أبي بكر كتاباً (إلى معاوية في جواب ما قال) وفيه غلظة[٩] ، (وكذلك كتب إلى عمرو بن العاص وفيه كلام غليظ) وقام محمد بن أبي بكر في الناس فخطبهم وحثَّهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام ، وتقدم عمرو (بن العاص) إلى مصر في جيوشه ، ومن لحق به من العثمانية (المصريين) ، والجميع في قريب من ستة عشر ألفاً ، وركب محمد بن أبي بكر في [قريب من] ألفي

---

(١) في أ : وخرج معه مودعاً .
(٢) في أ : أبر .
(٣) في أ : فلما دخل مصر اجتمعت عليه .
(٤) مثل عربي قديم ، ورد في كتاب معجم الأمثال العربية (بطن ، حلق ، لقي) ومصادره فيه : مجمع الأمثال (٢/ ١٨٦) وجمهرة الأمثال (١/ ١٨٨) والمستقصى (١/ ٣٠٦) وأبو عبيد (٣٤٣) واللسان (بطن) ويضرب المثل للأمر يبلغ الغاية في الشدة والصعوبة .
(٥) لفظتا : أما بعد ؛ مكانهما بياض في أ ، ونص الكتاب في تاريخ الطبري (٥/ ١٠١) .
(٦) في أ : فاعله .
(٧) في أ : وأرواحه ؛ تحريف .
(٨) في أ : أو لفعلك ناس حتى تأتي فتتآمر .
(٩) في أ : وفيه كلام غليظ .

فارس الذين انتدبوا معه من المصريين وقدَّم على جيشه بين يديه[١] كنانة بن بشر فجعل لا يلقاه أحد[٢] من الشاميين إلا قاتلهم حتى يلحقهم مغلوبين إلى عمرو[٣] بن العاص ، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن حُدَيْج فجاءه من ورائه وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب ، فترجل عند ذلك كنانة وهو يتلو ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٥] ، ثم قاتل حتى قتل .

وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر عنه ورجع يمشي فرأى خربة فأوى إليها ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر وذهب معاوية بن حُدَيْج في طلب محمد بن أبي بكر فمر بعلوج في الطريق فقال لهم : هل مر بكم أحد تستنكرونه ؟ قالوا : لا ! فقال رجل منهم : إني رأيت رجلاً جالساً في هذه الخربة ، فقال : (هو) هو ورب الكعبة : فدخلوا عليه فاستخرجوه منها ـ وقد كاد يموت عطشاً ـ فانطلق أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص ـ وكان قد قدم معه إلى مصر ـ فقال : أيقتل أخي صبراً ؟ فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية بن حُدَيْج أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ولا يقتله ، فقال معاوية : كلا والله ، أيقتلون كنانة بن بشر وأترك محمد بن أبي بكر ، وقد كان ممن قتل عثمان وقد سألهم عثمان الماء ، وقد سألهم[٤] محمد بن أبي بكر أن يسقوه شربة من الماء فقال معاوية : لا سقاني الله إن سقيتك قطرة من الماء أبداً ، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً فتلقاه الله بالرحيق المختوم .

وقد ذكر ابن جرير[٥] وغيره أن محمد (بن أبي بكر) نال من معاوية بن حُدَيْج هذا [وشتمه] ومن عمرو بن العاص ومن معاوية [بن أبي سفيان] ومن عثمان (بن عفان أيضاً)، فعند ذلك غضب معاوية بن حُدَيْج فقدمه فقتله ثم جعله في جيفة حمار فأحرقه بالنار ، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وضمت عياله إليها ، وكان فيهم ابنه القاسم وجعلت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص دبر الصلاة[٦] .

وذكر الواقدي[٧] أن عمرو (بن العاص) قدم مصر في أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمي فالتقوا مع المصريين بالمُسَنَّاة[٨] فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي ، فهرب عند ذلك محمد بن أبي بكر فاختبأ عند رجل يقال له جبلة بن مسروق ، فدلّ عليه فجاء معاوية بن حديج وأصحابه فأحاطوا به فخرج إليهم (محمد) بن أبي بكر فقاتل حتى قُتل .

---

(١) في أ : من أهل مصر وقدم بين يدي جيشه .
(٢) في أ : فجعل لا يلقى أحداً .
(٣) في أ : بعمرو .
(٤) في أ : عثمان الماء فلم يسقوا وسألهم .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٤) .
(٦) في ط : « الصلوات » ، ومن هنا من أ ، والخبر في ضعيف الطبري (٨/ ٨٤١) وفي السند أبو مخنف وهو متروك .
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٥) .
(٨) انظر معجم ما استعجم (١٢٢٩) ومعجم البلدان (٥/ ١٢٩) .

قال (الواقدي) : وكان ذلك في صفر من هذه السنة .

قال الواقدي : ولما قتل محمد (بن أبي بكر) بعث علي الأشتر النخعي إلى مصر فمات في الطريق فالله أعلم .

قال : وكانت أذرُح في شعبان في هذه السنة أيضاً .

وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر ورجعوا إلى السمع والطاعة (واجتماع الجماعة ، وبما عهد لهم من الأمر) .

وقد زعم هشام بن (محمد) الكلبي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة مسك [في هذه السنة] بعد مقتل محمد (بن أبي بكر) ـ وكان من جملة المحرضين على قتل عثمان ـ فبعثه عمرو (بن العاص) إلى معاوية ولم يبادر إلى قتله لأنه ابن خال معاوية ، فحبسه (معاوية) بفلسطين فهرب من السجن [وكان معاوية يجانبه فيما يروون] ، فلحقه رجل [من خثعم] يقال له (عبد الله بن) عمرو بن ظلام بأرض البلقاء ، فاختفى محمد بغار فجاءت حمر وحش لتأوي إليه فلما رأته فيه نفرت فتعجب من نفرتها جماعة من الحصادين هنالك ، فذهبوا إلى الغار فوجدوه فيه ، فجاء أولئك فخشي عبد الله بن عمرو بن ظلام[1] أن يرده إلى معاوية فيعفو عنه ، فضرب عنقه [هنالك] ، (هكذا) ذكر ذلك ابن الكلبي[2] . وقد ذكر الواقدي وغيره أن (محمد) بن أبي حذيفة قتل في سنة ست وثلاثين كما قدمنا [ذلك] فالله أعلم .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتابه : حدَّثنا عبد الله بن صالح ، حدَّثني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين ـ (يكتب إليهم بذلك) ـ فاستخرج منه بضعة[3] وخمسين إرْدَبّاً[4] دنانير ، قال أبو صالح : والإردبّ ست ويبات والويبة مثل القفيز واعتبرنا الويبة فوجدناها تسعة وثلاثين ألف دينار ، قلت : فعلى هذا يكون مَبْلَغ ما كان أخذ من[5] القبطي ما يقارب ثلاثة عشر ألف ألف دينار .

قال أبو مخنف بإسناده[6] : لما بلغ علي بن أبي طالب مقتل محمد بن أبي بكر وما كان (بمصر) من الأمر ، وتملك عمرو لها ، واجتماع الناس[7] عليه وعلى معاوية قام في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والمسير إلى أعدائهم (من الشاميين والمصريين) ، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة . فلما

---

(١) في أ : فوجدوا محمد بن أبي حذيفة فخشي عبد الله بن ظلام .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٥/١٠٦) برواية الكلبي .
(٣) في أ : واستخرج من ماله بضعاً وخمسين .
(٤) الإرْدَبُّ : مكيال ضخم بمصر . القاموس (ردب) .
(٥) في أ : فعلى هذا يكون مبلغ ما أخذ منه . . . ؛ ثم بياض إلى آخر الجملة .
(٦) تاريخ الطبري (٥/١٠٧) .
(٧) في أ : وما كان من الأمر وتملك عمر ومصر واجتمع الناس .

كان الغد خرج يمشي إليها حتى نزلها فلم يخرج إليه أحد من الجيش ، فلما كان العشي بعث إلى أشراف الناس فدخلوا(١) عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيباً فقال : الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وابتلاني(٢) بكم وبمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، أو ليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام(٣) فيتبعونه بغير عطاء ولا معونة ، ويجيبونه في السنة مرتين والثلاث إلى أي وجه شاء ؟ وأنا أدعوكم ـ وأنتم أولو النُّهَى وبقية الناس ـ على المعونة و(طائفة منكم على) العطاء فتفرقون عني وتعصونني وتختلفون علي ؟ فقام إليه مالك بن كعب الأرحبي(٤) فندب الناس إلى امتثال أمر علي والسمع والطاعة له فانتدب ألفان فأمر عليهم مالك بن كعب هذا فسار بهم خمساً ، ثم قدم على عليّ جماعة ممن كان مع محمد بن أبي بكر بمصر فأخبروه [كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبي بكر وكيف استقر أمر عمرو بها](٥) ، فبعث إلى مالك (بن كعب) فردَّه (من الطريق) وذلك أنه خشي عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر واستقرّ أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم به وينهاهم(٦) (عنه) والخروج عليه والبعد عن أحكامه وأقواله وأفعاله ، لجهلهم(٧) وقلة عقلهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم(٨) ، فكتب علي عند ذلك إلى ابن عباس ـ وهو نائبه على البصرة ـ يشكو إليه ما يلقاه من الناس من المخالفة (والمعاندة) ، فردّ عليه ابنُ عباس يسليه في ذلك ، ويعزيه في محمد بن أبي بكر ويحثه على ملاطفة(٩) الناس والصبر على مسيئهم ، فإن ثواب الله خير من الدنيا ، ثم ركب ابن عباس من البصرة إلى علي وهو بالكوفة واستخلف (ابن عباس) على البصرة زياداً .

وفي هذا الحين(١٠) بعث معاوية بن أبي سفيان كتاباً مع عبد الله بن عمرو الحضرمي إلى (أهل) البصرة يدعوهم إلى الإقرار بما حكم له عمرو بن العاص ، فلما قدمها نزل على بني تميم فأجاروه فنهض إليه زياد وبعث إليه أعين(١١) بن ضبيعة في جماعة (من الناس) فساروا إليهم فاقتتلوا فقتل أعين بن ضبيعة ، فكتب زياد إلى علي يعلمه بما وقع بالبصرة [من المخالفة] بعد خروج ابن عباس منها ، فبعث

---

(١) في أ : يخرج إليه منهم أحد فلما كان العشي بعث إلى أشرافهم فدخلوا .
(٢) في أ : من فعل هو الذي ابتلاني .
(٣) الطغام ـ كسحاب ـ أوغاد الناس . القاموس (طغم) .
(٤) في أ : على المعونة والعطاء فتتفرقون وتنفرون عني وتعصونني ، فقام مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي .
(٥) مكان ما بين الحاصرتين في أ : فأخبروه الخبر .
(٦) بعدها في أ : لا يطيعون له أمراً ولا يسمعون له قولاً ولا يجيبون له دعوة بل كلما لهم في نأي عنه وبعد عنه .
(٧) في أ : والخروج عليه وانتقاد أحكامه ورد أقواله وحل إبرامه لجهلهم وقلة عقلهم وحيائهم وغلظتهم .
(٨) بعدها في أ : عدة أسطر زيدت هنا وقد تقدم شيء منها .
(٩) في ط : تلافي .
(١٠) في أ : العام .
(١١) في أ : وبعثه علي بن أبي طالب أعين .

(عند ذلك) علي جارية بن قدامة التميمي في خمسين رجلاً إلى قومه بني تميم ، وكتب معه كتاباً إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمي وقصده جارية فحصره في دار هو وجماعة معه ، قيل : كان عددهم أربعين[١] ، وقيل سبعين ، فحرقهم بالنار بعد أن أعذر إليهم وأنذرهم فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما جاؤوا له [من جهة معاوية] .

فصل

وقد صحح ابن جرير[٢] أن قتال علي لأهل النهروان كان في هذه السنة ، وكذلك خروج الخرِّيت بن راشد الناجي كان في هذه السنة أيضاً ، وكان مع الخريت ثلاثمئة رجل من قومه بني ناجية ـ وكان مع علي بالكوفة ـ فجاء إلى علي فقام بين يديه وقال : والله يا علي لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك ، إني لك غداً لمفارق . فقال له علي : ثكلتك أمك إذاً تعصي ربك وتنقض عهدك ولا تضر إلَّا نفسك ، ولمَ تفعلُ ذلك ؟ قال : لأنك حكمت في كتاب وضعفت عن قيام الحق إذ جد الجد ، وركنت إلى القوم الظالمين ، فأنا عليك زاري[٣] وعليك ناقم ، وإنا لكم جميعاً مباينون . ثم رجع إلى أصحابه فسار بهم نحو بلاد البصرة فبعث إليهم معقل بن قيس ثم أردفه بخالد بن معدان الطائي ـ وكان من أهل الصلاح والدين والبأس والنجدة ـ وأمره أن يسمع له ويطيع ، فلما اجتمعوا صاروا جيشاً واحداً ، ثم خرجوا في آثار الخِرِّيت وأصحابه فلحقوهم ـ وقد أخذوا في جبال رامهرمز ، قال : فصففنا لهم ثم أقبلنا إليهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل ، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي ، ووقف الخِرِّيت فيمن معه من العرب فكانوا ميمنة ، وجعل من اتبعه من الأكراد والعلوج ميسرة .

قال : وسار فينا معقل بن قيس فقال : عباد الله ! لا تبدؤوا القوم وغضوا أبصاركم ، وأقلّوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب ، وأبشروا في قتالكم بالأجر إنما تقاتلون مارقة مرقت من الدين ، وعلوجاً كسروا الخراج ، ولصوصاً وأكراداً ، فإذا حملتُ فشدوا شدةَ رجلٍ واحد . ثم تقدم فحرك دابته[٤] تحريكتين ثم حمل عليهم في الثالثة ، وحملنا معه جميعنا ، فوالله ما صبروا لنا ساعة واحدة حتى ولوا منهزمين ، وقتلنا من العلوج والأكراد نحواً من ثلاثمئة ، وفرّ الخرِّيت منهزماً حتى لحق بأساف ـ وبها جماعة من قومه (كثيرة) ـ فاتبعوه فقتلوه مع جماعة من أصحابه بسيف البحر ، قتله النعمان بن صهبان ، وقتل معه في المعركة مئة وسبعون رجلاً .

ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بين أصحاب علي والخوارج (فيها أيضاً) .

---

(١) في أ : كانوا أربعين رجلاً .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١١٣) .
(٣) زرى عليه : عابه وعاتبه . القاموس (زرو) .
(٤) في أ : رايته .

ثم قال[١] : حدَّثني عمر بن شَبَّة ، حدَّثنا أبو الحسن ـ يعني المدائني ـ علي بن محمد ، عن علي بن مجاهد قال قال الشعبي : لما قتل علي أهل النهروان خالفه قوم كثير ، وانتقضت أطرافه ، وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي إلى البصرة ، وانتقض أهل الجبال[٢] ، وطمع أهل الخراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس ـ وكان عاملاً عليها [لعلي] ـ فأشار (عليه) ابن عباس بزياد بن أبيه أن يوليه إياها (فولاه إياها) فسار إليها في السنة الآتية في جمع كثير ، فوطئهم حتى أدوا الخراج .

قال ابن جرير[٣] وغيره : وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس ، نائب علي على مكة ، وأخوه عبيد الله بن عباس نائب[٤] اليمن ، وأخوهما عبد الله [بن عباس] نائب البصرة ، وأخوهم تمام بن عباس نائب المدينة ، وعلى خراسان خالد بن قرة اليربوعي وقيل ابن أبزى ، (وأما مصر) فقد استقرت[٥] بيد معاوية فاستناب عليها عمرو بن العاص ، والله أعلم .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

سهل بن حنيف[٦] بن واهب بن العُكَيْم[٧] بن ثعلبة الأنصاري الأوسي ، شهد بدراً ، وثبت يوم أحد ، وحضر بقية المشاهد ، وكان صاحباً لعلي بن أبي طالب ، وقد شهد معه مشاهده كلها أيضاً غير الجمل فإنه كان قد استخلفه على المدينة ، ومات سهل بن حنيف في سنة ثمان وثلاثين بالكوفة[٨] ، وصلى عليه علي فكبر[٩] خمساً وقيل ستاً ، وقال : إنه من أهل بدر رضي الله عنه .

صَفْوان بن بيضاء[١٠] أخو سهل بن بيضاء شهد (المشاهد) كلها [مع رسول الله ﷺ] وتوفي في هذه السنة في رمضانها[١١] وليس له عقب .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٢٢) .
(٢) في تاريخ الطبري : أهل الأهواز .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٢) .
(٤) في أ : وكان أخوه عبيد الله نائب اليمن .
(٥) في أ : واستقرت مصر بيد معاوية .
(٦) ترجمة ـ سهل بن حنيف ـ في الاستيعاب (٢/ ٦٦٢) وجامع الأصول (١٤/ ٢٠٣) وأسد الغابة (٢/ ٤٧٠) وتهذيب الكمال (١٢/ ١٨٤) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٩) .
(٧) في ط : « وهب بن العلِم » محرف .
(٨) في أ : في هذه السنة بالكوفة .
(٩) فكبر عليه خمساً وقيل .
(١٠) ترجمة ـ صفوان بن بيضاء ـ في حلية الأولياء (١/ ٣٧٣) والاستيعاب (٢/ ٧٢٣) وأسد الغابة (٣/ ٣١) والإصابة (٥/ ١٤٧) .
(١١) في أ : في رمضان منها .

صهيب بن سنان[١] بن مالك أبو يحيى الرومي وأصله من النَّمر بن قاسط[٢] وكان أبوه أو عمه عاملاً لكسرى على الأُبُلَّة[٣] ، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل ، وقيل على الفرات ، فأغارت على بلادهم الروم فأسرته وهو صغير ، فأقام عندهم حيناً ثم اشترته بنو كلب فحملوه إلى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حيناً ، فلما بُعث رسول الله ﷺ آمن به ، (وكان ممن أسلم) قديماً هو وعمار [بن ياسر] في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلاً ، وكان من المستضعفين الذين يعذبون في الله عزَّ وجلَّ ، ولما هاجر رسول الله ﷺ هاجر صهيب بعده بأيام فلحقه قوم من المشركين يريدون أن يصدوه عن الهجرة ، فلما أحس بهم نثل كنانته (فوضعها بين يديه) وقال : والله لقد علمتم أني من أرماكم ، ووالله لا تصلون إلي حتى أقتل بكل سهم من هذه رجلاً منكم ، ثم أقاتلكم بسيفي حتى أقتل . وإن كنتم تريدون المال فأنا أدلكم على مالي وهو مدفون في مكان كذا وكذا ، فانصرفوا عنه فأخذوا ماله ، فلما قدم [على رسول الله ﷺ] قال له رسول الله ﷺ : « ربح البيع أبا يحيى » وأنزل الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧][٤] .

ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب . وشهد [صهيب] بدراً (وأُحُداً) وما بعدهما ، ولما جعل عمر الأمر شورى كان هو الذي يصلي بالناس حتى تعيَّن عثمان ، وهو الذي ولي الصلاة على عمر ـ وكان له صاحباً [وصديقاً] ـ وكان أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير أقرن الحاجبين كثير الشعر وكان لسانه فيه عجمة[٥] شديدة ، وكان مع فضله ودينه فيه دعابة وفكاهة وانشراح .

روي أن رسول الله ﷺ رآه يأكل (بقثاء) رطباً وهو أرمد إحدى العينين ، فقال [له] : « أتأكل رطباً وأنت أرمد » ؟ فقال : إنما آكل من ناحية عيني الصحيحة ، فضحك رسول الله[٦] ﷺ .

(وكانت وفاته بالمدينة سنة ثمان وثلاثين ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وقد نيف على السبعين) .

محمد بن أبي بكر الصّدّيق[٧] ولد في حياة النبي ﷺ في حجة الوداع تحت الشجرة عند الحرم وأمه

---

(١) ترجمة ـ صهيب بن سنان ـ في الاستيعاب (٢/ ٧٢٦) وجامع الأصول (١٤/ ٣٥٢) وأسد الغابة (٣/ ٣٦ ـ ٣٩) وتهذيب الكمال (١٣ / ٢٣٧) . وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٧ ـ ٢٦) والإصابة (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .

(٢) في ط : « صهيب بن سنان بن مالك الرومي وأصله من اليمن أبو يحيى بن قاسط » وهو من أقبح التحريف ، وما أثبتناه من أ ، وهو الموافق لما في مصادر ترجمته .

(٣) في الأصول والمطبوع : الأيلة ، وهو خطأ .

(٤) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) والحاكم (٣/ ٣٩٨) وابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٧٣١ ـ ٧٣٢) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٢٨) من طرق متعددة ، لا يخلو أي منها من ضعف .

(٥) في أ : وكان في لسانه عجمة شديدة .

(٦) رواه أحمد (٤/ ٦١) وابن ماجه رقم (٣٤٤٣) والحاكم (٣/ ٣٩٩) وهو حديث حسن .

(٧) ترجمة ـ محمد بن أبي بكر الصديق ـ في جامع الأصول (١٥/ ١٧٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨) وشذرات الذهب (١/ ٢١٨) .

أسماء بنت عميس ، ولما احتضر الصديق أوصى أن تغسله فغسلته ، ثم لما انقضت عدتها تزوجها علي فنشأ [محمد] في حجره ، فلما صارت إليه الخلافة استنابه على بلاد مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة كما قدمنا ، فلما كانت هذه السنة بعث معاوية عمرو بن العاص فاستلب منه بلاد مصر وقتل محمد بن أبي بكر كما تقدم ، وله من العمر دون الثلاثين [سنة وحزنت عليه عائشة وعلي وغيرهما] ، رحمه الله ورضي عنه .

أسماء بنت عميس[١] بن معبد[٢] بن الحارث الخثعمية [وهي أم محمد المذكور] أسلمت [قديماً] بمكة وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وقدمت معه إلى خيبر ، ولها منه عبد الله ، ومحمد ، وعون . ولما قتل جعفر بمؤتة تزوجها بعده أبو بكر الصديق فولدت منه محمد بن أبي بكر أمير مصر[٣] ، ثم لما مات الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعوناً ، وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها . وكذلك هي أخت أم الفضل امرأة العباس لأمها ، وكان لها من الأخوات لأمها تسع أخوات ، وهي أخت سلمى بنت عميس امرأة العباس التي له منها بنت اسمها عمارة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

فيها جهز معاوية بن أبي سفيان جيوشاً كثيرة ففرقها في أطراف معاملات علي بن أبي طالب ، وذلك أن معاوية رأى بعد أن ولاه عمرو بن العاص بعد اتفاقه مع أبي موسى على عزل علي ، أن ولايته وقعت الموقع[٤] ، فهو الذي يجب طاعته فيما يعتقده ، ولأن جيوش علي من أهل العراق لا تطيعه في كثير من الأمر ولا يأتمرون بأمره ، فلا يحصل بمباشرته المقصود من الإمارة[٥] والحالة هذه ، [فهو يزعم أنه أولى منه إذ كان الأمر كذلك][٦] . وكان ممن بعث في هذه السنة النعمان بن بشير في ألفي فارس إلى عين

---

(١) ترجمة ـ أسماء بنت عميس ـ في الاستيعاب (٤/ ١٧٨٤) وجامع الأصول (١٣/ ١٠٨) وأسد الغابة (٧/ ١٤ ـ ١٥) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٧) والوافي بالوفيات (٩/ ٥٣ ـ ٥٤) ، والإصابة (٤/ ٢٣١) .

(٢) هكذا في ط وأ وأسد الغابة والسير ، لكن الحافظ ابن حجر قيده فقال : « معد بوزن سعد ، أوله ميم » (الإصابة ٤/ ٢٣١) فلا ريب أن ما وقع هنا والمصادر المذكورة تحريف . وقد جاء على الصواب في تهذيب الكمال وفروعه وتاريخ الإسلام وغيره .

(٣) في أ : ولها من جعفر عبد الله وعون فلما قتل تزوجها أبو بكر فولدت له محمد .

(٤) في أ : عمرو بن العاص الخلافة بعد اتفاقه هو وأبو موسى على خلع علي وعزله عن الأمر أن ولايته صحيحة وقد وقعت .

(٥) في أ : فلا يحصل بمباشرته مقصود الولاية والإمارة .

(٦) مكانهما في أ : فأنا أولى منه إذا كانت كلمة أهل الشام ومصر مجموعة عليَّ وهم طائعون لي يتأمرون بأمري وكلمتي نافذة فيهم فعند ذلك جهز الجيوش إلى أطراف مملكة علي .

التمر ، وعليها مالك بن كعب الأرحبي في ألف فارس مسلحة لعلي ، فلما سمعوا بقدوم الشاميين ارفضوا[١] عنه فلم يبق مع مالك بن كعب إلا مئة رجل فكتب عند ذلك إلى علي يعلمه بما كان من الأمر ، فندب علي الناس إلى مالك بن كعب فتثاقلوا [عليه] ونكلوا عنه ولم يجيبوا إلى الخروج ، فخطبهم علي عند ذلك فقال في خطبته : يا أهل الكوفة ! كلما سمعتم بمنسر[٢] من مناسر أهل الشام انجحر كل [امرىء] منكم في بيته ، وغلق عليه بابه . انجحار الضب في جحره ، والضبع في وجاره ، المغرور والله من غررتموه ، ولَمن فارقكم فاز بالسهم الأخيب[٣] ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا منيت به منكم ، عُميٌ لا تبصرون ، وبُكْمٌ لا تنطقون ، وصم لا تسمعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

ودهمهم النعمان بن بشير فاقتتلوا قتالاً شديداً وليس مع مالك بن كعب إلّا مئة رجل قد كسروا جفون[٤] سيوفهم واستقتلوا ، فبينا هم كذلك إذ جاءهم نجدة من جهة مخنف بن سليم مع ابنه عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً ، فلما رآهم الشاميون ظنوا أنهم مدد عظيم ففروا هرباً [على وجوههم] فاتبعهم مالك بن كعب فقتل منهم ثلاثة أنفس وذهب الباقون على وجوههم ولم يتم لهم أمر من هذا الوجه[٥] .

وفيها بعث معاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف وأمره بأن يأتي هيت فيغير عليها ، ثم يأتي الأنبار والمدائن . فسار حتى انتهى إلى هيت فلم يجد فيها أحداً ، ثم إلى الأنبار وفيها مسلحة لعلي نحو من خمسمئة ، فتفرقوا ولم يبق منهم إلا مئة رجل ، فقاتلوا مع قلتهم وصبروا حتى قُتل أميرهم ـ وهو أشْرَسُ بن حَسَّان البلوي[٦] ـ في ثلاثين رجلاً من أصحابه ، واحتملوا[٧] ما كان بالأنبار من الأموال وكرّوا راجعين إلى الشام ، فلما بلغ الخبر علياً رضي الله عنه [وما جرى لأهل الأنبار] ركب بنفسه فنزل بالنخيلة فقال له الناس : نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : والله ما تكفونني ولا أنفسكم ، وسرح سعيد[٨] (بن قيس) في أثر القوم فسار وراءهم حتى بلغ هيت فلم يلحقهم فرجع .

وفيها بعث معاوية عبدَ الله بن مَسْعَدة الفَزاري[٩] في ألف وسبعمئة إلى تيماء وأمره أن يصدق[١٠] أهل

---

(١) ارفضوا : ذهبوا وتفرقوا . القاموس .
(٢) منسر ـ كمجلس ومنبر ـ : قطعة من الجيش . القاموس (نسر) .
(٣) في ط : الأصيب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ١٣٤) .
(٤) جفون : جمع جفن وهو غمد السيف . القاموس (جفن) .
(٥) في أ : وذهب الباقون لا يلوون على أحد حتى قدموا الشام ولم يبق لهم ما رجوا من هذا الوجه .
(٦) في تاريخ الطبري (٥/ ١٣٤) : البكري .
(٧) في أ : واحتمل الشاميون .
(٨) في ط : سعد ؛ تحريف . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ١٣٤) .
(٩) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٥) .
(١٠) يأخذ الصدقات . القاموس .

البوادي ومن امتنع من إعطائه فليقتله ثم يأتي المدينة ومكة والحجاز . فسار إلى تيماء واجتمع عليه بشر كثير ، فلما بلغ علياً بعث المسيب بن نَجَبة الفزاري في ألفي رجل فالتقوا بتيماء فاقتتلوا قتالاً شديداً عند زوال الشمس ، وحمل المُسيَّب بن نَجبة على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات وهو لا يريد قتله بل يقول له : النجا النجا ، فانحاز ابن مسعدة في طائفة من قومه إلى حصن هناك فتحصنوا به وهرب بقيتهم إلى الشام ، وانتهبت الأعراب ما كان جمعه ابن مسعدة من إبل الصدقة ، وحاصرهم المسيّب بن نَجبة ثلاثة أيام ثم ألقى الحطب على الباب وألهب فيه النار ، فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا من الحصن ، ومتوا[١] إليه بأنهم من قومهم فرقَّ لهم وأطفأ النار ، فلما كان الليل فتح باب الحصن وخرجوا [منه] هرباً إلى الشام ، فقال عبد الرحمن بن شبيب[٢] للمسيّب بن نَجَبَة : سر حتى ألحقهم ! فقال : لا ! فقال : غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم .

وفيها وجه معاوية الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يغير على أطراف جيش علي ، فجهز علي حجر بن عدي في أربعة آلاف وأنفق فيهم [كل رجل] خمسين درهماً خمسين درهماً ، فالتقوا بتدمر فقتل [حجر] من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ، وقُتل من أصحاب حجر بن عدي رجلان ، وغشيهم الليل فتفرقوا ، وانشمر[٣] الضحاك بأصحابه فارّاً إلى الشام . وفيها سار معاوية بنفسه في جيش كثيف حتى بلغ دجلة ثم كرَّ راجعاً . ذكره محمد بن سعد عن الواقدي بإسناده وأبو معشر [معه] أيضاً .

وفي هذه السنة ولَّى عليّ بن أبي طالب زياد بن أبيه على أرض فارس . وكانوا قد منعوا الخراج والطاعة ، وسبب ذلك حين قتل ابن الحضرمي وأصحابه بالنار حين حرقهم جارية بن قدامة في تلك الدار كما قدمنا ، فلما[٤] اشتهر هذا الصنيع في البلاد شَوَّش ذلك[٥] قلوب كثير من الناس على علي[٦] ، واختلفوا على علي ، ومنع أكثر أهل تلك النواحي خراجهم ، ولاسيما أهل فارس فإنهم تمردوا وأخرجوا عاملهم سهل بن حنيف [عنهم] ـ كما تقدم في العام الماضي ـ من بين أظهرهم ، فاستشار علي الناس فيمن يوليه عليهم ، فأشار ابن عباس وجارية بن قدامة أن يولي عليهم زياد بن أبيه ، فإنه صليب الرأي ، عالم بالسياسة . فقال علي : هو لها ، فولاه فارس وكرمان وجهزه إليهما في أربعة آلاف فارس ، فسار إليها في هذه السنة فدوخ أهلها وقهرهم حتى استقاموا وأدوا الخراج وما كان عليهم من الحقوق ، ورجعوا إلى السمع والطاعة ، وسار فيهم بالمعدلة والأمانة ، حتى كان أهل تلك البلاد يقولون : ما رأينا سيرة أشبه

---

(١) المتّ : التوسّل بقرابة . القاموس .
(٢) في أ : ضيب ؛ وما هنا كالطبري .
(٣) في ط : واستمر .
(٤) في أ : جارية بن قدامة كما تقدم فلما اشتهر هذا .
(٥) في أ : تشوش .
(٦) في أ : من الناس وأنكروه جداً .

بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربي في اللّين والمداراة والعلم بما يأتي[١] ، وصفت له تلك البلاد بعدله وعلمه وصرامته[٢] ، واتخذ للمال قلعة حصينة ، فكانت تعرف بقلعة زياد ، ثم لما تحصن فيها منصور البكري[٣] فيما بعد ذلك عرفت به فكان يقال لها قلعة منصور .

قال الواقدي[٤] : وفي هذه السنة بعث علي بن أبي طالب عبد الله بن عباس على الموسم وبعث معاوية يزيد بن سخبرة الـرُّهاوي ليقيم للناس الحج فلمـا اجتمعا بمكة تنازعا وأبى كل واحد منهما أن يسلم لصاحبه فاصطلحا على شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الحَجَبي فحج بالناس وصلّى بهم في أيام الموسم .

قال أبو الحسن المدائني[٥] : لم يشهد عبد الله بن عباس الموسم في أيام علي حتى قتل ، والذي نازعه يزيد بن سخبرة إنما هو قثم بن العباس [حتى اصطلحا على شيبة بن عثمان . قال ابن جرير : وكما قال أبو الحسن المدائني قال أبو مصعب][٦] .

قال ابن جرير[٧] : وأما عمال علي على الأمصار فهم الذين ذكرنا في السنة الماضية غير أن ابن عباس كان قد سار من البصرة إلى الكوفة واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ، ثم سار زياد في هذه السنة إلى فارس وكرمان كما ذكرنا .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان[٨]

سعد القَرَظ[٩] ، مؤذن مسجد قبا في زمان رسول الله ﷺ ، فلما ولي عمر الخلافة ولاه أذان المسجد النبوي ، وكان أصله مولى لعمار بن ياسر ، وهو الذي كان يحمل العنَزَة بين يدي أبي بكر وعمر [وعثمان] وعلي إلى المصلى يوم العيد وبقي الأذان في ذريته مدة طويلة .

عقبة بن عمرو بن ثعلبة[١٠] ، أبو مسعود البدري سكن ماء بدر [فنسب إليه] ولم يشهد الوقعة بها على

(١) بعدها في أ : وما يذر .
(٢) في أ : وضراسته .
(٣) في ط : اليشكري ؛ تحريف .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٦) .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) ليس ما بينهما في أ .
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٦) .
(٨) في أ : فيها من الأعيان .
(٩) في ط : القرظي ؛ تحريف ، وهو سعد بن عائذ المؤذن مولى عمار بن ياسر المعروف بسعد القرظ ، ترجمته في الاستيعاب (٢/ ٥٩١) وأسد الغابة (٢/ ٤٤٠) والإصابة (٢/ ٢٩) .
(١٠) ترجمة ـ عقبة بن عمرو ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٦) والاستيعاب (٣/ ١٠٧٤) وجامع الأصول (١٤/ ٥٣١) وأسد الغابة (٤/ ٥٧) والإصابة (٢/ ٤٩٠) .

الصحيح ، وقد شهد العقبة ، وهو من سادات الصحابة وكان ينوب لعلي بالكوفة إذا خرج منها إلى القتال[١] .

سنة أربعين من الهجرة [النبوية]

[فيها كان مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على ما سنذكره مفصلاً إن شاء الله تعالى]

قال ابن جرير[٢] : فمما كان في هذه السنة من الأمور الجليلة توجيه معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز ، فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن عوانة قال : أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن أبي أرطاة ـ وهو رجل من بني عامر بن لؤي ـ في جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة ـ وعامل علي عليها يومئذ أبو أيوب ـ ففر منهم أبو أيوب فأتى عليًّا بالكوفة ، ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد ، فصعد منبرها فنادى على المنبر : يا دينار ويا نجار ويا رزيق شيخي شيخي عهدي به هاهنا بالأمس فأين هو ؟ ـ يعني عثمان بن عفان ـ ثم قال : يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركت بهما محتلماً إلَّا قتلته ، ثم بايع أهل المدينة وأرسل إلى بني سلمة فقال : والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله ـ يعني حتى يبايعه ـ فانطلق جابر حتى دخل على أم سلمة فقال لها : ماذا ترين إني خشيت أن أُقتل وهذه بيعة ضلالة ؟ فقالت [له] : أرى أن تبايع فإني قد أمرتُ ابني عمر وختني عبد الله بن زمعة ـ وهو زوج ابنتها زينب ـ أن يبايعا فأتاه جابر فبايعه . قال : وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى أتى مكة فخافه أبو موسى الأشعري أن يقتله فقال له بسر : ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله ﷺ ذلك ، فخلّى عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى أهل اليمن أن خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل من أبى أن يقر بالحكومة ، ثم مضى بسر إلى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس ففر إلى الكوفة حتى لحق بعلي ، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد الله بن المدان الحارثي[٣] ، فلما دخل بسر اليمن قتله وقتل ابنه ، ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان صغيران له فقتلهما وهما عبد الرحمن وقثم ، [وقيل إنه ذبحهما بين يدي أمهما فزاغ عقلها ، ووسوست مما رأت فكانت بعد ذلك تقف في المواسم مبهوتة زائغة العقل تندب ولديها] ويقال إن بسراً قتل خلقاً من شيعة علي في مسيره هذا ، وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازي والسير ، وفي صحته عندي نظر والله تعالى أعلم .

ولما بلغ عليًّا خبر بسر وجَّه جارية بن قدامة في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى بلغ نجران فحَرَّق بها[٤] وقتل ناساً من شيعة عثمان ، وهرب بسر وأصحابه فاتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعوا . فقالوا : لمن نبايع وقد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع ؟ فقال : بايعوا لمن بايع

---

(١) في ط : إذا خرج إلى صفين وغيرها .

(٢) ضعيف الطبري (٨/ ٨٧٤) وإسناده منقطع .

(٣) في ط : الحاوي ؛ تحريف . وما هنا كالطبري والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٨٤) .

(٤) في أ : حتى أتى نجران فحرق بابها .

له أصحاب علي ، فتثاقلوا ثم بايعوا من خوف ، ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه فقال جارية : والله لو أخذت أبا سنَّور لضربت عنقه ، ثم قال لأهل المدينة : بايعوا للحسن بن علي ، فبايعوا وأقام عندهم [يوماً] ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة وعاد أبو هريرة يصلي بهم .

قال ابن جرير[١] : وفي هذه السنة جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذكرها على وضع الحرب بينهما ، وأن يكون ملك العراق لعلي ولمعاوية [ملك] الشام ، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزوة .

ثم ذكر عن زياد عن ابن إسحاق ما هذا مضمونه أن معاوية كتب إلى علي :

أما بعد فإن الأمة قد قتل بعضها بعضاً فلك العراق ولي الشام فأقر بذلك علي رضي الله عنه . وأمسك كل واحد منهما عن قتال الآخر ، وبعث الجيوش إلى بلاده ، واستقر الأمر على ذلك .

قال ابن جرير[٢] : وفي هذه السنة خرج ابن عباس من البصرة إلى مكة وترك العمل في قول عامة أهل السير ، وقد أنكر ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل عاملاً على البصرة حتى صالح [الحسن بن] علي معاوية ، وأنه كان شاهداً للصلح ، كما[٣] نص على ذلك أبو عبيدة كما سيأتي .

ثم ذكر ابن جرير سبب خروج ابن عباس عن البصرة وذلك أنه كلم أبا الأسود الدؤلي القاضي بكلام فيه غض وحط على أبي الأسود ، فكتب أبو الأسود إلى علي يشكو إليه ابن عباس وينال من عرضه بأنه تناول شيئاً من أموال [الناس من] بيت المال فبعث علي إلى ابن عباس فعاتبه في ذلك وحرَّر عليه القضية[٤] فغضب ابن عباس من ذلك وكتب إلى علي أن ابعث إلى عملك من أحببت فإني ظاعن عنه والسلام . [ثم ترك ذلك ابن عباس] إلى مكة مع أخواله بني هلال وتبعهم قيس كلها ، وقد أخذ شيئاً من بيت المال مما كان اجتمع له من العمالة والفيء ، ولما سار تبعته أقوام أخر فلحقهم بنو غنم وأرادوا منعهم من المسير فكان بينهم بعض قتال ، ثم تحاجزوا ودخل ابن عباس مكة .

ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وما ورد [في ذلك] من الأحاديث النبوية [وما في ذلك من دلائل النبوة] من الأخبار بمقتله وكيفيته

كان أمير المؤمنين رضي الله عنه قد انتقضت[٥] عليه الأمور ، واضطرب عليه جيشه ، وخالفه أهل

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٤٠) .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٤١) .
(٣) في ط : ممن .
(٤) في ط : التبعة .
(٥) في ط : تنغصت .

العـراق [وغيرهم] ، ونكلوا عن القيام معه ، واستفحل أمر أهل الشام ، وصالوا وجالوا [في البلاد] يميناً وشمـالاً ، زاعمين أن الإمرة لمعاوية بمقتضى حكم الحكمين في خلعهما علياً وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الإمرة عن أحد ، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم[١] يسمون معاوية الأمير ، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق [ووهنوا] ، هذا وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان ، أعبدهم وأزهدهم ، وأعلمهم وأخشاهم لله عزَّ وجلَّ ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه [وقد كان يعطيهم العطاء الكثير والمـال الجزيل فلا زال هذا ذهابهم معه] حتى كره الحياة وتمنى الموت ، وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن [والظلم والفساد] فكان يكثر أن يقول : ما يحبس أشقاها ، أي ما ينتظر ؟ ما له لا يقتل ؟ ثم يقول : والله لتخضبن هذه ـ ويشير إلى لحيته ـ من هذه ـ ويشير إلى هامته ـ [كما روى ذلك عنه عن النبي ﷺ من طرق : الطريق الأولى : رواهـا][٢] البيهقي[٣] : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصَّغَاني ، حدَّثنا أبو الجوَّاب الأحوص بن جوَّاب[٤] ، حدَّثنا عمار بن زريق ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ثعلبة بن يـزيد قال قال عـلي : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه للحيته من رأسه فما يحبس أشقاها » ؟ فقال عبد الله بن سَبُع[٥] : والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً فعل ذلك لأبدنا عترته : فقال أنشدكم بالله أن يُقتل بي غير قاتلي . فقالوا : يا أمير المؤمنين ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ . قالوا : فما تقول لربك إذا لقيته وقد تركتنا هملاً ؟ قال : أقول : اللهم استخلفتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني ، وتركتك فيهم ، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم [فيه ضعف في بعض ألفاظه] .

طريق أخرى

قال أبو داود الطيالسي في « مسنده »[٦] : حدَّثنا شريك ، عن عثمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب ، قال : جاءت الخوارج إلى علي فقالوا : اتق الله [يا علي] فإنك ميت . قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ولكن مقتول من ضربة على هذه تخضب هذه ـ وأشار بيده إلى لحيته ـ عهد معهود وقَضاء مقضي ، وقد خاب من افترى .

---

(١) في أ : بعد تحكيم الحكمين .
(٢) مكان ما بين الحاصرتين في ط : كما قال .
(٣) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٩) .
(٤) تحرفت في ط إلى : حراب .
(٥) في أ : منيع ؛ تحريف ، وما هنا موافق للطبقات الكبرى (٣/ ٣٤) .
(٦) مسند أبي داود الطيالسي (ص١٩) ، وهو موقوف على عليٍّ رضي الله عنه .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو يعلى(١) : حدَّثنا سويد بن سعيد ، حدَّثنا رشدين بن سعد ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة ، عن عثمان بن صهيب ، عن أبيه . قال قال علي : قال لي رسول الله ﷺ : « من أشقى الأولين ؟ » قلت : عاقر النَّاقة ، قال : « صدقتَ فمن أشقى الآخرين ؟ » قلت : لا علم لي يا رسول الله ، قال : « الذي يضربك [على هذه وأشار بيده على يافوخه فيخضب هذه من هذه ، يعني لحيته من دون رأسه قال : فكان يقول : وددت أنه قد انبعث أشقاكم] »(٢) .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد(٣) : حدَّثنا وكيع ، حدّثنا الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عبد الله بن سبُع قال : سمعت علياً يقول : لتُخْضبنَّ هذه من هذه . فما ينتظر [بي] الأشقى ؟ [فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا به نبير عترته ، قال : إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي] قالوا : فاستخلف علينا . قال : لا ، ولكن أترككم كما ترككم إلى ربه رسول الله ﷺ . قالوا : فما تقول لربك إذا لقيته ؟ قال : أقول : اللهم ، تركتني فيهم ما بدا لك . ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، إن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم .

قال أحمد(٤) : حدَّثنا أسود بن عامر ، أنبأنا أبو بكر ، عن الأعمش عن سلمة بن كهيل ، عن عبد الله بن سبُع قال :

خطبنا علي فقال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتُخْضبنَّ هذه من هذه . قال : فقال الناس : فأعلمنا منْ هو ؟ والله لنبيدنه ولنبيدن عترته(٥) . فقال : أنشدكم بالله : أن يُقتل غير قاتلي ، قالوا : إن كنت علمتَ ذلك فاستخلف ، قال : لا ولكن أكلكم إلى من وكلكم إليه رسول الله ﷺ .

تفرد به أحمد .

طريق أخرى عن علي

قال الإمام أحمد(٦) : حدَّثنا هاشم بن القاسم ، حدَّثنا محمد يعني ابن راشد ، عن عبد الله بن

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٤٨٥) وإسناده ضعيف .

(٢) من قوله : طريق أخرى عنه إلى هنا ساقط من أ . وقد أقحمت في ط . بعد هذا الخبر بخبرين منقولين عن ابن جرير الطبري بين عبد الملك بن مروان والحجاج فحذفناهما وذلك لأن موضعهما ليس هنا .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ١٣٠) وهو حديث حسن لغيره .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٦) وإسناده ضعيف .

(٥) في المسند : والله لنُبيرنه أو لنبيرن عترته .

(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٠٢) وإسناده ضعيف .

محمد بن عقيل ، عن فَضَالة بن أبي فَضَالة الأنصاري ـ وكان أبو فَضَالة[١] من أهل بدر قال : خرجت مع أبي عائداً لعليٍّ من مرض أصابه ثَقُلَ منه . فقال له أبي : ما يقيمك بمنزلك هذا لو أصابك أجلك لم يَلِكَ إلا أعراب جُهينة أو غيرهم ، تُحملُ إلى المدينة ، فإن أصابك أجلك وليكَ أصحابك وصلّوا عليك . فقال علي : إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ أني لا أموت حتى أؤمَّر ، ثم تخضبُ هذه ـ يعني لحيته ـ من هذه ـ يعني هامته ـ قال : فقتل ، وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين .

تفرد به أحمد .

ورواه البيهقي في « الدلائل »[٢] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن الحسن بن مكرم ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به .

طريق أخرى عنه

قال البزار[٣] : حدَّثنا أحمد بن أبان القرشي ، حدَّثنا سفيان بن عيينة ، حدَّثنا كوفي [لنا] يقال له عبد الملك بن أعين عن أبي حرب بن أبي الأسود ، عن أبيه قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : قال لي عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في غرز الركاب : لا تأتِ العراق فإنك إن أتيتها أصابك فيها ذباب السيف فقال : وايم الله لقد قالها ولقد قالها النبي ﷺ لي قبله . قال أبو الأسود : تالله ما رأيت رجلاً محارباً يحدث بهذا غيرك .

ثم قال البزار : لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلا علي بن أبي طالب ، ولا نعلم رواه إلا عبد الملك بن أعين عن أبي حرب ولا رواه عنه إلا ابن عيينة .

هكذا قال . وقد رأيت من الطرق المتعددة خلاف ذلك . قال البيهقي[٤] : بعد ذكر طرق من هذه الطرق : وقد روينا في كتاب السنن بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم عن أبي سنان الدؤلي عن علي في إخبار النبي ﷺ بقتله .

حديث آخر في ذلك

قال الخطيب البغدادي[٥] : أخبرني علي بن القاسم البصري ، حدَّثنا علي بن إسحاق المادَرائي [قال] : أنبأنا محمد بن إسحاق الصَّغَاني ، حدَّثنا إسماعيل بن أبان الورَّاق ، حدَّثنا أبو عبد الله

---

(١) في الأصول والمطبوع : ابن فضالة ، والتصحيح من المسند .
(٢) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٨) وهو بمعنى الذي قبله .
(٣) البحر الزخار (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠) .
(٥) تاريخ بغداد (١/ ١٣٥) في ترجمة علي بن أبي طالب .

المُحلميّ ، عن سِماك ، عن جابر بن سمرَة قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : « من أشقى الأولين ؟ » قال : عاقر الناقة ، قال : « فمن أشقى الآخرين ؟ » قال الله ورسوله أعلم ، قال : « قاتلك » .

حديث آخر في معنى ذلك

وروى البيهقي[(١)] من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ثَعْلبة الحمَّاني قال سمعت علياً على المنبر وهو يقول : « والله إنه لعهد النبي الأمي إلي أن الأمة ستغدر بك بعدي » .

قال البخاري[(٢)] : ثعلبة بن يزيد الحمَّاني في حديثه هذا نظر .

قال البيهقي[(٣)] : وقد رويناه بإسناد آخر عن علي إن كان محفوظاً .

أخبرنا أبو علي الروذباري ، أنا أبو محمد بن شَوْذَب الواسطي ، بها ، حدَّثنا شعيب بن أيوب ، حدَّثنا عمرو بن عون ، عن هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي إدريس الأزدي ، عن عليٍّ . قال : إن مما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن الأمة ستغدر بك بعدي .

قال البيهقي : فإن صح فيحتمل أن يكون المراد به والله أعلم في خروج من خرج عليه ثم في قتله .

وقال الأعمش : عن عمرو بن مرة ، عن[(٤)] عبد الله بن الحارث ، عن زهير بن الأرقم . قال : خطبنا علي يوم جمعة فقال : نبئت أن بسراً قد طلع اليمن ، وإني والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم ، وخيانتكم وأمانتهم ، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم ، قد بعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعث المال إلى معاوية لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته ، اللهم سئمتهم وسئموني ، وكرهتهم وكرهوني ، اللهم فأرحهم مني وأرحني منهم . قال : فما صلى الجمعة الأخرى حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه .

صفة مقتله رضي الله عنه

ذكر ابن جرير[(٥)] وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس : أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري ثم الكندي حليف بني حنيفة[(٦)] من كندة المصري

(١) دلائل النبوة (٦/ ٤٤٠) .
(٢) تاريخ البخاري (٢/ ٧٤) وقد تحرفت يزيد في ط إلى زيد .
(٣) دلائل النبوة (٦/ ٤٤٠) .
(٤) في ط : عمرو بن مرة بن عبد الله بن الحارث ؛ خطأ . وعمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق ؛ من رجال التهذيب .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ١٤٣) .
(٦) في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٥) : حليف بن جبلة .

وكان أسمر حسن الوجه أبلح ، شعره مع شحمة أذنيه ، وفي جبهته أثر السجود . والبُرك بن عبد الله التميمي . وعمرو بن بكر التميمي أيضاً ـ اجتمعوا فتذاكروا قتل علي إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا : ماذا نصنع بالبقاء بعدهم ؟ كانوا [من خير الناس وأكثرهم صلاة وكانوا دعاة الناس إلى ربهم] لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم [العباد و] البلاد ، وأخذنا منهم ثأر إخواننا ؟ فقال ابن ملجم : أمّا أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب . وقال البرك : وأنا أكفيكم معاوية . وقال عمرو بن بكر : وأنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه ، فأخذو أسيافهم فسمُّوها واتعدوا [أن يكون هذا الأمر] لسبع عشرة من رمضان[١] أن يبيِّت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه . فأما ابن ملجَم فسار إلى الكوفة فدخلها وكتم أمره حتى عن [قومه و] أصحابه [بها] من الخوارج الذين هم بها ، فبينما هو جالس في قوم من بني [تيم] الرباب [وهم] يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام بنت الشجنة ، قد قتل علي يوم النهروان أباها وأخاها ، وكانت فائقة الجمال مشهورة [بالحسن] ، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبد فيه ، فلما رآها ابن ملجَم سلبت عقله ونسي حاجته التي جاء لها ، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادماً وقينة . وأن يقتل لها علي بن أبي طالب . [فأجابها إلى ما شرطت عليه] قال : فهو لك ووالله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل علي [بن أبي طالب] ، فتزوجها ودخل بها ثم شرعت تحرّضه على ذلك ، وندبت له رجلاً من قومها ، من تيم الرَّباب يقال له وردان ، ليكون معه ردءاً ، واستمال عبد الرحمن بن ملجم رجلاً آخر يقال له شبيب بن نجدة الأشجعي الحروري . قال ابن ملجم : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك : قال ؟ قتل علي ، فقال : ثكلتك أمك ، لقد جئت شيئاً إدّاً[٢] كيف تقدر عليه ؟ قال أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا[٣] ، وإن قتلنا فما عند الله خير [وأبقى] من الدنيا . فقال : ويحك لو غير علي كان أهون علي ؟ قد عرفت سابقته في الإسلام وقرابته من رسول الله ﷺ فما أجدني أنشرح صدراً لقتله . فقال : أما تعلم أنه قتل أهل النهروان ؟ فقال : بلى قال : فنقتله بمن قتل من إخواننا . فأجابه إلى ذلك بعد لأيٍ ، ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت ، وقال : هذه الليلة التي واعدت [فيها] أصحابي [أن يقتل كل واحد منا فيها صاحبه الذي ذهب إليه ، ثم جاؤوا إلى قطام فدعت لهم بعصب الحرير فعصبتهم بها وكانت في المسجد][٤] فجاء هؤلاء الثلاثة ـ وهم ابن ملجم ، ووردان ، وشبيب ـ وهم مشتملون على سيوفهم

(١) في أ : من رمضان في تلك الليلة بيت كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه في بلده الذي هو فيه فيقتله .
(٢) الإدّ : الأمر الفظيع والداهية والمنكر . لقاموس (أرد) .
(٣) في أ : فأدركنا ثأر إخواننا .
(٤) مكان ما بين الحاصرتين في ط : فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو بن العاص .

[فدخلوا المسجد الجامع] فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ، فلما خرج جعل يُنهض الناس من النوم إلى الصلاة [على عادته] ويقول : الصلاة الصلاة [عباد الله] فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع [سيفه] في الطاق ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضي الله عنه ، ولما ضربه ابن ملجم قال : لا حكم إلا لله ليس لك يا علي ولا لأصحابك ، وجعل يتلو قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ونادى علي : عليكم به ، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله ، وذهب شبيب فنجا بنفسه وفات الناس ، ومُسك ابن ملجَم ، وقدّم عليّ جعدة بن هبيرة بن أبي وهب فصلّى بالناس صلاة الفجر ، وحُمل عليّ إلى منزله ، وحُمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف ـ قبحه الله ـ فقال له : أي عدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى : قال . فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته [يعني سيفه] أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال له علي : لا أراك إلا مقتولاً به ، ولا أراك إلا من شر خلق الله ، ثم قال : إن مت فاقتلوه وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به[١] . وقال جندب بن عبد الله : يا أمير المؤمنين إن مت نبايع الحسن ؟ فقال : لا آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر .

ولما احتضر علي جعل يكثر من قول لا إله إلا الله ، لا يتلفظ[٢] بغيرها . وقد قيل إن آخر ما تكلم به : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] . وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة [وغفر الذنب] وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ووصاهما بأخيهما محمد بن الحنفية ووصاه بما وصاهما به ، وأن يعظمهما ولا يقطع أمراً دونهما وكتب ذلك كله في كتاب وصيته رضي الله عنه وأرضاه .

وصورة الوصية : بسم الله الرحمن الرحيم ! هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من[٣] المسلمين ، أوصيك يا حسن وجميع ولدي [وأهلي] ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فإني سمعت أبا القاسم[٤] ﷺ يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم ليهوّن الله عليكم الحساب ، الله

---

(١) في أ : تقديم لخبر أورده الإمام أحمد وسيرد بعد صفحة من هنا .
(٢) في أ : لا ينطق .
(٣) في ط : « أول » ، وما هنا من أ ، وهو الموافق لما في تاريخ الطبري (٥/ ١٤٧) .
(٤) في أ : رسول الله .

الله في الأيتام فلا تُعنوا[١] أفواههم ، ولا يضيعُنّ بحضرتكم ، الله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ، الله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم . الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم . الله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا[٢] . الله الله في شهر رمضان فإن صيامه جُنَّة من النار . الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . الله الله في الزكاة فإنها تطفيء غضب الرب . الله الله في ذمة نبيكم ولا يُظْلمنَّ بين أظهركم[٣] . الله الله في أصحاب نبيكم فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم . الله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم . الله الله فيما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال : « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم » الصلاة الصلاة ، لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ عليكم نبيكم ، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله[٤] .

ثم لم ينطق إلَّا بلا إله إلا الله حتى قبض في شهر رمضان سنة أربعين .

وقد غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلّى عليه الحسن فكبّر عليه تسع تكبيرات .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا أبو أحمد الزّبيري ، حدَّثنا شريك ، عن عمران بن ظبيان ، عن أبي تِحيى[٦] قال : لما ضرب ابن ملجَم علياً قال لهم : افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله فقال : « اقتلوه ثم حرقوه » .

وقد روي أن أم كلثوم قالت لابن ملجم وهو واقف : ويحك ! لمَ ضربت أمير المؤمنين ؟ قال : إنما ضربت أباك، فقالت : إنه لا بأس عليه ، فقال : لمَ تبكين ؟ والله لقد ضربته ضربة لو أصابت أهل المصر لماتوا أجمعين ، والله لقد سممت هذا السيف شهراً ولقد اشتريته بألف وسممته بألف .

قال الهيثم بن عدي : حدَّثني رجل من بجيلة ، عن مشيخة قومه أن عبد الرحمن بن ملجم رأى امرأة من [بني] تيم الرّباب يقال لها قطام كانت من أجمل النساء ترى رأي الخوارج ، قد قتل عليٌّ قومها على هذا الرأي ، فلما أبصرها عشقها فخطبها فقالت : لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف [درهم] وعبد وقينة

---

(١) في ط : « تعفو » وما هنا يعضده ما في تاريخ الطبري .
(٢) في أ : فإنه يترك بكم لن تناظروا .
(٣) في ط : « ظهرانيكم » ، وما هنا من أ وتاريخ الطبري .
(٤) وإسناد هذه الوصية ضعيف معضل ، وانظر معجم الطبراني الكبير (١/ ٩٧) رقم (١٦٨) .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٩٢) وإسناده ضعيف .
(٦) في أ ، ط : يحيى ؛ تحريف .

[وقتل علي بن أبي طالب] ، فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له : يا هذا قد فرغت [من حاجتك] فافرغ [من حاجتي] فخرج ملبساً سلاحه ، وخرجت معه ، فضربت له قبة في المسجد وخرج عليٌّ يقول : الصلاة الصلاة ، فاتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر ـ قال ابن جرير : هو ابن مياس المرادي[١] : [من الطويل]

فَلَمْ أرَ مَهْراً ساقَهُ ذو سَماحةٍ   كَمهْرِ قَطامِ بَيِّناً غيرَ مُعْجَمِ[٢]
ثَلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ   وقتلُ عليٍّ بالحسامِ المُصَمَّمِ[٣]
فلا مَهْرَ أغْلَى من عليٍّ وإنْ غَلا   ولا فتكَ إلا دون فتكِ[٤] ابن ملجم

وقد عزا ابن جرير هذه الأبيات إلى ابن ميّاس المرادي وأنشد له ابن جرير[٥] في قتلهم علياً : [من الطويل]

ونحنُ ضربنا[٦] مالكَ الخيرِ حيدراً[٧]   أبا حسنٍ مأمومةً[٨] فتفطَّرا
ونحن خلعنا ملكهُ من نظامه   بضربةِ سيفٍ إذ علا وتجبَّرا
ونحنُ كرامٌ في الهياجِ[٩] أعزةٌ   إذا الموتُ بالموتِ ارتدَى وتأزَّرا

وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين في زمن التابعين وهو عمران بن حطان وكان أحد العبّاد ممن يروي[١٠] عن عائشة في صحيح البخاري[١١] فقال [يمدح ابن ملجم على قتله علياً][١٢] : [من البسيط]

يا ضربةً من تقيٍّ ما أرادَ بها   إلَّا ليبلغَ من ذي العرشِ رضوانا
إني لأذكرُهُ يوماً فأحسبهُ   أوفى البريةِ عندَ اللهِ ميزانا

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٠) وفيه اسم الشاعر : ابن أبي مياس .
(٢) في تاريخ الطبري من فصيح وأعجم .
(٣) في أ : المضهم .
(٤) في أ : والطبري : ولا قتل إلا دون قتل .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٠) .
(٦) في أ : ونحن قتلنا .
(٧) في تاريخ الطبري : يا لك الخير حيدرا .
(٨) المأمومة : الشجة التي تبلغ أم الرأس .
(٩) في تاريخ الطبري : في الصباح .
(١٠) في أ : وقد روى .
(١١) في اللباس الحديث (٥٩٥٢) عن عمران بن حطان : أن عائشة رضي الله عنها حدّثته أن النبي ﷺ لم يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه .
(١٢) بدل ما بين الحاصرتين في ط : فيه . والبيتان في الكامل للمبرد منسوبين لعمران بن حطان (٣/ ١٠٨٥) .

وأما صاحب معاوية ـ وهو البرك[(١)] ـ فإنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا[(٢)] اليوم فضربه بالسيف ، وقيل بخنجر مسموم ، فجاءت الضربة في وركه فجرحت أليته ، ومسك الخارجي فقتل ، وقد قال لمعاوية : اتركني فإني أبشرك ببشارة ، فقال : وما هي ؟ فقال : إن أخي قد قتل في هذا اليوم علي بن أبي طالب ، قال : فلعله لم يقدر عليه ، قال : بلى إنه ، لا حرس معه ، فأمر به فقتل ، وجاء الطبيب فقال لمعاوية : إن جرحك مسموم فإما أن أكويك وإما أن أسقيك شربةً فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك[(٣)] . فقال معاوية : أما النار فلا طاقة لي بها وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني . فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه واستقل[(٤)] وسَلِمَ رضي الله عنه . ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع وجعل الحرس حولها[(٥)] في حال السجود ، فكان أول من اتخذها معاوية لهذه الحادثة[(٦)] .

وأما صاحب عمرو بن العاص ـ وهو عمرو بن بكر [الخارجي] ـ فإنه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد في تلك الليلة فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة ـ وهو خارجة بن أبي حبيبة من بني عامر بن لؤي وكان على شرطة عمرو بن العاص [فحمل عليه الخارجي فقتله وهو يعتقده عمرو بن العاص ، فلما أخذ الخارجي][(٧)] قال : أردتُ عمراً وأراد الله خارجة ، فأرسلها مثلاً ، وقتل [من وقته] قبحه الله .

وقد قيل إن الذي قالها عمرو بن العاص ، وذلك حين جيء بالخارجي فقال : ما هذا ؟ قالوا قتل نائبك خارجة [فقال الخارجي والله ما أردت إلا إياك فقال عمرو : أردتني وأراد الله خارجة] ثم أمر به فضربت عنقه .

والمقصود أن عليًّا رضي الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الإمارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته ، هذا هو المشهور ، ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدرى أين ذهب فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع ، وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له ، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة ، حكاه الخطيب البغدادي[(٨)] عن أبي نعيم الحافظ ، عن أبي بكر الطلحي ، عن

---

(١) في أ : والذي ذهب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو البرك .
(٢) في أ : في يوم الجمعة أيضاً .
(٣) في أ : وينقطع النسل .
(٤) في أ : من ألمه وجراحه وانقطع نسله وسلم من ذلك ، ومن يومئذ أمر بعمل المقصورة .
(٥) في أ : وجعل الحرس حولها في حال السجود من الصلاة .
(٦) في أ : لأجل هذه الحالة .
(٧) ما بين الحاصرتين في أ : ومسك الخارجي فلما أخذوه .
(٨) تاريخ بغداد (١/ ١٣٨) .

محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ ـ مطين[١] ـ أنه قال : لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة ، هذا قبر المغيرة بن شعبة .

قال الواقدي[٢] : حدَّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر كم كان سن علي يوم قتل ؟ قال : ثلاثاً وستين سنة . قلت : أين دفن ؟ قال : دفن بالكوفة ليلاً وقد غُبي[٣] عنّي دفنه .

وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانياً وخمسين سنة ، وقد قيل إن عليًّا دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة . قاله الواقدي[٤] . والمشهور [أنه دفن] بدار الإمارة [وقيل بحائط جامع الكوفة] . وقد حكى الخطيب البغدادي[٥] : عن أبي نعيم الفضل بن دكين : أن الحسن والحسين حوَّلاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع عند قبر [زوجته] فاطمة [أمهما] . وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضل منهم فأخذته طيِّىء يظنونه مالاً فلما رأوا[٦] أن الذي في الصندوق ميت ولم يعرفوا [من هو] دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحد أين قبره ، حكاه الخطيب أيضاً .

وروى الحافظ ابن عساكر[٧] عن الحسن قال : دفنت عليًّا في حجرة من دور آل جعدة . وعن عبد الملك بن عمير قال : لما حفر خالد بن عبد الله [القسري] أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخاً مدفوناً أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأمس فهم بإحراقه ثم صرفه الله عن ذلك [إلى غيره] فاستدعى بقباطي فلفه فيها وطيبه وتركه مكانه . قالوا وذلك المكان بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد في بيت إسكاف وما يكاد يقر في ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه .

وعن جعفر بن محمد الصادق قال : صُلِّي على عليٍّ ليلاً ودفن بالكوفة وعُمِّي موضع قبره ولكنه عند قصر الإمارة .

وقال ابن الكلبي : شهد دفنه في الليل الحسن والحسين وابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وغيرهم من أهل بيتهم فدفنوه في ظاهر الكوفة وعمَّوا قبره خيفة عليه من الخوارج وغيرهم .

وحاصل الأمر أن عليًّا قتل يوم الجمعة سحراً وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين وقيل إنه قتل في ربيع الأول والأول هو الأصح الأشهر والله أعلم . ودفن بالكوفة عن ثلاث وستين سنة وصححه

---

(١) في أ : خطير ، وفي ط : مطر ، وما هنا عن تاريخ بغداد .
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٩١) .
(٣) التغبية : الستر . القاموس (غبب) .
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٩١) .
(٥) تاريخ بغداد (١/ ١٣٧ ـ ١٣٨) .
(٦) في أ : عرفوا .
(٧) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٣٧٥) .

الواقدي وابن جرير[١] وغير واحدٍ ، وقيل عن خمس وستين وقيل عن ثمان وستين سنة رضي الله عنه . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر . فلما مات علي رضي الله عنه استدعى الحسن بابن ملجم فقال له ابن ملجم[٢] : إني أعرض عليك خصلة قال : وما هي ؟ قال : إني كنت عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل عليًّا ومعاوية أو أموت دونهما ، فإن خليتني ذهبت إلى معاوية على أني إن لم أقتله أو قتلته وبقيت فلله عليَّ أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك [إن أردت أن تقتل وإن أردت أن تعفو] فقال له الحسن : كلا والله حتى تعاين النار ، ثم قدمه فقتله ثم أخذه الناس فأدرجوه في بواري ثم أحرقوه بالنار[٣] .

وقد قيل إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ . . . ﴾ إلى آخرها ثم جاؤوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال : إني أخشى أن تمر عليَّ ساعة لا أذكر الله فيها ثم قطعوا لسانه ثم قتلوه ثم حرقوه في قوصرة[٤] والله أعلم .

وروى ابن جرير قال : حدَّثني الحارث حدَّثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال : ضرب علي يوم الجمعة فمكث يوم الجمعة ، وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة .

قال الواقدي[٥] : وهو الثبت عندنا والله أعلم بالصواب .

[فصل في] ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم

قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا حجاج ، حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هانيء بن هانيء ، عن علي قال : لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال : « أروني ابني ، ما سمَّيتموه ؟ » فقلت : سميته حرباً ، فقال : « بل هو حسن » فلما ولد الحسين قال : « أروني ابني ، ما سمَّيتموه ؟ » فقلت : سميته حرباً قال : « بل هو حسين » فلما ولد الثالث جاء النبي ﷺ فقال : « أروني ابني ما سميتموه ؟ » فقلت حرباً فقال : « بل هو مُحسِّن » ثم قال : « إني سميتهم باسم ولد هارون شبَّر وشبير ومُشبِّر » .

وقد رواه محمد بن سعد[٧] عن يحيى بن عيسى التميمي[٨] ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٥١) .
(٢) في أ : فلما مات علي استدعى الحسن بن علي بابن ملجم ، فلما وقف بين يديه قال . .
(٣) في هامش أ : مطلب قتل الحسن بن أمير المؤمنين علي قاتل أبيه ابن ملجم . .
(٤) القَوْصرة والقَوْصَرَّة : مخفف ومُثَقل ؛ وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري . اللسان (قصر) .
(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٨) وتاريخ الطبري (٥/ ١٥٢) .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١١٨) وإسناده ضعيف ، لجهالة هانيء بن هانيء ، كما في « تحرير التقريب » .
(٧) لم أجده في الطبقات وهو بتمامه في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٧) .
(٨) في ط : التيمي ؛ خطأ .

قال قال علي : كنت رجلاً أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً ، فذكر الحديث بنحو ما تقدم لكن لم يذكر الثالث . وقد ورد في بعض الأحاديث أن علياً سمى الحسن أولاً بحمزة وحسيناً بجعفر فغير اسميهما رسول الله ﷺ .

فأول زوجة تزوجها علي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له الحسن وحسيناً ويقال ومحسناً ومات [محسن] وهو صغير ، وولدت له زينب الكبرى وأم كلثوم [الكبرى] وهذه تزوج بها عمر بن الخطاب كما تقدم . ولم يتزوج علي على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر ، فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة ، منهن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها ، وتوفي عن أربع كما سيأتي .

فمن زوجاته أم البنين بنت حزام وهو أبو المجل[١] بن خالد بن ربيعة بن كعب بن عامر بن كلاب فولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان . وقد قتل هؤلاء مع أخيهم الحسين بكربلاء ولا عقب لهم سوى العباس .

ومنهن ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم فولدت له عبيد الله وأبا بكر ، وقال هشام بن الكلبي : وقد قتلا بكربلاء أيضاً . وزعم الواقدي : أن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم الدار .

ومنهن أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له يحيى ومحمداً الأصغر قاله الكلبي . وقال الواقدي : ولدت له يحيى وعوناً ؛ قال الواقدي : فأما محمد الأصغر فمن أم ولد .

ومنهن أم حبيبة بنت ربيعة بن بجير[٢] بن العبد بن علقمة وهي أم ولد من السبي الذين سباهم خالد [بن الوليد] من بني تغلب حين أغار على عين التمر فولدت له عمر ـ وقد عمر خمساً وثمانين[٣] سنة ـ ورقية .

ومنهن أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتِّب[٤] بن مالك الثقفي فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى .

ومنهن ابنة امرىء القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب الكلبية فولدت له جارية ، فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها : من أخوالك ؟ فتقول : وه وه تعني بني كلب .

---

(١) في ط : « بنت حرام ، وهو المحل » ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الطبري (٥/ ١٥٤) .

(٢) في ط : « زمعة بن بحر » وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الطبري .

(٣) في ط : وثلاثين ؛ وما هنا عن المصدرين السابقين .

(٤) في ط : « مغيث » ، محرف ، وانظر ترجمة عروة بن مسعود في الاستيعاب (٣/١٠٦٦) ، والإصابة (٢/ ٤٧٧) وقال : « معتب بالمهملة والمثناة المشددة » .

ومنهن أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس[١] بن عبد مناف بن قصي وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ ـ وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها وهو في الصلاة إذا قام حملها وإذا سجد وضعها ـ فولدت له محمداً الأوسط ، وأما ابنه محمد الأكبر فهو ابن الحنفية وهي خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، سباها خالد أيام الصديق أيام الردة من بني حنيفة فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له محمداً هذا ، ومن الشيعة من يدَّعي به الإمامة والعصمة ، وقد كان من سادات المسلمين ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم بل ولا من هو أفضل من أبيه من الخلفاء الراشدين قبله ليسوا بواجبي العصمة كما هو مقرر في موضعه ، والله أعلم .

وقد كان لعلي أولاد كثيرة آخرون من أمهات أولاد شتى فإنه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية رضي الله عنه .

فمن أولاده رضي الله عنهم ممن لا يعرف أسماء أمهاتهم : أم هانىء ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الكبرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم جعفر ، وأم سلمة ، وجمانة .

قال ابن جرير[٢] : فجميع ولد علي أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة أنثى .

قال الواقدي[٣] : وإنما كان النسل من خمسة وهم الحسن والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس بن الكلابية ، وعمر بن التغلبية رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال ابن جرير[٤] : حدَّثني ابن سنان القزّاز ، حدَّثنا أبو عاصم[٥] ، حدثنا سُكين بن عبد العزيز ، أخبرنا جعفر[٦] بن خالد ، حدَّثني أبي خالد بن جابر قال : سمعت الحسن لما قتل علي قام خطيباً ،

---

(١) في الطبري : الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس . .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٥) .
(٣) الطبقات الكبرى (٦/ ١٤) .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٧) .
(٥) قوله : « حدثنا أبو عاصم » سقط من ط ، هو الضحاك بن مخلد ، وابن سنان هو محمد بن سنان .
(٦) في ط : « حفص » بدل جعفر ، وما أثبتناه من أ وهو الموافق لما في مسند أبي يعلى (٦٧٥٧) وسيشير المصنف إليه لاحقاً ، وهو بلا شك اختيار المصنف ، وإن كان مخالفاً لما في كتب الرجال وللصواب ، فقد ترجم ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ الترجمة ١٤٥٤) لخالد بن جابر فقال : « روى عن الحسن بن علي ، ووى عنه ابنه حفص بن خالد بن جابر »، وترجم في حرف الحاء المهملة لحفص (٣/ الترجمة ٧٣٨) فقال : « حفص بن خالد بن جابر، روى عن أبيه، روى عنه سكين بن عبد العزيز ». وكذلك هو في تاريخ البخاري الكبير، وثقات ابن حبان. وحين ترجم المزي لسكين بن عبد العزيز في تهذيب الكمال (١١/ ٢٠٩) ذكر في الرواة عنه حفص بن خالد بن جابر ، ولم يذكر جعفراً ، فتبين أن الصواب فيه أنه « حفص » وليس جعفر ، وإنما انتقل الوهم إلى المصنف من أبي يعلى . (بشار) .

فقال : لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن ، ورفع فيها عيسى ابن مريم ، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى ، والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده ، والله إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه في السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمئة أو سبعمئة أرصدها لخادم(١) . وهذا غريب جداً وفيه نكارة ، والله أعلم .

وهكذا رواه أبو يعلى(٢) : عن إبراهيم بن الحجاج ، عن سكين به .

وقال الإمام أحمد(٣) : حدَّثنا وكيع ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن هُبيرة قال : خَطَبنا الحسن بن علي قال : لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ، ولا يدركه الآخرون ، وكان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية ، جبريلُ عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يُفتح له . ورواه زيد العمِّي وشعيب(٤) بن خالد عن أبي إسحاق به وقال : ما ترك إلا سبعمئة كان أرصدها ليشتري بها خادماً . وقال الإمام أحمد(٥) : حدَّثنا حجاج ، حدَّثنا شريك ، عن عاصم بن كليب(٦) ، عن محمد بن كعب القرظي ، أن علياً قال : لقد رأيتني مع رسول الله وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقتي اليوم لتبلغ أربعين ألفاً . ورواه(٧) عن أسود ، عن شريك به وقال : إن صدقتي لتبلغ أربعين ألف دينار .

[باب ذكر] شيء من فضائل (أمير المؤمنين) علي بن أبي طالب رضي الله عنه

من ذلك أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً من رسول الله ﷺ فإنه علي بن أبي طالب [وأبو طالب اسمه عبد مناف] بن عبد المطلب ـ واسمه شيبة ـ بن هاشم ـ واسمه عمرو ـ بن عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ بن قصي ـ واسمه زيد ـ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن القرشي الهاشمي فهو ابن عم رسول الله ﷺ [أبوه أخو أبيه] وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

---

(١) في الطبري : أو سبعمئة أرصدها لخادمه ، وفي ط : لحادثة .
(٢) مسند أبي يعلى (٦٧٥٨) ، وإسناده ضعيف .
(٣) في مسنده (١/ ١٩٩) وهو حديث حسن .
(٤) في أ : عن شعيب .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٩) وإسناده ضعيف .
(٦) تحرفت في ط إلى : كريب .
(٧) مسند أحمد (١/ ١٥٩) ، وإسناده ضعيف .

قال الزبير بن بكار[١] : وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً . وقد أسلمت وهاجرت .

وأبوه هو العم الشقيق الرفيق أبو طالب واسمه عبد مناف كذا نص[٢] على ذلك الإمام أحمد بن حنبل هو وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس . وزعمت الروافض أن اسم أبي طالب عمران وأنه المراد من قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] وقد أخطؤوا في ذلك خطأً كثيراً ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول في تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى ، فإنه قد ذكر بعد هذه قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران : ٣٥] فذكر ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام وهذا ظاهر ولله الحمد .

وقد كان أبو طالب كثير المحبة الطبيعية لرسول الله ﷺ ولم يؤمن به إلى أن مات على دينه كما ثبت ذلك في صحيح البخاري[٣] من رواية سعيد بن المسيب ، عن أبيه في عرضه عليه الصلاة والسلام على عمه أبي طالب وهو في السياق أن يقول : لا إله إلا الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول : « أما لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك » فنزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] ثم نزل بالمدينة قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٣ ـ ١١٤] وقد قررنا ذلك في أوائل المبعث ونبهنا على خطأ الرافضة في دعواهم أنه أسلم ، وافترائهم ذلك بلا دليل على مخالفة النصوص الصريحة[٤] .

وأما علي رضي الله عنه فإنه أسلم قديماً وهو دون البلوغ على المشهور ، ويقال : إنه أول من أسلم من الغلمان ، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي .

وقد روى الترمذي وأبو يعلى[٥] : عن إسماعيل بن السدّي ، عن علي بن عابس[٦] ، عن مسلم

---

(١) نسب قريش (ص٤٠) .

(٢) في هامش أ : مطلب الاختلاف في اسم أبي طالب الذي ابنه علي هل هو عبد مناف على ما نصه الإمام أحمد أم عمران كما ذهب إليه الروافض .

(٣) صحيح البخاري (١٣٦٠) في الجنائز .

(٤) في أ : الصحيحة .

(٥) جامع الترمذي (٣٧٢٨) في المناقب ، عن مسلم الملائي ، عن أنس ، ومسند أبي يعلى الموصلي (٤٢٠٨) وقال الترمذي : هذا حديث غريب (يعني : ضعيف) .

(٦) في ط : « عياش » محرف ، وهو من رجال التهذيب .

الملائي[١] ، عن أنس بن مالك قال : بُعث رسول الله يوم الاثنين ، وصلَّى وعليٌّ يوم الثلاثاء . ورواه بعضهم عن مسلم الملائي ، عن حَبَّة بن جُوين ، عن علي - وحَبَّة لا يساوي حَبَّة -

وقد روى سلمة بن كهيل ، عن حَبَّة ، عن علي قال : عبدت الله مع رسول الله سبع سنين قبل أن يعبده أحد .

وهذا لا يصح أبداً وهو كذب .

وروى سفيان الثوري وشعبة ، عن سلمة ، عن حبَّة عن علي قال : أنا أول من أسلم ، وهذا لا يصح أيضاً وحبة ضعيف .

وقال سويد بن سعيد : حدَّثنا نوح بن قيس عن[٢] سليمان بن عبد الله ، عن معاذة العدوية قالت : سمعت علي بن أبي طالب على منبر البصرة يقول : أخبرنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم .

وهذا لا يصح ، قاله البخاري[٣] .

وقد ثبت عنه بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة : أيها الناس : إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت[٤] . وقد تقدم ذلك في فضائل الشيخين رضي الله عنهما وأرضاهما .

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا سليمان بن داود ، حدَّثنا أبو عَوَانة ، عن أبي بَلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس قال : أول من صلى - وفي رواية أسلم - مع رسول الله ﷺ بعد خديجة علي بن أبي طالب .

ورواه الترمذي[٦] من حديث شعبة ، عن أبي بلْجٍ به .

وقد روي عن زيد بن أرقم وأبي أيوب الأنصاري أنه صلى قبل الناس بسبع سنين وهذا لا يصح من أي وجه كان روي عنه . وقد ورد في أنه أول من أسلم من هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يصح منها شيء ، وأجود ما في ذلك ما ذكرناه على أنه قد خولف فيه ، وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في

---

(١) في ط بعد هذا : « عن حبة بن جُوين ، عن علي ، وحبه لا يساوي حبة » ولا مكان لها هنا ، فهي مكررة لما يأتي .
(٢) في ط : « بن » ، وهو تحريف ظاهر .
(٣) في تاريخه الكبير (٤/ الترجمة ١٨٣٥) في ترجمة سليمان بن عبد الله .
(٤) في أ : ولو شئت أن أقول الثالث لقلت .
(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٧٣) وإسناده ضعيف .
(٦) سنن الترمذي (٣٧٣٤) في المناقب وقال الترمذي : حديث غريب ، يعني ضعيف .

« تاريخه »[١] بتطريق هذه الروايات ، فمن أراد كشف ذلك فعليه بكتابه التاريخ والله الموفق للصواب .

وقد روى الترمذي والنسائي [من حديث شعبة][٢] عن عمرو بن مُرَّة ، عن طَلْحة بن يزيد[٣] ، عن زيد بن أرقم قال : أوَّلُ من أسلم عليٌّ . قال الترمذي : حسن صحيح .

وصحبَ عليٌّ رسول الله ﷺ مدة مقامه بمكة ، وكان عنده في المنزل[٤] وفي كفالته في حياة أبيه [أبي طالب] لفقر حصل لأبيه في بعض السنين مع كثرة العيال ، ثم استمر في نفقة رسول الله ﷺ بعد ذلك إلى زمن الهجرة ، وقد خلفه رسول الله ﷺ ليؤدي ما كان عنده عليه السلام من ودائع الناس ، فإنه كان يُعرف في قومه بالأمين ، فكانوا يودعونه (الأموالَ و) الأشياءَ النفيسةَ ثم هاجرعليٌّ بعد رسول الله ﷺ وصحب[٥] رسولَ الله ﷺ إلى أن توفي وهور اضٍ عنه وحضر معه مشاهده كلها وجرت له مواقف شريفة بين يديه في مواطن الحرب (كما بينَّا ذلك في السيرة بما أغنى عن إعادته هاهنا ، كيوم بدر وأحد والأحزاب وغيرها وخيبر ، ولما) استخلفه عامَ تبوكٍ على أهله بالمدينة قال (له) « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي »[٦] وقد ذكرنا تزويجة فاطمة بنت رسول الله ودخوله بها بعد وقعة بدر بما أغنى عن إعادته .

ولما رجع عليه السلام من حجة الوداع فكان بين مكة والمدينة بمكان يقال له غدير خم خطب الناس هنالك في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة فقال في خطبته : « من كنت مولاه فعلي مولاه »[٧] وفي بعض الروايات : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » والمحفوظ الأول ، وإنما كان سبب هذه الخطبة والتنبيه على فضله ما ذكره ابن إسحاق من أن علياً (لما) بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن أميراً هو وخالد بن الوليد ورجع علي فوافى رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع وقد كثرت فيه المقالة[٨] وتكلم فيه بعض من كان معه بسبب استرجاعه منهم خلعاً كان خلعها نائبه عليهم لما تعجل السير إلى رسول الله ﷺ ، فلما تفرغ رسول الله من حجة الوداع أحب أن يبرىء ساحة علي مما نسب إليه من القول الذي لا أصل له ، وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً ، فكانت تضرب فيه الطبولَ

---

(١) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ٤١ وما بعدها) .
(٢) سنن الترمذي (٣٧٣٥) في المناقب ، والنسائي في فضائل الصحابة (٣٤) ، وتقدم ذكره في ص(٣٩٢) من رواية أحمد .
(٣) في الأصول والمطبوع : طلحة بن زيد ، وهو خطأ .
(٤) في أ : منزله .
(٥) في ا : ثم هاجر علي بعده وصحب .
(٦) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٨٢) والبخاري في صحيحه (٤٤١٦) في المغازي ، ومسلم في صحيحه (٢٤٠٤) في فضائل الصحابة .
(٧) للحديث طرق متعددة وزيادات ، وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٨٤ و١١٨ و١١٩) وهو حديث صحيح بطرقه .
(٨) في أ : فرجع علي فوافى حجة الوداع مع النبي ﷺ وقد كثرت فيه القالة .

ببغداد في أيام بني بويه في حدود الأربعمئة (كما سننبه عليه إذا انتهينا إليه إن شاء الله) .

ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تعلق المسوح على أبواب الدكاكين ويذَرُّ التبن والرماد ، وتدور الذراري والنساء في سكك البلد تنوح على الحسين بن علي يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصرع المكذوب في قتله(١) ، وسنبين الحق في صفة قتله كيف وقع الأمر على الجلية إن شاء الله تعالى .

وقد كان بعض بني أمية يعيب علياً بتسميته(٢) أبا تراب ، وهذا الاسم إنما سماه به رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين(٣) عن سهل بن سعد أن علياً غاضبَ فاطمةَ فراحَ إلى المسجد ، فجاء رسول الله ﷺ فوجده نائماً وقد لصق التراب بجلده فجعل ينفض عنه التراب ويقول : « اجلس أبا تراب(٤) » .

حديث المؤاخاة

قال الحاكم : حدَّثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد ، حدَّثنا الحسين(٥) بن جعفر القرشي ، حدَّثنا العلاء بن عمرو الحنفي ، حدَّثنا أيوب بن مدرك ، عن مكحول ، عن أبي أمامة قال : لما آخى رسول الله ﷺ بين الناس آخى بينه وبين علي . ثم قال الحاكم : لم نكتبه من حديث مكحول إلا من هذا الوجه ، وكان المشايخ يعجبهم هذا الحديث لكونه من رواية أهل الشام .

قلت : وفي صحة هذا الحديث نظر .

وورد من حديث(٦) أنس وعمر أن رسول الله ﷺ قال : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » .

وكذلك من طريق زيد بن أبي أوفى ، وابن عباس ، ومخدوج بن زيد الذهلي ، وجابر بن عبد الله ، وعامر بن ربيعة ، وأبي ذر ، وعلي نفسه نحو ذلك ، وأسانيدها كلها ضعيفة لا يقوم بشيء منها حجة والله أعلم .

وقد جاء من غير وجه أنه قال : أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدي إلا كذاب(٧) .

---

(١) في أ : المسوح السود على أبواب الدكاكين ، وتذر التبن والرماد في الطريق وتدور النساء في سكك البلد ينحن على الحسين بن علي يوم عاشوراء صبح قراءتهم المصرع المكذوب في مقتل الحسين .

(٢) في أ : يعيب على عليّ في تسميته .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤٤١) في الصلاة و(٣٧٠٣) في فضائل الصحابة ، ومسلم في صحيحه (٢٤٠٩) (٣٨) في فضائل الصحابة .

(٤) في هامش أ التعليقة التالية بخط مغاير : فيه إشارة إلى الفرق بن القعود والجلوس ؛ فإن القعود إنما يكون بعد القيام ، والجلوس بعد الرقود على هذا قال هكذا !

(٥) في أ : حدَّثنا أبو بكر بن محمد حدَّثنا الحسين .

(٦) في ط : من طريق .

(٧) في أ : لا يقول بعدي إلا كاذب قال . .

وقال الترمذي[١] ؛ حدَّثنا يوسف بن موسى القَطّان البغدادي ، حدَّثنا عليُّ بن قادم ، حدَّثنا عليُّ بن صالح بن حَيٍّ ، عن حَكيم بن جُبير[٢] ، عن جميع بن عُمير التَّيمي ، عن ابن عمر قال : آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد ، فقال رسول الله ﷺ : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » ثم قال : هذا حديث حسن غريب [وفي الباب] عن زيد بن أبي أوْفى .

وقد شهد [علي] بدراً . وقد قال رسول الله لعمر : « وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلعَ على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[٣] ؟ وبارز يومئذ كما تقدم وكانت له اليد البيضاء ودفع إليه رسول الله ﷺ الراية يومئذ وهو ابن عشرين سنة قاله الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس . قال : وكانت تكون معه راية المهاجرين في المواقف كلها ، وكذلك قال سعيد بن المسيب وقتادة .

وقال خيثمة بن سليمان الأطرابلسي الحافظ : حدَّثنا أحمد بن حازم ، عن ابن أبي غرزة ، حدَّثنا إسماعيل بن أبان ، حدَّثنا ناصح بن عبد الله المحلمي[٤] ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة قال : قالوا : يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة ؟ قال : « ومن عسى أن يحملها يوم القيامة إلَّا من كان يحملها في الدنيا علي بن أبي طالب » ؟ وهذا إسناد ضعيف .

ورواه ابن عساكر[٥] عن أنس بن مالك ، ولا يصح أيضاً .

وقال الحسن بن عرفة : حدَّثني عمار بن محمد ، عن سعيد بن محمد الحنظلي ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال نادى مناد في السماء يوم بدر : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . قال الحافظ ابن عساكر[٦] : وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار[٧] يوم بدر ثم وهبه لعلي بعد ذلك .

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٢٠) في المناقب ، وإسناده ضعيف .

(٢) في أ : حكيم بن حسين .

(٣) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٠٥) والبخاري في صحيحه (٣٠٨١) في الجهاد ، ومسلم (٢٤٩٢) في فضائل الصحابة .

(٤) في أ : المحلي ؛ خطأ .

(٥) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥) .

(٦) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ١٥٨) .

(٧) في هامش أ التعليقة التالية بخط مغاير : اعلم أن من يقول إن ذا الفقار لعلي يوم بدر وهو يجتهد به في القتال بأن يستدل بعطف الفقرة الثانية على الأولى لا بيد رسول الله في ذلك اليوم . ويقول ابن عساكر : فإنه لرسول الله يوم بدر وهو بيده يباشر القتال بنفسه ثم وهبه من علي بعد ذلك فتحقق التنافي بينهما . لكني أقول : يمكن التطبيق بالمطابقة الأخرى بل هي أولى مما قيل بأن يقال : ليس لذي الفقار نظير في السيوف لا سيما بيد رسول الله كما لا نظير لعلي في القوة والشجاعة ، لا سيما شاباً ولا موجب لاتحادهما في ذات وزمان بل يكفي حصول علمهما عند القائل فلا منافاة بينهما فليتأمل . لمحرره .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني علي بن المغيرة ، عن معمر بن المثنى قال : كان لواء المشركين يومَ بدرٍ مع طلحة بن أبي طلحة فقتله عليُّ بن أبي طالب ففي ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي : [من الكامل]

للهِ أيّ مــذنــبٍ عــن حَــرْبــهِ ... أعني ابنَ فـاطمـةَ المعمّ المخـولا

جـادتْ يـداكَ لـهُ بعـاجـلِ طعنةٍ ... تـركـتْ طليحـةَ للجبيـنِ مجنـدلا

وشـددتَ شـدَّة بـاسـلٍ فكشفتهُـمْ ... بـالحـقِّ إذ يهـوونَ أخـولَ أخـولا

وعللتَ سيفكَ بالدماءِ ولم تكنْ ... لتـردّهُ حـرَّانَ حتـى ينهـلا[1]

وشهد بيعة الرضوان وقد قال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] وقال رسول الله ﷺ : « لن يدخل أحدٌ بايعَ تحتَ الشجرة النار » . وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسوله ويحبه اللهُ ورسولُه ، ليس بفرّار يفتح الله على يديه » فبات الناس يدوكون[2] أيهم يعطاها حتى قال عمر : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، فلما أصبح أعطاها علياً ففتح الله على يديه .

ورواه جماعة منهم مالك ، والحسن ، ويعقوب بن عبد الرحمن ، وجرير بن عبد الحميد ، وحمّاد بن سلَمة ، وعبد العزيز بن المختار ، وخالد بن عبد الله بن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أخرجه مسلم[3] .

ورواه ابن أبي حازم [عن أبي حازم] عن سهل بن سعد ، أخرجاه في الصحيحين[4] وقال في حديثه : فدعا به رسول الله وهو أرمد فبصق في عينيه فبرأ .

ورواه إياس بن سَلَمة بن الأكوع ، عن أبيه ، ويزيد بن أبي عبيد ، عن مولاه سلمة أيضاً وحديثه عنه في الصحيحين[5] .

وقال محمد بن إسحاق : حدَّثني بريدة ، عن سفيان ، عن أبي فَرْوة الأسلمي ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصديق برايته إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه

---

(١) البيت في الإصابة (١/ ٣١٣) وشطره الثاني : لترده في جرابه حتى ينهلا .

(٢) يدوكون : أي يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه . النهاية (٢/ ١٤٠) .

(٣) صحيح مسلم (٢٤٠٥) في فضائل الصحابة .

(٤) صحيح البخاري (٣٧٠١) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٤٠٦) (٣٤) في فضائل الصحابة .

(٥) صحيح البخاري (٢٩٧٥) في الجهاد والسير ، وصحيح مسلم (٢٤٠٧) (٣٥) في فضائل الصحابة .

ليس بفرَّار » قال سَلَمة : فدعا رسول الله علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ، قال سلمة : فخرج والله بها يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رجم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : علي بن أبي طالب ، قال اليهودي : غلبتم ومن أنزل التوراة على موسى قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقد رواه عكرمة بن عمار ، عن عطاء مولى السائب ، عن سَلَمة بن الأكوع وفيه أنه هو الذي جاء به يقوده وهو أرمد حتى بصق رسول الله في عينيه فبرأ .

رواية بريدة بن الحصيب :

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا زيد بن الحباب ، حدَّثنا الحسين بن واقد ، حدَّثني عبد الله بن بريدة حدَّثني بريدة بن الحصيب قال : حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ، ثم أخذه من الغد عمر[٢] فخرج فرجع ولم يفتح له ؛ وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله ﷺ : « إني دافع اللواء[٣] غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له » وبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً قال : فلما أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة ، ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء ففتح له ، قال بريدة : وأنا فيمن تطاول لها . ورواه النسائي[٤] من حديث الحسين بن واقد به أطول منه ، ثم رواه أحمد[٥] : عن محمد بن جعفر وروح كلاهما ، عن عوف ، عن ميمون أبي عبد الله الكردي ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه به نحوه ، وأخرجه النسائي[٦] عن بندار وغندر به ، وفيه الشعر .

رواية عبد الله بن عمر :

ورواه هشيم : عن العوام بن حَوْشب ، عن حَبيب بن أبي ثابت ، عن ابن عمر فذكر سياق حديث بريدة .

ورواه كثير النَّواء : عن جُمَيْع بن عمير[٧] ، عن ابن عمر نحوه وفيه : قال علي : فما رمدت بعد يومئذ . ورواه أحمد : عن وكيع ، عن هشام بن سعد ، عن عمر بن أسيد ، عن ابن عمر كما سيأتي .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٣) .
(٢) في أ : عمر بن الخطاب فخرج ثم رجع .
(٣) في أ : الراية .
(٤) السنن الكبرى (٥/ ١٠٩) رقم (٨٤٠٢) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٨) .
(٦) السنن الكبرى (٥/ ١٠٩) رقم (٨٤٠٣) في الخصائص .
(٧) في أ : عمر ؛ خطأ . وجميع بن عمير من رجال التهذيب .

رواية ابن عباس :

وقال أبو يعلى : حدَّثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدَّثنا أبو عوانة ، عن أبي بَلْج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » فقال : « أين علي ؟ » قالوا : يطحن ، قال : « وما أحد منهم يرضى أن يطحن » فأتى به فدفع إليه الراية فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب . وهذا غريب من هذا الوجه وهو مختصر من حديث طويل .

ورواه الإمام أحمد[1] : عن يحيى بن حماد ، عن أبي عوانة ، عن أبي بَلْج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس فذكره بتمامه .

فقال الإمام أحمد : عن يحيى بن حماد ، حدَّثنا أبو عوانة ، حدَّثنا أبو بَلْج ، حدَّثنا عمرو بن ميمون قال : إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا : يا بن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء ؟ فقال : بل أقوم معكم ـ وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى ـ قال : وابتدؤوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال فجاء ينفض ثوبه ويقول : أف وتف ، وقعوا في رجل له عشر وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ : « لأبعثنَّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحبُّ اللهَ ورسوله » قال : فاستشرف لها منِ استشرف قال : « أين عليٌّ ؟ قالوا : هو في الرحا يطحن ، قال : وما كان أحدكم ليطحن » قال : فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر فنفث في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاها إياه فجاء بصفية بنت حيي (بن أخطب) قال . ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه قال : « لا يذهب بها إلا رجل منّي وأنا منه » . قال وقال لبني عمه : « أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ » فأبوا (قال : وعلي معه جالس) فقال علي : أنا أواليك في الدنيا والآخرة قال فتركه ثم أقبل على رجال منهم فقال : « أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ » فأبوا فقال علي : أنا أواليك في الدنيا والآخرة فقال : « أنت وليّي في الدنيا والآخرة » قال : وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة ، قال : وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على عليّ وفاطمة وحسن وحسين فقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] قال: وشرى عليٌّ نَفْسَه ، لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه ، وقال وكان المشركون يرومون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم وأبو بكر يحسب أنه نبي الله فقال : يا نبيَّ الله ! فقال له علي : إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمونة فأدْرِكْهُ ، قال : فانطلقَ أبو بكر فدخلَ معه الغارَ قال : وجعل عليٌّ يُرْمىٰ بالحجارة كما كان يُرْمي رسول الله ﷺ وهو يتضرر وقد لفَّ رأسَه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا : إنك للئيم[2] كان صاحبك نرميه فلا يتضوّر[3] وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك ، قال : وخرج ـ يعني رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ـ فقال

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٣١) رواه الحاكم بطوله (٣/ ١٣٢) وصححه ، وفي إسناده ضعف بهذا السياق ، ولبعض فقراته شواهد .

(٢) في ط : إنك لئيم ، وما هنا عن المسند .

(٣) في ط : يتضرر ، وما هنا عن أ والمسند .

له علي : أخرج معك ؟ فقال له النبي ﷺ : « لا » ! فبكى علي فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون بن موسى إلا أنّك لست بنبي؟ إنه لاينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي» قال: وقال له رسول الله ﷺ: « أنت وليي [في] كل مؤمن بعدي » قال : وسدَّ أبواب المسجد غيرَ باب علي قال فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره ، قال: وقال: « من كنت مولاه فإنَّ علياً مولاه » قال : وأخبرنا الله في القرآن أنه قد رضي عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم ، فهل حُدِّثنا أنه سخط عليهم بعد . قال : وقال نبي الله ﷺ لعمر حين قال : ائذن لي أن أضرب عنق هذا المنافق ـ يعني حاطب بن أبي بلتعة ـ قال[1] : « وما يدريك لعل الله قد اطلع [على] أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

وقد روى الترمذي[2] بعضه من طريق شعبة ، عن أبي بَلْج يحيى بن أبي سليم واستغربه .

وأخرج النسائي[3] بعضه أيضاً عن محمد بن المثنى ، عن يحيى بن حماد به .

وفي رواية عمران :

قال البخاري في التاريخ : حدَّثنا عمر بن عبد الوهاب الرياحي ، حدَّثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن منصور ، عن ربعي ، عن عمران بن حصين . قال قال رسول الله ﷺ : « لأدفعنَّ الرايةَ إلى رجلٍ يحبُّ اللهَ ورسولهُ ويحبه اللهُ ورسولهُ » فبعث إلى عليٍّ وهو أرمد فتفلَ في عينيه وأعطاه الرايةَ فما ردّ وجهه وما اشتكاهما بعد .

ورواه أبو القاسم البغوي : عن إسحاق بن إبراهيم ، (عن) أبي موسى الهروي ، عن علي بن هاشم ، عن محمد بن علي ، عن منصور ، عن ربعي ، عن عمران فذكره .

وأخرجه النسائي[4] عن عباس العنبري ، عن عمر بن عبد الوهاب به .

رواية أبي سعيد في ذلك :

قال الإمام أحمد[5] : حدَّثنا مصعب بن المقدام ، وحجين بن المثنى قالا : حدَّثنا إسرائيل ، حدَّثنا عبد الله بن عصمة قال سمعت أبا سعيد الخُدْري يقول : إنَّ رسولَ الله ﷺ أخذ الراية فهزّها ثم قال : « من يأخذها بحقها » فجاء فلان فقال : أنا ، فقال : « امض »[6] ثم جاء رجل آخر فقال أنا ، فقال : « امض »

---

(١) في أ : والمسند زيادة : « أو كنت فاعلاً ؟ » .
(٢) سنن الترمذي (٣٧٣٤) في المناقب .
(٣) السنن الكبرى (٥/ ١١٢ ـ ١١٣) رقم (٨٤٠٩) في الخصائص .
(٤) فضائل الصحابة (ص١٦) طبعة دار الكتب العلمية .
(٥) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٦) ، وإسناده ضعيف .
(٦) في المسند : أمط .

ثم قال النبي ﷺ : « والذي أكرم[١] وجه محمد لأعطينّها رجلاً لا يفرّ ، فجاء[٢] عليٌّ » فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتهما وقديدهما .

ورواه أبو يعلى[٣] عن حسين بن محمد ، عن إسرائيل وقال في سياقه : فجاء الزبير فقال أنا فقال : « امض » ثم جاء آخر فقال : « امض » وذكره ، تفرد به أحمد .

رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك :

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا وكيع ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : كان أبي يَسْمُر[٥] مع علي [وكان عليّ][٦] يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له لو سألته ؛ فسأله فقال : إن رسول الله ﷺ بعث إليَّ وأنا أرمد العين يومَ خيبر فقلت يا رسول الله ، إني أرمدُ العين فتفل في عيني فقال : « اللهم أذهب عنه الحر والبرد » فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ ، وقال : « لأعطين الراية رجلاً يحب اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسولُه ، ليس بفرَّار » فتشرف لها أصحاب النبي ﷺ ، فأعطانيها . تفرد به أحمد .

وقد رواه غيرُ واحد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن علي به مطولاً . وقال أبو يعلى[٧] : حدَّثنا زهير ، حدَّثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أم موسى قالت سمعت علياً يقول : ما رَمِدْتُ ولا صُدِعْتُ منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي وتَفَل في عيني يوم خيبر وأعطاني الراية .

رواية سعد بن أبي وقاص في ذلك :

ثبت في الصحيحين[٨] من حديث شعبة ، عن سعد بن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ؟ » .

قال [الإمام] أحمد ومسلم والترمذي[٩] : حدَّثنا قتيبة بن سعيد ، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن

---

(١) في المسند : كرم .
(٢) في المسند : هاك يا علي .
(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ٥٠٠) رقم (١٣٤٦) اللفظة فيه : أمط ، بدل : امض .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٩٩ و١٣٣) وإسناده ضعيف ولبعضه شواهد .
(٥) في ط : يسير ؛ خطأ .
(٦) زيادة ضرورية من المسند .
(٧) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٤٤٥) رقم (٥٩٣) وإسناده حسن .
(٨) صحيح البخاري (٣٧٠٦) في فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم (٢٤٠٤) (٣٢) في فضائل الصحابة .
(٩) مسند الإمام أحمد (١/ ١٨٥) وليس فيه ذكر لمعاوية . صحيح مسلم (٢٤٠٤) (٣٢) في فضائل الصحابة ، والترمذي رقم (٣٧٢٤) في المناقب .

بُكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ [فلن أسبَّه] لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم (سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ و) خَلَّفه في بعض مغازيه ـ فقال (له علي) : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال (رسول الله ﷺ) : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ » وسمعته يقول يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبُّه اللهُ ورسولهُ » قال : فتطاولتُ لها . قال : « ادعوا لي علياً » فأتي به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم قال : « اللهم هؤلاء أهلي » : [ثم قال الترمذي : حسن صحيح] .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي(١) من حديث سعيد بن المسيب عن سعد أن رسول الله ﷺ قال لِعليٍّ : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » (وقال الترمذي : ويستغرب من رواية سعيد عن سعد) . وقال (الإمام) أحمد(٢) : حدَّثنا [أبو] أحمد الزبيري ، حدَّثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت ، عن حمزة بن عبد الله ، عن أبيه ـ يعني عبد الله بن عمر ـ عن سعد قال :

لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك خلَّف علياً فقال : أتخلِّفني ؟ قال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي » .

وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه . وقال الحسن بن عرفة العبدي(٣) : حدَّثنا محمد بن خازم أبو معاوية الضرير ، عن موسى بن مسلم الشيباني ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن سعد بن أبي وقاص (قال : قدم معاوية في بعض حجاته فأتاه سعد بن أبي وقاص) فذكروا علياً فقال سعد : له ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من الدنيا [وما] فيها . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « منْ كنتُ مولاه فعلي [مولاه] » .

وسمعته يقول : « لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحب الله ورسوله (ويحبه الله ورسوله) » .

وسمعته يقول : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي » (لم يخرجوه) وإسناده حسن .

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٤) (٣٠) في فضائل الصحابة ، وسنن الترمذي (٣٧٣١) في المناقب ، والسنن الكبرى للنسائي (٥/ ٤٤) رقم (٨١٣٨) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ١٨٤) .
(٣) في أ : العقدي .

وقال أبو زرعة الدمشقي[١] : حدَّثنا أحمد بن خالد الوهبي أبو سعيد ، حدَّثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن نجيح ، عن أبيه قال : لما حج معاوية أخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال : يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك ، قال : فلما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر [له] علي بن أبي طالب فوقع فيه فقال : أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه ؟ والله لأن يكون فيّ إحدى خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، ولأن يكون لي ما قال له رسول الله ﷺ حين غزا تبوكاً : « أما[٢] ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنه لا نبي بعدي » ؟ لأحبّ[٣] إلي مما طلعت عليه الشمس ، ولأن يكون لي ما قال له يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرَّار » أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس . ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد ماله أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم ، ثمّ نفض رداءه ثمّ خرج .

وقال أحمد[٤] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص قال : خلَّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله تخلِّفني في النساء والصبيان ؟ قال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » ؟ إسناده على شرطهما ولم يخرجاه[٥] .

وهكذا رواه أبو عوانة : عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مصعب ، عن أبيه .

ورواه أبو داود الطيالسي[٦] : عن شعبة ، عن عاصم ، عن مصعب ، عن أبيه ، فالله أعلم .

وقال أحمد[٧] : حدَّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدَّثنا سليمان بن بلال ، حدَّثنا الجُعَيْد[٨] بن عبد الرحمن الجعفي ، عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها : أن علياً خرج مع رسول الله ﷺ حتى جاء ثنية الوداع وعلي يبكي يقول : تخلِّفني مع الخوالف ؟ فقال : « أوما[٩] ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من

---

(١) لم أجد حديثه في تاريخ أبي زرعة طبع مجمع اللغة العربية .
(٢) في ط : ألا .
(٣) في أ : أحب .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٨٢) .
(٥) في أ : ولم يخرجوه .
(٦) مسند أبي داود الطيالسي (ص٢٩) وفيه : حدَّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مصعب بن سعد .
(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٠) .
(٨) في ط : « الجعد » ، وما أثبتناه من أ والمسند ، وهما واحد ، وهو من رجال التهذيب .
(٩) في أ : أما . وهذه لفظة المسند .

موسى إلا النبوة ؟ » وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه . وقد رواه غير واحد عن عائشة بنت سعد عن أبيها . قال الحافظ بن عساكر[١] : وقد روى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ جماعة من الصحابة منهم عمر وعلي وابن عباس وعبد الله بن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وأبو سعيد والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى ونبيط بن شريط وحبشي بن جنادة ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبو الفضل ، وأم سلمة وأسماء بنت عميس ، وفاطمة بنت حمزة . وقد تقصى الحافظ ابن عساكر هذه الأحاديث في ترجمة علي في تاريخه فأجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والأنداد . رحمه[٢] رب العباد يوم التناد .

رواية عمر رضي الله عنه في ذلك :

قال أبو يعلى : حدَّثنا عبد الله بن عمر ، حدَّثنا عبد الله بن جعفر ، أخبرني سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال عمر : لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من حمر النعم ، قيل : وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزويجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ يحل له فيه ما يحل له ، والراية يوم خيبر . وقد روي عن عمر من غير وجه .

رواية ابن عمر رضي الله عنهما :

وقد رواه الإمام أحمد[٣] : عن وكيع ، عن هشام بن سعد ، عن عمر بن أسيد ، عن ابن عمر قال : كنا نقول في زمان رسول الله ﷺ خير الناس أبو بكر ثم عمر ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاثاً لأن أكون أعطيتهن أحبُّ إليَّ من حمر النعم . فذكر هذه الثلاث .

وقد روى أحمد والترمذي[٤] : من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ؟ » ورواه أحمد[٥] من حديث عطية ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » . ورواه الطبراني[٦] من طريق عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر مرفوعاً .

ورواه سلمة بن كهيل : عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، عن أم سلمة أن رسول الله قال لعلي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » قال سلمة : وسمعت مولى لبني موهب يقول : سمعت ابن عباس يقول قال النبي ﷺ مثله .

---

(١) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ٣٠٦) وما بعدها .
(٢) في أ : فرحمه الله رب العباد .
(٣) مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٦) .
(٤) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣٨) وسنن الترمذي (٣٧٣٠) في المناقب ، وهو حديث حسن .
(٥) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٨) وهو حديث حسن .
(٦) المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ٣٧٧) برواية أم سلمة .

تزويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها

قال سفيان الثوري : عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه سمع رجل علياً على منبر الكوفة يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله ابنته[١] ثم ذكرت أن لا شيء لي ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها ، فقال : « هل عندك شيء ؟ » قلت : لا ! قال : « فأين درعك الحطمية[٢] التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » قلت : عندي ، قال : « فأعطها » فأعطيتها ؛ فزوجني فلما كان ليلة دخلت عليها قال : « لا تحدثا شيئاً حتى آتيكما » قال : فأتانا وعلينا قطيفة أو كساء فتحثثنا فقال : « مكانكما » ثم دعا بقدح من ماء فدعا فيه ثم رشه عليَّ وعليها[٣] ، فقلت : يا رسول الله أنا أحب إليك أم هي ؟ قال : « هي أحب إلي وأنت أعز علي منها » . وقد روى النسائي[٤] من طريق عبد الكريم بن سليط ، عن ابن بريدة ، عن أبيه فذكره بأبسط من هذا السياق ، وفيه أنه أولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من الذرة من عند جماعة من الأنصار ، وأنه دعا لهما بعدما صب عليهما الماء ، فقال : « اللهم بارك لهما في شملهما » ـ يعني الجماع ـ .

وقال[٥] محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : لما خطب علي فاطمة دخل عليها رسول الله فقال لها : « أي بنية ! إن ابن عمك قد خطبك فماذا تقولين ؟ » فبكت ثم قالت : كأنك (يا أبت) إنما ادخرتني لفقير قريش ؟ فقال : « والذي بعثني بالحق ما تكلمت فيه حتى أذن الله لي فيه من السموات » فقالت فاطمة : رضيت[٦] بما رضي الله [لي] ورسوله . فخرج من عندها واجتمع المسلمون إليه ثم قال : « يا علي اخطب لنفسك » فقال علي : الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله ﷺ زوّجني ابنتَه على صداقٍ مبلغُه أربعمئة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا . قالوا : ما تقول يا رسول الله ؟ قال : « أشهدكم أني قد زوجته » . رواه ابن عساكر[٧] وهو [حديث] منكر .

وقد ورد في هذا الفصل أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة أضربنا عنها لئلا يطول الكتاب بها . وقد أورد منها طرفاً جيداً الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[٨] .

---

(١) في أ : أن أخطب فاطمة ابنة رسول الله ﷺ إليه .
(٢) في أ : الخطمية ـ بالخاء ـ والخبر في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٧/ ٣٣٦) .
(٣) في أ : علينا .
(٤) سنن النسائي (٦/ ١٢٩) في الجهاد .
(٥) في أ : وروى .
(٦) في أ : ما تكلمت في هذا حتى أذن الله فيه من السماء » فقالت : رضيت . .
(٧) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٥١) تحقيق المحمودي .
(٨) في أ : وقد أورد منها ابن عساكر طرفاً جيداً في تاريخه .

وقال وكيع ، عن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال : قال علي : ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحيته وتعجن فاطمة على ناحيته . وفي رواية مجالد عن الشعبي : ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لي خادم[١] عليها غيرها .

حديث آخر :

قال أحمد[٢] : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا عوف ، عن ميمون أبي عبد الله ، عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد قال فقال يوماً : « سُدُّوا هذه الأبواب إلا بابَ علي »[٣] قال فتكلم في ذلك الناس ؛ فقام رسول الله ﷺ وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإني أمرت بسدِّ هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ، ولكن أمِرْتُ بشيء فاتَّبعتُهُ » .

وقد رواه أبو الأشهب : عن عوف[٤] ، عن ميمون ، عن البراء بن عازب فذكره . وقد تقدم ما رواه أحمد والنسائي من حديث أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس الحديث الطويل وفيه سد الأبواب غير باب علي[٥] . وكذا رواه شعبة عن أبي بلج .

ورواه سعد بن أبي وقاص :

قال أحمد[٦] : حدَّثنا حجاج ، حدَّثنا فِطْر ، عن عبد الله بن شريك ، عن عبد الله بن الرُّقيم الكناني ، قال : خرجنا إلى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك بها ، فقال : أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي رضي الله عنه . تفرد به أحمد .

طريق أخرى عن سعد[٧] :

قال أبو يعلى[٨] : حدَّثنا موسى بن محمد بن حيان[٩] ، حدَّثنا محمد بن إسماعيل بن جعفر الطحان ،

---

(١) في ط : فأدم ؛ تحريف .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٩) ، وإسناده ضعيف ومتنه منكر .
(٣) في أ : غير باب علي ، وما هنا مطابق للمسند .
(٤) في أ : عون ، تحريف .
(٥) تقدم ص٤٠٤ـ٤٠٥ من هذا الجزء .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٥) وإسناده ضعيف .
(٧) من قوله : قال أحمد . . . إلى هنا زيادة من أ .
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ٦١) رقم (٧٠٣) وإسناده ضعيف .
(٩) في ط : حسان ؛ تحريف . وما هنا عن أ ومسند أبي يعلى .

حدَّثنا غسان بن بشر الكاهلي ، عن مسلم عن خيثمة عن سعد : أن رسول الله ﷺ سد أبواب [الناس في] المسجد وفتح باب علي فقال الناس في ذلك فقال : « ما أنا فتحته ولكن الله فتحه » .

وهذا لا ينافي ما ثبت في صحيح البخاري[١] من أمره عليه السلام في مرض الموت بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب أبي بكر الصديق لأن نفي هذا في حق علي كان في حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيتها إلى بيت أبيها ، فجعل هذا رفقاً بها ، وأما بعد وفاته فزالت هذه العلة فٱحتيج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى المسجد ليصلي بالناس إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه الصلاة والسلام ، وفيه إشارة إلى خلافته .

وقال الترمذي[٢] : حدَّثنا علي بن المنذر ، حدَّثنا ابن فُضيل ، عن سالم بن أبي حفصة ، عن عطيَّة ، عن أبي سعيد . قال قال رسول الله ﷺ لعلي : « يا علي لا يحلّ لأحدٍ يجنب في المسجد غيري وغيرك » قال علي بن المنذر : قلت لضرار بن صرد : ما معنى هذا الحديث ؟ قال : لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيري وغيرك . ثم قال الترمذي : وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد سمع محمد بن إسماعيل هذا الحديث (واستغربه)[٣] .

وقد رواه ابن عساكر[٤] من طريق كثير النواء ، عن عطية ، عن أبي سعيد به ، ثم أورده من طريق أبي نعيم ، حدَّثنا عبد الملك بن أبي غنيّة ، عن أبي الخطاب عمر الهجري ، عن محدوج ، عن جسرة بنت دجاجة ، أخبرتني أم سلمة قالت : خرج النبي ﷺ في مرضه حتى انتهى إلى صرحة المسجد فنادى بأعلى صوته : « إنه لا يحلّ المسجد لجُنُبٍ ولا لحائضٍ إلا لمحمد وأزواجه وعلي وفاطمة بنت محمد ألا هل بينت لكم ألا ساء أن تضلوا » وهذا إسناد غريب وفيه ضعف ، ثم ساقه من حديث أبي رافع بنحوه وفي إسناده غرابة أيضاً .

حديث آخر :

قال الحاكم[٥] وغير واحد : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن بريدة بن الحصيب : قال غزوت مع علي إلى اليمن ، فرأيت منه جفوة ، فقدمت على رسول الله ﷺ فذكرت علياً فَتَنَقَّصْتُهُ فرأيت وجه

---

(١) صحيح البخاري (٤٦٦) في الصلاة ، و(٣٦٥٤) في فضائل الصحابة ، و(٣٩٠٤) في مناقب الأنصار . ومن هنا انقطاع في أ عن ط بمقدار عشر صفحات .

(٢) سنن الترمذي (٣٧٢٧) في المناقب .

(٣) ما بين الحاصرتين من جامع الترمذي ، وحُق للبخاري أن يضعفه فعطية ، وهو العوفي ، ضعيف ، وسالم بن أبي حفصة ضعيف أيضاً .

(٤) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ٢٩٢) والرواية الثانية (١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) .

(٥) المستدرك على الصحيحين (٣/ ١١٠) .

رسول الله ﷺ يتغيَّر فقال : « يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ؟ فقلتُ : بلى يا رسول الله . فقال : « من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا ابن نمير ، حدَّثنا الأجلح الكندي ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه بريده قال : بعث رسول الله ﷺ بعثتين إلى اليمن على إحداهما علي بن أبي طالب وعلى الأخرى خالد بن الوليد وقال : « إذا التقيتما فعلي على الناس وإذا افترقتما فكل واحد منكما على جنده » قال : فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين ؛ [فقتلنا المقاتلة] وسبينا الذرية ، فاصطفى عليّ امرأة من السبي لنفسه . قال بريدة : فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك ، فلما أتيت رسول الله دفعت إليه الكتاب فقُرِىء عليه فرأيت الغضبَ في وجه رسول الله فقلت : يا رسول الله هذا مكان العائذ بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه فبلَّغت ما أرسلت به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي » هذه اللفظة منكرة والأجلح شيعي ومثله لا يقبل إذا تفرد بمثلها . وقد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم . والمحفوظ في هذا رواية أحمد[٢] : عن وكيع ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعليّ وليُّه » .

ورواه أحمد[٣] أيضاً والحسن بن عرفة عن الأعمش به .

ورواه النسائي[٤] : عن أبي كريب ، عن أبي معاوية به .

وقال أحمد[٥] : حدَّثنا روح ، حدَّثنا علي بن سويد بن منْجُوف ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : بعث رسول الله ﷺ علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس قال فأصبح ورأسه تقطر ، فقال خالد لبريدة : ألا ترى ما يصنع هذا ؟ قال : فلما رجعت إلى رسول الله أخبرته ما صنع علي ، قال : ـ وكنت أبغض علياً ـ فقال : « يا بريدة أتبغض علياً ؟ » فقلت : نعم ! قال : « لا تبغضه وأحبَّه فإن له في الخمس أكثر من ذلك » . وقد رواه البخاري في « الصحيح »[٦] عن بندار ، عن روح به مطولاً .

وقال أحمد[٧] : حدَّثنا يحيى بن سعيد ، حدَّثنا عبد الجليل ، قال : انتهيت إلى حلقة فيها أبو مِجْلَز وابنا بريدة فقال عبد الله بن بريدة : حدَّثني أبي بريدة قال : أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً ، قال

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٦) وإسناده ضعيف .
(٢) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٨) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٦١) .
(٤) السنن الكبرى (٥/ ٤٥) رقم (٨١٤٥) في المناقب .
(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٩) .
(٦) صحيح البخاري (٤٣٥٠) في المغازي .
(٧) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٠) .

وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً ، قال فبعث ذلك الرجل على خيل قال فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه علياً ، فأصبنا سبياً ، فكتبنا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا من يخمّسه ، فبعث إلينا علياً ، قال : وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبيِّ - فخمَّس وقَسَم - ، فخرج ورأسه يقطر ، فقلنا : يا أبا الحسن ما هذا ؟ قال : ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي ؟ فإني قَسَمْتُ وخمَّستُ فصارت في الخمس ، ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ ، ثم صارت في آل علي فوقعت بها . قال : وكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ فقلت : ابعثني ، فبعثني مصدقاً ، قال : فجعلت أقرأ الكتاب وأقول : صدَقَ ، قال : فأمسك النبي ﷺ بيدي والكتاب قال : « أتبغض علياً ؟ » قال : قلت : نعم ! قال : « فلا تبغضهُ وإن كنت تحبه فازدد له حباً ، فو الذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة » قال : فما كان في الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب إليَّ من علي .

قال عبد الله : فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي ﷺ في هذا الحديث غير أبي بريدة . تفرد به أحمد ، وقد روى غير واحد هذا الحديث عن أبي الجوَّاب ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن البراء بن عازب ، نحو رواية بريدة بن الحصيب وهذا غريب . وقد رواه الترمذي[(١)] : عن عبد الله بن أبي زياد ، عن أبي الجوَّاب الأحوص بن جوَّاب به ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال الإمام أحمد[(٢)] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا جعفر بن سليمان ، حدَّثني يزيد الرشك ، عن مُطَرِّف بن عبد الله ، عن عمران بن حصين قال : بعث رسول الله سرية وأمَّر عليها علي بن أبي طالب ، فأحدث شيئاً في سفره ، فتعاقد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله ﷺ قال عمران : وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله ، فسلمنا عليه ، قال : فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال : يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ؛ فأعرض عنه ، ثم قام الثاني ، فقال يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ، فأعرض عنه ، ثم قام الثالث فقال : يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ، ثم قام الرابع فقال : يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ، قال : فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغيّر وجهه وقال : « دعوا علياً ، دعوا علياً ، إن علياً مني وأنا منه ، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي » .

وقد رواه الترمذي والنسائي[(٣)] عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، وسياق الترمذي مطوَّل وفيه : أنه أصاب جارية من السبي . ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان[(٤)] .

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٢٥) في المناقب .

(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٤٣٧ - ٤٣٨) .

(٣) سنن الترمذي (٣٧١٢) في المناقب ، وسنن النسائي (٥/ ١٣٢) رقم (٨٤٧٤) في الخصائص .

(٤) جعفر بن سليمان صدوق ولكنه شيعي معروف ، وقد عد الحافظ ابن عدي هذا الحديث من منكرات أحاديث جعفر هذا (الكامل ٢/ ٥٦٨) ، ولعل هذا هو السبب الذي حدا بالترمذي أن يقتصر على تحسينه ويستغربه .

ورواه أبو يعلى الموصلي[١] عن عبيد الله بن عمر القواريري والحسن بن عمر بن شقيق الجَرْمي والمعلّى بن مهدي كلهم ، عن جعفر بن سليمان به .

وقال خيثمة بن سليمان : حدَّثنا أحمد بن حازم ، أخبرنا عبيد الله بن موسى بن يوسف بن صهيب ، عن دُكين ، عن وهب بن حمزة قال : سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة ، فرأيت منه جفوة فقلت : لئنْ رجعتُ فلقيتُ رسول الله لأنالنَّ منه ، قال : فرجعت فلقيت رسول الله فذكرت علياً فنلت منه ، فقال لي رسول الله ﷺ : « لا تقولن هذا لعلي فإن علياً وليكم بعدي » : وقال أبو داود الطيالسي[٢] : عن شعبة ، عن أبي بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي » .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدَّثنا أبي ، عن أبي إسحاق ، حدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة ، عن عمته زينت بنت كعب ـ وكانت عند أبي سعيد الخدري ـ عن أبي سعيد قال : اشتكى علياً الناسُ فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته يقول : « أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأُخَشْنٌ في ذات الله » أو « في سبيل الله » . تفرّد به أحمد .

وقال الحافظ البيهقي[٤] : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطّان ، أخبرنا أبو سهل بن زياد القطان ، حدَّثنا أبو إسحاق القاضي ، حدَّثنا إسماعيل بن أبي أويس ، حدَّثني أخي ، عن سليمان بن بلال ، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة ، عن أبي سعيد قال : بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن ، قال أبو سعيد : فكنت فيمن خرج معه فلما أحضر إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا ـ وكنا قد رأينا في إبلنا خللاً ـ فأبى علينا وقال : إنما لكم منها سهم كما للمسلمين ، قال : فلما فرغ عليٌّ وانصرف من اليمن راجعاً ، أَمَّرَ علينا إنساناً فأسرع هو فأدرك الحج ، فلما قضى حجته قال له النبي ﷺ : « ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم » . قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان عليٌّ منعنا إياه ففعل ، فلما جاء عليّ عرف في إبل الصدقة أنها قد رُكبت ـ رأى أثر المراكب ـ فذمَّ الذي أمَّره ولامه ، فقلت : أما إن لله عليَّ إن قدمت المدينة وغدوت إلى رسول الله ﷺ لأذكرن لرسول الله ﷺ ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق ، قال : فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أذكر له ما كنت حلفت عليه فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله ﷺ فلما رآني وقف معي ، ورحب بي ، وساءلني وساءلته وقال : متى قدمت ؟ قلت : قدمت البارحة ،

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٢٩٣) رقم (٣٥٥) .
(٢) مسند أبي داود الطيالسي (ص٣٦٠) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٦) . وفي تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (١/ ٤١٨) الأخيشن .
(٤) دلائل النبوة (٥/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) وإسناده ضعيف بطوله .

فرجع معي إلى رسول الله ﷺ وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد ، قال : « ائذن له » فدخلت فحيَّيت رسول الله ﷺ ، وحيَّاني ، وسلَّمت عليه ، وسألني عن نفسي ، وعن أهلي فأخفى المسألة فقلت : يا رسول الله لقينا من علي من الغِلْظةِ وسوءِ الصحبة والتضييق ، فابتدر رسول الله وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله ﷺ على فخذي ـ وكنت منه قريباً ـ وقال : « سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي ، فوالله لقد علمت أنه جيِّش في سبيل الله » قال فقلت في نفسي : ثكلتك أمك سعد بن مالك ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري ، لا جرم ، والله لا أذكره بسوء أبداً سراً ولا علانية .

وقال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق ، حدَّثني أبان بن صالح ، عن عبد الله بن دينار الأسلمي ، عن خاله عمرو بن شاش الأسلمي ـ وكان من أصحاب الحديبية ـ قال : كنت مع علي في خيله التي بعثه فيها رسول الله إلى اليمن ، فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي ، فلما قدمتُ المدينة اشتكيته في مجالس المدينة ، وعند من لقيته ، فأقبلت يوماً ورسوله الله جالس في المسجد ، فلما رآني أنظر إلى عينيه ، نظر إليَّ حتى جلست إليه ، فلما جلست إليه قال : « أما إنه والله يا عمرو لقد آذيتني » فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام أن أؤذي رسول الله ﷺ فقال : « من آذى علياً فقد آذاني » . وقد رواه الإمام أحمد[١] : عن يعقوب ، عن أبيه إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبان بن صالح ، عن الفضل بن معقل ، عن عبد الله بن نيار[٢] ، عن خاله عمرو بن شاش فذكره . وكذا رواه غير واحد عن محمد بن إسحاق ، عن أبان بن الفضل . وكذلك رواه سيف بن عمر ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبان بن صالح به ولفظه : فقال رسول الله ﷺ : « من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله » .

وروى عباد بن يعقوب الرواجني ، عن موسى بن عمير ، عن عقيل بن نجدة بن هبيرة ، عن عمرو بن شاش قال قال رسول الله ﷺ : « يا عمرو إن من آذى علياً فقد آذاني » .

وقال أبو يعلى[٣] : حدَّثنا محمود بن خداش ، حدَّثنا مروان بن معاوية ، حدَّثنا قَنان بن عبد الله النَّهْميّ ، حدَّثنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فنلنا من علي ، فأقبل رسول الله يُعرف في وجهه الغضب ، فتعوذت بالله من غضبه فقال : « ما لكم ومالي ؟ من آذى علياً فقد آذاني » .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٨٣) وإسناده ضعيف .

(٢) في ط : دينار ، خطأ ، وعبد الله بن نيار الأسلمي من رجال التهذيب .

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ١٠٩) رقم (٧٧٠) ، وإسناده ضعيف

حديث غدير خم

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعني قالا : حدَّثنا فطر ، عن أبي الطفيل قال : جمع عليٌّ الناس في الرحبة ثم قال لهم : أنشد الله كلَّ امرىء مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام ، فقام كثير من الناس قال أبو نعيم ! ـ فقام ناس كثير ـ فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا نعم يا رسول الله قال : « من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . قال فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إني سمعت علياً يقول كذا وكذا : قال . فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له . ورواه النسائي[٢] من حديث حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل عنه أتم من ذلك .

وقال أبو بكر الشافعي[٣] : حدَّثنا محمد بن سليمان بن الحارث ، حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، حدَّثنا أبو إسرائيل الملائي ، عن الحكم ، عن أبي سليمان المؤذن ، عن زيد بن أرقم أن علياً انتشد الناس : من سمع رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك وكنت فيهم . وقال أبو يعلى وعبد الله بن أحمد في « مسند »[٤] أبيه : حدَّثنا القواريري ، حدَّثنا يونس بن أرقم ، حدَّثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس : أنشد بالله من سمع رسول الله يقول يوم غدير خم : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » لما قام فشهد . قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بدرياً كأني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم : « ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

ثم رواه عبد الله بن أحمد[٥] ، عن أحمد بن عمر الوكيعي ، عن زيد بن الحباب ، عن الوليد بن عقبة بن نزار[٦] ، عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره ، قال : فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا : قد رأيناه وسمعناه حين أخذ بيدك يقول : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » . وهكذا رواه أبو داود الطَّهَوي ـ واسمه عيسى بن مسلم ـ عن

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٠) وهو حديث صحيح .

(٢) السنن الكبرى (٥/ ١٣٠) رقم (٨٤٦٤) في الخصائص .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، المحدث ، مسند العراق . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٩) . والخبر في كتاب الغيلانيات (١٢٦) .

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) ومسند الإمام أحمد (١/ ١١٩) وهو حديث حسن .

(٥) مسند الإمام أحمد (١/ ١١٩) وهو حديث حسن ، دون قوله : (وانصر من نصره ، واخذل من خذله) .

(٦) في ط : نيار ، تحريف ، وعقبة بن الوليد بن نزار العَنْسي ؛ من رجال التهذيب .

عمرو بن عبد الله بن هند الجملي ، وعبد الأعلى بن عامر التغلبي كلاهما ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، فذكره بنحوه ، قال الدارقطني : غريب تفرد به عنهما أبو داود الطهوي .

وقال الطبراني(١) : حدَّثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن كيسان المديني سنة تسعين ومئتين ، حدَّثنا إسماعيل بن عمرو البَجليّ ، حدَّثنا مِسْعرٌ ، عن طلحةَ بن مُصرِّفٍ ، عن عَميرَةَ بن سعد قال : شهدت علياً على المنبر يناشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يوم غدير خم يقول ما قال ؟ فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

ورواه أبو العباس بن عقدة الحافظ الشيعي ، عن الحسن بن علي بن عفان العامري ، عن عبد الله بن موسى ، عن قَطن ، عن عمرو بن مرة ، وسعيد بن وهب ، وعن زيد بن يُثَيْع قالوا : سمعنا علياً يقول في الرحبة فذكر نحوه فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » . قال أبو إسحاق حين فرغ من هذا الحديث : يا أبا بكر أي أشياخ هم ؟ .

وكذلك رواه عبد الله بن أحمد(٢) ، عن علي بن حكيم الأودي ، عن شريك ، عن أبي إسحاق فذكر نحوه .

وقال عبد الرزاق(٣) : عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب وعبد خير قالا : سمعنا علياً برحبة الكوفة يقول : أنشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقام عدة من أصحاب رسول الله فشهدوا أنهم سمعوا رسول يقول الله ذلك .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت سعيد بن وهب قال : نشد علي الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

وقال أحمد(٥) : حدَّثنا يحيى بن آدم ، حدَّثنا حسين بن الحارث بن لقيط الأشجعي ، عن رِياح بن الحارث قال : جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا : السلام عليك يا مولانا : فقال : كيف أكون مولاكم

---

(١) المعجم الأوسط (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤) رقم (٢٢٧٥) وهو حديث حسن ، دون قوله : (وانصر من نصره ، واخذل من خذله) .

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ١١٨) هو من زوائد (عبد الله بن الإمام أحمد) وهو حديث حسن ، دون قوله : (وانصر من نصره ، واخذل من خذله) .

(٣) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٢٥) .

(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٦٦) .

(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤١٩) .

وأنتم قوم عرب ؟ قالوا : سمعنا رسول الله يوم غدير خم يقول : « من كنت مولاه فإن هذا مولاه » قال رِياح ، فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة(١) : حدَّثنا شريك ، عن حنش ، عن رباح بن الحارث قال : بينا نحن جلوس في الرحبة مع علي إذ جاء رجل عليه أثر السفر فقال : السلام عليك يا مولاي قالوا : من هذا ؟ فقال أبو يوب : سمعت رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

وقال أحمد(٢) : حدَّثنا محمد بن عبد الله ، حدَّثنا الربيع ـ يعني ابن أبي صالح الأسلمي ـ حدَّثني زياد بن أبي زياد الأسلمي ، سمعت علي بن أبي طالب ينشد الناس فقال أنشد الله رجلاً مسلماً سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما قال ، فقام اثنا عشر رجلاً بدرياً فشهدوا .

وقال أحمد(٣) : حدَّثنا ابن نمير ، حدَّثنا عبد الملك ، عن أبي عبد الرحيم الكندي ، عن زاذان أن ابن عمر قال : سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس : من شهد رسول الله يوم غدير خم وهو يقول ما قال ؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

وقال أحمد(٤) : حدَّثنا حجاج بن الشاعر ، حدَّثنا شَبَابة ، حدَّثنا نُعيم بن حكيم ، حدَّثني أبو مريم ، ورجل من جلساء علي ، عن علي : أن رسول الله ﷺ قال يوم غدير خم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » قال فزاد الناس بعد « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

وقد روي هذا من طرق متعددة عن علي رضي الله عنه ، وله طرق متعددة عن زيد بن أرقم .

وقال غندر عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، سمعت أبا الطفيل يحدِّث عن أبي مريم أو زيد بن أرقم ـ شعبة الشاك ـ قال قال رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعلي مولاه » قال سعيد بن جبير : وأنا قد سمعته قبل هذا من ابن عباس . رواه الترمذي(٥) ، عن بندار ، عن غندر وقال : حسن غريب .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدَّثنا سفيان ، حدَّثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن أبي عبيد ، عن ميمون أبي عبد الله قال قال زيد بن أرقم وأنا أسمع : نزلنا مع رسول الله بوادٍ يقال له واد خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال : فخطبنا وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمر من الشمس فقال : « ألستم تعلمون ـ أو ألستم تشهدون ـ أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ » قالوا : « بلى ! » قال : « فمن كنت مولاه فإن علياً

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٦٠) .
(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٨) .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٤) وفي ط : عن أبي عبد الرحمن . وما هنا عن المسند .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٢) ، وهو من رواية عبد الله بن الإمام أحمد عن حجاج فهو من زيادات المسند .
(٥) سنن الترمذي (٣٧١٣) في المناقب .
(٦) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٢) .

مولاه ، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه » . وكذا رواه أحمد[١] : عن غندر ، عن شعبة ، عن ميمون أبي عبد الله ، عن زيد بن أرقم . وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة منهم : أبو إسحاق السبيعي وحبيب الإساف وعطية العوفي وأبو عبد الله الشامي وأبو الطفيل عامر بن واثلة .

وقد رواه معروف بن خرَّبوذ ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد قال : لما قفل رسول الله من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن ، ثم بعث إليهن فصلى تحتهن ثم قام فقال : « أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلَّا مثل نصف عمر الذي قبله ، وإني لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً ، قال : « ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن ناره حق ، وأن الموت حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ؟ » قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : « اللهم أشهد » . ثم قال : « يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ثم قال : « أيها الناس إني فرطكم[٢] وإنكم واردون على الحوض حوض أعرض مما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة ، وإني سائلكم حين تردون عليه من الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي[٣] أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض » . رواه ابن عساكر[٤] بطوله من طريق معروف كما ذكرنا .

وقال عبد الرزاق[٥] : أنا معمر ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله حتى نزلنا غدير خم بعث منادياً ينادي ، فلما اجتمعنا قال : « ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله ! قال : « ألست أولى بكم من أمهاتكم ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله : قال : « ألست أولى بكم من آبائكم ؟ » قلنا بلى يا رسول الله ! قال : « ألست ألست ألست » ؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقال عمر بن الخطاب : هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن . وكذا رواه ابن ماجه[٦]

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٢) .
(٢) فرطكم : أي متقدمكم . النهاية (٣/ ٤٣٤) .
(٣) عترة الرجل أخصّ أقاربه ، وعترة النبي ﷺ بنو عبد المطلب وقيل أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده . النهاية (٣/ ١٧٧) .
(٤) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٥) .
(٥) لم أجده في مصنف عبد الرزاق . وهو في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٧ ـ ٤٨) .
(٦) سنن ابن ماجه (١١٦) في السنة .

من حديث حماد بن سَلَمة ، عن علي بن زيد وأبي هارون العبدي ، عن عديٍّ بن ثابت ، عن البراء به .

وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء به .

وقد روي هذا الحديث عن سعد ، وطلحة بن عبيد الله ، وجابر بن عبد الله ، وله طرق عنه ، وأبي سعيد الخدري ، وحبشي بن جنادة ، وجرير بن عبد الله ، وعمر بن الخطاب ، وأبي هريرة ، وله عنه طرق منها ـ وهي أغربها ـ الطريق الذي قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي[١] : حدَّثنا عبد الله بن علي بن محمد بن بِشْران ، أنا عليُّ بن عمر الحافظ ، أنا أبو نصر حَبْشُون بن موسى بن أيوب الخَلال ، حدَّثنا علي بن سعيد الرَّملي ، حدَّثنا ضمرة بن ربيعة القرشي ، عن ابن شوذب ، عن مطر الورَّاق ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال : من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال : « ألست ولي المؤمنين » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم . فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أول يوم نزل جبريل بالرسالة . قال الخطيب : اشتهر هذا الحديث برواية حبشون وكان يقال إنه تفرد به ، وقد تابعه عليه أحمد بن عبيد الله بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن التبري ، عن علي بن سعيد الشامي .

قلت : وفيه نكارة من وجوه . منها قوله نزل فيه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وقد ورد مثله من طريق ابن هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ولا يصح أيضاً ، وإنما نزل ذلك يوم عرفة كما ثبت في الصحيحين[٢] عن عمر بن الخطاب وقد تقدم .

وقد روي عن جماعة من الصحابة غير من ذكرنا في قوله عليه السلام « من كنت مولاه » والأسانيد إليهم ضعيفة .

حديث الطير

وهذا الحديث قد صنف الناس فيه وله طرق متعددة وفي كل منها نظر ونحن نشير إلى شيء من ذلك : قال الترمذي[٣] : حدَّثنا سُفيان بن وكيع ، حدَّثنا عُبيد الله بن موسى ، عن عيسى بن عُمر ، عن السُّدِّي ،

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٢٩٠) في ترجمة حبشون بن موسى الخلال .

(٢) صحيح البخاري (٤٥) في الإيمان ، ومسلم (٣٠١٧) (٣ ، ٥) في التفسير . ونص الحديث : أن رجلاً من اليهود قال لعمر : يا أمير المؤمنين ؛ آية في كتابكم تقرؤونها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : أي آية ؟ قال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . . ﴾ قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ : وهو قائم بعرفة يوم الجمعة .

(٣) سنن الترمذي (٣٧٢١) في المناقب .

عن أنس قال : كان عند النبي ﷺ طير فقال : « اللهمَّ ائتني بأحبِّ خلقكَ إليكَ يأكل معي من هذا الطير » فجاء علي فأكل معه . ثم قال الترمذي : غريب لا نعرفه من حديث السُّدِّي إلا من هذا الوجه ، قال : وقد روي من غير وجه عن أنس .

وقد رواه أبو يعلى[١] : عن الحسن بن حماد ، عن مسهر بن عبد الملك ، عن عيسى بن عمر به . وقال أبو يعلى : حدَّثنا قَطَن بن بشير ، حدَّثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعي ، حدَّثنا عبد الله بن مثنى ، حدَّثنا عبد الله بن أنس ، عن أنس بن مالك قال : أهدي لرسول الله حجل مشوي بخبزه وضيافه ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطعام » فقالت عائشة : اللهم اجعله أبي ، وقالت حفصة : اللهم اجعله أبي ، وقال أنس : وقلت : اللهم اجعله سعد بن عبادة ، قال أنس : فسمعت حركة بالباب فقلت : إن رسول الله ﷺ على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فخرجت فإذا علي بالباب ، فقلت : إن رسول الله ﷺ على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فسلّم علي فسمع رسول الله ﷺ صوته فقال : اُنظر من هذا ؟ فخرجت فإذا هو علي فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « ائذن له يدخل عليَّ فأذنت له فدخل » ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم وال من والاه » .

ورواه الحاكم في « مستدركه »[٢] : عن أبي علي الحافظ ، عن محمد بن أحمد الصفار وحميد بن يونس الزيات كلاهما ، عن محمد بن أحمد بن عياض بن أبي طيبة ، ثنا عن يحيى بن حسان ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس فذكره ، وهذا إسناد غريب . ثم قال الحاكم : هذا الحديث على شرط البخاري ومسلم . وهذا فيه نظر : فإن أبا علاثة محمد بن أحمد بن عياض هذا غير معروف لكن روى هذا الحديث عنه جماعة عن أبيه ، وممن رواه عنه أبو القاسم الطبراني[٣] ثم قال : تفرد به عن أبيه ، والله أعلم .

قال الحاكم : وقد رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً . قال شيخنا الحافظ الكبير أبو عبد الله الذهبي : فصلهم بثقة يصح الإسناد إليه .

ثم قال الحاكم : وصحَّت الرواية عن علي وأبي سعيد وسفينة . قال شيخنا أبو عبد الله : لا والله ما صح شيء من ذلك .

ورواه الحاكم[٤] من طريق إبراهيـم بن ثابت القصار ـ وهو مجهول ـ عن ثابت البناني ، عن أنس قال : دخل محمد بن الحجاج فجعل يسب علياً . فقال أنس : اسكت عن سب علي ، فذكر

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ١٠٥) رقم (٤٠٥٢) .
(٢) المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١) .
(٣) المعجم الكبير (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) والمعجم الأوسط (٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣) .
(٤) المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٣١) .

الحديث مطولاً وهو منكر سنداً ومتناً . لم يورد الحاكم في « مستدركه » غير هذين الحديثين .

وقد رواه ابن أبي حاتم : عن عمار بن خالد الواسطي ، عن إسحاق الأزرق ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن أنس . وهذا أجود من إسناد الحاكم .

ورواه عبد الله بن زياد أبو العلاء ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن أنس بن مالك . فقال : أهدي لرسول الله ﷺ طير مشوي فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير » فذكر نحوه .

ورواه محمد بن مصفى : عن حفص بن عمر ، عن موسى بن سعد ، عن الحسن ، عن أنس ، فذكره .

ورواه علي بن الحسن الشامي ، عن خليل بن دعلج ، عن قتادة ، عن أنس بنحوه .

ورواه أحمد بن يزيد الورتنيس ، عن زهير ، عن عثمان الطويل ، عن أنس فذكره .

ورواه عبيد الله بن موسى ، عن سكين بن عبد العزيز ، عن ميمون أبي خلف ، حدَّثني أنس بن مالك فذكره ، قال الدارقطني : من حديث ميمون أبي خلف تفرد به سكين بن عبد العزيز .

ورواه الحجاج بن يوسف بن قتيبة ، عن بشر بن الحسين ، عن الزبير بن عدي ، عن أنس .

ورواه ابن يعقوب إسحاق بن الفيض ، حدَّثنا المضاء بن الجارود ، عن عبد العزيز بن زياد ، أن الحجاج بن يوسف دعا أنس بن مالك من البصرة فسأله عن علي بن أبي طالب فقال : أهدي للنبي ﷺ طائر فأمر به فطبخ وصنع فقال : « اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي » . فذكره .

وقال الخطيب البغدادي[(١)] : أنا الحسن بن أبي بكر ، أنا أبو بكر محمد بن العبَّاس بن نجيح ، حدَّثنا محمد بن القاسم النَّحوي أبو عبد الله ، حدَّثنا أبو عاصم ، عن أبي الهندي ، عن أنس فذكره .

ورواه الحاكم : عن محمد بن سليم ، عن أنس بن مالك فذكره .

وقال أبو يعلى[(٢)] : حدَّثنا الحسن بن حماد الورَّاق ، حدَّثنا مسهر بن عبد الملك بن سلع ثقة ، حدَّثنا عيسى بن عمر ، عن إسماعيل السدي [عن أنس بن مالك] أن رسول الله ﷺ كان عنده طائر فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير » فجاء أبو بكر فرده ، ثم جاء عمر فرده . ثم جاء عثمان فرده ، ثم جاء علي فأذن له .

وقال أبو القاسم بن عقدة : حدَّثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدَّثنا يوسف بن عدي ، حدَّثنا حمَّاد بن المختار الكوفي ، حدَّثنا عبد الملك بن عمير ، عن أنس بن مالك قال : أهدي لرسول الله ﷺ

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ١٧١) في ترجمة محمد بن القاسم بن خلاد الضرير .

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦) وعند هذه اللفظة ينتهي انقطاع النسخة (أ) وتعود لتلتقي مع (ط) .

طائر فوضع بين يديه فقال : « اللهم ائتني بأحبِّ خلقك إليكَ يأكل معي » . قال : فجاء عليٌّ فدقَّ البابَ فقلت من ذا ؟ فقال : أنا عليٌّ ، فقلت إن رسول الله على حاجة حتى فعل ذلك ثلاثاً ، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل فقال النبيُّ ﷺ : « ما حَبَسَكَ ؟ » فقال : قد جئتُ ثلاث مرات فيحبسني أنس ، فقال النبي ﷺ : « ما حملك على ذلك [يا أنس] ؟ » قال قلت : كنتُ أحبُّ أن يكون رجلاً من قومي .

وقد رواه الحاكم النيسابوري[١] ، عن عبدان بن يزيد ، عن يعقوب الدقّاق ، عن إبراهيم بن الحسين الشامي ، عن أبي توبة الربيع بن نافع ، عن حسين بن سليمان بن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن أنس فذكره ، ثم قال الحاكم : لم نكتبه إلا بهذا الإسناد .

وساقه ابن عساكر[٢] من حديث الحارث بن نبهان ، عن إسماعيل ـ رجل من أهل الكوفة ـ عن أنس بن مالك فذكره .

ومن حديث حفص بن عمر المهرقاني ، عن الحكم بن بشير[٣] بن إسماعيل أبي سليمان أخي إسحاق بن سليمان الرازي ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن أنس فذكره . ومن حديث سليمان بن قرم ، عن محمد بن علي السلمي ، عن أبي حذيفة العقيلي ، عن أنس فذكره . وقال أبو يعلى : حدَّثنا أبو هشام ، حدَّثنا ابن فضيل ، حدَّثنا مسلم الملائي ، عن أنس قال : أهدت أم أيمن إلى رسول الله ﷺ طيراً مشوياً فقال : « اللهم ائتني بمن تحبه يأكل معي من هذا الطير » قال أنس فجاء علي فاستأذن، فقلت : هو على حاجته[٤] ، فرجع ثم عاد فاستأذن فقلت : هو على حاجته فرجع ، ثم عاد فاستأذن فقلت : هو على حاجته فرجع ، ثم عاد فاستأذن فسمع النبي ﷺ صوته فقال : « إئذن له » فدخل وهو موضوع بين يديه فأكل منه وحمد الله ، فهذه طرق متعددة عن أنس بن مالك ، وكل منها فيه ضعف ومقال . وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي[٥] ـ في جزء جمعه في هذا الحديث بعد ما أورد طرقاً متعددة نحواً مما ذكرنا ـ ويروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة عن حجاج بن يوسف ، وأبي عصام خالد بن عبيد ، ودينار أبي كيسان[٦] ، وزياد بن محمد الثقفي ، وزياد العبسي ، وزياد بن المنذر ، وسعد بن ميسرة البكري ، وسليمان التيمي ، وسليمان بن علي الأمير ، وسلمة بن وردان ، وصباح بن محارب ، وطلحة بن مصرف ، وأبي الزناد ، وعبد الأعلى بن عامر ، وعمر بن راشد ، وعمر بن أبي حفص الثقفي الضرير ،

(١) لم أجده بهذا السند في المستدرك .
(٢) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ١٣٠) .
(٣) في ط : شبير ؛ تحريف . وبشير بن إسماعيل من رجال التهذيب .
(٤) في أ : هو في حاجة .
(٥) ذكر محقق كتاب السير للذهبي هذا الجزء « الكلام على حديث الطير » ضمن قائمة كتبه في المقدمة ويبدو أن لا أثر له .
(٦) في أ : نكيس .

وعمرو بن سليم البجلي ، وعمر بن يحيى الثقفي ، وعثمان الطويل ، وعلي بن أبي رافع ، وعيسى بن طهمان ، وعطية العوفي ، وعباد بن عبد الصمد ، وعمَّار الدُّهني ، وعباس بن علي ، وفضيل بن غزوان ، وقاسم بن جندب ، وكلثوم بن جبر ، ومحمد بن علي الباقر ، والزهري ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، ومحمد بن مالك الثقفي ، ومحمد بن جحادة ، وميمون بن مهران ، وموسى الطويل ، وميمون بن جابر السلمي ، ومنصور بن عبد الحميد ، ومعلّى بن أنس ، وميمون أبي خلف الجراف[١] ، وقيل أبو خالد ومطر بن خالد ، ومعاوية بن عبد الله بن جعفر ، وموسى بن عبد الله الجهني ، ونافع مولى ابن عمر ، والنضر بن أنس بن مالك ، ويوسف بن إبراهيم ، ويونس بن حيان ، ويزيد بن سفيان ، ويزيد بن أبي حبيب ، وأبي المليح ، وأبي الحكم ، وأبي داود السبيعي ، وأبي حمزة الواسطي ، وأبي حذيفة العقيلي ، وإبراهيم بن هُدْبة ، ثم قال بعد أن ذكر الجميع : الجميع بضعة وتسعون[٢] نفساً أقربها غرائب ضعيفة ، وأردؤها طرق مختلقة مفتعلة ، وغالبها طرق واهية .

وقد روي من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ ؛ فقال أبو القاسم البغوي وأبو يعلى الموصلي قالا : حدَّثنا القواريري ، حدَّثنا يونس بن أرقم ، حدَّثنا مطير بن أبي خالد ، عن ثابت البجلي ، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : أهدت امرأة من الأنصار طائرين بين رغيفين [إلى النبي ﷺ] ـ ولم يكن في البيت غيري وغير أنس ـ فجاء رسول الله ﷺ فدعا بغدائه . فقلت : يا رسول الله قد أهدت لك امرأة من الأنصار هدية ، فقدمت الطائرين إليه فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك » فجاء علي بن أبي طالب فضرب الباب [ضرباً] خفيا فقلت : من هذا ؟ قال أبو الحسن ، ثم ضرب الباب ورفع صوته فقال رسول الله : « من هذا » قلت : علي بن أبي طالب . قال : « افتح له » ففتحت له فأكل معه رسول الله ﷺ من الطيرين حتى فنيا[٣] .

وروي عن ابن عباس ؛ فقال أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد : حدَّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدَّثنا حسين بن محمد ، حدَّثنا سليمان بن قرم ، عن محمد بن شعيب ، عن داود بن [علي بن][٤] عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده ابن عباس قال : إن النبي ﷺ أتي بطائر فقال : « اللهم ائتني برجل يحبه الله ورسوله » فجاء علي فقال : « اللهم وإليَّ » .

وروى عن علي نفسه فقال عباد بن يعقوب[٥] : حدَّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي ، حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي قال : أهدي لرسول الله ﷺ طير يقال له الحبارى ، فوضعت

---

(١) في أ : وميمون أبو خلف الحراني .
(٢) في أ : وسبعون .
(٣) في أ : تكرار لسند أبي يعلى والبغوي ، حذفناه .
(٤) داود بن علي بن عبد الله ؛ من رجال التهذيب .
(٥) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧) .

بين يديه ـ وكان أنس بن مالك يحجبه ـ فرفع النبي ﷺ يده إلى الله ثم قال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير » . قال فجاء علي فاستأذن فقال له أنس : إن رسول الله على حاجته[1] فرجع ثم أعاد رسول الله ﷺ الدعاء ، فرجع ، ثم دعا الثالثة فجاء علي ، فأدخله ، فلما رآه رسول الله ﷺ : « اللهم وإليَّ » . فأكل معه ، فلما أكل رسول الله . وخرج علي قال أنس : سمعت علياً فقلت : يا أبا الحسن استغفر لي ، فإن لي إليك ذنباً وإن عندي بشارة ، فأخبرته بما كان من النبي ﷺ فحمد الله واستغفر لي ورضي عني ، أذهب ذنبي عنده بشارتي إياه .

ومن حديث جابر بن عبد الله الأنصاري أورده ابن عساكر[2] : من طريق عبد الله بن صالح كاتب اللّيث ، عن ابن لهيعة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر فذكره بطوله .

وقد روي أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري ، وصححه الحاكم[3] [من حديث أبي سعيد الخدري] ولكن إسناده مظلم وفيه ضعفاء .

وروى من حديث حبشي بن جنادة ولا يصح أيضاً ، ومن حديث يعلى بن مرة والإسناد إليه مظلم ، ومن حديث أبي رافع نحوه وليس بصحيح [بل طريقه مظلم] . وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر بن مردويه ، والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي ، ورأيت فيه مجلداً في جميع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ ، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سنداً ومتناً للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلِّم . وبالجملة[4] ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه ، والله أعلم .

حديث آخر في فضل علي[5] :

قال أبو بكر الشافعي : حدَّثنا بشر بن موسى الأسدي ، حدَّثنا زكريا بن عدي ، حدَّثنا عبد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل[6] ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار في نخل لها . يقال له الإسراف[7] ففرشت لرسول الله ﷺ تحت صور لها مرشوش فقال رسول الله ﷺ : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة » فجاء أبو بكر ، ثُمّ قال : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة » فجاء عمر ، ثم قال : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة » قال : فلقد رأيته مطأطئاً رأسه [من]

---

(١) في أ : حاجة .
(٢) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦) .
(٣) المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٣١) .
(٤) في أ : وفي الجملة .
(٥) مكان السطر بياض في أ .
(٦) في أ : عبد الله بن محمد وعقيل بن جابر بن عبد الله عن جابر .
(٧) في أ : الأسواف .

رأسه تحت الصور ثم يقول : « اللهم إن شئت جعلته علياً » فجاء علي ، ثم إن الأنصارية ذبحت لرسول الله ﷺ شاة وصنعتها فأكل وأكلنا فلما حضرت الظهر قام يصلي وصلينا ما توضأ ولا توضأنا ، فلما حضرت العصر صلى وما توضأ ولا توضأنا .

حديث آخر :

قال أبو يعلى[١] : حدَّثنا الحسن بن حمّاد الكوفي ، حدَّثنا ابن أبي غنية ، عن أبيه ، عن الشيباني ، عن جُميع بن عمير[٢] قال : دخلت مع أبي على عائشة فسألتها عن علي فقالت : ما رأيت رجلاً كان أحب إلى رسول الله ﷺ منه ، ولا امرأة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته . وقد رواه غير واحد من الشيعة عن جميع بن عمير به .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا يحيى بن أبي بكير ، حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الله الجَدلي[٤] قال : دخلت على أم سلمة فقالت لي : أيسب رسول الله ﷺ فيكم ؟ قلت : معاذ الله ـ أو سبحان الله أو كلمة نحوها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سبَّ علياً فقد سبَّني » .

وقد رواه أبو يعلى[٥] : عن عبيد الله بن موسى ، عن عيسى بن عبد الرحمن البَجلي ـ من بجيلة من سليم ـ عن السدّي ، عن أبي عبد الله الجَدلي[٤] قال : قالت لي أم سلمة : « أيسب رسول الله فيكم على المنابر ؟ » قال : قلت : وأنى ذلك ؟ قالت : أليس يُسبُّ علي ومن أحبه ؟ فأشهد أن رسول الله ﷺ كان يحبه .

وقد روي من غير هذا الوجه عن أم سلمة . وقد ورد من حديثها وحديث جابر وأبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك » ولكن أسانيدها كلها ضعيفة لا يحتج بها .

حديث آخر :

قال عبد الرزاق[٦] : أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن عدي بن ثابت ، عن زر بن حبيش قال :

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٨/ ٢٧٠) رقم (٤٨٥٧) ، وإسناده ضعيف .
(٢) في أ : جُميع عن عمير ؛ خطأ . وما هنا موافق لمسند أبي يعلى .
(٣) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٢٣) .
(٤) في ط : « البجلي » ، محرف ، وما هنا من أ ومسند أبي يعلى .
(٥) مسند أبي يعلى الموصلي (١٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥) رقم (٧٠١٣) .
(٦) لم أجده في مصنف عبد الرزاق ، وهو بهذا السند والمتن في مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٢٥٠) رقم (٢٩١) .

سمعت علياً يقول : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ إليَّ أنَّه لا يُحبُّك إلا مؤمنٌ ولا يبغضكَ إلا منافقٌ . ورواه أحمد[١] ، عن ابن عمير ووكيع ، عن الأعمش .

وكذلك رواه أبو معاوية ومحمد بن فضيل وعبد الله بن داود الخُريبي[٢] وعبيد الله بن موسى ومحاضر بن المُورِّع[٣] ويحيى بن عيسى الرملي [وغيرهم] عن الأعمش به .

وأخرجه مسلم في « صحيحه »[٤] عن[٥] .

ورواه غسان بن حسان ، عن شعبة ، عن عدي بن ثابت ، عن علي فذكره .

وقد روي من غير وجه عن علي .

وهذا الذي أوردناه هو الصحيح من ذلك ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الله[٧] بن عبد الرحمن بن أبي نصر ، حدَّثني مُساور الحِمْيري ، عن أمه ، قالت[٨] : سمعت أم سلمة تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي : « لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق » .

وقد روي من غير هذا الوجه عن أم سلمة بلفظ آخر ولا يصح .

وروى ابن عقدة ، عن الحسن بن علي بن بزيغ ، حدَّثنا عمر بن إبراهيم ، حدَّثنا سوار بن مصعب ، عن الحكم ، عن يحيى الخراز ، عن عبد الله بن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من زعم أنه آمن بي وبما جئت به وهو يبغض علياً فهو كاذب ليس بمؤمن » وهذا بهذا الإسناد مختلق لا يثبت ، والله أعلم .

وقال الحسن بن عرفة : حدَّثني سعيد بن محمد الوراق ، عن علي بن الخراز ، سمعت أبا مريم الثقفي [يقول] سمعت عمار بن ياسر يقول : سمعت النبي ﷺ يقول لعلي : « طوبى لمن أحبك وصدّق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذّب فيك » .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٢٨) .
(٢) في أ : الحوني ، وفي ط : الحربي ، وكلاهما تحريف ، وترجمة الخُريبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٤٦) .
(٣) الضبط عن تقريب التهذيب (٥٢١) .
(٤) صحيح مسلم (٧٨) (١٣١) في الإيمان .
(٥) بياض في الأصل : وإنما رواه مسلم عن ابن أبي شيبة عن وكيع وأبي معاوية عن الأعمش . ورواه أيضاً عن يحيى بن يحيى عن الأعمش به .
(٦) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٩٢) .
(٧) في ط : عبيد الله ، وهو خطأ .
(٨) في أ ، ط : عن أبيه قال ؛ وما هنا عن المسند .

وقد روي[١] في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة لا أصل لها .

وقال غير واحد ، عن أبي الأزهر أحمد بن الأزهر : حدَّثنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله[٢] ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نظر إلى علي فقال : « أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة ، من أحبك فقد أحبني وحبيبك حبيب الله ، ومن أبغضك فقد أبغضني وبغيضك بغيض الله ، والويل[٣] لمن أبغضك من بعدي »[٤] .

وروى غير واحد أيضاً عن الحارث بن حَصِيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجذ ، عن علي قال : دعاني رسول الله فقال : « إن فيك من عيسى بن مريم مثلاً أبغضته يهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته[٥] النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس هو له » قال علي : ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان محب مُطْرٍ مفرط يُقَرِّظُني بما ليس فيَّ . ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني ، ألا وإني لست بنبي ولا يوحى إلي ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فما أمرتكم من طاعة الله فحقٌّ[٦] عليكم طاعتي فيما أحببتم[٧] وكرهتم ، لفظ عبد الله بن أحمد[٨] .

[حديث آخر] :

قال يعقوب بن سفيان . حدَّثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدَّثنا علي بن مسهر ، عن الأعمش ، عن موسى بن طريف ، عن عباية ، عن علي قال : أنا قسيم النار ، إذا كان يوم القيامة قلت هذا لك وهذا لي . قال يعقوب : وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعدله [وليس بثقة] وعباية أقل منه ليس حديثه بشيء[٩] . وذكر أن أبا معاوية لام الأعمش على تحديثه بهذا [الحديث] فقال له الأعمش : إذا نسيت فذكروني، ويقال: إن الأعمش إنما رواه على سبيل الاستهزاء بالروافض والتنقيص لهم في تصديقهم ذلك .

قلت : وما يتوهمه بعض العوام بل هو مشهور بين كثير منهم ، أن علياً هو الساقي على الحوض فليس له أصل ولم يجيء من طريق مرضي يعتمد عليه ، والذي ثبت أن رسول الله ﷺ هو الذي يسقي الناس .

---

(١) في أ : ورد .
(٢) في ط : « عبد الله بن عبيد الله » خطأ .
(٣) في ط : « وويل » وما هنا من أ وهو الموافق لمصادر تخريج الحديث .
(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧٥١) ، والحاكم (٣/ ١٢٧) وقال : هو منكر ، ليس ببعيد من الوضع ، وانظر تمام تخريجه في تعليق الدكتور بشار عواد معروف على تاريخ الخطيب (٥/ ٦٨) .
(٥) في ط : وأحبوه على لغة أكلوه البراغيث ، وما هنا موافق لما في مسند أحمد .
(٦) في ط : « حق » ، وما أثبتناه من أ ومسند أحمد .
(٧) في أ : اختلفتم ، وما هنا موافق لما في مسند أحمد .
(٨) مسند أحمد (١/ ١٦٠) .
(٩) في ط : ليس بشيء حديثه .

وهكذا الحديث الوارد في أنه ليس أحد يأتي يوم القيامة راكباً إلا أربعة ، رسول الله على البراق ، وصالح على ناقته ، وحمزة على العضباء ، وعلي على ناقة من نوق الجنة رافعاً صوته بالتهليل .

وكذلك ما في أفواه الناس من اليمين بعلي يقول أحدهم : خذ بعلي ، أعطني[١] بعلي ، ونحو ذلك كل ذلك لا أصل له ، بل ذلك من نزعات الروافض ومقالاتهم ولا يصح من شيء من الوجوه[٢] ، وهو من وضع الرافضة ويخشى على من اعتاد ذلك سلب الإيمان عند الموت ، ومن حلف بغير الله فقد أشرك .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثني يحيى ، عن شعبة ، حدَّثنا عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن علي قال : مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا وجع وأنا أقول : اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني ، وإن كان آجلاً فارفع عني ، وإن كان بلاءً فصبِّرني . قال : « ما قلت ؟ » فأعدت عليه ، فضربني برجله وقال : « ما قلت ؟ » فأعدت عليه فقال : « اللهم عافه أو اشفه » فما اشتكيت ذلك الوجع بعد .

حديث آخر :

قال محمد بن مسلم بن وارة[٤] : حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، حدَّثنا أبو عمر الأزدي ، عن أبي راشد الحرَّاني ، عن أبي الحمراء قال قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فَهمه ، وإلى إبراهيم في حلمه[٥] ، وإلى يحيى بن زكريا في زهده ، وإلى موسى في بطشه[٦] فلينظر إلى علي بن أبي طالب » وهذا [حديث] منكر جداً ولا يصح إسناده .

حديث آخر في ردِّ الشمس[٧] :

قد ذكرناه في دلائل النبوة بأسانيده وألفاظه فأغنى له عن إعادته .

حديث آخر :

قال أبو عيسى الترمذي[٨] : حدَّثنا علي بن المنذر الكوفي ، حدَّثنا محمد بن فُضَيل ، عن الأجلح ،

---

(١) في أ : أعط .
(٢) ولا يصح شيء من هذه الوجوه البتة ، بل ذلك من وضع الرافضة .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٨٣) ، وإسناده حسن .
(٤) في الأصل والمطبوع : مسلم بن دارة ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٥) في أ : في حكمه .
(٦) في أ : بطشته .
(٧) في أ : حديث في الشمس حتى صلى ضعيف جداً ذكرناه .
(٨) سنن الترمذي (٣٧٢٦) في المناقب .

عن أبي الزبير ، عن جابر قال : دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف فانتجاه[١] فقال الناس : لقد طال بنجواه مع ابن عمه ، فقال رسول الله ﷺ : « ما انتجيته ولكن الله انتجاه » ثم قال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه[٢] إلا من حديث الأجلح وقد رواه [عنه] غير ابن فضيل عن الأجلح .

ومعنى قوله : « ولكن الله انتجاه » أن الله أمرني أن أنتجي معه . [قلت : وقد يكون أراد أن الله أمرني بمناجاته[٣] . والله أعلم] .

حديث آخر :

قال الترمذي[٤] : حدَّثنا محمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد ، حدَّثنا أبو عاصم ، عن أبي الجَرّاح ، عن جابر بن صُبْح[٥] ، حدَّثتني أمُّ شراحيل[٦] ، حدَّثتني أمُّ عطية قالت : بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم عليّ قالت : فسمعت رسول الله ﷺ رافعاً يديه[٧] يقول : « اللهم لا تمتني حتى تُريني علياً » ثم قال : هذا حديث حسن [غريب إنما نعرفه من هذا الوجه] .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا علي بن عاصم ، قال : حصين أخبرنا عن هلال بن يساف ، عن عبد الله بن ظالم المازني قال : لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة ، قال : فأقام خطباء يقعون في علي ، قال وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمرو[٩] بن نُفيل قال : فغضب فقام وأخذ بيدي فتبعته[١٠] فقال : ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه ، الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة[١١] فأشهد على التسعة أنهم من أهل الجنة ، ولو شهدت على العاشر لم آثم ، قال : قلت : وما ذاك ؟ قال قال رسول الله ﷺ : « اثبت حراء فليس عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد » قال قلت : من هم ؟ فقال : رسول الله ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ،

---

(١) الانتجاء : هو المناجاة . النهاية (٥/ ٢٥) .
(٢) في أ : لا يعرف .
(٣) وهو ما رجّحه ابن الأثير في نهايته .
(٤) سنن الترمذي (٣٧٣٧) في المناقب .
(٥) في ط : « صبيح » محرف .
(٦) في ط : « أمي أم شرحبيل » ولفظة أمي ليست في أ ولا جامع الترمذي .
(٧) في أ : فسمعت رسول الله ﷺ يقول مع يديه .
(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ١٨٩) ، وإسناده حسن .
(٩) في ط : عمر ؛ خطأ ، وترجمة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٤) .
(١٠) في ط : وتبعته ؛ وما هنا كالمسند .
(١١) في ط : الكوفة ؛ خطأ .

وسعد بن مالك . [قال : ثم سكت] قلت : ومن العاشر ؟ قال : قال : أنا .

وينبغي أن يكتب هاهنا حديث أم سلمة المتقدم قريباً أنها قالت لأبي عبد الله الجدلي : « أيسب رسول الله فيكم على المنابر » ؟ الحديث . رواه أحمد [أيضاً][١] .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكير قالا : حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حبشي بن جنادة السلولي ـ وكان قد شهد حجة الوداع ـ قال قال رسول الله ﷺ : « عليٌّ منِّي وأنا منه ولا يؤدّي عنِّي إلا أنا أو عليّ » ثم رواه أحمد عن أبي أحمد الزبيري عن إسرائيل .

حديث آخر :

قال أحمد[٣] : حدَّثنا وكيع ، حدَّثنا : إسرائيل : قال أبو إسحاق : عن زيد بن يُثَيْع[٤] ، عن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكة : « لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة[٥] ، من كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته ، والله بريء من المشركين ورسوله » . قال : فسار بها ثلاثاً ، ثم قال لعلي : « الحقه وردَّ عليَّ أبا بكر وبلِّغها أنت » [قال : ففعل] قال : فلما قدم أبو بكر على رسول الله بكى ، وقال يا رسول الله : حدث فيّ شيء ؟ قال : « ما حدث فيك إلا خيرٌ ، ولكن أمرتُ أن لا يبلِّغه إلا أنا أو رجل مني »[٦] .

حديث آخر :

وقال عبد الله بن أحمد[٧] : حدَّثني محمد بن سليمان لوين ، حدَّثنا محمد بن جابر ، عن سماك ، عن حنش[٨] ، عن علي قال : لما نزلت عشر آيات من براءة دعا رسول الله أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ، ثم دعاني فقال لي : « أدرك أبا بكر فحيث لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه

---

(١) تقدم الحديث قبل ثلاث صفحات وهو في المسند (٦/ ٣٢٣) .
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٦٤ ـ ١٦٥) بسندين .
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٣) .
(٤) اللفظة مهملة النقط في أ ، وهي في ط : بثيغ ، وهو تحريف ، ويرسم اسمه على شكلين أثيع مصغراً ، ويثيع بضم التحتانية بعدها مثلثة ثم تحتانية ساكنة ثم مهملة . وزيد بن يثيعٍ من رجال التهذيب .
(٥) في ط : مؤمنة ؛ وما هنا كالمسند .

(٦) في ط : من أهل بيتي . وما هنا كالمسند .
(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥١) .
(٨) في ط : حبشي ؛ تحريف .

عليهم » فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال : يا رسول الله نزل فيّ شيء ؟ قال : « لا ولكن جبريل جاءني فقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك[١] » .

وقد رواه كثيرٌ النَّوَّاء ، عن جُميع بن عُمير ، عن ابن عمر ، بنحوه ، وفيه نكارة من جهة أمره بردِّ الصدِّيق فإن الصدِّيق لم يرجع بل كان هو أمير الحج في سنة تسع ، وكان علي هو وجماعة معه بعثهم الصدّيق يطوفون برحاب منى في يوم النحر وأيام التشريق ينادون ببراءة ؟ وقد قررنا ذلك في حجّة الصديق وفي أول تفسير سورة براءة .

حديث آخر :

[روي من حديث][٢] أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس [بن مالك] وثوبان وعائشة وأبي ذر وجابر أن رسول الله ﷺ قال : « النظر إلى وجه عليّ عبادة »[٣] . وفي حديث عن عائشة « ذكرُ عليّ عبادةٌ » ولكن لا يصحُّ شيءٌ منها فإنه لا يخلو كل سند منها[٤] عن كذاب أو مجهول لا يعرف حاله وهو شيعي .

حديث الصدقة بالخاتم وهو راكع :

قال الطبراني : حدَّثنا عبد الرحمن بن سَلْم[٥] الرازي ، حدَّثنا محمد بن يحيى ، عن ضريس العبدي ، حدَّثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب ، حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي قال : نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥] فخرج رسول الله ﷺ ، فدخل المسجد ، والناس يصلون بين راكع وقائم وإذا سائل فقال : « يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً » فقال : لا ! إلا هاذاك الراكع ـ لعلي ـ أعطاني خاتمه .

وقال الحافظ ابن عساكر[٦] : أخبرنا خالي أبو المعالي القاضي ، أخبرنا أبو الحسن الخلعي ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد الشاهد ، حدَّثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الرملي ، حدَّثنا القاضي جملة بن محمد ، حدَّثنا أبو سعيد الأشج ، حدَّثنا أبو نعيم الأحول ، عن

---

(١) في ط : من بيتك ؛ وما هنا كالمسند .
(٢) مكانهما في أ : عن .
(٣) في هامش أ : ولعل في قوله : النظر إلى وجه علي عبادة نظر ، أما سمعتم يقال : النظر إلى وجه العالم عبادة : فكيف وجه علي .
(٤) في أ : كل إسناد منها .
(٥) في ط : « مسلم » ، محرف .
(٦) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) .

موسى بن قيس(١)، عن سلمة قال: تصدق عليّ بخاتمه وهو راكع فنزلت ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥] وهذا لا يصح بوجه من الوجوه لضعف أسانيده، ولم ينزل في عليّ شيء من القرآن بخصوصيته، وكل ما يوردونه في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] وقوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨] وقوله: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة: ١٩] وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنها نزلت في عليٍّ لا يصح شيء منها، وأما قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩] فثبت في الصحيح(٢) أنه نزل(٣) في علي وحمزة وعبيدة من المؤمنين، وفي عتبة وشيبة والوليد بن عتبة من الكافرين.

وما روي عن ابن عباس أنه قال: ما نزل(٤) في أحد من الناس ما نزل في عليٍّ. وفي رواية عنه أنه قال: نزل فيه ثلاثمئة آية فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا. [ولا يصح أيضاً ما قالوا فيه أنه قال: ما نزلت آية فيها يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي بن أبي طالب رأسها(٥)، كل ذلك لا يصح وإنما هذا من غلو الرافضة].

حديث آخر:

قال أبو سعيد بن الأعرابي: حدَّثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدَّثنا العباس بن بكار أبو الوليد، حدَّثنا عبد الله بن المثنى الأنصاري، عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً بالمسجد وقد أطاف به أصحابه إذ أقبل علي فسلم ثم وقف فنظر(٦) مكاناً يجلس فيه فنظر [إليه] رسول الله ﷺ وإلى وجوه أصحابه أيهم يوسِّع له ـ وكان أبو بكر عن يمين رسول الله ﷺ جالساً ـ فتزحزح أبو بكر عن مجلسه وقال: هاهنا يا أبا الحسن، فجلس بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر، فرأينا السرور في وجه رسول الله ﷺ، ثم أقبل على أبي بكر فقال: «يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل [ذوو الفضل] ».

فأما الحديث الوارد عن علي وحذيفة مرفوعاً: «علي خير البشر، من أبى فقد كفر، ومن رضي فقد شكر» فهو موضوع من الطريقين معاً، قبح الله من وضعه واختلقه(٧).

---

(١) في أ: موسى بن عقبة، وفي سند تاريخ دمشق: حملة بن محمر، وما أثبتناه هو الصواب.
(٢) صحيح البخاري (٣٩٦٥ و٣٩٦٦ و٣٩٦٨) في المغازي.
(٣) في أ: أنها نزلت، والضمير يعود إلى قوله تعالى.
(٤) في أ: نزلت في أحد من الناس ما نزل.
(٥) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٢٨).
(٦) في أ: ينظر.
(٧) في أ: قبح الله واضعه ومختلقه.

حديث آخر :

قال أبو عيسى الترمذي[١] : حدَّثنا إسماعيل بن موسى ، [حدَّثنا محمد بن عمر بن] الرُّومي ، حدَّثنا شَريك ، عن [سَلَمة بن] كهيل ، عن سُوَيد بن غَفَلة ، عن الصُّنابحيِّ ، عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا دار الحكمة وعلي بابها » ثم قال : هذا الحديث غريب [منكر] . قال : وروى بعضهم هذا الحديث عن ابن عباس قلت : رواه سويد بن سعيد ، عن شريك ، عن سلمة ، عن الصنابحي ، عن علي مرفوعاً : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت باب المدينة »[٢] .

وأما حديث ابن عباس فرواه ابن عدي[٣] من طريق أحمد بن سلمة أبي عمرو الجرجاني ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها » ثم قال ابن عدي : وهذا الحديث يعرف بأبي الصلت الهروي ، عن أبي معاوية ، سرقه منه أحمد بن سلمة هذا ومعه جماعة من الضعفاء ، هكذا قال رحمه الله .

وقد روى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز ، عن ابن معين أنه قال : أخبرني ابن أيمن أن أبا معاوية حدّث بهذا الحديث قديماً ثم كفَّ عنه ، قال : وكان أبو الصلت رجلاً موسراً يكرم[٤] المشايخ ويحدثونه بهذه الأحاديث ، وساقه ابن عساكر بإسناد مظلم عن جعفر الصادق ، عن أبيه ، عن جده ، عن جابر بن عبد الله فذكره مرفوعاً ، ومن طريق أخرى عن جابر : قال ابن عدي وهو موضوع أيضاً . وقال أبو الفتح الأزدي[٥] : لا يصح في هذا الباب شيء .

حديث آخر[٦] :

يقرب مما قبله ، قال ابن عدي[٧] : حدَّثنا أحمد بن حمدون النيسابوري ، حدَّثنا ابن بنت أبي أسامة ـ هو جعفر بن هذيل ـ حدَّثنا ضرار بن صُرد ، حدَّثنا يحيى بن عيسى الرملي ، عن الأعمش ، عن ابن عباية ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « عليٌّ عيبة علمي » .

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٢٣) في المناقب ، وما بين معقوفين زيادة وتصحيح منه .

(٢) الحديث بهذا السند في المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٦٥ و٦٦) رقم (١١٠٦١) والمستدرك (٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧) وصححه ، وتعقبه الذهبي بقوله : بل موضوع ، وأبو الصلت والله لا ثقة ، ولا مأمون .

(٣) الكامل في الضعفاء (٣/ ١٢٤٧) .

(٤) في أ : يلزم ، وما هنا يوافقه ما في سؤالات ابن محرز لابن معين (٢٤١) .

(٥) في أ : « اليزدي » خطأ .

(٦) في أ : طريق أخرى عن جابر .

(٧) (٢/ ١٤٢١) والحديث بتمامه في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٨٢) وفي سنده : حدَّثنا ابن بنت أسامة وفي أ ، ط : على عيينة علي . . ؛ تحريف .

حديث آخر :

في معنى ما تقدم . قال ابن عدي : حدَّثنا أبو يعلى ، حدَّثنا كامل بن طلحة ، حدَّثنا ابن لهيعة ، حدَّثنا يحيى بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال في مرضه : « ادعوا لي أخي » فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ثم قال : « ادعوا لي أخي » فدعوا له عمر فأعرض عنه ثم قال : « ادعوا لي أخي » فدعوا له عثمان فأعرض عنه ، ثم قال : « ادعوا لي أخي » فدعي له علي بن أبي طالب فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له : ما قال [لك رسول الله ﷺ] ؟ قال : علّمني ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب . قال ابن عدي : هذا حديث منكر ، ولعل البلاء فيه من ابن لهيعة ، فإنه شديد الإفراط في التشيع وقد تكلّم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف ، والله أعلم .

حديث آخر :

قال ابن عساكر(١) : أنبأنا أبو علي المقرىء(٢) ، أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، أخبرنا أبو أحمد الغطريفي ، حدَّثنا أبو الحسين بن أبي مقاتل ، حدَّثنا محمد بن عبيد بن عتبة ، حدَّثنا محمد بن علي الوهبي الكوفي ، حدَّثنا أحمد بن عمران بن سلمة ـ وكان ثقة عدلاً مرضياً ـ حدَّثنا سفيان الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنت عند النبي ﷺ فسئل عن علي فقال : « قسمت الحكمة عشرة أجزاء أعطي(٣) علي تسعة والناس جزءاً واحداً » وسكت الحافظ ابن عساكر على هذا الحديث ولم ينبه على أمره وهو منكر بل موضوع مركب على سفيان الثوري بإسناده، قبح الله واضعه ومن افتراه واختلقه.

حديث آخر :

قال أبو يعلى(٤) : حدَّثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن الأعمش ، عن عمرو(٥) بن مرة ، عن أبي البَخْتريِّ ، عن علي . قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث السن ليس لي علم بالقضاء قال : فضرب في صدري وقال : « إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك » قال : فما شككتُ في قضاءٍ بين اثنين بعد . وقد ثبت عن عمر أنه كان يقول : علي أقضانا وأبيٌّ أقرؤنا للقرآن . وكان عمر يقول : أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها .

---

(١) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٤٨١) .

(٢) في ط : « أنبانا أبو يعلى ، ثنا المقري » وهو غلط محض ، وما أثبتناه هو الصواب الموافق لما في تاريخ دمشق ، وأبو علي هذا هو الحسن بن أحمد الأصبهاني الحداد المتوفى سنة ٥١٥هـ وهو شيخ مشهور للحافظ ابن عساكر ، وأكثر هو عن أبي نعيم ، وله معجم شيوخ معروف (بشار) .

(٣) في أ : فأعطي .

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٣٢٣) رقم (٤٠١) .

(٥) في أ : عمر . خطأ .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الله بن محمد ، حدَّثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، عن أم موسى ، عن أم سلمة قالت : والذي أحلف به إن كان علي بن أبي طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ عدنا رسول الله غداة بعد غداة يقول : « جاء علي ؟ » مراراً ـ وأظنه كان بعثه في حاجة ـ قالت : فجاء بعدُ فظننت أن له إليه حاجة ، فخرجنا من البيت ، فقعدنا عند الباب ، فكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه عليٌّ ، فجعل يسارُّه ويناجيه ، ثم قبض من يومه ذلك ، فكان أقرب الناس به عهداً . وهكذا رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى[٢] عن أبي بكر بن أبي شيبة به[٣] .

حديث آخر في معناه :

قال أبو يعلى[٤] : حدَّثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدَّثنا أبو بكر بن عياش ، عن صدقة ، عن جُميع بن عمير ، أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا : يا أم المؤمنين أخبرينا عن علي ، قال : أيُّ شيء [تسألان عنه] تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه ثم اختلفوا في دفنه فقال : إن أحب الأماكن إلى الله مكان قبض فيه نبيه ﷺ ؟ قالتا : فَلِمَ خرجت عليه ؟ قالت أمر قضي لوددت أني أفديه بما على الأرض[٥] . وهذا منكر جداً وفي الصحيح ما يرد هذا ، والله أعلم .

حديث آخر :

قال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا أسود بن عامر ، حدَّثني عبد الحميد بن أبي جعفر ـ يعني الفراء ـ عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيْع ، عن علي قال : قيل يا رسول الله من نُؤمِّر بعدك ؟ قال : « إن تُؤَمِّروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة ، وإن تُؤَمِّروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف[٧] في الله لومة لائم ، وإن تُؤَمِّروا علياً ـ ولا أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم » .

وقد روي هذا الحديث من طريق عبد الرزاق ، عن النعمان بن أبي شيبة ، وعن يحيى بن العلاء ، عن الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيْع ، عن حذيفة عن النبي ﷺ بنحوه .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٠٠) .
(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (١٢/ ٣٦٤) رقم (٦٩٣٤) .
(٣) وهو في مصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٥٦ ـ ٥٧) .
(٤) مسند أبي يعلى (٤٨٦٥) .
(٥) في أ : أني افتديت بما على الأرض من شيء .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٠٩) وإسناده ضعيف .
(٧) في أ : لا تأخذه ؛ وما هنا عن المسند .

ورواه أبو الصلت الهروي عبد السلام بن صالح ، عن ابن نمير ، عن الثوري ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيْع ، عن حذيفة به .

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري[١] : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الآدمي بمكة ، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعاني ، أنا عبد الرزاق بن همام ، عن أبيه ، عن ابن ميناء[٢] ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبي ﷺ ليلة وفد الجن قال : فتنفس فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « نُعيت إليّ نفسي » قلت : فاستخلف . قال : « من ؟ » قلت : أبا بكر . قال : فسكت ، ثم مضى ، ثم تنفس ، قلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال نعيت إلي نفسي يا بن مسعود ، قلت : فاستخلف قال : من ؟ قلت : عمر . قال : فسكت ، ثم مضى ساعة ، ثم تنفس قال : فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « نعيت إليّ نفسي يا ابن مسعود » قلت : فاستخلف ، قال : « من ؟ » قلت : علي بن أبي طالب قال : « أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخُلنَّ الجنة أجمعون أكتعون »[٣] قال ابن عساكر : همام وابن ميناء مجهولان .

حديث آخر :

قال أبو يعلى[٤]: حدَّثنا أبو موسى ـ يعني محمد بن المثنى ـ حدَّثنا سهيل بن حماد أبو عتاب الدلال ، حدَّثنا مختار بن نافع التميمي ، حدَّثنا أبو حيان التيمي ، عن أبيه ، عن علي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحَمَلني إلى دار الهجرة وأعتق بلالاً من ماله ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرّاً تركه الحق وما له من صديق ، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة ، رحم الله علياً اللهم أدر الحق[٥] معه حيث دار » وقد ورد عن أبي سعيد وأم سلمة أن الحق مع علي رضي الله عنه وفي كلٍّ منهما نظر والله أعلم .

حديث آخر :

قال أبو يعلى[٦] : حدَّثنا عثمان ، [حدَّثنا] جرير ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ، قال : « لا ! » فقال عمر : أنا هو

(١) لم أجده في المستدرك وهو في مصنف عبد الرزاق (١١/ ٣١٧ ـ ٣١٨) بهذا السند .
(٢) في المصنف : عن ميناء .
(٣) في الأصل وط والمصنف : أجمعين أكتعين ، وهو مخالف للسياق النحوي .
(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٤١٨ ـ ٤١٩) رقم (٥٥٠) وإسناده ضعيف .
(٥) في ط : « رحم الله علياً دار الحق » ، وما هنا من أ وهو الموافق لما في مسند أبي يعلى الذي ينقل منه المصنف .
(٦) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) رقم (١٠٨٦) .

يا رسول الله ، قال : « لا ! ولكنه خاصف النعل » ـ وكان قد أعطى علياً نعله يخصفه ـ.

ورواه الإمام البيهقي[١] ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش به .

ورواه الإمام أحمد[٢] : عن وكيع وحسين بن محمد ، عن فطر بن خليفة ، عن إسماعيل بن رجاء به .

ورواه البيهقي أيضاً من حديث أبي نعيم ، عن فطر بن خليفة ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبي سعيد به . ورواه فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد . وروي من حديث علي نفسه .

وقد قدّمنا[٣] هذا الحديث في موضعه في قتال علي أهل البغي والخوارج ولله الحمد ، وقدّمنا أيضاً حديث علي للزبير أن رسول الله ﷺ قال لك : إنك تقاتلني وأنت ظالم . فرجع الزبير وذلك يوم الجمل ، ثم قتل بعد مرجعه في وادي السباع . وقدمنا صبره وصرامته وشجاعته في يومي الجمل وصفين ، وبسالته وفضله في يوم النهروان ، وما ورد في فضل طائفته الذين قتلوا الخوارج من الأحاديث ، وذكرنا الحديث الوارد من غير طريق عن علي وأبي سعيد وأبي أيوب أن رسول الله ﷺ أمره بقتال المارقين والقاسطين والناكثين، وفسروا الناكثين بأصحاب الجمل والقاسطين بأهل الشام والمارقين بالخوارج، والحديث ضعيف.

فصل
في ذكر شيء من سيرته [العادلة وطريقته] الفاضلة ومواعظه وقضاياه الفاصلة وخطبه [الكاملة] وحكمه التي هي إلى القلوب واصلة

قال عبد الوارث : عن أبي عمرو بن العلاء ، عن أبيه قال : خطب عليٌّ الناس فقال : أيها الناس ! والله الذي لا إله إلا هو ما رزأتُ[٤] من مالكم [لا] قليلاً ولا كثيراً إلّا هذه ـ وأخرج قارورة من كُمِّ قميصه فيها طيب ـ . فقال : أهداها إليَّ الدهقان ، ـ وفي رواية بضم الدال ـ وقال : ثم أتى بيت المال فقال : خذوا وأنشأ يقول[٥] : [من الرجز]

أفلحَ منْ كانتْ له قوصرهْ يـأكـلُ منهـا كـلَّ يـوم تمـرهْ

وفي رواية : مرة . وفي رواية طوبى لمن كانت له قوصرة .

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٦) وثمة إشارة إلى الرواية الثانية والتي سترد بعد قليل .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣) .
(٣) في هذا المقطع خلاف كبير بين أ وط يكاد يكون في كل لفظ من ألفاظه ولذا آثرنا أن نشير إلى ذلك بهذه الإشارة دون ذكر ذلك الخلاف بالتفصيل لقلة فائدته .
(٤) رزأته وأرزؤه : أخذت منه ونقصت . النهاية (٢/ ٢١٨) .
(٥) البيت في ديوان الإمام علي .

وقال حرملة : عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن عبد الله بن زُرَيْر[١] الغافقي قال : دخلنا مع علي يوم الأضحى فقرب إلينا خَزِيرَة[٢] . فقلنا : أصلحك الله لو قدمت إلينا هذا البط والإوز ، فإن الله قد أكثر الخير فقال : يا بن زُرَير إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يطعمها بين الناس[٣] » .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدَّثنا حسن وأبو سعيد مولى بني هاشم قالا : حدَّثنا ابن لهيعة ، حدَّثنا عبد[٥] الله بن هبيرة ، عن عبد الله بن زُرَيْر أنه قال : دخلت على علي بن أبي طالب ، قال حسن : يوم الأضحى ، فقرب إلينا خزيرة ، فقلنا : أصلحك الله لو أطعمتنا هذا البط ؟ ـ يعني الإوز ـ فإن الله قد أكثر الخير ، قال : يا بن زُرَيْر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يضعها بين يدي الناس » .

وقال أبو عبيد : حدَّثنا عباد بن العوام ، عن مروان بن عنترة ، عن أبيه قال : دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال وأنت ترعد من البرد ؟ فقال : إني والله لا أرزأ من مالكم شيئاً ، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي ـ أو قال من المدينة ـ وقال أبو نعيم . سمعت سفيان الثوري يقول : ما بنى علي لبنة ولا قصبة على لبنة[٦] ، وإن كان ليؤتى بحبوبة من المدينة في جراب .

وقال يعقوب بن سفيان[٧] : حدَّثنا أبو بكر الحميدي ، حدَّثنا سفيان ، حدثنا أبو حسان[٨] ، عن مجمع بن سمعان[٩] التيمي ، قال : خرج علي بن أبي طالب بسيفه إلى السوق فقال : منْ يَشْتري مني سيفي هذا ؟ فلو كان عندي أربعة دراهم أشتري بها إزاراً ما بعته .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني سفيان ، عن جعفر ، قال ـ أظنه عن أبيه ـ إن علياً كان إذا لبس قميصاً مدَّ يده في كمه فما فضل من الكم عن أصابعه قطعه وقال : ليس للكم فضل عن الأصابع .

وقال أبو بكر بن عياش : عن يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : اشترى علي

---

(١) في الأصل والمطبوع : عبد الله بن أبي رزين ، وفي المواضع رزين ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٢) الخزيرة : لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذر عليه الدقيق . النهاية (٢/ ٢٨) .
(٣) في أ : قصعة يأكل هو وأهله وقصعة يطعمها للناس .
(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٧٨) ، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة .
(٥) في أ : عبيد الله ، تحريف ، وعبد الله بن هبيرة من رجال التهذيب .
(٦) في أ : ما بنى علي لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة .
(٧) في المعرفة والتاريخ (٢/ ٦٨٣) .
(٨) في ط : « سفيان أبو حسان » وهو خطأ ، وأبو حسان هذا هو أفلت بن خليفة العامري من رجال التهذيب .
(٩) في أ : صرفان ، خطأ .

قميصاً بثلاثة دراهم وهو خليفة وقطع كمه من موضع الرسغين ، وقال : الحمد لله الذي هذا من رياشه .

وروى الإمام أحمد : في « الزهد » عن عبّاد بن العوّام ، عن هلال بن خَبَّاب[١] ، عن مولى لأبي غصين[٢] قال : رأيت علياً [خرج] فأتى رجلاً من أصحاب الكرابيس فقال له : عندك قميص سنبلاني ؟ قال : فأخرج إليه قميصاً فلبسه فإذا هو إلى نصف ساقيه ، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال : ما أرى إلا قدراً حسناً ، بكم هذا ؟ قال : بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين ، قال : فحلَّها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق .

وقال محمد بن سعد[٣] : أنا الفضل بن دكين ، أنا الحسن بن جرموز ، عن أبيه قال : رأيت علياً وهو يخرج من القصر وعليه قبطيتان[٤] إزار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه ، ومعه درة له يمشي بها في الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول : أوفوا الكيل والميزان . ويقول : لا تنفخوا اللحم .

وقال عبد الله بن المبارك في « الزهد »[٥] : أنا رجل ، حدَّثني صالح بن ميثم ، حدَّثنا زيد[٦] بن وهب الجهني قال : خرج علينا علي بن أبي طالب ذات يوم وعليه بردان مُتزر بأحدهما مُرْتد بالآخر قد أرخى جانب إزاره ورفع جانباً ، قد رفع إزاره بخرقة ، فمر به أعرابي فقال : أيها الإنسان البس من هذه الثياب فإنك ميت أو مقتول . فقال : أيها الأعرابي إنما ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي من الزهو ، وخيراً لي في صلاتي ، وسنة للمؤمن .

وقال عبد بن حميد[٧] : حدَّثنا محمد بن عبيد ، حدَّثنا المختار بن نافع ، عن أبي مطر قال : خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي : ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لك ، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً ، (فمشيت) خلفه ، وهو [بين يدي متزر] بإزار ومرتدٍ برداء ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوي [فمشيت] فقلت : من هذا ؟ فقال لي رجل : أراك غريباً بهذا البلد . فقلت : أجل أنا رجل من أهل البصرة . فقال : هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط وهو يسوق الإبل ، فقال : بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة ، ثم أتى أصحاب التمر فإذا خادم تبكي[٨] فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فرده موالي فأبى أن يقبله ، فقال له

---

(١) في ط : « حبان » ، محرف وهو من رجال التهذيب .
(٢) في أ : عصفين .
(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٨) وأول سنده : الحر بن جرموز .
(٤) القبطية : ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبة إلى القبط على غير قياس . اللسان (قبط) .
(٥) الزهد لابن المبارك ص(٢٦١) .
(٦) في ط : يزيد ، وزيد بن وهب الجهني من رجال التهذيب .
(٧) الخبر في تاريخ دمشق (ص٤٨٥ . ط. دار الفكر) .
(٨) في أ : يبكي .

علي : خذ تمرك وأعطها درهماً فإنها ليس لها أمر ، فدفعه ، فقلت : أتدري من هذا ؟ فقال : لا ، فقلت : هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فصبت تمره وأعطاها درهمها[١] . ثم قال الرجل : أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين ، قال : ما أرضاني عنك إذا أوفيت الناس حقوقهم ، ثم مرَّ مجتازاً بأصحاب التمر فقال : يا أصحاب التمر أطعموا المساكين يرب[٢] كسبكم . ثم مرَّ مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك فقال : لا يباع في سوقنا طافي . ثم أتى دار فرات ـ وهي سوق الكرابيس ـ فأتى شيخاً فقال : يا شيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم ، فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً ، ثم آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً ، فأتى غلاماً حَدَثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه[٣] ما بين الرسغين إلى الكعبين . يقول في لبسه : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في[٤] الناس ، وأواري به عورتي . فقيل له : يا أمير المؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال : لا ! بل شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقوله عند الكسوة . فجاء أبو الغلام صاحب الثوب فقيل له : يا فلان قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم ، قال : أفلا أخذت منه درهمين ؟ فأخذ منه أبوه درهماً ثم جاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة فقال : أمسك هذا الدرهم . فقال : ما شأن هذا الدرهم ؟ فقال إنما ثمن القميص درهمين ، فقال : باعني رضاي وأخذ رضاه .

وقال عمرو بن شمر[٥] ، عن جابر الجعفي ، عن الشعبي قال : وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح يخاصمه ، قال : فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال : يا شريح لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلاَّ معه ، ولكنه نصراني وقد قال رسول الله ﷺ : « إذا كنتم وإياهم في طريق فاضطروهم إلى مضايقه ، وصغِّروا بهم كما صغَّر الله بهم من غير أن تطغوا » ثم قال عليّ : هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب ، فقال شريح للنصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ فقال النصراني : ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب ، فالتفت شريح إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين هل من بيِّنة ؟ فضحك علي وقال أصاب شريح ، ما لي بينة ، فقضى بها شريح للنصراني ، قال فأخذه النصراني ومشى خطاً ثم رجع فقال : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه [وقاضيه] يقضي عليه ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين ، اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق . فقال : أما

(١) في ط : « درهماً » ، وما هنا من أ ، وهو الموافق لما في تاريخ دمشق .
(٢) في أ : يربو .
(٣) في ط : « وكمه » ، وما هنا من أ ، وهو الموافق لما في تاريخ دمشق .
(٤) في ط : « بين الناس » وما هنا من أ ، وهو الموافق لما في تاريخ دمشق .
(٥) الخبر في تاريخ دمشق (ص٤٨٧ . ط . دار الفكر) .

إذا أسلمتَ فهي لك ، وحمله على فرس . قال الشعبي : فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج [مع علي] يوم النهروان .

وقال سعيد بن عبيد ، عن علي بن ربيعة : جاء جعدة بن هبيرة إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله ، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك ، فتقضي لهذا على هذا ؟ قال : فلهزه علي وقال : إن هذا شيء لو كان لي فعلت ، ولكن إنما ذا شيء لله .

وقال أبو القاسم البغوي : حدَّثني جدي ، حدَّثنا علي بن هاشم ، عن صالح بياع الأكسية[١] عن جدته قالت : رأيت علياً اشترى تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقال رجل : يا أمير المؤمنين ألا نحمله[٢] عنك ؟ فقال : أبو العيال أحق بحمله .

وعن أبي هاشم . عن زاذان قال : كان علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة ، يرشد الضال ، ويعين الضعيف ، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص : ٨٣] ، ثم يقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة [من أهل الأموال] من سائر الناس .

وعن عبادة بن زياد ، عن صالح بن أبي الأسود ، عمن حدَّثه : أنه رأى علياً قد ركب حماراً ودلّى رجليه إلى موضع واحد [وناحية واحدة] ثم قال : أنا الذي أهنت الدنيا .

وقال يحيى بن معين : عن علي بن الجَعْد ، عن الحسن بن صالح قال : تذاكروا الزهّاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون : فلان ، وقال قائلون : فلان ، فقال عمر بن عبد العزيز : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب .

وقال هشام بن حسان : بينا[٣] نحن عند الحسن البصري إذ أقبل رجل من الأزارقة فقال : يا أبا سعيد ما تقول في علي بن أبي طالب ؟ قال : فاحمرت وجنتا الحسن وقال : رحم الله علياً ، إن علياً كان سهماً لله صائباً في أعدائه ، وكان في محلة العلم أشرفها وأقربها إلى[٤] رسول الله ﷺ ، وكان رهبانيَّ هذه الأمة ، لم يكن لمال الله بالسروقة ، ولا في أمر الله بالنومة ، أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه ، فكان منه في رياض مونقة ، وأعلام بينة ، ذاك علي بن أبي طالب يا لكع .

وقال هشيم : عن يسار[٥] ، عن عمار . قال : حدَّث رجل علي بن أبي طالب بحديث فكذبه فما قام حتى عمي .

---

(١) في أ : الأكيسة .
(٢) في أ : ألا أحمله عنك .
(٣) في أ : بينما .
(٤) في أ : من رسول الله .
(٥) في أ : سيار ؛ تحريف .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدَّثني شريح بن يونس ، حدَّثنا هشيم ، عن إسماعيل بن[١] سالم ، عن عمار الحضرمي ، عن زاذان أبي عمر أن رجلاً حدّث علياً بحديث فقال [له علي] : ما أراك إلا قد كذبتني ، قال : لم أفعل قال : أدعو عليك إن كنت كذبت ، قال : ادع ! فدعا ، فما برح حتى عمي .

وقال ابن أبي الدنيا : حدَّثنا خلف بن سالم ، حدَّثنا محمد بن بشر ، عن أبي مكين قال : مررت أنا وخالي أبو أمية على دار في محل حي من مراد ، قال : ترى هذه الدار ؟ قلت : نعم ! قال : فإن علياً مرّ عليها وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجته فدعا الله أن لا يكمل بناؤها ، قال : فما وضعت [فيها بعد ذلك] لبنة ، قال : فكنت فيمن يمر عليها لا تشبه الدور . وقال ابن أبي الدنيا : حدَّثني عبد الله بن يونس ابن بكير الشيباني ، عن أبيه ، عن عبد الغفار بن القاسم الأنصاري ، عن أبي بشير الشيباني . قال : شهدت الجمل مع مولاي فما رأيت يوماً قط أكثر ساعداً نادراً[٢] ، وقدماً نادرة من يومئذ ، ولا مررت بدار الوليد قط إلا ذكرت يوم الجمل قال : فحدَّثني الحكم بن عتيبة أن علياً دعا يوم الجمل فقال : اللهم خذ أيديهم وأقدامهم .

ومن كلامه الحسنِ رضي الله عنه[٣]

قال ابن أبي الدنيا : حدَّثنا علي بن الجعد ، أنا عمرو بن شمر ، حدَّثني إسماعيل السدّي سمعت أبا أراكة يقول : صليت مع علي صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أعينهم كأمثال رُكبِ المِعْزى ، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا مادوا كما يميد[٤] الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبلّ ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين . ثم نهض فما رؤي بعد ذلك مفترّاً يضحك حتى قتله ابن ملجَم عدو الله الفاسق .

وقال وكيع : عن عمرو بن منبه ، عن أوفى بن دلهم ، عن علي بن أبي طالب أنه قال : تَعلَّموا العلم تُعْرفوا به ، واعملوا تكونوا من أهله ، فإنَّه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره ، وإنه لا ينجو منه إلا كل أواب منيب ، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعجل المَذاييعِ[٥] البُذْرِ[٦] .

---

(١) في أ : عن ، تحريف وإسماعيل بن سالم من رجال التهذيب .
(٢) نَدَر الشيء : سقط . اللسان (ندر) .
(٣) ليس هذا العنوان في أ ومكانه بياض في المصورة .
(٤) في أ : كما يميل الشجر في يوم ريح ، ومهلت أعينهم حتى تبل .
(٥) المذاييع : جمع مذياع من أذاع الشيء إذا أفشاه . وقيل : أراد الذين يشيعون الفواحش وهو بناء مبالغة . اللسان (ذيع) .
(٦) البُذْرُ : جمع بذور يقال : بذرت الكلام بين الناس كما تبذر الحبوب ، اي : أفشيته وفرقته . النهاية (١/ ١١٠) .

ثم قال : ألا وإنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد أتت[١] مقبلة ، ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، والماء طيباً ، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات[٢] ، ألا وإن لله عباداً كم رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين[٣] ، وأهل النار في النّار معذّبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة لعقبى راحة طويلة ، أما الليل فصافُّون أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم[٤] . وأما النهار فظماء حكماء بررة أتقياء ، كأنَّهم القداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ، وخولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم .

وعن الأصبغ بن نباتة قال : صعد علي ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال : عبد الله الموت ليس منه فوت ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، فالنجا النجا ، والوحا الوحا[٥] ، إن وراءكم طالب حثيث ، القبر ، فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته[٦] ، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الدود ، أنا بيت الوحشة ، ألا وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير ، ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج : ٢] ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه ، نار حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليها ومقامعها حديد ، وماؤها صديد ، وخازنها مالك ليس لله فيها رحمة . قال : ثم بكى وبكى المسلمون حوله ، ثم قال : ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جعلنا الله وإياكم من المتقين ، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم .

ورواه ليث بن أبي سليم : عن مجاهد ، حدَّثني منْ سمع علياً فذكر نحوه .

وقال وكيع : عن عمر بن منبه ، عن أوفى بن دلهم ، قال : خطب علي فقال : أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم وغداً السباق ، ألا وإنكم في أيام [أمل] من ورائه أجل ، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله[٧] ، ألا

---

(١) في أ : أقبلت .
(٢) في ط : المصائب ، وما أثبتناه يوافق السجعة .
(٣) في أ : عباداً لم رأى أهل الجنة في الجنة خالدين منعمين .
(٤) في أ : فكاك رقابهم ربنا ربنا يطلبون منه .
(٥) الوحا الوحا : أي : السرعة السرعة ويمد ويقصر ، وهو منصوب على الإغراء بفعل مضمر . النهاية (٥/ ١٦٣) .
(٦) في ط : « ضغطته ووحشته » ، وما هنا من أ ، وهو الصواب .
(٧) في أ : عمله فأجله .

فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنه لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها ، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودُللتم على الزاد ، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ، وإن الآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم الفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم . أيها الناس : أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم ، فإن الله قد وعد جنته من أطاعه ، وأوعد ناره منْ عصاه . إنها نار لا يهدأ زفيرها ، ولا يفكّ أسيرها ، ولا يجبر كسيرها[١] ، حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وماؤها صديد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . وفي رواية : فإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وإن طول الأمل يُنسي الآخرة .

وعن عاصم بن ضمرة قال : ذم رجل الدنيا عند علي فقال علي : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غناء وزاد لمن تزود منها ، ومهبط وحي الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد آذنت بفنائها[٢] ونادت بفراقها ، وشابت بشرورها السرور ، وببلائها الرغبة فيها والحرص عليها ترغيباً وترهيباً ، فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه بالأمالي[٣] متى خدعتك الدنيا أو متى استدمت إليك ؟ أبمصارع آبائك في البلا ؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟ كم مرضت بيديك ، وعللت بكفيك ، ممن تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، لا يغني عنه دواؤك ، ولا ينفعه بكاؤك .

وقال سفيان الثوري والأعمش : عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، قال : جاء رجل إلى علي فأطراه ـ وكان يبغض علياً ـ فقال له[٤] : لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك .

وروى ابن عساكر[٥] أن رجلاً قال لعلي : ثبتك الله قال : على صدرك .

وقال ابن أبي الدنيا : حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدَّثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي حمزة ، عن يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يعمر قال قال علي : إن الأمر ينزل إلى[٦] السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال ، فمن رأى نقصاً في نفسه أو أهله أو ماله ، ورأى لغيره عثرة فلا يكونن ذلك له فتنة[٧] ، فإن المسلم ما لم يعش دُناه يظهر تخشعاً لها إذا ذكرت ،

---

(١) في أ : ولا يحتار سعيرها .
(٢) في ط : بغيلها .
(٣) في أ : بأماني .
(٤) في أ : فقال له علي .
(٥) تاريخ دمشق (ص٥١٩ . ط. دار الفكر) .
(٦) في أ : من .
(٧) في أ : ورأى بغيره عثرة أو ثروة فلا يكونن ذلك فتنة له .

ويغرى به لئام الناس ، كالبائس العالم ينتظر[١] أول فورة من قداحه توجب له المغنم ، وتدفع عنه المغرم فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسنيين ، إذا ما دعا الله ، فما عند الله خير له ، وإما أن يرزقه الله مالاً فإذا هو ذو أهل ومال معه حسبه ودينه ، وإما أن يعطيه[٢] الله في الآخرة فالآخرة خير وأبقى ، الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والتقوى[٣] ، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات ، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام .

قال سفيان الثوري : ومن يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلا علي رضي الله عنه ؟

وقال : عن زبيد[٤] اليامي ، عن مهاجر العامري[٥] ، قال : كتب علي بن أبي طالب عهداً لبعض أصحابه على بلد فيه : أما بعد فلا يطولن حجابك على رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة الضيق ، وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب يقطع عنهم[٦] علم ما احتجبوا دونه ، فيضعف عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما يواري عنه الناس به من الأمور ، وليس على القوم سمات[٧] يعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، فتحصن من الإدخال في الحقوق بلين الحجاب ، فإنما أنت أحد الرجلين ، إما امرؤ شحت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من حق واجب عليك أن تعطيه ؟ أو خلق كريم تسدُّ[٨] به ؟ وإما مبتلى بالمنع والشح فما أسرع زوال نعمتك[٩] ، وما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يئسوا من ذلك ، مع أن أكثر حاجات[١٠] الناس إليك ما لا مؤنة فيه عليه من شكاية مظلمة أو طلب إنصاف ، فانتفع بما وصفت لك واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله .

وقال المدائني : كتب علي إلى بعض عماله : رويداً فكأن قد بلغت المدى ، وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي المغتر بالحسرة ، ويتمنى المضيع التوبة ، والظالم الرجعة .

وقال هشيم : أنا عمر بن أبي زائدة ، عن الشعبي قال : كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان علي يقول الشعر ، كان علي أشهر الثلاثة .

---

(١) في أ : ذا البائس ينظر أول .
(٢) في أ : يعصمه .
(٣) في أ : فإن الحرث . . . المال والعافية .
(٤) في أ : يزيد ؛ تحريف ، وزبيد اليامي من رجال التهذيب .
(٥) في أ : العمري .
(٦) في أ : عن الولاة .
(٧) في أ : سمات .
(٨) في أ : تسدد .
(٩) في أ : دولتك .
(١٠) في أ : من خيرك ومع ذلك في أكثر حاجات .

ورواه هشام بن عمار ، عن إبراهيم بن أعين ، عن عمر بن أبي زائدة ، عن عبد الله بن أبي السفر ، عن الشعبي فذكره .

وقال أبو بكر بن دريد : قال : وأخبرنا عن دماد ، عن أبي عبيدة ، قال : كتب معاوية إلى علي : يا أبا الحسن إن لي فضائل كثيرة ، وكان أبي سيداً في الجاهلية ، وصرت ملكاً في الإسلام ، وأنا صهر (١) رسول الله ، وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي . فقال علي : يا أبا الفضائل يفخرُ عليَّ ابن آكلة الأكباد ؟ ثم قال : اكتب يا غلام (٢) . [من الوافر]

محمـــدٌ النبـــيُّ أخـــي وصهـــري ... وحمـــزةُ سيِّـــدُ الشُّهـــداءِ عَمِّـــي
وجعفـرٌ الـذي يُمْسي ويُضْحي (٣) ... يَطيـرُ مـع المَـلائكـةِ ابـنُ أمِّـي
وبنـتُ مُحمَّـدٍ سَكَنـي وعِـرْسـي ... مَسُـوطٌ (٤) لحمُهـا بـدمـي ولَحْمـي
وسبطـا أحمـدٍ ولـداي منهـا ... فـأيّكـم (٥) لـهُ سهـمٌ كسهمـي
سَبَقْتُكُـمُ إلـى الإسـلامِ طُـرّاً ... صغيـراً مـا بلغـتُ أوانَ حلمـي (٦)

قال : فقال معاوية : أخفوا هذا الكتاب لا يقرؤه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب . وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان علي ومعاوية .

وقال الزبير بن بكار وغيره : حدَّثني بكر بن حارثة ، عن الزُّهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت علياً ينشد ورسول الله ﷺ يسمع (٧) : [من البسيط]

أنا أخو المصطفى لا شكَّ في نَسَبي ... معـهُ ربيـتُ وسبطـاهُ همـا ولـدي
جـدّي وجـدُّ رسـولِ اللهِ منفـردٌ (٨) ... وفـاطـمٌ زوجتـي لا قـولَ ذي فنـدِ
صدقتُه وجميعُ الناسِ في بُهُمٍ (٩) ... مـن الضـلالـةِ والإشـراكِ والنكـدِ
فـالحمـدُ للهِ شكـراً لا شـريـك لـهُ ... البـرُّ بـالعبـدِ والبـاقـي بـلا أمـدِ

قال : فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « صدقت يا علي » .

---

(١) في أ : وصرت أنا ملكاً في الإسلام صهر ، وما هنا يعضده ما في تاريخ دمشق (ص٥٢١ . ط . دار الفكر) .
(٢) الأبيات في ديوان الإمام علي (١٨٨) ، وتاريخ دمشق .
(٣) في الديوان : يضحي ويمسي .
(٤) مسوط : أي ممزوج ومخلوط . النهاية (٢/ ٤٢١) وفي الديوان مشوب .
(٥) في الديوان : فمن منكم .
(٦) في الديوان بعد هذا البيت خمسة أبيات .
(٧) الأبيات في الديوان ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ (٥٩) ـ وطبعة إيران ـ (٨١) ، وتاريخ دمشق .
(٨) في الديوان : متحد .
(٩) في أ : في ظلم .

وهذا بهذا الإسناد منكر والشعر فيه ركاكة . وبكر هذا لا يُقبل منه تفردُّه بهذا السند والمتن والله أعلم .

وروى الحافظ ابن عساكر[١] ، من طريق أبي زكريا الرملي : حدَّثنا يزيد بن هارون ، عن نوح بن قيس ، عن سلامة الكندي ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي أنه جاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك . فقال علي : اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك ، فكتب : إني محتاج ، فقال عليٌّ : عليَّ بحلَّة ، فأُتي بها فأخذها الرجل فلبسها ، ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

كَسَوْتني حلةً تَبْلى مَحاسِنُها فسوفَ أكسوكَ من حسْن الثَّنا حُلَلا
إنْ نلتَ حسنَ ثنائي نلتَ مكرمةً ولستُ أبغي بما قدْ قلتهُ بدلا
إنَّ الثناء ليحيي ذكرَ صاحبهِ كالغيثِ يحيي نداهُ السهلَ والجبلا
لا تزهدِ الدهرَ في خيرٍ تواقعُهُ فكلُّ عبدٍ سيجزىٰ بالذي عملا

فقال علي : عليَّ بالدنانير فأتي بمئة دينار فدفعها إليه ، قال الأصبغ : فقلت يا أمير المؤمنين حلة ومئة دينار ؟ قال : نعم ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنزلوا الناس منازلهم » وهذه منزلة هذا الرجل عندي .

وروى الخطيب البغدادي من طريق أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط ، عن أبيه ، عن جده قال : قال علي بن أبي طالب[٢] : [من الوافر]

إذا اشتملتْ على الناسِ القلوبُ وضاقَ بما[٣] به الصدرُ الرحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ واطمأنتْ وأرستْ في أماكنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضرِ وجهاً ولا أغنى بحيلتهِ الأريبُ
أتاكَ على قُنوطٍ منكَ غوثٌ يمنُّ[٤] به القريبُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهت فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ

ومما أنشده أبو بكر محمد بن يحيى الصولي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب [قوله][٥]: [من الوافر]

ألا فاصبرْ على الحدثِ الجليلِ وداوِ جواكَ بالصبرِ الجميلِ

(١) تاريخ دمشق (ص٥٢٣ . ط . دار الفكر) .
(٢) الأبيات في ديوان علي (١٥ ـ ١٦) ط دار الكتب ، و(ص٤٦) ط إيران . وهي أيضاً في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/٣٠٢) .
(٣) في الديوان : لما به .
(٤) في أ : فضل . . . يمن به اللطيف .
(٥) الأبيات في ديوان الإمام علي ـ ط دار الكتب العلمية ـ (١٥٠ ـ ١٥١) .

ولا تجزعْ وإن[١] أعسرتَ يوماً فقدْ أيسرتَ في الزمن[٢] الطويلِ
ولا تظنن بربكَ ظنَّ سوءٍ[٣] فإنَّ الله أولى بالجميلِ
فإنّ[٤] العسر يتبعُه يسارٌ وقولُ اللهِ أصدقُ كل قيلِ
فلو أنَّ العقول تجر رزقاً لكانَ الرزقُ عند ذوي العقولِ
فكمْ من مؤمنٍ قد جاعَ يوماً سيُروى[٥] من رحيقِ السلسبيلِ

من هوان الدنيا على الله أنه سبحانه يجيع المؤمن مع نفاسته ، ويشبع الكلب مع خساسته ، والكافر يأكل ويشرب ، ويلبس ويتمتع ، والمؤمن يجوع ويعرى ، وذلك لحكمة اقتضتها حكمة أحكم الحاكمين .

ومما أنشده علي بن جعفر الورَّاق لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٦] : [من الكامل]

أجدُ الثيابَ إذا اكتسيتُ فإنها زينُ الرجالِ بها تُعزُّ وتكرمُ
ودعِ التواضعَ في الثيابِ تخشعاً فالله يعلمُ ما تجنُّ وتكتم
فَرَثَاثُ ثوبكَ لا يزيدك زلفةً عندَ الإلهِ وأنتَ عبدٌ مجرمُ
وبهاءُ ثوبكَ لا يضركَ بعد أنْ تخشى الإلَه وتتقي ما يحرمُ

وهذا كما جاء في الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثيابكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[٧] وقال الثوري : ليس الزهد في الدنيا بلبس العبا ولا بأكل الخشن ، إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد : كان مكتوباً على سيف علي[٨] رضي الله عنه : [من البسيط]

للناسِ حرصٌ على الدنيا وتدبيرُ وفي مرادِ الهوى عقلٌ وتشميرُ
وإنْ أتوا طاعةً للهِ ربهمُ فالعقلُ منهمْ عنِ الطاعاتِ مأسورُ
لأجلِ هذا وذاك الحرصِ قد مزجت صفاءُ عيشاتها همٌّ وتكديرُ

---

(١) في ط : فإن عن أ ويوافق ما في ديوانه .
(٢) في ط : في الدهر ؛ وما هنا عن أ ويوافق ما في الديوان .
(٣) في الديوان : غير خير .
(٤) في الديوان : وإن .
(٥) في أ : جاع دهراً سيسقى . .
(٦) الأبيات في ديوانه ـ ط دار الكتب العلمية ـ (١٨٩) .
(٧) الحديث يرويه أبو هريرة وأخرجه أحمد في مسنده (٢/٥٣٩) ومسلم في صحيحه (٢٥٣٤) (٣٤) في البر والصلة . وغيرهما .
(٨) الأبيات في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/٣٠٣) .

لم يرزقوها بعقلٍ عندَ ما قسمت ... لكنهم رزقوها بالمقادير[١]
كَمْ من أديبٍ لبيبٍ لا تساعدُهُ ... ومائقٍ نالَ دنياهُ بتقصيرِ
لو كانَ عن قوةٍ أو عنْ مغالبةٍ ... طارَ البزاةُ بأرزاقِ العصافيرِ

وقال الأصمعي : حدثنا سلمة بن بلال ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قال علي بن أبي طالب لرجل كره له صحبة رجل[٢] : [من الهزج]

فلا تصحبْ أخا الجهلِ ... وإياكَ وإياهُ
فكم من جاهلٍ أردى ... حليماً حينَ آخاهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ ... إذا ما المرءُ ما شاهُ
وللشيءِ على الشيءِ ... مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلبِ على القلبِ ... دليلٌ حين يلقاهُ

وعن أبي عمرو بن العلاء ، عن أبيه قال : وقف عليّ على قبر فاطمة فأنشأ يقول[٣] : [من الطويل]

ذَكرتُ أبا أرْوى فبتُّ كأنَّني ... بردِّ الهُمومِ الماضياتِ وكيلُ[٤]
لكُلِّ اجتماعٍ من خليلينِ فرقةٌ ... وكلُّ الذي قبلَ المماتِ قليلُ
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ[٥] ... دليلٌ على أنْ لا يدومَ خليلُ
سَيُعرضُ عن ذكري وتُنسى مَوَدَّتي ... ويحدث[٦] بعدي للخليلِ خليلُ[٧]
إذا انقطعتْ يوماً من العيشِ مدتي ... فإنَّ غناءَ[٨] الباكياتِ قليلُ

وأنشد بعضهم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[٩] : [من الوافر]

حقيقٌ بالتواضعِ من يموتُ ... ويكفي المرءَ منْ دنياهُ قوتُ
فما للمرءِ يصبحُ ذا همومٍ ... وحرصٍ ليسَ تدركهُ النعوت

---

(١) في أ : لكن ما رزقوا قسم وتقدير .
(٢) الأبيات في ديوانه ـ ط دار الكتب العلمية ـ (٢٠٥) .
(٣) الأبيات في ديوانه (١٤٩ ـ ١٥٠) وفي ط إيران (١٢٩ـ١٣٠) .
(٤) البيتان الأول والثاني لم يردا في طبعة إيران .
(٥) في الديوان ـ ط إيران ـ : وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد .
(٦) في الديوان ـ ط إيران ـ : ويظهر .
(٧) جاء هذا البيت في الديوان بعد الذي يليه .
(٨) في الديوان ـ ط إيران ـ : بكاء .
(٩) الأبيات في ديوانه ـ ط دار الكتب العلمية ـ (٥١) .

صنيعُ مليكنا حسنٌ جميلٌ ... وما أرزاقُهُ[١] عنا تفوتُ
فيا هذا سترحلُ عن قريبٍ[٢] ... إلى قومٍ كلامُهُمُ السكوتُ

وهذا الفصل يطول استقصاؤه وقد ذكرنا منه ما فيه مقنع لمن أراده ولله الحمد والمنة .

وقال حماد بن سلمة : عن أيوب السختياني أنه قال : من أحبَّ أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحبَّ عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد بريء من النفاق .

غريبة من الغرائب وآبدة[٣] من الأوابد

قال ابن أبي خيثمة : حدَّثنا أحمد بن منصور بن يسار ، حدَّثنا عبد الرزاق قال : قال معمر مرة وأنا مستقبله وتبسم وليس معنا أحد فقلت له : ما شأنك ؟ قال : عجبت من أهل الكوفة ، كأن الكوفة إنما بنيت على حُبِّ علي ، ما كلَّمت أحداً منهم إلا وجدت المُقْتَصِد منهم الذي يفضل علياً على أبي بكر وعمر ، منهم سفيان الثوري ، قال : فقلت لمعمر ورأيته ؟ ـ كأني أعظمت ذاك ـ فقال معمر : وما ذاك ؟ لو أن رجلاً قال علي أفضل عندي منهما ما عبته[٤] ، إذا ذكر فضلهما ، ولو أن رجلاً قال : عمر عندي أفضل من علي وأبي بكر ما عنفته . قال عبد الرزاق : فذكرت ذلك لوكيع بن الجراح ونحن خاليان[٥] فاستهالها من سفيان وضحك وقال : لم يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد ، ولكنه أفضى إلى معمر بما لم يفض إلينا ، وكنت أقول لسفيان : يا أبا عبد الله أرأيت إن فضلنا علياً على أبي بكر وعمر ما تقول في ذلك ؟ فسكت[٦] ساعة ثم قال : أخشى أن يكون ذلك طعناً على أبي بكر وعمر ولكننا نقف . قال عبد الرزاق : وأما ابن التيمي ـ يعني معتمراً ـ فقال : سمعت أبي يقول : فَضَلَ عليُّ بن أبي طالب [أصحاب رسول الله ﷺ] بمئة منقبة وشاركهم في مناقبهم ، وعثمان أحبُّ إليَّ منه .

هكذا رواه ابن عساكر في « تاريخه »[٧] بسنده عن ابن أبي خيثمة به . وهذا الكلام فيه تخبيط كثير ولعله اشتبه على معمر فإن المشهور عن بعض الكوفيين تقديم عليّ على عثمان ، فأمّا على الشيخين فلا ، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلّا على غبيّ ، فكيف يخفى على هؤلاء الأئمة ؟ بل قد قال

---

(١) في الديوان : أرزاقنا .
(٢) في ط : قليل ؛ وما هنا عن أوهو يوافق ما في الديوان .
(٣) الآبدة : الباقية على الأبد . اللسان (أبد) .
(٤) في أ : ما عنفته إذا ذكر فظلهما إذ قال عندي . .
(٥) في ط : خاليين ؛ وهو مخالف للسياق النحوي .
(٦) في ط : فيسكت ثم يقول .
(٧) تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٣١٢) .

غير واحد من علماء (الأمصار) ـ كأيوب والدارقطني [وغير واحد] ـ من قدَّم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار . وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح .

وقال يعقوب بن سفيان : حدَّثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي[١] ، حدَّثنا إبراهيم بن سعيد[٢] ، عن شعبة ، عن أبي عون ـ محمد بن عبد الله الثقفي ـ عن أبي صالح الحنفي قال : رأيت عليَّ بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى إني لأرى ورقه يتقعقع ثم قال : اللهم إنهم منعوني أن أقوم في الأمة بما فيه فأعطني ثواب ما فيه ، ثم قال : اللهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني ، وحملوني على غير طبيعتي[٣] وخلقي ، وأخلاق لم تكن تعرف لي ، اللهم فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني ، اللهم أمت قلوبهم موت الملح في الماء . قال إبراهيم : ـ يعني أهل الكوفة ـ

وقال ابن أبي الدنيا : حدَّثني عبد الرحمن بن صالح ، حدَّثنا عمرو بن هشام الخبي أبو الحُباب ، عن أبي عون[٤] الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : قال لي الحسن بن علي قال لي علي : إن رسول الله ﷺ سنح لي الليلة في منامي فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟ قال : ادع عليهم فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم ، وأبدلهم بي من هو شر [لهم] مني ، [قال] فخرج فضربه الرجل .

الأود : العوج[٥] واللدد : الخصومة .

وقد قدمنا الحديث الوارد بالأخبار بقتله[٦] وأنه يخضب لحيته من قرن رأسه ، فوقع كما أخبر صلوات الله وسلامه على رسوله .

وروى أبو داود في كتاب القدر أنه لما كان أيام الخوارج كان أصحاب علي يحرسونه كل ليلة عشرة ـ يبيتون في المسجد بالسلاح ـ فرآهم علي فقال : ما يجلسكم[٧] ؟ فقالوا : نحرسك ، فقال : من أهل السماء ؟ ثم قال : إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء ، وإن علي من الله جنة حصينة . وفي رواية : وإن الرجل جنة محصونة[٨] ، وإنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك فلا تريده دابة ولا شيء إلا قال : اتقه اتقه . فإذا جاء القدر خلا عنه . وفي رواية : ملكان يدفعان عنه فإذا جاء القدر خليا

---

(١) في ط : الأريسي ؛ تحريف وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي ؛ من رجال التهذيب .
(٢) في أ : سعد ؛ وإبراهيم بن سعيد من رجال التهذيب .
(٣) في أ : طبيعتي وفطرتي وخلقي .
(٤) في أ : عن أبي حباب عن أبي عون ، خطأ وانظر تقريب التهذيب ٤٩٤ ، ٦٣١ ، ٦٦٢ .
(٥) في أ : المعوج .
(٦) في أ : بمقتله وأنه تخضب .
(٧) في أ : ما أجلسكم .
(٨) في أ : حصينة .

عنه ، وإنه لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه [وفي رواية أنه قال : حارس كل امرىء أجله] .

وكان علي يدخل المسجد كل ليلة فيصليّ فيه ، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قلق تلك الليلة ، وجمع أهله ، فلما خرج إلى المسجد صرخ الإوزُّ في وجهه فسكتوهن[١] عنه فقال : ذروهن فإنهن نوائح ، فلما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم فكان ما ذكرنا[٢] قبل . فقال الناس : يا أمير المؤمنين ألا نقتل مراداً كلها ؟ فقال : لا ولكن احبسوه وأحسنوا إساره[٣] ، فإن مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص . وجعلت أم كلثوم بنت علي تقول : ما لي ولصلاة الغداة ، قتل زوجي عمر أمير المؤمنين [في] صلاة الغداة ، وقتل أبي [علي] أمير المؤمنين [في] صلاة الغداة ، رضي الله عنها . وقيل لعلي : ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم[٤] كما ترككم رسول الله ﷺ ، فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ ، فهذا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق .

وقد ثبت عنه بالتواتر[٥] أنه خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته ، فقال : أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر ، ثم عمر ، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت . وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر : ثم عثمان ثم عثمان . ولما مات علي ولي غسله ودفنه أهله ، وصلَّى عليه ابنه الحسن وكبّر أربعاً[٦] ، وقيل أكثر من ذلك . ودفن علي بدار الخلافة وقيل تجاه الجامع من القبلة في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة ، بحذاء باب الوراقين وقيل بظاهر الكوفة ، وقيل بالكناسة ، وقيل دفن بالبرية [وقيل بحائط جامع الكوفة] .

وقال شريك القاضي وأبو نعيم الفضل بن دكين : نقله [ابنه] الحسن بن علي بعد صلحه مع معاوية من الكوفة فدفنه بالمدينة[٧] بالبقيع إلى جانب [زوجته] فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

وقال عيسى بن دأب : بل لما تحملوا به حملوه في صندوق[٨] على بعير ، فلما مروا به ببلاد طيِّء أضلوا ذلك البعير فأخذته طيِّء تحسب فيه مالاً ، فلما وجدوا بالصندوق[٩] ميتاً دفنوه في بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن ، والمشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك بن عمران أن خالد بن

---

(١) في أ : فسكنوهن .
(٢) في أ : ما تقدم .
(٣) في أ : أسره .
(٤) في أ : بل أترككم .
(٥) في أ : بالتوتر عنه .
(٦) في أ : فكبر عليه أربعاً .
(٧) في أ : إلى المدينة .
(٨) في أ : دأب عنه عمه : بل لما أرادوا أن يحملونه إلى المدينة ليدفنوه بها جعلوه في صندوق .
(٩) في أ : طيء ذلك البعير بما عليه يحسبونه مالاً فلما وجدوا بذلك ميتاً دفنوه بالصندوق .

عبد الله القسري ـ نائب بني أمية في زمان هشام ـ لما هدم دوراً ليبنيها وجد[١] قبراً فيه شيخ أبيض الرأس واللحية فإذا هو علي [بن أبي طالب] ، فأراد أن يحرقه بالنار فقيل له : أيها الأمير إن بني أمية لا يريدون منك هذا كله [أي هذه المبالغة في طاعتهم قال] فلفه في قباطي ودفنه هناك .

قالوا : فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها . رواه[٢] ابن عساكر . ثم إن الحسن بن علي استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن ، فأحضر الناس النفط والبواري ليحرقوه[٣] ، فقال لهم أولاد علي : دعونا نشتفي منه ، فقطعت يداه ورجلاه فلم يجزع ولا فتر عن الذكر ، ثم كحلت عيناه وهو في ذلك يذكر الله وقرأ سورة اقرأ باسم ربك [الذي خلق خلق الإنسان من علق] إلى آخرها ، وإن عينيه لتسيلان على خديه ، ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع من ذلك جزعاً شديداً ، فقيل له في ذلك فقال : إني أخاف أن أمكث في الدنيا فواقا[٤] لا أذكر الله فيه . فقتل عند ذلك وحرق بالنار ، قبّحه الله . قال محمد بن سعد[٥] : كان ابن ملجم رجلاً أسمر حسن الوجه أبلج[٦] شعره مع شحمة أذنه ، في جبهته أثر السجود . قال العلماء : ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس بن علي فإنه كان صغيراً يوم قتل أبوه ، قالوا : لأنه كان قتل محاربة لا قصاصاً ، والله أعلم .

وكان طعن علي رضي الله عنه يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين بلا خلاف فقيل مات من يومه قيل يوم الأحد التاسع عشر منه .

قال الفلاس : وقيل ضرب[٧] ليلة إحدى وعشرين ومات ليلة أربع وعشرين [منه] عن بضع أو ثمان وخمسين سنة ، وقيل عن ثلاث وستين سنة وهوالمشهور ، قاله محمد بن الحنفية [ابنه] ، وأبو جعفر الباقر ، وأبو إسحاق السبيعي ، وأبو بكر بن عياش . وقال بعضهم : عن ثلاث أو أربع وستين سنة ، وعن أبي جعفر الباقر خمس وستين سنة .

وكانت خلافته خمس سنين إلّا ثلاثة أشهر ، وقيل أربع سنين [وتسعة أشهر وثلاثة أيام وقيل : وستة أيام ، وقيل : وأربعة عشر يوماً ، وقيل أربع سنين] وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، رضي الله عنه [وأرضاه] . وقال جرير : عن مغيرة قال : لما جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم[٨] مع

---

(١) في أ : في زمن هشام بن عبد الملك لما كان أميراً على العراق هدم دوراً ليبنيها فوجد .
(٢) في أ : كذا ذكره ابن عساكر . والخبر في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٢/ ٣٧٦) .
(٣) في أ : أحضر عبد الرحمن بن ملجم المرادي من الحبس ثم أحضر النفط والبواري .
(٤) فواق : ما بين الحلبتين من الوقت . القاموس (فوق) .
(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٤٠) .
(٦) في الطبقات : أفلج .
(٧) في أ : ضربه .
(٨) في أ : وكان ذلك في وقت القائلة وكان نائماً .

امرأته فاختة بنت قرظة في يوم صائف ، جلس وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وجعل يبكي فقالت له فاختة : أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه ، فقال : ويحك إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره .

وذكر ابن أبي الدنيا ـ في كتاب مكايد الشيطان(١) ـ أن رجلاً من أهل الشام(٢) من أمراء معاوية [وجلسائه] غضب ذات ليلة على ابنه فأخرجه من منزله ، فخرج الغلام لا يدري أين يذهب ، فجلس وراءالباب من خارج فنام ساعة ثم استيقظ وبابه يخمشه هر أسود بري ، فخرج إليه الهر الذي في منزلهم فقال له البري : ويحك ! افتح فقال : لا أستطيع ، فقال : ويحك ائتني بشيء أتبلغ به فإني جائع وأنا تعبان ، هذا أوان مجيئي من الكوفة ، وقد حدث الليلة حدث عظيم ، قتل علي بن أبي طالب ، قال فقال له الهر الأهلي : والله إنه ليس هاهنا شيء إلا وقد ذكروا اسم الله عليه ، غير سفود كانوا يشوون عليه اللحم ، فقال : ائتني به ، فجاء به فجعل يلحسه حتى أخذ حاجته وانصرف ، وذلك بمرأى من الغلام ومسمع ، فقام إلى الباب فطرقه فخرج إليه أبوه فقال : من ؟ فقال له : افتح ، فقال : ويحك ما لك ؟ فقال : افتح ، ففتح فقص عليه خبر ما رأى ، فقال له : ويحك أمنام هذا ؟ قال : لا والله ، قال : ويحك ! أفأصابك جنون بعدي ؟ قال : لا والله ، ولكن الأمر كما وصفت لك ، فاذهب إلى معاوية الآن فاتخذ عنده بما قلت لك ، فذهب الرجل فاستأذن على معاوية فأخبره خبر ما ذكر له ولده . فأرّخوا ذلك عندهم قبل مجيء البُرُد ، ولما جاءت البُرُد وجدوا ما أخبروهم به مطابقاً لما كان أخبر به أبو الغلام ، هذا ملخص ما ذكره .

وقال أبو القاسم : حدَّثنا علي بن الجعد ، حدَّثنا زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن الأصم قال : قلت للحسين بن علي : إن هذه الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله . ورواه أسباط بن محمد عن مطرف عن إسحاق ، عن عمرو بن الأصم ، عن الحسن بن علي بنحوه . والله سبحانه أعلم(٣) .

---

(١) لم أجد هذا الخبر في كتاب مكائد الشيطان لابن أبي الدنيا ـ طبعة القاهرة مكتبة القرآن .

(٢) في أ : من أهل دمشق ؛ وثمة خلافات كثيرة في هذا الخبر بين أ وط لم نجد في إثباتها أي فائدة . لم أجده في كتب الطبراني وهو في تاريخ دمشق ـ ترجمة علي ـ (٣/ ٢١٠) .

(٣) بعد هذه اللفظة في أ الزيادات التالية من كلام الإمام علي : فصل نذكر فيه كلمات زيادة على ما نص عليه المؤلف : عن سَلَمة بن كُهَيْل ، عن مجاهد قال : إنما شيعة علي العلماء الحكماء الذُّبل الشفاه الأبرار الأخيار الزهاد الذين يُعرّفوك بأثر العبادة .
وقال علي بن الحسين : شيعتنا الذُّبل الشفاه والإمام منا من دعى إلى طاعة الله .
وقال الطبراني : حدَّثنا محمد بن زكريا الغُلابي ، حدَّثنا العباس بن بكار الضَّبي ، حدَّثنا عبد الواحد بن أبي عمير الأسدي ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح قال : دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية ، فقال له : صف لي علياً . قال : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قال : أما إذ لا بد من وصفي له ، كان =

= والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن ، كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ، ويجيبنا إذا سألناه ، وكنا مع قُرْبنا لا نكلمه هيبة له فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ولا يُيْئس الضعيف من عدله ؛ فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يتمثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين فكأني أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا يا ربنا ، يتضرع إليه ، ثم يقول للدنيا إليَّ تعرضت أم ليّ تشوَّقت هيهات هيهات غرّي غيري ، قد بتتك ثلاثاً ، فعمرك قصير ، ومجلسك حقير ، وخطرك كبير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

قال : فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه ؛ وقد اختنق القوم بالبكاء ، فقال : كذلك كان أبو الحسن رحمه الله فكيف وجدك عليه يا ضرار ؟ قال : وَجْدُ من ذبح أَوْحَدُها من حجرها لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها ثم قام فخرج [الخبر في مختصر تاريخ دمشق ١١/١٥٨] .

وقال علي : أشد الأعمال ثلاثة ؛ إعطاء الحق من نفسك ، وذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ في المال .

وقال علي : إن الله لم يرض من أهل القرآن بالإذعان والسكوت والله يُعصى .

وروى الثوري : عن عمرو بن قيس قال : قيل لعلي : يا أمير المؤمنين ؛ لم ترقع قميصك ! قال : يخشع القلب ، ويقتدي بي المؤمن .

وعن زياد بن ميلح : أن علياً أتى بشيء من خبيص فوضعه بين أيديهم فجعلوا يأكلون ولا يأكل . فقال : إن الإسلام ليس ببكر ضال ، ولكن قريش رأت هذا العيش هَذّاً فتناحرت عليه .

وقد كان لعلي رضي الله عنه ظبية ـ أي جراب جلد غزال ـ يكون فيه سويق ليشربه بالماء وقت القائلة هو طعامه لا يزيد عليه ، وكان يختم عليه لئلا يختلط بغيره . وعاتبه رجل في لبوسه . فقال له : ما لك وللبوسي إن لبوسي أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم .

وعن عبد الله بن شريك عن جده عن علي أنه أتي بفالوذج ؛ فوضع بين يديه فقال : إنك طيب الريح ، حسن اللون ، طيب الطعم ، ولكن أكره أن أعوِّد نفسي ، ما لم تعتد .

وعن مجمع التيمي قال: كان علي يقسم مال بيت المال ويكنسه ويصلي فيه يتخذه مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

وقال الإمام . . . حدَّثنا وهب بن سعيد ، حدَّثنا محمد بن قيس عن علي بن ربيعة الوالبي عن علي بن أبي طالب أنه جاءه ابن النّبّاج فقال : يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء ؛ فقال : الله أكبر فقام متوكئاً على ابن النّبّاج حتى قام على بيت المال فقال :

هـذا جنـاي وخيـاره فيـه ... وكـل جـان يـده إلـى فيـه

يا ابن النباج عليَّ بأشياع الكوفة فنودي في الناس فأعطاه جميع ما في بيت المال وهو يقول : يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيرها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين .

وقال الطبراني : حدَّثنا أبو مسلم الكشي ، حدَّثنا عبد العزيز بن الخطاب ، حدَّثنا سهل بن شعيب ، عن أبي علي

خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه
[وعن أبيه وعن أمه]

قد ذكرنا أن عليًّا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قالوا له : استخلف يا أمير المؤمنين . فقال : لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ - يعني بغير استخلاف - فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم[١] على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ . فلما توفي[٢] وصلى عليه ابنه الحسن - لأنه [كان]

= الصيقل ، عن عبد الأعلى عن نوف البكالي قال : رأيت علي بن أبي طالب خرج ليلة فنظر إلى النجوم فقال : يا نوف أراقد أنت أم رامق ؟ قلت : بل رامق يا أمير المؤمنين . فقال : يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً فرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام ، يا نوف ؛ إن الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى عيسى أن مر بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأيد من الآثام نقية فإني لا أستجيب لأحد منهم ولأحد من خلقي عنده مظلمة . يا نوف لا تكن شاعراً ولا عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا عشاراً شطرحياً فإن داود عليه السلام قام في ساعة من الليل فقال : يا لها [من] ساعة لا يدعو فيها عبد ربَّه إلا استجاب له فيها إلا أن يكون عريفاً أو شرطياً أو جابياً أو عشاراً أو صاحب عربطة - وهو الطنبور - أو صاحب كوبة - وهو الطبل - أو صاحب الشاه - وهو الشطرنج - .

وروى عمرو بن قيس : عن عمر بن مرة ، عن علي قال : كونوا ينابيع العلم معادن الحكمة ، مصابيح الليل ، خلقان الثياب ، جدد القلوب ، تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض وتذكرون عند ربكم .

وروى نحو ذلك عن ابن مسعود .

وقال عاصم بن ضمرة : عن علي قال : ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يُقنط الناس من رحمة الله ، ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولا يرخص لهم في معاصي الله ، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ولا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا خير في علم لا فهم فيه ، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها .

وقال أبو بكر بن خزيمة : حدَّثنا علي بن حجر ، حدَّثنا يوسف بن زياد ، عن يوسف بن أبي المتيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم قال : قال علي : كونوا لقول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ؛ فإنه لن يقل عمل مع التقوى ، وكيف يقل عمل يُقبل .

وعن عبد خير ، عن علي قال : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك ، وأن تباهي الناس بعبادة ربك ؛ فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة ؛ ورجل يسارع في الخيرات ، ويعمل في الدرجات ، ولا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يُقب . وروي نحو هذا عن أبي الدرداء .

وروى ثابت بن أبي صفية ، عن أبي الزاهر قال : قال علي : احفظوا عني خمساً لو ركبتم الإبل في طلبهن لما أصبتموهن ولأضنيتم الإبل قبل أن تدركوهن : لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم ، ولا يستحيي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم ، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له .

(١) في أ : فسيجمعكم .
(٢) في أ : مات .

أكبر بنيه رضي الله عنهم ـ ودفن كما ذكرنا بدار الإمارة [بالكوفة] على الصحيح من أقوال الناس ، فلما فرغ[(١)] من شأنه كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة فقال له : ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه ، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده ، وكان ذلك يوم مات علي ، وكان موته يوم ضرب على قول وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، وقيل إنما مات بعد الطعنة[(٢)] بيومين ، وقيل مات في العشر الأخير من رمضان ، ومن يومئذ ولي الحسن بن علي ، وكان[(٣)] قيس بن سعد على إمرة أذربيجان ، تحت يده أربعون ألف مقاتل ، قد بايعوا علياً على الموت ، فلما مات علي ألح قيس بن سعد على الحسن في النفير[(٤)] لقتال أهل الشام ، فعزل قيساً عن إمرة أذربيجان ، وولّى[(٥)] عبيد الله بن عباس عليها ، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً ، ولكن غلبوه على رأيه ، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله[لأن الناس مالوا إلى الحسن ميلاً عظيماً محبة وطاعة إذ هو ابن بنت رسول الله ﷺ وريحانته] فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه ، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام ، ليقاتل معاوية وأهل الشام[(٦)] فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه ، فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها ، إذ صرخ في الناس[(٧)] صارخ : ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل ، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم[(٨)] بعضاً حتى انتهبوا سرادق الحسن ، حتى نازعوه بساطاً كان جالساً عليه ، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أثبتوه وأشوته فكرههم الحسن كراهية شديدة ، وركب[(٩)] فدخل القصر الأبيض من المدائن فنزله وهو جريح ، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي ـ أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر[(١٠)] ـ فلما استقر الحسن بالقصر قال المختار بن أبي عبيد قبّحه الله لعمه سعد بن مسعود : هل لك في الشرف والغنى ؟ قال : ماذا ؟ قال : تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعثه[(١١)] إلى معاوية ، فقال له عمه : قبحك[(١٢)] الله وقبح ما جئت به ، أغدر بابن بنت رسول الله ﷺ ؟ ولما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه

---

(١) في أ : فرغوا .
(٢) في أ : أن طعن .
(٣) في أ : ويوم دفن ولي الحسن ابنه مكانه .
(٤) في أ : التجهيز .
(٥) في أ : ولى عليها .
(٦) في أ : الحرب معاوية بن أبي سفيان .
(٧) في أ : بالناس .
(٨) في أ : فانتهب بعضهم .
(٩) في أ : ثم ركب .
(١٠) في أ : عم المختار .
(١١) في أ : وتبعث به .
(١٢) في ط : قبحكم .

عنه[١] مقتهم مقتاً شديداً وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان ـ وكان قد ركب في أهل الشام [لقتال أهل العراق] فنزل مسكن [وجعل] ـ يراوضه على الصلح بينهما ، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمُرة ، فقدما عليه الكوفة فبذلا له ما أراد من الأموال ، فاشترط أن يأخذ من مال بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم ، وأن يكون خراج دار أبجرد له [في أشياء ذكرها] وأن لا يُسبَّ عليٌّ وهو يسمع ، فإذا فعل ذلك نزل عن الإمرة لمعاوية ، ويحقن الدماء بين المسلمين . فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية على ما سيأتي بيانه وتفصيله ، وقد لام الحسين أخاه[٢] الحسن على هذا الرأي فلم يقبل منه ، والصواب مع الحسن رضي الله عنه كما سنذكر دليله قريباً . وبعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة[٣] قيس بن سعد أن يسمع ويطيع [لمعاوية] ، فأبى قيس بن سعد من قبول ذلك ، وخرج عن طاعتهما جميعاً ، واعتزل بمن أطاعه ثم راجع الأمر فبايع معاوية بعد قريب كما سنذكره .

ثم المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين ، ولهذا يقال له عام الجماعة ، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية ، والمشهور عند ابن جرير[٤] وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين كما[٥] سنذكره إن شاء الله .

وحج بالناس[٦] في هذه السنة ـ أعني سنة أربعين ـ المغيرة بن شعبة ، وزعم ابن جرير[٧] فيما رواه عن إسماعيل بن راشد : أن المغيرة بن شعبة افتعل كتاباً على لسان معاوية ليلي إمرة الحج عامئذ ، وبادر إلى ذلك عتبة بن أبي سفيان ، وكان معه كتاب من أخيه بإمرة الحج ، فتعجل المغيرة فوقف بالناس يوم الثامن ليسبق عتبة إلى الإمرة . وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل ، ولا يظن بالمغيرة رضي الله عنه ذلك ، وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أنه باطل ، فإن الصحابة أجل قدراً من هذا ، ولكن هذه نزعة شيعية .

قال ابن جرير[٨] : وفي هذه السنة بويع لمعاوية بإيلياء ـ يعني لما مات علي ـ قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع ، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه ليمانعوا به أهل الشام فلم يتم لهم ما أرادوه وما حاولوه ، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآرائهم المختلفة المخالفة لأمرائهم ، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم[٩] ابن

---

(١) في ط : عليه .
(٢) في ط : لأخيه .
(٣) في أ : مقدمة جيشه .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ١٦٢) .
(٥) في أ : على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .
(٦) ثمة خلافات كثيرة في هذا الخبر بين أ ، ط لم أجد فائدة من إثباتها .
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ١٦٠) .
(٨) المصدر نفسه (٥/ ١٦١) .
(٩) في أ : متابعتهم .

بنت رسول الله ﷺ ، وسيد المسلمين ، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي آرائهم . والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً »(١) وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه ، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من [أكبر] دلائل النبوّة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً . وقد مدحه رسول الله ﷺ على صنيعه هذا وهو تركه الدنيا الفانية ، ورغبته في الآخرة الباقية(٢) ، وحقنه دماء هذه الأمة ، فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع(٣) الكلمة على أمير واحد . وهذا المدح قد ذكرناه [فيما تقدم] وسنورده في حديث أبي بكرة الثقفي أن رسول الله ﷺ صعد المنبر يوماً وجلس الحسن بن علي إلى جانبه ، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ثم قال : « أيها الناس إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه البخاري(٤) .

[بعونه تعالى وتوفيقه تم الجزء السابع من كتاب البداية والنهاية ، ويليه الجزء الثامن وأوله : ثم دخلت سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية . . . والحمد لله رب العالمين] .

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٢١) وأبو داود في سننه (٤٦٤٦) في السنة ، والترمذي في جامعه (٢٢٢٦) في الفتن ، وغيرهم وهو أيضاً في صحيح ابن حبان (٦٦٥٧) الإحسان ، وهو حديث حسن .

(٢) في أ : الباقية الفائقة .

(٣) في أ : لأجل اجتماع الكلمة على أمير واحد وحقن دماء المسلمين .

(٤) صحيح البخاري (٢٧٥٤) في الصلح ، و (٣٦٢٩) في المناقب ، و (٣٧٤٦) في فضائل الصحابة ، و (٧١٠٩) في الفتن .

ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان
[رضي الله عنه][١] وملكه

قد تقدَّم في الحديث أنَّ الخلافة بعده عليه السلام ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلكاً ، وقد انقضت الثلاثون سنة بخلافة الحسن بن علي ، فأيام معاوية أول المُلْك ، فهو أولُ ملوك الإسلام وخيارُهم .

قال الطبراني[٢] : حدثنا علي[٣] بن عبد العزيز ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا الفُضيل بن عِياض ، عن ليث ، عن عبد الرحمن بن سابِط ، عن أبي ثعلبة الخُشَني ، عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة قالا[٤] : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ هذا الأمرَ بدأَ رحمةً ونبوَّة ، ثم يكونُ رحمةً وخِلافَة ، ثم كائن مُلكاً عَضُوضاً[٥] ، ثم كائن عُتُوّاً وجَبَريَّةً وفساداً في الأرض ، يستحلُّونَ الحريرَ والفُروج والخمورَ ، ويُرْزَقونَ على ذلك ويُنْصَرونَ حتى يَلْقَوا الله عزَّ وجلَّ » . إسناده جيد[٦] .

وقد ذكرنا في « دلائل النبوة » الحديثَ الوارد من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر ـ وفيه ضعف ـ عن عبد الملك بن عُمَيْر[٧] قال : قال معاوية : [والله ما حَمَلَني على الخلافة إلَّا قولُ رسول الله ﷺ لي : « يا معاويةُ][٨] إنْ مَلَكْتَ فأَحسِنْ » . رواه البيهقي[٩] عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن العباس بن محمد ، عن محمد بن سابق ، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن إسماعيل . ثم قال البيهقي : وله شواهد من وجوه أُخر ، منها :

حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص ، عن جدِّه سعيد : أنَّ معاويةَ أخذ الإداوة[١٠] فتبعَ رسولَ الله ﷺ فنظر إليه ، فقال له : « يا مُعاويةُ إنْ وليتَ أمراً فاتَّقِ اللهَ واعْدِلْ » . قال معاوية :

---

(١) ما بين حاصرتين من (أ) فقط ، وستأتي ترجمة معاوية لاحقاً في سنة ٦٠هـ .
(٢) الطبراني في الكبير (٢٠/ رقم ٩١) .
(٣) في أ : عمر ، خطأ .
(٤) في أ ، ط : قالوا : والمثبت من ب وهو الوجه .
(٥) قال ابن الأثير في النهاية : أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم ، كأنهم يُعضون عضاً .
(٦) هكذا قال ، وفي قوله نظر ، فإن ليث بن أبي سليم ضعيف ، وعبد الرحمن بن سابط . قيل : لم يدرك أبا ثعلبة الخشني كما قال في تهذيب الكمال (١٧/ ١٢٤) (بشار) .
(٧) تحرف في ط إلى : عمر .
(٨) ما بين حاصرتين سقط من أ . والخبر والحديث في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣١) .
(٩) البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٤٦) .
(١٠) الإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، وجمعها أداوَى .

فما زلتُ أظنُّ أني مبتلًى بعملٍ لقول رسول الله ﷺ[١] .

ومنها حديث راشد بن سعد ، عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّكَ إن اتَّبَعْتَ عوراتِ النّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ » . قال أبو الدَّرْداء : كلمة سمعها معاويةُ من رسول الله ﷺ فنفعَهُ اللهُ بها[٢] .

ثم روى البيهقي من طريق هُشيم ، عن العوّام بن حَوْشب ، عن سليمان بن أبي سليمان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الخِلافةُ بالمدينة ، والمُلْكُ بالشّام » . غريب جدًّا .

وروى من طريق أبي إدريس ، عن أبي الدَّرْداء قال : قال رسول الله ﷺ : « بَيْنا أنا نائمٌ رأيتُ [عمودَ][٣] الكِتابِ احتُمِلَ من تحتِ رَأسي ، فظَننتُ أنَّه مذهوبٌ به ، فأَتْبَعْتُهُ بصَري ، فعُمِدَ به إلى الشّام ، أَلَا وإنَّ الإيمانَ حينَ تقعُ الفِتَنُ بالشّام »[٤] .

وقد رواه سعيد بن[٥] عبد العزيز، عن عطيَّة بن قيس، عن يونس[٦] بن مَيْسَرة. عن عبد الله بن عمرو.

ورواه الوليد بن مسلم ، عن عُفَير بن مَعْدان ، عن سليمان بن[٧] عامر ، عن أبي أُمامة .

وروى يعقوب بن سفيان[٨] ، عن نصر بن محمد بن سليمان السّلمي الحمصي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن [أبي][٩] قيس ، سمعت عمر بن الخطّاب يقول : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ عموداً مِنْ نورٍ خرجَ من تحتِ رَأسي سَاطعاً حتّى اسْتقرَّ بالشّام » .

وقال عبد الرزاق[١٠] : عن مَعْمر ، عن الزُّهري ، عن عبد الله بن صفوان قال : قال رجل يوم صفِّين : اللهم العَنْ أهل الشام . فقال له علي : لا تسبَّ أهلَ الشّام [جماً غفيراً][١١] فإنَّ بها الأبدال [فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال][١٢] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٠١) وهو حديث معلول بالإرسال ، فإن جد عمرو بن يحيى وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لم يثبت له سماع من معاوية ، ولذلك قال الهيثمي بعد أن أورده في مجمع الزوائد (٥/ ١٨٦) : « رواه أحمد وهو مرسل » .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) في الأدب ، باب في النهي عن التجسس ، وهو حديث صحيح .

(٣) سقط من ط .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٩٨ ـ ١٩٩) وهو حديث صحيح .

(٥) وقعت في ط عن وهو خطأ .

(٦) في (أ) أبو الحسن بن ميسرة بدل عن يونس بن ميسرة وهو خطأ، ويونس بن ميسرة كنيته أبو حَلْبَس، وهو من رجال التهذيب.

(٧) في ط عن .

(٨) في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣١١) .

(٩) سقطت من ط ، وقد تنبه إلى ذلك محقق المعرفة والتاريخ وأشار إليه في حاشيته .

(١٠) مصنف عبد الرزاق (٢٠٤٥٥) .

(١١) سقط من ط .

(١٢) زيادة من ط .

وقد روي هذا الحديث من وجه آخر مرفوعاً[١] .

فضل معاوية [بن أبي سفيان رضي الله عنه][٢]

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو عبد الرحمن القرشيُّ الأمويّ ، خال المؤمنين ، وكاتب وحي رب العالمين .

أسلم هو وأبوه وأمُّه هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح . وقد روي عن معاوية أنه قال : أسلمتُ يومَ عُمرة القضيَّة[٣] ، ولكنِّي كتمتُ إسلامي من أبي إلى يوم الفتح[٤] .

وقد كان أبوه من سادات قريش في الجاهليّة ، وأفضَتْ إليه رئاسة قريش بعد يوم بدر ، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب . وكان رئيساً مُطاعاً ذا مال جزيل ، ولما أسلم قال : يا رسول الله مُرْني حتى أقاتل الكفّارَ كما كنتُ أقاتل المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك ، قال : « نعم » . ثم سأل أن يزوّج رسول الله ﷺ بابنته [الأُخرى][٥] وهي عَزَّة[٦] بنت أبي سفيان ، واستعان على ذلك بأختها أمِّ حَبيبة ، فلم يقع ذلك ، وبيَّن رسول الله ﷺ أنَّ ذلكَ لا يحلُّ له . وقد تكلَّمنا على هذا الحديث في غير موضع[٧] . وأفردنا له مصنَّفاً على حدة ولله الحمدُ والمنَّة . والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ مع غيره من كتّاب الوحي رضي الله عنهم .

ولما فُتحت الشام ولّاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وأقرَّه على ذلك عثمان بن عفَّان وزاده بلاداً أخرى . وهو الذي بنى القُبَّة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة . قاله الحافظ ابن عساكر .

ولما ولي عليُّ بن أبي طالب الخلافةَ أشار عليه كثير من أمرائه ممَّن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولِّي عليها سهل بن حُنَيْف ، فعزله ، فلم ينتظم له عزله ، والتفَّ على معاوية جماعةٌ من أهل الشام ، ومانع عليّاً عنها وقال : لا أبايعه حتّى يسلِّم إليَّ قَتَلة عثمان فإنه قُتل مظلوماً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

---

(١) وحديث الأبدال ضعيف في المرفوع .

(٢) زيادة من ط .

(٣) في ط القضاء وكلاهما صحيح ، ويقال لها أيضاً : عمرة القصاص ، وعمرة الصلح . وكانت في ذي القعدة من سنة سبع للهجرة . سيرة ابن هشام (٣/ ٣٧٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٢) .

(٥) سقطت من ط .

(٦) وقيل : اسمها حَمنة ، وقيل : درّة . ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٧١ ، ١٠٢ ، ١٩٦) .

(٧) سيورده المؤلف لاحقاً في هذا الجزء ضمن ترجمة معاوية بن أبي سفيان .

وروى الطَّبراني عن ابن عبّاس أنه قال : ما زلت موقناً أن معاوية سيلي الملك [والسلطان][(١)] من هذه الآية . وقد أوردنا سنده ومتنه عند تفسير هذه الآية . فلمّا امتنع معاوية من بيعة علي كان من صِفِّين ما قدَّمنا ذكره . ثم آل الأمر إلى التحكيم ، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوَّة جانب أهل الشام في الصورة[(٢)] الظاهرة ، واستفحل أمر معاوية ، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتلَه ابن مُلْجَم كما تقدَّم . فعند ذلك بايع أهل العراق الحسنَ بن علي . وبايع أهل الشام معاوية . ثم ركب الحسن في جنود العراق من غير إرادة منه ، وركب معاوية في أهل الشام . فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما بالصُّلح . فانتهى الحال إلى أنْ خلع الحسن نفسه من الخلافة ، وسلَّم الملك إلى معاوية بن أبي سفيان ، وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة ـ أعني سنة إحدى وأربعين ـ ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناسَ بها خطبة بليغة بعدما بايعه الناس . واستوثقتْ له الممالك شرقاً وغرباً وبُعداً وقرباً ، وسمِّيَ هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفُرقة . فولَّى معاوية قضاء الشام لفَضالة بن عُبيد ، ثم بعده لأبي إدريس الخَوْلاني . وكان على شرطته قيس بن حمزة . وكان كاتبه وصاحب أمره سَرْجون[(٣)] بن منصور الرومي .

ويقال : إنَّ معاوية أولُ من اتَّخذ الحرس ، وأول من حزم الكتب وختمها .

وكان أول الأحداث في دولته رضي الله عنه :

خروج طائفة من الخوارج عليه

وكان سبب ذلك أنَّ معاوية لما دخل الكوفة وخرج منها الحسن بن علي وأهلُه قاصدين الحجاز ، قالت فرقة من الخوارج ـ وهم نحو من خمسمئة ـ : جاء ما لا يُشَكُّ فيه ، فسِيروا إلى معاوية فجاهِدوه ، فساروا حتى قربُوا من الكوفة وعليهم فروة بن نَوْفل[(٤)] ، فبعث إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام ، فطَرد الخوارج الشاميِّين ، فقال معاوية [لأهل الكوفة][(٥)] : لا أمانَ لكم عندي حتّى تكفوا بوائقكم . فخرجوا إلى الخوارج ، فقالت لهم الخوارج : ويلكم ماذا تبغون ؟ أليس معاوية عدوَّكم وعدوَّنا ؟ فدعُونا حتى نقاتله ، فإنْ أصبناه كنّا قد كفيناكموه ، وإن أصابَنا كنتم قد كُفِيتمونا . فقالوا : لا والله حتّى نقاتلكم .

(١) سقط من ط .
(٢) في ط : الصعدة .
(٣) تحرف في ط إلى : سرحون .
(٤) تحرف في أ إلى : موكل .
(٥) سقط من ط .

فقالت الخوارج : يرحم الله إخواننا من أهل النهر ، كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة . فاقتَتَلوا ، فهزمهم أهل الكوفة وطردوهم .

ثم إن معاوية أراد أن يستخلف على أهل الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال له المغيرة بن شُعْبَة : أتولِّيه الكوفة وأبوه بمصر ، وتبقى أنت بين لَحْيَي(١) الأسد ؟ فثناه عن ذلك ، وولَّى عليها المغيرة بن شُعبة ، فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال : أتجعل المغيرة على الخَراج ؟ هلاّ وليتَ الخراج رجلاً آخر ؟ فعزله عن الخراج وولّاه على الصلاة . فقال المغيرة لعمرو في ذلك ، فقال له عمرو : ألستَ المشيرَ على أمير المؤمنين في عبد الله بن عمرو ؟ قال : بلى ! قال : فهذه بتلك .

وفي هذه السنة وثب حُمْران بن أَبان على البصرة ، فأخذها وتغلَّب عليها ، فبعث معاوية جيشاً ليقتلوه ومَنْ معه . فجاء أبو بَكْرَة الثقفي إلى معاوية ، فسأله في الصَّفح والعفو ، فعفا عنهم وأطلقهم ، وولّى على البصرة بُسْر(٢) بن أبي أَرْطاة ، فتسلَّط على أولاد زياد يريد قتلَهم ، وذلك أنَّ معاوية كتب إلى أبيهم ليحضُرَ إليه فتلبَّث ، فكتب إليه بُسر بن أبي أَرْطاة : لئن لم تسرع إلى أمير المؤمنين وإلَّا قتلت بَنِيكَ ، فبعث أبو بَكْرة إلى معاوية في ذلك [فأخذ لهم أماناً منه](٣) . وقد قال معاوية لأبي بَكْرة : هل من عهد تعهدُه إلينا ؟ قال : نعم ، أعهَدُ إليك ـ يا أمير المؤمنين ـ أن تنظرَ لنفسك ورعيَّتك وتعمل صالحاً فإنَّكَ قد تقلَّدتَ عظيماً ، خلافة الله في خلقه ، فاتَّقِ الله ، فإنَّ لك غايةً لا تعدُوها ، ومن ورائك طالباً حَثيثاً ، وأوشك أنْ يبلغَ المدىٰ فيلحق الطالب ، فتصير إلى مَنْ يسألُكَ عمّا كنتَ فيه ، وهو أعلم به منك ، وإنَّما هي محاسبةٌ وتوقيفٌ ، فلا تُؤْثرن على رضا الله شيئاً .

ثم ولَّى معاوية ـ في آخر هذه السنة ـ البصرة لعبد الله بن عامر ، وذلك أنَّ معاوية أراد أن يولِّيها لعُتبة بن أبي سفيان ، فقال له ابن عامر : إنَّ لي بها أموالاً وودائع ، وإن لم تولِّنيها هلكتُ . فولّاه إيّاها [وأجابه إلى سؤاله في ذلك](٤) .

قال أبو مَعْشَر : وحجَّ بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان . وقال الواقدي : إنَّما حجَّ بهم عَنْبَسَة بن أبي سفيان . فالله أعلم .

ومن أعيان من توفي هذا العام :

رفاعة بن رافع(٥) : ابن مالك بن العَجْلان . شهد العقبَة وبدراً وما بعدها .

---

(١) اللحيان : جانبا الفم .

(٢) تحرف في أ في أكثر من موضع إلى : بشر .

(٣) سقط من ط .

(٤) زيادة من ط و ب .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٩٦) طبقات خليفة (١٠٠) تاريخ خليفة (٢٠٥) مسند أحمد (٤/ ٣٤٠) تاريخ البخاري الكبير =

رُكَانَة بن عبد يَزيد[١][٢] : ابن هاشم[٣] بن عبد المطَّلب القرشي. وهو الذي صارعه النبي ﷺ. وكان رُكانة من أشدِّ الناس[٤]. وكان صرع[٥] رسول الله ﷺ له من المُعجزات كما قدَّمنا ذلك في دلائل النبوَّة.

أسلم رُكانة عام الفتح ـ وقيل : قبل ذلك ـ بمكة [لما صرعه رسول الله ﷺ][٦] فالله أعلم.

صَفْوان بن أميَّة[٧] : ابن خلف بن وهب بن حُذافة أبو[٨] وهب القرشي. أحد رؤساء مكّة.

تقدم أنه هرب [من رسول الله ﷺ][٩] عام الفتح، ثم جاء فأسلم وحسُن إسلامه، وكان الذي

= (٣/ت ١٠٨٩) تاريخ البخاري الصغير (١/ ٢٤) الجرح والتعديل (٣/ ٤٩٢) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٣٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ٨٦) المعجم الكبير للطبراني (٥/ ت ٤٣٦) وفيات ابن زبر (ورقة ١٤) جمهرة ابن حزم (٣٥٨) الاستيعاب (٢/ ٤٩٧) الإكمال لابن ماكولا: (٣/ ٣٦٣) الجمع لابن القيسراني (١/ ١٣٨) أسد الغابة (٢/ ٢٢٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩٠). تهذيب الكمال (٩/ ٢٠٣) (الطبعة المحققة)، أسماء الرجال للطيبي (ورقة ١٩) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢٢٦) الكاشف (١/ ٢٤٢) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٨٤) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٥) نهاية السول (ورقة ٩٧) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨١) الإصابة (١/ ٥١٧) خلاصة الخزرجي (١/ ١١٨).

(١) تحرف عبد يزيد في ط إلى : عبد العزيز.

(٢) طبقات خليفة (٩) تاريخ خليفة (٢٠٥) تاريخ البخاري الكبير (٣/ت ١١٤٦) الجرح والتعديل (٣/ ٥١٩) ثقات ابن حبان (ورقة ١٣٣) مشاهير علماء الأمصار (ت ١٨٧) المعجم الكبير للطبراني (٥/ت ٤٦٢) وفيات ابن زبر (ورقة ١٤) جمهرة ابن حزم (٧٣) الاستيعاب (٢/ ٥٠٧) أسد الغابة (٢/ ٢٣٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩١) تهذيب الكمال (٩/ ٢٢١) (الطبعة المحققة)، أسماء الرجال للطيبي (ورقة ١٩) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢٢٨) الكاشف (١/ ٢٤٣) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٨٦) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٧) العقد الثمين (٤/ ٤٠٠) نهاية السول (ورقة ٩٨) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٧) الإصابة (١/ ٥٢٠) خلاصة الخزرجي (١١٩).

(٣) تحرف في الأصول إلى : هشام.

(٤) في ط و ب : من أشد الرجال.

(٥) في ط و ب : غلب.

(٦) من أ فقط.

(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤٩) طبقات خليفة (٢٤، ٢٧٨) تاريخ خليفة (٧٥، ١١١) مسند أحمد (٣/ ٤٠٠) و (٦/ ٤٦٤) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٠٤) المعارف (٣٤٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٩) الجرح والتعديل (٤/ ٤٢١) ثقات ابن حبان (٣/ ١٩١) معجم الطبراني الكبير (٨/ ٤٦) جمهرة ابن حزم (١٥٩) الاستيعاب (٢/ ٧١٨) تاريخ ابن عساكر (٨/ ١٥٩/آ) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٩) مختصر تاريخ دمشق (١١/ ٨٩) تهذيب الكمال (١٣/ ١٨٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٦٢) الكاشف (٢/ ٢٧) العبر (١/ ٥٠) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ٩٣) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٩٣) نهاية السول (ورقة ١٤٧) الإصابة (٥/ ١٤٥) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٤) خلاصة الخزرجي (١٧٤) شذرات الذهب (١/ ٢٢٩) (الطبعة المحققة)، تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٤٢٩).

(٨) في ط : « بن » وهو تحريف، وما أثبتناه هو الصواب الموافق لمصادر ترجمته.

(٩) زيادة من ط و ب.

استأمن له [رسول الله ﷺ][(١)] عُمير بن وهب الجُمَحي وكان صاحبَه وصديقَه في الجاهلية كما تقدَّم ، فقدم به في وقت صلاة العصر ، فاستأمن له ، فأمَّنه رسول الله ﷺ [أربعة أشهر][(٢)] ، واستعار منه أدرُعاً وسلاحاً ومالاً . وحضر صفوان حُنيناً مشركاً ، ثم أسلم [ودخل الإيمان قلبه][(٣)] ، فكان من سادات المسلمين كما كان من سادات الجاهليّة .

قال الواقدي : لم يزل صفوان مقيماً بمكّة حتى توفي بها في أول خلافة معاوية .

عثمان بن طلحة[(٤)] : ابن أبي طَلْحة بن عبد العُزَّى بن عبد الدّار العَبْدري الحَجَبي .

أسلم هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص في أول سنة ثمان قبل الفتح . وقد روى الواقدي عنه حديثاً طويلاً في صفة إسلامه .

وهو الذي أخذ رسول الله ﷺ منه مفتاح الكعبة عام الفتح ، ثم ردَّه إليه وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] وقال له : « خُذْها يا عثمانُ خالدةً تالِدَةً لا يَنْزِعُها منكُمْ إلّا ظالم »[(٥)] . وكان عليٌّ قد طلبها [من النبي ﷺ][(٦)] فمنعه من ذلك .

قال الواقدي : نزل المدينةَ حياة رسول الله ﷺ ، فلمّا مات نزل مكّة ، ثم لم يزل بها حتّى مات في أول خلافة معاوية .

عَمرو بن الأَسْوَد السَّكُوني[(٧)] : كان من العُبّاد الزُّهّاد . وكانت له حُلَّة بمئتي درهم يلبسها إذا

---

(١) سقط من ط و ب .
(٢) زيادة من ط .
(٣) زيادة من ط .
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤٨) طبقات خليفة (ت ٧٣ و٢٥٠٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٧٢) الجرح والتعديل (٦/ ١٥٥) مشاهير علماء الأمصار (ت ١٣٠) معجم الطبراني الكبير (٩/ ٥٣ ، ٥٥) جمهرة أنساب العرب (١٢٧) الاستيعاب (٣/ ١٠٣٤) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٥٢) تاريخ ابن عساكر (١١/ ٥٢/ ب) أسد الغابة (٣/ ٥٧٨) تهذيب الأسماء واللغات : القسم الأول من الجزء الأول (٣٢٠) مختصر تاريخ دمشق (١٦/ ٩٥) تهذيب الكمال (ورقة ٩١٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠) تاريخ الإسلام (١/ ٣٨٠ و٢/ ٢٣٢) الكاشف (٢/ ٢١٩) تذهيب التهذيب (٣/ ٣٠/ ١) العقد الثمين (٦/ ٢١) الإصابة (ت ٥٤٤٢) تهذيب التهذيب (٧/ ١٢٤) خلاصة الخزرجي (٢٦٠) .
(٥) أخذ النبي ﷺ منه مفتاح الكعبة عام الفتح . أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٢٩) في الحج ، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره .
وأما قوله : خذها يا عثمان خالدة . . . ظالم . فقد رواه الطبراني في الكبير رقم (١١٢٣٤) والأوسط رقم (٤٩٢) وفي سنده عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف .
(٦) سقط من ط .
(٧) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٢) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٣١٥) تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٢٢) ثقات العجلي (٣٦٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣١٤ و٣٤٨) الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٠) مشاهير علماء الأمصار (ت ٨٦٠) تاريخ داريا (ص=

قام إلى صلاة الليل . وكان إذا خرج إلى المسجد وضع يمينه على شماله مخافةَ الخُيَلاء .

روى عن : معاذ ، وعبادة بن الصّامت ، والعِرْباض بن سارية ، وغيرهم .

وقال أحمد في « الزهد »[١] : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا أبو[٢] بكر ، عن حَكيم بن عُمير وضَمرة بن حَبيب قالا : قال عمر بن الخطّاب : مَنْ سرَّهُ أنْ ينظرَ إلى هَدْي رسول الله ﷺ فلينظُرْ إلى هَدْي عَمْرو بن الأَسْود .

عاتِكَة بنتُ زَيْد[٣] : ابن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى ، وهي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة .

أسلمتْ وهاجرتْ ، وكانت من حسان النِّساء وعبّادهن .

تزوَّجها عبد[٤] الله بن أبي بكر ، فتَتَيَّم بها ، فلما قُتل عنها في غزوة الطائف آلت ألَّا تتزوَّج بعده ، فبعث إليها عمر بن الخطاب ـ وهو ابن عمها ـ فتزوَّجها ، فلما قُتل عنها تزوَّجها بعده الزُّبير بن العوام ، فقُتل عنها بوادي السِّباع[٥] ، فلما بعث إليها علي بن أبي طالب ليتزوَّجها قالت له : إني أخشى عليك أن تُقتل ، فأبت أن تتزوَّجه ، ولو تزوجته لقتل عنها أيضاً ، فإنها لم تزل [بلا زوج][٦] حتى ماتت في أول خلافة معاوية في هذه السنة رحمها الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين

فيها غزا المسلمون اللان والروم ، فقتلوا من أمرائهم وبطارقتهم خلقاً كثيراً ، وغنموا وسلموا .

وفيها ولَّى معاويةُ مروانَ بن الحكم نيابة المدينة ، وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام ، وعلى

= ٧٠) حلية الأولياء (٥/ ١٥٥) الإكمال لابن ماكولا (٦/ ٣٥٣) أنساب السمعاني (٩/ ٨٠) (العنسي) ، تاريخ ابن عساكر (١٣/ ١٩٦/ أ) أسد الغابة (٤/ ١٩٢) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ١٧٦) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٣٠) تاريخ الإسلام (٣/ ١٩٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٧٩) الكاشف (٢/ ٢٨٠) الإصابة (ت ٦٥٢٦) تهذيب التهذيب (٨/ ٤) خلاصة الخزرجي (٢٨٧) .

(١) ورواه أيضاً أحمد في المسند (١/ ١٨ ـ ١٩) وإسناده ضعيف .

(٢) في ط : بن وهو خطأ .

(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٦٥) نسب قريش (٣٦٥) تاريخ البخاري الصغير (١/ ٣٧) المعارف (٢٤٦) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٣/ ١١٠٢ ، ١١٠٦) الاستيعاب (٤/ ١٨٧٦) أسد الغابة (٧/ ١٨٣) الإصابة (كتاب النساء/ ت ٦٩٥) خزانة الأدب (٤/ ٣٥١) أعلام النساء لكحالة (٣/ ٢٠١) شاعرات العرب (ص ٢٣٣) .

(٤) تحرفت في ط إلى : عبيد .

(٥) « وادي السباع » : بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال . معجم البلدان (٥/ ٣٤٣) .

(٦) سقط من ط .

الكوفة المُغيرة بن شعبة ، وعلى قضائها شُريح القاضي ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى خُراسان قيس بن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر . [واستقضى مروانُ على المدينة عبدَ الله بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة عَمِيرة بن يَثْرِبي](١) .

وفيها تحرَّكت الخوارجُ الذين كانوا قد عَفَا عنهم عليٌّ يوم النَّهروان ، وقد عوفي جرحاهم ، وثابت إليهم قواهم . فلما بلغهم مقتلُ علي ترحَّموا على قاتله ابن مُلْجم وقال قائلهم : لا يقطع الله يداً علت قَذَال(٢) عليٍّ بالسَّيف . وجعلوا يَحْمَدُون الله على قتل علي ، ثم عزموا على الخروج على الناس ، وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يزعمون .

وفي هذه السنة قدم زياد بن أَبيه على معاوية ـ وكان قد امتنع عليه قريباً من سنة في قلعة عُرفت به يقال لها : قلعة زياد ـ فكتب إليه معاوية : ما يحملُكَ على أن تهلك نفسَك ؟ أقدم عليَّ فأخبرني بما صار إليك من أموال فارس وما صرفتَ منها وما بقي عندك فائتني به وأنت آمن ، فإن شئت أن تقيم عندنا فعلتَ ، وإلاّ فاذهب حيث ما شئتَ من الأرض فأنت آمِن . فعند ذلك أزمع زياد المسير إلى معاوية ، فبلغ المغيرةَ قدومُه ، فخشي أن يجتمع بمعاوية قبلَه ، فسار نحو دمشق إلى معاوية ، فسبقه زياد إلى معاوية بشهر ، فقال معاوية للمغيرة : ما هذا وهو أبعد منك وأنت قد خرجت قبله(٣) وقد سبقك إليّ ؟! فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين إنه ينتظر الزِّيادة وأنا أنتظر النُّقصان . فأكرمَ معاوية زياداً ، وقبض منه ما كان معه من الأموال ، وصدَّقه فيما صرَفَه [وما بقي عنده](٤) .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

فيها غزا بُسْر بن أبي أَرْطاة بلاد الروم ، فتوغَّل فيها حتى بلغ القُسْطَنْطينية ، وشتا ببلادهم فيما زعمه الواقدي ، وأنكر ذلك آخرون وقالوا : لم يكن بها مشتى لأحد قط ، فالله أعلم .

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارج وجند الكوفة ، وذلك أنهم صمَّموا ـ كما قدَّمنا ـ على الخروج على الناس في هذا الحين ، فاجتمعوا في قريب من ثلاثمئة عليهم المستورِد بن عُلَّفَة(٥) ، فجهَّز إليهم

(١) ما بين حاصرتين من آ فقط ، وقد تحرف فيها عميرة إلى : عمير . أخبار القضاة لوكيع (١/ ٢٩٠) وقد شُكل فيه عميرة ـ رسماً ـ بضم الميم : وهو خطأ .
(٢) « القذال » : جماع مؤخر الرأس .
(٣) وردت هذه العبارة في ط : وأنت جئت بعده بشهر .
(٤) سقط من ط .
(٥) كذا قيده ابن ماكولا في إكماله (٦/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩) وقد تحرف في الأصول ـ في غير موضع ـ : إلى : علقمة .

المغيرة بن شُعبة جنداً عليهم مَعْقِل بن قيس في ثلاثة آلاف ، فسار إليهم ، وقدَّم بين يديه أبا الرُّوَاع في طليعة هي ثلاثمئة على عدة الخوارج ، فلقيهم أبو الرُّوَاع بمكان يقال له المَذَار[١] ، فاقتتلوا معهم ، فهزمهم الخوارج ، ثم كرُّوا عليهم فهزمتهم الخوارج [ولكنْ لم يُقتل أحد منهم][٢] ، فلزموا مكانهم في مقابلتهم[٣] ينتظرون قدوم أمير الجيش معقِل بن قيس عليهم ، فما قدم عليهم إلا في آخر نهار بعد أن غربت الشمس ، فنزل وصلَّى بأصحابه ، ثم شرع في مدح أبي الرُّواع ، فقال له أبو الرُّواع : أيها الأمير ! إن لهم شدّاتٍ منكرة ، فكن أنت رِدْءَ[٤] الناس ، ومُرِ الفرسان فليقاتلوا بين يديك . فقال له معقِل بن قيس : نِعمَ ما رأيت . فما كان إلّا ريثما قال له ذلك حتّى حمل الخوارج على معقِل وأصحابه ، فانجفَل[٥] عنه عامة أصحابه ، فترجَّل عند ذلك معقِل بن قيس وقال : يا معشر المسلمين الأرضَ الأرضَ ، فترجَّل معه جماعة من الفرسان والشجعان قريب من مئتي فارس منهم أبو الرُّواع الشاكِري ، فحمل عليهم المستورِد بن عُلَّفَة [أمير الخوارج][٦] بأصحابه ، فاستقبلوهم بالرماح والسُّيوف ، ولحق بقيَّة الجيش بعض الفرسان فذمَّرهم وعيَّرهم وأنَّبهم على الفرار ، فرجع الناس إلى معقِل وهو يقاتل الخوارج بمن معه من الأنصار[٧] قتالاً شديداً والناس يتراجعون في أثناء الليل ، فصفَّهم معقل بن قيس ميمنةً وميسرةً ورتَّبهم وقال : لا تبرحوا على مصافكم حتى نصبح فنحمل عليهم ، فما أصبحوا حتى هربت الخوارج ، فرجعوا من حيث أَتَوا ، فسار معقِل في طلبهم وقدَّم بين يديه أبا الرّواع في ست مئة ، فالتقوهم عند طلوع الشمس ، فثار إليهم الخوارج ، فتبارزوا ساعة ، ثم حملوا حملة رجل واحد ، فصبر لهم أبو الرّواع بمن معه ، وجعل يذمِّرهم ويعيِّرهم ويؤنِّبهم على الفرار ويحثُّهم على الصبر ، فصبروا وصدقوا في الثبات حتى ردوا الخوارج إلى أماكنهم . فلما رأتِ الخوارج ذلك خافوا من هجوم معقل عليهم فما يكون دون قتلهم شيء ، فهربوا بين أيديهم حتى قطعوا دجلة ووقعوا في أرض بَهُرَسِير[٨] ، واتبعهم أبو الرّواع ولحقه معقِل بن قيس ، ووصلت الخوارج إلى المدينة العتيقة ، فركب إليهم شريك بن عبيد ـ نائب المدائن ـ ولحقهم أبو الرّواع بمن معه من المقدّمة .

---

(١) « المذار » : موضع بين واسط والبصرة . معجم البلدان (٥/ ٨٨) .
(٢) ما بين حاصرتين من ط و ب .
(٣) في ط : مقاتلتهم .
(٤) « الردء » : العون والنصير .
(٥) « انجفل القوم » : هربوا مسرعين .
(٦) من آ فقط .
(٧) في ب : الأبطال . وقوله من الأنصار ليس في أ .
(٨) كذا قيدها ياقوت في معجمه (١/ ٥١٥) وقال : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، وهي معربة من ده أردشير أو به أردشير ، ومعناه : خير مدينة أردشير . وهي غربي دجلة . وقد تحرفت في أ و ب إلى : نهر سير ، وفي ط إلى : نهزشير .

[قال ابن جرير[١] : وفيها مات عمرو بن العاص بمصر ومحمد بن مَسْلمة ـ قلت : وسنذكر ترجمة كل واحد منهما في آخر السنة ـ فولّى معاوية بعد عمرو على ديار مصر ولدَه عبد الله بن عمرو . قال الواقدي : فعمل له عليها سنتين][٢] .

أما عَمْرو بنُ العاص[٣] : فهو : عمرو بن العاص بن وائِل بن هاشم بن سُعَيد[٤] بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي بن غالب القرشيّ السَّهمي ، أبو عبد الله ، ويقال : أبو محمد .

أحد رؤساء قريش في الجاهلية . وهو الذي أرسلوه إلى النَّجَاشي ليردَّ عليهم مَنْ هاجر من المسلمين إلى بلاده فلم يُجبهم إلى ذلك لعدله ، ووعظ عمرو بن العاص في ذلك ، فيقال : إنه أسلم على يديه ، والصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة أشهر هو وخالد بن الوليد وعثمان [بن طلحة] بن أبي طلحة العَبْدري .

وكان عمرو أحد أمراء الإسلام ، وهو أمير غزوة ذات السَّلاسل[٥] ، وأمدَّه رسول الله ﷺ بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصدِّيق وعمر الفاروق .

وقد قال الترمذي[٦] : حدثنا قُتيبة [حدثنا ابن لَهِيعَة][٧] حدثنا مِشْرَح بن هاعان[٨] ، عن

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٨١) .

(٢) ما بين حاصرتين ورد هنا في أ و ب ، أما في ط فقد ورد قبل خبر الوقعة المتقدمة .

(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٤ و٧/ ٤٩٣) نسب قريش : ٤٠٩ ، طبقات خليفة (ت ١٤٧ ، و٩٧٠ ، ٢٨٢٠) مسند أحمد (٤/ ٢٠٢) المحبر (٧٧ ، ١٢١ ، ١٧٧) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٣٠٣) ثقات العجلي (٣٦٥) المعارف (٢٨٥) المستدرك (٣/ ٤٥٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٢٣) تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٨) الجرح والتعديل (٦/ ٢٤٢) مروج الذهب (٣/ ٣٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٧٦) الولاة والقضاة (انظر الفهرس) جمهرة أنساب العرب (١٦٣) وغيرها ، الاستيعاب (٣/ ١١٨٤) الجمع بين رجال الصحيحين : (١/ ٣٦٢) أنساب السمعاني (٧/ ٢٠٤) تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٢٤٥/آ) جامع الأصول (٩/ ١٠٣) أسد الغابة (٤/ ٢٤٤) الكامل في التاريخ (٣/ ٢٧٤) الحلة السيراء (١/ ١٣) تهذيب الأسماء واللغات: القسم الأول من الجزء الثاني (٣٠) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ٢٣٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٤١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣٥) تذهيب التهذيب (٣/ ١٠١/آ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤) العبر (١/ ٥١) الكاشف (٢/ ٢٨٧) مرآة الجنان (١/ ١١٩) العقد الثمين (٦/ ٣٩٨) غاية النهاية (١/ ٦٠١) الإصابة : (ت ٥٨٨٤) تهذيب التهذيب (٨/ ٥٦) النجوم الزاهرة (١/ ١١٣) حسن المحاضرة (١/ ٢٢٤) خلاصة الخزرجي (٢٩٠) شذرات الذهب (١/ ٢٣٢) .

(٤) في الأصل سعد ، والتصحيح من كتب الأنساب والإصابة .

(٥) كانت هذه الغزوة في جمادى الآخرة سنة ثمان للهجرة. قال ابن إسحاق: سميت بذلك لأنهم نزلوا على ماء لجذام اسمه السلسل وخبرها في السيرة النبوية (٤/ ٦٢٣) وما بعدها، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٣١)، ومعجم البلدان (٣/ ٢٣٦) .

(٦) الترمذي في جامعه (٣٨٤٤) في المناقب ، وقال : هذا حديث غريب (يعني ضعيف) لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن مشرح وليس إسناده بالقوي ، والحديث محتمل للتحسين وله شاهد عند أحمد (٢/ ٣٥٤) من حديث أبي هريرة بلفظ « ابنا العاص مؤمنان ، هشام وعمرو » فهو به حسن .

(٧) سقط من أ .

(٨) تحرفت هاعان في آ ، ط إلى : عاهان .

عُقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « أسلَمَ النّاسُ وآمنَ عمرو بنُ العاص » .

وقال أيضاً[١] : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا أبو أسامة ، عن نافع بن[٢] عمر الجُمحي ، عن ابن أبي مُلَيكة قال : قال طلحة بن عبيد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ عَمرو بنَ العاص مِنْ صالحي قُريش » .

وفي الحديث الآخر : « ابنا العَاص مُؤْمنان »[٣] .

وفي الحديث الآخر : « نِعمَ أهلُ البيتِ : عبدُ الله ، وأبو عبد الله ، وأُمُّ عبد الله »[٤] . رووه في فضائل عمرو بن العاص .

ثم إن الصدِّيق بعثه في جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام ، فكان ممَّن شهد تلك الحروب ، وكانت له بها الآراء السَّديدة ، والمواقف الحميدة ، والأحوال السَّعيدة .

ثم بعثه عمر إلى مصر ، فافتتحها ، واستنابه عليها ، وأقرَّه فيها عثمان بن عفّان أربع سنين ثم عزله ـ كما قدمنا ـ وولّى عليها[٥] عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، فاعتزل عمرو بفلسطين ، وبقي في نفسه من عثمان رضي الله عنهما ، فلما قُتل عثمان سار إلى معاوية ، فشهد معه مواقفه كلَّها بصفِّين وغيرها ، وكان هو أحد الحكمَيْن .

ثم لما أن استرجع معاوية مصر وانتزعها من يد محمد بن أبي بكر استعمل عمرو بن العاص عليها ، فلم يزل نائبَها إلى أن مات في هذه السنة على المشهور ، وقيل : إنه توفي سنة سبع وأربعين ، وقيل : سنة ثمان وأربعين ، وقيل : سنة إحدى وخمسين ، رحمه الله .

وقد كان معدوداً من دهاة العرب وشجعانهم وذوي آرائهم .

وله أمثال حسنة ، وأشعار جيِّدة . وقد روي عنه أنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ ألف مثل . ومن شعره :

إذا المرءُ لم يَتْرُكْ طَعاماً يُحِبُّهُ ولم يَنْهَ قَلْباً غاوياً حيثُ يَمَّما

---

(١) الترمذي رقم (٣٨٤٥) في المناقب ، وقال : هذا حديث إنما نعرفه من حديث نافع بن عمر الجمحي ، ونافع ثقة ، وليس إسناده بمتصل ، وابن أبي مليكة لم يدرك طلحة .
(٢) في ط : عن ، وهو خطأ .
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٤) والطبراني في الكبير (٢٢/ رقم ٤٦١) وهو حديث حسن .
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٦١) بسند رجاله ثقات ، لكنه منقطع ، فهو ضعيف .
(٥) في ط وب : « فيها » ، وما أثبتناه من م وهو الأولى .

قَضــىٰ وَطَـراً منـهُ وغــادر سُبَّـةً إذا ذُكِرَتْ أمثالُها تملأُ الفَمَا[(١)]

وقال الإمام أحمد[(٢)] : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله ـ يعني ابن المبارك ـ أخبرنا ابن لَهِيعَة ، حدثني يزيد بن أبي حَبيب أن عبد الرحمن بن شُمَاسَة حدثه قال : لما حضرتْ عمرو بن العاص الوفاةُ بكىٰ ، فقال له ابنه عبد الله : لمَ تبكي ؟ أجزعاً على الموت ؟! فقال : لا والله ، ولكنْ ممّا بعد الموت . فقال له : قد كنتَ على خير ، فجعل يذكِّره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحَه الشّام ، فقال عمرو : تركتَ أفضلَ من ذلك كلِّه : شهادةَ أنْ لا إله إلّا الله ، إني كنت على ثلاثة أطباق[(٣)] ليس فيها طبقٌ إلّا قد عرفتُ نفسي فيه ، كنتُ أول شيء[(٤)] كافراً ، وكنتُ أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ فلو متُّ حينئذ وَجَبَتْ لي النّار ، فلمّا بايعتُ رسول الله ﷺ كنتُ أشدَّ الناس حياءً منه ، فما ملأتُ عينيَّ من رسول الله ﷺ ، ولا راجعتُه فيما أُريد حتّى لحِقَ بالله حياءً منه ، فلو متُّ يومئذ قال الناس : هنيئاً لعَمرو ؛ أسلمَ وكان على خير فمات ، نرجو له الجنة . ثم تلبَّستُ بعد ذلك بالسُّلطان وأشياء فلا أدري عليَّ أم لي ، فإذا متُّ فلا تبكينَّ عليَّ باكيةٌ ، ولا تُتْبِعني مادحاً ولا ناراً ، وشُدُّوا عليَّ إزاري فإني مُخاصم ، وسُنُّوا عليَّ الترابَ سَنًّا[(٥)] فإنَّ جنبيَ الأيمن ليس بأحقَّ بالتراب من جنبيَ الأيسر ، ولا تجعلن في قبري خشبةً ولا حَجَراً ، وإذا وارَيْتُموني فاقعُدُوا عندي قدرَ نحر جَزُور [وتقطيعِها][(٦)] أَسْتَأنِس بكم .

وقد روى مسلم هذا الحديث في « صحيحه »[(٧)] من حديث يزيد بن أبي حَبيب بإسناده نحوه ، وفيه زيادات على هذا السِّياق حسنة ، فمنها قوله : كي أَسْتأنسَ بكُم لأنظُرَ ماذا أُراجِعُ رسلَ ربِّي عزَّ وجلَّ .

[وفي رواية : أنه بعد هذا حوَّل وجهه إلى الجدار وجعل يقول : اللهم أَمَرْتنا فعَصَيْنا ، ونَهَيْتَنا فما انتهينا ، ولا يَسَعُنا إلّا عَفْوُك .

وفي رواية : أنه وضع يده على موضع الغُلِّ من عنقه ، ورفع رأسه إلى السماء وقال : اللهمَّ لا قويٌّ فأنتصِر ، ولا بريءٌ فأَعتذر ، ولا مُسْتكبرٌ بل مُسْتغفر ، لا إلَه إلّا أنت . فلم يزل يردِّدُها حتّى مات رضي الله عنه][(٨)] .

---

(١) البيتان من قصيدة له يذكر فيها عمارة بن الوليد المخزومي ، أوردها صاحب الأغاني (٩/ ٥٨ ـ ٥٩) والبيتان أيضاً في الاستيعاب (٣/ ١١٨٨) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (١٩/ ٢٥٢) وسير أعلام النبلاء : (٣/ ٥٨) .

(٢) في مسنده (٤/ ١٩٩) .

(٣) أي : على ثلاث حالات .

(٤) كذا في أ وب وم ومسند أحمد . ووقعت في ط : كنت أول قريش .

(٥) سنَّ التراب وشنَّه ـ بالشين ـ يعني : صبَّه .

(٦) زيادة من المسند .

(٧) برقم (١٢١) في الإيمان : باب كون الإسلام يجبُّ ما قبله .

(٨) ما بين حاصرتين من ط وب وم . وقد أخرجه ابن سعد في طبقاته (٤/ ٢٦٠) من حديث طويل بإسناد قوي . وأورده=

وأما محمد بن مَسْلَمة الأنْصاري[١] : فإنه أسلمَ على يدي مصعب بن عُمير قبل أُسَيد بن حُضَير وسعد بن معاذ . شهد بدراً وما بعدها إلا تبوك ، فإنه استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في قول ، وقيل : استخلفه في قَرْقَرة الكُدْر[٢] .

وكان فيمن قتلَ كعب بن الأَشْرف اليهودي . وقيل : إنه الذي قتل مَرْحباً اليهودي يوم خيبر أيضاً .

وقد أمَّره رسول الله ﷺ على نحو من خمس عشرة سَرِيَّة .

وكان ممن اعتزل تلك الحروب بالجمل وصِفِّين ونحو ذلك ، واتخذ سيفاً من خشب ، وقد ورد في حديث قدَّمناه أنه أمره رسول الله ﷺ بذلك ، وخرج إلى الرَّبَذَة[٣] .

وكان من سادات الصحابة .

وكان هو رسول عمر إلى عمَّاله [بسائر البلاد][٤] . وهو الذي شاطَرَهم ـ أي : صادرهم ـ عن أمر عمر له في ذلك .

وله وقائع عظيمة ، وصِيانة وأمانة بليغة رضي الله عنه ، واستعمله عمر على صدقات جُهَيْنة .

وقيل : إنه توفي سنة ست ـ أو سبع ـ وأربعين ، وقيل غير ذلك ، وقد جاوز السبعين ، وترك بعده عشرة ذكور وست بنات .

وكان أسمرَ شديد السُّمرة طويلاً أصلع ، رضي الله عنه .

= الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٦ ـ ٧٧) .

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣) طبقات خليفة (٨٠ ، ١٤٠) تاريخ خليفة (٢٠٦) مسند أحمد (٣/ ٤٩٣ و٤/ ٢٢٥) تاريخ البخاري الكبير (١/ ٢٣٩) تاريخ البخاري الصغير (٨٠) المعارف (٢٦٩) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٧) الجرح والتعديل (٨/ ٧١) مشاهير علماء الأمصار (ت ٩٣) المستدرك (٣/ ٤٣٣) الاستبصار (٢٤١) الاستيعاب (٣/ ١٣٧٧) تاريخ ابن عساكر (١٥/ ٤٧٧/آ) أسد الغابة (٥/ ١١٢) مختصر تاريخ دمشق : (٢٣/ ٢١٣) تهذيب الكمال (ورقة ١٢٧١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٩) العبر : (١/ ٥٢) الكاشف (٣/ ٨٦) مجمع الزوائد (٩/ ٣١٩) تهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٤) الإصابة (٩/ ١٣١) خلاصة الخزرجي (٣٥٩) شذرات الذهب (١/ ٢٣٤).

(٢) ويقال: قرارة الكدر، كما في طبقات ابن سعد (٢/ ٣١). وكانت هذه الغزوة في المحرم من سنة ثلاث للهجرة. وهي بناحية معدن بني سليم قريب من الأرحضية وراء سد معونة، وبين المعدن والمدينة ثمانية برد. معجم البلدان (٤/ ٣٢٦ و ٤٤١ـ٤٤٢).

(٣) « الربذة »: قرية من قرى المدينة قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. والحديث الذي أشار إليه المؤلف أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٣) وفي سنده علي بن زيد وهو ضعيف .

(٤) من أ فقط .

ومن توفي فيها :

عبد الله بنُ سَلَام[١] : أبو يوسف الإسرائيلي ، أحد أَحبار اليهود .

كان حين قدم رسول الله ﷺ المدينة في نخل له . قال : فلمّا قدم كنتُ فيمن انجفل إليه ، فلمّا رأيتُ وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذّاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « أيُّها الناس أَفْشُوا السَّلام ، وأَطْعموا الطَّعام ، وصِلُوا الأَرْحام ، تَدْخُلوا الجنَّةَ بسَلام »[٢] .

وقد ذكرنا صفة إسلامه في أول الهجرة ، وماذا سأل رسولَ الله ﷺ من الأسئلة النافعة الحسنة .

وهو ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة[٣] ، فيقطع له بها .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

فيها غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون ، وشتوا هنالك .

وفيها غزا بُسْر بن أبي أَرْطاة في البحر .

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة ، وذلك أنه ظهر فيها الفساد بسبب لينِه ؛ فإنه كان ليِّن العَريكة سهلاً كريماً ، وكان لا يأخذ على أيدي السُّفهاء ، ولا يقطع لصّاً ، ويريد أن يتألف الناس . [قال ابن جرير[٤] : شكا عبد الله بن عامر إلى زياد فساد الناس ، فقال : جرِّد فيهم السَّيف . فقال ابن عامر : إني أكرهُ أن أُصلحهم بفساد نفسي . قال : فذهب عبد الله بن الكوّاء إلى معاوية فشكا ابنَ عامر ،

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٢) تاريخ ابن معين (٢/ ٣١١) طبقات خليفة (٨) تاريخ خليفة (٥٦ ، ٢٠٦) مسند أحمد (٥/ ٤٥٠) تاريخ البخاري الكبير (١٨/٥) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٤) الجرح والتعديل (٥/ ٦٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ٥٢) المستدرك (٣/ ٤١٣) الاستبصار (١٩٣) الاستيعاب (٣/ ٩٢١) جامع الأصول (٩/ ٨١) أسد الغابة (٣/ ٢٦٤) تهذيب الكمال (١٥/ ٧٤) طبقات علماء الحديث (١/ ٨٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٣) تذكرة الحفاظ : (١/ ٢٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣٠) العبر (١/ ٥١) الكاشف (٢/ ٨٥) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١٥١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٧٨) مجمع الزوائد (٩/ ٣٢٦) نهاية السول (ورقة ١٧٢) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٩) الإصابة (١٠٨/٦) النجوم الزاهرة (١/ ١٢٥) طبقات الحفاظ (٧) خلاصة الخزرجي (٢٠٠) شذرات الذهب (١/ ٢٣٣) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٥١) والترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤) و (٣٢٥١) والدارمي (١/ ٣٤٠) كلهم من طريق عوف بن أبي جميلة ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن سلام . وقال الترمذي : هذا حديث صحيح . وقوله : انجفل إليه ، أي : ذهب إليه مسرعاً .

(٣) وردت هذه الأحاديث في سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٧ ـ ٤١٨) وتخريجها ثمة .

(٤) في تاريخه (٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣) .

فاستعمل[١] طُفَيل بن عوف اليَشْكري على خراسان ، وكان طُفيل هذا عدوَّ ابن الكوّاء . فلما بلغ ابنَ الكوّاء ذلك قال : إنَّ ابن دَجَاجة لقليل العلم فيَّ[٢] ، أظَنَّ أن ولاية طُفيل خراسان تسوءُني ؟! لوددتُ أنه لم يبق في الأرض يشكريٌّ إلّا عاداني وإنه ولّاهم][٣] . فعزل معاوية ابن عامر عن البصرة ، وبعث إليها الحارث بن عبد الله الأزدي .

ويقال : إنَّ معاوية استدعاه إليه ليزوره ، فقدم ابن عامر على معاوية دمشق ، فأكرمَه وردَّه إلى عمله ، فلما ودَّعه قال له معاوية : ثلاث أسألُكهنَّ فقل : هنَّ لك . [قال ابن عامر : هن لك][٤] وأنا ابن أمِّ حكيم . فقال معاوية : تردّ عليَّ عملي ولا تغضب ، قال ابن عامر : قد فعلت . قال معاوية : وتهب لي مالك بعَرَفة ، قال : قد فعلت . قال : وتهب لي دُورَك بمكة ، قال : قد فعلت . فقال له معاوية : وصلتكَ رَحِم . قال ابن عامر : يا أمير المؤمنين وإني سائلُكَ ثلاثاً فقل : هنَّ لك . [فقال : هنَّ لك][٥] وأنا ابن هند . قال : تردّ عليَّ مالي بعرفة ، قال : قد فعلت . قال : ولا تحاسب لي عاملاً ولا أميراً ، قال : قد فعلت . قال : وتُنْكحني ابنتَك هنداً ، قال : قد فعلت . ويقال : إن معاوية خيَّره بين هذه الثلاث وبين الولاية على البصرة ، فاختار هذه الثلاث ، وانعزل عن البصرة .

قال ابن جرير[٦] : وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد بن أَبيه بن سميَّة بأبيه أبي سفيان . وذلك أن رجلاً [من عبد القيس][٧] شهد على إقرار أبي سفيان أنه عاهَرَ بسُمَيَّةَ أمِّ زياد في الجاهليّة ، وأنها حملتْ بزياد هذا منه ، فلما استلحقه به قيل له : زياد بن أبي سفيان .

وقد كان الحسن البَصْري ينكر هذا الاستلحاق ويقول : قال رسول الله ﷺ : « الولدُ للفِراش ، وللعاهِرِ الحَجَر »[٨] .

---

(١) سقطت هذه اللفظة من الأصل ، واستدركتها من تاريخ الطبري .
(٢) سقطت هذه اللفظة من الأصل ، واستدركتها من تاريخ الطبري .
(٣) ما بين حاصرتين من أ فقط . وورد مكانه في ط و ب : فذهب عبد الله بن أبي أوفى المعروف بابن الكوا فشكاه إلى معاوية .
(٤) سقط من ط و ب ، والمثبت في أ وتاريخ الطبري .
(٥) سقط من ط و ب .
(٦) في تاريخه (٥/ ٢١٤) .
(٧) سقط من ط .
(٨) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٢٩) والبخاري رقم (٢٠٥٣) ومسلم رقم (١٤٥٧) من حديث عائشة ورواه أحمد (٢/ ٢٣٩) ومسلم رقم (١٤٥٨) والبخاري رقم (٦٧٥٠) من حديث أبي هريرة .
وقوله : « الولد للفراش » معناه : أنه إذا كان للرجل زوجة أو مملوكة صارت فراشاً له ، فأتت بولد لمدة الإمكان منه ، لحقه الولد وصار ولداً يجري بينهما التوارث وغيره من أحكام الولادة سواء كان موافقاً له في الشبه أم مخالفاً . ومدة إمكان كونه منه ستة أشهر من حين أمكن اجتماعهما .
=

وقال أحمد(١) : [حدثنا هُشيم](٢) حدثنا خالد ، عن أبي عثمان قال : لما ادُّعي زياد لقيتُ أبا بكرة فقلت : ما هذا الذي صنعتم ؟! إني سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : سمعت أذني رسول الله ﷺ يقول : « من ادَّعىٰ أباً في الإسلام غيرَ أبيهِ ـ وهو يعلمُ أنَّه غيرُ أبيه ـ فالجنَّةُ عليه حَرَام » فقال أبو بكرة : وأنا سمعتُه من رسول الله ﷺ . أخرجاه(٣) من حديث أبي عثمان عنهما .

قلت : أبو بكرة اسمُه نُفَيْع ، واسم أمه سُميَّة أيضاً .

وحج بالناس في هذه السَّنة معاوية .

وفيها عمل معاوية المقصورةَ [بالجامع](٤) بالشام ، ومروان مثلَها بالمدينة .

وفي هذه السنة توفيت :

أمُّ حَبِيبَـة(٥) : بنت أبي سفيان ، أخت معاوية ، وأمُّ المؤمنين ، واسمها رَمْلة .

أسلمت قديماً ، وهاجرت هي وزوجها عُبَيد الله بن جحش(٦) إلى أرض الحبشة ، فتنصَّر هناك زوجها ومات بالحبشة ، وثبتت هي على دينها رضي الله عنها . وبنتُها حَبيبة هي أكبر أولادها من عُبيد الله بن جحش ، ولدتها بالحبشة ، وقيل : بمكّة قبل الهجرة .

ولما تأيَّمت من زوجها بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أميّة الضَّمْري إلى النَّجاشي فتزوَّجها منه ، وولي

= وأما قوله : « للعاهر الحجر » فقد قال العلماء : « العاهر » : الزاني . ومعنى له الحجر أي : له الخيبة ، ولا حقَّ له في الولد .

(١) في مسنده (١/ ١٦٩) .

(٢) سقط من أ .

(٣) البخاري رقم (٦٧٦٦) ، ومسلم (٦٣) في الإيمان : باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم .

(٤) هذه اللفظة من أ فقط . وقد قال ابن قتيبة في الأوائل (ص٣٣) وأول من اتخذ المقصورة في المسجد معاوية ، وذلك أنه أبصر على منبره كلباً . وحول نشأة المقاصير انظر ما كتبه الدكتور حسين مؤنس في كتابه المساجد من سلسلة عالم المعرفة العدد (٣٧) ص١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٥) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٦) تاريخ ابن معين (٧٣٦) طبقات خليفة (٣٣٢) تاريخ خليفة (٧٩ ، ٨٦) مسند أحمد (٦/ ٣٢٥ و٤٢٥) المعارف (١٣٦ ، ٣٤٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٨) الجرح والتعديل : (٩/ ٤٦١) المستدرك (٤/ ٢٠) الاستيعاب (٤/ ١٨٤٣) تاريخ ابن عساكر : تراجم النساء : ص٧٠ ، أسد الغابة (٧/ ١١٥) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٩٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٨) تاريخ الإسلام : (٢/ ٢٥٣) العبر (١/ ٥٢) الكاشف (٣/ ٤٢٦) مجمع الزوائد(٩/ ٢٤٩) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٩) الإصابة (١٢/ ٢٦٠) خلاصة الخزرجي (٤٩١) شذرات الذهب (١/ ٢٣٦) أعلام النساء لكحالة (١/ ٤٦٤).

(٦) في الأصل : عبد الله بن جحش ، وهو خطأ ، فعبد الله أخوه ، صحابي جليل ، من شهداء أُحد .

العقد خالد بن سعيد بن العاص ، وأصدَقَها عنه النجاشي أربعمئة دينار ، وحملها إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع[١] .

ولما جاء أبوها عام الفتح ليشدَّ العقد [الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ][٢] دخل عليها فثَنَتْ عنه فراش رسول الله ﷺ فقال : والله يا بنيَّة ما أدري أرغبتِ بهذا الفراش عنِّي أم بي عنه ؟! فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك ، فقال لها : والله يا بنيَّة لقد لقيتِ بعدي شرّاً[٣] .

وقد كانت هي من سادات النساء وأمهات المؤمنين ، ومن العابدات الورعات .

قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سُهَيل[٤] ، عن عوف بن الحارث قال : سمعت عائشة تقول : دعتني أمُّ حَبيبة عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضَّرائر . فقلت : يغفرُ اللهُ لي ولكِ ما كان من ذلك كلِّه وتجاوزت عنه وحاللتك ، فقالت : سَرَرْتيني سرَّكِ الله . وأرسلت إلى أمِّ سلمة ، فقالت لها مثل ذلك[٥] .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

فيها ولَّى معاوية البصرة للحارث بن عبد الله الأزدي ، ثم عزله عنها بعد أربعة أشهر ، وولَّى زياداً [فقدم زياد][٦] الكوفة وعليها المغيرة بن شعبة ، فأقام بها ليأتيه رسول معاوية بولاية البصرة ، فظنَّ المغيرة أنه قد جاء على إمرة الكوفة ، فبعث إليه وائل بن حُجْر ليعلم خبره ، فاجتمع به فلم يقدر منه على شيء ، فجاء البريد من معاوية إلى زياد بأن يسير إلى البصرة والياً عليها ، واستعمله على خراسان وسِجِسْتان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

ودخل زياد البصرة في مستهل جمادى الأولى ، فقام في أول خطبة خطبها ـ وقد وجد الفسق ظاهراً بالبصرة ـ [فقال فيها : أيها الناس ! كأنكم لم تَسْمعوا ما أعدَّ الله من الثواب لأهل الطّاعة ، والعذاب لأهل المعصية ، أتكونون كمَنْ طَرَفَتْ عينَه الدنيا ، وسَدَّتْ مسامعَه الشهوات فاختار الفانية على الباقية . . .][٧] .

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٧ ـ ٩٩) .
(٢) من (أ) فقط .
(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٩ ـ ١٠٠) .
(٤) في الأصل : سَهْل ، وهو خطأ .
(٥) طبقات ابن سعد (٨/ ١٠٠) .
(٦) من (ط) و (ب) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) و(م)، وهو جزء من خطبته المعروفة بالبتراء التي أكثرت كتب التاريخ والأدب من تناقلها، انظر مثلاً: تاريخ الطبري (٥/ ٢١٧ـ٢٢١) والبيان والتبيين (٢/ ٦١ ـ ٦٦) والعقد الفريد (٤/ ١١٠ ـ ١١٢) .

ثم ما زال يُقيم أمر السُّلطان ويجرِّد السيف حتى خافه الناسُ خوفاً عظيماً ، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي الظاهرة ، واستعانَ على عمله بجماعة من الصَّحابة ، وولَّى عمران بن حُصين القضاء بالبصرة ، وولى الحكم بن عَمرو نيابة خُراسان ، وولَّى سَمُرَة بن جُنْدب وعبد الرحمن بن سَمُرة وأنس بن مالك .

وكان زياد حازم الرأي ، ذا هيبة ، داهية ، وكان مفوَّهاً فصيحاً بليغاً . قال الشعبي : ما سمعت متكلِّماً قطُّ تكلَّم فأحسن إلَّا أحببتُ أن يسكت خوفاً من أن يُسيء إلّا زياداً ، فإنه كان كلَّما أكثر كان أجودَ كلاماً .

وقد كانت له وَجَاهة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفي هذه السنة غزا الحكم بن عمرو الغِفَاري ـ نائب زياد على خراسان ـ جبل الأَشَلّ[(١)] عن أمر زياد له في ذلك ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وغَنِمَ أموالاً جمَّة ، فكتب إليه زياد : إنَّ أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يُصطفى له كلُّ صفراء وبيضاء ـ يعني الذهب والفضَّة ـ من هذه الغنيمة لبيت المال . فكتب الحكم بن عمرو الغِفَاري : إنَّ كتاب الله مقدَّم على كتاب أمير المؤمنين ، وإنه ـ والله ـ لو كانت السماوات والأرض على عبد[(٢)] فاتَّقى الله لجعل له مَخْرجاً . ثم نادى في الناس : أن اغدُوا على قسم غنيمتكم ، فقسمَها بينهم وخالف زياداً فيما كتب إليه عن معاوية ، وعزل الخُمس كما أمر الله ورسولُه . ثم قال الحكم : اللهمَّ إنْ كان لي عندك خيرٌ فاقبِضْني ، فمات بمرو من خراسان رحمه الله .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم ، وكان أميراً على المدينة [وكانت الولاة والعمال هم الذين كانوا في السنة الماضية][(٣)] .

وفي هذه السنة توفي :

زيد بن ثابت الأنصاري[(٤)] : أحد كُتّاب الوحي ، وقد ذكرنا ترجمته فيهم في أواخر السِّيرة ، وهو

---

(١) في الأصول : الأسل وهو تصحيف . قال ياقوت في معجمه (١/ ٢٠٠) الأشلّ : جبل في ثغور خراسان ، غزاه الحكم بن عمرو الغفاري .

(٢) في ط : عدو .

(٣) ما بين حاصرتين من أ فقط ، وشبيهه في تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٦).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٨) طبقات خليفة (٨٩) تاريخ خليفة (٢٠٧) مسند أحمد (٥/ ١٨١) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣٨٠) ثقات العجلي (١٧٠) المعارف (٢٦٠) المعرفة والتاريخ : (١/ ٣٠٠ ، ٤٨٣) فضائل الصحابة للنسائي (١٦٤) أخبار القضاة (١/ ١٠٧) الجرح والتعديل (٣/ ٥٥٨) ثقات ابن حبان (٣/ ١٣٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢) معجم الطبراني الكبير (٥/ ١١١) المستدرك (٣/ ٤٢١) جمهرة ابن حزم (٣٤٨) الاستيعاب (٢/ ٥٣٧) طبقات الشيرازي (ص٤٦) الجمع لابن القيسراني : (١/ ١٤٢) تاريخ ابن عساكر (٦/ ورقة ٢٧٨/آ) أسد الغابة (٢/ ٢٧٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٠) تهذيب الكمال (١٠/ ٢٤) طبقات علماء الحديث (١/ ٨٩) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٠) العبر (١/ ٥٣) الكاشف (١/ ٢٦٤) معرفة القراء=

الذي كتب هذا المصحف الإمام الذي بالشام عن أمر عثمان له في ذلك، وهو خط جيِّد قويٌّ جدّاً فيما رأيتُه.

وقد كان زيد بن ثابت من أشدِّ الناس ذكاءً، تعلَّم لسان يهود وكتابهم في خمسة عشر يوماً. [قال أبو الحسن بن البراء: تعلَّمَ الفارسيَّة من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً][١] وتعلَّمَ الحبشيَّة والروميَّة والقبطيَّة من خدّام رسول الله ﷺ.

قال الواقدي: وأول مشاهده الخندقُ وهو ابن خمس عشرة سنة.

وفي الحديث الذي رواه أحمد والنَّسائي[٢]: « وأعلَمُهُمْ بالفَرائِضِ زيدُ بنُ ثابت ».

وقد استعمله عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على القضاء.

وقال مسروق: كان زيد بنُ ثابت من الراسخين في العلم[٣].

وقال محمد بن عمرو[٤]، عن أبي سلَمة، عن ابن عباس: أنه أَخَذَ لزيد بن ثابت بالرِّكَاب، فقال له: تنحَّ يا بنَ عمِّ رسول الله، فقال: لا، هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا[٥].

وقال الأعمش: عن ثابت بن[٦] عُبيد قال: كان زيد بن ثابت من أَفكه الناس في بيته، ومن أَزْمَتِه[٧] إذا خرج إلى الرِّجال.

وقال محمد بن سيرين: خرج زيد بن ثابت إلى الصلاة، فوجد الناس راجعين منها، فتوارى منهم وقال: مَنْ لايَسْتحيي من الناس لايَسْتحيي مِنَ الله[٨].

= الكبار (١/ ٣٦) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢٤٨) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٥٠) مجمع الزوائد (٩/ ٣٤٥) غاية النهاية (١/ ٢٩٦) نهاية السول (ورقة ١٠٥) تهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٩) الإصابة (٤/ ٤١) النجوم الزاهرة (١/ ١٣٠) طبقات الحفاظ (ص٨) خلاصة الخزرجي (١٢٧) كنز العمال (١٣/ ٣٩٣) شذرات الذهب (١/ ٢٣٧) تاريخ التراث العربي (٢/ ١٨).

(١) ما بين حاصرتين من (ط) و (ب).

(٢) أحمد في مسنده (٣/ ١٨٤)، والنسائي في الكبرى رقم (٨٢٨٧). وأخرجه أيضاً الترمذي رقم (٣٧٩١)، وابن ماجه (١٥٤) وهو حديث صحيح.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٦٠.

(٤) تحرف في (أ) إلى: محمد بن عمر. ومحمد بن عمرو: هو أبو الحسن محمد بن عمرو بن علقمة الليثي المدني، راوية أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٠) من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري بهذا الإسناد، وصححه الحاكم (٣/ ٤٢٣).

(٦) وقعت في ط: عن، وهو خطأ.

(٧) في ط: أذمها تحريف. وقوله: من أزمته، أي: من أرزنهم وأوقرهم.

(٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٩).

مات في هذه السنة وقيل : في سنة خمس وخمسين ، والصحيح الأول ، وقد قارب السِّتِّين ، وصلَّى عليه مروان بن الحكم . وقال ابن عباس : لقد مات اليوم علمٌ كثير(١) .

وقال أبو هريرة : مات حَبْرُ هذه الأمَّة(٢) .

وفيها مات :

سَلَمة بن سَلامَة(٣) : ابن وَقْش(٤) عن سبعين سنة .

وقد شهد بدراً ومابعدَها .

ولا عَقِبَ له .

وعاصِمُ بن عَدِيّ(٥) : وقد استخلفه رسول الله ﷺ حين خرج إلى بدر على قُباء وأهلِ العالية ، وشهد أُحداً وما بعدها ، وتوفي عن خمس عشرة(٦) ومئة سنة .

وقد بعثه رسول الله ﷺ هو ومالك بن الدُّخْشُم إلى مسجد الضِّرَار فحرَّقاه(٧) .

---

(١) وقع في (ط) : عالم كبير . وقد أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) والحاكم (٣/ ٤٢٨) والطبراني برقم (٤٧٤٩) والفسوي (١/ ٤٨٥) من طرق عن حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار قال : لما مات زيد بن ثابت جلسنا إلى ابن عباس في ظل ، فقال : هكذا ذهاب العلماء ، لقد دفن اليوم علم كثير . ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٢٦٢) والطبراني برقم (٤٧٥٠) والحاكم (٣/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) من طرق عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد قال : قال أبو هريرة حين مات زيد بن ثابت : اليوم مات حبر هذه الأمة ، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً . ورجاله ثقات ، إلا أن يحيى بن سعيد لم يسمع من أبي هريرة .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٣٩) طبقات خليفة (٧٧) تاريخ خليفة (٢٠٧) مسند أحمد (٣/ ٤٦٧) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٦٨) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٣٤) الجرح والتعديل (٤/ ١٦١) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٤) المستدرك (٣/ ٤١٧) الاستبصار (٢٢٢) الاستيعاب (٢/ ٦٤١) أسد الغابة (٢/ ٤٢٨) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٥) الإصابة (٤/ ٢٣٠) .

(٤) تحرف في (ب) إلى : قيس .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٦٦) مسند أحمد (٥/ ٤٥٠) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ت٣٠٣٧) المعارف (٣٢٦) المعرفة والتاريخ (٢/ ٢١٥) الجرح والتعديل (٦/ ٣٤٥) ثقات ابن حبان (٣/ ٢٨٦) معجم الطبراني الكبير (١٧/ ١٧١) الاستيعاب (٢/ ٧٨١) أسد الغابة (٣/ ١١٤) تهذيب الكمال (١٣/ ٥٠٧) الكاشف (٢/ ٤٦) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٩٧٦) العبر (١/ ٥٣) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة١١١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢١٨) نهاية السول (ورقة ١٥٤) تهذيب التهذيب (٥/ ٤٩) الإصابة (٢/ ت٤٣٥٣) خلاصة الخزرجي (١٨٢) شذرات الذهب (١/ ٢٣٨) .

(٦) وقع في (ط) : خمس وعشرين ، وهو خطأ .

(٧) كان ذلك أثناء غزوة تبوك . سيرة ابن هشام (٢/ ٥٢٩) وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٦٦) .

وفيها توفيت :

حَفْصَة بنتُ عمر[١] : ابن الخطاب ، أمُّ المؤمنين ، وكانت قبلَ رسول الله ﷺ تحت خُنَيْس[٢] بن حُذافة السَّهمي ، وهاجرتْ معه إلى المدينة ، فتوفي عنها بعد بدر ، فلما انقضتْ عدَّتُها عرضها أبوها على عثمان بعد موت زوجته رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ فأبى أن يتزوَّجها ، فعرضها على أبي بكر ، فلم يردَّ عليه شيئاً ، ثم عن قريب خطبها رسول الله ﷺ فتزوَّجها ، فعاتب عمر أبا بكر بعد ذلك ، فقال له أبو بكر : [مامنعني أن أردَّ عليك إلّا أن رسول الله ﷺ كان قد ذكرها][٣] ولو تركها لتزوَّجْتُها[٤] .

وقد روينا في الحديث : « أن رسول الله ﷺ طلَّق حَفْصَة ثم راجعها »[٥] .

وفي رواية : « أن جبريل أمره بمراجعتها وقال : إنها صَوَّامة قَوّامة ، وهي زوجتُكَ في الجنَّة »[٦] .

وقد أجمع الجمهور على أنَّها توفيت في شعبان من هذه السنة عن ستّين سنة ، وقيل : إنها توفيتْ أيام عثمان ، والأول أصح ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين

فيها شتا المسلمون ببلاد الرُّوم لأجل الجهاد مع أميرهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل : كان أميرهم غيره ، فالله أعلم .

[وحج بالناس فيها عُتْبة بن أبي سفيان أخو معاوية ، والعمال على البلاد هم المتقدم ذكرهم][٧] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٨١) طبقات خليفة (٣٣٤) تاريخ خليفة (٦٦) مسند أحمد (٦/ ٢٨٣) المعارف (١٣٥) وغيرها ، المستدرك (٤/ ١٤) الاستيعاب (٤/ ١٨١١) أسد الغابة (٧/ ٦٥) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٨٨) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٧) الكاشف (٣/ ٤٢٣) العبر (١/ ٥٠) مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٤) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١١) الإصابة (١٢/ ١٩٧) خلاصة الخزرجي (٤٩٠) كنز العمال (١٣/ ٦٩٧) شذرات الذهب (١/ ٢٢٩) أعلام النساء لكحالة (١/ ٢٧٤) .

(٢) تحرف في أ إلى : حنيش ، وفي ط إلى : حنيس .

(٣) مكانه في ط و ب : إن رسول الله كان قد ذكرها ، فما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٠٥) في المغازي و(٥١٢٢) في النكاح من حديث ابن عمر عن عمر .

(٥) حديث صحيح أخرجه أبو داود (٢٢٨٣) في الطلاق : باب في المراجعة ، وابن ماجه (٢٠١٦) والنسائي (٦/ ٢١٣) من حديث عمر . وفي المجتبى للنسائي : ابن عمر ، محرف .

(٦) رواه الحاكم (٤/ ١٥) وأبو نعيم (٢/ ٥٠) وهو حديث حسن بطرقه .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) و (ب) و(م) .

ومِمن توفي في هذه السنة :

سالم بن عمير[١] : أحد البَكّائين المذكورين في القرآن[٢] .

شهد بدراً وما بعدَها من المشاهد كلها .

سراقة بن كعب[٣] : شهد بدراً وما بعدها .

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[٤] : القرشي المخزومي . وكان من الشُّجعان المعروفين ، والأبطال المشهورين كأبيه . وكان قد عظم [أمره ، وعلا قدره][٥] ببلاد الشام كذلك حتى خاف منه معاوية . ومات وهو مسمومٌ ، رحمه الله وأكرم مثواه .

قال ابن مَنْدة وأبو نعيم الأصبهاني : أدرك النبي ﷺ .

وقد روى ابن عساكر من طريق أبي عمر : أن[٦] عمرو بن قيس روى عنه عن النبي ﷺ في الحِجَامة بين الكتفَيْن . قال البخاري[٧] : وهو منقطع . ـ يعني مرسلاً ـ .

وقال الزبير بن بَكّار[٨] : كان عظيم القدر في أهل الشام ، شهد صفِّين مع معاوية . وكان كعبُ بن جُعَيل مدَّاحاً له ولأخويه مُهاجر وعبد الله .

وقال ابن سُميع : كان يَلي الصَّوائف زمن معاوية ، وقد حفظ عن معاوية .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٠) الاستيعاب (٢/ ٥٦٧) أسد الغابة (٢/ ٣١١) الإصابة (ت٣٠٤٦) .

(٢) قال الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص٢٥٨) : قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة : ٩٢] نزلت في البكائين ، وكانوا سبعة .... أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا نبي الله إن الله عز وجل قد ندبنا إلى الخروج معك ، فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزوا معك . فقال : لا أجد ما أحملكم عليه . فتولوا وهو يبكون . وذكر الخلاف في أسماء هؤلاء السبعة ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) وابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٥٢٨) وغيرهما.

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٧) الجرح والتعديل (٤/ ٣٠٨) الاستيعاب (٢/ ٥٨٠) أسد الغابة (٢/ ٣٣٠) الإصابة (ت٣١١٤) .

(٤) نسب قريش (ص٣٢٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٩) الجرح والتعديل (٥/ ٢٢٩) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٥٢) الاستيعاب (٢/ ٨٢٩) أسد الغابة (٣/ ٤٤٠) تاريخ دمشق (٣٤/ ٣٢٤) العبر (١/ ٥٣) الإصابة (ت٦٢٠٧) شذرات الذهب (١/ ٢٣٩) .

(٥) من (أ) فقط .

(٦) في (ط) : من طريق أبي عمران عمرو . . وهو خطأ ، فعمرو بن قيس كنيته : أبو ثور . . ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ٢٨٠) وغيره .

(٧) تاريخه الكبير (٥/ ٢٧٧) ، ونقله ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤/ ٣٢٦) .

(٨) ينظر نسب قريش لمصعب الزبيري (٣٢٤) ، وتاريخ دمشق (٣٤/ ٣٢٦) .

وقد ذكر ابن جرير[١] وغيره : أنَّ رجلاً يقال له ابن أُثَال ـ وكان رئيس الذِّمَّة بأرض حمص ـ سقاه شَربةً فيها سمٌّ فمات .

وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ، ولا يصح ، والله أعلم .

وقد رثاه بعضهم[٢] فقال :

أَبُوكَ الذي قادَ الجيوشَ مُغَرِّباً ... إلى الرُّوم لمَّا أعطَتِ الخَرْجَ فارِسُ
وكمْ مِنْ فَتىً نَبَّهْتَهُ بعدَ هَجْعَةٍ ... بقَرْعِ لجامٍ وهو أَكتَعُ ناعِسُ
وما يَسْتَوي الصَّفّانِ صَفٌّ لخالدٍ ... وصَفٌّ علَيهِ من دِمَشْقَ البَرانِسُ

وقد ذكروا أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد قدم المدينة ، فقال له عروة بن الزُّبير : ما فعل ابن أُثال ؟ فسكت خالد بن عبد الرحمن ، ثم رجع إلى حمص فثار على ابن أُثال ، فقتلَه ، [فحبسه معاوية ثم أطلقه ، ثم قدم المدينة ، فقال له عروة : ما فعل ابن أُثال][٣] ؟ فقال : قد كفيتُك إيّاه ، ولكن ما فعل ابنُ جرموز ؟ فسكت عروة .

وفيها توفي محمد بن مَسْلمة في قول ، وقد قدَّمنا وفاته .

هَرِم بن حَيّان[٤] العَبْدي[٥] : كان أحد عمّال عمر بن الخطّاب ، ولقي أُويساً القَرَني ، وكان من عقلاء الناس وعلمائهم وعبّادهم .

ويقال : إنه لما دُفن جاءتْ سحابة فروَّتْ قبره ، ونبتَ العشبُ عليه من وقته ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

فيها شتا المسلمون ببلاد الروم [لأجل الجهاد][٦] .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٧) .
(٢) هو كعب بن جعيل الذي ورد ذكره قبل أسطر . والأبيات في نسب قريش (ص٣٢٦) ، وتاريخ دمشق (٣٤/ ٣٣٢) .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من (ط) . تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٩) .
(٤) كذا في (ب) ، ومثله في مصادر ترجمته اللاحقة ، ووقع في (أ) و (ط) والقاموس المحيط : حبان، خطأ .
(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ١٣١) طبقات خليفة (ت١٥٨١) الزهد لأحمد (٣٣١) المعمرون والوصايا (١٥٩) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٢٤٣) المعارف (٤٣٥) الجرح والتعديل (٩/ ١١٠) مشاهير علماء الأمصار (ت١١٨٢) حلية الأولياء (٢/ ١١٩) الاستيعاب (٤/ ١٥٣٧) أسد الغابة (٥/ ٣٩١) تاريخ الإسلام (٣/ ٢١١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨) الإصابة (ت٨٩٤٧) النجوم الزاهرة (١/ ١٣٢) .
(٦) من (أ) فقط .

وفيها عزل معاويةُ عبدَ الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، وولّى عليها معاوية بن حُدَيج[١] .

وحج بالناس عتبة ـ وقيل : أخوه عَنْبسة ـ بن أبي سفيان ، فالله أعلم .

وممن توفي فيها :

قيسُ بنُ عاصِم المِنْقَري[٢] : كان من سادات الناس في الجاهليّة والإسلام ، وكان ممَّن حرَّم الخمر في الجاهليَّة ، وذلك أنه سكر يوماً فعبثَ بذات مَحْرَم منه فهربت منه ، فلمّا أصبح قيل له في ذلك ، فحرَّمها وقال في ذلك :

رأيتُ الخمرَ مَنْقَصَةً وفيها ... مَقَابحُ تَفْضَحُ الرجُلَ الكَريما
فلا واللهِ أَشْرَبُها حَيَاتي ... ولا أَشْفي بها أبداً سَقيما[٣]

وكان إسلامه مع وفد بني تميم[٤] .

وفي بعض الأحاديث أنَّ رسول الله ﷺ قال : « هذا سَيِّدُ أهلِ الوَبَر »[٥] .

وكان جواداً ممدَّحاً كريماً . وهو الذي يقول فيه الشاعر[٦] يوم مات :

وما كانَ قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ... ولكنَّهُ بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما

[وقيل : إنما قال هذا البيت الخنساء في أخيها صخر][٧] .

وقال الأصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء يقولان : قيل للأحنف بن قيس : ممَّن تعلمتَ الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المِنْقَري ، لقد اختلفنا إليه في الحكم كما يُختلف إلى الفقهاء في الفقه ، فبينا نحن عنده يوماً ، وهو قاعد بِفنائه ، محتبٍ بكسائه أتته جماعةٌ فيهم مقتول ومكتوف ـ المقتول ابنُه ، والمكتوف ابنُ أخيه ـ فقالوا : هذا ابنُك قتلَه ابنُ أخيك ، قال : فوالله ما حلَّ

---

(١) تصحف في الأصول إلى : خديج .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٦) مسند أحمد (٥/ ٦١) المعمرون والوصايا (١٣٥) المعارف (٣٠١) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٦) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢٧) معجم الشعراء للمرزباني (١٩٩) الاستيعاب (٣/ ١٢٩٤) أسد الغابة (٤/ ٤٣٢) تهذيب الكمال (ورقة ١١٣٨) الكاشف (٢/ ٣٤٩) تهذيب التهذيب (٨/ ٣٣٩) الإصابة (ت٧١٩٤) خلاصة الخزرجي (٣١٧) .

(٣) البيتان مع بيتين آخرين في الاستيعاب (٣/ ١٢٩٥) وأسد الغابة (٤/ ٤٣٣) وتهذيب الكمال (ورقة ١١٣٨ ـ ١١٣٩) ورواية الشطر الأول في هذه المصادر : رأيت الخمر صالحة وفيها . . .

(٤) وذلك سنة سبع من الهجرة كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٠ ـ ٥٦١) .

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٣٩) والبزار رقم (٢٧٤٤) وفي إسناده ضعف ، ورواه أيضاً البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٩٥٣) وغيره وهو حسن لغيره .

(٦) هو عبدة بن الطبيب ، وسيأتي تخريج البيت بعد أسطر .

(٧) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

حَبْوَته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفتَ إلى ابن له في المجلس[١] فقال : أَطلِقْ عن ابن عمِّك ، ووارِ أخاك ، واحمل إلى أمِّه مئة من الإبل فإنها غريبة . [ثم نظر إلى ابن أخيه فقال له : لقد نقصتَ عددَك ، وقطعتَ رحمَك ، وعصَيتَ ربَّك ، وأطعتَ شيطانك][٢] .

ويقال : إنه لمّا حضرته الوفاةُ جلس حولَه بنوه ـ وكانوا اثنين وثلاثين ذكراً ـ فقال لهم : يا بَنيَّ سَوِّدُوا عليكم أكبرَكم تخلفوا أباكم ، ولا تُسَوِّدوا أصغركم فيزدري بكم أكفاؤكم . وعليكم بالمال واصْطِناعه فإنه نعمَ ما يهبه[٣] الكريم ، ويُستغنى به عن اللئيم . وإيّاكم ومسألةَ الناس فإنها من أخَسِّ مكسَبة الرجل . ولا تَنُوحوا عليَّ ، فإن رسول الله ﷺ لم يُنَح عليه . ولا تَدْفنوني حيث يشعر بكرُ بن وائل فإني كنتُ أُعاديهم في الجاهليّة[٤] .

وفيه يقول الشاعر[٥] :

عليكَ سَلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصِمٍ ... ورحمتُـهُ مـا شـاءَ أنْ يَتَـرحَّمـا
تحيَّـةَ مَـنْ أوليتَـهُ منـكَ مِنَّـةً ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما[٦]
فما كانَ قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ... ولكنَّـهُ بُنْيـانُ قـومٍ تَهَـدَّمـا

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

فيها شتا أبو عبد الرحمن القَيْني[٧] بالمسلمين ببلاد أنطاكية [لأجل الجهاد][٨] .

وفيها غزا عُقبة بن عامر بأهل مصر البحر .

وفيها حجَّ بالناس مروان بن الحكم نائبُ المدينة .

---

(١) في (ط) و (ب) : المسجد .
(٢) ما بين حاصرتين من أ فقط ، وهو متفق مع ما في الاستيعاب (٣/ ١٢٩٥) وأسد الغابة (٤/ ٤٣٣) .
(٣) كذا في الأصول ، وفي مراجع التخريج : فإنه نعم منبهة للكريم .
(٤) أورد هذه الوصية أبو حاتم في كتابه المعمرون والوصايا (ص١٣٥) وأيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٢٩٦) وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٤٣٤) .
(٥) هو عبدة بن الطبيب ، والأبيات في الأغاني (٢١/ ٢٥ ـ ٢٦) وغيره .
(٦) هكذا ورد هذا البيت في جميع الأصول ، وهو خطأ ؛ إذ أن الشطر الثاني هو من قصيدة لعمرو بن العاص كما تقدم في ترجمته ، وجاء على الصواب في مصادر الترجمة على النحو الآتي :
تحيـة مـن أوليتـه منـك منـة ... إذا زارَ عَـنْ شَحْـطٍ بـلادَكَ سَلمـا
(٧) في ط : « القتبي » ، خطأ . ينظر توضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٧/ ١٨١) .
(٨) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قُسْطنطينيَّة ، وكان معه جماعة من سادات الصحابة منهم : ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزُّبير ، وأبو أيوب الأنصاري . وقد ثبت في « صحيح البخاري »[١] أن رسول الله ﷺ قال : « أَوَّلُ جيشٍ [مِنْ أُمتي] يغزونَ مدينةَ قَيْصَر مغفورٌ لهم » فكان هذا الجيش أول من غزاها ، وماوصلوا إليها حتى بلغوا الجهد . وبها[٢] توفي أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري ، ولم يَمُتْ في هذه الغزوة ، بل بعدها في سنة بضع وخمسين كما سيأتي .

وفيها عزل معاويةُ مروانَ عن المدينة ، وولَّى عليها سعيد بن العاص ، فاستقضى سعيد عليها أبا سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف .

وفيها شتا مالك بن هُبيرة الفَزَاري بأرض الروم .

وفيها كانت غزوة فَضَالة بن عُبيد ، وشتا هنالك ، ففتح البلد ، وغنم شيئاً كثيراً [من الرقيق وغيره][٣] .

وفيها كانت صائفة عبد الله بن كُرْز البَجَلي .

وفيها وقع الطاعون بالكوفة ، فخرج منها المغيرة بن شُعبة فارّاً ، فلمّا ارتفع الطاعون رجع إليها ، فأصابه الطاعون فمات . والصحيح أنه مات سنة خمسين كما سيأتي .

[وفيها عزل معاويةُ مروانَ بن الحكم عن المدينة في شهر ربيع الأول منها ، وولَّى عليها سعيد بن العاص في شهر ربيع الآخر ، فكانت ولاية مروان على المدينة لمعاوية ثمان سنين وشهرين ، وكان قاضي مروان على المدينة عبد الله بن الحارث بن نوفل ، فلمّا ولي سعيد عزله عن القضاء ، واستقضى أبا سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف][٤] .

وفيها جمع معاويةُ بين ولاية الكوفة والبصرة لزياد ، فكان أول مَنْ جُمع له بينهما ، فكان يُقيم في هذه ستة أشهر ، وفي هذه ستة أشهر ، وكان إذا سار من البصرة استخلف عليها سَمُرَة بن جُنْدب .

---

(١) البخاري في الجهاد / ٩٣ برقم (٢٩٢٤) وسيعيده المؤلف ضمن ترجمة يزيد بن معاوية .

(٢) يعني القسطنطينية . ووقعت في ط : وفيها ، وهو خطأ ، إذ يتوجه الكلام إلى الغزوة .

(٣) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٤) ما بين حاصرتين من (أ) فقط ، وبعضه في (ب) و(م) . أما المطبوع فلا يوجد فيه شيء منه لأنه تقدم مختصراً في أول أحداث هذه السنة .

وحجَّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بن العاص .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان :

الحسنُ بنُ عليٍّ بن أبي طالب(١) : أبو محمد القرشيُّ الهاشميُّ ، سِبطُ رسول الله ﷺ ابن ابنته فاطمة الزَّهراء ، ورَيْحانتُه ، وأشبهُ خلق الله به في وجهه .

ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، فحنّكه رسول الله بريقه ، وسمَّاه حسناً . وهو أكبر ولد أبويه .

وقد كان رسول الله ﷺ يحبُّه حبّاً شديداً حتى كان يقبّل زُبيبه(٢) وهو صغير ، وربما مصَّ لسانه واعتنقه وداعبه . وربما جاء ورسولُ الله ﷺ ساجدٌ في الصلاة ، فيركب على ظهره ، فيقرّه على ذلك ويطيل السجود من أجله ، وربما صعد معه إلى المنبر .

وقد ثبت في الحديث أنه عليه السلام بينما هو يخطُب إذ رأى الحسن والحسين مقبلَين ، فنزل إليهما ، فاحتضنهما وصعِد بهما معه إلى المنبر وقال : « صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] إني رأيتُ ابنيَّ هذَين يمشِيَانِ ويَعْثُرانِ فلَم أَملِكْ أَنْ نزلتُ إليهما »(٣) .

ثم قال : « إنَّكم لَمِنْ روحِ الله ، وإنَّكم لتُبَخِّلون وتُجَبِّنون »(٤) .

وقد ثبت في « صحيح البخاري »(٥) عن أبي عاصم ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين ، عن ابن

(١) نسب قريش (٤٦) طبقات خليفة (ت٨ ، ٨٢٢ ، ١٤٨٢ ، ١٩٦٨) مسند أحمد (١/ ١٩٩) المحبر (١٨ ، ١٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٢٩٣ ، ٣٢٦) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٨٦) تاريخ البخاري الصغير (الفهرس) ، ثقات العجلي (١١٦) المعارف (الفهرس) ، المعرفة والتاريخ (الفهرس) ، تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٥٨٧ ، ٥٨٨ وغيرها) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٨) الجرح والتعديل (٣/ ١٩) ، مروج الذهب (٣/ ٤) ثقات ابن حبان (ورقة ٩٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٦) معجم الطبراني الكبير (٣/ ٥) حلية الأولياء (٢/ ٣٥) جمهرة أنساب العرب (٣٨ ، ٣٩) الاستيعاب (١/ ٣٨٣) تاريخ بغداد (١/ ١٣٨) تاريخ ابن عساكر (٤/ ٢٤٤/ب) جامع الأصول (٩/ ٢٧) أسد الغابة (٢/ ١٠) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٦٠) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ١٥٨) وفيات الأعيان (٢/ ٦٥) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٥) تهذيب الكمال (٦/ ٢٢٠) تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٦) تذهيب التهذيب (١/ ١٤٠/ أ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٥) الكاشف (١/ ١٦٤) العبر (١/ ٥٥) الوافي بالوفيات (١٢/ ١٠٧) مرآة الجنان (١/ ١٢٢) مجمع الزوائد (٩/ ١٧٤) العقد الثمين (٤/ ١٥٧) نهاية السول (ورقة ٦٥) الإصابة (١/ ٣٢٨) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٥) تاريخ الخلفاء (٢٩٨) خلاصة الخزرجي (٧٩) شذرات الذهب (١/ ٢٤٢) تهذيب ابن عساكر (٤/ ٢٠٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٤) وأبو داود (١١٠٩) والترمذي (٣٧٧٤) وابن ماجه (٣٦٠٠) والنسائي (٣/ ١٩٢) وهو حديث حسن ، كما قال الإمام الترمذي

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٠٩) والترمذي (١٩١٠) في البر والصلة : باب ما جاء في حب الولد ، وإسناده ضعيف .

(٥) رقم (٣٥٤٢) في المناقب ، باب صفة النبي ﷺ .

أبي مُلَيكة ، عن عُقبة بن الحارث أن أبا بكر صلَّى بهم العصر بعد وفاة رسول الله بليالٍ ثم خرج هو وعليٌّ يمشِيان ، فرأى الحسن يلعبُ مع الغِلْمان ، فاحتملَه على عُنُقه وجعل يقول :

بأَبي شِبهُ النَّبي ليسَ شَبيهاً بعَلي

قال : وعليٌّ يضحَك .

وروى سفيان الثَّوري وغير واحد قالوا : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمعت أبا جُحَيفة يقول : « رأيت رسول الله ﷺ وكان الحسنُ بنُ علي يُشْبِهُه » .

ورواه البخاري ومسلم[١] من حديث إسماعيل بن أبي خالد .

قال وكيع : ولم يسمع إسماعيل من أبي جُحَيْفة إلا هذا الحديث .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدثنا أبو داود الطَّيالسي ، حدثنا زَمْعَة ، عن ابن أبي مُليكة قال : كانت فاطمة تُنقِّز الحسن بن علي وتقول :

بأَبي شِبهُ النَّبي ليسَ شَبيهاً بعَلي

وقال عبد الرزاق[٣] وغيره : عن مَعْمر ، عن الزُّهري ، عن أنس قال : « كان الحسنُ بنُ عليٍّ أشبَهَهُم وَجْهاً برسول الله ﷺ » .

ورواه أحمد[٤] عن عبد الرزاق بنحوه .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدثنا حجّاج ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هانئ ، عن علي قال : « الحسنُ أَشبَهُ [الناس] برسول الله ﷺ ما بينَ الصَّدرِ إلى الرَّأس ، والحسينُ أَشبَهُ الناسِ برسول الله ما كانَ أسفلَ مِنْ ذلك » .

ورواه الترمذي[٦] من حديث إسرائيل ، وقال : حسن غريب .

وقال أبو داود الطيالسي[٧] : حدثنا قيس ، عن أبي إسحاق ، عن هانئ بن هانئ ، عن علي قال : « كان الحسنُ أشبَهَ الناسِ برسول الله مِنْ وَجْهِهِ إلى سُرَّته ، وكان الحسينُ أشبَهَ الناسِ به ما أسفلَ مِنْ ذلك » .

---

(١) البخاري رقم (٣٥٤٣) في المناقب : باب صفة النبي ﷺ ، ومسلم (٢٣٤٣) في الفضائل .
(٢) في مسنده (٦/ ٢٨٣) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ١٧٦) وإسناده ضعيف .
(٣) في المصنف (٢٠٩٨٤) .
(٤) في مسنده (٣/ ١٦٤) ، وهو حديث صحيح .
(٥) في مسنده (١/ ٩٩) وإسناده ضعيف .
(٦) برقم (٣٧٧٩) ، وإسناده ضعيف .
(٧) في مسنده رقم (١٣٠) وفي إسناده ضعف .

وقد روي عن ابن عباس وابن الزبير : أن الحسنَ بن علي كان يُشبِهُ النبي ﷺ .

وقال الإمام أحمد[(١)] : حدثنا عارِم بن الفَضْل[(٢)] ، حدثنا مُعتمر ، عن أبيه قال : سمعت أبا تَمِيمة يحدِّث عن أبي عثمان النَّهْدي ويحدِّث أبو عثمان عن أسامة بن زيد قال : « كان النبي ﷺ يأخُذُني فيُقعدني على فَخذِهِ ويُقعد الحسنَ على فَخذِهِ الأُخرى ثم يَضُمُّنا ثم يقول : اللهمَّ ارْحَمْهما فإنِّي أَرْحَمهما » .

وكذا رواه البخاري[(٣)] عن المسندي[(٤)] ، عن محمد بن الفضل أخي[(٥)] عارم به . وعن علي بن المَديني ، عن يحيى القطّان ، عن سليمان التَّيمي ، عن أبي تَمِيمة ، عن أبي عثمان ، عن أسامة . [وأخرجه أيضاً[(٦)] عن موسى بن إسماعيل ومسدَّد ، عن معتمر ، عن أبيه ، عن أبي عثمان ، عن أسامة][(٧)] فلم يذكر أبا تَمِيمة ، والله أعلم .

وفي رواية : « اللهمَّ إنِّي أُحِبُّهما فأَحِبَّهُما »[(٨)] .

وقال شُعبة : عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : رأيتُ النبيَّ ﷺ والحسنُ بن علي على عاتقه وهو يقول : « اللهُمَّ إنِّي أُحِبُّه » . أخرجاه[(٩)] من حديث شعبة . ورواه علي بن الجَعْد ، عن فُضيل بن مَرْزوق ، عن عدي ، عن البراء ، فزاد « وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه » . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال أحمد[(١٠)] : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن نافع بن جُبير بن مُطعم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال للحسن بن علي : « اللهُمَّ إنِّي أُحِبُّه فأَحِبَّه وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه » .

ورواه مسلم[(١١)] عن أحمد ، وأخرجاه من حديث أبي هريرة .

وقال أحمد[(١٢)] : حدثنا أبو النَّضر ، حدثنا وَرْقاء ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن نافع بن جُبَير [عن أبي هريرة قال : كنتُ مع النبي ﷺ في سوق من أسواق المدينة ، فانصرفَ وانصرفتُ معه ، فجاء إلى فِناء

---

(١) في مسنده (٥/ ٢٠٥) .
(٢) تحرف في (ط) إلى : حازم بن الفضيل .
(٣) البخاري رقم (٦٠٠٣) في الأدب .
(٤) تحرف في (ط) إلى : النهدي .
(٥) لفظة « أخي » مقحمة وعارم هو محمد بن الفضل .
(٦) البخاري رقم (٣٧٣٥) و(٣٧٤٧) .
(٧) ما بين حاصرتين سقط من (أ) .
(٨) أخرجه الترمذي (٣٧٨٢) من حديث البراء وقال : حسن صحيح ، وهو كما قال .
(٩) البخاري رقم (٣٧٤٩) ومسلم برقم (٢٤٢٢) .
(١٠) في مسنده (٢/ ٢٤٩) وأخرجه البخاري رقم (٢١٢٢) .
(١١) برقم (٢٤٢١) .
(١٢) في مسنده (٢/ ٣٣١) .

فاطمة ، فقال : أَيْ لُكَع[١] ، أَيْ لُكَع ، أَيْ لُكَع ، فلم يُجِبْهُ أحد ، فانصرفَ وانصرفتُ معه إلى فناء عائشة ، فقعَد ، قال : فجاء الحسنُ بن علي ـ قال أبو هريرة : ظننّا أنَّ أُمَّه حَبَسَتْه لتجعلَ في عُنُقه السِّخَاب[٢] ـ فلما دخل التَزَمه رسولُ الله والتزم هو رسولَ الله . ثم قال : « اللهمَّ إنِّي أُحِبُّه [فأَحِبَّه] وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه » ثلاث مرات .

وأخرجاه[٣] من حديث سفيان بن عُيينة ، عن عُبَيد الله به .

وقال أحمد[٤] : حدثنا حمّاد الخيّاط ، حدثنا هشام بن سعد ، عن نُعَيم بن عبد الله المُجْمِر ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ إلى سوق بني قَيْنُقاع مُتّكِئاً على يدي ، فطاف فيها ثم رجع ، فاحتَبى في المسجد وقال : « أينَ لَكَاع ؟ ادعُوا لي لَكَاعاً » . فجاء الحسن فاشتَدَّ حتى وثَبَ في حَبْوَته ، فأدخلَ فمَه في فمِه ثم قال : « اللهمَّ إنِّي أُحِبُّه فأَحِبَّه ، وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه » ثلاثاً . قال أبو هريرة : ما رأيت الحسن إلّا فاضت عيني ـ أو قال : دمعت عيني ، أو بكَت .

وهذا على شرط مسلم ولم يخرجوه .

وقد رواه الثَّوري ، عن نُعيم ، عن محمد بن سِيرين ، عن أبي هريرة ، فذكر مثلَه أو نحوه .

ورواه معاوية بن أبي مزرِّد[٥] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة بنحوه وفيه زيادة .

وروى أبو إسحاق ، عن الحارث ، عن علي نحواً من هذا .

ورواه عثمان بن أبي الكنات[٦] ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن عائشة بنحوه وفيه زيادة .

وقال سفيان الثَّوري وغيره ، عن سالم بن أبي حَفْصة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة][٧] قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ الحسنَ والحسينَ فقد أَحَبَّني ، ومَنْ أَبْغَضَهُما فقد أَبْغَضَني » .

غريب من هذا الوجه[٨] .

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٢٦٨) : (لكع) قد يطلق على الصغير ، فإن أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل .

(٢) « السخاب » : قلادة من القرنفل والمسك والعود ونحوها من أخلاط الطيب ، يعمل على هيئة السبحة ويجعل قلادة للصبيان والجواري . وقيل : هو خيط فيه خرز ، سمي سخاباً لصوت خرزه عند حركته .

(٣) البخاري رقم (٥٨٨٤) ومسلم (٢٤٢١) (٥٧) في الفضائل .

(٤) في مسنده (٢/ ٥٣٢) وإسناده حسن .

(٥) في ط : « برود » محرف ، وهو من رجال التهذيب .

(٦) تحرفت هذه اللفظة في (ط) إلى : اللباب وما أثبته من الجرح والتعديل (٦/ ١٦٥) وغيره .

(٧) ما بين حاصرتين ـ وهو قدر صفحة تقريباً ـ من (ط) فقط .

(٨) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٣١) والحاكم في المستدرك (٣/ ١٧١) وغيرهما ، وهو حديث حسن .

وقال أحمد[١] : حدثنا ابن نُمير ، حدثنا الحجاج ـ يعني ابن دينار ـ عن جعفر بن إياس ، عن عبد الرحمن بن مسعود ، عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه ، وهو يلثُمُ هذا مرَّةً ، وهذا مرَّةً حتى انتهىٰ إلينا ، فقال له رجل : يا رسولَ الله إنَّكَ لتُحِبُّهما ، فقال : « مَنْ أَحَبَّهُما فقد أَحَبَّني ، ومَنْ أَبْغَضَهُما فقد أَبْغَضَني » .

تفرد به أحمد .

وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يصلِّي ، فجاء الحسن والحسين ، فجعلا يَثِبَانِ على ظَهره إذا سجد ، فأراد الناس زَجْرَهما ، فلمّا سلَّم قال للناس : « هذانِ ابنايَ ، مَنْ أَحَبَّهُما فقد أَحَبَّني » .

ورواه النَّسائي من حديث عُبيد[٢] الله بن موسى ، عن علي بن صالح ، عن عاصم به .

وقد ورد عن عائشة وأمِّ سلَمة أُمَّي المؤمنين أن رسول الله ﷺ اشتمل على الحسن والحسين وأُمِّهما وأبيهما فقال : « اللَّهُمَّ هٰؤُلاءِ أهلُ بَيْتي فأَذهِبْ عنهُمُ الرِّجْسَ وطَهِّرْهُمْ تَطْهيراً »[٣] .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي ، حدثنا شريك ، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من سرَّه أن ينظرَ إلى سيِّد شباب أهل الجنَّة فلينظرْ إلى الحسن بن علي » .

وقد رواه وكيع ، عن الرّبيع بن سعد ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر ، فذكر مثله إسناده لا بأس به ، ولم يخرجوه[٤] .

وجاء من حديث علي وأبي سعيد وبُريدة [وحُذيفة][٥] أن رسول الله ﷺ قال : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجنَّة »[٦] ومن طريق « وأبوهما خيرٌ منهما »[٧] .

وقال أبو القاسم البَغَوي : حدثنا داود بن عمرو ، حدثنا إسماعيل بن عيّاش ، حدثني عبد الله بن

---

(١) في مسنده (٢/ ٤٤٠) وهو حديث حسن .
(٢) تحرف في ب إلى : عبد . وهو عند النسائي في الكبرى رقم (٨١٧٠) .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٤٢٤) من حديث عائشة، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٢) والترمذي رقم (٣٢٠٥) من حديث أم سلمة .
(٤) رواه أحمد في « فضائل الصحابة » رقم (١٣٧٢) .
(٥) سقط من (ط) و (ب).
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير رقم (٢٥٩٩ ـ ٢٦٠٣) من حديث علي ، وأحمد (٣/ ٣) والترمذي (٣٧٦٨) في مناقب الحسن والحسين من حديث أبي سعيد ، وقال : حسن صحيح وأحمد (٥/ ٣٩١) والترمذي رقم (٣٧٨١) من حديث حذيفة . وهو حديث صحيح .
(٧) رواه ابن ماجه رقم (١١٨) .

عثمان بن خُثَيم[١] ، عن سعيد بن [أبي] راشد ، عن يَعْلى بن مُرَّة قال : جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر ، فجعل يده تحت رقبته ثم ضمَّه إلى إبطه ، ثم جاء الآخر ، فجعل يده الأخرى في رقبته ثم ضمَّه إلى صدره ، ثم قبَّل هذا ، ثم قبَّل هذا ، ثم قال : « اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّهما فأَحِبَّهما » ، ثم قال : « أيُّها الناس ! إنَّ الولدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَة »[٢] .

وقد رواه عبد الرزّاق ، عن مَعْمر ، عن ابن خُثيم ، عن محمد بن الأسود بن خلف ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ أخذ حسناً فقبَّله ، ثم أقبل عليهم فقال : « إنَّ الولدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَة »[٣] .

وقال ابن خُزيمة : حدّثنا عبدة بن عبد الله الخُزاعي ، حدّثنا زيد بن الحُباب ح وقال أبو يَعْلى : حدّثنا أبو خَيْثمة ، حدّثنا زيد بن الحُباب ، حدّثني حسين بن واقد ، حدّثني عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه قال : « كان رسول الله ﷺ يخطُب ، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يَعْثُران ويقومان ، فنزل رسول الله ﷺ إليهما ، فأخذهما فوضعهما في حَجْره على المنبر وقال : صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[التغابن : ١٥] رأيتُ هٰذينِ الصَّبِيَّينِ فلم أَصْبِر » . ثم أخذ في خُطبته .

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[٤] من حديث الحسين بن واقد به . وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلّا من حديثه .

وقد رواه محمد الضَّمري ، عن زيد بن أرقم ، فذكر القصة للحسن وحده .

وفي حديث عبد الله بن شدّاد ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ صلَّى بهم إحدى صلاتي العشي ، فسجد سجدة أطال فيها السجود ، فلمّا سلَّم قال الناس له في ذلك ، فقال : « إنَّ ابني هذا ـ يعني الحسن ـ ارتَحَلَني فكرهتُ أنْ أُعْجِلَهُ حتى يقضيَ حاجَتَه »[٥] .

وقال الثوري[٦] : عن أبي الزُّبير ، عن جابر قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع ، فقلت : نعمَ الجَمَلُ جَمَلُكما ، فقال : « ونعمَ العِدْلان هُما » .

---

(١) تحرف في ط إلى : خيثم.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٧٢) وابن ماجه (٣٦٦٦) في الأدب : باب بر الوالد ، من طريق عفان ، عن وهيب ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به . وهو حديث صحيح .
وقوله : مبخلة . . . قال ابن الأثير في النهاية (١/ ١٠٣) : هو مفعلة من البخل ومظنة له ، أي يحمل أبويه على البخل ويدعوهما إليه ، فيبخلان بالمال لأجله.

(٣) وأخرجه البزار برقم (١٨٩١) في باب ما جاء في الأولاد .

(٤) أبو داود (١١٠٩) ، والترمذي (٣٧٧٤) ، وابن ماجه (٣٦٠) ، وتقدم في أول الترجمة أيضاً .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) والنسائي (٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) وهو حديث صحيح .

(٦) تحرف في ط إلى : الترمذي .

إسناده على شرط مسلم ولم يخرجوه[١].

وقال أبو يَعْلى : حدّثنا أبو هاشم ، حدّثنا أبو عامر ، حدّثنا زَمْعَة بن صالح ، عن سلَمة بن وَهْرام ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس قال : خرج رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن على عاتقه ، فقال له رجل : يا غلام ! نعمَ المركبُ ركِبْتَ ، فقال رسول الله ﷺ : ونعمَ الراكبُ هو »[٢].

وقال الإمام أحمد[٣]: حدّثنا تَلِيد بن سليمان ، حدّثنا أبو الجَحّاف[٤] ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي وحسن وحسين وفاطمة ، فقال : « أنا حَرْبٌ لمنْ حارَبْتُم ، وسِلْمٌ لمنْ سالَمْتُم » .

وقد رواه النسائي من حديث أبي نُعيم ، وابنُ ماجه[٥] من حديث وكيع ، كلاهما عن سفيان الثَّوري ، عن أبي الجحّاف داود بن أبي عوف ـ قال وكيع : وكان مرضيًّا[٦] ـ عن أبي حازم ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال عن الحسن والحسين : « مَنْ أَحَبَّهُما فَقَدْ أَحَبَّني ، ومَنْ أَبْغَضَهُما فَقَدْ أَبْغَضَني » .

وقد رواه أَسْباط عن السُّدِّي ، عن صُبَيح مولى أمِّ سلَمة ، عن زيد بن أرقم فذكره .

وقال بقيّة : عن بَحِير[٧] بن سعد ، عن خالد بن مَعْدان ، عن المِقْدام بن مَعْدي كرِب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحسنُ منِّي ، والحسينُ مِنْ عليّ » .

فيه نكارةٌ لفظاً ومعنى[٨] .

وقال أحمد[٩] : حدّثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن عون[١٠] ، عن عُمير بن إسحاق قال : كنت مع

---

(١) أخرجه الدولابي في الكنى (٢/٦)، والعقيلي في الضعفاء (٤/٢٤٧)، وابن حبان في المجروحين (٣/١٩)، والطبراني في الكبير (٢٦٦١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٤١٢) و(٤١٣). وفي قول المصنف: «إسناده على شرط مسلم» نظر شديد فإنه لم يعتبر الراوي عن الثوري وهو مسروح أبو شهاب، فهو ليس من رجال مسلم، وهو متكلم فيه، وقد انتقد على هذا الحديث خاصة فقال العقيلي: لا يتابع على حديثه، وقال أبو حاتم: يحتاج أن يتوب إلى الله عز وجل من حديث باطل رواه عن الثوري (الجرح والتعديل ٨/ ٤٢٤)، والحديث المقصود هو هذا. وقال النسائي: هذا حديث منكر يشبه أن يكون باطلاً (الكنى للدولابي ٢/ ٦). وينظر ميزان الذهبي (٤/ ٩٧) (بشار).

(٢) وأخرجه الترمذي (٣٧٨٤) من طريق محمد بن بشار ، عن أبي عامر العقدي ، عن زمعة بن صالح بهذا الإسناد ، وزمعة ضعيف ، وباقي رجاله ثقات ، وصححه الحاكم (٣/ ١٧٠) فتعقبه الذهبي بقوله : قلت : لا .

(٣) في مسنده (٢/ ٤٤٢) وإسناده ضعيف .

(٤) تحرف في (ط) إلى : الحجاف .

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى رقم (٨١٦٨) وابن ماجه (١٤٣) في المقدمة: باب فضل الحسن والحسين، وهو حديث حسن.

(٦) في (أ) و(ط) : وكان مريضاً وهو تحريف .

(٧) تحرف في (أ) و(ط) إلى : بجير ، وفي (ب) إلى : يحيى .

(٨) السير (٣/٢٥٨) .

(٩) في مسنده (٢/ ٢٥٥) وإسناده ضعيف .

(١٠) تحرف في (ط) إلى : عوف .

الحسن بن علي ، فلقيَنا أبو هريرة فقال : أرني أُقبِّل منك حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبِّل ، فقال بقميصه[١] ، قال : فقبَّل سُرَّتَه .

تفرد به أحمد . ثم رواه عن إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن ابن عون .

وقال أحمد[٢] : حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا حَرِيز[٣] ، عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرَشي ، عن معاوية قال : رأيت رسول الله ﷺ يمصُّ لسانَه ـ أو قال : شَفَتَه ، يعني الحسن بن علي ـ وإنَّه لنْ يُعذَّبَ لسانٌ أو شفتانِ مَصَّهُما رسول الله ﷺ .

تفرد به أحمد .

وقد ثبت في « الصحيح » عن أبي بكرة[٤] ، وروى أحمد عن جابر[٥] بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ ابني هٰذا سيِّد ، ولعلَّ اللهَ أَنْ يُصْلحَ بِهِ بينَ فِئَتين عَظيمتَيْنِ منَ المُسْلمين » .

وقد تقدم هذا الحديث في « دلائل النبوة » وتقدم قريباً عند نزول الحسن لمعاوية عن الخلافة . ووقع ذلك كما أخبر ﷺ[٦] .

وقد كان الصدِّيق يجلُّه ويعظِّمه ويكرمه ويحبُّه ويتفدّاه .

وكذلك عمر بن الخطاب ، فروى الواقدي ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي ، عن أبيه : أن عمر لما عمل الدِّيوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف خمسة آلاف .

وكذلك كان عثمان بن عفّان يكرم الحسن والحسين ويحبُّهما . وقد كان الحسن بن علي يوم الدار ـ وعثمان بن عفّان محصور ـ عنده ومعه السيف متقلِّداً به يحاجف عن عثمان ، فخشي عثمان عليه ، فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطييباً لقلب علي ، وخوفاً عليه ، رضي الله عنهم .

وكان علي يكرم الحسن إكراماً زائداً ويعظِّمه ويبجِّلُه . وقد قال له يوماً : يا بني ألا تخطُب حتى

---

(١) أي : رفع قميصه وكشف عن بطنه .

(٢) في مسنده (٤/ ٩٣) وهو حديث صحيح .

(٣) هو حريز بن عثمان ، وقد تحرف في ط ومسند أحمد إلى : جرير .

(٤) حديث أبي بكرة أخرجه البخاري رقم (٢٧٠٤) . وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٨ و٤٤ و٤٩ و٥١) والترمذي (٣٧٧٣) والنسائي (٣/ ١٠٧) وأبو داود (٤٦٦٢) .

(٥) هكذا نسب المصنف رواية حديث جابر إلى مسند أحمد، ولا أظنه أصاب في ذلك، فالحديث ليس فيه، وإنما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٤٣)، والخطيب في تاريخه (٤/ ٣٥١)، وينظر تمام تخريجه في تعليقنا على تاريخ الخطيب من طبعتنا المذكورة (بشار).

(٦) قال الخطابي : وقد خرج مصداق هذا القول فيه بما كان من إصلاحه بين أهل العراق وأهل الشام ، وتخليه عن الأمر خوفاً من الفتنة وكراهية لإراقة الدم . ويسمى ذلك العام سنة الجماعة .

أسمعك ؟ فقال : إني أَستحيي أن أخطُب وأنا أراك ، فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن ، ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعليٌّ يسمع ، فأدى خطبة بليغة فصيحة ، فلما انصرف جعل علي يقول : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣٤] .

وقد كان ابن عباس يأخذ الرِّكاب للحسن والحسين إذا ركبا ، ويرى هذا من نعم الله عليه .

وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطِمونهما مما يزدحمون عليهما ، رضي الله عنهما وأرضاهما .

وكان ابن الزبير يقول : واللهِ ما قامت النساءُ عن مثل الحسن بن علي .

وقال غيره : كان الحسن إذا صلَّى الغداة في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مصلّاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ويجلس إليه مَنْ يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده ، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلِّم عليهنّ ، وربما أتحفنَه ، ثم ينصرف إلى منزله .

ولما نزل لمعاوية عن الخلافة من ورعه صيانةً لدماء المسلمين كان له على معاوية في كل عام جائزة ، وكان يفد إليه ، فربما أجازه بأربعمئة ألف درهم ، وراتبُه في كل سنة مئة ألف . فانقطع سنةً عن معاوية ، وجاء وقت الجائزة ، واحتاج الحسن إليها ـ وكان من أكرم الناس وأسخاهم ـ فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعثَ بها إليه ، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله ﷺ في المنام ، فقال له : يا بُني ! أتكتبُ إلى مخلوق بحاجتك ؟! وعلَّمه دعاءً يدعو به ، فترك الحسن ما كان همَّ به من كتابة ، فذكَره معاوية وافتقده وقال : ابعثوا إليه بجائزته وزيدوا مئة ألف أخرى ، فلعلَّ له ضرورة في تركه القدوم علينا . فحُملت إليه من غير سؤال .

[قال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: الحسن بن علي مدني ثقة. حكاه ابن عساكر في «تاريخه»][١].

قالوا : وقاسَمَ الحسنُ اللهَ عز وجل مالَه ثلاث مرات ، وخرج من ماله مرَّتين . وحجَّ خمساً وعشرين حجَّة ماشياً وإن الجنائبَ لتُقَاد بين يديه . روى ذلك البَيْهقي من طريق عبد الله بن عُبيد بن عُمير عن ابن عباس ، وقاله علي بن زيد بن جُدْعان[٢] .

وقد علَّق البخاري في « صحيحه » أنه حجَّ ماشياً والجنائبُ تُقاد بين يديه .

وروى داود بن رُشيد ، عن حفص ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : حجَّ الحسنُ بن علي ماشياً ونجائبُه تُقاد إلى جَنْبه .

وقال العباس بن الفضل : عن القاسم ، عن محمد بن علي قال : قال الحسن بن علي : إني لأَستحيي من ربِّي ـ عز وجل ـ أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته ، فمشى عشرين مرَّة من المدينة على رجليه .

---

(١) ما بين حاصرتين من ط فقط .
(٢) تهذيب الكمال (٦/ ٢٣٣) .

قالوا : وكان يقرأ في بعض خُطَبه سورة إبراهيم ، وكان يقرأ كلَّ ليلة سورة الكهف قبل أن ينام ، يقرؤها من لوح كان يدور معه حيث كان من بيوت نسائه ، فيقرؤها بعدما يدخل في الفِراش قبل أن ينام ، رضي الله عنه .

وقد كان من الكرم على جانب عظيم . قال محمد بن سِيرين : ربَّما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمئة ألف .

وقال سعيد بن عبد العزيز : سمع الحسن بن علي إلى جانبه رجلاً يدعو الله أن يُملكَه عشرة آلاف درهم ، فقام إلى منزله فبعث إليه بها .

وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمةً ويطعم كلباً هناك لقمة ، فقال له : يا غلام ! ما حملك على هذا ؟ فقال الغلام : إني أَستحي منه أن آكل ولا أطعمه ، فقال له الحسن : لا تبرح من مكانك حتى آتيك ، فذهب إلى سيِّده ، فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه ، فأعتقه وملَّكه الحائط . فقال الغلام : يا مولاي إنِّي قد وهبت الحائط للذي وهبتَني له .

قالوا : وكان كثير التزوّج ، وكان لا يفارقه أربع حرائر ، وكان مِطْلاقاً مِصْداقاً ، يقال : إنه أحصن سبعين امرأة [وقيل : سبعمئة ، وقيل : ألف امرأة ، وربما كان يعقِد العَقد على أربعة في المجلس ، ويفارق أربعة][١] .

وذكروا أنه طلَّق امرأتين في يوم ، واحدة من بني أسَد ، وأخرى فَزاريَّة ، وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف وبزِقَاقٍ[٢] من عسل ، وقال للغلام : اسمع ما تقول كلُّ واحدة منهما . فأما الفَزاريَّة فقالت : جزاه الله خيراً ، ودعت له . وأما الأسديَّة فقالت :

مَتَاعٌ قليلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفارقِ

فرجع الغلام إليه بذلك ، فارتجع الأسديَّة ، وترك الفَزاريَّة[٣] .

وقد كان علي يقول لأهل الكوفة : لا تزوِّجوه فإنه مِطْلاق ، فيقولون : والله ـ يا أمير المؤمنين ـ لو خطب إلينا كل يوم لنُزوِّجنَّه ما أراد محبةً في صهر رسول الله ﷺ .

وذكروا أنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفَزاري ـ وقيل : هند بنت سهيل ـ فوق إجّار[٤] ، فعَمَدَت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خَلْخالها ، فلمّا استيقظ ورأى ذلك قال : ما حملك على هذا ؟ فقالت :

(١) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
(٢) « زقاق » : جمع زق ـ وهو السقاء ـ وهو جمع للكثير ، أما جمع القلة فأزقاق (اللسان) .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٧ ـ ٢٨) .
(٤) « الإجار » : السطح الذي ليس حوله ما يرد الساقط عنه .

خشِيتُ أن تقوم من وَسَن النوم فتسقط فأكون أشأمَ سَخْلة على العرب . فأعجبَه ذلك منها ، واستمرَّ بها سبعة أيام بعد ذلك [وأجازها بجائزة][١] .

وقال أبو جعفر الباقر : جاء رجل إلى الحسين بن علي ، فاستعان به في حاجه ، فوجده معتكفاً ، فاعتذر إليه ، فذهب إلى الحسن ، فاستعان به ، فقضى حاجته وقال : لَقضاءُ حاجة أخٍ لي في الله أحبُّ إليَّ من اعتكاف شهر .

وقال هُشيم : عن منصور ، عن ابن سِيرين قال : كان الحسن بن علي لا يدعو إلى طعامه أحداً ، يقول : إنَّ الطعام أهونُ من أن يُدعىٰ إليه أحد [مَنْ أراد أن يأكلَ فليأكلْ لا مِنَّةَ لنا فيه على أحد][٢] .

وقال أبو جعفر : قال علي : يا أهل الكوفة لا تزوِّجوا الحسن بن علي فإنه مِطْلاق ، فقال رجل من هَمْدان : والله لنُزَوِّجنَّه ، فما رضيَ أمسك ، وماكره طلَّق .

وقال أبو بكر الخرائطي في كتاب « مكارم الأخلاق » : حدّثنا إبراهيم بن الجُنيد[٣] ، حدّثنا القَواريري ، حدّثنا عبد الأعلى ، عن هشام ، عن محمد بن سِيرين قال : تزوَّج الحسن بن علي امرأة ، فبعث إليها بمئة جارية مع كلِّ جارية ألف درهم .

وقال عبد الرزاق : عن الثَّوري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن الحسن بن سعد ، عن أبيه قال : متَّع الحسن بن علي امرأتين بعشرين ألفاً وزِقَاق من عسل ، فقالت إحداهما ـ وأراها الحنفيَّة :

مَتَاعٌ قليلٌ مِنْ حَبِيب مُفارق

وقال الواقدي[٤] : حدثني علي بن عمر ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين قال : كان الحسن بن علي مِطْلاقاً للنساء ، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبُّه .

وقال جُوَيْرِيَةُ بن أسماء : لما مات الحسن بكى عليه مروان بن الحكم في جنازته ، فقال له الحسين : أتبكيه وقد كنتَ تجرِّعه ما تجرِّعه ؟! فقال : إني كنت أفعل ذلك إلى أحلَم من هذا ، وأشار إلى الجبل[٥] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (أ) فقط . والخبر في تهذيب الكمال (٦/ ٢٣٦) .
(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
(٣) في ط : حدثنا ابن المنذر هو إبراهيم ، حدثنا القواريري .
(٤) طبقات ابن سعد (١/ ٣٠٢) الطبقة الخامسة من الصحابة .
(٥) قوله : إني كنت أفعل . . . الجبل مضطرب في النسخ ، وما أثبته هو الأقرب للمعنى . وقد أورد الذهبي هذا الخبر في السير (٣/ ٢٧٦) ولفظه فيه : كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

وقال محمد بن سعد[١] : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأَسَدي ، عن ابن عون ، عن عُمير[٢] بن إسحاق قال : ما تكلَّم عندي أحدٌ كان أحبَّ إلي إذا تكلَّم ألَّا يسكت من الحسن بن علي ، وماسمعت منه كلمة فحش قطُّ إلا مرة ، فإنه كان بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة ، فقال الحسن : ليس له عندنا إلا ما أرغم أنفه ، فهذه أشدُّ كلمة فحش سمعتُها منه قطّ .

قال محمد بن سعد[٣] : وأخبرنا الفضل بن دُكين ، أخبرنا مسافر الجصاص ، عن رُزَيْق[٤] بن سَوّار قال: كان بين الحسن وبين مروان خصومة ، فجعل مروان يُغلِظ للحسن ، وحسن ساكت ، فامتخط مروان بيمينه، فقال له الحسن : ويحك ! أما علمتَ أن اليُمنى للوجه والشمال للفَرْج ؟ أُفٍّ لك ! فسكت مروان.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد : قيل للحسن بن علي : إن أبا ذَر[٥] يقول : إن الفقر أحبُّ إليَّ من الغنى ، والسُّقم أحب إلي من الصَّحة . فقال : رحم الله أبا ذر ، أمّا أنا فأقول : من اتَّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنَّ أن يكون في غير الحالة التي اختار اللهُ له . وهذا حدُّ الوقوف على الرِّضى بما تصرَّف[٦] به القضاء .

وقال أبو بكر محمد بن كَيْسان الأَصَمّ : قال الحسن بن علي ذات يوم لأصحابه : إني أخبركم عن أخٍ لي كان من أعظم الناس في عيني ، وكان عظيم ما عظَّمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان فَرْجه فلا يستخف له عقله ولا رأيه ، وكان خارجاً من سلطان جهله فلا يمدُّ يداً إلا على ثقة المنفعة ، [ولا يخطو خطوة إلا لحسَنَة][٧] وكان لا يسخط ولا يتبرَّم ، وكان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرصَ منه على أن يتكلَّم ، وكان إذا غُلب على الكلام لم يُغلب على الصَّمت ، كان أكثر دهره صامتاً فإذا قال بذَّ[٨] القائلين ، كان لا يشارك في دعوى ، ولا يدخل في مِرَاءٍ ، ولا يُدلي بحُجَّة حتى يرى قاضياً يقول ما لايفعل ويفعل ما لايقول تفضُّلاً وتكرُّماً ، كان لا يغفل عن إخوانه ولا يستخصُّ بشيء دونهم ، كان لا يلوم[٩] أحداً فيما يقع العُذر بمثله ، كان إذا ابتداه أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحقِّ نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه .

---

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) .

(٢) وقع في ط : محمد وهو خطأ ، فعمير بن إسحاق : هو أبو محمد مولى بني هاشم . من رجال التهذيب .

(٣) الطبقات الكبرى (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) .

(٤) تحرف في (أ) و(ط) إلى : رزين وفي ب إلى : زيد .

(٥) تحرفت لفظة ذر المتكررة في هذا الخبر في ط إلى : زر .

(٦) كذا في (أ) و ب ومثله في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٩) . ووقعت في ط : تعرف .

(٧) ما بين حاصرتين ليس في ب ولافي مختصر تاريخ دمشق .

(٨) « بذَّ القائلين » : أي : سبقهم وغلبهم .

(٩) تحرفت في النسخ إلى : يكرم والتصويب من مختصر تاريخ دمشق .

رواه ابن عساكر[١] والخطيب .

وقال أبو الفرج المُعافىٰ بن زكريا الجَرِيري : حدثنا بدر بن الهيثم الحَضْرمي ، حدثنا علي بن المنذر الطَّرِيقي[٢] ، حدّثنا عثمان بن سعيد الدارمي ، حدّثنا محمد بن عبد الله أبو رجاء ـ من أهل تُسْتَر ـ حدّثنا شعبة بن الحجّاج الواسطي ، عن أبي إسحاق الهَمْداني ، عن الحارث الأعور أن علياً سأل ابنه ـ يعني الحسن ـ عن أشياء من المروءة فقال :

يابُنيَّ ما السَّداد ؟ قال : يا أبةِ ! السَّدادُ دفعُ المنكر بالمعروف .

قال : فما الشَّرف ؟ قال : اصطِناع العَشيرة ، وحملُ الجَريرة .

قال : فما المروءة ؟ قال : العَفاف ، وإصلاحُ المرء ماله[٣] .

قال : فما الدنية[٤] ؟ قال : النَّظرُ في اليَسير ، ومنعُ الحَقير .

قال : فما اللؤم ؟ قال : إحرازُ المرء نفسه ، وبذلُه عِرْسه .

قال : فما السَّماحة ؟ قال : البذلُ في العُسْر واليُسْر .

قال : فما الشُّحّ ؟ قال : أن ترىٰ ما في يديك شَرَفاً ، وماأنفقتَه تَلَفاً .

قال : فما الإخاء ؟ قال : الوفاء في الشِّدة والرَّخاء .

قال : فما الجُبْن ؟ قال : الجرأة على الصَّديق ، والنُّكول عن العدو .

قال : فما الغَنيمة ؟ قال : الرَّغبة في التقوى ، والزَّهادة في الدنيا [هي الغنيمة الباردة][٥] .

قال : فما الحِلْم ؟ قال : كَظْم الغَيْظ ، ومَلْكُ النفس .

قال : فما الغِنىٰ ؟ قال : رضى النفس بما قسمَ اللهُ لها وإن قَلَّ [فإنما الغنى غنى النفس][٦] .

قال : فما الفقر ؟ قال : شَرَهُ النفس في كل شيء .

قال : فما المَنَعَة ؟ قال : شدَّة البأس ، ومُقارعة أشدِّ الناس .

قال : فما الذُّل ؟ قال : الفَزَع عند المصدُوقية .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٠) .

(٢) تحرفت هذه النسبة في (أ) إلى : الطرائفي . قال السمعاني في الأنساب (٨/ ٢٣٩) : سألت أستاذي بأصبهان . . . عن علي بن المنذر الطريقي : لأي شيء نسب هذا ؟ قال : كان ولد في الطريق فنسب إليها .

(٣) في مختصر تاريخ دمشق وتهذيب الكمال : حاله .

(٤) في مختصر تاريخ دمشق وتهذيب الكمال : الدقه .

(٥) سقط من (ط) .

(٦) سقط من (أ) .

[قال : فما الجُرأة ؟ قال : موافقة الأقران][١] .

قال : فما الكُلْفة ؟ قال : كلامُك فيما لا يَعْنيك .

قال : فما المجد ؟ قال : أن تُعطيَ في الغُرم ، وأن تعفوَ عن الجُرم .

قال : فما العقل ؟ قال : حفظُ القلب كلَّ ما استرعَيْتَه .

قال : فما الخُرْق[٢] ؟ قال : معاداتُك لإمامك ، ورفعُك عليه كلامَك .

قال : فما السَّناء ؟ قال : إتيانُ الجميل ، وتَرْك القبيح .

قال : فما الحَزم ؟ قال : طول الأَنَاة ، والرِّفق بالولاة ، والاحتراس من الناس بسوء الظنِّ ، هو الحزم .

قال : فما الشَّرف ؟ قال : مُوافقة الإخوان ، وحِفظ الجيران .

قال : فما السَّفَه ؟ قال : اتِّباع الدُّناة ، ومُصاحبة الغُواة .

قال : فما الغَفْلة ؟ قال : تركُك المسجد ، وطاعتُك المُفسد .

قال : فما الحِرْمان ؟ قال : تركُك حظَّك وقد عُرض عليك .

قال : فمن السيِّد ؟ قال : الأحمقُ في المال ، المتهاون بعِرْضه يُشتم فلا يُجيب ، المُتحزِّن[٣] بأمر العَشيرة ، هو السيِّد .

قال : ثم قال علي : يا بُنيَّ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا فَقْرَ أشدّ من الجَهْل ، ولا مالَ أفضل من العَقْل، ولا وحدةَ أوحش من العُجْب، ولا مُظاهرة[٤] أوثق من المُشاورة ، ولا عقلَ كالتَّدبير ، ولا حَسَب كحُسن الخُلُق ، ولا وَرَعَ كالكفِّ ، ولا عبادةَ كالتَّفكُّر ، ولا إيمانَ كالحَياء ، ورأسُ الإيمان الصَّبر ، وآفةُ الحديث الكذب ، وآفةُ العلم النِّسيان ، وآفةُ الحِلْم السَّفَه ، وآفةُ العبادة الفَتْرة[٥] ، وآفةُ الظُّرف الصَّلَف ، وآفةُ الشَّجاعة البَغْي ، وآفةُ السَّماحة المَنّ ، وآفةُ الجَمال الخُيَلاء ، وآفةُ الحَسَب[٦] الفخر » .

ثم قال علي : يا بُنيَّ لا تستخفنَّ برجل تراه أبداً ، فإن كان أكبر منك فعُدَّهُ أباك ، وإن كان مثلك فعدَّهُ أخاك ، وإن كان أصغر منك فعُدَّه ابنَك .

---

(١) سقط من آ .
(٢) « الخرق » : الحمق .
(٣) « المتحزن » : المهتم .
(٤) « المظاهرة » : المعاونة .
(٥) الفترة : الضعف .
(٦) في ط : الحب .

قال القاضي أبو الفرج : ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه ، وحفظه ووعاه ، وعمل به وأدَّب نفسه بالعمل عليه ، وهذَّبها بالرجوع إليه ، وتتوفر فائدتُه بالوقوف عنده . وفيما رواه أمير المؤمنين في أضعافه عن النبي ﷺ ما لاغِنىً لكل لبيب عليم عن حفظه وتأمُّله ، والمسعودُ من هُدي لتلقِّيه ، والمجدود[١] من وُفِّق لامتثاله وتقبّله[٢] .

قلت : ولكن إسناد هذا الأثر ومافيه من الحديث المرفوع ضعيف ، ومثل هذه الألفاظ في عبارتها ما يدلُّ ما في بعضها من النَّكارة على أنه ليس بمحفوظ ، والله أعلم .

وقد ذكر الأصمعي والعتبي والمدائني وغيرهم : أنَّ معاوية سأل الحسن بن علي عن أشياء تُشبه هذا ، فأجابه بنحو ما تقدَّم لكن هذا السِّياق أطول بكثير ، فالله أعلم .

وقال علي بن العباس الطبراني : كان على خاتم الحسن بن علي مكتوباً[٣] :

قَدِّمْ لنفسِكَ ما استطعتَ من التُّقىٰ ... إنَّ المنيَّـة نـازل[٤] بـكَ يـا فتَـى
أصبحتَ ذا فَرَحٍ كأنَّكَ لا ترى ... أحبابَ قلبِكَ في المقابر والبِلَى

وقال الإمام أحمد: حدّثنا مطَّلب بن زياد أبو محمد ، حدّثنا محمد بن أَبَان قال : قال الحسنُ بن علي لبنيه وبني أخيه[٥] : « تعلَّموا ، فإنكم صغارُ قومٍ اليوم ، كبارُهم غداً ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب » .

رواه البيهقي ، عن الحاكم [عن الأصم][٦] عن عبد الله بن أحمد عن أبيه . [وفي رواية : « إنكم إنْ تكونوا صِغَارَ قوم ، فعسىٰ أن تكونوا كبارَ قومٍ آخرين »][٧] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا الحسن بن موسى وأحمد بن يونس قالا : حدّثنا زهير بن معاوية ، حدّثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن الأصم قال : قلت للحسن بن علي : إن هذه الشِّيعة تزعم أن عليًّا مبعوث [قبل يوم القيامة ، قال : كذبوا والله ، ما هؤلاء بالشِّيعة ، لو علمنا أنَّه مبعوث][٨] ما زوَّجنا نساءَه ، ولا اقتسمنا مالَه .

---

(١) « المجدود » : المحظوظ .
(٢) الخبر بطوله في حلية الأولياء (٢/ ٣٥ ـ ٣٦) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٠ ـ ٣٢) وتهذيب الكمال (٦/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠) . وسيحكم عليه المؤلف فيما يلي .
(٣) الأبيات في تاريخ دمشق (١٣/ ٢٦٠) .
(٤) في ط : نازلة ، ولا يستقيم بها الوزن .
(٥) قوله : وبني أخيه كذا ورد في ط ، ومثله في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٧) وتهذيب الكمال (٦/ ٢٤٢) ووقع في (أ) و ب : ومن أحبه .
(٦) سقط من ط .
(٧) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
(٨) سقط من (أ) . والخبر في تهذيب الكمال (٦/ ٢٤٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٣) .

وقال عبد الله بن أحمد : حدّثنا أبو علي سُوَيد الطّحان ، حدّثنا علي بن عاصم ، أخبرنا أبو رَيْحانة ، عن سَفِينَة ، عن النبي ﷺ قال : « الخِلافةُ منْ بعدي ثلاثونَ سَنَة »[١] . فقال رجل كان حاضراً في المجلس : قد دخلت من هذه الثلاثين ستَّة شهور في خلافة معاوية . فقال : من هاهنا أُتيت ، تلك الشهور كانت البيعة للحسن بن علي ، بايعه أربعون ألفاً أو اثنان وأربعون ألفاً .

وقال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : بايع الحسنَ سبعون[٢] ألفاً ، فزهِدَ في الخلافة وصالح معاوية ، ولم يُسفك في أيامه محجمةٌ من دم[٣] .

وقال ابن أبي خَيْثمة : حدّثنا أبي ، حدّثنا وَهْب بن جرير قال : قال أبي : لما قُتل علي بايع أهل الكوفة الحسنَ بن علي ، وأطاعوه ، وأحبُّوه أشدَّ من حبِّهم لأبيه[٤] .

وقال ابن أبي خَيْثمة : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا ضَمْرة ، عن ابن شَوْذَب قال : لما قُتل علي سار الحسن في أهل العراق ، وسار معاوية في أهل الشام ، فالتقَوا ، فكره الحسنُ القتال وبايع معاويةَ على أن جعل العهد للحسن من بعده . قال : فكان أصحاب الحسن يقولون : يا عار المؤمنين ! قال : فكان يقول لهم : العار خيرٌ من النار[٥] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا العباس بن هشام[٦] ، عن أبيه قال : لما قُتل علي بايع الناسُ الحسنَ بن علي ، فوليها سبعةَ أشهر وأحدَ عشرَ يوماً .

وقال غير عباس : بايع الحسنَ أهلُ الكوفة ، وبايع أهلُ الشام معاويةَ بإيلِيَاء[٧] بعد قتل علي ، وبُويع بيعة العامة ببيت المقدس يوم الجمعة من آخر سنة أربعين [ثم لقي الحسنُ معاويةَ بمَسْكِن ـ من سواد الكوفة ـ في سنة إحدى وأربعين][٨] فاصطلحا ، وبايع الحسنُ معاوية .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٠ و٢٢١) من طرق أخرى عن سفينة . وسويد بن سعيد الطحان لين الحديث ، وعلي بن عاصم يخطئ ويصر ورمي بالتشيع والرواية التي ذكرها المؤلف عن عبد الله بن أحمد عن سويد الطحان عن علي بن عاصم عن أبي ريحانة عن سفينة لا تضر ، لأن الحديث رواه أحمد من طرق عن سعيد بن جمهان (٥/ ٢٢٠ و٢٢١) . وأخرجه أبو داود (٤٦٤٦) و (٤٦٤٧) في السنة : باب الخلفاء ، والترمذي (٢٢٢٦) في الفتن : باب ما جاء في الخلافة ، كلاهما من طريق سعيد بن جُمْهان فهو حديث حسن ، كما قال الإمام الترمذي .

(٢) في ط و ب : تسعون ، وهو خطأ .

(٣) تاريخ الثقات للعجلي (ص١١٦) .

(٤) تهذيب الكمال (٦/ ٢٤٣) .

(٥) تهذيب الكمال (٦/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) .

(٦) يعني ابن الكلبي ، والخبر في تهذيب الكمال (٦/ ٢٤٤) .

(٧) قال ياقوت في معجم البلدان (١/ ٢٩٣) : إيلياء ـ بكسر أوله واللام ـ اسم مدينة بيت المقدس .

(٨) ما بين حاصرتين سقط من (أ) ، والخبر في تهذيب الكمال (٦/ ٢٤٤) .

وقال غيره : كان صلحهما ودخول معاوية الكوفة في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين . وقد تكلَّمنا على تفصيل ذلك فيما تقدم .

وحاصل ذلك أنه اصطلح مع معاوية على أن يأخذ الحسنُ ما في بيت مال الكوفة ، فوفَّى له معاوية بذلك ، فأخذه فإذا فيه خمسة آلاف ألف ، وقيل : سبعة آلاف ألف ، وعلى أن يكون خَراج البصرة ـ وقيل : دَارَابْجِرْد[١] ـ له في كل عام ، فامتنع أهل تلك الناحية عن أداء الخَراج إليه ، فعوَّضه معاوية عن ذلك بستة آلاف ألف درهم في كل عام ، فلم يزل يتناولها مع ماله في كل عام في وِفادته من الجوائز والتُّحف والهدايا إلى أن توفي في هذا العام .

وقال محمد بن سعد[٢] : عن هَوْذة بن خليفة ، عن عوف ، عن محمد بن سِيرين قال : لما دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن بن علي قال أصحاب معاوية لمعاوية : مُرِ الحسنَ بن علي أن يخطُب بذلك فإنه حديث السِّن عَيِيّ ، فلعلَّه يتلعثم فيتَّضع في قلوب الناس . فأمره معاوية ، فخطب فقال في خطبته : أيُّها الناس ! لو ابتغيتم بين جابَلْق و جابَرْس[٣] رجلاً جدُّه نبيٌّ غيري وغير أخي لم تجدوه ، وإنا قد أعطينا بيعتنا معاوية ، ورأينا أنَّ حقن دماء المسلمين خير من إهراقها ، والله ما أَدري لعلَّه فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين . وأشار إلى معاوية ، فغضب من ذلك وقال : ما أردتَ من هذه ؟ قال : أردتُ منها ما أراد الله منها . فصَعِد معاوية وخطب بعده .

وقد رواه غير واحد[٤] ، وقدَّمنا أن معاوية عتَب على أصحابه [لما خطب الحسن بذلك][٥] .

وقال محمد بن سعد[٦] : حدثنا أبو داود الطَّيالسي ، حدثنا شعبة ، عن يزيد بن خُمير قال : سمعت [عبد الرحمن بن][٧] جُبير بن نُفير الحضرمي يحدث عن أبيه قال : قلت للحسن بن علي : إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة . فقال : كانت جماجمُ العرب بيدي ، يسالمون من سالمتُ ويحاربون من حاربت ، فتركتُها ابتغاء وجه الله ، ثم أُثيرها ثانياً بين أهل الحجاز[٨] !

---

(١) ويقال : دار بجرد ـ بإسقاط الألف الأولى ـ بلدة من بلاد فارس . معجم البلدان (٢/ ٤١٩ و ٤٤٦) وأنساب السمعاني (٥/ ٢٤٢ و ٢٩٢) .

(٢) طبقاته الكبرى (١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) الطبقة الخامسة من الصحابة .

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان (٢/ ٩٠ ـ ٩١) : « جابرس » : مدينة بأقصى الشرق . . . « وجابلق » : مدينة بأقصى الغرب ثم أورد هذا الخبر .

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .

(٥) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٦) طبقاته الكبرى (١/ ٣١٨ ـ ٣١٩) .

(٧) سقط من (ط) .

(٨) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٤) .

وقال محمد بن سعد[(١)] : أخبرنا علي بن محمد ، عن إبراهيم بن محمد ، عن زيد بن أَسْلم قال : دخل رجل على الحسن بن علي وهو بالمدينة وفي يده صحيفةٌ، فقال: ما هذه الصحيفة ؟ فقال: من[(٢)] معاوية يَعِدُ فيها ويتوعَّد ، فقال الرجل : قد كنتَ على النّصف منه ؟ قال : أجل ، ولكن خشِيتُ أن يجيء يومَ القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً أو أكثر أو أقل كلُّهم تَنْضَح أَوْداجُهم[(٣)] دماً ، كلُّهم يَستعدي اللهَ فيمَ هُريق دمُه[(٤)] ؟ .

وقال الأصمعي : عن سلاّم بن مِسْكين ، عن عمران بن عبد الله قال : رأى الحسنُ بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ففرح بذلك ، فبلغ ذلك سعيد بن المسيِّب فقال : إنْ كان رأى هذه الرؤيا فقلَّ ما بقي من أجَلِه . قال : فلم يلبث الحسن بن علي بعد ذلك إلّا أياماً حتى مات[(٥)] .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا عبد الرحمن بن صالح العَتَكي ومحمد بن عثمان العِجْلي قالا : حدّثنا أبو أسامة ، عن ابن عَوْن ، عن عُمير بن إسحاق قال : دخلتُ أنا ورجل آخر من قريش على الحسن بن علي ، فقام فدخل المَخْرَج ثم خرج فقال : لقد لفظتُ طائفة من كبدي أقلِّبها بهذا العود ، ولقد سُقِيتُ السُّم مراراً وما سُقيت مرة أشدَّ من هذه . قال : وجعل يقول لذلك الرجل : سَلْني قبل ألَّا تسألني ، فقال : ما أسألك شيئاً ، يعافيك الله . قال : فخرجنا من عنده ، ثم عدنا إليه من الغد وقد أخذ في السَّوْق[(٦)] ، فجاء حسين حتى قعد عند رأسه فقال : أي أخي ! مَنْ صاحبك ؟ قال : تريد قتلَه ؟ قال : نعم ، قال : لئن كان صاحبي الذي أظنُّ للهُ أشدُّ نقمة وعقوبة ـ وفي رواية : للهُ أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً ـ وإن لم يكن هو ما أحبُّ أن تَقتل بي بريئاً[(٧)] .

ورواه محمد بن سعد[(٨)] ، عن ابن عُلَيَّة ، عن ابن عَوْن .

وقال محمد بن عمر الواقدي[(٩)] : حدثني عبد الله بن جعفر ، عن أم بكر بنت المِسْور قالت : كان الحسن قد سُقي السُّم مراراً كل ذلك يُفلِت منه ، حتى كانت المرة الأخيرة التي مات فيها ، فإنه كان يختلف كبده ، فلما مات أقام نساء بني هاشم عليه النَّوح شهراً[(١٠)] .

---

(١) طبقاته الكبرى (١/ ٣٣٢) .
(٢) في ط : ابن ، وهو خطأ .
(٣) « الأوداج » : جمع وَدَج ، وهو عرق في العنق .
(٤) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) .
(٥) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥١) .
(٦) « السَّوق والسِّياق » : النزع عند الموت .
(٧) حلية الأولياء (٢/ ٣٨) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٨ ـ ٣٩) وتهذيب الكمال (٦/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) .
(٨) طبقاته الكبرى (١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) .
(٩) الطبقات الكبرى (١/ ٣٣٩) .
(١٠) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٢) .

[وقال الواقدي[١] : وحدثتنا عبيدة بنت نابل[٢] ، عن عائشة[٣] قالت : حَدَّ[٤] نساءُ بني هاشم على الحسن بن علي سنَة] .

قال الواقدي[٥] : حدّثنا عبد الله بن جعفر ، عن عبد الله بن حسن قال : كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء ، وقلَّ ما يحظَيْنَ عنده ، وكان قلَّ امرأة تزوَّجها إلا أحبَّتْه وضنَّت[٦] به ، فيقال : إنه كان سُقي سُمًّا ، ثم أفلت ، ثم سُقي ثم أفلت ، ثم كانت الآخرة توفي فيها ، فلمّا حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه : هذا رجل قد قطع السُّمُّ أمعاءَه . فقال الحسين : يا أبا محمد ! أخبرني مَنْ سقاك ؟ قال : ولمَ يا أخي؟ قال : أقتلُه والله قبل أن أدفنَك ، أولا أقدر عليه ، أو يكون بأرض أتكلَّف الشخوص إليه ، فقال : يا أخي ! إنما هذه الدنيا ليالٍ فانية ، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله . وأبى أن يسمِّيَه له . وقد سمعت بعض مَنْ يقول : كان معاوية قد تلطَّف لبعض خدم الحسن أن يسقيَه سُمّاً .

قال محمد بن سعد[٧] : أخبرنا يحيى بن حمّاد[٨] ، أخبرنا أبو عَوَانة ، عن المُغيرة ، عن أمِّ موسى ، أن جَعْدة بنت الأَشعث بن قيس سقت الحسن السُّم ، فاشتكى منه شكاته ، قال : فكان يوضع تحته طستٌ ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً .

وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جَعْدة بنت الأشعث : أن سُمِّي الحسن وأنا أتزوَّجُك بعده، ففعلت، فلمّا مات الحسن بعثت إليه في ذلك ، فقال : إنا والله لم نرضَكِ للحسن ، أفنرضاك لأنفسنا ؟! .

وعندي أن هذا ليس بصحيح ، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأَولى والأَحرى [والله أعلم ، ويومُ الفصل ميقاتُ الخلائق أجمعين][٩] .

وقد قال كُثيِّر عزَّة[١٠] في ذلك :

---

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٣٥٣) .
(٢) ما بين الحاصرتين من المطبوع فقط ، ووقع فيه : وحدثنا عبدة بنت نائل ، وهو خطأ ، وما أثبته مستفاد من تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٦ و٤٣٧) وغيره .
(٣) هي عائشة بنت سعد بن أبي وقاص .
(٤) « حدت المرأة على الميت تحُدُّ وتحِدُّ فهي حادّ » : إذا حزنت عليه ، ولبست ثياب الحزن ، وتركت الزينة .
(٥) الطبقات الكبرى (١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) .
(٦) كذا في الأصول، ومثله في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٩) ووقعت في الطبقات الكبرى وتهذيب الكمال (٦/ ٢٥٢) والسير (٣/ ٢٧٤) وصبت.
(٧) طبقاته الكبرى (١/ ٣٣٨) .
(٨) تحرف في المطبوع إلى : حمال . والخبر في تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٢) والسير (٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .
(٩) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
(١٠) قال ابن عساكر في مختصره (٧/ ٤٠) والمزي في تهذيبه (٦/ ٢٥٣) : وقد تروى للنجاشي .
=

يـا جَعْـدُ بَكّيـهِ ولا تَسْـأمـي بكـاءَ حـقٍّ ليـسَ بـالبـاطِـل
لنْ تَشْتُري البيتَ على مثلِه في الناسِ من حافٍ ولا ناعِل
أَعنـي الـذي أَسْلَمَـهُ أهلُـه للـزّمـنِ المُسْتخـرج المـاحِـل
كـان إذا شُبَّـتْ لـه نـارُهُ يـرفَعُهـا بـالنَّسَـبِ المـاثِـل
كيْمـا يـراهـا بـائِسٌ مُـرْمِـلٌ أو فـردُ قـومٍ ليـسَ بـالآهِـل
يُغْلـي بِنِـيءِ اللَّحـم حتَّـى إذا أنضـجَ لـم يُغْـل علـىٰ آكِـل

قال سفيان بن عُيَينة : عن رَقَبَة بن مَصْقَلَة قال : لما حضرت الحسنَ الوفاةُ قال : أخرجوني إلى الصَّحن حتى أنظر في ملكوت السماوات ، فأخرجوا فراشه ، فرفع رأسه ، فنظر فقال : اللَّهمَّ إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعزُّ الأنفس علَيّ . قال : فكان مما صنع اللهُ له أن احتسب نفسه عنده .

قال عبد الرحمن بن مَهْدي : لما اشتد بسفيان الثوري المرض جزِع جزعاً شديداً ، فدخل عليه مرحوم بن عبد العزيز فقال : ما هذا الجزع يا أبا عبد الله ؟! تقدم على ربٍّ عبدتَه ستين سنة ، صمتَ له ، صلَّيتَ له ، حججتَ له . . . قال : فسُرِّي عن الثوري .

وقال أبو نُعيم : لما اشتدَّ بالحسن بن علي الوجع جَزِع ، فدخل عليه رجل فقال له : يا أبا محمد ما هذا الجزَع ؟! ما هو إلّا أن تفارقَ روحُك جسدَك فتقدم على أبويك : علي وفاطمة ، وعلى جدَّيك : النبي ﷺ وخديجة ، وعلى أعمامك ، حمزة وجعفر ، وعلى أخوالك : القاسم والطيِّب ومطهّر وإبراهيم ، وعلى خالاتك : رُقيَّة وأمِّ كلثوم وزينب . قال : فسُرِّي عنه .

وفي رواية : أن القائل له ذلك أخوه الحسين ، وأن الحسن قال له : يا أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أرَ مثلهم قطّ . قال : فبكى الحسين رضي الله عنهما.

رواه عباس الدُّوري ، عن ابن مَعِين . ورواه بعضهم عن جعفر بن محمد ، عن أبيه فذكر نحوه .

وقال الواقدي[١] : حدّثنا إبراهيم بن الفضل ، عن أبي عتيق قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهدنا حسن بن عليٍّ يوم مات ، فكادت الفتنةُ تقعُ بين الحسين بن علي ومروان بن الحكم ، لأنَّ الحسن كان قد عهد إلى أخيه أن يُدفن مع رسول الله ﷺ فإنْ خاف أن يكون في ذلك قتال أو شرّ فليُدْفن بالبقيع ،

= قلت : صرح المسعودي في مروج الذهب (٣/ ٥) بنسبتها للنجاشي . والنجاشي : هو قيس بن عمرو بن مالك ، من بني الحارث بن كعب ، من كهلان . شاعر هجاء مخضرم ، اشتهر في الجاهلية والإسلام ، أصله من نجران ، وانتقل إلى الحجاز ، ثم استقر بالكوفة وهجا أهلها ، وهدده عمر بقطع لسانه ، وضربه علي على السكر في رمضان . ترجمته في أعلام الزركلي (٥/ ٢٠٧) .

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٣٤٦ـ ٣٤٧) .

فأبى مروان أن يدعه ـ ومروان يومئذ معزولٌ ، وإنما أراد أن يرضي معاوية بذلك ـ ولم يزل مروان عدوًّا لبني هاشم حتى مات . قال جابر : فكلَّمت يومئذ حسين بن علي فقلت : يا أبا عبد الله ! اتَّقِ الله فإنَّ أخاك كان لا يحبُّ ما ترى ، فادفنه بالبقيع مع أمِّه ، ففعل .

ثم روى الواقدي : حدّثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن [ابن][١] عمر قال : حضرت موت الحسن بن علي ، فقلت للحسين : اتَّقِ الله ، ولا تُثِرْ فتنة ، ولا تَسفِك الدماء ، وادفِنْ أخاك إلى جنب أمِّه ، فإنه قد عَهِدَ بذلك إليك . قال : ففعل .

وقد روى الواقدي عن أبي هريرة نحواً من هذا .

وفي رواية : أن الحسن بعث يستأذن عائشة في ذلك ، فأَذنت له ، فلمّا مات لبس الحسين السلاح ، وتسلَّح بنو أمية وقالوا : لا ندعُه يُدفن مع رسول الله ﷺ أيُدفن عثمان بالبقيع ويُدفن الحسن بن علي في الحُجْرة ؟! فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبي وقّاص ، وأبو هريرة ، وجابر ، وابن عمر على الحسين ألّا يقاتل ، فامتثل ، ودفن أخاه قريباً من قبر أمِّه بالبقيع .

وقال سفيان الثوري : عن سالم بن أبي حَفْصة ، عن أبي حازم قال : رأيت الحسين بن علي قدَّم يومئذ سعيد بن العاص فصلَّى على الحسن ، وقال : لولا أنها سنَّةٌ ما قدَّمته .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني مُساور ـ مولى بني سعد بن بكر ـ قال : رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسنُ بن علي وهو ينادي بأعلى صوته : يا أيها الناس ! مات اليوم حِبُّ رسول الله ﷺ فابْكُوا[٢] .

وقد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزّحام ، وقد بكاه الرجال والنساء سبعاً ، واستمرَّ نساء بني هاشم [يَنُحْنَ عليه شهراً ، وحدَّت نساء بني هاشم][٣] عليه سَنَة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا محمد بن يحيى ، حدّثنا سفيان ، عن جعفر[٤] بن محمد ، عن أبيه قال : قُتل عليٌّ وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ومات لها الحسن ، وقُتل لها الحسين .

وقال شعبة : عن أبي بكر بن حفص قال : توفي سعدٌ والحسنُ بن علي في أيام بعدما مضى من إمارة معاوية عشرُ سنين .

---

(١) سقط من ط . والخبر في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٥) .
(٢) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٥) .
(٣) سقط من (ب) .
(٤) تحرف في (أ) ، (ب) إلى : يحيى . والخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٦) .

وقال [ابن][١] عُلَيَّة : عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين ، وكذا قال غير واحد ، وهو أصح .

والمشهور أنه مات سنة تسع وأربعين كما ذكرنا . وقال آخرون : مات سنة خمسين . وقيل : سنة إحدى وخمسين ، وقيل : ثمان وخمسين . والله أعلم سبحانه .

ثم دخلت سنة خمسين من الهجرة

في هذه السنة توفي أبو موسى الأشعري في قول ، والصحيح أنه مات سنة ثنتين وخمسين كما سيأتي .

وفيها حج بالناس معاوية ، وقيل : ابنه يزيد . وكان نائبَ المدينة سعيدُ بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق وسِجِسْتان وفارس والسِّند والهند زياد .

وفي هذه السنة اشتكى بنو نَهْشَل على الفرزدق إلى زياد ، فهرب الفرزدق منه إلى المدينة ، وكان سبب ذلك أنَّ الفرزدق هجا معاويةَ وعرَّض بذكره في قصيدة له ، فتطلَّبه زياد أشدَّ الطلب ، ففرَّ منه إلى المدينة ، فاستجار بسعيد بن العاص ، وقال في ذلك أشعاراً ، ولم يزل يتردَّدُ بين مكة والمدينة حتى توفي زياد ، فرجع إلى بلاده . وقد طوَّل ابن جرير[٢] قصته .

وذكر ابن جرير في هذه السنة من الحوادث ما رواه الواقدي : حدَّثني يحيى بن سعيد بن دينار ، عن أبيه : أن معاوية كان قد عزم على تحويل منبر رسول الله ﷺ من المدينة إلى دمشق ، وأن يأخذ العصا [التي كان رسول الله ﷺ يُمْسكها في يده إذا خطب][٣] فيقف معاوية على المنبر فيمسكها ، حتى قال أبو هريرة وجابر بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ! نذكِّركَ الله أن تفعل هذا ، فإن هذا لا يصلح ، ولا يحل أن يُحوَّل المنبر عن موضعه الذي وضعه رسول الله ﷺ فيه ، وأن تخرج عصاه من المدينة . فترك ذلك معاوية ، ولكن زاد في المنبر ستَّ درجات [واعتذر إلى الناس][٤] .

ثم روى الواقدي : أنَّ عبد الملك بن مروان في أيام خلافته هَمَّ بذلك وعزَم عليه ، فقيل له : إن معاوية كان قد عزَم على هذا ثم تركه ، وأنه لما حرّك المنبر وأراد قلعه كُسفت[٥] الشمس . فترك ذلك .

ثم لما حجَّ الوليد بن عبد الملك أراد ذلك أيضاً ، فقيل له : إنَّ معاوية وأباك أرادا ذلك ثم تركاه .

---

(١) سقط من (ط) .
(٢) تاريخه (٥/ ٢٤١ ـ ٢٥٠) .
(٣) سقط من (ب) .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩) .
(٥) في (ط) و (ب) : خسفت .

وكان السبب في تركه أنَّ سعيد بن المسيِّب كلَّم عمر بن عبد العزيز أن يكلِّمه في ذلك ويَعِظَه ، فترك .

ثم لما حجَّ سليمان أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان عزم عليه الوليد وأنَّ سعيد بن المسيِّب نهاه عن ذلك ، فقال سليمان : ما أحبُّ أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد ، وما يكون لنا أن نفعل هذا ، ما لنا ولهذا ، وقد أخذنا الدنيا فهي في أيدينا فنريد أن نعمَدَ إلى علَم من أعلام الإسلام يفدُ إليه الناس فنحمله إلى ما قبلنا ؟! هذا ما لايَصلُح . رحمه الله .

وفي هذه السنة عزل معاويةُ عن مصر معاويةَ بن حُدَيج[1] ، وولَّى عليه مع إفريقية مَسْلمة بن مخلّد .

وفيها افتتح عُقبة بن نافع ـ عن أمر معاوية ـ بلاد إفريقية ، واختطَّ القَيْروان ، وكان مكانها غيضة تأوي إليها السِّباع والوحوش والحيّات العظام ، فدعا الله ، فلم يبقَ فيها شيء من ذلك ، حتى إن السِّباع جعلت تخرج منها حاملةً أولادها ، والحيّات يخرجن من أجحارهنَّ هوارب . فعند ذلك أسلم خلق كثير من البربر ، فبنى في مكانها القيروان .

وفيها غزا بُسْر بن أبي أرطاة وسفيان بن عوف أرض الروم .

وفيها غزا فَضَالة بن عُبيد البحر .

وفيها توفي :

مِدْلاج[2] بن عَمرو السُّلمي[3] : صحابي جليل . شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . ولم أر له ذكراً في الصحابة[4][5] .

وذكر أبو الفرج ابن الجَوْزي في كتابه « المنتظم » أن في هذه السنة توفي : جُبير بن مُطْعِم ، وحسان ابن ثابت ، والحكم بن عمرو الغِفَاري ، ودِحْيَة بن خليفة الكلبي ، وعَقيل بن أبي طالب ، وعمرو بن أمية الضَّمري بدري ، وكعب بن مالك ، والمغيرة بن شُعبة ، وجُويرية بنت الحارث ، وصفيَّة بنت حيي ، وأمُّ شريك الأنصارية ، رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) تحرف في الأصول إلى : خديج . ضبطه ابن ماكولا في الإكمال (٢/ ٣٩٦) وغيره .

(٢) ويقال : مُدْلج .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٨) الجرح والتعديل (٨/ ٤٢٨) الاستيعاب (٤/ ١٤٦٨) أسد الغابة : (٥/ ١٣٢) ميزان الاعتدال (٤/ ٨٦) الإصابة (ت٧٨٥٧) .

(٤) بعد هذا اختلف المطبوع عما ورد في (أ) ، ب من حيث ترتيب المترجمين في وفيات هذه السنة ، وقد أثبتهم حسب ورودهم في (أ) ، (ب) ، و(م) علماً بأن مضمون النسخ الأربع المعتمدة واحد .

(٥) هكذا قال ، وفي قوله نظر ، فهو مذكور في كتب الصحابة كما تقدم في الهامش السابق ، فلا وجه لما جزم به .

فأما جُبَير بنُ مُطْعِم[١] بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف القرشي النَّوْفلي ، أبو محمد ـ وقيل : أبو عدي[٢] ـ المدني ، فإنه قدم وهو مشرك في فداء أسارى بدر ، فلمّا سمع قراءة رسول الله ﷺ في سورة الطُّور ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور : ٣٥] دخل في قلبه الإسلام ، ثم أسلم عام خَيْبر ، وقيل : زمن الفتح ، والأول أصح .

وكان من سادات قريش وأعلمها بالأنساب ، أخذ ذلك عن الصِّدِّيق .

والمشهور أنه توفي سنة ثمان وخمسين ، وقيل : سنة تسع وخمسين .

وأما حسان بن ثابت ـ شاعر الإسلام ـ فالصحيح أنه توفي سنة أربع وخمسين كما سيأتي .

وأما الحَكَم بن عَمرو بن مُجَدَّع الغِفَاري[٣] : أخو رافع بن عمرو الغفاري ـ ويقال له : الحكم بن الأَقرع ـ فصحابي جليل ، له عند البخاري[٤] حديث واحد في النهي عن لحوم الحمر الإنسيَّة .

وقد استنابه زياد بن أَبيه على غزو جبل الأَشَلّ[٥] ، فغنم شيئاً كثيراً من الذهب والفضَّة وغير ذلك ، فجاء كتاب زياد إليه على لسان معاوية أن يَصطفي من الغنيمة لمعاوية ما فيها من الذهب والفضة لبيت ماله ، فردَّ عليه الحكم : إنَّ كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، أولم يسمعْ لقوله عليه السلام : « لا طاعةَ

---

(١) نسب قريش (٢٠١) طبقات خليفة (ت٤٣) تاريخ خليفة (٦٨ ، ١٥٤ ، ١٧٧ ، ٢٦٦) المحبر (٦٧ ، ٦٩) العلل لأحمد (١/ ٢٠٤) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٢٣) المعارف (٢٨٥) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٤ ، ٣٦٨ و٢/ ٢٠٦) الجرح والتعديل (٢/ ٥١٢) ثقات ابن حبان (٣/ ٥٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٥) معجم الطبراني الكبير (٢/ ١١٢) جمهرة أنساب العرب (١١٦) الاستيعاب (١/ ٢٣٠) أسد الغابة (١/ ٣٢٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٦) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥) تهذيب الكمال (٤/ ٥٠٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٩٥) العبر (١/ ٥٩) الكاشف (١/ ١٢٥) تذهيب التهذيب (١/ ١٠٢/أ) مرآة الجنان (١/ ١٢٧ و١٣٠) العقد الثمين (٣/ ٤٠٨) الإصابة (١/ ٢٢٥) تهذيب ابن حجر (٢/ ٦٣) خلاصة الخزرجي (٦٠) شذرات الذهب (١/ ٢٦٦) .

(٢) تحرف في (أ) ، (ب) إلى : عيسى .

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨) تاريخ ابن معين (٢/ ١٢٦) طبقات خليفة (١٧٥ ، ٣٢١) تاريخ خليفة (٢١١) مسند أحمد (٤/ ٢١٢ و٥/ ٦٦) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٣٢٨) تاريخ البخاري الصغير (١٤٠) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥) الجرح والتعديل (٣/ ١١٩) ثقات ابن حبان (٣/ ٨٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٤١٥) معجم الطبراني الكبير (٣/ ٢٣٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٤١) جمهرة أنساب العرب (١٨٦) الاستيعاب (١/ ٣٥٦) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٢٢٣) أنساب السمعاني (٩/ ١٦٥) أسد الغابة (٢/ ٤٠) تهذيب الكمال (٧/ ١٢٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٤) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ١٦٨) الكاشف (١/ ١٨٣) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٣٦) مجمع الزوائد (٩/ ٤١٠) الإصابة (٢/ ٢٧٣) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٣٦) خلاصة الخزرجي (٨٩) .

(٤) (٩/ ٥٦٤) في الذبائح .

(٥) « الأشل » : جبل في ثغور خراسان . معجم البلدان (١/ ٢٠٠) .

لمَخْلوقٍ في مَعْصيَةِ الخالِق »(١) . ثم نادى في الناس : أن اغدُوا على غنائمكم ، وقسَّمها في الناس ، ولم يترك إلاّ الخُمس . فيقال : إنه حُبس إلى أن مات بمرو في هذه السَّنة ، وقيل في سنة إحدى وخمسين ، رحمه الله .

وأما دِحْيَة بن خَليفة الكَلْبي(٢) : فصحابي جليل ، كان جميل الصُّورة ، ولهذا كان جبريل يأتي كثيراً على صورته .

وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى قيصر(٣) .

أسلم قديماً ولكن لم يشهد بدراً ، وشهد ما بعدها ، ثم شهد اليرموك ، وأقام بالمزة ـ غربي دمشق ـ إلى أن مات في خلافة معاوية .

وفيها توفي :

عبدُ الرحمن بنُ سَمُرة(٤) بن حبيب بن ربيعة(٥) بن عبد شمس القرشي ، أبو سعيد العَبْشَمي .

أسلم يوم الفتح ، وقيل : إنه شهد مؤتة ، وغزا خراسان ، وافتتح سِجِسْتان وكابُل وغيرهما . وكانت له دار بدمشق ، وأقام بالبصرة ، وقيل : بمرو .

---

(١) حديث صحيح ، أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٦٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٤٩) تاريخ خليفة (٧٩) مسند أحمد (٤/ ٣١١) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٢٥٤) المعارف (٣٢٩) الجرح والتعديل (٣/ ٢٤٩) ثقات ابن حبان (٣/ ١١٧) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٨٠) معجم الطبراني الكبير (٤/ ٢٦٥) جمهرة أنساب العرب (٤٥٨) الاستيعاب (٢/ ٤٦١) الإكمال لابن ماكولا : (٣/ ٣١٤) أنساب السمعاني (١٠/ ٤٥٢) تاريخ ابن عساكر (٦/ ٢٤/ب) أسد الغابة (٢/ ١٥٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٨٥) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ١٥٩) تهذيب الكمال (٨/ ٤٧٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٠) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢١١) الكاشف (١/ ٢٢٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٦٥) إكمال مغلطاي (٢/ورقة ٥) نهاية السول (ورقة ٩١) مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٨) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٠٦) الإصابة (٣/ ١٩١) خلاصة الخزرجي (١١٢) إعلام السائلين (٦٧ ـ ٨٠) (الطبعة الثانية) ، تهذيب ابن عساكر (٥/ ٢٢١) .

(٣) تفصيل ذلك في إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين (ص٦٧ ـ ٨٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥ و٣٦٦) تاريخ ابن معين (٣٤٩) طبقات خليفة (١١ ، ١٧٤) تاريخ خليفة (٢١١) مسند أحمد (٥/ ٦١) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٢٤٢) المعارف (٣٠٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٨٣) الجرح والتعديل (٥/ ٢٣٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٧٨) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٤٤) الاستيعاب (٢/ ٨٣٥) تاريخ ابن عساكر (٩/ ٤٨١/آ) أسد الغابة (٣/ ٤٥٤) مختصر تاريخ دمشق (١٤/ ٢٦٠) تهذيب الكمال (ورقة ٧٩٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧١) الكاشف (٢/ ١٤٩) العبر (١/ ٥٥) تهذيب التهذيب (٦/ ١٩٠) الإصابة (٦/ ٢٨٤) خلاصة الخزرجي (٢٢٨) شذرات الذهب (١/ ٢٤٤) .

(٥) ليست كلمة ربيعة في المطبوع ، وهي موضع خلاف بين النسابين . أسد الغابة (٣/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥) .

قال محمد بن سعد[١] وغير واحد : مات بالبصرة سنة خمسين ـ وقيل : سنة إحدى وخمسين ـ وصلَّى عليه زياد ، وترك عدَّة من الذكور .

وكان اسمه في الجاهلية عبد كُلال ، وقيل : عبد كلوب ، وقيل : عبد الكعبة ، فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

وكان أحد السَّفيرين بين معاوية والحسن .

[وقد قال له رسول الله ﷺ : « يا عبدَ الرحمنِ بنَ سَمُرة ، لا تَسْأَلِ الإمَارة ، فإنَّكَ إنْ أُعْطيتَها عن مسألةٍ وُكِلْتَ إليها ، وإنْ أُعطِيتَها عن غير مسألةٍ أُعِنْتَ عليها »][٢] .

وفيها توفي :

عثمان بن أبي العاص الثقفي[٣] : أبو عبد الله الطائفي . له ولأخيه الحكَم صحبة .

قدم على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف ، فاستعملَه رسول الله ﷺ على الطائف ، وأقرَّه عليها أبو بكر وعمر ، فكان إمامهم وأميرهم مدَّة طويلة حتى مات سنة خمسين ـ وقيل سنة إحدى وخمسين ـ رضي الله عنه .

وأما **عَقِيل بن أبي طالب**[٤] : أخو عليّ . وكان أكبرَ من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أكبر من

---

(١) طبقاته الكبرى (٧/ ٣٦٧) ، وتهذيب الكمال (١٧/ ١٥٩) .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط . وتمام الحديث : وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فائت الذي هو خير وكفِّر عن يمينك .
وقد أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٦٢ ـ ٦٣) والبخاري رقم (٧١٤٦) في الأحكام : باب من سأل الإمارة وكل إليها ، ومسلم (١٦٥٢) في الأيمان ، وأبو داود (٣٢٧٧) والنسائي (٧/ ١٠) في النذور ، والترمذي (١٥٢٩) في النذور والأيمان ، وقال : حسن صحيح .

(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٠٨) طبقات خليفة (٥٣ ، ١٨٢ ، ١٩٧) تاريخ خليفة (١٤٩ ، ١٥٢) مسند أحمد (٤/ ٢١ و٢١٦) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٢١٢) ثقات العجلي (٣٢٨) المعارف (٢٦٨ ، ٥٥٥) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٧٣) الجرح والتعديل (٦/ ١٦٣) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢٤) معجم الطبراني الكبير (٩/ ٣٠ ، ٥٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٦١٨) الاستيعاب (٣/ ١٠٣٥) أسد الغابة (٣/ ٥٧٩) تهذيب الكمال (ورقة ٩١٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٠٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٤) الكاشف (٢/ ٢٢٠) مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٠) تهذيب التهذيب (٧/ ١٢٨) الإصابة (٦/ ٣٨٨) خلاصة الخزرجي (٢٦٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٤٢) طبقات خليفة (ت١٧ و٨٢٠ و١٤٨١) مسند أحمد (٢/ ٢٠١ و٣/ ٤٥١) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٥٠) تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٤٥) ثقات العجلي (٣٣٨) المعارف (الفهرس) ، الجرح والتعديل (٦/ ٢١٨) مشاهير علماء الأمصار (ت١٤) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٧٥) جمهرة أنساب العرب (٦٩) الاستيعاب (٣/ ١٠٧٨) تاريخ ابن عساكر (١١/ ٣٦٣/ أ) أسد الغابة (٤/ ٦٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٣٣٧) مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١١٤) تهذيب الكمال (ورقة ٩٥١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣٣) تذهيب التهذيب (٣/ ٤٧/ ب) سير أعلام النبلاء (٣/ ٩٩) الكاشف (٢/ ٢٣٩) نكت الهميان (٢٠٠) مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٣) العقد الثمين (٦/ ١١٣) الإصابة (٢/ ٤٩٤) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٥٤) خلاصة الخزرجي (٢٦٩) .

علي بعشر سنين ، كما أن طالباً أكبر من عَقيل بعشر سنين ، و كلُّهم أسلم إلّا طالباً .

أسلم عَقيل قبل الحُدَيبية ، وشهد مُؤتة ، وكان من أنسب قريش ، وكان قد ورث أقرباءه الذين هاجروا وتركوا أموالهم وديارهم بمكَّة ، ومات في خلافة معاوية .

وأما عَمرو بن أميَّة الضَّمْري(١) : فصحابي جليل . أسلم بعد أُحد ، وأول مشاهده بئر مَعُونة .

وكان ساعي رسول الله ﷺ إلى النَّجاشي في تزويج أمِّ حبيبة ، وأن يأتي بمَنْ بقي من المسلمين هناك . وله أفعال حسنة وآثار محمودة رضي الله عنه .

توفي في خلافة معاوية .

وفيها كانت وفاة :

عَمرو بن الحَمِق بن الكاهن الخُزاعي(٢) : أسلم قبل الفتح وهاجر ، وقيل : إنما أسلم عام حجَّة الوداع(٣) .

وقد ورد في حديث « أن رسول الله ﷺ دعا له أن يُمْتِعَه اللهُ بشَبابه ، فعاش ثمانين سنة لا يُرى في لحيته شعرةٌ بيضاء »(٤) . ومع هذا كان أحد الأربعة الذين دخلوا على عثمان ، ثم صار بعد ذلك من شِيعة علي ، فشهد معه الجمل وصفِّين .

وكان من جملة الذين قاموا مع حُجْر بن عدي ، فتطلَّبه زياد ، فهرب منه إلى المَوْصل ، فبعث معاوية

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٤٨) طبقات خليفة (ت١٨٢) مسند أحمد (٤/ ١٣٩ و١٧٩ و٥/ ٢٨٧) المحبر (٧٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٨٣) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٣٠٧) ثقات العجلي (٣٦٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٢٥) الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٦٢٣) جمهرة أنساب العرب (١٨٥) الاستيعاب (٣/ ١١٦٢) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٦٢) أنساب السمعاني (٨/ ١٥٩) تاريخ ابن عساكر (١٣/ ١٩٨/ ب) أسد الغابة (٤/ ١٩٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٢٤) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ١٧٨) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٣٠) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣٤) تذهيب التهذيب (٣/ ٩٤/آ) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٩) الكاشف (٢/ ٢٨٠) العقد الثمين (٦/ ٣٦٥) الإصابة (٢/ ٥٢٤) تهذيب التهذيب (٨/ ٦) خلاصة الخزرجي (٢٨٧) إعلام السائلين (٤٩ ـ ٥٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥) مسند أحمد (٥/ ٢٢٣) تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٠٥) ثقات العجلي (٣٦٣) الأوائل لابن قتيبة (٤١) المعارف (٢٩١) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٣٠) الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٧٩) الأوائل للعسكري (٦٥) الاستيعاب (٣/ ١١٧٣) أسد الغابة (٤/ ٢١٧) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ٢٠١) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٣٤) الكاشف (٢/ ٢٨٣) تهذيب التهذيب (٨/ ٢٣) الإصابة (ت٥٨١٨) حسن المحاضرة (١/ ٢٢٣) خلاصة الخزرجي (٢٨٨) .

(٣) قال ابن عبد البر : والأول أصح .

(٤) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٤٧٥) وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٢١٧) من حديث عمرو بن الحمق . وفي سنده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك .

إلى نائبها ، فطلبوه فوجدوه قد اختفى في غار ، فنهشَتْه حيَّة فمات ، فقُطع رأسه ، فبُعث به إلى معاوية ، فطِيف به في الشام وغيرها ، فكان أول رأس طيف به . ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته آمنة بنت الشَّريد ـ وكانت في سجن معاوية ـ فأُلقي في حِجْرها ، فوضعت كفَّها على جبينه ولثمت فمه وقالت : غيَّبْتُموه عنِّي طويلاً ، ثم أهديتُموه إليَّ قتيلاً ، فأهلاً بها من هديَّة غير قالية ولا مقليَّة(١) .

وأما كعبُ بنُ مالك(٢) : السَّلَمي الأنصاري ، شاعر الإسلام ، فإنه أسلم قديماً ، وشهد العَقَبة ، ولم يشهد بدراً كما ثبت في « الصحيحين » في سياق توبة الله عليه ، فإنه كان أحد الثلاثة الذين تِيبَ عليهم لمّا تخلَّفوا عن غزوة تبوك كما تقدم ذلك مفصَّلاً [في التفسير ، وكما تقدم في غزوة تبوك](٣) .

وغلِط ابن الكلبي في قوله : إنه شهد بدراً ، وفي قوله : توفي قبل الأربعين ، فإن الواقدي ـ وهو أعلم ـ قال : توفي سنة خمسين . وقال الهيثم(٤) بن عدي : سنة إحدى وخمسين(٥) .

المُغيرة بنُ شُعبة(٦) بن أبي عامر بن مسعود ، أبو عيسى [ويقال : أبو محمد](٧) ويقال :

---

(١) تتمة كلامها وما دار بينها وبين معاوية في أعلام النساء لكحالة (١/ ١١) نقلاً عن بلاغات النساء لابن أبي طاهر .

(٢) طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٢٠) طبقات خليفة (١٠٣) تاريخ خليفة (٢٠٢) مسند أحمد (٣/ ٤٥٤ و٦/ ٣٨) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٢١٩) المعارف (٣٤٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٨) الجرح والتعديل (٧/ ١٦٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٦٣) الأغاني (١٦/ ٢٢٦) معجم الشعراء للمرزباني (٢٢٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٤٠) الاستبصار (١٦٠) الاستيعاب (٣/ ١٣٢٣) أنساب السمعاني (٧/ ١١٤) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٨٦/ آ) أسد الغابة (٤/ ٤٨٧) مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ١٨٨) تهذيب الكمال (ورقة ١١٤٨) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٢٣) العبر (١/ ٥٦) الكاشف (٣/ ٨) نكت الهميان (٢٣١) تهذيب التهذيب (٨/ ٤٤٠) الإصابة (٨/ ٣٠٤) خلاصة الخزرجي (٣٢١) كنز العمال (١٣/ ٥٨١) شذرات الذهب (١/ ٢٤٤) .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في (أ) .

(٤) تحرف في الأصول إلى : القاسم .

(٥) وقع في (أ) ، (ب) : إحدى وأربعين وهو خطأ .

(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٤ و٦/ ٢٠) طبقات خليفة (٣٦١ ، ٨٨٤ ، ١٤١٩) مسند أحمد (٤/ ٢٤٤) المحبر (الفهرس) ، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣١٦) ثقات العجلي (٤٣٧) المعارف (٢٩٤) الأوائل لابن قتيبة (٢٠ ، ٦٠) المعرفة والتاريخ (الفهرس) ، تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٤) الجرح والتعديل (٨/ ٢٢٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٦٩) الأغاني (١٦/ ٧٩) جمهرة أنساب العرب (٢٦٧) الاستيعاب (٤/ ١٤٤٥) تاريخ بغداد (١/ ١٩١) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٩٩) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٣٣/ ب) أسد الغابة (٥/ ٢٤٧) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٦١) تهذيب الأسماء واللغات : القسم الأول من الجزء الثاني (١٠٩) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٥٤) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٦٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٧) تذهيب التهذيب (٤/ ٦٠/ أ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١) الكاشف (٣/ ١٤٨) العبر (١/ ٥٦) مرآة الجنان (١/ ١٢٤) العقد الثمين (٧/ ٢٥٥) الإصابة (ت٨١٨١) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٦٢) خلاصة الخزرجي (٣٨٥) شذرات الذهب (١/ ٢٤٥) .

(٧) سقط من (ط) .

أبو عبد الله الثَّقفي . [وعروة بن مسعود الثقفي][١] عمُّ أبيه .

كان المغيرة من دهاة العرب وذوي آرائها . أسلم عام الخندق بعد ما قَتل ثلاثة عشر رجلاً من ثَقيف مرجعَهم من عند المُقَوْقِس[٢] ، وأَخذ أموالهم ، فغُرم دياتهم عُروة بن مسعود . وشهد الحُديبية ، وكان واقفاً يوم الصُّلح على رأس رسول الله ﷺ بالسيف صَلْتاً . وبعثه رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب ، فهدما اللاَّت ، وقد قدَّمنا كيفية ذلك . وبعثه الصدِّيق إلى البحرين ، وشهد اليَمامة واليرموك وأُصيبت عينه يومئذ ، وقيل : بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة فذهب ضوء عينه . وشهد القادسيَّة . وولّاه عمر فتوحاً كثيرة منها : همذان ومَيْسان . وأرسله سعد بن أبي وقاص إلى رُسْتم ، فكلَّمه بذلك الكلام الفصيح البليغ . واستنابه عمر على البصرة ، فلمّا شُهد عليه بالزِّنى ـ ولم يثبتْ عليه[٣] ـ عزله عنها وولّاه الكوفة ، واستمرَّ به عثمان حيناً ثم عزله ، فبقي معزولاً حتى كان أمر الحكمَيْن فلحق بمعاوية ، فلما قُتل علي وصالح معاوية الحسن ودخل الكوفة ولّاه عليها ، فلم يزل أميرَها حتى مات في هذه السنة على المشهور . قاله محمد بن سعد[٤] وغيره .

وقال الخطيب[٥] : أجمع الناس على ذلك ، وذلك في رمضان منها عن سبعين سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة تسع وأربعين . وقال ابن عبد البرّ[٦] : سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة ثمان وخمسين . وقيل سنة ست وثلاثين ، وهو غلط .

قال محمد بن سعد : كان المغيرة أصهبَ الشَّعر جدًّا ، أكشف اللون ، مقلَّص الشفتَيْن ، أهتم[٧] ، ضخم الهامة ، عَبْل الذِّراعين ، بعيد ما بينَ المنكبين ، وكان يفرق رأسه أربعة قُرون[٨] .

وقال الشَّعبي : القُضاة أربعة : أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وأبو موسى . والدُّهاة أربعة : معاوية ، وعَمرو بن العاص ، والمُغيرة ، [وزياد .

وقال الزُّهري : الدُّهاة في الفتنة خمسة : معاوية ، وعَمرو بن العاص ، والمُغيرة][٩] بن

---

(١) سقط من (أ) .

(٢) اسمه جريج بن مينا ، والمقوقس لقب له . إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين (ص٨١) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧ ـ ٢٨) .

(٤) في طبقاته (٦/ ٢٠) .

(٥) في تاريخه (١/ ١٩١ ـ ١٩٣) ، لكن فيه : أنه توفي في شعبان لا في رمضان .

(٦) الاستيعاب (٤/ ١٤٤٦) .

(٧) « الأهتم » : من انكسرت ثناياه .

(٨) « قرون » : جمع قَرْن ، وهو الذؤابة . ولم نجد هذا النص في طبقات ابن سعد فلعله في الجزء المخروم من ترجمته فيها ، وهو في تاريخ ابن عساكر والسير وغيرهما .

(٩) ما بين حاصرتين سقط من (أ) . والقول في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٤٧) والسير (٣/ ٢٢ ـ ٢٣) .

شُعبة ـ وكان معتزلاً ـ وقيس بن سعد بن عُبَادة ، وعبد الله بن بُدَيل بن ورقاء ، وكانا مع علي .

قلت : والشِّيعة يقولون : الأشياخ[١] خمسة : رسول الله ﷺ وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين . والأضداد خمسة : أبو بكر ، وعمر ، ومعاوية ، وعَمرو بن العاص ، والمُغيرة بن شُعبة .

وقال الشعبي : سمعت المغيرة بن شعبة يقول : ما غلبني أحدٌ إلّا فتىً ، مرة ، أردت أن أتزوَّج امرأة ، فاستشرته فيها ، فقال : أيها الأمير ! لا أرى لك أن تتزوَّجها ، فقلت له : لم ؟ فقال : إني رأيت رجلاً يقبِّلُها . ثم بلغني عنه أنه تزوَّجها ، فقلت له : ألم تزعم أنك رأيتَ رجلاً يقبِّلها ؟ فقال : نعم ، رأيت أباها يقبِّلها وهي صغيرة[٢] .

[وقال أيضاً : سمعت قَبيصة بن جابر يقول : صحبتُ المغيرة بن شعبة ، فلو أن مدينة لها ثمانيةُ أبواب لا يُخرج من باب منها إلا بمكرٍ لخرج المغيرة من أبوابها كلِّها .

وقال ابن وهب : سمعت مالكاً يقول][٣] : كان المغيرة بن شعبة يقول : صاحبُ المرأة الواحدة تَحِيض فيَحيض معها ، وتمرض فيمرض معها ، وصاحب المرأتين بين نارين تشتعلان ، وصاحب الأربعة قرير العين . وكان يتزوَّج أربعاً معاً ويطلِّقهنَّ معاً .

وقال عبد الله بن نافع الصّائغ : أَحصن المغيرةُ ثلاثمئة امرأة . وقال غيره : ألف امرأة . وقال قَتادة : مئة امرأة . وقيل : ثمانين امرأة . فالله أعلم .

وأما جُوَيْرِيَة بنتُ الحارث[٤] بن أبي ضِرار الخُزاعيَّة المُصْطلقيَّة، أمّ المؤمنين ، فكان سباها رسول الله ﷺ في غزوة المُرَيْسِيع ، وهي غزوة بني المُصْطلق ، وكان أبوها ملكَهُم ، فأسلمت ، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوَّجها . وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شمّاس، فكاتَبَها، فأتتْ رسول الله ﷺ تستعينُه في كتابتها ، فقال : « أو خيرٌ مِنْ ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أَشتريك ، وأُعتقك ، وأَتزوَّجك » فأعتقها ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوا ما بأيديهم من سَبْي بني المُصْطلق ، وكان نحواً من مئة أهل بيت . قالت عائشة : فما أعلمُ امرأةً كانت أعظمَ بركةً على أهلها منها[٥] .

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى : الأشباح .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٧٤ ـ ١٧٥) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من (أ) ، ومكانه بياض في ب . مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٧٤ و١٧٧) .

(٤) طبقات ابن سعد (٨/ ١١٦) طبقات خليفة (٣٤٢) تاريخ خليفة (٢٢٤) مسند أحمد (٦/ ٣٢٤ و٤٤٩) المعارف (١٣٨) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٢) مستدرك الحاكم (٤/ ٢٥) الاستيعاب (٤/ ١٨٠٤) أنساب السمعاني (١١/ ٣٤٥) أسد الغابة (٧/ ٥٦) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٨٧) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦١) الكاشف (٣/ ٤٢٢) العبر (١/ ٦١) مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٠) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٠٧) الإصابة (١٢/ ١٨٢) خلاصة الخزرجي (٤٨٩) كنز العمال (١٣/ ٧٠٦) شذرات الذهب (١/ ٢٥٧) أعلام النساء (١/ ٢٢٧) .

(٥) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٧) ، وأبو داود (٣٩٣١) في العتق من حديث عائشة ، وهو حديث حسن .

وكان اسمها بَرَّة ، فسمّاها رسول الله ﷺ جُوَيْرِيَة[١] .

وكانت امرأة مُلَّاحة ـ أي : حلوة الكلام .

توفيت في هذه السنة كما ذكره ابن الجَوْزي وغيره عن خمس وستّين سنة . وقال الواقدي : سنة ست وخمسين ، رضي الله عنها وأرضاها .

وأما صَفِيَّة بنتُ حُيَيّ[٢] بن أَخطَب بن سَعْية[٣] بن ثعلبة بن عبيد[٤] بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب ابن النَّضير بن النحام بن نحوم ، أمّ المؤمنين ، النَّضَرِيَّة ، من سلالة هارون أخي موسى عليهما السلام . وكانت مع أبيها وعمها حُدَي بن أخطب بالمدينة ، فلما أجلى رسول الله ﷺ بني النَّضير ساروا إلى خيبر ، وقُتل أبوها حُيَي مع بني قُريظة صَبْراً كما قدَّمنا ، فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر كانت صَفيَّة من جملة السَّبي ، فوقعت في سهم دِحْية بن خليفة الكَلْبي ، فذكر لرسول الله ﷺ جمالها وأنها بنت ملكهم ، فاصطفاها لنفسه ، وعوَّض دِحْية عنها ، وأسلمت ، فأعتقها وتزوَّجها ، فلما حلَّت بالصَّهْباء[٥] بنى بها ، وكانت ماشطتَها أمُّ سُلَيم .

وقد كانت تحت ابن عمِّها كنانة بن أبي الحُقَيْق ، فقُتل في المعركة بخيبر ، ووجد رسول الله ﷺ بخدِّها لطمةً فقال : ما هذه ؟ فقالت : إني رأيت كأن القمرَ أقبل من يثرب فسقط في حِجْري ، فقصصتُ المنام على ابن عمي ، فلطمني وقال : أتتمنَّيْنَ أن يتزوَّجك ملك يثرب ؟ فهذه من لطمته .

وكانت من سيِّدات النساء عبادةً وورعاً وزهادة وبرّاً وصَدَقة . رضي الله عنها .

قال الواقدي : توفيت سنة خمسين . وقال غيره : سنة ست وثلاثين . والأول أصح ، والله أعلم .

وأما أمُّ شَرِيك الأَنصَاريَّة[٦] : ـ ويقال : العامريَّة ـ فهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فقيل : قَبِلَها ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٠) في الآداب : باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن . . .

(٢) طبقات ابن سعد (٨/ ١٢٠) تاريخ خليفة (٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦) مسند أحمد (٦/ ٣٣٦) المعارف (١٣٨) المعرفة والتاريخ (الفهرس) ، مستدرك الحاكم (٤/ ٢٨) الاستيعاب (٤/ ١٨٧١) جامع الأصول (٩/ ١٤٣) أسد الغابة (٧/ ١٦٩) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٩٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٨) العبر (١/ ٥٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣١) الكاشف (٣/ ٤٢٩) مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٠) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٩) الإصابة (١٣/ ١٤) خلاصة الخزرجي (٤٩٢) كنز العمال (١٣/ ٦٣٧ ، ٧٠٤) شذرات الذهب (١/ ٢٤٥) أعلام النساء (٢/ ٣٣٣) .

(٣) وردت في المطبوع شعبة وقد اختلفت المصادر في تقييد هذا الاسم على أقوال منها: شعبة، وسعية، وسعنة . . . إلخ وأثبت ما في (أ)، ب وهو أقربها إلى الصحة فيما وصلت إليه، وهو الذي اختاره الأمير ابن ماكولا في الإكمال (٥/ ٦٧).

(٤) تحرف في المطبوع إلى : عبد .

(٥) « الصهباء » : موضع قرب خيبر .

(٦) تاريخ ابن معين (٧٤٢) طبقات ابن سعد (٨/ ١٥٤) طبقات خليفة (٣٣٥) مسند أحمد (٦/ ٤٢١ ، ٤٦٢) الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٤) مستدرك الحاكم (٤/ ٣٤) الاستيعاب (٤/ ١٩٤٣) أسد الغابة (٧/ ٣٥٢) تهذيب الكمال (ورقة =

وقيل : لم يقبلْها . ولم تتزوج حتى ماتت(١) [ترجو بذلك أن تكون من أزواجه](٢) .

وهي التي سُقيتْ بدلو من السماء لمّا منعها المشركون الماء ، فأَسلموا عند ذلك .

واسمها غزيَّة ـ وقيل : غُزَيلة ـ بنت دودان بن عمرو بن عامر [بن رواحة بن مُنقذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لؤي .

أسلمت قديماً .

قلت : قد ذكر ابن الجوزي والمؤلِّف في « جامع المسانيد » أن رسول الله ﷺ دخل بها لمّا وهبت نفسها له . وروت أحاديث . وقيل : لما رأى كبر سنِّها طلَّقها ، والله أعلم .

ماتت في هذه السنة](٣) على الصحيح . وقال ابن الجوزي : ماتت سنة خمسين . ولم أره لغيره .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

فيها كان مقتل حُجْر بن عديّ وأصحابه ، وهو :

حُجْر بنُ عَديّ(٤) بن جَبَلَة بن عديّ بن ربيعة بن معاوية الكرم(٥) بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع بن كندة(٦) الكوفي ، ويقال : حُجر الخير ، ويقال له : حُجر بن الأَدْبَر ، لأن أباه عَديّاً طُعن مولِّياً فسمِّي الأَدْبر . [ويُكنى حُجر بأبي عبد الرحمن](٧) . وهو من كِنْدة ، من رؤساء أهل الكوفة .

= (١٧١١) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥٥) الكاشف (٣/ ٤٤٢) الإصابة (١٣/ ٢٣٥) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٢) خلاصة الخزرجي (٤٩٨) أعلام النساء (٢/ ٢٩٦) .

(١) مثله في طبقات ابن سعد ووقعت في ط : مات .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من (ط) ، (ب) ، وذكر ابن الأثير الخلاف في اسمها ونسبها في أسد الغابة (٧/ ٣٥٢) .

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢١٧) طبقات خليفة (ت١٠٤٢) المحبر (٢٩٢) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٧٢) التاريخ الصغير (١/ ٩٥) المعارف (٣٣٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٠) ، الأخبار الطوال (٢٢٣) ، تاريخ الطبري (٥/ ٢٥٣) الجرح والتعديل (٣/ ٢٦٦) مروج الذهب (٣/ ١٢) مشاهير علماء الأمصار (ت٦٤٨) الأغاني (١٧/ ١٣٣) معجم الطبراني الكبير (٤/ ٣٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٦٨) جمهرة أنساب العرب (٤٢٦) الاستيعاب (١/ ٣٢٩) تاريخ ابن عساكر (٤/ ١٣١/ ب) أسد الغابة (١/ ٤٦١) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٧٢) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٣٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٢) العبر (١/ ٥٧) مرآة الجنان (١/ ١٢٥) الإصابة (١/ ٣١٤) شذرات الذهب (١/ ٢٤٧) تهذيب ابن عساكر (٤/ ٨٧) .

(٥) وقعت في ط : الأكبر . وفي مصادر الترجمة : الأكرمين .

(٦) في الأصل : ابن كندي ، والتصحيح من جمهرة الأنساب .

(٧) سقط من ط .

قال ابن عساكر[١] : وفد إلى النبي ﷺ . وسمع عليًا ، وعمّاراً ، وشراحيل بن مرّة ـ ويقال : شرحبيل ابن مرّة . وروى عنه أبو ليلى مولاه ، وعبد الرحمن بن عباس ، وأبو البَخْتري الطائي . وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عَذْراء[٢] ، وشهد صفّين مع عليّ أميراً ، وقُتل بعَذْراء من قرى دمشق ، ومسجد قبره بها معروف . ثم ساق ابن عساكر بأسانيده إلى حُجْر فذكر طرفاً صالحاً من روايته عن علي وغيره .

وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة ، وذكر له وفادة على النبي ﷺ ثم ذكره في الأولى من تابعي أهل الكوفة . قال : وكان ثقة معروفاً ، ولم يرو عن غير[٣] علي شيئاً .

قال ابن عساكر : بل قد روى عن عمّار ، وشراحيل بن مرّة .

وقال أبو أحمد العسكري : أكثر المحدثين لا يُصحّحون له صحبة . شهد القادسية ، وافتتح مرج[٤] عَذْراء ، وشهد الجمل وصفّين ، وكان مع علي حُجْر الخير ـ وهو حُجْر بن عديّ هذا ـ وحُجْر الشَّر[٥] ـ وهو حُجْر بن يزيد بن سلمة بن مُرَّة .

وقال المرزباني : قد روي أن حُجْر بن عديّ وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هانئ بن عديّ . وكان هذا الرجل من عُبّاد الناس وزُهّادهم ، وكان بارًّا بأمّه ، وكان كثير الصلاة والصيام . قال أبو مَعْشر : ما أحدثَ قطُّ إلّا توضأ ، ولا توضأ إلّا صلّى ركعتين . وهكذا قال غير واحد .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يعلى بن عُبيد ، حدّثني الأعمش ، عن أبي إسحاق قال : قال سلمان لحُجر : يا بن أمّ حُجْر ، لو تقطّعت أعضاؤك ما بلغت الإيمان .

وكان ينكر على المغيرة بن شعبة ـ إذ كان المغيرة على الكوفة ـ إذا ذكر عليًّا في خطبته فتنقّصه بعد مدح عثمان وشِيعته فيغضب حُجْر هذا ويظهر الإنكار عليه ، ولكن كان المغيرة فيه حِلْم وأناة ، فكان يصفح عنه ويَعِظُه فيما بينه وبينه ، ويحذّره غِبَّ[٦] هذا الصَّنيع ، فإنَّ معارضة ذي السلطان شديدٌ وبالُها . فلم يرجع حُجْر عن ذلك . فلمّا كان في آخر أيام المغيرة قام حُجْر يوماً ، فأنكر عليه في الخطبة ، وصاح به ، وذمَّه بتأخيره العطاء عن الناس ، وقام معه فِئَام من الناس[٧] لقيامه ، وتبعه قومه فشنّعوا على المغيرة ، فدخل

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) .

(٢) وتلفظ العامة اسمها اليوم عَدْرا وهي من قرى غوطة دمشق ، تقع في الشمال الشرقي منها ، وتبعد عنها خمسة عشر ميلاً تقريباً .

(٣) سقطت لفظة غير من آ . طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢٠) .

(٤) وقعت في ط : برج .

(٥) في الأصول : حجر الشرف . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٧) .

(٦) « غب الأمر ومغبته » : عاقبته .

(٧) « الفئام » : الجماعة . ووقعت في ط : فقام الناس .

المغيرة القصر بعد الصلاة ، ودخل معه جمهور الناس من الأمراء ، فأشاروا على المغيرة أن يردَع حُجْراً هذا عما يتعاطاه من الجرأة على السلطان وشقِّ العصا والقيام على الأمراء ، وذمَّروه وحثُّوه على التنكيل به . فصفَح عنه وحَلُم به .

وذكر يونس بن عبيد : أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمدُّه بمال يبعثه من بيت المال ، فبعث عِيراً تحمل مالاً ، فاعترض لها حُجْر ، فأمسك بزِمام أوّلها وقال : لا والله حتى تعطيَ كل ذي حقٍّ حقَّه . فقال شباب ثقيف للمغيرة : ألا نأتيك برأسه ؟ فقال : ما كنت لأفعل ذلك بحُجْر ، فتركه ، فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولّى زياداً .

والصحيح أن المغيرة ما زال والياً حتى مات ، فلما مات جمع معاوية الكوفة مع البصرة لزياد ، فدخلها وقد التف على حُجْر جماعات من شِيعة عليٍّ يقوُّون أمره ، ويشدُّون على يده ، ويسبُّون معاوية ويتبرَّؤون منه . فلما كان أول خطبة خطبها زياد بالكوفة ذكر في آخرها فضائل عثمان ، وذمَّ مَنْ قتله أو أعان على قتله ، فقام حُجْر كما كان يقوم في أيام المغيرة ، وتكلَّم بما كان يكلِّم به المغيرة ، فلم يعرض له زياد . ثم ركب زياد إلى البصرة ، وأراد أن يأخذ حُجْراً معه إلى البصرة لئلّا يحدث حدثاً ، فقال : إني مريض ، فقال : والله إنك لمريض الدين والقلب والعقل ، والله لئن أحدثتَ شيئاً لأسعينَّ في ذلك إلى معاوية . ثم سار زياد إلى البصرة ، فبلغه أن حُجْراً وأصحابه أنكروا على نائبه بالكوفة ـ وهو عمرو بن حُريث ـ وحصبوه وهو على المنبر يوم الجمعة ، فركب زياد إلى الكوفة ، فنزل القصر ، ثم خرج إلى المنبر وعليه قباء سُنْدس ومطرف خزّ أحمر ، قد فَرَق شعره ، وحُجْر جالس وحوله أصحابه أكثر ما كانوا [يومئذ ، وكان مَنْ لبس من أصحابه يومئذ نحو من ثلاثة آلاف ، وجلسوا حوله](١) في المسجد في الحديد والسلاح . فخطب زياد ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن غِبَّ البغي والغيِّ وخيم ، وإن هؤلاء القوم أَمِنُوني فاجترؤوا علَيّ ، وايم الله لئن لم تستقيموا لأُداوينّكم بدوائكم . ثم قال : ما أنا بشيء إن لم أمنع ساحة الكوفة من حُجْر وأدعه نكالاً لمن بعدَه ، ويلُ امِّكَ يا حُجْر ، سقط بك العشاءُ على سِرْحان . ثم قال :

أَبْلِغْ نَصِيحَةَ أنَّ راعيَ إبْلِها ... سَقَطَ العَشَاءُ به على سِرْحان(٢)

وجعل زياد يقول في خطبته : إنَّ من حقِّ أمير المؤمنين [إنَّ من حقِّ أمير المؤمنين ، فقال حُجْر : كذبتَ ، فسكت زياد ونظر إليه ثم عاد : إن من حق أمير المؤمنين ، إن من حق أمير المؤمنين](٣) ـ يعني

(١) من المطبوع فقط .
(٢) « السرحان » : الذئب ، وهذا مثل يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف . وهو في مجمع الأمثال للميداني (١/ ٣٢٨) .
(٣) سقط من المطبوع .

كذا وكذا ـ فأخذ حُجْر كفّاً من حصى ، فحصبَه بها وقال : كذبتَ ، عليك لعنة الله . فانحدر زياد ، فصلَّى ، ثم دخل القصر ، واستحضر حُجْراً .

ويقال : إن زياداً لما خطب طوَّل الخطبة وأخَّر الصلاة ، فقال له حُجْر : الصلاة ، فمضى في خطبته][١] ، فلمّا خشي حُجْر فوت الصلاة عمد إلى كفٍّ من حصى ، ونادى : الصلاة [بصوت عالٍ وصيحة عظيمة حتى سمعها أهل المسجد ومَنْ هو خارج منه][٢] وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلَّى بالناس ، فلمّا انصرف من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه ، فكتب إليه معاوية : أن شُدَّه في الحديد واحملْه إلي ، فبعث إليه زياد والي الشرطة ـ وهو شدّاد بن الهيثم ـ ومعه أعوانه فقال له : إن الأمير يطلبك ، فامتنع عن الحضور إلى زياد ، وقام دونه أصحابه ، فرجع الوالي إلى زياد فأعلمه ، فاستنهض زيادٌ جماعاتٍ من القبائل ، فركبوا مع الوالي إلى حُجْر وأصحابه ، فكان بينهم قتال بالحجارة والعِصيّ ، فعجزوا عنه ، فندب له محمد بن الأشعث ، وأمهله ثلاثاً ، وجهَّز معه جيشاً ، فركبوا في طلبه ، ولم يزالوا في طلبه حتى أحضروه إلى زياد ، وما أغنى عنه قومه ولا مَنْ كان يظن أنه ينصره ، فعند ذلك قيَّده زياد ، وسجنه عشرة أيام ، ثم بعث به إلى معاوية ، وبعث معه جماعة يشهدون عليه أنه سبَّ الخليفة ، وأنه حارب الأمير ، وأنه يقول : إن هذا الأمر لا يصلُح إلّا في آل علي بن أبي طالب .

وكان من جملة الشهود عليه أبو بُرْدة بن أبي موسى ، ووائل بن حجر ، وعمر بن سعد بن أبي وقّاص ، وإسحاق وإسماعيل وموسى بنو طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزُّبير ، وكَثِير بن شهاب ، وشَبَث[٣] بن رِبْعي . . . في سبعين رجلاً[٤] . ويقال : إنه كتبت شهادة شُريح القاضي فيهم ، وإنه أنكر ذلك وقال : إنما قلت لزياد : إنه كان صوّاماً قوّاماً .

ثم بعث زياد حُجْراً وأصحابه مع وائل بن حُجْر وكَثِير بن شهاب إلى الشام .

وكان مع حُجْر بن عديٍّ من أصحابه جماعة ، قيل : عشرون ، وقيل أربعة عشرة رجلاً ، منهم : الأرقم بن عبد الله الكندي ، وشريك بن شدّاد الحَضْرمي ، وصَيْفي بن فَسيل[٥] ، وقَبِيصة بن ضُبيعة بن حرملة العبسي ، وكريم بن عفيف الخَثْعمي ، وعاصم بن عوف البَجَلي ، وورقاء بن سُمَيّ البَجَلي ،

---

(١) من (أ) فقط .
(٢) من (أ) فقط .
(٣) تحرف في المطبوع إلى : ثابت .
(٤) تفصيل ذلك في تاريخ الطبري (٥/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) .
(٥) الأغاني (١٧/ ١٤٤) .

وكِدَام بن حيان[١] وعبد الرحمن بن حسان العَنَزيّان من بني هُمَيم[٢] ، ومحرز بن شهاب التَّميمي ، وعبد[٣] الله بن حَوِيَّة السَّعدي التَّميمي أيضاً . فهؤلاء أصحاب حُجْر الذين وصلوا معه إلى معاوية . ثم إن زياداً أتبعهم برجلين آخرين : عتبة بن الأخنس ـ من بني سعد ـ وسعيد بن نمران[٤] الهَمْداني ، فكملوا أربعة عشر رجلاً ، فساروا بهم إلى الشام .

ويقال : إن حُجراً لما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فغضب معاوية غضباً شديداً . وأمر بضرب عنقه هو ومن معه . ويقال : إن معاوية ركب فتلقاهم إلى مرج عَذْراء . ويقال : بل بعث إليهم مَن تلقاهم إلى عَذْراء تحت الثنيَّة ـ ثنيّة العقاب ـ فقتلوا هنالك . بعث إليهم معاوية من دمشق ثلاثة نفر وهم : هُدْبة بن فيّاض القَضاعي ، وحُصين[٥] بن عبد الله الكِلابي ، وأبو شريف البدوي[٦] ، فجاؤوا إليهم عشاءً ، فبات حُجر وأصحابه يصلُّون طول الليل ، فلما صلَّوا الصبح قتلوهم . وهذا هو الأشهر ، والله أعلم .

وذكر محمد بن سعد : أنهم دخلوا على معاوية فردَّهم ، فقُتلوا بعَذْراء .

وكان معاوية قد استشار الناس فيهم حين وصل بهم إلى مرج عَذْراء ـ [وقيل : إنهم حُبسوا فيها][٧] ـ فمن مُشير بقتلهم ، ومن مُشير بتفريقهم في البلاد ، فكتب معاوية إلى زياد كتاباً آخر في أمرهم ، فأشار عليه بقتلهم إن كانت له حاجة في ملك العراق . فعند ذلك أمر بقتلهم ، فاستوهب منه الأمراء واحداً بعد واحد حتى استوهبوا منه ستة [وقتل منهم ستة][٨] أولهم حُجر بن عدي ، ورجع آخر ، فعفا عنه معاوية ، وبعث بآخر نال من عثمان وزعم أنه أول من جار في الحكم ومدح عليًّا ، فبعث به معاوية إلى زياد وقال : لم تبعث إليَّ فيهم أردى من هذا . فلما وصل إلى زياد دفنه في الناطف[٩] حيًّا ـ وهو عبد الرحمن بن حسان العَنَزي[١٠] .

---

(١) تحرف في المطبوع إلى : حبان .

(٢) قوله : العنزيان من بني هميم . . . ، ورد بدلاً عنه في (أ) : الغنوي . وفي ب : العنزيان من بني هيثم . وفي ط : العريان من بني تميم . وكلها تحريف ، والمثبت من تاريخ الطبري (٥/ ٢٧١) وأيضاً من اللباب لابن الأثير مادة (الهميمي) .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : عبيد .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : عمران .

(٥) تحرف في المطبوع إلى : حضير .

(٦) كذا في الأصول، وورد في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير : أبو شريف البدّي وفي الأغاني : أبو صريف البدري.

(٧) من (أ) فقط .

(٨) سقط من ب .

(٩) في الأغاني (١٧/ ١٥٣) قس الناطف . وقُس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي ، كما في معجم البلدان (٤/ ٣٤٩) .

(١٠) تحرفت هذه النسبة في أ ، ب إلى : العنبري . وفي ط إلى : الفري .

وهذه تسمية الذين قُتلوا بعَذْراء : حُجر بن عديّ ، وشريك بن شدّاد ، وصيفي بن فَسيل الشيباني ، وقَبيصة بن ضُبَيعة العبسي ، ومُحْرز بن شهاب المِنْقري السَّعدي ، وكدام بن حيان[1] العَنَزي [وعبد الرحمن بن حسان العَنَزي المبعوث إلى زياد المدفون في الناطف][2] .

ومن الناس من يزعم أنهم مدفونون بمسجد القَصَب في غربيّه[3] [ومنهم من يزعم أنهم مدفونون بمسجد السَّبعة خارج باب تُوما ـ وإنما نسبت السبعة إليهم لأنهم سبعة ـ في شرقيّه][4] . والصحيح أنهم مدفونون بعَذْراء من غوطة دمشق ، رحمهم الله .

ويُذكر أن حُجراً لما أرادوا قتله قال : دعُوني حتى أتوضأ ، فقالوا : توضأ ، فقال : دعُوني حتى أصلِّي ركعتين ، فصلاّهما وخفَّف فيهما ثم قال : والله ما صلَّيت صلاة قطُّ أخفَّ منهما ، ولولا أن يقولوا أن ما بي جزعٌ من الموت لأطلتُهما ، ثم قال : قد تقدم لهما صلوات كثيرة . ثم قدَّموه للقتل ـ وقد حُفرت قبورهم ، ونُشرت أكفانهم ـ فلما تقدم إليه السَّيّاف ارتعدت فرائصُه ، فقيل له : إنك قلت لست بجازع من القتل ! فقال : ومالي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيفاً مشهوراً . فأرسلها مثلاً . ثم تقدَّم إليه السَّيّاف ، وهو أبو شريف البدوي ، وقيل : تقدم إليه رجل آخر ، فلما أراد ضرب عنقه قال له : ارفع عنقك واشدُده ، فقال : لا أُعين على قتل نفسي فأُسأل عن ذلك يوم القيامة ، فضربه فقتله . وكان قد أوصى أن يُدفن في قيوده ، ففُعل به ذلك ، وقيل : بل غسَّلوه وصلَّوا عليه .

وروي أن الحسن بن علي لما بلغه قتل حُجر وأصحابه قال : أَصلَّوا عليهم ، وغسَّلوهم ، واستقبلوا بهم القِبلة ، ودفنوهم في قيودهم ؟ قالوا : نعم ، قال : حَجُّوهم[5] وربِّ الكعبة . والظاهر أن قائل هذا هو الحسين بن علي [أو الحسن البَصْري][6] فإن حُجراً إنما قتل في سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة ثلاث وخمسين ، وعلى كل تقدير فالحسن كان قد مات قبلَه ، والله أعلم .

وروينا أن معاوية لما دخل على أمِّ المؤمنين عائشة فسلَّم عليها من وراء الحجاب ـ وذلك بعد مقتل

(١) تحرف في المطبوع إلى : حبان .
(٢) سقط من ط ، ب .
(٣) تحرفت لفظة غربيه في المطبوع إلى : عرفة . وحي مسجد القصب معروف بدمشق ، ويقع شرقي حي العمارة .
(٤) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
(٥) حجَّه يحجُّه حجّاً : غلبه بالحُجة .
(٦) ما بين حاصرتين سقط من ط ، ب ، وهو ما قاله ابن الأثير في الكامل (٣/ ٤٨٦) .

حجر وأصحابه ـ قالت له : أين ذهب عنك حِلْمُك يا معاوية حين قتلتَ حُجراً وأصحابَه ؟ فقال لها : فقدتُه حين غاب عنِّي من قومي مثلُكِ يا أمّاه ، ثم قال لها : فكيف برِّي بك يا أمّاه ؟ فقالت : إنك بي لبارّ ، فقال : يكفيني هذا عند الله ، وغداً لي ولحُجر موقف بين يدي الله عزَّ وجل . وفي رواية : أنه قال لها : إنما قتله الذين شهدوا عليه .

وروى ابن جرير[١] أن معاوية لما حضره الموتُ جعل يُغَرْغر بروحه وهو يقول : إنَّ يومي بكَ يا حُجر بن عديٍّ لطويل . قالها ثلاثاً ، فالله أعلم .

وقال محمد بن سعد في « الطبقات »[٢] : ذكر بعض أهل العلم أن حُجراً وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هانئ بن عديّ ، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب ، فلمّا قدم زياد بن أبي سفيان والياً على الكوفة دعا حُجر بن عديٍّ فقال له : تعلم أني أعرفك ، وقد كنت أنا وإيّاك[٣] على ما قد علمت ـ يعني من حبِّ علي ـ وإنه قد جاء غير ذلك ، وإني أنشدك اللهَ أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كلّه ، املِكْ عليك لسانَك وليَسَعْك منزلُك ، وهذا سريري فهو مجلسُك ، وحوائجك مقضيَّة لديّ ، فاكفني نفسَك فإني أعرف عجلتك ، فأنشدك الله في نفسك ، وإياك وهذه السَّفَلَة[٤] وهؤلاء السُّفهاء أن يَسْتزلُّوك عن رأيك . . . فقال حُجر : قد نصحتَ ونهيت ، ثم انصرف إلى منزله ، فأتاه الشِّيعة فقالوا : ما قال لك ؟ قال : قال لي كذا وكذا [قالوا : ما نصح لك][٥] . وسار زياد إلى البصرة ، فجعل الشِّيعة يتردَّدون إلى حُجر ويقولون له : أنت شيخنا وذو رأينا . وإذا جاء المسجد مَشَوا معه ، فأرسل إليه عمرو بن حُريث ـ وكان نائب زياد على الكوفة ـ يقول : ما هذه الجماعة وقد أَعطيتَ الأمير ما قد علمت ؟! فقال للرسول : إنهم يُنكرون ما أنتم عليه ، إليك وراءك أوسع لك . فكتب عمرو بن حُريث إلى زياد : إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعَجَل . فأعجلَ زياد السَّير إلى الكوفة ، فلما وصل بعث إلى حُجر بن عديٍّ عديَّ بن حاتم ، وجرير بن عبد الله البَجَلي ، وخالد بن عُرْفُطَة في جماعة من أشراف أهل الكوفة ليَنْهَوه عن هذه الجماعة ، فأتوه فجعلوا يكلِّمونه ، وجعل لا يردُّ عليهم شيئاً ، وإنما جعل يقول : يا غلام ! اعلفِ البِكْر ـ لبكر مربوط في الدار ـ فقال له عديُّ بن حاتم : أمجنون أنت ؟ نكلِّمك وأنت تقول : يا غلامُ اعلفِ البِكر ، ثم قال عديٌّ لأصحابه : ما كنت أظنُّ هذا البائس بلغ به الضعف كلَّ ما أرى . ثم نهضوا فأخبروا زياداً ببعض الخبر وكتموه بعضاً ، وحسَّنوا أمر حُجر عنده ، وسألوه الرِّفق به ، فلم يقبل ، بل

---

(١) في تاريخه (٥/ ٢٧٩) .
(٢) الطبقات الكبرى (٦/ ٢١٧ ـ ٢٢٠) .
(٣) في ط : وأباك ، وهو تحريف .
(٤) وقعت في ط : السقطة .
(٥) سقط من ط .

بعث إليه الشُّرَطَ والبخاريّة[١] ، فأتي به وبأصحابه ، فقال له زياد : ويلك مالك ؟ فقال : إني على بيعتي لمعاوية . فجمع زياد سبعين من وجوه أهل الكوفة فقال : اكتبوا شهاداتكم على حُجر وأصحابه ، ففعلوا ، ثم أوفدهم على معاوية . وبلغ الخبر عائشة ، فأرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم ، فوجدهم قد قتلوا منهم سبعة وأطلقوا السبعة الباقين ، ولكن كان حُجر فيمن قُتل ، وكان قد سألهم أن يصلِّي ركعتين قبل أن يقتلوه ، فصلَّى ركعتين طوَّلهما وقال : إنها لأخفُّ صلاة صلَّيتها . وجاء رسول عائشة بعد ما فُرغ من شأنهم ، فلما حجَّ معاويةُ قالت له عائشة : أين عَزَبَ[٢] عنك حلمُكَ حين قتلتَ حُجراً ؟ فقال : حين غاب عنِّي مثلُكِ من قومي .

ويروى أن عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية : أقتلتَ حُجر بن الأَدبر ؟ فقال معاوية : قتلُه أحبُّ إليَّ من أن أقتل معه مئة ألف .

وقد ذكر ابن جرير وغيره عن حُجر بن عدي وأصحابه أنهم كانوا ينالون من عثمان ، ويطلقون فيه مقالة الجَوْر ، وينتقدون على الأمراء ، ويسارعون في الإنكار عليهم ، ويبالغون في ذلك ، ويتولَّون شيعة علي ، ويتشدَّدون في الدين .

ويروى أنه لما أُخذ في قيوده سائراً من الكوفة إلى الشام تلقته بناتُه في الطريق وهن يبكين ، فمال نحوهنّ ، فسكت ساعة ثم قال : إن الذي يُطعمكنَّ ويَسْقيكنَّ ويكسيكنَّ هو الله ، وهو حيٌّ باقٍ لا يموت ، وهو لكُنَّ بعدي ، فعليكنَّ بتقوى الله وعبادته ، والصبر ابتغاء وجهه ، والتوكل عليه [وإني لأرجو من ربي عز وجل في وجهي هذا إحدى الحسنَيَيْن : إما الشهادة وهي السعادة الكبرى ، وإما الانصراف إليكنَّ في عافية ، وإني لأرجو من الله الذي كان يكفيني مؤنتكنَّ ألَّا يضيعَكنَّ ، وأن يحفظني فيكنّ . ثم انصرف ، فمرَّ بقومه ، فجعلوا يدعون الله له بالعافية ، فأتوا به وبأصحابه مرج عَذْراء ، فقُتلوا ودفنوهم مستقبلي القِبلة ، رحمهم الله وعفا عنهم][٣] .

وقد قالت امرأة من المتشيِّعات تَرثي حُجراً ـ وهي هند بنت زيد بن مَخْرمة الأنصاريَّة ـ ويقال : إنها لهند أخت حُجر ، فالله أعلم :

تَـرفَّـعْ أيُّهـا القمـرُ المُنيـرُ ... تَبَصَّرْ هَلْ تَـرىٰ حُجْـراً يَسِيـرُ
يَسِيرُ إلى معاويةَ بنِ حَرْبٍ ... ليقتُلَـهُ كمـا زَعَـمَ الأَمِيـرُ

(١) هكذا في أ ، ب وطبقات ابن سعد . ووقعت في ط : المحاربة .
(٢) « عزب » : غاب .
(٣) ما بين حاصرتين لفظُه من النسخة أ ، وما جاء في ب ، ط في المعنى نفسه ، إلا أن فيه تقديماً وتأخيراً وتبديلاً في بعض الألفاظ والجمل .

يرىٰ قتلَ الخيارِ عليهِ حقًّا ... لـهُ مِـنْ شَـرِّ أُمَّتِـهِ وزيـرُ
أَلَا يا ليتَ حُجْراً ماتَ مَوْتاً ... ولَـمْ يُنْحَرْ كما نُحِرَ البَعيرُ
تجبَّرَتِ الجبابرُ بعدَ حُجْرٍ ... وطابَ لها الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ[١]
وأَصبحتِ البلادُ لهُ مُحُولاً ... كأنْ لمْ يُحْيِها مُزْنٌ مَطِيرُ
أَلَا يا حُجْرُ حُجْرَ بني عَدِيٍّ ... تَلَقَّتْكَ السَّلامَةُ والسُّرورُ
أخافُ عليكَ ما أردىٰ عَديًّا ... وسَبْعاً في دمشقَ له زَئِيرُ[٢]
فإنْ تهلِكْ فكلُّ زعيمِ قَومٍ ... مِنَ الدُّنيا إلى هُلْكٍ يَصِيرُ
فرضوانُ الإلٰهِ عليكَ مَيْتاً ... وجنّاتٌ بها نِعَمٌ وحُورُ[٣]

وقد ذكر ابن عساكر له مراثي كثيرة .

وقال يعقوب بن سفيان[٤] : حدّثني حَرْملة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن لَهِيعَة ، عن أبي الأسود قال : دخل معاوية على عائشةَ فقالت : ما حملكَ على قتل أهل عَذْراء : حُجراً وأصحابه ؟ فقال : يا أمَّ المؤمنين إني رأيتُ في قتلهم صلاحاً للأمة ، وفي بقائهم فساداً للأمة . فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سَيُقتلُ بعَذْراء ناسٌ يغضبُ اللهُ لهم وأهلُ السَّماء » .

وهذا إسناد ضعيف منقطع .

وقد رواه عبد الله بن المبارك ، عن ابن لَهِيعة ، عن أبي الأسود : أن عائشة قالت : « بلغني أنه سَيُقتل بعَذْراء أناسٌ سبعة[٥] يغضبُ اللهُ لهم وأهلُ السماء » .

وقال يعقوب بن سفيان : [حدّثني ابن بُكير][٦] حدّثني ابن لَهِيعة ، حدّثني الحارث بن يزيد ، عن عبد الله بن أبي رزين الغافقي قال : سمعت عليَّ بن أبي طالب يقول : يا أهل العراق ! سَيُقتل منكم سبعةُ نفر بعَذْراء ، مثلُهم كمثل أصحاب الأُخدود . قال : فقتل حُجر وأصحابه .

---

(١) « الخورنق والسدير » : قصران قرب الحيرة ، لهما ذكر كثير في أشعار العرب .
(٢) رواية البيت في الأغاني كما يلي :
أخاف عليك سطوة آل حرب ... وشيخاً في دمشق له زئير
(٣) الأبيات ـ ما عدا الأخير منها ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢٠) والأغاني (١٧/ ١٥٤ ـ ١٥٥) والطبري (٥/ ٢٨٠) وابن الأثير (٣/ ٤٨٨) ومختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٤٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) وشاعرات العرب (٤٦٢ ـ ٤٦٣) وغيرها من المصادر .
(٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) .
(٥) سقطت هذه اللفظة من ط .
(٦) سقط من ط ، ب . والخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) .

ابن لهِيعة ضعيف .

وروى الإمام أحمد ، عن ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن نافع قال : كان ابن عمر في السوق ، فنُعي له حُجر ، فأطلق حبوته وقام ، وغلب عليه النَّحيب[(١)] .

وروى الإمام أحمد أيضاً ، عن عفان ، عن ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ، عن عبد الله بن أبي مُلَيكة ـ أو غيره ـ قال : لمّا قدم معاوية المدينة دخل على عائشة ، فقالت : أقتلتَ حُجراً ؟ فقال : يا أمَّ المؤمنين [إني وجدتُ قتل حُجر فيه صلاح للأمَّة ـ أو قال : صلاح الناس . وفي رواية][(٢)] : إني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خيرٌ من استحيائه في فسادهم[(٣)] .

وقال حمّاد بن سلَمة : عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن مروان بن الحكم قال : دخلت مع معاوية على أمِّ المؤمنين عائشة ، فقالت : يا معاوية قتلتَ حُجراً وأصحابَه وفعلتَ الذي فعلت ، أما خشيتَ أن أخبأ لك رجلاً يقتلك ؟ فقال : لا ، إني في بيت أمان ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الإيمانُ قَيَّدَ[(٤)] الفَتْكَ ، لا يَفْتِكُ مُؤْمن » . يا أمَّ المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك ؟ قالت : صالح . قال : فدعيني وحُجراً حتى نلتقي عند ربنا عزَّ وجل[(٥)] .

[وفي رواية : أنها حجَبَتْه وقالت : لا يدخل عليَّ أبداً ، فلم يزل يتلطَّف حتى دخل ، فلامَتْه في قتله حُجراً لوماً عنيفاً ، فلم يزل يعتذر حتى عَذَرَتْه][(٦)] .

وفي رواية أخرى : أنها كانت تتوعَّدُه كثيراً وتقول : لولا يغلبنا سفهاؤنا لكان لي ولمعاوية في قتله حُجراً شأن . فلما اعتذر إليها عذَرَتْه [على إغماض ، والله أعلم][(٧)(٨)] .

---

(١) إسناده صحيح . وهو في السير (٣/ ٤٦٦) .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٣) السير (٣/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) .

(٤) وقعت في أ ، ط : ضد وماأثبته من ب ومصادر التخريج .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٩٢) وأبو داود (٢٧٦٩) في الجهاد : باب في العدو يؤتى على غرّة ، وهو حديث صحيح .
« والفتك » : أن يأتي الرجلُ الرجلَ وهو غارّ غافل فيشد عليه فيقتله .
وقوله : « الإيمان قيّد الفتك » يعني : أن الإيمان يمنع القتل كما يمنع القيد عن التصرف .

(٦) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٧) ما بين حاصرتين من (أ) فقط . والإغماض ـ كما جاء في اللسان ـ المسامحة والمساهلة .

(٨) هنا تنتهي ترجمة حجر بن عدي ، ويتابع المؤلف ذكر أحداث هذه السنة ، لكن ما سيأتي مضطرب ـ من حيث الترتيب ـ في النسخ ، وقد أثبت ما ورد في النسخة (أ) لكونه أقرب إلى الصواب .

قال المؤلف : قال ابن جرير[1] : وفي هذه السنة ولَّى زيادٌ على خراسان بعد موت الحكم بن عمرو الربيعَ بن زياد الحارثي ، ففتح بلخ صُلحاً ، وكانوا قد أغلقوها بعدما صالحهم الأحنف بن قيس ، وفتح قوهِسْتان عَنْوة ، وكان عندها أتراك ، فقتلهم ولم يبقَ منهم إلَّا نَيْزك[2] طَرْخان ، فقتله قُتيبة بن مسلم بعد ذلك كما سيأتي .

وفيها غزا الربيع ـ هذا المذكور ـ ما وراء النهر ، فغَنِمَ وسَلم .

وفيها حج بالناس يزيد بن معاوية ـ فيما قاله أبو مَعْشر والواقدي .

وذكر ابن الجوزي في « المنتظم » أنه توفي في هذه السنة من الأكابر : جرير بن عبد الله البَجَلي ، وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث ، وحارثة بن النعمان ، وحُجر بن عدي ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وعبد الله بن أُنيس ، وأبو بكرة نُفَيع بن الحارث الثقفي ، رضي الله عنهم .

فأما جَرير بنُ عبد الله البَجَلي[3] : فأسلم بعد نزول المائدة في رمضان سنة عشر ، وكان قدومه ورسول الله ﷺ يخطُب ، وكان قد قال في خطبته : « إنَّه يقدمُ عليكم رجلٌ من هذا الفَجِّ من خير ذي يَمَن ، وإنَّ على وجهه مسحةَ مَلَك » فلما دخل جرير رماه الناس بأبصارهم ، فكان كما وصف رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك ، فحمِدَ الله تعالى[4] .

ويُروى أن رسول الله ﷺ لمّا جالسَهُ بسطَ له رداءه وقال : « إذا جاءَكم كريمُ قومٍ فأكرِمُوه »[5] .

وبعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الخَلَصَة ـ وهو بيت كانت تعظِّمه دَوْس في الجاهليّة ـ فذكر للنبي ﷺ أنه لا يَثْبُتُ على الخيل ، فضرب في صدره وقال : « اللهمَّ ثبِّتْهُ واجعلْهُ هادياً مَهْديًّا »[6] فذهب إليه فهدَمه .

---

(١) في تاريخه (٥/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) .

(٢) تحرفت في ط إلى : ترك .

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢) طبقات خليفة (١١٦ ، ١٣٨) تاريخ خليفة (٢١٨) مسند أحمد (٤/ ٣٥٧) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢١١) المعارف (٢٩٢) المعرفة والتاريخ (الفهرس) ، الجرح والتعديل (٢/ ٥٠٢) ثقات ابن حبان (٣/ ٥٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٧٥) معجم الطبراني الكبير (٢/ ٣٢٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٦٤) الاستيعاب (١/ ٢٣٦) ، تاريخ بغداد (١/ ١٨٧) ، جامع الأصول (٩/ ٨٥) أسد الغابة (١/ ٣٣٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٧) تهذيب الكمال (٤/ ٥٣٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣٠) العبر (١/ ٥٧) الكاشف (١/ ١٢٦) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ١٠٤) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٧٢) تهذيب التهذيب (٢/ ٧٣) الإصابة (٢/ ٧٦) خلاصة الخزرجي (٦١) شذرات الذهب (١/ ٢٤٧ و٢٥٠) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٤) وهو صحيح .

(٥) أخرجه البزار برقم (٢٧٣٩) . وقال الهيثمي : رواه الطبراني والبزار ، وفيه جماعة لم أعرفهم . وللحديث شواهد عن غيره من الصحابة فهو بها حسن .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٥) والبخاري رقم (٣٠٤٠) ، ومسلم (٢٤٧٦) في فضائل الصحابة .

وفي « الصحيحين » عنه أنه قال : « ما حَجَبَني رسول الله ﷺ منذ أسلمتُ ، ولا رآني إلا تَبَسَّم »[١] .

وكان عمر بن الخطاب يقول : جريرٌ يوسفُ هذه الأمَّة .

وقال عبد الملك بن عُمَير : رأيت جريراً كأنَّ وجهَه شِقَّة قمر .

وقال الشعبي : كان جرير هو وجماعة مع عمر في بيت ، فاشتمَّ عمر من بعضهم ريحاً ، فقال : عزمتُ على صاحب هذه الرِّيح إلّا قام فتوضَّأ . فقال جرير : أوَ نقوم كلّنا فنتوضَّأ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : نعمَ السَّيدُ كنتَ في الجاهلية ، ونعمَ السيِّدُ أنتَ في الإسلام[٢] .

وقد كان عاملاً لعثمان على هَمَذان[٣] وبلادها ـ ويقال : إنه أُصيبت عينُه هناك ـ فلما قُتل عثمان اعتزل عليّاً ومعاوية ، ولم يزل مقيماً بالجزيرة حتى توفي بالشَّراة سنة إحدى وخمسين . قاله الواقدي . وقيل : سنة أربع ، وقيل : سنة ست وخمسين .

وأما جعفر بن أبي سفيان[٤] بن الحارث بن عبد المطَّلب ، فأسلم مع أبيه حين تلقَّياه بين مكة والمدينة عام الفتح ، فلما ردَّهما قال أبو سفيان : والله لئن لم يأذن لي عليه لآخذنَّ بيد بُنيّ هذا فلأذهبنَّ في الأرض فلا يُدرى أين أذهب ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ له ، وأَذن له ، وقَبل إسلامهما ، فأسلما إسلاماً حسناً بعدما كان أبو سفيان يؤذي رسول الله ﷺ أذى كثيراً .

وشهد حُنيناً ، وكان ممَّن ثبت يومئذ .

وأما حارثة بن النُّعمان الأنصاريُّ النجّاري[٥] : فشهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلَّها ، وكان من فضلاء الصحابة ، ويُروى أنه رأى جبريل مع رسول الله ﷺ بالمقاعد يتحادثان بعد خَيْبر ، وأنه رآه يوم بني قُريظة في صورة دِحْية الكلبي[٦] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٥) والبخاري رقم (٣٨٢٢) ، ومسلم (٢٤٧٥) في فضائل الصحابة .

(٢) تهذيب الكمال (٤/ ٥٣٩) .

(٣) تحرفت في الأصول إلى : همدان . معجم البلدان (٥/ ٤١٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٥٥) الجرح والتعديل (٢/ ٤٨٠) الاستيعاب (١/ ٢٤٥) أسد الغابة (١/ ٣٤١) ، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٥) العقد الثمين (٣/ ٤٢٣) الإصابة (٢/ ٨٥) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٧) طبقات خليفة (٩٠) مسند أحمد (٥/ ٤٣٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٩٣) الجرح والتعديل (٣/ ٢٥٣) معجم الطبراني الكبير (٣/ ٢٥٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٢٠٨) الاستبصار (٥٩) الاستيعاب (١/ ٣٠٦) أسد الغابة (١/ ٤٢٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٨) مجمع الزوائد (٩/ ٣١٣) الإصابة (٢/ ١٩٠) .

(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٨) .

وفي الصحيح[١] : أن رسول الله ﷺ سمع قراءته في الجنَّة[٢] .

قال محمد بن سعد : حدّثنا عبد الرحمن بن يونس ، حدّثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك ، حدّثنا محمد بن عثمان عن أبيه : أن حارثة بن النعمان كان قد كُفَّ بصرهُ ، فجعل خيطاً من مُصَلّاه إلى باب حُجْرته ، [وكان يضع عنده مِكْتَلاً فيه تمرٌ وغيره][٣] فإذا جاءه المسكين أخذ من ذلك التمر ثم أخذ يُمسك بذلك الخيط حتى يضع ذلك في يد المسكين . وكان أهله يقولون له : نحن نكفيك ذلك ، فيقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ مُناولةَ المسكينِ تَقي مِيْتَةَ السُّوء »[٤] .

وأما حُجر بن عدي فقد تقدَّمت قصته مطولةً مبسوطة .

وأما سعيدُ بنُ زيد[٥] بن عَمرو بن نُفيل : القرشي [أبو الأعور العدوي][٦] فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، وهو ابن عمِّ عمر بن الخطّاب، وأختُه عاتكة زوجة عمر، [وأخت عمر فاطمة زوجة سعيد][٧] .

أسلم سعيد قبل عمر هو وزوجته فاطمة ، وهاجرا ، وكان من سادات الصحابة .

قال عروة والزهري وموسى بن عُقبة ومحمد بن إسحاق والواقدي وغير واحد : لم يشهد بدراً لأنه كان قد بعثَه رسول الله ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله بين يديه يتحسَّسان أخبار قريش فلم يَرْجعا حتى فرغ من بدر ، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما . ولم يذكره عمر في أهل الشُّورى لئلّا يُحابي قرابته

---

(١) هكذا قال، وهي عادته في الإشارة إلى صحيح البخاري أو مسلم، وهو ليس فيهما، فلعله أراد: في الحديث الصحيح، وهو بعيد، فإن كان ذلك كذلك، فكلامه صحيح .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٠١١٩) وأحمد (٦/ ١٥١ و١٥٢ و١٦٦ و١٦٧)، والنسائي في الكبرى (٨٢٣٣)، وابن حبان (٧٠١٥) من حديث عمرة عن عائشة، وهو حديث صحيح .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع . و « المكتل » : الزبيل ـ القفة ـ الذي يحمل فيه التمر أو العنب .

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٨) ورواه الطبراني الكبير رقم (٣٢٢٨) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » وفيه من لم أعرفه ، ويغني عنه ، حديث « صنائع المعروف تقي مصارع السوء » وهو حديث حسن ، رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٧٩ و٦/ ١٣) نسب قريش (٤٣٣) طبقات خليفة (٢٢ ، ١٢٧) تاريخ خليفة (٢١٨) مسند أحمد (١/ ١٨٧) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ت ١٥٠٩) التاريخ الصغير (١/ ١٠١) المعارف (٢٤٥) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩١) وغيرها ، الجرح والتعديل (٤/ ٢١) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٥٧) مشاهير علماء الأمصار (ت١١) حلية الأولياء (١/ ٩٥) جمهرة أنساب العرب (١٥١ ، ١٧٠) الاستيعاب (٢/ ٦١٤) تاريخ ابن عساكر (٧/ ١١٥/ ب) أسد الغابة (٢/ ٣٨٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٧) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٩٨) تهذيب الكمال (١٠/ ٤٤٦) تاريخ الإسلام (١/ ٢٨٥) سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٤) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١٩) الكاشف (١/ ٢٨٦) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٨٤) العقد الثمين (٤/ ٥٥٩) نهاية السول (ورقة ١١٥) تهذيب التهذيب (٤/ ٣٤) الإصابة (٤/ ١٨٨) خلاصة الخزرجي (١٣٨) شذرات الذهب (١/ ٢٤٦) تهذيب ابن عساكر (٦/ ١٢٩) .

(٦) ليس في ط .

(٧) ليس في أ .

من عمر فيولّى ، فتركه لذلك ، وإلّا فهو ممّن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة في جملة العشرة كما صحت بذلك الأحاديث المتعددة الصحيحة .

ولم يتولَّ بعد رسول الله ﷺ ولاية ، ومازال كذلك حتى مات بالكوفة ـ وقيل : بالمدينة وهو الأصح ـ قال الفلّاس وغيره : سنة إحدى وخمسين [وقيل : سنة ثنتين وخمسين](١) والله أعلم .

وكان رجلاً طُوالاً أشعر ، وقد غسَّله سعد بن أبي وقّاص ، وحُمل من العَقيق على أعناق الرجال إلى المدينة ، وكان عمره يومئذ بضعاً وسبعين سنة .

وأما عبد الله بن أُنَيْس الجُهَني(٢) : أبو يحيى المدني ، فصحابي جليل ، شهد العقبة ، ولم يشهد بدراً ، وشهد ما بعدها ، وكان هو ومعاذ يكسِران أصنام الأنصار .

له في الصحيح حديث : أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين(٣) .

وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى خالد بن سفيان الهُذَلي ، فقتلَه بعُرَنَة(٤) ، وأعطاه رسول الله ﷺ مِخْصرة(٥) وقال : « هٰذهِ آيةُ ما بَيْني وبَيْنَكَ يومَ القيامَة » فأَمر بها فدُفنت معه في أكفانه(٦) .

وقد ذكر ابن الجوزي أنه توفي سنة إحدى وخمسين . وقال غيره : سنة أربع وخمسين [وقيل : سنة ثمان وخمسين](٧) وقيل : سنة ثمانين . والله أعلم .

وأما أبو بَكْرة نُفَيْع بن الحارث(٨) : ابن كَلَدة بن عمرو بن عِلاج بن أبي سلمة الثَّقفي ، فصحابيٌّ

---

(١) ليس في أ .

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٦١٩) طبقات خليفة (١١٨) مسند أحمد (٣/ ٤٩٥) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ت ٢٦) المعارف (٢٨٠) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٨) الجرح والتعديل (٥/ ١) ثقات ابن حبان (٣/ ٢٣٣) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٨١) الاستيعاب (٣/ ٨٦٩) الجمع لابن القيسراني (١/ ٢٤٥) أنساب السمعاني (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦ ، البركي) ، أسد الغابة (٣/ ١٧٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٠) تهذيب الكمال (١٤/ ٣١٣) الكاشف (٢/ ٦٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ت٣١٥٠) العبر (١/ ٥٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩٩) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١٣١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٤٥) نهاية السول (ورقة ١٦٣) توضيح المشتبه (١/ ٤٦٨) الإصابة (٢/ت٤٥٥٠) تهذيب التهذيب (٥/ ١٤٩) خلاصة الخزرجي (١٩١) شذرات الذهب (١/ ٢٥٥) .

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٨) في الصيام : باب فضل ليلة القدر .

(٤) وقعت في أ : بعرفة . وبطن عرنة ـ كهمزة ـ واد بحذاء عرفات .

(٥) « المخصرة » : شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه ، مثل العصا ونحوها .

(٦) أخرجه أحمد في المسند مطولاً (٣/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦) وإسناده ضعيف .

(٧) من (أ) فقط .

(٨) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥) طبقات خليفة (ت٣٦٧ ، ٩٨٢ ، ١٤٢٠) مسند أحمد (٥/ ٣٥) المحبر (١٢٩ ، ١٨٩) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ١١٢) المعارف (٢٨٨) الجرح والتعديل (٨/ ٤٨٩) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢٠) الاستيعاب (٤/ ١٥٣٠) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥٣٣) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٣١٦/آ) أسد الغابة =

جليل ، كبير القدر ، ويقال : كان اسمه مَسْروح ، وإنما قيل له أبو بَكْرة لأنه تدلَّى في بَكْرة يوم الطائف فأعتقه رسول الله ﷺ وكل من نزل من مواليهم يومئذ .

وأمه سُميَّة هي أمُّ زياد .

وكان ممَّن شهد على المغيرة بن شعبة بالزنى هو وأخوه زياد ، ومعهما شِبْل[١] بن مَعْبد ونافع بن الحارث ، فلمّا تلكَّأ زياد في الشهادة جلد عمر الثلاثة الباقين ، ثم استتابهم فتابوا إلَّا أبا بَكْرة فإنه صمَّم على الشهادة [وقال المغيرة : يا أمير المؤمنين اشفِني من هذا العبد ، فنهرَه عمر وقال له : اسكت ! لو كملت الشهادة لرجمتُك بأحجارك][٢] . وكان أبو بكرة خير هؤلاء الشهود .

وكان ممَّن اعتزل الفتن ، فلم يحضر شيئاً منها .

ومات في هذه السنة ـ وقيل : قبلها بسنة ، وقيل : بعدها بسنة ـ وصلَّى عليه أبو بَرْزة الأَسْلمي ، وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ .

وفيها توفيت :

أم المؤمنين مَيْمونة بنتُ الحارث الهِلاليَّة[٣] : تزوَّجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء[٤] سنة سبع . قال ابن عباس ـ وكان ابنَ أختها أمِّ الفضل ـ : تزوَّجها رسول الله ﷺ وهو مُحْرم[٥] . وثبت في « صحيح مسلم »[٦] عنها : أنهما كانا حلالَيْن . وقولها مقدَّم عند الأكثرين على قول ابن عباس .

= (٥/ ٣٥٤ و٦/ ٣٨) تهذيب الأسماء واللغات (الجزء الثاني من القسم الأول : ١٩٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٨٠) تهذيب الكمال (ورقة ١٤٢٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٢٩) تذهيب التهذيب (٤/ ٢٠٥/آ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥) الكاشف (٣/ ١٨٤) العبر (١/ ٥٨) العقد الثمين (٧/ ٣٤٧ و٨/ ٢٩) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٦٩) الإصابة (ت٨٧٩٥) خلاصة الخزرجي (٤٠٤) شذرات الذهب (١/ ٢٥٠) .

(١) تحرف في المطبوع إلى : سهل . ترجمته في أسد الغابة (٢/ ٥٠٣) .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ١٣٢) طبقات خليفة (٣٣٨) تاريخ خليفة (٨٦ ، ٢١٨) مسند أحمد (٦/ ٣٢٩) المعارف (١٣٧) مستدرك الحاكم (٤/ ٣٠) الاستيعاب (٤/ ١٩١٤) أسد الغابة (٧/ ٢٧٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٧٠٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٢٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣٨) الكاشف (٣/ ٤٣٥) العبر : (١/ ٤٥ ، ٥٧) مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٩) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٣) الإصابة (١٣/ ١٣٨) خلاصة الخزرجي (٤٩٦) كنز العمال (١٣/ ٧٠٨) شذرات الذهب (١/ ٢١٩ ، ٢٤٨) أعلام النساء (٥/ ١٣٨) .

(٤) ويقال لها أيضاً : عمرة القضية . قال السهيلي : سميت عمرة القضاء لأنه قاضى فيها قريشاً . زاد المعاد (٢/ ٩٠ ـ ٩١) .

(٥) رواه البخاري رقم (٥١١٤) ومسلم رقم (١٤١٠) .

(٦) برقم (١٤١١) .

وروى الترمذي(١) عن أبي رافع ـ وكان السَّفير بينهما ـ « أنهما كانا حلالَيْن » .

ويقال : كان اسمها برَّة ، فسمّاها رسول الله ﷺ مَيْمونة .

وتوفيت بسَرِف بين مكة والمدينة ـ حيث بنىٰ بها رسول الله ﷺ ـ في هذه السنة ، وقيل : في سنة ثلاث وستين ، [وقيل : سنة ست وستين](٢) والمشهور الأول . وصلَّى عليها ابن أُختها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين

ففيها غزا بلاد الروم وشتا بها سفيان بن عوف الأزدي ، فمات هنالك ، واستخلف على الجند بعده عبد الله بن مَسْعدة الفَزاري . وقيل : إن الذي كان أمير الغزو ببلاد الروم في هذه السنة بُسْر بن أبي أَرْطاة ، ومعه سفيان بن عوف .

وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص نائب المدينة . قاله أبو مَعْشر والواقدي وغيرهما .

وغزا الصائفة محمد بن عبد الله الثَّقفي .

وعمّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة الماضية .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

خالد بن زَيْد بن كُلَيب(٣) : أبو أيوب الأنصاري الخَزرجي . شهد بدراً والعقبة والمشاهد كلَّها ، وشهد مع علي قتال الحروريَّة .

---

(١) برقم (٨٤١) .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في أ .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٤) طبقات خليفة (٨٩ ، ٣٠٣) تاريخ خليفة (٢١١) مسند أحمد (٥/ ١١٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٣٦) المعارف (٢٧٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٢) الجرح والتعديل (٣/ ٣٣١) ثقات ابن حبان (٣/ ١٠٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ١٢٠) معجم الطبراني الكبير (٤/ ١٣٨) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٥٧) حلية الأولياء (١/ ٣٦١) جمهرة ابن حزم (٤٣٨) الاستيعاب (٢/ ٤٢٤) تاريخ بغداد (١/ ١٥٣) الجمع لابن القيسراني (١/ ١١٨) تاريخ ابن عساكر (٥/ ٢١٣/ب) أسد الغابة (٢/ ٩٤) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٣٦) تهذيب الكمال (٨/ ٦٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٢٧) العبر (١/ ٥٦) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ١٨٧) الكاشف (١/ ٢٠٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٠٢) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٥٠) إكمال مغلطاي (١/ ورقة ٣١١) نهاية السول (ورقة ٨٢) مجمع الزوائد (٩/ ٣٢٣) تهذيب التهذيب (٣/ ٩٠) الإصابة (٣/ ٥٦) خلاصة الخزرجي (١٠٠) كنز العمال (١٣/ ٦١٤) شذرات الذهب (١/ ٢٤٦) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٣٩) .

وفي داره كان نزول رسول الله ﷺ حيث قدم المدينة مهاجراً من مكة ، فأقام عنده شهراً حتى بنى المسجد ومساكنه حوله ، ثم تحوَّل إليها ، وقد كان أبو أيوب أنزل رسول الله ﷺ في أسفل داره ، ثم تحرَّج من أن يعلو فوقه ، فسأل رسول الله ﷺ أن يصعد إلى أعلى الدار ، وأن يكون هو وأم أيوب في السُّفل ، فأجابه إلى ذلك .

وقد روينا عن ابن عباس أنَّ أبا أيوب لما قدم عليه البصرة ـ وكان ابن عباس نائبها ـ خرج له عن داره وأنزله بها ، فلمّا أراد الانصراف خرج له عن كل شيء بها ، وزاده تُحفاً وخدماً كثيراً : أعطاه أربعين ألفاً وأربعين عبداً إكراماً له ومجازاة له عمّا فعل مع رسول الله ﷺ من إنزاله له في داره ، ومافعلَه معه هو من أعظم الشرف لأبي أيوب .

وهو القائل لزوجته أمِّ أيوب حين قالت له : أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ فقال لها : أكنتِ فاعلة ذلك يا أمَّ أيوب ؟ فقالت : لا والله ، فقال : والله لَهي خيرٌ منكِ ، فأنزل الله ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور : ١٢] الآية .

وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور القُسْطنطينية من هذه السنة ، وقيل : في التي قبلها ، وقيل : في التي بعدها . وكان في جيش يزيد بن معاوية ، وإليه أوصى ، وهو الذي صلَّى عليه .

وقد قال الإمام أحمد(١) : حدّثنا عفّان(٢) ، حدّثنا همام ، حدّثنا عاصم(٣) ، عن رجل من أهل مكة : أن يزيدَ بن معاوية كان أميراً على الجيش الذي غزا فيه أبو أيوب ، فدخل عليه عند الموت ، فقال له : إذا أنا متُّ فاقرؤوا على الناس مني السلام ، وأخبروهم أنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ماتَ لا يُشْركُ بالله شيئاً جعلَه اللهُ في الجنَّة » ولْينطلِقوا بجنازتي ولْيبعدُوا في أرض الروم ما استطاعوا . قال : فحدَّث الناس لما مات أبو أيوب بهذا الحديث ، فاستلأم(٤) الناس وانطلقوا بجنازته .

وقال الإمام أحمد(٥) : حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبْيان قال : غزا أبو أيوب مع يزيد بن معاوية ، فقال أبو أيوب : إذا متُّ فأَدْخلوني في أرض العدو ، فادْفِنوني تحتَ أقدامكم حيث تلقَوْن العدو . قال : ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ماتَ لا يُشركُ باللهِ شَيْئاً دخلَ الجنَّة » .

---

(١) في مسنده (٥/ ٤١٦) وإسناده ضعيف ، لجهالة الرجل من أهل مكة ، ولكن له طرق يقوى بها .
(٢) تحرفت في ط إلى : عثمان .
(٣) وقعت في ط : أبو عاصم ، وهو خطأ .
(٤) لم ترد هذه اللفظة في أ ، وتحرفت في ط إلى : فأسلم . وقوله : استلأم الناس ، يعني : لبسوا عدة القتال .
(٥) في مسنده (٥/ ٤٢٣) وهو حديث صحيح .

ورواه أحمد[١] أيضاً عن ابن نمير ويعلى بن عبيد ، عن الأعمش : سمعت أبا ظَبْيان فذكره ، وقال فيه : سأحدِّثكم حديثاً سمعتُه من رسول الله ﷺ لولا حالي هذا ما حدَّثتُكموه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ماتَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئاً دخلَ الجنَّة » .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا إسحاق بن عيسى [حدّثني ليث][٣] حدّثني محمد بن قيس قاصّ[٤] عمر بن عبد العزيز ، عن أبي صِرْمَة ، عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنتُ كتمتُ عنكم شيئاً سمعتُه من رسول الله ﷺ سمعته يقول : « لولا أنكم تُذنبونَ لخَلَقَ اللهُ قوماً يُذْنبونَ فيَغْفِر لهُم » .

وعندي أن هذا الحديث والذي قبلَه هو الذي حمل يزيد بن معاوية على طرف من الإرجاء [وما كان يتعاطاه من القبائح][٥] وركبَ بسببه أفعالاً كثيرة أُنكرت عليه كما سنذكره في ترجمته ، والله أعلم .

قال الواقدي : مات أبو أيوب بأرض الروم سنة ثنتين وخمسين ، ودُفن عند القُسْطنطينية ، وقبره هناك يَسْتَسْقي به الروم إذا قَحَطُوا . وقيل : إنه مدفون في حائط القُسْطنطينية وعلى قبره مزار ومسجد ، وهم يعظِّمونه . وقال أبو زُرْعة الدمشقي : توفي سنة خمس وخمسين . والأول أثبت ، والله أعلم .

[وقال[٦] أبو بكر بن خلّاد : حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة ، حدّثنا داود بن المحبَّر ، حدّثنا مَيْسرة بن عبد ربه ، عن موسى بن عبيدة ، عن الزُّهري ، عن عطاء بن يزيد ، عن أبي أيوب الأنصاري ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ الرجلَينِ ليتوجَّهانِ إلى المسجد فيصلِّيان ، فينصرف أحدُهما وصلاتُه أوزنُ من صلاة الآخر ، وينصرف الآخر وما تعدِلُ صلاتُه مثقال ذرَّة ، إذا كان أورعهما عن محارم الله ، وأحرصهما على المسارعة إلى الخير »[٧] .

وعن أبي أيوب قال : قال رسول الله ﷺ لرجل سألَه أن يعلِّمه ويوجز ، فقال له : « إذا صلَّيتَ صلاةً فَصَلِّ صلاةَ مُوَدِّع ، ولا تكلَّمن بكلامٍ تَعتذرُ منه ، وأجمعِ اليأسَ ممّا في أيدي النّاس »[٨]] .

---

(١) في مسنده (٥/ ٤١٩) وهو حديث صحيح .
(٢) في مسنده (٥/ ٤١٤) ومسلم رقم (٢٧٤٨) .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من الأصول ، واستدركته من المسند .
(٤) كذا في ب ومثله في المسند ، ووقعت في (أ) و(ط) : قاضي .
(٥) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
(٦) من هنا وحتى آخر ترجمة أبي أيوب سقط من ب .
(٧) إسناده ضعيف ؛ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٧٦٢١) .
(٨) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٢)، وابن ماجه (٤١٧١) في الزهد، والطبراني في الكبير (٣٩٨٧)، والمزي في تهذيب الكمال (١٩/ ٣٤٧)، كلهم من طريق عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، عن عثمان بن جبير، عن أبي أيوب، وإسناده ضعيف لجهالة عثمان بن جبير كما في تحرير التقريب (٢/ ٤٣٤)، وكذا ضعفه الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة ، ولكن للحديث شواهد يكون حسناً لغيره بها .

وفيها توفي :

أبو موسى[١] عبدُ الله بنُ قيس بن سُلَيم بن حَضَّار بن حرب بن عامر بن غَنْم[٢] بن بكر بن عامر بن عدي بن وائل بن ناجية بن جَمَاهر بن الأشعر الأَشْعَري اليماني .

أسلم ببلاده ، وقدم مع جعفر وأصحابه عام خيبر . وذكر محمد بن إسحاق أنه هاجر أولاً إلى مكّة ، ثم هاجر إلى اليمن ، وليس هذا بالمشهور .

وقد استعمله رسول الله ﷺ مع مُعاذ على اليمن ، واستنابه عمر على البصرة ، وفتح تُسْتَر ، وشهد خطبة عمر بالجابية ، وولّاه عثمان الكوفة ، وكان أحد الحكَمين بين علي ومعاوية ، فلمّا اجتمعا خدع عمرو أبا موسى .

وكان من قرّاء الصحابة وفقهائهم ، وكان أحسن الصحابة صوتاً بالقرآن[٣] في زمانه .

قال أبو عثمان النَّهدي : ما سمعتُ صوت صَنْج ولا بَرْبَط[٤] ولا مِزْمار أطيبَ من صوت أبي موسى[٥] .

وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « لقد أُوتيَ هذا مِزْماراً مِنْ مَزاميرِ آلِ داود »[٦] .

وكان عمر يقول له : ذكِّرنا ربَّنا يا أبا موسى ، فيقرأ وهم يسمعون .

وقال الشعبي : كتب عمر في وصيته : أن لا يُقَرَّ لي عامل أكثر من سنة إلّا أبا موسى فلْيقرَّ أربع سنين .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٤ و٤/ ١٠٥ و٦/ ١٦) تاريخ ابن معين (٣٢٦) طبقات خليفة (٦٨ ، ١٣٢ ، ١٨٢) تاريخ خليفة (١٧٨) وغيرها ، مسند أحمد (٤/ ٣٩١) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٢٢) ثقات العجلي (٢٧٢) المعارف (٢٣٦) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٧) أخبار القضاة (١/ ٢٨٣) الجرح والتعديل (٥/ ١٣٨) ثقات ابن حبان (٣/ ٢٢١) مشاهير علماء الأمصار (ت٢١٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٦٤) حلية الأولياء (١/ ٢٥٦) الاستيعاب (٣/ ٩٧٩) الجمع لابن القيسراني (١/ ٢٤١) أنساب السمعاني (١/ ٢٧٣ و٨/ ٣٨١) تاريخ ابن عساكر (٤٢٢) جامع الأصول (٩/ ٧٩) أسد الغابة (٣/ ٣٦٧) مختصر تاريخ دمشق (١٣/ ٢٣٣) تهذيب الكمال (١٥/ ٤٤٦) طبقات علماء الحديث (١/ ٨٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٥٥) العبر (١/ ٥٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٠) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٣) الكاشف (٢/ ١٠٦) معرفة القراء الكبار (١/ ٣٩) تذهيب التهذيب (٢/ورقة ١٧٤) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٣٤٨٧) مرآة الجنان (١/ ١٢٠) مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٨) غاية النهاية (١/ ٤٤٢) الإصابة (٦/ ١٩٤) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٦٢) طبقات الحفاظ (٧) خلاصة الخزرجي (٢١٠) كنز العمال (١٣/ ٦٠٦) شذرات الذهب (١/ ٢٣٥) .

(٢) تحرفت في المطبوع إلى : غز .

(٣) هذه اللفظة من (أ) فقط .

(٤) « البربط » : العود ، أو ملهاة تشبه العود . أعجمي معرب .

(٥) طبقات ابن سعد (٤/ ١٠٨) .

(٦) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٤/ ١٠٧) وأحمد في مسنده (٢/ ٤٥٠) وابن ماجه (١٣٤١) في إقامة الصلاة : باب في حسن الصوت بالقرآن ، وهو حديث صحيح .

ذكر ابن الجوزي في « المنتظم » أنه توفي في هذه السنة ، وهو قول بعضهم . وقيل : قبلها بسنة ، وقيل : في سنة ثنتين وأربعين ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

وكانت وفاته بمكة مقيماً بها معتزلاً للناس بعد التحكيم ، وقيل : بمكان يقال له الثَّوِيَّة على ميلين من الكوفة .

وكان قصيراً ، نحيفَ الجسم ، أَثَطّ ـ أي : لا لحية له . رضي الله عنه .

وذكر ابن الجوزي أنه توفي في هذه السنة أيضاً :

عبدُ اللهِ بنُ المُغَفَّل المُزَني[١] : وكان أحد البكَّائين ، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة ليفقِّهوا الناس في الدين . وهو أول من دخل تُسْتَر من المسلمين حين فتحها . لكن الصحيح ما حكاه البخاري[٢] عن مسدَّد أنه توفي سنة سبع[٣] وخمسين . وقال ابن عبد البرّ[٤] : توفي سنة ستين ، وقال غيره : سنة إحدى وستين ، فالله أعلم .

ويُروى عنه أنه رأى في نومه كأنَّ القيامة قد قامت ، وكان هناك مكانٌ مَنْ وصل إليه نجا ، فجعل يحاول الوصول إليه ، فقيل له : أتريد أن تصل إليه وعندك ما عندك من الدنيا ؟! فاستيقظ فعَمِدَ إلى عَيْبَة[٥] عنده فيها ذهب كثير [مما حصل له من الغنائم من نصيبه حلالاً][٦] فلم يصبح عليه الصباح إلّا وقد فرّقها في المساكين والمحاويج والأقارب ، رضي الله عنه .

وفيها توفي :

عِمرانُ بن حُصَين[٧] : ابن عبيد بن خلف ، أبو نُجيد الخُزاعي .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٣) تاريخ ابن معين (٣٣٣) طبقات خليفة (٣٧ ، ٧٦) تاريخ خليفة (١٤٦) مسند أحمد (٤/ ٨٥ و٥/ ٥٤ ، ٢٧٢) المعارف (٢٩٧) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٥٦) الجرح والتعديل (٥/ ١٤٩) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢١) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٧٨) الاستيعاب (٣/ ٩٩٦) إكمال ابن ماكولا (٧/ ٢٦٤) أسد الغابة (٣/ ٣٩٨) تهذيب الكمال (ورقة ٧٤٦) تاريخ الإسلام (٢/ ١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٣) الكاشف (٢/ ١١٩) تهذيب التهذيب (٦/ ٤٢) الإصابة (٦/ ٢٢٣) خلاصة الخزرجي (٢١٥) شذرات الذهب (١/ ٢٧١) .

(٢) تاريخه الكبير (٥/ الترجمة ٣٦) ، وتهذيب الكمال (١٦/ ١٧٥) .

(٣) في المطبوع من التاريخ الكبير : سنة تسع وخمسين .

(٤) الاستيعاب (٣/ ٩٩٦) .

(٥) « العيبة » : وعاء من أدم يكون فيها المتاع .

(٦) من (أ) فقط .

(٧) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٧) تاريخ ابن معين (٢/ ٤٣٦) طبقات خليفة (١٠٦ ، ١٨٧) تاريخ خليفة (٢١٨) مسند أحمد (٤/ ٤٢٦) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٤٠٨) ثقات العجلي (٣٧٣) المعارف (٣٠٩) أخبار القضاة (١/ ٢٩١) الجرح والتعديل (٦/ ٢٩٦) مشاهير علماء الأمصار (ت٢١٨) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٧٠) الاستيعاب (٣/ ١٢٠٨) =

أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر ، وشهد غزوات ، وكان من سادات الصحابة . استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة ، فحكم بها مدَّة ، ثم استعفاه فأعفاه ، ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة .

قال الحسن وابن سِيرين : ما قدم البصرة راكب خير منه .

وقد كانت الملائكة تسلِّم عليه ، فلمّا اكتوى انقطع عنه سلامُهم ، ثم عادوا فسلَّموا عليه قبل موته بقليل ، رضي الله عنه وعن أبيه أيضاً .

كعبُ بنُ عُجْرَة الأنصاري[(١)] : أبو محمد المدني ، صحابي جليل ، وهو الذي نزلت فيه آية الفِدْيَة[(٢)] في الحج .

مات في هذه السنة ، وقيل : في التي قبلَها بسنة ، عن خمس ـ أو سبع ـ وسبعين سنة .

معاوية بن حُدَيج[(٣)(٤)] : ابن جَفْنة بن قُتَيرة الكِنْدي الخولاني المصري .

صحابي على قول الأكثرين ، وذكره ابن حبّان في التابعين من الثقات[(٥)] ، والصحيح الأول .

= أسد الغابة (٤/ ٢٨١) تهذيب الكمال : ورقة ١٠٥٧ ، طبقات علماء الحديث (١/ ٨٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٨) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٠٦) العبر (١/ ٥٧) الكاشف (٢/ ٢٩٩) مجمع الزوائد (٩/ ٣٨١) تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٥) الإصابة (٧/ ١٥٥) النجوم الزاهرة (١/ ١٤٣) طبقات الحفاظ (٨) خلاصة الخزرجي (٢٩٥) شذرات الذهب (١/ ٢٤٩) .

(١) طبقات خليفة (ت٩٣٨) مسند أحمد (٤/ ٢٤١) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٢٢٠) المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٩) الجرح والتعديل (٧/ ١٦٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٨) جمهرة أنساب العرب (٤٤٢) الاستيعاب (٣/ ١٣٢١) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٢٩) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٧٧/ ب) أسد الغابة (٤/ ٤٨١) تهذيب الأسماء واللغات (القسم الأول من الجزء الثاني ٦٨) مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ١٧٦) تهذيب الكمال (ورقة ١١٤٧) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢) العبر (١/ ٥٧) الكاشف (٣/ ٧) تذهيب التهذيب (٣/ ١٧٠/ آ) مرآة الجنان (١/ ١٢٥) تهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٥) الإصابة (ت ٧٤٢١) خلاصة الخزرجي (٣٢١) شذرات الذهب (١/ ٢٤٩) .

(٢) هي قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة : ١٩٦] والحديث رواه البخاري رقم (١٨١٦) ومسلم (١٢٠١) (٨٥) .

(٣) تحرف في الأصول إلى : خديج .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٥٠٣) طبقات خليفة (ت٤٧٧ و٢٧٢٣) مسند أحمد (٦/ ٤٠١) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٢٨) المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٢٨) الجرح والتعديل (٨/ ٣٧٧) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٨٤) جمهرة أنساب العرب (٤٢٩) الاستيعاب (٣/ ١٤١٣) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٢٧/ ب) أسد الغابة (٥/ ٢٠٦) تهذيب الأسماء واللغات (القسم الأول من الجزء الثاني ١٠١) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٩٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٤٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١٧) العبر (١/ ٥٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٧) الكاشف (٣/ ١٣٨) تذهيب التهذيب (٤/ ٤٩/ ب) الإصابة (ت٨٠٦٤) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٣) النجوم الزاهرة (١/ ١٥١) حسن المحاضرة (١/ ٢٣٧) خلاصة الخزرجي (٣٨١) شذرات الذهب (١/ ٢٥٠) .

(٥) ثقات ابن حبان (٥/ ٤١٥) .

شهد فتح مصر ، وهو الذي وفد إلى عمر بفتح الإسكندريَّة ، وشهد مع ابن أبي سَرْح قتال البربر فذهبت عينُه يومئذ ، وتولَّى حروباً كثيرة في بلاد المغرب .

وكان عثمانيًّا في أيام علي ببلاد مصر ، ولم يبايع عليّاً بالكليَّة ، فلما أخذ معاوية بن أبي سفيان مصر أكرمه واستنابه بها بعد عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد تولّاها عبد الله بن عمرو نائباً بها بعد أبيه سنتين ، ثم عزله معاوية وولَّى عليها معاوية بن حُدَيج هذا ، فلم يزل بمصر حتى مات بها في هذه السنة .

هانئ بن نِيَار[(١)] : أبو بُرْدة البَلَوي [وهو خال البَرَاء بن عازب][(٢)] .

وهو الذي خصَّه رسول الله ﷺ بذبح العَنَاق[(٣)] ، وأخبره أنها تَجزِيهِ عن غيرها من الأضاحي [ولن تَجزيَ عن أحدٍ بعدَه][(٤)] .

وقد شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلَّها ، وكانت راية بني حارثة معه يوم الفتح ، رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

فيها غزا عبد الرحمن بن أمِّ الحكم الثقفيّ بلاد الروم وشتا بها .

وفيها افتتح المسلمون وعليهم جُنادة بن أبي أميَّة جزيرة رُودُس ، فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا شديدين على الكفار ، يعترضون لهم في البحر ويقطعون سبيلهم ، وكان معاوية يدرُّ عليه الأرزاق والأُعطيات الجزيلة ، وكانوا على حذر شديد من الفِرَنج ، يبيتون في حِصْن عظيم لهم عنده فيه ذراريهم[(٥)] ودوابُّهم وحواصلهم ، ولهم نواطير على البحر يُنذرونهم إنْ قدم عدو أوكادهم أحد ، ومازالوا كذلك حتى مات معاوية وولي ابنُه يزيد ، فحوَّلهم من تلك الجزيرة ، وقد كانت للمسلمين بها أموال كثيرة وزروعات غزيرة .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٥١) تاريخ ابن معين (٦٩٤) طبقات خليفة (٨٠) تاريخ خليفة (٢٠٥) مسند أحمد (٣/ ٤٦٦ و٤/ ٤٤) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٢٧٧) المعارف (٣٢٦) الجرح والتعديل (٩/ ٩٩) مشاهير علماء الأمصار (ت١١٨) الاستيعاب (٤/ ١٦٠٨) أسد الغابة (٥/ ٣٨٢ و٦/ ٣٠) تهذيب الكمال (ورقة ١٥٨٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥) الكاشف (٣/ ٢٧٣) تهذيب التهذيب (١٢/ ١٩) الإصابة (١١/ ٣٤) خلاصة الخزرجي (٤٤٣) .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ط .

(٣) « العناق » : هي الأنثى من المعز إذا قويت ما لم تستكمل سنة .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من ط و ب . والحديث أخرجه البخاري رقم (٥٥٥٧) في أول الأضاحي ، ومسلم (١٩٦١) (٩) في الأضاحي : باب في وقتها ، من حديث البراء بن عازب .

(٥) في ط : حوائجهم .

وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص والي المدينة . قاله أبو مَعْشر والواقدي .

وفي هذه السنة توفي جبلة بن الأيهم الغسّاني كما ستأتي ترجمته في آخر هذه التراجم .

وفيها توفي :

الرَّبيع بن زياد الحارثي(١) : مختلَف في صحبته .

وكان نائب زياد على خراسان .

وكان قد ذكر حُجر بن عديّ ، فتأسَّف عليه وقال : والله لو ثارت العرب له لما قُتل صبراً ، ولكن أقرت العرب فذلت . ثم لما كان يوم الجمعة دعا الله على المنبر أن يَقبضه إليه ، فما عاش إلى الجمعة الأخرى . واستخلف على عمله ابنه عبد الله بن الربيع ، فأقرّه زياد على ذلك ، فمات بعد ذلك بشهرين ، واستخلف على عمله خُليد بن عبد الله الحنفي ، فأقرّه زياد .

ورُوَيفع بن ثابت(٢) : صحابيٌّ جليل ، شهد فتح مصر ، وله آثار جيِّدة في فتح بلاد المغرب ، ومات بِبَرْقة والياً عليها من جهة مَسْلمة بن مخلَّد نائب مصر .

وفيها توفي :

زياد بن أبي سفيان(٣) : ويقال له : زياد بن أَبيه ، وزياد بن سُميَّة ـ وهي أمُّه ـ توفي في رمضان من هذه

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ١٥٩) تاريخ البخاري الكبير (٣/ت٩٧٩) ثقات ابن حبان (١/ورقة ١٣٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٩٨٤) الاستيعاب (٢/ ٤٩٢) أسد الغابة (٢/ ٢٠٦) تهذيب الكمال (٩/ ٨٠) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢١٩) الكاشف (١/ ٢٣٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٧٧) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٥) العقد الثمين (٤/ ٣٨٩) نهاية السول (ورقة ٩٥) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٤) الإصابة (١/ ٥٠٥) خلاصة الخزرجي (١١٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٥٤) طبقات خليفة (ت٧٢٤) تاريخ خليفة (٢٠٨) مسند أحمد (٤/ ١٠٧) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣٣٨) الجرح والتعديل (٣/ ٥٢٠) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٣٣) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٨٩) معجم الطبراني الكبير (٥/ ت٤٣٤) الاستيعاب (٢/ ٥٠٤) أسد الغابة (٢/ ٢٣٩) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩٢) تهذيب الكمال (٩/ ٢٥٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٣ ، ٢٧٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦) الكاشف (١/ ٢٤٤) تذهيب التهذيب (١/ ٢٢٩/ ب) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٨٧) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٩) نهاية السول (ورقة ٩٩) الإصابة (ت٢٦٩٩) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٩) حسن المحاضرة (١/ ١٩٩) خلاصة الخزرجي (١٢٠) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٩٩) طبقات خليفة (ت١٥١٦) المحبر (١٨٤ ، ٣٠٣ ، ٤٧٩) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣٥٧) التاريخ الصغير (١/ ١١٥) المعارف (٣٤٦) تاريخ الطبري (٥/ ١٧٦) وغيرها ، الجرح والتعديل (٣/ ٥٣٩) العقد الفريد (٤/ ١١٠ وغيرها) الاستيعاب (٢/ ٥٢٣) تاريخ ابن عساكر (٦/ ٢٤٢/ أ) وفيات الأعيان (٦/ ٣٥٦) أسد الغابة (٢/ ٢٧١) الكامل لابن الأثير (٣/ ٤٩٣ وغيرها) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ١٩٨) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٧٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٤) العبر (١/ ٥٨) فوات الوفيات (٢/ ٣١) الوافي بالوفيات (١٥/ ١٠) مرآة الجنان (١/ ١٢٦) الإصابة (١/ ٥٨٠) شذرات الذهب (١/ ٢٥٢) خزانة الأدب (٢/ ٥١٧) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٠٩) .

السنة مطعوناً [لم يُمهله الله بعد حُجر بن عديٍّ إلا نحو سنة وثلثي سنة ، فالتقى هو وعبد الله][(١)] .

وكان سبب هلاكه بالطاعون أنه كتب إلى معاوية يقول له : إني قد ضبطتُ لك العراق بشمالي ، ويميني فارغةٌ فارْغَ لي ذلك ، وهو يعرّض له أن يستنيبه على بلاد الحجاز أيضاً ، فلمّا بلغ أهل الحجاز ذلك جاؤوا إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب فشكَوا إليه ذلك ، وخافوا أن يليَ عليهم زياد فيَعْسِفهم كما عسَفَ أهل العراق ، فقام ابن عمر فاستقبل القِبلة ـ ودعا على زياد والناس يؤمِّنون ، فطُعن زياد بالعراق في يده ، فضاق ذرعاً بذلك ، واستشار شُريحاً القاضي في قطع يده ، فقال له شُريح : إني لا أرى أن تفعل بنفسك ذلك ، فإنه إن لم يكن في الأجل فسحة لقيتَ الله أجذم قد قُطعت يدك جزعاً من لقاء الله ، وإن كان لك أجل بقيتَ في الناس أجذم فتعيَّر بذلك أنت وولدك . فصرفه عن ذلك ، فلما خرج شُريح من عنده عاتبه بعض الناس وقالوا : هلاّ تركته يقطع يده ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : « المُسْتَشارُ مُؤْتَمَن »[(٢)] .

ويقال : إن زياداً جعل يقول : أأنام أنا والطاعون في فراش واحد ؟ فعزم على قطع يده ، فلما جيء بالمكاوي والحديد خاف من ذلك فترك ذلك .

ويذكر أنه جمع مئة وخمسين طبيباً عنده ليداووه مما يجد من الحرِّ في باطنه ، منهم ثلاثة ممّن كان يَطِبُّ كسرى بن هُرْمز ، فعجزوا هم وهو عن رد القدر المحتوم والأمر المحموم ، فمات في ثالث شهر رمضان في هذه السنة ، وقد أقام في إمرة العراق خمس سنين ، ودفن بالثَّويَّة[(٣)] خارج الكوفة ، وقد كان برز منها قاصداً إلى الحجاز والياً عليها [مضافاً إلى ما بيده من العراق وخراسان وغير ذلك][(٤)] ، فلما بلغ خبر موته عبد الله بن عمر قال : اذهب إليك يا بن سُميَّة ، فلا الدنيا بقيتْ لك ، ولا الآخرة أدركت .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثني أبي ، عن هشام بن محمد ، حدّثني يحيى بن ثعلبة أبو المقوَّم[(٥)] الأنصاري ، عن أمه عائشة ، عن أمها[(٦)] ، عن عبد الرحمن بن السائب الأنصاري قال : جمع زياد أهل

---

(١) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٢٨) في الأدب : باب في المشورة ، والترمذي (٢٣٦٩) في الزهد : باب ماجاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ و(٢٨٢٢) في الأدب : باب المستشار مؤتمن ، وابن ماجه (٣٧٤٥) في الأدب : باب المستشار مؤتمن ، كلهم من طريق شيبان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤتمن» . وأخرجه أحمد (٥/ ٢٧٤) وابن ماجه (٣٧٤٦) والدارمي (٢/ ٢١٩) كلهم من طريق الأعمش ، عن أبي عمرو الشيباني ، عن أبي مسعود الأنصاري ، عن النبي ﷺ ، وهو حديث صحيح .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : الثوبة وفي (أ) إلى : السوية .

(٤) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٥) تحرف في الأصول إلى : المقدم . وضبطها في مشتبه النسبة (٢/ ٦١٠) .

(٦) في ط : عن أبيها .

الكوفة فملأ منهم المسجد والرحبة والقصر ليعرض عليه البراءة من علي بن أبي طالب . قال عبد الرحمن : فإني لمع نفر من أصحابي من الأنصار والناسُ في أمر عظيم من ذلك وفي حصر ، قال : فهوَّمْتُ تَهْويمة ـ أي : نَعَسْتُ نَعْسَة ـ فرأيت شيئاً أقبل طويلَ العنق ، له عنق مثل عنق البعير ، أهدب أهدل ، فقلت : ما أنت ؟ فقال : أنا النقَّاد ذو الرقبة ، بُعثت إلى صاحب هذا القصر ، قال : فاستيقظتُ فزعاً ، فقلت لأصحابي : هل رأيتم ما رأيت ؟ قالوا : لا ، فأخبرتهم [فما هو إلا أن أخبرتهم][1] خرج علينا خارج من القصر فقال : إن الأمير يقول لكم : انصرفوا عنِّي فإني عنكم مشغول ، وإذا الطاعون قد أصابه[2] .

وروى ابن أبي الدنيا : أن زياداً لما ولي الكوفة سأل عن أعبَد أهلها ، فدُلَّ على رجل يقال له : أبو المغيرة الحميَري ، فجيء به ، فقال له : الزم بيتك ولا تخرج منه وأنا أعطيك من المال ما شئت ، فقال : لو أعطيتني ملك الأرض ما تركت خروجي لصلاة الجماعة . فقال : الزم الجماعة ولا تتكلم بشيء ، فقال : لا أستطيع ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فأمر به فضُربت عنقُه . [ولما احتُضر قال له ابنه : يا أبة قد هيَّأت لك ستين ثوباً أكفنكَ فيها ، فقال : يا بنيَّ قد دنا من أبيك أمرٌ إما لباس خير من لباسه ، وإما سلب سريع][3] .

وهذا غريب جداً .

صَعْصَعة بنُ ناجِيَة[4] : ابن عِقال[5] بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم .

كان سيِّداً في قومه في الجاهلية وفي الإسلام . يقال : إنه أحيا في الجاهلية ثلاثمئة وستين مَوْؤودة ، وقيل : أربعمئة ، وقيل : ستّاً وتسعين مَوْؤودة ، فلمّا أسلم قال له رسول الله ﷺ « لكَ أجرُ ذلكَ إذ مَنَّ اللهُ عليكَ بالإسلام »[6] .

ويروى عنه : أنه أولَ ما أحيا الموؤودة أنه ذهب في طلب ناقتين شردتا له ، قال : فبينا أنا في الليل

---

(١) سقط من ط و ب .

(٢) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٨٨ ـ ٨٩) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب . مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٩٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٨) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ت٢٩٧٨) الجرح والتعديل (٤/ ٤٤٥) ثقات ابن حبان (٣/ ١٩٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٣٩) معجم الطبراني الكبير (٨/ ٧٦) الاستيعاب (٢/ ٧١٨)أنساب السمعاني (١١/ ١٣٤) أسد الغابة (٣/ ٢٢) تهذيب الكمال (١٣/ ١٧٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٧٩٦) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ٩٣) نهاية السول (ورقة ١٤٧) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٣) الإصابة (٢/ ت٤٠٦٨) خلاصة الخزرجي (١٧٤) .

(٥) تحرف في ط إلى : عفان .

(٦) رواه الطبراني في الكبير (٧٤١٢) وإسناده ضعيف .

أسيرُ إذ أنا بنار تضيء تارة وتخبو أخرى ، فجعلت لا أهتدي إليها ، فقلت : اللهم لك عليَّ إن أوصلتني إليها أن أدفع عن أهلها ضيماً إن وجدته بهم ، قال : فوصلتُ إليها وإذا شيخ كبير يوقد ناراً وعنده نسوة مجتمعات ، فقلت : ما أنتن ؟ فقلن : إنَّ هذه امرأة قد حبستنا منذ ثلاث ، تُطْلَق ولم تخلُص ، فقال لي الشيخ صاحب المنزل : وماخبرك ؟ فقلت : إني في طلب ناقتين ندَّتا لي ، فقال : قد وجدتهما ، إنهما في إبلنا ، قال : فنزلتُ عنده ، قال : فما هو إلّا أن نزلت إذ قلن : وضعتْ ، فقال الشيخ : إن كان ذكراً فارتحلوا ، وإن كانت أنثى فلا تُسْمعنني صوتها ، فقلت له : علامَ تقتلُ ولدك ورِزقُه على الله ؟ فقال : لا حاجة لي بها ، فقلت : أنا أَفتديها منك وأتركها عندك حتى تَبِين[1] عنك أو تموت ، قال : بكم ؟ قلت : بإحدى ناقتَيّ ، قال : لا ، قلت : فبهما ، قال : لا إلَّا أن تزيدني بعيرك هذا ، فإني أراه شابًّا حسن اللون ، قلت : على أن تردَّني إلى أهلي ، قال : نعم ، فلما خرجتُ من عندهم رأيت أن الذي صنعتُه نعمة من الله منَّ بها عليَّ وهداني إليها ، فجعلتُ لله عليَّ ألَّا أجد مَوْؤودة إلَّا افتديتها كما افتديت هذه . قال : فما جاء الإسلام حتى أحييتُ مئة موؤودة إلّا أربعاً ، ونزل القرآن بتحريم ذلك على الناس .

وممن توفي في هذه السنة من المشاهير المذكورين :

جَبَلَة بنُ الأَيْهَم الغسَّاني[2] : ملك نصارى العرب .

وهو : جبلَة بن الأَيهم بن جبلَة بن الحارث بن أبي شَمِر ، واسمُه المنذر بن الحارث ، وهو ابن مارية ذات القُرْطَيْن ، وهو ابن ثعلَبة بن عمرو بن جَفْنة ، واسمه كعب بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس ، ومارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جَفْنة ، ويقال غير ذلك في نسبه . وكنيةُ جبلة أبو المنذر الغسَّاني الجَفْني .

وكان ملك غسّان ، وهم نصارى العرب أيام هِرَقل ، وغسّان أولاد عم الأنصار أَوسِها وخَزْرجها .

وكان جبلة آخر ملوك غسّان ، فكتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً مع شُجاع بن وهب يدعوه إلى الإسلام ، فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ[3] .

قال ابن عساكر : قيل : إنه لم يسلم قطّ . وقد صرح به الواقدي[4] وسعيد بن عبد العزيز .

---

(١) « تبين » : تتزوج .

(٢) المحبر (٧٦ ، ٣٧٢) المعارف (٦٤٤) الاشتقاق (٤٣٦) العقد الفريد (٢/ ٥٦) الأغاني (١٥/ ١٥٧) جمهرة أنساب العرب (٣٧٢) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٦٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٤) خزانة الأدب (٢/ ٢٤١) .

(٣) اختلف المؤرخون فيمن أُرسل إليه شجاع بن وهب : أهو الحارث بن أبي شمر الغساني أم جبلة بن الأيهم ؟. والخبر في إعلام السائلين ص١٠٨ .

(٤) في ط : الواحدي ، محرف .

وقال الواقدي : شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب ، ثم أسلم بعد ذلك في أيام عمر ، فاتفق أنه وَطِئ رداء رجل من مُزينة بدمشق[١] ، فلطمه ذلك المُزَني ، فرفعه أصحاب جبلة إلى أبي عبيدة فقالوا : هذا لطم جبلة ، قال أبو عبيدة : فيلطمه جبلَة ، فقالوا : أو ما يُقتل ؟ قال : لا ، قالوا : فما تقطع يده ؟ قال : لا ، إنما أمر الله بالقَوَد ، فقال جبلَة : أترون أني جاعل وجهي بدلًا لوجه مُزَني جاء من ناحية المدينة ؟ بئس الدين هذا ، ثم ارتدَّ نصرانيًّا ، وترحَّل بأهله حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر ، فشقَّ عليه وقال لحسان : إن صديقك جبلَة ارتدَّ عن الإسلام ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : ولم ؟ قال : لطمه رجل من مُزَينة ، فقال : وحقَّ له ، فقام إليه عمر بالدِّرَّة فضربه بها .

رواه الواقدي عن مَعْمر وغيره ، عن الزُّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، وساق ذلك بأسانيده إلى جماعة من الصحابة . وهذا القول هو أشهر الأقوال .

وقد روى ابن الكلبي وغيرُه : أن عمر لما بلغه إسلام جبلَة فرح بإسلامه ، ثم بعث يستدعيه ليراه بالمدينة ، وقيل : بل استأذنه جبلَة في القدوم عليه فأذن له ، فركب في خلق كثير من قومه ـ قيل : مئة وخمسين راكباً ، وقيل : خمسمئة ـ وتلقته هدايا عمر ونزلُه قبل أن يصل إلى المدينة بمراحل ، وكان يومُ دخوله إلى المدينة يوماً مشهوداً ، دخلها وقد ألبس خيولَه قلائد الذهب والفضة ، ولبس هو تاجاً على رأسه مرصَّعاً باللآلئ والجواهر ، وفيه قُرْطا مارية جدَّته ، وخرج أهل المدينة رجالهم ونساؤهم ينظرون إليه ، فلمّا سلَّم على عمر رحَّب به عمر وأدنى مجلسَه ، وشهد الحج مع عمر في هذه السنة ، فبينما هو يطوف بالكعبة إذ وَطِئ إزاره رجلٌ من بني فَزَارة ، فانحلّ ، فرفع جبلة يده فهشم أنف ذلك الرجل الذي وَطئ إزاره ـ ومن الناس من يقول : إنه قلع عينه ـ فاستعداه الفَزَاري إلى عمر ومعه خلق كثير من بني فَزَارة ، فاستحضره عمر ، فاعترف جبلة ، فقال له عمر : أَقِدْه ، فقال جبلة : كيف وأنا ملك وهو سُوقَة ؟ فقال : إنَّ الإسلام جمعك وإياه فلستَ تفضلُه إلّا بالتقوى ، فقال جبلَة : قد كنت أظن أن أكون في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية ، فقال عمر : دع ذا عنك ، فإنك إن لم تُرضِ الرجل أَقَدْته منك ، فقال : إذاً أتنصَّر ، فقال : إن تنصَّرتَ ضربتُ عنقك ، فلمّا رأى الجدَّ قال : أمهلني لأنظر في أمري هذه الليلة ، فانصرف من عند عمر ، فلما ادلهمَّ الليل ركب في قومه ومَنْ أطاعه فسار إلى الشام ، ثم دخل بلاد الروم ، ودخل على هِرَقل في مدينة القُسْطنطينية ، فرحَّب به هِرَقل ، وأكرمه ، وأقطعه بلاداً كثيرة ، وأجرى عليه أرزاقاً جزيلة ، وأهدى إليه هدايا جميلة ، وجعله من سُمّاره ، فمكث عنده دهراً . ثم إنَّ عمر كتب كتاباً إلى هِرَقل مع رجل يقال له : جَثّامة بن مساحق[٢] الكناني ، فلما بلغ هِرَقل كتابُ عمر بن الخطاب قال له

(١) ليست هذه اللفظة في أ .
(٢) كذا في ط ومثله في الأغاني . ووقع في أ ، ب : مساحي .

هِرَقل : هل لقيتَ ابن عمِّك جبلَة ؟ قال : لا ، قال : فالقَهُ ، فذكر اجتماعه به ، وماهو فيه من النّعمة والسُّرور والحُبور الدُّنيوي في لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواريه ، حواليه الحِسَان من الخدم والقِيَان ، ومطعمه وشرابه وسروره وداره التي تعوَّض بها عن دار السلام[١] ، وذكر أنه دعاه إلى الإسلام والعَوْد إلى الشام ، فقال له جبلَة : أبعدَ ما كان مني من الارتداد ؟ فقال : نعم ، إنَّ الأشعث بن قيس ارتدَّ وقاتلهم بالسيوف ، ثم لما رجع إلى الحقِّ قبلوه منه وزوَّجه الصدِّيق بأخته أم فروة ، قال : فالتهى عنه بالطعام والشراب ، وعرض عليه الخمر فأبى عليه ، وشرب جبلة من الخمر شيئاً حتى سكر ، ثم أمر جواريه القِيَان فغنَّيْنَه بالعيدان من قول حسّان يمدح بني عمِّه من غسان ، والشعر في والد جبلَة هذا الحيوان :

لله دَرُّ عِصَابَةٍ نادَمْتُهُمْ ... يوماً بجلّقَ في الزَّمانِ الأوَّلِ
أولادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قبرِ أَبيهم ... قبرِ ابنِ ماريَةَ الكريم المُفْضِلِ
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَريصَ عَلَيهمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ
بيضُ الوُجوهِ كريمةٌ أَحسَابُهُمْ ... شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأوَّلِ
يُغْشَوْنَ حتَّى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ ... لا يَسْأَلونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ[٢]

قال : فأعجبه قولُهنَّ ذلك ، ثم قال : هذا شعر حسان بن ثابت الأنصاري فينا وفي ملكنا ، ثم قال لي : كيف حال حسان ؟ قلت له : تركته ضريراً شيخاً كبيراً . ثم قال لهن : أَطْرِبْنني ، فاندفعن يغنِّين لحسان أيضاً :

لِمَنِ الدّارُ أَقفَرتْ بمَعَانِ ... بينَ أعلى اليَرْموكِ فالصَّمَّانِ
فالقُرَيَّاتِ مِنْ بَلاسَ فداريَّـ ... ـا فسَكّاءَ فالقصورِ الدَّواني
فحِمىٰ جاسمٍ إلى مرجِ ذي الصُّـ ... ـفْرِ مَغْنىٰ قبائلٍ وهِجانِ
تلكَ دارُ العزيزِ بعدَ أَنيسٍ ... وملوكٍ عظيمةِ الأَرْكانِ
صلواتُ المسيحِ في ذلكَ الدَّيْـ ... ـرِ دعاء القسِّيسِ والرُّهْبانِ
ذاكَ مَغْنىٰ لآلِ جَفْنَةَ في الدَّهْـ ... ـرِ وحقٌّ تعاقُبُ الأزمانِ
قد أراني هناكَ حقَّ مَكينٍ ... عند ذي التّاجِ مَجْلسي ومَكاني
ثكلتْ أُمُّهُمْ وقَدْ ثكلتْهُمْ ... يومَ حلُّوا بحارثِ الجَوْلانِ
ودَنا الفصحُ فالوَلائِدُ يَنْظِمْـ ... ـنَ سِراعاً أَكلَّةَ المَرْجَانِ[٣]

---

(١) في ط : دار الإسلام .

(٢) الأبيات في ديوان حسان (ص٣٦٤ ـ ٣٦٦) مع اختلاف في بعض الألفاظ . أيضاً في العقد الفريد (٢/ ٥٩ ـ ٦٠) والأغاني (١٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨) ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٧٢) .

(٣) الأبيات ـ عدا الخامس منها ـ في ديوان حسان (ص٤٧٤ ـ ٤٧٥) . وأيضاً في : العقد الفريد (٢/ ٦٠) والأغاني (١٥/ ١٦٦) ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) .

ثم قال : هذا لابن الفُريعة حسان بن ثابت فينا وفي ملكنا وفي منازلنا بأكناف غوطة دمشق ، قال : ثم سكت طويلاً ثم قال لهن : بكينني ، فوضعن عيدانهنَّ ونكَّسن رؤوسهنَّ وقلن :

تَنَصَّرتِ الأشرافُ من عارِ لَطْمةٍ ... وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضَرَرْ
تكنَّفَني فيها لجاجٌ ونَخْوَةٌ ... وبعتُ بها العينَ الصَّحيحةَ بالعَوَرْ
فيا ليتَ أُمي لم تَلِدْني ولَيْتَني ... رجعتُ إلى القولِ الذي قالهُ عُمَرْ
ويا ليتَني أَرعى المخاضَ بقفْرَةٍ ... وكنتُ أسيراً في ربيعةَ أو مُضَرْ
ويا ليتَ لي بالشّامِ أدنى مَعيشةٍ ... أُجالسُ قومي ذاهبَ السَّمعِ والبَصَرْ
أَدِينُ بما دانُوا به مِنْ شريعةٍ ... وقد يَصْبِرُ العَوْدُ الكبيرُ على الدَّبَرْ(١)

قال : فوضع يده على وجهه فبكى حتى بلَّ لحيته بدموعه ، وبكيت معه ، ثم استدعى بخمسئة دينار هِرَقلية فقال : خذ هذه فأوصلها إلى حسان بن ثابت ، وجاء بأخرى مثلها فقال : خذ هذه لك ، فقلت : لا حاجةَ لي فيها ولا أقبل منك شيئاً وقد ارتددتَ عن الإسلام ـ فيقال : إنه أضافها إلى التي لحسان فبعث بألف دينار هِرَقلية ـ ثم قال له : أبلغ عمر بن الخطاب مني السلام وسائر المسلمين . فلمّا قدمت على عمر أخبرته خبره ، فقال : ورأيتَه يشرب الخمر ؟ قلت : نعم ، قال : أبعده الله ، تعجَّل فانيةً بباقية فما ربحت تجارتُه . ثم قال : وماالذي وجَّه به لحسان ؟ قلت : خمسمئة دينار هِرَقلية ، فدعا حساناً فدفعها إليه ، فأخذها وولَّى وهو يقول :

إنَّ ابنَ جَفْنَةَ من بقيَّةِ معشرٍ ... لم يَغْذُهُمْ آباؤُهُمْ باللُّومِ
لم يَنْسَني بالشَّام إذ هو ربُّها ... كلَّا ولا مُتَنَصِّراً بالرُّومِ
يُعطي الجزيلَ ولا يراهُ عندَهُ ... إلّا كبعضِ عطيَّةِ المَذْمومِ(٢)
وأَتَيْتُهُ يوماً فقرَّبَ مجلسي ... وسَقىٰ فروّاني من الخُرْطُومِ(٣)

ثم لما كان في هذه السنة من أيام معاوية بعث معاوية عبد الله بن مَسْعدة الفَزَاري رسولاً إلى ملك

(١) الأبيات لجبلة بن الأيهم كما نص عليه صاحب الأغاني (١٥/ ١٧٠) وأيضاً في العقد الفريد (٢/ ٦١) ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٧٣) .
وقوله : وقد يصبر العود الكبير على الدبر « العود » : المسن من الإبل . « والدبر » : قرحة الدابة .
(٢) في أصول كتابنا المحروم بدل المذموم . والمثبت من الديوان وغيره من مصادر التخريج .
(٣) « الخرطوم » : الخمر السريعة الإسكار . وقيل : هو أول مايجري من العنب قبل أن يداس .
والأبيات في ديوان حسان (ص٤٤٧ ـ ٤٤٨) وأيضاً في العقد الفريد (٢/ ٦٢) والأغاني : (١٥/ ١٦٧) ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٧٤) .

الروم ، فاجتمع بجبلَة بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والحشم والذهب والخيول ، فقال له جبلَة : لو أعلم أن معاوية يُقْطِعُني أرض البَثَنِيَّة(١) فإنها منازلنا وعشرين قريةً من غوطة دمشق ، ويفرض لجماعتنا ، ويحسن جوائزنا لرجعت إلى الشام . فأخبر عبد الله بن مَسْعدة معاوية بقوله ، فقال معاوية : نعم أنا أعطيه ذلك ، وكتب إليه كتاباً مع البريد بذلك ، فما أدركه البريد إلّا وقد مات في هذه السنة ، قبَّحه الله .

ذكر أكثرَ هذه الأخبار الشيخ أبو الفرج بن الجَوْزي في « المنتظم » وأرَّخ وفاته في هذه السنة ـ أعني سنة ثلاث وخمسين .

وقد ترجمه ابن عساكر في « تاريخه » فأطال الترجمة وأفاد ، ثم قال في آخرها : بلغني أن جبلَة توفي في خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

فيها شتا محمد بن مالك بأرض الروم ، وغزا الصّائفة معن بن يزيد السُّلمي .

وفيها عزل معاويةُ سعيدَ بن العاص عن إمرة المدينة ، وردَّ إليها مروان بن الحكم ، وكتب إليه أن يهدم دار سعيد بن العاص ويصفّي أمواله التي بأرض الحجاز ، فجاء مروان بالفَعَلَة إلى دار سعيد ليهدمها ، فقال سعيد : ما كنتَ لتفعل ذلك ، فقال : إنَّ أمير المؤمنين كتب إليَّ بذلك ، ولو كتب إليك في داري لفعلتَه . فقام سعيد فأخرج إليه كتاب معاوية إليه حين ولّاه المدينة بأن يهدم دار مروان ويصفّي ماله ، وذكر أنه لم يزل يحاجف معاوية دونه حتى صرف ذلك عنه . فلمّا رأى مروان الكتاب إلى سعيد بذلك ثناه ذلك عن دار سعيد وعن أخذ أمواله ، ولم يزل يدافع عنه حتى تركه معاوية في داره وأقرَّ عليه أمواله .

وفيها عزل معاويةُ سَمُرةَ بن جُنْدب عن البصرة ، وكان زياد قد استخلفه عليها ، فأقرَّه معاوية ستة أشهر ثم عزله ، وولّى عليها عبد الله بن عمرو بن غَيْلان .

وروى ابن جرير وغيره عن سَمُرة أنه قال لمَّا عزله معاوية : لعن الله معاوية ، لو أطعتُ الله كما أطعتُ معاوية ما عذَّبني أبداً . وهذا لا يصح عنه .

وقدم في هذه السنة عبيد الله بن زياد على معاوية [دمشق من العراق](٢) فأكرمه وسأله عن نوّاب أبيه

(١) « البثنية » : قرية بين دمشق وأذرعات .
(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

على البلاد ، فأخبره عنهم . ثم ولّاه إمرة خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فسار إلى مقاطعته وتجهَّز من فوره غادياً إليها ، فقطع النهر إلى جبال بخارى [ففتح رامِيثَن[١] ونصف بِيْكَنْد ـ وهما من معاملة بخارى ـ][٢] والتقى الترك هناك ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وهزمهم هزيمة فظيعة بحيث إنَّ المسلمين أعجلوا امرأة الملك أن تلبَس خفَّيها ، فلبست واحدة وتركت الأخرى ، فأخذها المسلمون فقوَّموا جَوْرَبها[٣] بمئتي ألف درهم ، وغنموا مع ذلك غنائم كثيرة ، وأقام عبيد الله بن زياد بخراسان سنتين .

في هذه السنة حجَّ بالناس مروان بن الحكم نائب المدينة . وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، وقيل : بل كان عليها الضحّاك بن قيس . وكان على البصرة عبد الله بن غَيْلان .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

أسامة بن زيد بن حارثَة الكَلْبي[٤] : أبو محمد المدني ، مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه ، وحِبُّه وابن حِبِّه ، وأمُّه بَرَكَة أمُّ أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنتُه .

ولّاه رسول الله ﷺ الإمرة بعد مقتل أبيه ، فطَعن بعض الناس في إمرته ، فقال رسول الله ﷺ : « إن تَطعَنوا في إمارتِه فقد طَعَنْتم في إمرة أَبيهِ من قَبْله ، وايمُ اللهِ إنْ كان لخَليقاً بالإمارة وإن كان لمن أَحبِّ الناسِ إليَّ [وإنَّ هذا لمن أحبِّ الناسِ إليّ][٥] بعده »[٦] .

وثبت في « صحيح البخاري »[٧] عنه : « أن رسول الله ﷺ كان يُجلسُ الحسنَ بن عليٍّ على فخذه ويُجلسُ أسامة على فخذه الأُخرى ويقول : اللهمَّ إنِّي أُحِبُّهما فأَحِبَّهما » .

---

(١) كذا في ب ومثله في تاريخ الطبري . ووقعت في ط : رامس .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) في ط : جواهرها .
(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٦١) تاريخ ابن معين (٢٢) طبقات خليفة (٦ ، ٢٩٧) تاريخ خليفة (١٠٠ ، ٢٢٦) مسند أحمد (٥/ ١٩٩) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٠) ثقات العجلي (٥٩) المعارف (١٤٥ وغيرها) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٤) الجرح والتعديل (٢/ ٢٨٣) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٤) معجم الطبراني الكبير (١/ ١٢٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٩٦) الاستبصار (٣٤ ، ٨٧) الاستيعاب (١/ ٧٥) أنساب السمعاني (١٠/ ٤٥١) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٣٤١/أ) أسد الغابة (١/ ٧٩) مختصر تاريخ دمشق (٤/ ٢٤٨) تهذيب الكمال (٢/ ٣٣٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٠) العبر (١/ ٥٩) تذهيب التهذيب (١/ ٥٠) الكاشف (١/ ٥٧) مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٦) تهذيب التهذيب (١/ ٢٠٨) الإصابة (١/ ٥٤) خلاصة الخزرجي (٢٦) كنز العمال (١٣/ ٢٧٠) شذرات الذهب (١/ ٢٥٣) تهذيب ابن عساكر (٢/ ٣٩٤ ، ٤٠٢) .
(٥) سقط من ط .
(٦) أخرجه البخاري رقم (٣٧٣٠) ومسلم (٢٤٢٦) من حديث ابن عمر .
(٧) (٧/ ٧٠) وقد تقدم الحديث في ترجمة الحسن بن علي .

وفضائله كثيرة جدًّا .

توفي رسول الله ﷺ وعمره تسع عشرة سنة .

وكان عمر إذا لقيه يقول : السلام عليك أيُّها الأمير .

وصحح أبو عمر بن عبد البرّ[١] أنه توفي في هذه السنة ، وقال غيره : سنة ثمان ـ أو تسع ـ وخمسين ، وقيل : توفي بعد مقتل عثمان . فالله أعلم .

ثَوْبان بن بُجْدُد[٢] : مولى رسول الله ﷺ تقدمت ترجمته في مواليه ومن كان يخدمه عليه السلام .

أصله من العرب ، فأصابه سَبْي ، فاشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه ، فلزم رسولَ الله ﷺ سفراً وحضراً ، فلمّا مات أقام بالرَّملة ، ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها داراً ، ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة على الصحيح ، وقيل : سنة أربعين وهو غلط ، ويقال : إنه توفي بمصر ، والصحيح بحمص .

جُبير بن مُطْعم[٣] : تقدم أنه توفي سنة خمسين .

الحارثُ بنُ رِبْعي[٤] : أبو قَتَادة الأنصاري ، [وقال الواقدي : اسمه النعمان بن رِبْعي . وقال غيره : عَمرو بن رِبْعي . وهو أبو قَتادة الأنصاري][٥] السَّلمي المدني ، فارس الإسلام .

---

(١) الاستيعاب (١/ ٧٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٠) طبقات خليفة (ت١٥ و٢٧١٠) تاريخ خليفة (٢٢٣) مسند أحمد (٥/ ٢٧٥) المحبر (١٢٨) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١٨١) المعارف (١٤٧) المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٣٣ وغيرها) الجرح والتعديل (٢/ ٤٦٩) ثقات ابن حبان (٣/ ٤٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٢٤) معجم الطبراني الكبير (٢/ ٨٥) حلية الأولياء (١/ ١٨٠ ، ٣٥٠) الاستيعاب (١/ ٢١٨) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٦٨) تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٩٧/ ب) أسد الغابة (١/ ٢٩٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٠) مختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٤٦) تهذيب الكمال (٤/ ٤١٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٣) العبر (١/ ٥٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥) الكاشف (١/ ١١٩) تذهيب التهذيب (١/ ٩٨/ ب) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٤٨) تهذيب التهذيب (٢/ ٣١) الإصابة (ت٩٦٧) حسن المحاضرة (١/ ١٨٠) خلاصة الخزرجي (٥٨) شذرات الذهب (١/ ٢٥٣) تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣٨١) .

(٣) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٠ .

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ١٥) تاريخ ابن معين (٧٢٠) تاريخ خليفة (٩٩ ، ١٠٥ ، ٢٠١ ، ٢٢٣) مسند أحمد : (٤/ ٣٨٣ و٥/ ٢٩٥) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٥٨) الجرح والتعديل (٣/ ٧٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٩) معجم الطبراني الكبير (٣/ ٢٧٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٨٠) الاستبصار (١٤٦) الاستيعاب (٤/ ١٧٣١) تاريخ بغداد (١/ ١٥٩) الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٥٢٥) أنساب السمعاني (٧/ ١١٤) تاريخ ابن عساكر (باريس ٢١٨/ ٢) جامع الأصول (٩/ ٧٧) أسد الغابة (٦/ ٢٥٠) مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ١١٠) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٤٤) تاريخ الإسلام (٢/ ١٨٨) العبر (١/ ٦٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٩) الكاشف (٣/ ٣٢٥) الإصابة (١١/ ٣٠٢) خلاصة الخزرجي (٤٥٧) كنز العمال (١٣/ ٦١٧) شذرات الذهب (١/ ٢٥٥) .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .

شهد أُحداً وما بعدها ، وكان له يوم ذي قَرَد سعي مشكور كما قدمنا هناك . قال رسول الله ﷺ : « خيرُ فرسانِنا اليومَ أبو قَتَادة ، وخيرُ رَجَّالتِنا سلَمةُ بنُ الأكْوَع »[١] .

وزعم أبو أحمد الحاكم أنه شهد بدراً ، وليس بمعروف .

وقال أبو سعيد الخُدري : أخبرني من هو خير مني ـ أبو قَتَادة الأنصاري ـ أن رسول الله ﷺ قال لعمّار : « تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَة »[٢] .

قال الواقدي وغيره : توفي في هذه السنة ـ يعني سنة أربع وخمسين ـ بالمدينة عن سبعين سنة .

وزعم الهيثم بن عديٍّ وغيرُه : أنه توفي بالكوفة سنة ثمان وثلاثين ، وصلَّى عليه علي بن أبي طالب ، وهذا غريب .

حَكيم بنُ حِزَام[٣] : ابن خُويلد بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ بن كِلاب القرشيُّ الأسديّ ، أبو خالد المكي .

أمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العُزَّى ، وعمتُه خديجة بنت خُويلد زوجة رسول الله ﷺ وأمُّ أولاده سوى إبراهيم .

ولدت حَكيماً أمُّه في جوف الكعبة قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، وذلك أنها دخلت الكعبة تزور ، فضربها الطَّلق وهي في الكعبة ، فوضعته على نِطع .

وكان شديد المحبَّة لرسول الله ﷺ ، ولما كان بنو هاشم وبنو المطَّلب في الشِّعب لا يبايعون ولا يناكحون كان حكيم يُقبل بالعير تقدم من الشام فيشتريها بكمالها[٤] ، ثم يذهب بها فيضرب

---

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم (١٨٠٧) في الجهاد والسير : باب غزوة ذي قرد ، وأحمد في مسنده (٤/ ٥٢ ـ ٥٤) من حديث سلمة بن الأكوع .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩١٥) في الفتن وأشراط الساعة ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٠٦) .

(٣) نسب قريش (٢٣١) طبقات خليفة (ت٧٠) مسند أحمد (٣/ ٤٠١ و٤٣٤) المحبر (١٧٦ ، ٤٧٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١١) التاريخ الصغير (١٠٢ ، ١١٩ ، ١٢٠) جمهرة نسب قريش (١/ ٣٥٣) ثقات العجلي (١٢٨) المعارف (٣١١) الجرح والتعديل (٣/ ٢٠٢) ثقات ابن حبان (٣/ ٧٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٨٢) جمهرة أنساب العرب (١٢١ وغيرها) الاستيعاب (١/ ٣٦٢) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ١٠٥) أنساب السمعاني (١/ ٢٢٨) تاريخ ابن عساكر (٥/ ١٢٣/آ) أسد الغابة (٢/ ٤٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٦) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٣٣) تهذيب الكمال (٧/ ١٧٠) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٧) تذهيب التهذيب (١/ ١٦٩/ ب) العبر (١/ ٦٠) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤) الكاشف (١/ ١٨٥) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٣٧) إكمال مغلطاي (١/ ورقة ٢٨٣) مرآة الجنان (١/ ١٢٧) العقد الثمين (٤/ ٢٢١) نهاية السول (ورقة ٧٤) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٤٧) الإصابة (ت١٨٠٠) خلاصة الخزرجي (٩٠) شذرات الذهب (١/ ٢٥٤) تهذيب ابن عساكر (٤/ ٤١٦) .

(٤) في (أ) ، ب : مكانها .

أدبارها حتى تلج الشِّعب تحمل الطعام والكسوة تكرمةً لرسول الله ﷺ ولعمته خديجة .

وهو الذي اشترى زيد بن حارثة أولاً ، فابتاعته منه عمتُه خديجة ، فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقَه .

وهو الذي اشترى حُلَّة ذي يَزَن ، فأهداها لرسول الله ﷺ فلبسها ، قال : فما رأيت شيئاً أحسن منه فيها .

ومع هذا ما أسلم إلاّ يوم الفتح هو وأولاده كلهم .

قال البخاري[١] وغيره : عاش حَكيم في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام ستين سنة .

وكان من سادات قريش وكرمائهم وأعلمهم بالنَّسب ، وكان كثير الصدقة والبِرّ والعَتَاقة ، فلما أسلم سأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال له : « أسلمتَ على ما أَسْلَفْتَ[٢] مِنْ خَيْر »[٣] .

وقد كان حَكيم شهد مع المشركين بدراً ، وتقدَّم إلى الحوض فكاد حمزة أن يقتلَه ، فما سُحب إلا سَحباً من بين يديه ، فلهذا كان حَكيم إذا اجتهد في اليمين يقول : لا والذي نجّاني يوم بدر .

ولما نزل رسول الله ﷺ يوم الفتح بمَرِّ الظَّهران[٤] ومعه الجنود خرج أبو سفيان وحَكيم يتحسَّسان الأخبار ، فلقيهما العباس ، فأخذ أبا سفيان فأجاره وأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ ، وأسلم أبو سفيان ليلتئذ كُرْهاً ، ومن صبيحة ذلك اليوم أسلم حكيم .

وشهد مع رسول الله ﷺ حُنيناً ، وأعطاه رسول الله ﷺ مئةً من الإبل ، ثم سأله ، فأعطاه ، ثم سأله ، فأعطاه ثم قال له : « ياحَكيم إنَّ هذا المال حُلوةٌ خَضِرة ، وإنَّه مَنْ أخذهُ بسَخاوة نَفْسٍ بُورِكَ له فيه ، ومَنْ أخذَهُ بإشْراف نَفْس لم يُبارَك له فيه ، وكان كالذي يأكلُ ولا يَشْبع » . فقال حكيم : والذي بعثك بالحقِّ لا أَرْزَأُ[٥] بعدك أحداً شيئاً . فلم يَرْزَأْ أحداً بعده ، فكان أبو بكر يعرض عليه العطاء فيأبى ، وكذلك عمر فكان يعرض عليه العطاء فيأبى ، فيُشهد عليه المسلمين[٦] . ومع هذا كان من أغنى الناس ، مات الزبير يوم مات ولحكيم عليه مئة ألف .

---

(١) تاريخه الكبير (٣/ الترجمة ٤٢) .

(٢) تحرفت في المطبوع إلى : أسلمت .

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٤٣٦) ومسلم (١٢٣) في الإيمان ، من طريق ابن شهاب ، عن عروة ، عن حكيم بن حزام أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ : أرأيت أموراً كنت أتحنث بها في الجاهلية هل لي فيها من شيء ؟ فقال له رسول الله ﷺ : «أسلمت على ما أسلفت من خير» .
وللحديث طرق أخرى تنظر في التعليق على السير (٣/ ٤٩) .

(٤) « مر الظهران » : موضع قرب مكة .

(٥) في اللسان : ما رزأ فلاناً شيئاً : أي ما أصاب من ماله شيئاً ولا نقص منه .

(٦) رواه البخاري رقم (٣١٤٣) ومسلم رقم (١٠٣٥) .

وقد كان بيده حين أسلم الرِّفادة[١] ودار الندوة ، فباعها بعد من معاوية بمئة ألف ـ وفي رواية : بأربعين ألف دينار ـ فقال له ابن الزبير : بعتَ مَكرُمَة قريش ؟! فقال له حكيم : يا بن أخي ذهبت المكارم فلا كرمَ إلَّا بالتقوى ، يا بن أخي إني اشتريتها في الجاهلية بزِقّ خمر ، ولأَشترينَّ بها داراً في الجنة ، أُشهدك أن قد جعلتُها في سبيل الله ، وهذه الدار كانت لقريش بمنزلة دار العدل ، وكانوا لا يُمكنون أحداً من دخولها إلّا مَنْ جاوز الأربعين سنة إلّا حكيم بن حِزام فإنه دخلها وعمره خمس عشرة سنة . ذكره الزبير بن بكّار[٢] .

وذكر الزبير : أنَّ حكيماً حجَّ عاماً فأهدى مئة بَدَنَة مجلَّلة ، وألف شاة ، وأوقف معه بعرفات مئة وَصِيف[٣] في أعناقهم أَطوقة الفضة قد نُقش فيها : هؤلاء عتقاء الله عن حَكيم بن حِزام ، فأعتقهم وأهدى جميع تلك الأنعام[٤] . رضي الله عنه .

توفي حكيم في هذه السنة على الصحيح ، [وقيل : سنة خمسين ، وقيل : سنة ستين][٥] وقيل غير ذلك ، وله من العمر مئة وعشرون سنة .

حُوَيطِب بنُ عبد العُزَّى العامري[٦] : صحابي جليل . أسلم عام الفتح ، وكان قد عُمِّر دهراً طويلاً ، ولهذا جعله عمر في النفر الذين جدَّدوا أنصاب الحرم[٧] .

---

(١) الرفادة شيء كانت قريش ترافد به ـ أي تتعاون ـ في الجاهلية ، وذلك أن يخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم ، فيشترون للحاج الجُزر والطعام والزبيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج . وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم ، وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف ، وسمي هاشماً لهشمه الثريد (اللسان : رفد) .

(٢) جمهرة نسب قريش (ص٣٥٤) .

(٣) « الوصيف » : العبد أو الخادم .

(٤) جمهرة نسب قريش (ص٣٥٦) .

(٥) ما بين حاصرتين ليس في ط .

(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥٤) تاريخ ابن معين (٢/ ١٤٠) طبقات خليفة (٢٧) تاريخ خليفة (٢٢٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٢٧) المعارف (٣١١) الجرح والتعديل (٣/ ٣١٤) العقد الفريد (٤/ ٣٣ ، ١٥٨) ثقات ابن حبان (٣/ ٩٦) مشاهير علماء الأمصار (ت١٧٧) معجم الطبراني الكبير (٣/ ت٢٤٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٩٢) جمهرة أنساب العرب (١٦٧) الاستيعاب (١/ ٣٩٩) الجمع لابن القيسراني (١/ ١١٤) تاريخ ابن عساكر (٥/ ١٩) أسد الغابة (٢/ ٧٥) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٨٧) تهذيب الكمال (٧/ ٤٦٥) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ١٨٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٤٠) الكاشف (١/ ١٩٧) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٤٤) إكمال مغلطاي (١/ ورقة ٣٠٥) العقد الثمين (٤/ ٢٥١) نهاية السول (ورقة ٨٠) الإصابة (٢/ ٣٠٤) تهذيب التهذيب (٣/ ٦٦) خلاصة الخزرجي (٩٩) تهذيب ابن عساكر (٥/ ١٨) .

(٧) « أنصاب الحرم » : حدوده . وحد الحرم من طريق الغرب التنعيم ثلاثة أميال ، ومن طريق العراق تسعة أميال ، ومن طريق اليمن سبعة أميال ، ومن طريق الطائف عشرون ميلاً .

وقد شهد بدراً مع المشركين ، ورأى الملائكة يومئذ بين السماء والأرض . وشهد الحُدَيبية وسعى في الصُّلح ، فلمّا كان عمرة القضاء كان هو وسهيل هما اللذين أمرا رسول الله ﷺ بالخروج من مكة ، فأمر بلالًا ألّا تغرُبَ الشمس وبمكة أحد من أصحابه . قال : وفي كل هذه المواطن أهمُّ بالإسلام ويأبى الله إلّا ما يريد . فلما كان زمن الفتح خفتُ خوفاً شديداً وهربت ، فلحقني أبو ذرّ ـ وكان لي خليلاً في الجاهلية ـ فقال : يا حُوَيطب مالك ؟ فقلت : خائف ، فقال : لا تخف فإنه أبرُّ الناس وأَوْصل الناس ، وأنا جار لك فاقدم معي ، فرجعت معه ، فوقف بي على رسول الله ﷺ وهو بالبَطحاء ومعه أبو بكر وعمر ، وقد علّمني أبو ذرٍّ أن أقول : السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته ، فلما قلت ذلك قال : « حُوَيطب » ؟! قلت : نعم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال : « الحمدُ للهِ الذي هَداك » وسُرَّ بذلك ، واستقرضني مالًا ، فأقرضتُه أربعين ألفاً . وشهدت معه حُنَيناً والطائف ، وأعطاني من غنائم حُنين مئة بعير .

ثم قدم حويطب بعد ذلك المدينة فنزلها ، وله بها دار ، ولما ولي عليها مروان بن الحكم جاءه حُوَيطب وحكيم بن حِزام ومَخْرمة بن نوفل ، فسلَّموا عليه وجعلوا يتحدَّثون عنده ثم تفرَّقوا . ثم اجتمع حُوَيطب بمروان يوماً آخر ، فسأله مروان عن عمره ، فأخبره ، فقال له : تأخر إسلامُك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث ، فقال حُوَيطب : اللهُ المستعان ، والله لقد هممت بالإسلام غير مرَّة كل ذلك يَعُوقني أبوك يقول : تضع شرفك وتدع دين آبائك لدين مُحْدَث ، وتصير تابعاً ؟! قال : فأُسكت مروان واستحيىٰ وندم على ما كان قال لي . ثم قال حُوَيطب : أما كان أخبرك عثمان ما كان لقي من أبيك حين أسلم ؟ قال : فازداد مروان غَمًّا .

وكان حُوَيطب فيمن شهد دفن عثمان .

واشترى منه معاوية داره بمكة بأربعين ألف دينار ، فاستكثرها الناس ، فقال حُوَيطب : وما هي في رجل له خمسة من العيال ؟! .

قال الشافعي : كان حُوَيطب حميد الإسلام ، وكان أكثر قريش بمكة ريعاً جاهليًّا .

وقال الواقدي : عاش حُوَيطب في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام ستين سنة . ومات حويطب في هذه السنة بالمدينة ، وله مئة وعشرون سنة . وقال غيره : توفي بالشام .

له حديث واحد رواه البخاري ومسلم والنَّسائي[1] من حديث السائب بن يزيد عنه ، عن عبد الله بن

---

(١) رواه البخاري رقم (٧١٦٣) ومسلم رقم (١٠٤٥) والنسائي (٥/ ١٠٤) ومن لطائف هذا الإسناد أن الزهري رواه عن أربعة من الصحابة في نسق واحد السائب ، وحويطب ، وابن السعدي ، وعمر .

السعدي ، عن عمر في العُمَالة[١] بتمامه ، وهو من غريب الحديث لأنه اجتمع فيه أربعة من الصحابة ، رضي الله عنهم .

سَعيد[٢] بن يَرْبوع[٣] : ابن عَنْكَثَة بن عامر بن مخزوم .

أسلم عام الفتح ، وشهد حُنيناً ، وأعطاه رسول الله ﷺ خمسين من الإبل .

وكان اسمه صُرْماً ـ وفي رواية : أَصْرم ـ فسمّاه سعيداً .

وكان في جملة النفر الذين أمرهم عمر بتجديد أنصاب الحرم[٤] .

وقد أُصيب بصرُه بعد ذلك ، فأتاه عمر يعزِّيه فيه . رواه البخاري[٥] .

قال الواقدي وخليفة[٦] وغير واحد : مات في هذه السنة بالمدينة ـ وقيل : بمكة ـ وهو ابن مئة وعشرين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك .

مُرَّة بن شَرَاحيل الهَمْداني[٧] : ويقال له : مُرَّة الطَّيِّب ، ومُرَّة الخَيْر .

روى عن أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وغيرهم .

كان يصلِّي كل يوم وليلة ألف ركعة ، فلما كبر صلَّى أربعمئة ركعة .

---

(١) « العمالة » : أجرة العامل .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : معبد .

(٣) تاريخ ابن معين (٢/ ٢٠٩) طبقات خليفة (٢٧٨) تاريخ خليفة (٢٢٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ت١٥١١) المعارف (٣١٣) الجرح والتعديل (٤/ ٧٢) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٦٣) مشاهير علماء الأمصار (ت١٧٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٩٠) جمهرة أنساب العرب (١٤٢) الاستيعاب (٢/ ٦٢٦) تاريخ ابن عساكر (٧/ ١٨٢/ب) أسد الغابة (٢/ ٤٠١) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٦) تهذيب الكمال (١١/ ١١١) العبر (١/ ٥٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨٩) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ٣١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٤٢) الكاشف (١/ ٢٩٨) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٣٤٧) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٠٠) نكت الهميان (١٥٩) العقد الثمين (٤/ ٥٨٨) تهذيب التهذيب (٤/ ٩٩) الإصابة (٤/ ٢٠٠) خلاصة الخزرجي (١٤٤) شذرات الذهب (١/ ٢٥٥) تهذيب ابن عساكر (٦/ ١٨٠) .

(٤) « أنصاب الحرم » : حدوده .

(٥) في تاريخه الكبير (٣/ الترجمة ١٥١١) .

(٦) تاريخه (ص٢٢٣) .

(٧) طبقات ابن سعد (٦/ ١١٦) طبقات خليفة (ت١٠٧١) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٥) ثقات العجلي (٤٢٤) الجرح والتعديل (٨/ ٣٦٦) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٥٤) حلية الأولياء (٤/ ١٦١) أنساب السمعاني (٨/ ٢٨٧) تهذيب الكمال (ورقة ١٣١٦) طبقات علماء الحديث (١/ ١٣٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٧٤) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٦٧) الكاشف (٣/ ١١٦) تهذيب التهذيب (١٠/ ٨٨) طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٢٦) خلاصة الخزرجي (٣٧٢) طبقات المفسرين (٢/ ٣١٧) .

ويقال : إنه سجد حتى أكل التراب جبهته ، فلما مات رُئي في المنام ـ وقد صار ذلك المكان نوراً ـ فقيل له : أين منزلك ؟ فقال : في دار لا يَظْعَن أهلُها ولا يموتون .

[النُّعَيْمان بن عَمْرو][(١)] [(٢)] : ابن رفاعة بن الحارث[(٣)] .

شهد بدراً وما بعدها .

ويقال : إنه هو الذي كان يُؤتى به في الخمر [فيجلده النبي ﷺ][(٤)] فقال رجل : لعنه اللهُ ما أكثرَ ما يُؤتى به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تَلْعَنْه ، فإنَّه يحبُّ اللهَ ورسولَه »[(٥)] .

سَوْدة بنت[(٦)] زَمْعَة[(٧)] : القرشيَّة العامريَّة ، أمُّ المؤمنين .

تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة ، وكانت قبلَه عند السَّكران بن عمرو ـ أخي سهيل بن عمرو ـ فلما كبرت همَّ رسول الله ﷺ بطلاقها ، ويقال : إنه طلَّقها ، فسألته أن يُبقيها في نسائه وتهب يومها لعائشة ، فقبل ذلك منها وأبقاها ، وأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا ﴾ الآية [النساء: ١٢٨][(٨)] .

وكانت ذات عبادة وورع وزهادة .

قالت عائشة : مامن امرأة أحبّ أن أكون في مِسْلاخها إلا سَوْدة ، إلَّا أنَّ فيها حدَّة تسرعُ منها الفَيْئة[(٩)] .

---

(١) سقط من أ .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٧٠٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٩٣) المعارف (٣٢٨ ، ٣٢٩) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٥ ، ٣٦٦) الاشتقاق (٤٥٠) الجرح والتعديل (٨/ ٥٠٧) الاستيعاب (٤/ ١٥٢٦) أسد الغابة (٥/ ٣٥١) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٦٩) الإصابة (ت٨٧٨٨) حياة الصحابة للكاندهلوي (٣/ ١٨٥) .

(٣) تحرفت لفظة الحارث في المطبوع إلى : الحر .

(٤) سقط من ط ، ب .

(٥) انظر البخاري رقم (٦٧٧٥) من حديث عقبة بن عامر ، والبخاري رقم (٦٧٨٠) من حديث عمر .

(٦) في المطبوع : بن وهو خطأ .

(٧) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٢) طبقات خليفة (٣٣٥) مسند أحمد (٦/ ٤٢٩) التاريخ الصغير (٥٠ ، ١٠٩) المعارف (١٣٣ ، ٢٨٤) الاستيعاب (٤/ ١٨٦٧) الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٣٩٧) جامع الأصول (٩/ ١٤٥) أسد الغابة (٧/ ١٥٧) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٩٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٦٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٥) الكاشف (٣/ ٤٢٨) مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٦) الإصابة (١٢/ ٣٢٣) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٦) خلاصة الخزرجي (٤٩٢) شذرات الذهب (١/ ١٧٩ و٢٥٥) أعلام النساء لكحالة (٢/ ٢٦٧) .

(٨) رواه أبو داود رقم (٢١٣٥) وهو حديث صحيح .

(٩) أخرجه مسلم (١٤٦٣) في الرضاع : باب جواز هبتها نوبتها لضرتها . « والمسلاخ » : الجلد ، فكأنها تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها .

ذكر ابن الجوزي وفاتها في هذه السنة ، وقال ابن أبي خَيْثمة : توفيت في آخر خلافة عمر بن الخطاب ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

فيها عزل معاوية عبد الله [بن عمرو][١] بن غَيْلان عن البصرة وولَّى عليها عبيد الله بن زياد ، وكان سبب عزله أنه كان يخطُب الناس ، فحصَبه رجل من بني ضَبَّة ، فأمر بقطع يده ، فجاء قومه إليه فقالوا له : إنه متى بلغ أمير المؤمنين أنك قطعتَ يد صاحبنا في هذا الصَّنيع فعل به وبقومه نظير ما فعل بحُجر بن عدي ، فاكتب لنا كتاباً أنك قطعت يده في شُبهة ، فكتب لهم ، فتركوه عندهم حيناً ، ثم جاؤوا معاوية فقالوا له : إنَّ نائبك قطع يد صاحبنا في شُبهة فأَقِدْنا منه ، قال : لا سبيل إلى القَوَد من نوّابي ولكن الدِّية ، فأعطاهم الدية [من بيت المال][٢] وعزل عنهم ابن غَيْلان ، وقال لهم : اختاروا مَنْ تريدون ، فذكروا رجالاً ، فقال : لا ، ولكن أولِّي عليكم ابنَ أخي عبيد الله بن زياد ، فولّاه ، فاستخلف ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة ، فلم يغزُ ولم يفتح شيئاً من البلاد .

وجاء ابن زياد إلى البصرة فولَّى قضاءها لزُرارة بن أَوْفى ، ثم عزله وولَّى ابن أُذينة العبدي ، وولَّى شرطتها عبد الله بن حصن[٣] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة .

وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أَسِيد عن الكوفة ، وولَّى عليها الضحاك بن قيس الفِهْري .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان :

الأَرْقم بنُ أبي الأَرْقم[٤] : عبد مناف بن أَسَد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

أسلم قديماً ـ يقال : سابع سبعة ـ وكانت داره كهفاً للمسلمين يأوي إليها رسول الله ﷺ ومَنْ أسلم معه

---

(١) ليس في ط .
(٢) ليس في ط .
(٣) في ط : الحصين .
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٢) طبقات خليفة (٢١) مسند أحمد (٣/ ٤١٧) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٤٦) الجرح والتعديل (٢/ ٣٠٩) مشاهير علماء الأمصار (ت١٦٢) معجم الطبراني الكبير (١/ ٢٨٤) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٠٢) الاستبصار (١١٧) الاستيعاب (١/ ١٣١) أسد الغابة (١/ ٧٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٣) العبر (١/ ٦١) الإصابة (١/ ٤٠) كنز العمال (١٣/ ٢٦٩) شذرات الذهب (١/ ٢٥٦) .

من قريش ، وكانت عند الصَّفا ، وقد صارت فيما بعد ذلك للمهدي ، فوهبها لامرأته الخَيْزُران أمِّ موسى الهادي وهارون الرشيد ، فَبَنَتْها وجدَّدتها فعُرفت بها ، ثم صارت لغيرها .

وقد شهد الأَرقم بدراً وما بعدها من المشاهد .

ومات بالمدينة في هذه السنة ، وصلَّى عليه سعد بن أبي وقاص أوصى به رضي الله عنهما ، وله بضع وثمانون سنة .

سَحْبان بنُ زُفَر بن إياس[١] : ابن عبد شمس بن الأحب[٢] الباهلي الوائلي ، الذي يضرب بفصاحته المثل فيقال : أفصح من سَحْبان وائل . ووائل : هو ابن مَعْن[٣] بن مالك بن أعصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلان[٤] بن مُضر بن نزار . وباهلة امرأة مالك بن أعصُر ، ينسب إليها ولدها ، وهي : باهلة بنت صَعب بن سعد العَشيرة .

قال ابن عساكر : سَحْبان المعروف بسَحْبان وائل ، بلغني أنه وفد على معاوية فتكلَّم ، فقال معاوية : أنت الشيخ ؟ فقال : إي والله وغير ذلك . ولم يزد ابن عساكر على هذا .

وقد نسبه ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » كما ذكرنا ، ثم قال : وكان بليغاً يُضرب المثل بفصاحته ، دخل يوماً على معاوية وعنده خطباء القبائل ، فلمّا رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه ، فقال سَحْبان :

لقَدْ عَلِمَ الحيُّ اليَمانُون أنَّني   إذا قلتُ : أمَّا بعدُ ، أَنِّي خطيبُها

فقال له معاوية : اخطب ، فقال : انظروا لي عَصاً تُقيم من أَوَدي ، فقالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ فقال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربَّه عزَّ وجل ، فأخذها وتكلم من الظُّهر إلى أن قاربت العصر ، ما تنحنح ولا سعَل ولا توقَّف ولا ابتدأ في معنى فخرج عنه وقد بقيتْ عليه بقيةٌ فيه ، فقال معاوية : الصلاة ، فقال : الصلاة أمامك ، ألسنا في تحميد وتمجيد ، وعِظة وتنبيه ، وتذكير ووعد ووعيد ؟! فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال : العرب وحدَها ؟! بل أخطب الجنِّ والإنس ، قال : أنت كذلك .

---

(١) المعارف (٦١١) الاشتقاق (٢٧٣) العقد الفريد (٢/ ٢٤٠) مجمع الأمثال (١/ ٢٤٩) تاريخ ابن عساكر (تهذيبه : ٦/ ٦٥) ، لسان العرب : (سحب) ، بلوغ الأدب (٣/ ١٥٦) خزانة الأدب (٤/ ٣٤٧) أعلام الزركلي (٣/ ٧٩) .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : الأجب .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : معد .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : غيلان .

سعد بن أبي وقّاص(١) : واسمه(٢) مالك بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاب ، أبو إسحاق القرشي الزُّهري . أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشُّورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

أسلم سعد قديماً ، قالوا : وكان عمره يوم أسلم سبع عشرة سنة . وثبت عنه في الصحيح أنه قال : ما أسلمَ أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، ولقد مكثتُ سبعة أيام وإني لثلُث الإسلام(٣) سابع سبعة(٤) .

وهاجر ، وشهد بدراً وما بعدها . وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله(٥) . وكان فارساً شجاعاً ، من أمراء رسول الله ﷺ .

وكان في أيام الصدِّيق معظَّماً جليل القدر ، وكذلك في أيام عمر ، وقد استنابه عمر على الكوفة ، وهو الذي كوَّف الكوفة ، ونفى عنها الأعاجم . وكان مجاب الدعوة . وهو الذي فتح المدائن ، وكانت بين يديه وقعة جَلُولاء(٦) . وكان سيِّداً مطاعاً . وعزله عمر عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة ، ولكن للمصلحة التي ظهرتْ لعمر في ذلك ، وقد ذكره في الستة أصحاب الشُّورى . ثم ولّاه عثمان الكوفة ، ثم عزله عنها .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٧ و٦/ ١٢) نسب قريش (٢٦٣ وغيرها) طبقات خليفة (١٥ ، ١٢٦) تاريخ خليفة (٢٢٣) مسند أحمد (١/ ١٦٨) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ت١٩٠٨) التاريخ الصغير (١/ ٩٩ وغيرها) ثقات العجلي (١٨٠) المعارف (٢٤١) فتوح البلدان (٢١٥) الجرح والتعديل (٤/ ٩٣) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٥٤) مشاهير علماء الأمصار (ت١٠) حلية الأولياء (١/ ٩٢) الاستيعاب (٢/ ٦٠٦) تاريخ بغداد (١/ ١٤٤) تاريخ ابن عساكر (٧/ ٦٦/ ب) جامع الأصول (٩/ ١٠) أسد الغابة (٢/ ٣٦٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٠) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٠٩) طبقات علماء الحديث (١/ ٨٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢) دول الإسلام (١/ ٤٠) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨١) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١١) الكاشف (١/ ٢٨٠) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٢٧٢) العبر (١/ ٦٠) نكت الهميان (١٥٥) مجمع الزوائد (٩/ ١٥٣) العقد الثمين (٤/ ٥٣٧) غاية النهاية (١/ ٣٠٤) الإصابة (٤/ ١٦٠) تهذيب التهذيب (٣/ ٤٨٣) النجوم الزاهرة (١/ ١٤٧) طبقات الحفاظ (٥) حسن المحاضرة (١/ ٢٠٥) خلاصة الخزرجي (١٣٥) كنز العمال (١٣/ ٢١٢) شذرات الذهب (١/ ٢٥٦) تهذيب ابن عساكر (٦/ ٩٥) .

(٢) يعني اسم أبي وقاص .

(٣) رواه البخاري (٣٧٢٧) .

(٤) رواه البخاري رقم (٥٤١٢) .

(٥) الأوائل لابن قتيبة (ص٦٣) .

(٦) وتسمى جلولاء الوقيعة ، كانت سنة ١٦هـ ، وكان النصر فيها للمسلمين . وموضع جلولاء اليوم بالعراق . وخبر هذه الوقعة في تاريخ الطبري (٤/ ٢٤) وما بعدها . وأيضاً في معجم البلدان (٤/ ١٥٦) وبلدان الخلافة الشرقية (ص٨٧) .

وقال الحميدي : عن سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار قال : شهد سعد بن أبي وقاص وابن عمر دومة الجَنْدل يوم الحكَمَيْن .

وثبت في « صحيح مسلم »[١] أن ابنه عُمر جاء إليه وهو معتزل في إبله فقال : الناسُ يتنازعون الإمارة وأنت هاهنا ؟! فقال : يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ يحبُّ العبدَ الغَنيَّ التَّقيَّ الخَفيّ » .

قال ابن عساكر : وذكر بعض أهل العلم أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص جاءه فقال : يا عم هاهنا مئة ألف سيف يَرَوْنك أحقَّ الناس بهذا الأمر ، فقال : أريد من مئة ألف سيف سيفاً واحداً إذا ضربتُ به المؤمن لم يؤذه ولم يقطع فيه شيئاً ، وإذا ضربتُ به الكافر قطع . [أو قال : أريد سيفاً يعرف المؤمن من غيره حتى لا أؤذيه][٢] .

وقال عبد الرزاق : [عن معمر][٣] عن ابن جُريج ، حدثني زكريا بن عمرو أنَّ سعد بن أبي وقّاص وفد على معاوية ، فأقام عنده شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر[٤] . وقال غيره : فبايعه وما سأله سعد شيئاً إلّا أعطاه إياه .

وقال أبو يعلى[٥] : حدّثنا زهير ، حدّثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم قال : قال سعد : إني لأولُ رجل رمىٰ بسهم في سبيل الله في المشركين ، وما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحدٍ قبلي ، ولقد سمعتُه يقول : « اِرْمِ فداكَ أبي وأُمي » .

وقال أحمد[٦] : حدّثنا يزيد بن هارون ، حدّثنا إسماعيل ، عن قيس سمعت سعد بن مالك يقول : والله إني لأول العرب رمىٰ بسهمٍ في سبيل الله ، ولقد كنا نغزو ومالنا طعام نأكله إلّا ورق الحُبْلَة وهذا السَّمُر[٧] حتى إنَّ أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط ، ثم أصبحتْ بنو أسد تعزِّرني على الدِّين ، لقد خبتُ إذاً وضلَّ عملي .

رواه شعبة ووكيع وغير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد به .

---

(١) رقم (٢٩٦٥) في الزهد .
(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
(٣) ليس في (ط) و (ب) .
(٤) أخرجه عبد الرزاق برقم (٤٣٥١) .
(٥) في مسنده (٢/ رقم ٧٥٢) وإسناده صحيح .
(٦) هو في مسند أحمد (١/ ١٨٦) والبخاري رقم (٥٤١٢) ومسلم رقم (٢٩٦٦) .
(٧) « ورق الحبلة والسمر » : نوعان من شجر البادية .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا [يحيى بن سعيد][١] عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن سعد قال : « جمعَ لي رسولُ الله ﷺ أبوَيْه يومَ أُحد » .

ورواه أحمد [أيضاً عن غُنْدَر][٢] ، عن شعبة ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري .

[وقد رواه الليث وغير واحد عن يحيى الأنصاري][٣] .

ورواه غير واحد عن سعيد بن المسيّب ، عن سعد .

ورواه الناس من حديث عامر بن سعد ، عن أبيه .

وفي بعض الروايات : « فداكَ أبي وأمي » . وفي رواية : « فقال : اِرْمِ وأنتَ الغلامُ الحَزَوَّر »[٤] .

وقال أحمد[٥] : حدّثنا وكيع ، حدّثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن شدّاد ، سمعت عليًّا يقول : ما سمعتُ رسول الله ﷺ يفدي أحداً بأبويه إلَّا سعد بن مالك ، فإني سمعتُه يقول له يوم أُحد : « اِرْمِ سعدُ فداكَ أبي وأُمي » .

ورواه البخاري[٦] عن أبي نعيم عن مِسْعَر ، عن سعد بن إبراهيم به .

ورواه شعبة ، عن سعد بن إبراهيم .

ورواه سفيان بن عُيينة وغير واحد ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن علي بن أبي طالب ، فذكره .

وقال الأعمش : عن أبي خالد ، عن جابر بن سَمُرة قال : أول الناس رمىٰ بسهمٍ في سبيل الله سعدٌ رضي الله عنه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمر ، عن أيوب أنه سمع عائشةَ بنت سعد تقول : أنا ابنةُ المهاجر الذي فدّاه رسول الله ﷺ بالأبوين .

وقال الواقدي : حدّثتني عبيدة بنت نابل[٧] ، عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها قال : لقد رأيتني أرمي بالسَّهم يوم أُحد فيردّه عليَّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتّى لمّا كان بعد ذلك ظننتُ أنه مَلَك .

---

(١) سقط من أ ، وهو في مسند أحمد (١/ ١٨٠) وإسناده صحيح .
(٢) سقط من آ ، وهو في مسند أحمد (١/ ١٧٤) وغندر : هو محمد بن جعفر .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٤) « الحزوّر » : الغلام إذا اشتد وقوي .
(٥) مسند أحمد (١/ ١٢٤) وإسناده صحيح .
(٦) البخاري رقم (٤٠٥٨) .
(٧) في أ ، ط : حدثني عبيدة بن نابل وهو تصحيف . تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٧) وغيره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ، حدّثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه [عن أبيه][١] عن سعد بن أبي وقّاص قال : لقد رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره يوم أُحدٍ رجلَين عليهما ثيابٌ بيض يقاتلان عنه كأشدِّ القتال ، ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ .

ورواه الواقدي : حدّثني [أبو][٢] إسحاق بن أبي عبد الله ، عن عبد الواحد[٣] ـ جد ابن أبي عون ـ عن زياد مولى سعد ، عن سعد قال : رأيتُ رجلَين يوم بدرٍ يقاتلان عن رسول الله ﷺ أحدُهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وإني لأراهُ ينظرُ إلى ذا مرةً وإلى ذا مرةً مسروراً بما ظفَّره الله عز وجل[٤] .

وقال الأعمش : عن إبراهيم ، عن[٥] علقمة ، عن ابن مسعود قال : لقد رأيتُ سعدَ بن أبي وقّاص يقاتل يوم بدرٍ قتالَ الفارس للرّاجل .

وقال سفيان : عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة بن[٦] عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : اشتركتُ أنا وسعدٌ وعمّار يوم بدر فيما أصبنا من الغنيمة ، فجاء سعد بأَسِيرين ، ولم أَجئ أنا وعمّار بشيء .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد أنه سمع عبد الله بن عامر بن ربيعة يقول : قالت عائشة : بات رسول الله ﷺ أَرِقاً ذات ليلة ثم قال : « ليتَ رجلاً صالحاً يحرسُني الليلة » قالت : فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوت السِّلاح ، فقال رسول الله : « مَنْ هذا » ؟ قال : أنا سعد بن أبي وقاص جئت أحرسُكَ يا رسول الله ، قالت : فنام رسول الله ﷺ حتى سمعتُ غَطِيطه[٧] .

أخرجاه[٨] من حديث يحيى بن سعيد .

وفي رواية : فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام .

وقال أحمد : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا رِشْدين بن سعد ، عن الحجّاج[٩] بن شدّاد ، عن أبي صالح

---

(١) سقط من الأصول ، وهو في مسند أحمد (١/ ١٧١) وإسناده صحيح ، وهو في البخاري رقم (٤٠٥٤) ومسلم رقم (٢٣٠٦) .
(٢) سقط من المطبوع .
(٣) تحرف في المطبوع إلى : عبد العزيز .
(٤) مغازي الواقدي (١/ ٧٨) .
(٥) في المطبوع بن ، وهو خطأ .
(٦) في الأصل : عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود ، وهو خطأ .
(٧) « الغطيط » : صوت النائم المرتفع .
(٨) البخاري (٢٨٨٥) في الجهاد : باب الحراسة في الغزو ، ومسلم (٢٤١٠) في الفضائل : باب فضائل سعد .
(٩) في المطبوع : يحيى بن الحجاج ، خطأ .

الغِفَاري ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « أولُ مَنْ يدخلُ مِنْ هذا الباب رجلٌ منْ أهلِ الجنَّة » فدخل سعد بن أبي وقّاص(١) .

وقال أبو يعلى : حدّثنا محمد بن المثنى [حدّثنا عبد الله](٢) بن قيس الرَّقاشي الخرّاز بصري ، حدّثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال : « يدخلُ عليكم مِنْ هذا الباب رجلٌ من أهل الجنَّة » ، قال : فليس منا أحد إلا وهو يتمنَّى أن يكون من أهل بيته ، فإذا سعدُ بن أبي وقّاص قد طلَع(٣) .

وقال حَرْملة : عن ابن وَهْب ، أخبرني حَيْوة ، أخبرني عقيل ، عن ابن شِهاب ، حدّثني مَنْ لا أتَّهم، عن أنس بن مالك قال : بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ فقال : « يطلُعُ الآنَ عليكُم رجلٌ من أهل الجنَّة » فاطَّلع سعد بن أبي وقّاص ، حتى إذا كان الغد قال : رسول الله ﷺ مثل ذلك ، قال : فاطَّلع سعد بن أبي وقّاص على ترتيبه الأول . حتى إذا كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك ، قال : فطلَع على ترتيبه الأول . فلمّا قام رسول الله ﷺ ثار عبد الله بن عمرو بن العاص [إلى سعد](٤) فقال : إني غاضبتُ أبي فأقسمتُ ألَّا أدخلَ عليه ثلاث ليال ، فإن رأيتَ أن تُؤويني إليكَ حتى تنحلَّ يميني فعلت . قال أنس : فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه ليلة حتى إذا كان مع الفجر فلم يقم تلك الليلة شيئاً ، غير أنه كان إذا انقلبَ على فراشه ذكر الله وكبَّره حتى يقوم مع الفجر ، فإذا صلَّى المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمَّه ثم يصبح مفطراً . قال عبد الله بن عمرو : فرمقتُه ثلاث ليال وأيامَهُنَّ لا يزيد على ذلك ، غير أني لم أسمعه يقول إلَّا خيراً ، فلمّا مضت الليالي الثلاث وكدتُ أحتقر عمله ، قلتُ : إنه لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجر ، ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ قبل ذلك يقول ثلاث مرات في ثلاثة مجالس : « يطلُع عليكمْ رجلٌ من أهلِ الجنَّة » فاطَّلعتَ أنت ، فأردتُ أن آوي إليك حتى أنظرَ ما عملك فأَقتدي بكَ لأنال ما نلتَ ، فلم أرَ لك كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما هو إلّا ما رأيتَ . قال : فانصرفتُ ، فدعاني حين ولَّيت ، فقال : ما هو إلَّا ما رأيتَ غيرَ أني لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين ، ولا أنوي له شرّاً ، ولا أقوله . قال : قلت : هذه التي بلغتْ بك وهي التي لا أُطيق(٥) .

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٢٢) وإسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد ، وبشارة سعد بن أبي وقاص بالجنة . ثابتة في أحاديث صحيحة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٢) سقط من (أ) و (ب) .

(٣) قال العقيلي في الضعفاء : عبد الله بن قيس الرقاشي ، عن أيوب حديثه غير محفوظ ، ولا يتابع عليه ، ولا يعرف إلا به . ثم أورد حديثه هذا . . .

(٤) من (أ) فقط .

(٥) وإسناده ضعيف ، وهو في مسند أحمد (٣/ ١٦٦) من حديث أنس أيضاً ، وفيه أن الرجل من الأنصار وسعد ليسَ أنصاريًّا ، بل هو قرشيّ ، والحديث صحيح في مسند أحمد ، وهو بمعناه .

هكذا رواه صالح المُرِّي ، عن عمرو بن دينار ـ مولى [آل][١] الزبير ـ عن سالم ، عن أبيه ، فذكر مثلَه من رواية أنس بن مالك .

وثبت في « صحيح مسلم »[٢] من طريق سفيان الثَّوري ، عن المِقْدام بن شُريح ، عن أبيه ، عن سعدٍ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام : ٥٢] نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم .

وفي رواية : أنزل الله فيّ : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ [العنكبوت : ٨] وذلك أنه لما أسلم امتنعتْ أمُّه من الطعام والشراب أياماً ، فقال لها سعد : تعلمين والله لو كانت لك مئة نفس فخرجتْ نفساً نفساً ما تركتُ ديني هذا لشيء ، إن شئتِ فكُلي واشرَبي ، وإن شئتِ فلا تأكُلي ولا تَشْربي [فلمّا رأتْ ذلك أكلتْ][٣] فنزلت هذه الآية .

وأما حديث الشهادة للعشرة بالجنَّة فثبت في الصحيح[٤] من حديث سعيد بن زيد[٥] .

وجاء من حديث سُهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة في قصة حِرَاء[٦] ذكرُ سعد بن أبي وقّاص منهم .

وقال هشيم وغير واحد : عن مجالد ، عن الشَّعبي ، عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ فأقبل سعد ، فقال رسول الله ﷺ : « هٰذا خالي ، فَلْيُرِني امرُؤٌ خالَه » . رواه الترمذي[٧] .

وقال الطبراني[٨] : حدّثنا الحسين بن إسحاق التُّسْتَري ، حدّثنا عبد الوهّاب بن الضحّاك ، حدّثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن صفوان بن عمرو ، عن ماعز التَّميمي ، عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ أقبل سعد ، فقال : « هٰذا خالي » .

وثبت في « الصحيحين » من حديث مالك وغيره ، عن الزُّهري ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه « أنَّ رسول الله ﷺ جاءه يعودُه عام حجَّة الوداع من وجع اشتدَّ به . فقلت : يا رسول الله ! إني ذو مال

---

(١) سقطت من ط .
(٢) رقم (٢٤١٣) في الفضائل : باب فضائل سعد .
(٣) ليس في ط .
(٤) كأنه يريد : في الحديث الصحيح ، وليس كتاباً بعينه ، فهو ليس في الصحيحين ، كما سيأتي في تخريجه .
(٥) رواه أحمد (١/ ١٨٨) وأبو داود رقم (٤٦٤٩) والترمذي رقم (٣٧٥٧) وهو حديث صحيح .
(٦) أخرجه مسلم (٢٤١٧) من طريق يحيى بن سعيد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء ، فتحرك ، فقال رسول الله ﷺ : «اسكن حراء ، فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد» وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهم .
(٧) برقم (٣٧٥٢) في المناقب : باب مناقب سعد . وقوله : « هذا خالي » لأن أم النبي ﷺ زهرية ، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، ابنة عم أبي وقاص ، وهو حديث صحيح .
(٨) في معجمه الكبير برقم (٣٢٣) .

ولا يَرثني إلا ابنة ، أفأتصدَّق بثلُثي مالي ؟ قال : لا ، قلت : فالشطر يا رسول الله ؟ قال : لا ، قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنكَ أن تَذَر ورثَتَكَ أغنياء خيرٌ من أن تذرَهم عالةً يتكفَّفون الناس ، وإنك لن تُنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلّا أُجرت بها ، حتى ما تجعلُ في في امرأتِك ـ وفي رواية : حتى اللقمة تضعُها في فم امرأتك ـ قلتُ : يا رسول الله أُخلَّف بعد أصحابي ؟ فقال : إنك لن تخلَّف فتعملَ عملاً تبتغي به وجهَ الله إلّا ازددتَ به درجةً ورِفعَة ، ولعلّك أن تخلَّف حتى يَنتفِعَ بك أقوام ويُضَرَّ بك آخرون . ثم قال : اللهمَّ أَمضِ لأصحابي هجرتَهم ولا تردَّهم على أعقابهم ، لكن البائسُ سعدُ بن خَوْلَة » يرثي له رسول الله ﷺ أنْ مات بمكة[١] .

ورواه أحمد[٢] ، عن يحيى بن سعيد ، عن الجَعْد بن أوس ، عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها فذكر نحوه ، وفيه : قال : « فوضعَ يدَهُ على جبهتِه فمسحَ وجهَه وصدرَه وبطنَه وقال : اللهمَّ اشْفِ سعداً وأتمَّ لهُ هجرتَه » . قال سعد : فما زلتُ يخيَّل إليَّ أني أجدُ برد يده على كبدي حتى السّاعة .

وقال ابن وهب : حدّثني موسى بن عُلَيّ بن رباح ، عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ عاد سعداً فقال : « اللهمَّ أَذهِبْ عنه الباس ، إلَهَ الناس مَلِك الناس ، أنتَ الشّافي لا شافيَ له إلَّا أنت ، بسم الله أَرْقِيكَ من كلِّ شيءٍ يُؤْذيك ، من حَسَدٍ وعَيْن ، اللهمَّ أَصِحَّ قلبَهُ وجسمَه ، واكشِفْ سَقَمَه ، وأَجِبْ دَعْوَتَه » .

وقال ابن وهب : أخبرني عمرو ، عن بكر بن الأَشَجّ قال : سألت عامر بن سعد عن قول رسول الله ﷺ لسعد : « وعسى أَنْ تبقىٰ ينتفع بكَ أقوام ويُضَرّ بك آخرون » فقال : أُمِّر سعدٌ على العراق ، فقتل قوماً على الرِّدَّة فضرَّهم ، واستتاب قوماً كانوا سجعُوا[٣] سجع مُسَيْلمة الكذّاب ، فتابوا ، فانتفعوا به .

وقال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا أبو المغيرة ، حدّثنا مُعان[٥] بن رِفاعة ، حدّثني علي بن يزيد[٦] ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن أبي أُمامة قال : جلسنا إلى رسول الله ﷺ فذكَّرنا ورقَّقنا ، فبكى سعد بن أبي وقّاص فأكثر البكاء ، وقال : يا ليتني متّ ، فقال رسول الله ﷺ : [« يا سعد ! أعندي تتمنّى الموت » ؟ فردد ذلك ثلاث مرات ، ثم قال][٧] « يا سعد ! إنْ كنتَ للجنَّة خُلقتَ ، فما طالَ من عُمركَ أو حسُنَ من عملكَ فهو خيرٌ لك » .

---

(١) رواه البخاري رقم (١٢٩٥) ومسلم رقم (١٦٢٨) وقوله : يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة ، هو من كلام الزهري كما ذكر الحافظ في الفتح .
(٢) في مسنده (١/ ١٧١) وهو حديث صحيح .
(٣) سجعوا سجع فلان : أشبهوه وساروا على قصده .
(٤) في مسنده (٥/ ٢٦٧) وإسناده ضعيف .
(٥) تحرف في ط إلى : معاذ .
(٦) تحرف في ط إلى : زيد .
(٧) ما بين حاصرتين سقط من الأصول ، واستدركته من المسند .

وقال موسى بن عقبة وغيره : عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس عن سعد : أن رسول الله ﷺ قال : « اللهمَّ سَدِّدْ رميتَه ، وأَجِبْ دَعْوَتَه » .

ورواه سيار بن بشير ، عن قيس ، عن أبي بكر الصدِّيق قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لسعد : « اللهمَّ سَدِّدْ سهمَه ، وأَجِبْ دعوتَه ، وحبِّبْهُ إلى عبادك » .

وروي من حديث ابن عباس ـ وفي رواية : محمد بن عائذ الدمشقي ـ عن الهيثم بن حميد ، عن مطعم ، عن المقدام وغيره : أن سعداً قال : يا رسول الله ! ادع الله أن يجيب دعوتي ، فقال : « إنَّ اللهَ لا يستجيبُ دعوةَ عبدٍ حتى يطيبَ مطعَمَه » فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يطيب مطعمي ، فدعا له . قالوا : فكان سعد يتورَّع من السنبلة يجدها في زرعه ، فيردّها من حيث أخذت .

وقد كان سعد مجاب الدعوة ، لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له ، فمن أشهر ذلك ما ثبت في « الصحيحين » من طريق عبد الملك بن عُمير ، عن جابر بن سَمُرة[١] : أنَّ أهل الكوفة شكَوا سعداً إلى عمر في كلِّ شيء حتى قالوا : لا يحسن يصلِّي ، فقال سعد : أما إني لا آلو أن أصلِّي بهم صلاة رسول الله ﷺ أُطيل في الأُولَيين وأَحذف [في][٢] الأُخْرَيين ، فقال عمر : ذاك الظنُّ بكَ يا أبا إسحاق[٣] .

وكان قد بعث مَنْ يسأل عنه بمحالِّ الكوفة ، فجلعوا لا يسألون أهل مسجد إلّا أثنَوا خيراً ، حتى مرُّوا بمسجد لبني عبس ، فقام رجل منهم يقال له أبو سعدة أسامة بن قَتادة فقال : إن سعداً كان لا يسير في السَّريَّة ، ولا يقسم بالسَّويَّة ، ولا يعدل في القضيَّة . فبلغ سعداً قولُه ، فقال : اللهمَّ إن كان عبدُك هذا قام مقام رياء وسمعة فأَطِلْ عمرَه ، وأَدم فقرَه ، وأَعم بصرَه ، وعرِّضه للفتن . قال : فأنا رأيته بعد ذلك شيخاً كبيراً قد سقطت حاجباه على عينيه ، يقف في الطريق فيغمز الجواري ، فيقال له في ذلك ، فيقول : شيخ مفتونٌ أصابته دعوةُ سعد ، وفي رواية غريبة : أنه أدرك فتنة المختار بن أبي عُبيد ، فقتل فيها[٤] .

وقال الطبراني[٥] : حدّثنا يوسف القاضي ، حدّثنا عمرو بن مرزوق ، حدّثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن سعيد بن المسيِّب قال : خرجتْ جاريةٌ لسعد يقال لها زبراء ، وعليها قميص جديد ،

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى : سلمة .
(٢) سقطت من المطبوع . وقوله : أحذف في الأخريين يعني : أقصرهما عن الأوليين ، لا أنه يخل بالقراءة ويحذفها كلها .
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠) والبخاري (٧٧٠) باب يطوّل في الأوليين ويحذف في الأخريين ، ومسلم (٤٥٣) في الصلاة : باب القراءة في الظهر والعصر .
(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ١١٣ ـ ١١٤) .
(٥) في الكبير برقم (٣٠٩) .

فكشفها الريح ، فشدَّ عليها عمر بالدِّرَّة ، وجاء سعد ليمنعَه ، فتناوله عمر بالدِّرَّة ، فذهب سعد يدعو على عمر ، فناوله الدِّرَّة وقال : اقتصَّ مني ، فعفا عن عمر .

وروي أيضاً : أنه كان بين سعد وابن مسعود كلام ، فهمَّ سعدٌ أن يدعوَ عليه ، فخاف ابن مسعود وجعل يشتدُّ في الهرب .

وقال سفيان بن عُيينة : لمّا كان يوم القادسيَّة كان سعد على الناس ، وقد أصابته جراح فلم يشهد يوم الفتح ـ يعني : فتح القادسيَّة ـ فقال رجل من بَجِيلَة :

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ اللهَ أظهـرَ دِينَـهُ وسعدٌ ببابِ القادسيَّة مُعْصَمُ
فـأُبْنـا وقـد آمَـتْ نسَـاءٌ كثيـرةٌ ونِسْوةُ سعدٍ ليسَ فيهنَّ أَيِّمُ[١]

فقال سعد : اللهمَّ اكفنا يدَهُ ولسانَه ، فجاء سهمُ غَرب[٢] ، فخرسَ ويبستْ يداه جميعاً .

وقد أسند زياد البكّائي وسيف بن عمر ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن قَبيصة بن جابر ، عن ابن عمر[٣] . . فذكر مثله ، وفيه : ثم خرج سعد فأرى القوم ما به من القروح في ظهره ليعذر إليهم .

وقال هشيم : عن أبي بلح ، عن مصعب بن سعد أن رجلاً نال من علي ، فنهاه سعد ، فلم ينته ، فقال سعد : أدعو عليك ، فلم ينته ، فدعا الله عليه [فما برح][٤] حتى جاء بعير نادٌّ[٥] فتخبَّطه .

وجاء من و جه آخر : عن عامر بن سعد : أنَّ سعداً رأى جماعة عكوفاً على رجل ، فأدخل رأسه من بين اثنين ، فإذا هو يسبُّ عليًا وطلحة والزبير ، فنهاه عن ذلك ، فلم ينته ، فقال : أدعو عليك ، فقال الرجل : تتهدَّدني كأنك نبيّ ؟! فانصرف عنه سعد ، فدخل دار آل فلان ، فتوضأ وصلَّى ركعتين ، ثم رفع يديه فقال : اللهمَّ إن كنتَ تعلم أن هذا الرجل قد سبَّ أقواماً قد سبقت لهم منك سابقة الحسنى ، وأنه قد أسخطك سبُّه إياهم ، فاجعلْه اليوم آيةً وعبرة . قال : فخرجتْ بُخْتيَّة[٦] نادَّة من دار آل فلان لا يردُّها شيء حتى دخلتْ بين أضعاف الناس ، فافترق الناس عنها ، فأخذته بين قوائمها ، فلم تزل تتخبَّطه حتى مات . قال : فلقد رأيت الناس يشتدُّون وراء سعد يقولون : استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق .

---

(١) البيتان في العقد الفريد (١/ ٤٤) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (٩/ ٢٦٤) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٦٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ١١٥) .
(٢) « سهم غرب » : أي لايعرف راميه .
(٣) هكذا في الأصول ، وكذلك في السير (١/ ١١٥) .
(٤) ليس في ط .
(٥) « نادّ » : شارد .
(٦) « البختية » : الناقة .

ورواه حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيِّب . فذكر نحوه .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر القرشي ، حدّثنا عبد الرزّاق ، عن أبيه ، عن مِينا[1] ـ مولى عبد الرحمن بن عوف ـ : أنَّ امرأة كانت تطَّلع على سعد ، فنهاها ، فلم تنته ، فاطَّلعتْ يوماً وهو يتوضأ ، فقال : شاهَ وجهُكِ ، فعاد وجهُها في قفاها .

وقال كثير النَّوّاء : عن عبد الله بن بديل قال : دخل سعد على معاوية ، فقال له : مالكَ لم تقاتلْ معنا ؟ فقال : إني مرَّت بي ريح مظلمة فقلت : إخْ إخْ[2] ، فأنختُ راحلتي حتى انجلتْ عني ، ثم عرفتُ الطريق فسرت ، فقال معاوية : إنه ليس في كتاب الله إخْ إخْ ، ولكن قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الحجرات : ٩] فوالله ما كنتَ مع الباغية على العادلة ، ولا مع العادلة على الباغية . قال سعد : ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله ﷺ : « أنتَ منّي بمنزلةِ هارونَ من موسىٰ غيرَ أنَّهُ لا نبيَّ بعدي » . فقال معاوية : مَنْ سمع هذا معك ؟ فقال : فلان وفلان وأمُّ سلمة . فقال معاوية : أما إنِّي لو سمعتُه منه ﷺ لما قاتلتُ علياً . وفي رواية من وجه آخر : أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجَّة حجَّها معاوية ، وأنهما قاما إلى أمِّ سلمة ، فسألاها ، فحدَّثتهما بما حدَّث به سعد ، فقال معاوية : لو سمعتُ هذا قبلَ هذا اليوم لكنتُ خادماً لعلي حتى يموت أو أموت .

وفي إسناد هذا ضعف[3] ، والله أعلم .

وقد روي عن سعد : أنه سمع رجلاً يتكلَّم في علي وفي خالد ، فقال : إنَّه لم يبلغ ما بينَنا إلى ديننا .

وقال محمد بن سِيرين : طاف سعد على تسع جوارٍ في ليلة ، فلما انتهى إلى العاشرة أخذه النوم ، فاستحيتْ أن توقظه .

ومن كلامه الحسن أنه قال لابنه مصعب : يا بُنيَّ إذا طلبتَ شيئاً فاطلبه بالقناعة ، فإنه مَنْ لا قناعةَ له لم يُغنه المال .

وقال حماد بن سلمة : عن سِمَاك بن حرب ، عن مصعب بن سعد قال : كان رأس أبي في حَجْري وهو يقضي ، فبكيت ، فقال : ما يبكيك يا بُنيّ ؟ والله إنَّ الله لا يعذِّبني أبداً ، وإني لمن أهل الجنَّة ، إنَّ

---

(١) هو مينا بن أبي مينا الزهري ، متروك ، قال ابن حبان في المجروحين (٣/ ٢٢) : منكر الحديث . . . وجب التنكب عن روايته . مترجم أيضاً في ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٢٣٧) .

(٢) « إخ » : تقال لزجر البعير ليبرك .

(٣) لكن حديث : « أنت مني بمنزلة هارون . . . » حديث صحيح ، أخرجه البخاري رقم (٤٤١٦) في المغازي : باب غزوة تبوك ، وفي فضائل الصحابة : باب مناقب علي بن أبي طالب ، ومسلم (٢٤٠٤) في فضائل الصحابة أيضاً .

الله يدين للمؤمنين بحسناتهم ، فاعملوا لله خالصاً . وأمّا الكفار فيخفِّف عنهم بحسناتهم ، فإذا نَفِدَت قال : ليطلُبْ كل عامل ثواب عمله ممَّن عمل له[(١)] .

وقال الزهري : لما حضرتْ سعداً الوفاة دعا بخَلَقِ جُبَّة فقال : كفِّنوني في هذه فإني لقيتُ فيها المشركين يوم بدر ، وإنَّما خبَّأتها لهذا اليوم .

[وقال سعد : كنّا مع رسول الله ﷺ بمكة يُصيبنا شدَّة العيش ، فخرجتُ ليلةً أبول ، فإذا شيء يُقَعْقع تحت بولي ، فإذا قطعة جلد بعير ، فأخذتُها فغسلتُها ثم أحرقتُها ، ثم وضعتُها بين حَجَرين ، فسحقتُها ثم استففتُها ، وشربتُ عليها من الماء فقويت عليها ثلاثاً][(٢)] .

وكانت وفاة سعد بالعَقيق خارج المدينة ، فحمل إلى المدينة على أعناق الرجال ، فصلَّى عليه مروان ، وصلَّى بصلاته عليه أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات ، ودُفن بالبقيع ، وكان ذلك في هذه السنة ـ سنة خمس وخمسين ـ على المشهور الذي عليه الجمهور ، وقد جاوز الثمانين على الصحيح . قال علي بن المديني : وهو آخر العشرة وفاة . وقال غيره : كان آخر المهاجرين السابقين الأوَّلين وفاة ، رضي الله عنهم أجمعين . وقال الهيثم بن عدي : مات سنة خمسين . وقال أبو معشر وأبو نعيم وقَعْنَب[(٣)] بن المحرَّر : توفي سعد سنة ثمان وخمسين ، وزاد قَعْنَب[(٣)] : وفيها توفي الحسن بن علي وعائشة وأمُّ سلَمة . والصحيح الأول ـ سنة خمس وخمسين .

قالوا : وكان سعدٌ قصيراً ، غليظاً ، شَثْن[(٤)] الكفَّين ، أفطس ، أشعر الجسد ، يخضِبُ بالسَّواد[(٥)] . وكان ميراثُه مئتي ألفٍ وخمسين ألفاً .

فَضَالة بن عُبيد الأنصاريُّ الأَوْسي[(٦)] : أول مشاهده أُحد ، وشهد بيعة الرّضوان ، ودخل الشام ، وتولَّى القضاء بدمشق في أيام معاوية بعد أبي الدرداء .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٤٧) .
(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط . وقد أورده أبو نعيم في الحلية .
(٣) تحرف في الأصول إلى : مغيث . والخبر في إكمال ابن ماكولا (٧/ ٢١٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٢٤) وقد تحرف فيه المحرر إلى المحرز ، فيتنبه لذلك .
(٤) « الشثن » : الغليظ .
(٥) ورواه الحاكم (٣/ ٤٩٦) وإسناده ضعيف .
(٦) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠١) طبقات خليفة (ت٥٤٦) مسند أحمد (٦/ ١٨) المحبر (٢٩٤) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٢٤) التاريخ الصغير (١/ ١١٩) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٤١) أخبار القضاة (٣/ ٢٠٠) الجرح والتعديل (٧/ ٧٧) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٣٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٧٣) حلية الأولياء (٢/ ١٧) الاستيعاب (٣/ ١٢٦٢) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ١١١/ب) أسد الغابة (٤/ ٣٦٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٥٠) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٧٠) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٩٨) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١١) العبر (١/ ٥٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٣) الكاشف (٢/ ٣٢٧) تذهيب التهذيب (٣/ ١٣٦/ ب) الإصابة (٣/ ٢٠٦) تهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٧) خلاصة الخزرجي (٣٠٨) شذرات الذهب (١/ ٢٥٢) .

قال أبو عبيد : مات سنة ثلاث وخمسين . وقال غيره : سنة سبع وستين . وقال ابن الجوزي في « المنتظم » : توفي في هذه السنة ، والله أعلم .

قُثَم بن العبّاس بن عبد المطَّلب[١] : كان أشبَهَ الناس برسول الله ﷺ .

تولّى نيابة المدينة في أيام علي . وشهد فتح سَمَرْقند [ممّا وراء النهر][٢] فاستُشْهد بها ، رحمه الله .

كعبُ بنُ عَمْرو[٣] : أبو اليَسَر الأنصاري السَّلَمي . شهد العقبة وبدراً ، وأَسَرَ يومئذ العباس بن عبد المطَّلب ، وشهد ما بعد ذلك من المشاهد مع رسول الله ﷺ .

قال أبو حاتم[٤] وغيره : مات سنة خمس وخمسين . وزاد غيره : وهو آخر من مات من أهل بدر .

[قال أبو اليَسَر : أشهدُ لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أو وضَعَ له أظلَّه اللهُ يومَ لا ظلَّ إلّا ظلُّه »][٥] .

ثم دخلت سنة ست وخمسين

ففيها شتا جُنادة بن أبي أميّة بأرض الروم . وقيل : عبد الرحمن بن مسعود .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٦٧) نسب قريش (٢٧) طبقات خليفة (ت١٩٧٣) المحبر (١٧ ، ٤٦ ، ١٠٧) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٩٤) التاريخ الصغير (١/ ١٤٢) أنساب الأشراف (٣/ ٦٥) الجرح والتعديل (٧/ ١٤٥) مشاهير علماء الأمصار (١٩ ، ٤١٧) جمهرة أنساب العرب (١٩) الاستيعاب (٣/ ١٣٠٤) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٢٧) أسد الغابة (٤/ ٣٩٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٥٩) تهذيب الكمال (ورقة ١١٢٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١١) تذهيب التهذيب (٣/ ١٥٧/ ب) العبر (١/ ٦١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٠) مرآة الجنان (١/ ١٣٨) العقد الثمين (٧/ ٦٧) الإصابة (٣/ ٢٢٦) تهذيب التهذيب (٨/ ٣٦١) خلاصة الخزرجي (٣١٨) شذرات الذهب (١/ ٢٥٧) .

(٢) من (أ) فقط .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٨١) طبقات خليفة (١٠٢) تاريخ خليفة (٢٢٣) مسند أحمد (٣/ ٤٢٧) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٢٢٠) المعارف (٣٢٧) المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٩) الجرح والتعديل (٧/ ١٦٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٦٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٠٥) الاستبصار (١٦٣) الاستيعاب (٣/ ١٣٢٢) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٧٧/ ب) أسد الغابة (٤/ ٤٨٤ و ٦/ ٣٣٢) تهذيب الكمال (ورقة ١١٤٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣٧) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٩) العبر (١/ ٦١) الكاشف (٣/ ٨) مجمع الزوائد (٩/ ٣١٦) تهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٧) الإصابة (٨/ ٣٠١) خلاصة الخزرجي (٣٢١) شذرات الذهب (١/ ٢٥٦) .

(٤) الجرح والتعديل (٧/ الترجمة ٩٠١) .

(٥) ما بين الحاصرتين من (أ) فقط . وهو قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم (٣٠٠٦) في الزهد : باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .

وقيل : فيها غزا في البحر يزيد بن شجرة[١] ، وفي البرِّ عِياض بن الحارث .

وفيها اعتمر معاوية في رجب ، وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

وفيها ولَّى معاويةُ سعيدَ بن عثمان بلاد خراسان ، وعزل عنها عبيد الله بن زياد ، فسار سعيد إلى خراسان ، والتقى مع الترك عند صُغد سَمَرْقند ، فقتل منهم خلقاً كثيراً واستشهد معه جماعة منهم ـ فيما قيل ـ قُثَم بن العبّاس بن عبد المطَّلب .

[قال ابن جرير : سأل سعيدُ بن عثمان بن عفّان معاوية أن يولِّيه خراسان ، فقال : إنَّ بها عبيد الله بن زياد ، فقال سعيد لمعاوية : أما لقد اصطنعك أبي ورقّاك حتى بلغتَ باصطناعه المدى الذي لا يُجارىٰ ولا يُسامىٰ ، فما شكرتَ بلاءه ، ولا جازيتَه بآلائه ، وقدَّمتَ عليَّ هذا ـ يعني : يزيد بن معاوية ـ وبايعتَ له ، ووالله لأنا خير منه أباً وأمّاً ونفساً . فقال له معاوية : أمّا بلاء أبيك عندي فقد يحقُّ عليَّ الجزاء به ، وقد كان من شكري لذلك أنِّي طلبتُ بدمه حتى تكشَّفت الأمور ، ولستُ بلائم لنفسي في التَّشمير . وأمّا فضل أبيك على أبيه ، فأبوكَ خيرٌ مني وأقربُ برسول الله ﷺ . وأمّا فضل أمِّك على أمِّه فما لا يُنكر ، فإنَّ امرأةً من قريش خيرٌ من امرأة من كلب . وأمّا فضلك عليه ، فوالله ما أحبُّ أنَّ الغوطةَ دُحِسَتْ ليزيد رجالاً مثلك ـ يعني أنَّ الغوطة لو مُلِئت رجالاً مثل سعيد بن عثمان كان يزيد خيراً وأحبَّ إليَّ منهم . فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ! ابنُ عمِّك وأنت أحقُّ مَنْ نظر في أمره ، وقد عَتَب عليك فيَّ فأَعْتبه . فولّاه حرب خراسان ، فأتى سَمَرْقند ، فخرج إليه أهل الصُّغد من الترك ، فقاتلهم وهزمهم وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه وأعطَوْه رُهُناً خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم ، فأقام بالتِّرمذ ولم يفِ لهم ، وجاء بالغلمان الرُّهُن معه إلى المدينة][٢] .

وفيها دعا معاويةُ الناس إلى البيعة ليزيدَ ولده أن يكون وليَّ عهده من بعده ، وكان قد عزم قبل ذلك على هذا في حياة المغيرة بن شعبة ، فروى ابن جرير[٣] من طريق الشَّعبي : أنَّ المغيرة كان قد قدم على معاوية واستعفاه من إمرة الكوفة ، فأعفاه لكبره وضعفه ، وعزم على توليتها سعيد بن العاص ، فلمّا بلغ ذلك المغيرة كأنه ندم ، فجاء إلى يزيد بن معاوية ، فأشار عليه أن يسأل من أبيه أن يكون وليَّ العهد من بعده ، فسأل يزيدُ ذلك من أبيه ، فقال : مَنْ أمرك بهذا ؟ قال : المغيرة ، فأَعجب ذلك معاويةَ من المغيرة ، وردَّه إلى عمل الكوفة ، وأمره أن يسعى في ذلك ، فعند ذلك سعى المغيرة في توطيد ذلك ، وكتب معاوية إلى زياد يَسْتشيره في ذلك ، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى : سمرة .
(٢) الخبر بكامله سقط من ب ، وهو في تاريخ الطبري (٥/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) .
(٣) في تاريخه (٥/ ٣٠١) وما بعدها .

والصَّيد ، فبعث إليه من يَثْني رأيه عن ذلك وهو عبيد بن كعب النُّميري ـ وكان صاحباً أكيداً لزياد ـ فسار إلى دمشق ، فاجتمع بيزيد أولاً ، فكلَّمه عن زياد ، وأشار عليه بألّاً يطلب ذلك [ولا يقبله][(١)] فإنَّ تركَهُ خير له من السَّعي فيه ، فانزجر يزيدُ عما يريد من ذلك ، ثم اجتمع بأبيه واتَّفقا على ترك ذلك في هذا الوقت ، فلمّا مات زياد وكانت هذه السنة شرَعَ معاوية في نظم ذلك ليزيد والدعاء إليه ، وعقد البيعة لولده يزيد ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، فبايع له الناس في سائر الأقاليم إلّا عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله ابن عمر ، والحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وابن عبّاس ، فركب معاوية إلى مكة معتمراً ، فلما اجتاز بالمدينة ـ مرجعه من مكة ـ استدعى كل واحد من هؤلاء الخمسة فأَوعده وتهدَّده بانفراده ، فكان من أشدهم عليه ردّاً وأجلدهم في الكلام عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق ، وكان أَلينَهم كلاماً عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ثم خطب معاويةُ وهؤلاء الخمسة حضورٌ تحت منبره ، وبايع الناس ليزيد وهم قعود ، لم يوافقوا ولم يُظهروا خلافاً لما تهدَّدهم وتوعَّدهم ، فاتَّسَقت البيعة ليزيد في سائر البلاد ، وقدمت الوفود من سائر الأقاليم إلى يزيد ، فكان فيمن قدم الأحنفُ بن قيس ، فأمره معاوية أن يحادث يزيد ، فجلسا ، ثم خرج الأحنف ، فقال له معاوية : ماذا رأيتَ من ابن أخيك ؟ فقال : إنا نخاف اللهَ إنْ كذَبْنا ، ونخافكم إنْ صَدَقنا ، وأنت أعلم به في ليله ونهاره ، وسرِّه وعلانيته ، ومدخله ومخرجه ، وأنت أعلم بما أردت ، وإنَّما علينا أن نسمع ونطيع ، وعليك أن تنصح للأمَّة .

وقد كان معاوية لمّا صالح الحسن بن علي عهد للحسن بالأمر من بعده ، فلمّا مات الحسن قوي أمر يزيد عند معاوية ، ورأى أنه لذلك أهل ، وذاك من شدَّة محبة الوالد لولده ، ولما كان يتوسَّم فيه من النَّجابة الدنيوية ، وسيما أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأُبَّهته ، وكان يظن أنه لا يقوم أحدٌ من أبناء الصحابة في هذا المعنى مقامَه ، ولهذا قال لعبد الله بن عمر فيما خاطبه به : إني خفتُ أن أذرَ الرعيَّة من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع . فقال له ابن عمر : إذا بايعه الناس كلُّهم بايعتُه ولو كان عبداً حبشيّاً مجدَّع الأطراف .

وقد عاتب معاويةَ في ولايته يزيدَ سعيدُ بنُ عثمان بن عفّان ، وطلب منه أن يولِّيه مكانه ـ يعني مكان ابنه يزيد ـ وقال له [سعيد فيما قال : إنَّ أبي لم يزل معتنياً بك حتى بلغتَ ذروة المجد والشرف ، وقد قدَّمتَ ولدك عليَّ وأنا خير منه أباً وأمَّا ونفساً . فقال له : أمّا ما ذكرتَ من إحسان أبيك إليَّ فإنه أمر لا يُنكر ، وأمّا كون أبيك خيراً من أبيه فحقّ ، وأمك قرشيّة وأمه كلبيَّة فهي خير منها ، وأما كونك خيراً منه][(٢)] فوالله لو مُلئت إلي الغوطة رجالاً مثلك لكان يزيدُ أحبَّ إليَّ منكم كلكم .

---

(١) من (أ) فقط .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في أ .

وروينا عن معاوية أنه قال يوماً في خطبته : اللهمَّ إن كنتَ تعلم أني ولَّيته لأنه فيما أراه أهل لذلك فأَتِمَّ له ما ولَّيته ، وإن كنتَ تعلم أني إنَّما ولَّيتُه لأني أحبُّه فلا تتمَّ له ما ولَّيته .

وذكر الحافظ ابن عساكر(١) : أن معاوية كان قد سَمَرَ ليلة ، فتكلَّم أصحابه في المرأة التي يكون ولدها نجيباً ، فذكروا صفة المرأة التي يكون ولدها نجيباً ، فقال معاوية : وددتُ لو عرفت بامرأة تكون بهذه المثابة ؟! فقال أحد جلسائه : قد وجدت ذلك يا أمير المؤمنين . قال : ومَن ؟ قال : ابنتي يا أمير المؤمنين . فتزوَّجها معاوية ، فولدت له يزيد بن معاوية ، فجاء نجيباً ذكيّاً حاذقاً . ثم خطب امرأة أخرى فحَظِيت عنده وولدت له غلاماً آخر ، وهجر أمَّ يزيد فكانت عنده في جنب داره ، فبينما هو في النظارة ومعه امرأته الأُخرى إذ نظر إلى أمِّ يزيد وهي تسرِّحُه ، فقالت امرأته : قبَّحها الله وقبَّح ما تسرِّح . فقال : ولـمَ ؟ فوالله إنَّ ولدها لأنجبُ من ولدك ، وإن أحببتِ بيَّنتُ لكِ ذلك ، ثم استدعى ولدها فقال له : إنَّ أمير المؤمنين قد عنَّ له أن يُطْلِق لك ما تتمنّاه عليه فاطلُب مني ما شئت . فقال : أسأل من أمير المؤمنين أن يُطْلِق لي كلاباً للصَّيد وخيلاً ورجالاً يكونون معي في الصَّيد . فقال معاوية : قد أمرنا لكَ بذلك . ثم استدعى يزيد فقال له كما قال لأخيه ، فقال يزيد : أو يعفيني أمير المؤمنين في هذا الوقت عن هذا ؟ فقال : لا بدَّ لك أن تسأل حاجتك ، فقال : أسأل ـ وأطال الله عمر أمير المؤمنين ـ أن أكون وليَّ عهده من بعده ، فإنه بلغني أنَّ عدل يومٍ في الرعيَّة كعبادة خمسمئة عام . فقال : قد أجبتك إلى ذلك . ثم قال لامرأته : كيف رأيت ؟ فعلمتْ وتحققتْ فضل يزيد على ولدها .

وقد ذكر ابن الجوزي في هذه السنة وفاة أمِّ حرَام بنت مِلْحان الأنصاريَّة امرأة عبادة بن الصامت ، والصحيح الذي لم يذكر العلماء غيره أنها توفيت سنة سبع وعشرين [في خلافة عثمان ، وكانت هي وزوجها](٢) مع معاوية حين دخل قبرص ، وَقَصَتْها(٣) بغلتُها فماتت هناك ، وقبرها بقبرص . والعجب أن ابن الجوزي أورد في ترجمتها حديثها المخرَّج في « الصحيحين » في قيلولة النبي ﷺ في بيتها ورؤياه في منامه قوماً من أمته يركبون ثَبَج(٤) البحر مثل الملوك على الأسرَّة غزاة في سبيل الله ، وأنها سألته أن يدعو لها أن تكون منهم ، فدعا لها ، ثم نام فرأى كذلك ، فقالت : ادعُ الله أن يجعلَني منهم ، فقال : « لا ، أنت من الأوَّلين »(٥) وهم الذين فتحوا قبرص فكانت معهم وذلك في سنة سبع وعشرين ، ولم تكن من الآخرين الذين غزوا بلاد الروم سنة إحدى وخمسين مع يزيد بن معاوية [ومعهم أبو أيوب ، وقد توفي

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٠) ضمن ترجمة يزيد .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) « وقصتها » : أوقعتها وكسرت عنقها .

(٤) « ثبج البحر » : وسطه ومعظمه .

(٥) رواه البخاري رقم (٢٧٨٨) ومسلم رقم (١٩١٢) .

هناك ، فقبره قريب من سور القُسْطنطينيَّة . وقد ذكرنا هذا مقرراً في دلائل النبوة][(١)] .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

فيها كان مَشْتى عبد الله بن قيس بأرض الروم .

قال الواقدي : وفي شوّالها عزل معاويةُ مروانَ بن الحكم عن المدينة ، وولّى عليها الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ، وهو الذي حجَّ بالناس في هذه السنة ، لأنه صارت إليه إمرة المدينة ، وكان على الكوفة الضحّاك بن قيس ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان سعيد بن عثمان .

قال ابن الجوزي : وفيها توفي عثمان بن حُنَيف الأنصاريُّ الأوسيّ ، وهو أخو عبادة وسهل ابني حُنَيف .

بعثه عمر لمساحة خَرَاج السَّواد بالعراق ، واستنابه عمر على الكوفة ، فلمّا قدم طلحة والزبير صحبة عائشة ، وامتنع من تسليم دار الإمارة نُتِفتْ لحيتُه وحواجبُه وأشفارُ عينيه ومُثِّل به ، فلمّا جاء عليٌّ وسلَّمه البلد ، قال له : يا أمير المؤمنين فارقتُك ذا لحيةٍ واجتمعتُ بك أمرد ، فتبسَّم علي رضي الله عنه وقال : لك أجرُ ذلك عند الله .

وله في « المسند » و « السنن » حديث الأعمى الذي سأل رسول الله ﷺ أن يدعوَ له ليردَّ اللهُ عليه ضوء بصره ، فردَّه الله عليه[(٢)] . وله حديث آخر عند النَّسائي[(٣)] .

ولم أر أحداً أرَّخ وفاته بهذه السنة سوى ابن الجوزي ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

فيها غزا مالك بن عبد الله الخَثْعَمي أرض الروم .

---

(١) ما بين حاصرتين ورد بدلًا عنه في أ : وقد تقدم هذا كله . وترجمة أم حرام في سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٦) والحديث مخرج هناك .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٣٨) والترمذي (٣٥٧٨) في الدعوات ، والنسائي في الكبرى رقم (١٠٤٩٥) وابن ماجه (١٣٨٥) في إقامة الصلاة . . . كلهم من طريق عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن أبي جعفر المدني ، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت ، عن عثمان بن حنيف : «أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني ، فقال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك . قال : فادعه . قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه بنبيك محمد نبي الرحمة . يامحمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى . اللهم فشفعه فيّ» . وقال الترمذي : حسن صحيح وهو كما قال .

(٣) رواه النسائي في الكبرى رقم (٩٧٦٥) هو في النهي عن التصاوير .

وفيها قُتل يزيد بن شَجَرة في البحر . [وقيل : بل غزا البحر وبلاد الروم جُنادة بن أبي أميَّة . وقيل : إنما شتا بأرض الروم عمرو بن يزيد الجُهَني .

قال أبو معشر والواقدي][(١)] : وحجَّ بالناس فيها الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان .

وفيها ولَّى معاويةُ الكوفة لعبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثَّقفي ـ ابن أمِّ الحكم [وأمُّ الحكم هي أخت معاوية ـ وعزل عنها الضحّاك بن قيس ، فولّى ابنُ أمِّ الحكم][(٢)] على شرطته زائدة بن قدامة . وخرجت الخوارج في أيام ابن أمِّ الحكم ، وكان رئيسهم في هذه الوقعة حيّان بن ظَبْيان السُّلمي ، فبعث إليهم جيشاً فقتلوا الخوارج جميعاً . ثم إن ابن أمِّ الحكم أساء السيرة في أهل الكوفة ، فأخرجوه من بين أظهرهم طريداً ، فرجع إلى خاله معاوية ، فذكر له ذلك ، فقال : لأولِيَنَّك مصراً خيراً منها ، فولّاه مصر ، فلمّا سار إليها تلقّاه معاوية بن حُدَيج[(٣)] على مرحلتين من مصر فقال له : ارجع إلى خالك معاوية ، فلَعَمري لا ندعُك تدخلها فتسير فيها وفينا سيرتَك في إخواننا من أهل الكوفة ، فرجع ابن أمِّ الحكم إلى معاوية ، ولحقه معاوية بن حُدَيج وافداً على معاوية ، فلمّا دخل عليه وجد عنده أخته أمَّ الحكم ـ وهي أم عبد الرحمن الذي طرده أهل الكوفة وأهل مصر ـ فلمّا رآه معاوية قال : بخٍ بخٍ ، هذا معاوية بن حُدَيج ، فقالت أمُّ الحكم : لا مَرْحباً به ، تسمع بالمُعَيْديِّ خيرٌ من أنْ تراه[(٤)] ، فقال معاوية بن حُدَيج : على رِسْلِكِ يا أمَّ الحكم ، أما والله لقد تزوَّجتِ فما أكرمتِ ، وولدتِ فما أَنجبتِ ، أردتِ أن يليَ ابنُك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة ، فما كان الله ليريَه ذلك ، ولو فعل لضربناه ضرباً يطأطِئ منه رأسه ، وإن كره ذلك الجالس ـ يعني معاوية ـ فالتفت إليها معاوية فقال : كُفِّي .

قصَّة غريبَـة

ذكرها ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » بسنده . وهو أنَّ شابًّا من بني عُذرة جرت له قصَّة مع ابن أمِّ الحكم [وهو والٍ على الكوفة في هذه السنة][(٥)] وملخَّصُها : أنَّ معاوية بينما هو يوماً على السِّماط[(٦)] إذا شاب من بني عُذرة قد مثَل بين يديه ، فأنشده شعراً مضمونه التشوّق إلى زوجته سعاد ، فاستدناه معاويةُ واستحكاه عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إني كنت مزوَّجاً بابنة عمٍّ لي ، وكان لي إبل وغنم ،

(١) ما بين حاصرتين سقط من آ . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٠٩) .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) تصحف في غير موضع من الأصول إلى : خديج .

(٤) قولها : تسمع بالمعيدي . . . ، مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه . مجمع الأمثال للميداني (١/ ١٢٩ ـ ١٣١) .

(٥) ما بين حاصرتين من ب فقط .

(٦) في مختصر تاريخ دمشق : فوقف بين السماطين . وسماط القوم : صفهم .

فأنفقتُ ذلك عليها ، فلمّا قلَّ ما بيدي رغب عني أبوها وشكاني إلى عاملك بالكوفة ـ ابن أمِّ الحكم ـ وبلغه جمالها ، فحبسَني في الحديد ، وحملَني على أن طلَّقتُها ، فلمّا انقضت عدَّتُها أعطاه عاملك عشرة آلاف درهم فزوَّجه بها ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحزون الملهوف المكروب ، وسند المسلوب ، فهل من فَرَج ؟ ثم بكى وأنشأ يقول :

فـي القلـب منِّـيَ نـارُ والنَّـارُ فيهـا شَـرَارُ
والجسـمُ منِّـي نَحيـلٌ واللَّـونُ فيـه اصْفِـرارُ
والعيـنُ تبكـي بشَجْـوٍ فـدَمْعُهـا مِـدْرارُ
والحـبُّ داءٌ عسيـرٌ فيـه الطَّبيـبُ يَحَـارُ[١]
حُمِّلـتُ فيـه عَظيمـاً فمـا علَيـهِ اصْطبـارُ
فليـسَ ليلـي بلَيـلٍ ولا نهـاري نهـارُ

قال : فرقَّ له معاوية ، وكتب إلى ابن أمِّ الحكم يؤنِّبه على ذلك ويعيبه عليه ويأمره بطلاقها قولاً واحداً ، فلمّا جاءه كتاب معاوية تنفَّس الصُّعَداء وقال : وددتُ أن أمير المؤمنين خلَّى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السَّيف ، وجعل يؤامر نفسه على طلاقها فلا يقدر على ذلك ولا تُجيبه نفسه . وجعل الرسول الذي ورد عليه بالكتاب يستحثُّه ، فطلَّقها وأخرجها عنه ، وسيَّرها مع الوفد إلى معاوية . فلمّا وقفت بين يديه رأى منظراً جميلاً ، فلما استنطقها فإذا أفصح الناس ، وأحلاهم كلاماً ، وأكملهم جمالاً ودلالاً ، فقال لابن عمِّها : يا أعرابيّ ! هل من سُلُوٍّ عنها بأفضل الرَّغبة ؟ قال : نعم ، إذا فرقتَ بين رأسي وجسدي ، ثم أنشأ يقول :

لا تجعلَنِّيَ والأمثالُ تُضربُ بي كالمُستغيثِ من الرَّمضاء بالنَّار
اردُدْ سُعادَ على حَيْرانَ مُكتئبٍ يُمسي ويُصبحُ في همٍّ وتَذْكار
قـد شَفَّـهُ قلـقٌ مـا مثلُـهُ قلـقٌ وأُسعر القلبُ منه أيّ إسْعار
واللهِ واللهِ لا أَنسـىٰ محبَّتَهـا حتى أُغيَّبَ في رَمْسٍ وأحجار
كيف السُّلوُّ وقد هام الفؤادُ بها وأصبحَ القلبُ عنها غيرَ صَبَّار

فقال معاوية : فإنا نخيِّرها بيني وبينك وبين ابن أمِّ الحكم ، فأنشأتْ تقول :

هٰذا وإنْ أصبحَ في أَطْمار[٢] وكـان فـي نقـصٍ مـن اليَسـار

---

(١) ورد الشطر الأول من هذا البيت في النسخ المطبوعة كما يلي : والحب ذا عبر وهذا تحريف فظيع : إذ يختل المعنى ولا يستقيم الوزن .
(٢) تحرفت في المطبوع إلى : إطار . « والأطمار » : جمع طمر ، وهو الثوب الخلَق .

أَحبُّ عندي من أبي وجاري وصاحبِ الدِّرهم والدِّينار
أخشىٰ إذا غَدَرْتُ حرَّ النَّار

قال : فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم ومركب ووطاءٍ ، ولما انقضت عدَّتها زوَّجه بها وسلَّمها إليه . حذفنا منها أشعاراً كثيرة مطوَّلة(١) .

وجرت في هذه السنة فصول طويلة بين عبيد الله بن زياد والخوارج ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وجماً غفيراً ، وحبس منهم آخرين ، وكان صارماً كأبيه مقداماً في أمرهم .

ذكر من توفي من الأعيان في هذا العام :

سَعيد بن العاص(٢) : ابن [سعيد بن العاص](٣) بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيُّ الأمويّ .

قتل أبوه يوم بدر كافراً ، قتلَه علي بن أبي طالب ، ونشأ سعيد في حجر عثمان بن عفّان ، وكان عمر سعيد يوم مات رسول الله ﷺ تسع سنين . وكان من سادات المسلمين والأجواد المشهورين . وكان جدُّه سعيد بن العاص ـ ويكنى بأبي أُحَيْحة(٤) ـ رئيساً في قريش ، يقال له : ذو التاج ، لأنه كان إذا اعتمَّ لا يعتمُّ أحد يومئذ إعظاماً له .

وكان سعيد هذا من عمّال عمر على السَّواد ، وجعله عثمان فيمن يكتب المصاحف لفصاحته . قالوا : وكان أشبهَ الناس لهجة(٥) برسول الله ﷺ . وكان في جملة الاثني عشر رجلاً [الذين يستخرجون

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٥٠ ـ ٢٥٣) .
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٠) نسب قريش (١٧٦) تاريخ خليفة (١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، وغيرها) المحبر (٥٥ ، ١٥٠ ، ١٧٤) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٥٠٢) المعارف (٢٩٦ ، ٦١٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٢) أنساب الأشراف (٤/ ٤٣٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢٩٣) الجرح والتعديل (٤/ ٤٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٤٦) الأغاني (١٧/ ٢٢٤) معجم الطبراني الكبير (٦/ ٧٣) جمهرة أنساب العرب (٨٠) الاستيعاب (٢/ ٦٢١) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ١٧٤) تاريخ ابن عساكر (٧/ ١٢٧/آ) أسد الغابة (٢/ ٣٩١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٢١٨) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٥) تهذيب الكمال (١٠/ ٥٠١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨٦) العبر (١/ ٦٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٤) الكاشف (١/ ٢٢٨) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٣٢٤) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٨٧) الوافي بالوفيات (١٥/ ٢٢٧) العقد الثمين (٤/ ٥١٧) نهاية السول (ورقة ١١٧) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٨) الإصابة (٢/ ٤٧) خلاصة الخزرجي (١٣٩) شذرات الذهب (١/ ٢٦٨) تهذيب ابن عساكر (٦/ ١٣٣) .
(٣) سقط من (أ) و ط .
(٤) تحرفت في (أ) و ط إلى : أجنحة .
(٥) وقعت في الأصول : لحية وما أثبته من مصادر ترجمته ، فقد أخرج ابن أبي داود في المصاحف (ص٢٤) عن سعيد ابن عبد العزيز أنه قال : إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ .

القرآن ويعلمونه ويكتبونه][١] منهم أُبيُّ بن كعب ، وزيدُ بن ثابت . واستنابه عثمان على الكوفة بعد عزله الوليد بن عُقْبة ، فافتتح طَبرستان وجُرجان ، ونقض العهد أهل أَذْرَبيجان فغزاهم ففتحها ، ولمّا مات عثمان اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولاصفِّين ، فلمّا استقرَّ الأمر لمعاوية وفد إليه ، فعتب عليه ، فاعتذر إليه ، فعذره . . . في كلام طويل جداً ، وولّاه المدينة مرتين ، وعزله عنها مرتين بمروان بن الحكم . وكان سعيد هذا لا يسبُّ عليًّا ، ومروان يسبُّه .

وروى عن النبي ﷺ ، وعن عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعائشة ، وعنه ابناه : عَمرو بن سعيد الأَشْدَق ، وأبو سعيد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم . وليس له في « المسند » ولا في الكتب الستة شيء .

وقد كان حسن السِّيرة ، جيِّد السَّريرة . وكان كثيراً ما يجمع أصحابه في كل جمعة فيطعمهم ويكسوهم الحلل ، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبرّ الكثير ، وكان يصرُّ الصُّرَر فيضعها بين يدي المصلِّين من ذوي الحاجات في المسجد .

قال ابن عساكر : وقد كانت له دار بدمشق تُعرف بعده بدار نعيم بنواحي الديماس، ثم رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات . وكان كريماً جواداً ممدَّحاً . ثم أورد شيئاً من حديثه من طريق يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو سعيد الجُعْفي ، حدّثنا عبد الله بن الأَجْلح ، حدّثنا هشام بن عروة ، عن أبيه أن سعيد بن العاص قال : إن رسول الله ﷺ قال : « خِيَارُكم في الإسلام خِيَارُكم في الجاهليَّة »[٢] . ومن طريق الزبير بن بكّار : حدّثني رجل ، عن عبد العزيز بن أبان ، حدّثني خالد بن سعيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببُرْد فقالت : إني نويت أن أُعطي هذا الثوبَ أكرمَ العرب ، فقال : « أعطيه هذا الغلام » يعني سعيد بن العاص ، وهو واقف ، فلذلك سمِّيت الثياب السَّعيديَّة[٣] . وأنشد للفرزدق فيه :

تَرَى الغُرَّ الجَحَاجحَ من قُرَيْشٍ إذا ما الخطبُ في الحَدَثانِ عَالا
قِيَاماً يَنْظُرونَ إلى سَعيدٍ كأَنَّهُم يَرَوْنَ بهِ هِلاَلا[٤]

وذكر أن عثمان عزل عن الكوفة المغيرةَ وولّاها سعيد بن العاص[٥] ، ثم عزله وولَّى الوليد بن

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٢) أخرجه يعقوب في المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) وابن عساكر في تاريخه (٩/ ٣٠٥) مختصره، ومتن الحديث المشهور في هذا هو حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري (٣٤٩٦) ومسلم (٢٥٢٦)، ولفظ البخاري: «والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا . . . إلخ» .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٦) .
(٤) البيتان في ديوان الفرزدق (٦١٥ ، ٦١٨) ورواية البيت الأول فيه : إذا ما الأمر ذو الحدثان عالا . وفي سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٥) تخريج موسع لهما .
(٥) وقع في المطبوع : سعيد بن أبي وقاص .

عُقبة[١] ، ثم عزله وولَّى سعيد بن العاص ، فأقام بها حيناً ، ولم تُحمد سيرتُه فيهم ولم يحبُّوه ، ثم ركب مالك بن الحارث ـ وهو الأشتر النَّخعي ـ في جماعة إلى عثمان وسألوه أن يعزل عنهم سعيداً ، فلم يعزله ، وكان عنده بالمدينة ، فبعثه إليه ، وسبق الأشترُ إلى الكوفة ، فخطب الناسَ وحثَّهم على منعه من الدخول إليهم ، وركب الأشترُ في جيش يمنعوه من الدخول ، قيل : تلقَّوه إلى العُذَيب ، وقد نزل سعيد بالرعثة[٢] ، فمنعوه من الدخول إليهم ، ولم يزالوا به حتى ردُّوه إلى عثمان ، وولَّى الأشترُ أبا موسى الأشعري على الصلاة والثغر ، وحذيفة بن اليَمَان على الفيء ، فأجاز ذلك أهلُ الكوفة وبعثوا إلى عثمان في ذلك ، فأمضاه وسرَّه ذلك فيما أظهره ، ولكن هذا كان أول وهن دخل على عثمان . وأقام سعيد بن العاص بالمدينة حتى كان زمن حصر عثمان فكان عنده بالدار ، ثم لمّا ركب طلحة والزبير مع عائشة من مكة يريدون قتَلَة عثمان ركب معهم ، ثم انفرد عنهم هو والمغيرة بن شعبة وغيرهما ، فأقام بالطائف حتى انقضت تلك الحروب كلّها ، ثم ولّاه معاوية إمرة المدينة سنة تسع وأربعين ، وعزل مروان ، فأقام حيناً[٣] ثم ردَّ مروان .

وقال عبد الملك بن عُمير : عن قَبيصة بن جابر قال : بعثني زياد في شغل إلى معاوية ، فلمّا فرغتُ من أموري قلت : ياأمير المؤمنين لمن يكون الأمرُ من بعدك ؟ فسكت ساعة ثم قال : يكون بين جماعة : أما كريم[٤] قريش فسعيد بن العاص ، وأما فتى قريش حياءً ودهاءً وسخاءً فعبد الله بن عامر ، وأما الحسن[٥] بن علي فرجل سيِّد كريم ، وأما القارئ لكتاب الله الفقيهُ في دين الله الشديدُ في حدود الله فمروان بن الحكم ، وأما رجل فقيه فعبد الله بن عمر ، وأما رجل يرد الشريعة مع دواهي السِّباع ويروغ رَوَغان الثعلب فعبد الله بن الزبير .

وروينا أنه استسقىٰ يوماً في بعض طرق المدينة ، فأخرج له رجل من داره ماءً فشرب ، ثم بعد حين رأى ذلك الرجل يَعرِض داره للبيع ، فسأل عنه لمَ يبيعُ داره ؟ فقالوا : عليه دين أربعة آلاف دينار ، فبعث إلى غريمه فقال : هي لك عليّ ، وأرسل إلى صاحب الدار فقال : استمتع بدارك[٦] .

وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد افتقر وأصابته فاقة شديدة ، فقالت له امرأته : إن أميرنا هذا

---

(١) وقع في المطبوع : عتبة .

(٢) كذا في الأصول . والذي في مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٧) وغيره من المصادر التاريخية : الجَرَعة بين الكوفة والحيرة . معجم البلدان (٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨) .

(٣) كذا في أ ، ووقعت في ط : سبعاً ، وفي ب وم : خمساً .

(٤) في ب : كريمة ، وفي تاريخ أبي زرعة الدمشقي : كرمة .

(٥) كذا في الأصول ، وهو كذلك في تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٥٩٣) وقال محققه : المعروف أن الحسن بن علي تنازل عن الخلافة سنة ٤٠هـ ، ولاشك أن المقصود أخوه الحسين .

(٦) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣١٣ ـ ٣١٤) .

يوصف بكرم ، فلو ذكرتَ له حالك فلعلَّه يسمح لك بشيء ، فقال : ويحك ! لا تُخْلِقي[١] وجهي ، فألحَّت عليه في ذلك ، فجاء فجلس إليه ، فلمّا انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً في مكانه ، فقال له سعيد : أظن جلوسك لحاجة ، فسكت [الرجل ، فقال سعيد لغلمانه : انصرفوا ، ثم قال له سعيد : لم يبقَ غيري وغيرك ، فسكت][٢] فأطفأ المصباح ثم قال له : رحمك الله لست ترى وجهي فاذكر حاجتك ، فقال : أصلح الله الأمير ! أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك فاستحييت ، فقال له : إذا أصبحت فالقَ وكيلي فلاناً ، فلمّا أصبح الرجل لقي الوكيل ، فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر لك بشيء فأْتِ بمن يحملُه معك ، فقال : ما عندي من يحملُه ، ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامَها وقال : حملتيني على بذل وجهي للأمير ، فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى مَنْ يحملُه ، وما أراه أمَرَ لي إلّا بدقيق أو طعام ، ولو كان مالاً لما احتاج إلى من يحملُه ولأعطانيه . فقالت له المرأة : فمهما أعطاك فإنه يقوتنا فخذه ، فرجع الرجل إلى الوكيل ، فقال له الوكيل : إني أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحملُه ، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السُّودان يحملونه معك ، فذهب الرجل أمامهم ، فلمّا وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، فقال للغِلْمان : ضَعُوا ما معكم وانصرفوا ، فقالوا : إن الأمير قد أطلقَنا لك ، فإنه ما بعث مع خادم هدية إلى أحد إلّا كان الخادم الذي يحملها من جملتها . قال : فحسن حال ذلك الرجل .

وذكر ابن عساكر : أن زياد بن أبي سفيان بعث إلى سعيد بن العاص هدايا وأموالاً وكتاباً ذكر فيه أنه يخطُب إليه ابنتَه أمَّ عثمان من آمنة بنت جرير بن عبد الله البَجَلي ، فلمّا وصلت الهدايا والأموال والكتاب قرأه ، ثم فرّق الهدايا في جلسائه ، ثم كتب إليه كتاباً لطيفاً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ ـ ٧] والسلام .

وروينا أنَّ سعيداً خطب أمَّ كلثوم بنت علي من فاطمة ، التي كانت تحت عمر بن الخطاب ، فأجابت إلى ذلك ، وشاورت أخويها ، فكرها ذلك ـ وفي رواية : إنما كره ذلك الحسين وأجاب الحسن ـ فهيَّأت دارها ، ونصبت سريراً ، وتواعدوا للكتاب ، وأمرت ابنها زيد بن عمر أن يزوِّجها منه ، فبعث إليها بمئة ألف ـ وفي رواية : بمئتي ألف ـ مَهْراً ، واجتمع الناس عنده ليذهبوا معه ، فقال : إني أكره أن أُحرج ابنَيْ[٣] فاطمة ، فترك التزويج ، وأطلق جميع ذلك المال لها .

وقال ابن مَعِين وعبد الأعلى بن حمّاد : سأل أعرابيٌّ سعيد بن العاص ، فأمر له بخمسمئة ، فقال الخادم : خمسمئة درهم أو دينار ؟ فقال : إنما أمرتك بخمسمئة درهم ، وإذ قد جاش في نفسك أنها

---

(١) تحرفت في (أ) و (ط) إلى : تحلقي . وفي اللسان : أخلق الدهر الشيء : أبلاه . وكذلك أخلق السائل وجهه .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من آ ، وسقط بعضه من ب .
(٣) في بعض النسخ : أمي .

دنانير فادفع إليه خمسمئة دينار . فلمّا قبضها الأعرابيُّ جلس يبكي ، فقال له : مالك ، ألم تقبض نوالك ؟ قال : بلى والله ، ولكن أبكي على الأرض كيف تأكل مثلك[١] .

وقال عبد الحميد بن جعفر : جاء رجل في حَمَالة[٢] أربع دِيَات سأل فيها أهل المدينة ، فقيل له : عليك بالحسن بن علي ، أو عبد الله بن جعفر ، أو سعيد بن العاص ، أو عبد الله بن عباس ، فانطلق إلى المسجد ، فإذا سعيد داخل إليه ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقيل : سعيد بن العاص ، فقصده فذكر له ما أقدمه ، فتركه حتى انصرف من المسجد إلى المنزل ، فقال للأعرابي : ائتِ بمن يحمل معك ، فقال : رحمك الله! إنما سألتك مالاً لا تمراً ، فقال : أعرف ، ائتِ بمن يحمل معك ، فأعطاه أربعين ألفاً ، فأخذها الأعرابي وانصرف ، ولم يسأل غيره[٣] .

وقال سعيد بن العاص لابنه : يا بني ! أخزى الله[٤] المعروف إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأمّا إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه ، أو جاءك مخاطراً لا يدري أتعطيه أم تمنعه ، فوالله لو خرجتَ له من جميع مالك ما كافأتَه .

وقال سعيد : لجليسي عليَّ ثلاث : إذا دنا رحَّبتُ به ، وإذا جلس أوسعتُ له ، وإذا حدَّث أقبلتُ عليه .

وقال أيضاً : يا بني ! لا تُمازحِ الشريف فيحقد عليك ، ولا الدَّنيء فتهون عليه ـ وفي رواية : فيجترئ عليك .

وخطب يوماً فقال : مَنْ رزقه الله رزقاً حسناً فليكن أسعد الناس به ، إنما يتركه لأحد رجلين : إمّا مصلح فيسعد بما جمعتَ له وتخيب أنت ، والمصلح لا يقلُّ عليه شيء [وإمّا مفسد فلا يبقى له شيء][٥] . فقال معاوية : جمع أبو عثمان طرف الكلام .

وروى الأصمعي ، عن حكيم بن قيس قال : قال سعيد بن العاص : موطنان لا أَستحيي من رفقي فيهما والتأنِّي عندهما : مخاطبتي جاهلاً أو سفيهاً ، وعند مسألتي حاجة لنفسي .

ودخلت عليه امرأة من العابدات ـ وهو أمير الكوفة ـ فأكرمها وأحسن إليها ، فقالت : لا جعل الله لك حاجة إلى لئيم ، ولا زالت المنَّة لك في أعناق الكرام ، وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردِّها عليه .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣١٤) .
(٢) « الحمالة » : الغرامة التي يحملها قوم عن قوم .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣١٤) .
(٤) في المطبوع : أجر لله . والخبر بنحوه في العقد الفريد (١/ ٢٣٨) ولفظه فيه : قبح الله المعروف .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وقد كان له عشرة من الولد ذكوراً وإناثاً ، وكانت إحدى زوجاته أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص ـ أخت مروان بن الحكم ـ ولمّا حضرت سعيداً الوفاةُ جمع بنيه وقال لهم : لا يفقدن أصحابي غير وجهي ، وصِلُوهم بما كنت أصلهم به ، وأجروا عليهم [ما كنت أُجري عليهم][1] واكفوهم مؤنة الطلب ، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائصه مخافة أن يُردّ ، فوالله لرجل يتململُ على فراشه يراكم موضعاً لحاجته أعظم منة عليكم مما تعطونه . ثم أوصاهم بوصايا كثيرة منها : أن يوفوا ما عليه من الدَّين والوعود ، وألا يزوِّجوا أخواتهم إلّا من الأكفاء ، وأن يسوِّدوا أكبرهم . فتكفَّل بذلك كله ابنه عمرو بن سعيد الأَشْدق ، فلمّا مات دفنه بالبقيع ، ثم ركب عمرو إلى معاوية فعزّاه فيه ، واسترجع معاوية وحزن عليه وقال : هل ترك من دَين عليه ؟ قال : نعم ، قال : وكم هو ؟ قال : ثلاثمئة ألف درهم ـ وفي رواية : ثلاثة آلاف ألف درهم ـ فقال معاوية : هي عليّ ، فقال ابنه : يا أمير المؤمنين ! إنه أوصاني ألَّا أقضي دينه إلا من ثمن أراضيه ، فاشترى منه معاوية أراضي بمبلغ الدَّين ، وسأل منه عمرو أن يحملّها له إلى المدينة ، فحملها له . ثم شرع عمرو يقضي ما على أبيه من الدَّين حتى لم يبق أحد ، فكان من جملة من طالبه شاب معه رقعة من أديم فيها عشرون ألفاً ، فقال له عمرو : كيف استحققت هذه على أبي ؟ فقال الشاب : إنه كان يوماً يمشي وحده ، فأحببت أن أكون معه حتى يصل إلى منزله ، فقال : ابغني رقعة من أدم ، فذهبت إلى بعض الجزّارين فأتيته بهذه ، فكتب لي فيها هذا المبلغ ، واعتذر بأنه ليس عنده اليوم شيء . فدفع إليه عمرو ذلك المال ، وزاده شيئاً كثيراً .

ويروى أن معاوية قال لعمرو بن سعيد : من ترك مثلك لم يَمُت ، ثم قال : رحم الله أبا عثمان ثم قال : قد مات من هو أكبر منِّي ومن هو أصغر مني . ثم أنشد قول الشاعر :

إذا سَارَ مَنْ دونَ امرئٍ وأمامَهُ وأُوْحِشَ مِنْ إخوانه فهو سَائر[2]

وكانت وفاة سعيد بن العاص في هذه السنة ، وقيل : في التي قبلها ، وقيل : في التي بعدها ، وقال بعضهم : كانت وفاته قبل عبد الله بن عامر بجمعة . فالله أعلم .

شَدَّاد بن أَوْس[3] : ابن ثابت بن المنذر بن حرام ، أبو يعلى الأنصاريُّ الخزرجيّ . صحابي جليل ، وهو ابن أخي حسان بن ثابت .

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) البيت في مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣١٥) وقد خرجه محققه من التعازي والمراثي (ص٥٢) والكامل للمبرد (٤/ ٢٧).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠١) طبقات خليفة (٨٨ ، ٣٠٣) تاريخ خليفة (٢٢٧) مسند أحمد (٤/ ١٢٢) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٢٢٤) التاريخ الصغير (١/ ٨٩) المعارف (٣١٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٥٦ و٢/ ٣٢٠ ، ٧١٩) الجرح والتعديل (٤/ ٣٢٨) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٨٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٢٥) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٠٦) الاستبصار (٥٤) حلية الأولياء (١/ ٢٦٤) الاستيعاب (٢/ ٦٩٤) الجمع لابن القيسراني (١/ ٢١١) أسد الغابة (٢/ ٥٠٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٢) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ٢٧٦) تهذيب الكمال (١٢/ ٣٨٩) تاريخ=

وحكى ابن مَنْده ، عن موسى بن عقبة أنه قال : شهد بدراً . قال ابن مَنْده : وهو وَهْم .

وكان من الاجتهاد في العبادة على جانب عظيم ، كان إذا أخذ مضجعه يقلَقُ[(١)] على فراشه ، ويتلوّى كما تتلوّى الحيَّة ويقول : اللهمَّ إنَّ خوف النار قد أقلَقَني ، ثم يقوم إلى صلاته .

قال عُبادة بن الصامت : كان شدّاد من الذين أُوتوا العلم والحلم .

نزل شدّاد فلسطين وبيت المقدس ، ومات في هذه السنة عن خمس وسبعين سنة . وقيل : مات سنة أربع وستين . وقيل : سنة إحدى وأربعين . فالله أعلم .

عبدُ اللهِ بنُ عامر[(٢)] : ابن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصيّ القرشيُّ العَبْشَمي ، ابن خال عثمان بن عفّان .

ولد في حياة رسول الله ﷺ وتَفَل في فيه ، فجعل يبتلع ريق رسول الله ﷺ ، فقال[(٣)] : « إنه لمُسْقيٌ » . فكان لا يُعالج أرضاً إلّا ظهر له الماء .

وكان كريماً ممدَّحاً ميمون النَّقيبة .

استنابه عثمان على البصرة بعد أبي موسى ، وولّاه فارس بعد عثمان بن أبي العاص ـ وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ـ ففتح خراسان كلَّها ، وأطراف فارس ، وسِجِسْتان ، وكَرْمان ، وبلاد غَزْنة . وقتل كسرى ـ ملك الملوك في أيامه ، وهو يَزْدَجِرْد[(٤)] ـ ثم أحرم عبد الله بن عامر بحجَّة ـ وقيل : بعمرة ـ من تلك البلاد شكراً لله عز وجل ، وفرَّق في أهل المدينة أموالًا كثيرة جزيلة .

= الإسلام (٢/ ٢٩١) العبر (١/ ٦٢) الكاشف (٢/ ٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٠) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٦٦٨) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ٧١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٥٨) نهاية السول (ورقة ١٣٨) الإصابة (٥/ ٥٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٣١٥) خلاصة الخزرجي (١٦٤) شذرات الذهب (١/ ٢٦٦) تهذيب ابن عساكر (٦/ ٢٩٠) .

(١) تحرفت في المطبوع إلى : تعلق .

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤) نسب قريش (١٤٧) المحبر (الفهرس) ، المعارف (٣٢٠) فتوح البلدان (٣٩٦) الأخبار الطوال (١٣٩ وغيرها) تاريخ الطبري (٥/ ١٧٠) مستدرك الحاكم (٣/ ٦٣٩) جمهرة أنساب العرب (٧٥) الاستيعاب (٣/ ٩٣١) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١٦٧) تاريخ ابن عساكر (٩/ ٢٢٩/ ب) أسد الغابة (٣/ ٢٨٨) الكامل لابن الأثير (٣/ ٩٩) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٢٨٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٦٦) العبر (١/ ٦٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٨) العقد الثمين (٥/ ١٨٥) الإصابة (ت٦١٨١) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٢) شذرات الذهب (١/ ٢٦٩) .

(٣) يعني النبي ﷺ . والخبر في نسب قريش (ص١٤٨) والاستيعاب (٣/ ٩٣١ ـ ٩٣٢) ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣٩) من طريق مصعب الزبيري ، وإسناده ضعيف .

(٤) مقتل يزدجرد بأوسع مما هنا في تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٣) وما بعدها .

وهو أول من لبس الخَزَّ بالبصرة . وهو أول من اتخذ الحِيَاض بعرفة وأجرى إليها الماء المَعين[١] .

ولم يزل على البصرة حتى قتل عثمان ، فأخذ أموال بيت المال وتلقّى بها طلحة والزبير وحضر معهم الجمل ، ثم سار إلى دمشق . ولم يُسمع له بذكر في صفّين ، ولكن ولّاه معاوية البصرة بعد . وتوفي في هذه السنة [بأرضه بعرفات][٢] وأوصى إلى عبد الله بن الزبير .

له حديث واحد ، وليس له في الكتب شيء . روى مصعب الزُّبيري ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن حنظلة بن قيس ، عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قُتِلَ دونَ مالِهِ فهو شَهيد »[٣] .

وقد زوَّجه معاوية بابنته هند ، وكانت جميلة ، فكانت تلي خدمته بنفسها من محبتها له ، فنظر يوماً في المرآة فرأى صَباحة وجهها وشيبة في لحيته ، فطلَّقها ، وبعث إلى أبيها أن يزوِّجها بشاب كأن وجهه ورقة مصحف .

توفي في هذه السنة . وقيل : بعدها بسنة .

عبدُ الرحمن بنُ أبي بكر الصدِّيق[٤] : وهو أكبر ولد أبي بكر ، قاله الزبير بن بكّار . قال : وكانت فيه دُعَابة ، وأمُّه أمُّ رومان ، وأمُّ عائشة ، فهو شقيقها .

بارز يوم بدر وأُحُد مع المشركين [وأراد قتل أبيه أبي بكر][٥] فتقدَّم إليه أبوه أبو بكر ، فقال له رسول الله ﷺ : « أَمْتِعْنا بنفسِك »[٦] . ثم أسلم عبد الرحمن بعد ذلك في الهُدْنة ، وهاجر قبل الفتح ، ورزقه رسول الله ﷺ من خيبر كل سنة أربعين وَسْقاً ، وكان من سادات المسلمين .

وهو الذي دخل على رسول الله ﷺ يوم مات وعائشةُ مسندتُه إلى صدرها ، ومع عبد الرحمن سِواكٌ

---

(١) الأوائل لابن قتيبة (ص٣٧) .

(٢) ليس في ب .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣٩) وإسناده ضعيف ، ولكن في الباب ما يقويه . نسب قريش (ص١٤٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٨) .

(٤) طبقات خليفة (١٨ ، ١٨٩) تاريخ خليفة (٢١٩) مسند أحمد (١/ ١٩٧) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٢٤٢) ثقات العجلي (٢٨٨) المعارف (١٧٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٨٥) الجرح والتعديل (٥/ ٢٤٧) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٥) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٧٣) الاستيعاب (٢/ ٨٢٤) أسد الغابة (٣/ ٤٦٦) مختصر تاريخ دمشق (١٤/ ٢٧٩) تهذيب الكمال (ورقة ٧٧٨) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٠٣) العبر (١/ ٥٨) الكاشف (٢/ ١٤٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧١) الإصابة (٦/ ٢٩٥) تهذيب التهذيب (٦/ ١٤٦) خلاصة الخزرجي (٢٢٤) شذرات الذهب (١/ ٢٥١) .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٦) أخرجه الواقدي في مغازيه (١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧) ومن طريقه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٧٤) ، والبيهقي في السنن (٨/ ١٨٦) .

رَطْب ، فأمدَّه بصَرَه [فأخذتْ عائشةُ ذاك السِّواك ، فقضَمَتْه وطيَّبَتْه ، ثم دفعَتْه إلى رسول الله ﷺ فاستَنَّ به أحسنَ اسْتِنان ثم قال : « اللهمَّ في الرَّفيق الأعلىٰ » . ثم قَضىٰ . قالت : فجمعَ اللهُ ريقي وريقه ، ومات بين سَحري ونَحري في بيتي ويومي ، لم أظلم فيه أحداً][١] .

وقد شهد عبد الرحمن فتح اليَمَامة ، وقَتل يومئذ سبعة ، وهو الذي قتل مُحَكَّم بن الطُّفيل[٢] صديق مُسَيْلمة على باطله ، كان محكَّم واقفاً في ثُلْمة حائط ، فرماه عبد الرحمن فسقط محكَّم ، فدخل المسلمون من الثُّلْمة فخلصوا إلى مُسَيلمة فقتلوه .

وقد شهد فتح الشام ، وكان معظَّماً بين أهل الإسلام . ونُفِّل ليلى بنت الجُودي ملك عرب الشام ، نفلَه إياها خالد بن الوليد عن أمر عمر بن الخطاب كما سنذكره مفصَّلاً .

وقد قال عبد الرزاق : عن مَعْمر ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيِّب قال : حدّثني عبد الرحمن بن أبي بكر ـ ولم نجرب عليه كذبة قط ـ ذكر عنه حكاية : أنه لما جاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة قال عبد الرحمن لمروان : جعلتُموها والله هِرَقْليَّة وكِسْرويَّة ـ يعني : يجعل الملِكُ المُلْك لمن بعده من ولده ـ فقال له مروان : اسكتْ ، فإنك أنت الذي أنزل الله فيك : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ [الأحقاف : ١٧] فقالت عائشة : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلّا أنَّه أنزل عُذري . ويروى أنها بعثت إلى مروان تؤنِّبه وتخبره بخبر [فيه ذمٌّ له ولأبيه لا يصح عنها .

قال الزبير بن بكّار : حدّثني إبراهيم بن محمد بن][٣] عبد العزيز الزّهري ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بمئة ألف درهم بعد أن أَبَى البيعة ليزيد بن معاوية ، فردَّها عبد الرحمن [وأَبَى أن يأخذها وقال : أَبيعُ ديني بدُنياي ؟! وخرج إلى مكة فمات بها][٤] .

وقال أبو زرعة الدمشقي[٥] : حدّثنا أبو مُسْهر ، حدّثنا مالك قال : توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نومةٍ نامها .

ورواه أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد فذكره وزاد : فأَعتقت عنه عائشة رقاباً .

ورواه الثَّوري عن يحيى بن سعيد عن القاسم فذكره .

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في أ ، وفيها مكانه : إلى آخر الحديث . والحديث في البخاري رقم (٤٤٥٠) .
(٢) ويعرف بمحكّم اليمامة . كان أحد قادة جيش مسيلمة . والمشهور ماقاله المؤلف من أن الذي قتله هو عبد الرحمن بن أبي بكر كما في تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٨) وابن الأثير (٣/ ٣٦٥) وغيرهما . وورد في القاموس المحيط مادة (حكم) : محكم اليمامة ، قتله خالد بن الوليد .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من آ .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من آ . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (١٤/ ٢٨٤) .
(٥) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٢٢٨) .

ولما توفي كانت وفاته بمكان يقال له الحُبْشِي ـ على ستة أميال من مكة ، وقيل اثني عشر ميلاً ـ فحملَه الرجال على أعناقهم حتى دُفن بأعلى مكة ، فلمّا قدمتْ عائشة مكة زارته وقالت : أما والله لو شهدتُك لم أبكِ عليك، ولو كنت عندك لم أنقلك من موضعك الذي متَّ فيه ، ثم تمثَّلت بشعر مُتَمِّم بن نُوَيرة في أخيه مالك :

وكنّا كَنْدمانَيْ جَذِيمةَ بُرْهةً ... منَ الدَّهر حتّى قيلَ لنْ يتصَدَّعا
فلمّـا تفـرَّقنـا كـأنِّـي ومـالكـاً ... لطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا

رواه الترمذي وغيره[١] .

وروى ابن سعد : أن ابن عمر رأى فُسْطاطاً مضروباً على قبر عبد الرحمن ـ ضربته عائشةُ بعد ما ارتحلت ـ فأمر بنزعه وقال : إنَّما يُظِلُّه عملُه .

وكانت وفاته في هذا العام في قول كثير من علماء التاريخ ، ويقال : إن عبد الرحمن توفي سنة ثلاث وخمسين ، قاله الواقدي وكاتبه محمد بن سعد وأبو عبيد وغير واحد ، وقيل : سنة أربع وخمسين . فالله أعلم .

قصَّتُه مع لَيْلى بنت الجُوديِّ
ملك عرب الشّام

قال الزبير بن بكّار : حدّثني محمد بن الضحّاك الحزامي عن أبيه : أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق قدم الشام في تجارة ـ يعني في زمان جاهليته ـ فرأى هنالك امرأة يقال لها ليلى ابنة الجُوديّ على طِنْفِسَة[٢] لها وحولها ولائدها[٣] ، فأعجبته ـ قال ابن عساكر : رآها بأرض بصرى ـ فقال فيها :

تذكَّرتُ لَيْلىٰ والسَّماوَةُ دونَها ... فما[٤] لابنةِ الجُوديِّ ليلىٰ وماليا
وأنَّـىٰ تُعـاطِـي قلبَـه حـارثيَّـةٌ ... تَؤُمَّنَّ بُصْرى أو تَحُلُّ الجَوابيا
وأنَّـى تُـلاقيهـا بَلَـىٰ ولعلَّهـا ... إنِ الناسُ حَجُوا قابلاً أنْ تُوافيا

قال : فلمّا بعث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال للأمير على الجيش : إنْ ظفرتَ بليلى بنت

(١) أخرجه الترمذي (١٠٥٥) في الجنائز : باب زيارة النساء للقبور . وإسناده ضعيف ، لأن فيه عنعنة ابن جريج ، لكن رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٦٥٣٥) وفيه تصريح ابن جريج بالسماع ، فانتفت العلة وثبت الحديث . وأورده صاحب الأغاني (١٥/ ٣٠٩) ضمن ترجمة متمم بن نويرة .
(٢) « الطنفسة » : البساط الذي له خمل رقيق .
(٣) « الولائد » : الجواري والخدم .
(٤) تحرف رسمها في المطبوع فوقعت فيه : فمالُ ابنة . مما أخل بالمعنى .

الجُودي فادفعها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فظفر بها ، فدفعها إليه ، فأُعجب بها وآثرها على نسائه حتى جعلن يشكونَها إلى عائشة ، فعاتبته عائشة على ذلك ، فقال : والله كأني أَرشِفُ بأنيابها حبَّ الرُّمان ، فأصابها وجع سقط له فُوها ، فجفاها حتى شكَتْه إلى عائشة ، فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن ! لقد أحببتَ ليلى فأَفرطت ، وأبغَضْتَها فأَفرطت ، فإمّا أن تُنْصفها وإما أن تُجهِّزها إلى أهلها(١) .

قال الزبير : وحدّثني عبد الله بن نافع ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : إنَّ عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجُودي حين فتح دمشق ، وكانت ابنة ملك دمشق ـ يعني ابنه ملك العرب الذين حول دمشق .

عُبيد الله بنُ عباس بن عبد المطَّلب(٢) : القرشيُّ الهاشميّ ، ابن عمِّ النبي ﷺ وكان أصغر من أخيه عبد الله بسنة ، وأمُّهما أمُّ الفضل لبابة بنت الحارث الهلاليّة . وكان عُبيد الله كريماً جميلاً وسيماً يشبه أباه في الجمال .

روينا أن رسول الله ﷺ كان يَصُفُّ عبد الله وعبيد الله وكَثيراً صفّاً ويقول : مَنْ سبقَ إليَّ فله كذا وكذا . فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيقبِّلهم ويلتزمهم(٣) .

وقد استنابه علي بن أبي طالب ـ في أيام خلافته ـ على اليمن .

وحج بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين ، فلما كان سنة ثمان وثلاثين اختلف هو ويزيد بن شجرة(٤) الرّهاوي الذي قدم على الحج من جهة معاوية ، ثم اصطلحا على شيبة بن عثمان الحَجَبي ، فأقام للناس الحج عامئذ ، ثم لما صارت الشوكة لمعاوية تسلَّط على عبيد الله بسر بن أبي أَرْطاة فقتل له ولدين ، وجرت أمور باليمن قد ذكرنا بعضها .

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ دمشق ، مختصره (١٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) ، ووردت الأبيات أيضاً في نسب قريش (ص٢٧٦) والأغاني (١٧/ ٣٥٨) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٣) .

(٢) نسب قريش (٢٧) طبقات خليفة (ت١٩٧٢) مسند أحمد (١/ ٢١٤) المحبر (١٧ ، ١٠٧ ، ١٤٦ ، ٢٩٢ ، ٤٥٦) تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٤٢) ثقات العجلي (٣١٧) المعارف (١٢١) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٢) العقد الفريد (١/ ٢٩٤) جمهرة أنساب العرب (١٨) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٩) أسد الغابة (٣/ ٥٢٤) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٣١٢) مختصر تاريخ دمشق (١٥/ ٣٢٢) تهذيب الكمال (ورقة ٨٨٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٠٤ و٣/ ٢٨١) العبر (١/ ٦٣) تذهيب التهذيب (٢/ ٢٦٥/آ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٢) الكاشف (٢/ ١٩٩) مرآة الجنان (١/ ١٣٠) العقد الثمين (٥/ ٣٠٩) الإصابة (٢/ ٤٣٧) تهذيب التهذيب (٧/ ١٩) خلاصة الخزرجي (٢٥١) شذرات الذهب (١/ ٢٦٦) خزانة الأدب (٣/ ٢٥٦ ، ٥٠٢) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢١٤) وإسناده ضعيف .

(٤) تحرفت في (أ) و (ط) إلى : سمرة .

وكان يقدم هو وأخوه عبد الله المدينة ، فيوسعهم عبد الله علْماً ويوسعهم عبيد الله كَرَماً .

وقد روي أنه نزل في مسيرٍ له مع مولى له على خيمة رجل من الأعراب ، فلمّا رآه الأعرابيُّ أعظمه وأجلَّه ، ورأى حسنه وشكله ، فقال لامرأته : ويحكِ ماذا عندك لضيفنا هذا ؟! فقالت : ليس عندنا إلّا هذه الشُّويهة[١] التي حياةُ ابنتِك من لبنها ، فقال : إنه لا بدَّ من ذبحها ، فقالت : أتقتلُ ابنتَك ؟ فقال : وإن ، فأخذ الشفرة والشاة وجعل يذبحُها ويسلخُها وهو يقول مرتجزاً :

يــا جَــارَتــي لا تُــوْقِظـي البُنَيَّــهْ
إنْ تُــوْقِظيهــا تَنْتَحِــبْ عَلَيَّـــهْ
وتَنْـــزِعِ الشَّفْــرَةَ مِـــن يَـــدَيَّـــهْ

ثم هيَّأها طعاماً ، ثم حملَها فوضعها بين يدي عبيد الله ومولاه ، فعشّاهما . وكان عبيد الله قد سمع محاورته مع امرأته في الشاة ، فلمّا أراد الارتحال قال لمولاه : ويلك ماذا معك من المال ؟ فقال : معي خمسمئة دينار فضَلَت من نفقتك ، فقال : ادفعها إلى الأعرابي ، فقال : سبحان الله ! تعطيه خمسمئة دينار وإنما ذبح لك شاةً واحدة تساوي خمسة دراهم ؟! فقال : ويحك ! والله لهو أسخى منّا وأجود ، لأنّا إنما أعطيناه بعض ما نملك [وجاد علينا بجميع ما يملك][٢] وآثَرَنا على مُهْجة نفسه وولده . فبلغ ذلك معاوية فقال : لله درُّ عبيد الله من أي بيضة خَرَج [ومن أي عُشٍّ دَرَج][٣] .

قال خليفة بن خياط[٤] : توفي سنة ثمان وخمسين . وقال غيره : توفي في أيام يزيد بن معاوية . قال أبو عبيد القاسم بن سلّام : توفي في سنة سبع وثمانين . وكانت وفاته بالمدينة ، وقيل : باليمن .

وله حديث واحد . قال أحمد : حدّثنا هُشيم ، حدّثنا يحيى بن [أبي][٥] إسحاق ، عن سليمان بن يسار ، عن عُبيد الله بن عباس قال : جاءت الغُمَيْصاء[٦] ـ أو الرُّمَيْصاء ـ إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجَها تزعمُ أنّه لا يصلُ إليها ، فما كان إلّا يسيراً حتّى جاء زوجُها فزعم أنَّها كاذبة وأنّها تريد أن ترجعَ إلى زوجها الأوّل ، فقال رسول الله ﷺ : « ليسَ لَكِ ذٰلكَ حتَّى يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ رجلٌ غيرُه »[٧] .

---

(١) « الشويهة » : تصغير شاة ، العُنيزة .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ . والخبر في الجليس الصالح (١/ ٥٤٨) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (١٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩) مع اختلاف ببعض الألفاظ .
(٤) في تاريخه (ص٢٢٥) .
(٥) سقطت من الأصول ، فاستدركناها من المسند وغيره .
(٦) تحرفت في (أ) و (ط) إلى : العميصاء .
(٧) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢١٤) وهو حديث صحيح . وقوله : « حتى يذوق عسيلتك » كناية عن الجِماع .

وأخرجه النَّسائي(١) ، عن علي بن حُجْر(٢) ، عن هُشيم به .

وممن توفي في هذه السنة :

أمُّ المؤمنين عائشةُ بنتُ أبي بكر الصِّدِّيق(٣) : [زوجة رسول الله ﷺ وأحبُّ أزواجه إليه ، المبرَّأة من فوق سبع سماوات رضي الله عنها](٤) وأمُّها هي أمُّ رُومان بنت عامر بن عُويمر الكِنَانيّة .

تكنى عائشة بأمِّ عبد الله ، قيل : كنّاها بذلك رسول الله ﷺ بابن أُختها عبد الله بن الزبير . وقيل : إنها أَسقطت من رسول الله ﷺ سِقْطاً(٥) فسمّاه عبد الله .

ولم يتزوَّج رسول الله ﷺ بِكْراً غيرها ، ولم ينزل عليه الوحيُ في لحاف امرأة غيرها ، ولم يكن في أزواجه أحبّ إليه منها .

تزوَّجها بمكة بعد وفاة خديجة . « وقد أتاه المَلَك بها في المنام في سَرَقةٍ(٦) من حرير مرتين أو ثلاثاً فيقول : هذه زوجتُك . قال : فأكشِفُ عنكِ فإذا هي أنت ، فأقول : إنْ يكن هذا من عند الله يُمْضِه »(٧) . فخطبها من أبيها ، فقال : يا رسول الله أَوَ تحلُّ لك ؟ قال : نعم . قال : أولستُ أخاك ؟ قال : بلَى في الإسلام ، وهي لي حلال(٨) . فتزوَّجها رسول الله ﷺ فحظِيَتْ عنده . وقد قدمنا ذلك في أول السيرة ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنتين ، وقيل : بسنة ونصف ، وقيل : بثلاث سنين . وكان عمرها إذ ذاك ست سنين ، ثم دخل بها وهي بنت تسع سنين بعد بدر من شوال من سنة اثنتين من الهجرة ، فأحبَّها .

ولما تكلَّم فيها أهل الإفك بالزُّور والبُهْتان غار الله لها فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تُتلى على

---

(١) (٦/ ١٤٨) في الطلاق : باب إحلال المطلقة ثلاثاً .

(٢) تحرف في (أ) و (ط) إلى : حجرة .

(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٨) تاريخ ابن معين (٢/ ٧٣) مسند أحمد (٦/ ٢٩) الزهد لأحمد (٢٤٠) تاريخ خليفة (٢٢٥) طبقات خليفة (٣٣٣) ثقات العجلي (٥٢١) المعارف (١٣٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٦٨) مستدرك الحاكم (٤/ ٤) حلية الأولياء (٢/ ٤٣) الاستيعاب (٤/ ١٨٨١) طبقات الشيرازي (٤٧) جامع الأصول (٩/ ١٣٢) أسد الغابة (٧/ ١٨٨) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٨٨) طبقات علماء الحديث (ص٨٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧) العبر (١/ ٦٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩٤) الكاشف (٣/ ٤٣٠) مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٥) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٣) الإصابة (١٣/ ٣٨) طبقات الحفاظ (ص٨) خلاصة الخزرجي (٤٩٣) كنز العمال (١٣/ ٦٩٣) شذرات الذهب (١/ ٢٥٨) أعلام النساء لكحالة (٣/ ٩) وقد استلت ترجمتها من سير أعلام النبلاء وطبعت في كتاب مستقل بدمشق سنة ١٩٤٥م .

(٤) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٥) السقط ـ بالفتح والضم والكسر ، والكسر أكثر ـ الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه .

(٦) « السرقة » : قطعة من جيد الحرير .

(٧) أخرجه البخاري (٧٠١٢) ، ومسلم (٢٤٣٨) في الفضائل : باب فضل عائشة .

(٨) رواه البخاري رقم (٥٠٨١) وانظر الفتح .

تعاقب الأزمان . [وقد ذكرنا ذلك مفصَّلاً فيما سلف ، وشرحنا الآياتِ والأحاديثَ الواردة في ذلك في غزوة المُرَيْسِيع ، وبسطنا ذلك أيضاً في كتاب التفسير بما فيه كفاية ومَقْنع ولله الحمد والمنّة](١) . وقد أجمع العلماء على تكفير مَنْ قذفها بعد براءتها ، واختلفوا في بقيّة أمهات المؤمنين : هل يكفر مَنْ قذفهنَّ أم لا ؟ على قولين ، وأصحُّهما أنه يكفر لأن المقذوفة زوجة رسول الله ﷺ ، والله تعالى إنَّما غضب لها لأنَّها زوجة رسول الله ﷺ ، فهي وغيرها منهن سواء .

ومن خصائصها ـ رضي الله عنها ـ أنها كان لها في القَسْم يومان يومها ويوم سَوْدة [حين وهبتها ذلك تقرُّباً إلى رسول الله ﷺ](٢) .

وأنه مات في يومها وفي بيتها وبين سَحرها ونَحرها ، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته من الدنيا وأول ساعة من الآخرة ، ودُفن في بيتها(٣) .

وقد قال الإمام أحمد(٤) : حدّثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن مصعب بن إسحاق بن طلحة ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّه ليُهَوّنُ عليَّ أنّي رأيتُ بياضَ كفِّ عائشَةَ في الجنَّة » . تفرد به أحمد .

[وهذا في غاية ما يكون من المحبّة العظيمة أن يرتاح لأنه رأى بياض كفِّ عائشة أمامه في الجنَّة](٥) .

ومن خصائصها أنها أعلم نساء النبي ﷺ بل هي أعلم النساء على الإطلاق . قال الزُّهري : لو جُمع علمُ عائشةَ إلى علم جميع أزواجه وعلم جميع النساء لكان علمُ عائشةَ أفضل(٦) .

وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشةُ أفقهَ الناس ، وأعلمَ الناس ، وأحسنَ الناس رأياً في العامة .

وقال عُروة : ما رأيت أحداً أعلم بفقهٍ ولا طبٍّ ولا شعرٍ من عائشة ، ولم ترو امرأة ولا رجل ـ غير أبي هريرة ـ عن رسول الله ﷺ من الأحاديث بقدر روايتها .

وقال أبو موسى الأشعري : ما أشكلَ علينا ـ أصحابَ محمد ـ حديثٌ قطّ فسألنا عائشةَ إلَّا وجدنا عندها منه عِلماً . رواه الترمذي(٧) .

وقال أبو الضّحى عن مَسْروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في أ . وقد تقدم ذلك خلال ترجمة سودة بنت زمعة .

(٣) تقدم ذلك ضمن حديث صحيح خلال ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر .

(٤) في مسنده (٦/ ١٣٨) وفي إسناده ضعف .

(٥) ما بين حاصرتين ليس في أ .

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ١١) .

(٧) (٣٨٨٣) في المناقب : باب من فضل عائشة ، وهو حديث صحيح .

وأما ما يلهَجُ به كثير من الفقهاء وعلماء الأصول من إيراد حديث : « خُذُوا شَطْر دينكم عن هٰذه الحُمَيْراء » فإنه ليس له أصل ، ولا هو مثبت في شيءٍ من أصول الإسلام ، وسألت عنه شيخنا أبا الحجّاج المزِّي ، فقال : لا أصلَ له(١) .

ثم لم يكن من النساء أعلم من تلميذاتها : عَمْرة بنت عبد الرحمن ، وحَفْصة بنت سِيرين ، وعائشة بنت طَلْحة .

وقد تفرَّدت أمُّ المؤمنين عائشةُ بمسائلَ عن الصحابة لم توجد إلّا عندها ، وانفردت باختيارات أيضاً وردت أخبارٌ بخلافها بنوع من التأويل . وقد جمع ذلك غير واحد من الأئمة .

وقال الشعبي : كان مسروقٌ إذا حدَّث عن عائشة قال : حدّثتني الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق ، حبيبةُ رسول الله ، المبرَّأة من فوق سبع سماوات .

وثبت في « صحيح البخاري » من حديث أبي عثمان النَّهْدي ، عن عمرو بن العاص أنه قال : « قلت يا رسول الله ، أيُّ الناسِ أحبُّ إليك ؟ قال : عائشة ، قلت : ومن الرجال ؟ قال : أبوها »(٢) .

وفي « صحيح البخاري » أيضاً عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « كَمُلَ من الرِّجالِ كَثير ، ولم يكمُلْ من النِّساء إلَّا مريمُ بنتُ عمران ، وخديجة بنت خُوَيلد ، وآسِيَةُ امرأةُ فرعون ، وفضلُ عائشةَ على النِّساءِ كفضلِ الثَّرِيد على سائِر الطَّعام »(٣) .

وقد استدل كثير من العلماء ممَّن ذهب إلى تفضيل عائشة على خديجة بهذا الحديث وقال : فإنه دخل فيه سائر النساء الثلاث المذكورات وغيرهن . ويعضُد ذلك أيضاً الحديث الذي رواه البخاري أيضاً : حدّثنا إسماعيل بن خليل ، حدّثنا علي بن مُسْهر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : استأذنتْ هالَةُ بنت خُوَيلد ـ أخت خديجة ـ على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك ، فقال : اللهمَّ هالَة . قالت عائشة : فغرت وقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشِّدقين هلكتْ في الدهر الأول ، قد أبدلكَ اللهُ خيراً منها ؟! » . هكذا رواه البخاري(٤) ، فأما ما يُروى فيه من الزيادة : « واللهِ ما أبدلَني خيراً منها » فليس يصحُّ سندها . وقد ذكرنا ذلك مطوَّلاً عند وفاة خديجة ، وذكرنا حُجَّة من ذهب إلى تفضيلها على عائشة بما أغنى عن إعادته هاهنا .

---

(١) ولذلك ساقه أصحاب كتب الموضوعات، فذكره السيوطي في الدرر المنتثرة ص(٧٩)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة ص(١٩٠) . والشوكاني في الفوائد المجموعة ص(٣٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٣٥٨) ومسلم (٢٣٨٤) في فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر .

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٤١١) ومسلم (٢٤٣١) في فضائل الصحابة : باب فضل خديجة .

(٤) هو في البخاري معلقاً رقم (٣٨٢١) قال الحافظ في الفتح : كذا في جميع النسخ التي اتصلت إلينا بصيغة التعليق ، لكن صنيع المزي ـ وعنه تلميذه المؤلف ـ يقتضي أنه أخرجه موصولاً ، وصله أبو عوانة ، ومسلم رقم (٢٤٣٧) .

وروى البخاري عن عائشة : أنَّ النبي ﷺ قال يوماً : « يا عائِشُ ، هذا جبريلُ يُقرِئُكِ السَّلام ، فقالت : وعليهِ السَّلام ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، تَرىٰ ما لا أرىٰ »[١] .

وثبت في « صحيح البخاري » أن الناس كانوا يتحرَّون بهداياهم يوم عائشة ، فاجتمع أزواج النبي ﷺ إلى أمِّ سلَمة وقلنَ لها : قُولي له يأمر الناس أن يُهْدوا له حيث كان . فقالت أمُّ سلَمة : فلمَّا دخل عليَّ قلتُ له ذلك ، فأعرض عني . ثم قلنَ لها ذلك ، فقالت له ، فأعرض عنها . ثم لمّا دار إليها قالت له ، فقال : « يا أمَّ سلَمة لا تُؤْذيني في عائشة ، فإنَّه واللهِ ما نزلَ عليَّ الوحيُ وأنا في لِحَاف امرأةٍ منكنَّ غيرها » . وذكر أنهنَّ بعثنَ فاطمةَ ابنتَه إليه فقالت : إنَّ نساءَك يَنْشُدْنَكَ العدلَ في ابنة أبي بكر بن أبي قُحافة ، فقال : يا بُنَيَّة ، ألا تُحبِّين مَنْ أُحِبُّ ؟ قالت : قلت : بلَى ، قال : فأَحِبِّي هذه » . ثم بعثنَ زينب بنت جَحش ، فدخلت على رسول الله ﷺ وعنده عائشة ، فتكلَّمت زينبُ ونالتْ من عائشة [فانتصرتْ عائشةُ منها وكلَّمتها حتى أَفْحمتها ، فجعل رسول الله ﷺ ينظرُ إلى عائشةَ][٢] ويقول : « إنَّها ابنةُ أبي بكر »[٣] .

وذكرنا أن عمّاراً لما جاء يستصرخ الناسَ ويستنفرهم إلى قتال طَلْحة والزُّبير أيام الجَمَل ، صَعِد هو والحسن بن عليٍّ على منبر الكوفة ، فسمع عمّارٌ رجلاً ينال من عائشة ، فقال له : اسكُتْ مَقْبوحاً مَنْبوذاً ، والله إنَّها لَزوجةُ رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكنَّ اللهَ ابتلاكم ليعلمَ إيّاهُ تطيعونَ أو إيّاها[٤] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا معاوية بن عمرو ، حدّثنا زائدة ، حدّثنا عبد الله بن خُثيم ، حدّثني عبد الله بن أبي مُليكة أنه حدّثه ذكوان ـ حاجب عائشة ـ أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة ، فجئت ـ وعند رأسها ابن أخيها عبدُ الله بن عبد الرحمن ـ فقلت : هذا ابنُ عباس يستأذن ، فأكبَّ عليها ابن أخيها عبد الله فقال : هذا عبد الله بن عباس يستأذن ـ وهي تموت ـ فقالت : دَعْني من ابن عباس ، فقال : يا أمّاه إنَّ ابن عباس من صالح بَنيك يسلِّم عليك ويودِّعك ، فقالت : ائذنْ له إن شئت ، قال : فأدخلته ، فلمّا جلس قال : أبشري ، فقالت : بماذا ؟ فقال : ما بينك وبين أن تلقَي محمداً والأحبَّة إلَّا أن تخرج الروح من الجسد ، وقد كنتِ أحبَّ نساء رسول الله ﷺ إليه ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحبُّ إلّا طيّباً ، وسقطتْ قِلادتُك ليلة الأَبْواء فأصبح رسول الله ﷺ وأصبح الناس وليس معهم ماء ، فأنزل الله آية التيمُّم[٥] ، فكان ذلك في سَببك ، وما أنزل الله من الرُّخصة لهذه الأمة . وأنزل الله براءَتَك من فوق سبع سماوات ، جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد الله إلّا تُتْلى فيه آناء الليل وآناء النهار .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦٨) في فضل عائشة ، ومسلم (٢٤٤٧) (٩١) .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من آ .
(٣) أخرجه البخاري رقم (٢٥٨١) في الهبة : باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض .
(٤) أخرجه البخاري رقم (٣٧٧٢) في الفضائل : باب فضل عائشة .
(٥) يعني قوله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء : ٤٣] .

فقالت : دَعْني منك يا بن عباس ، والذي نفسي بيده لوددتُ أني كنتُ نَسْياً مَنْسِيًّا[١] .

والأحاديث في فضائلها ومناقبها كثيرة جدّاً .

وقد كانت وفاتها في هذا العام سنة ثمان وخمسين، وقيل: قبلَه بسنة ، وقيل : بعده بسنة ، والمشهور في رمضان منه وقيل : في شوال ، والأشهر ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان . وأوصت أن تُدفن بالبقيع ليلاً . وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر . ونزل في قبرها خمسة وهم : عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوّام من أختها أسماء بنت أبي بكر، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر ، و [عبد الله بن][٢] عبد الرحمن بن أبي بكر . وكان عمرها يومئذ سبعاً وستين سنة ، لأنه توفي رسول الله ﷺ وعمرها ثمان عشرة سنة ، وكان عمرها عام الهجرة ثماني سنين أو تسع سنين ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

فيها كان مشتى عَمرو بن مرّة الجُهَني في أرض الروم في البرّ . قال الواقدي : ولم يكن فيها غزوٌ [في البحر ، وقال غيره : بل غزا في البحر عامئذ جُنادة بن أبي أميّة][٣] .

وفيها عزل معاويةُ ابنَ أمِّ الحكم عن الكوفة لسوء سيرته فيهم ، وولّى عليه النُّعمان بن بَشير .

وفيها ولّى معاويةُ عبدَ الرحمن بن زياد ولاية خراسان ، وعزل عنها سعيد بن عثمان بن عفّان ، فصار عبيد الله على البصرة، وعبّاد بن زياد على سِجِسْتان، وعبد الرحمن بن زياد على خراسان . ولم يزل عبد الرحمن عليها إلى زمن يزيد، فقدم عليه بعد مقتل الحسين ، فقال له : كم قدمتَ به من المال ؟ قال : عشرون ألف ألف ، فقال له: إن شئتَ حاسبناك ، وإن شئتَ سوّغناكها وعزلناك عنها على أن تعطي عبد الله بن جعفر خمسمئة ألف درهم ، قال : بل سَوِّغها ، وأما عبد الله بن جعفر فأُعطيه ما قلتَ ومثلَها معها ، فعزله وولّى غيره ، وبعث عبد الرحمن إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم وقال : خمسمئة ألف من جهة أمير المؤمنين ، وخمسمئة ألف من قِبَلي .

وفي هذه السنة وفد عبيد الله بن زياد على معاوية ومعه أشراف أهل البصرة والعراق ، فاستأذن لهم عبيد الله[٤] عليه على منازلهم منه، وكان من آخر مَنْ أدخله على معاوية الأحنفُ بن قيس ـ ولم يكن عبيد الله يجلُّه ـ فلما رأى معاوية الأحنف رحّب به وعظّمه وأجلّه وأجلسه معه على السرير، ثم تكلّم القوم فأثنوا على عبيد الله والأحنفُ ساكت ، فقال له معاوية : مالك يا أبا بحر لا تتكلّم ؟ فقال له : إن تكلمتُ خالفتُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٧٦) وهو حديث صحيح .

(٢) سقط من أ . والخبر في طبقات ابن سعد (٨/ ٧٧) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ . وقد أورده الطبري في تاريخه (٥/ ٣١٥) .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : عبد الله .

القوم ، فقال معاوية : انهضوا فقد عزلتُه عنكم فاطلبوا والياً ترضَوْنه ، فمكثوا أياماً يتردَّدون إلى أشراف بني أميَّة يسألون كل واحد منهم أن يتولَّى عليهم ، فلم يقبل أحد منهم ذلك . ثم جمعهم معاوية فقال : من اخترتم ؟ فاختلفوا عليه والأحنفُ ساكت ، فقال له معاوية : مالك لا تتكلَّم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن ولَّيت علينا من أهل بيتك فإنا لا نعدل بعبيد الله بن زياد أحداً ، وإن ولَّيت علينا من غيرهم فانظر لنا في ذلك ، فقال معاوية : قد أعدتُه إليكم . ثم إن معاوية أوصى عُبيد الله بن زياد بالأحنف خيراً ، وقبّح رأيه في مباعدته ، فكان الأحنف بعد ذلك من أخص أصحاب عبيد الله ، ولمّا وقعت الفتنة لم يَفِ لعبيد الله غيرُ الأحنف بن قيس .

قصة يَزيد بن رَبيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيَري
مع ابني زياد : عُبيد الله وعبّاد

ذكر ابن جرير[1] عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى وغيره : أن هذا الرجل كان شاعراً وكان مع عبّاد بن زياد بسِجِسْتان ، فاشتغل عنه بحرب الترك ، وضاق على الناس عَلَف الدواب ، فقال ابن مفرِّغ شعراً يهجو به ابن زياد على ما كان منه فقال :

أَلَا ليتَ اللِّحَى كانَتْ حَشِيشاً فنَعْلِفَهـا خيـولَ المُسْلمينـا

وكان عبّاد بن زياد عظيم اللحية كبيرها جدّاً ، فبلغه ذلك ، فغضب وتطلَّبه ، فهرب منه وقال فيه قصائد يهجوه بها كثيرة ، فمن ذلك قوله :

إذا أَوْدىٰ معـاويـةُ بـنُ حَـرْبٍ فبَشِّـر شعْـبَ قَعْبِـكَ بـانْصِـدَاع
فـأَشْهَـدُ أنَّ أمَّـكَ لـم تُبـاشِـرْ أبـا سُفيـانَ واضعَـةَ القِنَـاع
ولكـنْ كـانَ أمـراً فيـه لَبْـسٌ علَـى خَـوْفٍ شَـديـدٍ وارْتِيَـاع

وقال أيضاً :

أَلَا أَبلِـغْ مُعـاويـةَ بـنَ حَـرْبٍ مُغَلْغَلَـةً مـن الـرَّجُـل اليَمَـانـي
أَتَغْضَبُ أنْ يُقالَ أبوكَ عَفٌّ وتَرْضىٰ أنْ يُقالَ أبوكَ زاني
فأَشْهَدُ أنَّ رِحْمَكَ من زيادٍ كرِحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأَتان

فكتب عبّاد بن زياد إلى أخيه عبيد الله وهو وافد على معاوية بهذه الأبيات ، فقرأها عبيد الله على معاويةَ واستأذنه في قتله ، فقال : لا تقتله ولكن أَدِّبه ولا تبلغ به القتل . فلمّا رجع عُبيد الله إلى البصرة استحضره ، وكان قد استجار بوالد زوجة عُبيد الله بن زياد وهو المُنْذر بن الجارود ، وكانت ابنتُه بَحْرِيَّة

(١) في تاريخه (٥/ ٣١٧ ـ ٣٢١) .

عند عُبيد الله ، فأجاره وآواه إلى داره . وجاء الجارود مسلِّماً على عبيد الله ، وبعث عبيد الله الشُّرَط إلى دار المنذر ، فجاؤوا بابن مفرِّغ فأُوقف بين يديه ، فقال المنذر : إني قد أجرتُه ، فقال : يمدحك ويمدح أباك فترضى عنه ، ويهجوني ويهجو أبي ثم تُجيره عليّ ؟! ثم أمر عبيد الله بابن مفرِّغ فسُقي دواءً مُسْهلاً ، وحملوه على حمار عليه إكاف وجعلوا يطوفون به في الأسواق وهو يَسْلَح والناس ينظرون إليه ، ثم أمر به فنُفي إلى سِجسْتان إلى عند أخيه عبّاد ، فقال ابن مفرِّغ لعبيد الله بن زياد :

يَغْسِلُ الماءُ ما صَنَعْتَ وقَوْلي ... راسخٌ منكَ في العِظامِ البَوَالي

فلما أَمر عبيد الله بنفي ابن مفرِّغ إلى سِجسْتان كلَّم اليمانيّون معاوية في أمر ابن مفرِّغ : أنَّه إنَّما بعثه إلى أخيه ليقتلَه ، فبعث معاوية إلى ابن مفرِّغ وأحضره ، فلمّا وقف بين يديه بكى وشكا إلى معاوية ما فعل به ابن زياد ، فقال له معاوية : إنك هجوتَه ، ألستَ القائل كذا ؟ ألستَ القائل كذا ؟ فأنكر أن يكون قال من ذلك شيئاً ، وذكر أن القائل ذلك هو عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان وأحبَّ أن يُسْندها إليّ ، فغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم ومنَعَه العطاء حتى يرضى عنه عبيد الله بن زياد . وأنشد ابنُ مفرِّغ ما قاله في الطريق في معاوية يخاطب راحلته :

عَـدَسْ مـا لعبّـاد عليـكِ إمـارةٌ ... نَجَـوْتِ وهٰـذا تحملِيـنَ طَلِيـقُ[1]

لَعَمْري لقَدْ نجّاكِ من هُوَّةِ الرَّدى ... إمـامٌ وحَبْـلٌ لـلأنـام وَثِيـقُ

سأَشكُرُ ما أَوْليتَ من حُسْنِ نِعمةٍ ... ومثلـي بشُكْـرِ المُنْعِمِيـنَ حَقِيـقُ

فقال له معاوية : أما لو كنّا نحن الذين هَجَوْتنا لم يكن من أذانا شيءٌ يصل إليك ولم نتعرض لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنه ارتكب فيَّ ما لم يرتكب مسلمٌ من مسلمٍ على غير حَدَثٍ ولا جُرْم ، قال : ألستَ القائل كذا ؟ ألستَ القائل كذا ؟ فقد عفونا عن جُرْمك ، أما إنك لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شيءٌ ، فانظر الآن من تخاطب ومن تشاكل ، فليس كل أحد يحتمل الهجاء ، ولا تعامل أحداً إلّا بالحُسْنى ، وانظر لنفسك أي البلاد أحبّ إليك تقيم بها حتى نبعثك إليها ، فاختار المَوْصل ، فأرسله إليها ، ثم استأذن عبيد الله في القدوم إلى البصرة والمقام بها ، فأذن له . ثم إن عبد الرحمن ركب إلى عُبيد الله فاسترضاه ، فرضي عنه ، وأنشده عبد الرحمن :

لأَنـتَ زيـادةٌ فـي آلِ حَـرْبٍ ... أحبُّ إلـيَّ مـن إحـدَى بَنـانـي

أراكَ أخـاً وعمّـاً وابـنَ عـمٍّ ... فـلا أَدرِي بغَيْـبٍ مـا تَـرانـي

---

(١) « عدس » : اسم البغلة ، أو : كلمة زجر للبغال . والبيت شاهد مشهور في النحو على أن هذا بمعنى الذي . مغني اللبيب (ص٥١٤) وخزانة الأدب (٢/ ٥١٤) .

فقال له عبيد الله : أراكَ واللهِ شاعر سَوْء ، ثم رضي عنه ، وأعاد إليه ما كان منعه من العطاء[(١)] .

قال أبو معشر والواقدي : وحجَّ بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان . وكان نائب المدينة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ، وعلى الكوفة النُّعمان بن بَشير وقاضيها شُريح ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد [وقاضيها هشام بن هُبيرة][(٢)] وعلى سِجسْتان عبّاد بن زياد ، وعلى كَرْمان شَريك بن الأعور الحارثي ، من قِبَل عبيد الله بن زياد .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان :

قال ابن الجوزي : توفي فيها أسامة بن زيد ، والصحيح قبلها كما تقدم[(٣)] .

الحُطَيئةُ الشاعر[(٤)] : واسمه : جَرْول [بن أوس][(٥)] بن مالك بن جُؤَيَّة بن مخزوم بن مالك بن قُطَيعة ابن عَبْس[(٦)] ، أبو[(٧)] مُلَيكة ، الشاعر الملقَّب بالحُطَيئة لِقِصَرِه .

أدرك الجاهلية ، وأسلم في زمن الصدِّيق .

وكان كثير الهجاء حتى يقال : إنَّه هجا أباه وأمَّه ، وخاله وعمَّه ، ونفسه وعِرْسه[(٨)] . فمما قال في أمِّه :

تَنَحَّيْ فاقعُدي عَنِّي بَعيداً ... أَراحَ اللهُ منكِ العالَمِينا
أَغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سِرّاً ... وكانوناً على المُتحدِّثينا
جَزاكِ اللهُ شَرّاً من عَجُوزٍ ... ولقَّاكِ العُقُوقَ منَ البَنِينا[(٩)]

وقال في أبيه وعمِّه وخاله :

---

(١) الخبر بطوله أيضاً في الكامل لابن الأثير (٣/ ٥٢٢ ـ ٥٢٥) وهو أيضاً في : الأغاني (١٨/ ٢٥٦) وما بعدها ، والشعر والشعراء (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦٤) ولسان العرب : مادة (عدس) .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ط .

(٣) الترجمة في وفيات سنة ٥٤هـ .

(٤) مقدمة ديوانه بتحقيق نعمان أمين طه ، طبقات ابن سلام (١/ ١١٠) المعمرون والوصايا (١٣٤) الشعر والشعراء (١/ ٣٢٢) المعارف (٥٩٤) الاشتقاق (٢٧٩) العقد الفريد (١/ ٢٨٣) الأغاني (٢/ ١٥٧) رسالة الغفران (٣٠٧) أسد الغابة (٢/ ٣٢) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠) فوات الوفيات (١/ ٢٧٦) خزانة الأدب (١/ ٤٠٩) .

(٥) ليس في الأصول ، واستدركته من مصادر ترجمة الشاعر .

(٦) تحرف في (أ) و (ط) إلى : عيسى .

(٧) في أ و ط : بن . وهو خطأ ، فكنية الحطيئة : أبو مليكة ، نسبة إلى ابنته .

(٨) يعني : امرأته .

(٩) ديوان الحطيئة (ص٢٧٧) .

لَحَاكَ اللهُ ثُمَّ لَحَاكَ حقًّا أَباً ولَحَاكَ مِنْ عمٍّ وخالِ
فنعمَ الشَّيخُ أنتَ لدَى المَخازي وبئسَ الشَّيخُ أنتَ لدَى المَعَالي(١)

ومما قال في نفسه يذمُّها :

أَبَتْ شَفَتايَ اليومَ إلّا تكلّما بِشَرٍّ فما أَدري لِمَنْ أنا قائِلُهْ
أرىٰ ليَ وجهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَهُ فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ(٢)

وقد شكاه الناس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فأحضره وحبسَه ، وكان سبب ذلك الزِّبْرقان بن بدر ، شكاه لعمر أنه قال له يهجوه :

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيَتِها واقعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطّاعمُ الكاسي(٣)

فقال له عمر : ما أراه هجاك ، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! إنه لا يكون هجاء أشدّ من هذا ، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما هجاه ولكنْ سلَح عليه . فعند ذلك حبسه عمر وقال : يا خبيث ! لأشغلنَّك عن أعراض المسلمين . ثم شفّع فيه عمرو بن العاص ، فأخرجه وأخذ عليه العهد أن لا يهجو الناس واستتابه ، ويقال : إنه أراد أن يقطع لسانه ، فشفّعوا فيه حتى أطلقه .

وقال الزبير بن بكّار : حدثني محمد بن الضحّاك عن عثمان الحِزامي(٤) ، عن عبد الله بن مصعب ، حدثني عن ربيعة بن عثمان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : أمر عمر بإخراج الحُطَيئة من الحبس ، وقد كلَّمه فيه عمرو بن العاص وغيره ، فأُخرج وأنا حاضر ، فأنشأ يقول :

ماذا تقولُ لأَفراخٍ بذي مَرَخٍ زُغْبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
غادرتَ كاسِبَهم في قَعْرِ مُظْلمةٍ فارحَمْ هداكَ مليكُ الناسِ يا عُمَرُ
أنتَ الإمامُ الذي من بعد صاحِبِه أَلقىٰ إليكَ مقاليدَ النُّهى البَشَرُ
لم يُؤْثروكَ بها إذ قدَّموك لها لكنْ لأنفسِهم كانتْ بكَ الأَثَرُ
فامنُنْ على صِبيةٍ بالرّمل مسْكنُهمْ بينَ الأباطح يَغْشاهُم بها القَدَرُ
نفسي فداؤُكَ كم بيني وبينَهُمُ من عَرضِ داويّةٍ يعمىٰ بها الخَبَرُ(٥)

(١) ديوان الحطيئة (ص٢٧٦) . وقوله : لحاك الله يعني : قبّحك ولعنك .
(٢) ديوان الحطيئة (ص٢٨٢) .
(٣) ديوان الحطيئة (ص٢٨٣ ـ ٢٨٤) .
(٤) تحرفت في المطبوع إلى : الحرامي .
(٥) الأبيات في ديوان الحطيئة (ص٢٠٨ ـ ٢٠٩) مع اختلاف ببعض الألفاظ . « والداويّة » : المفازة .

قال : فلما قال الحُطيئة : ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ، بكى عمر ، فقال عمرو بن العاص : ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركه الحُطيئة . ثم ذكر أنه أراد قطع لسان الحُطَيئة لئلاّ يهجو به الناس ، فأجلسه على كرسي وجيء بالموسى ، فقال الناس : لا يعود يا أمير المؤمنين ، وأشاروا إليه قل : لا أعود ، فقال له عمر : النَّجاء ، فلمّا ولَّى قال له عمر : ارجع يا حُطيئة ، فرجع ، فقال له : كأني بك عند شاب من قريش قد كسَر لك نُمْرُقَة[١] وبسَط لك أخرى وقال : يا حُطيئة غنِّنا ، فاندفعتَ تغنِّيه بأعراض الناس . قال أسلم : فرأيت الحُطيئة بعد ذلك عند عبيد الله بن عمر وقد كسَر له نُمْرُقَة وبسط له أخرى وقال : يا حُطيئة غنِّنا ، فاندفع حُطيئة يغني ، فقلت له : يا حُطيئة ! أتذكر يوم عمر حين قال لك ما قال ؟ ففزع وقال : رحم الله ذلك المرء ، لو كان حيًّا ما فعلنا هذا ، فقلت لعبيد الله : إني سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل .

وقال الزبير : حدّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : قال عمر للحُطيئة : دع قول الشعر ، قال : لا أستطيع ، قال : لمَ ؟ قال : هو مَأْكلة عيالي وعلَّة لساني ، قال : فدع المِدْحة المُجْحفة ، قال : وماهي يا أمير المؤمنين ؟ قال : تقول : بنو فلان أفضل من بني فلان ، امدح ولا تفضِّل ، فقال : أنت أشعر مني يا أمير المؤمنين .

ومن مديحه الجيِّد المشهور قوله :

أَقِلُّوا عليهِمْ لا أَبا لأَبيكُمُ ... من اللَّوْم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئِكَ قومٌ إنْ بَنَوا أحسَنُوا البُنا ... وإنْ عاهَدُوا أَوْفَوْا وإنْ عقَدُوا شَدُّوا
وإنْ كانتِ النَّعماءُ فيهم جَزَوْا بها ... وإنْ أنعَمُوا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا[٢]

قالوا : ولما احتُضر الحُطيئة قيل له : أَوصِ ، قال : أُوصيكم بالشعر ، ثم قال :

الشِّعر صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ ... إذا ارتَقىٰ فيهِ الذي لا يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ بهِ إلى الحَضِيض قَدَمُهْ ... والشِّعر لا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهْ
يُريدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فيُعْجِمُهْ[٣]

قال أبو الفرج ابن الجوزي في « المنتظم » : توفي الحطيئة في هذه السنة . وذكر أيضاً فيها وفاة عبد الله بن عامر بن كُريز ، وقد تقدَّم في التي قبلها .

---

(١) « النمرقة » : الوسادة الصغيرة .
(٢) ديوان الحطيئة (ص١٤٠) .
(٣) ديوان الحطيئة (ص٣٥٦) ضمن وصية أدبية ظريفة .

عبد الله بن مالك بن القِشْب[١] : واسمه جُنْدُب بن نَضْلَة بن عبد الله بن رافع الأَزدي ، أبو محمد ، حليف بني عبد المطَّلب ، المعروف بابن بُحَيْنَة [وهي أمُّه بُحَيْنة][٢] بنت الأَرَتّ بن المطَّلب بن عبد مناف .

أسلم قديماً ، وصحب رسول الله ﷺ ، وكان ناسكاً صوّاماً قوّاماً ، وكان ممَّن يسرُد صوم الدهر كله .

قال ابن سعد : كان ينزل بطنَ رِيم على ثلاثين ميلاً من المدينة ، ومات في عمل مروان في المرَّة الثانية ، ما بين سنة أربع وخمسين إلى ثمان وخمسين .

والعجب أن ابن الجَوْزي نقل من كلام محمد بن سعد ، ثم إنه ذكر وفاته في هذه السنة ـ يعني سنة تسع وخمسين ، فالله أعلم .

قيس بن سَعد بن عُبَادة الأنصاريُّ الخَزْرجي[٣] : صحابي جليل كأبيه . له في « الصحيحين » حديث القيام للجنازة[٤] ، وله في « المسند » حديث في صوم عاشوراء[٥] ، وحديث غسل رسول الله ﷺ في دارهم[٦] ، وغير ذلك[٧] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٤٢) مسند أحمد (٥/ ٣٤٤) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ت١٧) المعارف (٣٢٥) المعرفة والتاريخ (٢/ ٢١٣، ٢١٤) الجرح والتعديل (٥/ ١٥٠) ثقات ابن حبان (٣/ ٢١٦) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٧) الاستيعاب (٣/ ٩٨٢) الجمع لابن القيسراني (١/ ٢٤٢) أنساب السمعاني (١/ ٢٢٦) أسد الغابة (٣/ ٣٧٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦١) تهذيب الكمال (١٥/ ٥٠٨) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١٧٨) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٣٥١٥) الكاشف (٢/ ١٠٩) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٤١٥) نهاية السول (ورقة ١٨٥) الإصابة (٢/ ت٤٩٢٨) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨١) خلاصة الخزرجي (٢١١) .

(٢) ليس في ب .

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٢) طبقات خليفة (ت٦٠٣، ٩٧٣، ٢٥٥٦، ٢٧٢٢) مسند أحمد (٣/ ٤٢١ و٦/ ٦) المحبر (١٥٥، ١٨٤، ٢٣٣، ٢٩٢، ٣٠٥) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٤١) المعارف (٢٥٩، ٥٩٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٩) تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٦ و٥/ ١٦٣) الجرح والتعديل (٧/ ٩٩) مروج الذهب (٣/ ٢٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٤١٨) الولاة والقضاة (٢٠) جمهرة أنساب العرب (٣٦٥) الاستيعاب (٣/ ١٢٨٩) تاريخ بغداد (١/ ١٧٧) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤١٧) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٢٤/ ب) جامع الأصول (٩/ ١٠١) أسد الغابة (٤/ ٤٢٤) الكامل في التاريخ (٣/ ٢٦٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٦١) مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ١٠٢) تهذيب الكمال (ورقة ١١٣٥) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢) تذهيب التهذيب (٣/ ١٦٣/ ب) الكاشف (٢/ ٣٤٨) تهذيب التهذيب (٨/ ٣٩٥) الإصابة (٣/ ٢٤٩) النجوم الزاهرة (١/ ٩٥) حسن المحاضرة (١/ ٢٢٧) خلاصة الخزرجي (٣١٧).

(٤) رواه البخاري رقم (١٣١٢) ومسلم رقم (٩٦١) .

(٥) رواه أحمد (٦/ ٦) والنسائي (٥/ ٤٩) وهو حديث صحيح .

(٦) رواه أحمد (٦/ ٦) وابن ماجه رقم (٤٦٦) وهو حديث ضعيف .

(٧) تنظر أحاديثه في تحفة الأشراف للمزي (٧/ ٥٢٦ ـ ٥٣١)، والمسند الجامع (١٤/ ٥٢٢ ـ ٥٣٢) .

وخدم رسول الله ﷺ عشر سنين .

وثبت في « صحيح البخاري »[١] عن أنس قال : كان قيس بن سعد من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشُّرطة من الأمير .

وحمل لواء رسول الله ﷺ في بعض الغزوات ، واستعمله على الصَّدَقَة .

ولما بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجرّاح ومعه ثلاثمئة من المهاجرين والأنصار ، فأصابهم ذلك الجهد الكثير ، فنحر لهم قيس بن سعد تسع جزائر ، حتى وجدوا تلك الدابة على سِيف البحر ، فأكلوا منها وأقاموا عليها شهراً حتى سمنوا .

وكان قيس سيِّداً مطاعاً كريماً ممدَّحاً شجاعاً .

ولاّه علي نيابة مصر ، وكان يقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمرو بن العاص ، ولم يزل معاوية يعمل عليه حتى عزله [علي][٢] عن مصر وولّى عليها محمد بن أبي بكر الصدِّيق ، فاستخفَّه معاوية ولم يزل حتى أخذ منه مصر كما قدمنا . وأقام قيس عند عليٍّ فشهد معه صفِّين والنهروان ولزمه حتى قُتل ، ثم صار إلى المدينة ، فلما اجتمعت الكلمة على معاوية جاءه ليبايعه كما بايعه أصحابه .

قال عبد الرزاق : عن ابن عُيينة قال : قدم قيس بن سعد على معاوية ، فقال له معاوية : وأنت يا قيس تُلحِمُ عليَّ مع من أَلحم ؟! أما والله لقد كنتُ أحبُّ ألّا تأتيني هذا اليوم إلّا وقد ظفر بك ظفر من أظفاري مُوجع ، فقال له قيس : وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فأُحيِّيك بهذه التحيَّة ، فقال له معاوية : ولمَ ؟ وهل أنت إلّا حَبرٌ من أحبار يهود ؟ فقال له قيس : وأنت يا معاوية كنتَ صنماً من أصنام الجاهلية ، دخلتَ في الإسلام كارهاً وخرجت منه طائعاً ، فقال معاوية : اللهم غفراً ، مدَّ يدك ، فقال له قيس بن سعد : إن شئت زدت وزدت .

وقال موسى بن عقبة : قالت عجوز لقيس : أشكو إليك قلَّة فأر بيتي ، فقال قيس : ما أحسن هذه الكناية ! املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً[٣] .

وقال غيره : كانت له صحفة[٤] يُدار بها حيث دار ، وكان ينادي له منادٍ : هلمُّوا إلى اللحم والثَّريد . وكان أبوه وجدُّه من قبله يفعلان كفعله .

---

(١) رقم (٧١٥٥) في الأحكام .
(٢) سقط من أ . والخبر في حسن المحاضرة (١/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣) .
(٣) العقد الفريد (١/ ٢٥٦) .
(٤) « الصحفة » : الجفنة والقصعة .

وقال عروة بن الزبير : باع قيس بن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً ، فقدم المدينة فنادى مناديه : من أراد القرض فليأتِ ، فأقرض منها خمسين ألفاً ، وأطلق الباقي ، ثم مرض بعد ذلك فقلَّ عُوّاده ، فقال لزوجته قُريبة بنت أبي عتيق أخت أبي بكر الصدِّيق : إني أرى قلَّة عُوّادي في مرضي هذا ، وإني لأرى ذلك من أجل مالي على الناس من القرض ، فبعث إلى كل رجل ممّن كان له عليه دَيْن بصكِّه المكتوب عليه ، فوهبهم ماله عليهم . [وقيل : إنه أمر مناديَه فنادى : من كان لقيس بن سعد عليه دَيْن فهو منه في حلّ ، فما أمسى حتى كُسرت عتبة بابه من كثرة العوّاد][1] . وكان يقول : اللهمَّ ارزقني مالاً وفَعَالاً ، فإنه لا تصلح الفَعَال إلّا بالمال[2] .

وقال سفيان الثوري : اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً ، فلمّا جاء ليوفيَه إياها قال له قيس : إنا قومٌ ما أعطينا أحداً شيئاً فنرجع فيه .

وقال الهيثم بن عديّ : اختلف ثلاثة عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم ، فقال أحدهم : عبد الله بن جعفر ، وقال الآخر : قيس بن سعد ، وقال الآخر : عَرَابة الأوسي . فتماروْا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة ، فقال لهم رجل : فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنه أكرم من غيره ، فلينظر ما يعطيه ، وليحكم على العِيان . فذهب صاحب عبد الله بن جعفر إليه ، فوجده قد وضع رجلَه في الغَرْز[3] ليذهب إلى ضيعة له ، فقال له : يا بن عمِّ رسول الله ! ابنُ سبيل ومُنْقطَع به . قال : فأخرج رجلَه من الغَرْز وقال : ضع رجلك واستَوِ عليها فهي لك بما عليها ، وخُذْ ما في الحقيبة ، ولا تخدعن السَّيف فإنه من سيوف علي . فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة ، وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار ، ومطارف وخزّ وغير ذلك ، وأجلُّ ذلك سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ومضى صاحب قيس بن سعد إليه ، فوجده نائماً ، فقالت له الجارية : ما حاجتُك إليه ؟ قال : ابنُ سبيل ومنقطَع به ، قالت : فحاجتك أيسرُ من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعمئة دينار ، ما في دار قيس مال غيره اليوم ، واذهب إلى مولانا في مَعَاطن الإبل[4] فخذ لك ناقةً وعبداً واذهب راشداً . فلمّا استيقظ قيس من نومه أخبرتْه الجارية بما صنعت ، فأعتقها [شكراً على صنيعها ذلك][5] وقال : هلّا أيقظتيني حتى أُعطيَه ما يكفيه ، فلعلَّ الذي أعطيتيه لا يقع منه موقع حاجته . وذهب صاحب عَرَابة الأوسي إليه ، فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكَّأ على عبدَين له ـ وكان قد كُفَّ بصره ـ فقال له : يا عَرَابة ، فقال : قل ، فقال : ابنُ سبيل ومنقَطَعٌ به ، قال : فخلَّى عن العبدين ، ثم صفَّق بيده اليمنى على اليسرى ، ثم قال :

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب.

(٢) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٢٩/ ب).

(٣) «الغرز»: الركاب من الجلد.

(٤) « معاطن الإبل » : مبركها حول الحوض.

(٥) سقط من ب .

أوّه أوه ، والله ما أصبحتُ ولا أمسيتُ وقد تركتِ الحقوقُ من مال عَرَابة شيئاً ، ولكن خذ هذين العبدَين ، قال : ما كنت لأفعل ، فقال : إن لم تأخذهما فهما حرّان ، فإن شئت فأعتق ، وإن شئت فخذ . وأقبل يلتمس الحائط بيده . قال : فأخذهما وجاء بهما إلى صاحبيه . قال : فحكم الناس على أنَّ ابن جعفر قد جاد بمال عظيم ، وأنَّ ذلك ليس بمستنكر له ، إلَّا أن السَّيف أجلها . وأن قيساً أحد الأجواد ، حكَّم مملوكته في ماله بغير علمه ، واستحسن فعلها ، وعتقها شكراً لها على ما فعلت . وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عَرَابة الأوسي [لأنه جاد بجميع ما يملكه ، وذلك][١] جهد من مقلّ .

وقال سفيان الثوري : عن عمرو ، عن[٢] أبي صالح قال : قسم سعد بن عبادة ماله بين أولاده ، وخرج إلى الشام فمات بها ، فوُلد له ولد بعد وفاته ، فجاء أبو بكر وعمر إلى قيس بن سعد فقالا : إن أباك قسم ماله ولم يعلم بحال هذا الولد إذ كان حَمْلاً ، فاقسِمُوا له معكم . فقال قيس : إنِّي لا أغيِّر ما فعله سعد ، ولكن نصيبي له .

ورواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمد بن سِيرين ، فذكره .

ورواه عبد الرزاق عن ابن جُريج : أخبرني عطاء ، فذكره .

وقال ابن أبي خَيْثمة : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مِسْعَر ، عن مَعْبد بن خالد قال : كان قيس بن سعد لا يزال هكذا رافعاً أصبُعَه المسبحة ـ يعني يدعو[٣] .

وقال هشام بن عمّار : حدّثنا الجرّاح بن مَليح ، حدّثنا أبو رافع ، عن قيس بن سعد قال : لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المكرُ والخَدِيعَةُ في النار » لكنت من أمكر هذه الأمّة[٤] .

وقال الزهري : دُهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمُغيرة بن شُعبة ، وقيس بن سعد ، وعبد الله بن بُدَيل[٥] وكانا[٦] مع علي ، وكان المغيرة معتزلاً بالطائف حتى حُكِّم الحكمان[٧] فصار إلى معاوية .

---

(١) سقط من ب .

(٢) وقعت في المطبوع بن وهو خطأ. والخبر في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٧).

(٣) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٣٠/ ب).

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٥٨٤) والبيهقي في « الشعب » رقم (٥٢٦٨) وهو حديث حسن بسند قال فيه الحافظ في الفتح (٤/ ٢٩٨) لا بأس به . وأخرجه الطبراني في الصغير من حديث ابن مسعود، والحاكم في مستدركه من حديث أنس، وإسحاق بن راهويه في مسنده من حديث أبي هريرة. وفي إسناد كل منها مقال، لكن مجموعها يدل على أن للمتن أصلاً، فهو حسن. ومعنى الحديث: أن المكر والخديعة يؤديان بقاصدهما إلى النار .

(٥) تحرف في ب إلى: هذيل. والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ١٦٤) . وعبد الله بن بديل هو ابن ورقاء الخزاعي . صحابي جليل ، انتهت إليه رئاسة خزاعة ، وكان فصيحاً لسناً ، قتل يوم صفين .

(٦) يعني الأخيرين: قيس بن سعد، وعبد الله بن بديل.

(٧) في المطبوع: الخصمان.

وقد تقدم أن محمد بن أبي حذيفة كان قد تغلَّب على مصر وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ـ نائب عثمان بعد عمرو بن العاص ـ فأقرَّه عليٌّ مدة يسيرة ، ثم عزله بقيس بن سعد ، فلما دخلها سار فيها سيرة حسنة وضبطها ، وذلك سنة ست وثلاثين ، فثقل أمره على معاوية وعمرو بن العاص ، فكاتباه ليكون معهما على علي ، فامتنع وأظهر للناس مُناصحتَه لهما ، وفي الباطن هو مع علي ، فبلغ ذلك عليًّا ، فعزله وبعث إلى مصر الأشتر النَّخعي [فمات](١) الأشتر في الرملة قبل أن يصل إليها ، فبعث علي محمد بن أبي بكر ، فخفَّ أمره على معاوية وعمرو ، فلم يزالا حتى أخذا منه الديار المصرية ، وقتل محمد بن أبي بكر هذا وأُحرق في جيفة حمار . ثم سار قيس إلى المدينة ، ثم صار إلى علي بن أبي طالب بالكوفة ، فكان معه في حروبه حتى قُتل علي ، ثم كان مع الحسن بن علي حين سار إلى معاوية ليقاتلَه ، فكان قيس على مقدمة الجيش ، فلما بايع الحسن معاوية ساء قيساً ذلك وماأحبَّه ، وامتنع من طاعته معاوية ، ثم ارتحل إلى المدينة ، ثم قدم على معاوية في وفد الأنصار ، فبايع معاوية بعد معاتبة شديدة وقعت بينهما وكلام فيه غلظة ، ثم أكرمه معاوية وقدَّمه ، وحظي عنده .

وبينما هو مع الوفود عند معاوية إذ قدم كتاب ملك الروم على معاوية وفيه : أن ابعث إليَّ بسراويل أطول رجل من العرب ، فقال معاوية : ما أرانا إلّا قد احتجنا إلى سراويلك ـ وكان قيس مديد القامة جدًّا ـ فقام قيس فتنحَّى ثم خلع سراويلَه فألقاها إلى معاوية ، فقال له معاوية : لو ذهبتَ إلى منزلك ثم أرسلتَ بها إلينا ، فأنشأ قيس يقول عند ذلك :

أَردتُ بها كي يعلمَ الناسُ أنَّها ... سَراويلُ قيسٍ والوفودُ شُهُودُ
وأنْ لا يقولوا غابَ قَيسٌ وهٰذه ... سَراويلُ عاديٍّ نَمَتْهُ ثَمُودُ
وإنِّي مِنَ الحيِّ اليَمَاني لَسَيِّدٌ ... وما النَّاسُ إلّا سيِّدٌ ومَسُودُ
فكِدْهُمْ بمثلي إنَّ مثلي عَلَيهِمُ ... شديدٌ وخلْقي في الرِّجال مَدِيدُ
وفَضَّلَني في النَّاس أصلٌ ووالدٌ ... وباعٌ به أَعلُو الرِّجالَ مَدِيدُ

قال : فأمر معاوية أطول رجل في الوفد فوضعها على أنفه ، فوقفت بالأرض(٢) .

وفي رواية : أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلَين من جيشه يزعم أنَّ أحدهما أقوى الروم ، والآخر أطول الروم ، فانظر هل في قومك من يفوقُهما في قوة هذا وطول هذا ؟ فإن كان في قومك من يفوقهما بعثتُ إليك من الأسارى كذا وكذا ومن التحف كذا وكذا ، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول

---

(١) سقطت من المطبوع.
(٢) الخبر بطوله في تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٣٢) وأيضاً، مختصره (٢١/ ١١٣) والسير (٣/ ١١٢) .

منهما فهادني ثلاث سنين . فلمّا حضرا عند معاوية قال : من لهذا القوي ؟ فقالوا : ماله إلّا أحد رجلين : إما محمد ابن الحنفيَّة ، أو عبد الله بن الزبير ، فجيء بمحمد ابن الحنفيَّة وهو ابن علي بن أبي طالب ، فلمّا اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية : أتعلم فيمَ أرسلتُ إليك ؟ قال : لا ، فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه ، فقال للرومي : إما أن تجلسَ لي أو أجلس لك ، وتناولني يدك أو أُناولُك يدي ، فأينا قدر على أن يُقيم الآخر من مكانه غلَبَه ، وإلّا فقد غُلب . فقال له : ماذا تريد ، تجلس أو أجلس ؟ فقال له الرومي : بل اجلس أنت ، فجلس محمد ابن الحنفيَّة وأعطى الرومي يدَه ، فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيلَه من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلك ، ولا وجد إليه سبيلاً ، فغُلب الرومي عند ذلك ، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غُلب . ثم قام محمد ابن الحنفيَّة فقال للرومي : اجلس لي ، وأعطى محمداً يده ، فما أمهله أن أقامه سريعاً ، ورفعه في الهواء ثم ألقاه على الأرض ، فسُرَّ بذلك معاوية سروراً عظيماً .

ونهض قيس بن سعد ، فتنحَّى عن الناس ثم خلع سراويلَه ، وأعطاها لذلك الرومي الطويل ، فلبسها فبلغت إلى ثَدْيَيْه وأطرافها تخُطُّ بالأرض ، فاعترف الروم بالغلب . وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية . وعاتب الأنصار قيس بن سعد في خلعه سراويله بحضرة الناس ، فقال ذلك الشعر المتقدم معتذراً به إليهم ، وليكون ذلك ألزم للحجَّة التي تقوم على الروم وأقطع لما حاولوه[(١)] .

وروى الحميدي ، عن سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار قال : كان قيس بن سعد رجلاً ضخماً جسيماً ، صغير الرأس ، [ليست][(٢)] له لحية في ذقنه ، وكان إذا ركب الحمار العالي خطت رجلاه بالأرض .

وقال الواقدي[(٣)] وخليفة بن خياط[(٤)] وغير واحد : توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية . وذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة ، فتبعناه في ذلك .

---

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/١٢٩٣) : خبره في السراويل مع معاوية كذب وزور مختلق ليس له إسناد ، ولا يشبه أخلاق قيس ولا مذهبه في معاوية ، ولا سيرته في نفسه ونزاهته ، وهي حكاية مفتعلة وشعر مزور ، والله أعلم .

(٢) سقطت من النسخ جميعاً ، وقد أثبتها من ترجمته في المصادر . قال ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٤٢٦) وكان ليس في وجهه لحية ولا شعرة ، فكانت الأنصار تقول : وددنا أن نشتري لقيس لحية بأموالنا . وكان مع ذلك جميلاً .

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٣) .

(٤) طبقاته (ص٩٧) .

مَعْقِل بن يَسَار المُزَني[١] : صحابي جليل ، شهد الحُديبية ، وكان هو الذي يرفع أغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس تحتها ، وكانت من السَّمُرة ، وهي المذكورة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ۞ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] .

وقد ولاه عمر إمرة البصرة ، فحفر بها النهر المنسوب إليه ، فيقال : نهر مَعْقل . وله بها دار .

قال الحسن البصري : دخل عُبيد الله بن زياد على مَعْقل بن يَسَار يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فقال له مَعْقل : إني محدِّثُك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لو لم أكن على حالي هذه لم أحدثك به ، سمعته يقول : « مَن استرعاهُ اللهُ رعيَّةً فلم يحُطها بنصيحة لم يَجِدْ رائحةَ الجنَّة ، وإنَّ ريحَها ليُوجد من مَسِيرة مئة عام »[٢] .

ومِمن توفي في هذه السنة :

أبو هُرَيْرَة الدَّوْسي[٣] رضي الله عنه : وقد اختُلِف في اسمه في الجاهلية والإسلام واسم أبيه على أقوال متعدِّدة ، وقد بسطنا أكثرها في كتابنا « التكميل » ، وقد بسط ذلك ابن عساكر في « تاريخه » . والأشهر أنَّ اسمه عبد الرحمن بن صَخْر ، وهو من الأزد ثم من دَوْس . ويقال : كان اسمه في الجاهلية عبد شمس ، وقيل : عبد نُهْم ، وقيل : عبد غَنْم . ويكنى بأبي الأسود . فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله ـ وقيل : عبد الرحمن ـ وكناه بأبي هريرة .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٤) طبقات خليفة (٣٧، ١٧٦) تاريخ خليفة (٢٥١) مسند أحمد (٥/ ٢٥) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٩١) ثقات العجلي (٤٣٤) المعارف (٢٩٧) المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٠) الجرح والتعديل (٨/ ٢٨٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٢١٩) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٧٧) الاستيعاب (٣/ ١٤٣٢) أنساب السمعاني (١١/ ٢٨٣) معجم البلدان (٥/ ٣٢٣) أسد الغابة (٥/ ٢٣٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٥٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٦) الكاشف (٣/ ١٤٤) مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٩) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٣٥) الإصابة (٩/ ٢٥٩) خلاصة الخزرجي (٣٨٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٧) والبخاري رقم (٧١٥٠) ومسلم (١٤٢) (٢٢٩) . .

(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٢ و ٤/ ٣٢٥) طبقات خليفة (١١٤) تاريخ خليفة (٢٢٥، ٢٢٧) مسند أحمد (٢/ ٢٢٨ و ٥/ ١١٤) الزهد لأحمد (٢٢٤) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ١٣٢) ثقات العجلي (٥١٣) المعارف (٢٧٧) المعرفة والتاريخ (١/ ٤٨٦ و٣/ ١٦٠، ١٦١، ١٦٢) أخبار القضاة (١/ ١١١) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٠٦) حلية الأولياء (١/ ٣٧٦) الاستيعاب (٤/ ١٧٦٨) أنساب السمعاني (٥/ ٣٦٢) تاريخ ابن عساكر (١٩/ ١٠٥/ أ) جامع الأصول (٩/ ٩٥) أسد الغابة (٦/ ٣١٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ١٧٩) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٥٤) طبقات علماء الحديث (١/ ٩١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٣) العبر (١/ ٦٣) معرفة القراء الكبار (١/ ٤٣) الكاشف (٣/ ٣٤١) مجمع الزوائد (٩/ ٣٦١) غاية النهاية (١/ ٣٧١) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٢) الإصابة (١٢/ ٦٣) النجوم الزاهرة (١/ ١٥١) حسن المحاضرة (١/ ٢٥٠) طبقات الحفاظ (٩) خلاصة الخزرجي (٤٦٢) شذرات الذهب (١/ ٢٦١) كتاب (أبو هريرة) من سلسلة أعلام العرب للدكتور محمد عجاج الخطيب .

وروي عنه أنه قال : وجدتُ هريرة وحشيَّة ، فأخذت أولادها ، فقال لي أبي : ما هذه في حجرك ؟ فأخبرته ، فقال : أنت أبو هريرة .

وثبت في « الصحيح »[١] أن رسول الله ﷺ قال له : « أبا هِرّ ». وثبت أنه قال له[٢] : « يا أبا هُريرة ».

قال محمد بن سعد وابن الكلبي والطَّبراني : اسم أمِّه مَيْمونة بنت صُفَيح[٣] بن الحارث بن أبي صعب بن هبة[٤] بن سعد بن ثعلبة . أسلمت وماتت مسلمة .

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ الكثير الطيّب ، وكان من حفّاظ الصحابة ، وروى عن أبي بكر ، وعمر ، وأُبيّ بن كعب ، وأسامة بن زيد ، وبَصْرة بن أبي بَصْرة[٥] ، والفضل بن العباس ، وكعب الأحبار ، وعائشة أمِّ المؤمنين .

وحدث عنه خلائق من أهل العلم قد ذكرناهم مرتبين على حروف المعجم في « التكميل » كما ذكره شيخنا في « تهذيبه » .

قال البخاري : روى عنه نحو من ثمانمئة رجل أو أكثر من أهل العلم، من الصحابة والتابعين وغيرهم.

وقال عمرو بن علي الفلّاس : كان ينزل المدينة ، وكان إسلامه سنة خَيْبر .

وقال الواقدي : وكان له بذي الحُلَيفة دار .

وقال غيره : كان آدم اللون ، بعيد ما بين المَنْكبين ، ذا ضَفيرتين ، أفرق[٦] الثَّنِيَّتين .

وقال أبو داود الطيالسي وغير واحد : عن أبي خَلْدة خالد بن دينار ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة قال : لمّا أسلمت قال رسول الله ﷺ : « ممَّن أنت؟ » فقلت : من دَوْس ، فوضع يده على جبهته وقال : « ما كنتُ أرىٰ أنَّ في دوسٍ رجلاً فيه خَيْر »[٧] .

وقال الزهري : عن سعيد ، عن أبي هريرة قال : شهدت مع رسول الله ﷺ خَيْبر .

وروى عبد الرزاق ، عن سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس قال : قال أبو هريرة : جئت يوم خَيْبر بعدما فَرَغوا من القتال .

---

(١) صحيح البخاري (٦٢٤٦) في الاستئذان .
(٢) صحيح مسلم (٣١) (٥٢) في الإيمان و(١٧٨٠) (٨٦) في الجهاد والسير .
(٣) في آ: صبيح وهذا صحيح أيضاً. وترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٢٧٥).
(٤) في طبقات ابن سعد: هُنَيّة.
(٥) تحرف في الأصول إلى: نضرة بن أبي نضرة.
(٦) في المطبوع: أقرن.
(٧) رواه الترمذي رقم (٣٨٣٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا سعيد بن أبي مريم ، حدّثنا الدَّراوَرْدي قال : حدّثني خُثَيم بن[١] عراك بن مالك ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ واستخلف على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَة ، قال أبو هريرة : وقدمت المدينة مُهاجراً[٢] فصلَّيت الصبح وراء سِبَاع ، فقرأ في السجدة الأولى سورة مريم ، وفي الثانية ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قال أبو هريرة : فقلت في نفسي : ويلٌ لأبي فلان ـ لرجلٍ كان بأرض الأزد ، وكان له مِكْيالان : مكيال يَكيل به لنفسه ، ومكيال يَبْخس به الناس[٣] .

وقد ثبت في « صحيح البخاري » أنه ضلَّ غلام له في الليلة التي اجتمع في صَبيحتها برسول الله ﷺ وأنه جعل ينشد :

يـاليلـةً مِـنْ طُـولِهَـا وعَنَـائِهَـا عَلَىٰ أنَّهـا مِـنْ دارَةِ الكُفْرِ نَجَّتِ

فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له : « هذا غلامُك » فقال : هو حرٌّ لوجه الله عزَّ وجلّ[٤] .

وقد لزم أبو هريرة رسول الله ﷺ فلم يفارقْه في حضر ولا سفر ، وكان أحرص شيء على سماع الحديث منه وتفهُّمه عنه . وكان يلزمه على شِبَع بطنه .

وقال أبو هريرة ـ وقد تمخَّط يوماً في قميص عليه من كتّان : بَخْ بَخْ[٥] ، أبو هريرة يتمخَّط في الكتان ! لقد رأيتُني أَخرُّ فيما بين المنبر والحُجَر من الجوع ، فيمرُّ المارُّ فيقول : به جنون ، وما بي إلّا الجوع ، والله الذي لا إله إلّا هو لقد كنتُ أعتمدُ بكبدي على الأرض من الجوع ، وأشُدُّ الحجر على بطني من الجوع ، ولقد كنتُ أستقرئ أحدهم الآية وأنا أعلم بها منه وما بي إلّا أن يستتبعَني إلى منزله فيطعمَني شيئاً[٦] . وذكر حديث اللبن مع أهل الصُفَّة كما قدَّمناه في « دلائل النبوّة » .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا عكرمة بن عمّار[٨] ، حدّثني أبو كثير ـ وهو

---

(١) في المطبوع : خيثم عن ، خطأ .
(٢) في المطبوع : فهاجروا ، خطأ .
(٣) وهو حديث حسن . وهو في المعرفة والتاريخ (٣/ ١٦٠) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٨٩) .
(٤) أخرجه البخاري رقم (٢٥٣١) في العتق : باب إذا قال لعبده : هو لله ، ونوى العتق . وأحمد في مسنده (٢/ ٢٨٦) .
(٥) « بخْ بخْ ، وبخ بخ » : تقال عند تعظيم الإنسان لشيء أو تعجبه منه .
(٦) أخرجه بنحوه مختصراً ، البخاري رقم (٧٣٢٤) والترمذي (٢٣٦٧) في الزهد ، وابن سعد في طبقاته (٤/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٩٠ ـ ٥٩١) .
(٧) في مسنده (٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) .
(٨) تحرف في (أ) و(ط) إلى : عامر .

يزيد بن عبد الرحمن بن أذينة السُّحَيمي الأعمى ـ حدّثني أبو هريرة قال : والله ما خلق اللهُ مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلّا أحبَّني ، قلت : وما علمُك بذلك يا أبا هريرة ؟ قال : إنَّ أمي كانت امرأة مشركة ، وإني كنتُ أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى علَيّ ، فدعوتها يوماً ، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره ، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقلت : يا رسول الله إني كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام فكانت تأبى علَيّ ، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيكَ ما أكره ، فادعُ اللهَ أن يهديَ أمَّ أبي هريرة ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهُمَّ اهدِ أمَّ أبي هريرة » . فخرجتُ أعدو أُبشِّرها بدعاء رسول الله ﷺ لها ، فلمّا أتيتُ الباب إذا هو مُجَاف ، وسمعتُ خَضْخَضَة الماء ، وسمعتْ خشف رجل ـ يعني وَقْعها ـ فقالت : يا أبا هريرة كما أنت ، ثم فتحتِ الباب وقد لبستْ درعها وعجِلَتْ عن خمارها أن تلبسَه ، وقالت : إني أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً عبدُه ورسولُه . فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيتُ من الحزن ، فقلت : يا رسول الله أبشِرْ فقد استجاب الله دعاءك ، قد هدى اللهُ أمَّ أبي هريرة ، وقلت : يا رسول الله ادعُ الله أن يحبِّبَني وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهُمَّ حبِّب عُبَيْدَك هذا وأُمَّه إلى عبادك المؤمنين ، وحبِّبْهم إليهما » . قال أبو هريرة : فما خلق اللهُ من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلّا وهو يحبُّني .

وقد رواه مسلم[١] من حديث عكرمة بن عمّار بإسناد نحوه .

وهذا الحديث من دلائل النبوة ، فإن أبا هريرة محبَّب إلى جميع الناس ، وقد شهر الله ذكره بما قدَّره من إيراد هذا الخبر عنه على رؤوس الناس في الجوامع المتعدِّدة في سائر الأقاليم في الإنصات يوم الجمعة بين يدي الخطبة والإمامُ على المنبر ، وهذا من تقدير الله العزيز العليم ، ومحبة الناس له رضي الله عنه .

وقال هشام بن عمار : حدثنا سعيد ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن المَقْبُري ، عن سالم مولى النصْريّين[٢] أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّما محمدٌ بَشَر ، أغضبُ كما يغضبُ البشر ، وإنِّي قد اتَّخذتُ عندكَ عَهْداً لن تخلفَنِيه ، فأيُّما رجلٍ من المسلمينَ آذيتُه أو شتمتُه أو جلدتُه فاجعلْها له قربةً تقرِّبُه بها عندَكَ يوم القيامة »[٣] . قال أبو هريرة : لقد رفع عليٌّ رسول الله ﷺ يوماً الدِّرَّة ليضربني بها فلأَنْ يكونَ ضَرَبني بها أَحبُّ إليَّ من حُمر النَّعَم ، ذلك بأني أرجو أن أكون مؤمناً ، وأن يستجاب لرسول الله ﷺ دعوته .

وقال ابن أبي ذئب : عن سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرة قال : قلت : يا رسول الله إني أسمع منك

---

(١) برقم (٢٤٩١) في فضائل الصحابة : باب فضائل أبي هريرة .

(٢) قوله : « النصريين » تحرف في ط إلى : « النضريين » . انظر تهذيب الكمال (١٠/ ١٥٤) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٩٣) ، ومسلم (٢٦٠١) (٩١) في البر والصلة .

حديثاً كثيراً فأنساه ، فقال : « ابسُطْ رداءَك » فبسطتُه ، ثم قال : « ضُمَّه » فضممتُه ، فما نسيتُ حديثاً بعدُ . رواه البخاري(١) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سفيان ، عن الزُّهري ، عن عبد الرحمن الأعرج قال : سمعت أبا هريرة يقول : إنكم تزعمون أنَّ أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ واللهُ الموعِد ، إني كنتُ امرأً مسكيناً أصحب رسول الله ﷺ على ملء بَطني ، وكان المهاجرون يشغَلُهم الصَّفقُ في الأسواق ، وكانت الأنصار يشغَلُهُم القيام على أموالهم ، فحضرت من رسول الله ﷺ يوماً مجلساً فقال : « من بسطَ رداءَهُ حتى أقضيَ مَقالتي ثم يقبضُه إليه فلن ينسىٰ شيئاً سمعَه منِّي » فبسطتُ بردة عليَّ حتى قضى مقالتَه ثم قبضتُها إليّ ، فوالذي نفسي بيده ما نسيتُ شيئاً سمعتُه منه(٢) .

وقد رواه ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبي هريرة . وله طرق أُخر عنه .

وقد قيل : إن هذا كان خاصاً بتلك المقالة ، لم ينس منها شيئاً ، بدليل أنه نسي بعض الأحاديث كما هو مصرَّح به في الصحيح ، حيث نسي حديث « لا عَدْوَىٰ ولا طِيَرَة » مع حديثه « لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ »(٣) . وقيل : إن هذا كان عاماً في تلك المقالة وغيرها ، والله أعلم .

وقال الدَّراوردي : عن عمرو بن أبي عمرو ، عن سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرة أنه قال : يا رسول الله مَنْ أسعدُ الناسِ بشفاعتِك يوم القيامة ؟ فقال : « لقد ظننتُ ـ يا أبا هريرة ـ أنَّ أحداً لا يسألُني عن هذا الحديث أولَ منك لما رأيتُ منْ حرصِكَ على الحديث . إنَّ أسعدَ الناسِ بشَفاعتي يوم القيامةِ مَنْ قال لا إلَهَ إلَّا الله خالصاً من قِبَلِ نفسِه »(٤) .

ورواه البخاري(٥) من حديث عمرو بن أبي عمرو به .

وقال ابن أبي ذئب : عن سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرة أنه قال : حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءَين : فأمّا أحدُهما فبثَثْتُه في الناس ، وأمّا الآخر فلو بَثَثْتُه لقُطِعَ هذا البلعوم . رواه البخاري(٦) من حديث ابن أبي ذئب . ورواه غير واحد عن أبي هريرة .

---

(١) رقم (١١٩) في العلم ، باب حفظ العلم .
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٠) والبخاري رقم (٧٣٥٤) ومسلم (٢٤٩٢) (١٥٩) .
(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٧٧١) في الطب: باب لا هامة . . . ، ومسلم (٢٢٢١) في السلام: باب لا عدوى ولا طيرة . وأورده ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ١٤٩) وفيه كلام مفيد.
(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٨٢٥) وإسناده جيد .
(٥) رقم (٩٩) في العلم: باب الحرص على الحديث ورقم (٦٥٧٠) في الرقاق.
(٦) رقم (١٢٠) في العلم: باب حفظ العلم.

وهذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم وماوقع بين الناس من الحروب والقتال ، وماسيقع ، التي لو أخبر بها قبلَ كونِها لبادر كثيرٌ من الناس إلى تكذيبه وردُّوا ما أخبر به من الحق ، كما قال : لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامَكم وتقتتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدَّقتموني . وقد يتمسَّك بهذا الحديث طوائف من أهل الأهواء والبدع الباطلة ، ويسندون ذلك إلى هذا الجراب الذي لم يقله أبو هريرة ، ويعتقدون أنَّ ما هم عليه كان في هذا الجراب الذي لم يخبر به أبو هريرة ، وما من مُبطل مع تضادّ أقوالهم إلّا وهو يدَّعي هذا ، وكلُّهم يكذبون ، فإذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به فمن علمه من بعده ؟! وإنما الذي فيه شيء من الفتن والملاحم ، قد أخبر بها هو وغيره من الصحابة مما ذكرناه ومما سنذكره في كتاب الفتن والملاحم .

وقال حمّاد بن زيد : حدّثنا عمرو بن عبيد الأنصاري ، حدّثنا أبو الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم : أن مروان دعا أبا هريرة ، وأقعده[١] خلف السَّرير ، وجعل مروان يسأل وجعلتُ أكتب ، حتى إذا كان رأس الحول دعا به وأقعده من وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدَّم ولا أخَّر[٢] .

وروى أبو بكر بن عيّاش وغيره ، عن الأعمش ، عن أبي صالح قال : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن بأفضلهم[٣] .

وقال الربيع : قال الشافعي : أبو هريرة أحفظ مَنْ روى الحديث في دهره[٤] .

وقال أبو القاسم البَغَوي : حدّثنا أبو خَيْثمة ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول قال : تواعد الناس ليلة من الليالي إلى قُبَّة من قباب معاوية ، فاجتمعوا فيها ، فقام فيهم أبو هريرة ، فحدَّثهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبح[٥] .

وقال سفيان بن عُيَيْنة : عن عمرو[٦] ، عن وهب بن منبِّه ، عن أخيه هَمّام بن منبِّه قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتبُ ولا أكتب[٧] .

---

(١) يعني أقعد كاتبه أبا الزعيزعة.
(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٣/ ٥١٠) .
(٣) تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٩/ ١٩٠).
(٤) تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٩/ ١٩١).
(٥) المصدر السابق.
(٦) تحرف في (أ) و(ط) إلى: معمر، وعمرو : هو ابن دينار المكي .
(٧) أخرجه البخاري رقم (١١٣) في العلم: باب كتابة العلم. وللأستاذ شعيب الأرناؤوط تعليق مفيد عليه في سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٩٩) .

وقال أبو زرعة الدمشقي : حدّثني محمد بن زرعة الرُّعَيْني ، حدّثنا مروان بن محمد ، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن إسماعيل بن عبيد[١] الله ، عن السّائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو لأُلحقنَّك بأرض [دوس ، وقال لكعب الأحبار : لتتركن الحديث أو لأُلحقنَّك بأرض][٢] القِرَدة . قال أبو زرعة : وسمعت أبا مُسْهر يذكر عن سعيد بن عبد العزيز نحواً منه ولم يسنده[٣] .

وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد يضعها الناس على غير مواضعها [وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرُّخص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه ، أو نحو ذلك][٤] .

وقد جاء أن عمر أَذن له بعد ذلك في التحديث ، فقال مسدَّد : حدّثنا خالد الطحّان ، حدّثنا يحيى بن عبيد[٥] الله ، عن أبي هريرة قال : بلغَ عمرَ حديثي ، فأرسل إليَّ ، فقال : كنتَ معنا يوم كنّا مع رسول الله ﷺ في بيت فلان ؟ قال : قلتُ : نعم ، وقد علمتُ لمَ تسألُني عن ذلك ؟ قال : ولمَ سألْتُك ؟ قلتُ : إن رسول الله ﷺ قال يومئذ : « مَنْ كذَبَ [عليَّ متعمِّداً فَلْيتبوَّأ مَقْعَدَه مِنَ النّار » قال : أما إذاً فاذهب فحدِّث .

وقال][٦] الإمام أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا عبد الواحد ـ يعني ابن زياد ـ حدّثنا عاصم بن كُلَيب ، حدّثني أبي قال : سمعت أبا هريرة يقول ـ وكان يبتدِئ حديثه بأن يقول : قال رسول الله ﷺ الصادقُ المصدوق : « مَنْ كذَبَ عليَّ متعمِّداً فلْيتبوَّأْ مقعَدَه من النّار »[٧] .

وروي مثله من وجه آخر عنه .

وقال ابن وهب : حدّثني يحيى بن أيوب ، عن محمد بن عَجْلان : أن أبا هريرة كان يقول : إني لأحدِّث أحاديث لو تكلَّمتُ بها في زمان عمر ـ أو عند عمر ـ لشجَّ رأسي[٨] .

---

(١) تحرف في المطبوع إلى : عبد .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٥٤٤) .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٥) تحرف في المطبوع إلى : عبد . ويحيى هو ابن عبيد الله بن عبد الله بن موهب التيمي ، من الضعفاء المتروكين ، وأبوه عبيد الله لم يوثقه غير ابن حبان . والخبر في تاريخ ابن عساكر (١٩/ ١١٧/ ب) .
(٦) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٧) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤١٣) وإسناده قوي .
(٨) رجاله ثقات ، إلا أنه منقطع ، لأن ابن عجلان لم يسمع من أبي هريرة .

وقال صالح بن أبي الأخضر : عن الزهري ، عن أبي سلمة : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنّا نستطيع أن نقول : قال رسول الله ﷺ ، حتى قُبض عمر(١) .

وقال محمد بن يحيى الذُّهلي : حدّثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن الزُّهري قال : قال عمر : أَقِلُّوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلّا فيما يُعمل به . قال : ثم يقول أبو هريرة : أفكنتُ محدِّثَكم بهذه الأحاديث وعُمر حيّ ؟ أما والله إذاً لأيقنت أن المِخْفَقَة(٢) ستباشر ظهري . [فإن عمر كان يقول : اشتغلوا بالقرآن فإنَّ القرآن كلام الله ، ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له : إنك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دويٌّ بالقرآن كدويِّ النحل ، فدعهم على ما هم عليه ولا تَشْغلهم بالأحاديث ، وأنا شريكك في ذلك . وهذا معروف عن عمر رضي الله عنه](٣) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا هُشَيم ، عن يعلَى بن عطاء ، عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن ابن عمر : أنه مرَّ بأبي هريرة وهو يحدِّث عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ تَبِعَ جنازةً فصلَّى عليها فلَهُ قِيراط ، فإنْ شَهِدَ دفنَها فلَهُ قيراطان ، القيراطُ أعظمُ مِنْ أُحُد » فقال له ابن عمر : أبا هرّ انظر ما تحدِّث عن رسول الله ﷺ ، فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة فقال لها : يا أمَّ المؤمنين أَنشُدُكِ بالله أسمعتِ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ تَبِعَ جنازةً فصلَّى عليها فلَهُ قيراط ، فإنْ شَهِدَ دفنَها فلَهُ قيراطان » ؟ فقالت : اللهمَّ نعم . فقال أبو هريرة : إنه لم يكن يَشْغَلُني عن رسول الله ﷺ [غرسُ الوَدِيّ(٤) ولا صَفْقٌ بالأسواق ، إني إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ](٥) كلمةً يعلِّمُنيها أو أكلةً يُطعمُنيها . فقال له ابن عمر : يا أبا هرّ كنتَ أَلْزَمَنا لرسول الله ﷺ وأعلَمنا بحديثه(٦) .

وقال الواقدي : حدّثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه قال : كنت مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة ، وهو يمشي أمامَها ويكثر الترحُّم عليه ويقول : كان ممَّن يحفظ حديث رسول الله ﷺ على المسلمين(٧) .

وقد روي : أن عائشة تأوَّلت أحاديث كثيرة من رواية أبي هريرة ، ووهَّمته في بعضها ، وفي الصحيح أنها عابت عليه سرد الحديث والإكثار منه في الساعة الواحدة .

---

(١) صالح بن أبي الأخضر ضعيف . وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٩/ ١١٧/ ب) .
(٢) المخفقة : شيء يضرب به نحو سير أو دِرَّة . والخبر في مصنف عبد الرزاق برقم (٢٠٤٩٦) .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٤) تحرفت في ط و ب إلى : الوادي . « والودي » : صغار النخل ، واحدتها : ودية .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٦) رجاله ثقات . وهو في مسند أحمد (٢/ ٢ ـ ٣) وهو حديث صحيح ، وأخرج المرفوع منه البخاري رقم (٤٧) ومسلم (٩٤٥) .
(٧) في إسنادها الواقدي ، وقد اتفقوا على ضعفه وعدم الاعتداد بروايته .

وقال أبو القاسم البغوي : حدّثنا بشر بن الوليد الكِنْدي ، حدّثنا إسحاق بن سعيد[١] ، عن سعيد : أن عائشة قالت لأبي هريرة : أكثرتَ الحديث عن رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ، قال : إني والله ما كانت تَشْغَلُني عنه المُكْحُلة والخِضاب ، ولكن أرى ذلك شَغَلكِ عما استكثرتِ من حديثي . قالت : لعلَّه[٢] .

وقال أبو يَعْلى : حدّثنا إبراهيم الشامي ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي رافع ، أن رجلاً من قريش أتى أبا هريرة في حُلَّة وهو يتبختر فيها فقال : يا أبا هريرة إنك تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ فهل سمعتَه يقول في حُلَّتي هذه شيئاً ؟ قال : والله إنكم لتُؤْذوننا ، ولولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ما حدَّثتكم بشيء ، سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : « إنَّ رجلاً ممَّن كانَ قبلَكُم بينما هو يتبخترُ في حُلَّة إذ خسفَ اللهُ بهِ الأرضَ فهو يَتَجَلْجَلُ[٣] فيها حتّى تقومَ السّاعة » فوالله ما أدري لعلَّه كان من قومك ـ أو من رهطك ـ شكَّ أبو يَعْلى[٤] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا محمد بن عمر ، حدّثني كثير بن زيد ، عن الوليد بن رَباح قال : سمعت أبا هريرة يقول لمروان : والله ما أنت بِوالٍ ، وإن الوالي لغيرُك ، فدعه ـ يعني حين أرادوا دفن الحسن مع رسول الله ﷺ ـ ولكنَّك تدخل فيما لا يعنيك ، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك ـ يعني معاوية ـ قال : فأقبل عليه مروان مُغْضَباً فقال : يا أبا هريرة إن الناس قد قالوا : إنك أكثرتَ على رسول الله ﷺ الحديث ، وإنما قَدِمْتَ قبل وفاة النبي ﷺ بيسير . فقال أبو هريرة : نعم قدمتُ ورسولُ الله ﷺ بخيبر سنة سبع ، وأنا يومئذ قد زدتُ على الثلاثين سنة سنوات ، وأقمتُ معه حتى توفي ، أدور معه في بيوت نسائه وأخدُمُه ـ وأنا والله يومئذ مُقِلّ ـ وأصلِّي خلفه ، وأحجُّ وأغزو معه ، فكنت ـ والله ـ أعلمَ الناس بحديثه ، قد والله سبقني قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار ، وكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، فلا والله ما يخفى عليَّ كلُّ حديث كان بالمدينة ، وكل من أحبَّ الله ورسوله ، وكل من كانت له عند رسول الله ﷺ منزلة ، وكل صاحب له ، فكان أبو بكر صاحبَه في الغار وغيره ، وقد أخرجه رسول الله ﷺ أن يساكنه ـ يعرِّض بأبي مروان الحكم بن العاص . ثم قال أبو هريرة : ليسألني أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه فإنَّه يجد عندي منه علماً جمّاً ومقالاً . قال : فوالله ما زال مروان يقصر عن أبي هريرة ، ويتَّقيه بعد ذلك ، ويخافُه ويخاف جوابَه[٥] .

[وفي رواية : أن أبا هريرة قال لمروان : إني أسلمتُ وهاجرتُ اختياراً وطوعاً ، وأحببتُ

(١) تحرف في الأصول إلى : سعد وسعيد الذي يروي عنه هو أبوه .
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٩/ ١٢٠/ ١) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥) .
(٣) «يتجلجل» : يسوخ ويغوص في الأرض .
(٤) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ١٩٦) وأخرج المرفوع منه أحمد (٢/ ٤١٣) ومسلم رقم (٢٠٨٨) (٥٠) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٠٥) .

رسول الله ﷺ حبّاً شديداً ، وأنتم ـ أهل الدار وموضع الدعوة ـ أخرجتم الداعيَ من أرضه ، وآذيتموه وأصحابَه ، وتأخّر إسلامُكم عن إسلامي إلى الوقت المكروه إليكم . فندم مروان على كلامه له ، واتّقاه][١] .

وقال ابن أبي خيثمة : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا محمد بن سلمة ، حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن عمر ـ أو عثمان ـ بن عروة ، عن أبيه ـ يعني عروة بن الزبير بن العوام ـ قال : قال لي أبي الزبير : أَدْنني من هذا اليماني ـ يعني أبا هريرة ـ فإنه يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، قال : فأَدْنَيْتُه منه ، فجعل أبو هريرة يحدِّث وجعل الزبير يقول : صدق ، كذب ، صدق ، كذب . قال : قلت : يا أبة ما قولك : صدق ، كذب ؟ قال : يا بني أمّا أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله ﷺ فلا أشكُّ ، ولكن منها ما وضعه على مواضعه ، ومنها ما وضعه على غير مواضعه[٢] .

وقال علي بن المَديني : عن وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي أنس[٣] بن أبي عامر قال : كنت عند طلحة بن عُبيد الله إذ دخل رجل فقال : يا أبا محمد والله ما ندري هذا اليماني أعلم برسول الله منكم ، أم هو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يسمع أو ما لم يَقُل ؟ فقال طلحة : والله ما نشكُّ أنه قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع ، وعلم منه ما لم نعلم . إنا كنّا قوماً أغنياء ، لنا بيوتاتٌ وأهلون ، وكنّا نأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع ، وكان هو مسكيناً لا مال له ولا أهل ، وإنما كانت يده مع رسول الله ﷺ ، وكان يدور معه حيث ما دار ، فما نشكُّ أنه قد علم ما لم نعلم ، وسمع ما لم نسمع . وقد رواه الترمذي[٤] بنحوه .

وقال شُعبة : عن أشعث بن سليم ، عن أبيه قال : سمعت أبا أيوب يحدِّث عن أبي هريرة ، فقيل له : أنت صاحب رسول الله ﷺ وتحدِّث عن أبي هريرة ؟ فقال : إنَّ أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع ، وإني أن أحدِّث عنه أحبُّ إليَّ من أن أحدِّث عن رسول الله ﷺ ـ يعني ما لم أسمعه منه .

وقال مسلم بن الحجّاج : حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، حدّثنا مروان الدمشقي ، عن الليث بن سعد ، حدّثني بُكَير بن الأشَجّ قال : قال لنا بُسْر[٥] بن سعيد : اتقوا الله وتحفَّظُوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدِّث عن رسول الله ﷺ ويحدِّثنا عن كعب الأحبار ، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ . وفي

---

(١) هذه الرواية ليست في ب .
(٢) تاريخ ابن عساكر : مختصره (٢٩/ ١٩٧) .
(٣) وقع في (أ) و(ط) : اليسر وفي ب : البشر وكله تحريف . وأبو أنس : هو مالك بن أبي عامر ، جد مالك بن أنس الفقيه .
(٤) (٣٨٣٧) في المناقب : باب مناقب أبي هريرة ، وإسناده ضعيف .
(٥) تحرف في الأصول إلى : بشر .

رواية : يجعل ما قاله كعبٌ عن رسول الله ، وماقاله رسول الله عن كعب . فاتقوا الله وتحفَّظوا في الحديث .

وقال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : أبو هريرة كان يدلِّس ـ[أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ﷺ ولا يميز هذا من هذا](١) ـ ذكره ابن عساكر(٢) .

وكأنَّ شعبة يشير بهذا إلى حديثه « مَنْ أصبح جُنباً فلا صِيامَ له » فإنه لما حُوقق عليه قال : أخبرنيه مخبر ، ولم أسمعه من رسول الله ﷺ(٣) .

وقال شَريك : عن مُغيرة ، عن إبراهيم قال : كان أصحابنا يَدَعُون من حديث أبي هريرة .

[وروى الأعمش ، عن إبراهيم قال : ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة](٤) .

وقال الثوري : عن منصور ، عن إبراهيم قال : كانوا يَرَوْن في أحاديث أبي هريرة شيئاً ، وما كانوا يأخذون من حديثه [إلَّا ما كان من حديث](٥) صفة جنَّة أو نار ، أو حثٍّ على عمل صالح ، أو نهي عن شرٍّ جاء القرآن به .

وقد انتصر ابن عساكر لأبي هريرة ، وردَّ هذا الذي قاله إبراهيم النَّخعي . وقد قال ما قاله إبراهيم طائفةٌ من الكوفيِّين ، والجمهورُ على خلافهم .

وقد كان أبو هريرة من الصِّدق والحفظ والدِّيانة والعبادة والزَّهادة والعمل الصالح على جانب عظيم .

قال حمّاد بن زيد : عن عباس الجُريري ، عن أبي عثمان النَّهدي قال : كان أبو هريرة يقوم ثلث الليل ، وامرأتُه ثلثه ، وابنتُه ثلثه ، يقوم هذا ثم يوقظ هذا ، ثم يوقظ هذا هذا(٦) .

وفي « الصحيحين » عنه أنه قال : أوصاني خَليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كلِّ شهر ، وركعَتَي الضُّحى ، وأن أُوتِرَ قبلَ أن أنام(٧) .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) في تاريخه (١٩/ ١٢٢) . وأورده الذهبي في السير (٢/ ٦٠٨) ثم عقب عليه بقوله : تدليس الصحابة كثير ، ولا عيب فيه ؛ فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم ، والصحابة كلهم عدول .

(٣) في هذا المعنى أخرج مسلم في صحيحه (١١٠٩) في الصيام : باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب .

(٤) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط . سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٠٨) حاشية (٤) .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٦) أخرجه أحمد في الزهد ص٢٥٩ ، وإسناده صحيح .

(٧) أخرجه البخاري (١١٧٨) في التهجد : باب صلاة الضحى في الحضر ، وفي الصوم : باب صيام أيام البيض ، ومسلم (٧٢١) في صلاة المسافرين : باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان ، وأبو داود (١٤٣٢) في الصلاة : باب في الوتر قبل النوم ، والترمذي (٧٦٠) في الصوم : باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، والنسائي (٣/ ٢٢٩) في قيام الليل : باب الحث على الوتر قبل النوم .

وقال ابن جُرَيج عمّن حدثه قال : قال أبو هريرة : إني أجزِّئ الليل ثلاثة أجزاء : فجزءاً لقراءة القرآن ، وجزءاً أنام فيه ، وجزءاً أتذكَّر فيه حديث رسول الله[١] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا إسحاق بن عثمان القرشي ، حدّثنا أبو أيوب قال : كان لأبي هريرة مسجد في مَخْدَعه ، ومسجد في بيته ، ومسجد في حجرته ، ومسجد على باب داره ، إذا خرج صلَّى فيها جميعها ، وإذا دخل صلَّى فيها جميعها[٢] .

وقال عكرمة : كان أبو هريرة يسبِّح كل ليلة اثني عشر ألف تسبيحة ، ويقول : أسبِّح على قدر ديتي[٣] .

وقال هُشيم : عن يَعْلى بن عطاء ، عن ميمون بن[٤] مَيْسرة قال : كانت لأبي هريرة صيحتان في كل يوم ، أول النهار صيحة يقول : ذهب الليل وجاء النهار وعُرض آل فرعون على النار ، وإذا كان العشيُّ يقول : ذهب النهار وجاء الليل وعُرض آل فرعون على النار . فلا يسمع أحدٌ صوته إلّا استعاذ بالله من النار .

وقال عبد الله بن المبارك : حدّثنا موسى بن عبيدة ، عن زياد بن ثوبان ، عن أبي هريرة قال : لا تَغْبطَنَّ فاجراً بنعمة فإنَّ من ورائه طالباً حثيثاً طلبُه ، جهنَّم كلما خَبَتْ زدناهم سعيراً[٥] .

وقال ابن لَهِيعة : عن أبي يونس ، عن أبي هريرة : أنه صلَّى بالناس يوماً ، فلمّا سلَّم رفع صوته فقال : الحمدُ لله الذي جعل الدّين قواماً ، وجعل أبا هريرة إماماً ، بعدما كان أجيراً لابنة غَزْوان على شبع بطنه ، وحَمُولة رِجْله[٦] .

[وقال إبراهيم بن إسحاق الحَرْبي : حدّثنا عفّان ، حدّثنا سليم بن حيان قال : سمعت أبي يحدِّث عن أبي هريرة قال : نشأت يتيماً ، وهاجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لابنة غزوان بطعام بطني ، وعُقْبة رجلي[٧] ، أحدو بهم إذا ركبوا ، وأحتطب إذا نزلوا ، فالحمدُ لله الذي جعل الدّين قواماً ، وجعل أبا هريرة

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ١٩٩) .
(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٦١ ـ ٢٦٢) ، والمخدع : مكان النوم .
(٣) مثله في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ١٩٩) ، ووقع في أ ، ب : ديني .
(٤) في الأصول : ميمون بن أبي ميسرة ، وماأثبته من الجرح والتعديل (٨/ ٢٣٥) وغيره . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ١٩٩) .
(٥) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ٢٠٠) .
(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٩) .
(٧) يعني : نوبة ركوبه .

إماماً][(١)]. ثم يقول : والله يا أهل الإسلام إنْ كانت إجارتي معهم إلاّ على كِسْرة يابسة ، وعُقْبة في ليلة غبراء مظلمة ، ثم زَوَّجَنِيها الله ، فكنت أركب إذا ركبوا ، وأخدم إذا خدموا ، وأنزل إذا نزلوا .

وقال إبراهيم بن يعقوب الجُوزجاني[(٢)] : حدّثنا الحجّاج بن نُصَير[(٣)] ، حدّثنا هلال بن عبد الرحمن الحنفي ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أبي سلمة قال : قال أبو هريرة وأبو ذَرّ : باب من العلم نتعلَّمه أحبُّ إلينا من ألف ركعة تطوُّعاً ، وباب نعلّمه ـ عملنا به أو لم نعمل ـ أحبُّ إلينا من مئة ركعة تطوُّعاً . وقالا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « إذا جاء طالبَ العلمِ الموتُ وهو على هذه الحالِ ماتَ وهو شهيد » .

وهذا حديث غريب في هذا الوجه[(٤)] .

وروى غير واحد عن أبي هريرة : أنَّه كان يتعوَّذ في سجوده من أن يزني ، أو يسرق ، أو يكفر ، أو يعمل كبيرة . فقيل له : أتخاف ذلك ؟ فقال : ما يُؤمنني وإبليس حيّ ، ومصرِّف القلوب يصرِّفها كيف يشاء[(٥)] .

وقالت له ابنته : يا أبةِ إنَّ البنات يُعَيِّرنني يقلن : لمَ لا يُحلِّيك أبوك بالذهب ؟ فقال : يا بنيَّة قولي لهن : إنَّ أبي يخشى عليَّ حرَّ اللهب[(٦)] .

[وقال[(٧)] أبو هريرة : أتيتُ عمر بن الخطاب ، فقمت له وهو يسبِّح بعد الصلاة ، فانتظرته ، فلمّا انصرف دنوت منه فقلت : أقرئني آياتٍ من كتاب الله ، قال : وماأريد إلاّ الطعام ، قال : فأقرأني آيات من سورة آل عمران ، فلمّا بلغ أهلَه دخل وتركني على الباب ، فأبطأ ، فقلت : ينزع ثيابه ثم يأمر لي بطعام ، فلم أَرَ شيئاً ، فلمّا طال عليَّ قمتُ فمشيت ، فاستقبلني رسول الله ﷺ فكلَّمني فقال : « ياأبا هريرة إنَّ خُلُوفَ[(٨)] فمك الليلةَ لشديد » ؟! فقلت : أَجَل يا رسول الله ، لقد ظللت صائماً وما أفطرت بعد ، وما أجد ما أُفطر عليه ، قال : فانطلقَ وانطلقتُ معه حتى أتى بيته ، فدعا جاريةً له سوداء فقال : « آتينا بتلك

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في الحلية (١/ ٣٧٩) وتاريخ ابن عساكر (١٩/ ١٢٣/ ١) .
(٢) تحرف في المطبوع إلى : الجورجاني .
(٣) تحرف في الأصول إلى : نصر . والحجاج بن نصير : هو الفساطيطي القيسي ، لين الحديث . ترجمته وأقوال العلماء فيه في تهذيب الكمال (٥/ ٤٦١) .
(٤) أخرجه يعقوب في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) وفيه هلال بن عبد الرحمن الحنفي وهو متروك . وأيضاً في كشف الأستار عن زوائد البزار (١/ ٨٤) وهو ضعيف .
(٥) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ٢٠٢) .
(٦) المصدر السابق .
(٧) من هنا يبدأ سقط طويل في النسخة ب ، سنشير إليه في نهايته .
(٨) « الخلوف » : تغير رائحة الفم .

القَصْعة » فأتتنا بقَصْعة فيها وَضَر[١] من طعام أراه شعيراً قد أُكل وبقي في جوانبها بعضُه وهو يسير ، فسَمَّيت وجعلت أتتبَّعُه ، فأكلت حتى شبعت[٢] .

وقال الطبراني : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمر ، عن أيوب ، عن محمد بن سِيرين أنَّ أبا هريرة قال لابنته : لا تَلبسي الذهب ، فإني أخشى عليك حرَّ اللهب[٣] .

وقد روي هذا عن أبي هريرة من طرق .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا حجاج ، حدّثنا شُعبة ، عن سِمَاك بن حرب ، عن أبي الربيع ، عن أبي هريرة أنه قال : إنَّ هذه الكناسة مهلكة دنياكم وآخرتكم ـ يعني الشَّهوات ومايأكلونه .

وروى الطبراني ، عن ابن سِيرين ، عن أبي هريرة : أن عمر بن الخطاب دعاه ليستعملَه ، فأبى أن يعمل له ، فقال : أتكره العمل وقد عمل مَنْ هو خير منك ؟ ـ أو قال : قد طلبه من هو خير منك ـ ؟ قال : مَنْ ؟ قال : يوسف عليه السلام ، فقال أبو هريرة : يوسف نبيٌّ ابن نبيّ ، وأنا أبو هريرة بن أُمَيْمة ، فأخشى ثلاثاً واثنتين ، فقال عمر : أفلا قلت خمساً ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضيَ بغير حلم ، وأن يُضْرب ظهري ، ويُنْتزع مالي ، ويُشْتَم عرضي[٤] .

وقال سعيد بن أبي هند : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال له : « ألا[٥] تسألُني من هذه الغنائم التي يَسألُني أصحابُك » ؟ فقلت : أسألك أن تعلِّمني مما علَّمك الله ، قال : فنزع نَمِرَة[٦] على ظهري ، فبسطها بيني وبينه ، حتى كأني [أنظر][٧] إلى القمل يدبُّ عليها ، فحدثني ، حتى إذا استوعب حديثه قال : « اجمعْها إليك فصرَّها » فأصبحتُ لا أُسقط حرفاً مما حدَّثني[٨] .

وقال أبو عثمان النَّهدي : قلت لأبي هريرة : كيف تصوم ؟ قال : أصوم أوَّل الشهر ثلاثاً ، فإنْ حدَثَ بي حدث كان لي أجرُ شهري[٩] .

وقال حمّاد بن سلمة : عن ثابت ، عن أبي عثمان النَّهدي : أنَّ أبا هريرة كان في سفر ومعه قوم ،

---

(١) « الوضر » : الدسم وأثر الطعام .
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٨) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨٠) والذهبي في السير (٢/ ٦٢٢) وفي التعليق عليه كلام مفيد .
(٤) سيعيده المؤلف بعد قليل ، وهو في سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٢ ـ ٦١٣) .
(٥) تحرفت في المطبوع إلى: لا .
(٦) « النمرة » : شملة فيها خطوط بيض وسود .
(٧) سقطت من المطبوع .
(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨١) .
(٩) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ١٩٩) .

فلمّا نزلوا وضعوا السُّفرة وبعثوا إليه ليأكل معهم ، فقال : إني صائم ، فلمّا كادوا أن يفرغوا من أكلهم جاء فجعل يأكل ، فجعل القوم ينظرون إلى رسولهم الذي أرسلوه إليه ، فقال لهم : أراكم تنظرون إليّ ، قد ـ والله ـ أخبرني أنّه صائم ، فقال أبو هريرة : صَدَق ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « صومُ شهرِ الصَّبْر ، وصومُ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ ، صومُ الدَّهر » . وقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر ، فأنا مفطر في تخفيف الله ، صائم في تضعيف الله عزَّ وجلّ(١) .

وروى الإمام أحمد : حدّثنا عبد الملك بن عمرو ، حدّثنا إسماعيل ، عن أبي المتوكل ، عن أبي هريرة : أنه كان هو وأصحاب له إذا صاموا يجلسون في المسجد وقالوا : نطهِّر صيامنا(٢) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو عبيدة الحدّاد ، حدّثنا عثمان الشحام أبو سلمة ، حدّثنا فرقد السَّبَخي قال : كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول : ويلٌ لي من بطني : إن أشبعتُه كظَّني(٣) ، وإن أجعتُه أضعفني(٤) .

وروى الإمام أحمد : عن عكرمة قال : قال أبو هريرة : إني لأستغفر الله عز وجل وأتوبُ إليه كلَّ يوم اثني عشر ألف مرّة ، وذلك على قدر ديتي(٥) .

وروى عبد الله بن أحمد ، عن أبي هريرة : أنه كان له خيطٌ فيه اثنا عشر ألف عقدة يسبِّح به قبل أن ينام . وفي رواية : ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبِّح به . وهو أصح من الذي قبله .

ولما حضره الموت بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بُعد سفري ، وقلَّة زادي ، وأني أصبحت في صعود ومهبط على جنة ونار ، لا أدري إلى أيهما يُؤخذ بي(٦) .

وروى قتيبة بن سعيد ، حدّثنا الفرج بن فَضَالة ، عن أبي هريرة قال : إذا زوَّقتم مساجدكم ، وحلَّيتم مصاحفكم ، فالدَّمار عليكم(٧) .

وروى الطبراني ، عن مَعْمر قال : بلغني عن أبي هريرة أنه كان إذا مرّ به جنازةٌ قال : رُوحوا فإنّا

(١) وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٨٤ ، ٥١٣) وهو حديث صحيح ، وشهر الصبر : هو شهر رمضان .
(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٦٠) .
(٣) « كظني » : أتخمني .
(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٦٠) وقد تحرف فيه السبخي إلى السبحي . وفرقد السبخي هذا لين الحديث كثير الخطأ ، كما قال الحافظ في التقريب .
(٥) تقدم الخبر قبل قليل .
(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٩) .
(٧) الفرج بن فضالة ضعيف .

غادُون ، أو اغدُوا فإنّا رائحون . موعظة بليغة ، وغفلة[١] سريعة ، يذهب الأول ويبقى الآخر لا عقل له .

وقال الحافظ أبو بكر بن مالك : حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدّثني أبو بكر ليث بن خالد البجلي[٢] ، حدّثنا عبد المؤمن بن عبيد[٣] الله السَّدوسي قال : سمعت أبا يزيد المديني يقول : قام أبو هريرة على منبر رسول الله ﷺ دون مقام رسول الله ﷺ بعَتَبة فقال : ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب ، ويلٌ لهم من إمارة الصِّبيان ، يحكمون فيهم بالهوى ، ويقتلون بالغضب .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا علي بن ثابت ، عن أسامة بن زيد ، عن أبي زياد ـ مولى ابن عباس ـ عن أبي هريرة قال : كانت لي خمس عشرة تَمْرة ، فأفطرتُ على خمس ، وتسحَّرتُ بخمس ، وأبقيتُ خمساً لفطري[٤] .

وقال أحمد : حدّثنا عبد الملك بن عمرو ، حدّثنا إسماعيل ـ يعني العبدي ـ عن أبي المتوكل : أن أبا هريرة كانت لهم زنجيَّة قد غمتهم بعملها ، فرفع عليها يوماً السَّوط ثم قال : لولا القصاصُ يوم القيامة لأغشينَّكِ به ، ولكن سأبيعكِ ممَّن يوفيني ثمنك أحوج ما أكون إليه ، اذهبي فأنتِ حرةٌ لوجه الله عز وجل[٥] .

وروى حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة : أن أبا هريرة مرض ، فدخلتُ عليه أعوده فقلت : اللهمَّ اشفِ أبا هريرة ، فقال : اللهمَّ لا تَرْجعها . ثم قال : يا أبا سلمة يوشكُ أن يأتيَ على الناس زمان يكون الموتُ أحبَّ إلى أحدهم من الذهب الأحمر[٦] .

وروى عطاء عن أبي هريرة قال : إذا رأيتم ستّاً فإنْ كانت نفس أحدكم في يده فليُرْسلها ، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني : إذا أُمِّرت السُّفهاء ، وبيع الحكم ، وتهون الدم ، وقُطعت الأرحام ، وكثرت الجلاوزة[٧] ، ونشأ نَشْء[٨] يتخذون القرآن مزامير[٩] .

---

(١) مثله في مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٥) ووقعت في ط : عقلة .
(٢) كذا في أ ، ط ـ لم أذكر النسخة ب لأن هذه الصفحات ساقطة منها كما أشرنا ـ وأراه محرفاً عن البلخي وقد ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ١٥) .
(٣) تحرف في آ ، ط إلى : عبد ، والتصويب من الجرح والتعديل (٦/ ٦٥) وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٣٣) وغيرهما .
(٤) حلية الأولياء (١/ ٣٨٤) .
(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص٢٥٩ ـ ٢٦٠) .
(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٨) .
(٧) «الجلاوزة» : جمع جلواز ، وهو الشرطي .
(٨) قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٥١ ـ ٥٢) : يروى بفتح الشين ، جمع ناشئ ، كخادم وخدَم . يريد جماعة أحداثاً . قال أبو موسى : والمحفوظ بسكون الشين ، كأنه تسمية المصدر .
(٩) أورده ابن سعد في طبقاته (٤/ ٣٣٧) بنحوه من طريق روح بن عبادة ، حدثنا الربيع بن صبيح قال : أخبرنا حبيب بن أبي فضالة أن أبا هريرة قال . . . وأخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٢) من كلام عوف بن مالك الأشجعي .

وقال ابن وهب : حدّثنا عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن زياد القُرَظي ، أن ثَعْلبة بن أبي مالك القُرَظي حدثه : أن أبا هريرة أقبل في السُّوق يحمل حُزْمة حطب ـ وهو يومئذ أمير لمروان بن الحكم ـ فقال : أَوسع الطريق للأمير يا بن أبي مالك ، فقلت : يرحمك الله يكفي هذا ، فقال : أَوسعِ الطريق للأمير والحُزمةُ عليه[1]][2] .

وله فضائل ومناقب كثيرة ، وكلام حسن ، ومواعظ جمَّة . أسلم ـ كما قدمنا ـ عام خيبر ، فلزم رسول الله ﷺ ولم يفارقه إلّا حين بعثه مع العلاء بن الحَضْرمي إلى البحرين ، ووصّاه به ، فجعله العلاء مؤذِّناً بين يديه ، وقال له أبو هريرة : لا تسبقني بآمين أيُّها الأمير . وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها في أيام إمارته ، وقاسمه مع جملة العمّال .

قال عبد الرزاق : حدّثنا مَعْمر ، عن أيوب ، عن ابن سِيرين : أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين ، فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرتَ بهذه الأموال أي عدوَّ الله وعدوَّ كتابه ؟! فقال أبو هريرة : لستُ بعدوِّ الله ولا عدوِّ كتابه ، ولكني عدوُّ مَنْ عاداهما ، فقال : فمن أين هي لك ؟ قال : خيل نُتِجَت ، وغَلَّة ورقيق لي ، وأُعطية تتابعت عليّ . فنظروا فوجدوه كما قال . فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعملَه ، فأبى أن يعمل له ، فقال له : تكره العمل وقد طلبه مَنْ كان خيراً منك ؟! طلبه يوسف عليه السلام ، فقال : إنَّ يوسف نبيٌّ ابن نبيٍّ ابن نبيٍّ ابن نبيّ ، وأنا أبو هريرة بن أُمَيْمة[3] ، وأخشى ثلاثاً واثنتين ، قال عمر : فهلّا قلت خمساً ؟ قال : أخشى أن أقولَ بغير علم ، وأقضيَ بغير حلم ، أو يُضرب ظهري ، ويُنتزع مالي ، ويُشتَم عرضي[4] .

وذكر غيره : أنَّ عمر غرَّمه في العُمالة الأولى اثني عشر ألفاً ، فلهذا امتنع في الثانية .

وقال عبد الرزاق : عن مَعْمر ، عن محمد بن زياد قال : كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة ، فإذا غضب عليه عزلَه وولّى مروان بن الحكم ، فإذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجبه عنه ، فعزل مروان ورجع أبو هريرة ، فقال لمولاه : مَنْ جاءك فلا تردَّه واحجبْ مروان ، فلمّا جاء مروان دفع الغلام في صدره ، فما دخل إلّا بعد جهد ، فلمّا دخل قال : إن الغلام حجبَنا عنك ، فقال له أبو هريرة : إنك أحقُّ الناس ألّا تغضب من ذلك . والمعروف أن مروان هو الذي كان يستنيب أبا هريرة في إمرة المدينة ، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨٥) ورجاله ثقات .
(٢) هنا ينتهي نقص النسخة (ب) الذي أشرنا إليه قبل صفحات .
(٣) تحرفت في المطبوع إلى : أمية .
(٤) تقدم قبل صفحات . وهو في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٥) وحلية الأولياء (١/ ٣٨٠ ، ٣٨١) من طرق أخرى .

وقال حمّاد بن سلمة : عن ثابت ، عن أبي رافع : كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة ، فيركب الحمار ويلقى الرجل فيقول : قد جاء الأمير ـ يعني نفسه ـ وكان يمرُّ بالصِّبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب ـ وهو أمير ـ فلا يشعرون إلاّ وقد ألقى نفسه بينهم ويضرب برجليه كأنه مجنون [يريد بذلك أن يضحكهم][(١)] فيفزع الصِّبيان منه ويفرون عنه هاهنا وهاهنا يتضاحكون[(٢)] .

قال أبو رافع : وربما دعاني أبو هريرة إلى عشائه بالليل فيقول : دع العُراق للأمير ـ يعني قطع اللحم ـ قال : فأنظر فإذا هو ثريد بالزيت[(٣)] .

وقال ابن وهب : حدّثني عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن زياد القُرَظي ، أن ثَعْلبة بن أبي مالك حدّثه : أن أبا هريرة أقبل في السُّوق يحمل حُزْمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان [فقال : أَوسعِ الطريق للأمير يا بن أبي مالك ، فقلت : أصلحك الله يكفي هذا ، فقال : أَوسِع الطريق للأمير والحُزْمة عليه][(٤)] . وقد تقدم هذا . وروي نحوه من غير وجه .

وقال أبو الزعيزعة ـ كاتب مروان : بعث مروان إلى أبي هريرة بمئة دينار ، فلمّا كان الغد بعث إليه : إني غلطتُ ولم أردك بها ، وإني إنما أردتُ غيرك . فقال أبو هريرة : قد أخرجتُها ، فإذا خرج عطائي فخذها منه ، وكان قد تصدَّق بها . وإنما أراد مروان اختباره[(٥)] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا العلاء[(٦)] بن عبد الجبّار ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن يحيى بن سعيد [عن سعيد][(٧)] بن المسيِّب قال : كان معاوية إذا أعطى أبا هريرة سكت ، وإذا أمسك عنه تكلَّم[(٨)] .

وروى غير واحد ، عن أبي هريرة : أنه جاءه شاب فقال : يا أبا هريرة إني أصبحتُ صائماً ، فدخلت على أبي ، فجاءني بخبز ولحم ، فأكلت ناسياً . فقال : طعمةٌ أطعمكَها الله ، لا عليك . قال : ثم دخلتُ داراً لأهلي ، فجيء بلبن لِقْحَة ، فشربتُه ناسياً . قال : لا عليك . قال : ثم نمتُ فاستيقظت ، فشربتُ ماءً ـ وفي رواية : وجامعتُ ناسياً . قال أبو هريرة : إنك يا بن أخي لم تَعتَدِ الصيام[(٩)] .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٦) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) ما بين حاصرتين ليس في آ .
(٥) أبو الزعيزعة لا يعرف . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/ ٢٠٣) .
(٦) في أ ، ط : عبد الأعلى وما أثبته من ب .
(٧) سقط من المطبوع .
(٨) تاريخ ابن عساكر (١٩/ ١٢٥/ ب) .
(٩) تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٩/ ٢٠٥) .

[وقال غير واحد : كان أبو هريرة إذا رأى الجنازة قال : رُوحوا فإنا غادُون ، أو اغدُوا فإنا رائحون .

وروى غير واحد : أنه لما حضرته الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : على قلَّة الزاد ، وشدَّة المفازة ، وأنا على عقبة هبوط إمّا إلى جنَّة أو إلى النار ، فما أدري إلى أيِّهما أصير][١] .

وقال مالك : عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبري قال : دخل مروان على أبي هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال : شفاك الله يا أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : اللهمَّ إني أحبُّ لقاءك فأحبَّ لقائي . قال : فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات أبو هريرة[٢] .

وقال يعقوب بن سفيان : عن دحيم ، عن الوليد [عن][٣] ابن جابر ، عن عمير بن هانئ قال : قال أبو هريرة : اللهمَّ لا تدركني سنة ستين . قال : فتوفي فيها أو قبلها بسنة . وهكذا قال الواقدي : إنه توفي سنة تسع وخمسين عن ثمان وسبعين سنة .

قال الواقدي : وهو الذي صلَّى على عائشة في رمضان ، وعلى أمِّ سلمة في شوال سنة تسع وخمسين ، ثم توفي أبو هريرة بعدهما فيها ، كذا قال ، والصواب أن أمَّ سلمة تأخَّرت بعد أبي هريرة .

وقد قال غير واحد : إنه توفي سنة تسع وخمسين ، و قيل : ثمان ، وقيل : سبع وخمسين ، والمشهور : تسع وخمسين .

قالوا : وصلَّى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان نائب المدينة ، وفي القوم ابنُ عمر ، وأبو سعيد ، وخلق من الصحابة وغيرهم . وكان ذلك عند صلاة العصر ، وكانت وفاته في داره بالعَقيق ، فحمل إلى المدينة ، فصلِّي عليه ثم دفن بالبقيع ، رحمه الله ورضي عنه .

وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية بوفاة أبي هريرة ، فكتب إليه معاوية : أن انظُر ورثته فأحسنْ إليهم ، واصرفْ إليهم عشرة آلاف درهم ، وأَحسن جوارهم ، واعمل إليهم معروفاً ، فإنه كان ممَّن نصر عثمان ، وكان معه في الدار ، رحمهما الله تعالى .

* * *

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ ، وهو مما تقدم ذكره . والزهد لأحمد (ص٢٦١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٩) .

(٣) سقطت من أ ، ط ، والمثبت من ب وهو الصحيح ، فالوليد : هو ابن مسلم . وابن جابر : هو عبد الرحمن بن يزيد الداراني ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٩٧) .

سنة ستين من الهجرة النبوية

فيها كانت غزوة مالك بن عبد الله مدينة سورية[١] .

قال الواقدي : وفيها دخل جُنادة بن أبي أميّة جزيرة رُودس .

وفيها أخذ معاوية البَيْعة ليزيد من الوفد الذين قدموا صحبة عُبيد الله بن زياد إلى دمشق .

وفيها مرض معاوية مرضه الذي توفي فيه في رجب منها كما سنبيِّنه .

روى ابن جرير من طريق أبي مِخْنَف : حدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مَخْرمة أن معاوية لمّا مرض مرضته التي هلك فيها دعا ابنَه يزيد فقال : يا بنيَّ إني قد كفيتك الرحلة والرجال ، ووطَّأت لك الأشياء ، وذلَّلت لك الأعداء[٢] ، وأخضعت لك أعناق العرب . وإني لا أتخوَّف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتبَّ لك إلّا أربعة نفر : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ـ كذا قال ، والصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية بسنتين كما قدمنا ـ فأما ابن عمر فهو رجل قد وَقَذَته[٣] العبادة ، وإذا لم يبقَ أحدٌ غيره بايعك . وأما الحسين فإن أهل العراق خلفَه لا يدعونه حتى يخرجوه عليك ، فإن خرج عليك فظفرتَ به فاصفح عنه ، فإن له رحماً ماسَّة وحقّاً عظيماً . وأما ابن أبي بكر فهو رجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ، ليست له همَّة إلّا في النساء واللهو . وأما الذي يَجْثِمُ لك جثوم الأسد ، ويراوغك روغان الثعلب ، وإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلها بك فقدرتَ عليه فقطِّعه إرْباً إرْباً[٤] .

قال غير واحد : فحين حضرت معاوية الوفاة كان يزيد في الصَّيد ، فاستدعى معاويةُ الضحّاك بن قيس الفِهْري ـ وكان على شرطة دمشق ـ ومسلم بن عُقبة ، فأوصى إليهما أن يبلغا يزيد السلام ، ويقولا له يتوصّى بأهل الحجاز ، وإن سأله أهل العراق في كل يوم أن يعزل عنهم عاملاً ويولِّي عليهم عاملاً فليفعل ، فعزلُ واحد أحبُّ إليك من أن يسلَّ عليك مئة ألف سيف ، وأن يتوصّى بأهل الشام خيراً ، وأن يجعلهم أنصاره ، وأن يعرف لهم حقَّهم . ولستُ أخاف عليه من قريش سوى ثلاثة : الحسين ، وابن عمر ، وابن الزبير ـ ولم يذكر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهذا أصح ـ فأما ابن عمر فقد وَقَذَته العبادة . وأما الحسين فرجل خفيف ، وأرجو أن يكفيَكَهُ الله بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وإن له رحماً ماسَّة ، وحقّاً عظيماً ،

---

(١) قال في « معجم البلدان » سورية : بلدة بالشام بين خناصرة وسلمية .

(٢) في (أ) و(ط) : الأعزاء .

(٣) في الأصول : وقدته بالدال ، والمثبت من تاريخ الطبري . ورجل وقذته العبادة : أي سكّنته .

(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) . وقوله : « إرباً إرباً » : يعني عضواً عضواً .

وقرابة من محمد ﷺ ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن قدرتَ عليه فاصفح عنه فإني لو أني صاحبته عفوتُ عنه . وأما ابن الزبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ ، فإن شَخَصَ لك فالبُدْ له(١) إلا أن يلتمس منك صلحاً ، فإن فعل فاقبل منه . واصفح عن دماء قومك ما استطعت .

وكان موت معاوية لاستهلال رجب من هذه السنة ، قاله هشام بن الكلبي . وقيل : للنصف منه ، قاله الواقدي . وقيل : يوم الخميس لثمان بقين منه ، قاله المدائني . قال ابن جرير(٢) : وأجمعوا على أنه هلك في رجب منها . وكان مدة ملكه استقلالاً من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن علي بأَذْرُح(٣) فذلك تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر . وكان نائباً في الشام عشرين سنة تقريباً ، وقيل غير ذلك . وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة ، وقيل : خمساً وسبعين سنة ، وقيل : ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل : خمساً وثمانين سنة . وسيأتي بقية الكلام في ذلك في آخر ترجمته .

وقال أبو السُّكين(٤) زكريا بن يحيى : حدّثني عم أبي زَحْر بن حِصْن(٥) ، عن جده حُمَيد بن مُنْهب قال : كانت هند بنت عُتبة عند الفاكِه بن المُغيرة المخزومي ، وكان الفاكِهُ من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فخلا ذلك البيت يوماً ، فاضطجع الفاكِهُ وهند فيه في وقت القائلة(٦) ، ثم خرج الفاكِهُ لبعض شأنه ، وأقبل رجل ممَّن كان يغشاه ، فولج البيت ، فلمّا رأى المرأة فيه ولّى هارباً ، ورآه الفاكِه وهو خارج من البيت ، فأقبل إلى هند وهي مضطجعة فضربها برجله وقال : مَنْ هذا الذي كان عندك ؟ فقالت : ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبهتني أنت ، فقال لها : الحقي بأبيك . وتكلّم فيها الناس ، فقال لها أبوها : يا بنيّة إن الناس قد أكثروا فيك القالة ، فأنبئيني نبأك ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست إليه من يقتله فتنقطع عنك القالة ، وإنْ يكُ كاذباً حاكمته إلى بعض كُهّان اليمن ، فحلفتْ هند لأبيها بما كانوا يحلفون في الجاهلية إنه لكاذب عليها ، فقال عتبة بن ربيعة للفاكِه : يا هذا إنك قد رميتَ ابنتي بأمر عظيم [وعار كبير لا يغسله الماء ، وقد جعلتنا في العرب بمكان ذلّة ومَنْقصة ، ولولا أنك مني ذو قرابة لقتلتك ، ولكن سأحاكمك إلى كاهن اليمن](٧) فحاكمني إلى بعض كهّان اليمن . فخرج الفاكِه في بعض جماعة من بني مخزوم ـ أقاربه ـ

(١) مثله في تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٣) . ووردت في ط : فانبذ إليه .
(٢) في تاريخه (٥/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) .
(٣) تحرفت في ط ، ب إلى : أدرح . وأذرح : بلدة في أطراف بلاد الشام من نواحي البلقاء . معجم البلدان (١/ ١٢٩) .
(٤) تحرف في الأصول إلى : السكن والتصحيح من ترجمته في تهذيب الكمال (٩/ ٣٨٤) وغيره .
(٥) تحرف في أ ، ط إلى : حصين . وابن حصن هنا مترجم في ميزان الاعتدال (٢/ ٦٩) وغيره .
(٦) « القائلة » : الظهيرة ، وفعله : قال يَقيل .
(٧) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مَناف ، وخرجوا بهند ونسوة معها من أقاربهم ، وساروا قاصدين بلاد اليمن . فلمّا شارفوا بلاد الكاهن قالوا : غداً نأتي الكاهن ، فلمّا سمعت هند ذلك تنكرت حالها وتغيَّر وجهها وأخذت في البكاء ، فقال لها أبوها : يا بنيَّة قد أرى ما بكِ من تنكُّر الحال وكثرة البكاء ، وما ذاك أراه عندك إلا لمكروه أحدثتيه وعمل اقترفتيه ، فهلاّ كان هذا قبل أن يشيع في الناس ويشتهر مسيرنا ؟ فقالت : والله يا أبتاه ما هذا الذي تراه مني لمكروه وقع مني ، وإني لبريئة ، ولكن هذا الذي تراه من الحزن وتغيُّر الحال هو أني أعلم أنكم تأتون هذا الكاهن وهو بشر يخطئ ويصيب [وأخاف أن يخطئ في أمري بشيء ، يكون عارُه عليَّ إلى آخر الدهر][(١)] ولا آمَنُه أن يَسِمَني بسِيما[(٢)] تكون عليَّ سبَّة في العرب . فقال لها أبوها : لا تخافي فإني سوف أختبره وأمتحنُه قبل أن يتكلَّم في شأنك وأمرك [فإن أخطأ فيما أَمتحنه به لم أدعه يتكلَّم في أمـركِ . ثم انفرد عن القوم ـ وكان راكباً مُهْراً ـ حتى توارى عنهم خلف رابية ، فنزل عن فرسه][(٣)] ثم صفَّر له حتى أدلى ، ثم أخذ حبّاتٍ من حنطة فأدخلها في إحليل المُهْر ، وأَوكى عليها بسير حتى أحكم ربطها [ثم صفَّر له حتى اجتمع إحليلُه ، ثم أتى القوم فظنُّوا أنه ذهب ليقضي حـاجة][(٤)] ثم أتى الكاهن ، فلمّا قدموا عليه أكرمهم ونحر لهم . فقال له عُتبة : إنا قد جئناك في أمر ، ولكن لا أدعك تتكلَّم فيه حتى تبيِّن لنا ما خبَّأتُ لك ، فإني قد خبَّأت لك خَبيئاً فانظر ماهو فأخبرنا به . قال الكاهن : ثَمَرَة في كَمَرَة[(٥)] ، قال : أريد أَبْيَن من هذا ، قال : حبات بُرٍّ في إحليل مُهْر ، قال : صدقت ، فخذ لما جئناك له ، انظر في أمر هؤلاء النسوة . [فأجلس النساء خلفه وهند معهم لا يعرفها][(٦)] ثم جعل يدنو من إحداهنَّ فيضرب كتفها ويُبرِّيها ويقول : انهضي . حتى دنا من هند ، فضرب كتفها وقال : انهضي حَصَان رَزان ، غير رَسْحاء[(٧)] ولا زانية ، ولتلدنَّ مَلِكاً يقال له معاوية . فوثب الفاكِهُ فأخذ بيدها ، فنثرت يدها في يده وقالت له : إليك عني ، والله لا يجمع رأسي ورأسَك وسادة ، والله لأحرصنَّ أن يكون هذا الولد من غيرك . فتزوَّجها أبو سفيان بن حرب ، فجاءت منه بمعاوية هذا . وفي رواية : أن أباها هو الذي قال للفاكِه ذلك . والله أعلم[(٨)] .

---

(١) سقط من ب .
(٢) في ط : ميسماً .
(٣) سقط من ب .
(٤) سقط من ب .
(٥) « الكمرة » : رأس الذكر .
(٦) سقط من ب .
(٧) « الرسحاء » : القبيحة من النساء .
(٨) الخبر بطوله في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٣١٣ ـ ٣١٤) .

وهذه ترجمة معاوية[١] وذكر شيء من أيامه وما ورد في مناقبه وفضائله

هو معاوية بن أبي سُفيان صَخر بن حَرب بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصي ، القرشيّ الأموي ، أبو عبد الرحمن ، خال المؤمنين ، وكاتب وحي رسول رب العالمين . وأمُّه هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

أسلم معاوية عام الفتح ، وروي عنه أنه قال : أسلمتُ يوم القضيَّة ولكن كتمت إسلامي من أبي ، ثم علم بذلك فقال لي : هذا أخوك يزيد ـ وهو خير منك ـ على دين قومه ، فقلت له : لم آلُ نفسي جهداً . قال معاوية : ولقد دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به ، ثم لمّا دخل عام الفتح أظهرتُ إسلامي ، فجئته فرحَّب بي وكتبتُ بين يديه .

قال الواقدي : وشهد معه حُنيناً ، وأعطاه مئة من الإبل وأربعين أوقية من ذهب ، وزنها له بلال ، وشهد اليمامة .

وزعم بعضهم أنه هو الذي قَتل مسيلمة ، حكاه ابن عساكر . وقد يكون شَرِكَ في قتله ، وإنما الذي طعنه وَحْشي ، وجلَّله[٢] أبو دُجَانة سِماك بن خَرَشَة بالسَّيف .

وكان أبوه من سادات قريش [في الجاهلية][٣] وتفرَّد بالسُّؤدَد بعد يوم بدر ، ثم لما أسلم حسُن بعد ذلك إسلامُه ، وكان له مواقف شريفة وآثار محمودة في يوم اليرموك وماقبله وبعده .

وصحب معاوية رسول الله ﷺ ، وكتب الوحي بين يديه مع الكتّاب ، وروى عن رسول الله ﷺ

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٢ و ٧/ ٤٠٦) نسب قريش (١٢٤) طبقات خليفة (ت٥١ ، ٩٦٩ ، ٢٨٠٩) مسند أحمد (٤/ ٩١) المحبر (الفهرس) المعمرون والوصايا (١٥٥) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٢٦) المعارف (٣٤٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٥) أنساب الأشراف (٤/ ٥ ، ١٣٦) تاريخ أبي زرعة الدمشقي : (الفهرس) الأخبار الطوال (٢١٨ ، ٢٢٥) تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٣) ومابعدها ، الجرح والتعديل (٨/ ٣٧٧) العقد الفريد (٤/ ٣٦٢) مروج الذهب (٣/ ١١) ومابعدها ، مشاهير علماء الأمصار (ت٣٢٦) معجم المرزباني (٣١٣) جمهرة أنساب العرب (١١٢ ، ١١٣) وغيرها ، الاستيعاب (٣/ ١٤١٦) تاريخ بغداد (١/ ٢٠٧) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٨٩) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٣٦/ ب) طبقات فقهاء اليمن (٤٧) جامع الأصول (٩/ ١٠٧) أسد الغابة (٥/ ٢٠٩) الكامل في التاريخ (٤/ ٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ١٠٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٩٩ و ٢٥/ ٥) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٤٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٣١٨) العبر (١/ ٦٤) تذهيب التهذيب (٤/ ٥٠/ أ) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٩) الكاشف (٣/ ١٣٨) مرآة الجنان (١/ ١٣١) مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٤) العقد الثمين (٧/ ٢٢٧) غاية النهاية (٢/ ٣٠٣) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٧) الإصابة (٣/ ٤٣٣) المطالب العالية (٤/ ١٠٨) تاريخ الخلفاء (٣٠٨) خلاصة الخزرجي (٣٨١) شذرات الذهب (١/ ٢٧٠) .

(٢) « جلله بالسيف » : علاه وطعنه به .

(٣) سقط من ط .

أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : كان معاوية طويلاً أبيض جميلاً ، إذا ضحك انقلبت شفتُه العليا ، وكان يخضِب . حدثني محمد بن يزيد الأزدي ، حدثنا أبو مُسْهر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن أبي عبد رب قال : رأيت معاوية يصفِّر لحيتَه كأنها الذهب .

وقال غيره : كان أبيض ، طويلاً ، أجلح[١] ، أبيض الرأس واللحية يخضبهما بالحِنَّاء والكَتَم .

وقد أصابته لَقْوَة[٢] في آخر عمره ، فكان يستُر وجهه ويقول : رحم الله عبداً دعا لي بالعافية ، فقد رُميت في أحسني وما يبدو مني ، ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي .

وكان حليماً وقوراً ، رئيساً سيِّداً في الناس ، كريماً عادلاً شَهماً .

وقال المدائني : عن صالح بن كَيْسان قال : رأى بعضُ متفرِّسي العرب معاويةَ وهو صغير فقال : إني لأظنُّ هذا الغلام سيسود قومَه ، فقالت هند : ثكِلتُه إن كان لا يسود إلّا قومه .

وقال الشافعي : قال أبو هريرة : رأيت هنداً بمكة كأنَّ وجهها فِلْقة قمر ، وخلفها من عَجِيزتها[٣] مثل الرجل الجالس ، ومعها صبيٌّ يلعب ، فمرَّ رجل فنظر إليه فقال : إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودنَّ قومه ، فقالت هند : إن لم يَسُد إلّا قومه فأماته الله . وهو معاوية بن أبي سفيان .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سَيْف قال : نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند : إن ابني هذا لعظيم الرأس ، وإنه لخَليقٌ أن يسود قومه . فقالت هند : قومه فقط ؟! ثكلتُه إن لم يَسُدِ العرب قاطبة . وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول :

إنَّ بُنـيَّ مُعْـرِقٌ كـريـمْ ... محبَّـبٌ فـي أهلِـه حَليـمْ
ليـس بفحَّـاشٍ ولا لئيـمْ ... ولا بطُخْـرُورٍ[٤] ولا سَـؤومْ
صخـر بنـي فِهْـرٍ بـه زعيـمْ ... لا يُخلِفُ الظـنَّ ولا يَخِيمْ[٥]

قال : فلما ولَّى عمر يزيد بن أبي سفيان ما ولّاه من الشام خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند : كيف رأيتِ صار ابنك تابعاً لابني ؟! فقالت : إن اضطربتْ خيل العرب فستعلم أين يقع ابنُك مما يكون فيه ابني .

---

(١) « الجلح » : ذهاب الشعر من مقدم الرأس . وفعله جَلِحَ ـ بالكسر . والنعت أجلح وجلحاء (اللسان) .
(٢) اللقوة : مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه (اللسان) .
(٣) « العجيزة » : المؤخرة .
(٤) « الطخرور » : الرجل لايكون جلداً ولا كثيفاً (اللسان) . وقد تحرفت هذه اللفظة في (أ) و(ط) إلى : « ضجور » وبهذا لايستقيم وزن البيت .
(٥) الأبيات في تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٤/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) وشاعرات العرب (ص٤٦٥) .

فلمّا مات يزيد بن أبي سفيان سنة بضع عشرة ، وجاء البريد إلى عمر بموته ، ردَّ عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد ، ثم عزّى أبا سفيان في ابنه يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين مَنْ ولَّيتَ مكانه ؟ قال : أخوه معاوية ، قال : وصلتَ رحماً يا أمير المؤمنين .

وقالت هند لمعاوية فيما كتبتْ به إليه : والله يا بنيَّ إنه قلَّ أن تلد حرَّة مثلك ، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر فاعمل بطاعته فيما أحببتَ وكرهت .

وقال له أبوه : يا بنيَّ إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخَّرنا ، فرفعهم سبقُهم [وقدَّمهم عند الله وعند رسوله][(١)] وقصَّر بنا تأخُّرنا ، فصاروا قادة وسادة ، وصرنا أتباعاً ، وقد ولَّوك جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم ، فإنك تجري إلى أمد فنافس ، فإن بلغتَه أورثته عَقِبك . فلم يزل معاوية نائباً على الشام في الدولة العمريَّة والعثمانية مدة خلافة عثمان .

وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قُبرص ، وسكنها المسلمون قريباً من ستين سنة في أيامه ومن بعده . ولم تزل الفتوحات والجهاد قائماً على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفِرنج وغيرها ، فلمّا كان من أمره وأمر أمير المؤمنين عليٍّ ما كان ، لم يقع في تلك الأيام فتح بالكليَّة ، لا على يديه ولا على يدي علي ، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخسأه وأذلَّه ، وقهر جنده ودحرهم . فلمّا رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليٍّ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه ، فكتب إليه معاوية : والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعينُ لأصطلحنَّ أنا وابن عمي عليك ، ولأُخرجنَّك من جميع بلادك ، ولأُضيقنَّ عليك الأرض بما رحبت . فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف ، وبعث يطلب الهُدْنة . ثم كان من أمر التحكيم ما كان ، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي كما تقدم ، فانعقدت الكلمة على معاوية ، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين كما قدمنا ، فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته [والجهادُ في بلاد العدو قائم ، وكلمةُ الله عالية ، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض ، والمسلمون معه في راحة وعدل وصفح وعفو][(٢)] .

وقد ثبت في « صحيح مسلم » من طريق عِكْرمة بن عمّار ، عن أبي زُمَيل سِمَاك بن الوليد ، عن ابن عباس قال : قال أبو سفيان : يا رسول الله ثلاثٌ أَعطِنِيهنَّ ، قال : « نَعَم » ، قال : تُؤَمِّرُني حتى أُقاتلَ الكفَّار كما كنتُ أقاتلُ المسلمين ، قال : « نَعَم » . قال : ومعاويةُ تجعلُهُ كاتباً بين يدَيْك ، قال : « نَعَم » . وذكر الثالثة وهي أنه أراد أن يزوِّج رسول الله ﷺ بابنته الأخرى عَزَّة بنت أبي سفيان ، واستعان

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .

على ذلك بأختها أمِّ حَبيبة ، فقال : « إنَّ ذلكَ لا يحلُّ لي »[١] . وقد تكلَّمنا على ذلك في جزء مفرد ، وذكرنا أقوال الأئمة واعتذارهم عنه ولله الحمد . والمقصود منه أنَّ معاوية كان من جملة الكتّاب بين يدي رسول الله ﷺ الذين يكتبون الوحي .

وروى الإمام أحمد ومسلم والحاكم في « مستدركه »[٢] من طريق أبي عَوَانة الوضّاح بن عبد الله اليَشْكري عن أبي حَمْزة عمران بن أبي عطاء عن ابن عباس قال : كنت ألعب مع الغِلمان فإذا رسولُ الله ﷺ قد جاء ، فقلت : ما جاء إلَّا إليَّ ، فاختبأت على باب ، فجاءني فحَطَأَني[٣] حطأةً أو حطأتين ثم قال : « اذهبْ فادعُ لي معاوية » ـ وكان يكتب الوحي ـ قال : فذهبت فدعوتُه له ، فقيل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إنه يأكل ، فقال : « اذهبْ فادعُه » ، فأتيتُه الثانية ، فقيل : إنه يأكل ، فأخبرته ، فقال في الثالثة : « لا أَشْبعَ اللهُ بطنَه » . قال : فما شبع بعدها .

وقد انتفع معاويةُ بهذه الدعوة في دنياه وأُخراه : أمّا في دنياه فإنه لمّا صار في الشام أميراً كان يأكل في اليوم سبع مرات ، يُجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها ، ويأكل في اليوم سبع أكلات ، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول : والله ما أشبع وإنما أعيا . وهذه نعمة ومَعِدة يرغب فيها كل الملوك . وأمّا في أُخراه فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه [هو و][٤] البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة : أن رسول الله ﷺ قال : « اللهمَّ إنَّما أنا بَشَرٌ فأيُّما عبدٍ سَببْتُهُ ، أو جلَدتُهُ ، أو دعوتُ عليهِ وليسَ لذلك أهلاً ، فاجعلْ ذلك كفَّارةً وقُرْبةً تُقَرِّبُه بها عندَكَ يومَ القيامَة »[٥] . فركَّب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية ، ولم يورد له غير ذلك .

وقال المسيَّب بن واضح : عن أبي إسحاق الفَزَاري ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن

---

(١) تقدم هذا الحديث في بداية هذا الجزء في فضل معاوية . وقد أخرجه مسلم (٢٥٠١) في فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي سفيان . وفي زاد المعاد (١/ ١٠٩) ومابعدها كلام مفيد حول هذا الحديث .

(٢) هكذا جمعها المصنف في رواية واحدة، وفيه وهم من وجهين؛ الأول: أن مسلماً لم يخرجه من رواية أبي عوانة الوضاح، وإنما أخرجه (٢٦٠٤) في البر والصلة من طريق شعبة عن أبي حمزة عمران، به. وتنظر تحفة الأشراف (٤/ ٦٥٣) حديث (٦٣٢٤) والمسند الجامع (٩/ ٥٦٧) حديث (٧٠٣٧). الثاني: أن رواية أبي عوانة الوضاح التي أخرجها أحمد في مسنده (١/ ٢٩١) و(٣٣٥) ليس فيها عبارة «لا أشبع الله بطنه» فكأن أحمد أو بعض شيوخه اختصرها أو حذفها مع ثبوتها من رواية أبي عوانة إذ أخرجها أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٧٤٦). ولم أقف على هذا الحديث في مستدرك الحاكم، فالله أعلم (بشار).

(٣) حطأني : أي قفدني ، والقفد : هو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين . وقد تصحفت في آ ، ط إلى : فخطاني خطاة أو خطاتين .

(٤) سقط من المطبوع .

(٥) أخرجه مسلم في البر والصلة برقم (٢٦٠٠) من حديث عائشة ، و(٢٦٠١) من حديث أبي هريرة ، و(٢٦٠٢) من حديث جابر بن عبد الله ورواه البخاري رقم (٦٣٦١) من حديث أبي هريرة .

أبي رَباح ، عن ابن عباس قال : « أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمّد أَقرئ معاوية السَّلام واستوصِ به خيراً فإنَّه أمينُ اللهِ على كتابِه ووَحْيه ونِعْمَ الأمين » . ثم أورده ابن عساكر من وجه آخر عن عبد الملك بن أبي سليمان . ثم أورده أيضاً من رواية علي وجابر بن عبد الله « أنَّ رسول الله ﷺ استشار جبريل في استكتابه معاوية ، فقال : اسْتَكْتِبْه فإنَّه أمين » ولكن في الأسانيد إليهما غرابة . ثم أورد عن عليٍّ في ذلك غرائب كثيرة [وكذا][١] عن غيره أيضاً[٢] .

وقال أبو عَوَانة : عن سليمان ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن زهير بن الأقمر الزُّبيدي ، عن عبد الله بن عمرو قال : كان معاوية يكتب للنبيِّ ﷺ[٣] .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدّثنا أحمد بن محمد الصَّيدلاني ، حدّثنا السَّري بن[٤] عاصم ، حدّثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كَثير ، عن أبيه ، [عن][٥] هشام بن عروة ، [عن أبيه][٦] ، عن عائشة قالت : لمّا كان يوم أمِّ حَبيبة من النبي ﷺ دقَّ البابَ داق ، فقال النبي ﷺ : انظُروا مَنْ هذا ؟ قالوا : معاوية ، قال : ائذَنُوا له ، فدخل وعلى أُذنه قلمٌ يخطّ[٧] به ، فقال : ما هذا القلمُ على أُذنك يا معاوية ؟ قال : قلمٌ أعددتُه لله ولرسوله ، فقال : جزاك الله عن نبيِّكَ خيراً ، واللهِ ما استكتبتُك إلَّا بوحيٍ من الله ، وما أفعلُ من صغيرة ولا كبيرة إلَّا بوحيٍ من الله ، كيفَ بكَ لو قَمَّصَك الله قميصاً ـ يعني الخلافة ـ ؟ فقامت أمُّ حَبيبة ، فجلستْ بين يديه وقالت : يا رسول الله وإنَّ اللهَ مقمِّصٌ أخي قميصاً ؟ قال : نعم ، ولكنْ فيه هَناتٌ وهَنات . فقالت : يا رسول الله فادعُ اللهَ له ، فقال : اللهمَّ اهدِهِ بالهُدى ، وجنِّبْه الرَّدى ، واغفِرْ له في الآخرة والأُولى » . قال الطبراني : تفرد به السَّري بن عاصم ، عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير ، عن هشام .

وقد أورد ابن عساكر بعد هذا أحاديثَ كثيرة موضوعة ، والعجبُ منه مع حفظه واطِّلاعه كيف لا ينبِّه عليها وعلى نكارتها وضعف رجالها ، واللهُ الموفق للصواب . وقد أورد[٨] من طريق أبي هريرة وأنس وواثلة بن الأسقع مرفوعاً : « الأُمناء ثلاثة : جبريل ، وأنا ، ومعاوية » . ولا يصحُّ من جميع وجوهه . ومن رواية ابن عباس : « الأُمناء سبعة : القلَم ، واللَّوح ، وإسرافيل ، وميكائيل ،

---

(١) سقط من ط .
(٢) قلت : وذكر بعضها الذهبي في السير (٣/ ١٢٨ ـ ١٣١) واعتبرها من الأباطيل الظاهرة الوضع . وهي أيضاً في الفوائد المجموعة للشوكاني (ص٤٠٣ ـ ٤٠٧) .
(٣) رجاله ثقات . وهو في السير (٣/ ١٢٣) .
(٤) في ط ، ب : عن .
(٥) سقط من ط .
(٦) سقط من ط .
(٧) في مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٤٠٤) لم يخط .
(٨) في المطبوع : أوردنا ، وهو خطأ .

وجبريل ، وأنا ، ومعاوية » . وهذا أنكر من الأحاديث التي قبلَه وأضعف إسناداً .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، عن معاوية ـ يعني ابن صالح ـ عن يونس بن سيف ، عن الحارث بن زياد ، عن أبي رُهْم ، عن العِرْباض بن سارية السّلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يدعونا إلى السّحور في شهر رمضان : هلُمَّ إلى الغَداء المبارك ، ثم سمعته يقول : اللهمَّ علِّمْ معاويةَ الكتابَ والحسَاب ، وقِهِ العَذاب » . تفرد به أحمد[١] .

ورواه ابن جرير من حديث ابن مَهْدي ، وكذلك رواه أسد بن موسى ، وبشر بن السَّري ، وعبد الله بن صالح [عن معاوية بن صالح][٢] بإسناده مثله . وفي رواية بشر بن السَّري : « وأَدخِلْه الجنَّة » .

ورواه ابن عديّ وغيرُه من حديث عثمان بن عبد الرحمن الجُمَحي ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهمَّ علِّمْ معاويةَ الكتابَ والحسابَ وقِهِ العذاب »[٣] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا سليمان بن حرب ، والحسن[٤] بن موسى الأَشْيَب قالا : حدّثنا أبو هلال محمد بن سُليم ، حدّثنا جبَلة بن عطيَّة ، عن مَسْلمة بن مخلَّد . قال الأَشْيَب[٥] : قال أبو هلال أو عن رجل عن مَسْلمة بن مخلَّد ، وقال سليمان بن حرب أو حدَّثه مَسْلمة عن رجل : أنه رأى معاوية يأكل ، فقال لعمرو بن العاص : إنَّ ابن عمِّك هذا لمِخْضَد[٦] ، قال : أما إنِّي أقول لك هذا ، وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « اللهمَّ علِّمْه الكتاب ، ومكِّنْ له في البلاد ، وقِهِ العذاب »[٧] .

وقد أرسلَه غيرُ واحد من التابعين منهم : الزهري ، وعروة بن رُوَيم ، وحَرِيز[٨] بن عثمان الرَّحَبي الحمصي ، ويونس بن ميسرة بن حَلْبَس .

وقال الطبراني : حدّثنا أبو زرعة وأحمد بن يحيى بن حمزة الدمشقيان قالا : حدّثنا أبو مُسْهر ، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبي عَميرة المزني ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ أن رسول الله ﷺ قال لمعاوية : « اللهمَّ علِّمْه الكتابَ والحساب ، وقِهِ العذاب »[٩] . قال ابن عساكر : وهذا غريب ، والمحفوظ بهذا الإسناد حديث العِرْباض الذي تقدم . ثم روى من طريق

---

(١) وهو في مسنده (٤/ ١٢٧) وإسناده ضعيف ، وقد صح منه حديث السحور .
(٢) مكانه بياض في ب .
(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٨١٠) ضمن ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الجمحي .
(٤) تحرف في المطبوع إلى : الحسين .
(٥) تحرف في المطبوع إلى : الأشهب ، وهو من رجال التهذيب .
(٦) الخضد : شدة الأكل . ومخضد : مِفْعل منه ، كأنه آلة للأكل . والمراد : إنه يأكل بجفاء وسرعة .
(٧) فيه رجل مجهول . وهو في تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٤٣/ أ) .
(٨) تحرف في الأصول إلى : جرير ، وهو من رجال التهذيب .
(٩) رجاله ثقات ، إلا أن سعيد بن عبد العزيز قد اختلط . وأورده الحافظ في الإصابة ضمن ترجمة عبد الله بن أبي عميرة .

الطبراني ، عن أبي زرعة ، عن أبي مُسْهر ، عن سعيد ، عن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن أبي عَميرة المزني قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لمعاوية : « اللهمَّ اجعَلْه هادياً مهديّاً ، واهْدِه ، واهْدِ به »[١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا علي بن بحر ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن[٢] يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبي عَميرة الأزدي ، عن النبي ﷺ أنه ذكر معاوية فقال : « اللّهمَّ اجعلْه هادياً مَهْديّاً ، واهدِ به »[٣] .

وهكذا رواه الترمذي[٤] عن محمد بن يحيى ، عن أبي مُسْهر ، عن سعيد بن عبد العزيز به ، وقال : حسن غريب .

وقد رواه عمر بن عبد الواحد ومحمد بن سليمان الحرّاني ، كما رواه الوليد بن مسلم وأبو مُسْهر عن سعيد ، عن ربيعة بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبي عَميرة .

ورواه محمد بن المصفَّى ، عن مروان بن محمد الطّاطَري ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس ، عن ابن أبي عَميرة : أن رسول الله ﷺ دعا لمعاوية فقال : « اللهمَّ علِّمه العلم ، واجعله هادياً مَهْدياً ، واهدِه ، واهدِ به » .

وقد رواه سلمة بن شَبيب ، وصفوان بن صالح ، وعيسى بن هلال ، وأبو الأزهر عن مروان الطّاطَري ، ولم يذكروا أبا إدريس في إسناده .

ورواه الطبراني ، عن عبدان بن أحمد ، عن علي بن سهل الرّملي ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن يونس بن ميسرة بن حَلْبَس ، عن عبد الرحمن بن أبي عَميرة المزني : أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر معاوية فقال : « اللهمَّ اجعلْه هادياً مَهْديّاً ، واهدِه » .

قال ابن عساكر : وقول الجماعة هو الصواب .

وقد اعتنى ابن عساكر بهذا الحديث ، وأطنب فيه وأطرب ، وأفاد وأجاد ، وأحسن الانتقاد ، فرحمه الله ، كم له من موطن يبرِّز فيه على غيره من الحفّاظ والنقّاد .

وقال الترمذي : حدّثنا محمد بن يحيى ، حدّثنا عبد الله بن محمد النُّفيلي ، حدّثنا عمرو بن واقد ، عن يونس بن حَلْبَس ، عن أبي إدريس الخولاني قال : لما عزل عمر بن الخطاب عُمير بن سعد عن حِمْص ولَّى معاوية فقال الناس[٥] : عزل عُمر عُميراً وولَّى معاوية ، فقال عُمير[٦] : لا تذكروا معاوية إلَّا

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/٧) .
(٢) في أ : عن خطأ .
(٣) مسند أحمد (٢١٦/٤) .
(٤) برقم (٣٨٤٢) في المناقب .
(٥) في ط : « عن الشام وولى معاوية قال الناس » وما أثبتناه من م وجامع الترمذي .
(٦) في (أ) و(ط) : عمر .

بخير ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهمَّ اهدِ به » . تفرد به الترمذي[١] وقال : غريب . وعمرو بن واقد ضعيف .

هكذا ذكره أصحاب الأطراف في مسند عمير بن سعد الأنصاري . وعندي أنه ينبغي أن يكون من رواية عمر بن الخطاب ، ويكون الصواب فقال عمر : لا تذكروا معاوية إلّا بخير ، ليكون عذراً له في توليته له .

ومما يقوِّي هذا أن هشام بن عمّار قال : حدّثنا ابن أبي السائب ـ هو عبد العزيز بن الوليد بن سليمان ـ قال : وسمعت أبي يذكر أن عمر بن الخطاب ولّى معاوية بن أبي سفيان ، فقالوا : ولّى حدث السِّنّ ، فقال : تلومونني في ولايته ، وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهمَّ اجعلْه هادياً مَهْدياً ، واهدِ به » .

وهذا منقطع[٢] يقوِّيه ما قبله .

قال الطبراني : حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدّثنا نُعيم بن حمّاد ، حدّثنا محمد بن شُعيب بن شابور ، حدّثنا مروان بن جَناح ، عن يونس بن ميسرة بن حَلْبَس ، عن عبد الله بن بُسر أن رسول الله ﷺ استشار أبا بكر وعمر في أمر ، فقال : « أشيروا علَيّ » فقالا : الله ورسوله أعلم ، فقال : « ادعوا معاوية » فقال أبو بكر وعمر : أما في رسول الله ﷺ ورجلين من رجال قريش [ما يتقنون أمرهم حتى يبعث رسول الله ﷺ إلى غلام من غلمان قريش][٣] ؟! فقال : « ادعوا لي معاوية » فدُعي له ، فلمّا وقف بين يديه قال رسول الله ﷺ : « أَحضِروه أمركم ، وأَشهِدوه أمركم ، فإنه قوي أمين »[٤] .

ورواه بعضهم عن نُعيم ، وزاد « وحمِّلوه أمركم » .

ثم ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة ـ بلا شك ـ في فضل معاوية ، أضربنا عنها صفحاً ، واكتفينا بما أوردناه من الأحاديث الصِّحاح والحِسان والمستجادات عمّا سواها من الموضوعات والمنكرات .

قال ابن عساكر : وأصح ما روي في فضل معاوية حديث أبي حمزة عن ابن عباس : « أنه كان كاتب النبي ﷺ منذ أسلم » . أخرجه مسلم في « صحيحه »[٥] .

وبعده حديث العِرْباض : « اللهم علِّم معاوية الكتاب »[٦] .

---

(١) وأخرجه برقم (٣٨٤٣) .

(٢) لأن الوليد بن سليمان لم يدرك عمر .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٤) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) .

(٥) هكذا قال، وحديث أبي حمزة عن ابن عباس الذي في صحيح مسلم برقم (٢٦٠٤) ليس فيه أنه كان كاتب النبي ﷺ منذ أسلم، والوهم فيه من الحافظ ابن عساكر ، كما يظهر .

(٦) وقد تقدم .

وبعده حديث ابن أبي عَميرة : « اللهم اجعله هادياً مهدياً »[١] .

قلت : وقد قال البخاري في كتاب المناقب[٢] : ذكر معاوية بن أبي سفيان : حدّثنا الحسن بن بشر ، حدّثنا المعافى ، عن عثمان بن الأسود ، عن ابن أبي مُليكة قال : أوترَ معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس ، فأتى ابن عباس فقال[٣] : دعه ، فإنه قد صحب رسول الله ﷺ . حدّثنا ابن أبي مريم ، حدّثنا نافع بن عمر ، حدّثنا ابن أبي مُليكة قال : قيل لا بن عباس : هل لك في أمير المؤمنين معاوية ؟ ما أوتر إلا بواحدة ! قال : أصاب ، إنه فقيه . حدّثنا عمرو بن عباس ، حدّثنا [محمد بن] جعفر ، حدّثنا شعبة ، عن أبي التيّاح قال : سمعت حُمْران[٤] بن[٥] أبان ، عن معاوية قال : إنكم لتصلُّون صلاة ، لقد صحبنا رسول الله ﷺ فما رأيناه يصلِّيهما ، ولقد نهى عنهما ـ يعني الركعتين بعد العصر .

ثم قال البخاري بعد ذلك : ذكر هند بنت عتبة بنت ربيعة : حدّثنا عبدان[٦] ، حدّثنا عبد الله ، حدّثنا يونس ، عن الزهري ، حدّثني عروة : أن عائشة قالت : « جاءت هند بنت عتبة[٧] فقالت : يا رسول الله ! ما كان على ظهر الأرض من أهل خِبَاء أحبُّ إليَّ من أن يَذِلُّوا من أهل خِبَائك ، [ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهلُ خِبَاء أحبُّ إليَّ أن يعزُّوا من أهل خِبائك][٨] فقال : « وأيضاً والذي نفسي بيده » . قالت[٩] : يا رسول الله ! إن أبا سفيان رجل مِسِّيك ، فهل عليَّ حرج[١٠] أن أُطعم من الذي له عيالَنا ؟ قال : « لا [أُراه] ، إلا بالمعروف »[١١] .

فالمدحة في قوله : « وأيضاً والذي نفسي بيده » وهو أنه كان يود أن هنداً وأهلها وكل كافر يذلُّوا في حال كفرهم ، فلما أسلموا كان يحب أن يَعِزُّوا ، فأعزَّهم الله ـ يعني أهل خبائها .

---

(١) وقد تقدم .
(٢) رواه البخاري رقم (٣٧٦٤ ـ ٣٧٦٦) .
(٣) بعد هذا في ط : «أوتر معاوية بركعة بعد العشاء فقال»، وليست في ب وم ولا في صحيح البخاري الذي ينقل منه المصنف، لذلك حذفناها .
(٤) تحرف في المطبوع إلى : حمدان .
(٥) تحرفت في الأصول إلى : عن .
(٦) قال الحافظ ابن حجر في الفتح : هو للجميع ، وقال عبدان أي بصيغة التعليق ، وكلام أبي نعيم في المستخرج يقتضي أن البخاري أخرجه موصولاً عن عبدان . وقد وصله أيضاً البيهقي .
(٧) بعد هذا في ط : «امرأة أبي سفيان إلى رسول الله ﷺ» وليست في م ولا في صحيح البخاري الذي ينقل منه المصنف، لذلك حذفناها .
(٨) ما بين حاصرتين سقط من أ ، ط .
(٩) في ط : « فقالت » وما هنا من أ وصحيح البخاري .
(١٠) في ط : « من حرج » ولفظة « من » ليست في م ولا في صحيح البخاري .
(١١) أخرجه البخاري رقم (٣٨٢٥) . « والمسّيك » : الشحيح والبخيل .

وقال الإمام أحمد: حدّثنا رَوْح، حدّثنا أبو أميَّة عمرو بن يحيى بن سعيد قال: سمعت جدِّي يحدث: أن معاوية أخذ الإداوة[1] بعد أبي هريرة فتبع رسول الله ﷺ بها ـ وكان أبو هريرة قد اشتكى ـ فبينما هو يُوضىء رسول الله ﷺ إذ رفع رأسه إليه مرةً أو مرتين وهو يتوضأ فقال: « يا معاوية! إنْ وليتَ أمراً فاتَّقِ اللهَ واعدِل » . قال معاوية: فما زلت أظن أني سأُبتلى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتُليت. تفرد به أحمد[2].

ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا، عن أبي إسحاق الهمداني سعيد بن زُنْبور بن ثابت، عن عمرو بن يحيى بن سعيد.

ورواه ابن مَنْدة من حديث بشر بن الحكم، عن عمرو بن يحيى به.

وقال أبو يعلى[3]: حدّثنا سويد بن سعيد، حدّثنا عمرو بن يحيى بن سعيد، عن جدِّه، عن معاوية قال: « اتبعت رسول الله ﷺ بوضوء، فلما توضأ نظر إلي فقال: « يا معاوية! إنْ وليتَ أمراً فاتَّقِ اللهَ واعدِل » . فما زلت أظن أني مبتلىً بعمل حتى وليت.

ورواه غالب القطّان عن الحسن قال: سمعت معاوية يخطُب وهو يقول: صببت يوماً على رسول الله ﷺ وضوءه، فرفع رأسه إلي فقال: « أما إنَّك ستَلي أمرَ أمَّتي بعدي، فإذا كانَ ذلك فاقبَلْ من مُحسنِهم وتجاوَزْ عن مُسِيئهم » . قال: فما زلت أرجو حتى قمت مقامي هذا.

وروى البيهقي عن الحاكم بسنده إلى إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر، عن عبد الملك بن عُمير قال: قال معاوية: والله ما حَملني على الخلافة إلّا قول رسول الله ﷺ: « إنْ ملكتَ فأَحسِنْ » . قال البيهقي: إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف، إلّا أن للحديث شواهد[4].

وروى ابن عساكر بإسناده عن نُعيم بن حمّاد: حدّثنا محمد بن حرب، عن أبي بكر بن أبي مريم، حدّثنا محمد بن زياد، عن عوف بن مالك الأَشْجعي قال: بينما أنا راقد في كنيسة يوحنا ـ وهي يومئذ مسجد يصلَّى فيها ـ إذ انتبهت من نومي فإذا أنا بأسد يمشي بين يديّ، فوثبت إلى سلاحي، فقال الأسد: مَهْ، إنما أُرسلت إليك برسالة لتبلّغها. قلت: ومن أرسلك؟ قال: اللهُ أرسلني إليك لتبلِّغ معاوية السلام، وتعلمه أنه من أهل الجنة، فقلت له: ومن معاوية؟ قال: معاوية بن أبي سفيان.

ورواه الطبراني، عن أبي يزيد القراطيسي، عن المعلّى بن الوليد القعقاعي، عن محمد بن حبيب الخَولاني، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغسّاني، وفيه ضعف. وهذا غريب جداً، ولعل الجميع مناماً، ويكون قوله: « إذ انتبهت من نومي » مدرجاً لم يضبطه ابن أبي مريم، والله أعلم.

---

(١) « الإداوة » : إناء صغير من جلد يتخذ للماء.

(٢) وهو في مسنده (٤/ ١٠١) وهو حديث معلول، وقد تقدم في أول المجلد الكلام عليه (ص٦) فراجعه.

(٣) مسند أبي يعلى (٧٣٨٠) وإسناده ضعيف.

(٤) ما تقدم في أول هذا الجزء.

وقال محمد بن عائذ : عن الوليد ، عن ابن لَهِيعة ، عن يونس ، عن الزهري قال : قدم عمر الجابية ، فنزع شُرَحبيل ، وأمر عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر ، وبقّى الشام على أميرين أبي عبيدة ويزيد ، ثم توفي أبو عبيدة ، فاستخلف عياض بن غَنْم ، ثم توفي يزيد فأمّر معاوية مكانه ، ثم نعاه عمر لأبي سفيان ، فقال : يا أبا سفيان احتسِبْ يزيد بن أبي سفيان ، قال : من أمَّرت مكانه ؟ قال : معاوية ، فقال : وصلتَ رحماً يا أمير المؤمنين . فكان على الشام معاوية [وعمير بن سعد حتى قتل عمر][1] .

وقال محمد بن إسحاق : مات أبو عبيدة في طاعون عَمَواس[2] واستخلف معاذاً ، فمات معاذ واستخلف يزيد بن أبي سفيان ، فمات واستخلف أخاه معاوية ، فأقرّه عمر ، وولّى عمرو بن العاص فلسطين والأردن ، ومعاوية دمشق وبعلبكّ والبَلقاء ، وولّى سعيد بن عامر بن حِذْيَم[3] حمص ، ثم جمع الشام كلّها لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم استمرَّ به عثمان بن عفان .

وقال إسماعيل بن أميَّة : أفرد عمر معاويةَ بإمرة الشام ، وجعل له في كل شهر ثمانين ديناراً . والصواب أن الذي جمع لمعاوية الشام كلَّها عثمان بن عفان ، وأما عمرُ فإنه إنما ولّاه بعض أعمالها . وقال بعضهم : لما عُزِّيت هند في يزيد بن أبي سفيان ـ ولم يكن منها ـ قيل لها : إنه قد جعل معاوية أميراً مكانه ، فقالت : أو مثل معاوية يُجعل خلفاً من أحد ؟! فوالله لو أنَّ العرب اجتمعت متوافرةً ثم رُمي به فيها لخرج من أي أعراضها (نواحيها)[4] شاء .

وقال آخرون : ذُكر معاوية عند عمر ، فقال : دعوا فتى قريش وابنَ سيِّدها ، إنه لمن يضحك في الغضب ، ولا ينال منه إلّا على الرضا ، ومن لا يأخذ من فوق رأسه إلّا من تحت قدميه .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني محمد بن قدامة الجوهري ، حدّثني عبد العزيز بن يحيى ، عن شيخ له قال : لمّا قدم عمر بن الخطاب الشام تلقّاه معاويةُ في موكب عظيم ، فلمّا دنا من عمر قال له : أنت صاحب الموكب ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال : هو ما بلغك من ذلك . قال : ولمَ تفعلُ هذا ؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافياً إلى بلاد الحجاز . قال : يا أمير المؤمنين ! إنا بأرضٍ جواسيسُ العدوِّ فيها كثيرة ، فيجب أن نُظهر من عزِّ السلطان ما يكون فيه عزٌّ للإسلام وأهله ويرهبهم به ، فإنْ أمرتَني فعلت ، وإن نهيتني انتهيت . فقال له عمر : يا معاوية ! ما سألتك عن شيء إلّا تركتني في مثل رواجب الضَّرِس ، لئن كان ما قلت حقّاً إنه لرأي

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ، وتحرف عمير بن سعد في ب إلى: يحيى بن سعيد. تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٢١٨).
(٢) « عمواس » : بفتح أوله وثانيه ، أو بكسر أوله وسكون ثانيه : كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس معجم البلدان (٤/ ١٥٧) . وطاعون عمواس كان في سنة ١٨هـ .
(٣) تحرف اسمه في المطبوع إلى : سعد بن عامر بن جذيم .
(٤) كذا وقعت في المطبوع فقط ، وكأنها مقحمة ، وهي شرح للأعراض .

أريب ، وإن كان باطلاً إنه لخديعة أديب . قال : فمُرْني يا أمير المؤمنين بما شئت . قال : لا آمرك ولا أنهاك . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ! ما أحسن ما صَدَر عما أوردتَه فيه ! فقال عمر : لحُسْن موارده ومصادره جشَّمناه ما جشَّمناه(١) .

وفي رواية : أن معاوية تلقَّى عمر حين قدم الشام ، ومعاويةُ في موكب كثيف ، فاجتاز بعمر وهو وعبد الرحمن بن عوف راكبان على حمار ، ولم يشعر بهما ، فقيل له : إنك جاوزتَ أمير المؤمنين ، فرجع ، فلمّا رأى عمرَ ترجَّل وجعل [يمشي وعمرُ يحدِّثه حتى انهال عرقه وكثر اصفرار لونه وجعل](٢) يقول له ما ذكرنا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : ما أحسن ما صَدَر عمّا أوردتَه فيه يا أمير المؤمنين ! فقال : من أجل ذلك جشَّمناه ما جشَّمناه .

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب « الزهد »(٣) : أخبرنا محمد بن [أبي](٤) ذئب ، عن مسلم بن جُنْدب ، عن أسلم ـ مولى عمر ـ قال : قدم علينا معاوية وهو أبيضُ بضٌّ وباضٌّ ، أبضُّ الناس وأجملُهم ، فخرج إلى الحج مع عمر ، فكان عمر ينظر إليه فيعجب منه ، ثم يضع أصبعَه على متن معاوية ، ثم يرفعها عن مثل الشِّراك فيقول : بخٍ بخٍ ، نحن إذاً خيرُ الناس أن جُمع لنا خير الدنيا والآخرة . فقال معاوية : يا أمير المؤمنين ! سأحدِّثك ؛ إنا بأرض الحمّامات والريف والشهوات ، فقال عمر : سأحدِّثك ، ما بك إلّا إلطافك نفسك بأطيب الطعام وتصبُّحك حتى تضرب الشمسُ متنيك وذوو الحاجات وراء الباب . [فقال : يا أمير المؤمنين علِّمْني أمتثل](٥) . قال : فلمّا جئنا ذا طُوى أخرج معاوية حُلَّة فلبسها ، فوجد عمر منها ريحاً كأنه ريح طيب ، فقال : يعمد أحدكم يخرُج حاجّاً تَفِلاً(٦) ، حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمةً أخرج ثوبيه كأنهما كانا في الطِّيب فلبسهما ! فقال معاوية : إنما لبستُهما لأدخل فيهما على عشيرتي وقومي . والله لقد بلغني أذاك هاهنا وبالشام ، فاللهُ يعلم أني لقد عرفت الحياء فيه . ثم نزع ثوبيه ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما(٧) .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني أبي ، عن هشام بن محمد ، عن أبي عبد الرحمن المدني قال : كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال : هذا كسرى العرب(٨) .

---

(١) تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٥/ ١٨) ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٣) .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع .
(٣) كتاب الزهد (رقم ٥٧٦) .
(٤) سقطت من المطبوع .
(٥) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٦) « التفل » : الذي ترك استعمال الطيب . وقد وقعت في المطبوع : مقلاً ، خطأ .
(٧) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ١٩) ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٤) .
(٨) المصدر السابق .

وهكذا حكى المدائني عن عمر أنه قال ذلك .

وقال عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي : عن جدِّه قال : دخل معاويةُ على عمرَ وعليه حُلَّة خضراء ، فنظر إليها الصحابة ، فلما رأى ذلك عمر وثب إليه بالدِّرَّة ، وجعل يضربه بها ، وجعل معاوية يقول : يا أمير المؤمنين اللهَ اللهَ فيّ . فرجع عمر إلى مجلسه ، فقال له القوم : لمَ ضربتَه يا أمير المؤمنين وما في قومك مثله ؟ فقال : والله ما رأيت إلّا خيراً ، وما بلغني إلّا خير [ولو بلغني غير ذلك لكان مني إليه غير ما رأيتم][1] ولكن رأيته ـ وأشار بيده ـ فأحببتُ أن أضع منه ما شمخ .

وقد قال أبو داود : حدّثنا سليمان بن عبد الرحمن الدِّمشقي ، حدّثنا يحيى بن حمزة ، حدّثنا ابن أبي مريم ، أن القاسم بن مُخَيمرة أخبره ، أن أبا مريم الأزدي أخبره قال : دخلت على معاوية فقال : ما أنعمَنا بك[2] أبا فلان ـ وهي كلمة تقولها العرب ـ فقلت : حديث سمعتُه أخبرك به ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ولّاه اللهُ شيئاً من أمر المسلمين فاحتجَبَ دونَ حاجتِهم وخَلَّتِهم[3] وفَقْرهم احتجَب اللهُ دونَ حاجتِه وخَلَّتِه وفَقْره » . قال : فجعل معاوية ـ حين سمع هذا الحديث ـ رجلاً على حوائج الناس[4] .

ورواه الترمذي[5] وغيره .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا مروان[6] بن معاوية الفَزَاري ، حدّثنا حبيب بن الشّهيد ، عن أبي مِجْلَز قال : خرج معاوية على الناس ، فقاموا له ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أحبَّ أن يمثُلَ له الرجالُ قِياماً فليتبوَّأ مقعَدَهُ من النّار »[7] .

وفي رواية : قال : خرج معاوية على ابن عامر وابن الزبير ، فقام له ابن عامر ولم يقم ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : اجلس ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أحبَّ أن يمثُلَ له العباد قياماً فليتبوَّأ مقعَدَهُ من النّار »[8] .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب ، ولا مختصر تاريخ دمشق وسير أعلام النبلاء .
(٢) ما أنعمنا بك : أي ما جاءنا بك ، أو ما أعملك إلينا .
(٣) « الخَلَّة » : بفتح الخاء ـ الحاجة .
(٤) أخرجه أبو داود (٢٩٤٨) في الخراج والإمارة والفيء : باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية ، وهو حديث صحيح .
(٥) برقم (١٣٣٣) في الأحكام : باب ما جاء في إمام الرعية .
(٦) تحرف في آ إلى : هارون .
(٧) في المسند (٤/ ١٠٠) وهو حديث صحيح . وقد قال المناوي في فيض القدير (٦/ ٣١) : أن يُلزمهم بالقيام صفوفاً على طريق الكبر والتوجُّه ، أو أن يقام على رأسه وهو جالس . وقال ابن الأثير في جامع الأصول (٦/ ٥٣٦) : مثَل الناس للأمير قياماً : إذا قاموا بين يديه وعن جانبيه وهو جالس ، نهي عنه ، لأن الباعث عليه الكبر وإذلال الناس .
(٨) مسند أحمد (٤/ ٩١) وهو حديث صحيح .

ورواه أبو داود[(١)] والترمذي[(٢)] من حديث حبيب بن الشهيد ، وقال الترمذي : حديث حسن[(٣)] .

وروى أبو داود[(٤)] من حديث الثَّوري ، عن ثور بن يزيد ، عن راشد بن سعد المَقْرائي الحمصي ، عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّكَ إنْ تتبَّعْتَ عَوْراتِ الناسِ أفسَدْتَهُمْ أو كدتَ أنْ تُفسِدَهم » قال [أبو الدرداء] : كلمة سمعها معاوية نفعه الله بها . تفرد به أحمد[(٥)] . يعني أنه كان جيِّد السِّيرة ، حسن التجاوز ، جميل العفو ، كثير السّتر ، رحمه الله تعالى .

وثبت في « الصحيحين » من حديث الزُّهري ، عن حُميد بن عبد الرحمن ، عن معاوية أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بهِ خيراً يفقِّهْهُ في الدِّين ، وإنَّما أنا قاسمٌ واللهُ يُعْطي ، ولا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلَهم ولا مَنْ خالَفَهم حتى يأتي أمرُ اللهِ وهم ظاهرون » . وفي رواية : « وهم على ذلك »[(٦)] .

وقد خطب معاوية بهذا الحديث مرة ثم قال : وهذا مالك بن يُخامِر يخبر عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال : « وهم بالشام »[(٧)] يحثُّ بهذا أهل الشام على مناجزة أهل العراق ، وأن أهل الشام هم الطائفة المنصورة على من خالفها . وهذا مما كان يحتج به معاوية لأهل الشام في قتالهم أهل العراق .

وقال الليث بن سعد : فتح معاوية قيساريَّة سنة تسع عشرة في دولة عمر بن الخطاب .

وقال غيره : وفتح قُبرص سنة خمس ـ وقيل : سبع ، وقيل : ثمان ـ وعشرين في أيام عثمان .

قالوا : وكان عام غزوة المضيق ـ يعني مضيق القُسْطنطينية ـ في سنة اثنتين وثلاثين في أيامه ، وكان هو الأمير على الناس عامئذ .

وجمع عثمان لمعاوية جميع الشام [وقيل : إن عمر هو الذي جمعها له . والصحيح عثمان][(٨)] . واستقضى معاويةُ فَضَالة بن عبيد بعد أبي الدرداء . ثم كان ما كان بينه وبين عليٍّ بعد قتل عثمان على سبيل الاجتهاد والرأي ، فجرى بينهما قتال عظيم كما قدَّمنا ، وكان الحقُّ والصواب مع عليّ ، ومعاوية معذور

---

(١) برقم (٥٢٢٩) في الأدب : باب في قيام الرجل للرجل .

(٢) برقم (٢٧٥٥) في الأدب : باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل .

(٣) وإنما اقتصر الإمام الترمذي على تحسينه لما في لفظه من اختلاف ، فانظر علل ابن أبي حاتم (٢٥٣١) (بشار) .

(٤) أبو داود (٤٨٨٨) في الأدب : باب في النهي عن التجسس وهو حديث صحيح . وما ورد ضمن حاصرتين مستدرك منه .

(٥) هكذا قال وهو وهم بين من المصنف أو سبق قلم منه رحمه الله صوابه : «تفرد به أبو داود»، إذ لا علاقة لأحمد هنا (بشار) .

(٦) رواه البخاري رقم (٧١) وأخرجه مسلم رقم (١٠٣٧) (١٠٠) بقسمه الأول ، وأخرجه بتمامه رقم (١٠٣٧) الذي بعد (١٩٢٣) من طريق يزيد بن الأصم عن معاوية والرواية الأخرى أخرجها البخاري رقم (٣٦٤١) و(٧٤٦٠) من طريق عمير بن هانئ عن معاوية .

(٧) رواه البخاري رقم (٣٦٤١) و(٧٤٦٠) .

(٨) ما بين حاصرتين ليس في أ .

عند جمهور العلماء سلَفاً وخلَفاً ، وقد شهدتِ الأحاديثُ الصحيحة بالإسلام للفريقين من الطرفين ـ أهل العراق وأهل الشام ـ كما ثبت في الحديث الصحيح « تمرُقُ مارقَةٌ على خير فُرْقةٍ من المسلمين ، فيقتلُها أَدنى الطائفتينِ إلى الحقّ »(١) فكانت المارقة الخوارج ، وقتلَهم عليٌّ وأصحابه .

ثم قُتل علي ، فاستقلَّ معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين ، وكان يغزو الروم في كلِّ سنة مرتين مرة في الصيف ومرة في الشتاء ، ويأمر رجلاً من قومه فيحج بالناس ، وحج هو سنة خمسين ، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين ، وفيها ـ أو في التي بعدها ـ أغزاه بلاد الروم [فسار معه خلقٌ كثير من كبراء الصحابة حتى حاصر القُسْطنطينية . وقد ثبت في الصحيح : « أوَّلُ جيشٍ يغزو القُسْطنطينيةَ مغفورٌ لهُم »](٢) .

وقال وكيع : عن الأعمش ، عن أبي صالح قال : كان الحادي يحدو بعثمان فيقول :

إنَّ الأميـــرَ بعـــدَهُ علـــيُّ ... وفي الزُّبير خلفٌ مَرْضيُّ

فقال كعب : بل هو صاحب البغلة الشَّهباء ـ يعني معاوية [فأتاه معاوية](٣) فقال : يا أبا إسحاق ! تقول هذا وهاهُنا عليٌّ والزبيرُ وأصحاب محمد ﷺ ؟ فقال : أنت صاحبُها .

ورواه سيف ، عن بدر بن الخليل ، عن عثمان بن عطيَّة(٤) الأسدي ، عن رجل من بني أسد قال : ما زال معاوية يطمع فيها منذ سمع الحادي في أيام عثمان يقول :

إنَّ الأميـــرَ بعـــدَهُ علـــيُّ ... وفي الزُّبير خلفٌ مَرْضيُّ

فقال كعب : كذبتَ ، بل صاحب البغلة الشَّهباء بعده ـ يعني معاوية ـ فقال له معاوية في ذلك ، فقال : نعم ، أنت الأمير بعده ، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذِّب بحديثي هذا . فوقعت في نفس معاوية(٥) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا محمد بن عبّاد المكي ، حدّثنا سفيان بن عُيينة ، عن أبي هارون قال : قال عمر : إياكم والفُرقة بعدي ، فإن فعلتم فإنَّ معاوية بالشام ، وستعلمون إذا وُكلتم إلى رأيكم كيف يستبزها دونكم(٦) .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٢ و٤٨) ومسلم (١٠٦٥) (١٥٠) في الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، وأبو داود (٤٦٦٧) في السنة : باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة . كلهم من حديث أبي سعيد الخدري .

(٢) ما بين حاصرتين من ط ، ب ، ومكانه في أ : وقد تقدم هذا كله . وخرجنا الحديث في أحداث سنة تسع وأربعين من هذا الجزء .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) في تاريخ الطبري : قطبة .

(٥) الخبر والشعر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٣) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٢٥) .

(٦) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٢٥) .

ورواه الواقدي من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه .

وقد روى ابن عساكر عن عامر الشَّعبي : أن عليّاً حين بعث جرير بن عبد الله البَجَلي إلى معاوية قبل وقعة صفِّين ـ وذلك حين عزم عليٌّ على قصد الشام ، وجمع الجيوش لذلك ـ وكتب معه كتاباً إلى معاوية يذكر له فيه أنه قد لزمته بيعتُه لأنه قد بايعه المهاجرون والأنصار ، فإن لم تبايع استعنتُ بالله عليك وقاتلتُك ، وقد أكثرت القول في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله . . . في كلام طويل ، وقد قدَّمنا أكثره . فقرأه معاوية على الناس ، وقام جرير فخطب الناس ، وأمر في خطبته معاوية بالسمع والطاعة ، وحذَّره من المخالفة والمعاندة ، ونهاه عن إيقاع الفتنة بين الناس ، وأن يضرب بعضهم بعضاً بالسيوف . فقال له معاوية : انتظر حتى آخذ رأي أهل الشام . فلمّا كان بعد ذلك أمر معاوية منادياً فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فلمّا اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فقال : « الحمدُ لله الذي جعلَ الدَّعائم للإسلام أركانا ، والشرائع للإيمان بُرْهانا ، يتوقَّد مصباحُه بالسنَّة في الأرض المقدَّسة التي جعلها الله محلَّ الأنبياء والصالحين من عباده ، فأحلَّها أهل الشام ، ورضيهم لها ورضيها لهم ، لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم أولياءه فيها ، والقوام بأمره ، الذابِّين عن دينه وحُرماته ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي أعلام الخير عظاماً ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم الألفة بين المؤمنين ، والله نستعين على إصلاح ما تشعَّث من أمور المسلمين ، وتباعد بينهم بعد القرب والألفة . اللهم انصرنا على قوم يوقظون نائماً ، ويريدون هراقة دمائنا ، وإخافة سبيلنا ، وقد يعلم الله أنّا لا نريد لهم عقاباً ، ولا نَهتِك لهم حجاباً ، غير أنَّ الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننتزعَه طوعاً ما جاوب الصَّدى ، وسقط النَّدى ، وعرف الهدى . وقد علمنا أنَّ الذي حملهم على خلافنا البغيُ والحسدُ لنا ، فاللهَ نستعين عليهم . أيُّها الناس قد علمتم أني خليفةُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأني خليفةُ أمير المؤمنين عثمان عليكم ، وأني لم أُقم رجلاً منكم على خزاية قطّ ، وإني وليُّ عثمان وابن عمِّه . قال الله تعالى في كتابه : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] وقد علمتم أنه قُتل مظلوماً ، وأنا أحبُّ أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقال أهل الشام بأجمعهم : بل نطلبُ بدمه ، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه ، ووثَّقوا له أن يبذلوا في ذلك أنفسَهم وأموالَهم ، أو يدركوا بثأره ، أو يفني اللهُ أرواحَهم قبل ذلك . فلمّا رأى جرير من طاعة أهل الشام لمعاوية ما رأى أفزعه ذلك وعجب منه .

وقال معاوية لجرير : إنْ ولّاني على الشام ومصر بايعتُه على ألا يكون لأحد بعده عليَّ بَيْعة . فقال : اكتب إلى عليٍّ بما شئتَ وأنا أكتب معك . فلما بلغ علياً الكتاب قال : هذه خديعة ، وقد سألني المغيرةُ بن شعبة أن أولي معاوية الشام وأنا بالمدينة ، فأبيتُ ذلك ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : ٥١] . ثم كتب إلى جرير بالقدوم عليه ، فما قدم إلّا وقد اجتمعت العساكر إلى عليّ .

وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ـ وكان معتزلاً بفلسطين حين قُتل عثمان ، وكان عثمان قد عزله عن مصر فاعتزل بفلسطين ـ فكتب معاوية يستدعيه ليستشيرَه في أموره ، فركب إليه ، فاجتمعا على حرب علي .

وقد قال [الوليد بن][١] عُقبة بن أبي مُعَيط في كتاب معاوية إلى عليٍّ حين سأله نيابة الشام ومصر ، فكتب إلى معاوية يؤنِّبه ويلومُه على ذلك ويعرِّض بأشياء فيه :

مُعاويَ إنَّ الشَّامَ شامُكَ فاعتصِمْ بشامِكَ لا تُدخِلْ عليكَ الأَفاعِيَا
فـإنَّ عليّـاً نـاظـرٌ مـا تُجيبُـهُ فأَهْدِ لهُ حرباً تُشِيبُ النَّواصِيَا
وحَـامِ علَيهـا بـالقِتـال وبـالقَنَـا ولا تَكُ مَخْشُوشَ الذِّراعَيْن وانِيَا
وإلَّا فسلِّـم إنَّ فـي الأمـن راحـةً لمنْ لا يريدُ الحربَ فاخترْ معاويَا
وإنَّ كتـابـاً يـا بـنَ حـربٍ كتبتَـهُ على طمعٍ جانٍ عليكَ الدَّواهِيَا
سـألـتَ عليّـاً فيـه مـا لا تَنـالُـهُ ولـو نلتَـهُ لـم يبـقَ إلَّا ليـاليَـا
إلى أنْ ترىٰ منهُ التي ليس بعدَها بقـاءٌ فـلا تكثِـرْ عليـكَ الأَمـانيَـا
ومثـلُ علـيٍّ تغتـرزْهُ بخـدعَـةٍ وقد كانَ ما خرَّبتَ من قبلُ بانيَا
ولـو نَشِبَـتْ أظفـارُهُ فيـكَ مـرَّةً فَراكَ ابنَ هندٍ بعد ما كنتَ فاريَا[٢]

وقد ورد من غير وجه : أنَّ أبا مسلم الخولاني وجماعةً معه دخلوا على معاوية فقالوا له : أنت تنازع عليّاً أم أنت مثله ؟ فقال : والله إني لأعلم أنه خيرٌ مني وأفضل ، وأحقُّ بالأمر مني ، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً ، وأنا ابن عمِّه ، وأنا أطلب بدمه وأمره إلي ؟ فقولوا له : فليسلِّم إليَّ قَتَلَةَ عثمان وأنا أسلِّم له أمره . فأتوا عليًّا فكلموه في ذلك ، فلم يدفع إليهم أحداً . فعند ذلك صمَّم أهل الشام على القتال مع معاوية[٣] .

وعن عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي ، عن عامر الشَّعبي وأبي جعفر الباقر قال : بعث عليٌّ رجلاً إلى دمشق يُنذرهم أن عليّاً قد نَهَد[٤] في العراق إليكم ليستعلم طاعتكم لمعاوية ، فلمّا قدم أمر معاوية فنُودي في الناس : الصلاة جامعة ، فملؤوا المسجد ، ثم صعد المنبر فقال في خطبته : إن عليّاً قد نَهد إليكم في أهل العراق فما الرأي ؟ فضرب كلٌّ منهم على صدره ، ولم يتكلَّم أحدٌ منهم ، ولا رفعوا إليه

---

(١) سقط من (أ) و(ط) .
(٢) الأبيات في وقعة صفين للجعفي (ص٥٩) وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣/ ٨٤ ـ ٨٥) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٣١ ـ ٣٢) مع اختلاف ببعض الألفاظ .
(٣) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٣٢) .
(٤) « نهد » : نهض .

أبصارهم ، وقام ذو الكَلَاع فقال : يا أمير المؤمنين ! عليك الرأي وعلينا الفعال . ثم نادى معاوية في الناس : أن اخرجوا إلى معسكركم في ثلاثٍ ، فمن تخلَّف بعدها فقد أحلَّ بنفسه . فاجتمعوا كلهم ، فركب ذلك الرجل إلى عليٍّ فأخبره ، فأمر عليٌّ منادياً فنادى : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصعد المنبر فقال : إن معاوية قد جمع الناس لحربكم فما الرأي ؟ فقال كلُّ فريق منهم مقالة ، واختلط كلام بعضهم في بعض ، فلم يدرِ عليٌّ مما قالوا شيئاً ، فنزل عن المنبر وهو يقول : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ذهب والله بها ابنُ آكلةِ الأكباد[١] . ثم كان من أمر الفريقين ما كان ، كما ذكرناه مبسوطاً في سنة ست وثلاثين .

وقد قال أبو بكر بن دُريد : أنبأنا أبو حاتم ، عن أبي عُبيدة قال : قال معاوية : لقد وضعتُ رجلي في الرِّكاب وهممتُ يوم صفِّين بالهزيمة ، فما منعني إلا قولُ ابن الإطنابة حيث يقول :

أبَـتْ لـي عفَّتـي وأَبـىٰ بَـلَائـي وأخـذي الحمـدَ بـالثمـنِ الـرَّبيـح
وإكـراهـي علـى المكـروهِ نَفْسـي وضَـرْبـي هـامـةَ البطـلِ المُشِيـح
وقولي كلَّما جَشَأَتْ وجاشَتْ مكانَكِ تُحمَدي أو تَسْتريحي[٢]

وروى البيهقي عن الإمام أحمد أنه قال : الخلفاء : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . فقيل له : فمعاوية ؟ قال : لم يكن أحدٌ أحقَّ بالخلافة في زمان عليٍّ من عليّ ، ورحم الله معاوية .

وقال علي بن المَديني : سمعت سفيان بن عُيينة يقول : ما كانت في علي خصلةٌ تقصِّر به عن الخلافة ، ولم يكن في معاوية خصلةٌ ينازع بها عليّاً .

وقيل لشَريك القاضي : كان معاوية حليماً ؟ فقال : ليس بحليم مَنْ سفه الحقَّ وقاتل عليًّا . رواه ابن عساكر[٣] .

وقال سفيان الثوري : عن حبيب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أنه ذكر معاوية وأنه لبَّى عشية عرفة ، فقال فيه قولاً شديداً . ثم بلغه أن علياً لبَّى عشية عرفة ، فتركه .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثني عبّاد بن موسى ، حدّثنا علي بن ثابت الجزري ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن عمر بن عبد العزيز قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده ،

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٣٦) .

(٢) الخبر مع الشعر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٣٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٢) . والأبيات في الاختيارين (ص١٥٩ ـ ١٦٠) وعيون الأخبار (١/ ١٢٦) والعقد الفريد (١/ ١٠٤ ـ ١٠٥) وغيرها من كتب الأدب . وابن الإطنابة : هو عمرو بن عامر بن زيد مناة الكعبي الخزرجي ، شاعر جاهلي فارس ، اشتهر بنسبته إلى أمه الإطنابة بنت شهاب .

(٣) في تاريخه ، مختصره (٢٥/ ٣٨) .

فسلَّمت وجلست ، فبينما أنا جالسٌ إذ أتي بعلي ومعاوية ، فأُدخلا بيتاً وأُجيف[١] الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول : قُضي لي وربِّ الكعبة . ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول : غُفر لي وربِّ الكعبة .

وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل : إني أُبغِض معاوية ، فقال له : ولمَ ؟ قال : لأنه قاتَل علياً ، فقال له أبو زرعة : ويحك ! إن ربَّ معاوية ربٌّ رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فأيش دخولك أنت بينهما ؟ رضي الله عنهما[٢] .

وسئل الإمام أحمد عمّا جرى بين علي ومعاوية ، فقرأ : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٤] . وكذا قال غير واحد من السلف .

وقال الأوزاعي : سُئل الحسن عمّا جرى بين علي وعثمان ، فقال : كانت لهذا سابقةٌ ولهذا سابقة ، ولهذا قرابةٌ ولهذا قرابة ، فابتُلي هذا وعُوفي هذا . وسُئل عمّا جرى بين علي ومعاوية ، فقال : كانت لهذا قرابة ولهذا قرابة ، ولهذا سابقةٌ ولم يكن لهذا سابقة ، فابتُليا جميعاً .

وقال كلثوم بن جَوْشن : سأل النضر أبو عمر الحسَن البصري فقال : أبو بكر أفضل أَمْ علي ؟ فقال : سبحان الله ! ولا سواء ، سبقت لعلي سوابق يشركه فيها أبو بكر ، وأحدث علي حوادثَ لم يشركه فيها أبو بكر ، أبو بكر أفضل . قال : فعمر أفضل أم علي ؟ فقال مثل قوله في أبي بكر ، ثم قال : عمر أفضل . ثم قال : عثمان أفضل أم علي ؟ فقال مثل قوله الأول ، ثم قال : عثمان أفضل . قال : فعلي أفضل أم معاوية ؟ فقال : سبحان الله ! ولا سواء ، سبقت لعلي سوابقُ لم يشركه فيها معاوية ، وأحدث علي أحداثاً شركه فيها معاوية ، علي أفضل من معاوية .

وقد روى عن الحسن البصري : أنه كان ينقم على معاوية أربعة أشياء : قتالَه عليّاً ، وقتلَه حُجر بن عدي ، واستلحاقَه زياد بن أبيه ، ومبايعتَه ليزيد ابنه .

وقال جرير بن عبد الحميد : عن مغيرة قال : لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ، فقالت له امرأته : أتبكيه وقد قاتلتَه ؟ فقال : ويحكِ ! إنك لا تدرينَ ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم . [وفي رواية : أنها قالت له : بالأمس تقاتله واليوم تبكيه][٣] ؟!

قلت : وقد كان مقتل علي في رمضان سنة أربعين ، ولهذا قال الليث بن سعد : إنَّ معاوية بُويع له بإيلياء بيعة الجماعة ، ودخل الكوفة سنة أربعين . والصحيح الذي قاله ابن إسحاق والجمهور أنه بُويع له

---

(١) أجيف الباب : رُدَّ وأغلق .
(٢) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٣٩) .
(٣) سقطت هذه الرواية في ب .

بإيلياء في رمضان سنة أربعين حين بلغ أهل الشام مقتل علي ، ولكنَّه إنما دخل الكوفة بعد مصالحة الحسن له في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وهو عام الجماعة ، وذلك بمكان يقال له أَذْرُح[١] ، وقيل بمسكن من أرض سواد العراق من ناحية الأَنْبار ، فاستقلَّ معاوية بالأمر إلى أن مات سنة ستين .

قال بعضهم : كان نقش خاتم معاوية : لكل عمل ثواب . وقيل : بل كان : لا قوَّة إلّا بالله .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيبة وسعيد بن منصور قالا : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرَّة ، عن سعيد بن سويد قال : صلَّى بنا معاوية بالنُّخيلة ـ يعني خارج الكوفة ـ الجمعة في الضحى ثم خطبنا فقال : ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ، قد عرفتُ أنكم تفعلون ذلك ، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمَّر عليكم ، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون[٢] .

ورواه محمد بن سعد ، عن يعلَى بن عبيد ، عن الأعمش به .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا عارم ، حدّثنا حمّاد بن زيد[٣] ، عن مَعْمر ، عن الزُّهري : أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه ، ثم إنه بَعُدَ عن ذلك .

وقال نعيم بن حمّاد : حدّثنا ابن فُضيل ، عن السَّري بن إسماعيل ، عن الشعبي ، حدّثني سفيان بن الليل قال : قلت للحسن بن علي لمّا قدم من الكوفة إلى المدينة : يا مُذِلَّ المؤمنين . قال : لا تقل ذلك ، فإني سمعت [أبي][٤] يقول : « لا تذهبُ الأيام والليالي حتى يملكَ معاوية » فعلمت أنَّ أمر الله واقع ، فكرهتُ أن تُهراقَ بيني وبينه دماء المسلمين .

وقال مُجالد : عن الشعبي ، عن الحارث الأعور قال : قال عليٌّ بعدما رجع من صفِّين : أيها الناسُ ! لا تكرهوا إمارة معاوية ، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تَنْدُر[٥] عن كواهلها كأنها الحنظل .

وقال ابن عساكر بإسناده عن أبي داود الطيالسي : حدّثنا أيوب بن جابر ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ابن يزيد قال : قلت لعائشة : ألا تعجبينَ لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد ﷺ في الخلافة ؟ فقالت : وما تعجب من ذلك ؟ هو سلطان الله يؤتيه البَرَّ والفاجر ، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة[٦] .

---

(١) وقعت في أ: أدرح وفي ط، ب: أدرج وكله تصحيف، فقد نص ياقوت في معجمه (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠) على أنها بالحاء المهملة وقال : وقد وهم فيه قوم فرووه بالجيم . وهي بلدة في أطراف الشام من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز .

(٢) الخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٨) وفيه سعيد بن سويد وهو مجهول .

(٣) تحرف في ط إلى : يزيد .

(٤) ما بين حاصرتين من ب، وم وكذلك في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٧)، ووقع في أ، ط : «رسول الله ﷺ» .

(٥) « تندر » : تسقط .

(٦) بعد هذا في ط العبارة الآتية : «وكذلك غيره من الكفار» وليست في ب، م ولا في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٢) .

وقال الزهري : حدّثني القاسم بن محمد : أن معاوية حين قدم المدينة يريد الحج دخل على عائشة فكلّمها خاليَيْن لم يشهد كلامهما أحد إلّا ذكوان أبو عمرو مولى عائشة ، فقالت : أمنتَ أن أخبَأ لك رجلاً يقتلك بقتلك أخي محمداً ؟ فقال : صدقت ، فلمّا قضى معاوية كلامه معها تشهَّدت عائشة ثم ذكرت ما بعث الله به نبيَّه ﷺ من الهدى ودين الحق ، والذي سنَّ الخلفاءُ بعده ، وحضَّتْ معاوية على العدل واتباع أثرهم ، فقالت في ذلك فلم تترك له عذراً . فلمّا قضت مقالتها قال لها معاوية : أنت ـ والله ـ العالمةُ العاملة بأمر رسول الله ﷺ الناصحة المشفقة البليغة الموعظة ، حضضتِ على الخير ، وأمرتِ به ، ولم تأمرينا إلّا بالذي هو لنا مصلحة ، وأنتِ أهل أن تُطاعي . وتكلمتْ هي ومعاوية كلاماً كثيراً . فلمّا قام معاوية اتّكأ على ذكوان وقال : والله ما سمعتُ خطيباً ـ ليس رسول الله ﷺ ـ أبلغَ من عائشة[١] .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا خالد بن مَخْلد البجلي ، حدّثنا سليمان بن بلال ، حدّثني علقمة بن أبي علقمة ، عن أمِّه قالت : قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة ، فأرسل إلى عائشة : أن أرسلي إلي بأَنْبِجانيَّة رسول الله ﷺ وشعره ، فأرسلتْ به معي أحمله ، حتى دخلتُ به عليه ، فأخذ الأَنْبِجانيَّة فلبسها ، وأخذ شعره فدعا بماءٍ فغسله وشربه وأفاض على جلده[٢] .

وقال الأصمعي : عن الهُذَلي [عن الشعبي][٣] قال : لما قدم معاويةُ المدينة عام الجماعة تلقَّته رجال من وجوه قريش ، فقالوا : الحمد لله الذي أعزَّ نصرك ، وأعلى أمرك . فما ردَّ عليهم جواباً حتى دخل المدينة ، فقصد المسجد ، وعلا المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإني ـ والله ـ ما وليتُ أمركم حين وليتُه وأنا أعلم أنكم لا تُسَرُّون بولايتي ولا تحبُّونها ، وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك ، ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة ، ولقد رمتُ نفسي على عمل ابن أبي قحافة ، فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه ، وأردتُها على عمل ابن الخطاب ، فكانت أشدَّ نفوراً وأعظم هرباً من ذلك ، وحاولتُها على مثل سنّيات عثمان ، فأبتْ عليَّ ، وأين مثلُ هؤلاء ؟! ومَنْ يقدر على أعمالهم ؟ هيهات أن يدرك فضلَهم أحدٌ ممن بعدهم ، رحمة الله ورضوانه عليهم ، غير أني سلكتُ بها طريقاً لي فيه منفعةٌ ولكم فيه مثل ذلك ، ولكلٍّ فيه مواكلةٌ حسنة ، ومشاربةٌ جميلة ، ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة ، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خيرٌ لكم ، والله لا أحملُ السيف على مَنْ لا سيفَ معه ، ومهما تقدَّم ما قد علمتموه

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٤٤) .
(٢) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٤٤ ـ ٤٥) . « والأنبجانية » : كساء من صوف منسوب إلى أنبجان .
(٣) سقط من ب ، والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٨) .

فقد جعلته دُبر أذني ، وإن لم تجدوني أقومُ بحقكم كلِّه فارضَوا مني ببعضه ، فإنها [ليست][١] بقابة قُوبها ، وإنَّ السيل إذا جاء تترى - وإن قلَّ - أغنى . وإياكم والفتنةَ فلا تهمُّوا بها ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدِّر النعمةِ ، وتورث الاستئصال . أستغفر الله لي ولكم ، أستغفر الله . ثم نزل .

قال أهل اللغة : القابة : البيضة ، والقوب : الفرخ . قابت البيضة تقوب : إذا انفلقت عن الفرخ .

والظاهر أن هذه الخطبة كانت عام حجَّ في سنة أربع وأربعين ، أو في سنة خمسين ، لا في عام الجماعة .

وقال الليث : حدّثني علوان بن صالح بن كيسان : أن معاوية قدِم المدينة أول حجَّة حجها بعد اجتماع الناس عليه ، فلقيه الحسن والحسين ورجال من قريش ، فتوجَّه إلى دار عثمان بن عفان ، فلمّا دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباها ، فقال معاوية لمن معه : انصرفوا إلى منازلكم فإنَّ لي حاجةً في هذه الدار ، فانصرفوا ، ودخل معاوية فسكَّن عائشة بنت عثمان ، وأمرها بالكف ، وقال لها : يا بنت أخي ! إن الناس أعطونا سلطاناً فأظهرنا لهم حِلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حِقد ، فبعناهم هذا بهذا ، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحُّوا علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم ، ومع كل إنسان منهم شيعته ، وهو يرى مكان شيعته ، فإن نكثناهم نكثوا بنا ، ثم لا ندري أتكون لنا الدائرةُ أم علينا ؟ وأن تكوني ابنة عثمان أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني أمَةً من إماء المسلمين ، ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك[٢] .

وقد روى ابن عدي من طريق علي بن زيد - وهو ضعيف - عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد . [ومن حديث مجالد - وهو ضعيف أيضاً - عن أبي الوَدّاك ، عن أبي سعيد][٣] أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيتم معاويةَ على مِنْبري فاقتُلوه » .

وأسنده أيضاً من طريق الحكم بن ظُهَير - وهو متروك - عن عاصم ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود مرفوعاً .

وهذا الحديث كذب بلا شك ، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك لأنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم .

وأرسله عمرو بن عبيد عن الحسن البصري . قال أيوب : هو كذب .

---

(١) سقطت من أ ، ط .

(٢) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/٤٦) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ .

ورواه الخطيب البغدادي[١] بإسناد مجهول ، عن أبي الزبير ، عن جابر مرفوعاً : « إذا رأيتُم معاويةَ يخطُب على مِنْبري فاقبَلوه[٢] ، فإنَّه أمينٌ مأمون » .

وقال أبو زرعة الدمشقي : عن دحيم ، عن الوليد ، عن الأوزاعي قال : أدركتْ خلافة معاوية عدَّة من الصحابة منهم : أسامة ، وسعد ، وجابر ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت [ومسلمة[٣] بن مخلَّد ، وأبو سعيد ، ورافع بن خديج ، وأبو أمامة][٤] وأنس بن مالك ، ورجال أكثر ممَّن سمَّينا بأضعاف مضاعفة ، كانوا مصابيح الهدى ، وأوعية العلم ، حضروا من الكتاب تنزيلَه[٥] ، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويلَه . ومن التابعين لهم بإحسان ما شاء الله ، منهم : المِسْور بن مَخْرمة ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وسعيد بن المسيِّب [وعروة بن الزبير][٦] وعبد الله بن مُحَيريز . . . في أشباه لهم ، لم ينزعوا يداً من جماعة في أمَّة محمد ﷺ .

وقال أبو زرعة : عن دُحيم ، عن الوليد ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : لمّا قُتل عثمان لم يكن للناس غازية تغزو ، حتى كان عام الجماعة ، فأغزا معاوية أرض الروم ست عشرة غزوة ، تذهب سريَّة في الصيف وتشتو بأرض الروم ، ثم تقفُل وتعقُبها الأخرى . وكان في جملة من أغزى ابنُه يزيد ومعه خلقٌ من الصحابة ، فجاز بهم الخليج ، وقاتلوا أهل القُسْطنطينية على بابها ، ثم قفل بهم راجعاً إلى الشام[٧] . وكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال : شُدَّ خناق الروم .

وقال ابن وهب : عن يونس ، عن الزهري قال : حجَّ معاوية بالناس في أيام خلافته مرَّتين ، وكانت أيامه عشرين سنة إلّا شهراً .

وقال أبو بكر بن عياش : حجَّ بالناس معاوية سنة أربع وأربعين ، وسنة خمسين .

وقال غيره : سنة إحدى وخمسين . فالله أعلم .

وقال الليث بن سعد : حدّثنا بُكير ، عن بُسْر[٨] بن سعيد : أن سعد بن أبي وقّاص قال : ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحقٍّ من صاحب هذا الباب ـ يعني معاوية .

---

(١) في تاريخه (١/ ٢٥٩) .
(٢) تحرفت في أ ، ط إلى : فاقتلوه .
(٣) تحرف في المطبوع إلى : سلمة .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٥) في أ ، ط بعد هذا : ومن الدين جديده ، وعرفوا من الإسلام ما لم يعرفه غيرهم . وما أثبتناه من ب وهو مطابق لما في تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .
(٦) سقط من المطبوع .
(٧) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ١٨٨) .
(٨) تحرفت هذه اللفظة في ط إلى : بشر وفي أ إلى : يزيد . والخبر في السير (٣/ ١٥٠) .

وقال عبد الرزاق : حدّثنا مَعْمر ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، حدّثنا المِسْور بن مَخْرمة : أنه وفد على معاوية ، قال : فلمّا دخلت عليه ـ حسبت أنه قال : سلَّمت عليه ـ فقال : ما فعل طعنُك على الأئمَّة يا مِسْور ؟ قال : قلت : أرفضنا[١] من هذا وأحسِنْ فيما قدمنا له ، فقال : لتكلِّمنِّي بذات نفسك ، قال : فلم أدع شيئاً أعيبُه عليه إلّا أخبرته به ، فقال : لا تبرأ من الذنوب ، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم يغفرها الله لك ؟ قال : قلت : نعم [إن لي ذنوباً إن لم يغفرها هلكت بسببها][٢] قال : فما الذي يجعلك أحقَّ بأن ترجو أنت المغفرة مني ؟ فوالله لما إلي من إصلاح الرعايا ، وإقامة الحدود ، والإصلاح بين الناس ، والجهاد في سبيل الله ، والأمور العظام التي لا يحصيها إلّا الله ولا نحصيها أكثرُ مما تذكر من العيوب والذنوب ، وإني لعلى دين يقبل اللهُ فيه الحسناتِ ويعفو عن السيِّئات ، والله على ذلك ما كنت لأخيَّر بين الله وغيره إلّا اخترت الله على غيره مما سواه . قال : ففكَّرت حين قال لي ما قال ، فعرفت أنه قد خصمني . قال : فكان المِسْور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير[٣] .

وقد رواه شعيب ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المِسْور بنحوه .

وقال ابن دُريد : عن أبي حاتم ، عن العُتْبي قال : قال معاوية : يا أيها الناس ! ما أنا بخيركم ، وإن منكم لمَنْ هو خير مني : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما من الأفاضل . ولكنْ عسى أن أكون أنفعَكُم ولاية ، وأنكاكم في عدوِّكم ، وأدرَّكم حلباً .

وقد رواه محمد بن سعد ، عن محمد بن مصعب ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن ثابت مولى معاوية : أنه سمع معاوية يقول نحو ذلك[٤] .

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق : حدّثنا عمرو بن واقد ، حدّثنا يونس بن حَلْبَس قال : سمعت معاوية على منبر دمشق يوم جمعة يقول : أيها الناس ! اعقلوا قولي فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة مني ، أقيموا وجوهكم وصفوفكم في الصلاة أو ليخالفنَّ اللهُ بين قلوبكم . خذوا على أيدي سفهائكم أو ليسلطنَّ الله عليكم عدوكم فليسومنَّكم سوء العذاب . تصدَّقوا ، ولا يقولنَّ الرجل : إني مُقِلّ [فإن صدقة المُقِل أفضلُ من صدقة الغني . إياكم وقذفَ المحصَنات ، وأن يقول][٥] الرجل : سمعت وبلغني ، فلو قذف أحدكم امرأةً على عهد نوح لسُئِل عنها يوم القيامة .

---

(١) « أرفضنا » : دعنا .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم (٢٠٧١٧) ورجاله ثقات .

(٤) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/٤٨) .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من أ . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/٤٨ ـ ٤٩) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدّثنا يزيد بن طَهْمان(١) الرَّقاشي ، حدّثنا محمد بن سِيرين قال : كان معاوية [إذا حدَّث عن رسول الله ﷺ لم يُتَّهم(٢) .

وروى أبو القاسم البغوي : عن سُويد بن سعيد ، عن همام بن إسماعيل ، عن أبي قَبيل قال : كان معاوية](٣) يبعث رجلاً يقال له أبو الجيش في كل يوم ، فيدور على المجالس يسأل : هل وُلِدَ لأحد مولود ؟ أو قدم أحدٌ من الوفود ؟ فإذا أُخبر بذلك أثبتَ في الديوان ـ يعني ليجري عليه الرزق .

وقال غيره : كان معاوية متواضعاً ، ليس له مَجالد إلّا كمجالد الصِّبيان التي يسمُّونها المَخَاريق ، فيضرب بها الناس .

وقال هشام بن عمّار : عن عمرو بن واقد ، عن يونس بن مَيْسرة بن حَلْبَس قال : رأيت معاوية في سوق دمشق وهو مردَف وراءه وَصِيفٌ عليه قميص مرقوع الجيب ، وهو يسير في أسواق دمشق .

وقال الأعمش : عن مجاهد أنه قال : لو رأيتُم معاوية لقلتُم : هذا المَهْدي .

وقال هشيم : عن العوّام ، عن جبلة بن سُحيم ، عن ابن عمر قال : ما رأيت أحداً أسودَ من معاوية ، قال : قلت : ولا عمر ؟ قال : كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسودَ منه(٤) .

ورواه أبو سفيان الحِيري ، عن العوّام بن حَوْشب به ، وقال : ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أسودَ من معاوية ، قيل : ولا أبو بكر ؟ قال : كان أبو بكر وعمر وعثمان خيراً منه ، وهو أسود منهم .

وروي من طرق عن ابن عمر مثله .

وقال عبد الرزاق : عن مَعْمر ، عن همام ، سمعت ابن عباس يقول : ما رأيتُ رجلاً كان أخلقَ بالملك من معاوية .

وقال حنبل بن إسحاق : حدّثنا أبو نُعيم ، حدّثنا ابن أبي عتيبة ، عن شيخ من أهل المدينة قال : قال معاوية : أنا أوَّل الملوك .

وقال ابن أبي خيثمة : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا ضَمْرة(٥) ، عن ابن شَوْذب قال : كان معاوية يقول : أنا أولُ الملوك وآخرُ خليفة .

---

(١) تحرف في أ إلى : دهمان .

(٢) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٥٠) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٥٢) .

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٥٣) وأورد ابن الأثير في النهاية (٢/ ٤١٨) وقال : قيل : أراد أسخى وأعطى للمال . وقيل : أحلم منه .

(٥) تحرف في المطبوع إلى : حمزة .

قلت : والسنة أن يُقال لمعاوية : ملك ، ولا يقال له : خليفة ، لحديث سَفِينة « الخِلافةُ بعدي ثلاثونَ سنَة ، ثم تكون مُلْكاً عَضُوضاً »[١] .

وقال عبد الملك بن مروان يوماً وذكر معاوية فقال : ما رأيت مثلَه في حِلْمه [واحتماله وكرمه][٢] .

وقال قَبيصة بن جابر : ما رأيت أحداً أعظم حلماً ، ولا أكثر سُؤدداً ، ولا أبعد أناة ، ولا ألين مخرجاً ، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية .

وقال بعضهم : أسمع رجل معاوية كلاماً سيئاً شديداً ، فقيل له : لو سطوتَ عليه ؟ فقال : إني لأستحيي من الله أن يضيقَ حلمي عن ذنب أحد من رعيَّتي . وفي رواية : قال له رجل : يا أمير المؤمنين ما أحلمك ؟! فقال : إني لأستحيي أن يكون جرم أحدٍ أعظمَ من حلمي .

وقال الأصمعي : عن الثوري قال : قال معاوية : إني لأستحيي أن يكون ذنبٌ أعظمَ من عفوي ، أو جهلٌ أكبرَ من حلمي ، أو تكون عورةٌ لا أُواريها بستري .

وقال الشعبي والأصمعي عن أبيه قالا : جرى بين رجل ـ يقال له : أبو الجَهْم ـ وبين معاوية كلام ، فتكلَّم أبو الجَهْم بكلام فيه غمٌّ لمعاوية ، فأطرق معاوية ثم رفع رأسه فقال : يا أبا الجَهْم ! إياك والسُّلطان ، فإنه يغضبُ غضبَ الصِّبيان ، ويأخذُ أخذَ الأسد ، وإنَّ قليلَه يغلب أكثر الناس . ثم أمر معاوية لأبي الجَهْم بمال ، فقال أبو الجَهْم في ذلك يمدح معاوية :

نَمِيلُ علىٰ جوانِبِهِ كأنَّا ... إذا مِلْنا نَمِيلُ علىٰ أَبِينا
نُقَلِّبُهُ لِنَخْبُرَ حالَتَيْهِ ... فنَخْبُر منهُما كرَماً ولِينا[٣]

وقال الأعمش : طاف الحسن بن عليٍّ مع معاوية ، فكان معاوية يمشي بين يديه ، فقال الحسن :

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٠ ، ٢٢١) وأبو داود (٤٦٤٦) في السنة : باب في الخلفاء ، والترمذي (٢٢٢٦) في الفتن : باب ما جاء في الخلافة ، من طرق عن سعيد بن جُمْهان (تحرفت هذه اللفظة في سنن أبي داود إلى : جهمان) عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً » . قال سعيد : قال لي سفينة : أمسك خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين ، و خلافة عثمان اثنتي عشرة سنة ، وخلافة علي ست سنين . قال سعيد : قلت لسفينة : إن هؤلاء يزعمون أن عليًّا عليه السلام لم يكن بخليفة . قال : كذبت أَستاهُ بني الزرقاء ـ يعني بني مروان .
قال الترمذي : وهذا حديث حسن وقد تقدم .
« والملك العضوض » : ملك فيه عسف وظلم .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر مطولاً في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٥٥) .

(٣) ينسب هذان البيتان لعبد المسيح بن دارس ، وأن أبا الجهم قالهما متمثلاً ، كما في أمالي القالي (١/ ٢٣٤) . أما في البيان والتبيين (٣/ ٢٣٣) وعيون الأخبار (١/ ٢٨٤) فقد عزيا إلى أبي الجهم وأنه قالهما في معاوية . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (١٦/ ٢٥ و ٢٥/ ٥٩) . وأبو الجهم : هو عبيد ـ أو عامر ـ بن حذيفة ، من مسلمة الفتح .

ما أشبهَ أَليتيه بأَليتي هند ؟! فالتفت إليه معاوية فقال : أما إنَّ ذلك كان يُعجب أبا سفيان .

وقال ابن أخته عبد الرحمن بن أمِّ الحكم لمعاوية : إنَّ فلاناً يشتمني ، فقال له : طأطِئ لها ، فتمرّ ، فتجاوزك .

وقال ابن الأعرابي : قال رجل لمعاوية : ما رأيتُ أندلَ منك ، فقال معاوية : بلى ، مَنْ واجه الرجال بمثل هذا .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قال معاوية : ما يسرُّني بذل الكرم حمرُ النَّعم .

[وقال : ما يسرُّني بذل الحلم عزُّ النصر](١) .

وقال بعضهم : قال معاوية : يا بني أميَّة قاربوا(٢) قريشاً بالحِلْم ، فوالله لقد كنتُ ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتماً وأُوسعه حِلْماً [فأرجع وهو لي صديق ، إن استنجدتُه أنجدني ، وأثور به فيثور معي . وما وضع الحِلم](٣) عن شريف شرفَه ، ولا زاده إلّا كرماً .

وقال : آفةُ الحِلْم الذلّ .

وقال أيضاً : لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلبَ حِلمُه جهلَه ، وصبرُه شهوتَه ، ولا يبلغ الرجل ذلك إلّا بقوة الحِلْم .

وقال عبد الله بن الزبير : لله درُّ ابن هند ! إنْ كنّا لنفرِّقه(٤) وماالليثُ على براثنه بأجرأَ منه ، فيتفارق لنا ، وإنْ كنّا لنخدِّعه وما ابنُ ليلةٍ من أهل الأرض بأدهى منه ، فيتخادع لنا . والله لوددتُ أنّا مُتِّعنا به ما دام في هذا الجبل حجر ـ وأشار إلى أبي قُبيس .

وقال رجل لمعاوية : مَنْ أسودُ الناس ؟ فقال : أسخاهم نفساً حين يُسْأل ، وأحسنُهم في المجالس خلُقاً ، وأحلمُهم حين يُسْتجهل .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنَّى : كان معاوية يتمثَّل بهذه الأبيات كثيراً :

فما قَتَلَ السَّفاهَةَ مثلُ حِلْمٍ ... يعودُ به على الجَهْل الحَليمُ
فلا تَسْفَهْ وإنْ مُلِّئتَ غَيْظاً ... على أحدٍ فإنَّ الفحشَ لُومُ
ولا تَقْطَعْ أخاً لكَ عندَ ذنبٍ ... فإنَّ الذنبَ يَغْفِرُهُ الكريمُ(٥)

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٢) كذا وردت في ب ، ومثله في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٥٩) . ووقعت في أ ، ط : فارقوا .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٤) « نفرِّقه » : نخوِّفه ، وهو من الفرَق : الخوف والجزع .
(٥) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٦١) .

وقال القاضي الماوردي في « الأحكام السُّلطانية » : وحُكي أن معاوية أُتي بلصوص ، فقطعهم حتى بقي واحد من بينهم فقال :

يَميني أميرَ المؤمنينَ أُعيذُها بعَفْوكَ أنْ تلقَىٰ نَكالاً يُبينُها
يدي كانتِ الحسناءَ لو تمَّ سترُها ولا تَعدَمُ الحسناءُ عَيْباً يَشِينُها
فلا خيرَ في الدُّنيا وكانتْ حبيبةً إذا ما شِمالي فارَقَتْها يَمِينُها

فقال معاوية : كيف أصنع بك ؟ قد قطعنا أصحابك . فقالت أمُّ السارق : يا أمير المؤمنين ! اجعلها في ذنوبك التي تتوب منها . فخلَّى سبيلَه ، فكان أول حدٍّ تُرك في الإسلام[١] .

وعن ابن عباس أنه قال : قد علمت بما غلبَ معاوية الناس : كانوا إذا طاروا وقع ، وإذا وقعوا طار .

وقال غيره : كتب معاوية إلى نائبه زياد : إنه لا ينبغي أن تَسُوس الناس سياسةً واحدة باللِّين فيمرحوا ، ولا بالشدَّة فتحمل الناس على المهالك . ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغِلْظة ، وأنا للِّين والأُلفة والرحمة ، حتى إذا خاف خائف وجد باباً يدخل منه .

وقال أبو مُسْهر : عن سعيد بن عبد العزيز قال : قضى معاويةُ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار ، وماكان عليها من الدَّين الذي كانت تعطيه الناس .

وقال هشام بن عروة : عن أبيه قال : بعث معاوية إلى أمِّ المؤمنين عائشةَ بمئة ألف ، ففرَّقتها من يومها فلم يبق منها درهم ، فقالت لها خادمتها : هلاّ أبقيتِ لنا درهماً نشتري به [لحماً تفطري عليه][٢] ؟ فقالت : لو ذكرتيني لفعلت .

وقال عطاء : بعث معاوية إلى عائشة ـ وهي بمكة ـ بطوقٍ قيمتُه مئة ألف ، فقبلته .

وقال زيد بن الحُباب : عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُرَيدة قال : قدم الحسن بن علي على معاوية ، فقال له : لأجيزنَّك بجائزة لم يُجزها أحد كان قبلي . فأعطاه أربعمئة ألف ألف .

ووفد إليه مرة الحسن والحسين ، فأجازهما على الفور بمئتي ألف ، وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلي ، فقال له الحسين : ولم تعطِ أحداً أفضل منّا .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا يوسف بن موسى ، حدّثنا جرير ، عن مغيرة قال : أرسل الحسنُ بن علي وعبدُ الله بن جعفر إلى معاويةَ يسألانه المال ، فبعث إليهما ـ أو إلى كلٍّ منهما ـ بمئة ألف ، فبلغ ذلك عليًّا

---

(١) الأحكام السلطانية (ص٢٥٧) ومختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٦) .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٦٣) .

فقال لهما : ألا تستحيان ؟! رجل نطعن في عينه غدوةً وعشيةً تسألانه المال ؟ فقالا : بل حرمتَنا أنت وجاد هو لنا .

وروى الأصمعي قال : وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية ، فقال للحسن : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ، وأمر له بثلاثمئة ألف . وقال لابن الزبير : مرحباً وأهلاً بابن عمة رسول الله ، وأمر له بمئة ألف .

[وقال أبو مروان المرواني : بعث معاوية إلى الحسين بن علي بمئة ألف][(١)] فقسَّمها على جلسائه وكانوا عشرة ، فأصاب كل واحد عشرة آلاف . وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمئة ألف ، فاستوهبتها منه امرأته فاطمة ، فأطلقها لها . وبعث إلى مروان بن الحكم بمئة ألف ، فقسم منها خمسين ألفاً وحبس خمسين ألفاً . وبعث إلى ابن عمر بمئة ألف ، ففرَّق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف ، فقال معاوية : [إنه لمقتصد يحب الاقتصاد . وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمئة ألف ، فقال للرسول : لم جئتَ بها بالنهار ؟ هلا جئتَ بها بالليل ؟! ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحداً شيئاً ، فقال معاوية][(٢)] : إنه لخَبٌّ ضَبٌ[(٣)] ، كأنك به قد رفع ذنبه وقطع حبله[(٤)] .

وقال ابن دأب : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ويقضي له معها مئة حاجة ، فقدم عليه عاماً ، فأعطاه المال وقضى له الحاجات وبقيت منها واحدة ، فبينما هو عنده إذ قدم أَصْبَهْبَذ[(٥)] سِجِسْتان يطلب من معاوية أن يملِّكه على تلك البلاد ، ووعد مَنْ قضى له هذه الحاجة من ماله بألف ألف ، فطاف على رؤوس الأمراء من أهل الشام وأمراء العراق ممن قدم مع الأحنف بن قيس ، فكلُّهم يقولون : عليك بعبد الله بن جعفر ، فقصده الدّهقان ، فكلَّم فيه ابنُ جعفر معاوية ، فقضى حاجته تكملة المئة حاجة ، وأمر الكاتب فكتب له عهده ، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان ، فسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم ، فقال له ابن جعفر : اسجُد لله واحمل مالك إلى منزلك ، فإنا أهل بيت لا نبيع المعروف بالثمن . فبلغ ذلك معاوية ، فقال : لأن يكونَ يزيد قالها أحبُّ إليَّ من خراج العراق ، أبت بنو هاشم إلّا كرماً[(٦)] .

وقال غيره : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ، فاجتمع عليه في بعض

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ ، وبهذا السقط يصبح الخبر تابعاً لما قبله .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) رجل خبّ ضبّ : خداع مفسد .
(٤) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٦٤) وفي أوله : أنه أمر للحسن بن علي أيضاً بمئة ألف درهم .
(٥) اضطربت هذه اللفظة في الأصول ، وهي فارسية معربة . والأصبهبذ عند الديلم كالأمير عند العرب . المعرَّب للجواليقي (ص٢١٨) وتاج العروس مادة (صبهبذ) .
(٦) الخبر في مقطوعة شعرية لطيفة في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٦٥ ـ ٦٦) .

الأوقات دين خمسمئة ألف ، فألحَّ عليه غرماؤه ، فاستنظرهم حتى يقدم على معاويةَ فيسأله أن يُسْلفه شيئاً من العطاء ، فركب إليه ، فقال له : ما أقدمك يا بن جعفر ؟ قال : دين ألحَّ عليَّ غرماؤه ، فقال : وكم هو ؟ قال : خمسمئة ألف ، فقضاها عنه وقال له : إن الألف ألف ستأتيك في وقتها .

وقال ابن سعد[١] : حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدّثنا أبو هلال ، عن قَتادة قال : قال معاوية : يا عجباً للحسن بن علي ! شرب شربةَ عسل يمانيّة بماء رُومة[٢] ، فقضى نحبَه . ثم قال لا بن عباس : لا يسوءُك الله ولا يُحزنك من الحسن بن علي . فقال ابن عباس لمعاوية : لا يُحزنني الله ولا يسوءُني ما أبقى الله أمير المؤمنين . قال : فأعطاه ألف ألف درهم وعروضاً وأشياء وقال : خذها فاقسمها في أهلك .

وقال أبو الحسن المدائني : عن سلمة بن مُحارب قال : قيل لمعاوية : أيُّكم كان أشرف : أنتم أو بنو هاشم ؟ قال : كنّا أكثر أشرافاً وكانوا هم أشرف ، فيهم واحد لم يكن في بني عبد مناف مثل هاشم ، فلمّا هلك كنّا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً ، وكان فيهم عبد المطلب لم يكن فينا مثله ، فلما مات صرنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً ، ولم يكن فيهم واحد كواحدنا ، فلم يكن إلا كقَرار العين حين قالوا : منّا نبيّ ، فجاء نبيٌّ لم يسمع الأولون والآخرون بمثله ، محمد ﷺ ، فمن يدركُ هذه الفضيلة وهذا الشرف ؟

وروى ابن أبي خَيْثمة ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حمّاد بن سلمة ، عن علي بن يزيد ، عن يوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس : أن عمرو بن العاص قصَّ على معاوية مناماً رأى فيها أبا بكر وعمر وعثمان وهم يحاسَبون على ما ولوه في أيامهم ، ورأى معاوية وهو مُوكل به رجلان يحاسِبانه على ما عمل في أيامه . فقال له معاوية : ومارأيتَ ثَمَّ دنانير مصر[٣] ؟

وقال ابن دريد : عن أبي حاتم ، عن العُتْبي قال : دخل عمرو على معاويةَ وقد ورد عليه كتاب فيه تعزيةٌ له في بعض الصحابة ، فاسترجع معاوية ، فقال عمرو بن العاص :

يمـوتُ الصّـالحـونَ وأنـتَ حـيٌّ   تَخطّـاكَ المنـايـا لا تمـوتُ

فقال له معاوية :

أَتـرجـو أنْ أمـوتَ وأنـتَ حـيٌّ   فلسـتُ بميِّـتٍ حتـى تمـوت[٤]

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى : سعيد .

(٢) يعني : بماء بئر رومة ، وكان ماؤها عذباً ، وهي في عقيق المدينة . كانت لرجل من غفار يقال له رومة ، فابتاعها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتصدق بها . معجم البلدان (١/ ٢٩٩ و ٣/ ١٠٤) .

(٣) الخبر مطولاً في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٦٩) .

(٤) أورد الخبر مع البيتين ابن دريد في المجتنى (ص٤٩) وابن عساكر في تاريخه ، مختصره (٢٥/ ٦٩) والمسعودي في مروج الذهب (٣/ ٣٠) لكن الذي عند المسعودي أن الذي بدأ هو معاوية ، والذي أجاب هو عمرو .

وقال ابن السمَّاك : قال معاوية : كل الناس أستطيع أن أُرضيَه إلّا حاسد نعمةٍ فإنَّه لا يُرضيه إلّا زوالُها .

وقال الزهري : عن عبد الملك ، عن أبي بحريّة قال : قال معاوية : المروءة في أربع : العَفاف في الإسلام ، واستصلاح المال ، وحفظ الإخوان ، وحفظ الجار .

وقال أبو بكر الهُذَلي : كان معاوية يقول الشعر ، فلما ولي الخلافةَ قال له أهلُه : قد بلغتَ الغاية فماذا تصنع بالشعر ؟ فارتاح يوماً فقال :

صرمتُ سَفاهتي وأَرحتُ حِلْمي ... وفـيَّ علـى تحمُّلـيَ اعتِـراضُ
علـى أَنـي أُجيـبُ إذا دَعَتْنـي ... إلىٰ حاجاتِها الحَدَقُ المِراضُ[١]

وقال مغيرة : عن الشعبي : أول من خطب جالساً معاوية حين كثر شحمُه وعظُم بطنُه . وكذا روي عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال : أول من خطب جالساً يوم الجمعة معاوية .

وقال أبو المليح : عن ميمون : أول من جلس على المنبر معاوية ، واستأذن الناسَ في الجلوس .

وقال قَتادة : عن سعيد بن المسيِّب : أول من أذَّن وأقام يوم الفطر والنحر معاوية .

وقال أبو جعفر الباقر : كانت أبواب مكة لا أغلاقَ لها ، وأول من اتَّخذ لها الأبواب معاوية .

وقال أبو اليمان : عن شعيب ، عن الزهري : مضت السنَّة ألا يرثَ الكافرُ المسلم ، ولا المسلمُ الكافر ، وأول من ورَّث المسلمَ من الكافر معاوية ، وقضى بذلك بنو أميَّة بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز ، فراجع السنَّة ، وأعاد هشام ما قضى به معاويةُ وبنو أميَّة من بعده . وبه قال الزهري[٢] .

ومضت السنَّة أنَّ دِيَة المعاهَد كدِيَة المسلم ، وكان معاوية أول من قَصَرها إلى النصف وأخذ النصف لنفسه .

وقال ابن وهب : عن مالك ، عن الزهري قال : سألت سعيد بن المسيِّب عن أصحاب رسول الله ﷺ فقال لي : اسمع يا زهري ! من مات محبّاً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وشهد للعشرة بالجنة ، وترحَّم على معاوية كان حقّاً على الله ألا يُناقشَه الحساب .

وقال سعيد بن يعقوب الطَّالْقاني : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : ترابٌ في أنف معاويةَ أفضل من عمر بن عبد العزيز .

---

(١) كذا رواية البيتين في أ ، ط . ورواية البيت الأول في ب ، م ومختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٠) كما يلي :
سرحت سفاهتي وأرحت حلمي ... وفـيّ علـى تحلُّمـي اعتـراض
(٢) الخبر بأوضح مما هنا في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧١ ـ ٧٢) .

وقال محمد بن يحيى بن سعيد: سئل ابن المبارك عن معاوية، فقال : ما أقول في رجل قال رسول الله ﷺ : سمع اللهُ لمن حَمِدَه ، فقال خلفَه : ربَّنا ولكَ الحمد . فقيل له : أيهما أفضل هو أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لترابٌ في مَنْخِري معاويةَ مع رسول الله ﷺ خيرٌ وأفضل من عمر بن عبد العزيز[١] .

وقال غيره : عن ابن المبارك قال : معاوية عندنا محنة ، فمن رأيناه ينظر إليه شَزْراً اتَّهمناه على القوم[٢] ـ يعني الصحابة .

وقال محمد بن عبد الله بن عمّار المَوْصلي وغيره : سئل المعافى بن عمران : أيُهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فغضب وقال للسائل : أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين ؟ ! معاوية صاحبُه وصهرُه وكاتبُه وأمينُه على وحي الله ، وقد قال رسول الله ﷺ : « دَعُوا لي أَصْحابي وأَصْهاري »[٣] فمن سبَّهم فعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين .

وكذا قال الفضل بن عَنْبَسة[٤] .

وقال أبو تَوْبة الربيع بن نافع الحلبي[٥] : معاوية سِتْر لأصحاب محمد ﷺ ، فإذا كشف الرجلُ السِّتر اجترأ على ما وراءه .

وقال الميموني : قال لي أحمد بن حنبل : يا أبا الحسن ! إذا رأيتَ رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتَّهِمْه على الإسلام .

وقال الفضل بن زياد : سمعت أبا عبد الله يُسأل عن رجل تنقَّص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له : رافضي ؟ فقال : إنه لم يجترئ عليهما إلّا وله خبيئةُ سوء . ما انتقص أحدٌ أحداً من الصحابة إلّا وله داخلةُ سوء .

وقال ابن المبارك : عن محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن مَيْسرة قال : ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قطُّ إلّا إنساناً شتم معاوية ، فإنه ضربه أسواطاً .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٤) .

(٢) وقعت في ط : القول . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٤) .

(٣) الخبر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠٨)، وقول النبي ﷺ: «دعوا لي أصحابي» صحيح من حديث أنس؛ أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٦) وغيره. وهو عند مسلم (٢٥٤١) في فضائل الصحابة من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي». أما لفظة «وأصهاري» فهي غير محفوظة، كما بيناها في موضع آخر (بشار) .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : عتيبة والمثبت في ب . وخبر الفضل بن عنبسة في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٤) ونصه : أنه سئل : معاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ فعجب من ذلك وقال : سبحان الله ! أأجعل مَن رأى رسول الله ﷺ كمن لم يره ؟! قالها ثلاثاً .

(٥) تحرف في ب إلى : الحلي . وأبو توبة الحلبي من رجال التهذيب .

وقال بعض السلف[١] : بينما أنا على جبل بالشام إذ سمعت هاتفاً يقول : من أبغض الصدِّيق فذاك زِنْديق ، ومن أبغض عمر فإلى جهنَّم زُمَرا ، ومن أبغض عثمان فذاك خصمُه الرحمن ، ومن أبغض علياً فذاك خصمُه النبي ، ومن أبغض معاوية سحَبَته الزَّبانية إلى جهنَّم الحامية ، يُرمى به في الهاوية .

وقال بعضهم[٢] : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، وعنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ، إذ جاء رجل ، فقال عمر : يا رسول الله ! هذا يتنقصُنا ، فكأنه انتهَره رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إني لا أتنقصُ هؤلاء ولكن هذا ـ يعني معاوية ـ فقال : « ويلك ! أوليس هو من أصحابي » ؟ قالها ثلاثاً ، ثم أخذ رسول الله ﷺ حَرْبة ، فناولها معاوية فقال : « جَأْ بها في لَبَّتِه[٣] » فضربه بها . وانتبهتُ فبكَّرت إلى منزلي ، فإذا ذلك الرجل قد أصابته الذَّبحة من الليل ومات ، وهو راشد الكندي .

وروى ابن عساكر عن الفُضيل بن عِيَاض أنه كان يقول : معاوية من الصحابة ، من العلماء الكبار ، ولكن ابتُلي بحبِّ الدنيا .

وقال العُتْبي : قيل لمعاوية : أسرع إليك الشيب ! فقال : كيف لا ، ولا أزال أرى رجلاً من العرب قائماً على رأسي يُلْقح لي كلاماً يلزمني جوابه ، فإن أصبتُ لم أُحمَد ، وإن أخطأتُ سارت بها البُرُد .

وقال الشعبي وغيره : أصابت معاوية في آخر عمره لَقْوَة .

وروى ابن عساكر في ترجمة حُدَيج[٤] الخَصِي مولى معاوية قال : اشترى معاوية جارية بيضاء جميلة ، فأدخلتُها عليه مجرَّدة ، وبيده قضيب ، فجعل يهوي به إلى متاعها ـ يعني فرجها ـ ويقول : هذا المتاع لو كان لي متاع ، اذهب بها إلى يزيد بن معاوية ، ثم قال : لا ، ادعُ لي ربيعة بن عمرو الجُرَشي ـ وكان فقيهاً ـ فلمّا دخل عليه قال : إن هذه أُتيت بها مجرَّدة فرأيتُ منها ذاك وذاك ، وإني أردتُ أن أبعث بها إلى يزيد ، قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنها لا تصلح له ، فقال : نِعْم ما رأيت . قال : ثم وهبها لعبد الله بن مَسْعدة الفَزَاري مولى فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكان أسود ، فقال له : بيِّض بها ولدَك .

وهذا من فقه معاوية وتحرِّيه ، حيث كان نظر إليها بشهوة ، ولكنَّه استضعف نفسه عنها ، فتحرَّج أن يَهَبها من ولده يزيد لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء : ٢٢] وقد وافقه على ذلك الفقيهُ ربيعة بن عمرو الجُرَشي الدمشقي .

---

(١) هو محمد بن الحسن ، كما في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٦) .

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، كما في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٦ ـ ٧٧) .

(٣) « الوجء » : اللكز ، ووجأه باليد والسكين : ضربه . « واللبة » : موضع الذبح وموضع القلادة من الصدر . اللسان والقاموس (وجأ ، لبب) .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : خديج . والخبر أورده ابن عساكر ، مختصره (٦/ ٢٤٣) ضمن ترجمة حديج هذا .

[وذكر[١] ابن جرير : أن عمرو بن العاص قدمَ في وفد أهل مصر إلى معاوية ، فقال لهم في الطريق : إذا دخلتُم على معاويةَ فلا تسلِّموا عليه بالخلافة فإنه لا يحب ذلك ، فلمّا دخل عليه عمرو قبلَهم ، قال معاوية لحاجبه : أدخلهم ، وأوعزَ إليه أن يخوِّفهم في الدخول ويُرْعبهم ، وقال : إني لأظن عمراً قد تقدم إليهم في شيء . فلمّا أدخلوهم عليه ـ وقد أهانوهم ـ جعل أحدهم إذا دخل يقول : السلام عليك يا رسول الله ، فلمّا نهض عمرو من عنده قال : قبَّحكم الله ! نهيتكم عن أن تسلِّموا عليه بالخلافة فسلَّمتم عليه بالنبوَّة[٢] !

وذكر : أن رجلاً سأل من معاوية أن يساعدَه في بناء داره باثني عشر ألف جِذْع من الخشب ، فقال له معاوية : أين دارك ؟ قال : بالبصرة ، قال : وكم اتِّساعُها ؟ قال : فرسخان في فرسخَين ، قال : لا تقل : داري بالبصرة ، ولكن قل : البصرة في داري[٣] .

وذكر : أن رجلاً دخل بابنٍ معه ، فجلسا على سِمَاط معاوية ، فجعل ولده يأكل أكلاً ذريعاً ، فجعل معاوية يلاحظه ، وجعل أبوه يريد أن ينهاه عن ذلك فلا يفطن ، فلمّا خرجا لامَهُ أبوه وقطعه عن الدخول ، فقال له معاوية : أين ابنُك التِّلْقامة[٤] ؟ قال : اشتكى . قال : قد علمتُ أن أكلَه سيورِّثه داءً .

قال : ونظر معاوية إلى رجل وقف بين يديه يخاطبه وعليه عَباءة ، فجعل يَزْدريه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك لا تخاطب العَباءة ، إنَّما يخاطبك مَنْ بها[٥] .

وقال معاوية : أفضل الناس مَنْ إذا أُعطي شكر ، وإذا ابتُلي صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قَدَر غفر ، وإذا وعد أَنجز ، وإذا أساء استغفر[٦] .

وكتب رجل من أهل المدينة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

إذا الرِّجالُ ولَدَتْ أولادُها   واضطربَتْ من كِبَرٍ أعضادُها
وجعَلَتْ أسقامُها تَعْتادُها   فهيَ زُرُوعٌ قد دَنَا حصادُها

---

(١) من هنا يبدأ سقط في النسخ أ ، ب ، م والمثبت من المطبوع فقط ، وسنشير إلى انتهاء السقط بعد صفحة تقريباً .
(٢) ضعيف الطبري (٩/ ١٤٨) وفي سنده جهالة حيث قال فليح : أُخبرتُ ، ولم يذكر سنداً .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٣) .
(٤) رجل تلقام وتلقامة : كبير اللُّقم . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٢) .
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٦) .
(٦) المصدر السابق .

فقال معاوية : نعىٰ إليَّ نفسي[1]][2] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني هارون بن سفيان ، عن عبد الله السَّهمي ، حدّثني ثمامة بن كُلْثوم : أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيُّها الناس ! إنَّ من زرع قد استَحْصَد ، وإني قد وليتكم ولن يَلِيَكم أحد بعدي خير مني ، وإنما يليكم من هو شرٌّ مني ، كما كان مَنْ وليكم قبلي خيراً مني . ويايزيد ! إذا دنا أجلي فولِّ غَسْلي رجلاً لبيباً ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فليُنْعم الغسل ، وليَجْهر بالتكبير ، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوبٌ من ثياب رسول الله ﷺ وقُرَاضة من شعره وأظفاره ، فاستودعِ القُراضة أنفي وفمي وأذنيّ وعينيّ ، واجعل ذلك الثوب مما يلي جلدي دون أكفاني . ويايزيد ! احفظْ وصيَّة الله في الوالدين ، فإذا أدرجتموني في جَريدتي ، ووضعتموني في حُفْرتي ، فخلُّوا معاوية وأرحم الراحمين[3] .

وقال بعضهم : لما احتُضِرَ معاوية جعل يقول :

لَعمري لقد عمِّرتُ في الدَّهر بُرْهةً ... ودانَتْ لِيَ الدُّنيا بوقعِ البَوَاتر
وأُعطيتُ حمرَ المال والحُكمَ والنُّهىٰ ... ولي سَلَّمتْ كلُّ الملوكِ الجبابر
فأضحى الذي قَدْ كانَ ممَّا يَسُرُّني ... كحكمٍ مَضَى في المُزْمناتِ الغوابر
فياليَتني لم أُعْنَ في الملكِ ساعةً ... ولم أَسْعَ في لذَّاتِ عيشٍ نواضر
وكنتُ كذي طِمْرَين عاشَ ببُلْغةٍ ... من العيشِ حتّى زارَ ضِيقَ المَقابر[4]

وقال محمد بن سعد : أنبأنا علي بن محمد ، عن محمد بن الحكم ، عمَّن حدثه : أن معاوية لما احتُضِر أوصى بنصف ماله أن يُرَدَّ إلى بيت المال ـ كأنه أراد أن يطيب له ـ لأن عمر بن الخطاب قاسم عمّاله .

وذكروا أنه في آخر عمره اشتدَّ به البرد ، فكان إذا لبس أو تغطَّى بشيء ثقيل يغمُّه ، فاتخذ له ثوباً من حواصل الطير ، ثم ثقل عليه بعد ذلك ، فقال : تبّاً لكِ من دار ! ملكتُك أربعين سنة : عشرين أميراً وعشرين خليفة ، ثم هذا حالي فيكِ ومصيري منكِ ! تبّاً للدنيا ولمحبِّيها .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا أبو عبيدة ، عن أبي يعقوب الثَّقَفي ، عن عبد الملك بن عُمير قال : لما

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) والشعر الذي ورد فيه صُفَّ في مطبوع ابن كثير نثراً . والرجل الذي كتبه لمعاوية هو زر بن حُبيش أو أيمن بن خُريم كما ورد عند الطبري .
(٢) هنا ينتهي السقط من النسختين آ ، ب والذي أشرنا إليه قبل صفحة تقريباً .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٩) .
(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٩ ـ ٨٠) مع اختلاف ببعض الألفاظ ، وقد أورد صاحب البدء والتاريخ (٦/ ١٦) البيتين الأخيرين ، وكذا المسعودي في مروج الذهب (٣/ ٥٨) .

ثقل معاوية ، وتحدَّث الناس بموته ، قال لأهله : احشُوا عينيَّ إثْمِداً ، وأوسِعوا رأسي دهناً . ففعلوا وغرَّقوا وجهه بالدهن ، ثم مُهِّد له ، فجلس وقال : أسندوني ، ثم قال : ائذنوا للناس فليسلِّموا عليَّ قياماً ولا يجلس أحد . فجعل الرجل يدخل فيسلِّم قائماً ، فيراه مكتحلاً متدهنا فيقول : يقول الناس : إن أمير المؤمنين لمآبه ، وهو أصح الناس . فلما خرجوا من عنده قال معاوية :

وتجلُّدي للشَّامتينَ أُريهِمُ ... أنِّي لرَيْبِ الدَّهرِ لا أتَضَعْضَعُ
وإذا المنيَّةُ أنشَبَتْ أظفارَها ... ألفيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنْفَعُ

قال : وكان به النقابة ـ يعني لوقة ـ فمات من يومه ذلك ، رحمه الله[١] .

وقال محمد[٢] بن عقبة : لمّا نزل بمعاويةَ الموتُ قال : يا ليتني كنتُ رجلاً من قريش بذي طَوَى[٣] ، ولم أَلِ من هذا الأمر شيئاً .

وقال أبو السائب المخزومي : لما حضرتْ معاويةَ الوفاةُ تمثَّل بقول الشاعر :

إنْ تُناقشْ يكنْ نقاشُكَ يا ربِّ ... عذاباً لا طَوْقَ لي بالعَذابِ
أو تُجاوزْ تجاوز العَفْو فاصفَحْ ... عن مُسيءٍ ذنوبُهُ كالتُّرابِ[٤]

وقال بعضهم : لما احتُضر معاوية جعل أهلُه يقلِّبونه ، فقال لهم : أي شيخٍ تقلِّبون إنْ نجّاه الله من عذاب النار غداً !

وقال محمد بن سيرين : جعل معاوية ـ لما احتُضر ـ يضع خدّاً على الأرض ثم يقلِّب وجهه ، ويضع الخدَّ الآخر ويبكي ويقول : اللهمَّ إنك قد قلت في كتابك : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] اللهمَّ فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له .

وقال العُتبي عن أبيه : تمثَّل معاوية عند موته بقول بعضهم وهو في السِّياق[٥] :

هو الموتُ لا مَنْجَى منَ الموتِ والذي ... نُحاذرُ بعدَ الموتِ أدهى وأفظعُ

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٧) وتاريخ ابن عساكر مختصره (٢٥/ ٨٢ ـ ٨٣) والكامل لابن الأثير (٤/ ٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٠ ـ ١٦١) والبيتان لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي أشعر شعراء هذيل ، من قصيدته السائرة التي رثى بها بنيه الخمسة الذين هلكوا بالطاعون في عام واحد ، ومطلعها :

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهي في ديوان الهذليين (١٨ ـ ٢١) والمفضليات (٤٢١ ـ ٤٢٩) .

(٢) في أ، ط: « موسى » بدل « محمد » محرف . والخبر في تاريخ دمشق ، مختصره (٢٥/ ٨٣) .

(٣) ذو طوى : واد بمكة معجم البلدان (٤/ ٤٥) .

(٤) البيتان في أنساب الأشراف (٤/ ١٥٠) وتاريخ ابن عساكر مختصره (٢٥/ ٨٣) والكامل لابن الأثير (٤/ ٨) .

(٥) يقال : فلان في السياق أو في السوق : أي في النزع ، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه .

ثم قال : اللهم أَقلِ العَثْرة ، واعفُ عن الزَّلَّة ، وتجاوز بحلمك عن جهل مَنْ لم يرجُ غيرك ، فإنك واسع المغفرة ، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهربٌ إلا إليك[١] .

ورواه ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن أبي عمرو بن العلاء فذكر مثله وزاد : ثم مات .

وقال غيره : أُغمي عليه ، ثم أفاق فقال لأهله : اتقوا الله فإنَّ الله تعالى يَقي من اتقاه ، ولا يَقي من لا يتَّقي . ثم مات ، رحمه الله .

وقد روى أبو مِخْنف ، عن عبد الملك بن نوفل قال : لما مات معاوية صَعِدَ الضحاك بن قيس المنبر ، فخطب الناس ـ وأكفانُ معاوية على يديه ـ فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن معاوية الذي كان سور العرب وعونَهم وحدَّهم ، قطع الله به الفتنة ، وملَّكه على العباد ، وفتح به البلاد ، ألا إنه قد مات ، وهذه أكفانه ، فنحن مُدْرجوه فيها ، ومُدْخلوه قبره ، ومُخَلُّون بينه وبين عمله ، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضُر عند الأولى . ثم نزل وبعث البريد إلى يزيد بن معاوية يُعْلمه ويستحثُّه على المجيء .

ولاخلافَ أنه توفي بدمشق في رجب سنة ستين ، فقال جماعة : ليلة الخميس للنصف من رجب سنة ستين ، وقيل : ليلة الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين ، قاله ابن إسحاق وغير واحد . وقيل : لأربع خلتْ من رجب ، قاله الليث . وقال سعد بن إبراهيم : لمستهلِّ رجب .

قال محمد بن إسحاق والشافعي : صلَّى عليه ابنه يزيد . وقد ورد من غير وجه أنه أوصى إليه أن يكفَّن في ثوب رسول الله ﷺ الذي كساه إياه وكان مدَّخراً عنده لهذا اليوم ، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامة أظفاره في فمه وأنفه وعينيه وأذنيه .

وقال آخرون : بل كان ابنه يزيد غائباً فصلَّى عليه الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق ، ثم دفن ، فقيل : بدار الإمارة وهي الخضراء ، وقيل : بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور ، والله أعلم . وكان عمره إذ ذاك ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل : جاوز الثمانين .

ثم ركب الضحاك بن قيس في جيش وخرج لتلقي يزيد بن معاوية ـ وكان يزيد بحُوَّارين[٢] ـ فلما وصلوا إلى ثنيَّة العُقاب[٣] تلقَّتهم أثقال يزيد ، وإذا يزيد راكب على بُخْتي وعليه الحزن ظاهر ، فسلَّم عليه

---

(١) الخبر والبيت في العقد الفريد (٣/ ١٨٠) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥/ ٨٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٠) .
(٢) « حوّارين » : حصن من ناحية حمص قريب من تدمر معجم البلدان (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .
(٣) « ثنية العقاب » : فرجة في الجبل الذي يطل على غوطة دمشق من ناحية حمص تقطعه القوافل المغربة إلى دمشق من الشرق معجم البلدان (٤/ ١٣٣) . ويعرف اليوم موقعها بطلوع الثنايا .

الناس بالإمارة وعزّوه في أبيه ، وهو يخفض صوته في رده عليهم ، والناس صامتون لا يتكلّم معه إلا الضحاك بن قيس . فانتهى إلى باب تُوما[1] ، فظن الناس أنه يدخل منه إلى المدينة ، فأجازه مع السُّور حتى انتهى إلى الباب الشرقي ، فقيل : يدخل منه لأنه باب خالد ، فجازه حتى أتى الباب الصغير ، فعرف الناس أنه قاصد قبر أبيه ، فلمّا وصل إلى باب الصغير ترجّل عند القبر ثم دخل فصلّى على أبيه بعد ما دُفن ، ثم انفتل ، فلمّا خرج من المقبرة أُتي بمراكب الخلافة فركب . ثم دخل البلد ، وأمر فنُودي في الناس : أنَّ الصلاة جامعة . ودخل الخضراء فاغتسل ، ولبس ثياباً حسنة ، ثم خرج فخطب الناس [أول خطبة خطبها وهو أمير المؤمنين][2] فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أيُّها الناس ! إنَّ معاوية كان عبداً من عبيد الله ، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه ، وهو خير ممَّن بعده ، ودون من قبلَه ، ولا أزكّيه على الله ـ عز وجل ـ فإنه أعلم به ، إنْ عفا عنه فبرحمته ، وإنْ عاقبه فبذنبه ، وقد وليتُ الأمر من بعده ، ولست آسي على طلب ، ولا أعتذر من تفريط ، وإذا أراد الله شيئاً كان . وقال لهم في خطبته هذه : وإنَّ معاوية كان يُغزيكم في البر والبحر ، وإني لست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر . وإن معاوية كان يُشتيكم بأرض الروم ، ولست مُشتياً أحداً بأرض الروم . وإنَّ معاوية كان يُخرج لكم العطاء أثلاثاً ، وأنا أجمعه لكم كلَّه . قال : فافترق الناس عنه وهم لا يفضِّلون عليه أحداً .

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : بعث معاوية ـ وهو مريض ـ إلى ابنه يزيد ، فلمّا جاءه البريد ركب وهو يقول :

جاءَ البريدُ بقرطاسٍ يخُبُّ به ... فأوجسَ القلبُ من قرطاسِهِ فَزَعا
قلنا : لكَ الويلُ ماذا في صَحيفتِكم ؟ ... قال : الخليفةُ أمسىٰ مُثْقَلاً وَجِعا
فمادتِ الأرضُ أو كادتْ تَميدُ بنا ... كأنَّ أغبرَ من أركانها انْقَلعا
ثم انبَعَثْنا إلى خُوصٍ مضمَّرةٍ ... نرمي الفِجاجَ بها ما نَأْتلي سَرَعا
فما نُبالي إذا بلَّغن أرحُلَنا ... ما ماتَ منهنَّ بالمرمات أو ظَلَعا
[لما انْتَهَيْنا وبابُ الدارِ مُنصفقٌ ... بصوتِ رَمْلَةَ رِيعَ القلبُ فانصَدَعا
مَنْ لا تزلْ نفسُهُ تُوفي على شَرفٍ ... توشِكْ مقاليدُ تلكَ النفسِ أن تَقَعا][3]
أودَى ابنُ هندٍ وأودَى المجدُ يَتْبَعُهُ ... كانا جميعاً خليطاً سالمَيْن مَعَا
أغرُّ أبلجُ يُسْتَسْقى الغمامُ بهِ ... لو قارَعَ الناسَ عن أحلامِهِم قَرَعا

---

(١) « باب توما » : أحد أبواب مدينة دمشق ، وهو الآن علم لحي شهير فيها .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في أ .
(٣) هذان البيتان من المطبوع فقط .

لا يرقعُ الناسُ ما أوهىٰ وإنْ جَهَدوا أن يَـرْقعـوهُ ولا يُـوهُـونَ مـا رَقَعَـا[١]

وقال الشافعي : سرق يزيد هذين البيتين[٢] من الأعشى . ثم ذكر أنه دخل قبل موت أبيه دمشق ، وأنه أوصى إليه . وهذا ما قاله ابن إسحاق وغير واحد ، ولكن الجمهور على أن يزيد لم يدخل دمشق إلّا بعد موت أبيه ، وأنه صلَّى على قبره بالناس كما قدمناه ، والله أعلم .

وقال أبو الورد العَنْبري يرثي معاوية رضي الله عنه :

ألَا أَنْعـىٰ معـاويـةَ بـنَ حَـرْبٍ نعـــاةَ الحـــلِّ للشَّهـــرِ الحَـــرَام
نعـاهُ النَّـاعيـاتُ بكـلِّ فـجٍّ خـواضـع فـي الأزِمَّـةِ كـالسِّهـام
فهاتيكَ النُّجومُ وهنَّ خُرْسٌ يَنُحْــنَ علــىٰ معـــاويــةَ الشَّـــآم[٣]

وقال أيمن بن خُرَيم[٤] يرثيه أيضاً :

رمَى الحَدَثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ بمقــدارٍ سَمَــدْنَ لــهُ سُمُــودا[٥]
فـردَّ شُعـورَهُـنَّ السُّـودَ بيضـاً وردَّ وجـــوهَهُـــنَّ البيـــضَ سُـودا
فـإنَّـكَ لـو شَهِـدتَ بكـاءَ هنـدٍ ورَمْلَـــةَ إذ يُصَفِّقْـــنَ الخُـــدودا
بكيـتَ بكـاءَ مُعْـوِلَـةٍ قَـريـحٍ أصـابَ الـدَّهـرُ واحـدَهـا الفَـريـدا

ذكر من تزوج من النساء ومن ولد له

كان له عبد الرحمن ـ وبه كان يُكنى ـ وعبد الله، وكان ضعيف العقل. وأمُّهما فاختة بنت قَرَظَة بن [عبد][٦]

---

(١) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٨٧ ـ ٨٨) وتخريجها فيه .

(٢) يعني البيتين الأخيرين ، وهما في ديوان الأعشى الكبير (ص١٥٧ ، ١٦١) من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي ، ومطلعها :

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا

(٣) تحرفت لفظة الشآم في أ ، ط إلى : الهمام . والبيت من شواهد اللسان والتاج : مادة (شأم) . والأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٨٨) وتخريجها فيه .

(٤) اختلف الرواة في عزو هذه الأبيات ، فقد نسبت في الحماسة (٢/ ٩٤١) وزهر الآداب (٢/ ٧) إلى عبد الله بن الزَّبير ـ بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة ـ الأسدي . وفي عيون الأخبار (٣/ ٦٧) ومختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٦٨) إلى فضالة بن شريك . وفي ذيل الأمالي (ص ١١٥) إلى الكميت بن معروف الأسدي . مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٨٩) .

(٥) قوله : سمدن له سمودا تحرف في أ ، ط إلى : سجدن له سجودا والبيت من شواهد اللسان والتاج : مادة (سمد) . « والسمود » : الغفلة واللهو عن الشيء .

(٦) سقطت لفظه عبد من الأصول، واستدركتها من نسب قريش: ص١٩٨، ٢٠٤ ومن ترجمتها في تاريخ دمشق (٧٠/ ٦) .

عَمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد تزوَّج بأختها منفردة عنها بعدها [وهي كَنُود بنت قرَظَة][١] وهي التي كانت معه حين افتتح قُبرص .

وتزوَّج نائلة بنت عُمارة الكلبيَّة ، فأعجبته ، وقال لميسون بنت بَحْدَل : ادخلي فانظري إلى ابنة عمِّك ، فدخلت ، فسألها عنها ، فقالت : إنها لكاملة الجمال ، ولكنْ رأيت تحت سُرَّتها خالاً ، وإني لأرى هذه يُقتل زوجها ويوضع رأسُه في حِجْرها . فطلَّقها معاوية ، فتزوَّجها بعده حبيب بن مَسْلَمة[٢] الفِهْري ، ثم خلف عليها بعده النعمانُ بن بشير ، فقُتل ووضع رأسُه في حِجْرها .

ومن أشهر أولاده يزيد ، وأمُّه مَيْسون بنت بَحْدَل بن أُنيف بن دُلجة بن قُنافة الكلبي ، وهي التي دخلت على نائلة فأخبرتْ معاوية عنها بما أخبرته، وكانت حازمة عظيمة الشأن جمالاً ورياسة وعقلاً وديناً. دخل عليها معاوية يوماً ومعه خادم خَصي ، فاستترتْ منه وقالت : من هذا الرجل معك ؟ فقال : إنه خَصِي فاظهري عليه ، فقالت : ما كانت المُثْلة لتُحِلَّ له ما حرَّم الله عليه ، وحجبته عنها . وفي رواية أنها قالت له : إن مجرد مُثْلتك له لن تُحِلَّ ما حرَّمه الله عليه[٣] . فلهذا أولى الله ابنها يزيد الخلافة بعد أبيه .

وذكر ابن جرير : أن ميسونَ هذه ولدتْ لمعاوية بنتاً أخرى يقال لها : أمة ربِّ المشارق ، ماتت صغيرة[٤] .

ورَمْلة تزوَّجها عمرو بن عثمان بن عفان ، كانت دارها بدمشق عند عقبة السمك تُجاه زقاق الرمّان . قاله ابن عساكر . قال : ولها طاحون معروفة إلى الآن[٥] .

وهند بنت معاوية تزوَّجها عبد الله بن عامر ، فلما أُدخلت عليه بالخضراء جوار الجامع أرادها على نفسها فتمنَّعت عليه وأبت أشد الإباء ، فضربها ، فصرخت ، فلما سمع الجواري صوتها صرخن وعلَت أصواتهن ، فسمع معاوية فنهض إليهن فاستعلمهنَّ ما الخبر ؟ فقلن : سمعنا صوت سيِّدتنا فصحنا ، فدخل فإذا بها تبكي من ضربه ، فقال لا بن عامر : ويحك ! مثل هذه تضرب في مثل هذه الليلة ؟ ثم قال له : اخرج من هاهنا ، فخرج ابن عامر ، وخلا بها معاوية فقال لها : يا بنيَّة ! إنه زوجك الذي أحلَّه الله لك ، أو ما سمعتِ قول الشاعر :

من الخَفِراتِ البِيض أمّا حرامُها فصعبٌ ، وأما حلُّها فذَلول ؟

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ . وتحرفت كنود في ط ، ب إلى كنوة ، وفي تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٩) إلى كتوة ، وماأثبتناه من ترجمتها في تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (ص٣١٨) ونسب قريش (ص٢٠٤) وغيرهما .
(٢) تحرف في المطبوع إلى : سلمة ، وفي ب إلى : مسلم .
(٣) تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (ص٣٩٧) .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٩) .
(٥) تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (ص٩٥) .

ثم خرج معاوية من عندها وقال لزوجها : ادخل فقد مهَّدتُ لك خلقها ووطأته . فدخل ابن عامر ، فوجدها قد طابت أخلاقها ، فقضى حاجته منها[١] . رحمهم الله تعالى .

فصـــل

وكان على قضاء معاوية أبو الدرداء بولاية عمر بن الخطاب ، فلمّا حضره الموت أشار على معاوية بتولية فَضَالة بن عُبيد ، ثم مات فَضَالة فولّى أبا إدريس الخَوْلاني .

وكان على حَرَسه رجل من الموالي يقال له : المختار ، وقيل : مالك ، ويُكنى أبا المُخَارق ـ مولى لحِميَر ـ وكان معاوية أول من اتّخذ الحرس .

وعلى حجابته سعدٌ مولاه .

وعلى الشرطة قيس بن حمزة ، ثم زُميل بن عمرو العُذْري ، ثم الضحاك بن قيس الفِهْري .

وكان صاحب أمره سَرْجون بن منصور الرومي .

وكان معاوية أول من اتَّخذ ديوان الخاتم وختم الكتب .

فصـــل

وممن ذكر أنه توفي في هذه السنة ـ أعني سنة ستين :

صَفوان بنُ المُعَطَّل[٢] : ابن رَحْضة[٣] بن المؤمَّل بن خُزاعِي ، أبو عمرو . أول مشاهده المُرَيْسِيع[٤] ، وكان في السَّاقة[٥] يومئذ .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (٤٦٠) .

(٢) طبقات خليفة (٥١ ، ١٨١ ، ٣١٨) تاريخ خليفة (٢٢٦) مسند أحمد (٥/ ٣١٢) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٠٥) التاريخ الصغير (٤٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٩) الجرح والتعديل (٤/ ٤٢٠) مشاهير علماء الأمصار (ت١٧١) معجم الطبراني الكبير (٨/ ٦١ ، ٦٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٥١٨) الاستيعاب (٢/ ٧٢٥) تاريخ ابن عساكر (٨/ ١٧٤/آ) أسد الغابة (٣/ ٣٠) اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ٥٣١ ، الذكواني) ، مختصر تاريخ دمشق (١١/ ١٠١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٤٥) معجم الزوائد (٩/ ٣٦٣) الإصابة (٥/ ١٥٢) كنز العمال (١٣/ ٤٣٦) تهذيب ابن عساكر (٦/ ٤٤٠) .

(٣) تحرف في ط إلى : رخصة .

(٤) « المريسيع » : ماء لبني خزاعة ، كانت به غزوة بين النبي ﷺ وبين بني المصطلق سنة خمس ـ وقيل في وقتها غير ذلك ـ وتسمى غزوة بني المصطلق . وخبر هذه الغزوة في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٩) وغيره من كتب السيرة .

(٥) « ساقة الجيش » : مؤخره . « والساقة » : جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه . اللسان (سوق) .

وهو الذي رماه أهل الإفك بأمِّ المؤمنين ، فبرَّأه الله وإياها مما قالوا .

وكان من سادات المسلمين .

وكان ينام نوماً شديداً حتى كان ربما طلعت عليه الشمس وهو نائم لا يستيقظ ، فقال له رسول الله ﷺ : « إذا اسْتيقظتَ فصَلِّ »(١) .

وقد قُتل صفوان شهيداً .

وأبو مسلم الخَوْلاني(٢) : عبد الله بن ثُوَب الخَوْلاني ، من خولان ببلاد اليمن .

دعاه الأسود العَنْسي(٣) إلى أن يشهد أنه رسول الله ، فقال له : أتشهد أني رسول الله ؟ فقال : لا أسمع ، أشهد أنَّ محمداً رسول الله . فأجَّج له ناراً وألقاه فيها ، فلم تضرَّه ، وأنجاه الله منها ، فكان يشبَّه بإبراهيم الخليل . ثم هاجر فوجد رسول الله ﷺ قد مات ، فقدم على الصدِّيق ، فأجلسه بينه وبين عمر ، وقال له عمر : الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أراني في أمَّة محمد من فُعل به كما فُعل بإبراهيم الخليل ، وقبَّله بين عينيه(٤) .

وكانت له أحوال ومكاشفات .

ويقال : إنه توفي فيها النعمان بن بشير . والأظهر أنه مات بعد ذلك ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

إمارة يزيد بن معاوية وماجرى في أيامه

بويع له بالخلافة بعد أبيه في رجب سنة ستين ، وكان مولده سنة ست وعشرين ، فكان يوم بويع

---

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨٠ ، ٨٤ ـ ٨٥) وأبو داود رقم (٢٤٥٩) وهو حديث صحيح .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٨) طبقات خليفة (ت ٢٨٨٨) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٥٨) ثقات العجلي (٥١١) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٨ ، ٣٨٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٢٦٦ ، ٢٢٧ ، ٣٨٦ ، ٦٩٠) الجرح والتعديل (٥/ ٢٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٨٥٦) تاريخ داريا (٥٩) حلية الأولياء (٢/ ٢٢) الاستيعاب (٣/ ٨٧٦) الإكمال لابن ماكولا (١/ ٥٦٨) أنساب السمعاني (٥/ ٢١٢) تاريخ ابن عساكر : جزء عبادة ـ عبد الله بن ثوب (٤٨٣) أسد الغابة (٣/ ١٩٢ و ٦/ ٢٨٨) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٥٥) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٥٣) طبقات علماء الحديث (١/ ١٠١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٧) الكاشف (٣/ ٣٣٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٤٩) تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٢) العبر (١/ ٦٧) فوات الوفيات (٢/ ١٦٩) الوافي بالوفيات (١٥/ ٣٧) الإصابة (ت٦٣٠٢) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٣٥) طبقات الحفاظ (١٣) خلاصة الخزرجي (٤٦٠) شذرات الذهب (١/ ٢٨١) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣١٤) .

(٣) هو عيهلة ـ وقيل : عبهلة ـ بن كعب بن عوف المذحجي ، متنبىء مشعوذ من أهل اليمن ، أسلم لما أسلمت اليمن ، وارتد في أيام النبي ﷺ فكان أول مرتد في الإسلام . ضل به كثيرون من مذحج حتى اتسع سلطانه . قتل سنة ١١هـ . مترجم في أعلام الزركلي (٥/ ١١١) .

(٤) الخبر مطولاً في تاريخ ابن عساكر : جزء (عبادة ـ عبد الله) (ص٤٩٣) ومابعدها .

ابن أربع وثلاثين سنة . فأقرَّ نوابَ أبيه على الأقاليم ، ولم يعزل أحداً منهم . وهذا من ذكائه[١] .

قال هشام بن محمد الكلبي[٢] : عن أبي مِخْنف لوط بن يحيى الكوفي الأخباري : ولي يزيد في هلال رجب سنة ستين ، وأميرُ المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وأميرُ الكوفة النعمان بن بشير ، وأميرُ البصرة عبيد[٣] الله بن زياد ، وأميرُ مكة عمرو بن سعيد بن العاص . ولم يكن ليزيد همَّة حين ولي إلّا بيعة النفر الذين أَبَوْا على معاوية البيعة ليزيد ، فكتب إلى نائب المدينة الوليد بن عتبة : « بسم الله الرحمن الرحيم . من يزيدَ أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد ، فإنَّ معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه الله واستخلفه ، وخوَّله ومكَّن له ، فعاش بقدر ، ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ، ومات بَرّاً تقيّاً ، والسلام » .

وكتب إليه بصحيفة كأنها أُذن الفأرة : « أمّا بعد ، فخذ حسيناً ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير بالبَيْعة أخذاً شديداً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا ، والسلام » .

فلما أتاه نَعْيُ معاوية فَظُعَ[٤] به وكبُرَ عليه ، فبعث إلى مروان ، فقرأ عليه الكتاب واستشاره في أمر هؤلاء النفر ، فقال : أرى أن تدعوَهم قبل أن يعلموا بموت معاوية إلى البيعة ، فإن أَبَوْا ضربتَ أعناقهم . فأرسل من فوره عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان إلى الحسين وابن الزبير ـ وهما في المسجد ـ فقال لهما : أَجيبا الأمير ، فقالا : انصرف ، الآن نأتيه ، فلمّا انصرف عنهما قال الحسين لا بن الزبير : إني أرى طاغيتهم قد هلك ، فقال ابن الزبير : وأنا ما أظن غيره . قال : ثم نهض حسين ، فأخذ معه مواليَه وجاء باب الأمير ، فاستأذن ، فأذن له ، فدخل وحده وأجلس مواليَه على الباب وقال : إنْ سمعتم أمراً يريبكم فادخلوا . فسلَّم وجلس ومروانُ عنده ، فناوله الوليد بن عتبة الكتاب ، ونعى إليه معاوية ، فاسترجع وقال : رحم الله معاوية ، وعظم لك الأجر . فدعاه الأمير إلى البَيْعة ، فقال له الحسين : إن مثلي لا يُبايع سرّاً ، وما أراك تجتزئ مني بهذا ، ولكنْ إذا اجتمع الناس دعوتَنا معهم فكان أمراً واحداً . فقال له الوليد ـ وكان يحب العافية : فانصرف على اسم الله حتى تأتيَنا في جماعة الناس . فقال مروان للوليد : والله لئن فارقك ولم يبايع الساعة ليكثرنَّ القتل بينكم وبينه ، فاحبِسْه ولا تُخرجه حتى يبايع وإلَّا ضربت عنقه ، فنهض الحسين وقال : يا بن الزرقاء أنت تقتلني ؟! كذبتَ والله وأثمت . ثم انصرف إلى داره ، فقال مروان للوليد : والله ما تراه بعدها أبداً ، فقال الوليد : والله ـ يا مروان ـ ما أُحبُّ أنَّ لي الدنيا وما فيها وأني قتلت الحسين ، سبحان الله ! أقتل

---

(١) قوله : « وهذا من ذكائه » ليس في م ولا في تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٨) .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٨) .
(٣) تحرف في المطبوع إلى : عبد .
(٤) فظع الأمر من باب ظرف ، فهو فظيع ، أي : شديد .

حسيناً أن قال : لا أبايع ؟ والله إني لأظن أنَّ مَن يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة[١] .

وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزبير ، فامتنع عليه وماطله يوماً وليلة ، ثم إنَّ ابن الزبير ركب في مواليه واستصحب معه أخاه جعفراً وسارا إلى مكة على طريق الفُرْع[٢] ، وبعث الوليد خلف ابن الزبير الرجال والفرسان فلم يقدروا على ردِّه . وقد قال جعفر لأخيه عبد الله ـ وهما سائران ـ متمثلاً بقول صَبِرة الحنظلي :

وكــلُّ بنــي أُمٍّ سَيُمْســونَ ليلــةً ولم يَبْقَ مِنْ أعقابهم غيرُ واحِدِ

فقال : سبحان الله ! ما أردتَ إلى هذا ؟ فقال : والله ما أردتُ به شيئاً يسوءك ، فقال : إن كان إنما جرى على لسانك فهو أكره إليّ . قالوا : وتطيَّر به[٣] .

وأما الحسين بن علي فإنَّ الوليد تشاغل عنه بابن الزبير[٤] ، وجعل كلَّما بعث إليه يقول : حتى تنظر وننظر ، ثم جمع أهله وبنيه ، وركب ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب من هذه السنة ، بعد خروج ابن الزبير بليلة ، ولم يتخلف عنه أحد من أهله سوى محمد بن الحنفيَّة ، فإنه قال له : يا أخي ! والله لأنت أعزُّ أهل الأرض عليّ ، وإني ناصح لك : لا تدخلن مصراً من هذه الأمصار ، ولكن اسكن البوادي والرمال ، وابعث إلى الناس ، فإذا بايعوك واجتمعوا عليك فادخل فيهم[٥] ، وإن أبيتَ إلا سُكنى الأمصار فاذهب إلى مكة ، فإن رأيت ما تحب وإلَّا ترفعتَ إلى الجبال والرمال . فقال له : جزاك الله خيراً ، فقد نصحتَ وأشفقت . وسار الحسين إلى مكة ، فاجتمع هو وابن الزبير بها .

وبعث الوليد إلى عبد الله بن عمر فقال : بايعْ ليزيد ، فقال : إذا بايع الناس بايعت ، فقال رجل : إنما تريد أن يختلف الناس ويقتتلوا حتى يتفانَوا ، فإذا لم يبق غيرك بايعوك ؟ فقال ابن عمر : لا أحبُّ شيئاً مما قلت ، ولكن إذا بايع الناس فلم يبق غيري بايعت . قال : فتركوه وكانوا يتخوَّفونه[٦] .

وقال الواقدي[٧] : لم يكن ابن عمر في المدينة حين قدم نَعْيُ معاوية ، وإنما كان هو وابن عباس بمكة ، فلقيهما ـ وهما مقبلان منها ـ الحسين وابن الزبير ، فقالا : ما وراءكما ؟ قالا : موت معاوية والبيعة ليزيد ، فقال لهما ابن عمر : اتَّقيا الله ، ولا تفرِّقا بين جماعة المسلمين . وقدم ابن عمر وابن

---

(١) ينظر تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٠) .

(٢) « الفرع » : قرية من نواحي المدينة على طريق مكة ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . (معجم البلدان) .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤١) .

(٤) في م : « فإنه تشاغل الوليد عنه بعبد الله بن الزبير » .

(٥) في ط : « المصر » ، وما هنا من م .

(٦) كذا في جميع النسخ ، والذي في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٢) والكامل لابن الأثير (٤/ ١٧) . وكانوا لا يتخوفونه .

(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٣) .

عباس إلى المدينة ، فلما جاءت البيعة من الأمصار بايع ابن عمر[١] مع الناس ، وأما الحسين وابن الزبير فإنهما قدما مكة ، فوجدا بها عمرو بن سعيد بن العاص ، فخافاه وقالا : إنا جئنا عُوّاذاً بهذا البيت[٢] .

وفي هذه السنة ـ في رمضان منها ـ عزل يزيدُ بنُ معاوية الوليدَ بنَ عتبة عن إمرة المدينة لتفريطه ، وأضافها إلى عمرو بن سعيد بن العاص نائب مكة ، فقدم المدينة في رمضان ، وقيل : في ذي القعدة ، وكان متواهاً[٣] متكبّراً . وسلَّط عمرو بن الزبير ـ وكان عدواً لأخيه عبد الله ـ على حربه ، وجرَّده له ، وجعل عمرو بن سعيد يبعث البعوث إلى مكة لحرب ابن الزبير .

وقد ثبت في « الصحيحين » أن أبا شُريح الخزاعي قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي ـ أيُّها الأمير ـ أُحدِّثْك قولاً[٤] قام به رسول الله ﷺ الغَدَ من يوم الفتح ، سمعَتْهُ أذناي ، ووعاه قلبي [وأَبْصرتْهُ عيناي][٥] حين تكلَّم به . أنه حَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : « إنَّ مكَّةَ حرَّمها اللهُ ولم يحرِّمْها الناس ، وإنه لم يحلّ القتالُ فيها لأحدٍ كان قَبْلي ، ولن تحلَّ لأحدٍ بَعْدي ، ولم تحلَّ لي إلّا ساعةً من نهار ، ثم قد عادَتْ حرمتُها اليومَ كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهدُ الغائب » . وفي رواية : « فإنْ أحدٌ ترخَّص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا : إنَّ الله أَذِنَ لرسوله ولم يأذَنْ لكم » . فقيل لأبي شُريح : ما قال لك ؟ فقال : قال لي : نحن أعلم بذلك منك . يا أبا شُريح ! إنَّ الحرمَ لا يُعِيذ عاصياً ، ولا فارّاً بدم ، ولا فارّاً بخَرْبة[٦] .

وقال الواقدي : ولَّى عمرو بن سعيد شرطة المدينة عمرَو بن الزبير ، فتتبَّع أصحاب أخيه ومن يهوى هواه ، فضربهم ضرباً شديداً حتى ضرب من جملة من ضرب أخاه المنذر بن الزبير[٧] [وابنه محمد بن المنذر ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وعثمان بن عبد الله بن حَكيم بن حِزام ، وخُبيب بن

---

(١) في ب : بايعا .
(٢) في م : « نحن عُوَّاذ بهذا البيت » .
(٣) في ط : « متألهاً » ، ولا معنى لها ، ولا هي من صفة الوليد بن عتبة ، وما أثبتناه من م ، وهو بمعنى التكبر .
(٤) في ط : « حديثاً » ، وما هنا من م ، وهو الموافق لما في صحيح البخاري .
(٥) سقط من أ ، ط ، وهو الذي في الصحيحين .
(٦) أخرجه البخاري رقم (١٠٤) في العلم : باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ورقم (١٨٣٢) في جزاء الصيد : باب لا يعضد شجر الحرم ، ورقم (٤٢٩٥) في الغزوات : باب غزوة الفتح . ومسلم (١٣٥٤) في الحج : باب تحريم مكة وصيدها وخلاها . . . .
والخربة : بفتح الخاء وإسكان الراء ـ هذا هو المشهور ، ويقال : بضم الخاء أيضاً ـ أصلها سرقة الإبل ، وتطلق على كل خيانة . قال الخليل : هي الفساد في الدين ، من الخارب : وهو اللص المفسد في الأرض .
وقد توسع ابن القيم في شرح هذه الخطبة في زاد المعاد (٣/ ٤٤٢) وما بعدها .
(٧) بعد هذا في ط : « وأنه لا بد أن يأخذ أخاه عبد الله في جامعة من فضَّة حتى يقدم به على الخليفة ، فضرب المنذر بن الزبير » وليست في أ ، ب ، م ، ولا في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٤) .

عبد الله بن الزبير ، ومحمد بن عمار بن يا سر وغيرهم ، ضربهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين جَلْدة ، وفرَّ منه عبد الرحمن بن عثمان التيمي ، وعبد الرحمن بن عمرو[١] بن سهل . . في أناس من مكة] ثم جـاء العزم من يزيد إلى عمرو بن سعيد في تطلُّب ابن الزبير ، وأنه لا يقبل منه - وإن بايع - حتى يُؤتى به إليَّ في جامعة من ذهب أو فضة تحت بُرْنُسه ، فلاتُرى إلا أنه يسمع صوتها . وكان ابن الزبير قد منع الحـارث بن خالد المخزومي من أن يصلي بأهل مكة ، وكان نائب عمرو بن سعيد عليها ، فحينئذ صمَّم عمرو على تجهيز سريَّة إلى مكة بسبب ابن الزبير ، فاستشار عمرُو بنُ سعيد عمرَو بنَ الزبير : من يصلح أن نبعثه إلى مكة لأجل قتاله ؟ فقال له عمرو بن الزبير : إنك لا تبعث إليه مَنْ هو أنكى له منِّي ، فعيَّنه على تلك السريَّة ، وجعل على مقدمته أُنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمئة مقاتل . - وقال الواقدي : إنما عيَّنهمـا يـزيد بن معاوية نفسُه ، وبعث بذلك إلى عمرو بن سعيد - فعسكر أُنيس بالجُرْف . وأشار مروان بن الحكم على عمرو بن سعيد أن لا يغزوَ مكة، وأن يتركَ ابن الزبير بها فإنه عما قليل إن لم يُقتل يمت . فقال أخوه عمرو بن الزبير: والله لنغزونَّه ولو في جوف الكعبة على رغم أنف من رَغِم . فقال مروان : والله إن ذلك ليَسُوءني[٢] . فسار أُنيس ، واتبعه عمرو بن الزبير في بقية الجيش - وكانوا ألفين - حتى نزل بالأَبطَح ، وقيل : بداره عند الصفا ، ونزل أُنيس بذي طوَى . فكان عمرو بن الزبير يصلِّي بالناس ، ويصلِّي وراءه أخوه عبد الله بن الزبير ، وأرسل عمـرو إلى أخيه يقول له : برَّ يمينَ الخليفة ، وأْتِهِ وفي عنقك جامعةٌ من ذهب أو فضة ، ولا تدع الناس يضرب بعضهم بعضاً ، واتَّقِ الله فإنك في بلد حرام . فأرسل عبد الله يقول لأخيه : موعدك المسجد . وبعث عبدُ الله بن الزبير عبدَ الله بن صفوان بن أمية في سريَّة ، فاقتتلوا مع أُنيس بن عمرو[٣] الأسلمي ، فهـزموا أُنيسـاً هزيمة قبيحة ، وتفرَّق عن عمرو بن الزبير أصحابه ، ودخل[٤] عمرو إلى دار ابن علقمة ، فأجاره أخوه عبيدة بن الزبير ، فلامه أخوه عبد الله بن الزبير وقال : تجير مِن حقوق الناس[٥] ؟! ثم ضربه بكل من ضرب بالمدينة إلّا المنذر بن الزبير وابنه فإنهما أبيا أن يَسْتقيدا من عمرو ، وسجنه ومعه عارم ، فسمِّي سجن عارم . وقد قيل : إن عمرو بن الزبير مات تحت السِّياط ، والله أعلم .

---

(١) تحرف في أ إلى : عمير . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٤) وما بين الحاصرتين ليس في ب وفيها بدلًا عنه : وجماعة من الأعيان .

(٢) كذا في أ وب وم ، ومثله في تاريخ الطبري . ووقعت في المطبوع : ليسرني .

(٣) في ط : « عمرو بن أنيس » مقلوب .

(٤) في ط : « وهرب » ، وما هنا من م وهو الموافق لما في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٥) .

(٥) في ط : « تجير مَن في عنقه حقوق الناس » وما هنا من م وهو الأصح لموافقته تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٥) .

قصة الحسين بن علي[١]

وسبب خروجه [بأهله][٢] من مكَّة [إلى العراق][٣] في طلب الإمارة وكيفيَّة مقتله

ولنبدأ قبل ذلك بشيء من ترجمته ، ثم نُتبع الجميع بذكر مناقبه وفضائله :

هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم ، أبو عبد الله ، القرشيُّ الهاشمي ، السِّبط الشهيد بكربلاء ، ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء رضي الله عنها وريحانتُه من الدنيا .

ولد بعد أخيه الحسن ، وكان مولد الحسن (كما قدمنا)[٣] في سنة ثلاث من الهجرة . وقال بعضهم : إنما كان بينهما طهر واحد ومدة الحمل ، وولد لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع . وقال قَتَادة : ولد الحسين لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ ، وقُتل يوم الجمعة يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف ، رضي الله عنه .

وروي عن النبي ﷺ أنه حنّكه وتَفَل في فِيه ، ودعا له ، وسمّاه حسيناً ، وقد كان سمّاه أبوه قبل ذلك حَرْباً وقيل : جعفراً ، وقيل : إنما سمّاه يوم سابعه ، وعَقَّ عنه .

وقال جماعة : عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هانئ بن هانئ ، عن علي رضي الله عنه قال : الحسنُ أشبهُ برسول الله ﷺ ما بين الصَّدر إلى الرأس ، والحسينُ أشبهُ به ما بين أسفل من ذلك[٤] .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني محمد بن الضحاك الحِزَامي قال : كان وجهُ الحسن يشبهُ وجهَ رسول الله ﷺ ، وكان جسدُ الحسين يشبهُ جسدَ رسول الله ﷺ[٥] .

---

(١) نسب قريش (٥٧) طبقات خليفة (ت٩ ، ١٤٨٣ ، ١٩٦٩) مسند أحمد (١/ ٢٠١) المحبر (٦٦ ، ٢٩٣ ، ٣٩٦ ، ٤٤٨ ، ٤٨٠ ، ٤٠٠) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٣٨١) ثقات العجلي (١١٩) الأخبار الطوال (٢٤٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧ ، ٣٨١ ، ٤٠٠) الجرح والتعديل (٣/ ٥٥) مروج الذهب (٣/ ٦٤) ثقات ابن حبان (٣/ ٦٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٧) الأغاني (١٦/ ١٣٧) مقاتل الطالبيين (٥١) مستدرك الحاكم (٣/ ١٧٦) حلية الأولياء (٢/ ٣٩) جمهرة أنساب العرب (٥٢) الاستيعاب (١/ ٣٩٢) تاريخ بغداد (١/ ١٤١) تاريخ ابن عساكر (١٨/ ٣٢ ـ ١٨٦) أسد الغابة (٢/ ١٨) الكامل في التاريخ (٤/ ٤٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ١٦٢) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١١٥) تهذيب الكمال (٦/ ٣٩٦) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٤٠ و ٣/ ٥ ، ١٣) تذهيب التهذيب (١/ ١٤٩) العبر (١/ ٦٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٠) الكاشف (١/ ١٧١) الوافي بالوفيات (١٢/ ٤٢٣) مرآة الجنان (١/ ١٣١) العقد الثمين (٤/ ٢٠٢) غاية النهاية (١/ ٢٤٤) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٤٥) خلاصة الخزرجي (٨٣) شذرات الذهب (١/ ٢٧٣) تهذيب ابن عساكر (٤/ ٣١٤) الحسين أبو الشهداء : عباس محمود العقاد .

(٢) ما بين الحاصرتين ليس في المطبوع .

(٣) ما بين الحاصرتين من م .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٧٩) في المناقب : باب مناقب الحسن والحسين ، وإسناده ضعيف .

(٥) أخرجه ابن عساكر (١٨/ ٤٨) ، وهو في المعجم الكبير للطبراني (٢٨٤٥) .

وروى محمد بن سِيرين وأختُه حفصة عن أنس قال : كنت عند ابن زياد ، فجيء برأس الحسين ، فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيتُ مثلَ هذا حُسْناً ، فقلت له : إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ[(١)] .

وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبي يزيد[(٢)] : رأيتَ الحسين ؟ قال : نعم ، أسود الرأس واللحية إلَّا شعرات هاهنا في مقدَّم لحيته ، فلا أدري أَخضَب وترك ذلك المكان تشبُّهاً برسول الله ﷺ أو لم يكن شابَ منه غير ذلك .

وقال ابن جُريج : سمعت عمر بن عطاء قال : رأيتُ الحسين بن علي يصبُغُ بالوَسْمة[(٣)] ، أما هو فكان ابن ستين سنة ، وكان رأسُه ولحيتُه شديدَي السَّواد .

فأما الحديث الذي رُوي من طريقين ضعيفين ، أنَّ فاطمة سألت رسول الله ﷺ في مرض الموت أن ينحل ولَدَيها شيئاً فقال : « أمّا الحسنُ فلَه هَيْبَتي وسُؤْددي ، وأمّا الحسينُ فلَهُ جُرْأتي وجُودي » فليس بصحيح ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب المعتبرة .

وقد أدرك الحسين من حياة النبي ﷺ خمس سنين أو نحوها ، وروى عنه أحاديث . وقال مسلم بن الحجّاج[(٤)] : له رؤية من النبي ﷺ .

وقد روى صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال في الحسن بن علي : تابعي ثقة . وهذا غريب ، فلأن يقول في الحسين : إنه تابعي ، بطريق الأَولى .

وسنذكر ما كان رسول الله ﷺ يكرمهما به ، وماكان يُظهر من محبَّتهما والحنوِّ عليهما [في فضائل الحسين إذا فرغنا من ذكر مقتله][(٥)] ، والمقصودُ : أن الحسين عاصر رسول الله ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض ، ولكنه كان صغيراً . ثم كان الصدِّيق يكرمه ويعظِّمه ، وكذلك عمر وعثمان . وصحب أباه وروى عنه ، وكان معه في مغازيه كلِّها ، في الجمل وصفِّين ، وكان معظَّماً موقَّراً ، ولم يزل في طاعة

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٧٤٨) في الفضائل ، من طريق جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين . وأخرجه الترمذي (٣٧٧٨) في المناقب : باب مناقب الحسن والحسين ، من طريق النضر بن شميل ، أخبرنا هشام بن حسان ، عن حفصة بنت سيرين .

(٢) تحرف يزيد في الأصول إلى : زياد . تاريخ ابن عساكر (١٨/ ٤٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨١) .

(٣) الوسمة ـ بالسين المهملة ـ نبت يختضب به . وقد وقعت في أ ، ط : بالوشمة .

(٤) الكنى والأسماء (٤٦٥) .

(٥) ما بين الحاصرتين من م .

أبيه حتى قُتل . فلمّا آلت الخلافة إلى أخيه الحسن وأراد أن يصالح معاوية شقَّ ذلك عليه ولم يسدِّد رأي أخيه في ذلك ، بل حثَّه على قتال أهل الشام ، فقال له أخوه : والله لقد هممتُ أن أسجنَكَ في بيت وأُطبق عليك بابه حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك . فلمّا رأى الحسين ذلك سكت وسلم . فلمّا استقرَّت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردَّد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً ويقول لهما : مرحباً وأهلاً ، ويعطيهما عطاءً جزيلاً ، وقد أطلق لهما في يوم واحد مئتي ألف وقال : خذاها وأنا ابن هند ، والله لا يُعطيكُماها أحد قبلي ولا بعدي . فقال الحسين : والله لن تُعطيَ أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلاً أفضل منا . ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه .

وقد كان في الجيش الذين غزوا القُسْطنطينيّة مع يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين ، ولما أُخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية كان الحسين ممَّن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس ، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمِّم على ذلك ، فلمّا مات معاوية سنة ستين ، ودُعي الناس إلى البيعة[1] ليزيد بايع ابن عمر وابن عباس ، وصمَّم على المخالفة الحسينُ وابنُ الزبير ، وخرجا من المدينة فارَّين إلى مكة ، فأقاما بها ، فعكف الناس على الحسين يغدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حواليه ويسمعون كلامه حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد .

وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلّاه عند الكعبة ، وجعل يتردَّد في غبون ذلك إلى الحسين في جملة الناس ، ولا يمكنه أن يتحرَّك بشيء ممَّا في نفسه مع وجود الحسين لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إياه عليه ، غير أنه قد تعيَّنت السرايا والبعوث إلى مكة بسببه ، ولكن أظفره الله بهم كما تقدم ذلك آنفاً ، فانقشعت السرايا عن مكة مغلولين ، وانتصر عبد الله بن الزبير على من أراد هلاكه من اليزيديِّين ، وضرب أخاه عَمْراً وسجنه واقتصَّ منه وأهانه . وعظُم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز ، واشتَهَر أمرُه ، وبعُد صِيتُه ، ومع هذا كلِّه ليس هو عند الناس مثل الحسين ، بل الناس إنما ميلُهم إلى الحسين لأنه السيِّد الكبير ، وابن بنت رسول الله ﷺ فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه ، ولكن الدولة اليزيدية كانت كلها تناوئه .

وقد كثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم ـ وذلك حين بلغهم موت معاوية ، وولاية يزيد ، ومصير الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد ـ فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبع الهَمْداني ، وعبد الله بن وال ، ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية ، فقَدِما على الحسين لعشر مضَيْن من رمضان من هذه السنة ، ثم بعثوا بعدهما نفراً منهم قيس بن مُسْهر الصّدائي ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكوا الأَرْحبي ، وعمارة بن عبد الله السَّلولي ، ومعهم نحو من مئة وخمسين كتاباً إلى الحسين ، ثم بعثوا

---

(١) في ط : وبويع ليزيد .

هانىء بن هانىء السَّبيعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي ، ومعهما كتاب فيه الاستعجال في السَّيْر إليهم .

وكتب إليه شَبَث بن رِبْعي ، وحَجّار بن أَبْجَر ، ويزيد بن الحارث بن رُوَيم ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي ، ومحمد بن عمر بن يحيى التميمي : « أما بعد ، فقد اخضرَّت الجِنان ، وأَينعت الثِّمار ، ولطمت الجِمام ، فإذا شئت فاقدَم على جندٍ لك مجنَّدة ، والسلام عليك » .

فاجتمعت الرسل كلُّها بكتبها عند الحسين ، وجعلوا يستحثُّونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضاً عن يزيد بن معاوية ، ويذكرون في كتبهم أنهم قد فرحوا بموت معاوية ، وينالون منه ، ويتكلَّمون في دولته ، وأنهم لمّا يبايعوا أحداً إلى الآن ، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم . فعند ذلك بعث ابنَ عمِّه مسلم بن عَقيل بن أبي طالب إلى العراق ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق ، فإن كان متحتماً وأمراً حازماً محكماً بعث إليه ليركب في أهله وذويه ، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه ، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك . فلمّا سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة فأخذ منها دليلَين ، فسارا به على براري مهجورة المسالك ، فكان أحد الدليلَين منهما أول هالك ، وذلك من شدَّة العطش ، وقد أضلُّوا الطريق فهلك الدليل الواحد بمكان يقال له : المَضيق من بطن خُبيت ، فتطيَّر به مسلم بن عَقيل ، فتلبَّث مسلم على ماءٍ هنالك ، ومات الدليل الآخر ، فكتب إلى الحسين يستشيره في أمره ، فكتب إليه الحسين يعزم عليه أن يدخل العراق ، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم ، ويستخبر خبرهم .

فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عَوْسجة الأسدي ـ وقيل : نزل في دار المختار بن أبي عُبيد الثقفي ، فالله أعلم . فتسامع أهل الكوفة بقدومه ، فجاؤوا إليه فبايعوه على إمرة الحسين ، وحلفوا له لينصرنَّه بأنفسهم وأموالهم ، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً ، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً ، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور ، فتجهَّز الحسين من مكة قاصداً الكوفة كما سنذكره .

وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير ، خبَّره رجل بذلك ، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً ولا يعبأ به ، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة ، وأمرهم بالائتلاف والسُّنة وقال : إني لا أقاتل من لا يقاتلُني ، ولا أثب على مَنْ لا يثب علي ، ولا آخذكم بالظِّنَّة ، ولكن ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ لئن فارقتُم إمامكم ونكثتُم بيعته لأقاتلنَّكم ما دام في يدي من سيفي قائمتُه[1] . فقام إليه رجل يقال له عبد الله بن مسلم بن شعبة الحَضْرمي فقال له : إنَّ هذا الأمر لا يصلُح إلّا بالغَشْم[2] ، وإن الذي سلكتَه ـ

---

(١) « قائم السيف وقائمته » : مقبضه .

(٢) « الغشم » : الظلم .

أيها الأمير ـ مسلك المستضعَفين . فقال له النعمان : لأن أكون من المستضعَفين في طاعة الله أحبُّ إليَّ من أن أكون من الأقوياء الأَعزِّين في معصية الله . ثم نزل .

فكتب ذلك الرجل إلى يزيد يُعلمه بذلك ، وكتب إلى يزيد عمارة بن عقبة ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص . فبعث يزيد فعزل النعمان عن الكوفة وضمَّها إلى عبيد الله بن زياد مع البصرة ، وذلك بإشارة سَرْجون مولى معاوية [وكان يزيد يستشيرُه ، فقال سَرْجون : أكنت قابلاً من معاوية ما أشار به لو كان حيّاً ؟ قال : نعم ، قال : فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلّا عبيد الله بن زياد فولِّه إياها . وكان يزيد يبغض عبيد الله بن زياد ، وكان يريد أن يعزله عن البصرة ، فولّاه البصرة والكوفة معاً لما يريده الله به وبغيره][(١)] .

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد : إذا قدمتَ الكوفة فاطلُب مسلم بن عَقيل ، فإنْ قدرتَ عليه فاقتلْه أو انفِه . وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي ، فسار ابن زياد من البصرة إلى الكوفة ، فلمّا دخلها دخلها متلثِّماً بعِمامة سوداء ، فجعل لا يمرُّ بملأ من الناس إلّا قال : سلام عليكم . فيقولون : وعليك السلام ، مرحباً بابن رسول الله ـ يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه . وتكاثر الناس عليه ، ودخلها في سبعة عشر راكباً ، فقال لهم مسلم بن عمرو الذي من جهة يزيد : تأخَّروا ، هذا الأمير عبيد الله بن زياد . فلمّا علموا ذلك عَلَتْهم كآبة وحزن شديد ، فتحقَّق عبيد الله الخبر ، ونزل قصر الإمارة من الكوفة ، فلما استقرَّ أمره أرسل مولى أبي رهم ـ وقيل : كان مولى له يقال له مَعْقل ـ ومعه ثلاثة آلاف درهم في صورة قاصد من بلاد حمص ، وأنه إنما جاء لهذه البيعة ، فذهب ذلك المولى ، فلم يزل يتلطَّف ويستدلُّ على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عَقيل حتى دخلها ، وهي دار هانىء بن عروة التي تحوَّل إليها من الدار الأولى ، فبايع ، وأدخلوه على مسلم بن عَقيل ، فلزمهم أياماً حتى اطَّلع على جلية أمرهم ، فدفع المال إلى أبي ثُمامة العائذي[(٢)] بأمر مسلم بن عَقيل ـ وكان هو الذي يقبض ما يُؤتى به من الأموال ويشتري السلاح ، وكان من فرسان العرب ـ فرجع ذلك المولى ، وأعلم عبيد الله بالدار وصاحبها . وقد تحوَّل مسلم بن عَقيل إلى دار هانئ بن عروة المُرادي ، ثم إلى دار شَريك بن الأعور ـ وكان من الأمراء الأكابر ، وبلغه أن عبيد الله يريد عيادته ، فبعث إلى هانئ يقول له : ابعث مسلم بن عَقيل حتى يكون في داري ليقتل عبيد الله [إذا جاء يعودني ، فبعثه إليه ، فقال له شَريك : كن أنت في الخباء ، فإذ جلس عبيد الله][(٣)] فإني أطلب الماء ـ وهي إشارتي إليك ـ فاخرج فاقتُله . فلمّا جاء عبيد الله جلس على فراش شَريك وعنده هانئ بن عروة ، وقام بين يديه غلام له يقال له مِهْران ، فتحدَّث عنده ساعة ثم قال شَريك :

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب ، وفيها بدلاً عنه : ولم يكن يزيد يحب عبيد الله قبل ذلك .
(٢) في ط : العامري .
(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ .

اسقُوني . فتجبَّن مسلم عن قتله ، وخرجت جارية بكوز من ماءٍ ، فوجدت مسلماً في الخباء ، فاستحيت ورجعت بالماء ثلاثاً . ثم قال : اسقُوني ولو كان فيه ذهاب نفسي . ففهم مِهْران الغدر ، فغمز مولاه ، فنهض سريعاً وخرج . فقال شَريك : أيها الأمير ! إني أريد أن أُوصي إليك ، فقال : سأعود . فخرج به مولاه ، فأركبه وطرد به ـ أي ساق به ـ وجعل يقول له مولاه : إن القوم أرادوا قتلك ، فقال : ويحك إني بهم لرفيق فما بالهم ؟ ! وقال شَريك لمسلم : ما منعك أن تخرج فتقتله ؟ قال : حديث بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الإيمانُ قَيَّد[١] الفَتْك ، لا يَفْتِكُ مُؤْمِن »[٢] وكرهتُ أن أقتلَه في بيتك ، فقال : أما لو قتلتَه فجلست في القصر لم يستعد منه أحد ، ولتكفينَّ أمر القصر[٣] ـ أو قال : لأكفينَّك أمر القصر ـ ولو قتلتَه لقتلتَ ظالماً فاجراً . ومات شَريك بعد ثلاث .

ولمّا انتهى ابن زياد إلى باب القصر وهو متلثِّم ظنَّه النعمانُ بن بشير الحسينَ قد قدم ، فأغلق باب القصر وقال : ما أنا بمسلم إليك أمانتي ، فقال له عبيد الله : افتح لا فتحتَه ، ففتح وهو يظنُّه الحسين ، فلمّا تحقَّق أنه عبيد الله أُسقط في يده . فدخل عبيد الله إلى قصر الإمارة ، وأمر منادياً فنادى في الناس : إن الصلاة جامعة . فاجتمع الناس ، فخرج إليهم ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين قد ولّاني أمركم وثغركم وفيئكم ، وأمرني بإنصاف مظلومكم ، وإعطاء محرومكم ، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، والشدَّة على مريبكم وعاصيكم ، وإنما أنا ممتثل فيكم أمرَه ومنفِّذ عهدَه . ثم نزل .

وأمر العرفاء أن يكتبوا مَن عندهم من الزّورية[٤] وأهل الرّيب والخِلاف والشِّقاق ، وأيما عريف لم يُطلعنا على ذلك صُلب أو نُفي وأُسقطت عرافته من الديوان .

وكان هانىء أحد الأمراء الكبار ، ولم يسلِّم على عبيد الله منذ قدم وتمارض ، فذكره عبيد الله وقال : ما بال هانىء لم يأتني مع الأمراء ؟ فقالوا : أيها الأمير ! إنه يشتكي ، فقال : إنه بلغني أنه يجلس على باب داره . وزعم بعضهم أنه عاده قبل شَريك بن الأعور ومسلم بن عَقيل عنده ، وقد همُّوا بقتله فلم يمكنهم هانئ لكونه في داره ، فجاء الأمراء إلى هانىء بن عروة ، فلم يزالوا به حتى أدخلوه على عبيد الله بن زياد ، فالتفت إلى القاضي شُريح فقال متمثِّلاً بقول الشاعر :

---

(١) في الأصول : ضد .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٦٦) من حديث الزبير ، وأبو داود (٢٧٦٩) في الجهاد : باب العدو يؤتى على غرَّة ، من حديث أبي هريرة ، وهو حديث صحيح .
قال المنذري : الفتك أن يأتي الرجلُ الرجلَ وهو غارّ غافل فيشد عليه فيقتله . وقوله : « الإيمان قيد الفتك » أي أن الإيمان يمنع القتل كما يمنع القيدُ عن التصرف ، فكأنه جعل الفتك مقيداً .

(٣) في ط : البصرة . والمثبت من أ ، ب .

(٤) في تاريخ الطبري : الحرورية .

أُريـدُ حيـاتَـهُ ويُـريـدُ قَتْلـي عَذيرَكَ مِنْ خَليلكَ مِنْ مُرادِ(١)

فلما سلَّم هانىء على عبيد الله قال : يا هانىء ! أين مسلم بن عَقيل ؟ قال : لا أدري ، فقام ذلك المولى التميمي الذي دخل دار هانىء في صورة قاصد من حمص فبايع ودفع الدراهم بحضرة هانىء إلى مسلم ، فقال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم . فلما رآه هانىء قُطع وأُسقط في يده ، فقال : أصلح الله الأمير ، والله ما دعوتُه إلى منزلي ، ولكنه جاء فطرح نفسه عليّ . فقال عبيد الله : فائتني به ، فقال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه . فقال : أَدنُوه منِّي ، فأَدنَوْه ، فضربه بحربة على وجهه فشجَّه على حاجبه وكسر أنفه . وتناول هانىء سيف شرطي ليسلَّه ، فدُفع عن ذلك ، وقال عبيد الله : قد أحلَّ الله لي دمك لأنك حَرُوري ، ثم أمر به فحبسه في جانب الدار ، وجاء قومه من بني مَذْحج مع عمرو بن الحجاج ، فوقفوا على باب القصر يظنُّون أنه قد قُتل ، فسمع عبيد الله جلَبة ، فقال لشُريح القاضي وهو عنده : اخرُج إليهم فقل لهم : إن الأمير لم يحبسه إلّا ليسأله عن مسلم بن عَقيل . فقال لهم : إنَّ صاحبكم حيّ ، وقد ضربه سلطاننا ضرباً لم يبلغ نفسه ، فانصرِفوا ولا تُحلُّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم . فتفرَّقوا إلى منازلهم .

وسمع مسلم بن عَقيل الخبر ، فركب ونادى بشعاره : « يامنصور أمت » فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، وكان معه المختار بن أبي عُبيد ومعه راية خضراء ، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء ، فرتَّبهم مَيْمنة ومَيْسرة ، وسارهو في القلب إلى عبيد الله وهو يخطب الناس في أمر هانىء ويحذِّرهم من الاختلاف ، وأشرافُ الناس وأمراؤهم تحت منبره ، فبينما هو كذلك إذ جاءت النَّظَّارة يقولون : جاء مسلم بن عَقيل ، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومَنْ معه ، وأغلقوا عليهم الباب ، فلمّا انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك ، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر ، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف ، وتهدَّدوهم وتوعَّدوهم . وأخرج عبيد الله بعض الأمراء ، وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذِّلون الناس عن مسلم بن عقيل ، ففعلوا ذلك ، فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له : ارجع إلى البيت ، الناس يكفونك . ويقول الرجل لا بنه وأخيه : كأنك غداً بجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم؟ . فتخاذل الناس وقصروا وتصرَّموا وانصرفوا عن مسلم بن عَقيل حتى لم يبق إلّا في خمسمئة نفس ، ثم تقالُّوا حتى بقي في ثلاثمئة ، ثم تقالُّوا حتى بقي معه ثلاثون رجلًا ، فصلَّى بهم المغرب وقصد أبواب كِنْدة ، فخرج منها في عشرة ، ثم انصرفوا عنه ، فبقي وحده ليس معه من يدلُّه على الطريق ، ولا من يواسيه بنفسه ، ولا من يؤويه إلى منزله ، فذهب على وجهه ، واختلط الظلام وهو وحده يتردَّد في الطريق لا يدري أين يذهب ، فأتى باباً ، فنزل عنده وطرقه ، فخرجت منه امرأة يقال لها طَوْعة ، كانت أمَّ ولد للأشعث بن قيس ، وقد كان لها ابن من غيره يقال له : بلال بن أَسِيد ، خرج مع الناس وأمُّه قائمة

(١) البيت لعمرو بن معديكرب الزبيدي ، وهو في ديوانه (ص٩٢) وروايته فيه : أريد حِباءه . والحباء ـ بكسر الحاء ـ العطية . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٦٥) وابن الأثير (٤/ ٢٧ ـ ٢٨) .

بالباب تنتظره ، فقال لها مسلم بن عَقيل : اسقيني ماءً ، فسقَتْه ، ثم دخلت وخرجت فوجدته ، فقالت : ألم تشرب ؟ قال : بلى . قالت : فاذهب إلى أهلك عافاك الله ، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أُجمله لك . فقام فقال : يا أمة الله ! ليس لي في هذا البلد منزل ولا عشيرة ، فهل لك إلى أجر ومعروف وفعل نكافئك به بعد اليوم ؟ فقالت : يا عبد الله وما هو ؟ قال : أنا مسلم بن عَقيل ، كَذَبني هؤلاء القوم وغرُّوني . فقالت : أنت مسلم ؟ قال : نعم . قالت : ادخل . فأدخلته بيتاً من دارها غير البيت الذي تكون فيه ، وفرشت له ، وعرضت عليه العَشاء فلم يتعشَّ ، فلم يكن بأسرعَ من أن جاء ابنها ، فرآها تكثر الدخول والخروج ، فسألها عن شأنها ، فقالت : يا بنيَّ الْهُ عن هذا ، فألحَّ عليها ، فأخذت عليه أن لا يحدِّث أحداً ، فأخبرَتْه خبر مسلم ، فاضطجع إلى الصباح ساكتاً لا يتكلَّم .

وأما عبيد الله بن زياد ، فإنه نزل من القصر بمن معه من الأمراء والأشراف بعد عِشَاء الآخرة ، فصلَّى بهم العِشاء في المسجد الجامع ، ثم خطبهم وطلب منهم مسلم بن عَقيل وحثَّ على طلبه ، ومَنْ وُجد عنده ولم يعلم به فدمُه هَدَر ، ومَنْ جاء به فله دِيَتُه ، وطلب الشُّرَط وحثَّهم على ذلك وتهدَّدهم .

فلمّا أصبح ابنِ تلك العجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأعلمه بأنَّ مسلم بن عَقيل في دارهم ، فجاء عبد الرحمن فسارَّ أباه بذلك وهو عند ابن زياد ، فقال ابن زياد : ما الذي سارَّك به ؟ فأخبره الخبر ، فنَخَس[١] بقضيب في جَنْبه وقال : قم فائتني به الساعة .

وبعث ابن زياد عمرو[٢] بن حُريث المخزومي ـ وكان صاحب شُرطته ـ ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً ، فلم يشعر مسلم إلّا وقد أُحيط بالدار التي هو فيها ، فدخلوا عليه ، فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات ، وأُصيبت شفته العليا والسُّفلى ، ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ، ويُلهبون النار في أطناب القصب ويلقونها عليها ، فضاق بهم ذرعاً ، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان ، فأمكنه من يده ، وجاؤوا ببغلة فأركبوه عليها ، وسلبوا عنه سيفه ، فلم يبق يملك من نفسه شيئاً ، فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول ، فيئِس من نفسه وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال بعض مَنْ حوله : إنَّ من يطلب مثل الذي تطلُب لا يبكي إذا نزل به هذا . فقال : أما واللهِ لست أبكي على نفسي ، ولكن أبكي على الحسين وآل الحسين ، إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمسِ من مكّة . ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال : إن استطعتَ أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل ، فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع فلم يصدِّق الرسولَ في ذلك ، وقال : كل ما حمَّ[٣] الإلَه واقع .

---

(١) « نخس »: غرز .

(٢) تحرف في المطبوع إلى: عمر .

(٣) « حمَّ »: قدَّر وقضى .

قالوا : ولمّا انتهى مسلم بن عَقيل إلى باب القصر إذا على بابه جماعةٌ من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه ، ينتظرون أن يُؤذن لهم على ابن زياد ، ومسلم مخضَّب بالدماء في وجهه وثيابه ، وهو مُثْخَن بالجراح ، وهو في غاية العطش ، وإذا قُلَّة[١] من ماءٍ بارد هنالك ، فأراد أن يتناولها ليشرب منها ، فقال له رجل من أولئك : والله لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم ، فقال له : ويلك يا بن باهلة[٢] ، أنت أَولى بالحميم والخلود في نار الجحيم مني . ثم جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكَلال والعطش ، فبعث عُمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيط مولى له إلى داره ، فجاء بقُلَّة عليها منديل ومعه قَدَح ، فجعل يُفرغ له في القَدَح ويعطيه ، فيشرب فلا يستطيع أن يستسيغَه من كثرة الدماء التي تعلو على الماء مرتين أو ثلاثاً ، فلمّا شرب سَقطت ثناياه مع الماء فقال : الحمدُ لله لقد كان بقي لي من الرزق المقسوم شربة ماءٍ . ثم أُدخل على ابن زياد ، فلمّا وقف بين يديه لم يسلِّم عليه ، فقال له الحرس : ألا تسلِّم على الأمير ؟ فقال : لا ، إن كان يريد قتلي فلا حاجة لي بالسلام عليه ، وإن لم يرد قتلي فسأسلِّم عليه كثيراً . فأقبل ابن زياد عليه فقال : إيه يا بن عَقيل ، أتيتَ الناس وأمرُهم جميعٌ وكلمتُهم واحدة لتشتِّتَهم وتفرِّقَ كلمتهم وتحملَ بعضهم على قتل بعض ؟! قال : كلّا لست لذلك أتيت ، ولكنَّ أهل المصر زعموا أنَّ أباك قتل خيارهم ، وسفك دماءهم ، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب . قال : ومأأنت وذاك يا فاسق ؟ ! لِمَ لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟ فقال : أنا أشرب الخمر ؟ ! واللهِ إنَّ الله ليعلم أنك غير صادق ، وأنك قلت بغير علم ، وأنت أحقُّ بذلك مني [فإني لست كما ذكرتَ ، وإنَّ أَولى بها مني من يَلَغُ في دماء المسلمين وَلغاً ، ويقتل النفس التي حرَّم الله بغير نفس ، ويقتل على الغضب والظنّ ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً . فقال له ابن زياد : يا فاسق إنَّ نفسك تمنِّيك ما حال الله دونك ودونه ، ولم يُرِك أهلَه . قال : فمن أهلُه يا بن زياد ؟ قال : أميرُ المؤمنين يزيد . قال : الحمد لله على كل حال ، رَضِينا بالله حكماً بيننا وبينكم . قال : كأنك تظن أنَّ لكم في الأمر شيئاً ؟ قال : لا والله ما هو بالظنِّ ولكنَّه اليقين . قال له : قتلني اللهُ إنْ لم أقتلْكَ قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس . قال : أما إنك أحقُّ مَنْ أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه ، أما إنك لا تدع سوء القِتْلة وقُبح المُثْلة وخُبْث السيرة المكتسبة عن كباركم[٣] وجُهّالكم][٤] . وأقبل ابن زياد يشتِمُه ويشتِمُ حسيناً وعليّاً ومسلمٌ ساكت لا يكلِّمه ـ رواه ابن جرير عن

---

(١) « القُلة »: الجرَّة . وجمعها قُلَل وقِلال .

(٢) تحرفت في أ ، ط إلى: ناهلة . والمقصود هو مسلم بن عمرو الباهلي كما في تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٦) وابن الأثير (٤/ ٣٤) .

(٣) في ط : كتابكم .

(٤) ما بين حاصرتين ليس في ب ، وفيها بدلاً عنه: قال أبو مخنف وغيره من رواة الشيعة .

أبي مِخْنف وغيره من رواة الشيعة ـ ثم قال له ابن زياد : إني قاتلُك . قال : كذلك ؟ قال : نعم . قال : فدعني أُوصي إلى بعض قومي ، قال : أَوصِ ، فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فقال : يا عمر ! إنَّ بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وهي سرٌّ فقم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك ، فأبى أن يقوم معه حتى أَذن له ابن زياد . فقام فتنحَّى قريباً من ابن زياد ، فقال له مسلم : إنَّ علي ديناً في الكوفة سبعمئة درهم فاقضِها عني ، واستوهبْ جثَّتي من ابن زياد فوارها ، وابعث إلى الحسين فإني كنت قد كتبت له أن الناس معه ، ولا أراه إلّا مقبلاً . فقام عمر ، فعرض على ابن زياد ما قال له ، فأجاز ذلك له كلّه وقال : أما الحسين فإنه إن لم يردنا لا نرده ، وإن أرادنا لم نكفّ عنه . ثم أمر ابنُ زياد بمسلم بن عَقيل ، فأُصعد إلى أعلى القصر وهو يكبِّر ويهلِّل ويسبِّح ويستغفر ويصلِّي على ملائكة الله ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرُّونا وخذلونا . ثم ضرب عنقه رجل يقال له بُكير بن حُمْران ، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر ، وأتبع رأسه بجسده . ثم أمر بهانئ بن عروة المَذْحجي ، فضربت عنقه بسوق الغنم ، وصلب بمكان من الكوفة يقال له الكُنَاسة ، فقال رجل شاعر في ذلك قصيدة :

فإنْ كنتِ لا تَدْرينَ ما الموتُ فانظُري ... إلى هانئٍ في السُّوق وابنِ عَقيل
أصابَهُما أمرُ الإمام فأصبَحا ... أحاديثَ مَنْ يغشى بكلِّ سَبيل
[إلى بطلٍ قد هَشَّم السيفُ وجهَهُ ... وآخر يَهْوي من[1] طَمَارَ قَتيل
تَرَيْ جسَداً قد غيَّر الموتُ لونَه ... ونَضْحَ دمٍ قَدْ سال كلَّ مسيل
فإنْ أنتمُ لم تَثْأروا بأخيكمُ ... فكُونوا بَغِيًّا أُرْضِيتْ بقليل[2]

ثم إن ابن زياد قَتل معهما أناساً آخرين][3] ثم بعث برؤوسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ، وكتب إليه كتاباً صورة ما وقع من أمرهما[4] .

وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة بيوم خطب أهلَها خطبة بليغة ووعظهم فيها وحذَّرهم وأنذرهم من الاختلاف والفتنة والتفرُّق . كما رواه هشام بن الكلبي وأبو مِخْنف ، عن الصَّقْعب بن زهير ،

---

(١) في الأصول ومروج الذهب (٣/ ٦٩) في ، والتصويب من تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٠) ولسان العرب (طمر) . « والطمار » : اسم المكان العالي . ويُنشَد البيت بفتح الراء وكسرها .

(٢) اختلف الرواة في قائل هذه الأبيات ، فقد نسبها الدينوري في الأخبار الطوال (ص٢٤٢) لعبد الرحمن بن الزبير الأسدي ، وهي في تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) والكامل لابن الأثير (٤/ ٣٦) لعبد الله بن الزَّبير أو للفرزدق . والبيتان الأول والثالث منها من شواهد اللسان : مادة (طمر) ونسبتهما فيه لسليم بن سلام الحنفي . والأبيات أيضاً في مروج الذهب (٣/ ٦٩) والأبيات غير موجودة في ترجمة الحسين في تاريخ ابن عساكر المجلدة (١٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٠٨) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٤) خبر مقتل مسلم بن عقيل في ضعيف الطبري (٩/ ١٦٣ ـ ١٩٤) عن أبي مخنف ، وهو متروك .

عن أبي عثمان النَّهدي قال : بعث الحسين مع مولى له يقال له سلمان كتاباً إلى أشراف أهل البصرة ، فيه : أما بعد ، فإنَّ الله اصطفى محمداً على خلقه ، وأكرمه بنبوَّته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلَّغ ما أُرسل به ، وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وأحقَّ الناس به وبمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنّا أحقُّ بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ، وتحرَّوا الحق ، فرحمهم الله وغفر لنا ولهم . وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه ، فإن السنَّة قد أُميتت ، وإنَّ البدعة قد أُحييت ، فتسمعوا قولي وتطيعوا أمري ، فإن فعلتم أهدِكم سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وعندي في صحة هذا عن الحسين نظر ، والظاهر أنه مطرَّز بكلام مَزيد من بعض رواة الشيعة .

قال : فكل من قرأ ذلك من الأشراف كتمه إلّا المنذر بن الجارود ، فإنه ظنَّ أنه دسيسة من ابن زياد ، فجاء به إليه ، فبعث خلف الرسول الذي جاء به من حسين ، فضرب عنقه ، وصعد عبيد الله بن زياد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فوالله ما بي تُقرن الصَّعبة ، وما يُقعقع لي بالشِّنان[1] ، وإني لنَكَال لمن عاداني ، وسِهَام لمن حاربني ، أنصف القارة مَنْ رماها . يا أهل البصرة إنَّ أمير المؤمنين ولّاني الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة ، وقد استخلفتُ عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان ، فإياكم والخلافَ والإرجاف ، فوالذي لا إلّه غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنَّه وعريفَه ووليَّه ، ولآخذنَّ الأدنى بالأقصى حتى يستقيم لي الأمر ولا يكون فيكم مخالفٌ ولا مشاقق . أنا ابن زياد ، أشبهته من بين مَنْ وطئ الحصى ، ولم ينتزعني شبه خال ولا عمّ[2] . ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي ، فكان من أمره ما تقدم .

قال أبو مخنف : عن الصَّقْعب بن زهير ، عن عون بن [أبي][3] جُحَيفة قال : كان مخرج مسلم بن عَقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجَّة ، وقيل[4] يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجة ، وذلك يوم عرفة سنة ستين ، وكان ذلك مخرج الحسين من مكَّة قاصداً أرض العراق بيوم واحد . وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكَّة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ، ودخل مكَّة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان . فأقام بمكَّة بقيَّة شعبان ورمضان وشوال وذا القعدة ، وخرج من مكَّة لثمان مضين من ذي الحجَّة يوم الثلاثاء يوم التَّروِيَة .

---

(١) قال صاحب اللسان في مادة (قعع) : وفي المثل : فلان لا يقعقع له بالشنان ، أي : لا يُخدع ولا يُروَّع .
(٢) هذه الخطبة في تاريخ الطبري (٥/ ٣٥٨) .
(٣) سقطت من المطبوع .
(٤) وقعت في المطبوع : قتل . والخبر تاريخ الطبري (٥/ ٣٨١) وابن الأثير (٤/ ٣٦) .

وفي رواية ذكرها ابن جرير[١] : أن مسلم بن عَقيل لمّا بكى قال له [عمرو بن][٢] عبيد الله بن عباس السُّلمي : إنَّ من يطلب مثلَ ما تطلب لا يبكي إذا نزل به مثلُ الذي نزل بك . قال : إني والله ِما لنفسي أبكي ، ومالها من القتل أَرثي ، وإن كنتُ لم أحبَّ لها طرفة عين تلَفاً ، ولكنني أبكي لأهلي المقبلين إلى الكوفة ، أبكي للحسين وآل الحسين . ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : يا عبد الله ! إني والله أراك ستعجز عن أماني ، فهل عندك خير ؟ تستطيع أن تبعث رجلاً على لساني يبلِّغ حسيناً عني رسالة ، فإني لا أراه إلّا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو وأهل بيته ، وإنَّ ما تراه من جَزَعي لذلك ، فتقول له : إنَّ ابن عَقيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم أسيرٌ لا يدري أيصبح أم يمسي حتى يُقتل ، وهو يقول لك : ارجع بأهلك ولا يغرنَّك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنَّى فراقهم بالموت أو القتل . إنَّ أهل الكوفة قد كذَبُوك وكذَبُوني ، وليس لكاذب رأي . فقال ابن الأشعث : والله لأفعلنَّ ولأُعلمنَّ ابن زياد أني قد أمَّنتُك .

قال أبو مخنف : فدعا محمد بن الأشعث إياس بن العباس الطائي من بني مالك [بن عمرو][٣] بن ثمامة ـ وكان شاعراً ـ فقال له : اذهب فالْقَ حسيناً فأبلغه هذا الكتاب ـ وكتب فيه الذي أمره به ابن عَقيل ـ ثم أعطاه راحلة وتكفَّل له بالقيام بأهله وداره . فخرج حتى لقي الحسين بزُبالةَ لأربع ليال من الكوفة ، فأخبره الخبر ، وأبلغه الرسالة . فقال الحسين : كلُّ ما حُمَّ نازل ، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أئمتنا .

ولما انتهى مسلم إلى باب القصر ، وأراد شرب الماء ، قال له مسلم بن عمرو الباهلي : أتراها ما أبردَها ! والله لا تذوقها أبداً حتى تذوق الحميم في نار الجحيم . فقال له ابن عَقيل : ويحك من أنت ؟ قال : أنا من عرف الحقَّ إذ أنكرته ، ونصح لإمامه إذ غششتَه ، وسمع وأطاع إذ عصَيْت ، أنا مسلم بن عمرو الباهلي . فقال له مسلم : لأُمِّك الويل ! ما أجفاك وأفظَّك ، وأقساك وأغلظَك يا بن باهلة !! أنت والله أَوْلى بالحميم ونار الجحيم .

صفة مخرج الحسين إلى العراق

لما تواترت الكتب إلى الحسين من جهة أهل العراق ، وتكرَّرت الرسل بينهم وبينه [وجاءه كتاب مسلم بن عقيل بالقدوم عليه بأهله][٤] ثم وقع في غضون ذلك ما وقع من قتل مسلم بن عَقيل ، والحسينُ

(١) في تاريخه (٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) .
(٢) سقط من الأصول ، واستدركته من تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٤) وابن الأثير (٤/ ٣٣) .
(٣) سقط من ط . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٥) .
(٤) سقط من ب .

لا يعلم بشيء من ذلك ، بل قد عزم على المسير إليهم والقدوم عليهم ، فاتَّفق خروجه من مكة يوم التَّروِيَة قبل مقتل مسلم بيوم واحد ـ فإن مسلماً قُتل يوم عرفة . ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك ، وحذَّروه منه [وذكروه ما جرى لأبيه وأخيه معهم][(١)] .

قال سفيان بن عُيينة ، عن إبراهيم بن مَيْسرة ، عن طاوُوس ، عن ابن عباس قال : استشارني الحسين بن علي في الخروج ، فقلت : لولا أن يُزري بي وبك الناس لنشَبْت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب . فكان الذي ردَّ عليَّ أن قال : لأن أُقتل في مكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ من أن أُقتل بمكة . قال : فكان هذا الذي سلَّى نفسي عنه .

وروى أبو مِخْنف ، عن الحارث بن كعب الوالبي ، عن عُقبة بن سِمْعان : أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال : يا بن عمّ ! إنه قد أَرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبيِّن لنا ما أنت صانع ؟ فقال : إني قد أجمعت المسير في أحد يوميَّ هذين إن شاء الله تعالى ، فقال له ابن عباس : أخبرني ، إن كانوا قد دعوك بعدما قتلوا أميرهم ، ونفَوْا عدوهم ، وضبطوا بلادهم فسِرْ إليهم ، وإن كان أميرهم حيّاً ، وهو مقيم عليهم ، قاهر لهم ، وعمّالُه تَجْبي بلادهم ، فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال ، ولا آمَنُ عليك أن يستنفروا إليك الناس ويقلِّبوا قلوبهم عليك ، فيكون الذين دعوك أشدَّ الناس عليك . فقال الحسين : إني أَستخير الله وأنظر ما يكون .

فخرج ابن عباس من عنده ، ودخل ابن الزبير فقال له : ما أدري ما تركنا لهؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم ! أخبرني ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حدَّثت نفسي بإتيان الكوفة ، ولقد كتب إليَّ شيعتي بها وأشرافها بالقدوم عليهم ، وأستخير الله . فقال ابن الزبير : أما لو كان [لي][(٢)] بها مثلُ شيعتك ما عدلتُ عنها . فلمّا خرج من عنده قال الحسين : قد علم ابنِ الزبير أنه ليس له من الأمر معي شيء ، وأن الناس لم يَعْدِلوه بي ، فودَّ أني خرجتُ منها لتخلوَ له .

فلمّا كان من العشيِّ أو من الغد جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له : يا بن عمّ ! إني أتصبَّر ولا أصبر ، إني أتخوَّف عليك في هذا الوجه الهلاك ، إن أهل العراق قوم غُدر فلا تغترنَّ بهم ، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم اقدَم عليهم ، وإلّا فسِرْ إلى اليمن فإنَّ به حصوناً وشعاباً ، ولأبيك به شيعة ، وكن عن الناس في معزل ، واكتب إليهم ، وبُثَّ دعاتك فيهم ، فإني أرجو ـ إذا فعلت ذلك ـ أن يكون ما تحب . فقال الحسين : يا بن عمّ ! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكني قد أزمعت المسير . فقال له : فإن كنت ولا بد سائراً فلا تَسِرْ بأولادك ونسائك ، فوالله إني لخائف أن تُقتل كما قُتل

---

(١) سقط من ب .
(٢) زيادة من تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٣) .

عثمان ونساؤه وولدُه ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : أقررتَ عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز ، فوالله الذي لا إلَه إلّا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليَّ وعليك الناسُ أطعتني وأقمتَ لفعلتُ ذلك . قال : ثم خرج من عنده ، فلقي ابن الزبير فقال : قرَّت عينك يا بن الزبير ؟ ! ثم قال :

يـــالـــكِ مِـــنْ قُبَّـــرةٍ بمَعْمَـــرِ خَلا لكِ الجوُّ فبيضي واصْفِري
ونَقِّـــرِي مـــا شِئْـــتِ أنْ تُنَقِّـــرِي صيَّـــادُكِ اليـــومَ قتيـــلٌ فـــابشِـــري

ثم قال ابن عباس : هذا الحُسين[١] يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز[٢] .

وقال غير واحد[٣] : عن شَبَابة بن سَوَّار قال : حدّثنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدي قال : سمعت الشعبي يحدِّث عن ابن عمر : أنه كان بمكة ، فبلغه أنَّ الحسين بن علي قد توجَّه إلى العراق ، فلحقه على مسيرة ثلاث ليال ، فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، وإذا معه طوامير[٤] وكتب ، فقال : هذه كتبهم وبَيْعتهم ، فقال : لا تأتهم ، فأبىٰ ، فقال ابن عمر : إني محدِّثك حديثاً : إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيَّره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يُرِد الدنيا . وإنك بضعة من رسول الله ، والله لا يليها أحدٌ منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلّا للذي هو خير لكم . فأبىٰ أن يرجع . قال : فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قَتيل .

وقال يحيى بن معين[٥] : حدثنا أبو عبيدة ، حدثنا سَلِيم بن حَيّان ، عن سعيد بن مِينا قال : سمعت عبد الله بن عَمْرو يقول : عجل حسين قدره ، والله لو أدركتُه ما تركته يخرج إلّا أن يغلبَني ، ببني هاشم فُتح هذا الأمر ، وببني هاشم يُختم ، فإذا رأيت الهاشميَّ قد ملك فقد ذهب الزمان .

قلت : وهذا مع حديث ابن عمر يدلُّ على أنَّ الفاطميِّين أدعياء كَذَبة ، لم يكونوا من سلالة فاطمة ، كما نص عليه غير واحد من الأئمة ، على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله .

---

(١) في ط : « حسين » ، وما هنا من م وهو الموافق لما في الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٩) .
(٢) الخبر مع الرجز في الأخبار الطوال (ص٢٤٤) وتاريخ الطبري (٥/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) وابن الأثير (٤/ ٣٨ ـ ٣٩) وتاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٣٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٧) وتاريخ الخلفاء (ص٣٢٧) والقبَّرة ـ ويروى : قنبرة ـ واحد القبّر : وهو ضرب من الطير . وينسب هذا الرجز لطرفة بن العبد . ملحق ديوانه (ص١٩٣) وهناك تخريجٌ مفصلٌ له في مختصر تاريخ دمشق .
(٣) ينظر الخبر في تاريخ دمشق (١٤/ ٢٠٢) ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٢) .
(٤) « الطوامير » : الصحائف .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٨/ ١٢٥) .

وقال يعقوب بن سفيان[١] : حدّثنا أبو بكر الحميدي ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا عبد الله بن شَريك ، عن بشر بن غالب قال : قال ابن الزبير للحسين : أين تذهب ، إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك ؟! فقال : لأَن أُقتل بمكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ من أن تُستحل بي ـ يعني مكة .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني عمي مصعب بن عبد الله ، أخبرني مَنْ سمع هشام بن يوسف يقول : عن مَعْمر قال : سمعت رجلاً يحدِّث عن الحسين أنه قال لعبد الله بن الزبير : أتتني بيعة أربعين ألفاً يحلفون بالطَّلاق والعَتاق إنَّهم معي . فقال له ابن الزبير : أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك ؟! قال هشام : فسألت مَعْمراً عن الرجل ، فقال : هو ثقة . قال الزبير : وقال عمي : وزعم بعض الناس أنَّ ابن عباس هو الذي قال هذا[٢] .

وقد ساق محمد بن سعد[٣] ـ كاتب الواقدي ـ هذا سياقاً حسناً مبسوطاً فقال : أخبرنا علي بن محمد ، عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المُهاجر ، عن أبيه . وعن لوط بن يحيى الغامدي[٤] ، عن محمد بن بشير الهمداني وغيره . وعن محمد بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عُمير . وعن هارون بن عيسى ، عن يونس بن [أبي][٥] إسحاق ، عن أبيه . وعن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن مُجالد ، عن الشعبي . قال محمد بن سعد : وغير هؤلاء قد حدثني أيضاً في هذا الحديث بطائفة ، فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين رضي الله عنه وأرضاه .

قالوا : لما بايع الناس معاويةَ ليزيدَ كان حسين ممن لم يبايع له ، وكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية ، كل ذلك يأبىٰ عليهم ، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفيَّة يطلبون إليه أن يخرج معهم ، فأبىٰ . وجاء إلى الحسين يعرض عليه أمرهم ، فقال له الحسين : إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ، ويستطيلوا بنا ، ويشيطوا[٦] دماء الناس ودماءنا . فأقام حسين على ما هو عليه من الهموم ، مرة يريد أن يسير إليهم ، ومرة يُجمع الإقامة عنهم . فجاءه أبو سعيد الخدري فقال : يا أبا عبد الله ! إني لكم ناصح ، وإني عليكم مُشفِق ، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم ، فلا تخرج إليهم ، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة : والله لقد مللتُهم

---

(١) المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٥٣) .
(٢) الخبر في أخبار مكة للأزرقي (٢/ ٢٦٠) ، وتاريخ دمشق (١٤/ ٢٠٣) .
(٣) الطبقات الكبرى (قسم صغار الصحابة) بتحقيق السلمي (١/ ٤٣٧) فما بعدها .
(٤) في ط : « العامري » ، محرف ، وهو منسوب إلى « غامد » جدٍّ له ، فانظر معجم الأدباء (٥/ ٢٢٥٢) (ط . إحسان عباس) .
(٥) سقطت من المطبوع .
(٦) قال الزمخشري : « شاط دمه » : إذا بطَل . وأشاط السلطان دمه : أهدره .

وأبغضتُهم ، وملُّوني وأبغضوني ، ومايكون منهم وفاء قطّ ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأَخْيَب ، والله مالهم نيّات ولا عَزْم على أمر ، ولا صَبْر على السيف .

قال : وقدم [المسيَّب بن نَجَبَة[١] الفَزَاري في عدة معه إلى الحسين بعد وفاة الحسن ، فدَعَوه إلى خلع][٢] معاوية وقالوا : قد علمنا رأيك ورأي أخيك ، فقال : إني لأرجو أن يعطي الله أخي على نيَّته في حبِّه الكف ، وأن يعطيني على نيَّتي في حبي جهاد الظالمين .

وكتب مروان إلى معاوية : إني لست آمَنُ أن يكون حسين مرصداً للفتنة ، وأظن يومكم من حسين طويلاً .

فكتب معاوية إلى الحسين : إنَّ من أعطى الله صفقةَ يمينه وعهده لجديرٌ بالوفاء ، وقد أنبئت أنَّ قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق ، وأهلُ العراق مَنْ قد جرَّبت ، قد أفسدوا على أبيك وأخيك ، فاتَّقِ الله واذكر الميثاق ، فإنك متى تَكِدْني أكِدْك . فكتب إليه الحسين : أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عنِّي جدير ، والحسنات لا يَهدي لها إلّا الله ، وما أردتُ لك محاربة ولا عليك خلافاً ، وما أظن لي عند الله عذراً في ترك جهادك ، وما أعلم فتنة أعظم من ولا يتك أمر هذه الأمة . فقال معاوية : إن أَثَرنا بأبي عبد الله إلّا أسداً[٣] .

وكتب إليه معاوية أيضاً في بعض ما بلغه عنه : إني لأظنُّ أن في رأسك نزوةً فوددت أني أدركها فأغفرها لك .

قالوا : فلمّا احتُضر معاوية دعا يزيد فأوصاه بما أوصاه به ، وقال له : انظُر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ، فإنه أحبُّ الناس إلى الناس ، فصِلْ رحمه ، وارفقْ به يصلحْ لك أمرُه ، فإن يكن منه شيء فإني أرجو أن يكفيَكَهُ الله بمن قتل أباه وخذل أخاه . وتوفي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين ، وبايع الناس ليزيد[٤] ، فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أُوَيس العامري - عامر بن لؤي - إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة : أن ادعُ الناس فبايعهم ، وابدأ بوجوه قريش ، وليكن أولَ من تبدأ به الحسين بن علي ، فإنَّ أمير المؤمنين عهد إليَّ في أمره الرفقَ به واستصلاحَه . فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، فأخبرهما بوفاة معاوية ، ودعاهما إلى البَيْعة ليزيد بن معاوية ، فقالا : إلى أن نصبح وننظر ما يصنع الناس . ووثب الحسين فخرج وخرج معه ابن

---

(١) تحرف في الأصول إلى : عقبة ، والتصويب من طبقات ابن سعد . والإكمال لابن ماكولا (١/ ٥٠١) ومشتبه الذهبي (١/ ١١٣) .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٣) وقعت لفظة أسداً في أ ، ط : شراً . وهو خطأ ، فهو كذلك في طبقات ابن سعد الذي ينقل منه (١/ ٤٤٠) .
(٤) في ط : « يزيد » ، وما أثبتناه من م وتاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٣٠) .

الزبير وقالا : هو يزيد الذي نعرف ، والله ما حدث له عزم ولا مروءة . وقد كان الوليد أغلظ للحسين ، فشتمه الحسين وأخذ بعِمَامته فنزعها من رأسه ، فقال الوليد : إنْ هِجْنا بأبي عبد الله إلّا أسداً[١] . فقال له مروان ـ أو بعض جلسائه : اقتُلْه ، فقال : إنَّ ذلك لدمٌ مضنونٌ به مَصُونٌ في بني عبد مناف[٢] .

قالوا : وخرج الحسين وابن الزبير من ليلتهما إلى مكة ، وأصبح الناس ، فغَدَوا على البيعة ليزيد ، وطُلِب الحسينُ وابن الزبير فلم يوجدا ، فقال المِسْور بن مَخْرمة : عجل الحسين ، وابنُ الزبير يلفتُه ويرجِّيه ليخلوَ بمكة . فقدِمَا مكة ، فنزل الحسين دار العباس ، ولزم ابن الزبير الحِجر ، ولبس المعافريَّ[٣] وجعل يحرِّض الناس على بني أمية ، وكان يغدو ويروح إلى الحسين ، ويشير عليه أن يقدَم العراق ، ويقول : هم شيعتك وشيعة أبيك . وكان ابن عباس ينهاه عن ذلك . وقال له عبد الله بن مطيع : إني فداؤك وأبي وأمي ، فأَمتِعْنا بنفسك ولا تَسِرْ إلى العراق ، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذُنّا عبيداً وخَوَلًا .

قالوا : ولقيهما عبد الله بن عمر وعبد الله بن عياش[٤] بن أبي ربيعة بالأَبْواء[٥] منصرفَيْن من العمرة ، فقال لهما ابن عمر : أذكِّركما اللهَ إلّا رجعتُما فدخلتُما في صالح مايدخل فيه الناس ، وتنظرا ، فإن اجتمع الناس عليه فلم تشذّا ، وإن افترق[٦] عليه كان الذي تريدان . وقال له : لا تخرج ، فإن رسول الله ﷺ خيَّره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وإنك بضعة منه ولا تنالها ـ يعني الدنيا ـ واعتنقه وبكى وودَّعه . فكان ابن عمر يقول : غلبنا حسين بن عليٍّ بالخروج ، ولَعَمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ، فرأى من الفتنة وخِذْلان الناس لهم[٧] ماكان ينبغي له أن لا يتحركَ ماعاش ، وأن يدخل في صالح مادخل فيه الناس ، فإن الجماعة خير .

وقال له ابن عباس : وأين تريد يا بن فاطمة ؟ فقال : العراق وشيعتي ، فقال : إني لكارهٌ لوجهك هذا ، تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطةً وملالةً لهم ؟! أذكِّرك اللهَ أن تغرِّر بنفسك .

---

(١) في أ ، ط : « شراً » ، خطأ .
(٢) والخبر في تاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٣٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٥) أيضاً نقلاً من ابن سعد .
(٣) « المعافري » : ثياب تنسب إلى قبيلة معافر اليمن .
(٤) في أ ، ط : عبد الله بن عباس وابن أبي ربيعة . وفي تاريخ ابن عساكر (٨/ ١٣١) عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة وكلاهما تصحيف . والصواب ما أثبتناه من ب وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٦) .
(٥) « الأبواء » : جبل على يمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة ، وهناك بلدة تنسب إلى هذا الجبل معجم البلدان (١/ ٧٩) .
(٦) في ط : « افترقوا » ، وما أثبتناه من م وطبقات ابن سعد (١/ ٤٤٤) وهو الذي بتاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٣١) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٩٦) .
(٧) في ط : « لهما » ، وما أثبتناه كما في المصادر التي تقدمت .

وقال أبو سعيد الخدري : غلبني الحسين على الخروج ، وقلت له : اتَّقِ اللهَ في نفسك ، والزَم بيتك ، ولا تخرج على إمامك .

وقال أبو واقد الليثي : بلغني خروج الحسين بن علي ، فأدركته بمَلَل[١] ، فناشدتُه اللهَ أن لا يخرج ، فإنه يخرج في غير وجه خروج ، إنما خرج يقتل نفسه . فقال : لا أَرجع .

وقال جابر بن عبد الله : كلَّمت حسيناً فقلت : اتَّقِ الله ، ولا تضرب الناس بعضهم ببعض ، فوالله ماحمدتم ماصنعتم . فعصاني .

وقال سعيد بن المسيِّب : لو أنَّ حسيناً لم يخرج لكان خيراً له .

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن : قد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم ، ولكن شجَّعه على ذلك ابن الزبير .

وكتب إليه المِسْور بن مَخْرمة : إياك أن تغترَّ بكتب أهل العراق وبقول ابن الزبير : الْحَقْ بهم فإنهم ناصروك[٢] ، إياك تبرح الحرم ، فإنهم إن كانت بهم إليك حاجةٌ فسيضربون إليك آباط الإبل حتى يوافوك فتخرج في قوَّة وعدَّة . فجزاه خيراً وقال : أَستخير الله في ذلك .

وكتبت إليه عَمْرة بنت عبد الرحمن تعظِّم عليه مايريد أن يصنع ، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة ، وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يُساق إلى مصرعه وتقول : أشهد لسمعت عائشة تقول : إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُقتلُ الحسينُ بأرضِ بابل » . فلمّا قرأ كتابها قال : فلا بدَّ لي إذاً من مَصْرعي . ومضى[٣] .

وأتاه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقال له : يا بن عمّ ! قد رأيتَ ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك ، وأنت تريد أن تسير إليهم ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك مَنْ قد وعدك أن ينصرك ، ويخذلك مَنْ أنت أحبُّ إليه ممن ينصره ، فأذكِّرك اللهَ في نفسك . فقال : جزاك الله ـ يا بن عم ـ خيراً ، مهما يقضِ الله من أمر يكُن . فقال أبو بكر : إنا لله وإنَّا إليه راجعون ، نحتسب أبا عبد الله عند الله .

وكتب إليه عبد الله بن جعفر كتاباً يحذِّره أهل الكوفة[٤] ، ويناشدُه اللهَ أن يشخص إليهم . فكتب إليه الحسين : إني رأيت رؤيا ، ورأيت رسول الله ﷺ أمرني بأمر وأنا ماضٍ له ، ولست بمُخبر بها أحداً حتى أُلاقيَ عملي .

---

(١) « ملل » : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) بعد هذا في ط : « وقال له ابن عباس » ، وليست في ب ، م ولا في طبقات ابن سعد وتاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٣٢) وتهذيب الكمال (٦/ ٤١٧) ، لذلك لم نثبتها .

(٣) أخرجه ابن عساكر ، مختصره (٧/ ١٤٠) .

(٤) في ط : « العراق » ، وما هنا من م وطبقات ابن سعد (١/ ٤٤٧) الذي ينقل منه ، وتهذيب الكمال (٦/ ٤١٨) .

وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص نائب الحرمين : إني أسأل الله أن يُلهمَك رشدَك ، وأن يصرفك عمّا يُرديك ، بلغني أنك قد عزمتَ على الشخوص إلى العراق ، وإني أعيذك بالله من الشقاق ، فإنك إنْ كنت خائفاً فأقبل إليّ ، فلك عندي الأمان والبرُّ والصِّلَة . فكتب إليه الحسين : إنْ كنتَ أردتَ بكتابك برِّي وصلتي فجُزيت خيراً في الدنيا والآخرة ، وإنا لم نشاقق مَنْ دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، وخير الأمان أمان الله ، ولم يؤمن بالله مَنْ لم يخفه في الدنيا ، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أماناً يوم القيامة عنده .

قالوا : وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة ، وأحسبُه قد جاءه رجال من أهل المشرق فمنَّوه الخلافة ، وعندك منهم خبر وتجربة ، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فاكفُفْه عن السَّعي في الفُرقة . وكتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قريش :

يـا أيُّهـا الـراكـبُ الغـادي لطِيَّتِـهِ ... علـى عُـذافرةٍ فـي سَيْرهـا قُحَـمُ[1]
أبلغْ قـريشـاً علـى نَـأْيِ المَـزارِ بهـا ... بينـي وبيـنَ حسيـنِ اللهُ والـرَّحِـمُ
ومـوقـفٌ بفِنـاءِ البيـتِ أَنْشُـدُهُ ... عهـدَ الإلَـهِ ومـا تُـوفـىٰ بـهِ الـذِّمـم
عَنَّيْتُـمُ قـومَكـم فخـراً بـأُمِّكُـمُ ... أمّ لعَمْـري حَصَـانٌ بَـرَّةٌ كـرمُ
هـي التـي لا يُـدانـي فَضْلَهـا أحـدٌ ... بنتُ الرسولِ وخير الناسِ قد علموا
وفضلُهـا لكُـمُ فضـلٌ وغيـرُكُـمُ ... مـن قـومكـمْ لهـمُ فـي فضلِهـا قِسَـمُ
إنِّـي لأعلـمُ أو ظنّـاً كعـالمِـهِ ... والظَّـنُّ يصـدُقُ أحيـانـاً فينتظِـمُ
أنْ سـوفَ يتـركُكُـمْ مـاتـدَّعـونَ بهـا ... قَتْلىٰ تَهـاداكُـمُ العِقْبـانُ والـرَّخَـمُ[2]
ياقومَنا لا تَشُبُّوا الحربَ إذ سَكَنَتْ ... ومَسِّكُـوا بحبـال السِّلـم واعتصِمُـوا
قد جَرَّبَ الحربَ مَنْ قد كان قبلكُمُ ... مـن القُـرون وقـد بـادتْ بهـا الأُمَـمُ
فأَنْصِفُوا قومَكُمْ لا تَهْلِكوا بَذَخاً[3] ... فـربَّ ذي بَـذَخٍ زلَّـتْ بـه القَـدَمُ[4]

قال : فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهُه ، ولست أدع النصيحة له في كل ما تجتمع به الأُلفة وتُطفأ به الثائرة . ودخل ابن عباس على الحسين فكلَّمه طويلاً وقال

(١) « الطية » : الجهة أو النية . « العذافرة » : الناقة الصلبة القوية . « قحم » : إقدام وجرأة وتقحم .
(٢) « الرخم » : جمع رخمة : طائر أبقع على شكل النسر خلقة .
(٣) « البذح » : الكِبر ، وتبذخ فلان : تطاول وتكبر وفخر .
(٤) الخبر والأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٣٤) وقد أورد الطبري الأبيات في تاريخه (٨/ ٢٠٢) في حوادث سنة ١٦٩هـ .

له : أَنشُدكَ اللهَ أن تهلك غداً بحال مضيعة ، لا تأت العراق ، وإن كنت لا بدَّ فاعلاً فأقم حتى ينقضي الموسم وتلقى الناس وتعلم ما يصدرون ثم ترى رأيك ، وذلك في عشر ذي الحجة . فأبى الحسين إلّا أن يمضي إلى العراق ، فقال له ابن عباس : والله إني [لأظنك ستُقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قُتل عثمان بين نسائه وبناته ، والله إني](١) لأخاف أن تكون أنت الذي يُقاد به عثمان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . فقال له الحسين : أبا العباس ! إنك شيخ قد كبرت . فقال له ابن عباس : لولا أن يُزري ذلك بي وبك لنشبتُ يدي في رأسك ، ولو أعلم أنا إذا تناصَينا(٢) أقمتَ لفعلتُ ، ولكن لا إخال ذلك مانعك . فقال الحسين : لأن أُقتل بمكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ من أن تُستحل بي ـ يعني مكة ـ(٣) . قال : فبكى ابن عباس وقال : أقررتَ عينَ ابن الزبير بذلك ، وذلك الذي سلَّى نفسي عنه .

قال : ثم خرج ابن عباس عنه وهو مغضبٌ وابنُ الزبير على الباب ، فلمّا رآه قال : يا بن الزبير قد أتى ماأحببت ، قرَّت عينك ، هذا أبو عبد الله خارج ويتركك والحجاز ، ثم قال :

يــا لَــكِ مِــنْ قُنْبَــرَةٍ بمَعْمَــر خَلاَ لَكِ الجوُّ فَبِيضِي واصْفِري
ونقِّرِي ما شِئْتِ أَنْ تنقِّري(٤)

قال : وبعث الحسين إلى المدينة يقدّم عليه من خفَّ معه من بني عبد المطلب ، وهم تسعة عشر رجلاً ونساءً وصِبيان من إخوانه وبناته ونسائه ، وتبعهم محمد بن الحنفيَّة ، فأدرك حسيناً بمكة ، فأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا ، فأبى الحسين أن يقبل ، فحبس محمدُ بن الحنفيَّة ولده فلم يبعث أحداً منهم حتى وجد(٥) الحسينُ في نفسه على محمد وقال : ترغب بولدك عن موضع أُصاب فيه ؟! فقال محمد : وما حاجتي إلى أن تُصاب ويُصابوا معك ؟ وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم .

قالوا : وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم ، فخرج متوجِّهاً إليهم في أهل بيته وستين شيخاً(٦) من أهل الكوفة(٧) ، وذلك يوم الإثنين في عشر ذي الحجة [سنة ستين](٨) فكتب مروان إلى ابن زياد : أما بعد : فإن الحسين بن علي قد توجَّه إليك ، وهو الحسين بن فاطمة ، وفاطمة

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٢) « تناصينا » : أخذ كل منا بناصية الآخر . ووقعت في ط : تباصينا .
(٣) في ط : « أن أقتل بمكة وتستحل بي » وما هنا من م وطبقات ابن سعد (١/ ٤٥٠) الذي ينقل منه المصنف ، وتهذيب الكمال (٦/ ٤٢١) .
(٤) تقدم تخريجه قبل صفحات .
(٥) « وجد » : غضب وحزن .
(٦) في ط : « شخصاً » ، خطأ وما هنا من م وطبقات ابن سعد (١/ ٤٥١) وتهذيب الكمال (٦/ ٤٢٢) .
(٧) بعد هذا في ط : « صحبته » وليست في م ولا في طبقات ابن سعد وتهذيب الكمال (٦/ ٤٢٢) .
(٨) ليس في ط .

بنت رسول الله ﷺ ، وتالله ما أحد يسلِّمه الله أحبّ إلينا من الحسين ، فإياك أن تُهيِّج على نفسك ما لا يسدُّه شيء ، ولا تنساه العامة ، ولا تدع ذكره آخر الدهر . والسلام . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص : أما بعد : فقد توجَّه إليك الحسين ، وفي مثلها تُعتق أو تكون عبداً تُسترقُّ كما يُسترقُّ العبيد .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني محمد بن الضحّاك ، عن أبيه قال : كتب يزيد إلى ابن زياد : إنه قد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة ، وقد ابتُلي به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وابتُليت أنت به من بين العمّال ، وعندها تُعتق أو تعود عبداً كما ترقُّ العبيد وتعبّد . فقتله ابن زياد ، وبعث برأسه إليه .

قلت : والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام ، كما سيأتي .

[وفي رواية : أن يزيد كتب إلى ابن زياد : قد بلغني أن الحسين قد توجَّه نحو العراق ، فضع المناظر والمسالح ، واحترِس ، واحبس على الظنَّة ، وخذ على التُّهمة ، غير أن لا تقاتل إلّا مَنْ قاتلك ، واكتب إليَّ في كل ما يحدُث من خبر . والسلام][1] .

قال الزبير بن بكّار : وحدّثني محمد بن الضحّاك قال : لما أراد الحسين الخروج من مكة إلى الكوفة مرَّ بباب المسجد الحرام وقال :

لا ذَعَرْتُ السَّوَام في فَلَقِ الصُّبـ ـحِ مُغيراً ولا دُعِيتُ يَزيدا
يومَ أُعطي مخافةَ الموتِ ضَيْماً والمنايا يَرْصُدْنني أنْ أَحِيدا[2]

وقال أبو مِخْنف : قال أبو جَنَاب يحيى بن أبي حيَّة[3] : عن عدي بن حَرْملة الأسدي ، عن عبد الله بن سُليم والمذري[4] بن المشْمَعِلّ الأسديَّين قالا : خرجنا حاجَّيْن من الكوفة ، فقدمنا مكة ، فدخلنا يوم التَّرويَة ، فإذا نحن بالحسين وابن الزبير قائمَيْن عند ارتفاع الضحى فيما بين الحِجْر والباب ، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئتَ أن تقيم أقمت فولِّيتَ هذا الأمر ، فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك . فقال الحسين : إنَّ أبي حدّثني أنَّ لها كبشاً يستحلُّ حرمتها ، فما أُحِبُّ أن أكون أنا ذلك الكبش . فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئتَ ولِّني أنا الأمر فتُطاع ولا تُعصى . فقال : وما أريد هذا أيضاً . ثم إنهما أخفَيا كلامهما دوننا ، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دعاء الناس رائحين[5] متوجِّهين إلى

---

(١) هذه الرواية ليست في ب .
(٢) البيتان ليزيد بن مفرِّغ الحميري ، وقد قالهما الحسين متمثلاً . وهما في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٢) والأغاني (١٨/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) وتاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٢٧) .
(٣) تحرفت في ط إلى : خيثمة .
(٤) في ط : المنذر .
(٥) سقطت من ط ، وهي في م وعند الطبري (٥/ ٣٨٥) .

مِنىً عند الظهيرة . قالا : فطاف الحسين بالبيت وبين الصَّفا والمروة ، وقصَّر من شعره ، وحلَّ من عُمرته ، ثم توجَّه نحو الكوفة ، وتوجَّهنا نحن مع الناس إلى مِنىً[١] .

وقال أبو مِخْنف : حدّثني الحارث بن كعب الوالبي ، عن عُقبة بن سِمْعان قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد ـ يعني نائب مكة ـ عليهم أخوه يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرِف ، أين تريد ؟! فأبى عليه ومضى ، وتدافع الفريقان ، وتضاربوا بالسِّياط والعصيّ . ثم إن حسيناً وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قويًّا ، ومضى الحسين على وجهه ذلك ، فنادَوْه : يا حسين ! ألا تتقي الله ، أتخرج من الجماعة وتفرِّق بين الأمة بعد اجتماع الكلمة ؟! فتأوَّل الحسين قول الله تعالى[٢] : ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ٤١] .

قال : ثم إن الحسين مرَّ بالتَّنعيم[٣] ، فلقي بها عِيراً قد بعث بها بَحِير بن رَيْسَان[٤] الحِمْيري نائب اليمن إلى يزيد بن معاوية ، عليها [ورسٌ وحُلَلٌ كثيرة ، فأخذها الحسين وانطلق بها ، واستأجر أصحاب الجمال عليها][٥] إلى الكوفة ، ودفع إليهم أجرتهم .

ثم ساق أبو مِخْنف بإسناده الأول : أن الفَرَزدق[٦] لقي الحسين في الطريق ، فسلَّم عليه وقال له : أعطاك الله سؤلك وأمَّلك فيما تحب . فسأله الحسين عن أمر الناس[٧] وراءه ، فقال له : قلوبُ الناس معك ، وسيوفُهم مع بني أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء . فقال له : صدقتَ ، لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ، يفعل مايشاء ، وكل يوم ربُّنا في شأن ، إن نزل القضاء بما نحبُّ فنحمَد الله على نَعمائه ، وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد[٨] من كان الحق نيّته والتقوى سريرته . ثم حرَّك الحسين راحلته وقال : السلام عليكم . ثم افترقا[٩] .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) .
(٢) في ط : « هذه الآية » بدل « قول الله تعالى » ، وما أثبتناه من م وهو الموافق لما في تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٥) .
(٣) « التنعيم » : موضع بمكة في الحل ، فيه مساجد حول مسجد عائشة وسقايا على طريق المدينة ، يحرم منه المكيون بالعمرة . معجم البلدان (٢/ ٤٩) .
(٤) في أ ، ط : بجير بن زياد ، وفي ب : بحير بن ريان وكلاهما تصحيف ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو مطابق لما في تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٥) ومشتبه النسبة للذهبي (١/ ٤٧) وغيره .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٦) هو ابن غالب ، الشاعر المشهور .
(٧) بعد هذا في ط : « وما » ، وما أثبتناه من م ، وهو الموافق لسياق الطبري .
(٨) في ط : « يتعد » وما أثبتناه من م وتاريخ الطبري .
(٩) تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٦) .

وقال هشام بن الكلبي : عن عَوانة بن الحكم ، عن لَبَطَة[١] بن الفَرَزدق ، عن أبيه قال : حججتُ بأمي ، فبينما أنا أسوق بها بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج ـ وذلك سنة ستين ـ إذ لقيتُ الحسين خارجاً من مكة معه أسيافُه وأتراسُه ، فقلت له : بأبي وأمي يا بنَ رسول الله ! ما أعجلك عن الحج ؟ فقال : لو لم أعجل لأُخِذت . ثم سألني : ممن أنت ؟ فقلت : امرؤ من العراق ، فسألني عن الناس ، فقلت له : القلوب معك ، والسيوف مع بني أمية . وذكر نحو ما تقدم .

قال الفرزدق : وسألت الحسين عن أشياء وعن المناسك ، فأخبرني بها . قال : وإذا هو ثقيل اللسان من بِرْسام[٢] كان أصابه بالعراق . قال : ثم مضيت فإذا فُسْطاط[٣] مضروب في الحرم ، وهيئة حسنة ، فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص ، فسألني ، فأخبرته أني لقيت الحسين ، فقال : فهلّا اتَّبعته ؟ فإن الحسين لا يَحِيكُ[٤] فيه السِّلاح ، ولا يجوز فيه ولا في أصحابه . فندم الفرزدق وهمَّ أن يلحق به ، ووقع في قلبه مقالة ابن عمرو ، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصدَّني ذلك عن اللحاق به . فلمّا بلغه أنه قُتل لَعَن ابن عمرو ، وكان ابن عمرو يقول : والله لا تبلغ الشجرةُ ولا النخلةُ ولا الصغيرُ حتى يبلغ هذا الأمر ويظهر . وإنما أراد ابن عمرو بقوله : لا يَحيك فيه السِّلاح ، أي : السِّلاح الذي لم يقدَّر أن يقتل به . وقيل غير ذلك ، وقيل : أراد الهَزْل بالفرزدق[٥] .

قالوا : ثم سار الحسين لا يَلوي على شيء ، حتى نزل ذات عِرْق .

قال أبو مِخْنف : فحدّثني الحارث بن كعب الوالبي ، عن علي بن الحسين بن علي قال : لمّا خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين مع ابنيه[٦] : عون ومحمد : أما بعد ، فإني أسألك بالله لما انصرفتَ حتى تنظر في كتابي هذا ، فإني مشفِق عليك من الوجه الذي توجَّهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلكت اليوم طُفئ نور الإسلام ، فإنك علَم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجَل بالسير فإني في أثر كتابي ، والسلام .

ثم نهض عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد ـ نائب مكة ـ فقال له : اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان ، وتمنِّيه فيه البِرَّ والصلة ، وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع لعلَّه يطمئنُّ إلى ذلك فيرجع . فقال له عمرو : اكتب عني ماشئتَ وائتني به حتى أختمه . فكتب ابن جعفر على لسان عمرو بن سعيد

(١) تحرف في ط إلى : ليطة ، وفي ب إلى : لبيطة .
(٢) « البرسام » : ذات الجنب ، وهو التهابٌ في الغشاء المحيط بالرئة .
(٣) « الفسطاط » : بيت كبير من الشعر .
(٤) « يحيك » : يؤثر .
(٥) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) وأيضاً في المعرفة والتاريخ (٢/ ٦٧٣) .
(٦) في ط : ابنه ، خطأ .

ما أراد عبد الله ، ثم جاء بالكتاب إلى عمرو فختمه بخاتمه ، وقال عبد الله لعمرو بن سعيد : ابعث معي أخاك ، فبعث معه أخاه يحيى ، فانصرفا حتى لحقا الحسين ، فقرآ عليه الكتاب ، فأبى أن يرجع وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد أمرني بأمر وأنا ماضٍ له ، فقالا : وما تلك الرؤيا ؟ فقال : لا أحدِّث بها أحداً حتى ألقى ربي عزَّ وجلّ[١] .

قال أبو مِخْنف : وحدّثني محمد بن قيس : أنَّ الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرُّمة[٢] ، بعث قيس بن مُسْهِر الصَّيداوي إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن عليٍّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمَد إليكم اللهَ الذي لا إله إلّا هو ، أما بعد ، فإن كتاب مسلم بن عَقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا ، فنسأل الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يُثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التَّروِيَة ، فإذا قدم عليكم رسولي فأكيسُوا[٣] أمركم وجدُّوا ، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قال : وكان كتاب مسلم قد وصل إليه قبل أن يُقتل بسبع وعشرين ليلة ، ومضمونه : أما بعد ، فإن الرائد لا يَكذِبُ أهلَه ، وإن جميع أهل الكوفة معك ، فأَقبِل حين تقرأ كتابي هذا ، والسلام عليك .

قال : وأقبل قيس بن مُسهِر الصَّيداوي بكتاب الحسين إلى الكوفة ، حتى إذا انتهى إلى القادسيَّة أخذه الحُصَين بن نُمير ، فبعث به إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له ابن زياد : اصعَد إلى أعلى القصر فسُبَّ الكذّاب ابن الكذّاب . فصعِدَ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنَّ هذا الحسين بن علي خير خلق الله ، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقتُه بالحاجر من بطن الرُّمة ، فأَجيبوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعليٍّ والحسين . فأمر به ابن زياد ، فأُلقي من رأس القصر فتقطَّع ، ويقال : بل تكسَّرت عظامه وبقي فيه بقية رَمَق . فقام إليه عبد الملك بن عُمير البَجلي فذبحه وقال : إنما أردتُ إراحته من الألم ـ وقيل : إنه رجل يشبه عبد الملك بن عُمير وليس به . وفي رواية : أن الذي قدم بكتاب الحسين إنما هو عبد الله بن بُقطر أخو الحسين من الرَّضاعة ، فأُلقي من أعلى القصر . والله أعلم[٤] .

ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة ولا يعلم بشيء من أخبار ما وقع .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨) .

(٢) وقع في ط : بطن ذي الرمة وهو خطأ . والرمة ـ بتشديد الميم ويخفف ـ واد بنجد .

(٣) كذا في أ ، ب ، م ، ووقعت في ط : فاكتموا وفي تاريخ الطبري : فاكمشوا .

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) .

قال أبو مِخْنف : عن أبي علي الأنصاري ، عن بكر بن مصعب المُزَني قال : وكان الحسين لا يمرُّ بماءٍ من مياه العرب إلا اتَّبعوه .

قال أبو مِخنف : عن أبي جَنَاب ، عن عدي بن حَرْملَة ، عن عبد الله بن سُليم والمذري[١] بن المشْمَعِلّ الأسديَّين قالا : لما قضينا حجَّنا لم يكن لنا همة إلّا اللحاق بالحسين ، فأدركناه وقد مرَّ برجل من بني أسد ، فهمَّ الحسين أن يكلِّمه ويسأله ثم ترك ، فجئنا ذلك الرجل ، فسألناه عن أخبار الناس ، فقال : والله لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عَقيل وهانىء بن عروة ، ورأيتهما يُجرّان بأرجلهما في السوق . قالا : فلحقنا الحسين فأخبرناه ، فجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مراراً . فقلنا له : اللهَ اللهَ في نفسك . فقال : لا خير في العيش بعدهما . قلنا : خارَ اللهُ لك . وقال له بعض أصحابه : والله ما أنت مثل مسلم بن عَقيل ، ولو قدمتَ الكوفة لكان الناس إليك أسرع[٢] .

وقال غيرهما : لما سمع أصحاب الحسين بمقتل مسلم بن عَقيل وثب عند ذلك بنو عَقيل بن أبي طالب وقالوا : لا والله لا نرجع حتى ندركَ ثأرنا أو نذوقَ ما ذاق أخونا .

فسار الحسين ، حتى إذا كان بزَرُود[٣] بلغَه أيضاً مقتل الذي بعثه بكتابه إلى أهل الكوفة بعد أن خرج من مكة ووصل إلى حاجر ، فقال : قد خذلتنا شيعتُنا ، فمن أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه ، وليس عليه منا ذِمام . قال : فتفرَّق الناس عنه أيادِي سَبَا[٤] يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه [من مكة . وإنَّما فعل ذلك لأنه ظنَّ أن مَن اتَّبعه من الأعراب إنما اتَّبعوه لأنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعةُ أهلها ، فكرِهَ أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون على ما يقدمون ، وقد علم أنه إذا بيَّن لهم الأمر لم يصحبْه إلّا مَنْ يريد مواساته في الموت معه][٥] .

قال : فلمّا كان السَّحَر أمر فتيانه أن يستقُوا من الماء ويُكثروا منه . ثم سار حتى مرَّ ببطن العَقَبة ، فنزل بها .

وقال محمد بن سعد : حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن يزيد الرِّشْك قال : حدّثني من شافَهَ الحسين قال : [رأيت أخبية مضروبة بفلاة من الأرض ، فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : هذه

---

(١) في ط : المنذر .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٨) .
(٣) زرود : منطقة رملية بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان (٣/ ١٣٩) .
(٤) « تفرقوا أيادي سبا » : مثل ضربته العرب في الفرقة : أي فرقتهم طرقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سبأ في مذاهب شتى . والعرب لاتهمز سبا في هذا الموضع لأنه كثر في كلامهم فاستثقلوا فيه الهمز ، وإن كان أصله مهموزاً . اللسان : مادة (سبأ) .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) .

لحسين ، قال](١) : فأتيتُه ، فإذا شيخٌ يقرأ القرآن والدموعُ تسيل على خدَّيه ولحيته ، قال : قلت بأبي وأمي يا بن رسول الله ، ماأنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد ؟! فقال : هذه كتب أهل الكوفة إليَّ ، ولا أراهم إلّا قاتليّ ، فإذا فعلوا ذلك لم يَدَعوا لله حرمة إلّا انتهكوها ، فيسلِّط الله عليهم مَنْ يذِلُّهم حتى يكونوا أذلَّ مِن فَرَمِ الأَمَة ـ يعني : مِقْنَعَتها(٢) . وأخبرنا علي بن محمد ، عن الحسن بن دينار ، عن معاوية بن قُرَّة قال : قال الحسين : والله لتَعْتدنَّ عليَّ كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت . وحدّثنا علي بن محمد ، عن جعفر بن سليمان الضُّبعي قال : قال الحسين : والله لا يَدَعوني حتى يستخرجوا هذه العَلَقة من جوفي ، فإذا فعلوا ذلك سلَّط الله عليهم من يُذلُّهم حتى يكونوا أذل مِن فَرَم الأَمَة . فقُتل بِنِيْنَوى(٣) يوم عاشوراء سنة إحدى وستين .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو بكر الحميدي ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا شهاب بن خِرَاش(٤) ، عن رجل من قومه قال : كنت في الجيش الذين بعثهم ابن زياد إلى الحسين[وكانوا أربعة آلاف يريدون قتال الدَّيلم ، فعيَّنهم ابن زياد ، وصرفهم إلى قتال الحسين](٥) فلقيتُ حسيناً ، فرأيته أسود الرأس واللحية ، فقلت له : السلام عليك أبا عبد الله . فقال : وعليك السلام ـ وكانت فيه غُنَّة ـ فقال : لقد باتت فيكم سللة منذ الليلة ـ يعني سُرّاقاً(٦) . قال شهاب : فحدثت به زيد بن علي فأعجبه : وكانت فيه غُنَّة . قال سفيان بن عيينة : وهي في الحسينيِّين(٧) .

قال أبو مِخْنف : عن أبي خالد الكاهلي قال : لما صبَّحت الخيلُ الحسينَ بن علي رفع يديه فقال : اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدَّة ، وأنت لي من كل أمر نزل بي ثقةٌ وعدَّة ، فكم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد ، وتقلُّ فيه الحيلة ، ويخذُل فيه الصديق ، ويشمَت فيه العدو ، فأنزلتُه بك وشكوتُه إليك ، رغبةً فيه إليك عمن سواك ، ففرَّجتَه وكشفتَه وكفيتَنيه ، فأنت(٨) وليُّ كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل غاية(٩) .

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ ، ب .
(٢) « المقنعة » : ماتغطي به المرأة رأسها . وفي النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٤١) : (حتى تكونوا أذل من فرم الأمة) هو ماتعالج به المرأة فرجها ليضيق . وقيل : هو خرقة الحيض .
(٣) « نينوى » : ناحية بسواد الكوفة ، منها كربلاء .
(٤) تحرف في ط والمعرفة والتاريخ إلى : حراش وفي أ إلى : حرشان .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب ، كما سقطت لفظة آلاف من المعرفة والتاريخ .
(٦) في ط : سرافاً تحريف .
(٧) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٥) .
(٨) بعد هذا في ط : « لي » وليست في م ولا في تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٣) ، ولا في تاريخ دمشق .
(٩) تاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٤٢) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلّام : حدّثني حجّاج بن محمد ، عن أبي مَعْشر[١] ، عن بعض مشيخته قال : قال الحسين حين نزلوا كَرْبلاء : ما اسم هذه الأرض ؟ قالوا : كَرْبلاء . قال : كربٌ وبلاء .

وبعث عبيدُ الله بن زياد عمرَ بن سعد لقتالهم ، فقال له الحسين : يا عمر! اخترْ لي إحدى ثلاث خصال : إما أن تتركني أرجع كما جئت ، فإن أبيتَ هذه فسيِّرْني إلى يزيد [فأضع يدي في يده فيحكم فيَّ ما رأى ، فإن أبيتَ هذه فسيِّرْني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت . فأرسل إلى ابن زياد بذلك ، فهمَّ أن يسيِّره إلى يزيد][٢] فقال شَمِرُ بن ذي الجَوْشَن : لا ، إلَّا أن ينزل على حُكمك . فأرسل إلى الحسين بذلك ، فقال الحسين : والله لا أفعل . وأبطأ عمر عن قتاله ، فأرسل ابن زياد شَمِرَ بن ذي الجَوْشَن وقال له : إنْ تقدَّم عمرُ فقاتلَ وإلَّا فاقتله وكن مكانه ، فقد ولَّيتك الإمرة . وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلاً من أعيان أهل الكوفة ، فقالوا له : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً ؟! فتحوَّلوا مع الحسين يقاتلون معه[٣] .

وقال أبو زرعة : حدّثنا سعيد بن سليمان ، حدّثنا عبّاد بن العوّام ، عن حُصين قال : أدركتُ ذاك ـ يعني مقتل الحسين ـ قال : فحدّثني سعد بن عبيدة قال : فرأيت الحسين وعليه جبَّة برود ، ورماه رجل يقال له عمرو بن خالد الطُّهَوي بسهم ، فنظرتُ إلى السهم معلَّقاً بجبَّته[٤] .

وقال ابن جرير : حدّثنا محمد بن عمّار الرازي ، حدّثنا سعيد بن سليمان ، حدّثنا عبّاد بن العوّام ، حدّثنا حُصين : أن الحسين بعث إليه أهل الكوفة : إنَّ معك مئة ألف . فبعث إليهم مسلم به عَقيل . . . فذكر قصة مقتل مسلم كما تقدم .

قال حُصين : فحدّثني هلال بن يِسَاف : أن ابن زياد أمر الناس أن يأخذوا ما بين واقصةَ إلى طريق الشـام إلى طريق البصرة ، فلا يَدَعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج ، وأقبل الحسين ولا يشعر بشيء ، حتى أتى الأعراب ، فسألهم عن الناس ، فقالوا : والله لا ندري ، غير أنك لا تستطيع أن تلج ولا تخرج . قال : فانطلق يسير نحو يزيد بن معاوية ، فتلقَّته الخيول بكربلاء ، فنزل يناشدهم الله والإسلام . قال : وكان بعث إليه ابنُ زياد عمـرَ بن سعد وشَمِرَ بن ذي الجَـوْشَن وحُصين بن نُمير ، فناشدهم اللهَ والإسلام أن يسيِّروه إلى أمير المؤمنين يزيد ، فيضع يده في يده ، فقالوا له : لا ، إلَّا أن تنزل على حُكم ابن زياد . وكان في جملة من معهم الحرُّ بن يزيد الحَنْظلي ثم النَّهْشلي على خيل ، فلمّا سمع ما يقول الحسين قال

---

(١) تحرفت لفظة معشر في أ إلى : مسعر وفي ب إلى : مسعود . والخبر في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣١١) .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) تاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٤٥) .
(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٦٢٦) .

لهم : ألا تقبلون من هؤلاء ما يَعرضون عليكم ؟! والله لو سألْتكم هذا الترك والدَّيلم ما حلَّ لكم أن تردُّوهم . فأبَوْا إلّا حكم ابن زياد ، فضرب الحرُّ وجه فرسه وانطلق إلى الحسين وأصحابه ، فظنُّوا أنه جاء ليقاتلهم ، فلمّا دنا منهم قلب ترسه وسلَّم عليهم ، ثم كرَّ على أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ، ثم قُتل رحمه الله[(١)] .

وذكر أن زهير بن القَيْن البَجَلي لقي الحسين وكان حاجًّا ، فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبي مخرمة[(٢)] المرادي ورجلان آخران ـ وهما عمرو بن الحجّاج ومعن السُّلمي ـ [قال الحُصين : وقد رأيتهما . قال :][(٣)] وأقبل الحسين يكلِّم من بعث إليه ابن زياد [وإني لأنظر إليه][(٤)] وعليه جبَّة من برود ، فلمّا كلَّمهم انصرف ، فرماه رجل من بني تميم يقال له عَمْرو الطُّهَوي بسهم بين كتفيه ، فإني لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلّقاً بجبَّته ، فلما أبَوْا عليه رجع إلى مصافِّه ، وإني لأنظر إليهم وهم قريب من مئة رجل ، فيهم لصُلب علي خمسة ، ومن بني هاشم ستة عشر ، ورجل من بني سُليم حليف لهم ، ورجل من بني كنانة حليف لهم ، وابن عم ابن زياد .

وقال حُصين : وحدّثني سعد بن عبيدة قال : إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد ، إذ أتاه رجل فسارَّه فقال له : قد بعث إليك ابن زياد جُوَيرية بن بدر التميمي ، وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك . قال : فوثب إلى فرسه فركبها ، ثم دعا بسلاحه فلبسه ، وإنه لعلى فرسه ، ونهض بالناس إليهم فقاتَلوهم ، فجيء برأس الحسين إلى ابن زياد ، فوضع بين يديه ، فجعل يقول بقضيبه في أنفه ويقول : إن أبا عبد الله كان قد شَمِط[(٥)] . قال : وجيء بنسائه وبناته وأهله ، وكان أحسن شيء صنَعَه أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل ، وأجرى عليهم رزقاً ، وأمر لهم بنفقة وكسوة . قال : وانطلق غلامان منهم من أولاد عبد الله بن جعفر ـ أو ابن أبي جعفر ـ فأتيا رجلاً من طيئٍ ، فلجآ إليه يستجيران به ، فضرب أعناقهما وجاء برأسَيْهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد. قال: فهمَّ ابن زياد بضرب عنقه ، وأمر بداره فهُدمت[(٦)] .

قال : وحدّثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال : لما أُتي يزيدُ برأس الحسين فوضع بين يديه ، رأيته يبكي ويقول : لو كان بينه وبينه رحِمٌ ما فعل هذا ـ يعني ابن زياد[(٧)] .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٢) .
(٢) في تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٢) بحرية .
(٣) ما بين الحاصرتين ليس في ط ، واستدركناه من م ، وهو في تاريخ الطبري أيضاً (٥/ ٣٩٢) .
(٤) ما بين الحاصرتين من م ، وهو أيضاً في تاريخ الطبري .
(٥) « شمط » : شاخ وكبر .
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٣) .
(٧) المصدر السابق .

قال الحصين : ولما قُتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلطَّخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع(١) .

[قال أبو مخنف : حدّثني لَوْذان ـ أحد بني(٢) عكرمة ـ أن أحد عمومته سأل الحسين : أين تريد ؟ فحدَّثه ، فقال له : أنشُدُك الله لما انصرفت راجعاً ، فوالله ما بين يديك من القوم أحد يذبُّ عنك ولا يقاتل معك ، وإنما ـ والله ـ أنت قادم على الأسنَّة والسيوف ، فإنَّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفَوْك مؤنة القتال ووطؤوا لك الأشياء ثم قدمتَ عليهم بعد ذلك كان ذلك رأياً ، فأمّا على هذه الصفة فإني لا أرى لك أن تفعل . فقال له الحسين : إنه ليس يخفى عليَّ ما قلتَ وما رأيت ، ولكنَّ الله لا يُغلب على أمره . ثم ارتحل قاصداً الكوفة .

وقال خالد بن العاص :

رُبَّ مستَنْصَــحٍ يَغُــشُّ ويُــرْدِي وظَنِينٍ بالغَيْب يُلفَى نَصِيحا](٣)

وقد حج بالناس في هذه السنة عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان عامل المدينة ومكة ليزيد . وقد عَزل يزيدُ عن إمرة المدينة الوليد بن عُتبة وولّاها عمرو بن سعيد بن العاص في شهر رمضان منها [وكان عُبيد الله بن زياد على البصرة والكوفة](٤) .

ثم دخلت سنة إحدى وستين

استهلّت هذه السنة والحسين بن علي سائر إلى الكوفة فيما بين مكة والعراق ومعه أصحابه وقراباته ، فقُتل في يوم عاشوراء من شهر المحرّم من هذه السنة على المشهور الذي صحَّحه الواقدي وغير واحد ، وزعم بعضهم أنه قُتل في صفر منها ، والأول أصح .

وهذه صفة مَقْتله مأخوذة من كلام أئمَّة هذا الشأن لا كما يزعمُه أهل التشيُّع من الكذب الصَّريح والبُهْتان

قال أبو مِخْنف : عن أبي جَنَاب ، عن عدي بن حَرْملة ، عن عبد الله بن سُليم(٥) والمذري بن

(١) المصدر السابق .

(٢) قوله : أحد بني تحرف في ط إلى : حدثني . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٩٩) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب . والبيت في تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٢) وهو لإبراهيم بن العباس الصولى كما في فهرسه .

(٤) ما بين الحاصرتين من م .

(٥) اضطربت النسخ في هذا السند : فوقع في أ ، ط . . . عن عدي بن حرملة ، عن عبد الله بن حرملة ، عن عبد الله بن=

المشمعِلّ الأسديَّين قالا : أقبل الحسين ، فلمّا نزل شَرَاف[١] قال لغِلمانه وقت السحر : استقُوا من الماء فأكثِروا ، ثم ساروا إلى صدر النهار ، فسمع الحسين رجلاً يكبِّر ، فقال له : ممَّ كبَّرت ؟ فقال : رأيت النخل ، فقال له الأسديّان : إن هذا المكان لم يرَ أحد منه نخلة ، فقال الحسين : فماذا تريانه رأى ؟ فقالا : هذه الخيل قد أقبلت ، فقال الحسين : أما لنا ملجأ نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقالا : بلى ، ذو حُسم ، فأخذ ذات اليسار إليها فنزل ، وأمر بأبنيته فضُربت ، وجاء القوم ـ وهم ألف فارس مع الحرِّ بن يزيد التميمي ، وهم مقدمة الجيش الذين بعثهم ابن زياد ـ حتى وقفوا في مقابلته في نَحْر[٢] الظَّهيرة ، والحسين وأصحابه معتمُّون متقلِّدو سيوفهم ، فأمر الحسين أصحابه أن يتروَّوا من الماء ، ويَسقُوا خيولهم ، وأن يسقُوا خيول أعدائهم أيضاً .

وروى هو وغيره قالوا : لمّا دخل وقتُ الظهر أمر الحسين الحجّاج بن مَسْروق الجُعْفي فأذَّن ، ثم خرج الحسين في إزار ورداءٍ ونعلَين ، فخطب الناس من أصحابه وأعدائه ، واعتذر إليهم في مجيئه هذا إلى هاهنا : بأنه قد كتب إليه أهل الكوفة : أن ليس لهم إمام ، وإن أنتَ قدمتَ علينا بايعناك وقاتلنا معك . ثم أُقيمت الصلاة ، فقال الحسين للحرّ : تريد أن تصلي بأصحابك ؟ قال : لا ، ولكن صلِّ أنت ونصلِّي نحن وراءك . فصلَّى بهم الحسين ، ثم دخل خيمته واجتمع به أصحابه ، وانصرف الحرُّ إلى جيشه وكلٌّ على أُهبته ، فلما كان وقتُ العصر صلَّى بهم الحسين ، ثم انصرف ، فخطبهم وحثَّ على السمع والطاعة له وخلع من عاداهم من الأدعياء السائرين بالجَوْر . فقال له الحرّ : إنا لا ندري ما هذه الكتب ولا مَنْ كتبها ، فأحضر الحسين خُرجَيْن مملوءين كتباً ، فنثرها بين يديه وقرأ منها طائفة ، فقال الحرّ : لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك[٣] ، وقد أُمرنا ـ إذا نحن لقيناك ـ أن لا نفارقك حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد . فقال الحسين : الموت أدنى إليك من ذلك ، ثم قال الحسين لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وركب النساء ، فلمّا أراد الانصراف حال القوم بينه وبين الانصراف ، فقال الحسين للحرّ : ثكلتك أمُّك ! ماذا تريد ؟ فقال له الحرّ : أما والله لو غيرك يقولها لي [من العرب وهو على مثل الحال التي أنت عليها][٤] لأقتصنَّ منه ولما تركت ذكر أمِّه ، ولكن لا سبيل إلى ذكر أمك إلّا بأحسن ما نقدر عليه . وتقاول القوم

= سليم . وتحرف سليم في ب إلى : سليمان . وما أثبتنا من تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٠) علماً بأن هذا السند كثير الورود عند ابن جرير .

(١) تحرفت في ط إلى : شرف . وشراف : على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب ، ومن شراف إلى واقصة ميلان . معجم البلدان (٣/ ٣٣١) .

(٢) تحرفت في ط إلى : نحو . « ونحر الظهيرة » : هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع ، كأنها وصلت إلى النحر وهو أعلى الصدر . اللسان : مادة (نحر) .

(٣) بعد هذا في ط : « في شيء » وليست في م ولا في تاريخ الطبري ولا في الكامل لابن الأثير ، لذلك حذفناها .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وتراجعوا ، فقال له الحرّ : إني لم أؤمر بقتالك ، وإنما أُمرت أن لا أفارقك حتى أُقدمك الكوفة على ابن زياد ، فإن أبيتَ فخذ طريقاً لا تقدمك الكوفة ولا تردّك إلى المدينة ، واكتب أنت إلى يزيد ، وأكتب أنا إلى ابن زياد إن شئت ، فلعل الله أن يأتيَ بأمر يرزقني فيه العافية من أن أُبتلى بشيء من أمرك . قال : فأخذ الحسين يساراً عن طريق العُذَيب[١] والقادسيّة ، والحرُّ بن يزيد يسايره وهو يقول له : يا حسين ! إني أذكِّرك اللهَ في نفسك ، فإني أشهد لئن قاتلتَ لتُقتلنّ ، ولئن قوتلت لتَهلكنَّ فيما أرى . فقال له الحسين : أفبالموت تخوِّفني ؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمِّه وقد لقيه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ فقال : أين تذهب فإنك مقتول ؟ فقال :

سَأمضي وما بالموتِ عارٌ على الفَتَى ... إذا ما نوىٰ حقّاً وجاهَدَ مُسْلِما
وآسَى الرجالَ الصّالحينَ بنفسِهِ ... وفارقَ خَوْفاً أنْ يعيشَ ويُرْغَما

ويروى على صفة أخرى :

سَأمضي وما بالموتِ عارٌ على امرئٍ ... إذا ما نوىٰ حقّاً ولم يُلفَ مُجْرِما
فإنْ متُّ لم أَندمْ وإنْ عشتُ لم أُلَمْ ... كفى بكَ موتاً أن تَذِلَّ وتُرْغَما[٢]

فلما سمع ذلك الحرُّ منه تنحَّى عنه وجعل يسير بأصحابه ناحية عنه ، فانتهَوْا إلى عُذيب الهِجانات [كان بها هجائن النعمان ترعى هنالك][٣] فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يخبُّون ويجنِّبون[٤] فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل ، يقصدون الحسين ، ودليلُهم رجل يقال له الطِّرِمّاح بن عديّ راكب على فرس وهو يقول :

يا ناقتي لا تُذْعَري من زَجْري ... وشمِّري قبلَ طلوعِ الفَجْرِ
بخيرِ رُكبانٍ وخيرِ سَفْرِ ... حتى تحلِّي بكريم النَّجْرِ[٥]
الماجدِ الحرِّ رَحيبِ الصَّدرِ ... أَتىٰ بهِ اللهُ لخيرِ أَمْرِ
ثُمَّتَ أَبقاهُ بقاءَ الدَّهرِ

فأراد الحرُّ أن يحُول بينهم وبين الحسين ، فمنعه الحسين من ذلك ، فلمّا خلَصوا إليه قال لهم : أخبروني عن الناس وراءكم ، فقال له مجمِّع بن عبد الله العائذي[٦] ـ أحد النفر الأربعة : أما أشراف الناس

---

(١) « العذيب » : ما بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال . معجم البلدان (٤/ ٩٢) .
(٢) الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٤) وابن الأثير (٤/ ٤٩) .
(٣) من أ فقط ، ومثله في تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٤) .
(٤) « الخبب والتجنيب » : صفتان تستحبان في عَدْو الفرس .
(٥) « النجر » : الأصل والحسب .
(٦) في أ ، ط : العامري . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٥) واللباب لابن الأثير (٢/ ٣٠٨) .

فهم إلْب [عليك ، لأنهم قد عظمت رشوتهم ، وملئت غرائرهم ، يُستمال بذلك وُدُّهم ، ويُستخلص به نصيحتهم ، فهم إلْبٌ][(١)] واحد عليك ، وأما سائر الناس فأفئدتهم تَهوي إليك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليك . قال لهم : فهل لكم برسولي علم ؟ قالوا : ومن رسولك ؟ قال : قيس بن مُسْهر الصَّيداوي ، قالوا : نعم ، أخذه الحُصين بن نُمير فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلَّى عليك وعلى أبيك ولعن ابنَ زياد وأباه ، ودعا الناس إلى نصرتك ، وأخبرهم بقدومك ، فأمر به فأُلقي من رأس القصر فمات . فترقرقت عينا الحسين وقرأ قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ الآية . . . [الأحزاب : ٢٣] ، ثم قال : اللهمَّ اجعل منازلهم الجنَّة ، واجمع بيننا وبينهم في مستقرٍّ من رحمتك ، ورغائب مذخور ثوابك .

ثم إن الطِّرِمّاح بن عديّ قال للحسين : أنظرُ فما أرى معك أحداً إلّا هذه الشِّرْذمة اليسيرة ، وإني لا أرى هؤلاء القوم الذين يسايرونك أكفاء لمن معك ، فكيف وظاهر الكوفة مملوء بالخيول والجيوش يعرضون ليقصدوك ! فأنشُدُك اللهَ إن قدرتَ أن لا تتقدم إليهم شبراً فافعل ، فإن أردتَ أن تنزل بلداً يمنعك اللهُ به [حتى ترى رأيك فسِرْ معي حتى أنزلك مَنَاع جبلنا ، وهو أَجَأ ، منعنا الله به][(٢)] من ملوك غسان وحِمْير ، ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر ، والله إن دخلنا ذلٌّ قطُّ فأسير معك حتى أنزلك القُريَّة ثم تبعث إلى الرجال ممن بأَجَأ وسَلمى من طيِّئ ، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فأنا زعيم بعشرة آلاف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم ، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تَطرف . فقال له الحسين : جزاك الله خيراً . ولم يرجع عمّا هو بصدده ، فودَّعه الطِّرِمّاح .

ومضى الحسين ، فلمّا كان من الليل أمر فتيانه أن يستقُوا من الماء كفايتهم ، ثم سرى فنَعَس في مسيره حتى خفق برأسه ، واستيقظ وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربِّ العالمين . ثم قال : رأيت فارساً على فرس وهو يقول : القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم ، فعلمتُ أنها أنفسنا نُعيت إلينا . فلمّا طلع الفجر صلَّى بأصحابه ، وعجل الركوب ، ثم تياسر في مسيره حتى انتهى إلى نِيْنَوى ، فإذا راكب متنكِّب قوساً قد قدم من الكوفة ، فسلَّم على الحرِّ بن يزيد ولم يسلِّم على الحسين ، ودفع إلى الحرِّ كتاباً من ابن زياد ، ومضمونُه : أن يَعْدِلَ بالحسين في السير إلى العراء[(٣)] في غير قرية ولا حِصْن حتى تأتيه رسلُه وجنوده ، وذلك يوم الخميس الثاني من المحرَّم سنة إحدى وستين . فلمّا كان من الغد قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف ، وكان قد جهَّزه ابن زياد في هؤلاء إلى الدَّيلم ، وخيَّم بظاهر الكوفة ، فلمّا قدم عليهم أمر الحسين قال له : سِرْ إليه ، فإذا فرغتَ منه فسِرْ إلى الدَّيلم . فاستعفاه عمر بن سعد من

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . وقوله : فهم إلب واحد أي : مجتمعون عليه بالعداوة .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع ، والمثبت في أ ، ب وتاريخ الطبري (٥/٤٠٦) .

(٣) كذا في (ب) وتاريخ الطبري (٥/٤٠٨) ووقعت في أ ، ط : العراق .

ذلك ، فقال له ابن زياد : إن شئت عفيتُك وعزلتُك عن ولا ية هذه البلاد التي قد استنبتُك عليها ، فقال : حتى أنظر في أمري ، فجعل لا يستشير أحداً إلّا نهاه عن المسير إلى الحسين ، حتى قال له ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة : إياك أن تسير إلى الحسين فتعصي ربَّك وتقطع رحمَك ، فوالله لأن تخرج من سلطان الأرض كلِّها أحبُّ إليك من أن تلقى الله بدم الحسين ، فقال : إني أفعل إن شاء الله تعالى . ثم إن عبيد الله بن زياد تهدَّده وتوعَّده بالعزل والقتل ، فسار إلى الحسين ، فنازله في المكان الذي ذكرنا ، ثم بعث إلى الحسين الرسل : ما الذي أقدمك ؟ فقال : كتب إليَّ أهل الكوفة أن أقدم عليهم ، فإذ قد كرهوني فأنا راجع إلى مكة وأذركم . فلمّا بلغ عمر بن سعد هذا قال : أرجو أن يعافيَني اللهُ من حربه . وكتب إلى ابن زياد بذلك ، فردَّ عليه ابن زياد : أن حُلْ بينهم وبين الماء كما فُعل بالتقيِّ الزكيِّ المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، واعرِضْ على الحسين أن يبايع هو ومن معه لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فإذا فعلوا ذلك رأَيْنا رأْيَنا . وجعل أصحاب عمر بن سعد يمنعون أصحاب الحسين من ورود الماء ، وعلى سرية منهم عمرو بن الحجّاج ، فدعا عليهم [الحسين][1] بالعطش ، فمات هذا الرجل من شدَّة العطش .

ثم إن الحسين طلب من عمر بن سعد أن يجتمع به بين العسكرين ، فجاء كل واحد منهما في نحو من عشرين فارساً ، فتكلَّما طويلاً حتى ذهب هَزِيع[2] من الليل ، ولم يدر أحد ما قالا ، ولكن ظنَّ بعض الناس أنه سأله أن يذهب معه إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ويتركا العسكرين متواقفين ، فقال عمر : إذاً يهدم ابن زياد داري ، فقال الحسين : أنا أبنيها لك أحسن مما كانت . قال : إذاً يأخذ ضِيَاعي ، قال : أنا أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز . قال : فتكرَّه عمر بن سعد من ذلك . وقال بعضهم : بل سأل منه إما أن يذهبا إلى يزيد ، أو يتركه يرجع إلى الحجاز ، أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك . فكتب عمر إلى عبيد الله بذلك ، فقال : نعم ، قد قبلت . فقام الشَّمِر بن ذي الجَوْشن فقال : لا والله حتى ينزل على حُكمك هو وأصحابه . ثم قال : والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدَّثان عامة الليل . فقال له ابن زياد : فنِعم ما رأيت .

وقد روى أبو مِخْنف : حدّثني عبد الرحمن بن جندَب ، عن عقبة بن سِمْعان قال : لقدصحبتُ الحسين من مكة إلى حين قُتل ، والله ما من كلمة قالها في موطن إلّا وقد سمعتها ، وإنه لم يسأل أن يذهب إلى يزيد فيضع يده في يده ، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور ، ولكن طلب منهم أحد أمرين : إما أن يرجع من حيث جاء ، وإما أن يَدَعوه يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه[3] .

---

(١) من ب فقط . تاريخ الطبري (٥/ ٤١٢) .
(٢) « الهزيع من الليل » : طائفة منه نحو ثلثه أو ربعه .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤١٣ ـ ٤١٤) .

ثم إن عبيد الله بعث شَمِر بن ذي الجَوْشن فقال : اذهب فإن جاء حسين وأصحابه على حُكمي وإلّا فمُرْ عمر بن سعد أن يقاتلهم ، فإن تباطأ عن ذلك فاضرب عنقه ثم أنت الأمير على الناس . وكتب إلى عمر بن سعد يتهدَّده على توانيه في قتال الحسين . وأمره إن لم يجئ الحسين إليه أن يقاتله ومن معه فإنهم مشاقُّون . فاستأمن عبيد[1] الله بن أبي المحلّ لبني عمته أمِّ البنين بنت حِزام[2] من علي ، وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان . فكتب لهم ابن زياد كتاب أمان وبعثه عبيد الله بن أبي المحلّ مع مولى له يقال له : كرمان[3] ، فلمّا بلغهم ذلك قالوا : أما أمان ابن سُمَيَّة فلا نريده ، وإنا لنرجو أماناً خيراً من أمان ابن سُمَيَّة .

ولما قدم شَمِر بن ذي الجَوْشن على عمر بن سعد بكتاب عبيد الله بن زياد ، قال عمر : أبعدَ اللهُ دارك ، وقبَّح ما جئت به ، والله إني لأظنك الذي صرفتَه عن الذي عرضتُ عليه من الأمور الثلاثة التي طلبها الحسين ، فقال له شَمر : فأخبرني ما أنت صانع ، أمقاتلهم أنت أو تاركي وإياهم ؟ فقال له عمر : لا ، ولا كرامة لك ! أنا أتولَّى ذلك ، وجعله على الرَّجَّالة . ونهضوا إليهم عشية يوم الخميس التاسع من المحرّم ، فقام شَمِر بن ذي الجَوْشن فقال : أين بنو أختنا ؟ فقام إليه العباس وعبد الله وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب ، فقال : أنتم آمنون . فقالوا : إن أمَّنْتنا وابن رسول الله ﷺ وإلّا فلا حاجة لنا بأمانك .

قال : ثم نادى عمر بن سعد في الجيش : يا خيل الله اركبي وأبشري ، فركبوا وزحفوا إليهم بعد صلاة العصر من يومئذ ، هذا والحسين أمام خيمته محتبياً بسيفه ، نَعَس فخفق برأسه ، وسمعت أخته الضجَّة ، فدنت منه فأيقظته ، فرجع برأسه كما هو وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقال لي : « إنَّكَ تروحُ إلينا » ، فلطمتْ وجهها وقالت : يا ويلتا . فقال : ليس لك الويل يا أختاه ، اسكُني رحمك الرحمن . وقال له أخوه العباس بن علي : يا أخي جاءك القوم ، فقال : اذهب إليهم فسَلْهم : ما بدا لهم ؟ فذهب إليهم في نحو من عشرين فارساً فقال : ما لكم ؟ فقالوا : جاء أمر الأمير إما أن تأتوا على حُكمه ، وإما أن نقاتلكم . فقال : مكانَكم حتى أذهب إلى أبي عبد الله فأعلمه . فرجع ووقف أصحابه ، فجعلوا يتراجعون القول ويؤنِّب بعضهم بعضاً ، يقول أصحاب الحسين : بئس القوم أنتم ، تريدون قتل ذريَّة نبيِّكم وخيار الناس في زمانهم ؟! ثم رجع العباس بن علي من عند الحسين إليهم فقال لهم : يقول لكم أبو عبد الله : انصرفوا عشيَّتكم هذه حتى ينظر في أمره الليلة . فقال عمر بن سعد لشَمِر بن ذي الجَوْشن : ما تقول ؟ فقال : أنت الأمير والرأيُ رأيك ، فقال عمرو بن الحجّاج بن سلمة الزُّبيدي :

---

(١) في تاريخ الطبري (٥/ ٤١٥) وابن الأثير (٤/ ٥٦) عبد .

(٢) في ط : « حرام » ، مصحف .

(٣) في تاريخ الطبري (٥/ ٤١٥) : كزمان .

سبحان الله ! والله لو سألكم ذلك رجل من الدَّيلم لكان ينبغي إجابته . [وقال قيس بن الأشعث : أجِبْهم إلى ما سألوك ، فلعَمْري][(١)] ليصبحنَّك بالقتال غُدْوة . وهكذا جرى الأمر ، فإن الحسين لما رجع العباس قال له : ارجع فارْدُدْهم هذه العشيَّة لعلَّنا نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره ، فقد علم الله مني أني أُحب الصلاة له ، وتلاوة كتابه ، والاستغفار والدعاء .

وأوصى الحسين في هذه الليلة إلى أهله ، وخطب أصحابه في أول الليل ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلَّى على رسوله بعبارة فصيحة بليغة ، وقال لأصحابه : من أحبَّ منكم أن ينصرف إلى أهله في ليلته هذه فقد أذنتُ له ، فإن القوم إنما يريدونني . [فقال مالك بن النضر : عليَّ دينٌ ولي عيال ، فقال : هذا الليل قد غشيَكم فاتَّخِذوه جَمَلاً[(٢)] ، ثم ليأخذ كلُّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم اذهبوا في بسيط الأرض في سواد هذا الليل إلى بلادكم ومدائنكم ، فإن القوم إنما يريدونني ، فلو قد أصابوني لهَوْا عن طلب غيري ، فاذهبوا حتى يفرِّج الله عز وجل . فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه : لا بقاء لنا بعدك ، ولا أرانا الله فيك ما نكره . فقال الحسين : يا بني عَقيل ! حسبُكم بمسلم أخيكم ، اذهبوا فقد أذنت لكم ، قالوا : فما يقول الناس ، إنا تركنا شيخنا وسيِّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ، لم نرمِ معهم بسهم ، ولم نطعنْ معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، رغبة في الحياة الدنيا ؟ لا والله لا نفعل ، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ، ونقاتل معك حتى نرِدَ موردك ، فقبَّح الله العيش بعدك . وقال نحو ذلك مسلم بن عَوْسجة الأسدي ، وكذلك قال سعيد بن عبد الله الحنفي : والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك ، والله لو علمتُ أني أُقتل دونك ألف قَتْلة ، وأنَّ الله يدفع بذلك القتل عنك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك ، لأحببتُ ذلك ، فكيف وإنما هي قَتْلة واحدة ؟ ! وتكلَّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً من وجه واحد فقالوا : والله لا نفارقك ، وأنفسُنا الفداء لك ، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا وأبداننا ، فإذا نحن قُتلنا وفَّينا وقضينا ما علينا][(٣)] . وقال أخوه العباس : لا أرانا الله يوم فقدك ، ولا حاجة لنا في الحياة بعدك . وتتابع أصحابه على ذلك .

وقال أبو مِخْنف : حدّثني الحارث بن كعب وأبو الضحّاك ، عن علي بن الحسين زين العابدين قال : إني لجالس تلك العشيَّة التي قُتل أبي في صبيحتها ، وعمتي زينب تمرِّضني ، إذ اعتزل أبي في خبائه ومعه أصحابه ، وعنده حُوَيّ مولى أبي ذر الغفاري ، وهو يعالج سيفه ويصلحه ، وأبي يقول :

---

(١) سقط من ب .

(٢) في المطبوع : حجلاً ، وهو تحريف . وقد شرحه محققو طبعة دار الكتب العلمية بقولهم : « الحجل » : القيد . والصواب ما أثبتناه من النسخة أ . وقوله : فاتخذوه جملاً من أمثال العرب ، يقال للرجل إذا سرى ليلته جمعاء أو أحياها بصلاة أو غيرها من العبادات ، كأنه ركبه ولم ينم فيه . اللسان : مادة (جمل) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) .

يا دهرُ أفٍّ لكَ مِنْ خليل كم لكَ بالإشْراقِ والأَصِيل
من صاحبٍ أو طالبٍ قَتيل والدهرُ لا يَقْنعُ بالبَدِيل
وإنَّما الأمرُ إلى الجَليل وكلُّ حيٍّ سالكُ السَّبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى حفظتُها وفهمتُ ما أراد ، فخنقَتْني العَبْرة [فرددتها ، ولزمت السكوت ، وعلمت أن البلاء نازل][(١)] . وأما عمتي فقامت حاسرةً حتى انتهتْ إليه فقالت : واثُكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ، ماتت أمي فاطمة ، وعليّ أبي ، وحسن أخي ، يا خليفة الماضي ، وثِمال الباقي ، فنظر إليها وقال : يا أُخيَّة ! [لايُذهبنَّ حِلمَك الشيطان . فقالت : بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله ! أستقتَلْت ؟ ولطمَتْ وجهها ، وشقَّت جيبها ، وخرَّت مغشيّاً عليها . فقام إليها ، وصبَّ على وجهها الماء ، وقال : يا أخيَّة][(٢)] اتقي الله واصبري وتعزَّيْ بعزاء الله ، واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل السماء لا يبقون ، وأن كل شي هالك إلّا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ، ويميتهم بقهره وعزَّته ، ويعيدهم فيعبدونه[(٣)] وحده ، وهو فرد وحده ، واعلمي أنَّ أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة . ثم حرَّج عليها أن لا تفعل شيئاً من هذا بعد مَهْلكه . ثم أخذ بيدها فردَّها إلى عندي . ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يُدنوا بيوتهم بعضها من بعض حتى تدخل الأطناب بعضها في بعض ، وأن لا يجعلوا للعدو مخلصاً إليهم إلّا من جهة واحدة ، وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم[(٤)] .

وبات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلُّون ويستغفرون ويدعون ويتضرَّعون ، وخيل حرس عدوهم تدور من ورائهم عليها عَزْرة بن قيس الأَحْمسي [والحسين يقرأ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ ﴾ الآية [آل عمران : ١٧٨ ـ ١٧٩] فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرس من أصحاب ابن زياد فقال : نحن ـ ورب الكعبة ـ الطيبون ميَّزنا الله منكم . قال : فعرفته ، فقلت لبُرَير بن خُضير[(٥)] : أتدري من هذا ؟ قال : لا ، فقلت : هذا أبو حَرْب السَّبيعي عبيد الله بن شمير ـ وكان مِضْحاكاً بطّالاً ،

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) في بعض النسخ : فيعودون .
(٤) الخبر بطوله مع الشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) وابن الأثير (٤/ ٥٨ ـ ٥٩) ومقاتل الطالبيين (ص٧٥) .
(٥) ورد هذا الاسم في أ : زيد بن حسين ، وفي ط : زيد بن حضير ، وفي تاريخ الطبري : برير بن حضير ، وفي ذلك كله تحريف . والتصويب من الإكمال لابن ماكولا (١/ ٢٥٧ و ٢/ ٤٨٤) .

وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسَه في خبائه ـ فقال له بُرير بن خُضير[١] : يا فاسق ، متى كنت من الطيِّبين ؟ ! فقال له : من أنت ويلك ؟ قال : أنا بُرير بن خُضير[١] . قال : إنا لله ! هلكت والله ، عز ـ والله ـ عليَّ يا بُرير قتلك . قال : فقلت له : يا أبا حرب ! هل لك أن تتوب من ذنوبك العظام ؟ فوالله لنحن الطيِّبون وإنكم لأنتم الخبيثون . قال : نعم ، وأنا على ذلك من الشاهدين . قال : ويحك أفلا ينفعك معرفتك ؟! قال : فانتهره عَزْرة بن قيس ـ أمير السرية التي تحرسنا ـ فانصرف عنا][٢] .

قالوا : فلما صلَّى عمر بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة ، وقيل يوم السبت ـ وكان يوم عاشوراء ـ انتصب للقتال ، وصلَّى الحسين أيضاً بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ، ثم انصرف فصفَّهم ، فجعل على ميمنته زهير بن القَيْن ، وعلى الميسرة حبيب بن المُظهِر[٣] ، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه ، وجعلوا البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم ، وقد أمر الحسين من الليل فحفروا وراء بيوتهم خندقاً ، وقذفوا فيه حطباً وخشباً وقصباً ، ثم أُضرمت فيه النار لئلّا يخلُص أحد إلى بيوتهم من ورائها . وجعل عمر بن سعد على ميمنته عمرو بن الحجاج الزُّبيدي ، وعلى الميسرة شَمِر بن ذي الجَوْشن ـ واسم ذي الجوشن شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية من بني الضباب بن كلاب ـ وعلى الخيل عَزْرة بن قيس الأَحْمسي ، وعلى الرَّجَّالة شَبَث[٤] بن رِبْعي ، وأعطى الراية دريداً[٥] مولاه . وتواقف الناس في ذلك الموضع ، فعدل الحسين إلى خيمة قد نُصبت ، فاغتسل فيها ، واطَّلى بالنورة ، وتطيَّب بمسك كثير ، ودخل بعده بعض الأمراء ففعلوا كما فعل ، فقال بعضهم لبعض : ما هذا في هذه الساعة ؟ فقال بعضهم : [دعنا منك ، والله ما هذه بساعة باطل ، فقال يزيد بن حصين : والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شابًا ولا كهلاً ، ولكن ـ والله ـ إني لمستبشر بما نحن لا قون][٦] والله ما بيننا وبين الحور العين إلّا أن يميل علينا هؤلاء القوم فيقتلوننا .

ثم ركب الحسين على فرسه ، وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه ، ثم استقبل القوم رافعاً يديه يدعو بما

---

(١) تحرف في أ ، ط إلى : يزيد بن حصين .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٣) كذا قيده ابن حجر في التبصير والزبيدي في التاج بالظاء المعجمة الساكنة وكسر الهاء . وقيده ابن ماكولا في إكماله بظاء معجمة وهاء مشددة مكسورة . وقد تحرف في غير موضع من الأصول وتاريخ ابن الأثير إلى: مطهر ، وفي تاريخ الطبري إلى: مظاهر .
(٤) تحرف في ط إلى: شبيث .
(٥) في ط ، أ : وردان ، وفي ب : دويداً ، وفي تاريخ الطبري : ذويداً ، وما أثبتناه يعضده ما نقله ابن الأثير في الكامل (٤/ ٦٠) وسيأتي مرة أخرى بعد صفحتين من هذا المجلد .
(٦) ما بين حاصرتين سقط من ب .

تقدم ذكره : اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة . . . إلى آخره . وركب ابنه علي بن الحسين ـ وكان ضعيفاً مريضاً ـ فرساً يقال له : لا حق[١] ، ونادى الحسين : أيها الناس ! اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم ، فأنصت الناس كلهم ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أيها الناس ! إنْ قبلتم مني وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم عليَّ سبيل ، وإن لم تقبلوا مني ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس : ٧١] ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] .

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفعت أصواتهن بالبكاء ، فقال عند ذلك : لا يُبعد الله ابن عباس ـ يعني حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء معه ويدعهن بمكة إلى أن ينتظم الأمر ـ ثم بعث أخاه العباس فسكَّنهن . ثم شرع يذكر للناس فضلَه وعظمة نسبه وعلوَّ قدره وشرفه ، ويقول : راجعوا أنفسكم وحاسبوها ، هل يصلح لكم قتال مثلي وأنا ابن بنت نبيِّكم ، وليس على وجه الأرض ابنُ بنت نبيٍّ غيري ؟ وعليٌّ أبي ، وجعفر ذو الجناحين عمي ، وحمزة سيد الشهداء عمُّ أبي ، وقال لي رسول الله ﷺ ولأخي : « هٰذان سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة »[٢] . فإن صدَّقتموني بما أقول وهو الحق ، فوالله ما تعمَّدت كذبة منذ علمت أن الله يمقت على الكذب ، وإلّا فاسألوا أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك : جابر بن عبد الله ، وأبا سعيد ، وسهل بن سعد ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يُخبروكم بذلك . [ويحكم ! أما تتَّقون الله ؟ أما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي][٣] ؟ فقال عند ذلك شَمِر بن ذي الجَوْشن : هو يعبد الله على حَرْف ، إنْ كنت أدري ما يقول . فقال له حبيب بن مُطْهِر : والله يا شَمِر إنك لتعبد الله على سبعين حَرْفاً ، وأما نحن فوالله إنا لندري ما يقول ، وإنه قد طُبع على قلبك . ثم قال : أيها الناس ! ذَرُوني أرجع إلى مأمني من الأرض . فقالوا : وما يمنعك أن تنزل على حُكم بني عمك ؟ فقال : معاذ الله [أن أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، أو أُقر إقرار العبيد ، عبادَ الله][٤] ﴿ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر : ٢٧] . ثم أناخ راحلته ، وأمر عُقبة بن سِمْعان فعقلها ، ثم قال : [أخبروني : أتطلبوني بقتيل لكم قتلتُه ؟ أو مال لكم أكلتُه ؟ أو بقصاصة من جراحة ؟ فأخذوا لا يكلِّمونه . قال : فنادى : يا شَبَث[٥] بن رِبْعي ، يا حجّار بن أبجر ، يا قيس بن الأشعث ، يا زيد بن الحارث ، ألم تكتبوا

---

(١) تحرف في المطبوع إلى : الأحمق .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/٣) والترمذي رقم (٣٧٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » وهو حديث صحيح .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع ، وهو في أ ، ب ، م وتاريخ الطبري (٥/ ٤٢٥) .

(٥) تحرف في ط إلى : شبيث .

إليَّ أن قد أينعت الثمار واخضرَّ الجناب ، فاقدَم علينا فإنك إنما تقدَم على جند مجنَّدة ؟ فقالوا له : لم نفعل . فقال : سبحان الله ! والله لقد فعلتم . ثم قال : يا أيها الناس ! إذ قد كرهتموني فدَعُوني أنصرف عنكم ، فقال له قيس بن الأشعث : ألا تنزل على حُكم بني عمك فإنهم لن يؤذوك ، ولا ترى منهم إلا ما تحب ؟ فقال له الحسين : أنت أخو أخيك ، أتريد أن تطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عَقيل ؟ لا والله لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أُقر لهم إقرار العبيد][1] .

قال : وأقبلوا يزحفون نحوه وقد تحيَّز إلى جيش الحسين من أولئك طائفة قريب من ثلاثين فارساً فيما قيل ، منهم الحرُّ بن يزيد أمير مقدمة جيش ابن زياد ، فاعتذر إلى الحسين مما كان منه ، قال : ولو أعلم أنهم على هذه النيَّة لسِرتُ معك إلى يزيد ، فقبل منه الحسين ، ثم تقدم بين يدي أصحاب الحسين ، فخاطب عمر بن سعد فقال : ويحكم ! ألا تقبَلون من ابن بنت رسول الله ﷺ ما يعرض عليكم من الخصال الثلاث ؟ فقال : لو كان ذلك إليَّ قبلت .

[قال : وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القَيْن على فرس له شاك في السلاح فقال : يا أهل الكوفة ! نَذارِ لكم من عذاب الله نَذار ، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن أخوة ، وعلى دين واحد ومِلَّة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فإذا وقع السيف انقطعت العِصمة وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذريَّة نبيِّه لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصرهم ، وخِذْلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد ، فإنكم لم تدركوا منهما إلا سوءاً عموم سلطانهما ، يَسْمُلان أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثِّلان بكم ، ويقتلان أماثلكم وقراءكم ، أمثال حُجْر بن عدي وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه . قال : فسبُّوه ، وأثنَوْا على ابن زياد ودَعَوا له ، وقالوا : لا ننزِعُ حتى نقتل صاحبك ومن معه . فقال لهم : إن ولد فاطمة أحقُّ بالود والنصر من ابن سميَّة ، فإن أنتم لم تنصروهم فأُعيذكم بالله أن تقتلوهم ، خلُّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، يذهب حيث شاء ، فلَعَمْري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . قال : فرماه شَمِر بن ذي الجَوْشن بسهم وقال له : اسكُتْ ، أَسكَتَ اللهُ نَأْمتَك[2] ، أبْرَمْتنا[3] بكثرة كلامك . فقال له زهير : يا بنَ البوّال على عقبَيْه ، إياك أخاطب[4] ؟ ! إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تُحكِم من كتاب الله آيتين ، فأبشِرْ بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم . فقال له شَمِر : إن الله قاتلُك وصاحبَك بعد ساعة ، فقال له زهير : أبالموت

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب ، وهو في أ ، ط وتاريخ الطبري (٥/ ٤٢٥) .
(٢) قال صاحب اللسان : يقال : أسكت الله نأمته ـ مهموزة مخففة الميم ـ وهو من النئيم : الصوت الضعيف ، أي نغمته وصوته . ويقال : نامَّته ـ بتشديد الميم . يدعى بذلك على الإنسان .
(٣) « أبرمتنا » : أضجرتنا .
(٤) في تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٦) ما إياك أخاطب .

تخوِّفني ؟ فوالله لَلْموت معه أحبُّ إليَّ من الخلد معكم . ثم إن زهيراً أقبل على الناس رافعاً صوته يقول : عباد الله ! لا يغرنَّكم عن دينكم هذا الجِلْف الجافي وأشباهه ، فوالله لا ينال شفاعة محمد ﷺ قوم أهرقوا دماء ذريَّته ، وقتلوا مَنْ نصرهم وذبَّ عن حريمهم .

وقال الحرُّ بن يزيد لعمر بن سعد : أصلحك الله ! أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : إي والله قتالاً أيسرُه أن تسقط الرؤوس وتَطيح الأيدي . وكان الحرُّ من أشجع أهل الكوفة ، فلامَهُ بعض أصحابه على الذهاب إلى الحسين ، فقال له : والله إني أخيِّر نفسي بين الجنة والنار ، ووالله لا أختار على الجنة غيرها ولو قُطِّعت وحُرِّقت . ثم ضرب فرسه ، فلحق بالحسين ، فاعتذر إليه بما تقدم ثم قال : يا أهل الكوفة ! لأمِّكم الهَبَلُ[(١)] ، أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا ما أتاكم أسلمتموه ، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، ومنعتموه التوجُّه في بلاد الله العريضة الوسيعة التي لا يمنع منها الكلب والخنزير ، وحلتم بينه وبين الماء الفرات الجاري الذي يشرب منه الكلب والخنزير وقد صرعهم العطش ؟! بئس ما خلفتم محمداً في ذريَّته ، لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه . فحملت عليه رجَّالة لهم ترميه بالنبل ، فأقبل حتى وقف أمام الحسين . وقال لهم عمر بن سعد : لو كان الأمر لي لأجبتُ الحسين إلى ما طلب][(٢)] ولكنْ أبى عليَّ عبيد الله بن زياد ، وقد خاطب أهل الكوفة وأنَّبهم ووبَّخهم وسبَّهم . فقال لهم الحرُّ بن يزيد : ويحكم ! منعتم الحسين ونساءه وبناته الماء الفرات الذي يشرب منه اليهود والنصارى ويتمرَّغ فيه خنازير السواد وكلابه ، فهو كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعاً[(٣)] .

قال : فتقدم عمر بن سعد وقال لمولاه : يا دريد أَدْنِ رايتَك ، فأدناها ، ثم شمَّر عمر عن ساعده ورمى بسهم وقال : اشهدوا أني أول من رمى القوم . قال : فترامى الناس بالنبال ، وخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله فقالا : من يبارز ؟ فبرز لهما عبد الله[(٤)] بن عمير الكلبي بعد استئذانه الحسين ، فقتل يساراً أولاً ثم قتل سالماً بعده ، وقد ضربه سالم ضربة أطار أصابع يده اليسرى .

وحمل رجل يقال له عبد الله بن حَوْزة حتى وقف بين يدي الحسين فقال له : يا حسين ! أبشر بالنار . فقال له الحسين : كلاّ ويحك ! إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع ، بل أنت أَولى بالنار . قالوا : فانصرف ، فوقَصَتْه فرسه فسقط وتعلَّقت قدمه بالركاب [وكان الحسين قد سأل عنه ، فقال : أنا ابن حَوْزة ، فرفع الحسين يده وقال : اللهم حُزْه إلى النار . فغضب ابن حَوْزة ، وأراد أن يقحم عليه الفرس

---

(١) « الهبل »: الثُّكل .

(٢) ما بين حاصرتين ـ قدر صفحة ونصف الصفحة ـ سقط من ب .

(٣) ضعيف الطبري (٩/ ٢٥٣) عن هشام الكلبي وهو متروك .

(٤) في ط : «عبيد الله» محرف . وينظر تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٩) والكامل (٤/ ٦٥) . وسيأتي مرة أخرى في الرواية الآتية .

وبينه وبينه نهر ، فحالت به الفرس ، فانقطعت قدمه وساقه وفخذه ، وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب][(١)] وشدَّ عليه مسلم بن عَوْسجة فضربه فأطار رجله اليمنى ، وغارت به فرسه فلم يبقَ حجرٌ يمر به إلّا ضربه في رأسه حتى مات .

[وروى أبو مخنف ، عن أبي جَناب قال : كان منّا رجل يُدعى عبد الله بن عُمَير[(٢)] من بني عُلَيم ، كان قد نزل الكوفة واتخذ داراً عند بئر الجَعْد من هَمْدان ، وكانت معه امرأة له من النَّمِر بن قاسط ، فرأى الناسَ يتهيَّؤون للخروج إلى قتال الحسين ، فقال : والله لقد كنت على قتال أهل الشِّرك حريصاً ، وإني لأرجو أن يكون جهادي مع ابن بنت رسول الله ﷺ لهؤلاء أفضل من جهاد المشركين ، وأيسر ثواباً عند الله . فدخل إلى امرأته ، فأخبرها بما هو عازم عليه ، فقالت : أصبتَ ، أصاب الله بك أرشد أمورك ، افعل وأَخرجني معك . قال : فخرج بها ليلاً حتى أتى الحسين ، ثم ذكر قصة رمي عمر بن سعد بالسَّهم ، وقصة قتلة يسار مولى زياد ، وسالم مولى ابن زياد ، وأن عبد الله بن عُمير استأذن الحسين في الخروج إليهما ، فنظر إليه الحسين ، فرأى رجلاً آدم طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين ، فقال الحسين : إني لأحسبه للأقران قتَّالاً . اخرج إن شئت ، فخرج ، فقالا له : من أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا : لا نعرفك (فقال لهما : يا أولاد الزانية ! أو بكم رغبة عن مبارزة أحد من الناس ، وهل يخرج إليكما أحد)[(٣)] إلا وهو خير منكما ؟ ! ثم شدَّ على يسار فكان كأمسِ الذاهب ، فإنه لمشتغل به إذ حمل عليه سالم مولى ابن زياد ، فصاح به صائح : قد رَهَقك العبد . قال : فلم ينتبه حتى غشيه فضربه على يده اليسرى فأطار أصابعه ، ثم مال عليه[(٤)] الكلبي حتى قتله ، وأقبل يرتجز ويقول :

إنْ تُنْكـراني فـأنـا ابـنُ كَلْـبِ حَسْبيَ بَيْتي في عُلَيمٍ حَسْبي
إنِّي امرؤٌ ذو مِرَّةٍ[(٥)] وعَصْبِ ولستُ بالخوَّار عندَ الكَرْب
إنِّــي زعيــمٌ لــكِ أمَّ وهــبِ بالطَّعنِ فيهمْ مُقْدِماً والضَّرْب
ضَرْب غلامٍ مُؤْمنٍ بالرَّبِّ

فأخذت أمُّ وهب عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له : فداك أبي وأمي ، قاتِل دون الطيِّبين ذريَّة

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . وكذلك الكامل لابن الأثير (٤/ ٦٦) .
(٢) تحرف في المطبوع إلى : نمير .
(٣) ما بين قوسين سقط من المطبوع ، وهو في أ وقريب منه في تاريخ الطبري .
(٤) في أ ، ط : على ولا يصح بها المعنى . والتصويب من تاريخ الطبري وابن الأثير ، فالكلبي : هو عبد الله بن عمير نفسه .
(٥) في المطبوع : ذو مروءة ولا يستقيم به الوزن . والمثبت من أ وتاريخ الطبري . والمِرّة : القوة ، ومنه قوله تعالى ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴾ .

محمد عليه السلام . فأقبل إليها يردُّها نحو النساء ، فأقبلت تجاذبه ثوبه وقالت : دعني أكن معك . فناداها الحسين : انصرفي إلى النساء فاجلسي معهن ، فإنه ليس على النساء قتال . فانصرفت إليهن][١] .

قال : وكثرت المبارزة يومئذ بين الفريقين والنصرُ في ذلك لأصحاب الحسين لقوَّة بأسهم ، وأنهم مستميتون لا عاصمَ لهم إلّا سيوفهم ، فأشار بعض الأمراء على عمر بن سعد بعدم المبارزة ، وحمل عمرو بن الحجّاج ـ أمير ميمنة جيش ابن زياد ـ وجعل يقول : قاتلوا مَنْ مَرَق من الدين وفارق الجماعة . فقال له الحسين : ويحك يا بن حجّاج ! أعليَّ تحرض الناس ؟ أنحن مرقنا من الدين وأنت تقيم عليه ؟ ستعلمون إذا فارقتْ أرواحنا أجسادنا من أَولى بصليِّ النار .

وقد قُتل في هذه الحملة مسلم بن عَوْسجة ، وكان أول من قُتل من أصحاب الحسين ، فمشى إليه الحسين وترحَّم عليه وهو على آخر رمق ، وقال له حبيب بن مُظْهر : أبشر بالجنة . فقال له بصوت ضعيف : بشَّرك الله بالخير . ثم قال له حبيب : لولا أني أعلم أني على أثرك لاحقك لكنت أقضي ما توصي به ، فقال له مسلم بن عَوْسجة : أوصيك بهذا ـ وأشار إلى الحسين ـ إلى أن تموت دونه .

قالوا : ثم حمل شَمِر بن ذي الجَوْشن بالميسرة وقصدوا نحو الحسين ، فدافعت عنه الفرسان ، من أصحابه دفاعاً عظيماً ، وكافحوا دونه مكافحة بليغة ، فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرُّماة الرَّجَّالة ، فبعث إليه نحواً من خمسمئة ، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فعقروها كلها حتى بقي جميعهم رجَّالة ، ولما عقروا جواد الحرِّ بن يزيد نزل عنه وفي يده السيف كأنه ليث وهو يقول :

إنْ تَعْقِروا بي فأنا ابنُ الحرِّ أشجعُ مِنْ ذي لِبَدٍ هِزَبْرِ[٢]

ويقال : إن عمر بن سعد أمر بتقويض تلك الأبنية التي تمنع من القتال مَنْ أتى ناحيتها ، فجعل أصحاب الحسين يقتلون من يتعاطى ذلك ، فأمر بتحريقها ، فقال الحسين : دعوهم يحرقونها فإنهم لا يستطيعون أن يجوزوا منها وقد أُحرقت .

وجاء شمِر بن ذي الجَوْشن ـ قبَّحه الله ـ إلى فُسْطاط الحسين ، فطعنه برمحه ـ يعني الفِسْطاط ـ وقال : إيتوني بالنار لأحرقه على من فيه ، فصاحت النسوة وخرجْنَ منه ، فقال له الحسين : أحرقك الله بالنار . وجاء شَبَث بن رِبْعي إلى شَمِر ـ قبحه الله ـ فقال له : ما رأيت أقبح من قولك ولا من فعلك وموقفك هذا ، أتريد أن ترعب النساء ؟ فاستحيى وهَمَّ بالرجوع . [وقال حُميد بن مسلم : قلت لشَمِر : سبحان الله ! إنَّ هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين : تعذِّب بعذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء ؟!

---

(١) القصة بكاملها سقطت من النسخة ب . وهي في تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٩ ت ٤٣٠) وأوردها ابن الأثير في كامله (٤/ ٦٥ ـ ٦٦) دون مافيها من الرجز .

(٢) البيت في تاريخ الطبري (٥/ ٤٣٦) وذو لبد وهزبر : من أسماء الأسد .

والله إنَّ في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك . قال : فقال لي : من أنت ؟ قلت : لا أخبرك مَن أنا ـ وخشيت أني إن أخبرته فعرفني أن يسوءني عند السلطان][١] .

وشدَّ زهير بن القين ـ في رجال من أصحاب الحسين ـ على شَمِر بن ذي الجَوْشن ، فأزالوه عن موقفه [وقتلوا أبا عزَّة الضبابي ـ وكان من أصحاب شَمر ـ وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قُتل بان فيهم الخلل ، وإذا قُتل من أصحاب ابن زياد الجماعة الكثيرة لم يتبيّن ذلك فيهم لكثرتهم][٢] .

ودخل عليهم وقتُ الظهر ، فقال الحسين : مُرُوهم فليكفُّوا عن القتال حتى نصلي ، فقال رجل من أهل الكوفة : إنها لا تُقبل منكم . فقال له حبيب بن مُظْهِر : ويحك ! أتُقبل منكم ولا تُقبل من آل رسول الله ﷺ ؟ وقاتل حبيب قتالاً شديداً [حتى قتل رجلاً يقال له بُديل بن صُرَيم من بني عُقْفان[٣] وجعل يقول :

أنـا حبيـبٌ وأبـي مُظْهِـرُ فـارسُ هَيْجـاء وحَـرْب مِسْعَـرُ
أنتـمْ أوفـرُ عـدَّةً وأكثـرُ ونحـنُ أوفـىٰ منكـمُ وأَصْبَـرُ
ونحـنُ أعلـىٰ حُجَّـةً وأظهـرُ حقّـاً وأتقـىٰ منكـمُ وأَطْهَـرُ[٤]

ثم حمل على حبيب هذا رجلٌ من بني تميم ، فطعنه فوقع ، ثم ذهب ليقوم ، فضربه الحُصين بن نُمير على رأسه بالسيف فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتزَّ رأسه وحمله إلى ابن زياد ، فرأى ابن حبيب رأس أبيه فعرفه ، فقال لحامله : أعطني رأس أبي حتى أدفنه ، ثم بكى (وقال لقاتله : أما والله لقد قتلته وهو خير منك)[٥] . قال : فمكث الغلام إلى أن بلغ أشُدَّه ثم لم تكن له همة إلّا قتل قاتل أبيه . قال : فلما كان زمن مصعب بن الزبير[٦] دخل الغلام عسكر مصعب ، فإذا قاتلُ أبيه في فِسْطاطه ، فدخل عليه وهو قائل[٧] ، فضربه بسيفه حتى برد .

وقال أبو مِخْنف : حدّثني محمد بن قيس قال : لما قُتل حبيب بن مُظْهِر هدَّ ذلك الحسين ، وقال عند ذلك : أحتسب نفسي ، وأخذ الحرُّ يرتجز ويقول للحسين :

آليـتُ لا تُقْتَـل حتّـى أُقتَـلا ولـنْ أُصـابَ اليـوم إلَّا مُقْبِـلا

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٣٨) .
(٢) مكانه في ب : وقتلوا بعض أصحابه .
(٣) عقفان : حي في خزاعة .
(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٤٣٩) .
(٥) ما بين قوسين سقط من المطبوع ، وهو في أ وتاريخ الطبري .
(٦) تحرف في ط إلى : عمير .
(٧) قائل : من القيلولة : وهي النوم في الظهيرة .

أَضرِبُهمْ بالسَّيف ضَرْباً مِقْصَلا   لا نـاكـلاً عنهُـمْ ولا مُهَلِّـلا[١]

ثم قاتل هو وزهير بن القَيْن قتالاً شديداً ، فكان إذا شدَّ أحدهما حتى استلحم شدَّ الآخر حتى يخلصَه ، فعلا ذلك ساعة ، ثم إن رجالاً شدُّوا على الحرِّ بن يزيد فقتلوه ، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابنَ عمٍّ له كان عدوًّا له][٢] .

ثم صلَّى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخوف ، ثم اقتتلوا بعدها قتالاً شديداً [[٣]ودافع عن الحسين صناديد أصحابه . وقاتل زهير بن القَيْن بين يدي الحسين قتالاً شديداً ، ورمي بعض أصحابه بالنبل حتى سقط بين يدي الحسين ، وجعل زهير يرتجز ويقول :

أنـا زهيـرٌ وأنـا ابـنُ القَيْـنِ   أَذودُكمْ بالسَّيف عن حُسَين[٤]

قال : وأخذ يضرب على منكب الحسين ويقول :

أَقدِمْ هُدِيتَ هـادياً مَهْدِيَّا   فـاليـومَ تلْقـىٰ جـدَّكَ النَّبيَّـا
وحَسَنـاً والمُـرْتضـىٰ عليَّـا   وذا الجَنَـاحَيْـنِ الفَتَـى الكَميَّـا
وأَسَدَ اللهِ الشَّهيدَ الحَيَّا

قال : فشدَّ عليه كثير بن عبد الله الشَّعبي ومُهاجر بن أوس فقتلاه .

قال : وكان من أصحاب الحسين نافع بن هلال الجمَلي ، وكان قد كتب اسمه[٥] على فُوق[٦] نبله ، فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول :

أَرمـي بهـا مُعَلّمـاً أَفْـواقهـا   والنفـسُ لا ينفعُهـا شِقَـاقُهـا

أنا الجَملي ، أنا على دين علي .

فقَتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جَرح ، ثم ضرب حتى كُسرت عضداه ، ثم أسروه فأتوا به عمر بن سعد ، فقال له : ويحك يا نافع ! ما حملك على ما صنعتَ بنفسك ؟ فقال : إن ربي يعلم ما أردت ـ والدماء تسيل عليه وعلى لحيته ـ ثم قال : والله لقد قتلتُ من جندكم اثني عشر سوى من

---

(١) « المقصل » : القاطع . « النكول » : النكوص والجبن . التهليل ـ هنا ـ الفرار . وقد صُف هذا البيت في طبعة دار الكتب العلمية صفاً خاطئاً مما أخل بوزنه ومعناه . وانظر الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) .

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في النسخة ب ، وفيها بدلاً عنه : حتى قتل رحمه الله ، وحمل رأسه إلى ابن زياد ، والضمير في ذلك يرجع إلى حبيب بن مظهر .

(٣) من هنا يبدأ سقط كبير في النسخة ب سنشير إليه عند نهايته .

(٤) في المطبوع : عن الحسين . ولا يستقيم به الوزن . والمثبت من أ وتاريخ الطبري (٥/ ٤٤١) .

(٥) سقطت هذه اللفظة من الأصول ، واستدركتها من تاريخ الطبري (٥/ ٤٤١) وابن الأثير (٤/ ٧١) .

(٦) الفُوق من السهم : موضع الوتر ، والجمع : أفواق وفُوَق .

جَرحت ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيتْ لي عضد وساعد ما أسرتموني . فقال شَمِر لعمر : اقتله ، قال : أنت جئت به ، فإن شئت فاقتله . فقام شَمِر فأنضى سيفه ، فقال له نافع : أما والله يا شَمِر لو كنتَ من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه . ثم قتله .

ثم أقبل شَمِر فحمل على أصحاب الحسين ، وتكاثر معه الناس حتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين ، فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم ، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم ، تنافسوا أن يُقتلوا بين يديه ، فجاءه عبد الرحمن وعبد الله ابنا عَزْرة الغفاري ، فقالا : أبا عبد الله عليك السلام ، حازَنَا العدو إليك فأحببنا أن نُقتل بين يديك وندفع عنك . فقال : مرحباً بكما ، ادنُوَا مني ، فدنَوَا منه ، فجعلا يقاتلان قريباً منه وهما يقولان :

قد علِمتْ حقّاً بنو غِفَار ... وخِنْدِفٌ بعدَ بني نِزَار
لنَضْرِبنَّ معشرَ الفُجَّار ... بكلِّ عَضْبٍ قاطعٍ بَتَّار
ياقومُ ذُودُوا عن بني الأَخْيار ... بالمشْرَفيِّ والقَنَا الخَطَّار[1]

ثم أتاه أصحابه مَثْنى وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم ويقول : جزاكم الله أحسن جزاء المتَّقين . فجعلوا يسلِّمون على الحسين ويقاتلون حتى يقتلوا .

ثم جاءه عابس بن أبي شَبيب فقال : يا أبا عبد الله ! أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليَّ منك ، ولو قدرتُ أن أدفع عنك الضَّيم أو القتل بشيء أعز عليَّ من نفسي ودمي لفعلتُه ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، اشهد لي أني على هَدْيك . ثم مشى بسيفه[2] صَلْتاً وبه ضربة على جبينه ـ وكان أشجع الناس ـ فنادى : ألا رجل لرجل ؟ ألا ابرزوا لي . فعرفوه فنكلوا عنه ، ثم قال عمر بن سعد : ارضَخُوه بالحجارة ، فرُمي بالحجارة من كل جانب . فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغْفره ثم شدَّ على الناس ، والله لقد رأيته يَكْرُد[3] أكثر من مئتين من الناس بين يديه ، ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانب فقُتل رحمه الله ، فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدد كلّ يدَّعي قتله ، فأتوا به عمر بن سعد فقال لهم : لا تختصموا فيه فإنه لم يقتلْه إنسان واحد . ففرَّق بينهم بهذا القول][4] .

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٢) .
(٢) سقطت هذه اللفظة من المطبوع .
(٣) « يكرد »: يسوق .
(٤) هنا ينتهي نقص في النسخة ب ضم عدداً من الأخبار مع أشعارها ، وقد ورد فيها بدلاً عنه: « ووصل إلى الحسين رضي الله عنه ، ودافع عنه صناديد أصحابه ، فقُتل زهير بن القين بين يديه ، وقاتل دونه نافع بن هلال الجملي حتى قَتل من أصحاب ابن زياد اثني عشر سوى من جرح ، ثم كسرت عضداه ، ومع هذا ضرب عنقه بين يدي عمر بن سعد=

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تفانَوا ، ولم يبق أحد إلّا سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخَثْعمي .

وكان أولَ قتيل قُتل من أهل الحسين من بني أبي طالب عليٌّ الأكبر ابن الحسين بن علي ، وأمُّه ليلى بنت أبي مُرَّة بن عروة بن مسعود الثقفي ، طعنه مُرَّة بن مُنْقِذ بن النعمان العَبْدي فقتله ، لأنه جعل يَقي أباه ، وجعل يقصد أباه ، فقال علي بن الحسين :

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ علي نحنُ ـ وبيتِ الله ـ أولىٰ بالنَّبي
تالله لا يحكُمُ فينا ابنُ الدَّعي كيفَ تَرَوْنَ اليومَ ستري عَنْ أَبي

فلمّا طعنه مُرَّة احتوشته الرجال فقطَّعوه بأسيافهم ، فقال الحسين : قتل الله قوماً قتلوك يا بُنيّ ، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك محارمه ؟! فعلى الدنيا بعدك العَفَاء . قال : وخرجت جارية كأنها الشمس حُسْناً فقالت : يا أخيّاه ويابن أخيّاه ! فإذا هي زينب بنت علي من فاطمة ، فأكبّت عليه وهو صريع . قال : فجاء الحسين فأخذ بيدها فأدخلها الفسطاط ، وأمر به الحسين فحوِّل من هناك إلى بين يديه عند فُسطاطه(١) .

ثم قُتل عبد الله بن مسلم بن عَقيل ، ثم قُتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر . ثم قُتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عَقيل بن أبي طالب . ثم قُتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

[قال أبو مِخْنف : وحدّثني فُضيل بن خَدِيج الكندي : أن يزيد بن زياد ـ وكان رامياً ، وهو أبو الشَّعثاء الكناني من بني بَهْدَلة ـ جثا على ركبتيه بين يدي الحسين ، فرمى بمئة سهم ما سقط منها على الأرض خمسة أسهم . فلمّا فرغ من الرمي قال : قد تبيَّن لي أني قتلت خمسة نفر :

أنا يزيدُ وأنا المُهَاجِرْ أشجعُ من ليثٍ قويٍّ حادرْ
يارَبِّ(٢) إنِّي للحسين ناصرْ ولابنِ سعدٍ تاركٌ وهاجِرْ](٣)

قالوا : ومكث الحسين نهاراً طويلاً وحده لا يأتي أحد إليه إلّا رجع عنه ، لا يحب أن يلي قتله ، حتى

= شمر بن ذي الجوشن ، ثم حمل شمر على أصحاب الحسين وهو يقول :
خلوا عداة الله خلوا عن شمر يضربهم بسيفه ولا يفر

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٦) ومقاتل الطالبيين (ص٧٦ ـ ٧٧) وابن الأثير (٤/ ٧٤) وعلي هذا غير زين العابدين .
(٢) وقعت في المطبوع : برب .
(٣) الخبر برمته سقط من ب . وقد أورده الطبري في تاريخه (٥/ ٤٤٥) مع اختلاف ببعض ألفاظ الشعر .

جاءه رجل من بني بَدّا[١] يقال له مالك بن البشير[٢] ، فضرب الحسين على رأسه بالسيف ، فأدمى رأسه ، وكان على الحسين برنس ، فقطعه وجرح رأسه ، فامتلأ البُرْنس دماً ، فقال له الحسين : لا أكلتَ بها ولا شربت ، وحشركَ الله مع الظالمين . ثم ألقى الحسين ذلك البُرْنس ودعا بعمامة فلبسها .

[وقال أبو مخنف : حدّثني سليمان بن أبي راشد ، عن حُميد قال : خرج إلينا غلام كأنَّ وجهه فِلْقة قمر ، في يده السيف ، وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شِسْع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى ، فقال لنا عمر بن سعد بن نُفيل الأزدي : والله لأشدَّنَّ عليه . قال : فقلت له : سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ؟ يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم . فقال : والله لأشدَّنَّ عليه . فشدَّ عليه عمر بن سعد أمير الجيش فضربه ، وصاح الغلام : يا عمّاه ! قال : فشدَّ الحسين على عمر بن سعد شدَّة ليث أغضب ، فضرب عمرَ بالسيف ، فاتقاه بالساعد ، فأطنَّها من لَدُن المِرْفق ، فصاح ثم تنحَّى عنه . وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين ، فاستقبلت عمر بصدورها وحرَّكت حوافرها ، وجالت بفرسانها عليه ، ثم انجلت الغبرة فإذا الحسينُ قائم على رأس الغلام ، والغلام يفحص برجله ، والحسين يقول : بُعْداً لقوم قتلوك ، ومَنْ خصمُهم يوم القيامة فيك جدُّك . ثم قال : عزَّ ـ والله ـ على عمك أن تدعوَه فلا يُجيبك ، أو يُجيبك ثم لا ينفعك ، صوت ـ والله ـ كثر واترُه وقلَّ ناصرُه . ثم احتمله فكأني أنظر إلى رجلي الغلام يخطّان في الأرض ، وقد وضع الحسين صدره على صدره ، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه عليٍّ الأكبر ومع مَنْ قُتل من أهل بيته ، فسألتُ عن الغلام ، فقيل لي : هو القاسم بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب[٣] .

وقال هانئ بن ثُبيت الحضرمي : إني لواقف يوم مقتل الحسين عاشرَ عشرة ليس منا رجل إلّا على فرس ، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية ، وعليه إزار وقميص ، وهو مذعور يلتفت يميناً وشمالاً ، فكأني أنظر إلى دُرّتين في أُذنيه تذبذبان كلّما التفت ، إذ أقبل رجل يركض على فرسه ، حتى إذا دنا من الغلام مال عن فرسه ، ثم أخذ الغلام فقطعه بالسيف . قال هشام السَّكوني : هانئ بن ثُبيت هو الذي قتل الغلام ، خاف أن يُعاب ذلك عليه فكنَّى عن نفسه][٤] .

قال : ثم إن الحسين أعيا ، فقعد على باب فُسْطاطه وأُتي بصبي صغير من أولاده اسمه عبد الله ، فأجلسه في حِجْره ، ثم جعل يقبِّله ويشمُّه ويودِّعه ويوصي أهلَه ، فرماه رجل من بني أسد ـ يقال له : ابن[٥] موقد النار ـ بسهم ، فذبح ذلك الغلام ، فتلقَّى حسين دمه في يده وألقاه نحو السماء وقال :

---

(١) « بدّا » : بطن من كندة .
(٢) في تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٨) وابن الأثير (٤/ ٧٥) النسير .
(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) ومقاتل الطالبيين (ص٥٨) وابن الأثير (٤/ ٧٥) .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب وتاريخ الطبري (٥/ ٤٤٩) .
(٥) لفظة ابن من ط فقط .

ربِّ إن تك قد حبستَ عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير ، وانتقم لنا من الظالمين .

ورمى عبدُ الله بن عقبة الغَنَوي أبا بكر بن الحسين بسهم فقتله أيضاً .

ثم قُتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنو علي بن أبي طالب ـ إخوة الحسين .

وقد اشتدَّ عطش الحسين ، فحاول أن يصل إلى أن يشرب من ماء الفرات فما قدر ، بل ما نعوه عنه ، فخلص إلى شَرْبة منه ، فرماه رجل ـ يقال له حصين بن تميم ـ بسهم في حنكه فأثبته ، فانتزعه الحسين من حنكه ، ففار الدم ، فتلقّاه بيديه ، ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دماً ، ثم رمى به إلى السماء وقال : اللهم أَحصِهم عدداً ، واقتُلْهم بدداً ، ولاتذر على الأرض منهم أحداً . ودعا عليهم دعاءً بليغاً .

[قال : فوالله إنْ مكث الرجل الرامي له إلّا يسيراً حتى صب الله عليه الظمأ ، فجعل لا يَرْوَى ويُسقى الماء مبرَّداً ، وتارة يبرَّد له اللبن والماء جميعاً ، ويُسقى فلا يَرْوَى بل يقول : ويلكم اسقوني قتلَني الظمأ . قال : فوالله ما لبث إلّا يسيراً حتى انقدَّ بطنُه انقداد بطن البعير .

ثم إن شَمِر بن ذي الجَوْشن أقبل في نحو من عشرة من رَجّالة الكوفة قِبَل منزل الحسين الذي فيه ثقلُه وعيالُه ، فمشى نحوهم ، فحالوا بينه وبين رَحْله ، فقال لهم الحسين : ويلكم ! إن لم يكن لكم دِين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا في دنياكم أحراراً وذوي أحساب ، امنعوا رَحْلي وأهلي من طغاتكم وجهّالكم . فقال ابن ذي الجَوْشن : ذلك لك يابن فاطمة . ثم أحاطوا به ، فجعل شَمِر يحرِّضهم على قتله ، فقال له أبو الجَنوب : وما يمنعك أنت من قتله ؟ فقال له شَمِر : ألي تقول هذا ؟! فقال أبو الجنوب : وأنت لي تقول هذا ؟! فاستبّا ساعة ، فقال له أبو الجَنوب ـ وكان شجاعاً : والله لقد هممتُ أن أُخضخض هذا السِّنان في عينك . فانصرف عنه شَمِر][١] .

ثم جاء شَمِر ومعه جماعة من الشُّجعان حتى أحاطوا بالحسين وهو عند فُسْطاطه ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه ، فجاء غلام يشتدُّ من الخيام كأنه البدر ، في أذنيه دُرَّتان ، فخرجت زينب بنت عليٍّ لتردَّه ، فامتنع عليها ، وجاء يحاجف عن عمِّه ، فضربه رجل منهم بالسيف ، فاتقاه بيده ، فأطنَّها سوى جلده ، فقال : يا أبتاه ! فقال له الحسين : يا بنيَّ احتسبت أجرك عند الله ، فإنك تلحق بآبائك الصالحين[٢] .

ثم حمل على الحسين الرجالُ من كل جانب ، وهو يجول فيهم بالسيف يميناً وشمالاً ، فيتنافرون عنه كتنافر المِعْزى عن السَّبُع . وخرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقول : ليت السماء تقع على الأرض . وجاءت عمر بن سعد فقالت : يا عمر ! أرضيتَ أن يُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟! فتحادرت

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥١) .

الدموع على لحيته ، وصرف وجهه عنها . ثم جعل لا يُقدم أحد على قتله حتى نادى شَمِر بن ذي الجَوْشن : ويحكم ! ماذا تنتظرون بالرجل ؟ فاقتُلوه ثكلتْكم أمهاتكم . فحملت الرجال من كل جانب على الحسين ، وضربه زُرْعة بن شَرِيك التميمي على كتفه اليسرى ، وضُرب على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو . ثم جاء إليه سنان بن أنس[١] النَّخَعي ، فطعنه بالرمح فوقع ، ثم نزل فذبحه وحزَّ رأسه ، ثم دفع رأسه إلى خَولي بن يزيد .

وقيل : إن الذي قتله شَمِر بن ذي الجَوْشن . وقيل : رجل من مَذْحج . وقيل : عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وليس بشيء ، وإنما كان عمر أمير السريّة التي قتلت الحسين فقط . والأول أشهر .

[وقال عبد الله بن عمّار : رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على مَن عن يمينه حتى ابذعرُّوا[٢] عنه (وعلى مَن عن شماله حتى ابذعرُّوا عنه)[٣] ، فوالله ما رأيت مكثوراً[٤] قطُّ قد قُتل أولاده وأصحابه أربط جأشاً منه ولا أمضى جَناناً منه . والله ما رأيت قبلَه ولا بعدَه مثلَه . قال : ودنا عمر بن سعد من الحسين ، فقالت له زينب : يا عمر ! أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟ فبكى وصرف وجهه عنها .

وقال أبو مِخْنف : حدّثني الصَّقْعب بن زهير ، عن حُميد بن مسلم قال : جعل الحسين يشدُّ على الرجال وهو يقول : أعلى قتلي تَحاثُّون[٥] ؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد اللهِ اللهُ أسخط عليكم بقتله مني ، وايمُ اللهِ إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم الله لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسَكم بينكم ، وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم .

قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه (لفعلوا ، ولكن كان يتقي بعضهم ببعض دمه ، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء مؤنة قتله)[٦] حتى نادى شَمِر بن ذي الجَوْشن : ماذا تنتظرون بقتله ؟ فتقدَّم إليه زُرْعة بن شَريك التميمي ، فضربه بالسيف على عاتقه ، ثم طعنه سنان بن أنس بن عمرو النخعي بالرمح ، ثم نزل فاحتزَّ رأسه ودفعه إلى خَولي][٧] .

---

(١) اضطربت النسخ في سنان بن أنس وأثبته كما في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٣) ومقاتل الطالبيين (ص٧٩) وابن الأثير (٤/ ٧٨) .

(٢) « ابذعروا » : تفرقوا . وقعت في المطبوع : أنذعروا .

(٣) ما بين قوسين ليس في ط .

(٤) « المكثور » : مَن كثر عليه أعداؤه .

(٥) وردت هذه اللفظة في أ : تحاربون ، وفي ط : تحابون ، وما أثبته من تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٢) .

(٦) ما بين قوسين سقط من أ .

(٧) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وقد روى ابن عساكر في ترجمة شَمِر بن ذي الجَوْشن ـ وذو الجَوْشن : صحابي جليل ، قيل اسمه شرحبيل ، وقيل عثمان بن نَوْفل ، ويقال ابن أوس بن الأعور العامري الضِّبابي ، بطن من كلاب ويكنى شَمِر بأبي السَّابغة ـ ثم من طريق عمر بن شبَّة : حدثنا أبو أحمد ، حدّثني عمي فُضيل بن الزبير ، عن عبد الرحيم بن مَيْمون ، عن محمد بن عمرو بن حسن قال : كنا مع الحسين بنهري كربلاء ، فنظر إلى شَمِر بن ذي الجَوْشن فقال : صدق الله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : «كأنّي أنظرُ إلى كلبٍ أَبْقع يَلَغُ في دماء أَهلِ بَيْتي» . وكان شَمِر ـ قبحه الله ـ أبرص[١] .

وأخذ سنان وغيرُه سَلَبه ، وتقاسم الناس ما كان من أمواله وحواصله ، وما في خِبائه حتى ما على النساء من الثياب الطاهرة .

وقال أبو مِخْنف : عن جعفر بن محمد قال : وجدنا بالحسين حين قُتل ثلاثاً وثلاثين طعنة ، وأربعاً وثلاثين ضربة . وهمَّ شَمِر بن ذي الجَوْشن بقتل علي بن الحسين الأصغر ـ زين العابدين ـ وهو صغير مريض ، حتى صرفه عن ذلك حُميد بن مسلم أحد أصحابه ، وجاء عمر بن سعد فقال : ألا لا يَدخلن على هؤلاء النسوة أحد ، ولا يَقتل هذا الغلام أحد ، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم . قال : فوالله ما ردَّ أحد شيئاً . فقال له علي بن الحسين : جُزيت خيراً فقد دفع الله عني بمقالتك شرًّا[٢] .

قالوا : ثم جاء سنان بن أنس إلى باب فسطاط عمر بن سعد فنادى بأعلى صوته :

أَوْقِرْ ركابي فضَّةً وَذَهَبا ... أنا قَتلتُ المَلِكَ المُحَجَّبَا
قَتلتُ خيرَ النَّاسِ أمّاً وأَبا ... وخيرَهُمْ إذ يُنسَبُونَ نَسَبَا[٣]

فقال عمر بن سعد : أدخلوه عليّ . فلمّا دخل رماه بالسوط وقال : ويحك أنت مجنون ؟! والله لو سمعك ابن زياد تقول هذا لضرب عنقك .

ومنَّ عمر بن سعد على عُقبة بن سِمْعان حين أخبره أنه مولى ، فلم ينج منهم غيره . والمرفع بن يمانة[٤] أُسر ، فمنَّ عليه ابن زياد . وقُتل من أصحاب الحسين اثنان وسبعون نفساً[٥] ، فدفنهم أهل الغاضريَّة[٦] من بني أسد بعدما قُتلوا بيوم واحد .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (١٠/ ٣٣٢) ، وهو حديث غريب .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٤) .
(٣) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٤) ومقاتل الطالبيين (ص٨٠) ومروج الذهب (٣/ ٧٠) وابن الأثير (٤/ ٧٩) وتاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٧٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٠٩) .
(٤) كذا اسمه في الأصول ، والذي في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٤) وابن الأثير (٤/ ٨٠) المرقّع بن ثمامة .
(٥) أسماؤهم مفصلة في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٨) وابن الأثير (٤/ ٩٢) .
(٦) « الغاضرية » : قرية قريبة من كربلاء .

[قال : ثم أمر عمر بن سعد أن يُوطأ الحسين بالخيل ، ولايصح ذلك ، والله أعلم .

وقُتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً][١] .

وروي عن محمد بن الحنفيَّة أنه قال : قُتل مع الحسين سبعةَ عشرَ رجلاً كلُّهم من أولاد فاطمة .

وعن الحسن البصري أنه قال : قُتل مع الحسين ستةَ عشرَ رجلاً كلُّهم من أهل بيته ، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه .

وقال غيره : قُتل معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثةٌ وعشرون رجلاً ، فمن أولاد علي رضي الله عنه : جعفر ، والحسين ، والعباس ، ومحمد ، وعثمان ، وأبو بكر . ومن أولاد الحسين : علي الأكبر ، وعبد الله . ومن أولاد أخيه الحسن ثلاثة : عبد الله ، والقاسم ، وأبو بكر بنو الحسن بن علي بن أبي طالب . ومن أولاد عبد الله بن جعفر اثنان : عون ، ومحمد . ومن أولاد عَقيل : جعفر ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ومسلم قُتل قبل ذلك كما قدمنا ، فهؤلاء أربعة لصُلبه ، واثنان آخران هما : عبد الله بن مسلم بن عَقيل ، ومحمد بن أبي سعيد بن عَقيل ، فكملوا ستة من ولد عَقيل ، وفيهم يقول الشاعر[٢] :

واندُبي تسعةً لصُلبِ عليٍّ قـد أُصِيبُـوا وستَّـةً لعَقِيـل
وسميّ النبيِّ غُودِرَ فيهم قـد عَلَـوْهُ بصَـارمٍ مَصْقـول

وممن قُتل مع الحسين بكربلاء أخوه من الرَّضاعة عبد الله بن بُقْطُر ، وقد قيل : إنه قُتل قبل ذلك ، حيث بعث معه كتاباً إلى أهل الكوفة ، فحُمل إلى ابن زياد فقتله .

وقُتل من أهل الكوفة من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى ، فصلَّى عليهم عمر بن سعد ودفنهم .

ويقال : إنَّ عمر بن سعد أمر عشرة فرسان فداسوا الحسين بحوافر خيولهم حتى ألصقوه بالأرض يوم المعركة ، وأمر برأسه أن يُحمل من يومه إلى ابن زياد مع خَولي بن يزيد الأصبحي ، فلمّا انتهى به إلى القصر وجده مغلقاً ، فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إجّانة[٣] ، وقال لامرأته نَوار بنت مالك : جئتك بعزِّ الدهر ، فقالت : وما هو ؟ فقال : برأس الحسين ، فقالت : جاء الناس بالذهب والفضة وجئتَ أنت برأس ابن بنت رسول الله ﷺ ؟! والله لا يجمعني وإياك فراشٌ أبداً ، ثم نهضتْ عنه من الفراش ، واستدعى بامرأة له أخرى من بني أسد ، فنامت عنده . قالت المرأة الثانية الأسديَّة : والله ما زلتُ أرى النور ساطعاً

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٢) هو مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم ، كما في مروج الذهب (٣/ ٧١ ـ ٧٢) .
(٣) « الإجانة » : المِرْكن الذي تغسل فيه الثياب .

من تلك الإجّانة إلى السماء ، وطيوراً بيضاً ترفرف حولها . فلمّا أصبح غدا به إلى ابن زياد فأحضره بين يديه . ويقال : إنه كان معه رؤوس بقية أصحابه ـ وهو المشهور ـ ومجموعها اثنان وسبعون رأساً ، وذلك أنه ما قُتل قتيل إلّا احتزُّوا رأسه وحملوه إلى ابن زياد ، ثم بعث بها ابن زياد إلى يزيد بن معاوية بالشام .

قال الإمام أحمد : حدّثنا حسين ، حدّثنا جرير ، عن محمد ، عن أنس قال : أُتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين ، فجُعل في طَسْت ، فجَعل ينكت عليه ، وقال في حسنه شيئاً . فقال أنس : إنه كان أشبهَهُم برسول الله ﷺ ، وكان مخضوباً بالوَسْمَة[١] .

ورواه البخاري في المناقب عن محمد بن الحسين[٢] بن إبراهيم ـ هو ابن إشْكاب ـ عن حسين بن محمد ، عن جرير بن حازم ، عن محمد بن سِيرين ، عن أنس . . . فذكره[٣] .

وقد رواه الترمذي[٤] من حديث حَفْصة بنت سِيرين ، عن أنس . وقال : حسن صحيح . وفيه : « فجعل ينكتُ بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيتُ مثل هذا حُسْناً » .

وقال البزّار : حدّثنا مفرج بن شُجاع بن عبيد الله المَوْصلي ، حدّثنا غسان بن الربيع ، حدّثنا يوسف بن عَبدة[٥] ، عن ثابت وحُميد ، عن أنس قال : لما أُتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه ويقول : لقد كان ـ أحسبُه قال ـ جميلاً ، فقلت : والله لأَسوءَنَّك ، إني رأيت رسول الله ﷺ يلثُم حيث يقع قضيبُك . قال : فانقبض . تفرد به البزار من هذا الوجه وقال : لا نعلم رواه عن حُميد غير يوسف بن عَبدة ، وهو رجل من أهل البصرة مشهور ، وليس به بأس[٦] .

ورواه أبو يعلى الموصلي[٧] : عن إبراهيم بن الحجاج ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس . . . فذكره .

ورواه قرَّة بن خالد ، عن الحسن ، عن أنس . . . فذكره .

وقال أبو مِخْنف : عن سليمان بن أبي راشد ، عن حُميد بن مسلم قال : دعاني عمر بن سعد ، فسرَّحني إلى أهله لأبشِّرهم بما فتح الله عليه وبعافيته ، فأجد ابن زياد قد جلس للناس ، وقد دخل عليه الوفد الذين قدموا عليه ، فدخلتُ فيمن دخل ، فإذا رأسُ الحسين موضوع بين يديه ، وإذا هو ينكت فيه

---

(١) « الوسمة » : نبت يختضب بورقه الشعر . ووقعت في الأصول : بالوشمة . والخبر في مسند أحمد (٣/ ٢٦١) .
(٢) تحرف في المطبوع إلى : الحسن .
(٣) رواه البخاري رقم (٣٧٤٨) .
(٤) برقم (٣٧٧٨) في المناقب : باب مناقب الحسن والحسين .
(٥) تصحف في أ ، ط : يونس بن عبيدة ، والمثبت من ب وزوائد البزار وتهذيب التهذيب (١١/ ٤١٧) .
(٦) كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٢٣٤) رقم (٢٦٤٩) .
(٧) في مسنده (٣٩٨١) وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف .

بقضيب بين ثناياه ساعة ، فقال له زيد بن أرقم : ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنيَّتين ، فوالله الذي لا إله إلّا هو لقد رأيتُ شَفَتَيْ رسول الله ﷺ على هاتين الثنيَّتين يقبِّلُهما . ثم انفضخ الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد : أبكى الله عينَك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفتَ وذهب عقلك لضربتُ عنقك . قال : فنهض فخرج [فلما خرج قال الناس : والله لقد قال زيد بن أرقم كلاماً لو سمعه ابن زياد لقتلَه ، قال : فقلت : ما قال ؟ قالوا : مرَّ بنا وهو يقول : ملك عبدٌ عبيداً ، فاتخذَهم تليداً[(١)] ، أنتم ـ يا معشر العرب ـ العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمَّرتم ابن مُرْجانة[(٢)] ، فهو يقتل خياركم ، ويستعبد شراركم ، فبُعداً لمن رضي بالذُّل][(٣)] . وقد رُوي من طريق أبي داود بإسناده عن زيد بن أرقم . . . بنحوه . ورواه الطبراني من طريق ثابت ، عن زيد .

وقد قال الترمذي[(٤)] : حدّثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عُمارة بن عُمَيْر قال : لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه ، فنُصبت في المسجد في الرَّحبة ، فانتهيتُ إليه وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فإذا حيَّة قد جاءت تتخلَّل الرؤوس حتى دخلت في مَنْخِري عبيد الله بن زياد ، فمكثتْ هنيهةً ثم خرجتْ ، فذهبتْ حتى تغيَّبتْ ، ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت . ففعلتْ ذلك مرتين أو ثلاثاً . ثم قال الترمذي : حسن صحيح .

وأمر ابن زياد فنُودي : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فصَعِد المنبر ، فذكر ما فتح الله عليه من قتل الحسين الذي أراد أن يسلبهم الملك ويفرِّق الكلمة عليهم . فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي فقال : ويحك يا بن زياد ! تقتلون أولاد النبيِّين وتتكلَّمون بكلام الصدِّيقين ؟ ! فأمر به ابن زياد ، فقُتل وصُلب . ثم أمر برأس الحسين ، فنُصب بالكوفة وطيف به في أزقَّتها ، ثم سيَّره مع زَحْر بن قيس ومعه رؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية [بالشام ، وكان مع زَحْر جماعة من الفرسان ، منهم أبو بُرْدة بن عوف الأزدي ، وطارق بن أبي ظَبيان الأزدي ، فخرجوا حتى قدموا بالرؤوس كلِّها على يزيد بن معاوية][(٥)] .

قال هشام : فحدّثني عبد الله بن يزيد بن رَوْح بن زِنْباع الجُذامي ، عن أبيه ، عن الغاز بن ربيعة الجُرشي ـ من حمير ـ قال : والله إني لعند يزيدَ بن معاوية بدمشق ، إذ أقبل زَحْر بن قيس فدخل على يزيد ، فقال له يزيد : ويحك ما وراءك ؟ ! [فقال : أَبشِر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره ، ورد

---

(١) « التليد » : أولاد الأعاجم .

(٢) « ابن مرجانة » : هو عبيد الله بن زياد ، حيث كانت أمه مرجانة من بنات ملوك الفرس .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٦) .

(٤) سنن الترمذي برقم (٣٧٨٠) . وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤٩) ضمن ترجمة عبيد الله بن زياد .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب . والروايات الحديثية الصحيحة والحسنة هي الحجة القاطعة في حمل الرأس الشريف من كربلاء إلى الكوفة ، ووالي الأمويين عبيد الله بن زياد هو الذي حمل القضيب ، والمعترض عليه أنس بن مالك رضي الله عنه ، وكان بالعراق . وما رواه : أبو مخنف في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٩) أن الرأس الشريف كان في دمشق ، وأن القضيب كان في يد يزيد بن معاوية ؛ فإسناده تالف ومتنه منكر . انظر منهاج السنة (٨/ ١٤٢) والدولة الأموية للصلابي (١/ ٦٠٥) .

علينا الحسينُ بن علي بن أبي طالب وثمانيةَ عشرَ من أهل بيته وستون من شِيعته ، فسِرْنا إليهم ، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال ، فغدونا إليهم مع شروق الشمس ، فأحطنا بهم من كل ناحية ، حتى أخذت السيوف مأخذَها من هام القوم ، فجعلوا يهربون إلى غير مهرب ولاوَزَر ، ويلوذون منا بالآكام والحفر لواذاً كما لاذ الحمام من صقر ، فوالله ما كانوا إلا جزر جَزُور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجرَّدة ، وثيابهم مزمَّلة ، وخدودهم معفَّرة ، تصهرهم الشمس ، وتَسْفي عليهم الريح ، زوّاهم العِقْبان والرَّخَم][(١)] .

قال : فدمعتْ عينا يزيد بن معاوية وقال : كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سميَّة ، أما والله لو أني صاحبُه لعفوتُ عنه ، ورحم الله الحسين . ولم يصل الذي جاء برأسه بشيء . ولما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال : أما والله لو أني صاحبُك ما قتلتُك . ثم أنشد قول الحُصَين[(٢)] بن الحُمَام المرِّي الشاعر :

نُفَلِّـقُ هـامـاً مـنْ رجـالٍ أعـزَّةٍ عَلَينـا وهـمْ كـانـوا أَعَـقَّ وأَظْلَمـا

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جعفر العبسي [عن أبي عمارة العبسي][(٣)] قال : وقام يحيى بن الحكم ـ أخو مروان بن الحكم ـ فقال :

لَهَـامٌ بجنـبِ الطَّـفِّ أدنـىٰ قـرابـةً من ابنِ زيادِ العبد ذي الحسَبِ الوَغْل
سُميَّةُ أضحىٰ نسلُها عددَ الحَصىٰ وليسَ لآلِ المُصْطفى اليومَ من نَسْل

قال : فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال له : اسكُت[(٤)] .

وقال محمد بن حميد الرازي ـ وهو شِيعيّ : حدثنا محمد بن يحيى الأحمري ، حدّثنا ليث ، عن مجاهد قال : لما جيء برأس الحسين ، فوضع بين يدي يزيد ، تمثَّل بهذه الأبيات :

ليـتَ أَشْيـاخـي ببَـدْرٍ شَهِـدُوا جَـزَعَ الخـزرجِ فـي وَقْـع الأَسَـلْ
فـأهلُّـوا واسْتَهَلُّـوا فَـرَحـاً ثـمَّ قـالـوا لـي هنيّـاً لا تَسَـلْ

---

(١) ما بين حاصرتين مكانه في ب : فذكر له أمر الحسين وماكان من أمره بكربلاء . والخبر بطوله في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠) .

(٢) تحرف في الأصول إلى : الحسين . والحصين بن الحمام : شاعر جاهلي مقل . والبيت في ديوان الحماسة (١/ ٣٩١) وغيره من كتب الأدب . تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠) ومروج الذهب (٣/ ٧٠) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من الأصول ، واستدركته من تاريخ الطبري .

(٤) الخبر والشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠ ـ ٤٦١) وابن الأثير (٤/ ٨٩ ـ ٩٠) .

حيـنَ حكَّـتْ بقُبَـاءٍ[١] بَـرْكَهـا واسْتحرَّ القتلُ في عبد الأَشَلْ[٢]
قد قَتَلْنا الضِّعفَ من أشرافكم وعَـدَلْنـا مَيْـلَ بَـدْرٍ فـاعْتَـدَلْ[٣]

قال مجاهد : نافق فيها والله ، ما بقي في جيشه أحد إلّا تركه ؛ أي : ذمَّه وعابه .

وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين : هل سيَّره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا ؟ على قولين : الأظهر منهما أنه سيَّره إليه ، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة ، فالله أعلم[٤] .

وقال أبو مِخْنف : عن أبي حمزة الثُّمالي ، عن عبد الله الثُّمالي ، عن القاسم بن بُخَيت قال : لما وضِع رأس الحسين بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينكتُ بقضيب كان في يده في ثغره ، ثم قال : إنَّ هذا وإيانا كما قال الحُصَين بن الحُمام المري :

نُفَلِّـقُ هـامـاً مـنْ رجـالٍ أعـزَّةٍ عَلَينـا وهـمْ كـانـوا أَعَـقَّ وأَظْلَمـا

فقال أبو بَرْزة الأسلمي : أما والله لقد أخذ قضيبُك هذا مأخذاً ، لقد رأيت رسول الله ﷺ يَرْشُفُه ، ثم قال : ألا إنَّ هذا سيجيء يوم القيامة وشفيعُه محمد ، وتجيء وشفيعُك ابن زياد . ثم قام فولَّى[٥] .

وقد رواه ابن أبي الدنيا ، عن أبي الوليد ، عن خالد بن يزيد بن أسد ، عن عمّار الدهني ، عن جعفر قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعنده أبو بَرْزة وجعل ينكت بالقضيب ، فقال له : « ارفع قضيبَك ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يلثمُه » .

قال ابن أبي الدنيا : وحدّثني سلَمة[٦] بن شَبِيب ، عن الحميدي ، عن سفيان : سمعت سالم بن أبي حَفْصة قال : قال الحسن : لما جيء برأس الحسين جعل يزيد يطعن بالقضيب . قال سفيان : وأُخبرت أن الحسن[٧] كان ينشد على إثر هذا :

سُميَّةُ أمسىٰ نَسْلُها عدَدَ الحَصىٰ وبنتُ رسولِ اللهِ ليس لها نَسْلُ

وأما بقية أهله ونساؤه وحرمه فإن عمر بن سعد وكَّلَ بهم من يحرسهم ويكلؤهم ، ثم أركبوهم على

---

(١) في ط : بفناء .
(٢) تحرفت الأشل في الأصول إلى : الأسل . « وعبد الأشل » : بنو عبد الأشهل ، من الأوس .
(٣) الأبيات لعبد الله بن الزبعرى ، وهي مخرجة ومشروحة في ديوانه (ص٤٢) من قصيدة قالها يوم أُحد معرضاً بحسان ابن ثابت والخزرج .
(٤) رجَّح ابن كثير والذهبي إرسال رأس الحسين رضي الله عنه إلى يزيد انظر «تاريخ الإسلام» (٦١ ـ ٨١هـ) ص(١٠٦) .
(٥) رواية أبي مخنف التالف في تاريخ الطبري تقدمت (ص٢٦٩) وهي ضعيفة جداً، في إسنادها ضعف وجهالة وانقطاع، وفي متنها أن المعترض على يزيد هو أبو برزة الأسلمي ، وكان مع أنس بن مالك بالعراق ، وفي رواية لأبي مخنف الكذاب أن المعترض زيد بن أرقم ! وحزن يزيد على الحسين، وحسن استقباله لنسائه ؛ كما صح في الأخبار ، يدفع القارئ المنصف إلى استبعاد استهانة يزيد بالرأس الشريف . وانظر تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٠٩) .
(٦) تحرف في ط ، ب إلى : مسلمة .
(٧) تحرف في ط إلى : الحصين .

الرواحل في الهوادج ، فلما مروا بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطَّرحين هنالك بكت النساء وصرخن ، وندبت زينب أخاها الحسين وأهلَها فقالت وهي تبكي : يا محمداه ! يا محمداه ! صلى عليك الله وملك السماء ، هذا حسين بالعراء ، مزمَّل بالدماء ، مقطَّع الأعضاء ، يا محمداه ! وبناتك سبايا ، وذريتك مقتَّلة ، تَسْفي عليها الصَّبا ! قال : فأبكت ـ والله ـ كلَّ عدو وصديق(١) .

قال قرَّة بن قيس : لما مرَّت النسوة بالقتلى صحنَ ولطمنَ خدودهنّ . قال : فما رأيت من منظر من نسوة قطُّ أحسن من منظر رأيته منهن ذلك اليوم، والله إنهنَّ لأحسن من مَهَا يَبْرين . وذكر الحديث كما تقدم .

قال : ثم ساروا بهم من كربلاء حتى دخلوا الكوفة ، فأكرمهم ابن زياد وأجرى عليهم النفقات والكساوى وغيرها .

[قال : ودخلت زينب ابنة فاطمة في أرذل ثيابها قد تنكَّرت وحفَّت بها إماؤها ، فلما دخلت على عبيد الله بن زياد قال : من هذه ؟ فلم تكلِّمه ، فقال بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة ، فقال : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وكذَّب أُحدوثتكم . فقالت : بل الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهَّرنا تطهيراً ، لا كما تقول ، وإنما يفتضح الفاسق ويكذَّب الفاجر . قال : كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتكم ؟ فقالت : كُتب عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فيحاجُّونك إلى الله . فغضب ابن زياد واستشاط ، فقال له عمرو بن حُريث : أصلح الله الأمير ! إنما هي امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها ؟ إنها لا تؤاخذ بما تقول ، ولا تُلام على خَطَل(٢) .

وقال أبو مِخْنف : عن المجالد بن سعيد : إن ابن زياد لمّا نظر إلى علي بن الحسين (زين العابدين) قال لشرطي : انظر أأدرك هذا الغلام ؟ فإن كان أدرك فانطلِقوا به فاضربوا عنقَه . فكشف إزاره عنه ، فقال : نعم ! فقال : اذهب به فاضرِب عنقه . فقال له علي بن الحسين : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهنَّ رجلاً يحافظ عليهنّ . فقال له ابن زياد : تعال أنت ، فبعثه معهنّ .

قال أبو مِخْنف : وأما سليمان بن أبي راشد ، فحدّثني عن حُميد بن مسلم قال : إني لقائم عند ابن زياد حين عُرض عليه علي بن الحسين ، فقال له : ما اسمُك ؟ قال : أنا علي بن الحسين ، قال : أولم يقتل اللهُ عليَّ بن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زياد : مالك لا تتكلَّم ؟ قال : كان لي أخ يقال له عليٌّ أيضاً ، قتله الناس . قال : إن الله قتله ، فسكت ، فقال : مالك لا تتكلَّم ؟ فقال : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٤٥] قال : أنت والله منهم ، ويحك ! انظروا هذا أدرك ؟ والله إني لأحسبه رجلاً ، فكشف عنه مُري بن معاذ الأحمريّ ،

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٦) .
(٢) الخبر عن هذا الحوار رواه أبو مخنف في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٦) وإسناده تالف ، وفي متنه نكارة وتكلف وقسوة مصنوعة ، وردود قاسية ، لا تليق مع هول المصاب وآلام الفاجعة .

فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اقتُلْه ، فقال علي بن الحسين : من يوكَّل بهذه النسوة ؟ وتعلقتْ به زينب عمتُه فقالت : يا بن زياد ! حسبُك منا ما فعلتَ بنا ، أما رَويتَ من دمائنا ؟ وهل أبقيتَ منا أحداً ؟ قال : واعتنقتْه وقالت : أسألك بالله إن كنتَ مؤمناً إنْ قتلتَه لما قتلتَني معه . وناداه عليٌّ فقال : يا بن زياد ! إن كان بينك وبينهنَّ قرابة فابعث معهنَّ رجلاً تقيّاً يصحبهنَّ بصحبة الإسلام قال : فنظر إليهنَّ ساعة ثم نظر إلى القوم فقال : عجباً للرّحم ! والله إني لأظنُّ أنها ودَّت لو أني قتلتُه أن أقتلَها معه . دعوا الغلام . انطلِق مع نسائك][1] .

قال : ثم إن ابن زياد أمر بنساء الحسين وصبيانه وبناته فجهِّزوا إلى يزيد ، وأمر بعلي بن الحسين فغُلَّ بغُلٍّ إلى عنقه ، وأرسلهم مع محفِّز[2] بن ثعلبة العائذي ـ من عائذة قريش ـ ومع شَمِر بن ذي الجَوْشن قبَّحه الله ، فلما بلغوا باب يزيد بن معاوية رفع محفِّز بن ثعلبة صوته فقال : هذا محفِّز بن ثعلبة ، أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة . فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدتْ أمُّ محفِّز شرٌّ وألأم .

فلما دخلت الرؤوس والنساء على يزيد دعا أشراف الشام فأجلسهم حولَه ، ثم دعا بعليٍّ بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأُدخلوا عليه والناسُ ينظرون ، فقال لعلي بن الحسين : يا عليّ ! أبوك قطع رحمي ، وجهل حقّي ، ونازَعَني سُلطاني ، فصنعَ اللهُ به ما قد رأيت . فقال علي : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد : ٢٢] فقال يزيد لابنه خالد : أَجِبْه . قال : فما درى خالد ما يردُّ عليه ، فقال له يزيد : قُلْ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] فسكت عنه ساعة ، ثم دعا بالنساء والصبيان فرأى هيئةً قبيحة ، فقال : قبَّح اللهُ ابن مَرْجانة ! لو كانت بينهم وبينه قرابةٌ ورحمٌ ما فعل هذا بهم ، ولا بعث بكم هكذا .

وروى أبو مِخْنف ، عن الحارث بن كعب ، عن فاطمة بنت علي قالت : لما أُجلسنا بين يدي يزيد رقَّ لنا وأمر لنا بشيء وألطَفَنا . ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ! هب لي هذه ـ يعنيني ـ وكنتُ جارية وضيئة ، فارتعدتُ فزِعةً من قوله ، وظننت أن ذلك جائز لهم ، فأخذتُ بثياب أختي زينب ـ وكانت أكبر مني وأعقل ، وكانت تعلم أن ذلك لا يجوز ـ فقالت لذلك الرجل : كذبتَ ـ والله ـ ولؤُمت ، ما ذلك لك وله . فغضب يزيد فقال لها : كذبتِ ، والله إن ذلك لي ، ولو شئتُ أن أفعله لفعلت . قالت : كلا ، والله ما جعل اللهُ ذلك لك إلّا أن تخرج من ملَّتنا وتَدين بغير ديننا . قالت : فغضب يزيد واستطار ثم قال : إياي تستقبلين بهذا ؟ إنما خرج من الدِّين أبوك وأخوك ، فقالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدِّي اهتديتَ أنت وأبوك وجدُّك . قال : كذبتِ يا عدوَّة الله . قالت : أنت أمير

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . وهو في تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) .

(٢) كذا قيده ابن ماكولا والذهبي وغيرهما ـ بالفاء المشددة والزاي . وقد تحرف في المطبوع في غير موضع إلى : محقر .

المؤمنين [مسلَّط ، تشتم ظالماً ، وتقهر بسلطانك . قالت : فوالله لكأنه استحيىٰ فسكت . ثم قام ذلك الرجل فقال : يا أمير المؤمنين](١) ! هب لي هذه ، فقال له يزيد : اعزُب ، وهبَ اللهُ لك حَتْفاً قاضياً .

ثم أمر يزيدُ النعمان بن بَشير أن يبعث معهم إلى المدينة رجلاً أميناً معه رجال وخيل ، ويكون علي بن الحسين معهنّ . ثم أنزل النساء عند حريمه في دار الخلافة ، فاستقبلهنَّ نساء آل معاوية يبكين ويَنُحْنَ على الحسين ، ثم أقمنَ المناحة ثلاثة أيام . وكان يزيد لا يتغدَّى ولايتعشَّى إلا ومعه علي بن الحسين وأخوه عمر بن الحسين ، فقال يزيد يوماً لعمر بن الحسين ـ وكان صغيراً جدًّا ـ أتقاتل هذا ؟ يعني ابنه خالد بن يزيد ـ يريد بذلك ممازحته وملاعبته ، فقال : أعطني سكِّيناً وأعطه سكِّيناً حتى نتقاتل . فأخذه يزيد فضمَّه إليه وقال : شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أَخْزَم(٢) ، هل تلد الحية إلَّا حية ؟ .

ولما ودَّعهم يزيد قال لعلي بن الحسين : قبح الله ابن سميَّة ، أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألني خصلة إلّا أعطيتُه إياها ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعتُ ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن الله قضى ما رأيت . ثم جهَّزه وأعطاه مالاً كثيراً ، وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول ، وقال له : كاتِبْني بكل حاجة تكون لك . فكان ذلك الرسول الذي أرسله معهم يسير عنهم بمعزل من الطريق ، ويبعد عنهم بحيث يدركهم طرفه ، وهو في خدمتهم حتى وصلوا المدينة . فقالت فاطمة بنت علي : قلت لأختي زينب : إن هذا الرجل الذي أُرسل معنا قد أحسن صحبتنا فهل لك أن نصلَه ؟ فقالت : والله ما معنا شيء نصلُه به إلا حلّينا ، قالت لها : نعطيه حليَّنا . قالت : فأخذت سواري ودُمْلَجي(٣) ، وأخذت سوارها ودُمْلَجها ، وبعثنا به إليه واعتذرنا إليه وقلنا : هذا جزاؤك بحسن صحبتك لنا ، فقال : لو كان الذي صنعتُ معكم إنما هو للدنيا كان في هذا الذي أرسلتموه ما يُرضيني وزيادة ، ولكن ـ والله ـ ما فعلتُ ذلك إلّا لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله ﷺ(٤) .

[وقيل : إن يزيد لما رأى رأس الحسين قال : أتدرون من أين أُتي ابن فاطمة ، وما الحامل له على ما فعل ، وما الذي أوقعه فيما وقع فيه ؟ قالوا : لا ، قال : يزعم أن أباه خيرٌ من أبي ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ خيرٌ من أمي ، وجدّه رسول الله خيرٌ من جدي ، وأنه خير مني وأحقُّ بهذا الأمر مني ! فأما قوله : أبوه خير من أبي ، فقد حاجَّ أبي أباه إلى الله عز وجل ، وعلم الناس أيهما حُكم له . وأما قوله : أمُّه خير من أمي ، فلعَمْري إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي . وأما قوله : جدُّه رسول الله خير من

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٢) قوله : شنشنة أعرفها من أخزم . مثل عربي . « والشنشنة » : الطبيعة والسجية ، كأنه أراد : إني أعرف منك مَشابِهَ من أبيك في رأيه وعقله وذكائه . اللسان : مادة (شنن) .
(٣) الدملج ـ بفتح اللام وضمها : ما يوضع على العضد من الحليّ .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) .

جدي ، فلعَمْري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى أن لرسول الله فينا عِدْلاً ولانِدّاً . ولكنه إنما أُتي من قلة فقهه ، لم يقرأ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ الآية [٢٦ من سورة آل عمران] وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

فلما دخلت النساء على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين ـ وكانت أكبر من سُكَينة : يا يزيد ! بنات رسول الله ﷺ سبايا ، فقال يزيد : يا بنت أخي ! أنا لهذا كنت أكره . قالت : قلت : والله ما تركوا لنا خُرْصاً[١] ، فقال : ابنة أخي ! ما أتى إليك أعظم مما ذهب لك . ثم أدخلهنَّ داره ، ثم أرسل إلى كل امرأة منهن : ماذا أُخذ لك ؟ فليس منهن امرأة تدَّعي شيئاً بالغاً ما بلغ إلا أضعفه لها .

وقال هشام : عن أبي مِخْنف ، حدّثني أبو حمزة الثُّمالي ، عن عبد الله الثُّمالي ، عن القاسم بن بُخَيت[٢] قال : لما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين دخلوا به مسجد دمشق ، فقال لهم مروان بن الحكم : كيف صنعتم ؟ قالوا : ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً ، فأتينا ـ والله ـ على آخرهم ، وهذه الرؤوس والسبايا . فوثب مروان وانصرف . وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال : ما صنعتم ؟ فقالوا له مثل ما قالوا لأخيه ، فقال لهم : حُجِبتم عن محمد ﷺ يوم القيامة ، لن أُجامعكم على أمر أبداً ، ثم قام فانصرف . قال : ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين بكى عليه نساء بني هاشم ونُحْنَ عليه][٣] .

وروي أن يزيد استشار الناس في أمرهم ، فقال رجال ممن قبَّحهم الله : يا أمير المؤمنين ! لا تتخذن من كلب سوءٍ جرواً ، اقتُل علي بن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد ، فسكت يزيد ، فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين ! اعمل معهم كما كان يعمل معهم رسول الله ﷺ لو رآهم على هذه الحال . فرقَّ عليهم يزيد ، وبعث بهم إلى الحمَّام ، وأجرى عليهم الكساوى والعطايا والأطعمة ، وأنزلهم في داره .

وهذا يردُّ قول الرافضة : إنهم حُملوا على جنائب الإبل سبايا عرايا ، حتى كذب مَنْ زعم منهم أن الإبل البَخاتي إنما نبتتْ لها الأسنمة من ذلك اليوم لتستر عوراتِهنّ من قُبُلهنَّ ودُبُرهنّ .

ثم كتب ابن زياد إلى عمرو بن سعيد ـ أمير الحرمين ـ يبشِّره بمقتل الحسين ، فأمر منادياً فنادى بذلك ، فلما سمع نساء بني هاشم ارتفعت أصواتهنَّ بالبكاء والنَّوح ، فجعل عمرو بن سعيد يقول : هذا ببكاء نساء عثمان بن عفان .

وقال عبد الملك بن عُمير : دخلتُ على عبيد الله بن زياد وإذا رأسُ الحسين بن علي بين يديه على

---

(١) الخرص ـ بضم الخاء وكسرها : حلقة القُرط .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : نجيب .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب ، وماورد خلاله من أخبار في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥) .

تُرس ، فوالله ما لبثتُ إلّا قليلاً حتى دخلت على المختار بن أبي عُبيد وإذا رأسُ عبيد الله بن زياد بين يدي المختار على تُرس [ووالله ما لبثتُ إلّا قليلاً حتى دخلت على مصعب بن الزبير وإذا رأسُ المختار بين يديه على تُرس][١] ووالله ما لبثتُ إلّا قليلاً حتى دخلت على عبد الملك بن مروان وإذا رأسُ مصعب بن الزبير على تُرس بين يديه .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في « تاريخه » : حدّثني زكريا بن يحيى الضَّرير ، حدّثنا أحمد بن جناب[٢] المصِّيصي ، حدّثنا خالد بن يزيد بن[٣] عبد الله القَسْري ، حدّثنا عمّار الدُّهني قال : قلت لأبي جعفر : حدِّثني عن مقتل الحسين كأني حضرته ، فقال : أقبلَ الحسين بكتاب مسلم بن عَقيل الذي كان قد كتبه إليه يأمره فيه بالقدوم عليه ، حتى إذا كان بينه وبين القادسيَّة ثلاثة أميال لقيَه الحرُّ بن يزيد التميمي فقال له : أين تريد ؟ فقال : أريد هذا المِصْر ، فقال له : ارجع فإني لم أدعْ لك خلفي خيراً أرجوه ، فهمَّ الحسين أن يرجع ، وكان معه إخوة مسلم بن عَقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا ممن قَتل أخانا أو نُقتل ، فقال : لا خير في الحياة بعدكم . فسار ، فلقيه أوائل خيل ابن زياد ، فلما رأى ذلك عدل[٤] إلى كربلاء ، فأسند ظهره إلى قصباء[٥] وخلاً ليقاتل من جهة واحدة ، فنزل وضرب أبنيته . وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومئة راجل . وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولّاه ابن زياد الري وعهد إليه عهده ، فقال : اكفني هذا الرجل واذهب إلى عملك ، فقال : اعفني ، فأبى أن يعفيه ، فقال : أنظرني الليلة ، فأخّره ، فنظر في أمره ، فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمره به . فتوجَّه إليه عمر بن سعد ، فلما أتاه قال له الحسين : اختر[٦] واحدة من ثلاث : إما أن تَدَعوني فأنصرف من حيث جئت ، وإما أن تَدَعوني فأذهب إلى يزيد ، وإما أن تَدَعوني فألحق بالثغور . فقبل ذلك عمر ، فكتب إليه عبيد الله بن زياد : لا ، ولا كرامة حتى يضع يده في يدي ، فقال الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً . فقاتله ، فقُتل أصحاب الحسين كلُّهم وفيهم بضعة عشر شابًّا من أهل بيته ، وجاءه سهم فأصاب ابناً له في حِجْره ، فجعل يمسح الدم ويقول : اللهم احكُم بيننا وبين قوم دَعَونا لينصرونا فقتلونا . ثم أمر بحبَرَة[٧] فشقَّها ثم لبسها وخرج بسيفه ، فقاتل حتى قُتل ، قتله رجل من مَذْحج ، وحزَّ رأسه فانطلق به إلى ابن زياد وقال في ذلك :

أَوْقِـرْ ركـابـي فضَّـةً وذَهَبـا فقـد قَتَلْـتُ المَلِـكَ المُحَجَّبـا

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع . والخبر في تاريخ الخلفاء (ص٣٢٨ ـ ٣٢٩) .
(٢) في المطبوع : خباب ، تحريف .
(٣) في المطبوع : عن ، خطأ .
(٤) في المطبوع : عاد .
(٥) كذا في ب وتاريخ الطبري . ووقعت في أ ، ط : قصيتا .
(٦) في المطبوع : اختبر ، خطأ .
(٧) الحبرة ـ بكسر الحاء وفتحها : ضرب من البرود اليمانية .

قتلتُ خيرَ النّاسِ أُمّاً وأَبَا ... وخيرَهُمْ إذ يُنْسَبونَ نَسَبَا

قال : فأوفده إلى يزيد بن معاوية ، فوضع رأسه بين يديه ، وعنده أبو بَرْزة الأسلمي ، فجعل يزيد ينكت بالقضيب على فيه ويقول :

نُفلِّقُ هاماً منْ رجالٍ أعزَّةٍ ... عَلَينا وهمْ كانُوا أَعَقَّ وأَظْلَما

فقال له أبو بَرْزة : ارفع قضيبك ، فوالله لربما رأيتُ رسول الله ﷺ واضعاً فيه على فيه يلثمه .

قال : وأرسل عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى ابن زياد ، ولم يكن بقي من آل الحسين إلّا غلام ، وكان مريضاً مع النساء ، فأمر به ابن زياد ليُقتل ، فطرحت زينب نفسها عليه وقالت : والله لا يقتل حتى تقتلوني ، فرقَّ لها وكفَّ عنه .

قال : فأرسلهم إلى يزيد ، فجمع يزيد من كان بحضرته من أهل الشام ، ثم دخلوا عليه فهنَّؤوه بالفتح ، فقام رجل منهم أحمر أزرق ـ ونظر إلى وصيفة من بناته ـ فقال : يا أمير المؤمنين ! هب لي هذه ، فقالت زينب : لا ، ولا كرامة لك ولا له إلا أن تخرجا من دين الله . قال : فأعادها الأزرق ، فقال له يزيد : كفَّ عن هذا . ثم أدخلهم على عياله ، ثم حملهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرةً شعرها ، واضعة كمَّها على رأسها ، تتلقاهم وهي تبكي وتقول :

ماذا تقولونَ إنْ قالَ النَّبيُّ لكُمْ ... ماذا فَعَلْتمْ وأنتمْ آخرُ الأُمَمْ
بعِتْرَتي وبأَهْلي بعدَ مُفْتَقَدِي ... منهمْ أُسَارىٰ وقَتْلىٰ ضُرِّجُوا بدم
ماكانَ هذا جَزَائي إذْ نَصَحْتُ لكمْ ... أَنْ تخلفُوني بسُوءٍ في ذوي رَحِمي[١]

وقد روى أبو مِخْنف ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود : أن بنت عَقيل هي التي قالت هذا الشعر .

وهكذا حكى الزبير بن بكّار أن زينب الصغرى بنت عَقيل بن أبي طالب هي التي قالت ذلك حين دخل آل الحسين المدينة النبويّة .

وروى أبو بكر بن الأنباري بإسناده أن زينب بنت علي بن أبي طالب من فاطمة ـ وهي زوج عبد الله بن جعفر أمّ بنيه ـ رفعت سجف[٢] خبائها يوم كربلاء يوم قُتل الحسين وقالت هذه الأبيات[٣] . فالله أعلم .

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) .
(٢) « السجف » : الستر .
(٣) الخبر في شاعرات العرب (ص٢٥٧) وأعلام النساء (٣/ ٣٢٤) وفيهما أن هذه الأبيات لعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب .

وقال هشام بن الكلبي : حدّثني بعض أصحابنا ، عن عمرو بن [أبي][١] المقدام قال : حدّثني عمر بن عكرمة قال : أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة ، فإذا مولاة لنا تحدِّثنا قالت : سمعت البارحة منادياً ينادي وهو يقول :

أيُّها القاتلونَ ظُلْماً حُسَيناً أَبشِرُوا بالعَذَابِ والتَّنْكيل
كلُّ أهلِ السَّماءِ يدعُو عَلَيكم مِنْ نبيٍّ ومالكٍ وقَبِيل
قَدْ لُعِنْتم على لسَانِ ابنِ داو دَ وموسىٰ وحاملِ الإِنْجِيل[٢]

قال هشام[٣] : حدّثني عمرو بن حيزوم الكلبي ، عن أمّه قالت : سمعت هذا الصوت . وقال الليث وأبو نعيم : يوم السبت .

ومما أنشده الحاكم أبو عبد الله النَّيْسابوري وغيره لبعض المتقدِّمين في مقتل الحسين :

جاؤوا برأسِكَ يا بنَ بنتِ محمَّدٍ متزمِّلاً بدِمائِهِ تَزْمِيلا
وكأنَّما بكَ يا بنَ بنتِ محمَّدٍ قَتَلوا جهاراً عامِدينَ رَسُولا
قَتلوكَ عطشاناً ولمْ يَتَدبَّرُوا في قَتْلكَ القرآنَ والتَّنْزِيلا
ويُكَبِّرونَ بأنْ قُتِلْتَ وإنَّما قَتَلوا بكَ التَّكبيرَ والتَّهْليلا

فصل

وكان مقتل الحسين ـ رضي الله عنه ـ يوم الجمعة ، يوم عاشوراء من المحرَّم ، سنة إحدى وستين . وقال هشام بن الكلبي : سنة اثنتين وستين ، وبه قال علي بن المديني . وقال ابن لَهِيعة : سنة اثنتين أو ثلاث وستين . وقال غيره : سنة ستين . والصحيح الأول . بمكان من الطَّفِّ يقال له : كربلاء من أرض العراق ، وله من العمر ثمان وخمسون سنة أو نحوها ، وأخطأ أبو نعيم في قوله : إنه قُتل وله من العمر خمس أو ست وستون سنة .

قال الإمام أحمد[٤] : حدّثنا عبد الصَّمد بن حسان ، حدّثنا عُمارة ـ يعني ابن زاذان ـ عن ثابت ، عن

---

(١) سقطت من المطبوع . وعمرو بن أبي المقدام : هو عمرو بن ثابت الكوفي . قال فيه ابن حجر : ضعيف ، رمي بالرفض .
(٢) تنسب هذه الأبيات للجن ، وهي في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٧) وابن الأثير (٤/ ٩٠) وتاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٦٦) .
(٣) في المطبوع : قال ابن هشام ، خطأ .
(٤) مسند أحمد (٣/ ٢٦٥) وفيه عمارة بن زاذان وهو كثير الخطأ ، فإسناد الحديث ضعيف .

أنس قال : « استأذن ملَك القَطْر أن يأتيَ النبي ﷺ فأذن له ، فقال لأمِّ سلمة : احفَظِي علينا البابَ لا يدخل علينا أحد ، فجاء الحسينُ بن علي ، فوثب حتى دخل ، فجعلَ يصعَدُ على مَنْكب النبي ﷺ فقال المَلك : أتحبُّه ؟ قال النبيُّ(١) ﷺ : نعم ، فقال : إنَّ أمَّتَك تقتلُه ، وإنْ شئتَ أَريتُك المكان الذي يُقتل فيه . قال : فضرب بيده فأَراهُ تراباً أحمر ، فأخذتْ أمُّ سلمة ذلك التراب فصرَّتْه في طرف ثوبها . قال : فكنّا نسمع أنه يُقتل بكربلاء » .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا وكيع ، حدّثني عبد الله بن سعيد ، عن أبيه ، عن عائشة ـ أو أمِّ سلمة ـ : أن رسول الله ﷺ قال : « لقد دخلَ عليَّ البيتَ ملَكٌ لم يدخلْ قبلَها [فقال لي : إنَّ ابنَكَ هذا حسين مقتول ، وإنْ شئتَ أَريتُكَ مِنْ تُربة الأرضِ التي يُقتل بها](٢) قال : فأَخرجَ تربةً حمراء »(٣) .

وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أمِّ سلمة . ورواه الطبراني(٤) عن أبي أُمامة وفيه قصة أمِّ سلمة . ورواه محمد بن سعد(٥) عن عائشة بنحو رواية أمِّ سلمة ، فالله أعلم . وروي ذلك من حديث زينب بنت جَحْش ، ولُبَابة أمِّ الفضل امرأة العباس . وأرسله غير واحد من التابعين .

وقال أبو القاسم البَغَوي : حدّثنا محمد بن هارون أبو بكر ، حدّثنا إبراهيم بن محمد الرَّقي وعليُّ بن الحسن الرازي قالا : حدّثنا سعيد بن عبد الملك أبو واقد الحرّاني ، حدّثنا عطاء بن مسلم ، حدّثنا أشعث بن سُحيم(٦) ، عن أبيه قال : سمعت أنس بن الحارث يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ ابني ـ يعني الحسين ـ يُقتل بأرضٍ يُقال لها كَرْبلاء ، فمَنْ شهِدَ منكُم ذلكَ فَلْيَنْصُره » . قال : فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء ، فقُتل مع الحسين . قال : ولا أعلم رواه غيره .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا محمد بن عبيد ، حدّثنا شُرَحبيل(٧) بن مُدرك ، عن عبد الله بن نُجي(٨) ، عن أبيه أنه سار مع علي ـ وكان صاحب مِطْهَرته ـ فلما حاذى(٩) نِينَوَى وهو منطلق إلى صفِّين ، فنادى

---

(١) لفظة : « النبي ﷺ » سقطت من ط .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) مسند أحمد (٦/ ٢٩٤) .
(٤) المعجم الكبير (٨٠٩٦) .
(٥) الطبقات الكبرى (١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦) الطبقة الخامسة من الصحابة .
(٦) في الاستيعاب (١/ ١١٢) : « سليم » ، ولم أقف له على ترجمة ، لكن ما أثبتناه اتفقت عليه النسخ ، وكذلك ذكره البخاري في ترجمة أنس بن الحارث من تاريخه الكبير (٢/ ٣٠) وابن الأثير في أسد الغابة (١/ ١٤٦) وابن حجر في الإصابة (١/ ٦٨) .
(٧) تحرف في أ ، ط إلى : شراحيل ، وهو من رجال التهذيب .
(٨) تحرف في ط إلى : يحيى ، وهو من رجال التهذيب .
(٩) في الأصل : جاؤوا وما أثبته من المسند وزوائد البزار والسير .

علي : اصبِر أبا عبد الله ! اصبِر أبا عبد الله بشطِّ الفُرات ! قلت : وماذا تريد ؟ قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ ذاتَ يوم وعيناه تَفيضان فقلت : ما أبكاك يا رسول الله ؟ قال : بلَى ، قام من عندي جبريلُ قبلُ ، فحدّثني أنَّ الحسينَ يُقتل بشطِّ الفُرات ، قال : فقال : هل لكَ أن أُشِمَّك من تُربته ؟ قال : فمدَّ يده فقبضَ قبضةً من تراب فأعطانِيها ، فلم أملِكْ عينيَّ أنْ فاضَتا » . تفرد به أحمد[١] .

وروى محمد بن سعد[٢] ، عن علي بن محمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن رجل ، عن عامر الشَّعبي ، عن علي مثله .

وقد روى محمد بن سعد وغيره ـ من غير وجه ـ عن علي بن أبي طالب : أنه مرَّ بكربلاء عند أشجار الحَنْظل وهو ذاهب إلى صفِّين ، فسأل عن اسمها ، فقيل : كربلاء ، فقال : كربٌ وبلاء . فنزل وصلَّى عند شجرة هناك ثم قال : يُقتل هاهنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة ، يدخلون الجنَّة بغير حساب . وأشار إلى مكان هناك ، فعلَّموه بشيء ، فقُتل فيه الحسين .

وقد روي عن كعب الأحبار آثارٌ في كربلاء .

وقد حكى أبو الجَنَاب الكلبي وغيره : أن أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نَوْح نساء الجنِّ على الحسين وهنَّ يقلنَ :

مَسَحَ الرسُولُ جَبينَهُ ... فَلَهُ بَرِيقٌ في الخُدُود
أَبَواهُ مِنْ عُلْيا قُرَيْـ ... ـشٍ جدُّهُ خيرُ الجُدُود[٣]

وقد أجابهم بعض الناس فقال :

خَرَجُوا بِهِ وفداً إليـ ... ـهِ فهمْ لهُ شَرُّ الوُفود
قَتَلوا ابنَ بنتِ نبيِّهمْ ... سَكَنُوا بِهِ ذاتَ الخُدود

وروى ابن عساكر : أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم ، فوجدوا في كنيسة مكتوباً :

أَتَرجو أمَّةٌ قَتَلَتْ حُسَيناً ... شَفَاعَةَ جدِّهِ يومَ الحِسَاب

فسألوهم : من كتب هذا ؟ فقالوا : إن هذا مكتوب هاهنا من قبل مبعث نبيّكم بثلاث مئة سنة !

---

(١) وهو في مسنده (١/ ٨٥) وإسناده ضعيف .
(٢) طبقاته الكبرى (الطبقة الخامسة من صغار الصحابة) (١/ ٤٢٩) .
(٣) مجالس ثعلب (ص٣٣٩) وتاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٦٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٧) وتاريخ الخلفاء (ص٣٣٠) .

وروي أنَّ الذين قتلوه رجعوا فباتوا وهم يشربون الخمر والرأس معهم ، فبرز لهم قلم من حديد فرسم لهم في الحائط بدمٍ هذا البيت :

أَتَـرْجـو أمَّـةٌ قَتَلَـتْ حُسَينـاً شَفَاعَةَ جدِّهِ يومَ الحِسَابِ[١]

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرحمن وعفّان ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عمّار بن أبي عمّار ، عن ابن عباس قال : « رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام بنصف[٢] النهار أشعثَ أغبَر ، معه قارورةٌ فيها دم ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا ؟! قال : هذا دمُ الحسينِ وأصحابِه لم أزل ألتقِطُه منذ اليوم » . قال عمار : فأَحصينا ذلك فوجدناه قد قُتل في ذلك اليوم .

تفرد به أحمد[٣] ، وإسناده قوي .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا عبد الله بن محمد بن هانئ أبو عبد الرحمن النحوي ، حدّثنا مَعْدي[٤] بن سليمان ، حدّثنا علي بن زيد بن جُدْعان قال : استيقظ ابن عباس من نومه ، فاسترجع وقال : قُتل الحسين والله ، فقال له أصحابه : لم يا بن عباس ؟! فقال : « رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجةٌ من دم ، فقال : أتعلم ما صنعتْ أُمَّتي من بعدي ؟ قتلوا بنيَّ الحسين ، وهذا دمُه ودم أصحابه أرفعُهما إلى الله » . فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه وتلك الساعة ، فما لبثوا إلّا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة : أنه قُتل في ذلك اليوم وتلك الساعة .

وروى الترمذي[٥] ، عن أبي سعيد الأشجّ ، عن أبي خالد الأحمر ، عن رَزِين ، عن سلمى قالت : دخلت على أمِّ سلمة وهي تبكي ، فقلت : ما يُبكيك ؟ فقالت : رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعلى رأسِه ولحيته التراب ، فقلت : مالكَ يا رسول الله ؟! قال : « شهدتُ قتلَ الحسين آنفاً » .

وقال محمد بن سعد[٦] : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، أنبأنا قرَّة بن خالد ، أخبرني عامر بن عبد الواحد ، عن شَهْر بن حَوْشب قال : إنا لعندَ أمِّ سلمة زوج النبي ﷺ فسمعنا صارخة ، فأقبلتْ حتى انتهتْ إلى أمِّ سلمة فقالت : قُتل الحسين ، فقالت : قد فعلوها ؟ ! ملأ اللهُ قبورهم ـ أو بيوتهم ـ عليهم ناراً ، ووقعتْ مغشيّاً عليها ، وقمنا .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ١٥٥) .
(٢) في ط : « نصف » ، وما أثبتناه من م وهو الموافق لما في المسند .
(٣) وهو في مسنده (١/ ٢٤٢ و٢٨٣) .
(٤) تحرف في المطبوع إلى : مهدي وهو من رجال التهذيب . وقد قال فيه أبو زرعة : واهي الحديث . وقال النسائي : ضعيف . وقال ابن حبان : لايجوز أن يحتج به ـ ميزان الاعتدال (٤/ ١٤٢ ـ ١٤٣) .
(٥) الترمذي (٣٧٧١) في المناقب . وإسناده ضعيف .
(٦) طبقاته الكبرى (١/ ٤٩٥ـ٤٩٦) الطبقة الخامسة من الصحابة . ونقله ابن عساكر في تاريخه (١٨/ ١٦٨) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، حدّثنا ابن سلمة[١] ، عن عمّار قال : سمعت أمَّ سلمة قالت : سمعتُ الجنَّ يبكين على الحسين ، وسمعت الجنَّ تنوح على الحسين .

ورواه الحسين بن إدريس ، عن هاشم بن هاشم ، عن أمّه ، عن أمِّ سلمة قالت : سمعتُ نساء الجنِّ ينحنَ على الحسين وهنَّ يقلن :

أيُّها القاتلونَ جَهْلاً حُسَيناً ... أَبشِرُوا بالعذابِ والتَّنْكيلِ
كلُّ أهلِ السَّماءِ يدعو عَليكُم ... من نبيٍّ ومُرْسَلٍ وقَبِيلِ
قَدْ لُعِنتمْ على لسَانِ ابنِ داو ... دَ وموسىٰ وصاحبِ الإنجيل[٢]

وقد روي من طريق أخرى عن أمِّ سلمة بشعر آخر غير هذا ، فالله أعلم .

وقال الخطيب : أخبرنا أحمد بن عثمان بن مَيّاح[٣] السُّكري ، حدّثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، حدّثنا محمد بن شدّاد المِسْمعي ، حدّثنا أبو نعيم ، حدّثنا عبد الله[٤] بن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : « أوحى اللهُ تعالى إلى محمد ﷺ : أني قتلتُ بيحيى بن زكريّا سبعين ألفاً ، وأنا قاتلٌ بابن بنتِك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً »[٥] .

هذا حديث غريب جدًّا ، وقد رواه الحاكم في « مستدركه »[٦] .

وقد ذكر الطبراني هاهنا آثاراً غريبة جدًّا .

ولقد بالغ الشِّيعة في يوم عاشوراء ، فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً : من كون الشمس كسفت يومئذٍ حتى بدت النجوم . وما رُفع يومئذ حجرٌ إلا وُجد تحته دم . وأنَّ أرجاء السماء احمرَّت . وأنَّ الشمس كانت تطلع وشعاعُها كأنه الدم . وصارت السماء كأنها عَلَقة[٧] . وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً . وأمطرت السماء دماً أحمر . وأنَّ الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذ . . . ونحو ذلك .

---

(١) تحرفت . في أ ، ط إلى : مسلم . وابن سلمة هو حماد . والخبر في معجم الطبراني (٢٨٦٧) كما في التعليق على السير (٣/ ٣١٦) .
(٢) تقدمت هذه الأبيات قبل صفحات .
(٣) تحرف في المطبوع إلى : ساج ، وهو مترجم في تاريخ الخطيب (٤/ ٣٠٠) وأيضاً في الإكمال لابن ماكولا (٥/ ٣٠٧) .
(٤) تحرف في أ ، ط إلى : عبيد الله .
(٥) تاريخ بغداد (١/ ١٤١ ـ ١٤٢) .
(٦) مستدرك الحاكم (٢/ ٢٩٠ و٥٩٢) و(٣/ ١٨٧) ، وهو حديث موضوع كما بيناه في تعليقنا على تاريخ الخطيب (١/ ٤٧٢) (بشار) .
(٧) « العلقة » : القطعة من الدم الجامد .

وروى ابن لَهِيعَة ، عن أبي قَبيل المَعَافِري : أنَّ الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر . وأنَّ رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جَعلت الحيطان تسيل دماً . وأنَّ الأرض أظلمت ثلاثة أيام . ولم يمسَّ زعفران ولا وَرْس بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسِّه . ولم يُرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط(١) . وأنَّ الإبل التي عقروها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العَلْقم . إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء .

وأما ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت مَنْ قَتَلَه فأكثرها صحيح ، فإنه قلَّ مَن نجا مِن أولئك الذي قتلوه من آفةٍ وعاهة في الدنيا ، فلم يخرج منها حتى أُصيب بمرض ، وأكثرهم أصابهم الجنون .

ولهم في صفة مصرع الحسين كذبٌ كثير وأخبار باطلة ، وفيما ذكرنا كفاية ، وفي بعض ما أوردناه نظر ، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفّاظ والأئمة ذكروه ما سقتُه ، وأكثره من رواية أبي مِخْنف لوط بن يحيى ، وقد كان شيعيّاً ، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة(٢) ، ولكنه أخباري حافظ ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره ، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنِّفين في هذا الشأن ممن بعده . والله أعلم .

وقد أسرف الرافضة في دولة بني بُويه ـ في حدود الأربعمئة وما حولها ـ فكانت الدبادب(٣) تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ، ويذرُّ الرماد والتبن في الطرقات والأسواق ، وتعلَّق المسوح(٤) على الدكاكين ، ويُظهر الناس الحزن والبكاء ، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلَتئذٍ موافقة للحسين لأنه قتل عطشاناً . ثم تخرج النساء حاسراتٍ عن وجوههنَّ ينحنَ ويلطمنَ وجوههنَّ وصدورهن ، حافيات في الأسواق . . . إلى غير ذلك من البدع الشنيعة ، والأهواء الفظيعة ، والهتائك المختَرَعة ، وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنِّعوا على دولة بني أمية لأنه قُتل في دولتهم .

[وقد عاكس الرافضةَ والشيعةَ يوم عاشوراء النواصبُ من أهل الشام ، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ، ويغتسلون ويتطيَّبون ، ويلبسون أفخر ثيابهم ، ويتَّخذون ذلك اليوم عيداً ، يصنعون فيه أنواع الأطعمة ، ويُظهرون السرور والفرح ، يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم](٥) .

وقد تأوَّل عليه مَنْ قتلَه أنه جاء ليفرِّق كلمة المسلمين بعد اجتماعها ، وليخلع مَنْ بايعه الناس واجتمعوا عليه ، وقد ورد في « صحيح مسلم » الحديث بالزجر عن ذلك ، والتحذير منه ، والتوعُّد

---

(١) « دم عبيط » : دم طري .
(٢) نقل الذهبي أقوال العلماء فيه في ميزان الاعتدال (٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) .
(٣) « الدبادب » : الطبول .
(٤) « المسوح » : المناديل .
(٥) ما بين حاصرتين ليس في ب .

عليه . وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأوَّلوا عليه وقتلوه ، ولم يكن لهم قتلُه ، بل كان يجب عليهم إجابتُه إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاث المتقدم ذكرُها . فإذا ذمت طائفة من الجبارين لم تذم الأمة بكمالها وتتهم على نبيها ﷺ ، فليس الأمر كما ذهبوا إليه ، ولا كما سلكوه ، بل أكثر الأئمة ـ قديماً وحديثاً ـ كارهٌ لما وقع من قتله وقتل أصحابه ، سوى شرذمةٍ قليلة من أهل الكوفة قبَّحهم الله ، وأكثرُهم كانوا قد كاتَبُوه ليتوصَّلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة . [فلما علم ابن زياد منهم بلَّغهم ما يريدون من الدنيا ، وأخذهم على ذلك وحملَهم عليه بالرغبة والرهبة ، فانكفُّوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه][(١)] . وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله ، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك ـ والله أعلم ـ ولا كرهه ، والذي يكاد يغلب على الظن أنَّ يزيد لو قَدر عليه قبل أن يُقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه ، وكما صرَّح هو به مُخبراً عن نفسه بذلك . [وقد لَعَن ابن زياد على فعله ذلك وشتَمَه فيما يظهر ويبدو ، ولكن لم يعزله على ذلك ، ولا عاقبَه ، ولا أرسل يَعيب عليه ذلك ، والله أعلم][(٢)] .

فكل مسلم ينبغي له أن يُحزنه قتلُه رضي الله عنه ، فإنه من سادات المسلمين وعلماء الصحابة ، وابن بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته ، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخيًّا . ولكن لا يحسن ما يفعلُه هؤلاء من إظهار الجزع والحزن الذي لعلَّ أكثره تصنُّع ورياء ، وقد كان أبوه أفضل منه فقُتل ، وهم لا يتَّخذون مقتلَه مأتماً كيوم مقتل الحسين ، فإنَّ أباه قُتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين . وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السُّنة والجماعة ، وقد قُتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين ، وقد ذُبح من الوريد إلى الوريد ، ولم يتَّخذ الناس يوم قتله مأتماً . وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي ، قُتل وهو قائم يصلِّي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن ، ولم يتَّخذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك الصدِّيق كان أفضل منهم ، ولم يتَّخذ الناس يوم وفاته مأتماً . ورسول الله ﷺ سيِّد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبلَه ، ولم يتَّخذ أحد يوم موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين . ولا ذكر أحدٌ أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة مثل : كسوف الشمس ، والحمرة التي تطلع في السماء ، وغير ذلك .

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه الحسين بن علي[(٣)] عن جدِّه رسول الله ﷺ أنه قال : « مامِنْ مسلمٍ يُصابُ بمصيبةٍ فيتذكَّرُها ـ وإن تقادم عهدُها ـ فيُحْدث لها استرجاعاً إلّا

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٣) في أ، ط : علي بن الحسين وهو خطأ .

أعطاهُ اللهُ من الأجر مثلَ يوم أُصِيب بها » . رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه[١] .

وأما قبر الحسين رضي الله عنه

فقد اشتهر عند كثير من المتأخِّرين أنه في مشهد علي ، بمكان من الطَّفِّ عند نهر كربلاء ، فيقال : إن ذلك المشهد بُني على قبره ، فالله أعلم .

وقد ذكر ابن جرير وغيره : أن موضع قتله عفي أثرُه حتى لم يطَّلع أحد لتعيينه على خبر . وقد كان أبو نعيم ـ الفضل بن دُكين ـ ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين .

وذكر هشام بن الكلبي : أن الماء لمَّا أُجري على قبر الحسين ليمحى أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً ، فجاء أعرابي من بني أسد ، فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمُّها حتى وقع على قبر الحسين ، فبكى وقال : بأبي أنت وأمي ، ما كان أطيبَك وأطيب تربتك! ثم أنشأ يقول :

أَرادُوا ليُخْفُوا قبـرَهُ عـن عَـدُوِّه فَطِيبُ تُرابِ القبرِ دَلَّ على القَبْرِ[٢]

وأما رأس الحسين رضي الله عنه

فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السيَر : أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك . وعندي أن الأول أشهر ، فالله أعلم .

ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذي دُفن فيه الرأس . فروى محمد بن سعد : أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد ـ نائب المدينة ـ فدفنه عند أمِّه بالبقيع .

وذكر ابن أبي الدنيا ، من طريق عثمان بن عبد الرحمن ، عن محمد بن عمر بن صالح ـ وهما ضعيفان ـ : أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي ، فأُخذ من خزانته ، فكُفِّن ، ودُفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق .

قلت : ويعرف مكانه بمسجد الرأس داخل باب الفراديس الثاني[٣] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٠١) وابن ماجه (١٦٠٠) في الجنائز : باب ما جاء في الصبر على المصيبة ، وفي سنده هشام بن زياد وهو متروك ، وقد ترجم له ابن حبان في المجروحين (٣/ ٨٨) وأورد هذا الحديث ضمن ترجمته فالحديث ضعيف جدًّا . وانظر كتاب معاوية للدكتور الصلابي ص (٦٢١ ـ ٦٢٨) .
وقوله : يحدث لها استرجاعاً أي يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) الخبر في تاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٧٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٧) . والبيت لمسلم بن الوليد وهو في ملحق ديوانه (٣٢٠) .

(٣) لم يتعرض الحافظ ابن كثير رحمه الله إلى احتمال الدفن في كربلاء ، وهو ما ذهب إليه الإمامية ، وهو أن الرأس الشريف أعيد إلى الجسد ودفن معه ، ولا دليل على ذلك . ورجَّح شيخ الإسلام الاحتمال الأول ، وهو الدفن بالبقيع ، والله أعلم أي ذلك كان . انظر منهاج السنة (٨/ ١٤١) والدولة الأموية ، للصلابي (١/ ٦٣٣) .

وذكر ابن عساكر في « تاريخه » في ترجمة ريا حاضنة يزيد بن معاوية : أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبعرى ـ يعني قوله :

لَيتَ أَشْياخي ببدرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ، ثم وضع في خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جيء به إليه وقد بقي عظماً أبيض ، فكفَّنه وطيَّبه وصلَّى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين . فلما جاءت المسوِّدة ـ يعني بني العباس ـ نبشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساكر : أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بني أمية وقد جاوزت المئة سنة[١] ، فالله أعلم .

وادَّعت الطائفة المسمَّون بالفاطميِّين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمئة إلى ما بعد سنة ستين وستمئة : أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنَوا عليه المشهد المشهور به بمصر ـ الذي يقال له : تاج الحسين ـ بعد سنة خمسمئة . وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروِّجوا بذلك بطلان ما ادَّعوه من النسب الشريف ، وهم في ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاّني وغير واحد من أئمة العلماء في دولتهم في حدود سنة أربعمئة ، كما سنبيِّن ذلك كله إذا انتهينا إليه في مواضعه إن شاء الله تعالى .

[قلت : والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فإنهم جاؤوا برأس ، فوضعوه في مكان هذا المسجد المذكور وقالوا : هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك ، والله أعلم][٢] .

فصل

في ذكر شيء من فضائله

روى البخاري من حديث شعبة ومَهْدي بن ميمون ، عن محمد بن أبي يعقوب ، سمعت ابن أبي نُعْم[٣] قال : سمعت عبد الله بن عمر ـ وسأله رجل من أهل العراق عن المحرِم يقتل الذباب ـ فقال : أهلُ العراق يَسْألون عن قتل الذباب وقد قتلوا ابنَ بنت رسول الله ﷺ وقد قال رسول الله ﷺ : « هما رَيْحانتايَ منَ الدُّنيا »[٤] .

---

(١) تاريخ ابن عساكر : جزء تراجم النساء (ص١٠١ ـ ١٠٤) .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٣) تحرف في الأصول إلى : نعيم .
(٤) أخرجه البخاري (٣٧٥٣) في فضائل أصحاب النبي، و(٥٩٩٤) في الأدب .

ورواه الترمذي[١] ، عن عقبة بن مُكْرم ، عن وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي يعقوب به نحوه : أنَّ رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يُصيب الثوب ، فقال ابن عمر : انظروا إلى أهل العراق يَسْألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت محمد ﷺ . وذكر تمام الحديث ، ثم قال : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو أحمد ، حدّثنا سفيان ، عن أبي الجَحّاف[٢] ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أحبَّهما فقد أحبَّني ، ومن أَبغَضَهما فقد أَبْغَضَني » - يعني حسناً وحسيناً[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا تَلِيد بن سليمان - كوفي - حدثنا أبو الجَحّاف ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : نظر النبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : « أنا حربٌ لمنْ حارَبَكم ، سِلْم لمنْ سالمكُم »[٤] . تفرد بهما الإمام أحمد[٥] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا ابن نُمير[٦] ، حدّثنا حجاج - يعني : ابن دينار - عن جعفر بن إياس ، عن عبد الرحمن بن مسعود ، عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه ، وهو يلثُم هذا مرَّة وهذا مرَّة حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل : يا رسول الله والله إنَّك لتُحبُّهما ! فقال : « مَنْ أَحبَّهما فقد أَحبَّني ، ومَنْ أَبْغَضَهما فقد أَبْغَضَني » تفرد به أحمد[٧] .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدّثنا أبو سعيد الأشجّ ، حدّثني عُقبة بن خالد ، حدّثني يوسف بن إبراهيم التميمي : أنه سمع أنس بن مالك يقول : سئل رسول الله ﷺ : أيُّ أهلِ بيتكَ أحبُّ إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » . قال : وكان يقول [لفاطمة][٨] : « ادعي ابنيَّ ، فيشمّهُما ويضمّهُما إليه »[٩] .

---

(١) (٣٧٧٠) في المناقب .

(٢) تحرف في المطبوع في أكثر من موضع إلى : الحجاف . وأبو الجحاف : هو داود بن أبي عوف البرجمي الكوفي . تكلموا فيه . ميزان الاعتدال (٢/ ١٨) .

(٣) مسند أحمد (٢/ ٢٨٨) وإسناده قوي .

(٤) مسند أحمد (٢/ ٤٤٢) وإسناده ضعيف .

(٥) هكذا قال المصنف ، وفي قوله نظر حين أطلق تفرد الإمام أحمد بالحديثين ، وإنما تفرد الإمام أحمد بالحديث الثاني حسب . أما الأول فقد أخرجه أيضاً : ابن ماجه (١٤٣) في فضائل الصحابة ، والنسائي في فضائل الصحابة من سننه الكبرى (٨١٦٨) ، كلاهما من طريق سفيان الثوري ، به (بشار) .

(٦) تحرف في ط إلى : عمير .

(٧) وهو في مسنده (٢/ ٤٤٠) وهو حديث حسن .

(٨) سقطت من الأصول ، واستدركتها من مسند أبي يعلى .

(٩) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٧/ رقم (٤٢٩٤) وإسناده ضعيف ، لضعف يوسف بن إبراهيم التميمي .

وكذا رواه الترمذي[١] عن أبي سعيد الأشجّ به ، وقال : حسن غريب من حديث أنس .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا أسود بن عامر وعفان ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

ورواه الترمذي[٣] ، عن عبد بن حميد ، عن عفان به ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة .

وقال الترمذي[٤] : حدّثنا محمود بن غَيْلان ، حدّثنا أبو أُسامة ، عن فُضيل بن مرزوق ، عن عدي بن[٥] ثابت ، عن البراء : « أن رسول الله ﷺ أبصرَ حسناً وحسيناً فقال : اللهمَّ إنِّي أُحبُّهما فأَحِبَّهما » . ثم قال : حسن صحيح .

وقد روى الإمام أحمد ، عن زيد بن الحُباب ، عن الحسين بن واقد ، وأهلُ السنن الأربعة ، من حديث الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه قال : « كان رسول الله ﷺ يخطبُنا إذ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثُران ، فنزل رسول الله ﷺ من[٦] المنبر ، فحملَهما فوضَعَهما بين يديه ثم قال : صدق الله : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] نظرتُ إلى هذين الصبيَّين يمشيان ويعثُران فلم أَصبِرْ حتى قطعتُ حديثي ورفعتُهما »[٧] . وهذا لفظ الترمذي ، وقال : غريب[٨] لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد .

ثم قال[٩] : حدّثنا الحسن[١٠] بن عرفة ، حدّثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن عبد الله بن عثمان بن

---

(١) برقم (٣٧٧٢) في المناقب .
(٢) مسند أحمد (٣/ ٢٥٩) مع ٢٨٥) وإسناده ضعيف .
(٣) رقم (٣٢٠٦) .
(٤) رقم (٣٧٨٢) في المناقب .
(٥) في ط : عن ، خطأ .
(٦) في ط : « عن » ، وما هنا من ب وهو الموافق لما في جامع الترمذي وهذا لفظه كما سيذكر المصنف .
(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٤) والترمذي (٣٧٧٤)، وأبو داود (١١٠٩)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، والنسائي (٣/ ١٩٢) وهو حديث صحيح .
(٨) هكذا في الأصول ، وفي المطبوع من جامع الترمذي : حسن غريب ، وهو الذي نقله المزي في تحفة الأشراف (٢/ ٩٥) حديث (١٩٥٨) ، وهو الأوفق لحال الحديث ، فإن الحديث صحيح فقد روي من طرق عدة ، وإنما حسنه الترمذي والله أعلم من أجل علي بن الحسين بن واقد ، فإنه ضعيف عند التفرد .
(٩) يعني الترمذي . والحديث في سننه برقم (٣٧٧٥) .
(١٠) تحرف في ط إلى : الحسين .

خُثيم[١] ، عن سعيد بن راشد ، عن يعلى بن مُرَّة قال : قال رسول الله ﷺ : « حسينٌ منِّي وأنا من حسين ، أحبَّ اللهُ مَنْ أحبَّ حسيناً ، حسينٌ سِبطٌ من الأَسْباط » . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن[٢] .

ورواه أحمد[٣] ، عن عفان ، عن وهيب[٤] ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثيم به .

ورواه الطبراني ، عن بكر بن سهل ، عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن[٥] راشد بن سعد ، عن يعلى بن مُرَّة : أن رسول الله ﷺ قال : « الحسنُ والحسينُ سِبْطان من الأَسْباط »[٦] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو نعيم ، حدّثنا سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد [عن ابن أبي نُعْم][٧] عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شَبابِ أَهلِ الجَنَّة » .

ورواه الترمذي[٨] ، من حديث سفيان الثوري وغيره ، عن يزيد بن أبي زياد ، وقال : حسن صحيح .

وقد رواه أبو القاسم البغوي ، عن داود بن رُشَيْد[٩] ، عن مروان الفَزَاري ، عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نُعْم ، عن أبيه ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجنَّةِ إلَّا ابنيّ الخالة : يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام » .

وأخرجه النسائي[١٠] ، من حديث مروان بن معاوية الفَزَاري به .

ورواه سويد بن سعيد ، عن محمد بن خازم ، عن الأعمش ، عن عطيّة ، عن أبي سعيد .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا وكيع ، عن ربيع بن سعد ، عن ابن[١١] سابط قال : دخل حسين بن علي

---

(١) تحرف في ط إلى : خيثم .
(٢) في إسناده سعيد بن راشد ، أو ابن أبي راشد ، مجهول ، ولكن للحديث شاهد من حديث أبي رمثة عند ابن عساكر فهو به حسن .
(٣) في مسنده (٤/ ١٧٢) .
(٤) تحرف في أ ، ط إلى : وهب .
(٥) في ط : بن ، خطأ .
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٧٠١) ، وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وجماع ترجمته تدل على ضعفه عند التفرد ، فهو حسن الحديث عند المتابعة .
(٧) ما بين حاصرتين سقط من أ ، وتصحف في ط ، ب إلى أبي نعيم . وابن أبي نعم : هو عبد الرحمن بن أبي نُعم البجلي ، أبو الحكم الكوفي . من رجال التهذيب ، وله ترجمة في سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٢ ـ ٦٣) وفيها ذكر لهذا الحديث وتخريج موسع له . وأيضاً مخرج في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١٥) ومسند أحمد (٣/ ٦٢ و ٨٢) .
(٨) رقم (٣٧٦٨) .
(٩) تحرف في أ ، ب إلى : سعيد .
(١٠) في الكبرى رقم (٨٥٢٨) وهو حديث حسن .
(١١) في ط أبي ، خطأ .

المسجد ، فقال جابر بن عبد الله : « من أحبَّ أنْ ينظرَ إلى سيِّد شَبابِ أهلِ الجنَّة فلْينظُرْ إلى هٰذا » . سمعتُه من رسول الله ﷺ . تفرد به أحمد[(١)] .

وروى الترمذي والنسائي ، من حديث إسرائيل ، عن مَيْسرة بن حَبيب ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن زرّ بن حُبَيْش ، عن حُذيفة : أن أمَّه بعثته ليستغفر له رسول الله ﷺ ولها ، قال : فأتيتُه فصلَّيت معه المغرب ، ثم صلَّى حتى صلَّى العشاء ، ثم انفتل ، فتبعتُه ، فسمع صوتي ، فقال : مَنْ هذا حُذيفة ؟ قلت نعم ، قال : ما حاجتُك غفرَ اللهُ لك ولأمِّك ؟ إنَّ هذا ملَكٌ لم يَنْزل إلى الأرض قبل هذه الليلة ، استأذن ربَّه أنْ يسلِّم عليَّ ويبشرَني بأن فاطمةَ سيدةُ نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة » . ثم قال الترمذي[(٢)] : هذا حديث حسن غريب ، ولا يعرف إلّا من حديث إسرائيل .

وقد روي مثل هذا من حديث علي بن أبي طالب ، ومن حديث الحسين نفسه ، وعمر ، وابنه عبد الله ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وغيرهم . وفي أسانيده كلِّها ضعف ، والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدّثنا موسى بن مُطَير[(٣)] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في الحسن والحسين : « مَنْ أَحبَّني فَلْيحبَّ هٰذَيْن »[(٤)] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سليمان بن داود ، حدّثنا إسماعيل ـ يعني ابن جعفر ـ أخبرني محمد ـ يعني ابن [أبي][(٥)] حرملة ـ عن عطاء : أن رجلاً أخبره أنه رأى النبي ﷺ يضمُّ إليه حسناً وحسيناً ويقول : « اللهمَّ : إنِّي أُحِبُّهُما فأَحِبَّهُما »[(٦)] .

وقد روي عن أسامةَ بن زيد وسلمان الفارسي شيء يشبه هذا ، وفيه ضعف وسقم ، والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا كامل ، وأبو المنذر أخبرنا كامل ، قال أسود : أخبرنا المَعْنيُّ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : « كنّا نصلِّي مع رسول الله ﷺ العشاء ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فإذا رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً فيضعهما على الأرض ، فإذا عاد عادا ، حتى قضى صلاتَه أقعدهما على فخذيه . قال : فقمتُ إليه فقلت : يا رسول الله أردُّهما ؟ فبرقتْ برقةٌ ، فقال لهما : الحقا بأمِّكما . قال : فمكث ضوءُها حتى دخلا »[(٧)] .

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٧٧٥) .
(٢) في المناقب برقم (٣٧٨١) ورواه النسائي في الكبرى (٨٣٦٥) وهو حديث حسن كما قال الإمام الترمذي .
(٣) تحرف في الأصول إلى : عطية . وموسى بن مطير واهٍ ، كما قال الذهبي في ميزانه (٤/ ٢٢٣) .
(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده برقم (٢٥٠٢) .
(٥) سقطت من الأصول . وترجمته في تهذيب التهذيب (٩/ ١١٠) وغيره .
(٦) مسند أحمد (٥/ ٣٦٩) وهو حديث صحيح .
(٧) مسند أحمد (٢/ ٥١٣) وإسناده حسن .

وقد روى موسى بن عثمان الحضرمي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة نحوه .

وقد روي عن أبي سعيد وابن عمر قريب من هذا .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا معاذ بن معاذ ، حدّثنا قيس بن الربيع ، عن أبي المقدام [عن][١] عبد الرحمن الأزرق ، عن علي قال : « دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا نائم [على المنامة][٢] فاسْتَسْقى الحسنُ أو الحسين ، فقام رسول الله ﷺ إلى شاةٍ لنا بَكيءٍ[٣] يحلبها ، فدرَّتْ ، فجاءه الآخر ، فَنَحّاه النبيُّ ﷺ[٤] ، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنَّه أحبُّهما إليك !؟ قال : لا ، ولكنَّه اسْتَسْقى قبلَه . ثم قال : إنِّي وإيّاكِ وهٰذين وهذا الراقِد في مكان واحدٍ يومَ القيامة » . تفرد به أحمد[٥] .

ورواه أبو داود الطيالسي ، عن عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن أبي فاختة ، عن علي . . فذكر نحوه [وقد روي عن أبي سعيد الخدري وعن ميمونة وأم سلمة أمي المؤمنين مثله أو نحوه][٦] .

وقد ثبت : أن عمر بن الخطاب كان يكرمُهما ويحملُهما ويعطيهما كما يعطي أباهما . وجيء مرة بحُلَل من اليمن ، فقسمَها بين أبناء الصحابة ولم يُعطِهما منها شيئاً ، وقال : ليس فيها شيء يصلح لهما . ثم بعث إلي نائب اليمن فاستعمل لهما حُلَّتين تناسبهما .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا قَبيصة بن عقبة ، حدّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن العَيْزار بن حُريث قال : بينما عمرو بن العاص جالسٌ في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلاً فقال : هذا أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني سليمان ، عن[٧] الدَّراوردي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : « أن رسول الله ﷺ بايع الحسنَ والحسينَ [وعبد الله بن عباس] وعبدَ الله بن جعفر وهم صغار لم يبلُغوا ، ولم يبايع صغيراً إلَّا منّا » . وهذا مرسل غريب .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا يعلى بن عبيد ، حدّثنا عبيد الله بن الوليد الوَصّافي[٨] ، عن عبد الله بن

---

(١) سقطت من أ ، ط .
(٢) سقط من أ ، ط .
(٣) في ط : « كي » ، وما هنا من م ، وهو الموافق لما في المسند . والبكيء : هي الناقة والشاة التي قل لبنها فهي بكيئة .
(٤) لفظ « النبي ﷺ » سقط من ط .
(٥) وهو في مسنده (١/ ١٠١) وإسناده ضعيف جداً .
(٦) ما بين الحاصرتين من م . وينظر تاريخ ابن عساكر (١٨/ ٨٥) .
(٧) وقعت في ط : بن وفي الكلام سقط ، والذي في تاريخ دمشق (٤/ ١٨٠) « عن الزبير عن أحمد بن سليمان عن عبد العزيز الدراوردي عن جعفر ، به » وهو الصواب .
(٨) الوصافي : بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة وفي آخرها الفاء . هذه النسبة إلى الوصاف العجلي كما نص على ذلك السمعاني . وقد تحرفت في ط ، ب إلى : الرصافي وفي أ إلى : الرماني . وعبيد الله بن الوليد الوصافي منكر الحديث جداً . مترجم في المجروحين (٢/ ٦٣ ـ ٦٤) .

عبيد بن عُمير[(١)] قال : « حجَّ الحسينُ بن عليٍّ خمساً وعشرين حجَّة ماشياً ونجائبُهُ تُقادُ بين يَدَيْه » .

وحدّثنا أبو نعيم الفضل بن دُكين ، حدّثنا حفص بن غياث ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : « أنَّ الحسين بن عليٍّ حجَّ ماشياً وإنَّ نجائبَهُ لتُقَادُ وراءَه » . والصواب : أن ذلك إنما هو الحسن أخوه ، كما حكاه البخاري[(٢)] .

وقال المدائني : جرى بين الحسن والحسين كلام ، فتهاجرا ، فلمّا كان بعد ذلك أقبل الحسن إلى الحسين فأكبَّ على رأسه يقبِّلُه ، فقام الحسين فقبَّلَه أيضاً وقال : إن الذي منعني من ابتدائك بهذا أني رأيتُ أنك أحقُّ بالفضل منِّي ، فكرهت أن أنازعَك ما أنت أحقُّ به منِّي .

وحكى الأصمعي عن ابن عون : أن الحسن كتب إلى الحسين يعيبُ عليه إعطاءَ الشعراء ، فقال الحسين : إن أحسن المال ما وقى العِرْض .

وقد روى الطبراني : حدّثنا أبو حَنيفة محمد بن حَنيفة الواسطي ، حدّثنا يزيد بن البراء بن عمرو بن البراء الغَنَوي ، حدّثنا سليمان بن الهيثم قال : كان الحسين بن علي يطوف بالبيت ، فأراد أن يستلم [الحجر][(٣)] فأوسع له الناس ، فقال رجل : يا أبا فراس من هذا ؟ فقال الفرزدق :

هٰذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأَتَهُ ... والبيتُ يعرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ
هٰذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهمُ ... هٰذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطّاهرُ العَلَمُ
يكادُ يُمْسِكُهُ عرفانُ راحَتِه ... رُكنَ الحَطِيم إذا ما جاءَ يَسْتلمُ
إذا رأَتْهُ قريشٌ قال قائلُها ... إلى مَكارمِ هٰذا يَنتهي الكَرَمُ
يُغْضِي حياءً ويُغْضىٰ من مَهابتِه ... فما يُكلَّمُ إلّا حينَ يَبْتَسِمُ
في كفِّه خيزرانٌ ريحُهُ عَبِقٌ ... بكفِّ أروعَ في عِرْنينِه شَمَمُ
مشتقَّةٌ من رسولِ الله نِسْبَتُهُ ... طابَتْ عناصِرُهُ والخِيمُ والشِّيَمُ
لا يستطيعُ جوادٌ بُعْدَ غايتِه ... ولا يُدانيهِ قومٌ إنْ هُمُ كرُمُوا
مَنْ يعرفِ اللهَ يعرفْ أوَّليةَ ذا ... فالدِّينُ من بيتِ هذا نالَهُ أُمَمُ
أيُّ العشائر هُمْ ليستْ رقابهمُ ... لأوَّليةِ هٰذا أو لَهُ نَعَمُ

---

(١) تحرف اسمه في ط إلى : عبد الله بن عبيد الله بن عميرة .
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٨) .
(٣) زيادة من الطبراني يقتضيها السياق .

هكذا أوردها الطبراني في ترجمة الحسين في « معجمه الكبير »[١] وهو غريب ، فإن المشهور أنها من قيل الفرزدق في علي بن الحسين لا في أبيه ، وهو أشبه ، فإن الفرزدق لم يرَ الحسين إلا وهو مقبل إلى الحج والحسينُ ذاهب إلى العراق ، فسأل الحسينُ الفرزدقَ عن الناس ، فذكر له ما تقدم ، ثم إن الحسين قُتل بعد مفارقته له بأيام يسيرة ، فمتى رآه يطوف بالبيت ؟! والله أعلم .

وروى هشام ، عن عوانة قال : قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد : أين الكتابُ الذي كتبتُه إليك في قتل الحسين ؟ فقال : مضيتُ لأمرك وضاع الكتاب ، فقال له ابن زياد : لتجيئنَّ به ، قال : ضاع ، قال : والله لتجيئنَّ به ، قال : تُرِك والله يُقرأ على عجائز قريش أعتذر إليهم بالمدينة ، أما واللهِ لقد نصحتُك في حسين نصيحة لو نصحتُها إلى سعد بن أبي وقاص لكنت قد أدَّيت حقَّه . فقال عثمان بن زياد ـ أخو عبيد الله : صدق عمرُ والله ، ولوددت واللهِ أنه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خِزَامة[٢] إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يُقتل . قال : فوالله ما أنكر [ذلك] عليه عبيد الله بن زياد[٣] .

فصل

في شيء من أشعاره التي رويت عنه

فمن ذلك ما أنشده أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم وذكر أنه للحسين بن علي بن أبي طالب :

اِغْنَ عنِ المخلوقِ بالخالقِ تَسُدْ على الكاذبِ والصّادقِ
واسْتَرْزِقِ الرحمنَ منْ فَضْلِهِ فليسَ غيرُ اللهِ من رازقِ
مَنْ ظنَّ أنَّ الناسَ يُغْنُونَهُ فليسَ بالرحمنِ بالواثقِ
أو ظنَّ أنَّ المالَ من كسْبِهِ زلَّتْ بهِ النَّعلانِ منْ حالقِ[٤]

وعن الأعمش : أن الحسين بن علي قال :

كلَّما زِيدَ صاحبُ المالِ مالاً زِيدَ في همِّهِ وفي الاشْتِغالِ
قد عَرَفْناكِ يا مُنَغِّصَةَ العَيْـ ـشِ ويا دارَ كلِّ فانٍ وبالِ
ليس يَصْفو لزاهدٍ طلبُ الزُّهـ ـدِ إذا كانَ مُثْقَلاً بالعيالِ[٥]

---

(١) (٣/ ١٠١ ـ ١٠٢) برقم (٢٨٠٠) .
(٢) « الخزامة » : حلقة توضع في أنف البعير .
(٣) ينظر الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٧) .
(٤) الأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٠٨) .
(٥) الأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٠٨) .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال :

نـادَيـتُ سكّـانَ القبـورِ فـأُسْكِتـوا وأَجابني عَنْ صَمْتِهِمْ ندبُ الجُثىٰ
قالتْ أَتدري ما فعلتُ بسَاكني مزَّقتُ لحمَهُمُ وخرَّقتُ الكُسَا
وحَشَوْتُ أعينَهُمْ تراباً بعدَما كانتْ تَأَذّىٰ باليسيرِ من القَذَى
أمـا العِظـامُ فـإنَّنـي مـزَّقْتُهـا حتّى تباينتِ المفاصِلُ والشَّوىٰ
قطَّعتُ ذا مِنْ ذا ومن هٰذا كذا فتركْتُها رِمَماً يطوفُ بها البِلىٰ[١]

وأنشد بعضهم للحسين رضي الله عنه أيضاً :

لئِـنْ كـانـتِ الـدُّنيـا تُعَـدُّ نفيسـةً فـدارُ ثـوابِ اللهِ أَعلـىٰ وأَنبـلُ
وإنْ كانتِ الأبدانُ للموتِ أُنْشِئَتْ فقتلُ امرئٍ بالسَّيف في اللهِ أَفضلُ
وإنْ كانتِ الأرزاقُ شيئاً مقدَّراً فقِلَّةُ سَعْيِ المرءِ في الكسبِ أَجملُ
وإنْ كانتِ الأموالُ للتَّركِ جمعُها فما بالُ متروكٍ بهِ المرءُ يَبْخَلُ[٢]

ومما أنشد الزبير بن بكار من شعره في امرأته الرباب بنت أنيف ـ ويقال : بنت امرئ القيس بن عديّ بن أوس الكلبي ـ أمّ ابنته سُكينة :

لعَمـرُكَ إنَّنـي لأُحِـبُّ داراً تحـلُّ بهـا سُكَينـةُ والـرَّبـابُ
أُحبُّهمـا وأبـذُلُ جـلَّ مـالـي وليـسَ لـلائِمـي فيهـا عِتـابُ
ولسْـتُ لهـمْ وإنْ عَتبـوا مُطيعـاً حيـاتـي أو يُغَيِّبَنـي التُّـراب[٣]

وقد أسلم أبوها على يدي عمر بن الخطاب ، وأمَّره عمر على قومه ، فلما خرج من عنده خطب إليه علي بن أبي طالب أن يزوِّج ابنيه الحسن والحسين من بناته ، فزوَّج الحسن ابنته سلمى ، والحسين ابنته الرباب ، وزوَّج علياً ابنته الثالثة ـ وهي المحياة بنت امرئ القيس ـ في ساعة واحدة . فأحبَّ الحسين زوجته الرباب حبّاً شديداً ، وكان بها معجباً ، ويقول[٤] فيها الشعر . ولما قُتل بكربلاء كانت معه ، فوجدتْ عليه وجداً شديداً ، وذكر أنها أقامت على قبره سنة ثم انصرفت وهي تقول :

إلى الحَوْلِ ثمَّ اسمُ السَّلام عَلَيْكما ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقدِ اعْتَذَرْ[٥]

---

(١) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ١٨٦) .
(٢) الأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٤/ ١٨٧) .
(٣) الأبيات في نسب قريش (٥٩) والأغاني (١٦/ ١٣٩ ـ ١٤٠) .
(٤) سقطت الواو من ط .
(٥) البيت للبيد، وهو في ديوانه طبعة صادر (ص٧٩) من قصيدة قالها في مخاطبة ابنتيه لما حضرته الوفاة، ومطلعها : =

وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش ، فقالت : ما كنت لأتّخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ ، ووالله لا يؤويني ورجلاً بعد الحسين سقفٌ أبداً . ولم تزل كمِدةً حتى ماتت . ويقال : إنها إنما عاشت بعده أياماً يسيرة ، فالله أعلم [وابنتها سُكينة بنت الحسين كانت من أجمل النساء حتى إنه لم يكن في زمانها أحسن منها ، فالله أعلم][١] .

وروى أبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب : أن ابن زياد ـ بعد مقتل الحسين ـ تفقّد أشراف أهل الكوفة ، فلم ير عبيد الله بن الحرّ بن يزيد ، فتطلّبه حتى جاءه [بعد أيام ، فقال : أين كنت يا بن الحرّ ؟ قال : كنت مريضاً ، قال : مريض القلب أم مريض البدن ؟ قال : أمّا قلبي فلم يمرض ، وأمّا بدني فقد منَّ الله عليه بالعافية . فقال له ابن زياد : كذبتَ ، ولكنَّك كنت مع عدوِّنا ، قال : لو كنتُ مع عدوك لم يخفَ مكانُ مثلي ولكان الناس شاهدوا ذلك . قال : وغفل عنه ابن زياد غفلة[٢] ، فخرج ابن الحرِّ فقعد على فرسه ، ثم قال : أبلغوه أني لا آتيه ـ والله ـ طائعاً . فقال ابن زياد : أين ابن الحرّ ؟ قالوا : خرج ، فقال : عليَّ به ، فخرج الشُّرط في طلبه ، فأسمعهم غليظ ما يكرهون ، وترضَّى عن الحسين وأخيه وأبيه ، ثم أسمعهم في ابن زياد غليظاً من القول][٣] ثم امتنع منهم وقال في الحسين وفي أصحابه شعراً :

يقــولُ أميــرٌ غــادرٌ حــقّ غــادرٍ ... ألا كنــتَ قــاتلــتَ الشَّهيــدَ ابــنَ فــاطِمَــهْ
[ونَفْســي علــى خــذْلانِــهِ واعْتِــزالِــهِ ... وبَيْعَــةِ هــذا النــاكــثِ العَهْــدِ لائمَــهْ][٤]
فيــا نَــدَمــي أنْ لا أكــونَ نصــرتُــهُ ... ألا كــلُّ نفــسٍ لا تُســدِّدُ نــادمَــهْ[٥]
سَقَــى اللهُ أرواحَ الــذيــنَ تــآزرُوا ... علــى نَصْــرِهِ سُقْيــا مــن الغيــثِ دائمَــهْ
وقفــتُ علــى أَجْــداثِهِــمْ ومَجَــالِهِــمْ ... فكــادَ الحشــىٰ يَنْقَــضُّ والعيــنُ ســاجمَــهْ
لَعَمْري لقد كانُوا مَصَاليتَ في الوغىٰ ... سِــراعــاً إلــى الهَيْجــا حُمــاةً خضــارمَــهْ
تــآسَــوْا علَــى نصــرِ ابــنِ بنــتِ نبيِّهِــمْ ... بــأسْيــافِهِــمْ آسَــاد غِيْــلٍ ضــراغمَــهْ
فــإنْ تقتلُــوا تلــكَ النفــوسَ تقيَّــةً ... علَــى الأرضِ قَــدْ أضحــتْ لــذلــكَ واجمَــهْ

= تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهـل أنـا إلا مـن ربيعـة أو مضـر

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٢) كذا في أ وتاريخ الطبري . ووقعت في ط : وعقل عن ابن زياد عقلة .
(٣) ما بين حاصرتين اختصر في ب إلى : فأسمع ابن الحر لابن زياد غليظ ما يكره ، ثم خرج من عنده .
(٤) هذا البيت في النسخة ب فقط . وقد أورده ابن عساكر وابن الأثير .
(٥) اضطرب هذا البيت في المطبوع، حيث ورد الشطر الثاني فيه : لذو حسرة ما إن تفارق لازمة ، وهذا شطر من بيت ذكره الطبري وابن عساكر ولم يرد في نسخ كتابنا، ولفظه :
وإني لأني لم أكن من حماته ... لـذو حسـرة مـا إن تفـارق لازمـة

فما إنْ رأى الرّاؤونَ أفضلَ منهُمُ ... لـدَى المـوتِ سَاداتٌ وزهـرٌ قمـاقمَـهْ
أتقتلُهـمْ ظلمـاً وتـرجُـو وِدَادَنـا ... فَـذِي خطَّـةٌ ليسَـتْ لنـا بمـلائمَـهْ
لَعَمـري لقـد راغَمْتُمـونـا بقَتْلِهـمْ ... فكـمْ نـاقـم منّـا عليكُـمْ ونـاقمَـهْ
أَهُـمُّ مِـراراً أن أسِيـرَ بجَحْفـلٍ ... إلـى فِئَـةٍ زاغـتْ عـن الحـقِّ ظـالمَـهْ
فيـابـنَ زيـادٍ إسْتَعِـدَّ لحَـرْبِنـا ... وموقفِ ضَنْكٍ تقصِمُ الظَّهرَ قاصمَهْ[1]

وقال الزبير بن بكار : قال سليمان بن قَتَّة[2] يرثي الحسين رضي الله عنه :

وإنَّ قتيـلَ الطَّـفِّ مـنْ آلِ هـاشِـمٍ ... أذلَّ رقـابـاً مـنْ قـريـشٍ فـذَلَّـتِ
فإنْ تُتْبعوهُ عائذَ البيتِ تُصْبحوا ... كعـادٍ تعمَّـتْ عـن هُـداهـا فضَلَّـتِ
مـررتُ علَـى أبيـاتِ آلِ محمَّـدٍ ... فـألفيتُهـا أمثـالَهـا حيـثُ حلَّـتِ
وكـانُـوا لنـا غُنْمـاً فعـادُوا رزيَّـةً ... لقـد عظُمَـتْ تلـكَ الـرَّزايـا وجَلَّـتِ
فـلا يُبْعِـدِ اللهُ الـدِّيـارَ وأهلَهـا ... وإنْ أصبحـتْ منهُـمْ بـرَغْمـي تخلَّـتِ
إذا افتقرَتْ قيسٌ جَبَرْنا فقيرَها ... وتقتُلُنـا قيـسٌ إذا النَّعـلُ زَلَّـتِ
وعنـدَ يـزيـدٍ قطـرةٌ مـنْ دمـائِنـا ... سنَجْـزيهـمُ يـومـاً بهـا حيـثُ حلَّـتِ
أَلَمْ ترَ أنَّ الأرضَ أضحتْ مريضةً ... لقتـلِ حسَيـنٍ والبـلاد اقشَعَـرَّتِ

ومما وقع من الحوادث في هذه السنة
ـ أعني سنة إحدى وستين ـ بعد مقتل الحسين

ففيها ولَّى يزيد بن معاوية سَلْمَ بن زياد سجستان وخراسان حين وفد عليه ، وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وعزل عنها أخويه عبّاداً وعبد الرحمن . وسار سَلْم إلى عمله ، فجعل ينتخب الوجوه والفرسان ، ويحرِّض الناس على الجهاد ، ثم خرج في جحفل عظيم ليغزوَ بلاد الترك ، ومعه امرأته أمُّ محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، فكانت أول امرأة من العرب قُطع بها النهر ،

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠) وأيضاً في ابن الأثير (٤/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) . والبيت الأخير سقط من ب ولم أجده في المصادر المشار إليها ، لكن ورد في تلك المصادر :

فكفـوا وإلا ذدتكـم فـي كتـائـب ... أشـد عليكـم مـن زحـوف الـديـالـمه

(٢) كذا ضبطه ابن حجر وغيره ـ بفتح القاف والتاء المشددة . وقد تحرف في أ ، ط إلى : قتيبة . والأبيات ـ أو بعضها ـ في شرح ديوان الحماسة (٢/ ٩٦١) والاستيعاب (١/ ٣٩٤) والكامل لابن الأثير (٤/ ٩١) وتاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٨٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٨) ومعجم البلدان (الطف) (٤/ ٣٦) وقد نسبها فيه ياقوت لأبي دهبل ، ولم يتابع على ذلك .

وولدت هنالك ولداً أسموه صُغْدي(١) ، وبعثت إليها امرأة صاحب الصُّغْد بتاجها من ذهب ولآل .

وكان المسلمون قبل ذلك لا يشتون في تلك البلاد ، فشتى بها سَلْم بن زياد [وبعث المهلَّب بن أبي صُفْرة إلى تلك المدينة التي هي للترك ـ وهي خوارزم ـ فحاصرهم حتى صالحوه على نيِّف وعشرين ألف ألف ، وكان يأخذ منهم عُروضاً عوضاً ، فيأخذ الشيء بنصف قيمته ، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ، فحظي بذلك المهلَّب عند سَلْم بن زياد](٢) . ثم بعث من ذلك ما اصطفاه ليزيد بن معاوية مع مرزبان ومعه وفد . وصالح سَلْم أهل سَمَرْقند في هذه الغزوة على مال جزيل .

وفي هذه السنة عزل يزيدُ عن إمرة الحرمين عمرو بن سعيد وأعاد إليها الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ، فولّاه المدينة ، وذلك أن عبد الله بن الزبير لمّا بلغه مقتل الحسين شرع يخطب الناس ، ويعظِّم قتل الحسين وأصحابه جدًّا ، ويعيب على أهل الكوفة وأهل العراق ما صنعوه من خذلانهم الحسين ، ويترحَّم على الحسين ويلعن من قتله ، ويقول : أما والله قتلوه طويلاً بالليل قيامُه ، كثيراً في النهار صيامُه ، أما والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء والملاهي ، ولا بالبكاء من خشية الله اللغو والحداء ، ولا بالصيام شرب المدام وأكل الحرام ، ولا بالجلوس في حِلَق الذكر طلب الصيد ـ يعرض في ذلك بيزيد بن معاوية ـ فسوف يلقَوْن غيّا . ويؤلِّب الناس على بني أمية ، ويحثُّهم على مخالفتهم وخلع يزيد . فبايعه خلق كثير في الباطن ، وسألوه أن يُظهرها فلم يمكنه ذلك مع وجود عمرو بن سعيد ، وكان شديداً عليه ولكن فيه رفق . وقد كان كاتَبَه أهل المدينة وغيرهم ، وقال الناس : أما إذ قُتل الحسين فليس أحد ينازع ابن الزبير . فلمّا بلغ ذلك يزيد شقَّ ذلك عليه ، وقيل له : إن عمرو بن سعيد لو شاء لبعث إليك برأس ابن الزبير ، أو يحاصره حتى يخرجه من الحرم . فبعث فعزله وولّى الوليد بن عتبة في هذه السنة ـ وقيل : في مستهلِّ ذي الحجة ـ فأقام للناس الحج فيها .

وحلف يزيد : ليأتينِّي ابن الزبير في سلسلة من فضة ، وبعث بها مع البريد ومعه بُرنس من خزٍّ ليبرَّ يمينه ، فلما مرَّ البريد على مروان وهو بالمدينة وأخبره بما هو قاصد له وما معه من الغل أنشأ مروان يقول(٣) :

فَخُذْها فما هيَ للعزيزِ بخطَّةٍ ... وفيها مَقالٌ لامرئٍ متذلِّلِ
أعامرُ إنَّ القومَ سامُوكَ خطَّةً ... وذلكَ في الجيرانِ غزلٌ بمِغزَلِ
أراكَ إذا ما كنتَ في القوم ناصحاً ... يُقالُ له بالدَّلْوِ أَدبِرْ وأَقبِلِ

(١) تحرف في المطبوع إلى : صفدي .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٣) والأبيات للعباس بن مرداس . كما في الأغاني (١٤/ ٣١١) .

فلمّا انتهت الرسل إلى عبد الله بن الزبير بعث مروان ابنيه عبد الملك وعبد العزيز ليَحْضرا مراجعته في ذلك وقال : أسمعاه قولي في ذلك . قال عبد العزيز : فلمّا جلس الرسل بين يديه جعلتُ أُنشده ذلك وهو يسمع ولا أُشعره ، فالتفت إليَّ فقال : أخبرا أباكما أني أقول :

[إنِّي لمنْ نَبْعَةٍ صُمٍّ مكاسِرُها إذا تَنَاوَحَتِ القَصْباءُ والعُشَرُ][١]

ولا أَلِينُ لغيرِ الحقِّ أَسْأَلُهُ حتَّى يَلين لضِرسِ الماضِغِ الحجَرُ

قال عبد العزيز : فما أدري أيهما كان أعجب[٢] !

قال أبو مَعْشر : لا خلاف بين أهل السِّير أن الوليد بن عتبة حجَّ بالناس في هذه السنة وهو أمير الحرمين ، وعلى البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان وسجستان سَلْم بن زياد ـ أخو عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن علي رضي الله عنهما : ومعه بضعة عشر من أهل بيته قُتلوا جميعاً بكربلاء ، وقيل : بضعة وعشرون ، كما تقدم . وقُتل معهم جماعة من الأبطال والفرسان .

جابر[٣] بن عَتِيك بن قَيْس[٤] : أبو عبد الله الأنصاري السَّلَمي . شهد بدراً وما بعدها ، وكان حامل راية الأنصار[٥] يوم الفتح . كذا قال ابن الجوزي . قال : وتوفي في هذه السنة عن إحدى وسبعين سنة .

حمزةُ بنُ عَمرو الأسْلَمي[٦] : صحابي جليل . ثبت في « الصحيحين » عن عائشة أنها قالت : سأل

---

(١) سقط هذا البيت من أ .

(٢) الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٦) وابن الأثير (٤/ ٩٩ ـ ١٠٠) .

(٣) كذا في أ ، ط ، ووقع في ب : جبر ، وكلاهما صحيح . وللدكتور بشار عواد تعليق موسع على تهذيب الكمال (٤/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٦٩) مسند أحمد (٥/ ٤٤٥) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١/ ٢٠٨) الجرح والتعديل (٢/ ٤٩٣ ، ٥٣٢) مشاهير علماء الأمصار (ت٨٩) معجم الطبراني الكبير (٢/ ٢٠٥) الاستيعاب (١/ ٢٢٢) إكمال ابن ماكولا (٢/ ١٣ ـ ١٤) أنساب السمعاني (١١/ ٣٨٦) أسد الغابة (١/ ٣٠٩ ، ٣١٧) تهذيب الكمال (٤/ ٤٥٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦) الكاشف (١/ ١٢٢) تهذيب التهذيب (١/ ورقة ١٠٠) تاريخ الإسلام (٣/ ٢) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٥٥) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٣) الإصابة (٢/ ٥٨) خلاصة الخزرجي (٥٩ ، ٦٠) .

(٥) كذا في أ ، ط ، وفي ب : كان حامل راية بني أمية . وفي طبقات ابن سعد وغيره من المصادر : كان حامل راية بني معاوية بن مالك .

(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٣١٥) طبقات خليفة (١١١) تاريخ خليفة (٢٣٥) مسند أحمد (٣/ ٤٩٤) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ت١٧٣) الجرح والتعديل (٣/ ٢١٢) ثقات ابن حبان : (٣/ ٧٠) مشاهير علماء الأمصار (ت٥١) ، معجم الطبراني الكبير (٣/ ت٢٣٨) الاستيعاب (١/ ٣٧٥) الجمع لابن القيسراني (١/ ١٠٦) أنساب السمعاني (١/ ٢٤٩)=

حمزة بن عمرو رسول الله ﷺ فقال : إني كثير الصيام ، أفأصوم في السَّفر ؟ فقال له : « إنْ شئتَ فصُم ، وإنْ شئتَ فأَفطِر »[١] .

وقد شهد فتح الشام ، وكان هو البشير للصدِّيق يوم أَجنادين .

قال الواقدي : وهو الذي بشَّر كعب بن مالك بتوبة الله عليه ، فأعطاه ثوبيه .

وروى البخاري في « التاريخ »[٢] بإسناد جيد عنه أنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة ، فأضاءتْ لي أصابعي حتى جمعتُ عليها كلَّ متاع كان للقوم » .

اتفقوا على أنه توفي في هذه السنة ـ أعني إحدى وستين .

شَيْبَةُ بن عثمان بن أبي طَلْحة[٣] : العَبْدَري الحَجَبي ، صاحب مفتاح الكعبة .

كان أبوه ممَّن قتله علي بن أبي طالب يوم أُحد كافراً . وأظهر شيبة الإسلام يوم الفتح ، وشهد حُنيناً وفي قلبه شيء من الشكّ ، وقد همَّ بالفتك برسول الله ﷺ ، فأطلع الله على ذلك رسوله ، فأخبره بما همَّ به ، فأسلم باطناً وجاد إسلامه ، وقاتل يومئذ وصبر فيمن صبر .

قال الواقدي عن أشياخه : إنَّ شيبة قال : كنت أقول : والله لو آمنَ بمحمد جميعُ الناس ما آمنت به ، فلما فتح مكة وخرج إلى هوازن خرجتُ معه رجاء أن أجد فرصة آخذ بثأر قريش كلِّها منه . قال : فاختلط الناس ذات يوم ، ونزل رسول الله ﷺ عن بغلته ، فدنوتُ منه وانتضيتُ سيفي لأضربه به ، فرُجع لي

= الكامل لابن الاثير (٤/ ١٠١) أسد الغابة (٢/ ٥٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٩) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٦٤) تهذيب الكمال (٧/ ٣٣٣) تاريخ الإسلام (٣/ ١٤) العبر (١/ ٦٥) الكاشف (١/ ١٩٠) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ١٧٨) تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٣٩) إكمال مغلطاي (ورقة ٢٩٤) نهاية السول (ورقة ٧٧) تهذيب التهذيب (٣/ ٣١) خلاصة الخزرجي (٩٣) شذرات الذهب (١/ ٢٨٠) تهذيب ابن عساكر (٤/ ٤٥٠) .

(١) أخرجه البخاري في الصوم (٣٣/ برقم ١٩٤٣) ومسلم (١١٢١) في الصيام : باب التخيير في الصوم والفطر في السفر .

(٢) ٣/ ترجمة (١٧٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤٨) نسب قريش (٢٥٢) طبقات خليفة (ت٧٤ ، ٢٥٠٤) تاريخ خليفة (١٩٨ ، ٢٢٦ ، ٢٥١) مسند أحمد (٣/ ٤٠٩) المحبر (١٧) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٢٤١) الجرح والتعديل (٤/ ٣٣٥) مشاهير علماء الأمصار (ت١٥٨) جمهرة أنساب العرب (١١٤) الاستيعاب (٢/ ٧١٢) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٢١٩) أنساب السمعاني (٤/ ٦٤ و ٧/ ٤٤٠) تاريخ ابن عساكر (٨/ ٧٧/ آ) أسد الغابة (٢/ ٥٣٤) مختصر تاريخ دمشق (١١/ ٨) تهذيب الكمال (١٢/ ٦٠٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩٣) تذهيب التهذيب (٢/ ٨٤/ ب) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢) تجريد أسماء الصحابة (١/ ت٢٧٥٣) العبر (١/ ٦٤) الكاشف (٢/ ١٥) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٧٦) مرآة الجنان (١/ ١٣١) العقد الثمين (/ ١٩) نهاية السول (ورقة ١٤٣) تهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٦) الإصابة (ت٣٩٤٥) خلاصة الخزرجي (١٦٨) شذرات الذهب (١/ ٢٦٨) تهذيب ابن عساكر (٦/ ٣٤٩) .

شُواظ[١] من نار كاد يَمْحشني[٢] ، فالتفتَ إليَّ رسول الله ﷺ وقال : يا شيبة ادنُ مني ، فدنوت منه ، فوضع يده على صدري وقال : اللهمَّ أَعذهُ من الشيطان . قال : فوالله ما رفع يده حتى لهو يومئذ أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري ، ثم قال : اذهبْ فقاتل . قال : فتقدمت إلى العدو ، ووالله لو لقيتُ أبي لقتلتُه لو كان حيّاً ، فلما تراجع الناس قال لي : يا شيبة ! الذي أراد الله بك خيرٌ مما أردتَ لنفسك ، ثم حدَّثني بكل ما كان في نفسي مما لم يطَّلع عليه أحد إلّا الله عز وجل ، فتشهدت وقلت : أستغفر الله ، فقال : غفر الله لك[٣] .

وليَ الحجابة بعد عثمان بن طلحة ، واستقرَّت الحجابة في بنيه وبيته إلى اليوم ، وإليه يُنسب بنو شيبة ، وهم حجبة الكعبة .

قال خليفة بن خياط[٤] وغير واحد : توفي سنة تسع وخمسين . وقال محمد بن سعد[٥] : بقي إلى أيام يزيد بن معاوية . وقال ابن الجوزي في « المنتظم » : مات في هذه السنة .

عبدُ المطَّلب بن رَبيعَة[٦] بن الحارث : بن عبد المطَّلب بن هاشم .

صحابي ، انتقل إلى دمشق وله بها دار ، ولما مات أوصى إلى يزيد بن معاوية ـ وهو أمير المؤمنين .

الوليدُ بنُ عُقبة[٧] : بن أبي مُعَيط أبان[٨] بن أبي عمرو ذكوان بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ ، أبو وهب ، القرشي العَبْشمي .

---

(١) « الشواظ » : اللهب .

(٢) « يمحشني » : يحرقني .

(٣) مختصر تاريخ دمشق (١١/ ١٠) .

(٤) تاريخه (٢٢٦) . وينظر تهذيب الكمال (١٢/ ٦٠٦) .

(٥) طبقاته الكبرى (٥/ ٤٤٨) .

(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٥٧) نسب قريش (٨٧) طبقات خليفة (ت١٤ ، ٢٨٠٨) مسند أحمد (٤/ ١٦٥) تاريخ البخاري (٦/ ١٣١) الجرح والتعديل (٦/ ٦٨) جمهرة أنساب العرب (٧١) الاستيعاب (٣/ ١٠٠٦) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٢٩) أسد الغابة (٣/ ٥٠٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٢٠٨) مختصر تاريخ دمشق (١٥/ ٢٩٣) تهذيب الكمال (١٨/ ٢٧٨) تاريخ الإسلام (٣/ ٤٦) العبر (١/ ٦٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٢) الكاشف (٢/ ١٨٢) تذهيب التهذيب (٢/ ٢٤٨/ آ) مرآة الجنان (١/ ١٣٧) العقد الثمين (٥/ ٤٩٤) تهذيب التهذيب (٦/ ٣٨٣) الإصابة (٢/ ٤٣٠) خلاصة الخزرجي (٣٧٩) شذرات الذهب (١/ ٢٨٢) .

(٧) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤ و ٧/ ٤٧٦) نسب قريش (١٣٨) طبقات خليفة (ت٥٧ ، ٨٢٥ ، ٩٧٤ ، ١٤٨٧ ، ٣٠٦٤) مسند أحمد (٤/ ٣٢) ، المحبر (الفهرس) المعارف (٣١٨) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٠٩ ، ٣٢٩) الجرح والتعديل (٩/ ٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٨٤) الأغاني (٥/ ١٢٢) جمهرة أنساب العرب (١١٥) الاستيعاب (٤/ ١٥٥٢) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٤٣٤/ ب) أسد الغابة (٥/ ٤٥١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ١٤٥) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٣٣٥) تهذيب الكمال (٣١/ ٥٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٢) الكاشف (٣/ ٢١١) تذهيب التهذيب (٤/ ١٣٨/ آ) العقد الثمين (٧/ ٣٩٨) الإصابة (٣/ ٦٣٧) تهذيب التهذيب (١١/ ١٤٢) خلاصة الخزرجي (٤١٧) .

(٨) في ط : « بن أبان » خطأ .

وهو أخو عثمان بن عفان لأمّه أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمُّها أمُّ حكيم البيضاء بنت عبد المطّلب .

وللوليد من الإخوة : خالد ، وعمارة ، وأمُّ كلثوم .

وقد قتل رسول الله ﷺ أباه بعد وقعة بدر من بين الأسرى صَبْراً [بين يديه ، فقال : يا محمد ! من للصِّبية ؟ فقال : لهم النار][١] . وكذلك فعل بالنضر بن الحارث .

وأسلم الوليد هذا يوم الفتح ، وقد بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المُصْطلق ، فخرجوا يتلقّونه ، فظن أنهم إنما خرجوا لقتاله فرجع ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يجهِّز إليهم جيشاً ، فبلغهم ذلك ، فجاء مَنْ جاء منهم ليعتذروا إليه ويخبروه بصورة ما وقع ، فأنزل الله تعالى في الوليد : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] . ذكر ذلك غير واحد من المفسِّرين[٢] . والله أعلم بصحة ذلك . وقد حكى أبو عمر[٣] بن عبد البَرّ على ذلك الإجماع .

وقد ولّاه عمر صدقاتِ بني تَغْلب ، وولّاه عثمان نيابة الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة خمس وعشرين ، ثم شرب الخمر وصلّى بأصحابه ثم التفتَ إليهم فقال : أزيدكم ؟ ووقع منه تخبيط ، ثم إن عثمان جلدَه وعزلَه عن الكوفة بعد أربع سنين ، فأقام بها ، فلما جاء علي إلى العراق سار إلى الرقّة واشترى له عندها ضيعة وأقام بها معتزلاً جميع الحروب التي كانت أيام علي ومعاوية وما بعدها إلى أن توفي بضيعته في هذه السنة ، ودفن بضيعته ـ وهي على خمسة عشر ميلاً من الرقّة . ويقال : إنه توفي في أيام معاوية ، فالله أعلم .

روى له الإمام أحمد وأبو داود[٤] حديثاً واحداً في فتح مكة .

وقد ذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة . وذكر أيضاً وفاة أمِّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلاليّة ، وقد تقدم ذكر وفاتها في سنة إحدى وخمسين ، وقيل : إنها توفيت سنة ثلاث وستين . وقيل : سنة ست وستين . والصواب ما ذكرناه .

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في سيرة ابن هشام (١/ ٦٤٤) .
(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي (ص٤١٢) .
(٣) تحرف في المطبوع إلى : عمرو . وينظر كلامه في الاستيعاب (٤/ ١٥٥٣) .
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٢) ، وأبو داود (٤١٨١) في الترجل ، وإسناده ضعيف .

أمُّ سَلَمة أمُّ المؤمنين[١] : هند بنت أبي أميَّة حذيفة ـ وقيل : سُهَيْل[٢] ـ بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، القرشية المخزومية .

كانت أولًا تحت ابن عمِّها أبي سلَمة بن عبد الأسد ، فمات عنها ، فتزوَّجها رسول الله ﷺ ودخل بها في شوال سنة اثنتين بعد وقعة بدر[٣] . وقد كانت سمعتْ من زوجها أبي سَلَمة حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما مِنْ مسلم يُصابُ بمُصِيبةٍ فيقول : إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعُون ، اللهمَّ أْجُرني في مُصِيبتي ، واخلفْ لي خيراً منها ، إلَّا أَبدلَه اللهُ خيراً منها » . قالت : فلما مات أبو سلَمة قلت ذلك ثم قلت : ومن هو خيرٌ من أبي سلَمة أول رجلٍ هاجر؟ ثم عزم الله لي فقلتها ، فأبدلني اللهُ خيراً منه ـ رسول الله[٤] .

وكانت من حِسَان النساء وعابداتهن .

قال الواقدي : توفيت سنة تسع وخمسين ، وصلَّى عليها أبو هريرة . وقال ابن أبي خَيْثمة : توفيت أيام يزيد بن معاوية . قلت : والأحاديث المتقدمة في مقتل الحسين تدلُّ على أنها عاشت إلى ما بعد مقتله ، والله أعلم . ورضي الله عنها .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

يقال : فيها قدم وفد المدينة النبوية على يزيد بن معاوية ، فأكرمهم وأجازهم بجوائز سنيّة ، ثم عادوا من عنده بالجوائز فخلعوه وولَّوا عليهم عبد الله بن حنظلة الغَسِيل ، فبعث إليهم يزيد جنداً في السنة الآتية إلى المدينة ، فكانت وقعة الحرَّة على ما سنبيِّنه في التي بعدها إن شاء الله تعالى .]

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٨٦) تاريخ ابن معين (٧٤٢) نسب قريش (٣٣٧) طبقات خليفة (٣٣٤) مسند أحمد (٦/ ٢٨٨) المعارف (١٣٦) الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٤) مستدرك الحاكم (٤/ ١٦) الاستيعاب (٤/ ١٩٢٠) أسد الغابة (٧/ ٣٤٠) تهذيب الكمال (٣٥/ ٣١٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠١) الكاشف (٣/ ٤٣٦) العبر (١/ ٦٥) مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٥) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٥) الإصابة (١٣/ ٢٢١) خلاصة الخزرجي (٤٩٦) كنز العمال (١٣/ ٦٩٩) شذرات الذهب (١/ ٢٨٠) أعلام النساء (٥/ ٢٢١) .

(٢) في ط وم : « سهل » ، وما هنا يعضده ما في طبقات ابن سعد (٨/ ٨٦) وتهذيب الكمال (٣٥/ ٣١٧) ، وغيرهما .

(٣) هذا كلام شيخه أبي الحجاج المزي في تهذيب الكمال (٣٥/ ٣١٧) ، لكن تعقبه الحافظ ابن حجر في هذا فقال : « إنما تزوجها النبي ﷺ سنة أربع على الصحيح ، ويقال : سنة ثلاث ، فإن أبا سلمة بن عبد الأسد شهد أحداً ورُمي بسهم فعاش خمسة أشهر أو سبعة ، وحلت أم سلمة في شوال سنة أربع ، وقد نص على ذلك خليفة والواقدي . وقال ابن عبد البر : مات في جمادى الآخرة سنة ثلاث (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥٦) ، وتعليق الدكتور بشار على تهذيب الكمال .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٧ ـ ٢٨) وابن ماجه (١٥٩٨) في الجنائز : باب ما جاء في الصبر على المصيبة وأخرجه مسلم مختصراً رقم (٩١٨) (٣) .

وقد كان يزيد عزل عن الحجاز عمرو بن سعيد بن العاص ، وولّى عليهم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، فلما دخل المدينة](١) احتاط على الأموال والحواصل والأملاك ، وأخذ العبيد الذين لعمرو بن سعيد فحبسهم ـ وكانوا نحواً من ثلاثمئة عبد ـ فتجهّز عمرو بن سعيد إلى يزيد ، وبعث إلى عبيده أن يخرجوا من السجن ويلحقوا به ، وأعدَّ لهم إبلاً يركبونها ، ففعلوا ذلك ، فما لحقوه حتى وصل إلى يزيد ، فأكرمه واحترمه ورحّب به وأدنى مجلسه ، ثم إنه عاتبه في تقصيره في شأن ابن الزبير ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وإن جلَّ أهل مكة والحجاز مالؤوه علينا وأحبُّوه ، ولم يكن لي جند أقوى بهم عليه لو ناهضتُه ، وقد كان يحذرني ويحترس مني ، وكنت أرفق به كثيراً وأداريه لأستمكن منه فأثب عليه ، مع أني قد ضيّقت عليه ومنعته من أشياء كثيرة ، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يَدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا اسمه واسم أبيه ، ومن أي بلاد هو ، وما جاء له ، وماذا يريد ، فإن كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريده رددته صاغراً ، وإلا خلّيت سبيله . وقد ولّيتَ الوليد ، وسيأتيك من عمله وأمره مالعلك تعرف به فضل مسارعتي واجتهادي في أمرك ومناصحتي لك إن شاء الله ، والله يصنع لك ويكبِت عدوَّك . فقال له يزيد : أنت أصدق ممن رماك وحملني عليك ، وأنت ممن أثق به ، وأرجو معونته ، وأدّخره لذات الصدع وكفاية المهم ، وكشف نوازل الأمور العظام . . . في كلام طويل .

وأما الوليد بن عتبة فإنه أقام بالحجاز ، وقد همَّ مراراً أن يبطش بعبد الله بن الزبير ، فيجده متحذراً ممتنعاً قد أعدَّ للأمور أقرانها .

وثار باليمامة رجل آخر يقال له : نَجْدة بن عامر الحنفي حين قتل الحسين ، وخالف يزيد بن معاوية ، ولم يخالف ابن الزبير ، بل بقي على حدة ، له أصحاب يتبعونه . فإذا كان ليلة عرفة دفع الوليد بن عتبة بالجمهور ، وتخلّف عنه أصحاب ابن الزبير وأصحاب نَجْدة ، ثم يدفع كل فريق وحدهم . ثم كتب نَجْدة إلى يزيد : إنك بعثت إلينا رجلاً أخرق لا يتّجه لأمر رشد ولا يرعوي لعظة الحكيم ، فلو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق ليّن الكنف ، رجوت أن يسهل به من الأمور ما استوعر منها وأن يجتمع ما تفرق ، فانظر في ذلك فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله تعالى . قالوا : فعزل يزيد الوليد ، وولّى عثمان [بن](٢) محمد بن أبي سفيان ، فسار إلى الحجاز ، وإذا هو فتى غِرّ حدث غمر لم يمارس الأمور ، فطمعوا فيه ، ولما دخل المدينة بعث إلى يزيد منها وفداً فيهم عبد الله بن حنظلة الغَسِيل الأنصاري ، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة الحضرمي ، والمنذر بن الزبير ، ورجال كثير من أشراف أهل المدينة ،

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ .
(٢) سقطت من المطبوع .

فقدموا على يزيد ، فأكرمهم ، وأحسن إليهم ، وعظَّم جوائزهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة إلا المنذر بن الزبير فإنه سار إلى صاحبه عبيد الله بن زياد بالبصرة ، وكان يزيد قد أجازه بمئة ألف نظير أصحابه من أولئك الوفد ، ولما رجع وفد المدينة إليها أظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا : قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، وتعزف عنده القيان بالمعازف ، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه . فتابعهم الناس على خلعه ، وبايعوا عبد الله بن الغَسِيل على الموت ، وأنكر عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ورجع المنذر بن الزبير من البصرة إلى المدينة ، فوافق أولئك على خلع يزيد ، وأخبرهم أنه يشرب الخمر ويسكر حتى يترك الصلاة ، وعابه أكثر مما عابه أولئك . فلما بلغ ذلك يزيد قال : اللهم إني آثرته وأكرمته ففعل ما قد رأيت ، فأدركه وانتقم منه .

ثم إن يزيد بعث إلى أهل المدينة النعمان بن بشير ينهاهم عما صنعوا ويحذِّرهم غبَّ ذلك ، ويأمرهم بالرجوع إلى السمع والطاعة ولزوم الجماعة ، فسار إليهم ففعل ما أمره يزيد ، وخوَّفهم الفتنة ، وقال لهم : إن الفتنة وخيمة ، وقال : لا طاقة لكم بأهل الشام . فقال له عبد الله بن مطيع : ما يحملك ـ يا نعمان ـ على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من أمرنا ؟ فقال له النعمان : أما والله لكأني بك وقد تركت[١] تلك الأمور التي تدعو إليها ، وقامت الرجال على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودارت رحى الموت بين الفريقين ، قد ضربتَ بغلتك إليَّ وخلَّفتَ هؤلاء المساكين ـ يعني الأنصار ـ يُقتلون في سِكَكِهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم . فعصاه الناس فلم يسمعوا منه ، فانصرف وكان والله كما قال سواء .

قال ابن جرير[٢] : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة .

كذا قال ، وفيه نظر ، فإنه إن كان وفد في وفد أهل المدينة وقد رجعوا من عند يزيد فإنما وفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وإن كان قد حج بالناس فيها الوليد فما قدم وفد المدينة إلى يزيد إلا في أول سنة ثلاث وستين ، وهو أشبه ، والله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

بُرَيدة بن الحُصَيب الأَسْلَمي[٣] : كان إسلامه حين اجتاز به رسول الله ﷺ وهو مهاجر إلى المدينة عند

---

(١) في تاريخ الطبري (٥/ ٤٨١) نزلت .

(٢) في تاريخه (٥/ ٤٨١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٤١ و ٧/ ٨ ، ٣٦٥) طبقات خليفة (١٠٩ ، ١٨٧ ، ٣٢٢) تاريخ خليفة (٢٥١) مسند أحمد (٥/ ٣٤٦) تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١٤١) ثقات العجلي (٧٩) المعارف (٣٠٠) الجرح والتعديل (٢/ ٤٢٤) ثقات ابن حبان (٣/ ٢٩) مشاهير علماء الأمصار (ت٤١٤) معجم الطبراني الكبير (٢/ ٣) الاستيعاب (١/ ١٨٥) الجمع لابن=

كُراع الغَمِيم[(١)] ، فلما كان هناك تلقّاه بُريدة في ثمانين نفساً من أهله فأسلموا ، وصلى بهم صلاة العشاء ، وعلّمه ليلتئذ صدراً من سورة مريم .

ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة بعد أُحُد ، فشهد معه المشاهد كلها ، وأقام بالمدينة ، فلما فتحت البصرة نزلها واختط بها داراً ، ثم خرج إلى غزو خراسان فمات بمرو في خلافة يزيد بن معاوية .

ذكر موته غير واحد في هذه السنة .

الرّبيعُ بنُ خُثَيْم[(٢)] : أبو يزيد الثوري الكوفي ، أحد أصحاب ابن مسعود .

[قال له عبد الله بن مسعود][(٣)] : ما رأيتك قطُّ إلا ذكرت المُخْبتين ، ولو رآك رسول الله ﷺ لأحبَّك[(٤)] .

وكان ابن مسعود يجلُّه كثيراً .

وقال الشعبي : كان الربيع من معادن الصدق ، وكان أورع أصحاب ابن مسعود .

وقال ابن معين : لا يُسأل عن مثله .

وله مناقب كثيرة جدّاً .

أرخ ابن الجوزي وفاته في هذه السنة .

عَلْقَمَةُ بنُ قَيْس[(٥)] : أبو شِبل النَّخعي الكوفي .

= القيسراني (١/ ٦١) أسد الغابة (١/ ٢٠٩) تهذيب الكمال (٤/ ٥٣) تذهيب التهذيب (١/ ٨١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٨٦) العبر (١/ ٦٦) الكاشف (١/ ٩٩) مجمع الزوائد (٩/ ٣٩٨) الإصابة (١/ ٢٤١) تهذيب التهذيب (١/ ٤٣٢) خلاصة الخزرجي (٤٧) شذرات الذهب (١/ ٢٨١) .

(١) « كراع الغميم » : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عُسفان بثمانية أميال . معجم البلدان (٤/ ٤٤٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ١٨٢) طبقات خليفة (١٤١) تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٢٦٩) ثقات العجلي (١٥٤) المعارف (٤٩٧) المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٦٣) الجرح والتعديل (٣/ ٤٥٩) العقد الفريد (١/ ٢٧٥) و ٢/ ٤٢٤ و ٣/ ١٥٠ ، ١٧١ ، ١٧٩) ثقات ابن حبان (١/ ورقة ١٢٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٣٧) حلية الأولياء (٢/ ١٠٥) جمهرة أنساب العرب (٢٠١) الجمع لابن القيسراني (١/ ١٣٤) أنساب السمعاني (٣/ ١٤٦ ، ١٤٧) تهذيب الكمال (٩/ ٧٠) تذهيب التهذيب (١/ ٢١٧) تذكرة الحفاظ (١/ ٥٧) تاريخ الإسلام (٣/ ١٥ ، ٢٤٧ ، ٣٦٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٨) الكاشف (١/ ٢٣٥) معرفة التابعين (ورقة ١١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ١٥) غاية النهاية (١/ ٢٨٣) نهاية السول (ورقة ٩٥) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٢) خلاصة الخزرجي (١١٥) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٤) حلية الأولياء (٢/ ١٠٦) . و« المخبتون » : المطمئنون ، وقيل : هم المتواضعون الخاشعون لربهم .

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٨٦) طبقات خليفة (ت١٠٥٤) تاريخ خليفة (١٩٦ ، ٢٣٦) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٤١) =

كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم ، وكان يُشَبَّه بابن مسعود .

وقد روى علقمة عن جماعة من الصحابة ، وعنه خلق من التابعين .

عُقْبَةُ بنُ نافع الفِهْري[(١)] : بعثه معاوية إلى إفريقية في عشرة آلاف ، فافتتحها ، واختط القَيْرَوان ، وكان موضعها غيضة لا تُرام من السباع والحيّات والحشرات ، فدعا الله تعالى ، فجعلنَ يخرجنَ منها بأولادهن من الأوكار والجحار ، فبناها ولم يزل بها حتى هذه السنة .

غزا أقواماً من البربر والروم ، فقُتل شهيداً رضي الله عنه .

عَمْرو بنُ حَزْم[(٢)] : صحابي جليل . استعمله رسول الله ﷺ على نجران وعمرُه سبع عشرة سنة ، وأقام بها مدة ، وأدرك أيام يزيد بن معاوية .

مَسْلَمَةُ[(٣)] بنُ مُخَلَّد الأَنصاريُّ الزُّرَقي[(٤)] : ولد عام الهجرة ، وسمع من رسول الله ﷺ ، وشهد

= التاريخ الصغير (١/ ١٢٣) ثقات العجلي (٣٣٩) المعارف (٤٣١) المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٥٢) الجرح والتعديل (٦/ ٤٠٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٤١) حلية الأولياء (٢/ ٩٨) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٩٦) طبقات الشيرازي (٧٩) أنساب السمعاني (١٢/ ٦١) تاريخ ابن عساكر (١١/ ٤٠٤/ ب) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١/ ٣٤٢) مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٦٦) تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٠٠) طبقات علماء الحديث (١/ ١٠٠) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣) العبر (١/ ٦٦) تاريخ الإسلام (٣/ ٥٠) تذكرة الحفاظ (١/ ٤٨) الكاشف (٢/ ٢٤٢) معرفة القراء الكبار (١/ ٥١) مرآة الجنان (١/ ١٣٧) غاية النهاية (١/ ٥١٦) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٦) الإصابة (ت٦٤٥٤) النجوم الزاهرة (١/ ١٥٧) طبقات الحفاظ (١٢) خلاصة الخزرجي (٢٧١) شذرات الذهب (١/ ٢٨١) .

(١) تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٤٣٥) فتوح مصر (١٩٤ ، ١٩٧) تاريخ الطبري (٥/ ٢٤٠) رياض النفوس (١/ ٦٢) جمهرة أنساب العرب (١٦٣ ، ١٧٨) الاستيعاب (٣/ ١٠٧٥) تاريخ ابن عساكر (١١/ ٣٥٨/ ب) معجم البلدان (٤/ ٤٢٠) أسد الغابة (٤/ ٥٩) الكامل في التاريخ (٤/ ١٠٥) معالم الإيمان (١/ ١٦٤ ، ١٦٧) مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٠٦) تاريخ الإسلام (٣/ ٤٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٢) العقد الثمين (٦/ ١١١) الإصابة (٢/ ٤٩٢) حسن المحاضرة (٢/ ٢٢٠) .

(٢) طبقات خليفة (٨٩) تاريخ خليفة (٦٧ ، ٢٥٨) التاريخ الصغير (١/ ٨١) الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٩٦) الاستيعاب (٣/ ١١٧٢) جمهرة أنساب العرب (٣٤٨) إكمال ابن ماكولا (٢/ ٤٤٩) أسد الغابة (٤/ ٢١٤) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ١٩٥) تهذيب الكمال (٢١/ ٥٨٥) الكاشف (٢/ ٢٨٢) تهذيب التهذيب (٨/ ٢٠) الإصابة (٤/ ٢٩٣) خلاصة الخزرجي (٢٨٨) .

(٣) تحرف في الأصول إلى : مسلم .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٥٠٤) طبقات خليفة (٩٨ ، ٢٩٢) مسند أحمد (٤/ ١٠٤) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٨٧) المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٩٤ ، ٥٠٦ ، ٥١٠ ، ٥٢٩) الجرح والتعديل (٨/ ٢٦٥) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٩٤) الولاة والقضاة (٣٨) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٩٥) جمهرة أنساب العرب (٣٦٦) الاستيعاب (٣/ ١٣٩٧) إكمال ابن ماكولا (٧/ ٢٢٣ و ٤٣٨) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٢٢٨/ آ) أسد الغابة (٥/ ١٧٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٧١) تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٧٤) تاريخ الإسلام (٣/ ٧٨) العبر (١/ ٦٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢٤) الكاشف (٣/ ١٢٨)=

فتح مصر ، وولي الجند بها لمعاوية ويزيد ، ومات في ذي القعدة من هذه السنة .

نَوْفل بنُ معاوية الدِّيلي[(١)(٢)] : صحابي جليل ، شهد بدراً وأُحداً والخندق مع المشركين ، وكانت له في المسلمين نِكاية ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وشهد فتح مكة وحُنيناً ، وحج مع أبي بكر سنة تسع ، وشهد حجة الوداع ، وعمِّر ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام . قاله الواقدي . قال : وأدرك أيام يزيد بن معاوية .

وقال ابن الجوزي : مات في هذه السنة .

وفيها توفيت :

الرَّباب بنت أنيف[(٣)] : امرأة الحسين بن علي التي كانت حاضرة أهل العراق إذ هم يعدُون في السبت ـ أو في الجمعة ـ على زوجها الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ﷺ .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ففيها كانت :

وَقْعَةُ الحَرَّة

وكان سببها : أنَّ أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية وولَّوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، فلما كان في أول هذه السنة أظهروا ذلك واجتمعوا عند المنبر ، فجعل الرجل منهم يقول : قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي هذه ، ويلقيها عن رأسه ، ويقول الآخر : قد خلعته كما خلعت نعلي هذه ، حتى اجتمع شيء كثير من العمائم والنعال هناك . ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم ـ وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ابن عم يزيد ـ وعلى إجلاء بني أمية

= تذهيب التهذيب (٤/ ٤٠/آ) الإصابة (٣/ ٤١٨) تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٨) حسن المحاضرة (١/ ٢٣٥) خلاصة الخزرجي (٣٧٧) شذرات الذهب (١/ ٢٨٢) .

(١) تحرف اسمه في المطبوع إلى : مسلم بن معاوية الديلمي .

(٢) مسند أحمد (٥/ ٤٢٩) المعارف (٣١٤) تاريخ الطبري (٣/ ٤٤ ، ٨٤ ، ٢٤١) الاشتقاق (١٧٤) الجرح والتعديل (٨/ ٤٨٧) مشاهير علماء الأمصار (ت١٩١) الاستيعاب (٤/ ١٥١٣) أنساب السمعاني (٥/ ٤٠٢ و ١٢/ ١٢٢) أسد الغابة (٥/ ٣١٧) تهذيب الكمال (٣٠/ ٧٠) الكاشف (٣/ ١٨٧) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٩٢) الإصابة (ت٨٨٣١) خلاصة الخزرجي (٤٠٥) .

(٣) المحبر (٣٩٦) الكامل في التاريخ (٤/ ٨٨) أعلام الزركلي (٣/ ١٣) شاعرات العرب (١٢٨) أعلام النساء لكحالة (١/ ٤٣٨) .

من المدينة ، فاجتمعت بنو أمية ـ [وهم قريب من ألف رجل][١] ـ في دار مروان بن الحكم ، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم .

واعتزل الناسَ عليُّ بن الحسين زينُ العابدين ، وكذلك عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، لم يخلعا يزيد ، ولا أحد من بيت ابن عمر ، وقد قال ابن عمر لأهله : لا يخلعن أحد منكم يزيد فيكون الفيصل ـ ويروى : الصيلم ـ بيني وبينه . وسيأتي هذا الحديث بلفظه وإسناده في ترجمة يزيد . وأنكر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت ، وقال : إنّما كنّا نبايع رسول الله ﷺ على ألّا نفرّ . وكذلك لم يخلع يزيدَ أحدٌ من بني عبد المطّلب . وقد سئل محمد ابن الحنفيَّة في ذلك ، فامتنع أشدَّ الامتناع ، وناظرهم وجادلهم في يزيد ، ورد عليهم ما اتهموا يزيد به من شربه الخمر وتركه بعض الصلوات ، كما سيأتي مبسوطاً في ترجمة يزيد قريباً إن شاء الله .

وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه [من الحصر والإهانة والجوع والعطش ، وأنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه][٢] وإلا استؤصلوا عن آخرهم ، وبعثوا ذلك مع البريد ، فلما قدم بذلك على يزيد وجده جالساً على سريره ورجلاه في ماء يتبرَّد به مما به من النِّقرس[٣] في رجليه . فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال : ويلك! أما فيهم ألف رجل ؟ قال : بلى ، قال : فهلاّ قاتلوا ولو ساعة من نهار ؟! ثم بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص ، فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعثه إليهم ، وعرض عليه أن يبعثه إليهم ، فأبى عليه ذلك ، وقال : إن أمير المؤمنين عزلني عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة ، فأما الآن فإنما دماء قريش تراق بالصعيد ، فلا أحب أن أتولى ذلك منهم ، ليتولَّ ذلك من هم أبعد منهم مني . قال : فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المرّي وهو شيخ كبير ضعيف ، فانتدب لذلك ، وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس ـ وقيل : اثني عشر ألفاً ـ وخمسة عشر ألف راجل ، وأعطى كل واحد منهم مئة دينار ـ وقيل : أربعة دنانير ـ ثم استعرضهم يزيد وهو على فرس له .

قال المدائني : وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مَسْعدة الفزاري ، وعلى أهل حمص حصين بن نمير السَّكوني ، وعلى أهل الأردن حُبيش بن دُلْجة القيني ، وعلى أهل فلسطين روح بن زنباع الجُذامي ، وشريك الكناني ، وعلى أهل قِنَّسرين طريف بن الحسحاس الهلالي ، وعليهم جميعاً مسلم بن عقبة المرّي من غطفان ، وإنما يسميّه السلَف مسرف بن عقبة . فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين ! ولِّني عليهم أكفك ـ وكان النعمان أخا عبد الله بن حنظلة لأمه عمرة بنت رواحة ـ فقال يزيد : لا ، ليس لهم إلا

---

(١) سقط من المطبوع .
(٢) سقط من أ .
(٣) « النقرس » : داء ووجع يأخذ في الرجل والمفاصل .

هذا الغشمة[١] ، والله لأقتلنَّهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة ، فقال النعمان : يا أمير المؤمنين ! أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ . وقال له عبد الله بن جعفر : أرأيت إن رجعوا إلى طاعتك أتقبل منهم ؟ قال : إن فعلوا فلا سبيل عليهم .

وقال يزيد لمسلم بن عقبة : ادع القوم ثلاثاً ، فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم ، وكفَّ عنهم ، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا ظهرتَ عليهم فأَبحِ المدينة ثلاثاً ثم اكفف عن الناس ، وانظر إلى علي بن الحسين فاكفف عنه ، واستوص به خيراً ، وأَدنِ مجلسه ، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه . وأمره إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن الزبير[٢] . وقال له : إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السَّكوني .

وقد كان يزيد كتب إلى عبيد الله بن زياد أن يسير إلى [ابن][٣] الزبير فيحاصره بمكة ، فأبى عليه وقال : والله لا أجمعهما للفاسق أبداً ، أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ وأغزو البيت الحرام ؟! وقد كانت أمُّه مَرجانة قالت له حين قتل الحسين : ويحك ماذا صنعت وماذا ركبت ؟! وعنَّفته تعنيفاً شديداً .

قالوا : وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول في خطبته : يزيد القرود ، شارب الخمور ، تارك الصلوات ، منعكف على القينات . فلما جهَّز مسلم بن عقبة واستعرض الجيش بدمشق جعل يقول :

أَبْلِغْ أبا بكرٍ إذا الجيشُ سَرىٰ   وأَشرفَ الجيشُ على وادي القُرىٰ
أَجْمْعَ سكرانَ من القومِ تَرىٰ   يا عَجباً من مُلحدٍ في امِّ القُرىٰ
مخادعٍ للدِّين يَقْضي بالفِرىٰ[٤]

وفي رواية :

أَبْلِغْ أبا بكرٍ إذا الأمرُ انْبَرىٰ   ونَزَلَ الجيشُ على وادي القُرىٰ
عشرونَ ألفاً بينَ كهلٍ وفتى   أَجْمْعَ سكرانَ من القوم تَرىٰ[٥]

قالوا : وسار مسلم بمن معه من الجيوش إلى المدينة ، فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة في حصار بني أمية وقالوا لهم : والله لنقتلنَّكم عن آخركم أو تعطونا مَوْثقاً ألا تدلُّوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميِّين ، ولا تمالئوهم علينا ، فأعطَوهم العهود بذلك ، فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية ، فجعل مسلم يسألهم

---

(١) « الغشمة » : الظالم .
(٢) تحرف في المطبوع إلى : نمير .
(٣) سقطت من المطبوع .
(٤) « الفِرى » : جمع فرية ، وهي الكذبة .
(٥) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٤) وابن الأثير (٤/ ١١٢) ومختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٩٣) .

عن الأخبار فلا يخبره أحد ، فانحصر لذلك . وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له : إن كنت تريد النصر فانزل شرقيَّ المدينة في الحرَّة، فإذا خرجوا إليك كانت الشمس في أقفيتكم وفي وجوههم، فادعهم إلى الطاعة ، فإن أجابوك وإلا فاستعن بالله وقاتلهم فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا عن الطاعة . فشكره مسلم بن عقبة على ذلك ، وامتثل ما أشار به، فنزل شرقيَّ المدينة في الحرَّة ، ودعا أهلها ثلاثة أيام، كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة، فلما مضت الثلاثة قال لهم في اليوم الرابع ـ وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ـ قال لهم: يا أهل المدينة! مضت الثلاثة ، وإن أمير المؤمنين قال لي : إنكم أصلُه وعشيرته ، وإنه يكره إراقة دمائكم ، وإنه أمرني أن أؤجلكم ثلاثاً فقد مضت، فماذا أنتم صانعون؟ أتسالمون أم تحاربون ؟ فقالوا : بل نحارب . فقال : لا تفعلوا ، بل سالموا ونجعل حدنا وقوتنا على هذا الملحد ـ يعني ابن الزبير ـ فقالوا: يا عدو الله! والله لو أردت ذلك لما مكنّاك منه، أنحن نذركم تذهبون فتلحدوا في بيت الله الحرام ؟ ثم تهيؤوا للقتال ، وقد كانوا اتخذوا خندقاً بينهم وبين ابن عقبة ، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير ، وجعلوا أجل الأرباع الربع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الغسِيل ، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم أهل المدينة إليها . وقد قُتل من الفريقين خلق من السادات والأعيان منهم : عبد الله بن مطيع وبنون له سبعة بين يديه، وعبد الله بن حنظلة الغسيل، وأخوه لأمه محمد بن ثابت بن شمّاس، ومحمد بن عمرو ابن حزم، وقد مرَّ به مروان وهو مجندل[(١)] فقال: رحمك الله، فكم من سارية قد رأيتك تطيل عندها القيام والسجود!

ثم أباح مسلم بن عقبة ـ الذي يقول فيه السلف : مسرف بن عقبة ، قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله ـ المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد لا جزاه الله خيراً ، وقَتل خلقاً من أشرافها وقرّائها ، وانتهب أموالاً كثيرة منها ، ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد ، فكان ممن قُتل بين يديه صبراً معقل بن سنان ، وقد كان صديقه قبل ذلك ، ولكن أسمعه في يزيد كلاماً غليظاً ، فنقم عليه بسببه[(٢)] .

واستدعى بعلي بن الحسين ، فجاء يمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ليأخذ له بهما عنده أماناً ، ولم يشعر أن يزيد أوصاه به ، فلما جلس بين يديه استدعى مروان بشراب ـ وقد كان مسلم بن عقبة حمل معه من الشام ثلجاً إلى المدينة ، فكان يُشاب[(٣)] له بشرابه ـ فلما جيء بالشراب شرب مروان قليلاً ، ثم أعطى الباقي لعلي بن الحسين ليأخذ له بذلك أماناً ، وكان مروان موادّاً لعلي بن الحسين ، فلما نظر إليه مسلم بن عقبة قد أخذ الإناء في يده قال له : لا تشرب من شرابنا ، ثم قال له : إنما جئتَ مع هذين لتأمن بهما ؟ فارتعدت يد علي بن الحسين ، وجعل لا يضع الإناء من يده ولا يشربه ، ثم قال له : لولا أن أمير

---

(١) « مجندل » : صريع .

(٢) استباحة المدينة المنورة أو انتهابها لمدة ثلاثة أيام من جيش الشام بقيادة مسلم بن عقبة وأمر من يزيد ثابت عند الإمام أحمد ، وشيخ الإسلام، والحافظ ابن حجر. ولم يذكره خليفة بن خياط، وأورده الطبري عن أبي مخنف (٥/ ٤٩٤).
وأما رواية استباحة الأعراض فرواها المدائني عن هشام بن حسان، والبيهقي في الدلائل عن المغيرة، وكلتاهما لا تصح لا سنداً ولا متناً، ومن الأباطيل مقتل (١٠٠٠٠) من أهل المدينة في بعض يوم! وفي تاريخ خليفة (٤٠٠) وعن مالك (٧٠٠). انظر تاريخ خليفة (ص٢٣٦) ودلائل النبوة (٦/ ٤٧٥) ونبوءات النبي ﷺ لعبد الستار الشيخ (٤/ ١٦٧) والدولة الأموية للصلابي (١/ ٦٧١) .

(٣) « يشاب » : يخلط .

المؤمنين أوصاني بك لضربت عنقك ، ثم قال له : إن شئت أن تشرب فاشرب ، وإن شئت دعونا لك بغيرها ، فقال : هذه الذي في كفي أريد ، فشرب . ثم قال له مسلم بن عقبة : قم إلى هاهنا فاجلس ، فأجلسه معه على السرير وقال له : إن أمير المؤمنين أوصاني بك ، وإن هؤلاء شغلوني عنك ، ثم قال : لعل أهلك فزعوا ؟ فقال : إي والله ! فأمر بدابته فأُسرجت ، ثم حمله عليها حتى رده إلى منزله مكرَّماً .

ثم استدعى بعمرو بن عثمان بن عفان ـ ولم يكن خرج مع بني أمية ـ فقال له : إنك إنْ ظهر أهلُ المدينة قلتَ : أنا معكم . وإن ظهر أهلُ الشام قلتَ : أنا ابن أمير المؤمنين . ثم أمر به فنُتفتْ لحيتُه بين يديه ، وكان ذا لحية كبيرة .

قال المدائني : وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام ، يقتلون من وجدوا من الناس ، ويأخذون الأموال . فأرسلت سعدى بنت عوف المرِّيَّة إلى مسلم بن عقبة تقول له : أنا بنت عمك ، فمر أصحابك ألا يتعرضوا لإبلنا بمكان كذا وكذا ، فقال لأصحابه : لا تبدؤوا إلا بأخذ إبلها أولاً .

وجاءته امرأة فقالت : أنا مولاتك وابني في الأسارى ، فقال : عجِّلوه لها ، فضُربت عنقه ، وقال : أعطوها رأسه ، أما ترضين ألا يقتل حتى تتكلمي في ابنك ؟!

ووقعوا على النساء حتى قيل : إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج ، فالله أعلم .

قال المدائني : عن أبي قرَّة قال : قال هشام بن حسان : ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرَّة من غير زوج(١) .

وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبد الله . وخرج أبو سعيد الخُدْري فلجأ إلى غار في جبل ، فلحقه رجل من أهل الشام ، قال : فلما رأيته انتضيت سيفي ، فقصدني ، فلما رآني صمَّم على قتلي ، فشمت سيفي ثم قلت : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٩] فلما رأى ذلك قال : من أنت ؟ قلت : أنا أبو سعيد الخُدري ، قال : صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ، فمضى وتركني .

قال المدائني : وجيء إلى مسلم بسعيد بن المسيِّب ، فقال له : بايع ، فقال : أبايع على سيرة أبي بكر وعمر . فأمر بضرب عنقه ، فشهد رجل أنه مجنون ، فخلّى سبيله .

وقال المدائني : عن عبد الله القرشي وأبي إسحاق التميمي قالا : لما انهزم أهل المدينة يوم الحرَّة صاح النساء والصِّبيان ، فقال ابن عمر : بعثمان وربِّ الكعبة .

قال المدائني : عن شيخ من أهل المدينة قال : سألت الزُّهري : كم كانت القتلى يوم الحرَّة ؟ قال :

---

(١) خبر عدد قتلى الحرة والمبالغة فيها ، وانتهاك أعراض أهل المدينة روايات لا أساس لها ، إنما جاءت متأخرة بدافع حزبي بغيض ، وقد قام الأستاذ محمد بن عبد الهادي الشيباني بدراسة معمقة حول هذين الموضوعين وغيرها ، وأثبت بطلان هذه الأكاذيب في كتابه «مواقف المعارضة في خلافة يزيد» ص (٤٣٢ ـ ٤٤٤) .

سبعمئة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي ، وممن لا أعرف من حُر وعبد وغيرهم عشرة آلاف . قال : وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام .

قال الواقدي وأبو مَعْشر : كانت وقعة الحرَّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين .

قال الواقدي : عن عبد الله بن جعفر ، عن ابن عون قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكانوا يسمونه العائذ ـ يعني العائذ بالبيت ـ ويرون الأمر شورى . وجاء خبر الحرَّة إلى أهل مكة ليلة مستهل المحرم مع سعيد مولى المِسْور بن مَخْرمة ، فحزنوا حزناً شديداً ، وتأهبوا لقتال أهل الشام .

قال ابن جرير[١] : وقد رويت قصة الحرَّة على غير ما رواه أبو مِخْنف ، فحدّثني أحمد بن زهير ، حدّثنا أبي ، سمعت وهب بن جرير ، حدّثنا جُويرية ابن أسماء قال : سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا ابنه يزيد فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته لنا . فلما هلك معاوية وفد إلى يزيد وفد من أهل المدينة ، وكان ممن وفد إليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ـ وكان شريفاً فاضلاً سيِّداً عابداً ـ ومعه ثمانية بنين له ، فأعطاه يزيد مئة ألف درهم ، وأعطى بنيه كل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدمها أتاه الناس فقالوا له : ما وراءك ؟ فقال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم . قالوا : قد بلغنا أنه أعطاك وأحذاك وأكرمك ! قال : قد فعل ، وما قبلت منه إلا لأتقوى به على قتاله . ثم حضَّ الناس فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد ، فبعث إليهم مسلم بن عقبة . وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصبُّوا فيه زقّاً من قطران وغوَّروه ، فأرسل الله على جيش الشام السماء مدراراً ، فلم يستقوا حتى وردوا المدينة ، فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم يُر مثلُها ، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، وكان أميرهم مسلم شديد الوجع ، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير[٢] من خلفهم في جوف المدينة ، قد أقحم عليهم بنو حارثة من أهل الشام وهم على الجدر ، فانهزم الناس ، فكان من أُصيب في الخندق أعظم ممن قتل ، فدخلوا المدينة وعبد الله بن حنظلة مستند إلى الجدار يغطُّ نوماً ، فنبَّهه ابنه ، فلما فتح عينيه ورأى ما صنع الناس أمر أكبر بنيه ، فتقدم فقاتل حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة ، فدعا الناس للبيعة على أنهم خول[٣] ليزيد بن معاوية ، ويحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء .

---

(١) في تاريخه (٥/ ٤٩٥) .
(٢) كذا في ط ، ومثله في تاريخ الطبري ، ووقع في أ ، ب : النكبة .
(٣) « الخول » : الخدم والعبيد .

وقد روى ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد الصمد « من تاريخه » من كتاب المجالسة لأحمد بن مروان المالكي : حدّثنا الحسين بن الحسن اليشكري ، حدّثنا الزِّيادي ، عن الأصمعي ح وحدّثني محمد بن الحارث ، عن المدائني قال : لما قتل أهل الحرَّة هتف هاتف بمكة على أبي قُبيس مساء تلك الليلة وابن الزبير جالس يسمع :

قُتِـلَ الخِيـارُ بَنُـو الخِيـا ـرِ ذَوُو المَهَـابَـةِ والسَّمـاح
والصَّـائمـونَ القَـائمـو ـنَ أُولُـو العِبـادَةِ والصَّـلاح
المُهْتَـدُونَ المُحْسِنُـو ـنَ السَّـابقـونَ إلـى الفَـلاح
مـاذا بـواقِـمَ والبَقيـ ـعِ من الجَحَاجِحَةِ الصِّباح
وبقـاعُ يثـربَ ويحهُـنَّ مـن النَّـوادبِ والصِّيـاح

فقال ابن الزبير لأصحابه : يا هؤلاء ! قتل أصحابكم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[١] .

وقد أخطأ يزيد خطأً فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام [مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم . وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدي عبيد الله بن زياد][٢] . وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف مما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ، ودوام أيامه من غير منازع ، فعاقبه الله بنقيض قصده ، وحال بينه وبين ما يشتهيه ، فقصمه الله قاصم الجبابرة ، وأخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] .

قال البخاري في « صحيحه »[٣] : حدّثنا الحسين بن الحُرَيث[٤] ، حدّثنا الفضل بن موسى ، حدّثنا الجُعَيد ، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، عن أبيها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يَكيدُ أهلَ المدينةِ أَحدٌ إلَّا انْماعَ كما يَنْماعُ المِلحُ في الماءِ » .

وقد رواه مسلم من حديث أبي عبد الله القَرّاظ المديني ـ واسمه : دينار ـ عن سعد بن أبي وقاص : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يُريدُ أحدٌ المدينةَ بسُوءٍ إلّا أَذابَهُ اللهُ في النّار ذوبَ الرَّصاص ـ أو ذوبَ المِلحِ في الماءِ » . وفي رواية لمسلم من طريق أبي عبد الله القرّاظ ، عن سعد وأبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أرادَ أهلَ المدينةِ بسُوءٍ أذابَهُ اللهُ كما يَذوبُ المِلحُ في الماءِ »[٥] .

---

(١) الخبر والشعر في تاريخ ابن عساكر مختصره (٣/ ١٥٦) .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .
(٣) كتاب : فضائل المدينة (١٨٧٧) .
(٤) تحرف في أ ، ط إلى : الحارث . وترجمته في تهذيب الكمال (٦/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) .
(٥) أخرجه مسلم (١٣٨٦) و(١٣٨٧) في الحج : باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أنس بن عياض ، حدّثنا يزيد بن خُصَيفة [عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة][١] عن عطاء بن يسار ، عن السائب بن خلّاد : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أخافَ أهلَ المدينةِ ظلماً أخافَهُ اللهُ ، وعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنّاسِ أجمعين ، لا يقبلُ اللهُ منهُ يومَ القيامةِ صرْفاً ولا عَدْلاً »[٢] .

ورواه النسائي[٣] من غير وجه ، عن علي بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن يزيد بن خُصَيفة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن عطاء بن يسار ، عن [ابن][٤] خلاد ابن منجوف بن الخزرج . . . أخبره ، فذكره .

وكذلك رواه الحميدي ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن يزيد بن خصيفة .

ورواه النسائي أيضاً[٥] ، عن يحيى بن حبيب بن عربي ، عن حماد ، عن يحيى بن سعيد ، عن مسلم بن أبي مريم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن خلّاد ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ فذكره .

وقال ابن وهب : أخبرني حَيْوة بن شُريح ، عن ابن الهاد ، عن أبي بكر ، عن عطاء بن يسار ، عن السائب بن خلّاد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أخافَ أهلَ المدينةِ أَخافَهُ الله ، وعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنّاسِ أجمعين »[٦] .

وقال الدارقطني : حدّثنا علي بن أحمد بن القاسم ، حدّثنا أبي ، حدّثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، حدّثنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصاري ، عن محمد وعبد الرحمن ابني جابر بن عبد الله قالا : خرجنا مع أبينا يوم الحرَّة وقد كُف بصره فقال : تعس من أخاف رسول الله ﷺ ، فقلنا : يا أبة وهل أحد يخيف رسول الله ﷺ ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أخافَ أهلَ هذا الحيِّ مِنَ الأنصارِ فَقَدْ أخافَ ما بينَ هٰذين ـ ووضَع يدَهُ على جنبيه »[٧] . قال الدارقطني : تفرد به سعيد بن عبد الحميد[٨] لفظاً وإسناداً .

---

(١) سقط من الأصول ، واستدركته من المسند .
(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٥٥) وهو حديث صحيح .
(٣) في الكبرى رقم(٤٢٦٦) .
(٤) سقطت من المطبوع .
(٥) في الكبرى رقم (٤٢٦٥) .
(٦) هو بمعنى حديث أحمد في المسند (٤/ ٥٥) الذي تقدم .
(٧) أخرجه الدارقطني في الأفراد كما نص عليه صاحب كنز العمال (٣٣٧٥) . وأخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط برقم (١٠٩٣) .
(٨) في المطبوع : سعد بن عبد العزيز ، خطأ .

وقد استدل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخّص في لعنة يزيد بن معاوية ، وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلّال وأبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي أبو الحسين ، وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد . ومنع من ذلك آخرون ، وصنفوا فيه أيضاً لئلاّ يجعل لعنه وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة ، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ ، وقالوا : إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً ، والإمام إذا فسق لا يُعزل بمجرد فسقه على أصح قولي العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من إثارة الفتنة ، ووقوع الهَرج [وسفك الدماء الحرام ، ونهب الأموال ، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن ، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه][(١)] كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا .

وأما ما يذكره بعض الناس من أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرَّة من مسلم بن عقبة وجيشه ، فرح بذلك فرحاً شديداً ، فإنه كان يرى أنه الإمام وقد خرجوا عن طاعته وأمَّروا عليهم غيره ، فله قتالهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة ، كما أنذرهم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة كما تقدم . وقد جاء في الصحيح : « مَنْ جاءَكُمْ وأَمْرُكُمْ جميعٌ يُريدُ أنْ يُفرِّقَ بينكُمْ فاقْتُلوهُ كائناً مَنْ كان »[(٢)] .

وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزِّبَعْرى في وقعة أُحد التي يقول فيها :

لَيتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزْرجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ
حينَ حلَّتْ بقُباهم بَرْكَها ... واسْتَحَرَّ القتلُ في عَبْدِ الأَشَلْ
قَدْ قَتَلْنا الضِّعْفَ من أَشْرافهم ... وعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ فاعْتَدَلْ[(٣)]

وقد زاد بعض الروافض فيها فقال :

لَعِبَتْ هاشِمُ بالمُلْكِ فَلاَ ... مَلَكٌ جاءَ ولا وَحْيٌ نَزَلْ

فهذا إن كان قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين ، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنِّع به عليه . وسنذكر ترجمة يزيد بن معاوية قريباً ، وما ذكر عنه ، وما قيل فيه ، وما كان يعانيه من الأفعال والقبائح والأقوال في السنة الآتية [فإنه لم يمهل بعد وقعة الحرَّة وقتل الحسين

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢) (٦٠) في الإمارة : باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣ ـ ٢٤) من حديث عرفجة بن أسعد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون هَنات وهَنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهم جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان » .
(٣) تقدم تخريج هذه الأبيات . وهي في ديوان ابن الزبعرى (ص٤٢) .

إلا يسيراً حتى قصمه الله الذي قصم الجبابرة قبله وبعده ، إنه كان عليماً قديراً][1] .

وقد توفي في هذه السنة خلق من المشاهير والأعيان من الصحابة وغيرهم في وقعة الحرَّة مما يطول ذكرهم ، فمن مشاهيرهم من الصحابة :

عبدُ الله بن حَنْظَلة[2] أمير المدينة في وقعة الحَرَّة .

ومَعْقِلُ بن سِنَان[3] .

وعبدُ الله[4] بن زيد بن عاصم رضي الله عنهم .

وفيها :

مَسْرُوقُ بنُ الأَجْدَع[5] : [كان أبوه الأجدع ـ واسمه عبد الرحمن بن مالك ـ أفرس مَنْ باليمن .

وقيل : إن مسروقاً كان عاملاً على بعض البلاد ، فلما قدم على أهله نظروا في خُرْجه فلم يجدوا فيه سوى فأس بلا عود ، فقالوا له : غبتَ سنتين ثم جئت بفأس بلا عود ؟! فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، تلك فأس استعرناها فنسينا أن نردَّها .

وأهدى عامل البصرة إلى مسروق ثلاثين ألفاً ، فأبى أن يقبلها وكان أحوج الناس إليها . ولما ولي القضاء كان لا يأخذ عليه ورقاً .

وكان شُريح يستشيره ، وهو لا يستشير شُريحاً .

وقام مسروق حتى انتفخت قدماه .

وقد حضر أبا بكر وعمر وعثمان . وروى عن جماعة من الصحابة . وشهد الحكمين .

قال : بحسب امرئ من الجهل أن يُعجب بعمله ، وبحسب المرء من العلم أن يخشى الله .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٢١) وفيه ثبت بأهم مصادر ترجمته .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٦) وفيه ثبت بأهم مصادر ترجمته .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : عبيد الله ، وهو مترجم في السير (٢/ ٣٧٧) وفيه ثبت بأهم مصادر ترجمته .

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٧٦) طبقات خليفة (ت١٠٦٦) تاريخ خليفة (٢٥١) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٣٥) ثقات العجلي (٤٢٦) المعارف (٤٣٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٦٠) الجرح والتعديل (٨/ ٣٩٦) مشاهير علماء الأمصار (ت٧٤٦) حلية الأولياء (٢/ ٩٥) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٢) طبقات الشيرازي (٧٩) أنساب السمعاني (١٢/ ٣٤٥) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٢٠٧/ب) أسد الغابة (٥/ ١٥٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٨٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٤٣) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٢١) طبقات علماء الحديث (١/ ١٠٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٣) تاريخ الإسلام (٣/ ٧٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٤٩) العبر (١/ ٦٨) الكاشف (٣/ ١٢٠) غاية النهاية (٢/ ٢٩٤) الإصابة (١٠/ ٢٥) تهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٩) النجوم الزاهرة (١/ ١٦١) طبقات الحفاظ (١٤) خلاصة الخزرجي (٣٧٤) شذرات الذهب (١/ ٢٨٥) .

وقال : إذا بلغ أحدُكم أربعين سنة فليأخذ حِذره من الله .

وقال : لو أتاني آتٍ من ربي ـ عز وجل ـ فأخبرني أنه يعذبني لاجتهدت في العبادة لئلاّ ألوم نفسي إن دخلت جهنم ، أما بلغك من قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ٢] إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم واعتنقتهم الزبانية ، وحِيل بينهم وبين ما يشتهون ، وانقطعت عنهم الأماني ، ورُفعت عنهم الرحمة ، وأقبل كل امرئٍ منهم يلوم نفسه .

قال الإمام أحمد: حج مسروق فلم ينم إلّا ساجداً على وجهه حتى رجع . وكان يصلِّي حتى تورَّم قدماه.

وقال : إنّ أحسن ما أكون ظناً بربي حين يقول الخادم : ليس في البيت قَفيز ولا درهم .

وقال : إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها يتذكر ذنوبه ، فيستغفر الله منها .

قال ابن مرثد : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم مسروق .

وقد قالت امرأة مسروق : ما كان يوجد إلّا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة .

ولما احتُضر بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : ومالي لا أبكي وإنما هي هَدَّة ثم لا أدري أين يُسلك بي بين يدي طريقين لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

وكان صائماً في يوم حار ، فغُشي عليه ، فقالت له ابنته : أفطِر ، فقال لها : ما أردت بي ؟ قالت : الرفق ، قال : إنما أطلب الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة][1] .

ثم دخلت سنة أربع وستين

ففيها ـ في أول المحرم منها ـ سار مسلم بن عقبة إلى مكة قاصداً قتال ابن الزبير ومن التف عليه من الأعراب على مخالفة يزيد بن معاوية ، واستخلف على المدينة رَوْح بن زنباع ، فلما بلغ ثنيَّة هَرْشیٰ[2] بعث إلى رؤوس الأجناد فجمعهم فقال : إن أمير المؤمنين عهد إليَّ إن حدث بي حادث الموت أن أستخلف عليكم حُصين بن نمير السَّكوني ، ووالله لو كان الأمر إليَّ ما فعلت . ثم دعا به فقال : انظر يا بن بردعة[3] الحمار فاحفظ ما أوصيك به ، ثم أمره إذا وصل مكة أن يناجز ابن الزبير قبل ثلاث . ثم قال : اللهم إني لم أعمل عملاً قط ـ بعد شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ أحب إليَّ من قتل أهل

---

(١) انفردت النسخة (أ) بهذه الترجمة ، ولم يرد في ط ، ب إلا اسم مسروق على أنه توفي في هذه السنة .

(٢) رسمت هذه اللفظة في الأصول وتاريخ الطبري (٥/ ٤٩٦) : بالمد (هرشا) . وقد قيدها ياقوت في معجمه (٥/ ٣٩٧) بالقصر (هرشى) وقال : هي ثنية في طريق مكة قريبة من الجُحْفة ، يرى منها البحر .

(٣) البردعة ـ بالدال والذال ـ الحلس .

المدينة وأجزى عندي في الآخرة ، وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي . ثم مات ـ قبحه الله ـ ودفن بالمُشَلَّل[(١)] [(٢)].

وسار حُصين بن نمير بالجيش نحو مكة ، فانتهى إليها لأربع بقين من المحرم ـ فيما قاله الواقدي ـ وقيل : لسبع مضين منه . وقد تلاحق بابن الزبير جماعات ممن بقي من أشراف المدينة ، وانضاف إليه أيضاً نَجْدة بن عامر الحنفي ـ من أهل اليمامة ـ في طائفة من أهلها ليمنعوا البيت من أهل الشام . فنزل حُصين بن نمير ظاهر مكة ، وخرج إليه ابن الزبير في أهل مكة ومن التف معه ، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً ، وتبارز المنذر بن الزبير ورجل من أهل الشام ، فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وحمل أهل الشام على أهل مكة حملة صادقة ، فانكشف أهل مكة ، وعثرت بغلة عبد الله بن الزبير به ، فكرَّ عليه المِسْور بن مَخْرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف وطائفة ، فقاتلوا دونه حتى قُتلوا جميعاً ، وصابرهم ابن الزبير حتى الليل ، فانصرفوا عنه ، ثم اقتتلوا في بقية شهر المحرم وصفراً بكماله ، فلما كان يوم السبت ثالث ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا المجانيق على الكعبة ورمَوها بالنار ، فاحترق جدار الكعبة في يوم السبت ـ هذا قول الواقدي ـ وهم يقولون :

خطَّارة مثل الفَنِيق[(٣)] المُزْبِدِ تُرْمىٰ بها جُدْران هذا المَسْجِدِ

وجعل عمرو بن حوطة السدوسي يقول :

كيــفَ تــرىٰ صَنِيــعَ أمِّ فَــرْوَهْ تأخُذُهمْ بينَ الصَّفا والمَرْوَهْ[(٤)]

وأمُّ فروة : اسم المنجنيق .

وقيل : إنما احترقت لأن [أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة ، فعلقت النار في بعض أستار الكعبة ، فسرَت إلى أخشابها وسقوفها فاحترقت . وقيل : إنما احترقت لأن][(٥)] ابن الزبير سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلمـاء ، فظن أنهم أهل الشام ، فرُفعت نار على رمح لينظروا من هؤلاء الذين على الجبل ، فأطارت الريح شرَرَةً من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى : المسلك . والمشلل كما في معجم ياقوت (٥/ ١٣٦) : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر .

(٢) وجاء بعد هذا في ط : « ثم أتبعه الله بيزيد بن معاوية فمات بعده في ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه ، فما متَّعهما الله بشيء مما رجوه وأمَّلوه ، بل قهرهم القاهر فوق عباده ، وسلبهم الملك ، ونزعه منهم من ينزع الملك ممن يشاء » وهو ليس في النسخ المعتمدة ومنها ب وم ، وهو كلام مقحم .

(٣) تحرفت في أ ، ط إلى : الفتيق وشرحها على ذلك محققو طبعة دار الكتب العلمية . « والفنيق » : هو الفحل المكرَم من الإبل . اللسان (خطر ، فنق) .

(٤) الخبر والرجز في تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) وأيضاً في ابن الأثير (٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .

(٥) ما بين حاصرتين ليس في ب .

الكعبة ، فعلقت في أستارها وأخشابها فاحترقت ، واسودَّ الركنُ وانصدعَ في ثلاثة أمكنة منه .

واستمر الحصار إلى مستهل ربيع الآخر ، وجاء الناسَ نعيُ يزيد بن معاوية ، وأنه قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وهو ابن خمس ـ أو ثمان أو تسع ـ وثلاثين سنة ، فكانت ولايته ثلاث سنين وستة ـ أو ثمانية ـ أشهر ، فغُلب أهل الشام هنالك وانقلبوا صاغرين ، فحينئذ خمدت الحرب وطفئت نار الفتنة . ويقال : إنهم مكثوا يحاصرون ابن الزبير بعد موت يزيد نحو أربعين ليلة . ويذكر أن ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أهل الشام ، فنادى فيهم : يا أهل الشام ! قد أهلك الله طاغيتكم، فمن أحبَّ منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل ، ومن أحب أن يرجع إلى شامه فليرجع . فلم يصدِّق الشاميون أهل مكة فيما أخبروهم به ، حتى جاء ثابت بن قيس بن القيقع[١] بالخبر اليقين .

ويذكر أن حُصين بن نمير دعاه ابن الزبير ليحدِّثه بين الصفَّين ، فاجتمعا حتى اختلفت رؤوس فرسيهما ، وجعلت فرس حصين تنفر ويكفُّها ، فقال له ابن الزبير : مالك ؟ فقال : إن الحمام تحت رجلي فرسي تأكل الروث فأكره أن أطأ حمام الحرم . فقال له : تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين ؟! فقال له حصين : فائذن لنا فلنطف بالكعبة ثم نرجع إلى بلادنا ، فأذن لهم ، فطافوا .

وذكر ابن جرير[٢] : أن حصيناً وابن الزبير اتَّعدا ليلة أن يجتمعا ، فاجتمعا بظاهر مكة ، فقال له حصين : إن كان هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر بعده ، فهلمَّ فارحل معي إلى الشام ، فوالله لا يختلف عليك اثنان . فيقال : إن ابن الزبير لم يثق منه بذلك ، وأغلظ له في المقال ، فنفر منه ابن نمير وقال : أنا أدعوه إلى الخلافة وهو يغلظ لي في المقال ؟! ثم كرَّ بالجيش راجعاً إلى الشام ، وقال : أعده بالملك ويتوعدني بالقتل ؟! ثم ندم ابن الزبير على ماكان منه إليه من الغلظة ، فبعث إليه يقول له : أما الشام فلستُ آتيه ، ولكن خذ لي البيعة على من هنالك ، فإني أؤمنكم ، وأعدل فيكم . فبعث إليه يقول له : إن من يبتغينا من أهل هذا البيت بالشام لكثير . ورجع فاجتاز بالمدينة ، فطمع فيه أهلها ، وأهانوهم إهانة بالغة ، وأكرمهم علي بن الحسين (زين العابدين) وأهدى لحصين بن نمير قَتّاً[٣] وعلفاً . وارتحلت بنو أمية مع الجيش إلى الشام ، فوجدوا معاوية بن يزيد بن معاوية قد استُخلف مكان أبيه بدمشق عن وصية من أبيه له بذلك ، والله سبحانه أعلم .

---

(١) كذا في الأصول . وفي تاريخ الطبري (٥/ ٥٠١) : المنقَع .

(٢) في تاريخه (٥/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣) مع اختلاف ببعض الألفاظ .

(٣) « القت » : الفصفصة ، وهي الرطبة من علف الدواب .

وهذه ترجمة يَزِيد بن مُعَاويَـة[١]

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر[٢] بن حَرْب بن أميَّة بن عبد شمس ، أمير المؤمنين ، أبو خالد الأموي . ولد سنة خمس ـ أو ست ، أو سبع ـ وعشرين ، وبويع له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون وليَّ العهد من بعده ، ثم أكد ذلك بعد موت أبيه في النصف من رجب سنة ستين ، فاستمرَّ متولياً إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين . وأمه : مَيْسون بنت بَحْدَل[٣] بن أُنيف بن دُلْجة بن قُنافة[٤] بن عديّ بن زهير بن حارثة الكَلْبي .

روى عن أبيه معاوية : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يُفقِّهْهُ في الدِّين »[٥] . وحديثاً آخر في الوضوء .

وعنه ابنه خالد ، وعبد الملك بن مروان .

وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلي الصحابة ـ وهي العليا ـ وقال : له أحاديث .

وكان كثير اللحم ، عظيم الجسم ، كثير الشعر ، جميلاً ، طويلاً ، ضخم الهامة ، محدد الأصابع غليظها ، مجدّراً .

وكان أبوه قد طلَّق أمَّه وهي حامل به ، فرأت في المنام أنه خرج منها قمر من قُبُلها ، فقصَّت رؤياها على أمها ، فقالت : إن صدقتْ رؤياك لتلدن من يُبايَع له بالخلافة .

وجلست أمُّه ميسون يوماً تمشطُه وهو صبيّ صغير ، وأبوه مع زوجته الحظية عنده في المنظرة ـ وهي فاختة بنت قَرَظة ـ فلما فرغت من مَشْطه نظرت أمه إليه فأعجبها ، فقبَّلت بين عينيه ، فقال معاوية عند ذلك :

---

(١) نسب قريش (١٢٧) المعارف (٣٥١) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٥) الأخبار الطوال : (الفهرس) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٩) العقد الفريد : (الفهرس) مروج الذهب (٣/ ٦٣ ، ٧٥) الأغاني (١٧/ ٢٠٩) جمهرة الأنساب (١٠٣) تاريخ ابن عساكر (١٨/ ١٩٥/آ) الكامل في التاريخ (٤/ ١٢٥) منهاج السنة (٢/ ٢٣٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ١٨) تاريخ الإسلام (٣/ ٩١) العبر (١/ ٦٩) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٤٤٠) فوات الوفيات (٤/ ٣٢٧) تهذيب التهذيب (١١/ ٣٦٠) لسان الميزان (٦/ ٢٩٣) تاريخ الخلفاء (٣٢٥) القلائد الجوهرية (٢٦٢) تاريخ الخميس (٢/ ٣٠٠) شذرات الذهب (١/ ٢٨٦) رغبة الآمل (٤/ ٨٣ و ٥/ ١٢٩) .

(٢) في ط : « بن صخر » ، خطأ .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : مخول .

(٤) في ط : « نفاثة » ، وهو تحريف . ينظر نسب قريش (ص١٢٧) وترجمة ميسون من تاريخ دمشق (٧٠/ ١٣٠) .

(٥) رواه ابن عساكر من طريق يزيد ، وهو في مختصره (٢٨/ ١٨) وهو في الصحيحين من غير طريقه ، في البخاري رقم (٧١) ومسلم رقم (١٠٣٧) ومن طرق أخرى عندهما .

إذا مـاتَ لـمْ تُفْلـحْ مُـزَيْنَـةُ بعـدَهُ   فَنُوطِي عليهِ يا مُزَينُ التَّمائِمَا[١]

وانطلق يزيد يمشي وفاختة تُتبعه بصرها ثم قالت : لعن الله سواد ساقي أمّك . فقال معاوية : أما والله إنه لخير من ابنك عبد الله ـ وهو ولده منها ، وكان أحمق ـ فقالت فاختة : لا والله ، ولكنك تؤثر هذا عليه ، فقال : سوف أبيِّن لك ذلك حتى تعرفيه قبل أن تقومي من مجلسك هذا ، ثم استدعى بابنها عبد الله فقال له : إنه قد بدا لي أن أعطيَك كل ما تسألني في مجلسي هذا ، فقال : حاجتي أن تشتري لي كلباً فارهاً وحماراً ، فقال : يا بني ! أنت حمار ويُشترى لك حمار ؟! قم فاخرج . ثم قال لأمه : كيف رأيت ؟! ثم استدعى بيزيد فقال : إني قد بدا لي أن أعطيَك كل ماتسألني في مجلسي هذا ، فسلني ما بدا لك . فخرَّ يزيد ساجداً ثم قال حين رفع رأسه : الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة وأراه فيَّ هذا الرأي ، حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك ، وتولِّيني العام صائفة المسلمين ، وتأذن لي في الحج إذا رجعت ، وتولِّيني الموسم ، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل في عطائه ، وتجعل ذلك بشفاعتي ، وتفرض لأيتام بني جُمح ، وأيتام بني سهم ، وأيتام بني عدي . فقال : مالك ولأيتام بني عدي ؟ فقال : لأنهم حالفوني وانتقلوا إلى داري . فقال معاوية : قد فعلتُ ذلك كلَّه . وقبَّل وجهه ثم قال لفاختة بنت قَرَظة : كيف رأيت ؟! فقالت : يا أمير المؤمنين ! أوصِه بي فأنت أعلم به مني . ففعل .

وفي رواية : أن يزيد لما قال له أبوه : سلني حاجتك ، قال له يزيد : اعتقني من النار أعتق الله رقبتك منها ، قال : وكيف ؟ قال : إني وجدت في الأثر أنه « مَنْ تقلَّد أمرَ هذهِ الأمَّة ثلاثةَ أيام حرَّمهُ اللهُ على النار » فاعهد إليَّ من بعدك . ففعل[٢] .

وقال العتبي : رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً له ، فقال له : اعلم أنَّ الله أقدرُ عليك منك عليه ، سوءة لك ! أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك ؟ والله لقد منعَتْني القدرة من الانتقام من ذوي الإحَن ، وإنَّ أحق من عفا لمن قدر .

قلت : وقد ثبت في الصحيح : أن رسول الله ﷺ رأى أبا مسعود يضرب غلاماً له ، فقال : « اعلمْ أبا مَسْعودٍ للهُ أَقدرُ عليكَ منكَ علَيه »[٣] .

قال العتبي : وقدم زياد بأموال كثيرة وبسفط مملوءٍ جواهر على معاوية ، فسُرَّ بذلك معاوية ، فقام

---

(١) البيت في نسب قريش (١٢٧) والأغاني (١٧/ ٢١١) ومختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ١٩) واللسان مادة (تمم) .
(٢) الخبر بطوله في تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٨/ ٢٠ ـ ٢١) .
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٠) ومسلم (١٦٥٩) في الأيمان : باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده ، وأبو داود (٥١٦٠) في الأدب : باب في حق المملوك ، والترمذي (١٩٤٨) في البر والصلة : باب النهي عن ضرب الخدم وشتمهم .

زياد فصعد المنبر ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية ، فقام يزيد فقال : إن تفعل ذلك ـ يا زياد ـ فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قريش ، ومن القلم إلى المنابر ، ومن زياد بن عُبيد إلى حرب بن أميَّة . فقال له معاوية : اجلس فداك أبي وأمي .

وعن عطاء بن السائب قال : غضب معاوية على ابنه يزيد ، فهجره ، فقال له الأحنف بن قيس : يا أمير المؤمنين ! إنما هم أولادنا ، ثمارُ قلوبنا ، وعمادُ ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، إن غضبوا فأرضِهم ، وإن طلبوا فأعطِهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً فيملُّوا حياتك ويتمنَّوا موتك . فقال معاوية : لله درُّك يا أبا بحر ! يا غلام ائت يزيد فأقره مني السلام وقل له : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمئة ألف درهم ومئة ثوب . فقال يزيد : من عند أمير المؤمنين ؟ فقال : الأحنف ، فقال يزيد : لا جرم لأُقاسمنَّه ! فبعث إلى الأحنف بخمسين ألفاً وخمسين ثوباً[(١)] .

وقال الطبراني : حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلَابي ، حدّثنا ابنُ عائشة ، عن أبيه قال : كان يزيدُ في حداثته صاحبَ شراب ، يأخذ مآخذ الأحداث ، فأحسَّ معاويةُ بذلك ، فأحبَّ أن يعظَه في رفق ، فقال : يا بنيّ ! ما أقدركَ على أن تصلَ إلى حاجتك من غير تهتُّك يذهب بمروءتك وقدرك ، ويشمت بك عدوّك ، ويسيء بك صديقك . ثم قال : يا بنيّ ! إني منشدُك أبياتاً فتأدَّبْ بها واحفظْها ! فأنشَدَه :

انصَبْ نهاراً في طِلَابِ العُلا　　واصبِرْ على هَجْرِ الحَبيبِ القَرِيب
حتَّى إذا اللَّيلُ أَتىٰ بالدُّجىٰ　　واكتحلَتْ بالغُمضِ عينُ الرَّقِيب
فباشِرِ اللَّيلَ بما تَشْتَهي　　فإنَّما اللَّيلُ نهارُ الأَرِيب
كَمْ فاسِقٍ تحسبُهُ ناسِكاً　　قد باشَرَ اللَّيلَ بأمرٍ عَجِيب
غَطَّى عليهِ اللَّيلُ أسْتارَهُ　　فباتَ في أَمنٍ وعيشٍ خَصِيب
ولذَّةُ الأَحمقِ مكشُوفَةٌ　　يسْعىٰ بها كلُّ عدوٍّ مُرِيب[(٢)]

قلت : وهذا كما جاء في الحديث : « مَن ابتُليَ بشيءٍ من هذِه القاذوراتِ فليسْتَتِرْ بسِتر اللهِ عزَّ وجلّ »[(٣)] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢) وقد أورده صاحب العقد الفريد (٢/ ٤٣٧) وفيه : أنه أمر له بمئتي ألف درهم ومئتي ثوب ، فبعث يزيد إلى الأحنف بمئة ألف ومئة ثوب ـ شاطره إياها .

(٢) الخبر والأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢ ـ ٢٣) .

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح المشكل (٩١) و(٩٢) ، والحاكم (٤/ ٢٤٤) و(٣٨٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٣٠) بإسناد قوي . ورواه مالك في الموطأ (٢٣٨٦) برواية الليثي بتحقيق الدكتور بشار عن زيد بن أسلم مرسلاً .

وروى [الواقدي و][١] المدائني : أن ابن عباس وفد إلى معاوية ، فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيَه فيعزِّيه في الحسن بن علي ، فلما دخل على ابن عباس رحَّب به وأكرمه ، وجلس عنده بين يديه ، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه ، فأبى وقال : إنما أجلس مجلس المعزِّي لا المهنِّئ ، ثم ذكر الحسن فقال : رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاك ، وعوَّضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى . فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب ذهب حلماء[٢] الناس . ثم أنشد متمثلاً :

مَغَاضٍ عن العَوْراء لا يَنْطقونَها … وأهلُ وراثاتِ الحُلومِ الأَوائلِ[٣]

وقد كان يزيد أول من غزا مدينة قُسْطنطينية في سنة تسع وأربعين ـ في قول يعقوب بن سفيان . وقال خليفة بن خياط[٤] : سنة خمسين . ثم حج بالناس في تلك السنة بعد مرجعه من هذه الغزوة من أرض الروم . وقد ثبت في الحديث : أن رسول الله ﷺ قال : « أولُ جيشٍ يَغْزُو مدينةَ قَيْصَر مغفورٌ لهم »[٥] . وهو الجيش الثاني الذي رآه رسول الله ﷺ في منامه عند أمِّ حرام ، فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « أنتِ منَ الأوَّلين » . يعني : جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها في سنة سبع وعشرين أيام عثمان بن عفان ، وكانت معهم أمُّ حرام فماتت هنالك بقبرص ، ثم كان أمير الجيش الثاني ابنه يزيد بن معاوية ، ولم تدرك أمُّ حرام جيش يزيد هذا . وهذا من أعظم دلائل النبوة .

وقد أورد الحافظ ابن عساكر هاهنا الحديث الذي رواه محاضر ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن[٦] عَبِيدة ، عن عبد الله : أن رسول الله ﷺ قال : « خيرُ النّاسِ قَرْني ، ثمَّ الذينَ يلُونَهُمْ ، ثمَّ الذينَ يلُونَهُمْ »[٧] .

وكذلك رواه عبد الله بن شَقيق[٨] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ مثله .

---

(١) سقط من المطبوع .

(٢) كذا في ب ومثله في مختصر تاريخ دمشق . والذي في أ ، ط : علماء .

(٣) الخبر والبيت في مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٣) .

(٤) في تاريخه (ص٢١١) .

(٥) أخرجه البخاري في الجهاد : ٩٣ برقم (٢٩٢٤) . وقد تقدم في أول هذا الجزء .

(٦) تحرفت في أ ، ط إلى : بن .

(٧) تمامه : « ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » . وقد أخرجه البخاري : من طريق أخرى عن الأعمش رقم (٦٤٢٩) ، ومسلم (٢٥٣٣) من طريق أخرى عن منصور في فضائل الصحابة .

(٨) تحرف في المطبوع إلى : شفيق .

ثم أورد من طريق حمّاد بن سلمة ، عن أبي محمد ، عن زُرارة بن أوفى قال : القرن عشرون ومئة سنة ، فبُعث رسول الله ﷺ في قرن وكان آخره موت يزيد بن معاوية .

قال أبو بكر بن عياش : حج بالناس يزيد بن معاوية سنة إحدى وخمسين ، واثنتين وخمسين ، وثلاث وخمسين .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أبو كُريب ، حدّثنا رشدين [عن] عمرو بن الحارث ، عن بُكير[١] بن الأَشَج : أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلاً إن وليت ؟ قال : يمتِّع الله بك يا أمير المؤمنين ! قال : لتخبرنِّي ، قال : كنتُ ـ والله يا أبة ـ عاملاً فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بني ! والله لقد جهدتُ على سيرة عثمان بن عفان فما أطقتها ، فكيف بك وسيرة عمر[٢] ؟!

وقال الواقدي : حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرَة ، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلَّى قال : قال معاوية ليزيد وهو يوصيه عند الموت : يا يزيد ! اتقِ الله فقد وطَّأتُ لك هذا الأمر ، ووليت من ذلك ما وليت ، فإن يك خيراً فأنا أسعد به ، وإن كان غير ذلك شقيت به ، فارفُق بالناس ، وأغمض عما بلغك من قول تؤذى به وتنتقص به ، وطَأْ عليه يهنك عيشُك ، وتصلح لك رعيتُك ، وإياك والمناقشةَ وحملَ الغضب ، فإنك تهلك نفسك ورعيَّتك ، وإياك وجفوة[٣] أهل الشرف واستهانتهم والتكبُّر عليهم ، ولِنْ لهم ليناً لا يري منك ضعفاً ولا خَوَراً ، وأوطئهم فراشَك ، وقرِّبهم إليك ، وأدنِهم منك ، فإنهم يعلمون لك حقَّك ، ولا تُهنهم ولا تستخفَّ بحقهم فيهينوك ويستخفُّوا بحقك ويقعوا فيك . فإذا أردتَ أمراً فادع أهل السِّنِّ والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى ، فشاورْهم ولا تخالفهم . وإياك والاستبدادَ برأيك ، فإن الرأي ليس في صدر واحد ، وصدِّقْ من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف ، واخزُن ذلك عن نسائك وخدمك ، وشمِّر إزارك ، وتعاهد جندَك ، وأصلح نفسك يصلُحْ لك الناس ، لا تدع لهم فيك مقالاً ، فإن الناس سراع إلى الشرّ . واحضُر الصلاة ، فإنك إذا فعلتَ ما أوصيك به عرف الناس لك حقَّك ، وعظمتْ مملكتُك ، وعظمتَ في أعين الناس . واعرف شرف أهل المدينة ومكة ، فإنهم أصلُك وعشيرتُك . واحفظ لأهل الشام شرفهم ، فإنهم [أنصارُك وحُماتُك وجندُك الذين بهم تصل إلى][٤] أهل طاعتك . واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تعِدُهم فيه منك بالمعروف ، فإن ذلك يبسط آمالهم . وإن وفد عليك وافد من الكُوَر كلها فأحسِن إليهم ، وأكرمهم فإنهم

---

(١) في المطبوع : عن أبي بكير وفي ب عن بكر وكلاهما خطأ . وبكير بن الأشج : هو بكير بن عبد الله بن الأشج القرشي . من رجال التهذيب .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٥) .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : خيرة .

(٤) سقط من ط .

لمن وراءهم . ولا تسمعن قول قاذف ولا ما حل[١] ، فإني رأيتهم وزراء سَوء[٢] .

ومن وجه آخر : أن معاوية قال ليزيد : إن لي خليلاً من أهل المدينة فأكرمه ، قال : ومن هو ؟ قال : عبد الله بن جعفر . فلمّا وفد بعد موت معاوية على يزيد أضعف جائزته التي كان معاوية يعطيه إياها ، وكانت جائزته على معاوية ستمئة ألف ، فأعطاه يزيد ألف ألف ، فقال له : بأبي أنت وأمي ، فأعطاه ألف ألف أخرى ، فقال له ابن جعفر : والله لا أجمع أبويَّ لأحد بعدك . ولمّا خرج ابن جعفر من عند يزيد ـ وقد أعطاه ألفي ألف ـ رأى على باب يزيد بَخَاتيَّ[٣] مبركات قد قدم عليها هدية من خراسان ، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد ، فسأله منها ثلاث بَخاتي ليركب عليها إلى الحج والعمرة وإذا وفد إليه ، فقال يزيد للحاجب : ما هذه البَخاتي التي على الباب ؟ ـ ولم يكن شعر بها ـ فقال : يا أمير المؤمنين ! هي أربعمئة بُخْتيَّة جاءتنا من خراسان تحمل أنواع الألطاف ـ وكان عليها أنواع من الأموال كلها ـ فقال : اصرِفْها إلى أبي جعفر بما عليها . فكان عبد الله بن جعفر يقول : أتلومونني على حسن الرأي في هذا ؟! يعني : يزيد[٤] .

وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحِلْم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك . وكان ذا جمال ، حسن المعاشرة . وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا أبو عبد الرحمن ، حدّثنا حَيْوَة ، حدّثني بشير بن أبي عمرو الخَوْلاني : أن الوليد بن قيس حدَّثه : أنه سمع أبا سعيد الخُدْري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكونُ خلفٌ من بعدِ ستِّينَ سنةً أضاعُوا الصَّلاةَ واتَّبعُوا الشَّهواتِ فسوفَ يلْقَوْنَ غيّاً[٥] ، ثم يكون خلفٌ يقرؤُونَ القرآنَ لا يُجاوِزُ تراقِيَهُمْ . ويقرأُ القرآنَ ثلاثة : مؤمنٌ ، ومنافقٌ ، وفاجرٌ » . [قال بشير][٦] : فقلت للوليد : ما هؤلاء الثلاثة ؟ فقال : المنافقُ كافرٌ به ، والفاجرُ يتأكَّلُ به ، والمؤمنُ يؤمنُ به . تفرَّد به أحمد[٧] .

---

(١) « الماحل » : الماكر .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٦) .

(٣) « البخاتي » : جمال طوال الأعناق خراسانية . يقال : جمل بُختي ، وناقة بُختية .

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٦ ـ ٢٧) .

(٥) وقعت هذه اللفظة في المطبوع : عيًّا ثم شرحها محققو طبعة دار الكتب العلمية بقولهم : عيًّا : كللاً وتعباً وضلال .
قلت : لا يخفى على متعلم أن لفظ هذه العبارة متفق مع الآية ٥٩ من سورة مريم ، وقد قال المفسرون : « الغي » : واد ـ أو نهر ـ في جهنم أعده الله للغاوين . كما قيل : معناه : فسوف يلقون مجازاة غيهم . اللسان : مادة (غوي) .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) وهو في مسنده (٣/ ٣٨ ـ ٣٩) وأخرجه ابن حبان رقم (٧٥٥) والحاكم (٢/ ٣٧٤) وهو حديث حسن .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدّثنا زهير بن حرب ، حدّثنا الفضل بن دُكين ، حدّثنا كامل أبو العلاء ، سمعت أبا صالح ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « تعوَّذُوا باللهِ من سنةِ سَبْعين ، ومن إمارَةِ الصِّبْيان »[١] .

وروى الزبير بن بكار ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل : أنه قال في يزيد بن معاوية :

لستَ منّا وليسَ خالُكَ منّا يا مُضِيعَ الصَّلاةِ للشَّهَواتِ[٢]

قال : وزعم بعض الناس أن هذا الشعر لموسى بن يسار ، ويعرف بموسى شهوات .

وروي عن عبد الله بن الزبير : أنه سمع جارية له تغني بهذا البيت ، فضربها وقال : قولي :

أنـتَ منّـا وليـسَ خـالُـكَ منّـا يـا مُضِيـعَ الصَّـلاةِ للشَّهَـواتِ

وقال الحافظ أبو يعلى : حدّثنا الحكم بن موسى ، حدّثنا يحيى بن حمزة ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي عبيدة : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال أمرُ أمَّتي قائماً بالقسط حتى يثلِمَه رجل من بني أميَّة يقال له : يزيد » . وهذا منقطع بين مكحول وأبي عبيدة ، بل معضل .

وقد رواه ابن عساكر من طريق صَدَقة بن عبد الله الدمشقي ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخُشني ، عن أبي عبيدة ، عن رسول الله ﷺ قال : « لا يزالُ أمرُ هذه الأمَّة قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلِمُه رجل من بني أميَّة يقال له : يزيد » . ثم قال : وهو منقطع أيضاً بين مكحول وأبي ثعلبة .

وقال أبو يعلى : حدّثنا عثمان بن أبي شَيبة ، حدّثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن عوف ، عن خالد بن أبي المهاجر ، عن أبي العالية قال : كنّا مع أبي ذرٍّ بالشام ، فقال أبو ذرّ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أولُ من يغيِّر سنَّتي رجلٌ من بني أميَّة » .

ورواه ابن خزيمة ، عن بُنْدار ، عن عبد الوهاب بن عبد المجيد ، عن عوف : حدّثنا مهاجر بن أبي مخلد ، حدّثني أبو العالية ، حدّثني أبو مسلم ، عن أبي ذرّ . . فذكر نحوه . وفيه قصة وهي : أن أبا ذرٍّ كان في غزاة عليهم يزيدُ بن أبي سفيان ، فاغتصب يزيدُ من رجل جارية ، فاستعان الرجل بأبي ذرٍّ على يزيد أن يردَّها عليه ، فأمره أبو ذرٍّ أن يردَّها عليه ، فتلكَّأ ، فذكر أبو ذرٍّ له الحديث ، فردَّها ، وقال يزيد لأبي ذرّ : نشدتك بالله أهو أنا ؟ قال : لا .

---

(١) ورواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٦) وإسناده ضعيف .
(٢) البيت مع بيت آخر في الأخبار الطوال (ص٢٦٥) .

وكذا رواه البخاري في « التاريخ » ، وأبو يعلى عن محمد بن المثنى ، عن عبد الوهاب . ثم قال البخاري : والحديث معلول ، ولا يعرف أن أبا ذر قدم الشام زمن عمر بن الخطاب . قال : وقد مات يزيد بن أبي سفيان زمن عمر ، فولَّى مكانه أخاه معاوية . وقال عباس الدوري : سألت ابن مَعين : أسمع أبو العالية من أبي ذر ؟ قال : لا ، إنما يروي عن أبي مسلم عنه ، قلت : فمن أبو مسلم هذا ؟ قال : لا أدري .

وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلُّها موضوعة لا يصح شيء منها ، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيده وانقطاع بعضه ، والله أعلم .

قال الحارث بن مسكين : عن سفيان ، عن شَبيب بن غَرْقدة ، عن المستظل[1] قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قد علمتُ ـ وربِّ الكعبة ـ متى تهلكُ العرب ، إذا ساسَهم من لم يدرك الجاهليَّة ولم يكن له قدم في الإسلام .

قلت : يزيد بن معاوية أكثر مانُقم عليه في عمله شربُ الخمر وإتيان بعض الفواحش ، فأما قتل الحسين فإنه ـ كما قال جده أبو سفيان يوم أحد ـ لم يأمر بذلك ولم يسؤه . وقد قدَّمنا أنه قال : لو كنت أنا لم أفعل معه ما فعله ابن مَرْجانة ـ يعني : عبيد الله بن زياد ـ وقال للرسل الذين جاؤوا برأسه : قد كان يكفيكم من الطاعة دون هذا . ولم يعطهم شيئاً ، وأكرم آل بيت الحسين ، وردَّ عليهم جميع ما فُقد لهم وأضعافه ، وردَّهم إلى المدينة في محامل وأُبهة عظيمة ، وقد ناح أهله في منزله على الحسين ـ حين كان أهل الحسين عندهم ـ ثلاثة أيام . وقد قيل : إن يزيد فرح بقتل الحسين أول ما بلغه ، ثم ندم على ذلك . فقال أبو عبيدة مَعْمر بن المثنى : إن يونس بن حبيب الجَرْمي حدثه قال : لما قتل ابن زياد الحسين ومن معه بعث برؤوسهم إلى يزيد ، فسُرَّ بقتلهم أولاً ، وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم ، فكان يقول : وما كان عليَّ لو احتملتُ الأذى وأنزلته في داري ، وحكمته فيما يريده ، وإن كان عليَّ في ذلك وَكَف[2] ووهن في سلطاني حفظاً لرسول الله ﷺ ورعايةً لحقِّه وقرابته ؟! ثم يقول : لعن الله ابن مَرْجانة ، فإنه أحرجه واضطرَّه ، وقد كان سأله أن يخلي سبيله ، أو يأتيني ، أو يكون بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله ، فلم يفعل ، بل أبى عليه وقتله ، فبغَّضني بقتله إلى المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوة ، فأبغضني البَرُّ والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً . مالي ولابن مَرْجانة ؟! لعنه الله وغضب عليه .

---

(١) تحرف هذا السند في الأصول إلى : ... عن شبيب ، عن عرقدة بن المستظل . الجرح والتعديل (٤/ ٣٥٧) و(٨/ ٤٢٩) ، وتهذيب الكمال (١٢/ ٣٧٠) .

(٢) « الوكف » : الإثم .

ولما خرج أهل المدينة عن طاعة يزيد وخلعوه وولَّوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة ، لم يذكروا عنه ـ وهم أشد الناس عداوة له ـ إلا ما ذكروه عنه من شربه الخمر وإتيانه بعض القاذورات . لم يتَّهموه بزندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض ، بل قد كان فاسقاً ، والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة [ووقوع الهَرْج كما وقع زمن الحرَّة ، فإنه بعث إليهم من يردهم إلى الطاعة ، وأنظرَهم ثلاثة أيام ، فلما لم يرجعوا قاتلهم][١] . وقد كان في قتال أهل الحرَّة كفاية ، ولكنه تجاوز الحدَّ بإباحة المدينة ثلاثة أيام ، فوقع بسبب ذلك شرٌّ عظيم كما قدّمنا .

وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات من أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد ، ولا بايع أحداً بعد بيعته ليزيد . قال الإمام أحمد[٢] : حدّثنا إسماعيل بن عليَّة ، حدّثني صخر بن جويرية ، عن نافع قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابنُ عمر بنيه وأهلَه ، ثم تشهَّد ، ثم قال : أما بعد ، فإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الغادرَ يُنْصَبُ لهُ لواءٌ يومَ القيامةِ يُقال : هٰذه غَدْرَةُ فلان » وإن من أعظم الغدر ـ إلا أن يكون الإشراك بالله ـ أن يبايعَ رجلٌ رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكثَ بيعتَه ، فلايخلعن أحدٌ منكم يزيد ، ولا يسرفن أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون الصَّيْلَم[٣] بيني وبينه .

وقد رواه[٤] مسلم[٥] والترمذي[٦] من حديث صخر بن جُويرية . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد رواه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، عن صخر بن جُويرية ، عن نافع ، عن ابن عمر . . فذكر مثله[٧] .

ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد ابن الحنفيَّة ، فأرادوه

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ .

(٢) مسند أحمد (٢/ ٤٨) .

(٣) كذا وردت هذه اللفظة في أ ، ب ، وهي كذلك في مسند أحمد . ووقعت في المطبوع : الفيصل ثم شرحها محققو طبعة دار الكتب العلمية بقولهم : الفيصل : من أسماء السيف .
قلت : كلا اللفظين ـ الفيصل والصيلم ـ بمعنى واحد ، وهو القطيعة التامة أو المنكرة ، كما شرحه ابن الأثير في النهاية (٣/ ٤٩ ، ٤٥٢) .

(٤) يعني متن الحديث الوارد خلال كلام نافع .

(٥) برقم (١٧٣٥) في الجهاد والسير : باب تحريم الغدر .

(٦) برقم (١٥٨١) في السير : باب ما جاء أن لكل غادر لواء يوم القيامة ورواه البخاري رقم (٧١١١) من طريق أيوب عن نافع به .

(٧) ورد في هامش النسخة أ ما نصه : ورواه البخاري في كتاب الفتن (٧١١١) عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع . . . بنحوه .

على خلع يزيد ، فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدّى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة ، متحرِّياً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنة . قالوا : فإن ذلك كان منه تصنُّعاً لك . فقال : وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر لي الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه . فقال لهم : أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] ولست من أمركم في شيء . قالوا : فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك ، فنحن نوليك أمرنا . قال : ما أستحلُّ القتال على ماتريدونني عليه تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : قد قاتلت مع أبيك ! قال : جيئوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه . فقالوا : فمر ابنيك أبا هاشم[1] والقاسم بالقتال معنا . قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاماً تحضُّ الناس فيه على القتال . قال : سبحان الله ! آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه ؟! إذاً ما نصحت لله في عباده . قالوا : إذاً نكرهك . قال : إذاً آمر الناس بتقوى الله ، وألا يُرضوا المخلوق بسخط الخالق . وخرج إلى مكة .

وقال أبو القاسم البغوي : حدّثنا مصعب الزّبيري ، حدّثنا ابن أبي حازم ، عن هشام ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن ابن عمر دخل ـ وهو معه ـ على ابن مطيع ، فلما دخل عليه قال : مرحباً بأبي عبد الرحمن ، ضعوا له وسادة . فقال : إنما جئتك لأحدِّثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ نَزَعَ يَداً مِنْ طاعةٍ فإنَّهُ يأتي يومَ القيامَةِ لا حُجَّةَ له ، ومَنْ مَاتَ مُفارقَ الجماعةِ فإنَّهُ يموتُ ميتَةً جاهليَّة » .

وهكذا رواه مسلم[2] من حديث هشام بن سعد ، عن زيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر به . وتابعه إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه .

وقد رواه الليث ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر . . . فذكره .

وقال أبو جعفر الباقر : لم يخرج أحدٌ من آل أبي طالب ولا من بني عبد المطلب أيام الحرَّة ، ولما قدم مسلم بن عقبة المدينة أكرم أبي ، وأدنى مجلسه ، وأعطاه كتاب أمان .

وروى المدائني : أن مسلم بن عقبة بعث رَوْح بن زنباع إلى يزيد ببشارة الحرَّة ، فلما أخبره بما وقع قال : واقوماه ، ثم دعا الضحاك بن قيس الفِهْري فقال له : ترى ما لقي أهل المدينة ، فما الذي يجبرهم ؟ قال : الطعام والأعطية ، فأمر بحمل الطعام إليهم ، وأفاض عليهم أعطيته .

---

(١) وقع في أ ، ط : أبا القاسم وهو خطأ .
(٢) برقم (١٨٥١) (٥٨) في الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .

وهذا خلاف ما ذكره كذَبة الروافض عنه من أنه شَمِت بهم ، واشتفى بقتلهم ، وأنه أنشد ذاكراً وآثراً شعر ابن الزِّبعرى المتقدم ذكره .

وقال أبو بكر محمد بن خلف بن المَرْزبان بن بسام : حدّثني محمد بن القاسم ، سمعت الأصمعي يقول : سمعت هارون الرشيد ينشد ليزيد بن معاوية :

إنَّهـا بيـنَ عـامـرِ بـنِ لُـؤَيٍّ حيـنَ تَنْمـي وبيـنَ عبـدِ مَنَـافِ
ولهَـا فـي الطَّيِّبيـنَ جـدودٌ ثـمَّ نـالـتْ مكـارمَ الأخـلافِ
بنـت عـمِّ النَّبـيِّ أكـرم مَـنْ يَمْـ ـشي بنعلٍ على التُّرابِ وحافي
لَـنْ تـراهـا علَـى التبـدُّلِ والغِلْـ ـظـةِ إلَّا كَـدُرَّةِ الأَصْـدافِ

وقال الزبير بن بكار : أنشدني عمي مصعب ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان :

آبَ هٰـذا الهـمُّ فـاكْتَنَعَـا[1] ثـمَّ مـرَّ النَّـومُ فـامْتَنَعَـا
راعِيـاً للنَّجـمِ أَرْقُبُـهُ فـإذَا مـاكـوكـبٌ طَلَعـا
حـامَ حتَّـى إنَّنـي لأرىٰ أنَّـهُ بـالغَـوْرِ قَـدْ وَقَعـا
ولهَـا بـالمـاطِـرونِ[2] إذا أكـلَ النَّمـلُ الـذي جَمَعـا
نُـزْهَـةٌ حتَّـى إذا بَلَغَـتْ نَـزَلَـتْ مـن جِلِّـقٍ[3] بِيَعَـا
في قبابٍ وَسْطَ دَسْكَرَةٍ[4] حـولَهـا الـزَّيتـونُ قـد يَنعَـا[5]

] ومن شعره :

وقـائلـةٍ لـي حيـنَ شبَّهْـتُ وجهَهـا ببدر الدُّجىٰ يوماً وقد ضاقَ مَنْهَجي
تُشبِّهُنـي بـالبـدرِ هٰـذا تنـاقـصٌ بقَـدْري ولكـنْ لسـتُ أوَّلَ مَـنْ هُجـي
ألَـمْ تَـرَ أنَّ البـدرَ عنـد كمـالِـهِ إذا بلـغَ التَّشبيـه عـادَ كـدُمْلجـي[6]

---

(١) تحرفت هذه اللفظة في المطبوع إلى : فاكتنفا وشرحها محققو طبعة دار الكتب العلمية على ذلك .
قلت : البيت من شواهد اللسان : مادة (كنع) . وقوله : اكتنع ، يعني : حضر .

(٢) تحرفت في المطبوع إلى : بالمطارونَ وقال محققو طبعة دار الكتب العلمية : المطارون : موضع بالشام .
قلت : ليس هنالك موضع اسمه المطارون ، لكن الصحيح ما أثبتناه في النسختين آ و ب ، وقد أورده ياقوت في معجمه (٥/ ٤٢) وقال : موضع بالشام قرب دمشق ، ومن شروطه أن يلزم الواو وتعرب نونه . ثم ذكر الأبيات .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : خلق .

(٤) « الدسكرة » : بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي .

(٥) الأبيات في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٣٣٢) وقد أورد الجَريري ثلاثة منها في الجليس الصالح (١/ ٢٧٨) .

(٦) « الدملج » : العقد .

فـلا فخـرَ إنْ شبَّهْـتَ بـالبـدرِ مَبْسَمـي   وبالسِّحرِ أَجْفاني وباللَّيلِ مَدْعجي][١]

وقد ذكر الزبير بن بكّار ، عن أبي محمد الجزري قال : كانت بالمدينة جارية مغنِّية يقال لها سلّامة ، من أحسن النساء وجهاً ، وأتمهنَّ عقلاً ، وأحسنهنَّ قدّاً ، قد قرأت القرآن ، وروت الشعر وقالته ، وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يجلسان إليها . فعلقت الأحوص ، وصدَّت عن عبد الرحمن ، فرحل ابن حسان إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ، فامتدحه ودلَّه على سلّامة وجمالها وحسنها وفصاحتها . وقال : لا تصلح إلا لك يا أمير المؤمنين ، وأن تكون من سمّارك ، فأرسل يزيد ، فاشتُريت له وحُملت إليه ، فوقعت منه موقعاً عظيماً ، وفضَّلها على جميع من عنده . ورجع عبد الرحمن إلى المدينة فمرَّ بالأحوص فوجده مهموماً ، فأراد أن يزيده إلى مابه من الهم همّاً فقال :

يـا مُبْتَلـى بـالحـبِّ مَقْـروحـا   لاقـىٰ مِـنَ الحـبِّ تبـاريحـا
أفحمَـهُ الحـبُّ فمـا يَنْثَنـي   إلَّا بكـأسِ الحـبِّ مَصْبُـوحـا
وصـارَ مـا يُعْجِبُـهُ مُغْلَقـاً   عنـهُ ومـا يَكْـرَهُ مَفْتُـوحـا
قد حازَها مَنْ أصبحتْ عندَهُ   ينـالُ منهـا الشَّـمَّ والـرِّيحـا
خليفـةُ اللهِ فسَـلِّ الهـوىٰ   وعَـزِّ قلبـاً منـكَ مَجْـروحـا

قال : فأمسك الأحوص عن جوابه ، ثم غلبه وجدُه عليها ، فسار إلى يزيد ، فامتدحه ، فأكرمه يزيد وحظي عنده ، فدسَّت إليه سلّامة خادماً وأعطته مالاً على أن يدخله عليها ، فأخبر الخادم يزيد بذلك ، فقال : امض لرسالتها ، ففعل وأدخل الأحوص عليها وجلس يزيد في مكان يراهما ولا يريانه ، فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها ، وأمرت فأُلقي له كرسي فقعد عليه ، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة شوقه إليه ، فلم يزالا يتحدثان إلى السَّحر ، ويزيد يسمع كلامهما من غير أن يكون بينهما ريبة ، حتى إذا همَّ الأحوص بالخروج قال :

أمسىٰ فُـؤادي فـي هـمٍّ وبَلْبـالِ   مِنْ حبِّ مَنْ لمْ أزلْ منهُ على بالِ

فقالت :

صَحَا المحبُّونَ بعدَ النَّأي إذ يَئِسُوا   وقد يَئِسْتُ وما أَصْحُو على حالِ

فقال :

مَنْ كانَ يَسْلُو بيأسٍ عَنْ أخي ثِقَةٍ   فعنكِ سلَّامُ ما أمسَيتُ بالسَّالي

فقالت :

---

(١) سقطت هذه الأبيات من النسخة ب .

واللهِ واللهِ لا أنسـاكَ يـا شَجَنـي حتَّى تفارقَ منِّي الرُّوحُ أوصَالي

فقال :

واللهِ ما خابَ مَنْ أمسىٰ وأنتِ لهُ يا قرَّةَ العينِ في أهلٍ وفي مالِ

قال : ثم ودَّعها وخرج ، فأخذه يزيد ودعا بها فقال : أخبراني عما كان في ليلتكما واصدقاني . فأخبراه وأنشداه ما قالا ، فلم يحرِّفا منه حرفاً ، ولا غيَّرا شيئاً مما سمعه ، فقال لها يزيد : أتحبينه ؟ قالت : إي والله يا أمير المؤمنين !

حبّاً شَديداً جرىٰ كالرُّوحِ في جَسَدي فهَـلْ يفـرَّقُ بيـنَ الـرُّوحِ والجَسَـد

فقال له : أتحبها ؟ فقال : إي والله يا أمير المؤمنين !

حبّـاً شَـديـداً تَلِيـداً غيـرَ مطَّـرِفٍ بينَ الجوانحِ مثلَ النَّارِ يَضْطَرِمُ

فقال يزيد : إنكما لتصفان حبًّا شديداً ، خذها يا أحوص فهي لك ، ووصله صلة سنية . فرجع بها الأحوص إلى الحجاز وهو قرير العين[١] .

[وقد روي أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصَّيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود ، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً ، وكان يشدُّ القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ، ويُلبس القرود قلانس الذهب وكذلك الغلمان ، وكان يسابق بين الخيل ، وكان إذا مات القرد حزن عليه . وقيل : إن سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقِّزها فعضَّته . وذكروا عنه غير ذلك ، والله أعلم بصحة ذلك][٢] .

وقال عبد الرحمن بن أبي مذعور : حدّثني بعض أهل العلم قال : آخر ما تكلَّم به يزيد بن معاوية : اللهم لا تؤاخذني بما لم أحبه ولم أرده ، واحكُم بيني وبين عبيد الله بن زياد .

وكان نقش خاتمه : آمنت بالله العظيم .

مات يزيد بحوَّارين ـ من قرى دمشق ـ في رابع عشر ربيع الأول ، وقيل : يوم الخميس للنصف منه ، سنة أربع وستين . وكانت ولايته بعد موت أبيه في منتصف رجب سنة ستين . وكان مولده في سنة خمس ـ وقيل : سنة ست ، وقيل : سبع ـ وعشرين . ومع هذا فقد اختلف في سنِّه ومبلغ أيامه في الإمارة على أقوال كثيرة ، وإذا تأمَّلت ماذكرته لك من هذه التحديدات انزاح عنك الإشكال من هذا الخلاف ، فإن منهم

---

(١) الخبر مطولاً في الأغاني (٩/ ١٣٣ ـ ١٣٦) وتاريخ دمشق جزء تراجم النساء (ص١٨٣ ـ ١٨٦) وهو ـ كما يرى الأصفهاني ـ موضوع .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .

من قال : جاوز الأربعين حين مات ، فالله أعلم . ثم حُمل بعد موته إلى دمشق ، وصلَّى عليه ابنه معاوية بن يزيد أمير المؤمنين يومئذ ، ودفن بمقابر باب الصغير .

وفي أيامه وسِّع النهر المسمَّى بيزيد في ذيل جبل قاسيون ، وكان جدولاً صغيراً فوسَّعه أضعاف ماكان يجري فيه من الماء .

وقال ابن عساكر : حدّثنا أبو الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفّر العبدي ـ قاضي البحرين ـ من لفظه وكتبه لي بخطّه قال : رأيت يزيد بن معاوية في النوم ، فقلت له : أنت قتلتَ الحسين ؟ فقال : لا . فقلت له : هل غفر الله لك ؟ قال : نعم ، وأدخلني الجنة . قلت : فالحديث الذي يروى : أن رسول الله ﷺ رأى معاوية يحمل يزيد فقال : « رجلٌ مِنْ أهلِ الجنَّةِ يحملُ رجلاً منْ أهلِ النَّار » ؟ فقال : ليس بصحيح . قال ابن عساكر : وهو كما قال ، فإن يزيد بن معاوية لم يولد في حياة النبي ﷺ وإنما ولد بعد العشرين من الهجرة .

وقال أبو جعفر بن جرير :

ذكر أولاد يزيد بن معاوية وعددهم

فمنهم : معاوية بن يزيد بن معاوية ، يكنى أبا ليلى ، وهو الذي يقول فيه الشاعر(١) :

إنِّـي أرىٰ فتنـةً قَـدْ حـانَ أوَّلُهـا ... والملكُ بعدَ أبي لَيْلىٰ لِمَنْ غَلَبا

وخالد بن يزيد ، يكنى أبا هاشم ، كان يقول : إنه أصاب علم الكيمياء ، وأبو سفيان ، وأمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وقد تزوجها بعد يزيد مروان بن الحكم ، وهي التي يقول فيها الشاعر :

اِنْعَمـي أمَّ خـالـدِ ... رُبَّ سَـاعٍ كقَـاعِـدِ

وعبد الله(٢) بن يزيد ـ ويقال له : الأُسْوار(٣) ـ كان من أرمى العرب ، وأمُّه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر . وهو الذي يقول فيه الشاعر :

زعمَ النّاسُ أنَّ خيرَ قريشٍ ... كلِّهمْ حينَ يُذكرُ الأُسْوارُ

(١) هو أزنم الفزاري ، كما سيأتي قريباً .
(٢) تحرف في المطبوع إلى : عبد العزيز . ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (١٤/ ١٣٤) .
(٣) « الأُسوار والإسوار » : هو الجيد الرمي بالسهام . وقد لقب عبد الله بذلك لجودة رميه .

وعبد الله الأصغر [وعمر][١] وأبو بكر ، وعتبة ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد ، لأمهات أولاد شتى[٢] . [ويزيد ، وحرب ، وعمر ، وعثمان . فهؤلاء خمسة عشر ذكراً . وكان له من البنات : عاتكة ، ورَمْلة ، وأم عبد الرحمن ، وأم يزيد ، وأم محمد . فهؤلاء خمس بنات . وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب ، والله سبحانه أعلم][٣] .

إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية[٤]

أبي عبد الرحمن ـ ويقال : أبو يزيد ، ويقال : أبو ليلى[٥] ـ القرشي الأموي . وأمُّه : أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة .

بويع له بعد موت أبيه ـ وكان وليّ عهده من بعده ـ في رابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين . وكان رجلاً صالحاً ناسكاً . ولم تطل مدَّته ، قيل : إنه مكث أربعين يوماً . وقيل : عشرين يوماً . وقيل: شهرين. وقيل : شهراً ونصف شهر . وقيل : ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . وقيل : أربعة أشهر. فالله أعلم.

وكان في مدة ولايته مريضاً لم يخرج إلى الناس ، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلِّي بالناس ويسد الأمور .

ثم مات معاوية بن يزيد هذا عن إحدى وعشرين ـ وقيل : ثلاث وعشرين ـ سنة وثمانية عشر يوماً ، وقيل : تسع عشرة سنة ، وقيل : عشرين ، وقيل : ثلاث وعشرين ، وقيل : إنما عاش ثماني عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة . فالله أعلم . وصلَّى عليه أخوه خالد ، وقيل : عثمان بن عَنْبسة ، وقيل : الوليد بن عتبة ، وهذا هو الصحيح ، فإنه أوصى إليه بذلك . وشهد دفنه مروان بن الحكم . وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلِّي بالناس بعده حتى استقر الأمر لمروان بالشام . ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق . ولما حضرته الوفاة قيل له : ألا توصي ؟ فقال : لا أتزود مرارتها لآخرتي ، وأترك حلاوتها لبني أمية .

---

(١) زيادة من تاريخ الطبري .

(٢) هنا ينتهي كلام ابن جرير كما في تاريخه (٥/ ٥٠٠) وأيضاً الكامل لابن الأثير (٤/ ١٢٥) .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٤) نسب قريش (١٢٨) المعارف (٣٥٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٣٥٨) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠١) مروج الذهب (٣/ ٨٢) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٩٥/ب) الكامل لابن الأثير (٤/ ١٢٩) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١١٠) تاريخ الإسلام (٣/ ٨٣) العبر (١/ ٦٩) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٩) النجوم الزاهرة (١/ ١٦٣) تاريخ الخلفاء (٣٣٤) شذرات الذهب (١/ ٢٨٧) .

(٥) في المطبوع : أبو يعلى ، تحريف .

وكان ـ رحمه الله ـ أبيض شديد البياض ، كثير الشعر ، كبير العينين ، جعد الشعر ، أقنى الأنف ، مدور الرأس ، جميل الوجه دقيقه ، حسن الجسم .

قال أبو زرعة الدمشقي : معاوية ، وعبد الرحمن ، وخالد : إخوة ، وكانوا من صالحي القوم[١] .

وقال فيه بعض الشعراء ـ وهو عبد الله بن همّام السَّلولي :

تلقّاها يزيدٌ عَنْ أَبيهِ فدُونَكَها مُعَاويَ[٢] عن يَزيدَا
أَدِيرُوها بَني حَرْبٍ عليكُمْ ولا ترمُوا بها الغَرَضَ البَعيدَا[٣]

ويروى : أن معاوية بن يزيد هذا نادى في الناس : الصلاة جامعة ، ذات يوم ، فاجتمع الناس ، فقال لهم فيما قال : يا أيها الناس ! إني قد وليتُ أمركم وأنا ضعيف عنه ، فإن أحببتم تركتها لرجل قويٍّ كما تركها الصدِّيق لعمر ، وإن شئتم تركتها شورى في ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب ، وليس فيكم من هو صالح لذلك ، وقد تركت لكم أمركم فولُّوا عليكم من يصلح لكم ، ثم نزل ودخل منزله فلم يخرج منه حتى مات رحمه الله تعالى . فيقال : إن سُقي ، ويقال : إنه طُعن .

ولما دفن حضر مروان دفنه ، فلما فرغ منه قال مروان : أتدرون من دفنتم ؟ قالوا : نعم ، معاوية بن يزيد ، فقال مروان : هو أبو ليلى الذي قال فيه أزنم[٤] الفزاري :

إنِّي أرىٰ فتنةً تَغْلي مَراجِلُها والملكُ بعدَ أَبي ليلىٰ لمَنْ غَلَبا[٥]

قالوا : فكان كما قال ، وذلك أن أبا ليلى توفي من غير عهد منه إلى أحد ، فتغلَّب على الحجاز عبد الله بن الزبير ، وعلى دمشق وأعمالها مروان بن الحكم ، وبايع أهل خراسان سَلْم بن زياد حتى يتولى على الناس خليفة ، وسار فيهم سَلْم سيرة حسنة أحبُّوه عليها ، ثم أخرجوه من بين أظهرهم . وخرج القراء والخوارج بالبصرة وعليهم نافع بن الأزرق ، وطردوا عنهم عبيد الله بن زياد بعدما كانوا بايعوه عليهم حتى يصير للنَّاس إمام ، فذهب إلى الشام بعد فصول يطول ذكرها ، وقد بايعوا بعده عبد الله بن الحارث بن نوفل المعروف بِبَبَّة ، وأمه : هند بنت أبي سفيان ، وقد جعل على شرطة البصرة هميان بن عدي

---

(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٣٥٨) .
(٢) في المطبوع : معاوية . ولا يستقيم بها الوزن .
(٣) البيتان من قصيدة لعبد الله بن همام أوردها ابن سلام الجمحي في الطبقات (٢/ ٦٢٨) . وأيضاً في نسب قريش (١٢٩) ومروج الذهب (٣/ ٦٣) ومختصر تاريخ دمشق (١٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧) و (٢٥/ ١١٠) .
(٤) تحرف في المطبوع إلى : أرثم .
(٥) الخبر والشعر أورده ابن سعد في طبقاته (٥/ ٣٩) ونقله عنه ابن عساكر ، مختصره (٤/ ٢٤٧) .

السدوسي ، فبايعه الناس في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وستين . وقد قال الفرزدق(١) في ذلك :

وبايعتُ أقواماً وفيتُ بعَهْدِهم وببَّـة قـد بـايعتُـهُ غيـرَ نـادِمِ

فأقام فيهم أربعة أشهر ثم لزم بيته ، فكتب أهلُ البصرة إلى ابن الزبير ، فكتب ابنُ الزبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلِّي بهم شهرين ، ثم كان ماسنذكره . وخرج نَجْدة بن عامر الحنفي باليمامة ، وخرج بنو ماحور في الأهواز وفارس ، وغير ذلك على ماسيأتي تفصيله .

إمارة عبد الله بن الزُّبير(٢)
وعند ابن حَزْم وطائفة أنه أمير المؤمنين آنذاك

قد قدَّمنا أنه لما مات يزيد أقلع الجيش عن مكة ، وهم الذين كانوا يحاصرون ابن الزبير ، وهو عائذ بالبيت ، فلما رجع حُصَين بن نُمَير السَّكُوني بالجيش إلى الشام استفحل أمر ابن الزبير بالحجاز وما والاها ، وبايعه الناس بعد يزيد بيعة عامة هنالك ، واستناب على أهل المدينة أخاه عُبيد الله بن الزُّبير ، وأمره بإجلاء بني أمية منها ، فأجلاهم ، فرحلوا إلى الشام ، وفيهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك .

ثم بعث أهل البصرة إلى ابن الزبير ـ بعد حروب جرت بينهم وفتن كثيرة يطول استقصاؤها ، غير أنهم في أقل من ستة أشهر أقاموا عليهم نحواً من أربعة أمراء من بينهم ثم تضطرب أمورهم ـ ثم بعثوا إلى ابن الزبير وهو بمكة يخطبونه لأنفسهم ، فكتب إلى أنس بن مالك ليصلِّي بهم .

[ويقال : إن أول من بايع ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن ، فقال الناس : هذا أمر فيه صعوبة . وبايعه عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن علي بن أبي طالب ، وبعث إلى ابن عمر وابن الحنفيّة وابن عباس ليبايعوا فأبَوا عليه . وبُويع في رجب بعد أن أقام الناس ثلاثة أشهر بلا إمام](٣) .

وبعث ابن الزبير إلى أهل الكوفة عبد الله(٤) بن يزيد الأنصاري على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن

---

(١) البيت ليس في ديوانه ، لكن نسب إليه في سفر السعادة (١/ ١١٢) والنقائض (٢/ ٢٧٢) ونسب في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٥ و ٧/ ١٠١) إلى سحيم بن وثيل اليربوعي ، وروايته فيه :

بايعت أيقاظاً فأوفيت بيعتي وببَّـة قـد بـايعتـه وهـو نـائـم

(٢) وستأتي ترجمته في أوائل الجزء اللاحق إن شاء الله تعالى .

(٣) ما بين حاصرتين من ط فقط .

(٤) في ط : عبد الرحمن . وهو خطأ .

طلحة بن عبيد الله على الخَرَاج ، واسْتوسَقَ[١] له المصران جميعاً . وأرسل إلى أهل مصر فبايعوه ، واستناب عليها عبد الرحمن بن جَحْدَر ، وأطاعت له الجزيرة وبلاد الشام سوى دمشق وأعمالها من الأردن فإنهم بايعوا لمروان بن الحكم .

ولما رجع الحُصين بن نُمير من مكة إلى الشام كان قد التفَّ على عبد الله بن الزبير جماعة من الخوارج يدافعون عنه ، منهم : نافع بن الأزرق ، وعبد الله بن إباض ، وجماعة من رؤوسهم . فلما استقرَّ أمره في الخلافة قالوا فيما بينهم : إنكم قد أخطأتم لأنكم قاتلتم مع هذا الرجل ولم تعلموا رأيه في عثمان بن عفان ـ وكانوا يبغضون عثمان ـ فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان ، فأجابهم فيه بما يَسُوءُهم ، وذكر لهم ما كان متصفاً به من الإيمان والتصديق والعدل والإحسان والسِّيرة الحسنة والرجوع إلى الحق إذا تبيَّن له . فعند ذلك نفروا عنه ، وفارقوه ، وقصدوا بلاد العراق وخراسان ، فتفرقوا فيها بأبدانهم ، وأديانهم ، ومذاهبهم ، ومسالكهم المختلفة المنتشرة التي لا تنضبط ولا تنحصر ، لأنها مفرعة على الجهل ، وقوة النفس ، والاعتقاد الفاسد . ومع هذا استحوَذوا على كثير من البلدان والكُوَر ، حتى انتُزعت منهم بعد ذلك على ماسنذكره فيما بعد إن شاء الله .

ذكر بيعة مروان بن الحكم[٢]

وكان سبب ذلك أن حُصَين بن نُمَير لما رجع من أرض الحجاز ، وارتحل عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام ، وانتقلت بنو أميَّة من المدينة إلى الشام ، اجتمعوا إلى مروان بن الحكم بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية ، وقد كان عزَم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق ، وقد بايع أهلها الضحَّاك بن قيس على أن يصلح بينهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على إمام ، والضحاك يريد أن يبايع لابن الزبير . وقد بايع لا بن الزبير النُّعمان بن بشير بحمص ، وبايع له زُفَر بن عبد الله الكِلابي بقِنَّسْرين[٣] ، وبايع له ناتل[٤] بن قيس بفلسطين وأخرج منها رَوْح بن زنباع الجُذَامي . فلم يزل عبيد الله بن زياد والحُصَين بن نُمير بمروان بن الحكم حتى ثنياه عن رأيه ، وحذراه من دخول سلطان ابن الزبير وملكه إلى الشام ، وقالا له : أنت شيخ قريش وسيِّدُها ، فأنت أحقُّ بهذا الأمر . [فرجع عن البيعة لابن الزبير . وخاف ابن زياد الهلاك إن تولَّى غير بني أمية ، فعند ذلك][٥] التفَّ هؤلاء كلُّهم مع قومه بني أمية ومع أهل اليمن على مروان ، فوافقهم على ماأرادوا ، وجعل يقول : ما فات شيء .

---

(١) « استوسق » : انضم وأطاع .
(٢) وستأتي ترجمته لاحقاً .
(٣) « قنسرين » : بلدة قريبة من حلب .
(٤) تحرف في أ ، ط إلى : نائل ، وفي ب إلى : بابل وما أثبتناه من ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٩٦) وغيره .
(٥) ما بين حاصرتين سقط من أ ، ب .

وكتب حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي إلى الضحّاك بن قيس يثنيه عن المبايعة لابن الزبير ، ويعرِّفه أيادي بني أمية عنده وإحسانهم إليه ، ويذكر فضلهم وشرفهم . وقد بايع حسان بن مالك أهل الأردن لبني أمية ، وهو يدعو إلى ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وبعث إلى الضحاك كتاباً بذلك ، وأمره أن يقرأ كتابه على أهل دمشق يوم الجمعة على المنبر ، وبعث بالكتاب مع رجل يقال له : ناغضة بن كريب الطابخي ـ وقيل : هو من بني كلب ـ وقال له : إن لم يقرأه هو على الناس فاقرأه أنت . وأعطاه نسخة به ، فسار إلى الضحاك ، فأمره بقراءة الكتاب ، فلم يقبل ، فقام ناغضة فقرأه على الناس ، فصدَّقه جماعة من أمراء الناس وكذَّبه آخرون ، وثارت فتنة عظيمة بين الناس ، فقام خالد بن يزيد بن معاوية ـ وهو شاب حدث ـ على درجتين من المنبر فسكَّن الناس ، ونزل الضحاك فصلَّى بالناس الجمعة ، وأمر الضحاك بن قيس بأولئك الذين صدقوا ناغضة أن يُسجنوا ، فثارت قبائلهم فأخرجوهم من السجن ، واضطرب أهل دمشق في ابن الزبير وبني أمية . وكان اجتماع الناس لذلك ووقوفهم بعد صلاة الجمعة بباب جَيْرون[1] ، فسمي هذا اليوم يوم جَيْرون .

قال المدائني : وقد أراد الناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يتولَّى عليهم ، فأبى ، وهلك في تلك الليالي .

ثم إن الضحاك بن قيس صعد منبر المسجد الجامع فخطبهم به ، ونال من يزيد بن معاوية ، فقام إليه شاب من بني كلب فضربه بعصا كانت معه ، والناس جلوس متقلِّدي سيوفهم ، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا في المسجد قتالاً شديداً ، فقَيْس ومن لفَّ لفيفها يدعون إلى ابن الزبير وينصرون الضحاك بن قيس ، وبنو كلب يدعون إلى بني أمية وإلى البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، ويتعصَّبون ليزيد وأهل بيته ، فنهض الضحاك بن قيس فدخل دار الإمارة وأغلق الباب ولم يخرج إلى الناس إلا يوم السبت لصلاة الفجر ، ثم أرسل إلى بني أمية فجمعهم إليه ، فدخلوا عليه وفيهم مروان بن الحكم ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية ـ قاله المدائني ـ فاعتذر إليهم مما كان منه ، واتَّفق معهم أن يركب معهم غدوة إلى حسان بن مالك الكلبي فيتَّفقوا على رجل يرتضونه من بني أمية للإمارة ، فركبوا جميعاً إليه ، فبينما هم يسيرون إلى الجابية لقصد حسان بن مالك إذ جاء معنُ بن ثور[2] بن الأَخنس في قومه قيس ، فقال له : إنك دعوتَنا إلى بيعة ابن الزبير فأجبناك ، وأنت الآن ذاهب إلى هذا الأعرابي ليستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ! فقال له الضحاك : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن نُظهِر ماكنا

---

(١) « باب جيرون » : هو الباب الشرقي من أبواب الجامع الأموي بدمشق .

(٢) تصحف في تاريخ الطبري (٥/٥٣٣) والكامل لابن الأثير (٤/١٤٧) إلى ثور بن معن . وترجمته في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/١٤٩) .

نُسِرّ ، وأن ندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها . فمال الضحاك بمن معه فرجع إلى دمشق ، فأقام بها بمن معه من قيس ومن لفَّ لفيفها ، وبعث إلى أمراء الأجناد وبايع الناس لابن الزبير ، وكتب بذلك إلى ابن الزبير يعلمه بذلك . فذكره ابن الزبير لأهل مكة وشكره على صنيعه ، وكتب إليه بنيابة الشام . وقيل : بل بايع الناس لنفسه بالخلافة . فالله أعلم أي ذلك كان .

والذي ذكره المدائني : أنه إنما دعا إلى بيعة ابن الزبير أولاً ، ثم حسَّن له عبيد الله بن زياد أن يدعو إلى نفسه ، وذلك إنما فعله مكراً منه وكباراً ليفسد عليه ما هو بصدده ، فدعا الضحاك إلى نفسه ثلاثة أيام ، فنَقَم الناس عليه ذلك وقالوا : دعوتَنا إلى بيعة رجل فبايعناه ثم خلعته من غير سبب ولا عذر ، ثم دعوتَنا إلى نفسك ؟! فرجع إلى البيعة لابن الزبير ، فسقط بذلك عند الناس ، وذلك الذي أراد ابن زياد .

وكان اجتماع عبيد الله بن زياد به بعد اجتماعه بمروان وتحسينه له أن يدعو إلى نفسه ، ثم فارق مروان ليخدع له الضحاك ، فنزل عنده بدمشق ، وجعل يركب إليه كل يوم ، ثم أشار ابن زياد على الضحاك أن يخرج من دمشق إلى الصحراء ويدعو بالجيوش إليه ليكون أمكن له ، فركب الضحاك إلى مرج راهط فنزل بمن معه من الجنود ، وعند ذلك اجتمع بنو أمية ومن اتبعهم بالأردن ، واجتمع إليهم مَنْ هنالك من قوم حسان بن مالك من بني كلب .

ولما رأى مروان بن الحكم ما انتظم من البيعة لا بن الزبير وما استوسق له من الملك عزم على الرحيل إليه لمبايعته ، وليأخذ منه أماناً لبني أميَّة ، فسار حتى بلغ أَذْرِعات ، فلقيه ابن زياد مقبلاً من العراق ، فصدَّه عن ذلك ، وهجَّن رأيه ، واجتمع إليه عمرو بن سعيد بن العاص وحُصين بن نُمير وابن زياد وأهل اليمن وخلق ، فقالوا لمروان : أنت كبير قريش ورئيسها ، وخالد بن يزيد غلام ، وعبد الله بن الزبير كهل ، فإنما يُقرع الحديد بعضه ببعض ، فلا تباره بهذا الغلام ، وارم بنحرك في نحره ، ونحن نبايعك ، ابسُط يدك ، فبسط يده ، فبايعوه بالجابية في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين . قاله الواقدي .

فلما تمهَّد له الأمر سار بمن معه نحو الضحاك بن قيس ، فالتقيا بمرج راهط ، فغلبه مروان بن الحكم وقتله وقتل من قيس مقتلة لم يُسمع بمثلها ، على ما سيأتي تفصيله في أول سنة خمس وستين ، فإن الواقدي وغيره قالوا : إنما كانت هذه الوقعة في المحرم من سنة خمس وستين . وفي رواية محمد بن سعد عن الواقدي وغيره قالوا : إنما كانت في أواخر هذه السنة . وقال الليث بن سعد والواقدي والمدائني وأبو سليمان بن يزيد وأبو عبيد وغير واحد : كانت وقعة مرج راهط للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقعة مَرْج راهِط
ومقتل الضَّحّاك بن قَيْس الفِهْري(١)

قد تقدم : أن الضحاك كان نائب دمشق لمعاوية بن أبي سفيان ، وكان يصلِّي عنه إذا اشتغل أو غاب ، ويقيم الحدود ويسد الأمور ، فلما مات معاوية قام بأعباء بيعة يزيد ابنه ، ثم لما مات يزيد بايع الناس لمعاوية بن يزيد ، فلما مات معاوية بن يزيد بايعه أهل دمشق حتى يجتمع الناس على إمام ، فلما اتسعت البيعة لابن الزبير عزم على المبايعة له ، فخطب الناس يوماً وتكلَّم في يزيد بن معاوية وذمّه ، فقامت فتنة في المسجد الجامع حتى اقتتل الناس فيه بالسيوف ، فسكن الناس ثم دخل دار الإمارة من الخضراء وأغلق عليه الباب ، ثم اتفق مع بني أمية على أن يركبوا إلى حسان بن مالك بن بَحْدل وهو بالأردن فيجتمعوا عنده على من يراه أهلاً للإمارة ، وكان حسان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد ـ ويزيد ابن ميسون ، وميسون بنت بحدل أخت حسان ـ فلما ركب الضحاك معهم انخزل(٢) بأكثر الجيش ، فرجع إلى دمشق فامتنع بها ، وبعث إلى أمراء الأجناد فبايعهم لابن الزبير ، وسار بنو أمية ومعهم مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية ، حتى اجتمعوا بحسان بن مالك بالجابية ، وليس لهم قوة طائلة بالنسبة إلى الضحاك بن قيس ، فعزم مروان بن الحكم على الرحيل إلى ابن الزبير ليبايعَه ويأخذَ أماناً منه لبني أمية ، فإنه كان قد أمر بإجلائهم عن المدينة ، فسار حتى وصل إلى أذرِعات ، فلقيه عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق ، فاجتمع به ومعه حُصين بن نُمير وعمرو بن سعيد بن العاص ، فحسَّنوا إليه أن يدعوَ لنفسه ، فإنه أحق بذلك من ابن الزبير الذي قد فارق الجماعة وخلع ثلاثة من الخلفاء ، فلم يزالوا بمروان حتى أجابهم إلى ذلك ، وقال له عبيد الله بن زياد : وأنا أذهب لك إلى الضحاك بدمشق فأخدعه لك وأخذِّل أمره ، فسار إليه ، وجعل يركب إليه كل يوم ويُظهر له الودَّ والنصيحة والمحبة ، ثم حسَّن له أن يدعو إلى نفسه ويخلع ابن الزبير ، فإنك أحق بالأمر منه لأنك لم تزل في الطاعة مشهوراً

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٠) نسب قريش (٤٤٧) طبقات خليفة (١٢٧ ، ١٨٥ ، ٣٠١) تاريخ خليفة (٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠) مسند أحمد (٣/ ٤٥٣) المحبر (٢٩٥ ، ٣٠٢) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٣٢) المعارف (٤١٢) تاريخ الطبري (الفهرس) الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٧) مروج الذهب (٣/ ٩٥ وغيرها) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٦٨) معجم الطبراني الكبير (٨/ ٢٩٦) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٢٤) جمهرة أنساب العرب (١٧٨) الاستيعاب (٢/ ٧٤٤) إكمال ابن ماكولا (٧/ ٣٨٦) تاريخ ابن عساكر (٨/ ٢٠٥/ ب) أسد الغابة (٣/ ٤٩) الكامل في التاريخ (٤/ ١٤٩) مختصر تاريخ دمشق (١١/ ١٢٩) تهذيب الكمال (١٣/ ٢٧٩) تاريخ الإسلام (٣/ ٢١) تذهيب التهذيب (٢/ ٩٨/آ) العبر (١/ ٧٠) الكاشف (٢/ ٣٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤١) تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٨٥١) إكمال مغلطاي (٢/ورقة ٢٠٠) العقد الثمين (٥/ ٤٨) نهاية السول (ورقة ١٤٩) الإصابة (٢/ ٢٠٧) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٤٨) خلاصة الخزرجي (١٧٦) شذرات الذهب (١/ ٢٨٧) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٧) .

(٢) « انخزل » : انفرد .

بالأمانة ، وابن الزبير خارج عن الناس . فدعا الضحاك الناس إلى نفسه ثلاثة أيام فلم يصمد معه ، فرجع إلى الدعوة لابن الزبير ، ولكن انحطَّ عند الناس ، ثم قال ابن زياد : إن من يطلب ما تطلب لا ينزل المدن والحصون ، وإنما ينزل الصحراء ويدعو إليه بالجنود ، فبرز الضحاك إلى مرج راهط فنزله ، وأقام ابن زياد بدمشق ، وبنو أمية بتدمر ، وخالد وعبد الله عند خالهم حسان بالجابية ، فكتب ابن زياد إلى مروان يأمره أن يظهر دعوته ، فدعا إلى نفسه ، وتزوج بأم خالد بن يزيد ـ وهي أمُّ هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ـ فعظم أمره ، وبايعه الناس ، واجتمعوا عليه ، وسار إلى مرج راهط نحو الضحاك بن قيس ، وركب إليه عبيد الله بن زياد وأخوه عبّاد بن زياد ، حتى اجتمع مع مروان ثلاثة عشر ألفاً ، وبدمشق من جهته يزيد بن أبي النِّمس[1] . وقد أخرج عامل الضحاك منها وهو يمدُّ مروان بالسلاح والرجال وغير ذلك . ويقال : كان نائبه على دمشق يومئذ عبد الرحمن ابن أم الحكم . وجعل مروان على ميمنته عبيد الله بن زياد ، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد بن العاص .

وبعث الضحاك إلى النعمان بن بشير ، فأمدَّه النعمان بأهل حمص عليهم شرحبيل بن ذي الكلاع . وركب إليه زفر بن الحارث الكلابي في أهل قنّسرين ، فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً ، على ميمنته زياد بن عمرو العقيلي ، وعلى ميسرته زكريا بن شمر الهلالي . فتصافُّوا ، وتقاتلوا بالمرج عشرين يوماً ، يلتقون بالمرج في كل يوم ، فيقتتلون قتالاً شديداً . ثم أشار عبيد الله على مروان أن يدعوهم إلى الموادعة خديعة ، فإنَّ الحربَ خُدْعة[2] ، وأنت وأصحابك على الحق وهم على الباطل ، فنُودي في الناس بذلك . ثم غدر أصحاب مروان فمالوا يقتلونهم قتلاً شديداً ، وصبر أصحاب الضحاك صبراً بليغاً ، فقُتل الضحاك بن قيس في المعركة ، قتله رجل يقال له : زحمة بن عبد الله ـ من بني كلب ، طعنه بحربة فأنفذها ولم يعرفه . وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فرَّ أولئك بين يديه ، فنادى مروان : ألا لا يتبع مُدْبر . ثم جيء برأس الضحاك ، ويقال : إن أول من بشره بقتله رَوْح بن زنباع الجُذامي .

واستقر ملك الشام بيد مروان بن الحكم . وروي أنه بكى على نفسه يوم مَرْج راهط فقال : أبعدما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك ؟!

قلت : ولم تطل مدَّتُه في الملك إلا تسعة أشهر على ما سنذكره .

وقد كان الضَّحاك بن قَيْس بن خالد الأكبر بن وَهْب بن ثعلبة بن وائلة بن عَمرو بن شَيْبان بن مُحارب

---

(١) كذا في أ ، ب وتاريخ الطبري : ووقعت في المطبوع : النمر . وقال ابن الأثير في كامله (٥/١٥٣) : يزيد بن أبي الغمس ـ بالسين المهملة ، وقيل : بالشين المعجمة ـ كان قد ارتد عن الإسلام ودخل الروم مع جبلة بن الأيهم ، ثم عاود الإسلام ، وشهد صفين مع معاوية ، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان .

(٢) قوله : فإن الحرب خدعة مقتبس من حديث صحيح .

ابن فِهْر بن مالك ـ أبو أُنيس[(١)] الفِهْري ـ أحدَ الصحابة على الصحيح . وقد سمع من النبي ﷺ وروى عنه أحاديث عدة . وروى عنه جماعة من التابعين . وهو أخو فاطمة بنت قيس ـ وكانت أكبر منه بعشر سنين . وكان أبو عبيدة بن الجرّاح عمَّه . حكاه ابن أبي حاتم[(٢)] .

وزعم بعضهم : أنه لا صحبة له .

وقال الواقدي : أدرك النبي ﷺ وسمع منه قبل البلوغ . وفي رواية عن الواقدي أنه قال : ولد الضحاك قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين .

وقد شهد فتح دمشق ، وسكنها ، وله بها دار عند حجر الذهب مما يلي نهر بردى . وكان أميراً على أهل دمشق يوم صفِّين مع معاوية ، ولما أخذ معاوية الكوفة استنابه بها في سنة أربع وخمسين . وقد روى البخاري في « التاريخ » : أن الضحاك قرأ بالناس في الكوفة سورة (ص) في الصلاة فسجد فيها ، فلم يتابعه علقمة وأصحاب ابن مسعود في السجود .

ثم استنابه معاوية عنده بدمشق فلم يزل عنده حتى مات معاوية وتولَّى ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد ، ثم صار أمره إلى ما ذكرنا .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا عفان بن مسلم ، حدّثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا علي بن زيد ، عن الحسن : أن الضحاك بن قيس كتب إلى [قيس بن][(٣)] الهيثم حين مات يزيد بن معاوية : سلام عليك ، أما بعد : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ بينَ يَدَي السّاعةِ فِتَناً كقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلم ، فِتَناً كقطع الدُّخان ، يموتُ فيها قلبُ الرجلِ كما يموتُ بدنُه ، يصبحُ الرجلُ مُؤمناً ويُمْسي كافراً ، ويُمْسي مُؤمناً ويصبحُ كافراً ، يَبيعُ أقوامٌ خلاقَهُمْ ودينَهُمْ بعَرَضٍ منَ الدُّنيا قليل » وإن يزيدَ بن معاوية قد مات وأنتم إخوانُنا وأشقاؤُنا فلا تَسْبقونا حتى نختار لأنفسِنا[(٤)] .

وقد روى ابن عساكر[(٥)] من طريق ابن قُتيبة ، عن العباس بن الفرج الرِّياشي ، عن يعقوب بن إسحاق بن تَوْبة ، عن حماد بن زيد قال : دخل الضحاك بن قيس على معاوية ، فقال معاوية منشداً له :

تطـاولـت للضَّحّـاكِ حتَّـى رددتُـهُ   إلـى حَسَـبٍ فـي قـومِـهِ متَقـاصِـر

---

(١) ويقال : أبو أمية . ويقال : أبو عبد الرحمن . ويقال : أبو سعيد .
(٢) في الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٧) .
(٣) سقط من المطبوع .
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٥٣) وابن سعد في الطبقات (٧/ ٤١٠) وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان . وهو عند ابن الأثير في أسد الغابة (٣/ ٥٠) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٢) والمرفوع منه صحيح ، دون قوله : « فتناً كقطع الدخان » .
(٥) تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٩١) .

فقال الضحاك : قد علم قومنا أنا أحلاسُ الخيل . فقال : صدقت ، أنتم أحلاسُها ونحن فرسانُها . يريد معاوية : أنتم راضَةٌ وساسَة ، ونحن الفرسان . وأرى أن أصل الكلمة من الحِلْس وهو كساء يكون تحت البَرْذعة ، أي : أنهم يلزمون ظهورها كما يلزم الحِلسُ ظهر البعير والدابَّة .

وروي أيضاً[(١)] : أن مؤذن دمشق قال للضَّحاك بن قيس : والله ـ أيها الأمير ـ إني لأحبُّك في الله . فقال له الضَّحاك : ولكني ـ والله ـ أبغضُك في الله . قال : ولمَ أصلحك الله ؟ قال : لأنَّك تتراءى في أذانك ، وتأخذُ على تعليمك أجراً .

قُتل الضَّحاك ـ رحمه الله ـ يوم مرج راهط ، وذلك للنصَف من ذي الحجَّة سنة أربع وستين . قاله الليث بن سعد ، وأبو عبيد ، والواقدي ، وابن زبر ، والمدائني .

وفيها مقتل :

النُّعْمان بن بَشِير الأَنْصاري[(٢)] : وأُمه عَمْرة بنت رواحة . كان النعمان أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة من الأنصار في جمادى الأول سنة اثنتين من الهجرة ، فأتتْ به أمُّه تحمله إلى النبي ﷺ فحنَّكَهُ وبشَّرها بأنه يعيشُ حميداً ، ويُقتلُ شهيداً ، ويدخلُ الجنَّة . فعاش في خير وسعة .

ولي نيابة الكوفة لمعاوية تسعة أشهر ، ثم سكن الشام ، وولي قضاءها بعد فَضالة بن عبيد ، وفَضالة بعد أبي الدرداء . وناب بحمص لمعاوية . وهو الذي ردَّ آل رسول الله ﷺ إلى المدينة بأمر يزيد بن معاوية في ذلك . وهو الذي أشار على يزيد بالإحسان إليهم [وقال : عامِلْهم بما كان يعاملُهم به رسول الله ﷺ لو رآهم على هذه الحالة][(٣)] فرقَّ لهم يزيد ، وأحسن إليهم وأكرمهم .

ثم لما كانت وقعة مَرْج راهط وقُتل الضحاك بن قيس ، وكان النعمان قد أمدَّه بأهل حمص [عدا عليه أهل حمص][(٣)] فقتلوه بقرية يقال لها : بِيرِين[(٤)] ، قتله رجل يقال له خالد بن خَلِيّ المازني ـ

(١) تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٩٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٣) طبقات خليفة (ت٥٩٣ ، ٩٣٠ ، ٢٨٥٣) مسند أحمد (٤/ ٢٦٧ و ٣٧٥) المحبر (٢٧٦ ، ٢٩٤ ، ٤٢١) تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٧٥) ثقات العجلي (٤٥٠) المعارف (٢٩٤) أخبار القضاة (٣/ ٢٠١) الجرح والتعديل (٨/ ٤٤٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٣٢) الأغاني (١٦/ ٢٨) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٣٠) جمهرة أنساب العرب (٣٦٤) الاستيعاب (٤/ ١٤٩٦) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥٣١) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٢٩٣/ ب) أسد الغابة (٥/ ٣٢٦) الكامل في التاريخ (٤/ ١٤٩) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ١٢٩) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٦٠) تهذيب الكمال (٢٩/ ٤١١) تاريخ الإسلام (٣/ ٨٨) العبر (١/ ٧٠) تذهيب التهذيب (٤/ ٩٧/ ب) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١١) الكاشف (٣/ ١٨١) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٤٧) الإصابة (٣/ ٥٥٩) خلاصة الخزرجي (٤٠٢) شذرات الذهب (١/ ٢٨٧) .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في ط .

(٤) « بيرين » : من قرى حمص .

وَقيل : خليّ بن داود ، وهو جد خالد بن خَلِيّ . وقد رثته ابنته حَميدة بنت النعمان فقالت :

ليتَ ابنَ مُزْنَةَ وابنَهُ كانُوا لقَتْلِكَ واقيَهْ
وبني أُميَّةَ كلَّهم لَمْ تبقَ منهمْ باقِيَهْ
جاءَ البريدُ بقَتْلِهِ يا لَلْكِلابِ العاويَهْ
يَسْتَفْتحونَ برأسِهِ دارتْ عليهمْ ثانيَهْ
فَلأَبْكينَّ مُسِرَّةً ولأَبكينَّ عَلانيَهْ
ولأَبكينَّكَ ما حَييتُ معَ السِّباعِ العاديَهْ[1]

[وقيل : إن أعشى هَمْدان[2] قدم على النعمان بن بشير وهو على حمص وهو مريض ، فقال له النعمان : ما أقدمَك ؟ قال : جئت لتصلَني وتحفظَ قرابتي ، وتقضيَ دَيْني ، فقال : والله ما عندي ، ولكني سائلُهم لك شيئاً ، ثم قام فصعد المنبر ثم قال : يا أهل حمص ! إن هذا ابن عمِّكم من العراق ، وهو مُسْترفِدُكم شيئاً ، فما ترون ؟ فقالوا : احتكم في أموالنا ، فأبىٰ عليهم ، فقالوا : قد حكمنا من أموالنا كل رجل دينارين ـ وكانوا في الديوان عشرين ألف رجل ـ فعجَّلها له النعمان من بيت المال أربعين ألف دينار ، فلما خرجت أعطياتهم أسقط من عطاء كل رجل منهم دينارين][3] .

ومن كلام النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قوله : إن الهَلكة كل الهَلكة أن تعمل السيئات في زمن البلاء .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو اليمان ، حدّثنا إسماعيل بن عياش ، عن أبي رواحة يزيد بن أيهم ، عن الهيثم بن مالك الطّائي قال : سمعت النعمان بن بشير وهو على المنبر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ للشَّيطانِ مَصَاليَ وفُخوخاً ، وإنَّ من مَصَاليه وفخوخِهِ البطَر بنِعَمِ الله ، والفخر بعَطاء الله ، والكِبْر على عباد الله ، واتِّباع الهوىٰ في غير ذاتِ الله »[4] .

---

(١) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٦٣ ـ ١٦٤) .
(٢) هو أبو المصبّح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث . شاعر مفوّه شهير .
(٣) هذا الخبر من المطبوع فقط . وتمامه كما في الأغاني (٦/ ٥٠) ومختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٦٢) أنه عندما قبضها قال يمدح النعمان :

ولم أر للحاجات عند التماسها كنعمان نعمان الندى ابن بشير
إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن كمدل إلى الأقوام حبل غرور
متى أكفر النعمان لم ألف شاكراً وما خير من لا يقتدي بشكور

(٤) أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٤٦) وابن عساكر ، مختصره (٢٦/ ١٦٢) . والمصالي ـ كما قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٥١) شبيهة بالشرَك ، واحدتها مِصْلاة . أراد ما يستفز به الناس من زينة الدنيا وشهواتها .

ومن أحاديثه الحسان ما سمعه من رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الحلالَ بيِّن ، وإنَّ الحرامَ بيِّن ، وبينَ ذلكَ أمورٌ مشتَبِهاتٌ لا يعلمُهُنَّ كثيرٌ منَ الناس ، فمَنِ اتَّقى الشُّبُهاتِ فقدِ اسْتَبْرَأ لدِينهِ وعِرْضِه ، ومَنْ وقعَ في الشُّبهاتِ وقعَ في الحرامِ كالرّاعي يَرْعىٰ حولَ الحِمىٰ يوشِكُ أنْ يرتعَ فيه ، ألَا وإنَّ لكلِّ مَلِكٍ حِمىً ، ألَا وإنَّ حِمَى اللهِ محارمُه ، ألَاَ وإنَّ في الجَسدِ مُضغةً إذا صلحتْ صلحَ لها سائرُ الجسَد ، وإذا فَسدَتْ فسَدَ لها سائر الجسَد ، ألَا وهي القَلْب » . رواه البخاري ومسلم[(١)] .

وقال أبو مُسهِر : كان النعمان بن بشير على حمص عاملاً لابن الزبير ، فلما تَمَرَّوَن أهل حمص خرج النعمان هارباً ، فاتبعه خالد بن خَلي فقتله . قال أبو عبيد وغير واحد : في هذه السنة .

وقد روى محمد بن سعد بأسانيده : أن معاوية كان قد تزوج امرأة[(٢)] جميلة جدًّا ، فبعث إحدى امرأتيه ـ مَيْسون[(٣)] أو فاختة ـ لتنظرَ إليها ، فلما رأتْها أعجبتها جدًّا ، ثم رجعتْ إليه ، فقال : كيف رأيتِها ؟ قالت : بديعة الجمال ، غير أنّي رأيتُ تحت سُرَّتها خالاً أسود ، وإني أحسب أن زوجها يُقتل ويُلقى رأسُه في حِجْرها . فطلَّقها معاوية ، وتزوجها النعمان بن بشير . فلما قُتل أُتي برأسه فأُلقي في حِجْرها سنة خمس وستين .

وقال أبو سليمان بن زَبْر[(٤)] : قتل بسَلَمْيَة[(٥)] سنة ست وستين[(٦)] . وقال غيره : سنة خمس وستين . وقيل : سنة ستين . والصحيح ما ذكرناه .

وفيها توفي :

المِسْوَر[(٧)] بنُ مَخْرَمَة بن نَوْفل[(٨)] : صحابي صغير ، أصابه حَجَر المنجنيق مع ابن الزُّبير بمكة

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٢) في الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ، ومسلم (١٥٩٩) في المساقاة : باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، وأبو داود (٣٣٣٠) والترمذي (١٢٠٥) في البيوع : باب ما جاء في ترك الشبهات ، وابن ماجه (٣٩٨٤) في الفتن : باب الوقوف عند الشبهات ، والدارمي (٢/ ٢٤٥) وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٩) .

(٢) هي نائلة بنت عمارة الكلبية .

(٣) هي ميسون بنت بحدل الكلبية . وقد تحرفت في المطبوع إلى : قيسون .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : زير . والخبر في تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (١/ ١٨١) . على أن المصنف لا ينقل منه مباشرة ، وإنما ينقل من تهذيب الكمال لشيخه المزي (٢٩/ ٤١٧) ، وليس في وفيات ابن زبر لفظة « سلمية » فقد زادها غيره .

(٥) « سلمية » : بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة . قال ياقوت في معجمه (٣/ ٢٤) وفي طريقها إلى حمص قبر النعمان بن بشير .

(٦) تحرف لفظ ستين في المطبوع إلى : خمسين .

(٧) « المِسْور » : بكسر الميم وسكون السين ، هكذا ضبطه ابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ١٧٦) وغيرُه . ووقع في المطبوع في أكثر من موضع المسوَّر وهو خطأ .

(٨) نسب قريش (٢٦٢) طبقات خليفة (ت٨١) المحبر (٦٨) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٤١٠) المعارف (٤٢٩) المعرفة =

وهو قائم يصلِّي في الحِجْر . وهو من أعيان من قُتل في حصار مكة .

[وهو[(١)] المِسْور بن مَخْرمة بن نوفل ، أبو عبد الرحمن الزُّهري . أمُّه عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوف .

له صحبة ورواية . ووفد على معاوية . وكان ممَّن يلزم عمر بن الخطاب .

وقيل : إنه كان ممن يصوم الدهر ، وإذا قدم مكة طاف لكل يوم غاب عنها سبعاً وصلَّى ركعتين .

وقيل : إنه وجد يوم القادسية إبريق ذهب مرصَّعاً بالياقوت ، فلم يدر ما هو ، فلقيه رجل من الفرس فقال له : بِعْنيه بعشرة آلاف ، فعلم أنه شيء له قيمة ، فبعث به إلى سعد بن أبي وقاص ، فنفله [سعد][(٢)] إياه ، فباعه بمئة ألف .

ولما توفي معاوية قدم مكة ، فأصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير لمّا رموا به الكعبة ، فمات بعد خمسة أيام ، وغسَّله عبد الله بن الزبير ، وحمله في جملة من حمل إلى الحَجُون[(٣)] ، وكانوا يطؤون به القتلى ويمشون به بين أهل الشام .

واحتكر المِسْور بن مخرمة طعاماً في زمن عمر بن الخطاب ، فرأى سحاباً فكرهه ، فلما أصبح عدا إلى السوق فقال : من جاءني أعطيتُه ، فقال عمر : أجُننتَ يا أبا مخرمة ؟! فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت سحاباً ، فكرهت ما فيه الناس ، فكرهت أن أربح فيه شيئاً . فقال له عمر : جزاك الله خيراً .

ولد المِسْور بمكة بعد الهجرة بسنتين .

المُنْذر بن الزُّبير بن العوَّام[(٤)] : ولد في خلافة عمر بن الخطاب . وأمُّه أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق .

= والتاريخ (١/ ٣٥٨) الاشتقاق (٩٦) الجرح والتعديل (٨/ ٢٩٧) مشاهير علماء الأمصار (ت٨٧) مستدرك الحاكم (٣/ ٥٢٣) جمهرة أنساب العرب (١٢٩) الاستيعاب (٣/ ١٣٩٩) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥١٥) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٢٥١/ أ) أسد الغابة (٥/ ١٧٥) تهذيب الأسماء واللغات (٩٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٠٥) تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٨١) تاريخ الإسلام (٣/ ٧٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٠) العبر (١/ ٧٠) الكاشف (٣/ ١٢٨) تذهيب التهذيب (٤/ ٤٠/ ب) مرآة الجنان (١/ ١٤٠) العقد الثمين (٧/ ١٩٧) تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥١) الإصابة (٣/ ٤١٩) خلاصة الخزرجي (٣٧٧) شذرات الذهب (١/ ٢٨٧) .

(١) من هنا يبدأ سقط من النسختين أ ، ب ، وينفرد المطبوع بصفحة تقريباً يمر خلالها ترجمة كل من المنذر بن الزبير ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف . وسنشير إلى هذا السقط عند نهايته .

(٢) زيادة من سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٢) يقتضيها السياق . والخبر أيضاً في تاريخ ابن عساكر مختصر (٢٤/ ٣٠٨) . وقوله : نفله ، يعني : أهداه .

(٣) الحجون : جبل بأعلى مكة ، عنده مدافن أهلها . معجم البلدان (٢/ ٢٢٥) .

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٢) نسب قريش (٢٤٤) المحبر (٧٠ ، ١٠٠) جمهرة نسب قريش (١/ ٢٣٦) وما بعدها ، =

وقد غزا المنذر القسطنطينية مع يزيد بن معاوية ، ووفد على معاوية فأجازه بمئة ألف ، وأقطعه أرضاً ، فمات معاوية قبل أن يقبض المال .

وكان المنذر بن الزبير وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حِزام يقاتلان(١) أهل الشام بالنهار ويطعمانهم بالليل .

قتل المنذر بمكة في حصارها مع أخيه . ولما مات معاوية أوصى إلى المنذر أن ينزل في قبره .

مُصْعَبُ بن عبد الرَّحمن بن عَوْف(٢) : كان شابًّا ديِّناً فاضلاً .

قُتل مصعب ـ أيضاً ـ في حصار مكّة مع ابن الزُّبير](٣) .

وفي هذه السنة ـ أعني سنة أربع وستين ـ جرت حروب كثيرة وفتن منتشرة ببلاد المشرق ، واستحوذ على بلاد خراسان رجل يقال له : عبد الله بن حازم ، وقهر عمّالها وأخرجهم منها ، وذلك بعد موت يزيد وابنه معاوية قبل أن يستقر ملك ابن الزبير على تلك النواحي ، وجرت بين عبد الله بن حازم هذا وبين عمرو بن مَرْثَد حروب يطول ذكرها وتفصيلها ، اكتفينا بذكرها إجمالاً إذ لا يتعلَّق بذكرها كبير فائدة ، وهي حروب فتنة وقتال بغاة بعضهم في بعض ، والله المستعان .

[وقال الواقدي : وفي هذه السنة بعد موت معاوية بن يزيد بايع أهل خراسان سَلْم بن زياد بن أبيه ، وأحبُّوه حتى إنهم سمَّوا باسمه ـ في تلك السنة ـ أكثر من ألف غلام مولود ، ثم نكثوا واختلفوا ، فخرج عنهم سَلْم وترك عليهم المهلَّب بن أبي صفرة](٤) .

وفيها اجتمع ملأ الشيعة على سليمان بن صُرَد بالكوفة ، وتواعدوا النُّخيلة ليأخذوا بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب ، وما زالوا في ذلك مجدِّين وعليه عازمين من بعد مقتل الحسين بكربلاء في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين ، وقد ندموا على ما كان منهم من بعثهم إليه ، فلما أتاهم خذلوه وتخلَّوا عنه

= المعارف (٢٢٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٠ ، ٥٧٥) وغيرها ، جمهرة أنساب العرب (١٢٣) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ١٠٢/ ب) الكامل في التاريخ (٤/ ١٠٢ ، ١٢٤) وغيرها ، مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٢٤٧) تاريخ الإسلام (٣/ ٨٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨١) العقد الثمين (٧/ ٢٨٠) تعجيل المنفعة (٢٦٩) .

(١) في المطبوع : يقاتلون ، خطأ . والخبر في جمهرة نسب قريش (ص٣٨٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٥٧) نسب قريش (٢٦٧) المعارف (٢٣٨) أخبار القضاة (١/ ١١٨) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٥ ، ٤٩٧ ، ٥٧٥) الجرح والتعديل (٨/ ٣٠٣) العقد الفريد (٤/ ٣٩٢) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٦١) الكامل في التاريخ (٤/ ١٢٤) وغيرها .

(٣) هنا ينتهي النقص من النسختين أ ، ب الذي أشرنا إلى ابتدائه قبل صفحة تقريباً .

(٤) انفرد المطبوع بهذه الفقرة ، ولم ترد في النسختين أ ، ب .

ولم ينصروه . [فجادت بوصل حين لا ينفع الوصل][1] . فاجتمعوا في دار سليمان بن صُرَد ـ وهو صحابي جليل . [وكان رؤوس القائمين في ذلك خمسة : سليمان بن صُرَد الصحابي][2] والمسيّب بن نَجَبَة[3] الفزاري ـ أحد كبار أصحاب علي ، وعبد الله بن سعد بن نُفيل الأزدي ، وعبد الله بن وال التيمي ، ورفاعة بن شدّاد البجلي ـ وكلهم من أصحاب علي رضي الله عنه . فاجتمعوا كلهم بعد خطب ومواعظ على تأمير سليمان بن صُرَد عليهم ، فتعاهدوا وتعاقدوا وتواعدوا النُّخيلة ، وأن يجتمع من يستجيب لهم إلى ذلك بها في سنة خمس وستين ، ثم جمعوا من أموالهم وأسلحتهم شيئاً كثيراً وأعدُّوه لذلك .

[وقام المسيّب بن نَجَبة خطيباً فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد ، فقد ابتُلينا بطول العمر وكثرة الفتن ، وقد ابتلانا الله فوجدَنا كاذبين في نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ بعد أن كتبنا إليه وراسلناه ، فأتانا طمعاً في نصرتنا إياه ، فخذلناه ، وأخلفناه ، وأتينا به إلى مَنْ قتله وقتل أولاده وذريَّته وقراباته الأخيار ، فما نصرناهم بأيدينا ، ولا خذَّلنا عنهم بألسنتنا ، ولا قوَّيناهم بأموالنا ، فالويل لنا جميعاً ويلاً متصلاً أبداً لا يفتر ولا يبيد دون أن نقتل قاتلهم والممالئين عليه ، أو نُقتل دون ذلك وتذهب أموالنا وتخرب ديارنا ، أيها الناس ! قوموا في ذلك قومة رجل واحد ، وتوبوا إلى بارئكم فاقتُلوا أنفسَكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم . . . وذكر كلاماً طويلاً . ثم كتبوا إلى جميع إخوانهم أن يجتمعوا بالنُّخيلة في السنة الآتية][4] .

وكتب سليمان بن صُرَد إلى سعد بن حُذيفة بن اليمان وهو أمير على المدائن يدعوه إلى ذلك ، فاستجاب له ، ودعا إليه سعد من أطاعه من أهل المدائن ، فبادروا إليه بالاستجابة والقبول ، وتمالؤوا عليه ، وتواعدوا النُّخيلة في التاريخ المذكور . وكتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن صُرَد بذلك ، ففرح أهل الكوفة بموافقة أهل المدائن لهم على ذلك ، وتنشَّطوا لأمرهم الذي تمالؤوا عليه . فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد بعد قليل طمعوا في الأمر ، واعتقدوا أن أهل الشام قد ضعفوا ولم يبق من يقيم لهم أمراً ، فاستشاروا سليمان في الظهور وأن يخرجوا إلى النُّخيلة قبل الأجل ، فنهاهم عن ذلك وقال : لا ، حتى يأتي الأجل الذي واعدوا إخوانهم فيه ، ثم هم في الباطن يعدون السلاح والقوة ولا يشعر بهم جمهور الناس ، وحينئذ عَمَد جمهور أهل الكوفة إلى عمرو بن حُريث ـ نائب عبيد الله بن زياد على الكوفة ـ فأخرجوه من القصر ، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الملقب : دُحْرُوجة ، فبايع

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ ، ب .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٣) كذا قيده ابن ماكولا وغيره . ووقع في أ ، ط في مواضع كثيرة : نجية ، وهو تحريف .
(٤) انفرد المطبوع بهذه الفقرة ولم ترد في النسختين أ ، ب .

لعبد الله بن الزبير ، فهو يسد الأمور حتى تأتي نواب ابن الزبير . فلما كان يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من هذه السنة ـ أعني سنة أربع وستين ـ قدم أميران إلى الكوفة من جهة ابن الزبير ، أحدهما عبد الله بن يزيد الخَطْمي على الحرب والثغر ، والآخر إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي على الخَراج والأموال . وقد كان قدم قبلهما بجمعة واحدة للنصف من هذا الشهر المختار بن أبي عبيد ـ وهو المختار الثقفي الكذاب ـ فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صُرَد وعظَّموه تعظيماً زائداً ، وهم معدُّون للحرب . فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا ـ في الباطن ـ إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب ـ وهو محمد بن الحنفيَّة ، ولقبه المهدي ـ فاتَّبعه على ذلك كثير من الشيعة ، وفارقوا سليمان بن صُرَد ، وصارت الشيعة فرقتين : الجمهور منهم مع سليمان بن صُرَد يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين ، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفيَّة ، وذلك عن غير أمر ابن الحنفيَّة ورضاه ، وإنما يتقوَّلون عليه ليروِّجوا على الناس به ، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة .

وجاءت العين الصافية إلى عبد الله بن يزيد الخَطْمي ـ نائب ابن الزبير ـ بما تمالأ عليه فرقتا الشيعة على اختلافهما من الخروج على الناس والدعوة إلى ما يريدون ، وأشار عليه من أشار بأن يبادر إليهم ، ويحتاط عليهم ، ويبعث الشُّرط والمقاتلة فيقمعهم عمّا هم مجمعون عليه من إرادة الشر والفتنة . فقام خطيباً في الناس ، وذكر في خطبته ما بلغه عن هؤلاء القوم ، وما أجمعوا عليه من الأمر ، وأن منهم من يريد الأخذ بثأر الحسين ، ولقد علموا أنني لست ممن قتله ، وأني والله لممن أصيب بقتله وكره قتله ، فرحمه الله ولعن قاتله ، وإني لا أتعرَّض لأحد قبل أن يبدأني بالشر ، وإن كان هؤلاء يريدون الأخذ بثأر الحسين فليعمِدوا إلى ابن زياد ، فإنه هو الذي قتل الحسين وخيار أهله ، فليأخذوا منه بالثأر ، ولا يخرجوا بسلاحهم على أهل بلدهم فيكون فيه حتفهم واستئصالهم .

فقام إبراهيم بن محمد بن طلحة الأمير الآخر فقال : أيها الناس ! لا يغرنَّكم من أنفسكم كلام هذا المداهن ، إنا ـ والله ـ قد استيقنّا من أنفسنا أن قوماً يريدون الخروج علينا ، ولنأخذنَّ الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، والحميم بالحميم ، والعريف بما في عرافته ، حتى يدينوا للحق ويذلُّوا للطاعة .

فوثب إليه المسيّب بن نَجَبة الفزاري ، فقطع عليه كلامه فقال : يا بن الناكثين أتهدِّدنا بسيفك وغَشْمك[1] ؟ أنت والله أذلُّ من ذلك ، إنّا والله لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدَّك ، وإنا لنرجو أن نلحقك بهما قبل أن تخرج من هذا القصر .

وساعد المسيّب بن نَجَبة من أصحاب إبراهيم بن محمد بن طلحة جماعة من العمال ، وجرَت فتنة

---

(١) « الغشم » : الظلم .

وشرٌّ كبير في المسجد ، فنزل عبد الله بن يزيد الخَطْمي عن المنبر ، وحاولوا أن يوقعوا بين الأميرين فلم يتفق لهم ذلك ، ثم ظهرت الشيعة أصحاب سليمان بن صُرَد بالسلاح ، وأظهروا ما كان في أنفسهم من الخروج على الناس ، وركبوا مع سليمان بن صُرَد فقصدوا نحو الجزيرة ، وكان من أمرهم ما سنذكره .

وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب فإنه قد كان بغيضاً إلى الشيعة من يوم طعن الحسين وهو ذاهب إلى الشام بأهل العراق ، فلجأ إلى المدائن ، فأشار المختار على عمِّه ـ وهو نائب المدائن ـ بأن يقبض على الحسين ويبعثه إلى معاوية فيتخذ بذلك عنده اليد البيضاء ، فامتنع عمُّ المختار من ذلك ، فأبغضته الشيعة بسبب ذلك ، فلمّا كان من أمر مسلم بن عَقيل ما كان وقتله ابن زياد كان المختار يومئذ بالكوفة ، فبلغ ابن زياد أنه يقول : لأقومنَّ بنصرة مسلم ولآخذنَّ بثأره ، فأحضره بين يديه ، وضرب عينه بقضيب كان بيده فشتَرها ، وأمر بسجنه ، فلمّا بلغ أختَه سجنُه بكت وجزعت عليه ، وكانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع عنده في إخراج المختار من السجن ، فبعث يزيد إلى ابن زياد : أن ساعة وقوفك على هذا الكتاب تخرج المختار بن أبي عبيد من السجن ، فلم يمكن ابن زياد غير ذلك ، فأخرجه وقال له : إن وجدتك بعد ثلاثة أيام بالكوفة ضربت عنقك . فخرج المختار إلى الحجاز وهو يقول : والله لأقطعنَّ أنامل عبيد الله بن زياد ، ولأقتلنَّ بالحسين ابن علي على عدد من قُتل بدم يحيى بن زكريا . فلمّا استفحل أمر عبد الله بن الزبير بمكة بايعه المختار بن أبي عبيد ، وكان من كبار الأمراء عنده ، ولمّا حاصره الحُصين بن نُمير مع أهل الشام قاتل المختار دون ابن الزبير أشدَّ القتال ، فلمّا بلغه موت يزيد بن معاوية واضطراب أهل العراق نَقَم على ابن الزبير في بعض الأمر ، وخرج من الحجاز ، وقصد الكوفة فدخلها في يوم الجمعة والناس يتهيؤون للصلاة ، فجعل لا يمرُّ بملأٍ من الناس إلا سلَّم وقال : أبشِروا بالنصر والظفر بالأعداء . ودخل المسجد فصلَّى إلى سارية هنالك حتى أقيمت الصلاة ، ثم صلَّى من بعد الصلاة حتى صلِّيت العصر ، ثم انصرف ، فسلَّم عليه الناس وأقبلوا إليه وعليه وعظَّموه ، وجعل يدعو إلى إمامة المهدي محمد بن الحنفيَّة ، ويظهر الانتصار لأهل البيت ، وأنه ما جاء إلا بصدد أن يقيم شعارهم ، ويظهر منارهم ، ويستوفي ثأرهم ، ويقول للناس الذين اجتمعوا على سليمان بن صُرَد من الشيعة ـ وقد خشي أن يبادروا إلى الخروج مع سليمان ـ فجعل يخذِّلهم ويستميلهم إليه ويقول لهم : إني قد جئتكم من قِبَل وليِّ الأمر ، ومعدن الفضل ، ووصي الرضي ، والإمام المهدي بأمر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام النَّعماء ، وأن سليمان بن صُرَد ـ يرحمنا الله وإياه ـ إنما هو غشمة من الغشم ، وشَنٌّ[1] بالٍ ، ليس بذي تجربة للأمور ، ولا له علم بالحروب ، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم ، وإني إنما أعمل على مَثل مُثِّل لي ، وأمر قد بُيِّن

(١) « الشن » : القِربة .

لي ، فيه عزُّ وليكم ، وقتلُ عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا مني وأطيعوا أمري ، ثم أبشِروا وتباشروا فإني لكم بكل ما تأمُلون وتحبُّون كفيل . فالتفَّ عليه خلق كثير من الشيعة ، ولكن الجمهور منهم مع سليمان بن صُرَد ، فلمّا خرجوا مع سليمان إلى النُّخيلة قال عمر بن سعد بن أبي وقاص وشَبث بن رِبْعي وغيرهما لعبد الله بن زياد نائب الكوفة : إن المختار بن أبي عبيد أشدُّ عليكم من سليمان بن صُرَد . فبعث إلى الشُّرط ، فأحاطوا بداره ، فأُخذ فذُهب به إلى السجن مقيَّداً ـ وقيل : بغير قيد ـ فأقام به مدة ، ومرض فيه .

قال أبو مخنف : فحدّثني يحيى بن أبي عيسى أنه قال : دخلتُ إليه مع حميد بن مسلم الأزدي نعوده ونتعاهده ، فسمعته يقول : أما وربِّ البحار ، والنخيل والأشجار ، والمَهامِهِ[1] والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصلِّين الأخيار ، لأقتلنَّ كل جبّار بكل لَدْن[2] خطّار ، ومهند بتّار ، في جموع من الأنصار ، ليسوا بمِيل أَغْمار[3] ، ولا بعُزْل أشرار ، حتى إذا أقمتُ عمود الدِّين ، ورأبتُ صدع المسلمين ، وشفيتُ غليل صدور المؤمنين ، وأدركتُ ثأر أولاد النبيِّين ، لم أبكِ على زوال الدنيا ، ولم أَحفِل بالموت إذا دنا .

قال : وكان كلما أتيناه وهو في السجن يردِّد علينا هذا القول حتى خرج .

ذكر هَدْم الكعبة وبنائها في أيَّام ابن الزُّبير

قال ابن جرير : وفي هذه السنة هدَم ابن الزبير الكعبة ، وذلك لأنه مال جدارها مما رُميت به من حجارة المنجنيق ، فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم ، وكان الناس يطوفون ويصلُّون من وراء ذلك ، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سَرَقة من حرير ، وادُّخر ما كان في الكعبة من حلي وثياب وطيب عند الخُزّان[4] حتى أعاد ابن الزبير بناءها[5] على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنيها عليه من الشكل . وذلك كما ثبت في « الصحيحين » وغيرهما من المسانيد والسنن من طرق عن عائشة أمِّ المؤمنين : أن رسول الله ﷺ قال : « لولا حِدْثانُ قومِكِ بكُفرٍ لنقضتُ الكعبةَ ولأَدخلتُ فيها الحِجْر ، فإنَّ قومَكِ قصرتْ بهم النَّفقة ، ولجعلْتُ لها باباً شرقيّاً وباباً غربيّاً يدخلُ الناسُ من أحدِهما ويخرجونَ من الآخر ، ولأَلصَقْتُ بابَها بالأرض فإنَّ قومَكِ رفعُوا بابَها ليُدْخِلُوا مَنْ شاؤُوا ويَمْنَعُوا مَنْ شاؤُوا »[6] .

---

(١) « المهامه » : جمع مهمهة ، وهي المفازة البعيدة .
(٢) « اللدن » : الرمح . وفي اللسان : رمح خطار : ذو اهتزاز شديد .
(٣) « الميل » : جمع أميل ، وهو الجبان . « والأغمار » : جمع غُمْر ، وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور .
(٤) « الخُزان » : الحجبة في خزانة البيت .
(٥) هنا ينتهي كلام ابن جرير . تاريخه (٥/ ٥٨٢) .
(٦) أخرجه البخاري (١٥٨٤) في الحج : باب فضل مكة وبنيانها ، ومسلم (١٣٣٣) في الحج : باب نقض الكعبة=

فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرَتْه به خالته عائشة أمُّ المؤمنين عن رسول الله ﷺ فجزاه الله خيراً . ثم لما غلبه الحجاج بن يوسف في سنة ثلاث وسبعين ـ كما سيأتي ـ هدم الحائط الشمالي وأخرج الحِجْرَ كما كان أولًا ، وأدخل الحجارة التي هدمها في جوف الكعبة فرصَّها فيها ، فارتفع الباب ، وسدَّ[١] الغربي ، وتلك آثاره إلى الآن ، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان له في ذلك ، ولم يكن بلغه الحديث ، فلما بلغه الحديث قال : وددنا أنا تركناه وما تولّى من ذلك .

وقد همَّ المهدي ابن المنصور أن يعيدها على ما بناها ابن الزبير ، واستشار الإمام مالك بن أنس في ذلك ، فقال : إني أكره أن يتخذها الخلفاء لعبة ـ يعني : يتلاعبون في بنائها بحسب آرائهم ـ فهذا يرى رأي ابن الزبير ، وهذا يرى رأي عبد الملك بن مروان ، وهذا يرى رأياً آخر . والله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير . وكان عامله على المدينة أخوه عبيدة[٢] ، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخَطْمي ، وعلى قضائها سعيد بن نِمْران[٣] ، وامتنع شُريح أن يحكم في زمن الفتنة ، وعلى البصرة عمر [بن عبيد الله][٤] بن معمر التيمي ، وعلى قضائها هشام بن هُبيرة ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .

وكان في أواخر هذه السنة وقعة مرج راهط كما قدَّمنا . وقد استقر ملك الشام لمروان بن الحكم ، وذلك بعد ظفره بالضحاك بن قيس وقتله له في الوقعة .

وقيل : إن فيها دخل مروان الديار المصرية ، وأخذها من نائبها الذي من جهة ابن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جَحْدم[٥] ، واستقرت يد مروان على الشام ومصر وأعمالها ، والله أعلم .

[وقال الواقدي : لما أراد ابنُ الزبير هدم البيت شاور الناسَ في هدمها ، فأشار عليه جابر بن عبد الله ، وعبيد الله بن عُمير بذلك ، وقال ابن عباس : أخشى أن يأتيَ بعدك من يهدمها ، فلا تزال تُهدم حتى يتهاون الناس بحُرْمتها ، ولكن أرى أن تصلح ما وهىٰ منها (وتدع بيتاً أسلم الناسُ عليه ، وأحجاراً بُعث رسول الله ﷺ عليها . فقال ابن الزبير : لو احترق بيت أحدكم ما رضي حتى يجدِّده ، فكيف ببيت

= وبنائها ، ومالك في الموطأ (١/ ٣٦٣ ، ٣٦٤) في الحج : باب ما جاء في بناء الكعبة ، والنسائي : (٥/ ٢١٤ ـ ٢١٦) في الحج : باب بناء الكعبة ، والترمذي (٨٧٥) في الحج : باب ما جاء في كسر الكعبة .

(١) تحرفت في المطبوع إلى : وسه .

(٢) كذا في ب ، م ومثله في تاريخ الطبري . ووقع في أ ، ط : عبيد الله .

(٣) في الأصول : سعيد بن المرزبان خطأ ، والمثبت من تاريخ الطبري . وأيضاً من أخبار القضاة لوكيع (٢/ ٣٩٧) .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع ، ووقع في أ ، ب : بن عبد الله .

(٥) كذا وردت في أ ، ب وتاريخ الطبري وابن الأثير . ووقعت في المطبوع : جحدر .

ربكم)[١] ! ثم إن ابن الزبير استخار الله ثلاثة أيام ، ثم غدا في اليوم الرابع ، فبدأ بنقض الرُّكن من الأساس ، فلما وصلوا إلى الأساس وجدوا أصلاً بالحِجْر مشبَّكاً كأصابع اليد ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً فأمرهم أن يحفروا ، فلما ضربوا المعاول في تلك الأحجار المشبَّكة ارتجَّت مكة ، فتركه على حاله ، ثم أسّس عليه البناء ، وجعل للكعبة بابين موضوعين بالأرض : باب يُدخل منه ، وباب يُخرج منه ، ووضع الحَجَر الأسود بيده ، وشدَّه بفضة لأنه كان قد تصدَّع ، وزاد في وسع الكعبة عشرة أذرع ، ولطَّخ جدرانها بالمسك وسترها بالديباج ، ثم اعتمر من مسجد عائشة ، وطاف بالبيت وصلَّى وسعى ، وأزال ما حول الكعبة من الزّبالة وما كان حولها من الدماء . وكانت الكعبة قد وَهَتْ من أعلاها إلى أسفلها من حجارة المنجنيق ، واسودَّ الركن ، وانصدع الحجرُ الأسود من النار التي كانت حول الكعبة . وكان سبب تجديد ابن الزبير لها ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة المتقدم ذكره ، والله أعلم][٢] .

ثم دخلت سنة خمس وستين

فيها اجتمع إلى سليمان بن صُرَد نحو من سبعة عشر ألفاً ، كلُّهم يطلبون الأخذ بثأر الحسين ممن قتله .

[قال الواقدي : لما خرج الناس إلى النُّخيلة كانوا قليلاً ، فلم تعجب سليمان قلَّتهم ، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى في الكوفة بأعلى صوته : يا ثارات الحسين ، فلم يزل ينادي حتى بلغ المسجد الأعظم ، فسمع الناس ، فخرجوا إلى النُّخيلة ، وخرج أشراف الكوفة فكانوا قريباً من عشرين ألفاً أو يزيدون ـ في ديوان سليمان بن صُرَد ـ فلما عزم على المسير بهم لم يصف معه منهم سوى أربعة آلاف ، فقال المسيّب بن نَجَبة لسليمان : إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجَتْه النية وباع نفسه لله عز وجل ، فلا تنتظرن أحداً ، وامضِ لأمرك في جهاد عدوك ، واستعن بالله عليهم . فقام سليمان في أصحابه وقال : يا أيها الناس ! من كان خرج لوجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ومن كان خروجه معنا للدنيا فليس منا ولا يصحبنا . فقال الباقون معه : ما للدنيا خرجنا ، ولا لها طلبنا . فقيل له : أنسير إلى قتلة الحسين بالشام وقتلتُه عندنا بالكوفة كلهم مثل عمر بن سعد وغيره ؟! فقال سليمان : إن ابن زياد هو الذي جهَّز الجيش إليه وفعل به ما فعل ، فإذا فرغنا منه عدنا إلى أعدائه بالكوفة ، ولو قاتلتموهم أولاً ـ وهم أهل مصركم ـ ما عدم الرجل منكم أن يرى رجلاً قد قتل أباه ، قد قتل أخاه أو حميمَه ، فيقع التخاذل ، فإذا فرغتم من الفاسق ابن زياد حصل لكم المراد . فقالوا : صدقت .

---

(١) ما بين هذين القوسين ليس في المطبوع ، وهو من أ فقط .
(٢) هذه الفقرة برمتها سقطت من النسخة ب .

فنادى فيهم : سيروا على اسم الله تعالى ، فساروا عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول][١] .

وقال في خطبته : من كان خرج منكم للدنيا ذهبها وزَبَرْجدها فليس معنا مما يطلب شيء ، وإنما معنا سيوف على عواتقنا ، ورماح في أكفنا ، وزاد يكفينا حتى نلقى عدوَّنا . فأجابوه إلى السمع والطاعة والحالة هذه . وقال لهم : عليكم بابن زياد الفاسق أولاً فليس له إلا السيف وها هو قد أقبل من الشام قاصداً العراق . فصمّم الناس معه على هذا الرأي .

فلما أزمعوا على ذلك بعث عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد ـ أمراء الكوفة من جهة ابن الزبير ـ إلى سليمان بن صُرَد يقولان له : إنا نحب أن تكون أيدينا واحدة على ابن زياد ، وأنهم يريدون أن يبعثوا معهم جيشاً ليقوِّيهم على ما هم قد قصدوا له ، وبعثوا إليه البريد أن ينتظرهم حتى يقدموا عليه . فتهيأ سليمان بن صُرَد لقدومهم عليه في رؤوس الأمراء ، وجلس في أبهته والجيوشُ محدقة به ، وأقبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم [بن محمد][٢] بن طلحة في أشراف أهل الكوفة من غير قتلة الحسين لئلا يطمعوا فيهم ـ وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص في هذه الأيام كلِّها لا يبيت إلا في قصر الإمارة عند عبد الله بن يزيد خوفاً على نفسه ـ فلما اجتمع الأميران عند سليمان بن صُرَد قالا له وأشارا عليه : ألا يذهبوا حتى تكون أيديهم واحدة على قتال ابن زياد ، ويجهِّزوا معهم جيشاً ، فإن أهل الشام جمع كثير وجمٌّ غفير وهم يحاجفون عن ابن زياد ، فامتنع سليمان من قبول قولهما وقال : إنا قد خرجنا لأمر فلا نرجع عنه ولا نتأخر فيه . فانصرف الأميران راجعين إلى الكوفة .

وانتظر سليمان بن صُرَد وأصحابه أصحابَهم الذين كانوا قد واعدوهم من أهل البصرة وأهل المدائن ، فلم يقدموا عليهم ولا واحد منهم ، فقام سليمان في أصحابه خطيباً وحرَّضهم على الذهاب لما خرجوا له ، وقال : لو قد سمع إخوانكم بخروجكم للحقوكم سراعاً . فخرج سليمان وأصحابه من النُّخيلة يوم الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول سنة خمس وستين ، فسار بهم مراحل ما يتقدمون مرحلة إلى نحو الشام إلا تخلَّف عنه طائفة من الناس الذين معه ، فلما مرُّوا بقبر الحسين صاحوا صيحة رجل واحد ، وتباكوا ، وباتوا عنده ليلة يصلُّون ويدعون ، وظلوا يوماً يترحمون عليه ، ويستغفرون له ، ويترضون عنه ، ويتمنون أن لو كانوا ماتوا معه شهداء .

قلت : لو كان هذا العزم والاجتماع قبل وصول الحسين إلى تلك المنزلة لكان أنفعَ له وأنصر من اجتماع سليمانَ وأصحابِه لنصرته بعد أربع سنين .

---

(١) هذه الفقرة من المطبوع فقط . وقد ورد بدلاً عنها في النسختين آ ، ب ما نصه : وقد خطبهم سليمان بن صرد حين خرجوا من الكوفة في ربيع الأول من هذه السنة بالنخيلة ، فحرضهم على الجهاد في ذلك .

(٢) سقط من المطبوع .

ولما أرادوا الانصراف جعل لا يَرِيم[١] أحد منهم حتى يأتي القبر فيترحم عليه ويستغفر له ، حتى جعلوا يزدحمون أشدَّ من ازدحامهم عند الحجر الأسود .

ثم ساروا قاصدين الشام ، فلما اجتازوا بقَرْقِيسِيا[٢] تحصَّن منهم زفر بن الحارث ، فبعث إليه سليمان بن صُرَد : إنا لم نأت لقتالكم ، فأخرج إلينا سوقاً ، فإنا إنما نقيم عندكم يوماً أو بعض يوم ، فأمر زفر بن الحارث أن يخرج السوق إليهم ، وأمر للرسول إليه ـ وهو المسيّب بن نَجَبة ـ بفرس وألف درهم . فقال : أما المال فلا ، وأما الفرس فنعم ، وبعث زفر بن الحارث إلى سليمان بن صُرَد ورؤوس الأمراء الذين معه إلى كل واحد عشرين جزوراً وطعاماً وعلفاً كثيراً ، ثم خرج زفر بن الحارث فشيَّعهم وسار مع سليمان بن صُرَد وقال له : إنه قد بلغني أن أهل الشام قد جهزوا جيشاً كثيفاً وعدداً كثيراً مع حُصين بن نُمير ، وشرحبيل بن ذي الكلاع ، وأدهم بن محرز الباهلي ، وربيعة بن المخارق الغَنَوي ، وجبلة بن عبد الله الخثعمي . فقال سليمان بن صُرَد : على الله توكلنا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

ثم عرض عليهم زفر أن يدخلوا مدينته أو يكونوا عند بابها ، فإن جاءهم أحد كان معهم عليه . فأبوا أن يقبلوا وقالوا : قد عرض علينا أهل بلدنا مثل ذلك فامتنعنا . قال : فإذا أبيتم ذلك فبادروهم إلى عين الوردة ، فيكون الماء والمدينة والأسواق والسباق خلف ظهوركم ، وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه . ثم أشار عليهم بما يعتمدونه في حال القتال [فقال : ولا تقاتلوهم في فضاء فإنهم أكثر منكم عدداً فيحيطون بكم ، فإني لا أرى معكم رجالًا والقومُ ذوو رجال وفرسان ، ومعهم كراديس فاحذروهم][٣] . فأثنى عليه سليمان بن صُرَد والناسُ خيراً . ثم رجع عنهم .

وسار سليمان بن صُرَد ، فبدر إلى عين الوردة ، فنزل غربيها ، وأقام هنالك [خمساً] قبل وصول أعدائه إليه ، واستراح سليمان وأصحابه واطمأنوا .

وقعة عين وَرْدة

فلما اقترب قدوم أهل الشام إليهم خطب سليمان أصحابَه ، فرغَّبهم في الآخرة ، وزهَّدهم في الدنيا ، وحثَّهم على الجهاد ، وقال : إن قُتلت فالأمير عليكم : المسيّب بن نَجَبة ، فإن قُتل فعبد الله بن سعد بن نفيل ، فإن قُتل فعبد الله بن وال ، فإن قُتل فرفاعة بن شداد ، ثم بعث بين يديه المسيب بن نَجَبة في

---

(١) « لا يريم » : لا يبرح .
(٢) « قرقيسيا » : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك ، وعندها مصب الخابور في الفرات .
(٣) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط .

أربعمئة[١] فارس ، فأغاروا على جيش شرحبيل بن ذي الكلاع وهم غارُّون[٢] ، فقتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين ، واستاقوا نعماً . وأتى الخبر إلى عبيد الله بن زياد ، فأرسل بين يديه الحصين بن نُمير ، فصبَّح سليمان بن صُرَد وجيشه ، فتواقفوا في يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى ، وحُصين بن نُمير قائم في اثني عشر ألفاً ، وقد تهيأ كل من الفريقين لصاحبه ، فدعا الشاميون أصحاب سليمان إلى الدخول في طاعة مروان بن الحكم ، ودعا أصحاب سليمان الشاميين إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلوه عن الحسين . وامتنع كل من الفريقين أن يجيب إلى ما طُلب منه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً عامة يومهم إلى الليل ، وكانت الدائرة فيه للعراقيين . فلما أصبحوا أصبح ابن ذي الكلاع وقد وصل إلى الشاميين في ثمانية آلاف[٣] فارس ، وقد أنَّبه وشتمه ابن زياد ، فاقتتل الناس في هذا اليوم قتالاً لم يَرَ الشيب والمرد مثله قط ، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل ، فلما أصبح الناس في اليوم الثالث وصل إلى الشاميين أدهم بن محرز في عشرة آلاف ـ وذلك في يوم الجمعة ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى حين ارتفاع الضحى ، ثم استدار أهل الشام بأهل العراق وأحاطوا بهم من كل جانب ، فخطب سليمان بن صُرَد الناس وحرَّضهم على الجهاد ، فاقتتل الناس قتالاً عظيماً جدًّا ، ثم ترجَّل سليمان بن صُرَد [وكسر جفن سيفه ونادى : يا عباد الله ! من أراد الرواح إلى الجنة والتوبةَ من ذنبه والوفاءَ بعهده فليأت إلي . فترجَّل معه ناس كثيرون ، وكسروا جفون سيوفهم ، وحملوا حتى صاروا في وسط القوم ، وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة حتى خاضوا في الدماء ، وقُتل سليمان بن صُرَد أمير العراقيين][٤] رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ، ثم وثب ثم وقع ، ثم وثب ثم وقع وهو يقول : فزت وربِّ الكعبة . فأخذ الراية المسيّب بن نَجَبة ، فقاتل بها قتالاً شديداً وهو يقول :

قـد عَلِمَـتْ ميّـالـةُ الـذَّوائـبِ ... واضِحـةُ اللَّبّـاتِ والتَّـرائـبِ
أنِّـي غـداةَ الـرَّوع والتغـالُـبِ ... أشجَعُ مِنْ ذي لبدةٍ[٥] مُواثبِ
قَصَّاع[٦] أقرانٍ مَخُوفُ الجانبِ[٧]

ثم قاتل قتالاً شديداً ، فقضى ابن نَجَبة نحبه ، ولحق في ذلك الموقف صحبه رحمهم الله . فأخذ

---

(١) مثله في تاريخ الطبري (٥/ ٥٩٦) ، ووقع في المطبوع : خمسمئة .
(٢) « غارّون » : غافلون . وقد تحرفت في المطبوع إلى : عارون .
(٣) مثله في تاريخ الطبري (٥/ ٥٩٨) ، ووقع في المطبوع : ثمانية عشر ألف . وهو خطأ .
(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب .
(٥) « ذو اللبدة » : الأسد .
(٦) في اللسان : قصعت الرجل قصعاً : صغرته وحقرته .
(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٠) ومروج الذهب (٣/ ١٠٢) .

الراية عبد الله بن سعد بن نفيل ، فقاتل قتالاً شديداً أيضاً [وهو يقول : رحم الله إخوتي ، منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر ، وما بدّلوا تبديلا][١] . وحمل حينئذ ربيعة بن المخارق على أهل العراق حملة منكرة ، وتبارز هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ، ثم اتحدا ، فحمل ابن أخي ربيعة على عبد الله بن سعد فقتله ، ثم احتمل عمه ، فأخذ الراية عبد الله بن وال ، فحرَّض الناس على الجهاد وجعل يقول : الرواح إلى الجنة ـ وذلك بعد العصر ـ وحمل بالناس ففرّق من كان حوله ، ثم قُتل ـ وكان من الفقهاء المفتين ـ قتله أدهم بن محرز الباهلي أمير حرب الشاميين ساعتئذ، فأخذ الراية رفاعة بن شدّاد ، فانحاز بالناس وقد دخل الظلام ، ورجع الشاميون إلى رحالهم، وانشمر رفاعة بمن بقي معه راجعاً إلى بلاده ، فلما أصبح الشاميون إذا العراقيون قد كرُّوا راجعين إلى بلادهم، فلم يبعثوا وراءهم طلباً ولا أحداً [فقطع رفاعة بمن معه الخابور، ومرَّ على قَرْقيسيا، فبعث إليهم زفر بن الحارث الطعام والعلف والأطباء، فأقاموا ثلاثاً حتى استراحوا ، ثم ارتحلوا][٢] فلما وصلوا إلى هِيْت إذا سعد بن حذيفة بن اليمان قد أقبل بمن أطاعه من أهل المدائن قاصدين إلى نصرتهم ، فلما أخبروه بما كان من أمرهم وما حل بهم ، ونَعْوا إليه أصحابهم ترحموا عليهم ، واستغفروا لهم ، وتباكوا على إخوانهم ، وانصرف أهل المدائن إليها، ورجع راجعة أهل الكوفة إليها وقد قتل منهم خلق كثير وجمٌّ غفير، وإذا المختار بن أبي عبيد كما هو في السجن لم يخرج منه بعد، فكتب إلى رفاعة بن شداد يعزِّيه فيمن قُتل منهم، ويترحم عليهم ، ويغبطهم بما نالوا من الشهادة وجزيل الثواب [ويقول : مرحباً بالذين أعظم الله أجورهم ورضي عنهم ، والله ما خطا منهم أحد خطوة إلا كان ثواب الله له فيها أعظم من الدنيا وما فيها ، وإن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه في أرواح النبيين والشهداء والصالحين ، وبعد : فأنا الأمير المأمون ، قاتل الجبّارين والمفسدين إن شاء الله ، فأعِدُّوا واستعدُّوا وأبشروا ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدماء أهل البيت. . . وذكر كلاماً كثيراً في هذا المعنى][٣] . وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن رَئِيِّهِ[٤] الذي كان يأتي إليه من الشياطين ، فإنه قد كان يأتي إليه شيطان ، فيوحي إليه قريباً مما كان يوحي شيطان مسيلمة إلى مسيلمة .

وكان جيش سليمان بن صُرَد وأصحابه يسمى بجيش التوّابين رحمهم الله .

وقد كان سليمان بن صُرَد [الخزاعي ـ أبو مطرِّف ـ الكوفي][٥] صحابيًّا جليلاً نبيلاً عابداً . وروى عن

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب ، ط .
(٢) ما بين حاصرتين من أ فقط . ومكانه في المطبوع : لما لقوا منهم من القتل والجراح وكلاهما سقط من النسخة ب .
(٣) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط ، ونحوه في تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٦) من رواية أبي مخنف .
(٤) تحرفت في المطبوع إلى : ربه ، « والرئيّ » : ما يعتاد الإنسان من الجن ـ اللسان (رأي) .
(٥) ما بين حاصرتين من أ فقط . وترجمته وأهم مصادرها في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٤) .

النبي ﷺ أحاديث في « الصحيحين » وغيرهما . وشهد مع علي صفِّين . وكان أحد من كان يجتمع الشيعة في داره لبيعة الحسين ، وكتب إلى الحسين فيمن كتب بالقدوم إلى العراق ، فلما قدمها وقُتل بكربلاء بعد ذلك ورأى هؤلاء أنهم كانوا سبباً في قدومه وأنهم خذلوه حتى قُتل هو وأهل بيته ، فندموا على ما فعلوا معه ، ثم اجتمعوا في هذا الجيش وسمَّوا جيشهم : جيش التوابين ، وسمَّوا أميرهم سليمان بن صُرَد : أمير التوابين ، فقُتل سليمان ـ رضي الله عنه ـ في هذه الوقعة بعين وردة سنة خمس وستين ، وقيل : سنة سبع وستين ، والأول أصح . وكان عمره يوم قتل ثلاثاً وتسعين سنة رحمه الله .

[وأما المسيّب بن نَجَبة بن ربيعة الفَزاري فإنه قدم مع خالد بن الوليد من العراق ، وشهد فتح دمشق ، ثم عاد إلى العراق وشهد مع علي صفِّين وغيرها . وكان أحد الكبار الذين خرجوا يطلبون بدم الحسين رضي الله عنه][(١)] وحُمل رأسه ورأس سليمان بن صُرَد إلى مروان بن الحكم بعد الوقعة .

وكتب أمراء الشاميين إلى مروان بما فتح الله عليهم وأظفرهم به من عدوهم ، فخطب الناس وأعلمهم بما كان من أمر الجنود ومن قتل من أهل العراق [وقد قال : أهلك الله رؤوس الضلال سليمان بن صُرَد وأصحابه . وعلّق الرؤوس بدمشق][(٢)] .

وكان مروان بن الحكم قد عهد بالأمر من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز ، وأخذ بيعة الأمراء على ذلك في هذه السنة . قاله ابن جرير[(٣)] وغيره .

وفيها دخل مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد الأشدَق إلى الديار المصرية ، فأخذاها من يد نائبها الذي كان لعبد الله بن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جَحْدم ، وكان سبب ذلك أن مروان قصدها ، فخرج إليه نائبها ابن جَحْدم ، فقابله مروان ليقاتله ، فاشتغل به ، وخلص عمرو بن سعيد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن جَحْدم فدخل مصر فملكها ، وهرب عبد الرحمن ، ودخل مروان إلى مصر فتملَّكها ، وجعل عليها ولده عبد العزيز .

وفيها بعث ابن الزبير أخاه مصعباً ليفتح له الشام ، فبعث إليه مروان عمرو بن سعيد ، فتلقّاه إلى فلسطين ، فهرب منه مصعب بن الزبير وكرَّ راجعاً ولم يظفر بشيء . واستقر ملك الشام ومصر لمروان .

[وقال الواقدي : إن مروان حاصر مصر ، فخندق عبد الرحمن بن جَحْدم على البلد خندقاً وخرج في

---

(١) ما بين حاصرتين من أ فقط .
(٢) ما بين حاصرتين من ط فقط .
(٣) في تاريخه (٥/ ٦١٠) .

أهل مصر إلى قتاله ، وكانوا يتناوبون القتال ويستريحون ، ويسمَّى ذلك يوم التراويح ، واستمر القتل في خواصِّ أهل البلد ، فقُتل منهم خلق كثير ، وقُتل يومئذ عبد الله بن يزيد بن معدي كرب الكلاعي أحد الأشراف . ثم صالح عبد الرحمن مروان على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله ، فأجابه مروان إلى ذلك ، وكتب إلى أهل مصر كتاب أمان بيده ، وتفرَّق الناس ، وأخذوا في دفن موتاهم والبكاء عليهم ، وضرب مروان عنق ثمانين رجلاً تخلَّفوا عن مبايعته ، وضرب عنق الأُكيدر بن حملة اللخمي ـ وكان من قتلة عثمان ـ وذلك في نصف جمادى الآخر يوم توفي عبد الله بن عمرو بن العاص ، فما قدروا أن يخرجوا بجنازته ، فدفنوه في داره . واستولى مروان على مصر ، وأقام بها شهراً ، ثم استعمل عليها ولده عبد العزيز ، وترك عنده أخاه بشر بن مروان، وموسى بن نُصير وزيراً له، وأوصاه بالإحسان إلى الأكابر، ورجع إلى الشام][١] .

وفيها جهَّز مروان جيشين : أحدهما مع حُبَيش بن دُلَجَة القيني[٢] ليأخذ له المدينة ، وكان من أمره ما سنذكره ، والآخر مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزعه من نواب ابن الزبير ، فلما كانوا ببعض الطريق لقوا جيش التوابين مع سليمان بن صُرَد ، وكان من أمرهم ما تقدم ذكره . واستمر جيش الشاميين ذاهباً إلى العراق ، فلما كانوا بالجزيرة بلغهم موت مروان بن الحكم .

وكانت وفاته في شهر رمضان من هذه السنة . وكان سبب موته أنه تزوج بأمِّ خالد امرأة يزيد بن معاوية ـ وهي أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة ـ وإنما أراد مروان بتزويجه إياها ليصغِّر ابنها خالداً في أعين الناس ، فإنه قد كان في نفوس كثير من الناس أن يملكوه بعد أخيه معاوية ، فتزوج أمَّه ليصغر أمره فيما بينهم . فبينما هو ذات يوم داخل إلى عند مروان إذ جعل مروان يتكلم فيه عند جلسائه ، فلما جلس قال له فيما خاطبه به : يا بن الرطبة الاست . فذهب خالد إلى أمِّه ، فأخبرها بما قال له ، فقالت : اكتم ذلك ولا تُعلمه أنك أعلمتني بذلك . فلما دخل عليها مروان قال لها : هل ذكرني خالد عندكِ بسوء ؟ فقالت له : وماذا عساه يقول لك وهو يحبك ويعظِّمك ؟! ثم إن مروان رقد عندها ، فلما أخذه النوم عمَدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه ، وتحاملت عليها هي وجواريها حتى مات غمًّا . وكان ذلك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين بدمشق ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وقيل : إحدى وثمانون سنة . وكانت إمارته تسعة أشهر ، وقيل : عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام .

---

(١) هذه الفقرة من المطبوع فقط .

(٢) وقعت في المطبوع : العتيبي ، وهو تحريف ، تنظر ترجمته في تاريخ دمشق (١٢/ ٨٦) .

ترجمة مَرْوان بن الحَكَم[١]

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميَّة بن [عبد][٢] شمس بن عبد مناف القرشيّ الأموي ، أبو عبد الملك ، ويقال : أبو الحكم ، ويقال : أبو القاسم .

وهو صحابي عند طائفة كثيرة لأنه ولد في حياة النبي ﷺ وروى عنه في حديث صلح الحديبية ، وفي رواية في « صحيح البخاري » عن مروان والمِسْور بن مخرمة عن جماعة من الصحابة الحديث بطوله[٣] .

وروى مروان عن : عمر ، وعثمان ـ وكان كاتبه : أي : كان كاتب عثمان ـ وعلي ، وزيد بن ثابت ، وبُسْرة[٤] بنت صفوان الأسدية ـ وكانت حماته . وقال الحاكم أبو أحمد : كانت خالته . ولا منافاة بين كونها حماته وخالته .

وروى عنه : ابنه عبد الملك ، وسهل بن سعد ، وسعيد بن المسيِّب ، وعروة بن الزبير ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، ومجاهد ، وغيرهم .

قال الواقدي ومحمد بن سعد : أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه شيئاً ، وكان عمره ثمان سنين حين توفي النبي ﷺ[٥] .

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين[٦] .

وقد كان مروان من سادات قريش وفضلائها .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٥) نسب قريش (١٥٩ ، ١٦٠) طبقات خليفة (ت١٩٨٤) المحبر (٢٢ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٢٢٨ ، ٣٧٧) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٦٨) المعارف (٣٥٣) الأخبار الطوال (٢٨٥) الجرح والتعديل (٨/ ٢٧١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٣٠ و ٦١٠) مروج الذهب (٣/ ٩٤) ، معجم الشعراء (٣١٧) ، جمهرة أنساب العرب (٨٧) الاستيعاب (٣/ ١٣٨٧) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥٠١) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ١٧٠/ أ) أسد الغابة (٥/ ١٤٤) الكامل في التاريخ (٤/ ١٩١) الحلة السيراء (١/ ٢٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢/ ٨٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ١٧٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٣١٥) تاريخ الإسلام (٣/ ٧٠) العبر (١/ ٧١) تذهيب التهذيب (٤/ ٣٠/ أ) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧٦) الكاشف (٣/ ١١٦) فوات الوفيات (٤/ ١٢٥) العقد الثمين (٧/ ١٦٥) الإصابة (٣/ ٤٧٧) تهذيب التهذيب (١٠/ ٩١) النجوم الزاهرة (١/ ١٦٤ ، ١٦٩) حسن المحاضرة (١/ ٢٣٤) خلاصة الخزرجي (٣٧٣) شذرات الذهب (١/ ٢٨٩) .

(٢) سقط من ط .

(٣) هو في صحيح البخاري في عدة مواضع . ينظر تخريج هذا الحديث وعدة أحاديث أخرى في تحفة الأشراف للمزي (٨/ ٥١) (بشار) .

(٤) كذا قيدها الحافظ في التقريب ، بضم أولها وسكون المهملة . وقد تحرفت في المطبوع إلى : بسيرة .

(٥) تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٣٢) .

(٦) الطبقات الكبرى (٥/ ٣٥) .

روى ابن عساكر[١] وغيره : أن عمر بن الخطاب خطب امرأة إلى أمها ، فقالت : قد خطبها جرير بن عبد الله البَجَلي وهو سيد شباب المشرق ، ومروان بن الحكم وهو سيد شباب قريش ، وعبد الله بن عمر وهو من قد علمتم . فقالت المرأة : أجادٌّ يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قالت : قد زوجناك يا أمير المؤمنين !

وقد كان عثمان بن عفان يكرمه ويعظِّمه . وكان كاتب الحُكم بين يديه . ومن تحت رأسه جرت قضية الدار ، وبسببه حُصر عثمان بن عفان فيها ، وألحَّ عليه أولئك أن يسلِّم مروان إليهم ، فامتنع عثمان أشد الامتناع . وقد قاتل مروان يوم الدار قتالاً شديداً ، وقتل بعض الخوارج ، وكان على الميسرة يوم الجمل ، ويقال : إنه رمى طلحة بسهم في ركبته فقتله ، فالله أعلم .

وقال ابن عبد الحكم[٢] : سمعت الشافعي يقول : كان عليٌّ يوم الجمل حين انهزم الناس يكثر السؤال عن مروان ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنه تعطفني عليه رحم ماسَّة ، وهو سيد من شباب قريش .

وقال ابن المبارك : عن جرير بن حازم ، عن عبد الملك بن عمير ، عن قَبيصة بن جابر أنه قال لمعاوية : من تركتَ لهذا الأمر من بعدك ؟ فقال : أما القارئَ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، الشديد في حدود الله ، مروان بن الحكم . وقد استنابه على المدينة غير مرة ، يعزله ثم يعيده إليها . وأقام للناس الحج في سنين متعددة .

وقال حنبل عن الإمام أحمد قال : يقال : كان عند مروان قضاء ، وكان يتتبَّع قضايا عمر بن الخطاب .

وقال ابن وهب : سمعت مالكاً يقول ـ وذكر مروان يوماً فقال : قال مروان : قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة ، ثم أصبحت فيما أنا فيه من إهراق الدماء وهذا الشأن!

وقال إسماعيل بن عياش : عن صفوان بن عمرو[٣] ، عن شُريح بن عبيد وغيره قال : كان مروان إذا ذكر الإسلام قال :

بنعمةِ ربِّي لا بما قَدَّمتْ يَدِي ولا بتُراثي[٤] إنَّني كنتُ خاطِئا

---

(١) في تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٣٨) .
(٢) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، كما في مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ١٧٩) ووقع في المطبوع : وقال أبو الحكم .
(٣) تحرف في المطبوع إلى : عمرة ، وصفوان بن عمرو : هو السكسكي ، من رجال التهذيب .
(٤) في مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ١٨٠) ببراتي .

وقال الليث عن يزيد بن [أبي][1] حَبيب ، عن سالم أبي النَّضر أنه قال : شهد مروان جنازة ، فلما صلَّى عليها انصرف ، فقال أبو هريرة : أصاب قيراطاً وحُرم قيراطاً . فأُخبر بذلك مروان ، فأقبل يجري حتى بدت ركبتاه ، فقعد حتى أُذن له .

وروى المدائني ، عن إبراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد : أن مروان كان أسلف علي بن الحسين حين رجع إلى المدينة بعد مقتل أبيه الحسين ستة آلاف دينار ، فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من علي بن الحسين شيئاً ، فبعث إليه عبد الملك بذلك ، فامتنع من قبولها ، فألحَّ عليه ، فقبلها .

وقال الشافعي : أنبأنا حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن الحسن والحسين كانا يصلِّيان خلف مروان ولا يُعيدانها ، ويعتدّان بها .

وقد روى عبد الرزاق ، عن الثَّوري ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : أول من قدَّم الخطبة على الصلاة يوم العيد مروان ، فقال له رجل : خالفتَ السنة ، فقال مروان : إنه قد تُرك ماهنالك . فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ماعليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ رأى منكم منكَراً فليغيِّرْهُ بيده ، فإنْ لم يستطِع فبلسَانه ، فإنْ لم يستطِع فبقلبه ، وذلك أضعفُ الإيمان »[2] .

قالوا : ولما كان نائباً بالمدينة كان إذا وقعت معضلة جمع مَنْ عنده من الصحابة ، فاستشارهم فيها .

قالوا : وهو الذي جمع الصِّيعان ، فأخذ بأعدلها ، فنُسب إليه الصاع ، فقيل : صاع مروان .

وقال الزبير بن بكار : حدّثنا إبراهيم بن حمزة ، حدّثني ابن أبي علي اللَّهَبي[3] ، عن إسماعيل بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : خرج أبو هريرة من عند مروان فلقيَه قوم قد خرجوا من عنده فقالوا له : يا أبا هريرة إنه أشهدنا الآن على مئة رقبة أعتقها الساعة ، قال : فغمز أبو هريرة يدي وقال : يا أبا سعيد : يَك[4] من كسب طيِّب خيرٌ من مئة رقبة . قال الزبير : اليَك[5] الواحد .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عطيَّة ، عن

---

(١) سقطت من ط .
(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف رقم (٥٦٤٩) أخرجه مسلم (٤٩) في الإيمان : باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، والترمذي (٢١٧٢) في الفتن : باب ما جاء في تغيير المنكر من طريق أخرى عن سفيان به .
(٣) هو علي بن علي . و « اللهَبي » : نسبة إلى أبي لهب . ذكره السمعاني في الأنساب (١١/ ٤٤) وقال : يروي عن الثقات الموضوعات ، وعن الأثبات المقلوبات . ولا يجوز الاحتجاج به .
(٤) تحرفت هذه اللفظة في أ ، ط إلى : « بك » .
(٥) تحرفت هذه اللفظة في أ ، ط إلى « البك » .

أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بلغَ بنو أبي فلانٍ ثلاثين رجلاً اتَّخذوا مال الله دُوَلاً ، ودين الله دَخَلاً ، وعباد الله خَوَلاً »[(١)] .

ورواه أبو يعلى ، عن زكريا بن يحيى زَحْمويه ، عن صالح بن عمر ، عن مطرِّف ، عن عطيَّة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بلغَ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتَّخذوا دين الله دَخَلاً ، وعباد الله خَوَلاً ، ومال الله دُوَلاً »[(٢)] .

وقد رواه الطبراني[(٣)] ، عن أحمد بن عبد الوهاب ، عن أبي المغيرة ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن راشد بن سعد ، عن أبي ذرّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا بلغَ بنو أميَّة أربعين رجلاً . . . » وذكره . وهذا منقطع .

ورواه العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة من قوله : « إذا بلغَ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً . . . » فذكره .

ورواه البَيْهقي وغيره من حديث ابن لَهيعة عن أبي قَبيل ، عن ابن وهب ، عن معاوية وعبد الله بن عباس ، عن رسول الله ﷺ : أنه قال : « إذا بلغَ بنو الحكم ثلاثين اتَّخذوا مال الله بينهم دُوَلاً ، وعباد الله خَوَلاً ، وكتاب الله دخلاً . فإذا بلغوا ستة وتسعين وأربعمئة كان هلاكُهم أسرعَ من لَوْك تمرة » . وأن رسول الله ﷺ ذكر عبد الملك بن مروان فقال : « أبو الجبابرة الأربعة » .

وهذه الطرق كلها ضعيفة .

وروى أبو يعلى وغيره ـ من غير وجه ـ عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : « أن رسول الله ﷺ رأى في المنام أن بني الحكم يَرْقَوْن على منبره ويَنْزلون ، فأصبح كالمتغيِّظ وقال : رأيت بني الحكم يَنْزون على منبري نَزْوَ القردة ! فما رؤي رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات » .

ورواه الثوري ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيِّب مرسلاً وفيه : فأوحى الله إليه : إنما هي دنيا أُعطوها . فقرَّتْ عينه . وهي قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] يعني : بلاءً للناس واختباراً .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٨٠) وهو حديث ضعيف ، كما سيبين المصنف حيث يقول : « وهذه الطرق كلها ضعيفة » ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله (الصحيحة ٢/ ٣٧٩ حديث ٧٤٤) ، ولم أر له سنداً يفرح به ، فمدار أسانيده على عطية العوفي وهو ضعيف ، فحكم ابن كثير أولى (بشار) . « والدخل » : الفساد . « والخول » : الخدم والعبيد .

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ رقم ١١٥٢) .

(٣) في مسند الشاميين (١٤٥١) .

وهذا مرسل ، وسنده إلى سعيد ضعيف .

وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة ، فلهذا أضربنا صفحاً عن إيرادها لعدم صحتها . [وقد كان أبوه الحكم من أكبر أعداء النبي ﷺ وإنما أسلم يوم الفتح ، وقدم الحكم المدينة ، ثم طرده النبي ﷺ إلى الطائف ، ومات بها .

ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عثمان ، لأنه زوّر على لسانه كتاباً إلى مصر بقتل أولئك الوفد .

ولما كان متولّياً على المدينة لمعاوية كان يسبُّ عليًا كل جمعة على المنبر . وقال له الحسين بن علي : لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صُلْبه على لسان نبيِّه فقال : « لعن الله الحكم وما ولد » . والله أعلم][1] .

وقد تقدم أن حسان بن مالك بن بَحْدل لما قدم عليه مروان أرض الجابية أعجبه إتيانه إليه ، فبايعه ، وبايع أهل الأردن على أنه إذا انتظم له الأمر نزل عن الإمرة لخالد بن يزيد ، ويكون لمروان إمرة حمص ، ولعمرو بن سعيد نيابة دمشق . وكانت البيعة لمروان يوم الإثنين للنصف من ذي القعدة سنة أربع وستين . قاله الليث بن سعد وغيره .

وقال الليث : وكانت وقعة مرج راهط في ذي الحجة من هذه السنة بعد عيد النحر بيومين .

قالوا : فغلب الضحاك بن قيس ، واستوسق له ملك الشام ومصر ، فلما استقرَّ ملكه في هذه البلاد بايع من بعده لولده عبد الملك ، ثم من بعده لولده عبد العزيز ـ والد عمر بن عبد العزيز ـ وترك البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية لأنه كان لا يراه أهلاً للخلافة ، ووافقه على ذلك حسان بن مالك[2] بن بَحْدل ـ وإن كان خالاً لخالد بن يزيد ـ وهو الذي قام بأعباء بيعة عبد الملك . ثم إن أمَّ خالد دبَّرت أمر مروان فسمَّته ـ ويقال : بل وضعت على وجهه وهو نائم وسادةً فمات مخنوقاً ، ثم إنها أعلنت الصُّراخ هي وجواريها وصِحْنَ : مات أمير المؤمنين فجأة . ثم قام من بعده ولده عبد الملك بن مروان كما سنذكره .

وقال عبد الله بن أبي مذعور : حدّثني بعض أهل العلم قال : كان آخر ما تكلَّم به مروان : « وجبت الجنَّة لمن خاف النار » . وكان نقش خاتمه : العزَّة لله .

وقال الأصمعي : حدّثنا عدي بن أبي عمار ، عن أبيه ، عن حرب بن زياد قال : كان نقش خاتم مروان : آمنتُ بالعزيز الرحيم .

---

(١) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : مالك بن حسان .

وكانت وفاته بدمشق عن إحدى ـ وقيل : ثلاث ـ وستين سنة . وقال أبو مَعْشر وغير واحد : كان عمره يوم توفي إحدى وثمانين سنة .

وقال خليفة : حدّثني الوليد بن هشام ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : مات مروان بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين ، وصلَّى عليه ابنه عبد الملك ، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . وقال غيره : عشرة أشهر .

وقال ابن أبي الدنيا وغيره : كان قصيراً ، أحمر الوجه ، أوقَص[١] ، دقيق العنق ، كبير الرأس واللحية ، وكان يُلقَّب : خيط باطل .

قال الحافظ ابن عساكر[٢] : وذكر سعيد بن كثير بن عُفير : أن مروان مات حين انصرف من مصر بالصِّنَّبرة[٣] ، ويقال : بِلُدّ[٤] . وقد قيل : إنه مات بدمشق ودفن بين باب الجابية وباب الصغير .

[وكان كاتبه عبيد بن أوس ، وحاجبه المِنْهال مولاه ، وقاضيه أبو إدريس الخَوْلاني ، وصاحب شرطته يحيى بن قيس الغسّاني .

وكان له من الولد : عبد الملك ، وعبد العزيز ، ومعاوية ، وغير هؤلاء . وكان له عدة بنات من أمَّهات شتّى][٥] .

(١) « الوقص » : قصر العنق .

(٢) تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٨٠) .

(٣) « الصنبرة » : موضع بالأردن مقابل لعقبة أَفيق ، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال معجم البلدان (٣/ ٤٢٥) .

(٤) « لُدّ » : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين معجم البلدان (٥/ ١٥) .

(٥) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط .

خلافة عبد الملك بن مروان

بُويعَ له بالخلافة في حياة أبيه ، فلما مات أبوه في ثالث رمضان من هذه السنة أعني سنة خمس وستين[١] جددت له البيعة بدمشق ومصر وأعمالهما ، فاستقرت يده على ما كانت يد أبيه عليه ، وقد كان أبـوه قبل وفاته بعث بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينزعها[٢] من نواب ابن الزبير ، فلقي في طـريقه جيش التوابين مع سليمـان بن صُرَد عند عين الوردة[٣] ، فكان من أمرهم ما قدمناه[٤] ، من ظفره بهم ، وقتله أميرهم وأكثرهم . والبعث الآخر مع حُبَيْش[٥] بن دُلَجة إلى المدينة ليرتجعها من نائب ابن الزبير ، فسار نحوها ، فلما انتهى إليها هرب نائبها جابر بن الأسود بن عوف ـ وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ـ فجهَّز نائب البصرة من قِبل ابن الزبير وهو الحـارث بن عبد الله بن ربيعة ، جيشاً من البصرة إلى ابن دُلَجة ليخرجوه من المدينة ، فلما سمع بذلك حُبَيْش بن دُلَجة سار إليهم . وبعث ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد نائباً على المدينة ، وأمره أن يسير في طلب حُبَيْش ، فسار في طلبهم حتى لحقهم بالرَّبَذة فرمى يزيد بن سياه[٦] حُبيشاً بسهم فقتله ، وقُتل بعضُ أصحـابه ، وهُـزم الباقون ، وتحصَّن منهم خمسمئة في المدينة ثم نزلوا على حكم عباس بن سهل فقتلهم صبراً ورجع فلُّهم[٧] إلى الشام .

قال ابن جرير[٨] : ولما دخل يزيد بن سياه الأسواري قاتل حبيش بن دلجة إلى المدينة مع عباس بن

---

(١) في ط : منها . وقد قمنا في هذا الجزء بمقابلة المطبوع (ط) مع نسخة الأحمدية (أ) ونسخة برلين (ب) وانتهجنا إثبات ما وافقت عليه الأصول الثلاثة أولاً مع التأكد من صحة الخبر في مصادر المؤلف ، ثم نثبت ما وافقت عليه النسختان وإذا وجدت زيادة من ط أو إحدى النسخ وضعناها بين معقوفين أو أشرنا لذلك في الهامش .

(٢) في ط : لينتزعها ، والخبر بأوسع مما هنا في تاريخ الطبري (٥/ ٥٨١ ـ ٥٩٩) وتاريخ ابن الأثير (٤/ ١٨٥) .

(٣) عين الوردة : بلدة تسمى حالياً رأس العين على أحد روافد الخابور .

(٤) سبق ذكر الخبر ضمن أحداث هذه السنة ٦٥هجرية .

(٥) الضبط من توضيح المشتبه لابن ناصر الدين الدمشقي (٣/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) وفيه : وحبيش هذا ـ فيما ذكره ابن دريد ـ أول أمير أكل على منبر رسول الله ﷺ . ودُلجة : كهُمزة ، قيده الزبيدي في التاج (دلج) .

(٦) في الكامل لابن الأثير (٤/ ١٩١) : يزيد بن سنان ، وفي تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢) : جاءه سهم غرب فقتله ، ثم ساق رواية أخرى عن علي بن محمد قال : الذي قتل حبيش بن دُلَجة يوم الربذة يزيد بن سياه الأسواري .

(٧) في أ : أقلهم ، وما أثبت موافق للطبري .

(٨) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢) .

سهل كان عليه ثياب بياض وهو راكب برذوناً[١] أشهب ، فما لبث أن اسودَّت ثيابه ودابته[٢] مما يتمسّح الناس به ، ومن كثرة ما صَبّوا عليه من الطيب والمسك .

وقال ابن جرير[٣] : وفي هذه السنة اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة ، وفيها قَتَلَ نافعُ بن الأزرق [ـ وهو رأس الخوارج ورأس أهل البصرة ـ مسلمَ بن عُبيس فارس أهل البصرة ، ثم قتله ربيعة السَّلوطي وقُتل بينهما نحو خمسة أمراء ، وقُتل في وقعة الخوارج قُرَّة بن إياس المزني أبو معاوية ، وهو من الصَّحابة .

ولما قُتل نافع بن الأزرق رأَّست الخوارجُ عليهم عبيد الله بن ماحوز ، فسار بهم إلى المدائن فقتلوا أهلها ثم غلبوا على الأهواز وغيرها ، وجبَوا الأموال وأتتهم الأمداد من اليمامة والبحرين ، ثم ساروا إلى أصفهان وعليها عَتَّاب بن ورقاء الرياحي ، فالتقاهم فهزمهم ، ولما قتل أمير الخوارج ابنَ ماحوز كما سنذكر ، أقاموا عليهم قُطريّ بن الفُجاءة أميراً .

ثم أورد [ابن جرير][٤] قصة قتالهم مع أهل البصرة بمكان يقال له دولاب[٥] ، وكانت الدولة للخوارج على أهل البصرة ، وخاف أهل البصرة من الخوارج أن يدخلوا البصرة ، فبعث عبد الله بن الزبير فعزل نائبها عبد الله بن الحارث المعروف ببَـبَّه[٦] ، بالحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع ، وأرسل ابن الزبير المهلَّب بن أبي صفرة الأزدي على عمل خراسان ، فلما وصل إلى البصرة قالوا له : إن قتال الخوارج لا يصلح إلا لك ، فقال : إن أمير المؤمنين قد بعثني إلى خراسان ، ولست أعصي أمره . فاتفق أهل البصرة مع أميرهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على أن كتبوا كتاباً[٧] على لسان ابن الزبير إلى المهلّب يأمره فيه بالمسير للخوارج ليكفهم عن الدخول إلى البصرة ، فلما قُرئ عليه الكتاب اشترط على أهل البصرة أن يقوي جيشه من بيت مالهم ، وأن يكون له ما غلب عليه من أموال الخوارج ، فأجابوه إلى ذلك ، ويقال إنهم كتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأمضى لهم ذلك وسوّغه ، فسار إليهم المهلب . وكان شجاعاً بطلاً صنديداً ، فلما التقى هو والخوارج[٨] أقبلوا إليه يزفّون في عدَّةٍ لم يُرَ مثلها من الدروع والزرود

---

(١) البرذون : دابة ، وما كان من غير نتاج العِراب . اللسان (برذن) .
(٢) في تاريخ الطبري : ورأيته ؛ تحريف .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٣) .
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٥) .
(٥) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ ، كانت بها وقعة بين أهل البصرة وبين الخوارج . معجم البلدان (٢/ ٥٥٢) .
(٦) قال ابن ناصر الدين : بَبَّه ـ بفتح الموحدتين ، والثانية مشددة ، تليها هاء ـ لقب عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي ، تابعي . توضيح المشتبه (١/ ٣٣٦) .
(٧) نص الكتاب في تاريخ الطبري (٥/ ٦١٥ـ٦١٦) وفي الأخبار الطوال (٢٧١) : أن الحارث بن عبد الله كتب إلى ابن الزبير يسأله أن يأمر المهلّب بالسير إلى الخوارج ، فكتب ابن الزبير إلى المهلّب .
(٨) في ط : فلما أراد قتال الخوارج .

والخيول والسلاح ، وذلك أن لهم مدة يأكلون تلك النواحي ، وقد صار لهم تحمّل عظيم مع شجاعة لا تداني ، وإقدام لا يساوى ، وقوة لا تبارى[١] ، وسَبْق إلى حومة الوغى لا تجارى[٢] ؛ فلما تواقف الناس بمكان يقال له سلّىٰ أو سِلّبرى[٣] ، اقتتلوا قتالاً شديداً عظيماً ، وصبر كل من الفريقين صَبراً باهراً ، وكان في نحو من ثلاثين ألفاً ؛ ثم إن الخوارج حملوا حملة منكرة ، فانهزم أصحاب المهلّب لا يلوي والد على ولد ، ولا يلتفت أحد إلى أحد ، ووصل إلى البصرة فُلاَّلُهم .

وأما المهلَّب فإنه سبق المنهزمين فوقف لهم بمكان مرتفع ، وجعل ينادي : إليَّ عباد الله ، فاجتمع إليه من جيشه ثلاثة آلاف من الفرسان الشجعان ، فقام فيهم خطيباً فقال في خطبته : أما بعد أيها الناس ، فإن الله تعالى ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيُهزمون ويُنزل النصر على الجمع اليسير فيَظهرون ، ولعمري ما بكم الآن من قلة ، وأنتم فرسان المِصْرِ[٤] وأهل النَّصر ، وما أحب أن أحداً ممن انهزموا معكم الآن : ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ [التوبة : ٤٧] ثم قال : عزمت على كلِّ رجل منكم إلاّ أخذ عشرة أحجار معه ، ثم امشوا بنا إلى عسكرهم فإنهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيولهم في طلب إخوانكم ، فوالله إني لأرجو أن لا ترجع خيولهم حتى تستبيحوا[٥] عسكرهم ، وتقتلوا أميرهم .

ففعل الناس ذلك ، فزحف بهم المهلّب بن أبي صفرة على معشر الخوارج فقتل منهم خلقاً كثيراً نحواً من سبعة آلاف ، وقتل عبيد الله[٦] بن الماحوز في جماعة كثيرة من الأزارقة ، واحتاز من أموالهم شيئاً كثيراً ، وقد أرصد المهلّب خيولاً بينه وبين الذين يرجعون من طلب أهل البصرة[٧] ، فجعلوا يقتطعون دون قومهم ، وانهزم فَلّهم إلى كرمان وأرض أصبهان ، وأقام المهلّب بالأهواز حتى قدم مصعب بن الزُّبير إلى البصرة ، وعزل عنها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة كما سيأتي بيانه .

قال ابن جرير[٨] : وفي هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمداً إلى الجزيرة ، وذلك قبل مسيره إلى مصر . قلت : محمد بن مروان هذا هو والد مروان الحمار ، وهو مروان بن محمد بن مروان ، وهو آخر خلفاء بني أمية ، ومن يده استلبت الخلافةَ العباسيون كما سيأتي .

---

(١) في ط : لا تجارى .

(٢) قوله : « لا تجارى » سقط من ط ، واستدركناه من م .

(٣) سِلِّىٰ : بكسر أوله وثانيه وتشديده وقصر الألف ، وقيل : بالضم وفتح اللام . وأما سلبرى ، فبكسر أوله وثانيه وتشديده وباء موحدة وراء مفتوحة وألف مقصورة ، وكلاهما اسم لموضع واحد ، وهو من نواحي خوزستان قرب جنديسابور ، وهي مناذر الصغرى ، وكانت بها وقعة للخوارج مع المهلب بن أبي صفرة (معجم البلدان ٣/ ٢٣٢) .

(٤) في ط : الصبر ؛ وما أثبت عن أ وم والطبري .

(٥) في ط : إلا وقد استبحتم ؛ وما أثبت عن أ وم والطبري .

(٦) في الكامل لابن الأثير (٤/ ١٩٥) عبد الله .

(٧) في ط : المنهزمين .

(٨) تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٢) .

قال ابن جرير[١] : وفي هذه السنة عزل ابن الزبير أخاه عبيدة[٢] عن إمرة المدينة وولاّها أخاه مصعباً ، وذلك أن عبيدة خطب الناس فقال في خطبته : وقد رأيتم ما صنع الله بقوم صالح في ناقة قيمتها خمسمئة درهم ، فلما بلغت أخاه قال : إن هذا لهو التكلّف ، وعزله . ويسمى عبيدة مقوِّم الناقة لذلك .

قال ابن جرير : وفي آخرها عزل ابن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد الخَطمي ، وولّى عليها عبد الله بن مطيع الذي كان أمير المهاجرين يوم الحرَّة ، لمَّا خلعوا يزيد[٣] .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة كان الطاعون الجارف بالبصرة .

وقال ابن الجوزي في المنتظم[٥] : كان في سنة أربع وستين، وقد قيل إنما كان في سنة تسع[٦] وستين، وهذا هو المشهور الذي ذكره شيخنا الذهبي[٧] وغيره ، وكان معظم ذلك بالبصرة ، وكان ذلك في ثلاثة أيام ، فمات في أول يوم من الثلاثة من أهل البصرة سبعون ألفاً ، وفي اليوم الثاني منها إحدى وسبعون ألفاً ، وفي اليوم الثالث منها ثلاثة وسبعون ألفاً ، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلاَّ قليل من آحاد الناس ، حتى ذُكر أن أم الأمير بها ماتت فلم يوجد لها من يحملها ، حتى استأجروا لها أربعة أنفس .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني[٨] : حدَّثنا عبيد الله ، حدثنا أحمد بن عصام ، حدَّثني معدي ، عن رجلٍ يكنى أبا النفيد[٩] ـ وكان قد أدرك من هذا الطاعون ـ قال : كنّا نطوف بالقبائل وندفن الموتى ، فلما كثروا لم نقو على الدفن ، فكنا ندخل الدار وقد مات أهلها فنسد بابها عليهم . قال فدخلنا داراً ففتشناها فلم نجد فيها أحداً حياً فسددنا بابها ، فلما مضت الطواعين كنا نطوف فنفتح تلك السدد عن الأبواب ، ففتحنا سدَّة الباب الذي كنا فتشناه ـ أو قال الدار التي كنا سددناها ـ وفتشناها فإذا نحن بغلام في وسط الدار طري دهين ، كأنما أُخذ ساعتئذ من حَجْر أمه ، قال : فبينما نحن وقوف على الغلام نتعجب منه إذ دخلت كلبة من شق في الحائط فجعلت تلوذ بالغلام والغلام يحبو إليها حتى مص من لبنها ، قال معدي : وأنا رأيت ذلك الغلام في مسجد البصرة وقد قبض على لحيته .

---

(١) المصدر نفسه نقلاً عن الواقدي .

(٢) في أ ، م ، ط : عبيد الله ؛ وما أثبت عن ب والطبري وابن الأثير .

(٣) بعد هذه اللفظة في أ : ذكر لوفيات هذه السنة ثم إيراد للخبر عن ابن جرير ، وأظنه تقديم من النساخ يخالف منهج المؤلف رحمه الله .

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢ ـ ٦١٣) والخبر أيضاً في تاريخ ابن الأثير (٣/ ٢٨٩) .

(٥) المنتظم لابن الجوزي (٦/ ٢٥ ـ ٢٦) ط دار الكتب العلمية .

(٦) في أ : سبع ؛ خطأ .

(٧) تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة (٦١ـ٨٠/ ص٦٦) ط دار الكتاب العربي ، والخبر أيضاً في تاريخ خليفة (٢٦٥) .

(٨) الخبر بسنده في المنتظم لابن الجوزي (٦/ ٢٦) .

(٩) في أ : النفيل ؛ وما أثبت يوافق المنتظم .

قال ابن جرير[(١)] : وفي هذه السنة بنى عبد الله بن الزبير الكعبة البيت الحرام ، يعني أكمل بناءها وأدخل فيها الحِجْر ، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر .

قال ابن جرير : حدَّثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدّثني عبد العزيز بن[(٢)] خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد ، حدَّثني زياد بن جبل : أنه كان بمكة يوم كان عليها ابن الزبير ، فسمعته يقول : حدَّثتني أمي أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : « لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد في الكعبة من الحِجْر » : قال : فأمر ابن الزبير فحفروا فوجدوا تلاعاً أمثال الإبل ، فحركوا منها تلعة ـ أو قال صخرة ـ فبرقت برقة فقال : أقروها على أساسها ، فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر .

قلت : هذا الحديث له طرق متعددة عن عائشة في الصحاح والحسان والمسانيد[(٣)] ، وموضوع سياق طرق ذلك في كتاب « الأحكام » إن شاء الله تعالى .

وذكر ابن جرير[(٤)] في هذه السنة حروباً جرت بين عبد الله بن خازم بخراسان ، وبين الحَريش بن هلال القُرَيعي[(٥)] يطول تفصيلها .

قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة مصعب بن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي [قُباع] .

قال الواقدي : وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل ، أبو محمد السهمي[(٦)] كان من خيار الصحابة وعلمائهم وعبَّادهم ، كتب عن النبي ﷺ كثيراً ، أسلم قبل أبيه ، ولم يكن أصغر من أبيه إلا باثنتي عشرة سنة ، وكان

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٢) .

(٢) في أ ، ط : عن ؛ خطأ ، وما أثبت موافق للطبري .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٣٩) والبخاري في صحيحه رقم (١٥٨٦) في الحج ، ومسلم في صحيحه رقم (١٣٣٣) (٣٩٨) في الحج ، والنسائي في سننه (٥/ ٢١٦) في مناسك الحج ، وابن خزيمة برقم (٣٠٢١) وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان (٩/ ١٢٥) رقم (٣٨١٦) .

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٣ـ٦٢٦) والخبر أيضاً في تاريخ ابن الأثير (٣/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

(٥) في ط : القزيعي ـ بالزاي ـ وما هنا عن أ والطبري وابن الأثير .

(٦) ترجمة ـ عبد الله بن عمرو بن العاص ـ في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٣) و(٤/ ٢٦١ـ٢٦٨) وطبقات خليفة (الترجمة رقم ١٤٩) والتاريخ الكبير (٥/ ٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٥١) . وأسد الغابة (٣/ ٢٤٩ ، ٣٥١) وتهذيب الكمال (١٥/ ٣٥٧ ـ ٣٦٣) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٦١ ـ ١٦٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٨٠ ـ ٩٣) والإصابة (٢/ ٣٥١) وشذرات الذهب (١/ ٢٩٠) .

واسع العلم مجتهداً في العبادة ، عاقلاً ، وكان يلوم أباه في القيام مع معاوية ، وكان سميناً ، وكان يقرأ الكتابين القرآن والتوراة(١) ، وقيل إنه بكى حتى زاغت عيناه(٢) .

[وروي عنه أنه قال : دخلت على النبي ـ ﷺ ـ فقال لي : « يا عبد الله ألم أخبر أنك تكلفت قيام الليل وصيام النهار »؟

قلت : إني لأفعل ذلك . فقال : « حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام » وذكر الحديث إلى قوله : « الأفضل من ذلك صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً »(٣) .

وقد استنابه معاوية على الكوفة(٤) ثم عزله عنها بالمغيرة بن شعبة .

توفي في هذه السنة بمصر ، وقيل(٥) بمكة ، وقيل بالشام .

أُسَيد بن ظُهَير الأنصاري(٦) ، شهد الخندق وغيرها ، توفي بالمدينة .

عبد الله بن مسعدة الفزاري(٧) ، له صحبة ، نزل دمشق وكان يدعى صاحب الجيوش لأنه كان أميراً على غزو الروم ، وقد بعثه يزيد مقدماً على جند دمشق في جيش الحرَّة ، وقيل : إنه من سبي فزارة ، وأوهبه النبي ـ ﷺ ـ لفاطمة فأعتقته .

سعيد بن مالك بن بحدل(٨) ، أخو حسان ولي إمرة الجزيرة وقنسرين ليزيد بن معاوية ،

---

(١) روى أحمد في مسنده (٢/ ٢٢٢) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨٦) من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال له : « تقرأ الكتابين : التوراة والفرقان » ، فكان يقرؤهما ، وإسناده حسن ، لأنه من رواية قتيبة بن سعيد عن ابن لهيعة وهو ممن سمع منه قبل احتراق كتبه .

(٢) في ط : عمي ، وفي تاريخ الإسلام : رسعت ـ أي التصقت ـ وفي السير : رمصت .

(٣) الحديث في مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٠٠) والصحيحين البخاري (١٩٧٥) و(٦١٣٤) ، ومسلم (١١٥٩) وقال الذهبي في السير (٣/ ٩١) : وهذا الحديث له طرق مشهورة .

(٤) في أ : وقد ولاه معاوية مصر بعد موت أبيه . . ولم أجد في مصادر المؤلف رحمه الله من ذكر أن عبد الله بن عمرو تولى مصر لمعاوية ، إنما ولاّه الكوفة . كذا في تاريخ الإسلام والسير .

(٥) في ط : وقتل بمكة ؛ تحريف .

(٦) ترجمة ـ أسيد بن ظهير ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٦٩) والتاريخ الكبير (٢/ ٤٧) والاستيعاب (١/ ٩٥) وتاريخ الطبري (٢/ ٤٧٧ و٥٠٥) والكامل لابن الأثير (٤/ ٥٢٤) وأسد الغابة (١/ ٩٤ـ٩٥) وتهذيب الكمال (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) . وتاريخ الإسلام (٥/ ٧٤) والإصابة (١/ ١٢٣) .

(٧) ترجمة ـ عبد الله بن مسعدة ـ في تاريخ خليفة (٢٠٩) ومغازي الواقدي (٥٦٥) والاستيعاب (٣/ ٩٨٧) وتاريخ الطبري (٢/ ٦٤٣ و٥/ ١٣٤ و٣٣٤) والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٧٦ و٣٧٧ و٤٩١) وأسد الغابة (٣/ ٣٦٧) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٦٧) والإصابة (٣/ ٩٨٧) .

(٨) ترجمة ـ سعيد بن مالك بن بحدل ـ في تاريخ دمشق (٢١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢) ط دار الفكر ، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ١٢١ ـ ١٢٢) وتهذيب تاريخ دمشق (٦/ ١٧٣ ـ ١٧٤) .

وكان شريفاً مطاعاً في قومه ، وإليه ينسب دير بحدل من عمل بيت الآبار[١] خارج دمشق][٢] .

ثم دخلت سنة ست وستين

ففيها وثب المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب بالكوفة ليأخذ بثأر الحسين بن علي فيما يزعم ، وأخرج عنها عاملها عبد الله بن مطيع ، وكان سبب ذلك أنه لما رجع أصحاب سليمان بن صُرد مغلولين[٣] إلى الكوفة وجدوا المختار بن أبي عبيد مسجوناً فكتب إليهم يعزِّيهم في [سليمان بن صُرد ويقول : أناعوضه وأنا أقتل قتلة الحسين . فكتب إليه رفاعة بن شداد . وهو الذي رجع بمن بقي من جيش التوابين : نحن على ما تحب ، فشرع المختار][٤] يعِدهم ويمنيهم وما يعدهم الكذاب[٥] إلا غروراً ، وقال لهم فيما كتب به إليهم خفية[٦] : أبشروا فإني لو قد خرجت إليهم جردت فيما بين المشرق والمغرب من أعدائكم السيف فجعلتهم بإذن الله ركاماً ، وقتلهم فذًّا[٧] وتؤاماً ، فرحب الله بمن قارب منهم واهتدى ، ولا يبعد الله إلا من أبى وعصى ، فلما وصلهم الكتاب قرؤوه سرًّا وردوا إليه : إنا كما تحب ، فمتى أحببت أخرجناك من محبسك ، فكره أن يخرجوه من مكانه على وجه القهر لنواب الكوفة ، فتلطف فكتب إلى زوج أخته صفية ، وكانت امرأة صالحة ، وزوجها عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب يسأله أن يشفع في خروجه عند نائبي الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، فكتب ابن عمر إليهما يشفع عندهما فيه ، [فلم يمكنهما رده ، وكان فيما كتب إليهما ابن عمر : قد علمتما ما بيني وبينكما من الودّ ، وما بيني وبين المختار من القرابة والصهر ، وأنا أقسم عليكما لما خليتما سبيله والسلام][٨] .

فاستدعيا به فضمنه جماعة من أصحابه ، واستحلفه عبد الله بن يزيد إن هو بغى للمسلمين غائلة فعليه ألف بدنة ينحرها تجاه الكعبة ، وكل مملوك له عبد وأمة حر ، فالتزم لهما بذلك ، ولزم منزله ، وجعل يقول : قاتلهما الله ، أما حلفي[٩] بالله ، فإني لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن

---

(١) بيت الآبار : قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى . معجم البلدان (١/ ٦١٥) .
(٢) ما بين معكوفين ساقط بعضه من ط .
(٣) في ط : « مغلوبين » ، وما أثبتناه من أ ، م .
(٤) ما بين معقوفين ساقط من أ وم .
(٥) في م ، ط : الشيطان .
(٦) نص الكتاب في تاريخ الطبري (٦/ ٧) .
(٧) في ط : أفراداً ؛ وما أثبت موافق للطبري .
(٨) ما بين معكوفين ساقط من أ وم .
(٩) في ط : حلفاني .

يميني ، وأتيت الذي هو خير ، وأما إهدائي ألف بدنة فيسير ، وأما عتقي مماليكي فوددت أنه قد استتبَّ[١] لي هذا الأمر ولا أملك مملوكاً واحداً ، واجتمعت الشيعة عليه وكثر أصحابه وبايعوه في السرِّ ، وكان الذي يأخذ البيعة له ويحرض الناس عليه خمسة ، وهم السَّائب بن مالك الأشعريّ ، ويزيد بن أنس ، وأحمر[٢] بن شُمَيط ، ورفاعة بن شدّاد ، وعبد الله بن شداد الجُشَمي . ولم يزل أمره يقوى ويشتد ويستفحل ويرتفع ، حتى عزل عبد الله بن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما إلى الكوفة ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة نائباً على البصرة ، فلما دخل عبد الله بن مطيع المخزومي إلى الكوفة في رمضان سنة خمس وستين ، خطب الناس وقال في خطبته : إن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير أمرني أن أسير فيكم[٣] بسيرة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان . فقام إليه السائب[٤] بن مالك الشيعي[٥] فقال : لا نرضى إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا ، ولا نريد سيرة عثمان ـ وتكلم فيه ـ ولا سيرة عمر وإن كان لا يريد للناس إلا خيراً ، وصدَّقه على ما قال بعض أمراء الشيعة ، فسكت الأمير وقال : إني سأسير فيكم بما تحبون من ذلك ، وجاء صاحب الشرطة وهو إياس بن مضارب العجلي[٦] إلى ابن مطيع فقال : إن هذا الذي يرد عليك من رؤوس أصحاب المختار ، ولست آمن من المختار ، فابعث إليه فاردده إلى السجن فإن عيوني قد أخبروني أن أمره قد استجمع له ، وكأنك به قد وثب في المصر . فبعث إليه عبد الله بن مطيع زائدة بن قُدامة وأميراً آخر معه[٧] ، فدخلا على المختار فقالا له : أجب الأمير . فدعا بثيابه وأمر بإسراج دابته ، وتهيأ للذهاب معهما ، فقرأ زائدة بن قدامة : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] . فألقى المختار نفسه وأمر بقطيفة أن تلقى عليه ، وأظهر أنه مريض ، وقال : أخبرا الأمير بحالي ، فرجعا إلى ابن مطيع فاعتذرا عنه ، فصدقهما ولها عنه ، فلما كان شهر المحرم من هذه السنة عزم المختار على الخروج لطلب ثأر الحسين فيما يزعم ، فلما صمم على ذلك اجتمعت عليه الشيعة وثبطوه عن الخروج الآن إلى وقت آخر ، ثم أنفذوا طائفة منهم إلى محمد بن الحنفية يسألونه عن أمر المختار وما دعاهم إليه[٨] ، فلما اجتمعوا به كان ملخص ما قال لهم : إنا لا نكره أن ينصرنا الله بمن شاء من

---

(١) في ط : « استتم » وما أثبتناه من م وهو موافق للطبري .
(٢) تحرفت في أ ، ط إلى : أحمد .
(٣) في ط : فيئكم .
(٤) في أ : الثابت ، تحريف .
(٥) في الطبري (٦/ ٨) وابن الأثير (٣/ ٢٩١) الأشعري .
(٦) في ط : البجلي ، وما أثبت عن أ ، ب والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٢٧٤) ط دار الفكر .
(٧) سماه الطبري (٦/ ١١) وابن الأثير (٣/ ٢٩٢) : حسين بن عبد الله البُرْسمي .
(٨) خبر خروج الشيعة إلى محمد ابن الحنفية في تاريخ الطبري (٦/ ١٢) وابن الأثير (٣/ ٢٩٣) والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ٥١) والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٢٧٥) .

خلقه ، وقد كان المختار بلغه مخرجهم إلى محمد بن الحنفية [فكره ذلك وخشي أن يكذِّبه فيما أخبر به عنه ، فإنه لم يكن بإذن محمد ابن الحنفية][(١)] وهمّ بالخروج قبل رجوع أولئك ، وجعل يسجع لهم سجعاً من سجع الكهان بذلك ، [ثم كان الأمر على ما سجع به][(١)] فلما رجعوا أخبروه بما قال ابن الحنفية ، فعند ذلك قوي أمر الشيعة على الخروج مع المختار بن أبي عبيد .

وقد روى أبو مخنف[(٢)] أن أمراء الشيعة قالوا للمختار : اعلم أن جميع أمراء الكوفة مع عبد الله بن مطيع وهم إلب علينا ، وإنه إن بايعك إبراهيم بن الأشتر النخعي وحده أغنانا عن جميع من سواه . فبعث إليه المختار جماعة يدعونه إلى الدخول معهم في الأخذ بثأر الحسين ، وذكّروه سابقة أبيه مع علي رضي الله عنه ، فقال : قد أجبتكم إلى ما سألتم ، على أن أكون أنا ولي أمركم ، فقالوا : إن هذا لا يمكن ، لأن المهدي قد بعث لنا المختار وزيراً له وداعياً إليه ، فسكت عنهم إبراهيم بن الأشتر ، فرجعوا إلى المختار فأخبروه ، فمكث ثلاثاً ثم خرج في جماعة من رؤوس أصحابه إليه ، فدخل على ابن الأشتر فقام إليه واحترمه وأكرمه وجلس إليه ، فدعاه إلى الدخول معهم ، وأخرج له كتاباً على لسان ابن الحنفية يدعوه إلى الدخول مع أصحابه من الشيعة فيما قاموا فيه من نصرة آل بيت النبي ﷺ ، والأخذ بثأر الحسين . فقال ابن الأشتر : إنه قد جاءتني كتب محمد ابن الحنفية بغير هذا النظام ، فقال المختار : إن هذا زمان وهذا زمان ، فقال ابن الأشتر : فمن يشهد أن هذا كتابه ؟ فتقدم جماعة من أصحاب المختار فشهدوا بذلك ، فقام ابن الأشتر من مجلسه وأجلس المختار فيه وبايعه ، ودعا لهم بفاكهة وشراب من عسل . قال الشعبي : وكنت حاضراً أنا وأبي أمر إبراهيم بن الأشتر . ذلك المجلس ، فلما انصرف المختار قال لي إبراهيم بن الأشتر : يا شعبي ما ترى فيما شهد به هؤلاء ؟ فقلت : إنهم قرّاء وأمراء ووجوه الناس ، ولا أراهم يشهدون إلا بما يعلمون ، قال : وكتمته ما في نفسي من اتِّهامهم ، ولكني كنت أحب أن يخرجوا للأخذ بثأر الحسين ، وكنت على رأي القوم . ثم جعل إبراهيم يختلف إلى المختار في منزله هو ومن أطاعه من قومه ، ثم اتفق رأي الشيعة على أن يكون خروجهم ليلة الخميس لأربع عشرة ليلة خلت [من ربيع الأول][(٣)] من هذه السنة ـ سنة ست وستين .

وقد بلغ ابن مطيع أمر القوم وما اشتوروا عليه ، فبعث الشرط في كل جانب من جوانب الكوفة وألزم كل أمير أن يحفظ ناحيته من أن يخرج منها أحد ، فلما كان ليلة الثلاثاء خرج إبراهيم بن الأشتر قاصداً إلى دار المختار في مئة رجل من قومه ، وعليهم الدروع تحت الأقبية ، فلقيه إياس بن مضارب فقال له : أين تريد يابن الأشتر في هذه الساعة ؟ إن أمرك لمريب ، فوالله لا أدعك حتى أحضرك إلى الأمير فيرى فيك رأيه ، فتناول ابن الأشتر رمحاً من يد رجل فطعنه في ثغرة نحره فسقط ، وأمر رجلاً فاحتز رأسه ، وذهب

---

(١) ما بين معكوفين ساقط من أ .
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ١٥) .
(٣) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ط ، وهو في ب وموافق للطبري (٦/ ١٨) .

به إلى المختار فألقاه بين يديه ، فقال له المختار : بشرك الله بخير ، فهذا طائر صالح . ثم طلب إبراهيم من المختار أن يخرج في هذه الليلة ، فأمر المختار بالنار أن ترفع وأن يُنادى بشعار أصحابه : يا منصور أمت ، يا لثارات الحسين . ثم نهض المختار فجعل يلبس درعه وسلاحه وهو يقول :

قد عَلِمَتْ بَيْضاءُ حسناءُ الطَّلَلْ واضحَة الخَـدَّيـن عَجْـزاءُ الكَفَـلْ
أني غَدَاة الرَّوْعِ مِقْدامٌ بطل(١)

وخرج بين يديه إبراهيم بن الأشتر فجعل يتقصد الأمراء الموكلين بنواحي البلد فيطردهم عن أماكنهم واحداً واحداً . وينادي بشعار المختار ، وبعث المختار أبا عثمان النَّهدي فنادى بشعار المختار ، يا لثارات الحسين . فاجتمع الناس إليه من هاهنا وهاهنا ، وجاء شَبَث بن ربعي فاقتتل هو والمختار عند داره وحصره حتى جاء ابن الأشتر فطرده عنه ، فرجع شَبَث إلى ابن مطيع وأشار عليه بأن يجمع الأمراء إليه ، وأن ينهض بنفسه ، فإن أمر المختار قد قوي واستفحل ، وجاءت الشيعة من كل فجٍّ عميق إلى المختار ، فاجتمع إليه في أثناء اللّيل قريب من أربعة آلاف ، فأصبح وقد عبّأ جيشه وصلّى بهم الصبح ، فقرأ فيها : ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴾ و ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ في الثانية . قال بعض من سمعه : فما سمعت إماماً أفصح لهجة منه(٢) . وقد جهّز ابن مطيع جيشه ثلاثة آلاف عليهم شَبَثَ بن ربعي ، وأربعة آلاف أخرى مع راشد بن إياس بن مضارب ، فوجّه المختار ابنَ الأشتر في ستمئة فارس وستمئة راجل [إلى راشد بن إياس ، وبعث نعيم بن هبيرة في ثلاثمئة فارس وستمئة راجل](٣) إلى شَبَث بن ربعي ، فأما ابن الأشتر فإنه هزم جيش قرنه راشد بن إياس وقتله ، وأرسل إلى المختار يبشره ، وأما نعيم بن هبيرة فإنه لقي شَبَث بن ربعي فهزمه شَبَثُ وقتله ، وجاء فأحاط بالمختار وحصره . وأقبل إبراهيم بن الأشتر نحوه فاعترض له حسان بن فائد بن العبسي في نحو من ألفي فارس من جهة ابن مطيع ، فاقتتلوا ساعة . فهزمه إبراهيم ، ثم أقبل [نحو المختار] فوجد شبث بن ربعي قد حصر المختار وجيشه ، فما زال حتى طاردهم فكرّوا راجعين ، وخلص إبراهيم إلى المختار ، وارتحلوا من مكانهم ذلك إلى غيره في ظاهر الكوفة ، فقال له إبراهيم بن الأشتر : اعمد بنا إلى قصر الإمارة فليس دونه أحد [يرد عنه] فوضعوا ما معهم من الأثقال ، وأجلسوا هنالك ضعفة المشايخ والرجال ، واستخلف على من هنالك أبا عثمان النهدي ، وبعث بين يديه ابن الأشتر ، وعبأ المختار جيشه كما كان ، وسار نحو القصر ، فبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فبعث إليه المختار يزيد بن أنس وسار هو وابن الأشتر أمامه حتى دخل الكوفة من باب الكناسة ، وأرسل ابن مطيع شمر بن ذي الجوشن الذي قتل الحسين في ألفين آخرين ، فبعث إليه المختار سعد بن

(١) الأبيات في الطبري (٦/ ٢٠) والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ٥٣) والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٢٨٢) مع زيادة شطر في البيت الثاني : لا عاجز فيها ولا وغد فشل .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٢٣) .
(٣) ما بين معكوفين ساقط من أ وحدها .

منقذ الهمداني ، وسار المختار حتى انتهى إلى سكة شَبَثَ . وإذا نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة في خمسة آلاف وخرج ابن مطيع من القصر في الناس ، واستخلف عليه شَبَث بن ربعي ، فتقدم ابن الأشتر إلى الجيش الذي مع ابن مساحق ، فكان بينهم قتال شديد [قُتل فيه رفاعة بن شداد أميرُ جيش التوابين الذين قدم بهم ، وعبد الله بن سعد وجماعة غيرهم ، ثم انتصر عليهم ابن الأشتر فهزمهم][١] وأخذ بلجام دابة ابن مساحق فمتَّ إليه بالقرابة ، فأطلقه ، وكان لا ينساها بعد لابن الأشتر . ثم تقدم المختار بجيشه إلى الكناسة وحصروا ابن مطيع بقصره ثلاثاً ، ومعه أشراف الناس سوى عمرو بن حريث فإنه لزم داره ، فلما ضاق الحال على ابن مطيع وأصحابه استشارهم ، فأشار عليه شَبَث بن ربعي أن يأخذ له ولهم من المختار أماناً ، فقال : ما كنت لأفعل هذا وأمير المؤمنين مطاع بالحجاز وبالبصرة ، فقال له : فإني رأيت أن تذهب بنفسك مختفياً حتى تلحق بصاحبك فتخبره بما كان من الأمر وبما كان منا في نصره وإقامة[٢] دولته ، فلما كان اللّيل خرج ابن مطيع مختفياً حتى دخل دار أبي موسى الأشعري ، فلما أصبح الناس أخذ الأمراء إليهم أماناً من ابن الأشتر فأمنهم ، فخرجوا من القصر وجاؤوا إلى المختار فبايعوه ، ثم دخل المختار إلى القصر فبات فيه ، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر ، فخرج المختار إلى المسجد فصعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة ثم دعا الناس إلى البيعة وقال[٣] : فوالذي جعل السماء سقفاً محفوظاً والأرض فجاجاً سُبُلاً ، ما بايعتم بعد بيعة عليّ أهدى منها . ثم نزل فدخل الناس يبايعونه على كتاب الله وسنة رسوله ، والطلب بثأر الحسين وأهل البيت ، وجاء رجل إلى المختار فأخبره أن ابن مطيع في دار أبي موسى ، فأراه أنه لا يسمع قوله ، فكرر ذلك ثلاثاً كل ذلك يريه لا يسمع[٤] قوله فسكت الرجل ، فلما كان اللّيل بعث المختار إلى ابن مطيع بمئة ألف درهم . وقال له : اذهب فقد شعرت بمكانك ـ وكان له صديقاً قبل ذلك ـ فذهب ابن مطيع إلى البصرة وكره أن يرجع إلى ابن الزبير وهو مغلوب ، وشرع المختار يتحبب إلى الناس بحسن السيرة ، ووجد في بيت المال تسعة آلاف ألف ، فأعطى الجيش الذين حضروا معه القتال نفقات كثيرة ، واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل اليشكري[٥] ، وقرّب أشراف الناس فكانوا جلساءه ، فشق ذلك على الموالي الذين قاموا بنصره ، وقالوا لأبي عَمرة كيسان مولى غزينة ـ وكان على حرسه ـ : قدّم والله أبو إسحاق العرب وتركنا ، فأنهى ذلك أبو عَمْرة إليه ، فقال : بل هم مني وأنا منهم ، ثم قال : ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] فقال لهم أبو عَمْرة : أبشروا فإنه سيقتلهم[٦] ويقربكم ، فأعجبهم ذلك وسكتوا .

---

(١) ما بين معكوفين ساقط من أ وهو موافق لما جاء في المصادر .

(٢) في ط : وإقامته .

(٣) نص الخطبة في تاريخ الطبري (٦/ ٣٢) وابن الأثير (٤/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٢١٩) .

(٤) من قوله : كل ذلك . . إلى هنا ساقط من ط .

(٥) في الطبري (٦/ ٣٣) وابن الأثير (٤/ ٢٢٧) الشاكري .

(٦) في ط : سيدنيكم ، وعبارة الطبري : أبشروا ، كأنكم والله به قد قتلهم .

ثم إن المختار بعث الأمراء إلى النواحي والبلدان والأقاليم والرساتيق ، من أرض العراق وخراسان ، وعقد الألوية والرايات ، وقرر الإمارة والولايات ، وجعل يجلس للناس غدوة وعشية يحكم بينهم ، فلما طال ذلك عليه استقضى شريحاً فتكلّم في شريح طائفة من الشيعة ، وقالوا : إنه شهد على حِجْر بن عدي ، وإنه لم يبلّغ عن هانىء بن عروة ما أرسله به ، وقد كان علي بن أبي طالب عزله عن القضاء . فلما بلغ شريحاً ذلك تمارض ولزم بيته ، فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم عزله وجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضياً[١] .

فصـــل

ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله ، وكان سبب ذلك أن عبيد الله بن زياد كان قد جهزه مروان من دمشق ليدخل الكوفة ، فإن ظفر بها فليبحها ثلاثة أيام ، فسار ابن زياد قاصداً الكوفة ، فلقي جيش التوابين ، بعين الوردة كما ذكرنا ، ثم سار[٢] حتى انتهى إلى الجزيرة فوجد بها قيس عيلان ، وهم من أنصـــار [ابن الزبير ، وقد كان مـروان أصاب منهم قتلى كثيرة يوم مرج راهط ، فهم إلب عليه ، وعلى ابنه عبد المـلك من بعده ، فتعوَّق عن المسير سنة وهـو في حرب قيس عيلان بالجزيرة ، ثم وصل إلى الموصل فانحاز نائبها[٣] عنه إلى تكريت ، وكتب إلى المختار يعلمـه بذلك ، فندب المختار يزيد بن][٤] أنس في ثلاثة آلاف اختارها ، وقال له : إني سأمدُّك بالرجال بعد الرجال ، فقال له : لا تمدني إلا بالدعاء . وخرج معه المختار إلى ظاهر الكوفة فودعه ودعا له وقال له : ليكن خبرك في كل يوم عندي ، وإذا لقيت عدوك فناجزهم[٥] ، ولا تؤخـــر فـرصة . ولما بلغ مخرجهم ابن زياد جهّز بين يديه سريّتين إحداهما مع ربيعة بن مخارق ثلاثة آلاف ، والأخرى مع عبد الله بن حَمْلة ثلاثة آلاف ، وقال : أيكم سبق فهو الأمير ، وإن سبقتما معاً فالأمير عليكم أسنُّكما . فسبق ربيعة بن مخارق إلى يزيد بن أنس فالتقيا في طرف أرض الموصل ممايلي الكوفة ، فتواقفا هنالك ، ويزيد بن أنس مريض مدنف ، وهو مع ذلك يحرّض قومه على الجهاد ويدور على الأرباع وهو محمول مضنيٌّ [على حمار ، وهو يقول لقومه : يا شرطة الله اصبروا تؤجروا ، وقاتلوا عدوكم تظفروا ، ثم نزل فوضع له سريره بين الصفين ، وقال لقومه : قاتلوا عن أميركم إن شئتم أو فرُّوا عنه][٦] وقال للناس : إن هلكت فأمير[٧]

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٣٤ ـ ٣٥) وابن الأثير (٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) .
(٢) في ط : فكان من أمرهم ما تقدم ، ثم سار من عين وردة . .
(٣) واسمه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس . الطبري (٦/ ٣٩) .
(٤) ما بين معكوفين ساقط من أ وحدها .
(٥) في ط : فناجزك فناجزهم ، وعبارة الطبري : إذا لقيت عدوك فلا تناظرهم ، وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها .
(٦) من قوله : على حمار . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر بتمامه في الطبري (٦/ ٤١) .
(٧) في ط : فالأمير على . .

الناس[١] عبد الله بن ضمرة الفزاري ، وهو رأس الميمنة ، وإن هلك فسعر[٢] بن أبي سعر رأس الميسرة ، وكان ورقاء بن عَازَبٍ[٣] الأسدي على الخيل . وهو وهؤلاء الثلاثة أمراء الأرباع ، وكان ذلك في يوم عرفة من سنة ست وستين عند إضاءة الصبح ، فاقتتلوا هم والشاميون قتالاً شديداً ، واضطربت كل من الميمنتين والميسرتين ، ثم حمل ورقاء على الخيل فهزمها وفرَّ الشاميون وقُتل أميرهم ربيعة بن مخارق ، واحتاز جيش المختار ما في معسكر الشاميين ، ورجع فرّارهم فلقوا الأمير الآخر عبد الله بن حملة[٤] ، فقال : ما خبركم؟ فأخبروه فرجع بهم وسار بهم نحو يزيد بن أنس فانتهى إليهم عشاءً ، فبات الناس متحاجزين ، فلما أصبحوا تواقفوا على تعبئتهم ، وذلك يوم الأضحى من سنة ست وستين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم جيشُ المختار [جيشَ الشاميين] أيضاً ، وقتلوا أميرهم عبد الله بن حملة واحتووا على ما في معسكرهم ، وأسروا منهم ثلاثمئة أسير ، فجاؤوا بهم إلى يزيد بن أنس وهو على آخر رمق ، فأمر بضرب أعناقهم .

ومات يزيد بن أنس من يومه ذلك وصلى عليه خليفته ورقاء بن عازب ودفنه ، وسقط في أيدي أصحابه ، وجعلوا يتسللون راجعين إلى الكوفة ، فقال لهم ورقاء : يا قوم ماذا ترون ؟ إنه قد بلغني أن ابن زياد قد أقبل في ثمانين ألفاً من الشام ، ولا أرى لكم بهم طاقة ، وقد هلك أميرنا ، وتفرق عنا طائفة [من الجيش] من أصحابنا فلو انصرفنا راجعين إلى بلادنا ونُظهر أنّا إنّما انصرفنا حزناً منا على أميرنا لكان خيراً لنا من أن نلقاهم فيهزموننا ونرجع مغلوبين ، فاتفق رأي الأمراء على ذلك ، فرجعوا إلى الكوفة . فلما بلغ خبرهم أهل الكوفة ، وأن يزيد بن أنس قد هلك ، أرجف أهل الكوفة بالمختار ، وقالوا : قُتل يزيد بن أنس في المعركة وانهزم جيشه ، وعمّا قليل يقدَم عليكم ابن زياد فيستأصلكم ويشتف خضراءَكم ، ثم تمالؤوا على الخروج على المختار وقالوا : هو كذاب ، واتفقوا على حربه وقتاله وإخراجه من بين أظهرهم ، واعتقدوا أنه كذاب ، وقالوا : قد قدّم موالينا على أشرافنا ، وزعم أن ابن الحنفية قد أمره بالأخذ بثأر الحسين وهو لم يأمره بشيء ، وإنما هو متقول عليه ، وانتظروا بخروجهم عليه أن يخرج من الكوفة إبراهيم بن الأشتر فإنه قد عينه المختار أن يخرج في سبعة آلاف تلقاء عبيد الله بن زياد [وقال له : سر حتى ترى جيش ابن أنس فردهم معك ، وسر بهم حتى تلقى عدوك عبيد الله بن زياد فناجزه . فخرج الأشتر بمجموعه ، فلما بلغ ساباط[٥] جاءه كتاب المختار يأمره بالرجوع فرجع ، وكان المختار قد حصَّن

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ٤١) والمنتظم (٦/ ٥٦) : إن هلك فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي ، فإن هلك فأميركم عبد الله بن ضمرة .

(٢) في ط : مسعر بن أبي مسعر ؛ وما أثبت موافق للمصادر .

(٣) في أ ، ط : ورقاء بن خالد ؛ وما أثبت عن ب والمصادر .

(٤) في أ : جملة ـ بالجيم ـ وأثبت ما أجمعت عليه المصادر .

(٥) ساباط : موضع معروف بالمدائن . معجم البلدان (٣/ ١٨٧) .

قصر الإمارة ، واستعد للقتال ، وخرج أولئك الذين اتفقوا على قتاله فعسكروا بجبَّانة السَّبيع[١] ، وهم شَبَث بن رِبْعي ، وشِمْر بن ذي جَوْشن ، ومحمد بن الأشعث ، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وكعب الخثعمي ، وزَحْر بن قيس الجُعْفي ، وإسحاق بن محمد بن الأشعث ، وبشير بن جرير ، وحجار بن أبجر ، وعمرو بن الحجاج الزّبيدي وغيرهم][٢] ، فلما خرج ابن الأشتر اجتمع أشراف الناس ممن كان في جيش قتلة الحسين وغيرهم في دار شَبَث بن ربعي وأجمعوا رأيهم على قتال المختار ، ثم وثبوا فركبت كل قبيلة مع أميرها في ناحية من نواحي الكوفة ، وقصدوا قصر الإمارة ، وبعث المختار عمرو بن توبة[٣] بريداً إلى إبراهيم بن الأشتر ليرجع إليه سريعاً ، وبعث المختار إلى أولئك يقول لهم : ماذا تنقمون ؟ فإني أجيبكم إلى جميع ما تطلبون ، وإنما يريد أن يثبطهم عن مناهضته حتى يقدم إبراهيم بن الأشتر ، وقال : إن كنتم لا تصدقونني في أمر محمد بن الحنفية فابعثوا من جهتكم وأبعث من جهتي من يسأله عن ذلك ، ولم يزل يطاولهم حتى قدم ابن الأشتر بعد ثلاث ، فانقسم هو والناس فرقتين ، فتكفَّل المختار بأهل اليمن ، وتكفّل ابن الأشتر بمضر وعليهم شَبَث بن ربعي ، وكان ذلك بإشارة المختار ، حتى لا يتولى ابن الأشتر بقتال قومه من أهل اليمن فيحنو عليهم وكان المختار شديداً عليهم .

واقتتل الناس في نواحي الكوفة قتالاً عظيماً وكثرت القتلى بينهم من الفريقين ، وجرت فصول وأحوال حربية يطول استقصاؤها ، وقتل جماعة من الأشراف ، منهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الكندي ، وسبعمئة وثمانين رجلاً من قومه ، وقتل من مضر بضعة عشر رجلاً ، ويعرف هذا اليوم بجبَّانة السَّبيع ، وكان ذلك يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجّة سنة ست وستين ، ثم كانت النصرة للمختار عليهم ، وأسر منهم خمسمئة أسير ، فعرضوا عليه فقال : انظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين فاقتلوه ، فقتل منهم مئتان وأربعون رجلاً[٤] ، وقتل أصحابه منهم من كان يؤذيهم ويسيء إليهم بغير أمر المختار ، ثم أطلق الباقين ونادى منادي المختار : من أغلق بابه فهو آمن إلا رجل أشرك في دم آل محمد ـ ﷺ ـ[٥] وهرب عمرو بن الحجّاج الزُّبيدي ، وكان ممن شهد قتل الحسين فلا يدرى أين ذهب من الأرض .

---

(١) قال ياقوت الحموي : الجبّان في الأصل الصحراء ، وأهل الكوفة يسمون المقابر جبَّانة ، كما يسميها أهل البصرة المقبرة ، وبالكوفة محالّ تسمى هذا الاسم وتضاف إلى القبائل منها . جبّانة السّبيع ، كان بها يوم للمختار بن عبيد . معجم البلدان (٢/ ١١٦) .

(٢) من قوله : وقال له . . إلى هنا ساقط من ط وهو موافق للطبري (٦/ ٤٤ـ٤٦) .

(٣) في أ ، ط : ثوبة ، وما أثبت عن ب والمصادر .

(٤) في الطبري (٦/ ٥١) وابن الأثير (٤/ ٢٣٥) : مئتين وثمانية وأربعين قتيلاً .

(٥) من قوله : ونادى منادي . . إلى هنا ساقط من ط ، ب وهو موافق للطبري .

مقتل شِمر بن ذي الجوشن
أمير السَّرية التي قتلت حسيناً

وهرب أشراف الكوفة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير ، وكان ممن هرب لقصده شِمر بن ذي الجوشن قبحه الله ، فبعث المختار في طلبه غلاماً له يقال له زرنب[١] ، فلما دنا منه قال شمر لأصحابه : تقدموا وذروني وراءكم بصفة أنكم قد هربتم وتركتموني حتى يطمع فيّ هذا العلج ، فساقوا وتأخر شمر فأدركه زرنب فعطف عليه شمر فدق ظهره فقتله ، وسار شمر [وتركه] وكتب كتاباً إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة ينذره بقدومه عليه ، ووفادته إليه ، وكان كل من فرّ من هذه الوقعة يهرب إلى مصعب بالبصرة ، وبعث شمر الكتاب مع علج من علوج قرية قد نزل عندها يقال لها الكلتانية[٢] عند نهرٍ إلى جانب تلٍّ هناك ، فذهب ذلك العلج فلقيه علج آخر فقال له : إلى أين تذهب ؟ قال : إلى مصعب ، قال : ممن ؟ قال : من شمر ، فقال : اذهب معي إلى سيِّدي ، وإذا سيده أبو عمرة أمير حرس المختار ، وهو قد ركب في طلب شمر ، فدله العلج على مكانه فقصده أبو عمرة ، وقد أشار أصحاب شمر عليه أن يتحول من مكانه ذلك ، فقال لهم : هذا كله فرق من الكذاب ، والله لا أرتحل من هاهنا إلى ثلاثة أيام حتى أملأ قلوبهم رعباً ، فلما كان الليل كابسهم أبو عمرة في الخيل فأعجلهم أن يركبوا أو يلبسوا أسلحتهم ، وثار إليهم شمر بن ذي الجوشن فطاعنه برمحه وهو عريان ثم دخل خيمته فاستخرج منها سيفاً وهو يقول :

نبهتمُ ليثَ عرينٍ باسلا[٣] جهماً محيَّاهُ يدقُّ الكاهلا
لم يُرَ يوماً عن عدوٍّ ناكلا إلا أكرَّ مقاتلاً أو قاتلا[٤]
يزعجهم[٥] ضرباً ويُروي العاملا

ثم ما زال يناضل عن نفسه حتى قُتل ، فلما سمع أصحابه وهم منهزمون صوت التكبير وقول أصحاب المختار : الله أكبر قتل الخبيث ، عرفوا أنه قد قتل قبحه الله .

قال أبو مخنف : عن يونس بن أبي إسحاق قال : ولما خرج المختار من جبَّانة السَّبيع وأقبل

---

(١) في الطبري (٦/ ٥٢) : زربيا ، وفي ابن الأثير (٤/ ٢٣٦) زربى ، وفي ابن الأعثم (٢/ ٣٢٠) : رزين .
(٢) في الأصول : الكلبانية ـ بالباء ـ تحريف ، وما هنا عن الطبري ، والكلتانية ـ بالتاء ـ موضع ما بين السوس والصيمرة ، قريب من البصرة ، وبهذه القرية قتل شمر بن ذي الجوشن الضبابي المشارك في قتل الحسين بن علي قتله أبو عمرة . معجم البلدان (٤/ ٥٤٠) .
(٣) في الفتوح لابن الأعثم (٢/ ٣٢٢) : تيمموا ليثاً هزبراً باسلاً .
(٤) في أ : إلا أكرَّ مقاتلاً أو ساملاً ، وأثبت ما وافق المصادر .
(٥) كذا في أ ، ط ، وفي ب والطبري (٦/ ٥٤) وابن الأثير (٤/ ٢٣٦) : يُبْرِحهم . والأبيات أيضاً في تاريخ دمشق (٢٣/ ١٩٢) ط دار الفكر ، وتهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٤٢) .

إلى القصر ـ يعني منصرفه من القتال ـ ناداه سُراقةُ بن مِرْداس بأعلى صوته وكان في الأسرى .

امنــنْ علــيَّ اليــومَ يــا خَيْــرَ مَعَــدْ وخَيْــرَ مــن حَــلَّ بشِحْــرٍ والجَنَــدْ[١]
وخَيْرَ من لبَّى وصام وسَجَد[٢]

قال : فبعثه إلى السجن فاعتقله ليلة ثم أطلقه من الغد ، فأقبل إلى المختار وهو يقول :

ألا أخبــرْ[٣] أبــا إسحــاقَ أنــا نــزونــا نَــزْوةً كــانــت علينــا
خَــرَجْنــا لا نــرى الضعفــاءَ شيئــاً وكــان خُــرُوجنــا بَطَــراً وشَينــا[٤]
نــراهــم فــي مصــافِّهــمُ قليــلاً وهــم مثــلُ الــرُّبــا[٥] حيــن التقينــا
بــرزْنــا إذْ رَأيْنــاهُــمْ فلمــا رأينــا القــومَ قــد بــرزوا إلينــا
رأينــا[٦] منهــمُ ضــربــاً وطحنــاً وطعنــاً صــائبــاً حتــى انثنينــا[٧]
نُصِــرْتَ علــى عــدوكَ كُــلَّ يــومٍ بكــلِّ كتيبــةٍ[٨] تنعــى حُسَيْنــا[٩]
كنصــر محمــدٍ فــي يــومِ بــدرٍ ويــومَ الشِّعْــبِ إذْ لاقــى حُنَيْنــا
فأَسجح[١٠] إذ ملكتَ فلو ملكْنا[١١] لجــرنــا فــي الحكــومــة واعتــدينــا
تقبــل تــوبــةً منــي فــإنــي ســأشكــرُ إذْ جعلــتَ النَّقــدَ دينــا[١٢]

وجعل سراقة بن مرداس يحلف أنه رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والأرض ، وأنه لم يأسره إلا واحد من أولئك الملائكة ، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيخبر الناس بذلك . فصعد المنبر فأخبر الناس بذلك ، فلما نزل خلا به المختار فقال له : إني قد عرفت أنك لم تر الملائكة ، وإنما أردت

---

(١) في أ : كل مسح بالجند .
(٢) في الطبري : وخير من لبّى وحيّا وسجد ، والأبيات أيضاً في ديوان سراقة بن مرداس (٧٤) .
(٣) في الطبري وابن الأثير : ألا أبلغ .
(٤) في الطبري وابن الأثير : وحينا .
(٥) في الطبري : الدُّبي .
(٦) في الطبري : لقينا منهم ضرباً طلحفاً .
(٧) في أ وحدها : حتى انتهينا .
(٨) في ط : كثيبة ـ بالثاء ـ .
(٩) في الفتوح لابن الأعثم (٢/ ٣٢) :

زففت الخيل يا مختار زفًّا بكـل كتيبـة قتلـت حسينـا
نصرت على عدوك كل يوم بكل حضارم لم يلق شينا

(١٠) في أ وحدها : فانجح ؛ وما أثبت موافق للمصادر .
(١١) في الفتوح لابن الأعثم : فصفحاً إذ قدرت فلو قدرنا .
(١٢) في أ : العقد ، وفي ط : العفو ؛ وما أثبت عن ب والطبري وابن الأثير والأبيات في ديوان سراقة(٧٦ ـ ٧٧) .

بقولك هذا أني لا أقتلك ، ولست أقتلك ، فاذهب حيث شئت لئلا تفسد عليَّ أصحابي ، فذهب سراقة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير وجعل يقول :

ألا أبلغ[١] أبا إسحاقَ أني رأيتُ البلقَ دهماً مصمتاتِ
كفرتُ بوحيكم وجعلتُ نذراً عليَّ قتالكمْ حتى المماتِ
رأت عيناي[٢] ما لمْ تبصراهُ كلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
إذا قالوا : أقولُ لهم كَذَبْتُمْ وإنْ خرجوا لبسْتُ لهمْ أداتي

قالوا : ثم خطب المختار أصحابه فحرّضهم في خطبته تلك على من قتل الحسين من أهل الكوفة المقيمين بها ، فقال : ما من ديننا ترك قومٍ[٣] قتلوا حسيناً يمشون في الدنيا أحياء آمنين ، بئس ناصرو آل محمد إني إذاً كذاب كما سمَّيتموني أنتم ، فإني بالله أستعين عليهم ، فالحمد لله الذي جعلني سيفاً أضربهم ، ورمحاً أطعنهم ، وطالب وترهم ، وقائماً بحقهم ، وإنه كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جهل حقهم ، فسموهم ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم ، فإنه لا يسيغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم ، وأنفي من في المصر منهم . ثم جعل يتتبع من ذكر له منهم وهو بالكوفة ـ فيأتون بهم حتى يوقفوا بين يديه فيأمر بقتلهم على أنواع من القتلات مما يناسب ما فعلوا ـ ، ومنهم من حَرَّقه بالنار ، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات ، ومنهم من يُرْمى بالنبال حتى يموت [فأتوه بمالك بن بشر[٤] فقال له المختار : أنت الذي نزعت برنس الحسين عنه ؟ فقال : خرجنا ونحن كارهون فامنن علينا ، فقال : اقطعوا يديه ورجليه . ففعلوا به ذلك ثم تركوه يضطرب حتى مات ، وقتل عبد الله بن أسيد الجهني وغيره شر قتلة][٥] .

مقتل خولي بن يزيد الأصبحي الذي احتزّ رأس الحسين

بعث إليه المختار أبا عمرة صاحب حرسه ، فكبس بيته فخرجت إليهم امرأته فسألوها عنه فقالت : لا أدري أين هو ، وأشارت بيدها إلى المكان الذي هو مختفٍ فيه ، ـ وكانت تبغضه من ليلة قدم برأس الحسين معه إليها ، وكانت تلومه على ذلك ـ واسمها العَيُوف[٦] بنت مالك بن نهار بن عَقْرَب الحضرمي ، فدخلوا عليه فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة[٧] فحملوه إلى المختار فأمر بقتله قريباً من داره ، وأن

---

(١) في ط : أخبر .
(٢) في ط : رأيت ، وفي الطبري وابن الأثير : أري عينيَّ ، والأبيات في ديوان سراقة (٧٨) .
(٣) في أ ، ط : فقالوا ما ذنبنا نترك أقواماً . . . ؛ ولا يستقيم المعنى ، وما أثبت عن ب والطبري (٦/ ٥٧) .
(٤) في الطبري : مالك بن النُّسير البدّي . وفي ابن الأثير (٤/ ٢٤٠) : مالك بن بشير البَدّي .
(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط . وهي موافقة للمصادر .
(٦) في ط : العبوق ؛ تحريف .
(٧) القوصرة : وعاء التمر . القاموس (قصر) .

يحرق بعد ذلك . وبعث المختار إلى حكيم بن فضيل[١] السنبسي ـ وكان قد سلب العباس بن علي بن أبي طالب يوم قتل الحسين ـ فأخذ فذهب أهله إلى عدي بن حاتم ، فركب ليشفع فيه عند المختار ، فخشي أولئك الذين أخذوه أن يسبقهم عدي إلى المختار فيشفعه فيه ، فقتلوا حكيماً قبل أن يصل إلى المختار ، فدخل عدي فشفع فيه فشفعه فيه ، فلما رجعوا وقد قتلوه شتمهم عدي وقام متغضباً عليهم وقد تقلد منّة المختار . وبعث المختار إلى يزيد بن رُقاد[٢] وكان قد قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ، فلما أحاط الطلب بداره خرج فقاتلهم فرموه بالنبل والحجارة حتى سقط ، ثم حرقوه وبه رمق الحياة ، وطلب المختار سنان بن أنس ، الذي كان يدّعي أنه قتل الحسين ، فوجدوه قد هرب إلى البصرة أو الجزيرة فهدمت داره ، وهكذا صنع بكل من هرب من هؤلاء إلى البصرة ، أو الجزيرة فهُدمت داره[٣] ، وكان محمد بن الأشعث بن قيس ممن هرب إلى مصعب فأمر المختار بهدم داره ، وأن يبنى بها دار حجر بن عدي التي كان زياد هدمها .

مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الذين قتلوا الحسين

قال الواقدي[٤] : كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه جالساً ذات يوم إذ جاء غلام له ودمه يسيل على عقبيه ، فقال له سعد : من فعل بك هذا ؟ فقال : ابنك عمر ، فقال سعد : اللهم اقتله وأَسل دمه . وكان سعد مستجاب الدعوة ، فلما ظهر المختار على الكوفة استجار عمر بن سعد بعبد الله بن جَعْدة بن هبيرة ، وكان صديقاً للمختار من قرابته من علي ، فأتى المختار فأخذ منه لعمر بن سعد أماناً مضمونه أنه آمن على نفسه وأهله وماله ما أطاع ولزم رحله ومصره ، ما لم يحدث حدثاً . وأراد المختار ما لم يأت الخلاء فيبول أو يغوط . ولما بلغ عمر بن سعد أن المختار يريد قتله خرج من منزله ليلاً يريد السفر نحو البصرة[٥] فقال له بعض مواليه ذلك [فقال] : وأي حدث أعظم من هذا ؟ وقال له : تخرج من منزلك ورحلك ؟ ارجع ، فرجع . ولما أصبح بعث ولده حفص إلى المختار يقول له : إنَّ أبي يقول لك هل أنت مقيم على أمانك ؟ [وقيل إنه أتى المختار يتعرف منه ذلك فقال له المختار : اجلس ، وقيل إنه أرسل عبد الله بن جعدة إلى المختار يقول له : هل أنت مقيم على أمانك له ؟][٦] فقال له المختار : اجلس ، فلما جلس قال المختار لصاحب حرسه : اذهب فأتني برأسه فذهب إليه فقتله وأتاه برأسه .

---

(١) في الطبري وابن الأثير : حكيم بن طفيل الطائي السنبسي .
(٢) في ط : يزيد بن ورقاء ، وفي الطبري وابن الأثير : زيد بن رُقاد .
(٣) من قوله : وهكذا صنع . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٦٠ ـ ٦٢) والكامل لابن الأثير (٣/ ٣١٢) والأخبار الطوال (٣٠١) والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ٥٨) .
(٥) في ط : نحو مصعب أو عبيد الله بن زياد ، وما أثبت موافق للمصادر .
(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط . وهي موافقة للطبري .

وفي رواية أن المختار قال ليلة[١] : لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين غائر العينين ، مشرف الحاجبين يسرُّ بقتله المؤمنون والملائكة المقربون ، وكان الهيثم بن الأسود حاضراً فوقع في نفسه أنه أراد عمر بن سعد فبعث إليه ابنه العُريان[٢] فأنذره ، فقال : كيف يكون هذا بعد ما أعطاني من العهود والمواثيق ؟ وكان المختار حين قدم الكوفة أحسن السيرة إلى أهلها أولاً ، وكتب لعمر بن سعد كتاب أمان إلا أن يحدث حدثاً .

قال أبو مخنف[٣] : وكان أبو جعفر الباقر يقول : إنما أراد المختار : إلاّ أن يَدْخل الكنيفَ فيُحدثَ فيه .

ثم إن عمر بن سعد قلق أيضاً ، ثم جعل يتنقل من محلة إلى محلة ثم صار أمره أنه رجع إلى داره ، وقد بلغ المختار انتقاله من موضع إلى موضع ، فقال : كلا والله إن في عنقه سلسلة ترده ، لو جهد أن ينطلق ما استطاع[٤] . ثم أصبح فبعث إليه أبا عمرة [فدخل عليه فقال : أجب الأمير ، فقام عمر][٥] فعثر في جبَّته ، فضربه أبو عمرة بالسيف حتى قتله ، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار لابنه حفص ـ وهو جالس عنده ـ فقال : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ولا خير في العيش بعده ، فقال : صدقت ، ثم أمر به فضربت عنقه ووضع رأسه مع رأس أبيه ، ثم قال المختار : هذا بالحسين ، وهذا بعلي بن الحسين الأكبر ، ولا سواء ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وَفَوا أنملةً من أنامله .

وقيل : إن عمر شهد دُومةَ الجندلِ مع أبيه[٦] .

وقيل : إنه أول من طعن في سرادق الحسين[٧] .

وقيل : إن علي بن أبي طالب قال له يوماً : يا عمر بن سعد كيف إذا قمت مقاماً تُخَيّر فيه بين الجنة والنار[٨] .

وقال الواقدي[٩] : ما بقي أحد ممن شهد قتل الحسين ، أو شارك في قتله إلا عوقب في الدنيا بالقتل والبلاء ، وفي الآخرة بالعذاب ، ومن أعجب الأشياء أن الحسين رضي الله عنه لم يخلِّف ولداً سوى علي

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٠) .
(٢) في ط : العرثان ؛ وما هنا عن أ والطبري .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٦١) .
(٤) مكانها من ط : إن يطير لأدركه دم الحسين ، وعبارة (أ) من (ب) موافقة للطبري .
(٥) مكانها في ط : فأراد الفرار منه ، وعبارة أ ، ب موافقة للطبري .
(٦) تاريخ ابن عساكر (٤٥/ ٣٧) ط دار الفكر ، ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص .
(٧) المصدر نفسه (٤٥/ ٥٤) من طريق ابن سعد .
(٨) المصدر نفسه (٤٥/ ٤٩) مع زيادة : فتختار النار .
(٩) مختصر تاريخ ابن عساكر (٧/ ١٥١) .

زين العابدين ، وهو أبو الأئمة ، وقد نشر الله من ذريته عدد الرمل والحصى ، منهم سادات وأشراف ، وأن يزيد بن معاوية ترك نحو عشرين ولداً ، وليس له اليوم على وجه الأرض نسل والله أعلم[١] . ثم بعث المختار برأسيهما إلى محمد بن الحنفية ، وكتب إليه كتاباً في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم للمهدي[٢] محمد بن علي : من المختار بن أبي عبيد ، سلام عليك أيها المهدي فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإن الله بعثني نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد ، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم ، ونصر مؤازركم ، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا ممن اشترك في دم الحسين وأهل بيته كل من قدرنا عليه ، ولن يعجز الله من بقي ، ولست بمنحجم[٣] عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أَرَمِيّاً[٤] فاكتب إليّ أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته . ولم يذكر ابن جرير أن محمد بن الحنفية رد جوابه ، مع أن ابن جرير قد تقصى هذا الفصل وأطال شرحه ، ويظهر من غبون كلامه قوة وجده به وغرامه ، ولهذا توسع في إيراده بروايات أبي مخنف لوط بن يحيى ، وهو متهم فيما يرويه ، ولاسيما في باب التشيع ، وهذا المقام للشيعة فيه غرام وأي غرام ، إذ فيه الأخذ بثأر الحسين وأهله من قتلتهم ، والانتقام منهم ، ولا شك أنَّ قتل قتلته كان متحتماً ، والمبادرة إليه كان مغنماً ، ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكذاب الذي صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافراً ، ولكن قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »[٥] . وقال تعالى في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكاتبون : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] وقال بعض الشعراء :

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وسيأتي في ترجمة المختار ما يدل على كذبه وافترائه، وادعائه نصرة أهل البيت، وهو في نفس الأمر متستر بذلك ليجمع عليه رعاعاً من الشيعة الذين بالكوفة، ليقيم لهم دولة ويصول بهم ويجول على مخالفيه صولة.

ثم إن الله تعالى سلط عليه من انتقم به منه ، وهذا هو الكذاب الذي قال فيه الرسول في حديث أسماء بنت الصديق : « إنه سيكون في ثقيف كذاب ومبير »[٦] . فهذا هو الكذاب وهو يظهر التشيع وأما

(١) من قوله : وقيل : إن عمر شهد . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٢) في ط : إلى ؛ وما أثبت من أ ، م والطبري .
(٣) في الطبري : بمنجم ، وفي نسخة منه : بمتنح .
(٤) في ط : إنه لم يبق على وجه الأرض منهم أحد ، وعبارة أ موافقة للطبري ، وأرمياً : أحداً .
(٥) قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٩) والبخاري في صحيحه برقم (٦٦٠٦) في القدر ، ومسلم رقم (١١١) .
(٦) الحديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة عن أسماء بنت أبي بكر ، ورواه البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٨٢) .

المبير فهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد ولي الكوفة من جهة عبد الملك بن مروان كما سيأتي ، وكان الحجاج عكس هذا ، كان ناصبياً جلداً ظالماً غاشماً ، ولكن لم يكن في طبقة هذا ، متهم على دين الإسلام ودعوة النبوة ، وأنه يأتيه الوحي من العليّ العلام .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بعث المختار المثنى بن مُخرِّبة(١) العبدي إلى البصرة يدعو إليه من استطاع من أهلها ، فدخلها وابتنى بها مسجداً يجتمع فيه إليه قومه، فجعل يدعو إلى المختار، ثم أتى مدينة الرِّزْق(٢) فعسكر عندها فبعث إليه الحارث بن عبد الله بن ربيعة القُبَاع ـ وهو أمير البصرة قبل أن يعزل بمصعب ـ جيشاً مع عباد بن الحصين أمير الشرطة ، وقيس بن الهيثم . فقاتلوه وأخذوا منه المدينة وانهزم أصحابه ، وكان قد قام بنصرتهم بنو عبد القيس ، فبعث إليهم الجيش فبعثوا إليه فأرسل الأحنف بن قيس وعُمر(٣) بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا بين الناس ، وساعدهما مالك بن مسمع ، فانحجز الناس بعضهم عن بعض ، ورجع إلى المختار في نفر يسير مغلوباً مسلوباً مغلولاً ، وأخبر المختار بما وقع من الصلح على يدي الأحنف وغيره من أولئك الأمراء ، وطمع المختار فيهم وكاتبهم في أن يدخلوا معه فيما هو فيه من الأمر والشأن ، وكان كتابه إلى الأحنف بن قيس : من المختار إلى الأحنف بن قيس ومَنْ قِبَلَهُ فسِلم(٤) أنتم . أما بعد فويل لبني ربيعة من مضر ، وأن الأحنف يورد قومه سقر ، حيث لا يستطيع لهم الصدر(٥) ، وإني لا أملك لكم ما قد خط في القدر ، وقد بلغني أنكم تسمونني كذاباً ، وقد كُذِّب الأنبياء من قبلي ولست بخير منهم .

وقال ابن جرير(٦) : حدَّثني أبو السائب سَلْم بن جُنادة ، حدثنا الحسن بن حمَّاد ، عن حمَّاد(٧) بن علي ، عن مجالد ، عن الشَّعبي . قال : دخلت البصرة فقعدت إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال بعض القوم : ممن أنت ؟ فقلت : رجل من أهل الكوفة ، فقال : أنتم موالٍ لنا ، قلت : وكيف ؟ قال : أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار ، قلت : أتدري ما قال شيخ من همدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف : وما قال ؟ قلت : قال :

أَفْخَرْتُم أنْ قتلتمْ أعبُداً وهزمتم مَرَّةً آلَ عدَلْ(٨)

---

(١) في أ ، ط : المثنى بن مخرمة ، وما أثبت من ب والطبري (٦/ ٦٦) وابن الأثير (٣/ ٣١٥) وقد ضبطها ابن الأثير بضم الميم ، وفتح الخاء المعجمة ، وتشديد الراء وكسرها ، ثم باء مفتوحة .

(٢) قال ياقوت: الرِزق بكسر الراء، وسكون الزاي، كذا ذكره ابن الفرات في تاريخ البصرة للسَّاجي، وقال: مدينة الرِّزق إحدى مسالح العجم بالبصرة قبل أن يخطها المسلمون. معجم البلدان (٣/ ٤٧ ـ ٤٨) وقد تحرفت في ط إلى الورق.

(٣) في ط : « عمرو » ، وما أثبتناه من م والطبري وابن الأثير ، وسيأتي أيضاً .

(٤) في ط : « من الأمراء أفسلم » ، وما أثبتناه من م والطبري .

(٥) في ط : « صدر » ، وما أثبتناه من م والطبري .

(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٦٩) .

(٧) في الطبري : حيان .

(٨) في الطبري : آل عزل .

فـإذا فـاخَـرتُمُـونـا فـاذكـروا ... مـا فعلْنـا بكـمُ يـومَ الجمَـل
بيـنَ شيـخٍ خـاضـبٍ عُثْنـونَـهُ ... وفتـى أبيـضَ وضّـاح رفـلْ[١]
جـاءَ يُهْـدجُ فـي سـابغـةٍ ... فذبحناهُ ضحىً ذبحَ الحمَلْ
وعفـونـا فنسيتـمْ عفـونـا ... وكفـرتـمْ نِعمَـةَ اللهِ الأجَـلّ
وقَتَلتـمْ بحسيـنٍ منهـمُ[٢] ... بـدلاً مـن قـومكـمْ شـرَّ بـدَلْ

قال : فغضب الأحنف وقال : يا غلام هات الصحيفة ، فأُتي بصحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ، أما بعد فويلُ أم ربيعة من مضر فإن الأحنف يورد قومه سقر حيث لا يقدرون على الصَّدر ، وقد بلغني أنّكم تُكذبوني ، فإن كُذِّبتُ فقد كُذِّبت رسل من قبلي ، ولست خيراً منهم ، ثم قال الأحنف : هذا منَّا أو منكم .

فصـل[٣]

ولما علم المختار أن ابن الزبير لا ينام عنه ، وأن جيش الشام من قبل عبد الملك مع ابن زياد يقصدونه في جمع كثير لا يرام ، شرع يصانع ابن الزبير يريد خداعه والمكر به ، فكتب إليه : إني كنت بايعتك على السَّمع والطاعة والنصح لك ، فلما رأيتك قد أعرضت عني تباعدت عنك ، فإن كنت على ما أعهد منك فأنا على السمع والطاعة لك . والمختار يخفي هذا كل الإخفاء عن الشيعة ، فإذا ذكر له أحد شيئاً من ذلك أظهر لهم أنه أبعد الناس من ذلك ، فلما وصل كتابه إلى ابن الزبير أراد أن يعلم أصادق أم كاذب ، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، فقال له : تجهز إلى الكوفة فقد ولَّيتكها ، فقال : وكيف وبها المختار ؟ فقال : يزعم أنه سامع لنا مطيع ، وأعطاه قريباً من أربعين ألفاً يتجهز بها فسار فلما كان ببعض الطريق لقيه زائدة بن قدامة من جهة المختار في خمسمئة فارس ملبسة ، ومعه سبعون ألفاً من المال ، وقد تقدم إليه المختار فقال : أعطه المال فإن هو انصرف وإلاّ فأره الرجال فقاتله حتى ينصرف ، فلما رأى عمر بن عبد الرحمن الجدَّ قبض المال وسار إلى البصرة فاجتمع هو وابن مطيع بها عند أميرها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وذلك قبل وثوب المثنى بن مُخرِّبة كما تقدم ، وقبل وصول مصعب بن الزبير إليها .

وبعث عبد الملك بن مروان ابن عمه عبد الملك بن الحارث بن الحكم في جيش إلى وادي القرى ليأخذوا المدينة من نواب ابن الزبير ، وكتب المختار إلى ابن الزبير إن أحببت أن أمدك بمدد ، وإنما يريد خديعته ومكايدته ، فكتب إليه ابن الزبير : إن كنت على طاعتي فلست أكره ذلك ، فابعث بجند إلى وادي

---

(١) في ط : وفتى البيضاء وضاحاً دقل ؛ وما أثبت موافق للطبري .
(٢) في الطبري : وقتلتم خشبيين بهم .
(٣) خبر مكر المختار بابن الزبير في الطبري (٦/ ٧١) وابن الأثير (٣/ ٣١٥) .

القرى ليكونوا مدداً لنا على قتال الشاميين . فجهز المختار ثلاثة آلاف عليهم شُرَحْبيل بن وَرْس الهمداني ، ليس فيهم من العرب إلا سبعمئة ، وقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فإذا دخلتها فاكتب إليّ حتى يأتيك أمري ، وإنما يريد أخذ المدينة من ابن الزبير ، ثم يركب بعد ذلك إلى مكة ليحاصر ابن الزبير بها ، وخشي ابن الزبير أن يكون المختار بعث ذلك الجيش مكراً ، فبعث العباس بن سهل بن سعد الساعدي في ألفين ، وأمره أن يستعين بالأعراب وقال له : إن رأيتموهم في طاعتي وإلا فكايدهم حتى تهلكهم . فأقبل العباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم ، وقد بقي ابن ورس في جيشه ، فاجتمعا على ماءٍ هنالك ، فقال له العباس : ألستم في طاعة ابن الزبير ؟ فقال : بلى ، قال : فإنه قد أمرني أن نذهب إلى وادي القرى فنقاتل من به من الشاميين . فقال له ابن ورس : إني لم أومر بطاعتك ، وإنما أمرني أن أدخل المدينة ثم أكتب إلى صاحبي فإنه يأمرني بأمره ، ففهم عباس مغزاه ولم يظهر له أنه فطن لذلك ، فقال له : رأيك أفضل ، فاعمل ما بدا لك . ثم نهض العباس من عنده وبعث إليهم الجزر والغنم والدقيق ، وقد كان عندهم حاجة شديدة إلى ذلك ، وجوع كثير ، فجعلوا يذبحون ويطبخون ويختبزون ويأكلون على ذلك الماء ، فلما كان الليل بيَّتهم عباس بن سهل فقتل أميرهم وطائفة منهم نحواً من سبعين ، وأسر منهم خلقاً كثيراً ، فقتل أكثرهم ، ورجع القليل منهم [إلى المختار] وإلى بلادهم خائبين .

قال أبو مخنف : فحدَّثني أبو يوسف أن عباس بن سهل انتهى إليهم وهو يقول :

أنا ابنُ سهلٍ فارسٌ غيرُ وَكَلْ   أروَعُ مِقْدامٌ إذا الكبشُ نَكَلْ
وأَعْتلي رأسَ الطِّرِمَّاح البطلْ   بالسّيفِ يومَ الرَّوعِ حتى ينجدلْ[١]

فلما بلغ خبرهم المختار قام في أصحابه خطيباً فقال : إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار ، ألا إنه كان أمراً مأتيًّا ، وقضاء مقضيًّا . ثم كتب إلى محمد بن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي : كتاباً يذكر فيه أنه بعث إلى المدينة جيشاً لنصرته فغدر بهم جيش ابن الزبير ، فإن رأيت أن أبعث جيشاً آخر إلى المدينة وتبعث من قبلك رسلاً إليهم فافعل ، فكتب إليه ابن الحنفية : أما بعد فإن أحب الأمور كلها إليّ ما أطيع الله فيه ، فأطع الله فيما أعلنت وأسررت ، واعلم أني لو أردت القتال لوجدت الناس إليّ سراعاً ، والأعوان لي كثرة ، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

وقال لصالح بن مسعود : قل للمختار فليتق الله وليكفَّ عن الدماء . فلما انتهى إليه كتاب محمد بن الحنفية قال : إني قد أمرت بجمع البر واليسر ، وبطرح الكفر والغدر[٢] .

وذكر ابن جرير[٣] من طريق المدائني وأبي مخنف : أن ابن الزبير عمد إلى ابن الحنفية وسبعة عشر

(١) في الطبري : ينخزل .
(٢) عبارة الطبري : أني قد أمرت بأمر يجمع البرّ واليسير ويطرح الكفر والغدر .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٧٥ ـ ٧٦) والخبر أيضاً في ابن الأثير (٤/ ٢٤٩) والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٣٠٢) .

رجلاً من أشراف أهل الكوفة فحبسهم حتى يبايعوه ، فكرهوا أن يبايعوا إلا من اجتمعت عليه الأمة ، فتهددهم وتوعدهم واعتقلهم بزمزم ، فكتبوا إلى المختار بن أبي عبيد يستصرخونه ويستنصرونه ، ويقولون له : إن ابن الزبير قد توعدنا بالقتل والحريق ، فلا تخذلونا كما خذلتم الحسين وأهل بيته ، فجمع المختار الشيعة وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا مهديكم[(١)] وصريخ أهل البيت قد أصبحوا محصورين ينتظرون القتل والحريق وقال : لست أبا إسحاق إن لم أنصركم نصراً مؤزراً ، وإن لم أرسل إليهم الخيل كالسيل يتلوه السيل ، حتى يحل بابن الكاهليَّة الويل ، ثم وجَّه أبا عبد الله الجَدَليّ في سبعين راكباً من أهل القوة ، وظَبيان بن عمر[(٢)] التيمي في أربعمئة ، وأبا المعتمر في مئة ، وهانىء بن قيس في مئة ، وعمير بن طارق في أربعين [وفارس بن عمران في أربعين][(٣)] ، وكتب إلى محمد بن الحنفية مع الطفيل بن عامر بتوجيه الجنود إليه ، فنزل أبو عبد الله الجَدَليّ بذات عرق حتى تلاحق به نحو من مئة وخمسين فارساً ، ثم سار بهم حتى دخل المسجد الحرام نهاراً جهاراً وهم يقولون : يا ثارات الحسين ، وقد أعد ابن الزبير الحطب لابن الحنفية وأصحابه ليحرقهم به إن لم يبايعوه ، وقد بقي من الأجل يومان ، فعمدوا ـ يعني أصحاب المختار ـ إلى محمد بن الحنفية فأطلقوه من سجنه وقالوا : إن أذنت لنا قاتلنا ابن الزبير ، فقال : إني لا أرى القتال في المسجد الحرام ، فقال لهم ابن الزبير : ليس نبرح وتبرحون حتى يبايع وتبايعوا معه ، فامتنعوا عليه ثم لحقهم بقية أصحابهم فجعلوا يقولون وهم داخلون الحرم : يا ثارات الحسين ، فلما رأى ابن الزبير ذلك منهم خافهم وكف عنهم ، ثم أخذوا محمد بن الحنفية وأخذوا من الحجيج مالاً كثيراً فسار بهم حتى دخل شعب علي ، واجتمع معه أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال . هكذا أورده ابن جرير ، وفي صحتها نظر والله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان نائبه بالمدينة أخاه مصعب ونائبه على البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الملك بن مروان على الشام ، وأخوه محمد بن مروان على الجزيرة وأرمينية ، وأخوه عبد العزيز على مصر[(٤)] وقد استحوذ المختار على الكوفة ، وعبد الله بن خازم على بلاد خراسان ، وذكر حروباً جرت فيها لعبد الله بن خازم يطول ذكرها .

فصل

قال ابن جرير[(٥)] ؛ وفي هذه السنة شخص إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله بن زياد ، وذلك لثمان بقين

---

(١) في أ : هذا كتاب الهدى .
(٢) في الطبري وابن الأثير : وظبيان بن عمارة أخا بني تميم .
(٣) ما بين معكوفين ساقط من ط ، وفي الطبري : يونس بن عمران .
(٤) من قوله : وعبد الملك بن . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٨١) .

من ذي الحجة . وقال أبو مخنف عن مشايخه : ما هو إلا أن فرغ المختار من جَبَّانة السّبيع وأهل الكناسة ، فما ترك ابن الأشتر إلا يومين حتى أشخصه إلى الوجه الذي كان وجَّهَهُ فيه لقتال أهل الشام ، فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، وخرج معه المختار يودعه في وجوه أصحابه ، وخرج معه خاصة المختار ، ومعه كرسي المختار على بغل أشهب ليستنصروا به على الأعداء ، وهم حافّون به يدعون [ويستصرخون] ويستنصرون ويتضرعون ، فرجع المختار بعد أن وصاه بثلاث قال : يابن الأشتر اتق الله في سرِّك وعلانيتك ، وأسرع السير ، وعاجل عدوك بالقتال . واستمر أصحاب الكرسي سائرين مع ابن الأشتر ، فجعل ابن الأشتر يقول : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، سنة بني إسرائيل ، والذي نفسي بيده إذ عكفوا على عِجلهم ، فلما جاوز القنطرة هو وأصحابه رجع أصحاب الكرسي .

قال ابن جرير(١) : وكان سبب هذا الكرسي ما حدَّثني به عبد الله بن أحمد بن شبُّويه(٢) حدَّثني أبي ، حدّثنا سليمان ، حدّثنا عبد الله بن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، حدَّثني معبد بن خالد ، حدَّثني طُفيل بن جَعْدَة بن هُبيرة قال : أُعدمت مرة من الورق ، فإني كذلك إذ مررت بباب رجل هو جار لي له كرسي قد ركبه وسخ شديد ، فخطر في بالي أن لو قلت في هذا(٣) ، فرجعت فأرسلت إليه أن أرسل إليّ بالكرسي ، فأرسل به ، فأتيت المختار فقلت له : إني كنت أكتمك شيئاً وقد بدا لي أن أذكره إليك ، قال : وما هو ؟ قلت : كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه كان يرى أن فيه أثرة من علم . قال : سبحان الله !! فأخَّرت هذا إلى اليوم ؟ ابعث إليه(٤) ، قال فجئت به وقد غسل فخرج عوداً ناضراً وقد شرب الزيت ، فأمر لي باثني عشر ألفاً ، ثم نودي في الناس : الصلاة جامعة ، قال : فخطب المختار الناس فقال : إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله ، وإنه قد كان في بني إسرائيل التابوت ، وإن هذا مثله ، ثم أمر فكشف عنه أثوابه وقامت السبئية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثاً ، فقام شبَثُ بن ربعي فأنكر على الناس وكاد أن يكفر من يصنع بهذا التابوت هذا التعظيم . وأشار بأن يكسر ويخرج من المسجد [ويرمي في الخنس] فشكرها الناس لشَبَث بن ربعي ، فلما قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد أقبل ، وبعث المختار إبراهيم بن الأشتر ، بعث معه بالكرسي يحمل على بغل أشهب قد غشي بأثواب [الحرير] عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فلما تواجهوا مع الشاميين كما سيأتي وغلبوا الشاميين وقتلوا ابن زياد ، ازداد تعظيمهم لهذا الكرسي حتى بلغوا به الكفر ، قال الطفيل بن جَعْدَة فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وندمت على ما صنعت ، وتكلّم الناس في هذا الكرسي وكَثُر عيب الناس له ، فغيِّب حتى لا يُرى بعد ذلك .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٨٢) .

(٢) في ط : شيبوية ؛ تحريف .

(٣) في الطبري : لو قلت للمختار في هذا .

(٤) في ط : فلِمَ أخرت هذا إلى اليوم ؟ ابعثه إليّ . وعبارة أ موافقة للطبري .

وذكر ابن الكلبي[١] أن المختار طلب من آل جعدة بن هبيرة الكرسي الذي كان علي يجلس عليه فقالوا : ما عندنا شيء مما يقول الأمير ، فألح عليهم حتى علموا أنهم لو جاؤوا بأي كرسي كان ، لقَبِله منهم ، فحملوا إليه كرسياً من بعض الدور فقالوا : هذا هو . فخرجت شبام وشاكر وسائر رؤوس أصحاب المختار[٢] وقد عصبوه بالحرير والدّيباج .

وحكى أبو مخنف : أن أول من سَدَن هذا الكرسي موسى بن أبي موسى الأشعري ، ثم إن الناس عتبوا عليه في ذلك ، فدفعه إلى حَوشب البُرسُمي ، وكان صاحبه ، حتى هلك المختار قبَّحه الله .

ويروى أن المختار كان يُظهر أنه لا يعلم بما يعظم أصحابه هذا الكرسي ، وقد قال في هذا الكرسي أعشى همدان : [من الطويل]

شهدتُ عليكم أنكم سبئيةٌ ... وأني بكم يا شُرْطةَ الشِّرْكِ عارفُ
وأقسِمُ ما كُرْسِيُّكم بسكينةٍ ... وإنْ كانَ قد لُفَّتْ عليه اللّفائفُ
وأنْ ليسَ كالتابوتِ فينا وإنْ سَعَتْ ... شِبَامٌ حواليهِ ونَهْدٌ وخارفُ
وإني امرؤٌ أحببتُ آلَ محمدٍ ... وتابعتُ وحياً ضُمِّنتهُ المصاحفُ
وتابعتُ عبد الله لمّا تتابعتْ ... عليه قريشٌ شمطها والغطارفُ[٣]

وقال المتوكل اللَّيثي :

أبلغْ أبا إسحاقَ إن جئته[٤] ... أني بكرسيِّكم كافِرُ
تنزوا شِبَامٌ حولَ أعوادِهِ ... وتحمل الوحيَ لهُ شاكرُ
محمرَّةً أعينهم حولَهُ ... كأنهنّ الحِمَّصُ الحادرُ[٥]

قلت : هذا وأمثاله مما يدل على ضعف[٦] المختار وأتباعه ، وقلة علمه وكثرة جهله ، ورداءة فهمه ، وترويجه الباطل على أتباعه وتشبيهه الباطل بالحق ليضل به الطغام ، ويجمع عليه جهلة الرعاع[٧] والعوام .

---

(١) نسب معد واليمن الكبير (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) ت : محمد فردوس العظم .
(٢) في ط : رؤوس المختارية ، وما أثبت عن (أ) والطبري والزيادة منه ليستقيم المعنى .
(٣) الأبيات في تاريخ الطبري (٦/ ٨٣ ـ ٨٤) وابن الأثير (٣/ ٣٢٥) والبيت الأول في أنساب الأشراف (٥/ ٢٤٢) .
أبلغ شباماً وأبا هانىءٍ ... أني بِكُرْسِيِّهم كافر
ولم يذكر غيره .
(٤) في أ : آل جفنة ، وما هنا موافق للطبري .
(٥) في أ : كأنهن الحيض الحازر ، وما هنا موافق للطبري وابن الأثير .
(٦) في ط : قلة عقل .
(٧) في ط : جهال .

قال الواقدي(١) : وفي هذه السنة وقع بمصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها ، وفيها ضرب الدنانير عبد العزيز بن مروان بمصر ، وهو أول من ضربها [بها](٢) .

قال صاحب مرآة الزمان(٣) : إن في هذه السنة ابتدأ عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى ، وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين ، وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة ، وكان يخطب في أيام منى وعرفة ، ومقام الناس بمكة ، وينال من عبد الملك ويذكر مساوىء بني مروان ، ويقول : إن النبي ﷺ لعن الحكم وما نسل(٤) ، وأنه طريد رسول الله ﷺ ولعينه ، وكان يدعو إلى نفسه ، وكان فصيحاً ، فمال معظم أهل الشام إليه ، وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا ، فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج [ويستعطف قلوبهم] وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة . وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم [ففتح بذلك على نفسه بأن شنع ابن الزبير عليه] وكان يشنع عليه بمكة ويقول : ضاهى بها فعل [الأكاسرة في] إيوان كسرى ، والخضراء ، كما فعل معاوية ، ونقل الطواف من بيت الله إلى قبلة بني إسرائيل ونحو ذلك(٥) . ولما أراد عبد الملك بناءها سار من دمشق إلى بيت المقدس ومعه الأموال والعمال ، ووكل بالعمل رجاء بن حيوة(٦) ويزيد بن سلام مولاه(٧) ، وجمع الصناع والمهندسين وأمرهم فصوروا له القبة في صحن المسجد ، فأعجبه ، وبنى للمال بيتاً في شرقي القبة وشحنه بالمال(٨) ، وأمر رجاء بن حيوة ويزيد أن يفرغا المال إفراغاً ولا يتوقفا في شيء . فبنوا القبة التي هي اليوم قائمة ، وبنوا من ناحية القبلة سبع محاريب عليها سبع قباب(٩) والقبة التي باقية اليوم على المحراب هي أوسطها ولما تم بناء القبة عمل لها جلالين ، أحدهما من لُبُود(١٠) أحمر للشتاء ، والآخر

---

(١) تاريخ خليفة (٢٦٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٥٣) طبعة دار الكتاب العربي .

(٢) في تاريخ الإسلام : وهو أول من ضربها في الإسلام .

(٣) هو يوسف بن قُزْغُلي بن عبد الله ، أبو المظفر ، شمس الدين سبط أبي الفرج بن الجوزي [٥٨١ ـ ٦٥٤] مؤرخ ، من الكتاب الوعاظ ، ولد ونشأ ببغداد ثم انتقل إلى دمشق فاستوطنها وتوفي فيها . من كتبه : « مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » ولم أجد ما نقل في المطبوع منه .

(٤) يشير المصنف إلى حديث : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا آيات الله بينهم دولاً ، وعباد الله خولاً ، وكتابه دغلاً ، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمئة كان هلاكهم أسرع من الثمرة » رواه الطبراني (١٢٩٨٢) وغيره ، وهو حديث حسن ، ورواه من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي ذر الغفاري ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وانظر حديث أبي هريرة في مسند أبي يعلى رقم (٦٥٢٣) فهو به حسن .

(٥) من قوله : ونقل الطواف . . إلى هنا ساقط من ط .

(٦) في الأنس الجليل : وكان من العلماء الأعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

(٧) في الأنس الجليل : وهو من أهل بيت المقدس .

(٨) في الأنس الجليل (٢/ ٢٧٢) : وأرصد للعمارة مالاً كثيراً يقال إنه خراج مصر سبع سنين ، ووضعه بالقبة الكائنة أمام الصخرة من جهة الشرق بعد أن أمر ببنائها ، وهي من جهة الزيتون وجعلها حاصلاً وشحنها بالأموال .

(٩) مكانها في ط : وفرشاها بالرخام الملون .

(١٠) تحرفت في ط إلى : اليود . واللّبود : صوف متداخل ولازق بعضه ببعض . القاموس (لبد) .

من أدم للصيف وحف الصخرة بدرابزين من الساج المطعم باليشم ، وخلف الدرابزين ستور من الديباج ، مرخاة بين العمد ، وكانت السدنة كل خميس وإثنين يذوِّبون المسك والعنبر والماورد والزعفران ، ويعملون فيه غالية ، ويبخِّرونها من الليل ثم يدخل الخدم الحمام من الليل فيغتسلون ، ويتطيبون ويلبسون ثياب الوشي ويشدون أوساطهم بالمناطق المحلاّة بالذهب ويخلقون الصخرة ، ثم يضعون البخور في مجامر الذهب والفضة ، وفيها العمود القماري المغلي بالمسك ، ويرخوا السدنة الستور فتخرج تلك الرائحة فتملأ المدينة كلها ثم ينادي منادٍ ألا إن الصخرة قد فتحت ، فمن أراد الزيارة فليأت فيقبل الناس مبادرين فيصلون ويخرجون ، فمن وجدت منه رائحة البخور قال الناس هذا كان اليوم في الصخرة ، وأبواب الصخرة أربعة ، على كل باب عشرة من الحجبة . الباب الشمالي : يسمى باب الجنة ، والشرقي باب إسرافيل ، والغربي باب جبريل ، والقبلي باب الأقصى ، وكانوا يشعلونها بدهن البان ، ولا يدخلها أحد غير أيام الزيارة سوى الخدم ، وكان للحرم عشرون باباً ، وكان فيه ألف عمود من الرخام ، وفي السقوف ستون ألف خشبة ، من الساج المنقوش ، ومن القناديل خمسة آلاف قنديل ، وكان فيه أربعمئة سلسلة ، كل سلسلة ألف رطل شامي ، طول السلاسل ثلاثون ألف ذراع ، وكان يوقد في الصخرة كل ليلة مئة شمعة ، وكذا في الأقصى ، وكان يوقد في القناديل كل ليلة من الزيت المغسول قنطار ، وكان في الحرم خمسون قبة ، ومن ألواح الرصاص سبعون ألف لوح ، وكان في الحرم ثلاثمئة خادم ابتاعوا من بيت المال من الخمس ، كلما مات واحد قام ولده بعده مقامه ، ويقبضون أرزاقهم من بيت المال شهراً بشهر وكان في الحرم مئة صهريج ، وكانت صفائح القبة وسقف الأقصى من صفائح الذهب عوض الرصاص وكذلك أبواب القبة وصفائحها ، وذلك أنه لما كمل البناء فضل من المال ثلاثمئة ألف دينار وقيل ستمئة ألف ، وكتب رجاء بن حيوه ويزيد إلى عبد الملك بوفاته بذلك . فكتب إليهما : قد وهبته منكما ، فكتبا إليه : إنا لو استطعنا لزدنا في عمارة هذا المسجد من حلي نسائنا ، فكتب إليهما إذ أبيتما أن تقبلاه فأفرغاه على القبة والأبواب ، فما كان أحد يستطيع أن يتأمل القبة مما عليها من الذهب القديم والحديث . فلما كان في خلافة أبي جعفر المنصور قدم القدس سنة أربعين ومئة ، الأقصى وقبابه ، فشكوا إليه الخراب ، فأمر أن يقلع ذلك الذهب والصفائح التي على القبة والأبواب ، وأن يعمروا بها ما تشعث في المسجد ، ففعلوا ذلك . وكان المسجد طويلاً فأمر أن يؤخذ من طوله ويزاد في عرضه ، ولما كمل البناء كتبوا على القبة ممايلي الباب القبلي من جهة الأقصى بالنص بعد البسملة : بنى هذه القبة عبد الله أمير المؤمنين عبد الملك سنة اثنتين وسبعين[1] من الهجرة النبوية ، وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعمائة وخمسة وستون ذراعاً ، وعرضه أربعمائة وستون ذراعاً ، وكان فتوح القدس سنة ست عشرة والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) في ط : وستين .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ففيها[١] كان مقتل عبيد الله بن زياد على يدي إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وذلك أن إبراهيم بن الأشتر خرج من الكوفة يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة في السنة الماضية ، واستهلت هذه السنة وهو سائر لقصد ابن زياد في أرض الموصل ، فكان اجتماعهما بمكان يقال له الخازر[٢] ، بينه وبين الموصل خمسة فراسخ ، وكان ابن الأشتر في ثمانية آلاف ، وابن زياد في أربعين ألفاً من أهل الشام ، وكان ابن الأشتر لا يسير إلا على تعبئة ، فلما قاربوا أرسل عمير بن الحباب السُّلمي : إني معك . وأتى إلى ابن الأشتر ليلاً فبايعه وأخبره أنه على ميسرة ابن زياد ، ووعده أن ينهزم بالناس وقال له : لا تطاول القوم فإنهم أضعافكم ولكن ناجزهم فإنهم قد ملئوا منكم رعباً. فقال ابن الأشتر : الآن علمت أنك ناصح ثم انصرف[٣] فبات ابن الأشتر تلك الليلة ساهراً لا يغمض لنوم ، فلما كان قريب الصبح نهض فعبَّأ جيشه وكَتَّب كتائبه[٤] ، وصلى بأصحابه الفجر في أول وقت ، ثم ركب فناهض جيش ابن زياد ، وزحف بجيشه رويداً وهو ماش في الرجَّالة حتى أشرف من فوق تلٍّ على جيش ابن زياد ، فإذا هم لم يتحرك منهم أحد ، فلما رأوهم نهضوا إلى خيلهم وسلاحهم مدهوشين ، فركب ابن الأشتر فرسه وجعل يقف على رايات القبائل فيحرِّضهم على قتال ابن زياد ويقول : هذا قاتل ابن بنت رسول الله ﷺ ، قد جاءكم الله به وأمكنكم الله منه اليوم ، فعليكم به فإنه قد فعل في بيت رسول الله ﷺ ما لم يفعله فرعون في بني إسرائيل ، هذا ابن زياد قاتل الحسين الذي حال بينه وبين ماء الفرات أن يشرب منه هو وأولاده ونساؤه ، ومنعه أن ينصرف إلى بلده ، ومنعه أن يأتي يزيد بن معاوية حتى قتله (فوالله ما عمل فرعون فعاله وقد جاءكم الله به ، وإني لأرجو أن يشفي الله صدوركم ويسفك دمه على يديكم)[٥] ثم نزل تحت رايته ، وأقبل ابن زياد [في خيله ورجله] في جيش كثيف قد جعل على ميمنته حصين بن نمير ، وعلى الميسرة عمير بن الحباب السُّلمي ـ وكان قد اجتمع بابن

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٨٦) والكامل لابن الأثير (٤/ ٢٦٢) وتاريخ الإسلام (٥/ ٥٥) والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ٦٣).

(٢) في أ : الجادر ؛ تحريف . قال ياقوت : خازِر : بعد الألف زاي مكسورة ـ كذا رواه الأزهري وغيره ـ ثم راء ، هو نهر بين إربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل . .
وهو موضع كانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن مالك بن الأشتر النخعي أيام المختار . . وذلك في سنة ٦٦ للهجرة ، معجم البلدان (٢/ ٣٨٦) .

(٣) من قوله : وكان ابن الأشتر . . إلى هنا ساقط من (أ) وموافق لمصادر المؤلف .

(٤) أي عبأ الكتائب في مواضعها . هامش أ .

(٥) بدل العبارة في ط : ويحكم اشفوا صدوركم منه ، وارووا رماحكم وسيوفكم من دمه ، هذا الذي فعل في آل نبيكم ما فعل قد جاءكم الله به . ثم أكثر من هذا القول وأمثاله ، وعبارة أ ، ب أقرب إلى المصادر .

الأشتر ووعده أنه معه وأنه سيهزم بالناس غداً ـ وعلى خيل ابن زياد شُرَحبيل بن ذي[1] الكلاع ، وابن زياد في الرجال يمشي معهم . فما كان إلا أن تواقف الفريقان حتى حمل حصين بن نمير بالميمنة على ميسرة أهل الكوفة فهزمها ، وقتل أميرها علي بن مالك الجُشمي فأخذ رايته من بعده ولده محمد[2] بن علي فقتل أيضاً ، وانشمرت[3] الميسرة ذاهبة فجعل الأشتر يناديهم إليّ يا شرطة الله ، أنا ابن الأشتر ، وقد كشف عن رأسه ليعرفوه ، فالتاثوا به واجتمعوا إليه ، ثم حملت ميمنة أهل الكوفة على ميسرة الشام فثبتوا لهم وقيل بل انهزمت الميسرة وانحازت إلى ابن الأشتر ، ثم حمل ابن الأشتر بمن معه وجعل يقول لصاحب رايته : ادخل برايتك فيهم ، وقاتل ابن الأشتر يومئذ قتالاً عظيماً ، وكان لا يضرب بسيفه رجلاً إلا صرعه ، وكثرت القتلى بينهم .

[وقيل إن ميسرة أهل الشام] ثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً [بالرماح ثم بالسيوف] ثم أردف الحملة ابن الأشتر فانهزم جيش الشام بين يديه ، وهو يقتلهم كما يقتل الحملان ، واتبعهم بنفسه ومن معه من الشجعان ، وثبت عبيد الله بن زياد في موقفه حتى اجتاز به ابن الأشتر فقتله وهو لا يعرفه ، لكن قال لأصحابه : التمسوا في القتلى رجلاً ضربته بالسيف فنفحتني منه ريح المسك ، شرقت يداه وغربت رجلاه ، وهو واقف عند راية منفردة على شاطىء نهر خازر ، فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد ، وإذا هو قد ضربه ابن الأشتر فقطعه نصفين[4] ، فاحتزوا رأسه وبعثوه إلى المختار إلى الكوفة مع البشارة بالنصر والظفر بأهل الشام ومعه رأس حصين بن نمير ورأس شرحبيل بن ذي الكَلاع فأرسلها المختار إلى ابن الزبير فنصبت بمكة ، واتبع الكوفيون أهل الشام فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم أكثر ممن قتل ، واحتازوا ما كان في معسكرهم [من الأموال والخيول] .

وقد كان المختار بشَّر أصحابه بالنصر قبل أن يجيء الخبر ، فما ندري أكان ذلك تفاؤلاً منه أو اتفاقاً أو كهانة . وأما على ما كان يزعم أصحابه أنه أوحي إليه بذلك فلا ، فإن من اعتقد ذلك كفر ومن أقرهم على ذلك كفر ، لكن قال : إن الوقعة كانت بنصيبين فأخطأ إنما كانت بأرض الموصل ، وهذا مما انتقده عامر الشَّعبي على أصحاب المختار حين جاءه الخبر ، وقد خرج [المختار] من الكوفة ليتلقى البشارة ، فمر بالمدائن فصعد منبرها فبينما هو يخطب إذ جاءته البشارة وهو هنالك . قال الشَّعبي : فقال لي بعض أصحابه : أما سمعته بالأمس يخبرنا بهذا ؟ فقلت له أما سمعته يقول أنهم قتلوا الشاميين[5] بنصيبين من

(١) سقطت من ط . وتنظر ترجمة شرحبيل في تاريخ دمشق (٢٢/ ٤٥٣) .
(٢) في الطبري وابن الأثير : ثم أخذ رايته قرّة بن علي .
(٣) في ط : واستمرت .
(٤) ساق ابن جرير خبراً مسنداً يذكر فيه أن الذي قتل ابن زياد شريك بن جدير التغلبي ، وقال ابن الأثير : وقيل إن الذي قتل ابن زياد شريك بن جدير ، وهو القائل :

كل عيش قد أراه باطلاً ... غير ركز الرمح في ظل الفرس

(٥) بدلها في ط : زعم أن الوقعة كانت . .

أرض الجزيرة ، وإنما قال البشير : إنهم كانوا بالخازِر من أرض الموصل ، فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم . ثم رجع المختار إلى الكوفة .

وفي غيبته هذه تمكن جماعة ممن كان قاتله يوم جبَّانة السَّبيع والكناسة من الخروج ليجتمعوا بمصعب بن الزبير وكان منهم شَبَث بن ربعي ، وأما ابن الأشتر فإنه بعث بالبشارة ورأس عبيد الله بن زياد وبعث رجلاً على نيابة نصيبين واستمر مقيماً في تلك البلاد ، وبعث إلى الموصل عمالاً وأخذ سنجار ودارا وما ولاها من الجزيرة .

وقال أبو أحمد الحاكم : كان مقتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة ست وستين ، والصواب سنة سبع وستين . وقد قال سُراقة بن مِرْداس البارقي يمدح ابن الأشتر على قتله ابن زياد :

أتاكمْ غُلامٌ منْ عَرَانين مذْحِج جريءٌ على الأعداءِ غيرُ نَكُولِ
فَيَا بنَ زيادٍ بؤْ بأعْظم مالك[١] وذقْ حدَّ ماضي الشَّفرَتَينِ صقيلِ
ضربناكَ بالعضب الحُسامِ بحدَّةٍ إذا ما أبأنا قاتلاً[٢] بقتيلِ
جزى الله خيراً شُرْطة الله إنهم شَفَوا من عُبيدِ الله أمْسِ غَليلي

وهذه ترجمة ابن زياد

هو عبيد الله بن زياد بن عبيد ، المعروف بابن زياد بن أبي سفيان ، ويقال له : زياد بن أبيه ، وابن سمية ، أمير العراق بعد أبيه زياد ، وقال ابن معين : ويقال له عبيد الله بن مرجانة وهي أمه ، وقال غيره : وكانت مجوسية ، وكنيته أبو حفص ، وقد سكن دمشق بعد موت[٣] يزيد بن معاوية ، وكانت له دار عند الديماس[٤] تعرف بعده بدار ابن عجلان ، وكان مولده سنة تسع وثلاثين فيما حكاه ابن عساكر عن أبي العباس أحمد بن يونس الضبي ، قال ابن عساكر[٥] : وروى الحديث عن معاوية وسعد بن أبي وقاص ومعقل بن يسار . وحدث عنه الحسن البصري وأبو المليح بن أسامة . وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : ذكروا أن عبيد الله بن زياد حين قتل الحسين كان عمره ثمانياً وعشرين سنة ، قلت : فعلى هذا يكون مولده سنة ثلاث وثلاثين فالله أعلم .

وقد روى ابن عساكر أن معاوية كتب إلى زياد : أن أوفد إليّ ابنك ، فلما قدم عليه لم يسأله [معاوية] عن شيء إلا نفذ منه ، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئاً ، فقال له : ما منعك من تعلم الشعر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إني كرهت أن أجمع في صدري مع كلام الله كلام الشيطان ، فقال [معاوية] :

---

(١) في ط : هالك .
(٢) في ط : قتيلاً .
(٣) سقطت من ط .
(٤) هي ناحية زقاق الديماس النافذ إلى سوق الأساكفة العتيق ، كما في تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٤) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٤) ط دار الفكر .

اغرب ، فوالله ما منعني من الفرار يوم صفين إلا قول ابن الإطنابة حيث يقول : [من الوافر]

أبتْ لي عفتي وأبى بَلائي وأَخْذي الحمدَ بالثَّمنِ الربيحِ
وإعطائي على الإعدامِ مالي وإقدامي على البطلِ المُشيحِ
وقَوْلي كلما جشَأتْ وجاشتْ مكانكِ تعذري[1] أو تستريحي
لأدفعَ عنْ مآثرَ صالحاتٍ وأحمي بعدُ عن أنفٍ صحيحِ[2]

ثم كتب إلى أبيه : أن روِّه من الشعر ، فروّاه حتى كان لا يسقط عنه منه شيء بعد ذلك ، ومن شعره بعد ذلك : [من الطويل]

سيعلمُ مروانُ بن نِسوةَ أنني إذا التقت الخِيلانُ أطعنها شزرا
وإني إذا حلَّ الضيوفُ ولم أجدْ سوى فرسي أوسعته[3] لهمُ نحرا[4]

وقد سأل معاوية يوماً أهل البصرة عن ابن زياد فقالوا : إنه لظريف ولكنه يلحن ، فقال : أو ليس [اللحن] أظرف له ؟ قال ابن قتيبة وغيره : إنما أرادوا أنه يلحن في كلامه ، أي يلغز ، وهو ألحن بحجته كما قال الشاعر في ذلك :

منطقٌ رائعٌ ويلحنُ أحياناً وخيرُ الحديثِ ما كانَ لحنا[5]

وقيل إنهم أرادوا أنه يلحن في قوله لحناً وهو ضد الإعراب ، وقيل أرادوا اللحن الذي هو ضد الصواب وهو الأشبه والله أعلم . فاستحسن معاوية منه السهولة في الكلام وأنه لم يكن ممن يتعمق في كلامه ويفخِّمه ، ويتشدق فيه ، وقيل أرادوا أنه كانت فيه لكنة من كلام العجم ، فإن أمه مرجانة كانت سُرِّية وكانت بنت بعض ملوك الأعاجم يزدجرد أو غيره ، قالوا : وكان في كلامه شيء من كلام العجم ، قال يوماً لبعض الخوارج : أهروري أنت ؟ يعني أحروري أنت ؟ وقال يوماً من كاتلنا كاتلناه ، أي من قاتلنا قاتلناه ، وقول معاوية ذاك أظرف له ، أي : أجود له حيث نزع إلى أخواله ، وقد كانوا يوصفون بحسن السياسة وجودة الرعاية ومحاسن الشيم .

ثم لما مات زياد سنة ثلاث وخمسين ولَّى معاوية على البصرة سَمُرة بن جندب سنة ونصفاً ثم عزله

---

(١) في ط وتاريخ الإسلام : تحمدي .
(٢) الأبيات في تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) ط دار الفكر ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥/ ٣١٤) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٧٧) عدا الأخير .
(٣) في ط : أوسعته .
(٤) الأبيات في تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٦) ط دار الفكر . ومختصر تاريخ دمشق (١٥/ ٣١٣) وقد قال هذه الأبيات حين وجهه مروان لحرب ابن الأشتر وقال : إياك والفرار كعادتك .
(٥) البيت في تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٣٩) وفيه : منطق صائب ، والعقد الفريد (٢/ ٤٨٠) ونسبه إلى مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري وفيه : منطق بارع .

وولّى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان بن سلمة ستة أشهر ، ثم عزله وولّى عليها ابن زياد سنة خمس وخمسين . فلما تولى يزيد الخلافة جمع له بين البصرة والكوفة(١) ، فبنى في إمارة يزيد البيضاء ، وجعل باب القصر الأبيض الذي كان لكسرى عليها . وبنى الحمراء وهي على سكة المربد ، فكان يشتي في الحمراء ويصيف في البيضاء .

قالوا : وجاء رجل إلى ابن زياد فقال : أصلح الله الأمير ، إن امرأتي ماتت ، وإني أريد أن أتزوج أمها ، فقال له : كم عطاؤك في الديوان ؟ فقال : سبعمئة ، فقال : يا غلام حطَّ من عطائه أربعمئة ، ثم قال له : يكفيك من فقهك هذا ثلاثمئة(٢) .

قالوا : وتخاصمت أم الفجيع(٣) وزوجها إليه وقد أحبت المرأة أن تفارق زوجها ، فقال أبو الفجيع : أصلح الله الأمير إن خير شطري الرجل آخره ، وإن شر شطري المرأة آخرها ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقال : إن الرجل إذا أسن اشتد عقله واستحكم رأيه وذهب جهله ، وإن المرأة إذا أسنت ساء خلقها وقل عقلها وعقم رحمها واحتد لسانها ، فقال : صدقت خذ بيدها وانصرف .

وقال يحيى بن معين : أمر ابن زياد لصفوان بن محرز بألفي درهم فسرقت ، فقال : عسى أن يكون خيراً ، فقال أهله : كيف يكون هذا خيراً ؟ فبلغ ذلك ابن زياد فأمر له بألفين آخرين ، ثم وجد الألفين المسروقتين فصارت أربعة آلاف فكان خيراً . وقيل لهند بنت أسماء بن خارجة ـ وكانت قد تزوجت بعده أزواجاً من نواب العراق ـ من أعزُّ أزواجك عندك وأكرمهم عليك ؟ فقالت : ما أكرم النساء [أحد] إكرام بشر(٤) بن مروان ، ولا هاب النساء هيبة الحجاج بن يوسف ، ووددت أن القيامة قد قامت فأرى عبيد الله بن زياد وأشتفي من حديثه والنظر إليه ـ وكان أبا عذارتها(٥) ـ وقد تزوجت بالآخرين أيضاً .

وقال عثمان بن أبي شيبة : عن جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : أول من جهر بالمعوذتين في [الصلاة] المكتوبة ابن زياد ، قلت : يعني والله أعلم في الكوفة ، فإن ابن مسعود كان لا يكتبهما في مصحفه ، وكان فقهاء الكوفة يأخذون عن كثير من أصحابه والله أعلم .

وقد كانت في عبيد الله بن زياد جرأة وإقدام على سفك الدماء ، قتل خلقاً كثيراً جداً وكان سفيهاً شديداً ، وكان فيه مبادرة إلى(٦) ما لا حاجة له به .

ثبت في الحديث الذي رواه أبو يعلى ومسلم(٧) ، كلاهما عن شيبان بن فروخ ، عن جرير ، عن

---

(١) مكانها في أ ، م : ثم جمع يزيد بين الكوفة مع البصرة .
(٢) من قوله : ثم لما مات زياد . . إلى هنا متقدم في أ وآثرنا إبقاءه لمناسبته .
(٣) في ط : الفجيج ؛ وما أثبت عن أ ومختصر تاريخ دمشق .
(٤) في ط : بشير ؛ وما أثبت عن أ ، م ومختصر تاريخ دمشق .
(٥) في ط : وكان أتى عذارتها .
(٦) من قوله : على سفك الدماء . . إلى هنا ساقط من ط ، وبدله : ومبادرة إلى ما لا يجوز .
(٧) صحيح مسلم رقم (١٨٣٠) في الإمارة .

الحسن ، أن عائذ بن عمرو دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أي بني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن شر الرعاء الحطمة ، فإياك أن تكون منهم » . فقال [له] اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال : وهل كان فيهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم .

و[قد] روى غير واحد عن الحسن أن عبيد الله بن زياد دخل على معقل بن يسار يعوده فقال له : إني محدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من رجل استرعاه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لهم إلاّ حرم الله عليه الجنة »[(١)] .

وقد ذكر غير واحد أنه لما مات معقل صلى عليه عبيد الله بن زياد ولم يشهد دفنه ، واعتذر بما ليس يجدي شيئاً وركب إلى قصره ، ومن جراءته إقدامه على الأمر بإحضار الحسين إلى بين يديه وإن قتل دون ذلك ، وكان الواجب عليه أن يجيبه إلى سؤاله الذي سأله فيما طلب من ذهابه إلى يزيد أو إلى مكة أو إلى أحد الثغور ، فلما أشار عليه شِمْر بن ذي الجوشن بأن الحزم أن يحضر عندك وأنت تسيره بعد ذلك إلى حيث شئت من هذه الخصال أو غيرها ، فوافق شمراً على ذلك وبعثه به ، فقتل الحسين كما قدمنا[(٢)] .

وقد قال محمد بن سعد[(٣)] : أنبأنا الفَضْل بن دكين ومالك بن إسماعيل قالا : حدَّثنا عبد السلام بن حرب، عن عبد الملك بن كردوس، عن حاجب عبيد الله بن زياد قال: دخلت معه القصر حين قُتل الحسين، قال فاضطرم في وجهه ناراً أو كلمة نحوها ، فقال بكمه هكذا على وجهه وقال : لا تحدثن بها أحداً .

وقال شريك : عن مغيرة قال : قالت مَرْجانة لابنها عبيد الله : يا خبيث قتلت ابن بنت رسول الله ﷺ ؟ لا ترى الجنة أبداً .

وقد قدمنا أن يزيد بن معاوية لما مات بايع الناس في المصرين لعبيد الله حتى يجتمع الناس على أمير ، ثم خرجوا عليه فأخرجوه من بين أظهرهم ، فسار إلى الشام فاجتمع بمروان ، وحسَّن له أن يدعو إلى بيعة[(٤)] نفسه ففعل ذلك ، وخالف الضحاك بن قيس ، ثم انطلق عبيد الله إلى الضحاك [بن قيس] فما زال به حتى أخرجه من دمشق إلى مرج راهط ، ثم حسَّن له أن دعا إلى بيعة نفسه وخلع ابن الزبير ففعل ، فانحلَّ نظامه ووقع ما وقع بمرج راهط ، من قتل الضحاك وخلق معه هنالك ، فلما تولى مروان أرسل ابن زياد في جيش إلى العراق فالتقى بعين الوردة مع سليمان بن صُرَد ومن كان معه من الجيش الذين يسمون جيش التوابين ، فقتل أميرهم ، وخلقاً كثيراً منهم ثم سار[(٥)] قاصداً الكوفة [في ذلك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧١٥٠) و(٧١٥١) ومسلم رقم (١٤٢) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه .

(٢) مكانها في ط : ما أشار به من إحضاره بين يديه ، فأبى الحسين أن يحضر عنده ليقضي فيه بما يراه ابن مرجانة ، وقد تعس وخاب وخسر ؛ فليس لابن بنت رسول الله ﷺ أن يحضر بين يدي ابن مرجانة الخبيث .

(٣) لم أجده في الطبقات لابن سعد ، والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٣٧/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) ط دارالفكر .

(٤) في ط : يتولى الخلافة ويدعو إلى . .

(٥) من قوله : بعين الوردة . . إلى هنا من أ ومكانه في ط : هو وجيش التوابين مع سليمان بن صرد فكسرهم واستمر . .

الجيش] فتعوق في الطريق بسبب من كان معه من أهل الجزيرة من الأعداء بمن بايع[١] ابن الزبير .

ثم اتفق خروج ابن الأشتر إليه في سبعة آلاف ، وكان مع ابن زياد أضعاف ذلك ، ولكن ظفر به كما ذكرنا ابن الأشتر فقتله شر قتلة وهو لا يشعر به ، وإذا هو قد قتله[٢] على شاطئ نهر الخازِر قريباً من الموصل بخمس مراحل .

قال أبو أحمد الحاكم : وكان ذلك يوم عاشوراء[٣] [قلت : وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين] ثم بعث ابن الأشتر برأسه ومعه رأس حصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع وجماعة من رؤساء أصحابهم إلى المختار . وقال يعقوب بن سفيان[٤] : حدثني يوسف بن موسى بن جرير ، عن يزيد بن أبي زياد قال : لما جيء برأس ابن مرجانة وأصحابه طرحت بين يدي المختار فجاءت حية رقيقة ثم تخللت الرؤوس حتى دخلت في فم ابن مرجانة وخرجت من منخره ، ودخلت في منخره وخرجت من فيه ، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه من بين الرؤوس .

ورواه الترمذي[٥] من وجه آخر بلفظ آخر فقال : حدثنا واصل بن عبد الأعلى عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير . قال : لما جيء برأس عبيد الله وأصحابه نُضِدَتْ[٦] في المسجد في الرحبة ، فانتهيت إليهم وهم يقولون : قد جاءت ، قد جاءت ، فإذا حية قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد ، فمكثت هنيهة ، ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ، ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً . قال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح .

وقال أبو سليمان بن زَبْر[٧] : وفي سنة ست وستين قالوا فيها قتل ابن زياد والحصين بن نمير ، وليَ قتلهما إبراهيم بن الأشتر ، وبعث برأسيهما إلى المختار فبعث بهما إلى ابن الزبير ، فنصبت بمكة والمدينة . وهكذا حكى ابن عساكر[٨] عن أبي أحمد الحاكم وغيره أن ذلك كان في سنة ست وستين ، زاد أبو أحمد في يوم عاشوراء ، وسكت ابن عساكر عن ذلك ، والمشهور أن ذلك كان في سنة سبع وستين كما ذكره ابن جرير وغيره ، ولكن بعث الرؤوس إلى ابن الزبير[٩] في هذه السنة متعذر لأن العداوة كانت

---

(١) بدلها في ط : الذي هم من جهة .
(٢) من قوله : وهو لا يشعر به . . إلى هنا ساقط من ط .
(٣) وكذلك أرخه الذهبي في تاريخ الإسلام والسير عن أبي اليقظان .
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧/ ٤٦١) ط دار الفكر .
(٥) سنن الترمذي (٣٧٨٠) في المناقب .
(٦) في ط : « فنصبت » ، وما أثبتناه من م ، وهو موافق للترمذي .
(٧) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم (١/ ١٨١) .
(٨) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧/ ٤٦٢) ط دار الفكر .
(٩) قيل : إنه بعث الرؤوس إلى محمد بن الحنفية .

قد [قويت و] تحققت بين المختار وابن الزبير في هذه السنة ، وعما قليل سيَّر مصعب[١] من البصرة إلى الكوفة لحصار المختار على يد مصعب بن الزبير وأهل البصرة[٢] .

مقتل المختار بن أبي عبيد الكذاب[٣]

كان عبد الله بن الزبير قد عزل في هذه السنة عن نيابة البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي المعروف بالقُباع ، وولاها لأخيه مصعب بن الزبير ، ليكون [ردءاً و] قرناً وكفئاً للمختار بن أبي عبيد ، فلما قدم مصعب البصرة دخلها متلثماً فتيمم المنبر ، فلما صعده قال الناس : أمير أمير ، فلما كشف اللثام عَرَفه الناس فأقبلوا إليه ، وجاء القُباع فجلس تحته بدرجة ، فلما اجتمع الناس قام مصعب خطيباً فاستفتح القصص حتى بلغ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [القصص : ٤] ، وأشار بيده نحو الشام أو الكوفة ، ثم قال : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص : ٥ ـ ٦] وأشار إلى الحجاز . وقال : يا أهل البصرة إنكم تلقبون أمراءكم ، وقد سميت نفسي الجزار ، فاجتمع عليه الناس وفرحوا له ، ولما انهزم أهل الكوفة حين خرجوا على المختار فقهرهم وقتل منهم من قتل ، كان لا ينهزم أحد من أهلها إلا قصد البصرة ، ثم خرج المختار ليلتقي ابن الأشتر حين بلغه أنه قتل ابن زياد اغتنم غيبته أهل الكوفة فأرغبوا في الخروج إلى البصرة ؛ ثم جعلوا يحرضون مصعباً على المختار ويؤلبون عليه من جهة قلة دينه[٤] ودعواه أنه يأتيه الوحي ، وأنه قدّم الموالي على الأشراف ، واتفق أن ابن الأشتر حين قتل ابن زياد واستقلّ بتلك النواحي ، فأحرز بلاداً وأقاليم ورساتيق لنفسه ، واستهان بالمختار ، فطمع مصعب فيه وبعث محمد بن الأشعث بن قيس على البريد إلى المهلب بن أبي صفرة ، وهو نائبهم على خراسان ، فقدم في تجمُّل عظيم ومال ورجال وعَددٍ وعُددٍ ، وجيش كثيف ، ففرح به أهل البصرة وتقوّى به مصعب ، فركب في أهل البصرة ومن اتبعهم من أهل الكوفة فركبوا في البحر والبر قاصدين الكوفة .

[وقدم مصعب بين يديه عباد بن الحصين ، وجعل على ميمنته عمر بن عبيد الله بن معمر ، وعلى الميسرة المهلب بن أبي صفرة ، ورتَّب الأمراء على راياتها وقبائلها ، كمالكِ بن مسمع ، والأحنف بن

---

(١) في ط : أمر ابن الزبير أخاه مصعباً أن يسير . .

(٢) مكانها في ط : وقتاله والله أعلم .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٩٣) وما بعدها ، والكامل لابن الأثير (٣/ ٣٣١) وما بعدها ، وتاريخ الإسلام (٥/ ٥٧) والمنتظم (٦/ ٦٣) .

(٤) مكانها في ط : بالذي جاء بالرؤوس والبشارة ، اغتنم من بقي بالكوفة من أعداء المختار غيبته فذهبوا إلى البصرة فراراً من المختار لقلة دينه وكفره .

قيس ، وزياد بن عمرو[١] ، وقيس بن الهيثم وغيرهم ، وخرج المختار بعسكره فنزل المذار وقد جعل على مقدمته أبا كامل الشاكري[٢] ، وعلى ميمنته عبد الله بن كامل ، وعلى ميسرته عبد الله بن وهب[٣] الجشمي ، وعلى الخيل رزين[٤] بن عبد الله السلولي ، وعلى الموالي أبا عمرة صاحب شرطته][٥] .

فسمع المختار بأمرهم فخطب[٦] الناس وحثهم على الخروج ، وبعث بين يديه الجيوش ، وركب هو وخلق من أصحابه وهو يبشر أصحابه بالنصر ، فلما انتهى مصعب إلى [قريب] الكوفة لقيتهم الكتائب المختارية فحملت عليهم الفرسان الزبيرية ، فما لبثوا[٧] إلا يسيراً حتى هربوا على حمية ، وقد قتل منهم جماعة من الأمراء ، وخلق من القراء وطائفة كثيرة من الشيعة الأغبياء ، وثلة من أصحاب المختار ذي القول الفِراء ، ثم انتهت الهزيمة إليه .

[وقال الواقدي : لما انتهت مقدمة المختار إليه جاء مصعب فقطع الدجلة إلى الكوفة وقد حصن المختار القصر واستعمل عليه عبد الله بن شداد[٨] وخرج المختار بمن بقي معه فنزل حَرَوراء[٩] فلما قرب جيش مصعب منه جهز إلى كل قبيلة كردوساً ، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن منقذ ، وإلى عبد القيس مالك بن منذر[١٠] ، وإلى العالية عبد الله بن جعدة ، وإلى الأزد مسافر بن سعيد ، وإلى بني تميم سُليم بن يزيد الكندي ، وإلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك ، ووقف المختار في بقية أصحابه فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى الليل فقتل أعيان أصحاب المختار وقتل تلك الليلة محمد بن الأشعث وعمير[١١] بن علي بن أبي طالب ، وتفرق عن المختار باقي أصحابه ، فقيل له القصر القصر ، فقال : والله ما خرجت منه وأنا أريد أن أعود إليه ، ولكن هذا حكم الله ، ثم ساروا إلى القصر فدخل وجاءه مصعب ففرق القبائل في نواحي الكوفة ، واقتسموا المحال ، وخلصوا إلى القصر ، وقد منعوا المختار المادة والماء ، وكان المختار يخرج فيقاتلهم ثم يعود إلى القصر ، ولما اشتد عليه الحصار قال لأصحابه : إن الحصار لا يزيدنا

---

(١) في ط : زياد بن عمر ؛ وما أثبت عن أ ، ب والطبري (٦/ ٩٥) وابن الأثير (٣/ ٣٣٢) .
(٢) في الطبري وابن الأثير : ندب أصحاب ـ أي المختار ـ إلى الخروج مع أحمر بن شميط . إنما كان الشاكري على مقدمة جيش ابن شميط .
(٣) في ابن الأثير : وهيب .
(٤) في ط : وزير ، وما هنا موافق للطبري .
(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ وهي اختصار لما في المصادر .
(٦) في ط : ثم خطب .
(٧) في ط : لبثت المختارية .
(٨) في الطبري (٦/ ٩٩) : أن المختار استعمل عبد الله بن شداد على الكوفة .
(٩) حَرَوراء : ضبطها ياقوت بفتحتين ، وسكون الواو ، وراء أخرى ، وألف ممدودة . وقيل هي قرية بظاهر الكوفة . . . معجم البلدان (٢/ ٢٨٣) .
(١٠) في الطبري : بعث إلى عبد القيس ـ وكان عليهم مالك بن المنذر ـ عبدَ الرحمن بن شريح الشِّبامي .
(١١) في الطبري وابن الأثير : عبيد الله بن علي بن أبي طالب .

إلا ضعفاً ، فانزلوا بنا حتى نقاتل حتى الليل حتى نموت كراماً ، فوهنوا ، فقال أما فو الله لا أعطي بيدي . ثم اغتسل وتطيب وتحنط وخرج فقاتل هو ومن معه حتى قتلوا][١] .

فأشار[٢] عليه جماعة من أساورته بأن يدخل القصر دار إمارته ، فدخله وهو ملوم مذموم ، وعن قريب ينفذ فيه القدر المحتوم ، فحاصره مصعب فيه وجميع أصحابه حتى أصابهم من جهد العطش ما الله به عليم ، وضيق عليهم المسالك والمقاصد ، وانسدت عليهم أبواب الحيل ، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم ، ثم جعل المختار يجيل فكرته ويكرر رويَّته في الأمر الذي قد حل به ، واستشار من عنده من جهة[٣] الموالي والعبيد ، ولسان القدر والشرع يناديه : ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ : ٤٩] ثم قوى عزمه قوة الشجاعة المركبة فيه ، على أن أخرجته من بين من كان يحالفه ويواليه ، ورأى أن يموت على فرسه ، حتى يكون عليها انقضاء آخر نفسه ، فنزل حمية وغضباً ، وشجاعة وكلباً ، وهو مع ذلك لا يجد مناصاً ولا مفراً ولا مهرباً ، وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر ، ولعله إن كان قد استمر على ما عاش عليه أن لا يفارقه التسعة عشر [الموكلون بسقر] ولما خرج من القصر قال لأصحاب مصعب : أنا متولي[٤] ـ قالوا : لا إلَّا على حكم الأمير فقال : إلا على حكم نفسي أبداً ، ثم قاتل قتالاً شديداً وتقدم إليه رجلان شقيقان أخوان ، وهما طرفة وطرافة[٥] ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة ، فقتلاه بمكان الزّيّاتين من الكوفة ، واحتزا رأسه وأتيا به إلى مصعب بن الزبير ، وقد احتل قصر الإمارة في الكوفة ، فوضع بين يديه ، كما وضع رأس ابن زياد بين يدي المختار ، [وكما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد ، وكما سيوضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان ، فلما وضع رأس المختار بين يدي مصعب أمر لهما بثلاثين ألفاً][٦] .

وقد كان مصعب قد قتل جماعة من المختارية ، وأسر منهم خمسمئة أسير ، فضرب أعناقهم عن آخرهم في يوم واحد ، وقد قتل من عيون أصحاب مصعب في الوقعة محمد بن الأشعث بن قيس[٧] ، وأمر مصعب بكف المختار فقطعت وسمرت إلى جانب المسجد ، فلم يزل هنالك حتى قدم الحجاج ، فسأل عنها فقيل له : هي كف المختار ، فأمر بها فرفعت وانتزعت من هنالك [لأن المختار كان من قبيلة الحجاج ، والمختار هو الكذاب ، والمبير الحجاج ، ولهذا أخذ الحجاج بثأره من ابن الزبير فقتله وصلبه

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ولم أجد رواية الواقدي في الطبري .
(٢) في ط : وقيل بل أشار ؛ والكلام مترابط لولا إقحام رواية الواقدي .
(٣) في ط : في هذا السبب السيِّىء الذي قد اتصل سببه بسببه من .
(٤) في ط : وسأل أن يخلي سبيله فيذهب في أرض الله .
(٥) في تاريخ الطبري (٦/ ١٠٨) : طرَّاف ، وفي الفتوح لابن الأعثم (٢/ ٣٥٢) طارف وطريفة .
(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٧) زاد في مروج الذهب (٣/ ١١٨) : وابنان له .

شهوراً][(١)] وقد سأل مصعب أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار عنه فقالت : ما عسى أن أقول فيه إلا ما تقولون أنتم فيه ، فتركها واستدعى بزوجته الأخرى وهي عمرة بنت النعمان بن بشير فقال لها : ما تقولين فيه ؟ فقالت : رحمه الله لقد كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فسجنها وكتب إلى أخيه إنها تقول إنه نبيٌّ ، فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها ، فأخرجها إلى ظاهر البلد فضربت ضربات حتى ماتت ، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة المخزومي[(٢)] :

إنَّ من أعجبِ العجائبِ عِندي ... قَتْلَ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطبولِ[(٣)]

قُتلَتْ هكذا على غيرِ جُرْمٍ ... إنَّ لله دَرَّها مِنْ قتيلِ

كُتِبَ القَتلُ والقِتَالُ علينا ... وعلى الغانيات[(٤)] جرُّ الذيولِ[(٥)]

وقال أبو مخنف[(٦)] : حدّثني محمد بن يوسف ، أن مصعباً لقي عبد الله بن عمر [بن الخطاب] فسلم عليه [فقال ابن عمر : من أنت ؟] فقال : أنا ابن أخيك مصعب بن الزبير ، فقال له ابن عمر : نعم ، أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غَداة واحدة ؟ عِشْ ما استطعت ، فقال له مصعب : إنهم كانوا كفرة سَحَرة ، فقال ابن عمر : والله لو قتلت عدّتهم[(٧)] غَنَماً من تُراث أبيك لكان ذلك سَرَفاً .

وهذه ترجمة المختار بن أبي عُبيد الثقفي[(٨)]

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة[(٩)] بن عنزة[(١٠)] بن عوف بن ثقيف الثقفي ، أسلم أبوه في حياة النبي ﷺ ، ولم يره ، فلهذا لم يذكره أكثر الناس في الصحابة ، وإنما

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٢) في ط : ابن أبي رمثة ، وما أثبت عن أ ، ب والطبري وابن الأثير (٤/ ٢٧٥) .
(٣) العطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . القاموس (عطبل) .
(٤) في الطبري وابن الأثير : المحصنات .
(٥) الأبيات في ملحق ديوان عمر بن أبي ربيعة (٤٩٨) والأخبار الطوال (٣١٠) وتاريخ الطبري (٦/ ١١٢) والفتوح لابن الأعثم (٢/ ٣٥٣) والعقد الفريد (٤/ ٤٠٧) والكامل للمبرد (٢/ ١٨١) والكامل لابن الأثير (٤/ ٢٧٥) .
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ١١٢-١١٣) .
(٧) في ط : « عدلهم » ، وما أثبتناه من م وتاريخ الطبري .
(٨) ترجمة ـ المختار بن أبي عبيد ـ في تاريخ خليفة (٢٦٢ ـ ٢٦٤) والأخبار الطوال (٢٠٥) وما بعدها ، والمعارف لابن قتيبة (٤٠٠) وتاريخ الطبري (٥/ ٥٦٩) و(٦/ ٧ و٣٨) وما بعدها ، ومروج الذهب (٢/ ٣٠ و١٩٣) وما بعدها ، والاستيعاب (٣/ ٥٣٣ ـ ٥٣٦) وأسد الغابة (٤/ ٣٣٦) والكامل في التاريخ (٤/ ٢١١ ـ ٢٦٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٨ ـ ٥٤٤) والإصابة (٣/ ٥١٨) وشذرات الذهب (١/ ٢٩٣) .
(٩) في أ ، ط : عفرة ؛ تحريف ، وما أثبت عن ب وسير أعلام النبلاء .
(١٠) في ط : عمير ، خطأ ، وما أثبت عن أ والسير ، وفي أسد الغابة : غيرة .

ذكره ابن الأثير في الغابة[١] ، وقد كان عمر بعثه في جيش كثيف في قتال الفرس سنة ثلاث عشرة ، فقتل يومئذ شهيداً وقتل معه نحو من أربعة آلاف من المسلمين ، كما قدمنا ، وعرف ذلك الجسر به ، وهو جسر على دجلة فيقال له إلى اليوم جسر أبي عبيد ، وكان له من الولد صفية بنت أبي عبيد ، وكانت من الصالحات العابدات . وهي زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان عبد الله لها مكرماً ومحباً ، وماتت في حياته ، وأما [أخوها] المختار هذا فإنه كان أولاً [ناصبياً] يبغض علياً بغضاً شديداً ، وكان عند عمه في المدائن ، وكان عمه نائبها ، فلما دخلها الحسن بن علي يوم طعنه أهل العراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية بعد مقتل أبيه ، [فلما أحسَّ الحسن منهم بالغدر فر][٢] منهم إلى المدائن في جيش قليل ، فقال المختار لعمه : لو أخذت الحسن فبعثته إلى معاوية لاتخذت عنده اليد البيضاء أبداً ، فقال له عمه : بئس ما تأمرني به يابن أخي ، فما زالت الشيعة تبغضه حتى كان من أمر مسلم بن عقيل بن أبي طالب ما كان ، وكان المختار من الأمراء بالكوفة ، فجعل يقول : أما لأنصرنه ، فبلغ ابن زياد ذلك فحبسه بعد ضربه مئة جلدة ، فسألت أخته زوجها فكتب إلى يزيد بن معاوية [يتشفع فيه] فأرسل يزيد إلى ابن زياد ليخرجه فأخرجه وسيره إلى الحجاز في عباءة ، فصار إلى ابن الزبير بمكة فقاتل معه حين حصره حصين بن نمير[٣] قتالاً شديداً ، ثم بلغ المختار ما قال أهل العراق فيه من التخليط ، فسار إليهم وترك ابن الزبير ، ويقال إنه سأل ابن الزبير أن يكتب له كتاباً إلى ابن مطيع نائب الكوفة ففعل ، فسار إليها ، وكان يظهر مدح ابن الزبير في العلانية ويسبه في السر ، ويمدح محمد بن الحنفية ويدعو إليه ، وما زال حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع [وإظهار] الأخذ بثأر الحسين بن علي ، وبسبب ذلك التف عليه جماعات كثيرة من الشيعة ، وأخرج عامل ابن الزبير منها عبد الله بن مطيع ، واستقر ملك المختار بها ، ثم كتب إلى ابن الزبير يعتذر إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مداهناً لبني أمية ، وقد خرج من الكوفة ، وأنا ومن بها في طاعتك ، فصدقه ابن الزبير لأنه كان يدعو إليه على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس ، ويظهر طاعته ، ثم شرع في تتبع قتلة الحسين ومن شهد الوقعة بكربلاء من ناحية ابن زياد ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وظفر برؤوس كبار منهم ، كعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش بكماله وشَمْر بن ذي الجوشن أمير الألف الذين تولوا قتل الحسين ، وسِنان بن أبي أنس ، وخولي بن يزيد الأصبحي ، وخلق غير هؤلاء ، وما زال حتى بعث سيف نقمته إبراهيم بن الأشتر في عشرين ألفاً إلى عبيد الله بن زياد وهو في جيش أعظم من جيش المختار ـ بأضعاف مضاعفة ـ كانوا ستين ألفاً ، وقيل ثمانين ألفاً ، فقَتل ابنُ الأشتر ابنَ زياد وكسر جيشه ، واحتاز ما في معسكره واتفق ذلك في يوم عاشوراء سنة سبع وستين كما قدمنا ، ثم بعث برأس ابن زياد ورؤوس أصحابه معه إلى المختار ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، ثم إن المختار بعث برأس ابن زياد

---

(١) أسد الغابة (٦/ ٢٠١) .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وبدلها في أ : ففر .

(٣) في ط : أهل الشام .

ورأس حصين بن نمير ومن معهما إلى ابن الزبير بمكة فأمر بهما فنصبت على عقبة الحجون[١] .

وقد كانوا نصبوها بالمدينة ، وطابت نفس المختار بالملك ، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع ، فلما تبين ابن الزبير خداعه ومكره وسوء مذهبه ، بعث أخاه مصعباً أميراً على العراق ، فساروا إلى البصرة فجمع العساكر فما تم سرور المختار حتى سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة في جيش هائل فقتله واحتز رأسه وأمر بصلب كفه على باب المسجد ، وبعث مصعب برأس المختار مع رجل من الشرط على البريد[٢] ، إلى أخيه عبد الله بن الزبير ، فوصل مكة بعد العشاء فوجد عبد الله يتنفل ، فما زال يصلي حتى أسحر ولم يلتفت إلى البريد الذي جاء بالرأس ، فلما كان قريب الفجر قال : ما جاء بك ؟ فألقى إليه الكتاب فقرأه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بقي الرأس ، فقال : ألقه على باب المسجد ، فألقاه ثم جاء فقال : جائزتي يا أمير المؤمنين ، فقال : جائزتك الرأس الذي جئت به تأخذه معك إلى العراق[٣] .

وزالت دولة المختار كأن لم تكن[٤] ، وفرح المسلمون بزوالها ، وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقاً ، بل كان كاذباً وكاهناً ، وكان يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل .

قال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا ابن نمير ، حدَّثنا عيسى القاري أبو عمر[٦] ، حدَّثني السُّدّي ، عن رفاعة الفِتْياني[٧] قال : دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال : لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك . قال : فأردت أن أضرب عنقه . قال : فذكرت حديثاً حدَّثنيه أخي عمرو بن الحَمق ، قال قال رسول الله ﷺ : « أيما مؤمن أمَّن مؤمناً على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء » .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن حمّاد بن سَلَمة ، حدَّثني عبد الملك بن عمير ، عن رِفاعة بن شدَّاد . قال : كنت أقوم على رأس المختار فلما عرفت كذبه هممت أن أسلَّ سيفي فاضرب عنقه ، فذكرت حديثاً حدثناه عمرو بن الحَمِق . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أمن رجلاً على نفسه فقتله أُعطي لواء غدر يوم القيامة » ورواه النسائي وابن ماجه[٩] من غير وجه عن

---

(١) عقبة الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها . . ، وقال الأصمعي : الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين . معجم البلدان (٢/ ٢٢٥) .

(٢) في الأخبار الطوال (٣٠٨) : ووجه مصعب برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير مع عبد الله بن عبد الرحمن .

(٣) ثمة خلافات طفيفة بين النسخ آثرنا عدم ذكرها لاشتراكها في المعنى . والخبر بطوله في تاريخ الطبري (٦/ ١٠٤) والأخبار الطوال (٣٠٨) . وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٢٣٨) ط : دار الفكر .

(٤) في ط زيادة : وكذلك سائر الدول .

(٥) مسند أحمد (٥/ ٢٢٤ و٤٣٧) وهو حديث صحيح .

(٦) في ط : حدثني أبو عمير السدي ؛ تحريف .

(٧) في ط : القباني ؛ تحريف والصواب ما أثبتناه ، وهو رفاعة بن شداد .

(٨) مسند أحمد (٥/ ٢٢٤) وهو حديث صحيح .

(٩) رواه النسائي في السير من الكبرى (٨٧٣٩) ، وابن ماجه (٢٦٨٨) في الديات .

عبد الملك بن عمير وفي لفظ لهما : « من أمن رجلاً على دم فقتله فأنا بريء من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً » . وفي سند هذا الحديث اختلاف[١] .

وقد قيل لعبد الله بن عمر[٢] : إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه ، فقال صدق ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

وروى ابن أبي حاتم[٣] ، عن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني [عنده] وكان يتعاهد مبيتي باللّيل قال فقال لي : اخرج فحدِّث الناس ، قال : فخرجت فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ؟ فقلت : الوحي وحيان قال الله تعالى : ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف : ٣] وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] قال فهمُّوا أن يأخذوني فقلت : مالكم وذاك ! إني مفتيكم وضيفكم . فتركوني ، وإنما أراد عكرمة أن يعرِّض بالمختار وكذبه في ادعائه أن الوحي ينزل عليه .

[وروى الطبراني[٤] من طريق أنيسة بنت زيد بن الأرقم : أن أباها دخل على المختار بن أبي عبيد فقال له : يا أبا عامر لو سبقت رأيت[٥] جبريل وميكائيل ، فقال له زيد : حفرت ونفرت[٦] ، أنت أهون على الله من ذلك ، كذاب مفترٍ على الله ورسوله][٧] .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا إسحاق بن يوسف ، حدَّثنا عوف عن أبي الصدِّيق الناجي : أن الحجاج ابن يوسف دخل على أسماء بنت أبي بكر الصديق ، بعد ما قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال : إن ابنك ألحد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل به وفعل[٩] ، فقالت[١٠] : كذبت ، كان براً

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ في السنن، إنما أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٠٣)، والطبراني في الصغير (٥٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٤) بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف .
أما قول المصنف « وفي سند هذا الحديث اختلاف » فكأنه يشير إلى اختلاف الرواة في تسمية الفتياني الراوي عن عمرو بن الحمق، فقد جاء في رواية أنه عامر بن شداد، وفي رواية أخرى أنه رفاعة بن شداد، وهو الصواب، وبكل حال فالحديث صحيح (بشار) .
(٢) الخبر في تفسير ابن كثير (٣/ ٩١) الآية ١٢١ من سورة الأنعام .
(٣) الخبر في تفسير ابن كثير (٣/ ٨٤ـ٨٥) الآية ١١٢ من سورة الأنعام .
(٤) المعجم الكبير (٥/ ٢١٢) رقم (٥١٢٧) .
(٥) في ط : شفت رأي ؛ وما أثبت عن ب والطبراني .
(٦) في ط ، أ : خسرت وتعست ؛ وما أثبت عن ب والطبراني .
(٧) ما بين معكوفين ساقط من أ وحدها .
(٨) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٥١) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وهو حديث صحيح .
(٩) في ط : « وفعل به ما فعل » ، وما أثبتناه من م ومسند أحمد .
(١٠) في ط : « فقالت له » ، وما أثبتناه من م ومسند أحمد .

بالوالدين ، صوّاماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ « أنه سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . هكذا رواه أحمد بهذا السند واللفظ .

وقد أخرجه مسلم في « صحيحه »(١) في كتاب الفضائل عن عُقبة بن مُكْرَم العَمِّيِّ البصريّ ، عن يَعْقوب بن إسحاق الحضرميّ ، عن الأسودِ بن شيبان ، عن أبي نَوْفل ، عن أَسماء بنت أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال : « إن في ثقيف كذاباً ومبيراً » . وفي الحديث قصة طويلة في مقتل الحجاج ولدها عبد الله في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي .

وقد ذكر البيهقي هذا الحديث في « دلائل النبوة »(٢) وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة ، وأسرّ إلى أخصائه أنه يُوحى إليه ، ولكن ما أدري هل كان يدّعي النبوة أم لا ؟ وكان قد وُضِعَ له كرسي يُعظَّمُ ويُحَفُّ بالرجال ، ويُستر بالحرير ، ويُحمل على البغال ، وكان يُضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن ، ولاشك أنه كان ضالاًّ مضلاًّ أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] وأما المبير فهو القَتَّال وهو الحجاج بن يوسف الثقفي نائب العراق لعبد الملك بن مروان ، الذي انتزع العراق من يد مصعب بن الزبير ، كما سيأتي بيانه قريباً .

وذكر الواقدي(٣) أن المختار لم يزل مظهراً موافقة ابن الزبير حتى قدم مصعب إلى البصرة في أول سنة سبع وستين وأظهر مخالفته فسار إليه مصعب فقاتله وكان المختار في نحو من عشرين ألفاً ، وقد حمل عليه المختار مرة فهزمه ، ولكن لم يثبت جيش المختار حتى جعلوا ينصرفون إلى مصعب ويدعون المختار ، وينقمون عليه ما هو فيه من الكهانة والكَذِب ، فلما رأى المختار ذلك انصرف إلى قصر الإمارة فحاصره مصعب فيه أربعة أشهر ، ثم قتله في الرابع عشر من رمضان سنة سبع وستين ، وله من العمر سبع وستون سنة فيما قيل(٤) .

فصل

ولما استقر مصعب بن الزبير بالكوفة بعث إلى إبراهيم بن الأشتر ليقدم عليه ، وبعث إليه عبد الملك بن مروان ليقدم عليه(٥) ، فحار ابن الأشتر في أمره ، وشاور أصحابه إلى أيهما يذهب ، ثم اتفق رأيهم على الذهاب إلى بلدهم الكوفة ، فقدم ابن الأشتر على مصعب بن الزبير فأكرمه وعظمه

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة .
(٢) دلائل النبوة (٦/ ٤٨١) .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ١١٤) .
(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ١١٤ـ١١٥) وابن الأثير (٤/ ٢٧٣) وتاريخ الإسلام (٥/ ٥٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤٣) .
(٥) نسخة الكتابين في تاريخ الطبري (٦/ ١١١) .

واحترمه كثيراً ، وبعث مصعب المهلَّب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وأذربيجان [وأرمينية ، وكان قد استخلف على البصرة حين خرج منها عبيد الله][(١)] بن عبد الله بن معمر ، وأقام هو بالكوفة ، ثم لم تنسلخ هذه السنة حتى عزله أخوه عبد الله بن الزبير عن البصرة وولّى عليها ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وكان شجاعاً جواداً مخلطاً[(٢)] يعطي أحياناً حتى لا يدع شيئاً ، ويمنع أحياناً ما لم يمنع مثله ، وظهرت خفة وطيش في عقله ، وسرعة في أمره ، فبعث الأحنف إلى عبد الله بن الزبير فعزله وأعاد إلى ولايته أخاه مصعباً مضافاً إلى ما بيده من ولاية الكوفة .

قالوا : وخرج حمزة بن عبد الله بن الزبير من البصرة بمالٍ كثير من بيت مالها ، فعرض له مالكُ بن مِسْمَع ، فقال : لا ندعك تذهب بأعطياتنا ، فضمن له عُبيد الله بن عبد الله بن معمر[(٣)] العطاء فكفَّ عنه ، فلما انصرف حمزة لم يقدم على أبيه مكة ، بل عدل إلى المدينة ، فأودع ذلك المال رجالاً فكلُّهم غلَّ ما أودعه وجحده ، سوى رجل من أهل الكتاب ، فأدّى إليه أمانته . فلما بلغ أباه ما صنع قال : أبعده الله ، أردت أن أباهي به بني مروان فنكص .

وذكر أبو مخنف : أن حمزة بن عبد الله بن الزبير ولي البصرة سنة كاملة فالله أعلم .

قال ابن جرير[(٤)] : وحج بالناس فيها عبد الله بن الزبير ، وكان عامله على الكوفة أخاه مصعباً ، وعلى البصرة ابنه حمزة ، وقيل بل كان رجع إليها أخوه ، وعلى خراسان وتلك البلاد عبد الله بن خازم السُّلميّ [من جهة ابن الزبير والله سبحانه أعلم] .

[وممن توفي فيها من الأعيان :

الوليد بن عقبة بن أبي معيط[(٥)] .

وأبو الجهم[(٦)] ، وهو صاحب الأنبجانية المذكورة في الحديث الصحيح[(٧)] .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط وم . والخبر في الطبري (١١٧/٦) وفيه : أن مصعب استخلف على البصرة عبيد الله بن عمر .

(٢) التخليط : الفساد في الأمر . هامش أ .

(٣) في الطبري (١١٨/٦) : عبيد الله بن عبيد الله بن معمر .

(٤) تاريخ الطبري (١١٨/٦) .

(٥) ترجمة ـ الوليد بن عقبة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤) و(٤٧٦/٧) وطبقات خليفة (٥٧) والاستيعاب الترجمة (٦٣١/٣) وتاريخ دمشق (٢١٨/٦٣) وأسد الغابة (٥/ ٤٥١) . وتهذيب الكمال (٣١/ ٥٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٢ ـ ٤١٦) . والإصابة (٦٣٧/٣) وتهذيب التهذيب (١١/ ١٤٢) .

(٦) ترجمة ـ أبي الجهم ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥١) والاستيعاب (٤/ ٣٢) وأسد الغابة (٥/ ٥٧) وتاريخ دمشق (٣٨/ ١٧٣ ـ ١٨٥) ط دار الفكر ، وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ص٢٨٠) وسير أعلام النبلاء (٥٥٦/٢) والإصابة (٤/ ٣٥) واسمه : عُبيد ـ ويقال عامر ـ بن حذيفة بن عامر بن عبد الله .

(٧) الحديث في صحيح البخاري رقم (٥٨١٧) في اللباس ومسلم رقم (٥٥٦) في المساجد . ونصه في البخاري : عن=

وفيها قتل خلق كثير يطول ذكرهم][١] .

ثم دخلت سنة ثمان وستين

وفيها رد عبد الله أخاه مصعباً إلى إمرة البصرة ، فأتاها فأقام بها ، واستخلف على الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، قُباع .

[واستعمل[٢] على المدينة جابر بن الأسود الزّهريّ ، وعزل عنها عبد الرحمن بن الأشعث لكونه ضرب سعيد بن المسيِّب ستين سوطاً ، فإنه أراد منه أن يبايع لابن الزبير فامتنع من ذلك فضربه ، فعزله ابن الزبير .

وفيها هلك ملك الروم قسطنطين بن قسطنطين ببلده][٣] .

وفيها كانت وقعة الأزارقة ، وذلك أن مصعباً كان قد عزل عن ناحية فارس المهلَّب بن أبي صفرة ، وكان قاهراً لهم وولاه الجزيرة وأذربيجان[٤] ، [وكان المهلب قاهراً للأزارقة] وولى على فارس عمر بن عبيد الله بن مَعمَر ، فثاروا عليه فقاتلهم عمر بن عبيد الله فقهرهم وكسرهم ، وكانوا مع أميرهم الزبير بن الماحوز[٥] ، ففروا بين يديه إلى إصطخر فاتبعهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقتلوا ابنه[٦] ، ثم ظفر بهم مرة أخرى ، ثم هربوا إلى بلاد أصبهان ونواحيها ، فتقووا هنالك وكثر عددهم وعدتهم ، ثم أقبلوا يريدون البصرة ، فمروا ببعض بلاد فارس وتركوا عمر بن عبيد الله بن معمر وراء ظهورهم ، فلما سمع مصعب بقدومهم ركب في الناس وجعل يلوم عمر بن عبيد الله بتركه هؤلاء يجتازون ببلاده ، وقد ركب عمر بن عبيد الله في آثارهم ، فبلغ الخوارج أن مصعباً أمامهم وعمر بن عبيد الله من ورائهم ، فعدلوا إلى المدائن فجعلوا يقتلون النساء والولدان ، ويبقرون بطون الحبالى ، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم[٧] ، فقصدهم

= عائشة قالت صلى رسول الله ﷺ في خميصة له لها أعلام ، فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما سلَّم قال : « اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم ، فإنها ألْهتني آنفاً عن صلاتي ، وائتوني بأنبجانية أبي جهم بن حذيفة بن غانم من بني عدي بن كعب » .

والأنبجانية : كساء من صوف لا عَلَمَ له ، وهي من أدون الثياب الغليظة .

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٢) أي عبد الله بن الزُّبير .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط وهي موافقة للطبري ٦/ ١١٩) .

(٤) في تاريخ الطبري (٦/ ١١٩) أنه وجهه إلى الموصل ونواحيها .

(٥) في ط : ماجور ، وما أثبت موافق للطبري .

(٦) سماه الطبري وابن الأثير : عبيد الله بن عمر .

(٧) في ب : ويفعلون ما لا يفعله غيرهم ، والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ١٢١) .

نائب الكوفة الحارث بن أبي ربيعة ومعه أهلها وجماعات من أشرافها ، منهم إبراهيم بن الأشتر وشَبَث بن رِبْعيّ ، فلما وصلوا إلى جسر الصراة[١] قطعه الخوارج بينه وبينهم ، فأمر الأمير بإعادته فأعيد ، ففرت الخوارج هاربين بين يديه ، فاتبعهم عبد الرحمن بن مِخْنَف في ستة آلاف فمروا على الكوفة ثم صاروا إلى أرض أصبهان ، فانصرف عنهم ولم يقاتلهم ، ثم أقبلوا فحاصروا عَتّاب بن ورقاء شهراً ، بمدينة جيا[٢] ، حتى ضيقوا على الناس فنزلوا إليهم فقاتلوهم فكشفوهم وقتلوا أميرهم الزبير بن الماحوز وغنموا ما في معسكرهم ، وأمَّرت الخوارج عليهم قَطَريّ بن الفجاءة ثم ساروا إلى بلاد الأهواز ، فكتب مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة ـ وهو على الموصل ـ أن يسير إلى قتال الخوارج وكان أبصر الناس بقتالهم ، وبعث مكانه إلى الموصل إبراهيمَ بن الأشتر فانصرف المهلب إلى الأهواز فقاتل فيها الخوارج ثمانية أشهر قتالاً لم يسمع بمثله .

قال ابن جرير[٣] : وفي هذه السنة كان القحط الشديد ببلاد الشام بحيث لم يتمكنوا معه من الغزو لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم .

قال ابن جرير : وفيها قتل عبيد الله بن الحر[٤] وكان من خبره أنه كان رجلاً شجاعاً تتقلب به الأحوال والأيام والآراء ، حتى صار من أمره أنه لا يُطيع لأحدٍ من بني أمية ولا لآل الزبير ، وكان يمر على عامل الكورة من العراق وغيره فيأخذ منه جميع ما في بيت ماله من الحواصل قهراً ويكتب له به براءة ويذهب فينفقه على أصحابه . وكان الخلفاء والأمراء يبعثون إليه الجيوش فيردها ويكسرها قلّت أو كثرت ، حتى كان فيه مصعب بن الزبير وعماله ببلاد العراق ، ثم إنه وفد على عبد الملك بن مروان فبعثه في عشرة نفر وقال : ادخل الكوفة وأعلمهم أن الجنود ستصل إليهم سريعاً ، فبعث في السر إلى جماعة من إخوانه يظهرهم على أمرهم ، فأعلم أمير الكوفة الحارث بن عبد الله فبعث إليه جيشاً فقتلوه في المكان الذي هو فيه[٥] ، وحمل رأسه إلى الكوفة ، ثم إلى البصرة ، واستراح الناس منه .

قال ابن جرير[٦] : وفيها شهد موقف عرفات أربع رايات متباينة ، كل واحدة منها لا تأتم بالأخرى الواحدة لمحمد بن الحنفية في أصحابه .

والثانية لنجدة الحَرُوري وأصحابه .

والثالثة لبني أمية .

---

(١) في أ ، ب : الصرّار ، وما أثبت موافق للمصادر .
(٢) في الطبري (٦/ ١٢٥) حيّ .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ١٢٧) .
(٤) في أ ، ب : أبجر ؛ خطأ ، وما هنا موافق للمصادر .
(٥) في الطبري : أنه قتل بالأنبار .
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ١٣٨) .

والرابعة لعبد الله بن الزّبير .

وكان أول من دفع رايته ابن الحنفية ، ثم نجدة ، ثم بنو أمية ، ثم دفع ابن الزّبير فدفع الناس معه ، وكان عبد الله بن عمر فيمن انتظر دفع ابن الزبير ، ولكنَّه تأخر دفعه ، فقال ابن عمر : أشبه بتأخيره دفع الجاهلية ، فدفع ابن عمر فدفع ابن الزبير ، وتحاجز الناس في هذا العام ، فلم يكن بينهم قتال . وكان على نيابة المدينة لابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري من جهة ابن الزبير ، وعلى الكوفة والبصرة أخوه مصعب ، وعلى ملك الشام ومصر عبد الملك بن مروان ، والله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

عبد الله بن يزيد الأوسي(١) ، شهد الحديبية .

وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث(٢) .

وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي(٣) ، ابن أخي عمر بن الخطاب ، أدرك النبي ﷺ ، وتوفي بالمدينة عن نحو سبعين سنة .

عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاري(٤) .

عدي بن حاتم بن عبد الله(٥) **بن سعد بن امرىء القيس**، صحابي جليل، سكن الكوفة ثم سكن قرقيسيا(٦) .

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن يزيد ـ في طبقات ابن سعد (١٦/ ١٨) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٢) والجرح والتعديل (٥/ ١٩٧) والاستيعاب (٢/ ٣٩١) وأسد الغابة (٣/ ٢٧٤) وتهذيب الكمال (١٦/ ٣٠١ ـ ٣٠٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ١٦٧ ـ ١٦٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٧ ـ ١٩٨) والإصابة (٢/ ٣٨٢) وتهذيب التهذيب (٦/ ٧٨).

(٢) ترجمة ـ عبد الرحمن بن الأسود ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٧) وطبقات خليفة (٢٣٣) وأنساب الأشراف (١/ ٣٦ و٩٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٩) والاستيعاب (٢/ ٤٢٧) وتهذيب الكمال (٢/ ٧٧٤ـ ٧٧٥) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٧٠ـ ١٧١) والإصابة (٢/ ٣٩٠) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٣٩ـ ١٤٠) .

(٣) ترجمة ـ عبد الرحمن بن زيد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩) وتاريخ خليفة (٢٥١) وطبقاته (٢٣٤) والتاريخ الكبير (٥/ ٢٨٤) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٨٠٩) والاستيعاب (٢/ ٤٢٥) ووفيات الأعيان (٥/ ٢٤٧) وتهذيب الكمال (٢/ ٧٨٩) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٧٤) وقال الذهبي : توفي أيام ابن الزبير ، وتهذيب التهذيب (٦/ ١٧٩ـ ١٨٠).

(٤) ترجمة ـ عبد الرحمن بن حسان ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٦٦) وطبقات خليفة (٢٥١) وأنساب الأشراف (١/ ٤٥ ، ١٥١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٥) ووفيات الأعيان (٥/ ١٩٣) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٧١ ـ ١٧٢) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٦٢ ـ ١٦٣) .

(٥) ترجمة ـ عدي بن حاتم ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢) وطبقات خليفة (٤٦٣) والتاريخ الكبير (٧/ ٤٣) والاستيعاب (٣/ ١٤١ ـ ١٤٣) وأسد الغابة (٣/ ٣٩٢) وتهذيب الكمال (٥٢٤ ـ ٥٣١) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٨١ـ ١٨٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٢ ـ ١٦٥) والإصابة (٢/ ٤٦٨) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٦٦) وشذرات الذهب (١/ ٧٤) .

(٦) في الأصل : قوميسيا ، وهو خطأ .

زيد بن أرقم بن زيد[١] ، صحابي جليل[٢] .

وفيها توفي :

عبد الله بن عباس[٣] ترجمان القرآن وابن عم رسول الملك الديّان هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ، حَبر هذه الأمة ، ومفسِّر كتاب الله وترجمانه ، كان يقال له الحبر والبحر ، وروى عن رسول الله ﷺ شيئاً كثيراً ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين ، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله ، رضي الله عنه وأرضاه . وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ، وهو والد الخلفاء العباسيين ، وهو أخو إخوة عشرة ذكور من أم الفضل [للعباس ، وهو آخرهم مولداً] وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد عن الآخر جداً كما سيأتي ذلك .

قال مسلم بن خالد الزنجي المكي : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس .

قال : لما كان رسول الله ﷺ في الشِّعب[٤] جاء أبي إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل ، فقال : « لعل الله أن يقرَّ أعينكم » . قال : فلما ولدتني أتى بي رسولَ الله ﷺ وأنا في خرقة فحنكني بريقه .

قال مجاهد : فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله ﷺ بريقه غيره[٥] .

---

(١) ترجمة ـ زيد بن أرقم ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٨) وطبقات خليفة (٥٩٤) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٣) والاستيعاب (١/ ٥٥٦ ـ ٥٥٨) وأسد الغابة (٢/ ٢١٩) وتهذيب الكمال (١٠/ ٩ ـ ١٢) وتاريخ الإسلام (٥/ ١١٧ ـ ١١٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٨) والإصابة (١/ ٥٦٠) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٤) وشذرات الذهب (١/ ٧٤) .

(٢) جملة الوفيات ساقطة من أ ، ب ، م .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن عباس ـ في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٥) ونسب قريش (٢٦) وطبقات خليفة (٨٢١ و١٤٨٥) وتاريخ البخاري (٥/ ٣) وأنساب الأشراف (٣/ ٢٨ ، ٥٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٤١ ، ٢٧٠) والاستيعاب (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٧) وتاريخ بغداد (١/ ١٧٣) وتاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٥) وأسد الغابة (٣/ ٢٩٠) ووفيات الأعيان (٣/ ٦٢) وتهذيب الكمال (١٥/ ١٥٤) وتاريخ الإسلام (٥/ ١٤٨ ـ ١٦١) وفيه استيعاب لمصادر ترجمته ، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣١ ـ ٣٥٩) والإصابة (٢/ ٣٣٠) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٦) .

(٤) الشِّعب : بكسر الشين ، كان منزل بني هاشم غير مساكنهم ، ويعرف بشعب أبي يوسف ، وهو الشعب الذي أوى إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بني هاشم وكتبوا الصحيفة . شرح المواهب اللدنية (١/ ٢٧٨) .

(٥) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٨) ط دار الفكر .

وفي رواية أخرى فقال رسول الله ﷺ : « لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام » فولدت عبد الله بن عباس[١] .

وعن عمرو بن دينار قال : ولد ابن عباس عام الهجرة[٢] .

وروى الواقدي من طريق شعبة ، عن ابن عباس أنه قال : ولدتُ قبل الهجرة بثلاث سنين ، ونحن في الشعب ، وتوفي رسول الله ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، ثم قال الواقدي : وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل العلم . واحتج الواقدي بأنه كان قد ناهز الحلم عام حجة الوداع .

وفي صحيح البخاري[٣] عن ابن عباس قال : توفي رسول الله ﷺ وأنا مختون ، وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم .

وقال شعبة وهشيم وأبو عوانة[٤] : عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين مختون[٥] .

زاد هشيم[٦]: وقد جمعت المحكم على عهد رسول الله ﷺ. قلت : وما المحكم ؟ قال : المفصل.

وقال أبو داود الطيالسي[٧] : عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قبض رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون ، وهذا هو الأصح ، ويؤيده صحة ما ثبت في الصحيحين ، ورواه مالك ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس قال : أقبلت راكباً على أتانٍ وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ، ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار ، فمررت بين يدي بعض الصف ، فنزلت وأرسلت الأتان ترتع ودخلت في الصف ، فلم ينكر عليّ ذلك أحد[٨] . وثبت عنه في الصحيح[٩] أنه قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين ، كانت أمي من النساء وكنت أنا من الولدان . وهاجر مع أبيه عام الفتح ، فاتفق لقياهما النبي ﷺ بالجُحفة ، وهو ذاهب لفتح مكة ، فشهدا الفتح وحنيناً

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٩) .

(٣) صحيح البخاري رقم (٦٢٩٩) في الاستئذان .

(٤) في ط : هشام وابن عوانة ، والتصحيح من م والبخاري رقم (٥٠٣٥) و (٥٠٣٦) .

(٥) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٥٣ و٢٨٧ و٣٥٧) وقال ابن حجر في الإصابة (٢/ ٣٣٠) قوله : ابن عشر سنين محمول على إلغاء الكسر .

(٦) في ط : هشام ، والتصحيح من م والبخاري .

(٧) مسند أبي داود الطيالسي (٣٤٣) .

(٨) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٥٥) في قصر الصلاة ، وأحمد في مسنده (١/ ٢٦٤) . والبخاري في صحيحه رقم (٤٩٣) في الصلاة باب : سترة المصلي ، ومسلم في صحيحه رقم (٥٠٤) في الصلاة .

(٩) صحيح البخاري (١٣٥٧) في الجنائز .

والطائف عام ثمان ، وقيل : كان في سنة تسع وحجة الوداع سنة عشر ، وصحب النبي ﷺ حينئذ ولزمه ، وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال ، وأخذ عن الصحابة علماً عظيماً مع الفهم الثاقب ، والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحة ، والأصالة والبيان ، ودعا له رسول الرحمن ﷺ ، كما وردت به الأحاديث الثابتة الأركان ، عند الأئمة الحفاظ المرضيين أنه ﷺ « دعا له بأن يعلمه التأويل ، وأن يفقهه في الدين » .

قال الزبير بن بكار(١) : حدَّثني ساعدة بن عبيد الله المزني ، عن داود بن عطاء ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر أنه قال : إن عمر كان يدعو عبد الله بن عباس فيقرِّبه ويقول : إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسح رأسك وتفل في فيك وقال : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » . وبه أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك فيه وانشر منه » .

وقال حماد بن سلمة : عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم(٢) ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : بتُّ في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي ﷺ غسلاً ، فقال : « من وضع هذا ؟ » قالوا : عبد الله بن عباس، فقال : « اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين » . وقد رواه غير واحد(٣) عن ابن خُثَيم(٢) بنحوه .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا عبد الله بن بكر حدَّثنا حاتم بن أبي صغيرة(٥) ، أبو يونس ، عن عمرو بن دينار : أن كريباً أخبره أن ابن عباس قال : أتيت رسول الله ﷺ من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرَّني فجعلني حذاءه ، فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خنست فصلى رسول الله ﷺ فلما انصرف قال لي(٦) : « ما شأني أجعلك حذائي(٧) فتخنس » ؟ فقلت : يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله عزَّ وجلَّ ؟ قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً ، قال : ثم رأيت رسول الله ﷺ نام حتى سمعته ينفُخُ(٨) ، ثم أتاه بلال فقال : يا رسول الله الصلاة ، فقام فصلى ما أعاد وضوءاً .

وقال الإمام أحمد(٩) وغيره : حدَّثنا هاشم بن القاسم ، حدَّثنا ورقاء ، وسمعت عبيد الله بن أبي يزيد يحدث عن ابن عباس قال : أتى رسولُ الله ﷺ الخلاءَ فوضعتُ له وَضُوءاً ، فلما خرج قال :

---

(١) أخرجه البلاذري في « أنساب الأشراف » (٣/ ٣٧) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٣٧) .

(٢) في الأصل : خيثم ، وهو خطأ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٦٦) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٥) والبلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٢٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٨٧) والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٣٤) وصححه .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٣٠) ، وهو حديث صحيح .

(٥) في ط : حدثنا عبد الله بن بكر بن أبي صفرة ؛ خطأ ، والتصحيح من أ ، ب ومسند أحمد .

(٦) في ط : « انصرف من صلاته قال » ، وما أثبتناه من م ومسند أحمد .

(٧) في ط : « في حذائي » ، وما أثبتناه من م ومسند أحمد .

(٨) في ط : « سمعت نفخه » ، وما أثبتناه من م ومسند أحمد .

(٩) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٢٧) بلفظ « اللهم فقهه » وأخرجه أحمد من طريق أخرى كاملاً باللفظ المذكور (١/ ٢٦٦).

« من وضع ذا ؟ » فقيل ابن عباس ، فقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .

وقال الثوري وغيره : عن ليث ، عن أبي جهضم موسى بن سالم ، عن ابن عباس أنه رأى جبريل وأن رسول الله ﷺ دعا له بالحكمة ، وفي رواية بالعلم ، مرتين[١] .

وقال الدارقطني : حدَّثنا حمزة بن القاسم الهاشمي وآخرون قالوا : حدَّثنا العباس بن محمد ، حدَّثنا محمد بن مصعب عن أبي مالك[٢] النخعي ، عن أبي إسحاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : رأيت جبريل مرتين ، ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين ثم قال : غريب من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن عكرمة تفرّد به عنه أبو مالك النخعي عبد الملك بن حسين .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا هشيم[٣] ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال : ضمني رسول الله ﷺ وقال : « اللهم علّمه الحكمة »[٤] .

ورواه أحمد أيضاً : عن إسماعيل بن عُلية ، عن خالدٍ الحذاء ، عن عكرمة عنه قال : ضمني إليه رسول الله ﷺ وقال : « اللهم علّمه الكتاب » . وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه[٥] من حديث خالد وهو ابن مهران الحذَّاء ، عن عكرمة عنه وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا أبو سعيد ، حدَّثنا سليمان بن بلال ، حدَّثنا حسين بن عبد الله عن[٧] عكرمة ، عن ابن عباس . أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل » . تفرد به أحمد ، وقد روى هذا الحديث غير واحد عن عكرمة بنحو هذا . ومنهم من أرسله عن عكرمة ، والمتصل هو الصحيح ، فقد رواه غير واحد من التابعين عن ابن عباس ، ورُوي من طريق أمير المؤمنين المهدي ، عن أبيه ، عن أبي جعفر المنصور ـ عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ـ عن أبيه ، عن جده ، عن عبد الله بن عباس . أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم علمه الكتاب وفقهه في الدين » .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا أبو كامل وعفان المعني قالا : حدَّثنا حمّاد ، حدَّثنا عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس . قال : كنت مع أبي عند النبي ﷺ وعنده رجل يناجيه ، قال عفان : وهو

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم (٣٨٢٢) في المناقب وإسناده ضعيف ؛ لإرساله فإن أبا جهضم لم يدرك ابن عباس .

(٢) في الأصل : ابن أبي مالك ، وهو خطأ .

(٣) في ط : « هاشم » ، وما أثبتناه من م وهو الصواب .

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢١٤) عن شيخه هشيم ، بلفظ : « مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة » .

(٥) رواه أحمد (١/ ٣٥٩) والبخاري في صحيحه رقم (٧٥) في العلم ، والترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٨٢٤) في المناقب ، والنسائي في سننه الكبرى رقم (٨١٧٩) في المناقب ، وابن ماجه في سننه رقم (١٦٦) في السنة .

(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٩) ، وهو حديث حسن .

(٧) في الأصل : عبد الله عن عكرمة ، والتصحيح من م والمسند .

(٨) مسند الإمام أحمد (١/ ٣١٢) وهو حديث صحيح .

كالمعرض عن العباس ، فخرجنا من عنده فقال[١] : ألم أر ابن عمك كالمعرض عني ؟ فقلت : إنه كان عنده رجل يناجيه ، قال عفان : فقال[٢] : أو كان عنده أحد ؟ قلت : نعم ، قال فرجع إليه فقال : يا رسول الله هل كان عندك أحد[٣] ؟ فإن عبد الله أخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك ، قال : هل رأيته يا عبد الله ؟ قال : قلت : نعم ! قال : « ذاك جبريل عليه السلام » .

وقد روي من حديث المهدي عن آبائه ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال له : « أما إنك ستصاب في بصرك »[٤] . وكان كذلك ، وقد روي من وجه آخر أيضاً ، والله أعلم .

ذكر صفة أخرى لرؤيته جبريل

رواها قتيبة ، عن الدراوردي ، عن ثور بن زيد، عن موسى بن ميسرة: أن العباس بعث ابنه عبد الله في حاجة إلى رسول الله ﷺ فوجد عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه من أجل مكان ذلك الرجل ، فلقي رسولَ الله ﷺ العباسُ بعد ذلك ، فقال العباس : يا رسول الله أرسلت إليك ابني فوجد عندك رجلاً فلم يستطع أن يكلمك فرجع وراءه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم تدري من ذاك الرجل ؟ » قال : لا ! قال : « ذاك جبريل ، ولن يموت ابنك حتى يذهب بصره ويؤتى علماً »[٥] . ورواه سليمان بن بلال ، عن ثور بن زيد كذلك ، وله طرق أخرى . وقد ورد في فضائله أحاديث كثيرة منها ما هو منكر جداً أضربنا عن كثير منها [صفحاً] وذكرنا ما فيه مقنع وكفاية عما سواه .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي[٦] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني عبد الله بن الحسن القاضي بمرو ، حدَّثنا الحارث بن محمد ، حدَّثنا يزيد بن هارون ، أنبأ جرير بن حازم ، عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثير ، فقال : يا عجباً لك يا بن عباس !! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم ؟ قال : فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليّ من التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا بن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلاَّ أرسلت إليّ فآتيك ؟ فأقول : لا ! أنا أحق أن آتيك ، قال : فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني ، فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني .

---

(١) في ط : « فقال العباس » ، وما هنا من م ومسند أحمد .

(٢) في ط : « قال عباس » ، وما هنا من م ومسند أحمد .

(٣) في ط : « أحد آنفاً » ، وما هنا من م ومسند أحمد .

(٤) مع هذه الزيادة أورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٧٧) .

(٥) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٧٨) والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٦) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ورجاله ثقات .

(٦) رواه ابن سعد (٢/ ٣٦٧) والفَسَوي (١/ ٥٤٢) والحاكم (٣/ ٥٣٨) ، وأورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٧٧) وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري : حدَّثنا محمد بن عمرو بن علقمة ، حدَّثنا أبو سلمة ، عن ابن عباس قال : وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار ، إن كنت لأقيل بباب أحدهم ، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي ، ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه(١) .

وقال محمد بن سعد(٢) : أبنا محمد بن عمر ، حدَّثني قدامة بن موسى ، عن أبي سلمة الحضرمي قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ ، وما نزل من القرآن في ذلك ، وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سُرَّ بإتياني لقربي من رسول الله ﷺ ، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً ـ وكان من الراسخين في العلم ـ عما نزل من القرآن بالمدينة ، فقال : نزل سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة .

وقال أحمد : عن عبد الرزاق ، عن معمر قال : عامة علم ابن عباس من ثلاثة ، من عمر وعلي وأبيِّ بن كعب .

وقال طاووس ، عن ابن عباس أنه قال : إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد من ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال مغيرة : عن الشعبي قال : قيل لابن عباس : أنَّى أصبتَ هذا العلمَ ؟ قال : بلسان سؤول ، وقلب عقول .

وثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يُجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول : نِعْمَ ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وكان إذا أقبل يقول عمر: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السؤول ، والقلب العقول(٣) .

وثبت في الصحيح(٤) أن عمر سأل الصحابة عن تفسير : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر : ١] فسكت بعض وأجاب بعضهم بجواب لم يرتضه عمر ، ثم سأل ابن عباس عنها فقال : أَجَلُ رسولِ الله ﷺ نُعيَ إليه ، فقال : لا أعلم منها إلا بما تعلم ، وأراد عمر بذلك أن يقرر عندهم جلالة قدره ، وكبير منزلته في العلم والفهم .

وسأله مرة عن ليلة القدر فاستنبط أنها في السابعة من العشر الأخير ، فاستحسنه عمر واستجاده كما ذكرنا في التفسير(٥) .

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٨) والبلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٣٤ ـ ٣٥) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٤٤) .

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٧١) وأبنا ، بتقديم الباء على النون ، اختصار لكلمة أخبرنا ، ولا تأتي في الكتب المطبوعة غالباً إلا : أنبأ ، وهذا تحريف قبيح يوهم الكثير أنها اختصار أنبأنا والمعروف في أنبأنا عدم الاختصار .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦٢٠) وعنه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٨) والبلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٣٧) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢٩٤) في المغازي .

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٦) .

وقد قال الحسن بن عرفة : حدَّثنا يحيى بن اليمان ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير عن عمر أنه قال لابن عباس : لقد علمتَ علماً ما علمناه[١] .

وقال الأوزاعي : قال عمر لابن عباس : إنك لأصبح فتياننا وجهاً ، وأحسنهم عقلاً ، وأفقههم في كتاب الله عزَّ وجلَّ .

وقال مجالد : عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : قال لي أبي : إن عمر بن الخطاب يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة فاحفظ عني ثلاثاً ، لا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يجربن عليك كذباً[٢] . قال الشعبي : قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف ، فقال ابن عباس : بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

وقال الواقدي : حدَّثنا عبد الله بن الفضل بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار : أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر ، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات .

قلت : وشهد فتح إفريقية سنة سبع وعشرين مع ابن أبي سرح[٣] .

وقال الزُّهري : عن علي بن الحسين ، عن أبيه قال : نظر أبي إلى ابن عباس يوم الجمل يمشي بين الصفين ، فقال : أقر الله عين من له ابن عم مثل هذا .

وقد شهد مع علي الجمل وصفين وكان أميراً على الميسرة ، وشهد معه قتال الخوارج .

وكان ممن أشار على علي أن يستنيب معاوية على الشام ، وأن لا يعزله عنها في بادئ الأمر ، حتى قال له فيما قال : إن أحببت عزله فوله شهراً واعزله دهراً ، فأبى علي إلا أن يقاتله[٤] ، فكان ما كان مما قد سبق [بيانه] .

ولما تراوض الفريقان على تحكيم الحكمين طلب ابن عباس أن يكون من جهة علي ليكافئ عمرو بن العاص ، فامتنعت مذحج وأهل اليمن إلا أن يكون من جهة علي أبو موسى الأشعري ، وكان من أمر الحكمين ما سلف .

وقد استنابه علي على البصرة ، وأقام للناس الحج في بعض السنين فخطب بهم في عرفات خطبة وفسر فيها سورة البقرة ، وفي رواية سورة النور ، قال من سمعه : فسر ذلك تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا[٥] .

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (٣/ ٣٧) .
(٢) أنساب الأشراف (٣/ ٥١) وحلية الأولياء (١/ ٣١٨) ونسب قريس (٣٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٣٣) .
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص١٥٢) .
(٤) ذكر ذلك الذهبي في السير (٣/ ١٣٩) .
(٥) أنساب الأشراف (٣/ ٣٨) والمستدرك (٣/ ٥٣٧) وحلية الأولياء (١/ ٣٢٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥١) .

وهو أول من عرّف بالناس في البصرة ، فكان يصعد المنبر ليلة عرفة ويجتمع أهل البصرة حوله فيفسر شيئاً من القرآن ، ويذكّر الناس من بعد العصر إلى الغروب ، ثم ينزل فيصلي بهم المغرب(١) ، وقد اختلف العلماء بعده في ذلك [فمنهم من كره ذلك وقال : هو بدعة لم يعملها رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه إلا ابن عباس ، ومنهم من استحب ذلك لأجل ذكر الله وموافقة الحجاج](٢) .

وقد كان ابن عباس ينتقد على علي في بعض أحكامه فيرجع إليه علي في ذلك ، كما قال الإمام أحمد(٣) : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثنا أيوب ، عن عكرمة : أن علياً حرق ناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لم أكن لأحرقهم(٤) بالنار ، إن رسول الله ﷺ قال : « لا تعذبوا بعذاب الله » وكنت(٥) قاتلهم لقول رسول الله ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » . فبلغ ذلك علياً فقال : ويح ابن عباس . وفي رواية ويح ابن عباس إنه لغواص على الهنات . وقد كافأه علي ، فإن ابن عباس كان يرى إباحة المتعة ، وأنها باقية ، وتحليل الحمر الإنسية ، فقال علي : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الإنسية يوم خيبر ؟

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(٦) وغيرهما ، وله ألفاظ هذا من أحسنها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال البيهقي : أبنا أبو عبد الله الحافظ قال : سمعت أبا بكر بن المؤمل يقول : سمعت أبا نصر بن أبي ربيعة يقول : ورد صعصعة بن صوحان على علي بن أبي طالب من البصرة فسأله عن ابن عباس ـ وكان علي خلَفه بها ـ فقال صعصعة : يا أمير المؤمنين ، إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث .

آخذ بقلوب الرجال إذا حدث ، وبحسن الاستماع إذا حُدث ، وبأيسر الأمرين إذا خولف . وترك المراء ومقارنة اللئيم ، وما يعتذر منه .

وقال الواقدي : حدّثنا أبو بكر بن أبي سَبْرَة ، عن موسى بن سعد ، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص ، عن أبيه . قال : ما رأيت أحداً أحْضَر فهماً ولا ألبَّ لُبّاً ، ولا أكثر عِلماً ، ولا أوسع حِلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات ثم يقول : عندك قد جاءتك مُعضلة ، ثم لا يجاوز قوله ، وإنَّ حولَه لأهلُ بدرٍ من المهاجرين والأنصار(٧) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥١) .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٢١٧) ، ومن غير طريق إسماعيل في المسند أيضاً (١/ ٢٢٠ و٢٨٢) .

(٤) في ط : « لوكنت أنا لم أحرقهم » ، وما هنا من م ورواية المسند من طريق إسماعيل .

(٥) في ط : « بل كنت » ، وما هنا من م والمسند .

(٦) صحيح البخاري رقم (٥١١٥) في النكاح ، ورقم (٤٢١٦) في المغازي ، وصحيح مسلم رقم (١٤٠٧) (٣٠) في النكاح .

(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٤٧) بهذا السند .

وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال عبد الله بن مسعود : لو أدرك ابن عبَّاس أسناننا ما عَشرهُ منَّا أحد . وكان يقول : نعم ترجمان القرآن ابن عباس(١) .

وعن ابن عمر أنه قال : ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد ﷺ .

وقال محمد بن سعد(٢) : حدّثنا محمد بن عمر ، حدّثني يحيى بن العلاء ، عن يعقوب بن زيد ، عن أبيه قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول حين بلغه موت ابن عباس وصفَّق بإحدى يديه على الأخرى : مات اليوم أعلم الناس وأحلم الناس ، وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا تُرْتَق .

وبه إلى يحيى بن العلاء ، عن عمر بن عبد الله ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . قال : لما مات ابن عباس قال رافع بن خديج : مات اليوم من كان يحتاج إليه منْ بين المشرق والمغرب في العلم .

قال الواقدي : وحدّثني أبو بكر بن أبي سبرة ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة قال : سمعت معاوية يقول : مولاك(٣) والله أفقه من مات ومن عاش(٤) .

وروى ابن عساكر(٥) : عن ابن عباس قال : دخلت على معاوية حين كان الصلح وهو أول ما التقيت أنا وهو ، فإذا عنده أناس فقال : مرحباً بابن عباس ، ما تحاكت الفتنة بيني وبين أحد كان أعز علي بُعداً ولا أحب إليّ قرباً(٦) ، الحمد لله الذي أمات علياً ، قال ابن عباس : فقلت له : إن الله لا يُذمُّ في قضائه ، وغير هذا الحديث أحسن منه ، ثم قلت له : أحب أن تعفيني من ابن عمي وأعفيك من ابن عمك ، قال : ذلك لك .

وقالت عائشة وأم سلمة حين حج ابن عباس بالناس : هو أعلم الناس بالمناسك(٧) .

وقال ابن المبارك : عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال : لا تفعل يا بن عم رسول الله ﷺ قال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد : أنى يداك ؟ فأخرج يديه فقبَّلهما فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٥) والمستدرك (٣/ ٥٣٧) وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٧) بهذا السند .

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٧٢) .

(٣) في الأصول : مات؛ خطأ ، والتصحيح من المصادر .

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٨) .

(٥) تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٧) .

(٦) في تاريخ دمشق : ولا أحبّ إليَّ قريباً منك .

(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٥) .

وقال الواقدي : حدّثني داود بن جبير[١] ، سمعت ابن المسيب يقول : ابن عباس أعلم الناس[٢] .

وحدّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله قال : كان ابن عباس قد فات[٣] الناس بخصال ؛ بعلم ما سبق إليه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ، ونسب[٤] ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلم فيما مضى ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً ما يذكر فيه إلا التأويل ، ويوماً ما يذكر فيه إلا المغازي ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، ولا وجدت سائلاً سأله إلا وجد عنده علماً . قال : وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً[٥] .

وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت مثل ابن عباس قط .

وقال عطاء : ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، ولا أعظم [هيبة] ؛ أصحاب القرآن يسألونه، وأصحاب العربية يسألونه، وأصحاب الشعر عنده يسألونه، فكلهم يصدر في وادٍ واسع[٦] .

وقال الواقدي : حدّثني بشر بن أبي مسلم ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، قال : كان ابن عباس قد بسق[٧] على الناس في العلم كما تبسق النخلة السحوق على الوَدِيِّ الصغار[٨] .

وقال ليث بن أبي سُليم : قلت لطاووس : لم لزمت هذا الغلام ؟ ـ يعني ابن عباس ـ وتركت الأكابر من الصحابة ؟ فقال : إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله[٩] .

وقال طاووس أيضاً : ما رأيت أفقه منه ، قال : وما خالفه أحد قط فتركه حتى يقرره .

وقال علي بن المديني ويحيى بن معين وأبو نعيم وغيرهم عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن

---

(١) في ط : داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير ، وما أثبت من م والطبقات .
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) .
(٣) في أ : فاق .
(٤) في الطبقات : وسَيْب ، والسَّيْب : العطاء والعرف . القاموس (سيب) .
(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٨) وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٠) بأخصر مما هنا .
(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٧) .
(٧) بسق الرجل : أي علا ذكره في الفضل . المعجم الوسيط .
(٨) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٠) .
(٩) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) .

مجاهد . قال : ما رأيت مثله قط ، ولقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة ـ يعني ابن عباس[١] ـ .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة وغيره : عن أبي أسامة ، عن الأعمش ، عن مجاهد . قال : كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه[٢] .

وروى الواقدي والزبير بن بكار عن مجاهد أنه قال : كان ابن عباس أمدهم قامة ، وأعظمهم جفنة ، وأوسعهم علماً .

وقال مجاهد أيضاً : ما رأيت أحداً قط أعرب لساناً من ابن عباس . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً أجمع لكل خير من مجلسه ـ يعني ابن عباس ـ الحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام .

وقال محمد بن سعد[٣] : حدّثنا عفان بن مسلم ، حدّثنا سليم بن أخضر ، عن سليمان التيمي ـ أنبأني من أرسله الحكم بن أيوب[٤] ـ إلى الحسن يسأله من أول من جمّع بالناس في هذا المسجد يوم عرفة ؟ فقال : إن أول من جمّع ابن عباس ، وكان رجلاً مِثَجاً ـ أحسب في الحديث ـ كثير العلم ، وكان يصعد المنبر فيقرأ سورة البقرة ويفسرها آية آية .

وقد رُوي من وجه آخر عن الحسن البصري نحوه .

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : روى سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال : كان ابن عباس أول من عرّف بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفاً حرفاً . مثجى : قال ابن قتيبة : مِثَجاً من الثج وهو السَّيلان ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٤] .

وقال يونس بن بكير : حدّثنا أبو حمزة الثمالي ، عن أبي صالح : قال لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً[٥] ، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب ، قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ، فقال لي : ضع لي وضوءاً ، قال : فتوضأ وجلس وقال : اخرج فقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل . قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا . ثم

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٥٣٥) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٥٠) .
(٢) أنساب الأشراف (٣/ ٣٣) والمستدرك (٣/ ٥٣٥) وحلية الأولياء (١/ ٣١٦) .
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٧) وأنساب الأشراف (٣/ ٣٤) وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٥/ ١٩٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥١) . ومعنى مثجاً : أي يصب الكلام صباً .
(٤) تحرفت في ط إلى : أديب .
(٥) في ط : به الفخر ، وما أثبت يوافق حلية الأولياء (١/ ٣٩٥) والخبر بطوله فيه .

قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها ، فليدخل ، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل ، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، قال أبو صالح : فلو أنَّ قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً ، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس .

وقال طاوس وميمون بن مهران : ما رأينا أورع من ابن عمر ولا أفقه من ابن عباس(١) ، قال ميمون : وكان ابن عباس أفقههما .

وقال شريك القاضي ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : كنت إذا رأيت ابن عباس ، قلت : أجمل الناس ، فإذا نطق ، قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث ، قلت : أعلم الناس(٢) .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو النعمان ، حدّثنا حماد بن زيد ، عن الزبير بن الحارث ، عن عكرمة قال : كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن ، وكان علي أعلمهما بالمبهمات(٣) .

وقال إسحاق بن راهويه : إنما كان كذلك ، لأن ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير ، وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبيّ بن كعب وغيرهم من كبار الصحابة . مع دعاء رسول الله ﷺ له أن يعلمه الله الكتاب .

وقال أبو معاوية : عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة ، فجعل يقرأها ويفسرها فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والروم لأسلمت(٤) .

وقد روى أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل : أن ابن عباس حج بالناس عام قتل عثمان ، فقرأ سورة النور وذكر نحو ما تقدم ، فلعل الأول كان في زمان علي فقرأ في تلك الحجة سورة البقرة ، [وفي فتنة عثمان سورة النور ، والله أعلم] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٦٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٦) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٥٠) .
(٢) أنساب الأشراف (٣/ ٣٠) .
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٧) .
(٤) أنساب الأشراف (٣/ ٣٨) والمستدرك (٣/ ٥٣٧) وحلية الأولياء (١/ ٢٩٤) .

وقد روينا عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله ، وقال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس مرتين من أوله إلى آخره أقف عند كل آية أسأله عنها .

وروي عنه أنه قال أربع من القرآن لا أدري ما به جيء ، الأواه ، وحناناً ، والرقيم ، والغسلين . وكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع[١] .

وقال ابن وهب وغيره عن سفيان بن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : كان ابن عباس إذا سُئل عن مسألة ، فإن كانت في كتاب الله قال بها ، فإن لم تكن وهي في السنة قال بها ، فإن لم يقلها رسول الله ﷺ فإن وجدها عن أبي بكر وعمر قال بها ، وإلاّ اجتهد رأيه[٢] .

وقال يعقوب بن سفيان[٣] : حدّثنا أبو عاصم ، وعبد الرحمن بن حماد الشعيثي[٤] ، عن كهمس بن الحسن ، عن عبد الله بن بريدة . قال : شتم رجل ابن عباس فقال له : إنك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال ، إني لآتي على الآية من كتاب الله فلوددت أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ، ويحكم بالقسط ؛ فأفرح به [وأدعو إليه] ولعلّي لا أقاضي إليه ، ولا أحاكم أبداً ، وإني لأسمع بالغيث يصيب الأرض من أرض المسلمين فأفرح به ومالي بها من سائمة أبداً .

ورواه البيهقي[٥] عن الحاكم ، عن الأصم ، عن الحسن بن مكرم ، عن يزيد بن هارون ، عن كهمس به .

وقال الواقدي : سأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء : ٣٠] فقال : كانت السماء رتقاً لا تمطر ، والأرض رتقاً لا تنبت ؛ ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات[٦] .

وقال ابن أبي مليكة : صحبت ابن عباس من المدينة إلى مكة ، وكان يصلي ركعتين ، فإذا نزل قام

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٥/ ١٩٩) وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص١٥٥) ولكن هنا زيادة : الأواه .

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٦) .

(٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٥٢٦) .

(٤) في ط : « عبد الرحمن بن الشعبي » ، وهو تحريف .

(٥) شعب الإيمان (٧/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤) رقم (١١١٣٧) وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٨٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٦) من قوله : قال الواقدي . . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر في حلية الأولياء (١/ ٣٩٥) بسند ليس فيه الواقدي ، والإصابة (٤/ ١٢٧) عن أبي نعيم .

شطر اللّيل ، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب ويقرأ(١) : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق : ١٩] .

وقال الأصمعي : عن المعتمر بن سليمـان ، عن شعيب بن درهم [عن أبي رجـاء](٢) قال : كان في هذا المكان ـ وأومأ إلى مجرى الدموع من خديه يعني خدي ابن عباس ـ مثل الشراك البالي من البكاء(٣) .

وقال غيره : كان يصوم يوم الإثنين والخميس ، وقال : أحب أن يرتفع عملي وأنا صائم(٤) .

وروى هُشيم(٥) وغيره عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحبِّ الكلام إلى الله عزَّ وجلَّ . ومنْ أكرم العباد على الله عزَّ وجلَّ ، ومن أكرم الإماء على الله عزَّ وجلَّ . وعن أربعة فيهم الروح فلم يركضوا في رحم ، وعن قبر سار بصاحبه ، وعن مكانٍ في الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة ، وعن قوس قزح ما هو ؟ وعن المجرة . فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن فكتب ابن عباس إليه : أما أحب الكلام إلى الله فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأكرم العباد على الله آدم ، خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء . وأكرم الإماء على الله مريم بنت عمران ، وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رحم ، فآدم وحواء وعصا موسى وكبش إبراهيم الذي فدى به إسماعيل . وفي رواية : وناقة صالح ، وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو حوت يونس ، وأما المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فهو البحر لما انفلق لموسى حتى جاز بنو إسرائيل فيه ، وأما قوس قزح فأمان لأهل الأرض من الغرق ، والمجرة باب في السماء ، وفي رواية الذي ينشق منه . فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجبه وقال : والله ما هي من عند معاوية ولا من قوله ، وإنما هي من عند أهل النبي ﷺ ، وقد ورد في هذه الأسئلة روايات كثيرة فيها وفي بعضها نظر(٦) .

منها : أنه سأله عمن لا قبل له ، وعمَّن لا عشيرة له ، وعمَّن لا أب له ، وعن شيءٍ ، ونصف شيءٍ ولا شيء ؟

وأرسل قارورة ؛ فقال : ابعث إليّ في هذه ببزر كلّ شيء .

فكتب إليه يقول : أما الذي لا قبل له ؛ فالله عزَّ وجلَّ ، وأما من لا عشيرة له ؛ فآدم عليه السلام ،

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٤٠٣) وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٤٢) والنشيج : أحرّ البكاء ، وهو مثل البكاء للصّبي إذا ردد صوته في صدره ولم يخرجه ، القاموس (نشج) .
(٢) ما بينهما ساقط من الأصل .
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢) .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) في ط : « هاشم » ، محرف ، وهو هشيم بن بشير ، من رجال التهذيب .
(٦) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .

وأما من لا أب له ؛ فعيسى عليه السلام ، وأما عن شيءٍ ، فهو العاقل يعمل بعقله ، وأما نصف شيء ؛ فالذي له عقل ويعمل برأي غيره ، وأما لا شيء ؛ فالذي لا عقل له ، ولا يعمل بعقل غيره . وملأ القارورة ماءً وقال : هذا بزر كل شيء .

فأعجب ذلك ملك الروم جداً(١) . والله أعلم .

فصـــل

وَلِيَ(٢) ابن عباس إقامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان له وهو محصور ، وفي غيبته هذه قتل عثمان ، وحضر ابن عباس مع علي الجمل ، وكان على الميسرة يوم صفين ، وشهد قتال الخوارج وتأمّر على البصرة من جهة علي ، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة ، وزياد بن أبي سفيان على الخراج ، وكان أهل البصرة مغبوطين به ، يفقههم ويعلم جاهلهم ، ويعظ مجرمهم ، ويعطي فقيرهم ، فلم يزل عليها حتى مات علي ، ويقال إنَّه عزله عنها قبل موته ، ثم وفد على معاوية فأكرمه وقربه واحترمه وعظمه ، وكان يلقي عليه المسائل المعضلة فيجيب فيها سريعاً ، فكان معاوية يقول : ما رأيت أحداً أحضر جواباً من ابن عباس ، ولما جاء الكتاب بموت الحسن بن علي اتفق كون ابن عباس عند معاوية فعزَّاه فيه بأحسن تعزية ، ورد عليه ابن عباس رداً حسناً كما قدَّمنا ، وبعث معاوية ابنه يزيد فجلس بين يدي ابن عباس وعزَّاه بعبارة فصيحة بليغة وجيزة ، شكره عليها ابن عباس وقد تقدم ذلك أيضاً .

ولما مات معاوية ورام الحسين بن علي الخروج إلى العراق نهاه ابن عباس أشد النهي ولامه على عزمه آكد اللوم ، وأراد ابن عباس أن يتعلق بثياب الحسين ـ لأن ابن عباس كان قد أضر في آخر عمره ـ فلما قتل الحسين حزن عليه حزناً شديداً ولزم بيته ، وكان يقول : يا لسان قل خيراً تغنم ، واسكت عن شرٍّ تسلم ، فإنك إن لا تفعل تندم .

وجاء إليه رجل يقال له جندب فقال له : أوصني ، فقال : أوصيك بتوحيد الله والعمل له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فإن كل خير أنت آتيه بعد ذلك منك مقبول ، وإلى الله مرفوع ، يا جندب : إنك لن تزداد من موتك إلا قرباً ، فصلِّ صلاة مودعٍ . واصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر ، فإنك من أهل القبور ، وابك على ذنبك وتبْ من خطيئتك ، ولتكن الدنيا عليك أهون من شسع نعلك ، فكأن قد فارقتها وصرت إلى عدل الله ، ولن تنتفع بما خلفت ، ولن ينفعك إلا عملك(٣) .

---

(١) من قوله : منها أنه سأله عمن لا قبل له . . إلى هنا زيادة من أ . والخبر في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣١٦/١٢) . وفيه أنه سأله عمَّن لا قبلة له ؟ وكان جواب ابن عباس رضي الله عنه : أما مَن لا قبلة له فالكعبة .

(٢) في ط : « تولى » ، وما هنا من م .

(٣) الخبر والذي قبله في مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٢٦) .

وقال بعضهم : أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدهم ، قال : لا تكلمن فيما لا يعنيك حتى ترى له موضعاً ، ولا تمارين سفيهاً ولا حليماً فإن الحليم يغلبك والسفيه يزدريك ، ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزي بالإحسان مأخوذ بالإجرام . فقال رجل عنده : يا بن عباس ! هذا خير من عشرة آلاف . فقال ابن عباس : كلمة منه خير من عشرة آلاف .

وقال ابن عباس : تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره ـ يعني أن تعجل العطية للمعطى ، وأن تُصغَّر في عين المعطي ـ وأن تسترها عن الناس فلا تُظهرها! [فإن في إظهارها فتح باب الرياء وكسر قلب المعطى ، واستحياءه من الناس][(١)] .

وقال ابن عباس : أعز الناس عليَّ جليس لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت .

وقال أيضاً : لا يكافئ من أتاني يطلب حاجة فرآني لها موضعاً إلا الله عزَّ وجلَّ ، وكذا رجل بدأني بالسلام أو أوسع لي في مجلس أو قام لي عن المجلس ، أو رجل سقاني شربة ماء على ظمأ ، ورجل حفظني بظهر الغيب . والمأثور عنه من هذه المكارم كثير جداً ، وفيما ذكرنا إشارة إلى ما لم نذكره .

وقد عدّه الهيثم بن عدي في العميان من الأشراف ، وفي بعض الأحاديث الواردة عنه ما يدل على ذلك .

وقال بعضهم : أصيبت إحدى عينيه فنحل جسمه ، فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لحمه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أصابني ما رأيتم في الأولى شفقة على الأخرى ، فلما ذهبتا اطمأن قلبي[(٢)] .

وقال أبو القاسم البغوي : حدّثنا علي بن الجعد ، حدّثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه وقع في عينيه الماء فقيل له : نفرغ من عينيك الماء على أن لا تصلي سبعة أيام . فقال : لا ! إنه من ترك الصلاة وهو يقدر عليها لقي الله وهو عليه غضبان .

وفي رواية أنه قيل له : نزيل هذا الماء من عينيك على أن تبقى خمسة أيام لا تصلي إلا على عود ، وفي رواية إلا مستلقياً ، فقال : لا والله ولا ركعة واحدة ، إنه من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله وهو عليه غضبان . وقد أنشد المدائني لابن عباس حين عمي :

إن يأخذ الله مِنْ عينيَّ نورهما ... ففي لساني وسمعي منهما نورُ
قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي دخلٍ ... وفي فمي صارمٌ كالسيفِ مأثورُ[(٣)]

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٢٧) .
(٢) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٢٧) .
(٣) الأبيات في الاستيعاب (٢/ ٣٥٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٧) ، وفي أ : مأبور؛ وما أثبت كالمصادر .

ولما وقع الخلف بين ابن الزبير وبين عبد الملك بن مروان اعتزل ابن عباس ومحمد بن الحنفية الناس ، فدعاهما ابن الزبير ليبايعاه فأبيا عليه ، وقال كل منهما : لا نبايعك ولا نخالفك ، فهمّ بهما فبعثا أبا الطفيل عامر بن واثلة فاستنجد لهما من بالعراق من شيعتهما . فقدم أربعة آلاف فكبروا بمكة تكبيرة واحدة ، وهموا بابن الزبير فهرب [فتعلق بأستار الكعبة ، وقال : أنا عائذ بالله] فكفوهم عنه [ثم مالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وقد حمل ابن الزبير حول دورهم الحطب ليحرقهم ، فخرجوا بهما حتى نزلوا الطائف ، وأقام ابن عباس سنتين لم يبايع أحداً][١] كما تقدم .

فلما كان في سنة ثمان وستين توفي ابن عباس بالطائف ، وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال : مات اليوم حبر هذه الأمة[٢] . فلما وضعوه ليدخلوه في قبره جاء طائر أبيض لم يُرَ مثل خلقته ، فدخل في أكفانه والتف بها[٣] حتى دفن معه . قال عفان : وكانوا يرون علمه[٤] [وعمله] فلما وضع في اللحد تلا تالٍ لا يعرف من هو . وفي رواية أنهم سمعوا من قبره : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴾ [الفجر : ٢٧ ـ ٢٩] هذا القول في وفاته هو الذي صححه غير واحد من الأئمة ، ونص عليه أحمد بن حنبل والواقدي وابن عساكر[٥] ، وهو المشهور عند الحفاظ[٦] ؛ وقيل إنه توفي في سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ثلاث وسبعين ، وقيل سنة سبع وستين ، وقيل سنة تسع وستين ، وقيل سنة سبعين . والأول أصح ، وهذه الأقوال كلها شاذة غريبة مردودة والله [سبحانه وتعالى] أعلم . وكان عمره يوم مات ثنتين وسبعين سنة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل أربع وسبعين ، والأول أصح والله أعلم .

صفة ابن عباس رضي الله عنه

كان جسيماً إذا قعد يأخذ مكان رجلين ، جميلاً له وفرة ، قد شاب مقدَّم رأسه ، وشابت لِمَّتُهُ[٧] ، وكان يخضب بالحنّاء ، وقيل : بالسَّواد ، حسن الوجه ، يلبس حسناً ، ويكثر من الطِّيب بحيث إنه كان إذا مَرَّ في الطريق يقول النساء : هذا ابن عباس أو رجل معه مسك ، وكان وسيماً أبيضَ طويلاً جسيماً فصيحاً ، ولما عمي اعترى لونه صفرةٌ يسيرة . وقد كان بنو العباس عشرة ، وهم الفضل ، وعبد الله ،

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط وهي توافق ما في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٦) ومختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٢٩) .
(٢) قول ابن الحنفية ساقط من ط ، وهو عند ابن سعد (٢/ ٣٦٨) ومستدرك الحاكم (٥/ ٥٤٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٧) ، ومختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٢٩) . بلفظ : ربانيّ .
(٣) في ب : فالتف في أكفانه .
(٤) الخبر في أنساب الأشراف (٣/ ٥٤) ومستدرك الحاكم (٣/ ٥٤٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٧) .
(٥) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣٣٠) .
(٦) قال الذهبي في السير (٣/ ٣٥٨) : فهذه قضية متواترة .
(٧) اللِّمَّة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .

وعبيد الله ، ومعبد ، وقثم ، وعبد الرحمن ، وكثير ، والحارث ، وعون ، وتمام . وكان أصغرهم تمام ، ولهذا كان يحمله ويقول :

تمُّوا بتمامٍ فصاروا عشـرَهْ يا ربِّ فاجعلهمْ كراماً بررَهْ
واجعلهمُ ذكراً وأنمِ الثمرَه

فأما الفضل فمات بأجنادين شهيداً ، وعبد الله بالطائف ، وعبيد الله باليمن ، ومعبد وعبد الرحمن بإفريقية ، وقثم وكثير بينبع ، وقيل إن قثماً مات بسمرقند .

وقد قال مسلم بن حماد[١] المكي مولى بني مخزوم : ما رأيت مثل بني أمٍّ واحدة أشراف ولدوا في دار واحدة ، أبعد قبوراً من بني أم الفضل ، ثم ذكر مواضع قبورهم كما تقدم ، إلا أنه قال الفضل مات بالمدينة ، وعبيد الله بالشام[٢] .

وقد كان عبد الله بن عباس يلبس الحُلَّة بألف درهم ، وكان له من الولد العباس وعلي ، وكان علي يدعى السَّجَّاد لكثرة صلاته ، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض [وقد قيل إنه كان يصلي كل يوم ألف ركعة ، وقيل في الليل والنهار مع الجمال التام ، وعلى هذا فهو أبو الخلفاء العباسيين ، ففي ولده كانت الخلافة العباسية كما سيأتي][٣] وكان لابن عباس أيضاً محمد والفضل وعبد الله[٤] ولبابة[٥]، وأمهم زُرعة بنت مسرِّح بن معديكَرِب ، وله أسماء وهي لأم ولد، وكان له من الموالي عكرمة وكريب وأبو معبد وشعبة ودقيق وأبو عمرة وأبو عبيد ومقسم[٦] . وأسند ألفاً وستمئة وستين[٧] حديثاً [والله سبحانه وتعالى أعلم] .

وممن توفي في هذه السنة :

أبو شريح الخزاعي العدوي الكعبي[٨] ، اختلف في اسمه على أقوال أصحها خويلد بن عمرو ، أسلم عام الفتح ، وكان معه أحد ألوية بني كعب الثلاثة .

---

(١) كذا في الأصل ، والذي في « مختصر ابن عساكر » ابن قمادين ! ولعله مسلم بن خالد فإنه مكي ومخزومي بالولاء .
(٢) الفقرة الأخيرة متأخرة في أ . والخبر في مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٢٩٦) .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ومكانها في أ : وفي ولده الخلافة .
(٤) كذا في الأصول الثلاثة ، وفي السير (٣/ ٣٣٣) : عبيد الله .
(٥) سقطت من ط ؛ وهي في السير ، وقال الذهبي : ولبابة : ولها أولاد وعقب من زوجها علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .
(٦) اللفظة الأخيرة ساقطة من ط .
(٧) في ط : سبعين؛ وما أثبت يوافق سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٩) .
(٨) ترجمة ـ أبي شريح ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٢٩٥) وتاريخ خليفة (٢٦٥) وطبقاته (١٠٨) وتاريخ البخاري (٣/ ٢٢٤) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٩٨) والاستيعاب (٤/ ١٠١ ـ ١٠٣) وأسد الغابة (٥/ ٢٢٥ـ٢٢٦) وتهذيب الكمال (٣٣/ ٤٠٠) وتاريخ الإسلام (٥/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) وتهذيب التهذيب (١٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦) .

قال محمد بن سعد : مات في هذه السنة وله أحاديث .

وفيها توفي :

أبو واقد اللّيثي[١] ، صحابي جليل ، مختلف في اسمه وفي شهوده بدراً .

قال الواقدي : توفي سنة ثمان وستين عن خمس وستين سنة ، وكذا قال غير واحد في تاريخ وفاته . وزعم بعضهم أنه عاش سبعين سنة ، وكانت وفاته بمكة بعد ما جاور بها سنة ودفن في مقابر المهاجرين .

حميد بن ثور التربي[٢] ، الشاعر المشهور ، قال الشعر في أيام عمر بن الخطاب وهو من فحول الشعراء[٣] .

ثم دخلت سنة تسع وستين

ففيها كان مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الأموي قتله عبد الملك بن مروان ، وكان سبب ذلك أن عبد الملك ركب في أول هذه السنة في جنوده قاصداً قرقيسيا ليحاصر زفر بن الحارث الكلابي الذي أعان سليمان بن صُرَد على جيش مروان حين قاتلوهم بعين وردة .

وكان زفر بن الحارث قد انهزم يوم مرج راهط وخلع مروان وبايع لابن الزبير فبعث إليه مروان عبيد الله بن زياد في ستين ألفاً وجعل له مهما غلب عليه من العراق ؛ فلما بلغ عبيد الله أرض الجزيرة بلغه موت مروان وكان قد حاصر زفر بن الحارث مدة ثم قدم جيش التوابين ، فقاتلهم عبيد الله بن زياد وانتصر عليهم ، ثم عاد لحصار زفر بن الحارث ، فلما أرسل المختار جيشه مع ابن الأشتر كسروا جيش الشام وقتلوا عبيد الله بن زياد كما ذكرنا ؛ فحينئذٍ تجهز عبد الملك بن مروان وخرج بالعساكر يريد قتال زفر[٤] .

---

(١) ترجمة ـ أبي واقد اللّيثي ـ في تاريخ خليفة (٢٦٥) وطبقاته (٢٩) وتاريخ البخاري (٢/ ٢٥٨) والمعرفة والتاريخ (٣/ ٣٧٤) والاستيعاب (٤/ ٢١٥ ـ ٢١٦) وأسد الغابة (٥/ ٣١٩) وتهذيب الكمال (٣٤/ ٣٨٦) وتاريخ الإسلام (٥/ ٢٩٩) والإصابة (٤/ ٢١٥ ـ ٢١٦) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) .

(٢) ترجمة ـ حميد بن ثور الشاعر ـ في طبقات الشعراء (١٩٢) والاستيعاب (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٥/ ٣٦٩ ـ ٢٧٥) ط دار الفكر ، وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٤٥٩ ـ ٤٦٣) والأغاني (٤/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨) ووفيات الأعيان (٧/ ٧٣) وأسد الغابة (٢/ ٥٣ ـ ٥٤) والوافي بالوفيات (١٣/ ١٩٣ ـ ١٩٤) والإصابة (١/ ٣٥٦) وديوان حميد بن ثور ـ جمعه وحققه عبد العزيز الميمني ط ١٩٥١م .

(٣) ترجمة حميد بن ثور ساقطة من ط .

(٤) من قوله : وكان زفر بن الحارث . . إلى هنا زيادة من أ ، ب وهي توافق ما عند الطبري (٦/ ١٤٠ ـ ١٤١) .

ومن عزمه إذا فرغ من ذلك أن يقصد مصعب بن الزبير بعد ذلك ، فلما سار إليها استخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق ، فتحصن بها وأخذ أموال بيت المال . وقيل : بل كان مع عبد الملك ولكنه انخذل من الجيش وكرَّ راجعاً إلى دمشق في اللّيل ، ومعه حُميد بن حُريث بن بَحْدل الكلبي ، وزهير بن الأبرد الكلبي ، فانتهوا إلى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم نائباً من جهة عبد الملك ، فلما أحس بهم هرب وترك البلد فدخلها عمرو بن سعيد الأشدق فاستحوذ على ما فيها من الخزائن ، وخطب الناس فوعدهم العدل والنصف والعطاء الجزيل والثناء الجميل ، ولما علم عبد الملك بما فعله عمرو بن سعيد كر راجعاً من فوره فوجد الأشدق قد حصَّن دمشق وعلق عليها الستائر والمسوح ، وانحاز الأشدق إلى حصن رومي منيع كان بدمشق فنزله . فحاصره عبد الملك وقاتله الأشدق لمدة ست عشرة ليلة ، وراسله عبد الملك وقال له : أنشدك الله والرحم أن تفسد أمر بيتك ، وما هم عليه من اجتماع الكلمة ، وأن فيما صنعت قوة لابن الزبير فارجع إلى بيعتك ولك عليَّ عهد الله وميثاقه ، وحلف له بالأيمان المؤكدة إنك ولي عهدي من بعدي ، وكتبا بينهما كتاباً فانخدع له عمرو وفتح أبواب دمشق[(١)] .

ثم اصطلحا على ترك القتال ، وعلى أن يكون ولي العهد بعد عبد الملك ، وعلى أن يكون لكل عامل لعبد الملك عامل له وذلك عشية الخميس ، ودخل عبد الملك دمشق إلى دار الإمارة على عادته ، وبعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق يقول له : أرجع على الناس أعطياتهم التي أخذتها لهم من بيت المال ، فبعث إليه الأشدق : إن هذا ليس إليك ، وليس هذا البلد لك فاخرج منه ، فلما كان يوم الإثنين بعث عبد الملك إلى الأشدق يأمره بالإتيان إلى منزله بدار الإمارة الخضراء ، فلما جاءه الرسول صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو زوج ابنته أم موسى بنت عمرو بن سعيد ؛ فاستشاره عمرو بن سعيد في الذهاب إليه فقال له : يا أبا سعيد[(٢)] والله لأنت أحب إليّ من سمعي وبصري ، وأرى أن لا تأتيه ، فإن تُبيعاً الحِمْيري ابن امرأة كعب الأحبار قال : إن عظيماً من عظماء بني إسماعيل يغلق أبواب دمشق فلا يلبث أن يقتل . فقال عمرو : والله لو كنت نائماً ما تخوفت أن ينبهني ابن الزرقاء ، وما كان ليجترئ على ذلك مني ، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه ، وقال عمرو بن سعيد للرسول : أبلغه السلام وقل له : أنا رائح إليك العشية إن شاء الله . فلما كان العشي ـ يعني بعد الظهر ـ لبس عمرو درعاً بين ثيابه وتقلّد سيفه ونهض فعثر بالبساط فقالت امرأته وبعض من حضره : إنا نرى أن لا تأتيه ، فلم يلتفت إلى ذلك ومضى في مئة من مواليه ، وكان عبد الملك قد أمر بني مروان فاجتمعوا كلهم عنده ، فلما انتهى عمرو إلى الباب أمر عبد الملك أن يدخل وأن يحبس من معه عند كل باب طائفة منهم ، فدخل حتى انتهى إلى صرحة المكان الذي فيه عبد الملك ، ولم يبق معه من مواليه سوى وصيف ، فرمى ببصره فإذ بنو

---

(١) من قوله : ست عشرة ليلة . . إلى هنا زيادة من أ ، ب والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ١٤٠ ـ ١٤١) والكامل لابن الأثير (٤/ ٢٩٧) .

(٢) في الطبري (٦/ ١٤٢) وابن الأثير (٤/ ٢٩٨) والإمامة والسياسة (٢/ ٢٦) يا أبا أمية .

مروان عن بكرة أبيهم مجتمعون عند عبد الملك ، فأحس بالشرِّ فالتفت إلى ذلك الوصيف فقال له همساً : ويلك انطلق إلى أخي يحيى فقل له فليأتني ، فلم يفهم عنه وقال له : لبيك ، فأعاد عليه ذلك فلم يفهم أيضاً وقال : لبيك ، فقال : ويلك اغرب عني في حرق الله وناره ، وكان عند عبد الملك حسان بن مالك بن بَحْدل ، وقبيصة بن ذؤيب ، فأذن لهما عبد الملك في الانصراف ، فلما خرجا غلقت الأبواب واقترب عمرو من عبد الملك فرحَّب به وأجلسه معه على السرير ، ثم جعل يحدثه طويلاً ، ثم إن عبد الملك قال : يا غلام خذ السيف عنه ، فقال عمرو : إنا لله يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : أو تطمع أن تتحدث معي متقلداً سيفك ؟ فأخذ الغلام السيف عنه ، ثم تحدَّثا ساعة ، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : إنك حيث خلعتني آليت بيميني إن ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة[١] ، فقالت بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ، فقال ثم أطلقه ، وما عسيت أن أفعل بأبي أمية ، فقال بنو مروان : بر يمين أمير المؤمنين ، فقال : فأبرَّ قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال : يا غلام قم فاجمعه فيها ، فقام الغلام فجمعه فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس ، فقال عبد الملك : أمكراً يا أبا أميَّة عند الموت ؟ لاها الله إذاً ! ما كنّا لنُخرجك في جامعة على رؤوس الناس ولمّا نُخرجها منك إلا صُعداً ، ثم اجتذبه اجتذابة أصاب فمه السريرُ فكسر ثنيَّته ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك كسر عظمي إلى ما هو أعظم من ذلك ، فقال عبد الملك : والله لو أعلم أنك إذا بقيت تفي لي ، وتصلح قريش لأطلقتُكَ ، ولكن ما اجتمع رجلان في بلد قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه ، وفي رواية أنه قال له : أما علمت يا عمرو أنه لا يجتمع فحلان في شَرَكٍ[٢] ؟ فلما تحقق عمرو ما يريد من قتله قال له : أغدراً يا بن الزرقاء ؟ [وأسمعه كلاماً رديئاً بشعاً][٣] وبينما هما كذلك إذ أذن المؤذن للعصر ، فقام عبد الملك ليخرج إلى الصلاة . وأمر أخاه عبد العزيز بن مروان بقتله ، وخرج عبد الملك وقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو : أذكرك الله والرحم أن لا تلي ذلك مني ، وليتولّ ذلك غيرك ، فكف عنه عبد العزيز . ولما رأى الناس عبد الملك قد خرج وليس معه عمرو أرجف الناس بعمرو ، فأقبل أخوه يحيى بن سعيد في ألف عبدٍ لعمرو بن سعيد وأناس معهم كثير ، وأسرع عبد الملك الدخول إلى الخضراء[٤] ، وجاء أولئك فجعلوا يدقون باب الإمارة ويقولون : أسمعنا صوتك يا أبا أمية ، وضرب رجل منهم الوليد بن عبد الملك في رأسه بالسيف فجرحه ، فأدخله إبراهيم بن عدي[٥] صاحب

(١) الجامعة : الغُلُّ يجمع اليدين إلى العنق ـ القاموس (جمع) .
(٢) الشَّرَك : حبالة الصيد . القاموس (شرك) .
(٣) زيادة من ط .
(٤) في ط : دار الإمارة .
(٥) كذا في الأصول ، وفي الطبري (٦/ ١٤٤) وابن الأثير (٤/ ٣٠٠) : إبراهيم بن عربي صاحب الديوان فاحتمله وأدخله بيت القراطيس .

الديوان بيتاً ، وأحرزه فيه ، ووقعت خبطة عظيمة في المسجد ، وضجت الأصوات ، ولما رجع عبد الملك [وجد أخاه لم يقتله فلامه وسبه وسب أمه ـ ولم تكن أم عبد العزيز أم عبد الملك[١]] فقال له : ناشدني الله والرَّحم ، وكان ابن عَمَّةِ عبد الملك بن مروان ، ثُمَّ إن عبد الملك قال : يا غلام ائتني بالحربة ، فأتاه بها فهزها وضربه بها فلم تَجُز شيئاً ، ثم ثنّى فلم تغن شيئاً ، فضرب بيده إلى عضد عمرو فوجد مَسّ الدرع فضحك وقال : ودارع أيضاً ؟ إن كنت لمعدّاً ، يا غلام ائتني بالصَّمصامة[٢] ، فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع ثم جلس على صدره فذبحه وهو يقول :

يـا عمـرو إلاَّ تَـدَعْ شَتْمـي ومنقصتـي أَضرِبْكَ حتى[٣] تقولَ الهامةُ : اسقوني[٤]

قالوا : وانتفض عبد الملك بعد ما ذبحه كما تنتفض القصبة برعدة شديدة جداً ، بحيث إنهم ما رفعوه عن عمروٍ إلا محمولاً ، فوضعوه على سريره وهو يقول : ما رأيت مثل هذا قط قَتَلَه[٥] صاحب دنيا ولا آخرة ، ودفع الرأس إلى عبد الرحمن بن أم الحكم فخرج إلى الناس فألقاه بين أظهرهم ، وخرج عبد العزيز بن مروان ومعه البدر من الأموال تحمل ، فألقيت بين الناس فجعلوا يختطفونها ، ويقال : إنها استرجعت بعد ذلك من الناس إلى بيت المال .

ويقال : إن الذي ولي قتل عمرو بن سعيد مولى عبد الملك أبو الزُّعَيْزِعَة بعدما خرج عبد الملك إلى الصلاة ، فالله أعلم .

وقد دخل يحيى بن سعيد ـ أخو عمرو بن سعيد ـ دار الإمارة بعد مقتل أخيه بمن معه فقام إليهم بنو مروان فاقتتلوا ، وجُرح جماعاتٌ من الطائفتين ، وجاءت يحيى بن سعيد صخرة في رأسه أشغلته عن نفسه [وعن القتال] .

ثمَّ إنَّ عبد الملك بن مروان خرج إلى المسجد الجامع فصعد المنبر فجعل يقول : ويحكم أين الوليد ؟ وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم ، فأتاه إبراهيم بن عدي[٦] الكناني فقال : هذا الوليد عندي قد أصابته جراحة وليس عليه بأس ، ثم أمر عبد الملك بيحيى بن سعيد أن يقتل فتشفع فيه أخوه عبد العزيز بن مروان ، وفي جماعات آخرين معه كان عبد الملك قد أمر بقتلهم يومئذٍ ، فشفعه فيهم وأمر بحبسه فحبس شهراً ، ثم سيره وبني عمرو بن سعيد وأهليهم إلى العراق فدخلوا على مصعب بن الزبير فأكرمهم وأحسن إليهم .

---

(١) أم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية ، وأم عبد العزيز ليلى الكلبية .
(٢) الصمصام : السيف الصارم لا ينثني . القاموس (صمم) .
(٣) في الطبري (٦/ ١٤٥) : حيث .
(٤) البيت لذي الإصبع ، من المفضلية (٣١) .
(٥) في ط : قبله ؛ وما هنا يوافق الطبري وفيه بعدها : صاحب دنيا ولا طالب آخرة .
(٦) في الطبري (٦/ ١٤٦) : إبراهيم بن عربي .

ثم لما انعقدت الجماعة لعبد الملك بعد مقتل ابن الزبير كما سيأتي ، وفدوا عليه فكاد يقتلهم فتلطَّف بعضهم في العبارة حتى رَقَّ لهم رقَّةً شديدة ، فقال لهم عبد الملك : إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم وأرعاني لحقكم فأحسن جائزتهم وقرَّبهم .

وقد كان عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو بن سعيد أن ابعثي إليّ بكتاب الأمان الذي كنت كتبته لعمرو ، فقالت : إني دفنته معه ليحاكمك به يوم القيامة عند الله[١] .

وقد كان مروان بن الحكم وعد عمرو بن سعيد هذا أن يكون ولي العهد من بعد ولده عبد الملك ، كلاماً مجرداً ، فطمع في ذلك وقويت نفسه بسبب ذلك ، وكان عبد الملك يبغضه بغضاً شديداً من حال الصغر ، ثم كان هذا صنيعه إليه في الكبر .

قال ابن جرير[٢] : وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرّته حتى قتلته ؟ فقال :

أدنتيـه[٣] منـي ليسكـنَ روعـهُ   فأَصولُ[٤] صولةَ حازمٍ مستمكنِ[٥]
غضبـاً ومحميـةً لـدينـي إنَّـهُ   ليسَ المسيءُ سبيلُهُ كـالمُحسنِ[٦]

قال خليفة بن خياط[٧] : وهذا الشعر للضبي بن أبي رافع تمثل به عبد الملك .

وروى ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن الشعبي ، عن عبد الملك قال : لقد كان عمرو بن سعيد أحب إليّ من دم النواظر ، ولكن والله لا يجتمع فحلان في الإبل إلا أخرج أحدهما الآخر ، وإنا لكما قال أخو بني يربوع :

أُجـازي مَـنْ جـزانـي الخيـرَ خيـراً   وجـازي الخيـرِ يجـزي بـالنـوالِ
وأجـزي مـن جـزانـي الشـرَّ شـرّاً   كمـا تحـذا النعـالُ علـى النعـالِ

قال خليفة بن خياط : وأنشد أبو اليقظان لعبد الملك في قتله عمرو بن سعيد :

صحّتْ ولا تشلل وضرتْ عدوها   يميـنٌ أراقـتْ مهجـةَ ابـنِ سعيـدِ
وجـدت ابـنَ مـروان ولا نبـلَ عنـدهُ   شـديـداً ضـريـر النـاسِ غيـرَ بليـدِ

---

(١) الخبر في الطبري (٦/١٤٦ ـ ١٤٧) .
(٢) تاريخ الطبري (٦/١٤٨) .
(٣) في الطبري : دانيته .
(٤) في أ : وأصول .
(٥) في ب : متمكن .
(٦) الأبيات في الطبري (٦/١٤٨) وابن الأثير (٤/٢٩٦) .
(٧) طبقات خليفة (١/٢٥) .

هو ابن أبي العاصي لمروانَ ينتهي إلـى أسـرةٍ طـابـتْ لـهُ وجـدودِ

وكان الواقدي[١] يقول : أما حصار عبد الملك لعمرو بن سعيد الأشدق فكان في سنة تسع وستين ، رجع إليه من بطنان[٢] فحاصره بدمشق ، ثم كان قتله في سنة سبعين ، والله أعلم .

وهذه ترجمة الأشدق[٣]

هو عمرو بن سعيد بن العاص[٤] بن أمية بن عبد شمس ، أبو أمية القرشي الأموي ، المعروف بالأشدق ، يقال إنه رأى النبي ﷺ[٥] وروى عنه أنه قال : « ما نحل والد ولداً أحسن من أدب حسن »[٦] وحديثاً آخر في العتق ، وروى عن عمر وعثمان وعلي وعائشة ، وحدث عنه بنوه أمية وسعيد وموسى وغيرهم ، واستنابه معاوية على المدينة ، وكذلك يزيد بن معاوية بعد أبيه كما تقدم ، وكان من سادات المسلمين ، ومن الكرماء المشهورين ، يعطي الكثير ، ويتحمل العظائم ، وكان وصي أبيه من بين بنيه[٧] ، وكان أبوه كما قدمنا من المشاهير الكرماء ، والسادة النجباء ، قال عمرو : ما شتمت رجلاً منذ كنت رجلاً ، ولا كلفت من قصدني أن يسألني ، لهو أمنّ عليّ مني عليه . وقال سعيد بن المسيب : خطباء الناس في الجاهلية الأسود بن عبد المطلب ، وسهيل بن عمرو ، وخطباء الناس في الإسلام معاوية وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وعبد الله بن الزبير .

وقد قال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا عبد الصمد ، حدّثنا حماد ، حدّثنا علي بن زيد ، أخبرني من سمع

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ١٤٨) .

(٢) بطنان : وادٍ بين منبج وحلب ، بينه وبين كل واحد من البلدين مرحلة خفيفة ، فيه أنهار جارية وقرى متصلة ، ويقال له أيضاً : بطنان حبيب . معجم البلدان (١/ ٥٣٠ ـ ٥٣١) .

(٣) ترجمة ـ الأشدق ـ في نسب قريش (١٧٥) وتاريخ البخاري (٦/ ٣٣٨) والجرح والتعديل (٦/ ٢٣٦) ومروج الذهب (٣/ ٣٠٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٠٢ ـ ٢٠٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٩) والإصابة (٣/ ١٧٥) .
وفي نزهة الألباب في الألقاب (١/ ٧٥) الأشدق : ترجم له المرزباني في معجمه وقال : روى المدائني عن عوانة : أنه سمي بالأشدق لأنه صعد المنبر فبالغ في شتم علي رضي الله عنه فأصابته لقوة .
وفي فوات الوفيات لابن شاكر (٢/ ٢٢٢) وقيل : سمي الأشدق لتشادقه في الكلام .

(٤) في الإصابة : عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية .

(٥) هذا بعيد ، وذلك لأن أباه ولد عام الهجرة ، وفي قول آخر : كان عمره تسع سنين عندما توفي رسول الله . كذا ذكر الذهبي في السير نقلاً عن ابن سعد (٣/ ٤٤٦) .

(٦) الحديث رواه الترمذي رقم (١٩٥٢) وهو حديث ضعيف .

(٧) وقيل : مات وعليه ثمانون ألف دينار . السير (٣/ ٤٤٨) .

(٨) مسند الإمام أحمد (٢/ ٥٢٢) وإسناده ضعيف .

أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليرعُفنَّ على منبري جبّارٌ من جَبَابرة بني أمية حتى يسيل رُعافه » .

قال : فأخبرني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر رسول الله ﷺ حتى سال رعافه .

وهو الذي كان يبعث البعوث إلى مكة بعد وقعة الحَرّة أيام يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير ، فنهاه أبو شريح الخزاعي وذكر له الحديث الذي سمعه من رسول الله ﷺ في تحريم مكة ، فقال : نحن أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرام لا يعيذ عاصياً ولا فارّاً بدمٍ ، ولا فارّاً بجزية[١] ، الحديث كما تقدم وهو في الصحيحين[٢] .

ثم إن مروان دخل إلى مصر بعدما دعا إلى نفسه واستقر له الشام ، ودخل معه عمرو بن سعيد ففتح مصر ، وقد كان وعد عمراً أن يكون ولي العهد من بعد عبد الملك ، وأن يكون قبل ذلك نائباً بدمشق ، فلما قويت شوكة مروان رجع عن ذلك ، وجعل الأمر من بعد ذلك لولده عبد العزيز ، وخلع عَمراً . فما زال ذلك في نفسه حتى كان من أمره ما تقدم ، فدخل عمرو دمشق وتحصن بها وأجابه بها ، فحاصره عبد الملك ثم استنزله على أمان صوري ، ثم قتله كما قدمنا .

وكان ذلك في هذه السنة على المشهور عند الأكثرين ، وقال الواقدي وأبو سعيد بن يونس : سنة سبعين ، فالله أعلم .

ومن الغريب ما ذكره هشام بن محمد الكلبي بسند له أن رجلاً سمع في المنام قائلاً يقول على سور دمشق قبل أن يخرج عمرو بالكلية ، وقبل قتله بمدة [هذه الأبيات] :

ألا يا لقوم[٣] للسفاهةِ والوهنِ ... وللفاجر الموهونِ[٤] والرأي ذي[٥] الأفنِ
ولابن سعيدٍ بينما هوَ قائم ... على قَدميهِ خرّ للوجهِ والبطنِ
رأى الحصنَ منجاةً من الموتِ فالتجا ... إليهِ فزارتهُ المنيةُ في الحصنِ

قال : فأتى الرجل عبد الملك فأخبره فقال : ويحك سمعها منك أحد ؟ قال : لا ! قال : فضعها تحت قدميك ، قال : ثم بعد ذلك خلع عمرو الطاعة وقتله عبد الملك بن مروان[٦] .

[وقد قيل إن عبد الملك لما حاصره راسله وقال : أنشدك الله والرحم أن تدع أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة فإن فيما صنعت قوة لابن الزبير علينا ، فارجع إلى بيعتك ولك عليّ عهد الله وميثاقه ،

(١) في ب : بحزبه .
(٢) تقدم تخريج الحديث .
(٣) في ط : « ألا يا قوم » وما أثبتناه من أ ، م ، وتاريخ دمشق .
(٤) في أ : وللفاخر الموهوب .
(٥) ليست في ط ، وهي في النسخ وتاريخ دمشق .
(٦) الخبر والأبيات في تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/ ٤١) .

وحلف له بالأيمان المؤكدة أنك ولي عهدي من بعدي ، وكتبا بينهما كتاباً ، فانخدع له عمرو وفتح له أبواب دمشق فدخلها عبد الملك وكان من أمرهما ما تقدم][١] .

وممن توفي فيها من الأعيان أيضاً :

أبو الأسود الدؤلي[٢] ويقال له الديلي : قاضي الكوفة ، تابعي جليل ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة[٣] بن عدي بن الدُّئل بن بكر ، أبو الأسود الذي نسب إليه علم النحو ، ويقال بأنه أول من تكلم فيه ، وإنما أخذه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقد اختلف في اسمه على أقوال ، أشهرها أن اسمه ظالم بن عمرو ، وقيل عكسه .

وقال الواقدي : اسمه عويمر بن ظويلم . قال وقد أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره ، وشهد الجمل مع علي ، وكان من وجوه شيعته ومن أكملهم رأياً وعقلاً ، وقد أمره علي بوضع النحو ، فلما رآه علي قال له : ما أحسن هذا النحو الذي نحوت[٤] . وهلك في ولاية عبيد الله بن زياد .

وقال يحيى بن معين وأحمد بن عبد الله العجلي : كان ثقة وهو أول من تكلَّم في النحو .

وقال ابن معين وغيره : مات بالطاعون الجارف سنة تسع وستين .

قال القاضي ابن خلِّكان[٥] : وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقد كان ابتداؤها في سنة تسع وتسعين .

قلت : وهذا غريب جداً .

قال ابن خلِّكان وغيره : كان أول من ألقى إليه علم النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وذكر له أن الكلام اسم وفعل وحرف ، ثم إن أبا الأسود نحى نحوه وفرع على قوله ، وسلك طريقه ، فسمي هذا العلم النحو لذلك ، وكان الباعث لأبي الأسود على بسط ذلك تغير لغة الناس ، ودخول اللحن في كلام بعضهم أيام ولاية زياد على العراق ، وكان أبو الأسود مؤدب بنيه ، فإنه جاء رجل يوماً إلى زياد فقال : توفي أبانا وترك بنون ، فأمره زياد أن يضع للناس شيئاً يهتدون به إلى معرفة كلام العرب .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٢) ترجمة ـ أبي الأسود ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٩٩) وتاريخ البخاري (٦/ ٣٣٤) والمعارف (٤٣٤) ومراتب النحويين (١١) والأغاني (١٢/ ٢٩٧) وأخبار النحويين البصريين (٣) ومعجم الشعراء للمرزباني (٦٧) ومعجم الأدباء (١٢/ ٣٤) وأسد الغابة (٣/ ٦٩) ووفيات الأعيان (٢/ ٥٣٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٧٦ ـ ٢٨٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٨١ ـ ٨٦) والإصابة (٢/ ٢٤١) وخزانة الأدب (١/ ١٣٦) وشذرات الذهب (١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) .

(٣) انظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم صفحة (١٨٥) في الأصل : شباثة ، وهو خطأ .

(٤) من قوله : مع علي . . إلى هنا ساقط من ط .

(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٥٣٩) .

ويقال إن أول ما وضع منه باب التعجب من أجل أن ابنته قالت له ليلة : يا أبة ما أحسنُ[١] السماء [قال نجومها ، فقالت : إني لم أسأل عن أحسنها إنما تعجبت من حسنها] فقال قولي : ما أحسنَ السماءَ .

قال ابن خلكان[٢] : وقد كان أبو الأسود يُبخَّل . وكان يقول : لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا مثلهم ، وعَشّى ليلةً مسكيناً ثم قيَّده وبيَّته عنده ومنعه أن يخرج ليلته تلك لئلا يؤذي المسلمين بسؤاله ، فقال له المسكين : أطلقني ، فقال هيهات ، إنما عشيتك لأريح منك المسلمين الليلة ، فلما أصبح أطلقه . وله شعر حسن رحمه الله .

قال ابن جرير[٣] : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وقد أظهر خارجيٌّ التحكيم بمنى فقُتل عند الجمرة . والنواب فيها هم الذين كانوا في السنة التي قبلها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جابر بن سمرة بن جنادة[٤] ، له صحبة ورواية ولأبيه أيضاً صحبة ورواية ، وقيل توفي في سنة ست وستين فالله أعلم .

أسماء بنت يزيد[٥] **بن السكن الأنصارية** ، بايعت النبي ﷺ ويقال لها : أم سليم ، وقتلت بعمود خيمتها يوم اليرموك تسعة من الروم [ليلة عرسها] وسكنت دمشق ودفنت بباب الصغير .

حسان بن مالك بن بحدل[٦] **الأمير أبو سليمان الكلبي** وهو الذي قام ببيعة مروان لما تولى الخلافة ، مات في هذه السنة ، والله سبحانه أعلم .

وقيل : إنهم سلَّموا عليه بالخلافة أربعين يوماً ثم سلَّمها لمروان ، وقصر حسان بدمشق ويعرف بقصر ابن أبي الحديد ، وهو قصر البحادلة .

---

(١) أي : بضم النون لا بفتحها .

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩) .

(٣) تاريخه (٦/ ١٤٨ ـ ١٤٩) .

(٤) ترجمة ـ جابر بن سمرة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤) وتاريخ البخاري (٢/ ٢٠٥) والاستيعاب (٢٢٤) وتاريخ بغداد (١/ ١٨٦) وأسد الغابة (١/ ٢٥٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٦ ـ ١٨٨) والإصابة (١/ ٢١٢) وشذرات الذهب (١/ ٢٩٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٨٨) .

(٥) ترجمة ـ أسماء بنت يزيد ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٣١٩) وطبقات خليفة (٣٤٠) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٤٤٧) والاستيعاب (٤/ ٢٣٧) وتاريخ دمشق (تراجم النساء / ٣٣ ـ ٣٩) وحلية الأولياء (٢/ ٧٦) وأسد الغابة (٥/ ٣٩٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٧٣ ـ ٧٤) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) والوافي بالوفيات (٩/ ٥٤) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠) والإصابة (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) .

(٦) ترجمة ـ حسان بن مالك بن بحدل ـ في تاريخ الطبري (٥/ ٥٣١) والكامل لابن الأثير (٤/ ١٤٥ ـ ١٤٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ١٤٨) .

يوسف بن الحكم الثقفي[١] ، والد الحجاج ، قدم من الطائف إلى الشام ثم ذهب إلى مصر والمدينة ، وكان يلزم مروان .

عبد الرحمن بن الحكم[٢] أخو مروان ، شهد الدار مع عثمان بن عفان ، وكان شاعراً محسناً ، وله قولة عند معاوية وابنه[٣] .

ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة

فيها ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام ، واستضعفوهم لما يرون من الاختلاف [الواقع] بين عبد الملك بن مروان وابن الزبير ، فصالح عبد الملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على الشام .

وفيها كان الوباء بمصر فهرب منه عبد العزيز بن مروان إلى الشرقية ، فنزل حلوان وهي على مرحلة من القاهرة ، واتخذها منزلاً واشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار ، وبنى بها داراً للإمارة وجامعاً ، وأنزلها الجند .

وفيها ركب مصعب بن الزبير من البصرة إلى مكة ومعه أموال جزيلة . فأعطى وفرق ونحر عند الكعبة ألف بدنة وعشرين ألف شاة ، وأغنى ساكني مكة ثم عاد إلى العراق ، وأنعم[٤] وأطلق لجماعة من رؤساء الناس بالحجاز [أموالاً كثيرة] .

وحج بالناس فيها ابن الزبير ، والعمال على الأمصار المذكورون فيما قبل[٥] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عاصم بن عمر بن الخطاب[٦] القرشي العدوي ، وأمه جميلة بنت ثابت بن أبي الأقْلح[٧] ، ولد

---

(١) ترجمة ـ يوسف بن الحكم الثقفي ـ في تاريخ البخاري (٨/ ٣٧٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٠١) وتاريخ الإسلام للذهبي (وفيات وحوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٧٥) وتهذيب التهذيب (١١/ ٤١٠) .

(٢) ترجمة ـ عبد الرحمن بن الحكم ـ في نسب قريش (١٥٩) والأغاني (١٣/ ٢٥٩) ووفيات الأعيان (٦/ ٣٥٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص ١٧٣ ـ ١٧٤) .

(٣) من قوله : قيل إنهم سلّموا عليه . . إلى هنا ساقط من ط .

(٤) من قوله : ونحر عند الكعبة . . إلى هنا ساقط من ط .

(٥) من قوله : وحجّ بالناس . . إلى هنا ساقط من ط .

(٦) ترجمة ـ عاصم بن عمر ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥) وتاريخ البخاري (٦/ ٤٧٧) والاستيعاب (٣/ ١٣٦) والكامل لابن الأثير (٤/ ٣٠٨) وأسد الغابة (٣/ ٧٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص١٣٧ ـ ١٣٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٩٧) والإصابة (٣/ ٥٦) والشذرات (١/ ٣٠٠) .

(٧) في أ ، ب : الأفلح ـ بالفاء ـ والصحيح ما أثبت .

في حياة رسول الله ﷺ ، ولم يرو إلا عن أبيه حديثاً واحداً « إذا أقبل الليل من هاهنا » الحديث[١] .

وعنه ابناه حفص وعبيد الله[٢] ، وعروة بن الزبير .

وقد طلّق أبوه أمه فأخذته جدته الشموس بنت أبي عامر ، حكم له بها الصدّيق وقال : شمها ولطفها أحب إليه منك .

ثم لما زوجه أبوه في أيام إمارته أنفق عليه من بيت المال شهراً ، ثم كفَّ عن الإنفاق عليه وأعطاه ثُمنَ ماله وأمره أن يتجر وينفق على عياله .

وذكر غير واحد أنه كان بين عاصم وبين الحسن والحسين منازعة في أرض ، فلما تبين عاصم من الحسن الغضب قال : هي لك ، فقال له : بل هي لك ، فتركاها ولم يتعرضا لها ، ولا أحد من ورثتهما حتى أخذها الناس من كل جانب .

وكان عاصم رئيساً وقوراً كريماً فاضلاً .

قال الواقدي : مات سنة سبعين بالمدينة .

وممن توفي فيها أيضاً :

قبيصة بن جابر[٣] بن وهب الأسدي الكوفي ، أبو العلاء من كبار التابعين شهد خطبة عمر بالجابية وكان أخو معاوية من الرضاعة ، وكان من الفصحاء البلغاء .

قيس بن ذَريح[٤] أبو زيد الليثي الشاعر ، المشهور أنه من بادية الحجاز ، وقيل إنه أخو الحسين بن علي من الرضاعة ، وكان يهوى أم معمر لبنى بنت الحباب الكعبية ، ثم تزوج بها ثم طلقها ، فلما طلقها زاد ما به من الغرام[٥] وجعل يقول فيها الأشعار ونحل جسمه ، فلما زاد ما به أتاه ابن أبي عتيق فأخذه ومضى به إلى عبد الله بن جعفر فقال له : فداك أبي وأمي ، اركب معي في حاجة ، فركب واستنهض معه أربعة نفر من وجوه قريش فذهبوا معه وهم لا يدرون ما يريد ، حتى أتى بهم باب زوج لبنى ، فخرج

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٩٥٤) في الصوم ، ومسلم رقم (١١٠٠) .

(٢) في ط : عبد الله ؛ خطأ ، وما أثبت يوافق السير .

(٣) ترجمة ـ قبيصة بن جابر ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٤٥) وتاريخ خليفة (٢٦٨) وطبقاته (١٤١ و١٥٢) وتاريخ البخاري (٧/ ١٧٥ ـ ١٧٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٩) وأسد الغابة (٤/ ١٩١) وتهذيب الكمال (٢٣/ ٤٧٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٠٨ ـ ٢٠٩) وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٤٤ـ٣٤٥) وشذرات الذهب (١/ ٢٩٨) وقال الذهبي عن خليفة : مات سنة تسع وستين .

(٤) ترجمة ـ قيس بن ذريح ـ في الشعر والشعراء (١/ ٤٧٥) ووفيات الأعيان (٦/ ٣٧١ـ٣٧٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٢٠٩ ـ ٢١٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥) والوافي بالوفيات (٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٨) والنجوم الزاهرة (١/ ١٨٢) .

(٥) في ط : هام لما به من الغرام ، وسكن البادية .

إليهم فإذا وجوه قريش ، فقال : جعلني الله فداكم ! ما جاء بكم ؟ قالوا : حاجة لابن أبي عتيق ، فقال الرجل : اشهدوا أن حاجته مقضية ، وحكمه جائز ، فقالوا : أخبره بحاجتك ، فقال ابن أبي عتيق : اشهدوا علي أن زوجته لبنى منه طالق ، فقال عبد الله بن جعفر : قبحك الله ، ألهذا جئت بنا ؟ فقال : جعلت فداكُم يطلق هذا على زوجته ويتزوج بغيرها خير من أن يموت رجل مسلم في هواها صبابة ، والله لا أبرح حتى ينتقل متاعها [إلى بيت قيس] ففعلت وأقاموا مدة في أرغد عيش [وأطيبه] رحمهم الله تعالى .

يزيد بن زياد[١] بن ربيعة الحميري ، الشاعر ، كان كثير الشعر والهجو ، وقد أراد عبيد الله بن زياد قتله لكونه هجا أباه زياداً ، فمنعه معاوية من قتله ، وقال : أدّبه ، فسقاه دواءً مسهلاً وأركبه على حمار وطاف به في الأسواق وهو يسلح على الحمار فقال في ذلك :

يغسلُ الماءُ ما صنعتَ وشعري راسخٌ منك في العظامِ البوالي[٢]

بشير بن النضر[٣] ، قاضي مصر ، كان رزقه في العام ألف دينار ، توفي بمصر ، وولي بعده عبد الرحمن بن حمزة الخولاني [والله سبحانه أعلم] .

مالك بن يخامِر[٤] ، السكسكي ، الألهاني ، الحمصي ، تابعي جليل ، ويقال له صحبة ، فالله أعلم .

روى البخاري[٥] من طريق معاوية عنه عن معاذ بن جبل في حديث الطائفة الظاهرة على الحق أنهم بالشام ، وهذا من باب رواية الأكابر عن الأصاغر ، إلا أن يقال بصحبة مالك بن يخامر ، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي ، وكان من أخص أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه .

قال غير واحد : مات في هذه السنة ، وقيل سنة اثنتين وسبعين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) ترجمة ـ يزيد بن زياد ـ في الشعر والشعراء (١/ ٢٧٦ ـ ٢٨٠) والأغاني (١٨ ـ ٢٥٤ ـ ٢٩٨) وتاريخ دمشق (٦٥/ ١٧٨ ـ ١٩٢) ووفيات الأعيان (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٦٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٦٨ ـ ٢٦٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) والعقد الفريد (٤/ ٤٠٤ و٦/ ١٣٣) .

(٢) البيت من قصيدة طويلة في الأغاني (١٨/ ٢٦٧) وفيات الأعيان (٦/ ٣٥٠) والشعر والشعراء (١/ ٢٧٨) .

(٣) ترجمة ـ بشير بن النضر ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٠٦) وطبقات خليفة (١٤٣) وتاريخ البخاري (٢/ ١٥٢) وأخبار القضاة لوكيع (٣/ ٢٢٤) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٤٧) وتهذيب الكمال (٤/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٧٨) وتهذيب التهذيب (١/ ٥١٢) والإصابة . (١/ ١٨٧) .

(٤) ترجمة ـ مالك بن يخامر ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤١) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٢٩٧ و٣١٢) وأسد الغابة (٤/ ٢٩٧) وتهذيب الكمال (٢٧/ ١٦٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٢٥) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٤ ـ ٢٥) والإصابة (٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٠) .

(٥) صحيح البخاري رقم (٧٤٦٠) في التوحيد .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ففيها كان مقتل مصعب بن الزبير ، وذلك أن عبد الملك بن مروان سار في جنود هائلة من الشام قاصداً مصعب بن الزبير ، فالتقيا في هذه السنة ، وقد كانا قبلها يركب كل واحد ليلتقي بالآخر فيحول بينهما الشتاء والبرد والوحل ، فيرجع كل واحد منهما إلى بلده ، فلما كان في هذا العام سار إليه عبد الملك وبعث بين يديه السرايا ، ودخل بعض من أرسله إلى البصرة فدعا أهلها إلى عبد الملك في السر ، فاستجاب له بعضهم [وقد كان مصعب سار إلى الحجاز فجاء ودخل البصرة][1] على إثر ذلك ، فأنَّب الكبراء من الناس وشتمهم ولامهم على دخول أولئك إليهم ، وإقرارهم لهم على ذلك ، وهَدَمَ دور بعضهم ، ثم شخص إلى الكوفة ، ثم بلغه قصد عبد الملك له بجنود الشام فخرج إليه ووصل عبد الملك إلى مَسكِن ، وكتب إلى المروانية الذين استجابوا لمن بعثه إليهم فأجابوه ، واشترطوا عليه أن يوليهم أصبهان فقال نعم ـ وهم جماعة كثيرة من الأمراء ـ وقد جعل عبد الملك على مقدمته أخاه محمد بن مروان ، وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية ، وخرج مصعب وقد اختلف عليه أهل العراق ، وخذلوه وجعل يتأمل من معه فلا يجدهم يقاومون أعداءه ، فاستقتل ووطن نفسه على ذلك ، وقال : لي بالحسين بن علي أسوة حين امتنع عن إلقائه يده ، والذلة لعبيد الله بن زياد ، وجعل ينشد ويقول مسلياً نفسه[2] :

وإن الأُلى بالطَّفِّ من آلِ هاشمٍ تـأسَّـوا فسَنّـوا للكـرامِ التـأسِّيـا

وكان عبد الملك قد أشار عليه بعض أمرائه أن يبعث إلى مصعب جيشاً ، وأن يقيم هو بالشام ، فأبى وقال : لعلي إن بعثت رجلاً شجاعاً كان لا رأي له ، ومن له رأي ولا شجاعة له ، وإني أجد من نفسي بصراً بالحرب وشجاعةً ، وإن مصعباً في بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش [وأخوه لا تُجهل شجاعته] وهو شجاع ومعه من يخالفه ولا علم له بالحرب ، وهو يحب الدعة والخفْض[3] ومعي من ينصح لي ويوافقني على ما أريد ، فسار بنفسه فلما تقارب الجيشان بعث عبد الملك إلى أمراء مصعب يدعوهم إلى نفسه ويعدهم الولايات ، وجاء إبراهيم بن الأشتر إلى مصعب فألقى إليه كتاباً مختوماً[4] وقال : هذا جاءني من عبد الملك ، ففتحه فإذا هو يدعوه إلى الإتيان إليه وله نيابة العراق ، وقال لمصعب : أيها

---

(١) مكانها في أ : ثم قدم مصعب ، وعبارة ط توافق المصادر .

(٢) الخبر والبيت في تاريخ الطبري (٦/ ١٥٦) وابن الأثير (٤/ ٣٢٧) .

(٣) في ط : والصفح ، وما أثبت موافق للطبري وابن الأثير .

(٤) نسخة الكتاب في الأخبار الطوال (٣١٢) وقد أشار إليه الطبري وتبعه ابن الأثير دون ذكر محتواه .

الأمير ! إنه لم يبق أحد من أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا ، فإن أطعتني ضربت أعناقهم . فقال له مصعب : إني لو فعلت ذلك لن ينصحنا عشائرهم بعدهم ، قال : فأوقرهم في الحديد وابعثهم إلى أبيض كسرى فاسجنهم فيه ، فإن كانت لك [النصرة] ضربت أعناقهم ، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك . فقال له : يا أبا النعمان ، إني لفي شغل عن هذا ، ثم قال مصعب : رحم الله أبا بحر ـ يعني الأحنف بن قيس ـ إن كان ليحذرني غدر أهل العراق ، وكأنه ينظر إلى ما نحن فيه الآن .

ثم تواجه الجيشان بدير الجاثَليق[١] من مَسكِن ، فحمل إبراهيم بن الأشتر ـ وهو أمير المقدمة العراقية لجيش مصعب ـ على محمد بن مروان ـ وهو أمير مقدمة الشام ـ فأزاله عن موضعه ، فأردفه عبد الملك بعبد الله بن يزيد بن معاوية ، فحملوا على ابن الأشتر ومن معه فطحنوهم ، وقتل ابن الأشتر رحمه الله [وعفا عنه] وقتل معه جماعة من الأمراء ، وكان عتاب بن ورقاء على خيل مصعب [فهرب] أيضاً ولجأ إلى عبد الملك بن مروان ، وأرسل عبد الملك الأمان إلى مصعب بن الزبير وهو واقف في القلب يُنهض أصحاب الرايات ويستنهض الشجعان والأبطال أن يتقدموا إلى أمام [القوم] فلا يتحرك أحد[٢] ، فجعل يقول : يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم ، وتفاقم الأمر واشتد القتال ، وانخذلت الرجال ، وضاق الحال ، وكثر النزال .

قال المدائني[٣] : عن يحيى بن سعيد بن أبي المهاجر ، عن أبيه : أرسل عبد الملك أخاه محمد بن مروان إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى وقال : إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالباً أو مغلوباً . قالوا : فنادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال : يا بن أخي لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد أمَّنك عمك فامض إليه ، فقال : لا يتحدث نساء قريش أني أسلمتك للقتل ، فقال له : يا بني فاركب خيل السبق فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق فإني مقتول هاهنا ، فقال : والله إني لا أخبر عنك أحداً أبداً ، ولا أُقتل إلا معك ، ولكن إن شئت ركبت خيلك وسرنا إلى البصرة فإنهم على الجماعة ، فقال مصعب : لا والله ما الفرار لي بعادة ، ولكن أقاتل ، فإن قتلت فما السيف بعار ، والله لا يتحدث قريش بأني فررت من القتال ، فقال لابنه : تقدم بين يدي حتى أحتسبك ، فتقدم ابنه فقاتل حتى قُتل ، وأثخن مصعب بالرمي فنظر إليه زائدة بن قدامة وهو كذلك فحمل عليه فطعنه وهو يقول : يا لثارات المختار فصرعه ، ونزل إليه رجل يقال له عبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمي فقتله وحز رأسه وأتى به عبد الملك بن مروان ، فسجد عبد الملك وأطلق له ألف دينار فأبى أن يقبلها وقال : لم أقتله

---

(١) دير الجاثليق : دير قديم البناء رحب الفناء قرب بغداد في غربي دجلة في عرض حَرْبَى ، وهو في رأس الحد بين السواد وأرض تكريت . معجم البلدان (٣/ ٥٠٣) .
(٢) الخبر بتفصيل أكثر في تاريخ الطبري (٦/ ١٥٨) وابن الأثير (٤/ ٣٢٦) .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ١٥٨ ـ ١٥٩) .

على طاعتك ولكن بوتر[١] كان لي عنده[٢] ، وكان قد ولي له عملاً قبل ذلك فعزله عنه وأهانه .

قالوا : ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال : لقد كان بيني وبين مصعب صحبة قديمة ، وكان من أحب الناس إليّ ، ولكن هذا الملك عقيم .

وقيل : لما تفرق عن مصعب جموعه قال له ابنه عيسى : لو اعتصمت ببعض القلاع وكاتبت من بعُد عنك مثل المهلب بن أبي صفرة وغيره فقدموا عليك ، فإذا اجتمع لك ما تريد منهم لقيت القوم ، فإنك قد ضعفت جداً . فلم يرد عليه جواباً ، ثم ذكر ما جرى للحسين بن علي وكيف قتل كريماً ولم يلق بيده ، ولم يجد من أهل العراق وفاءً ، وكذلك أبوه وأخوه ، ونحن ما وجدنا لهم وفاءً ، ثم انهزم أصحابه وبقي في قليل من خواصه ، ومال الجميع إلى عبد الملك ، وقد كان عبد الملك يحب مصعباً حباً شديداً ، وكان خليلاً له قبل الخلافة ، فقال لأخيه محمد : اذهب إليه فأمِّنه ، فجاءه فقال له : يا مصعب قد أمنك ابن عمك على نفسك ، وولدك ومالك وأهلك ، فاذهب حيث شئت من البلاد ، ولو أراد بك غير ذلك لكان أنزله بك ، فأنشدك الله في نفسك ، فقال مصعب : قضي الأمر ، إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً ، فتقدم ابنه عيسى فقاتل ، فقال محمد بن مروان : يا بن أخي لا تقتل نفسك . ثم ذكر من قوله ما تقدم ، ثم قاتل حتى قتل رحمه الله ، ثم ذكر من قتل منهم بعده كما تقدم ، قال : ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بكى وقال : والله ما كنت أقدر أن أصبر عليه ساعة واحدة من حبي له حتى دخل السيف بيننا ، ولكن الملك عقيم . ولقد كانت المحبة والحرمة بيننا قديمة ، متى تلد النساء مثل مصعب ؟ ثم أمر بمواراته ودفنه هو وابنه وإبراهيم بن الأشتر في قبور بمسكن بالقرب من الكوفة][٣] .

قال المدائني : وكان مقتل مصعب بن الزبير يوم الثلاثاء[٤] الثالث عشر من جمادى الأولى أو الآخرة من سنة إحدى وسبعين في قول الجمهور . وقال المدائني : سنة ثنتين وسبعين ، والله أعلم .

قالوا[٥] : ولما قتل عبد الملك مصعباً ارتحل إلى الكوفة فنزل النُّخيلة فوفدت عليه الوفود من رؤساء القبائل وسادات العرب ، وجعل يخاطبهم بفصاحة وبلاغة واستشهاد بأشعار حسنة ، وبايعه أهل العراق وفرق العمال ، وولّى الكوفةَ قطن بن عبد الله الحارثي أربعين يوماً ، ثم عزله وولى أخاه بشر بن مروان عليها .

---

(١) في ط : بثأر .
(٢) انظر تاريخ الطبري (٦/ ١٥٩ ـ ١٦٠) والأخبار الطوال (٣١٣) وابن الأثير (٤/ ٣٢٨) .
(٣) مابين معكوفين زيادة من ط، وهي توافق ما أورده الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٣٠٤ـ٣٠٥).
(٤) في الطبري (٦/ ١٦٢) والأخبار الطوال (٣١٣) : كان مقتل مصعب يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين للهجرة .
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ١٦٣) وابن الأثير (٤/ ٣٢٩) .

وخطب عبد الملك يوماً بالكوفة فقال في خطبته : إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فآسى بنفسه ، ولم يغرز ذنبه في الحرم ، ثم قال لهم : إني قد استخلفت عليكم أخي بشر بن مروان وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة ، وبالشدة على أهل المعصية ، فاسمعوا له وأطيعوا .

وأما أهل البصرة فإنهم لما بلغهم مقتل مصعب تنازع في إمارتها حمران بن أبان[١] بن عثمان بن عفان ، وعبيد الله بن أبي بكرة ، فغلبه حمران بن أبان عليها ، فبايعه أهلها فكان أشرف الرجلين ، قال أعرابي : والله لقد رأيت رداء ابن أبان مال عن عاتقه يوماً فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسوِّيه على منكبيه ، وقال غيره : مدّ حمران يوماً رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمز رجل ابن حمران .

قال : فبعث عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد والياً على البصرة فأخذها من حمران واستناب فيها عبيدَ الله بن أبي بكرة ، وعزل حمران بن أبان عنها .

قالوا : وقد أمر عبد الملك بطعام كثير فعمل لأهل الكوفة فأكلوا من سماطه ومعه يومئذ على السرير عمرو بن حُرَيث ، فقال له عبد الملك : ما ألذ عيشنا لو أن شيئاً يدوم ؟ ولكن كما قال الأول :

وكلّ جديدٍ يا أُمَيمَ إلى بِلًى ... وكلُّ امرىءٍ يوماً يصير إلى كانْ

فلما فرغ من الطعام نهض فدار في القصر وجعل يسأل عمرو بن حُرَيث عن أحوال القصر ومن بنى أماكنه وبيوته فيخبره ثم عاد إلى مجلسه فاستلقى وهو يقول :

اعمل على مَهَلٍ فإنك ميتٌ ... واكدَحْ لنفسكَ أيّها الإنسانْ
فكأنَّ ما قد كانَ لم يكُ إذْ مضى ... وكأنَّ ما هو كائنٌ قدْ كانْ

قال ابن جرير[٢] : وفيها رجع عبد الملك فيما زعم الواقدي إلى الشام .

وقال : وفيها عزل ابن الزبير جابرَ بن الأسود عن المدينة ، وولّى عليها طلحة بن عبد الله بن عوف ، وكان آخر أمرائه عليها ، حتى قدم [عليها] طارق بن عمرو مولى عثمان من جهة عبد الملك بن مروان .

وفيها حجَّ بالناس عبد الله بن الزبير ولم يبق له ولاية على العراق .

[قال الواقدي : وفيها عقد عبد العزيز بن مروان نائب مصر لحسان الغسّاني[٣] على غزو إفريقية فسار إليها في عدد كثير ، ففتتح قُرطاجنة وكان أهلها روماً عبّاد أصنام[٤] .

---

(١) في ط : أبان بن عثمان ؛ خطأ ، وما أثبت عن أ ، ب والمصادر .
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ١٦٥) .
(٣) تحرفت في ط إلى العاني .
(٤) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦٩/ ص٦٧) .

وفيها قتل نجدة الحروري الذي تغلَّب على اليمامة[(١)] .

وفيها خرج عبد الله بن ثور في اليمامة][(٢)] .

هذه ترجمة مصعب بن الزبير[(٣)] رحمه الله

وهو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، أبو عبد الله القرشي ، ويقال له أبو عيسى أيضاً الأسدي ، وأمه الرَّباب[(٤)] بنت أنيف الكلبية ، كان من أحسن الناس وجهاً ، وأشجعهم قلباً ، وأسخاهم كفاً . وقد حكى عن عمر بن الخطاب .

وروى عن أبيه الزبير ، وسعد ، وأبي سعيد الخدري .

وروى عنه : الحكم بن عتيبة[(٥)] ، وعمرو بن دينار الجمحي ، وإسماعيل بن أبي خالد .

ووفد على معاوية ، وكان ممن يجالس أبا هريرة ، وكان من أحسن الناس وجهاً .

حكى الزبير بن بكار : أن جميلاً نظر إليه وهو واقف بعرفة فقال : إن هاهنا فتى أكره أن تراه بثينة .

وقال الشعبي : ما رأيت أميراً على منبر قط أحسن منه ، وكذا قال إسماعيل بن [أبي] خالد .

وقال الحسن : هو أجمل أهل البصرة .

قال الخطيب البغدادي[(٦)] : ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الله حتى قتله عبد الملك بمسكن بموضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق ، وقبره إلى الآن معروف هناك .

وقد ذكرنا صفة مقتله المختار بن أبي عبيد ، وأنه قتل في غداة واحدة من أصحاب المختار سبعة آلاف .

[قال الواقدي : لما قتل مصعب المختار طلب أهل القصر من أصحاب المختار من مصعب الأمان

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ١٧٤) كان مقتل نجدة الحروري سنة ٧٢هـ . وفي تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦٩/ ص٦٨) .

(٢) الخبر في تاريخ خليفة (٢٦٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٧١/ ص٣٠٠) . وما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) ترجمة ـ مصعب بن الزبير ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣) وتاريخ خليفة (٢٦٤) ومواضع أخرى ، وطبقاته (٢٤١) وتاريخ البخاري (٧/ ٣٥٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢١٤) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (٣/ ٦٠ و١٥٩ و٢١٣) وتاريخ بغداد (١٣/ ١٠٥ ـ ١٠٨) وتاريخ دمشق (٥٨/ ٢١٠ ـ ٢٥٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٥٢٤ـ٥٢٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٠ـ١٤٥) وفوات الوفيات (٤/ ١٤٣) والنجوم الزاهرة (١/ ١٨٧) .

(٤) في ط : كرمان ؛ خطأ ، وما أثبت موافق لما في السير وغيره من مصادر الترجمة .

(٥) في الأصل : الحكم بن عيينة .

(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٥) .

فأمَّنهم ، ثم بعث إليهم عبّاد بن الحصين فجعل يخرجهم ملتفين ، فقال له رجل : الحمد لله الذي نصركم علينا وابتلانا بالأسر ، يا ابن الزبير من عفا عفا الله عنه ، ومن عاقب لا يأمن القصاص ، نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم وقد قدرت فاسمح واعف عنا ، قال : فرقّ لهم مصعب وأراد أن يخلي سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وغيره من كل قبيلة فقالوا : قد قتلوا أولادنا وعشائرنا وجرحوا منا خلقاً ، اخترنا أو اخترهم ، فأمر حينئذ بقتلهم ، فنادوا بأجمعهم : لا تقتلنا واجعلنا مقدمتك في قتال عبد الملك بن مروان ، فإن ظفرنا فلكم ، وإن قتلنا لا نقتل حتى نقتل منهم طائفة ، وكان الذي تريد ، فأبى ذلك مصعب ، فقال له مسافر : اتق الله يا مصعب ، فإن الله عزَّ وجلَّ أمرك أن لا تقتل نفساً مسلمة بغير نفس ، وإن : ﴿ من يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] فلم يسمع له بل أمر بضرب رقابهم جميعهم وكانوا سبعة آلاف نفس ، ثم كتب مصعب إلى ابن الأشتر أن أجبني فلك الشام وأعنَّة الخيل ، فسار ابن الأشتر إلى مصعب . وقيل إن مصعباً لما قدم مكة أتى عبد الله بن عمر فقال : أي عم : إني أسألك عن قوم خلعوا الطاعة وقاتلوا حتى غلبوا ، تحصنوا وسألوا الأمان فأعطوه ثم قتلوا بعد ذلك . فقال : وكم هم ؟ فقال : خمسة آلاف ، فسبَّح ابن عمر واسترجع وقال : لو أن رجلاً أتى ماشية الزُّبير فذبح منها خمسة آلاف ماشية في غداة واحدة ألست تعده مُسرفاً ؟ قال : نعم . قال : أفتراه إسرافاً في البهائم ولا تراه إسرافاً في من ترجو توبته ؟ يا بن أخي أصب من الماء البارد ما استطعت في دنياك][(١)] . ثم إن مصعباً بعث برأس المختار إلى أخيه بمكة وتمكن مصعب في العراقين تمكناً زائداً ، فقرر بها الولايات والعمال ، وحظي عنده إبراهيم بن الأشتر فجعله على الوفادة ، ثم رحل مصعب إلى أخيه بمكة فأعلمه بما فعل فأقره على ما صنع ، إلا ابن الأشتر فقال له : أعمدت إلى راية خفضها الله تريد أن ترفعها . ثم كشف عن ظهره فإذا ضربة قد أصابته وقال[(٢)] : أتراني أحب ابن الأشتر وهو الذي جرحني هذه الجراحة .

ثم استدعى بمن قدم مع مصعب من أهل العراق فقال لهم : والله لوددت أن لي بكل رجلين منكم رجلاً من أهل الشام . فقال له أبو حاجز الأسيدي[(٣)] ـ وكان قاضي الجماعة بالبصرة ـ إن لنا ولكم مثلاً قد مضى يا أمير المؤمنين وهو ما قال الأعشى :

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجلُ

[قلت كما قيل أيضاً :

جُننا بليلى وهي جُنت بغيرنا وأخرى بنا مجنونةٌ لا نريدها][(٤)]

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ دمشق (٥٨/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

(٢) مكانها في ط : ولم يُمضِ له ما جعله عليه ، وقال له : أتراني .

(٣) في ط : الأسدي ؛ خطأ ، والتصحيح من مصادر ترجمته .

(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط .

علقناكَ يا أمير المؤمنين وعلقتَ أهلَ الشام وعلقَ أهلُ الشام إلى مروان ، فما عسينا أن نصنع ؟

قال الشعبي : فما سمعت جواباً أحسن منه . وقال غيره : وكان مصعب من أشد الناس محبة للنساء وقد أمضى من ذلك شيئاً كثيراً كما روي أنه اجتمع عند الحجر الأسود جماعة منهم ابن عمر ومصعب بن الزبير ، فقالوا : ليقم كل واحد منكم وليسأل من الله حاجته ، فسأل ابن عمر المغفرة ، وسأل مصعب أن يزوجه الله سكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة ، وكانتا من أحسن النساء في ذلك الزمان ، وأن يعطيه الله إمرة العراقين ، فأعطاه الله ذلك ، تزوج بعائشة بنت طلحة ، وكان صداقها عليه مئة ألف دينار ، وكانت باهرة الجمال جداً ، وكان مصعب أيضاً جميلاً جداً ، وكذلك بقية زوجاته .

قال الأصمعي : عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه قال : اجتمع في الحِجْر عبد الله ومصعب وعروة بنو الزبير وابن عمر ، فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتمنى الخلافة ، وقال عروة : أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم ، وقال مصعب : أما أنا فأتمنى إمرة العراق ، والجمع بين عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر : أما أنا فأتمنى المغفرة . قال : فنالوا كلّهم ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر الله له(١) .

قال عامر الشعبي : بينما أنا جالس إذ دعاني الأمير مصعب بن الزبير فأدخلني دار الإمارة ثم كشف فإذا وراءه عائشة بنت طلحة ، فلم أر منظراً أبهى ولا أحسن منها ، فقال : أتدري من هذه ؟ فقلت : لا ، فقال : هذه عائشة بنت طلحة ، فخرجت فقالت : من هذا الذي أظهرتني عليه ؟ قال : هذا عامر الشعبي ، قالت : فأطلق له شيئاً ، فوهبني عشرة آلاف درهم . قال الشعبي : فكان أول ما ملكته(٢) .

وحكى الحافظ ابن عساكر(٣) : أن عائشة بنت طلحة تغضبت مرة على مصعب فترضّاها بأربعمئة ألف درهم ، فأطلقتها هي للمرأة التي أصلحت بينهما .

وقيل : إنه أُهديت له نخلة من ذهب ثمارها من صنوف الجواهر المثمنة ، فقومت بألفي ألف دينار ، وكانت من متاع الفرس فأعطاها لعبد الله بن أبي فروة(٤) .

وقيل : إن أخاه عبد الله كان إذا كتب لأحد جائزة بألف درهم جعلها مصعب مئة ألف درهم .

[وقد كان مصعب من أجود الناس وأكثرهم عطاءً ، لا يستكثر ما يعطي ولو كان ما عساه أن يكون

---

(١) الخبر في الحلية لأبي نعيم (٢/ ١٧٦) وتاريخ دمشق (٥٨/ ٢١٨) . وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٤١) .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٢٢٥) .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٢٢٦/ ٢٢٧) ط دار الفكر .

(٤) الخبر في تاريخ دمشق (٥٨/ ٢٢٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٥٢٦) . وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٢) والأغاني (١٩/ ١٢٥) وابن أبي فروة هو كاتب مصعب .

فكانت عطاياه للقوي والضعيف ، والوضيع والشريف متقاربة ، وكان أخوه عبد الله يُبخَّل][١] .

وروى الخطيب البغدادي في « تاريخه »[٢] أن مصعباً غضب مرة على رجل فأمر بضرب عنقه ، فقال له الرجل : أعزّ الله الأمير ! ما أقبح بمثلي أن يقوم يوم القيامة فيتعلق بأطرافك الحسنة ، وبوجهك هذا الذي يُستضاء به ، فأقول : يا رب سل مصعباً فيم قتلني . فعفا عنه ، فقال الرجل : أعزّ الله الأمير إن رأيت ما وهبت لي من حياتي في عيش رخي[٣] ، فأطلق له مئة ألف ، فقال الرجل إني أشهدك أن نصفها لابن قيس الرقيّات حيث يقول فيك : [من الخفيف]

إنما مصعب[٤] شهابٌ مِنَ الله ... تجلتْ عن وجهه الظلماءُ
ملكه ملكُ عزةٍ[٥] ليسَ فيها ... جبروتٌ منه ولا كبرياءُ
يتَّقي اللهَ في الأمور وقد أفلـ ... ـحَ من كانَ همهُ الاتقاءُ

[وفي رواية أنه قال له : أيها الأمير قد وهبتني حياة ، فإن استطعت أن تجعل ما قد وهبتني من الحياة في عيش رضي وسعة فافعل ، فأمر له بمئة ألف][٦] .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدّثنا مؤمل ، حدثنا حمّاد بن سلمة ، حدّثنا علي بن زيد قال : بلغ مصعباً ، عن عريف الأنصارِ شيء فهمّ به ، فدخل عليه أنس بن مالك فقال له : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « استوصوا بالأنصار خيراً ـ أو قال معروفاً ـ اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » . فألقى مصعب نفسه عن سريره وألزق خده بالبساط وقال : أمر رسول الله ﷺ على الرأس والعين . فتركه .

ومن كلام مصعب في التواضع أنه قال : العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين .

وقال محمد بن يزيد المبرّد[٨] : سئل القاسم بن محمد عن مصعب فقال : كان نبيلاً رئيساً تقياً أنيساً .

وقد تقدم أنه لما ظهر على المختار قتل من أصحابه في غداة واحدة خمسة آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، فلما كان بعد ذلك لقي ابن عمر فسلم عليه فلم يعرفه ابن عمر ، لأنه كان قد حصل له من الضرر ـ أي

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وفي المصادر قريب منها .
(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٦) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٢٢٤) .
(٣) في ط : رضي .
(٤) في ط : إن مصعباً ، وما أثبت موافق للكامل للمبرد (٢/ ٢٦٩) ت : أبو الفضل إبراهيم .
(٥) في ط : رحمة ، وفي الكامل للمبرد : قوة .
(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٧) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٤١) المرفوع منه صحيح ، والقصة ضعيفة .
(٨) الكامل في الأدب للمبرد (١/ ١٦٦) ت : أبو الفضل إبراهيم .

العمى - فتعرف له حتى عرفه ، قال : أنت الذي قتلت في غداة واحدة خمسة آلاف ممن يوحد الله ؟ فاعتذر إليه بأنهم بايعوا المختار ، فقال : أما كان فيهم من هو مستكره أو جاهل فيُنْظَر حتى يتوب ؟ أرأيت لو أن رجلاً جاء إلى غنم الزّبير فنحر منها خمسة آلاف في غداة واحدة ، أما كان مسرفاً ؟ قال : بلى ! قال : وهي لا تعبد الله ولا تعرفه كما يعرفه الآدمي ، فكيف بمن هو موحد ؟ ثم قال له : يا بني تمتع من الماء البارد ما استطعت ، وفي رواية أنه قال له : عش ما استطعت .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني محمد بن الحسن ، عن زفر بن قتيبة ، عن الكلبي قال : قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : من أشجع العرب وأكرم العرب[١] ؟ قالوا شبيب ، وقال آخر : قطري بن الفجاءة وفلان وفلان . فقال عبد الملك : إن أشجع الناس وأكرم العرب لَرَجُل جمع بين سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمَة الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، وأمه رباب بنت[٢] أنيف الكلبي ، سيد ضاحية العرب ، وولي العراقين خمس سنين فأصاب ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف ، ففرقها في الناس ، وهؤلاء الأربع نسوة أعظم أهل زمانهن حسباً وجمالاً ، وأعطي الأمان فأبى ، ومشى بسيفه حتى مات كريماً ذاك[٣] مصعب بن الزبير ، لا من قطع الجسور مرة هاهنا ومرة هاهنا . قالوا : وكان مقتله يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة ثنتين وسبعين .

وقال الزُّبير بن بكار : حدَّثني فُليح بن إسماعيل وجعفر بن أبي كثير ، عن أبيه ، قال : لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال :

لقد أردى الفوارسَ يومَ عبسٍ غلامٌ غيرُ منّاعِ المتاعِ
ولا فرحٌ بخيرٍ إن أتاهُ ولا هلع مِنَ الحدثانِ لاعِ
ولا رقّابة والخيلُ تعدو ولا خالٌ كأنبوبِ اليراعِ

فقال الرجل الذي جاء برأسه : والله يا أمير المؤمنين لو رأيته والرمح في يده تارة والسيف تارة يفري بهذا ويطعن بهذا ، لرأيت رجلاً يملأ القلب والعين شجاعة ، لكنه لما تفرقت عنه رجاله وكثر من قصده وبقي وحده ما زال ينشد :

وإني على المكروه عندَ حضورهِ أكذِّبُ نفسي والجفون له تفضي
وما ذاكَ من ذلٍّ ولكنْ حفيظةٌ أذبُّ بها عندَ المكارم عنْ عرضي
وإني لأهلِ الشرِّ بالشرِّ مرصدٌ وإني لذي سلمٍ أذلُّ منَ الأرضِ

---

(١) في ط : من أشجع العرب والروم ، والخبر في الأغاني (١٩/ ١٣١ - ١٣٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ - ٨٠/ ص٥٢٧) .

(٢) في ط : وابنه ريان . . . ؛ والتصحيح من المصادر .

(٣) ثمة خلافات بين النسخ تؤدي نفس المعنى وأثبتنا رواية أ ، ب لتوافقهما ، والخبر في تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٦) وتاريخ دمشق (٥٨/ ٢٤٣ - ٢٤٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٢) .

فقال عبد الملك : كان والله كما وصف به نفسه وصدق ، ولقد كان من أحب الناس إليّ ، وأشدهم لي ألفة ومودة ، ولكن الملك عقيم[١] .

وروى يعقوب بن سفيان : عن سليمان بن حرب ، عن غسان بن مضر ، عن سعيد بن يزيد : أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان قتل مصعباً عند دير الجاثليق على شاطىء نهر يقال له دجيل ، من أرض مسكن ، واحتز رأسه فذهب به إلى عبد الملك فسجد شكراً لله ، وكان ابن ظبيان فاتكاً رديئاً وكان يتلهف يقول : ليتني قتلت عبد الملك حين سجد يومئذ فأكون قد قتلت ملكي العرب ، قال يعقوب : وكان ذلك سنة ثنتين وسبعين . قلت : كذا قال علي بن محمد المدائني والذي رجحه ابن جرير وغيره أنه سنة إحدى وسبعين ، والله[٢] أعلم .

وحكى الزُّبير بن بكار في عمره يوم قتل ثلاثة أقوال ، أحدها خمس وثلاثون سنة ، والثاني أربعون سنة ، والثالث خمس وأربعون سنة [فالله أعلم] .

وروى الخطيب البغدادي[٣] أن امرأته سُكينة بنت الحسين كانت معه في هذه الوقعة ، فلما أيقنت أنه مقتول نادت : وامصعباه . فقال مصعب : لو سمعت هذا الكلام قبل هذا اليوم ما قمت في هذا المقام ـ يعني أنها ما كانت تظهر له محبتها ، فلما علم بحبها إياه ندم على إقدامه على الموت ، فلما قتل تطلبته في القتلى حتى عرفته بشامة في فخذه فأقبلت عليه وقالت : نِعْمَ بَعلُ المرأة المسلمة كنت ، أدركك والله ما قال عنترة :

وخليلُ غانيةٍ تركتُ مجندلاً ... بالقاعِ لم يعهد ولم يتثلمِ
فهتكت بالرمحِ الطويل إهابهُ ... ليسَ الكريمُ على القنا بمحرمِ

قال الزبير[٤] : وقال عبد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً :

لقد أورثَ[٥] المصرين حزناً[٦] وذلةً ... قتيلٌ بديرِ الجاثليقِ مقيمُ
فما نصحتْ[٧] لله بكرُ بنُ وائلٍ ... ولا صدقت[٨] يومَ اللقاءِ تميمُ

---

(١) الخبر في تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٧) وتاريخ دمشق (٥٨/ ٢٣٤) .
(٢) من قوله : قلت : كذا قال علي . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٥٨/ ٢٤٢) ط : دارالفكر ورواية البيت الأول فيهما :
وحليل غانيةٍ تركت مجدّلاً ... بالقاع لم يعهد ولم يتثلّم
(٤) تاريخ دمشق (٥٨/ ٢٣٣) وتاريخ بغداد (١٣/ ١٠٨) والأبيات في ديوان ابن قيس الرقيات (ص١٩٦) .
(٥) في الأخبار الطوال (٣١٣) : ورد .
(٦) في تاريخ الطبري (٦/ ١٦١) خزياً ، وفي الأخبار الطوال (٣١٣) : خزي .
(٧) في الأخبار الطوال (٣١٣) : فما صبرت .
(٨) في تاريخ الطبري (٦/ ١٦١) : ولا صبرت ، وفي الأخبار الطوال : ولا ثبتت .

ولـو كـان بكـريـاً تَعَطَّـفَ حَـوْلَـهُ كتـائـبُ يغلـي حَميُهـا[١] ويـدومُ
ولكنـهُ ضـاعَ الـذمـام ولـم يكـنْ بهـا مضـريٌّ يـومَ ذاكَ كـريـمُ
جـزى الله كـوفيـاً هنـاكَ مـلامـة وبصـريَّهـم إنَّ الملـومَ[٢] ملـومُ
وإنَّ بنـي العـلاّتِ أخلَـوا ظهـورَنـا ونحـنُ صـريـحٌ بينهـمْ وصميـمُ
فـإن نفـن لا يبقـى أولئـكَ بعـدنـا لـذي حـرمـةٍ فـي المسلميـن حـريـمُ

وقد قال أبو حاتم الرازي : حدَّثنا يحيى بن مصعب الكلبي ، حدَّثنا أبو بكر بن عياش ، عن عبد الملك بن عمير قال : دخلت القصر بالكوفة فإذا رأس الحسين بن علي على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين ، فرأيت رأس عُبيد الله بن زياد على تُرس بين يدي المختار ، والمختار على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس المختار على ترس بين يدي مصعب بن الزبير ، ومصعب على السرير ، ثم دخلت القصر بعد حين فرأيت رأس مصعب بن الزبير على ترس بين يدي عبد الملك ، وعبد الملك على السرير[٣] .

وقد حكاها الإمام أحمد[٤] وغير واحد عن عبد الملك بن عمير .

وقال عبد الله بن قيس الرقيات[٥] يرثي مصعباً أيضاً :

تسقي السحائبُ والنجوم بأسرها جسـداً بمسكـنَ عـاريَ الأوصـالِ
تمسـي عـوائـذهُ السبـاعُ ودارهُ بمنـازلٍ أطـلالهـنَّ بـوالـي
رحـلَ الـرفـاق وغـادروهُ ثـاويـاً للـريـحِ بيـنَ صبـا وبيـنَ شمـالـي

فصل

[وكان لمصعب من الولد عكاشة وعيسى الذي قتل معه وسكينة وأمهم فاطمة بنت عبد الله بن السائب ، وعبد الله ومحمد ، وأمهما عائشة بنت طلحة ، وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وجعفر ومصعب وسعيد وعيسى الأصغر والمنذر لأمهات شتى ، والرباب وأمها سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم][٦] .

---

(١) في ط : يبقى حرها .
(٢) في الطبري : إن المسليم .
(٣) الخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٢٤٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٢٧) . عن أبي بكر ابن عياش . .
(٤) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣١) بسنده إلى الإمام أحمد .
(٥) ديوانه (ص٢٠١) ط : دار صادر بيروت .
(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط .

قال ابن جرير[١] : وذكر أبو زيد ، عن أبي غسان محمد بن يحيى ، حدَّثني مصعب بن عثمان قال : لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب قام في الناس خطيباً فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممَّن يشاء ، ويُعزُّ من يشاء ويذلّ من يشاء ، ألا وإنه لم يذلل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً ولن يفلح من كان وليه الشيطان وحزبه ولو كان معه الأنام [طراً] ألا وإنه أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا ، أتانا قتل مصعب رحمه الله[٢] ، فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة ، وأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يَرْعوي من بعدها ذو الرأي جميل الصبر كريم العزاء ، ولئن أصبتُ بمصعب فلقد أصبت بالزبير قبله ، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة ، وما مصعب إلا عبدٌ من عبيد الله ، وعونٌ من أعواني ، ألا وإن أهل العراق أهل الغدر والنفاق ، أسلموه وباعوه بأقل الثمن ، فإن يقتل فإنَّا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص ، والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهليَّة ولا في الإسلام ، وما نموت إلا بأطراف[٣] الرماح أو تحت ظل السيوف[٣] ألا وإن الدنيا عاريَّة من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد مُلكه ، فإن تُقبل لا آخذها أخذ الأشر البَطر ، وإن تُدْبر لا أبكي عليها بكاء الحزين الأسف المهين ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

إبراهيم بن الأشتر[٤] ـ واسم الأشتر مالك بن الحارث النخعي ـ كان أبوه الأشتر من كبار أمراء علي واستعمله علي على خراسان وهو ممن قام على عثمان وقَتْلِهِ .

وكان إبراهيم هذا من الأمراء المعروفين بالشجاعة وله شرف ، وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد كما ذكرنا ، ثم صار إلى مصعب بن الزبير وقُتل معه كما ذكرنا .

عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي[٥] ، له صحبة ورواية .

واستعمله علي على خراسان ، سكن الكوفة ووليها مرة .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ١٦٦) ونص الخطبة أيضاً في تاريخ دمشق (٥٨/ ٢٤٧) .

(٢) مكانها في ط : فأحزننا .

(٣) في الطبري : إلا قصعاً بالرماح ، أو موتاً تحت ظلال السيوف .

(٤) ترجمة ـ إبراهيم بن الأشتر ـ في تاريخ خليفة (٢٦٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٤٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥) والوافي بالوفيات (٦/ ٩٩) والأغاني (١٩/ ١٢٣ ـ ١٢٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٥) .

(٥) ترجمة ـ عبد الرحمن بن أبزى ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٢) وتاريخ خليفة (١٥٣) وطبقاته (١٠٩ و١٣٧) والاستيعاب (٢/ ٤١٧ ـ ٤١٨) وتهذيب الكمال (١٦/ ٥٠١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٧١) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٣٢ ـ ١٣٣) والإصابة (٢/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) وترجمته ساقطة من ط ، ب .
وأبزى : بفتح الهمزة ، وسكون الباء بعدها زاي مقصوراً . تقريب التهذيب .

توفي بالمدينة .

عبد الرحمن بن عُسَيلة(١) ، **أبو عبد الله المرادي ، الصنابحي** نزيل الشام .

هاجر إلى المدينة ، فتوفي النبي ﷺ قبل قدومه بخمس ليال(٢) .

وكان يجلس مع عبد الملك على سريره(٣) ، وكان من العلماء الصلحاء .

توفي بدمشق .

عمر بن أبي سلمة(٤) ، **المخزومي ، المدني** ، ربيب النبي ﷺ ، ولد بأرض الحبشة . وكان عند أمه أم سلمة .

وله روايات عن النبي ﷺ ، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم .

سفينة(٥) **مولى رسول الله** ﷺ ، **أبو عبد الرحمن** كان عبداً لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ ، [فقال : أنا لا أزال أخدم رسول الله ﷺ لو لم تعتقيني ما عشت ، وله روايات ، توفي بالمدينة .

وقد كان سفينة بآل رسول الله ﷺ أليفاً ، وبهم خليطاً .

---

(١) ترجمة ـ عبد الرحمن بن عُسَيلة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) وطبقات خليفة (٢٩٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) والاستيعاب (٢/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) وتهذيب الكمال (١٧/ ٢٨٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٧٣ ـ ٤٧٤) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) ، وتحرف في ط إلى غسيلة ـ بالغين ـ .
والصنابحي : بضم الصاد وفتح النون ، وبعد الألف باء موحدة مكسورة ، نسبة صنابح بن زاهر بن عامر . اللباب لابن الأثير (٢/ ٤٧) .

(٢) في الطبقات والاستيعاب ، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة قال : ما فاتني النبي ﷺ إلا بخمس ليال ، قبض وأنا بالجحفة ؛ فقدمت المدينة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ، فسألت بلالاً عن ليلة القدر ؛ فلم تعتم . وقال : ليلة ثلاث وعشرين .

(٣) ذكره الذهبي عن ابن معين . تاريخ الإسلام (سنة ٦١ـ٨٠/ ص٤٧٥) .

(٤) ترجمة ـ عمر بن أبي سلمة ـ في تاريخ خليفة (٢٠٠) وتاريخ البخاري (٩/ ١٣٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٧١) وأنساب الأشراف (١/ ٤٣٠) والاستيعاب (٢/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥) وأسد الغابة (٤/ ٧٩) وتاريخ دمشق (٤٥/ ٧٠) وتهذيب الكمال (٢١/ ٢٧٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٨ ـ ٤٨٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٠٦ ـ ٤٠٨) والإصابة (٢/ ٥١٩) وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) . ومن قوله : وكان عند أمه . . . إلى آخر الترجمة ساقط من ط .

(٥) ترجمة ـ سفينة ـ في طبقات خليفة (١٩٠) وتاريخ البخاري (٢/ ٢٠٩) وأنساب الأشراف (١/ ٤٩٠) والاستيعاب (٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠) وحلية الأولياء (١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) وأسد الغابة (٢/ ٣٢٤) وتهذيب الكمال (١١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١/ ٨٠/ ص٤١١ ـ ٤١٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٢ ـ ١٧٣) والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) وتهذيب التهذيب (٤/ ١٢٥) والإصابة (٢/ ٥٨) .

وروى الطبراني[(١)] أن سفينة سُئل عن اسمه لم سمّي سفينة ؟ قال : سماني رسول الله ﷺ سفينة ، خرج مرة ومعه أصحابه فثقل عليهم متاعهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ابسط كساءك » فبسطته فجعل فيه متاعهم ، ثم قال لي : « احمل ما أنت إلاّ سفينة » قال : فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ما ثقل علي .

وروى محمد بن المنكدر ، عن سفينة قال : ركبت مرة سفينة في البحر فانكسرت بنا فركبت لوحاً منها فطرحني البحر إلى غيضة فيها الأسد ، فجاءني فقلت : يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ ، فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه أو بكفه حتى وضعني على الطريق ، ثم همهم همهمة فظننت أنه يودِّعني[(٢)] .

وقال حَمّاد بن سلمة : حدَّثنا سعيد بن جمهان ، عن سفينة أن رسول الله ﷺ دخل بيت فاطمة فرأى في ناحية البيت قِراماً مضروباً فرجع ولم يدخل ، فقالت فاطمة لعلي : سل رسول الله ﷺ ما الذي رده ؟ فسأله فقال : « ليس لي ولا لِنبيٍّ أن يدخل بيتاً مزوَّقاً »[(٣)]] .

عطية بن عروة[(٤)] **السعدي** ، نزيل البلقاء ، له صحبة ورواية .

توفي بالبلقاء وله بها ذرية .

عَمْرو بن أخطب[(٥)] ، أبو زيد الأنصاري ، الأعرج ، غزا مع النبي ﷺ ثلاث عشرة غزوة . ومسح رأسه ، وقال : « اللهم جمّله »[(٦)] فبلغ مئة ولم يبيض شعره .

توفي بالبصرة .

---

(١) المعجم الكبير (٧/ رقم ٦٤٣٩) وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٢١) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٦٩) والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٠٦) وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧ رقم ٦٤٣٢) وصححه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٠٦) .

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٢١ و٢٢٢) وأبو داود رقم (٣٧٥٥) وابن ماجه رقم (٣٣٦٠) وهو حديث صحيح .

(٤) ترجمة ـ عطية بن عروة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٣٠) وطبقات خليفة (٥٥) وتاريخ البخاري (٧/ ٨) والاستيعاب (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥) وأسد الغابة (٣/ ٥٤١) وتهذيب الكمال (٢٠/ ١٥٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٥ ـ ٤٨٦) وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) والإصابة (٢/ ٤٨٥) وترجمته ساقطة من ط .

(٥) ترجمة ـ عمرو بن أخطب ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨) وطبقات خليفة (١٠٤ و١٨٧) وتاريخ البخاري (٦/ ٣٠٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٣١) والاستيعاب (٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) وأسد الغابة (٤/ ١٩٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٩ ـ ٤٩٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤) والإصابة (٢/ ٥٢٢) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤) .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٧٧ و٣٤١) والترمذي في جامعه رقم (٣٦٢٩) في المناقب ، وهو حديث صحيح .

غضيف بن الحارث[١] **بن زُنيم السَّكوني ، مختلف في صحبته .**

له روايات عن الصحابة ، وقيل : هو من تابعي أهل الشام ، سكن حمص ، وكان يتولى صلاة الجمعة نيابة عن خالد بن يزيد . وكان من الصالحين[٢] .

يزيد بن الأسود[٣] **الجُرَشيّ** ، أسلم في حياة النبي ﷺ ، وقدم الشام ، وسكن بقرية زبدين من الغوطة ، وله دار داخل باب شرقي ، وكان من العبّاد الصالحين ، كثير الصوم والجهاد ، وقد استسقى به معاوية بأهل الشام ؛ فسقوا[٤] .

وكان يصلي عشاء الآخرة بمسجد دمشق ، ويخرج إلى زبدين ، فتضيء له إبهامه اليمنى ، فلا يزال يمشي في ضوئها إلى زبدين[٥] ، توفي فيها[٦] .

عمرو بن الأسود[٧] ، **أبو عياض العنسي الحمصي** ، من كبار تابعي الشام ، صاحب زهد وعبادة واجتهاد ، قليل الشِّبَع[٨] .

توفي بحمص[٩] .

---

(١) ترجمة ـ غضيف بن الحارث ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٢٩) وفيه : عطيف ، وطبقات خليفة (٣٠٨) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٦١) والاستيعاب (٣/ ١٨٧) وتاريخ أبي زرعة (١/ ٣٨٨ و٦٠٣ ـ ٦٠٤) وأسد الغابة (٤/ ٣٤٠) وتهذيب الكمال (٢٣/ ١١٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٠٦ ـ ٥٠٨) وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠) والإصابة (٣/ ١٨٦ـ١٨٧) .

(٢) من قوله : ومسح رأسه . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٣) ترجمة ـ يزيد بن الأسود ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٤) وطبقات خليفة (٢٨٥) وتاريخ البخاري (٨/ ٣١٨) والاستيعاب (٣/ ٦٦٠) وتاريخ دمشق (٦٥/ ١٠٧) وأسد الغابة (٥/ ١٠٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٣٨ ـ ٥٣٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧ والإصابة (٣/ ٦٧٣) .

(٤) الخبر في الطبقات لابن سعد (٧/ ٤٤٤) وتاريخ الإسلام (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٣٩) .

(٥) عن تاريخ دمشق (٦٥/ ١٠٧) .

(٦) ثمة بعض الخلافات بين النسخ آثرنا إيراد ما في أ لمطابقتها للمصادر .

(٧) ترجمة ـ عمرو بن الأسود ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٢) وطبقات خليفة (٢٨٠) وتاريخ البخاري (٦/ ٣١٥) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣١٤) وحلية الأولياء (٥/ ١٥٥ ـ ١٥٧) وتاريخ دمشق (٤٥/ ٤٠٧ ـ ٤١٨) وأسد الغابة (٤/ ٨٤ ـ ٨٥) وتهذيب الكمال (٢١/ ٥٤٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٩٠ ـ ٤٩٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٧٩ ـ ٨١) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤ ـ ٦) والإصابة (٣/ ١٢٠) .

(٨) في الأصول : « التشيع » وهو تحريف لا شك فيه صوابه ما أثبتنا ، فقد روي عنه أنه كان يدع كثيراً من الشبع مخافة الأشر (تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥/ ٤١٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٨٠) .

(٩) كامل الترجمة ساقطة من ط .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين

ففيها كانت وقعة عظيمة بين المهلّب بن أبي صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له سولاف[١] ، ثم مكثوا نحواً من ثمانية أشهر متواقفين ، وجرت بينهم حروب يطول بسطها ، وقد استقصاها ابن جرير[٢] ، وقتل في أثناء هذه المدة مصعب بن الزبير ، وبايع الناس عبد الملك بن مروان ، وأقر عبد الملك المهلّب بن أبي صفرة على الأهواز وما معها ، وشكر سعيه وأثنى عليه ثناء كثيراً .

ثم تواقع الناس في دولة عبد الملك بالأهواز فكسر الناس الخوارج كسرة فظيعة ، وهربوا إلى البلاد لا يلوون على أحدٍ ، واتبعهم خالد بن عبد الله أمير الناس وداود بن قحذم[٣] ليطردوهم ، وأرسل عبد الملك إلى أخيه بشر بن مروان أن يمدهم بأربعة آلاف ، فبعث إليه أربعة آلاف عليهم عتاب بن ورقاء فطردوا الخوارج كل مطرد ، ولكن لقي الجيش جهداً عظيماً وماتت خيولهم ولم يرجع أكثرهم إلا مشاة إلى أهليهم ، فالله المستعان .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة كان خروج أبي فُديك الحارثي وهو من قيس بن ثعلبة ، وغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحارثي[٥] ، فبعث إليه خالد بن عبد الله أمير البصرة أخاه أمية بن عبد الله في جيش كثيف ، فهزمهم أبو فُدَيك وأخذ جارية لأمية واصطفاها لنفسه ، وكتب خالد أمير البصرة إلى عبد الملك يعلمه بما وقع ، واجتمع على خالد بن عبد الله حرب أبي فديك هذا مع ما كان فيه من مقاومة وحرب الأزارقة أصحاب قَطَري بن الفُجاءة بالأهواز .

قال ابن جرير[٦] : وفيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الله بن الزبير ليحاصره بمكة ، قال : وكان السبب في بعثه له دون غيره ، أن عبد الملك بن مروان لما أراد الرجوع إلى الشام بعد قتله مصعباً وأخذه العراق [ندب الناس إلى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فلم يجبه أحد إلى ذلك ، فقام الحجاج وقال : يا أمير المؤمنين أنا له ، و] قص الحجاج على عبد الملك مناماً زعم أنه

---

(١) في ط : سولاق ـ بالقاف ـ وما أثبت موافق للطبري (٦/ ١٦٨) وسولاف : قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان قرب مناذر الكبرى . معجم البلدان (٣/ ٢٨٥) .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٣) وابن الأثير (٤/ ٣٤٣) .

(٣) في ط : محندم ؛ تحريف ، وما هنا موافق للطبري وابن الأثير .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٤) .

(٥) في الطبري (الحنفي) .

(٦) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٤) والخبر أيضاً في ابن الأثير (٤/ ٣٤٨) .

رآه ، قال : رأيت يا أمير المؤمنين كأني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته ، فابعث بي إليه فإني قاتله ، فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام وكتب معه أماناً لأهل مكة إن هم أطاعوه ، قالوا : فخرج الحجاج في جمادى من هذه السنة ومعه ألفا فارس من أهل الشام ، فسلك طريق العراق ولم يعرض للمدينة حتى نزل الطائف ، وجعل يبعث البعوث إلى عرفة ، ويرسل ابن الزبير الخيل فيلتقيان فيهزم خيل ابن الزبير وتظفر خيل الحجاج ، ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم ومحاصرة ابن الزبير ، فإنه قد كلَّت شوكته [وملت جماعته] وتفرق عنه عامة أصحابه ، وسأله أن يمده برجال أيضاً ، فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه بالحجاج ، وكان طارق يتولى المدينة لعبد الملك ، وكان قد أمره عبد الملك أن يكون مقيماً بوادي القرى ، بمن معه من جيش المدينة وغيرها ، وكان في نحو خمسة آلاف من الشام[١] وارتحل الحجاج من الطائف فنزل بئر ميمون ، وحصر ابن الزبير بالمسجد ، فلما دخل ذو الحجة حج بالناس الحجاج في هذه السنة وعليه وعلى أصحابه السلاح وهم وقوف بعرفات ، وكذا فيما بعدها من المشاعر ، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هذه السنة ، بل نحر بدناً يوم النحر [وهكذا لم يتمكن كثير ممن معه من الحج] وكذا لم يتمكن كثير ممن مع الحجاج وطارق بن عمرو أن يطوفوا بالبيت ، فبقوا على إحرامهم لم يحصل لهم التحلل الثاني ، والحجاج وأصحابه نزول بين الحجون وبئر ميمون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال ابن جرير[٢] : وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم أمير خراسان يدعوه إلى بيعته ويقطعه خراسان سبع سنين ، فلما وصل إليه الكتاب قال للرسول[٣] : بعثك أبو الذبان ؟ والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك ، ولكن كل كتابه ؛ فأكله .

وبعث عبد الملك إلى بُكير بن وِشاح نائب ابن خازم على مرو يعده بإمرة خراسان إن هو خلع عبد الله بن خازم ، فخلعه ، فجاء ابن خازم فقاتله فقتل في المعركة عبد الله بن خازم أمير خراسان ، قتله رجل يقال له وكيع بن عميرة ، لكن كان قد ساعده غيره ، فجلس وكيع على صدره وفيه رمق ، فذهب ليثور فلم يتمكن من ذلك وجعل وكيع يقول : يا ثارات دُوَيلة ـ يعني أخاه ـ [وكان دُوَيلة قد قتله ابن خازم][٤] فتنخم في وجهه قال وكيع : لم أر أحداً أكثر ريقاً منه في تلك الحال .

وكان ابن هبيرة[٥] إذا ذكر هذا يقول : هذه والله هي البسالة . وقال له ابن خازم : ويحك أتقتلني بأخيك ؟ لعنك الله ، أتقتل كبش مصر بأخيك العلج ؟ وكان لا يساوي كفاً من تراب ـ أو قال من نوىً ـ

---

(١) من قوله : وكان طارق . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٦) وابن الأثير (٤/ ٣٤٥) .

(٣) ذكر الطبري أن اسمه : سورة بن أشيم النميري .

(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٥) في ط : أبو هريرة ؛ تحريف .

قال : فاحتز رأسه وأقبل بُكير بن وشاح فأراد أخذ الرأس فمنعه منه بُجير بن ورقاء فضربه بكير بعمود وقيَّده ، ثم أخذ الرأس ، ثم بعثه إلى عبد الملك بن مروان وكتب إليه بالنصر والظفر ، فسرّ بذلك سروراً كثيراً ، وكتب إلى بكير بن وشاح بإقراره على نيابة خراسان .

وفي هذه السنة أخذت المدينة من نواب ابن الزبير واستناب فيها عبد الملك طارق بن عمرو ، الذي كان بعثه مدداً للحجاج[١] .

وهذه ترجمة **عبد الله بن خازم**[٢] هو عبد الله بن خازم بن أسماء السُّلمي ، أبو صالح البصري أمير خراسان أحد الشجعان المذكورين ، والفرسان المشكورين .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في « تهذيبه »[٣] : ويقال له صحبة .

روى عن النبي ﷺ في العمامة السوداء ، وهو عند أبي داود والترمذي والنسائي[٤] ، لكن لم يسمُّوه .

وروى عنه : سعد بن عثمان الرازي وسعيد بن الأزرق .

روى أبو بشر[٥] الدولابي أنه قتل في سنة إحدى وسبعين ، وقيل : في سنة سبع وثمانين ، وليس هذا القول بشيء . انتهى ما ذكره شيخنا في « التهذيب » .

وقد ذكره الحافظ أبو الحسن بن الأثير في « الغابة في أسماء الصحابة »[٦] فقال : عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصَّلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك بن عوف بن امرىء القيس بن نهية[٧] بن سليم بن منصور ، أبو صالح السلمي ، أمير خراسان ، شجاع مشهور ، وبطل مذكور ، وروى عنه سعيد بن الأزرق ، وسعد بن عثمان ، قيل إن له صحبة ، وفتح سَرْخَس ، وكان أميراً على خراسان أيام فتنة ابن الزبير ، وأول ما وليها سنة أربع وستين بعد موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية ، وجرى له فيها حروب كثيرة حتى تم أمره بها ، وقد استقصينا أخباره في كتاب « الكامل في التاريخ » وقتل سنة إحدى وسبعين

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٨) وابن الأثير (٤/ ٣٤٧) .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن خازم ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٤) وطبقات خليفة (١١٥ و٣٠٥) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٦) ومواضع أخرى ، والاستيعاب (٢/ ٢٩٠) وتاريخ دمشق (٢٨/ ٦ ـ ١٥) وحلية الأولياء (٢/ ٣ ـ ٤) وأسد الغابة (٣/ ١٤٨) وتهذيب الكمال (١٤/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٣٤ ـ ٤٣٥) والوافي بالوفيات (١٧/ ١٥٦) وتهذيب التهذيب (٥/ ١٩٤) . والإصابة (٢/ ٣٠٠) .

(٣) تهذيب الكمال (١٤/ ٤٤٢ ـ ٤٤٥) .

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى كما في التحفة (١٥٥٧٨) وأخرجه الترمذي في جامعه رقم (٣٣٢١) في التفسير وأبو داود في سننه رقم (٤٠٣٨) في اللباس وهو حديث ضعيف .

(٥) في الأصل : أبو بشير ، وهو خطأ .

(٦) أسد الغابة (٣/ ١٤٨) .

(٧) كذا في الأصول ، وفي أسد الغابة : بهثة وكذلك في الإصابة (٢/ ٣٠١) .

بخراسان في الفتنة ، هكذا قال إنه قتل سنة إحدى وسبعين[١] ، وهكذا حكى شيخنا عن الدولابي ، وكذا رأيت في التاريخ لشيخنا الحافظ أبي عبد الله الذهبي[٢] . والذي ذكره ابن جرير في سياق تاريخه[٣] أنه قتل سنة ثنتين وسبعين ، قال : وزعم بعضهم أنه إنما قتل بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير ، وأن عبد الملك بعث برأس ابن الزبير إلى ابن خازم بخراسان ، وبعث يدعوه إلى طاعته وله خراسان عشر سنين ، وأن ابن خازم لما رأى رأس ابن الزبير حلف لا يعطي عبد الملك طاعة أبداً ، ودعا بطست فغسل رأس ابن الزبير وكفنه وطيبه وبعث به إلى أهله بالمدينة ، ويقال بل دفنه عنده بخراسان ، والله أعلم .

وأطعم الكتاب للرسول الذي جاء به وقال : لولا أنك رسول لضربت عنقك ، وقال بعضهم : قطع يديه ورجليه وضرب عنقه .

وممن توفي في سنة ثنتين وسبعين :

الأحنف بن قيس[٤] ، بن[٥] معاوية بن حصين التميمي السعدي أبو بحر البصري ابن أخي صعصعة بن معاوية ، والأحنف لقب له ، وإنما اسمه الضحاك ، وقيل صخر ، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره ، وجاء في حديث أن رسول الله ﷺ دعا له[٦] ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً مؤمناً ، عليم اللِّسان ، وكان يضرب بحلمه المثل وله أخبار في حلمه سارت بها الركبان .

قال عمر بن الخطاب : هو مؤمن عليم اللسان .

وقال الحسن البصري : ما رأيت شريف قوم أفضل منه .

وقال أحمد بن عبد الله العِجْلي[٧] : هو بصري تابعي ثقة ، وكان سيّد قومه ، وكان أعور ،

---

(١) من قوله : بخراسان . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠ ص ٣٠٠ـ٣٠١) .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ١٧٨) .

(٤) ترجمة ـ الأحنف بن قيس ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٩٣) وتاريخ خليفة (١٦٤ و١٦٥ و٢٦٤) وطبقاته (١٩٥) والكامل للمبرد (١/ ١٤٠ ـ ١٤٣) والشعر والشعراء (٢/ ٥٣٩) وتاريخ الثقات للعجلي (٥٧) وتاريخ البخاري (٢/ ٥٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٠ـ٣٢) والاستيعاب (١/ ١٢٦ـ ١٣٤) وتاريخ دمشق (٢٤/ ٢٩٨ ـ ٣٥٦) وقال ابن عساكر : وقيل اسمه الضحاك . وترجمه في حرف الضاد . وأسد الغابة (١/ ٥٥) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٩٩) وتهذيب الكمال (٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٤٥ ـ ٣٥٣) والنجوم الزاهرة (١/ ١٨٤) وتهذيب التهذيب (١/ ١٩١) والإصابة (١/ ١٠٠ ـ ١٠١) وشذرات الذهب (١/ ٧٨) وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٣ ـ ٢٧) : الضحاك بن قيس . . .

(٥) في ط : أبو ؛ وما أثبت عن أ ، ب ومصادر الترجمة .

(٦) بقوله ﷺ : « اللهم اغفر للأحنف » رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٧٢) والبخاري في التاريخ (٢/ ٥٠) والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٤) وإسناده ضعيف .

(٧) تاريخ الثقات (٥٧) .

أحنف[١] الرجلين ، ذميماً ، قصيراً ، كوسجاً ، له بيضة واحدة ، احتبسه عمر سنة قدومه يمتحنه ، ثم قال : هذا والله السيد ـ أو قال السؤدد ـ [وقيل : إنه خطب عند عمر فأعجبه منطقه] وقيل ذهبت عينه بالجدري ، وقيل في فتح سمرقند .

وقال يعقوب بن سفيان : كان الأحنف جواداً حليماً ، وكان رجلاً صالحاً . أدرك الجاهلية ثم أسلم ، وذكر للنبي ﷺ فاستغفر له .

وقال محمد بن سعيد : كان ثقة مأموناً قليل الحديث ، وكان كثير الصلاة بالليل ، وكان يسرج المصباح ويصلّي ويبكي حتى الصّباح ، وكان يضع أصبعه في المصباح ويقول : حسَّ يا أحنف ، ما حملك على كذا ؟ ما حملك على كذا ؟ ويقول لنفسه : إذا لم تصبر على المصباح فكيف تصبر على نار جهنم ؟

وقيل له : إن الصيام يضعفك فقال : إني أعده ليوم طويل[٢] .

وقيل له : كيف سودك قومك وأنت أرذلهم خلقة ؟ قال : لو عاب قومي الماء ما شربته .

[كان الأحنف من أمراء علي يوم صفين[٣] ، وهو الذي صالح أهل بلخ على أربعمئة ألف دينار في كل سنة . وله وقائع مشهودة مشهورة ، وقتل من أهل خراسان خلقاً كثيراً في القتال بينهما ، وانتصر عليهم] .

وكان الأحنف لا يحتد ولا يجهل ، ولا يدفع الحق .

وقال : إن من السؤدد والصبر على الذل وكفى بالحلم ناصراً .

وقال ما نازعني أحد إلا أخذت من أمري إحدى ثلاث : إن كان فوقي عرفت قدره ، وإن كان دوني رفعت نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه .

وقال ما ذكرت أحداً بسوءٍ بعد أن يقوم من عندي ، ولا سمعت كلمة تسوؤني إلا طأطأت رأسي لما هو أعظم منها .

وأغلظ له رجل في الكلام ، فلما وصل إلي نادي قومه وقف وقال : إن كان عندك شيء آخر فقل لئلا يسمعك قومي فيؤذوك .

وقيل : إن عبد الملك بن مروان كتب إليه يدعوه لنفسه ويعده بولاية الشام فقال : يدعوني ابن الزرقاء إلى ولاية الشام ، والله وددت أن بيني وبينهم جبلاً من نار .

---

(١) في ط : أحيف ؛ تحريف ، والحنف : الاعوجاج في الرجلين . القاموس (حنف) .
(٢) من قوله : وقيل له . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٣) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٤٦) .

وكان زياد بن أبيه يقول : قد بلغ الأحنف من السؤدد والشرف ما لا ينفعه معه ولاية ، ولا يضره عزل ، وإنه ليفر من الشر وهو يتبعه[١] .

وقال الحاكم[٢] : وهو الذي افتتح مرو الروذ ، وكان الحسن وابن سيرين في جيشه [وهو الذي افتتح سمرقند وغيرها من البلاد][٣] .

وقيل : إنه مات سنة سبع وستين ، وقيل غير ذلك ، عن سبعين سنة . وقيل عن أكثر من ذلك .

ومن كلامه وقد سئل عن الحلم ما هو ؟ فقال : الذل مع الصبر . وكان إذا تعجب الناس من حلمه يقول : والله إني لأجد ما يجدون ، ولكني صبور .

وقال أيضاً : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال وقد انتهى إليه الحلم والسؤدد .

وقال : أحي معروفك بإماتة ذكره ، وقال : عجبت لمن يجري مجرى البول مرتين كيف يتكبر ؟ وقال : ما أتيت باب أحد من هؤلاء إلا أن أُدعى ، ولا دخلت بين اثنين إلا أن يدخلاني بينهما[٤] ، وقيل له : بم سدت قومك ؟ قال : بتركي من الأمر ما لا يعنيني ، كما عناك من أمري ما لا يعنيك . وأغلظ له رجل في الكلام وقال : والله يا أحنف لئن قلت لي واحدة لتسمعن بدلها عشراً ، فقال له : إنك إن قلت لي عشراً لا تسمع مني واحدة .

وكان يقول في دعائه : اللهم إن تعذبني فأنا أهل لذلك ، وإن تغفر لي فأنت أهل لذلك .

وقد كان زياد بن أبيه يقَرِّبُه ويدنيه ، فلما مات زياد ووليَ ابنه عبيد الله لم يرفع به رأسه ، فتأخرت عنده منزلته لقبح منظره ، وصار يقدم عليه من هو دونه[٥] فلما وفد برؤساء أهل العراق على معاوية أدخلهم عليه على مراتبهم عنده ، فكان الأحنف آخر من أدخله عليه ، فلما رآه معاوية أجلّه وعظمه [وأدناه وأكرمه] وأجلسه معه على الفراش ، ثم أقبل عليه يحادثه دونهم ، ثم شرع الحاضرون في الثناء على ابن زياد والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : ما لك لا تتكلم ؟ قال : إن تكلمت خالفتهم ، فقال معاوية : أشهدكم أني قد عزلته عن العراق ، ثم قال لهم : انظروا لكم نائباً ، وأجَّلهم ثلاثة أيام ، فاختلفوا بينهم اختلافاً كثيراً ، ولم يذكر أحد منهم بعد ذلك عبيد الله ، ولا طلبه أحد منهم ، ولم يتكلم الأحنف في ذلك كلمة واحدة مع أحد منهم ، فلما اجتمعوا بعد ثلاث أفاضوا في ذلك الكلام ، وكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : تكلم ، فقال له : إن كنت تريد أن تولي فيها أحداً من أهل

---

(١) من قوله : وكان الأحنف لا يحتد . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٢) الأسامي والكنى ـ خ دار الكتب المصرية (ج١ ق ٨٤أ) وانظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٧) .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام .
(٤) كلام ابن الأحنف هذا في الكامل للمبرد (١/ ٧٥) .
(٥) من قوله : لقبح منظره . . . إلى هنا ساقط من ط .

بيتك فليس فيهم من هو مثل عبيد الله ، فإنه رجل حازم [لا يسد أحد منهم مسدَّه] وإن كنت تريد غيره فأنت أعلم بنوابك ، فرده معاوية إلى الولاية ، ثم قال له بينه وبينه : كيف جهلت مثل الأحنف ؟ إنه هو الذي عزلك وولاك وهو ساكت ، فعظمت منزلة الأحنف بعد ذلك عند ابن زياد جداً .

توفي الأحنف بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزّبير ، ومشى في جنازته .

حكى الواقدي أن الأحنف بن قيس وفد على معاوية بعد أن سلم الحسن الأمر إلى معاوية ورحل بأهله إلى المدينة فقال معاوية للأحنف أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين والمخذل عن عائشة أم المؤمنين فقال : يا معاوية لا توبخنا بما مضى منا ولا ترد الأمور على أدبارها فإن القلوب التي أبغضناك بها بين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا في كلام غير ذلك ، فلما خرج قالت أخت معاوية : من هذا الذي يتهدد ؟ قال : هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مئة ألف من تميم لا يدرون فيما غضب . ثم صَلُحت منزلة الأحنف عند معاوية بعد ذلك[١] . وذكر الواقدي أنه قدم على معاوية فوجده غضبان على ابنه يزيد ، وأنه أصلح بينهما بكلام ، قال فبعث معاوية إلى يزيد بمالٍ جزيل وقماش كثير ، فأعطى يزيد نصفه للأحنف ، والله سبحانه أعلم][٢] .

البراء بن عازب[٣] **بن الحارث بن عدي بن مَجْدعة**[٤] بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الحارثي الأوسي . صحابي جليل ، وأبوه أيضاً صحابي ، روى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة ، وحدّث عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ، وعنه جماعة من التابعين وبعض الصحابة . وقيل إنه مات بالكوفة أيام ولاية مصعب بن الزبير على العراق .

عَبيدة السَّلْماني القاضي[٥] **وهو عَبيدة بن عمرو** ويقال ابن قيس بن عمرو السَّلْماني ، المرادي ، أبو عمرو الكوفي . وسَلْمان بطن من مراد .

---

(١) من قوله : حكى الواقدي . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) ترجمة ـ البراء بن عازب ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٦٤ و٦/ ١٧) وطبقات خليفة (٥٢٢) وتاريخ البخاري (٢/ ١١٧) والاستيعاب (١/ ٥٥) وتاريخ بغداد (١/ ١٧٧) وأسد الغابة (١/ ١٧١) وتهذيب الكمال (٤/ ٣٤ ـ ٣٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ / ص٣٦٥ ـ ٣٦٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٤ ـ ١٩٦) والوافي بالوفيات (١٠/ ١٠٤) وتهذيب التهذيب (١/ ٤٢٥) والإصابة (١/ ١٤٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٢) .

(٤) هكذا في النسخ وفي كتاب شيخه المزي تهذيب الكمال (٤/ ٣٤) الذي ينقل منه . وفي طبقات ابن سعد وتاريخ الخطيب والاستيعاب وأسد الغابة: «بن عدي بن جشم بن مجدعة»، وكلاهما وهم ، والصواب: «بن عدي بن جشم بن حارثة »، كما في جمهرة ابن حزم (ص٣٤١)، وهو الذي رجحه الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ١٤٢) (بشار » .

(٥) ترجمة ـ عبيدة السلماني ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٩٣ ـ ٩٥) وفيه : عبيدة بن قيس ، وتاريخ خليفة (٢٦٨) وطبقاته (١٤٦) وتاريخ البخاري (٦/ ٨٢) والاستيعاب (٢/ ٤٤٤) وتاريخ بغداد (١١/ ١١٧ ـ ١٢٠) وأسد الغابة (٣/ ٣٥٦) وتهذيب الكمال (١٩/ ٢٦٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٢ ـ ٤٨٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠ ـ ٤٤) والإصابة (٣/ ١٠٢) وتهذيب التهذيب (٧/ ٨٤ ـ ٨٥) والنجوم الزاهرة (١/ ١٨٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٥) . والسَّلماني : بفتح السين وسكون اللام ، نسبة إلى سلمان بن يشكر . اللباب (١/ ٥٥٢) .

أسلم عبيدة في حياة النبي ﷺ .

وروى عن ابن مسعود وعلي وابن الزبير . وحدّث عنه جماعة من التابعين .

وقال الشعبي : كان يوازي شريحاً في القضاء .

قال ابن نمير : كان شريح إذا أشكل عليه أمر كتب إلى عَبيدة فيه ، وانتهى إلى قوله ، وقد أثنى عليه غير واحد . وكان عَبيدة السلماني أعورَ ، وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتون الناس ، توفي بالكوفة .

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين ، فالله أعلم .

وقد قيل : إن مصعب بن الزبير قتل فيها ، فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان أيضاً :

عبد الله بن السائب[١] بن صيفي المخزومي قارىء أهل مكة ، له صحبة ورواية ، وقرأ على أبيّ بن كعب ، وقرأ عليه مجاهد وغيره .

عطية بن بُسْر[٢] المازني ، له صحبة ورواية ، توفي بالمدينة .

عَبيد بن نُضَيلة[٣] أبو معاوية الخزاعي ، الكوفي ، مقرىء أهل الكوفة ، مشهور بالخير والعبادة ، توفي بالكوفة في هذه السنة .

عبد الله بن قيس الرقيّات[٤] القرشي العامري أحد الشعراء ، مدح مصعب بن الزبير وعبد الله بن جعفر .

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن السائب ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤٥) وطبقات خليفة (١١٠) وتاريخ البخاري (٥/ ٨) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٤٧) والاستيعاب (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) وأسد الغابة (٣/ ١٧٠) وتهذيب الكمال (١٤/ ٥٥٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص١٤٦) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٢٩) والإصابة (٢/ ٣١٤) والوافي بالوفيات (١٧/ ١٨٧ ـ ١٨٨) وقال الذهبي : توفي بعد السبعين ، وهو من صغار الصحابة .

(٢) ترجمة ـ عطية بن بُسْر ـ في تاريخ البخاري (٧/ ١٠) والاستيعاب (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وتهذيب الكمال (٢٠/ ١٤٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٥) وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٣) والإصابة (٢/ ٤٨٤) .
وقيده ابن حجر : بُسْر ـ بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة ـ .

(٣) ترجمة ـ عبيد بن نُضيلة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١١٧ و٢١١) وتاريخ خليفة (٢٧٣) وتحرف فيه إلى عبيد بن فضلة ، وطبقات خليفة (١٥٠) وتاريخ البخاري (٦/ ٥) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٥٦) وتهذيب الكمال (١٩/ ٢٣٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٠) وتهذيب التهذيب (٧/ ٧٥ ـ ٧٦) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن قيس الرقيات ـ في الأغاني (٥/ ٧٣ ـ ١٠٠) وديوانه ط فيينا ١٩٠٢م ووفيات الأعيان (٣/ ٨٨ و١٩٦) وخزانة الأدب للبغدادي (٣/ ٢٦٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٠٤) والكامل في الأدب للمبرد (١/ ٣٩٩) ت : أبو الفضل إبراهيم .

عبد الله بن هَمّام[١] أبو عبد الرحمن الشاعر السلولي أحد الشعراء الفصحاء مدح يزيد بن معاوية بعد أن كان قد هجاه[٢] بقوله :

شَرِبْنا الغيظ حتى لو سُقينا ... دماءَ بني أميّةَ ما رَوينا
ولو جاؤوا برملةَ أو بهندٍ ... لَبايعنا أميرَ المؤمنينا

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

فيها كان مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على يدي الحجاج بن يوسف الثقفي المبير قبحه الله وأخزاه .

قال الواقدي[٣] : حدثني مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد ـ وكان عالماً بفتنة ابن الزبير ـ قال : حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة[٤] سنة اثنتين وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، فكان حصر الحجاج له ثمانية[٥] أشهر وسبع عشرة ليلة .

وقد ذكرنا فيما تقدم أن الحجاج حج بالناس في هذه السنة الخارجة ، وكان في الحج ابن عمر ، وقد كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يأتم بابن عمر في المناسك كما ثبت ذلك في الصحيحين[٦] ، فلما استهلت هذه السنة استهلت وأهل الشام محاصرون أهل مكة ، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك وكان مع الحجاج خلق قدموا عليه من أرض الحبشة ، فجعلوا يرمون فيصيبوا فقتلوا خلقاً كثيراً ، وكان معه خمسة مجانيق فألح عليها بالرمي من كل وجه ، وحبس عنهم الميرة ، والماء ، فكانوا يشربون من ماء زمزم ، وجعلت الحجارة تقع في الكعبة ، وجعل الحجاج يصيح بأصحابه : يا أهل الشام الله الله في الطاعة ، فكانوا يحملون على ابن الزبير حتى يقال إنهم آخذوه في هذه الشدة[٧] ، فيشد عليهم ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن هَمّام ـ في الشعر والشعراء (٢/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦) وطبقات الشعراء لابن سلام (٢/ ٦٢٥ ـ ٦٣٧) والأغاني (٣/ ٣٥٧) ط دار الثقافة ، والعقد الفريد (٦/ ١٢٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٧٠) والوافي بالوفيات (١٧/ ٦٦٤) وخزانة الأدب (٣/ ٦٣٨) . وقد تحرف في ط إلى : حمام ـ بالحاء ـ .

(٢) من قوله : أحد الشعراء . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ١٨٧) .

(٤) في ط : ذي الحجة ، وما أثبت يوافق الطبري .

(٥) هذه عبارة الطبري : ثمانية ، وبحساب الشهور نجد أن مدة الحصار ستة شهور وسبع عشرة يوماً والله أعلم .

(٦) انظر صحيح البخاري رقم (١٦٦٠) و(١٦٦٢) في الحج من حديث سالم عن ابن عمر . وتوهم المصنف رحمه الله في نسبته إلى الصحيحين، فليس هو في صحيح مسلم، وقد عده العلامة ابن عبد الحق الإشبيلي من أفراد البخاري، كما في الجمع بين الصحيحين له (٢/ ٢٤٣) (بشار) .

(٧) في أ : حتى يقال قد اشتملوا عليه .

شيبة ، ثم يكرون عليه فيشد عليهم ، فعل ذلك مراراً ، وقتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول : خذها وأنا ابن الحواريّ .

وقيل لابن الزبير : ألا تكلمهم في الصلح!! فقال : والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم جميعاً والله لا أسألهم صلحاً أبداً . وذكر غير واحد أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تعلو أصواتها على صوت المنجنيق ، ونزلت صاعقة فأصابت من الشاميين اثني عشر رجلاً فضعفت عند ذلك قلوبهم عن المحاصرة ، فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول : إني خبير بهذه البلاد ، هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها ، وإن القوم يصيبهم مثل الذي يصيبكم ، وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضاً ، فجعل الحجاج يقول : ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة ، وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون :

خطـارة مثـل الفنيـق المـزبـد   نرمي بها أعوَادَ هذا المسجد[١]

فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته ، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال : ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم ؟ [فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته] فعادوا إلى المحاصرة .

وما زال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان ويتفلّلون عن[٢] ابن الزبير حتى خرج إليه قريب من عشرة آلاف ، فأمنهم وقلَّ من كان مع ابن الزّبير ، حتى خرج إلى الحجاج حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير ، فأخذا لأنفسهما أماناً من الحجاج فأمنهما ، ودخل عبد الله بن الزبير على أمه فشكا إليها خذلان الناس له ، وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله ، وأنه لم يبق معه إلا اليسير ، ولم يبق لهم صبر ساعة ، والقوم يعطونني ما شئت من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت : يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى حق فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك ، وإن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن . فدنا منها فقبل رأسها وقال : [هذا والله رأيي ، ثم قال] والله ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمته ، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي ، فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك ، وسلّمي لأمر الله ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ، ولا عمل بفاحشة قط ، ولم يجُر في حكم الله ، ولم يغدر في أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم

(١) في الأخبار الطوال (ص٣١٥) .
خطـارة مثـل الفنيـق الملبـد   نـرمـي بهـا عـوّاذ أهـل المسجـد
(٢) في ط : ويتركون .

ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن عندي آثر من رضى ربي عزَّ وجلَّ ، اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسي ، اللهم أنت أعلم بي [مني ومن غيري] ولكني أقول ذلك تعزية لأمي لتسلو عني ، فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً ، إن تقدمتني أو تقدمتك ، ففي نفسي ، اخرج يا بني حتى أنظر ما يصير إليه أمرك ، فقال : جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعي الدعاء قبل وبعدُ . فقالت : لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبي ، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فقابِلني في عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين . ثم قالت له : ادن مني أودعك فدنا منها فقبلته[١] ، ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها ـ وكانت قد أضرت في آخر عمرها ـ فوجدته لابساً درعاً من حديد فقالت : يا بني ما هذا لباس من يريد ما تريد من الشهادة !! فقال : يا أماه إنما لبسته لأطيب خاطرك وأسكن قلبك به ، فقالت : لا يا بني ولكن انزعه فنزعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدد وهي تقول : شمر ثيابك ، وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل ، وجعلت تذكِّره بأبيه الزبير ، وجده أبي بكر الصديق ، وجدته صفية بنت عبد المطلب ، [وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ] وترجِّيه القدوم عليهم إذا هو قتل شهيداً ، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رضي الله عنهما وعن أبيه وأبيها .

قالت له : امض على بصيرتك ؛ فودعها وخرج وهو يقول :

ولســـت بمُبتـــاع الحيـــاة بسُبَّـــةٍ ولا مرتقٍ من خشية الموت سُلَّما[٢]

قالوا : وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمسمئة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرقون عنه يميناً وشمالاً ، ولا يثبت له أحد وهو يقول :

إنـي إذا أعـرفُ يـومي أصبرُ إذْ بعضهمْ يعرِف ثم ينكرُ[٣]

وكانت أبواب الحرم قد قل من يحرسها من أصحاب ابن الزبير ، وكان لأهل حمص حصار الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بني شيبة ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب

---

(١) من قوله : ثم قالت . . إلى هنا ساقط من ط . والخبر بتمامه في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) ط : دار الفكر .

(٢) من قوله : ثم قالت له . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر بأطول مما هنا في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٣٢) .

(٣) في الطبري (٦/ ١٩٠) :

إنـي إذا أعـرف يـومي أصبر وإنمـا يعـرف يـوميـه الحـر
إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

والخبر بتمامه في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٣٥) .

بني جمح ، ولأهل قنسرين باب بني سهم[١] ، [وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد] وكان الحجاج وطارق بن عمرو في ناحية الأبطح ، وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرّقهم وبدَّدَ شملهم ، وهو غير ملبس حتى يخرجهم إلى الأبطح ثم يصيح :

لو كان قرني واحداً لكفيته

فيقول ابن صفوان وأهل الشام أيضاً ، إي والله وألف رجل ، ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج لذلك ، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد ضاري ، حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته ، فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة بات ابن الزبير يصلي طول ليلته ثم جلس فاحتبى بحميلة سيفه فأغفى ثم انتبه مع الفجر على عادته ، ثم قال : أذّن يا سعد ، فأذَّن عند المقام ، وتوضّأ ابن الزبير ثم صلّى ركعتي الفجر ، ثم أقيمت الصلاة فصلى الفجر ، ثم قرأ سورة ن حرفاً حرفاً ، ثم سلَّم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليهم المغافر فكشفوا عن وجوههم ، فحرضهم وحثهم على القتال والصبر ، ثم نهض فحمل وحملوا حتى كشفوهم إلى الحجون فجاءته آجرة فأصابته في وجهه فأرعش لها ، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه تمثل بقول بعضهم :

فلسنا على الأعقاب تَدْمى كُلُومُنا ولكن على أقدامِنا تَقْطُرُ الدّما

ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه[٢] رضي الله عنه ، وجاؤوا إلى الحجّاج فأخبروه فخر ساجداً قبَّحه الله وقام هو وطارق بن عمرو حتى وقفا عليه وهو صريع ، فقال طارق : ما ولدت النساء أذكر من هذا ، فقال الحجاج : تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! هو أعذر لأنا محاصروه وليس هو في حصن ولا خندق ولا منعة ينتصف منا ، بل يفضل علينا في كل موقف ، فلما بلغ ذلك عبد الملك فصوب[٣] طارقاً .

وروى ابن عساكر[٤] في ترجمة الحجّاج أنه لما قتل ابن الزّبير ارتجت مكة بكاءً على عبد الله بن الزبير رحمه الله ، فخطب الحجّاج الناس فقال : أيها الناس ! إن عبد الله بن الزّبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازعها أهلها وألحد في الحرم فأذاقه الله من عذابه الأليم ، وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزّبير ، وأنه كان في الجنة ، وهي أشرف من مكة ، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التي نهي عنها أخرجه الله من الجنة ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

[وقيل إنه قال : يا أهل مكة إكباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير ، فإن ابن الزبير كان من خيار هذه

---

(١) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٥٥) بني تميم .
(٢) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٥٦) : وتولى قتله رجل من مراد .
(٣) في الأصول : فضرب طارقاً ، وما هنا عن الطبري (٦/ ١٩١) وابن الأثير (٤/ ٣٥٦) .
(٤) تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٠ ـ ١٢١) ط دار الفكر .

الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها ، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله ، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته . وعلمه أسماء كل شيء ، فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، وإن ابن الزبير غيّر كتاب الله . فقال له عبد الله بن عمر : لو شئت أن أقول لك كذبت لقلت ، والله إن ابن الزبير لم يغير كتاب الله ، بل كان قواماً به صواماً ، عاملاً بالحق] .

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بما وقع من قتل عبد الله بن الزبير وبعث برأسه مع رأس عبد الله بن صفوان وعمارة بن عمرو بن حزم إلى عبد الملك ، وأمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرؤوس بها ، ثم يسيروا بها إلى الشام ، ففعلوا ما أمرهم به ، وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمئة دينار ، ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته ونواصي أولاده فرحاً بمقتل ابن الزبير ، عليهم من الله ما يستحقون . ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كدا عند الحجون ، يقال منكسة ، فما زالت مصلوبة ، حتى مر به عبد الله بن عمر فقال : رحمة الله عليك يا أبا خبيب ، أما والله لقد كنت صوّاماً قوّاماً ، ثم قال : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فبعث الحجاج فأنزل عن الجذع ودفن هناك . ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها إلى عبد الملك بن مروان ، ولم يزل الحجاج مقيماً بمكة حتى أقام للناس الحج عامه هذا أيضاً وهو على مكة واليمامة واليمن .

وهذه ترجمة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير[١]

هو عبد الله بن الزبير بن العوَّام بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصيٍّ بن كلاب ، أبو بكر ، ويقال له أبو خبيب القرشي الأسدي ، أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ذات النطاقين ، هاجرت وهي حامل به متِمٌّ ، فولدته بقباء أول مقدمهم المدينة ، وقيل : إنما ولدته في شوال سنة ثنتين من الهجرة ، قاله الواقدي ومصعب الزبيري وغيرهما ، والأول أصح لما رواه أحمد[٢] عن أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أسماء أنها حملت بعبد الله بمكة قالت : فخرجت به وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدتُه ، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أول ما دخل في جوفه ريق

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن الزبير ـ في نسب قريس (٢٣٧) وتاريخ البخاري (٥/ ٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٤٣) والجرح والتعديل (٥/ ٥٦) والاستيعاب (٢/ ٣٠٠) وتاريخ دمشق (٢٨/ ١٤٠ ـ ٢٥٧) وأسد الغابة (٣/ ٢٤٢) ووفيات الأعيان (٣/ ٧١) وتهذيب الكمال (١٤/ ٥٠٨ ـ ٥١١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٣٥ ـ ٤٤٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٣) وحلية الأولياء (١/ ٣٢٩ ـ ٣٤٧) والوافي بالوفيات (١٧/ ١٧٢ ـ ١٧٨) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢١٣ ـ ٢١٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٧) .

(٢) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٤٧) ورواه البخاري رقم (٣٩٠٩) ومسلم رقم (٢١٤٦) .

رسول الله ﷺ ، قالت : ثم حنكه ثم دعا له وبرَّك عليه ، فكان أول مولود ولد في الإسلام .

فهو صحابي جليل ، روى عن النبي ﷺ أحاديث ، وروى عن أبيه وعمر وعثمان وغيرهم . وعنه جماعة من التابعين ، وشهد اليرموك مع أبيه وهو صغير ، وحضر خطبة عمر بالجابية ، ورواها عنه بطولها . [ثبت ذلك من غير وجه] . وقدم دمشق لغزو القسطنطينية ، ثم قدمها مرة أخرى ، وبويع بالخلافة أيام يزيد بن معاوية ولما مات يزيد ، وغلب على الحجاز واليمن والعراقين ومصر وخراسان ولم يبق إلا الشام[١] ، وتمت البيعة له سنة أربع وستين وكان فارس الناس[٢] في زمانه .

وثبت من غير وجه عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها خرجت بعبد الله من مكة مهاجرة وهي حبلى به فولدته بقباء أول مقدمهم المدينة ، فأتت به رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله ودعا له ، وفرح المسلمون به لأنه كانت اليهود قد زعموا أنهم قد سحروا المهاجرين فلا يولد لهم في المدينة ، فلما ولد [ابن الزبير] كبّر المسلمون ، وقد سمع عبد الله بن عمر جيش الشام حين كبروا عند مقتله ، فقال : أما والله للذين كبَّروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبَّروا عند مقتله . وأذَّن الصدِّيق في أذنه حين ولد رضي الله عنهما ، ومن قال إن الصديق طاف به حول الكعبة وهو في خرقة فهو واهم ، والله أعلم .

وإنما طاف الصدّيق به في المدينة ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت اليهود .

وقال مصعب الزبيري : كان عارضا عبد الله خفيفين ، وما اتصلت لحيته حتى بلغ ستين سنة[٣] . وقال الزبير بن بكار : حدَّثني علي بن صالح ، عن عامر بن صالح ، عن سالم بن عبد الله بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كلم في غلمة ترعرعوا منهم عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، وعمر بن أبي سلمة ، فقيل يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ويكون لهم ذكر ، فأُتي بهم إليه فكأنهم تكعكعوا واقتحم عبد الله بن الزُّبير ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « إنه ابن أبيه » وبايعه[٤] .

وقد رُوي من غير وجه أن عبد الله بن الزبير شرب من دم النبي ﷺ ، كان النبي ﷺ قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه [فشربه فقال له : « لا تمسك النار إلا تحلَّة القسم ، وويل لك من الناس وويل للناس منك » .

وفي رواية أنه قال له : « يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لايراك أحد ، فلما بعُد عمد إلى ذلك الدم فشربه ، فلما رجع قال : ما صنعت بالدم ؟ قال : عدت إلى أخفى موضع علمت فجعلته فيه .

---

(١) في ط : وسائر بلاد الشام إلا دمشق .
(٢) في ط : وكان الناس بخير في زمانه .
(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٦٠) .
(٤) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢٨/ ١٦١ ـ ١٦٢) .

قال : « فلعلك شربته ! »[١] قال : نعم قال : « لا تمسك النار إلا تحلّة القسم ، وويل لك من الناس وويل للناس منك »[٢] .

وقال محمد بن سعد[٣] : أبنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا الحارث بن عبيد ، حدّثنا أبو عمران الجوني ؛ أن نوفاً كان يقول : إني لأجد في كتاب الله المنزل أن ابن الزبير فارس الخلفاء .

وقال حماد بن زيد ، عن ثابت البناني قال : كنت أمر بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك .

وقال الأعمش ، عن يحيى بن وثّاب : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا جذم حائط[٤] .

وقال غيره : كان ابن الزبير يقوم ليله حتى يصبح ، ويركع ليله حتى يصبح ، ويسجد ليله حتى يصبح .

وقال بعضهم : ركع ابن الزبير يوماً فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه .

وقال عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء : كنت إذا رأيت ابن الزبير يصلي كأنه كعب راتب ، وفي رواية ثابت[٥] .

وقال أحمد : تعلم عبد الرزاق الصلاة من ابن جريج ، وابن جريج من عطاء ، وعطاء من ابن الزبير ، وابن الزبير من الصديق ، والصديق من رسول الله ﷺ .

وقال الحميدي ، عن سفيان بن عيينة ، عن هشام بن عروة ، عن ابن المنكدر قال : لو رأيتَ ابن الزبير يصلي كأنه غصن شجرة يصفقها الريح ، والمنجنيق يقع هاهنا وهاهنا . قال سفيان : كأنه لا يبالي به [ولا يعده شيئاً] .

وحكى بعضهم لعمر بن عبد العزيز أن حجر المنجنيق وقع على شرفة المسجد فطارت فلقة منه فمرت بين لحية ابن الزبير وحلقه ، فما زال عن مقامه ولا عرف ذلك في صورته ، فقال عمر بن عبد العزيز : لا إله إلا الله ، جاء ما وصفت[٦] .

---

(١) في ط : قال : إني شربته لأزداد به علماً ، وليكون شيء من جسد رسول الله ﷺ في جسدي ، وجسدي أولى به من الأرض ، فقال : « أبشر لا تمسك النار أبداً ، ويل لك من الناس وويل للناس منك » .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٢٧٠) وقال : رواه الطبراني والبزار باختصار ، ورجال البزار ، رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم ، وهو ثقة . نقول : وللحديث شواهد بمعناه .

(٣) الطبقات الكبرى (٢/ ٤١) الطبقة الخامسة من الصحابة .

(٤) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧١) .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣) .

وقال عمر بن عبد العزيز يوماً لابن أبي مليكة : صف لنا عبد الله بن الزبير ، فقال : والله ما رأيت جِلداً قط ركب على لحم ولا لحماً على عصب ولا عصباً على عظم مثله ، ولا رأيت نفساً ركبت بين جنبين مثل نفسه ، ولقد مرت آجرة من رمي المنجنيق بين لحيته وصدره فو الله ما خشع ولا قطع لها قراءته ، ولا ركع دون ما كان يركع ، وكان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها . ولقد كان يركع فيَكاد الرَّخَم أن يقع على ظهره ويسجد فكأنه ثوب مطروح(١) .

وقال أبو القاسم البغوي : عن علي بن الجَعْد ، عن شعبة ، عن منصور بن زاذان قال : أخبرني من رأى ابن الزبير يشرب في صلاته ، وكان ابن الزبير من المصلين(٢) .

[وسئل ابن عباس عن ابن الزبير فقال : كان قارئاً لكتاب الله ، متبعاً لسنة رسول الله ، قانتاً لله صائماً في الهواجر من مخافة الله ، ابن حواريّ رسول الله ، وأمه بنت الصديق ، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله ، زوجة رسول الله ، فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله](٣) .

ورُوي أن ابن الزبير(٤) كان يوماً يصلي فسقطت حية من السقف فطوقت على بطن ابنه هاشم فصرخ النسوة وانزعج أهل المنزل واجتمعوا على قتل تلك الحية فقتلوها ، وسلم الولد ، فعلوا هذا كله وابن الزبير في الصلاة لم يلتفت ولا درى بما جرى حتى سلم .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني محمد بن الضحاك الخزامي وعبد الملك بن عبد العزيز ومن لا أحصي كثرة من أصحابنا أن ابن الزبير كان يواصل الصوم سبعاً ، يصوم يوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى ، ويصوم بالمدينة ولا يفطر إلا بمكة ، ويصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة ، وكان إذا أفطر أول ما يفطر على لبن لقحة وسمن وصبر ، وفي رواية أخرى فأما اللبن فيعصمه ، وأما السمن فيقطع عنه العطش ، وأما الصبر فيفتق الأمعاء(٥) .

وقال ابن معين : عن روح ، عن حبيب بن الشهيد ، عن ابن أبي مليكة قال : كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام ويصبح في الثامن وهو أَلْيَثُنا . ورُوي مثله من غير وجه .

وقال بعضهم : لم يكن يأكل في شهر رمضان سوى مرة واحدة في وسطه .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣) .
(٢) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٤) .
(٣) المصدر نفسه (٢٨/ ١٦٦) .
(٤) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٤) .
(٥) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٦) .

وقال خالد بن أبي عمران : كان ابن الزبير لا يفطر من الشهر إلا ثلاثة أيام . ومكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره(١) .

وقال ليث عن مجاهد : لم يكن أحد يطيق ما يطيقه ابن الزبير من العبادة رضي الله عنه(٢) .

ولقد جاء سيلٌ مرة فطبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة(٣) .

وقال بعضهم : كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاث ، في العبادة والشجاعة والفصاحة .

وقد ثبت أن عثمان جعله في النفر الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

وذكره سعيد بن المسيب في خطباء الإسلام مع معاوية وابنه وسعيد بن العاص وابنه .

وقال عبد الواحد بن أيمن : رأيت على ابن الزبير رداءً يمانياً عدَنياً يصلي فيه ، وكان صيتاً إذا خطب تجاوب الجبلان أبو قبيس وزروراء .

وكان آدمَ نحيفاً ليس بالطويل ، وكان بين عينيه أثر السجود ، كثير العبادة مجتهداً شهماً فصيحاً صوّاماً قوّاماً ، شديد البأس ذا أنفة له نفس شريفة وهمة عالية ، وكان خفيف اللحية ليس في وجهه من الشعر إلا قليلاً . وكانت له جمة وكان له لحية صفراء .

وقد ذكرنا أنه شهد مع ابن أبي سرح قتال البربر وكانوا في عشرين ومئة ألف ، والمسلمون عشرون ألفاً ، فأحاطوا بهم من كل جانب ، فما زال عبد الله بن الزبير يحتال حتى ركب في ثلاثين فارساً ، وسار نحو ملك البربر وهو منفرد وراء الجيش ، وجواريه يظللنه بريش النعام ، فساق حتى انتهى إليه والناس يظنون أنه ذاهب برسالة إلى الملك ، فلما فهمه الملك ولى مدبراً فلحقه عبد الله فقتله واحتز رأسه وجعله في رأس رمح وكبّر وكبّر المسلمون ، وحملوا على البربر فانهزمت البربر بين أيديهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا أموالاً وغنائم كثيرة جداً ، وبعث ابن أبي سرح بالبشارة مع ابن الزبير فقص على عثمان الخبر وكيف جرى ، فقال له عثمان : أتستطيع أن تؤدي هذا للناس فوق المنبر ؟ قال : نعم ! فأمره فصعد فوق

---

(١) قال الشيخ عبد القادر بدران رحمه الله عند إيراده هذا الخبر في تهذيب تاريخ ابن عساكر (٧/ ٤٠٥) أقول : في هذه الرواية نظر واضح ، لأنه إذا سلّمنا أنه لم ينزع ثوبه أربعين سنة ، أليس يبلى الثوب في هذه المدة الطويلة ! أليست تصيبه الجنابة فيحتاج إلى نزعه لأجل الغسل ، ويالله ما أكثر المبالغات في مثل هذه الأقاصيص من غير أن يزنها أربابها بميزان العقل ، وإننا كثيراً ما ننقل مثل هذا في هذا الكتاب مراعاة لرواية الحافظ ، ولكننا نطلقه لذي عقل سليم ، وطبع مستقيم ليزنه بميزان العقل فيتركه أو يتساهل فيه كما تساهلنا وهذه الأشياء أكثر ما تكون في كتب المناقب ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) الخبر في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٧٠) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٧٨) .

المنبر فخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى ، قال [عبد الله] : فالتفتُّ فإذا [أبي] الزبير في جملة من حضر ، فلما تبينت وجهه كاد أن يرتج عليّ في الكلام من هيبته في قلبي ، فرمزني بعينه وأشار إليّ ليحضَّني ، فمضيت في الخطبة كما كنت ، فلما نزلت قال : والله لكأني أسمع خطبة أبي بكر الصديق حين سمعت خطبتك يا بني(١) .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : خرج ابن الزبير في ليلة مقمرة على راحلة له ، فنزل في تبوك فالتفت فإذا على الراحلة شيخ أبيض الرأس واللحية فشد عليه ابن الزبير فتنحى عنها فركب ابن الزبير راحلته ومضى ، قال : فناداه : والله يا ابن الزبير لو دخل قلبك الليلة مني شعرة لخبلتك ، قال : ومنك أنت يا لعين يدخل قلبي شيء ؟ وقد روي لهذه الحكاية شواهد من وجوه أخرى جيدة .

وروى عبد الله بن المبارك : عن إسحاق بن يحيى ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قال : أقبل عبد الله بن الزبير من العمرة في ركب من قريش فلما كانوا عند اليناصب(٢) أبصروا رجلاً عند شجرة ، فتقدمهم ابن الزبير ، فلما انتهى إليه سلم عليه فلم يعبأ به ورد رداً ضعيفاً ، ونزل ابن الزبير فلم يتحرك له الرجل ، فقال له ابن الزبير : تنح عن الظل ، فانحاز متكارهاً ، قال ابن الزبير : فجلست وأخذت بيده وقلت : من أنت ؟ فقال : رجل من الجن ، فما عدا أن قالها حتى قامت كل شعرة مني فاجتذبته وقلت : أنت رجل من الجن وتبدو إليّ هكذا ؟ وإذا له لبس سفلة وانكسر ونهرته وقلت : إليّ تتبدَّا وأنت من أهل الأرض ، فذهب هارباً وجاء أصحابي فقالوا : أين الرجل الذي كان عندك ؟ فقلت : إنه كان من الجن فهرب . قال : فما منهم رجل إلا سقط إلى الأرض عن راحلته ، فأخذت كل رجل منهم فشددته على راحلته حتى أتيت بهم أَمَج(٣) وما يعقلون .

وقال سفيان بن عيينة قال ابن الزبير : دخلت المسجد ذات ليلة فإذا نسوة يطفن بالبيت فأعجبنني ، فلما قضين طوافهن خرجن فخرجت في أثرهن لأعلم أين منزلهن ، فخرجن من مكة حتى أتين العقبة ثم انحدرن حتى أتين فجاً ، فدخلن في خربة فدخلت في أثرهن . فإذ مشيخة جلوس فقالوا : ما جاء بك يا بن الزبير ؟ فقلت لهم من أنتم ؟ قالوا الجن وتلك النسوة نساؤنا فما تشتهي يا بن الزبير ، فقلت : أشتهي رطباً ، وما بمكة يومئذ من رطبة ، فأتوني برطب فأكلت ثم قالوا : احمل ما بقي معك ، فجئت به المنزل فوضعته في سفط وجعلت السفط في صندوق ، ثم وضعت رأسي لأنام ، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ سمعت جلبة في البيت ، فقال بعضهم لبعض أين وضعه ؟ قالوا : في الصندوق ، ففتحوه فإذا هو في

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٨١ ـ ١٨٢) .

(٢) اليناصب : أجبل متحاذيات في ديار بني بكر أو بني أسد بنجد ، بينها وبين أضاخ أربعة أميال . معجم البلدان (٥/ ٤٤٩) .

(٣) أمج ـ بالجيم ، وفتح أوله وثانيه ـ بلد من أعراض المدينة . معجم البلدان (١/ ٢١٥) .

السفط داخله ، فهمّوا بفتحه فقال بعضهم : إنه ذكر اسم الله عليه ، فأخذوا السفط بما فيه فذهبوا به ، قال : فلم آسف على شيء أسفي كيف لم أثب عليهم وهم في البيت[١] .

وقد كان عبد الله بن الزبير ممن جاحَف عن عثمان يوم الدار ، وجُرح يومئذ بضع عشرة جراحة .

وكان على الرجالة يوم الجمل وجُرح يومئذ تسع عشرة جراحة أيضاً ، وقد تبارز يومئذ هو ومالك بن الحارث بن الأشتر ، فاتحدا فصرع الأشتر ابن الزبير فلم يتمكن من القيام عنه ، بل احتضنه ابن الزبير وجعل ينادي ويقول : اقتلوني ومالكاً ، واقتلوا مالكاً معي ، فأرسلها مثلاً . ثم تفرقا ولم يقدر عليه الأشتر ، وقد قيل إنه جرح يومئذ بضع وأربعون جراحة ، ولم يوجد إلا بين القتلى وبه رمق ، وقد أعطت عائشة لمن بشرها أنه لم يقتل عشرة آلاف درهم وسجدت لله شكراً[٢] ، وكانت تحبه حباً شديداً ، لأنه ابن أختها ، وكان عزيزاً عليها . وقد رُوي عن عروة : أن عائشة لم تكن تحب أحداً بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر مثل حبها ابن الزبير ، قال : وما رأيت أبي وعائشة يدعوان لأحد من الخلق مثل دعائهما لابن الزبير[٣] .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني هارون بن أبي بكر ، عن يحيى بن إبراهيم ، عن سليمان بن محمد ، عن يحيى بن عروة ، عن عمه ، عن عبد الله بن عروة قال : أفحمت ألسنة نابغة بني جعدة فدخل على عبد الله بن الزبير المسجد الحرام فأنشد هذه الأبيات :

حكيتَ لنا الصديقَ لما وليتنا[٤] ... وعثمانَ والفاروق فارتاح معدمُ
وسويت بين الناس في الحق فاستووا ... فعاد صباحاً حالكُ اللونِ مظلمُ[٥]
أتاك أبو ليلى يجوب به الدجا ... دجى الليل جواب الفلاة عثمثم[٦]
لتجيرَ منه جائياً ذعذعت به ... صروفُ الليالي والزمانُ المصممُ[٧]

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلى ، فإن الشعر أهون وسائلك عندنا ، أما صفوة ما لنا فلآل الزبير ، وأما عفوه ، فإن بني أسد يشغلها عنك وتيماً ، ولكن لك في مال الله حقان ، حق لرؤيتك لرسول الله ﷺ ، وحق لشركتك أهل الإسلام في فيئهم ، ثم أخذ بيده فأدخله دار النعم فأعطاه قلائص سبعاً ، وجملاً ، وخيلاً ، وأوقر له الركاب بُراً وتمراً وثياباً ، فجعل النابغة يستعجل ويأكل الحب صرفاً ، فقال له ابن الزبير : ويح أبي ليلى ، لقد بلغ الجهد . فقال النابغة : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) الأخبار الثلاثة السابقة في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ١٨٣ ـ ١٨٦) .
(٢) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٨٨) .
(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ١٨٩) .
(٤) في ط : وليتها .
(٥) في تهذيب ابن عساكر : أسحم .
(٦) في ط : غشمشم . والعثمثم : الجمل القوي .
(٧) الأبيات في تاريخ دمشق (٢٨/ ١٩١) وتهذيبه (٧/ ٤٠٦) . وذعذعت به أي أذهبت ماله وفرقته .

« ما وليت قريش وعدلت ، واسترحمت فرحمت ، وحدثت فصدقت ، ووعدت خيراً فأنجزت ، فأنا والنبيون فُرَّاط القاصفين »[١] .

وقال محمد بن مروان صاحب كتاب « المجالسة »[٢] : أخبرني حبيب بن نَصْر[٣] الأزدي حدَّثنا محمد بن دينار الضبي ، حدَّثنا هشام بن سليمان المخزومي ، عن أبيه قال : أذن معاوية للناس يوماً فدخلوا عليه فاحتفل المجلس وهو على سريره ، فأجال بصره فيهم فقال : أنشدوني لقدماء العرب ثلاثة أبيات جامعة من أجمع ما قالته ، ثم قال : يا أبا خبيب فقال : مهيم ، قال أنشدني ذلك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين بثلاثمئة ألف ، قال : نعم إن ساوت ، قال أنت بالخيار ، وأنت وافٍ كافٍ ، قال : نعم فأنشده للأفوه الأزدي :

بلوتُ الناسَ قرناً بعدَ قرنٍ فلمْ أرَ غيرَ ختَّالٍ وقالِ

فقال معاوية : صدق .

ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ وقعاً وكيداً من معاداةِ الرجالِ

فقال معاوية : صدق .

وذقتُ مَرارةَ الأشياءِ طُرّاً فما شيءٌ أمرُّ منَ السؤالِ

فقال : صدق .

ثم قال معاوية : هيه يا أبا خبيب ، قال : إلى هاهنا انتهى ، قال : فدعا معاوية بثلاثين عبداً على عنق كل واحد منهم بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم ، فمروا بين يدي ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره .

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي زيد النميري ، عن أبي عاصم النبيل ، عن جويرية بن أسماء : أن معاوية لما حج وتلقاه الناس وتخلف ابن الزبير ثم جاءه وقد حلق رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما أكثر جحرة رأسك !! فقال له : اتق أن لا يخرج عليك منها حية فتقتلك ، فلما أفاض معاوية وطاف معه ابن الزبير وهو آخذ بيده ثم استدعاه إلى داره ومنازله بقعيقعان ، فذهب معه إليها ، فلما خرجا قال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون جاء معه أمير المؤمنين إلى دوره ومنازله ففعل معه ماذا ، لا والله لا أدعك حتى تعطيني مئة ألف ، فأعطاه ، فجاء مروان فقال : والله يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلك ، جاءك رجل قد سمى بيت مال

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٦٥) رقم (٩٣٣) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٢٥) وقال : رواه الطبراني ، وفيه راوٍ لم أعرفه ، ورجال مختلف فيهم . ومعنى القاصفين : المزدحمين .

(٢) الخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ١٩٨ ـ ١٩٩) .

(٣) في ط : « خبيب بن نصير » ، وهو تحريف .

الديوان وبيت الخلافة ، وبيت كذا ، وبيت كذا ، فأعطيته مئة ألف ، فقال له : ويلك كيف أصنع بابن الزبير[(١)] ؟

وقال ابن أبي الدنيا : أخبرني عمر بن بكير ، عن علي بن مجاهد بن عروة قال : سأل ابن الزبير معاوية شيئاً فمنعه ، فقال : والله ما أجهل أن ألزم هذه البنية فلا أشتم لك عرضاً ولا أقصم لك حسباً ، ولكني أسدل عمامتي من بين يدي ذراعاً ، ومن خلفي ذراعاً في طريق أهل الشام وأذكر سيرة أبي بكر الصديق وعمر ، فيقول الناس : من هذا ؟ فيقولون ابن حواريّ رسول الله ﷺ وابن بنت الصديق ، فقال معاوية : حسبك بهذا شرفاً ، ثم قال : هات حوائجك[(٢)] .

وقال الأصمعي : حدَّثنا غسان بن مُضَر ، عن سعيد بن يزيد . قال : دخل ابن الزبير على معاوية فأمر ابناً له صغيراً فلطمه لطمة دوَّخ منها رأسه ، فلما أفاق ابن الزبير قال للصبي : ادن مني ، فدنا منه ، فقال له : الطم معاوية ، قال : لا أفعل ، قال : ولم ؟ قال لأنه أبي ، فرفع ابن الزبير يده فلطم الصبي لطمة جعله يدور منها كما تدور الدوَّامة ، فقال معاوية : تفعل هذا بغلام لم تجرِ عليه الأحكام ؟ قال : إنه والله قد عرف ما يضره مما ينفعه ، فأحببت أن أحسن أدبه[(٣)] .

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني : عن عبد الله بن أبي بكر قال : لحق ابن الزبير معاوية وهو سائر إلى الشام فوجده وهو ينعس على راحلته ، فقال له : أتنعس وأنا معك ؟ أما تخاف مني أن أقتلك ؟ فقال : إنك لست من قتال الملوك ، إنما يصيد كل طائر قدره . قال لقد سرت تحت لواء أبي إلى علي بن أبي طالب ، وهو من تعلمه ، فقال : لا جرم قتلكم والله بشماله . قال : أما إن ذلك كان في نصرة عثمان ، ثم لم يجز بها . فقال : إنما كان لبغض علي لا لنصرة عثمان ، فقال له ابن الزبير : إنا قد أعطيناك عهداً فنحن وافون لك به ما عشت ، فسيعلم من بعدك ، فقال : أما والله ما أخافك إلا على نفسك ، وكأني بك قد خبطت في الحبالة واستحكمت عليك الأنشوطة ، فذكرتني وأنت فيها ، فقلت ليت أبا عبد الرحمن لها ، ليتني والله لها ، أما والله لأحللتك رويداً ، ولأطلقتك سريعاً ، ولبئس الولي أنت تلك الساعة[(٤)] . وحكى أبو عبد الله نحو هذا .

وقد تقدم أن معاوية لما مات وجاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة انشمر منها ابن الزبير والحسين بن علي فقصدا مكة فأقاما بها ، ثم خرج الحسين إلى العراق وكان من أمر مقتله ما تقدم ، وتفرد بالرياسة والسؤدد بمكة ابن الزبير ، ولهذا كان ابن عباس ينشد بعد مخرج الحسين :

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ١٩٩) وتهذيبه (٧/ ٤٠٩) .
(٢) الخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) وتهذيبه (٧/ ٤٠٩) .
(٣) الخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٠٠) وتهذيبه (٧/ ٤١٠) .
(٤) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) .

يـا لـكِ مـن قنبـرةٍ[١] بمعمـرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفِري[٢]
ونَقِّري ما شئتِ أن تُنَقِّري

يعرض بابن الزبير .

وقيل إن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن الزبير يقول : إني قد بعثت إليك بسلسلة من فضة وقيد من ذهب وجامعة من فضة ، وحلفت لتأتيني في ذلك فأبرَّ قسمي ولا تشق العصا ، فلما قرأ كتابه ألقاه من يده وقال :

ولا أليـنُ لغيـرِ الحـقِّ أسـألُـهُ حتى تلينَ لضرسِ الماضِغِ الحَجَر[٣]

فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده قريباً ، استفحل أمر عبد الله بن الزبير جداً ، وبويع له بالحجاز والعراق ومصر[٤] ، وبايع له الضحاك بن قيس بدمشق وأعمالها ، ولكن عارضه مروان بن الحكم وما زال حتى قتله وجماعة في مرج راهط كما تقدم ، فبايع له أهل الشام . وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ، ثم جهز السرايا إلى العراق ، ومات واستخلف بعده عبد الملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير وأخذ العراق منه ، ثم بعث الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريباً من سبعة أشهر حتى ظفر به في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين .

وكانت ولاية ابن الزبير في سنة أربع وستين ، حج بالناس فيها كلها ، وبنى الكعبة في أيامه كما أشار إليه رسول الله ﷺ ، ورد بناءها كما كانت عليه كما[٥] أخبرته بذلك عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وكساها بالحرير[٦] ، وكانت كسوتها قبل ذلك الأنطاع والمسوح[٧] ، وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من ظاهر الحرم ، وكان مكتوب على كسوتها لعبد الله بن أبي بكر أمير المؤمنين[٨] .

وكان ابن الزبير عالماً ، عابداً ، مهيباً ، وقوراً ، كثير الصيام والصلاة ، شديد الخشوع قوي السياسة .

قال أبو نعيم الأصبهاني : حدَّثنا أبو حامد بن جَبَلة ، حدَّثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدَّثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، حدَّثنا أبو عاصم ، عن عمر بن قيس . قال : كان لابن الزبير مئة غلام يتكلم

---

(١) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٦٩) : قبَّرة .
(٢) في أ : خلا لك البئر .
(٣) الخبر بكامله زيادة من ط ، وهو في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٠٩) وتهذيبه (٧/ ٤١٥) .
(٤) في ط وبويع له بالخلافة في جميع البلاد الإسلامية .
(٥) في ط : وبنى الكعبة في أيام ولايته كما تقدم .
(٦) في أخبار مكة للأزرقي (١/ ٢١٠) كساها القباطي ـ وهو جمع قبطية بالضم ، ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر .
(٧) الأنطاع : جمع نطع ؛ وهو البساط . القاموس (نطع) والمسوح : المناديل . والخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢١٤) .
(٨) من قوله : وكان يطيبها . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٤٣) .

كل غلام منهم بلغة [غير لغة الآخر] ، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته ، وكنتَ إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت : هذا رجل لم يرد الله [والدار الآخرة] طرفة عين ، [وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت : هذا رجل لم يردالدنيا طرفة عين][١] .

وقال الثوري : عن الأعمش ، عن أبي الضحى[٢] قال : رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال[٣] .

وقال ابن المبارك : عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : دخل ابن الزبير على امرأته بنت الحسن فرأى ثلاثة مثل ـ يعني أفرشة ـ فقال : هذا لي وهذا لابنة الحسن ، وهذا للشيطان فأخرجوه[٤] .

وقال الثوري : عن عبد الله بن أبي بشير ، عن عبد الله بن مساور ، قال : سمعت ابن عباس يعاتب ابن الزبير على البخل ويقول : قال رسول الله ﷺ : « ليس بالمؤمن من يبيت شبعان وجاره إلى جنبه جائع »[٥] .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدَّثنا إسماعيل بن أبان الورّاق ، حدَّثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبْزى ، عن عثمان بن عفان . قال قال له عبد الله بن الزبير حين حصر : إن عندي نجائب قد أعددتها لك ، فهل لك أن تتحول إلى مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك ؟ قال : لا ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُلْحِدُ كبش من قريش اسمه عبد الله ، عليه مثل أوزار الناس » . وهذا الحديث منكر جداً وفي إسناده ضعف ، ويعقوب هذا هو القمي وفيه تشيع ، ومثل هذا لا يقبل تفرده به ، وبتقدير صحته فليس هو بعبد الله بن الزبير ، فإنه كان على صفات حميدة ، وقيامه في الإمارة إنما كان لله عزَّ وجلَّ ، ثم هو كان الإمام بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة ، وهو أرشد من مروان بن الحكم ، حيث نازعه [بعد أن اجتمعت الكلمة عليه] ، وقامت البيعة له في الآفاق وانتظم له الأمر والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٧] : حدَّثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، حدَّثنا إسحاق بن سعيد ، حدَّثنا سعيد بن عمرو قال : أتى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير وهو في الحِجْر جالسٌ فقال : يا بن الزبير إياك والإلحاد في حرم الله ، فإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحلُّها وتحل به رجل من قُريش ، لو

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٣٣٤) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ٢١٥) .
(٢) هو مسلم بن صُبيح القرشي الكوفي ، مولى سعيد بن العاص .
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ٢١٥) .
(٤) المصدر نفسه (٢٨/ ٢١٥) .
(٥) رواه أبو يعلى رقم (٢٦٩٩) من حديث ابن عباس ، ورواه الطبراني في الكبير من حديث أنس ، والحاكم من حديث عائشة ، وهو حديث حسن .
(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ٦٤) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٢/ ٢١٩) .

وُزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها » . فانظر أن لا تكونه ، فقال له : يا بن عمرو فإنك قد قرأت الكتب وصحبت النبي ﷺ ، قال : فإني أشهد أن هذا وجهي إلى الشام مجاهداً . وهذا قد يكون رفعه غلطاً ، وإنما هو من كلام عبد الله بن عمرو ، وما أصابه من الزاملتين يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب ، والله أعلم .

وقال وكيع : عن الثوري ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن أبي صادق ، عن حبشي الكناني ، عن عليم الكندي ، عن سلمان الفارسي . قال : ليُحرقنَّ هذا البيت على يدي رجل من آل الزبير(١) .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : عن يحيى بن معين ، عن أبي فضيل ، حدَّثنا سالم بن أبي حفصة ، عن منذر الثوري قال : قال ابن الحنفية : اللهم إنك تعلم أني كنت أعلم مما علَّمتني أن ابن الزبير لا يخرج منها إلا قتيلاً يطاف برأسه في الأسواق(٢) .

وقد روى الزبير بن بكار : عن هشام بن عروة قال : إن أول ما أفصح به عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف السيف ، فكان لا يضعه من فيه ، وكان الزبير إذا سمع ذلك منه يقول له : أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام(٣) .

وقد تقدم كيفية مقتله ، وأن الحجاج صلبه على جذع فوق الثنية وأنه ربط إلى جانبه هرة ميتة ، فكان ريح المسك يغلب على ريحها ، وأن أمه أرسلت إلى الحجاج تقول : قاتلك الله ؛ علام تصلب ولدي ؟ فقال : إني استبقت أنا وإياه على هذه الخشبة فسبقني إليها(٤) . وأن أمه جاءت حتى وقفت عليه فدعت له طويلاً ولا يقطر من عينها دمعة ثم انصرفت ، وكذلك وقف عليه ابن عمر فدعا له وأثنى عليه ثناءً كثيراً جداً .

وقال الواقدي : حدَّثني نافع بن ثابت ، عن عبد الله مولى أسماء قال : لما قتل عبد الله خرجت إليه أمه حتى وقفت عليه وهي على دابة ، فأقبل الحجاج في أصحابه فسأل عنها فأخبر بها ، فأقبل حتى وقف عليها فقال : كيف رأيت نصر الله الحق وأظهره ؟ فقالت : وبما أديل الباطل على الحق [وأهله] ، وإنك بين فرثها والجنة ، فقال إن ابنك ألحد في هذا البيت ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم ، قطع السبيل ، قالت : كذبت ، كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة ، وسُرَّ به رسول الله ﷺ وحنكه بيده ، وكبَّر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحاً به ، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله ، فمن كان فرح يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك ، وكان مع ذلك براً بالوالدين ، صوّاماً قواماً بكتاب الله ، معظِّماً لحرم الله ، يبغض من يعصي

(١) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢١) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢٢) .
(٤) من قوله : وأنه ربط إلى جانبة هرة . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢٩) .

الله عزَّ وجلَّ ، أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته يقول : [« يخرج من ثقيف كذاب ومبير »] وفي رواية : « سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير » فانكسر الحجاج وانصرف ، فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يلومه في مخاطبته أسماء ، وقال : مالك ولابنة الرجل الصالح(١) ؟

وقال مسلم بن الحجاج في « صحيحه » : حدَّثنا عقبة بن مكرم ، حدَّثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، أنبأنا الأسود بن شيبان عن أبي نوفل . قال : رأيت عبد الله بن الزبير على ثنية الحَجُون مصلوباً فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال : السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله إن كنتَ ما علمتُ صواماً قواماً وصولاً للرحم ، أما والله لأمّة أنت شرها لأمّة خير . ثم نفذ عبد الله بن عمر . فبلغ الحجاج وقوف ابن عمر عليه وقوله ما قال ، فأرسل إليه فأنزله عن جذعه وألقي في قبور اليهود ، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه ، فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك من قرونك ، فأبت وقالت : والله لا آتيه حتى يبعث إليّ من يسحبني بقروني ، فقال الحجاج : فأروني سِبتيتيَّ ؛ فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال : كيف رأيتني صنعت بعدو الله ؟ قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه ، وأفسد عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول : يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر ، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه ، أما إن رسول الله ﷺ حدَّثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه . قال : فقام عنها ولم يراجعها » انفرد به مسلم(٢) .

وروى الواقدي : أن الحجاج لما صَلَبَ ابن الزبير على ثنية الحجون بعثت إليه أسماء تدعو عليه ، وطلبت منه أن يدفن فأبى عليها ، حتى كتب إلى عبد الملك في ذلك فكتب إليه أن يدفن فدفن بالحجون ، وذكروا أنه كان يشتمُّ من عند قبره ريح المسك .

وكان الحجاج قد قدم من الشام في ألفي فارس وانضاف إليه طارق بن عمرو في خمسة آلاف .

وروى محمد بن سعد وغيره بسنده : أن الحجاج حاصر ابن الزبير ، وأنه اجتمع معه أربعون ألفاً ، وأنه نصب المنجنيق على أبي قبيس ليرمي به المسجد الحرام الذي فيه عبد الله بن الزبير ، وأنه جعل يؤمن من خرج إليه من أهل مكة ونادى فيهم بذلك ، وقال : إنا لم نأت لقتال أحد سوى ابن الزبير ، وأنه خيَّر ابن الزبير بين ثلاث إما أن يذهب في الأرض حيث شاء ، أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالحديد ، أو يقاتل حتى يقتل . فشاور أمه فأشارت عليه بالثالث فقط(٣) .

---

(١) الخبر بتمامه في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٢٨) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة .
(٣) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٣٦) .

ويروى أنها استدعت بكفن له وبخرته وشجعته على القتل ، فخرج بهذه النية فقاتل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين قتالاً شديداً فجاءته آجرة ففلقت رأسه فسقط على وجهه إلى الأرض ، ثم أراد أن ينهض فلم يقدر ، فاتكأ على مرفقه الأيسر وجعل يحدم بالسيف من جاءه ، فأقبل إليه رجل من أهل الشام فضربه فقطع رجله ، ثم تكاثروا عليه حتى قتلوه واحتزوّا رأسه ، وكان مقتله قريباً من الحجون ، ويقال : بل قتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، فالله أعلم .

ثم صلبه الحجاج منكساً على ثنية كدا عند الحجون ، ثم لما أنزله دفنه في مقابر اليهود كما رواه مسلم[١] ، وقيل دفن بالحجون تحت المكان الذي صلب فيه ، وقيل : إن والدته أسماء غسلته بعدما تقطعت أوصاله وحنطته وكفنته ؛ وصلت عليه وحملته إلى المدينة فدفنته في دار صفية بنت حيي وأن هذه الدار زيدت في المسجد فهو مدفون في المسجد مع أبي بكر وعمر[٢] ، فالله أعلم .

وقال عبد الرزاق[٣] ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين قال : قال عبد الله بن الزبير لما جيء برأس المختار : ما كان يحدِّثنا كعب الأحبار شيئاً إلا وجدناه ، إلا قوله إن فتى ثقيف يقتلني ، وهذا رأسه بين يدي ، قال ابن سيرين : ولم يشعر أنه قد خُبِّيء له الحجاج . وروي هذا من وجه آخر . قلت : والمشهور أن مقتل عبد الله بن الزبير كان في سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر من جمادى الأولى ، وقيل الآخرة منها .

وعن مالك وغيره أن مقتله كان على رأس اثنين وسبعين[٤] ، والمشهور الصحيح هو الأول ، وكانت بيعته في سابع رجب سنة أربع وستين ، وكان مولده في أول سنة إحدى من الهجرة ، وقيل في شوال سنة ثنتين من الهجرة ، فجاوز السبعين قطعاً ، والله أعلم .

وأما أمه فلم تعش بعده إلا مئة يوم ، وقيل عشرة أيام ، وقيل خمسة ، والأول هو المشهور ، وستأتي ترجمتها قريباً رضي الله عنها [وعن أبيها وابنها] وكان له من الولد : خبيب وحمزة وعباد وثابت وأمهم تماضر بنت منظور الفزاري ؛ وهاشم وقيس وعروة ـ قتل مع أبيه ـ والزبير وأمهم أم هاشم زجلة بنت منظور ؛ وعامر وموسى وأم حكيم وفاطمة وفاختة وأمهم خيثمة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وبكر ورقية وأمهم عائشة بنت عثمان بن عفان ؛ وعبد الله ومصعب من أم ولد .

وقد أسند ثلاثة وثلاثين حديثاً .

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٥٤٥) (٢٢٩) في فضائل الصحابة .
(٢) من قوله : وقيل إن والدته . . إلى هنا زيادة من أ ، والخبر في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٥٤) .
(٣) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٦٥) .
(٤) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٤٦) .

وقد رثي ابن الزبير وأخوه مصعب بمراثٍ كثيرة حسنة بليغة ، من ذلك قول عَمْرو بن معمر[١] الذهلي يرثيهما بأبيات :

لعمركَ ما أبقيتَ في الناسِ حاجةً ... ولا كنتَ ملبوسَ الهدى متذبذبا
غداةَ دعاني مصعبٌ فأجبتهُ ... وقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحبا
أبوكَ حواريُّ الرسولِ وسيفهُ ... فأنتَ بحمدِ الله منْ خيرنا أبا
وذاكَ أخوكَ المهتدى بضيائهِ ... بمكةَ يدعونا دعاءً مثوِّبا
ولمْ أكُ ذا وجهينِ وجهٌ لمصعبٍ ... مريضٌ ووجهٌ لابنِ مروانَ إذْ صبا
وكنتَ امرأً ناصحتهُ غيرَ مؤثرٍ ... عليهِ ابنَ مروانٍ ولا متقرِّبا
إليه بما تقذى بهِ عينُ مصعبٍ ... ولكنني ناصحتُ في الله مصعبا
إلى أن رمتهُ الحادثاتُ بسهمها ... فللّه سهماً ما أسدَّ وأصوبا
فإنْ يكُ هذا الدهرُ أودى بمصعبٍ ... وأصبحَ عبدُ الله شلواً ملحبا
فكل امرىء حاسٍ منَ الموتِ جرعةً ... وإن حادَ عنها جهدهُ وتهيبا[٢]

وقد روى الطبراني ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدَّثه أن النبي ﷺ أعطاه دم محاجمه يهريقه فحساه ، فلما رجع إلى النبي ﷺ ، قال : « ما صنعت يا عبد الله بالدم ؟ قلت : جعلته في مكان ظننت أنه خافٍ على الناس ، قال : فلعلك شربته ؟ قلت : نعم ! قال : ومن أمرك أن تشرب الدم ؟ ويل لك من الناس ، وويل للناس منك »[٣] .

ودخل سلمان الفارسي مرة على النبي ﷺ فإذا عبد الله بن الزبير قائم في الدهليز ومعه طست يشرب منه فدخل سلمان ودخل عبد الله على رسول الله ﷺ ، قال له : « فرغت ؟ قال : نعم . قال سلمان : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « أعطيته غسالة محاجمي يهريق ما فيها » قال سلمان : شربها والذي بعثك بالحق ، قال : « شربته ؟ » قال : نعم ! قال: « لم ؟ » قال : أحببت أن يكون دم رسول الله ﷺ في جوفي ، فقال بيده على رأس ابن الزبير ، وقال : « ويل لك من الناس ، وويل للناس منك ، لا تمسك النار إلا تحلة القسم »[٣] . ولما بعث يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير ذلك القيد من ذهب وسلسلة من فضة وجامعة من فضة وأقسم لتأتيني فيها ، فقالوا له : برَّ قسم أمير المؤمنين فقال :

ولا أليـنُ لغيرِ الحقِّ أسألهُ ... حتى تلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرُ

ثم قال : والله لضربة بسيف بعِزٍّ ، أحب إليّ من ضربة بسوطٍ في ذُل ، ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية .

---

(١) في ط : « معمر بن أبي معمر » ، وما هنا من م ومعجم المرزباني وتاريخ دمشق .
(٢) الأبيات في تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٥٦) وبعضها في معجم الشعراء للمرزباني (ص٢٢٦) .
(٣) انظر التعليق على هذا الحديث صفحة (١١١) رقم (١) .

وروى الطبراني : أن ابن الزبير دخل على أمه فقال : إن في الموت لراحة ، وكانت أمه قد أتت عليها مئة سنة لم تسقط لها سن ، ولم يفسد لها بصر ، فقالت : ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك ، إما أن تملك فتقر عيني ، وإما أن تقتل فأحتسبك ، ثم خرج عنها وهو يقول :

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ ولا مرتقٍ من خشيةِ الموتِ سُلَّما

ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ويقول ليكن أحدكم سيفه كما وجهه فيدفع عن نفسه بيده كأنه أمراه ، والله ما بقيت زحفاً قط إلا في الرعيل الأول ، وما ألمت جرحاً إلا ألم الدواء ، ثم حمل عليهم ومعه سيفان ، فأول من لقيه الأسود فضربه بسيفه حتى أطن رجله ، فقال له الأسود : أخ يا بن الزانية ، فقال له ابن الزبير : اخسأ يا بن حام ، أسماء زانية ؟ ثم أخرجهم من المسجد . وكان على ظهر المسجد جماعة من أعوانه يرمون أعداءه بالآجر ، فأصابته آجرة من أعوانه من غير قصد في مفرق رأسه ففلقت رأسه فوقف قائماً وهو يقول :

لو كان قِرْني واحداً كفيته

ويقول :

ولسنا على الأعقابِ تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يقطرُ الدمُ

ثم وقع فأكب عليه موليان له وهما يقولان :

العبد يحمي ربه ويحتمي

ثم أرسلوا إليه فحزوا رأسه .

وروى الطبراني أيضاً : عن إسحاق بن أبي إسحاق قال : أنا حاضر مقتل عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام ، يوم قتل جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد ، وكلما دخل قوم من باب حمل عليهم حتى يخرجهم ، فبينما هو على تلك الحال إذ جاءت شرفة من شرفات المسجد ، فوقعت على رأسه فصرعته ، وهو يتمثل بهذه الأبيات :

أسماءُ أسماءُ لا تبكيني لم يبقَ إلا حسبي وديني

وصارمٌ لانتْ بهِ يميني

وقد روي أن أمه قالت للحجاج : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال الحجاج : ابنك المنافق ، فقالت : والله ما كان منافقاً ، إن كان لصواماً قواماً وصولاً للرحم ، فقال : انصرفي يا عجوز فإنك قد خرفت ، فقالت : والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت » .

وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر فمر على ابن الزبير فوقف فترحم عليه ثم التفت إليّ وقال :

أخبرني أبو بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال : « من يعمل سوءاً يجز به »[(١)] .

وروى سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال : ذكرت ابن الزبير عند ابن عباس قال : كان عفيفاً في الإسلام ، قارئاً للقرآن ، صواماً قواماً ، أبوه الزبير ، وأمه أسماء ، وجده أبو بكر ، وعمته خديجة ، وجدته صفية ، وخالته عائشة ، والله لأحاسبن له بنفسي محاسبة لم أحاسبها لأبي بكر ولا لعمر . وقال الطبراني : حدثنا زكريا الناجي ، ثنا حوثرة بن محمد ، ثنا أبو أسامة ، ثنا سعيد بن المرزبان ، أبو سعيد العبسي ، ثنا محمد بن عبد الله الثقفي قال : شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنكم جئتم من آفاق شتى وفوداً إلى الله عزَّ وجلَّ ، فحق على الله أن يكرم وفده ، فمن كان منكم يطلب ما عند الله فإن طالب ما عند الله لا يخيب فصدقوا قولكم بفعل ، فإن ملاك القول الفعل ، والنية النية ، والقلوب القلوب ، الله الله في أيامكم هذه ، فإنها أيام تغفر فيها الذنوب ، جئتم من آفاق شتى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجونها هاهنا ، ثم لبى ولبى الناس ، فما رأيت باكياً أكثر من يومئذ . وروى الحسن بن سفيان قال : حدَّثنا حيان بن موسى حدَّثنا عبد الله بن المبارك ، حدَّثنا مالك بن أنس ، عن وهب بن كيسان قال : كتب إليّ عبد الله بن الزبير بموعظة : أما بعد فإن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم ، صِدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وكظم الغيظ ، وصبر على البلاء ورضى بالقضاء ، وشكر للنعماء ، وذل لحكم القرآن ، وإنما الأيام كالسوق ما نفق فيها حمل إليها ، إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهله . وإن نفق الباطل عنده حمل إليه وجاءه أهله .

وقال أبو معاوية : حدَّثنا هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان قال : ما رأيت ابن الزبير يعطي سلمه قط لرغبة ولا لرهبة سلطان ولا غيره . وبهذه الإسنادات أهل الشام كانوا يعيِّرون ابن الزبير ويقولون له : يا بن ذات النطاقين . فقالت له أسماء : يا بني إنهم يعيِّرونك بالنطاقين وإنما كان لي نطاق واحد شققته نصفين فجعلت في سفرة رسول الله ﷺ أحدهما وأوكيت قربته بالآخر لما خرج هو وأبو بكر يريدان الهجرة إلى المدينة . فكان ابن الزبير بعد ذلك إذا عيَّروه بالنطاقين يقول : إنها والله تلك شكاة ظاهر عنك عارها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وممن قتل مع ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين بمكة من الأعيان :

عبد الله بن صفوان[(٢)] بن أمية بن خلف الجمحي أبو صفوان المكي ، وكان أكبر ولد أبيه ، أدرك حياة النبي ﷺ وروى عن عمر وجماعة من الصحابة ، وحدَّث عنه خلق من التابعين ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/٦) والحاكم (٣/٥٥٣) من حديث أبي بكر ، وله شاهد من حديث عائشة رواه الحاكم (٢/٣٠٨) ، والمرفوع منه حسن بطرقه وشواهده .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن صفوان ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٢١٢) وتاريخ خليفة (٢٨٦) وتاريخ البخاري (٥/ ١١٨)=

حليماً كريماً [يحتمل الأذى ، لو سبَّه عبد أسود ما استنكف عنه ، ولم يقصده أحد في شيء فرده خائباً ، ولا سمع بمفازة إلا حفر بها جباً أو عمل فيها بركة ، ولا عقبة إلا سهَّلها .

وقيل : إن المهلَّب بن أبي صفرة قدم على ابن الزبير من العراق فأطال الخلوة معه ، فجاء ابن صفوان فقال : من هذا الذي شغلك منذ اليوم ؟ قال : هذا سيد العرب من أهل العراق ، فقال : ينبغي أن يكون المهلّب . فقال المهلّب لابن الزبير : ومن هذا الذي يسأل عني يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا سَيِّدُ قريش بمكة ، فقال : ينبغي أن يكون عبد الله بن صفوان ، وكان ابن صفوان كريماً جداً][1] .

وقال الزبير بن بكار بسنده : إن معاوية قدم مكة حاجاً فتلقاه الناس فكان ابن صفوان في جملة من تلقاه ، فجعل يساير معاوية ، وجعل أهل الشام يقولون : من هذا الذي يساير أمير المؤمنين ؟ فلما انتهى إلى مكة ، إذا الجبل أبيض من الغنم ، فقال : يا أمير المؤمنين هذه غنم أجزرتكها[2] ، تقسمها بين الجند ، فإذا هي ألفا شاة ، فقال أهل الشام : ما رأينا أكرم من ابن عم أمير المؤمنين[3] .

كان ابن صفوان من جملة من صبر مع ابن الزبير حين حصره الحجاج ، فقال له ابن الزبير : إني قد أقلتك بيعتي فاذهب حيث شئتَ ، فقال : إني إنما قاتلت عن ديني .

ثم صبَّر نفسه حتى قتل وهو متعلق بأستار الكعبة في هذه السنة . رحمه الله وأكرم مثواه .

عبد الله بن مطيع[4] بن الأسود بن حارثة القرشي العدوي [المدني] ، ولد في حياة رسول الله ﷺ وحنّكه ودعا له بالبركة .

وروى عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقتل قرشي بعد اليوم صبراً إلى يوم القيامة »[5] .

وعنه ابناه إبراهيم ومحمد ، والشَّعبي ، وعيسى بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن أبي موسى .

قال الزبير بن بكار : كان [ابن مطيع من كبار][6] رجال قريش جلداً وشجاعة ، وأخبرني

= والاستيعاب (٢/ ٣٣٣) وتاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٢ ـ ٢١٥) وأسد الغابة (٣/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) وتهذيب الكمال (١٥/ ١٢٥ ـ ١٢٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٥٠) والإصابة (٣/ ٦٠) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٨) .

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٥٢) .
(٢) في ط : أجزتكها .
(٣) الخبر في تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٠٩) وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠/ ص٤٥١) .
(٤) ترجمة ـ عبد الله بن مطيع ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٤٤) وتاريخ خليفة (٢٣٧) والاستيعاب (٢/ ٣٢٧) وأسد الغابة (٣/ ٢٦٢) وتهذيب الكمال (١٦/ ١٥٢) وتاريخ الإسلام (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٦٩) والإصابة (٢/ ٣٧١) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٨) .
(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤١٢) ومسلم رقم (١٧٨٢) من حديث مطيع بن الأسود .
(٦) مكانها في أ : من .

عمي مصعب أنه كان على قريش [أميراً] يوم الحرة ثمَّ قُتل مع ابن الزبير بمكة وهو الذي يقول :

أنا الذي فررت يوم الحرَّهْ والشيخ لا يفرُّ إلَّا مرَّهْ
ولا جبرت فرَّة بكرَّهْ[١]

رحمه الله .

عوف بن مالك رضي الله عنه[٢] هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني صحابي جليل .

شهد مؤتة مع خالد بن الوليد والأمراء قبله ، وشهد الفتح وكانت معه راية قومه يومئذ ، وشهد فتح الشام .

وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث ، وروى عنه جماعة من التابعين وأبو هريرة ، وقد مات قبله ، وقال الواقدي وخليفة بن خياط وأبو عبيد وغير واحد[٣] : توفي سنة ثلاث وسبعين بالشام .

أسماء بنت أبي بكر الصديق[٤] والدة عبد الله بن الزبير ، يقال لها ذات النطاقين ، وإنما سميت بذلك عام الهجرة حين شقت نطاقها فربطت به سفرة النبي ﷺ وأبي بكر حين خرجا إلى غار ثور للهجرة[٥] وأمها قيلة وقيل قبيلة[٦] بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤي .

أسلمت أسماء قديماً وهم بمكة في أول الإسلام ، وهاجرت هي وزوجها الزبير وهي حامل متمّ بولدها عبد الله فوضعته بقباء أول مقدمهم المدينة ، ثم ولدت للزبير بعد ذلك عروة والمنذر .

[وهي آخر المهاجرين والمهاجرات موتاً[٧] ، وكانت هي وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق وجدها أبو عتيق وابنها عبد الله وزوجها الزبير صحابيين رضي الله عنهم .

وقد شهدت اليرموك مع ابنها وزوجها ، وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين .

---

(١) في ب ، وابن الأثير (٤/ ٤٥٥) : ولأجزين كرّة بفرّة .

(٢) ترجمة ـ عوف بن مالك ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٠) وتاريخ خليفة (٢٦٩) والاستيعاب (٣/ ١٣١) وأسد الغابة (٤/ ٣١٢) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٤٤٣) وتاريخ الإسلام (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٠١) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٧) والإصابة (٣/ ٤٣) وشذرات الذهب (١/ ٣٠٦) .

(٣) تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٤٤) وتاريخ الإسلام (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٠٤) .

(٤) ترجمة ـ أسماء بنت أبي بكر الصدّيق ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٢٤٩) وتاريخ خليفة (٢٦٩) والاستيعاب (٤/ ٢٣٢) وأنساب الأشراف (٣/ ٤) وحلية الأولياء (٢/ ٥٥ ـ ٥٧) وتاريخ دمشق (تراجم النساء ٦٩/ ٥ ـ ٣٠) وأسد الغابة (٥/ ٢٩٢) وتهذيب الكمال (٣٥/ ١٢٣ ـ ١٢٥) وتاريخ الإسلام (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ٣٥٣) والإصابة (٤/ ٢٢٩) . وشذرات الذهب (١/ ٣٠٨) .

(٥) في ط : عامدين إلى المدينة .

(٦) في أسد الغابة وتاريخ الإسلام والإصابة : قتيلة .

(٧) تاريخ الإسلام للذهبي (سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٥٣) .

وقيل : إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال : يا أماه إن أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأمّ ، إنما أنا أم المصلوب على الثنية ، وما لي من حاجة ، ولكن أحدثك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير »[١] فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا أراك إلا إياه . فقال : أنا مبير المنافقين .

وقيل : إن ابن عمر دخل معه عليها وابنها مصلوب فقال لها : إن هذا الجسد ليس بشيء وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري ، فقالت : وما يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل .

وقيل : إنها غسلته وحنطته وكفنته وطيبته وصلَّت عليه ثم دفنته ، ثم ماتت بعده بأيام في آخر جمادى الآخرة][٢] .

ثم إن الزبير لما كبرت طلَّقها ، وقيل بل قال له عبد الله ابنه : إن مثلي لا توطأ أمه ، فطلقها الزبير ، وقيل : بل اختصمت هي والزبير ، فجاء عبد الله ليصلح بينهما ، فقال الزبير : إن دخلتَ فهي طالق ، فدخل[٣] فبانت ، فالله أعلم .

وقد عمرت أسماء دهراً صالحاً وأضرت في آخر عمرها ، [وقيل بل كانت صحيحة البصر لم يسقط لها سن][٤] . وأدركت قتل ولدها في هذه السنة كما ذكرنا ، ثم ماتت بعده بخمسة أيام ، وقيل بعشرة ، وقيل بعشرين ، وقيل بضع وعشرين يوماً ، وقيل عاشت بعده مائة يوم وهو الأشهر ، وبلغت من العمر مئة سنة ولم يسقط لها سن [ولم ينكر لها عقل رحمها الله . وقد روت عن النبي ﷺ عدة أحاديث طيبة مباركة رضي الله عنها ورحمها] .

قال ابن جرير[٥] : وفي هذه السنة ـ يعني سنة ثلاث وسبعين ـ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وأضافها إلى أخيه بشر بن مروان مع الكوفة ، فارتحل إليها بشر واستخلف على الكوفة عمرو بن حُرَيث .

وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم .

وقيل إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية ، وهو في أربعة آلاف ، والروم في ستين ألفاً فهزمهم وأكثر القتل فيهم . وأقام للناس الحج في هذه السنة الحجاج بن يوسف

---

(١) تقدم تخريج الحديث أكثر من مرة .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهو موافق لمصادر الترجمة .
(٣) عبارة أ : إن حبلت فهي طالق ، فإذا هي قد حبلت فبانت . وما أثبت موافق لخبر تاريخ دمشق وتاريخ الإسلام .
(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ولم أجد ما يوافقها في مصادر الترجمة .
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ١٩٤) .

الثقفي وهو على مكة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان ، في قول الواقدي ، وفي قول غيره : على الكوفة بشر وعلى البصرة خالد بن عبد الله[١] ، وعلى قضاء الكوفة شُريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بنُ هُبيرة . وعلى إمرة خراسان بُكير بن وشاح ، يعني الذي كان نائباً لعبد الله بن خازم ، والله أعلم .

[وممن توفي فيها من الأعيان غير من تقدم ذكره مع ابن الزبير :

عبد الله بن سعد بن جُثَم الأنصاري[٢] ، له صحبة وشهد اليرموك ، وكان كثير العبادة والغزو .

عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي[٣] ، أبو محمد له صحبة ورواية توفي بالمدينة .

مالك بن مِسْمَع بن غسان البصري[٤] ، كان شديد الاجتهاد في العبادة والزهادة .

ثابت بن الضحّاك الأنصاري[٥] ، له صحبة ورواية ، توفي بالمدينة .

يقال له أبو زيد الأشمالي[٦] ، وهو من أهل البيعة تحت الشجرة .

قال يحيى بن أبي كثير : أخبرني أبو قلابة أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة وأن رسول الله ﷺ قال : « من قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله »[٧] .

زينب بنت أبي سَلَمَة المخزومي[٨] ، ربيبة النبي ﷺ ، ولدتها أمها بالحبشة ، ولها رواية وصحبة .

---

(١) من قوله : في قول الواقدي . . . إلى هنا ساقط من ط ، وهو موافق لرواية الطبري .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن سعد ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٥١) وتاريخ خليفة (٨٣) والاستيعاب (٢/ ٣٧٤) وأسد الغابة (٣/ ١٥٤) وتهذيب الكمال (١٥/ ٢١ ـ ٢٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٤٨) والوافي بالوفيات (١٧/ ١٩٤) والإصابة (٢/ ٣١٦) .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن أبي حدرد ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٠٩) وتاريخ خليفة (٨٥) والاستيعاب (٢/ ٢٨٨) وأسد الغابة (٣/ ١٠٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٣٢) والإصابة (٢/ ٢٩٨) وفيها : مات سنة إحدى وسبعين ، وله إحدى وثمانون سنة .

(٤) ترجمة ـ مالك بن مسمع ـ في تاريخ خليفة (٢٥٨) والإصابة (٣/ ٤٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٢١ ـ ٥٢٢) .

(٥) ترجمة ـ ثابت بن الضحاك ـ في الاستيعاب (١/ ١٩٧) وأسد الغابة (١/ ٢٢٥) وتهذيب الكمال (٤/ ٣٦١) . وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٧٥) .

(٦) في تاريخ الإسلام : الأشهلي ، وهو الصواب .

(٧) الحديث رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٤٧) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه .

(٨) ترجمة ـ زينب بن أبي سَلَمة ـ في طبقات ابن سعد (٨/ ٤٦١) والاستيعاب (٤/ ٣١٩) وأسد الغابة (٥/ ٤٦٨) وتهذيب الكمال (٣٥/ ١٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٠٥ ـ ٤٠٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) والوافي بالوفيات (١٥/ ٦١) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢١) والإصابة (٤/ ٣١٧) .

توبة بن الصمّة[١] ، وهو الذي يقال له مجنون ليلى ، كان توبة يشن الغارات على بني الحارث بن كعب ، فرأى ليلى[٢] فهواها وتهتك بها وهام بها محبة وعشقاً ، وقال فيها الأشعار الكثيرة القوية الرائقة ، التي لم يسبق إليها ولم يلحق فيها لكثرة ما فيها من المعاني والحكم ، وقد قيل له مرة : هل كان بينك وبين ليلى ريبة قط ؟ فقال : برئت من شفاعة محمد ﷺ إن كنت قط حللت سراويلي على محرم . وقد دخلت ليلى على عبد الملك بن مروان تشكو ظلامة فقال لها : ماذا رأى منك توبة حتى عشقك هذا العشق كله ؟ فقالت : والله يا أمير المؤمنين لم يكن بيني وبينه قط ريبة ولا خنا ، وإنما العرب تعشق وتعف وتقول الأشعار فيمن تهوى وتحب مع العفة والصيانة لأنفسها من الدناءات . فأزال ظلامتها وأجازها . توفي توبة في هذه السنة وقيل إن ليلى جاءت إلى قبره فبكت حتى ماتت ، والله أعلم][٣] .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

فيها عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمارة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقدمها فأقام بها شهراً[٤] ثم خرج معتمراً ثم [عاد إلى المدينة] في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر[٥] ، وبنى في بني سلمة مسجداً ، وهو الذي ينسب إليه اليوم ، ويقال إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة شتم جابراً وسهل بن سعد وقرّعهما لم لا نصرا عثمان بن عفان ، وخاطبهما خطاباً غليظاً ، قبحه الله وأخزاه[٦] .

واستقضى أبا إدريس الخولاني أظنه على اليمن ، والله أعلم[٧] .

---

(١) ترجمة ـ توبة بن الصمة ـ في معجم الشعراء للمرزباني (٣٤٣) والشعر والشعراء (٣٠٦) والأغاني (١١/ ٢٠٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٧٣) وفيه : اسمه توبة بن الحُمَيِّر ، والوافي بالوفيات (١٠/ ٤٣٦) .

(٢) وهي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية ، وهو الأخيل بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كان توبة يهواها ويتعشق بها فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها في بني الأدلع . وترجمتها في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥١٧ ـ ٥١٩) وثمة مصادر ترجمتها وأخبارها .

(٣) سائر التراجم ساقطة من أ ، ب .

(٤) في ط : أشهراً ، وما هنا عن أ ، ب والطبري .

(٥) في أ : ثمانية أشهر ، وما هنا عن ط ، ب والطبري .

(٦) روى الطبراني (٦/ ١٩٥) أن الحجاج ختم في أعناقهم ، وكذلك فعل بأنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ .

(٧) انفردت أ بزيادة هنا تذكر خطبة الحجاج في المدينة نقلاً عن الواقدي ، وفيها أن الحجاج أطلق كلاماً فاحشاً لا يليق بالمدينة وساكنها وأهلها وناداهم بـ يا أهل خبيثة . . ولمّا لم أجد لهذه الخطبة أو نحوها أثراً في المصادر لم أثبتها ؛ ثم في هامش أ : لعن الحجاج لأنه أطلق هذا الكلام ، وانتقاد للمؤلف لأنه نقل هذا الكلام ـ وغالب ظني أنه من زيادات النساخ ـ وفي آخر الهامش : حرره غيرة على الدين المبين وإرغاماً لأعداء سيد المرسلين ﷺ . العبد الفقير إلى رب العالمين السيد حسين حسيني عامله ربه بالفضل . =

قال ابن جرير[١] : وفيها نقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه وأعادها على بنيانها الأول ، قلت : الحجاج لم ينقض بنيان الكعبة جميعه ، بل إنما هدم الحائط الشامي حتى أخرج الحِجْر من البيت ثم سده وأدخل في جوف الكعبة ما فضل من الأحجار ، وبقيت الحيطان الثلاثة بحالها ، ولهذا بقي البابان[٢] الشرقي والغربي وهما ملصقان بالأرض كما هو المشاهد إلى يومنا هذا ، ولكن سد الغربي بالكلية وردم أسفل الشرقي حتى جعله مرتفعاً كما كان في الجاهلية .

ولم يبلغ الحجاجَ وعبدَ الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوي الذي كانت أخبرته به خالته عائشة عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « لولا أن قومك حديث عهدهم بكفر ـ وفي رواية ـ بجاهلية لنقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر ، وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، ولألصقتهما بالأرض ، فإن قومك قصرت بهم النفقة فلم يدخلوا فيها الحجر ولم يتمموها على قواعد إبراهيم ورفعوا بابها ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا »[٣] . فلما تمكن ابن الزبير بناها كذلك ، ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال : وددنا لو تركناه وما تولاه من ذلك .

وفي هذه السنة وُلِّي المهلبُ بن أبي صفرة حرب الأزارقة عن أمر عبد الملك لأخيه بشر بن مروان أن يجهز المهلب إلى الخوارج في جيوش من البصرة والكوفة ، ووجد بشر على المهلب في نفسه حيث عيَّنه عبد الملك في كتابه . فلم يجد بداً من طاعته في تأميره على الناس في هذه الغزوة ، وما كان له من الأمر شيء ، غير أنه أوصى أمير الكوفيين عبد الرحمن[٤] بن مخنف أن يستبد بالأمر دونه ، وأن لا يقبل له رأياً ولا مشورة ، فسار المهلب بأهل البصرة وأمراء الأرباع معه على منازلهم حتى نزل برامهرمز ، فلم يلبث[٥] عليها إلا عشراً حتى جاء نعي بشر بن مروان ، وأنه مات بالبصرة واستخلف عليها خالد بن عبد الله ، فارفضَّ بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة فبعثوا في آثارهم من يردهم ، وكتب خالد بن عبد الله إلى الفارِّين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم ، ويتوعدهم بسطوة عبد الملك ، فعدلوا يستأذنون عمرو بن حريث في المصير إلى الكوفة فكتب إليهم : إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفين ، وليس لكم إذن ولا إمام ولا أمان ، فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحالهم [فركبوها ثم ساروا إلى بعض البلاد] فلم يزالوا مختفين بها حتى قدم الحجاج [والياً] على العراق مكان بشر بن مروان كما سيأتي بيانه قريباً .

= ولم أثبت هذه التعليقة أيضاً عملاً بقوله ﷺ : « ليس المؤمن بطعان ولا لعان » .
ولم يدرج المؤلف رحمه الله على لعن أحد ، وكذلك أخلاق العلماء الفضلاء .

(١) تاريخ الطبري (٦/ ١٩٥) .

(٢) في ط : البنيان ؛ تحريف .

(٣) انظر البخاري رقم (١٥٨٤ ـ ١٥٨٦) ومسلم رقم (١٣٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) في ط : « عبد الله بن مخنف » ، وما أثبتناه من م والطبري (٦/ ١٩٦) ، وابن الأثير (٤/ ٣٦٦) .

(٥) في ط : يقم .

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بُكير بن وشاح التميمي عن إمرة خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد القرشي ليجتمع عليه الناس فإنه قد كادت الفتنة تتفاقم بخراسان بعد عبد الله بن خازم ، فلما قدم أمية بن عبد الله خراسان عرض على بُكير بن وشاح أن يكون على شرطته فأبى وطلب منه أن يوليه طخارستان فخوفوه منه أن يخلعه هنالك فتركه مقيماً عنده . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها الحجاج بن يوسف وهو على إمرة المدينة ومكة واليمن واليمامة . قال ابن جرير(١) : وقد قيل إن عبد الملك اعتمر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

رافع بن خديج بن رافع الأنصاري(٢) ، صحابي جليل شهد أحداً وما بعدها ، [وصفين مع علي وكان يتعانا المزارع والفلاحة(٣) ، توفي وهو ابن ستٍّ وثمانين سنة ، وأسند ثمانية وسبعين حديثاً](٤) وأحاديثه جيدة . وقد أصابه يوم أُحُد سهم في ترقوته فخيّره رسول الله ﷺ بين أن ينزعه منه وبين أن يترك فيه القطبة(٥) ويشهد له يوم القيامة(٥) ، فاختار هذه ، وانتقض عليه في هذه السنة فمات منه رضي الله عنه .

أبو سعيد الخدري(٦) ، هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل من فقهاء الصحابة استُصغر يوم أُحُد ، ثم كان أول مشاهده الخندق ، وشهد مع رسول الله ﷺ ثنتي عشرة غزوة ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة ، وحدَّث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة ، كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم .

قال الواقدي وغيره : مات سنة أربع وسبعين وقيل قبلها بعشر سنين ، فالله أعلم .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٢٠١) .

(٢) ترجمة ـ رافع بن خديج ـ في تاريخ خليفة (٢٧١) والاستيعاب (١/ ٤٩٥) . وأسد الغابة (٢/ ١٥١) وتهذيب الكمال (٩/ ٢٢ـ٢٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٤٠٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٨١) والإصابة (١/ ٤٩٥) وشذرات الذهب (١/ ٣١٢) .

(٣) في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٢) : وكان صحراوياً ، عالماً بالمزارعة والمساقاة ، وفي تاريخ الإسلام (ص٤٠٠) : وكان يتعانى المزارع ويفلحها .

(٤) ما بين معكوفين ساقط من أ .

(٥) في ب : القطنة . والتصحيح من مسند أحمد ، والقطبة : نصل السهم . والحديث في مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٧٨) والمعجم الكبير للطبراني ((٤/ ٢٨٢) رقم (٤٢٤٢) وهو حديث حسن .

(٦) ترجمة ـ أبي سعيد الخدري ـ في تاريخ خليفة (٧١) والاستيعاب (٢/ ٦٠٢) وتاريخ دمشق (٢٠/ ٣٧٣ـ٣٩٩) وأسد الغابة (٢/ ٢٨٩) وتهذيب الكمال (١٠/ ٢٩٤ـ٣٠٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ٥٥١ـ٥٥٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٨) والإصابة (٢/ ٣٥) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٩ـ٤٨١) والنجوم الزاهرة (١/ ١٩٢) . وشذرات الذهب (١/ ٣١١) وتهذيب ابن عساكر (٦/ ١١٠) .

[قال الطبراني[١] : حدَّثنا المقدام بن داود ، ثنا خالد بن نزار ، ثنا هشام بن سعيد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري . قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً ؟ فقال : « النبيون » قلت : ثم أي ؟ قال : « ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا السترة ـ وفي رواية ـ إلا العباءة أو نحوها ، وإن أحدهم ليبتلى بالقمل حتى ينبذ القمل ، وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحاً منه بالرخاء » .

وقال قتيبة بن سعيد : ثنا الليث بن سعد ، عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي سعيد الخدري : أن أهله شكوا إليه الحاجة فخرج إلى رسول الله ﷺ يسأل لهم شيئاً ، فوافقه على المنبر وهو يقول : « أيها الناس قد آن لكم أن تستغنوا عن المسألة فإنه من يستعف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، والذي نفس محمد بيده ما رزق الله عبداً من رزق أوسع له من الصبر ، ولئن أبيتم إلا أن تسألوني لأعطينكم ما وجدت »[٢] . وقد رواه الطبراني عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد نحوه][٣] .

عبد الله بن عمر[٤] بن الخطاب القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن المكي ، ثم المدني .

أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلُم وهاجر عبد الله وعمره عشر سنين .

وقد استُصغر يوم أُحُد[٥] ، فلما كان يوم الخندق أجازه وهو ابن خمس عشرة سنة فشهدها وما بعدها ، وهو شقيق حفصة [بنت عمر] أم المؤمنين ، أمهما زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون .

وكان [عبد الله بن عمر] ربعة من الرجال آدم له جمة تضرب إلى منكبيه جسيماً يخضب بالصفرة ويحفي شاربه .

وكان يتوضأ لكل صلاة ويُدخل الماء في أصول عينيه ، وقد أراده عثمان على القضاء فأبى ذلك ، وكذلك أبوه ، وشهد اليرموك والقادسية وجلولاء وما بينهما من وقائع الفرس ، وشهد فتح مصر ، واختط بها داراً .

---

(١) المعجم الأوسط (١٠/ ٢٠) رقم (٩٠٤٣) ورواه ابن ماجه رقم (٤٠٢٤) وهو حديث صحيح .

(٢) رواه ابن حبان (٣٣٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٠) من طريق سعيد المقبري عن أبي سعيد الخدري. ورواه أحمد (٣/ ١٢ و٤٧) من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد. ورواه الطيالسي (٢١٦١)، وأحمد (٣/ ٣) من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد . وهو حديث صحيح .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن عمر ـ في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٣) وطبقات خليفة (٢٢ و٩٩) وتاريخ البخاري (٥/ ٢ ، ٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٤٩) وحلية الأولياء (١/ ٢٩٢) والاستيعاب (٢/ ٣٤١) وتاريخ بغداد (١/ ١٧١) وتاريخ دمشق (٣١/ ٧٩ـ٢٠٤) وأسد الغابة (٣/ ٢٢٧) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨ـ٣١) وتهذيب الكمال (١٥/ ٣٣٢ ـ ٣٤١) وتاريخ الإسلام (وفيات سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٥٣ ـ ٤٦٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣ ـ ٢٣٩) والوافي بالوفيات (١٧/ ٣٦٢ـ٣٦٤) ونكت الهميان (١٨٣ ـ ١٨٤) وجامع الأصول (٩/ ٦٤) والإصابة (٢/ ٣٤٧ ـ ٣٥٠) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٨ـ٣٣٠) والنجوم الزاهرة (١/ ١٩٢) وشذرات الذهب (١/ ٣١٠) .

(٥) صحيح البخاري (٣٩٥٥) في المغازي .

وقدم البصرة وشهد غزو فارس ، وورد المدائن مراراً وكان عمره يوم مات النبي ﷺ ثنتين وعشرين سنة ، وكان إذا أعجبه شيء من ماله تقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ ، وكأن عبيده قد عرفوا ذلك منه ، فربما لزم أحدهم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال أعتقه ، فيقال له : إنهم يخدعونك ، فيقول : من خدعنا لله انخدعنا له[١] .

وكان له جارية يحبها كثيراً فأعتقها وزوجها لمولاه نافع ، وقال : إن الله تعالى يقول : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] [٢] .

وكان له نجيب اشتراه بمال فأعجبه لما ركبه فقال : يا نافع أدخله في إبل الصدقة[٣] .

وأعطاه ابن جعفر في نافع عشرة آلاف دينار ، فقيل له : ما تنتظر ببيعه ؟ فقال : ما هو خير من ذلك ؟ هو حر لوجه الله .

واشترى مرة غلاماً بأربعين ألفاً وأعتقه فقال الغلام : [يا مولاي قد أعتقتني ، فهبْ لي شيئاً أعيش به . فأعطاه أربعين ألفاً .

واشترى مرة خمسة عبيد فقام يصلّي ، فقاموا خلفه يصلّون فقال : لمن صليتم هذه الصلاة ؟ فقالوا : لله ! فقال : أنتم أحرار لمن صليتم له ، فأعتقهم .

والمقصود أنه][٤] ما مات حتى أعتق ألف رقبة ، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، وكانت تمضي عليه الأيام الكثيرة والشهر لا يذوق فيه لحماً إلا وعلى يديه يتيم .

وبعث إليه معاوية بمئة ألف لما أراد أن يبايع ليزيد ، فما حال عليه الحول وعنده منها شيء .

وكان يقول : إني لا أسأل أحداً شيئاً ، وما رزقني الله فلا أرده .

وكان في مدة الفتنة لا يأتي أمير إلا صلّى خلفه ، وأدّى إليه زكاة ماله ، وكان أعلم الناس بمناسك الحج ، كان يتتبع آثار رسول الله ﷺ ويصلّي فيها ، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة وكان ابن عمر يتعاهدها ويصب في أصلها الماء[٥] .

وكان إذا فاتته العشاء في جماعة أحيا تلك اللّيلة ، وكان يقوم أكثر اللّيل ، وقيل إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه ، وكان يوم مات خيرَ مَنْ بقي ، ومكث ستين سنة يفتي الناس من سائر البلاد .

---

(١) تاريخ دمشق (٣١/ ١٣٢ ـ ١٣٣) .
(٢) تاريخ دمشق (٣١/ ١٣٧) وحلية الأولياء (١/ ٢٩٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢١٧) .
(٣) تاريخ دمشق (٣١/ ١٣٣) .
(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ دمشق (٣١/ ١٢٥) .
(٥) تاريخ دمشق (٣١/ ١٢١) .

روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، وروى عن الصدِّيق ، وعن عمر ، وعثمان ، وسعد ، وابن مسعود ، وحفصة ، وعائشة وغيرهم .

وعنه : خلق منهم بنوه حمزة ، وبلال ، وزيد ، وسالم ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعمر إن كان محفوظاً[١] ، وأسلم مولى أبيه ، وأنس بن سيرين والحسن وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاوس وعروة وعطاء وعكرمة ومجاهد وابن سيرين والزهري ومولاه نافع .

ثبت في الصحيح[٢] عن حفصة أن رسول الله ﷺ قال : « إن عبد الله رجل صالح لو كان يقوم اللّيل » . فكان بعد يقوم الليل .

وقال ابن مسعود : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا ابن عمر .

وقال جابر : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها ، إلا ابن عمر ، وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا انتقص منه من درجاته عند الله وإن كان عليه كريماً .

وقال سعيد بن المسيب : مات ابن عمر يوم مات وما من الدنيا أحد أحب أن ألقى الله بمثل عمله منه .

وقال الزهري : لا يعدل برأيه فإنه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة ، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه رضي الله عنهم[٣] .

وقال مالك : بلغ ابن عمر ستاً وثمانين سنة وأفتى في الإسلام ستين سنة ، تقدم عليه وفود الناس من أقطار الأرض ، قال الواقدي وجماعة : توفي ابن عمر سنة أربع وسبعين ، وقال الزبير بن بكار وآخرون : توفي سنة ثلاث وسبعين . قال الزبير : والأول أثبت ، والله أعلم .

وقال ابن سعد[٤] : لما قتل عثمان واستخلف علي أتاه ابن عمر فقال له علي : إنك محبوب إلى الناس فسر إلى الشام فقد وليتكها ، فقال : أذكِّرك الله وقرابتي وصحبتي لرسول الله والرحم إلا ما وليت غيري وأعفيتني فأبى عليه ، فاستعان بحفصة أخته فكلمته ثم سار من ليلته إلى مكة هارباً منه .

وقيل : إن مروان قال لابن عمر ألا تخرج إلى الشام فيبايعوك ، قال فكيف أصنع بأهل العراق قال : تقاتلهم بأهل الشام ، فقال والله ما يسرني أن لي ملك الأرض وأن الناس كلهم بايعوني ، وقد قتل منهم رجل واحد ، وما أحب أنها أتتني ورجل يقول لا وآخر نعم ، وقيل : إنه دخل عليه الحجاج وهو مريض فغمض عينيه فكلَّمه فلم يجبه . توفي بمكة بعد منصرف الناس من الحج في آخر السنة وعمره أربع وثمانون

---

(١) تهذيب الكمال (١٥/ ٣٣٤) .
(٢) صحيح البخاري رقم (٣٧٤٠) في الفضائل ، وصحيح مسلم رقم (٢٤٧٨) في فضائل الصحابة .
(٣) تاريخ دمشق (٣١/ ٢٠١) .
(٤) الطبقات الكبرى (٤/ ١٦٩) . والخبر أيضاً في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٥) .

سنة ، ودفن بالمحصب ، وهو آخر من مات من الصحابة بمكة ، وكان له من الولد أبو بكر وأبو عبيدة وواقد وعبد الله وعمرو وحفصة وسودة . أمهم صفية بنت أبي عبيد أخت المختار ، وعبد الرحمن وسالم وعبيد الله وحمزة وأمهم أم ولد ، وزيد وعائشة لأم ولد ، وأسند ألفين وستمئة وثلاثين حديثاً[١] .

عبيد بن عمير[٢] بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث ، اللّيثي ثم الجندعي ، أبو عاصم المكي قاص[٣] أهلها .

قال مسلم بن الحَجّاج[٤] : ولد في حياة النبي ﷺ . وقال غيره : ورآه أيضاً .

وروى عن أبيه ، وله صحبة ، وعن عمر وعلي وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمر[و] وأم سلمة وغيرهم ، وعنه جماعة من التابعين وغيرهم ، ووثقه ابن معين وأبو زرعة وغير واحد .

وكان ابن عمر يجلس في حلقته ويبكي وكان يعجبه تذكيره ، وكان بليغاً ، وكان يبكي حتى يبل الحصى بدموعه .

قال مهدي بن ميمون ، عن غيلان بن جرير قال : كان عبيد بن عمير إذا آخى أحداً في الله استقبل به القبلة . فقال : اللهم اجعلنا سعداء بما جاء به نبيك ، واجعل محمداً شهيداً علينا بالإيمان ، وقد سبقت لنا منك الحسنى غير متطاول علينا الأمد ، ولا قاسية قلوبنا ، ولا قائلين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم .

وحكى البخاري[٥] ، عن ابن جريج : أن عبيد بن عمير مات قبل ابن عمر رضي الله عنه .

أبو جحيفة[٦] ، وهب بن عبد الله السُّوائي ، صحابي رأى النبي ﷺ ، وكان دون البلوغ عند وفاة النبي ﷺ .

لكن روى عنه عدة أحاديث ، وعن علي والبراء بن عازب ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم

---

(١) من قوله : وقال ابن سعد . . . إلى هنا ساقط من ط .

(٢) ترجمة ـ عبيد بن عمير ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٤٥٥) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٢٣) وحلية الأولياء (٣/ ٢٦٦) والاستيعاب (٢/ ٤٤١) وأسد الغابة (٣/ ٣٥٣) وتهذيب الكمال (١٩/ ٢٢٥-٢٢٧) وتاريخ الإسلام (وفيات سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦) والإصابة (٣/ ٧٨) .

(٣) في ط : قاضي أهلها ؛ تحريف ، وما أثبت عن م وأسد الغابة وتاريخ الإسلام .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨١) .

(٥) تاريخه الكبير (٥/ الترجمة ١٤٧٩) .

(٦) ترجمة ـ أبي جحيفة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٦٣) وتاريخ خليفة (٢٧٣) وتاريخ البخاري (٨/ ١٦٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢١٩) والاستيعاب (٤/ ٣٦) وأسد الغابة (٥/ ١٥٧) وتاريخ بغداد (١/ ١٩٩) وتهذيب الكمال (٣٣/ ١٨٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٤٩) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠٢) وتهذيب التهذيب (١١/ ١٦٤) والإصابة (٣/ ٦٤٢) وشذرات الذهب (١/ ٣١١) .
والسُّوائي : بضم السين المهملة . تقريب التهذيب .

إسماعيل بن أبي خالد ، والحكم ، وسلمة بن كهيل والشعبي وأبو إسحاق السبيعي .

وكان قد نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفي في هذه السنة ، وقيل في سنة أربع وتسعين ، فالله أعلم .

[وكان صاحب شرطة علي ، وكان علي إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره][١] .

سلمة بن الأكوع[٢] بن عمرو بن سنان الأنصاري ، وهو أحد من بايع تحت الشجرة ، وكان من فرسان الصحابة ومن علمائهم ، كان يفتي بالمدينة ، وله مشاهد معروفة في حياة النبي ﷺ وبعده .

توفي بالمدينة وقد جاوز السبعين سنة .

مالك بن أبي عامر[٣] ، الأصبحي ، المدني ، وهو جد الإمام مالك بن أنس .

روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان فاضلاً عالماً .

توفي بالمدينة .

أبو عبد الرحمن السُّلَمي[٤] ، مقرئ أهل الكوفة بلا مدافعة ، واسمه عبد الله بن حبيب ، قرأ القرآن على عثمان بن عفان وابن مسعود ، وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج ، قرأ عليه عاصم بن أبي النجود وخلق غيره ، توفي بالكوفة .

أبو معرض الأسدي[٥] ، اسمه مغيرة بن عبد الله الكوفي ، ولد في حياة النبي ﷺ ، ووفد على عبد الملك بن مروان وامتدحه ، وله شعر جيد ، ويعرف بالأقطشي[٦] ، وكان أحمر الوجه كثير الشعر ، توفي بالكوفة في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين سنة .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام .

(٢) ترجمة ـ سلمة بن الأكوع ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٠٥) وتاريخ خليفة (٢٧١) وتاريخ البخاري (٤/ ٦٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٣٦) والاستيعاب (٢/ ٨٧) وأسد الغابة (٢/ ٣٣٣) وتهذيب الكمال (١١/ ٣٠١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٤١٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٢٦ـ٣٣١) وتهذيب التهذيب (٤/ ١٥٠ـ١٥٢) والإصابة (٢/ ٦٦) والوافي بالوفيات (١٥/ ٣٢١) وشذرات الذهب (١/ ٣١١) .

(٣) ترجمة ـ مالك بن أبي عامر ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٦٣ـ٦٤) وطبقات خليفة (٢٥٤) وتاريخ البخاري (٧/ ٣٠٥) وتهذيب الكمال (١٨/ ٣٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٥٢١) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٩) .

(٤) ترجمة ـ أبي عبد الرحمن السُلمي ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٢) وتاريخ خليفة (٢٧٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٧٢) وتاريخ بغداد (٩/ ٤٣٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢١٩) ومواضع أخرى ، وتهذيب الكمال (١٤/ ٤٠٨ـ٤١٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٥٥٦ـ٥٥٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٧) والوافي بالوفيات (١٦/ ١٢١) ونكت الهميان (١٧٨) . وتهذيب التهذيب (٥/ ١٨٣ـ١٨٤) .

(٥) ترجمة ـ أبي معرض الأسدي ـ في الشعر والشعراء (٢/ ٤٦٣) ومعجم الشعراء للمرزباني (٣٩٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٦٠ ـ ٥٦١) .

(٦) في تاريخ الإسلام : ويعرف بالأُقَيْشِر ، وقيل له ذلك لأنه كان أحمر الوجه أقشر .

بشر بن مروان[١] ، الأموي أخو عبد الملك بن مروان ، ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الملك ، وله دار بدمشق عند عقبة الكتان[٢] ، وكان سمحاً جواداً ، وإليه ينسب دير مروان[٣] عند حجيرا .

وهو الذي قتل خالد بن حصين الكلابي يوم مرج راهط ، وكان لا يغلق دونه الأبواب ويقول : إنما يحتجب النساء ، وكان طليق الوجه ، وكان يجيز على الشعر بألوف ، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل ، والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببيت الأخطل :

قدِ استوى بشرٌ على العراقِ   مِن غيرِ سيفٍ ودم مهراقِ

وليس فيه دليل ، فإن هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة ، وقد كان الأخطل نصرانياً ، وكان سبب موت بشر أنه وقعت القرحة في يمينه[٤] فقيل له يقطعها من المفصل فجزع ، فما أحس حتى خالطت الكتف ، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات .

ولما احتضر جعل يبكي ويقول : والله لوددت أني كنت عبداً أرعى الغنم في البادية لبعض الأعراب ولم أل ما وليت ، فذكر قوله لأبي حازم ـ أو لسعيد بن المسيب ـ ، فقال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يفرون إلينا ولم يجعلنا نفر إليهم ، إنا لنرى فيهم عِبَراً .

وقال الحسن : دخلت عليه فإذا هو يتململ على سريره ثم نزل عنه إلى صحن الدار ، والأطباء حوله .

مات بالبصرة في هذه السنة وهو أول أمير مات بها ، ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشعراء أن يرثوه ، والله سبحانه وتعالى أعلم[٥] .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين[٦]

وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان ـ أخو عبد الملك بن مروان وهو والد مروان الحمار ـ صائفة الروم حين خرجوا من عند مرعش .

---

(١) ترجمة ـ بشر بن مروان ـ في المعارف لابن قتيبة (٣٥٤) والأخبار الطوال (٣١٠) وتاريخ خليفة (٢٦٨) وتاريخ الطبري (٥/ ٥٣٩) وما بعدها وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٠/ ٢٥٣ ـ ٢٦٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٧٠ ـ ٣٧٢) وسير أعلام النبلاء (٤ / ١٤٥) والوافي بالوفيات (١٠/ ١٥٢) والنجوم الزاهرة (١/ ١٩١) وشذرات الذهب (١/ ٨٣) وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٦) .

(٢) في ط : « عقبة اللباب »، وما هنا يعضده ما في تاريخ الإسلام لشيخه الذهبي، والسير، والوافي بالوفيات. وجاء في تاريخ دمشق: « عقبة الصوف » فالله أعلم .

(٣) هكذا في النسخ ، وفي تاريخ دمشق : « دير بشر » وهو الأصوب إن شاء الله تعالى .

(٤) في ط : عينه ، ما أثبت موافق لتاريخ الإسلام .

(٥) التراجم الخمس السابقة ساقطة من أ ، ب .

(٦) في ب هذه الزيادة : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم يسر وأعن .

[وفيها ولَّى عبد الملك نيابة المدينة ليحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وهو عمه ، وعزل عنها الحجاج .

وفيها ولَّى عبد الملك الحجاج بن يوسف نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار][١] وذلك بعد موت أخيه بشر بن مروان ، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسطوته [وقهره وقسوته] وشهامته ، فكتب إليه وهو بالمدينة بولاية العراق ، فسار من المدينة إلى العراق في اثني عشر راكباً ، فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها على النجائب ، فنزل قريب الكوفة فاغتسل واختضب ولبس ثيابه وتقلد سيفه وألقى عذبة العمامة بين كتفيه ، ثم سار فنزل دار الإمارة ، وذلك يوم الجمعة وقد أذن المؤذن الأول لصلاة الجمعة ، فخرج عليهم وهم لا يعلمون ، فصعد المنبر وجلس عليه وسكت طويلاً ، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا على الركب وتناولوا الحصباء ليحذفوه بها ، وقد كانوا حصبوا عاملاً قبله ، فلما سكت أبهتهم وأحبوا أن يسمعوا كلامه ، فكان أول ما تكلم به أن قال :

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوئ الأخلاق ، والله إن كان أمركم ليهمني قبل أن آتي إليكم ، ولقد كنت أدعو الله أن يبتليكم بي ، ولقد سقط مني البارحة سوطي الذي أؤدِّبكم به ، فاتخذت هذا مكانه ـ وأشار إلى سيفه ـ ، ثم قال : والله [لآخذن صغيركم بكبيركم ، وحركم بعبدكم ، ثم لأرصعنكم رصع الحدَّاد الحديدة ، والخبَّاز العجينة][٢] .

فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم .

وقيل : إنه دخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وذلك في شهر رمضان من هذه السنة ، فأتى المسجد وصعد المنبر وهو معتجر بعمامة حمراء متلثم بطرفها ، ثم قال :

عليّ بالناس ! فظنه الناس وأصحابه من الخوارج فهمُّوا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه اللثام وقال :

أنـا ابـنُ جَـلا وطَـلاّعُ الثَّـنـايـا   متى أَضَعِ العمامةَ تعرِفوني[٣]

ثم قال : أما والله إني لأحمل الشيء[٤] بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأحزمه بفتله[٥] ، وإني لأرى

---

(١) ما بينهما ساقط من ب ، وجملة هذه الأخبار في تاريخ الطبري (٦/ ٢٠٢) .
(٢) مكان العبارة في أ : والله لأجرنه فيكم جر المرأة ذيلها ، ولأفعلن بكم ولأصفن .
(٣) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي . وقوله ابن جلا : هو الصبح لأنه يجلو الظلمة .
طلاع الثنايا : العارف بالأمور والشديد المجرب ، والثنايا أيضاً : ما صغر من الجبال ونتأ . العقد الفريد لابن عبد ربه (٤/ ١٨٠) وقد زاد أبياتاً أخرى .
(٤) في الطبري (٦/ ٢٠٣) وابن الأثير (٤/ ٣٧٥) الشر .
(٥) في الطبري وابن الأثير : وأجزيه بمثله .

رؤوساً قد أينعت وحان قطافها[١] ، إني لأنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم واللِّحى .

قد شمَّرت عن ساقها فشمِّري

ثم أنشد[٢] :

هـذا أوانُ الشـدِّ فـاشتـدي زِيـمْ   قـدْ لفّهـا الليـلُ بسـوّاقٍ حُطَـمْ[٣]
لســت بــراعــي إبــلٍ ولا غنــمْ   ولا بجـزّارٍ علـى ظهـرٍ وضَـمْ[٤]

ثم قال :

قَــدْ لفّهــا الليــلُ بِعَصْلبــيٍّ[٥]   أروعَ خـــرّاجٍ مـــن الـــدوِّيّ
مهاجرٍ ليسَ بأعرابيِّ

ثم قال : إني والله يا أهل العراق ما أغمز بغماز[٦] ، ولا يقعقع لي بالشنان ، ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء[٧] وجريتُ[٨] من الغاية القصوى ، وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته ثم عجم عيدانها عوداً عوداً ، فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها مغمزاً[٩] فوجهني إليكم ، فأنتم طالما أوضعتم[١٠] في أودية الفتن ، وسننتم سنن[١١] الغي ، [واخترتم جدد الضلال][١٢] . أما والله لأجردنكم جرد لحاء[١٣] العود ، ولأعصبنكم عصب السلِمة حتى تنقادوا ، [ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل] ، إني والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أخلق إلا فريت[١٤] ، فإياي وهذه الجماعات وقيلا وقالا ، والله لتستقيمن على سبيل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً في جسده . ثم قال : من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب ـ يعني الذين

(١) في ط : وآن اقتطافها ، وما هنا كالمصادر .
(٢) الأبيات منسوبة لرويشد بن رُميص العنبري ، وهي من الرجز .
(٣) قوله : فاشتدي زيم ؛ هو اسم للحرب ، والحطم : الذي يحطم كل ما مر به .
(٤) وضم : ما وقي به اللحم عن الأرض .
(٥) العصلبي : الشديد .
(٦) في الطبري (٦/ ٢٠٤) : لا أغمز كتغماز التين .
(٧) فرَّ : كشف عن أسنانه ليعرف عمره . ذكاء : نهاية الشباب .
(٨) في الطبري وابن الأثير : وجريت إلى الغاية القصوى .
(٩) في الطبري وابن الأثير : وأصلبها مكسراً . وعجم عيدانها : يعني عضها واختبرها .
(١٠) في ط : رتعتم ، وما أثبت كالطبري وابن الأثير .
(١١) في ط : وسلكتم سبيل . . . ، وما أثبت كالطبري وابن الأثير .
(١٢) زيادة من ط . وفي الكامل للمبرد : واضطجعتم في مراقد الضلال .
(١٣) في ط : لألحونكم لحي .
(١٤) أخلق : الخلق التقدير ، ويقال فريت الأديم إذا أصلحته .

كانوا قد رجعوا عنه لما سمعوا بموت بشر بن مروان كما تقدم ـ سفكتُ دمه وانتهبت ماله ، ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك .

ويقال : إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطال السكوت حتى إن محمد بن عمير أخذ كفاً من حصى وأراد أن يحصبه بها ، وقال : قبحه الله ما أعياه وأذمّه ! فلما نهض الحجاج وتكلّم بما تكلّم به جعل الحصى يتناثر من يده وهو لا يشعر به ، لما يرى من فصاحته وبلاغته .

ويقال : إنه قال في خطبته هذه : شاهت الوجوه إن الله ضرب ﴿ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] وأنتم أولئك فاستووا واستقيموا ، فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تذروا ، ولأعصبنكم عصب السلمة[١] حتى تنقادوا ، وأقسم بالله لتقبلنّ على الإنصاف ولتدعن الإرجاف وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، والخبر وما الخبر ، أو لأهبرنكم بالسيف هبراً يدعُ النساء أيامى والأولاد يتامى ، حتى تمشوا السُّمَّهى[٢] وتقلعوا عن هاوها . في كلام طويل بليغ غريب يشتمل على وعيد شديد [ليس فيه وعد بخير] .

فلما كان في اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوئ الأخلاق ، إني سمعت تكبيراً في الأسواق ليس بالتكبير الذي يراد به الترغيب ، ولكنه تكبير يراد به الترهيب . وقد عرفت[٣] عجاجة تحتها قصف ، يا بني اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الإماء والأيامى ، ألا يربع كل رجل منكم على ظلعه ، ويحسن حقن دمه ، ويبصر موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالاً لما قبلها وأدباً لما بعدها . قال فقام إليه عمير بن ضابئ التميمي ثم الحنظلي فقال : أصلح الله الأمير إنا في هذا البعث ، وأنا شيخ كبير وعليل ، وهذا ابني هو أشب مني . قال : ومن أنت ؟ قال عمير بن ضابئ التميمي ، قال : أسمعت كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم ! قال : ألست الذي غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى . قال : وما حملك [على ذلك ؟] قال : كان حبس أبي وكان شيخاً كبيراً ، قال : أو ليس هو الذي يقول :

هممتُ ولمْ أفعلْ وكدْتُ وليتني فعلتُ وولّيتَ البُكاء حلائِلا[٤]

---

(١) من قوله : ولأضربنكم ضرب . . إلى هنا ساقط من أ وحدها .

(٢) السمهى : الباطل ، وأصله ما تسميه العامة مخاطة الشيطان ، وهو لعاب الشمس عند الظهيرة ، قال فيه أبو النجم العجلي :

وذاب للشمس لعاب فنزل وقام ميزان الزمان فاعتدل

اللسان (سهم) .

(٣) في ط : عصفت .

(٤) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٨٠) : تركت على عثمان تبكي حلائله .

ثم قال الحجاج : إني لأحسب أن في قتلك صلاح المصرين ، ثم قال قم إليه يا حرسي فاضرب عنقه ، فقام إليه رجل فضرب عنقه ، وأنهب ماله ، وأمر منادياً فنادى في الناس ألا إن عمير بن ضابئ تأخر بعد سماع النداء ثلاثاً فأمر بقتله ، فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر فعبر عليه في ساعة واحدة أربعة آلاف من مذحج ، وخرجت معهم العرفاء حتى وصلوا بهم إلى المهلّب ، وأخذوا منه كتاباً بوصولهم إليه ، فقال المهلّب : قدم العراق والله رجل ذكر ، اليوم قوتل العدو .

ويروى أن الحجّاج لم يعرف عمير بن ضابئ حتى قال له عنبسة بن سعيد : أيها الأمير ! إن هذا جاء إلى عثمان بعدما قتل فلطم وجهه ، فأمر الحجاج عند ذلك بقتله .

وبعث الحجاج الحكم بن أيوب الثقفي نائباً على البصرة من جهته ، وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله ، وأقر على قضاء الكوفة شريحاً ، ثم ركب الحجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يعفور ، وولى قضاء البصرة لزرارة بن أوفى ، ثم عاد إلى الكوفة .

وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وأقر عمه يحيى على نيابة المدينة ، وعلى بلاد خراسان أمية بن عبد الله .

وفي هذه السنة وثب الناس بالبصرة على الحجاج ، وذلك أنه لما ركب من الكوفة بعد قتل عمير بن ضابئ قام في أهل البصرة فخطبهم نظير ما قام في أهل الكوفة من الوعيد والتشديد والتهديد الأكيد ، ثم أُتي برجل من بني يشكر[1] فقيل هذا عاص ، فقال الرجل : إن بي فتقاً وقد [عذرني الله] وعذرني بشر بن مروان ، وهذا عطائي مردود على بيت المال ، فلم يقبل منه وأمر بقتله فقتل ، ففزع أهل البصرة وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند قنطرة رامهرمز . وعليهم عبد الله بن الجارود ، وخرج إليهم الحجاج ـ وذلك في شعبان من هذه السنة ـ في أمراء الجيش من المصرين فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل أميرهم عبد الله بن الجارود في رؤوس من القبائل معه ، وأمر برؤوسهم فقطعت ونصبت عند الجسر من رامهرمز ، ثم بعث بها إلى المهلب فقوي بذلك وضعف أمير الخوارج .

وأرسل الحجاج إلى المهلّب وعبد الرحمن بن مخنف فأمرهما بمناهضة الأزارقة ، فنهضا بمن معهما إلى الخوارج الأزارقة فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بأيسر قتال ، فهربوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور ، وسار الناس وراءهم فالتقوا في العشر الأواخر من رمضان ، فلما كان الليل بيَّت الخوارج المهلب من الليل فوجدوه قد تحصن بخندق حول معسكره ، فجاؤوا إلى عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه غير محترز ـ وكان المهلب قد أمره بالاحتراز بخندق حوله فلم يفعل ـ فاقتتلوا في الليل فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن مخنف وطائفة من جيشه وهزموهم هزيمة منكرة .

---

(١) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٨٠) : هو شريك بن عمرو اليشكري ، ولقب ذا الكُرْسُفة .

ويقال : إن الخوارج لما التقوا مع الناس في هذه الوقعة كان ذلك في يوم الأربعاء لعشرين بقين من رمضان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله من الخوارج ، وحملت الخوارج على جيش المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى معسكره ، فجعل عبد الرحمن يمده بالخيل بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فمالت الخوارج إلى معسكر عبد الرحمن بن مخنف بعد العصر فاقتتلوا معه إلى الليل ، فقتل عبد الرحمن في أثناء الليل ، وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبتوا معه ، فلما كان الصباح جاء المهلب فصلى عليه ودفنه وكتب إلى الحجاج بمهلكه ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يعزِّيه فيه فنعاه عبد الملك إلى الناس بمنى ، وأمّر الحجاج مكانه عتاب بن ورقاء ، وكتب إليه أن يطيع المهلب ، فكره ذلك ولم يجد بداً من طاعة الحجاج ، ولم تمكنه مراجعته[١] ، فسار إلى المهلب فجعل لا يطيعه إلا ظاهراً ويعصيه سراً ، ثم تقاولا ، فهمَّ المهلب أن يوقع بعتاب ثم حجز بينهما الناس ، فكتب عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب فكتب إليه أن يقدم عليه وأعفاه من ذلك ، وجعل المهلب مكانه ابنه حبيب بن المهلب[٢] .

وفيها خرج داود بن النعمان المازني بنواحي البصرة ، فوجه إليه الحجاج أميراً على سرية فقتله[٣] .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسرّح أحد بني امرئ القيس ، وكان يرى رأي الصُّفرية[٥] ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان سبب ذلك أنه حج بالناس في هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، والبَطين وأشباهُهم من رؤوس الخوارج ، واتفق حجُّ أمير المؤمنين عبد الملك فهمَّ شبيب بالفتك به ، فبلغ عبد الملك ذلك من خبره ؛ فكتب عبد الملك إلى الحجاج بعد انصرافه من الحج أن يتطلبهم ، وكان صالح بن مسرّح هذا يكثر الدخول إلى الكوفة والإقامة بها ، وكان له جماعة [يلوذون به ويعتقدونه] ، من أهل دارا وأرض الموصل ، وكان يعلّمهم القرآن ويقصُّ عليهم ، وكان مصفراً كثير العبادة ، وكان إذا قصَّ يحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله ، ثم يأمر بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ويحثّ على ذكر الموت ويترحّم على الشيخين أبي بكر وعمر ، ويثني عليهما ثناءً حسناً ، ولكن بعد ذلك يذكر عثمان رضي الله عنه فيسبُّه وينال منه وينكر عليه أشياء من جنس ما كان ينكر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من مردة أهل الأمصار ، ثم يحضّ أصحابه على الخروج مع الخوارج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنكار ما قد شاع في الناس وذاع ، ويهوّن عليهم القتل في طلب ذلك ، ويذم الدنيا

---

(١) مكانها في ط : وكره أن يخالفه .
(٢) الخبر بكامله في الطبري (٦/ ٢١٠ ـ ٢١٥) وابن الأثير (٤/ ٣٨٨ ـ ٣٩٠) .
(٣) خبر خروج داود بن النعمان زيادة من ط ، والخبر من تاريخ خليفة (١/ ٣٤٨) ت : سهيل زكار .
(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٢١٥) .
(٥) الصفرية : هم أتباع زياد بن الأصفر ، وقولهم في الجملة كقول الأزارقة ؛ في أن أصحاب الذنوب مشركون ، وكل ذنب ليس فيه حد ، وأن المؤمن المذنب يفقد اسم الإيمان في الوجهين جميعاً . والصفرية يقولون بموالاة عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير وأتباعهما من المحكمة الأولى . الفرق بين الفرق (ص٦١) .

ذماً بالغاً ، ويصغر أمرها ويحقره ، فالتفت عليه جماعة من الناس ، وكتب إليه شبيب بن يزيد الخارجي يستبطئه في الخروج ويحثه عليه ويندب إليه ، ثم قدم شبيب على صالح وهو بدارا فتواعدوا وتوافقوا على الخروج في مستهل صفر من هذه السنة الآتية ـ وهي سنة ست وسبعين ـ [وقدم على صالح شبيب وأخوه مصاد والمحلل[١] والفضل بن عامر ، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بدارا نحو مئة وعشرة أنفس ، ثم وثبوا على خيل لمحمد بن مروان فأخذوها ونفروا بها][٢] ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما كان ، كما سنذكره في هذه السنة التي بعدها إن شاء الله تعالى .

وكان ممن توفي في هذه السنة في قول أبي مسهر وأبي عبيد :

العرباض بن سارية[٣] ، رضي الله عنه السّلمي أبو نجيح ، سكن حمص وهو صحابي جليل .

أسلم قديماً هو وعمرو بن عبسة ونزل الصفة .

وكان من البكائين المذكورين في القرآن كما قد ذكرنا أسماءهم عند قوله ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢] الآية . وكانوا تسعة[٤] وهو راوي حديث « خطبنا رسول الله ﷺ خطبة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون حتى قلنا : يا رسول الله ؛ كأنها موعظة مودِّع ، فأوصنا . قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة . . . . »[٥] .

---

(١) في الطبري (٦/ ٢١٩) : المحلل بن وائل اليشكري .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) ترجمة ـ العرباض بن سارية ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٢٧٦) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٩) وحلية الأولياء (٢/ ١٣) والاستيعاب (٣/ ١٦٦) وأسد الغابة (٣/ ١٩٢) وتهذيب الكمال (١٩/ ٥٤٩ ـ ٥٥١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٨٣ ـ ٤٨٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٩ ـ ٤٢١) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٥٣) والإصابة (٢/ ٤٧٣) وشذرات الذهب (١/ ٣١٣) .

(٤) قال المصنف رحمه الله في تفسيره (٢/ ٣٦٥) : وقال محمد بن كعب : كانوا سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عوف ، ومن بني واقف حرمي بن عمرو ، ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب ويكنى أبا ليلى ، ومن بنى المعلى فضل الله ، ومن بني مسلمة عمرو بن عتمة وعبد الله بن عمرو المزني . وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك : ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم الباقون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير وعلبة بن زيد أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بني سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزني ، وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزني ، وحرمي بن عبد الله أخو بني واقف ، وعياض بن سارية الفزاري فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة .

(٥) من قوله : حتى قلنا يا رسول الله . . . إلى هنا ساقط من ط .

ورواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وغيره(١) .

[وروى أيضاً أن النبي ﷺ « كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً وعلى الثاني واحدة »(٢)

وقد كان العرباض شيخاً كبيراً ، وكان يحب أن يقبضه الله إليه ، وكان يدعو : اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك(٣) ، وروى أحاديث .

وأبو ثعلبة الخشني(٤) ، صحابي جليل ، شهد بيعة الرضوان وغزا حنيناً وكان ممن نزل الشام بداريا [غربي دمشق إلى جهة القبلة] وقيل : ببلاط قرية شرقي دمشق ، فالله أعلم .

وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة ، والأشهر منها جرثوم بن ناشر .

وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث [وعن جماعة من الصحابة] وعنه جماعة من التابعين ، منهم : سعيد بن المسيب ، ومكحول الشامي ، وأبو إدريس الخولاني ، وأبو قلابة الجرمي ، وكان ممن يجالس كعب الأحبار ، وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيتفكر ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله عزَّ وجلَّ ، وكان يقول : إني لأرجو أن لا يخنقني الله عند الموت كما أراكم تختنقون ، فبينما هو ليلة يصلي من الليل إذ قبضت روحه وهو ساجد . ورأت ابنته في المنام كأن أباها قد مات فانتبهت مذعورة فقالت لأمها : أين أبي ؟ قالت : هو في مصلاه ، فنادته فلم يجبها ، فجاءته فحركته لجنبه فإذا هو ميت رحمه الله(٥) .

قال أبو عبيدة ومحمد بن سعد وخليفة وغير واحد : كانت وفاته سنة خمس وسبعين ، وقال غيرهم : كانت وفاته في أول إمرة معاوية ، فالله أعلم .

وقد توفي في هذه السنة .

الأسود بن يزيد(٦) ، صاحب ابن مسعود ، [وهو الأسود بن يزيد النخعي من كبار التابعين ، ومن

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٢٦ـ١٢٧) وجامع الترمذي رقم (٢٦٧٦) في العلم ، وسنن أبي داود (٤٦٠٧) في السنة ، وسنن ابن ماجه (٤٢) في المقدمة ، وسنن الدارمي (١/ ٤٤) وهو حديث صحيح .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٨) ، وابن ماجه (٩٩٦) في الصلاة ، والنسائي في سننه رقم (٨١٦) في الأذان وهو حديث صحيح .

(٣) الخبر بسنده في سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢١) .

(٤) ترجمة ـ أبي ثعلبة الخشني ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٦) والاستيعاب (٤/ ٢٧) وتاريخ الطبري (١/ ١٦) وأسد الغابة (٥/ ١٥٤ ـ ١٥٥) وتهذيب الكمال (٣٣/ ١٦٧ ـ ١٧٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٤٧) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٦٧) وشذرات الذهب (١/ ٣١٣) والخشني : بضم الخاء وفتح الشين ، نسبة إلى خشين بن النمر بن وبرة . (اللباب ١/ ٣٧٤) .

(٥) القصة بسندها في تهذيب الكمال (٣٣/ ١٧٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٥٤٨) .

(٦) ترجمة ـ الأسود بن يزيد ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٧٠) وتاريخ خليفة (٢٧٥) وحلية الأولياء (٢/ ١٠٢) والاستيعاب (١/ ٩٤) وأسد الغابة (١/ ٨٨) وتهذيب الكمال (٣/ ٢٣٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ=

أعيان أصحاب] ابن مسعود ، ومن كبار أهل الكوفة ، وكان يصوم الدهر ، وقد ذهبت عينه من كثرة الصوم ، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمرة . وكان يهل من الكوفة .

توفي في هذه السنة .

وكان يصوم حتى يخضر ويصفر ، فلما احتُضر بكى فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : ما لي لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك مني ؟ والله لو أنبئت بالمغفرة من الله لأهابن الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو فلا يزال مستحيياً منه[١] .

حمران بن أبان[٢] ، مولى عثمان بن عفان كان من سبي عين التمر[٣] اشتراه عثمان ، وهو الذي كان يأذن الناس على عثمان توفي في هذه السنة والله سبحانه أعلم[٤] .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

كان في أولها في مستهل صفر منها ليلة الأربعاء اجتماع صالح بن مسرّح أمير الصّفرية ، وشبيب بن يزيد أحد شجعان الخوارج ، فقام فيهم صالح بن مسرّح فأمرهم بتقوى الله وحثّهم على الجهاد ، وأن لا يقاتلوا أحداً حتى يدعوه إلى الدخول معهم ، ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة فأخذوها فتقووا[٥] بها ، وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة ، وتحصّن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار ، فبعث إليهم محمد بن مروان نائب الجزيرة خمسمئة فارس عليهم عدي بن عدي بن عَميرة ، ثم زاده خمسمئة أخرى فسار في ألفٍ من حَرَّان إليهم ، وكأنما يساق إلى الموت وهو ينظر ، لما يعلموا من جلد الخوارج وقوتهم وشدة بأسهم ، فلما التقوا مع الخوارج هزمتهم الخوارج هزيمة شنيعة بليغة ، واحتووا على ما في معسكرهم ، ورجع فلّهم إلى محمد بن مروان ، فغضب وبعث إليهم ألفاً وخمسمئة مع الحارث بن جَعْوَنة ، وألفاً وخمسمئة مع خالد بن جزء السُّلَمي[٦] ، وقال لهما : أيكما سبق إليهم فهو

= ٨٠/ ص٣٥٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠) والإصابة (١/ ١٠٦) . وشذرات الذهب (١/ ٣١٣) .

(١) القصة بسندها في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢) .

(٢) ترجمة ـ حمران بن أبان ـ في طبقات ابن سعد(٥/ ٢٨٣) وتاريخ خليفة (١٧٩) والمعارف (٤٣٥) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٧/ ٣٠١ ـ ٣٠٦) وتهذيبه (٤/ ٤٣٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٩٥ ـ ٣٩٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٢) والوافي بالوفيات (١٣/ ١٦٨ ـ ١٦٩) وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٤ ـ ٢٥) والإصابة (١/ ٣٧٩) .

(٣) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة . معجم البلدان (٤/ ١٧٦) .

(٤) من قوله في الترجمة السابقة : ومن كبار أهل الكوفة . . إلى هنا زيادة من ط .

(٥) في ط : فنفروا ؛ تحريف .

(٦) في ط : خالد بن الحر ؛ وما أثبت موافق للطبري (٦/ ٢٢١) وابن الأثير (٤/ ٣٩٥) .

الأمير على الناس ، [فساروا إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل ، والخوارج في نحو من مئة نفس وعشرة أنفس][١] فانتهيا إليه وهو بآمد ، فتوجه صالح في شطر الناس إلى خالد بن جزء ، ووجه شبيباً للحارث بن جَعْوَنة في الباقين ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً إلى الليل ، فلما كان المساء انكشف كل من الفريقين عن الآخر ، وقد قتل من الخوارج نحو السبعين وقتل من أصحاب ابن مروان نحو الثلاثين ، وهربت الخوارج في اللّيل فخرجوا من الجزيرة وأخذوا في أرض الموصل ومضوا حتى قطعوا الدسكرة ، فبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة ، فسار نحوهم حتى لحقهم بأرض الموصل[٢] وليس مع صالح سوى تسعين رجلاً ، فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس ، فهو في كردوس ، وشبيب عن يمينه في كردوس ، وسويد بن سليمان[٣] عن يساره في كردوس ، وحمل عليهم الحارث بن عميرة ، وعلى ميمنته أبو الرواع الشاكري ، وعلى ميسرته الزبير بن الأروَح التميميّ ، فصبرت الخوارج على قتلهم صبراً شديداً ، ثم انكشف سويد بن سليمان ، ثم قتل صالح بن مُسرِّح أميرهم ، وصرع شبيب عن فرسه فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فدخلوا به حصناً هنالك ، وقد بقي معهم سبعون رجلاً ، فأحاط بهم الحارث بن عميرة وأمر أصحابه أن يحرقوا الباب ففعلوا ، ورجع الناس إلى معسكرهم ينتظرون حريق الباب فيأخذون الخوارج قهراً ، فلما رجع الناس واطمأنوا خرجت عليهم الخوارج على الصعب والذلول من الباب فبيَّتوا جيش الحارث بن عميرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الناس سراعاً إلى المدائن ، واحتاز شبيب وأصحابه ما في معسكر الحارث بن عميرة ، وكان أول جيش هزمه شبيب ، وكان مقتل صالح بن مسرح في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة[٤] من هذه السنة .

وفيها دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة ، وذلك أن شبيباً جرت له فصول يطول تفصيلها بعد مقتل صالح بن مسرِّح ، واجتمعت عليه الخوارج وبايعوه ، وبعث إليه الحجاج جيشاً آخر فقاتلوه فهزموه ثم هزمهم بعد ذلك ، ثم سار فحاصر المدائن فلم ينل منها شيئاً ، فسار فأخذ دواباً للحجاج من كلواذا ، وفي عزمه أن يبيِّت أهل المدائن فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة ، فلما وصل فلّهم إلى الحجاج جهز جيشاً أربعة آلاف مقاتل إلى شبيب ، فمروا على المدائن ثم ساروا في طلب شبيب فجعل يسير بين أيديهم قليلاً قليلاً وهو يريهم أنه خائف منهم ، ثم يكر في كل وقت على المقدمة فيكسرها وينهب ما فيها ، ولا يواجه أحداً إلا هزمه ، والحجاج يلحُّ في طلبه ويجهز إليه السرايا والبعوث والمدد وهو لا يبالي بأحد وإن ما معه

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٢) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٢٢) وابن الأثير (٤/ ٣٩٦) في قرية المدبّج على تخوم ما بين الموصل وجوخى .

(٣) هكذا في الأصل في الموضعين ، وفي تاريخ الطبري : « سويد بن سليم » وهو الأصوب . وسيأتي بعد صفحات أيضاً (ص١٥٣) وسماه : « سويد بن سليم » .

(٤) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٢٣) جمادى الأولى .

مئة وستون فارساً ، وهذا من أعجب العجب ، ثم سار من طريق أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يحاصرها ، فخرج الجيش بكماله إلى السبخة لقتاله ، وبلغه ذلك فلم يبال بهم بل انزعج الناس له وخافوا منه وفرقوا منه وهموا أن يدخلوا الكوفة خوفاً منه ويتحصنوا منه ، حتى قيل لهم إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم وقد اقترب منهم ، وشبيب نازل بالمدائن بالدير ليس عنده حبر منهم ولا خوف ، وقد أمر بطعام وشواء يصنع فقيل له : قد جاءك الجند فأدرك نفسك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكترث بهم ويقول للدهقان الذي يصنع له الطعام : أجده وأنضجه وعجل به ، فلما استوى أكله ثم توضأ وضوءاً تاماً ، ثم صلى بأصحابه [صلاة تامة بتطويل وطمأنينة] ثم لبس درعه وتقلّد سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال : أسرجوا لي البغلة ، فركبها فقال له أخوه مصاد : أفي هذا اليوم تركب البغلة وقد أحاط بك الأعداء من كل جانب فقال : لا ! حارس كل أمر أجله ، فركبها ثم فتح باب الدير الذي هو فيه وهو يقول : [أنا أبو المدلّه] لا حكم إلا لله ، وتقدم إلى أمير الجيش الذي يليه بالعمود الحديد فقتله ، وهو سعيد بن المجالد ، وحمل على الجيش الآخر الكثيف فصرع أميره وهرب الناس من بين يديه ولجؤوا إلى الكوفة ، ومضى شبيب إلى الكوفة من أسفل الفرات ، وقتل جماعة هنالك ، وخرج الحجاج من الكوفة هارباً إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، ثم اقترب شبيب من الكوفة يريد دخولها ، فأعلم الدهاقين عروة بن المغيرة بذلك فكتب إلى الحجاج يعلمه بذلك فأسرع الحجاج الخروج من البصرة وقصد الكوفة فأسرع السير ، وبادره شبيب إلى الكوفة فسبقه الحجاج إليها فدخلها العصر(١) ، ووصل شبيب إلى المربد عند الغروب ، فلما كان آخر الليل دخل شبيب الكوفة وقصد قصر الإمارة فضرب بابه بعموده الحديد فأثّرت ضربته في الباب ، فكانت تعرف بعد ذلك ، يقال هذه ضربة شبيب ، وسلك في طرق المدينة وتقصد محال القبائل ، وقتل رجالاً من رؤساء أهل الكوفة وأشرافهم [منهم أبو سليم والد ليث بن أبي سليم ، وعدي بن عمرو ، وأزهر بن عبد الله العامري ، في طائفة كثيرة من أهل الكوفة ، وكان مع شبيب امرأته غزالة(٢) ، وكانت معروفة بالشجاعة ، فدخلت مسجد الكوفة وجلست على منبره وجعلت تذم بني مروان](٣) .

ونادى الحجاج في الناس : يا خيل الله اركبي ، فخرج شبيب من الكوفة [إلى مجال الطعن والضرب] فجهز الحجاج في أثره ستة آلاف مقاتل ، فساروا وراءه [وهو بين أيديهم ينعس ويهز رأسه] وفي أوقات كثيرة يكرُّ عليهم شبيب ، فقتل من جيش الحجاج خلقاً كثيراً ، وقتل جماعة من الأمراء منهم زائدة بن قدامة ، قتله شبيب [وهو ابن عم المختار ، فوجه الحجاج مكانه لحربه عبد الرحمن بن

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٢٣) ونزلها الحجاج صلاة الظهر .

(٢) قال ابن الأعثم في الفتوح (٧/ ٨٧) : ثم ركب شبيب وركب معه أصحابه ، وأقبل نحو الكوفة ومعه أمه ومعه امرأته غزالة من سبي أصفهان ، فأقبلت ومعها خمسون امرأة من نساء الخوارج .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي موافقة لما في تاريخ الطبري (٦/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) .

الأشعث[١] ، فلم يقابل شبيباً ورجع ، فوجه مكانه عثمان بن قطن الحارثي ، فالتقوا في أواخر السنة فقتل عثمان بن قطن وانهزمت جموعه بعد أن قتل من أصحابه ستمئة نفس ، فمن أعيانهم عقيل بن شداد السلولي ، وخالد بن نهيك الكندي ، والأسود بن ربيعة ، واستفحل أمر شبيب وتزلزل له عبد الملك بن مروان والحجاج وسائر الأمراء ، وخاف عبد الملك منه خوفاً شديداً ، فبعث له جيشاً من أهل الشام فقدموا في السنة الآتية ، وإن ما مع شبيب شرذمة قليلة[٢] ، وقد ملأ قلوب الناس رعباً][٣] وجرت خطوب كثيرة يطول تفصيلها له معهم ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى انسلخت هذه السنة .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان على الدراهم والدنانير وهو أول من نقشها .

وقال القاضي الماوردي في كتاب « الأحكام السلطانية »[٥] : اختُلِفَ في أول من ضربها بالعربية في الإسلام ، فقال سعيد بن المسيِّب : أول من ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان ، وكانت الدنانير رومية والدراهم كسروية .

قال أبو الزناد : وكان ذلك في سنة أربع وسبعين[٦] .

وقال المدائني : خمس وسبعين ، وضربت في الآفاق سنة ست وسبعين[٧] ، وذكر أنه ضرب على الجانب الواحد منها : الله أحد ، وعلى الوجه الآخر الله الصمد .

قال : وحكى يحيى بن النعمان الغفاري ، عن أبيه : أن أول من ضرب الدراهم مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير ، سنة سبعين على ضرب الأكاسرة ، عليها بركة من جانب ، والله من جانب ، ثم غيّرها الحجاج وكتب اسمه عليها من جانب[٨] ، ثم خلصها بعده

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٥٠) : عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .
(٢) كان معه مئة وواحد وثمانون رجلاً . الطبري (٦/ ٢١٥) وابن الأثير (٤/ ٤١٥) .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ وهي اختصار لما في تاريخ الطبري (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥٦) .
(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٢٥٦) .
(٥) الأحكام السلطانية (٢٤٢ـ٢٤٤) ط : المكتب الإسلامي ١٩٩٦م .
(٦) في هامش أ : وسبب ذلك أنه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الإسلام بأربعمئة سنة ، مكتوب عليها اسم الأب والابن وروح القدس ، فأمر عبد الملك بسكها ونقش عليها اسم الله ، وقيل : إنه كتب على الوجه الواحد : لا إله إلا الله ، وعلى الآخر : محمد رسول الله (ﷺ) .
(٧) في الأخبار الطوال (٣١٦) : أمر عبد الملك بضرب الدراهم سنة ست وسبعين ، ثم أمر بعد ذلك بضرب الدنانير ، وإنما كانت الدراهم والدنانير قبل ذلك مما ضربت العجم .
(٨) قال البلاذري في فتوح البلدان (٤٥٤) : عن أبي الزبير الناقد قال : ضرب الحجاج الدراهم البغلية ، وكتب عليها : بسم الله الحجاج ، ثم كتب عليها بعد سنة : الله أحد الله الصمد . فسميت : مكروهة ، ويقال : سميت السميرية بأول من ضربها واسمه سمير .

يوسف[١] بن هبيرة في أيام يزيد بن عبد الملك ، ثم خلصها أجود منها خالد بن عبد الله القسري في أيام هشام ، ثم يوسف بن عمر أجود منهم [كلهم] ، ولذلك كان المنصور لا يقبل منها إلا الهبيرية والخالدية واليوسفية ، وذكر أنه قد كان للناس نقود مختلفة منها الدراهم البغلية[٢] ، وكان الدرهم منها ثمانية دوانيق ، والطبرية [وكان الدرهم منها أربعة دوانيق[٣] ، واليمني دانق ، فجمع عمر بن الخطاب بين البغلي والطبري] ثم أخذ بنصفها فجعل الدرهم الشرعي وهو نصف مثقال وخُمْسُ مثقال ، وذكروا أن المثقال لم يغيروا وزنه في جاهلية ولا إسلام ، وفي هذا نظر ، والله أعلم .

وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وهو مروان الحمار آخر من تولى الخلافة من بني أمية بالشام .

وفيها ولى عبد الملك بن مروان نيابة المدينة لأبان بن عثمان بن عفان ، وعزل عنها يحيى بن الحكم عمه ، واستدعاه إلى الشام[٤] . وفيها حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان نائب المدينة ، وعلى إمرة العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو عثمان النهدي القضاعي[٥] ، اسمه عبد الرحمن بن مل ، أسلم على عهد النبي ﷺ وغزا جلولاء ، والقادسية ، وتستر ، ونهاوند ، وأذربيجان وغيرهما .

وكان كثير العبادة زاهداً عالماً يصوم النهار ويقوم اللّيل .

---

(١) في فتوح البلدان : عمر .

(٢) في أ : البغلي . . والبغلية دراهم أعجمية عرفت من العصر الجاهلي كانت ترد على أهل مكة من الفرس . فتوح البلدان (٤٥٢) ومقدمة ابن خلدون (٢٦٣) . والطبرية : نسبة إلى مدينة طبرية ، وهي رومية كانت ترد بلاد العرب أيام الجاهلية أيضاً .

(٣) الدوانيق : جمع دانَق ـ بفتح النون ـ وهو سدس الدرهم ، والكلمة فارسية ، وقد استعمله العرب أيام الجاهلية للدلالة على الوزن أو النقد . اللسان (دنق) .

(٤) من قوله : وفيها ولى عبد الملك . . إلى هنا زيادة من ب ، والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٢٥٦) وابن الأثير (٤/ ٤١٨) .

(٥) ترجمة ـ أبي عثمان النهدي ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٩٧ ـ ٩٨) وتاريخ خليفة (٣٢١) وطبقاته (٢٠٥) وتاريخ البخاري (٩/ ٨٣) والاستيعاب (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩) وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٢) وتاريخ دمشق (٣٥/ ٤٦٠) وأورد خبراً يذكر فيه وفاة أبي عثمان سنة مئة . وتهذيب الكمال (١٧/ ٤٢٤ ـ ٤٣٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٣٥ ـ ٥٣٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٧٥ ـ ١٧٨) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) والإصابة (٣/ ٩٨ ـ ٩٩) وشذرات الذهب (١/ ١١٨) .

وسترد ترجمته ثانية ضمن وفيات سنة مئة ، وقال الذهبي في تاريخه : قال الفلاس : توفي سنة خمس وتسعين . وقال المدائني ، وجماعة : توفي سنة مئة . فهو مختلف في سنة وفاته رضي الله عنه .

توفي وعمره مئة وثلاثين سنة بالكوفة .

صلة بن أشيم العدوي(١) ، من كبار التابعين من أهل البصرة ، وكان ذا فضل وورع وعبادة وزهد ، كنيته أبو الصهباء ، كان يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي الفراش إلا حبواً ، وله مناقب كثيرة جداً ، منها أنه كان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول : أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا في النهار عن الطريق وناموا اللّيل فمتى يقطعون سفرهم ؟ فقال لهم يوماً هذه المقالة ، فقال شاب منهم : والله يا قوم إنه ما يعني بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو ، وبالليل ننام . ثم تبع صلة فلم يزل يتعبد معه حتى مات .

ومر عليه فتى يجر ثوبه فهمّ أصحابه أن يأخذوه بألسنتهم فقال : دعوني أكفكم أمره ، ثم دعاه فقال : يا بن أخي لي إليك حاجة ، قال : وما حاجتك ؟ قال أن ترفع إزارك ، قال : نعم ، ونعمت عين ، فرفع إزاره ، فقال صلة : هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه لشتمكم .

ومنها ما حكاه جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله الليلة ، فدخل غيضة ودخلت في أثره فقام يصلي وجاء الأسد حتى دنا منه وصعدت أنا في شجرة ، قال : فتراه التفت أو عده جرواً حتى(٢) سجد فقلت : الآن يفترسه ، فجلس ثم سلّم فقال : أيها السبع إن كنت أُمرت بشيء فافعل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر ، فولى الأسد وإن له لزئيراً تصدع منه الجبال ، فلما كان عند الصباح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها ثم قال : اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة . ثم رجع إلى الجيش فأصبح كأنه بات على الحشا ، وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عليم .

قال : وذهبت بغلته بثقلها فقال : اللهم إني أسألك أن ترد عليّ بغلتي بثقلها ، فجاءت حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنعنا بهم طعناً وضرباً ، فقال العدو : رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا كلهم ؟ أعطوا المسلمين حاجتهم ـ يعني انزلوا على حكمهم ـ

وقال صلة : جعت مرة في غزاة جوعاً شديداً فبينما أنا أسير أدعو ربي وأستطعمه ، إذ سمعت وجبة من خلفي فالتفتُّ فإذا أنا بمنديل أبيض فإذا فيه دوخلة ملآنة رطباً فأكلت منه حتى شبعت ، وأدركني المساء فملت إلى دير راهب فحدثته الحديث ، فاستطعمني من الرطب فأطعمته ، ثم إني مررت على ذلك الراهب بعد زمان فإذا نخلات حسان فقال : إنهن لمن الرطبات التي أطعمتني ، وجاء بذلك المنديل إلى امرأته فكانت تريه للناس ، ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيت العروس بيتاً

---

(١) ترجمة ـ صلة بن أشيم العدوي ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٣٤) وتاريخ خليفة (٢٣٦) وتاريخ الطبري (٥/ ٤٧٢) وحلية الأولياء (٢/ ٢٣٧) وأسد الغابة (٤/ ٣٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص١٢٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٧) والوافي بالوفيات (١٦/ ٣٣٠) والإصابة (٢/ ٢٠٠) .

(٢) في تاريخ الإسلام : أفتراه التفت إليه أو اعتدّ به حتى سجد .

مطيباً ، فقام يصلي فقامت تصلي معه ، فلم يزالا يصليان حتى برق الصبح ، قال : فأتيته فقلت له : أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقمت تصلي وتركتها ؟ قال : إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتني به النار ، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة ، فلم تزل فكرتي فيهما حتى أصبحت ، البيت الذي أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس .

وقال له رجل : ادع الله لي : فقال رغَّبك الله فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ورزقك اليقين الذي لا يركن إلا إليه ، ولا يعول في الدين إلا عليه .

وكان صلة في غزاة ومعه ابنه فقال له : أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك ، فحمل فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم صلة فقاتل حتى قتل ، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت : إن كنتن جئتن لتهنينني فمرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن لتعزينني فارجعن ، توفي صلة في غزاة هو وابنه نحو بلاد فارس في هذه السنة(١) .

زهير بن قيس البلوي(٢) ، شهد فتح مصر وسكنها ، له صحبة ، قتلته الروم ببرقة من بلاد المغرب ، وذلك أن الصريخ أتى الحاكم بمصر وهو عبد العزيز بن مروان أن الروم نزلوا برقة ، فأمره بالنهوض إليهم ، فساق زهير ومعه أربعون نفساً فوجد الروم فأراد أن يكف عن القتال حتى يلحقه العسكر ، فقالوا : يا أبا شداد احمل بنا عليهم ، فحملوا فقتلوا جميعاً .

المنذر بن الجارود(٣) : مات في هذه السنة . تولى بيت المال ووفد على معاوية ، والله أعلم(٤) .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

فيها أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفاً ، وانضاف إليهم عشرة آلاف ، فصاروا خمسين ألفاً ، وأمَّر عليهم عتّاب بن ورقاء وأمره أن يقصد لشبيب بن يزيد ، وأن يصمم على قتاله وكانوا

---

(١) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص١٣٠) قال الذهبي بعد أن سرد قصة قتل صلة : قلت : وذلك سنة اثنتين وستين !.

(٢) ترجمة ـ زهير بن قيس البلوي ـ في تاريخ خليفة (٢٥١) وفتوح البلدان للبلاذري (٣٧٠) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥١٢) وتاريخ دمشق (١٩/ ١١٢ ـ ١١٦) وتهذيبه (٥/ ٣٩٦) والمنتظم (٦/ ١٨٤) وتهذيب الكمال (٩/ ٤٤٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٠٤) والإصابة (١/ ٥٥٥) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٦١) .

(٣) ترجمة ـ المنذر بن الجارود ـ في تاريخ خليفة (٢٣٦) وفتوح البلدان (٣٥٨) والأخبار الطوال (٢٣١) وتاريخ دمشق (٦٠/ ٢٨١ ـ ٢٨٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٢٩) وفيه : قتل في خلافة عمر بفارس . والإصابة (٣/ ٤٨٠) .

(٤) التراجم الثلاث السابقة ساقطة من أ ، ب .

قد تجمعوا ألف رجل[١] ـ وأن لا يفعلوا كما كانوا يفعلون قبلها من الفرار والهزيمة ، ولما بلغ شبيباً ما بعث به الحجاج إليه من [العساكر] والجنود ، [لم يعبأ بهم شيئاً . بل] قام في أصحابه خطيباً فوعظهم وذكرهم وحثهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو عتَّاب بن ورقاء ، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس ، فأمر شبيب مؤذنه سَلّام بن يسار[٢] الشيباني فأذن [المغرب] ثم صلى شبيب بأصحابه المغرب [صلاة تامة الركوع والسجود] وصفَّ عتّاب أصحابه ـ وكان قد خندق [حوله و] حول جيشه من أول النهار ـ فلما صلى شبيب بأصحابه المغرب انتظر حتى طلع القمر وأضاء ثم تأمل[٣] الميمنة والميسرة ثم حمل على أصحاب رايات عتاب وهو يقول : أنا شبيب أبو المدلّه لا حكم إلا لله ، فهزمهم وقتل أميرهم قبيصة بن والق وجماعة من الأمراء معه ، ثم كَرّ على الميمنة وعلى الميسرة ففرق شمل كل واحدة منهما ، ثم قصد القلب فما زال حتى قتل الأمير عَتّاب بن ورقاء وزُهْرة بن حَويَّة ، وولَّى عامة الجيش مُدْبرين وداسوا الأمير عتّاب وزُهرة فوطئته الخيل . وقتل في المعركة عَمّار بن يزيد الكلبي . ثم قال شبيب لأصحابه : لا تتبعوا منهزماً ، وانهزم جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة ، وكان شبيب لما احتوى على المعسكر أخذ ممن بقي منهم البيعة له بالإمارة وقال لهم إلى أي ساعة تهربون ؟ ثم احتوى على ما في المعسكر من الأموال والحواصل ، واستدعى بأخيه مصاد من المدائن ، ثم قصد نحو الكوفة .

وقد وفد إلى الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ستة آلاف فارس ومعهما خلق من أهل الشام ، فاستغنى الحجاج بهم عن نصرة أهل الكوفة ، وقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، اخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، فلا يقاتلن معنا إلا من كان عاملاً لنا ، ومن لم يشهد قتال عَتّاب بن وَرْقاء ، وعزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه وسار شبيب حتى بلغ الصراة ، وخرج إليه الحجاج بمن معه من الشاميين وغيرهم ، فلما تواجه الفريقان نظر الحجاج إلى شبيب وهو في ستمئة من أصحابه فخطب الحجاج أهل الشام وقال :

يا أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين ، لا يغلبن باطل هؤلاء الأرجاس حقكم ، غضوا الأبصار واجثوا على الركب ، واستقبلوا بأطراف الأسنة . ففعلوا ذلك ، وأقبل شبيب وقد عبَّأ أصحابه ثلاث فرق ، واحدة معه ، وأخرى مع سويد بن سُليم ، وأخرى مع المحلل بن وائل . وأمر شبيب سويداً أن يحمل فحمل على جيش الحجاج فصبروا له حتى إذا دنا منهم وثبوا إليه وثبة واحدة فانهزم

(١) في الطبري (٦/ ٢٥٧) وابن الأثير (٤/ ٤١٩) : ثمانمئة رجل .
(٢) في الطبري (٦/ ٢٦٣) : سَيّار .
(٣) في أ : ثم قاتل ، وما هنا أقرب لخبر الطبري وابن الأثير .

عنهم ، فنادى الحجاج : يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا ، ثم أمر الحجاج فقدم كرسيه الذي هو جالس عليه إلى الأمام ، ثم أمر شبيب المحلل أن يحمل فحمل فثبتوا له وقدم الحجاج كرسيه إلى أمام ، ثم إن شبيباً حمل عليهم في كتيبته فثبتوا له حتى إذا غشى أطراف الرماح[١] وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً ، ثم إن أهل الشام طاعنوه قُدُماً[٢] حتى ألحقوه بأصحابه ، فلما رأى صبرهم نادى : يا سويد احمل في خيلك على أهل هذه السكة[٣] لعلك تزيل أهلها عنها فأت الحجاج من ورائه ، ونحمل نحن عليه من أمامه . فحمل فلم يفد ذلك شيئاً ، وذلك أن الحجاج كان قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمئة فارس ردءاً له من ورائه لِئلا يؤتوا من خلفهم ، وكان الحجاج بصيراً بالحرب أيضاً ، فعند ذلك حرَّض شبيب أصحابه على الحملة وأمرهم بها ففهم ذلك الحجاج ، فقال :

يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ، ثم وربِّ السماء والأرض ما شيء دون الفتح ، فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه ، فلما غشيهم نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا في وجهه ، فما زالوا يطعنون ويطعنون وهم مستظهرون على شبيب وأصحابه حتى رَدّوهم عن مواقفهم إلى ما وراءها ، فنادى شبيب في أصحابه يا أولياء الله الأرض الأرض ، ثم نزل ونزلوا ونادى الحجاج يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة ، هذا أول النصر والذي نفسي بيده ، وصعد مسجداً هنالك وجعل ينظر إلى الفريقين ، ومع شبيب نحو عشرين رجلاً معهم النبل[٤] ، واقتتل الناس [قتالاً شديداً] عامة النهار من أشد قتال في الأرض ، حتى أقر كل واحد من الفريقين لصاحبه ، والحجاج ينظر إلى الفريقين من مكانه ، ثم إن خالد بن عَتّاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة فيأتي الخوارج من خلفهم ، فأذن له ، فانطلق في جماعة معه نحو من أربعة آلاف ، فدخل عسكر الخوارج من ورائهم فقتل مصاداً أخا شبيب ، وغزالة امرأة شبيب ، قتلها رجل يقال له فروة بن الدفان الكلبي[٥] ، وخرق في جيش شبيب ، ففرح بذلك الحجاج وأصحابه وكبروا ، وانصرف شبيب وأصحابه كل منهم على فرس ، فأمر الحجاج أن ينطلقوا في تطلبهم ، فشدوا عليهم فهزموهم ، وتخلف شبيب في حامية الناس ، ثم انطلق واتبعه الطلب فجعل ينعس وهو على فرسه حتى يخفق برأسه ، ودنا منه الطلب فجعل بعض أصحابه ينهاه عن النعاس في هذه الساعة فجعل لا يكترث بهم ويعود فيخفق رأسه ، فلما طال ذلك بعث الحجاج إلى أصحابه يقول : دعوه في حرق النار[٦] ، فتركوه ورجعوا .

---

(١) في ط : الأسنة ، وما أثبت من أ والطبري (٦/ ٢٧٠) .

(٢) ساقطة من أ ، ط ، واللفظة غير واضحة في ب ، وما أثبت عن الطبري .

(٣) في ط : السرية ، وما أثبتت عن أ ، وزاد الطبري : سِكَّة لحّام جرير .

(٤) في الطبري (٦/ ٢٧١) : وصعد المسجد معه ـ أي مع الحجاج ـ نحو من عشرين رجلاً معهم النبل ، فقال : إن دنوا منا فارشقوهم .

(٥) في أ ، ط : دقاق ؛ تحريف ، وما هنا عن ب والطبري .

(٦) في الطبري (٦/ ٢٧١) : فبعث الحجاج إلى خيله : أن دعوه في حرق الله وناره ؛ فتركوه ورجعوا .

ثم دخل الحجاج الكوفة فخطب الناس فقال في خطبته . إن شبيباً لم يهزم قبلها ، ثم قصد شبيب الكوفة فخرجت إليه سرية من جيش الحجاج فالتقوا يوم الأربعاء فلا زالوا يتقاتلون إلى يوم [الجمعة وكان على سرية الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي في ألف فارس معه ، فحمل شبيب على الحارث بن معاوية فكسره ومن معه ، وقتل منهم طائفة ، ودخل الناس الكوفة هاربين ، وحصن الناس السكك فخرج إليه أبو الورد مولى الحجاج في طائفة من الجيش فقاتل حتى قتل ، ثم هرب أصحابه ودخلوا الكوفة ، ثم خرج إليه أمير آخر فانكسر أيضاً ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو السواد فمروا بعامل الحجاج على تلك البلاد فقتلوه ، ثم خطب أصحابه وقال : اشتغلتم بالدنيا عن الآخرة ، ثم رمى بالمال في الفرات ، ثم سار بهم حتى افتتح بلاداً كثيرة ولا يبرز له أحد إلا قتله ، ثم خرج إليه بعض الأمراء الذين على بعض المدن فقال له : يا شبيب ابرز إليّ وأبرز إليك ، ـ وكان صديقه ـ فقال له شبيب : إني لا أحب قتلك ، فقال له : لكني أحب قتلك ، فلا تغرنك نفسك وما تقدم من الوقائع ، ثم حمل عليه فضربه شبيب على رأسه فهمس رأسه حتى اختلط دماغه بلحمه وعظمه ، ثم كفنه ودفنه ، ثم إن الحجاج أنفق أموالاً كثيرة على الجيوش والعساكر في طلب شبيب فلم يطيقوه ولم يقدروا عليه ، وإنما سلط الله عليه موتاً قدراً من غير صنعهم ولا صنعه في هذه السنة](١) .

مقتل شبيب في هذه السنة عند ابن الكلبي

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى نائبه على البصرة ـ وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج ـ يأمره أن يجهز جيشاً أربعة آلاف يتطلبون شبيباً ، ويكونون تبعاً لسفيان بن الأبرد [ففعل وانطلقوا في طلبه فالتقوا معه . وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل الشام ، فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأبرد التقوا معه جيشاً واحداً هم وأهل الشام ، ثم ساروا إلى شبيب](٢) فالتقوا به فاقتتلوا قتالاً شديداً وصبر كل من الفريقين لصاحبه ، ثم عزم أصحاب الحجاج فحملوا على الخوارج [حملة منكرة والخوارج قليلون] ففروا بين أيديهم ذاهبين حتى اضطروهم إلى جسر هناك ؛ فوقف عنده شبيب في مئة من أصحابه ، وعجز سفيان بن الأبرد عن مقاومته ، ورده شبيب عن موقفه هذا بعد أن تقاتلوا نهاراً طويلاً كاملاً عند أول الجسر أشد قتال يكون ، ثم أمر ابن الأبرد أصحابه فرشقوهم بالنبال رشقاً واحداً ، ففرت الخوارج ثم كرت على الرماة فقتلوا نحواً من ثلاثين رجلاً [من أصحاب ابن الأبرد] ، وجاء الليل بظلامه فكف الناس بعضهم عن بعض ، وبات كل من الفريقين مصراً على مناهضة الآخر ، فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر ، فبينما شبيب على متن الجسر راكباً على حصان له وبين يديه فرس أنثى إذ نزا حصانه عليها وهو على الجسر فنزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء ،

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي اختصار لما في الطبري ، ومكانها في أ : سارت الخوارج هاربين .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

فقال : ﴿ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال : ٤٢] ثم انغمر في الماء ثم ارتفع وهو يقول : ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] فغرق . فلما تحققت الخوارج سقوطه في الماء كبروا وانصرفوا ذاهبين متفرقين في البلاد ، وجاء أمير جيش الحجاج فاستخرج شبيباً من الماء وعليه درعه ، ثم أمر به فشق صدره[١] فاستخرج قلبه فإذا هو مجتمع صلب كأنه صخرة ، وكانوا يضربون به الأرض فيرتفع قامة الإنسان.

[وقيل : إنه كان معه رجال قد أبغضوه لما أصاب من عشائرهم ، فلما تخلف في الساقة اشتوروا وقالوا نقطع الجسر به ففعلوا ذلك فمالت السفن بالجسر ونفر فرسه فسقط في الماء فغرق ، ونادوا غرق أمير المؤمنين ، فعرف جيش الحجاج ذلك فجاؤوا فاستخرجوه][٢] .

ولما نعي شبيب إلى أمه قالت : صدقتم إني كنت رأيت في المنام وأنا حامل به أنه قد خرج منها شهاب من نار فعلمت أن النار لا يطفئها إلا الماء ، وأنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه جارية اسمها جَهِيزة[٣] ، وكانت جميلة ، وكانت من أشجع النساء ، تقاتل مع ابنها في الحروب .

وذكر القاضي ابن خلكان[٤] : أنها قتلت في هذه الغزوة وكذلك قتلت زوجته غزالة ، وكانت أيضاً شديدة البأس خارجية [تقاتل قتالاً شديداً يعجز عنه الأبطال من الرجال] وكان الحجاج يخاف منها أشد خوف حتى قال فيه بعض الشعراء[٥] :

أَسَدٌ عليَّ وفي الحروبِ نَعَامةٌ ... فَتخاءُ تَنْفِرُ من صَفِير الصَّافِرِ
هَلَّا بَرَزْتَ إلى غزالة في الوَغَا ... بلْ كان قلبُكَ في جناحيْ طائرِ

قال : وقد كان شبيب بن يزيد بن نُعيم بن قيس بن عمرو بن الصَّلْت بن قيس بن شراحيل بن صبرة بن ذهل بن شيبان [الشيباني] يدّعي الخلافة ويتسمى بأمير المؤمنين [ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من الغرق لنال الخلافة إن شاء الله ، ولما قدر عليه أحد][٦] وإنما قهره الله على يدي الحجاج لما أرسل إليه أمير المؤمنين عبد الملك بعسكر الشام لقتاله فهرب شبيب غير مرة ، ولما ألقاه جواده على الجسر في نهر دجيل[٧] قال له رجل : أغرقاً يا أمير المؤمنين ؟ قال ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] قال ثم أخرج

---

(١) الخبر في الطبري (٦/ ٢٨١_٢٨٢) وابن الأثير (٤/ ٤٣٣) ومروج الذهب (٣/ ١٦٩) .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٢٨١) .
(٣) جهيزة : بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعدها هاء ساكنة ، قيدها ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢/ ٤٥٧) .
(٤) وفيات الأعيان (٢/ ٤٥٥) .
(٥) وهو عمران بن حطان ، كما في الأغاني (١٨/ ١١٦) وديوان شعر الخوارج (٢٥) .
(٦) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ب وبدل العبارة : قال .
(٧) دجيل : نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس ، ومخرجه من أرض أصبهان ومصبه في بحر فارس قرب عباذان ، وفيه غرق شبيب الخارجي (معجم البلدان ٢/ ٤٤٣) .

وحمل إلى الحجاج فأمر فنزع قلبه من صدره فإذا هو مثل الحجر ، وكان شبيب رجلاً طويلاً أشمط جعداً ، وكان مولده في يوم عيد النحر سنة ست وعشرين[١] ، وقد أمسك رجل[٢] من أصحابه فحمل إلى عبد الملك بن مروان فقال له ألست القائل :

فإن يك منكُمْ كانَ مروان وابنُهُ ... وعمروٌ ومنكمْ هاشمٌ وحبيبُ
فمنا حُصَينٌ والبطينُ وقعنبٌ ... ومنّا أميرُ المؤمنينَ شبيبُ[٣]

فقال : إنما قلت : ومنا أميرَ[٤] المؤمنين شبيب . فأعجبه اعتذاره وأطلقه والله سبحانه أعلم .

وفي هذه السنة كانت حروب كثيرة جداً بين المهلب بن أبي صفرة نائب الحجاج ، وبين الخوارج من الأزارقة وأميرهم قَطَري بن الفجاءة ، وكان قَطَري أيضاً من الفرسان الشجعان المذكورين المشهورين وقد تفرق عنه أصحابه ونفروا في هذه السنة ، وأما هو فلا يدري أحد أين ذهب فإنه شرد في الأرض وقد جرت بينهم مناوشات ومجاولات يطول بسطها ، وقد بالغ ابن جرير في ذكرها في « تاريخه »[٥] .

قال ابن جرير[٦] : وفي هذه السنة ثار بُكَير بن وشاح الذي كان نائب خراسان على نائبها أمية بن عبد الله بن خالد وذلك أن بكيراً استجاش عليه الناس وغدر به وقتله ، وقد جرت بينهما خطوب[٧] قد استقصاها أبو جعفر في « تاريخه » .

وفي هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد الخارجي كما قدّمنا ، وقد كان من الشجاعة والفروسة على جانب كبير لم ير بعد الصحابة مثله ، ومثل الأشتر ، وابنه إبراهيم ، ومصعب بن الزبير ، وأخيه عبد الله ، ومن يُناط بهؤلاء في الشجاعة مثل قطري بن الفجاءة من الأزارقة الخوارج .

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٨٢) وابن الأثير (٤/ ٤٣٣) : سنة خمس وعشرين في ذي الحجة يوم النحر يوم السبت .
(٢) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤١٨) : هو عتبان الحروري . وفي معجم الشعراء للمرزباني (١٠٩) : عتبان بن أصيلة الشيباني .
(٣) البيتان في معجم الشعراء (١٠٩) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٥٦) والوافي بالوفيات (١٦/ ١٠٥) وشعر الخوارج (٦٣) وفيه : فمنا سويد والبطين ـ وهو سويد بن سُلَيم أحد قادة جند شبيب .
(٤) في ط : يا أمير ، وفي أ : أمير بعد ، وما أثبت عن ب وهي موافقة لوفيات ابن خلكان وتاريخ الإسلام للذهبي .
وقال ابن خلكان في الوفيات (٢/ ٤٥٦) : وهذا الجواب في نهاية الحسن ؛ فإنه إن كان « أمير » مرفوعاً كان مبتدأ ، فيكون شبيب أمير المؤمنين ، وإذا كان منصوباً فقد حذف منه حرف النداء ، ومعناه : يا أمير المؤمنين ؛ منا شبيب ؛ فلا يكون شبيب أمير المؤمنين ، بل يكون منهم .
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٣٠٠ ـ ٣١١) والخبر أيضاً في الأخبار الطوال (٢٨٠) وابن الأثير (٤/ ٤٤١ ـ ٤٤٣) وقتل قطري بن الفجاءة في شعب من شُعَب طبرستان في مواجهة بعث الحجاج تحت راية سفيان بن الأبرد ، قتلوه ، وفيمن قتله سَوْدَةُ بن أبجر التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف .
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٣١١) والخبر أيضاً في ابن الأثير (٤/ ٤٤٣) وفيه : بكير بن وسّاج ـ بالسّين ـ .
(٧) في ط : حروب طويلة .

وفيها توفي من الأعيان :

كثير بن الصلت[١] بن معدي كَرب الكِنديّ ، كان كبيراً مطاعاً في قومه ، وله بالمدينة دار كبيرة بالمصلّى ، وقيل إنه كان كاتب عبد الملك على الرسائل ، توفي بالشام .

محمد بن موسى[٢] بن طلحة بن عبيد الله كانت أخته تحت عبد الملك وولاه سجستان ، فلما سار إليها قيل له : إن شبيباً في طريقك وقد أعيا الناس فاعدل إليه لعلك أن تقتله فيكون ذكر ذلك وشهرته لك إلى الأبد ، فلما سار لقيه شبيب فاقتتل معه فقتله شبيب . وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

عياض بن غنْم الأشعري[٣] ، شهد اليرموك ، وحدث عن جماعة من الصحابة وغيرهم توفي بالبصرة رحمه الله .

مطرف بن عبد الله[٤] ، وقد كانوا إخوة عروة ومطرف وحمزة ، وقد كانوا يميلون إلى بني أمية فاستعملهم الحجاج على أقاليم ، فاستعمل عروة على الكوفة ، ومطرف على المدائن ، وحمزة على همَذان[٥] .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

[ففيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم افتتحوا أزقلة[٦] ، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وثلج وبرد ، فأصيب بسببه ناس كثير[٧] .

وفيها ولّى عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه فسار إلى طنجة وقد جعل على مقدمته

---

(١) ترجمة ـ كثير بن الصلت ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٤) وتاريخ الطبري (٣/ ٣٣٠) والاستيعاب (٣/ ٣١٨) وأسد الغابة (٤/ ٢٤٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥١٣) .

(٢) ترجمة ـ محمد بن موسى ـ في شذرات الذهب (١/ ٣١٧) .

(٣) ترجمة ـ عياض بن غنم ـ في تاريخ البخاري (٧/ ١٩) والاستيعاب (٣/ ١٢٩) وأسد الغابة (٤/ ١٦٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٨) وفيه اسمه : عياض بن عمرو . . وكلاهما واحد ، ولكن ثمة خلاف في أسماء آبائه ، والإصابة (٣/ ٤٩) .

(٤) ترجمة ـ مطرف بن عبد الله ـ في تاريخ البخاري (٧/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧) وحلية الأولياء (٢/ ١٩٨) وتاريخ دمشق (٥٨/ ٢٨٩ ـ ٣٣٧) وتهذيب الكمال (١٨/ ١٤٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧) وتهذيب التهذيب (٥/ ٤٥٦) .

(٥) التراجم الأربعة السابقة ساقطة من أ ، ب .

(٦) في ط : « إرقيلية » محرف ، وما أثبتناه موافق لمصادره .

(٧) الخبر في تاريخ خليفة (٢٧٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٣٧) .

طارقاً[١] فقتلوا ملوك تلك البلاد ، وبعضهم قطعوا أنفه ونفوه[٢]] .

وفيها عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن إمرة خراسان وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي مع سجستان أيضاً ، وركب الحجاج بعد فراغه من شأن شبيب من إمرة الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن عامر الحضرمي[٣] ، فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة وقد فرغ من شأن الأزارقة أيضاً ، فأجلسه معه على السرير واستدعى بأصحاب البلاء من جيشه ، فمن أثنى عليه المهلب أجزل الحجاج جائزته[٤] ، ثم ولى الحجاج المهلب إمرة سجستان ، وولى عبد الله بن أبي بكرة إمرة خراسان ، ثم ناقل بينهما قبل خروجهما من عنده ، فقيل كان ذلك بإشارة المهلب ، وقيل إنه استعان بصاحب الشرطة وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العَبْشمي ، حتى أشار على الحجاج بذلك فأجابه إلى ذلك ، وألزم المهلب بألف ألف درهم ، لكونه اعترض في ذلك .

قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك .

وكان أمير المدينة أبان بن عثمان .

وأمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج بن يوسف ، ونائبه على خراسان المهلب بن أبي صفرة ، ونائبه على سجستان عبد الله بن أبي بكرة الثقفي .

وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك الأنصاري .

وقد توفي في هذه السنة من الأعيان :

جابر بن عبد الله[٥] بن عمرو بن حرام ، أبو عبد الله الأنصاري[٦] السلمي ، صاحب رسول الله ﷺ

---

(١) الخبر في تاريخ الإسلام (ص٣٣٧) وتتمته : الذي افتتح الأندلس ، وأصاب فيها المائدة التي يتحدث أهل الكتاب أنها مائدة سليمان عليه السلام .

(٢) الخبر هنا فيه نقص ، وفي تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ص٣٣٧) : وفيها وثب الروم على ملكهم فخلعته ، وقطعت أنفه ونفته إلى بعض الجزائر . قاله المسبحي . وقد وثق محقق تاريخ الإسلام هذه الحادثة . وما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) في تاريخ الطبري (٦/ ٢٨٤) وابن الأثير (٤/ ٤٤٨) : المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل .

(٤) في ط : له العطية .

(٥) ترجمة ـ جابر بن عبد الله ـ في طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٤) وتاريخ خليفة (٧٣) والأخبار الطوال (٣١٦) والاستيعاب (١/ ٢١٩) وتاريخ دمشق (١١/ ٢٠٨ـ٢٤٠) وتهذيبه (٣/ ٣٨٩) وأسد الغابة (١/ ٢٥٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٣٧٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٩) والإصابة (١/ ٤٥) وشذرات الذهب (١/ ٣١٩) .

(٦) بعدها في أ ، ب : وشريح القاضي وعبد الرحمن بن غنم ، وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل .
والتكميل كتاب للمؤلف رحمه الله جمع فيه ما بين تراجم تهذيب الكمال لشيخه المزي والعبر للذهبي وزاد عليهما .
والمجلد الأخير منه مخطوط في دار الكتب المصرية . =

وله روايات كثيرة ، وشهد العقبة وأراد أن يشهد أحداً فمنعه أبوه وخلفه على أخواته ، وكانوا تسعة ، وقيل إنه ذهب بصره قبل موته . توفي جابر بالمدينة وعمره أربع وتسعون سنة ، وأسند إليه ألف وخمسمئة وأربعين حديثاً .

شريح بن الحارث[١] بن قيس ، أبو أمية الكندي ، وهو قاضي الكوفة ، وقد تولّى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، ثم عزله علي ، ثم ولّاه معاوية ، ثم استقل في القضاء إلى أن مات في هذه السنة ، وكان رزقه على القضاء في كل شهر مئة درهم ، وقيل : خمسمئة درهم .

وكان إذا خرج إلى القضاء يقول : سيعلم الظالم حظ من نقص .

وقيل : إنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ الآية [ص : ٢٦] .

وكان يقول : إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر .

وقيل : إنه مكث قاضياً نحو سبعين سنة[٢] .

وقيل : إنه استعفى من القضاء قبل موته بسنة ، فالله أعلم .

وأصله من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ .

توفي بالكوفة وعمره مئة وثمان سنين .

وقد روى الطبراني قال : حدَّثنا علي بن عبد العزيز ، حدّثنا عارم أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن شعيب بن الحبحاب عن إبراهيم التيمي . قال : كان شريح يقول : سيعلم الظالمون حق من نقصوا . إن الظالم ينتظر العقاب ، وإن المظلوم ينتظر النصر .

ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية ، عن ابن عون ، عن إبراهيم به .

= وهكذا نجد أن ط تنفرد ببعض التراجم ، وهي من زيادات النساخ أو تلاميذ المؤلف رحمه الله وإنما نبقيها مع الإشارة إليها ، لأن المؤلف رحمه الله درج على ذكر الوفيات بعد ذكر الأحداث كل سنة ، ويلاحظ أن معظم الزيادات من ط للوفيات ممن اختُلف في سنة موتهم ، ونعمل على الإشارة إلى ذلك في محله بتوفيق الله وإعانته سبحانه .

(١) ترجمة ـ شريح بن الحارث ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٣١) وتاريخ خليفة (١٥٥ و١٧٩ و٢٠٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢١٧ و٢١٨) وأخبار القضاة لوكيع (٢/ ١٨٧) وحلية الأولياء (٤/ ١٤٤ ـ ١٥٤) والاستيعاب (٢/ ١٤٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٧/٢٣ ـ ٥٩) وتهذيبه (٦/ ٣٠٥) والمنتظم (٦/ ١٨٥) وقد جعله ضمن وفيات سنة ست وسبعين . ووفيات الأعيان (٢/ ٤٦٠) وأسد الغابة (٢/ ٣٩٤) وتهذيب الكمال (١٢/ ٤٣٥ ـ ٤٤٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤١٩ ـ ٤٢٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٠٠ ـ ١٠٦) والوافي بالوفيات (١٦/ ١٤٠) والإصابة (٢/ ١٤٦) وشذرات الذهب (١/ ٨٥) .

(٢) في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة : ستين سنة ، وفي الوفيات لابن خلكان : (٢/ ٤٦٠) أقام قاضياً خمساً وسبعين سنة ، لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير .

وقال الأعمش : اشتكى شريح رجله فطلاها بالعسل وجلس في الشمس فدخل عليه عوّاده فقالوا : كيف تجدك ؟ فقال : صالحاً . فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : قد فعلت ، قالوا : فماذا قال لك ؟ قال : وعد خيراً .

وفي رواية أنه خرج بإبهامه قرحة فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : هو الذي أخرجها .

وقال الأوزاعي : حدَّثني عبدة بن أبي لبابة قال : كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين ، وكان شريح لا يختبر ولا يستخبر .

ورواه ابن ثوبان عن عبدة ، عن الشعبي ، عن شريح قال : لما كانت الفتنة لم أسأل عنها . فقال رجل لو كنت مثلك ما باليت متى مت ، فقال شريح : فكيف بما في قلبي . وقد رواه شقيق بن سلمة عن شريح قال : في الفتنة ما استخبرت ولا أخبرت ولا ظلمت مسلماً ولا معاهداً ديناراً ولا درهماً ، فقال أبو وائل : لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قد مِتُّ ، فأوى إلى قلبه فقال : كيف يهدأ[(١)] ، وفي رواية : كيف بما في صدري تلتقي الفئتان وإحداهما أحب إليّ من الأخرى . وقال لقوم رآهم يلعبون : ما لي أراكم تلعبون ؟ قالوا : فرغنا ! قال : ما بهذا أُمِرَ الفارغ .

وقال سوار بن عبد الله العنبري : حدَّثنا العلاء بن جرير العنبري ، حدّثني سالم أبو عبد الله ، أنه قال : شهدت شُريحاً وتقدم إليه رجل فقال : أين أنت ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، فقال : إني رجل من أهل الشام ، فقال : بعيد سحيق ، فقال : إني تزوجت امرأة ، فقال : بالرفاء والبنين[(٢)] ، قال : إني اشترطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : اقض بيننا ، قال : قد فعلت[(٣)] .

وقال سفيان : قيل لشريح بأي شيء أصبت هذا العلم ؟ قال : بمعاوضة[(٤)] العلماء ، آخذ منهم وأعطيهم .

وروى عثمان بن أبي شيبة ، عن عبد الله بن محمد بن سالم ، عن إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة أنه سمع علياً يقول : يا أيها الناس ! يأتوني فقهاؤكم يسألوني وأسألهم ، فلما كان من الغد غدونا إليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألهم : ما كذا ما كذا ، ويسألونه ما كذا ما كذا فيخبرهم ويخبرونه حتى إذا ارتفع النهار تصدعوا غير شريح فإنه جاثٍ على ركبتيه لا يسأله عن شيء إلا أخبره به ، قال : سمعت علياً يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب[(٥)] .

---

(١) الخبر الذي قبله في حلية الأولياء (٤/ ١٤٥) .

(٢) في السنة النبوية أن يقول له : بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما في خير .

(٣) الخبر والذي قبله في حلية الأولياء (٤/ ١٤٦) .

(٤) في الحلية (٤/ ١٤٦) : بمقاومة .

(٥) الخبر في الحلية (٤/ ١٤٦ ـ ١٤٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٦٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٠٢) .

وأتت شريحاً امرأتان جدة صبي وأمه يختصمان فيه كل واحدة تقول : أنا أحق به .

أبــا مَيَّــهْ أتينــاك وأنــتَ المـرء نـأتيـهْ[١]
أتــاكَ[٢] ابـن وأمــاه وكلتــانــا نفــديــهْ
فلـو كنـتِ تـأيمـتِ لمـا نـازعتكـي فيـهْ
تـزوجـتِ فهـاتيـه ولا يذهب بكِ التيهْ[٣]
ألا يـا أيهـا القـاضـي فهـذي قصتـي فيـهْ

قالت الأم :

ألا يـا أيهـا القـاضـي لقـد قـالـت لـك الجـدَّه
وقـولاً فـاستمـع منـي ولا تطـردنـي[٤] ردهْ
تعزي النفسَ عن ابني وكبِـدي حملـتْ كَبْـدهْ
فلما صارَ في حجري يتيمـاً مفـرداً[٥] وحْـدهْ
تـزوجـتُ رجـاءَ الخيـ ـرِ مـنْ يكفينـي فقـدهْ
ومن يُظهرُ لي الودَّ[٦] ومـنْ يحسـنُ لـي رِفـدهْ

فقال شريح :

قَدْ سمعَ القاضي ما قلتما ثمَّ قضى وعلى القاضي جهدٌ إنْ غفلْ[٧]
قـالَ للجـدةِ : بِينـي بـالصبـي وخـذي ابنـكِ مـنْ ذاتِ العلـلْ
إنهـا لـو صبـرتْ كـانَ لهـا قبـلَ دعـوى مـا تبتغيـه للبـدلْ[٨]

فقضى به للجدة .

وقال عبد الرزاق[٩] : حدَّثنا معمر بن عون ، عن إبراهيم ، عن شريح أنه قضى على رجل باعترافه فقال : يا أبا أمية قضيت عليّ بغير بينة ، فقال شريح : أخبرني ابن أخت خالتك .

---

(١) في الأصل (وأنت المستعان به) وما هنا عن الطبقات .
(٢) في الأصل (جده ابن وأم) وما هنا عن الطبقات .
(٣) في الأصل (الفيه) وهو تحريف وما هنا عن الطبقات .
(٤) في الطبقات : ولا تبطرني .
(٥) في الطبقات : ضائعاً .
(٦) في الطبقات : وده . . . ومن يكفل . . .
(٧) في الطبقات : وقضى بينكما ثم فصل .
(٨) في الطبقات : قبل دعواها تبغيها البدل .
(٩) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٠٥) .

وقال علي بن الجعد[١] : أنبأنا المسعودي عن أبي حصين قال : سئل شريح عن شاة تأكل الذُّباب فقال : علف مجَّان ولبن طيب .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن أبي حيان التيمي ، حدَّثنا أبي قال : كان شريح إذا مات لأهله سنَّور أمر بها فألقيت في جوف داره ، ولم يكن له مثعب[٣] شارع إلا في جوف داره يفعل ذلك اتقاء أن تؤذي المسلمين ـ يعني أنه يلقي السنَّور في جوف داره لئلا تؤذي بنتن ريحها المسلمين ـ ، وكان ميازيب أسطحة داره في جوف الدار لئلا يؤذي بها المارة من المسلمين .

وقال الرياشي[٤] : قال رجل لشريح : إن شأنك لشوين . فقال له شريح : أراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها في نفسك .

وقال الطبراني[٥] : حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب[٦] النحوي ، حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد بن سمعان . قال : كتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون : أما بعد فإنك والمكان الذي أنت فيه والمكان الذي خرجت منه بعين من لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب ، والمكان الذي خلفته[٧] لم يعد أمراً لكمامه ومن تظلمه أيامه . وإنك وإياهم لعلى بساط واحد ، وإن المنتجع من ذي قدرة لقريب .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة[٨] : حدَّثنا علي بن مسهر ، عن الشيباني ، عن الشعبي ، عن شريح أن عمر كتب إليه : إذا جاءك الشيء من كتاب الله فاقض به ولا يلفتنك عنه رجاء ما ليس في كتاب الله ، وانظر في سنة رسول الله ﷺ فاقض بها ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذْ به ، وفي رواية : فانظر فيما قضى به الصالحون ، فإن لم يكن فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر ، وما أرى التأخر إلا خيراً ، والسلام .

وقال شريح : كنت مع علي في سوق الكوفة فانتهى إلى قاصٍّ يقص فوقف عليه وقال : أيها القاص ! تقص ونحن قريبو العهد . أما إني سائلك فإن تجب فما سألتك وإلاّ أدبتك ، فقال القاص : سل يا أمير المؤمنين عما شئت ، فقال علي : ما ثبات الإيمان وزواله ؟ قال القاص : ثبات الإيمان

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ١٤٨) .
(٢) الخبر في حلية الأولياء (٤/ ١٤٨) .
(٣) المثعب : مسيل الماء في السطح .
(٤) حلية الأولياء (٤/ ١٤٩) .
(٥) الخبر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٢١) .
(٦) في الأصل : تغلب ، وهو خطأ .
(٧) العبارة في الوفيات لابن خلكان (٢/ ٤٦٣) : الذي لم يعجل امرءاً جمامه ولم يظلمه أيامه .
(٨) الخبر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٢١) .

الورع وزواله الطمع . قال علي : فذلك فقص . قيل : إن هذا القاص هو نوف البكالي[١] .

وقال رجل لشريح : إنك لتذكر النعمة في غيرك وتنساها في نفسك ، قال : إني والله لأحسدك على ما أرى بك . قال : ما نفعك الله بهذا ولا ضرني[٢] .

وروى جرير عن الشيباني ، عن الشعبي قال : اشترى عمر فرساً من رجل على أن ينظر إليه ، فأخذ الفرس فسار به فعطب ، فقال لصاحب الفرس : خذ فرسك ، فقال : لا ! قال : فاجعل بيني وبينك حكماً ، قال الرجل : نعم ! شريح ، قال عمر : ومن شريح ؟ قال : شريح العراقي ، قال : فانطلقا إليه فقصّا عليه القصّة ، فقال : يا أمير المؤمنين ردّ كما أخذت أو خذ بما ابتعته ، فقال عمر : وهل القضاء إلا هذا ؟ سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها ، فإنه لأول يوم عرفه يومئذ[٣] .

وقال هشام بن محمد الكلبي[٤] : حدَّثني رجل من ولد سعد بن [أبي] وقاص قال : كان لشريح ابن يدعو الكلاب[٥] ويهارش بين الكلاب ، فدعا بدواة وقرطاس فكتب إلى مؤدبه فقال :

تركَ الصلاةَ لأكلبٍ يسعى بها ... طلبَ الهراشَ مع الغواةِ الرجّسِ
فإذا أتاكَ فعفَّهُ بملامة ... أو عظهُ موعظة الأديبِ الأكيسِ
فإذا هممت بضربهِ فبدرّةٍ ... فإذا ضربتَ بها ثلاثاً فاحبسِ
واعلم بأنكَ ما أتيتَ فنفسُه ... معَ ما تجرّعني أعزُّ الأنفسِ

وروى شريح ، عن عمر ، عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « يا عائشة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام : ١٥٩] إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، إن لكل صاحب ذنب توبة ، إلا أصحاب الأهواء والبدع ، أنا منهم بريء وهم مني براء »[٦] .

وهذا حديث ضعيف غريب رواه محمد بن مصفى ، عن بقية ، عن شعبة ـ أو غيره ـ عن مجالد ، عن الشعبي ، وإنما تفرد به بقيّة بن الوليد من هذا الوجه وفيه علة أيضاً .

وروى محمد بن كعب القرظي ، عن الحسن ، عن شريح ، عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وخربت أمانتهم » فقال قائل : فكيف بنا يا رسول الله ؟ فقال : « تعملون بما تعرفون وتتركون

(١) حلية الأولياء (٤/ ١٤٩) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) حلية الأولياء(٤/ ١٤٩) .
(٤) الخبر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٥٠ ـ ٥١) وحلية الأولياء (٤/ ١٤٩ ـ ١٥٠) .
(٥) في الحلية (٤/ ١٣٦) : يدع الكتاب ويهارش الكلاب .
(٦) الحديث في المعجم الصغير للطبراني (١/ ٢٠٣) وحلية الأولياء (٤/ ١٥٠) وقال المؤلف رحمه الله في تفسيره : ولا يصح رفعه .

ما تنكرون ، وتقولون : أحدٌ أحدٌ ، انصرنا على من ظلمنا واكفنا من بغانا »[١] .

وروى الحسن بن سفيان ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبد الجبار بن وهب ، عن عبد الله السُّلمي عن شريح ، قال : حدَّثني البدريون منهم عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « ما من شاب يدع لذّة الدنيا ولهوها ويستقبل بشبابه طاعة الله تعالى إلا أعطاه الله تعالى أجر اثنين وسبعين صدِّيقاً ، ثم قال : يقول الله تعالى : أيها الشاب التارك شهوته من أجلي ، المبتذل شبابه لي ، أنت عندي كبعض ملائكتي » وهذا حديث غريب[٢] .

وقال أبو داود[٣] : حدَّثنا صدقة بن موسى ، حدَّثنا أبو عمران الجوني ، عن قيس بن زيد ـ وقال أبو داود : أو عن زيد بن قيس ـ عن قاضي المصرين شريح ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق : أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يدعو صاحب الدَّين يوم القيامة فيقول : يا بن آدم فيم أضعت حقوق الناس ؟ فيم أذهبت أموالهم ؟ فيقول : يا رب لم أفسده ولكن أصبت إما غرقاً وإما حرقاً ، فيقول الله سبحانه : أنا أحق من قضى عنك اليوم ، فترجح حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة » . لفظ أبي داود ورواه يزيد بن هارون عن صدقة به وقال فيه : « فيدعو الله بشيء فيضعه في ميزانه فيثقل » ورواه الطبراني من طريق أبي نعيم ، عن صدقة به ، ورواه الطبراني أيضاً عن حفص بن عمر وأحمد بن داود المكي قالا : حدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدَّثنا صدقة به ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

عبد الرحمن[٤] بن غنْم[٥] ، الأشعري ، نزيل فلسطين ، وقد روى عن جماعة من الصحابة وقيل إن له صحبة وقد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها في الدِّين وكان من العبَّاد الصالحين .

جنادة بن [أبي] أمية[٦] ، الأزدي ، شهد فتح مصر ، وكان أميراً على غزو البحر لمعاوية ، وكان موصوفاً بالشجاعة والخير ، توفي بالشام وقد قارب الثمانين .

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٦٢٥٢) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٥١) وإسناده ضعيف، ولبعضه شواهد.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٥١) .

(٣) مسند أبي داود الطيالسي (١٣٢٦) ، وهو بسنده ومتنه في مسند الإمام أحمد (١/ ١٩٧) ، وحلية الأولياء (٤/ ١٤١) وهو حديث ضعيف .

(٤) في ط : عبد الله؛ خطأ والتصحيح من مصادر الترجمة .

(٥) ترجمة ـ عبد الرحمن بن غنم ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤١) وتاريخ خليفة (٢٧٧) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٩) والاستيعاب (٢/ ٤٢٤) وتاريخ دمشق (٣٥/ ٣١١ ـ ٣٢٢) وأسد الغابة (٣/ ٣٧١) وتهذيب الكمال (١١/ ٣٣١) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٧٦ ـ ٤٧٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥ ـ ٤٦) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) والإصابة (٣/ ٩٧ ـ ٩٨) والنجوم الزاهرة (١/ ١٩٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٠) .

(٦) ترجمة ـ جنادة بن أبي أمية ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٣٩) وتاريخ خليفة (١٨٠) والاستيعاب (١/ ٢٤٢) وتاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ٢٨٧) وتهذيبه (٣/ ٤٠٩) وأسد الغابة (١/ ٢٩٨) وتهذيب الكمال (٥/ ١٣٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٣٨٣ـ٣٨٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٢) والوافي بالوفيات (١١/ ١٩٢) والإصابة (١/ ٢٤٥) وشذرات الذهب (١/ ٨٨) .

العلاء بن زياد[١] ، **البصري** ، كان من العبّاد الصالحين من أهل البصرة ، وكان كثير الخوف والورع ، وكان يعتزل في بيته ولا يخالط الناس ، وكان كثير البكاء ، لم يزل يبكي حتى عمي ، وله مناقب كثيرة ، توفي بالبصرة في هذه السنة .

قلت : إنما كان معظم بكاء العلاء بن زياد بعد تلك الرؤيا التي رآها له رجل من أهل الشام أنه من أهل الجنة ، فقال له العلاء : أما أنت يا أخي فجزاك الله عن رؤياك لي خيراً ، وأما أنا فقد تركتني رؤياك لا أهدأ بليل ولا نهار ، وكان بعدها يطوي الأيام لا يأكل فيها شيئاً وبكى حتى كاد يفارق الدنيا ، ويصلي لا يفتر ، حتى جاء أخوه إلى الحسن البصري فقال : أدرك أخي فإنه قاتل نفسه ، يصوم لا يفطر ، ويقوم لا ينام ، ويبكي الليل والنهار لرؤيا رآها بعض الناس له أنه من أهل الجنة ، فجاء الحسن فطرق عليه بابه فلم يفتح ، فقال له : افتح فإني أنا الحسن ، فلما سمع صوت الحسن فتح له ، فقال له الحسن : يا أخي الجنة وما الجنة للمؤمن ، إن للمؤمن عند الله ما هو أفضل من الجنة ، فقاتل أنت نفسك ؟ فلم يزل به حتى أكل وشرب وقصر عما كان فيه قليلاً .

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أتاه آتٍ في مقامه فأخذ بناصيته وقال : يا غلام قم فاذكر الله يذكرك . فما زالت تلك الشعرات التي أخذ بها قائمة حتى مات .

وقد قيل : إنه كان يرفع له إلى الله كل يوم من العمل الصالح بقدر أعمال خلق كثير من الناس كما رأى ذلك بعض أصحابه في المنام .

وقال العلاء : نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار فإن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا . وقال : كان رجل يرائي بعمله فجعل يشمر ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ ، فجعل لا يأتي على أحد إلا سبَّه ، ثم رزقه الله الإخلاص واليقين فخفض من صوته وجعل صلاحه بينه وبين الله ، فجعل لا يأتي على أحد بعد ذلك إلا دعا له بخير .

سراقة بن مرداس[٢] ، **الأزدي** ، كان شاعراً مطبقاً ، هجا الحجاج فنفاه إلى الشام فتوفي بها .

النابغة الجعدي[٣] الشاعر .

---

(١) ترجمة ـ العلاء بن زياد ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٢١٧) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٩٣) وحلية الأولياء (٢/ ٢٤٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٢) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٢) .

(٢) ترجمة ـ سراقة بن مرداس ـ في أنساب الأشراف (٥/ ١٦٩ و١٧٠) ومواضع أخرى والعقد الفريد (٢/ ١٧٠) وتاريخ دمشق (٢٠/ ١٥٣) وتهذيبه (٦/ ٧١ ـ ٧٣) والأخبار الطوال (٣٠٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٤٠٧ ـ ٤٠٨) والوافي بالوفيات (١٥/ ١٣٢ـ١٣٣) .

(٣) ترجمة ـ النابغة الجعدي ـ في الشعر والشعراء (١/ ٢٠٨ ـ ٢١٤) وطبقات الشعراء لابن سلام (١٠٣ ـ ١٠٩) ومعجم الشعراء للمرزباني (٣٢١) وأنساب الأشراف (١/ ٦٢ و٣/ ٢٦٣) وتاريخ خليفة (١٧٧) والعقد الفريد (٢/ ٥٢ و٩٦) ومواضع أخرى ، والاستيعاب (٣/ ٥٨١ ـ ٥٩٣) والأغاني (٥/ ١ ـ ٣٤) ووفيات الأعيان (٢/ ٥٠ و١٧٧ =

السائب بن يزيد الكندي[١] ، توفي في هذه السنة .

سفيان بن سلمة[٢] ، الأسدي .

معاوية بن قرة[٣] ، البصري .

زر بن حبيش[٤] .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كادوا يفنون من شدته ، ولم يغز فيها أحد من أهل الشام لضعفهم وقلتهم ، ووصلت الروم فيها أنطاكية فأصابوا خلقاً من أهلها لعلمهم بضعف الجنود والمقاتلة .

وفيه غزا عبيد الله بن أبي بكرة رُتبيل ملك الترك حتى أوغل في بلاده ، ثم صالحه على مال يحمله إليه في كل سنة[٥] .

= و٥/ ١٩٣) . وأسد الغابة (٥/ ٢ ـ ٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٢٥٨ ـ ٢٦٠) وديوان النابغة الجعدي ط : المكتب الإسلامي ، جمعته ماريا نللينو .

(١) ترجمة ـ السائب بن يزيد الكندي ـ في تاريخ خليفة (٢٨٠) وتاريخ البخاري (٤/ ١٥٠) والاستيعاب (٢/ ٥٧٦) وتاريخ دمشق (٢٠/ ١٠٦) وتهذيبه (٦/ ٦٣) وأسد الغابة (٢/ ٢٥٧) وتهذيب الكمال (١٠/ ١٩٣ ـ ١٩٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٣٦٣ ـ ٣٦٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩) والوافي بالوفيات (١٥/ ١٠٤) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٠) والإصابة (٢/ ١٢) وشذرات الذهب (١/ ٩٩) .
وذكر الذهبي في تاريخ الإسلام الخلاف في سنة وفاته وهي ما بين سنة إحدى وتسعين وأربع وتسعين . وذكره هنا وهم والله أعلم وأحكم .

(٢) لم أجد له ترجمة فيما لدي من المصادر .

(٣) ترجمة ـ معاوية بن قرة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢١) وتاريخ خليفة (٢٥٧) وطبقاته (٢٠٧) وتاريخ البخاري (٧/ ٣٣٠) وتهذيب الكمال (٢٨/ ٢١٠) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٣ـ١٥٥) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢١٦) .

(٤) ترجمة ـ زر بن حبيش ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٤) وتاريخ خليفة (٢٨٨) وطبقاته (١٤٠) والاستيعاب (٢/ ٥٦٣) وحلية الأولياء (٤/ ١٨١ ـ ١٩١) وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩) وأسد الغابة (٢/ ٣٠٠) وتهذيب الكمال (٩/ ٣٣٥ ـ ٣٣٩) ووفيات الأعيان (٣/ ٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٦٦ ـ ٦٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٦٦ ـ ١٧٠) والوافي بالوفيات (١٤/ ١٩٠ ـ ١٩١) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) والإصابة (١/ ٥٧٧) وشذرات الذهب (١/ ٩١ و١٠٢) .
وقال الذهبي في تاريخ الإسلام والسير : قال أبو عبيد : مات زر سنة إحدى وثمانين وقال خليفة ، والفلاس : سنة اثنتين . وكل التراجم بعد ترجمة جابر بن عبد الله زيادة من ط .

(٥) من قوله : ثم صالحه . . . إلى هنا ساقط من أ وحدها والخبر اختصار لما في الطبري (٦/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) وابن الأثير (٤/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) .

وفيها قتل عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الحارثَ بن سعيد المتنبئ الكذاب[١] ، ويقال له : الحارث بن عبد الرحمن بن سعد[٢] الدمشقي ، مولى أبي الجلاس العبدري ، ويقال مولى الحكم بن مروان[٣] ، كان أصله من الحولة ، فنزل دمشق ، وتعبد بها وتنسك وتزهد ، ثم مكر به ورجع القهقرى على عقبيه ، وانسلخ من آيات الله تعالى ، وفارق حزب الله المفلحين ، وأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولم يزل الشيطان يزج في قفاه حتى أخسره دينه ودنياه وأخراه وأشقاه فيهما وأخزاه . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله [ولا حول ولا قوة إلا بالله] .

قال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدَّثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي[٤] ، حدَّثنا محمد بن مبارك ، نبأنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن حسان قال : كان الحارث الكذاب من أهل دمشق ، وكان مولى لأبي الجلاس ، وكان له أب بالحُوْلَة[٥] ، فعرض له إبليس ، وكان رجلاً متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرؤيت عليه الزهادة والعبادة ، قال : وكان إذا أخذ بالتحميد لم يسمع السَّامعون مثل تحميده ولا أحسن من كلامه ، فكتب إلى أبيه وكان بالحولَة : يا أبتاه أعجل عليّ فإني قد رأيت أشياء أتخوف أن يكون الشيطان قد عرض لي ، قال فزاده أبوه غيّاً على غيه[٦] ، فكتب إليه أبوه : يا بني أقبل على ما أمرت به فإن الله تعالى يقول : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢] ولست بأفاك ولا أثيم ، فامض لما أمرت به ، وكان يجيء إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيذاكرهم أمره ويأخذ عليهم العهد والميثاق إن هو يرى ما يَرْضى وإلا كتم عليه .

قال : وكان يريهم الأعاجيب . كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح [تسبيحاً بليغاً حتى يضج من ذلك الحاضرون] .

قلت : وقد سمعت شيخنا العلامة أبا العباس بن تيمية رحمه الله يقول : كان ينقر هذه الرخامة الحمراء التي في المقصورة فتسبح ، وكان زنديقاً .

قال ابن أبي خيثمة في روايته : وكان الحارث يطعمهم فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في

---

(١) ترجمة ـ الحارث بن سعيد الكذاب ـ في تاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ٤٢٧ـ٤٣١) وتهذيبه (٣/ ٤٤٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٣٨٦) والوافي بالوفيات (١١/ ٢٥٤) ولسان الميزان (٢/ ١٥١) .

(٢) في ط : سعيد ، وما أثبت عن ب ، م وتاريخ دمشق .

(٣) في تاريخ دمشق : مولى مروان بن الحكم .

(٤) في ط : الجولي ، وما أثبت عن أ ، م وتاريخ دمشق (١١/ ٤٢٨) .

(٥) الحولة ـ بالضم ثم السكون ـ اسم لناحيتين بالشام إحداهما من أعمال حمص والثانية كورة بين بانياس وصور من أعمال دمشق . معجم البلدان (٢/ ٣٢٣) .

(٦) في تاريخ دمشق : فزاده أبوه عناءً .

الشتاء ، وكان يقول لهم : اخرجوا حتى أريكم الملائكة ، فيخرج بهم إلى دير المرَّان[١] فيريهم رجلاً على خيل ، فتبعه على ذلك بشر كثير ، وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه وأتباعه ، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مُخَيْمرة ، قال فعرض على القاسم أمره وأخذ عليه العهد إن هو رضي أمراً قبله ، وإن كرهه كتم عليه ، قال فقال له : إنه نبي ، فقال القاسم : كذبتَ يا عدو الله ، ما أنت نبي ، وفي رواية : ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ : « إن الساعة لا تقوم حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي »[٢] وأنت أحدهم ولا عهد لك . ثم قام فخرج إلى أبي إدريس ـ وكان على القضاء بدمشق ـ فأعلمه بما سمع من الحارث فقال أبو إدريس نعرفه ، ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك .

وفي رواية أخرى أن مكحولاً وعبد الله بن أبي زائدة دخلا على الحارث فدعاهما إلى نبوته فكذّباه وردا عليه ما قال ، ودخلا على عبد الملك فأعلماه بأمره ، فتطلَّبه عبد الملك طلباً حثيثاً ، واختفى الحارث وصار إلى دار بيت المقدس يدعو إلى نفسه سراً واهتم عبد الملك بشأنه حتى ركب إلى الصِّنَّبْرَة[٣] فنزلها فورد عليه هناك رجل من أهل البصرة ممن كان يدخل على الحارث وهو ببيت المقدس فأعلمه بأمره وأين هو ، وسأل من عبد الملك أن يبعث معه بطائفة من الجند الأتراك ليحتاط عليه ، فأرسل معه طائفة وكتب إلى نائب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل ويفعل ما يأمره به ، فلما وصل الرجل إلى بيت المقدس بمن معه انتدب الوالي لخدمته ، فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويجعل مع كل رجل شمعته ، فإذا أمرهم بإشعالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق والأزقة حتى لا يخفى أمره ، وذهب الرجل بنفسه فدخل الدار التي فيها الحارث فقال لبوابه استأذن على نبي الله ، فقال : في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح ، فصاح البصري أسرجوا ، فأسرج الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار ، وهجم البصري على الحارث فاختفى منه في سرب هناك فقال أصحابه هيهات يريدون أن يصلوا إلى نبي الله ، إنه قد رفع إلى السماء ، قال فأدخل البصري يده في ذلك السرب فإذا بثوبه فاجتره فأخرجه ، ثم قال للفرغانيين من أتراك الخليفة : تسلَّموا . قال : فأخذوه فربطوه وقيدوه ، فيقال : إن القيود والجامعة سقطت من عنقه مراراً ويعيدونها ، وجعل يقول : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ : ٥٠] وقال لأولئك الأتراك ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر : ٢٨] ؟ فقالوا له بلسانهم ولغتهم : هذا كراننا فهات كرانك ، أي : هذا قرآننا فهات قرآنك ، فلما انتهوا به إلى عبد الملك

---

(١) دير مُرّان ـ بضم الميم وتشديد الراء ـ دير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران . معجم البلدان (٢/ ٥٣٣) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٠٩) في المناقب ، ومسلم في صحيحه رقم (١٥٧) (٨٤) في الفتن وأشراط الساعة .

(٣) في ط : النصرية؛ تحريف ، والصِّنَّبْرَة ـ بالكسر ثم الفتح والتشديد ثم سكون الباء الموحدة وراء ـ موضع بالأردن بينه وبين طبرية ثلاثة أميال ، كان معاوية يشتوبها معجم البلدان (٣/ ٤٢٥) .

أمر بصلبه على خشبة وأمر رجلاً فطعنه بحربة فانثنت في ضلع من أضلاعه ، فقال له عبد الملك : ويحك أذكرت اسم الله حين طعنته ؟ فقال : نسيت ، فقال : ويحك سمِّ الله ثم اطعنه ، قال فذكر اسم الله ثم طعنه فأنفذه ، وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وأمر رجالاً من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويعلموه أن هذا الذي به من الشيطان ، فأبى أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك ، وهذا من تمام العدل والدين .

وقد قال الوليد بن مسلم ، عن ابن جابر ، فحدَّثني منْ سمع عتبة الأعور يقول : سمعت العلاء بن زياد العدوي يقول : ما غبطت عبد الملك بشيء من ولايته إلا بقتله حارثاً ، حدثت أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قاله فاقتلوه ، ومن قتل منهم أحداً فله الجنة »[١] .

وقال الوليد بن مسلم : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك لو حضرتُكَ ما أمرتُكَ بقتله ، قال : ولم ؟ قال : إنه إنما كان به المذهَّب[٢] فلو جَوَّعْتَه[٣] لذهب ذلك عنه .

وقال الوليد ، عن المنذر بن نافع ، سمعت خالد بن اللَّجْلاج يقول لغَيْلان : ويحك يا غَيْلان ، ألم تأخذك في شبيبتك ترامي النساء في شهر رمضان بالتفاح ، ثم صرت حارثياً تُحجب امرأته وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت فصرت قدرياً زنديقاً[٤] ؟ .

وفيها غزا عُبيد الله بن أبي بكرة رُتبيل ملك الترك الأعظم فيهم ، وقد كان يصانع المسلمين تارة ويتمرد أخرى ، فكتب الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة أن ناجزه بمن معك من المسلمين حتى تستبيح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته ، فخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من أهل البصرة والكوفة ثم التقى مع رُتبيل ملك الترك فكسره وهدم أركانه بسطوة بتَّارة ، وجاس ابن أبي بكرة وجنده خلال ديارهم ، واستحوذ على كثير من أقاليمه ومدنه وأمصاره ، وتبَّر ما هنالك تتبيراً ، ثم إن رتبيل تقهقر منه وما زال يتبعه حتى اقترب من مدينته العظمى ، حتى كانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً وخافت الأتراك منهم خوفاً شديداً ، ثم إن الترك أخذت عليهم الطرق والشعاب وضيقوا عليهم المسالك حتى ظن كلٌّ من المسلمين أنه لا محالة هالك ، فعند ذلك طلب عبيد الله أن يصالح رُتبيل على أن يدفع إليه سبعمئة ألف[٥] ، ويفتحوا للمسلمين طريقاً يخرجون منه ويرجعون عنهم إلى بلادهم ، فانتدب شُرَيح بن هانئ ـ وكان صحابياً ، وكان من أكبر أصحاب علي وهو المقدم على أهل الكوفة ـ فندب الناس إلى القتال والمصابرة والنزال والجلاد بالسيوف والرماح والنبال ، فنهاه عبيد الله بن أبي بكرة فلم ينته ، وأجابه

---

(١) تاريخ دمشق (١١/ ٤٢٧) . والشطر الأول من الحديث صحيح تقدم قبل قليل .

(٢) في تاريخ دمشق : إن معه شيطاناً يقال له المذهَّب .

(٣) في ب : فلو جزعته .

(٤) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٨٩) .

(٥) في ب : ستمئة ألف ، وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٢٣) وابن الأثير (٤/ ٤٥٠) .

شرذمة(١) من الناس من الشجعان وأهل الحفائظ ، فما زال يقاتل بهم الترك حتى فني أكثر المسلمين رضي الله عنهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قالوا وجعل شُرَيح بن هانئ يرتجز يومئذٍ ، ويقول :

أصبحتُ ذا بثٍّ أقاسي الكِبَرا قدْ عِشتُ بينَ المشركينَ أعصُرا
ثمَّ(٢) أدركتُ النبيَّ المنْذِرا وَبعدَهُ صِدّيقَهُ وعُمَرَا
ويومَ مهرانَ ويومَ تُسْتُرا والجْمعَ في صِفّينِهِمْ والنَّهَرا(٣)
هَيْهات ما أطولَ هذا عُمُرا

ثم قاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ورضي الله عنه ، وقُتل معه خلق من أصحابه ، ثم خرج من خرج من الناس صحبة عبيد الله بن أبي بكرة من أرض رُتبيل ، وهم قليل ، وبلغ ذلك الحجاج فأخذ ما تقدم وما تأخر ، وكتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك ويستشيره في بعث جيش كثيف إلى بلاد رتبيل لينتقموا منه بسبب ما حلَّ بالمسلمين في بلاده ، فحين وصل البريد إلى عبد الملك كتب إلى الحجاج بالموافقة على ما رأى من المصلحة في ذلك ، [وأن يعجل ذلك سريعاً ، فحين وصل البريد إلى الحجاج بذلك أخذ في جمع الجيوش] فجهز جيشاً كثيفاً لذلك على ما سيأتي تفصيله في السنة الآتية بعدها . [وقيل : إنه قتل من المسلمين مع شريح بن هانئ ثلاثون ألفاً وابتيع الرغيف مع المسلمين بدينار وقاسوا شدائد ، ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير أيضاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقد قتل المسلمون من الترك خلقاً كثيراً أيضاً قتلوا أضعافهم](٤) .

ويقال إنه في هذه السنة استعفى شريح من القضاء فأعفاه الحجاج من ذلك ، وولى مكانه أبا بردة بن أبي موسى الأشعري(٥) . [وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته في السنة الماضية ، والله أعلم] .

قال الواقدي وأبو معشر وغير واحد من أهل السير : وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وفي هذه السنة قتل قَطَري بن الفُجاءة التميمي أبو نعامة الخارجي(٦) ، وكان من الشجعان المشاهير أيضاً ، ويقال إنه مكث عشرين سنة يسلم عليه أصحابه من الخوارج بالخلافة ، وقد جرت له خطوب وحروب مع جيش المهلب بن أبي صفرة من جهة الحجاج وغيره ، وقد قدمنا منها طرفاً صالحاً في أماكنه ،

---

(١) في الطبري وابن الأثير : فاتبعه ناس من المقطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ .
(٢) في ابن الأثير : ثمة أدركنا .
(٣) بعده في الطبري وابن الأثير :
« ويا جميرات مع المشقّرا » ، وليس المصراع في ابن الأعثم .
(٤) ما بين معكوفين : زيادة من ط .
(٥) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٣٢٤) وابن الأثير (٤/ ٤٥٢) .
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٣١٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٣٦) .

[وكان خروجه في زمن مصعب بن الزبير ، وتغلب على قلاع كثيرة وأقاليم وغيرها ، ووقائعه مشهورة ، وقد أرسل إليه الحجاج جيوشاً كبيرة فهزمها ، وقيل إنه برز إليه رجل من بعض الحرورية وهو على فرس أعجف وبيده عمود حديد ، فلما قرب منه كشف قَطَري عن وجهه فولى الرجل هارباً فقال له قَطَري إلى أين ؟ أما تستحي أن تفر ولم تر طعناً ولا ضرباً ؟ فقال إن الإنسان لا يستحي أن يفر من مثلك ، ثم إنه في آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش فاقتتلوا بطبرستان ، فعثر بقطري فرسه فوقع إلى الأرض فتكاثروا عليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى الحجاج ، وقيل إن الذي قتله سَوْرَةُ بن أبجَر الدارمي[١] ، وكان قَطري بن الفُجاءة مع شجاعته المفرطة وإقدامه من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن] ومن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه وغيره ومن سمعها انتفع بها :

أقولُ لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطالِ ويحكِ لنْ تُراعي
فإنكِ لو سألتِ[٢] بقاء يوم ... على الأجَلِ الذي لكِ لم تُطاعي
فصبْراً في مجالِ الموتِ صبراً ... فما نَيْلُ الخلودِ بمستطاعِ
ولا ثوبُ الحياةِ بثوبِ عزٍّ ... فيُطوى عن أخي الخنَع اليَراعِ
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حيٍ ... وداعيهِ لأهلِ الأرضِ داعِ
ومنْ لا يُعتَبَطْ[٣] يسأم ويَهْرمْ ... وتُسْلِمهُ المنونُ إلى انقطاعِ
وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ ... إذا ما عُدَّ منْ سَقَطِ المتاعِ

ذكرها صاحب الحماسة واستحسنها ابن خلكان في تاريخه[٤] كثيراً .

[وفيها توفي :

عبيد الله بن أبي بكرة[٥] رحمه الله وهو أمير الجيش الذي دخل بلاد الترك وقاتلوا رُتبيل ملك الترك ، وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هانئ كما تقدم ذلك ، وقد دخل عبيد الله بن أبي بكرة على الحجاج مرة وفي يده خاتم فقال له الحجاج : وكم ختمت بخاتمك هذا ؟ قال على أربعين ألف ألف دينار ، قال ففيم أنفقتها ؟ قال : في اصطناع المعروف ، ورد الملهوف ، والمكافأة بالصَّنَاع ، وتزويج العقائل .

---

(١) في الطبري : سورة بن أبجر التميمي ، وفي ابن الأثير : سورة بن الحر التميمي .

(٢) في ط : « طلبت » ، وما أثبتناه من م ووفيات الأعيان وتاريخ الإسلام .

(٣) في ط : « فمن لا يغتبط » ، وما أثبتناه من م ووفيات الأعيان وتاريخ الإسلام .

(٤) الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٩٥) وشعر الخوارج (١٢٢-١٢٣) وأمالي المرتضى (١/ ٦٣٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥١١) .

(٥) ترجمة ـ عبيد الله بن أبي بكرة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٠) وتاريخ خليفة (٢١٠) وطبقاته (٢٠٣) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٨ / ١٢٩ ـ ١٤٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٧٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٨) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٥) .

وقيل : إن عبيد الله عطش يوماً فأخرجت له امرأة كوز ماءٍ بارد فأعطاها ثلاثين ألفاً ، وقيل إنه أهدي إليه وصيف ووصيفة وهو جالس بين أصحابه فقال لبعض أصحابه خذهما لك ، ثم فكر وقال : والله إن إيثار بعض الجلساء على بعض لشح قبيح ودناءة رديئة ، ثم قال يا غلام ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفاً ووصيفة ، فأحصي ذلك فكانوا ثمانين وصيفاً ، ووصيفة توفي عبيد الله بن أبي بكرة ببست[١] ، وقيل بذرخ ، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحلم ، والحمد لله رب العالمين][٢] .

ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية

فيها كان السيل الجحاف[٣] بمكة ، لأنه جحف على كل شيء مر به ، وحمل الحُجَّاج من بطن مكة والجمال بما عليها ، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن ينقذهم منه [وبلغ الماء إلى الحجون ، وغرق خلق كثير ، وقيل إنه ارتفع حتى كاد أن يغطي البيت ، والله أعلم] .

وحكى ابن جرير[٤] عن الواقدي أنه قال : كان بالبصرة في هذه السنة الطاعون ، والمشهور أنه كان في سنة تسع وستين كما تقدم .

وفيها قطع المهلَّب بن أبي صفرة نهر بلخ ، وأقام بكش[٥] سنتين صابراً مصابراً للأعداء من الأتراك ، وجرت له معهم هناك فصول يطول ذكرها ، وفد عليه في غضون هذه المدة كتاب ابن الأشعث بخلعه الحجاج ، فبعثه المهلب برمته إلى الحجاج حتى قرأه ثم كان ما سيأتي بيانه وتفصيله في السنين الآتية من حروب ابن الأشعث .

وفي هذه السنة جَهَّز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة وغيرهما لقتال رُتبيل ملك الترك اقتصاصاً لمن قتل من أصحاب عبيد الله بن أبي بكرة في السنة الماضية ، فجهّز أربعين ألفاً من كلٍّ من المصرينِ عشرين ألفاً ، وأمَّر على الجميع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مع أنه كان الحجاج يبغضه جداً ، حتى قال ما رأيته قط إلا هممت بقتله ، ودخل ابن الأشعث يوماً على الحجَّاج وعنده عامر الشعبي[٦] فقال انظر

---

(١) بست ـ بالضم ـ مدينة بين سجستان وغزنين وهراة ، وأظنها من أعمال كابل . معجم البلدان (١/ ٤١٤) .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) نقل محقق تاريخ مكة للأزرقي (٢/ ١١٨) عن البلاذري قوله : سيل الجحاف والجراف أيضاً ، والجحاف والجراف بمعنى واحد وهو الذي يجرف كل شيء ويذهب به .
وذكر الأزرقي أن الناس رقوا في الجبال ، واعتصموا بها ، فسمي بذلك الجحاف ، وكان يوم الإثنين يوم التروية .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٣٢٥) .

(٥) كَشُّ ـ بالفتح ثم التشديد؛ قرية على ثلاث فراسخ من جرجان على جبل . معجم البلدان (٤/ ٤٦٢) .

(٦) هو عامر بن شراحيل الشعبي ، من التابعين ، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم سنة ١٠٣هـ بالكوفة . تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥) وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٣٨) .

إلى مشيته والله لقد هممت أن أضرب عنقه ، فأسرَّها الشعبي إلى ابن الأشعث فقال ابن الأشعث : وأنا والله لأجهدن أن أزيله عن سلطانه إن طال بي وبه البقاء . والمقصود أن الحجاج أخذ في استعراض هذه الجيوش وبذل فيهم العطاء ثم اختلف رأيه فيمن يؤمِّر عليهم ، ثم وقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فقدّمه عليهم ، فأتى عمه إسماعيل بن الأشعث فقال للحجاج : إني أخاف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة إذا جاوز جسر الفرات[1] ، فقال : ليس هو هنالك هو لي أهيب ، ومني أرغب أن يخالف أمري أو يخرج عن طاعتي ، فأمضاه عليهم ، فسار ابن الأشعث بالجيوش نحو أرض رتبيل ، فلما بلغ رُتبيل مجيء ابن الأشعث بالجنود إليه كتب إليه يعتذر مما أصاب المسلمين في بلاده في السنة الماضية ، وأنه كان لذلك كارهاً ، وأن المسلمين هم الذين ألجؤوه إلى قتالهم ، وسأل من ابن الأشعث أن يصالحه وأن يبذل للمسلمين الخراج ، فلم يجبه ابن الأشعث إلى ذلك ، وصمم على دخول بلاده ، وجمع رُتبيل جنوده وتهيأ للحرب ، وجعل ابن الأشعث كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة من بلاد رُتبيل استعمل عليها نائباً من جهته وجعل معه من يحفظها له ، وجعل المسالح على كل أرض ومكان مخوف ، فاستحوذ على بلاد كثيرة من بلاد رُتبيل ، وغنم أموالًا كثيرة جزيلة ، وسبى خلقاً كثيرة ، ثم حبس الناس[2] عن التوغل في بلاد رُتبيل حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد ، ويتقووا بما فيها من المغلات والحواصل ، ثم يتقدمون في العام المقبل إلى أعدائهم فلا يزالون يجوزون الأراضي والأقاليم حتى يحاصروهم في بلادهم على الكنوز والأموال والذراري حتى يغنموها ثم يقتلون مقاتلتهم ، وعزموا على ذلك ، وكان هذا هو الرأي ، وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم ، وبهذا الرأي الذي رآه لهم .

وقال بعضهم كان الحجاج قد وجه هِميان بن عديٍّ السدوسيّ إلى كرمان مَسلَحة لأهلها ليمد عامل سجستان والسِّند إن احتاجا إلى ذلك ، فعصى هِميان ومن معه على الحجاج ، فوجه الحجاج إليه ابن الأشعث لمحاربته فهزمه وأقام ابن الأشعث بمن معه ، ومات عبيد الله بن أبي بكرة فكتب الحجاج إلى ابن الأشعث بإمرة سجستان مكان ابن أبي بكرة وجهز إليه جيشاً أنفق عليه ألفي ألف سوى أعطياتهم ، وكان يدعى هذا الجيش جيش الطواويس ، وأمره بالإقدام على رُتبيل فكان من أمره معه ما تقدم .

قال الواقدي وأبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان .

وقال غيرهما : بل حج بهم سليمان بن عبد الملك .

وكان على الصائفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك ، وعلى المدينة أبان بن عثمان ، وعلى

---

(١) في ط : الصراة؛ وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٢٨) وابن الأثير (٤/ ٤٥٥) .

(٢) في أ وحدها : ثم جرّأ الناس على التوغل . . . وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٢٩) .

المشرق بكماله الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك[١] .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أسلم مولى عمر بن الخطاب[٢] ، وهو أبو زيد بن أسلم أصله من سبي عين التمر اشتراه عمر بمكة لما حج سنة إحدى عشرة ، وتوفي وعمره مئة وأربع عشرة سنة ، وروى عن عمر عدة أحاديث ، وروى عن غيره من أصحابه أيضاً وله مناقب كثيرة رحمه الله .

وجبير بن نفير[٣] بن مالك الحضرمي ، له صحبة ورواية ، وكان من علماء أهل الشام وكان مشهوراً بالعبادة والعلم .

توفي بالشام وعمره مئة وعشرون سنة ، وقيل أكثر ، وقيل أقل .

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[٤] ، صحابي جليل ، ولد بأرض الحبشة وأمه أسماء بنت عميس ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم وفاة ، سكن المدينة ، ولما استشهد أبوه جعفر بمؤتة « أتى النبي ﷺ إلى أمهم فقال : ائتوني ببني أخي » فأُتي بهم كأنهم أفرخ ، فدعا بالحلاق فحلق رؤوسهم ثم قال : « اللهم اخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد الله في صفقته » فجاءت أمهم فذكرت للنبي ﷺ أنه ليس لهم شيء ، فقال « أنا لهم عوضاً من أبيهم »[٥] .

وقد بايع النبي ﷺ عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين ، وهذا لم يتفق لغيرهما ، وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس ، يعطي الجزيل الكثير ويستقله ، وقد تصدق مرة بألفي ألف ، وأعطى مرة رجلاً ستين ألفاً ، ومرة أعطى رجلاً أربعة آلاف دينار ، وقيل إن رجلاً جلب مرة

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) .

(٢) ترجمة ـ أسلم مولى عمر ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٠) وتاريخ خليفة (١١٧) وطبقاته (٢٣٥) وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٩ ـ ١٢) وأسد الغابة (١/ ٧٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ٣٦١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٩٨) والإصابة (١/ ٣٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٧) .

(٣) ترجمة ـ جبير بن نفير ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٠) وتاريخ خليفة (٢٨٠) وطبقاته (٣٠٨) وحلية الأولياء (٥/ ٣٣) والاستيعاب (١/ ٢٣٤) وأسد الغابة (١/ ٢٧٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٣٨١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٧٦) والإصابة (١/ ٢٥٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٨) .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن جعفر ـ في نسب قريش (٨١ ـ ٨٢) وتاريخ خليفة (١٨٤) وطبقاته (١٢٦) والاستيعاب (٢/ ٢٧٥) وأسد الغابة (٧/ ٣٢٨) وتاريخ دمشق (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد/ ١٧) وتهذيبه (٧/ ٣٢٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٤٢٧) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٦) والإصابة (٢/ ٢٨٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٦) .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٠٤) وأبو داود في سننه (٤١٩٢) مختصراً ، والنسائي في سننه (٨/ ١٨٢) وهو حديث صحيح .

سكَّراً إلى المدينة فكسد عليه فلم يشتره أحد فأمر ابن جعفر قيّمه أن يشتريه وأن يهديه للناس . وقيل : إن معاوية لما حج ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه : انظر هل ترى بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلاناً ـ وعدَّ جماعة ـ فخرج فلم ير أحداً ، فقيل له : هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدون ، فأتى معاوية فأخبره فقال : ما أنا إلا كأحدهم ، ثم أخذ عصاً فتوكأ عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه ، فقال له معاوية : أين غداؤك يا بن جعفر ؟ فقال : وما تشتهي من شيء فأدعو به ؟ فقال معاوية : أطعمنا مخاً ، فقال يا غلام : هات مخاً ، فأتى بصحيفة فأكل معاوية ، ثم قال ابن جعفر لغلامه : هات مخاً ، فجاء بصحيفة أخرى ملآنة مخاً إلى أن فعل ذلك ثلاث مرات ، فتعجب معاوية وقال : يا بن جعفر ما يشبعك إلا الكثير من العطاء ، فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار .

وكان ابن جعفر صديقاً لمعاوية وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم ، ويقضي له مئة حاجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد ، فلما قدم ابن جعفر على يزيد قال له : كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة ؟ قال ألف ألف . فقال له : قد أضعفناها لك ، وكان يعطيه ألفي ألف كل سنة ، فقال له عبد الله بن جعفر : بأبي أنت وأمي ما قلتها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، فقال يزيد : ولا أعطاكها أحد قبلي ولا يعطيكها أحد بعدي .

وقيل إنه كان عند ابن جعفر جارية تغنيه تسمى عمارة ، وكان يحبها محبة عظيمة ، فحضر عنده يزيد بن معاوية يوماً فغنَّت الجارية ، فلما سمعها يزيد افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه ، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية فبعث يزيد رجلاً من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية ، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفاً كثيرة ، وأنس به ، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد .

وكان الحسن البصري يذم ابن جعفر على سماعه الغناء واللهو وشرائه المولدات ، ويقول : أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها ؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله ﷺ ، وكان الحجاج يقول : إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب ، وقيل إنه لم يصل إليها ، وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها . أسند عبد الله بن جعفر ثلاثة عشر حديثاً .

وأبو إدريس **الخولاني**[١] قاضي دمشق ، اسمه عائذ الله بن عبد الله ، له أحوال ومناقب ، كان يقول : قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دنس في ثياب نقية ، وقد تولى القضاء بدمشق .

وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل ولله الحمد[٢] .

---

(١) ترجمة ـ أبي إدريس الخولاني ـ في طبقات ابن سعد (٧/٤٤٨) وتاريخ خليفة (٢٨٠) وطبقاته (٣٠٨) والاستيعاب (٤/ ١٦) وتاريخ دمشق (عاصم ـ عائذ/ ٤٨٥) وأسد الغابة (٥/ ١٣٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٤٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٢) والإصابة (٣/ ٥٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٢٠٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٢٧) .

(٢) لم يرد في أ ، ب قبل هذه العبارة سوى أسماء المترجم لهم آنفاً ، وتفصيل الترجمة زيادة من ط ، وهي موافقة لمصادرها .

معبد الجهني القدري[١] يقال إنه معبد بن عبد الله بن عُكَيْم[٢] راوي حديث : « لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب »[٣] . وقيل غير ذلك في نسبه .

سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم . وشهد يوم التحكيم ، وسأل أبا موسى في ذلك ووصاه ، ثم اجتمع بعمرو بن العاص فوصاه في ذلك فقال له : إيهاً تَيس جهينة ما أنت من أهل السر ولا العلانية ، وإنه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل[٤] . وهذا توسم من عمرو بن العاص فيه ، ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر ، ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له سوسن ، وأخذ غيلان[٥] القدر من معبد .

وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ، ووثقه ابن معين وغيره في حديثه[٦] .

وقال الحسن البصري : إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل .

وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله .

وقال سعيد بن عفير : بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله .

وقال خليفة بن خياط : مات قبل التسعين ، فالله أعلم .

[وقيل : إن الأقرب قتل عبد الملك له ، والله سبحانه وتعالى أعلم] .

---

(١) ترجمة ـ معبد الجهني ـ في تاريخ خليفة (١/ ٤٠١) ت : سهيل زكار ، وتاريخ البخاري (٧/ ٣٩٩) وتاريخ دمشق (٥٩/ ٣١٢ ـ ٣٢٦) والاستيعاب (٣/ ٤٥٧) وأسد الغابة (٤/ ٣٩٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠/ ص٥٢٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٥) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٦) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٢) والإصابة (٣/ ٤٣٩) .

(٢) في ط : « عليم » محرف ، وعبد الله بن عكيم من رجال التهذيب ، وكذلك معبد .

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣١٠) ، وأبو داود (٤١٢٧) ، والترمذي (١٧٢٩) ، وابن ماجه (٣٦١٣) من حديث عبد الله بن عكيم ، وإسناده ضعيف لاضطرابه ، وقال الإمام الترمذي : « وليس العمل على هذا عند أكثر أهل العلم » (بشار) .

(٤) الخبر في سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٦) .

(٥) هو غيلان الدمشقي الذي قال بنفي القَدَر وبالغ فيه ، وقد همّ عمر بن عبد العزيز بقتله فتراجع غيلان عن آرائه ، وأعلن توبته منها ولكنه عاد إلى الكلام عن نفي القدر وأسرف في ذلك إسرافاً عظيماً في أيام هشام بن عبد الملك الذي كان شديداً على القدرية ، وقد أظهر غيلان تمسكاً شديداً بآرائه ؛ فأمر به هشام فصلب على باب دمشق . الملل والنحل (١/ ٢٢٧) الأعلام للزركلي (٥/ ١٢٤) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٦) .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا[١] وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة .

وفيها قُتِل بُكير بن وشاح قتله بَحِير[٢] بن وِقاء الصُّريمي وكان هذا من الأمراء الشجعان[٣] ، ثم ثار لبكير بن وشاح رجل من قومه يقال له صعصعة بن حرب العوفي الصريمي ، فقتل بَحير بن وقاء الذي قتل بكيراً ، طعنه بخنجر وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فحمل إلى منزله وهو بآخر رمق ، فبعث المهلب بصعصعة إليه ، فلما تمكن منه بَحير بن وقاء قال ضعوا رأسه عند رجلي ، فوضعوه ثم طعنه بحير بحربته حتى قتله ومات على إثره . وقد قال له أنس بن طلق[٤] : اعف عنه فقد قتلت بكير بن وشاح ، فقال : لا والله لا أموت وهذا حي ثم قتله . وقد قيل إنه إنما قتل بعد موته ، فالله أعلم .

فتنة ابن الأشعث

قال أبو مخنف : كان ابتداؤها في هذه السنة ، وقال الواقدي : في سنة ثنتين وثمانين ، وقد ساقها ابن جرير[٥] في هذه السنة فوافقناه في ذلك ، وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان الحجاج يبغضه وكان هو يفهم ذلك ويضمر له السوء وزوال الملك عنه ، فلما أمَّره الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره ، وأمره بدخول بلاد رُتبيل [ملك الترك ، فمضى] وصنع ما قدمنا ذكره من أخذه بعض البلاد ، ثم رأيه لأصحابه أن يقيموا حتى يتقووا إلى العام المقبل ، فكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج يستهجن رأيه في ذلك ويستضعفه ويقرعه بالجبن والنكول عن الحرب ، ويأمره حتماً بدخول بلاد رُتبيل ، ثم أردف ذلك بكتاب ثانٍ [ثم ثالثٍ مع البريد ، وكتب في جملة ذلك يا بن الحائك الغادر المرتد ، امض إلى ما أمرتك به من الإيغال في أرض العدو وإلا حلّ بك ما لا يطاق . وكان الحجاج يبغض ابن

---

(١) قاليقلا : مدينة بأرمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد . معجم البلدان (٤/ ٢٩٩) والخبر في الطبري (٦/ ٣٣١) وابن الأثير (٤/ ٤٥٧) .

(٢) بحير : بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة ، قيده الأمير ابن ماكولا في الإكمال (١/ ١٩٨) ، وقد وقع في ط : « بجير » بالجيم وهو تصحيف . وأما « وقاء » فهو بكسر أوله ثم قاف ، قيده ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ووقع في ط والطبري وابن الأثير : « ورقاء » خطأ . ولبحير بن وقاء ترجمة في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ٩٠) ، وسيترجمه المصنف أيضاً في وفيات هذه السنة .

(٣) هكذا قال المصنف ، وكأن مراده أن « بكير بن وشاح » قتل في هذه السنة أيضاً، ولم يقل أحد ممن نقل هذه الحكاية ذلك ، والعبارة بأوضح مما هنا نقلها الذهبي في تاريخ الإسلام فقال: « وفيها قتل بحير بن وقاء الصريمي، وكان من كبار القواد بخراسان قاتله ابن خازم وظفر به فقتله، ثم قتل بكير بن وشاح فحمل عليه رهط بكير فقتلوه بعد ذلك » وانظر تاريخ الطبري (٦/ ٣٣١) والكامل لابن الأثير (٤/ ٤٥٧) .

(٤) في ط : طارق ؛ وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٣٣) .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٣٣٤) وما بعدها .

الأشعث : ويقول هو أهوج أحمق حسود ، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقاتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن الإسلام وما رأيته قط إلا هممت بقتله ، ولما كتب الحجاج إلى ابن الأشعث بذلك وترادفت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث وقال : يكتب إليّ بمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ولا من بعض خدمي لخوره وضعف قوته ؟ أما يذكر أباه من ثقيف هذا الجبان صاحب غزالة ـ يعني أن غزالة زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها وهي امرأة لما دخلت الكوفة ـ ثم إن ابن الأشعث جمع رؤوس أهل العراق وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم في الإيغال في بلاد العدو ، وهي البلاد التي قد هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا في أمركم ، أما أنا فلست مطيعه ولا أنقض رأياً رأيته بالأمس ، ثم قام فيهم خطيباً فأعلمهم بما كان رأى من الرأي له ولهم ، وطلب في ذلك من إصلاح البلاد التي فتحوها ، وأن يقيموا بها حتى يتقووا بغلاتها وأموالها ويخرج عنهم فصل البرد ثم يسيرون في بلاد العدو فيفتحونها بلداً بلداً إلى أن يحصروا رتُبيل ملك الترك في مدينة العظماء ، ثم أعلمهم][1] بما كتب إليه الحجاج من الأمر بمعاجلة رُتبيل[2] . فثار إليه الناس وقالوا : لا بل نأبى على عدو الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع .

قال أبو مخنف[3] : فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة[4] الكناني أن أباه كان أول من تكلم في ذلك ، وكان شاعراً خطيباً ، وكان مما قال : إن مثل الحجاج في هذا الرأي ومثلنا كما قال الأول لأخيه احمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك ، وإن نجا فلك ، أنتم إذا ظفرتم كان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن هلكتم كنتم الأعداء البغضاء ، ثم قال : اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا لأميركم عبد الرحمن بن الأشعث فإني أشهدكم أني أول خالع للحجاج . فقال الناس من كل جانب : خلعنا عدو الله ، ووثبوا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فبايعوه عوضاً عن الحجاج ، ولم يذكروا خلع عبد الملك بن مروان ، وبعث ابن الأشعث إلى رُتبيل فصالحه على أنه إن ظفروا بالحجاج فلا خراج على رُتبيل أبداً . ثم سار ابن الأشعث بالجنود الذين معه مقبلاً من سجستان إلى الحجاج ليقاتله ويأخذ منه العراق ، فلما توسطوا الطريق قالوا : إن خَلْعَنا للحجاج خلع لابن مروان فخلعوهما وجددوا البيعة لابن الأشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله وخلع أئمة الضلالة وجهاد الملحدين[5] ، فإذا قالوا نعم ، بايعهم . فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعه وخلع أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، كتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ وهي موافقة للمصادر . ومكانها في أ : فلما تواردت كتب الحجاج إليه تحثه على التوغل في بلاد رتبيل جمع من معه ، وقام فيهم خطيباً ، فأعلمهم بما كان رأى من الرأي في ذلك .

(٢) في الفتوح لابن الأعثم (٧/ ١١٧) : كتب ابن الأشعث كتاباً على لسان الحجاج إليه يأمره فيه بقتل فلان وفلان من أصحابه ، وأن يبعث برؤوسهم إليه ، وقرأه أمام أصحابه . ثم أعلن أمامهم خلعه وصاحبه عبد الملك بن مروان .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٣٣٥) .

(٤) في الطبري : واثلة ، وهو الصواب .

(٥) في الطبري (٦/ ٣٣٨) : وجهاد المحلِّين .

ويستعجله في بعثه الجنود إليه ، وجاء الحجاج حتى نزل البصرة ، وبلغ المهلب خبر ابن الأشعث ، وكتب إليه يدعوه إلى ذلك فأبى عليه، وبعث بكتابه إلى الحجاج، وكتب المهلب إلى ابن الأشعث يقول له : إنك يا بن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل ، أبْقِ على أمة محمد ﷺ ، انظر لنفسك فلا تهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها ، فإن قلت أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه من الناس ، فلا تعرضها لله في سفك الدماء ، أو استحلال محرم ، والسلام عليك[1] .

وكتب المهلب إلى الحجاج : أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك مثل السيل المنحدر ليس شيء يرده حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شدة[2] في أول مخرجهم ، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردهم حتى يصلوا إلى أهليهم ، وينبسطوا إلى نسائهم ، ويشمُّوا أولادهم . ثم واقعهم عندها فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله . فلما قرأ الحجاج كتابه قال : فعل الله به وفعل ، لا والله ما لي نظر ولكن لابن عمه نصح .

ولما وصل البريد بكتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه كتاب الحجاج فقال : يا أمير المؤمنين إن كان هذا الحدث من قِبَل خراسان فخفه ، وإن كان من قبل سجستان فلا تخفه ، ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج . وتجهيزه للخروج إلى ابن الأشعث ، وعصى رأي المهلب فيما أشار به عليه ، وكان في شوره النصح والصدق ، وجعلت كتبه لا تنقطع عن عبد الملك بخبر ابن الأشعث صباحاً ومساء ، أين نزل ومن أين ارتحل ، وأي الناس إليه أسرع . وجعل الناس يلتفون على ابن الأشعث من كل جانب ، حتى يقال إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومئة وعشرون ألف راجل ، وخرج الحجاج في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث ، فنزل تستر وقدَّم بين يديه مطهر بن حيي الكعبي[3] أميراً على المقدمة ، ومعه عبد الله بن رميث أميراً آخر ، فانتهوا إلى دجيل فإذا مقدمة ابن الأشعث في ثلاثمئة فارس عليها عبد الله بن أبان الحارثيّ ، فالتقوا في يوم الأضحى عند نهر دجيل ، فهُزمت مقدمة الحجاج وقَتَل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً نحو ألف وخمسمئة ، واحتازوا ما في معسكرهم [من خيول وقماش وأموال] .

وجاء الخبر إلى الحجاج بهزيمة أصحابه [وأخذه ما دبَّ ودرج] وهو يخطب فقال : أيها الناس ارجعوا إلى البصرة فإنه أرفق بالجند ، فرجع بالناس وتبعهم خيول ابن الأشعث لا يدركون منهم شاذًّا إلا قتلوه ، ولا فاذًّا إلا أهلكوه ، ومضى الحجاج هارباً لا يلوي على شيء حتى أتى الزاوية فعسكر عندها وجعل يقول : لله درّ المهلّب أي صاحب حرب هذا ، قد أشار علينا بالرأي ولكنا لم نقبل ، وأنفق الحجاج على جيشه وهو بهذا الموضع مئة وخمسين ألف ألف درهم ، وخندق حول جيشه خندقاً ، وجاء أهل

---

(١) نسخة الكتاب في الطبري (٦/ ٣٣٨) والفتوح لابن الأعثم (٧/ ١١٨) مع بعض الخلاف .

(٢) في الطبري : شِرَّةً .

(٣) في الطبري : مطهر بن حرّ العكي ـ أو الجذامي ـ وعبد الله بن رميثة الطائي ، ومطهّر على الفريقين .

العراق فدخلوا البصرة واجتمعوا بأهاليهم وشموا أولادهم ، ودخل ابن الأشعث البصرة فخطب الناس وبايعهم وبايعوه على خلع عبد الملك ونائبه الحجاج بن يوسف ، وقال لهم ابن الأشعث : ليس الحجاج بشيء ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك لنقاتله ، ووافقه على خلعهما جميع مَنْ في البصرة من الفقهاء والقرّاء والشيوخ والشباب ، ثم أمر ابن الأشعث بخندق حول البصرة فَعُمِل ، وكان ذلك في أواخر ذي الحجة من هذه السنة سنة إحدى وثمانين .

وحج بالناس فيها سليمان بن عبد الملك[١] فيما ذكره الواقدي وأبو معشر ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

[وفيها غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد المغرب فافتتح مدناً كثيرة ، وأراضي عامرة ، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الرقاق المنبثق من البحر الأخضر المحيط ، والله أعلم][٢] .

ومن توفي فيها من الأعيان :

بَحير بن وِقاء الصُّريمي[٣] البصري أحد الأشراف بخراسان ، والقواد وهو الذي حارب ابن خازم وقتله ، وتولى قتل بكير بن وشاح ثم مات في هذه السنة .

سويد بن غفلة[٤] بن عوسجة بن عامر ، أبو أمية الجعفي [الكوفي ، شهد اليرموك ، وحدَّث عن جماعة من الصحابة] ، وكان من كبار المخضرمين ويقال إنه رأى النبي ﷺ .

وكان مولده عام ولد النبي[٥] ﷺ وصلى معه ، والصحيح أنه لم يره ، وقيل : إنه ولد بعده بسنتين[٦] .

---

(١) في أ ، ط : إسحاق بن عيسى ؛ وهذا خطأ واضح إذ الأخير أحد الرواة الذين رووا الخبر عن أبي معشر . تاريخ الطبري (٦/ ٣٤١) وابن الأثير (٤/ ٤٦٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٧) .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ والخبر في تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٦) .

(٣) وردت أخباره في حوادث سنة سبع وسبعين للهجرة ، وهذه السنة ، وانظر أيضاً تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٤ و٦٢٥) و(٦/ ١٧٦ و١٧٧ و١٩٩ و٢٠١ و٣١١ و٣١٢ وغيرها) وابن الأثير (٤/ ٢٠٩ و٣٤٥ و٣٦٨ و٤٤٤ و٤٤٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٤٥) والوافي بالوفيات (١٠/ ٨٤) .

(٤) ترجمة ـ سويد بن غفلة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٦٨) وتاريخ خليفة (٢٨٨) وطبقاته (١٤٦) وحلية الأولياء (٤/ ١٧٤) والاستيعاب (٢/ ١١٦) وأسد الغابة (٢/ ٣٧٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٧٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٩) والإصابة (٢/ ١٠٠) وشذرات الذهب (١/ ٩٠) .

(٥) المعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٥) .

(٦) تاريخ البخاري (٤/ ١٤٢) وحلية الأولياء (٤/ ١٧٤) .

وعاش مئة وعشرين سنة لم يُرَ يوماً محتبياً ولا متسانداً ، وافتض بكراً عام وفاته في سنة إحدى وثمانين ، قاله أبو عبيد وغير واحد .

وقيل إنه توفي في سنة ثنتين وثمانين[١] ، فالله أعلم .

عبد الله بن شداد بن الهاد[٢] كان من العباد الزهاد ، والعلماء ، وله وصايا وكلمات حسان ، وقد روى عدة أحاديث عن الصحابة وعن خلق من التابعين[٣] .

محمد بن علي بن أبي طالب[٤] **أبو القاسم** وأبو عبد الله أيضاً ، وهو المعروف بابن الحنفية ، وكانت سوداء سندية من سبي بني حنيفة اسمها خولة .

ولد محمد في خلافة عمر بن الخطاب ، ووفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان .

وكان صرَع مروان يوم الجمل وجلس على صدره وأراد قتله فناشده مروان بالله وتذلل له فأطلقه ، فلما وفد على عبد الملك ذكّره بذلك فقال عفواً يا أمير المؤمنين ، فعفا عنه وأجزل له الجائزة[٥] .

وكان محمد بن علي من سادات قريش ، ومن الشجعان المشهورين ، [ومن الأقوياء المذكورين] ، ولما بويع لابن الزبير لم يبايعه ، فجرى بينهما شر عظيم حتى همّ ابن الزبير به وبأهله كما تقدم ذلك ، فلما قتل ابن الزبير واستقر أمر عبد الملك وبايعه عبد الله بن عمر تابعه ابن الحنفية ، وقدم المدينة فمات بها في هذه السنة وقيل في التي قبلها أو في التي بعدها ، ودفن بالبقيع . والرافضة يزعمون أنه بجبل رضوى[٦] ، وأنه حي يرزق ، وهم ينتظرونه ، وقد قال كُثَيِّر عَزَّة في ذلك [من الوافر]

ألا إنّ الأئمة من قريشٍ ولاة الحقِّ أربعةٌ سَواءُ
عليٌّ والثلاثةُ منْ بَنيهِ همُ الأسباط ليس بهم خَفاءُ

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١-١٠٠/ ص٧٨) .

(٢) ترجمة - عبد الله بن شداد - في طبقات ابن سعد (٥/ ٧٤) وطبقات خليفة (٣٣٧) والاستيعاب (٢/ ٣١٣) وأسد الغابة (٣/ ١٨٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١-١٠٠/ ص١١٣) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٦٩) .

(٣) الترجمة سوى الاسم ساقطة من أ ، ب .

(٤) ترجمة - محمد بن علي بن أبي طالب - في طبقات ابن سعد (٥/ ٩١) ونسب قريش (٤١) وتاريخ خليفة (١٨٤ و٢٦٢) وطبقاته (٢٣٠) وتاريخ البخاري (١/ ١٨٢) وأنساب الأشراف (١/ ٥٧٢) و(٣/ ٥٣) وحلية الأولياء (٣/ ١٧٤) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤/ ٣١٨-٣٥٩) وتهذيب الكمال (١٧/ ٧٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ - ١٠٠/ ص١٨١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١١٠) والوافي بالوفيات (٤/ ٩٩) وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٣٠) .

(٥) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١-١٠٠/ ص١٨٢) .

(٦) جبل رضوى : جبل قرب ينبع . معجم البلدان (٣/ ٥١) والذين يزعمون أنه حي يرزق هم الكيسانية ؛ يعتقدون بإمامته ، وكثير عزة منهم .

فسبطٌ سبطُ إيمانٍ وبرٍّ وسبطٌ غيَّبَتهُ كربلاءُ
وسبطٌ لا تراه العينُ حتى تعودَ الخيلُ يقدُمُها لواءُ
تغيب لا يرى عنهم زماناً برضوى عنده عسل وماء[١]

ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية فكتب إلى شيعتهم بالكوفة مع أبي الطفيل واثلة بن الأسقع[٢] وعليها المختار بن أبي عبيد ـ وقد كان ابن الزبير جمع لهم حطباً كثيراً على أبوابهم ليحرقهم بالنار ـ فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار، وقد كان يدعو إليه ويسميه المهدي، فبعث أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فاستنقذوا بني هاشم من يدي ابن الزبير، وخرج معهم ابن عباس فمات بالطائف وبقي ابن الحنفية في شيعتهم. [فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه فخرج إلى أرض الشام بأصحابه وكانوا نحو سبعة آلاف، فلما وصل إلى أيلة[٣] كتب إليه عبد الملك : إما أن تبايعني وإما أن تخرج من أرضي، فكتب إليه ابن الحنفية : أبايعك على أن تؤمِّن أصحابي، قال : نعم، فقام ابن الحنفية في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي حقن دماءكم وأحرز دينكم فمن أحب منكم أن يأتي مأمنه إلى بلده محفوظاً فليفعل، فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقي في سبعمئة[٤] رجل، فأحرم بعمرة وقلد هدياً وسار نحو مكة، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلاً فمنعه أن يدخل، فأرسل إليه : إنا لم نأت لحرب ولا لقتال، دعنا ندخل حتى نقضي نسكنا ثم نخرج عنك، فأبى عليه وكان معه بدن قد قلَّدها فرجع إلى المدينة فأقام بها محرماً حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير، فكان ابن الحنفية في تلك المدة محرماً، فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه وذلك بعد عدة سنين، وكان القمل يتناثر منه في تلك المدة كلها، فلما قضى نسكه رجع إلى المدينة أقام بها حتى مات.

وقيل : إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية : قد قتل عدو الله فبايع، فكتب إليه إذا بايع الناس كلهم بايعت، فقال الحجاج : والله لأقتلنك، فقال ابن الحنفية : إن لله في كل يوم ثلاثمئة وستين نظرة في اللوح المحفوظ، في كل نظرة ثلاثمئة وستون قضية، فلعل الله تعالى أن يجعلني في قضية منها فيكفينيك؛ فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك فأعجبه قوله وكتب إليه قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف فارفق به فهو يأتيك ويبايعك، وكتب عبد الملك بكلامه ذلك ـ إن لله ثلاثمئة وستين نظرة ـ إلى ملك الروم، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدده بجموع من الجنود لا يطيقها أحد، فكتب بكلام ابن الحنفية فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك، وإنما خرج

---

(١) الأبيات في ديوان ابن الحنفية (٢/ ١٨٦) والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٨٢) والوافي بالوفيات (٤/ ٩٩) والشعر والشعراء (١/ ٤٢٣) والبيت الأخير ساقط من ط.

(٢) في تاريخ الإسلام : عامر بن واثلة.

(٣) هي مدينة العقبة الآن برأس خليج العقبة في الأردن.

(٤) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٩٠) : تسعمئة رجل.

من بيت نبوة ، ولما اجتمع الناس على بيعة عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقي شيء فبايع ، فكتب بيعته إلى عبد الملك ووفد عليه بعد ذلك .

توفي ابن الحنفية في المحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة ، وكان له من الولد عبد الله وحمزة وعلي وجعفر الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفر الأصغر وعون ورُقية ، وكلهم لأمهات شتى][١] .

وقال الزبير بن بكار : كانت شيعته تزعم أنه لم يمت وفيه يقول السيد[٢] :

ألا قُلْ للوصيِّ فدتْكَ نفسي ... أطلتَ بذلكَ الجبلِ المُقاما
أضرَّ بمعشرٍ والَوكَ منّا ... وسمَّوك الخليفَةَ والإماما
وعادوا فيكَ أَهلَ الأرضِ طرّاً ... مُقامكَ عَنْهمُ ستينَ عاما[٣]
وما ذاقَ ابنُ خولةَ طعمَ موتٍ ... ولا وارتْ لهُ أرضٌ عظاما
لقدْ أمسى بمورقِ شعبِ رضوى ... تراجعُهُ الملائكةُ الكلاما
وإنَّ لهُ بهِ لمقيلَ صدقٍ ... وأنديةً تحدِّثُهُ كراما
هدانا الله إذ حزتم[٤] لأمْرٍ ... بهِ وعليهِ يلتمسُ التَّماما
تمامَ مودَّةِ[٥] المهديّ حتى ... تروا راياتِنا[٦] تَتْرى نِظاما[٧]

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان ، كما ينتظر طائفة أخرى منهم محمد بن الحسن العسكري[٨] ، الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامراء ، وهذا من خرافاتهم وهذيانهم وجهلهم وضلالهم وبهتانهم[٩] ، وسنزيد ذلك وضوحاً في موضعه إن شاء الله ، والله أعلم .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وكل هذه الأخبار توافق ما ورد في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٨٨ ـ ١٩٠) مع بعض الاختصار وحذف الأسانيد ، وأسماء أولاد لابن الزبير في الطبقات (٥/ ٩٢) وزاد : عبد الله الأصغر ، وعبد الله بن محمد غير عبد الله أبي هاشم وأمه أم ولد هو ورقية .

(٢) هو السيد الحميري ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري ، شاعر مشهور ، كان ممن يعتقد بابن الحنفية .

(٣) في نسب قريش (٤٢) والأغاني (٩/ ١٥) : عشرين . وفي مروج الذهب مغيبك عنهم سبعين عاماً .

(٤) في ط : ادخرتم ، وفي نسب قريش : جرتم .

(٥) في ط : ثورة : وما أثبت موافق لتاريخ دمشق (٢٤/ ٣٢٢) والمصادر .

(٦) في ط : راياته . وما أثبت يوافق المصادر .

(٧) الأبيات في نسب قريش (٤٢) وتاريخ دمشق (٥٤/ ٣٢٢) والأغاني (٩/ ١٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٨٣) والوافي بالوفيات (٤/ ١٠٠) .

(٨) في الأصل : الحسن بن محمد العسكري ، وهو خطأ .

(٩) في ط : وترهاتهم .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين

ففي المحرم منها كانت وقعة الزاوية[١] بين ابن الأشعث والحجاج في أواخره ، وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام ، ثم تواقعوا يوماً آخر فيه فحمل سفيان بن الأبرد أحد أمراء أهل الشام على ميمنة ابن الأشعث فهزمها وقتل خلقاً كثيراً من القرّاء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم ، وخَرَّ الحجاج لله ساجداً بعدما كان جثى على ركبتيه وسلَّ شيئاً من سيفه وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول : ما كان أكرمه حتى صبَّر نفسه للقتل ، وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث الطفيل بن عامر بن واثلة[٢] الليثي ، ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن تبعه من أهل البصرة ، فسار حتى دخل الكوفة فعمد أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن العباس[٣] بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل الحجاج خمس ليالٍ أشد القتال ، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة ، فاستناب الحجاج على البصرة أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، ودخل ابن الأشعث الكوفة فبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك بن مروان . وتفاقم الأمر وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك ، واشتد الحال ، وتفرقت الكلمة جداً وعظم الخطب ، واتسع الخرق على الراقع .

قال الواقدي : ولما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة ، فقال القراء ـ وكان عليهم جَبَلَة بن زَحْر ـ : أيها الناس ليس الفرار من أحد بأقبح منكم فقاتلوا عن دينكم ودنياكم . وقال سعيد بن جبير نحو ذلك .

وقال الشعبي : قاتلوهم على جورهم واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة ، ثم حملت القراء ـ وهم العلماء ـ على جيش الحجاج حملة صادقة فبرعوا فيهم ثم رجعوا فإذا هم بمقدمهم جَبَلَة بن زَحْر صريعاً ، فهدّهم ذلك فناداهم جيش الحجاج : يا أعداء الله قد قتلنا طاغيتكم ، ثم حمل سفيان بن الأبرد وهو على خيل الحجاج على ميسرة ابن الأشعث وعليها الأبرد بن مرّة[٤] التميمي ، فانهزموا ولم يقاتلوا كثير قتال ، فأنكر الناس منهم ذلك . وكان أمير ميسرة ابن الأشعث الأبرد شجاعاً لا يفر ، وظنوا أنه قد خامر ، فنقضت الصفوف وركب الناس بعضهم بعضاً ، وكان ابن الأشعث يحرض الناس على القتال ، فلما رأى

---

(١) الزاوية : موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وابن الأشعث . معجم البلدان (٣/ ١٢٨) وأخبار الوقعة في تاريخ الطبري (٦/ ٣٤٢) وابن الأثير (٤/ ٤٦٧) .

(٢) في ط : « أبو الطفيل بن عامر بن واثلة » ، خطأ ، وما أثبتناه من م واتفقت عليه المصادر .

(٣) في ط : عياش .

(٤) في تاريخ الطبري : قرّة .

ما الناس فيه أخذ من اتبعه وذهب إلى الكوفة فبايعه أهلها ، ثم كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة .

وقعة دير الجماجم[١]

قال الواقدي : وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة خرج اليه أهلها فتلقوه وحَفّوا به ودخلوا بين يديه ، غير أن شرذمة قليلة أرادت أن تقاتله دون مطر بن ناجية نائب الحجاج فلم يمكِّنهم من ذلك ، فعدلوا الى القصر ، فلما وصل ابن الأشعث الى الكوفة أمر بالسلالم فنصبت على قصر الإمارة فأخذه واستنزل مطر بن ناجية وأراد قتله فقال له : استبقني فإني خير من فرسانك[٢] ، فحبسه ثم استدعاه فأطلقه وبايعه واستوثق لابن الأشعث أمر الكوفة وانضم اليه من جاء من أهل البصرة ، وكان ممن قدم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب ، وأمر بالمسالح من كل جانب ، وحفظت الثغور والطرق والمسالك . وركب الحجاج فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والعذيب وبعث اليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المصْرَيْن فمنعوا الحجاج من نزول القادسية ، فسار الحجاج حتى نزل دير قرة ، وجاء ابن الأشعث بمن معه من الجيوش البصرية والكوفية حتى نزل دير الجماجم ، ومعه جنود كثيرة ، وفيهم القراء من المصرَيْن وخلق من الصالحين ، وكان الحجاج بعد ذلك يقول : قاتل الله ابن الأشعث ، أما كان يزجر الطير حيث رآني قد نزلت دير قرة ، ونزل هو بدير الجماجم . وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مئة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليهم ، وجاءت الحجاج أمداد كثيرة من الشام من عند أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وخندق كلٌّ من الطائفتين على نفسه وحول جيشه خندقاً يمتنع به من الوصول إليهم ، غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتتلون قتالاً شديداً في كل يوم ، حتى أصيب من رؤوس الناس خلق من قريش وغيرهم ، واستمر هذا الحال مدة طويلة ، واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان فقالوا له : إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن تعزل عنهم الحجاج فهو أيسر من قتالهم وسفك دمائهم ، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ومعهما جنود كثيرة جداً ، وكتب معهما كتاباً إلى أهل العراق يقول لهم : إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزلته عنكم ، وبعثت عليكم أعطياتكم مثل أهل الشام ، وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت ، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال في عهده هذا : فان لم تجب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته وتحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره .

---

(١) خبر وقعة دير الجماجم في تاريخ الطبري (٦/ ٣٤٦) وابن الأثير (٤/ ٤٦٩) .

(٢) في الطبري : استبقني فإني أفضل فرسانك ، وأعظمهم عنك غناء .

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك إلى أهل العراق من عزله إن رضوا به شق عليه ذلك مشقة عظيمة جداً وعظم شأن هذا الرأي عنده ، وكتب إلى عبد الملك : يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعي عنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم إلا جرأة عليك ، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر النخعي على ابن عفان ؟ فلما سألهم ماتريدون ؟ قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ؟ وإن الحديد بالحديد يُفْلَح[١] خار[٢] الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك .

قال : فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب ، وكتب إلى جنده فعرض ذلك على أهل العراق كما أمر ، فتقدم عبد الله ومحمد فنادى عبد الله : يا معشر أهل العراق ، أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وأنه يعرض عليكم كيت وكيت ، فذكر [ما كتب به أبوه معه إليهم من] هذه الخصال . وقال محمد بن مروان : وأنا رسول [أخي] أمير المؤمنين إليكم بذلك ، فقالوا : ننظر في أمرنا غداً ونرد عليكم الخبر عشية ، ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء الى ابن الأشعث فقام فيهم خطيباً وندبهم الى قبول ما عرضوا عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك بن مروان وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق [بدل الحجاج] ، فنفر الناس من كل جانب وقالوا : لا والله لا نقبل ذلك ، نحن أكثر عَدَداً وعُدَداً ، وهم في ضيق من الحال وقد حكمنا عليهم وذلوا لنا ، والله لا نجيب الى ذلك أبداً . ثم جددوا خلع عبد الملك ونائبه ثانية ، واتفقوا على ذلك كلهم .

فرجع عبد الله بن عبد الملك وعمه محمد بن مروان فقالا للحجاج : شأنك بهم إذاً ، فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين ، فكانا إذا لقياه سلّما عليه بالإمرة ويسلِّم هو أيضاً عليهم بالإمرة ، وتولى الحجاج أمر الحرب وتدبيرها كما كان قبل ذلك ، فعند ذلك برز كل من الفريقين للقتال والحرب ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي[٣] ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللّخمي ، وعلى الخيل : سفيان بن الأبرد وعلى الرجالة : عبد الرحمن بن حبيب[٤] الحكمي .

وجعل ابن الأشعث على ميمنته : الحجاج بن جارية الخَثْعمي[٥] ، وعلى الميسرة : الأبرد بن قرّة التميمي ، وعلى الخيالة : عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة ، وعلى الرجَّالة : محمد بن سعد بن

---

(١) في ب : ينزع . ونص كتاب الحجاج في تاريخ الطبري (٦/ ٣٤٨) .

(٢) في ط : كان .

(٣) في ب ، ط : سليمان ؛ وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٤٩) .

(٤) في ابن الأثير (٤/ ٤٧١) : خبيب .

(٥) في ط : « الحجاج بن حارثة الجشمي » ، وما أثبتناه من م والطبري (٦/ ٣٤٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة اثنتين وثمانين) .

أبي وقاص الزُّهري ، وعلى القراء : جَبَلَة بن زحر بن قيس الجعفيّ ، وكان فيهم سعيد بن جبير ، وعامر الشعبي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وكُميل بن زياد ـ وكان شجاعاً فاتكاً على كبر سنه ـ وأبو البختري الطائي وغيرهم ، وجعلوا يقتتلون في كل يوم ، وأهل العراق تأتيهم الميرة من الرساتيق والأقاليم ، من العلف والطعام ، وأما أهل الشام الذين كانوا مع الحجاج فهم في أضيق حال من العيش وقلة من الطعام وقد فقدوا اللّحم بالكلية فلا يجدونه ، وما زالت الحرب في هذه المدة كلها حتى انسلخت هذه السنة وهم على حالهم وقتالهم في كل يوم أو يوم بعد يوم ، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام . [وقد قتل من أصحاب الحجاج زياد بن غنم ، وكسر بسطام بن مصقلة في أربعة آلاف جفون سيوفهم واستقتلوا وكانوا من أصحاب ابن الأشعث][١] .

وفي هذه السنة كانت وفاة :

المهلب بن أبي صفرة[٢] [وهو ظالم ، أبو سعيد الأزدي ، أحد أشراف أهل البصرة ، ووجوههم ، ودهاتهم ، وأجوادهم ، وكرمائهم ، ولد عام الفتح ، وكانوا ينزلون فيما بين عُمان والبحرين ، وقد ارتد قومه فقاتلهم عكرمة بن أبي جهل فظفر بهم ، وبعث بهم إلى الصدِّيق وفيهم أبو صفرة وابنه المهلّب غلام لم يبلغ الحنث ، ثم نزل المهلب البصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين ، وولي الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وستين ، ثم ولي حرب الخوارج أول دولة الحجاج ، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف وثمانمئة[٣] ، فعظمت منزلته عند الحجاج . وكان فاضلاً شجاعاً كريماً يحب المدح ، وله كلام حسن ، فمنه :

نعم الخصْلة السّخاء تستر عورة الشريف ، وتمحق خسيسة الوضيع ، وتحبِّب المزهود فيه .

وقال : يعجبني في الرجل خصلتان أن أرى عقله زائداً على لسانه ، ولا أرى لسانه زائداً على عقله[٤] .

توفي المهلب غازياً بمرو الروذ وعمره ست وسبعون سنة رحمه الله . وكان له عشرة من الولد وهم : يزيد ، وزياد ، والمفضل ، ومدرك ، وحبيب ، والمغيرة ، وقبيصة ، ومحمد ، وهند ، وفاطمة . توفي المهلب في ذي الحجة منها ، وكان من الشجعان المشهورين والأبطال المذكورين وله مواقف حميدة ، وغزوات مشهودة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج وأصناف الكفرة ، وقد أوصى عند موته

---

(١) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ب والخبر يوافق ما ورد في تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص ١٢).

(٢) ترجمة ـ المهلب بن أبي صفرة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٢٩) وتاريخ خليفة (٢٠٥) وطبقاته (٢٠١) وتاريخ البخاري (٨/ ٢٥) . وأنساب الأشراف (١/ ٢٣٢) وتاريخ دمشق (٦١/ ٢٨٠ ـ ٣٠٥) ووفيات الأعيان (١/ ٢٧٢) وتهذيب الكمال (١٨/ ٤٣١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٠٥ـ٢٠٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٣) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) والإصابة (٣/ ٥٣٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٣٤) .

(٣) الخبر في سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٤) .

(٤) المقولتان في تاريخ الإسلام للذهبي (ص٢٠٧) .

بكلمات تشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن الشّيم ، ومعالي الهمم[١] ، وجعل الأمر من بعده لولده يزيد بن المهلب على إمرة خراسان فأمضى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان .

وفي جمادى الآخرة منها عزل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان عن إمرة المدينة أبان بن عثمان ، وولى عليها هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكانت ولاية أبان على المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وكان على إمرة بلاد المشرق بكماله الحجاج بن يوسف ، والنواب في الأقاليم من تحت يده ، وهو مشغول عن تدبير الممالك بحرب ابن الأشعث في هذه المدة كلها .

قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان الذي كان نائب المدينة[٢] .

أسماء بن خارجة الفزاري الكوفي[٣] ، وكان جواداً ممدحاً ، حكى أنه رأى يوماً شاباً على باب داره جالساً فسأله عن قعوده على بابه فقال : حاجة لا أستطيع ذكرها ، فألح عليه فقال : جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي معها ، فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى مرت تلك الجارية فقال : هذه ، فقال له : اخرج فاجلس على الباب مكانك ، فخرج الشاب فجلس مكانه ، ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد ألبسها أنواع الحليّ ، وقال له : ما منعني أن أدفعها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأختي ، وكانت ضنينة بها ، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف ، وألبستها هذا الحليّ ، فهي لك بما عليها ، فأخذها الشاب وانصرف .

المغيرة بن المهلَّب[٤] بن أبي صفرة ، كان جواداً ممدحاً شجاعاً ، له مواقف مشهورة .

الحارث بن عبد الله[٥] بن ربيعة المخزومي المعروف بقُباع ، ولي إمرة البصرة لابن الزبير .

محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة[٦] كان من فضلاء أبناء الصحابة وأعقلهم، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع .

---

(١) من قوله : وقد أوصى . . . إلى هنا زيادة من ب ، ونص الوصية في تاريخ الطبري (٦/ ٣٥٤) .

(٢) من قوله : وفي جمادى الآخرة . . . إلى هنا ساقط من ب ،ط والخبر في الطبري (٦/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦) .

(٣) ترجمة ـ أسماء بن خارجة ـ في تاريخ خليفة (٢٦٤) والأخبار الطوال (٢٣٦) وأنساب الأشراف (١/ ٢٥٤) والشعر والشعراء (٧٠٢) وتاريخ دمشق (٩/ ٥١ـ٦٢) وتهذيبه (٣/ ٤٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ـ٨٠/ ص٧٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٥) والإصابة (١/ ١٠٤) والوافي بالوفيات (٩/ ٥٩) .
وتجمع المصادر على أنه توفي سنة ست وستين ، وترجمته هنا لا شك مقحمة وهي ليست في أ وب ولأن المؤلف رحمه الله لم يذكر وفيات سنة ست وستين آثرنا إبقاءها .

(٤) ترجمة ـ المغيرة بن المهلّب ـ في تاريخ الطبري (٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢) وابن الأثير (٤/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣) .

(٥) ترجمة ـ الحارث بن عبد الله ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٨) وطبقات خليفة (٥٤) والأخبار الطوال (٢٦٣) وأنساب الأشراف (١/ ٨١) وأسد الغابة (١/ ٣٢٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨١) والإصابة (١/ ٣٨٧) .

(٦) ترجمة ـ محمد بن أسامة ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٤٦) وتاريخ البخاري (١/ ١٩) وطبقات خليفة (٢٣٠) وأنساب الأشراف (١/ ٤٧٠) وتهذيب الكمال (٢٤/ ٣٩٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٧٩)=

عبد الله بن أبي طلحة بن أبي الأسود[١] ، والد الفقيه إسحاق حملت به أمه أم سليم ليلة مات ابنها فأصبح أبو طلحة فأخبر النبي ﷺ ، فقال ﷺ : « عرَّستم بارك الله لكما في ليلتكما »[٢] . ولما ولد حنكه بتمرات .

عبد الله بن كعب بن مالك[٣] ، كان قائد كعب حين عمي ، له روايات ، توفي بالمدينة هذه السنة .

عفان بن وهب[٤] ، **أبو أيمن الخولاني المصري** له صحبة ورواية ، وغزا المغرب ، وسكن مصر وبها مات[٥] .

وفيها توفي :

جميل بن عبد الله[٦] بن معمر بن صُباح[٧] بن ظَبيان بن حُنّ[٨] بن ربيعة بن حرام بن ضِنَّة[٩] بن عبد بن كثير بن عُذرة بن سعد هذيم[١٠] بن زيد بن ليث بن سُود[١١] بن أسلم بن الحافي بن قضاعة . أبو عمرو الشاعر صاحب بثينة[١٢] ، كان قد خطبها فمنعت منه ، فتغزل فيها واشتهر بها ، وكان أحد عشاق

= والوافي بالوفيات (٢/ ١٨٧) وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٥) .
وقال الذهبي : يقال توفي سنة ست وتسعين .

(١) ترجمة ـ عبد الله بن أبي طلحة ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٧٤) وطبقات خليفة (٣٣٧) والاستيعاب (٢/ ٣١٣) وأسد الغابة (٣/ ١٨٨) وتهذيب الكمال (١٥/ ١٣٣ـ١٣٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١١٣ ـ ١١٤) والوافي بالوفيات (١٧/ ١٨٤) وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٦٩) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٤٧٠) في العقيقة ، ومسلم رقم (٢١٤٤) .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن كعب بن مالك ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٧٢) وتاريخ البخاري (٥/ ١٧٨) وتهذيب الكمال (١٥/ ٤٧٣) . وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٠٤) وقال الذهبي : توفي سنة سبع أو ثمان وتسعين ، والوافي بالوفيات (١٧/ ٤١١ ـ ٤١٢) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٦٩) .

(٤) لم أجد له ترجمة فيما لدي من مصادر .

(٥) التراجم السبع السابقة زيادة من ط .

(٦) ترجمة ـ جميل بن عبد الله ـ في أنساب الأشراف (١/ ١٧) والشعر والشعراء (١/ ٤٣٤) والأغاني (٨/ ٩٠) ووفيات الأعيان (١/ ٣٦٦) وتاريخ دمشق (١١/ ٢٥٥ـ٢٨١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٣١١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨١) والوافي بالوفيات (١١/ ١٨٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٣٦) .

(٧) ثمة خلاف في نسب جميل بن عبد الله ؛ ففي الأغاني وجمهرة الأنساب : . . . بن معمر بن الحارث . . . ، واكتفى الذهبي بإيراد نسبه إلى جده معمر .

(٨) حُنّ : بضم الحاء المهملة وتشديد النون قيده الأمير ابن ماكولا في الإكمال (٢/ ٩٤)، ووقع في ط : « الحسن »، وهو تحريف .

(٩) في ط : « ضبة » ، مصحف .

(١٠) في ط ووفيات الأعيان : « سعد بن هذيم » خطأ، والتصحيح من جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٤٤٧) .

(١١) في ط : « سرهد » ، وهو تحريف . وينظر الجمهرة لابن حزم (ص٤٤٣) ، وتاريخ دمشق (١١/ ٢٥٦) .

(١٢) بثينة : هي ابنة حبأ بن ثعلبة بن الهوذ ؛ تلتقي في النسب هي وجميل في حُنّ بن ربيعة .

العرب ، كانت إقامته بوادي القرى وما حوله[١] ، وكان عفيفاً صيِّناً ديِّناً شاعراً باسلاً ، من أفصح الشعراء في زمانه ، وكان كُثيِّر عزَّة راويته ، وهو يروي عن هدبة بن خَشْرَم ، عن الحطيئة ، عن زهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب ، قال كُثيِّر عزَّة : كان جميل أشعر العرب حيث يقول :

وخبَّرتماني[٢] أنّ تيماء منزلٌ   لليلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا
فهذي شهورُ الصيفِ عنَّا قَدِ انقضتْ   فما للنوى يرمي بنيل المراميا[٣]

ومنها قوله :

وما زلتم[٤] يا بثن حتى لو انني   من الشوقِ أستبكي الحمامَ بكى ليا
وما زادني الواشونَ إلا صبابةً   ولا كثرةُ الناهينَ إلا تماديا
وما أحدثَ النأيُ المفرقُ بيننا   سلوًّا ولا طولُ الليالي[٥] تقاليا
ألم تعلمي يا عذبة الريقِ أنني   أظل إذا لم ألقَ وجهك صاديا
لقد خفت أن ألقى المنيةَ بغتةً   وفي النفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هيا

ومما أورد له القاضي ابن خلكان في « الوفيات »[٦] قوله :

إني لأحفظ سرَّكم ويسُرّني   لو تعلمينَ[٧] بصالحٍ أنْ تُذكري
ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسلاً   أو نلتقي فيه عليَّ كأشهرِ
يا ليتني ألقى المنية بغتة   إن كان يوم لقائكم لم يُقْدَرِ
يهواك ما عشت الفؤاد وإن أمت   يتبع صداي صداكِ بين الأقبرِ
إني إليكِ بما وعدتِ لناظر   نظر الفقير إلى الغنيِّ المكثر[٨]
ما أنتِ والوعدُ الذي تعدينني   إلّا كبرقِ سحابةٍ لم تمطرِ

وقوله : ورُوي لعمر بن أبي ربيعة فيما نقله ابن عساكر[٩] :

---

(١) وادي القرى : واد بين الشام والمدينة ، من أعمال المدينة يحتوي على عدد كبير من القرى . معجم البلدان (٥/ ٣٤٥) .
(٢) في ط : وأخبرتماني ؛ وما أثبت كالأغاني والوفيات .
(٣) الأبيات في الأغاني (٨/ ١٢٥) ووفيات الأعيان (١/ ٣٦٧) .
(٤) في ط : زلت بي .
(٥) في ط : اجتماع ؛ وما أثبت يوافق الوفيات .
(٦) وفيات الأعيان (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) .
(٧) في الأغاني : إذ تذكرين .
(٨) الأبيات الثلاثة السابقة ساقطة من ط .
(٩) تاريخ دمشق (١١/ ٢٧٤) بدون البيت الأول ، وهي كاملة في وفيات الأعيان (١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) .

مـا زلـتُ أبغـي الحـيَّ أتبـعُ فلّهـمْ ... حتـى دُفعـتُ إلـى ربيبـةِ هـودج
فـدنـوتُ مختفيـاً[١] ألـمُّ ببيتهـا ... حتى ولجتُ إلى خفيِّ المولجِ[٢]
قالتْ : وعيشِ أخي ونعمةُ والدي ... لأنبهـنَّ الحـيَّ إنْ لـمْ تخـرجِ[٣]
فتنـاولـتْ رأسـي لتعـرف مسـهُ ... بمخضّـبِ الأطـرافِ غيـرِ مشنـجِ
فخـرجتُ خيفـة أهلهـا[٤] فتبسمتْ ... فعلمـتُ أنَّ يمينهـا لـم تلجـج
فلثمـتُ فـاهـا آخـذاً بقـرونهـا ... شرب النَّزيف ببرد ماء الحشرج[٥]

قال كُثيِّر عزة : لقيني جميل بثينة فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند هذه الحبيبة ، فقال وإلى أين ؟ فقلت : وإلى هذه الحبيبة ـ يعني عزَّة ـ فقال : أقسمت عليك لما رجعت إلى بثينة فواعدتها لي فإن لي من أول الصيف ما رأيتها ، وكان آخر عهدي بها بوادي القرى[٦] ، وهي تغسل هي وأمها ثوباً فتحادثنا إلى الغروب ، قال كثير : فرجعت حتى أنخت بهم . فقال أبو بثينة : ما ردك يا بن أخي ؟ فقلت : أبيات قلتها فرجعت لأعرضها عليك . فقال : وما هي ؟ فأنشدته وبثينة تسمع من وراء الحجاب :

فقلـتُ لهـا يـا عَـزَّ أُرْسِـلُ صـاحبـي ... إليـكِ رسـولاً والـرسـولُ مـوكـلُ[٧]
بـأنْ تجعلـي بينـي وبينـكِ مـوعـداً ... وأن تـأمـريـنـي مـا الـذي فيـهِ أفعـلُ
وآخـرُ عهـدي منـكِ يـومَ لقيتنـي ... بأسفلِ وادي الدومِ والثوبُ يغسلُ

قال : فضربت بثينة جانب خدرها وقالت : اخسأ اخسأ ، فقال لها أبوها ؛ مهيم يا بثينة ؟ فقالت كلب يأتينا إذا نوَّم الناس من وراء الرابية ، ثم قالت للجارية : ابغينا من الدومات حطباً لنذبح لكثيِّر شاة ونشويها له ، فقال كثيِّر : أنا أعجل من ذلك ، وراح إلى جميل فأخبره ، فقال جميل : الموعد الدومات[٨] .

فلما كان الليل أقبلت بثينة إلى المكان الذي واعدته إليه ، وأقبل جميل وكنت معهم فما رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن منادمات ، وانفض ذلك المجلس وما أدري أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له : ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزنِ قط ، ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله ؟

---

(١) في تاريخ دمشق : مختبئاً .
(٢) في أ : المدلج ، وأثبت رواية تاريخ دمشق .
(٣) هذا البيت متأخر في تاريخ دمشق .
(٤) في تاريخ دمشق : قولها .
(٥) في ط : فرشفت ريقاً بارداً متثلج ؛ وأثبت رواية أ وابن عساكر .
(٦) في الوفيات والأغاني : وادي الدوم .
(٧) في الأغاني (١٠٧/٨) : والموكل مرسل .
(٨) من قوله : فضربت بثينة جانب خدرها وقالت . . . إلى هنا زيادة من أ توافق الوفيات والأغاني .

قال : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فمن هذا ؟ قال : أنا ، فقلت : لله ما أظنك سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة ، ببثينة . فقال : لا نالتني شفاعة محمد ﷺ ، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريبة ، قال : فما برحنا حتى مات . قلت : كانت وفاته بمصر لأنه كان قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه بثينة فقال : شديداً ، واستنشده من أشعاره ومدائحه فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فعاجلته المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين[١] .

وقد ذكر الأصمعي : عن رجل أن جميلاً قال له : هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حي بثينة ولك ما عندي ؟ قال : نعم ! قال : إذا أنا متّ فاركب ناقتي والبس حلتي هذه وأمره أن يقول أبياتاً منها قوله :

قومي بُثَيْنةُ فاندُبي بِعَويلِ وابكي خَليلاً دونَ كُلِّ خَليلِ

فلما انتهى إلى حيهم أنشد الأبيات فخرجت بثينة كأنها بدر سرى في جنة وهي تتثنى في مِرْطها فقالت له : ويحك إن كنت صادقاً فقد قتلتني ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . فقلت : بلى والله صادق [وهذه حلته وناقته] فلما تحققت ذلك صاحت بأعلى صوتها ، وصكت وجهها ، واجتمع نساء الحي إليها يبكين معها ، ثم صعقت مغشياً عليها ، ثم أفاقت وهي تقول :

وإن سُلُوِّي عن جميل لساعةٌ من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر إذا مت بأساء الحياة ولينها[٢]

قال الرجل : فما رأيت أكثر باكياً ولا باكية من يومئذ .

وروى الحافظ ابن عساكر[٣] عنه أنه قيل له بدمشق : لو تركت الشعر وحفظت القرآن ؟ فقال : هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن من الشعر حكمة »[٤] .

عمر بن عبيد الله[٥] بن معمر بن عثمان ، أبو حفص القرشي ، التميمي ، أحد الأجواد والأمراء الأمجاد ، فتحت على يديه بلدان كثيرة ، وكان نائباً لابن الزبير على البصرة .

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق (١١/ ٢٨٠ـ٢٨١) .
(٢) من قوله : صاحت بأعلى صوتها . . . إلى هنا ساقط من ط وبدله : أنشدت أبياتاً ترثيه بها وتتأسف عليه فيها ، وأنه لا يطيب لها العيش بعده ، ولا خير لها في الحياة بعد فقده ، ثم ماتت من ساعتها . والخبر من الأغاني (٨/ ١٥٤ ـ ١٥٥) .
(٣) تاريخ دمشق (١١/ ٢٥٦) .
(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦١٤٥) في الأدب .
(٥) ترجمة ـ عمر بن عبيد الله ـ في تاريخ خليفة (٢٩٧) وتاريخ البخاري (٦/ ١٧٥) وأنساب الأشراف (١/ ٣٩٩) وتاريخ دمشق (٤٥/ ٢٨٦ ـ ٢٩٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٦٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٢) .

روى عن : ابن عمر وجابر وغيرهما .

وعنه عطاء بن أبي رباح ، وابن عون .

ووفد على عبد الملك فتوفي بدمشق سنة ثنتين وثمانين . قاله المدائني . وحكى أن رجلاً اشترى جارية [كانت تحسن القرآن والشعر وغيره ؛ فأحبها حباً شديداً ، وأنفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له شيء سوى هذه الجارية ، فقالت له الجارية : قد أرى ما بك من قلَّة الشيء . فلو بعتني وانتفعت بثمني صَلحَ حالك ، فباعها لعمر بن عبيد الله هذا ـ وهو يومئذ أمير البصرة ـ بمئة ألف درهم ، فلما قبض المال ندم وندمت الجارية ، فأشارت تخاطب سيدها بأبيات شعر وهي](١) :

هنيئاً لكَ المالُ الذي قدْ أخذتهُ ... ولم يبقَ في كفيَّ إلّا تفكُّري
أقولُ لنفسي وهيَ في كربِ غَشْيةٍ(٢) ... أقِلّي فقدْ بانَ الخليطُ أو اكثري
إذا لم يكنْ في الأمرِ عندكِ حيلةٌ ... ولمْ تجدي بُدّاً منَ الصبرِ فاصبري

فأجابها سيدها فقال :

ولولا قعود الدهرِ بي عنكِ لم يكنْ ... لفرقتنا شيءٌ سوى الموتِ فاصبري
أأوبُ بحزنٍ من فراقكِ موجع ... أناجي بهِ قلباً طويلَ التذكّرِ
عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا ... ولا وصلَ إلّا أنْ يشاءَ ابنُ معمرِ

[فلما سمعها ابن معمر قد شببت قال : والله لا فرَّقت بين محبين أبداً ، ثم أعطاه المال ـ وهو مئة ألف ـ والجارية لما رأى من توجُّعهما على فراق كل منهما صاحبه ، فأخذ الرجل الجارية وثمنها وانطلق .

توفي عمر بن عبيد الله بن معمر هذا بدمشق بالطاعون ، وصلى عليه عبد الملك بن مروان ، ومشى في جنازته وحضر دفنه وأثنى عليه بعد موته .

وكان له من الولد طلحة وهو من سادات قريش تزوج فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر على صداق أربعين ألف دينار ، فأولدها إبراهيم ورملة ، فتزوج رملة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس على صداق مئة ألف دينار رحمهم الله](٣) .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ومكانها في أ : أنه اشترى جارية بمئة ألف ، فتوجعت لفراق سيدها ، وقالت تخاطب مولاها الذي باعها . . . ورواية ط توافق المصادر .

(٢) في ط : عيشةٍ ؛ وما أثبت يوافق تاريخ الإسلام والسير .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ ومكانها في أ : فقال ابن معمر : خذها وثمنها .

كُمَيل بن زياد[١] **بن نهيك بن الهيثم**[٢] النخعي الكوفي .

روى عن : عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة[٣] .

وشهد مع علي صفين وما بعدها ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وزاهداً عابداً ، قتله الحجاج في هذه السنة .

[وقد عاش مئة سنة قتله صبراً بين يديه : وإنما نقم عليه لأنه طلب من عثمان بن عفان القصاص من لطمة لطمها إياه . فلما أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه ، فقال له الحجاج : أوَ مثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص ؟ ثم أمر فضربت عنقه ، قالوا : وذكر الحجاج علياً في غبون ذلك فنال منه وصلى عليه كُميل ، فقال له الحجاج : والله لأبعثن إليك من يبغض علياً أكثر مما تحبه أنت ، فأرسل إليه ابن أدهم ، وكان من أهل حمص ، ويقال أبا الجهم بن كنانة فضرب عنقه[٤] .

وقد روى عن كميل جماعة كثيرة من التابعين ، وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب الذي أوله : القلوب أوعية فخيرها أوعاها . وهو طويل قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات وفيه مواعظ وكلام حسن رضي الله عن قائله][٥] .

زاذان أبو عمر الكندي[٦] أحد التابعين كان أولاً يشرب المسكر ويضرب بالطنبور ، فرزقه الله التوبة على يد عبد الله بن مسعود وحصلت له إنابة ورجوع إلى الحق[٧] ، وخشية شديدة ، حتى كان إذا قام في الصلاة كأنه خشبة .

وقال مرة : إني جائع ، فنزل عليه من الرَّوزنة رغيف مثل الرّحا .

وهو ثقة عند ابن معين وغيره .

---

(١) ترجمة ـ كُميل بن زياد ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٩) وتاريخ خليفة (٢٨٨) وطبقاته (١٤٨) وأنساب الأشراف (١/ ٥١٧) وتاريخ دمشق (٥٠/ ٢٤٧) وحلية الأولياء (١/ ٧٩) وتهذيب الكمال (١٥/ ٤١٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٧٦ ـ ١٧٨) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٤٧ـ٤٤٨) والإصابة (٣/ ٣١٨) .

(٢) في ط : خيثم ؛ تحريف .

(٣) في تاريخ الإسلام : وروى عنه : عبد الرحمن بن عابس ، والعباس بن ذريح ، وعبد الله بن يزيد الصُّهباني ، وأبو إسحاق السبيعي ، والأعمش .

(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٣٦٥) وأن الذي قتله أبو الجهم ، والذي هنا يوافق تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٧٧) .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي لا تخرج عن الأصول .

(٦) ترجمة ـ زاذان أبو عمر ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٨) وتاريخ خليفة (٢٨٨) وطبقاته (١٥٨) وتاريخ الطبري (٤/ ٢١١) وحلية الأولياء (٤/ ١٩٩) وتاريخ دمشق (١٨/ ٢٧٨) وتهذيب الكمال (٩/ ٢٦٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٦٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٠) وشذرات الذهب (١/ ٣٣٤) .

(٧) انظر قصة توبته في تاريخ الإسلام .

قال خليفة[١] : توفي سنة ثنتين وثمانين .

قال خليفة : وفيها توفي زر بن حبيش[٢] أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة ، وقد أتت عليه مئة وعشرون سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة إحدى وثمانين ، وقد تقدمت له ترجمة[٣] .

شقيق بن سلمة[٤] ، أبو وائل ، وقد أدرك من زمن الجاهلية سبع سنين ، وأسلم في حياة النبي ﷺ .

أم الدرداء الصغرى[٥] ، اسمها هجيمة ويقال جهيمة ، تابعية ، عابدة ، عالمة ، فقيهة ، كان الرجال يقرؤون عليها ويتفقهون في الحائط الشمالي بجامع دمشق ، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفقهة يشتغل عليها وهو خليفة رحمهم الله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

استهلت هذه السنة والناس متواقفون لقتال الحجاج وأصحابه بدير قرة ، وابن الأشعث وأصحابه بدير الجماجم ، والمبارزة في كل يوم [بينهم واقعة] ، وفي غالب الأيام تكون الدائرة لأهل العراق على أهل الشام [حتى قيل إن أصحاب ابن الأشعث وهم أهل العراق كسروا أهل الشام وهم أصحاب الحجاج بضعاً وثمانين مرة ينتصرون عليهم][٦] ومع هذا فالحجاج ثابت في مكانه صابر مصابر لا يتزحزح عن موضعه الذي هو فيه ، بل إذا حصل له ظفر في يوم من الأيام يتقدم بجيشه إلى نحو عدوه ، ثم جمع الرماة من جيشه وحمل بهم ، وما زال ذلك دأبه ودأبهم حتى أمر بالحملة على كتيبة القرّاء ، لأن الناس كانوا تبعاً لهم ، وهم الذين يحرضونهم على القتال والناس يقتدون بهم ، فصبر القرّاء لحملة جيشه ، وما انفك حتى قتل

(١) تاريخ خليفة : (٢٨٨) .

(٢) ترجمة ـ زر بن حبيش ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٤) وتاريخ خليفة (٢٨٨) وطبقاته (١٤٠) والاستيعاب (٢/ ٥٦٣) وأنساب الأشراف (١/ ١٦٤) وحلية الأولياء (٤/ ١٨١) وأسد الغابة (٢/ ٣٠٠) ووفيات الأعيان (٣/ ٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٦٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٦٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٣٤) .

(٣) تقدمت ترجمته ضمن وفيات سنة ثمان وسبعين .

(٤) ترجمة ـ شقيق بن سلمة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٩٦) وتاريخ خليفة (٢٢٨) وطبقاته (١٥٥) وحلية الأولياء (٤/ ١٠١) وأسد الغابة (٣/ ٣) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٠٠) وتهذيب الكمال (١٢/ ٥٤٨ ـ ٥٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٨٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٦١) والوافي بالوفيات (٢/ ١٦٧) والإصابة (٢/ ١٦٧) وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٦١ ـ ٣٦٣) .

(٥) ترجمة ـ أم الدرداء الصغرى ـ في الاستيعاب (٤/ ٤٢٨) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٢٧) وتاريخ دمشق (٧٠/ ١٤٦ ـ ١٦٤) وأسد الغابة (٥/ ٤٤٨) وتهذيب الكمال (٣٥/ ٣٥٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٣٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٧) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) والإصابة (٤/ ٢٩٥) .

(٦) زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٤) مع أخبار سنة اثنتين وثمانين !.

منهم خلقاً كثيراً ، ثم حمل على جيش ابن الأشعث وعلى من معه من الجيش فانهزم أصحاب ابن الأشعث وذهبوا في كل وجه ، وهرب ابن الأشعث بين أيديهم ومعه فلّ قليل من الناس ، فأتبعه الحجاج جيشاً كثيفاً مع عمارة بن تميم[١] اللّخمي ومعه محمد بن الحجاج والإمرة لعمارة ، فساقوا وراءهم يطردونهم لعلهم يظفرون بهم قتلاً أو أسراً ، فما زال يسوق ويخترق الأقاليم والكور والرساتيق ، وهم في أثره حتى وصل إلى كرمان ، واتبعه الشاميون فنزلوا يوماً في قصر كان فيه أهل العراق قبلهم ، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من أصحاب ابن الأشعث الذين فروا معه من شعر أبي جلدة[٢] اليشكري يقول :

أيا لَهَفاً ويا حُزناً جميعاً ويا حَرَّ الفُؤادِ لِمَا لَقِينا
تركنا الدينَ والدنيا جميعاً وأسلمنا الحلائلَ والبَنينا
فما كنا أناساً أهلَ دنيا فنمنعها ولو لمْ نرجُ دِينا[٣]
تركنا دُوْرَنا لطغامِ عكٍّ وأنباطِ القُرى والأشْعَرينا

ثم إن ابن الأشعث دخل هو ومن معه من الفل إلى بلاد رُتبيل ملك الترك ، فأكرمه رتبيل وأنزله عنده وأمنه وعظمه .

[قال الواقدي : ومر ابن الأشعث وهو ذاهب إلى بلاد رتبيل على عامل[٤] له في بعض المدن كان ابن الأشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه إلى العراق ، فأكرمه ذلك العامل وأهدى إليه هدايا وأنزله ، فعل ذلك خديعة به ومكراً ، وقال له : ادخل إلى عندي إلى البلد لتتحصن بها من عدوك ولكن لا تدع أحداً ممن معك يدخل المدينة ، فأجابه إلى ذلك ، وإنما أراد المكر به ، فمنعه أصحابه فلم يقبل منهم ، فتفرق عنه أصحابه ، فلما دخل المدينة وثب عليه العامل فمسكه وأوثقه بالحديد وأراد أن يتخذ به يداً عند الحجاج ، وقد كان الملك رُتبيل سُرَّ بقدوم ابن الأشعث ، فلما بلغه ما حدث له من جهة ذلك العامل بمدينة بست ، سار حتى أحاط ببست ، وأرسل إلى عاملها يقول له : والله لئن آذيت ابن الأشعث لا أبرح حتى أستنزلك وأقتل جميع من في بلدك ، فخافه ذلك العامل وسَيَّر إليه ابن الأشعث فأكرمه رُتبيل ، فقال ابن الأشعث لرتبيل : إن هذا العامل كان عاملي ومن جهتي ، فغدر بي وفعل ما رأيت ، فأذن لي في قتله ،

---

(١) في ب ، ط : غنم ، وما أثبت يوافق الطبري (٦/ ٣٦٧) وابن الأثير (٤/ ٤٨٥) . وتقدم ذكره في السنة الماضية .

(٢) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٤٨٤) : ابن حلِّزة ، وما هنا كالطبري (٦/ ٣٦٨) . وهو أبو جلدة بن عبيد بن منقذ بن حجر بن عبيد الله بن مسلمة بن حبيب بن عدي بن جُشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر إسلامي أموي من ساكني الكوفة ، كان من أخص الناس بالحجاج ثم خرج عليه مع ابن الأشعث ، فقتله الحجاج . الأعلام للزركلي (٢/ ١٣٣) .

(٣) في الطبري وابن الأثير :

فما كنا أناساً أهل دين فنصبر في البلاء إذا ابتُلينا

(٤) سماه الطبري (٦/ ٣٦٩) : عياض بن هميان أبو هشام بن عياض السدوسي ، وفي ابن الأثير (٤/ ٤٨٥) : ابن هشام السدوسي .

فقال : قد أمنته[(١)]][(٢)] وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة[(٣)] بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان هو الذي يصلي بالناس هنالك في بلاد رُتبيل ، ثم إن جماعة من الفل الذين هربوا من الحجاج اجتمعوا وساروا وراء ابن الأشعث ليدركوه فيكونوا معه ـ وهم قريب من ستين ألفاً ـ فلما وصلوا إلى سجستان وجدوا ابن الأشعث قد دخل إلى عند رُتبيل فتغلبوا على سجستان وعذبوا عاملها عبد الله بن عامر النعار[(٤)] وإخوته وقرابته ، واستحوذوا على ما فيها من الأموال ، وانتشروا في تلك البلاد وأخذوها ، ثم كتبوا إلى ابن الأشعث : أن اخرج إلينا حتى نكون معك ننصرك على من يخالفك ، ونأخذ بلاد خراسان ، فإن بها جنداً عظيماً منا ، فنكون بها حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك ، فنرى بعد ذلك رأينا . فخرج إليهم ابن الأشعث وسار بهم قليلاً إلى نحو خراسان فانخذل عنه شرذمة من أهل العراق مع عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة ، فقام فيهم ابن الأشعث خطيباً فذكر غدرهم ونكولهم عن الحرب ، وقال : لا حاجة لي بكم ، وأنا ذاهب إلى صاحبي رُتبيل فأكون عنده . ثم انصرف عنهم وتبعه طائفة منهم وبقي معظم الجيش . فلما انفصل عنهم ابن الأشعث بايعوا عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة[(٣)] بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي ، وساروا معه إلى خراسان فخرج إليهم أميرها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، فمنعهم من دخول بلاده ، وكتب إلى عبد الرحمن بن عباس يقول له : إن في البلاد متسعاً فاذهب إلى أرض ليس بها سلطان ، فإني أكره قتالك ، وإن كنت تريد مالاً بعثت إليك . فقال له : إنا لم نجئ لقتال أحد ، وإنما جئنا نستريح ونريح خيلنا ثم نذهب وليست بنا حاجة إلى شيء مما عرضت . ثم أقبل عبد الرحمن على أخذ الخراج مما حوله من البلاد من كورخراسان ، فخرج إليه يزيد بن المهلب ومعه أخوه المفضل في جيوش كثيفة ، فلما صادفوهم اقتتلوا غير كثير ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن بن عباس ، وقتل يزيد منهم مقتلة عظيمة ، وأسر منهم أسرى كثيرة ، واحتاز ما في معسكرهم ، وبعث بالأسارى وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص إلى الحجاج ، ويقال إن محمد بن سعد قال ليزيد بن المهلب : أسألك بدعوة أبي لأبيك لما أطلقتني ، فأطلقه .

قال أبو جعفر بن جرير[(٥)] : ولهذا الكلام خبر فيه طول ، ولما قدمت الأسارى على الحجاج قتل أكثرهم وعفا عن بعضهم ، وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن الأشعث نادى مناديه في الناس : من رجع

---

(١) في الطبري (٦/ ٣٦٩) : قال : فأذن لي في دفعه ولهزه والتصغير به ، قال : أما هذه فنعم . ففعل به عبد الرحمن .
وفي الفتوح لابن الأعثم (٧/ ١٥٢) : عمد ابن الأشعث إلى عياض بن هميان هذا فضرب عنقه وصلبه وأخذ أمواله وخرب منزله .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي موافقة للمصادر .

(٣) في ط : « بن أبي ربيعة » ، وما أثبتناه من م والطبري (٦/ ٣٧٠) .

(٤) في الطبري : البَعّار .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٣٧٤) .

فهو آمن ومن لحق بقتيبة بن مسلم بالري فهو آمن ، فلحق به خلق كثير ممن كان مع ابن الأشعث فأمنهم الحجّاج ، ومن لم يلحق به شرع في تتبعه ، فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير على ما سيأتي تفصيله والله المستعان .

وكان الشعبي من جملة من صار إلى قتيبة بن مسلم فذكره الحجاج يوماً فقيل له : إنه صار إلى قتيبة بن مسلم ، فكتب إليه : أن ابعث لي بالشَّعبي .

قال الشعبي : فلما دخلت عليه سلمت عليه بالإمرة ثم قلت : أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وايم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق [كائناً في ذلك ما كان] قد والله تمردنا عليك ، وخرجنا وجهدنا كل الجهد فما ألونا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا ، وما جرَّت إليك أيدينا ، وإن عفوت عنا فبحلمك ، وبعد ، فالحجة لك علينا . فقال الحجاج : أنت والله يا شعبي أحب إليّ قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول : ما فعلتُ ولا شهدتُ ، قد أمنت عندنا يا شَعبي . قال : فانصرفت فلما مشيت قليلاً قال : هلمَّ يا شعبي ، قال : فوجل لذلك قلبي ، ثم ذكرت قوله قد أمنت يا شعبي فاطمأنت نفسي ، فقال : كيف وجدت الناس بعدنا يا شعبي ؟ ـ قال : وكان لي مكرماً [قبل الخروج عليه ـ] فقلت : أصلح الله الأمير ، قد اكتحلتُ بعدك السَّهرَ ، واستوعرت الجناب[١] ، واستحلَسْتُ الخوف[٢] ، وفقدت صالح الإخوان ، ولم أجد من الأمير خَلَفاً . قال : انصرف يا شعبي ، فانصرفت . ذكر ذلك ابن جرير وغيره . ورواه أبو مخنف عن إسماعيل بن عبد الرحمن بن السدي عن الشعبي[٣] .

وروى البيهقي[٤] : أنه سأله عن مسألة الخرقاء في الفرائض وهي أم وزوج وأخت وما كان يقول فيها الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ، وكان لكل منهم قول فيها ، فنقل ذلك كله الشعبي في ساعة فاستحسن قول علي وحكم بقول عثمان ، وأطلق الشعبي بسبب ذلك .

[وقيل إن الحجاج قتل خمسة آلاف أسير[٥] ممن سيرهم إليه يزيد بن المهلّب كما تقدم ذلك ، ثم سار إلى الكوفة فدخلها فجعل لا يبايع أحداً من أهلها إلا قال : اشهد على نفسك أنك قد كفرتَ ، فإذا قال نعم بايعه ، وإن أبى قتله ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ممن أبى أن يشهد على نفسه بالكفر ، قال فأُتي برجل فقال الحجاج : ما أظن هذا يشهد على نفسه بالكفر لصلاحه ودينه ـ وأراد الحجاج مخادعته ـ فقال :

---

(١) في ط : واستوعرت السهل ، واستوخمت الجناب .

(٢) بعدها في ط : واستحليت الهم . وما هنا موافق للطبري (٦/ ٣٧٥) .

(٣) في الطبري : قال أبو مخنف : فحدثني السَّريّ بن إسماعيل ، عن الشعبي . . . وذكر الخبر .

(٤) السنن الكبرى (٦/ ٢٥٢) .

(٥) تاريخ خليفة (٢٨٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٦) .

أخادعي أنت عن نفسي ؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون وهامان ونمروذ . قال : فضحك الحجاج وخلّى سبيله][1] .

وذكر ابن جرير[2] من طريق أبي مخنف : أن أعشى همدان أُتي به إلى الحجاج ـ وكان قد عمل قصيدة يهجو فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان ويمدح فيها ابن الأشعث وأصحابه ـ فاستنشده إياها فأنشده قصيدة طويلة دالية[3] ، فيها مدح كثير لعبد الملك وأهل بيته ، فجعل أهل الشام يقولون : قد أحسن أيها الأمير ، فقال الحجاج : إنه لم يحسن ، إنما يقول هذا مصانعة ، ثم ألحَّ عليه حتى أنشده قصيدته الأخرى[4] ، فلما أنشدها غضب عند ذلك الحجاج وأمر به فضربت عنقه صبراً بين يديه . واسم الأعشى هذا عبد الرحمن بن الحارث أبو المصبِّح الهمداني الكوفي الشاعر ، أحد الفصحاء البلغاء المشهورين ، وقد كان له فضل وعبادة في مبتداه ، ثم ترك ذلك وأقبل على الشعر فعرف به ، وقد وفد على النعمان بن بشير وهو أمير بحمص فامتدحه ، وكان محصوله في رحلته إليه منه ومن جند حمص أربعين ألف دينار ، وكان زوج أخت الشعبي ، كما أن الشعبي كان زوج أخته أيضاً[5] ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث ، فقتله الحجاج كما ذكرنا رحمه الله .

وقد كان الحجاج وهو مواقف لابن الأشعث بعث كميناً يأتون جيش ابن الأشعث من ورائه ، ثم تواقف الحجاج وابن الأشعث وهرب الحجاج بمن معه وترك معسكره ، فجاء ابن الأشعث فاحتاز ما في المعسكر وبات فيه ، فجاءت السرية إليهم ليلاً وقد وضعوا أسلحتهم فمالوا عليهم ميلة واحدة ، ورجع الحجاج بأصحابه فأحاطوا بهم فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، وقتل من أصحاب ابن الأشعث خلق كثير وغرق خلق كثير منهم في دجلة ودجيل ، وجاء الحجاج إلى معسكرهم فقتل من وجده فيه ، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، منهم جماعة من الرؤساء والأعيان ، واحتازوه بكماله .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي موافقة للمصادر .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٣٧٥) .

(٣) ذكرها الطبري (٦/ ٣٧٦) وابن الأثير (٤/ ٤٨٩) ومطلعها :

أبـى الله إلا أن يتمِّـم نـوره ويطفـئ نـور الفـاسقيـن فيُخمـدا

إلى قوله :

وجـدنـا بنـي مـروان خيـر أئمـة وأفضل هذي الناس حلماً وسؤددا

(٤) ذكر المسعودي في مروج الذهب (٣/ ١٥٥) بيتين منها ، وفيها يمدح ابن الأشعث ويحرض أهل الكوفة على القتال :

وسـألتمـاني المجد أيـن محلـه فـالمجـد بيـن محمـد وسعيـد

بيـن الأشـج وبيـن قيـس بـاذخ بَـخ بـخ لـوالـده وللمـولـود

فلما قال الأعشى هذا البيت قال الحجاج : لا والله لا تبخبخ بعدها لأحد أبداً . فقدمه فضرب عنقه .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤١) .

وانطلق ابن الأشعث هارباً في ثلاثمئة من أصحابه فركبوا دجيلاً في السفن وعقروا دوابهم وجازوا إلى البصرة ، ثم ساروا من هنالك وكان من أمرهم من دخولهم بلاد رتبيل ما كان .

ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فجعل يقتلهم مثنى وفرادى ، حتى قيل إنه قتل منهم بين يديه صبراً مئة ألف وثلاثين ألفاً ، قاله النضر بن شميل عن هشام بن حسان(١) ، منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وجماعات من السادات [الأخيار ، والعلماء الأبرار] حتى كان آخرهم سعيد بن جبير رحمهم الله ورضي عنهم ، كما سيأتي ذلك في موضعه .

بناء واسط في زمن الحجاج

قال ابن جرير(٢) : وفي هذه السنة بنى الحجاج واسط ، وكان سبب بنائه لها أنه رأى راهباً على أتان قد أجاز دجلة ، فلما مر بموضع واسط وقفت أتانه فبالت ، فنزل عنها وعمد إلى موضع بولها فاحتفره ورمى به في دجلة ، فقال الحجاج : عليّ به ، فأُتي به فقال له : لم صنعت هذا ؟ قال : إنا نجد في كتبنا أنه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحِّده . فعند ذلك اختط الحجاج مدينة واسط في ذلك المكان وبنى المسجد في ذلك الموضع .

وفي هذه السنة كانت غزوة عطاء بن رافع صقلية(٣) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الرحمن بن حُجَيرة(٤) ، الخولاني المصري ، روى عن جماعة من الصحابة ، وكان عبد العزيز ابن مروان أمير مصر قد جمع له بين القضاء والقصص وبيت المال ، وكان رزقه في العام ألف دينار ، وكان لا يدخر منها شيئاً .

طارق بن شهاب(٥) بن عبد شمس الأحمسي ممن رأى النبي ﷺ وغزا في خلافة الصديق وعمر رضي الله عنهما بضعاً وأربعين غزاة ، توفي بالمدينة هذه السنة .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) .
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٣٨٣) .
(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ١٨) .
(٤) ترجمة ـ عبد الرحمن بن حجيرة ـ في المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٠٨) والجرح والتعديل (٥/ ٢٢٧) وتهذيب الكمال (١٧/ ٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٢٦) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٦٠) وقد تحرف في ط إلى : ابن جحيرة ـ بالجيم ـ .
(٥) ترجمة ـ طارق بن شهاب ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٦٦) وطبقات خليفة (١١٧) وتاريخ البخاري (٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) والاستيعاب (٢/ ٢٣٧) وأسد الغابة (٣/ ٤٨) وتهذيب الكمال (١٣/ ٣٤١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٩٣ـ٩٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦) والوافي بالوفيات (١٦/ ٣٨٠) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣) .

عبيد الله بن عدي[١] بن الخيار أدرك النبي ﷺ ، وحدث عن جماعة من الصحابة وأبوه عدي ممن قتل يوم بدر كافراً .

عبد الله بن قيس بن مخرمة[٢] ، كان قاضي المدينة . وكان من فقهاء قريش وعلمائهم .

وتوفي بها في هذه السنة :

مرثد بن عبد الله[٣] أبو الخير اليزني[٤] .

وفيها فقد جماعة من القراء والعلماء الذين كانوا مع ابن الأشعث ، منهم من هرب ومنهم من قتل في المعركة ، ومنهم من أسر فضرب الحجاج عنقه ، ومنهم من تتبعه حتى أمكنه فقتله ، وقد سمى منهم خليفة بن خياط[٥] طائفة من الأعيان ، فمنهم مسلم بن يسار المزني ، وأبو مرانة العجلي قُتل ، وعقبة بن عبد الغافر قُتل ، وعقبة بن وساج[٦] قُتل ، وعبد الله بن غالب[٧] الجهضمي قُتل ، وأبو الجوزاء الرّبعيّ قُتل ، والنضر بن أنس ، وعمران والد أبي جمرة الضّبعي ، وأبو المنهال سيار بن سلامة الرياحيّ ، ومالك بن دينار ، ومرّة بن دَبّاب[٨] الهَدَادي ، وأبو نُجيد الجَهْضمي ، وأبو شيخ[٩] الهنائي ، وسعيد بن أبي الحسن ، وأخوه الحسن البصري .

---

(١) ترجمة ـ عبيد الله بن عدي ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩) وتاريخ خليفة (٣٠٩) وطبقاته (٢٣١) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٩١) والاستيعاب (٣/ ١٠١٠) وتهذيب الكمال (١٩/ ١١٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٢٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٤) وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٦ ـ ٣٧) والإصابة (٢/ ٥٣٠٨) .

(٢) ترجمة ـ عبد الله بن قيس ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٩) وتاريخ خليفة (٢٩٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٦) وتهذيب الكمال (١٥/ ٤٥٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٢١) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤) .

(٣) ترجمة ـ مرثد بن عبد الله ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٥١١) وطبقات خليفة (٢٩٣) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٤٩١) وتهذيب الكمال (٢٧/ ٣٥٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٩٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٤) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٨٢) .
وأغلب المصادر على أنه توفي سنة تسعين ، والله أعلم .

(٤) التراجم الخمس السابقة ساقطة من أ ، ب .

(٥) تاريخ خليفة (٢٨٦ ـ ٢٨٧) .

(٦) في أ ، ط : وشاح : وما أثبت موافق لتاريخ خليفة وتاريخ الإسلام .

(٧) في ط : خالد ، محرف .

(٨) في أ ، ط : ذياب ؛ خطأ والتصحيح من المشتبه للذهبي (١/ ٢٨٢) وهو : مرة بن دبّاب البصري . وانظر توضيح المشتبه (٤/ ١٥) .

(٩) في ط : « سبيج » ، وما أثبتناه من م وتاريخ خليفة وتاريخ الإسلام .

قال أيوب[1] : قيل لابن الأشعث : إن أحببت أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول هودج عائشة يوم الجمل فأخرج الحسن معك ، فأخرجه . ومن أهل الكوفة : سعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن شداد ، والشَّعبي ، وأبو عُبيدة بن عبد الله بن مسعود ، والمعرور بن سويد ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وأبو البَخْتري ، وطلحة بن مصرِّف ، وزُبَيد[2] بن الحارث اليامیان ، وعطاء بن السائب . قال أيوب : فما منهم من أحد صُرع مع ابن الأشعث إلا رُغب في مصرعه ، ولا نجا أحد منهم إلاَّ حمد الله الذي سلمه .

[ومن أعيان من قَتَل الحجاج :

عمران بن عصام الضبعي[3] ، والد أبي جمرة ، كان من علماء أهل البصرة ، وكان صالحاً عابداً أُتي به أسيراً إلى الحجاج فقال له : اشهد على نفسك بالكفر حتى أطلقك ، فقال : والله إني ما كفرت بالله منذ آمنت به ، فأمر به فضربت عنقه .

عبد الرحمن بن أبي ليلى[4] ، روى عن جماعة من الصحابة ، ولأبيه أبي ليلى صحبة ، أخذ عبد الرحمن القرآن عن علي بن أبي طالب : خرج مع ابن الأشعث فأُتي به الحجاج فضرب عنقه بين يديه صبراً][5] .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

قال الواقدي : فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك بن مروان المصيصة[6] .

---

(١) وهو أيوب السختياني ، والخبر في تاريخ خليفة (٢٨٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٦) .

(٢) في أ : وزيد ؛ خطأ ، وما أثبت عن ب ، ط والمصادر .

(٣) ترجمة ـ عمران بن عصام ـ في تاريخ خليفة (٢٨٢) وطبقاته (٢٠٤) وتاريخ البخاري (٦/ ٤١٧ ـ ٤١٨) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٣٤٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٥٨ ـ ١٥٩) وتهذيب التهذيب (٨/ ١٣٤) .

(٤) ترجمة ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٩) وتاريخ خليفة (٢٨٣) وطبقاته (١٥٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٢٤) ومواضع أخرى ، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٥٩) وتهذيب الكمال (١٧/ ٣٧٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٢٧ ـ ١٢٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٢) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٦٠) والإصابة (٢/ ٤٢٠) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٣) .

(٥) الذي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٢٩) عن أبي نعيم في الحلية (٤/ ٣٥١) : أنه قتل بوقعة الجماجم .

(٦) المصيصة : مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . معجم البلدان (٥/ ١٤٤ـ١٤٥) وخبر فتحها في تاريخ الطبري (٦/ ٣٨٥) وابن الأثير (٤/ ٥٠٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢١) .

وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فقتل منهم خلقاً وحرق كنائسهم وضياعهم وتسمى سنة الحريق[١] .

[وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد بن القاسم الثقفي ، وأمره بقتل الأكراد .

وفيها ولى عبد الملك الإسكندرية عياض بن غنم البجيني وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكنود الذي كان قد وليها في العام الماضي][٢] .

وفيها افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أوربة[٣] ، وقتل من أهلها بشراً كثيراً جداً ، وأسر نحواً من خمسين ألفاً .

وفيها قتل الحجاج أيضاً جماعة من رؤساء ابن الأشعث ، منهم :

أيوب بن القِرِّيّة[٤] ، وكان فصيحاً بليغاً واعظاً ، قتله صبراً بين يديه ، ويقال إنه ندم على قتله ، وهو أيوب بن زيد بن قيس أبو سليمان الهلالي المعروف بابن القِرية .

[وعبد الله بن الحارث بن نوفل .

وسعد بن إياس الشيباني .

وأبو عِنَبَة[٥] الخولاني . له صحبة ورواية ، سكن حمص وبها توفي وقد قارب المئة سنة . عبد الله بن قتادة ، وغير هؤلاء جماعة منهم من قتلهم الحجاج ، ومنهم من توفي .

أبو زرعة الجذامي ، الفلسطيني ، كان ذا منزلة عند أهل الشام ، فخاف منه معاوية ففهم منه ذلك أبو زرعة فقال يا أمير المؤمنين لا تهدم ركناً بنيته ، ولا تحزن صاحباً سررته ، ولا تشمت عدواً كبتَّه ، فكف عنه معاوية][٦] .

وفيها توفي :

عتبة بن النُّدَّر السلمي[٧] ، صحابي جليل [كان يعد في أهل الصفة] .

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢١) .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر الثاني في تاريخ الإسلام للذهبي (ص٢١) .

(٣) تحرفت في ط إلى : أرومة ، وأوربة : قبيلة بالمغرب مساكنهم قرب فاس ، وهي مدينة بالأندلس أيضاً . دائرة المعارف الإسلامية (٣/ ١٢٣) .

(٤) ستأتي ترجمته بأوسع مما هنا قريباً .

(٥) في الأصل : غنيما ، وهو خطأ .

(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وأبو زرعة الجذامي : هو روح بن زنباع ستأتي ترجمته قريباً .

(٧) ترجمة ـ عتبة بن النُّدَّر ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٣) وطبقات خليفة (٥٢) والاستيعاب (٣/ ١١٧) وحلية الأولياء (٢/ ١٥) وتاريخ دمشق (٣٨/ ٢٨٦) وأسد الغابة (٣/ ٥٧٠) وتهذيب الكمال (١٩/ ٣٢٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٥٠ ـ ١٥١) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٧) والإصابة (٢/ ٤٥٦)=

وعمران بن حِطّان[١] ، الخارجي ، كان أولاً من أهل السنة والجماعة فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها . وكان هو دميم[٢] الشكل ، فأراد أن يردها إلى السنة فأبت فارتد معها إلى مذهبها . وقد كان من الشعراء المطبقين[٣] ، وهو القائل في قتل علي وقاتله :

يا ضربةً مِنْ تقيٍّ ما أرادَ بها ... إلا ليبلُغَ مِنْ ذي العرشِ رِضوانا
إني لأذكُرُهُ يوماً فأحسَبُهُ ... أوفَى البريَّةِ عِندَ الله ميزانا
أكرِمْ بقومٍ بطونُ الطَّير أقْبُرُهمْ ... لمْ يَخْلِطوا دينهمْ بَغْياً وعُدوانا[٤]

وقد كان الثوري يتمثل بأبياته هذه في الزهد في الدنيا وهي قوله :

أرى أشقياء الناسِ لا يسأمونها ... على أنهمْ فيها عُراةٌ وجُوَّعُ
أراها وإنْ كانتْ تُحِبُّ فإنها ... سَحابةُ صيْفٍ عنْ قليلٍ تَقَشَّعُ
كركبٍ قَضَوا حاجاتِهمْ وترحَّلوا ... طريقُهُمْ بادي العَلامةِ مَهْيَعُ[٥]

[مات عمران بن حطان سنة أربع وثمانين .

وقد رد عليه بعض العلماء[٦] في أبياته المتقدمة في قتل علي رضي الله عنه بأبيات على قافيتها ووزنها :

بلْ ضربةٌ منْ شقيٍّ ما أرادَ بها ... إلا ليبلغَ منْ ذي العرشِ خسرانا
إني لأذكرهُ يوماً فأحسبهُ ... أشقى البرية عند الله ميزانا][٧]

= وتهذيب التهذيب (٧/ ١٠٢ـ١٠٣) .
والندّر ـ بضم النون وفتح الدال المهملة المشدَّدتين . وانظر توضيح المشتبه (١/ ٣٩٤) .

(١) ترجمة ـ عمران بن حطان ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٥) وتاريخ خليفة (٢٧٤) وطبقاته (٢٠٨) وتاريخ البخاري (٦/ ٤١٣ ـ ٤١٤) وأنساب الأشراف (٤/ ٨٩) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٣٢٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٥٤ ـ ١٥٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٤) والإصابة (٣/ ١٧٨) وتهذيب التهذيب (٨/ ١٢٧) وديوان شعر الخوارج (١٧٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٥) .

(٢) في أ ، ب : ذميم ـ بالذال ـ وكلاهما بمعنى .

(٣) في ط : المفلقين .

(٤) الأبيات في الأغاني (١٨/ ١١١) ونشوار المحاضرة للتنوخي (٣/ ٢٩٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٥٦) .

(٥) الأبيات في الأغاني (١٨/ ١١١) والكامل للمبرد (٢/ ١٢٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٥٧) .

(٦) وهو الفقيه الطبري . وأبياته في الكامل للمبرد (٢/ ١٢٦) وكتاب الأذكياء (٢١٠) .

(٧) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق المصادر .

وروح بن زنباع الجذامي[١] ، [كان من أمراء الشام وكان عبد الملك يستشيره في أموره] .

وفيها كان مهلك عبد الرحمن بن الأشعث الكندي [وقيل في التي بعدها ، فالله أعلم][٢] .

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى رُتبيل ملك الترك الذي لجأ إليه ابن الأشعث يقول له : والله الذي لا إله إلا هو لئن لم تبعث إليّ بابن الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف ألف مقاتل ، ولأخربنها . فلما تحقق الوعيد من الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشار عليه بتسليم ابن الأشعث إليه قبل أن يخرب الحجاج دياره ويأخذ عامة أمصاره، فأرسل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقاتل عشر سنين، وأن لا يؤدي في كل سنة منها إلا مئة ألف من الخراج ، فأجابه الحجاج إلى ذلك [وقيل إن الحجاج وعده أن يطلق له خراج أرضه سبع سنين][٢] ، فعند ذلك غدر رُتبيل بابن الأشعث فقيل إنه أمر بضرب عنقه صبراً بين يديه ، وبعث برأسه إلى الحجاج ، وقيل : بل كان ابن الأشعث قد سقط من شاهق فبعث برأسه إلى الحجاج وقيل : بل كان قد مرض مرضاً شديداً فقتله وهو بآخر رمق[٣] ، والمشهور أنه قبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه فقيدهم في الأصفاد وبعث بهم مع رسل الحجاج إليه ، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له الرُّخَّج[٤] ، صعد ابن الأشعث وهو مقيد بالحديد إلى سطح قصر ومعه رجل موكل به لئلا يفر ، وألقى نفسه من ذلك القصر وسقط معه الموكل به فماتا جميعاً ، فعمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاحتزه ، وقتل من معه من أصحاب ابن الأشعث وبعث برؤوسهم إلى الحجاج فأمر فطيف برأسه في العراق ، ثم بعثه إلى أمير المؤمنين عبد الملك فطيف برأسه في الشام ، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر فطيف برأسه أيضاً هنالك ، ثم دفنوا رأسه بمصر وجثته بالرُّخَّج ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك :

هيهاتَ موضعُ جثةٍ من رأسها رأس بمصرَ وجثةٌ بالرُّخَّجِ

وإنما ذكر ابن جرير مقتل ابن الأشعث في سنة خمس وثمانين فالله أعلم .

وعبد الرحمن هذا وهو ابن محمد بن الأشعث بن قيس ، ومنهم من يقول عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي ، قد روى له أبو داود والنسائي[٥] عن أبيه عن جده عن

---

(١) ستأتي ترجمته بعد خبر موت ابن الأشعث .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في الطبري (٦/ ٣٨٩ـ ٣٩٠) وابن الأثير (٤/ ٥١) .

(٣) في تاريخ الطبري (٦/ ٣٩٠) وابن الأثير (٤/ ٥٠٢) : أصابه السل ومات ، فقطع رتبيل رأسه قبل أن يدفن وأرسله إلى الحجاج .

(٤) في ط : « الرجح » ، مصحف ، وما أثبتناه مجود في نسخة م ، وهو الموافق لما في تاريخ الطبري (٦/ ٣٩١) وابن الأثير (٤/ ٥٢) .
ورُخَّج ـ بتشديد ثانيه ـ كورة ومدينة من نواحي كابل . معجم البلدان (٣/ ٣٨) .

(٥) سنن أبي داود رقم (٣٥١١) في البيوع والإجارات، وسنن النسائي الكبرى (٦٢٤٤)، وفي المجتبى (٧/ ٣٠٢) في البيوع .

عبد الله بن مسعود : حديث « إذا اختلف المتبايعان والسلعة قائمة فالقول ما قال البائع أو يتتاركان[١] » وعنه أبو العميس .

ويقال إن الحجاج قتله بعد التسعين سنة ، فالله أعلم . والعجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه بالإمارة وليس من قريش ، وإنما هو كندي من اليمن ، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلا في قريش ، واحتج عليهم الصدِّيق بالحديث في ذلك ، حتى إن الأنصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين فأبى الصدّيق عليهم ذلك ، ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عبادة الذي دعا إلى ذلك أولاً ثم رجع عنه ، كما قررنا ذلك فيما تقدم .

فكيف يعمدون إلى خليفة قد بويع له بالإمارة على المسلمين من سنين فيعزلونه وهو من صليبة قريش ويبايعون لرجل كندي بيعة لم يتفق عليها أهل الحل والعقد ؟ ولهذا لما كانت هذه زلّة وفلتة نشأ بسببها شر كبير هلك فيه خلق كثير فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أيوب ابن القِرِّيّة[٢] ، وهي أمه واسم أبيه يزيد بن قيس بن زُرارة بن مسلم النمري الهلالي ، كان أعرابياً أمياً ، وكان يضرب به المثل في فصاحته وبيانه وبلاغته ، صحب الحجاج ووفد على عبد الملك ، ثم بعثه رسولاً إلى ابن الأشعث فقال له ابن الأشعث : لئن لم تقم خطيباً فتخلع الحجاج لأضربن عنقك ، ففعل وأقام عنده ؛ فلما ظهر الحجاج استحضره وجرت له معه مقامات ومقالات في الكلام ، ثم آخر الأمر ضرب عنقه وندم بعد ذلك على ما فعل من ضرب عنقه ، ولكن ندم حيث لا ينفعه الندم . كما [قيل : وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل] .

وقد ذكره ابن عساكر في « تاريخه » وابن خلِّكان في « الوفيات » وأطال ترجمته وذكر فيها أشياء حسنة ، قال : والقِرِّيَّة بكسر القاف وتشديد الياء وهي جدته واسمها جُماعة بنت جُشم ، قال ابن خلِّكان : ومن الناس من أنكر وجوده ووجود مجنون ليلى ، وابن أبي العقب صاحب الملحمة ، وهو يحيى بن عبد الله بن أبي العقب ، والله أعلم .

رَوْحُ بن زِنْباع[٣] بن سلامة الجذامي أبو زرعة ويقال أبو زنباع الدمشقي داره بدمشق في طرف

---

(١) في ط : « تشاركا » ، وما أثبتناه من م ، وهو الموافق لرواية أبي داود (٣٥١١) . ولفظ النسائي (٧/ ٣٠٢) : « أو يتركا » . وإسناده ضعيف ، وهو حديث حسن بطرقه .

(٢) ترجمة ـ أيوب بن القرية وخبر مقتله ـ في تاريخ الطبري (٦/ ٣٨٥) وتاريخ دمشق (١٠/ ١٤٠ ـ ١٤٣) وتهذيبه (٣/ ٢١٩) ووفيات الأعيان (١/ ٢٥٠) والكامل لابن الأثير (٤/ ٤٩٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٩٧) .

(٣) ترجمة ـ روح بن زنباع ـ في تاريخ خليفة (٤٤٠) وأنساب الأشراف (١/ ٣٦) ومواضع أخرى ، والاستيعاب (١/ ٥٢٥) وتاريخ البخاري (٣/ ٣٠٧) وتاريخ دمشق (١٨/ ٢٤٠ ـ ٢٥١) وأسد الغابة (٢/ ١٨٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٦١ ـ ٦٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) والوافي بالوفيات =

البزوريين[١] عند دار ابن أبي عقب صاحب الملحمة . وهو تابعي جليل ، روى عن أبيه ـ وكانت له صحبة ـ وتميم الداري ، وعُبادة بن الصامت ومعاوية وكعب الأحبار وغيرهم ، وعنه جماعة منهم عبادة بن نُسي . كان روح عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه ، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط ، وقد أمَّره يزيد بن معاوية على جند فلسطين ، وزعم مسلم بن الحجاج أن روح بن زنباع كانت له صحبة ، ولم يتابع مسلم على هذا القول ، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي ، ومن مآثره التي تفرد بها أنه كان كلما خرج من الحمَّام يعتق نسمة ، قال ابن زبر[٢] : مات سنة أربع وثمانين بالأردن ، وزعم بعضهم أنه بقي إلى أيام هشام [بن عبد الملك ، وقد حجَّ مرَّة فنزل على ماءٍ بين مكة والمدينة فأمر فأصلحت له أطعمة مختلفة الألوان ، ثم وضعت بين يديه ، فبينما هو يأكل إذ جاء راع من الرعاة يرد الماء ، فدعاه رَوْحُ بن زِنباع إلى الأكل من ذلك الطعام ، فجاء الراعي فنظر إلى طعامه وقال : إني صائم ، فقال له رَوْح : في هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم يا راعي ؟ فقال الراعي : أفأغبن أيامي من أجل طعامك ؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكاناً فنزله وترك رَوح بن زنباع ، فقال روح بن زنباع :

لقد ضننتَ بأيامكَ يا راعي إذ جادَ بها روحُ بنُ زنباعِ

ثم إن روحاً بكى طويلاً وأمر بتلك الأطعمة فرفعت ، وقال : انظروا هل تجدون لها آكلاً من هذه الأعراب أو الرعاة ؟ ثم سار من ذلك المكان وقد أخذ الراعي بمجامع قلبه وصغرت إليه نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم][٣] .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

فيها كما ذكر ابن جرير : كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث ، فالله أعلم .

وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها أخاه المفضل بن المهلب ، وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد مرة على عبد الملك فلما انصرف مرَّ بدير فقيل له : إن فيه شيخاً كبيراً من أهل الكتاب عالماً ، فدعي فقال : يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما أنت فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال له فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجده ملكاً أقرع ، من يقم في سبيله يصرع ، قال : ثم من ؟ قال : ثم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس ، قال :

= (١٤/ ١٥٠) والأغاني (٩/ ٢٢٩) في ترجمة الحارث بن خالد ، والإصابة (١/ ٥٢٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٧) .

(١) البزوريين : من أسواق دمشق القديمة ، ويعرف بسوق القمح أيضاً . تاريخ ابن عساكر (٢/ ١٤٢) ط المجمع .

(٢) في ط ، أ : زيد ؛ تحريف ، والخبر في تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، له (١/ ٢١٠) وتاريخ دمشق (١٨/ ٢٥١) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر بطوله في تاريخ دمشق (١٨/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) .

فتعرِّفني له ، قال : قد أخبرت بك . قال : أفتعرف مآلي ؟ قال : نعم ! قال : فمن يلي العراق بعدي ؟ قال رجل يقال له يزيد ، قال : أفي حياتي أم من بعد موتي ؟ قال : لا أدري ، قال : أفتعرف صفته ؟ قال : يغدر غَدْرَةً لا أعرف غيرها .

قال : فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ، وسار سبعاً وهو وجل من كلام الشيخ ، ثم بعث إلى عبد الملك يستعفيه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده ؟ فجاء الكتاب بالتقريع والتأنيب والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار على ما هو عليه . ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً واستدعى بعبيد بن موهب فدخل عليه وهو ينكت في الأرض فرفع رأسه إليه فقال : ويحك يا عبيد ، إن أهل الكتاب يذكرون أن ما تحت يده سيليه رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ويزيد بن حصين بن نمير ويزيد بن دينار وليسوا هناك ، وما هو إن كان إلا يزيد بن المهلّب . فقال عُبيد : لقد شرّفتهم وعظَّمتَ ولايتهم ، وإن لهم لقدراً وجلداً وحظاً ، فأخلق به .

فأجمع رأي الحجاج على عزل يزيد بن المهلّب ، فكتب إلى عبد الملك يذمه ويخوفه غدره ويخبره بما أخبره به ذلك الشيخ وكتب إليه عبد الملك : قد أكثرت في شأن يزيد فسمِّ رجلاً يصلح لخراسان ، فوقع اختيار الحجاج على المفضل بن المهلب فولاه قليلاً تسعة أشهر ، فغزا باذغيس[(١)] وغيرها وغنم مغانم كثيرة ، وامتدحه الشعراء ثم عزله بقتيبة بن مسلم .

قال ابن جرير[(٢)] : وفي هذه السنة قُتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ ، ثم ذكر سبب ذلك وملخصه أنه بعد مقتل أبيه لم يبق بيده بلد يلجأ إليه بمن معه من أصحابه ، فجعل كلما اقترب من بلدة خرج إليه ملكها فقاتله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى نزل قريباً من ترمذ وكان ملكها فيه ضعف ، فجعل يهادنه ويبعث إليه بالألطاف والتحف ، حتى جعل يتصيد هو وهو ، ثم عنّ للملك فعمل له طعاماً وبعث إلى موسى بن عبد الله بن خازم أن ائتني في مئة من أصحابك ، فاختار موسى من جيشه مئة من شجعانهم ، ثم دخل البلد فأكل من طعام الملك فلما فرغت الضِّيافة اضطجع موسى على جنبه في دار الملك وقال : والله لا أقوم من هنا حتى يكون هذا المنزل منزلي أو يكون قبري ، فثار أهل القصر إليه فجاحف عنه أصحابه ، ثم وقعت الحرب بينهم وبين أهل ترمذ ، فاقتتلوا فقتل من أهل ترمذ خلق كثير وهرب بقيتهم ، واستدعى موسى ببقية جيشه إليه واستحوذ موسى على البلد فحصَّنها ومنعها من الأعداء ، وخرج منها ملكها هارباً فلجأ إلى إخوانه من الأتراك فاستنصرهم فقالوا له : هؤلاء قوم في نحو من مئة رجل أخرجوكم من بلدكم ، لا طاقة

---

(١) في بعض الأصول : فغزا بلاد عبس . . . ، تحريف والتصحيح من نسخة م وتاريخ الطبري (٦/٣٩٧) .
وباذَغيس : بفتح الذال ، وكسر الغين المعجمة ، وياء ساكنة ، وسين مهملة : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ ، قصبتها بَوْن وبامَنين ، بلدتان متقاربتان رأيتهما غير مرة ، وهي ذات خير ورخص يكثر فيها شجر الفستق . . معجم البلدان (١/٣١٨) .

(٢) تاريخ الطبري (٦/٣٩٨) .

لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب ملك ترمذ إلى طائفة أخرى من الترك فاستصرخهم فبعثوا معه قصّاداً نحو موسى ليسمعوا كلامه ، فلما أحس بقدومهم ـ وكان ذلك في شدة الحر ـ أمر أصحابه أن يؤججوا ناراً ويلبسوا ثياب الشتاء ويدنوا أيديهم من النار كأنهم يصطلون بها ، فلما وصلت إليهم الرسل رأوا أصحابه وما يصنعون في شدة الحر فقالوا لهم : ما هذا الذي نراكم تفعلونه ؟ فقالوا لهم : إنا نجد البرد في الصيف والكرب في الشتاء ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : ما هؤلاء بشر ، ما هؤلاء إلاَّ جنٌّ ثم عادوا فأخبروا ملكهم بما رأوا فقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب صاحب ترمذ فاستجاش بطائفة أخرى فجاؤوا فحاصروه بترمذ وجاء الخزاعي[١] فحاصره أيضاً ، فجعل يقاتل الخزاعي أول النهار ويقاتل من آخره العجم ، ثم إن موسى بيّتهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وأفزع ذلك عمرو[٢] الخزاعيَّ فصالحه وكان معه ، فدخل يوماً عليه وليس عنده أحد ، وليس يرى معه سلاحاً فقال له على وجه النصح : أصلح الله الأمير ، إن مثلك لا ينبغي أن يكون بلا سلاح ، فقال : إن عندي سلاحاً ، ثم رفع صدر فراشه فإذا سيفه منتضى فأخذه عمرو فضربه به حتى برد وخرج هارباً ، ثم تفرق أصحاب [الخزاعي ، وأتى بعضهم مستأمناً][٣] موسى بن عبد الله بن خازم .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة عزم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية ، وحسّن له ذلك رَوْح بن زنباع الجذامي ، فبينما هما في ذلك إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب في اللّيل ، وكان لا يحجب عنه في أي ساعة جاء من ليل أو نهار ، فعزّاه في أخيه عبد العزيز فندم على ما كان منه من العزم على عزله ، وإنما حمله على إرادة عزله أنه أراد أن يعهد بالأمر من بعده لأولاده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام ، وذلك عن رأي الحجاج وتزيينه ذلك لعبد الملك ، وكان أبوه مروان عهد بالأمر إلى عبد الملك ثم من بعده إلى عبد العزيز ، فأراد عبد الملك أن ينحيه عن الإمرة من بعده بالكلية[٥] . وأن يجعل الخلافة باقية في عقبه . والله أعلم .

---

(١) وهو رجل أرسله أمية بن عبد الله بن خالد بن الوليد أمير خراسان على رأس جيش لقتال موسى . وانظر الطبري (٦/ ٤٠١) .

(٢) وهو عمرو بن خالد بن حصين الكلابي ، وكان من أصحاب موسى بن عبد الله بن خازم ، وهو صاحب المكيدة والتي قتل فيها الخزاعي فتفرق جيشه .
ولزيادة الإيضاح انظر الطبري (٦/ ٤٠٢) وابن الأثير (٤/ ٥٠٨ـ٥١٠) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من الطبري لا بد منها للإيضاح ، إذ في رواية ابن كثير رحمه الله بعض الاضطراب الناتج عن الاختصار .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٤١٣) .

(٥) أورد الطبري (٦/ ٤١٤) وابن الأثير (٤/ ٥١٤) صور الكتب بين عبد الملك وأخيه عبد العزيز .

[عبد العزيز بن مروان][١]

وهو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو الأصبغ ، القرشي ، الأموي ، ولد بالمدينة ثم دخل الشام مع أبيه مروان بن الحكم ، وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك بن مروان ، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين فكان والياً عليها إلى هذه السنة ، وشهد قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما قدَّمنا ، وكانت له دار بدمشق وهي الدَّار التي للصوفية ، المعروفة بالخانقاه السميساطية[٢] ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز ، [ثم تنقلت إلى أن صارت خانقاهاً للصوفية] .

وقد روى عبد العزيز بن مروان الحديث عن أبيه ، وعبد الله بن الزبير ، وعقبة بن عامر ، وأبي هريرة ، وحديثه عنه في مسند أحمد وسنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال : « شر ما في الرجل جبن خالع وشح هالع »[٣] . وعنه ابنه عمر ، والزّهري ، وعُليُّ بن رباح وجماعة .

قال محمد بن سعد[٤] : كان ثقة قليل الحديث ، وقال غيره : كان يلحن في الحديث وفي كلامه ، ثم تعلم العربية فأتقنها وأحسنها فكان من أفصح الناس ، وكان سبب ذلك أنه دخل عليه رجل يشكو إليه ختنه ـ وهو زوج ابنته ـ فقال له عبد العزيز : من خَتَنَك ؟ فقال الرجل : خَتنني الخاتن الذي يختن الناس ، فقال لكاتبه ويحك بماذا أجابني ؟ فقال الكاتب : يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن تقول من خَتَنُكَ ، فآلى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يتعلَّم العربية ، فمكث جمعة واحدة فتعلَّمها فخرج وهو من أفصح الناس ، وكان [بعد ذلك] يجزل عطاء من يعرب كلامه وينقص عطاء من يلحن فيه ، [فتسارع الناس في زمانه إلى تعلم العربية] . قال عبد العزيز يوماً إلى رجل : ممن أنت ؟ قال : من بنو عبد الدار ، فقال : تجدها في جائزتك ، فنقصه مئة دينار .

---

(١) ترجمة ـ عبد العزيز بن مروان ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٦) وتاريخ خليفة (٢٣٠) وطبقاته (٢٤٠) وأنساب الأشراف (٣/ ٧٣) ومواضع أخرى ، والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٦٤) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٦/ ٣٤٥) ووفيات الأعيان (١/ ٢٤٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٣٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٩) وتهذيب التهذيب (٦/ ٣٥٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٥) .

(٢) الخانقاه السميساطية ـ بسينين وطاء ومهملات ـ معروفة مشهورة عند باب الجامع الأموي الشمالي الذي كان يسمى باب الناطفيين، وتنسب إلى أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبيشي السميساطي الذي نزل دمشق فكان من أكابر رؤسائها، وقد اشتراها ووقفها على الفقراء الصوفية، ووقف علوّها على الجامع الأموي . وتوفي سنة ٤٢٣هـ. الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (٢/ ١٥١) ومنادمة الأطلال لبدران (٢٧٦) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٢) وأبو داود في سننه رقم (٢٥١١) في الجهاد ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٤٦) بأسانيد مختلفة ، وهو حديث صحيح .

(٤) الطبقات الكبرى (٥/ ٢٣٦) والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) .

وقال أبو يعلى الموصلي[١] : حدَّثنا مجاهد بن موسى ، حدَّثنا إسحاق بن يوسف ، أنبأنا سفيان ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم قال : كتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر : ارفع إليّ حاجتك . فكتب إليه ابن عمر : إن رسول الله ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » . ولست أسألك شيئاً ولا أرد رزقاً رزقنيه الله عزَّ وجلَّ منك .

وقال ابن وهب : حدّثني يحيى بن أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سويد بن قيس قال : بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر قال : فجئت فدفعت إليه الكتاب فقال : أين المال ؟ فقلت : لا أستطيعه الليلة حتى أصبح ، قال : لا والله لا يبيت ابن عمر اللّيلة وله ألف دينار ، قال : فدفع إليّ الكتاب حتى جئته بها ففرقها رضي الله عنه[٢] .

ومن كلامه رحمه الله : عجباً لمؤمن يؤمن ويوقن أن الله يرزقه ويخلف عليه . كيف يحبس مالاً عن عظيم أجر وحسن سماع .

ولما حضرته الوفاة أُحضِر له مالٌ يخصه وإذا هو ثلاثمئة مُدٍّ من ذهب ، فقال : والله لوددت أنه بعر حائل بنجد[٣] .

وقال : والله لوددت أني لم أكن شيئاً مذكوراً ، ولوددت أن أكون هذا الماء الجاري ، أو نباته بأرض الحجاز[٤] .

وقال لهم : ائتوني بكفني الذي تكفنوني فيه ، فجعل يقول : أُفٍّ لكِ ما أقصَرَ طويلكِ ، وأقلَّ كثيرَكِ[٥] .

قال يعقوب بن سفيان عن ابن بكير عن اللَّيث بن سعد قال : كانت وفاته ليلة الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين[٦] .

قال ابن عساكر[٧] : وهذا وهم من يعقوب بن سفيان والصواب سنة خمس وثمانين ، فإنه مات قبل عبد الملك أخيه ، ومات عبد الملك بعده بسنة سنة ست وثمانين .

وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الأمراء كريماً جواداً ممدحاً ، وهو والد الخليفة الراشد

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (١٠/ ٩٧) رقم (٥٧٣٠) وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥٥) وهو حديث صحيح ، وهو في البخاري رقم (١٤٢٩) ومسلم (١٠٣٣) .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ١٣٤) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥٩) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) .

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٣٥) ولكن الذهبي صحح القول بأنه توفي سنة خمس وثمانين .

(٧) تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٦٠) .

عمر بن عبد العزيز [وقد اكتسى عمر أخلاق أبيه وزاد عليه بأمور كثيرة . وكان لعبد العزيز من الأولاد غير عمر ، عاصم وأبو بكر ومحمد والأصبغ ـ مات قبله بقليل فحزن عليه حزناً كثيراً ومرض بعده ومات[١] ـ وكان له عدة بنات ، أم محمد وسهيل وأم عثمان وأم الحكم وأم البنين وهن من أمهات شتى ، وله من الأولاد غير هؤلاء ، مات بالمدينة التي بناها على مرحلة من مصر وحمل إلى مصر في النيل ودفن بها ، وقد ترك عبد العزيز من الأموال والأثاث والدواب من الخيل والبغال والإبل وغير ذلك ما يعجز عنه الوصف ؛ من جملة ذلك ثلاثمئة مدّ من ذهب غير الورِق ، مع جوده وكرمه وبذله وعطاياه الجزيلة ، فإنه كان من أعطى الناس للجزيل رحمه الله تعالى][٢] .

وقد ذكر ابن جرير[٣] أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز وهو بالدِّيار المصرية يسأله أن ينزل عن العهد الذي له من بعده لولده الوليد أو يكون ولي العهد من بعده ، فإنه أعز الخلق عليّ . فكتب إليه عبد العزيز يقول : إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد . فكتب إليه عبد الملك يأمره بحمل خراج مصر [وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئاً من الخراج ولا غيره ، وإنما كانت بلاد مصر بكمالها وبلاد المغرب وغير ذلك كلها لعبد العزيز ، مغانمها وخراجها وحملها][٤] فكتب إليه : إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنًّا لا يبلغها[٥] أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً ، وإني لا أدري ولا تدري أينا يأتيه الموت أولاً ، فإن رأيت أن لا تعتب[٦] عليّ بقية عمري فافعل ، فرقَّ له عبد الملك وكتب إليه : لعمري لا أعتب[٧] عليك بقية عمرك .

وقال عبد الملك لابنه الوليد : إن يرد الله أن يعطيكها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك عنك ، ثم قال لابنه الوليد وسليمان : هل قارفتما محرّماً أو حراماً قط ؟ فقالا : لا والله ، فقال : الله أكبر ، نلتماهما وربِّ الكعبة .

ويقال إن عبد الملك لما امتنع أخوه من إجابته إلى ما طلب منه في بيعته لولده الوليد دعا عليه وقال : اللهم إنه قطعني فاقطعه ، فمات في هذه السنة كما ذكرنا ، فلما جاءه الخبر بموت أخيه عبد العزيز ليلاً حزن وبكى وبكى أهله بكاءً كثيراً على عبد العزيز ، ولكن سرَّه ذلك من جهة ابنيه فإنه نال فيها ما كان يؤمِّله

---

(١) ذكر الذهبي أنه توفي قبل أبيه بستة عشر يوماً ، فحزن عليه ومرض ، ومات بحلوان ، وهي المدينة التي بناها على مرحلة من مصر ، وحمل إلى مصر في النيل .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٤١٤) .
(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٥) في أ ، ب : شيئاً لا يبلغه ؛ وما أثبت موافق لرواية الطبري .
(٦) في الطبري : لا تغثث أي لا تفسد .
(٧) في الطبري : لا أغثث .

لهما من ولايته إياهما العهد بعده . وقد كان الحجاج بعث إلى عبد الملك يزين له ولاية الوليد من بعده ، وأوفد إليه وفداً في ذلك عليهم عمران بن عصام العنزي[١] ، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيباً فتكلّم ، وتكلّم الوفد في ذلك وحثّوا عبد الملك على ذلك وأنشد عمران بن عصام في ذلك :

أميرَ المؤمنينَ إليكَ نهدي ... على النأي التحية والسّلاما
أجبني في بنيكَ يكن جوابي ... لهمْ عادِيَّة[٢] ولنا قواماً
فلو أنّ الوليدَ أُطاعُ فيهِ ... جَعلتَ لهُ الخلافةَ والذِّماما[٣]
شبيهكَ حولَ قبّتهِ قريشٌ ... بهِ يستمطِرُ الناسُ الغماما
ومثلكَ في التقى لم يصْبُ يوماً ... لدُنْ خلعَ القلائدَ والتماما
فإنْ تؤثر أخاك بها فإنّا ... وجدّكَ لا نُطيقُ لها اتّهاما
ولكنا نحاذرُ منْ بنيهِ ... بني العلاتِ مأثرة سماما
ونخشى إن جعلتَ الملكَ فيهمْ ... سحاباً أنْ تعودَ لهمْ جهاما[٤]
فلا يكُ ما حلبتَ غداً لقومٍ ... وبعدَ غدٍ بنوكَ هُمُ العِيامَا
فأُقسمُ لو تخَطَّأني عِصامٌ ... بذلكَ ما عذرتُ بهِ عصاما
ولوْ أني حبوتُ أخاً بفضلٍ ... أريدَ به المقالة والمقاما
لعقَّبَ في بنيّ على بنيهِ[٥] ... كذلكَ أوْ لرمتَ لهُ مراما
فمنْ يكُ في أقاربهِ صدوعٌ ... فصدعُ الملكِ أبطؤه التئاما

قال : فهاجه ذلك على أن كتب لأخيه يستنزله الخلافة للوليد فأبى عليه ، وقدَّر الله سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك بعام واحد ، فتمكن حينئذ مما أراد من بيعة الوليد وسليمان ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم من بعده لولده سليمان بن عبد الملك

وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان ، بويع له بدمشق ثم في سائر الأقاليم للوليد ثم لسليمان من بعده ، ولما انتهت البيعة إلى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع في حياة عبد الملك

---

(١) في ط : العثري ، وما أثبت موافق للطبري .
(٢) في أ ، ب : عارية ؛ وما أثبت موافق للطبري .
(٣) في أ ، ب : الإماما ؛ وما أثبت موافق للطبري .
(٤) في أ ، ب : سجايا أن تعود لهم خصاما . وما أثبت موافق للطبري .
(٥) في أ ، ب : لعقّب في بنيه على بنيَّ .

لأحد ، فأمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة فضربه ستين سوطاً ، وألبسه ثياباً من شعر[١] وأركبه جملاً وطاف به في المدينة ، ثم أمر به فذهبوا إلى ثنية ذباب ـ وهي الثنية التي كانوا يصلبون عندها ويقتلون[٢] ـ فلما وصلوا إليها ردوه إلى المدينة فأودعوه السجن ، فقال لهم : والله لو أعلم أنكم لا تقتلوني لم ألبس هذه الثياب .

ثم كتب هشام بن إسماعيل المخزومي إلى عبد الملك يعلمه بمخالفة سعيد بن المسيب في ذلك ، فكتب إليه يعنِّفه في ذلك ويأمره بإخراجه ويقول له : إن سعيداً كان أحق منك بصلة الرَّحم مما فعلت به ، وإنّا لنعلم أن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف .

ويُروى أنه قال له : ما ينبغي إلا أن يبايع ، فإن لم يبايع ضربت عنقه أو خليت سبيله .

وذكر الواقدي أن سعيداً رحمه الله لما جاءت بيعة ابن الزبير إلى المدينة[٣] امتنع من البيعة فضربه نائبها في ذلك الوقت ـ وهو جابر بن الأسود بن عوف ـ ستين سوطاً أيضاً وسجنه فالله أعلم[٤] .

قال أبو مخنف وأبو معشر والواقدي[٥] : وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي نائب المدينة ، وكان على العراق والمشرق بكماله الحجاج . قال شيخنا الحافظ الذهبي[٦] :

وتوفي في هذه السنة :

أبان بن عثمان[٧] **بن عفان** أمير المدينة ، كان من فقهاء المدينة العشرة ، قاله يحيى القطان .

وقال محمد بن سعد[٨] : كان ثقة ، وكان به صمم ، ووضح كثير ، وأصابه الفالج قبل أن يموت .

عبد الله بن عامر بن ربيعة[٩] .

---

(١) في تاريخ الطبري (٦/ ٤١٦) : وألبسه المسوح ، وفي رواية أخرى : وطاف به في تبان ـ وهي سروال صغير يستر العورة ـ

(٢) في ط : وهي الثنية التي كانوا يصلون عندها ويقيلون ؛ وما أثبت موافق للطبري .

(٣) في الأصول : الوليد ؛ خطأ والتصحيح من الطبري .

(٤) جملة هذه الأخبار في تاريخ الطبري (٦/ ٤١٥ ـ ٤١٦) .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٤١٧) وابن الأثير (٤/ ٥١٥) .

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨ ـ ٣٩) .

(٧) ترجمة ـ أبان بن عثمان ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥١) وتاريخ خليفة (١٨٥) وطبقاته (٢٤٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٠) وتاريخ دمشق (٦/ ١٤٧) وتهذيبه (٢/ ١٣٤) وتهذيب الكمال (٢/ ١٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨ ـ ٣٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥١) والوافي بالوفيات (٥/ ٣٠٧) وشذرات الذهب (١/ ٣٦١) .

(٨) الطبقات الكبرى (٥/ ١٥٢) وعبارة ابن سعد : كان بأبان وضح كثير ، فكان يخضب موضعه من يده ولا يخضب في وجهه ، وكان به صمم شديد . والواضح أن المؤلف نقل عبارة الذهبي حرفياً .

(٩) ترجمة ـ عبد الله بن عامر ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٩) وتاريخ خليفة (٢٧٧) وطبقاته (٢٣) والمعرفة والتاريخ=

وعمرو بن حريث[١] .

وعمرو بن سلمة[٢] .

وواثلة بن الأسقع[٣] رضي الله عنه ، وقد كان واثلة بن الأسقع ممن نزل الصفَّةَ ، وشهد واثلة تبوك ثم شهد فتح دمشق ونزلها ، ومسجده بها عند حَبْس باب الصغير[٤] .

وكان آخر من توفي بدمشق من الصحابة ، قاله سعيد بن بشير .

وقد قال البخاري وغيره : إنه توفي سنة ثلاث وثمانين . والله أعلم[٥] .

وخالد بن يزيد بن معاوية[٦] بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، كان أعلم قريش بفنون العلم ، وله يد طولى في الطب ، وكلام كثير في الكيمياء[٧] ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانش ، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً مطبقاً كأبيه .

= (١/ ٢٥١) وأنساب الأشراف (١/ ٢١٨) وأسد الغابة (٣/ ٢٨٦) وتهذيب الكمال (١٥/ ١٤٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١١٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢١) والإصابة (٢/ ٣٢٩) والوافي بالوفيات (١٧/ ٢٢٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٩) .

(١) ترجمة ـ عمرو بن حريث ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٣) وطبقات خليفة (٢٠) وأنساب الأشراف (١/ ٢٢٨) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٢٣) والاستيعاب (٢/ ٥١٥) وتهذيب الكمال (٢١/ ٥٨٠) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٦٥) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٧) والإصابة (٢/ ٥٣١) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٧) .

(٢) ترجمة ـ عمرو بن سلمة ـ في الاستيعاب (٢/ ٥٤٤) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٤٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٦٦) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٢) والإصابة (٢/ ٥٤١) .

(٣) ترجمة ـ واثلة بن الأسقع ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٧) وتاريخ خليفة (٢٩١) وطبقاته (١٢٣) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣٢) والاستيعاب (٣/ ٦٤٣) وأنساب الأشراف (١/ ٢٧٢) وحلية الأولياء (٢/ ٢١) وتاريخ دمشق (٦٢/ ٣٤٣) وأسد الغابة (٥/ ٧٧) ووفيات الأعيان (٥/ ٢٨١) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢١٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٣) والإصابة (٣/ ٦٢٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٧) .

(٤) زاد في ط : من القبلة . قلت : وقد احترق مسجده في فتنة تمرلنك ولم يبق منه إلا رسومه ، وعلى بابه من الشرق قناة ماء . وهي زيادة مقحمة من النساخ فالفتنة التيمورية وقعت بعد ابن كثير .

(٥) من قوله : وكان آخر من توفي . . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبران في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢١٨) .

(٦) ترجمة ـ خالد بن يزيد ـ في تاريخ خليفة (٢٥٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٧١) وأنساب الأشراف (٣/ ٧٤) وتاريخ دمشق (١٦/ ٣٠٢) وتهذيبه (٥/ ١١٩) وأسد الغابة (٢/ ٩٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٢٤) وتهذيب الكمال (٨/ ٢٠١) . وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٢) والإصابة (١/ ٤٦٩) والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٧٠) وشذرات الذهب (١/ ٣٤٧) .

(٧) قال ابن خلكان : إنه يعرف الكيمياء ، وإنه صنف فيها ثلاث رسائل . الوفيات (٢/ ٢٢٤) وقال الذهبي معلقاً على هذا القول : وهذا لم يصح .

دخل يوماً على عبد الملك بن مروان بحضرة الحكم بن أبي العاص ، فشكا إليه أن ابنه الوليد يحتقر أخاه عبد الله بن يزيد ، فقال عبد الملك : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل : ٣٤] فقال له خالد : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] فقال عبد الملك : والله لقد دخل عليّ أخوك عبد الله فإذا هو لا يقيم اللَّحن ، فقال خالد : والوليد لا يقيم اللَّحن ، فقال عبد الملك : إن أخاه سليمان لا يلحن ، فقال خالد : وأنا أخو عبد الله لا ألحن ، فقال الوليد ـ وكان حاضراً ـ لخالد بن يزيد : اسكت ، فوالله ما تُعدُّ في العير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ! ثم أقبل خالد على الوليد فقال : ويحك وما هو العير والنفير غير جدي أبي سفيان صاحب العير ، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ، ولكن لو قلت غُنيمات وحُبيلات والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت ـ يعني أن الحكم كان منفياً بالطائف يرعى غنماً ويأوي إلى حُبيلة[1] الكرم حتى آواه عثمان بن عفان حين ولي ـ فسكت الوليد وأبوه ولم يحيرا جواباً ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ففيها غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان ، بلاداً كثيرة من أرض الترك وغيرهم من الكفار ، وسبى وغنم وسلم وتسلَّم قلاعاً وحُصوناً وممالك ، ثم قَفل فسبق الجيش ، فكتب إليه الحجاج يلومه على ذلك ويقول له : إذا كنت قاصداً بلاد العدو فكن في مقدمة الجيش ، وإذا قفلت راجعاً فكن في ساقة جيشك ـ يعني لتكون ردءاً لهم من أن ينالهم أحد من العدو وغيرهم بكيد ـ وهذا رأي حسن وعليه جاءت السنة ، وكان في جملة السبي امرأة برمك[2] ـ والد خالد بن برمك ـ فأعطاها أخاه عبد الله بن مسلم فوطئها فحملت منه ، ثم إن قتيبة منَّ على السبي وردت تلك المرأة على زوجها برمك وهي حبلى من عبد الله بن مسلم ، وكان ولدها عندهم حتى أسلموا فقدموا معهم أيام بني العباس كما سيأتي . [ولما رجع قتيبة إلى خراسان تلقاه ملك الصغانيان[3] بهدايا عظيمة ، ومفتاح من ذهب][4] . وفيها كان

---

(١) حُبيلة ـ بالضم ـ : الكرمة . القاموس (حبل) .

(٢) برمك : هو جد البرامكة الذين استحوذوا على الأمور في عهد الخليفة هارون الرشيد العباسي ، ثم نكب بهم ، وكان هو كبير سدنة بيت النار ـ النوبهار ـ في بلخ ، والذي تقدسه المجوس .

(٣) في ط : دهاقين بلغار ، وهذا خطأ ، والتصحيح من الطبري (٦/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) والخبر فيه أوسع مما هنا ، وابن الأثير (٤/ ٥٢٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥) .

(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط .

طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون الفتيات لأنه أول ما بدأ بالنساء فسمي بذلك[١] .

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وسلم وافتتح حصن بولق وحصن الأفرم من أرض الروم[٢] .

وفيها عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر وذلك بعد موت أخيه عبد العزيز فدخلها في جُمادى الآخرة ، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة[٣] .

وفيها هلك ملك الروم الأخرم لورى[٤] . لا رحمه الله .

وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب[٥] .

وحج بالناس فيها هشام بن إسماعيل المخزومي .

وفي هذه السنة توفي :

أبو أمامة صُدَي بن عجلان[٦] الباهلي .

وعبد الله بن أبي أوفى[٧] .

وعبد الله بن الحارث بن جزء[٨] الزُّبَيْديّ في قول . شهد فتح مصر وسكَنها وهو آخر من مات من الصحابة بمصر . وفيها في النصف من شوال توفي :

---

(١) تاريخ خليفة (٢٩١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦) وزاد الذهبي : ثم أقره أخوه الوليد عليها لما استخلف . أما ابن يونس فذكر أن الوليد عزل أخاه عبد الله عن مصر بقرة بن شريك أول ما استخلف .

(٤) كذا الأصل ، وفي تاريخ الإسلام : بوري .

(٥) زاد الطبري في تاريخه (٦/ ٤٢٦) : وعزل حبيب بن المهلّب عن كرمان ، وعبد الملك بن المهلّب عن شرطته .

(٦) ترجمة ـ صدي بن عجلان ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١١) وتاريخ خليفة (٢٩٢) وطبقاته (٤٦) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٥٣) والاستيعاب (٢/ ١٩٨) وتاريخ دمشق (٢٤/ ٥٠) وتهذيبه (٦/ ٤١٩) وأسد الغابة (٣/ ١٦) وتهذيب الكمال (١٣/ ١٥٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٢٢٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٩) والإصابة (٢/ ١٨٢) وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٠) والوافي بالوفيات (١٦/ ٣٠٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٥١) .

(٧) ترجمة ـ عبد الله بن أبي أوفى ـ في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٠١) وتاريخ خليفة (٢٩٢) وطبقاته (١١٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٦٥) وأنساب الأشراف (١/ ٢٤٨) والاستيعاب (٢/ ٢٦٤) وأسد الغابة (٣/ ١٢١) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٠٠) وتهذيب الكمال (١٤/ ٣١٧) وتاريخ الإسلام (٥/ ٩٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢٨) والوافي بالوفيات (١٧/ ٧٨) والإصابة (٢/ ٢٧٩) .

(٨) ترجمة ـ عبد الله بن الحارث بن جزء ـ في تاريخ ابن معين (٢/ ٣٠٠) وتهذيب الكمال (١٤/ ٤٠٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٠٧) والوافي بالوفيات (١٧/ ١١٧) .

أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان[١] والد الخلفاء ، وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، أبو الوليد الأموي ، أمير المؤمنين ، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية .

سمع عثمان بن عفان وشهد الدار مع أبيه وله عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين ، وكان أميراً على أهل المدينة ، وله ست عشرة سنة ، ولّاه إياها معاوية[٢] ، كان يجالس الفقهاء والعلماء والعبّاد والصلحاء .

وروى عن : أبيه ، وجابر ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، وابن عمر ، ومعاوية ، وأم سلمة ، وبريرة مولاة عائشة ، وروى عنه جماعة : منهم خالد بن معدان ، وعروة ، والزّهري ، وعمرو بن الحارث ، ورجاء بن حيوة ، وحريز بن عثمان .

ذكر عن محمد بن سيرين أن أباه كان قد سماه القاسم فكان يكنى به ، فلما بلغه النهي عن التكني بأبي القاسم غيّر اسمه فسماه عبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة ومصعب الزبيري : فكان أول من سمي في الإسلام بعبد الملك ، وأول من سمي في الإسلام أحمد والد الخليل بن أحمد العروضي ، وبويع له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه في خلافة ابن الزبير ، واستقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة كما ذكرنا ذلك .

وكان مولده ومولد يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين ، وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن[٣] ، وكان ربعة من الرجال أقرب إلى القصر وكانت أسنانه مشبكة بالذهب ،وكان أفوه مفتوح الفم ، ربما غفل فينفتح فمه فيدخل فيه الذباب ولهذا كان يقال أبو الذباب[٤] . وكان أبيض ربعة ليس بالنحيف ولا البادن ، مقرون الحاجبين أشهل ، كبير العينين مشرف الأنف ، رقيق الوجه أبيض الرأس واللحية حسن الوجه ولم يخضب ، وقال إنه خضب بعد .

وقد قال نافع : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان .

---

(١) ترجمة ـ عبد الملك بن مروان ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٢٣) وتاريخ خليفة (٥٦٢) وطبقات خليفة (٢٤٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٦٣) وأنساب الأشراف (١/ ٢٢) ومواضع أخرى ، وتاريخ دمشق (٣٧/ ١١٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٩) وتهذيب الكمال (١٨/ ٤٠٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٣٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٦) وتهذيب التهذيب (٦/ ٤٢٢) والنجوم الزاهرة (١/ ٢١٢) وشذرات الذهب (١/ ٣٥٢) .

(٢) نفى الذهبي هذه المقولة وقال : وإنما استعمل أباه . السير (٤/ ٢٤٧) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٣٩) .

(٤) في ب : أبو الذبان .

وقال الأعمش ، عن أبي الزناد : كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب ، وعروة ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الإمارة . وعن ابن عمر أنه قال : ولَدَ الناسُ أبناءً وولد مروانُ أباً ـ يعني عبد الملك ـ ورآه يوماً ـ وقد ذكر اختلاف الناس ـ فقال لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه .

وروي عن عبد الملك أنه قال : كنت أجالس بريدة بن الحصيب فقال لي يوماً : يا عبد الملك إن فيك خصالاً ، وإنك لجدير أن تلي أمر هذه الأمة ، فاحذر الدماء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق »[١] .

وقد أثنى عليه قبل الولاية معاوية وعمرو بن العاص في قصة طويلة .

وقال سعيد بن داود الزُّبيري : عن مالك ، عن يحيى بن سعيد قال : كان أول من صلى ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه ، فقال سعيد بن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكر في أمر الله والورع عن محارم الله[٢] .

وقال الشعبي : ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فإنّي ما ذاكرته حديثاً إلا زادني منه ، ولا شِعراً إلا زادني فيه .

وذكر خليفة بن خياط[٣] : أن معاوية كتب إلى مروان وهو أمير المدينة سنة خمسين أن ابعث ابنك عبد الملك على بعث المدينة إلى بلاد المغرب مع معاوية بن حُديج ، فذكر من كفايته وغنائه ومجاهدته في تلك البلاد شيئاً كثيراً .

ولم يزل عبد الملك مقيماً بالمدينة حتى كانت وقعة الحرّة ، واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز ، وأجلى بني أمية من هنالك ، فقدم مع أبيه الشام ، ثم لما صارت الإمارة مع أبيه وبايعه أهل الشام وقتل الضحاك بن قيس كان مع أبيه مدة ولايته وكانت تسعة أشهر ، ولم يمت أبوه حتى عهد إليه بالإمارة من بعده ثم لعبد العزيز ، فاستقل عبد الملك بالخلافة في مستهل رمضان أو ربيع الأول من سنة خمس وستين ، واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة .

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي : لما سُلِّم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه وقال : هذا فراق بيني وبينك[٤] .

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٠٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٨) وقال : رواه الطبراني ، وفيه عبد الخالق بن زيد بن واقد ؛ ضعيف ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ١١٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٣٩) .

(٣) تاريخ خليفة (٢١٠ ـ ٢١١) .

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٨) ومن طريقه في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٢٧) .

وقال أبو الطفيل : صنع لعبد الملك مجلس بويع فيه[١] ، وقد كان بني له فيه قبة قبل ذلك ، فدخله وقال : لقد كان ابن حَنْتَمة[٢] الأحوزي ـ يعني عمر بن الخطاب ـ يرى أن هذا عليه حرام ، وقيل إنه لما وضع المصحف من حجره قال : هذا آخر العهد منك .

[وكان عبد الملك له إقدام على سفك الدماء ، وكان حازماً فهما فطناً سائساً لأمور الدنيا ، لا يكل أمر دنياه إلى غيره ، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبوها معاوية هو الذي جدع أنف حمزة عم النبي ﷺ يوم أُحد][٣] .

وقال سعيد بن عبد العزيز : لما خرج عبد الملك إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير خرج معه يزيد بن الأسود الجرشي ، فلما التقوا قال : اللهم احجز بين هذين الجبلين ووَلِّ الأمر أحبهما إليك . وقد ذكرنا كيفية قتله مصعباً ودخوله الكوفة ، ووضعه رأس مصعب بين يديه ، وقد كان من أعز الناس عليه وأحبهم إليه . وقال سعيد بن عبد العزيز : لما بويع لعبد الملك بالخلافة كتب إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك أمير المؤمنين ! سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنك راع وكل راع مسؤول عن رعيته ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٨٧] لا أحد ، والسلام . وبعث به مع سلام ، فوجدوا عليه إذ قدَّم اسمه على اسم أمير المؤمنين ، ثم نظروا في كتبه إلى معاوية فوجدوها كذلك ، فاحتملوا ذلك منه[٤] .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي سَبْرَة[٥] ، عن أبي موسى الحنّاط ، عن ابن كعب قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : يا أهل المدينة أنا أحق الناس أن يلزم الأمر الأول ، وقد سالت علينا أحاديث من قِبَل هذا المشرق ولا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن ، فالزموا ما في مصحفكم الذي جمعكم[٦] عليه الإمام المظلوم ، وعليكم بالفرائض التي جمعكم عليها إمامكم المظلوم رحمه الله ، فإنه قد استشار في ذلك زيد بن ثابت ونعم المشير كان للإسلام رحمه الله ، فأحكما ما أحكما وأسقطا ما شذ عنهما[٧] .

وقال ابن جريج عن أبيه : حجَّ علينا عبد الملك سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين ،

---

(١) في ط : « توسع فيه » ، وما أثبتناه من م وتاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٠) .
(٢) حنتمة ـ أم عمر رضي الله عنه ـ وهي بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٤) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٢) وفي الأدب المفرد رقم (١١١٩) بإسناد صحيح أنه بدأ باسم عبد الملك وكذلك رقم (١١٢٤) بإسناد صحيح أنه بدأ باسم معاوية . وجاء في صحيح البخاري (٧٢٠٥) في الأحكام أنه كتب إليه : « إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين » ولم يسم نفسه في الكتاب ، فيكون تقديره : « من ابن عمر إلى عبد الملك » .
(٥) في ط : ميسرة ؛ تحريف .
(٦) في ط : « حملكم » ، وما أثبتناه من م وهو الموافق لما في الطبقات الكبرى وتاريخ دمشق .
(٧) الخبر بنصه في الطبقات الكبرى (٥/ ٢٣٣) وتاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٥) .

فخطبنا فقال : أما بعد فإنه كان مَنْ قبلي من الخلفاء يأكلون من المال ويؤكلون ، وإني والله لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف ، ولست بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا الخليفة المداهن ـ يعني معاوية ـ ولا الخليفة المأبون ـ يعني يزيد بن معاوية ـ أيها الناس إنا نحتمل منكم على اللّغوبة[1] ما لم يكن عقد راية أو وُثوب على منبر : هذا عمرو بن سعيد حقه حقه ، وقرابته قرابة ، قال برأسه هكذا فقلنا بسيفنا هكذا ، وإن الجامعة التي خلعها من عنقه عندي ، وقد أعطيت الله عهداً أن لا أضعها في رأس أحد إلا أخرجها الصعداء ، فليبلغ الشاهد الغائب[2] .

وقال الأصمعي : حدّثنا عبّاد بن سلم بن عثمان بن زياد[3] ، عن أبيه ، عن جده . قال : ركب عبد الملك بن مروان بَكراً فأنشأ قائده يقول :

يـــا أيهـــا البَكـــرُ الـــذي أراكـــا عليـكَ سهـلُ الأرضِ فـي ممشـاكـا
ويحـكَ هـلْ تعلـمُ مـن عـلاكـا خليفـــةُ الله الـــذي امتطـــاكـــا
لم يَحْبُ بَكْراً مثلَ ما حباكا

فلما سمعه عبد الملك قال : إيهاً يا هناه ، قد أمرت لك بعشرة آلاف .

وقال الأصمعي : خطب عبد الملك فحصر فقال : إن اللسان بضعة من الإنسان ، وإنا نسكت حصراً ولا ننطق هذراً ، ونحن أمراء الكلام ، فينا رسخت عروقه ، وعلينا تدلّت أغصانه ، وبعد مقامنا هذا مقام وبعد عيِّنا هذا مقال ، وبعد يومنا هذا أيام ، يعرف فيها فصل الخطاب ومواضع الصواب .

قال الأصمعي : قيل لعبد الملك أسرع إليك الشيب ، فقال : وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟ وقال غيره قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب ، فقال : شيبتني كثرة ارتقاء المنبر ومخافة اللحن ؟ .

ولَحن رجلٌ عند عبد الملك ـ يعني أسقط من كلامه أَلِفاً ـ فقال له : عبد الملك : زِدْ أَلِفاً ، فقال له الرجل : وأنت فزدْ ألفاً[4] .

وقال الزهري : سمعت عبد الملك يقول في خطبته : إن العلم سيقبض قبضاً سريعاً ، فمن كان عنده علم فليظهره غير غالٍ فيه ولا جاف عنه .

وروى ابن أبي الدنيا أن عبد الملك كان يقول لمن يسايره في سفره إذا رفعت له شجرة : سبِّحوا بنا

---

(١) في الأصل : الغرمة ، وأثبت ما ورد في تاريخ خليفة ؛ واللّغوبة : الضعف ، واللّغوب : الأحمق .
(٢) الخبر في تاريخ خليفة (ص٢٧٣) وتاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٥) .
(٣) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٤٠) : عباد بن مسلم بن زياد ، والخبر بسنده ومتنه في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٦) .
(٤) الخبر والذي قبله في تاريخ الإسلام (ص١٤٠ ـ ١٤٢) وتاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٨ ـ ١٣٩) .

حتى نأتي تلك الشجرة ، ثم ترفع أخرى فيقول : كبروا حتى نأتي تلك الشجرة ، ونحو ذلك[١] .

وروى البيهقي[٢] : أن عبد الملك وقع منه فلس في بئر قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه منها ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنه كان عليه اسم الله عزَّ وجلَّ .

وقال غير واحد[٣] : كان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السيَّافون على رأسه بالسيف فينشد ، وقال بعضهم : يأمر من ينشد فيقول :

إنا إذا نالتْ دواعي الهوى وأنصتَ السامعُ للقائلِ
واصطرعَ الناسُ بألبابهم نقضي بحكم عادلٍ فاصلِ
لا نجعلُ الباطلَ حقاً ولا نلط[٤] دونَ الحقِّ بالباطلِ
نخافُ أنْ تسفهَ أحلامنا فنحمل الدَّهر مع الخاملِ[٥]

وقال الأعمش : أخبرني محمد بن الزبير : أن أنس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الحجاج ويقول في كتابه : لو أن رجلاً آوى عيسى ليلة واحدة أو خدمه لعرفته النصارى أو تعرف مكانه لهاجرت إليه ملوكهم ، ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة ، ولعرفوا له ذلك ، ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا ، وإني خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ورأيته وأكلت معه ، ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه ، وإن الحجاج قد أضر بي وفعل وفعل ، قال : فأخبرني من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب وهو يبكي وبلغ به الغضب ما شاء الله ، ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ[٦] ، فجاء إلى الحجاج فقرأه فتغيّر ثم قال إلى حامل الكتاب : انطلق بنا إليه [نترضَّاه] .

وقال أبو بكر بن دريد : كتب عبد الملك إلى الحجاج في أيام ابن الأشعث : إنك أعز ما تكون بالله أحوج ما تكون إليه ، وأذل ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليه ، وإذا عززت بالله فاعف له ، فإنك به تعزُّ وإليه ترجع[٧] .

وقال بعضهم : سأل رجل من عبد الملك أن يخلو به فأمر من عنده بالانصراف ، فلما تهيأ الرجل

---

(١) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٩) .
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٣٩ ـ ١٤٠) .
(٣) الخبر والأبيات في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٠) والعقد الفريد (٤/ ٣٧٥) .
(٤) في ط : « نلفظ » ، وما أثبتناه من م ، وهو الموافق لما في تاريخ دمشق . ولط الغريم بالحق دون الباطل وألط : دافع ومنع الحق (اللسان : لطط) .
(٥) في ط : « فنجهل الحق مع الجاهل » ، وما أثبتناه من م وهو الموافق لما في تاريخ دمشق .
(٦) نص الكتاب في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤١) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩٥) وسير أعلام النبلاء ٣٠/ ٤٠٢) .
(٧) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤١ ـ ١٤٢) .

ليتكلم قال له عبد الملك : احذر في كلامك ثلاثاً ، إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسي منك ، أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب ، أو تسعى إليّ بأحد [من الرعية فإنهم إلى عدلي وعفوي أقرب منهم إلى جوري وظلمي][(١)] وإن شئت أقلتك . فقال الرجل : أقلني فأقاله .

وكذا كان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق : اعفني من أربع وقل ما شئت ، لا تطرني ، ولا تجبني فيما لا أسألك عنه، ولا تكذبني، ولا تحملني على الرعية فإنهم إلى رأفتي ومعدلتي أحوج[(٢)] .

وقال الأصمعي عن أبيه قال : أُتي عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال : اضربوا عنقه، فقال : يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائي منك ، فقال : وما جزاؤك ؟ فقال : والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك، وذلك أني رجل مشؤوم ما كنت مع رجلٍ قط إلا غُلب وهُزم، وقد بان لك صحة ما ادّعيت، وكنت عليك خيراً من مئة ألف معك [تنصحك ، لقد كنت مع فلان فكُسر وهُزم وتفرق جمعه ، وكنت مع فلان فقُتل ، وكنت مع فلان فهُزم ـ حتى عَدَّ جماعة من الأمراء ـ] فضحك وخلّى سبيله[(٣)] .

وقيل لعبد الملك : أي الرجال أفضل ؟ قال : من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وترك النصرة عن قوة[(٤)] .

وقال أيضاً : لا طمأنينة قبل الخبرة ، فإن الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم[(٥)] .

وقال : خير المال ما أفاد حمداً ودفع ذماً ، ولا يقولن أحدكم ابداً بمن تعول ، فإن الخلق كلهم عيال الله ، وينبغي أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث .

وقال المدائني : قال عبد الملك لمؤدب أولاده ـ وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ـ : علِّمهم الصدق كما تعلِّمُهم القرآن ، وجنّبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدباً ، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة ، واحف شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا ، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستاكوا عرضاً ، ويمصوا الماء مصاً ، ولا يعبُّوا عبّاً ، وإذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سرٍّ لا يعلم بهم أحد من الغاشية فيهونوا عليهم[(٦)] .

وقال الهيثم بن عدي : أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذناً خاصاً ، فدخل شيخ رث الهيئة لم يأبه له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدر أين ذهب ، وإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الإنسان إن الله قد جعلك بينه وبين عباده فاحكم بينهم ﴿ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٢) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٣) .
(٤) المصدر نفسه (٣٧/ ١٤٤) .
(٥) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٥) .
(٦) المصدر نفسه (٣٧/ ١٤٧ ـ ١٤٨) .

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [ص : ٢٦] ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٤ ـ ٦] ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمٌ مَّجۡمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٌ مَّشۡهُودٌ ﴾ [هود : ١٠٣] ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴾ [هود : ١٠٤] إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ، ﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ ﴾ [النمل : ٥٢] وإني أحذرك يوم ينادي المنادي ﴿ ۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ [الصافات : ٢٢] ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] قال فتغيّر وجه عبد الملك فدخل دار حرمه ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك أياماً[١] .

وكتب زرّ بن حبيش إلى عبد الملك كتاباً وفي آخره : ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك في صحتك فأنت أعلم بنفسك واذكر ما تكلّم به الأولون :

إذا الرجالُ ولدتْ أولادها وَبَليت من كِبَرٍ أجسادُها
وجعلت أسقامُها تعتادُها تلكَ زروعٌ قد دَنا حَصادُها

فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بلَّ طرف ثوبه، ثم قال: صَدَقَ زرّ، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق[٢] .

وسمع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال : أنهى عن ذكر عمر فإنه مرارة للأمراء مفسدة للرعية .

وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسّاني[٣] ، عن أبيه عن جده قال : كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق ، فقالت له : بلغني أنك شربت الطلاء[٤] بعد العبادة والنسك ، فقال : إي والله ، والدماء أيضاً قد شربتها[٥] . ثم جاءه غلام كان قد بعثه في حاجة فقال : ما حبسك لعنك الله ؟ فقالت أم الدرداء : لا تفعل يا أمير المؤمنين فإني سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة لعّان »[٦] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا الحسين بن عبد الرحمن[٧] ، قال : قيل لسعيد بن المسيِّب : إن عبد الملك بن مروان قال : قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ، ولا أحزن على السيئة أرتكبها ، فقال سعيد : الآن تكامل موت قلبه .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٤٨ ـ ١٤٩) .
(٢) المصدر نفسه (٣٧/ ١٤٩) .
(٣) تحرفت في ط إلى : القباني .
(٤) الطلاء : المطبوخ من عصير العنب ، وذهب ثلثاه . القاموس (طلو) .
(٥) الخبر إلى هنا في تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٤٢) .
(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥١ ـ ١٥٢). وإسناده ضعيف جداً، فإن إبراهيم الغساني متروك وكذّبه أبو حاتم الرازي، كما في ميزان الذهبي (١/ ٧٢) .
(٧) في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥٣) : الحسين بن عبد الملك .

وقال الأصمعي عن أبيه عن جده قال : خطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديداً ثم قال : يا ربِّ إن ذنوبي عظيمة ، وإن قليل عفوك أعظم منها ، اللهمّ فامح بقليل عفوك عظيم ذنوبي . قال : فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال : لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام(١) . وقد روي عن غير واحد نحو ذلك ، أي : أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل ما قال الحسن .

وقال أبو مسهر الدمشقي : وضع سماط عبد الملك يوماً بين يديه فقال لحاجبه : ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : مات يا أمير المؤمنين ، قال : فلأبيه عبد الله بن خالد بن أسيد ، قال : مات ، قال : فلخالد بن يزيد بن معاوية ، قال : مات ، قال فلفلان وفلان ـ حتى عدّ أقواماً قد ماتوا وهو يعلم ذلك ، فبكى وأمر برفع السماط وأنشأ يقول :

ذَهَبَتْ لدَاتي وانقضَتْ أيامُهمْ وغبرتُ بعدَهمُ ولستَ بخالدِ(٢)

[وقيل : إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك : ما هذا ؟ أتحن حنين الجارية والأمة ؟ إذا أنا متُّ فشمر واتّزر والبس جلد النمر ، وضع الأمور عند أقرانها ، واحذر قريشاً . ثم قال له : يا وليد اتق الله فيما أستخلفك فيه ، واحفظ وصيتي ، وانظر إلى أخي معاوية ، فصل رحمه واحفظني فيه ، وانظر إلى أخي محمد فأمّره على الجزيرة ولا تعزله عنها ، وانظر إلى ابن عمنا علي بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودّته ونصيحته وله نسب وحق ، فصلْ رحمه واعرف حقه ، وانظر إلى الحجّاج بن يوسف فأكْرمه فإنّه هو الذي مهّد لك البلاد ، وقَهَر الأعداء وخلّص لكم الملك ، وشتت الخوارج ، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، وللمعروف مناراً ، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يشيد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالمحبة ، ويذلل الألسنة بالذكر الجميل ، ولله در القائل :

إنَّ الأمورَ(٣) إذا اجتمعن فَرَامَها بالكسرِ ذو حَنَقٍ وبطشٍ مفند(٤)
عزّت فلمْ تكسرْ وإن هي بُدِّدَتْ فالكسر والتوهينُ للمتبدِّدِ(٥)

ثم قال : إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك فمن أبى فالسيف ، وعليك بالإحسان إلى أخواتك فأكرمهن ، وأحبُّهن إليّ فاطمة ـ وكان قد أعطاها قرطي مارية والدرة اليتيمة ـ ثم قال : اللهم

---

(١) تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥٤) .
(٢) المصدر نفسه (٣٧/ ١٥٥) .
(٣) في تاريخ الإسلام (ص١٤٣) : القداح .
(٤) في تاريخ الإسلام : أيد .
(٥) الأبيات لابن عبد الأعلى الشيباني .

احفظني فيها(١) . فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها(٢) .

ولما احتضر سمع غسالاً يغسل الثياب فقال : ما هذا ؟ فقالوا : غسال ، فقال : يا ليتني كنت غسالاً أكسب ما أعيش به يوماً بيوم ، ولم ألِ الخلافة . ثم تمثل فقال :

لعمري لقدْ عمرتُ في الملكِ(٣) برهةً ودانـتْ لـي الـدنيـا بـوقـعِ البـواتـرِ
وأعطيتُ حمرَ المالِ والحكمَ والنُّهى ولـي سلّمـت كـلُّ الملـوكِ الجبـابـرِ
فـأضحى الـذي قـدْ كـانَ ممـا يسـرني كحلـمٍ مضـى فـي المـزمنـاتِ الغـوابـرِ
فيـاليتنـي لـم أعـنِ بـالملـك ليلـةً(٤) ولـمْ أسعَ(٥) في لـذاتِ عيشٍ نـواضـرِ

وقد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبي سفيان عند موته](٦) .

وقال أبو مسهر : قيل لعبد الملك في مرض موته : كيف تجدك ؟ فقال أجدني كما قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ الآية [الأنعام : ٩٤] .

وقال سعيد بن عبد العزيز : لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فتحت سمع قصاراً [بالوادي] فقال : ما هذا ؟ قالوا : قصار ، فقال : يا ليتني كنت قصاراً [أعيش من عمل يدي] فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله ، قال : الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم . وقال : لما حضره الموت جعل يندم ويندب ويضرب بيده على رأسه ويقول : وددت أني اكتسبت قوتي يوماً بيوم واشتغلت بطاعة الله .

وقال غيره : لمّا حضرته الوفاة دعا بنيه فوصاهم ثم قال : الحمد لله الذي لا يسأل أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً ثم ينشد :

فهـلْ مـن خـالـد إمّـا هَلَكْنـا وهـلْ بـالمـوتِ يـا للنـاس عـار(٧)

ويروى أنه قال : ارفعوني ، فرفعوه حتى شم الهواء وقال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لحقير ، وإنا كنا بك لفي غرور ، ثم تمثل بهذين البيتين . ويروى أن معاوية قالهما أيضاً في هذه الحالة :

---

(١) في تاريخ الإسلام : اللهم إني لم أخلف شيئاً أهمَّ منها إليَّ فاحفظها .
(٢) نص الوصية في الأخبار الطوال (٣٢٥) والكامل لابن الأثير (٤/ ٥١٧ ـ ٥١٨) .
(٣) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٤٢) : الدهر .
(٤) في تاريخ الإسلام : ليلة .
(٥) في تاريخ الإسلام : أله .
(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط . والأبيات بدون الخبر في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥٠) .
(٧) في ط : للباقين غار ، وما أثبت يوافق تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٤٤) .

إنْ تناقشْ يكن نقاشُكَ يا ربُّ عـذابـاً لا طـوقَ لـي بـالعـذابِ
أو تجـاوز فـأنـتَ ربٌّ صفـوحٌ عـنْ مسـيءٍ ذنـوبُـهُ كـالتـرابِ[(١)]

قالوا : وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة وقيل يوم الأربعاء وقيل الخميس ، في النصف من شوال وقيل لخمس مضين[(٢)] منه سنة ست وثمانين ، وصلى عليه ابنه الوليد ولي عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة . قاله أبو معشر وصححه الواقدي ، وقيل ثلاث وستون سنة . قاله المدائني ، وقيل ثمان وخمسون[(٣)] . ودفن بباب الجابية الصغير .

قال ابن جرير[(٤)] : ذكر أولاده وأزواجه : منهم الوليد ، وسليمان ، ومروان الأكبر ـ درج[(٥)] ـ وعائشة ، وأمهم ولّادة بنت العباس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جَذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطيعة بن عبس بن بغيض .

ويزيد ، ومروان الأصغر ، ومعاوية ـ درج ـ وأم كلثوم ، وأمهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان .

وهشام وأمّه أم هشام عائشة ـ فيما قاله المدائني ـ بنت هشام بن إسماعيل المخزومي .

وأبو بكر واسمه بكار ، وأمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي .

والحكم ـ درج ـ وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموي .

وفاطمة وأمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي .

وعبد الله ، ومسلمة ، والمنذر ، وعنبسة ، ومحمد ، وسعد[(٦)] الخير والحجّاج لأمهات أولاد شتى[(٧)] [فكان جملة أولاده تسعة عشر ذكوراً وإناثاً ، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها تسع سنين مشاركاً لابن الزبير ، وثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف مستقلاً بالخلافة وحده . وكان قاضيه أبو إدريس الخولاني ، وكاتبه روح بن زنباع ، وحاجبه يوسف مولاه ، وصاحب بيت المال ، والخاتم قبيصة بن ذؤيب . وعلى شرطته أبو الزعيزعة . وقد ذكرنا عماله فيما مضى][(٨)] .

---

(١) الأبيات في تاريخ دمشق (٣٧/ ١٥٩) والكامل لابن الأثير (٤/ ٥٢١) .
(٢) في ب : بقين .
(٣) وهي إحدى أقوال الواقدي .
(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٤١٩) .
(٥) أي مات صغيراً .
(٦) في الطبري : سعيد .
(٧) في الطبري : لأمهات أولاد .
(٨) ما بين معكوفين زيادة من ط .

قال المدائني : وكان له زوجات أخر ، شقراء بنت سلمة بن حلبس الطائي ، وابنة لعلي بن أبي طالب[١] ، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر .

وممن يذكر أنه توفي في هذه السنة تقريباً :

أرطاة بنُ زفر[٢] بن عبد الله بن مالك بن شداد[٣] بن ضمرة بن عُقْفان بن أبي حارثة بن مرة بن نُشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان أبو الوليد المرِّي ، ويعرف بابن سُهَيَّة[٤] ، وهي أمه بنت زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حديج بن أبي جشم بن كعب بن عون بن عامر بن عوف ـ سبية من كلب ـ وكانت عند ضرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زُفر وهي حامل فأتت بأرطاة على فراشه ، وقد عمّر أرطاة دهراً طويلاً حتى جاوز المئة بثلاثين سنة ، وقد كان سيِّداً شريفاً مطاعاً ممدَّحاً شاعراً مطبقاً .

قال المدائني : ويقال : إن بني عُقفان بن حنظلة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس دخلوا في بني مرة بن نُشْبة فقالوا : بنو عقفان بن أبي حارثة بن مرة .

وقد وفد أبو الوليد أرطاة بن زُفر هذا على عبد الملك فأنشده أبياتاً :

رأيتُ المرءَ تأكلهُ اللَّيالي ... كأكلِ الأرضِ ساقطةَ الحديدِ
وما تبقي[٥] المنيةُ حينَ تأتي ... على نفسِ ابن آدمَ منْ مزيد
وأعلم أنها ستكرُّ حتى ... تُوفِّي نذرها بأبي الوليدِ[٦]

قال : فارتاع عبد الملك وظنَّ أنَّه عناه بذلك . فقال : يا أمير المؤمنين إنما عنيت نفسي ، فقال عبد الملك : وأنا والله سيمرّ بي ما الذي يمر بك ، وزاد بعضهم في هذه الأبيات :

خُلِقْنا أنفساً وبَنِي نفوسٍ ... ولسنا بالسلام ولا الحديدِ
لئن أفجعتَ بالقرناء يوماً ... لقد مُتِّعتَ بالأملِ البعيدِ[٧]

---

(١) قال ابن الأثير في تاريخه (٤/ ٥١٩) : وقيل : كان عنده ابنة لعلي بن أبي طالب : ولا يصح .
(٢) ترجمة ـ أرطاة بن زفر ـ في تاريخ دمشق (٨/ ٣ ـ ٨) والأغاني (١٣/ ٤٠) ووفيات الأعيان (٦/ ١٠٣) والإصابة (١/ ١٦٤) والوافي بالوفيات (٨/ ٣٤٨) وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٦٨) ومختصر تاريخ دمشق (٤/ ٢٣٢) وكان في الأصل في سياق نسبه : غقعان ، بدل عُقْفان ، وشبة بدل نشبة ، ونميط بدل غيظ .
(٣) في الإصابة : سواد .
(٤) في ب وحدها : شهبة ، والمثبت من تاريخ دمشق وجمهرة الأنساب لابن حزم .
(٥) في تاريخ دمشق والإصابة : وما تبغي .
(٦) الأبيات في تاريخ دمشق (٨/ ٤) والأغاني (١٣/ ٤٠) والإصابة (١/ ١٦٤) .
(٧) تاريخ دمشق (٨/ ٥) مع تقديم البيت الأول وزيادة بيت بينهما قيل إن أرطأة سرقه من زَبّان بن منظور بن سيّار وروايته:
وما تجد المصيبةُ فوق نفسي ... ولا نفس الأحبّة من مزيد

وهو القائل :

وإني لقوامٌ لدى الضيفِ موهناً إذا أسبلَ السترَ البخيلُ[١] المواكلُ
دعا فأجابتهُ كلابٌ كثيرةٌ على ثقةٍ مني بأنيَ فاعلُ
وما دونَ ضيفي من تلادٍ تحوزهُ لي النفسُ إلا أنْ تصانَ الحلائلُ[٢]

مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير[٣] كان من كبار التابعين ، وكان من أصحاب عمران بن حصين ، وكان مجاب الدعوة .

وكان يقول : ما أوتي أحد أفضل من العقل[٤] ، وعقول الناس على قدر زمانهم .

وقال : إذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله هذا عبدي حقاً .

وقال : إذا دخلتم على مريض فإن استطعتم أن يدعو لكم فإنه قد حُرّك ـ أي : قد أوقظ من غفلته بسبب مرضه ـ فدعاؤه مستجاب من أجل كسره ورقّة قلبه .

وقال : إن أقبح ما طُلبت به الدنيا عمل الآخرة][٥] .

خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق

لما رجع من دفن أبيه خارج باب الجابية الصغير ـ وكان ذلك في يوم الخميس وقيل الجمعة للنصف من شوال من هذه السنة ـ لم يدخل المنزل حتى صعد منبر المسجد الأعظم بدمشق . فخطب الناس فكان مما قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة ، قوموا فبايعوا . فكان أول من قام إليه عبد الله بن همام السّلولي وهو يقول :

اللهُ أعطاكَ التي لا فَوْقَها وقدْ أراد الملحدونَ عَوْقَهَا
عنْكَ ويأبى اللهُ إلا سَوْقها إليكَ حتّى قَلَّدوكَ طَوْقَها[٦]

---

(١) في تاريخ دمشق : إذا أعذر السير البخيل .
(٢) تاريخ دمشق (٨/ ٨) .
(٣) ترجمة ـ مطرف بن عبد الله ـ في الطبقات لابن سعد (٧/ ١٤١) وتاريخ خليفة (٢٩٢) وطبقاته (١٩٧) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٨٠) وحلية الأولياء (٢/ ١٩١) وصفة الصفوة (٣/ ٢٢٤) وتهذيب الكمال (٢٨/ ٦٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧٩) وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٧) والإصابة (٣/ ٤٧٨) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٧٣) .
(٤) في صفة الصفوة (٣/ ٢٢٤) قال : ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل .
(٥) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ب .
(٦) الأبيات في تاريخ الطبري(٦/ ٤٢٣) .

ثم بايعه وبايع الناس بعده .

وذكر الواقدي : أنه حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس إنه لا مُقدِّم لما أخَّر الله ، ولا مؤخِّر لما قدَّم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقته ما كتبه على أنبيائه وحملة عرشه وملائكته الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار بما لاقاه في هذه الأمة ـ يعني بالذي يحق لله عليه ـ من الشدّة على المريب ، واللّين لأهل الحقِّ والفضل ، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام ، وإعلائه من حجِّ هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشنِّ هذه الغارات على أعداء الله عزَّ وجلَّ فلم يكن عاجزاً ولا مفرّطاً ، أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ، أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل فنظر ما كان من دواب الخلافة فحازها . وكان جباراً عنيداً[١] . وقد ورد في ولاية الوليد حديث غريب[٢] ، وإنما هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما سيأتي ، وكما تقدم تقريره في دلائل النبوة في باب الأخبار عن الغيوب المستقبلة ، فيما يتعلق بدولة بني أمية ، وأما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صيناً في نفسه حازماً في رأيه ، يقال إنه لا تعرف له صبوة ، ومن جملة محاسنه ما صح عنه أنه قال : لولا أن الله قص لنا خبر قوم لوط في كتابه ما ظننا أن ذكراً يعلو ذكراً كما تؤتى النساء ، كما سيأتي ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته في سنة ست وتسعين إن شاء الله ، وهو باني مسجد جامع دمشق الذي لا يعرف في الآفاق أحسن بناءً منه ، وقد شرع في بنائه في ذي القعدة من هذه السنة ، فلم يزل يبني فيه مدّة خلافته وهي عشر سنين ، فلما أنهاه انتهت أيام خلافته كما سيأتي بيان ذلك مفصّلاً . وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يقال لها كنيسة يوحنا ، فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة ، فأخذوا منها الجانب الشرقي فحوّلوه مسجداً ، وبقي الجانب الغربي كنيسة بحاله من لدن سنة أربع عشرة إلى هذه السنة ، فعزم الوليد على أخذ بقية الكنيسة منهم وعوَّضهم عنها كنيسة مريم لدخولها في جانب السيف ، وقيل عوضهم عنها كنيسة توما ، وهدم بقية هذه الكنيسة وأضافها إلى هذا ، وجعل الجميع مسجداً واحداً على هيئة بديعة لا يعرف كثير من الناس أو أكثرهم لها نظيراً في البنيان والزيارات[٣] والآثار والعمارات ، والله سبحانه أعلم .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٤٢٣) .

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٨) بسنده عن عمر ، قال : وُلد لأخي أم سلمة ولد ، فسمّوه الوليد ، فقال النبي ﷺ : « سميتموه بأسماء فراعنتكم ، ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، لهو أشد لهذه الأمة من فرعون لقومه » وهو حديث ضعيف .

(٣) في ط : والزينات .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ففيها عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن إمرة المدينة وولّى عليها ابن عمه وزوج أخته فاطمة بنت عبد الملك عمرَ بن عبد العزيز ، فدخلها في ثلاثين بعيراً في ربيع الأول منها ، فنزل دار مروان وجاء الناس للسلام عليه ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فلما صلّى الظهر دعا عشرةً من فقهاء المدينة وهم عُروة بن الزُّبير ، وعُبيدالله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن [أبي] حثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وأخوه عبيد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله بن عمرو[(١)] ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتعدّى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة ، فأحرِّج على من بلغه ذلك إلا أبلغني . فخرجوا [من عنده] يجزونه خيراً ، وافترقوا على ذلك .

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بأن يوقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان ـ وكان يسيء الرأي فيه ـ لأنه أساء إلى أهل المدينة في مدة ولايته عليهم ، وكانت نحواً من أربع سنين ، ولا سيما إلى سعيد بن المسيب وإلى علي بن الحسين . وأهل بيته ، فلما أوقف للناس قال هشام : ما أخاف إلا من سعيد وعلي بن الحسين ، فقال[(٢)] سعيد بن المسيب لابنه ومواليه : لا يعرض منكم أحد لهذا الرجل فإني تركت ذلك لله وللرَّحم . وأما كلامه فلا أكلمه أبداً ، وأما علي بن الحسين فإنه مرّ به وهو موقوف فلم يعرض له ، وكان قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض أحد منهم له ، فلما اجتاز به علي بن الحسين وتجاوز عنه ناداه هشام بن إسماعيل فقال : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وفتح حصوناً كثيرة وغنم غنائم جمة ، ويقال إن الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق ، وحصن الأخرم [وبحيرة الفرسان][(٣)] وحصن بولس ، وقمقم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف وسبى ذراريهم .

---

(١) في الكامل لابن الأثير : وعبد الله بن عبيد الله بن عمر .

(٢) من قوله : وأهل بيته . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر بكماله في تاريخ الطبري (٦/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) وابن الأثير (٤/ ٥٢٦ـ ٥٢٧) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والعبارة في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩) ، والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٤٢٩) وابن الأثير (٤/ ٥٢٨) .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك وصالحه ملكهم نيزك على مال جزيل ، وعلى أن يطلق كل من ببلاده من أسارى المسلمين .

وفيها غزا قتيبة بيكند فاجتمع له من الأتراك عندها بشر كثير وجم غفير . [وهي من أعمال بخارى ، فلما نزل بأرضهم استنجدوا عليه بأهل الصغد ومن حولهم من الأتراك ، فأتوهم في جمع عظيم فأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق] فتواقف هو وهم قريباً من شهرين وهو لا يقدر أن يبعث إليهم رسولاً ولا يأتيه من جهتهم رسول ، وأبطأ خبره على الحجّاج حتى خاف عليه وأشفق على من معه من المسلمين من كثرة الأعداء من الترك ، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار ، وقد كان قتيبة ومن معه من المسلمين يقتتلون مع الترك في كل يوم ، وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تنذر ، فأعطاه أهل بخارى مالاً جزيلاً على أن يأتي قتيبة فيخذله عنهم ، فجاء إليه فقال له : أخلني فأخلاه فلم يبق عنده سوى رجل يقال له ضرار بن حصين ، فقال له تنذر : هذا عامل يقدم عليك سريعاً بعزل الحجاج ، فلو انصرفت بالناس إلى مرو ، فقال قتيبة لمولاه سياه : اضرب عنقه ؛ فقتله ، ثم قال لضرار : لم يبق أحد سمع هذا غيري وغيرك وإني أعطي الله عهداً إن ظهر هذا حتى ينقضي حربنا لألحقنّك به ، فأملك علينا لسانك ، فإن انتشار هذا في مثل هذا الحال ضعف في أعضاد الناس ونصرة للأعداء ، ثم نهض قتيبة فحرّض الناس على الحرب ، ووقف على أصحاب الرايات يحرضهم ، فاقتتل الناس قتالاً عظيماً وأنزل الله على المسلمين الصبر فما انتصف النهار حتى أنزل الله عليهم النصر فهزمت الترك هزيمةً عظيمة ، واتبعهم المسلمون يقتلون فيهم ويأسرون ما شاؤوا ، واعتصم من بقي منهم بالمدينة ، فأمر قتيبة الفَعَلة بهدمها فسألوه الصلح على مال عظيم فصالحهم ، وجعل عليهم رجلاً من أهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار راجعاً ، فلما كان منهم على خمس مراحل[١] نقضوا العهد وقتلوا الأمير وجدعوا أنوف من كان معه ، فرجع إليها وحاصرها شهراً . وأمر النقابين والفعلة فعلقوا سورها على الخشب وهو يريد أن يضرم النار فيها ، فسقط السور فقتل من الفعلة أربعين نفساً ، فسألوه الصلح فأبى ، ولم يزل حتى فتحها فقتل مقاتلتهم ، وغنم أموالهم ، وكان الذي ألّب على المسلمين رجل أعور منهم ، فأُسر ؛ فقال أنا أفتدي نفسي بخمسة أثواب صينية قيمتها ألف ألف ، فأشار الأمراء على قتيبة بقبول ذلك منه ، فقال قتيبة : لا والله لا أروع بك مسلماً مرة ثانية[٢] ، وأمر به فضربت عنقه . [وهذا من الزهد في الدنيا ، ثم إن الغنائم سيدخل فيها ما أراد أن يفتدي به نفسه فإن المسلمين قد غنموا][٣] من بيكند شيئاً كثيراً من آنية الذهب والفضة والأصنام من الذهب ، وكان من جملتها صنم سبك فخرج منه مئة ألف وخمسون ألف دينار من الذهب ، ووجدوا في خزائن الملك أموالاً كثيرة وسلاحاً كثيراً وعدداً متنوعة وجواهر نفيسة [وأخذوا من السبي شيئاً كثيراً] فكتب قتيبة إلى الحجاج

---

(١) في الطبري (٦/ ٤٣١) : فلما سار مرحلة أو اثنتين ، وكان منهم على خمسة فراسخ نقضوا وكفروا .
(٢) عبارة الطبري : لا والله ، لا تروّع بك مسلمة أبداً .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ومكانها في أ ، ب : وقد غنم المسلمون . . . وعبارة ط أقرب إلى المصادر .

في أن يعطي ذلك للجند فأذن له فتموّل المسلمون وتقوّوا على قتال الأعداء ، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جداً . وصارت لهم أسلحة وعُدد وخيول كثيرة فقووا بذلك قوة عظيمة ولله الحمد والمنة .

وقد حج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة ، وقاضيه بها أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعلى العراق والمشرق بكماله الحجاج بن يوسف الثقفي ، ونائبه على البصرة الجرّاح بن عبد الله الحكمي ، وقاضيه بها عبد الله بن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله البَجَلي ، وقاضيه بها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، ونائبه على خراسان وأعمالها قتيبة بن مسلم .

وفي هذه السنة توفي :

عتبة بن عبدٍ السلمي(١) ، صحابي جليل ، نزل حمص ، يروى أنه شهد بني قريظة ، وعن العرباض أنه كان يقول هو خير مني أسلم قبلي بسنة . قال الواقدي وغيره : توفي في هذه السنة ، وقال غيره بعد التسعين ، والله أعلم .

[قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان عتبة بن عبدٍ السُّلَمي من أهل الصفة .

وروى بقية ، عن بُجير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن عتبة بن عبدٍ السُّلمي أن النبي ﷺ قال : « لو أن رجلاً يُجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحقّره يوم القيامة »(٢) .

وقال إسماعيل بن عياش ، عن عقيل بن مدرك ، عن لقمان بن عامر ، عن عتبة بن عبد السلمي قال : اشتكيت إلى رسول الله ﷺ العُري فكساني خيشتين ، فلقد رأيتني وأنا أكسى الصحابة](٣) .

والمقدام بن معدي كرب(٤) ، صحابي جليل ، نزل حمص أيضاً ، له أحاديث ، وروى عنه غير واحد من التابعين .

---

(١) ترجمة ـ عتبة بن عبد ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٣) وطبقات خليفة (٥٢ و٣٠١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٤٠) وحلية الأولياء (٢/ ١٥) وتاريخ دمشق (٣٨/ ٢٧٥) وأسد الغابة (٣/ ٥٦٣) وتهذيب الكمال (١٩/ ٣١٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص١٤٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٦) والإصابة (٢/ ٤٥٤) وتهذيب التهذيب (٧/ ٩٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٥٤) .

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٨٥) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥) والطبراني في الكبير (١٧/ رقم ٣٠٣) وإسناده ضعيف .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط . والخبر في تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٨/ ٢٧٧) ولفظه : استكسيت رسول الله ﷺ فكساني خيشتين ، ولقد رأيتني ألبسهما ، وأنا أكسى أصحابي وأخرجه أحمد (٤/ ١٨٥)، وأبو داود (٤٠٣٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٠٧) وهو حديث حسن .

(٤) ترجمة ـ المقدام بن معدي كرب ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٥) وتاريخ خليفة (٣٠١) وطبقاته (٧٢ و٣٠٤) وتاريخ البخاري (٧/ ٤٢٩) والمعرفة والتاريخ (٢/ ١٦٠) وتاريخ دمشق (٦٠/ ١٨٤) والاستيعاب (٣/ ٤٨٣) وأسد الغابة (٤/ ٤١١) وتهذيب الكمال (٢٨/ ٤٥٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٠٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٧) والإصابة (٣/ ٤٥٥) . وشذرات الذهب (١/ ٣٥٤) .

قال محمد بن سعد والفلّاس وأبو عبيدة : توفي في هذه السنة . وقال غيرهم : توفي بعد التسعين فالله أعلم .

أبو أمامة الباهلي[١] واسمه صُدَيّ بن عجلان ، نزل حمص ، وهو راوي حديث « تلقين الميت بعد الدفن » رواه الطبراني[٢] في الدعاء [وقد تقدم له ذكر في الوفيات .

قبيصة بن ذؤيب[٣] ، أبو سفيان الخزاعي المدني ، ولد عام الفتح وأُتي به النبي ﷺ ليدعو له ، روى عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وأصيبت عينه يوم الحرَّة ، وكان من فقهاء المدينة ، وكانت له منزلة عند عبد الملك ، ويدخل عليه بغير إذن ، وكان يقرأ الكتب إذا وردت من البلاد ثم يدخل على عبد الملك فيخبره بما ورد من البلاد فيها ، وكان صاحب سرّه ، وكان له دار بدمشق بباب البريد ، وتوفي بدمشق .

عروة بن المغيرة بن شعبة[٤] ، ولي إمرة الكوفة للحجاج ، وكان شريفاً لبيباً مطاعاً في الناس ، وكان أحول[٥] . توفي بالكوفة .

يحيى بن يعمر[٦] ، كان قاضي مرو ، وهو أول من نقط المصاحف ، وكان من فضلاء الناس

---

(١) سبق ذكره ومصادر ترجمته في أول أحداث سنة ٨٦ .

(٢) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٥) وقال : رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٩٨) وفي إسناده جماعة لم أعرفهم . ورواه الطبراني في الدعاء (٣/ ١٣٦٧ ـ ١٣٦٨) رقم (١٢١٤) قال ابن القيم في زاد المعاد : (١/ ٥٢٣) : فهذا حديث لا يصح رفعه ، نقول : وقد ضعفه النووي وغيره .

(٣) ترجمة ـ قبيصة بن ذؤيب ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٦) وتاريخ خليفة (٢٩٢) وطبقاته (٣٠٩) وتاريخ البخاري (٧/ ١٧٤ ـ ١٧٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٦) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (١/ ٤١١) ومواضع أخرى ، وتاريخ دمشق (٤٩/ ٢٥٠) وأسد الغابة (٤/ ١٩١) وتهذيب الكمال (٢٣/ ٤٧٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٧٠ـ١٧٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٢ـ٢٨٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢١٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٥٢) .

(٤) ترجمة ـ عروة بن المغيرة ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٩) وتاريخ خليفة (٢١٠) وطبقاته (١٥٥) وتاريخ البخاري (٧/ ٧٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٩٨) و(٢/ ١٠٤) وأنساب الأشراف (١/ ١٩٧ و٥٥) ومواضع أخرى ، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٣٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص ١٥١ ـ ١٥٢) وقال الذهبي : توفي سنة بضع وثمانين ، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٨٩) .

(٥) ذكر ذلك الجاحظ في كتابه « البرصان والعرجان والحولان » (ص٣٦٤) .

(٦) ترجمة ـ يحيى بن يعمر ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٦٨) وتاريخ خليفة (٣٠٣) وطبقاته (٢٠٣) والمعرفة والتاريخ (٢/ ١٤١) ومعجم الشعراء للمرزباني (٤٨٥) وفيه : يحيى بن نعيم ، وطبقات النحويين واللغويين (٣٧) والكامل لابن الأثير (٤/ ٣٠٨) ومراتب النحويين (٢٥ ـ ٢٦) ووفيات الأعيان (٦/ ١٧٣) وتهذيب الكمال (٣٢/ ٥٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٠٢ـ٥٠٣) وفيه نقلاً عن خليفة : توفي يحيى بن يعمر قبل التسعين ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤١) وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٠٥) والنجوم الزاهرة (١/ ٢١٧) وشذرات الذهب (١/ ١٧٥) .

وعلمائهم وله أحوال ومعاملات ، وله روايات ، وكان أحد الفصحاء ، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي][(١)] .

شريح بن الحارث بن قيس القاضي[(٢)] ، أدرك الجاهلية ، واستقضاه عمر على الكوفة فمكث بها قاضياً خمساً وستين سنة ، وكان عالماً عادلاً كثير الخير ، حسن الأخلاق ، فيه دعابة كثيرة ، وكان كوسجاً لا شعر بوجهه ، وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، والأحنف بن قيس ، وقيس بن سعد بن عُبادة ، وقد اختلف في نسبه وسنه وعام وفاته على أقوال ، ورجح ابن خلكان وفاته في هذه السنة ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فافتتحا بمن معهما من المسلمين حصن طوانة[(٣)] في جمادى من هذه السنة ـ وكان حصيناً منيعاً ـ اقتتل الناس عنده قتالاً عظيماً وحمل المسلمون على النصارى فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة ، ثم خرجت النصارى فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقفه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن مُحيريز الجُمحي ، فقال العباس لابن محيريز : أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عزَّ وجلَّ ؟ فقال : نادهم يأتوك ، فنادى يا أهل القرآن ، فتراجع الناس فحملوا على النصارى فكسروهم ولجؤوا إلى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه .

وذكر ابن جرير[(٤)] : أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حُجَرِ أزواج رسول الله ﷺ ، وأن يوسعه من قبلته وسائر نواحيه ، حتى يكون مئتي ذراع في مئتي ذراع ، فمن باعك ملكه فاشتره منه وإلا فقوِّمه له قيمة عدل ثم اهدمه وادفع إليهم الأثمان ، فإن لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان . فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد ، [فشق عليهم ذلك وقالوا : هذه حُجَر قصيرة السقوف ، وسقوفها من جريد النخل ، وحيطانها من اللَّبن ، وعلى أبوابها المسوح ، وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون ، وإلى بيوت النبي ﷺ فينتفعوا بذلك ويعتبروا به ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا ، فلا يعمرون فيها إلا بقدر الحاجة وهو ما يستر ويُكن ،

---

(١) ذكر ذلك ابن خلكان في وفياته (٦/ ١٧٣) وما بين معكوفين زيادة من ط .

(٢) تقدمت ترجمة شريح القاضي ضمن وفيات سنة ثمان وسبعين .

(٣) طوانة ـ بضم أوله ـ بلد بثغور المصيصة ، والخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٤٣٤) والأخبار الطوال (٣٢٦) . وابن الأثير (٤/ ٥٣١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٠) .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) .

ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة ، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها . فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم ، فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر ، وأن يعلي سقوفه . فلم يجد عمر بداً من هدمها ، ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم ، وتباكوا مثل يوم مات النبي ﷺ][1] فأجاب من له ملك متاخم للمسجد إلى بيعه فاشترى منهم ، وشرع في بنائه وشمّر عن إزاره واجتهد في ذلك ، وجاءته فعول كثيرة من جهة الوليد فأدخل فيه الحجرة النبوية [ـ حجرة عائشة ـ فدخل القبر في المسجد][2] وكانت حده من الشرق وسائر حُجَر أمهات المؤمنين ووسعه كما أمر الوليد ، وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة بدت لهم قدم فخشوا أن تكون قدم النبي ﷺ حتى تحققوا أنها قدم عمر رضي الله عنه ، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد ـ كأنه خشي أن يتخذ القبر مسجداً ـ والله أعلم .

وذكر ابن جرير[3] : أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يبعث له صنّاعاً للبناء ، فبعث إليه بمئة صانع وفصوص كثيرة من أجل المسجد النبوي نحو خمسين جملاً ، ومئة ألف دينار[4] ، والمشهور أن هذا إنما كان من أجل مسجد دمشق ، فالله أعلم .

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحفر الفوّارة بالمدينة ، وأن يجري ماءها ففعل ، وأمره أن يحفر الآبار وأن يُسهِّل [الطرق] والثنايا [وساق إلى الفوارة الماء من ظاهر المدينة ، والفوّارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته][5] .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كوربُغانون[6] ابن أخت ملك الصين ، معه مئتا ألف [مقاتل ، من أهل الصغد وفرغانة وغيرهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان مع قتيبة نيزك ملك الترك مأسوراً] فكسرهم قتيبة بن مسلم وغنم من أموالهم شيئاً كثيراً [وقتل منهم خلقاً وسبى وأسر] .

وفيها حجّ بالناس عمر بن عبد العزيز ومعه جماعات من أشراف قريش ، فلما كان بالتنعيم لقيه طائفة

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق ما في الطبري والأخبار الطوال وابن الأثير .
(٢) زيادة من ط .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٤٣٦) .
(٤) الذي في الطبري : فبعث إليه بمئة ألف مثقال ذهب ، وبعث إليه بمئة عامل ، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً ، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خُرِّبت ، فبعث بها إلى الوليد .
(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والذي في الطبري والمصادر : فلما حج الوليد وقف عليها ، فنظر إلى بيت الماء والفوارة ؛ فأعجبته ، وأمر لها بقُوَّام يقومون عليها ، وأن يسقى أهل المسجد منها ، ففُعل ذلك .
(٦) في الطبري (٦/ ٤٣٧) : كور مغانون . والخبر أيضاً في الأخبار الطوال (٣٢٧) . وابن الأثير (٤/ ٥٣٣) وفيه : كور نعايون . وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٠) .

من أهل مكة فأخبروه عن قلّة الماء بمكة لقلّة المطر ، فقال لأصحابه : ألا نستمطر ؟ فدعا ودعا الناس فما زالوا يدعون حتى سُقُوا ودخلوا مكّة ومعهم المطر ، وجاء سيل عظيم حتى خاف أهل مكة من شدة المطر ، ومطرت عرفة ومزدلفة ومنى ، وأخصبت الأرض هذه السنة خصباً عظيماً بمكة وما حولها ، وذلك ببركة دعاء عمر بن عبد العزيز [ومن كان معه من الصالحين] .

وكان النواب على البلاد في هذه السنة هم الذين في التي قبلها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن بُسر بن أبي بُسر المازني(١) ، صحابي كأبيه ، سكن حمص ، وروى عنه جماعة من التابعين .

قال الواقدي : توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، زاد غيره وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام ، وقد جاء في الحديث أنه يعيش قرناً(٢) ، فعاش مئة سنة .

عبد الله بن أبي أوفى(٣) **ـ علقمة**(٤) **ـ بن خالد بن الحارث الخزاعي ثم الأسلمي** ، صحابي جليل ، وهو آخر من بقي من الصحابة بالكوفة ، وكانت وفاته فيما قاله البخاري(٥) سنة سبع أو ثمان وثمانين ، وقال الواقدي وغير واحد(٦) : سنة ست وثمانين ، وقد جاوز المئة ، وقيل قاربها رضي الله عنه .

[وفيها توفي :

هشام بن إسماعيل(٧) **بن هشام بن الوليد المخزومي المدني** ، وكان حما عبد الملك بن مروان ونائبه

---

(١) ترجمة ـ عبد الله بن بسر ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤١٣) وطبقات خليفة (٥٢ و٣٠١) . والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٥٨) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (١/ ٢٤٨) والاستيعاب (٢/ ٢٦٧) وتاريخ دمشق (٢٧/ ١٣٩ـ١٦٢) وأسد الغابة (٣/ ١٢٥) والكامل لابن الأثير (٤/ ٥٣٤) وقال : بُسْر ؛ بضم الباء الموحدة ، وبالسين المهملة ، وتهذيب الكمال (١٤/ ٣٣٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٩٩ ـ ١٠٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٣٠) والوافي بالوفيات (١٧/ ٨٤) والإصابة (٢/ ٢٨١) وتهذيب التهذيب (٥/ ١٥٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٥١) .

(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٨٩) وفيه : وضع رسول الله ﷺ إصبعه عليها ـ شامة في قرنه ـ ثم قال : « لتبلغنّ قرناً » وروى نحوه الطبراني وذكره ابن عساكر في تاريخه (٢٧/ ١٥٥) ط : دار الفكر بيروت ، وهو حديث حسن .

(٣) تقدمت ترجمته ومصادرها ضمن وفيات سنة ست وثمانين .

(٤) علقمة هو اسم أبي أوفى ، وقد أضيف في ط : [و] لجعله ترجمة مفردة !

(٥) التاريخ الكبير (٥/ ٢٤) والتاريخ الصغير (٩١) .

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٩٩) .

(٧) ترجمة ـ هشام بن إسماعيل ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٤٤) وتاريخ خليفة (٢٨٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٧٤) وأنساب الأشراف (٣/ ٣٠٢) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٧) .

على المدينة ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيِّب كما تقدم ، ثم قدم دمشق فمات بها ، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق في السَّبْع .

عمير بن حكيم[١] ، العنسي الشامي ، له رواية ، ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يعيب الحجَّاج علانية إلا هو وابن مُحيريز أبو الأبيض ، قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة][٢] .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بلاد الروم فقتلا خلقاً كثيراً وفتحا حصوناً كثيرة ، منها حصن سورية وعمورية وهرقلة وقمودية[٣] . وغنما شيئاً كثيراً وأسرا جماً غفيراً .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الصغد ونَسَف وكِشْ ، وقد لقيه هنالك خلق من الأتراك فظفر بهم فقتلهم ، وسار إلى بخارى فلقيه دونها خلق كثير من الترك فقاتلهم يومين وليلتين عند مكان يقال له خَرَّقان[٤] ، وظهر بهم فقال في ذلك نهار بن توسعة :

وبـاتـتْ لهـم منّـا بِخَـرقـانَ لَيْلَـةٌ ... ولَيَلتُنا كانتْ بِخَرقانَ أطْولا[٥]

ثم قصد قتيبة وردان خُذاه ملك بخارى فقاتله وردان قتالاً شديداً فلم يظفر به قتيبة ، فرجع عنه إلى مرو ، فجاءه كتاب الحجاج يعنِّفه على الفرار والنكول عن العدو ، وكتب إليه أن يبعث بصورة هذا البلد فبعث إليه بصورتها فكتب إليه أن ارجع إليها وتب إلى الله من ذنبك وائتها من مكان كذا وكذا ، ورِدْ وردان خذاه ، وإياك والتحويط ، ودعني وبُنيَّات الطريق[٦] .

وفي هذه السنة ولى الوليد بن عبد الملك إمرة مكة لخالد بن عبد الله القَسْري ، فحفر بئراً بأمر الوليد عند ثنيّة طُوى وثنيّة الحجون ، فجاءت عذبة طيبة ماؤها ، وكان يستقي منها الناس . وروى الواقدي : حدثني عمر بن صالح ، عن نافع مولى بني مخزوم . قال : سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخطب الناس : أيها الناس ! أيهما أعظم عندكم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً أجاجاً ، واستسقى

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما لدي من مصادر .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) في أ : قمولية ؛ خطأ ، والخبر في الطبري (٦/ ٤٣٩) وابن الأثير (٤/ ٥٣٥) .

(٤) في الطبري وابن الأثير : خرقانة السفلى . وخرقان : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه وفتحه ، وقاف في آخره نون : مدينة قرب تبريز بأذربيجان . معجم البلدان (٢/ ٣٦٠) .

(٥) البيت في الطبري (٦/ ٤٣٩) .

(٦) نص كتاب الحجاج في الطبري (٦/ ٤٤٠) وابن الأثير (٤/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦) .

الخليفة فسقاه عذباً فراتاً ـ يعني البئر التي احتفرها بالثنيتين ثنية طوى وثنية الحجون ـ فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من أدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم . قال ثم غارت تلك البئر فذهب ماؤها فلا يدرى أين هو إلى اليوم .

وهذا الإسناد غريب ، وهذا الكلام يتضمن كفراً إن صحَّ عن قائله ، وعندي أن خالد بن عبد الله لا يصح عنه هذا الكلام ، وإن صحّ فهو عدو الله ، وقد قيل عن الحجاج بن يوسف نحو هذا الكلام من أنه جعل الخليفة أفضل من الرسول الذي أرسله الله ، وكل هذه الأقوال تتضمن كفر قائلها(١) .

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك(٢) الترك حتى بلغ باب [الأبواب](٣) من ناحية أذربيجان ، وفتح حصوناً ومدائن كثيرة هنالك .

وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي(٤) : وفي هذه السنة فتحت ميورقة ومَنورقة . [وهما في البحر بين جزيرة صقلية وجزيرة الأندلس .

وفيها سيّر موسى بن نصير ولده إلى النقريس ملك الفرنج فافتتح بلاداً كثيرة](٥) .

وفيها توفي من الأعيان :

عبد الله بن بسر(٦) بن أبي بسر المازني ، له ولأبيه صحبة ، والصحيح أنه توفي في التي قبلها .

عبدُ الله بن ثعلبة بن صُعَير(٧) أحد التابعين العُذْري الشاعر ، وقد قيل إنه أدرك حياة النبي ﷺ ، ومسح على رأسه(٨) ، وكان الزهري يتعلم منه النسب .

والعمال في هذه السنة هم المذكورون في التي قبلها .

---

(١) قال الذهبي تعليقاً على هذه الرواية في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦٩/ ص٣٥) : ما أعتقد أن هذا وقع ، والله أعلم .

(٢) في ط : قتيبة بن مسلم ؛ خطأ .

(٣) زيادة من ط ؛ وفي الطبري (٦/ ٤٤١) : حتى بلغ الباب .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨٩/ص٣٤) .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط توافق تاريخ الإسلام للذهبي .

(٦) وردت ترجمته مع وفيات السنة السابقة .

(٧) ترجمة ـ عبد الله بن ثعلبة ـ في تاريخ خليفة (٣٠٢) وطبقاته (٢٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٥ ـ ٣٧) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٥٣) وأنساب الأشراف (١/ ١٢٩) والاستيعاب (٢/ ٢٧١) وتاريخ دمشق (٢٧/ ١٧٨ ـ ١٩٠) وأسد الغابة (٣/ ١٢٨) . والكامل لابن الأثير (٤/ ٥٤١) وقال : صُعَير ـ بضم الصاد ـ ، وفتح العين المهملتين . وتهذيب الكمال (١٤/ ٣٥٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٠٣ ـ ١٠٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥٠٣) والوافي بالوفيات (١٧/ ٩٩) والإصابة (٢/ ٢٨٥) وتهذيب التهذيب (٥/ ١٦٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٥٢) .

(٨) تاريخ البخاري (٥/ ٣٦) وتاريخ دمشق (٢٧/ ١٨٢) وفيه : على وجهه .

ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بلاد الروم ؛ ففتحا حصوناً وقتلا خلقاً من الروم وغنما وأسرا خلقاً كثيراً .

وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، وذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك .

وفيها عزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك عن إمرة مصر وولّى عليها قُرّة بن شريك .

وفيها قَتل محمد بن القاسم ملك الهند داهر بن صصَّة[١] ، وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة الحجاج .

وفيها فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى وهزم جميع العدو من الترك بها ، وجرت بينهم فصول يطول ذكرها ، وقد تقصاها ابن جرير[٢] .

وفيها طلب طرخون ملك الصغد بعد فتح بخارى من قتيبة أن يصالحه على مال يبذله في كل عام فأجابه قتيبة إلى ذلك وأخذ منه رهناً عليه .

وفيها نقض نيزك ملك الترك الصلح الذي كان بينه وبين قتيبة ، واستجاش عليه بالملوك كلها ، فأتاه ملوك كثيرة كانوا قد عاهدوا قتيبة على الصلح فنقضوا كلهم وصاروا يداً واحدة على قتيبة ، واتعدوا إلى الربيع [وتعاهدوا وتعاقدوا] على أن يجتمعوا فيقاتلوا كلهم في فصل الربيع من السنة الآتية ، فقتل منهم قتيبة في ذلك الحين مقتلة عظيمة جداً [لم يسمع بمثلها] وصلب منهم سماطين في مسافة أربع فراسخ في نظام واحد ، وذلك مما كسر جموعهم كلهم[٣] .

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلّب وأخواه المفضل وعبد الملك من سجن الحجاج ، فلحقوا بسليمان بن عبد الملك فأمنهم من الحجاج ، وذلك أن الحجاج كان قد احتاط عليهم قبل ذلك وعاقبهم عقوبة عظيمة ، وأخذ منهم ستة آلاف ألف ، وكان أصبرهم على العقوبة يزيد بن المهلب ، كان لا يسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا نكاية لذلك ، فكان في ذلك بغيض الحجاج ، قال قائل للحجاج : إن في

---

(١) تاريخ خليفة (٣٠٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٠) وفيه : صَصَّه بن داهر .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٤٤٢ـ٤٤٧) وجملة هذه الأخبار أيضاً في ابن الأثير (٤/ ٥٤٢ـ٥٤٥) . وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦ ـ ٣٧) باختصار .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٤٤٧) وابن الأثير (٤/ ٥٤٥) .

ساقه أثر نشابة بقي نصلها فيه ، وإنه متى أصابها شيء لا يملك نفسه أن يصرخ ، فأمر الحجاج : أن ينال ذلك الموضع منه بعذاب ، فصاح فلما سمعت أخته هند بنت المهلب ـ وكانت تحت الحجاج ـ صوته بكت وناحت عليه فطلقها الحجاج ثم أودعهم في السجن ، ثم خرج الحجاج إلى بعض المحال لينفذ جيشاً إلى الأكراد واستصحبهم معه ، فخندق حولهم ووكل بهم الحرس ، فلما كان في بعض الليالي أمر يزيد بن المهلّب بطعام كثير فصنع للحرس ، ثم تنكر في هيئة بعض الطباخين وجعل لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال : ما رأيت مشية أشبه بمشية يزيد بن المهلب من هذا ، ثم اتبعه يتحققه ، فلما رأى بياض لحيته انصرف عنه ، ثم لحقه أخواه فركبوا السفن [وساروا نحو الشام] فلما بلغ الحجاج هربهم انزعج لذلك وذهب وهمه أنهم ساروا إلى خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويأمرهم بالاستعداد لهم ، وأن يرصدهم في كل مكان ، ويكتب إلى أمراء الثغور والكور بتحصيلهم وكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بهربهم ، وأنه لا يراهم هربوا إلا إلى خراسان ، وخاف الحجاج من يزيد أن يصنع كما صنع ـ عبد الرحمن بن محمد ـ بن الأشعث من الخروج عليه وجمع الناس له ، وتحقق عنده قول الراهب . وأما يزيد بن المهلب فإنه سلك على البطائح وجاءته خيول كان قد أعدها له أخوه مروان بن المهلّب لهذا اليوم ، فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد ، فأخذ بهم على السماوة ، وجاء الخبر إلى الحجاج بعد يومين أن يزيد قد سلك نحو الشام ، فكتب إلى الوليد يعلمه بذلك ، وسار يزيد حتى نزل الأردن[1] على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي ـ وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك ـ فسار إليه فقال له : إن يزيد بن المهلب وأخويه في منزلي ، قد جاءوا مستعيذين بك من الحجاج ، قال : فاذهب فائتني بهم فهم آمنون ما دمت حياً ، فجاءهم فذهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك ، فأمنهم سليمان وكتب إلى أخيه الوليد : إن آل المهلب قد أمنتهم ، وإنما بقي للحجاج عندهم ثلاثة آلاف ألف ، وهي عندي . فكتب إليه الوليد : لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إليّ . فكتب إليه : لا والله لا أبعثه حتى أجيء معه ، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تفضحني أو تخفرني في جواري . فكتب إليه : لا والله لا تجيء معه وابعث به إليّ في وثاق . فقال يزيد : ابعث بي إليه فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحرباً ، فابعثني إليه وابعث معي ابنك واكتب إليه بألطف عبارة تقدر عليها فبعثه وبعث معه ابنه أيوب ، وقال لابنه : إذا دخلت في الدهليز فادخل مع يزيد في السلسلة ، وادخلا عليه كذلك . فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة ، قال : والله لقد بلغنا من سليمان . ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمّه وقال : يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تذل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك . ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فإذا فيه : أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك لا تذل جواري ولا تخفره ، بل لم أُجر إلا سامعاً مطيعاً ، حسن البلاء

---

(١) في الطبري (٦/ ٤٥٠) وابن الأثير (٤/ ٥٤٦) وسار يزيد حتى قدم فلسطين .

والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته ، وقد بعثت به إليك فإن كنت إنما تعد قطيعتي وإخفار ذمتي والابلاغ في مساءتي فقد قدرت إن أنت فعلت ، وأنا أعيذك بالله من احتراد[1] قطيعتي وانتهاك حرمتي ، وترك بِرّي [وإجابتي إلى ما سألتك] ووصلتي ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى يفرّق الموت بيني وبينك ، فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره أن لا يأتي أجل الوفاة علينا إلا وهو لي واصل ولحقي مؤدٍّ ، وعن مساءتي نازع فليفعل ، ووالله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله بأسرَّ مني برضاك وسرورك ، وإن رضاك وسرورك أحب إليّ من رضائي وسروري ، ومما ألتمس به رضوان الله عزَّ وجلَّ لصلتي ما بيني وبينك ، وإن كنت يا أمير المؤمنين يوماً من الدهر تريد صلتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو عليّ .

فلما قرأ الوليد كتابه قال : لقد شققنا على سليمان، ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه، وتكلّم يزيد بن المهلّب فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله ثم قال : يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء، فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه ، ومن يكفره فلسنا بكافريه ، وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ، ما إن المنة فيه علينا عظيمة . فقال له : اجلس ؛ فجلس ، فأمنه وكف عنه وردَّه إلى سليمان ، وكان عنده يعلِّمه الهيئة ، ويصف له ألوان الأطعمة الطيبة ، وكان حظيّاً عنده لايُهدى إليه بهدية إلا أرسل له بنصفها، وتقرب يزيد بن المهلب إلى سليمان بأنواع الهدايا والتحف والتقادم، وكتب الوليد إلى الحجاج إني لم أصل إلى يزيد بن المهلب وأهل بيته مع أخي سليمان، فاكفف عنهم واله عن الكتاب إليّ فيهم . فكفّ الحجاج عن آل المهلب وترك ما كان يطالبهم به من الأموال، حتى ترك لأبي عيينة بن المهلّب ألف ألف درهم ، ولم يزل يزيد بن المهلّب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحجاج في سنة خمس وتسعين، كما سيأتي، وولي يزيد بلاد العراق بعد الحجاج[2] .

وفيها توفي من الأعيان :

تياذوق[3] الطبيب[4] الحاذق ، له مصنفات في فنه ، وكان حظيّاً عند الحجّاج ، مات في حدود سنة تسعين بواسط .

[وفيها توفي :

عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة[5] .

---

(١) الاحتراد : من الحرد وهو القصد . القاموس (حرد) .

(٢) ثمة بعض الخلافات اللفظية في أ آثرنا عدم الإشارة إليها لتوافق المعنى .

(٣) في ط : « يتاذوق » ، محرف .

(٤) ترجمة ـ يتاذوق ـ في أخبار الحكماء للقفطي (١٠٥) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١/ ١٢١) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧) والوافي بالوفيات (١٠/ ٤٤٩ـ٤٥٠) .

(٥) ترجمة ـ عبد الرحمن بن المسور ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ١١٤) وتاريخ خليفة (٣٠٣) وطبقاته (٢٤٣) والمعرفة=

وأبو العالية الرِّياحي[١] .

وسِنان بن سَلَمة بن المحبَّق[٢] ، أحد الشجعان المذكورين ، أسلم يوم الفتح ، وتولّى غزو الهند ، وطال عمره .

وتوفي في هذه السنة :

محمد بن يوسف الثقفي[٣] أخو الحجاج ، وكان أميراً على اليمن ، وكان يلعن علياً على المنابر ، قيل إنه أمر حجر المدري أن يلعن علياً فقال : بل لعن الله من يلعن علياً ، ولعنة الله على من لعنه الله[٤] . وقيل إنه ورَّى في لعنه ، فالله أعلم][٥] .

خالد بن يزيد بن معاوية[٦] ، أبو هاشم الأموي الدمشقي ، وكانت داره بدمشق تلي دار الحجارة ،

= والتاريخ (١/ ٣٦٩) والكامل في التاريخ (٤/ ٥٤٨) وتهذيب الكمال (١٧/ ٤٠٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٣١ ـ ١٣٢) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٦٩) .

(١) ترجمة ـ أبي العالية الرياحي ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١١٢) وطبقات خليفة (٢٠٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ١٣٧) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (١/ ٥١٦) وحلية الأولياء (٢/ ٢١٧) وتاريخ دمشق (١٨/ ١٥٩ و٦٧/ ٢٢) وسماه : رفيع بن مهران ، وتهذيبه (٥/ ٣٢٦) وأسد الغابة (٢/ ١٨٦) وتهذيب الكمال (٩/ ٢١٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٤١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧) والوافي بالوفيات (١٤/ ١٣٨) والإصابة (١/ ٥٢٨) وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٣) وشذرات الذهب (١/ ١٠٢) .

(٢) ترجمة ـ سنان بن سلمة ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٢٤) وتاريخ خليفة (٢٠٩ـ٢١٢) وطبقاته (١٩٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٣٣) والاستيعاب (٢/ ٨٢) وأسد الغابة (٢/ ٣٥٧) وتهذيب الكمال (١٢/ ١٤٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٧٤ ـ ٧٥) والوافي بالوفيات (١٥/ ٤٦١) وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٤١) والإصابة (٢/ ١٣١) وشذرات الذهب (١/ ١٧٨) .

(٣) ترجمة ـ محمد بن يوسف الثقفي ـ في تاريخ خليفة (٢٩٣ و٣١١) والمعرفة والتاريخ (١ ـ ٦٨) والكامل لابن الأثير (٥/ ٥٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧٠) وقال الذهبي : قال سعيد بن عفير : مات باليمن في رجب سنة إحدى وتسعين . والوافي بالوفيات (٥/ ٢٤٢) .

(٤) عبارة الذهبي في تاريخ الإسلام : قال : إن الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه . لعنه الله ، فما فطن لها إلا رجلٌ .
قلت : حجر المدري ؛ وثقه العجلي .
وقد تحرفت المدري في ط إلى المنذري .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٦) ترجمة ـ خالد بن يزيد بن معاوية ـ في تاريخ خليفة (٢٥٩) والأخبار الطوال (٢٨٥ و٣٢٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٧١ و٥٧٢) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (٣/ ٧٤ و٨٥) وتاريخ دمشق (١٦/ ٣٠١) وتهذيبه (٥/ ١١٩ـ١٢٣) وأسد الغابة (٢/ ٩٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٢٤) وتهذيب الكمال (٨/ ٢٠١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٥ ـ ٥٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٢) وتهذيب التهذيب (٣/ ١٢٨) والإصابة (١/ ٤٦٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٥٩) .

وكان عالماً شاعراً ، وينسب إليه شيء من علم الكيمياء[١] ، وكان يعرف شيئاً من علوم الطبيعة ، روى عن أبيه ودحية الكلبي ، وعنه الزهري وغيره .

قال الزُّهري : كان خالد يصوم الأعياد كلَّها الجمعة والسبت والأحد .

وقال أبو زرعة الدمشقي : كان هو وأخوه معاوية من خيار القوم ، وقد ذكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد ، وكان ولي العهد من بعد مروان فلم يتم له الأمر ، وكان مروان زوج أمه ، ومن كلامه : أقرب شيء الأجل ، وأبعد شيء الأمل ، وأرجى شيء العمل .

وقد امتدحه بعض الشعراء فقال :

سألت الندا والجودَ حُرّانِ أنتما فقـالا جميعـاً[٢] إننـا لعبيـدُ
فقلتُ ومن مولاكُما فتطاولا عليّ وقالا خالدُ بن يزيد[٣]

قال : فأمر له بمئة ألف .

وكانت وفاته في هذا العام ، وقيل في سنة أربع وثمانين وقد ذكر هناك ، والصحيح الأول .

عبد الله بن الزَّبير[٤] بن سُليم ، الأسدي ، الشاعر أبو كثير[٥] ، ويقال أبو سعيد ، وهو مشهور ، وفد على عبد الله بن الزبير فامتدحه فلم يعطه شيئاً فقال : لعن الله ناقة حملتني إليك ، فقال ابن الزُّبير : إنْ وصاحبَها ، يقال إنه مات في زمن الحجاج .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد ، وفيها غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح مدائن وحصوناً كثيرة أيضاً [وكان الوليد قد عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان وولاهما أخاه مسلمة بن عبد الملك][٦] .

---

(١) قال الذهبي : ونقل ابن خلكان : أنه كان يعرف الكيمياء . . وهذا لم يصح . تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٧) .
(٢) في ط : فردا وقالا ، وما أثبت يوافق المصادر .
(٣) الأبيات في تاريخ دمشق (١٦/ ٣١٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٢٥) وتاريخ الإسلام (ص٥٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٢١) .
(٤) ترجمة ـ عبد الله بن الزَّبير ـ في طبقات خليفة (ت٢٥٩٣) والأغاني (١٣/ ٣٣) وتاريخ دمشق (٢٨/ ٢٥٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص١٠٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٣) والوافي بالوفيات (٧/ ١٨٠) وتهذيب تاريخ ابن عساكر (٧/ ٤٢٦) .
(٥) في تاريخ الإسلام : أبو كبير .
(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق الطبري (٦/ ٤٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥٢) .

وفيها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب ففتح مدناً كثيرة [ودخل في تلك البلاد وولج فيها حتى دخل أراضي غابرة قاصية فيها آثار قصور وبيوت ليس بها ساكن ، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد ما يلوح على سماتها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دارّة سائغة ، فبادوا جميعاً فلا مخبر بها][١] .

وفيها مهد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من المصالحة [وذلك بعد قتال شديد وحرب يشيب لها الوليد ، وذلك أن ملوكهم كانوا قد اتعدو في العام الماضي في أول الربيع أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة ، وأن لا يولوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم ، فاجتمعوا اجتماعاً هائلاً لم يجتمعوا مثله في موقف ، فكسرهم قتيبة] وقتل منهم أمماً كثيرة ، وكسر جيوشهم ، ورد الأمور إلى ما كانت عليه ، حتى ذكر أنه صلب منهم في بعض الأماكن من جملة من أخذه من الأسارى سماطين طولهما أربعة فراسخ من هاهنا وهاهنا ، عن يمينه وشماله ، صلب الرجل منهم بجنب الرجل ، وهذا شيء كثير ، وقتل في الكفار قتلاً ذريعاً ، ثم لا يزال يتتبع نيزك خان ملك الترك الأعظم من إقليم ، إلى إقليم ، ومن كورة إلى كورة ، ومن رستاق إلى رستاق ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبه حتى حصره في قلعة هنالك[٢] شهرين متتابعين ، حتى نفد ما عند نيزك خان من الأطعمة ، وأشرف هو ومن معه على الهلاك ، فبعث إليه قتيبة من جاء به مستأمناً [مذموماً مخذولاً] فسجنه عنده ثم كتب إلى الحجاج في أمره فجاء الكتاب بعد أربعين يوماً بقتله ، فجمع قتيبة الأمراء فاستشارهم فيه فاختلفوا عليه ، فقائل يقول : اقتله . وقائل يقول لا تقتله ، فقال له بعض الأمراء : إنك أعطيت الله عهداً لئن ظفرت به لتقتلنه ، وقد أمكنك الله منه ، فقال قتيبة : والله إن لم يبق من عمري إلا ما يسع ثلاث كلمات لقتلته ، ثم قال : اقتلوه اقتلوه اقتلوه ، فقتل هو وسبعمئة من أصحابه في غداة واحدة[٣] .

قال الواقدي وغيره[٤] : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فلما اقترب قدومه إلى المدينة أمر عمر بن عبد العزيز أشراف المدينة فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم ، ودخل المدينة النبوية فأخلي له المسجد النبوي ، فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرجه ، وإنما عليه ثياب لا تساوي خمسة دراهم ، فقالوا له : تنحَّ عن المسجد أيها الشيخ ، فإن أمير المؤمنين

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وفي الطبري (٦/ ٤٥٤) : وفيها غزا موسى بن نصير الأندلس ، ففتح على يديه أيضاً مدائن وحصون .

(٢) سماها الذهبي : بغلان ، قال ياقوت : بغلان ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ ، بلدة بنواحي بلخ ، وظني أنها من طخارستان وهي العليا والسفلى ، وهما من أنزه بلاد الله على ما قيل لكثرة الأنهار والتفاف الأشجار . معجم البلدان (١/ ٤٦٨) .

(٣) تفصيل خبر نيزك وقتله في الطبري (٦/ ٤٥٤ ـ ٤٥٨) وابن الأثير (٤/ ٥٤٩ ـ ٥٥٢) وفي ط زيادة مفادها سرد لملاحقة قتيبة لنيزك وفيها من التكرار ما لا فائدة منه ، وهي لا توافق أ ، ب واختصارها من المصادر فيه خلل كبير ؛ فأعرضنا صفحاً عنها .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٤٦٥) .

قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه يصلي هاهنا ويدعو هاهنا ، قال عمر بن عبد العزيز : وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه ، فحانت منه التفاتة فقال : من ؟ هذا أهو سعيد بن المسيّب ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك . فقال : قد علمت حاله ، وجعل يدور في المسجد ويتفرج في عمارته ويسألني عن سعيد بن المسيّب ، فقلت : إنه وإنه ، وقصدت موافقته في ذلك ، فشرع يثني عليه . فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر ـ وإنما قلت ذلك لأعتذر له ـ فقال : نحن أحق بالسعي إليه ، فجاء فوقف عليه فسلّم عليه فلم يقم له سعيد ، ثم قال الوليد : كيف الشيخ ؟ فقال : بخير والحمد لله ، كيف أمير المؤمنين ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لله وحده ، ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز : هذا بقيّة الناس . فقال : أجل يا أمير المؤمنين . قالوا : ثم خطب الوليد على منبر رسول الله ﷺ فجلس في الخطبة الأولى وانتصب قائماً في الثانية ، وقال : هكذا خطب عثمان ، ثم انصرف فصرف على الناس من أهل المدينة ذهباً كثيراً وفضة كثيرة ، ثم كسا المسجد النبوي بكسوة من كسوة الكعبة التي معه ، وهي من ديباج غليظ .

وتوفي في هذه السنة :

السائب بن يزيد(١) **بن سعيد بن ثمامة** ، وقد حج به أبوه مع رسول الله ﷺ وعمره سبع سنين ، رواه البخاري(٢) . فلهذا قال الواقدي : إنه ولد سنة ثلاث من الهجرة ، وتوفي سنة إحدى وتسعين . وقال غيره : سنة ست وقيل ثمان وثمانين ، فالله أعلم .

سهل بن سعد الساعدي(٣) ، صحابي مدني جليل ، توفي رسول الله ﷺ وله من العمر خمس عشرة سنة ، وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله في يده ، ليذلّهم كيلا يسمع الناس من رأيهم ، قال الواقدي : توفي سنة إحدى وتسعين عن مئة سنة ، وهو آخر من مات في المدينة من

---

(١) ترجمة ـ السائب بن يزيد ـ في تاريخ خليفة (٢٨٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٥٧ و٣٥٨) وأنساب الأشراف (٣/ ٧) ومواضع أخرى ، والاستيعاب (٢/ ٥٧٦) وتاريخ دمشق (٢٠/ ١٠٦) وتهذيبه (٦/ ٦٣) والكامل لابن الأثير (٤/ ٤٥٦) وأسد الغابة (٢/ ٢٥٧) وتهذيب الكمال (١٠/ ١٩٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦٣ ـ ٣٦٦) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٣٧) والوافي بالوفيات (١٥/ ١٠٤) والإصابة (٢/ ١٢) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٠) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٠) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٨٥٨) في جزاء الصيد .

(٣) ترجمة ـ سهل بن سعد الساعدي ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥٠ـ١٥١) وتاريخ خليفة (٣٠٣) وطبقاته (٩٨) وتاريخ البخاري (٤/ ٩٧ ـ ٩٨) والمعرفة والتاريخ (٣٣٨) والاستيعاب (٢/ ٩٥) وأسد الغابة (٢/ ٤٧٢) والكامل لابن الأثير (٢/ ٤٧٢) وتهذيب الكمال (١٢/ ١٨٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨٣ ـ ٣٨٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢٢ ـ ٤٢٤) والوافي بالوفيات (١٦/ ١١ ـ ١٢) وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) والإصابة (٢/ ٨٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٦١) .

الصحابة . قال محمد بن سعد : وليس في هذا خلاف ، وقد قال البخاري وغيره : توفي سنة ثمان وثمانين ، فالله أعلم[١] .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين

فيها غزا مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ففتحا حصوناً كثيرة وغنما شيئاً كثيراً وهربت منهم الروم إلى أقصى بلادهم[٢] .

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بلاد الأندلس في اثني عشر ألفاً ، فخرج إليه ملكها أدرينوق[٣] في جحافلة وعليه تاجه ومعه سرير ملكه ، فقاتله طارق فهزمه وغنم ما في معسكره [فكان من جملة ذلك السرير] وتملك بلاد الأندلس بكمالها [قال الذهبي[٤] : كان طارق بن زياد أمير طنجة وهي أقصى بلاد المغرب ، وكان نائباً لمولاه موسى بن نصير ، فكتب إليه صاحب الجزيرة الخضراء[٥] يستنجد به على عدوه ، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس من زقاق سبتة وانتهز الفرصة لكون الفرنج قد اقتتلوا فيما بينهم ، وأمعن طارق في بلاد الأندلس فافتتح قرطبة وقتل ملكها أدرينوق[٦] ، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح ، فحسده موسى على الانفراد بهذا الفتح ، وكتب إلى الوليد يبشره بالفتح وينسبه إلى نفسه ، وكتب إلى طارق يتوعده لكونه دخل بغير أمره ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، ثم سار إليه مسرعاً بجيوشه فدخل الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، فأقام سنين[٧] يفتح في بلاد الأندلس ويأخذ المدن والأموال[٨] ، ويقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال ، فغنم شيئاً لا يحد ولا يوصف ولا يعد ، من

---

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام (ص٣٨٤) : اتفقوا على أنه مات سنة إحدى وتسعين ، إلا ما ذكر أبو نعيم والبخاري أنه مات سنة ثمان وثمانين .

(٢) في الطبري (٦/ ٤٦٨) وابن الأثير (٤/ ٥٥٦) : وجلا أهل سوسنة إلى جوف أرض الروم .

(٣) كذا سماه الطبري (٦/ ٤٦٨) وفي ابن الأثير (٤/ ٥٦١) : الأذر يتوق ، وفي العيون والحدائق (ص٣) الأذريق . وقال : إنه لقب ملوك الأندلس ، كما هو لقب الأكاسرة ، وفي الإمامة والسياسة (٢/ ٧٣) : لذريق .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥٥) .

(٥) الجزيرة الخضراء : مدينة مشهورة بالأندلس ، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة ، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة ، وهي شرقي شذونة ، وقبلي قرطبة ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضاً ، وسورها يضرب به ماء البحر ، ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر ، لكنها متصلة ببر الأندلس لا حائل من الماء دونها . معجم البلدان (٢/ ١٣٦) .

(٦) في الكامل لابن الأثير (٤/ ٥٦٣) : أنه غرق في النهر .

(٧) في تاريخ الإسلام : سنتين .

(٨) إلى هنا ينتهي النقل من تاريخ الإسلام : وزاد الذهبي : ثم استخلف ـ أي موسى بن نصير ـ ولده عبد العزيز ، ورجع بأموال عظيمة ، وسار بتحف الغنائم إلى الوليد .

الجواهر واليواقيت والذهب والفضة ، ومن آنية الذهب والفضة والأثاث والخيول والبغال وغير ذلك شيئاً كثيراً ، وفتح من الأقاليم الكبار والمدن شيئاً كثيراً .

وكان مما فتح مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد من حصون بلاد الروم حصن سوسنة وبلغا إلى خليج القسطنطينية .

وفيها فتح قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف ، وامتنع عليه أهل فرياب فأحرقها ، وجهز أخاه عبد الرحمن إلى الصغد إلى طرخون خان ملك تلك البلاد ، فصالحه عبد الرحمن وأعطاه طرخون خان أموالاً كثيرة ، وقدم على أخيه وهو ببخارى فرجعوا[١] إلى مرو ، ولما صالح طرخون عبد الرحمن ورحل عنه اجتمعت الصغد وقالوا لطرخون : إنك قد بؤت بالذل ، وأديت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لنا فيك ، ثم عزلوه وولوا عليهم غورك خان[٢] ـ أخا طرخون خان ـ ثم إنهم عصوا ونقضوا العهد ، وكان من أمرهم ما سيأتي][٣] .

وفيها غزا قتيبة سجستان يريد رُتبيل ملك الترك الأعظم ، فلما انتهى إلى أول مملكة رتبيل تلقته رسله يريدون منه الصلح على أموال عظيمة ، خيول ورقيق ونساء من بنات الملوك ، يحمل ذلك إليه[٤] ، فصالحه .

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة .

وتوفي فيها من الأعيان :

مالك بن أوس بن الحدثان البصري[٥] ، أبو سعيد المدني ، مختلف في صحبته .

قال بعضهم[٦] : ركب الخيل في الجاهلية ورأى أبا بكر .

---

(١) في الأصل : فرجع والتصحيح من ابن الأثير .

(٢) في الطبري وابن الأثير : غوزك .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط : والخبر بأوسع مما هنا في الطبري (٦/ ٤٦١ ـ ٤٦٤) وابن الأثير (٤/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥٢ ـ ٢٥٣) ضمن أحداث سنة إحدى وتسعين .

(٤) من قوله : على أموال عظيمة . . . إلى هنا ساقط من ب ، والخبر في الطبري (٦/ ٤٦٨) وابن الأثير (٤/ ٥٦٨) وليس فيهما هذه الزيادة ؛ إنما قالا : تلقته رسل رتبيل بالصلح فقبل ذلك وانصرف ، واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عمير اللَّيثي .

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (ص٢٥٤) بعد ذكره الخبر : فصالحه . وما زاد على ذلك .

(٥) ترجمة ـ مالك بن أوس ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٥٦ ، ٥٧) وتاريخ خليفة (١٣٣) وطبقاته (٢٣٦) وتاريخ البخاري (٧/ ٣٠٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٩٧) والاستيعاب (٣/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣) وأسد الغابة (٤/ ٣٧٢) وتهذيب الكمال (٢٧/ ١٢١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٦٤ ـ ٤٦٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٧١ ـ ١٧٢) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٠ ـ ١١) والإصابة (٣/ ٣٣٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٢) .

(٦) ذكر الذهبي هذا القول عن الواقدي .

وقال محمد بن سعد : رأى رسول الله ﷺ ولم يحفظ منه شيئاً ، وأنكر ذلك ابن معين والبخاري وأبو حاتم ، وقالوا : لا تصح له صحبة ، والله أعلم .

مات في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، فالله أعلم .

طويس المغني(١) ، اسمه عيسى بن عبد الله ، أبو عبد المنعم المدني مولى بني مخزوم ، كان بارعاً في صناعته ، وكان طويلاً مضطرباً أحول العين ، وكان مشؤوماً ، لأنه ولد يوم مات رسول الله ﷺ ، وفطم يوم توفي الصديق ، واحتلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل الحسين بن علي ، وقيل ولد له يوم قتل علي . حكاه ابن خلِّكان وغيره .

وكانت وفاته في هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة بالسويداء(٢) ، وهي على مرحلتين من المدينة .

الأخطل(٣) ، كان شاعراً مطبقاً ، فاق أقرانه في الشعر .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصوناً كثيرة من بلاد الروم ، منها حصن الحديد وغزالة وماسة وغير ذلك .

وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سَمَسْطيَّة .

وفيها غزا مروان بن الوليد الروم حتى بلغ حنجرة(٤) .

وفيها كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعوه إلى الصلح وأن يعطيه من بلاده مدائن ، وأن يدفع إليه أموالاً ورقيقاً كثيراً على أن يقاتل أخاه(٥) ويسلمه إليه ، فإنه قد أفسد في الأرض وبغى على الناس وعسفهم ، وكان أخوه هذا لا يسمع بشيء حسن عند أحد إلا بعث إليه فأخذه منه ، سواء كان مالاً أو نساءً أو صبياناً أو

---

(١) ترجمة ـ طويس المغني ـ في الأغاني (٣/ ٢٧ ـ ٤٤) ووفيات الأعيان (٣/ ٥٠٦ـ٥٠٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٩٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٦٤) والوافي بالوفيات (١٦/ ٥٠١) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٢) .

(٢) في الأصل : السويد ؛ خطأ ، والسويداء : تصغير سوداء ، موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام (٣/ ٢٨٦) .

(٣) ترجمة ـ الأخطل ـ في طبقات الشعراء (١/ ٤٥١) وتاريخ دمشق (٤٨/ ١٠٤) وأنساب الأشراف (١/ ٧٠) ومواضع أخرى ، ووفيات الأعيان (١/ ٣٢١) ومواضع أخرى ، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٩٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٨٤) ولم يذكر الذهبي سنة وفاته .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٤٦٩) .

(٥) سماه الطبري : خرّزاد ، وكان أصغر من أخيه .

دواب أو غيره ، فأقبل قتيبة ـ نصره الله ـ في الجيوش فسلّم إليه خوارزم شاه ما صالحه عليه ، وبعث قتيبة إلى بلاد أخي خوارزم شاه جيشاً فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير من كبارهم ، فدفع أخاه إليه ، وأمر قتيبة بالأسارى فضربت أعناقهم بحضرته ، قتل ألفاً بين يديه وألفاً عن يمينه وألفاً عن شماله وألفاً من وراء ظهره ، ليرهب بذلك الأعداء من الترك وغيرهم .

فتح سمرقند

ولما فرغ من هذا كله وعزم على الرجوع إلى بلاده ، قال له بعض الأمراء(١) : إن أهل الصغد(٢) قد أمَّنوك عامك هذا ، فإن رأيت أن تعدل إليهم وهم لا يشعرون ، فإنك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريدها يوماً من الدهر فقال قتيبة لذلك الأمير : هل قلت هذا لأحد ؟ قال : لا ! قال فلأن يسمعه منك أحد أضرب عنقك . ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفاً فسبقه إلى سمرقند ، ولحقه قتيبة في بقية الجيش ، فلما سمعت الأتراك بقدومهم إليهم انتخبوا من بينهم كل شديد السَّطوة من أبناء الملوك والأمراء ، وأمروهم أن يسيروا إليهم في الليل فيكبسوا جيش المسلمين ، وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك فجرّد أخاه صالحاً في ستمئة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون ، وقال : خذوا عليهم الطريق ، فساروا فوقفوا لهم في أثناء الطريق وتفرّقوا ثلاث فرق ، فلما اجتازوا بهم باللّيل ـ وهم لا يشعرون بهم ـ ثاروا عليهم فاقتتلوا هم وإياهم ، فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا النفر اليسير واحتزوا رؤوسهم وغنموا ما كان معهم من الأسلحة المحلاّة بالذهب(٣) ، والأمتعة ، وقال لهم بعض أولئك : تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك أو بطل من الأبطال المعدودين بمئة فارس أو بألف فارس ، فنفَّلهم قتيبة جميع ما غنموه منهم من ذهب وسلاح ، واقترب قتيبة من المدينة العظيمة التي بالصغد ـ وهي سمرقند ـ فنصب عليها المجانيق ـ وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم ، وناصحه من معه عليها من أهل بخارى وخوارزم ، فقاتلوا أهل الصغد قتالاً شديداً ، فأرسل إليه غورك(٤) ملك الصغد : إنما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي ، فاخرج إليّ في العرب . فغضب عند ذلك قتيبة وميز العرب من العجم(٥) ، وقدّم الشجعان من العرب وأعطاهم جيّد السلاح ، وانتزعه من أيدي الجبناء ، وزحف بالأبطال على المدينة ورماها بالمجانيق ، فثلم فيها ثلمة فسدها الترك بغرائر الدُّخن ، وقام رجل منهم

---

(١) سماه الطبري (٦/ ٤٧٢) وابن الأثير (٤/ ٥٧١) : المجشّرى مزاحم السُّلَمي .

(٢) في ب : السغد وكذلك في الطبري ؛ ولا فرق .

(٣) في الطبري عن راوي الخبر : وسلبنا من جيد السلاح ، وكريم المتاع ، ومناطق الذَّهب ودوابَّ فرّهة .

(٤) في الطبري (٦/ ٤٧٤) : غوزك .

(٥) ليس في الطبري ـ والخبر منه ـ أن قتيبة ميز العرب من العجم ، إنما قال : ميز أهل البأس ، فجمعهم ثم جلس يعرضهم بنفسه . . فسمى قتيبة الجبناء الأنتان ، وأخذ خيلهم ، وجيّد سلاحهم فأعطاه الشجعان والمختصرين ، وترك لهم رثَّ السلاح ، ثم زحف بهم . .

فوقها فجعل يشتم قتيبة فرماه رجل من المسلمين بسهم فقلع عينه حتى خرجت من قفاه . فمات بعد ذلك فأعطى قتيبة الذي رماه عشرة آلاف ، ثم لما أصبحوا رماهم بالمجانيق فثلم أيضاً ثلمة وصعد المسلمون فوقها وتراموا هم وأهل البلد بالنشاب ، فقالت الترك لقتيبة : ارجع عنا يومك هذا ونحن نصالحك غداً ، فرجع عنهم وصالحوه من الغد على ألفي ألف ومئة ألف يحملونها إليه في كل عام ، وعلى أن يعطوه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق ، ليس فيهم صغير ولا شيخ ولا عيب ، وفي رواية مئة ألف من رقيق(١) ؛ وعلى أن يأخذ حلية الأصنام وما في بيوت النيران ، وعلى أن يخلوا المدينة من المقاتلة حتى يبني فيها قتيبة مسجداً ، ويوضع له فيه منبر يخطب عليه ، ويتغدى ويخرج . فأجابوه إلى ذلك ، فلما دخلها قتيبة دخلها ومعه أربعة آلاف من الأبطال وصلى في المسجد وخطب وتغدى وأُتي بالأصنام التي لهم فسلبت بين يديه ، وألقيت بعضها فوق بعض ، حتى صارت كالقصر العظيم ، ثم أمر بتحريقها [فتصارخوا وتباكوا] وقال المجوس : إن فيها أصناماً [قديمة] من أحرقها هلك ، وجاء الملك غورك فنهى عن ذلك ، وقال لقتيبة : إني لك ناصح فقال قتيبة : أنا أحرقها بيدي ، ثم أخذ في يده شعلة نار ، وقام إليها وهو يكبر الله عزَّ وجلَّ ، وألقى فيها النار فاحترقت ، فوجد من بقايا ما كان فيها من الذهب خمسون ألف مثقال من ذهب . وكان من جملة ما أصاب قتيبة في السبي جارية من ولد يزدجرد(٢) فأهداها إلى الحجاج ، فأهداها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد .

ثم استدعى قتيبة بأهل سمرقند فقال لهم : إني لا أريد منكم أكثر مما صالحتم عليه ، ولكن الجند يقيمون عندكم من جهتنا . فانتقل عنها ملكها غورك خان فتلا قتيبة ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ الآية [النجم : ٥٠ ـ ٥١] ثم ارتحل عنها قتيبة إلى بلاد مرو ، واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم ، وقال له : لا تدع مشركاً يدخل باب سمرقند إلا مختوم اليد ، ثم لا تدعه بها إلا مقدار ما تجف طينة ختمه ، فإن جفَّت وهو بها فاقتله ، ومن رأيت منهم ومعه حديدة أو سكِّينة فاقتله بها وإذا أغلقت الباب فوجدت بها أحداً فاقتله ، فقال في ذلك كعب الأشقري(٣) ـ ويقال هي لرجل من جعفى : ـ

كـل يـومٍ يحـوي قتيبـةُ نهبـاً ويـزيـدُ الأمـوالَ مـالاً جـديـدا
بـاهليّ قـد ألبسَ التـاجَ حتـى شـابَ منـهُ مفـارقٌ كُـنَّ سُـودا
دوّخَ الصُّغـدَ بـالكتـائـبِ حتـى تـركَ الصغـدَ بـالعـراءِ قُعُـودا
فـوليـدٌ يبكـي لفقـدِ أبيـهِ وأبٌ مـوجَـعٌ يُبَكّـي الـوليـدا
كلمـا حـلَّ بلـدةً أو أتـاهـا تـركـتْ خيلُـهُ بهـا أُخْـدودا(٤)

(١) في الطبري (٦/ ٤٧٥) : وأما الباهليون فيقولون : صالحه قتيبة على مئة ألف رأس .
(٢) زاد في الطبري (٦/ ٤٧٦) : فقال ـ أي قتيبة ـ أترون ابن هذه يكون هجيناً؟ فقالوا : نعم ، يكون هجيناً من قبل أبيه .
(٣) في أ وحدها : الأسدي ، ما هنا يوافق المصادر .
(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٠) وفي ابن الأثير (٤/ ٥٧٥) دون البيت الأخير ، وفي الفتوح لابن الأعثم =

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب مولاه طارقاً عن الأندلس ، وكان قد بعثه إلى مدينة طليطلة ففتحها فوجد فيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، وفيها من الذهب والجواهر شيء كثير جداً ، فبعثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فما وصلت إليه حتى مات وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك ، فقدم بها على سليمان على ما سيأتي بيانه في موضعه(١) [وكان فيها ما يبهر العقول ، لم ير منظر أحسن منها .

واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير .

وفيها بعث موسى بن نصير العساكر وبثها في بلاد المغرب ، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطليطلة(٢) ، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة باجة والمدينة البيضاء وغيرهما من المدن الكبار والأقاليم ، ومن القرى والرساتيق شيء كثير ، وكان لا يأتي مدينةً فيبرح عنها حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه ، وجهز البعوث والسرايا غرباً وشرقاً وشمالاً ، فجعلوا يفتتحون المغرب بلداً بلداً ، وإقليماً إقليماً ، ويغنمون الأموال ويسبون الذراري والنساء ، ورجع موسى بن نصير بغنائم وأموال وتحف لا تحصى ولا تعد كثرة](٣) .

وفيها قحط أهل إفريقية وأجدبوا جدباً شديداً ، فخرج بهم موسى بن نصير فاستسقى بهم ، فما زال يدعو حتى انتصف النهار ، فلما أراد أن ينزل عن المنبر قيل له : ألا تدعو لأمير المؤمنين ؟ قال : ليس هذا الموضع موضع ذاك ، فسقاهم الله مطراً غزيراً(٤) .

وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خُبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً بأمر الوليد له في ذلك ، وصب فوق رأسه قربة من ماءٍ بارد ، في يوم شتاءٍ بارد ، وأقامه على باب المسجد يومه ذلك فمات رحمه الله .

[وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن ، وكان إذا بُشِّر بشيء من أمر الآخرة يقول : وكيف وخبيب لي بالطريق ؟ وفي رواية يقول : هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق ، ثم

= (٧/ ٢٤٤) قال : وقال أبياتاً مطلعها :

ألا أيهـــاً قتيبـــة غيبـــة ... أبـى الله إلا أن يكـون مـؤيـدا

ولم يذكر غيره .

(١) وهذا أحد القولين اللذين ذكرهما ابن الأثير (٤/ ٥٦٦) .

(٢) في ط : وطنجة ؛ خطأ والتصحيح من الطبري (٦/ ٤٨١) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥٨) نقلاً عن تاريخ خليفة (٣٠٥) ، وهي من الأخبار التي أوردها ابن الأثير ضمن أحداث سنة اثنتين وتسعين .

(٤) مكانها في ط : فلما قال هذه المقالة أرسل الله عليهم الغيث فأمطروا مطراً غزيراً وحسن حالهم ، وأخصبت بلادهم ، والخبر في الطبري (٦/ ٤٨١) .

يصيح صياح المرأة الثَّكلى ، وكان إذا أثنى عليه يقول : خبيب وما خبيب إن نجوت منه فأنا بخير . وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيباً فمات فاستقال وركبه الحزن والخوف من حينئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك هفوة منه وزلَّة ، ولكن حصل له بسببها خير كثير ، من عبادة وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر وعتق وغير ذلك][1] .

وفيها افتتح محمد بن القاسم ـ وهو ابن عم الحجاج بن يوسف ـ مدينة الديبُل وغيرها من بلاد الهند وكان قد ولاه الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة ، فسار في الجيوش فلقوا الملك داهر ـ وهو ملك الهند ـ في جمع عظيم ومعه سبع وعشرون فيلاً منتخبة ، فاقتتلوا فهزمهم الله وهرب الملك داهر ، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جداً فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الملك داهر وغالب من معه ، وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه . ثم سار محمد بن القاسم فافتتح مدينة الكبرج وبرها ورجع بغنائم كثيرة وأموال لا تحصى كثرة ، من الجواهر والذهب وغير ذلك[2] . فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك ، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وبحرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله ، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً ، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه ، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين ، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه . فقتيبة بن مسلم يفتح في بلاد الترك ، يقتل ويسبي ويغنم ، حتى وصل إلى تخوم الصين ، وأرسل إلى ملكه يدعوه ، فخاف منه وأرسل له هدايا وتحفاً وأموالاً كثيرة هدية ، وبعث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده ، بحيث إن ملوك تلك النواحي كلها تؤدي إليه الخراج خوفاً منه . ولو عاش الحجاج لما أقلع عن بلاد الصين ، ولم يبق إلا أن يلتقي مع ملكها ، فلما مات الحجاج رجع الجيش كما مر . ثم إن قتيبة قُتل بعد ذلك ، قتله بعض المسلمين . ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر يفتحون في بلاد الروم ويجاهدون بعساكر الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية ، وبنى بها مسلمة جامعاً يعبد الله فيه ، وامتلأت قلوب الفرنج منهم رعباً . ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم . وموسى بن نصير يجاهد في بلاد المغرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرهم . وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الإسلام وتركوا عبادة الأوثان . وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في مبانيها ، بعد هذه الأقاليم الكبار ، مثل الشام ومصر والعراق واليمن وأوائل

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وأول الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٤٦) ترجمة خبيب بن عبد الله .

(٢) من قوله : وفيها افتتح محمد بن القاسم . . إلى هنا زيادة من ط ، والخبر مطابق لما في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٥٧ ـ ٢٥٨) أما الطبري وابن الأثير فذكر فتوح محمد بن القاسم سنة خمس وتسعين هجرية ، وما بعد الخبر زيادة من ط أيضاً ولا علاقة لها بأحداث سنة ثلاث وتسعين ؛ ولفائدتها آثرنا إبقائها .

بلاد الترك ، ودخلوا إلى ما وراء النهر وأوائل بلاد المغرب ، وأوائل بلاد الهند . فكان سوق الجهاد قائماً في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية وفي أثناء خلافة بني العباس مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشيد وأولاده ، في بلاد الروم والترك والهند . وقد فتح محمود سُبكتكين وولده في أيام ملكهم بلاداً كثيرة من بلاد الهند ، ولما دخل طائفة ممن هرب من بني أمية إلى بلاد المغرب وتملكوها أقاموا سوق الجهاد في الفرنج بها . ثم لما بطل الجهاد من هذه المواضع رجع العدو إليها فأخذ منها بلاداً كثيرة ، وضعف الإسلام فيها ، ثم لما استولت دولة الفاطميين على الديار المصرية والشامية ، وضعف الإسلام وقلّ ناصروه ، وجاء الفرنج فأخذوا غالب بلاد الشام حتى أخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية ، فأقام الله سبحانه بني أيوب مع نور الدين ، فاستلبوها من أيديهم وطردوهم عنه ، فلله الحمد والمنة ، وسيأتي ذلك كله في مواضعه إن شاء الله تعالى[١] .

وفيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن إمرة المدينة ، وكان سبب ذلك ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيم وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشمه ، فسمع بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد : إن عمر ضعيف عن إمرة المدينة ومكة ، وهذا وهن وضعف في الولاية[٢] ، فاجعل على الحرمين من يضبط أمرهما . فولِّ على المدينة عثمان بن حيان ، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري ، ففعل .

فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال فنزل السويداء ، وقدم عثمان بن حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة .

وحجَّ بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أنس بن مالك[٣] بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد بن حَرام بن جُندَب بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن

---

(١) إلى هنا تنتهي الزيادة من ط .

(٢) العبارة في ب : إن جماعة من أهل السن في العراق قد لجأوا إلى المدينة ومكة . وفي الطبري (٦/ ٤٨٢) : إن مَنْ قبلي من مُرّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجؤوا إلى المدينة ومكة ، وإن ذلك وهن . فكتب الوليد إلى الحجاج : أن أشر عليّ برجلين . .

(٣) ترجمة ـ أنس بن مالك ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٧ ـ ٢٦) وتاريخ خليفة (٩٩ و١٠٧ و١٢٣) وطبقاته (٩١و١٨٦) ومعرفة الرجال (١/ ١٦٧ ـ ١٦٨) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٠٦ ـ ٥٠٨) والاستيعاب (١/ ١٠٨) وتاريخ دمشق (٩/ ٣٣٢ ـ ٣٨٦) وتهذيبه (٣/ ١٤٢ ـ ١٥٣) ومختصره (٥/ ٦٤ ـ ٧٦) وأسد الغابة (١/ ١٢٧ ـ ١٢٩) ووفيات الأعيان (١/ ٢٥٠) وتهذيب الكمال (٣/ ٣٥٣ ـ ٣٧٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٨٨ ـ ٢٨٩) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٥ ـ ٤٠٦) والوافي بالوفيات (٩/ ٤١١ ـ ٤١٦) وتهذيب التهذيب (١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٩) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٥) .

النجار ، أبو حمزة . ويقال أبو ثمامة[١] الأنصاري النجاري ، خادم رسول الله ﷺ وصاحبه .

وأمه أم سليم[٢] مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري .

روى عن رسول الله ﷺ أحاديث جمّة ، وأخبر بعلوم مهمة ، وروى عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وابن مسعود ، وغيرهم .

وحدث عنه خلق من التابعين .

قال أنس : قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة[٣] .

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أبيه ، عن ثمامة قال : قيل لأنس : أشهدت بدراً ؟ فقال : وأين أغيب عن بدر لا أم لك ؟ قال الأنصاري : شهدها يخدم رسول الله ﷺ[٤] .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي[٥] : لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي .

قلت : الظاهر أنه إنما شهد ما بعد ذلك من المشاهد ، والله أعلم .

وقد ثبت أن أمه أتت به ـ وفي رواية عمه زوج أمه أبو طلحة ـ إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله هذا أنس خادم لبيب يخدمك ، فوهبته منه فقبله ، وسألته أن يدعو له فقال ؛ « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة »[٦] .

وثبت عنه أنه قال : كنَّاني رسول الله ﷺ ببقلة[٧] كنت أجْتنيها[٨] .

وقد استعمله أبو بكر ثم عمر على عمالة البحرين وشكراه في ذلك .

وثبت عنه أنه قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما ضربني ، ولا سبّني ، ولا عبس في وجهي ، ولا قال لي لشيء لم لا فعلت هكذا . وقيل : إن النبي ـ ﷺ ـ دعا له فقال : « اللهم كثّر ماله وولده ، وطوّل حياته » .

---

(١) في ب : عامر .

(٢) في أ ، ط : حرام ؛ وما أثبت عن ب ، وابن سعد (٧/ ١٧) وتهذيب الكمال (٣/ ٣٥٣) والإصابة (١/ ٧١) وفي تاريخ الإسلام للذهبي : وأمه أم سليم وخالته أم حرام .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١١٠) ومسلم (٢٠٢٩) (١٢٥) .

(٤) الخبر في تاريخ دمشق (٩/ ٣٦١) .

(٥) تهذيب الكمال (٣/ ٣٥٤) .

(٦) رواه عبد بن حميد في مسنده رقم (١٢٥٥) . وأخرجه البخاري (٦٣٣٤) و(٦٣٨٠)، ومسلم (٢٤٨٠) بلفظ: « بارك له فيما أعطيته » بدل « وأدخله الجنة » ، وسيعيده المصنف أيضاً .

(٧) في ط : بنخلة ، تحريف ، وما أثبت عن أ ، ب والمصادر .

(٨) في النهاية لابن الأثير : أي كناه حمزة . والخبر أخرجه الترمذي في جامعه رقم (٣٨٣٠) في المناقب ، وإسناده ضعيف .

وكان أنس رضي الله عنه كثير الصلاة والصيام والعبادة(١) .

وقد انتقل بعد النبي ﷺ فسكن البصرة ، وكان له بها أربع دور ، وقد ناله أذى من جهة الحجّاج ، وذلك في فتنة ابن الأشعث ، توهم الحجاج منه أنه له مداخلة في الأمر وأفتى فيه(٢) ، فختمه الحجاج في عنقه : هذا عتيق الحجاج ، وقد شكاه أنس كما قدّمنا إلى عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج يعنفه ، ففزع الحجاج من ذلك وصالح أنساً(٣) .

وقد وفد أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته ، قيل في سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبني المسجد الجامع بدمشق .

قال مكحول : رأيت أنساً يمشي في مسجد دمشق فقمت إليه فسألته عن الوضوء من الجنازة فقال : لا وضوء .

وقال الأوزاعي : حدثني إسماعيل بن عبيد الله(٤) بن أبي المهاجر قال : قدم أنس بن مالك على الوليد فقال له الوليد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنتم والساعة كهاتين »(٥) .

ورواه عبد الرزاق بن عمر(٦) عن إسماعيل قال : قدم أنس على الوليد في سنة ثنتين وتسعين فذكره .

وقال الزُّهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف مما كان رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة ، وقد صنعتم فيها ما صنعتم(٧) . وفي رواية وهذه الصلاة قد ضُيعت ـ يعني ما كان يفعله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع ـ كانوا يواظبون على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز أيام خلافته كما سيأتي .

وقال عبد بن حميد(٨) ، عن عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس . قال : جاءت بي أمي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام فقالت : يا رسول الله خويدمك أنيس فادع الله له . فقال ؛ « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . قال : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة .

---

(١) من قوله : وثبت عنه أنه قال . . . إلى هنا زيادة من أ وسيرد الخبر بكماله بعد قليل .

(٢) في ط : أنه له مداخلة في الأمر وأنه أفتى فيه .

(٣) الخبر ذكره الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٧٤) مختصراً ، وبطوله في تاريخ دمشق (٩/ ٣٧٢ ـ ٣٧٥) وتهذيبه (٣/ ١٥١ ـ ١٥٢) .

(٤) في الأصل : إسماعيل بن عبد الله ، والتصحيح من مسند أحمد .

(٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٣) . وهو حديث صحيح .

(٦) هو عبد الرزاق بن عمر الثقفي ، ضعيف (ميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٨) .

(٧) تاريخ دمشق (٩/ ٣٣٥) .

(٨) رواه عبد بن حميد في مسنده رقم (١٢٥٥) وإسناده حسن .

وفي رواية : قال أنس : فوالله إن مالي لكثير حتى نخلي وكرمي ليثمر في السنة مرتين ، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادّون على نحو المئة .

وفي رواية وإن ولدي لصلبي مئة وستة . ولهذا الحديث طرق كثيرة وألفاظ منتشرة جداً .

وفي رواية قال أنس : وأخبرتني بنتي آمنة أنه دفن لصلبي إلى حين مقدم الحجاج عشرون ومئة[١] . وقد تقصى ذلك بطرقه وأسانيده وأورد ألفاظه الحافظ ابن عساكر[٢] في ترجمة أنس ، وقد أوردنا طرفاً من ذلك في كتاب دلائل النبوة في أواخر السيرة ولله الحمد .

وقال ثابت لأنس : هل مسّت يدُكَ كفَّ رسول الله ﷺ . قال : نعم ! قال فأعطنيها أقبلها .

وقال محمد بن سعد[٣] ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن المثنى بن سعيد الذراع[٤] قال سمعت أنس بن مالك يقول : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي رسول الله ﷺ ثم يبكي .

وقال محمد بن سعد[٥] ، عن أبي نعيم عن يونس بن أبي إسحاق ، عن المنهال بن عمرو قال : كان أنس صاحب نعل رسول الله ﷺ وإداوته .

وقال أبو داود : حدّثنا الحكم بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس . قال : إني لأرجو أن ألقى رسول الله ﷺ فأقول : يا رسول الله خويدمك .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا يونس ، حدّثنا حرب بن ميمون ، عن النضر بن أنس ، عن أنس . قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة . قال : « أنا فاعل » قلت : فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله ؟ قال : « اطلبني أول ما تطلبني على الصراط » قلت ؛ فإذا لم ألقك ؟ قال : « فأنا عند الميزان » قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : « فأنا عند الحوض لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن يوم القيامة » . ورواه الترمذي[٧] وغيره من حديث حرب بن ميمون ، أبي الخطاب الأنصاري به وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال شعبة : عن ثابت قال : قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم ـ يعني أنس بن مالك[٨] ـ

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩١) .
(٢) تاريخ دمشق (٩/ ٣٤٦ ـ ٣٥٣) .
(٣) الطبقات الكبرى (٧/ ٢٢) .
(٤) في الطبقات : الذارع .
(٥) الطبقات الكبرى (١/ ٤٨٢) .
(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٧٨) .
(٧) جامع الترمذي (٢٤٣٣) ، وفي الباب عن عائشة عند أحمد (٦/ ١٠١) رقم (٢٤٦٩٦) فهو حديث حسن .
(٨) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠ ـ ٢١) .

وقال ابن سيرين : كان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر[١] .

وقال أنس : خذ مني فأنا أخذت من رسول الله ﷺ عن الله عزَّ وجلَّ ، ولست تجد أوثق مني[٢] .

وقال معتمر بن سليمان ، عن أبيه سمعت أنساً يقول : ما بقي أحد صلى إلى القبلتين غيري[٣] .

وقال محمد بن سعد[٤] : حدّثنا عفان ، حدّثني شيخ لنا يكنى أبا جناب سمعت الجريري[٥] يقول : أحرم أنس من ذات عرق فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله عزَّ وجلَّ حتى أحلّ ، فقال لي : يا بن أخي هكذا الإحرام .

وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن في بعض أبيات أزواج النبي ﷺ نتحدث فقال : مه ، فلما أقيمت الصلاة قال : إني لأخاف أن أكون قد أبطلت جمعتي بقولي لكم : مه[٦] . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا بشار بن موسى الخفّاف ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت قال : كنت مع أنس فجاءت قَهْرمانة[٧] فقالت : يا أبا حمزة عطشت أرضنا ، قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البريّة فصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السّحاب يلتئم ثم أمطرت حتى [خيل إلينا أنها] ملأت كل شيء ، فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال : انظر أين بلغت السماء ، فنظر فلم تعدُ أرضه إلا يسيراً[٨] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا معاذ بن معاذ ، حدّثنا ابن عون ، عن محمد ، قال : كان أنس إذا حدَّث عن رسول الله ﷺ حديثاً ففرغ منه قال : أو كما قال رسول الله ﷺ .

وقال الأنصاري[٩] : عن ابن عون عن محمد قال : بعث أمير من الأمراء إلى أنس شيئاً من الفيء فقال أخُمّس ؟ قال : لا ، فلم يقبله .

وقال النضر بن شداد ، عن أبيه : مرض أنس فقيل له ألا ندعو لك الطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضني[١٠] .

---

(١) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٢) .
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٦٣) .
(٣) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٤) .
(٤) الطبقات الكبرى (٧/ ٢٢) وتاريخ دمشق (٩/ ٣٦٦) وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ١٤٩) .
(٥) في ط الحريري ـ بالحاء المهملة ـ؛ تحريف، والجُريري وهو أبو العلاء حيَّان بن عمير، توضيح المشتبه (٢/ ٢٧٨).
(٦) الخبر في تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٥) .
(٧) القهرمان : فارسي معرب ، وهو الخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بإدارة أمور الرجل .
(٨) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) .
(٩) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٨) .
(١٠) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٨) .

وقال حنبل بن إسحاق : حدّثنا أبو عبد الله الرَّقاشي ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، حدّثنا علي بن زيد قال : كنت في القصر مع الحجّاج وهو يعرض الناس ليالي ابن الأشعث ، فجاء أنس بن مالك فقال الحجاج : هي يا خبيث ، جوّال في الفتن ، مرة مع علي ، ومرة مع ابن الزُّبير ، ومرة مع ابن الأشعث ، أما والذي نفس الحجّاج بيده لأستأصلنك كما تستأصل الصَّمْغة ، ولأجْردنك كما تجرَّد الضب . قال : يقول أنس : إياي يعني الأمير ؟ قال : إياك أعني ، أصمّ الله سمعك ، قال : فاسترجع أنس ، وشُغل الحجّاج فخرج أنس فتبعناه إلى الرَّحبة ، فقال : لولا أني ذكرت ولدي ـ وفي رواية : لولا أني ذكرت أولادي الصغار ـ وخفته عليهم بعدي لكلمته بكلام في مقامي هذا لا يستخفني بعده أبداً[١] .

وقد ذكر أبو بكر بن عيَّاش : أن أنساً بعث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول : والله لو أن اليهود والنصارى رأوا مَن خدم نبيهم لأكرموه ، وأنا قد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين .

وذكر أذية الحجاج له ، فلما قرأ عبد الملك كتابه حصل عنده أمر عظيم ، فكتب إليه يقول : ويلك لقد خشيت أن لا يصلح على يدك أحد . وذكر له كلاماً فيه غلظة ويقول فيه : إذا جاءك كتابي فقم إلى أنس واعتذر إليه . فلما جاء كتاب عبد الملك إلى الحجاج بالغلظة والشدة ، همّ أن ينهض إليه فأشار عليه إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، الذي قدم بالكتاب أن لا يذهب إلى أنس ، وأشار على أنس أن يبادر إلى الحجَّاج بالمصالحة [وكان إسماعيل صديق الحجاج] فجاء أنس فقام إليه الحجاج يتلقاه ، وقال : إنما مثلي ومثلك : إياكِ أعني واسمعي يا جارة . أردت أن لا يبقى لأحد عليّ منطق .

وقال ابن قتيبة[٢] : كتب عبد الملك إلى الحجاج ـ لما قال لأنس ما قال ـ : يا بن المُسْتَفْرمة بعجم الزبيب لقد هممت أن أركلك ركلة تهوي بها إلى نار جهنم ، قاتلك الله أخيفش العينين ، أفيتل الرِّجلين ، أسود العاجزين ـ ومعنى قوله المُسْتَفْرِمة عجم الزبيب ـ أي تضيق فرجها عند الجماع به ، ومعنى أركلك : أي : أرفسك برجلي ، وسيأتي بسط ذلك في ترجمة الحجاج في سنة خمس وتسعين .

وقال أحمد بن صالح العِجْلي[٣] : لم يبتل أحد من الصحابة إلا رجلين ، معيقيب كان به الجذام ، وأنس بن مالك كان به وَضح .

وقال الحميدي : عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي جعفر قال : رأيت أنساً يأكل فرأيته يلقم لقماً عظاماً ، ورأيت به وضحاً شديداً[٤] .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٤٧) رقم (٧٠٤) وفيه : لا يستعييني ، وهو تحريف ، والخبر أيضاً في تاريخ دمشق (٩/ ٣٧٢) وتهذيبه (٣/ ١٥١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩٤) .

(٢) المعارف لابن قتيبة (ص٣٩٦) والخبر في الأخبار الطوال (٣٢٤) .

(٣) تاريخ الثقات للعجلي (١٦١٣) والخبر في تاريخ دمشق (٩/ ٣٧٥) وتهذيبه (٣/ ١٥٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩٥) .

وقال أبو يعلى[١] : حدّثنا عبيد[٢] الله بن معاذ العَنْبري ، حدّثنا أبي ، حدّثنا عمران عن[٣] أيوب قال : ضعف أنس عن الصوم فصنع جفنة من ثريد ودعا بثلاثين مسكيناً فأطعمهم . وذكره البخاري تعليقاً[٤] .

وقال شعبة : عن موسى السُّنْبُلاني قلت لأنس : أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : قد بقي قوم من الأعراب ، فأما من أصحابه فأنا آخر من بقي[٥] .

وقيل له في مرضه : ألا ندعو لك طبيباً ؟ فقال : الطبيب أمرضني ، وجعل يقول : لقِّنوني لا إله إلا الله وهو محتضر ، فلم يزل يقولها حتى قبض . وكانت عنده عُصيَّة من رسول الله ﷺ فأمر بها فدفنت معه[٦] .

وقال عمر بن شبّة وغير واحد : مات وله مئة وسبع سنين[٧] .

وقال الإمام أحمد في « مسنده » : حدّثنا معتمر بن سليمان ، عن حميد : أن أنساً عمّر مئة سنة غير سنة .

قال الواقدي[٨] : وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ، وكذا قال علي بن المديني والفلاس وغير واحد . وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقيل سنة تسعين ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، وقيل ثلاث وتسعين ، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور ، والله أعلم .

[وقال الإمام أحمد : حدّثني أبو نعيم قال : توفي أنس بن مالك وجابر بن زيد في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين] .

وقال قتادة : لما مات أنس قال مورِّق العجلي : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له وكيف ذاك يا أبا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا في الحديث عن رسول الله ﷺ قلنا لهم : تعالوا إلى من سمعه منه[٩] .

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ٢٠٤) رقم (٤١٩٤) والخبر في معجم الطبراني (١/ ٢٤٤) رقم (٦٧٥) وتاريخ دمشق (٩/ ٣٧٧) وطبقات ابن سعد (٧/ ٢٥) وإسناده منقطع .

(٢) في ط : عبد ؛ تحريف ، والتصويب من المصادر .

(٣) في ط : معاذ بن يزيد عن أيوب ؛ خطأ ، والتصويب من ب والمصادر .

(٤) ذكره البخاري معلقاً (٨/ ١٧٩) في التفسير .

(٥) تاريخ دمشق (٩/ ٣٧٩) .

(٦) تاريخ دمشق (٩/ ٣٦٨ و٣٧٨) .

(٧) قال الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٩٦) عن الأنصاري : اختلف علينا مشايخنا في سن أنس رضي الله عنه ، فقال بعضهم : بلغ مئة وثلاث سنين ، وقال بعضهم : بلغ مئة وسبع سنين .

(٨) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٦) وتاريخ دمشق (٩/ ٣٨١) .

(٩) تاريخ دمشق (٩/ ٣٨٦) .

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة[١] بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، الشاعر المشهور ، يقال إنه ولد يوم توفي عمر بن الخطاب ، وختن يوم مقتل عثمان ، وتزوج يوم مقتل علي ، فالله أعلم ، وكان مشهوراً بالتغزل المليح البليغ ، كان يتغزل في امرأة يقال لها الثريا[٢] بنت علي بن عبد الله الأموية ، وقد تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري ، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة :

أيها المُنكحُ الثريّا سُهَيْلاً ... عَمْركَ اللهَ كيفَ يلتقيانِ
هي شاميةٌ[٣] إذا ما استقلَّت ... وسُهيلٌ إذا استقلَّ يمانِ

ومن مستجاد شعره ما أورده ابن خَلكان[٤] :

حيّ طيْفاً من الأحبةِ زارا ... بعدما برَّحَ[٥] الكرى السُّمَّارا[٦]
طارقاً في المنام بعدَ دجى اللّيـ ... ـلِ خفيا[٧] بأن يزورَ نهارا
قلتُ : ما بالُنا جُفينا وكنّا ... قبلَ ذاكَ الأسماعَ والأبصارا
قال : إنا كما عهدتَ ولكنْ ... شغلَ الحلي أهلُه أنْ يُعارا

بلال بن أبي الدرداء[٨] ، ولي إمرة دمشق ثم ولي القضاء بها ، ثم عزله عبد الملك بأبي إدريس الخولاني . كان بلال حسن السيرة ، كثير العبادة ، والظاهر أن هذا القبر الذي بباب الصغير الذي يقال له قبر بلال ، إنما هو قبر بلال بن أبي الدرداء ، لا قبر بلال بن حمامة مؤذن رسول الله ﷺ ، فإن بلالاً المؤذن دفن بداريّا ، والله أعلم .

---

(١) ترجمة ـ عمر بن أبي ربيعة ـ في الشعر والشعراء (٤٥٧) والأغاني (١/ ٣٠) وتاريخ دمشق (٤٥/ ٨٨) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٣٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٩) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٤٧) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٥) .

(٢) في الوفيات (٣/ ٤٣٦) : قال السهيلي في « الروض الأنف » : هي الثريا ابنة عبد الله ، ولم يذكر علياً ، ثم قال : وقُتيلة ابنة النضر جدَّتها ، لأنها كانت تحت الحارث بن أمية ، وعبد الله ولدها وهو والد الثريا .

(٣) في الأغاني (١/ ١٢٢) : ويروى : هي غورية : نسبة إلى غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق .

(٤) الوفيات (٣/ ٤٣٩) .

(٥) في الوفيات : صَرّع .

(٦) في أ وحدها : السَّهارى . وما أثبت كالوفيات .

(٧) في ب والوفيات : ضنيناً .

(٨) ترجمة ـ بلال بن أبي الدرداء ـ في طبقات خليفة (٣٠٩) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٢٨) وتاريخ دمشق (١٠/ ٥٢٣) وتهذيبه (٣/ ٣٢٥) وتهذيب الكمال (٤/ ٢٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٠٤ـ٣٠٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٥) والوافي بالوفيات (١٠/ ٢٨٠) وتهذيب التهذيب (١/ ٥٠٢) وشذرات الذهب (١/ ١٠١) .

بسر بن سعيد(١) ، **المزني**(٢) السيد العابد الفقيه ، كان من العباد المنقطعين ، الزهاد المعروفين ، توفي بالمدينة .

زرارة بن أوفى(٣) **بن حاجب العامري** ، قاضي البصرة ، كان من كبار علماء أهل البصرة وصلحائها ، له روايات كثيرة ، قرأ مرة في صلاة الصبح سورة المدثر فلما بلغ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ [الآية : ٨] خرّ ميتاً(٤) . توفي بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة .

خبيب بن عبد الله(٥) **بن الزُّبير** ، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له في ذلك فمات ، ثم عزل عمر بعده بأيام قليلة ، فكان يتأسف على ضربه له ويبكي . مات بالمدينة .

حفص بن عاصم(٦) **بن عمر بن الخطاب المدني** ، له روايات كثيرة ، وكان من الصالحين . توفي بالمدينة .

سعيد بن عبد الرحمن(٧) **بن عتاب بن أسيد الأموي** ، أحد الأشراف بالبصرة ، كان جواداً ممدحاً ، وهو أحد الموصوفين بالكرم ، قيل إنه أعطى بعض الشعراء ثلاثين(٨) .

---

(١) ترجمة ـ بسر بن سعيد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) وتاريخ خليفة (٣٢١) وطبقاته (٢٥٥) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٢٢) وتهذيب الكمال (٤/ ٧٢ ـ ٧٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٠٢ ـ ٣٠٣) وقال الذهبي : توفي سنة مئة . وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٤) وتهذيب التهذيب (١/ ٤٣٧) .

(٢) في تاريخ الإسلام : المدني .

(٣) ترجمة ـ زرارة بن أوفى ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٠) وتاريخ خليفة (٢٢٧) وطبقاته (١٩٧) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢١٧) ومواضع أخرى ، وحلية الأولياء (٢/ ٢٥٨) وتهذيب الكمال (٩/ ٣٣٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٥٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٦) والوافي بالوفيات (١٤/ ١٩٢) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٢٢) وشذرات الذهب (١/ ١٠٢) .

(٤) رواه الترمذي رقم (٤٤٥) وإسناده حسن .

(٥) ترجمة ـ خبيب بن عبد الله ـ في تاريخ خليفة (٣٠٦) وطبقاته (٢٤٢) والتاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٠٨) وأنساب الأشراف (١/ ٣١١ و٤/ ٢٤) وتهذيب الكمال (٨/ ٢٢٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٤٥ ـ ٣٤٧) والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٩١) وتهذيب التهذيب (٣/ ١٣٥) .

(٦) ترجمة ـ حفص بن عاصم ـ في طبقات ابن سعد(٧/ ١١٧) وطبقات خليفة (٢٤٦) وتاريخ البخاري (٢/ ٣٥٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٤٩) وتهذيب الكمال (٦/ ١٧ ـ ١٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٣٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٩٦ ـ ١٩٧) والوافي بالوفيات (١٣/ ٩٧) وتهذيب التهذيب (٢/ ٤٠٢) .

(٧) ترجمة ـ سعيد بن عبد الرحمن ـ في نسب قريش (١٩٣) وتاريخ دمشق (٢١/ ١٨١) وتهذيبه (٦/ ١٥٢ ـ ١٥٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٠) .

(٨) في تاريخ الإسلام : عن مصعب الزبيري : زعموا أنه أعطى شاعراً ثلاثة آلاف دينار .

فروة بن مجاهد[١] ، قيل إنه كان من الأبدال[٢] ، أُسر مرّة وهو في غزوة هو وجماعة معه فأتوا بهم الملك فأمر بتقييدهم وحبسهم في المكان والاحتراز عليهم إلى أن يصبح فيرى فيهم رأيه ، فقال لهم فروة : هل لكم في المضي إلى بلادنا ؟ فقالوا : وما ترى ما نحن فيه من الضيق ؟ فلمس قيودهم بيده فزالت عنهم ، ثم أتى باب السجن فلمسه بيده فانفتح ، فخرجوا منه ومضوا ، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد .

أبو الشعثاء جابر بن زيد[٣] ، كان لا يماكس في ثلاث ، في الكرى إلى مكة ، وفي الرقبة يشتريها لتعتق ، وفي الأضحية . وقال : لا تماكس في شيء يُتقرب به إلى الله .

وقال ابن سيرين : كان أبو الشعثاء مُسلِّماً عند الدينار والدرهم[٤] ، قلت ؛ كما قيل :

إنـي رأيـتُ فـلا تظنـوا غيـرهُ　　أنّ التـورع عنـدَ هـذا الـدرهـمِ
فـإذا قـدرتَ عليـه ثـم تـركتـهُ　　فـاعلـمْ بـأن تقـاكَ تقـوى المسلـمِ

وقال أبو الشعثاء : لأن أتصدق بدرهم على يتيم ومسكين أحب إليّ من حجة بعد حجة الإسلام .

كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم ، كان يفتي في البصرة ، وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله إذا سأله أهل البصرة عن مسأله يقول : كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء[٥] ؟ .

وقال له جابر بن عبد الله : يا بن زيد إنك من فقهاء البصرة وإنك ستستفتى فلا تفتين إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت .

وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً أعلم بفتيا من جابر بن زيد[٦] .

وقال إياس بن معاوية : أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عُمان .

وقال قتادة لما دفن جابر بن زيد : اليوم دفن أعلم أهل الأرض .

وقال سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال أبو الشعثاء : كتب الحكم بن أيوب نفراً للقضاء

---

(١) ترجمة ـ فروة بن مجاهد ـ في تاريخ البخاري (٧/ ١٢٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٥٢) وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) .
(٢) من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ٨٢) .
(٣) ترجمة ـ أبي الشعثاء ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٩) وتاريخ خليفة (٣٠٦) وطبقاته (٢١٠) وتاريخ البخاري (٢/ ٢٠٤) والمعرفة والتاريخ (٢/ ١٢) وحلية الأولياء (٣/ ١٠١ ـ ١٠٨) وتهذيب الكمال (٤/ ٤٣٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٢٤ـ٥٢٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨١ ـ ٤٨٣) وتهذيب التهذيب (٢/ ٣٨ ـ ٣٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٦٤) .
(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٨١) .
(٥) في تاريخ الإسلام : عن ابن عباس .
(٦) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٣) وحلية الأولياء (٣/ ٨٦) وتاريخ الإسلام (ص٥٢٤) .

أنا أحدهم ـ أي : عمرو ـ فلو أني ابتليت بشيء منه لركبت راحلتي وهربت من الأرض[١] .

وقال أبو الشعثاء : نظرت في أعمال البر فإذا الصلاة تجهد البدن ولا تجهد المال ، والصيام مثل ذلك ، والحج يجهد المال والبدن ، فرأيت أن الحج أفضل من ذلك .

وأخذ مرة قبضة تراب من حائط ، فلما أصبح رماها في الحائط ، وكان الحائط لقوم قالوا : لو كان كلما مر به أخذ منه قبضة لم يبق منه شيء .

وقال أبو الشعثاء : إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد فقف على الباب وقل : اللهم اجعلني اليوم أوجه من توجه إليك ، وأقرب من تقرب إليك ، وأنجح من دعاك ورغب إليك .

وقال سيار : حدّثنا حماد بن زيد ، حدّثنا الحجاج بن أبي عيينة . قال : كان جابر بن زيد يأتينا في مصلّانا ، قال : فأتانا ذات يوم وعليه نعلان خلقان ، فقال : مضى من عمري ستون سنة نعلاي هاتان أحب إليّ مما مضى منه إلا أن يكون خير قدّمته[٢] .

وقال صالح الدَّهان : كان جابر بن زيد إذا وقع في يده ستوق كسره ورمى به لئلا يغر به مسلم . الستوق الدرهم المغاير أو الدغل ، وقيل : هو المغشوش .

وروى الإمام أحمد : حدّثنا أبو عبد الصمد العَمِّي ، حدّثنا مالك بن دينار قال : دخل عليّ جابر بن زيد وأنا أكتب المصحف فقلت له : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء ؟ قال : نِعْم الصنعة صنعتك ، تنقل كتاب الله ورقة إلى ورقة ، وآية إلى آية ، وكلمة إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به[٣] .

وقال مالك بن دينار : سألته عن قوله تعالى : ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء : ٧٥] قال ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة[٤] ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧٥] .

وقال سفيان : حدّثني أبو عمير الحارث بن عُمير قال : قالوا لجابر بن زيد عند الموت : ما تشتهي وما تريد ؟ قال : نظرة إلى الحسن . وفي رواية عن ثابت قال : لما ثقل على جابر بن زيد قيل له : ما تشتهي ؟ قال نظرة إلى الحسن . قال ثابت : فأتيت الحسن فأخبرته فركب إليه ، فلما دخل عليه قال لأهله : أقعدوني ، فجلس فما زال يقول : أعوذ بالله من النار وسوء الحساب[٥] .

وقال حماد بن زيد : حدّثنا حجاج بن أبي عيينة قال : سمعت هنداً بنت المهلّب بن أبي صفرة ـ وكانت من أحسن النساء ـ وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا : إنه كان إباضياً ، فقالت : كان جابر بن

(١) جملة هذه الأخبار في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٢٥) .
(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ١٨٠) .
(٣) الخبر في حلية الأولياء (٣/ ١٠٤) .
(٤) حلية الأولياء (٣/ ١٠٥) .
(٥) الخبر في الطبقات (٧/ ١٨٢) بأسانيد مختلفة ، وحلية الأولياء (٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦) بالسند نفسه .

زيد أشد الناس انقطاعاً إليّ وإلى أمي ، فما أعلم عنه شيئاً ، وكان لا يعلم شيئاً يقرّبني إلى الله عزَّ وجلَّ إلا أمرني به ، ولا شيئاً يباعدني عن الله إلا نهاني عنه ، وما دعاني إلى الإباضية قط ولا أمرني بها ، وكان ليأمرني أين أضع الخمار ـ ووضعت يدها على الجبهة(١) . أسند عن جماعة من الصحابة ، ومعظم روايته عن ابن عمر وابن عباس(٢) .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ، فقيل إنه فتح أنطاكية(٣) ، وغزا أخوه عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة(٤) ، وبلغ الوليد بن هشام المعيطي أرض برج الحمام ، وبلغ يزيد بن أبي كبشة أرض سورية . وفيها كانت الرجفة بالشام(٥) .

[وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سَنْدَرة من أرض الروم .

وفيها فتح الله على الإسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك ، على يدي أولاده وأقربائه وأمرائه حتى عاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه](٦) .

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند(٧) وغنم أموالاً لا تعد ولا توصف ، وقد ورد في غزو الهند حديث رواه الحافظ ابن عساكر وغيره .

---

(١) أورد ابن سعد في طبقاته (٧/ ١٨١) خبرين ينفيان عن جابر كونه إباضياً ، والإباضية هم أتباع عبد الله بن إباض ، أحد بني مرة بن عبيدة من بني تميم ، وهم فرقة من الخوارج قالت بإمامته ، ثم افترقت هذه الجماعة فيما بينها فرقاً يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة برآء من الشرك والإيمان وإنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار ، وهم أربع فرق : الحفصية ، والحارثية ، واليزيدية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها .
الفرق بين الفرق (ص٧٠) وللتوسع أكثر انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٤ ـ ١٣٧) . والخبر في حلية الأولياء (٣/ ١٠٦) .

(٢) من أول ترجمة بلال بن أبي الدرداء . . إلى هنا ساقط من أ ، ب .

(٣) الخبر في الطبري (٦/ ٤٨٣) وابن الأثير (٤/ ٥٧٨) وتاريخ خليفة (٣٠٦) ورجح محقق تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦١) كونها أنطالية ـ باللام ـ حيث إن الأخيرة على الساحل ، وأنطاكية قد فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) قال ابن الأثير في الكامل (٤/ ٥٧٨) : غزالة من ناحية ملطية .

(٥) الخبر في الطبري (٦/ ٤٨٣) .

(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٢٦١) ،

(٧) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٣) وابن الأثير (٤/ ٥٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٠) وقد أخطأ الطبري إذ قلب الاسم ، والصحيح أنه محمد بن القاسم الثقفي ، وتبع الطبري من أرّخ بعده والله أعلم . ومحمد بن القاسم هو الذي أمّره الحجاج وعمره سبع عشرة سنة .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش وفرغانة حتى بلغ خُجَندة وكاشان مدينتي فرغانة ، وذلك بعد فراغه من الصغد وفتح سمرقند [ثم خاض تلك البلاد يفتح فيها حتى وصل إلى كابل فحاصرها وافتتحها][١] وقد لقيه المشركون في جموع هائلة من الترك فقاتلهم قتيبة عند خُجَنْدة فكسرهم مراراً [وظفر بهم ، وأخذ البلاد منهم ، وقتل منهم خلقاً وأسر آخرين ، وغنم أموالاً كثيرة جداً][٢] .

قال ابن جرير[٣] : وقد قال سَحْبان وائل يذكر قتالهم بخُجَنْدة [التي هي قريبة من بلاد الصين أبياتاً في ذلك] :

فسلِ الفوارسَ في خجنـ ـدةَ تحتَ مُرهَفَةِ[٤] العوالي
هلْ كنتُ أجمعُهم[٥] إذا هُزموا وأُقدِمُ في قتالي
أمْ كنتُ أضربُ هامةَ الـ ـعاني[٦] وأصْبُر للنّزال[٧]
هذا وأنتَ قريعُ قيـ ـسٍ كُلِّها ضَخْمُ النَّوال
وفضلتَ قيساً في النَّدى وأبوكَ في الحِجَج الخَوالي
تمّتْ مروءتُكمْ ونا غى عزَّكمْ غُلْبَ الجبالِ
ولقد تبيَّنَ عدل[٨] حُكـ ـمك فيهمُ في كلِّ مالِ

هكذا ذكر ابن جرير هذا من شعر سحبان وائل في هذه الغزوة . وقد ذكرنا ما أورده ابن الجوزي في « منتظمه »[٩] أن سَحْبان وائل مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد الخمسين ، فالله أعلم .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ خليفة (٣٠٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٠) ولم يذكر الطبري ولا ابن الأثير فتح كابل في هذه السنة .
(٢) مكانها في أ ، ب : كل ذلك يكون الظفر له .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٤) والأبيات أيضاً في ابن الأثير (٤/ ٥٨١) .
(٤) في أ وحدها : مرهفات .
(٥) في أ : أحميهم ، وهي نسخة في الطبري .
(٦) في ط : العاتي ، وهي نسخة في الطبري .
(٧) في الطبري وابن الأثير : للعوالي .
(٨) ساقطة من ط .
(٩) المنتظم لابن الجوزي (٥/ ٢٨٣) .

مقتل سعيد بن جبير[١] رحمه الله

قال ابن جرير[٢] : وفي هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير ، وكان سبب ذلك أن الحجّاج كان قد جعله على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رُتبيل ملك الترك ، فلما خلعه ابن الأشعث خلعه معه سعيد بن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى أصبهان ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع بذلك سعيد هرب منها ، ثم كان يعتمر في كل سنة ويحج ، ثم إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله القَسْري ، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها ، فقال سعيد : والله لقد استحييت من الله مما أفر ولا مفر من قدره ؟ وتولى على المدينة عثمان بن حيَّان بدل عمر بن عبد العزيز ، فجعل يبعث مَنْ بالمدينة من أهل[٣] العراق إلى الحجاج في القيود ، فتعلّم منه خالد بن عبد الله القسري فعين من عنده من مكة سعيد بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وعمرو بن دينار ، وطلق بن حبيب .

ويقال : إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواماً من أهل الشقاق ، فبعث خالد بهؤلاء إليه ثم عفا عن عطاء وعمرو بن دينار لأنهما من أهل مكة وبعث بأولئك الثلاثة ، فأما طلق بن حبيب فمات في الطريق قبل أن يصل ، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج ، وأما سعيد بن جبير فلما أوقف بين يديه قال له : يا سعيد ألم أشركك في أمانتي ! ألم أستعملك ؟ ألم أفعل ألم أفعل ؟ كل ذلك يقول : نعم ، حتى ظن من عنده أنه سيخلي سبيله ، حتى قال له : فما حملك على الخروج عليَّ وخلعت بيعة أمير المؤمنين ؟ فقال سعيد : إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك وعزم عليّ ، فغضب عند ذلك الحَجّاج غضباً شديداً ، وانتفخ حتى سقط طرف ردائه عن منكبه ، وقال له : ويحك ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية ؟ قال : بلى ! قال فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك ؟ يا حرسي اضرب عنقه . قال : فضربت عنقه فبدر رأسه عليه لاطئة صغيرة بيضاء .

وقال الواقدي : لما أُوقف سعيد بن جبير قدَّام الحجاج قال : يا شقي بن كسير أما قدمت الكوفة

---

(١) ترجمة ـ سعيد بن جبير ـ في الطبقات لابن سعد (٦/ ٢٥٦ ـ ٢٦٧) وتاريخ خليفة (٣٠٧) وطبقاته (٢٨٠) وتاريخ البخاري (٣/ ٤٦١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٧١٢ ـ ٧١٣) وحلية الأولياء (٤/ ٢٧٢ ـ ٣٠٩) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٤) وتهذيب الكمال (١٠/ ٣٥٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦٦ ـ ٣٧٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٤٣) والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨) وتهذيب التهذيب (٤/ ١١ ـ ١٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٨) .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٧) وقد ذكره الذهبي ضمن وفيات سنة خمس وتسعين .

(٣) مكانها في ط : من أصحاب ابن الأشعث .

فجعلتك إماماً ؟ قال : بلى . قال : أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة أنه لا يصلح للقضاء إلا عربي ، فجعلت أبا بردة وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك ؟ قال : بلى . قال : أما أعطيتك مئة ألف تفرقها على أهل الحاجة ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك عليَّ ؟ قال : بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث . فغضب الحجاج وقال : أما كانت بيعة أمير المؤمنين في عنقك من قبل ؟ ثم قال : أكفرت إذ خرجت عليَّ ؟ فقال : ما كفرت منذ آمنت . فقال : اختر أي قتلة أقتلك . فقال : اختر أنت ، فإن القصاص أمامك . فقال الحجاج : يا حرسي اضرب عنقه ، وذلك في رمضان سنة خمس وتسعين بواسط ، وقبره ظاهر يزار .

ولما قتله خرج منه دم كثير حتى راع الحجاج ، فدعا طبيباً فسأله عن ذلك فقال : إنك قتلته ونفسه معه وقلبه حاضر .

وقيل : إن الحجاج رؤي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل رجل قتلته قتلة ، وقتلني بسعيد بن جبير اثنين وسبعين قتلة ، والله أعلم[١] .

قال ابن جرير[٢] : فحُدِّثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل قال : سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال : لما قتل الحجاج سعيد بن جبير فَنَدَر رأسه هلَّل ثلاثاً ، مرة يفصح بها ، وفي الثِّنتين يقول مثل ذلك لا يفصح بها .

وذكر أبو بكرة الباهلي[٣] قال : سمعت أنس بن أبي شيخ يقول : لما أُتي الحجاج بسعيد بن جبير قال : لعن الله ابن النصرانية ـ يعني خالد القسري ، وكان هو الذي أرسل به من مكة ـ أما كنت أعرف مكانه ؟ بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ما أخرجك عليّ ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، أنا امرؤ من المسلمين يخطىء مرة ويصيب أخرى ، فطابت نفس الحجاج وانطلق[٤] وجهه ، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره ، ثم عاوده في شيء فقال سعيد ؛ إنما كانت بيعة في عنقي ؛ فغضب عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله .

وذكر عتاب بن بشر[٥] ، عن سالم الأفطس قال : أُتي الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجليه في الغرز ، فقال : والله لا أركب حتى تتبوأ مقعدك من النار ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه . قال : والتبس الحجاج في عقله مكانه ، فجعل يقول : قيودُنا قيودُنا ، فظنوا أنه يريد القيود التي على سعيد ، فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود .

---

(١) من قوله : وقال الواقدي . . إلى هنا زيادة من أ ، والخبر بنصه في وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦٧ ـ ٣٦٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٨) والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٠٧) .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٩) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) في الطبري (٦/ ٤٨٩) : وتطلّق .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٤٩٠) .

وقال محمد بن حاتم[١] : ثنا عبد الملك بن عبد الله [عن هلال] بن خَبَّاب ، قال : جيء بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : أكتبت إلى مصعب بن الزبير ؟ فقال : بلى كَتَبَ إليَّ مصعب ، قال : لا والله لأقتلنك قال : إني إذاً لسعيد كما سمتني أمي . قال فقتله ، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً ، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : يا عدو الله فيما قتلتني ؟ فيقول الحجاج : ما لي ولسعيد بن جُبير ، ما لي ولسعيد بن جُبير ؟ .

قال ابن خلكان[٢] : كان سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والبة[٣] كوفياً أحد الأعلام من التابعين ، وكان أسود اللَّون ، وكان لا يكتب على الفتيا ، فلما عمي ابن عباس كتب ، فغضب ابن عباس من ذلك ، وذكر مقتله كنحو ما تقدم ، وذكر أنه كان في شعبان ، وأن الحجاج مات بعده في رمضان ، وقيل قبل بستة أشهر .

وذكر عن الإمام أحمد[٤] أنه قال : قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج ـ أو قال مفتقر ـ إلى علمه .

ويقال إن الحجاج لم يُسلَّط بعده على أحد ، وسيأتي في ترجمة الحجاج أيضاً شيء من هذا .

قال ابن جرير[٥] : وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء ، لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين [زين العابدين] ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيّب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام [وسعيد بن جبير من أهل مكة][٦] .

وقد ذكرنا تراجم هؤلاء في كتابنا « التكميل »[٧] ، وسنذكر طرفاً صالحاً هاهنا إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : واستقضى الوليد بن عبد الملك في هذه السنة على الشام سليمان بن حبيب[٨] وحج بالناس فيها العباس[٩] بن الوليد ، ويقال مسلمة بن عبد الملك .

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١) .
(٣) بنو والبة بن الحارث من بني أسد بن خزيمة . وانظر معجم القبائل العربية لكحالة .
(٤) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٤) وأيضاً في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٥) ولكن ليس الخبر عن الإمام أحمد .
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٤٩١) .
(٦) الزيادة من ط .
(٧) القول لابن كثير رحمه الله ، وقد سبق أن عرّفنا بكتابه التكميل .
(٨) في ط : صرد ، وما أثبت موافق للطبري وابن الأثير .
(٩) كذا في الأصول الثلاثة ، وساق الطبري عدة روايات يظهر الاختلاف فيمن حج بالناس تلك السنة . أما الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦١) فذكر : مسلمة بن عبد الملك .

وكان على نيابة مكة خالد بن عبد الله القسري ، وعلى المدينة عثمان بن حيّان ، وعلى المشرق بكماله الحَجَّاج ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى الكوفة من جهة الحجاج زياد بن جرير ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى إمرة البصرة من جهة الحجاج الجرّاح بن عبد الله الحَكَمي ، وعلى قضائها عبد الله[١] بن أذينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان

سعيد بن جبير بن هشام الأسدي[٢] الوالبي مولاهم أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله ، الكوفي المكي ، من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح ، رحمه الله ، وقد رأى خلقاً من الصحابة ، وروى عن جماعة منهم ، وعنه خلق من التابعين وغيرهم ، يقال إنه كان يقرأ القرآن فيما بين المغرب والعشاء ختمة تامة ، وكان يقعد في الكعبة القعدة فيقرأ فيها الختمة ، وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة .

وقد قال ابن عباس ـ وقد أتاه أهل الكوفة يسألونه ـ : أليس فيكم سعيد بن جبير[٣] .

وقال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه[٤] .

وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، فلما ظفر [الحجاج] هرب سعيد إلى أصبهان ، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين ، مرة للعمرة ومرة للحج ، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدَّث بها ، وكان بخراسان يتحزن[٥] لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك ، كان يقول : إن مما يهمني ما عندي من العلم ، وددت أن الناس أخذوه . واستمر في هذا الحال مختفياً من الحجاج قريباً من ثنتي عشرة سنة ، ثم أرسله خالد القَسْري من مكة إلى الحجاج وكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريباً .

وقال أبو نعيم في كتابه الحلية[٦] : حدّثنا أبو حامد بن جَبَلة ، حدّثنا محمد بن إسحاق ، حدّثنا

---

(١) في الطبري : عبد الرحمن ، وذكر ابن حجر في تقريب التهذيب في ترجمة عبد الرحمن بن أذينة : قاضي البصرة . . وَهِمَ مَنْ ذكره في الصحابة .

(٢) تقدم ذكر مصادر ترجمته في أول هذه السنة .

(٣) الخبر والذي قبله في الطبقات لابن سعد (٦/ ٢٥٧) .

(٤) الطبقات الكبرى (٦/ ٢٦٦) وحلية الأولياء (٤/ ٢٧٣) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٥) .

(٥) في ط : لا يتحدث .

(٦) حلية الأولياء (٤/ ٢٩١) .

محمد بن أحمد بن أبي خلف ، حدّثنا سفيان[(١)] ، عن سالم بن أبي حفصة . قال : لما أُتي بسعيد بن جبير إلى الحجاج قال له : أنت الشقي بن كسير ؟ قال : لا ! إنما أنا سعيد بن جبير ، قال لأقتلنك ، قال : أنا إذاً كما سمتني أمي سعيداً ! قال شقيت وشقيت أمك ، قال : الأمر ليس إليك . ثم قال : اضربوا عنقه ، فقال : دعوني أصلي ركعتين ، قال : وجِّهوه إلى قبلة النصارى ، قال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] قال : إني أستعيذ منك بما استعاذت به مريم ، قال : وما عاذت به ؟ قال : قالت ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٨] قال سفيان : لم يقتل بعده إلا واحداً .

[وفي رواية أنه قال له : لأبدلنك بالدنيا ناراً تَلَظَّى ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا . وفي رواية أنه لما أراد قتله قال : وجِّهوه إلى قبلة النصارى ، فقال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ فقال : اجلدوا به الأرض ، فقال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه : ٥٥] فقال : اذبح فما أنزعه لآيات الله منذ اليوم . فقال : اللهم لا تسلطه على أحد بعدي . وقد ذكر أبو نعيم هنا كلاماً كثيراً في مقتل سعيد بن جبير ، أحسنه هذا ، والله أعلم][(٢)] .

وقد ذكرنا صفة مقتله إياه ، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله ، أكثرها لا يصح ، وقد عوجل الحجاج ، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما سنذكر وفاته في السنة الآتية ، فقيل إنه مكث بعده خمسة عشر يوماً ، وقيل أربعين يوماً ، وقيل ستة أشهر ، والله أعلم . وتنغصت به على الحجاج حياته في يقظته ومنامه .

واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل ، فقيل تسعاً وأربعين سنة[(٣)] ، وقيل سبعاً وخمسين ، فالله أعلم . قال أبو القاسم اللالكائي : كان مقتله في سنة خمس وتسعين ، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة ـ سنة أربع وتسعين ـ فالله أعلم .

[قلت : هاهنا كلمات حسان من كلام سعيد بن جبير أحببت أن أذكرها . قال : إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته ، وتحملك على طاعته ، فتلك هي الخشية النافعة . والذكر طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذاكرٍ له ، وإن كثر منه التسبيح وتلاوة القرآن .

قيل له : من أعبد الناس ؟ قال : رجل اقترف من الذنوب ، فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله .

وقال له الحجاج : ويلك ! فقال : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار ، فقال : اضربوا عنقه ، فقال : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة فأنا

---

(١) في ط : شعبان؛ تحريف .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي موافقة للمصادر .

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٦) .

خصمك عند الله ، فذبح من قفاه ، فبلغ ذلك الحسن فقال : اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج ، فما بقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود فأنتن منه فمات .

وقال سعيد للحجاج لمَّا أمر بقتله وضحك فقال له : ما أضحكك ؟ فقال : أضحك من غيراتك عليّ وحلم الله عنك][١] .

سعيد بن المسيّب[٢] بن حَزْن بن أبي وهب[٣] بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد المدني المخزومي ، سيد التابعين على الإطلاق .

ولد لسنتين مضتا وقيل بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل لأربع مضين منها .

وقول الحاكم أبي عبد الله إنه أدرك العشرة وهمٌ منه والله أعلم . ولكن أرسل عنهم كما أرسل كثيراً عن النبي ﷺ ، وروى عن عمر كثيراً ، فقيل سمع منه ، وعن عثمان ، وعلي ، وسعيد ، وأبي هريرة ، وكان زوج ابنته[٤] ، وأعلم الناس بحديثه ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وحدَّث عن جماعة من التابعين ، وخلق ممن سواهم .

قال ابن عمر : كان سعيد أحد المتقنين[٥] .

وكان أعلم أهل الأرض كلها في زمانه ، وكان يسرد الصوم .

وقال عن نفسه : أنه ما فاتته التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وحج أربعين حجة[٦] .

وقال الزّهري : جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علماً غيره[٧] .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وجملة الكلام في صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ٧٩ـ٨٢) .

(٢) ترجمة ـ سعيد بن المسيب ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١١٩ـ١٤٣) وتاريخ خليفة (١٣٤ و٢٦٥ و٢٨٩) وطبقاته (٢٤٤) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٦٨) وحلية الأولياء (٢/ ١٦١) وتاريخ البخاري (٣/ ٥١٠) وصفة الصفوة (٢/ ٧٩ ـ ٨٢) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٨) وتهذيب الكمال (١١/ ٢١٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧١ ـ ٣٧٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧ ـ ٢٤٦) والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٦٢) وتهذيب التهذيب (٤/ ٨٤ ـ ٨٨) وشذرات الذهب (١/ ٣٧٠) .
وضبطه ابن خلكان بـ المسيَّب ـ بفتح الياء المشددة المثناة من تحتها أو كسرها ـ والفتح هو المشهور . ونقل عن سعيد أنه كان يقول : سيَّب الله من سيَّب أبي .

(٣) في طبقات ابن سعد (٥/ ١١٩) : وهب بن عمرو بن عائذ .

(٤) وفيات الأعيان (٢/ ٢٧٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٣) .

(٥) في أ ، ب : المتقين ، وفي السير وتاريخ الإسلام : المفتين . وما أثبت من ط ، وتهذيب الكمال وتهذيب التهذيب .

(٦) من قوله : وكان أعلم أهل . . إلى هنا زيادة من أ ، والخبر في حلية الأولياء (٢/ ١٦٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٢) .

(٧) السير (٤/ ٢٢٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٢) .

وقال محمد بن إسحاق : عن مكحول قال : طفت الأرض كلها في طلب العلم ، فما لقيت أعلم من سعيد بن المسيب[١] .

وقال الأوزاعي : سُئل الزُّهري ومكحول من أفقه من لقيتما ؟ قالا : سعيد بن المسيب .

وقال غيره : كان يقال له : فقيه الفقهاء .

وقال قتادة : ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه .

وكان الحسن إذا أشكل عليه شيء كتب إلى سعيد بن المسيّب[٢] وقال مالك : عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد[٣] .

قال مالك : وبلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه[٤] .

وقال الربيع عن الشافعي أنه قال : إرسال سعيد بن المسيب عندنا حسن[٥] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : هي صحاح . قال : وسعيد بن المسيب أفضل التابعين[٦] .

قال علي بن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به ، وهو عندي أجلّ التابعين[٧] .

وقال أحمد بن عبد الله العجلي : كان سعيد رجلاً صالحاً فقيهاً ، كان لا يأخذ العطاء ، وكانت له بضاعة أربعمائة دينار ، وكان يتّجر في الزيت ، وكان أعور[٨] .

وقال أبو زرعة : كان مدنياً ثقة إماماً .

وقال أبو حاتم : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في أبي هريرة .

قال الواقدي[٩] : توفي في سنة الفقهاء ، وهي سنة أربع وتسعين ، عن خمس وسبعين سنة ، رحمه الله .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) من قوله : وقال قتادة . . إلى هنا زيادة من أ ، ب .
(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٥٥) .
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٥) .
(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٢٢١) .
(٦) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٣) .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٥٤) .
(٩) الطبقات الكبرى (٥/ ١٤٣) .

[وكان سعيد بن المسيب من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا ، والكلام فيما لا يعني ، ومن أكثر الناس أدباً في الحديث .

جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فحدّثه ثم اضطجع ، فقال الرجل : وددت أنك لم تتعنّ ، فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع .

وقال بُرد مولاه : ما نوي للصّلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد .

وقال ابن إدريس : صلّى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة . وقال سعيد : لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة .

وقال : ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء .

وقال : ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية الله تعالى .

وقال : كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله .

وقال : من استغنى بالله افتقر الناس إليه .

وقال : الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها .

وقال : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه .

وقال : من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله .

وقد زوّج سعيد بن المسيّب ابنته على درهمين لكثير[1] بن أبي وداعة ـ وكانت من أحسن النساء وأكثرهم أدباً وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج ـ وكان فقيراً ، فأرسل إليه بخمسة آلاف ، وقيل : بعشرين ألفاً ، وقال : استنفق هذه . وقصته في ذلك مشهورة ، وقد كان عبد الملك خطبها لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها ، ولما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك ، ضربه نائبه على المدينة هشام بن إسماعيل وأطافه المدينة ، وعرضوه على السيف فمضى ولم يبايع ، فلما رجفوا به رأته امرأة فقالت : ما هذا الخزي يا سعيد ؟ فقال : مِن الخزي فررنا إلى ما ترين ، أي لو أجبناهم وقعنا في خزي الدنيا والآخرة . وكان يجعل على ظهره إهاب الشاة ، وكان له مال يتّجر فيه ويقول : اللهم إنك تعلم أني لم أمسكه بخلاً ولا حرصاً عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان حتى ألقى الله فيحكم فيّ وفيهم ، وأصل منه

---

(١) في طبقات ابن سعد : زوجها من ابن أخيه ، وفي الوفيات لابن خلكان (٢/ ٣٧٦) : زوّجها من أبي وداعة .

رحمي ، وأؤدي منه الحقوق التي فيه ، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار . والله سبحانه وتعالى أعلم][١] .

طلق بن حبيب العنزي[٢] ، تابعي جليل ، روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس ، وعبد الله بن عمر وغيرهم ، وعنه حميد الطويل والأعمش وطاووس ، وهو من أقرانه .

وأثنى عليه عمرو بن دينار ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ، ولكن تكلّموا فيه من جهة أنه كان يقول بالإرجاء .

وقد كان ممن خرج مع ابن الأشعث .

وكان يقول : تقووا بالتقوى ، فقيل له : صف لنا التقوى ، فقال : التقوى هي العمل بطاعة الله على نورٍ من الله رجاء رحمة الله ، وترك معصية الله على نورٍ من الله مخافة عذاب الله .

وقال أيضاً : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى ، أو يقوم بشكرها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين [وأمسوا تائبين .

وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلاً ، ويقول : قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ﴾ [المجادلة : ١٢] فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم][٣] .

قال مالك : قتله الحجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير[٤] .

وقد ذكر ابن جرير[٥] فيما سبق أن خالد بن عبد الله القسري بعث من مكة ثلاثة إلى الحجاج ، وهم مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن حبيب ، فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد ، وكان من أمر سعيد ما كان ، والله أعلم .

عروة بن الزبير بن العوام[٦] ، القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني ، تابعي جليل ، روى عن أبيه وعن

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والكلام بجملته موافق لما في صفة الصفوة (٢/ ٨٠ـ٨١) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧) وغيرهما .

(٢) ترجمة ـ طلق بن حبيب ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٧) وطبقات خليفة (٢٤٢) وتاريخ البخاري (٤/ ٣٥٩) وحلية الأولياء (٣/ ٦٣) وتهذيب الكمال (١٢/ ٤٥١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ١٠١ ـ ١٢٠/ ص١٢١ ـ ١٢٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١ ـ ٦٠٣) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣١) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٤) ذكره الذهبي في السير (٤/ ٦٠٢) وقال : لم يصح .

(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٨) .

(٦) ترجمة ـ عروة بن الزبير ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٨ ـ ١٨٢) وتاريخ خليفة (١٥٦) وطبقاته (٢٤١) وتاريخ البخاري (٧/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٤ ـ ٥٥١) وتاريخ دمشق (٤٠/ ٢٣٧ ـ ٢٨٦) ووفيات الأعيان=

العبادلة ومعاوية والمغيرة وأبي هريرة ، وأمه أسماء ، وخالته أم المؤمنين عائشة ، وأم سلمة . وعنه جماعة من التابعين ، وخلق ممن سواهم .

قال محمد بن سعد : كان عروة ثقة كثير الحديث عالماً مأموناً ثبتاً .

وقال العجلي(١) : مدني تابعي رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن .

وقال الواقدي(٢) : كان فقيهاً عالماً حافظاً ثبتاً حجة عالماً بالسير ، وهو أول من صنف المغازي ، وكان من فقهاء المدينة المعدودين ، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ، وكان أروى الناس للشعر .

وقال ابنه هشام : قال أبي : العلم لواحد من ثلاثة ، لذي حسب يزين به حسبه ، أو ذي دين يسوس به دينه ، أو مختلط بسلطان يتحفه بعلمه(٣) .

وقال : ولا أعلم أحداً اشترطه لهذه الخصال الثلاث إلا عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز .

وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به في اللّيل ، وكان أيام الرُّطَب يثلم حائطه للناس فيدخلون فيأكلون ويحملون ، فإذا ذهب الرطب أعاده(٤) .

وقال الزُّهري : كان عروة بحراً لا ينزف ولا تكدِّره الدِّلاء(٥) .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئاً أجهله(٦) .

وقد ذكره غير واحد من فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهى إلى قولهم ، وكان من جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة(٧) .

وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بدمشق ، فلما رجع أصابته في رجله الأكلة فأرادوا قطعها ، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها ، فقال : ما ظننت أن

= (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٨) وحلية الأولياء (٢/ ١٧٦ ـ ١٨٢) وتهذيب الكمال (٢٠/ ١١) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٢٤ ـ ٤٢٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢١ ـ ٤٣٧) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٨٠ ـ ١٨٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٧٢) .

(١) تاريخ الثقات للعجلي (ص٣٣١) الترجمة رقم (١١٢١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٩) .

(٣) مكانها في ط : يتحفه بنعمه ، ويتخلص منه بالعلم ، فلا يقع في هلكة .

(٤) حلية الأولياء (٢/ ١٧٨ ـ ١٨٠) وتاريخ ابن عساكر (٤٠/ ٢٥٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢٥٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٥٢) .

(٦) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢٤٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٥) .

(٧) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢٥٠) .

أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عزَّ وجلَّ ، ولكن هلموا فاقطعوها فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم ، ولا يعرف أنه أنّ .

وروي أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة ، فالله أعلم .

ووقع في هذه الليلة التي قطعت فيها رجله بنيٌّ له يسمى محمداً كان أحب أولاده من سطح فمات ، فدخلوا عليها فعزَّوه فيه ، فقال : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ، فلئن كنت قد أخذت فلقد أعطيت ، ولئن كنت قد ابتليت فقد عافيت[1] .

فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما أعطيت .

وقيل : إنه لما رأى رجله المقطوعة في الطست قال : الله أعلم أني ما مشيت بها إلى معصية قط[2] .

[قلت : قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد ، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة وكان مبدؤها هناك ، فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذلك ، فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه ، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك ، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه . وربما ترقّت إلى الجسد فأكلته ، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له : ألا نسقيك مرقداً[3] حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر ؟ فقال : لا ! والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يذهب عقله ، ولكن إن كنتم لا بد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة فإني لا أحس بذلك ، ولا أشعر به . قال : فنشروا رجله من فوق الأكلة ، من المكان الحي ، احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلّي ، فما تضوّر ولا اختلج ، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله ، فقال : اللهم لك الحمد ، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد أبليت فلطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت . قال : وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد ، وكان أحبهم إليه ، فدخل دار الدواب فرفسته فرس فمات ، فأتوه فعزوه فيه ، فقال : الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستة ، فلئن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ، ولئن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت . فلما قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة ، قال : فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده ، ولا شكا ذلك إلى أحد حتى دخل وادي القرى ، فلما كان في المكان الذي أصابته الأكلة فيه قال : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف : ٦٢] فلما دخل المدينة أتاه الناس يسلّمون عليه ويعزونه في رجله وولده ، فبلغه أن

(١) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢٦٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٠) .
(٢) من قوله : فلك الحمد على . . إلى هنا ساقط من ط .
(٣) المرقّد : شيء يُشرب فينوِّم من يشربه ويرقِّده . القاموس (رقد) .

بعض الناس قال : إنما أصابه هذا بذنب عظيم أحدثه . فأنشد عروة في ذلك والأبيات لمعن بن أوس :

لعمرِكَ ما أهويتُ كفي لريبةٍ ولا حملتني نحو فاحشة رِجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلَّني رأيي عليها ولا عقلي
ولست بماشٍ ما حييتُ لمنكرٍ منَ الأمرِ لا يمشي إلى مثلهِ مثلي
ولا مؤثرٌ نفسي على ذي قرابةٍ وأوثر ضيفي ما أقامَ على أهلي
وأعلمُ أني لم تصبني مصيبةٌ من الدهر إلاّ قدْ أصابتْ فتى مثلي(١)

وفي رواية : اللهم إنه كان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة . كذا ذكر هذا الحديث فيه هشام .

وقال مسلمة بن محارب : وقعت في رجل عروة الأكلة فقطعت ولم يمسكه أحد ، ولم يدع في تلك الليلة وِرْدَه .

وقال الأوزاعي : لما نشرت رجل عروة قال : اللهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى سوءٍ قط . وأنشد البيتين المتقدمين .

رأى عروة رجلاً يصلي صلاة خفيفة فدعاه فقال : يا أخي أما كانت لك إلى ربك حاجة في صلاتك ؟ إني لأسأل الله في صلاتي حتى أسأله الملح .

قال عروة : رب كلمة ذلٍّ احتملتُها أورثتني عزاً طويلاً .

وقال لبنيه : إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنة تدل على أختها ، والسيئة تدل على أختها .

وكان عروة إذا دخل حائطه ردد هذه الآية : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف : ٣٩] حتى يخرج منه ، والله سبحانه وتعالى أعلم](٢) .

قيل : إنه ولد في حياة عمر ، والصحيح أنه ولد بعد عمر في سنة ثلاث وعشرين(٣) ، وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين على المشهور ، وقيل سنة تسعين ، وقيل سنة مئة ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل إحدى ومئة ، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين ، وقيل تسع وتسعين(٤) فالله أعلم .

علي بن الحسين(٥) **بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين** ، وأمه أم ولد

---

(١) الأبيات في حلية الأولياء (٢/ ١٧٩) عدا الثالث والرابع .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي موافقة لمصادر ترجمة عروة بن الزبير ، وجلّها من ابن عساكر (٤٠/ ٢٥٩) .
(٣) كذا في تاريخ خليفة (١٥٦) وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٦٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٢) .
(٤) نسب الذهبي بعض هذه الأقوال إلى أصحابها في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٢٩) .
(٥) ترجمة ـ علي بن الحسين ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢١١) وطبقات خليفة (٢٤٤) وتاريخ البخاري (٦/ ٢٦٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٠) وحلية الأولياء (٣/ ١٣٣) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٠ ـ ٤١٦) ووفيات الأعيان =

اسمها سلامة[١] ، كان له أخ أكبر منه يقال له علي أيضاً ، قتل مع أبيه ، روى عليٌّ هذا ، الحديث عن أبيه وعمه الحسن بن علي ، وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة ، أمهات المؤمنين . وعنه جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمر ، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر ، وزيد بن أسلم ، وطاووس وهو من أقرانه ، والزُّهري ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وأبو سلمة وهو من أقرانه ، وخلق .

قال ابن خلكان[٢] : كانت سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس .

وذكر الزمخشري في « ربيع الأبرار »[٣] أن يزدجرد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب ، فحصلت واحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالماً ، والأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق فأولدها القاسم ، والأخرى للحسين بن علي فأولدها علياً زين العابدين هذا ، فكلّهم بنو خالة .

قال ابن خلكان[٤] : ولما قتل قتيبة بن مسلم فيروز بن يزدجرد بعث بابنتيه إلى الحَجّاج فأخذ إحداهما وبعث بالأخرى إلى الوليد بن عبد الملك ، فأولدها الوليدُ يزيد الناقص .

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف »[٥] أن زين العابدين هذا كانت أمه سندية ، يقال لها سلامة ، ويقال غزالة ، وكان مع أبيه بكربلاء ، فاستبقي لصغره ، وقيل لمرضه ، فإنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وقد همّ بقتله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه ، وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضاً فمنعه الله من ذلك فله الحمد والمنة ، ثم كان يزيد بعد ذلك يُكرمه ويُعظمه ويُجلسه معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بعثهم إلى المدينة ، وكان علي بالمدينة محترماً معظماً .

قال ابن عساكر[٦] : ومسجده بدمشق المنسوب إليه معروف . قلت : وهو مشهد علي شرقي جامع دمشق .

وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكّة وطراز القراطيس .

= (٣/ ٢٦٦) وتهذيب الكمال (٢٠/ ٣٨٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣١ ـ ٤٣٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٦ ـ ٤٠١) وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٧٤) .

(١) في الطبقات (٥/ ٢١١) : غزالة .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٧) وقد تحرفت في ط إلى : سلمة .

(٣) ربيع الأبرار لأبي القاسم الزمخشري (ص٢٠١) ط : مؤسسة الأعلمي بيروت .

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٧) .

(٥) المعارف لابن قتيبة (ص٢١٤) والخبر أيضاً في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٢) .

(٦) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٠) .

قال الزّهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه[١] .

وقال الواقدي : كان من أورع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عزَّ وجلَّ ، وكان إذا مشى لا يخطر بيده ، وكان يعتم بعمامة بيضاء يرخيها من ورائه ، وكان كنيته أبا الحسن ، وقيل أبامحمد ، وقيل أبا عبد الله[٢] . وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة وهو مريض ، فقال عمر بن سعد : لا تعرضوا لهذا المريض[٣] . وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً ، وأمه غزالة ـ خلف عليها بعد الحسين مولاه زُبيد[٤] فولدت له عبد الله بن زُبيد ـ وهو علي الأصغر ، فأما الأكبر فقتل مع أبيه . وكذا قال غير واحد .

وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم : لم يكن في أهل البيت مثله[٥] .

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري : سمعت علي بن الحسين وهو أفضل هاشمي أدركته يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً[٦] . وفي رواية : حتى بغضتمونا إلى الناس .

وقال الأصمعي : لم يكن للحسين عقب إلا من علي بن الحسين ، ولم يكن لعلي بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن ، فقال له مروان بن الحكم : لو اتخذت السراري يكثر أولادك ، فقال : ليس لي ما أتسرى به ، فأقرضه مئة ألف فاشترى له السراري فولدت له وكثر نسله ، ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من علي بن الحسين شيء مما كان أقرضه ، فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله[٧] .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أصح الأسانيد كلّها : الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده[٨] .

وذكروا أنه احترق البيت الذي هو فيه وهو قائم يصلي ؛ فلما انصرف قالوا له : ما لك لم تنصرف ؟ فقال : إني اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى[٩] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٩) .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٢) .
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٦) .
(٤) زُبيد ـ بياءين ـ هكذا ضبطها الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٩) .
(٥) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٩) .
(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٢١٤) وحلية الأولياء (٣/ ١٣٦) ونسب قريش (٥٨) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٩) .
(٧) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٠) .
(٨) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٥ـ٣٧٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٨) .
(٩) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٢) .

وكان إذا توضأ يصفرُّ لونه ، فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق ، فقيل له في ذلك فقال : ألا تدرون بين يدي من أقوم ولمن أناجي(١) ؟

ولما حجّ أراد أن يلبي فارتعد وقال : أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك ، فيقال لي : لا لبيك ، فشجعوه على التلبية ، فلما لبى غشي عليه حتى سقط عن الراحلة . وكان يصلّي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة(٢) .

وقال طاووس : سمعته وهو ساجد عند الحِجر يقول : عَبدك بفنائك . سائلك بفنائك . فقيرك بفنائك ، قال طاووس : فوالله ما دعوت بها في كرب قط إلا كشف عني(٣) .

وذكروا أنه كان كثير الصَّدقة باللّيل ، وكان يقول صَدَقة اللّيل تطفىء غضب الربّ ، وتنوِّر القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة(٤) ، وقاسم الله تعالى ماله مرتين(٥) .

وقال محمد بن إسحاق : كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به(٦) . ولما مات وجدوا في ظهره أثر حمله الجُرُب إلى بيوت الأرامل والمساكين في اللّيل . وقيل إنه كان يعول مئة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات .

ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فبكى ابن أسامة فقال له ما يبكيك ؟ قال : عليّ دين ، قال : وكم هو ؟ قال خمسة عشر ألف دينار ـ وفي رواية سبعة عشر ألف دينار ـ فقال : هي عليّ(٧) .

وقال علي بن الحسين : كان أبو بكر وعمر من رسول الله ﷺ في حياته بمنزلتهما منه بعد وفاته .

ونال منه رجل يوماً فجعل يتغافل عنه ـ يريه أنه لم يسمعه ـ فقال له الرجل : إياك أعني ، فقال له علي : وعنك أغضي .

وخرج يوماً من المسجد فسبّه رجل فابتدر الناس إليه ، فقال : دعوه ، ثم أقبل عليه فقال : الذي سُتر عنك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه ،

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٢١٦) وحلية الأولياء (٣/ ٣٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٢) .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٢) .
(٣) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٠) بأطول مما هنا ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٣) .
(٤) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٣) .
(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ٢١٩) وحلية الأولياء (٣/ ١٤٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٣) .
(٦) الطبقات (٥/ ٢٢٢) وحلية الأولياء (٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٣) .
(٧) حلية الأولياء (٣/ ١٤١) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٥) وصفة الصفوة (٢/ ١٠١) وتاريخ الإسلام (٦/ ٤٣٢) .

وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : أشهد أنك من أولاد الأنبياء .

قالوا : واختصم علي بن الحسين وحسن بن حسن ـ وكان بينهما منافسة ـ فنال منه حسن بن حسن وهو ساكت ، فلما كان الليل ذهب علي بن الحسين إلى منزله فقال : يا بن عم إن كنت صادقاً يغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً يغفر الله لك ، والسلام عليك ، ثم رجع ، فلحقه فصالحه(١) رحمهما الله .

وقيل له : من أعظم الناس خطراً ؟ فقال : من لم يرض الدنيا لنفسه خطراً .

وقال أيضاً : الفكرة مرآة تري المؤمن حسناته وسيئاته(٢) .

وقال : فقدُ الأحبة غربة ، وكان يقول : إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وآخرون عبدوه محبة وشكراً فتلك عبادة الأحرار الأخيار(٣) .

وقال لابنه : يا بني لا تصحب فاسقاً فإنه يبيعك بأكلة وأقل منها ، يطمع فيها ثم لا ينالها ، ولا بخيلاً فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه ، ولا كذاباً فإنَّه كالسراب يقرِّب منك البعيد ويباعد عنك القريب ، ولا أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا قاطع رحم فإنه ملعون في كتاب الله(٤) . قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٢ ـ ٢٣] .

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير بن مطعم : غفر الله لك ، أنت سيد الناس تأتي تتخطّى حِلَق أهل العلم وقريش حتى تجلس مع هذا العبد [الأسود] ؟ فقال له علي بن الحسين : إنما يجلس الرجل حيث ينتفع ، وإن العلم يُطلب حيث كان(٥) .

وقال الأعمش : عن مسعود بن مالك قال : قال لي علي بن الحسين : أتستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير ؟ فقلت : ما تصنع به ؟ قال أريد أسأله عن أشياء ينفعنا الله بها ولا منقصة ، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء ـ وأشار بيده إلى العراق(٦) ـ .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يحيى بن آدم ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق عن رزين(٧) بن عبيد

---

(١) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٦) وسير أعلام النبلاء (٣٩٧) .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٨) .
(٣) حلية الأولياء (٣/ ١٣٤) وتاريخ دمشق (٤١/ ٤١٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٦) .
(٤) تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٩) .
(٥) حلية الأولياء (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٩) وتهذيب الكمال (٢/ ٣٨٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٨).
(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٥١٦) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) .
(٧) في ط : زر ؛ خطأ ، والتصحيح من ب وتاريخ دمشق .

قال : كنت عند ابن عباس فأتى علي بن الحسين فقال ابن عباس : مرحباً بالحبيب ابن الحبيب .

وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : حدّثنا العلائي[١] حدّثنا إبراهيم بن بشار ، عن سفيان بن عيينة ، عن أبي الزبير قال : كنا عند جابر بن عبد الله فدخل عليه علي بن الحسين فقال : كنت عند رسول الله ﷺ فدخل عليه الحسين بن علي فضمَّه إليه وقبَّله وأقعده إلى جنبه ، ثم قال : « يولد لابني هذا ابن يقال له علي ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش ليقم سيد العابدين ، فيقوم هو » هذا حديث غريب جداً أورده ابن عساكر[٢] . وقال الزُّهري : كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين ، وما رأيت أفقه منه ، وكان قليل الحديث ، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة ، وأحبهم إلى مروان وابنه عبد الملك ، وكان يسميه زين العابدين[٣] .

وقال جويرية بن أسماء : ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهماً قط . رحمه الله ورضي عنه[٤] .

وقال محمد بن سعد[٥] : أنبا علي بن محمد ، عن سعيد بن خالد ، عن المقبري قال : بعث المختار إلى علي بن الحسين بمئة ألف فكره أن يقبلها وخاف أن يردها ، فاحتبسها عنده ، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان : إن المختار بعث إليّ بمئة ألف فكرهت أن أقبلها وكرهت أن أردها ، فابعث من يقبضها . فكتب إليه عبد الملك : يا بن عم ! خذها فقد طيبتها لك ، فقبلها .

وقال علي بن الحسين : سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي الآخرة أهل الدِّين وأهل الفضل والعلم الأتقياء ، لأن العلماء ورثة الأنبياء[٦] .

وقال أيضاً : إني لأستحي من الله عزَّ وجلَّ أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لي فإذا كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل ، وأبخل[٧] .

وذكروا أنه كان كثير البكاء فقيل له في ذلك فقال : إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ، ولم يعلم أنه مات ، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة ، فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً[٨] ؟ .

---

(١) في ط : العلاء؛ خطأ ، والتصحيح من أ ، ب وتاريخ دمشق .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٠) .
(٣) الطبقات لابن سعد (٥/ ٢١٥) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٢_٣٧٣) .
(٤) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩١) .
(٥) الطبقات الكبرى (٥/ ٢١٣) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٧) .
(٦) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٥) .
(٧) ابن عساكر (٤١/ ٣٨٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٤) .
(٨) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٦) .

وقال عبد الرزاق : سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه ماءً ليتوضأ فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه ، فرفع رأسه إليها فقالت الجارية : إن الله يقول ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، فقال : وقد كظمت غيظي ، قالت ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ فقال : عفا الله عنك . فقالت : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ قال : أنت حرة لوجه الله تعالى[١] .

وقال الزبير بن بكار : حدّثنا عبد الله بن إبراهيم بن قدامة الجُمَحي[٢] ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن علي عن أبيه قال : جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فنالوا منهما ، ثم ابتدؤوا في عثمان فقال لهم : أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين الذين ﴿ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحشر : ٨] قالوا : لسنا منهم قال : فأنتم من الذين ﴿ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الحشر : ٩] إلى قوله : ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ قالوا : لسنا منهم ! فقال لهم : أما أنتم فقد أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عزَّ وجلَّ فيهم ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الحشر : ١٠] الآية ، فقوموا عني لا بارك الله فيكم ، ولا قرّب دوركم ، أنتم مستهزئون بالإسلام ، ولستم من أهله[٣] .

وجاء رجل فسأله متى يبعث علي ؟ فقال : يبعث والله يوم القيامة وتهمُّه نفسه[٤] .

وقال ابن أبي الدنيا : حُدِّثت عن سعيد بن سليمان ، عن علي بن هاشم ، عن أبي حمزة الثمالي : أن علي بن الحسين كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني أتصدق اليوم ـ أو أهب عرضي اليوم ـ من استحله[٥] .

وروى ابن أبي الدنيا أن غلاماً سقط من يده سفُّود وهو يشوي شيئاً في التنُّور على رأس صبي لعلي بن الحسين فقتله ، فنهض علي بن الحسين مسرعاً ، فلما نظر إليه قال للغلام : يا بني إنك لم تتعمد ، أنت حر ، ثم شرع في جهاز ابنه[٦] .

وقال المدائني : سمعت سفيان يقول : كان علي بن الحسين يقول : ما يسرني أن لي بنصيبي من الذل حمر النعم[٧] .

ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه . ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فجزع عليه من أجل

---

(١) تاريخ دمشق (٤١/٣٨٧) .
(٢) في ط : اللخمي ؛ تحريف .
(٣) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٥) باختصار .
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٣٩٦) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٠) .
(٥) تاريخ دمشق (٤١/٣٩٦) .
(٦) حلية الأولياء (٣/ ١٣٧) وتاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٥) .
(٧) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٧) .

إسرافه ، فقال له علي بن الحسين : إن من وراء ابنك خلالاً ثلاثاً ، شهادة أن لا إله إلاَّ الله ، وشفاعة رسول الله ، ورحمة الله عزَّ وجلَّ[١] .

وقال المدائني : قارف الزهريُّ ذنباً فاستوحش منه وهام على وجهه وترك أهله وماله . فلما اجتمع بعلي بن الحسين قال له : يا زهري قُنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهري : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] وفي رواية أنه كان أصاب دماً حراماً خطأً فأمره علي بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلى أهله ، ففعل ذلك ، فكان الزهري يقول : علي بن الحسين أعظم الناس عليّ منة[٢] .

وقال سفيان بن عيينة : كان علي بن الحسين يقول : لا يقول رجل في رجل من الخير ما لايعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ، وما اصطحب اثنان على معصية إلا أوشك أن يفترقا على غير طاعة[٣] .

وذكروا أنه زوَّج أمة من مولى له وأعتق أمة فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك ، فكتب إليه ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ٢١] وقد أعتق [ﷺ] صفية فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمته زينب بنت جحش[٤] .

قالوا : وكان يلبس في الشتاء خميصة من خز بخمسين ديناراً ، فإذا جاء الصيف تصدق بها ، ويلبس في الصيف الثياب المرقعة[٥] ودونها ويتلو قوله تعالى : ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

وقد روي من طرق ذكرها الصولي والجريري[٦] وغير واحد أن هشام بن عبد الملك حجَّ في خلافة أبيه وأخيه الوليد ، فطاف بالبيت ، فلما أراد أن يستلم الحجَر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين ، فلما دنا من الحَجَر ليستلمه تنحّى عنه الناس إجلالاً له وهيبة واحتراماً ، وهو في بِزَّة حسنة ، وشكلٍ مليح ، فقال أهل الشام لهشام : من هذا ؟ فقال لا أعرفه ـ استنقاصاً به واحتقاراً لئلا يرغب فيه أهل الشام ـ فقال الفرزدق ـ وكان حاضراً ـ أنا أعرفه ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول :

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحَرَمُ

(١) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٧) .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٨) .
(٣) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٩) .
(٤) المصدر نفسه (٤١/ ٣٩٩) .
(٥) في الطبقات (٥/ ٢١٨) : ويصيف في ثوبين أشمونيين بدينار . وفي تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٧) : ويلبس في الصيف ثوبين ممشقين من ثياب مصر . وكذلك في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٩) .
(٦) الخبر بسنديه في تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) .

هــذا ابــنُ خيــر عبــادِ الله كلهــم هــذا التقــيُّ النقــيُّ الطــاهــرُ العَلَــمُ
إذا رأتــه قــريــشٌ قــالَ قــائلهــا إلــى مكــارمِ هــذا ينتهــي الكَــرَمُ
يُنمَى إلى ذروةِ العزِّ التي قصرتْ عـنْ نيلها عـربُ الإسلامِ والعجـمُ
يكــادُ يُمسكُــهُ عِــرفــان راحتــهِ ركـنُ الحطيـمِ إذا مـا جـاءَ يستلـمُ
يُغضي حياءً ويغضَى مـنْ مهابتـهِ فمــا يكلَّــمُ إلا حيــنَ يبتســمُ
بكفــهِ خيــزرانٌ ريحهــا عبــقٌ مـن كـفٍّ أروع فـي عـرنينـهِ شمـمُ
مشتقــةٌ مــنْ رســولِ الله نبعتــهُ طابتْ عناصرها[١] والخِيمُ والشيمُ
ينجابُ نورُ الهدى[٢] مِنْ نورِ غرتهِ كالشمسِ ينجابُ عَنْ إشراقها القتمُ
حمَّــالُ أثقــالِ أقــوامٍ إذا قـدحـوا حلـوَ الشمـائـلِ تحلـو عنـدهُ نعـمُ
هـذا ابنُ فـاطمـةٍ إنْ كنتَ جاهلَهُ بجَــدّهِ أنبيــاءُ الله قــدْ ختمــوا
الله فَضّلــهُ قِــدمــاً وشــرّفــه جـرى بـذاك لـه فـي لـوحـه القلـمُ
مـنْ جـدهِ دانَ فضـلُ الأنبيـاءِ لـهُ وفضــلُ أُمتــهِ دانــتْ لهــا الأمــمُ
عَـمَّ البـريَّة بـالإحسـانِ فـانقشعـتْ عنهـا الغـوايـةُ والإمـلاقُ والظلـمُ
كلتـا يـديـهِ غيـاثٌ عـمَّ نفعهمـا تستـوكفـانِ ولا يعـروهمـا العـدمُ
سهـلُ الخليقـةِ لا تخشـى بـوادرهُ يــزينــهُ إثنتــانِ الحلـمُ والكــرمُ
لا يخلـفُ الـوعـدَ ميمـونٌ بغيبتـهِ رحـبُ الفنـاءِ أريـبٌ حيـن يعتـزمُ
مِـنْ معشـرٍ حبهـمْ ديـنٌ ويغضهـمْ كفـرٌ وقـربهـمْ منجـى ومعتصـمُ
يستدفعُ السوءُ[٣] والبلوى بحبهمْ ويستـربُّ[٤] بـهِ الإحسـانُ والنعـمُ
مقــدمٌ بعــدَ ذكــرِ الله ذكــرهــمُ فـي كُـلِّ حكـمٍ ومختـومٌ بـهِ الكلـمُ
إنْ عـدَّ أهـلُ التقـى كـانـوا أئمتهـمْ أو قيلَ من خيرُ أهل الأرض قيلَ هُم
لا يستطيـعُ جـوادٌ بعـدَ غـايتهـم ولا يــدانيهــمُ قــومٌ وإنْ كــرمــوا
هـمُ الغيـوثُ إذا مـا أزمـةٌ أزمـتْ والأسد أسدُ الشرى والبأسُ محتدمُ
يأبى لهم أن يحلّ الذم ساحتهمْ خيـمٌ كـرامٌ وأيـدٍ بـالنـدى هضـمُ
لا ينقـصُ العـدمُ بسطاً مـنْ أكفهـمُ سيَّـان ذلـكَ إنْ أثـروا وإنْ عـدمـوا
أيُّ الخـلائـقِ ليسـتْ فـي رقـابهـمُ لأوليَّـــةِ هـــذا أولـــهُ نِعَــمُ

---

(١) في الديوان : مفارسه . والنبعة من النبع : وهو شجر للقسي وللسهام ينبت في قلّة الجبل . القاموس (نبع) . والخيم : السَّجية ، والطبيعة . القاموس (خيم) .

(٢) في الديوان : ثوب الدجى .

(٣) في الديوان والأغاني (٢١/ ٣٧٧) : الشر .

(٤) في ط : ويستزاد ؛ وما أثبت كالديوان والأغاني .

فليسَ قولكَ مَن هذا بضائرهِ العربُ تعرفُ من أنكرتَ والعجم
[مَنْ يعرفُ الله يعرف أوليةَ ذا فالدينُ منْ بيتِ هذا نالهُ الأممُ][1]

قال : فغضب هشام من ذلك وأمر بحبس الفرزدق بعسفان ، بين مكة والمدينة ، فلما بلغ ذلك علي بن الحسين بعث إلى الفرزدق باثني عشر ألف درهم ، وأرسل إليه يعتذر أن ليس عنده اليوم غيرها ، فردَّها الفرزدق وقال : إنما قلت ما قلت لله عزَّ وجلَّ ونُصْرَةً للحقِّ ، [وقياماً بحق رسول الله ﷺ في ذريته] ولست أعتاض عن ذلك بشيء . فأرسل إليه علي بن الحسين يقول : قد علم الله صدق نيتك في ذلك ، وأقسمتُ عليك بالله لتقبلنَّها ؛ فتقبَّلها منه ثم جعل يهجو هشاماً وكان مما قال فيه :

تحبسني[2] بينَ المدينةِ والتي إليها قلوبُ الناس يهوي مُنيبها
يقلّبُ رأساً لم يكنْ رأس سيِّدٍ وعينينِ حولاوينِ بادٍ عُيُوبُها[3]

وقد رَوينا عن علي بن الحسين أنه كان إذا مرت به الجنازة يقول هذين البيتين :

نراعُ إذا الجنائزُ قابلتنا ونلهو حينَ تمضي ذاهباتِ
كروعةِ ثلمة[4] لمغارِ سَبْعٍ فلما غابَ عادتْ راتعاتِ

وروى الحافظ ابن عساكر[5] من طريق محمد بن عبد الله المقرئ : حدّثني سفيان بن عيينة ، عن الزُّهري قال : سمعت علي بن الحسين سيّد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه :

يا نفس حتام إلى الدنيا غرورك[6] ، وإلى عمارتها ركونك ، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك ومن وارته الأرض من أُلَّافك ، ومن فجعتِ به من إخوانك ، ونقل إلى البلى[7] من أقرانك ؟

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوادٍ دواثر
خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم وساقتهمُ نحوَ المنايا المقادرُ
وخلّوا عن الدنيا وما جمعوا لها وضمهمُ تحتَ الترابِ الحفائرُ

---

(١) البيت الأخير زيادة من ط ؛ وليست كل هذه الأبيات في ديوان الفرزدق (٢/ ٨٤٨ ـ ٨٤٩) والخبر والأبيات ـ بعضها ـ في الأغاني (٢١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) وكذلك في حلية الأولياء (٣/ ١٣٩) وانظر تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٨) .

(٢) في تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٣) : بحبسي . . .

(٣) البيتان في الأغاني (٢١/ ٣٧٨) وفيه : وعيناً له حولاء . . . وفي ديوان الفرزدق (١/ ٥١) لفظهما :

يرددني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلِّب عيناً لم تكن لخليفةٍ مشوَّهة حولاء بادٍ عيوبها

(٤) في ط : ثلة .

(٥) تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) .

(٦) في ط : سكونك . والمثبت يوافق تاريخ دمشق .

(٧) في ط : الثرى . والمثبت يوافق تاريخ دمشق .

كم خرمت أيدي المنون من قرون بعد قرون ، وكم غيرت الأرض ببلائها ، وغيبت في ثراها ، ممن عاشرت من صنوف وشيعتهم إلى الأمارس ، [ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الإفلاس] :

وأنتَ على الدنيا مكبٌّ منافس لخطَّابها فيها حريصٌ مكاثرُ
على خطر تمشي وتصبحُ لاهياً أتدري بماذا لو عقلتَ تخاطرُ
وإنَّ امرأً يسعى لدنياه دائباً ويذهلُ عن أخراهُ لاشكَّ خاسرُ

فحتَّام على الدنيا إقبالك ؟ وبشهواتها اشتغالك ؟ وقد وخطك القتير ، وأتاك النذير ، وأنت عما يراد بك ساهٍ ، وبلذَّة يومك وغدك لاهٍ [وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات ، وعاينت ما حل بهم من المصيبات][١] :

وفي ذكر هولِ الموتِ والقبر والبلى عَن اللهو واللذاتِ للمرءِ زاجرُ
أبعدَ اقترابِ الأربعين تربُّصٌ وشيبُ قذال منذرٌ لك كاسِرُ[٢]
كأنكَ معنيٌّ بما هو ضائر لنفسكَ عمداً وعنِ الرشدِ حائرُ

انظر إلى الأمم الماضية والملوك الفانية كيف أفنتهم[٣] الأيام ، ووافاهم الحِمام ، فانمحت من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم [وأضحوا رمماً في التراب ، إلى يوم الحشر والمآب][٤] :

أضحوْا رميماً في الترابِ وعطِّلتْ مجالس منهم أقفرت ومقاصرُ[٥]
وحلُّوا بدارٍ لا تزاورَ بينهم وأنَّى لسكانِ القبورِ التزاورُ
فما إنْ ترى إلا قبوراً ثووا بها مسطّحة تُسفَى عليها الأعاصرُ

كم من ذي منعة وسلطان وجنود وأعوان ، تمكن من دنياه ، ونال فيها ما تمناه ، وبنى فيها القصور والدساكر ، وجمع فيها الأعلاق[٦] والذخائر [وملح السراري والحرائر] .

فما صرفتْ كف المنية إذ أتتْ مبادرةً تهوي إليه الذخائرُ
ولا دفعتْ عنه الحصونُ التي بنى وحفَّ بها أنهارهُ والدساكرُ
ولا قارعتْ عنه المنية حيلة ولاطمعتْ في الذبِّ عنه العساكرُ

أتاه من الله ما لا يُرد ، ونزل به من قضائه ما لا يُصد ، فتعالى الله الملك الجبار ، المتكبر العزيز القهار ، قاصم الجبارين ، ومبير المتكبرين [الذي ذل لعزِّه كل سلطان ، وأباد بقوته كل دَيّان] .

مليكٌ عزيزٌ لا يُردُّ قضاؤهُ حكيمٌ عليمٌ نافذُ الأمرِ قاهرُ

---

(١) ما بينهما زيادة من ط . والأبيات كلها في تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٨) .
(٢) في ط : للكابر .
(٣) في ط : اختطفتهم عقبان الأيام .
(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٥) في ط : مجالسهم منهم وأخلى مقاصر ، والمثبت يوافق تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٤) .
(٦) في ط : الأموال .

عنـى كـلُّ ذي عـزٍّ لعـزةِ وجهـهِ　　فكـمْ مـنْ عـزيـزٍ للمهيمـنِ صـاغـرُ
لقدْ خضعتْ واستسلمتْ وتضاءلتْ　　لعـزةِ ذي العـرشِ الملـوكُ الجبـابـرُ

فالبدار البدار ، والحذار الحذار من الدنيا ومكايدها ، وما نصبت لك من مصايدها ، وتحلّت لك من زينتها ، وأظهرت لك من بهجتها [وأبرزت لك من شهواتها ، وأخفت عنك من قواتلها وهلكاتها][1] :

وفي دونِ ما عاينتَ من فجعاتها　　إلـى دفعهـا داعٍ وبـالـزهـدِ آمـرُ
فجـدَّ ولا تغفـل وكـنْ متيقظـاً　　فعمـا قليـلٍ يتـركُ الـدارَ عـامـرُ[2]
فجـدَّ ولا تغفـل فعيشـك[3] زائـلٌ　　وأنـتَ إلـى دارِ الإقـامـةِ صـائـرُ
ولا تطلـبِ الـدنيـا فـإنَّ نعيمهـا[4]　　وإنْ نلـت منهـا غبَّـهُ لـكَ ضـائـرُ

فهل يحرص عليها لبيب ، أو يسر بها أريب ؟ وهو على ثقة من فنائها ، وغير طامع في بقائها ، أم كيف تنام عينا من يخشى البيات ، وتسكن نفس من توقع في جميع أموره الممات :

ألا لا ولكنـا نغـرُّ نفـوسنـا　　وتشغلنـا اللـذاتُ عمّـا نحـاذرُ
وكيف يلذُّ العيش من هو مُوقفٌ　　بمـوقـفِ عـدلٍ يـومَ تبلـى السـرائـرُ
كـأنـا نـرى أن لا نشـورَ وأننـا　　سـدىً مـا لنـا بعـد الممـاتِ مصـائـرُ

وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها ويتمتع به من بهجتها ، مع صنوف عجائبها وقوارع فجائعها ، وكثرة تعبه في طلبها ، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها .

أمـا قـد نـرى فـي كـلِّ يـومٍ وليلـةٍ　　يـروحُ علينـا صـرفهـا ويبـاكـرُ
تعـاورنَـا آفـاتُهـا وهمـومُهـا　　وكـمْ قـدْ تـرى يبقـى لهـا المتعـاوِرُ
فـلا هـوَ مغبـوطٌ بـدنيـاهُ آمـنٌ　　ولا هوَ عنْ تَطْلابها النفس قاصرُ

كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها ، وصرعت من مكبٍّ عليها ، فلم تنعشه من عثرته ، ولم تنقذه من صرعته ، ولم تشفه من ألمه ، ولم تبره من سقمه [ولم تخلصه من وصمه] :

بـل أوردتـهُ بعـد عـزٍّ ومنعـةٍ　　مـواردَ سـوءٍ مـا لهـنَّ مصـادرُ
فلمـا رأى أن لا نجـاةَ وأنـهُ　　هـوَ المـوتُ لا ينجيـهِ منـه التحـاذرُ
تنـدَّم إذ لـم تغـنِ عنـهُ نـدامـةٌ　　عليـهِ وأبكتـهُ الـذنـوبُ الكبـائـرُ

(١) ما بينهما زيادة من ط .
(٢) البيت زيادة من ط .
(٣) مكانها في ط : فشمر ولا تفتر فعمرك . . .
(٤) في أ : طلابها ، والمثبت يوافق تاريخ دمشق .

إذ بكى على ما سَلَف من خطاياه ، وتحسّر على ما خلف من دنياه ، واستغفر حين لا ينفعه الاستغفار ولا ينجيه الاعتذار ، عند هول المنية ونزول البلية .

أحاطتْ بهِ أحزانهُ وهمومهُ وأبلسَ لمَّا أعجزتهُ المقادرُ
فليسَ لهُ من كربةِ الموتِ فارجٌ وليسَ لهُ مما يحاذرُ ناصرُ
وقد جشأتْ خوفَ المنيةِ نفسهُ ترددها منهُ اللها والحناجرُ

هنالك خف عواده ، وأسلمه أهله وأولاده ، وارتفعت البرية بالعويل ، وقد أيسوا من العليل ، فغمضوا بأيديهم عينيه ، ومد عند خروج روحه رجليه [وتخلى عنه الصديق ، والصاحب الشفيق] .

فكم موجعٍ يبكي عليهِ مفجّعٌ ومستنجد صبراً وما هوَ صابرُ
ومسترجعٍ داعٍ لهُ الله مخلصاً يعدِّدُ منهُ كلَّ ما هوَ ذاكرُ
وكمْ شامتٍ مستبشر بوفاته وعما قليلٍ كالذي صارَ صائرُ

فشقت جيوبها نساؤه ، ولطمت خدودها إماؤه ، وأعول لفقده جيرانه ، وتوجع لرزيته إخوانه ، ثم أقبلوا على جهازه ، وشمّروا لإبرازه ، [كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى ، ولا الحبيب المبدَّى][(١)] .

وظلَّ[(٢)] أحبُّ القومِ كان بقربهِ يحثُّ على تجهيزهِ ويبادرُ
وشمَّر منْ قدْ أحضروهُ لغَسلهِ ووجَّه لما فاضَ للقبرِ حافرُ
وكُفِّنَ في ثوبين واجتمعتْ لهُ مشيَّعة إخوانهُ والعشائرُ

فلو رأيت الأصغر من أولاده ، قد غلب الحزن على فؤاده ، وغشي[(٣)] من الجزع عليه ، وخضبت الدموع عينيه ، وهو يندب أباه ويقول : يا ويلاه واحراباه :

لعاينتَ من قبح المنيةِ منظراً يهالُ لمرآهُ ويرتاعُ ناظرُ
أكابرُ أولاد يهيجُ اكتئابهمْ إذا ما تناساهُ البنونُ الأصاغرُ
وربَّة نسوان عليهِ جوازعٌ مدامعهم فوقَ الخدودِ غوازرُ

ثم أُخرج من سَعَةِ قصره ، إلى ضيق قبره ، فلما استقر في اللَّحد ، وهُيِّءَ عليه اللِّبن [احتوشته أعماله وأحاطت به خطاياه ، وضاق ذرعاً بما رآه ، ثم][(٤)] حثوا بأيديهم عليه التراب ، وأكثروا البكاء عليه والانتحاب ، ثم وقفوا ساعة عليه ، وأيسوا من النظر إليه ، وتركوه رهناً بما كسب وطلب .

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٢) في ط : وحل .
(٣) في ط : ويخشى .
(٤) ما بينهما زيادة من ط .

فـولَّـوا عليـه معـوليـنَ وكلهـمْ لمثـلِ الـذي لاقـى أخـوهُ محـاذرُ
كشـاءٍ رتـاعٍ آمنيـن بـدا لهـم بمـديتـه بـادي الـذراعيـنِ حـاسـرُ
فريعتْ ولم ترتع قليلاً وأجفلتْ فلمـا نـأى عنهـا الـذي هـو جـازرُ

عادت إلى مرعاها ، ونسيت ما في أختها دهاها ، أفبأفعال الأنعام اقتدينا ؟ أم على عادتها جرينا ؟ عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى ، واعتبر بموضعه تحت الثرى ، المدفوع إلى هول ما ترى .

ثـوى مفـرداً فـي لحـده وتـوزَّعـت مـواريثـه أولادهُ والأواصـرُ(١)
وأحنـوا علـى أمـوالـهِ يقسِمـونهـا فـلا حـامـدٌ منهـمْ عليهـا وشـاكـرُ
فيـا عـامـرَ الـدنيـا ويـا سـاعيـاً لهـا ويـا آمنـاً مـنْ أن تـدورَ الـدوائـرُ

كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائر إليها لا محالة ؟ كيف تتهنا بحياتك وهي مطيَّتك إلى مماتك ؟ أم كيف تشبع من طعامك وأنت منتظر حمامك ؟ [أم كيف تهنأ بالشهوات ، وهي مطية الآفات] .

ولـم تتـزودْ للـرحيـلِ وقـد دنـا وأنـتَ علـى حـالٍ وشيـك مسـافـرُ
فيا لهفَ نفسي كم أسوِّفُ توبتي وعمـريَ فـانٍ والـرَّدى لـيَ نـاظـرُ
وكلّ الذي أسلفتُ في الصحف مثبتٌ يجـازي عليـهِ عـادلُ الحكـم قـادرُ

فكم ترقع بآخرتك دنياك ، وتركب غيك وهواك ، أراك ضعيف اليقين ، يا مؤثر الدنيا على الدين أبهذا أمرك الرحمن ؟ أم على هذا نزل القرآن ؟ [أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب ، وشر المآب ، أما تذكر حال من جمع وثمر ، ورفع البناء وزخرف وعمر ، أما صار جمعهم بوراً ، ومساكنهم قبوراً](٢) :

تخـرِّبُ مـا يبقـى وتعمـرُ فـانيـاً فـلا ذاكَ مـوفـورٌ ولا ذاكَ عـامـرُ
وهـلْ لـكَ إن وافـاكَ حتفـكَ بغتـةً ولـم تكتسـبْ خيـراً لـدى الله عـاذرُ
أترضى بأن تفنى الحياةُ وتنقضي ودينـكَ منقـوص ومـالـكَ وافـرُ(٣)

وقد اختلف أهل التاريخ في السنة التي توفي فيها علي بن الحسين ، زين العابدين ، فالمشهور عن الجمهور أنه توفي في هذه السنة ـ أعني سنة أربع وتسعين ـ في أولها عن ثمان وخمسين سنة ، وصلّي عليه بالبقيع ، ودفن به .

قال الفلاس : مات علي بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة وأبو بكر بن عبد الرحمن سنة أربع وتسعين .

---

(١) في ط : والأصاهر .
(٢) ما بينهما زيادة من ط .
(٣) الأبيات والتي قبلها في تاريخ دمشق (٤١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٨) .

وقال بعضهم : توفي سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين .

وأغرب المدائني في قوله : إنه توفي سنة تسع وتسعين ، والله أعلم(١) .

[انتهى ما ذكره المؤلف(٢) من ترجمة علي بن الحسين . وقد رأيت له كلاماً متفرقاً وهو من جيد الحكمة ، فأحببت أن أذكره لعل الله أن ينفع به من وقف عليه :

قال حفص بن غياث : عن حَجّاج ، عن أبي جعفر ، عن علي بن الحسين قال : إن الجسد إذا لم يمرض أشر وبطر ، ولا خير في جسد يأشر ويبطر .

وقال أبو بكر بن الأنباري : حدّثنا أحمد بن الصلت ، حدّثنا قاسم بن إبراهيم العَلَوي ، حدّثنا أبي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : قال علي بن الحسين : فقد الأحبة غربة . وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي ، وتقبّح في خفيات العيوب سريرتي ، اللهم كما أسأتُ وأحسنت إليّ ، فإذا عدت فعد إليّ . اللهم ارزقني مواساة من قَتَرتَ عليه رزقك بما وسَّعْتَ عليّ من فضلك .

وقال لابنه : يا بني اتخذ ثوباً للغائط فإني رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب . ثم انتبه فقال : وما كان لرسول الله ﷺ وأصحابه إلا ثوب واحد ، فرفضه .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أصوت فقعدت على الباب حتى خرج ، فسلَّمت عليه ودعوت له فرد عليّ السلام ودعا لي ، ثم انتهى إلى حائط فقال ؛ يا حمزة ترى هذا الحائط ؟ قلت : نعم ! قال : فإني اتكأت عليه يوماً وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في تجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ! ما لي أراك كئيباً حزيناً على الدنيا ! فهي رزق حاضر يأخذ منها البَرّ والفاجر . فقلت : ما عليها أحزن لأنها كما تقول ، فقال على الآخرة ؟ فهي وعد صادق ، يحكم فيها مَلِك قادر ، فقلت : ما على هذا أحزن لأنه كما تقول . فقال : فعلام حزنك ؟ فقلت : ما أتخوف من الفتنة ـ يعني فتنة ابن الزُّبير ـ فقال لي : يا علي ! هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ! قال : ويخاف الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ! ثم غاب عني فقيل لي : يا علي إن هذا الخضر الذي جاءك(٣) . لفظ الخضر مزاد فيه من بعض الرواة .

---

(١) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٣٩) أقوال العلماء والخلاف في سنة موته نقلاً عن تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٤١٣ ـ ٤١٦) .

(٢) لما وجدنا أن هذه الزيادة تتابع كلام المؤلف رحمه الله ولفائدتها أبقيناها ، وواضح أنها من زيادة النساخ أو تلاميذ المؤلف رحمه الله .

(٣) الخبر بطوله في حلية الأولياء (٣/ ٣٤) وعن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣) .

وقال الطبراني : حدّثنا محمد بن عبد الله الخضري ، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا جرير ، عن عمر بن حارث . قال : لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره . فقالوا : ما هذا ؟ فقيل : كان يحمل جُرُب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة(١) .

وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين(٢) .

وروى عبد الله بن حنبل : عن ابن إشكاب ، عن محمد بن بشر ، عن أبي المنهال الطائي أن علي بن الحسين كان إذا ناول المسكين الصدقة قَبّله ثم ناوله .

وقال الطبري : حدّثنا يحيى بن زكريا الغلابي ، حدّثنا العتبي حدّثني أبي قال : قال علي بن الحسين - وكان من أفضل بني هاشم الأربعة - يا بنيَّ اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ، ولا تخيب أخاك إلا في الأمر الذي مضرته عليك أكثر من منفعته لك .

وروى الطبراني بإسناده عنه : أنه كان جالساً في جماعة فسمع داعية في بيته فنهض فدخل منزله ثم رجع إلى مجلسه ، فقيل له : أمن حدث كانت الداعية ؟ قال : نعم ! فعزوه وتعجبوا من صبره ، فقال : إنا أهل بيت نطيع الله عزَّ وجلَّ فيما نحبه ، ونحمده على ما نكره .

وروى الطبراني عنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : ليقم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة . فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون قبل الحساب ؟ قالوا : نعم . قالوا : من أنتم ؟ قالوا نحن أهل الفضل ، قالوا : وما كان فضلكم ؟ قالوا : كنا إذا جهل علينا حلمنا ، وإذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسيء إلينا غفرنا ، قالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادي منادٍ : ليقم أهل الصبر ، فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة ، فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : نحن أهل الصبر ، قالوا : فما كان صبركم ؟ قالوا : صبَّرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن معصية الله ، وصبرناها على البلاء . فقالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادي المنادي : ليقم جيران الله في داره ! فيقوم ناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : بم استحققتم مجاورة الله عزَّ وجلَّ في داره ؟ فيقولون : كُنَّا نتزاور في الله ، ونتجالس في الله ، ونتباذل في الله عزَّ وجلَّ . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين .

وقال علي بن الحسين : إن الله يحب المؤمن المذنب التواب .

وقال : التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره ، إلا أن يتقي منهم تقاة . قالوا : وما تقاة ؟ قال : يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطغى .

---

(١) هو في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٤) .
(٢) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٤) .

وقال رجل لسعيد بن المسيّب : ما رأيت أحداً أورع من فلان . فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا ! قال : ما رأيت أورع منه .

وروى سفيان بن عيينة ، عن الزُّهري قال : دخلت على علي بن الحسين فقال : يا زهري فيم كنتم ؟ قلت : كنا نتذاكر الصوم ، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب ، إلا شهر رمضان فقال ! يا زهري ليس كما قلتم ، الصوم على أربعين وجهاً ، عشرة منها واجب كوجوب شهر رمضان ، وعشرة منها حرام ، وأربع عشرة منها صاحبها بالخيار ، إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب ، قال الزُّهري قلت : فسِّرهن يا بن رسول الله ﷺ ، قال : أما الواجب فصوم شهر رمضان ، وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق ، وصيام ثلاثة أيام كفارة اليمين لمن لم يجد الإطعام ، وصيام حلق الرأس ، وصوم دم المتعة لمن لم يجد الهدي ، وصوم جزاء الصيد ، يقوّم الصيد قيمته ثم يقسم ذلك الثمن على الحنطة . وأما الذي صاحبه بالخيار فصوم الإثنين والخميس ، وستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم عرفة ويوم عاشوراء ، كل ذلك صاحبه بالخيار . فأما صوم الإذن فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها ، وكذلك العبد والأمة ، وأما صوم الحرام فصوم يوم الفطر والأضحى ، وأيام التشريق ، ويوم الشك ، نهينا أن نصومه لرمضان . وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرام ، وصوم نذر المعصية حرام ، وصوم الدهر ، وصوم الضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن صاحبه ، قال رسول الله ﷺ : « من نزل على قوم فلا يصومن تطوعاً إلا بإذنهم »[١] . وأما صوم الإباحة فمن أكل أو شرب ناسياً أجزأه صومه ، وأما صوم المريض والمسافر فقال قوم : يصوم ، وقال قوم لا يصوم ، وقال قوم : إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وأما نحن فنقول : يفطر في الحالين ، فإن صام في السفر والمرض فعليه القضاء][٢] .

وممن توفي في هذه السنة :

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث[٣] **بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي** المدني أحد الفقهاء السبعة ، قيل اسمه محمد ، وقيل اسمه أبو بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، والصحيح أن اسمه وكنيته واحد ، وله من الأولاد والإخوة كثير ، وهو تابعي جليل .

---

(١) الحديث رواه الترمذي في جامعه رقم (٧٨٩) في الصوم . وقال : هذا حديث منكر ، أقول : وهو ضعيف جداً .

(٢) إلى هنا تنتهي الزيادة من ط .

(٣) ترجمة ـ أبي بكر بن عبد الرحمن ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٠٧) وتاريخ خليفة (٣٠٦ و٣٩٣) وطبقاته (٢٤٥) وتاريخ البخاري (٩/ ٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٣ و٣٥٢) ومواضع أخرى ، وحلية الأولياء (٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨) وصفة الصفوة (٢/ ٩٢) ووفيات الأعيان (١/ ٢٨٢) وتهذيب الكمال (٣٣/ ١١٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١٢ ـ ٥١٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٦ ـ ٤١٩) وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٩٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٧٦) .

روى عن : عمار ، وأبي هريرة ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة وأم سلمة وغيرهم .

وروى عنه : جماعة منهم بنوه سلمة وعبد الله وعبد الملك ، وعمر ، ومولاه سُمَيّ ، وعامر الشعبي ، وعمر بن عبد العزيز ، وعمرو بن دينار ، ومجاهد ، والزُّهري .

ولد في خلافة عمر ، وكان يقال له راهب قريش[١] ، لكثرة صلاته ، وكان مكفوفاً[٢] ، وكان يصوم الدهر ، وكان من الثقة والأمانة والفقه وصحة الرواية على جانب عظيم ، وكان عبد الملك بن مروان يكرمه ، ويعرف فضله ، ويقول : إني أهم بالشيء أفعله بأهل المدينة لسوء أثرهم عندنا فأذكر أبا بكر بن عبد الرحمن فأستحيي منه وأترك ذلك الأمر من أجله ، وله مناقب كثيرة[٣] .

قال أبو داود : وكان قد كف ، وكان إذا سجد يضع يده في طست لعلة كان يجدها[٤] . والصحيح أنه مات في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . والله أعلم .

[قلت : ونظم بعض الشعراء بيتين ذكر فيهما الفقهاء السبعة فقال :

ألا كل من لا يقتدي بأئمةٍ فقسمته حبراً[٥] عنِ الحقِّ خارجهْ
فخذهم عبيدُ الله عروةُ قاسم سعيد أبو بكر سليمانُ خارجهْ[٦]

وفيها توفي :

الفضيل بن زيد الرَّقاشي[٧] ، أحد زُهّاد أهل البصرة ، وله مناقب وفضائل كثيرة جداً ؛ قال : لا يلهينَّك الناس عن ذات نفسك ، فإن الأمر يخلص إليك دونهم ، ولا تقطع نهارك بكيت وكيت ، فإنه محفوظ عليك ما قلت .

وقال : لم أر شيئاً أحسن طلباً ، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم .

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري[٨] ، كان أحد فقهاء المدينة ، وكان إماماً عالماً ، له

---

(١) في نسب قريش (٣٠٣) : كان يسمى الراهب ، وكان من سادة قريش .
(٢) نكت الهميان (١٣١) .
(٣) من قوله : وكان عبد الملك . . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر في الطبقات لابن سعد (٥/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١٤) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٧) .
(٥) في الوفيات : ضيزى .
(٦) الأبيات في وفيات الأعيان (١/ ٢٨٣) .
(٧) ترجمة ـ الفضيل بن زيد ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٢٩) وطبقات خليفة (٢٠٠) وتاريخ البخاري (٧/ ١١٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٥٣) وفيه قال الذهبي : توفي سنة خمس وتسعين .
(٨) ترجمة ـ أبي سلمة بن عبد الرحمن ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥٥) وتاريخ خليفة (٢٢٨) وطبقاته (٢٤٢)=

روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان واسع العلم . توفي بالمدينة[(١)] .

عبد الرحمن بن عائذ الأزدي[(٢)] ، له روايات كثيرة ، وكان عالماً ، وخَلَّف كتباً كثيرة من علمه ، روى عن جماعة من الصحابة ، وأسر يوم وقعة ابن الأشعث فأطلقه الحجاج .

عبد الرحمن بن معاوية[(٣)] بن حُدَيج[(٤)] ، قاضي مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته كان عالماً فاضلاً ، روى الحديث ، وعنه جماعة][(٥)] .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم ، وافتتح حصوناً كثيرة .

وفيها فتح مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب من أرمينية وخربها ثم بناها بعد ذلك بتسع سنين[(٦)] .

وفيها افتتح محمد بن القاسم مدينة المولتان من أرض الهند [وأخذ منها أموالاً جزيلة .

وفيها قدم موسى بن نصير من بلاد الأندلس إلى إفريقية ومعه الأموال على العَجَل تُحمل من كثرتها ، ومعه ثلاثون ألف رأس من السَّبي][(٧)] .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش [ففتح مدناً وأقاليم كثيرة] فلما كان هناك[(٨)] جاءه الخبر

= وتاريخ البخاري (٥/ ١٣٠) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٥٨) وتهذيب الكمال (٣٣/ ٣٧٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٢٢ ـ ٥٢٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٩٢) وتهذيب التهذيب (١٢/ ١١٥ ـ ١١٨) .

(١) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام خلاف المؤرخين في سنة موته .

(٢) ترجمة ـ عبد الرحمن بن عائذ ـ في طبقات خليفة (٣١٠ و٣١٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣) وأسد الغابة (٣/ ٣٠٣) وتهذيب الكمال (١٧/ ١٩٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤١٥ ـ ٤١٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨٧ ـ ٤٨٩) والإصابة (٢/ ٤٠٥) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

(٣) ترجمة ـ عبد الرحمن بن معاوية ـ في التاريخ الكبير (٥/ ٣٥٠) وتهذيب الكمال (١٧/ ٤١٢) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤١٦) وقال : توفي سنة خمس وتسعين . وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .

(٤) في الأصل : خزيمة ؛ تحريف ، والتصحيح من مصادر الترجمة وتوضيح المشتبه (٣/ ١٤٨) .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٦) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٣) .

(٧) ما بين معكوفين زيادة من ط ؛ والخبر في تاريخ خليفة (٣٠٧) وتاريخ الطبري (٦/ ٤٩٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٣) .

(٨) في الطبري (٦/ ٤٩٢) وابن الأثير (٤/ ٥٨٣) : حتى إذا كان بالشاش أو بكشماهان أتاه . . .

بموت الحجاج بن يوسف فقمعه ذلك ورجع بالناس إلى مدينة مرو ، وتمثل بقول بعض الشعراء :

لعمري لنعم المرءُ من آل جعفرٍ بحَورانَ أمسى أعلقتهُ الحبائلُ
فإن تَحْيَ لا أملل[(١)] حياتي وإن تمت فما في حياتي بعدَ موتكَ طائلُ[(٢)]

وفيها كتب الوليد إلى قتيبة بأن يستمر على ما هو عليه من مناجزة الأعداء ، ويعده على ذلك ويجزيه خيراً ، ويثني عليه بما صنع من الجهاد وفتح البلاد [وقتال أهل الكفر والعناد][(٣)] .

وقد كان الحجاج استخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، فولّى الوليد الصلاة والحرب بالمصرين ـ الكوفة والبصرة ـ يزيد بن أبي كبشة ، وولّى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، وقيل كان الحجاج يستخلفهما على ذلك فأقرَّهما الوليد ، واستمر سائر نواب الحجاج على ما كانوا عليه . وكانت وفاة الحجاج لخمس ، وقيل لثلاث بقين من رمضان ، وقيل مات في شوال من هذه السنة .

وحجَّ بالناس فيها بشر بن الوليد بن عبد الملك ، قاله أبو معشر والواقدي .

وفيه قتل الوضاحي بأرض الروم ومعه ألف من أصحابه[(٤)] .

وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي[(٥)] وذكر وفاته

هو الحجاج بن يوسف[(٦)] بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ـ وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ـ أبو محمد الثقفي .

سمع ابن عباس ، وروى عن أنس ، وسَمُرة بن جندب ، وعبد الملك بن مروان ، وأبي بردة بن أبي موسى .

---

(١) في ط : أملك .
(٢) الأبيات للحطيئة في ديوانه (ص١٠٠) وذكر أنه خرج يريد علقمة بن علاثة وهو بحوران ، فمات علقمة قبل أن يصل إليه الحطيئة ؛ فقال أبياتاً منها هذين البيتين .
(٣) نص الكتاب في الطبري وابن الأثير .
(٤) الخبر في المنتظم لابن الجوزي (٦/ ٣٣٥) وفيه : وقتل معه نحو من ألفين من رجاله .
(٥) ترجمة ـ الحجاج بن يوسف ـ في تاريخ خليفة (٥٣٣) ومواضع أخرى ، وتاريخ البخاري (٢/ ٣٧٣) والمعرفة والتاريخ (٣/ ٤٩٢) ومواضع أخرى ، وأنساب الأشراف (١/ ٢٥) ومواضع أخرى كثيرة ، والكامل لابن الأثير (٤/ ٥٨٤ ـ ٥٨٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٩ ـ ٥٤) وتاريخ دمشق (١٢/ ١١٣ ـ ٢٠٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٤ ـ ٣٢٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٣) والوافي بالوفيات (١١/ ٣١٥) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢١٠ ـ ٢١٣) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٣٠) وشذرات الذهب (١/ ٣٧٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٥١ ـ ٨٥) .
(٦) في تاريخ الإسلام : يوسف بن الحكم بن أبي عقيل .

وروى عنه : أنس بن مالك ، وثابت البُناني ، وحُميد الطويل ، ومالك بن دينار ، وجواد بن مجالد ، وقتيبة بن مسلم ، وسعيد بن أبي عروبة . قاله ابن عساكر[١] ، قال : وكانت له بدمشق دور منها دار الراوية بقرب قصر ابن أبي الحديد . وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ، ثم عزله عنها وولاه العراق . وقدم دمشق وافداً على عبد الملك .

ثم روى من طريق المغيرة بن مسلم ، نبأنا سالم بن قتيبة بن مسلم ، قال[٢] : سمعت أبي يقول : خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر ، فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، وبيت الغربة ، حتى بكى وأبكى من حوله ، ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول : سمعت مروان يقول في خطبته : خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته : ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر أو ذكره إلا بكى . وهذا الحديث له شاهد في سنن أبي داود[٣] وغيره .

وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار : حدّثنا سَيَّار ، عن جعفر ، عن مالك بن دينار قال : دخلت يوماً على الحجاج فقال لي : يا أبا يحيى ألا أحدثك بحديث حسن عن رسول الله ﷺ ؟ فقلت : بلى ! فقال : حدّثني أبو بردة ، عن أبي موسى . قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها في دبر صلاة مفروضة » . وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن والمسانيد[٤] والله أعلم .

قال الشافعي : سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبة دخل على امرأته وهي تخلل ـ أي تخلل أسنانها لتخرج ما بينها من أذىً ـ وكان ذلك في أول النهار ، فقال : والله لئن كنت باكرت الغذاء إنك لرعينة دنية ، وإن كان الذي تخللين منه شيء بقي في فيك من البارحة إنك لقذرة ، فطلقها فقالت: والله ما كان شيء مما ذكرت ، ولكنني باكرت ما تباكره الحرة من السواك ، فبقيت شظية في فمي منه فحاولتها لأخرجها . فقال المغيرة ليوسف أبي الحجاج : تزوجها فإنها لخليقة بأن تأتي برجل يسود ، فتزوجها يوسف أبو الحجاج . قال الشافعي : فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقعها فنام فقيل له في النوم : ما أسرع ما ألقحت بالمبير[٥] .

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٣ ـ ١١٤) .

(٢) من قوله : نبأنا سالم . . إلى هنا زيادة من ب ، وهي توافق تاريخ دمشق .

(٣) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١١٤) .

(٤) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١١٤) . وأما الشاهد من حديث فضالة بن عبيد الذي ذكره ابن كثير ، فهو أنه سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته ، لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ . فقال ﷺ : عجل هذا ، ثم دعاه فقال له : (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله تعالى والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي ﷺ ، ثم ليدع بعدُ بما يشاء) رواه أحمد (٦/ ١٨) وأبو داود رقم (١٤٨١) وغيرهما وهو حديث صحيح ، ولكن ليس بمعنى الحديث الذي ذكره الحجاج .

(٥) تاريخ دمشق بسنده إلى الشافعي (١٢/ ١١٥ ـ ١١٦) .

قال ابن خلكان[١] : واسم أمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، وكان زوجها الحارث ابن كلدة الثقفي طبيب العرب ، وذكر عنه هذه الحكاية في السواك .

وذكر صاحب العقد[٢] أن الحجاج كان هو وأبوه يعلمان الغلمان بالطائف ، ثم قدم دمشق فكان عند رَوْح بن زنباع وزير عبد الملك ، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون لنزوله ولا يرحلون لرحيله ، فقال روح : عندي رجل توليه ذلك ، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش ، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل ، حتى اجتاز إلى فسطاط رَوْح بن زنباع وهم يأكلون فضربهم وطوّف بهم وأحرق الفسطاط ، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك ، فقال للحجاج : لم صنعت هذا ؟ فقال : لم أفعله إنما فعله أنت ، فإن يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما ضرك إذا أعطيت روحاً فسطاطين بدل فسطاطه ، وبدل الغلام غلامين ، ولا تكسرني في الذي وليتني ؟ ففعل ذلك ، وتقدم الحجاج عنده .

قال : وبنى واسط في سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وقيل قبل ذلك قال : وفي أيامه نقطت المصاحف ، وذكر في حكايته ما يدل أنه كان أولاً يسمى كليباً ، ثم سُمي الحجاج . وذكر أنه ولد ولا مخرج له حتى فتق له مخرج ، وأنه لم يرتضع أياماً حتى سقوه دم جدي ثم دم سالخ[٣] ولطخ وجهه بدمه فارتضع ، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء ، لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم الذي لطخ به وجهه .

ويقال إن أمه هي المتمنية لنصر بن حجاج بن علاط[٤] ، وقيل إنها أم أبيه ، والله أعلم .

وكانت فيه شهامة عظيمة ، وفي سيفه رهق ، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شبهة ، وكان يغضب غضب الملوك ، وكان فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه ، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ـ ولا سواء ولا قريب ـ .

وقد ذكر ابن عساكر[٥] في ترجمة سليم بن عتر التُّجيبي قاضي مصر ، وكان من كبار التابعين . وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجابية ، وكان من الزهادة والعبادة على جانب عظيم ، وكان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات في الصلاة وغيرها .

والمقصود أن الحجاج كان مع أبيه بمصر في جامعها ، فاجتاز بهما سليم بن عتر هذا فنهض إليه

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٢٩) .
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣/ ٦) .
(٣) السالخ : الأسود الشديد السواد .
(٤) قال ابن خلّكان (٢/ ٣٢) : إن عمر بن الخطاب طاف في المدينة فسمع امرأة تنشد في خدرها :
هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج
فأتي عمر بنصر وسيّره إلى البصرة .
(٥) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٠/ ٢٠١) وقد سقط من تاريخ دمشق ط : دارالفكر من اسمه سليم .

أبو الحجاج فسلّم عليه ، وقال له : إنه ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال : نعم تساله أن يعزلني عن القضاء . فقال : سبحان الله !! والله لا أعلم قاضياً اليوم خيراً منك . ثم رجع إلى ابنه الحجاج فقال له ابنه : يا أبة أتقوم إلى رجل من تُجيب وأنت ثقفي ؟ فقال له : يا بني والله إني لأحسب أن الناس يرحمون بهذا وأمثاله . فقال : والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله ، فقال : ولم يا بني ؟ قال : لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر ، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئاً عند سيرتهما فيخلعونه ويخرجون عليه ويبغضونه ، ولا يرون طاعته ، والله لو خلص لي من الأمر شيء لأضربن عنق هذا وأمثاله . فقال له أبوه : يا بني والله إني لأظن أن الله عزَّ وجلَّ خلقك شقياً .

وهذا يدل على أن أباه كان ذا وجاهة عند الخليفة[١] وأنه كان ذا فراسة صحيحة ، فإنه تفرس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك .

قالوا : وكان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين ، وقيل في سنة أربعين ، وقيل في سنة إحدى وأربعين[٢] .

ثم نشأ بلباباً[٣] فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن ، قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن في كل ليلة[٤] .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه[٥] .

وقال الدارقطني[٦] : ذكر سليمان بن أبي شيخ[٧] ، عن صالح بن سليمان قال : قال عتبة بن عمرو : ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا الحجاج وإياس بن معاوية ، فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس .

وتقدم أن عبد الملك لما قتل مصعب بن الزبير سنة ثلاث وسبعين بعث الحجاج إلى أخيه عبد الله بمكة فحاصره بها وأقام للناس الحج عامئذ ، ولم يتمكن ومن معه من الطواف بالبيت ، ولا تمكن ابن

---

(١) قال ابن قتيبة في المعارف (ص١٧٣) : فأما يوسف ـ والد الحجاج ـ فولي لعبد الملك بعض الولاية وكان معه بعض الألويةيوم قاتل الحنيف بن السجف جيش بن دلجة .

(٢) انظر ما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ١١٥) في الخلاف في سنة مولد الحجاج .

(٣) في ط : شاباً لبيباً .

(٤) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٦) .

(٥) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٦ـ١١٧) .

(٦) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٥٢) وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٦) .

(٧) في ط : منيح ؛ تحريف ، والتصويب من ب وتاريخ دمشق .

الزبير ومن عنده من الوقوف بعرفة ، ولم يزل محاصره حتى ظفر به في جمادى سنة ثلاث وسبعين فقتله كما قدمنا ، وأقام للناس الحج أيضاً في سنة أربع وسبعين[١] ، ثم استنابه عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن ، ثم نقله إلى العراق بعد موت أخيه بشر بن مروان ، فدخل على أهل الكوفة كما ذكرنا ، وقال لهم وفعل بهم ما تقدم إيراده مفصلاً ، فأقام بين ظهرانيهم عشرين سنة كاملة . وفتح فيها فتوحات كثيرة ، هائلة منتشرة ، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ، ووصلت خيوله أيضاً إلى قريب من بلاد الصين ، وجرت له فصول قد ذكرنا منها طرفاً جيداً . ونحن نورد هنا أشياء أخر مما وقع له من الأمور والجراءة والإقدام ، والتهاون في الأمور العظام ، مما يمدح على مثله ومما يذم بقوله وفعله ، مما ساقه الحافظ ابن عساكر[٢] وغيره :

فروى أبو بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبد الله بن كثير ابن أخي إسماعيل بن جعفر المديني ما معناه : أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بجنب سعيد بن المسيّب ـ وذلك قبل أن يلي شيئاً ـ فجعل يرفع قبل الإمام ويقع قبله في السجود ، فلما سلّم أخذ سعيد بطرف ردائه ـ وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة ـ فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره ، ثم أقبل عليه سعيد فقال له : يا سارق يا خائن ، تصلي هذه الصلاة ، لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك . فلم يرد عليه ، ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائباً على الحجاز . فلما قتل ابن الزُّبير كَرَّ راجعاً إلى المدينة نائباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيّب ، فقصده الحَجّاج فخشي الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال : نعم ! قال : فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً ، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك . ثم قام ومضى .

وروى الرّياشي ، عن الأصمعي وأبي زيد ، عن معاذ بن العلاء ـ أخي أبي عمرو بن العلاء ـ قال : لما قتل الحجّاج ابن الزبير ارتجّت مكة بالبكاء ، فأمر الناس فجمعوا في المسجد ثم صعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه : يا أهل مكة ! بلغني إكباركم قتل ابن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة ، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها ، فنزع طاعة الله واستكن بحرم الله ، ولو كان شيء مانع العصاة لمنعت آدم حرمة الجنة ، إن الله خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأباح له كرامته ، وأسكنه جنته ، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، اذكروا الله يذكركم[٣] .

---

(١) ساق ابن عساكر هذا الخبر بالسند في تاريخه (١٢/ ١١٧) .
(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١١٩) وتهذيبه (٤/ ٥٢ ـ ٥٣) .
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٠) .

وقال الإمام أحمد[١] : حدّثنا إسحاق بن يوسف ، نبأنا عوف[٢] ، عن أبي الصدّيق النّاجي : أن الحَجّاج دخل على أسماء بنت أبي بكر بعد ما قتل ابنها عبد الله فقال : إن ابنك ألحد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل [به ما فعل] . فقالت : كذبتَ ، كان براً بوالديه ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ « أنه يخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . ورواه أبو يعلى[٣] : عن وهب بن بقية ، عن خالد ، عن عوف ، عن أبي الصديق . قال : بلغني أن الحجاج دخل على أسماء فذكر مثله . وقال أبو يعلى : حدّثنا زهير ، حدّثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن قيس بن الأحنف ، عن أسماء بنت أبي بكر . قالت : سمعت رسول الله نهى عن المثلة . وسمعته يقول : « يخرج من ثقيف رجلان كذاب ومبير » . قالت فقلت للحجاج : أما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت هو يا حجاج . وقال عبد بن حُميد : أبنا يزيد بن هارون ، أبنا العوام بن حوشب ، حدّثني من سمع أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق تقول للحجّاج حين دخل عليها يعزِّيها في ابنها : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « يخرج من ثقيف رجلان مبير وكذاب » . فأما الكذاب فابن أبي عبيد ـ تعني المختار ـ وأما المبير فأنت[٤] . وتقدم في صحيح مسلم[٥] من وجه آخر أوردناه عند مقتل ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

وقد رواه غير أسماء عن النبي ﷺ فقال أبو يعلى[٦] : حدّثنا أحمد بن عمر الوكيعي ، حدّثنا وكيع حدَّثتنا أم غراب ، عن امرأة يقال لها عقيلة ، عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله ﷺ : « في ثقيف كذاب ومبير » . تفرّد به أبو يعلى .

وقد روى الإمام أحمد[٧] : عن وكيع عن أم غراب ـ واسمها طلحة ـ عن عقيلة عن سلامة حديثاً آخر في الإمامة في الصلاة ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه[٨] .

ورُوي من حديث ابن عمر فقال أبو يعلى[٩] : حدّثنا أمية بن بسطام ، حدّثنا يزيد بن زريع ، حدّثنا إسرائيل ، حدّثنا عبد الله بن عصمة قال : سمعت ابن عمر « أنبأنا رسول الله ﷺ أن في ثقيف مبيراً وكذاباً »

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٥١) وهو حديث صحيح وأخرجه ابن عساكر من طريق الإمام أحمد في تاريخه (١٢/ ١٢١) .
(٢) في ط ، أ : عون ؛ تحريف ، والتصحيح من ب والمصادر .
(٣) ومن طريقه أخرجه ابن عساكر (١٢/ ١٢١) .
(٤) أخرجه ابن عساكر (١٢ / ١٢٢) من طريق عبد بن حميد .
(٥) صحيح مسلم رقم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة .
(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٢) .
(٧) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٨١) وإسناده ضعيف .
(٨) سنن أبي داود رقم (٥٨١) في الصلاة ، وسنن ابن ماجه رقم (٩٨٢) في إقامة الصلاة .
(٩) مسند أبي يعلى الموصلي (١٠/ ١٢٥ ـ ١٢٦) رقم (٥٧٥٣) .

وأخرجه الترمذي(١) من حديث شريك، عن عبد الله بن عصم ويقال عصمة. وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك.

وقال الشافعي: حدّثنا مسلم بن خالد، عن ابن جريج، عن نافع: أن ابن عمر اعتزل ليالي قتال ابن الزبير والحجاج بمنى، فكان يصلّي مع الحجاج(٢).

وقال الثوري: عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه دخل على الحَجّاج فلم يسلّم عليه ولم يكن يصلي وراءه. وقال إسحاق بن راهويه: أبنا جرير، عن القعقاع بن الصَّلْت قال: خطب الحجاج فقال: إن ابن الزبير غيّر كتاب الله، فقال ابن عمر: ما سلطه الله على ذلك، ولا أنت معه ولو شئت أقول: كذبتَ لفعلتُ(٣).

وروي عن شهر بن حوشب وغيره أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول: الصلاة الصلاة مراراً، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس، فصلّى الحجاج بالناس، فلما انصرف قال لابن عمر: ما حملك على ذلك؟ فقال: إنما نجيء للصلاة فصلّ الصلاة لوقتها ثم تفتق ما شئت بعد من تفتقه(٤).

وقال الأصمعي: سمعت عمي يقول: بلغني أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقدم المدينة لقي شيخاً خارجاً من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة، فقال: بشر حال، قتل ابن حواريّ رسول الله ﷺ، فقال الحجاج: ومن قتله؟ فقال: الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته، من قليل المراقبة لله. فغضب الحجاج غضباً شديداً ثم قال: أيها الشيخ! أتعرف الحجاج إذا رأيته؟ قال: نعم! فلا عرفه الله خيراً ولا وقاه ضراً. فكشف الحجاج عن لثامه وقال: ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دمك الساعة. فلما تحقق الشيخ الجد قال: والله إن هذا لهو العجب يا حجاج، لو كنت تعرفني ما قلت هذه المقالة، أنا العباس بن أبي ثور(٥)، أصرع كل يوم خمس مرات، فقال الحجاج: انطلق فلا شفى الله الأبعد من جنونه ولا عافاه(٦).

وقال الإمام أحمد(٧): حدّثنا عبد الصمد، حدّثنا حماد بن سلمة، عن ابن أبي رافع، عن

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي رقم (٢٢٢٠) في الفتن، ورقم (٣٩٤٤) في المناقب وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٦ و٩١ و٩٢) من طريق شريك، به، وهو حديث صحيح بشواهده.

(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٣).

(٣) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠٤) وتهذيبه (٤/ ٥٤) وتاريخ الذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٧) وفيه: ثم بقبق ما شئت بعد من بقبقة.

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠٤) وفيه: ثم بقبق بعد ذلك ما شئت من بقبقة. وبق الرجل يبقّ وأبق وبقبقة: كثر كلامه. اللسان (بقّ).

(٥) في أ، ط: داود؛ خطأ، والتصحيح من المصادر.

(٦) تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣) ومختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢١٢ ـ ٢١٣).

(٧) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٠٦) وتاريخ دمشق (١٢/ ١٢٥) بسنده إلى أحمد وإسناده حسن.

عبد الله بن جعفر أنه زوج ابنته من الحجاج بن يوسف فقال لها : إذا دخل بك فقولي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ـ وزعم أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر قال هذا ـ قال حماد : فظننت أنه قال : فلم يصل إليها[١] .

قال الشافعي : لما تزوج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر[٢] قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك : أتمكنه من ذلك ؟ فقال : وما بأس من ذلك . قال : أشد الناس والله ، قال : وكيف ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما في صدري على آل الزبير منذ تزوجت رملة بنت الزبير ، قال : وكأنه كان نائماً فأيقظه ، فكتب إلى الحَجّاج يعزم عليه بطلاقها فطلقها .

وقال سعيد بن أبي عروبة : حَجَّ الحجاج مرة فمر بين مكة والمدينة فأتي بغدائه فقال لحاجبه : انظر من يأكل معي ، فذهب فإذا أعرابي نائم فضربه برجله وقال : أجب الأمير ، فقام فلما دخل على الحجاج قال له : اغسل يديك ثم تغدّ معي ، فقال : إنه دعاني من خير منك ، قال : ومن ؟ قال الله دعاني إلى الصوم فأجبته ، قال : في هذا الحَرِّ الشديد ؟ قال : نعم صمت ليوم هو أشد حراً منه ، قال : فأفطر وصم غداً ، قال : إن ضمنت لي البقاء لغدٍ . قال : ليس ذلك لي ، قال : فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه ؟ قال : إن طعامنا طعام طيب ، قال : لم تطيبه أنت ولا الطّباخ ، إنما طيبته العافية[٣] .

فصـــل

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته إياهم بغتة ، وتهديده ووعيده إياهم ، وأنهم خافوه مخافة شديدة ، وأنه قتل عمير بن ضابىء ، وكذلك قتل كُميل بن زياد صبراً ، ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدّمنا ، ذكره من ظفره به بعد المطاولة والمقاتلة وتسلطه على من كان معه من الرؤساء والأمراء والعبّاد والقراء [حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير] .

قال القاضي المعافى بن زكريا : حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي ، حدّثنا محمد بن زكريا الغَلاَّبي ، حدّثنا محمد ـ يعني ابن عبد الله بن عباس ـ عن عطاء ـ يعني ابن مصعب ـ عن عاصم قال : خطب الحَجَّاج أهل العراق بعد دير الجماجم ، فقال : يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللّحم والدم ، والعصب والمسامع ، والأطراف[٤] ، ثم أفضى إلى الأسماخ[٥] والأمخاخ والأشجاع ، ثم ارتفع فعشش ، ثم باض وفرخ ، ثم دب ودرج . فَحَشاكم نفاقاً وشقاقاً ، وأشعركم خلافاً ، اتخذتموه

---

(١) من قوله : أنه زوج ابنته . . . إلى هنا ساقط من ط .
(٢) من قوله : قال الشافعي . . إلى هنا ساقط من ط . والخبر بتمامه في تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٥) .
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦) ومختصره (٦/ ٢٠٥) .
(٤) في العقد الفريد (٢/ ١٥٢) : والأعضاء والشغاف . والمثبت يوافق تاريخ دمشق .
(٥) في العقد الفريد (٢/ ١٥٢) والبيان والتبيين للجاحظ (٢/ ١٢٠) : الأصماخ .

دليلاً تتبعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومؤتمناً تشاورونه وتستأمرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو ينفعكم بيان(١) ؟ ألستم أصحابي بالأهواز حيث منيتم المكر واجتمعتم على الغدر ، واتفقتم على الكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ، وأنا والله أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذاً ، وتنهزمون سراعاً . ويوم الزاوية وما يوم الزاوية ، مما كان من فشلكم وتنازعكم وتجادلكم وبراءة الله منكم ، ونكوس قلوبكم إذ وليتم كالإبل الشاردة عن أوطانها النوازع ، لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوي الشيخ على بنيه ، حين عضكم السلاح ، ونَخَستكم الرماح . ويوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم ، بها كانت المعارك والملاحم :

بضرب يُزيل الهام عن مقيله(٢) ويــذهــل الخليــل عــن خليلــه

يا أهل العراق يا أهل الكفرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الخترات(٣) ، والنزوة بعد النزوات ، إن بعثناكم إلى ثغوركم غللتم وجبنتم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقتم ، لا تذكرون نعمة ، ولا تشكرون معروفاً ، هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاو ، أو استنفركم عاصٍ ، أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع ، إلاّ لبيتم دعوته ، وأجبتم صيحته ، ونفرتم إليه خفافاً وثقالاً ، وفرساناً ورجالاً . يا أهل العراق هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو زفر زافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؟ يا أهل العراق ألم تنفعكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟ ألم يشدد الله عليكم وطأته ، ويذقكم حر سيفه ، وأليم بأسه ومثلاته ؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنها القذر(٤) ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنها من المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذباب . يا أهل الشام ! أنتم الجُنَّةُ والرِّداء ، وأنتم الملاءة والحذاء ، أنتم الأولياء والأنصار ، والشعار دون الدثار ، بكم يُذب عن البيضة والحوزة ، وبكم ترمىٰ كتائب الأعداء ويهزم من عاند وتولى(٥) .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا(٦) : حدّثني محمد بن الحسين ، حدّثنا عبيد الله بن محمد التميمي : سمعت شيخاً من قريش يكنى أبا بكر التيمي قال : كان الحجاج يقول في خطبته ـ وكان لَسِناً ـ إن الله خلق آدم وذريته من الأرض فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا ثمارها وشربوا أنهارها وهتكوها بالمساحي والمرور ، ثم

---

(١) في العقد الفريد زيادة : أو تعظكم وقعة أو يحجزكم إسلام أو يردكم إيمان .

(٢) في تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٥٨) : ضرب يقيل الهام عن مقيله . والمثبت يوافق التاريخ .

(٣) في ط : يا أهل الفجران بعد الكفران والغدران بعد الخذلان . . . ؛ وما أثبت يوافق العقد الفريد وتاريخ دمشق وتهذيب تاريخ دمشق .

(٤) في العقد الفريد (٢/ ١٥٢) : المدر ، وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر (٤/ ٥٨) : القذف . والظليم : ذكر النعام . والرامح : المدافع .

(٥) عقد ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٣٥ ـ ١٣٩) فصلاً لشرح المغلق من كلمات خطبة الحجاج ، وانظر تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٥٩ ـ ٦٢) .

(٦) تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٠) بسنده إلى ابن أبي الدنيا .

أدال الله الأرض منهم فردهم إليها فأكلت لحومهم كما أكلوا ثمارها ، وشربت دماءهم كما شربوا أنهارها ، وقطعتهم في جوفها وفرقت أوصالهم كما هتكوها بالمساحي والمرور .

ومما رواه غير واحد عن الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ : [ألا أيها] الرجل وكلكم ذاك الرجل ، رجل خطم نفسه وزمها فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وكفها بزمامها عن معاصي الله ، رحم الله امرأً رد نفسه ، امرأً اتهم نفسه ، امرأً اتخذ نفسه عدوة ، امرأً حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره ، امرأً نظر إلى ميزانه ، امرأً نظر إلى حسابه ، امرأً وزن عمله ، امرأً فكر فيما يقرأ غداً في صحيفته ويراه في ميزانه ، وكان عند قلبه زاجراً ، وعند همه آمراً ، امرأً أخذ بعنان عمله كما يأخذ بعنان جمله ، فإن قاده إلى طاعة الله تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كف ، امرأً عقل عن الله أمره ، امرأً فاق واستفاق ، وأبغض المعاصي والنفاق ، وكان إلى ما عند الله بالأشواق . فما زال يقول امرأً امرأً ، حتى بكى مالك بن دينار[(١)] .

وقال المدائني : عن عوانة بن الحكم قال : قال الشَّعبي : سمعت الحجاج تكلّم بكلام ما سبقه إليه أحد ، يقول : أما بعد فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء . فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل[(٢)] .

وقال المدائني : عن أبي عبد الله الثقفي ، عن عمه قال : سمعت الحسن البصري يقول : وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج سمعته يقول على هذه الأعواد : إن امرأً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لحريّ أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة[(٣)] .

وقال شريك القاضي ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : قال الحجاج يوماً : من كان له بلاء أعطيناه على قدره ، فقام رجل فقال : أعطني فإني قتلت الحسين ، فقال : وكيف قتلته ؟ قال : دسرته بالرمح دسراً ، وهبرته بالسيف هبراً ، وما أشركت معي في قتلته أحداً . فقال : اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد ، ولم يعطه شيئاً[(٤)] .

وقال الهيثم بن عدي : جاء رجل إلى الحجاج فقال : إن أخي خرج مع ابن الأشعث فضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد هدمت داري ، فقال الحجاج ، أما سمعت قول الشاعر :

---

(١) الخطبة في تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٠ ـ ١٤١) والعقد الفريد (٢/ ١٥٣) .

(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٢) وذكر المسعودي نحوها في مروج الذهب (٣/ ١٨٥) . .

(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٣) .

(٤) الخبر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٣) وتهذيب تاريخ ابن عساكر (٤/ ٦٣ ـ ٦٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٩) .

جانَيْكَ مَن يجني عليكَ وَقَد[١] تُعْـدِي الصِّحـاحَ مَبـارِكُ الجَـرَبِ
ولـربَّ مـأخـوذٍ بـذنـبِ قَـريبـهِ ونجا المُقارفُ صاحبُ الـذنْـبِ ؟

فقال الرجل : أيها الأمير ! إني سمعت الله يقول غير هذا [وقول الله أصدق من هذا] قال : وما قال ؟ قال ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ [يوسف : ٧٨ ـ ٧٩] قال : يا غلام أعد اسمه في الديوان وابن داره ، وأعطه عطاءه ، ومرْ منادياً ينادي : صدق الله وكذب الشاعر .

وقال الهيثم بن عدي : عن ابن عباس : كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إليّ برأس أسلم بن عبد البكري لما بلغني عنه ، فأحضره الحجاج فقال : أيها الأمير أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] وما بلغه باطل ، وإني أعول أربعة وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيري وهنّ بالباب ، فأمر الحجاج بإحضارهن ، فلما حضرن جعلت هذه تقول : أنا خالته ، وهذه أنا عمته ، وهذه أنا أخته ، وهذه أنا زوجته ، وهذه أنا بنته ، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون العشرة ، فقال لها الحجاج : من أنت ؟ فقالت : أنا ابنته ، ثم قالت : أصلح الله الأمير ، وجثت على ركبتيها وقالت :

أحجّـاجُ لـم تشهـد مقـامَ بنـاتـهِ وعمـاتـهِ يـنـدبـنـهُ الليـلَ أجمعـا
أحجـاجُ كـم تقتـلْ بـهِ إن قتلتـهُ ثمـانـاً وعشـراً واثنتيـن وأربعـا
أحجـاجُ مـن هـذا يقوم مقـامـهُ علينا فمهلاً إنْ تـزدنـا تضعضعـا
أحجـاج إمـا أن تجـودَ بنعمـةٍ علينـا وإمـا أن تُقتّلنـا معـا

قال : فبكى الحجاج وقال : والله لا أعنت عليكن ولا زدتكن تضعضعاً ، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرَّجل ، وبما قالت ابنته هذه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاقه وحسن صلته وبالإحسان إلى هذه الجارية وتفقدها في كل وقت[٢] .

[وقيل : إن الحجاج خطب يوماً فقال : أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله . فقام إليه رجل فقال له : ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقل حياءك ، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام ؟ خبث وضل سعيك ، فقال للحرس خذوه ، فلما فرغ من خطبته قال له : ما الذي جرأك عليّ ؟ فقال : ويحك يا حجاج ، أنت تجترئ على الله ولا أجترئ أنا عليك ، ومن أنت حتى لا أجترئ عليك وأنت تجترئ على الله رب العالمين ، فقال : خلوا سبيله ، فأطلق][٣] .

---

(١) في ابن عساكر وتهذيبه : جانيك من يجني عليك وقد .

(٢) الخبر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وتهذيب ابن عساكر (٤/ ٦٤ ـ ٦٥) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ ابن عساكر التهذيب (٤/ ٦٣) ووفيات الأعيان (٢/ ٣١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٩) .

وقال المدائني : أُتي الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهما ، فقال أحدهما : إن لي عندك يداً ، قال : وما هي ؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوماً أمك فرددت عليه ، فقال : ومن يشهد لك ؟ قال : صاحبي هذا ! فسأله ، فقال : نعم ! فقال : ما منعك أن تفعل كما فعل ؟ قال : بغضك ، قال : أطلقوا هذا لصدقه ، وهذا لفعله[١] .

وحكى الواقدي أن الحجاج نادى في البلد : أنَّ من خرج من بعد العشاء الآخرة من بيته قتل ، فأُتي ليلة برجل ، فقال : ما أخرجك من بيتك هذه الساعة من بعدما سمعت المنادي ؟ فقال : أما والله إني لا أكذب الأمير ، إن أمي مريضة هالكة ، وأنا عندها منذ ثلاثة أيام ، فلما كانت الساعة أفاقت وقالت : يا بني إني أعزم عليك إلا ما مضيت إلى أهلك وأولادك ، فإنهم مغمومون بتخلفك عنهم ، فخرجت من عندها فأخذني العسس ، وأتوا بي إليك ، فقال الحجاج : ننهاكم وتعصونا ، ثم أمر به فضربت عنقه ، قال : ثم أتى تاجر ، فقال له الحجاج : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : والله ما أكذبك إنه كان عندي لرجل دراهم ، فأقعدني على بابه ولزمني ، وقال : لا أفارقك إلا بحقي ، فلما كان هذه الساعة دخل إلى منزله ، وأغلق بابه ، وتركني على بابه ؛ فجاءني طائفك فأخذني إليك ، فقال الحجاج : اضربوا عنقه ، قال : ثم أتي بآخر ، فقال له : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : كنت أشرب مع قوم فلما سكرت خرجت من عندهم ، وأنا لا أدري ، فأخذوني إليك . فقال الحجاج لرجل كان عنده : ما أراه إلا صادقاً ، ثم قال : خلّوا سبيله ، فخلّوا سبيله[٢] .

وذكر محمد بن زياد عن ابن الأعرابي فيما بلغه أنه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان فاتكاً بأرض اليمامة ، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤنبه ويلومه على عدم أخذه ، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبعث به إلى الحجاج ، فقال له الحجاج : ما حملك على ما كنت تصنعه ؟ فقال : جراءة الجنان ، وجفاء السلطان ، وكَلَب الزمان ، ولو اختبرني الأمير لوجدني من صالح الأعوان ، وشهم الفرسان ، ولوجدني من أصلح رعيته ، ذلك أني ما لقيت فارساً قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدراً ، فقال له الحجاج : إنا قاذفوك في حائر فيه أسد عاقر ، فإن قتلك كفانا مؤنتك ، وإن قتلته خلينا سبيلك . ثم أودعه السجن مقيداً مغلولة يده اليمنى إلى عنقه ، وكتب الحجاج إلى نائبه بكسكر أن يبعث بأسد عظيم ضار ، وقد قال جحدر هذا في محبسه هذا أشعاراً يتحزن فيها على امرأته سليمى أم عمرو ويقول في بعضه :

أليسَ الليلُ يجمعُ أمَّ عمرو وإيانا فذاكَ بنا تداني
بلى وترى الهلالَ كما نراهُ ويعلوها النهارُ إذا علاني

(١) تاريخ دمشق (١٢/١٤٦) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/٦٥) .
(٢) القصة بكاملها ساقطة من ط ، ب وهي في تاريخ دمشق (١٢/١٧٨ ـ ١٧٩) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/٨٠) عن عمر بن عبد العزيز أنه سأل عنبسة بن سعيد عن بعض ما رأى من عجائب الحجاج . وذكرها الذهبي بهذا السند .

إذا جاوزتما نخلات نجد وأوديةَ اليمامةِ فانعياني
وقولا جحدرٌ أمسى رهيناً يحاذرُ وقعَ مصقولٍ يماني

فلما قدم الأسد على الحجاج أمر به فجوّع ثلاثة أيام ، ثم أبرز إلى حائر ـ وهو البستان ـ وأمر بجحدر فأخرج في قيوده ويده اليمنى مغلولة بحالها ، وأعطي سيفاً في يده اليسرى ، وخلي بينه وبين الأسد ، وجلس الحجاج وأصحابه في منظرة ، وأقبل جحدر نحو الأسد وهو يقول :

ليثٌ وليثٌ في مجالٍ ضنكِ كلاهما ذو أنفٍ ومحكِ
وشدةٍ في نفسهِ وفتكِ إنْ يكشفِ الله قناعَ الشكِّ
فهوَ أحقُّ منزلٍ بتركِ

فلما نظر إليه الأسد زأر زأرة شديدة وتمطى وأقبل نحوه فلما صار منه على قدر رمح وثب الأسد على جحدر وثبة شديدة فتلقّاه جحدر بالسيف فضربه ضربة خالط ذباب السيف لهواته ، فخر الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح ، من شدة الضربة ، وسقط جحدر من شدة وثبة الأسد ولموضع القيود عليه ، فكبّر الحجاج وكبّر أصحابه وأنشأ جحدر يقول :

يا جُملُ إنكِ لو رأيتِ كريهتي في يومِ هولٍ مسدفٍ وعجاجِ
وتقدُّمي لليثِ أرسفُ موثَقاً كيما أساورهُ على الأخراجِ
شثنٌ براثنُه كأنَّ نيوبهُ زرقُ المعاولِ أو شباةُ زجاجِ
يسمو بناظرتين تحسبُ فيهما لهباً أحدّهما شعاعُ سراجِ
وكأنما خيطت عليهِ عباءةٌ برقاء أو خرقا منَ الديباجِ
لعلمتِ أني ذو حفاظٍ ماجدٍ منْ نسلِ أقوامٍ ذوي أبراجِ

ثم التفت إلى الحجاج وقال :

ولئن قصدت إلى المنية عامداً إني لخيرك يا بن يوسف راج
علم النساء بأنني لا أنثني إذ لا يثقن بغيرة الأزواج
وعلمت أني إن كرهت نزاله إني من الحجاج لست بناجي(١)

فعند ذلك خيّره الحجاج إن شاء أقام عنده ، وإن شاء انطلق إلى بلاده ، فاختار المقام عند الحجاج ، فأحسن جائزته وأعطاه أموالاً(٢) .

وأنكر يوماً أن يكون الحسين من ذرية رسول الله ﷺ لأنه ابن بنته ، فقال له يحيى بن يعمر : كذبتَ !

---

(١) الأبيات الثلاثة ساقطة من ط .
(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٤٨ ـ ١٥٠) .

فقال الحجاج : لتأتيني على ما قلت ببينة من كتاب الله أو لأضربن عنقك ، فقال قال الله : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] إلى قوله ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ [الأنعام : ٨٥] فعيسى من ذرية إبراهيم ، وهو إنما ينسب إلى أمه مريم ، والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ . فقال الحجاج : صدقت ، ونفاه إلى خراسان[١] .

وقد كان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر ، منها أنه كان يبدل إن المكسورة بأن المفتوحة وعكسه ، وكان يقرأ [قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم] إلى قوله [أحب إليكم] فيقرؤها برفع أحب .

وقال الأصمعي وغيره : كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد ، فقال للرسول : أكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ؟ قال : نعم ! فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما أمس فأجل ، وأما اليوم فعمل ، وأما غداً فأمل[٢] .

وقال ابن دريد[٣] : عن أبي حاتم السجستاني ، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى . قال : لما قَتَل الحجاج ابن الأشعث ، وصَفت له العراق ، وسّع على الناس في العطاء ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم ما لا ينفقه أمير المؤمنين في الأسبوع وتنفق في الأسبوع ما لا ينفقه أمير المؤمنين في الشهر ، ثم قال منشداً :

عليك بتقوى الله في الأمرِ كلهِ ... وكنْ يا عبيدَ الله[٤] تخشى وتضرعُ
ووفِّر خراجَ المسلمينَ وفيئهم ... وكنْ لهمُ حصناً تجيرُ وتمنعُ

فكتب إليه الحجاج :

لعمري لقد جاء الرسولُ بكتبكم ... قراطيسُ تملا ثم تطوى فتطبعُ
كتابٌ أتاني فيهِ لينٌ وغلظةٌ ... وذُكِّرتُ والذكرى لذي اللّبِّ تنفعُ
وكانتْ أمورٌ تعتريني كثيرةٌ ... فأرضخُ أو أعتلُّ حيناً فأمنعُ
إذا كنتَ سوطاً من عذابٍ عليهمُ ... ولمْ يك عندي بالمنافعِ مطمعُ
أيرضى بذاكَ الناسُ أو يسخطونهُ ... أم احمد فيهمْ أمْ أُلام فأقذعُ
وكانَ بلاد جئتها حينَ جئتها ... بها كلُّ نيرانِ العداوةِ تلمعُ

(١) القصة متأخرة في أ ، ب وهي في تاريخ دمشق (١٢/ ١٥١ ـ ١٥٢) وتهذيب ابن عساكر (٤/ ٦٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٩) .
(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٣) .
(٣) الخبر أخرجه ابن عساكر بسنده إلى ابن دريد (١٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) .
(٤) في تاريخ دمشق : وكن لوعيد الله .

فقاسيتُ منها ما علمتَ ولم أزلْ أصارع حتى كدتُ بالموتِ أصرعُ
وكم أرجفوا منْ رجفةٍ قد سمعتها ولو كانَ غيري طارَ مما يروّعُ
وكنت إذا هموا بإحدى هناتهم حسرت لهمْ رأسي ولا أتقنَّعُ
فلو لمْ يذد عني صناديد منهمُ تقسمَ أعضائي ذئابٌ وأَضْبُعُ

قال : فكتب إليه عبد الملك : أن اعمل برأيك[١] .

وقال الثوري : عن محمد بن المستورد الجُمَحي قال : أُتي الحَجّاج بسارق فقال له : لقد كنت غنياً أن تكسب جناية فيؤتى بك إلى الحاكم فيبطل عليك عضواً من أعضائك ، فقال الرجل : إذا قلّ ذات اليد سخت النفس بالمتالف . قال : صدقت والله لو كان حسن اعتذار يبطل حداً لكنتَ له موضعاً . يا غلام سيف صارم ورجل قاطع ، فقطع يده[٢] .

وقال أبو بكر بن مجاهد : عن محمد بن الجَهْم ، عن الفَرّاء قال : تغدّى الحجاج يوماً مع الوليد بن عبد الملك ، فلما انقضى غداؤهما دعاه الوليد إلى شرب النبيذ[٣] فقال : يا أمير المؤمنين الحلال ما أحللت ، ولكني أنهى عنه أهل العراق وأهل عملي ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح[٤] ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود : ٨٨] .

وقال عمر بن شَبّة : عن أشياخه قال : كتب عبد الملك إلى الحَجّاج يعتب عليه في إسرافه في صرف الأموال ، وسفك الدماء ، ويقول : إنما المال مال الله ونحن خزّانه ، وسيان منع حق أو إعطاء باطل . وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات :

إذا أنتَ لم تتركْ أموراً كرهتها وتطلب رضائي في الذي أنا طالبهُ
وتخشى الذي يخشاهُ مثلكَ هارباً إلى الله منهُ ضَيّعَ الدُّرَّ جالبهْ
فإنْ ترَ مني غفلةً قُرشيّةً فيا ربما قد غصَّ بالماءِ شاربهْ
وإنْ ترَ مني وثبةً أمويةً فهذا وهذا كله أنا صاحبهْ
فلا تعدُ ما يأتيكَ مني فإنْ تعدْ تقمْ فاعلمنْ يوماً عليكَ نوادبهْ[٥]

---

(١) الخبر مع الشعر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) وتهذيبه (٤/ ٦٩) .
(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٥) .
(٣) وفي حاشية ط : ما يُسمى في هذا العصر نبيذاً ، هو الخمر المحض ، وهو غير ما كان سلفنا يسميه نبيذاً . والنبيذ عندهم : هو التمر أو الزبيب يترك عليه الماء . ويسمونه بعد ذلك نبيذاً سواء أسكر أو لم يسكر وفي كلتا الحالتين ، فإنه أشبه بعصير القصب اليوم ، إن لم يكن دونه .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) في مروج الذهب للمسعودي (٣/ ١٣٤) :
ولا تعدُ ما يأتيك مني وإن تعُدْ يقوم بها يوماً عليك نوادبه

فلما قرأه الحجاج كتب : أما بعد فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرَفي في الأموال ، والدماء ، فوالله ما بالغت في عقوبة أهل المعصية ، ولا قضيت حق أهل الطاعة ، فإن كان ذلك سرفاً فليحدّ لي أمير المؤمنين حداً أنتهي إليه ولا أتجاوزه ، وكتب في أسفل الكتاب :

إذا أنا لمْ أطلبْ رضاكَ وأتقي أذاكَ فيومي لا تَوارت[١] كواكبهْ
إذا قارفَ الحجاج فيك خطيئة فقامتْ عليه في الصباح نوادبهْ
أُسالمُ من سالمت من ذي هوادةٍ ومنْ لا تسالمهُ فإني محاربهْ
إذا أنا لمْ أُدنِ الشفيقَ لنصحهِ وأُقصِ الذي تسري إليَّ عقاربهْ
فمن يتقي يومي ويرجو إذا عدى على ما أرى والدهرُ جمٌّ عجائبهْ[٢]

وعن الشافعي أنه قال : قال الوليد بن عبد الملك للغاز بن ربيعة أن يسأل الحجاج فيما بينه وبينه : هل يجد في نفسه مما أصاب من الدنيا شيئاً ؟ فسأله كما أمره ، فقال : والله ما أحب أن لي لبنان أو سنير[٣] ذهباً أنفقه في سبيل الله مكان ما أبلاني الله من الطاعة[٤] . والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

فيما رُوي عنه من الكلمات النافعة والجراءة البالغة

قال أبو داود[٥] : حدّثنا محمد بن العلاء ، حدّثنا أبو بكر عن عاصم قال : سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول : اتقوا الله ما استطعتم ، ليس فيها مثنويَّة[٦] ، واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنويَّة لأمير المؤمنين عبد الملك ، والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلَّت لي دماؤهم وأموالهم ، والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالاً ، ويا عذيري من عبد هذيل يزعم أن قراءته من عند الله ، والله ما هي إلاّ رجز من رجز الأعراب ما أنزلها الله على نبيه ﷺ وعذيري من هذه الحمراء[٧] ، يزعم أحدهم أنه يرمي بالحجر فيقول : إلى أن يقع الحجر : حدث أمر ، فوالله لأدعنَّهم كالأمس الدابر . قال : فذكرته للأعمش فقال : وأنا والله سمعته منه .

---

(١) في مروج الذهب : لا تزول .
(٢) الخبر بكامله والأبيات في مروج الذهب (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥) وتاريخ دمشق (١٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٧٠ ـ ٧١) ورواية البيت الأخير في مروج الذهب :
فمن ذا الذي يرجو نوالي ويتقي مصاولتي ، والدهر جمّ نوائبه
(٣) في ط : سبير ـ بالباء ـ وسنير : جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير . معجم البلدان (سنير) .
(٤) الخبر بأطول مما هنا في تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨) .
(٥) سنن أبي داود رقم (٤٦٤٣) في السنة ، والخبر بكامله في تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٩) وهو حديث صحيح .
(٦) أي : استثناء .
(٧) هم الموالي ، لأن العرب تسمي الموالي الحمراء .

ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة : عن محمد بن يزيد ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود والأعمش أنهما سمعا الحَجَّاج قبَّحه الله يقول ذلك ، وفيه : والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلَّت لي دماؤكم ، ولا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه ، ولأحكنَّها من المصحف ولو بضلع خنزير . ورواه غير واحد عن أبي بكر بن عياش بنحوه ، وفي بعض الروايات : والله لو أدركت عبد هذيل لأضربن عنقه[(١)] .

وهذا من جراءة الحجاج قبحه الله ، وإقدامه على الكلام السيِّئ ، والدِّماء الحرام . وإنما نقم على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لكونه خالف القراءة على المصحف الإمام الذي جمع الناس عليه عثمان ، والظاهر أن ابن مسعود رجع إلى قول عثمان وموافقيه والله أعلم .

وقال علي بن عبد الله بن مبشر ، عن عباس الدوري ، عن مسلم بن إبراهيم : حدّثنا الصَّلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله بن مسعود رأس المنافقين ، لو أدركته لأسقيت الأرض من دمه[(٢)] .

قال : وسمعته على منبر واسط وتلا هذه الآية : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓ ﴾ [ص : ٣٥] قال : والله إن كان سليمان لحسوداً .

وهذه جراءة عظيمة تفضي به إلى الكفر : قبحه الله وأخزاه ، وأبعده وأقصاه[(٣)] .

ومن الطامات أيضاً ما رواه أبو داود[(٤)] أيضاً : حدّثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ، حدّثنا جرير . وحدّثنا زهير بن حرب ، حدّثنا جرير ، عن المغيرة ، عن الربيع[(٥)] بن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله ؟ فقلت في نفسي : لله عليّ أن لا أصلّي خلفك صلاة أبداً ، وإن وجدت قوماً يجاهدونك لأجاهدنك معهم .

زاد إسحاق في حديثه : فقاتل في الجماجم حتى قتل .

فإن صَحَّ هذا عنه ، فظاهره كفر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة ، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول .

---

(١) الخبر بكامله في تاريخ دمشق (١٢/ ١٦٠) وتهذيبه (٤/ ٧٢) وبالرواية الثانية في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣١٩ ـ ٣٢٠) .

(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٦١) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٧٢) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٠) .

(٣) بعدها في ط كلام من الواضح أنه من زيادات النساخ وهو في فضائل ابن مسعود رضي الله عنه ، ولا مكان له هنا ، والأولى أن يكون مع ترجمته .

(٤) سنن أبي داود رقم (٤٦٤٢) في السنة ، والخبر بالسند نفسه في تاريخ دمشق (١٢/ ١٥٨) وإسناده ضعيف .

(٥) في الأصل : بزيغ ، والتصحيح من سنن أبي داود وكتب الرجال .

وقال الأصمعي : حدّثنا أبو عاصم النبيل ، حدّثنا أبو حفص الثقفي قال : خطب الحجاج يوماً فأقبل عن يمينه فقال : ألا إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فقال : إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فأقبل عن يساره فقال : ألا إن الحجاج كافر ، فعل ذلك مراراً ، ثم قال : كافر يا أهل العراق باللّات والعزّى[١] .

وقال حنبل بن إسحاق : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا ضمرة ، حدّثنا ابن شوذب ، عن مالك بن دينار قال : بينما الحجاج يخطبنا يوماً إذ قال : الحجاج كافر ، قلنا : ما له ؟ أي شيء يريد ؟ قال : الحجاج كافر بيوم الأربعاء والبغلة الشهباء .

وقال الأصمعي : قال عبد الملك يوماً للحجاج : ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه . فصف عيب نفسك ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فأبى ، فقال : أنا لجوج حقود حسود ، فقال عبد الملك : ما في الشيطان شر مما ذكرت[٢] . وفي رواية أنه قال : إذاً بينك وبين إبليس نسب .

وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة ، وخذلانهم لهم ، وعصيانهم ، ومخالفتهم ، والافتئات عليهم .

قال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدّثني معاوية بن صالح ، عن شريح بن عبيد عمن حدثه قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فأخبره أن أهل العراق حصبوا أميرهم فخرج غضبان ، فصلى لنا صلاة فسها فيها ، حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله ، سبحان الله ، فلما سلّم أقبل على الناس فقال : من هاهنا من أهل الشام ؟ فقام رجل ، ثم قام آخر ، ثم قمت أنا ثالثاً أو رابعاً ، فقال : يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرّخ ، اللهم إنهم قد لبسوا عليهم فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي ، يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم[٣] . وقد رويناه في كتاب مسند عمر بن الخطاب من طريق أبي عذبة الحمصي عن عمر مثله .

وقال عبد الرزاق : حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار ، عن الحسن قال علي بن أبي طالب : اللهم كما ائتمنتهم فخانوني ، ونصحت لهم فغشوني ، فسلّط عليهم فتى ثقيف الذيال الميال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية . قال يقول الحسن : وما خلق الحجاج يومئذ[٤] .

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٦٦) وتهذيبه (٤/ ٧٤ ـ ٧٥) .
(٢) المصدر نفسه (١٢/ ١٦٧) .
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٦٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢١) وتهذيب ابن عساكر (٤/ ٧٥) وذكره البيهقي في الدلائل عن أبي عذبة الحمصي .
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٨٨) وتاريخ دمشق (١٢/ ١٦٨ـ١٦٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢١) وتهذيب ابن عساكر (٤/ ٧٥) وإسناده منقطع كما قال المصنف في دلائل النبوة من البداية والنهاية (٦/ ٢٣٨) .

ورواه معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أيوب ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، عن علي أنه قال : الشاب الذيال أمير المصرين يلبس فروتها ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه الفرق ، ويكثر منه الأرق ، ويسلطه الله على شيعته .

وقال الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة »[1] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي : حدّثنا سعيد بن مسعود . حدّثنا يزيد بن هارون ، أنبأ العوام بن حوشب ، حدّثني حبيب بن أبي ثابت . قال قال علي لرجل : لا متّ حتى تدرك فتى ثقيف ، قال : وما فتى ثقيف ؟ قال : ليقالن له يوم القيامة : اكفنا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة ، أو بضعاً وعشرين سنة ، لا يدع لله معصية إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة ، وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل بمن أطاعه من عصاه .

وقال الطبراني[2] : حدّثنا القاسم بن زكريا ، حدّثنا إسماعيل بن موسى السُّدِّي[3] ، حدّثنا علي بن مسهر ، عن الأجلح ، عن الشعبي ، عن أم حكيم بنت عمرو بن سنان الجدلية قالت : استأذن الأشعث بن قيس على عليٍّ فرده قنبر فأدمى أنفه فخرج عليٌّ فقال : ما لك وله يا أشعث ، أما والله لو بعبد ثقيف تحرشت لاقشعرت شعيرات استك ، قيل له : يا أمير المؤمنين ومن عبد ثقيف ؟ قال : غلام يليهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا ألبسهم ذلاً ، قيل كم يملك ؟ قال عشرين إن بلغ .

وقال البيهقي[4] أنبأنا أبو عبد الله الحافظ : أبنا الحسين بن الحسن بن أيوب ، حدّثنا أبو حاتم الرازي ، حدّثنا عبد الله بن يوسف التِّنيسي ، حدّثنا [هشام] بن يحيى الغساني[5] قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها ، وجئنا بالحجاج لغلبناهم .

وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النجود أنه قال : ما بقيت لله عزَّ وجلَّ حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج[6] .

وقد تقدم الحديث « إن في ثقيف كذاباً ومبيراً » وقد ذكرنا شأن المختار هو الكذاب المذكور في هذا الحديث ، وقد كان يظهر الرفض أولاً ويبطن الكفر المحض ، وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف هذا ، وقد كان ناصبيّاً يبغض علياً وشيعته في هوى آل مروان وبني أمية ، وكان جباراً عنيداً ، مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة . وقد رُوي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدَّمنا . فإن كان قد تاب منها وأقلع

---

(١) دلائل النبوة (٦/ ٤٨٩) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩) وإسناده ضعيف لانقطاعه .
(٢) المعجم الكبير (١/ ٢٣٧) رقم (٦٥١) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١٦٩) وإسناده ضعيف .
(٣) في ط : « السدوسي » محرف ، وهو الفزاري ، من رجال التهذيب .
(٤) دلائل النبوة (٦/ ٤٨٩) .
(٥) في ط : الغاني ؛ خطأ ، والتصحيح من دلائل النبوة .
(٦) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٤) .

عنها ، وإلا فهو باقٍ في عهدتها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه ، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جداً لوجوه ، وربما حرّفوا عليه بعض الكَلِم . وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات .

وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسْكر ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج ، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسرائرها ، وخفيات الصدور والضمائر .

[قلت : الحجاج أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء ، وكفى به عقوبة عند الله عزَّ وجلَّ ، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن ، فكان يعطي على القرآن كثيراً ، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ثلثمائة درهم . والله أعلم][(١)] .

وقال المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن طَرارا البغدادي : حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري ، حدّثنا أبي ، حدّثنا أحمد بن عبيد ، حدّثنا هشام بن محمد بن السّائب الكلبي ، حدّثنا عَوَانة بن الحكم الكلبي . قال : دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه قال له : إيه إيه يا أنيس ، يوم لك مع علي ، ويوم لك مع ابن الزبير ، ويوم لك مع ابن الأشعث ، والله لأستأصلنك كما تستأصل الشاة . ولأدمغنك كما تدمغ الصمغة . فقال أنس : إياي يعني الأمير أصلحه الله ؟ قال : إياك أعني صك الله سمعك ، قال أنس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لولا الصبية الصغار ما باليت أي قتلة قتلت . ولا أي ميتة مت ، ثم خرج من عند الحجاج فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج ، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضباً ، وشفق عجباً ، وتعاظم ذلك من الحجاج ، كان كتاب أنس إلى عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك ، أما بعد : فإن الحجاج قال لي هُجرًا ، وأسمعني نكراً ، ولم أكن لذلك أهلاً ، فخذْ لي على يديه ، فإني أمتُّ بخدمتي رسول الله ﷺ وصحبتي إياه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فبعث عبد الملك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ـ وكان مصادقاً للحجاج ـ فقال له : دونك كتابيّ هذين فخذهما واركب البريد إلى العراق ، وابدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ فادفع كتابي إليه وأبلغه مني السلام ، وقل له : يا أبا حمزة قد كتبت إلى الحجاج الملعون كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أَمَتِكَ ، وكان كتاب عبد الملك إلى أنس بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الملك بن مروان إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكايتك الحجاج ، وما سلطته عليك ولا أمرته بالإساءة إليك ، فإن عاد لمثلها اكتب إليّ بذلك أُنزل به عقوبتي ، وتحسن لك معونتي . والسلام .

---

(١) ما بينهما زيادة من ط .

فلما قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين وأخبر برسالته قال : جزى الله أمير المؤمنين عني خيراً ، وعافاه وكفاه وكافأه بالجنة ، فهذا كان ظني به والرجاء منه . فقال إسماعيل بن عبيد الله لأنس : يا أبا حمزة إن الحجاج عامل أمير المؤمنين ، وليس بك عنه غنىً ، ولا بأهل بيتك ، ولو جعل لك في جامعة ثم دفع إليك ، فقاربه وداره [تعش معه بخير وسلام] . فقال أنس : أفعل إن شاء الله . ثم خرج إسماعيل من عند أنس فدخل على الحجاج ، فلما رآه الحجاج قال : مرحباً برجل أُحبه وكنت أُحب لقاءه ، فقال إسماعيل : أنا والله كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به [فتغيّر لون الحجاج وخاف] وقال : ما أتيتني به ؟ قال : فارقت أمير المؤمنين وهو أشد الناس غضباً عليك ، ومنك بعداً ، قال : فاستوى الحجاج جالساً مرعوباً ، فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويعرق ، وينظر إلى إسماعيل أخرى ، فلما فضه قال : قم بنا إلى أبي حمزة نعتذر إليه ونترضاه ، فقال له إسماعيل : لا تعجل ! فقال : كيف لا أعجل وقد أتيتني بآبدة ؟ وكان في الطومار :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد فإنك عبد طمت بك الأمور ، فسموت فيها وعدوت طورك ، وجاوزت قدرك ، وركبت داهية إدّاً ، وأردت أن تبرزني[1] فإن سوغتكها مضيت قدماً ، وإن لم أسوغكها رجعت القهقرى ، فلعنك الله من عبد أخفش العينين ، منقوص الجاعرتين . أنسيت مكاسب آبائك بالطائف ، وحفرهم الآبار ، ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل ، يا بن المستفرمة بعجم الزبيب ، والله لأغمزنك غمز اللَّيث الثعلب ، والصقر الأرنب . وثبت على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بين أظهرنا ، فلم تقبل له إحسانه ، ولم تتجاوز له عن إساءته ، جرأة منك على الرب عزَّ وجلَّ ، واستخفافاً منك بالعهد ، والله لو أن اليهود والنصارى رأت رجلاً خدم عزير بن عزرى ، وعيسى بن مريم ، لعظَّمته وشرفته وأكرمته وأحبته [بل لو رأوا من خدم حمار العزير أو خدم حواري المسيح لعظموه وأكرموه][2] فكيف وهذا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ثماني سنين ، يطلعه على سره ، ويشاوره في أمره ، ثم هو مع هذا بقية من بقايا أصحابه ، فإذا قرأت كتابي هذا فكن أطوع له من خفه ونعله ، وإلا أتاك مني سهم مثكل بخسفٍ قاض[3] ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٧][4] وقد تكلم ابن طرارا على ما وقع في هذا الكتاب من الغريب ، وكذلك ابن قتيبة وغيرهما من أئمة اللغة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[5] : حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الزبير ـ يعني ابن عدي ـ

---

(١) في ط : تبدو لي ، وما أثبت عن تهذيب تاريخ دمشق .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ليست في تاريخ دمشق .
(٣) في ط : سهم بكل حتفٍ قاص ؛ وما أثبت عن أ ، ب وتهذيب تاريخ دمشق .
(٤) نص الكتاب في تاريخ دمشق (١٢/ ١٧١ ـ ١٧٣) وتهذيبه (٤/ ٧٧ ـ ٧٨) .
(٥) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٣٢ و١٧٧) وتاريخ دمشق (١٢/ ١٧٤) .

قال : أتينا أنس بن مالك نشكو إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم عام أو زمان أو يوم إلا والذي بعده شرٌّ منه ، حتى تلقوا ربكم عزَّ وجلَّ ، سمعته من نبيكم ﷺ وهكذا رواه البخاري(١) عن محمد بن يوسف ، عن سفيان وهو الثوري ، عن الزُّبير بن عدي ، عن أنس قال : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » الحديث . قلت : ومن الناس من يروي هذا الحديث بالمعنى فيقول : كل عام ترذلون . وهذا اللفظ لا أصل له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث ، والله أعلم(٢) .

وقد قال سفيان الثوري : عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي . قال : يأتي على الناس زمان يصلّون فيه على الحَجّاج(٣) .

وقال أبو نعيم : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السفر . قال : قال الشعبي : والله لئن بقيتم لتمنّون الحجّاج .

وقال الأصمعي : قيل للحسن : إنك تقول : الآخر شر من الأول ، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحَجّاج . فقال الحسن : لا بد للناس من متنفسات(٤) .

وقال ميمون بن مهران : بعث الحجاج إلى الحسن وقد همّ به ، فلما قام بين يديه قال : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأين هم ؟ قال : ماتوا قال : فنكّس الحجاج رأسه وخرج الحسن .

وقال أيوب السختياني : إن الحجاج أراد قتل الحسن مراراً فعصمه الله منه ، وقد ذكر له معه مناظرات ، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه ، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث عن ذلك ،

---

(١) صحيح البخاري رقم (٧٠٦٨) في الفتن .

(٢) بعدها في ط التعليق التالي وواضح أنه من زيادة النساخ أو تلاميذ المؤلف رحمه الله . فالفتنة التيمورية بعد عصر المؤلف .
قلت : قد مر بي مرة من كلام عائشة مرفوعاً وموقوفاً : « كل يوم ترذلون » ورأيت للإمام أحمد كلاماً قال فيه : وروي في الحديث : « كل يوم ترذلون نسماً خبيثاً » فيحتمل هذا أنه وقع للإمام أحمد مرفوعاً ، ومثل أحمد لا يقول هذا إلا عن أصل ، وقد رُوي عن الحسن مثل ذلك ، والله أعلم . فدلّ على أن له أصلاً إما مرفوعاً وإما من كلام السلف ، لم يزل يتناوله الناس قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، حتى وصل إلى هذه الأزمان ، وهو موجود في كل يوم ، بل في كل ساعة تفوح رائحته ، ولاسيما من بعد فتنة تمرلنك ، وإلى الآن نجد الرذالة في كل شيء ، وهذا ظاهر لمن تأمله ، والله سبحانه وتعالى أعلم . أقول : لا أصل له مرفوعاً ، كما قال المؤلف رحمه الله ، وإنما قال بعضهم : هو من كلام الحسن البصري .

(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٧٥) . وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٧٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٢) .

(٤) في ط : تنفيسات ، وما أثبت يوافق تاريخ دمشق (١٢/ ١٧٥) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٧٨) .

وإنما خرج معهم مكرهاً كما قدَّمنا ، وكان الحسن يقول : إنما هو نقمة فلا تقابلوا نقمة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع[(١)] .

وقال ابن دريد عن الحسن بن الخضر عن ابن عائشة . قال : أتى الوليد بن عبد الملك رجل من الخوارج فقيل له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، قال فعثمان ؟ فأثنى خيراً [قيل له : فما تقول في علي ؟ فأثنى خيراً ، فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد ، فيثني على كل بما يناسبه][(٢)] حتى قيل له : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال : الآن جاءت المسألة ، ما أقول في رجل الحجاج خطيئة من بعض خطاياه ؟[(٣)] .

وقال الأصمعي : عن علي بن مسلم الباهلي قال : أُتي الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً ، فقال لها بعض الشرط : يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه ؟ فقالت : إني لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها فقتلت[(٤)] .

وقد ذكرنا في سنة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسعيد بن جبير، وما دار بينهما من الكلام والمراجعة .

وقد قال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدّثنا أبو ظفر ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن بسطام بن مسلم ، عن قتادة قال قيل لسعيد بن جبير : خرجت على الحَجَّاج ؟ قال : إني والله ما خرجت عليه حتى كفر[(٥)] . ويقال إنه لم يقتل بعده إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان ، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً ، أكثرهم ممن خرج مع ابن الأشعث .

وقال أبو عيسى الترمذي[(٦)] : حدّثنا أبو داود سليمان بن سَلْم[(٧)] البلخي ، حدّثنا النضر بن شميل ، عن هشام بن حَسَّان قال : أحصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مئة ألف وعشرين ألفاً .

قال الأصمعي : حدّثنا أبو عاصم ، عن عَبّاد بن كثير ، عن قَحْذَم قال : أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحداً وثمانين ألف أسير ، وعرضت السجون بعد الحجَّاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب[(٨)] .

---

(١) الخبر والذي قبله في تاريخ دمشق (١٢ / ١٧٥ ـ ١٧٦) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٧٩ ـ ٨٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٢) عن مالك بن دينار .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٣) الخبر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨١) .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٣) .
(٦) جامع الترمذي رقم (٢٢٢٠) في الفتن ، وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٣) .
(٧) في ط : « سليمان بن مسلم » محرف ، وهو من رجال التهذيب .
(٨) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٣) .

وكان فيمن حبس أعرابي وُجد يبول في أصل ربض مدينة واسط ، وكان فيمن أُطلق فأنشأ يقول :

إذا نحنُ جاوزنا مدينةَ واسطٍ خرينا وصلينا بغير حسابِ[(١)]

وقد كان الحجاج مع هذا العنف الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير أمر .

قال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي : حدّثنا سليمان بن أبي شيخ[(٢)] ، حدّثنا صالح بن سليمان قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم ، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا لآخرة لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون في العمارة ، فأخَسَّ به إلى أن صيَّره إلى أربعين ألف ألف ، ولقد أدَّى إليّ عمالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف ، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إليّ ما أُدِّي إلى عمر بن الخطاب مئة ألف ألف وعشرة آلاف ألف[(٣)] .

وقال أبو بكر بن المقري : حدّثنا أبو عروبة ، حدّثنا عمرو بن عثمان ، حدّثنا أبي : سمعت جدي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : بلغني أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسنته ، فإنه كان يصلِّي الصلاة لغير وقتها ، ويأخذ الزكاة من غير حقها ، وكان لما سوى ذلك أضيع[(٤)] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدّثنا سعيد بن أسد ، حدّثنا ضمرة ، عن الرَّيَّان بن مسلم . قال : بعث عمر بن عبد العزيز بآل بيت أبي عقيل ـ أهل بيت الحجاج ـ إلى صاحب اليمن وكتب إليه : أما بعد فإني قد بعثت بآل أبي عقيل وهم شرّ بيت في العرب ، ففرّقهم في العمل على قدر هوانهم على الله وعلينا ، وعليك السلام . وإنما نفاهم[(٥)] .

وقال الأوزاعي : سمعت القاسم بن مُخيمرة يقول : كان الحجاج ينقض عرى الإسلام[(٦)] ، وذكر حكاية .

وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم : لم يبق لله حرمة إلا ارتكبها الحَجَّاج بن يوسف[(٧)] .

وقال يحيى بن عيسى الرملي ، عن الأعمش : اختلفوا في الحَجاج فسألوا مجاهداً فقال : تسألون عن الشيخ الكافر ؟! .

---

(١) الخبر في تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٤) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٣) والعقد الفريد (٣/ ١٧) وفيه الشطر الثاني : خرينا وبلنا لا نخاف عقابا

(٢) في ط : « سنح » محرف .

(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٥) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٣ ـ ٣٢٤).

(٤) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٧) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٣) .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٨) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) .

(٧) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٤) .

وروى ابن عساكر[١] : عن الشعبي أنه قال : الحجاج مؤمن بالجبت والطاغوت ، كافر بالله العظيم . [كذا قال والله أعلم] .

وقال الثوري : عن معمر ، عن طاووس عن أبيه قال : عجباً لإخواننا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمناً[٢] ؟!

وقال الثوري : عن ابن عون : سمعت أبا وائل يسأل عن الحجاج : أتشهد أنه من أهل النار ؟ قال أتأمروني أن أشهد على الله العظيم .

وقال الثوري عن منصور : سألت إبراهيم عن الحَجّاج أو بعض الجبابرة فقال : أليس الله يقول ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] وبه قال إبراهيم وكفى بالرجل عمى أن يعمى عن أمر الحجاج[٣] .

وقال سلام بن أبي مطيع لأنا بالحجاج أرجى مني لعمرو بن عبيد ، لأن الحجاج قتل الناس على الدنيا ، وعمرو بن عبيد أحدث للناس بدعة شنعاء ، قتل الناس بعضهم بعضاً[٤] .

وقال الزبرقان : سببت الحَجّاج يوماً عند أبي وائل فقال : لا تسبه لعله قال يوماً اللهم ارحمني فيرحمه ، إياك ومجالسة من يقول أرأيت أرأيت أرأيت .

وقال عوف : ذكر الحَجّاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكين أبو محمد ، إن يعذبه الله عزَّ وجلَّ فبذنبه ، وإن يغفر له فهنيئاً له ، وإن يلق الله بقلب سليم فهو خير منا ، وقد أصاب الذنوب من هو خير منه . فقيل له : ما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم الله تعالى منه الحياء والإيمان ، وأن يعلم أن الله حق ، وأن الساعة حق قائمة ، وأن الله يبعث من في القبور[٥] .

وقال أبو قاسم البغوي[٦] : حدّثنا أبو سعيد ، حدّثنا أبو أسامة قال : قال رجل لسفيان الثوري : أتشهد على الحجاج وعلى أبي مسلم[٧] أنهما في النار ؟ قال : لا ! إذا أقرّا بالتوحيد .

وقال الرياشي : حدّثنا عباس[٨] الأزرق ، عن السَّري بن يحيى ، قال : مَرّ الحجاج في يوم جمعة

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٧) .

(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٨) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٤) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) تاريخ دمشق (١٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .

(٥) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٠) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) .

(٦) رواه ابن عساكر في تاريخه (١٢/ ١٩٠) .

(٧) في ط : « أبي مسلم الخراساني » ، وهو بعيد والمقصود بأبي مسلم رحمه الله ـ والله أعلم ـ يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج وسيّافه ؛ فهذه كنيته .

(٨) تحرفت في (أ) إلى : عياش .

فسمع استغاثة فقال : ما هذا ؟ فقيل أهل السجون يقولون قتلنا الحر ، فقال : قولوا لهم : ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] قال : فما عاش بعد ذلك إلا أقل من جمعة(١) .

وقال بعضهم : رأيته وهو يأتي الجمعة وقد كاد يهلك من العلة .

وقال الأصمعي : لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته فقال في خطبته : إن طائفة من أهل الشقاق والنفاق نزغ الشيطان بينهم(٢) فقالوا : مات الحجاج ، ومات الحجاج فمه ؟! فهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرني أن لا أموت وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيت الله رضي التخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس ، قال الله له ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥] فأنظره إلى يوم الدين ، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص : ٣٥] فأعطاه الله ذلك إلا البقاء(٣) . [ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره ، فقال ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] فما عسى أن يكون أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، كأني والله بكل حي منكم ميتاً ، وبكل رطب يابساً ، ثم نقل في أثياب أكفانه [فخد له في الأرض] ثلاثة أذرع(٤) طولاً في ذراع عرضاً ، فأكلت لحمه ، ومصّت صديده ، وانصرف الحبيب من ولده يقسم الحبيب من ماله ، إن الذين يعقلون ما أقول ، ثم نزل(٥) .

وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني ، عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : ما حسَدْتُ الحَجَّاج عدو الله على شيء حَسَدي إياه على حُبّه القرآن وإعطائه أهله عليه ، وقوله حين حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل(٦) .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا علي بن الجعد ، حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، عن محمد بن المنكدر . قال : كان عمر بن عبد العزيز يبغض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت : اللهم اغفر لي فإنهم يزعمون أنك لا تفعل(٧) .

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٢) وتهذيب تاريخ دمشق (٨٤ ـ ٨٥) ومروج الذهب (٣/ ١٦٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٥) .

(٢) في مروج الذهب وتاريخ الإسلام : نفخ الشيطان في مناخرهم .

(٣) في مروج الذهب (٣/ ١٦٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠/ ص٣٢٥) : ثم اضمحل فكأن لم يكن .

(٤) في مروج الذهب وتاريخ الإسلام : وبكل امرئ في ثياب طهور إلى بيت حفرته فخد له في الأرض خمسة أذرع طولاً في ذراعين عرضاً .

(٥) مروج الذهب (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣) والعقد الفريد (٣/ ١٧) وتاريخ دمشق (١٢/ ١٩٣) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٥) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٥) .

(٦) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٤) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٦) .

(٧) المصدر نفسه .

قال : وحدّثني بعض أهل العلم . قال : قيل للحسن : إن الحَجَّاج قال عند الموت كذا وكذا ، قال : قالها ؟ قالوا : نعم ! قال : فما عسى(١) .

وقال أبو العباس المرّي : عن الرياشي عن الأصمعي قال : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يا ربّ قدْ حلفَ الأعداءُ واجتهدوا ... بـأنني رجل مـنْ سـاكنـي النّـارِ
أيحلفـونَ علـى عميـاء ويحهـمُ ... مـا علمهـمْ بكثيـر العفـو جَبَّـار(٢)

قال فأخبر بذلك الحسن فقال : بالله إن نجا لينجونّ بهما . وزاد بعض الناس :

إنّ المـوالـي إذا شـابـتْ عبيـدهـم ... فـي رقهـم عتقـوهـمْ عتـقَ أبـرارِ
وأنـتَ يـا خـالقـي أولـى بـذا كـرمـاً ... قد شبتُ في الرِّق فاعتقني منَ النارِ

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أحمد بن عبد الله التّيمي قال : لما مات الحجاج لم يعلم أحد بموته حتى أشرفت جارية فبكت فقالت : ألا إن مطعم الطعام [وميتم الأيتام ، ومرمل النساء] ومفلق الهام وسيد أهل الشام قد مات ، ثم أنشأت تقول :

اليـوم يـرحمنـا مـن كـان يبغضنـا ... واليـوم يـأمننـا مـن كـان يخشـانـا(٣)

وروى عبد الرزاق(٤) : عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه : أنه أخبر بموت الحجاج مراراً فلما تحقق وفاته قال : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

وروى غير واحد أن الحسن لما بشر بموت الحجاج سجد شكراً لله عزَّ وجلَّ ، وكان مختفياً فظهر(٥) .

وقال : اللهم أمتّه فأذهب عنا سنته .

وقال حماد بن أبي سليمان : لما أخبرتُ إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدّثنا سليمان بن أبي شيخ ، حدّثنا صالح بن سليمان قال : قال زياد بن الربيع بن الحارث لأهل السجن : يموت الحجاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا ، فلما كانت الليلة لم ينم أهل السجن فرحاً ، جلسوا ينظرون حتى يسمعوا الناعية .

وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ، وقيل كان ذلك لخمس بقين من رمضان ، وقيل في شوال

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٤) وفي تاريخ الإسلام (ص٣٢٦) قريباً منه .
(٢) في ط : بعظيم العفو غفار . وكذلك في تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٥) والخبر مع الأبيات في تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٦) .
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩٥) .
(٤) ومن طريق عبد الرزاق رواه ابن عساكر (١٢/ ١٩٥) .
(٥) تاريخ دمشق (٢/ ١٩٦) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٦) .

من هذه السنة ، وكان عمره إذ ذاك خمساً وخمسين سنة[١] ، لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل قبلها بسنة ، توفي بواسط وعُفي قبره ، وأجري عليه الماء لكيلا ينبش ويحرق[٢] . والله أعلم .

وقال الأصمعي : ما كان أعجب حال الحجاج ، ما ترك إلا ثلاثمئة درهم .

وقال الواقدي : حدّثنا عبد الله بن محمد بن عبيد ، حدّثني عبد الرحمن بن عبيد الله بن فرق : حدّثنا عمي قال : زعموا أن الحجاج لما مات لم يترك إلا ثلاثمئة درهم ومصحفاً وسيفاً وسرجاً ورحلاً ومئة درع موقوفة[٣] .

وقال شهاب بن خراش : حدّثني عمي يزيد بن حوشب قال : بعث إليّ أبو جعفر المنصور فقال : حدّثني بوصية الحَجَّاج بن يوسف ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فقال : حدِّثني بها ، فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيا ، وعليها يموت ، وعليها يبعث ، وأوصى بتسعمئة درع حديد ، ستمئة منها لمنافقي أهل العراق يغزون بها ، وثلاثمئة للترك . قال : فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي ـ وكان قائماً على رأسه ـ فقال : هذه والله الشيعة لا شيعتكم .

وقال الأصمعي عن أبيه قال : رأيت الحجاج في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتلة قتلت بها إنساناً[٤] ، قال : ثم رأيته بعد الحول فقلت : يا أبا محمد ما صنع الله بك ؟ فقال : يا ماص بظر أمه أما سألت عن هذا عام أول ؟ .

وقال القاضي أبو يوسف : كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال . يا أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم ، قال : في أي زيّ رأيته ؟ قال : في زي قبيح . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما أنت وذاك يا ماصّ بظر أمه ! فقال هارون : صدقت والله ، أنت رأيت الحجاج حقاً ، ما كان أبو محمد ليدع صَرَامته حياً وميتاً[٥] .

وقال حنبل بن إسحاق : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا ضمرة ، حدّثنا ابن شوذب ، عن أشعث الحُداني[٦] .

---

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام : قلت عاش خمساً وخمسين سنة .
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٥٣) .
(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ١٩١) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٨٤) .
(٤) تاريخ دمشق (١٢/ ٢٠١) .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) في ط : الخراز ، وفي أ : الحراب ؛ وكلاهما تحريف ، والتصحيح من تاريخ دمشق .

قال : رأيت الحجاج في المنام في حال سيئة فقلت : يا أبا محمد ما صنع بك ربك ؟ قال : ما قتلت أحداً قتلة إلا قتلني بها. قال ثم أمر بي إلى النار ، قلت : ثم مه ، قال ثم أرجو ما يرجو أهل لا إله إلا الله. قال : وكان ابن سيرين يقول : إني لأرجو له ، فبلغ ذلك الحسن فقال : أما والله ليخلفن الله رجاءه فيه .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : كان الحسن البصري لا يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحجاج فدعا عليه ، قال : فرآه في منامه فقال له : أنت الحجاج ؟ قال : أنا الحجاج ، قال : ما فعل الله بك ؟ قال : قتلت بكل قتيل قتلته ثم عزلت مع الموحدين . قال : فأمسك الحسن بعد ذلك عن شتمه(١) . والله أعلم .

[وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا حمزة بن العباس ، حدّثنا عبد الله بن عثمان ، أبنا ابن المبارك ، أنبأنا سفيان . قال : قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان وافداً ومعه معاوية بن قرة ، فسأل عبد الملك معاوية عن الحَجّاج فقال : إن صدقناكم قتلتمونا ، وإن كذبناكم خشينا الله عزَّ وجلَّ ، فنظر إليه الحَجّاج فقال له عبد الملك : لا تعرض له ، فنفاه إلى السند فكان له بها مواقف](٢) .

ومن توفي في هذه السنة أعني سنة خمس وتسعين :

إبراهيم بن يزيد النخعي(٣) [قال : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عُرِف ذلك فينا أياماً ، لأنا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيَّره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم تتحدثون في جنائزكم بأحاديث دنياكم .

وقال : لا يستقيم رأي إلا برويَّة ، ولا روية إلا برأي .

وقال : إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديك من فلاحه .

وقال : إني لأرى الشيء مما يعاب فلا يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أُبتلى به .

وبكى عند موته فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : انتظار ملك الموت ، ما أدري يبشرني بجنة أو بنار](٤) .

والحسن بن محمد ابن الحنفية(٥) ، كنيته أبو محمد ، كان المقدم على إخوته ، وكان عالماً فقيهاً عارفاً بالاختلاف والفقه والتفسير .

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ٢٠٢) .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .

(٣) ترجمة ـ إبراهيم النخعي ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٠ ـ ٢٨٤) وتاريخ خليفة (٣١٣) وطبقاته (١٥٧) وتاريخ البخاري (١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) وحلية الأولياء (٤/ ٢١٩ـ٢٤٠) وتهذيب الكمال (٢/ ٢٣٣ ـ ٢٤٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٧٩ ـ ٢٨٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠ـ٥٢٩) والوافي بالوفيات (٦/ ١٦٩) وتهذيب التهذيب (١/ ١٧٧ ـ ١٧٩) وشذرات الذهب (١/ ٣٨٧) .

(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق ما ورد في حلية الأولياء .

(٥) ترجمة ـ الحسن بن محمد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٨) وطبقات خليفة (٢٣٩) وتاريخ البخاري (٢/ ٣٠٥)=

وكان من ظرفاء بني هاشم وعقلائهم ، ولا عقب له .

قال أيوب السّختياني وغيره : كان أول من تكلّم في الإرجاء ، وكتب في ذلك رسالة ثم ندم عليها[١] .

وقال غيرهم : كان يتوقف في عثمان وعلي وطلحة والزبير ، فلا يتولاهم ولا يذمهم ، فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية ضربه فشجه وقال : ويحك ألا تتولى أباك علياً[٢] ؟

وقال أبو عبيد : توفي سنة خمس وتسعين .

وقال خليفة : توفي في أيام عمر بن عبد العزيز والله أعلم .

حميد بن عبد الرحمن[٣] **بن عوف الزهري** [وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه ، وكان حميد فقيهاً نبيلاً عالماً ، له روايات كثيرة][٤] .

ومطرف بن عبد الله بن الشخير[٥] ، وكل هؤلاء لهم تراجم في كتابنا « التكميل »[٦] .

وفيها كان موت الحجاج [بواسط] كما تقدم ذلك مبسوطاً مستقصى ولله الحمد .

وفيها كان مقتل سعيد بن جبير في قول علي بن المدائني وجماعة ، والمشهور أنه كان في سنة أربع وتسعين كما ذكره ابن جرير[٧] وغير واحد والله أعلم .

= والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٣) ومواضع أخرى ، وتاريخ دمشق (١٣/ ٣٧٣ ـ ٣٨١) وتهذيبه (٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٩٩) وتهذيب الكمال (٦/ ٣١٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٣٣١ ـ ٣٣٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٠ ـ ١٣١) والوافي بالوفيات (١٢/ ٢١٣ ـ ٢١٤) وتهذيب التهذيب (٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٧) .

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٨) وتهذيب الكمال (٦/ ٣٢١) .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٤٩) وتهذيب الكمال (٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) .

(٣) ترجمة ـ حميد بن عبد الرحمن ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥٣) وتاريخ خليفة (٣٣٦) وطبقاته (٢٤٢) وتاريخ البخاري (٢/ ٣٤٥) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٨٤) وأسد الغابة (٢/ ٥٤) وتهذيب الكمال (٧/ ٣٧٨ ـ ٣٨١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٣٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) والوافي بالوفيات (١٣/ ١٩٥) وتهذيب التهذيب (٢/ ٥٤) .

(٤) ما بين معكوفين زيادة من ط وهي توافق ما في المصادر .

(٥) ترجمة ـ مطرف بن عبد الله ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٤١ ـ ١٤٦) وتاريخ خليفة (١٩٧) وطبقاته (١٩٧) وتاريخ البخاري (٧/ ٣٩٦) وحلية الأولياء (٢/ ١٩٨ ـ ٢١٢) وتهذيب الكمال (٢٨/ ٦٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧٩ ـ ٤٨٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧ ـ ١٩٥) والإصابة (٣/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٧٣ ـ ١٧٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢١٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٨٧) .

(٦) سبق وأن عرّفنا بكتاب التكميل للمؤلف رحمه الله .

(٧) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٧) .

ثم دخلت سنة ست وتسعين

وفيها فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى كاشغر[١] من أرض الصين وبعث إلى ملك الصين رسلاً يتهدده ويتوعده ويقسم بالله لا يرجع حتى يطأ بلاده ويختم ملوكهم وأشرافهم ، ويأخذ الجزية [منهم أو يدخلوا في الإسلام] فدخل الرسل على الملك [الأعظم فيهم ، وهو في مدينة عظيمة ، يقال إن عليها تسعين باباً في سورها المحيط بها يقال لها خان بالق ، من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً ، حتى قيل إن بلاد الهند مع اتساعها كالشامة في ملك الصين لا يحتاجون إلى أن يسافروا في ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم ، وغيرهم محتاج إليهم لما عندهم من المتاع والدنيا المتسعة ، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج ، لقهره وكثرة جنده وعدده . والمقصود أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة حصينة ذات أنهار وأسواق وحسن وبهاءٍ ، فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة ، بقدر مدينة كبيرة ، فقال لهم ملك الصين : ما أنتم ؟ ـ وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة[٢] ـ فقال الملك لترجمانه : قل لهم : ما أنتم وما تريدون ؟ فقالوا : نحن رسل قتيبة بن مسلم ، وهو يدعوك إلى الإسلام ، فإن لم تفعل فالجزية ، فإن لم تفعل فالحرب . فغضب الملك وأمر بهم إلى دار ، فلما كان الغد دعاهم فقال لهم : كيف تكونون في عبادة إلهكم ؟ فصلّوا الصلاة على عادتهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم ، فقال : كيف تكونون في بيوتكم ؟ فلبسوا ثياب مهنهم ، فأمرهم بالانصراف ، فلما كان من الغد أرسل إليهم فقال : كيف تدخلون على ملوككم ؟ فلبسوا الوشي والعمائم والمطارف ودخلوا على الملك ، فقال لهم : ارجعوا فرجعوا ، فقال الملك لأصحابه ، كيف رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا ، هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك المرة الأولى ، وهم أولئك . فلما كان اليوم الثالث : أرسل إليهم فقال لهم كيف تلقون عدوكم ؟ فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والبَيْضَ وتقلّدوا السيوف ونكبوا[٣] القسي وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا ، فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمِّرين ، فقيل لهم : ارجعوا ـ وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم ـ فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك

---

(١) كاشغر : بالتقاء الساكنين ، والشين المعجمة والغين أيضاً وراء : مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي ، وهي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون . معجم البلدان (٤/ ٤٣٠) .

(٢) في الطبري (٦/ ٥٠١) فانتخب قتيبة من عسكره اثنى عشر رجلاً ، وقال بعضهم : عشرة .. فساروا وعليهم هبيرة بن المُشَمْرِج الكلابي . والخبر أيضاً في الكامل لابن الأثير (٥/ ٥ ـ ٦) .

(٣) في ابن الأثير (٥/ ٦) : وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا .

لأصحابه : كيف ترونهم ؟ فقالوا : ما رأينا كهؤلاء قط . فلما أمسوا بعث إليهم الملك أن ابعثوا إليّ زعيمكم وأفضلكم ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقال له الملك حين دخل عليه : قد رأيتم عظم ملكي ، وليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي ، وأنا سائلك عن أمر فإن تصدقني وإلا قتلتك ، فقال : سل ! فقال الملك : لم صنعتم ما صنعتم من زي أول يوم والثاني والثالث ؟ فقال : أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا ونسائنا وطيبنا عندهم ، وأما ما فعلنا ثاني يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا ، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا . فقال الملك : ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم ـ يعني قتيبة ـ وقولوا له ينصرف راجعاً عن بلادي ، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم عن آخركم . فقال له هبيرة : تقول لقتيبة هذا ؟! فكيف يكون قليل الأصحاب مَنْ أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلّف الدنيا قادراً عليها ، وغزاك في بلادك ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإنا نعلم أن لنا أجلاً إذا حضر فأكرمها عندنا القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه . فقال الملك : فما الذي يرضي صاحبكم ؟ فقال : قد حلف أنه لا ينصرف حتى يطأ أرضك ، ويختم ملوكك ، ويجبي الجزية من بلادك ، فقال أنا أبرُّ يمينه وأخرجه منها ، أرسل إليه بتراب من أرضي ، وأربع غلمان من أبناء الملوك ، وأرسل إليه ذهباً كثيراً وحريراً وثياباً صينية لا تقوّم ولا يدري قدرها][1] ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ، ثم اتفق الحال على أن بعث بصحافٍ من ذهب متسعة فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة ، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم ، وبعث بمال جزيل ليبرَّ بيمين قتيبة [وقيل إنه بعث أربعمئة[2] من أولاده وأولاد الملوك] فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه ، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين[3] ، فانكسرت همته لذلك ، وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلي على ترك مبايعة سليمان بن عبد الملك ، وأراد الدعوة إلى نفسه[4] [لما تحت يده من العساكر ، ولما فتح من البلاد والأقاليم] فلم يمكنه ذلك ، ثم قُتل في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى ، فإنه يقال إنه ما كسرت له راية ، وكان من المجاهدين في سبيل الله ، واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره .

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة ، وغزا العباس بن الوليد الروم ، ففتح طولس والمرزبانين من بلاد الروم][5] .

---

(١) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ب وهو يوافق ما في المصادر .

(٢) في الطبري (٦/ ٥٠٣) وابن الأثير (٥/ ٧) : وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم .

(٣) في الطبري وابن الأثير : فأوفد قتيبة إلى الوليد فمات بقرية من فارس .

(٤) في الطبري (٦/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) ما ملخصه : أن قتيبة أرسل إلى سليمان ؛ لئن وليت يزيد بن المهلّب خراسان لأخلعنك .

(٥) ما بين معكوفين ساقط من أ ، ب والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٤) .

وفيها تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان جزاه الله عن المسلمين خيراً ، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً معبداً بنته اليونان والكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق ، وهم الذين وضعوها وعمروها أولاً ، فهم أول من بناها[١] ، وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتميزة ، وهي القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في السماء الثانية ، والزهرة في السماء الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة . وقد كانوا صوّروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلاً لكوكب من هذه الكواكب السبعة ، وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لذلك [فنصبوا هياكل سبعة لكل كوكب هيكل] وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة ، وهؤلاء هم الذين وضعوا الأرصاد وتكلّموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها ، وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين ، وصرفوه أنهاراً تجري إلى الأماكن المرتفعة والمنخفضة ، وسلكوا الماء في أثناء[٢] أبنية الدور بدمشق [فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن ، بل هي أحسنها ، لما فيها من التصاريف العجيبة ، وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم في جهة القطب ، وكانوا يصلون إلى القطب الشمالي ، وكانت محاريبهم تجاه الشمال ، وكان باب معبدهم يفتح إلى جهة القبلة ، خلف المحراب اليوم ، كما شاهدنا ذلك عياناً ، ورأينا محاريبهم إلى جهة القطب ، ورأينا الباب وهو باب حسن مبني بحجارة منقوشة ، وعليه كتاب بخطهم ، وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة إليه ، وكان غربي المعبد قصر منيف جداً تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد ، وشرقي المعبد قصر جيرون الملك ، الذي كان ملكهم ، وكان هناك داران عظيمتان معدتان لمن يتملك دمشق قديماً[٣] منهم ، ويقال إنه كان مع المعبد ثلاث دور عظيمة للملوك ، ويحيط بهذه الدور والمعبد سور واحد عال منيف ، بحجارة كبار منحوتة ، وهن دار المطبق ، ودار الخيل ، ودار كانت تكون مكان الخضراء التي بناها معاوية .

قال الحافظ ابن عساكر[٤] فيما حكاه عن كتب بعض الأوائل : إنهم مكثوا يأخذون الطالع لبناء دمشق وهذه الأماكن ثماني عشرة سنة ، وقد حفروا أساس الجدران حتى واتاهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان (٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤) الخلاف فيمن بنى دمشق ، وأوسع في ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١١ـ٢٣) ط : دار الفكر .

(٢) في ط : أفناء . وقال ياقوت في معجمه (٢/ ٤٦٥) : ومن خصائص دمشق التي لم أر في بلد آخر مثلها كثرة الأنهار بها وجريان الماء في قنواتها ، فقلّ أن تمر بحائط إلاّ والماء يخرج منه في أنبوب إلى حوض يشرب منه ويستقي الوارد والصادر ، وما رأيت مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاهاً إلا والماء يجري في بركة في صحن هذا المكان ويسحُّ في ميضأة .

(٣) مكان العبارة في ب : وشرقيه داران يكونان لمن يتملك دمشق قديماً . وثمة خلافات بسيطة بين النسخ ضربنا صفحاً عنها ، وأثبتنا ما تأكدنا مطابقته للمصادر .

(٤) تاريخ دمشق (٢/ ٢٥٧) .

اللذان أرادوا أن هذا المعبد لا يخرب أبداً ولا تخلو منه العبادة ، وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة .

قلت : أما المعبد فلم يخل من العبادة .

قال كعب الأحبار : لا يخلو منها حتى تقوم الساعة .

وأما دار الملك التي هي الخضراء فقد جدد بناءها معاوية ، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة كما سنذكره ، فبادت وصارت مساكن لأضعف الناس وأراذلهم في الغالب إلى زماننا هذا وبالله المستعان . والمقصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مدداً طويلة ، تزيد على أربعة آلاف سنة ، حتى أنه يقال إن أول من بنى جدران هذا المعبد الأربعة هود عليه الصلاة والسلام ، وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمدد طويلة ، وقد ورد إبراهيم الخليل عليه السلام شمالي دمشق عند برزة[1] ، وقاتل هناك قوماً من أعدائه فظفر بهم ، ونصره الله عليهم ، وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة ، فهذا المكان المنسوب إليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة يأثرونه كابراً عن كابر وإلى زماننا ، والله أعلم .

وكانت دمشق إذ ذاك عامرة آهلة بمن فيها من اليونان [وكانوا خلقاً لا يحصيهم إلا الله] وهم خصماء الخليل ، وقد ناظرهم في عبادتهم الأصنام والكواكب وغيرها في غير موضع ، كما قررنا ذلك في التفسير ، وفي قصة الخليل من كتابنا هذا « البداية والنهاية » ولله الحمد وبالله المستعان .

والمقصود أن اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق ويبنون فيها وفي معاملاتها من أرض حوران والبقاع وبعلبك وغيرها ، البنايات الهائلة الغريبة العجيبة ، حتى إذا كان بعد المسيح بمدة نحو من ثلاثمئة سنة تنصر أهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين ، الذي بنى المدينة المشهورة به ببلاد الروم التي تنسب إليه وهي القسطنطينية ، وهو الذي وضع لهم القوانين [وقد كان أولاً هو وقومه وغالب أهل الأرض يونانا] ووضعت له بطاركته النصارى ديناً مخترعاً مركباً من أصل دين النصرانية ، ممزوجاً بشيء من عبادة الأوثان ، وصلّوا به إلى الشرق ، وزادوا في الصيام ، وأحلّوا الخنزير ، وعلّموا أولادهم الأمانة الكبيرة فيما يزعمون ، وإنما هي في الحقيقة خيانة كبيرة ، وجناية كثيرة حقيرة ، وهي مع ذلك في الحجم صغيرة . وقد تكلّمنا على ذلك فيما سلف وبيّناه . فبنى لهم الملك الذي ينتسب إليه الطائفة الملكية من النصارى ، كنائس كبيرة في دمشق وفي غيرها ، حتى يقال إنه بنى اثنتي عشرة ألف كنيسة [وأوقف عليها أوقافاً دارّة] ، من ذلك كنيسة بيت لحم ، وقمامة في القدس ، بنتها أم هيلانة الغندقانية ، وغير ذلك .

---

(١) ذكر ياقوت في معجمه (٢/ ٤٦٤) إن إبراهيم عليه السلام ولد في غوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل قاسيون .

والمقصود أنهم حولوا بناء هذا المعبد الذي هو بدمشق معظماً عند اليونان فجعلوه كنيسة مريحنا ، وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة ، واستمر النصارى على دينهم بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمئة سنة ، حتى بعث الله محمداً ﷺ ، فكان من شأنه صلوات الله وسلامه عليه ما تقدم بعضه في كتاب السيرة [من هذا الكتاب] وقد بعث إلى ملك الروم في زمانه ـ وهو قيصر ذلك الوقت ـ واسمه هرقل يدعوه إلى الله عزَّ وجلَّ ـ وكان من مراجعته ومخاطبته إلى أبي سفيان صخر بن حرب ما تقدم ـ ثم بعث أمراءه الثلاثة ، زيد بن حارثة مولاه ، وجعفر بن أبي طالب ، وابن رواحة ، إلى البلقاء من تخوم الشام ، فبعث الروم إليهم جيشاً كبيراً فقتلوا هؤلاء الأمراء وجماعة ممن معهم من الجيش ، فعزم النبي ﷺ على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك ، ثم رجع عام ذلك لشدة الحر ، وضعف الحال ، وضيقه على الناس . ثم لما توفى الله نبيه ﷺ بعث الصدّيق الجيوش قبل الشام ، وإلى العراق كما تقدم تفصيل ذلك في كتابنا هذا ولله الحمد ، ففتح الله على المسلمين الشام بكمالها ، ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها ، وقد بسطنا القول في ذلك عند ذكر فتحها ، فلما استقرت اليد الإسلامية عليها وأنزل الله رحمته فيها ، وساق برّه إليها ، وكتب أمير الحرب وهو أبو عبيدة إذ ذاك ، وقيل خالد بن الوليد ، لأهل دمشق كتاب أمان ، أقروا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة ، وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مريحنا ، بحكم أن البلد فتحه خالد من الباب الشرقي بالسيف ، وأخذت النصارى الأمان من أبي عبيدة ، وكان على باب الجابية الصلح ، فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة ، فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعله أبو عبيدة مسجداً ـ وكان قد صارت إليه إمرة الشام لعزل عمر خالداً وتوليته أبا عبيدة ـ ، وكان أول من صلى في هذا المسجد أبو عبيدة ثم الصحابة بعده في البقعة الشرقية منه ، التي يقال لها محراب الصحابة . ولكن لم يكن الجدار مفتوقاً بمحراب محني ، وإنما كانوا يصلّون عند هذه البقعة المباركة ، والظاهر أن الوليد هو الذي فتق المحاريب في الجدار القبلي . وقد كره كثير من السلف مثل هذه المحاريب ، وجعلوه من البدع المحدثة ، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد ، وهو باب المعبد الأعلى من جهة القبلة ، مكان المحراب الكبير [الذي في المقصورة اليوم] فينصرف النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيستهم ، ويأخذ المسلمون يمنة إلى مسجدهم ، ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم ، ولا يضربوا بناقوسهم ، إجلالاً للصحابة ومهابة وخوفاً . وقد بنى معاوية في أيام ولايته على الشام دار الإمارة قبلي المسجد الذي كان للصحابة ، وبنى فيها قبة خضراء ، فعرفت الدار بكمالها بها ، فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا . ثم لم يزل الأمر على ما ذكرنا من سنة أربع عشرة ، إلى سنة ست وثمانين في ذي القعدة منها ، وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك في شوال منها ، فعزم الوليد على أخذ بقية هذه الكنيسة وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها ؛ وجعل الجميع مسجداً واحداً ، وذلك لأن بعض المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النصارى للإنجيل ، ورفع أصواتهم في صلواتهم ، فأحب أن يبعدهم عن المسلمين ، وأن يضيف ذلك المكان إلى هذا فيكبر به

المسجد الجامع ، فيصير كله معبداً للمسلمين ، ويتسع المسجد لكثرة المسلمين ، فعند ذلك طلب النصارى وسأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المكان ، ويعوضهم إقطاعات كثيرة ، عرضها عليهم ، وأن يقر لهم أربع كنائس لم تدخل في العهد ، وهي كنيسة مريم ، وكنيسة المصلّبة داخل باب شرقي ، وكنيسة تل الجبن ، وكنيسة حميد بن درّة التي بدرب الصقل ، فأبوا ذلك أشد الإباء ، فقال : ائتوني بعهدكم ، فأتوا بعهدهم الذي بأيديهم من زمن الصحابة ، فقرئ بحضرة الوليد ، فإذا كنيسة توما ـ التي كانت خارج باب توما على حافة النهر ـ لم تدخل في العهد ، وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريحنا ، فقال الوليد : أنا أهدمها وأجعلها مسجداً ، فقالوا : بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى ونطيب له نفساً ببقية هذه الكنيسة ، فأقرّهم على تلك الكنائس ، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة .

ويقال إن الوليد لمّا أهمّه ذلك وعرض ما عرض على النصارى فأبوا من قبوله . دخل عليه بعض الناس فأرشده إلى أن يقيس من باب شرقي ومن باب الجابية ، فوجدوا أن الكنيسة قد دخلت في العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقي ومن باب الجابية فوجدوا منتصف ذلك عند سوق الريحان تقريباً ، فإذا الكنيسة قد دخلت في العنوة ، فأخذها[١] .

[وحكي عن المغيرة مولى الوليد قال : دخلت على الوليد فوجدته مهموماً فقلت : ما لك يا أمير المؤمنين مهموماً ؟ فقال : إنه قد كثر المسلمون وقد ضاق بهم المسجد ، فأحضرت النصارى وبذلت لهم الأموال في بقية هذه الكنيسة لأضيفها إلى المسجد فيتسع على المسلمين فأبوا ، فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين عندي ما يزيل همك ، قال : وما هو ؟ قلت : الصحابة لما أخذوا دمشق دخل خالد بن الوليد من باب شرقي بالسيف ، فلما سمع أهل البلد بذلك فزعوا إلى أبي عبيدة يطلبون منه الأمان فأمنهم ، وفتحوا له باب الجابية ، فدخل منه أبو عبيدة بالصلح ، فنحن نماسحهم إلى أي موضع بلغ السيف أخذناه ، وما بالصلح تركناه بأيديهم ، وأرجو أن تدخل الكنيسة كلها في العنوة ، فتدخل في المسجد . فقال الوليد : فرجت عني ، فتول أنت ذلك بنفسك ، فتولاه المغيرة ومسح من الباب الشرقي إلى نحو باب الجابية إلى سوق الريحان فوجد السيف لم يزل عاملاً حتى جاوز القنطرة الكبيرة بأربع أذرع وكسر ، فدخلت الكنيسة في المسجد ، فأرسل الوليد إلى النصارى فأخبرهم وقال : إن هذه الكنيسة كلها دخلت في العنوة فهي لنا دونكم ، فقالوا : إنك أولاً دفعت إلينا الأموال ، وأقطعتنا الإقطاعات فأبينا ، فمن إحسان أمير المؤمنين أن يصالحنا فيبقي لنا هذه الكنائس الأربعة بأيدينا ، ونحن نترك له بقية هذه الكنيسة ، فصالحهم على إبقاء هذه الأربع الكنائس ، والله أعلم .

وقيل : إنه عوضهم منها كنيسة عند حمام القاسم[٢] عند باب الفراديس داخله فسموها مريحنا باسم التي هُدمت لهم ، وأخذوا شاهدها فوضعوه فوق التي أخذوها بدلها ، فالله أعلم .

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٢٥٥) .

(٢) في ب : السقيم ؛ تحريف ، والخبر في تاريخ دمشق (٢/ ٢٥٢) ط : دار الفكر .

ثم أمر الوليد بإحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والكبراء من رؤوس الناس ، وجاء إليه أساقفة النصارى وقساوستهم فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتابنا أن من يهدم هذه الكنيسة يجن[١] ، فقال الوليد : أنا أحب أن أجن في الله عزَّ وجلَّ ، ووالله لا يهدم فيها أحد قبلي ، ثم صعد المنارة الشرقية ذات الأضالع المعروفة بالساعات ، وكانت صومعة هائلة فيها راهب عندهم ، فأمره الوليد بالنزول منها فأكبر الراهب ذلك ، فأخذ الوليد بقفاه فلم يزل يدفعه حتى أنزله ، ثم صعد الوليد على أعلى مكان في الكنيسة فوق المذبح الأكبر منها ، الذي يسمونه الشاهد ، وأخذ أذيال قبائه وكان لونه أصفر سفرجلياً فغرزها[٢] في المنطقة ، ثم أخذ فأساً بيده فضرب بها في أعلى حجر فألقاه ، فتبادر الأمراء إلى الهدم ، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، وصرخت النصارى بالعويل على درج جيرون ، وكانوا قد اجتمعوا هنالك ، فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رياح الغساني ، أن يضربهم حتى يذهبوا من هنالك ، ففعل ذلك وأمر نائبه على الخراج يزيد بن تميم بن حجر السُّلمي بإحضار اليهود ليساعدوا في هذه الكنيسة ؛ فجاؤوا فكانوا كالفعول . ذكره الحافظ ابن عساكر[٣] في ترجمة يزيد بن تميم هذا[٤] .

فهدم الوليد والأمراء جميع ما جدده النصارى في تربيع هذا المعبد من المذابح والأبنية والحنايا ، حتى بقي المكان صرحة مربعة ، ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة الأنيقة ، التي لم يشتهر مثلها قبلها على ما سنذكره ونشير إليه .

وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين والفعلة ، وكان المستحث على عمارته أخوه وولي عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ، ويقال إن الوليد بعث إلى ملك الروم يطلب منه صُنّاعاً في الرخام وغير ذلك ، ليعمروا المسجد على ما يريد ، وأرسل يتوعده لئن لم يفعل ليغزونّ بلاده بالجيوش ، وليخربن كل كنيسة في بلاده ، حتى كنيسة القدس ، وكنيسة الرُّها ، وسائر آثار الروم ، فبعث ملك الروم إليه صناعاً كثيرة جداً ، مئتي صانع ، وكتب إليه يقول : إن كان أبوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فإنه لوصمة عليك ، وإن لم يكن فهمه ، وفهمته أنت لوصمة عليه ، فلما وصل ذلك الكتاب إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك ، واجتمع الناس عنده لذلك ، وكان فيهم الفرزدق الشاعر ، فقال : أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله . قال الوليد : وما هو ويحك ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] وسليمان هو ابن داود ، ففهَّمه الله ما لم يفهمه

(١) في معجم البلدان (٢/ ٤٦٦) : خُنِقَ .

(٢) مكانها في ط : وهو ـ أي الشاهد ـ تمثال في أعلى الكنيسة ، فقال له الرهبان : احذر الشاهد ، فقال : أنا أول ما أضع فأسي في رأس الشاهد ، ثم كبَّر وضربه فهدمه ، وكان على الوليد قباء أصفر سفرجلي قد غرز أذياله . .

(٣) تاريخ دمشق (٦٥/ ١٣٤ و٢/ ٢٥٤) .

(٤) من قوله : وأمر نائبه على الخراج . . . إلى هنا زيادة من ب .

أبوه . فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جواباً إلى ملك الروم . وقد قال الفرزدق في ذلك :

فرَّقتَ بينَ النصارى في كنائسهمْ والعـابـديـنَ مـعَ الأسحـارِ والعتمِ
وهـمْ جميعـاً إذا صلـوا وأوجههـمْ شتـى إذا سجـدوا لله والصنـمِ
وكيـف يجتمـعُ النـاقـوسُ يضـربـهُ أهـلُ الصليـبِ مـعَ القـراءِ لـم تنـمِ
فهمـك الله تحـويـلاً لبيعتهـمْ عـنْ مسجدٍ فيه يتلى طيِّبُ الكلمِ
فهمتَ تحويلها عنهم كما فهما إذ يحكمانِ لهمْ في الحرثِ والغنمِ
داود والملـك المهـدي إذْ جـزأا أولادها واجتزاز الصوفِ بالجَلَمِ[1]
مـا مـن أبٍ حملتـهُ الأرضُ نعلمـهُ خيـر بنيـنٍ ولا خيـرٌ مـنْ الحكـمِ[2]

قال الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم دُحَيم الدمشقي : بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمك الحيطان .

وقال الحسن بن يحيى الخشني : إن هوداً عليه السلام هو الذي بنى الحائط القبلي من مسجد دمشق[3] .

وقال غيره : لما أراد الوليد بناء القبة التي وسط الرواقات ـ وهي قبة النسر ، وهو اسم حادث لها ، وكأنهم شبهوها بالنسر في شكله ، لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها ـ حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماءً عذباً زلالاً ، ثم إنهم وضعوا فيه جرار[4] الكرم ، وبنوا فوقها بالحجارة ، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فسقطت ؛ فقال الوليد لبعض المهندسين : أريد أن تبني لي أنت هذه القبة ، فقال : على أن تعطيني عهد الله وميثاقه على أن لا يبنيها أحد غيري ، ففعل . فبنى الأركان ثم غلَّفها بالبواري ، وغاب عنها سنة كاملة لا يدري الوليد أين ذهب ، فلما كان بعد السنة حضر ، فهمّ به الوليد فأخذه ومعه رؤوس الناس ، فكشف البواري عن الأركان فإذا هي قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض ، فقال له : مِن هذا أُتيت ، ثم بناها فانعقدت .

وقال بعضهم : أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن هذا المسجد ، فقال له المعمار : إنك لا تقدر على ذلك ، فضربه خمسين سوطاً ، وقال له : ويلك ! أنا أعجز عن ذلك وخراج الأرض وأموالها تجبى إليّ ؟ قال : نعم أنا أُبيّن لك ذلك ، قال : فبين ذلك ، قال : اضرب لبنة واحدة من الذهب وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك ، فأمر الوليد فأحضر من الذهب ما أسبك منه لبنة

---

(١) في أ : بالحلم ـ بالحاء ـ خطأ ، والجلم : ما يُجزبه ، وجلم الصوف : أي جزَّه . القاموس : (جلم) .
(٢) الأبيات في تاريخ دمشق (٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) مع الخبر ، وديوان الفرزدق (٢/ ٢٠٩) .
(٣) الخبر في تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٠) .
(٤) في ط : زيادة الكرم . وجرار الكرم : أصل الجبل . القاموس (جرر) . والخبر في ابن عساكر (٢/ ٢٦١) .

فإذا هي قد دخلها ألوف من الذهب ، فقال : يا أمير المؤمنين إنا نريد مثل هذه اللبنة كذا وكذا ألف لبنة ، فإن كان عندك ما يكفي من ذلك عملناه ، فلما تحقق صحة قوله أطلق له الوليد خمسين ديناراً[١] [وقال إني لا أعجز عما قلت ، ولكن فيه إسراف وضياع مال في غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة في سبيل الله ، ورداً على ضعفاء المسلمين خير من ذلك . ثم عقدها على ما أشار به المعمار] . ولما سقف الوليد الجامع جعلوا سقفه جملونات ، وباطنها مسطحاً مقرنصاً بالذهب ، فقال له بعض أهله : أتعبت الناس بعدك في تطيين أسطحة هذا المسجد في كل عام ، فأمر الوليد أن يجمع ما في بلاده من الرصاص ليجعله عوض الطين ، ويكون أخف على السقف . فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الأقاليم ، فعازوا فإذا عند امرأة منه قناطير مقنطرة ، فساوموها فيه ، فقالت : لا أبيعه إلا بوزنه فضة[٢] ، فكتبوا إلى أمير المؤمنين بذلك فقال : اشتروه منها ولو بزنته[٣] ، فلما بذلوا لها ذلك قالت : أما إذا قلتم ذلك فهو صدقة لله يكون في سقف هذاالمسجد ، فكتبوا على ألواحها بطابع « لله » ويقال إنها كانت إسرائيلية ، وإنه كتب على الألواح التي أخذت منها : هذا ما أعطته الإسرائيلية[٤] .

وقال محمد بن عائذ : سمعت المشايخ يقولون : ما تم بناء مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة ، لقد كان يفضل عند الرجل القومة يعنون الفعلة الفلس ورأس المسمار فيجيء حتى يضعه في الخزانة .

وقال بعض مشايخ الدماشقة : ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخامتان اللّتان في المقام من عرش بلقيس والباقي كله مرمر[٥] .

وقال بعضهم : اشترى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين العمودين الأخضرين اللذين تحت النسر ، من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار .

وقال دُحيم ، عن الوليد بن مسلم : حدّثنا مروان بن جناح عن أبيه قال : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مُرَخِّم .

وقال أبو قصي عن دُحيم ، عن الوليد بن مسلم ، عن عمرو بن مهاجر الأنصاري : إنهم حسبوا ما أنفقه الوليد على الكرمة[٦] التي في قبلة المسجد فإذا هو سبعون ألف دينار .

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٢) .
(٢) في معجم البلدان (٢/ ٤٦٦) : بوزنه ذهباً .
(٣) في معجم البلدان : ولو بوزنه مرتين .
(٤) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٣) .
(٥) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٦) .
(٦) يقصد بذلك تلك الرسوم الملونة والمنمقة التي صنعت من قطع زجاجية صغيرة مربعة مبطنة بالذهب والألوان المختلفة ، رُصَّت أمام بعضها بتنسيق في غاية الإتقان ، فأظهرت رسومات رائعة للأشجار والقصور والورود وغير ذلك مما يسمى بالفسيفساء .

وقال أبو قصي : أنفق في مسجد دمشق أربعمئة صندوق من الذَّهب ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، ـ قلت : وذلك خمسة آلاف ألف دينار وستمئة ألف دينار ـ .

وفي رواية في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار(١) : قلت : فعلى هذا يكون المصروف في عمارة الجامع الأموي أحد عشر ألف ألف دينار ، ومائتي ألف دينار . [وقيل إنه صرف أكثر من ذلك بكثير] والله أعلم .

قال أبو قصي : وأتى الحرسي إلى الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون أنفق أمير المؤمنين بيوت الأموال في غير حقها . فنودي في الناس : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس فصعد الوليد المنبر وقال : إنه بلغني عنكم أنكم قلتم أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها ، ثم قال : يا عمرو بن مهاجر ، قم فأحضر أموال بيت المال ، فحملت على البغال إلى الجامع ، ثم بسط لها الأنطاع تحت قبة النسر ، ثم أفرغ عليها المال ذهباً صبيباً ، وفضة خالصة ، حتى صارت كوماً ، حتى كان الرجل إذا قام من الجانب الواحد لا يرى الآخر من الجانب الآخر ، وهذا شيء كثير ، ثم جيء بالقبانين فوزنت الأموال فإذا هي تكفي الناس ثلاث سنين مستقبلة ، وفي رواية ست عشرة سنة مستقبلة ، لو لم يدخل للناس شيء بالكلية ؛ ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عزَّ وجلَّ على ذلك ، ودعوا للخليفة وانصرفوا شاكرين داعين . فقال لهم الوليد : يا أهل دمشق ، والله ما أنفقت في بناء هذا المسجد شيئاً من بيوت المال ، وإنما هذا كله من مالي ، لم أرزأكم من أموالكم شيئاً . ثم قال الخليفة : يا أهل دمشق ، إنكم تفخرون على الناس بأربع ، بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فأحببت أن أزيدكم خامسة وهي هذا الجامع(٢) .

وقال بعضهم : كان في قبلة جامع دمشق ثلاث صفائح مذهبة بلاذورد ، في كل منها : بسم الله الرحمن الرحيم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله وحده ، وديننا الإسلام ، ونبينا محمد ﷺ أمر ببنيان هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين الوليد ، في ذي القعدة سنة ست وثمانين .

وفي صفيحة أخرى رابعة من تلك الصفائح : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم إلى آخر السورة . ثم النازعات ، ثم عبس ، ثم إذا الشمس كورت . قالوا : ثم مُحيت بعد مجيء المأمون إلى دمشق(٣) .

وذكروا أن أرضه كانت مفضضة كلّها ، وأن الرخام كان في جدرانه إلى قامات ، وفوق الرخام كرمة عظيمة من ذهب ، وفوق الكرمة الفصوص المذَهَّبة والخضر والحمر والزرق والبيض ، قد صوروا بها سائر

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٨) .
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٦٩) .
(٣) المصدر السابق .

البلدان المشهورة ، الكعبة فوق المحراب ، وسائر الأقاليم يمنة ويسرة ، وصوروا ما في البلدان من الأشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك ، وسقفه مقرنص بالذهب ، والسلاسل المعلقة فيها جميعها من ذهب وفضة ، وأنوار الشموع في أماكنه مفرقة . قالوا : وكان في محراب الصحابة منه برنية[١] حجر من بلور ، ويقال بل كانت حجراً من جوهر وهي الدرة ، وكانت تسمى القُليلة ، وكانت إذا طُفئت القناديل تضيء لمن هناك بنورها ، فلما كان زمن الأمين بن الرشيد ـ وكان يحب البلور وقيل الجوهر ـ بعث إلى سليمان والي شرطة دمشق أن يبعث بها إليه ، فسرقها وسيّرها إلى الأمين ، فلما ولي المأمون ردّها إلى دمشق ليشنع بذلك على الأمين .

قال الحافظ ابن عساكر[٢] ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج ، قال : وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شيء .

قالوا : وكانت الأبواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق ، وإنما كان عليها الستور مرخاة ، وكذلك الستور على سائر جدرانه إلى حد الكرمة التي فوقها الفصوص المذهبة ، ورؤوس الأعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير ، وعملوا له شرفات تحيط به ، وبنى الوليد المنارة الشمالية التي يقال لها مأذنة العروس ، فأما الشرقية والغربية فكانتا فيه قبل ذلك بدهور متطاولة ، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبد صومعة شاهقة جداً ، بنتها اليونان للرصد ، فسقطت الشماليتان وبقيت القبليتان إلى الآن ، وقد أحرق بعض الشرقية بعد الأربعين وسبعمئة ، فنقضت وجدد بناؤها من أموال النصارى ، حيث اتهموا بحريقها ، فقامت على أحسن الأشكال[٣] ، بيضاء بذاتها وهي والله أعلم الشرفة التي ينزل عليها عيسى بن مريم في آخر الزمان بعد خروج الدجال ، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم[٤] عن النواس بن سمعان .

والمقصود أن الجامع الأموي لما كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه ، ولا أبهى ولا أجمل منه ، بحيث إنه إذا نظر الناظر في أي جهة منه أو إلى بقعة أو مكان منه تحير فيما ينظر إليه لحسنه وجماله ولا يمل ناظره ، بل كلما أدمن النظر بانت له أعجوبة ليست كالأخرى ، وكانت فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيء من الحشرات بالكلية ، لا من الحيات ولا من العقارب ، ولا الخنافس ولا العناكيب ، ويقال ولا العصافير أيضاً تعشش فيه ، ولا الحمام ولا شيء مما يتأذى به

---

(١) البرنية : إناء من خزف . القاموس (برن) .

(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩) .

(٣) قال الذهبي في العبر ـ ضمن أحداث سنة ٧٤٠هـ ـ وفي سادس عشر شوال وقع بدمشق حريق كبير شمل سوق اللبادين القبلية وما تحتها ومافوقها إلى عند سوق الكتب ، واحترق سوق الوراقين وسوق الذهب وحاصل الجامع وما حوله والمأذنة الشرقية وعدم للناس فيه من الأموال والمتاع ما لا يحصر ، وقد ذهب بهذا الحريق أموال الناس وأتى على المباني بأجمعها .

(٤) صحيح مسلم رقم (٢٩٣٧) في الفتن وأشراط الساعة .

الناس ، وأكثر هذه الطلسمات أو كلها كانت مودعة في سقف الجامع ، مما يلي السبع ، فأحرقت لما أحرق ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمئة[(١)] [في دولة الفاطميين] كما سيأتي ذلك في موضعه . وقد كانت بدمشق طلسمات وضعتها اليونان بعضها باقٍ إلى يومنا هذا ، والله أعلم .

فمن ذلك العمود الذي في رأسه مثل الكرة بسوق الشعير عند قنطرة أم حكيم وهذا المكان يعرف اليوم بالعلبيين ، ذكر أهل[(٢)] دمشق أنه من وضع اليونان لعسر بول الحيوان ، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق بوله ، وذلك مجرب من عهد اليونان[(٣)] .

وما زال سليمان بن عبد الملك يعمل في تكملة الجامع المعمور وزيادته مدة ولايته ، وجددت له فيه المقصورة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرده مما فيه من الذهب ، ويقلع السلاسل والرخام والفسيفساء[(٤)] ، ويردّ ذلك كله إلى بيت المال ، ويجعل مكان ذلك كله طيناً ، فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرافهم إليه .

وقال خالد بن عبد الله القسري : أنا أكلمه لكم فلما اجتمعوا قال له خالد : يا أمير المؤمنين بلغنا عنك أنك تريد أن تصنع كذا وكذا ، قال : نعم ! فقال خالد : ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ولم يا بن الكافرة ؟ ـ وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد ـ فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت كافرة فقد ولدت رجلاً مؤمناً ، فقال : صدقت ، واستحيا عمر ثم قال له : فلم قلت ذلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم ، وليس هو لبيت المال ، فأطرق عمر . قالوا : واتفق في ذلك الزمان قدوم جماعة من بلاد الروم رسلاً من عند ملكهم ، فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا إلى الباب الكبير الذي تحت النسر ، ورأوا ما بهر عقولهم من حسن الجامع الباهر ، والزخرفة التي لم يسمع بمثلها ، صعق كبيرهم وخر مغشياً عليه ، فحملوه إلى منزلهم ، فبقي أياماً مدنفاً ، فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال : ما كنت أظن أن يبني المسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن

---

(١) قال القلانسي في تاريخ (١٦٢) : سبب الحريق خلاف وقع بين العسكر وأهل دمشق ، بين المغاربة والمشارقة ؛ وطرحت النار في جانب دمشق فاحترقت واتصلت النار بجامعها فاحترق . والخبر في تاريخ دمشق (٢/ ٢٨١) .

(٢) في أ : مشايخ .

(٣) في ط زيادة من النساخ آثرنا إثباتها هنا لفائدتها : قال ابن تيمية عن هذا العمود : إن تحته مدفون جبار عنيد ، كافر يعذب ، فإذا داروا بالحيوان حوله سمع العذاب فراث وبال من الخوف ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار ، فإذا سمعتْ أصوات المعذّبين انطلق بولها . والعمود المشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة فقد أخطأ خطأً فاحشاً .
وقيل : إن تحته كنزاً وصاحبه عنده مدفون ، وكان ممن يعتقد الرجعة إلى الدنيا كما قال تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٧] والله سبحانه وتعالى أعلم .

(٤) مكانها في أ : والسقوف ، والخبر بأتمه في تاريخ دمشق (٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .

مدتهم تكون أقصر من هذا ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال : أو إن هذا ليغيظ الكفار ، دعوه .

وسألت النصارى في أيام عمر بن عبد العزيز أن يعقد لهم مجلساً في شأن ما كان أخذه الوليد منهم فأدخله في الجامع ، فحقق عمر القضية ، ثم نظر فإذا الكنائس التي هي خارج البلد لم تدخل في الصلح الذي كتبه لهم الصحابة وكان عمر عادلاً ، فرأى أن يرد عليهم ما أُخذ منهم ، مثل كنيسة دير مران [بسفح قاسيون ، وهي بقرية المعظمية] وكنيسة الراهب ، وكنيسة توما خارج الباب ، وسائر الكنائس التي بقرى الحواجز ، فخيرهم بين رد ما سألوه وتخريب هذه الكنائس كلها ، أو تبقى تلك الكنائس ويطيبوا نفساً للمسلمين بهذه البقعة ، فاتفقت آراؤهم بعد ثلاثة أيام على إبقاء تلك الكنائس ، ويكتب لهم كتاب أمان بها ، ويطيبوا نفساً بهذه البقعة ، فكتب لهم كتاب أمان من عمر بن عبد العزيز[١] .

والمقصود أن الجامع الأموي كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا مثيل في حسنه وبهجته .

قال الفرزدق : أهل دمشق في بلادهم قصر من قصور الجنة ـ يعني الجامع ـ .

وقال أحمد بن أبي الحواري : عن الوليد بن مسلم ، عن ابن ثوبان : ما ينبغي لأحد من أهل الأرض أن يكون أشد تشوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدها[٢] .

قالوا : ولما دخل أمير المؤمنين المهدي دمشق يريد زيارة القدس نظر إلى جامع دمشق فقال لكاتبه أبي عبيد الله الأشعري : سبقنا بنو أمية بثلاث ، بهذا المسجد الذي لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبنبل الموالي ، وبعمر بن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً . ثم لما أتى بيت المقدس فنظر إلى الصخرة ـ وكان عبد الملك بن مروان هو الذي بناها ـ قال لكاتبه : وهذه رابعة[٣] .

ولما دخل المأمون دمشق فنظر إلى جامعها وكان معه أخوه المعتصم ، وقاضيه يحيى بن أكثم ، قال : ما أعجب ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهاب التي فيه ، وقال يحيى بن أكثم : الرخام وهذه العقد ، فقال المأمون : إني إنما أعجب من حسن بنيانه على غير مثال متقدم ، ثم قال المأمون لقاسم التمار : أخبرني باسمٍ حسن أسمي به جاريتي هذه ، فقال : سمها مسجد دمشق ، فإنه أحسن شيء[٤] .

وقال عبد الرحمن : عن ابن عبد الحكم ، عن الشافعي قال : عجائب الدنيا خمسة : أحدها منارتكم هـذه ـ يعني منارة ذي القرنين بإسكندرية ـ والثانية أصحاب الرقيم وهم بالروم اثنا عشر رجلاً ، والثالثة مرآة ببلاد الأندلس على باب مدينتها ، يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مئة فرسخ . وقيل ينظر مَن بالقسطنطينية ، والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الإنفاق عليه ، والخامس الرخام

(١) تاريخ دمشق (٢٧٣ ـ ٢٧٤) .
(٢) تاريخ دمشق (٢/٢٤٦) .
(٣) المصدر نفسه (٢/٢٤٦ ـ ٢٤٧) .
(٤) المصدر السابق (٢/٢٤٧) .

والفسيفساء ، فإنه لا يدرى لها موضع ، ويقال إن الرخام معجون ، والدليل على ذلك أنه يذوب على النار[(١)] .

قال الحافظ ابن عساكر[(٢)] : وذكر إبراهيم بن أبي اللّيث الكاتب ـ وكان قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمئة ـ في رسالة له قال : ثم أمرنا بالانتقال فانتقلت منه إلى بلد تمت محاسنه ، ووافق ظاهره باطنه ، أزقته أرجة ، وشوارعه فرجة ، فحيث ما مشيت شممت طيباً ، وأين سعيت رأيت منظراً عجيباً ، وإن أفضيت إلى جامعه شاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ، ولا الرائي أن يعرفه ، وجملته أنه كنز الدهر ، ونادرة الوقت ، وأعجوبة الزمان ، وغريبة الأوقات ، ولقد أثبت الله عزَّ وجلَّ به ذكراً يدرس ، وخلف به أمراً لا يخفى ولا يدرس .

قال ابن عساكر : وأنشدني بعض أهل الأدب المحدِّثين في جامع دمشق عَمره الله بذكره [وفي دمشق فقال][(٣)] :

دمشقُ قد شاعَ حسنُ جامعها ... وما حوته رُبى مرابعها
بديعةُ الحسنِ في الكمالِ لما ... يدركهُ الطرفُ منْ بدائعها
طيبةٌ أرضها مباركةٌ ... باليمنِ والسعدِ أخذ طالعها
جامعها جامعُ المحاسنِ قدْ ... فاقتْ به المدن في جوامعها
بنية بالاتقانِ قدْ وضعتْ ... لا ضيَّعَ الله سعيَ واضعها
تذكرُ في فضلهِ ورفعتهِ ... آثارُ صدقٍ راقتْ لسامعها
قدْ كانَ قبلَ الحريقِ مدهشةٌ ... فغيرتْ ناره بلاقعها
فأذهبتْ بالحريقِ بهجتهُ ... فليسَ يرجى إيابُ راجعها
إذا تفكرتَ في الفصوصِ وما ... فيها تيقنتَ حذقَ راصعها
أشجارها لا تزالُ مثمرةً ... لا ترهبُ الريحَ منْ مدافعها
كأنها من زمردٍ غرستْ ... في أرضِ تبرٍ تغشى بنافعها[(٤)]
فيها ثمارٌ تخالها ينعتْ ... وليسَ يخشى فسادُ يانعها
تقطفُ باللحظِ لا بجارحةِ الـ ... أيدي ولا تجتني لبائعها
وتحتها من رخامةٍ قطعٌ ... لا قطعَ الله كف قاطعها
أحكم ترخيمها المرخمُ قد ... بانَ عليها إحكامُ صانعها

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) .
(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٤٨) .
(٣) تاريخ دمشق (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .
(٤) في أ : بقاقعها . وكذلك في تاريخ دمشق .

وإنْ تفكـرتَ فـي قنـاطـرهِ وسقفـهِ بـانَ حـذقُ رافعهـا
وإنْ تبينـتَ حسـنَ قبتـهِ تحيـرَ اللـبُّ فـي أضـالعهـا
تخترقُ الريحُ في مخارمها[١] عصفاً فتقـوى علـى زَعـازعهـا
وأرضـهُ بـالـرخـامِ قـدْ فـرشـتْ ينفسـحُ الطـرفُ فـي مـواضعهـا
مجـالـسُ العلـمِ فيـه مـؤنَّقـةٌ ينشـرحُ الصـدرُ فـي مجـامعهـا
وكـلُّ بـابٍ عليـهِ مطهـرةٌ قـدْ أمـنَ النـاسُ دفـعَ مـانعهـا
يـرتفـقُ النـاسُ مـن مـرافقهـا ولا يصـدونَ عـنْ منـافعهـا
ولا تـزال الميـاهُ جـاريـةً فيهـا لمـا شـقَّ مـنْ مشـارعهـا
وسـوقهـا لا تـزالُ آهلـةً يـزدحـمُ النـاسُ فـي شـوارعهـا
لمـا يشـاؤون مِـنْ فـواكههـا ومـا يـريـدون مـنْ بضـائعهـا
كـأنهـا جنـةٌ معجَّلـة في الأرضِ لولا مسرى فجائعها
دامـتْ بـرغـمِ العـدى مسلَّمـةً وحـاطهـا الله مـنْ قـوارعهـا

فصل
فيما وُجد فيه من الآثار وما روي في فضله من الأخبار
عن جماعة من السادة الأخيار

رُوي عن قتادة أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ قال : هو مسجد دمشق ﴿ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ قال : هو مسجد بيت المقدس ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ حيث كلم الله موسى ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين : ١ ـ ٣] وهو مكة[٢] .

ونقل عثمان بن أبي عاتكة عن أهل العلم أنهم قالوا في قوله تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ قالوا : هو مسجد دمشق . رواه ابن عساكر .

وقال صفوان بن صالح ، عن عبد الخالق بن زيد بن واقد ، عن أبيه ، عن عطية بن قيس الكلابي قال : قال كعب الأحبار : ليبنين في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا أربعين عاماً[٣] .

وقال الوليد بن مسلم، عن عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد[٤] ، عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك إلى جبل بيت المقدس ، قال ففعل

(١) في ط : منافذها .
(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٣٧) ط : دار الفكر .
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٨) .
(٤) في الأصل : علي بن زيد ، وهو خطأ ، لأن علي بن يزيد الألهاني هو الذي يروي عن القاسم أبي عبد الرحمن .

فأوحى الله إليه أما إذا فعلت فإني سأبني لي في حضنك بيتاً أُعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً، ولا تذهب الأيام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك ، قال فهو عند الله بمنزلة الرجل الضعيف المتضرع(١) .

وقال دحيم : حيطان المسجد الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك(٢) ـ يعني أنه رفع الجدار فعلاه من حد الرخام والكرمة إلى فوق إلى آخر الجدار ـ وقال غيره : إنما بنى هود الجدار القبلي فقط .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج المعروف بابن البرامي الدمشقي : حدّثنا إبراهيم بن مروان ، سمعت أحمد بن إبراهيم بن ملاس يقول : سمعت عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر قال : كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان ، فما تقبل منه جاءت نار فأحرقته ، وما لم يتقبل منه بقي على حاله . قلت : وهذه الصخرة نقلت إلى داخل باب الساعات ، وهي موجودة الآن ، وبعض العامة يزعم أنها الصخرة التي وضع عليها ابنا آدم قربانهما فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فالله أعلم(٣) .

وقال هشام بن عمار : حدّثنا الحسن بن يحيى الخُشَني أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به صلى في موضع مسجد دمشق. قال ابن عساكر : وهذا منقطع ومنكر جداً ، ولا يثبت أيضاً لا من هذا الوجه ولا من غيره .

وقال أبو بكر البرامي : حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المقري ، حدّثني أبي ، عن أبيه : أن الوليد بن عبد الملك تقدم إلى القوام ليلة من الليالي فقال : إني أريد أن أصلي في المسجد ، فلا تتركوا فيه أحداً يصلي اللّيلة ، ثم إن الوليد أتى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له ، فإذا رجل قائم بين الساعات وباب الخضراء الذي يلي المقصورة يصلي ، وهو أقرب إلى باب الخضراء منه إلى باب الساعات ، فقال الوليد للقوام : ألم آمركم أن لا تتركوا أحداً الليلة يصلي في المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا الخضر يصلي كل ليلة في المسجد . في إسناد هذه الحكاية وصحتها نظر ، ولا يثبت بمثلها وجود الخضر بالكلية ، ولا صلاته في المكان المذكور والله أعلم .

وقد اشتهر في الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبلية عند باب المِئذنة الغربية تسمى زاوية الخضر ، وما أدري ما سبب ذلك ، والذي ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه ، وكفى بذلك شرفاً له ولغيره من المساجد التي صلّوا فيها ، وأول من صلّى فيه إماماً أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير الأمراء بالشام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأمين هذه الأمة، وصلّى فيه خلق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره، لكن قبل أن يغيره الوليد إلى هذه الصفة ، فأما بعد أن غُيِّر إلى هذا الشكل فلم يره أحد من الصحابة كذلك إلا أنس بن

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٣٩) .
(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٣٩) .
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٨) .

مالك ، فإنه ورد دمشق سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبني فيه الوليد ، فصلّى فيه أنس ، ورأى الوليد وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها كما قدّمنا ذلك في ترجمة أنس ، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين ، وسيصلي فيه عيسى ابن مريم إذا نزل في آخر الزمان ، وذلك زمن الدجال وعموم البلوى به ، وانحصار الناس منه بدمشق ، فينزل مسيح الهدى فيقتل مسيح الضلالة ، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر[١] ، فيأتي وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام الناس : تقدم يا روح الله ، فيقول : إنما أُقيمت لك ، فيصلي عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة ، يقال إنه المهدي ، فالله أعلم .

ثم يلتفت الناس على المسيح ويخرجون معه لقتال الدجال فيلحقه عند عقبة أَفيق ، فيدركه بباب لد فيقتله بيده هنالك . وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً عند قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء : ١٥٩] وفي الصحيح[٢] عن النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام » .

والمقصود أن عيسى ينزل ـ والبلد محصن من الدجال ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق ـ وهي هذه المنارة المبنية في زماننا من أموال النصارى حيث أحرقوها فجددت من أموالهم ـ ثم يكون نزول عيسى حتفاً لهم [وهلاكاً ودماراً] عليهم ، ينزل بين ملَكين واضعاً يديه على مناكبهما ، وعليه مهرودتان[٣] ، وفي رواية ممصرتان يقطر رأسه ماء كأنما خرج من ديماس ، وذلك وقت الفجر ، فينزل على المنارة وقد أقيمت الصلاة ، وهذا إنما يكون في المسجد الأعظم بدمشق ، وهو هذا الجامع . وما وقع في صحيح مسلم من رواية النواس بن سمعان الكلابي : فينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، كأنه والله أعلم مروي بالمعنى بحسب ما فهمه الراوي ، وإنما هو ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، وقد أُخبرت ولم أقف عليه إلى الآن أنه كذلك، في بعض ألفاظ هذا الحديث، في بعض المصنفات، والله المسؤول المأمول أن يوفقني فيوقفني على هذه اللفظة ، وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه ، وهي بيضاء بنفسها ، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها ، ولا أبهى ولا أعلى منها ، ولله الحمد والمنة[٤] .

---

(١) الحديث في صحيح مسلم رقم (٢٩٣٧) في الفتن وأشراط الساعة .

(٢) صحيح مسلم رقم (١٥٥) في الإيمان رواه بمعناه ، وانظر مسند أحمد (٢/ ٤٣٧) .

(٣) مهرودتان : وتروى مهروذتان ، والوجهان مشهوران . وبالدال أكثر ومعناها : ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران ، وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة . وممصَّرتان : الثياب التي فيها صفرة خفيفة .

(٤) في ط زيادة من النساخ هذا نصها : قلت : نزول عيسى على المنارة التي بالجامع الأموي غير مستنكر ، وذلك أن البلاء بالدجال يكون قد عم فيحصر الناس داخل البلد ، ويحصرهم الدجال بها ، ولا يتخلف أحد عن دخول البلد إلا أن يكون متبعاً للدجال ، أو مأسوراً معه ، فإن دمشق في آخر الزمان تكون معقل المسلمين وحصنهم من الدجال ، فإذا كان الأمر كذلك فمن يصلي خارج البلد والمسلمون كلهم داخل البلد ، وعيسى إنما ينزل وقد أقيمت الصلاة ، فيصلي مع المسلمين ، ثم يأخذهم ويطلب الدجال ليقتله ، وبعض العوام يقول : إن المراد بالمنارة الشرقية بدمشق ، منارة مسجد بلاشو ، خارج باب شرقي . وبعضهم يقول : المنارة التي على نفس باب شرقي ؛ فالله أعلم=

الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليهما السلام

وروى ابن عساكر[١] : عن زيد بن واقد قال : وكلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق ، فوجدنا مغارة فعرَّفنا الوليد ذلك ، فلما كان اللّيل وافانا وبين يديه الشمع ، فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة ، ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، وإذا فيها صندوق ، ففتح الصندوق فإذا فيه سفط ، وفي السفط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام . مكتوب عليه : هذا رأس يحيى بن زكرياء ، فأمر به الوليد فرد إلى مكانه ، وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من بين الأعمدة ، فجعل عليه عمود مسفط الرأس .

وفي رواية عن زيد بن واقد : أن ذلك الموضع كان تحت ركن من أركان القبة ـ يعني قبل أن تبنى ـ قال : وكان على الرأس شعر وبشر[٢] .

وقال الوليد بن مسلم : عن زيد بن واقد قال : حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أُخرج من الليطة القبلية الشرقية التي عند مجلس بجيلة ، فوضع تحت عمود الكاسك[٣] .

قال الأوزاعي والوليد بن مسلم : هو العمود الرابع المسفط .

وروى أبو بكر بن البرامي : عن أحمد بن أنس بن مالك ، عن حبيب المؤذن ، عن أبي زياد وأبي أمية الشَّعبانيين[٤] ، عن سفيان الثوري أنه قال : صلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة . وهذا غريب جداً .

وروى ابن عساكر من طريق أبي مسهر ، عن المنذر بن نافع ـ مولى أم عمرو بنت مروان ـ عن أبيه ـ وفي رواية عن رجل قد سماه ـ أن واثلة بن الأسقع خرج من باب المسجد الذي يلي باب جيرون فلقيه كعب الأحبار فقال : أين تريد ؟ قال واثلة : أريد بيت المقدس ؟ فقال : تعال أريك موضعاً في المسجد من صلّى فيه فكأنما صلّى في بيت المقدس ، فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر[٥] الذي يخرج منه الوالي ـ يعني الخليفة ـ إلى الحنية ـ يعني القنطرة الغربية ـ فقال : من صلّى فيما بين هذين فكأنما صلى في بيت المقدس ، فقال واثلة : إنه لمجلسي ومجلس قومي . قال كعب : هو ذاك . وهذا أيضاً غريب جداً ومنكر ولا يعتمد على مثله .

= بمراد رسول الله ﷺ ، وهو سبحانه العالم بكل شيء ، المحيط بكل شيء ، القادر على كل شيء ، القاهر فوق كل شيء ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض .

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٢٤١) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٤١) .

(٣) في ط : الكاسة ؛ خطأ ، والخبر في تاريخ دمشق (٢/ ٢٤٢) .

(٤) في تاريخ ابن عساكر والخبر فيه (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) : الشغفاني .

(٥) في تاريخ دمشق والخبر فيه (٢/ ٢٤٥) : الأصغر .

وعن الوليد بن مسلم قال : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فبعثوا به إلى الوليد فبعثه إلى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى من كان بدمشق من بقية الأشنان[١] فلم يستخرجوه ، فدُلَّ على وهب بن منبه فبعث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللّوح فوجدوه في ذلك الحائط ـ ويقال ذلك الحائط بناه هود عليه السلام ـ فلما نظر إليه وهب حرّك رأسه وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك ، لزهدت في طول ما ترجو من أملك ، وإنما تلقى ندمك لو قد زل بك قدمك . وأسلمك أهلك وحشمك ، وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ، ثم صرت تدعى فلا تجيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا إلى عملك زائد ، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحسرة والندامة ، قبل أن يحل بك أجلك ، وتنزع منك روحك ، فلا ينفعك مال جمعته ، ولا ولد ولدته ، ولا أخ تركته ، ثم تصير إلى برزخ الثرى ، ومجاور الموتى ، فاغتنم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ بالكظم ويحال بينك وبين العمل ، وكتب في زمن سليمان بن داود عليهما السلام[٢] .

وقال الحافظ ابن عساكر[٣] : قرأت على أبي محمد السُّلمي ، عن عبد العزيز التميمي ، أبنا تمام الرازي ، ثنا ابن البِرَامي قال : سمعت أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازني يقول : لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً ، فلم يفتحوه وأعلموا به الوليد ، فخرج من داره حتى وقف عليه ، وفُتِحَ بين يديه ، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة ، على فرس من حجارة ، في يد التمثال الواحدة الدرَّة التي كانت في المحراب ، ويده الأخرى مقبوضة ، فأمر بها فكسرت ، فإذا هي حبتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك ، فقيل له لو تركت الكف لم تكسرها لم يسوس في هذا البلد قمح ولا شعير .

وقال الحافظ أحمد[٤] الورّاق ـ وكان قد عمر مئة سنة ـ : سمعت بعض الشيوخ يقول : لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذي على المقسلاط ـ على السفود الحديد الذي في أعلاه ـ صنماً ماداً يده بكف مطبقة ، فكسروه فإذا في يده حبة قمح ، فسألوا عن ذلك ، فقيل لهم : هذه الحبة قمح جعلها حكماء[٥] اليونان في كف هذا الصنم طلسماً ، حتى لا يسوس القمح في هذه البلاد ، ولو أقام سنين كثيرة .

---

(١) كذا في تاريخ دمشق وفي المختصر (١/ ٢٥٦) : الأشبال .
(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٣٩ـ٢٤٠) .
(٣) تاريخ دمشق (٢/ ٢٧٩) ط : دار الفكر .
(٤) في ط : وقال الحافظ أبو حمدان ، خطأ ، والتصحيح من (أ) وتاريخ دمشق (٢/ ٢٧٩) والخبر منه .
(٥) في تاريخ دمشق : خلفاء .

قال ابن عساكر[١] : وقد رأيت أنا في هذا السفود على قناطر كنيسة المقسلاط كانت مبنية فوق القناطر التي في السوق الكبير ، عند الصابونيين والعطارين اليوم ، وعندها اجتمعت جيوش الإسلام يوم فتح دمشق ، أبو عبيدة من باب الجابية ، وخالد من باب الشرقي ، ويزيد بن أبي سفيان من باب الجابية الصغير .

وقال عبد العزيز التميمي[٢] ، عن أبي نصر عبد الوهّاب بن عبد الله المزني[٣] : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون : إن في سقف الجامع طلاسم عملها الحكماء في السقف مما يلي الحائط القبلي ، فيها طلاسم للصنونيات ، لا تدخله ولا تعشش فيه من جهة الأوساخ التي تكون منها ، ولا يدخله غراب ، وطلسم للفأر والحيات والعقارب ، فما رأى الناس من هذا شيئاً إلا الفأر ، ويشك أن يكون قد عدم طلسمها[٤] ، وطلسم العنكبوت حتى لا ينسج في زواياه ويركبه الغبار والوسخ .

قال الحافظ ابن عساكر[٥] : وسمعت جدّي أبا الفضل يحيى بن علي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات ، معلّقة في السقف فوق البطائن ممايلي السبع ، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق . فلما احترقت الطلسمات حين أحرق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمئة .

وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة ، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلبيين الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة ، وهي لعسر بول الدواب ، إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات انطلق باطنها . وقد كان شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله يقول : إنما هذا قبر مشرك متمرد مدفون هنالك يعذب ، فإذا سمعت الدابة صياحه فزعت فانطلق ضبعها ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى مقابر اليهود والنصارى إذا مغلت فتنطلق ، وما ذاك إلا لأنها تسمع أصواتهم وهم يعذبون ، والله أعلم .

ذكر الساعات التي على بابه

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زَبْر[٦] : إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه عمل هناك

---

(١) تاريخه (٢/ ٢٨٠) وتمام الخبر فيه : وقد رأيت أنا هذا السفود على عمود قائم بالمقسلاط ، وطرح في سنة أربع وستين وخمسمئة ، وعمل منه أسكُفَّة لباشورة الباب الصغير .

(٢) تاريخ دمشق (٢/ ٢٨١) .

(٣) في ط : المري ، وما أثبت عن تاريخ دمشق .

(٤) العبارة في تاريخ دمشق : ويوشك أن يكون تغير طلسمها .

(٥) تاريخ دمشق (٢/ ٢٨١) .

(٦) تاريخ دمشق (٢/ ٢٨٠) .

بلكار[(١)] الساعات ، كان يُعلم بها كل ساعة تمضي من النهار ، عليها عصافير من نحاس ، وحَيّة من نحاس وغراب ، فإذا تمت الساعة خرجت الحيَّة فصفَّرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست [فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة ، وكذلك سائرها][(٢)] .

قلت : هذا الكلام يدل على أحد شيئين إما أن تكون الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع ، وهو الذي يسمى باب الزيادة ، ولكن قد قيل إنه محدث بعد بناء الجامع ، وهو لا ينفي أن الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زَبْر ، وإما أنه قد كان في الجامع في الجانب الشرقي منه في حائطه القبلي باب آخر في محاذاة باب الزيادة ، وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله إلى باب الورّاقين اليوم ، وهو باب الجامع من الشرق ، والله أعلم .

قلت : فأما القبة التي في وسط صحن الجامع التي فيها الماء الجاري ، ويقول العامة لها قبة أبي نواس فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمئة أرَّخَ ذلك ابن عساكر[(٣)] عن خط بعض الدماشقة .

وأما القبة الغربية العالية التي في صحن الجامع التي يقال لها قبة عائشة ، فسمعت شيخنا الحافظ أبا عبد الله الذهبي يقول : إنها إنما بنيت في حدود سنة ستين ومئة في أيام المهدي بن المنصور العباسي ؛ وجعلوها لحواصل الجامع وكتب أوقافه .

وأما القبة الشرقية التي على باب مسجد علي فيقال : إنها بنيت في زمن الحاكم العبيدي في حدود سنة أربعمئة .

وأما الفَوَّارة التي تحت درج جيرون فعملها الشريف فخر الدولة أبو علي حمزة بن الحسين بن العباس الحسيني[(٤)] ، وكأنه كان ناظراً بالجامع ، وجَرَّ إليها قطعة من حجر كبير من قصر حَجّاج ، وأجرى فيها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمئة وعملت حولها قناطر ، وعقد عليها قبة ، ثم سقطت القبة بسبب جِمَال تحاكَّت عندها [وازدحمت] وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمئة ، فأعيدت ثم سقطت عمدها وما عليها في حريق اللبادين ودار الحجارة في شوال سنة اثنتين وستين وخمسمئة ، ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر[(٥)] .

قلت : وأما القصعة التي كانت في الفوارة ، فما زالت وسطها ، وقد أدركتها كذلك ، ثم رفعت بعد ذلك . وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها ، فلم تزل بها إلى أن تهدمت اللبادين بسبب حريق النصارى

---

(١) في تاريخ دمشق : بركار ، وفي ط : بلشكار ! !
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١/ ٢٧٢) .
(٣) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٤) .
(٤) في الأصول : الحسني ، والمثبت من تاريخ دمشق ومختصره .
(٥) تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٤ _ ٢٦٥) .

في سنة إحدى وأربعين وسبعمئة ، ثم استؤنف بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما كانت ، وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر .

ثم عمل الشاذروان[١] الذي شرقي فوارة جيرون ، بعد الخمسمئة ـ أظنه ـ سنة أربع عشرة وخمسمئة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر ابتداء أمر السُّبْع[٢] بالجامع الأموي

قال أبو بكر بن أبي داود : حدّثنا أبو عامر[٣] موسى بن عامر المري ، حدّثنا الوليد ـ هو ابن مسلم ـ قال قال أبو عمر الأوزاعي ، عن حسان بن عَطيّة قال : الدراسة مُحدثة أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومي ، في قدمته على عبد الملك ، فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق فسمع قراءة فقال : ما هذا ؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء ، فقرأ هشام بن إسماعيل[٤] ، فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام ، فقرأ بقراءته مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأوا بقراءته .

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق : حدّثنا أيوب بن حسّان ، حدّثنا الأوزاعي ، حدّثنا خالد بن دهقان قال : أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل بن المغيرة المخزومي ، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجُرَشي[٥] .

قلت : هشام بن إسماعيل كان نائباً على المدينة النبوية ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيِّب لما امتنع من المبايعة للوليد بن عبد الملك ، قبل أن يموت أبوه ، ثم عزله عنها الوليد وولّى عليها عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا .

وقد حضر هذا السُّبْع جماعات من سادات السَّلف من التابعين بدمشق ، منهم هشام بن إسماعيل ، ومولاه رافع ، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ـ وكان مكتِّباً لأولاد عبد الملك بن

---

(١) الشاذروان : لوحة من حجر مزخرفة ومحفورة بأقنية ، تُركز مائلة في صدر قاعة تجري عليها الماء خفيفة لترطب الجو ، وقد سميت أيضاً بـ السلسبيل . موسوعة العمارة الإسلامية (ص٢٣٢) .

(٢) المقصود بالسُّبْع : سُبْعٌ من القرآن . ثم أطلق على المكان الذي كان يقرأ السُّبْع فيه . وكان موضع السُّبْع في المسجد على ما ذكر ابن جبير الجهة الشرقية من مقصورة الصحابة . وقراءة السُّبع لا تتعدى ذلك الموضع متصلاً مع جدار القبلة إلى الجدار الشرقي ، ووقت قراءته كل يوم إثر صلاة الصبح . رحلة ابن جبير (ص٢٩٤) .

(٣) في الأصول : عباس ، والتصحيح من ابن عساكر .

(٤) كان نائباً لعبد الملك على المدينة المنورة . ترجمته في هذا الجزء ضمن وفيات سنة ٨٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢١٤) .

(٥) الخبر بسنده في تاريخ دمشق (٢/ ٢٨٣) .

مروان ، وقد ولي إمرة إفريقية لهشام بن عبد الملك وابنيه عبد الرحمن ومروان[١] .

وحضره من القضاة أبو إدريس الخولاني ، ونمير بن أوس الأشعري ، ويزيد بن أبي مالك الهمداني ، وسالم بن عبد الله المحاربي ، ومحمد بن عبد الله بن لبيد الأسدي .

ومن الفقهاء والمحدثين والحفاظ المقرئين أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى آل معاوية ، ومكحول ، وسليمان بن موسى الأشدق ، وعبد الله بن العلاء بن زَبْر ، وأبو إدريس الأصغر عبد الرحمن ابن عراك ، وعبد الرحمن بن عامر اليحصبي ـ أخو عبد الله بن عامر ـ ويحيى بن الحارث الذِّماري[٢] ، وعبد الملك بن نعمان المُزَني ، وأنس بن أنيس العذري ، وسليمان بن بزيع[٣] القارئ ، وسليمان بن داود الخُشني ، وعران ـ أو هزّان ـ بن حكيم القرشي ، ومحمد بن خالد بن أبي ظبيان الأزدي ، ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، وعَيّاش بن دينار وغيرهم .

هكذا أوردهم ابن عساكر[٤] . قال : وقد روي عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره ، ولا وجه لإنكاره .

ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود : حدّثنا عمرو[٥] بن عثمان ، حدّثنا الوليد ـ هو ابن مسلم ـ عن عبد الله بن العلاء قال : سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب[٦] ينكر هذه الدراسة ويقول : ما رأيت ولا سمعت وقد أدركت أصحاب النبي ﷺ .

قال ابن عساكر[٧] : وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق في أواخر سنة ست وثمانين[٨] في خلافة عمر بن عبد العزيز .

فصل

كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ، هدمت الكنيسة في ذي القعدة منها ، فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء ، وتكامل في عشر سنين[٩] ، فكان الفراغ منه في هذه السنة ـ أعني سنة

---

(١) أي ولدا إسماعيل بن عبيد الله .
(٢) في الأصول : الدماري ـ بالدال ـ والمثبت من تاريخ دمشق والضبط من تقريب التهذيب .
(٣) في الأصول : بذيغ ، والمثبت من تاريخ دمشق ، وسليمان بن بزيع من حملة القرآن .
(٤) تاريخ دمشق (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) ط : دار الفكر .
(٥) في تاريخ دمشق : عمر .
(٦) في ط : عروب ، والمثبت من أ ، ب ويوافق تاريخ دمشق .
(٧) تاريخ دمشق (٢/ ٢٨٥) .
(٨) كذا ورد في الأصول ؛ والصحيح في سنة تسع وتسعين ، ولم يذكر ابن عساكر السنة .
(٩) في معجم البلدان (٢/ ٤٦٥) : تسع سنين .

ست وتسعين ـ وفيها توفي بانيه الوليد بن عبد الملك ، وقد بقيت فيه بقايا فكملها أخوه سليمان بن عبد الملك كما ذكرنا . فأما قول يعقوب بن سفيان : سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد دمشق وهدم الكنيسة قال : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم ، إنا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلة صلحاً ، فأنا أهدم كنيسة توما ـ قال هشام وتلك أكبر من هذه الداخلة ـ قال فرضوا أن يهدم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد ، قال : وكان بابها قبلة المسجد اليوم ، وهو المحراب الذي يصلى فيه ، قال : وهدم الكنيسة في أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، ومكثوا في بنائها سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتم بناءه ، فأتمه هشام من بعده ففيه فوائد وفيه غلط ، وهو قوله إنهم مكثوا في بنائه سبع سنين ، والصواب عشر سنين ، فإنه لا خلاف أن الوليد بن عبد الملك توفي في هذه السنة ـ أعني سنة ست وتسعين ـ وقد حكى أبو جعفر بن جرير على ذلك إجماع أهل السير ، وقوله : لم يتم بناؤه في زمن الوليد بل قد تم ولكن بقيت بقيات من الزخرفة فأكملها أخوه سليمان لا هشام ، والله سبحانه وتعالى أعلم(١) .

وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك(٢) باني جامع دمشق ، وذكر وفاته في هذا العام

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو العباس الأموي ، بويع له بالخلافة بعد أبيه بعهدٍ منه في شوال سنة ست وثمانين ، وكان أكبر ولده ، والولي من بعده ، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء(٣) بن الحارث بن زهير العبسي .

وكان مولده سنة خمسين ، وكان أبواه يترفانه ، فشب بلا أدب(٤) ، وكان لا يحسن العربية ، وكان طويلاً أسمر به أثر جدري خفي ، أفطس الأنف سائله ، وكان إذا مشى يتوكف(٥) في المشية ـ أي يتبختر ـ

---

(١) بعدها في ط ، ب : زيادة تذكر تواريخ بناء القباب التي في صحن المسجد وقد تقدم الكلام عن هذه القباب قبل صفحات ، وانفردت (ب) بزيادة هذا نصها : فمن ذلك القبة الغربية التي في صحنه ، ويسميها الناس قبة عائشة ، وغالب ظني أنها بنيت في سنة ستين ومئة في أيام المهدي بن المنصور ، وأما القبة الشرقية التي في صحنه تجاه مشهد علي بن الحسين فعمِّرت في أيام المستنصر العبيدي في سنة خمس وأربعمئة ، وكتب عليها اسمه واسم الاثني عشر ، يفور من وسطها الماء ، وتسميها العامة قبة أبي نواس ، فكان بناؤها في سنة بضع وخمسين وثلاثمئة ، ووضع العمودان اللذان في صحن الجامع لأجل التنوير ليالي الجمع في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وأربعمئة بأمر قاضي البلد أبي محمد فيما ذكره ابن عساكر في بعض تواريخهم ومن خطهم نقلت ذلك ، وهذه ترجمة . .

(٢) ترجمة ـ الوليد بن عبد الملك ـ في المعارف لابن قتيبة (٣٥٩) وتاريخ دمشق (٦٣/ ١٦٤ ـ ١٨٧) ووفيات الأعيان (٦/ ٢٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٦ ـ ٥٠٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٠ ـ ٢٣٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٨٨) .

(٣) في ط ، ب : حزن وما أثبت عن الطبري (٦/ ٤١٩) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٧) نقلاً عن فوات الوفيات .

(٥) في أ : يتوذف .

وكان جميلاً وقيل بل كان دميماً ، قد شاب في مقدم لحيته ، وقد رأى سهل بن سعد وسمع أنس بن مالك حين سأله ما سمع في أشراط الساعة ، كما تقدم في ترجمة أنس ، وسمع سعيد بن المسيّب ، وحكى عن الزهري وغيره .

وقد روي أن عبد الملك أراد أن يعهد إليه ثم توقف لأنه لا يحسن العربية ، فجمع الوليد جماعة من أهل النحو فأقاموا عنده ستة أشهر ، فخرج يوم خرج وهو أجهل ما كان ، فقال عبد الملك : قد أجهد وأعذر(١) [وقيل إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له : لا ألفينك إذا مِتُّ تجلس تعصر عينيك ، وتحن حنين الأمة ، ولكن شمّر واتزر ، ودلني في حفرتي ، وخلني وشأني ، وادع الناس إلى البيعة ، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا](٢) .

وقال اللّيث : وفي سنة ثمان وسبعين(٣) غزا الوليد بلاد الروم ، وفيها حج بالناس أيضاً . وقال غيره : غزا في التي قبلها وفي التي بعدها بلاد ملطية وغيرها .

وبويع له بالخلافة بعد أبيه في شوال من سنة ست وثمانين(٤) .

وكان نقش خاتمه : أومن بالله مخلصاً . وقيل كان نقشه يا وليد إنك ميت .

ويقال : إن آخر ما تكلّم به سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله .

وقال إبراهيم بن أبي عبلة : قال لي الوليد بن عبد الملك يوماً : في كم تختم القرآن ؟ قلت : في كذا وكذا ، فقال : أمير المؤمنين على شغله يختمه في كل ثلاث ، وقيل في كل سبع ، قال : وكان يقرأ في كل رمضان سبع عشرة ختمة(٥) . قال إبراهيم رحمه الله : الوليد وأين مثله ؟ بنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطاع الفضة فأقسمها على قراء بيت المقدس(٦) .

وروى ابن عساكر(٧) بإسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبيه قال : خرج الوليد بن عبد الملك يوماً من الباب الأصغر فرأى رجلاً عند المئذنة الشرقية يأكل شيئاً ، فأتاه فوقف عليه فإذا هو يأكل خبزاً وتراباً ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : القُنُوع يا أمير المؤمنين ، فذهب إلى مجلسه ثم استدعى به فقال : إن لك لشأناً فأخبرني به وإلا ضربت الذي فيه عيناك ، فقال : نعم يا أمير

---

(١) فوات الوفيات (٤/ ٢٥٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٧) .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر بسنده في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٧ ـ ٤٩٨) .
(٣) في أ ، ط : وتسعين ، وهذا خطأ واضح ، حيث إن المشهور أن الوليد مات سنة ٩٦هـ ، وخبر غزو الوليد وحجه في تاريخ الطبري (٦/ ٣٢١) .
(٤) من قوله : وبويع له بالخلافة . . إلى هنا ساقط من ط .
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٧) .
(٦) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٧) .
(٧) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٧) والخبر أيضاً في تاريخ الإسلام .

المؤمنين ، كنت رجلاً جَمّالاً ، فبينما أنا أسير من مرج الصُفَّر[١] قاصداً إلى الكسوة[٢] ، إذ أزرمني البول فعدلت إلى خربة لأبول ، فإذا سرب فحفرته فإذا مال صبيب ، فملأت منه غرائري ، ثم انطلقت أقود برواحلي ، وإذا بمخلاة معي فيها طعام فألقيته منها ، وقلت إني سآتي الكسوة ، ورجعت إلى الخربة لأملأ تلك المخلاة من ذلك المال فلم أهتد إلى المكان بعد الجهد الجهيد في الطلب ، فلما أيست رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجد الطعام ، فآليت على نفسي أني لا آكل إلا خبزاً وتراباً . قال : فهل لك عيال ؟ قال نعم ، ففرض له في بيت المال .

قال ابن جابر[٣] : وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها حارسه فوضعها في بيت المال .

[وقيل إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا واذهب إلى إبلك فخذها ، وقيل إنه دفع إليه شيئاً من ذلك المال يُقيته وعياله][٤] .

وقال نمير بن عبد الله الصَّنعاني[٥] عن أبيه قال : قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن أحداً يفعل هذا[٦] .

قالوا : وكان الوليد لحاناً كما جاء من غير وجه أن الوليد خطب يوماً فقرأ في خطبته ﴿ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة : ٢٧] فضم التاء من ليتها . فقال عمر بن عبد العزيز : يا ليتها كانت عليك وأراحتنا منك[٧] .

وكان يقول : يا أهلُ المدينة .

---

(١) مرج الصفّر : تل بحوران .
(٢) الكسوة : قرية ، أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر . معجم البلدان (٤/ ٤٦١) .
(٣) في ط : جرير ؛ خطأ . والمثبت من أ ، ب وتاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٨) .
(٤) زيادة من ط .
(٥) في أ ، ب : الشعباني ، وفي ط : الشعناني ، وما أثبت عن تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٩) وفي تاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٨) : السمعاني .
(٦) بعدها في ط زيادة تحتوي كلاماً عن فاحشة اللواط مبدأها : قلت : فنفى عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة ، والفاحشة المذمومة ، التي عذب الله أهلها .
ولا شك أن هذه من زيادات النساخ ، وبعد هذه الفقرة ، يذكر حكم الإسلام في هذه الفعلة الشنيعة ، وهل تقبل توبة المفعول به والفاعل أم لا ، وهكذا . . وقد رأيت حذفها لأنها ليست من أصل الكتاب أولاً فهي ساقطة من أ ، ب وموضوعها خلاف موضوع الكتاب ثانياً ؛ فهذا كتاب تاريخ وقلّما يتطرّق إلى المسائل الفقهية والوعظية بهذه السَّعة ، وأكبر دليل على إقحام هذه الزيادة تحامل كاتبها على الوليد رحمه الله واتهامه بهذا الفعل الشنيع . نسأل الله العافية والسلامة .
(٧) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٩٩) .

وقال عبد الملك يوماً لرجل من قريش : إنك لرجل لولا أنك تلحن ، فقال : وهذا ابنك الوليد يلحن ، فقال : لكن ابني سليمان لا يلحن ، فقال الرجل : وأخي أبو فلان لا يلحن[١] .

وقال ابن جرير[٢] : حدّثني عمر ، حدّثنا علي ـ يعني ابن محمد المدائني ـ قال : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم ، بنى المساجد بدمشق[٣] ، ووضع المنائر ، وأعطى الناس ، وأعطى المجذومين ، وقال لهم : لا تسألوا الناس ، وأعطى كلَّ مُقْعدٍ خادماً ، وكل ضرير قائداً[٤] ، وفُتح في ولايته فتوحات كثيرة عظاماً ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد[٥] الروم ، ففتح الهند والسند والأندلس وأقاليم بلاد العجم ، حتى دخلت جيوشه إلى الصين وغير ذلك .

قال : وكان مع هذا يمر بالبقال فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول : بكم تبيع هذه ؟ فيقول : بفلس ، فيقول : زد فيها فإنك تربح .

وذكروا أنه كان يبر حَمَلة القرآن ويكرمهم ويقضي عنهم ديونهم ، قالوا : وكانت همَّة الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : ماذا بنيت ؟ ماذا عمرت ؟ وكانت همّة أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم وردك ؟ كم تقرأ كل يوم ؟ ماذا صليت البارحة[٦] ؟

قلت : بنى الوليد بن عبد الملك جامع دمشق على الوجه الذي ذكرنا فلم يكن له في الدنيا نظير ، في حسنه وشكله ، وبنى صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة[٧] ، وبنى مسجد النبي ﷺ ، ووسعه حتى دخلت الحجرة النبوية التي فيها القبر فيه ، وله آثار حسان كثيرة جداً ، ثم كانت وفاته في يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة . أعني سنة ست وتسعين .

---

(١) تقدم سرد هذه الحادثة ، وقد جرت بين عبد الملك وخالد بن يزيد بن معاوية .

(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٤٩٦) .

(٣) في الطبري : بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة .

(٤) قال القاضي ابن خلكان في الوفيات (٦/ ٢٥٤) : رتب للزمنى والأضرَّاء من يقودهم ويخدمهم . لأنه أصابه رمد بعينيه فأقام مدة لا يبصر شيئاً ، فقال : إن أعادهما الله تعالى عليَّ قمت بحقه فيهما . فلما برئ رأى أن شكر هذه النعمة الإحسان إلى العميان .

(٥) العبارة الأخيرة ليست في الطبري .

(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٤٩٧) : وبعدها في ط زيادة ، وهي تعليق من النساخ عما ذكر قبلها ، ولا قيمة لهذه الزيادة ، ولا محل لها هنا ، ثم نقل عن الواقدي خبراً فيه إساءة للوليد بن عبد الملك ، ولا شك أن المقصود بهذا الخبر الوليد بن يزيد الفاسق .

(٧) المعروف أن الذي بنى قبة الصخرة إنما هو عبد الملك بن مروان .

قال ابن جرير[١] : هذا قول جميع أهل السير .

وقال عمر[و] بن علي الفلاس وجماعة : كانت وفاته يوم السبت للنصف من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ست وقيل ثلاث وقيل تسع وقيل أربع وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدير مران ، فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير ، وقيل : بمقابر باب الفراديس ، حكاه ابن عساكر[٢] .

وكان الذي صلى عليه عمر بن عبد العزيز لأن أخاه سليمان كان بالقدس الشريف ، وقيل : صلى عليه ابنه عبد العزيز . وقيل بل صلّى عليه أخوه سليمان ، والصحيح عمر بن عبد العزيز ، والله أعلم . وهو الذي أنزله إلى قبره وقال حين أنزله : لننزلنه غير موسَّد ولا ممهد ، قد خلفت الأسلاب ، وفارقت الأحباب ، وسكنت التراب وواجهت الحساب ، فقيراً إلى ما تقدم عليه ، غنياً عما تخلف[٣] .

وجاء من غير وجه عن عمر بن عبد العزيز أنه أخبره أنه لما وضعه ـ يعني الوليد ـ في لحده ارتكض في أكفانه ، وجمعت رجلاه إلى عنقه[٤] .

وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور . والله أعلم .

قال المدائني : وكان له من الولد تسعة عشر ولداً ذكراً ، وهم عبد العزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، وتمام ، وخالد ، وعبد الرحمن ، ومبشر ، ومسرور ، وأبو عبيدة ، وصدقة ، ومنصور ، ومروان ، وعنبسة ، وعمر ، وروح ، وبشر ، ويزيد ، ويحيى . فأم عبد العزيز ومحمد أم البنين[٥] بنت عمه عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية ، وسائرهم من أمهات أولاد شتى[٦] .

قال المدائني : وقد رثاه جرير فقال :

يا عينُ جودي بدمعٍ هاجَهُ الذِّكر ... فما لدمعكِ بعد اليوم مُدَّخرُ
إنَّ الخليفةَ قدْ وارتْ شمائلهُ ... غبراءُ مُلْحَدَةٌ في جُولها زورُ[٧]
أضحى بنوهُ وقد جلت مصيبتُهُمْ ... مثلَ النجومِ هَوَى من بينها القمرُ
كانوا جميعاً فلم يدفع منيتهُ ... عبدُ العزيزِ ولا رَوْحٌ ولا عمرُ[٨]

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٤٩٥) .
(٢) تاريخ دمشق (٦٣/ ١٨٢) .
(٣) المصدر نفسه (٦٣/ ١٨٠) .
(٤) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٠٠) وتاريخ دمشق (٦٣/ ١٨٠ ـ ١٨١) .
(٥) في أ : المؤمنين ، وما هنا مطابق للمصادر .
(٦) الخبر في تاريخ الطبري (٦/٤٩٦) .
(٧) في أ : زرر ؛ تحريف ، والزور : الاعوجاج .
(٨) الأبيات في ديوان جرير (٣٦٢) ط : دار الكتب اللبنانية ، وتاريخ الطبري (٦/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) .

وممن هلك أيام الوليد بن عبد الملك :

زياد بن جارية التميمي[(١)] الدمشقي ، كانت داره بها غربي قصر الثقفيين .

روى عن حبيب بن مسلمة الفهري في النهي عن المسألة وله ما يغديه ويعشيه ، وفي النفل .

ومنهم من زعم أن له صحبة ، والصحيح أنه تابعي .

روى عنه : عطية بن قيس ومكحول ويونس بن ميسرة بن حلبس ، ومع هذا قال فيه أبو حاتم : شيخ مجهول .

ووثقه النسائي وابن حبان .

روى ابن عساكر[(٢)] : أنه دخل يوم جمعة إلى مسجد دمشق وقد أخرت الصلاة ، فقال : والله ما بعث الله نبياً بعد محمد ﷺ أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت ، قال : فأُخذ فأدخل الخضراء فقطع رأسه ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك .

عبد الله بن عمرو بن عثمان[(٣)] ، أبو محمد ، كان قاضي المدينة ، وكان شريفاً كثير المعروف جواداً ممدَّحاً ، والله أعلم[(٤)] .

خلافة سليمان بن عبد الملك

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات ، وكان يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان سليمان بالرَّملة ، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك بن مروان كما تقدم .

وقد كان الوليد بن عبد الملك قد عزم قبل موته على خلع أخيه سليمان ، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد ، وقد كان الحجاج طاوعه على ذلك وأمره به ، وكذلك قتيبة بن مسلم

---

(١) ترجمة ـ زياد بن جارية ـ في تاريخ البخاري (٣/ ٣٤٨) والثقات لابن حبان (٤/ ٢٥٢) وتاريخ دمشق (١٩/ ١٣٢ ـ ١٣٦) وفيه : زياد بن حارثة ، وتهذيبه (٥/ ٤١) وأسد الغابة (٢/ ٣١٢) وتهذيب الكمال (٩/ ٤٣٩ ـ ٤٤١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٥٩ ـ ٣٦٠) والوافي بالوفيات (١٥/ ١٣ ـ ١٤) والإصابة (١/ ٥٨٦) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) .
وقد تحرف في ط إلى : حارث ، وفي أ ، ب : حارثة ، والتصحيح من المصادر .

(٢) تاريخ دمشق (١٩/ ١٣٦) .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن عمرو ـ في المعارف (١٩٩) وتاريخ البخاري (٥/ ١٥٣ ـ ١٥٤) ونسب قريش (١١٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٠٣) والوافي بالوفيات (١٧/ ٣٨٤ ـ ٣٨٨) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .

(٤) الترجمة الأخيرة ساقطة من أ ، ب .

وجماعة من أهل الشام ، وقد أنشد في ذلك جرير[١] وغيره من الشعراء قصائد ، فلم ينتظم ذلك له حتى مات ، وانعقدت البيعة إلى سليمان ، فخافه قتيبة بن مسلم وعزم على أن لا يبايعه ، فعزله سليمان وولّى على إمرة العراق ثم خراسان يزيد بن المهلّب[٢] ، فأعاده إلى إمرتها بعد عشر سنين ، وأمره بمعاقبة آل الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج هو الذي عزل يزيد عن خراسان . [ولسبع بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان بن حيان وولّى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان أحد العلماء][٣] .

وقد كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان بن عبد الملك للخلافة كتب إليه كتاباً يعزِّيه في أخيه ، ويهنئه بولايته ، ويذكر فيه بلاءه وعناه وقتاله وهيبته في صدور الأعداء ، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه ، وأنه له على مثل ما كان للوليد من الطاعة والنصيحة ، إن لم يعزله عن خراسان ، ونال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلَّب ، ثم كتب كتاباً ثانياً يذكر ما فعل من القتال والفتوحات وهيبته في صدور الملوك والأعاجم ، ويذم يزيد بن المهلَّب أيضاً ، ويقسم فيه لئن عزله وولى يزيد ليخلعن سليمان عن الخلافة ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان عن الخلافة بالكلية ، وبعث بها مع البريد[٤] وقال له : ادفع إليه الكتاب الأول ، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلّب فادفع إليه الثاني ، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلّب فادفع إليه الثالث ، فلما قرأ سليمان الكتاب الأول ـ واتفق حضور يزيد عند سليمان ـ دفعه إلى يزيد فقرأه ، فناوله البريد الكتاب الثاني فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فناوله البريد الكتاب الثالث فقرأه ، فإذا فيه التصريح بعزله وخلعه ، فتغيّر وجهه ، ثم ختمه وأمسكه بيده ولم يدفعه إلى يزيد ، وأمر بإنزال البريد في دار الضيافة ، فلما كان من اللّيل بعث إلى البريد فأحضره ودفع إليه ذهباً وكتاباً فيه ولاية قتيبة على خراسان ، وأرسل مع ذلك البريد بريداً آخر من جهته ليقرره عليها ، فلما وصلا بلاد خراسان[٥] بلغهما أن قتيبة قد خلع الخليفة ، فدفع بريد سليمان الكتاب الذي معه إلى بريد قتيبة ، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع بريد سليمان .

---

(١) يقول جرير :

إذا قيل أي الناس خير خليفة ... أشارت إلى عبد العزيز الأصابع
رأوه أحق الناس كلّهم بها ... وما ظلموا ، فبايعوا وسارعوا

والأبيات في ديوان جرير (٣٥٧) وتاريخ الطبري .

(٢) الخبر في الطبري (٦/ ٥٠٦) وابن الأثير (٥/ ١١) وفيهما : أن سليمان عزل يزيد بن أبي مسلم عن العراق ، وأمّر عليه يزيد بن المهلّب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في الطبري (٦/ ٥٠٥) وابن الأثير (٥/ ١١) .

(٤) في الطبري وابن الأثير : مع رجل من باهلة .

(٥) في الطبري وابن الأثير : فلما كان بحلوان .

مقتل(١) قتيبة بن مسلم(٢) رحمه الله

وذلك أنه جمع الجند والجيوش وعزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة وترك طاعته ، وذكر لهم همته وفتوحه وعدله فيهم ، ودفعه الأموال الجزيلة إليهم ، فلما فرغ من مقالته ، لم يجبه أحد من الناس ، فشرع في تأنيبهم وذمِّهم ، قبيلة قبيلة ، وطائفة طائفة ، فغضبوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرَّقوا ، وعملوا على مخالفته ، وسَعَوا في قتله ، وكان القائم بأعباء ذلك رجل يقال له وكيع بن أبي سود(٣) ، فجمع جموعاً كثيرة ، ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذي الحِجَّة من هذه السنة ، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته ، ولم يبق منهم سوى ضرار بن مسلم ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن سعد بن زُرارة ، فحمته أخواله ، وعمرو بن مسلم كان عامل الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله(٤) وصالح ويسار(٥) ، وهؤلاء أبناء مسلم ، وأربعة من أبنائهم ، فصلبهم كلهم وكيع بن أبي سود .

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي ، من سادات الأمراء وخيارهم ، وكان من القادة النجباء الكبراء ، والشجعان وذوي الحروب والفتوحات السعيدة ، والآراء الحميدة [وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله ، فأسلموا ودانوا لله عزَّ وجلَّ ، وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئاً كثيراً كما تقدم ذلك مفصلاً مبيناً ، والله سبحانه لا يضيع سعيه ولا يخيب تعبه وجهاده](٦) .

ولكن زلّ زلّة كان فيها حتفه ، وضلّ ضلّة رغم فيه أنفه ، وخلع الطاعة فبادرت المنية إليه ، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته ، ويمحو بها عنه

---

(١) في ب : ذكر سبب مقتله .

(٢) ترجمة ـ قتيبة بن مسلم ـ في تاريخ خليفة (٣١٨) والمعارف (٤٠٦) والبيان والتبيين للجاحظ (٢/ ١٣٢) ومعجم الشعراء للمرزباني (٢١٢) ووفيات الأعيان (٤/ ٨٦ ـ ٩١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٥٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٠ ـ ٤١١) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٣٣) وشذرات الذهب (١/ ٣٨٩) .

(٣) لم يذكر الطبري وابن الأثير من اسمه سوى وكيع ، وذكر ابن خلكان في الوفيات (٤/ ٨٧) : أنه وكيع بن حسان بن قيس بن يوسف .
وكذلك ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام وقال : ولما بلغه موت الوليد نزع الطاعة ، فلم يوافقه أكثر من معه من الجند ، وكان قد عَزَلَ وكيعَ بن حسان بن قيس الغدّاني عن رياسة تميم ، فسعى في تأليب الجند ثم وثب على قتيبة في أحد عشر من أهله فقتلوه .

(٤) في الطبري وابن الأثير : عبد الله .

(٥) زاد الطبري (٦/ ٤١٦) : وابن الأثير (٥/ ١٧) : عبد الكريم وحصين .

(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط .

من خطيئاته ، والله يسامحه ويعفو عنه ، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء ، وكانت وفاته بفرغانة من أقصى بلاد خراسان ، في ذي الحجة من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وأربعون سنة ، وكان أبوه أبو صالح مسلم فيمن قتل مع مصعب بن الزُّبير ، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين ، وقد قال فيه بعض الشعراء يرثيه ، وهو رثاء عبد الرحمن بن جمانة الباهلي فقال :

كأن أبا حفصٍ قتيبة لم يسرْ ... بجيشٍ إلى جيشٍ ولم يعلُ منبرا
ولم تخْفِقِ الراياتُ والقومُ حولهُ ... وقوفٌ ولم يشهدْ له الناسُ عسكرا
دعتهُ المنايا فاستجاب لربِّهِ ... وراحَ إلى الجنَّاتِ عَفَّاً مطهَّرا
فما رُزِئَ الإسلامُ بعد محمدٍ ... بمثلِ أبي حفصٍ فبكّيهِ عَبْهَرا[1]

ولقد بالغ هذا الشاعر في بيته الأخير . وعبهر أم ولد له .

وقال الطِّرماح في هذه الوقعة التي قتل فيها على يد وكيع بن أبي سود :

لولا فوارسُ مَذحِجَ ابنة[2] مذحجٍ ... والأزد زُعزِعَ واستبيحَ العسكرُ
وتقطعتْ بهمُ البلادُ ولم يَؤُبْ ... منهم إلى أهلِ العراقِ مخبِّرُ
واستضلعت[3] عقد الجماعةِ وازدرى ... أمرُ الخليفةِ واستحلَ المنكرُ
قومٌ همو قتلوا قتيبة عنوةً ... والخيلُ جامحةٌ عليها العِثْيرُ[4]
بالمرجِ مرجِ الصينِ حيثُ تبيّنتْ ... مُضرُ العراقِ مَن الأعزُّ الأكبرُ
إذ حالَفتْ جزعاً ربيعةُ كلها ... وتفرقتْ مضرٌ ومنْ يتمضرُ
وتقدمتْ أزدُ العراقِ ومَذْحِجٌ ... للموتِ يجمعُها أبوها الأكبر
قحطانُ تضربُ رأسَ كل مدججٍ ... تحمي بصائرهنَّ إذْ لا تبصرُ
والأزدُ تعلمُ أنَّ تحتَ لوائها ... مُلكاً قُرَاسِيَةً وموتٌ أحمرُ
فبعزِّنا نُصِرَ النبيُّ محمدٌ ... وبنا تثبَّتَ في دمشقَ المِنبرُ[5]

وقد بسط ابن جرير[6] هذه القصة بسطاً كثيراً وذكر أشعاراً كثيرة جداً . وقال القاضي ابن خلكان[7] وقال جرير يرثي قتيبة بن مسلم رحمه الله وسامحه ، وأكرم مثواه وعفا عنه :

---

(١) الأبيات في الطبري (٦/ ٥٢١) وابن الأثير (٥/ ١٩ ـ ٢٠) وفيهما : عبهر : أم ولد له .
(٢) في أ ، ب : أثبت .
(٣) في أ ، ب : واستطلقت .
(٤) في أ : العنبر ، وفي الطبري : جانحة بدل جامحة .
(٥) الأبيات في الطبري (٦/ ٥٢٠ ـ ٥٢١) .
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٥٠٦ـ٥٢٢) .
(٧) وفيات الأعيان (٤/ ٨٨) .

ندمتمْ على قتلِ الأغر[١] ابنِ مسلمٍ وأنتـــمْ إذا لاقيتـــمُ الله أنـــدمُ
لقـدْ كنتـمُ مـن غـزوهِ فـي غنيمـة وأنتـمْ لمـنْ لاقيتـمُ اليـومَ مغنـمُ
علـى أنـه أفضـى إلـى حـورِ جنـةٍ وتطبـقُ بـالبلـوى عليكـمْ جهنـمُ

قال : وقد ولي من أولاده وذريته جماعة الإمرة في البلدان ، فمنهم عَمْرو[٢] بن سعيد بن قتيبة بن مسلم وكان جواداً ممدحاً ، رثاه حين مات أبو عمر أشجع بن عمرو السلمي المري[٣] نزيل البصرة بقوله :

مضى ابنُ سعيدٍ حيثُ لم يبقَ مشرقٌ ولا مغـــربٌ إلا لـــه فيـــه مـــادحُ
ومـا كنـتُ أدري مـا فـواضـلُ كفـهِ على الناسِ حتى غيبتهُ الصفائحُ[٤]
وأصبحَ في لحد من الأرضِ ضيقٍ وكانتْ به حياً تضيقُ الضحاضحُ
سأبكيكَ ما فاضتْ دموعي فإن تغضْ فحسبـكَ مني مـا تجـن[٥] الجوانـحُ
فما أنا منْ رزئي وإن جلّ جازعٌ ولا بســرورٍ بعــدَ مــوتـكَ فـارحُ
كأن لم يمتْ حيٌّ سواكَ ولم تقمْ علــى أحــدٍ إلا عليــكَ النــوائـحُ
لئنْ حسنتْ فيكَ المراثي وذِكرها لقد حسنتْ منْ قبل فيكَ المدائحُ

قال ابن خلكان[٦] : وهي من أحسن المراثي وهي في الحماسة[٧] ، ثم تكلم على باهلة وأنها قبيلة مرذولة عند العرب ، قال : وقد رأيت في بعض المجاميع أن الأشعث بن قيس قال : يا رسول الله أتتكافأ دماؤنا ؟ قال : « نعم ! ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك » .

وقيل لبعض العرب : أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة بذلك .

وسأل بعض الأعراب رجلاً ممن أنت ؟ فقال : من باهلة ، فجعل يرثي له قال : وأزيدك أني لست من الصميم وإنما أنا من مواليهم . فجعل يقبِّل يديه ورجليه ، فقال : ولم تفعل هذا ؟ فقال : لأن الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في الدنيا إلا ليعوِّضك الجنة في الآخرة[٨] .

---

(١) في ط : الأمير ؛ وما أثبت من أ والوفيات .
(٢) في ط : « عمر » محرف ، وما أثبتناه من م ووفيات الأعيان (٤/ ٨٩) وهو عمرو بن سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم ، وقد تولى أبوه سعيد أرمينية والموصل والسِّند وطبرستان وسجستان والجزيرة وتوفي سنة سبع عشرة ومئتين .
(٣) في الوفيات : الرَّقي .
(٤) الصفائح : أحجار عراض تسقف بها القبور .
(٥) في ط : تجر .
(٦) وفيات الأعيان (٤/ ٩٠) .
(٧) الحماسة للتبريزي (٢/ ١٦٨) .
(٨) قال الإمام الذهبي بعد أن ساق هذا الخبر في السير (٤/ ٤١١) : قلت : لم ينل قتيبة أعلى الرتب بالنسب ، بل بكمال الحزم والعزم والإقدام والسَّعد ، وكثرة الفتوحات ووفور الهيبة .

ثم قال ابن جرير[١] :

وفي هذه السنة توفي :

قرَّة بن شريك العبسي[٢] أمير مصر وحاكمها . قلت : هو قرة بن شريك أمير مصر من جهة الوليد [وهو الذي بنى جامع الفيوم][٣] .

وفيها حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حَزْم ، وكان هو الأمير على المدينة .

وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلّب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن .

وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلّب سفيان بن عبد الله الكندي ، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أُذينة .

وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى .

وعلى حرب خراسان وكيعُ بن أبي سود ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

وفيها جَهَّز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ، وفيها أمَّر ابنه داود على الصائفة ، ففتح حصن المرأة .

قال الواقدي : وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الوضاحية ، ففتح الحصن الذي [بناه][٤] الوضاح صاحب الوضاحية .

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٥٢٢) .

(٢) ترجمة ـ قرة بن شريك ـ في تاريخ خليفة (٣١١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٦٠٩) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٥٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) والنجوم الزاهرة (١/ ٢١٧) وشذرات الذهب (١/ ٣٨٨) .
وفي ب : القيسي ، وكذلك في سير أعلام النبلاء .

(٣) ما بينهما زيادة من ط ، وفي تاريخ الإسلام والسير : وهو الذي بنى جامع الفسطاط والزيادة فيه .

(٤) في ب والطبري (٦/ ٥٢٣) وابن الأثير (٥/ ٢٦) فتحه .
قال ياقوت : والوضاحية : قرية منسوبة إلى بني وضاح مولى لبني أمية وكان بربرياً ؛ قال ذلك السكري في قول جرير :

لقد جاهد الوضاح بالحق معلناً فأورث مجداً باقياً آل بربرا

معجم البلدان (٥/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) .

وفيها غزا مسلمة أيضاً برجمة[١] ففتح حصوناً : برجمة وحصن الحديد وسرراً[٢] ، وشتا بأرض الروم .

وفيها غزا عمر بن هُبيرة الفزاري في البحر أرض الروم وشتا بها .

وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وقدم برأسه على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين . مع حبيب بن أبي عبيد الفهري .

وفيها ولى سليمان نيابة خراسان ليزيد بن المهلَّب مضافاً إلى ما بيده من إمرة العراق ، وكان سبب ذلك أن وكيع بن أبي سود لما قتل قتيبة بن مسلم وذريته ، بعث برأس قتيبة إلى سليمان فحظي عنده وكتب له بإمرة خراسان ، فبعث يزيد بن المهلَّب عبد الرحمن[٣] بن الأهتم إلى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده أمر يزيد بن المهلَّب في إمرة خراسان ، وينتقص عنده وكيع بن أبي سود ، فسار ابن الأهتم ـ وكان ذا دهاءٍ ومكر ـ إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يزل به حتى عزل وكيعاً عن خراسان وولى عليها يزيد مع إمرة العراق ، وبعث بعهده مع ابن الأهتم ، فسار في سبع حتى جاء يزيد ، فأعطاه عهد خراسان مع العراق ، وكان يزيد وعده بمئة ألف فلم يف له بها ، وبعث يزيد ابنه مخلداً بين يديه إلى خراسان ، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه أن قيساً زعموا أن قتيبة بن مسلم لم يكن خلع الطاعة ، فإن كان وكيع قد تعرض له وثار عليه بسبب أنه خلع ولم يكن خلع فقيِّده وابعث به إليّ ، فتقدّم مخلد فأخذ وكيعاً فعاقبه وحبسه قبل أن يجيء أبوه ، وكانت إمرة وكيع بن أبي سود على خراسان تسعة أشهر ، أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد بن المهلّب فتسلم خراسان وأقام بها ، واستناب في البلاد نواباً ذكرهم ابن جرير[٤] .

[قال : ثم سار يزيد بن المهلّب ، فغزا جرجان ولم تكن يومئذ مدينة بأبواب وسور ، وإنما هي جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له : صول ، فتحولوا عنها إلى قلعة هناك ، وقيل إلى جزيرة في بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة ، وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأسروا وغنموا][٥] .

قال : وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن أبي سود ، ووليها يزيد بن المهلَّب بن أبي صفرة مع العراق .

---

(١) برجمة : حصن للروم في شعر جرير . معجم البلدان (١/ ٣٧٤) .
وحصن الحديد وسرر حصون تقع على الطريق إلى القسطنطينية التي قصدها مسلمة في هذا العام .

(٢) في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٦) : سرد وسل .

(٣) في الطبري (٦/ ٥٢٥) وابن الأثير (٤/ ٢٤) : عبد الله .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٥٢٦ـ٥٢٧) .

(٥) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ خليفة (٣١٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٦٥ ـ ٢٦٦) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن الحسن(١) **بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد القرشي الهاشمي** ، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً : « من عال أهل بيت من المسلمين يومهم وليلتهم غفر الله له ذنوبه »(٢) .

وعن عبيد الله بن جعفر عن علي في دعاء الكرب(٣) ، وعن زوجته فاطمة بنت الحسين .

وعنه : ابنه عبد الله وجماعة .

وفد على عبد الملك بن مروان فأكرمه ونصره على الحجاج ، وأقرّه وحده على ولاية صدقة علي ، وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر فأحسن ، وذكر عنه آثاراً تدل على سيادته وعمله وتسننه رحمه الله [قيل إن الوليد بن عبد الملك(٤) كتب إلى عامله بالمدينة : إن الحسن بن الحسن كاتب أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي هذا فاجلده مئة ضربة ، وقفه للناس ، ولا تراني إلا قاتله . فأرسل خلفه فعلَّمه علي بن الحسين كلمات الكرب فقالها حين دخل عليه فنجاه الله منهم : وهي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش العظيم(٥) .

توفي بالمدينة ، وكانت أمه خولة بنت منظور الفزاري](٦) .

وقال يوماً لرجل من الرافضة : والله إن قتلك لقربة إلى الله عزَّ وجلَّ ، فقال له رجل : إنك تمزح ، فقال : والله ما هذا مني بمزح ولكنه الجد(٧) .

وقال له آخر منهم : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ؟. فقال : بلى ، ولو أراد الخلافة لخطب الناس فقال : أيها الناس اعلموا أن هذا ولي أمركم من بعدي ، وهو القائم عليكم ،

---

(١) ترجمة ـ الحسن بن الحسن ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) وطبقات خليفة (٢٤٠) وتاريخ البخاري (٢/ ٢٨٩) والمعارف (٢١٢) وتاريخ بغداد (٧/ ٢٩٣) وتاريخ دمشق (١٣/ ٦١ ـ ٧١) وتهذيبه (٤/ ١٦٥ ـ ١٦٩) وتهذيب الكمال (٦/ ٨٩ ـ ٩٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٢٨ ـ ٣٣٠) . وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨٣ـ٤٨٧) والوافي بالوفيات (١١/ ٤١٦ ـ ٤١٨) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٣) .

(٢) الحديث في تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/ ٦١) وهو حديث ضعيف جداً ، فيه المنذر بن زياد الطائي ، وهو متروك كما في ميزان الذهبي (٤/ ١٨١) .

(٣) سيرد هذا الدعاء بعد قليل .

(٤) في تاريخ الإسلام والسير : عبد الملك بن مروان .

(٥) الحديث أخرجه أحمد (١/ ٢٥٤) و(١/ ٢٨٠) ومواضع أخرى ، والبخاري في صحيحه رقم (٦٣٤٥ ـ ٦٣٤٦) في الدعوات ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٣٠ و٢٧٣١) في الذكر والدعاء .

(٦) ما بين معكوفين زيادة من ط توافق الأصول .

(٧) تاريخ دمشق (١٣/ ٦٧) .

فاسمعوا له وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر ثم تركه علي لكان أول من ترك أمر الله ورسوله[١] .

وقال لهم أيضاً : والله لئن ولينا من الأمر شيئاً لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لا نقبل لكم توبة ، ويلكم غررتمونا من أنفسنا ، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت أباه وأمه[٢] ، لو كان ما تقولون فينا حقاً لكان آباؤنا قد غشونا إذ لم يعلمونا بذلك [قد ظلمونا وكتموا عنّا أفضل الأمور] والله إني لأخشى أن يضاعف العذاب للعاصي منا ضعفين ، كما أني لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مرتين ، ويلكم أحبونا إن أطعنا الله على طاعته ، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته .

موسى بن نصير[٣] ، أبو عبد الرحمن اللّخمي ، مولاهم كانت مولاته امرأة منهم ، وقيل كان مولى لبني أمية ، افتتح بلاد المغرب [وغنم منها أموالاً لا تعد ولا توصف ، وله بها مقامات مشهورة هائلة] ويقال إنه كان أعرج ، ويقال إنه ولد سنة تسع عشرة ، وأصله من عين التمر ، وقيل إنه من أراشة من بليّ ، سُبي أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق ، وكان اسم أبيه نصراً فصغر .

روى عن تميم الداري ، وروى عنه ابنه عبد العزيز ، ويزيد بن مسروق اليحصبي .

وولي غزو البحر لمعاوية ، فغزا قبرص ، وبنى هنالك حصوناً كالماغوصة وحصن بانس وغير ذلك من الحصون بقبرص ، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين ، وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس ، فلما قتل الضحاك لجأ موسى بن نصير لعبد العزيز بن مروان ، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه فتركه عند ابنه عبد العزيز ، ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جعله وزيراً عند أخيه بشر بن مروان .

وكان موسى بن نصير هذا ذا رأي وتدبير وحزم وخبرة بالحرب ، قال الفسوي[٤] : ولي موسى بن نصير إمرة بلاد إفريقية سنة تسع وسبعين فافتتح بلاداً كثيرة جداً مدناً وأقاليم .

وقد ذكرنا أنه افتتح بلاد الأندلس ، وهي بلاد ذات مدن وقرى وريف ، فسبى منها ومن غيرها خلقاً كثيراً ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، ومن الذهب والجواهر النفيسة شيئاً لا يحصى ولا يعد ، وأما الآلات والمتاع والدواب فشيء لا يدرى ما هو ، وسبى من الغلمان الحسان والنساء الحسان شيئاً كثيراً ، حتى قيل

---

(١) المصدر نفسه (١٣/ ٦٩) .
(٢) يقصد أبا رسول الله ﷺ وأمه . والخبر بأطول مما هنا في تاريخ دمشق (١٣/ ٧٠) .
(٣) ترجمة ـ موسى بن نصير ـ في تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٤٦) وجذوة المقتبس (٣١٧) والمعرفة والتاريخ (٣/ ٣٣٢) وتاريخ دمشق (٦١/ ٢١١ ـ ٢٢٤) والبيان المغرب (١/ ٣٩ ـ ٤٩) ووفيات الأعيان (٥/ ٣١٨ ـ ٣٢٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٨٥ ـ ٤٩٠) .
(٤) في ط : البغوي ؛ تحريف والخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٣٢) .

إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء[١] ، وأسلم أهل المغرب على يديه ، وبث فيهم الدين والقرآن ، وكان إذا سار إلى مكان تحمل الأموال معه على العَجَل لكثرتها وعجز الدواب عنها .

[وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح في بلاد المغرب ، وقتيبة يفتح في بلاد المشرق ، فجزاهما الله خيراً ، فكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئاً كثيراً ، ولكن موسى بن نصير حظي بأشياء لم يحظ بها قتيبة ، حتى قيل إنه لما فتح الأندلس جاءه رجل فقال له : ابعث معي رجالاً حتى أدلك على كنز عظيم ، فبعث معه رجالاً فأتى بهم إلى مكان فقال : احفروا ، فحفروا فأفضى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات لواوين حسنة ، فوجدوا هناك من اليواقيت والجواهر والزبرجد ما أبهتهم ، وأما الذهب فشيء لا يعبَّر عنه ، ووجدوا في ذلك الموضع الطنافس ، الطنفسة منها منسوجة بقضبان الذهب ، منظومة باللؤلؤ الغالي المفتخر ، والطنفسة منظومة بالجوهر المثمن ، واليواقيت التي ليس لها نظير في شكلها وحسنها وصفاتها ، ولقد سمع يومئذ منادٍ ينادي لا يرون شخصه : أيها الناس ، إنه قد فتح عليكم باب من أبواب جهنم فخذوا حذركم . وقيل إنهم وجدوا في هذا الكنز مائدة سليمان بن داود التي كان يأكل عليها][٢] وقد جمع أخباره وما جرى له في الحروب والغزوات رجل من ذريته يقال له أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النصيري .

وروى الحافظ ابن عساكر[٣] : أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد عن أعجب شيء رآه في البحر ، فقال : انتهينا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة خضراء مختومة بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام ، قال : فأمرت بأربعة منها فأخرجت ، وأمرتُ بواحدة منها فنقبت ، فإذا قد خرج منها شيطان ينفض رأسه ويقول : والذي أكرمك بالنبوة لا أعود بعدها أفسد في الأرض ، قال : ثم إن ذلك الشيطان نظر فقال : إني لا أرى بهاء سليمان وملكه ، فانساخ في الأرض فذهب . قال : فأمرت بالثلاث البواقي فردت إلى مكانها .

[وقد ذكر السمعاني وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التي بقرب البحر المحيط الأخضر ، في أقصى بلاد المغرب ، وأنهم لما أشرفوا عليها رأوا بريق شرفاتها وحيطانها من مسافة بعيدة ، وأنهم لما أتوها نزلوا عندها ، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مئة فارس من الأبطال ، وأمره أن يدور حول سورها لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها ، فقيل : إنه سار يوماً وليلة حول سورها ، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها ، فأمرهم فجمعوا ما معهم من المتاع بعضه على بعض ، فلم يبلغوا أعلى

---

(١) قال ابن عذاري في البيان المغرب (١/ ٤٣) : لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام ، وثمة بعض الخلافات اللفظية بين النسخ آثرنا عدم ذكرها لتوافق المعنى ، وبالله المستعان .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٨٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٧) عن الليث بن سعد .

(٣) تاريخ دمشق (٦١/ ٢٢٢) .

سورها ، فأمر فعمل سلالم فصعدوا عليها ، وقيل إنه أمر رجلاً فصعد على سورها ، فلما رأى ما في داخلها لم يملك نفسه أن ألقاها في داخلها فكان آخر العهد به ، ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناس من الصعود إليها ، فلم يحط أحد منهم بما في داخلها علماً ، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرة قريبة منها ، فقيل : إن تلك الجرار المذكورة وجدها فيها ، ووجد عليها رجلاً قائماً ، فقال له : ما أنت ؟ قال : رجل من الجن وأبي محبوس في هذه البحيرة حبسه سليمان ، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره . فقال له : هل رأيت أحداً خارجاً من هذه المدينة أو داخلاً إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلاً يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعبد عليها أياماً ثم يذهب فلا يعود إلى مثلها ، والله أعلم ما هو . ثم رجع إلى إفريقية ، والله أعلم بصحة ذلك ، والعهدة على من ذكر ذلك أولاً][(١)] .

وقد استسقى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث وتسعين حين أقحطوا بإفريقية ، فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء ، ثم خرج بالناس وميَّز أهل الذمة عن المسلمين ، وفرق بين البهائم وأولادها ، ثم أمر بارتفاع الضجيج والبكاء ، وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار ، ثم نزل فقيل له : ألا دعوت لأمير المؤمنين ؟ فقال : هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عزَّ وجلَّ ، فسقاهم الله عزَّ وجلَّ[(٢)] .

وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر ، وقد لبس موسى ثياباً حسنة وهيئة حسنة ، فدخل ومعه ثلاثون غلاماً [من أبناء الملوك الذين أسرهم] والأسبان[(٣)] ، وقد ألبسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والأُبَّهة العظيمة ، فلما نظر إليهم الوليد وهو يخطب الناس على منبر جامع دمشق بهت إليهم لما رأى عليهم من الحرير والجواهر والزينة البالغة ، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر ، وأمر أولئك فوقفوا عن يمين المنبر وشماله ، فحمد الله الوليد وشكره على ما أيده به ووسَّع ملكه ، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة ، ثم نزل فصلى بالناس ، ثم استدعى بموسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئاً كثيراً[(٤)] .

وكان موسى بن نصير قدم بمائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، التي كان يأكل عليها [وكانت من خليطين ذهب وفضة ، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم ير مثله ، وجدها في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة .

وقيل إنه بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مئة ألف رأس ، وبعث ابن أخيه في جيش فأصاب من السبي مئة ألف رأس أيضاً من البربر ، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمس الغنائم

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٢) الخبر في وفيات الأعيان (٥/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) وتاريخ دمشق (٦١/ ٢٢٢) وتاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء .
(٣) في تاريخ الإسلام : وقد ألبس ثلاثين رجلاً التيجان على كل واحد تاج الملك وثيابه .
(٤) تاريخ دمشق (٦١/ ٢٢٣) .

أربعون ألف رأس ، قال الناس : إن هذا أحمق ، من أين له أربعون ألف رأس خمس الغنائم ؟ فبلغه ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمس ما غنم ، ولم يُسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير أمير المغرب[١] .

وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد الأندلس وقال : ولو انقاد الناس لي لقُدتهم حتى أفتح بهم مدينة رومية[٢] ـ وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج ـ ثم ليفتحها الله على يدي إن شاء الله تعالى ، ولما قدم على الوليد قدم معه بثلاثين ألفاً من السبي ، وذلك خمس ما كان أصابه في آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب ، وقدم معه من الأموال والتحف واللآلئ والجواهر ما لايحد ولا يوصف ، ولم يزل مقيماً بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان ، وكان سليمان عاتباً على موسى فحبسه عنده وطالبه بأموال عظيمة . ولم يزل في يده حتى حج بالناس سليمان في هذه السنة وأخذه معه فمات بالمدينة ، وقيل بوادي القرى[٣] ، وقد قارب[٤] الثمانين، وقيل توفي في سنة تسع وتسعين[٥] ، فالله أعلم، ورحمه الله وعفا عنه بمنه وفضله آمين .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ففي هذه السنة جَهَّز سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية وراء الجيش الذين هم بها ، فسار إليها ومعه جيش عظيم ، وقد أمر كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مدّين من طعام ، فلما وصل إليها جمعوا ذلك فإذا هو أمثال الجبال ، فقال لهم مسلمة : اتركوا هذا الطعام وكلوا مما تجدونه في بلادهم ، وازرعوا في أماكن الزرع واستغلّوه ، وابنوا لكم بيوتاً من خشب ، فإنا لا نرجع عن هذا البلد إلا أن نفتحها إن شاء الله . وقد داخل مسلمة رجل من النصارى يقال له إليون ، وواطأه في الباطن ليأخذ له بلاد الروم ، فظهر منه نصح في بادئ الأمر ، ثم إنه توفي ملك القسطنطينية ، فدخل إليون في رسالة من مسلمة وقد خافته الروم خوفاً شديداً ، فلما دخل إليهم إليون قالوا له : رده عنا ونحن نملكك علينا فخرج فأعمل الحيلة في الغدر والمكر ، ولم يزل قبحه الله حتى أحرق ذلك الطعام الذي للمسلمين ، وذلك أنه قال لمسلمة : إنهم ما داموا يرون هذا الطعام يظنون أنك تطاولهم في القتال ، فلو أحرقته لتحققوا منك العزم ، وسلّموا إليك البلد سريعاً ، فأمر مسلمة بالطعام فأحرق ، ثم انشمر إليون في السفن وأخذ ما أمكنه من أمتعة الجيش في اللّيل ، وأصبح وهو في البلد محارباً للمسلمين ، وأظهر العداوة الأكيدة ، وتحصن بالبلد واجتمعت عليه الروم ، وضاق الحال على المسلمين

---

(١) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٨٦) عن الليث بن سعد .

(٢) في تاريخ الإسلام والسير : القسطنطينية .

(٣) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٨٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٨) .
وقال الذهبي في السير : حج موسى مع سليمان ومات بالمدينة .

(٤) في أ وحدها : جاوز .

(٥) في تاريخ دمشق (٦١/ ٢٢٤) : توفي موسى بن نصير بوادي القرى في سنة سبع وتسعين .

حتى أكلوا كل شيء إلا التراب ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز ، فكروا راجعين إلى الشام ، وقد جهدوا جهداً شديداً[١] ، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجداً بالمدينة[٢] شديد البناء محكماً ، رحب الفناء شاهقاً في السماء .

[وقال الواقدي : لما ولي سليمان بن عبد الملك أراد الإقامة ببيت المقدس ، ثم يرسل العساكر إلى القسطنطينية ، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والرساتيق والحصون ، حتى يبلغ المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها ، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد ، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة ، فمتى ما فتحت فإن باقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك ، فقال سليمان : هذا هو الرأي ، ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مئة وعشرين ألفاً ، وفي البحر مئة وعشرين ألفاً من المقاتلة ، وأخرج لهم الأعطية ، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة ، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والإقامة إلى أن يفتحوها ، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمّر عليهم أخاه مسلمة ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف . ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق ، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة المحتسبين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله ، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشي ، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة ، قالوا : فابعث إلينا إليون نشاوره ، فأرسله إليهم ، فقالوا له : رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا ، فرجع إلى مسلمة : فقال : قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحَّى عنهم ؛ فقال مسلمة : إني أخشى غدرك ، فحلف له أنه يدفع إليه مفاتيحها وما فيها ، فلما تنحّى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار . وغدر إليون بالمسلمين قبحه الله][٣] .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده ، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك بن مروان ، فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٥٣٠ ـ ٥٣١) وابن الأثير (٥/ ٢٧ ـ ٢٨) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٧١) .

(٢) في ط : بالقسطنطينية ، والصحيح أن مسلمة كان قد بنى مدينة حذاء القسطنطينية سماها مدينة القهر ، وبنى بها مسجداً عظيماً حيث إن القسطنطينية لم تفتح بعد ، ولم يذكر الطبري ولا ابن الأثير خبر المسجد هذا في هذه السنة ، إنما ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧١) في ترجمة سليمان بن عبد الملك نقلاً عن ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٣ ـ ١٧٤) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٢٦٩ ـ ٢٧٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) ولكن الرواية ليست عن الواقدي ؛ وإنما عن سعيد بن عبد العزيز .

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٥٣١ ـ ٥٣٢) والخبر أيضاً في ابن الأثير (٥/ ٢٨) .

أيوب ، وتربص بأخيه الدوائر ، فمات أيوب في حياة أبيه ، فبايع سليمان إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده ، ولنعمّا فعل[١] . وفيه فتحت مدينة الصقالبة . قال الواقدي : وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو في قلة من الناس في هذه السنة . فبعث إليه سليمان جيشاً فتقاتل البرجان حتى هزمهم الله عزَّ وجلَّ .

وفي هذه السنة غزا يزيد بن المهلّب قهستان[٢] من أرض الصين فحاصرها وقاتل عندها قتالاً شديداً ، ولم يزل حتى تسلمها ، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبراً[٣] ، وأخذ منها الأموال والأثاث والأمتعة ما لا يحد ولا يوصف كثرة وقيمة وحسناً ، ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالدّيلم ، فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلّب وقاتلوه ، فحمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي ـ وكان فارساً شجاعاً باهراً ـ على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله ، ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا يوماً بعض فرسان الترك ، فضربه التركي بالسيف على البيضة فنشب فيها ، وضربه ابن أبي سبرة فقتله ، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دماً وسيف التركي ناشب في خوذته ، فنظر إليه يزيد بن المهلّب فقال : ما رأيت منظراً أحسن من هذا ، من هذا الرجل ؟ قالوا : ابن أبي سبرة . فقال : نعم الرجل لولا انهماكه في الشراب[٤] . ثم صمم يزيد بن المهلّب في محاصرة جرجان وما زال يضيّق على صاحبها حتى صالحه على سبعمئة ألف درهم وأربعمئة ألف دينار ، ومئتي ألف ثوب ، وأربعمئة حمار موقرة زعفراناً ؛ وأربعمئة رجل على رأس كل رجل ترس : على الترس طيلسان وجام من فضة وسرقة من حرير ، وقد كان سعيد بن العاص حين فتحها صلحاً على أن يؤدوا الخراج فكانوا يحملون في كل سنة مئة ألف ، وفي سنة مئتي ألف ، وفي بعض السنين ثلاثمئة ألف ، ويمنعون ذلك في بعض السنين ، ثم امتنعوا جملة وكفروا ، فغزاهم يزيد بن المهلّب وردّها صلحاً على ما كانت عليه في زمن سعيد بن العاص . قالوا : وأصاب يزيد بن المهلّب من غيرها أموالاً كثيرة جداً ، فكان من جملتها تاج فيه جواهر نفيسة ، فقال : أترون أحداً يزهد في هذا ؟ قالوا : لا نعلمه ، فقال : والله إني لأعلم رجلاً لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهد فيه ، ثم دعا بمحمد بن واسع ـ وكان في الجيش مغازياً ـ فعرض عليه أخذ التاج فقال : لا حاجة لي فيه ، فقال : أقسمت عليك لتأخذنه ، فأخذه وخرج به من عنده ، فأمر يزيد رجلاً أن يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج ، فمر بسائل فطلب منه شيئاً فأعطاه التاج بكماله وانصرف ، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج وعوضه عنه مالاً كثيراً .

---

(١) في الأخبار الطوال (٣٢٩) قال : لما ثقل سليمان كتب كتاباً وختمه ثم قال لصاحب شرطته : إن هشام ويزيد لم يبلغا أن يؤتمنا على الأمة ، فجعلتها للرجل الصالح ، عمر بن عبد العزيز ؛ فإذا توفي عمر رجع الأمر إليهما .

(٢) في تاريخ الطبري (٦/ ٥٣٦) : دهستان .

(٣) في الطبري (٦/ ٥٣٨) وابن الأثير (٥/ ٣٠) : وقتل أربعة عشر ألف تركي صبراً .

(٤) في الطبري (٦/ ٥٣٣) فقال : لله أبوه ! أي رجل هو لولا إسرافه على نفسه .

وقال علي بن محمد المدائني : قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا إليه أنه أخذ خريطة فيها مئة دينار ، فسأله عنها فقال : نعم وأحضرها ؛ فقال له يزيد : هي لك ، واستدعى بالذي وشى به فشتمه ، فقال في ذلك القُطامي الكلبي ، ويقال إنها لسنان بن مكمّل النميري :

لقدْ باعَ شهرٌ دينهُ بخريطةٍ فمنْ يأمنُ القرَّاءَ بعدك يا شَهْرُ
أخذت بهِ شيئاً طفيفاً وبِعْتَهُ من ابنِ جونبوذ إنَّ هذا هو الغدرُ

وقال مرة بن النخعي[١] :

يابنَ المهلبِ ما أردتَ إلى امرئٍ لولاكَ كان كصالحِ القراءِ[٢]

قال ابن جرير[٣] : ويقال إن يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مئة ألف وعشرين ألفاً ، منهم ستون ألفاً من جيش الشام أثابهم الله ، وقد تمهدت تلك البلاد بفتح جرجان وسلكت الطرق ، وكانت قبل ذلك مخوفة جداً ، ثم عزم يزيد على المسير إلى طبرستان[٤] ، وقدَّم بين يديه سرية في أربعة آلاف من سراة الناس ، فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من المسلمين في المعركة أربعة آلاف ثم عزم يزيد على فتح البلاد لا محالة ، وما زال حتى صالحه صاحبها ـ وهو الأصبهبذ ـ بمال كثير ، سبعمئة ألف في كل عام ، وغير ذلك من المتاع والرقيق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[٥] ، كان إماماً حجة ، وكان مؤدب عمر بن عبد العزيز ، وله روايات كثيرة عن جماعات من الصحابة .

أبو الحفص النخعي[٦] .

---

(١) في أ وابن الأثير (٥/ ٣٣) : الحنفي ، وما أثبت موافق للطبري .
(٢) الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٦/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩) وابن الأثير (٥/ ٣٣) .
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٥٣٩) .
(٤) في ط : خوزستان ، وما أثبت من أ ، ب ومصادر المؤلف .
(٥) ترجمة ـ عبيد الله بن عبد الله ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٥٠) وتاريخ خليفة (٣٢٠) وطبقاته (٢٤٣) وتاريخ البخاري (٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٦٠ ـ ٥٦٣) وحلية الأولياء (٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩) ووفيات الأعيان (٣/ ١١٥ ـ ١١٦) وصفة الصفوة (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣) وتهذيب الكمال (١٩/ ٧٣ ـ ٧٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٢١ ـ ٤٢٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٥ ـ ٤٧٩) ونكت الهميان للصفدي (ص١٩٧) وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٣ ـ ٢٤) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٤) .
وقد تحرف اسمه في ط : إلى عبد الله .
(٦) ترجمة ـ أبي الحفص النخعي ، واسمه (عبد الرحمن بن الأسود) ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٨٩) وتاريخ خليفة=

عبد الله بن محمد ابن الحنفية[١] . وقد ذكرنا تراجمهم في « التكميل » والله سبحانه وتعالى أعلم[٢] .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

فيها كانت وفاة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين يوم الجمعة لعشر مضين ، وقيل بقين من صفر منها ، عن خمس وأربعين سنة ، وقيل عن ثلاث وأربعين ، وقيل إنه لم يجاوز الأربعين . وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر .

وزعم أبو أحمد الحاكم : أنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان منها ، وأنه استكمل في خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، والصحيح قول الجمهور وهو الأول ، والله أعلم .

وهو سليمان بن عبد الملك[٣] بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، أبو أيوب . كان مولده بالمدينة في بني جديلة ، ونشأ بالشام عند أبيه .

وروى الحديث عن أبيه عن جده عن عائشة أم المؤمنين في قصة الإفك ، رواه ابن عساكر[٤] من طريق ابنه عبد الواحد بن سليمان عنه .

وروى عن عبد الرحمن بن هنيدة أنه صحب عبد الله بن عمر إلى الغابة قال فسكت فقال لي ابن عمر : ما لك ؟ فقلت : كنت أتمنى . فقال ابن عمر : فما تتمنى يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال لي : لو أن لي أُحُداً هذا ذهباً أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك ، أو قال : ما خشيت أن يضرّني[٥] . رواه محمد بن

= (٣٢٠) وطبقاته (١٥٧) وتاريخ البخاري (٥/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) وتهذيب الكمال (١٦/ ٥٣٠ـ٥٣٣) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤١٢ ـ ٤١٣) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١١ ـ ١٢) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٤٠ ـ ١٤١) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٣) .

(١) ترجمة ـ عبد الله بن محمد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) وتاريخ خليفة (٣١٦ ـ ٣٢٠) وطبقاته (٢٣٩) وتاريخ البخاري (٥/ ١٨٧) وتهذيب الكمال (١٦/ ٨٥ ـ ٨٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٠٥ ـ ٤٠٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٢٩) والوافي بالوفيات (١٧/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) وتهذيب التهذيب (٥/ ١٦٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٣) .

(٢) من قوله : وممن توفي فيها . . إلى هنا ساقط من أ .

(٣) ترجمة ـ سليمان بن عبد الملك ـ في تاريخ خليفة (٣١٦ ـ ٣١٩) وأنساب الأشراف (ق٣/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) وتاريخ البخاري (٤/ ٢٥) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٧ ـ ٣٨٢) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١١١ ـ ١١٣) والوافي بالوفيات (١٥/ ٤٠٠ـ٤٠٤) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٢٥ ـ ٢٢٨) وغيرها كثير .

(٤) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٠) .

(٥) المصدر نفسه .

يحيى الذُّهلي ، عن أبي صالح عن اللّيث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، عن الزُّهري عنه .

قال الحافظ ابن عساكر[١] : وكانت داره بدمشق موضع ميضأة جيرون[٢] الآن [في تلك المساحة جميعها] وبنى داراً كبيرة مما يلي باب الصغير ، موضع الدرب المعروف بدرب محرز ، وجعلها دار الإمارة ، وعمل فيها قبة صفراء تشبيهاً بالقبة الخضراء ، قال : وكان فصيحاً مؤثراً للعدل محباً للغزو ، وقد أنفذ الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحوهم على بناء الجامع بها .

وقد روى أبو بكر الصولي : أن عبد الملك جمع بنيه ، الوليد وسليمان ومسلمة ، بين يديه فاستقرأهم القرآن فأجادوا القراءة ، ثم استنشدهم الشعر فأجادوا ، غير أنهم لم [يكملوا أو] يحكموا شعر الأعشى ، فلامهم على ذلك ، ثم قال : لينشدني كل رجل منكم أرق بيت قالته العرب ولا يفحش ، هات يا وليد ، فقال الوليد : [من البسيط]

ما مركبٌ وركوبُ الخيلِ يعجبني كمــركــبٍ بيــنَ دملــوجٍ وخلخــالِ

فقال عبد الملك : وهل يكون من الشعر أرفث من هذا ؟ هات يا سليمان ، فقال : [من الخفيف]

حبَّــذا رجعُهــا يــديهــا إليهــا فــي يــدي درعهــا تحــلُّ الإزارا

فقال : لم تصب ، هات يا مسلمة ، فأنشده قول امرئ القيس :

ومــا ذرفــتْ عينــاكِ إلا لتضــربــي بسهمَيــكِ فــي أعشــارِ قلــبٍ مُقتَّــلِ

فقال : كذب امرؤ القيس ولم يُصب ، إذا ذرفت عيناها بالوجد فما بقي إلا اللقاء ، وإنما ينبغي للعاشق أن يغتضي منها الجفاء ويكسوها المودة ، ثم قال : أنا مؤجلكم في هذا البيت ثلاثة أيام فمن أتاني به فله حكمه ، أي : مهما طلب أعطيته ، فنهضوا من عنده فبينما سليمان في موكب إذا هو بأعرابي يسوق إبله وهو يقول :

لو ضربوا[٣] بالسَّيفِ رأسي في مودَّتها لمــالَ يهــوي ســريعــاً نحــوَهــا رأســي

فأمر سليمان بالأعرابي فاعتقل ، ثم جاء إلى أبيه فقال : قد جئتك بما سألت ، فقال : هات ، فأنشده البيت فقال : أحسنت ، وأنى لك هذا ؟ فأخبره خبر الأعرابي ، فقال : سل حاجتك ولا تنس صاحبك . فقال : يا أمير المؤمنين إنك عهدت بالأمر من بعدك للوليد ، وإني أحب أن أكون ولّي العهد من بعده ، فأجابه إلى ذلك ، وبعثه على الحج في إحدى وثمانين ، وأطلق له مئة ألف درهم ، فأعطاها سليمان لذلك الأعرابي [الذي قال ذلك البيت من الشعر][٤] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٠) .
(٢) جَيرون ـ بالفتح ـ الباب الشرقي للجامع الأموي بدمشق . معجم البلدان (٢/ ١٩٩) .
(٣) في مختصر تاريخ دمشق : لو حزَّ .
(٤) القصة بكاملها في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧١ ـ ١٧٢) .

فلما مات أبوه سنة ست وثمانين وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد ، كان بين يديه كالوزير والمشير ، وكان هو المستحث على عمارة جامع دمشق ، فلما توفي أخوه الوليد يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، كان سليمان بالرملة ، فلما أقبل تلقاه الأمراء ووجوه الناس ، وقيل إنهم ساروا إليه إلى بيت المقدس فبايعوه هنالك ، وعزم على الإقامة بها ، وأتته الوفود إلى بيت المقدس فلم يروا وفادة كانت أهيأ من الوفادة إليه[١] ، وكان يجلس في قبة في صحن المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال ، وتجلس أكابر الناس على الكراسي ، وتقسم فيهم الأموال ، ثم عزم على المجيء إلى دمشق . فدخلها وكمل عمارة الجامع .

وفي أيامه جددت المقصورة واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مشاوراً ووزيراً ، وقال له : إنا قد ولينا ما ترى وليس لنا علم بتدبيره ، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به فليكتب ، وكان من ذلك عزل نواب الحجاج وإخراج أهل السجون منها ، وإطلاق الأسرى ، وبذل الأعطية بالعراق ، ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول ، بعد أن كانوا يؤخرونها إلى آخر وقتها ، مع أمور حسنة كان يسمعها من عمر بن عبد العزيز رحمهما الله[٢] ، وأمر بغزو القسطنطينية فبعث إليها من أهل الشام والجزيرة والموصل في البر نحواً من مئة ألف وعشرين ألف مقاتل ، وبعث من أهل مصر وإفريقية ألف مركب في البحر عليهم عمر بن هبيرة ، وعلى جماعة الناس كلهم أخوه مسلمة ، ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك في جماعة من أهل بيته ، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير ، حين قدم من بلاد المغرب ، والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد كما قدمنا ، والله أعلم .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدَّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي ، عن جابر بن عون الأسدي . قال : أول كلام تكلّم به سليمان بن عبد الملك [حين ولي الخلافة] أن قال : الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع . إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، وزينة تقلب ، تضحك باكياً ، وتبكي ضاحكاً ، وتخيف آمناً ، وتؤمن خائفاً ، تفقر مثريها ، وتثري فقيرها ، ميّالة لاعبة بأهلها . يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ، فإنه ناسخ لما قبله ولن ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس إدبار الليل إذا عسعس[٣] .

وقال يحيى بن معين : عن حجّاج بن محمد ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال : سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

---

(١) مكانها في الأصول : فلم يرو وفادة هناك . . . ، ولا يكتمل المعنى بها وأثبتنا عبارة الذهبي في تاريخ الإسلام ، ومختصر تاريخ دمشق .

(٢) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٨) .

(٣) نص الخطبة مع خلافات يسيرة في مروج الذهب (٣/ ٢١٣) والعقد الفريد (٢/ ١٤٣) .

وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم . قال : كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته : وإنما أهل الدنيا على رحيل ، لم تمض لهم نية ولم تطمئن بهم حتى يأتي أمر الله ووعده وهم على ذلك ، كذلك لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجائعها ولا تبقي من شر أهلها ثم يتلو ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٠٥ـ٢٠٧][(١)] .

وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان كان : آمنت بالله مخلصاً .

وقال أبو مسهر : عن أبي مسلم سلمة بن العَيّار الفزاري . قال : كان محمد بن سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك ، ويقول : افتتح خلافته بخير وختمها بخير ، افتتحها بإحيائه الصلاة لمواقيتها ، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز[(٢)] .

قد أجمع علماء السير والتواريخ أنه حجّ بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة[(٣)] .

قال الهيثم بن عدي : قال الشعبي : حجّ سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز : ألا ترى هذا الخلق الذي لا يُحصي عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ، فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم غداً خصماؤك عند الله ، فبكى سليمان بكاءً شديداً ثم قال : بالله أستعين[(٤)] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدّثنا جرير ، عن عطاء بن السائب . قال : كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابتهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة ، حتى فزعوا لذلك ، وجعل عمر بن عبد العزيز[(٥)] يضحك ، فقال له سليمان : ما يضحكك يا عمر ؟ أما ترى ما نحن فيه ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمته فيها شدائد ما نرى ، فكيف بآثار سخطه وغضبه ؟

ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله : الصمت منام العقل والنطق يقظته ، ولا يتم هذا إلا بهذا .

ودخل عليه رجل فكلمه فأعجبه منطقه ثم فتشه فلم يحمد عقله ، فقال : فضل منطق الرجل على عقله خدعة ، وفضل عقله على منطقه هجنة ، وخير ذلك ما أشبه بعضه بعضاً .

وقال : العاقل أحرص على إقامة لسانه منه على طلب معاشه .

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٩) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) كذلك قال الذهبي في تاريخ الإسلام .
(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٩) .
(٥) من قوله : في سفر مع سليمان . . إلى هنا ساقط من أ .

وقال أيضاً : إن من تكلّم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن ، وليس كل من سكت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن[١] .

ومن شعره يتسلى عن صديق له مات فقال[٢] : [من الطويل]

وهوَّن وجدي في شراحيل أَنَّني متى شئتُ لاقيتُ امرءاً مات صاحبهُ

ومن شعره أيضاً : [من الطويل]

ومن شِيمتي ألاّ أفارقَ صاحبي وإنْ ملَّني إلا سألتُ لهُ رُشْداً
وإنْ دامَ لي بالودِّ دمتُ ولم أكُنْ كآخرَ لا يرعَى ذِماماً ولا عهداً

وسمع سليمان ليلة صوت غناءٍ في معسكره فلم يزل يفحص حتى أتى بهم ، فقال سليمان : الفرس ليصهل فتستودق له الرَّمَكة ، وإن الجمل ليهدر فتضبَع له الناقة ، وإن التيس لينبّ فتستخرم له العنز ، وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة ، ثم أمر بهم ليخصوهم ، فيقال إن عمر بن عبد العزيز قال : يا أمير المؤمنين إنها مثلة ، فتركهم . وفي رواية أنه خصى أحدهم ثم سأل عن أصل الغناء فقيل إنه بالمدينة ، فكتب إلى عامله بها وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يأمره أن يخصي من عنده من المغنين المخنثين[٣] .

وقال الشافعي : دخل أعرابي على سليمان فدعاه إلى أكل الفالوذج وقال له : إن أكلها يزيد في الدماغ فقال : لو كان هذا صحيحاً لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل رأس البغل[٤] .

وذكروا أن سليمان كان نهماً في الأكل ، وقد نقلوا عنه أشياء في ذلك غريبة ، فمن ذلك أنه اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية ، وأربع وثمانين كلوة بشحمها ، وثمانين جردقة ، ثم أكل مع الناس على العادة في السِّماط العام[٥] .

ودخل ذات يوم بستاناً له وكان قد أمر قيِّمه أن يجني ثماره ، فدخل ومعه أصحابه فأكل القوم حتى ملوا ، واستمرَّ هو يأكل أكلاً ذريعاً من تلك الفواكه ، ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على الفاكهة ، ثم أتي بدجاجتين فأكلهما ، ثم عاد إلى الفاكهة فأكل منها ثم أُتي بقعب يقعد فيه الرجل مملوءاً بسويق وسمن وسكر فأكله ثم صار إلى دار الخلافة ، وأتي بالسماط فما فُقد من أكله شيء . وقد رُوي أنه عرضت له حمى عقب هذا الأكل أدته إلى الموت[٦] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٥) .
(٢) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٥ ـ ١٧٦) .
(٣) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٦ ـ ١٧٧) .
(٤) المصدر نفسه (١٠/ ١٧٧) .
(٥) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٧٩) والجردقة : الرغيف (فارسي) وجمعها جرادق . القاموس (جردق) .
(٦) الخبر بأطول مما هنا في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٧ ـ ١٧٨) .

وقد قيل إن سبب مرضه كان من أكل أربعمئة بيضة وسلتين من تين ، فالله أعلم .

وذكر المفضّل[١] بن المهلّب أنه لبس في يوم جمعة حلّة صفراء ، ثم نزعها ولبس بدلها حلّة خضراء ، واعتم بعمامة خضراء ، وجلس على فراش أخضر ، وقد بسط ما حوله بالخضرة ، ثم نظر في المرآة فأعجبه حسنه ، وشمّر عن ذراعيه وقال : أنا الخليفة الشاب[٢] .

[وقيل : إنه كان ينظر في المرآة من فرقه إلى قدمه ويقول : أنا الملك الشاب][٣] .

وفي رواية أنه قال : كان محمد نبياً ، وكان أبو بكر صدّيقاً ، وكان عمر فاروقاً ، كان عثمان حيياً ، وكان علي شجاعاً ، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك سائساً ،وكان الوليد جبّاراً ، وأنا الملك الشاب . قالوا : فما حال عليه بعد ذلك شهر ، وفي رواية جمعة ، حتى مات[٤] .

قالوا : ولما حم شرع يتوضأ فدعا بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أنشدته :

أنتَ نعمَ المتاعُ لو كنتَ تبقى غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
أنتَ خلوٌ من العيوبِ ومما يكره الناسُ غيرَ أنك فانِ[٥]

قالوا : صاح بها وقال : عزيتني في نفسي وصرفها ،ثم أمر خاله الوليد بن القعقاع العبسي[٦] أن يصب عليه وقال : [من الكامل]

قرِّبْ وضوءكَ يا وليدُ فإنما دنياكَ هذي بلغةٌ[٧] ومتاع

[فقال الوليد][٨] :

فاعمل لنفسك في حياتكَ صالحاً فالدهرُ فيهِ فرقةٌ وجماعُ

---

(١) في ط : الفضل ؛ تحريف ، وما أثبت موافق للطبري ، والخبر فيه (٦/ ٥٤٦) .
(٢) في الطبري : أنا الملك الفتي .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٤) الرواية الأخيرة في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨٠) ومختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٩) .
(٥) الأبيات في تاريخ الطبري (٦/ ٥٤٧) وليس فيه بقية القصة ، وابن الأثير (٥/ ٣٧) مع اختصار في القصة ، والبيت الثاني فيهما :
ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فان
وفي الوفيات لابن خلكان (٢/ ٤٢١) ومختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٥) :
ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس غير أنك فان
(٦) في ط : العنسي ؛ وما أثبت هو الصحيح لأن أخواله بنو عبس .
(٧) في تاريخ الإسلام : تَعِلّةٌ .
(٨) ما بينهما زيادة من مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٩) حيث إن البيت الثاني قاله الوليد خال سليمان ، وكذلك في تاريخ الإسلام .

ويروى أن الجارية لما جاءته بالطست جعلت تضطرب من الحمى ، فقال : أين فلانة ؟ فقالت : محمومة ، قال : ففلانة ؟ قالت : محمومة ، وكان بمرج دابق من أرض قنسرين ، فأمر خاله فوضأه ثم خرج يصلي بالناس فأخذته بحة في الخطبة ، ثم نزل وقد أصابته حمى فاستمر بها حتى مات في الجمعة المقبلة(١) .

ويقال : إنه أصابه ذات الجنب(٢) فمات بها رحمه الله وأكرم مثواه .

[وكان قد أقسم أنه لا يبرح بمرج دابق حتى يرجع إليه الخبر بفتح القسطنطينية ، أو يموت قبل ذلك فمات قبل ذلك رحمه الله وأكرم مثواه](٣) .

قالوا وجعل يلهج في مرضه ويقول :

إنَّ بنـــيَّ صبيـــةٌ صغـــارُ   أفلـحَ مـنْ كـانَ لـهُ كبـارُ

فيقول له عمر بن عبد العزيز : قد أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين ، ثم يقول :

إن بنـــيَّ صبيـــةٌ صيفيـــون   قـدْ أفلحَ مـنْ كـانَ لـهُ شتـويـون(٤)

ويروى أن هذا آخر ما تكلّم به ، والصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال : أسألك منقلباً كريماً ، ثم قضى .

وروى ابن جرير(٥) عن رجاء بن حيوة ـ وكان وزير صدق لبني أمية ـ قال : استشارني سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن يولي له ابناً صغيراً لم يبلغ الحُلُم ، فقلت : إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولي على المسلمين الرجل الصالح ، ثم شاورني في ولاية ابنه داود ، فقلت : إنه غائب عنك بالقسطنطينية ولا تدري أحي هو أو ميت ، فقال : من ترى ؟ فقلت : رأيك يا أمير المؤمنين قال : فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله ، ولكن أتخوف عليه إخوتك أن لا يرضوا بذلك ، فأشار رجاء(٦) أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليُرضي بذلك بني مروان ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز ، إني قد

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٨) .
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ١٨١) .
(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٤) في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٨١) : أفلح من كان له شتويون ـ بحذف قد ـ وفي ط : ربيعيون .
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٥٥٠ ـ ٥٥٣) .
(٦) في ط : لا يرضوا بذلك ، فقال : هو والله على ذلك ، وأشار رجال أن . . وما أثبت من أ ، ب وهي توافق المصادر .

وليته الخلافة من بعدي ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم عدوكم[١] . وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب الشرطة ، فقال له : اجمع أهل بيتي [فمرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختوماً ، فمن أبى منهم فاضرب عنقه][٢] . فاجتمعوا ودخل رجال منهم فسلّموا على أمير المؤمنين ، فقال لهم : هذا الكتاب عهدي إليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من وليت فيه ، فبايعوا لذلك رجلاً رجلاً .

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أنشدك الله وحرمتي ومودتي إلاّ أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر عليه الساعة ، فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً .

قال : ولقيه هشام بن عبد الملك فقال : يا رجاء إن لي بك حرمةً ومودةً قديمةً ، فأخبرني هذا الأمر إن كان إليّ علمت ، وإن كان لغيري فما مثلي قصّر به عن هذا . فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أُسِرَّ إليَّ .

قال رجاء : دخلت على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلت إذا أخذته السَّكْرة من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة ، فإذا أفاق يقول : لم يأن لذلك بعد يا رجاء ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فحرفته إلى القبلة فمات رحمه الله . قال : فغطيته بقطيفة خضراء وأغلقت الباب عليه وأرسلت إلى كعب بن حامد فجمع الناس في مسجد دابق ، فقلت : بايعوا لمن في هذا الكتاب ، فقالوا : قد بايعنا ، فقلت : بايعوا ثانية ، ففعلوا ، ثم قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوه بني مروان ، فلما قرأت وإن يزيد[٣] بن عبد الملك بعده ، تراجعوا بعض الشيء . ونادى هشام لا نبايعه أبداً ، فقلت : أضرب عنقك والله ، قم فبايع ، ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد ، فلما تحقق ذلك قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بضبعيه فأصعدوه على المنبر ، فسكت حيناً ، فقال رجاء بن حيوة : ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فتبايعوه ، فنهض القوم فبايعوه ، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايع وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال عمر : نعم ! إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت نتنازع هذا الأمر . ثم قام فخطب الناس خطبة بليغة وبايعوه [فكان مما قال في خطبته : أيها الناس ، إني لست بمبتدع ولكني متبع ، وإن من حولكم من

---

(١) نص الكتاب في الطبري (٦/ ٥٥٢) وابن الأثير (٥/ ٣٩) ، وثمة بعض الخلافات اللفظية بين النسخ لم نشر إليها ، لأننا غالباً ما نثبت ما اتفق عليه أصلان ، ووافق مصادر المؤلف رحمه الله .

(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨١) .

(٣) في الأصول : هشام : خطأ ، والتصحيح من تاريخ الإسلام والخبر فيه ، وغيره من المصادر .

الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم ، وإن هم أبوا فلست لكم بوالٍ][١] . ثم نزل ، فأخذوا في جهاز سليمان .

قال الأوزاعي : فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب ، فصلى عمر بالناس صلاة المغرب ، ثم صلى على سليمان ودفن بعد المغرب ، فلما انصرف عمر أُتي بمراكب الخلافة فأبى أن يركبها وركب دابته وانصرف مع الناس [حتى أتوا دمشق] فمالوا به نحو دار الخلافة فقال : لا أنزل إلا في منزلي حتى تفرغ دار أبي أيوب ، فاستحسن[٢] ذلك منه ، ثم استدعى بالكاتب فجعل يملي عليه نسخة الكتاب الذي يبايع عليه الأمصار[٣] ، قال رجاء : فما رأيت أفصح منه .

قال محمد بن إسحاق : وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليالٍ خلت من صفر سنة تسع وتسعين ، على رأس سنتين وتسعة أشهر وعشرين يوماً من متوفى الوليد ، وكذا قال الجمهور في تاريخ وفاته ، ومنهم من يقول : لعشر بقين من صفر ، وقالوا : كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر ، زاد بعضهم إلا خمسة أيام والله أعلم[٤] .

وقول الحاكم أبي أحمد : إنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشرة بقين من رمضان سنة تسع وتسعين وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وخمسة أيام وتوفي وهو ابن تسع وثلاثين سنة فقد حكاه الحافظ ابن عساكر[٥] ، وهو غريب جداً ، وقد خالفه الجمهور في كل ما قاله ، وعندهم أنه جاوز الأربعين فقيل بثلاث وقيل بخمس ، والله أعلم .

قالوا : وكان طويلاً جميلاً أبيض نحيفاً ، حسن الوجه ، مقرون الحاجبين ، كان فصيحاً بليغاً ، يحسن العربية ، ويرجع إلى دين ، وخير ، ومحبة للحق وأهله ، واتباع القرآن والسنة ، وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله .

وقد كان الخليفة سليمان بن عبد الملك رحمه الله آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق ـ ودابق قريبة من بلاد حلب ـ وقد جهزت الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية ، وحلف أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت ، فمات هنالك كما ذكرنا وبهذه النية مات مرابطاً رحمه الله وبلّ بالرحمة ثراه[٦] .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، ونص الخطبة في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨٢) .

(٢) أي رجاء بن حيوة .

(٣) نص الكتاب في ابن الأثير (٥/ ٦٦) .

(٤) أقوال المؤرخين في سنة موته في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٨٢) .

(٥) الذي في مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧١) : فكانت ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة .

(٦) مكانها في ط : فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله ، فهو إن شاء الله ممن يجري له ثوابه إلى يوم القيامة رحمه الله .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر[١] في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي ما مضمونه : إن مسلمة بن عبد الملك لما ضيّق بمحاصرته على أهل القسطنطينية ، وتتبع المسالك واستحوذ على ما هنالك من الممالك ، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان يستنصره على مسلمة ، ويقول له : إن هؤلاء القوم ليس لهم همة إلا في الدعوة إلى دينهم ، الأقرب منهم فالأقرب ، وإنهم متى فرغوا مني خلصوا إليك ، فمهما كنت صانعاً حينئذٍ فاصنعه الآن ، فعند ذلك شرع لعنه الله في المكر والخديعة ، فكتب إلى مسلمة يقول له : إن إليون كتب إليّ يستنصرني عليك ، وأنا معك فمرني لما شئت . فكتب إليه مسلمة : إني لا أريد منك رجالاً ولا عدداً ، ولكن أرسل إلينا بالميرة فقد قلّ ما عندنا من الأزواد . فكتب إليه : إني قد أرسلت إليك بسوق عظيمة إلى مكان كذا وكذا ، فأرسل من يتسلمها ويشتري منها . فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه ، فذهب خلق كثير فوجدوا هنالك سوقاً هائلة ، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة ، فأقبلوا يشترون ، واشتغلوا بذلك ، ولا يشعرون بما أرصد لهم الخبيث من الكمائن بين تلك الجبال التي هنالك ، فخرجوا عليهم بغتة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين ، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان يخبره بما وقع من ذلك ، فأرسل جيشاً كثيفاً صحبة شراحيل بن عبيدة هذا ، وأمرهم أن يعبروا خليج القسطنطينية أولاً فيقاتلوا ملك البرجان ، ثم يعودوا إلى مسلمة ، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا إليهم تلك الخلجان ، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً ، فهزمهم المسلمون بإذن الله ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً ، وخلّصوا أسرى المسلمين ، ثم تحيزوا إلى مسلمة فكانوا عنده حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم ، ومن ضيق العيش ، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طويلة أثابهم الله .

خلافة عمر بن عبد العزيز أشجّ بني مروان[٢] رضي الله عنه وأكرمه

قد تقدم أنه بويع له بالخلافة يوم الجمعة لعشر مضين ، وقيل بقين من صفر من هذه السنة ـ أعني سنة تسع وتسعين ـ يوم مات سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه إليه من غير علم من عمر كما قدّمنا ، وقد ظهرت عليه مخايل الورع والدين والتقشف والصيانة والنزاهة ، من أول حركة بدت منه ، حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة ، وهي الخيول الحسان الجياد المعدّة لها ، والاجتزاء بمركوبه الذي كان يركبه ، وسكنى منزله رغبة عن منزل الخلافة .

---

(١) تاريخ دمشق (٢٢/ ٤٤٣) .

(٢) ذكر ابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٣١) عن ثروان مولى عمر بن عبد العزيز : أنه دخل إلى اصطبل أبيه وهو غلام ، فضربه فرسه فشجّه ، فجعل أبوه يمسح عنه الدم ويقول : إن كنت أشج بني أمية لسعيد . وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ١٠١ ـ ١٢٠/ ص١٨٨) .

ويقال : إنه خطب الناس فقال في خطبته : أيها الناس ، إن لي نفساً تواقة لا تُعطى شيئاً إلا تاقت إلي ما هو أعلى منه ، وإني لمَّا أُعطيت الخلافة تاقت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة ، فأعينوني عليها يرحمكم الله . وستأتي ترجمته عند وفاته إن شاء الله .

وكان مما بادر إليه عمر بن عبد العزيز في هذه السنة أن بعث إلى مسلمة بن عبد الملك ومن معه من المسلمين وهم بأرض الروم محاصرو القسطنطينية ، وقد اشتد عليهم الحال وضاق عليهم المجال ، لأنهم عسكر كثير ، فأمرهم بالقفول إلى منازلهم . وبعث إليهم بطعام كثير وخيول كثيرة عتاق ، يقال خمسمئة فرس ، ففرح الناس بذلك .

وفي هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، فوجه إليهم عمرُ حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الأتراك ، ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وبعث منهم أسارى إلى عمر بن عبد العزيز وهو بخناصرة[١] .

وقد كان المؤذنون يذكِّرونه بعد أذانهم باقتراب الوقت وضيقه لئلا يؤخرها كما كان يؤخرها من قبله ، لكثرة الأشغال ، وكان ذلك عن أمره لهم بذلك ، والله أعلم .

فروى ابن عساكر[٢] في ترجمة جرير بن عثمان الرّحبي الحمصي قال : رأيت مؤذني عمر بن عبد العزيز يسلّمون عليه في الصلاة : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حي على الصلاة حي على الفلاح ، الصلاة قد قاربت .

وفي هذه السنة عزل عمر يزيد بن المهلّب عن إمرة العراق ، وبعث عدي بن أرطاة الفزاري على إمرة البصرة ، فاستقضى عليه الحسن البصري ، ثم استعفاه فأعفاه ، واستقضى مكانه إياس بن معاوية الذكي المشهور .

وبعث على إمرة الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وضم إليه أبا الزناد كاتباً بين يديه ، واستقضى عليها عامراً الشعبي .

قال الواقدي[٣] : فلم يزل قاضياً عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز .

وجعل على إمرة خراسان الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمي .

وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

---

(١) خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية . معجم البلدان (٢/ ٣٩٠) ، والخبر والذي قبله في الطبري (٦/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤) وابن الأثير (٥/ ٤٣) .

(٢) مطبوعة دار الفكر من تاريخ دمشق الكثير من حرف الجيم ، ولم أجده في المختصر أو التهذيب .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٥٥٤) .

وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم [وهو الذي حج بالناس في هذه السنة .

وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن أبي وداعة وولّى عليها أيوب بن شرحبيل ، وجعل الفتيا إلى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر ، فهؤلاء الذين كانوا يفتون الناس .

واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله المخزومي ، وكان حسن السيرة ، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر ، والله سبحانه وتعالى أعلم][١] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن محمد ابن الحنفية[٢] ، تابعي جليل ، يقال إنه أول من تكلّم في الإرجاء ، وقد تقدم أن أبا عبيد قال : توفي في سنة خمس وتسعين . وذكر خليفة أنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وذكر شيخنا الذهبي في الأعلام أنه توفي هذا العام ، والله أعلم .

وفيها توفي : سليمان بن عبد الملك بن مروان كما تقدم .

وعبد الله بن محيريز[٣] بن جنادة بن عبيد[٤] ، القرشي الجُمَحي المكّي ، نزيل بيت المقدس ، تابعي جليل .

روى عن زوج أمه[٥] أبي محذورة المؤذّن ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سعيد ، ومعاوية ، وغيرهم .

وعنه خالد بن معدان ، ومكحول ، وحسان بن عطية ، والزّهري ، وآخرون .

وقد وثقه غير واحد ، وأثنى عليه جماعة من الأئمة ، حتى قال رجاء بن حيوة : إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر ، فإنا نفخر عليهم بعابدنا عبد الله بن محيريز .

وقال بعض ولده : كان يختم القرآن كل جمعة ، وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه .

---

(١) ما بين معكوفين زيادة من ط ، وهي توافق تاريخ خليفة (٣٢٠) والذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٢٧٣ ـ ٢٧٤) .

(٢) تقدمت ترجمته مع وفيات سنة خمس وتسعين .

(٣) ترجمة ـ عبد الله بن محيريز ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٧) وطبقات خليفة (٢٩٤) وتاريخ البخاري (٥/ ١٩٣ ـ ١٩٤) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٦٤) وحلية الأولياء (٥/ ١٣٨ ـ ١٤٩) وتاريخ دمشق (٣٣/ ٦ ـ ٢٥) ط : دار الفكر ، وأسد الغابة (٣/ ٢٥٢) وصفة الصفوة (٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٠٧ ـ ٤٠٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦) والوافي بالوفيات (١٧/ ٥٩٩ ـ ٦٠٠) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٢ـ٢٣) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٨) .

(٤) في تاريخ الإسلام والسير : بن وهب .

(٥) في الأصول : أم ، والتصحيح من تاريخ الإسلام والسير وباقي المصادر .

قالوا : وكان صموتاً معتزلاً للفتن ، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يذكر شيئاً من خصاله المحمودة .

ورأى على بعض الأمراء حلّة من حرير(١) فأنكر عليه ، فقال : إنما ألبسها من أجل هؤلاء ـ وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ـ فقال له ابن محيريز : لا تعدل بخوفك من الله خوف أحد من الناس . وقال الأوزاعي : من كان مقتدياً فليقتد بمثله ، فإن الله لا يضل أمة فيها مثله(٢) .

قال بعضهم : توفي أيام الوليد .

وقال خليفة بن خياط : توفي أيام عمر بن عبد العزيز ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام . [والله سبحانه أعلم .

دخل ابن محيريز مرة حانوت بزاز ليشتري منه ثوباً فرفع في السَّوم ، فقال له جاره : ويحك هذا ابن محيريز ضع له ، فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال : اذهب بنا إنما جئت لنشتري بأموالنا لا بأدياننا ، فذهب وتركه](٣) .

ومحمود بن لبيد بن عقبة(٤) ، أبو نعيم الأنصاري الأشهلي . ولد في حياة النبي ﷺ ، روى عنه أحاديث لكن حكمها حكم الإرسال .

وقال البخاري : له صحبة .

وقال ابن عبد البر : هو أسن(٥) من محمود بن الربيع .

قيل : إنه توفي سنة ست وقيل سبع وتسعين ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام والله أعلم باليقين .

نافع بن جبير بن مطعم(٦) بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي المدني .

---

(١) في تاريخ الإسلام من خزٍّ .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٦) .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ط ، والخبر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٩) .

(٤) ترجمة ـ محمود بن لبيد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٧٧) وتاريخ خليفة (٣٠٦) وطبقاته (٢٣٨) وتاريخ البخاري (٧/ ٤٠٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٥٦) والاستيعاب (٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤) وأسد الغابة (٥/ ١١٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٥ـ٤٨٦) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٦٥ ـ ٦٦) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٠) .

(٥) تحرفت في ط : إلى : أحسن .

(٦) ترجمة ـ نافع بن جبير ـ في ابن سعد (٥/ ٢٠٥) وطبقات خليفة (٢٤١) وتاريخ البخاري (٨/ ٨٢ ـ ٨٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٤) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ٤٩١ ـ ٤٩٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤١ ـ ٥٤٣) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٨) .

روى عن أبيه : وعثمان وعلي والعباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم .

وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم .

وكان ثقة عابداً يحج ماشياً ومركوبه يقاد معه .

قال غير واحد : توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة .

كريب بن أبي مسلم(١) ، مولى ابن عباس .

روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم .

وكان عنده حمل كتب(٢) ، وكان من الثقات المشهورين بالخير والديانة .

محمد بن جبير بن مطعم(٣) ، كان من علماء قريش وأشرافها ، وله روايات كثيرة ، وكان يعقل مجّة مجّها النبي ﷺ في وجهه وعمره أربع سنين .

توفي وعمره ثلاث وتسعون سنة بالمدينة .

مسلم بن يسار(٤) ، أبو عبد الله البصري ، الفقيه الزاهد .

له روايات كثيرة ، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه ، وكان عابداً ، ورعاً ، زاهداً ، كثير الصلاة ، كثير الخشوع .

وقيل إنه وقع في داره حريق فأطفؤوه وهو في الصلاة لم يشعر به . وله مناقب كثيرة رحمه الله .

---

(١) ترجمة ـ كريب بن أبي مسلم ـ في ابن سعد (٥/ ٢٩٣) وتاريخ خليفة (٣١٦) وطبقاته (٢٨٠) وتاريخ البخاري (٧/ ٢٣١) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤١٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٦٢ ـ ٤٦٣) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠) وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٣) وشذرات الذهب (١/ ٣٩٤) وفيات سنة ثمان وتسعين .
وقال الذهبي في السير (٤/ ٤٨٠) : قال الواقدي والمدائني وخليفة وجماعة : مات سنة ثمان وتسعين .

(٢) أورد ابن سعد في الطبقات (٥/ ٢٩٣) عن موسى بن عقبة : وضع عندنا كريب حمل بعير ـ أو عدل بعير ـ من كتب ابن عباس ، فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه ابعث إليَّ بصحيفة كذا وكذا ، قال : فينسخها فيبعث إليه بإحداهما ، والخبر في تاريخ الإسلام أيضاً .

(٣) ترجمة ـ محمد بن جبير ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٠٥) وتاريخ خليفة (٢٤٦) وطبقاته (٢٤١) وتاريخ البخاري (١/ ٥٢) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٣) وتاريخ دمشق (٥٢/ ١٨٠ ـ ١٨٨) وتاريخ الإسلام (٦/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤) والوافي بالوفيات (٢/ ٢٨٤) وتهذيب التهذيب (٩/ ٩١ ـ ٩٢) .

(٤) ترجمة ـ مسلم بن يسار ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ١٨٦ ـ ١٨٨) وتاريخ خليفة (٢٨٦) وطبقاته (٢٠٦) وتاريخ البخاري (٧/ ٢٧٥) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٨٥) وحلية الأولياء (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٨) وتاريخ دمشق (٥٨/ ١٢٤ ـ ١٥٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤٧٥ ـ ٤٧٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٠ ـ ٥١٤) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٠ ـ ١٤١) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٥) مع وفيات سنة مئة .
وقال الذهبي في تاريخ الإسلام : قال خليفة والفلاس : مات سنة مئة . وقال الهيثم : سنة إحدى ومئة .

قلت : وانهدمت مرة ناحية في المسجد ففزع أهل السوق لهدتها ، وإنه لفي المسجد في صلاته فما التفت .

وقال ابنه : رأيته ساجداً وهو يقول : متى ألقاك وأنت عني راضٍ ، ثم يذهب في الدعاء ، ثم يقول : متى ألقاك وأنت عني راض ، وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في الصلاة ، وقد تقدمت ترجمته .

حنش بن عمرو الصنعاني[(١)] ، كان والي إفريقية وبلاد المغرب ، وبإفريقية توفي غازياً ، وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة .

خارجة بن زيد[(٢)] بن الضحَّاك الأنصاري المدني الفقيه .

كان يفتي بالمدينة ، وكان من فقهائها المعدودين ، كان عالماً بالفرائض وتقسيم المواريث ، وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم[(٣)] .

سنة مئة من الهجرة النبوية

قال الإمام أحمد[(٤)] : حدّثنا علي بن حفص ، أبنا وَرْقاء ، عن منصور ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن نُعَيْم بن دجاجة قال : دخل أبو[(٥)] مسعود على علي فقال : أنت القائل قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مئة عام وعلى الأرض نفس منفوسة ؟ » إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مئة عام وعلى الأرض نفس منفوسة ممن هو حي [اليوم] ، وإن رخاء هذه الأمة بعد المئة » . تفرّد به أحمد .

---

(١) ترجمة ـ حنش بن عمرو ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٥٣٦) وتاريخ البخاري (٣/ ٩٩) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٣٠) وتاريخ علماء الأندلس (١/ ١٤٨) وجذوة المقتبس (٢٠١ ـ ٢٠٣) والمعجب في أخبار المغرب (٣٧) وتهذيب الكمال (٧/ ٤٢٩ ـ ٤٣١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٣٩) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٢) والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٠٦) وتهذيب التهذيب (٣/ ٥٧) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٤) مع وفيات سنة مئة .
وقال الذهبي في السير (٤/ ٤٩٣) : نزل إفريقية مرابطاً ، وتوفي سنة مئة .

(٢) ترجمة ـ خارجة بن زيد ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٦٢) وتاريخ خليفة (٣٢١) وطبقاته (٢٥١) وتاريخ البخاري (٣/ ٢٠٤) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٠ و٣٥٢) وحلية الأولياء (٢/ ١٨٩) وتاريخ دمشق (١٥/ ٣٨٩ ـ ٣٩٩) وتهذيب الكمال (٨/ ٨ ـ ١٣) وصفة الصفوة (٢/ ١٨٩) وتاريخ الإسلام (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٧ ـ ٤٤١) والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٤١) وتهذيب التهذيب (٣/ ٧٤ ـ ٧٥) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٤٢) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٤) وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٢٧ـ٢٩) .

(٣) من أول ترجمة كريب بن مسلم . . إلى هنا ساقط من أ ، ب وثمة خلاف في سنة وفاة أصحاب التراجم .

(٤) مسند الإمام أحمد (١/ ٩٣) وهو حديث صحيح .

(٥) تحرفت في ط ، أ : إلى ابن . وأبو مسعود هو : عقبة بن عمرو الأنصاري .

وفي رواية لابنه عبد الله[١] أن علياً قال له : يا فروخ ، أنت القائل : لا يأتي على الناس مئة سنة وعلى الأرض عين تطرف ، وإنما رخاء هذه الأمة وفَرَجها بعد المئة ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مئة سنة وعلى الأرض عين تطرف » ـ أخطأت استُك الحُفْرة ـ وإنما أراد ممن هو اليوم حي . تفرّد به .

وهكذا جاء في الصحيحين[٢] عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أريتكمْ لَيْلَتكمْ هذه ، فإنَّ رأسَ مئة سنة منها لا يبقى ممَّن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » . فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ ، وإنما أراد رسول الله ﷺ انخرام قرنه[٣] .

ففيها خرجت خارجة من الحرورية بالعراق ، فبعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة ، يأمره بأن يدعوهم إلى الحق ، ويتلطف بهم ، ولا يقاتلهم حتى يفسدوا في الأرض ، فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشاً فكسرتهم الحرورية ، فبعث عمر إليه يلومه على جيشه ، وأرسل عمر ابن عمه مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حربهم ، فأظفره الله بهم ، وقد أرسل عمر إلى كبير الخوارج ـ وكان يقال له بسطام ـ يقول له : ما أخرجك عليّ ؟ فإن كنت خرجت غضباً لله فأنا أحق بذلك منك ، ولست أولى بذلك مني ، وهلمَّ أناظرك ، فإن رأيتُ حقاً اتبعته ، وإن أبديتَ حقاً نظرنا فيه . فبعث طائفة من أصحابه إليه فاختار منهم عمر رجلين فسألهما : ماذا تنقمون ؟ فقالا : جعلت يزيد بن عبد الملك من بعدك ، فقال : إني لم أجعله أبداً وإنما جعله غيري . قالا : فكيف ترضى به أميناً للأمة من بعدك ؟ فقال : أنظراني ثلاثة ، فيقال إن بني أمية دست إليه سماً فقتلوه خشية أن يخرج الأمر من أيديهم ويمنعهم الأموال ، والله أعلم[٤] .

وفيها أغزا عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المُعَيطي ، وعمرو بن قيس الكِندي من أهل حمص ، الصائفة .

وفيها ولّى عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة نيابة الجزيرة فسار إليها .

وفيها حُمِل يزيد بن المهلّب إلى عمر بن عبد العزيز من العراق ، فأرسله عدي بن أرطاة نائب البصرة مع موسى بن وجيه ، وكان عمر يبغض يزيد بن المهلّب وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، فلما دخل على عمر طالبه بما قِبَله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها حاصلة عنده ، فقال : إنما كتبت ذلك لأرهب الأعداء بذلك ، ولم يكن بيني وبين سليمان شيء ، وقد عرفت مكانتي عنده . فقال له عمر : لا أسمع منك هذا ، ولست أطلقك حتى تؤدي أموال المسلمين ، وأمر بسجنه .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ١٤٠) وهو حديث صحيح .

(٢) صحيح الإمام البخاري (٦٠١) في مواقيت الصلاة . وصحيح الإمام مسلم رقم (٢٥٣٧/٢١٧) في فضائل الصحابة .

(٣) من قوله : أن رسول الله ﷺ قال : . . . إلى هنا زيادة من ب . والانخرام : الانقطاع .

(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦) وابن الأثير (٥/ ٤٦ ـ ٤٧) ومروج الذهب (٣/ ٢٣٣) وما بعدها .

وكان عمر قد بعث على إمرة خراسان الجرَّاح بن عبد الله الحكمي عوضه ، وقدم ولد يزيد بن المهلّب ، مَخْلَد بن يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عزَّ وجلَّ قد منّ على هذه الأمة بولايتك عليها ، فلا نكونن نحن أشقى الناس بك ، فعلام تحبس هذا الشيخ وأنا أقوم بما تصالحني عنه ؟ فقال عمر : لا أصالحك عنه إلا أن تقوم بجميع ما يطلب منه ، ولا آخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين . فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت لك بيِّنة عليه بما تقول ، وإلا فاقبل يمينه أو فصالحني عنه ، فقال : لا آخذ منه إلا جميع ما عنده . فخرج مخلد بن يزيد من عند عمر (١) ، فلم يلبث أن مات مخلد . وكان عمر يقول : هو خير من أبيه . ثم إن عمر أمر بأن يلبس يزيد بن المهلّب جبَّة صوف ويركب على بعير إلى جزيرة دَهْلَك (٢) التي كان يُنفى إليها الفُسّاق ، فشفعوا فيه (٣) فردّه إلى السجن ، فلم يزل به حتى مرض عمر بن عبد العزيز رحمه الله (٤) .

وفي هذه السنة في رمضان منها عزل عمر بن عبد العزيز الجرّاح بن عبد الله الحكمي عن إمرة خراسان ، بعد سنة وخمسة أشهر ، وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ويقول : أنتم إنما تسلمون فراراً منها (٥) . فامتنعوا من الإسلام وثبتوا على دينهم وأدّوا الجزية ، فكتب إليه عمر : إن الله إنما بعث محمداً ﷺ داعياً ، ولم يبعثه جابياً . وعزله وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم القشيري (٦) على الحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج (٧) . وفيها كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر ، ويبين لهم الحق ويوضحه لهم ويعظمهم فيما بينه وبينهم ، ويخوفهم بأس الله وانتقامه ، كان فيما كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري :

أما بعد فكن عبداً ناصحاً لله في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فإن الله أولى بك من الناس ، وحقه عليك أعظم ، ولا تولّين شيئاً من أمور المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم ، والتوقير عليهم .

---

(١) من قوله : فقال يا أمير المؤمنين . . . إلى هنا ساقط من أ .

(٢) دَهْلَك : ـ بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، ولام مفتوحة ، وآخره كاف ـ اسم أعجمي معرب ، ويقال له : دهيك أيضاً . وهي جزيرة في بحر اليمن ، وهو مرسىً بين بلاد اليمن والحبشة بلدة ضيقة حرجة حارة ، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها . معجم البلدان (٢/ ٤٩٢) .

(٣) في الطبري (٦/ ٥٥٧) : فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخولاني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اردد يزيد إلى محبسه ، فإني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه ؛ فإني رأيت قومه غضبوا له . فرده إلى محبسه .

(٤) العبارة في ط وما بعدها : حتى مرض عمر مرضه الذي مات فيه ، فهرب من السجن وهو مريض ، وعلم أنه يموت في مرضه ذلك ، وبذلك كتب إليه كما سيأتي ، وأظنه كان عالماً أن عمر سُقي سماً .

(٥) في الطبري (٦/ ٥٥٩) وابن الأثير (٥/ ٥١) : انظر منْ صلّى قبلَك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية ، فسارع الناس إلى الإسلام ، وقيل للجراح إن الناس سارعوا إلى الإسلام نفوراً من الجزية ، فامتحنهم بالختان . فكتب عمر : إن الله بعث محمداً داعياً ولم يبعثه خاتناً .

(٦) في الطبري : الغامدي ، وفي ابن الأثير : العامري .

(٧) في الطبري : وعلى جزيتها عبيد الله ـ أو عبد الله ـ بن حبيب .

وأدَّى الأمانة فيما استُرعي ، وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهباً ، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه . [وكتب مثل ذلك مواعظ كثيرة إلى العمال . وقال البخاري في « صحيحه »[١] : وكتب عمر إلى عدي بن عدي : إن للإيمان فرائِضَ وشرائعَ وحدوداً وسُنناً ، من استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكمِلْها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش فسأُبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص][٢] .

وفي هذه السنة كان بدء دعوة بني العباس :

وذلك أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ـ وكان مقيماً بأرض الشراة[٣] ـ بعث من جهته رجلاً يقال له ميسرة ، إلى العراق ، وأرسل طائفة أخرى : وهم محمد بن خُنَيس وأبو عكرمة السراج ، وهو أبو محمد[٤] الصادق ، وحيان العطار ـ خال إبراهيم بن سلمة ـ إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجرّاح بن عبد الله الحكمي قبل أن يُعزل في رمضان ، وأمرهم بالدعوة إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكُتُب من استجاب منهم إلى ميسرة الذي بالعراق ، فبعث بها إلى محمد بن علي ففرح بها واستبشر وسرَّه أن ذلك أول مبادىء أمر قد كتب الله إتمامه ، وأول رأي قد أحكم الله إبرامه ، أن دولة بني أمية قد بان عليها مخايل الوهن والضعف ، ولاسيما بعد موت عمر بن عبد العزيز ، كما سيأتي بيانه .

وقد اختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر نقيباً ، وهم سليمان بن كثير الخزاعيّ ، ولاهز بن قريظ التميميّ ، وقحطبة بن شبيب الطائيّ ، وموسى بن كعب التميميّ ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذُهل ، والقاسم بن مجاشع التميمي ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم ـ مولى لآل أبي مُعيط ـ ومالك بن الهيثم الخزاعي ، وطلحة بن زريق الخزاعي ، وعمرو بن أعين أبو حمزة ـ مولى لخزاعة ـ ، وشِبْل بن طهمان أبو علي الهرويّ ـ مولىً لبني حنيفة ـ وعيسى بن أعين مولى لخزاعة أيضاً . واختار سبعين رجلاً أيضاً . وكتب إليهم محمد بن علي كتاباً يكون مثالاً وسيرة يقتدون بها ويسيرون بها[٥] .

وقد حج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، نائب المدينة . والنواب على الأمصار هم المذكورون في التي قبلها ، سوى من ذكرنا ممن عزل وتولى غيره ، والله أعلم . ولم يحج

(١) صحيح البخاري (الفتح ١/ ٦٧) أول كتاب الإيمان . باب قول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » .
(٢) ما بين معكوفين زيادة من ط .
(٣) قال ياقوت : السراة : صقع بالشام بين دمشق ومدينة رسول الله ﷺ ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلّب في أيام بني مروان . معجم البلدان (٣/ ٣٣٢) .
(٤) في أ : أبو بكر ؛ وما أثبت يوافق المصادر .
(٥) الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٥٦٢) وابن الأثير (٥/ ٥٣ ـ ٥٤) .

عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته لشغله بالأمور ، ولكنه كان يبرد البريد إلى المدينة فيقول له : سلِّم على رسول الله ﷺ عني ، وسيأتي بإسناده إن شاء الله .

ممن توفي فيها من الأعيان :

سالم بن أبي الجعد الأشجعي[١] ، مولاهم الكوفي . أخو زياد ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعمران ، ومسلم ، وهو تابعي جليل .

روى عن : ثوبان وجابر ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، والنعمان بن بشير وغيرهم .

وعنه : قتادة والأعمش وآخرون ، وكان ثقة نبيلاً جليلاً .

أبو أمامة أسعد بن سهل بن حنيف[٢] ، الأنصاري ، الأوسي ، المدني ، ولد في حياة النبي ﷺ ، ورآه .

وحدَّث عن : أبيه ، وعمر ، وعثمان ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية ، وابن عباس .

وعنه : الزُّهري ، وأبو حازم ، وجماعة .

قال الزُّهري : كان من عليّة الأنصار وعلمائهم ، ومن أبناء الذين شهدوا بدراً .

وقال يوسف بن الماجشون ، عن عتبة بن مسلم ، قال : آخر خرجة خرجها عثمان بن عفان إلى الجمعة حَصَبَهُ الناس وحالوا بينه وبين الصلاة ، فصلّى بالناس يومئذ أبو أمامة بن سهل بن حنيف[٣] .

قالوا : توفي سنة مئة ، والله أعلم .

أبو الزَّاهرية[٤] حُدَير بن كُرَيب الحمصيّ ، تابعي جليل ، سمع أبا أمامة صدي بن عجلان ،

---

(١) ترجمة ـ سالم بن أبي الجعد ـ في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٩١) وتاريخ خليفة (٣٢٠) وطبقاته (١٥٦) وتاريخ البخاري (٤/١٠٧) والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٠) ومواضع أخرى ، وتهذيب الكمال (١٠/ ١٣٠ ـ ١٣١) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٣٦١ ـ ٣٦٢) وسير أعلام النبلاء (٥/١٠٨ ـ ١١٠) والوافي بالوفيات (١٥/ ٩٥) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٣٢) .

(٢) ترجمة ـ أبي أمامة ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٧٢) وتاريخ خليفة (٥٦) وطبقاته (١٠٦ و٢٥٠) وتاريخ البخاري (٢/٦٣) والمعرفة والتاريخ (١/ ٣٧٥) والاستيعاب (١/ ٨٤ ـ ٨٥) وتاريخ دمشق (٨/ ٣٢٥ ـ ٣٣٦) وأسد الغابة (٣/ ٤٧٠) وتهذيب الكمال (٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٧) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ص٥١٠ ـ ٥١١) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٧ ـ ٥١٩) والوافي بالوفيات (٩/ ٢٧ ـ ٢٨) والإصابة (٤/ ٩) وتهذيب التهذيب (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٣) .

(٣) الخبر في طبقات ابن سعد (٥/ ٨٢) وابن الأثير (٥/ ٥٥) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١١) .

(٤) ترجمة ـ أبي الزاهرية ـ في طبقات خليفة (٣١١) وتاريخ البخاري (٣/ ٩٨) والمعرفة والتاريخ (٢/ ٤٤٨) وتاريخ دمشق (١٢/ ٢٤٣ ـ ٢٥٠) وحلية الأولياء (٦/ ١٠٠ ـ ١٠١) وتهذيب الكمال (٥/ ٤٩١ ـ ٤٩٢) وتاريخ الإسلام =

وعبد الله بن بُسر ، ويقال إنه أدرك أبا الدرداء والصحيح أن روايته عنه وعن حذيفة مرسلة ، وقد حدَّث عنه جماعة من أهل بلده .

وقد وثقه ابن معين وغيره .

ومن أغرب ما روي عنه قول قتيبة : حدّثنا شهاب بن خِراش ، عن حُميد ، عن أبي الزاهرية قال : أغفيت في صخرة بيت المقدس فجاءت السَّدنةُ فأغلقوا عليَّ الباب ، فما انتبهت إلاَّ بتسبيح الملائكة فوثبت مذعوراً فإذا الملائكة صفوف ؛ فدخلت معهم في الصف(١) .

قال أبو عبيدة وغيره : مات سنة مئة .

أبو الطفيل(٢) عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو اللَّيثي الكِناني ، صحابي ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ وفاةً بالإجماع .

روى عن النبي ﷺ أنه رآه يستلم الركن بمحجنه(٣) ، وذكر صفة النبي ﷺ .

وروى عن : أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، ومعاذ ، وابن مسعود .

وحدّث عنه : الزُّهري ، وقتادة ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزُّبير ، وجماعة من التابعين .

وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد معه حروبه كلّها ، لِكن نقم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد ، ويقال إنه كان حامل رايته .

وقد روي أنه دخل على معاوية فقال : ما أبقى لك الدَّهْرُ من ثكلك علياً ؟ فقال : ثكل العجوز المقلاة والشيخ الرقوب ، فقال : كيف حبك له ؟ قال حب أم موسى لموسى ، وإلى الله أشكو التقصير(٤) .

= (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١٧ ـ ٥١٨) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٩٣) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩) وتهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٩٣ ـ ٩٥) .

(١) الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥١٨) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٩٣) .

(٢) ترجمة ـ أبي الطفيل ـ في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥٧) وتاريخ خليفة (٢٦٢) وطبقاته (٣٠ و١٢٧) وتاريخ البخاري (٦/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧) والمعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٣ و٢٣٤) ومواضع أخرى ، والاستيعاب (٣/ ١٤ ـ ١٥) وتاريخ دمشق (٢٦/ ١١٣ ـ ١٣٤) وأسد الغابة (٣/ ٩٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٢٦ ـ ٥٢٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٧ ـ ٤٧٠) والوافي بالوفيات (١٦/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥) والإصابة (٤/ ١١٣) وتهذيب التهذيب (٥/ ٨٢ ـ ٨٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٤٣) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٣) .

(٣) الخبر أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٥٤) ومسلم في صحيحه (١٢٧٥) في الحج ، وأبو داود في سننه (١٨٧٩) في المناسك ، وابن ماجه في سننه (٢٩٤٩) .

(٤) الخبر في تاريخ دمشق (٢٦/ ١١٦) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٥٢٧) .

قيل : إنه أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين ، ومات سنة مئة وقيل سنة سبع ومئة وقيل : سنة عشر ومئة[١] فالله أعلم .

قال مسلم بن الحجاج : وهو آخر من مات من الصحابة مطلقاً ومات سنة مئة[٢] .

أبو عثمان النهدي[٣] ، واسمه : عبد الرحمن بن مُلٍّ البصري ، أدرك الجاهلية وحَجَّ في زمن الجاهلية مرتين ، وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره ، وأدى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى عمال النبي ﷺ ، ومثل هذا يسميه أئمة الحديث مخضرماً ، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب ، فسمع منه ، ومن علي ، وابن مسعود ، وخلق من الصحابة ، وصحب سلمان الفارسي ثنتي عشرة سنة حتى دفنه .

وروى عنه : جماعة من التابعين وغيرهم ، منهم أيوب ، وحميد الطويل ، وسليمان بن طرخان التَّيمي .

وقال عاصم الأحول : سمعته يقول : أدركت في الجاهلية يغوثَ صنماً من رصاص يُحمل على جمل أجرد ، فإذا بلغ وادياً برك فيه فيقولون : قد رضي ربكم لكم هذا الوادي فينزلون فيه[٤] .

قال : وسمعته وقد قيل له أدركت النبي ﷺ ؟ فقال : نعم ! أسلمت على عهده ، وأديت إليه الزكاة ثلاث مرات ، ولم ألقه ، وشهدت اليرموك والقادسية وجلولاء ونهاوند وتستر وأذربيجان ورستم .

وقال غيره : كان البشير إلى عمر في فتح نهاوند[٥] .

كان أبو عثمان صوّاماً بالنهار يسرده ، قواماً باللّيل لا يتركه ، وكان يصلّي حتى يغشى عليه ، وحجَّ ستين مرة ما بين حجة وعمرة .

قال سليمان التيمي : إني لأحسبه لا يصيب ذنباً ، لأنه [يقضي] ليله قائماً ونهاره صائماً[٦] .

---

(١) أورد الذهبي الخلاف في سنة موته في تاريخ الإسلام .

(٢) الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٤٠) .

(٣) ترجمة ـ أبي عثمان النهدي ـ في طبقات ابن سعد (٧/ ٩٧ ـ ٩٨) وتاريخ خليفة (٣٢١) وطبقاته (٢٠٥) وتاريخ البخاري (٩/ ٨٣) والاستيعاب (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩) وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٢) وتاريخ دمشق (٣٥/ ٤٦٠ ـ ٤٨٥) وأسد الغابة (٣/ ٣٢٤) وتهذيب الكمال (١٧/ ٤٢٤ ـ ٤٣٠) وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ـ١٠٠/ ص٥٣٥ ـ ٥٣٦) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٨) والإصابة (٣/ ٩٨ ـ ٩٩) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٧ـ٢٧٨) وشذرات الذهب (١/ ٤٠٤) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٥/ ٤٧٢) .

(٥) من قوله : وتستر . . إلى هنا ساقط من ط ، والخبر في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٤) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٧) ونحوه في تاريخ دمشق (٣٥ ـ ٤٧٠ و٤٧٤ و٤٧٦) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٥/ ٤٧٧) .

وقال بعضهم : سمعت أبا عثمان النَّهدي يقول : أتت عليّ ثلاثون ومئة سنة وما مني شيء إلا وقد أنكرته خلا أملي فإني أجده كما هو[(١)] .

وقال ثابت البُناني ، عن أبي عثمان ، قال : إني لأعلم حين يذكرني ربي عزَّ وجلَّ ، قال فيقول : من أين تعلم ذلك ؟ فيقول قال الله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] فإذا ذكرت الله ذكرني[(٢)] .

قال : وكنا إذا دعونا الله قال : والله لقد استجاب الله لنا ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [المؤمن : ٦٠] .

قالوا : وعاش مئة وثلاثين سنة ، قاله هشيم وغيره . قال المدائني وغيره : توفي سنة مئة ، وقال الفلّاس : توفي سنة خمس وتسعين ، والصحيح سنة مئة ، والله أعلم .

[وفيها توفي :

عبد الملك بن عمر[(٣)] بن عبد العزيز ، وكان يفضل على والده في العبادة والانقطاع عن الناس ، وله كلمات حسان مع أبيه ووعظه إياه][(٤)] .

•••

---

(١) المصدر نفسه (٣٥/ ٤٧٥) .

(٢) الخبر والذي بعده في تاريخ دمشق (٣٥/ ٤٧٩) .

(٣) ترجمة ـ عبد الملك بن عمر ـ في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤) وصفة الصفوة (٢/ ١٢٧ ـ ١٣٠) وحلية الأولياء (٥/ ٣٥٣ ـ ٣٦٤) والكامل في التاريخ (٥/ ٦٤ ـ ٦٥) وتاريخ دمشق (٣٧/ ٣٨ ـ ٥٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠/ ص٤١٨ ـ ٤٢٠) والأخبار الموفقيات (٦٢٣) .

(٤) ما بين معقوفين زيادة من ط . وانظر تاريخ دمشق (٣٧/ ٥٠ ـ ٥١) . وبعون الله وتوفيقه تم تحقيق الجزء التاسع من كتاب البداية والنهاية ، وذلك بتاريخ السابع عشر من ربيع الأنور عام ١٤٢١ لهجرة سيد الخلق ﷺ ، الموافق للتاسع عشر من حزيران عام ٢٠٠٠ لميلاد المسيح عليه السلام . المكتبة العامة ـ كلباء ـ الشارقة

محمد حسان عبيد

ثم دخلت سنة إحدى ومئة

فيها كان هربُ يزيدَ بنِ المُهَلَّب من السجن حين بَلَغهُ مرضُ عمرَ بن عبد العزيز ، فواعد غلمانَهُ يَلْقَوْنه بالخيل في بعض الأماكن ، وقيل بإبلٍ[١] ، ثم نزل من مَحْبِسه ومعه جماعة ، وامرأتُه عاتكةُ بنت الفُرَاتِ العامريَّة ، فلما جاء غِلْمانُهُ رَكِبَ رَوَاحلَهُ وسار ، وكتب إلى عمرَ بنِ عبد العزيز : إنِّي والله ما خرجتُ من سجنك إلاَّ حين بَلَغني مرضُكَ ، ولو رَجَوْتُ حياتَكَ ما خرَجْتُ ، ولكنِّي خَشيتُ من يزيدَ بن عبد الملك فإنَّه يتوعَّدُني بالقَتْل ، وكان يزيد بن عبد الملك يقول : لئن وَلِيْتُ لأقطعنَّ من يزيدَ بنِ المهلَّبِ طائفاً[٢] ؛ وذلك أنه لما وَلِيَ العراقَ عاقبَ أصهارَهُ آل أبي عقيل ، وهم بيتُ الحجَّاج بن يوسف الثَّقفيّ ، وكان يزيدُ بن عبد الملك مزوجاً [بأمِّ الحجَّاج][٣] بنتِ محمد بن يوسف [أخي الحجاج بن يوسف][٣] ، وله منها ابنهُ الوليد بن يزيد الفاسق المقتول كما سيأتي .

ولما بلغَ عمرَ بنَ عبد العزيز أنَّ يزيدَ بن المهلَّب هرَبَ من السجن قال : اللهمَّ إنْ كان يُريدُ بهذه الأمَّةِ سوءاً فاكفِهمْ شرَّه ، وارْدُدْ كَيْدَه في نحرِه ، ثم لم يزلِ المرضُ يتزايدُ بعمرَ بنِ عبد العزيز حتى مات وهو بخُنَاصِرَة ، من دَيْرِ سمعان بين حماة وحَلَب ، في يوم الجمعة ، وقيل في يوم الأربعاء لخمس بقينَ من رجب من هذه السنة ـ أعني سنةَ إحدى ومئة ـ عن تسعٍ وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر فالله أعلم .

وكانت خلافتُه فيما ذَكَر غيرُ واحدٍ سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وكان حكماً مُقْسطاً ، وإماماً عادلاً وورِعاً ديِّناً ، لا تأخذُه في الله لومةُ لائم . رحمه الله تعالى .

---

(١) في (ح ، ب) : « يلقونه إلى بعض الأماكن بإبلٍ له » وليس فيهما ذكر الخيل .

(٢) في (ق) : « طائفة » ، والمثبت من (ح ، ب) ، وقوله : لأقطعن منه طائفاً . أي بعض أطرافه . والطائفة : القطعة من الشيء . اللسان (طوف) .

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من (ح ، ب) ؛ وهذه الزيادة مثال على زيادات كثيرة سوف تأتي ولا أشير إليها تخففاً من الحواشي التي لا طائل وراءها فكل زيادة على (ق) هي من (ح ، ب ، ظ) ولا أثبت من هذه الزيادات إلا ما أراه ضرورياً للنص ، وبالمقابل فإن في (ق) زيادات ليست مثبتة في (ح ، ب ، ظ) فأبقيتها على ما هي عليه .

وهذه ترجمةُ عمر بن عبد العزيز الإمام المشهور رحمه الله[١]

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بنِ أمية بنِ عبد شمس بنِ عبدِ مَنَاف ، أبو حفص القُرَشيُّ الأمويُّ المعروف ، أميرُ المؤمنين ، وأمه أمُّ عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . ويقال له : أشَجُّ بني مروان ؛ وكان يُقال : الأشجُّ والناقص أعْدَلا بني مروان ، فهذا هو الأشج ، وسيأتي ذكر الناقص .

كان عمر تابعيّاً جليلاً ، روى عن أنس بنِ مالك ، والسائب بنِ يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ـ وهو صحابيٌّ صغير ـ وروى عن خلقٍ من التابعين . وعنه جماعةٌ من التابعين وغيرِهم .

قال الإمام أحمد بن حنبل : لا أرى[٢] قولَ أحدٍ من التابعين حُجَّةً إلا قولَ عمر بن عبد العزيز .

بويع له بالخلافة بعد ابنِ عمِّهِ سليمان بن عبد الملك ، عن عهْدٍ منه له في ذلك كما تقدَّم .

ويقال : كان مولده في سنةِ إحدى وستين ، وهي السنة التي قتل فيها الحُسين بن علي رضي الله عنهما بمصر ؛ قاله غير واحد . وقال محمد بن سعد[٣] : ولد سنة ثلاثٍ وستين . وقيل : ولد سنة تسع وخمسين . فالله أعلم .

وكان له جماعةٌ من الإخوة ، ولكنَّ الذين هم من أبويه ، أبو بكر ، وعاصم ، ومحمَّد .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن بُكير ، عن الليث ، قال : بلَغَني أنَّ عِمْران[٤] بن عبد الرحمن بن شُرَحْبيل بن حسنة ، كان يحدِّثُ أنَّ رجلاً رأى في المنام ليلةَ ولد عمر بن عبد العزيز ـ أو ليلة وَليَ الخلافة شكَّ أبو بكر ـ أنَّ منادياً بين السماء والأرض ينادي : أتاكم اللِّينُ

---

(١) ترجمة عمر بن عبد العزيز في : سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ط أحمد عبيد) ، تاريخ يحيى بن معين (٢/ ٤٣٢) ، تاريخ خليفة (١/ ٢٨٦) ، (٢/ ٢٦١) ، التاريخ الكبير (٦/ ١٧٤) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٥٦٨ ، ٦٢٠) ، تاريخ الطبري (٦/ ٥٦٥ ، ٥٧٣) ، الجرح والتعديل (٦/ ١٢٢) ، الأغاني (٩/ ٢٥٤) ، حلية الأولياء (٥/ ٢٥٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٠٠) ، طبقات الشيرازي (٦٤) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/ ٥٨ ، ٦٦) مختصر ابن منظور (١٩/ ٩٨) ، تهذيب الكمال (٢١/ ٤٣٢) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٦٤) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١١٨) ، الوافي بالوفيات (٢٢/ ٥٠٦) ، العقد الثمين (٦/ ٣٣١) ، غاية النهاية (١/ ٥٩٣) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٧٥) ، تاريخ الخلفاء (٢٢٨) .

(٢) في بعض النسخ : لا أدري .

(٣) في الطبقات (٥/ ٣٣٠) .

(٤) هنا يبدأ خرم في (ب) وينتهي في ص(١٠) موضع الحاشية (١) وهو بمقدار صفحة من هذه النسخة ورقمها (١١٦/ب) .

والدِّين ، وإظهارُ العمل الصالح في المصلِّين . فقلت : ومَنْ هو ؟ فنزل فكتب في الأرض ع م ر[١] .

وقال آدمُ بن أبي إياس : حدثنا ضَمْرة ، حدثنا أبو علي ثَرْوان مولى عمر بن عبد العزيز . قال : دخل عمر بن عبد العزيز إلى إصْطَبْلِ أبيه وهو غلام ، فضربه فَرسٌ فشَجَّه ، فجعلَ أبوهُ يمسحُ الدَّمَ عنه ويقول : إنْ كنتَ أشجَّ بني أميَّة إنَّكَ إذاً لسعيد . رواه الحافظ ابنُ عساكر من طريقِ هارونَ بنِ معروف عن ضَمْرَة[٢] .

وقال نُعيم بن حمَّاد : حدثنا ضِمَامُ بن إسماعيل عن أبي قَبيل ، أنَّ عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلامٌ صغير ، فبلغ أمَّه ، فأرسلتْ إليه فقالت : ما يُبكيك ؟ قال : ذكرتُ الموت ، فبكَتْ أُمُّه . وكان قد جمع القرآن وهو غلام صغير[٢] .

وقال الضحَّاك بن عثمان الحِزَامي[٣] . كان أبوه قد جعلَه عند صالح بن كَيْسان يؤدِّبُه ، فلما حجَّ أبوه اجتازَ به في المدينة فسأله عنه فقال : ما خَبَرْتُ أحداً الله أعظمُ في صدرِه من هذا الغلام[٤] .

وروى يعقوبُ بن سفيان[٥] ، أنَّ عمرَ بن عبد العزيز تأخَّر عن الصلاة مع الجماعةِ يوماً ، فقال له صالحُ بن كَيْسان : ما شغلَكَ ؟ فقال : كانت مُرَجِّلتي تُسكِّنُ شعري . فقال له : أقدَّمت ذلك على الصلاة ؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يُعلِمهُ بذلك ، فبعث أبوه رسولاً ، فلم يكلِّمْه حتى حلَقَ رأسه .

وكان عمر بنُ عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمعُ منه ، فبلغ عُبيدَ الله أنَّ عمرَ ينتقصُ علياً ، وأتاه مَرَّةً فأعرض عنه وقام يُصلِّي ، فجلس عمرُ ينتظرُه ، فلما سلَّم أقبل على عمر مُغضباً وقال له : متى بلغَكَ أنَّ الله سخطَ على أهلِ بَدْر بعدَ أنْ رضي عنهم ؟! قال ففهِمَها عمر وقال : معذرةً إلى الله ثم إليك ، والله لا أعود . قال : فما سمع بعد ذلك يذكرُ علياً إلا بخير[٦] .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا أبي ، حدثنا المفضَّل بن عبد الله ، عن داودَ بنِ أبي هند . قال : دَخَلَ علينا عمرُ بن عبد العزيز من هذا الباب ـ يعني باباً من أبواب مسجد النبيِّ ﷺ[٧] ـ فقال رجل من

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٠٦ ، ١٠٧) .
(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٠٧) .
(٣) في (ق) : « الخزامي » تصحيف ، والمثبت من (ح) والمشتبه وتبصير المنتبه .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٠٧) .
(٥) في المعرفة والتاريخ (١/٥٦٨) . وفيه على خلاف في بعض الألفاظ .
(٦) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٠٨) بنحوه .
(٧) في (ق) : « وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبي ﷺ » وما أثبته من (ح) وتاريخ ابن عساكر . وهكذا قد أغير في متن (ق) بآخر من (ح ، ب ، ظ) عندما يوافق المصدر الذي سبق المؤلف ونقل عنه دونما إشارة إلى ذلك فهو كثير تخففاً من الحواشي .

القوم : بعث إلينا الفاسقُ بابنه هذا يتعلَّم الفرائضَ والسنن ، ويزعمُ أنه لن يموت حتى يكونَ خليفة ، ويَسير بسيرةِ عمرَ بنِ الخطَّاب ! قال داود : واللهِ ما ماتَ حتى رأينا ذلك فيه[١] .

وقال الزُّبير بن بكَّار : حدثني العُتْبيُّ قال : إنَّ أولَ ما استُبينَ من رُشْدِ عمرَ بنِ عبد العزيز حِرْصُه على العِلْم ، ورغبتُهُ في الأدب ، أنَّ أباه وَلي مصر وهو حديثُ السِّنّ ، يشكُّ في بلوغه ، فأراد أبوهُ إخراجَهُ مَعهُ إلى مصر من الشام ، فقال : يا أبَهْ ـ أو غيرَ ذلك ـ لعلَّه يكونُ أنفعَ لي ولك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترحِّلُني إلى المدينة ، فأقعد إلى فقهائها ، وأتأدَّبَ بآدابهم ، فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسلَ معه الخُدَّام ، فقعد مع مشايخِ قريش ، وتجنَّب شبابَهُم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذِكْرُه ، فلمَّا مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبدُ الملك بن مروان فخلَطَهُ بولدِه ، وقدَّمه على كثيرٍ منهم ، وزوَّجَهُ بابنته فاطمة ، وهي التي يقولُ الشاعرُ فيها :

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جدُّها ... أُخْتُ الخلائفِ والخليفةُ زوجُها

قال : ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال العُتْبيّ : ولم يكن حاسدُ عمرَ بنِ عبد العزيز ينقمُ عليه شيئاً سوى متابعته في النعمة ، والاختيالِ في المشية ، وقد قال الأحنفُ بن قيس : الكامل من عُدَّتْ هفَوَاتُه ، ولا تُعدُّ إلاَّ من قلَّة . وقد ورث عمر من أبيه من الأموالِ والمتاع والدوابّ هو وإخوتُه ما لم يرثْهُ غيرُه فيما نعلم ، كما تقدَّم ذلك ، ودخل يوماً على عمِّه عبد الملك وهو يتجانَفُ في مشيته فقال له : يا عمر ما لك تمشي غيرَ مشيتك ؟! قال : إن فيَّ جُرْحاً ، فقال : وأينَ هو من جسدك ؟ قال : بين الرَّانِفَةِ[٢] والصَّفَنِ ـ يعني بين طرَفِ الأَلْيَةِ وجِلْدَةِ الخُصْيَة ـ فقال عبدُ الملك لِرَوْح بنِ زِنْبَاع : تا لله لو رجلٌ من قومك سُئل عن هذا ما أجابَ بمثل هذا الجواب[٣] .

قالوا : ولما ماتَ عمُّه عبدُ الملك حَزِنَ عليه ولبِسَ المُسوحَ تحت ثيابِه سبعينَ يوماً ، ولما وليَ الوليدُ عامَلَهُ بما كان أبوهُ يعامله به ، وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وأقام للناس الحجَّ سنةَ تسعٍ وثمانين ، وسنة تسعين ، وحجَّ الوليدُ بالناس سنة إحدى وتسعين ، ثم حج بالناس عمرُ سنة ثنتين وثلاثٍ وتسعين[٤] .

وبنى في مُدَّة ولايته هذه مسجدَ النبيِّ ﷺ . . ووسَّعه عن أمرِ الوليدِ له بذلك ، فأدخل فيه الحُجْرة

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٠٩) .
(٢) في (ق) : « الرانقة » بالقاف ، وهو تصحيف .
(٣) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٠٩) .
(٤) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١١٠) .

النبويَّة ، وقد كان في هذه المدَّة من أحسن الناسِ معاشرةً ، وأعدَلِهم سيرةً ، كان إذا وقَعَ له أمرٌ مُشكلٌ جمَعَ فقهاءَ المدينة عليه ، وقد عيَّنَ عشرةً منهم ، وكان لا يقطعُ أمراً بدونهم ، أو منْ حضـر منهم ، وهم : عروة ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن [أبي] حَثْمَة[١] ، وسُليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . وكان لا يخرجُ عن قولِ سعيدِ بن المُسَيِّب ، وقد كان سعيد بن المسيِّب لا يأتي أحداً من الخلفاء ، وكان يأتي إلى عمرَ بنِ عبد العزيز وهو بالمدينة .

قال ابن وَهْب : عن عبد الجبار الأيلي ، عن إبراهيم بن أبي عبْلَة : قدمتُ المدينة وبها ابنُ المُسَيِّب وغيره ، وقد بَذَّهم[٢] عمر يومئذٍ رَأْياً[٣] .

وقال ابنُ وَهْب : حدّثني اللَّيث ، حدّثني قادِمٌ البَرْبَرِيّ أنه ذاكرَ ربيعةَ بن أبي عبدِ الرحمن يوماً شيئاً من قضاءِ[٤] عمرَ بنِ عبد العزيز إذْ كانَ بالمدينة ، فقال له الربيع : كأنك تقول : أخطأ ، والذي نفسي بيده ما أخطأ قط .

وثبَتَ من غيرِ وَجْهٍ عن أنس بنِ مالك . قال : ما صلَّيتُ وراءَ إمامٍ قط أشبهَ بصلاةِ رسولِ الله ﷺ من هذا الفتى ـ يعني عمرَ بن عبد العزيز ـ حين كانَ على المدينة . قالوا : وكان يُتمُّ الركوعَ والسجود ويخفِّفُ القيام والقعود[٥] .

وفي روايةٍ صحيحة : أنه كان يُسبِّح في الركوع والسُّجود عشراً عشراً .

وقال ابنُ وَهْب : حدّثني الليث ، عن أبي النَّضْر المَدِيني ، قال : رأيتُ سليمانَ بنَ يسار خارجاً من عندِ عمرَ بنِ عبد العزيز فقلت له : مِن عند عمر خرجتَ ؟ قال : نعم ! قلت : تعلِّمونه ، قال : نعم ، فقلت : هو والله أعلمكم[٦] .

---

(١) في (ق) : « خيثمة » ، وفي (ح) : « حزم » وكلاهما تصحيف ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر وترجمته في تهذيب الكمال (٣٣/ ٩٣) والإكمال .

(٢) في (م) ندبهم .

(٣) في أول الخبر سقط وفي آخره تصحيف وتحريف في (ق) والاستدراك والتصحيح من (ح) ويعضدها ما جاء في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١١٢) .

(٤) في (ق) : « قضايا » ، والمثبت من (ح) وتاريخ ابن عساكر . ومثل هذا التصحيف كثير في هذا الجزء وسوف أصححه من غير ما إشارة إليه فيما سيأتي تخففاً من الحواشي .

(٥) تاريخ ابن عساكر ٥٤/ ١١٤ .

(٦) تاريخ ابن عساكر ٥٤/ ١١٧ .

وقال مجاهد : أتينا عمرَ نعلِّمه ، فما برِحْنا حتى تعلَّمنا[١] منه . وقال ميمونُ بن مِهْرَان : كانت العلماءُ عند عمرَ بنِ عبدِ العزيز تلامذةً[٢] .

وفي روايةٍ : قال ميمون : كان عمرُ بن عبد العزيز معلِّمَ العلماء[٣] .

وقال اللَّيث : حدّثني رجلٌ كان قد صحب ابنَ عمرَ وابنَ عباس ، وكان عمر بن عبد العزيز يستعملُه على الجزيرة ، قال : ما التمَسْنا علمَ شيءٍ إلاَّ وجَدْنا عمرَ بن عبدِ العزيز أعلمَ الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة .

وقال عبد الله بن طاوس : رأيتُ أبي تواقَفَ هو وعمر بنُ عبد العزيز من بعد صلاةِ العشاء حتى أصبحنا ، فلما افترَقَا قلت : يا أبه من هذا الرجل ؟ قال هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحي هذا البيت ـ يعني بني أمية[٤] ـ .

وقال عبدُ اللهِ بن كثير : قلت[٥] لعمرَ بنِ عبد العزيز : ما كان بَدْءُ إنابتك ؟ قال : أردتُ ضربَ غلامٍ لي فقال لي : اذكُرْ ليلةً صَبيحتُها يومُ القيامة[٣] .

وقال الإمام مالك : لما عُزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة ـ يعني في سنةِ ثلاثٍ وتسعين ـ وخرج منها التفَتَ إليها وبكى . وقال لمولاه : يا مُزَاحِم ، نخشى أن نكونَ ممن نفَتِ المدينة[٦] ـ [يعني أن المدينة تنفي خُبْثَها كما يَنْفي الكِيرُ خَبَث الحديد ـ وينصع طِيبُها] .

قلتُ : خرجَ من المدينة فنزل بمكانٍ قريب منها يقال له السويداء حيناً[٧] . ثم قدم دمشق على بني عمِّه .

قال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبي حكيم . قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجتُ من المدينة وما من رجلٍ أعلم مني ، فلمَّا قدمتُ الشام نُسِّيت[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عفَّان ، حدّثنا حماد بن زيد ، عن معمر ، عن الزُّهْرِيّ قال : سهرتُ مع

---

(١) هنا ينتهي الخرم المشار إليه في ص(٦) موضع الحاشية (٤) .
(٢) تاريخ ابن عساكر ٥٤/ ١١٧ .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١١٨) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٠) .
(٥) في تاريخ ابن عساكر : « قيل » بدل « قلت » .
(٦) إلى هنا الخبر في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٠) بنحوه ، وما يأتي بين معقوفين ليس في (ح ، ب) ولا تاريخ ابن عساكر . وهو مثبت من (ق) وحسب .
(٧) السويداء أرض كان يملكها عمر بن عبد العزيز ، واستنبط فيها من عطائه عين ماءٍ ، وله فيها قصر مبني وهي على ليلتين من المدينة [معجم البلدان] . ولما تنازل لبيت المال عن جميع ما ورثه عن آبائه أبقى (السويداء) و (خيبر) لأنه اطمأنّ إلى أنهما حلال خالص ليس فيه أية شبهة . وكان وهو خليفة يأكل من غلّتها وينفق ما يزيد عن الضرورة . انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص(٦١ ، ٦٢) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٦) .

عمرَ بنِ عبد العزيز ذاتَ ليلة فحدَّثه ، فقال : كلُّ ما حدثتَ فقد سمعتُه ، ولكنْ حفظتَ ونُسِّيتُ[١] .

وقال ابن وَهْب ، عن اللَّيث ، عن عقيل ، عن الزُّهري قال : قال عمر بنُ عبد العزيز : بعث إليَّ الوليد ذاتَ ساعةٍ من الظهيرة ، فدخلتُ عليه ، فإذا هو عابس ، فأشار إليَّ أن اجلسْ ، فجلستُ بين يديه فقال : ما تقولُ فيمنْ يَسُبُّ الخلفاء أيُقتل ؟ فسكتُّ ، ثم أعادَ فسكتُّ ، ثم أعادَ فقلت : أَقتَل يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكنْ سبَّ ، فقلت : يُنكَّلُ به ، فغَضِبَ وانصرف إلى أهله ، وقال لي ابنُ الرَّيَّان السيَّافُ : اذهَبْ . قال : فخرجتُ من عندِه وما تهبُّ ريحٌ إلا وأنا أظنُّ أنه رسولٌ يردُّني إليه .

وقال عثمان بن زُفَر[٢] : أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أميرُ المؤمنين ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان ، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال ، فقال له سليمان : ما تقولُ يا عمرُ في هذا ؟ فقال : أرى دنيا يأكلُ بعضُها بعضاً وأنت المسؤول عن ذلك كلِّه ، فلما اقتربوا من المعسكر إذا غرابٌ قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائرٌ بها ، ونَعَبَ نعبةً ، فقال له سليمان : ما تقولُ في هذا يا عمر ؟ فقال : لا أدري ، فقال : ما ظنُّك أنه يقول ؟ قال[٣] : كأنَّه يقول : من أين جاءَتْ وأين يُذهَبُ بها ؟ فقال له سليمان : ما أعجبَك ؟ فقال عمر : أعجَبُ منِّي مَنْ عَرَف الله فعصاه ، ومن عرف الشيطانَ فأطاعَه ، ومن عرف الدنيا فركن إليها[٤] .

وتقدَّم أنه لما وقف سليمانُ وعمر بعَرَفة[٥] ، فجَعَلَ سليمان يعجبُ من كثرةِ الناس ! فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء رعيَّتُكَ اليوم وأنت مسؤولٌ عنهم غداً . وفي رواية : وهم خصماؤك يومَ القيامة . فبكى سليمان وقال : بالله نستعين .

وتقدم أنه لما أصابهم في بعض الأسفار رَعْدٌ شديد ، وبَرْقٌ وظلمةٌ شديدة ، فجعل عمر يضحك من ذلك ، فقال له سليمان : أتضحك ونحن فيما ترى ؟! فقال : نعم هذه آثارُ رحمتِه ونحنُ في هذه الحال ، فكيف بآثارِ غضَبه وعقابِه ؟

وذكر الإمام مالك ، أنَّ سليمان وعُمر تقاولا مرَّةً فقال له سليمان في جملةِ الكلام : كذبتَ ، فقال : تقول لي كذبت ؟ والله ما كذبتُ منذُ عرفتُ أنَّ الكذبَ يضرُّ أهلَه . ثم هجره عمر وعزم على الرحيل إلى

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٠) .
(٢) في (ح ، ق) : « عثمان بن زبر » تصحيف والمثبت من (ب) وتاريخ ابن عساكر ٥٤/ ١٢١ وترجمته فيه (٤٥/ ٢١٧) .
(٣) في (ق) : « قلت » تصحيف ، والمثبت من (ح ،ب) وتاريخ ابن عساكر .
(٤) الخبر في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢١) بنحوه .
(٥) انظر ٩/ ١٧٩(ق) .

مصر ، فلم يمكِّنه سليمان ، ثم بعث إليه فصالحه وقال له : ما عَرَض لي أمرٌ يهمُّني إلا خطرتَ على بالي[١] .

وقد ذكرنا[٢] أنَّه لما حضرتْ سليمانَ بن عبد الملك الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز ، فانتظم الأمر على ذلك ، ولله الحمد .

فصـــل
وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار[٣]

قال أبو داود الطيالسي : حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجِشُون ، حدّثنا عبد الله بن دينار قال : قال ابنُ عمر : يا عجباً !! يزعمُ الناسُ أنَّ الدنيا لا تنقضي حتى يليَ رجلٌ من آلِ عمر ، يعمل بمثلِ عَملِ عمر ، قال : وكانوا يرَونَهُ بلالَ بنَ عبد الله بن عمر ـ قال : وكان بوجهه أثر ـ فلم يكنْ هو ، وإذا هو عمر بن عبد العزيز ، وأمُّه ابنةُ عاصم بن عبد الله بن عمر بنِ الخطاب[٤] .

وقال البيهقي[٥] : أنبأ الحاكم ، أنبأ أبو حامد أحمد بن علي المقرىء ، حدّثنا أبو عيسى الترمذي ، حدّثنا أحمد بن إبراهيم ، حدّثنا عفان ، حدّثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع ، قال : بلَغَنا أنَّ عمر بن الخطاب قال : إنَّ من ولدي رجلاً بوجهِهِ شَيْن ، يَلي فيملأُ الأرضَ عدلاً . قال نافع من قِبَله : ولا أحسبُه إلاَّ عمرَ بنَ عبد العزيز .

ورواهُ مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن نافع ، قال : كان ابنُ عمر يقول : ليت شعري مَنْ هذا الذي من ولدِ عمر في وجهه علامة يملأُ الأرضَ عَدْلاً[٦] ؟

قال وهيب بن الورد : بينما أنا نائمٌ رأيتُ كأنَّ رجلاً دخلَ من باب بني شيبةَ وهو يقول : يا أيها الناس ! ولي عليكم كتاب الله . فقلت : مَنْ ؟ فأشار بيده إلى ظهره ، فإذا مكتوبٌ عليه ع م ر ؛ قال : فجاءَتْ بيعةُ عمر بن عبد العزيز[٧] .

وقال : بَقِيَّةُ عن عيسى بن أبي رَزين : حدّثني الخُزَاعي عن عمر بن عبد العزيز ، أنه رأى رسول الله ﷺ

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٢) .
(٢) انظر ٩/ ١٨١ ، ١٨٢ (ق) .
(٣) هذا العنوان ليس في (ح) ، وهو من (ب ، ق) .
(٤) الخبر في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٣) من طريق الطيالسي وغيره .
(٥) في دلائل النبوة (٦/ ٤٩٢) .
(٦) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٣) .
(٧) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٤) عن حلية الأولياء (٥/ ٣٣٧) .

في روضةٍ خضراء فقال له : « إنَّك سَتَلي أمرَ أمتي فرُغْ عن الدم ، فرُغْ عن الدم[١] ، فإنَّ اسمك في الناس عمر بن عبد العزيز ، واسمك عند الله جابر » .

وقال أبو بكر بن المقري : حدّثنا أبو عَرُوبة الحسين بن محمد بن مَوْدود الحرَّاني ، حدّثنا أيوب بن محمد الوزَّان ، حدّثنا ضَمْرة بن ربيعة ، حدّثنا السَّريُّ بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة . قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة ، وشيخ متوكِّئٌ على يده ، فقلت في نفسي : إنَّ هذا الشيخ جافٍ ، فلمَّا صلَّى ودخل لحقتُه فقلت : أصلحَ الله الأمير ، من هذا الشيخ الذي كان متكئاً على يدك ؟ فقال : يا رياح رأيتَه ؟ قلت : نعم ! قال : ما أحسبك يا رياح إلَّا رجلاً صالحاً ، ذاك أخي الخَضر ، أتاني فأعلمني أنِّي سألي أمرَ هذه الأمة ، وأني سأعدلُ فيها[٢] .

وقال يعقوب بن سفيان[٣] : حدّثنا أبو عمير ، حدّثنا ضمرة ، عن علي بن أبي حملة[٤] عن أبي أعْيَس[٥] ، قال : كنتُ جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية فجاء شاب عليه مُقَطَّعات[٦] فأخذ بيدِ خالد ، فقال : هل علينا من عَيْن ؟ فقال أبو أعْيَس : فقلت عليكما من الله عينٌ بصيرة ، وأُذُنٌ سميعة ، قال : فترقرقَتْ عينا الفتى ، فأرسلَ يده من يدِ خالد وولَّى ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ، ابنُ أخي أميرِ المؤمنين ، ولئن طالَتْ بك حياة لترينَّه إمامَ هُدى .

قلتُ : وقد كان عند خالد بن يزيد بن معاوية شيءٌ جيِّدٌ من أخبار الأوائل وأقوالهم ، [وكان ينظر في النجوم والطب][٧] . وقد ذكرنا في ترجمة سليمان بن عبد الملك[٨] أنه لما حضرَتْهُ الوفاة عزَمَ أن يكتب العهد باسم أحد أولاده ، فما زال به وزيرُه الصادق رجاء بن حَيْوَة حتى صرفه عن ذلك وأشار عليه أن يجعل الأمر من بعده لأصلح الناس لهم ، فألهم الله الخليفة رشده فعيَّن لها ابن عمه عمرَ بن عبد العزيز

---

(١) في (ق) : « فزع عن الدم » والمثبت من (ح ، ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٤) ومعناهما متقارب .

(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٢٤) .

(٣) في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٧٨) ونقله عنه ابن عساكر في التاريخ (٥٤/ ١٢٤ ، ١٢٥) ، وأخرجه أحمد في الزهد ص(٢٩٠ ، ٢٩١) بنحوه .

(٤) في (ق) : « علي بن خولة » تصحيف ، والمثبت من (ح ، ب) وتاريخ ابن عساكر وترجمته في تاريخ ابن عساكر المختصر (١٧/ ٢٧٦) .

(٥) في (ق) : « أبي عنبس » ، وفي (ح) بالإهمال ، وفي (ب) : « عن أبي الأعبس » بالباء الموحدة في الموضعين ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر وترجمته في الإكمال (١/ ١٠٠) وتهذيب الكمال (١٧/ ١٥٠ و٣٣/ ٤٧) ، وهو أبو الأعيس الخولاني اسمه عبد الرحمن بن سلمان من أصحاب عمر بن عبد العزيز ، يروي عنه وعن خالد بن يزيد بن معاوية .

(٦) المقطَّعات : القصار من الثياب ، الواحد : ثوب ، ولا واحد له من لفظه ، أو بُرد عليه وشي . القاموس (قطع) .

(٧) ما بين معقوفين ليس في (ب ، ح) ، وهو مثبت من (ق) .

(٨) انظر ٩/ ١٨١ ، ١٨٢ (ق) وموضع الحاشية (٢) من الصفحة السابقة . والعبارة المثبتة من (ب ، ح) .

فجوَّد رأيَه رجاء بن حيوة وصوَّبه ، وكتب سليمان العهد من بعده لعمر بن عبد العزيز في صحيفة وختمها ، ولم يشعر بذلك عمر ولا أحدٌ من بني مروان سوى الخليفة سليمان والوزير رجاء ، ثم أمر صاحبَ الشرطة بإحضار الأمراء ورؤوس الناس من بني مروانَ وغيرهم ، فبايعوا سليمان على ما في الصحيفة المختومة ، ثم انصرفوا ، ثم لما مات الخليفة استدعاهم رجاءُ بن حَيْوةَ فبايعوا ثانية لمن في الصحيفة ثم فتحَها فقرأها عليهم ، فإذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ، فأخذوهُ فأجلسوه على المِنْبر وبايعوه فانعقدت له البيعة .

وقد اختلف العلماءُ في مثل هذا الصنيع في الرجل يُوصي الوصيَّةَ في كتاب ، ويُشهد على ما فيه ، من غيرِ أن يُقرأ على الشهود . ثم يشهدون على ما فيه فيُنفَّذ ، فسوَّغَ ذلك جماعاتٌ من أهل العلم ، قال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجَريري : أجاز ذلك وأمضاه ، وأنفذ الحكم به جمهورُ أهلِ الحِجاز ، ورُوي ذلك عن سالم بن عبد الله . وهو مذهب مالك ومحمد بن مسلمة المخزومي ، ومكحول ، ونمير بن أوس ، وزُرعة بن إبراهيم ، والأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، ومن وافقهم من فقهاء الشام . وحكى نحو ذلك خالدُ بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه وقضاة جُندِه ؛ وهو قول الليثِ بن سعد فيمن وافقه من فقهاء أهلِ مصر والمغرب ، وهو قول فقهاءِ أهل البصرة وقضاتهم . ورُوي عن قتادةَ ، وعن سوَّار بن عبد الله ، وعبيد الله بن الحسن ، ومعاذ بن معاذ العَنْبريّ فيمن سلك سبيلهم ؛ وأخذ بهذا عددٌ كثيرٌ من أصحابِ الحديث ، منهم أبو عبيد وإسحاق بن راهويه . قلت : وقد اعتنى به البخاري في صحيحه .

قال المعافى الجَرِيري : وأبَى ذلك جماعةٌ من فقهاءِ العراق ، منهم إبراهيم وحماد والحسن ، وهو مذهب الشافعي وأبي ثَوْر قال : وهو قول شيخِنا أبي جعفر ، وكان بعضُ أصحابِ الشافعي بالعراق يذهب إلى القول الأول . قال الجَريري : وإلى القول الأول نذهب(١) .

وتقدَّم(٢) أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أُتي بمراكب الخلافة ليركبها فامتنع من ذلك وأنشأ يقول :

فلولا التُّقى ثم النُّهى خشيةَ الرَّدَى ... لعاصَيْتُ في حُبّ الصِّبَا كلَّ زاجِر
قَضَى ما قَضى فيما مَضَى ثم لا تُرَى ... لـه صبـوة أخـرى الليـالـي الغـوابـر

ثم قال : ما شاءَ الله لا قوة إلا بالله . قدِّموا إليَّ بغلتي .

---

(١) ساق اختلاف العلماء في ذلك ابن عساكر في تاريخه (٥٤/ ١٣٢) . نقلاً عن المعافى بن زكريا الجريري .
(٢) انظر ٩/ ١٨٣ (ق) . وليس فيه ذكر البيتين ، والخبر والبيتان في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٣٥ ، ١٣٦) .

ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفيَّة فيمن يزيد ، وكانت من الخيول الجياد المثمَّنة ؛ فباعها وجعل أثمانها في بيت المال .

قالوا : ولما رجع من الجنازة وقد بايعه الناس واستقرَّتِ الخلافة باسمه ، انقلب وهو مغتمٌّ مهموم ، فقال له مولاه : مالك هكذا مغتماً مهموماً وليس هذا بوقت هذا ؟ فقال : ويحك ! وما لي لا أغتمُّ وليس أحدٌ من أهل المشارق والمغاربِ من هذه الأمة إلا وهو يطالبُني بحقِّه أنْ أُؤدِّيهُ إليه ؛ كتبَ إليَّ في ذلك أو لم يكتبْ ، طلبه مني أو لم يطلبْ ؟! قالوا : ثم إنه خَيَّرَ امرأته فاطمةَ بَيْنَ أنْ تُقيمَ معه على أنه لا فراغ له إليها ، وبَيْنَ أنْ تلحقَ بأهلها ؛ فبكَتْ وبكى جواريها لبكائها ، فسمعت ضجة في داره ، ثم اختارت مقامها معه على كلِّ حالٍ رحمها الله .

وقال له رجل : تفرُغُ لنا يا أمير المؤمنين ؟ فأنشأ يقول :

قَـدْ جـاءَ شغـلٌ شـاغـلُ وعدَلْتَ عن طرقِ السلامَهْ

ذهـبَ الفـراغُ فـلا فـرا غَ لنـا إلـى يـومِ القيـامَـهْ[١]

وقال الزُّبير بن بكَّار : حدّثني محمد بن سلاَّم عن سلاَّم بن سُليم قال : لما وَلي عمر بن عبد العزيز صعِدَ المنبر وكان أوَّل خطبةٍ خطبَها ، حمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، من صحبنا فليصحَبْنا بخمس ، وإلاَّ فَلْيفارِقْنا . يَرفع إلينا حاجةَ مَنْ لا يستطيعُ رفعَها ، ويُعيننا على الخير بجهده ، ويدلُّنا من الخير على ما لانهتدي إليه ؛ ولا يغتابنَّ عندنا الرعيَّة ، ولا يعرضنَّ فيما لا يَعنيه . فانقشع عنه الشعراءُ والخطباء ، وثبتَ معه الفقهاءُ والزُّهَّاد ، وقالوا : ما يسَعُنا أن نفارقَ هذا الرجلَ حتى يخالفَ فعله قوله[١] .

وقال سفيانُ بن عيينة : لما ولي عمرُ بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ورجاءِ بن حَيْوَة وسالم بن عبد الله فقال لهم : قد ترَوْنَ ما ابتُليتُ به ، وما قد نزلَ بي ، فما عندكم ؟ فقال محمد بن كعب : اجعل الشيخَ أباً ، والنَّصَفَ أخاً ، والشابَّ ولداً[٢] ، فبِرَّ أباك وصِلْ أخاك ، وتعطَّفْ على ولدِك .

وقال رجاء : ارضَ للناسِ ما تَرْضَى لنفسك ، وما كرهتَ أن يؤتى إليك فلا تأتِهِ إليهم ، واعلم أنك أوَّل خليفةٍ تموت .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٣٨) .

(٢) في (ح) : « والضعيف أخاً والشابَّ ولداً » ، وفي (ب) : « والضيف أخاً والشابَّ ولداً » ، وفي (ق) : « والشاب أخاً والصغير ولداً » ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٣٩) ، والنصف : الكهل ، كأنه بلغ نصف عمره . اللسان (نصف) .

وقال سالم : اجعلِ الأمر يوماً واحداً ، وصُمْ فيه عن شهواتِ الدنيا ، واجعلْ آخرَ فِطْرِك فيه الموت ، فكأنّ قد . فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله[١] .

وقال غيرُه : خطب عمر بن عبد العزيز يوماً الناسَ فقال ـ وقد خنقَتْهُ العَبْرة ـ : أيُّها الناس أصلحوا آخرتَكم يُصلحْ لكم دنياكم ، وأصلحوا سرائركم يُصلحْ لكم علانيتَكم ، والله إنَّ عبداً ليس بينه وبين آدمَ أبٌ إلاَّ قد مات ، إنه لمُعْرَقٌ له في الموت[٢] .

وقال في بعض خطبه : كم من عامرٍ موثقٍ[٣] عمَّا قليلٍ يَخْرَب ، وكم من مقيمٍ مغتبطٍ عمَّا قليلٍ يظعَن . فأحسِنوا رحمكم الله من الدنيا[٤] الرِّحلةَ بأحسنِ ما بحضرَتِكم من النُّقْلة ، بينا ابنُ آدمَ في الدنيا ينافسُ قرير العين فيها قانع ، إذْ دعاهُ الله بقدَرِه ، ورماه بيوم حَتْفه ، فسلبه آثاره ودُنياه ، وصيَّر إلى قومٍ آخرينَ مصانعه ومَغْناه ، إنَّ الدُّنيا لا تَسُرُّ بقدَرِ ما تَضُرّ ، تسرُّ قليلاً وتُحزِن طويلاً .

وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنه لا كتابَ بعد القرآن ، ولا نبيَّ بعد محمدٍ ﷺ ، وإني لستُ بقاضٍ ، ولكنِّي مُنفِّذ ، وإني لستُ بمُبتدع ، ولكنِّي متَّبع ، إنَّ الرجل الهاربَ من الإمام الظالمِ ليس بظالم ، ألا أنَّ الإمامَ الظالمَ هو العاصي ، ألا لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ عزَّ وجلَّ[٥] .

وفي روايةٍ أنه قال فيها : وإني لستُ بخيرٍ من أحدٍ منكم ، ولكنِّي أثقلكم حملا ، ألا لا طاعةَ لمخلوق في معصيةِ الله ، ألا هل أسمعت .

وقال أحمد بن مروان : حدّثنا أحمد بن يحيى الحلواني ، حدّثنا محمد بن عبيد ، حدّثنا إسحاق بن سليمان ، حدّثنا شعيب بن صفوان حدّثني ابنٌ لسعيد بنِ العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنَّكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولم تُتركوا سُدَى ، وإنَّ لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفَصْل بينكم ، فخابَ وخسِرَ منْ خرج من رحمةِ الله تعالى ، وحُرِم جنَّة عَرْضُها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمنُ غداً إلا من حَذِرَ اليومَ الآخِرَ وخافه ، وباع نافِذاً بباقٍ[٦] ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ، ألا تَرَوْنَ أنَّكم في أسلاب الهالكين ، وستكون من بعدِكم

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٣٩) .
(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٠) . وقوله : « معرق له في الموت » أي : إنَّ له فيه عرقاً وأنه أصيل في الموت . النهاية (عرق) .
(٣) في (م) مؤثَّق .
(٤) في (ح ، ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٠) : « فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة » ، والمثبت من (ق) .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٠) .
(٦) في (ق) : « وباع فانياً بباق ، ونافذاً بما لا نفاد له ، وقليلاً بكثير » ، والمثبت من (ح ، ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٢) .

للباقين ، كذلك حتى تُرَدَّ إلى خيرِ الوارثين ؛ ثم إنكم في كلِّ يوم تُشَيِّعُون غادياً ورائحاً إلى الله لا يرجع ، قد قَضَى نحبَه ، حتى تُغَيِّبوه في صَدْعٍ من الأرض ، في بطنِ صَدْعٍ غير مُوَسَّد ولا مُمهَّد ، قد فارق الأحباب ، وباشَرَ التراب وواجه الحساب ، فهو مُرْتَهنٌ بعمله ، غنيٌّ عما ترك ، فقيرٌ إلى ما قدَّم ، فاتقوا الله قبل انقضاءِ مُراقبته ، ونزولِ[1] الموت بكم ، أما إني أقول هذا ، ثم وضع[2] طَرَف ردائه على وجهه ، فبكى وأبكى مَنْ حوله[3] .

وفي رواية : وايمُ الله ، إني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحدٍ منكم من الذنوبِ أكثرَ مما أعلم من نفسي ، ولكنها سُننٌ من الله عادلة ، أمرَ فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيتِه ، وأستغفرُ الله ، ووضع كُمَّه على وجهه فبكى حتى بلَّ لحيته ، فما عاد لمجلسه حتى مات رحمه الله[4] .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمرَ بن عبد العزيز أنه رأى رسولَ الله ﷺ في النوم وهو يقول له : « ادْنُ يا عمر ، ادن يا عمر ، ادن يا عمر ، قال : فدنوتُ حتى خشيتُ أنْ أصيبه » ، فقال : « إذا وَليت فاعملْ نحواً من عمل هـٰذين » ، فإذا كهلانِ قدِ اكتَنفاهُ ، فقلت : ومَنْ هذان ؟ قال : « هذا أبو بكر وهذا عمر »[5] .

ورِوِّينا أنه قال لسالم بن عبد الله بن عمر : اكتبْ لي سيرةَ عمر حتى أعمل بها . فقال له سالم : إنك لا تستطيعُ ذلك . قال : ولم ؟ قال : إنك إن عملت بها كنتَ أفضلَ من عمر ، لأنه كان يجدُ على الخير أعواناً ، وأنت لا تجدُ مَنْ يعينكَ على الخير[6] .

وقد رُوي أنه كان نقشُ خاتمه لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وفي رواية : آمنت بالله . وفي رواية : الوفاء عزيز[7] .

وقد جمعَ يوماً رؤوسَ الناس فخطبهم فقال : إنَّ فَدَكَ[8] كانتْ بيدِ رسولِ الله ﷺ يضَعُها حيثُ أراه الله ،

---

(١) في (ق) : « قبل القضاء ، راقبوه قبل الموت » وفي (ب) : « قبل القضاء تراقبه وترون الموت » ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من (ح) وتاريخ ابن عساكر .

(٢) في تاريخ ابن عساكر : « رفع طرف ردائه » ، وهو أشبه بالصواب .

(٣) الخبر في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤١ ، ١٤٢) وتخريجه ثمة .

(٤) الخبر في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٢) .

(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٣) .

(٦) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٣) .

(٧) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٥) .

(٨) فَدَك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ـ وقيل ثلاثة ـ أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع منصرفه من خيبر صلحاً ، وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة . وذكر ياقوت في معجم البلدان (٤/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠) قصتها مع الخلفاء وما آلت إليه .

ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك ـ قال الأصمعي : وما أدري ما قال في عثمان ـ قال : ثم إنَّ مروانَ أقطَعها فحصَلَ لي منها نصيب ، ووهبني الوليدُ وسليمانُ نصيبَهما ، ولم يكنْ من مالي شيءٌ أرد عليَّ منها ، وقد رَدَدْتُها في بيتِ المال على ما كانتْ عليه في زمانِ رسول الله ﷺ . قال : فيئسَ الناسُ عند ذلك من المظالم .

ثم أمر بأموالِ جماعةٍ من بني أمية فردَّها إلى بيت المال وسمَّاها أموال المظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان فلم ينجَعْ فيه شيءٌ ، ولم يرده عن الحق شيء ، وقال لهم : لتَدَعُنِّي وإلا ذهبتُ إلى مكة فنزلتُ عن هذا الأمر لأحقِّ الناسِ به . وقال : والله لو أقمتُ فيكم خمسينَ عاماً ما أقمتُ فيكم إلا ما أريدُ من العَدْل ، وإني لأريدُ الأمر فما أُنفِذُه إلا مع طَمعٍ من الدنيا حتى تسكنَ قلوبُهم[١] .

وقال الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال : إن كان في هذه الأمة مهديٌّ فهو عمر بن عبد العزيز . ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المُسيِّب وغيرُ واحد[٢] .

وقال طاوس : هو مهديٌّ وليس به ، إنه لم يستكمل العَدْلَ كلَّه ، إذا كان المهديُّ تيب[٣] على المسيء من إساءته ، وزيد المحسن في إحسانه ، سمحٌ بالمال ، شديدٌ على العمال ، رحيمٌ بالمساكين .

وقال مالك عن عبد الرحمن بن حَرْمَلة ، عن سعيد بن المسيِّب ، أنه قال : الخلفاء أبو بكر والعُمَرَان ، فقيل له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما ، فمنْ عمرُ الآخر ؟ قال : يوشكُ إنْ عشتَ أن تعرفه . يريدُ عمرَ بن عبد العزيز[٤] .

وفي رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشجُّ بني مروان .

وقال عبَّاد السمَّاك ـ وكان يجالسُ سفيان الثوري ـ : سمعتُ الثوريَّ يقول : الخلفاءُ خمسة ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز[٥] .

وهكذا روي عن أبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد[٥] .

وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمةِ العَدْل وأحدِ الخلفاء الراشدين والأئمة المهديِّين . وذكره غيرُ

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٤٨) .
(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٥٣) .
(٣) في (ق) : « ثبت » ، وفي (ح) بمهملات ، والمثبت من (ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٥٤) .
(٤) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٥٥) .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٥٦) .

واحدٍ في الأئمة الاثني عشرَ ، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح : « لا يزال أمرُ هذه الأمةِ مستقيماً حتى يكون فيهم اثنا عشر خليفةً كلُّهم من قريش »(١) .

وقد اجتهد رحمه الله في مُدَّة ولايته ـ مع قِصَرِها ـ حتى ردَّ المظالم ، وصرف إلى كلِّ ذي حقٍّ حقه ، وكان مناديه في كلِّ يوم ينادي : أين الغارمون ، أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أغنى كلاًّ من هؤلاء(٢) .

وقد اختلف العلماء أيَّ الرجل أفضل هو أو معاوية بن أبي سفيان ؟ ففضَّل بعضُهم عمر لسيرته ومَعْدِلته وزهده وعبادته . وفضَّل آخرون معاوية لسابقته وصحبته ، حتى قال بعضهم : ليومٌ شهده معاوية من رسول الله ﷺ خيرٌ من عمر بن عبد العزيز وأيامه وأهل بيته .

وذكر الحافظ ابنُ عساكر في تاريخه(٣) أنَّ عمر بن عبد العزيز كان يُعجبه جارية من جواري زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، فكان سألها إياها إمَّا بيعاً أو هِبَةً ، فكانتْ تأبَى عليه ذلك ، فلما ولي الخلافة ألبسَتْها وطيَّبَتْها وأهدَتْها إليه ووهبتها منه ، فلما أخلتْها به أعرضَ عنها ، فتعرَّضت له الجارية فصدف عنها ، فقالت له : يا سيدي فأين ما كان يظهر لي من محبَّتك إيَّاي ؟ فقال : والله إنَّ محَبَّتَكِ لباقيةٌ كما هي ؟ ولكنْ لا حاجة لي فيك ، فقد جاءني أمرٌ شَغلني عنك وعن غيرِك ، ثم سألها عن أصلها ومن أين جلبوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين إنَّ أبي أصابَ جنايةً ببلادِ المغرب(٤) فصادره موسى بن نُصير فأُخذتُ في الجناية ، وبعث بي إلى الوليد فوهبَني الوليدُ إلى أخته فاطمةَ زوجتِك ، فأهدَتْني إليك . فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كِدْنا والله نفتضح ونَهْلِك ، ثم أمرَ بردِّها مكرَّمةً إلى بلادها وأهلها .

وقالت زوجته فاطمة : دخلتُ يوماً عليه وهو جالس في مُصَلاَّه ، واضعاً خدَّه على يده ، ودموعه تسيلُ على خدَّيه ، فقلت : ما لك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة ، قد وُلِّيتُ من أمر هذه الأمة ما وُلِّيت ، فتفكَّرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المجهود(٥) ، والمظلوم المقهور ، والغريبِ الأسير ، والشيخ الكبير ، وذي العيال الكثير ، والمال القليل ، وأشباهِهم في أقطار الأرض وأطرافِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢١ و١٨٢٢) في الإمارة : باب الناس تبع لقريش ؛ وأبو داود (٤٢٧٩) في كتاب المهدي ؛ وأحمد (٢٠٢٨١ و٢٠٢٩٠ و٢٠٢٩٨ و٢٠٣٠٧ و٢٠٣١٩ و٢٠٣٤٧ و٢٠٥٠٨ و٢٠٥٢٨) مطولاً ومختصراً ، كلهم عن جابر بن سمرة .

(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٥٨) .

(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٥٨ ، ١٥٩) ، والخبر فيه بألفاظ مقاربة .

(٤) في تاريخ ابن عساكر أنها كانت جارية من البربر .

(٥) زادت (ق) هنا ما نصه : « واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة » وليست هذه الزيادة في (ح ، ب) ولا في تاريخ ابن عساكر .

البلاد ، فعلمتُ أنَّ ربِّي عزَّ وجلَّ سيسألُني عنهم يوم القيامة ، وأنَّ خَصْمي دونهم محمد ﷺ ، فخشيتُ أنْ لا يثبت لي حجَّة عند خصومته ، فرحمتُ نفسي فبَكيت(١) .

وقال ميمون بن مِهْران : ولاَّني عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال لي : إذا جاءك كتابٌ مني على غير الحق فاضرِبْ به الأرض(٢) .

وكتب إلى بعض عماله : إذا دَعتْكَ قدرتُك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكُرْ قدرةَ الله عليك ، ونفادَ ما تأتي إليهم ، وبقاءَ ما يأتون إليك(٣) .

وقال عبد الرحمن بن مَهْدي عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم قال : كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عديِّ بن عديّ : إنَّ للإسلام سُنناً وشرائع وفرائض ، فمن استكملَها استكملَ الإيمان ، ومن لم يستكمِلْها لم يستكملِ الإيمان ، فإنْ أعشْ أبيِّنْها لكم لتعملوا بها ، وإنْ أمتْ فما أنا على صحبتِكم بحريص(٣) .

وذكره البخاري في صحيحه تعليقاً مجزوماً به(٤) .

وذكَرَ الصُّوليُّ أنَّ عمرَ كتب إلى بعض عمَّاله : عليك بتقوى الله ، فإنها هي التي لا يقبلُ غيرَها ولا يرحم إلا أهلَها ، ولا يثابُ إلاَّ عليها ، وإنَّ الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل(٣) .

وقال : منْ علم أنَّ كلامه من عمله ، قلَّ كلامُه إلاَّ فيما يعنيه وينفعه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير(٥) .

وقال أيضاً : من لم يعدَّ كلامه من عمله كثرت خطاياه ، ومن عبدَ الله بغيرِ علم كان ما يُفسده أكثرَ مما يصلحه(٥) .

وكلَّمه رجلٌ يوماً حتى أغضبه ، فهمَّ به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال للرجل : أردتَ أنْ يستفزَّني الشيطانُ بعزَّةِ السلطان ، فأنال منك ما تنالُه مني غداً ؟ قم ـ عافاك الله ـ لا حاجة لنا في مقاولتك(٦) .

وكان يقول : إنَّ أحبَّ الأمور إلى الله القَصْدُ في الجِد(٧) ، والعفو في المَقْدرة ، والرفق في الولاية ، وما رَفَق عبدٌ بعبدٍ في الدنيا إلاَّ رفق الله به يوم القيامة .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٥٩ ، ١٦٠) .
(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٢) .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٤) .
(٤) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً في الإيمان : باب قول النبي ﷺ « بني الإسلام على خمس » في ترجمة الباب في أوله .
(٥) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٥) .
(٦) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٦) .
(٧) كذا في (ق ، ح ، ب) ، وفي تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٦٧) . « الجِدَة » وهو أشبه بالصواب .

وخرج ابنٌ له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشجَّه صبيٌّ منهم ، فاحتملوا الصبيَّ الذي شجَّ ابنه وجاءوا به إلى عمر ، فسمع الجَلَبة فخرج إليهم ، فإذا مُرَيْئَةٌ تقول : إنه ابني وإنه يتيم . فقال لها عمر : هوِّني عليك . ثم قال لها عمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت : لا ! قال : فاكتبوه في الذرِّيَّة . فقالت زوجته فاطمة : أتفعل هذا به وقد شجَّ ابنك ؟ فعل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشجُّ ابنَك ثانية . فقال : ويحك ، إنه يتيم وقد أفزعتموه(١) .

وقال مالك بن دينار : يقولون مالكٌ زاهد ، أيُّ زهدٍ عندي(٢) ؟ إنما الزاهدُ عمر بن عبد العزيز ، أتَتْهُ الدنيا فاغرةً فاها فتركها جملة(٣) .

قالوا : ولم يكن له سوى قميصٍ واحد ، فكان إذا غسلوه جلسَ في المنزل حتى ييبس ، وقد وقف مرة على راهبٍ فقال له : ويحك عظني ، فقال له : عليك بقول الشاعر :

تجرَّدْ من الدنيا فإنَّكَ إنما ... خرجتَ إلى الدنيا وأنتَ مُجرَّدُ

قال : وكان يعجبه ويكرره وعمل به حق العمل(٣) .

قالوا : ودخل على امرأته يوماً فسألها أنْ تُقرضه درهماً أو فلوساً يشترى له بها عنباً ، فلم يجدْ عندَها شيئاً ، فقالت له : أنت أميرُ المؤمنين وليس في خزانتِك ما تشتري به عنباً ؟ فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غداً في نار جهنَّم(٤) .

قالوا : وكان سراجُ بيتِه على ثلاث قصباتٍ في رأسهن طين(٥) .

قالوا : وبعث يوماً غلامَهُ ليشويَ له لحمةً ، فجاءه بها سريعاً مشويَّةً ، فقال : أين شويتَها ؟ قال : في المطبخ ، فقال : في مطبخ المسلمين ؟ قال : نعم . فقال : كُلْها فإنِّي لم أُرزَقْها ، هي رزقُك(٦) .

وسخَّنوا له ماءً في المطبخ العام ، فرَدَّ بدلَ ذلك بدرهمٍ حطباً(٥) .

وقالت زوجتُه : ما جامع ولا احتلم وهو خليفة(٦) .

قالوا : وبلَغَ عمرَ بن عبد العزيز عن أبي سلام الأسود أنه يحدِّثُ عن ثوبان بحديثِ الحَوْض ، فبعثَ إليه فأحضره على البريد وقال له كالمتوجِّع يا أبا سلام ما أَرَدْنا المشَقَّة عليك ، ولكنْ أردْتُ أنْ تشافهَني

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٦٧ ، ١٦٨) .
(٢) في تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٦٨) : « أي زهد عند مالك وله جبة وكساء !؟ » .
(٣) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٦٩) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٧٢) .
(٥) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٧٣) .
(٦) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٧٤) .

بالحديثِ مُشافهةً ، فقال : سمعت ثوبانَ يقول : قال رسولُ الله ﷺ : « حَوْضي ما بينَ عدَنَ إلى عمّان البَلْقاء ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللَّبَن ، وأحْلَى من العسَل ، أكاويبُه عددُ نجوم السماء ، مَنْ شرِبَ منه شربة لم يظمَأْ بعدَها أبداً ، وأوَّل الناسِ وروداً عليه فقراءُ المهاجرين ، الشُّعْثُ رؤوساً ، الدُّنس ثياباً ، الذين لا ينكِحون المتنعِّمات ، ولا تُفتح لهم السُّدد » . فقال عمر : لكني نكحت المتنعِّمات ، فاطمة بنت عبد الملك ، فلا جَرَم لا أغسل رأسي حتى يَشْعث ، ولا أُلْقي ثوبي حتى يتَّسخ[(١)] .

قالوا : وكان له سراجٌ يكتبُ عليه حوائجَه ، وسراجٌ لبيتِ المال يكتبُ عليه مصالحَ المسلمين ، لا يكتبُ على ضوئه لنفسِه حرفاً . وكان يقرأ في المصحف كلَّ يوم أوَّلَ النهار ، ولا يُطيلُ القراءة ، وكان له ثلاث مئة شرطي ، وثلاث مئة حَرَسيّ . وأهدى له رجل من أهل بيتِهِ تفاحاً فاشتمَّه ثم ردَّه مع الرسول ، وقال له : قل له قد بلغَتْ محلَّها ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إنَّ رسول الله ﷺ كان يقبلُ الهدية ، وهذا رجلٌ من أهلِ بيتك ، فقال : إنَّ الهديَّةَ كانتْ لرسولِ الله ﷺ هديَّةً ، فأمَّا نحن فهي لنا رِشْوَة[(٢)] .

قالوا : وكان يُوسعُ على عمَّاله في النفقة ، يُعطي الرجلَ منهم في الشهر مئة دينار ، ومئتي دينار ، وكان يتاوَّلُ أنهم إذا كانوا في كفاية تفرَّغوا لأشغالِ المسلمين ، فقالوا له : لو أنفقتَ على عيالك كما تُنفق على عُمَّالك ؟ فقال : لا أمنعُهم حقّاً لهم ، ولا أُعطيهم حقَّ غيرِهم .

وكان أهلُه قد بَقُوا في جهدٍ عظيم ، فاعتذر بأنَّ معهم سلفاً كثيراً من قبل ذلك ، وقال يوماً لرجلٍ من ولدِ علي : إني لأستحي من الله أن تقفَ ببابي ولا يؤذنُ لك . وقال لآخر منهم : إني لأستحي من الله وأرغبُ بك أن أدنِّسك بالدنيا لما أكرمكم الله به .

وقال أيضاً : كنَّا نحن وبنو عمنا بنو هاشم مرَّةً لنا ومرَّةً علينا ، نلجَأُ إليهم ويلجَؤون إلينا ، حتى طلعت شمسُ الرسالة فأكسدتْ كلَّ نافق ، وأخرسَتْ كلَّ منافق ، وأسكتَتْ كل ناطق[(٣)] .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أبُو بكر أخو[(٤)] خطَّاب حدّثنا خالد بن خداش حدّثنا حماد بن زيد عن موسى بن أعْيَن الراعي ـ وكان يرعى الغنمَ لمحمد بن أبي عُيينة ـ قال : كانتِ الأُسد والغنمُ والوحش

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٧٤) ، وحديث الحوض عن أبي سلام عن ثوبان أخرجه الترمذي (٢٤٤٤) في صفة القيامة والرقائق والورع ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب ؛ وابن ماجه (٤٣٠٣) في الزهد . وأحمد في المسند (٢١٨٦٢) ؛ وأحمد في المسند (٢٢٣٦٧) . والمرفوع منه صحيح ، دون قوله (أول الناس . . . إلى آخره) وفي الباب من حديث الحوض عن حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عمر وأبي برزة الأسلمي وحارثة بن وهب والمستورد بن شداد .

(٢) انظر هذه الأخبار بأسانيدها في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٧٤ ـ ١٧٧) .

(٣) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/١٧٩) .

(٤) في (ق) : « حدثنا أبو بكر بن أخي خطاب » ، والمثبت من (ح ،ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٠) .

تَرْعى في خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيز في موضع واحد ، فعرض ذاتَ يوم لشاةٍ منها ذئبٌ ، فقلتُ : إنَّا لله ، ما أرى الرجلَ الصالح إلاَّ قد هلَكَ . قال فحسَبنا[١] ، فوجدناه قد هلك في تلك الليلة . ورواهُ غيره عن حمَّاد فقال : كنَّا نَرْعى الشاءَ بكَرْمان ، فذكر نحوه ؛ وله شاهدٌ من وجهٍ آخر .

ومن دعائه : اللهم إنَّ رجالاً أطاعوك فيما أمرتهم وانتهَوْا عما نهيتَهم ، اللهمَّ وإنَّ توفيقَك إيَّاهم كان قبل طاعتهم إياك ، فوفِّقْني[٢] . ومنه : اللهمَّ إنَّ عمر ليس بأهلٍ أنْ تنالَهُ رحمتُك ، ولكنَّ رحمتك أهلٌ أنْ تنالَ عمر[٢] .

وقال له رجل : أبقاك الله ما كان البقاءُ خيراً لك . فقال : هذا شيء قد فُرغ منه ، ولكنْ قلْ : أحياكَ الله حياةً طيبةً ، وتوفَّاك مع الأبرار[٣] .

وقال له رجل : كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحتُ بطيئاً بطيناً ، متلوثاً بالخطايا ، أتمنَّى على الله عزَّ وجلَّ[٣] .

ودخل عليه رجلٌ . فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ مَنْ كان قبلك كانتِ الخلافةُ لهم زيناً ، وأنت زين الخلافة ، وإنما مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

وإذا الـدُّرُّ زانَ حُسْـنَ وجـوهٍ كـانَ للـدرِّ حسـنُ وجهِـكَ زَيْنـا

قال : فأعرضَ عنه عمر[٣] .

وقال رجاءُ بن حَيْوَة : سمَرْتُ عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فعشي السراجُ فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا أنبه هذا الغلام يصلحه ؟ فقال : لا ! دعه ينام ، لا أحب أن أجمع عليه عملين . فقلت : أفلا أقومُ أُصلحه ؟ فقال : لا ! ليس من المروءةِ استخدامُ الضَّيف . ثم قام بنفسه فأصلحَه وصبَّ فيه زيتاً ثم جاء وقال : قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلستُ وأنا عمر بن عبد العزيز[٤] .

وقال : أكثروا ذكرَ النعم ، فإنَّ ذكرَها شكرُها[٥] .

وقال : إنه ليمنعني من كثرة الكلام[٦] مخافةُ المباهاة .

وبلغه أنَّ رجلاً من أصحابه تُوفي ، فجاء إلى أهله ليعزِّيهم فيه ، فصرخوا في وجهه بالبُكاء عليه ،

---

(١) في (ح ، ق) : « فحسبناه » ، والمثبت من (ب) وتاريخ ابن عساكر ٥٤/ ١٨٠ .
(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٠) .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨١) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٤ ، ١٨٥) .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٦) .
(٦) في (ق) : « من كثرة ذكرها » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٧) .

فقال : مَهْ ، إنَّ صاحبَكم لم يكنْ يرزقُكم ، وإنَّ الذي يرزقُكم حيٌّ لا يموت ، وإنَّ صاحبَكم هذا ، لم يسدَّ شيئاً من حُفَرِكم ، وإنما سدَّ حفرةَ نفسِه ، ألا وإنَّ لكلِّ امرىءٍ منكم حفرةً لا بدَّ والله أن يسدَّها ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لما خلَقَ الدنيا حكم عليها بالخرَاب ، وعلى أهلها بالفناء ، ما امتلأتْ دارٌ حَبْرَةً[١] إلا امتلأتْ عَبْرَةً ، ولا اجتمعوا إلا تفرَّقوا ، حتى يكونَ الله هو الذي يرثُ الأرضَ ومَنْ عليها ، فمن كان منكم باكياً فليبكِ على نفسه ، فإنَّ الذي صار إليه صاحبُكم كلُّ الناس يصيرون إليه غداً .

وقال ميمون بن مِهْرَان : خرجتُ مع عمرَ إلى القبور فقال لي : يا أبا أيوب ! هذه قبورُ آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهلَ الدنيا في لذَّتهم وعيشِهم ، أما تراهم صَرْعَى قد خَلَتْ فيهم المَثُلات[٢] ، واستحكم فيهم البلاء ؟ ثم بكى حتى غُشي عليه ، ثم أفاق فقال : انطلقوا بنا ، فوالله لا أعلمُ أحداً أنعمَ ممَّنْ صار إلى هذه القبور ، وقد أمِنَ من عذابِ الله ، [ينتظر ثواب الله][٣] .

وقال غيرُه : خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة فلما دُفنت قال لأصحابه : قفوا حتى آتي قبورَ الأحبَّة . فأتاهم فجعل يبكي ويدعو ، إذْ هتفَ به الترابُ فقال : يا عمر ألا تسألُني ما فعلتُ بالأحبَّة ؟ قال : قلتُ : وما فعلتَ بهم ؟ قال : مزَّقْتُ الأكفان ، وأكلتُ اللحوم ، وشدَخْتُ المقلتين ، وأكلتُ الحدقَتيْن ، ونَزَعْتُ الكفَّين من السَّاعدَيْنِ ، والساعدَيْن من العَضُدَيْن ، والعضدَيْن من المنكبَيْن ، والمنكبينِ من الصُّلب ، والقدَمَيْنِ من الساقَيْن ، والساقينِ من الفخِذَيْن ، والفخذينِ من الوَرْك ، والوَرْكَ من الصُّلب . وعمر يبكي ، فلما أراد أن يذهب قال له : يا عمر ، أدلُّك على أكفانٍ لا تبلَى ؟ قال : وما هي ؟ قال : تقوى الله والعمل الصالح[٤] .

وقال مرة لرجلٍ من جلسائه : لقد أرقتُ الليلةَ مفكِّراً ، قال : وفيمَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنِه ، إنك لو رأيتَ الميت بعد ثلاث في قبره ، وما صار إليه ، لاستوحشتَ من قربِه بعد طولِ الأُنس منك بناحيته ، ولرأيتَ بيتاً تجولُ فيه الهوامُّ ويجري فيه الصديد ، وتخترقُ فيه الديدان ، مع تغيُّر الريح ، وبِلَى الأكفان بعد حُسن الهيئة وطيب الريح ، ونقاء الثوب ، قال : ثم شهق شهقة خرَّ مغشيّاً عليه[٥] .

---

(١) في (ق ، ح) : « خبرة » تصحيف ، والمثبت من (ب) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٧) ؛ والحبرة : أثر النعمة والسرور .

(٢) في (ح) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٩) : « حلت فيهم المثلات » ، وفي (ق) : « خلت بهم » ، والمثبت من (ب) والمثلات : العقوبات التي يقع بها الاعتبار . وخلت : مضتْ إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ [الرعد : ٦] وتقديره : خلت المثلات بأقوام أو خلا أصحاب المثلات فحذف المضاف . انظر مجمع البيان (٣/ ٢٧٨) .

(٣) ما بين الحاصرتين ليس في الأصول ولا تاريخ ابن عساكر وهو من (ق) .

(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٨٩) .

(٥) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٠) .

وقال مقاتلُ بن حيَّان : صلَّيتُ وراءَ عمرَ بنِ عبد العزيز فقرأ : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] فجعل يكرِّرها وما يستطيعُ أنْ يتجاوزها[١] .

وقالتِ امرأتُه فاطمة : ما رأيتُ أحداً أكثرَ صلاةً وصياماً منه ، ولا أحداً أشدَّ فرَقًا من ربِّه منه ، كان يصلِّي العشاء ثم يجلسُ يبكي حتى تغلِبَه عيناه ، ثم ينتبه فلا يزالُ يبكي حتى تغلبه عيناه[١] .

قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش ، فيذكرُ الشيء من أمر الآخرة فينتفضُ كما ينتفضُ العصفور في الماء ، ويجلسُ يبكي ، فأطرَحُ عليه اللحاف رحمة الله له ، وأنا أقول : يا ليتَ كان بيننا وبين الخلافة بعدُ المشرقَيْن ، فو الله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها[٢] .

وقال علي بن زيد : ما رأيتُ رجلينِ كأنَّ النار لم تُخلَقْ إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز[٣] .

وقال بعضُهم : رأيتُه يبكي حتى بكى[٤] دماً . قالوا : وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . الآية ، ويقرأ : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٧] . ونحو هذه الآيات[٤] .

وكان يجتمع إليه كلَّ ليلة أصحابُه من الفقهاء ، فلا يذكرون إلاَّ الموتَ والآخرة . ثم يبكون حتى كأنَّ بينهم جنازة[٥] .

وقال أبو بكر الصولي عن المبرِّد : كان عمر بن عبد العزيز يتمثَّلُ بقولِ الشاعر :

فما تزودَ مما كانَ يجمعهُ ... سوى حَنُوطٍ غداةَ البينِ في خِرَقِ
وغيرَ نفحةِ أعوادٍ تُشبُّ لهُ ... وقلَّ ذلكَ من زادٍ لمنطلقِ
بأيِّما بلدٍ كانتْ منيتُه ... إنْ لا يسِرْ طائعاً في قصدِها يُسَقِ[٦]

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازةٍ إلى قوم قد تلثَّموا من الغُبار والشمس ، وانحازوا إلى الظِّلّ ، فبكى وأنشأ يقول[٧] :

مَنْ كانَ حينَ تصيبُ الشمسُ جبهتَهُ ... أو الغبارُ يخافُ الشَّيْنَ والشَّعَثا

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩١) .
(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩١ ، ١٩٢) .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٢) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٣) .
(٥) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٤) .
(٦) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٥) .
(٧) في (ق) : « وأنشد » ، وفي تاريخ ابن عساكر : « وقال » ، والمثبت من (ب ، ح) .

ويـألـفُ الظـلَّ كـي تبقـى بشـاشتُـهُ فسـوفَ يسكـنُ يـومـاً راغِمـاً جَـدَثـا
فـي قعـر مظلمـةٍ غبـراءَ مـوحشـةٍ يُطيلُ في قعرِها تحتَ الثرى لَبَثا(١)
تجهـــزي بجهـــازٍ تبلغيـــنَ بـــهِ يا نفسُ قبلَ الرَّدَى لم تُخلقي عَبثاً(٢)

وقال المفضَّل بن غسَّان الغَلابي(٣) : كان عمر بن عبد العزيز لا يجفُّ فُوهُ من هذا البيت :

ولا خيرَ في عيشِ امرىءٍ لم يكنْ لهُ مـنَ اللهِ فـي دارِ القـرارِ نصيـبُ

وزاد غيره معه بيتاً حسناً وهو قوله :

فـإنْ تُعجـبِ الـدنيـا أنـاسـاً فـإنَّهـا متـاعٌ قليـلٌ والـزوالُ قـريـبُ

ومن شعره الذي أنشدَهُ ابنُ الجَوْزي :

أنـا مَيـتٌ وعـزَّ مـنْ لا يمـوتُ قـدْ تيقَّنْـتُ أنَّنـي سـأمـوتُ

---

(١) في (ق) : « اللبثا » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر .

(٢) بعد هذه الأبيات في (ق) زيادة ليست في (ب ، ح) ولا في تاريخ ابن عساكر وضعناها هنا في الحاشية وهذه هي : هذه الأبيات ذكرَها الآجُرِّي في « أدب النفوس » بزيادةٍ فيها فقال : أخبرنا أبو بكر أنبأنا أبو حفص عمر بن سعد القَرَاطيسي ، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا ، حدّثني محمد بن صالح القرشي ، أخبرني عمر بن الخطاب الأزدي ، حدّثني ابنٌ لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة قال : أرادَ عمر بن عبد العزيز أن يبعثَه رسولاً إلى أليون طاغيةِ الرُّوم يدعوهُ إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ! إئذن لي في بعض بنيَّ يخرجُ معي ـ وكان عبدُ الأعلى له عشرةٌ من الذكور ـ فقال له : انظر من يخرجُ معك من ولدك . فقال : عبد الله ، فقال له عمر : إني رأيتُ ابنك عبدَ الله يمشي مشيةً كرهتُها منه ومقتُّه عليها ، وبلَغني أنه يقولُ الشعر . فقال عبدُ الأعلى : أما مشيته تلك فغريزة فيه ، وأما الشعر فإنما نوَّاحةٌ ينوحُ بها على نفسه ، فقال له : مُرْ عبدَ الله يأتيني وخذْ معك غيره ، فراح عبدُ الأعلى بابنه عبد الله إليه ، فاستنشده فأنشده ذلك الشعرَ المتقدِّم :

تجهَّـــزي بجهـــازٍ تبلغيـــنَ بـــهِ يـا نفـسُ قبـلَ الـرَّدَى لـمْ تُخلقـي عَبَثَـا
ولا تكـــدِّي لمـــن يبقـــى وتفتقـــري إنَّ الـــردَى وارثُ البـــاقـــي ومـــا وَرِثـــا
واخشَيْ حوادثَ صَرْفِ الدهر في مهلٍ واستيقظـــي لا تكـــونـــي كـــالـــذي بحثـــا
عـن مُـديـةٍ كـان فيهـا قطـعُ مـدَّتـهِ فـوافـتِ الحـرثَ مـوفـوراً كمـا حُـرثـا
لا تـأمنـي فجـعَ جهـرٍ متـرفٍ خَتِـلٍ قـدِ استـوى عنـدهُ مـنْ طـابَ أو خَبُثـا
يـا رُبَّ ذي أمـلٍ فيـه علـى وجـلٍ أضحـى بـهِ آمنـاً أمسـى وقـدْ حـدثـا
مـنْ كـانَ حيـنَ تصيـبُ الشمسُ جبهتَـهُ أو الغبـــارُ يخـــافُ الشيـــنَ والشَّعَثـــا
ويـألـفُ الظـلَّ كـي تبقـى بشـاشتـهُ فكيـفَ يسكـنُ يـومـاً راغمـاً جِـدَثـا
قفـــراءَ مـــوحشـــة غبـــراءَ مظلمـــة يُطيـلُ تحـتَ الثـرى مـنْ قعـرهـا اللَّبَثـا

وقد ذكرها ابنُ أبي الدنيا ، فعمر أنشدَها عنه ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وكان عمر يتمثَّل بها كثيراً ويبكي .

(٣) في (ق) : « الفضل بن عباس الحلبي » تحريف ، والمثبت من (ح ، ب) ، والخبر في تاريخ ابن عساكر (١٩٦/٥٤) .

لَيسَ مُلكٌ يُزيلُهُ الموتُ مُلْكاً   إنما الملكُ مُلْكُ مَنْ لا يموتُ

وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول :

تُسرُّ بما يَبْلَى[١] وتفرحُ بالمُنى   كما اغترَّ باللذاتِ في النوم حالمُ
نهارُكَ يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ   وليلُكَ نومٌ والردى لكَ لازمُ
وسعيُكَ فيما سوفَ تكرهُ غِبَّهُ   كذلكَ في الدنيا تعيشُ البهائمُ[٢]

وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يلومُ نفسه ويعاتبُها :

أيقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائمُ   وكيفَ يطيقُ النَّومَ حيرانُ هائمُ
فلو كنتَ يقظانَ الغداة لحرَّقتْ   مدامعَ[٣] عينيكَ الدموعُ السواجمُ
نهارك يا مغرورُ سَهْوٌ وغفلةٌ   وليلك نوم والرَّدَى لك لازمُ
وتُشغلُ فيما سوف تكرَهُ غِبَّهُ   كذلك في الدنيا تعيش البهائم[٤]

وروى ابنُ أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنتِ عبدِ الملك قالت : انتبه عمر ذات ليلةٍ وهو يقول : لقد رأيت الليلة رؤيا مُعجبة ، فقلت : أخبرني بها ، فقال : حتى نُصبح ؛ فلمَّا صلَّى الصبحَ بالمسلمين ، ثم دخل سألته عنها ، فقال : رأيتُ كأني دُفعت إلى أرضٍ خضراءَ واسعة ، كأنها بساطٌ أخضر وإذا فيها قصرٌ كأنَّه الفضة ، فخرج منه خارج فنادَى أين محمد بن عبد الله ، أين رسولُ الله ؟ إذْ أقبل رسولُ الله ﷺ ، حتى دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخرُ فنادى : أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخرُ فنادَى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخرُ فنادى أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى أين عليُّ بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخرُ فنادى أين عمر بن عبد العزيز ؟ فقمتُ فدخلت فجلست إلى جانب أبي عمرَ بنِ الخطاب ، وهو عن يسارِ رسول الله ﷺ ، وأبو بكر عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل ، فقلت : لأبي : منْ هذا ؟ قال : هذا عيسى ابنُ مريم ، ثم سمعتُ هاتفاً يهتِفُ بيني وبينه نورٌ لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبد العزيز تمسَّكْ بما أنتَ عليه ، واثبُتْ على ما أنت

---

(١) في (ق) : « يفنى » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر .
(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٧) .
(٣) في (ق) : « محاجر عينيك » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر .
(٤) في (ق) بدل البيتين الأخيرين هذه الأبيات الثلاثة :

أصبحت في النوم الطويل وقد دنت   إليك أمور مفظعات عظائم
وتكدح فيما سوف تكره غبه   كذلك في الدنيا تعيش البهائم
فلا أنت في النوام يوماً بسالم   ولا أنت في الأيقاظ يقظان حازم

والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ١٩٧ ، ١٩٨) .

عليه ، قال : ثم كأنه أذنَ لي في الخروج فخرجتُ ، فالتفتُّ فإذا عثمانُ بن عفَّان وهو خارج من القصر وهو يقول : الحمد لله الذي نصرَني ربي ، وإذا عليٌّ في إثره وهو يقول : الحمد لله الذي غفرَ لي ربي(١) .

فصـــل(٢)

وقد ذكرنا في دلائلِ النبوة الحديث الذي رواهُ أبو داود في سُننه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ الله يبعثُ لهذه الأمة على رأس كلِّ مئة سنة منْ يجدِّدُ لها أمرَ دينها »(٣) . فقال جماعةٌ من أهل العلم منهم أحمدُ بن حنبل ـ فيما ذكرهُ ابنُ الجوزي وغيره ـ : إنَّ عمرَ بن عبد العزيز كان على رأسِ المئةِ الأولى ؛ وقال آخرون : هو من جملة من جدَّد الله به أمر الدين على رأس المئة الأولى ـ وإنْ كان هو أوْلَى منْ دخل في ذلك وأحق ، لإمامته وعموم ولايته ، وقيامه واجتهادِه في تنفيذِ الحق ، فقد كانتْ سيرتُه شبيهةً بسيرةِ عمر بن الخطاب ، وكان كثيراً ما يتشبَّهُ به .

وقد جمعَ الشيخ أبو الفرج ابن الجَوْزي سيرة العمرين ، عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ، وقد أفردْنا سيرةَ عمر بن الخطاب في مجلدٍ على حِدة ، ومسندَه في مجلدٍ ضَخْم ؛ وأمَّا سيرة عمر بن عبد العزيز ، فقد ذكرنا منها طرفاً صالحاً هنا ، يُستدلُّ به على ما لم نذكره .

وقد كان عمر رحمه الله يُعطي منِ انقطعَ إلى المسجد الجامع من بلده وغيرها ، للفقهِ ونشرِ العلم وتلاوة القرآن ، في كلِّ عام من بيت المال مئة دينار ، وكان يكتبُ إلى عُمَّاله أنْ يأخذوا النَّاسَ بالسنَّة ، ويقول : إنْ لم تصلحْهم السُّنَّة فلا أصلحَهم الله . وكتب إلى سائر البلاد أنْ لا يركبَ ذِمِّيٌّ من اليهود والنصارى(٤) وغيرِهم على سرج ، ولا يلبس قباءً ولا طيلساناً ولا سراويل ذات خَدَمة(٥) ، ولا يمشينَّ أحدٌ منهم إلا بزُنَّار من جلْد ، وهو مقرون الناصية ، ومن وُجد منهم في منزله سلاحٌ أخذ منه .

وكتب أيضاً أنْ لا يُستعمل على الأعمال إلا أهلُ القرآن ، فإنْ لم يكنْ عندَهم خيرٌ فغيرهم أولى أنْ لا يكون عنده خير .

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٠) .

(٢) أقحمت النسخة (ب) هنا ما جاء في ص(٣٤) عند قوله : « وقد رئيت له منامات . . » إلى قوله : « رحمه الله » من هذا الجزء .

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٩١) في الملاحم : باب ما يذكر في قرن المئة ، والحاكم (٤/ ٥٢٢) وهو حديث صحيح صححه جمع من العلماء منهم الحافظ العراقي والحافظ ابن حجر .

(٤) ليست كلمة « اليهود » في (ب ، ح) .

(٥) الخَدَمَة : رباط السراويل عند أسفل رجل المرأة ، أو الخلخال . القاموس (خدم) . والخبر في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص(١٥٩) .

وكان يكتبُ إلى عمَّاله : اجتنبوا الأشغال عند حضورِ الصلوات ، فإنَّ منْ أضاعَها فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشدُّ تضييعاً .

وقد كان يكتبُ الموعظةَ إلى العامل من عماله فينخَلِعُ منها ، وربما عزَلَ بعضُهم نفسَه عن العمالة وطوى البلاد من شدَّة ما تقعُ موعظتُه منه ، وذلك أنَّ الموعظة إذا خرجتْ من قلب الواعظ دخلتْ قلبَ الموعوظ(١) . وقد صرَّح كثيرٌ من الأئمة بأنَّ كلَّ من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة ، وقد كتب إليه الحسن البصري بمواعظَ حسان ولو تقصَّينا ذلك لطال به هذا الفصل . ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارةٌ إلى ذلك .

وكتب إلى بعض عماله : أما بعد ، فإني أذكِّرك ليلة تمخَّضُ بالساعةِ وصباحُها القيامة ، فيا لها من ليلة ، ويالة من صباح ، ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٦] وكتب إلى آخر : أذكِّركَ طولَ سهرِ أهل النار في النار مع خلودِ الأبد ، وإيَّاك أنْ ينصرفَ بك من عند الله ، فيكون آخر العهد بك ، وانقطاع الرجاءِ منك . قالوا : فخلَعَ هذا العاملُ نفسَه من العمالة ، وقدم على عمر فقال له : ما لك ؟ فقال : خلعتَ قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين ، والله لا أعودُ إلى ولايةٍ أبداً .

فصــل

وقد ردَّ جميعَ المظالم كما قدَّمنا(٢) ، حتى إنَّه ردَّ فصَّ خاتم كان في يدِه ، وقال : أعطانيه الوليدُ من غير حقِّه ؛ وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم في المَلْبس والمأكل والمتاع ، حتى إنَّه ترك التمتُّع بزوجته فاطمة ، وكانت من أحسن النساء ، وبنت عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، ويقال : إنه ردَّ جهازها وما كان من أموالها إلى بيتِ المال ، والله أعلم . وقد كان دخْلُه في كلِّ سنة قبل أن يلي الخلافة أربعين ألف دينار ، فترَكَ ذلك كلَّه حتى لم يبقَ له دَخْلٌ سوى أربعمئة دينار في كلِّ سنة ، وكان حاصله حين ولي الخلافة ثلاثمئة درهم ، وكان له من الأولاد جماعة ، وكان ابنُه عبدُ الملك أجلَّهم ، فماتَ في حياته في زمن خلافته ، ويقال إنه كان خيراً من أبيه ، فلما مات لم يُظهر عليه حُزناً ، وقال : أمر رضيه الله فلا أكرهه ، وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولي الخلافة كان بعد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع ولا يغسله حتى يتسخ جداً ، ويقول : ما أحسنَه لولا لينه . وكان يلبسُ الفروةَ الغليظة ، وكان سراجُه على ثلاث قصبات في رأسهن طين ، ولم يَبن شيئاً

(١) في (ب ، ح) : « . . . موعظته منه ، وما ذاك إلا لأنها تخرج من قلب الواعظ فتدخل في قلب الآخر » .
(٢) انظر ص (١٨) من هذا الجزء .

في أيام خلافته ، وكان يخدُم نفسَه بنفسه ، وقال : ما تركتُ شيئاً من الدنيا إلا عوَّضني الله ما هو خيرٌ منه ، وكان يأكل الغليظ من الطعام أيضاً ، ولا يُبالي بشيءٍ من النعيم ، ولا يُتبعه نفسَه ولا يودُّه . حتى قال أبو سليمان الداراني : كان عمر بن عبد العزيز أزهدَ من أويس القَرَني ، لأنَّ عمر ملك الدنيا بحذافيرِها وزَهِد فيها ، ولا ندري حالَ أويسٍ لو ملك ما ملكَهُ عمر كيف يكون ؟ ليس منْ جرّب كمن لم يجرّب .

وتقدَّم[١] قولُ مالك بن دينار كان يقول الناس : مالك زاهد ، إنما الزاهدُ عمر بن عبد العزيز . أتته الدنيا فاغرة فاها فردَّها .

وقال عبدُ الله بن دينار : لم يكنْ عمر يرتزقُ من بيت المال شيئاً ؛ وذكروا أنه أمر جارية تروّحه حتى ينام فروَّحته ، فنامتْ هي ، فأخذ المِرْوحة من يدها وجعل يروِّحُها ويقول : أصابكِ من الحرِّ ما أصابني .

وقال له رجل : جزاك الله عن الإسلام خيراً . فقال : بل جزى الله الإسلام عني خيراً .

ويقال : إنه كان يلبسُ تحت ثيابه مِسْحاً غليظاً من شعر ، ويضع في رقبته غُلاًّ إذا قام يصلِّي من الليل ، ثم إذا أصبح وضعه في مكان وختم عليه فلا يشعر به أحد ، وكانوا يظنُّونه مالاً أو جوهراً من حِرْصه عليه ، فلما مات فتحوا ذلك المكان فإذا فيه غُلٌّ ومِسْح .

وكان يبكي حتى بكى الدَّمَ مع الدموع ، ويقال : إنه بكى فوق سطح حتى سال دمعُه من الميزاب .

وكان يأكلُ من العدَس ليرقَّ قلبُه ويغزر دمعه ؛ وكان إذا ذُكر الموت اضطربتْ أوصاله .

وقرأ رجلٌ عنده ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان : ١٣] فبكى بكاءً شديداً ، ثم قام فدخل منزله وتفرَّق الناس عنه .

وكان يُكثر أن يقول : اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ ، وكان يقول : اللهمَّ أصلحْ منْ كان في صلاحِه صلاحٌ لأمة محمد ﷺ ، وأهلِك منْ كان في هلاكه صلاحُ أمةِ محمد ﷺ .

وقال : أفضلُ العبادةِ أداءُ الفرائضِ واجتنابُ المحارم .

وقال : لو أنَّ المرء لا يأمرُ بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر حتى يُحكم أمرَ نفسه لتواكَلَ الناس الخير ، ولذهب الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر .

ولقلَّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة .

وقال : الدنيا عدوَّةُ أولياء الله ، وعدوَّةُ أعداءِ الله ، أمَّا الأولياء فغمَّتهم وأحزنتْهم ، وأمَّا الأعداء فغرَّتْهم وشتَّتتْهم وأبعدَتْهم عن الله .

---

(١) انظر ص٢١ من هذا الجزء .

وقال : قد أفلح منْ عُصم من المِرَاء والغضَب والطمع .

وقال لرجل : منْ سيِّدُ قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كنتَ كذلك لم تقلْه .

وقال : أزهدُ الناس في الدنيا عليٌّ بن أبي طالب .

وقال : لقد بورك لعبدٍ في حاجةٍ أكثرَ فيها سؤالَ ربِّه ، أُعطي أو مُنع[١] .

وقال : قَيِّدوا العلم بالكتاب .

وقال لرجُل : علِّمْ ولدَك الفقه الأكبر : القناعةَ وكفَّ الأذى . وتكلَّم رجلٌ عنده فأحسن ، فقال : هذا هو السحرُ الحلال .

وقصَّتُه مع أبي حازم مطوَّلةٌ حين رآه خليفةً وقد شَحُبَ وجهُه من التقشُّف : وتغيَّرَ حالُه ، فقال له : ألم يكنْ ثوبُك نقيّاً ؟ ووجهُك وضيّاً ؟ وطعامُك شهيّاً ؟ ومركبك وطيّاً ؟ فقال له : ألم تخبرْني عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ من ورائكم عقبةً كئوداً لا يجوزها إلاَّ كلُّ ضامرٍ مَهْزولٍ » ؟ ثم بكى حتى غُشي عليه . ثم أفاق فذكر أنه لقي في غشيته تلك أنَّ القيامة قد قامتْ ، وقد استُدعي بكلٍّ من الخلفاء الأربعة ، فأُمر بهم إلى الجنة ، ثم ذكر من بينه وبينهم فلم ير ما صُنع بهم ، ثم دُعي هو فأُمِرَ به إلى الجنة ، فلما انفصل لقيه سائلٌ فسأله عما كان من أمره فأخبره ، ثم قال للسائل : فمن أنت ؟ قال : أنا الحجَّاج بن يوسف ، قتلني ربِّي بكلِّ قتلة قتلة ، ثم ها أنا أنتظر ما ينتظره الموحدون[٢] .

وفضائلُه ومآثرُه كثيرةٌ جدّاً . وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد والمنة ، وهو حسبُنا ونعم الوكيل . ولا حول ولا قوة لنا إلا به .

ذكر سبب وفاته رحمه الله

كان سببها السِّلّ ، وقيل : سَبَبُها أنَّ مولًى له سمَّهُ في طعامٍ أو شراب ، وأُعطي على ذلك ألف دينار ، فحصل له بسبب ذلك مرض ، فأخبر أنه مسموم ، فقال : لقد علمتُ يوم سُقيت السُّم ، ثم استدعَى مولاه الذي سقاه ، فقال له : ويحك !! ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : ألفُ دينار أُعطيتها . فقال : هاتها ، فأحضرَها فوضعها في بيت المال ، ثم قال له : اذهبْ حيثُ لا يراك أحد فتهلِك . ثم قيل لعمر : تداركْ نفسَك ، فقال : والله لو أنَّ شفائي أنْ أمسَّ شحمةَ أُذني أو أُوتى بطِيب فأشمَّه ما فعلتُ . فقيل له : هؤلاء بنوك ـ وكانوا اثني عشر ـ ألا تُوصي لهم بشيء فإنهم فقراء ؟ فقال : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى

(١) في (ب ، ح) : « لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها من الدعاء ، أُعطيت أو مُنعت » .

(٢) قصة عمر مع أبي حازم أوردها ابن عساكر في تاريخه ، انظر مختصر ابن منظور (٢٨/ ٢٢٤) في ترجمة أبي حازم .

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] والله لا أعطيتُهم حقَّ أحد ، وهم بين رجُلَيْن : إمَّا صالح ، فالله يتولَّى الصالحين ، وإما غير صالح فما كنتُ لأعينَه على فسقه .

وفي رواية : فلا أبالي في أيِّ وادٍ هلكَ . وفي رواية : أفأدعُ له ما يستعينُ به على معصيةِ الله فأكونَ شريكه فيما يعملُ بعد الموت ؟ ما كنتُ لأفعل . ثم استدعى بأولاده فودَّعهم وعزَّاهم بهذا ، وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال انصرفوا عصمَكم الله وأحسنَ الخلافةَ عليكم . قال : فلقد رأينا بعضَ أولادِ عمر بن عبد العزيز يحملُ على ثمانين فرس في سبيل الله ، وكان بعضُ أولادِ هشام بن عبد الملك ـ مع كثرةِ ما ترك لهم من الأموال ـ يتعاطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز ، لأنَّ عمر وكَلَ ولدَهُ إلى الله عزَّ وجلَّ ، وهشام وغيرُه إنما يكِلُون أولادَهم إلى ما يدعُون لهم ، فيضيعون وتذهب أموالُهم في شهواتِ أولادِهم[١] .

وقال يعقوبُ بن سفيان[٢] : حدّثنا أبو النعمان حدّثنا حمَّاد بن زيد ، عن أيوب قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين لو أتيتَ المدينة ، فإنْ قضَى الله موتاً كنت موضعَ[٣] القبرِ الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكرٍ وعمر . فقال : والله لأنْ يعذِّبني الله بكلِّ عذاب ، إلا النار ، فإنَّه لا صبر لي عليها ، أحبُّ إليَّ من أنْ يعلم الله من قلبي أني لذلك الموضع أهل .

قالوا : وكان مرضُه بدير سَمْعان من قرى حمص وكانت مدة مرضه عشرين يوماً ، ولما احتضر قال : أجلسوني ، فأجلسوه فقال : إلهي أنا الذي أمرتني فقصَّرت ، ونهيتني فعصَيْت ـ ثلاثاً ـ ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحدَّ النظر ، فقالوا : إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين ، فقال : إني لأرى حضرة ما هم بإنسٍ ولا جان ، ثم قبض من ساعته[٤] .

وفي رواية أنه قال لأهله : اخرجوا عني ، فخرجوا وجلس على الباب مسلمةُ بن عبد الملك وأخته فاطمة ، فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه التي ليستْ بوجوه إنسٍ ولا جانٍ ثم قرأ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] ثم هدأ الصوت ، فدخلوا عليه فوجدوه قد غُمض وُسوِّي إلى القِبلة وقُبض[٤] .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز ، عن الدَّرَاوَرْديّ ، عن عبد العزيز بن أبي سَلَمة ، أنَّ عمرَ بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبَّتْ ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب ،

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/٢٠٣ ، ٢٠٤) .
(٢) المعرفة والتاريخ (١/٦٠٨) وساقه ابن عساكر عنه في تاريخه (٦٥/ ٢٠٤ ، ٢٠٥) .
(٣) في (ق) : « دفنت في القبر » ، وفي تاريخ ابن عساكر « دفنت موضع القبر » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٦) .

فقرؤوها ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، براءةٌ من الله لعمرَ بن عبد العزيز من النار . فأدخلوها بين أكفانه ودفنوها معه[١] .

وقد روي نحو هذا من وجهٍ آخر[٢] .

وروى ابنُ عساكر في ترجمة عبد الصمد بن إسماعيل[٣] بسنده عن عُمير بن حُباب السُّلَمي[٤] ، قال : أُسرتُ أنا وثمانية في زمن بني أميَّة ، فأمر ملك الروم بضرْب رقابِنا ، فقُتل أصحابي وشفع فيَّ بطريقٌ من بطارقةِ الملك ، فأطلقني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذا له ابنةٌ مثل الشمس ، فعرَضها عليَّ وعلى أنْ يقاسمني نعمتَه وأدخل معه في دينه ، فأبيت ، وخلَتْ بي ابنتُه ، فعرَضتْ نفسَها عليَّ فامتنعتُ ، فقالت : ما يمنعُكَ من ذلك ؟ فقلت : يمنعني ديني ، فلا أترك ديني لامرأةٍ ولا لشيء . فقالت : تريدُ الذهابَ إلى بلادك ؟ قلت : نعم ، فقالت : سرْ على هذا النجم بالليل واكمُنْ بالنهار ، فإنَّه يلقيك[٥] إلى بلادك . قال : فسرتُ كذلك ، قال فبينا أنا في اليوم الرابع مُكْمنٌ إذا بخيلٍ مقبلة فخَشيتُ أنْ تكون في طلبي ، فإذا أنا بأصحابي الذين قُتلوا معهم آخرون على دوابَّ شُهب ، فقالوا : عمير ؟ فقلت : عمير . فقلت لهم : أو ليس قد قُتلتم ؟ قالوا : بلى ، ولكن الله عزَّ وجلَّ نشر الشهداء وأذِنَ لهم أن يشهدوا جنازةَ عمرَ بنِ عبد العزيز . قال : ثم قال لي بعضُهم : ناولْني يدَك يا عُمير . فأردفَني ، فسرْنا يسيراً ثم قذف بي قذفةً وقعتُ قربَ منزلي بالجزيرة ، من غير أن يكون لحقني شرّ .

وقال رجاء بن حَيْوة : كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إليَّ أنْ أغسِّله وأكفِّنه وأدفنه ، فإذا حللتُ عقدةَ الكفَن أن أنظر في وجهه قال : ففعلتُ فإذا وجهه مثل القراطيس بياضاً ، وكان قد أخبرني أنه دفن ثلاثة من الخلفاء فيحلُّ عن وجوههم فإذا هي مسودَّة[٦] .

وروى ابن عساكر في ترجمة يوسف بن ماهك[٧] قال : بينما نحن نسوِّي الترابَ على قبر عمر بن عبد العزيز إذْ سقط علينامن السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٩) .

(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٩ ، ٢١٠) .

(٣) تاريخ ابن عساكر (٤٢/ ٢٦١) ، وأورده ابن عساكر أيضاً في ترجمة عمير بن الحباب السلمي أيضاً ، انظر المختصر (١٩/ ٣٢٧) .

(٤) في (ق ، ب ، ح) : « عمير بن حبيب السلمي » ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر .

(٥) في تاريخ ابن عساكر ترجمة عبد الصمد « يبلغك » ، وفي ترجمة عمير « يلقيك » كما هنا .

(٦) انظر تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٧) .

(٧) ترجمة يوسف بن ماهك في المختصر من تاريخ ابن عساكر لابن منظور ، والخبر فيه (٢٨/ ٩٢) .

من النار . ساقه من طريق إبراهيم بن بشار عن عباد بن عمرو عن محمد بن يزيد البصري عن يوسف بن ماهك . . . فذكره ؛ وفيه غرابة شديدة والله أعلم .

وقد[١] رُئيتْ له مناماتٌ صالحة ، وتأسَّف عليه الخاصَّةُ والعامَّة ، لا سيما العلماء والزهاد والعباد ، ورثاه الشعراء ، فمن ذلك ما أنشده أبو عمرو الشيباني لكُثَيِّر عزَّة يرثي عمر :

عمَّتْ صنائعُهُ فعمَّ هلاكُهُ ... فالناسُ فيهِ كلُّهم مأجورُ
والناسُ مأتمهمْ عليهِ واحدٌ ... في كلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزفيرُ
يُثني عليكَ لسانُ منْ لم تولهِ ... خيراً لأنَّكَ بالثناءِ جديرُ
ردَّتْ صنائعُهُ عليه حياتَهُ ... فكأنهُ منْ نشرِها منشورُ

وقال جرير[٢] يرثي عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله :

يَنْعى النعاةُ أميرَ المؤمنينَ لنا ... يا خيرَ منْ حجَّ بيتَ اللهِ واعتمرا
حُمِّلتَ أمراً عظيماً فاضطلعتَ بهِ ... وسرتَ فيهِ بأمرِ اللهِ يا عمرا
الشمسُ كاسفةٌ ليستْ بطالعةٍ ... تبكي عليكَ نجومُ الليلِ والقمرا[٣]

وقال محاربُ بن دِثَار رحمه الله يَرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

لو أعظمَ الموتُ خلقاً أن يواقعهُ ... لعدلِهِ لمْ يصبكَ الموتُ يا عمر
كمْ منْ شريعةِ عَدْلٍ قدْ نعشتَ لهم ... كادَتْ تموتُ وأخرى منكَ تنتظرُ
يا لهفَ نفسي ولهفَ الواجدينَ معي ... على العُدولِ التي تغتالها الحفرُ
ثلاثةٌ ما رأتْ عيني لهم شبهاً ... تضمُّ أعظُمَهم في المسجدِ الحُفَرُ
وأنتَ تتبعهمْ لمْ تألُ مجتهداً ... سقياً لها سننٌ بالحقِّ تُفْتقرُ
لوْ كنتُ أملكُ والأقدارُ غالبةٌ ... تأتي رواحاً وتبياناً وتبتكرُ
صرفتُ عن عمر الخيراتِ مصرعَهُ ... بديرِ سمعانَ لكنْ يغلِبُ القدَرُ[٤]

قالوا : وكانت وفاته بدَيْر سَمْعان من أرضِ حمص ، يوم الخميس ، وقيل الجمعة لخمس مضَيْن ، وقيل بَقينَ من رجب ، وقيل لعشر بَقينَ منه ، سنة إحدى وقيل ثنتين ومئة . وقال الهيثم بن عدي : توفي في جمادى سنة ثنتين ومئة ، وصلَّى عليه ابنُ عمه مَسْلمة بنُ عبد الملك ؛ وقيل : صلى عليه يزيد بن

(١) انظر ص(٢٨) ح (٢) من هذا الجزء .
(٢) ديوان جرير ص(٣٠٤) .
(٣) في (ب ، ح) : الشمس طالعة ليست بطالعة ، والمثبت من الديوان وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢١٢) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢١٣) .

عبد الملك ؛ وقيل : ابنُه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وكان عمره يومَ مات تسعاً وثلاثين سنة وأشهراً ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر ، وقيل بسنة . وقيل بأكثر ، وقيل إنه عاش ثلاثاً وثلاثين سنة[١] ، وقيل ستاً وثلاثين ، وقيل سبعاً وثلاثين ، وقيل ثمانياً وثلاثين سنة ، وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغْها .

وقال أحمد عن عبد الرزاق عن معمر : مات على رأس خمسٍ وأربعين سنة . قال ابن عساكر[٢] : وهذا وهم ، والصحيح الأول ، تسعاً وثلاثين سنة وأشهراً . وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وقيل أربعة عشر يوماً ، وقيل سنتان ونصف .

وكان رحمه الله أسمر ، دقيقَ الوجه حسنهُ ، نحيفَ الجسم ، حسنَ اللحية ، غائرَ العينين ، بجبهته أثرُ شجَّة وكان قد شابَ وخضب رحمه الله[٣] ، والله سبحانه أعلم[٤] .

---

(١) في (ق) : « ثلاثاً وستين » ، وهو تحريف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر ، وانظر رواياته المختلفة في ذلك (٥٤/٢١٣ ـ ٢٢٠) .
(٢) في تاريخه (٥٤/ ٢٢٠) .
(٣) انظر ص(٢٨) ح (٢) من هذا الجزء .
(٤) ذكر في (ق) هنا فصل ليس في (ب ، ح) إلى خلافة يزيد بن عبد الملك ص(٢١٩) ، ويرجح أن يكون مقحماً في الكتاب ، ففيه أيضاً سبق إيرادها بألفاظ مقاربة ، وفيه قرائن تدل على أنه ليس لابن كثير كقوله عقيب الخبر الأول : « ذكره ابن أبي الدنيا وأبو نعيم وغيرهما وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية » لذلك جعلناه في الحاشية .

فصل

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحبُ الشُّرْطة ليسيرَ بين يديه بالحَرْبة على عادته مع الخلفاء قبله ، فقال له عمر : مالي ولك ؟ تنحَّ عنِّي ، إنما أنا رجلٌ من المسلمين . ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد ، فصعِد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس ! إني قد ابتُليت بهذا الأمر عن غير رأيٍ كان مني فيه ، ولا طلبة له ، ولامشورةٍ من المسلمين ، وإني قد خلعتُ ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون . فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلُّنا بك . فلما هدأتْ أصواتُهم حمِدَ الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإنَّ تقوى الله خلَفٌ من كلِّ شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت ، فإنَّه هاذمُ اللذات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله ، وإنَّ هذه الأمة لم تختلفْ في ربها ولا في كتابها ولا في نبيها ، وإنما اختلفوا في الدينارِ والدرهم ، وإني والله لا أُعطي أحداً باطلاً ، ولا أمنعُ أحداً حقًّا . ثم رفع صوته فقال : أيها الناس ! منْ أطاع الله وجبَتْ طاعته ، ومنْ عصَى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعتُ الله ، فإذا عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم . ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهُتكت ، والثياب التي كانت تُبسط للخلفاء أمر بها فبيعت ، وأدخل أثمانها في بيت المال ، ثم ذهب يتبوَّأ مقيلاً ، فأتاه ابنُه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : يا بني أقيل ، قال : تُقيل ولا تردُّ المظالم إلى أهلها ؟ فقال : إني سهرتُ البارحة في أمر سليمان ، فإذا صلَّيتُ الظهر رددْتُ المظالم . فقال له ابنه : ومَنْ لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : ادْنُ منِّي أي بُني . فدنا منه فقبَّلَ بين عينيه وقال : الحمد لله الذي أخرجَ من صُلْبي مَنْ يُعينني على ديني . ثم قام وخرج وترك القائلة ، وأمر مناديهُ فنادَى : ألا منْ كانتْ له مَظْلمةٌ فليرفَعْها . فقام إليه رجل ذِمِّيٌّ من أهل حمص فقال : يا أمير المؤمنين أسألك=

. . . .

= كتابَ الله . قال : ما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي . والعباسُ جالس ، فقال له عمر : يا عباس ما تقول ؟ قال : نعم ! أقطعَنيها أميرُ المؤمنين الوليد ، وكتب لي بها سجلاً ، فقال عمر : ما تقول يا ذِمّي ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى . فقال عمر : نعم كتاب الله أحقُّ أن يُتّبع من كتاب الوليد ، قم فارْدُدْ عليه ضيعتَه . فردَّها عليه .

ثم تتابع الناس في رفع المظالم إليه ، فما رُفعت إليه مظلِمة إلا ردَّها ، سواء كانتْ في يده أو في يدِ غيره حتى أخذ أموالَ بني مروانَ وغيرهم ، مما كان في أيديهم بغير استحقاق ، فاستغاث بنو مروان بكلِّ واحدٍ من أعيان الناس ، فلم يُفدْهم ذلك شيئاً ، فأتَوْا عمتهم فاطمة بنت مروان ـ وكانت عمَّته ـ فشكَوْا إليها ما لَقُوا من عمر ، وأنه قد أخذ أموالَهم ويُستنقصون عنده ، وأنه لا يرفع بهم رأساً ، وكانت هذه المرأة لا تُحجبُ عن الخلفاء ، ولا تُردُّ لها حاجة ، وكانوا يكرمونها ويعظِّمونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة ، وقامَتْ فركبت إليه ، فلما دخلتْ عليه عظَّمها وأكرمها ، لأنها أختُ أبيه ، وألقى لها وسادة ، وشرع يحادثُها ، فرآها غضبى وهي على غير العادة ، فقال لها عمر : يا عمَّة ، ما لك ؟ فقالت : بنو أخي عبد الملك وأولادهم يُهانون في زمانك وولايتك ؟ وتأخذ أموالهم فتعطيها لغيرهم ، ويُسبُّون عندك فلا تُنكر ؟ فضحك عمر وعلم أنها متحمّلة ، وأنَّ عقلها قد كبر ، ثم شرع يحادثها والغضب لا يتحيز عنها ، فلما رأى ذلك أخذ معها في الجدّ ، فقال : يا عمَّة ! اعلمي أنَّ النبيَّ ﷺ ماتَ وترك الناس على نهرٍ مَوْرود ، فوليَ ذلك النهر بعده رجلٌ فلم يستنقِصْ منه شيئاً حتى مات ، ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجلٌ آخر ، فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولي ذلك النهر رجلٌ آخر ، فَكَرى منه ساقية ، ثم لم يزلِ الناسُ بعده يكرون السواقيَ حتى تركوه يابساً لا قطرةً فيه ، وايم الله لئن أبقاني الله لأردَّنه إلى مجراهُ الأول ، فمنْ رضي فله الرضا ، ومن سَخِطَ فله السخط ، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بِطانةُ الوالي ، والوالي لا يُزيل ذلك ، فكيف يستطيعُ أنْ يُزيل ما هو ناءٍ عنه في غيرهم ؟ فقالت : فلا يُسبُّوا عندك ؟ قال : ومنْ يسبُّهم ؟ إنما يرفع الرجل مظلِمته فآخذُ له بها .

ذكر ذلك ابنُ أبي الدنيا وأبو نُعيم وغيرُهما ، وقد أشار إليه المؤلف إشارةً خفية .

وقال مسلمة بن عبد الملك : دخلتُ على عمر في مرضه فإذا عليه قميصٌ وسخ ، فقلت لفاطمة : ألا تغسِلُوا قميصَ أميرِ المؤمنين ؟ فقالت : والله ماله قميص غيره ، وبكى فبكتْ فاطمة فبكى أهلُ الدار ، لا يَدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما انجلَتْ عنهمُ العَبْرة قالت فاطمة : ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني ذكرتُ منصرَفَ الخلائق من بين يدي الله ، فريقٌ في الجنة ، وفريقٌ في السعير ، ثم صرخ وغُشيَ عليه .

وعُرض عليه مرَّة مِسْكٌ من بيتِ المال فسدَّ أنفه حتى وضع ، فقيل له في ذلك فقال : وهل ينتفع من المسك إلا بريحه ؟ ولما احتُضر دعا بأولاده وكانوا بضعة عشر ذكراً ، فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال : بنفسي الفتية . وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل كثيراً بهذه الأبيات :

يُـرى مستكينـاً وهـوَ للقـولِ مـاقـتٌ ... بـهِ عـن حـديـثِ القـوم مـا هـوَ شـاغلُـهْ
وأزعجَـه علـمٌ عـنِ الجهـلِ كلِّـهِ ... ومـا عـالـمٌ شيئـاً كمَـنْ هـو جـاهلُـهْ
عبـوسٌ عـنِ الجُهَّـالِ حيـنَ يـراهـمُ ... فليـسَ لـه منهـمْ خـديـنٌ يهـازلُـهُ
تذكَّرَ ما يبقى منَ العيشِ فارعَوى ... فـأشغلـهُ عـنْ عـاجـلِ العيـشِ آجلُـهُ

وروى ابنُ أبي الدنيا عن ميمون بن مِهْران قال : دخلتُ على عمر بنِ عبد العزيز وعنده سابقٌ البَرْبري وهو ينشدُه شعراً ، فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات :

فكمْ من صحيحٍ باتَ للموتِ آمناً ... أتَتْـهُ المنـايـا بغتـةً بعـدمـا هجَـعْ =

. . . .

=
فلمْ يستطعْ إذ جاءهُ الموتُ بغتةً فِـــراراً ولا منــــهُ بقـــوَّتـــهِ امتنَــــعْ
فـــأصبــحَ تبكيـــهِ النســـاءُ مقنَّعـــاً ولا يسمــعُ الـــداعـــي وإنْ صـــوتـــهُ رفَـــعْ
وقُـــرِّب مـــن لحـــدٍ فصـــارَ مَقِيلَـــهُ وفـــارقَ مـــا قـــدْ كـــان بـــالأمـــسِ قـــدْ جمَـــعْ
فـــلا يتـــركُ المـــوتُ الغنـــيَّ لمـــالـــهِ ولا مُعْـــدِمـــاً فـــي المـــالِ ذا حـــاجـــةٍ يـــدعْ

وقال رجاء بن حيوة : لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيدُ بن عبد الملك بعده في الخلافة ، أتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال ليزيد : يا أمير المؤمنين ! إنَّ هذا المُرائي ـ يعني عمرَ بن عبد العزيز ـ قد خان من المسلمين [جمع] كل ما قدر عليه من جوهرٍ نفيس ، ودر ثمين ، في بيتين في داره مملوءين ، وهما مقفولان على ذلك الدر والجوهر . فأرسل يزيدُ إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر : بلغني أن عمر خلَّف جوهراً ودُرّاً في بيتينِ مقفولين . فأرسلت إليه : يا أخي ما ترك عمر من سَبَدٍ ولا لَبَد ، إلا ما في هذا المنديل . وأرسلتْ إليه به ، فحلَّه فوجد فيه قميصاً غليظاً مرقوعاً ، ورداءً قشِبا ، وجُبَّة محشوَّة غليظة واهية البطانة . فقال يزيد للرسول : قلْ لها : ليس عن هذا أسأل ، ولا هذا أريد ، إنما أسأل عما في البيتين . فأرسلتْ تقول له : والذي فجعني بأمير المؤمنين ما دخلتُ هذين البيتين منذُ ولي الخلافة ، لعلمي بكراهته لذلك ، وهذه مفاتيحُهما فتعال فحوِّلْ ما فيهما لبيت مالك . فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ففتح أحد البيتين فإذا فيه كرسيٌّ من أَدَم ، وأربع آجُرَّات مبسوطاتٌ عند الكرسي ، وقُمْقُم . فقال عمر بن الوليد : أستغفر الله . ثم فتح البيت الثاني فوجَدَ فيه مسجداً مفروشاً بالحصا ، وسلسلةً معلقة بسقف البيت ، فيها كهيئةِ الطَّوْق بقدر ما يدخل الإنسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق ، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبته ، وربما كان يضعُها إذا نَعَس لئلا ينام ، ووجدوا صندوقاً مقفلاً ، ففتح فوجدوا فيه سفطا ففتحه فإذا فيه دُرَّاعه وتُبَّان ، كلُّ ذلك من مُسوح غليظ ، فبكى يزيد ومنْ معه وقال : يرحمك الله يا أخي ، إنْ كنتَ لنقيَّ السَّريرة ، نقيَّ العلانية . وخرج عمر بن الوليد وهو مخذول وهو يقول : أستغفر الله . إنما قلت ما قيل لي .

وقال رجاء : لما احتُضر جعلٍ يقول : اللهم رضِّني بقضائك ، وبارك لي في قدَرِك ، حتى لا أحبَّ لما عجَّلتَ تأخيراً ، ولا لما أخَّرتَ تعجيلاً . فلا زال يقول ذلك حتى مات . وكان يقول : لقد أصبحتُ ومالي في الأمور هَوىً إلا في مواضع قضاء الله فيها .

وقال شُعيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة . أما بعد يا عمر ، قد وَلي الخلافةَ والملكَ قبلك أقوامٌ ، فماتوا على ما قد رأيت ، ولَقُوا الله فُرادى بعدَ الجموع والحفدة والحشَم ، وعالجوا نَزْعَ الموت الذي كانوا منه يفرُّون ، فانفقأتْ أعينهم التي كانت لا تفتأ تنظر لذاتها ، واندفنتْ رقابهم غيرَ موسَّدين بعدَ لين الوسائد ، وتظاهر الفرش والمرافق والسُّرُر والخدَم ، وانشقَّتْ بطونُهم التي كانت لا تشبع من كلِّ نوعٍ ولَوْنٍ من الأموال والأطعمة ، وصاروا جيفاً بعد طيبِ الروائح العطِرة ، حتى لو كانوا إلى جانبِ مسكينٍ ممن كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذَّى بهم ، ولنفر منهم ، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب والثياب الفاخرة اللينة ، كانوا يُنفقون الأموالَ إسرافاً في أغراضهم وأهوائهم ، ويقتِّرون في حقِّ الله وأمره ، فإنِ استطعتَ أنْ تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتهَنون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ولا مرتهنٍ بشيءٍ فافعل ، واستعنْ بالله ولا قوة إلا بالله سبحانه .

ومـــا مَلِـــكٌ عمـــا قليـــل بســـالـــمٍ ولـــو كثـــرتْ أحـــراسُـــهُ ومـــواكبُـــهْ
ومنْ كان ذا بابٍ شديدٍ وحاجبٍ فعمـــا قليـــل يَهْجُـــرُ البـــابَ حـــاجبُـــه
وما كانَ غيرُ الموتِ حتى تفرقتْ إلـــى غيـــرِهِ أعـــوانُـــه وحبـــائبُـــهُ
=

. . . .

= فـأصبـحَ مسـروراً بـه كـلُّ حـاسـدٍ وأسلمَـــهُ أصحـــابُـــهُ وحبـــائبـــهُ

وقيل : إنَّ هذه الأبيات لغيره .

وقال ابنُ أبي الدنيا في كتاب الإخلاص : حدثنا عاصم بن عامر حدّثنا أبي عن عبد ربِّه بن أبي هلال عن ميمون بن مِهران قال : تكلَّمَ عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رَهْطٌ من إخوانه ، ففتح له منطق وموعظة حسنة ، فنظر إلى رجلٍ من جلسائه ، وقد ذرَفَتْ عيناه بالدموع ، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين امضِ في موعظتك ، فإني أرجو أن يمنَّ الله به على منْ سمعه أو بلغه . فقال إليك عني يا أبا أيوب ، فإنَّ في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلِّمٌ عليهم ، والفَعَال أولى بالمؤمن من المقال . وروى ابنُ أبي الدنيا عنه أنه قال : استعملنا أقواماً كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمالَ الفجّار ، قاتلهم الله ، أما كانوا يمشون على القبور !!

وروى عبد الرزاق قال : سمعتُ مَعمراً يذكر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عَديٍّ بن أرطاة ـ وبلغه عنه بعضُ ما يكره ـ : أما بعد فإنه غرَّني بك مجالستك القرَّاء ، وعمامتك السوداء ، وإرسالك إياها من وراءِ ظهرك ، وإنك أحسنتَ العلانية فأحسَنَّا بك الظن ، وقد أطلعنا الله على كثيرٍ مما تعملون .

وروى الطبرانيّ والدارَقطْنيّ وغيرُ واحدٍ من أهل العلم بأسانيدِهم إلى عمرَ بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله واتباع سنةِ رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المُحدثون بعده . ممن قد حارب سُنَّته ، وكُفوا مؤنته ، ثم اَعلمْ أنه لم تكنْ بدعةٌ إلا وقد مضى قبلَها ما هو دليلٌ على بُطلانها ـ أو قال دليلٌ عليها ـ فعليك لزومَ السنة ، فإنه إنما سنَّها منْ قد علم ما في خلافها من الزَّيغ والزلل ، والحُمق والخطأ والتعمُّق ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشدّ ، وإنما كان عملهم على الأسدّ ، ولو كان فيما تحملون أنفسكم فضل لكانوا فيه أحرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كلِّ خير ، فإن قلت : قد حدث بعدهم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه منْ قدِ اتبع غيرَ سبيلِ المؤمنين ، وحادَ عن طريقهم ، ورغبت نفسُه عنهم ، ولقد تكلَّموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فأين لا أين ، فمن دونهم مقصّر ، ومن فوقهم غير مُحسن ، ولقد قصَّر أقوامهم دينَهم فحُفُّوا ، وطمحَ عنهم آخرون فَغَلَوْا ، فرحم الله ابنَ عبد العزيز . ما أحسنَ هذا القول الذي ما يخرجُ إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة ! ومحبَّة ما كان عليه الصحابة ! فَمنِ الذي يستطيعُ أنْ يقولَ مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحمه الله وعفا عنه .

وروى الخطيبُ البغدادي من طريق يعقوبَ بنِ سفيان الحافظ عن سعيد بن أبي مريم عن رشيد بن سعيد قال : حدّثني عقيل عن شهاب عن عمر بن عبد العزيز . قال : سنَّ رسولُ الله ﷺ وخلفاؤه بعدهُ سُنناً ، الأخذُ بها تصديقٌ لكتاب الله ، واستعمالٌ لطاعة الله ، ليس على أحد تغييرُها ولا تبديلُها ، ولا النظر في رأي منْ خالفها ، فمنِ اقتدَى بما سبق هُدي ، ومنِ استبصر بها أبصر ، ومنْ خالفَها واتَّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين ولاَّه الله ما تولَّى ، وأصلاه جهنَّم وساءتْ مصيراً .

وأمر عمر بن عبد العزيز منادِيَهُ ذاتَ يوم فنادَى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطبَهم ، فقال في خطبته : إني لم أجمعْكم إلا أنَّ المصدِّق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدارِ الآخرة ولم يعمل لذلك ويستعدَّ له أحمق ، والمكذِّب له كافر . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ ﴾ [فصلت : ٥٤] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه أنه أرسل أولادَه مع مؤدِّبٍ لهم إلى الطائف يعلِّمهم هناك ، فكتب إليه عمر : بئس ما علّمت ، إذْ قدَّمت إمام المسلمين صبياً لم يعرفِ النية ـ أو لم تدخله النية ـ ذكره في كتاب النية له . =

= وروى ابنُ أبي الدنيا في كتاب « الرقة والبكاء » عن مولًى لعمر بن عبد العزيز أنه قال له : يا بني ، ليس الخير أنْ يُسمع لك وتُطاع ، وإنما الخير أن تكون غفَلْتَ عن ربّك عزَّ وجلَّ ثم أطعتَه ، يا بني لا تأذنِ اليوم لأحدٍ عليَّ حتى أُصبح ويرتفع النهار ، فإني أخافُ أنْ لا أعقِل عن الناس ولا يفهمون عنِّي ، فقال له مولاه : رأيتُك البارحة بكيتَ بكاءً ما رأيتُك بكيتَ مثلَه ، قال فبكى ثم قال : يا بني إني والله ذكرتُ الوقوفَ بين يدي الله عزَّ وجلَّ . قال : ثم غُشي عليه فلم يُفقْ حتى علا النهار ، قال : فما رأيتُه بعد ذلك متبسماً حتى مات .

وقرأ ذات يوم : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ [يونس : ٦١] الآية ؛ فبكى بكاءً شديداً حتى سمعه أهلُ الدار ، فجاءتْ فاطمة فجلسَتْ تبكي لبكائه ، وبكى أهلُ الدار لبكائهما ، فجاء ابنه عبد الملك فدخلِ عليهم وهم على تلك الحال ، فقال له : يا أبة ما يبكيك ؟ فقال : يا بني خير ، ودَّ أبوك أنه لم يعرِف الدنيا ولم تعرفْه ، والله يا بني لقد خَشيتُ أنْ أهلِكَ وأنْ أكون من أهل النار .

وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنبري ، قال : رأيتُ عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ، ووراءه حبشي يمشي ، فلما انتهى إلى الناس رجَعَ الحبشي ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال : هكذا رحمكما الله ، حتى صعد المنبر ، فخطَب فقرأ : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١] فقال : وما شأنُ الشمس ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ [التكوير : ١٢ ـ ١٣] فبكى وبكى أهلُ المسجد ، وارتجَّ المسجد بالبكاء ، حتى رأيت حيطانَ المسجد تبكي معه .

ودخل عليه أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين جاءت بي إليك الحاجة ، وانتهيتُ إلى الغاية ، والله سائلك عني . فبكى عمر وقال له : كم أنتم ؟ فقال : أنا وثلاثُ بنات . ففرض له على ثلاثمئة ، وفرض لبناته مئة مئة ، وأعطاه مئة درهم من ماله ، وقال له : اذهبْ فاستنفِقْها حتى تخرج أعطياتُ المسلمين فتأخذ معهم .

وجاءه رجل من أهل أَذْرَبيجان فقام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين اذكرْ بمقامي هذا بين يديك مقامَك غداً بين يدي الله ، حيث لا يشغلُ الله عنك فيه كثرةُ منْ يخاصمُ ، من يوم تلقاه بلا ثقةٍ من العمل ، ولا براءةٍ من الذنب ، قال : فبكى عمر بكاءً شديداً ثم قال له : ما حاجتك . فقال : إنَّ عاملك بأَذْرَبيجانَ عَدَا عليَّ فأخذ مني اثني عشرَ ألفَ درهم فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعةَ إلى عاملها ، فليردَّ عليه . ثم أرسله مع البريد .

وعن زياد مولى ابنِ عياش قال : دخلتُ على عمر بن عبد العزيز في ليلة باردةٍ شاتية ، فجعلتُ أصطلي على كانونٍ هناك ، فجاء عمر ـ وهو أمير المؤمنين ـ فجعل يصطلي معي على ذلك الكانون ، فقال لي : يا زياد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : قصَّ عليّ ، قلت : ما أنا بقاصّ . فقال : تكلَّمْ . فقلت : زياد . فقال : ما له . فقلت : لا ينفعه منْ دخل الجنة إذا دخلَ النار ، ولا يضرُّه منْ دخل النار إذا دخل الجنة . فقال : صدقت ، ثم بكى حتى أطفأ الجمر الذي في الكانون .

وقال له زياد العَبْدي : يا أميرَ المؤمنين لا تعملْ نفسك في الوصف واعملْها في المخرج مما وقعت فيه ، فلو أنَّ كل شعرةٍ فيك نطقَتْ بحمد الله وشكره والثناءِ عليه ما بلغتَ كنه ما أنتَ فيه . ثم قال له زياد : يا أمير المؤمنين أخبرْني عن رجلٍ له خَصْمٌ ألدّ ما حاله ؟ قال : سيِّئ الحال . قال : فإنْ كانا خصمَيْن ألدَّين ؟ قال : فهو أسوأ حالاً ، قال : فإنْ كانوا ثلاثة ؟ قال : ذاك حيث لا يهنئه عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحدٌ من أمة محمدٍ ﷺ إلا وهو خصمك . قال : فبكى عمر حتى تمنَّيت أني لم أكن حدثته ذلك .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عديِّ بن أرطاة وأهل البصرة : أما بعد فإن من الناس من شاب في هذا الشراب ، ويغشون عنده أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، فسفكوا له الدمَ الحرام ، وانتهكوا فيه الفروج الحرام ، والمالَ الحرام ، وقد جعل الله عن ذلك مندوحةً من أشربةٍ حلال ، فمن انتبذ فلا ينتبذْ إلا من أسقيةِ الأَدَم ،

خلافة يزيد بن عبد الملك

بُويع له بعهدٍ من أخيه سليمان بن عبد الملك أنْ يكونَ وليَّ الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة ـ أعني سنة إحدى ومئة ـ بايعه الناس البيعةَ العامَّة ، وعمره إذ ذاك تسعٌ وعشرون سنة ، فعزَل في رمضان منها عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وولَّى عليها عبدَ الرحمن بن الضحَّاك بن قيس ، فجرَتْ بينه وبين أبي بكر بن حَزْمٍ منافسات وضغائن ، حتى آل الأمر إلى أنِ استدرك عليه حكومة ، فحدَّهُ حدَّين فيها .

وفيها كانت وقعةٌ بين الخوارج ، وهم أصحاب بسطام الخارجي ، وبين جند الكوفة ، وكان الخوارجُ جماعة قليلة ، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس ، وكادت الخوارج أن تكسرهم ، فتذامروا بينهم فطحنوا الخوارج طحناً عظيماً ، وقتلوهم عن آخرهم ، فلم يبقوا منهم ثائراً[١] .

وفيها خرج يزيدُ بن المهلب فخلَع يزيدَ بن عبد الملك ، واستحوذ على البصرة ، وذلك بعد محاصرةٍ طويلة ، وقتالٍ طويل ؛ فلما ظهر عليها بسط العدلَ في أهلها ، وبذَلَ الأموال ، وحبس عاملَها عديَّ بنَ أرْطاة ، لأنه كان قد حبس آلَ المهلَّب الذين كانوا بالبصرة ، حين هرب يزيدُ بن المهلَّب من محبس عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا[٢] ، وكان لما ظهر على قصر الإمارة أتى بعديِّ بن أرطاة فدخل عليه وهو يضحك ، فقال يزيدُ بن المهلب : إني لأعجبُ من ضَحِكك ، أنك هربتَ من القتالَ كما تهربُ النساء ! وإنك جئتني وأنت تُتلُّ كما يُتلُّ العبد ! فقال عدي : إني لأضحكُ لأنَّ بقائي بقاءٌ لك ، وأنَّ منْ ورائي طالباً لا يتركُني ، قال : ومنْ هو ؟ قال : جنودُ بني أمية بالشام ، ولا يتركونك ، فداركْ نفسَك قبل أنْ يرميَ إليك البحر بأمواجه ، فتطلب الإقالةَ فلا تُقال . فردَّ عليه يزيدُ جوابَ ما قال ، ثم سجنه كما سجن أهله ، واستقرَّ أمرُ يزيدَ بنِ المهلَّب على البصرة ، وبعث نوابه في النواحي والجهات ، واستناب في الأهواز ، وأرسل أخاه مدرك بن المهلَّب على نيابة خُراسان ، ومعه جماعةٌ من المقاتلة ، فلما بلغ خبره على الجليَّة إلى أمير المؤمنين[٣] يزيد بن عبد الملك جهَّز ابنَ أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف ، مقدّمةً بين يدي عمه مَسْلمة بن عبد الملك ، وهو في جنود الشام ، قاصدين البصرة لقتال يزيد بن

= واستغنوا بما أحلَّ الله عما حرَّم ، فإنا منْ وجدْناه شرب شيئاً مما حرَّم الله بعدما تقدَّمنا إليه ، جعلْنا له عقوبةً شديدة ، ومن استخف بمَا حرم الله عليه فالله أشدُّ عقوبة له وأشدُّ تنكيلا .

(١) في (ق) : « ثائرة » ، وفي (ب) : « تأثيراً » ، والمثبت من (ح) .

(٢) انظر ص(٥) من هذا الجزء .

(٣) في (ق) : « . . . خبره الخليفة يزيد بن عبد الملك » وفي (ح) ؛ « . . . على الخليفة إلى أمير المؤمنين . . » والمثبت من (ب) والجلية : الخبر اليقين ، والحقيقة . اللسان (ج ل ا) .

المهلب ، ولما بلغ يزيدَ بن المهلب مخرجُ الجيوش إليه خرج من البصرة واستناب عليها أخاه مروان بن المهلَّب ، وجاء حتى نزل واسط ، واستشار من معه من الأمراء في ماذا يعتمده ؟ فاختلفوا عليه في الرأي ، فأشار عليه بعضُهم بأن يسيرَ إلى الأهْواز فيتحصَّن في رؤوس الجبال ، فقال : إنما تريدون أنْ تجعلوني طائراً في رأسِ جبل ؟ وأشار عليه بعضُهم أن يسير إلى الجزيرة فينزلها ويتحصّن بأجودِ حصنٍ فيها ، وينغِّص عليه رجالُ أهلِ العراق ، ويجتمعُ عليه أهل الجزيرة فيقاتل بهم أهل الشام في سفرٍ رفيقٍ رخيص .

وانسلختْ هذه السنة وهو نازلٌ بواسط والجيشُ الشامي قاصدٌ إليه .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الرحمن بن الضحاك بن قيس أمير المدينة ، وعلى مكة عبدُ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعلى قضائها عامر الشعبي ، وعلى البصرة يزيدُ بن المهلب ، قد استحوذ عليها وخلع أمير المؤمنين يزيدَ بن عبد الملك .

وفيها توفي مع عمر بن عبد العزيز :

رِبْعيُّ بن حِرَاش ، ومسلم بن يسار ، **وأبو صالح السمان** ، وكان عابداً صادقاً ثبتاً ، وقد ترجمناه في كتابنا التكميل ولله الحمد والمنّة .

ثم دخلت سنة ثنتين ومئة

فيها كان اجتماعُ مَسْلَمة بنِ عبد الملك مع يزيدَ بنِ المهلب ، وذلك أنَّ يزيدَ بن المهلب ركب من واسط ، واستخلف عليها ابنهُ معاوية ، وسار هو في جيش ، وبين يديه أخوه عبد الملك بن المهلب ، حتى بلغ مكاناً يقالُ له العَقْر ، وانتهى إليه مسلمة بن عبد الملك في جنودٍ لا قِبلَ ليزيدَ بها ، وقد التقتِ المقدّمتان أولاً فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم أهلُ البصرة أهلَ الشام ، ثم تذامر أهلُ الشام فحملوا على أهل البصرة فكشفوهم وهزموهم ، وقتلوا منهم جماعةً من الشجعان ، منهم المَنْتُوف ، وكان شجاعاً مشهوراً ، وكان من موالي بكرِ بن وائل ، فقال في ذلك الفرزدق[١] :

تُبَكِّي على المَنْتُوف بكرِ بنِ وائلٍ وتنهَى عن ابني مسمعٍ مَنْ بكاهما

فأجابه الجَعْد بن دِرهم مولى الثوريين من هَمْدان ، وهذا الرجل هو أولُ الجَهْميَّة ، وهو الذي ذبحه خالدُ بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى فقال الجعد :

---

(١) الديوان (٢/٢٠٣) . (ط . صادر) .

نُبكِّي على المنتوفِ في نصرِ قومهِ ... ولسنا نبكِّي الشائدَيْنِ أباهما[١]
أرادا فناءَ الحيِّ بكرِ بنِ وائلٍ ... فعزُّ تميمٍ لو أُصيبَ فِناهما
فلا لقيا روحاً من اللهِ ساعةً ... ولا رقأتْ عينا شجيٍّ بكاهما
أفي الغشِّ نبكي إنْ بكينا عليهما ... وقد لقيا بالغِشِّ فينا رداهما[٢]

ولما اقترب مَسْلمةُ وَابْنُ أخيه العباس بن الوليد من جيش يزيدَ بنِ المهلب ، خطب يزيدُ بن المهلَّب الناس وحرَّضهم على القتال ـ يعني قتالَ أهلِ الشام ـ وكان مع يزيد نحوٌ من مئة ألف ، وعشرين ألفاً ، وقد بايعوه على السمع والطاعة ، وعلى كتابِ الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى أن لا يطأ الجنود بلادهم ، وعلى أن لا تُعاد عليهم سيرة الفاسق الحجَّاج ، ومنْ بايعَنا على ذلك قبلنا منه ، ومن خالفَنا قاتلْناه .

وكان الحسن البصريّ في هذه الأيام يحرِّضُ الناس على الكفّ وترك الدخول في الفتنة ، وينهاهم أشدَّ النهي ، وذلك لما وقع من الشرِّ الطويل العريض في أيام ابنِ الأشعث ، وما قُتل بسببها من النفوس العديدة ، وجعل الحسن يخطبُ الناسَ ويعظهم في ذلك ، ويأمرُهم بالكفّ ، فبلغ ذلك نائبَ البصرة عبدَ الملك بن المهلَّب[٣] ، فقام في الناس خطيباً ، فأمرهم بالجدِّ والجِهاد ، والنفير إلى القتال ، ثم قال : ولقد بلَغني أنَّ هذا الشيخ الضالَّ المُرائي ـ ولم يسمِّه ـ يثبِّطُ الناس ، أما والله ليكفَّنَّ عن ذلك أو لأفعلنَّ ولأفعلنّ ، وتوعَّد الحسن ، فلما بلغ الحسنَ قولُه قال : أما والله ما أكره أنْ يكرمني الله بهوانه ، فسلَّمه الله منه ، حتى زالتْ دولتهم ، وذلك أنَّ الجيوش لما تواجهتْ تبارزَ الناسُ قليلاً ، ولم تنشَب الحَرْبُ شديداً ، فلم يثبُتْ أهلُ العراق حتى فرُّوا سريعاً ، وبلغهم أنَّ الجسر الذي جاؤوا عليه قد خرق فانهزموا ، فقال يزيد بن المهلب : ما بال الناس ؟ ولم يكن من الأمر ما يضر من مثله ، فقيل له : إنه بلغهم أن الجسر الذي جاؤوا عليه قد خرق . فقال : قبَّحهم الله . ثم رامَ أنْ يردَّ المنهزمين فلم يمكنه ذلك ، فثبَتَ في عصابةٍ من أصحابه وجعل بعضُهم يتسلَّلون منه حتى بقي في شِرْذمة منهم ، وهو مع ذلك يسيرُ قُدماً لا يمرُّ بخيل إلا هزمهم ، وأهلُ الشام يَنْحازون عنه يميناً وشمالاً ، وقد قُتل أخوه حبيب بن المهلب ، فازداد حَنَقاً وغيظاً ، وهو على فرس له أشْهب ، ثم قصد نحو مَسْلمة بن عبد الملك لا يُريدُ غيره ، فلما واجهه حملتْ عليه خيولُ الشام فقتلوه ، وقتلوا معه أخاه محمد بن المهلَّب ، وقتلوا

(١) في (ق) : « وليتنا نبكي الشائدين أباهما » ، وفي تاريخ الطبري « ولسنا . . . » ، والمثبت من (ب ، ح) ، والأبيات في تاريخ الطبري (٦/ ٥٦١) ؛ وفي الشطر الثاني من البيت الأول زحاف إلا إذا فك إدغام الباء تصبح « السابين » .
(٢) في (ب) : « إلى العين نبكي . . » ، وفي (ح) : « إن العين تبكي . . » ، وفي (ب ، ح) : « وفي لقيا بالعيش فينا رداهما » ، والمثبت من (ق) والطبري (٦/ ٥٦١) .
(٣) في (م) مروان بن المهلّب .

السمَيْذَع ، وكان من الشجعان ، وكان الذي قتَلَ يزيدَ بن المهلب رجلٌ يقال له القَحْل بن عياش ، فقُتل إلى جانب يزيد بن المهلَّب ، وجاؤوا برأس يزيدَ إلى مسلمة بن عبد الملك ، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط إلى أخيه أمير المؤمنين يزيدَ بن عبد الملك ، واستحوذ مسلمة على ما كان في معسكر يزيدَ بنِ المهلَّب ، وأسر منهم نحواً من ثلاث مئة ، فبعث بهم إلى الكوفة ، وبعث إلى أخيه فيهم ، فجاء كتابه بقتلهم ، فسار مسلمة فنزل الحيرة .

ولما انتهَتْ هزيمةُ يزيد بن المهلب إلى ابنه معاوية وهو بواسط ، عمَدَ إلى نحوٍ من ثلاثين أسيراً في يده فقتلهم ، منهم نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، عديُّ بن أرطاة رحمه الله وابنه ، ومالك وعبدُ الملك ابنا مسمع ، وجماعةٌ من الأشراف ، ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه الخزائنُ من الأموال ، وجاء معه عمُّه المفضَّل بن المهلَّب إليه ، فاجتمع آلُ المهلَّب بالبصرة فأعدُّوا السُّفن وتجهَّزوا أتمَّ الجهاز ، واستعدُّوا للهرَب ، فساروا بعِيالهم وأثقالهم فلم يزالوا سائرين حتى أتَوْا جبال كَرْمان فنزلوها ، واجتمع عليهم جماعةٌ ممن فلَّ من الجيش الذي كان مع يزيدَ بنِ المهلب ، وقد أمَّروا عليهم المفضَّل بن المهلَّب ، فأرسل مَسْلمةُ جيشاً عليهم هلال بن أحوز[1] المازني في طلب آل المهلب ، ويقال إنهم أمَّرُوا عليهم رجلاً يقال له مُدْرك بن ضَبّ الكلبي ، فلحقهم بجبال كَرْمان فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً ، فقتل جماعةً من أصحابِ المفضَّل ، وأسر جماعةً من أشرافهم وانهزم بقيَّتُهم ، ثم لحقوا المفضَّل فقتلوه ، وحمل رأسه إلى مسلمةَ بنِ عبد الملك ، وأقبل جماعةٌ من أصحاب يزيد بنِ المهلَّب فأخذوا لهم أماناً من أميرِ أهلِ الشام ، منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر النَّخَعي ، ثم أرسلوا بالأثقال والأموال والنساء والذرية فوردَتْ على مسلمةَ بنِ عبد الملك ومعهم رأسُ المفضَّل ورأس عبدِ الملك ابني المهلَّب ، فبعث مسلمةُ بالرؤوس وتسعةٍ من الصبيان الأحداث إلى أخيه يزيد ، فأمر بضربِ أعناق أولئك ، ونُصبت رؤوسهم بدمشق ثم أرسلها إلى حلب فنُصبت بها ، وحلف مَسْلَمة بن عبد الملك ليبيعنَّ ذَراريَّ آلِ المهلب ، فاشتراهم بعضُ الأمراء إبراراً لقسمه بمئة ألف ، فأعتقهم وخلَّى سبيلَهم ، ولم يأخذ مسلمة من ذلك الأمير شيئاً ، وقد رثا الشعراء يزيدَ بن المهلَّب بقصائد ذكرها ابنُ جرير[2] .

ولاية مسلمة على بلاد العراق وخُراسان

وذلك أنه لما فرغ من حرب آلِ المهلَّب كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين بولايةِ الكوفة

---

(١) في (ق) : ماجور . وفي (ح) : الماحوز . وكله تحريف صوابه ما أثبتناه ، فقد قيده العلامة ابن ناصر الدِّين في توضيح المشتبه ١/ ١٦٣ . وجاء على الصواب في المطبوع من تاريخ الطبري ٦/ ٦٠٢ ، ومعجم ما استعجم للبكري ٣/ ١٠٩٧ ، ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٥/ ١٩٤ في ترجمة مفضل بن المهلب (بشار) .

(٢) انظر تاريخ الطبري (٦/ ٦٠٣ ، ٦٠٤) .

والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فاستناب على الكوفة وعلى البصرة ، وبعث إلى خراسان خَتَنَهُ ـ زوج ابنته ـ سعيدَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، الملقَّب بخُذينة[١] ، فسار إليها فحرض أهلَها على الصبر والشجاعة ، وعاقب عمالاً ممن كان ينوبُ ليزيد بن المهلب ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة ، ومات بعضُهم تحت العقوبة .

ذكر وقعة جرَتْ بين التُّرك والمسلمين

وذلك أنَّ خاقانَ الملك الأعظم ملك الترك ، بعث جيشاً إلى الصُّغْد لقتال المسلمين ، عليهم رجلٌ منهم يقال له كورصول[٢] ، فأقبل حتى نزل على قصر الباهلي ، فحصرَهُ وفيه خَلْقٌ من المسلمين ، فصالحهم نائبُ سَمرْقَنْد ـ وهو عثمان بن عبد الله بن مطرِّف ـ على أربعين ألفاً ، ودفع إليهم سبعة عشر دهقاناً رهائنَ عندهم ، ثم ندب عثمانُ الناسَ فانتدب له رجلٌ يقال له المسيّب بن بشر الرِّياحي في أربعةِ آلاف ، فساروا نحو الترك ، فلما كان في بعض الطريق خطبَ الناسَ فحثَّهم على القتال وأخبرهم أنه ذاهبٌ إلى الأعداء لطلب الشهادة ، فرجع عنه أكثر من ألف ، ثم لم يزلْ في كلِّ منزل يخطبُهم ويرجع عنه بعضهم ، حتى بقي في سبع مئة مقاتل ، فسار بهم حتى غالقَ جيش الأتراك ، وهم محاصرو ذلك القصر ، وقد عزم المسلمون الذين هم فيه على قتل نسائهم وذبحِ أولادِهم أمامَهم ، ثم ينزلون فيقاتلون حتى يُقتلوا عن آخرهم ، فبعث إليهم المسيب يثبِّتهم يومَهم ذلك ، فثبتوا ومكث المسيب حتى إذا كان وقت السَّحَر كبَّرَ وكبَّر أصحابه ، وقد جعلوا شعارَهم يا محمد ، ثم حملوا على الترك حملة صادقة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وعقروا دوابَّ كثيرة ، ونهض إليهم الترك فقاتلوهم قتالاً شديداً ، حتى فرَّ أكثر المسلمين ، وضُربت دابَّةُ المسيّب في عجُزها ، فترجَّل وترجَّل معه الشجعان ، فقاتلوا وهم كذلك قتالاً عظيماً ، والتفَّ الجماعةُ بالمسيّب ، وصبروا حتى فتح الله عليهم ، وفرَّ المشركون بين أيديهم هاربين لا يَلْوون على شيء ، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة ، فنادَى منادي المسيّب : أن لا تتبعوا أحداً ، وعليكم بالقصر وأهله ، فاحتملوهم وحازوا ما في معسكر أولئك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة ، وانصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين ، وجاءتِ الترك من الغد إلى القصر ، فلم يجدوا به داعياً ولا مجيباً ، فقالوا فيما بينهم : هؤلاء الذين لَقُونا بالأمس لم يكونوا إنساً ، إنما كانوا جِنّاً . ثم غزا

---

(١) وقع في بعض المصادر « خدينة » بخاء معجمة ودال مهملة ، ولقب بذلك ـ فيما ذكر ـ أنه كان رجلاً ليناً سهلاً متنعماً ، قدم خراسان على بختية معلقاً سكيناً في منطقته ، فدخل عليه ملك أبغَر وسعيد متفضّل في ثياب مصبّغة ، حوله مرافق مصبّغة ، فلما خرج من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خُذينيّةٌ لمّته سُكينيّة . فلُقّب خذينة . قاله ابن جرير الطبري في تاريخه (٦/ ٦٠٥) .

(٢) في (ب) : « لورضول » ، ولم أقف على ضبطه .

سعيد الملقب خُذينة أمير خراسان بلادَ الصُّغْد ، وذلك لأنهم أعانوا الترك[1] على المسلمين في هذه الغزوة التي ذكرناها ، فسار إليهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى نصره الله عليهم ، وولَّوْا مدبرين ، واحتاز منهم أموالاً جزيلة ، وقبض ما وجد لهم من الأموال والحواصل .

وفيها عزل أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك عن إمرة العراق وخراسان ، وذلك لأنه كان يصرف أموال الغنيمة فيما يريد ، ولم يصرف إلى أخيه شيئاً في هذه المدة ، فطمع في أخيه فعزله عنها وولَّى بدله عليها عمر بن هُبيرة على العراق وخراسان .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أمير المدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس .

وممن توفي فيها من الأعيان والسادة :

الضحَّاك بن مُزاحم الهلالي[2] أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخُراساني ، كان يكون ببَلْخ وسمَرْقَنْد ونَيْسابور ، وهو تابعيٌّ جليل روى عن أنس وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة ، وجماعةٍ من التابعين ؛ وقيل : إنه لم يصحَّ له سماعٌ من الصحابة حتى ولا من ابنِ عباس[3] ، وإنْ كان قد رُوي عنه أنه جاوز سبعَ سنين .

وكان الضحَّاك إماماً في التفسير ، قال الثوري : خذوا التفسيرَ عن أربعة ، مجاهد وعِكْرمة وسعيدِ بن جُبير والضحَّاك .

وقال الإمام أحمد : هو ثقة مأمون . وقال ابن معين وأبو زرعة : هو ثقة ، وأنكر شعبة سماعَهُ من ابن عباس ، وقال : إنما أخذ عن سعيدٍ عنه . وقال يحيى بن سعيد القطَّان : كان ضعيفاً . وذكره ابنُ حِبَّان في الثقات ، وقال : لم يشافِهْ أحداً من الصحابة ، ومنْ قال : إنه لقي ابنَ عباس فقد وهم .

وحملَتْ به أمُّه سنتَيْن ، ووضعَتْه وله أسنان ، وكان يعلِّم الصبيان حِسْبَةً ؛ قيل : إنه كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي ، وكان يركب حماراً ويدور من العَلْياء[4] عليهم . وقيل : إنه مات سنةَ خمس ، وقيل سنةَ ستٍّ ومئة ، وقد بلغ الثمانين ، والله أعلم .

---

(١) في (م) الكفار .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٠٠ و٧/ ٣٦٩) ، طبقات خليفة ت(٢٩٥٠) ، التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٣٣٢) ، الجرح والتعديل (٤/ ٤٥٨) ، تهذيب الكمال (١٣/ ٢٩١) تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٥) ، العبر (١/ ١٢٤) ، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٥) ، المغني في الضعفاء (١/ ٣١٢) ، مرآة الجنان (١/ ٢١٣) ، غاية النهاية ت(١٤٦٧) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٤٨) ، طبقات المفسرين (١/ ٢١٦) ، شذرات الذهب (١/ ١٢٤) .

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٩) : وبعضهم يقول : لم يلق ابن عباس فالله أعلم .

(٤) العلياء هنا : المكان العالي ، وكل ما علا من شيء ، وليست اسم مكان معلوم ، إذ جاء في تهذيب الكمال (١٣/ ٢٩٥) ، كان يعلم الصبيان ببلخ بقرية يقال لها بروقان ، وسقطت العبارة من (ق) .

وأبو المتوكِّل النَّاجِيّ[١] اسمه علي بن داود الناجي البصري ، تابعيٌّ جليل ، ثقة ، رفيعُ القدر[٢] .

ثم دخلت سنة ثلاث ومئة

فيها عَزل أمير العراق وهو عمر بن هُبيرة سعيداً ـ الملقب خُذينة ـ عن نيابةِ خُراسان ، وولَّى عليها سعيدَ بن عمرو الحَرَشي[٣] ، بإذن أمير المؤمنين ، وكان سعيدٌ هذا من الأبطال المشهورين ، انزعج منه الترك وخافوه خوفاً شديداً ، وتقهقروا من بلاد الصُّغد إلى ما وراء ذلك ، من بلاد الصين وغيرها . وفيها جمعَ يزيدُ بن عبد الملك لعبد الرحمن بن الضحَّاك بن قيس بين إمْرة المدينة وإمرةِ مكة ، وولَّى عبد الواحد بن عبد الله النَّصْري[٤] نيابة الطائف . وحجَّ بالناس فيها أميرُ الحرمَيْن عبدُ الرحمن بن الضحاك بن قيس . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

يزيد بن أبي مسلم[٥] ، **أبو العلاء المدني** .

عطاء بن يَسار الهلالي[٦] : أبو محمد القاصُّ المدني ، مولى ميمونة ، وهو أخو سليمان ،

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٥) ، طبقات خليفة ص(٢٠٦) التاريخ الكبير (٦/ ٢٧٣) ، الجرح والتعديل (٦/ ١٨٤) ، تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٢٤ و٣٤/ ٢٥٠) تاريخ الإسلام (٤/ ٢٢٣) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٩٩) ، خلاصة تذهيب الكمال (٤٥٠) .

(٢) أقحمت طبعة (ق) هنا عبارة نصُّها : « مات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى » ، وليست العبارة موجودة في (ب ، ح) ، وقد لوحظت عبارة « وقد بلغ الثمانين » في ترجمة الضحاك بن مزاحم السابقة قد سقطت من طبعة (ق) التي أثبتُّها فيها كما يُرى ، فلعل تغيير موضعها سهو من الناسخ . يؤيد ذلك ما جاء في تهذيب الكمال (١٣/ ٢٩٧) ، عن الضحاك قوله : « كنتُ ابن ثمانين جَلْداً غزَّاءً » .

(٣) في (ق) : « الجريشي » تصحيف ، والمثبت من (ح ، ب) .

(٤) في (ق) : « عبد الرحمن الواحد بن عبد الله النضري » ، وفي (ح) : « عبد الواحد بن عبد الله البصري » ، وفي (ب) : « عبد الرحمن بن عبد الله النضري » وكله تصحيف وما أثبته من ترجمته في تاريخ ابن عساكر (٤٤/ ٨) والأنساب للسمعاني (٥/ ٤٩٥) (ط دار الجنان بيروت) .

(٥) هذه الترجمة ليست في (ب ، ح) . ويزيد بن أبي مسلم ترجمته في تاريخ الطبري (٦/ ٦١٧) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ١٠١) تاريخ ابن عساكر (المختصر ٢٨/ ١٥) ، وفيات الأعيان (٦/ ٣٠٩) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٣) ، تاريخ الإسلام (٤/ ٢١٥) ، مرآة الجنان (١/ ٢١٢) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٤٥) ، شذرات الذهب (١/ ١٢٤) ، الاستقصاء (١/ ٤٦) ، رغبة الآمل (٥/ ١٦٧ ، ١٦٩) .

(٦) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٣) ، طبقات خليفة ت(٢١٣٢) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤٦١) ، المعارف ص(٤٥٩) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٥٦٤) ، الجرح والتعديل (٥/ ٣٣٥) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٨٠) ، تهذيب الكمال (٢٠/ ١٢٥) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٨) ، غاية النهاية ت(٢١٢٢) ، تهذيب=

وعبد الله ، وعبد الملك ، وكلهم تابعي . وروى هذا عن جماعةٍ من الصحابة ، ووثقه غير واحدٍ من الأئمة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاثٍ أو أربع ومئة ، وقيل : توفي قبل المئة بالإسكندرية ، وقد جاوز الثمانين والله سبحانه أعلم .

مجاهد بن جَبْر المكّيّ[١] **أبو الحجَّاج القُرشي المَخْزومي** ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، أحدُ أئمةِ التابعين والمفسِّرين ، كان من أخصَّاء أصحاب حَبْر هذه الأمة ، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وكان أعلمَ أهلِ زمانه بالتفسير ، حتى قيل إنه لم يكنْ أحدٌ يُريد بالعلم وَجْهَ الله إلا مجاهد وعطاء وطاوس ؛ وقال مجاهد : أخذَ ابنُ عمر بركابي وقال : ودِدْتُ أنَّ ابني سالماً وغلامي نافعاً يحفظانِ حفظك .

وقيل : إنه عرَضَ القرآن على ابنِ عباس ثلاثين مرَّة .

قال مجاهد : عرضت القرآن على ابن عباس مرتَيْن ، أقفُهُ عند كلِّ آيةٍ وأسأله عنها[٢] .

مات مجاهد وهو ساجد سنة مئة ، وقيل : إحدى ، وقيل : ثنتَيْن ، وقيل : ثلاث ومئة ، وقيل أربع ومئة ، وقد جاوز الثمانين والله أعلم .

فصــل[٣]

[أسند مجاهدٌ عن أعلام الصحابة وعلمائهم ، عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وابنِ عمرو وأبي سعيد ورافع بن خَديج . وعنه خلق من التابعين .

قال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدّثنا عبد الرزاق عن أبي بكر بن عياش قال : أخبرني أبو يحيى أنه سمع مجاهداً يقول : قال لي ابن عباس : لا تنامَنَّ إلا على وضوء ، فإنَّ الأرواحَ تُبعث على ما قُبضت عليه .

= التهذيب (٧/ ٢١٧) ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٣٤) .

(١) ويقال مجاهد بن جُبير ، ترجمته في : طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٦) ، طبقات خليفة ت(٢٥٣٥) ، التاريخ الكبير (٧/ ٤١١) ، المعارف ص(٤٤٤) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٧١١) ، الجرح والتعديل (٧/ ٣١٩) ، الحلية (٣/ ٢٧٩) ، طبقات الفقهاء للشيرازي ص(٦٩) ، تاريخ ابن عساكر (١٦/ ١٢٥) ب (المختصر ٢٤/ ٨٧) ، تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٨٣) ، تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٩٠) ، العقد الثمين (٧/ ١٣٢) ، غاية النهاية ت(٢٦٥٩) ، الإصابة ت(٨٣٦٣) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢) ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٣٥) .

(٢) الخبر في سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٠ ، و٤٥٦ ، ٤٥٧) ، وفيه : « ثلاث عرضات » .

(٣) هذا الفصل إلى ترجمة مصعب بن سعد ليس في (ح ، ب) .

وروى الطبراني عنه أنه قال في قوله تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [فصلت : ٣٤] قال : يسلِّم عليه إذا لقيه ، وقيل هي المصافحة .

وروى عَمرو بن مرَّةَ عنه أنه قال : أوْحى الله عزَّ وجلَّ إلى داودَ عليه السلام : اتقِ لا يأخُذكَ الله على ذَنْبٍ لا ينظرُ فيه إليك ، فتلقاه حين تلقاه وليستْ لك حاجة .

وروى ابنُ أبي شيبة عن أبي أمامة عن الأعمش عن مجاهد ، قال : كان بالمدينة أهلُ بيتٍ ذوي حاجة ، عندهم رأسُ شاة ، فأصابوا شيئاً ، فقالوا : لو بعثنا بهذا الرأس إلى منْ هو أحوجُ إليه منَّا ؛ فبعثوا به ، فلم يزلْ يدورُ بالمدينة حتى رجَعَ إلى أصحابه الذين خرجَ من عندِهم أولاً .

وروى ابنُ أبي شيبة عن أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد قال : ما من مؤمن يموتُ إلا بكى عليه السماءُ والأرضُ أربعينَ صباحاً . وقال : ﴿ فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴾ [الروم : ٤٤] ، قال : في القبر .

وروى الأوزاعي ، عن عَبْدةَ بنِ أبي لُبابة ، عن مجاهد ، قال : كان يحجُّ من بني إسرائيل مئة ألف ، فإذا بلغوا أرصاف الحرم خلعوا نِعالهم ثم دخلوا الحرَم حُفاة .

وقال يحيى بن سعيد القطان قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ [آل عمران : ٤٣] قال : اطلبي الركود .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ [الإسراء : ٦٤] قال : المزامير .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴾ [المزمل : ١٢] قال : قيود .

وقال في قوله : ﴿ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ﴾ [الشورى : ١٥] قال : لا خصومة .

وقال : ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] قال : عن كلِّ لذةٍ في الدنيا .

وروى ابن الدَّبيع ، عن جرير بن عبد الحميد[١] ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : رنَّ إبليس أربعَ رنَّات : حين لُعن ، وحين أُهبط ، وحين بُعث النبيُّ ﷺ وحين أُنزلت الحمد لله ربّ العالمين وأُنزلت بالمدينة . وكان يقال : الرنَّة والنَّخْرة من الشيطان ، فلُعن من رنَّ أو نَخَر .

وروى ابنُ نُجيح عنه في قوله تعالى : ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨] قال : بروج الحمام .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] قال : التجارة .

---

(١) في (ق) : « جرير بن عبد الحسيب » تصحيف ، والمثبت من ترجمته في تهذيب الكمال (٤/ ٥٤٠) ، وترجمة منصور بن المعتمر في تهذيب الكمال أيضاً (٢٨/ ٥٤٨) ومصادر ترجمتهما فيه .

وروى لَيْثٌ عن مجاهد قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] قال : استقاموا فلم يشركوا حتى ماتوا .

وروى يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن ابن أبجر ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن مجاهد : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص : ٤] قال : صاحبة .

وقال ليث عن مجاهد قال : النملةُ التي كلَّمتْ سليمان كانت مثل الذئبِ العظيم .

وروى الطبراني عن أبي نَجيح عن مجاهد . قال : كان الغلامُ من قومِ عادٍ لا يحتلمُ حتى يبلغَ مئتي سنة .

وقال : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ ﴾ [المعارج : ١] دعا داع .

وفي قوله : ﴿ مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [الجن : ١٦ ـ ١٧] حتى يرجعوا إلى علمي فيه .

﴿ لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٥٥] ، قال : لا يحبُّون غيري .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [فاطر : ١٠] ، قال هم المراؤون .

وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية : ١٤] ، قال : هم الذين لا يدرون أنعم الله عليهم أم لم يُنعِم . ثم قرأ ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم : ٥] قال : أيامُه نِعَمُه ونِقمُه .

﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] . فرُدُّوه إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دامَ حيّاً ، فإذا مات فإلى سُنَّتِه .

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] قال : أما الظاهرة فالإسلام والقرآن والرسول والرِّزق ؛ وأما الباطنة فما سَتَرَ من العيوب والذنوب .

وروى الحكم عن مجاهد قال : لما قدِمَتْ مكةَ نساءٌ على سليمان عليه السلام رأتْ حطباً جَزْلاً فقالت لغلام سليمان : هل يعرفُ مولاك كم وَزْنُ دُخان هذا الحطب ؟ فقال الغلام : دعي مولاي ، أنا أعرفُ كم وزنُ دخانِه ، فكيف مولاي ؟ قالت : فكم وَزْنُه ؟ فقال الغلام : يوزن الحطبُ ، ثم يُحرق الحطب ، ويوزن رمادُه ، فما نقَصَ فهو دُخَانُه .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١] قال : منْ لم يتُبْ إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين .

وقال : ما من يومٍ ينقضي من الدنيا إلا قال ذلك اليوم : الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها ، ثم يُطوى عليه فيُختم إلى يوم القيامة ، حتى يكون الله عزَّ وجلَّ هو الذي يفضُّ خاتمه .

وقال في قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] قال : العلم والفقه ؛ وقال : إذا ولي الأمرَ منكم الفقهاء .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، قال : البِدَع والشُّبهات .

وقال : أفضل العبادةِ الرأيُ الحسَن ـ يعني اتباعَ السُّنَّة .

وقال : ما أدري أيَّ النعمتَيْنِ أفضل ، أنْ هداني للإسلام ، أو عافاني من الأهواء .

وقال في رواية ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] ، أصحاب محمد ، وربما قال : أولو العقل والفضل في دين الله عزَّ وجلَّ .

﴿ بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ ﴾ [الرعد : ٣١] قال : السرية .

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] . قال : السُّوس في الثياب .

﴿ وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ [مريم : ٤] قال : الأضْراس .

﴿ حَفِيًّا ﴾ [مريم : ٤٧] ، قال : رحيماً .

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : وجدتُ في كتاب محمد بن أبي حاتم بخط يده : حدّثنا بشر بن الحارث حدّثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد ، قال : لو أنَّ رجلاً أنفق مثلَ أُحدٍ في طاعة الله عزَّ وجلَّ لم يكن من المسرفين .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٣] قال : العداوة .

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ٢٠] قال : بينهما حاجزٌ من الله فلا يبغي الحُلو على المالح ولا المالحُ على الحلو .

وقال ابنُ مَنْدَه : ذكره محمد بن حُميد : حدّثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش قال : كان مجاهد لا يسمَعُ بأعجوبةٍ إلا ذهب فنظرَ إليها ؛ قال : وذهب إلى حَضْرَمَوْتَ إلى بئرِ بَرَهُوتَ ، قال : وذهب إلى بابل ، قال : وعليها والٍ صديقٌ لمجاهد : فقال مجاهد : تعرضُ عليَّ هاروتَ وماروتَ ، قال : فدعا رجلاً من السحرة فقال : اذهب بهذا فاعرِضْ عليه هاروتَ وماروت . فقال اليهودي : بشَرْط أنْ لا تدعو الله عندَهما . قال مجاهد : فذهب بي إلى قلعة ، فقطَعَ منها حجَراً ثم قال : خذ برجلي ، فهَوى بي حتى انتهى إلى حَوْبه[1] ، فإذا هما معلَّقين منكَّسَيْن كالجبلَيْنِ العظيمَيْن ، فلما رأيتُهما قلت :

---

(١) الحَوْبَة : وسط الدار . القاموس (حوب) .

سبحان الله خالقكما ! قال : فاضطربا ، فكأنَّ جبالَ الدنيا قد تدكدكتْ ، قال : فغُشي عليَّ وعلى اليهوديّ ، ثم أفاق اليهودي قبلي ، فقال : قُمْ ، كِدْتَ أن تُهلك نفسَك وتهلكَني .

وروى ابن فُضيل ، عن ليث ، عن مجاهد قال : يؤتى يوم القيامة بثلاثةِ نفر ، بالغَنيّ ، والمريض ، والعَبْد المملوك . قال : فيقول الله عزَّ وجلَّ للغني : ما شغلَكَ عن عبادتي التي إنما خلقتُك لها ؟ فيقول : يا رب أكثرتَ لي من المال فطغَيْت . فيؤتَى بسليمانَ عليه السلام في ملكه فيقول لذا : أنت كنتَ أكثرَ مالاً وأشدَّ شُغلاً أم هذا ؟ قال : فيقول : بل هذا يا رب . فيقول الله له : فإنَّ هذا لم يمنعْه ما أوتي من المُلْك والمال والشُّغل عن عبادتي . قال : ويؤتى بالمريض فيقول : ما منعك عن عبادتي التي خلقتُك لها ؟ فيقول : يا رب شغلني عن هذا مرضُ جسَدي . فيؤتى بأيُّوب عليه السلام في ضُرِّهِ وبلائه ، فيقول له : أأنت كنتَ أشدَّ ضرّاً ومرَضاً أم هذا ؟ فيقول : بل هذا . فيقول : إنَّ هذا لم يَشْغلْهُ ضرُّه ومرَضُه عن عبادتي . ثم يؤتى بالمملوك فيقول الله له : ما منعك من عبادتي التي خلقتُك لها ؟ فيقول ربِّ فضَّلتَ عليّ أرباباً فملكوني وشغلوني عن عبادتك . فيؤتى بيوسف عليه السلام في رِقِّه وعبوديته فيقول الله له : أأنتَ كنتَ أشدَّ في رِقِّك وعبوديَّتك أم هذا ؟ فيقول : بل هذا يا رب ، فيقول الله : فإنَّ هذا لم يشغَلْهُ ما كان فيه من الرِّقِّ عن عبادتي .

وروى حُميد ، عن الأعرج ، عن مجاهد ، قال : كنت أصحبُ ابنَ عمر في السفر ، فإذا أردتُ أنْ أركبَ مسَكَ ركابي ، فإذا ركبتُ سوَّى عليّ ثيابي ؛ فرآني مرَّةً كأني كرهتُ ذلك فيّ ، فقال : يا مجاهد ، إنك لضيِّق الخُلق .

وفي رواية : صحبتُ ابنَ عمر وأنا أريدُ أنْ أخدُمه ، فكان يخدمُني[١] .

وقال الإمامُ أحمد[٢] : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال : جُعلتِ الأرضُ لملك الموتِ مثل الطَّسْت ، يتناولُ منها حيث شاء ، وجُعل له أعْوان يتوفَّون الأنفسَ ثم يقبضُها منهم .

وقال : لما هبَطَ آدَمُ إلى الأرض قال له : ابنِ للخرَاب وَلِدْ للفَنَاء[٣] .

وروى قُتيبة عن جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٩] قال : تلعَنُ

---

(١) ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ص(٣٤١) .
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢١٧) في تفسير الآية (٦١) من سورة الأنعام عن سفيان ، وأخرجه أبو نعيم عن أحمد بن حنبل في الحلية (٣/ ٢٨٦) .
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص (٨٧) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٨٦) .

عصاةَ بني آدمَ دوابُّ الأرض وما شاء الله ، حتى الحيات والعقارب ، يقولون : مُنعنا القَطْرَ بذنوبِ بني آدم(١) .

وقال غيره : تَسَلَّط الحشراتُ على العصاة في قبورهم ، لما كان ينالُهم من الشِّدَّة بسبب ذنوبهم ؛ فتلك الحشراتُ من العقارب والحيات هي السيئاتُ التي كانوا يعملونها في الدنيا ويستلذُّونها ، صارَتْ عذاباً عليهم ؛ نسأل الله العافية .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦] لكفور .

وقال الإمام أحمد(٢) : حدّثنا عمر بن سليمان ، حدّثني مسلم أبو عبد الله عن ليث عن مجاهد قال : منْ لم يستحي من الحلال خَفَّتْ مؤونتُه وأرَاح نفسَه .

وقال عمرو بن زروق ، حدّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْـهِ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، أن لن نعاقبَهُ بذنبه(٣) .

وبهذا الإسناد قال : لم أكنْ أُحسنُ ما الزُّخْرفُ حتى سمعتُها في قراءة عبدِ الله : بيتاً من ذهب(٤) .

وقالَ قتيبة بن سعيد : حدّثنا خلف بن خليفة عن ليث ، عن مجاهد إن الله عزَّ وجلَّ ليُصلحُ بصلاح العبد ولدَه(٥) .

قال : وبلغني أنَّ عيسى عليه السلام كان يقول : طُوبى للمؤمن ! كيف يخلفه الله فيمنْ ترك بخير .

وقال الفُضيل بن عِيَاض عن عُبيد المُكْتِب، عن مجاهد، في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] الأوصال التي كانتْ بينهم في الدنيا(٦) .

وروى سفيان بن عُيينة ، عن سفيان الثوري ، عن ابنِ أبي نَجيح ، عن مجاهد ، في قوله تعالى : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة : ١٠] قال : الإلُّ الله عزَّ وجلَّ(٧) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [هود : ٨٦] طاعةُ الله عزَّ وجلَّ . وفي قوله تعالى :

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٥٤ و٥٥) في تفسير الآية .
(٢) في الورع ص(٢١) : باب ترك الكبر ولزوم العمل ؛ وأخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(٣٧٨) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٤) عن ليث عن مجاهد .
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٧٨) في تفسير الآية ؛ والسيوطي في الدر المنثور .
(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٤) .
(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٢٧٤) وفيه زيادة : « وولد ولده » .
(٦) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤١) .
(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٥) ، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٣٩) .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] قال : هو الذي يذكر الله عند الهمِّ بالمعاصي .

وقال الفُضيل بن عياض عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﴾ [الفتح : ٢٩] الخشوع .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] قال : القنوت : الركود والخشوع وغض البصر ، وخفض الجناح من رهبة الله[١] .

وكان العلماء إذا قام أحدُهم في الصلاة هابَ الرحمنَ أن يشدَّ بصره ، أو يلتفت ، أو يقلب الحصا ، أو يعبث بشيء ، أو يحدِّثَ نفسه بشيءٍ من الدنيا ، إلا خاشعاً ما دام في صلاته .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا أبو مَعْمر[٢] حدّثنا ابن إدريس ، حدّثني عُقبة بن إسحاق ـ وأثنى عليه خيراً ـ حدّثنا ليث عن مجاهد ، قال : كنت إذا رأيتُ العرب استَجْفَيْتُها[٣] [وإنْ فتشتها] وجدتُها من وراءِ دينها ؛ فإذا دخلوا في الصلاة فكأنما أجسادٌ ليسَتْ فيها أرواح[٤] .

وروى الأعمش عنه قال : إنما القلبُ منزلة الكفّ ، فإذا أذنب الرجل ذنباً قُبض هكذا ـ وضمَّ الخِنْصر حتى ضم أصابعه كلها إصبعاً إصبعاً ـ قال : ثم يطبع ، فكانوا يرَوْنَ ذلك الرَّان : قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] .

وروى قَبيصةُ عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ [البقرة : ٨١] قال : الذنوب تُحيط بالقلوب كالحائط المبني على الشيء المحيط ، كلما عمل ذنبًا ارتفعتْ ، حتى تغشى القلب حتى تكون هكذا ـ ثم قبض يده ـ ثم قال : هو الرَّان[٥] .

وفي قوله : ﴿ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة : ١٣] قال : أولُ عمَلِ العبدِ وآخرُه . ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ [الشرح : ٨] قال : إذا فرغتَ من أمرِ الدنيا ، فقمتَ إلى الصلاة ، فاجعلْ رغبتَكَ إليه ، ونيَّتَكَ له[٦] .

وعن منصور عن مجاهد ﴿ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر : ٢٧] قال : هي النفسُ التي قد أيقنتْ أنَّ الله رَبُّها ، وضربَتْ جأشاً لأمرِه وطاعتِه[٧] .

---

(١) أخرجه محمد بن نصر بن الحجاج المروزي في تعظيم قدرالصلاة (١/ ١٨٨) ؛ وأخرجه أيضاً المحاملي في الآمالي ص(٤٤٦) بنحوه .

(٢) في (ق) : « حدثنا أبو عمرو » ، والمثبت من الحلية (٣/ ٢٨٢) ؛ وهو أبو معمر الهذلي القطيعي إسماعيل بن إبراهيم ، محدث بغداد ، ترجمته في تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٧١) .

(٣) في (ق) : « استخفيتها » ، وهو تصحيف ، والمثبت من الحلية .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٢) وما مرَّ بين معقوفين منه .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٣) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٣) .

(٧) أورده ابن منظور في لسان العرب (٦/ ٢٦٩) (جأش) ، وقد صُحِّف في (ط) إلى : « وضربت حاشا » . وزاد=

وروى عبدُ الله بن المبارك عن ليث ، عن مجاهد : قال : ما منْ ميتٍ يموت إلاَّ عُرِضَ عليه أهلُ مجلسِه ، إنْ كان من أهل الذِّكر فمن أهل الذِّكْر ، وإنْ كان من أهلِ اللَّهْو فمن أهل اللهو[١] .

وقال أحمد : حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن مجاهد ، قال : قال إبليس : إنْ يُعجزني ابنُ آدم فلن يعجزني من ثلاثِ خِصال : أخْذُ مالٍ بغيرِ حقِّه ، [ومنعه عن حقِّه][٢] ، و [إضاعة] إنفاقه في غيرِ حقِّه .

وقال أحمد : حدّثنا ابن نمير قال قال الأعمش : كنتُ إذا رأيتُ مجاهداً ظننتُ أنه خربندج[٣] ، قد ضلَّ حمارُهُ فهو مهتمٌّ[٤] .

وعن ليث ، عن مجاهد ، قال : منْ أكرم نفسه وأعزَّها أذلَّ دينه ، ومنْ أذلَّ نفسه أعزَّ دينه[٥] .

وقال شعبة عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : قال لي [ابن عمر] : يا أبا الغازي ، كم لبثَ نوحٌ في الأرض ؟ قال : قلتُ ألف سنةٍ إلاَّ خمسين عاماً . قال : فإنَّ الناس لم يزدادوا في أعمارهم وأجسادهم وأخلاقهم إلا نقصاً[٦] .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة[٧] عن ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن مجاهد قال : ذهبتِ العلماء ، فما بقي إلا المتعلِّمون ، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم .

وروى ابنُ أبي شيبة أيضاً عن ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لو لم يصب المسلم من أخيه إلا أنَّ حياءً منه يمنَعُه من المعاصي ، لكان في ذلك خير .

وقال : الفقيه منْ يخافُ الله وإنْ قلَّ علْمُه ؛ والجاهلُ منْ عصى الله وإن كَثُرَ علمُه . وقال : إنَّ العبد إذا أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوبِ المؤمنين إليه .

= في آخره : قال الأزهري : معناه ؛ قرّتْ يقيناً واطمأنت كما يضرب البعير بصدره الأرض إذا برك وسكن .

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٣٢٩) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٣) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٤) ، وما بين معقوفين منه .

(٣) في (ق) : « حر مندح » ، والمثبت من مصادر التخريج ، والخربندج : كلمة فارسية أصلها « خَرْبَنْدَه » ، وهو صاحب الحمار .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٤٦٦) ، وابن حبان في الثقات (٥/ ٤١٩) ، والذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ٩٢) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٢) ، وميزان الاعتدال (٦/ ٢٥) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٩) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٠٨) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨٠) ، وما بين معقوفين منه ، وبنحوه أخرجه في الحلية أيضاً (١/ ٣١١) ، وابن الجعد في مسنده (١/ ٥٥) . ولفظهم جميعاً « وأحلامهم » بدل « وأخلاقهم » .

(٧) في المصنف (٧/ ٢١٤) (٣٥٤٤٨) . وأخرجه بنحوه ابن المبارك في الزهد ص(٥٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٦٩) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر : ٤] ، قال : عملَكَ فأصْلِحْ[١] .

﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء : ٣٢] ، قال : ليس من عرض الدنيا .

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزمر : ٣٣] ، قال : هم الذين يجيئون بالقرآن قد اتبعوه وعملوا بما فيه .

وقال : يقول القرآن للعبد إني معك ما اتَّبعتني ، فإذا لم تعمل بي اتبعتك .

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص : ٧٧] قال : خُذْ من دنياك لآخرتك ؛ وذلك أن تعمل فيها بطاعة الله عزَّ وجلَّ[٢] .

وقال داود بن المحبَّر عن عبَّاد بن كثير عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه مجاهد بن جَبْر[٣] ، قال : قلت لابن عمر : أيُّ حجَّاج بيتِ الله أفضلُ وأعظم أجراً ؟ قال : من جمَعَ ثلاثَ خصال ، نيَّةً صادقة ، وعقلاً وافراً ، ونفقةً من حلال . فذكرتُ ذلك لابن عباس فقال : صدق . فقلت : إذا صدقتْ نيتُه وكانتْ نفقته من حلال ، فماذا يضرُّه قلَّةُ عقله ؟ فقال : يا أبا حجَّاج ، سألتني عما سألتُ عنه رسولَ الله ﷺ . فقال : « والذي نفسي بيده ، ما أطاع العبدُ الله بشيءٍ أفضلَ من حُسن العقل ، ولا يقبلُ الله صومَ عبدٍ ولا صلاته ، ولا شيئاً مما يكونُ من عمله من أنواع الخير إنْ لم يعمل بعَقْل ؛ ولو أنَّ جاهلاً فاق المجتهدين في العبادة ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح »[٤] .

قلت : ذِكْر العقلِ في هذا الحديث ، ورفعُهُ إلى النبي ﷺ من المنكرات والموضوعات ، والثلاثُ الخصال موقوفةٌ على ابن عمر ، من قوله من جمع ثلاث خصال ، إلى قوله : قال ابن عباس : صدق ؛ والباقي لا يصحُّ رفعُه ولا وَقْفُه ؛ وداود بن المُحبَّر كنيته أبو سليمان ، قال الحاكم : حدث ببغداد عن جماعةٍ من الثقات بأحاديثَ موضوعة ، حدث بها عنه الحارث بن أبي أسامة ، وله كتاب « العقل » ، وأكثر ما أودع ذلك الكتاب موضوعٌ على رسولِ الله ﷺ ؛ وذِكْرُ العقلِ مرفوعاً في هذه الرواية لعله من جملتها ، والله أعلم . وقد كذَّبه أحمد بن حنبل][٥] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٤٦) في تفسير الآية ، وابن كثير أيضاً .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(٣٧٧) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٨١) .

(٣) في (ق) : « جبير » تصحيف .

(٤) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٢٠٩) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠٣ ، ٣٠٤) وقال : هذا حديث غريب من حديث مجاهد ، لم نكتبه إلا من حديث عباد عن عبد الوهاب . وانظر تعليق المؤلف عليه .

(٥) من ص(٤٧) إلى هنا ليس في (ح ، ب) . انظر الحاشية (٣) ثمة .

مصعب بن سعد بن أبي وقَّاص[١] : تابعي ، ثقة ، جَلِيل ، كبير القَدْر .

موسى بن طلحة بن عُبيد الله التيمي[٢] ، كان يلقَّبُ بالمَهْديِّ لصلاحه ؛ كان تابعيّاً جليلَ القدرِ من ساداتِ المسلمين رحمه الله[٣] .

ثم دخلت سنة أربع ومئة

فيها قاتل سعيدُ بن عمرو الحَرَشي نائبُ خراسان أهلَ الصُّغْد ، وحاصر أهل خُجَنْدَة[٤] ، وقتل خلقاً كثيراً ، وأخذ أموالاً جَزيلة ، وأسر رقيقاً كثيراً جدّاً ، وكتب بذلك إلى يزيدَ بنِ عبد الملك ، أمير المؤمنين ؛ فوجَدَ عليه أميرُ العراق عمر بن هُبيرة إذْ لم يكتب إليه ؛ فكتب هو إلى أمير المؤمنين لأنه هو الذي ولَّاه . وفي ربيع الأول منها عزل يزيدُ بن عبد الملك أمير المؤمنين عن إمرةِ الحرمين عبدَ الرحمن بنَ الضحَّاك بن قيس ؛ وكان سببه أنه خطب فاطمةَ بنتَ الحسين فامتنعتْ من قَبول ذلك ، فألحَّ عليها وتوعَّدها ، فأرسلتْ إلى يزيد بن عبد الملك تشكوه إليه ، فبعث إلى عبد الواحد بن عبد الله النَّصْري[٥] نائب الطائف ، فولَّاه المدينة ، وأنْ يضربَ عبدَ الرحمن بن الضحاك حتى يسمعَ صوتَهُ أميرُ المؤمنين وهو متكئٌ على فراشه بدمشق ، وأنْ يأخذَ منه أربعين ألفَ دينار ، فلمَّا بلغ ذلك عبدَ الرحمن ركب إلى دمشق واستجار بمسلمةَ بن عبدِ الملك ؛ فدخل على أخيه فقال : إنَّ لي إليك حاجة . فقال : كلُّ حاجةٍ تقولها فهي لك إلا أنْ تكونَ ابنَ الضحَّاك ، فقال : هو والله حاجتي . فقال : والله لا أقبله[٦] ، ولا أعفو عنه .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/١٦٩) ، التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٣٥٠) ، الكنى والأسماء لمسلم ص(٣٤٩) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٢٨٠) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٤١١) ، مشاهير علماء الأمصار ص(٦٨) ، رجال صحيح البخاري لأبي نصر الكلاباذي (٢/ ٧٣٢) ، رجال مسلم لأحمد بن منجويه (٢/ ٢٥٧) ، التعديل والتجريح لأبي وليد الباجي (٢/ ٧٩٥) ، تهذيب الكمال (٢٨/ ٢٤) ، الكاشف للذهبي (٢/ ٢٦٧) ، تحفة التحصيل لأحمد بن عبد الرحيم ص(٣٠٥) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٥) ، تقريب التهذيب ص(٥٣٣) .

(٢) في (ق) : « التميمي » تصحيف ، والمثبت من (ح ، ب) ومصادر ترجمته .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٦١) ، طبقات خليفة ص(١٥٤) ، التاريخ الكبير (٨/ ٢٨٦) ، الجرح والتعديل (٨/ ١٤٧) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٣٠٤) ، مشاهير علماء الأمصار ص(٧٥) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٤٠١) ، التعديل والتجريح (٢/ ٧٠٦) ، تهذيب الكمال (٢٩/ ٨٢) ، الكاشف (٢/ ٣٠٥) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣١٢) ، تقريب التهذيب ص(٥٥١) .

(٤) خُجندة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطىء سيحون بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً وهي مدينة نزهة . معجم البلدان (٢/ ٣٤٧) .

(٥) في (ح) : « البصري » ، وفي (ب ، ق) : « النضري » ، وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر ترجمته .

(٦) في (ق) : « لأقبلها » ، وفي (ح) : « لا أقتله » ، والمثبت من (ب) .

فردَّه إلى المدينة فتسلَّمه عبدُ الواحد فضربه وأخذ ماله حتى تركه في جبَّة صوف ، يسألُ الناسَ بالمدينة ؛ وكان قد باشر نيابةَ المدينة ثلاثَ سنين وأشهراً ؛ وكان الزهريُّ قد أشارَ عليه برأي سديد ، وهو أن يسألَ العلماء إذا أشكلَ عليه أمر ، فلم يقبلْ ، ولم يفعلْ ، فأبغضهُ الناس ، وذمَّهُ الشعراء ، ثم كان هذا آخر أمره .

وفيها عزَلَ عمرُ بن هُبيرة عن إمرة خراسان سعيدَ بن عمرٍو الحَرَشي ؛ وذلك أنه كان يستخفُّ بأمرِ عمرَ بنِ هُبيرة ؛ فلما عزله أحضرهُ بين يديه وعاقبه وأخذَ منه أموالاً كثيرة ، وأمر بقتْله ، ثم عفا عنه ، وولَّى على خُراسان مسلمَ بن سعيد بن أسلم بن زُرعة الكلابي ، فسار إليها فاستخلص أموالاً كانتْ منكسرة في أيام سعيد بن عمرو الحَرَشي .

وفيها غزا الجرَّاحُ بن عبد الله الحَكمي نائبُ أرمينيةَ وأذْربيجان ، أرضَ الترك ، ففتح بَلَنْجر ، وهزم الترك وغرَّقهم وذَرَاريَّهُمْ في الماء ، وسَبَى منهم خلقاً كثيراً ، وافتتح عامة الحصون التي تلي بَلَنْجَر[١] ، وأجلى عامة أهلها ، [والتقى هو والخاقان الملك ، فجرَتْ بينهم وقعةٌ هائلة ، آل الأمرُ فيها إلى أن انهزم خاقان ، وتبعهم المسلمون ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، قُتل فيها خلقٌ كثيرٌ لا يُحصَوْن][٢] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الواحد بن عبد الله النَّصْري[٣] أميرُ الحرمين والطائف ، وعلى نيابةِ العراق وخراسان عمر بنُ هبيرة ، ونائبه على خراسان مسلم بن سعيد يومئذ .

وفي هذه السنة ولد السفاح وهو أبو العباس عبدُ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقَّب بالسفَّاح ، أول خلفاء بني العباس ، وقد بايَعَ أباه في الباطن جماعةٌ من أهل العراق .

وفيها توفي من الأعيان :

خالد بن مَعْدان الكَلاعي[٤] : [له رواياتٌ عن جماعة من الصحابة ، وكان تابعيًّا جليلاً ، وكان من

---

(١) بَلَنْجر : مدينة ببلاد الخزر ، خلف باب الأبواب . معجم البلدان (١/ ٤٨٩) .

(٢) ليس ما بين القوسين في (ب ، ح) ، وهو في (ق) .

(٣) في (ب ، ق) : « النضري » ، وفي (ح) : « البصري » ، والمثبت مما سيأتي في المتن ص(٦٤) . ح(٥) ومصادر ترجمته ، انظر الصفحة السابقة ح (٥) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٥) ، طبقات خليفة ص(٣١٠) ، التاريخ الكبير (٣/ ١٧٦) ، المعارف ص(٦٢٥) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣٢) ، الثقات لابن حبان (٤/ ١٩٦) ، ذيل المذيل ص(٦٣٢) . الجرح والتعديل (٣/ ٣٥١) ، الحلية (٥/ ٢١٠) المختار في مناقب الأخبار (٢/ ٢٥١) ، صفة الصفوة (٤/ ٢١٥) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٧/ ٣٩٤) ، تهذيب الكمال (٨/ ١٦٧) ، طبقات علماء الحديث (١/ ١٦٣) (ت٨٢) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٦) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٠٩) ، الوافي (١٣/ ٢٦٣) ، تهذيب التهذيب (٣/ ١١٨) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٥٢) ، طبقات الحفاظ ص(٣٦) ، شذرات الذهب (١/ ١٢٦) .

العلماء وأئمة الدِّين المعدودين المشهورين ، وكان يسبِّحُ كلَّ يوم أربعين ألف تسبيحة وهو صائم ، وكان إمامَ أهلِ حمص ، وكان يُصلِّي التراويح في شهر رمضان ، فكان يقرأُ فيها في كلِّ ليلة ثلثَ القرآن ، وروى الجُوزَجاني عنه أنه قال : من اجترأ على الملاوم في مُراد الحق ، قلب الله تلك المحامد عليه ذمّاً .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه قال : ما من عبد إلاَّ وله أربعةُ أعين . عينانِ في وجههِ يُبصر بهما أمرَ دنياه ، وعينانِ في قلبه يُبصر بهما أمرَ آخرتِه ؛ فإذا أرادَ الله بالعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما أمرَ آخرتِه وهما غيب ، فأمن الغيبَ بالغيب ؛ وإذا أرادَ الله بالعبدِ خلافَ ذلك ترك العبد القلب على ما هو عليه ، فتراه ينظرُ فلا ينتفع ، فإذا نظر بقلبه نفع .

وقال : بصَرُ القلب من الآخرة ، وبصَرُ العينَيْن من الدنيا . وله فضائل كثيرة رحمه الله تعالى][(١)] .

وعامر بن سعد [**بن أبي وقاص الليثي**[(٢)] : له راوياتٌ كثيرة عن أبيه وغيرِه ، وهو تابعيٌّ جليل ، ثقة مشهور][(١)] .

وعامر بن شَرَاحيل الشعبي[(٣)] : توفي فيها في قول [كان الشعبيُّ من شَعْبِ هَمْدان ، كنيته أبو عمرو ، وكان علاَّمةَ أهلِ الكوفة ، كان إماماً حافظاً ، ذا فنون ، وقد أدرك خلقاً من الصحابة ، وروى عنهم ، وعن جماعةٍ من التابعين . وعنه أيضاً روى جماعةٌ من التابعين .

قال أبو مِجْلَز : ما رأيتُ أفقهَ من الشعبي .

وقال مكحول : ما رأيتُ أحداً أعلمَ بسنَّةٍ ماضيةٍ منه .

وقال داود الأَوْدي : قال لي الشعبي : قم معي هاهنا حتى أفيدَك علماً ، بل هو رأسُ العلم . قلت : أيَّ شيءٍ تفيدني ؟ قال : إذا سُئلتَ عما لا تعلم فقل : الله أعلم ؛ فإنَّه عِلْمٌ حسن .

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في (ب ، ح) ، وهو من (ق) .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٦٧) ، التعديل والتجريح (٣/ ٩٩١) ، تهذيب الكمال للمزي (١٤/ ٢١) ، العبر (١/ ١٢٧) ، الكاشف (١/ ٥٢٢) ، تقريب التهذيب ص(٢٨٧) ، التحفة اللطيفة للسخاوي (٢/ ٧) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٦) ، تاريخ خليفة (١٤٩ و٣٣٠) ، طبقات خليفة (١٥٧) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤٥٠) ، المعارف (٤٤٩) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٩٢) ، أخبار القضاة (٢/ ٤١٣ و٣/ ٦٠) الجرح والتعديل (٦/ ٣٢٢) ، الثقات لابن حبان (٥/ ١٨٥) ، حلية الأولياء (٤/ ٣١٠) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٧) ، تاريخ مدينة دمشق (عاصم ـ عايذ) (١٣٨) ، صفة الصفوة (٣/ ٧٥) ، جامع الأصول (١٤/ ٥٨٠) ، المختار من مناقب الأخبار (٣/ ٣٣٣) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٢) ، مختصر تاريخ دمشق (١١/ ٢٤٩) ، تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٣٠) ، العبر (١/ ١٢٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٩) ، الوافي بالوفيات (١٦ت ٦٢٩) ، غاية النهاية (١/ ٣٥٠) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٣) ، شذرات الذهب (١/ ١٢٦) .

وقال : لو أنَّ رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لحفظ كلمةٍ تنفعُه فيما يستقبلُ من عمره ما رأيتُ سفَرَهُ ضائعاً ؛ ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد ، لرأيتُ سفَرَهُ عقوبةً وضياعاً .

وقال : العلم أكثر من عدد الشعر ، فخذ من كلِّ شيء أحسنَه][1] .

وأبو بُرْدَة بن أبي موسى الأشعري[2] : [تولَّى قضاءَ الكوفة قبلَ الشعبي ، فإنَّ الشعبيَّ تولَّى في خلافةِ عمر بن عبد العزيز ، واستمرَّ إلى أن مات ، وأمَّا أبو بُردة فإنه كان قاضياً في زمنِ الحجَّاج ، ثم عزله الحجاج وولَّى أخاه أبا بكر ، وكان أبو بردة فقيهاً حافظاً عالماً ، له روايات كثيرة][3] .

أبو قلابة الجَرْمي[4] [**عبد الله بن زيد**[5] **البصري** ، له رواياتٌ كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان من كبار الأئمة والفقهاء ، وطُلب للقضاء فهرب منه وتغرَّب ؛ قدم الشام فنزل داريَّا ، وبها مات رحمه الله .

قال أبو قلابة : إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ، ولم يكنْ همُّك ما تحدِّثُ به الناس ، فلعلَّ غيرَك ينتفعُ ويستغني ، وأنت في الظلمة تتعثَّر . وإني لأرى هذه المجالس إنما هي مناخُ البطَّالين .

وقال : إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه فالتمِسْ له عُذراً جهدَك ، فإنْ لم تجد له عذراً فقل : لعل لأخي عُذراً لا أعلَمُه] .

---

(١) ما بين معقوفين ليس في (ب ، ح) ، وهو من (ق) .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/٢٦٨) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/١٤٩) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/٣٨٧) ، تهذيب الكمال (٢٣/٦٦) ، الكاشف (٢/٤٠٧) ، تذكرة الحفاظ (١/٩٥) ، تهذيب التهذيب (١٢/٢١) ، تقريب التهذيب ص(٦٢١) ، تعجيل المنفعة ص(٥٥١) ، طبقات الحفاظ ص(٤٣) .

(٣) ما بين معقوفين ليس في (ب ، ح) ، وهو مستدرك من (ق) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/١٨٣) ، طبقات خليفة (٢١١) ، التاريخ الكبير (٥/٩٢) ، المعارف ص(٤٤٦) ، المعرفة والتاريخ (٢/٦٥) ، الجرح والتعديل (٥/٥٧) ، الثقات لابن حبان (٥/٢) ، حلية الأولياء (٢/٢٨٢) ، تاريخ مدينة دمشق ص(٥٣٥) ، صفة الصفوة (٣/٢٣٨) ، جامع الأصول (١٤/٦٥٨) ، مختصر تاريخ دمشق (١٢/٢١٤) ، تهذيب الكمال (١٤/٥٤٢) ، سير أعلام النبلاء (٤/٤٦٨) ، تذكرة الحفاظ (١/٩٤) ، تاريخ الإسلام (٤/٢٢١) ، ميزان الاعتدال (٢/٤٢٥) ، الوافي بالوفيات (١٧/ت١٦٨) ، تهذيب التهذيب (٥/٢٢٤) .

(٥) في (ق) : « عبد الله بن يزيد » تصحيف ، والمثبت من مصادر ترجمته .

ثم دخلت سنة خمس ومئة

فيها غزا الجرَّاح بن عبد الله الحكمي بلادَ اللاَّن[١] ، وفتح حصوناً كثيرة ، وبلاداً متسعةَ الأكناف من وراء بلَنجَر ، وأصاب غنائم جَمَّة ، وسبى خلقاً من أولاد الأتراك .

وفيها غزا مسلم بنُ سعيد بلادَ التُّرْكِ وحاصر مدينةً عظيمة من بلادِ الصُّغْد ، فصالحه مَلِكُها على مالٍ كثير يحمِلهُ إليه .

وفيها غزا سعيدُ بن عبد الملك بن مروان بلادَ الرُّوم ، فبعث بين يديه سَرِيَّةً ألفَ فارس ، فأُصيبوا جميعاً .

وفيها لخمسٍ بَقينَ من شعبان منها توفي أميرُ المؤمنين يزيدُ بن عبد الملك بن مروان بأَرْبَدَ[٢] من أرضِ البَلْقاء ، وكان ذلك يوم الجمعة ، وعمره ما بين الثلاثين والأربعين ، وهذه ترجمته :

[يزيد بن عبد الملك بن مروان][٣]

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو خالد القرشيُّ الأمويّ ، أميرُ المؤمنين ؛ وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ؛ قيل إنها دُفنت بقبر عاتكة فنُسبتِ المَحَلَّةُ إليها . والله أعلم .

بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة إحدى ومئة بعَهْدٍ من أخيه سليمان ، أنْ يكون الخليفةَ بعدَ عمر[٤] بن عبد العزيز رحمه الله ، يوم الجمعة لخمس بَقينَ من رجب .

قال محمد بن يحيى الذُّهْلي : حدّثنا كثير بن هشام ، حدّثنا جعفر بن بُرْقان ، حدّثني الزُّهْري قال : كان لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ ولا الكافرُ المسلمَ في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فلما ولي الخلافة معاويةُ ورَّث المسلمَ من الكافر ، ولم يورِّثِ الكافرَ من المسلم ، وأخذ بذلك الخُلفاءُ من بعده ؛ فلما قام عمر بن عبد العزيز راجع السُّنَّة الأولى ، وتبعه في ذلك يزيدُ بن

---

(١) اللاَّن : بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب ، مجاورة للخزر . معجم البلدان (٥/ ٨) .

(٢) أرْبَد : قرية بالأردن قرب طبرية . معجم البلدان (١/ ١٣٦) .

(٣) ترجمته في تاريخ الطبري (٤/ ٧٢) ، الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٣١) ، تاريخ اليعقوبي(٢/ ٣١٠) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٠) تاريخ الإسلام (٤/ ٢١٢) ، فوات الوفيات (٤/ ٣٢٢) ، مآثر الإنافة (١/ ١٤٥) ، تاريخ الخلفاء ص(٢٤٦) .

(٤) في (ب ، ح) : « أن يكون من وراء عمر » بدل « أن يكون الخليفة بعد عمر » .

عبد الملك ؛ فلما قام هشام أخذ بسُنَّةِ الخلفاء ـ يعني أنه ورَّثَ المسلمَ من الكافر(١) .

وقال الوليد بن مسلم عن ابنِ جابر قال : بينما نحن عند مكحول إذْ أقبل يزيدُ بن عبد الملك فهمَمْنا أنْ نوسِّع له ، فقال مكحول : دعوه يجلسْ حيثُ انتهى به المجلس ، يتعلَّم التواضع(٢) .

وقد كان يزيد هذا يُكثر من مجالسةِ العلماء قبل أنْ يلي الخلافة ، فلما وُلِّي عزَمَ على أنْ يتأسَّى بعمر بن عبد العزيز ، فما تركه قرناء السَّوْء ، وحسَّنوا له الظُّلم .

قال حَرْملة عن ابن وهْب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : لما ولي يزيدُ بن عبد الملك قال : سيروا بسيرة عمر ، فمكث كذلك أربعين ليلة ، فأُتي بأربعين شيخاً فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حسابٍ ولا عذاب(٣) .

وقد اتهمه بعضُهم في الدين ، وليس بصحيح ، إنما ذاك ولَدُه الوليد بن يزيد الفاسق كما سيأتي .

أما يزيد هذا فما كان به بأس .

وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز وهو في مرض موته : أما بعد ، فإني لا أُراني إلا لِمَا بي(٤) ، وما أرَى الأمرَ إلا سيُفضي إليك ، فاللهَ اللهَ في أمَّةِ محمد ، فإنك عَمَّا قليلٍ ميت ، فتدَعُ الدنيا إلى من لا يَحْمَدك ، وتُفضي إلى منْ لا يَعْذِرك ، والسلام(٥) .

وكتب يزيدُ بن عبد الملك إلى أخيه هشام : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين قد بلغَهُ أنك استبطأتَ حياتَه ، وتمنَّيتَ وفاته ، ورُمْتَ الخلافة . وكتب في آخره(٦) :

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإنْ أمتْ ... فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ
وقد علموا لو ينفعُ العلمُ عندهمْ ... متى مُتُّ ما الباغي(٧) عليَّ بمُخْلَدِ
منيتُهُ تجري لوقتٍ وحَتْفُهُ ... يصادفُه يوماً على غيرِ موعدِ
فقلْ للذي يبغي خلافَ الذي مضَى ... تهيَّأ لأُخرى مِثْلِها فكأن قدِ(٨)

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٦٥/ ٣٠٠ (ط . دار الفكر) .
(٢) تاريخ ابن عساكر ٦٥/ ٣٠٢ .
(٣) تاريخ ابن عساكر ٦٥/ ٣٠٤ ، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٠ ، ١٥١) .
(٤) في (ق) : « إلا ملمّا بي » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وطبقات ابن سعد (٥/ ٤٠٥) ، وتاريخ ابن عساكر ٦٥/ ٣٠٦ .
(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/ ٤٠٥) ، وابن عساكر في تاريخه ٦٥/ ٣٠٦ .
(٦) تاريخ ابن عساكر ٦٥/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .
(٧) في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٢) ومصادر غيره « ما الداعي » .
(٨) الأبيات الأول والثاني والأخير عزيت إلى الشافعي وهي في ديوانه ص(٩٠ و٩٣) ، وذكرت في مصادر كثيرة ، =

فكتب إليه هشام : جعلَ الله يومي قبلَ يومِك ، وولدي قبلَ ولدِك ، فلا خير في العيش بعدَك .

وقد كان يزيد هذا يحبُّ حَظِيَّةً من حظاياه ، يقالُ لها حَبابَة ـ بتشديد الباء الأولى ، والصحيح تخفيفها ـ واسمُها العالية ؛ وكانت جميلةً جدّاً ؛ وكان قد اشتراها في زمن أخيه سليمان بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار ، من عثمان بن سهل بن حُنَيف ، فقال له أخوه سليمان : لقد هَمَمْتُ أنْ أحْجُرَ على يزيد[1] ؛ فباعها ، فلما أفضَتْ إليه الخلافة قالت له امرأتُه سعدةُ يوماً : يا أمير المؤمنين ، هل بقي في نفسِك من أمر الدنيا شيءٌ ؟ قال : نعم ، حَبابة ، فبعثتِ امرأتُه فاشترَتْها له ، ولبستها وصنعَتْها وأجلستها من وراءِ الستارة ، وقالت له أيضاً يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيءٌ ؟ قال : أوما أخبرتك أنها حبابة ؟ فقالت : هذه حبابة ـ وأبرزَتْها له ، وأخلَتْه بها وتركته وإيَّاها ـ فحظيتِ الجاريةُ عنده ، وكذلك زوجتُه أيضاً ؛ فقال يوماً : أشتهي أنْ أخلوَ بحبابة في قصرٍ مدَّةً من الدهر ، لا يكونُ عندنا أحد . ففعل ذلك ، وجمع إليه في قصره ذلك حبابة ، وليس عنده فيه أحد ، وقد فُرش له بأنواع الفُرش والبُسط الهائلة ، والنعمة الكثيرة السابغة ، فبينما هو معها في ذلك القصر على أسرِّ حال وأنعم بال ، وبين يديهما عِنَبٌ يأكلانِ منه ، إذْ رماها بحَبَّةِ رُمَّان ، ويُروى بحبة عِنَب وهي تضحك ، فشرِقَتْ بها فماتَتْ ، فمكَثَ أياماً يُقبِّلُها ويَرْشُفها وهي ميتة ، حتى أنتنَتْ وجيَّفَتْ ؛ فأمر بدفنها وما كاد ، فلما دفنها أقام أياماً عندها على قبرها هائماً ، ثم رجع إلى المنزل ، ثم عاد إلى قبرِها فوقف عليه وهو يقول :

فإنْ تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تدَعِ الصِّبَا ... فباليأسِ تَسْلو عنكِ لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليلٍ زارني[2] فهو قائلٌ ... من أجلِكِ هذا هامةُ اليوم أو غدِ

ثم رجع . فما خرَجَ من منزله حتى خرَجَ بنعشِه وكان مرَضُه بالسِّلّ[3] .

وذلك بالسَّوَاد سوادِ الأُرْدُنّ ، يوم الجمعة لخمسٍ بقينَ من شعبان من هذه السنة ـ أعني سنةَ خمسٍ ومئة .

وكانت خلافتُه أربعَ سنين وشهراً على المشهور ، وقيل أقلّ من ذلك ، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقيل خمساً ، وقيل ستّاً ، وقيل ثمانياً ، وقيل تسعاً وثلاثين . وقيل : إنه بلغ الأربعين ، فالله أعلم .

= وكلها ينص على أنه كان يتمثل بها . وذكر البيت الأول منها الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٢٧) في تفسير الآية (١٧) من سورة الليل ، وعزاه لطرفة بن العبد وكذا القرطبي في تفسيره (٢٠/ ٨٨) ، ولم نجدها في ديوانه المطبوع .

(١) في (ق) : « على يديك » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وتاريخ الطبري (٤/ ١١٠) .

(٢) كذا في (ب ، ح ، ق) ، وفي الأغاني وديوان كثير « راءني » .

(٣) الخبر والبيتان بنحوه في الأغاني (١٥/ ١٤٠) ، والبيتان لكثير عزة وهما في ديوانه ص (٨٦) .

وكان طويلاً جسيماً أبيض مدوَّرَ الوجه ، أَفْقم الفم[١] ، لم يشب .

وقيل إنه مات بالجَوْلان ؛ وقيل بحَوْران ، وصلى عليه ابنُه الوليدُ بن يزيد ، وعمرُه خمسَ عشرةَ سنة . وقيل : بل صلَّى عليه أخوه هشامُ بن عبد الملك أمير المؤمنين ، وهو الخليفةُ بعدَه ، وحُمل على أعناقِ الرجال حتى دُفن بين باب الجابية وباب الصَّغِير بدمشق ، وكان قد عهد بالأمرِ من بعدِه لأخيه هشام ، ومن بعدِه لولدِهِ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فبايع الناسُ من بعده هشاماً .

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان[٢]

بويع له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه ، لخمسٍ بَقِينَ من شعبان من هذه السنة ـ أعني سنةَ خمسٍ ومئة ـ وله من العمر أربعٌ وثلاثون سنة وأشهر ، لأنه كان مولدُه حين[٣] قَتَلَ أبوه عبدُ الملك مُصعبَ بنَ الزُّبير في سنةِ ثنتين وسبعين ، فسمَّاهُ منصوراً تفاؤلاً ؛ ثم قدم فوجَدَ أمَّه قد أسمَتْه باسم أبيها هشام ، فأقر اسمه هشاماً .

قال الواقدي : أتَتْهُ الخلافةُ وهو بالزيتونة[٤] في منزلٍ له ، فجاءه البريدُ بالعصا والخَاتم ، فسُلِّم عليه بالخلافة ، فركب من الرصافة حتى أتى دمشق ، فقام بأمرِ الخلافة أتمَّ القيام ، فعزَلَ في شوال منها عن إمْرةِ العراق وخراسان عمرَ بنَ هُبيرة ، وولَّى عليها خالد بن عبدِ الله القسري ؛ وقيل : إنه استعمله على العراق في سنة ستٍّ ومئة ، والمشهور ما ذكرناه[٥] . وحجَّ بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خالُ أميرِ المؤمنين ، أخو أُمِّه عائشة بنتِ هشام بن إسماعيل ، ولم تلِدْ من عبد الملك سواهُ حتى طلقها ، لأنها كانتْ حمقاء .

وفيها قَوِيَ أمرُ دعوةِ بني العباس في السِّرّ بأرض العراق ، وحصل لدعاتهم أموالٌ جزيلة يستعينون بها على أمرهم ، وما هم بصدده .

---

(١) الفَقَم في الفم : أن تتقدم الثنايا السفلى فلا تقع عليها العليا إذا ضم الرجل فاه . لسان العرب . (فقم) وفي القاموس : تقدّم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى .

(٢) ترجمته في تاريخ الطبري (٤/١١١) ، تاريخ اليعقوبي (٢/٣١٦) ، الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٧٠) ، مروج الذهب (٢/ ١٤٢ ، ١٤٥) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥١) ، تاريخ الخلفاء ص(٢٤٧) .

(٣) في (ق) : « ولد لما قتل . . » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٤) في (ب ، ق) : « بالديثونة » ، وفي (ح) بالرسم نفسه مهملة الحروف ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ اليعقوبي (٢/٣١٦) ، ولفظه : « وأتته الخلافة وهو بقرية يقال لها الزيتونة من الجزيرة » يؤيد ذلك معجم البلدان (٣/١٦٣) إذ جاء فيه : « الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام ، فلما عمر الرصافة انتقل إليها فكانت منزله إلى أن مات » .

(٥) في (ق) : « الأول » بدل « ما ذكرناه » ، والمثبت من (ب ، ح) .

وفيها توفي من الأعيان :

أَبَانُ بن عثمان بن عفَّان(١) : تقدَّم ذكر وفاته سنةَ خمسٍ وثمانين ، كان من فقهاءِ التابعين وعلمائهم .

قال عمرو بن شعيب : ما رأيتُ أعلمَ منه بالحديثِ والفقه . وقال يحيى بن سعيد القطَّان : فقهاء المدينة عشرة ، فذكر أبان بن عثمان أحدَهم ، وخارجةَ بن زيد ، وسالم بن عبد الله ، وسعيدَ بن المسيِّب ، وسُليمان بن يَسَار ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، وعروة ، والقاسم ، وقَبيصة بن ذؤيب ، وأبا سَلَمةَ بن عبد الرحمن .

قال محمد بن سعد(٢) : كان به صَممٌ ووَضح ، وأصابه الفالجُ قبلَ أنْ يموتَ بسنة ، وتوفي سنة خمس ومئة .

وممَّنْ توفِّي فيها :

أبو رجاء العُطَارِديّ(٣) ، من رجال الصحيحين .

وعامر بن شراحيل الشعبي ، في قول ، وقد تقدَّم(٤) .

وكُثَيِّر عَزَّة ، في قول . وقيل : في التي بعدها كما سيأتي .

ثم دخلت سنة ست ومئة

ففيها عزَلَ هشامُ بن عبد الملك عن إمرة المدينة ومكة والطائف ، عبدَ الواحد بن عبد الله النَّصْري(٥) ، وولَّى على ذلك كلِّه ابنَ خالِه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي .

وفيها غزا سعيدُ بن عبد الملك الصائفة ، وفيها غزا [مسلم بن سعيد مدينة فرغانة ومعاملتها ، فلَقيَهُ

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٥١) ، طبقات خليفة ت(٢٠٥٨) ، تاريخ البخاري (١/ ٤٥٠) ، المعارف ص(٢٠١) ، أخبار القضاة (١/ ١٢٩) ، الجرح والتعديل (٢/ ٢٩٥) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٧) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥١) ، تهذيب التهذيب (١/ ٩٧) .

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥٢) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٨) ، طبقات خليفة ت(١٥٦٤) ، تاريخ البخاري (٦/ ٤١٠) ، المعارف ص(٤٢٧) ، حلية الأولياء (٢/ ٣٠٤) ، الاستيعاب ت(١٩٧١) ، أسد الغابة (٤/ ١٣٦) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٣) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٢) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٩٤٠) ، طبقات الحفاظ ص(٢٥) .

(٤) تقدم في ص(٥٨) من هذا الجزء .

(٥) في (ق) : « النضري » ، وفي (ح) : « البصري » ، والمثبت من (ب) ، وانظر ص(٥٦) ح(٥) وص(٥٧) ح(٣) .

عندها الترك ، وكانتْ بينهم وقعةٌ هائلة ، قُتل فيها الخاقان وطائفةٌ كبيرة من الترك .

وفيها أوغل الجَرَّاحُ الحَكَمي في أرض الخَزَر ، فصالحوه وأعطَوْهُ الجِزْيَة والخراج . وفيها غزا][(١)] الحجَّاجُ بن عبد الملك اللان ، [فقتل خلقاً كثيراً ، وغَنِم وسَلِم][(١)] .

وفيها عزَل خالدُ بن عبد الله القَسْري عن إمرةِ خراسان مسلمَ بنَ سعيد ، وولَّى عليها أخاه أسد بن عبد الله القَسْري .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أميرُ المؤمنين هشامُ بن الملك ، وكتب إلى أبي الزِّناد قبلَ دخولِه المدينة ليتلقَّاهُ ويكتبَ له مناسك الحجّ ، ففعل ، وتلقَّاهُ الناسُ من المدينة إلى أثناء الطريق ، وفيهم أبو الزناد قد امتثل ما أُمر به ، وتلقَّاه فيمن تلقاه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ، فقال له : يا أمير المؤمنين إنَّ أهل بيتِك في مثلِ هذه المواطنِ الصالحة لم يزالوا يلعَنُونَ أبا تراب ، فالْعَنْهُ أنتَ أيضاً ، قال أبو الزناد : فشقَّ ذلك على هشام واستثقله ، وقال : ما قدمتُ لِشَتْم أحد ، ولا للعنةِ أحد[(٢)] . إنما قدمنا حُجَّاجاً . ثم أعرض عنه وقطع كلامه ، وأقبل على أبي الزناد يحادِثُه ، ولما انتهى إلى مكة عرض له إبراهيمُ بن طلحة فتظلَّم إليه في أرض ، فقال له : أين كنت عن عبد الملك ؟ قال : ظلمني . قال : فالوليد ؟ قال : ظلمني . قال : فسليمان ؟ قال : ظلمني . قال فعمر بن عبد العزيز ؟ قال : ردَّها عليّ . قال : فيزيد ؟ قال : انتزعها من يدي ، وهي الآن في يدك . فقال له هشام : أما لو كان فيك مَضْربٌ لضربتُك . فقال : بلى فيَّ مضربٌ بالسَّوْط والسيف . فانصرف عنه هشام وهو يقول لمن معه : ما رأيتُ أفصح من هذا .

وفيها كان العامل على مكة والمدينة والطائف ، إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل ؛ وعلى العراق وخراسان خالد بن عبد الله القَسْري [والله سبحانه أعلم][(٣)] .

ومن تُوفي فيها :

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[(٤)] .

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في (ب ، ح) ، والمثبت من (ق) .

(٢) في (ح) : « ولا للعنه » ؛ وفي (ق) : « ولا لعنة أحد » ، والمثبت من (ب) .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ب ، ح) ، والمثبت من (ق) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٩٥) ، طبقات خليفة ص(٢٤٦) ، تاريخ خليفة ص(٢٣٨) ، التاريخ الكبير (٤/ ١١٥) ، المعارف ص(١٨٦) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٥٥٤) ، الجرح والتعديل (٤/ ١٨٤) حلية الأولياء (٢/ ١٩٣) ، صفة الصفوة (٢/ ١٩٠) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٧) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٤٩) ، تهذيب الكمال (١٠/ ١٤٥) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٨٨) الوافي بالوفيات (١٥/ ت٨٣) . وما سيأتي هنا بين معقوفين ليس في (ب ، ح) وهو زيادة أقحمت على المتن في نسخة (ق)=

وطاوس بن كَيْسان اليماني(١) : من أكبر أصحاب ابن عباس رضي الله عنه . وقد

= فوضعناه هنا في الحاشية وهي : [أبو عمرو الفقيه ، أحدُ الفقهاء وأحدُ العلماء وله روايات عن أبيه وغيره ، وكان من العُبَّاد الزُّهَّاد ، ولما حجَّ هشامُ بن عبد الملك دخلَ الكعبةَ ، فإذا هو بسالم بن عبد الله ، فقال له : سالم ، سَلْني حاجةً . فقال : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيرَه . فلما خرج سالم خرج هشامٌ في أثره فقال له : الآن قد خرجتَ من بيتِ الله فسلني حاجة . فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : من حوائج الدنيا ، فقال سالم : إني ما سألتُ الدنيا منْ يَمْلِكُها ، فكيف أسألُها من لا يملكها . (ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٦٦) .

وكان سالمٌ خَشِنَ العيش ، يَلْبسُ الصوف الخَشِن ، وكان يعالجُ بيده أرضاً له وغيرَها من الأعمال ، ولا يقبلُ من الخلفاء ، وكان متواضعاً ، وكان شديدَ الأُدْمَة ، وله من الزُّهْد والوَرَع شيءٌ كثير] .

(١) ترجمته في : طبقات ابن سعد (٥/ ٥٣٧) ، تاريخ خليفة ص(٣٣٦) ، طبقات خليفة ص(٢٨٧) ، الزهد لأحمد بن حنبل ص(٣٧٥) ، التاريخ الكبير (٤/ ٣٦٥) ، المعارف (٤٥٥) ، المعرفة والتاريخ (١/ ١٥) . الجرح والتعديل (٤/ ٥٠٠) ، الثقات لابن حبان (٤/ ٣٩١) ، حلية الأولياء (٤/ ٣) ، صفة الصفوة (٢/ ٢٨٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ٥٠٩) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٠) ، الوافي بالوفيات (١٦/ت ٤٥١) ، العقد الثمين (٥/ ٥٨) . وما سيأتي أقحم على المتن في (ق) فأثبتناه هنا في الحاشية وهو : [انتهى . وقد زِدْنا هنا في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب زيادةً حسنة . فأمَّا طاوس فهو أبو عبد الرحمن طاوس بن كَيْسان اليماني ، فهو أول طبقةِ أهلِ اليمن من التابعين ، وهو من أبناء الفرس الذي أرسلهم كسرى إلى اليمن .

أدرك طاوس جماعةً من الصحابة وروى عنهم ، وكان أحدَ الأئمة الأعلام ، قد جمع العبادة والزهادة ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وقد أدرك خمسين من الصحابة ، وأكثر روايته عن ابن عباس ؛ وروى عنه خَلْقٌ من التابعين وأعلامهم ، منهم مجاهد ، وعطاء ، وعمرو بن دينار ، وإبراهيم بن ميسرة ، وأبو الزبير ، ومحمد بن المنكدر ، والزُّهري ، وحبيب بن أبي ثابت ، وليث بن أبي سُليم ، والضحاك بن مزاحم ، وعبد الملك بن مَيْسرة ، وعبد الكريم بن المخارق ، ووَهْب بن مُنبِّه ، والمغيرة بن حكيم الصَّنعاني ، وعبد الله بن طاوس ، وغير هؤلاء .

تُوفي طاوس بمكة حاجّاً ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك ، ودُفن بها رحمه الله تعالى .

قال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزاق قال : قال أبي : مات طاوس بمكة فلم يصلُّوا عليه حتى بعث هشام ابنه بالحرس ، قال : فلقد رأيتُ عبد الله بن الحسن واضعاً السريرَ على كاهِله ، قال : ولقد سقطتْ قَلَنْسوةٌ كانتْ عليه ، ومُزِّقَ رداؤُه من خلفِه . (أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٣) .

يعني من كثرةِ الزِّحام . فكيف لا وقد قال النبيُّ ﷺ : « الإيمان يمان » (خرجه البخاري (٤٣٨٩) في المغازي : باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ؛ ومسلم (٥٢) في الإيمان : باب تفاضل أهل الإيمان) . وقد خرَجَ من اليمن خَلْقٌ من هؤلاء المشارِ إليهم في هذا وغيرِه ، ومنهم أبو مسلم ، وأبو إدريس ، ووَهْب ، وكعب ، وطاوس وغير هؤلاء كثير .

وروى ضَمْرَةُ عن ابن شَوْذَب قال : شهدتُ جنازةَ طاوس بمكة سنة خمسٍ ومئة ، فجعلوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ، حجَّ أربعين حجَّة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٢/ ١٩٢) به) .

وقال عبدُ الرزاق : حدّثنا أبي قال : تُوفِّي طاوُس بالمُزْدَلفة ـ أو بمنى ـ حاجّاً ، فلما حُمل أَخَذَ عبدُ الله بن =

. . . .

= الحسن بن علي بقائمةِ سريره . فما زايله حتى بلَغَ القَبْر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣)) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزاق قال : قدم طاوس بمكة ، فقدم أمير المؤمنين ، فقيل لطاوس : إنَّ منْ فضلِه ومِنْ ، ومِنْ ، فلو أتيتَهُ . قال : ما لي إليه حاجة . فقالوا : إنا نخافُ عليك . قال : فما هو إذاً كما تقولون (أخرجه المزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧١)) .

وقال ابنُ جُرَيج (في (ق) : « وقال ابن جرير » وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) : قال لي عطاء : جاءني طاوس فقال لي : يا عطاء ، إياك أنْ ترفعَ حوائجكَ إلى منْ أغلَقَ دونَكَ بابَه ، وجعَلَ دونَهُ حُجَّابه ؛ وعليك بطلَبِ مَنْ بابُه لك مفتوحٌ إلى يوم القيامة ، طلَبَ منك أنْ تدعوَهُ ، ووعدك الإجابَة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٥)) .

وقال ابنُ جُريج عن مجاهد ، عن طاوس : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٤] ، قال : بعيد من قلوبهم (أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢٨) في تفسير الآية ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١١)) .

وروى الأحجري (كذا في (ق) وأظنه تصحيفاً ، انظر الحاشية التالية وأسانيد الخبر .) عن سفيان عن ليث قال قال لي طاوس : ما تعلَّمتَ من العلم فتعلَّمْهُ لنفسِك ، فإنَّ الأمانةَ والصدق قد ذهبا من الناس (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٥٤١) ، بسنده إلى قبيصة بن عقبة قال : أخبر سفيان به . والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص(٥٣٩) بسنده إلى زيد بن أخزم عن أبي أحمد به ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١١) بسنده إلى علي بن قادم حدّثنا سفيان به) .

وقال عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد ، عن الصلت بن راشد ، قال : كُنَّا عند طاوس ، فجاءه سَلْمُ (في (ق) : « مسلم بن قتيبة بن مسلم » وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) بن قُتيبة بن مسلم ، صاحبُ خُرَاسان ، فسأله عن شيء ، فانتهره طاوس ، فقلت : هذا سَلْمُ بن قُتيبة بن مسلم صاحبُ خراسان ، قال : ذاك أهوَنُ له علي (أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٨٧) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٨)) .

وقيل (في (ق) : « وقال » ، وهو تصحيف ، والمثبت من شعب الإيمان (٧/ ٤٠٤) ، وحلية الأولياء (٤/ ٧) .) لطاوس : إنَّ منزلك قد استرمَّ ، فقال : أمسيْنا .

وروى عبد الرزاق عن معمر ، عن ابن طاوس في قوله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] ، قال : في أمور النساء ، ليس يكونُ في شيءٍ أضعفَ منه في النساء (أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٣٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢)) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدّثنا يحيى بن بُكير ، حدّثنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : لقي عيسى بنُ مريم عليه السلام إبليس ، فقال إبليسُ لعيسى : أما علمتَ أنه لن يُصيبَك إلاَّ ما كَتَبَ الله لك ؟ قال : نعم ، قال إبليس : فأوْفِ بذِرْوةِ هذا الجبل فتردَّ منه ، فانظرْ ، أتعيشُ أمْ لا ؟ قال عيسى : أما علمتَ أنَّ الله تعالى قال : لا يُجَرِّبْني عبدي ، فإني أفعلُ ما شئت ؟ وفي روايةٍ عن الزُّهري عنه قال قال عيسى : إنَّ العبدَ لا يختبرُ ربَّه ، ولكنَّ الربَّ يختبرُ عبدَه . وفي رواية أخرى : إنَّ العبدَ لا يبتلي ربَّه ، ولكنَّ الربَّ يبتلي عبدَه . قال : فخصَمَهُ عيسى عليه السلام (أخرجه معمر بن راشد في الجامع (المصنف لعبد الرزاق) : (١١/ ١١٣) ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦١٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢) .) .

وقال فُضيل بن عياض عن ليث عن طاوس قال : حجّ الأبرار على الرِّحال . رواه عبد الله بن أحمد عنه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦ و١٣)) . =

. . . .

= وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو تُمَيْلَة عن ابن أبي رَوَّاد (في (ق) : « عن ابن أبي داود » ، وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر . وترجمة أبي تميلة يحيى بن واضح في تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٢) وابن أبي رواد هو عبد العزيز .) ، قال : رأيت طاوساً وأصحاباً له إذا صلَّوا العصرَ استقبلوا القبلة ولم يكلِّموا أحداً ، وابتهلوا إلى الله تعالى في الدعاء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٣) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٠) .) .

وقال : من لم يبخلْ ولم يلِ مال يتيم لم ينَلْهُ جَهْدُ البلاء . رواهُ عنه أبو داود الطيالسي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٣) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٠) .) .

وقد رواه الطبراني عن محمد بن يحيى بن المنذر عن موسى بن إسماعيل عن أبي داود . . . فذكره .

وقال لابنه : يا بني ، صاحبِ العقلاءَ تُنسَبْ إليهم وإنْ لم تكنْ منهم ، ولا تصاحبِ الجُهَّال فتنسَبَ إليهم وإنْ لم تكن منهم ؛ واعلَمْ أنَّ لكلِّ شيءٍ غايةً ؛ وغايةُ المرء حُسْنُ عَقْلِه .

وسأله رجلٌ عن مسألة فانتهره ، فقال : يا أبا عبد الرحمن إني أخوك ، قال : أخي من دون الناس ؟ .

وفي رواية أنَّ رجلاً من الخوارج سأله فانتهره ، فقال : إني أخوك ، قال : أمِنْ بينِ المسلمين كلِّهم ؟

وقال عفَّان عن حماد بن زيد ، عن أيُّوب ، قال : سأل رجلٌ طاوساً عن شيءٍ فانتهره ، ثم قال : تريدُ أنْ تجعلَ في عنقي حبلاً ثم يطافُ بي ؟

ورأى طاوسُ رجلاً مسكيناً في عينه عمشٌ ، وفي ثوبِهِ وسَخ ، فقال له : عُدَّ أنَّ الفقرَ من الله ، فأين أنت من الماء ؟ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤) .)

وروى الطبرانيُّ عنه قال : إقرارٌ ببعض الظلم خيرٌ من القيام فيه (تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٩) .) .

وعن عبد الرزاق ، عن داودَ بنِ إبراهيم أنَّ الأسد حَبَسَ الناسَ ليلةً في طريقِ الحَجّ ، فدَقَّ الناسُ بعضُهم بعضاً ، فلما كان السَّحَرُ ذهب عنهم الأسد ، فنزل الناسُ يميناً وشمالاً فألقَوْا أنفسَهم ، وقام طاوسُ يُصلِّي ، فقال له رجل ـ وفي رواية فقال ابنه ـ : ألا تنام ؟ فإنَّك قد سَهرتَ ونَصبْتَ هذه الليلة . فقال : وهل ينامُ السَّحَرَ أحد ؟ وفي رواية : ما كنتُ أظنُّ أحداً ينامُ السَّحَر (أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(٣٧٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٦٦) (٣٢٣١) .) .

وروى الطبراني من طريق عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيج (في (ق) : « أبي جريج » ، تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) وابنِ عُيَيْنة ، قالا : حدّثنا ابنُ طاوس قال : قلتُ لأبي : ما أفضلُ ما يقالُ على الميت ؟ قال الاستغفار (أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٤٩٣) (٦٤٤٢) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٠) .) .

وقال الطبراني : حدّثنا عبدُ الرزاق قال : سمعتُ النعمانَ بن الزُّبير الصنعاني يحدث ، أنَّ محمد بن يوسف ـ أو أيُّوب بن يحيى ـ بعث إلى طاوس بسبعمئة دينار وقال للرسول : إنْ أخذَها منك فإنَّ الأميرَ سيَكْسُوكَ ويُحسنُ إليك . قال : فخرج بها حتى قدِم على طاوس الجند ، فقال : يا أبا عبد الرحمن نفَقةٌ بعث بها الأميرُ إليك . فقال : ما لي بها من حاجة ، فأرادَهُ على أخذِها بكلِّ طريق فأبى أنْ يقبلَها ، فغفَلَ طاوس فرَمَى بها الرجلُ في كوَّةٍ في البيت ثم ذهبَ راجعاً إلى الأمير ، وقال : قد أخذها ، فمكثوا حيناً ثم بلغَهُمْ عن طاوس ما يكرهون ـ أو شيءٌ يكرهونه ـ فقالوا : ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا . فجاءه الرسولُ فقال : المال الذي بعثه إليك الأمير رُدَّهُ إلينا . فقال : ما قبضتُ منه شيئاً . فرجع الرسولُ إليهم فأخبرهم . فعرفوا أنه صادق ، فقالوا : انظُروا الذي ذهب بها إليه ، فأرسلوه إليه ، فجاءه فقال : المالُ الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن ، قال : هل قبضتُ منك شيئاً ؟ قال : لا ! قال : فقام إلى المكان الذي رمَى به فيه فوجدَها كما هي ، وقد بنَتْ عليها العنكبوت ، فأخذها فذهبَ بها إليهم =

. . . .

= (أخرجه معمر بن راشد في الجامع (المصنف لعبد الرزاق) (١١/ ٤٧١) (٢١٠٣٢) ، والزهد لابن أبي عاصم ص(٣٧٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٠) .) .

ولما حجَّ سليمانُ بن عبد الملك قال : انظروا إليَّ فقيهاً أسألُه عن بعض المناسك . قال : فخرج الحاجبُ يلتمس له ، فمرَّ طاوس فقالوا : هذا طاوس اليماني ، فاخذه الحاجبُ فقال : أجبْ أميرَ المؤمنين ، فقال : اعْفني . فأبَى ، فأدخله عليه ؛ قال طاوس : فلما وقفتُ بين يديه قلت : إنَّ هذا المقامَ يسألُني الله عنه . فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ صخرةً كانتْ على شفيرِ جهنَّم هوَتْ فيها سبعين خريفاً حتى استقرَّتْ في قرارها ، أتدري لمن أعدَّها الله ؟ قال : لا !! وَيْلك لمن أعدها الله ؟ قال : لمن أشرَكَهُ الله في حُكْمِه فجار (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٥) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢) ، وابن رجب في التخويف من النار ص(٩١) .) .

وفي روايةٍ ذكرها الزُّهري ، أنَّ سليمان رأى رجلاً يطوفُ بالبيت ، له جَمالٌ وكمال ، فقال : مَنْ هذا يا زهري ؟ فقلت : هذا طاوس ، وقد أدرك عدَّةً من الصحابة . فأرسل إليه سليمان ، فأتاه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدّثني أبو موسى قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أهوَنَ الخلقِ على الله عزَّ وجلَّ منْ وَليَ من أمورِ المسلمين شيئاً فلم يَعْدِلْ فيهم » . فتغيَّرَ وجهُ سليمان ؛ فأطرق طويلاً ثم رفعَ رأسَهُ إليه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدّثني رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ ـ قال ابن شهاب : ظننتُ أنه أرادَ علياً ـ قال : دعاني رسولُ الله ﷺ إلى طعام في مجلسٍ من مجالس قريش ، ثم قال : « إنَّ لكم على قُريشٍ حقّاً ، ولهم على الناسِ حقّ ، ما إذا استُرحموا رَحِمُوا ، وإذا حكموا عدَلوا ، وإذا ائتُمنوا أدَّوْا ، فمنْ لم يفعلْ فعليه لعنةُ اللهِ والملائكة والناسِ أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدْلاً » . قال : فتغيَّر وَجْهُ سليمان ، وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدّثني ابنُ عباس أنَّ آخر آيةٍ نزلَتْ من كتاب الله : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] (أخرجه بطوله أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٥ ، ١٦) .) .

وقال عبدُ الله بنُ أحمد بن حنبل : حدّثني أبو مَعمر عن ابنِ عُيينة ، عن إبراهيم بنِ مَيْسرة ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لطاوس : ارفَعْ حاجتَك إلى أميرِ المؤمنين ـ يعني سُليمان ـ فقال طاوس : ما لي إليه من حاجة . فكأنَّه عجبَ من ذلك ؛ قال سفيان : وحلف لنا إبراهيم وهو مستقبلٌ الكعبة : ورَبِّ هذا البيت ، ما رأيتُ أحداً الشريفُ والوضيعُ عنده بمنزلةٍ واحدة إلاَّ طاوس (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦) .) .

قال : وجاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك ، فجلس إلى جَنْب طاوس فلم يلتفِتْ إليه ، فقيل له : جلس إليك أميرُ المؤمنين فلم تلتفتْ إليه ؟ قال : أردتُ أنْ يعلَم هو وأبوه أنَّ لله عباداً يزهدون فيهم وفيما في أيديهم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦) .) .

وقد روى عبدُ الله بن أحمد عن ابن طاوس قال : خرَجْنا حُجَّاجاً فنزَلْنا في بعضِ القُرَى ، وكنتُ أخافُ أبي من الحُكَّام لشدَّتِهِ وغِلْظته عليهم ، قال : وكان في تلك القرية عاملٌ لمحمد بن يوسف ـ أخي الحجَّاج بن يوسف ـ يقالُ له أيوب بن يحيى ، وقيل : يقالُ له : ابن نجيح ، وكان من أخبث عُمَّالهم كِبْراً وتجبُّراً ، قال : فشهدنا صلاةَ الصُّبح في المسجد ، فإذا ابنُ نجيح قد أُخبر بطاوس ، فجاء فقَعَدَ بين يديْ طاوس ، فسلَّم عليه فلم يُجِبْه ، ثم كلَّمه فأعرض عنه ، ثم عدَلَ إلى الشِّقِّ الآخر ، فأعرض عنه ، فلما رأيتُ ما به قمتُ إليه وأخذتُ بيده ، ثم قلت له : إنَّ أبا عبد الرحمن لم يعرِفْك ، فقال طاوس : بلى ! إني به لعارف ، فقال الأمير : إنه بي لعارف ، ومعرفتُه بي فعلَتْ بي ما رأيت . ثم مَضَى وهو ساكتٌ لا يقولُ شيئاً ؛ فلما دخلتُ المنزل قال لي أبي : يا لُكَع ، بينما أنت تقولُ أريد أخرُج عليهم بالسيف ، لم تستطِعْ أنْ تحبسَ عنهم لسانَك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٢) .) . =

. . . .

= وقال أبو عبد الله الشامي : أتيتُ طاوساً فاستأذنتُ عليه فخرجَ إليَّ ابنهُ شيخٌ كبير ، فقلت : أنت طاوس ؟ فقال : لا ، أنا ابنُه ، فقلت : إنْ كنتَ أنت ابنَهُ فإنَّ الشيخَ قد خَرِف ، فقال : إنَّ العالم لا يَخْرَف . فدخلتُ عليه فقال طاوس : سَلْ فأوجِزْ . فقلت : إنْ أوْجَزْتَ أوجزتُ لك ، فقال : تريد أنْ أجمعَ لك في مجلسي هذا التوراةَ والإنجيلَ والفُرْقان ؟ قال : قلتُ : نعم . قال : خف الله مخافةً لا يكونُ عندكَ شيءٌ أخوفَ منه ، وارْجُهُ رجاءً هو أشدُّ من خوفِكَ إيّاه ، وأحِبَّ للناس ما تحبُّ لنفسِك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١١) .) .

وقال الطبراني : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا عبد الرزاق عن معمر ، عن ابنِ طاوس ، عن أبيه ، قال : يُجاءُ يومَ القيامة بالمالِ وصاحبِه فيتحاجّان ، فيقول صاحبُ المال للمال : جمعتُك في يوم كذا في شهر كذا في سنةِ كذا . فيقولُ المال : ألم أقضِ لك الحوائج ؟ أنا الذي حلتُ بينك وبين أنْ تصنعَ فيما أمرَكَ الله عزَّ وجلَّ من حُبِّكَ إيّاي . فيقول صاحبُ المال : إنَّ هذا الذي (في (ق) : « إن هذا الذي نفد » ، وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) عليَّ حِبالٌ أُوثَقُ بها وأُقيَّد (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٧) ، وتتمته عندهما : « فيقول المال : أنا الذي حلتُ بينك وبين أن تصنع فيَّ ما أمرك الله به » .) .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدّثنا أبي ، حدّثنا يحيى بن الضُّرَيس ، عن أبي سنان ، عن حبيب بن أبي ثابت قال : اجتمع عندي خمسةٌ لا يجتمعُ عندي مثلهم قطّ : عطاء ، وطاوس ، ومجاهد ، وسعيد بن جُبير ، وعِكْرِمة (أخرجه المزي في تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٣) ، وتتمته فيه : « فأقبل مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير ، فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما ، فلما نفد ما عندهما جعل يقول : أنزلت آية كذ في كذا ، وأنزلت آية كذا في كذا . قال : ثم دخلوا الحمام ليلاً » .) .

وقال سفيان : قلتُ لعُبيدِ الله بن أبي يزيد : مع مَنْ كنتَ تَدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والعامة . وكان طاوسُ يدخلُ مع الخاصَّة (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٤٨١) ، والإمام أحمد في العلل (٣/ ١٣٩) ، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص(٥٦٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩) .) .

وقال حبيب : قال لي طاوس : إذا حدَّثْتُك حديثاً قد أثبتُّه [لك] فلا تسألْ عنه أحداً ـ وفي رواية ـ فلا تسأل عنه غيري (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٨٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩) ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال أبو أسامة ، حدّثنا الأعمش عن عبد الملك بن مَيْسرة ، عن طاوس ، قال : أدركتُ خمسين مِنْ أصحابِ رسول الله ﷺ (أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٩٨٢) ، وتتمته فيه : « إذا اختلفوا في شيء ردُّوه إلى ابن عباس » . وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبدُ الرزاق ، حدّثنا معمر ، أخبرني ابنُ طاوس قال : قلت لأبي : أريدُ أن أتزوَّجَ فلانة . قال : اذهبْ فانظُرْ إليها . قال : فذهبتُ فلبستُ من صالح ثيابي ، وغسلتُ رأسي ، وادَّهَنْتُ ، فلما رآني في تلك الحال قال : اجلسْ فلا تذهَبْ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) .) .

وقال عبد الله بن طاوس : كان أبي إذا سار إلى مكةَ سار شهراً ، وإذا رجَعَ رجَعَ في شهر[ين] ؛ فقلتُ له في ذلك ، فقال : بلغني أنَّ الرجلَ إذا خرج في طاعةٍ لا يزالُ في سبيلِ الله حتى يرجعَ إلى أهله (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال حمزة عن هلال بن كعب ، قال : كان طاوسُ إذا خرج من اليمن لم يشربْ إلاَّ من تلك المياهِ القديمةِ الجاهليَّة (أخرجه الإمام أحمد في الورع ص(٢٨) ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) .) .

وقال له رجل : ادْعُ الله لي . فقال : ادعُ لنفسِك ، فإنَّهُ يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاه (أخرجه الخطيب في كتابه تلخيص المتشابه (١/ ٢٢٠) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٨٩) .) . =

. . . .

= وقال الطبراني : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا عبدُ الرزاق عن مَعْمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : كان رجلٌ فيما خلا من الزمان ، وكان عاقلاً لَبيباً ، فكَبِرَ ، فقعَدَ في البيت ، فقال لابنه يوماً : إني قد اغتممتُ في البيت ، فلو أدخلتَ عليَّ رجالاً يكلِّمونني ؟ فذهب ابنُهُ فجمَعَ نفراً ، فقال : ادخلوا على أبي فحدِّثوه ، فإنْ سمعتمْ منه مُنكراً فاعذُروه فإنَّه قد كَبر ، وإنْ سمعتُم منه خيراً فاقبلُوه . قال : فدخلوا عليه ، فكان أولَ ما تكلَّم به أنْ قال : إنَّ أكْيَسَ الكَيْس التُّقى ، وأعجزَ العَجْزِ الفُجور ، وإذا تزوَّج الرجلُ فليتزوَّجْ من مَعْدِنٍ صالح ، فإذا اطلعتُمْ على فجرةِ رجلٍ فاحذروه ، فإنَّ لها أخَوَات (أخرجه معمر بن راشد في الجامع (المصنف لعبد الرزاق) (١١/ ٤٥٥) ، وأبو نعيم (٤/ ٨) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٦) .) .

وقال سلمة بن شبيب : حدّثنا أحمد بن نصر بن مالك ، حدّثنا عبد الله بن عمرو بن مسلم الجَنَدي (في (ق) : « عبد الله بن عمر بن مسلم الجيري » ، وفي الحلية : « عبد الله بن عمر الجيزي » وكلاهما تصحيف ، والمثبت من ترجمة أحمد بن نصر بن مالك في تهذيب الكمال (١/ ٥٠٧) وترجمة عمرو بن مسلم (٢٢/ ٢٤٣) ، والإكمال لابن ماكولا (٢/ ٢٢٠) ، وتقريب التهذيب ص(٤٢٧) .) ، عن أبيه ، قال : قال طاوس لابنه : إذا أقبرتَني فانظُرْ في قبري ، فإنْ لم تجدْني فاحمد الله تعالى ؛ وإنْ وجدتَني فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . قال عبدُ الله : فأخبرني بعضُ ولدِهِ أنه نظَرَ فلم يرَهُ ، ولم يجدْ في قبرِه شيئاً ، ورُئي في وجهه السُّرور (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩) .) .

وقال قبيصة : حدّثنا سفيان عن سعيد بن محمد قال : كان من دعاء طاوس يدعو : اللهمَّ احرِمني كثرةَ المالِ والولدِ ، وارزُقْني الإيمانَ والعمل (ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢) .) .

وقال سفيان عن معمر : حدّثنا الزهري قال : لو رأيتَ طاوسَ بنَ كيسان علمتَ أنه لا يكذب .

وقال عون بن سلام : حدّثنا جابر بن منصور ـ أخو إسحاق بن منصور ـ السَّلُولي عن عمران بن خالد الخُزاعي ، قال : كنتُ جالساً عند عطاء ، فجاء رجلٌ فقال : أبا محمد ، إنَّ طاوساً يزعُمُ أنَّ منْ صلَّى العشاء ، ثم صلَّى بعدَها ركعتَيْن يقرأُ في الأولى : الٓم تنزيل السجدة ، وفي الثانية : تبارك الذي بيده الملك ، كُتب له مثلُ وقوفِ عرفَة ، وليلةِ القدر . فقال عطاء : صدَقَ طاوس ما تركتُهما .

وقال ابنُ أبي السَّريّ : حدّثنا [عبد الرزاق ، حدّثنا] معمر عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : كان رجلٌ من بني إسرائيل ، وكان ربما داوَى المجانين ، وكانتِ امرأةٌ جميلة ، فأخذها الجنون ، فجيءَ بها إليه ، فتُركتْ عنده فأعجَبَتْه ، فوقع عليها فحملَتْ ، فجاءه الشيطانُ فقال : إنْ عُلم بها افتضحت ، فاقْتُلها وادْفِنْها في بيتك ، فقتَلَها ودَفَنها ، فجاء أهلُها بعد ذلك بزمانٍ يسألونه عنها ، قال : ماتَتْ . فلم يتَّهموهُ لصلاحِه ومنزلته ، فجاءهم الشيطان فقال : إنها لم تمتْ ، ولكنْ قد وقَعَ عليها فحملَتْ ، فقتلها ودفنها في بيته ، في مكانِ كذا وكذا ، فجاء أهلُها فقالوا : ما نتَّهمُك ولكنْ أخبرْنا أين دفنتَها ، ومنْ كان معك ؟ فنبشوا بيته فوجدوها حيث دفنها ؛ فأخذوه ، فحبسوه وسجنوه ، فجاءه الشيطان فقال : أنا صاحبك ، فإن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فاكفر بالله ، فأطاع الشيطان ، فكفر بالله عزَّ وجلَّ ، فقُتل فتبرَّأ منه الشيطانُ حينئذٍ . وقال طاوس : ولا أعلمُ أنَّ هذه الآية نزلَتْ إلاَّ فيه وفي مثلِه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧) ، وما مرَّ بين معقوفين منه . وأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره (٢٨/ ٥٠) في تفسير الآية ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٧٢) (٥٤٤٩) والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٤) .) .

وقال الطبراني : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا معمر ، عن ابنِ طاوس عن أبيه . قال : كان رجلٌ من بني إسرائيل له أربعةُ بنين ، فمرض ، فقال أحدُهم : إمَّا أنْ تُمرِّضوا أبانا وليس لكم من ميراثِهِ شيء ؛ وإمَّا أنْ أمرِّضَهُ وليس لي من ميراثه شيء . فمرَّضَهُ حتى مات ، ودفنه ولم يأخذْ من ميراثِهِ شيئاً ، وكان فقيراً وله=

. . . .

= عِيَال ، فأُتي في النوم ، فقيل له : ائتِ مكانَ كذا وكذا فاحفِرْهُ تجدْ فيه مئة دينارٍ فخُذْها . فقال للآتي في المنام : ببركةٍ أو بلا بركة ؟ فقال : بلا بركة . فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت : اذهَبْ فخُذْها ، فإنَّ من بركتها أنْ تكسُوَني منها ونعيشُ منها ، فأبَى وقال : لا آخذُ شيئاً ليس فيه بركة . فلما أمسى أُتي في منامه ، فقيل له : ائتِ مكانَ كذا وكذا ، فخذْ منه عشرةَ دنانير . فقال : ببركةٍ أو بلا بركة ؟ قال : بلا بركة . فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته ، فقالتْ له مثلَ ذلك ، فأبى أنْ يأخذها ؛ ثم أُتي في الليلةِ الثالثة ، فقيل له : ائتِ مكانَ كذا وكذا فخذْ منه ديناراً ، فقال : ببركة أو بلا بركة ؟ قال : ببركة . قال : نعمْ إذاً . فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذي أُشير إليه في المنام فوجدَ الدينارَ فاخذَه ، فوجدَ صيَّاداً يحملُ حُوتَيْن ، فقال : بكم هما ؟ قال : بدينار ، فأخذهما منه بذلك الدينار ، ثم انطلَقَ بهما إلى امرأته فقامت تصلِحُهما ، فشقَّتْ بطنَ أحدِهما فوجدَتْ فيه دُرَّةً لا يقومُ بها شيء ، ولم يرَ الناسُ مثلَها ؛ ثم شقَّتْ بطنَ الآخر ، فإذا فيه دُرَّةٌ مثلُها . قال : فاحتاجَ ملكُ ذلك الزمان دُرَّةً ، فبعث يطلبُها حيثُ كان ليشتريَها ، فلم توجد إلا عندَه ، فقال الملك : ائتِ بها ، فأتاه بها ، فلما رآها حلاَّها الله عزَّ وجلَّ في عينَيْه ، فقال : بِعْنيها . فقال : لا أنقصها عن وِقْرِ ثلاثينَ بغلاً ذهباً ، فقال الملك : ارضوه ، فخرجوا به فوقَّروا له ثلاثين بغلاً ذهباً ، ثم نظر إليها الملك فأعجبَتْه إعجاباً عظيماً ، فقال : ما تصلح هذه إلاَّ بأختِها ، اطلبوا لي أُختها ، قال : فأتوه ، فقالوا له : هل عندَك أختها ونعطيك ضعفَ ما أعطيناك ؟ قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم . فأتي الملك بها ، فلما رآها أخذَتْ بقلبه فقال أرضوه ، فأضعِفُوا له ضعفَ أختِها . والله أعلم (أخرج القصة معمر بن راشد في الجامع (المصنف لعبد الرزاق) (١١/ ٤٦٨ ، ٤٦٩) (٢١٠٢٧) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٠٨) (٧٩٢٣) والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٥) .) .

وقال عبد الله بن المبارك (في كتابه : « الزهد » ص(٢٠) (٥٩) .) : حدّثنا وُهَيب بن الوَرْد حدّثنا عبدُ الجبار بن الوَرْد (في الزهد : « أخبرنا وهيب بن الورد أو قال عبد الجبار بن الورد » .) ، قال : حدّثني داود بنُ شابور (في (ق) : « سابور » بسين مهملة ، والمثبت من مصادر التخريج وتقريب التهذيب ص(١٩٨) .) قال : قلنا لطاوس : ادْعُ بدعوات . فقال : لا أجدُ لذلك حِسْبة (وأخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات (٥/ ٢٤١) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٤) .) .

وقال ابنُ جُريج (في (ق) : « قال ابن جرير » ، وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر التخريج .) عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : البُخْل أن يبخلَ الإنسانُ بما في يده ؛ والشُّحُ أنْ يُحبَّ أن له ما في أيدي الناس بالحرام ؛ لا يَقْنَع (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦) ، والطبري في تفسيره بنحوه (٥/ ٨٥) في تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء ، وفيه : « والشح أن يشح على ما في أيدي الناس . . يحب أن يكون له ما في أيدي الناس بالحل والحرام » ، ومثله القرطبي في تفسيره (١٨/ ٣٠) في تفسير الآية (٩) من سورة الحشر .) .

وقيل : الشُّحُ هو تَرْكُ القناعة . وقيل : هو أن يَشُحَّ بما في يَدِ غيرِه . وهو مرضٌ من أمراضِ القلب ، ينبغي للعبد أن يعزِلَهُ عن نفسِه ، ويَنْفيَهُ ما استطاع ، وهو (يعني الشحّ .) يأمُرنا بالبُخْل كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : « اتقوا الشح فإنَّ الشُّحَّ أهلَكَ منْ كان قبلَكم ، أمرَهُمْ بالبخلِ فبَخِلوا ، وبالقطيعة فقطعوا » (أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٥٩) وابن حبان (٥١٧٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وللحديث تتمة فيهما ، وهو حديث صحيح وروى أوله مسلم رقم (٢٥٧٨) وأحمد في المسند (٣/ ٣٢٣) من حديث جابر .) . وهذا هو الحِرْصُ على الدنيا وحُبِّها .

وقال ابنُ أبي شيبة (في المصنف (٧/ ٢٠٢) (٣٥٣٤١) تحت عنوان : « كلام طاوس » .) : حدّثنا المحاربي عن لَيْث ، عن طاوس ، قال : ألا رجلٌ يقومُ بعشرِ آياتٍ من الليل ، فيُصبح قد كُتب له مئة حسنة أو أكثرُ من ذلك ، =

. . . .

= ومن زاد زِيدَ في ثوابه (وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦) .) .

وقال قُتيبة بن سعيد : حدّثنا سفيان بن عُيينة عن هشام بن حُجَير ، عن طاوس ، قال : لا يتمُّ نسك الشاب حتى يتزوَّج (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦) ، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ١٦٥) (٤٩٧) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٣) .) .

وعن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لي طاوس : لتَنْكِحَنَّ أو لأقولَنَّ لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد : ما يمنعُك من النكاح إلا عَجْزٌ أو فُجور (أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٤٥٣) (١٥٩١٠) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١٧٠) (١٠٣٨٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٦) . وذكره ابن حجر في الإصابة (٧/ ١٥٧) في ترجمة أبي الزوائد اليماني .) .

وقال طاوس : لا يحرزُ دينَ المؤمنِ إلاَّ حُفْرَتُهُ .

وقال عبدُ الرزاق عن معمر [عن] ابنِ طاوس أو غيره ، أنَّ رجلاً كان يسيرُ مع طاوس ، فسمع الرجل غراباً يَنْعبُ ، فقال : خير . فقال طاوس : أيُّ خَيْرٍ عند هذا أو شَرّ !؟ لا تصحَبْني ولا تمشِ معي (أخرجه معمر بن راشد في الجامع (المصنف لعبد الرزاق) (١٠/ ٤٠٦) (١٩٥١٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٢) ، وما مرَّ بين معقوفين منها .) .

وقال بشرُ بن موسى : حدّثنا الحميدي ، حدّثنا سفيان عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : إذا غدا الإنسانُ اتبعه الشيطان ، فإذا أتى المنزل فسَلَّم نَكَص الشيطانُ وقال : لا مَقِيل ؛ فإذا أُتي بغَدَائه فذكرَ اسمَ الله قال : لا غَدَاء ولا مَقيل ؛ فإذا دَخلَ ولم يسلِّم . قال الشيطان : أدرَكْنا المَقيل ؛ فإذا أُتي بغَدائه ولم يذكرِ اللهَ عليه قال الشيطان : مَقيلٌ وغَداء ؛ وفي العشاء مثل ذلك . وقال : إنَّ الملائكة ليكتبونَ صلاةَ بني آدم : فلان زادَ فيها كذا وكذا ؛ وفلان نقَصَ فيها كذا وكذا . وذلك في الركوع والخشوع والسجود (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥) ، وذكره المزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٢) ، (٣٦٣) .) .

وقال : لما خُلقتِ النار طارَتْ أفئدةُ الملائكة ، فلما خُلق آدم سكنَتْ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٣) .) .

وكان إذا سَمِعَ صوتَ الرعد يقول : سبحانَ منْ سبَّحَتْ له (أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٢٧) ، وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ٨٩) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال : قال مجاهد لطاوس : يا أبا عبد الرحمن ، رأيتُك تصلّي في الكعبة والنبيُّ ﷺ على بابها يقول لك : اكشِفْ قناعَك ، وبيِّنْ قراءتك . فقال له : اسكُتْ لا يسمع هذا منك أحَد . ثم تخيَّل إليَّ أن انبسَطَ في الحديث (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥) بهذا اللفظ ، وأخرجه بنحوه الدارمي في سننه (١/ ١٠٦) ، والفاكهي في أخبار مكة (٢/ ٣٢٠) .) .

وقال أحمد (في كتابه الزهد ص(٣٥) .) أيضاً بهذا الإسناد : إنَّ طاوساً قال لأبي نجيح : يا أبا نجيح ، مَنْ قالَ واتَّقَى الله خَيْرٌ ممن صمَتَ واتَّقى (أخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد ص(٢٨٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٥) .) .

وقال مسعر عن رجل : إنَّ طاوساً أتى رجلاً في السَّحَر فقالوا : هو نائم . فقال : ما كنتُ أرَى أنَّ أحداً ينامُ في السحر (تقدم في ص(٦٨) .) .

وقال عبدُ الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا محمد بن يزيد حدّثنا ابني مان عن مسعود . . . فذكره .

قال الثوري : كان طاوس يجلسُ في بيته ، فقيل له في ذلك ، فقال : حَيْفُ الأئمة وفسادُ الناس (أخرجه أبو نعيم=

. . . .

= في الحلية (٤/ ٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٢) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبدُ الرزاق قال : أخبرني أبي ، قال : كان طاوس يُصلِّي في غداةٍ باردةٍ مُغَيِّمة ، فمرَّ به محمد بن يوسف صاحبُ اليمن وحاجبُها ـ وهو أخو الحجَّاج بن يوسف ـ وطاوس ساجد ، والأمير راكبٌ في مركبه ، فأمر بساجٍ أو طيلسانٍ مرتفع القيمة ، فطُرح على طاوسَ وهو ساجد ، فلم يرفع رأسَهُ حتى فرغ من حاجتِه ، فلما سلم نظر فإذا الساجُ عليه ، فانتفضَ فألقاهُ عنه ، ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله وتركه مُلْقًى على الأرض (أخرجه المزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦١ ، ٣٦٢) وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٧) .) .

وقال نُعيم بن حماد : حدّثنا سفيان بن عيينة (في (ق) : « حدثنا حماد بن عيينة » تصحيف والمثبت من الحلية وكتب الرجال .) عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس : ما من شيءٍ يتكلم به ابنُ آدم إلا كُتب عليه ، حتى أنينه في مرضه ؛ فلما مرض الإمامُ أحمد أنَّ ، فقيل له : إنَّ طاوساً كان يكرهُ أنينَ المرض ؛ فتركه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٢) .) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدّثنا الفضل بن دُكين ، حدّثنا سفيان عن أبيه ، عن داود بن شابور ، قال : قال رجلٌ لطاوس : ادعُ الله لنا ، فقال : ما أجدُ بقلبي خشيةً فأدعوَ لك .

وقال ابن طالوت : حدّثنا عبد السلام بن هاشم عن الحسن بن الحصين بن أبي الحُرّ العَنْبَري (في (ق) ؛ « الحسنِ بن أبي الحصين العنبري » ، وفي سير أعلام النبلاء : « الحر بن أبي الحصين » كلاهما تصحيف ، والمثبت من تهذيب الكمال ، وكتب الرجال .) ، قال : مَرَّ طاوس بروَّاسٍ قد أخرج رؤوساً ، فغُشي عليه . وفي رواية : كان إذا رأى الرؤوس المشويَّة لم يتعشَّ تلك الليلة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٢) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا الأشجعي ، عن سفيان الثوريّ ، قال : قال طاوس : إنَّ المَوْتَى يُفْتنون في قبورهم سَغَباً ، وكانوا يستحبُّون أنْ يطعم عنهم تلك الأيام (ذكره السيوطي في الديباج (٢/ ٤٩١) ، وفيه : « في قبورهم سبعاً » .) .

وقال ابنُ إدريس : سمعتُ ليثاً يذكرُ عن طاوس ، وذكر النساء فقال : فيهن كفر من مضى وكفر من بقي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١١) ، وابن أبي شيبة بنحوه في المصنف (٤/ ٤٦) (١٧٦٤٣) .) .

وقال أبو عاصم عن زَمْعَة (في (ق) : « بقية عن سلمة بن وهرام » وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر التخريج وترجمة كل من زمعة وسلمة في تهذيب الكمال (٩/ ٣٨٦ و١١/ ٣٢٨) .) ، عن سلمة بن وهرام ، عن طاوس قال : كان يقال : اسجُدْ للقردِ في زمانِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١١) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٧) .) . أيْ أطِعْهُ في المعروف .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة (في المصنف (٧/ ٢٠٢) (٣٥٣٣٩) .) : حدّثنا أسامة ، حدّثنا نافع بن عمر عن بشر بن عاصم ، قال : قال طاوس : ما رأيتُ مثلَ أحدٍ أمِنَ على نفسه ، ولقد رأيتُ رجلاً لو قيل لي : منْ أفضَلُ منْ تعرف ؟ لقلت : فلانٌ ذلك الرجل ، فمكَثْتُ على ذلك حيناً ، ثم أخذهُ وجَعٌ في بطنه ، فأصاب منه شيئاً استنضح بطنه عليه ، فاشتهاه ، فرأيتُه في نِطْع ، ما أدري أيُّ طرفيْه أسرعُ ، حتى مات عَرَقاً (وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢) .) .

وروى أحمد حدّثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن طاوس أنه رأى فِتيةً من قريش يرفلون في مِشْيتهم ، فقال : إنكم لتلبسُونَ لبسةً ما كانتْ آباؤكم تَلْبَسُها ، وتمشون مشيةً ما يُحسن الزَّفَّافون أنْ يمشوها (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠) ، وفيه : « تحسن الرقاص » .) . =

. . . .

= وقال أحمد : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا معمر ، أنَّ طاوساً قام على رفيقٍ له مرض ، حتى فاتَهُ الحجّ ـ لعله هو الرجلُ المتقدِّم قبلَ هذا استنضح بطنه ـ

وقال مِسْعَر بن كِدَام عن عبد الكريم المعلم (في (ق) : « عبد الكبير المعلم » وهو تصحيف ، والمثبت من سنن سعيد بن منصور (١/ ١٩٤) ، ومصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٧) ، ومصنف عبد الرزاق (٢/ ٤٨٨) ، وشعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٣٨٨) ، وترجمته في الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٨٢) ، والتاريخ الكبير (٦/ ٨٩) ، والجرح والتعديل (٦/ ٥٩) ، وهو عبد الكريم بن أبي المخارق أبو أمية البصري المعلم .) ، قال طاوس : قال ابنُ عباس : سئل النبيُّ ﷺ : مَنْ أحسنُ قراءةً ؟ قال : « منْ إذا سمعتَهُ يقرأ رأيتَ أنه يخشى الله عزَّ وجلَّ » (إسناده ضعيف ، وهذا الحديث لا يصح موصولاً ؛ أخرجه موصولاً : أبو نعيم في الحلية ٤/ ١٩ وفي أخبار أصبهان ٢/ ٩٠ ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٥٨) . وأخرجه عن طاووس مرسلاً : عبد الرزاق (٤١٨٥) ، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٤ ، والدارمي ٢/ ٤٧١ ، والبيهقي في الشعب (١٩٥٩) . وقال البزار عقيب إخراجه : « لم يتابع حميد على روايته هذه ، إنما يرويه مسعر عن عبد الكريم عن مجاهد مرسلاً ، ومسعر لم يحدث عن عبد الله بن دينار بشيء ، ولم نسمع هذا إلا من محمد بن معمر ، أخرجه إلينا من كتابه » (كشف الأستار ٢٣٢٦) . وقال ابن عدي عقيب ذكره لرواية ابن عباس هذه ٢/ ٦٩٣ : « والصحيح مرسل عن طاووس . . . رواه أبو أسامة مرسلاً » (بشار) . ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (١٣٣٩) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً ، وإسناده ضعيف (ع) .) .

وقد رُوي هذا أيضاً من طريق ابنِ لَهيعة عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، قال : قال ابن عباس : إنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ أحسَنَ الناسِ قراءةً منْ قرأ القرآنَ يتحزَّنُ به » (أخرجه من هذا الوجه الطبراني في الكبير (١٠٨٥٢) وعنه أبو نعيم في الحلية ٤/ ١٩ ، وإسناده ضعيف . وقد روي من طرق أخرى لا يفرح بمجملها فهي لا تخلو من ضعف . وينظر كلامنا في تاريخ الخطيب ٤/ ٣٤١ (بشار) .) .

وعنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رآني رسولُ الله ﷺ وعليَّ ثوبان معصفران ، فقال : « أُمُّك أمرتك بهذا » ؟ قلت : أغْسلُهما ؟ قال : « بل أحْرِقْهما » (في (ق) : « أحدهما » بدل « احرقهما » ، وهو تحريف ، والمثبت من صحيح مسلم .) . رواه مسلم في صحيحه (صحيح مسلم (٢٠٧٧) في اللباس والزينة : باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر .) عن داود بن رُشَيد (في (ق) : « داود بن راشد » ، وهو تصحيف ، والمثبت من صحيح مسلم .) ، عن عمر بن أيُّوب ، عن إبراهيم بن نافع ، عن سليمان الأحْوَل ، عن طاوسَ به .

ورَوَى محمد بن مسلم عن إبراهيم بن مَيْسَرة عن طاوس ، عن ابن عمرو ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الجَلاوِزَةُ (في (ق) : « الجلاوذة » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الحديث . والجلاوزة : جمع جِلواز ، وهو الشرطي .) والشُّرَطُ ، وأعوانُ الظَّلمةِ ، كلابُ النار » . انفرد به محمد بن مسلم الطائفي (في (ق) : « الطالقي » ، وهو تصحيف ، والمثبت من الحلية (٤/ ١) ، والإكمال لابن ماكولا (١/ ٢٩٤) ، وتقريب التهذيب ص(٥٠٦) . والحديث أخرجه الديلمي في الفردوس (٢/ ١١٨) (٢٦٢١) ؛ وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢١) وقال : غريب من حديث طاوس ؛ تفرد به محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم عنه . قال بشار : هو حديث موضوع ، ساقه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٠٠ .) .

وقال الطبراني : حدّثنا محمد بن الحُسَين (في (ق) : « محمد بن الحسن » تصحيف ، والمثبت من كتب الرجال وهو شيخ للطبراني معروف .) الأنماطي البغدادي ، حدّثنا عبد المنعم بن إدريس ، حدّثنا أبي ، عن وَهْبِ بن مُنَبِّه ، عن طاوس عن أنس بن مالك قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لعليِّ بن أبي طالب : « يا عليّ ، استكثرْ من المعارفِ من المؤمنين ، فكم من معرفةٍ في الدنيا بركةٌ في الآخرة » . فمضى عليٌّ فأقام حيناً لا يَلْقى أحداً إلا اتخذَهُ

ترجمناهما[١] في كتابنا « التكميل » ولله الحمد والمنّة .

ثم دخلت سنة سبع ومئة

فيها خَرَج باليمن رجلٌ يُقالُ له : عَبّاد الرُّعَيْني ، فدَعَا إلى مذهب الخوارج ، واتَّبعه فرقةٌ من الناس ، وحملوا ، فقاتلهم يوسف بن عمر فقتله وقتَلَ أصحابَه ، وكانوا ثلاث مئة ، ولله الحمد .

وفيها وَقَعَ بالشام طاعونٌ شديد ؛ وفيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفة ، وعلى جيش أهل الشام مَيْمون بن مِهْرَان ، فقطعوا البحر ، إلى قُبْرُص ، وغزا مَسْلَمةُ في البَرّ في جيشٍ آخر .

وفيها ظَفِرَ أَسَدُ بن عبد الله القَسْري بجماعةٍ من دعاةِ بني العباس بخراسان فصلبهم وأشهرهم .

وفيها غزا أَسَدٌ القَسْريُّ جبالَ نُمْروذ[٢] ، ملك الغَرْشِسْتَان[٣] مما يلي جبال الطالقان ، فصالحه نُمروذ وأسلم على يدَيْه .

وفيها غزا أَسَدٌ الغَوْر ـ وهي جبالُ هَرَاة ـ فعَمَد أهلُها إلى حواصلهم وأموالهم وأثقالهم ، فجعلوا ذلك كلَّه في كهفٍ مَنِيع ، لا سبيلَ لأحدٍ إليه ، وهو مُسْتَفِلٌ[٤] جدّاً ، فأمر أسد بالرجال فجعلوا في توابيت ، ودلّاهم إليه ، وأمرهم بوضع ما هنالك في التوابيت ، فلما أخذ ما هنالك قعد الرجال في التوابيت ، ورفعوهم ، فسلموا وغنموا ، وهذا رأيٌ سَديد .

= للآخرة ، ثم جاء من بعد ذلك فقال له رسولُ الله ﷺ : « ما فعلتَ فيما أمرتُكَ به » ؟ قال : قد فعلتُ يا رسولَ الله . فقال له النبيُّ ﷺ : « اذهبْ فابْلُ أخبارَهم » ، فذهب ، ثم أتى النبيَّ ﷺ وهو منكّسٌ رأسَه ، فقال له النبيُّ ﷺ وهو (كررت في (ق) العبارة : « اذهب فابل أخبارهم » وسقط منها لفظ « وهو » ، فألجأت الناسخ إلى زيادة « فقال » . والمثبت من الحلية .) يتبسَّم : « ما أحسبُ يا عليُّ ثَبَتَ معَكَ إلا أبناءُ الآخرة » فقال له علي : لا والذي بعثَكَ بالحق ، فقال له النبي ﷺ : « ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ﴾ [الزخرف : ٦٧ ـ ٦٨] يا عليُّ ، أقبِلْ على شأنِك ، وامْلِكْ لسانَك ، وأغفل من (كذا في (ق) ، وفي الحلية : « وأعقل من » .) تعاشر من أهلِ زمانك تكنْ سالماً غانمًا » لم يُرْوَ إلا من هذا الوجه فيما نعلم والله أعلم] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٢ ، ٢٣) ، وقال : غريب من حديث طاوس ، لم نكتبه إلا من هذا الوجه (قال بشار : إسناده ضعيف جدًّا ، فيه عبد المنعم بن إدريس بن سنان اليماني (ميزان ٢/ ٦٦٨) وأبوه إدريس بن سنان ضعيف) . وهنا ينتهي القسم الذي زادته (ق) وهو محصور بين معقوفين فتح في ص(٦٥) موضع الحاشية (٤) ، وأغلق هنا .) .

(١) في (ق) : « وقد ترجمناهم » ، والمثبت من (ب ، ح) ، إشارة إلى سالم بن عبد الله وطاوس بن كيسان .

(٢) في تاريخ الطبري : نَمرون .

(٣) في (ق) : « القرقيسيان » وهو تحريف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وتاريخ خليفة ص(٣٣٧) ؛ ومعجم البلدان (٤/ ١٩٣) ، وهي ولاية تقع بين هراة في غربيها ، والغور في شرقيها ، ومرو الروذ عن شماليها ، وغزنة عن جنوبيها .

(٤) في (ق) : « لأحد عليه ، وهو مستعلٍ » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) .

وفيها أمر أسدٌ بجمعِ ما حَوْلَ بَلْخ إليها ؛ واستناب عليها بَرْمَك ، والدَ خالدِ بن بَرْمك ، وبناها بناءً جيداً جديداً محكماً ، وحصَّنها وجعَلَها مَعْقِلاً للمسلمين .

وفيها حجَّ بالناس إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل أمير الحرمين .

وممن توفِّي فيها من الأعيان :

سليمان بن يسَار أَحَد التابعين[(١)] .

وعِكْرِمة مولى ابن عباس[(٢)] : أحدُ التابعين ، والمفسِّرين المكثرين والعلماء الربَّانيِّين ، والرحَّالين الجوَّالين[(٣)] .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٤) ، طبقات خليفة ص(٢٧٤) ، تاريخ خليفة ص(٣٣٠ و٣٤٠) ، التاريخ الكبير (٤/ ٤١) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٩) ، الجرح والتعديل (٤/ ١٤٩) ، حلية الأولياء (٢/ ١٩٠) ، طبقات الفقهاء ص(٦٠) ، صفة الصفوة (٢/ ٨٢) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٩٩) ، مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ٩٢)١ ، تهذيب الكمال (١٢/ ١٠٠) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٠) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٤) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩١) ، الوافي بالوفيات (١٥/ ت٥٩٣) ، طبقات الحفاظ ص(٣٥) . وما سيأتي هنا ليس في (ب ، ح) أقحمته (ق) في المتن فوضعناه في الحاشية وهو : [هو أخو عطاء بن يسار ، له رواياتٌ كثيرة ، وكان من المجتهدين في العبادة ؛ وكان من أحسنِ الناس وَجْهاً ؛ تُوفِّي بالمدينة وعمره ثلاثٌ وسبعون سنة ، دخلَتْ عليه امرأةٌ من أحسن الناسِ وجهاً ، فأرادَتْهُ على نفسِها ، فأبَى وتركها في منزلِهِ وخرَجَ هارباً منها ، فرأى يُوسفَ عليه السلام في المنام ، فقال له : أنتَ يوسف ؟ فقال : نعم أنا يوسف الذي همَمْتُ ، وأنت سُليمان الذي لم تَهُمَّ .
وقيل : إنَّ هذه الحكايةَ إنما وقعَتْ في بعضِ منازل الحُجَّاج ، وكان معه صاحبٌ له ، فبعثه إلى سوقِ الحُجَّاج ليشتريَ شيئاً ، فانحطَّتْ على سليمان امرأةٌ من الجَبَل حسناء ، فقالت له : هَيْتَ لك ، فبكى واشتدَّ بكاؤه ، فلما رأَتْ ذلك منه ارتفعَتْ في الجبل ؛ وجاء صديقُهُ ، فوجده يبكي ، فقال له : ما لك تبكي ؟ فقال : خير ، فقال : لعلك ذكرتَ بعضَ ولدِك أو بعضَ أهلك ؟ فقال : لا . فقال : واللهِ لَتخبرَنِّي ما أبكاك أنت . قال : أبكاني حُزْني على نفسي ، لو كنتُ مكانك لم أصبِرْ عنها . ثم ذكر أنه نام فرأى يوسُفَ في منامه كما تقدَّم ، والله أعلم] .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٥ و٥/ ٢٧٨) ، تاريخ ابن معين (٢/ ٤١٢) ، طبقات خليفة (٢٨٠) ، تاريخ خليفة ص(٣٣٦) ، التاريخ الكبير (٧/ ٤٩) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٥) ، الجرح والتعديل (٧/ ٧) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٢٢٩) ، حلية الأولياء (٣/ ٣٢٦) ، صفة الصفوة (٢/ ١٠٣) المختار من مناقب الأخيار (٤/ ١٠) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥) ، مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٤٠) ، تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٦٤) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٥) ، العقد الثمين (٦/ ١٢٣) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣) ، طبقات الحفاظ ص(٣٧) ، طبقات الشعراني (١/ ٣٩) .

(٣) هنا تبدأ زيادة نسخة (ق) وتنتهي في ص(٨٤) قبل موضع الحاشية (١) وهي :
[وهو أبو عبد الله ، وقد روى عن خَلْقٍ كثيرٍ من الصحابة ، وكان أحد أوعيةِ العلْم ، وقد أفتى في حياةِ مولاهُ ابنِ عباس ، قال عكرمة : طلبتُ العلم أربعين سنة . وقد طاف عكرمةُ البلاد ، ودخل إفْريقيَةَ واليمن والشام والعراق وخُراسان ، وبَثَّ عِلْمَه هنالك ، وأَخَذَ الصِّلاتِ وجوائزَ الأمراء ، وقد روى ابنُ أبي شيبةَ عنه قال : كان ابن عباس يجعَلُ في رجلي الكَبْلَ يعلِّمُني القرآنَ والسُّنَن (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٦) ، وأخرجه بإسناد آخر ابن=

. . . .

= سعد في الطبقات (٥/ ٢٨٧) ، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٥/ ٧٥) .) .

وقال حَبيب بنُ أبي ثابت : اجتمع عندي خمسةٌ لا يجتمع عندي مثلُهم أبداً ، عطاء ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ؛ فأقبلَ سعيدٌ ومجاهد يُلقيان على عكرمةَ التفسير ، فلم يسألاه عن آيةٍ إلاّ فسَّرَها لهما ، فلما نَفِدَ ما عندهما جعل يقول : أُنزلت آيةُ كذا في كذا ، قال : ثم دخلوا الحمَّامَ ليلاً (ذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٣) .) .

قال جابر بن زيد : عكرمةُ أعلمُ الناس . وقال الشعبي ، ما بقي أحدٌ أعلَمُ بكتاب الله من عكرمة .

وروى الإمامُ أحمد عن عبد الصمد عن سلاَّم بن مسكين سمعت قتادة يقول : أعلمهم بالتفسير عكرمة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٦) .) .

وقال سعيد بن جبير نحوه .

وقال عكرمة : لقد فسَّرتُ ما بين اللوحين .

وقال ابنُ عُليَّة عن أيوب : سأل رجلٌ عكرمةَ عن آيةٍ فقال : نزلَتْ في سفح ذلك الجبل ـ وأشار إلى سَلْع (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٧) ، والإمام أحمد في معرفة الرجال (٢/ ٣٨٧) .) ـ

وقال عبد الرزاق عن أبيه : لما قدم عكرمةُ الجَنَد (في الحلية : « الحيرة » ، والمثبت من (ق) وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٥) ، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٠) والمختار لابن الأثير (٤/ ١١) . والجند : من أعمال اليمن ، بينه وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً . انظر معجم البلدان (٢/ ١٦٩) .) حمله طاوس على نجيبٍ ، فقال : ابتعتُ عِلْمَ هذا الرجل .

وفي رواية أنَّ طاوساً حمله على نجيبٍ ثمنهُ ستون ديناراً ، وقال : ألا نشتري عِلْمَ هذا العبد بستين ديناراً (أخرجه الإمام أحمد في العلل ص(١٥٤) ، وأخرجه عنه الخطيب في الكفاية في علم الرواية ص(١٥٥) .) .

ومات عكرمةُ وكُثَيِّرُ عَزَّة في يوم واحد ، فأُخرجت جنازتُهما ، فقال الناس : مات أفقهُ الناس وأشعَرُ الناس (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٢٩٢) ، وابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٣٥) .) .

وقال عكرمة : قال لي ابن عباس : انطلِقْ فأفْتِ الناس ، فمنْ سألك عما يعنيه فأفتِه ، ومنْ سألك عما لا يعنيه فلا تُفْتِه ، فإنك تطرَحُ عني ثُلُثَيْ مؤنةِ الناس (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٧) .) .

وقال سفيان عن عمرو قال : كنتُ إذا سمعتُ عكرمة يحدِّثُ عن المغازي ، كأنه مشرفٌ عليهم ينظرُ كيف يَصْنعون ويقتتلون (انظر تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٢) ، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٦) .) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدّثنا عبدُ الرزاق قال : سمعتُ معمراً يقول : سمعتُ أيوب يقول : كنتُ أريدُ أنْ أرحلَ إلى عكرمة ، إلى أُفقٍ من الآفاق ، قال : فإني لفي سوق البصرة فإذا رجلٌ على حمار ، فقيل : هذا عكرمة ، قال : واجتمع الناسُ إليه فما قدَرْتُ أنا على شيءٍ أسأله عنه ، ذهبَتْ مني المسائل ، وشردَتْ عني ، فقمتُ إلى جنب حماره ، فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظه (ذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٤) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ١٨) .) .

وقال شعبةُ عن خالد الحَذَّاء ، قال : قال عكرمة لرجلٍ وهو يسأله : ما لك أجبلتَ (في (ق) : « أخبلت » ، والمثبت من مصادر التخريج ، والنهاية في غريب الحديث ، وفيه : « ما لك أجبلت ؟ أي انقطعت ، من قولهم أجبل الحافر ، إذا أفضى إلى الجبل أو الصخر ، الذي لا يحيك فيه المعول » .) ؟ أي فُتنت (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٢٩١) ، وفيه : « أجبلت يعني أكديت ، أي نفد ما عندك » ، والإمام أحمد في العلل ص(١٥٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٨) ، وفيه : « ما لك أجبلت ؟ قال : إني تعبت » .) . =

. . . .

= وقال زياد بن أبي أيوب : حدّثنا أبو تُمَيلة ، حدّثنا عبد العزيز بن أبي رَوَّاد ، قال : قلت لعكرمة بنيسابور : الرجل يريدُ الخلاء وفي إصبعه خاتمٌ فيه اسم الله ؟ قال : يجعلُ فَصَّه في باطنِ يده ثم يقبِضُ عليه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٨) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أمية بن خالد قال : سمعتُ شعبة يقول : قال خالد الحذَّاء : كلُّ شيءٍ قال فيه محمد بن سيرين : نُبِّئْتُ (في (ق) : « ثبت » ، تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) عن ابن عباس ؛ إنما سَمِعَهُ من عكرمة ، لقيه أيام المختار بالكوفة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٨) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٤) ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ١٩٤) عن أمية به ، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٤٨) .) .

وقال سفيان الثوري : خذوا المناسِكَ عن سعيد بن جُبير ، ومُجاهد ، وعِكْرمة .

وقال أيضاً : خذوا التفسير عن أربعة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك .

وقال عكرمة : أدركتُ مئتينِ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ في هذا المسجد .

وقال محمد بن يوسف الفِرْيابي : حدّثنا إسرائيل عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة ، قال : كانتِ الخيلُ التي شغلَتْ سليمانَ بن داود عليه السلام عشرين ألفاً فعقرَها (أخرجه محمد بن نصر بن الحجاج المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٠٢) .) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدّثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة : ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء : ١٧] ، قال : الدنيا كلُّها قريب ، وكلُّها جهالة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٩) .) .

وفي قوله : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص : ٨٣] قال : عند سلاطينها وملوكِها ؛ ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ لا يعملون بمعاصي الله عزَّ وجلَّ ، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ هي الجنة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٩ ، ٣٣٠) .) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ ﴾ أي تركوا ما وُعظوا . ﴿ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍ ﴾ أي شديد . ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ أي تمادوْا وأصرُّوا . ﴿ خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف : ١٦٥ ـ ١٦٦] صاغرين . ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ أي من الأمم الماضية ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ من الأمم الآتية ، من أهل زمانهم وغيرهم ﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾ [البقرة : ٦٦] تقِي من اتعظ بها الشركَ والمعاصي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣١) .) .

وقال ابن عباس : إذا كان يومُ القيامة بعث الله الذين اعتدوا ، ويُحاسب الذين تركوا الأمر والنهي ، كان المسخُ لهم عقوبةً في الدنيا حين تركوا الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣١) .) .

وقال عكرمة : قال ابنُ عباس : هلَكَ والله القومُ جميعاً ، قال ابن عباس فالذين أمَروا ونَهوْا نجوْا ؛ الذين لم يأمُروا ولم ينهَوْا هلكوا فيمن هلك من أهل المعاصي . قال : وذلك أهلُ أيْلة ـ وهي قريةٌ على شاطئ البحر ـ وكان الله قد أمر بني إسرائيلَ أن يتفرَّغوا ليوم الجمعة ، فقالوا : بل نتفرَّغ ليوم السبت ، لأنَّ الله فرَغَ من الخَلْق يومَ السبت ، فأصبحتِ الأشياء مسبوتة (في الحلية « مستوية » ، والخبر فيه (٣/ ٣٣٠) .) .

وذكروا (قوله : « ذكروا » لعله يشير إلى عكرمة وابن عباس ومن روى عنهما في الخبر السابق ؛ لأن ما جاء هنا متصل بالخبر السابق كما في الحلية .) قصة أصحابِ السبت ، وتحريم الصيد عليهم ، وأنَّ الحيتانَ كانتْ تأتيهم يومَ السبت ولا تأتيهم في غيره من الأيام ، وذكروا احتيالَهم على صيدِها في يوم السبت ، فقال قوم : لا ندعُكم تصيدون في يوم السبت ، ووعظوهم ، فجاء قومٌ آخرون مداهنون فقالوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ قال الناهون : ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٤] أي ينتهون عن الصيد في يوم السبت

. . . .

= (انظر الحلية (٣/ ٣٣٠ ، ٣٣١) .) .

وقد ذكر عكرمةُ أنه لما قال لابنِ عباس : إنَّ المداهنين هلكوا مع الغافلين ؛ كساه ثوبَيْن (انظر الحلية (٣/ ٣٣١) .) .

وقال جَرير (في (ق) : « حوثرة عن مغيرة » ، وهو تصحيف ، والمثبت من حلية الأولياء (٣/ ٣٣١) ، وكتب الرجال .) : عن مُغيرة ، عن عكرمة ، قال : كانتِ القضاةُ ثلاثة ـ يعني في بني إسرائيل ـ فمات واحد ، فجعل الآخر مكانه ، فقَضَوا ما شاء الله أن يَقْضُوا ، فبعث الله ملَكاً على فرس ، فمرَّ على رجلٍ يَسْقي بقرةً معها عِجْل ، فدعا المَلكُ العجلَ ، فتبع العجلُ الفرس ، فجاء صاحبه ليردَّه فقال : يا عبد الله ! عِجْلي وابن بقرتي ، فقال الملك : بل هو عجلي وابنِ فرسي ، فخاصمَهُ حتى أعياه ، فقال : القاضي بيني وبينك . قال : لقد رضيت ، فارتفعا إلى أحد القضاة فتكلَّم صاحبُ العِجْلِ فقال له : مَرَّ بي على فرس ، فدعا عِجْلي فتبعَهُ ، فأبى أنْ يردَّه . قال : ومع الملك ثلاثُ دُرَّاتٍ لم ير الناسُ مثلَها ، فأعطى القاضيَ دُرَّةً وقال : اقضِ لي . فقال : كيف يَسُوغُ هذا ؟ فقال : نرسل العِجْلَ خلفَ الفرس والبقرة ، فأيهما تبعها فهو ابنُها . ففعل ذلك ، فتبع الفرس فقضَى له . فقال صاحبُ العِجْل : لا أرضَى ، بيني وبينك القاضي الآخر . ففعلا مثل ذلك ، ثم أتيا الثالث فقصَّا عليه قصتهما ، وناوله الملَكُ الدُّرَّة الثالثة فلم يأخُذْها . وقال : لا أقضي بينكما اليوم . فقالا : ولم لا تقضي بيننا ؟ فقال : لأني حائض ، فقال الملَكُ : سبحان الله !! رجلٌ يحيض !؟ . فقال القاضي : سبحان الله ! وهل تُنتجُ الفرَسُ عِجلاً ؟ فقضَى لصاحبِ البقرة . فقال الملك : إنكم إنما ابتُليتم ، وقد رَضيَ الله عنك وسخِطَ على صاحبَيْك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣١ ، ٣٣٢) .) .

وقال أبو بكر بن عياش عن أبي حمزة الثُّمالي ، عن عكرمة ، أنَّ مَلِكاً من الملوك نادَى في مملكته : إني إنْ وجدتُ أحداً يتصدَّق بصدقةٍ قُطعتْ يدُه . فجاء سائلٌ إلى امرأة فقال : تصدقي عليَّ بشيء . فقالت : كيف أتصدَّق عليك والملكُ يقطعُ يَدَ منْ يتصدَّق ؟ قال : أسألكِ بوجهِ الله إلاَّ تصدقتِ عليَّ بشيء ، فتصدقَتْ عليه برغيفَيْن ، فبلغ ذلك الملك ، فأرسل إليها فقطع يدَيْها ، ثم إنَّ الملك قال لأمه : دُلِّيني على امرأةٍ جميلةٍ لأتزوَّجَها . فقالت : إنَّ هاهنا امرأةً ما رأيتُ مثلها ، لولا عَيْبٌ بها . قال : أيُّ عيبٍ هو ؟ قالت : مقطوعة اليدَيْن . قال : فأرسلي إليها . فلما رآها أعجَبتْه ـ وكان لها جمال ـ فقالتْ : إنَّ الملك يُريد أن يتزوَّجك : قالت : نعم إنْ شاء الله ، فتزوَّجها وأكرَمها ، فنهَدَ إلى الملكِ عدوٌّ فخرج إليهم (من المناهدة في الحرب ، وهي المناهضة ؛ ونهد القوم لعدوهم : أي صمدوا . اللسان (نهد) .) ؛ ثم كتَبَ إلى أُمِّه : انظري فلانة فاستوصي بها خيراً ، وافعلي وافعلي معها ، فجاء الرسولُ فنزل على بعضِ ضَرائرها فحسَدْنَها ، فأَخَذْنَ الكتابَ فغَيَّرْنَه وكَتَبْنَ إلى أمه : انظري فلانة ، فقد بلغني أنَّ رجالاً يأتونها ، فأخرجيها من البيت وافعلي وافعلي . فكتبتْ إليه الأمُّ : إنك قد كذبتَ ، وإنها لامرأةُ صِدْق ، فذهب الرسول إليهن فنزَلَ بهنَّ فأَخَذْنَ الكتاب فغيَّرْنَهُ ، فكتبنَ إليه : إنها فاجرة وقد ولدَتْ غلاماً من الزنا ، فكتب إلى أمه ، انظري فلانة فاجعلي ولدَها على رقبتها واضربي على جيبها وأخرجيها . قال : فلما جاءها الكتاب قرَأَتْهُ عليها وقالت لها : اخرجي . فجعلتِ الصبيَّ على رقبتَها وذهبَتْ ، فمرَّتْ بنهرٍ وهي عطشانة ، فنزلتْ لتشربَ والصبيُّ على رقبتها ، فوقع في الماء فغرِق ، فجلسَتْ تبكي على شاطئ النهر ، فمرَّ بها رجلان فقالا : ما يُبكيك ؟ فقالت : ابني كان على رقبتي ، وليس لي يدان ، فسقط في الماء فغرِق . فقالا لها : أتحبِّينَ أنْ يردَّ الله عليك يديك كما كانتا ؟ قالتْ : نعم . فدَعَوا الله ربَّهما لها فاستوَتْ يداها ؛ ثم قالا لها : أتدرين منْ نحن ؟ قالتْ : لا . قالا : نحن الرغيفانِ اللذانِ تصدَّقتِ بهما (أخرج القصة أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٢ ، ٣٣٣) .) .

وقال في قوله : ﴿ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل : ٣] قال : طيرٌ خرجَتْ من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع ، فلم تزَلْ=

. . . .

= ترميهم حتى جدرَتْ جلودَهم ، وما رُئي الجُدَريُّ قبلَ يومئذٍ ، وما رُئي الطيرُ قبل يومئذٍ ولا بَعْدُ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٣) ، وفيه تتمة .) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت : ٦ ـ ٧] قال : لا يقولون لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [الأعلى : ١٤] قال : من يقول لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [النازعات : ١٨] إلى أنْ تقول لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] على شهادةِ أنْ لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود : ٧٨] أليس منكم من يقول : لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] قال : لا إله إلا الله . وفي قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران : ١٩٤] لمن قال : لا إله إلا الله (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٣ ، ٣٣٤) .) .

وفي قوله : ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٣] على من لا يقول : لا إله إلا الله (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٤) .) .

وفي قوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٤] قال : إذا غضبت (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٤) .) .

[وفي قوله :] ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم ﴾ [الفتح : ٢٩] قال : السَّهَر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٤).) .

وقال : إنَّ الشيطانَ لَيُزَيِّنُ للعبد الذنب ، فإذا عمِلَه تبرَّأ منه ، فلا يزالُ يتضرَّعُ إلى ربِّه ويتمَسْكن له ويبكي حتى يغفرَ الله له ذلكَ وما قبلَه .

وقال : قال جبريلُ عليه السلام : إنَّ ربِّي ليبعَثُني إلى الشيء لأمضِيَه فأجدُ الكونَ قد سبقَني إليه . وسُئل عن الماعون ، قال : العاريَّة : قلتُ : فإنْ منَعَ الرجلُ غربالاً أو قِدْراً أو قَصْعةً أو شيئاً من متاع البيت فله الوَيْل ؟ قال : لا ، ولكن إذا سَهَا (في (ق) : « إذا نهى » ، والمثبت من الحلية ، ولكن فيه كتبت الألف على شكل الياء هكذا « سهى » .) عن الصلاةِ ومنَعَ الماعونَ فلَهُ الوَيْل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٥) .) .

وقال : البِضاعةُ المُزْجاة : التي فيها تَجوُّز . وقال : السائحون : همْ طلبة العلم . وقال : ﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة : ١٣] قال : إذا دخل الكفار القبور ، وعاينُوا ما أعدَّ الله لهم من الخِزْي ، يئسوا من نعمةِ الله .

وقال غيره : ﴿ يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ أي من حياتهم وبعثهم بعدَ موتهم .

وقال : كان إبراهيمُ عليه السلام يُدْعَى (في الحلية : « يكنى » .) أبا الضِّيفان ؛ وكان لقصرِه أربعةُ أبواب لكيلا يفوتَهُ أحد . وقال : أنكالاً ، أيْ قيوداً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٦) .) .

وقال في كاهِنِ سَبَأ : إنه قال قومه لما دنا منهم العذاب : منْ أراد سفراً بعيداً وحملاً شديداً ، فعليه بعُمَان ، ومن أراد الخمر والخمير ، وكذا وكذا والعصير ، فعليه ببُصْرى ـ يعني الشام ـ ومن أراد الراسخاتِ في الوَحْل ، والمقيماتِ في المَحْل ، فعليه بيثرب ذاتِ النَّخْل . فخرج قومٌ إلى عُمان ، وقومٌ إلى الشام ، وهم غسَّان ، وخرج الأوْس والخَزْرَج ـ وهم بنو كعبِ بن عمرو ـ وخُزَاعة حتى نزلوا يثرب ، ذاتِ النَّخْل ، فلما كانوا ببطْنِ مَرّ قالتْ خُزَاعة : هذا موضعُ صالح لا نريدُ به بَدَلاً ، فنزلوا ، فمن ثمَّ سُمِّيتْ خُزَاعة ، لأنهم تخزَّعوا من أصحابهم . وتقدَّمتِ الأوسُ والخزرجُ حتى نزلوا بيثرب (أخرجه مطولاً أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٦ ، ٣٣٧) .) .

وقال الله عزَّ وجلَّ ليوسفَ عليه السلام يا يوسف ! بعفوك عن إخوتك رفعتُ لك ذِكرَك مع الذاكرين (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٧) .) .

وقال : قال لقمان لابنه : قد ذقتُ المرار فلم أذُقْ شيئاً أمرَّ من الفقر ، وحملتُ كلَّ حملٍ ثقيل فلم أحملْ أثقل من=

. . . .

= جارَ السَّوْء . ولو أنَّ الكلام من فضَّة لكان السكوتُ من ذهب . رواهُ وكيع بن الجرَّاح عن سفيان عن أبيه عن عكرمة .

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] قال : ما وقع شيءٌ منها إلاّ في عَيْنِ رجل منهم .

وقال : في قوله تعالى : ﴿ زَنِيمٍ ﴾ [القلم : ١٣] هو اللئيم الذي يُعرف للؤمه كما تُعرف الشاةُ بزَنَمتِها (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٧ ، ٣٣٨) .) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأحزاب : ٥٧] قال : هم أصحاب التصاوير (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٨) .) .

﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب : ١٠] قال : لو أن القلوب تحرَّكتْ أو زالَتْ لخرجت نفسه ، وإنما هو الخَوْفُ والفزَع .

﴿ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحديد : ١٤] أي بالشهوات . ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ بالتَّوبة . ﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ ﴾ أي التَّسْويف ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ الموت ﴿ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ الشيطان (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٨) .) .

وقال : من قرأ يس والقرآن الحكيم لم يزَلْ ذلك اليوم في سرور حتى يُمسي .

قال سلمة بن شَبيب (في (ق) : « سلمة بن شعيب » تصحيف ، والمثبت من الحلية وكتب الرجال منها الجرح والتعديل (٢/ ٩٤) في ترجمة إبراهيم بن الحكم ، وتهذيب الكمال (١١/ ٢٨٤) في ترجمته .) : حدّثنا إبراهيمُ بن الحكم عن أبيه عن أبان ، قال : كنتُ جالساً مع عكرمة عند البحر (في الحلية : « مع عكرمة عند منزل ابن داود ، وكان عكرمة نازلاً مع ابن داود نحو الساحل » .) فذكروا الذين يغرقون في البحر ، فقال عكرمة : الذين يغرقون في البحار تقتَسِمُ لحومَهم الحِيتانُ فلا يَبْقَى منهم شيءٌ إلاّ العظام ، حتى تصيرَ حائلاً نَخرةً ، فتمرُّ بها الإبلُ فتأكلُها ، ثم تسيرُ الإبلُ فتَبْعَرها ، ثم يَجيء بعدَهم قوم فينزلون ذلك المنزِل ، فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ، ثم يصيرُ رَماداً فتَجيءُ الريحُ فتأخذه فتُذْريه في كلِّ مكان من الأرض ، حيث يشاءُ الله من بَرِّهِ وبحرِهِ ، فإذا جاءتِ النفخة ـ نفخة المبعث ـ فيخرج أولئك وأهلُ القبور المجموعين سَوَاء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٩ ، ٣٤٠) مطولاً .) .

وبهذا الإسناد عنه قال : إنَّ الله أخرجَ رجُلَيْنِ ، رجلاً من الجنة ورجلاً من النار ، فقال لصاحب الجنة : عَبدي ! كيف وجدتَ مَقِيلك ؟ قال : خيرَ مَقيل . ثم قال لصاحب النار : عبدي كيف وجدتَ مَقيلك ؟ فقال : شرَّ مَقيل قالَهُ القائلون . ثم ذكر من عقاربها وحيَّاتها وزنابيرها ، ومن أنواع ما فيها من العذاب وألوانه ، فيقول الله تعالى لصاحب النار : عبدي ! ماذا تُعطيني إنْ أنا أعفَيْتُكَ من النار ، فيقول العبدُ : إلَهي ، وماذا عندي ما أعطيك ؟ فقال له الربُّ تعالى : لو كان لك جبلٌ من ذَهب ، أكنتَ تُعطيني فأعفِيَكَ من النار ؟ فقال : نعم . فقال له الرب : كذبتَ ، لقد سألتُكَ في الدنيا ما هو أيسَرُ من ذلك ! تدعوني فأستجيب لك ، وتستغفرني فأغفر لك ، وتسألني فأعطيك ، فكنتَ تتولّى ذاهباً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٤٠) .) .

وبهذا الإسناد قال : ما من عبدٍ يُقرِّبهُ الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامة للحساب إلاّ قام من عند الله بعفوه .

وبه عنه : لكلِّ شيءٍ أساس ، وأساسُ الإسلام الخُلُق الحسَن .

وبه عنه قال : شكا نبيٌّ من الأنبياء إلى ربِّهِ عزَّ وجلَّ الجوعَ والعُري ، فأوْحى الله إليه : أما تَرْضَى أني سدَدْتُ عنك باب الشِّرْك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٤١) ، وفي (ق) : « الشر الناشئ عنها » بدل « الشرك » وهو تحريف وزيادة من الناسخ . والمثبت من الحلية .) .

وبه عنه قال : إنَّ في السماء ملكاً يقالُ له إسماعيل ، لو أذنَ الله له بفتح أُذُنٍ من آذانه يُسبِّح الرحمنَ عزَّ وجلَّ =

. . . .

= لمات من في السموات والأرض (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٤١) .) .
وبه عنه قال : سَعةُ الشمس سعةُ الأرضِ وزيادة ثلاث مرّات ؛ وسعة القمر سعة الأرض مرّة ؛ وإنَّ الشمسَ إذا غرَبَتْ دخلَتْ بحراً تحت العرش ، تُسَبِّحُ الله ، حتى إذا أصبحَتْ استعفَتْ ربَّها تعالى من الطلوع ، فيقول لها : ولم ذاك ـ وهو أعلم ـ فتقول : لئلا أُعْبَدَ من دونِك . فيقول لها : اطلعي فليس عليك شيء من ذلك ؛ حَسْبُهم جهنم أبعثها إليهم مع عشرةِ آلافِ مَلَكٍ يقودونها حتى يُدخلوهم فيها (في (ق) : « مع ثلاث عشرة ألف ملك تقودها » ، وهو تحريف وتصحيف ، والمثبت من الحلية .) وهذا خلافُ ما ثبتَ في الحديث الصحيح « إنَّ جهنم يُؤْتى بها تُقاد بسبعين ألفِ زِمام ، مع كلِّ زِمام سبعونَ ألفَ ملك » (أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٤٢) في الجنة وصفة نعيمها : باب في شدة حر جهنم ، والترمذي (٢٥٧٣) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة النار ؛ عن عبد الله بن مسعود .) .

وقال مَنْدَل عن أسد بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يَقِفَنَّ أَحَدُكم على رَجُلٍ يُضربُ ظلماً ، فإنَّ اللعنةَ تنزلُ من السماء على منْ يَحْضُره إذا لم تدفعوا عنه . ولا يقفَنَّ أحَدُكم على رجلٍ يُضربُ ظلماً ، فإنَّ اللعنةَ تنزلُ من السماء على منْ يَحْضُره إذا لم تدفعوا عنه . ولا يقفَنَّ أحَدُكم على رجلٍ يُقتل ظلماً ، فإنَّ اللعنة تنزلُ من السماء على منْ يحضُرُه إذا لم تدفعوا عنه » . لم يرفعه إلاَّ مَنْدَلٌ هذا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٤٥) وقال : « غريب من حديث أسد وعكرمة ، لم يروه عنه فيما أعلم إلا مندل بن علي العنبري » وقال فيه ابن حجر في التقريب ص(٥٤٥) : ضعيف .) .

وروى شُعبة عن عمارة بن أبي حَفْصَة ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ ، كان إذا عطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بثَوْبه ، ووضَعَ يدَيْه على حاجِبَيْه (إسناده ضعيف ، وهو غريب من هذا الوجه كما قال أبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٤٦ . لكن ورد الحديث بإسناد حسن من طريق أبي صالح عن أبي هريرة ؛ أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٤٣٩ وأبو داود (٥٠٣٩) ، والترمذي (٢٧٤٥) وغيرهم ، ولفظه عند الترمذي : « أن النبي ﷺ كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته » وليس عندهم ذكر الحاجبين ، وقال الترمذي : « حسن صحيح » ، وإنما صححه لأن محمد بن عجلان ثقة عنده . وانظر تمام تخريجه في تعليقنا على جامع الترمذي ٤/ ٤٦١ من طبعتنا (بشار) .) .
هذا حديثٌ عالٍ من حديثِ شُعبة .

وروى بقية عن إسحاق بن مالك الحَضْرَميّ ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال : « منْ حَلَفَ على أحدٍ يميناً ، وهو يَرَى أنه سيبرُّه فلم يفعلْ ، فإنما إثمُهُ على الذي لم يبَرَّه » (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٤٦) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٤١) ، وساقه الذهبي في الميزان (١/ ٣٤٩) وابن حجر في لسانه (١/ ٣٧٠) وقالا : إسحاق بن مالك الحضرمي شامي هو من شيوخ بقية . قال الأزدي : ضعيف . وذكر الحديث ، وبقية بن الوليد ضعيف أيضاً ، كما في تحرير التقريب .) . تفرد به بقيَّةُ بن الوليد مرفوعاً .

وقال عبد الله بن أحمد في مسند أبيه (الذي في مسند أحمد (٦/ ١٤٧) : حدّثني أبي حدّثنا محمد بن جعفر حدّثنا شعبة عن عمارة فذكره . وأما بهذا الإسناد فقد أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(١٦) . وأخرجه أيضاً بإسنادهم إلى عمارة ، به كل من الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨) ، والترمذي (٣/ ٥١٨) (١٢١٣) باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٦٢٤) (١٢٠٠) ، وهو حديث صحيح .) : حدّثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدّثنا يزيد بن زُرَيْع (في (ق) : « يزيد بن ربيع » تصحيف ، والمثبت من مصادر التخريج السالفة الذكر .) حدّثنا عُمارة بن أبي حفصة ، حدّثنا عكرمة ، حدّثتنا عائشة ، أنَّ النبيَّ ﷺ كان عليه بُرْدَان قطَرِيَّان ، خَشِنَانِ غَلِيظان ، فقالتْ عائشة : يا رسول الله ، إنَّ ثوبيك هذين غَليظانِ

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق(١) : كان أحدَ الفقهاء المشهورين .

وكُثَيِّر عَزَّةَ ، الشاعر المشهور(٢) : وهو كُثَيِّرُ بنُ عبد الرحمن بن الأسود بن عامر ، أبو صخر الخُزَاعيُّ الحجازيّ ، المعروف بابن أبي جُمعة ، وعَزَّةُ هذه المشهورُ بها المنسوب هو إليها ، لِتَغزُّله فيها ، هي أم عمرو عزَّة ـ بالعين المهملة ـ بنتُ جَميل بن حَفْص ، من بني حاجب بن غِفَار ، وإنما صُغِّر اسمُه ، فقيل كُثَيِّر ، لأنه كان دَميمَ الخَلْق قصيراً ، طولُه ثلاثةُ أشبار .

قال ابنُ خِلِّكان(٣) : كان يقالُ له زُبّ الذباب .

وكان إذا مَشَى يُظنُّ أنه صغيرٌ من قِصَره ، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان يقول له : طأطِئ رأسَك لا يؤذيك السقف ؛ وكان يضحكُ إليه ، وكان يَفِد على عبدِ الملك ، ووفد على عبد الملك بن مروان مرَّاتٍ ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان يقال : إنه أشعر الإسلاميين ، على أنه كان فيه

= خَشِنان ، تَرْشحُ (ترشح : تعرق .) فيهما فيثقلان عليك . فأرسِلْ إلى فلان فقد أتاه بُرُدٌ من الشام فاشترِ منه ثوبَيْنِ إلى مَيْسرة . فأرسَلَ إليه ، فأتاه الرسول فقال : إنَّ رسول الله ﷺ بعث إليك لتبيعَهُ ثوبَيْنِ إلى مَيْسَرة ؟ فقال : قد علمتَ والله ، ما يريدُ نبيُّ الله إلا أنْ يذهبَ بثوبيَّ ويُمْطِلُني بثمنهما ، فرجَعَ الرسولُ إلى رسولِ الله ﷺ ، فأخبره ، فقال ﷺ : « كذبَ ! قد علموا أني أتْقَاهُمْ لله ، وآداهُمْ للأمانة » .

وفي هذا اليوم قال النبيُّ ﷺ : « لأن يَلْبَسَ أحدُكم من رِقاعٍ شَتَّى خيرٌ له من أن يستدينَ ما ليسَ عندَه » (لعل هذا القول « في مثل هذا اليوم » لأبي نعيم في الحلية (٣/ ٣٤٧) ، والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٤٣) ، وابن أبي عاصم في الزهد ص(٢٦) ، والديلمي في مسند الفردوس (٥/ ١٦٩) (٧٨٤٨) ؛ قال ابن أبي حاتم في العلل (١/ ٣٧٧) بعد سياق الحديث : حديث منكر وسليمان بن سليم وسفيان الزيات مجهولان .) .

والله سبحانه أعلم] (هنا تنتهي الزيادة التي ابتدأت في الصفحة (٧٧) في موضع الحاشية (٣) .) .

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٧) ، التاريخ الكبير (٧/ ١٥٧) ، رجال صحيح البخاري للكلاباذي (٢/ ٦١٦) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٢٧) ، رجال مسلم لأبي بكر بن منجويه (٢/ ١٤٠) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٣) . وما سيأتي هنا زيادة من (ق) أقحمت على المتن وضفناه هنا وهو : [له رواياتٌ كثيرة ، عن الصحابة وغيرهم ، وكان من أفضلِ أهلِ المدينة ، وأعلم أهلِ زمانه ، قُتل أبوه بمصر وهو صغير ، فأخذَتْهُ خالتُه ، فنشأ عندَها ، وساد ، وله مناقبُ كثيرة . وأبو رجاء العُطاردي] (ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ١٣٨) ، رجال صحيح البخاري (٢/ ٥٧٢) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤١٠) ، الجرح والتعديل (٦/ ٣٠٣) ، الاستيعاب (٤/ ١٦٥٧) رجال مسلم (٢/ ٩٣) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٣) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٢١٧) ، طبقات الحفاظ ص(٣٢) .) .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سلام ص(٤٥٧) ، الشعر والشعراء ص(٤١٠) ، الأغاني (٩/ ٥) ، معجم الشعراء ص(٢٥٠) ، شرح ديوان الحماسة (٣/ ١٤٠) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٠٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٢) ، خزانة الأدب (٢/ ٣٨١) .

(٣) في وفيات الأعيان (٤/ ١١٣) ، وصحف في (ق) : « رب الدبان » ، وفي (ب ، ح) على الصواب .

تشيُّع ، وربما نسبه بعضُهم إلى مذهب التناسخيَّة ، وأنه كان يحتجُّ على ذلك ـ من جهلِهِ وقِلَّةِ عقلهِ إنْ صحَّ النقلُ عنه ـ بقوله تعالى : ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨] وقد استأذن يوماً على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال عبد الملك : تَسمَعُ بالمعيدي خيرٌ من أنْ تراه ، فقال : مَهْلاً[١] يا أمير المؤمنين إنما المرءُ بأصغَرَيْه قلبِهِ ولسانِهِ ، إنْ نطَقَ نطَقَ ببيان ، وإنْ قاتل قاتل بجَنَان ، وأنا الذي أقول[٢] :

وجـربـتُ الأمـورَ وجـرَّبْتنـي ... وقـدْ أبـدَتْ عَـريكتـيَ الأمـورُ
ومـا تَخفَـى الـرجـالُ علـيَّ أنـي ... بهـمْ لأخـو مُثـاقَفَـةٍ خَبيـرُ
تـرى الـرجـلَ النحيـفَ فتزدَريـهِ ... وفـي أثـوابـهِ أسَـدٌ يَـزِيـرُ[٣]
ويعجبـكَ الطـريـرُ فتجتبيـهِ[٤] ... فيخلـفُ ظنـكَ الـرجـلُ الطـريـرُ
ومـا عِلْـمُ[٥] الـرجـالِ لهـا بـزَيْـنٍ ... ولكـنْ زَيْنُهـا كـرَمٌ وخيـرُ[٦]
بُغـاثُ الطيـر أطـولهـا جسـومـاً ... ولـم تطُـلِ البُـزَاةُ ولا الصُّقـورُ
وقـدْ عَظُـمَ البعيـر بغيـر لـبٍّ ... فلـم يستغـن بـالعِظَـمِ البَعيـرُ
فيُـركَـبُ ثـم يُضـربُ بـالهـرَاوَى ... ولا عُـرْفٌ لـديـهِ ولا نَكيـرُ
وعـودُ النَّبْـعِ ينبُـتُ مستمـرّاً ... وليـسَ يطـولُ والعَضْبـاءُ خُـورُ

وقد تكلم أبو الفرج بن طَرَارا[٧] على غريب هذه الحكاية وشعرها بكلامٍ طويل ، قالوا : ودخل كُثَيِّر عزَّةَ يوماً على عبدِ الملك بن مروان فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

على ابن أبي العاصي دُروعٌ حصينةٌ ... أجـاد المُسَـدِّي سَرْدَهـا وأذالَهـا[٨]

---

(١) في (ق) : « حيهلا » ، تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، والمنتظم .
(٢) كذا في الأصول ، والمنتظم (٧/ ١٠٤) ، والقصيدة تنسب للعباس بن مرداس ما عدا الأبيات الأول والثاني والأخير ، وهي في ديوانه ص(١٧٢) ، ونسب بيتان منها لعمرو بن قميئة في ديوانه ص(١٣٠) .
(٣) في (ق) : « زئير » ، والمثبت من (ب ، ح) . والبيت في اللسان منسوب للعباس أيضاً ومعنى « يزمر » : يزْئِرُ مضارع زأرَ ، وهو أن يردد صوته في جوفه .
(٤) في (ق ، ب) : « فتختبره » ، وفي ديوان العباس : « فتبتليه » ، والمثبت من (ح) .
(٥) في بعض النسخ : وما عِظَم ، وفي بعضها : وما هام .
(٦) في (ق) : « دين وخير » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وديوان العباس .
(٧) في (ق) : « طرار » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته ، وهو أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن طرارة أو طرارا ـ كما ذكره محمد بن عبد الغني البغدادي في تكملة الإكمال (٤/ ١٧) . ولعله ذكر ذلك في كتابه الجليس الصالح الكافي .
(٨) البيت في ديوان كثير ص(١٤٥) ، وفيه : « دِلاصٌ حصينة » . ومعنى أذالها : أطال ذيلها ، واستشهد بهذا البيت على هذا المعنى صاحب لسان العرب في مادة (ذيل) .

قال له عبد الملك : أفلا قُلْت كما قال الأعشى لقيس بن مَعْدِيكَرِب :

وإذا تجـــيءُ كتيبـــةٌ مَلْمُـــومـــةٌ شَهْباءُ يَخْشَى الذائدونَ صِيَالَها[١]
كنـتَ المقـدَّم غيـرَ لابـسِ جُنَّـةٍ بـالسيفِ تَضْرِبُ مُعْلماً أبطالَهـا[٢]

فقال : يا أمير المؤمنين وصفَهُ بالخَرَق ووصفتُك بالحَزْم .

ودخل يوماً على عبدِ الملك وهو يتجهَّزُ للخروج إلى مُصعب بن الزُّبير فقال : وَيْحك يا كُثَيِّر ، ذكرتك الآنَ بشعرِك ، فإنْ أصبتَهُ أعطيْتُكَ حكمك . فقال : يا أمير المؤمنين ، كأنَّك لما ودَّعت عاتكةَ بنت يزيد بكَتْ لفراقِك فبكَى لبكائها حشَمُها فذكرتَ قولي :

إذا مـا أرادَ الغَـزْوَ لـم تَثْـنِ عَـزْمـهُ حَصَـانٌ عليهـا نَظْـمُ دُرٍّ يَـزِينُهـا
نهَتْـهُ فلمّـا لـم تـرَ النَّهـيَ عـاقَـهُ بكَـتْ فبكـى ممَّـا عَـرَاهـا قَطينُهـا[٣]

قال : أصبتَ فاحتكِمْ ، قال : مئة ناقة من نُوقك المختارَة . قال : هي لك . فلما سار عبدُ الملك إلى العراق نظرَ يوماً إلى كُثَيِّر عزَّةَ وهو مفكِّرٌ في أمره فقال : عليَّ به . فلما جيء به قال له : أرأيتَ إنْ أخبرتُك بما كنتَ تفكّر به تُعطيني حُكْمي ؟ قال : نعم . قال : والله ! قال : والله . قال له عبد الملك : إنك تقولُ في نفسك : هذا رجلٌ ليس هو على مذهبي ، وهو ذاهبٌ إلى قتالِ رجلٍ ليس هو على مذهبي ، فإنْ أصابَني سَهْمٌ غَرْبٌ من بينهما خَسِرْتُ الدنيا والآخرة . فقال : إي والله يا أمير المؤمنين فاحتكمْ ، قال : أحتكمُ حُكْمي أنْ أرُدَّك إلى أهلك وأُحسنُ جائزتَك . فأعطاهُ مالاً وأذِن له بالانصراف .

وقال حمَّادُ الراوية عن كُثَيِّر عزَّة : وَفَدْتُ أنا والأحْوَص ونُصَيب إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيز حينَ ولي الخلافة ، ونحن نمُتُّ إليه بصحبتنا إياه ومعاشرتنا له ، [لما كان بالمدينة] ، فكلٌّ منَّا يظنُّ أنه سيشرَكهُ في الخلافة . فنحنُ نسيرُ ونختالُ في رحالِنا ، فلما انتهينا إلى خُناصِرَة ولاحَتْ لنا أعلامُها ، تلقَّانا مَسْلمةُ بنُ عبدِ الملك فقال : ما أقدَمَكم ؟ أو ما علمتم أنَّ صاحبكم لا يحبُّ الشعرَ ولا الشعراء ؟ قال : فوجَمْنا لذلك ، فأنزلَنا مسلمةُ عندَه ، وأجْرَى علينا النفقات ، وعلَفَ دوابَّنا ، وأقمْنا عندَه أربعةَ أشهر ، لا يمكنُه أنْ يستأذِنَ لنا على عمر ، فلما كان في بعض الجُمَع دنوت من الخليفة لأسمعَ خطبته فأسلّم عليه بعد الصلاة ، فسمعتُه يقول في خطبته : لكلِّ سفرٍ زادٌ لا محالة ، فتزوَّدوا لسفرِكم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمنْ عايَنَ ما أعدَّ الله له من عذابه وثوابِه فتَرْغَبوا وتَرْهَبوا ، ولا يطولَنَّ عليكم الأمدُ

---

(١) في (ب ، ح) : « شمالها » بدل « صيالها » ، والمثبت من (ق) . ورواية الديوان « خرساءُ تُغشي من يزودُ نهالَها » .

(٢) في (ق) : « جبة . . . يضرب » ، تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وديوان الأعشى ص(١٥٠) .

(٣) البيتان من قصيدة يمدحه فيها في ديوان كثير ص(٢٣٠) .

فتقسُو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوِّكم ، فإنه والله ما بُسِطَ أَمَلُ منْ لا يَدْري لعله لا يُمسي بعد إصباحِه ولا يُصبح بعدَ إمسائه ؛ وربما كانتْ له من ذلك خَطَراتُ الموتِ والمنايا ، وإنما يطمئنُّ من وَثِقَ بالنجاة من عذابِ اللهِ وأهوالِ يوم القيامة ؛ فأمَّا منْ لا يُداوي من الدنيا كَلْماً إلَّا أصابه جارحٌ من ناحيةٍ أخرى ، فكيف يطمئنّ ؟ أعوذُ بالله أنْ آمرَكم بما أنهى عنه نفسي فتخسَر صَفْقتي ، وتَبْدو مسكنتي في يوم لا ينفَعُ فيه إلا الحقُّ والصِّدْقُ . ثم بكى حتى ظننَّا أنه قاضٍ نَحْبَه ؛ وارتجَّ المسجدُ وما حوله بالبُكَاءِ والعَويل[١] .

قال : فانصرفتُ إلى صاحبيَّ فقلت : خُذَا سرحاً[٢] من الشعر غير ما كُنَّا نقول لعمر وآبائه ، فإنَّه رجلُ أُخرَى ليس برجلِ دُنيا . قال : ثم استأذن لنا مسلمةُ عليه يومَ الجمعة ، فلما دخلنا عليه سلَّمتُ عليه ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، طال الثواءُ وقلَّت الفائدة ، وتحدَّثَ بجفائك إيانا وفودُ العرب . فقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة : ٦٠] وقرأ الآية ، فإنْ كنتم من هؤلاء أُعطيتم وإلَّا فلا حقَّ لكم فيها . فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إني مسكينٌ وعابرُ سبيل ومنقَطعٌ به . فقال : ألستم عندَ أبي سعيد ؟ ـ يعني مَسْلَمة بن عبد الملك ـ فقلنا : بلى . فقال : إنه لا ثواءَ على من هو عندَ أبي سعيد . فقلت : ائذنْ لي يا أمير المؤمنين بالإنشاد ، قال : نعم ولا تقولنَّ إلَّا حقّاً . فأنشدتُهُ قصيدةً فيه :

وليتَ فلم تَشْتِمْ عليّاً ولم تُخِفْ ... بريئاً ولم تقبَلْ إشارةَ مُجْرِمِ
وصدَّقْتَ بالفعلِ المقالَ مع الذي ... أتيت فأمسى راضياً كلُّ مسلم
ألا إنما يكفي الفتى بعدَ زَيْغِهِ ... من الأوَدِ البادي ثِقافُ المقوِّمِ
وقد لبسَتْ تسعَى إليك ثيابَها ... تراءى لكَ الدنيا بكفٍّ ومِعْصَمِ[٣]
وتُومضُ أحياناً بعينٍ مريضةٍ ... وتَبسمُ عن مثل الجُمان المنظَّمِ
فأعرضتَ عنها مشمئزاً كأنما ... سقَتْكَ مَذوقاً من سمامٍ وعَلْقَمِ
وقد كنتَ من أجْبَالها في مُمَنَّعٍ ... ومنْ بحرِها في مُزْبِدِ المَوْجِ مُفْعَمِ
وما زلتَ تَوَّاقاً إلى كُلِّ غايةٍ ... بلغتَ بها أعلى البناءِ المقدَّمِ
فلمَّا أتاكَ الملكُ عَفْواً ولم يَكُنْ ... لطالبِ دُنْيا بعدَهُ في تكلُّمِ
تركتَ الذي يَفْنى وإنْ كان مونقاً ... وآثرتَ ما يَبقَى برأي مُصَمِّمِ
وأضررتَ بالفاني وشَمَّرْتَ للذي ... أمامكَ في يومٍ من الشرِّ مظلمِ
ومالكَ إذ كنتَ الخليفةَ مانعٌ ... سوى اللهِ من مالٍ رعَيْتَ ولا دَمِ

(١) أخرج أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٩١) خطبة عمر هذه بنحو من هذه الرواية .
(٢) جاء في لسان العرب : « التسريح : التسهيل ، وشيء سريح : سهل » (مادة سرح) ، فيكون معناه : خذا السهل من الشعر . وذكر الزمخشري في (سرح) من أساس البلاغة : سرح الشاعر الشِّعْرَ » ، ومعناه سَهَّله . (بشار) .
(٣) رواية الأغاني وديوان كثير : « وقد لبست لبس الهَلُوكِ ثيابها » .

سما لكَ همٌّ في الفؤاد مؤرِّقٌ … بلغتَ بهِ أعلى المعالي بسُلَّمِ
فما بينَ شَرْقِ الأرض والغرب كلِّها … منادٍ ينادي منْ فصيحٍ وأعجمِ
يقولُ أميرَ المؤمنينَ ظلمتني … بأخذِكَ ديناري ولا أخْذِ دِرْهمي
ولا بَسْطِ كفٍّ لامرىءٍ غير مجرمٍ … ولا السَّفْكِ منهُ ظالماً مِلْءَ مِحْجَمِ
ولو يستطيعُ المسلمونَ لقسَّمُوا … لكَ الشَّطْرَ من أعمارهمْ غيرَ نُدَّمِ
فَعِشْتَ بها ما حَجَّ للهِ راكبٌ … مُغِذٌّ[١] مُطيفٌ بالمَقَامِ وزَمْزَمِ
فأَرْبِحْ بها من صَفْقةٍ لمبايعٍ … وأعظِمْ بها أعْظِمْ بها ثمَّ أعظِمِ[٢]

قال : فأقبل عليَّ عمر بن عبد العزيز وقال : إنك تُسأل عن هذا يومَ القيامة .

ثم استأذنه الأحوصُ فأنشده قصيدةً أخرى فقال له : إنك تُسألُ عن هذا يومَ القيامة[٣] .

ثم استأذنه نُصَيب فلم يأذنْ له ، وأمر لكلِّ واحدٍ منهم بمئة وخمسين درهماً ، وأغْزَى نُصَيباً إلى مَرْج دابِق[٤] .

وقد وَفَدَ كثيرُ عزَّةَ بعدَ ذلك على يزيدَ بنِ عبد الملك ، فامتدحه بقصائد ، فأعطاه سبعَ مئةِ دينار .

وقال الزُّبير بن بكار : كان كُثيِّر عزَّةَ شيعيّاً خَشَبيّاً[٥] ، يرى الرَّجْعة ، وكان يَرَى التناسُخ ، ويحتجُّ بقوله تعالى : ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨][٦] .

وقال موسى بن عُقْبَة : هُوِّلَ كُثيِّرُ عزَّة ليلةً في منامه ، فأصبح يمتدحُ آل الزُّبير ، ويَرْثي عبدَ الله بن الزُّبير ، وكان سيِّئ الرأي فيه :

بمفتضحِ البطحاءِ ثاوٍ لوَ انَّه … أقامَ بها ما لم تَرُمْها الأخاشبُ
سَرحْنا سُروباً آمنينَ ومنْ يخفْ … بوائِقَ ما يخشى تَنُبْهُ النوائبُ

---

(١) في بعض النسخ : مُلَبٍّ .

(٢) القصيدة في ديوان كثير ص(٢١٤) ، والأغاني (٩/ ٢٩٦ ، ٢٩٧) ؛ وكثير من ألفاظها مصحَّف في (ق) ، وما أثبتناه من الصواب فيها من (ب ، ح) والديوان .

(٣) ذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (٩/ ٢٩٧) قدراً صالحاً من أبياتها .

(٤) الخبر بطوله أخرجه أبو الفرج في الأغاني (٩/ ٢٩٥ ـ ٢٩٨) وفي آخره : « ثم تقدم إليه نصيب فاستأذن في الإنشاد فأبى أن يأذن له ، وغضب غضباً شديداً ، وأمره باللحاق بدابق ، وأمر لي وللأحوص لكل واحد بمئة وخمسين درهماً » .

(٥) في (ق) : « خبيثاً » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ؛ والخشبية هم أصحاب المختار بن أبي عبيد . ويقال لضرب من الشيعة الخشبية ، قيل : لأنهم حفظوا خشبة زيد بن علي حين صُلب ، والوجه الأول . النهاية في غريب الحديث (خشب) .

(٦) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٦/ ١٥٠) .

تبرَّأتُ من عَيْبِ ابن أسماءَ إنني … إلى اللهِ من عَيْبِ ابنِ أسماءَ تائبُ
هوَ المرءُ لا تُزْري بهِ أمهاتُه … وآباؤهُ فينا الكرامُ الأطايبُ[1]

وقال مُصعب بن عبد الله الزبيري : قالتْ عائشةُ بنتُ طَلْحة لكُثيِّر عَزَّة : ما الذي يدعوك إلى ما تقولُ من الشعر في عزَّة وليستْ على ما تَصِفُ من الحُسن والجمال ؟ فلو قلت ذلك فيّ وفي أمثالي فأنا أشرفُ وأفضلُ وأحسَنُ منها[2] وإنما أرادتْ أنْ تختبرَه وتبلوَه ، فقال :

صَحَا قلبُهُ يا عزُّ أو كادَ يذهلُ … وأضحى يريدُ الصُّرْمَ أو يتبدَّلُ
وكيف يُريدُ الصُّرْمَ منْ هوَ وامِقٌ … لعزَّةَ لا قالٍ ولا متبذِّلُ
إذا واصلَتْنا خُلَّةٌ كي تُزِيلَنا … أبَيْنا وقلنا الحاجِبيَّةُ أوَّلُ
سنوليكِ عُرْفاً إنْ أردتِ وصالَنا … ونحنُ لِتيكَ الحاجبيَّةِ أوْصلُ
وحدَّثَها الواشونَ أني هجرتُها … فحمَّلها غَيْظاً عليَّ المحمِّلُ[3]

فقالتْ له عائشة : قد جعلْتَني خُلَّةً ولستُ لك بِخُلَّة ؛ وهلاَّ قلتَ كما قال جميل ، فهو والله أشعرُ منك حيثُ يقول :

يا ربَّ عارضةٍ علينا وصلَها … بالجِدِّ تخلِطُهُ بقولِ الهازِلِ
فأجبتُها بالقولِ بعدَ تستُّرٍ … حُبِّي بُثينةَ عن وصالِكِ شاغِلي
لو كانَ في قلبي بقَدْرِ قُلامةٍ … فَضْلٌ وصَلْتُكِ أو أتَتْكِ رسائلي[4]

فقال : والله ما أُذكر فضلَ جَميل ، وما أنا إلا حسنة من حسناتِه ، واستحيا .

ومما أنشدَهُ ابنُ الأنباري لكُثَيِّر عزَّة :

بأبي وأُمِّي أنتِ من معشوقةٍ … طَبِنَ العدوُّ لها فغيَّرَ حالَها
ومشى إليَّ بعيبِ عزةَ نسوةٌ … جعلَ الإلَهُ خدودهن نِعَالَها
اللهُ يعلمُ لو جمعْنَ ومُثِّلَتْ … لاختَرْتُ قبلَ تأمُّلٍ تمثالَها
ولو اَنَّ عزةَ خاصمتْ شمسَ الضُّحى … في الحُسْن عندَ موفَّقٍ لقَضى لها[5]

---

(١) لم أجد الأبيات في ديوان كثير .

(٢) وهذه زيادة في (ق) ليس في (ب ، ح) وهي : [وكانت عائشةُ بنتُ طلحةَ قد فاقَتِ النساءَ حُسْناً وجمالاً وأصالةً] .

(٣) الأبيات من قصيدة في ديوان كثير ص(١٥٩) ما عدا البيت الثاني .

(٤) الأبيات من قصيدة في ديوان جميل بثينة ص(٥٤) .

(٥) الأبيات في ديوان كثير عزة ص(١٥٣) ما عدا البيت الثالث .

وأنشد غيره لكثيِّر عزَّة[١] :

فما أحدثَ النأيُ الذي كانَ بيننا سُلُـوّاً ولا طـولُ اجتمـاعٍ تقـالِيـا
ومـا زادنـي الـواشـونَ إلا صَبَابـةً ولا كثـرةُ النـاهيـنَ إلاَّ تمـاديـا

وقال كُثَيِّر أيضاً :

فقلـتُ لهـا يـا عـزُّ كـلُّ مصيبـةٍ إذا وُطِّنَتْ يـومـاً لهـا النفـسُ ذَلَّـتِ
هَنيئـاً مَـريئـاً غيـرَ داءٍ مخـامـرٍ لِعَـزَّةَ مـن أعـراضِنـا مـا استحلَّـتِ[٢]

وقال كُثير عزَّة أيضاً ، وفيه حِكْمةٌ أيضاً :

ومـنْ لا يُغمِّضْ عَيْنهُ عـن صـديقـهِ وعن بعضِ ما فيه يمُتْ وهْو عَاتبُ
ومـن يتتبَّـعْ جـاهـداً كـلَّ عَثْـرةٍ يَجِدْها ولا يَبْقَى له الدَّهْرَ صاحبُ[٣]

وذكروا أنَّ عزَّةَ بنت جميل بن حفص أحدِ بني حاجب بن عبد الله بنِ غفَار ، أمُّ عمرو الضَّمرِيَّة ؛ وفدَتْ على عبدِ الملك بن مروان تشكو إليه ظُلامة ، فقال : لا أقضيها لكِ حتى تنشديني شيئاً من شعره ، فقالت : لا أحفظ لكثير شعراً ، لكني سمعتُهم يَحْكونَ عنه أنه قال فيَّ هذه الأبيات :

قَضَى كلُّ ذي دَيْنٍ علمتُ غَريمَهُ وَعـزَّةُ مَمْطُـولٌ معنًّـى غَـريمُهـا[٤]

فقال : ليس عن هذا أسألكِ ولكنْ أنشديني قوله :

وقـد زعمـتْ أنـي تغيَّـرْتُ بعـدَهـا ومَـنْ ذا الـذي يـا عَـزُّ لا يتغيَّـرُ
تغيَّـر جِسْمـي والخليقـةُ كـالـذي عَهِـدْتِ ولـمْ يُخْبَـرْ بسِـرِّكِ مخبَـرُ[٥]

قال فاستحيَتْ وقالتْ : أما هذا فلا أحفَظُه ، ولكنْ سمعتُهم يحكونهُ عنهُ ، ولكنْ أحفظُ له قولَه :

كأنِّي أُنادي صخرةً حينَ أعرَضَتْ منَ الصُّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زلَّتِ
صَفُـوحٌ فمـا تلقـاكَ إلا بَخيلـةً ومنْ ملَّ منها ذلكَ الوَصْلَ مَلَّتِ[٦]

---

(١) كذا في الأصول ، والشعر لجميل بثينة ، والبيتان من قصيدة له فيها في ديوانه ص(٤٧) . وكذلك رواهما صاحب الأغاني (٨/ ١٣٤) وعزاهما لجميل أيضاً ، وكذا في ديوان الحماسة (٢/ ١٢٩) .

(٢) البيتان من قصيدة في ديوان كثير ص(٥٤) والأغاني (٩/ ٣٨) .

(٣) البيتان من قصيدة في ديوان كثير ص(٣١) ؛ وذكرهما صاحب جمهرة الأمثال (٢/ ٥٦) .

(٤) البيت من قصيدة في ديوان كثير ص(٢٠٥) .

(٥) البيتان من قصيدة في ديوان كثير ص(١٠٠) ، وقد صحفت في (ق) بعض ألفاظهما فأثبتنا ما جاء في (ب ، ح) وديوان كثير ، والأغاني (٩/ ٣٦) .

(٦) البيتان من قصيدة في ديوان كثير ص٥٤ على خلاف في ألفاظ الشطر الأخير من البيت الثاني ، وفي الأغاني (٩/ ٣٦ و٣٨) موافق لما هنا .

قال فقَضَى لها حاجتَها وردَّها وردَّ عليها ظُلامتها وقال : أدْخِلُوها على الحُرَم ليتعلَّموا من أدبها[١] .

ورُوي عن بعض نساءِ العرب قالت : اجتازتْ بنا عزَّة ، فاجتمع نساءُ الحاضر إليها لينظُرْنَ حُسْنها ، فإذا هي حُميراء ، حلوةٌ لطيفة ؛ فلم تقعْ من النساءِ بذاك الموقع ، حتى تكلَّمَتْ ، فإذا هي أبرَعُ النساءِ وأحلاهنَّ حديثاً ، فما بقيَ في أعيينا امرأةٌ تفوقُها حسناً وجمالاً وحلاوةً .

وذكر الأصمعيُّ عن سفيانَ بن عُيَينة ، قال : دخلتْ عزَّةُ على سُكينةَ بنتِ الحسين فقالتْ لها : إني أسألُكِ عن شيءٍ فاصدُقيني ، ما الذي أراد كُثيِّرٌ في قوله لك :

قَضَى كُلُّ ذي دَيْنٍ فَوَفَّى غَريمهُ ... وعَزَّةُ مَمْطولٌ مُعنًّى غَريمُها

فقالتْ : كنتُ وعدتُه قُبْلةً فمطلْتُه بها ، فقالت : أنجزيها له وإثمها عليَّ[٢] .

وقد [كانتْ سُكينةُ بنتُ الحسين من أحسنِ النساء ، حتى كان يُضربُ بحُسْنها المَثَل][٣] .

ورُوي أنَّ أُمَّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز قالت لها مثل هذا سواء . والله أعلم . وروي أنَّ عبدَ الملك بن مروان أراد أن يزوِّج كثيراً من عَزَّة ، فأبتْ عليه وقالتْ : يا أميرَ المؤمنين أبعدَ ما فَضَحني بين الناس وشهرني في العرب ؟ وامتنعتْ من ذلك كلَّ الامتناع ! رواه ابن عساكر[٤] .

وروى[٥] أنها اجتازَتْ مرَّةً بكُثَيِّر وهو لا يعرفُها فتنكَّرتْ عليه وأرادَتْ أن تختبر ما عندَه . فتعرَّض لها ، فقالتْ : فأين حُبُّك عَزَّة ؟ فقال : أنا لك الفِداء ، لو أنَّ عزَّةَ أمةٌ لي لوهبتُها لك . فقالتْ : وَيْحكَ ، لا تفعلْ ، ألستَ القائل :

إذا وصلتْنا خُلَّةٌ كي تُزيلنا ... أبَيْنا وقُلْنا الحاجِبيَّةُ أوَّلُ ؟

فقال : بأبي أنتِ وأُمي ، أقصِري عن ذكرِها واسمعي ما أقول :

هل وصلُ عزَّةَ إلاَّ وصلُ غانيةٍ ... في وصلِ غانيةٍ منْ وَصْلِها بدَلُ[٦]

قالت : فهل لك في المجالسة ؟ قال : ومنْ لي بذلك ؟ قالت : فكيف بما قلتَ في عزَّة ؟ قال : أقلِبُه فيتحَوَّلُ لكِ . قال فسفَرتْ عن وجْهِها وقالت : أغدْراً وتنكاثاً يا فاسق ، وإنَّك لها هنا يا عدوَّ الله ،

---

(١) أخرج الخبر أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٩/ ٣٥ـ٣٨) بألفاظ مقاربة .
(٢) أخرجه ابن عساكر (المختصر لابن منظور (٢٠/ ١٨٩)) وأبو الفرج في الأغاني (٩/ ٣٦) بنحوه .
(٣) ما بين معقوفين زيادة من النسخة (ق) .
(٤) في ترجمة عزة ، انظر مختصره لابن منظور (٢٠/ ١٨٨) وهو بتحقيقي .
(٥) يعني ابن عساكر في تاريخه انظر المصدر السابق ص(١٨٩) .
(٦) البيت في ديوان كثير ص(٥١٦) وتروى قافيته « خلف » ، انظر الديوان ص(٥٠٥) .

فبُهتَ وأبْلَس ولم ينطِقْ ، وتحيَّر وخَجِل ، ثم قالت : قاتل الله جميلاً حيثُ يقول :

لحَـا اللهُ مـنْ لا ينفـعُ الـوُدُّ عنـدَهُ ومـنْ حَبْلُـهُ إنْ صُـدَّ غَيْـرُ مَتيـنِ
ومـنْ هـو ذو وجهَيْـنِ ليـسَ بـدائـمٍ علـى العَهْـدِ حَـلاَّفٌ بكـلِّ يميـنِ(١)

ثم شرَعَ كثير يعتذِرُ ويتنصَّل مما وقع منه ويقول في ذلك الأشعارَ ذاكراً وآثراً(٢) .

وقد ماتَتْ عَزَّةُ بمصرَ في أيام عبد العزيزِ بنِ مروان ، وزار كُثَيِّرٌ قبرَها ، ورثاها ، وتغيَّرَ شعرُه بعدَها ، فقال له قائل : ما بالُ شعرِك تغيَّر وقد قصَّرْتَ فيه ؟ فقال : ماتتْ عزَّةُ ولا أطرب ، وذهب الشبابُ فلا أعجَب ، وماتَ عبدُ العزيز بن مروان فلا أرغَب ، وإنما ينشَأُ الشعرُ عن هذه الخِلال .

وكانت وفاتُه ووفاة عِكرمة في يومٍ واحد ، ولكنْ في سنةِ خمسٍ ومئة على المشهور . وإنما ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في هذه السَّنة ـ أعني سنة سبعٍ ومئة ـ والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان ومئة

ففيهـا افتتح مَسْلَمةُ بن عبد الملك قَيْساريَّة من بلاد الروم ، وفتح إبراهيمُ بن هشام بن عبد الملك حصناً من حصون الرُّوم أيضاً ، وفيها غزا أسدُ بن عبد الله القَسْريُّ أميرُ خراسان ، فكسَرَ الأتراك كسرةً فاضحة .

[وفيها زحَفَ خاقانُ إلى أذْربيجان ، وحاصر مدينةَ وَرْثانَ(٣) ، ورماها بالمَنَاجيق ، فسار إليه أميرُ تلك الناحية الحارث بن عمرو نائبُ مسلمةَ بنِ عبد الملك ، فالتقى مع خاقان ملكِ الترك فهزمَهُ ، وقُتل من جيشه خَلْقٌ كثير ، وهرب الخاقانُ بعد أنْ كان قُتل في جملة من قتل جيشه ، وقُتل الحارثُ بن عمرو شهيداً ، وذلك بعد أنْ قتلوا من الأتراك خَلْقاً كثيراً .

وفيها غزا معاويةُ بنُ هشام بن عبد الملك أرضَ الروم ، وبعث البَطَّال على جيشٍ كثيف ، فافتَتَح جَنْجَرة(٤) ، وغَنِم منها شيئاً كثيراً](٥) .

---

(١) البيتان في ديوان جميل ص(٢١٠) بخلاف يسير .
(٢) والخبر بنحوه في الأغاني (٩/ ٤١ ، ٤٢) .
(٣) ورثان : آخر حدود أذربيجان انظر معجم البلدان (٥/ ٣٧٠) .
(٤) جنجرة : مدينة قرب حضرموت . انظر معجم البلدان (٢/ ١٦٨) .
(٥) ما بين معقوفين زيادة من (ق) .

وفيها تُوفي من الأعيان :

بَكْرُ بن عبد الله المُزني البصري[١] .

وراشد بن سعد المقرائي الحمصي[٢] .

ومحمد بن كعب القُرظي[٣] : توفي فيها في قولٍ .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/٢٠٩) ، مشاهير علماء الأمصار ص(٩٠) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٢٥١) ، الثقات لابن حبان (٤/ ٧٤) ، التاريخ الكبير (٢/ ٩٠) ، الجرح والتعديل (٢/ ٣٨٨) ، الحلية (٢/ ٢٢٤) ، صفة الصفوة (٢/ ٢٤٨) ، المختار من مناقب الأخيار (١/ ٤٧٦) ، تهذيب الكمال (٤/ ٢١٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٢) ، الوافي (١٠/ ٢٠٧) تقريب التهذيب ص(١٢٧) ، تهذيب التهذيب (١/ ٤٨٤) .
وما سيأتي من زيادات (ق) التي أقحمت في المتن وهي : [كان عالماً عابداً زاهداً متواضعاً قليلَ الكلام ، وله رواياتٌ كثيرة عن خَلْقٍ من الصحابة والتابعين .
قال بكرُ بن عبد الله : إذا رأيتَ منْ هو أكبَرُ منك من المسلمين فقل : سبَقْتُه إلى المعاصي فهو خيرٌ منِّي ، وإذا رأيتَ إخوانَك يُكرمونك ويُعظِّمونك فقل : هذا من فَضْل ربِّي ، وإذا رأيتَ منهم تقصيراً فقل : هذا بذنْبٍ أحدثته (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٢٦) .) .
وقال : منْ مثلُكَ يا ابن آدم ؟ خُلِّي بينك وبين الماء والمحراب ، متى شئتَ تطهَّرْتَ ودخلتَ على ربك عزَّ وجلَّ ، ليس بينك وبينه تَرْجُمانٌ ولا حاجِب .
وقال : لا يكونُ العبدُ تقياً حتى يكون بطيء الطَّمَع ، بطيء الغَضَب (في (ق) : « تقي الطمع ، تقي الغضب » ، والمثبت من الحلية (٢/ ٢٢٥) .) .
وقال : إذا رأيتُمُ الرجلَ موكلاً بعيوبِ الناس ناسياً لعيبه فاعلموا أنه قد مُكِر به .
وقال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا بلَغَ المبلغَ الصالح من العمل فمشى في الناس تُظَلِّلُه غمامة ؛ قال : فمرَّ رجلٌ قد أظلَّتْه غمامة على رجل ، فأعظمه لما رآه مما آتاه الله ، فاحتقره صاحبُ الغَمَامة ، فأمرَها الله أنْ تتحوَّل عن رأسه إلى رأسِ الذي احتقره ، وهو الذي عظَّم أمرَ الله عزَّ وجلَّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٢٦) .) .
وقال : ما سبقهم أبو بكرٍ بكثيرِ صلاةٍ ولا صيام ، ولكنْ بشيءٍ قرَّ في صَدْرِه .
وله كلامٌ حسنٌ كثير ، يطولُ ذِكرُه] .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٦) ، التاريخ الكبير (٢/ ٢٩٢) ، الجرح والتعديل (٣/ ٤٨٣) ، حلية الأولياء (٦/ ١١٧) ، تهذيب الكمال (٩/ ٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٠) . وهذه الزيادة من (ق) وهي : [عُمِّرَ دهراً ، وروى عن جماعةٍ من الصحابة ، وقد كان عابداً صالحاً زاهداً . رحمه الله تعالى ، وله ترجمة طويلة] .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (القسم المتمم ص(١٣٤)) ، تاريخ خليفة (٣٤٨) ، طبقات خليفة ص(٢٦٤) ، التاريخ الكبير (١/ ٢١٦) ، المعارف ص(٤٥٨) ، الجرح والتعديل (٨/ ٦٧) ، حلية الأولياء (٣/ ٢١٢) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٤٣٢) . مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ١٧٩) ، تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٠) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٥) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٢٠) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٢٩) . وما سيأتي هنا من زيادات (ق) التي أشرت إليها وهي : [وهو أبو حمزة ، له رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ من الصحابة ، وكان عالماً بتفسير القرآن ، صالحاً عابداً .
=

. . . .

= قال الأصمعي : حدّثنا أبو المقدام ـ هشام بن زياد ـ عن محمد بن كعب القرظي أنه سئل : ما علامة الخِذْلان ؟ قال : أن يقبحَ الرجلُ ما كان يستحسن ، ويستحسن ما كان قبيحاً .

وقال عبدُ الله بن المبارك (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٩٧) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٤) .) : حدّثنا عبد الله بن عبدِ الله بن موهب قال : سمعتُ ابنَ كعبٍ يقول : لأنْ أقرأ في ليلةٍ حتى أُصبح إذا زُلزلت والقارعة لا أزيدُ عليهما ، وأردِّدَ فيهما الفكر ، أحبُّ إليَّ من أن أهذَّ القرآن هَذّاً ـ أوْ قال : أنثرُه نثراً ـ .

وقال : لو رُخِّصَ لأحدٍ في تَرْكِ الذِّكْر لَرُخِّص لزكريا عليه السلام ؛ قال تعالى : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران : ٤١] فلو رُخِّص لأحدٍ في ترك الذكر لَرُخِّصَ له ، ولرُخِّصَ للذين يقاتلون في سبيل الله ؛ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٥) .) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ قال : اصبروا على دينكم وصابروا لوعدِكم الذي وعدتم ، ورابطوا عدوّكم الظاهرَ والباطن ، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ فيما بيني وبينكم . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] إذا لَقيتُموني .

وقال في قوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف : ٢٤] : علْمَ ما أحلَّ القرآنُ مما حرَّم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٥) ؛ وفيه : « ما أُحلَّ في القرآن . . . » .) .

﴿ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٠] قال : القائم ما كان من بنائهم قائماً ، والحَصيد ما حُصِد فهُدِم (كذا في (ق) ، والذي في الحلية (٣/ ٢١٥) : « من نباتهم قائماً ، والحصيد ما قد حصد » .) .

﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥] قال : غرموا ما نعموا به من النعم في الدنيا ، وفي رواية سألهم ثمن نعمةٍ فلم يقدروا عليها ولم يؤدُّوها ، فأغرَمَهم ثمنَها . فأدخلهم النار (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٦) .) .

وقال قُتيبة بن سعيد : حدّثنا عبدُ الرحمن بن أبي الموالي قال : سمعتُ محمد بن كعب في هذه الآية ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٩] ، قال : هو الرجل يُعطي الآخَرَ من ماله ليكافئه به أو يزداد ، فهذا الذي لا يربو عند الله ، والمضعِفون هم الذين يُعطون لوجهِ الله ، لا يَبْتَغي مكافأةَ أحدٍ .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء : ٨٠] ، قال : اجعلْ سريرتي وعلانيتي حسنة .

وقيل : أدْخِلْني مُدْخَلَ صدقٍ ، في العمل الصالح ، أي الإخلاص ، وأخرجْني مخرجَ صدقٍ ، أي سالماً .

﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] ، أي يسمعُ القرآن وقلبه معه ، لا يكون في مكانٍ آخر .

﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة : ٩] ، قال : السَّعْيُ العملُ ليس بالشَّدِّ .

وقال : الكبائر ثلاثة ، أنْ تأمنَ مكر الله ، وأن تقنَطَ من رحمةِ الله ، وأن تيأس من روح الله .

وقال عبدُ الله بن المبارك (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٩٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٣) .) : حدّثنا موسى بن عُبيدة عن محمد بن كعب ، قال : إذا أرادَ الله بعبدٍ خيراً جعل فيه ثلاثَ خصال ، فقهاً في الدِّين ، وزَهادةً في الدنيا ، وبصَراً بعيوبِ نفسه .

وقال : الدنيا دارُ قَلَق ، رَغبَ عنها السعداء ، وانتُزعتْ من أيدي الأشقياء ، فأشقى الناس بها أرْغَبُ الناسِ فيها ، وأزْهدُ الناسِ فيها أسعدُ الناس بها ، هي الغاويَةُ لمنْ أضاعَها ، المُهْلِكةُ لمن اتَّبعها ، الخائنةُ لمنِ انقادَ لها ؛ عِلْمُها جَهْل ، وغناؤها فَقر ، وزيادتُها نُقْصان ، وأيامُها دُوَل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٣) .) .

وروى ابنُ المبارك (في كتابه الزهد ص(١٥٠) .) عن داودَ بنِ قيس ، قال : سمعتُ محمد بن كعب يقول :

. . . .

= إنَّ الأرض لتبكي من رجلٍ ، وتبكي على رجل ؛ تبكي على منْ كان يعمَلُ على ظهرِها بطاعةِ الله ؛ وتبكي ممنْ كان يعملُ على ظهرِها بمعصيةِ الله ، قد أثقلها ؛ ثم قرأ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [الدخان : ٢٩] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] : منْ يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً من كافرٍ يرى ثوابَها في نفسِهِ وأهلِه ومالِه حتى يخرجَ من الدنيا وليس له خير ؛ ومنْ يعمل مثقالَ ذرةٍ شراً يرَه ، من مؤمن يرى عقوبتها في نفسه وأهله وماله حتى يخرجَ من الدنيا وليس له شرّ (أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٦٨) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٣) .) .

وقال : ما يؤمنني أنْ يكونَ الله قدِ اطلع عليَّ في بعض ما يكره فمقتنَي ، وقال : اذهبْ لا أغفرُ لك ؛ معَ أنَّ عجائبَ القرآن تَرِدُني على أمور ، حتى إنه لينقضي الليلُ ولم أفرُغْ من حاجتي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٤) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٥ ، ٦٦) .) .

وكتب عُمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسألُه أنْ يبيعَه غلامه سالماً ـ وكان عابداً خيراً زاهداً ـ فكتب إليه : إني قد دَبَّرْتُه (دَبَّرَ العَبْدَ : أعتقه بعد الموت .) ، قال : فأَزْرِنيهِ (في (ق) : « فازدد فيه » ، والمثبت من الحلية (٥/ ٣٢٩) ، وأزرنيه : من الزيارة .) ، فأتاه سالم فقال له عمر : إني قد ابتُليتُ بما تَرَى ، وأنا والله أتخوَّفُ أنْ لا أنجو . فقال له سالم : إنْ كنتَ كما تقول فهي نجاتُك ، وإلا فهو الأمرُ الذي تخاف . قال : يا سالم ، عِظْني ، قال : آدمُ عليه السلام أخطأ خطيئة واحدةً خرج بها من الجنة ، وأنتم مع عَملِ الخطايا ترجونَ دخولَ الجنة . ثم سكت (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٤ و٥/ ٣٢٩) .) .

قلتُ : والأمر كما قيل في بعض كتب الله : تزرعون السيئات وترجونَ الحسنات ، لا يُجتنى من الشَّوك العنب .

تَصِلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وتَرْتَجِي ... دَرَجَ الجنانِ وطِيبَ عيشِ العابدِ
ونَسيتَ أنَّ اللهَ أخرجَ آدماً ... منْها إلى الدنيا بذَنْبٍ واحِدِ

(ذكره المؤلف في تفسيره (١/ ٨٢) وقبل البيتين :

يا ناظراً يرنو بعيني راقدٍ ... ومشاهداً للأمر غير مشاهدِ)

وقال : منْ قرأ القرآنَ مُتِّعَ بعقْلِهِ وإنْ بلَغَ من العمر مئتي سنة (ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٣٣) .) .

وقال له رجل : ما تقولُ في التوبة ؟ قال : لا أُحسنها ، قال : أفرأيت إن أعطيتَ الله عهداً أنْ لا تعصيَه أبداً ؟ قال : فمنْ أعظمُ جُرْماً منك ؟ تتألَّى على الله أن لا يُنْفذَ فيك أمرَه !

وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : حدّثنا ابنُ عبدِ العزيز ، حدّثنا أبو عُبيد القاسمُ بن سلاَّم ، حدّثنا عبَّاد بن عباد ، عن هشام بن زياد أبي المِقْدام ، قالوا كلُّهم : حدّثنا محمد بن كعب القُرَظي قال : حدّثنا ابن عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « منْ أحبَّ أنْ يكونَ أغنى الناس فليْكُنْ بما في يدِ الله أوثقَ ممَّا في يده ؛ ألا أُنبئُكم بشرارِكم » ؟ قالوا : نَعَمْ يا رسولَ الله . قال : « منْ نزَلَ وحدَه ، ومنَعَ رِفْدَه ، وجَلَدَ عبدَه ؛ أفأنبئُكم بِشَرٍّ من هذا » ؟ قالوا : نَعَمْ يا رسولَ الله . قال : « منْ لا يُقيلُ عَثْرةً ولا يقبَلُ معذرَةً ، ولا يغفرُ ذنباً » . ثم قال : « ألا أُنبِئُكم بشرٍّ منْ هذا » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « مَنْ لا يُرْجَى خَيْرُه ، ولا يُؤمنُ شرُّه ؛ إنَّ عيسى بن مريم قام في بني إسرائيلَ خطيباً فقال : يا بني إسرائيل ، لا تكلّموا بالحِكْمةِ عند الجُهَّال فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموها ـ وقال مرَّةً فتظلموهُمْ ـ ولا تظلموا ظالماً ، ولا تكافئوا (في (ق) : « ولا تطاولوا » ، تصحيف ، والمثبت من الحلية ومصادر التخريج .) ظالماً فيبطُلَ فَضْلُكم عند ربِّكُمْ ، يا بني إسرائيل ، الأمورُ ثلاثة ، أمْرٌ تبيَّنَ رُشْدُه فاتَّبعوه ، وأمرٌ تبيَّن غيُّه فاجتنبوه ، وأمْرٌ اختُلِف فيه فردُّوه إلى الله » . وهذه الألفاظُ لا تحفظ عن النبيِّ ﷺ

وأبو نَضْرَةَ المنذرُ بن مالك بن قطعة العبدي[١] : وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل[٢] .

وحجَّ بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي أمير الحرمين والطائف ، والعمال فيها هم العمال في التي قبلها بأعيانهم[٣] .

ثم دخلت سنة تسع ومئة

ففيها عَزل هشامُ بن عبدِ الملك أسَدَ بنَ عبد الله القَسْريَّ عن إمرة خُراسان ، وأمَرهُ أن يقدَم إلى الحجّ ، فأقبَلَ منها في رمضان ، واستخلف على خراسان الحكم بن عَوَانة الكَلْبي ، واستناب هشامُ على خراسان ، أشرَسَ بن عبد الله السلمي ، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القَسْري ، وكان أشرسُ فاضلاً خيِّراً ، وكان يُسمَّى الكامل لذلك ، وكان أولَ من اتخذ المرابطة بخراسان ، واستعمل عليها عبد الملك بن دثار الباهلي ، وتولّى هو الأمورَ بنفسِه كبيرَها وصغيرَها ، ففَرِح بهِ أهلُها[٤] .

وفيها حجَّ بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين والطائف .

سنة عشر ومئة من الهجرة النبويّة

فيها قاتل مَسْلَمةُ بن عبدِ الملك ملكَ التُّرْكِ الأعظم خاقان ، فزحف إلى مسلمةَ في جموعٍ عظيمة فتواقفوا نحواً من شهر ، ثم هزَمَ الله خاقان زمنَ الشتاء ، ورجع مسلمةُ سالماً غانماً ، فسلك على مسلك ذي القَرْنين في رجوعه إلى الشام ، وتُسَمَّى هذه الغَزَاةُ غزاةَ الطِّين ، وذلك أنهم سلكوا على مغارق

= بهذا السياق إلاَّ من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس (هذا لفظ أبي نعيم في الحلية (٣/ ٢١٩) ، والقول بعد الحديث له .) .

وقد رُوي أولُ الحديث إلى ذكر عيسى من غير طريقه ، وسيأتي أنَّ هذا الحديث تفرَّد به الطبراني بطولِه والله سبحانه وتعالى أعلم] (والحديث أخرجه من غير طريق الطبراني عبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٢٥) (٦٧٥) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠١) (٧٧٠٧) ، وابن عدي في الكامل (٤/ ٣٤٠) في ترجمة هشام بن زياد بن سعدويه المروزي أبي المقدام . وأورده الزيلعي في نصب الراية (٣/ ٦٢) ، وإسناده ضعيف) .

(١) ترجمته في الجرح والتعديل (٨/ ٢٤١) ، ومعرفة الثقات للعجلي (٢/ ٢٩٨) ، ومشاهير علماء الأمصار ص(٩٦) ، ميزان الاعتدال (٦/ ٥١٥) ، تقريب التهذيب ص(٥٤٦) .

(٢) انظر ص(٦٥ ـ ٧٦) .

(٣) هذه الفقرة سقطت من (ق) وأثبتها من (ب ، ح) .

(٤) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٢٧) .

ومواضع غَرِق فيها دواب كثيرة ، وتوحَّل فيها خَلْقٌ كثير ، فما نَجَوْا حتى قاسَوْا شدائدَ وأهوالاً صِعاباً ، وشدائد عظاماً[١] .

وفيها دعا أشرسُ بن عبدِ الله السلمي نائبُ خراسان أهلَ الذِّمَّة بسَمَرْقَنْد ومنْ وراءَ النهر إلى الدخولِ في الإسلام ، على أن يضعَ عنهم الجِزية ، فأجابوهُ إلى ذلك ، وأسلم غالبهم[٢] ، ثم طالبهم بالجِزْية فنَصبوا له الحَرْب وقاتلوه ؛ ثم كانت بينه وبين الترك حروبٌ كثيرة ، أطال ابنُ جريرٍ بسطَها وشرحها فوق الحاجة[٣] .

وفيها [أرسل أميرُ المؤمنين هشامٌ عُبيدةَ[٤] إلى إفْريقية متولِّياً عليها ؛ فلما وصل جَهَّزَ ابنه وأخاه في جيش ، فالتقَوْا مع المشركين ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا بطريقهم وانهزم باقيهم ، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً .

وفيها افتتح معاويةُ بن هشام حِصْنَيْنِ من بلاد الرُّوم ، وغنم غنائمَ جَمَّة .

وفيها][٥] حجَّ بالناس إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، أمير الحرمين والطائف ، وعلى العراق خالد القَسْري ، وعلى خُراسان أشْرَسُ السُّلَمي .

ذكر من تُوفي فيها من الأعيان :

جَرير الشاعر[٦] : وهو جَرير بنُ الخَطَفَى ويقال : جرير بن عَطيَّة بن الخَطَفَى ، واسمُ الخَطَفى حُذيفة بن بدر بن سلمة بن عَوْف بن كُليب بن يَرْبوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم بن مُرِّ بن أُدِّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نزار ، أبو حَزْرَة[٧] الشاعر البَصْري ، قدِم دمشق مراراً عدَّة ، وامتدح يزيدَ بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان وبنيه الوليد وسليمان ويزيد ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ؛ وكان في عصرِهِ من الشعراء الذين يقارنونه الفرَزْدَقُ والأخْطَل ، وكان جريرٌ أشعرَهم وأخْيَرَهم . قال غيرُ واحدٍ : هو أشعرُ الثلاثة .

---

(١) انظر تاريخ خليفة ص(٣٣٩) .

(٢) في (ب ، ح) : « وأسلموا » ، والمثبت من (ق) .

(٣) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٢٩) وما بعدها .

(٤) في (ق) : « هشام بن عبيدة » ، والمثبت من تاريخ اليعقوبي (٢/٣١٨) ومعجم البلدان (١/ ٢٢٩) ، والحلة السيراء (١/ ٦٤) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٤٥) . وهو عبيدة بن عبد الرحمن ابن أخي الأعور السلمي ، صاحب خيل معاوية بصفين ؛ انظر ترجمته في الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١/ ١٦٠) .

(٥) ما بين معقوفين زيادة من (ق) .

(٦) ترجمته في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٢٩٧) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٢١) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠) .

(٧) في (ق) : « أبو حرزة » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) والإكمال لابن ماكولا (٢/ ٤٦٠ ، ٤٦١) .

قال أبو بكر بنُ دريد : حدّثنا الأشْنَانْدَاني ، حدّثنا التوَّزيّ[١] عن أبي عُبيدة عن عثمان البَتِّي ، قال : رأيتُ جريراً وما تضم شفتاه من التسبيح ، فقلت : وما ينفعك هذا وأنت تقذفُ المحصنة ؟ فقال : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، إنَّ الحسناتِ يُذهبنَ السيئات » ، وَعْدٌ من الله حَقّ[٢] .

وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال : دخل رجلٌ من بني عُذْرة على عبد الملك بن مروان يمتدحُه بقصيدة وعنده الشعراء الثلاثة ، جرير والفرزدق والأخطل ، فلم يعرِفْهُم الأعرابي ، فقال عبد الملك للأعرابي : هل تعرفُ أهجى بيتٍ قالتْه العرب في الإسلام ؟ قال : نعم ! قولُ جرير :

فَغُضَّ الطرفَ إنكَ من نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

فقال : أحسنت ؛ فهل تعرفُ أمدحَ بيتٍ قيل في الإسلام ؟ قال نعم ! قولُ جرير :

ألستمْ خيرَ من ركبَ المطايا وأندَى العالمين بطونَ راحِ

فقال : أصبتَ وأحسنت ، فهل تعرفُ أرقَّ بيتٍ قيل في الإسلام ؟ قال : نعم ! قولُ جرير :

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرضٌ قَتَلْنَنا ثُمَّ لم يُحيينَ قَتلانا
يصرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ به وهنَّ أضْعفُ خلْقِ الله أرْكانا

فقال : أحسنت ؛ فهل تعرفُ جريراً ؟ قال : لا والله ، وإني إلى رؤيتِه لمشتاق . قال : فهذا جرير وهذا الفرزدق ، وهذا الأخطل ، فأنشأ الأعرابي يقول :

فحَيَّا الإلَهُ أبا حَزْرَةٍ[٣] وأرغمَ أنفكَ يا أخطلُ
وجدُّ الفرزدقِ أتعِسْ بهِ ودَقَّ خياشيمَهُ الجَنْدلُ

فأنشأ الفرزدق يقول :

يا أرغَم اللهُ أنفاً أنتَ حاملُهُ يا ذا الخَنا ومَقَالِ الزُّورِ والخطَلِ
ما أنتَ بالحكمِ التُرْضَى حكومَتُهُ ولا الأصيلِ ولا ذي الرَّأْيِ والجدَلِ

ثم أنشأ الأخطل يقول :

يا شرَّ منْ حملَتْ ساقٌ على قدمٍ ما مثلُ قولِكَ في الأقوامِ يُحتَملُ

---

(١) في بعض النسخ : « الثوري » ، وهو تصحيف لا ريب فيه ، فقد استدرك ابن الأثير نسبة « الأشناندانى » في اللباب على أبي سعد السمعاني في الأنساب ، ونسب إليها أبا عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى صاحب كتاب المعاني ، فذكر أنه أخذ العلم عن أبي محمد التوزي وأن أبا بكر بن دريد روى عنه (بشار) .

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩١) ، وتحرف فيه « البتي » إلى « التميمي » .

(٣) في (ق ، ب) : « حرزة » تصحيف ، انظر الحاشية (٧) من الصفحة السابقة .

إنَّ الحكومةَ ليستْ في أبيكَ ولا ... في معشرٍ أنتَ منهمْ إنهمْ سفَلُ

فقام جرير مغضباً وقال :

شتمتما قائلاً بالحقِّ مبتدئاً ... عند الخليفةِ والأقوالُ تنتضلُ
أتشتمانِ سَفاهاً خَيْرَكمْ حسباً ... ففيكما - وإلَهي - الزُّورُ والخطَلُ
شتمتماهُ على رَفْعي ووضْعِكما ... لا زِلْتما في سفَالٍ أيُّها السَّفَلُ[١]

ثم وَثَبَ جريرٌ فقبَّلَ رأسَ الأعرابي وقال : يا أمير المؤمنين جائزتي له ؛ وكانت خمسة عشر ألفاً . فقال عبد الملك : وله مثلُها من مالي ، فقبض الأعرابيُّ ذلك كلَّه وخَرَج[٢] .

وحكى يعقوبُ بن السِّكِّيت ، أنَّ جريراً دخل على عبد الملك مع وَفدِ أهلِ العراق من جهة الحجاج فأنشده مديحَهُ الذي يقولُ فيه :

ألستمْ خيرَ من رَكبَ المطايا ... وأندى العالمين بطونَ راحِ[٣]

فأطلَق له مئة ناقة وثمانيةً من الرِّعاء ، أربعة من النوبة ، وأربعة من السبي الذين قدم بهم من الصُّغْد . قال جرير : وبين يدي أمير المؤمنين عبد الملك جاماتٌ[٤] من فضَّة قد أُهديَتْ له ، وهو لا يعبأ بها شيئاً ، فهو يقرَعُها بقضيبٍ في يده ، فقلت : يا أمير المؤمنين المحلب ، فألقى إليَّ واحداً من تلك الجامات ، ولما رجع إلى الحجَّاج أعجبَهُ إكرامُ أميرِ المؤمنين له ، فأطلق الحجَّاج له خمسين ناقةً تحملُ طعاماً لأهله .

وحكى نِفْطوَيْه أنَّ جريراً دخل يوماً على بشر بن مروان وعنده الأخطل ، فقال بشر لجرير : أتعرفُ هذا ؟ قال : لا ، ومنْ هذا أيها الأمير ؟ فقال : هذا الأخطل . فقال الأخطل : أنا الذي شتمتُ عِرِضَك وأسهرت ليلك ، وآذيت قومك . فقال جرير : أما قولك شتمت عرضك ؛ فما ضرَّ البحرَ أنْ يشتمَهُ منْ غَرِق فيه ، وأما قولك وأسهرتُ ليلك ، فلو تركتني أنامُ لكانَ خيراً لك ، وأما قولك وآذيتُ قومك ، فكيف تؤذي قوماً أنت تؤدِّي الجِزْية إليهم ؟ وكان الأخطل من نصارَى العرب المتنصِّرة ، قَبَّحهُ الله وأبعدَ مثواه ، [وهو الذي أنشدَ بشر بن مروان قصيدته التي يقولُ فيها :

---

(١) الأبيات في ديوان جرير ص(٣٩١) .
(٢) الخبر أورده ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١/ ٢٦٩ ، ٢٧٠) . وأخرجه أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٨/ ٤٤ - ٤٦) مطولاً بغير هذا السياق ، ولم يكن في المجلس الفرزدق والأخطل .
(٣) البيت من قصيدة مشهورة في ديوان جرير ص(٧٦) .
(٤) في (ق) : « جامانِ » بالنون ، تصحيف ، والمثبت من (ح) .

قَــدِ اسْتَــوى بِشْــرٌ عَلــى العـراقِ ... مِــنْ غَيــرِ سَيــفٍ ودمٍ مُهْــرَاقِ[(١)]

وهذا البيت تستدلُّ به الجهميَّةُ على أنَّ الاستواءَ على العرش بمعنى الاستيلاء ؛ وهذا من تحريفِ الكَلِم عن مواضعِه ، وليس في بيت هذا النصرانيِّ حُجَّةٌ ولا دليلٌ على ذلك ، ولا أراد الله عزَّ وجلَّ باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، تعالى الله عن قولِ الجهميَّة علوّاً كبيراً ، فإنَّه إنما يقال استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بِشْرٍ على العراق ، واستيلاء المَلِك على المدينة بعد عصيانِها عليه ، وعَرْشُ الربِّ لم يكنْ ممتنعاً عليه نفَساً واحداً ، حتى يقال استوى عليه ، أو معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا تجد أضعف من حُجج الجَهْمية ، حتى أدَّاهم الإفلاس من الحُجَج إلى بيتِ هذا النصرانيِّ المقبُوح ، وليس فيه حجة والله أعلم][(٢)] .

وقال الهيثم بن عَدي عن عوانة بن الحكم قال : لما استُخلف عمر بن عبد العزيز وفَدَ إليه الشعراء ، فمكثوا ببابه أياماً لا يؤذَنُ لهم ولا يُلتفتُ إليهم ، فساءهم ذلك ، وهمُّوا بالرجوع إلى بلادهم ، فمرَّ بهم رجاءُ بن حَيْوَة ، فقال له جرير :

يـا أيُّهـا الـرجـلُ المُـرْخـي عِمَـامَتَـهُ ... هـذا زمـانُـكَ فـاستـأذِنْ لنـا عُمَـرا

فدخل ولم يذكُرْ لعمرَ مِنْ أمرهم شيئاً ، فمرَّ بهم عديُّ بن أرْطَاة فقال له جرير منشداً :

يا أيها الراكبُ المرخي مَطِيَّتَهُ[(٣)] ... هـذا زمـانـكَ إنـي قـدْ مَضَـى زمنـي

أبلـــغْ خليفَتنـــا إنْ كنـــتَ لاقيَـــه ... أني لدى البابِ كالمَصْفودِ في قَرَنِ

لا تنـسَ حـاجتَنـا لاقَيْـتَ مغفـرةً ... قد طالَ مُكْثي عن أهلي وعن وطني[(٤)]

فدخل عديٌّ على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك ، وسهامُهم مسمومة ، وأقوالُهم نافذة ، فقال : ويحك يا عدي ، مالي وللشعراء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ رسولَ الله ﷺ قد كان يسمَعُ الشعر ويُجْزي عليه ، وقد أنشده العباسُ بن مِرْداس مِدْحةً فأعطاه حُلَّة ، فقال له عمر : أتَرْوي منها شيئاً ؟ قال : نعم فأنشده :

رأيتُــكَ يــا خيــرَ البــريَّــةِ كلِّهــا ... نشَـرْتَ كتـابـاً جـاءَ بـالحـقِّ معلَمـا

شرعتَ لنا دينَ الهُدَى بعدَ جَوْرنا ... عنِ الحقِّ لما أصبحَ الحقُّ مظلما

---

(١) ذكره أبو بكر بن أبي الدنيا في قرى الضيف (٥/ ٢٧٦) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ق) .

(٣) كذا في (ب ، ح) ، وفي الديوان « عمامته » .

(٤) الأبيات في ديوان جرير ص(٤٨٦) .

ونـوَّرتَ بـالبـرهـانِ أمـراً مـدلَّسـاً واطفـأتَ بـالبـرهـانِ(١) نـاراً تضرَّمـا
فمـنْ مبلـغٌ عنّـي النبـيَّ محمـداً وكـلُّ امـرئٍ يُجْـزى بمـا كـانَ قـدَّمـا
أقمتَ سبيلَ الحقِّ بعدَ اعوجاجِه وكـانَ قـديمـاً رُكْنـه قـد تهـدَّمـا
تعـالـى عُلـوًّا فـوقَ عـرشِ إلَـهنـا وكـانَ مكـانُ الله أعلـى وأعظَمـا

فقال عمر : منْ بالباب منهم ؟ فقال عمر بن أبي ربيعة ، فقال : أليس هو الذي يقول :

ثـم نَبَّهتُهـا فهبَّـتْ كعـابـاً طفلـةٌ مـا تُبيـنُ رَجْـعَ الكـلامِ
سـاعـةً ثـم إنهـا بعـدُ قـالـتْ وَيْلَنـا قـد عجلـتَ يـا ابـنَ الكـرام
أعلـى غيـرِ مـوعـدٍ جئـتَ تسـري تتخطَّـى إلـى رؤوسِ النيـام
مـا تجشَّمـتَ مـا تـريـدُ مـن الأمـرِ ولا جئـتَ طـارقـاً لخصـامِ(٢)

فلو كان عدوُّ الله إذْ فجَرَ ، كتَم ، وستَرَ على نفسه ، لا يدخل [عليَّ] والله أبداً ، فمن بالبابِ سواه ؟ قال : همَّام بن غالب ـ يعني الفَرَزْدَق ـ فقال عمر : أو ليس هو الذي يقولُ في شعره :

همـا دلَّيـانـي مـن ثمـانيـنَ قـامـةً كما انقضَّ بازٍ أَقْتَمُ الريش كاسِرُهْ
فلما استوَتْ رجلايَ بالأرضِ قالتا أحـيٌّ فيُـرجَـى أمْ قتيـلٌ نُحَـاذِرُهْ(٣)

لا يطأُ والله بساطي وهو كذاب ، فمنْ سواه بالباب ؟ قال : الأخطل ، قال : أو ليس هو الذي يقول :

ولسـتُ بصـائـمٍ رمضـانَ طـوعـاً(٤) ولسـتُ بـآكـلٍ لحـمَ الأضـاحـي
ولسـتُ بـزاجـرٍ عِيسـاً بكـوراً إلـى بَطْحَـاءِ مكّـةَ للنجـاحِ
ولسـتُ بـزائـرٍ بيتـاً بعيـداً بمكـةَ أبتغـي فيـهِ صَـلاحـي
ولسـتُ بقـائـمٍ كـالعَيْـرِ أدْعـو قُبيـلَ الصُّبـحِ حَـيَّ علـى الفـلاحِ
ولكنّـي سـأشـربهـا شَمُـولاً وأسجُـدُ عنـدَ منبلـجِ الصبـاحِ(٥)

والله لا يدخلُ عليَّ وهو كافرٌ أبداً ؛ فهل بالبابِ سوى منْ ذكرتَ ؟ قال : نعم الأحْوَص ، قال : أليس هو الذي يقول :

---

(١) في (ق) : « بالقرآن » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) في (ح) : « مخصام » ، والمثبت من (ب ، ق) . والبيتان الأولان في ديوان عمر ص(٣٩٤) . والثلاثة في المنتظم (٧/ ٣٦) لابن الجوزي .
(٣) البيتان من قصيدة للفرزدق في ديوان ص(٢٠٨) .
(٤) في (ح) : « رمضان عمري » ، والمثبت من (ب ، ق) والديوان .
(٥) الأبيات في ديوان الأخطل ص(٤٨٦) ما عدا الثاني والثالث ، وهما في المنتظم(٧/ ٣٦) .

اللهُ بيني وبينَ سيِّدِها يفرُّ منِّي بها وأتْبَعُهُ

فما هو دونَ منْ ذكرت ، فمَنْ هاهنا غيره ؟ قال جَمِيل بن مَعْمَر ، قال : الذي يقول :

ألا ليتنا نَحْيَا جَميعاً وإنْ نَمُتْ يوافقُ في الموتى ضريحي ضَريحُها
فما أنا في طولِ الحياةِ براغبٍ إذا قيلَ قد سُوِّي علَيْها صَفِيحُها[١]

فلو كان عدوُّ الله تمنَّى لقاءَها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً ويتوب ؛ والله لا يدخل عليَّ أبداً ؛ فهل بالباب أحدٌ سوى ذلك ؟ قلت : جَرير ، قال : أما إنه الذي يقول :

طرَقَتْك صائدةُ القلوبِ وليس ذا حينَ الزيارةِ فارْجِعي بسلامِ[٢]

فإنْ كان لا بدَّ فأذَنْ لجرير ، فأذن له ، فدخل على عمر وهو يقول :

إنَّ الذي بعثَ النبيَّ محمداً جعلَ الخلافةَ للإمامِ العادلِ
وسعَ الخلائقَ عَدْلُهُ ووفاؤه حتى ارْعوى وأقامَ ميلَ المائلِ
إني لأرجو منكَ خيراً عاجلاً والنفسُ مولَعةٌ بحُبِّ العاجلِ[٣]

فقال له : ويحك يا جرير ، اتَّقِ الله فيما تقول ، ثم إنَّ جريراً استأذن عمرَ في الإنشاد فلم يأذنْ له ، ولم يَنْهه ، فأنشده قصيدةً طَويلة يمدَحُهُ بها[٤] ، فقال له : ويحك يا جَرير لا أرى لك فيما هاهنا حقًّا ، فقال : إني مِسْكين وابنُ سَبيل . قال : إنَّا وَلينا هذا الأمر ونحنُ لا نملكُ إلا ثلاثَ مئة درهم ، أخذتْ أمُّ عبد الله مئة ، وابنها مئة ، وقد بقيَتْ مئة ، فأمر له بها ، فخرج على الشعراء فقالوا : ما وراءك يا جرير ؟ فقال : ما يسوؤكم ، خرجتُ من عندِ أمير المؤمنين وهو يُعطي الفقراء ، ويمنعُ الشعراء وإني عنه لراضٍ ، ثم أنشأ يقول :

رأيتُ رُقَى الشيطانِ لا تستفزُّه وقدْ كانَ شيطاني منَ الجِنِّ راقيا[٥]

وقال بعضُهم فيما حكاه المعافَى بنُ زكريا الجريري قالتْ جاريةٌ للحجَّاج بنِ يوسف : إنك تُدخل هذا علينا ! فقال : إنه ما علمتُ عفيفاً ، فقالت : أما إنك لو أخليتَني أنا وإياه سترى ما يصنع ، فأمر باخلائها مع جرير في مكان يراهما الحجَّاج ولا يريانِه ، ولا يشعُر جرير بشيءٍ من ذ لك ، فقالتْ له : يا جرير ،

---

(١) البيتان في ديوان جميل ص(٦٧) .
(٢) البيت في ديوان جرير ص(٤٥٢) .
(٣) الأبيات في ديوان جرير ص(٣٣١) .
(٤) انظرهما في المنتظم (٧/ ٣٧) ، وهي في ديوانه ص(٢١٠) ومطلعها :
لجَّتْ أمامة في لومي وما علمت عَرْضَ السماوةِ رَوْحاتي ولا بُكَري
(٥) أخرج الخبر بطوله ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ٣٥ـ٣٨) .

فأطرَقَ رأسَه ، وقال : هأنذا ، فقالت : أنشدني من قولك كذا وكذا ـ لشعرٍ فيه رِقَّةٌ وتحنن ـ فقال : لستُ أحفظه ولكنْ أحفَظُ كذا وكذا ـ ويُعرضُ عن ذاك ، ويُنشدُها شعراً في مَدْحِ الحجَّاج ـ فقالت : لستُ أُريدُ هذا ، إنما أريدُ كذا وكذا ـ فيُعرض عن ذاك ويُنشدها في الحجاج ـ حتى انقضى المجلس ، فقال الحجاج : لله دَرُّك ، أبَيْتَ إلا كرماً وتكرُّماً .

وقال أبو عكرمة[١] : أنشدتُ أعرابيّاً بيتاً لجرير بن الخَطَفى :

أبدِّلَ الليلُ لا تَسْري كواكبُهُ ... أو طالَ حتى حَسِبْتُ النَّجْمَ حَيْرانا[٢]

فقال الأعرابي : إنَّ هذا حسنٌ في معناه ، وأعوذُ بالله من مثله ، ولكنِّي أُنشدُك في ضدِّه من قولي :

وليـلٍ لـم يُقَصِّـرْهُ رُقـادٌ ... وقصَّـرهُ لنـا وَصْـلُ الحبيـبِ
نعيـمُ الحـبِّ أورقَ فيـهِ حتـى ... تنـاوَلْنـا جَنَـاهُ مِـنْ قَـريـبِ
بمجلـسِ لـذَّةٍ لـم نقـفُ فيـهِ ... علـى شكـوى ولا عَيْـبِ الـذنـوبِ
خَشينـا أنْ نقطِّعـهُ بلفـظٍ ... فتـرجمَـتِ العيـونُ عـن القلـوبِ

فقلت له : زِدْني ، قال : أما من هذا فحسبك ، ولكنْ أنشدك غيرَه ، فأنشدني :

وكنتُ إذا عقدتُ حِبال قومٍ ... صحبتُهُـمْ وشيمتـيَ الـوفـاءُ
فأُحسنُ حينَ يُحسنُ مُحسنوهمْ ... وأجتنـبُ الإسـاءةَ إنْ أسـاؤوا
أشـاءُ سـوى مشيئتهـمْ فـآتـي ... مشيئتَهـمْ وأتـركُ مـا أشـاءُ

قال ابنُ خلِّكان[٣] : كان جرير أشعر من الفرزدق عند الجمهور ، وأفخر بيت قاله جرير :

إذا غَضبتْ عليكَ بنو تميمٍ ... حسبتَ النـاسَ كلَّهـمُ غِضـابـا

قال : وقد سأله رجلٌ : منْ أشعرُ الناس ؟ فأخذ بيدِه وأدخلَهُ على أبيه ، وإذا هو يرتضعُ من ثَدْي عَنْز ، فاستدعاه ، فنهَضَ واللبَنُ يَسيلُ على لحيته ، فقال جريرٌ للذي سأله : أتُبْصرُ هذا ؟ قال : نعم . قال : أتعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا أبي ، وإنما يشربُ من ضَرْعِ العَنْز لئلا يَحْلِبَها فيسمعَ جيرانُه حِسَّ الحَلْب ، فيطلبوا منه لبناً ؛ فأشْعَرُ الناسِ مَنْ فاخرَ بهذا ثمانينَ شاعراً فغلَبَهُمْ[٤] .

وقد كان بين جرير والفرزدق مُقاولاتٌ ومهاجاةٌ كثيرة جدّاً ، يطولُ ذكرُها ، وقد ماتَ في سنةِ

(١) في (ق) : « عكرمة » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وهو أبو عكرمة عامر بن عمران الضبي .
(٢) البيت من قصيدة في ديوان جرير ص(٤٩٠) .
(٣) انظر وفيات الأعيان (١/ ٣٢١) .
(٤) أخرجه أبو الفرج في الأغاني (٨/ ٥٣ ـ ٥٤) .

عشرٍ ومئة ، قاله خليفةُ بنُ خياط[١] وغير واحد ، قال خليفة[١] : مات الفرزدقُ وجريرٌ بعدَهُ بأشهر .

وقال الصُّولي : ماتا في سنةِ إحدى عشرةَ ومئة ، ومات الفرزدق قبل جرير بأربعينَ يوماً[٢] .

وقال الكريمي عن الأصمعي ، عن أبيه ، قال : رأى رجلٌ جريراً في المنام بعد موته ، فقال له : ما فعلَ الله بك ؟ فقال : غفَرَ لي . فقيل : بماذا ؟ قال : بتكبيرةٍ كبَّرْتُها بالبادية . قيل له : فما فعل الفرزدق ؟ قال : أيهات ! أهلَكَهُ قَذْفُ المُحْصَنات . قال الأصمعي : لم يدَعْهُ في الحياةِ ولا في الممات .

وأما الفرزدق[٣] : فاسمه همَّام بن غالب بن صَعْصَعة بْنِ ناجيةَ بنِ عِقَالِ بن محمد بن سفيان بن مُجَاشع بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن زيد بن مناة بن تَميم بن مُرِّ بنِ أُدِّ بن طابخة ، أبو فراس بن أبي خطل[٤] التيميُّ البصريُّ ، الشاعرُ المعروف بالفرزدق ، وجدُّهُ صَعْصَعةُ بن ناجية صحابيٌّ وَفَد إلى رسولِ الله ﷺ وكان يحيي الموءودة في الجاهلية .

حدث الفرزدقُ عن عليّ ، أنَّه وَفَدَ[٥] مع أبيه عليه ، فقال له : منْ هذا ؟ قال : ابني وهو شاعر . قال : علِّمْهُ القراءة فهو خيرٌ لَهُ من الشعر[٦] .

وسمع الفرزدق الحسينَ بن عليّ ـ ورآهُ وهو ذاهبٌ إلى العراق ـ وأبا هريرة ، وأبا سعيدٍ الخُدْري وعَرْفجة بن أسعد ، وزُرَارة بنَ كَرِب ، والطِّرِمَّاح بن عديّ الشاعر .

وروى عنه خالد الحذَّاء ومروان الأصْفر[٧] ، وحجاج بن حجاج الأحول ، وجماعة .

وقد وَفَدَ على معاوية يطلبُ ميراثَ عمِّه الحُتَات[٨] ، وعلى الوليد بن عبد الملك ، وقيل : على هشام بن عبد الملك ، ولم يصحَّ ذلك .

---

(١) في تاريخه ص(٣٤٠) .
(٢) انظر المنتظم (٧/١٤٨) .
(٣) ترجمته في: طبقات ابن سلام (١/ ٢٩٩) ، الشعر والشعراء ص(٣٨١) ، الأغاني (٩/ ٣٦٧) ، معجم المرزباني ص(٤٦٥) ، المبهج ص(٥٠) ، سمط اللآلي ص(٤٤) ، وفيات الأعيان (٦/ ٨٦) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٧٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠) ، لسان الميزان (٦/ ١٩٨) ، مرآة الجنان (١/ ١٣٨) ، سرح العيون ص(٣٨٩ و٤٦٤) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٦٨) الإصابة (٥/ ٣٩٤) ، خزانة الأدب (بتحقيق هارون) (١/ ٢١٧) .
(٤) في (ح) : « حنظل » والمثبت من « ب ، ق » .
(٥) في (ق) : « ورد » ، والمثبت من « ب ، ح » .
(٦) انظر الإصابة (٥/ ٣٩٥) .
(٧) في (ق ، ب) : « الأصغر » بالغين ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ح) والإكمال لابن ماكولا (٧/ ٤٥) ، وتقريب التهذيب ص(٥٢٦) .
(٨) في (ح ، ق) : « الحباب » ، تصحيف ، والمثبت من (ب) والاستيعاب (١/ ٤١٢) ، والإصابة (٢/ ٢٩) في ترجمة الحتات ، والخبر فيه .

قال أشعث بن عبد الملك[١] عن الفرزدق ، قال : نظر أبو هريرة إلى قدميَّ فقال : يا فرزدق ، إنِّي أرى قدمَيْكَ صغيرتَيْن ، فاطلبْ لهما موضعاً في الجنة . فقلت : إنَّ ذنوبي كثيرة . فقال : لا بأسَ[٢] فإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : « إنَّ بالمَغْربِ باباً مفتوحاً للتوبةِ لا يُغلق حتى تطلُعَ الشمسُ من مَغْرِبها »[٣] .

وقال معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال : دخلتُ على الفرزدق فتحرَّك ، فإذا في رِجْله قَيْد ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : حلفتُ أنْ لا أنزِعَهُ حتى أحفظَ القرآن .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيتُ بدويّاً أقامَ بالحضَر إلاَّ فسَدَ لسانُه إلاَّ رؤبة بن العجَّاج والفرزدق ، فإنهما زادا على طولِ الإقامة جدةً وحِدَّة .

وقال راويته أبو سهل : طلَّقَ الفرزدقُ امرأته النَّوَار ثلاثاً ، ثم جاء فأشهدَ على ذلك الحَسَن البصري ، ثم نَدمَ على طلاقها وإشهادِه الحسنَ على ذلك ، فأنشأ يقول :

نَـدِمْـتُ نَـدَامـةَ الكُسَعِـيِّ لَمَّـا ... غَـدَتْ منِّـي مُطَلَّقـةً نَـوارُ
وكـانـتْ جنَّتي فخـرجْتُ منهـا ... كـآدَمَ حيـن أخـرجَـهُ الضـرارُ
فلـو أنّـي مَلَكْـتُ يـدي وقلبـي ... لكَـانَ علـيَّ للقَـدَرِ الخِيـارُ[٤]

وقال الأصمعي وغيرُ واحد : لما ماتتْ النَّوَارُ بنتُ أعين بن ضُبيعة المُجَاشعي امرأةُ الفرزدق ، وكانت قد أوصَتْ أن يصلِّيَ عليها الحسنُ البصري ، فشهدها أعيانُ أهلِ البصرةِ مع الحسن ، والحسنُ على بغلته ، والفرزدقُ على بعيرِه ، فسارَ ، فقال الحسنُ للفرزدق : ماذا يقولُ الناس ؟ قال : يقولونَ شهدَ هذه الجنازةَ اليومَ خيرُ الناس ـ يعنونك ـ وشرُّ الناسِ ـ يعنوني ـ فقال له : يا أبا فِرَاس ، لستُ أنا بخيرِ الناس ، ولستَ أنتَ بشرِّ الناس . ثم قال له الحسن : ما أعددتَ لهذا اليوم ؟ قال : شهادةَ أنْ لا إله إلا الله منذ ثمانينَ سنة . فلمَّا أنْ صلَّى عليها الحسن ، مالوا إلى قبرها ، فأنشأ الفرزدقُ يقول :

أخافُ وراءَ القبرِ إنْ لم يُعافِني ... أشـدَّ مـن القبـرِ التهـابـاً وأضيقـا

---

(١) في (ق) : « عبد الله » ، والمثبت من (ب ، ح) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٧) .
(٢) في الكامل للضعفاء : « فلا تيأس » ، وفي سير أعلام النبلاء : « لا تأس » ، وفي لسان الميزان : « فلا تقنطن » .
(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل للضعفاء (٤/ ٨٧) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٧) ، وذكره ابن حجر في لسان الميزان . وفي سنده صلة بن سليمان ، وهو ضعيف ، ويعتبر بحديثه عن أشعث بن عبد الملك . ويغني عنه الحديث الثابت في صحيح مسلم (٢٧٠٣) من حديث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .
(٤) في (ق) ورد البيت الثالث الأول ، والمثبت من (ب ، ح) ، وديوان الفرزدق ص(٢٩٤) . وأوردها صاحب الأغاني (١٠/ ٢٩٤) في سياق القصة بألفاظ مقاربة .

إذا جاءَني يومَ القيامةِ قائدٌ عَنيفٌ وسوَّاقٌ يسوقُ الفرزدقا
لقد خابَ منْ أولادِ دارمَ[١] مَنْ مَشَى إلى النار مغلولَ القلادةِ أزرقا
يُساقُ إلى نارِ الجحيمِ مُسَرْبَلاً سَرابيلَ قطرانٍ لباساً مخرَّقا
إذا شربوا فيها الصَّديدَ رأيتَهم يذوبون من حرِّ الصَّديدِ تَمَزُّقا[٢]

قال : فبكى الحسنُ حتى بلَّ الثَّرى . ثم التزمَ الفرزدقَ وقال : لقد كنتَ من أبغضِ الناسِ إليّ ، وإنّك اليومَ من أحبِّ الناسِ إليَّ[٣] .

وقال له بعضُ الناس : ألا تخافُ منَ الله في قذفِ المُحْصنات ؟ فقال : واللهِ لَلّهُ أحبُّ إليَّ مِنْ عينيَّ اللتينِ أُبصرُ بهما ، فكيف يُعَذِّبُني ؟ .

وقد قدَّمْنا أنه ماتَ سنةَ عشرٍ ومئة ، وأنه تُوفي قبلَ جرير بأربعين يوماً . وقيل : بأشهر . فالله أعلم .

وأما الحسنُ وابنُ سيرين فقد ذكَرْنا ترجمةَ كلٍّ منهما في كتابنا « التكميل » مبسوطةً . وحسْبُنا الله ونعم الوكيل .

فأما الحسن بن أبي الحسن[٤] : فاسمُ أبيه يَسَار ، أبو سعيد البصري مولى زيد بن ثابت ، ويقال : مولى جابر بن عبد الله ، وقيل غيرُ ذلك ؛ وأمُّه خيرة مولاةٌ لأمِّ سلمة ، كانت تخدمها ، وربما أرسلتها في الحاجةِ فتشتغلُ عن ولدِها الحسن وهو رضيع ، فتشاغلهُ أمُّ سَلَمة بثديَيْها فيدرَّانِ عليه ، فيرتضع منهما ، فكانوا يَرَوْنَ أنَّ تلك الحكمةَ والعلومَ التي أوتيهاالحسنُ من بركةِ تلك الرَّضاعة من الثديِ المنسوبِ إلى رسولِ الله ﷺ . ثم كان وهو صغير تُخرجه أمُّه إلى الصحابةِ فيدعونَ له ، وكان في جملةِ منْ يدعو له عمرُ بن الخطاب قال : اللهمَّ فقِّهْهُ في الدِّين ، وحبِّبْهُ إلى الناس . وسئل مرةً أنسُ بنُ مالكٍ عن مسألةٍ فقال : سلُوا عنها مولانا الحسن ، فإنَّه سمع وسمعْنا ، فحفِظَ ونَسِينا .

---

(١) في (ب ، ح) : « آدم » بدل « دارم » .
(٢) الأبيات في ديوان الفرزدق ص(٣٩) .
(٣) أخرج الخبر أبو الفرج في الأغاني (٢١/ ٣٩٤) .
(٤) ترجمته في : طبقات ابن سعد (١٥٦/٧) ، طبقات خليفة ص(٢١٠) ، الزهد لأحمد ص(٢٥٨) ، تاريخ البخاري (٢/ ٢٨٩) ، المعارف لابن قتيبة ص(٤٤٠) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٢) ، أخبار القضاة لوكيع (٢/ ٣) ، الجرح والتعديل (٣/ ٤٠) ، حلية الأولياء (٢/ ١٣١) ، الفهرست لابن النديم ص(٢٠٢) ، الحسن البصري لابن الجوزي (كتاب مستقل) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٣٣) ، المختار من مناقب الأخيار (١/ ١٨٦) ، وفيات الأعيان (٢/ ٦٩) ، تهذيب الكمال (٦/ ٩٥) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٦٦) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٠٦) ، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٣) ، طبقات الحفاظ ص(٢٨) ، طبقات الشعراني (١/ ٢٩) ، الكواكب الدرية (١/ ٥٦) .

وقال أنسٌ مرَّةً : إني لأغبطُ أهلَ البصرةِ بهذَيْنِ الشيخَيْن : الحسَنِ وابنِ سيرين .

وقال قتادة : ما جالستُ رجلاً فقيهاً إلاَّ رأيتُ فضلَ الحسَنِ عليه .

وقال أيضاً : ما رأت عيناي أفقهَ من الحسن .

وقال أيوب : كان الرجلُ يجالسُ الحسنَ ثلاثَ حِجَجٍ ما يسألُه عن مسألةٍ هيبةً له .

وقال الشعبيُّ لرجلٍ يريدُ قدومَ البصرة : إذا نظرتَ إلى رجلٍ أجملِ أهلِ البصرةِ ، وأهْيَبِهم فهو الحسن ؛ فأقرئهُ مني السلام .

وقال يونس بن عُبيد : كان الرجلُ إذا نظرَ إلى الحسنِ انتفعَ بهِ وإنْ لم يرَ عملَه ، ولم يسمعْ كلامَه .

وقال الأعمش : ما زال الحسنُ يعي الحكمةَ نطق بها .

وكان أبو جعفر إذا ذكرَهُ يقول : ذاك الذي يُشبه كلامُهُ كلامَ الأنبياء .

وقال محمد بن سعد[1] : قالوا : كان الحسنُ جامعاً للعلم والعمل ، عالماً رفيعاً فقيهاً ثقةً مأموناً ، عابداً زاهداً ناسكاً ، كثيرَ العلمِ والعمل ، فصيحاً ، جميلاً ، وسيماً ، وقدمَ مكة[2] ، فأُجلس على سرير ، وجلس العلماء حولَه ، واجتمع الناسُ إليه فحدَّثهم . وكان فيهم مجاهد ، وعطاء ، وطاوس ، وعمرو بن شعيب ، فقالوا : لم نر مثل هذا قط .

قال أهل التاريخ : مات الحسنُ عن ثمانٍ وثمانينَ سنة ، عامَ عشرٍ ومئة ، في مستهلِّ رجبٍ منها ، بينه وبين محمد بن سيرين مئة يوم .

وأما : ابنُ سيرين[3] : فهو محمد بن سيرين ، أبو بكر بن أبي عمرو الأنصاري مولى أنس بن مالك النَّضْريّ . كان أبو محمد من سَبْي عينِ التَّمْر ، أسرَهُ خالد بن الوليد في جملةِ السَّبْي ، فاشتراه أنسٌ ثم كاتبه ، ثم وُلد له من الأولاد الأخيار جماعةٌ : محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبد ،

---

(١) في الطبقات الكبرى (٧/ ١٥٧) .

(٢) زاد ابن سعد هناك « وكان ما أسند من حديثه وروى عمن سمع منه فحسنٌ حُجَّة ؛ وما أرسل من الحديث فليس بحُجَّة » .

(٣) ترجمته في : طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٣) ، الزهد لأحمد بن حنبل ص(٤٣٠) ، تاريخ خليفة ص(١١٨ ، ٣٤٠) ، طبقات خليفة ص(٢١٠) ، المعارف (٤٤٢) ، التاريخ الكبير (١/ ٩٠) ، أخبار القضاة لوكيع (٢/ ٣٢٦) ، الجرح والتعديل (٧/ ٢٨٠) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٣٤٨) ، حلية الأولياء (٢/ ٢٦٣) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٣١) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٤١) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٣٧٧) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٨٢) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٨١) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢١٧) ، تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٤٤) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٣) ، مرآة الجنان (١/ ٢٣٢) ، الوافي بالوفيات (٣/ ١٤٦) ، طبقات الشعراني (١/ ٣٦) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٢٦) .

ويحيى ، وحفصة ، وكريمة ؛ وكلُّهم تابعيُّون ، ثقاةٌ أجلاء ، رحمهم الله .

قال البخاري[(١)] : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان .

وقال هشام بن حسان : هو أصدقُ مَنْ أدركتُ من البشر .

وقال محمد بن سعد[(٢)] : كان ثقةً مأموناً ، عالماً رفيعاً ، فقيهاً إماماً ، كثيرَ العلم ، ورعاً ، وكان به صَمَم .

وقال مؤرِّق العجلي : ما رأيتُ رجلاً أفقهَ في ورَعِه ، وأورعَ في فقهِه منه .

قال ابن عون : كان محمد بن سيرين أرجى الناس لهذه الأمة ، وأشدَّ الناسِ إزراءً على نفسه ، وأشدَّهم خوفاً عليها[(٣)] .

قال ابن عون : ما بكى في الدنيا مثلُ ثلاثة : محمد بن سيرين في العراق ، والقاسم بن محمد في الحجاز ، ورجاء بن حَيْوة بالشام ؛ وكانوا يأتون بالحديثِ على حروفه .

وكان الشعبيُّ يقول : عليكم بذاك الأصمّ ـ يعني محمد بن سيرين .

وقال ابن شَوْذَب : ما رأيتُ أحداً أجرأ على تعبيرِ الرؤيا منه .

وقال عثمان البَتِّي : لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه .

قالوا : وماتَ في تاسعِ شوال من هذه السنة ، بعدَ الحسن بمئة يوم[(٤)] .

---

(١) في التاريخ الكبير (١/ ٩١) .
(٢) في الطبقات (٧/ ١٩٣) .
(٣) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٥) .
(٤) هنا تبتدئ زيادة من (ق) أقحمت على المتن أثبتناها هنا في الحاشية وهي :
[كان اللائقُ بالمؤلِّف أنْ يذكرَ تراجمَ هؤلاء العلماء الأخيار قبلَ تراجم الشعراءِ المتقدِّم ذكرُهم ، فيبدأ بهم ثم يأتي بتراجمِ الشعراء . وأيضاً فإنَّه أطالَ القولَ في تراجم الشعراء ، واختصرَ تراجمَ العلماء ؛ ولو كان فيها حسن وحِكَمٌ ينتفعَ بها مَنْ وقف عليها ، ولعلّها أفيَدُ من مَدْحِهم والثناءِ عليهم ولا سيما كلام الحسنِ ، وابنِ سيرين ، ووَهْب بنِ مُنبِّه ، كما ذكره بعد ، وكما سيأتي ذكرُ ترجمتِه في هذه الزيادة ؛ فإنَّه قدِ اختصرَهُ جداً وإنَّ المؤلِّفَ أقْدرُ وأوسع علماً . فما ينبغي أن يُخِلَّ ببعضِ كلامهم وحِكَمِهم ، فإنَّ النفوسَ مستشرفةٌ إلى معرفةِ ذلك ، والنظرِ فيه . فإنَّ أقوالَ السلَفِ لها موقعٌ من القلوب . والمؤلِّفُ ـ غالباً في التراجم ـ يُحِيلُ على ما ذَكَرَ في « التكميل » الذي صنَّفَهُ في أسماءِ الرجال . وهذا الكتاب لم نقفْ عليه نحنُ ولا مَنْ سألْناه عنه من العلماء . فإنَّا قد سألنا عنه جماعةً من أهلِ الفنِّ ، فلم يذكرْ غيرُ واحدٍ أنه اطَّلع عليه ، فكيف حالُ غيرهمْ (هكذا قال ، وقد ذكر كتاب التكميل أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي في ذيل تذكرة الحفاظ ص(٥٨) في ترجمة ابن كثير ، فقال : فمن تصانيفه « كتاب التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » ، جمَعَ بين كتاب التهذيب والميزان ، وهو خمس مجلدات . وذكرهُ أيضاً أبو الطيب محمد بن أحمد الفاسي المكي في ذيل التقييد (١/ ٤٧٢) في ترجمة ابن=

. . . .

= كثير ، وأنه من مؤلفاته ، وهو كتاب معروف مذكور مشهور وصل إلينا مخطوطاً ، فتنظر مقدمة « تهذيب الكمال » بتحقيق الدكتور بشار عواد .) . وقد ذكرتُ في غالب التراجم زياداتٍ على ما ذَكَره المؤلف ، مما وصلتْ إليه معرفتي ، واطلعنا عليه ، ولو كان عندي كتبٌ لأشبعتُ القولَ في ذلك ؛ إذِ الحكمةُ هي ضالَّةُ المؤمن ، ولعلَّ أنْ يقفَ على هذا راغبٌ في الآخرة ، طالبٌ ما عندَ الله عزَّ وجلَّ ، فينتفع به أعظم مما ينتفعُ به منْ تراجم الخلفاء والملوك والأمراء ، وإنْ كانتْ تلك أيضاً نافعةً لمعتبرٍ ومزدجر ، فإنَّ ذكرَ أئمةِ العَدْلِ والجَوْر بعدَ موتِهم فيها فضلُ أولئك وغَمُّ هؤلاء ، ليعلمَ الظالمُ أنَّه وإن ماتَ لم يمتْ ما كان متلبِّساً به من الفسادِ والظلم ، بل هو مدوَّنٌ في الكتب عندَ العلماء . وكذلك أهلِ العدلِ والصلاحِ والخير ، فإنَّ الله قد قَصَّ في القرآن أخبارَ الملوكِ والفراعنةِ والكفارِ والمفسدين ، تحذيراً من أحوالهم ، وما كانوا يعملون ؛ وقصَّ أيضاً أخبارَ الأتقياء والمحسنينَ والأبرار والأخيارِ والمؤمنين ، للاقتداء والتأسِّي بهم ، والله سبحانه أعلم . فنقولُ وبالله التوفيق :

أما : الحسن (تقدمت مصادر ترجمته في ص(٢٦٦) في الحاشية .) : فهو أبو سعيد البصري الإمام الفقيه المشهور ، أحد التابعينَ الكبارِ الأجلاءِ عِلْماً وعملاً وإخلاصاً .

فروى ابنُ أبي الدنيا عنه قال : كان الرجلُ يتعبَّدُ عشرين سنةً لا يَشْعُر بهِ جارُه ، وأحَدُهم يصلِّي ليلةً أو بعضَ ليلةٍ ، فيصبحُ وقد استطالَ على جارِه . وإنْ كان القومُ ليجتمعون فيتذاكرون ، فتجيءُ الرجل عَبْرَتُهُ فيردُّها ما استطاع ، فإن غُلب قامَ عنهم .

وقال الحسن : تنفَّس رجلٌ عندَ عمرَ بنِ عبد العزيز فلَكَزَهُ عمرُ ـ أو قال : لكمه ـ وقال : إنَّ في هذا لفتنة . وقد ذكره ابنُ أبي الدنيا عن الحسن ، عن عمر بن الخطاب .

وروى الطبرانيُّ عنه أنه قال : إنَّ قوماً أَلْهَتْهُمْ أمانيُّ المغفرة ، ورجاءُ الرحمة ، حتى خرجوا من الدنيا وليستْ لهم أعمالٌ صالحة ؛ يقولُ أحدهم إني لَحَسنُ الظنِّ بالله ، وأرجو رحمةَ الله ؛ وكَذَبَ ، لو أحسن الظنَّ بالله لأحْسَنَ العمل لله ، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمالِ الصالحة ، يوشكُ منْ دخل المفازةَ من غيرِ زادٍ ولا ماءٍ أن يَهْلِك .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه قال : حادثوا هذه القلوب فإنها سريعةُ الدُّثُور ، وأقنِعُوا هذه الأنفُسَ فإنها تَنْزِعُ إلى شرِّ غاية .

وقال مالكُ بن دينار : قلت للحسن : ما عقوبةُ العالم إذا أحبَّ الدنيا ؟ قال : موتُ القلب ، فإذا أحبَّ الدنيا طلبها بعمَلِ الآخرة (أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد ص(٥٣٢) ؛ والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٩٦) (١٨٣٧) .) .

فعند ذلك تَرْحلُ عنه بركاتُ العِلْم ، ويبقى عليه رَسْمُه .

وروى العُتْبي عن أبيه قال : عادَ الحسنُ عليلاً ، فوجدَهُ قد شُفي من علَّته ، فقال : أيها الرجل ، إنَّ الله قد ذكرَكَ فاذْكُرْه ، وقد أقالَكَ فاشكُرْه . ثم قال الحسن : إنما المرضُ ضربةُ سَوْطٍ مِنْ ملَكٍ كَريم ، فإما أنْ يكونَ العليلُ بعدَ المرضِ فَرَساً جواداً ، وإمَّا أنْ يكونَ حماراً عثوراً مَعْقُوراً .

وروى العتبي عن أبيه أيضاً قال : كتب الحسنُ إلى فرقد : أمَّا بعد ، فإنِّي أوصيكَ بتقوى الله ، والعملِ بما علَّمَك الله ، والاستعدادِ لما وعدَ الله مما لا حيلَةَ لأحدٍ في دفعه ، ولا ينفعُ الندمُ عند نزولِه ، فاحْسِرْ عن رأسِكَ قِنَاعَ الغافلين ، وانتبهْ من رَقْدَةِ الجاهلين ، وشمِّرِ الساق ، فإنَّ الدنيا ميدانُ مسابقة ، والغايةُ الجنةُ أو النار ، فإن لي ولك من الله مقاماً يسألُني وإياكَ فيه عن الحقيرِ والدقيق ، والجليلِ والخافي ، ولا آمنُ أنْ يكونَ فيما يسألني وإياك عنه ، =

. . . .

= وساوسَ الصُّدور ، ولحظَ العيون ، وإصغاءَ الأسماع ، وما أعجز عنه (انظر حلية الأولياء (٨/ ٢٤١) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٦٣) ، وإحياء علوم الدين (٢/ ١٨٣) ، فبعض ما روي في هذا الخبر كتبه يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي .) .

وروى ابنُ قتيبة (كذا في (ق) ، والذي يرويه عن الحسن كما في الحلية (٢/ ١٥٠ ، ١٥١) هو فضيل بن جعفر . وفي رواية عند ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٦) الذي يرويه عنه أبو همام الكلاعي .) عنه ، أنه مرَّ على بابِ ابنِ هُبَيرة ، فرأى القرّاء ـ وكانوا همُ الفقهاء ـ جلوساً على باب ابنِ هُبيرة فقال : فَرْطَحْتُم (في (ق) : « طفحتم » ، والمثبت من صفة الصفوة .) نعالَكم ، وبيَّضْتُمْ ثيابَكم ، ثم أتيتمْ إلى أبوابهم تسعَوْن ؟! ثم قال لأصحابه : ما ظنُّكم بهؤلاء الحذّاء ؟ ليست مجالسهُم من مجالسِ الأتقياء ، وإنما مجالسُهم مجالسُ الشرط (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٠ ، ١٥١) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٦) .) .

وروى الخرائطي عن الحسن ، أنه كان إذا اشترى شيئاً وكان في ثمنه كسرٌ جبرَهُ لصاحبه .

ومرَّ الحسنُ بقوم يقولون : نقَصَ دانِقٌ ـ أيْ عن الدرهم الكامل والدينار الكامل ـ أما أنْ يكونَ درهماً ينقُصُ نصفاً أو رُبعاً ، والعشرةُ تسعة ونصف ، وقِسْ على هذا ؛ فكان الحسنُ يستحبُّ جبرانَ هذه الأشياء ، وإن كان اشترى السلعةَ بدرهمٍ ينقص دانقاً كمَّلَهُ درهماً أو بتسعةٍ ونصف كمَّلَها عشرةً مروءةً وكرماً .

وقال عبد الأعلى السمسار : قال الحسن : يا عبدَ الأعلى ، أما يبيعُ أحدُكُمُ الثوبَ لأخيه فيُنقِص درهمَيْنِ أو ثلاثة ؟ قلت : لا والله ولا دانِقٌ واحد ، فقال الحسن : إنَّ هذه الأخلاق ، فما بقي من المروءة إذاً ؟ قال : وكان الحسنُ يقولُ لا دينَ إلا بمروءة . وباع بغلةً له فقال له المشتري : أما تحطُّ لي شيئاً يا أبا سعيد ؟ قال : لك خمسون درهماً ، أزيدُك ؟ قال : لا رَضيت . قال : بارك الله لك .

وروى ابنُ أبي الدنيا عن حمزةَ الأعمى قال : ذهبَتْ بي أمِّي إلى الحسن فقالت : يا أبا سعيد ، ابني هذا قد أحببتُ أن يلزمَكَ . فلعل الله أنْ ينفعَهُ بك . قال : فكنتُ أختلف إليه فقال لي يوماً : يا بُني أدِمِ الحُزنَ على خيرِ الآخرة ، لعله أن يوصلَك إليه ؛ وابكِ في ساعاتِ الليلِ والنهارِ في الخَلْوة لعلّ مولاك أن يطَّلِعَ عليكَ فيرحمَ عبرَتَك فتكون من الفائزين . قال : وكنتُ أدخل على الحسن منْزِله وهو يبكي ، وربما جئتُ إليه وهو يصلِّي فأسمع بكاءه ونَحيبه ، فقلتُ له يوماً : إنك تُكثِرُ البكاء ! فقال : يا بُني ، ماذا يصنعُ المؤمنُ إذا لم يبكِ ؟ يا بُني ، إنَّ البكاء داعٍ إلى الرحمة ، فإنِ استطعتَ أنْ تكون عمرَكَ باكياً فافعلْ ، لعله تعالى أنْ يرحمَك ؛ فإذا أنتَ نَجَوتَ من النار .

وقال : ما هو إلا حلول الدار ، إمَّا الجنة ، وإمَّا النار ، ما هناك منْزِلٌ ثالث .

وقال : بلغنا أنَّ الباكي من خشيةِ الله لا تقطرُ من دموعِه قطرةٌ حتى تُعتق رقبتُه من النار . وقال : لو أنَّ باكياً بكى في ملإٍ من خشيةِ الله لَرُحموا جميعاً ، وليس شيءٌ من الأعمال إلا له وَزْن ، إلا البكاء من خشية الله ، فإنه لا يقوِّمُ الله بالدمعةِ منه شيئاً . وقال : ما بكى عبدٌ إلاَّ شهد عليه قلبُهُ بالصدق أو الكذب .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في كتاب « اليقين » قال : من علاماتِ المسلم قوَّةُ دين ، وحزمٌ في لين ، وإيمانٌ في يَقين ، وحكمٌ في عِلْم ، وحبسٌ في رِفْق ، وإعطاءٌ في حَقّ ، وقَصْدٌ في غِنًى ، وتحمُّل في فاقة ، وإحسانٌ في قُدْرَة ، وطاعةٌ معها نصيحة ، وتورُّعٌ في رَغْبَةٍ وتعفُّف ، وصَبْرٌ في شدَّةٍ لا تُرْديهِ رغبته ، ولا يبدُرُهُ لسانُه ، ولا يسبقه بصرُه ، ولا يَغلِبه فَرْجه ، ولا يَميلُ به هواه ، ولا يفضَحُهُ لسانُه ، ولا يستخفُّه حِرصُه ، ولا تقصِّرُ به نيَّتُه .

كذا ذَكَرَ هذه الألفاظَ عنه ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح عن الحكم بن ظهير ، عن يحيى بن المختار عن الحسن . . . فذكره (يعني ابن أبي الدنيا ؛ انظر إحياء علوم الدين (٣/ ١٦٦) .) .

وقال فيه أيضاً عنه : يا بن آدم ، إنَّ مِنْ ضَعف يقينك أنْ تكونَ بما في يدِك أوثقَ منك بما في يدي اللهِ عزَّ وجلَّ . =

. . . .

= وقال ابنُ أبي الدُّنيا : حدثنا علي بن إبراهيم اليشكري ، حدثنا موسى بن إسماعيل الجبلي ، حدثنا حفصُ بن سليمان أبو مقاتل ، عن عون بنِ أبي شدَّاد ، عن الحسن ، قال لقمان لابنه : يا بُني ، العمَلُ لا يستطاعُ إلا باليقين ، ومَنْ يضعفْ يقينُه يضعفْ عملُه . وقال : يا بُني ، إذا جاءك الشيطانُ من قِبَلِ الشكِّ والرِّيَب ، فاغلِبْهُ باليقين والنصيحة ، وإذا جاءكَ من قِبَلِ الكَسَلِ والسآمة فاغلِبْهُ بذكر القبر والقيامة ، وإذا جاءك من قِبَلِ الرغبةِ والرَّهْبةِ فأخبِرْهُ أنَّ الدنيا مفارقةٌ متروكة .

وقال الحسن : ما أيقنَ عبدٌ بالجنةِ والنارِ حقَّ يقينِهما إلاَّ خشَعَ وذَبُل ، واستقام واقتصد ، حتى يأتيَهُ الموت .

وقال : باليقين طلبتُ الجنة ، وباليقين هربتُ من النار ، وباليقين أدَّيتُ الفرائضَ على أكمل وجهها ، وباليقين أصبرُ على الحقّ ، وفي معافاةِ اللهِ خيرٌ كثير ، قد والله رأيناهم يتعاونونَ في العافية ، فإذا نزل البلاء تفارقوا .

وقال : الناسُ في العافية سواء . فإذا نزل البلاءُ تبيَّنَ عنده الرجال . وفي رواية : فإذا نزل البلاء تبيَّنَ مَنْ يعبُد الله وغيره . وفي رواية : فإذا نزل البلاء سكنَ المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه .

وقال الفِرْيَابي في « فضائل القرآن » : حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن قال : إنَّ هذا القرآن قد قرأهُ عَبيدٌ وصِبْيان ، لا علمَ لهم بتأويله ، لم يأتوا الأمر من قبل أوله ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩] . وما تدبُّرُ آياتِهِ إلا اتِّباعُه ، أما والله ما هو بحِفْظِ حروفِهِ وإضاعةِ حدودِه ، حتى إنَّ أحدَهم ليقول : قد قرأتُ القرآنَ كلَّه ، فما أسقط منه حرفاً واحداً . وقد والله أسقطَهُ كلَّه ، ما يرى له القرآن في خُلُقٍ ولا عمل ، حتى إنَّ أحدَهم ليقول : والله إني لأقرأ السورةَ في نفَسٍ ، لا والله ما هؤلاءِ بالقرّاء ولا بالعلماء ولا الحكماء ولا الورَعَة . ومتى كانتِ القراءةُ هكذا ـ أو يقول مثل هذا ـ لا أكثرَ الله في الناس مثلَ هؤلاء (أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد ص(٢٧٤) برقم (٧٩٣) ، وأبو بكر البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٤١) برقم (٢٦٥٣) .) .

ثم روى الحسن عن جُنْدَب ، قال : قال لنا حذيفة : هل تخافونَ من شيء ؟ قال : قلتُ والله إنَّك وأصحابَكَ لأهوَنُ الناسِ عندنا . فقال : أمَا والذي نفسي بيده ، لا تؤتَوْنَ إلا من قِبَلنا ومع ذلك نَشءٌ آخر يقرؤون القرآن ، يكونون في آخر هذه الأمَّة ينثرونه نَثْرَ الدَّقَل (الدَّقَلُ : أردأ التمر .) ، لا يجاوزُ تراقيَهم تسبقُ قراءتُهم إيمانَهم (أخرج البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣٠١) في ترجمة صلت بن مهران ، بإسناده إلى معتمر : سمعت أبي عن قتادة عن الحسن عن جندب بلغه عن حذيفة أو سمعه عن النبي ﷺ ذكر ناساً يقرؤون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله . وقال موسى : حدّثنا حماد أنبأنا يونس عن الحسن عن جندب عن حذيفة قوله بهذا . وقال : ابن أبي الأسود حدّثنا ابن علية عن يونس بهذا . اهـ .) .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه في « ذم الغيبة » له قال : والله لَلْغِيبةُ أسرعُ في دينِ المؤمن من الأكلة في جسده (ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٤٣) .) .

وكان يقول : ابنَ آدم ، إنك لن تُصيبَ حقيقةَ الإيمانِ حتى لا تُصيبَ الناسَ بعَيبٍ هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاحِ ذلك العيب ، فتصلحَهُ من نفسك ، فإذا فعلتَ ذلك كان ذلك شغلك في طاعة نفسك وأحبُّ العباد إلى الله منْ كانَ هكذا (أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في الصمت ص(١٣١) برقم (١٩٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣١٢) برقم (٦٧٦٢) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٤) ، والغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٤٣) .) .

وقال الحسن : ليس بينك وبين الفاسق حُرْمة . وقال : ليس لمبتدع غِيبَة . وقال أصلت بن طريف : قلت للحسن : الرجل الفاجر المعلِنُ بفجوره ذِكري له بما فيه غِيبة ؟ قال : لا ولا كرامة . وقال : إذا ظهرَ فجورُهُ فلا غِيبةَ=

. . . .

= له (أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت ص(١٤٤) برقم (٢٣١) ، وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٣) .) .

وقال : ثلاثةٌ لا تَحْرُمُ عليك غيبتُهم : المجاهرُ بالفِسْق ، والإمامُ الجائر ، والمبتدِع (ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٣) .) .

وقال له رجل : إنَّ قوماً يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقيعة فيك سبيلاً . فقال : هَوِّن عليك يا هذا ، فإني أطمعتُ نفسي في الجنان فطمِعَتْ ، وأطمعتُها في النجاةِ من النار فطمِعَت ، وأطمعتُها في السلامةِ من الناس فلم أجدْ إلى ذلك سبيلاً ؛ فإنَّ الناسَ لم يَرْضوا عن خالقِهم ورازِقهم ، فكيف يرضَوْنَ عن مخلوقٍ مثلِهم ؟ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٠٥) .)

وقال كانوا يقولون : منْ رَمى أخاهُ بذنبٍ قد تاب منه ، لم يمتْ حتى يصيبَ ذلك الذنبَ (أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت ص(١٧٠) برقم (٢٨٩) بنحوه .) .

وقال الحسن : قال لقمانُ لابنِه : يا بُني ، إياكَ والكَذِب ، فإنه شهيٌّ كلَحْمِ العُصفور ، عما قليل يقلاهُ صاحبُه (أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت ص(٢٥٧) برقم (٥٣٨) . وأخرجه ضمن حديث طويل البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٣١) برقم (٤٨٩١) .) .

وقال الحسن : اعتبروا الناسَ بأعمالِهم ، ودعوا أقوالَهم ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يدَعْ قولاً إلاَّ جعل عليه دليلاً من عمَل ، يصدِّقه أو يكذِّبه ، فإنْ سمعتَ قولاً حسناً فرويداً بصاحبه ، فإنْ وافقَ قولٌ عملاً فنعمَ ونعمةُ عَيْن ! آخِهِ وأحْبِبْه (في (ق) صحفت العبارة إلى « نعمت عين أخته وأخيه » ، والصواب المثبت من مصادر التخريج .) ؛ وإذا خالف قولٌ عملاً فماذا يشبه عليك منه ؟ أم ماذا يَخفى عليك منه ؟ إياك وإياه لا يخدعَنَّكَ كما خدَع ابنَ آدم . إنَّ لك قولاً وعملاً ، فعملك أحقُّ بك من قولِك ؛ وإنَّ لك سريرةً وعلانيةً فسريرتكَ أحقُّ بكَ من علانيتك ، وإنَّ لك عاجلةً وعاقبة ، فعاقبتُك أحقُّ بك من عاجلتك (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٢٦) برقم (٧٧) ، وابن أبي الدنيا في الصمت ص(٢٨٠) ، برقم (٦٢٦) .) .

وقال ابنُ أبي الدنيا (في الصمت ص٢٨١ برقم (٦٢٨) ، وما يأتي بين معقوفين منه .) حدثنا حمزة بن العباس ، أنبأنا عبدان بن عثمان ، [أنبأنا عبد الله] ، أنبأنا معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن ، قال : إذا شئتَ لَقيتَ الرجلَ أبيضَ ، حديدَ اللسان ، حديدَ النظر ، ميتَ القلبِ والعمل ، أنتَ أبصرُ به من نفسِه ، ترى أبداناً ولا قلوباً ، وتسمعُ الصوت ولا أنيس ، أخصب ألسنةً ، وأجدب قلوباً ؛ يأكلُ أحدُهم من غيرِ مالِه ، ويبكي على عمّاله ، فإذا كَظَّتْهُ البِطْنةُ قال : يا جارية ـ أو يا غلام ـ إيتني بهاضم ، وهل هضمتَ يا مسكينُ إلا دينَك .

وقال : منْ رَقَّ ثوبُه رَقَّ دِينُه ، ومنْ سَمِنَ جَسَدُه هَزُلَ دينُه ، ومن طاب طعامُه أنتَن كسبُه .

وقال فيما رواه عنه الآجُرِّيّ : رأسُ مالِ المؤمن دينٌ حيثُ ما زالَ زالَ منعه لا يُخَلِّفُهُ في الرِّحال (الرِّحال : مفردها رَحْل وهو منزل الرجل ومسكنه وبيته . والرَّحْل أيضاً : مَرْكبٌ للبعير والناقة . اللسان (رحل) .) ولا يأتمنُ عليه الرجال .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ٢] ، قال : لا تلْقَى المؤمنَ إلا يلومُ نفسَه : ما أردتِ بكلمةِ كذا ؟ ما أردتِ بأكْلَةِ كذا ؟ ما أردتِ بمجلسِ كذا ؟ وأمَّا الفاجرُ فيَمْضي قُدُماً قُدُماً ، لا يلومُ نفسَه (ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٧) .) .

وقال : تصبَّروا وتشدَّدوا ، فإنما هي ليالٍ تُعَدّ ، وإنَّما أنتم رَكْبٌ وقوف ، يوشكُ أنْ يُدعَى أحدُكم فيُجيب ولا يلتفت ؛ فانقلِبُوا بصالِحِ ما بحضرَتِكم ، إنَّ هذا الحقَّ أجهدَ الناس ، وحالَ بينهم وبين شهواتهم ؛ وإنما يصبرُ على=

. . . .

= هذا الحقِّ منْ عرَفَ فضلَه وعاقبتَه (ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦٠) .) .

وقال : لا يزالُ العبدُ بخيرٍ ما كان له واعظٌ من نفسِه ، وكانتِ المحاسبةُ من هِمَّتِهِ (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٣٨٩) برقم (١١٠٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٥ ، ١٤٦) .) .

وقال ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » : حدثنا عبد الله ، حدثنا إسماعيل بن زكريا ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن ، قال : المؤمنُ قوَّامٌ على نفسه ، يحاسِبُ نفسَه للهِ عزَّ وجلَّ ، وإنما خفَّ الحسابُ يومَ القيامةِ على قومٍ حاسبوا أنفسَهم في الدنيا ، وإنما شقَّ الحسابُ يومَ القيامةِ على أقوامٍ أخذوا هذا الأمرَ من غيرِ محاسبة ؛ إنَّ المؤمنَ يَفْجَؤهُ الشيءُ ، ويعجبه فيقول : واللهِ إنَّكَ لَمِنْ حاجتي ، وإني لأشتهيك ، ولكنْ واللهِ ما مِنْ صِلَةٍ إليك ، هيهاتَ ! حِيلَ بيني وبينك . ويفرطُ منه الشيءُ فيرجعُ إلى نفسِه فيقول : ما أردتُ إلى هذا [ما لي ولهذا ؟ واللهِ لا أعودُ إلى هذا] (سقط ما بين المعقوفين من (ق) استدركناه من مصادر التخريج .) أبداً إن شاء الله . إنَّ المؤمنين قومٌ قد أوثقَهم القرآن ، وحالَ بينَهُمْ وبينَ هلكتِهم ، إنَّ المؤمنَ أسيرٌ في الدنيا . يسعَى في فكاكِ رقَبته ، لا يأمنُ شيئاً حتى يَلْقَى الله عزَّ وجلَّ ، يعلمُ أنه مأخوذٌ عليه في سمعه وبصَرِهِ ولسانه ، وفي جَوَارِحِه كلِّها (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(١٠٣) برقم (٣٠٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٧) ، وذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٧٩) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٤ ، ٢٣٥) .) .

وقال : الرضا صعبٌ شديد ، وإنما معوَّل المؤمنِ الصبر .

وقال : ابنَ آدم ، عن نفسك فكَايِسْ (فكايسْ : من كايسَ ، يقال كايَسني فكِسْتُه أي كنتُ أَكْيَس منه ، وفي حديث جابر « إنما كِسْتُك لآخُذَ جملك » أي غَلَبْتُك بالكَيْس . النهاية (كيس) .) ، فإنك إنْ دخلتَ النارَ لم تُجْبَرْ بعدَها أبداً (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٥٤٥) برقم (١٥٦٤) .) .

وقال ابنُ أبي الدنيا : أنبأ إسحاق بن إبراهيم قال : سمعتُ حمَّاد بن زيد يذكر عن الحسن ، قال : المؤمنُ في الدنيا كالغريب ، لا ينافسُ في عِزِّها (صحفت اللفظة في (ق) إلى « غيرها » والصواب المثبت من مصادر التخريج .) ولا يجزَعُ من ذُلِّها ؛ للناسِ حال ، وله حال ، الناسُ منه في راحة ، ونفسه منه في شُغل (أخرج شطره الأول الآجري في الغرباء ص(٢٣) برقم (٧) ، وذكره ابن القيم بتمامه في مدارج السالكين (٣/ ١٩٧) .) .

وقال : لولا البلاء ما كان في أيامٍ قلائل ما يُهلكُ المرءُ نفسه .

وقال : أدركتُ صدرَ هذه الأمة وخيارَها ، وطالَ عُمري فيهم ، فواللهِ إنَّهم كانوا فيما أحلَّ اللهُ لهم أزهدَ منكم فيما حرَّم الله عليكم ؛ أدركتُهم عاملينَ بكتابِ رَبِّهم ، مُتَّبعين سنَّةَ نبيِّهم ، ما طوى أحدُهُمْ ثوباً ، ولا جعل بينه وبين الأرضِ شيئاً ، ولا أمرَ أهلَه بصُنعِ طعام ؛ كان أحدُهم يدخلُ منْزِله ، فإنْ قُرِّبَ إليه شيءٌ أكل ، وإلاَّ سكت ، فلا يتكلَّمُ في ذلك (أخرج بعضه ابن أبي الدنيا في الورع ص(٥٦) برقم (٤٥) وابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٢٧) .) .

وقال : إنَّ المنافقَ إذا صلَّى صلَّى رِيَاءً ، أو حياءً من الناسِ أو خَوْفاً ، وإذا صلَّى صلَّى فقراؤهم للدنيا ، وإن فاتَتْهُ الصلاةُ لم يندَمْ عليها ، ولم يحزُنْهُ فواتُها .

وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب « النُّكَت » : منْ جعلَ الحمد لله على النعم حِصْناً وحابساً ، وجعل أداءَ الزكاةِ على المالِ سياجاً وحارساً ، وجعلَ العلمَ له دليلاً وسائساً ، أَمِنَ العَطَب ، وبلغ أعلى الرُّتَب ؛ ومن كان للمالِ قانصاً ، وله عن الحقوق حابساً ، وشغلَهُ وألهاه عن طاعةِ الله كان لنفسِه ظالماً ، ولقلبِهِ بما جَنَتْ يداهُ وسلَّطهُ اللهُ على مالِهِ سالباً وخالساً ، ولم يأمَنِ العطَبَ في سائرِ وجودِ الطلب . وقيل : إنَّ هذا لغيره واللهُ أعلم .

وقال الحسن : أربعٌ منْ كُنَّ فيه ألقى الله عليه محبَّتَه ، ونشر عليه رحمتَه : منْ رَقَّ لوالديه ، ورَقَّ لِمَمْلُوكِه ، =

. . . .

= وكَفَلَ اليتيم ، وأعان الضعيف .

وسئل الحسنُ عن النفاق فقال : هو اختلافُ السرِّ والعلانية ، والمدخل والمخرج .

وقال : ما خافَهُ إلا مؤمن ، ولا أَمِنَهُ إلا منافق . يعني النفاق . وحلف الحسن ما مَضَى مؤمنٌ [قط] ، ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق ؛ وفي رواية : إلاَّ وهو من النفاق مشفِق ؛ ولا مضى منافقٌ [قط] ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن (ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(٤٣٤) ، وروى أوله ابن القيم في مدارج السالكين (١/٣٥٨) .) .

وكتبَ عمرُ بن عبد العزيز إلى الحسن : كيف حبُّك الدينارَ والدرهم ؟ قال : لا أحبُّهما . فكتب إليه : تولَّ فإنك تعدل .

وقال إبراهيم بن عيسى : ما رأيتُ أطولَ حُزْناً من الحسن ، وما رأيتُه قطُّ إلاَّ حسبتهُ حديثَ عهدٍ بمصيبة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/١٣٣) .) .

وقال مسمع : لو رأيتَ الحسن لقلتَ قد بُثَّ عليه حُزنُ الخلائق .

وقال يزيدُ بن حَوْشَب : ما رأيتُ أحزَنَ من الحسنِ وعمرَ بنِ عبد العزيز ، كانَّ النارَ لم تُخلقْ إلاَّ لهما .

وقال ابن أسباط : مكث الحسن ثلاثين سنةً لم يضحكْ ، وأربعين سنةً لم يمزحْ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٤٠) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٤) .) .

وقال : ما سمع الخلائقُ بعورةٍ بادية ، وعينٍ باكية ، مثلَ يوم القيامة .

وقال : ابنَ آدم ، إنَّك ناظرٌ غداً إلى عملك ، يُوزن خيرُه وشرُّه ، فلا تحقِرَنَّ شيئاً من [الخير وإن هو صَغُر ، فإنَّكَ إذا رأيتَه سرَّكَ مكانُه ، ولا تحقِرَنَّ من] الشرِّ أنْ تتَّقِيَه ، فإنَّكَ إذا رأيتَهُ غداً في ميزانِك ساءكَ مكانُه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٣) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٥) ، وما مرَّ بين معقوفين والتصحيح منهما .) .

وقال : ذهبتِ الدنيا [يحالي مآلها] وبقيَتْ أعمالُكم قلائدَ في أعناقكم (الحلية (٢/ ١٤٣) ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال : ابنَ آدم ، بِعْ دنياك بآخرتِك تربَحْهما جميعاً ، ولا تبعْ أخرتَك بدنياك فتخسرهما جميعاً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٣ ، و٧/ ٣٥) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٣٦) .) . وهذا مأثورٌ عن لقمانَ أنه قاله لولدِه .

وقال الحسن : تجدُ الرجلَ قد لبس الأحمر والأبيض ، وقال : هلُمُّوا فانظروا إلي . قال الحسن : قد رأيناك يا أفسق الفاسقين ، فلا أهلاً بكَ ولا سهلاً ؛ فأمَّا أهلُ الدنيا فقدِ اكتسبوا بنظرِهم إليك مزيدَ حرْصٍ على دنياهم ، وجرأةً على شهواتِ الغنَى في بطونهم وظهورهم ؛ وأما أهلُ الآخرة فقد كرهوكَ ومقتوك .

وقال : إنَّهم وإنْ هملجتْ بهمُ البَرَاذين ، وزفرَتْ بهمُ البِغالُ ، ووَطِئَتْ أعقابهم الرجال ، إنَّ ذُلَّ المعاصي لا يفارقُ رقابَهم ، يأبَى الله إلا أنْ يُذِلَّ مَنْ عصاه (ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٤٨ و١٨٨) ، والجواب الكافي له ص(٣٨ ، ٣٩) ، بنحوه .) .

وقال فرقد : دخلنا على الحسن فقلنا : يا أبا سعيد ، ألا يعجبك من محمد بن الأهتم ؟ فقال : ما له ؟ فقلنا : دخلنا عليه آنفاً وهو يجودُ بنفسِه فقال : انظروا إلى ذاك الصندوق ـ وأومأ إلى صندوق في جانبِ بيتِه ـ فقال : هذا الصندوق فيه ثمانونَ ألف دينار ـ أو قال درهم ـ لم أؤدِّ منها زكاةً ، ولم أصِلْ منها رحماً ، ولم يأكلْ منها محتاج . فقلنا : يا أبا عبد الله ، فلِمَنْ كنتَ تجمَعُها ؟ قال : لرَوْعَةِ الزمان ، ومُكاثرةِ الأقران ، وجفوةِ السلطان . فقال : =

. . . .

= انظروا من أين أتاهُ شيطانُه ، فخوَّفَهُ روعةَ زمانِه ومكاثرةَ أقرانِه ، وجفوةَ سلطانِه . ثم قال : أيُّها الوارث ، لا تُخدَعَنَّ كما خُدِعَ صُوَيْحِبُكَ ؛ بالأمس جاءك هذا المال ، لم تتعبْ لك فيه يَمين ، ولم يعرَقْ لكَ فيه جَبين ، جاءك ممن كان له جَمُوعاً مَنُوعاً ، من باطلٍ جمعَه ، من حقٍّ مَنَعَه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٥) بنحوه .) . ثم قال الحسن : إنَّ يومَ القيامةِ لذو حَسَرات ؛ الرجل يجمَعُ المالَ ثم يموتُ ويدَعُهُ لغيرِه ، فيرزقه الله فيه الصلاحَ والإنفاق في وجوهِ البِرّ ، فيجدُ مالَه في ميزانِ غيرِه . وكان الحسن يتمثل بهذا البيت في أول النهار يقول :

وما الدنيا بباقيةٍ لحيٍّ ولا حيٌّ على الدنيا بباقِ

وبهذا البيت في آخر النهار :

يسرُّ الفتى ما كان قدَّم من تُقًى إذا عرفَ الداءَ الذي هو قاتِلُهْ

(ذكر البيتين البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٠٨) .)

ولد الحسن في خلافةِ عمرَ بنِ الخطاب وأُتيَ به إليه ، فدعا له وحنَّكه ، ومات بالبصرة في سنة عشرٍ ومئة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

محمد بن سيرين (تقدمت مصادر ترجمته في ص(١٠٧) حاشية (٣) .) أبو بكر بن أبي عمرو الأنصاري : مولى أنس بن مالك النَّضْري . كان أبوه من سَبْي عينِ التَّمْر . أسرَهُ في جملةِ السَّبْي خالدُ بنُ الوليدُ ، فاشتراه أنس ، ثم كاتَبَه ، وقد وُلد له من الأخيار جماعةٌ : محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومَعْبد ، ويحيى ، وحفصة ، وكريمة ، وكلُّهمْ تابعيُّونَ ، ثقاتٌ أجلّاء ، رحمهم الله تعالى .

قال البخاري (انظر ما سبق في ص(١٠٨) موضع الحاشية (١) .) : ولد محمد لسنتَيْنِ بقيتا من خلافة عثمان . وقال هشام بن حسان : هو أصدقُ مَنْ أدركتُ من البشر . وقد تقدم هذا كلُّه فيما ذكره المؤلف .

كان ابنُ سيرين إذا ذُكر عنده رجلٌ بسُوءٍ ذَكرَهُ بأحسنِ ما يَعلم .

وقال خلف بن هشام : كان محمد بن سيرين قد أُعْطيَ هَدْياً وسَمْتاً وخُشوعاً . وكان الناس إذا رأوهُ ذَكَروا الله . ولما ماتَ أنسُ بن مالك أوصَى أنْ يغسِّلَه محمد بن سيرين ؛ وكان محمدٌ محبوساً ، فقالوا له في ذلك ، فقال : أنا محبوس . فقالوا : قد أستأذنّا الأميرَ في إخراجِك . قال : إنَّ الأمير لم يحبِسْني إنما حبسني مَنْ له الحق ، فأذِنَ له صاحبُ الحقِّ ، فغسَّلَه .

وقال يونس : ما عرضَ لمحمد بن سيرين أمرانِ إلاّ أخذ بأوثقِهما في دِينه ، وقال : إني لأعلمُ الذنبَ الذي حُملتُ بسببه ، إني قلتُ يوماً لرجلٍ يا مُفْلس . فذُكر هذا لأبي سليمان الداراني ، فقال قلَّتْ ذنوبُهم فعرفوا من أين أُتوا . ومثلُنا قد كثرتْ ذنوبنا فلم نَدْرِ من أين نُؤْتى ، ولا بأيِّ ذنبٍ نُؤخذ (انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٦) .) .

وكان إذا دُعيَ إلى وَليمة يدخلُ منزلَهُ فيقول : ائتوني بشربةِ سَويق . فيشربها ويقول : إنِّي أكرَهُ أنْ أحملَ جُوعي إلى موائدهم وطعامِهم .

وكان يدخلُ السوقَ نصفَ النهار ، فيكبِّرُ الله ويسبِّحُه ويذكره ويقول : إنَّها ساعةُ غَفلةِ الناس . وقال : إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعلَ له واعظاً من قلبه ، يأمرُه وينهاه .

وقال : ظلمٌ لأخيك أن تذكرَ منه أسوأ ما تعلمُ منه ، وتكتم خيرَه .

وقال : العُزْلة عبادة . وكان إذا ذكر الموتَ ماتَ منه كلُّ عضو على حِدَتِه . وفي رواية : كان يتغيَّرُ لَوْنه ، ويُنكرُ حالُه ، حتى كأنه ليس بالذي كان .

وكان إذا سئل عن الرؤيا قال للسائل : اتَّقِ اللهَ في اليقظة ، ولا يغرَّكَ ما رأيتَ في المنام . =

. . . .

= وقال له رجل : رأيتُ كأني أصبُّ الزيتَ في الزيتون . فقال : فتِّشْ على امرأتك ، فإنَّها أُمُّك . ففتَّشَ فإذا هي أمُّه ، وذلك أنَّ الرجلَ أُخِذَ من بلادِه صغيراً سَبِيّاً ، ثم مكثَ في بلاد الإسلام ، إلى أن كَبِر ، ثم سُبِيَتْ أمُّه ، فاشتراها جاهلاً أنَّها أمُّه ، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها لابنِ سيرين ، فأمره أن يفتِّش على ذلك ، ففتَّش فوجدَ الأمرَ على ما ذكرَه .

وقال له آخر : رأيتُ كأني دَسْت ، أو قال : وطئتُ تمرةً فخرجتْ منها فأرة . فقال له : تزوَّج امرأةً . أو قال : تطأُ امرأةً صالحةً تلِدُ بنتاً فاسقة . فكان كما قال .

وقال له آخر : رأيتُ كأنَّ على سطح بيتي حبَّاتُ شعير ، فجاء ديكٌ فلقَطَها . فقال له : إنْ سُرق لك شيءٌ في هذه الأيام فأتِني . فوضعوا بساطاً على سطحهم ، فسُرق ؛ فجاء إليه فأخبره ، فقال : اذهبْ إلى مؤذِّن محلَّتِك ، فخذْهُ منه . فجاء إلى المؤذِّن ، فأخذَ البِساطَ منه .

وقال له رجل : رأيتُ الحَمَامَ تلقُطُ الياسمين . فقال : مات علماءُ البصرة .

وأتاه رجلٌ فقال : رأيتُ رجلاً عُرْياناً واقفاً على مزبلة ، وبيده طُنْبورٌ يضربُ به ، فقال له ابنُ سيرين : لا تصلحُ هذه الرؤيا في زمانِنا هذا إلا للحسَنِ البصري . فقال : الحسَن هو واللهِ الذي رأيت . فقال : نعم ، لأنَّ المزبلةَ الدنيا ، وقد جعلها تحتَ رجليْهِ وعُرْيُه تجرُّدُه عنها ، والطُّنْبور يضرب به هي المواعظُ التي يَقْرَعُ بها آذانَ الناس .

وقال له آخر : رأيتُ كأنِّي أستاكُ والدمُ يَسيل . فقال له : أنت رجلٌ تقعُ في أعراض الناس ، وتأكلُ لحومَهم ، وتخرج في بابه وتأتيه (كذا في الأصول ولم نقف على مصدر للخبر .) .

وقال له آخر : رأيتُ كأني أرى اللؤلؤ في الحَمْأة . فقال له : أنت رجلٌ تضعُ القرآنَ والعلم عندَ غيرِ أهلِه ومَنْ لا ينتفعُ به .

وجاءته امرأةٌ فقالتْ رأيتُ كأنَّ سِنَّوْراً أدخل رأسَه في بطنِ زوجي فأخذَ منه قطعةً . فقال لها ابن سيرين : سُرق لزوجِك ثلاثُ مئةِ درهم وستةَ عشرَ درهماً . فقالت : صدقت ، من أين أخذته ؟ فقال : من هجاء حروفه ، وهي حسابُ الجُمَّل ؛ فالسين ستون ، والنون خمسون ، والواو ستة ، والراء مئتان ، وذلك ثلاث مئة وستة عشر ، وذكرت السِّنَّور أسودَ ، فقال : هو عبدٌ في جوارِكم . فالزموا عبداً أسود كان في جوارِهم ، وضُرب فأقرَّ بالمال المذكور .

وقال له رجل : رأيتُ لحيتي قد طالتْ وأنا أنظرُ إليها . فقال له : أمؤذِّنٌ أنت ؟ قال : نعم . قال له : اتق الله ولا تنظرْ إلى دُور الجيران .

وقال له آخر : رأيتُ كأنَّ لحيتي قد طالتْ حتى جززْتُها ونسجتُها كساءً وبعتُهُ في السوق . فقال له : اتقِ الله فإنَّك شاهدُ زور .

وقال له آخر : رأيتُ كأني آكلُ أصابعي . فقال له : تأكلُ من عمل يدِك .

وقال لرجل : انظرْ هل ترى في المسجد أحداً ؟ فذهب فنظر ثم رجع إليه فقال : ليس في المسجد أحد . فقال : أليس أمرتُك أنْ تنظرَ هل ترى أحداً قد يكون في المسجد من الأمراء ؟

وقال عن رجلٍ ذُكر له : ذلك الأسود ؟ ثم قال : أستغفرُ الله ، ما أراني إلا قد اغتبتُ الرجل . وكان الرجل أسود .

وقال : اشترك سبعةٌ في قتل امرأة ، فقتلهم عمر ، فقال : لو أنَّ أهلَ صنعاء اشتركوا في قتلِها لأبَدْتُ خضراءَهم] .

وفيها توفي :

وَهْبُ بن مُنَبِّه اليَمَاني[١] : تابعيٌّ جليل ، وله معرفةٌ بكُتُبِ الأوائل ؛ وهو يُشْبه كعب الأحبار ؛ وله صلاحٌ وعبادة ، وتُروى عنه أقوالٌ حسنة ، وحِكَمٌ ومواعظ . وقد بسَطْنا ترجمته في كتابنا « التكميل » ولله الحمد .

قال الواقدي[٢] : تُوفي بصنعاء سنة عشرٍ ومئة . وقال غيره : بعدَها بسنة . وقيل بأكثر ، والله أعلم . ويزعم بعضُ الناس أنَّ قبرَهُ غربيٌّ بصري بقريةٍ يُقال لها عُصْم[٣] ؛ ولم أجدْ لذلك أصلاً . والله أعلم[٤] .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣) ، تاريخ خليفة ص(٣٤٠) ، طبقات خليفة ص(٢٨٧) ، الزهد للإمام أحمد ص(٣٧١) ، التاريخ الكبير (٨/ ١٦٤) ، المعارف ص(٤٥٩) ، الجرح والتعديل (٩/ ٢٤) ، ثقات ابن حبان (٥/ ٤٨٧) ، حلية الأولياء (٤/ ٢٣) ، طبقات الشيرازي ص(٧٤) ، الأنساب (١/ ١٢٢) ، صفة الصفوة (٢/ ٢٩١) ، المختار من مناقب الأخيار (٥/ ١٠٨) ، معجم الأدباء (١٩/ ٢٥٩) ، وفيات الأعيان (٦/ ٣٥) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٣٨٥) ، تهذيب الكمال (٣١/ ١٤٠) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٠) ، ميزان الاعتدال ، (٤/ ٣٥٢) ، تهذيب التهذيب (١١/ ١٦٦) ، طبقات الحفاظ ص(٤١) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٠) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٧٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٥٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣) .

(٣) عُصْم : حصن لبني زبيد باليمن . معجم البلدان (٤/ ١٢٨) .

(٤) هنا تبدأ زيادة أخرى من زيادات نسخة (ق) وليست في (ب ، ح) ، وهي :

[أدرك وَهْبُ بن مُنَبِّه عدَّةً من الصحابة ، وأسندَ عن ابن عباس ، وجابر ، والنعمان بن بشير . وروى عن معاذ بن جَبَل ، وأبي هريرة ، وعن طاوس . وعنه من التابعين عدَّة .

وقال وَهْب : مَثَلُ مَنْ تعلَّم علماً لا يعمل به كمثَلِ طبيبٍ معه شفاءٌ لا يتداوى به .

وعن مُنير مولى الفضل بن أبي عياش قال : كنتُ جالساً مع وَهْب بن مُنَبِّه فأتاه رجلٌ فقال له : إني مررتُ بفلانٍ وهو يشتُمُك . فغضِبَ وقال : ما وَجَد الشيطانُ رسولاً غيرَك ؟ فما برحتُ من عندِه حتى جاءه ذلك الشاتم ، فسلَّم على وهب ، فردَّ عليه السلام ، ومدَّ يدَه إليه وصافحه وأجلسهُ إلى جنبه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧١) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٩٥) .) .

وقال ابن طاوس : سمعتُ وهباً يقول : ابنَ آدم ، احتلْ لدينك ، فإنَّ رزقكَ سيأتيك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧٢) .) .

وقال وهب : كُسي أهلُ النار ، والعُرْيُ كان خيراً لهم ، وطَعِموا والجوعُ كان خيراً لهم ، وأُعطوا الحياةَ والموتُ كان خيراً لهم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧١) .) .

وقال : قال داود عليه السلام : اللهمَّ أيُّما فقيرٍ سأل غَنياً فتصامَّ عنه فأسألك إذا دعاك فلا تُجِبْه ، وإذا سألك فلا تُعطِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧١) .) .

وقال : قرأتُ في بعضِ كُتب الله : ابنَ آدم ، لا خيرَ لك في أنْ تعلمَ ما لم تعلمْ ، ولم تعملْ بما قد علمت ؛ فإنَّ مثلك كمثَلِ رجلٍ احتطب حَطباً ، فحزم حُزمةً ، فذهب يحملُها فعجز عنها ، فضمَّ إليها أخرى (أخرجه أبو نعيم في=

. . . .

= الحلية (٤/ ٧١) .) .

وقال : إنَّ لله ثمانية عشر ألف عالَم ، الدنيا منها عالمٌ واحد ، وما العِمَارةُ في الخراب إلا كفُسْطاطٍ في الصحراء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧٠) .) .

وروى الطبراني عنه أنه قال : إذا أردتَ أن تعملَ بطاعةِ الله عزَّ وجلَّ ، فاجتهدْ في نُصحك وعملك لله ، فإنَّ العملَ لا يقبلُ ممنْ ليس بناصح ، والنُّصحُ لله لا يكمُل إلا بطاعةِ الله ، كمثَل الثمرة الطَّيِّبة ، ريحُها وطعمُها ، كذلك مثلُ طاعةِ الله ، النُّصح ريحُها ، والعمَل طعمُها . ثم زَيِّنْ طاعتَك بالحِلْم والعقل ، والفِقْه والعمَل ؛ ثم أكْبِرْ نفسَك عن أخلاق السفهاء ، وعبيدِ الدنيا ، وعبِّدْها على أخلاقِ الأنبياء والعلماء العاملين ، وعَوِّدْها فعلَ الحكماء ، وامنَعْها عمَلَ الأشقياء ، وألزِمْها سيرةَ الأتقياء واعْزُبْها (في الحلية : « فاعزلها » .) عن سُبلِ الخبثاء ؛ وما كان لك من فَضْل فأعِنْ به مَنْ دونك ، وما كان فيمن دونك من نَقْص فأعِنْهُ عليه حتى يبلغَه ، فإنَّ الحكيمَ منْ جَمَعَ فواضلَه ، وعاد بها على منْ دونه . وينظُر في نقائصِ ، دونَه فيقوِّيها ، ويُرَجِّبُها حتى يبلغَه ؛ إنْ كان فقيهاً حمَلَ منْ لا فقه له إذا رأى أنه يريدُ صحابته ومعونتَه ، وإذا كان له مالٌ أعطى منه منْ لا مالَ له ، وإذا كان مصلحاً استغفر للمذنب ورجا تَوْبته ، وإذا كان محسناً أحسنَ إلى منْ أساء إليه ، واستوجبَ بذلك أجرَه ؛ ولا يغترّ بالقول حتى يُحسن منه الفعل ، فإذا أحسنَ الفعلَ نظرَ إلى فَضْلِ الله وإحسانِه إليه ؛ ولا يتمنَّى الفعلَ حتى يفعله ، فإذا بلغ من طاعةِ الله مبلغًا حَمِدَ الله على ما بلغَ منها فيها ؛ ثم طلَبَ ما لم يبلغْ منها ، وإذا ذكر خطيئةً سترَها عن الناس ، واستغفر اللهَ الذي هو قادرٌ على أن يغفرَها ، وإذا علم من الحكمة شيئاً لم تُشْبِعْهُ ، بل يطلبُ ما لم يبلغْ منها ، ثم لا يستعين بشيءٍ من الكذب ، فإنَّ الكذب كالأكَلَةِ في الجسد ، تكادُ تأكلُه ، أو كالأكَلَةِ في الخشب ، يُرى ظهرُها حسناً ، وجوفها نَخِرٌ ، تَغُرُّ من يراها حتى تنكسر على ما فيها ، وتُهلك من اغترّ بها ؛ وكذلك الكذب في الحديث ، لا يزالُ صاحبُه يغترُّ به ، يظنُّ أنَّهُ مُعينُه على حاجته ، ورائدٌ له في رغبته ، حتى يعرفَ ذلك منه ، ويتبيَّن لذوي العقول غرورُه . فتستنبط الفقهاءُ ما كان يستخفي له عنه ، فإذا اطلعوا على ذلك من أمره ، وتبيَّن لهم كذَّبوا خبَرَه ، وأباروا شهادتَه ، واتهموا صِدْقَه ، وحقروا شأنه ، وأبغضوا مجلسَه ، واستخفُّوا منه بسرائرِهم . وكتموهُ حديثَهم ، وصرفوا عنه أماناتِهم ، وغيَّبوا عنه أمرَهم ، وحَذِروه على دينهم ومعيشتِهم ، ولم يحضروه شيئاً من محاضرهم ، ولم يأمنوه على شيءٍ من سرِّهم ، ولم يُحَكِّموه فيما شجر بينهم (أخرجه بطوله أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٦ ، ٣٧) .) .

وروى عبدُ المنعم بن إدريس عن أبيه ، عن وَهْب ، قال : قال لقمانُ لابنه : إنَّ مثلَ أهلِ الذِّكْر والغفلة كمَثَل النُّور والظُّلمة .

وقال : قرأتُ في التوراة أربعةَ أسطرٍ متواليات : منْ قرأ كتابَ الله ، فظنَّ أنه لا يُغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله ؛ ومنْ شكا مصيبةً نزلَتْ به ، فإنما يشكو ربَّه عزَّ وجلَّ من أسفٍ على ما فاته من الدنيا ، سخِطَ قضاءَ ربِّه عزَّ وجلّ ، ومن تَضَعْضَع لِغَنِيٍّ ذهب ثلثُ (في شعب الإيمان : « ثلثا » .) دينه (أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص(٨٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢١٣) برقم (١٠٠٤٣) .) .

وقال وهب : قرأتُ في التوراة : أيُّما دارٍ بُنيت بقوةِ الضعفاء جُعلت عاقبتُها إلى الخراب ؛ وأيُّما مالٍ جُمع من غيرِ حلِّه أسرع الفقر إلى أهله .

وقال عبد الله بن المبارك (في كتابه الزهد ص(١٠٨) برقم (٣١٨) .) : حدّثنا معمر عن محمد بن عمرو ، قال : سمعتُ وَهْبَ بن مُنَبِّه يقول : وجدتُ في بعض الكتب ؛ يقول الله تعالى : إذا أطاعني عبدي استجبتُ له من=

. . . .

= قَبْلِ أنْ يدعُوَني ، وأعطيتُه من قبلِ أن يسألني ؛ وإنَّ عبدي إذا أطاعني ، لو أنَّ أهلَ السماواتِ وأهلَ الأرض أجلبوا عليه جعلتُ له المخرجَ من ذلك ؛ وإنَّ عبدي إذا عَصَاني قطعتُ يدَيْهِ من أبوابِ السماء ، وجعلتُه في الهواء ، فلا يمتنعُ من شيءٍ أرادَهُ مِنْ خَلْقي (وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية (٣٨/٤) .) .

وقال ابنُ المبارك أيضاً (في كتابه الزهد ص(١٦١) برقم (٤٧٠) .) : حدّثنا بكَّارُ بنُ عبد الله ، قال : سمعتُ وَهْبَ بن مُنبِّه يقول : قال الله تعالى فيما يَعيبُ به أحبارَ بني إسرائيل : تفقَّهون لغير الدين ، وتتعلَّمون لغير العمل ، وتبتغونَ (في (ق) والزهد لابن المبارك : « وتبتاعون » ، وفي الحلية : « وتتنازعون » ، والمثبت من الزهد لأحمد .) الدنيا بعمل الآخرة ، وتلبسون جلودَ الضأْن ، وتخفون أنفس الذئاب ، وتنفون القَذَى من شرابكم (في (ق) : « وتحملون نفس الذباب ، وتتغذون الغذاء من شرابكم » وهو تصحيف ، والمثبت من الزهد لابن المبارك .) ، وتبتلعون أمثالَ الجبالِ من الحرام ، وتُثقلون الدِّينَ على الناس أمثالَ الجبال ، ثم لا تعينونَهم برفع الخناصر ؛ تطيلون الصلاة ، وتبيِّضون الثياب ، تنتقصون بذلك مالَ اليتيم والأرْمَلة ؛ فبعزَّتي حلفتُ ، لأضربنَّكم بفتنةٍ يَضِلُّ فيها رأيُ ذي الرأي ، وحكمةُ الحكيم (وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في الزهد ص(٥٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٨/٤ ، ٣٩) .) .

وقال الطبراني : حدّثنا عبد الله بن محمد الصنعاني ، حدّثنا همَّام بن مَسْلَمة ، حدّثنا غَوْث بن جابر ، حدّثنا عَقيل بن مَعْقل ، قال : سمعتُ وهبَ بن مُنبِّه يقول : إنَّ الله ليس يَحْمَدُ أحداً على طاعة ، ولا ينالُ أحدٌ من الله خيراً إلا برحمته ، وليس يرجو الله خيرَ الناسِ ولا يخافُ شرَّهم ، ولا يعطِفُ الله على الناس إلا برحمتِهِ إياهم ، إنْ مَكَروا به أبادَ مكرَهم ، وإنْ خادعوه ردَّ عليهم خداعَهم ، وإنْ كاذبوه كُذِب بهم ، وإن أدبروا قطعَ دابرهم ، وإن أقبلوا قَبِل منهم ، ولا يقبلُ منهم شيئاً من حيلة ، ولا مَكْر ، ولا خداع ، ولا سُخط ، ولا مشادَّة ، وإنما يأتي بالخير من الله تعالى رحمتُه (في الحلية : « ولا يستخرج أحد من الله شيئاً من الخير بحيلةٍ ولا مكرٍ ولا مخادعةٍ ولا أوبةٍ ولا سخطٍ ولا مشاورةٍ ولكن يأتي بالخير من الله رحمته » .) ؛ ومَنْ لم يبتغِ الخيرَ من قبلِ رحمته لا يجدُ باباً غيرَ ذلك يدخلُ منه ؛ فإنَّ الله تعالى لا ينالُ الخيرَ منه إلا بطاعته ، ولا يعطِفُ الله على الناس شيئاً إلا تعبدهم له ، وتضرعهم إليه حتى يرحمهم ، فإذا رَحِمَهم استخرجتْ رحمتُه منه حاجتَهم ، وليس ينالُ الخيرَ من الله مِنْ وجهٍ غير ذلك ، وليس إلى رحمة الله سبيلٌ تؤتى من قِبَله إلا تعبدَ العبادَ له وتضرعهم إليه ، فإنَّ رحمةَ الله عزَّ وجلَّ بابُ كلِّ خير يُبتغَى من قِبَلِهِ ، وإنَّ مفتاحَ ذلك البابِ التضرُّعُ إلى الله عزَّ وجلَّ ، والتعبُّد له ؛ فمنْ تركَ المفتاحَ لم يُفتحْ له ؛ ومن جاء بالمفتاحِ فُتح له به ؛ وكيف يُفتح البابُ بغير مفتاح ؟ ولله خزائنُ الخيرِ كلِّه ، وبابُ خزائنِ الله رحمتُه . ومفتاحُ رحمةِ الله التذلُّلُ والتضرُّع والافتقار إلى الله ؛ فمنْ حَفِظ ذلك المفتاح فُتحت له الخزائن ودخل ، فله فيها ما تشتهي الأنفس ، وتلذُّ الأعين ، وفيها ما تشاؤون ، وما تدعونَ في مقامٍ أمين ، لا يجلون عنه ، ولا يخافون ، ولا يَنْصَبُون ، ولا يَهرمون ، ولا يفتقرون ، ولا يموتون ، في نعيمٍ مقيم ، وأجرٍ عظيم ، وثوابٍ كريم ، نزلاً من غفورٍ رحيم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٩/٤ ، ٤٠) .) .

وقال سفيان بن عُيَينة : قال وهب : أعوَنُ الأخلاقِ على الدِّين الزهادةُ في الدنيا ، وأسرعُها ردّاً اتباعُ الهوى ، وحبُّ المالِ والشرف ؛ ومِنْ حُبِّ المالِ والشرف تُنتهكُ المحارم ، ومن انتهاكِ المحارم يَغضَبُ الربّ ، وغضَبُ الله ليس له دواء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤١/٤) .) .

وقال : يقولُ الله تعالى في بعضِ كتبه يعتبُ به بني إسرائيل : إني إذا أُطعت رَضيت ، وإذا رَضيتُ باركتُ ، وليس=

. . . .

= لَبَركتي نهاية ، وإذا عُصيت غَضبت ، وإذ غضبت لعنتُ ، وإنَّ اللعنةَ مني تبلغُ السابعَ من الولد (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤١) ، وأبو الفرج بن الجوزي في ذم الهوى ص(١٨٢) ، وابن القيم في الجواب الكافي ص(٣٤) .) .

وقال : كان في بني إسرائيل رجلٌ عصى الله عزَّ وجلَّ مئتي سنة ، ثم مات ، فأخذوا برِجلِه فألقَوْهُ على مزبلة ، فأوحى الله إلى موسى أنْ صلِّ عليه ، فقال : يا ربِّ ، إنَّ بني إسرائيل شهدوا أنه قد عصاك مئتي سنة . قال الله له : نعم هكذا كان ، إلا أنه كان كلَّما نَشَر التوارةَ ورأى اسم محمد ﷺ قبَّله ووضعَهُ على عينيه ، وصلَّى عليه ، فشكرتُ ذلك له ، فغفرتُ له ذنوبَه ، وزوَّجته سبعين حَوْراء ، كذا رُوي ، وفيه عِلَل ، ولا يصحُّ مثلُه ، وفي إسناده غرابة ، وفي مَتْنه نَكارةٌ شديدة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٢) .) .

وروى ابنُ إدريس عن أبيه ، عن وهب قال : قال موسى : يا رب ، احبِسْ عنِّي كلامَ الناس ، فقال الله له : يا موسى ، ما فعلتُ هذا بنفسي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٢) .) .

وقال : لما دُعي يوسفُ إلى الملِك وقف بالباب وقال : حَسْبي ديني من دنياي ، حَسْبي رَبِّي من خَلْقِه ، عزَّ جارُك ، وجلَّ ثناؤك ، ولا إله غيرك . ثم دخلَ على الملك ، فلما نظر إليه الملك نزَل عن سريره ، وخَرَّ له ساجداً ، ثم أقعدَه الملكُ معه على السرير وقال : ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٤ ـ ٥٥] ، حفيظٌ بهذه السنين وما استودعتَني فيها ، عليمٌ بلغةِ منْ يأتيني (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٢) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا منذرُ بن النعمان الأفطس ، أنه سمع وَهْباً يقول : لما أمرَ الله الحوت أن لا يضرَّه ، ولا يكلِّمَه ـ يعني يونس ـ قال : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٣ ـ ١٤٤] ، قال : من العابدين قبل ذلك ، فذكَّره الله بعبادتِه المتقدِّمة ، فلما خرج من البحر نام ، فأنبت الله شجرةً من يَقْطين ، وهو الدُّبَّاء ، فلما رآها قد أظلَّته ، ورأى خُضْرتها فأعجبَتْه ، ثم نام ، فاستيقظ فإذا هي قد يَبِسَتْ ، فجعل يتحزَّنُ عليها ، فقيل له : أنت لم تخْلُقْ ، ولم تسقِ ، ولم تُنبت ، وتحزَنُ عليها !؟ وأنا الذي خلقتُ مئةَ ألفٍ من النار أو يزيدون ، ثم رَحِمْتُهم ، فشقَّ ذلك عليك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٢ ، ٤٣) ، وذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ١٣٠) بنحوه .) ؟!

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد الغسَّاني ، حدثنا رباح ، حدثني عبد الملك بن عبد المجيد بن خشك ، عن وهب ، قال : لما أُمر نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين قال : يا رب ، كيف أصنع بالأسد والبقر ؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب (العناق : الأنثى من أولاد المعزى إذا أتت عليه سنة .) ؟ وكيف أصنع بالحمام والهرِّ ؟ قال : من ألقى بينهم العداوة ؟ قال : أنت يا رب . قال : فإني أؤلِّف بينهم حتى لا يتضرَّرون (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٣) .) .

وقال وهب لعطاء الخراساني : ويحك يا عطاء ! ألم أُخبَرْ أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا وأبواب الأمراء ؟! ويحك يا عطاءِ ، أتأتي من يغلق عنك بابه ، ويُظهرُ لك فقرَه ، ويواري عنك غناه ، وتترك باب من يقول : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ؟ ويحك يا عطاء ، إن كان يغنيك ما يكفيك ، فأوهَى (في الحلية : (فأدنى) وهو أشبه بالصواب .) ما في الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك ، فليس في الدنيا شيء يكفيك . ويحك يا عطاء ، إنما بطنك بحر من البحور ، ووادٍ من الأودية ، لا يَمْلؤه شيءٌ إلاَّ التراب (أخرجه=

. . . .

= أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٣) .) .
وسئل وَهْبٌ عن رجلين يصليان ، أحدهما أطول قنوتاً وصمتاً ، والآخر أطول سجوداً ، فأيُّهما أفضل ؟ فقال : أنصَحُهما لله عز وجل (المصدر السابق .) .
وقال : من خصال المنافق أن يحبَّ الحمدَ ويكرَهَ الذمَّ ، أيْ يحبُّ أنْ يحمدَ على ما لم يفعلْ ، ويكره أن يُذَمَّ بما فيه .
قال : وقال لقمان لابنه : يا بني ، اعقل عن الله ، فإن أعقل الناس من عقل عن الله ، وإن الشيطان ليَفِرُّ من العاقل ، ما يستطيعُ أن يكايدَه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٥) .) .
وقال لرجل من جلسائه : ألا أُعلِّمُكَ طِبّاً لا يتعايا فيه الأطباء ، وفقهاً لا يتعايا فيه الفقهاء ، وحلماً لا يتعايا فيه الحُلَمَاء ؟ قال : بلى يا أبا عبد الله . قال : أما الطبُّ فلا تأكلْ طعاماً إلا سَمَّيتَ الله على أوَّله ، وحَمِدْتَهُ على آخره ؛ وأما الفقه فإنْ سئلتَ عن شيءٍ عندك فيه علمٌ فأخبِرْ بما تعلم ، وإلا فقل لا أدري ، وأمَّا الحِلْم فأكثِر الصَّمْت ، إلاَّ أن تُسألَ عن شيء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٥) .) .
وقال : إذا كان في الصبيِّ خُلُقان : الحياءُ والرَّهْبة ، طُمِعَ في رُشْدِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٦) .) .
وقال : لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس قال له ملك هناك : صف لي الناس . فقال : محادثتك من لا يعقل كمن يُغَنِّي لموتى (في الحلية (محادثتك من لا يعلم كمن يعلم الموتى) .) ، ومحادثتك مَن لا يعقل كمن يَبُلُّ الصخر الأصمَّ كي يَلين ، وكمن يطبخُ الحديدَ يلتَمسُ أُدْمَه ، ومحادثتك من لا يعقل (في الحلية « ومحادثتك من لا يُصغي » .) كَمَنْ يضعُ المائدة لأهلِ القبور ، ونقلُ الحجارة من رؤوسِ الجبال أيسرُ من محادثتك مَنْ لا يعقل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٦) .) .
وقال : قرأت في بعض الكتب أنَّ منادياً ينادي من السماء الرابعة كل صباح : أبناء الأربعين ، زرعٌ قد دَنَا حصادُه ؛ أبناء الخمسين ، ماذا قدّمتم ؟ أبناءَ الستين ، لا عُذْرَ لكم . ليت الخلق لم يُخلقوا ، وليتهم إذ خُلقوا عَلِموا لماذا خلقوا ، قد أتتكم الساعة ؛ فخذوا حِذْرَكم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٩٣) .) .
وقال : قال دانيال : يا لهفي على زمنٍ يُلتمسُ فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد إلا كالسنبلة في أثرِ الحاصد ، أو كالخصلة في أثر القاطف ، يوشكُ نوائح أولئك وبواكيهم أن تبكيَهُم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣) .) .
وروى عبد الرزاق عن عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعتُ وَهْباً يقولُ في قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] قال : إنما يوزن من الأعمال خواتيمُها ، وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً ختمَ له بخيرِ عمَلِه ، وإذا أراد الله بعبدٍ شرّاً ختم له بشرِّ عمله (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣) .) .
وقال وَهْب : إن الله تعالى لما فرغ من الخَلْق نظرَ إليهم حين مَشَوا على وجهِ الأرض فقال : أنا الله لا إله إلا أنا الذي خلقتُكم وأُفنيكم بحُكْمي ، حَقٌّ قضائي ، ونافذٌ أمري ، أنا أُعيدكم كما خلقتُكم وأفنيكم ، حتى أبقى وَحْدي ، فإن الملك والخلود لا يحق إلا لي ، أدعو خَلْقي ، وأجمعهم بقضائي يوم أحشرُ أعدائي ، وتَجِلُّ القلوبُ من هيبتي ، تتبرَّأ الآلهةُ ممن عَبَدَها دوني (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٤) .) .
قال : وذكر وهب ، أن الله لما فرغ من خَلْقِه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله ، وذكر عَظَمَته=

. . . .

= وجبروته وكبرياءه وسلطانه وقدرته وملكه وربوبيَّته، فأنصَتَ كلُّ شيءٍ وأطرق له، فقال : أنا الملك لا إله إلا أنا ، ذو الرحمة الواسعة ، والأسماء الحسنى ، أنا الله لا إله إلا أنا ، ذو العرش المجيد ، والأمثال العلا ، أنا الله لا إله إلا أنا ، ذو الطول والمنِّ والآلاء والكبرياء ، أنا الله لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض ، ملأت كلَّ شيءٍ عظمتي ، وقَهَر كلَّ شيءٍ مُلكي ، وأحاطت بكل شيءٍ قدرتي ، وأحصى كل شيءٍ علمي ، ووسعت كلَّ شيءٍ رحمتي ، وبلغ كل شيءٍ لُطفي ، فأنا الله يا معشر الخلائق فاعرفوا مكاني ، فليس شيء في السماوات والأرضين إلا أنا وخَلقي ، كلهم لا يقومُ ولا يدومُ إلاَّ بي ، ويتقلَّبُ في قبضتي ، ويعيش برزقي ، وحياتُهُ وموته وبقاؤه وفناؤه بيدي ، فليس له مَحِيص ولا ملجأ غيري ، لو تخلَّيتُ عنه طرفة عينٍ لدُمِّر كُلُّه ، وكنت أنا على حالي ، لا ينقُصني ذلك شيئاً ، ولا يُنقص ذلك ملكي شيئاً وأنا مستغنٍ بالعزِّ كلِّه في جبروتي وملكي ، وبرهان نوري ، وشديد بطشي ، وعلوّ مكاني ، وعظمة شأني ، فلا شيء مثلي ، ولا إلَه غيري ، وليس ينبغي لشيءٍ خلقتُه أن يعدِلَ بي ، ولا ينكرُني ، وكيف ينكرني مَن خلقتُه يوم خلقتُه على معرفتي ؟ أم كيف يكابرني من قهرَهُ ملكي ؟ أم كيف يُعجزني مَن ناصيتُه بيدي ؟ أم كيف يعدلُ بي من أُعمِّره وأسقمُ جسمَه ، وأنقص عقلَه ، وأتوفَّى نفسه ، وأخلقه وأهرمه ، فلا يمتنعُ مني ؟ أم كيف يستنكفُ عن عبادتي عبدي وابنُ عبدي وابن أَمَتِي ؟ ومَن لا ينسب إلى خالقٍ ولا وارثٍ غيري ؟ أم كيف يعبدُ دوني من تُخلقه الأيام ، ويُفنِي أجلَهُ اختلاف الليل والنهار ، وهما شعبة يسيرة من سلطاني ؟ فإليَّ إليَّ يا أهل الموت والفناء ، لا إلى غيري ، فإني كتبتُ الرحمةَ على نفسي ، وقضيتُ العفوَ والمغفرة لمن استغفرني ، أغفرُ الذنوب جميعاً صغيرَها وكبيرَها لمن استغفرني ، ولا يكبُر ذلك عليَّ ولايتعاظَمُني ، فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلُكة ، ولا تقنَطُوا من رحمتي ، فإنَّ رحمتي سبقت غضَبي ، وخزائن الخير كلُّها بيدي ، ولم أخلق شيئاً مما خلقتُ لحاجةٍ كانت منِّي إليه ، ولكن لأُبينَ به قدرتي ولِيَنظُر الناظرون في مُلكي ، ويتدبَّروا حكمتي ، وليسبِّحوا بحمدي ، ويعبدوني لايشركوا بي شيئاً ، ولتَعنُو الوجوه كلُّها إليّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٤ ، ٣٥) بألفاظ مقاربة .) .

وقال أشرس عن وهب قال : قال داود : إلَهي أين أجدُك ؟ قال : عندَ المنكَسِرة قلوبُهم من مخافتي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٢) .) .

وقال : كان رجل من بني إسرائيل صام سبعين أسبوعاً يُفطرُ في كلِّ أسبوع يوماً ، وهو يسألُ الله أن يُريَهُ كيف يُغوي الشيطانُ الناس ، فلما أن طال ذلك عليه ، ولم يجب ، قال في نفسه : لو أقبلتُ على خطيئتي وعلى ذنوبي وما بيني وبين ربِّي لكان خيراً من هذا الأمر الذي أطلب . ثم أقبل على نفسه فقال : يا نفس ، من قِبَلكِ أُتيتُ . لو علم الله فيك خيراً لقضى حاجتك . فأرسل الله مَلَكاً إلى نبيِّهم أن قل لفلان العابد : إزراؤك على نفسِك ، وكلامُك الذي تكلَّمت به أعجبُ إليَّ مما مضى من عبادتك ، وقد أجاب الله سؤالك ، وفتح بصرك فانظرِ الآن ، فنظر فإذا أُحبولةٌ لإبليسَ قد أحاطتْ بالأرض ، وإذا ليس أحدٌ من بني آدم إلا وحوله شياطينُ مثلُ الذُّباب فقال : أي رب ، ومن ينجو من هؤلاء ؟ قال : صاحبُ القلبِ الوادِعِ اللَّيِّن (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٢) .) .

وقال وهب : كان رجلٌ من السائحين ، فأتى على أرضٍ فيها قِثاء ، فدعَتهُ نفسُه إلى أخذ شيءٍ منه ، فعاقبها ، فقام مكانَهُ يُصَلِّي ثلاثة أيام ، فمرَّ به رجلٌ وقد لوَّحتهُ الشمسُ والريح ، فلمّا نظر إليه قال : سبحان الله ! لكأنَّما أُحرق هذا الإنسان بالنار . فقال السائح : هكذا بلغَ مني ما ترى خوفُ النار ، فكيف بي لو دخلتُها ؟ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٢) .) .

وقال : كان رجلٌ من الأولين أصاب ذنباً فقال : للهِ عليَّ أن لا يُظلَّني سقفُ بيتٍ أبداً حتى تأتيني براءةٌ من النار ، =

. . . .

= فكان بالصحراء في الحَرِّ والقَرّ ، فمرَّ بهِ رجل فرأى شدَّة حاله فقال : يا عبد الله ما بلغ بك ما أرى ؟ فقال : بلغ ما ترى ذكرُ جهنَّم ، فكيف بي إذا أنا وقعتُ فيها (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٢ ، ٣٣) .) !.

وقال : لا يَكُونُ البطَّالُ من الحكماء أبداً ، ولا يرثُ الزناةُ من ملكوتِ السماء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠) .) .

وقال وهب في موعظته : اليوم يَعِظُ السعيد ، ويستكثرُ من منافعِه اللبيبُ ، يابنَ آدم ، إنما جمعتُ من منافعِ هذا اليوم لدفعِ ضررِ الجهالة عنك ، وإنما أوقدت فيه مصابيحُ الهدى لِتُنبِّه لحزبِك ، فلم أر كاليوم ضلَّ مع نوره مُتحيِّرٌ داعٍ لمداواة سليم ، يا بنَ آدم ، إنه لا أقوى من خالقٍ ولا أضعف من مخلوق ، ولا أقدر ممن طَلِبَتُه في يده ، ولا أضعف ممن هو في يد طالبه ، يا بن آدم ، إنه قد ذهب منك مالا يرجعُ إليك ، وأقام عندك ما سيذهب ، فما الجزع مما لا بدَّ منه ، وما الطمع فيما لا يرتجى ، وما الحيلةُ في بقاء ما سيذهب . يا بن آدم ، أقصِر عن طلب ما لا تُدرك ، وعن تناول ما لا تنالُه ، وعن ابتغاء ما لا يوجد ، واقطع الرجاءَ عنك ، كما قعدت به عنك الأشياء ، واعلم أنه رُبَّ مطلوبٍ هو شَرٌّ لطالبه . يا بن آدم إنما الصبرُ عند المصيبة ، وأعظمُ من المصيبة سوءُ الخُلق منها . يا بنَ آدم إنما الصبرُ عند المصيبة ، يا بن آدم ، أيَّ أيام الدهر ترتجي ؟ يومُ يجيءُ في عَتم ، أو يوم تستأخر عاقبته عن أوان مجيئه ، فانظر إلى الدهر تَجدهُ ثلاثة أيام : يومٌ مضى لا ترجوه ، ويومٌ لا بدَّ منه ، ويوم يجيءُ لا تأمَنُه ، فأمْسِ شاهدٌ عليك مقبولٌ ، وأمين مُؤدٍّ ، وحكيم مؤدِّب ، قد فجعك بنفسه ، وخلَّف فيك حكمته ، واليوم صديقٌ مودَّع ، كان طويل الغَيْبَة عنك ، وهو سريع الظَّعن ، أتاك ولم تأتِه ، وقد مضى قبلَهُ شاهدُ عَدلٍ ، فإن كان ما فيه لكَ فاشفعه بمثِله ، أوثقُ لك باجتماع شهادتهما عليك . يابنَ آدم إنما أهلُ الدنيا سَفْرٌ لا يحلُّون عقد رِحالهم إلا في غيرها ، وإنما يتبلَّغون بالعواري ، فما أحسنَه ـ يعني الشكرَ ـ للمنعم ، والتسليم للمعاد! . يابنَ آدم إنما الشيءُ من مثِله ، وقد مضَت قبلَنا أصولٌ نحن فروعُها ، فما بقاءُ الفَرعِ بعد ذهابِ أصله ، إنما يقرُّ الفرعُ بعد الأصل . يابنَ آدم ، إنه لا أعظم رَزِيَّةً في عقْلِه مِمَّن ضيَّعَ اليقينَ وأخطأ العملَ ، أيها الناس ، إنما البقاءُ بعدَ الفناء ، وقد خُلقنا ولم نكن ، وسَنبلَى ثم نعود ، ألا وإنما العواري اليوم والهناتُ غداً ، ألا وإنه قد تقارب مِنَّا سَلَبٌ فاحش ، أو عطاءٌ جزيل ، فأصلحوا ما تُقدِمون عليه بما تَظعنون عنه ، أيها الناس ، إنما أنتم في هذه الدنيا غَرَضٌ تَنتَضِلُ فيها المنايا (تنتضل : تختار وتتبارى . انظر لسان العرب (نضل) .) ، وإن ما أنتم فيه من دنياكم نَهبٌ للمصائب ، لا تنالون فيها نعمةً إلا بفراقِ الأخرى ، ولا يستقبلُ منكم معمَّرٌ يوماً من عُمره إلا بهدم آخَرَ من أجَلِه ، ولا يتخذُ له زيادة في ماله إلا بَنفَادِ ما قبلَهُ من رزقه ، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر ، نسألُ الله أن يُباركَ لنا ولكم فيما مضى من هذه العِظَة (أخرجه بطوله بألفاظ مقاربة أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠ ، ٣١) .) .

وقال قُتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر بن مروان ، عن وهب بن منبِّه ، [أنه كان يقول : الإيمان قائد ، والعمل سائق ، والنفس حَرُون ، إن فترَ قائدُها صَدَّت] عن الطريق ، ولم تستقم لسائقها ، وإنْ فـتَر سائقُها حَزِنَت ولم تَتبَعْ قائدها ، فإذا اجتمعا استقامت طوعاً أو كرهاً ، ولا تستطيعُ الدِّين إلا بالطوع والكُره ، وإن كان كلَّما كَره الإنسانُ شيئاً من دينه ترَكَه أوشك أن لا يبقى معه من دِينِه شيء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣١) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢١٥) بنحوه .) .

وقال وهب : إنَّ من حكمة الله عز وجلَّ أنه خلق الخَلقَ مختلفاً خَلقُهُ ومقاديره ، فمنه خَلقٌ يدومُ ما دامت الدنيا ، لا تُنقِصه الأيام ولاتُهرِمُه وتُبليه ويموت ، ومنه خلقٌ لا يُطعم ولايرزق ، ومنه خَلقٌ يُطعم ويرزق ، خلَقه الله وخلَق =

. . . .

= معه رِزقه ، ثم خلق الله من ذلك خلقاً في البَرّ ، وخلقاً في البحر ، ثم جعل رزقَ ما خلق في البحر وفي البر ، ولا ينفعُ رزقُ دوابِّ البر دوابَّ البحر ، ولا رزقُ دوابِّ البحرِ دوابَّ البَرّ ، لو خرج ما في البحر إلى البرِّ هلك ، ولو دخل ما في البَرِّ إلى البحرِ هلَك ، ففي ذلك ممَّن خلق الله في البَرِّ والبحر عِبرَةٌ لمن أهمَّته قسمةُ الأرزاق والمعيشة ، فليعتبر ابنُ آدمَ فيما قسم الله من الأرزاق ، فإنه لا يكونُ فيها شيءٌ إلا كما قَسمَهُ سبحانه بين خَلقِه لا يستطيعُ أحد أن يُغيِّرها ولا أن يَخلطَها ، كما لا تستطيعُ دوابُّ البَرِّ أن تعيش بأرزاقِ دوابِّ البحر ، ولا دوابُّ البحرِ بأرزاق دوابِّ البَرّ ، ولو اضطرت إليه هَلَكت كلُّها ، فإذا استقرت كل دابةٍ منها فيما رُزقت أصلحها ذلك وأحياها ، وكذلك ابنُ آدم إذا استقر وقَنِعَ بما قَسَم الله له من رزقه أحياه ذلك وأصلحه ، فإذا تعاطى رزق غيرِه نَقَصه ذلك وضرَّهُ وفَضَحَه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٩) .) .

وقال لعطاء الخراساني : كان العلماء قبلكم قد استَغنوا بعلمِهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لا يلتفتون إلى أهل الدنيا ، ولا إلى ما في أيديهم ، فكان أهلُ الدنيا يبذلون إليهم دنياهم رغبةً في علمِهم ، فأصبح أهلُ العلم فينا اليوم يبذلون لأهلِ الدنيا علمَهم رغبةً في الدنيا ، فأصبح أهلُ الدنيا قد زَهدوا في علمِهم ، لِمَا رأوا من سوء موضعه عندَهم ، فإياك يا عطاءُ وأبوابَ السلطان ، فإنَّ عندَ أبوابهم فتناً كمَبارِكِ الإبل ، لا تُصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثلَه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٩ ، ٣٠) . وفيه تتمة (ثم قال : يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك فكلُّ عيشك يكفيك ، وإن كان لا يغنيك فليس شيءٌ يكفيك ، إنما بطنك بحر من البحور ، وواد من الأودية ، لا يسعه إلا التراب) .) .

وقال إبراهيم الجنيد : حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدَّمي ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عمر بن عبد الرحمن الصنعاني ، قال : سمعت وهبَ بن منبِّه يقول : لَقِيَ عالمٌ عالماً هو فوقَهُ في العلم فقال : كيف صلاتُك ؟ فقال : ما أحسبُ أحداً سمع بذكر الجنة والنار يأتي عليه ساعةٌ لا يصلِّي فيها . قال : فكيف ذكرُك للموت ؟ قال : ما أرفعُ قدماً ولا أضعُ أخرى إلا رأيت أني ميتٌ . فقال : فكيف صلاتك أنت أيها الرجل ؟ فقال : إني لأُصلِّي وأبكي حتى ينبت العُشب من دموعي . فقال العالم : أما إنك إن تضحك وأنت معترف بخطيئتك خيرٌ لك من أن تبكي وأنت مُدِلٌّ بعلمك ، فإن المُدِلَّ لا يُرفعُ له عمل . فقال : أوصِني فإني أراك حكيماً . فقال : ازهَد في الدنيا ولا تُنازع أهلها فيها ، وكن فيها كالنَّحلَةِ إن أكلت أكلتَ طيِّباً وإن وضعتَ وضعتَ طيِّباً ، وإن وقعتَ على عُودٍ لم تكسِرهُ ، وانصَح لله نُصح الكلب لأهله ، فإنهم يُجيعونه ويطردونه ويضربونه وهو يأبى إلا أن يَحُوطَهم ويحفظَهُم وينصح لهم . فكان وَهبُ إذا ذكر هذا الحديث قال : واسوأتاهُ إذا كان الكلبُ أنصحَ لأهله منك يابنَ آدم للهِ عزَّ وجلّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٨) .) .

وفي رواية أنه قال : إني لأصلِّي حتى تَرِمَ قَدَماي . فقال له : إنك أن تَبِيتَ تائباً وتصبحَ نادماً خيرٌ لك من أن تبيتَ قائماً وتصبح مُعْجَباً (ذكر هذا القول ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ١٧٧) .) . إلى آخره .

وروى سفيان عن رجلٍ من أهل صنعاء ، عن وهب ، فذكر الحديثَ كما تقدَّمَ (المصدر السابق .) .

وقال عثمان بن أبي شَيبة : حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى ، حدثنا الصلتُ بنُ عاصم المرادي ، عن أبيه ، عن وهب ، قال : لما أُهبط آدمُ من الجنة استوحش لفقد أصوات الملائكة ، فهبط عليه جبريل فقال : يا آدم ، ألا أعلِّمك شيئاً تنتفع به في الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى . قال : قل اللهمَّ تَمِّم لي النعمة حتى تُهنِئَني المعيشة ، اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرَّني ذنوبي ، اللهمَّ اكفني مؤنة الدنيا ، وكلَّ هولٍ في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية =

. . . .

= (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٨ ، ٢٩) .) .
وقال عبد الرزاق : حدثني بكار بن عبد الله عن وهب ، قال : قرأتُ في بعض الكتب فوجدتُ الله تعالى يقول : يا بن آدم ، ما أنصفتني ، تُذكَّرُ بي وتنساني ! وتدعو إليَّ وتَفرُّ مني ! خيري إليك نازل ، وشرُّك إليَّ صاعد ، ولا يزال ملك كريمٌ قد نزل إليك من أجلك . يا بن آدم ، إنَّ أحبَّ ما تكون إليَّ وأقربَ ما تكونُ مني إذا رضيتَ بما قسمتُ لك ، وأبغضُ ما تكونُ إليَّ ، وأبعدُ ما تكونُ مني إذا سَخطت بما قسمتُ لك . يا بن آدم أطِعني فيما أمرتُك ، ولا تُعلمني بما يُصلحُك ، إني عالمٌ بخَلقي ، وأنا أعلمُ بحاجتك التي ترفعُك من نفسك ، إني إنما أُكرم من أكرمني ، وأُهينُ من هان عليه أمري . لستُ بناظرٍ في حقِّ عبدي حتى ينظر العبدُ في حقِّي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٧) .) .
وقال وهب : قرأتُ نيفاً وتسعين كتاباً من كتبِ الله تعالى [منها سبعون ، أو نيفٌ وسبعون ظاهرةٌ في الكتابَين ، ومنها عشرون لا يعلَمُها إلا قليلٌ من الناس] ، فوجدتُ في جميعها أنَّ مَن وَكَلَ إلى نفسه من المشيئة فقد كَفر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٤) ، وما بين معقوفين منه .) .
وقال : لا يسكنُ ابنَ آدم أنَّ الله هو قَسَم الأرزاق متفاضلةً ومختلفة ، فإن تقلَّل ابنُ آدمَ شيئاً من رزقه فليزدد إلى الله رغبةً ، ولا يقولن : لو اطَّلع الله على هذا من حالي أو شعر به غيَّره . فكيف لا يطَّلع على شيءِ الذي خلقَهُ وقدَّره ؟ أوَ [لا] يعتبرُ ابن آدمَ في غير ذلك مما يتفاضلُ فيه الناس ؟ كأن الله فاضل بينهم في الأجسام والأموال والألوان والعقول والأحلام ، فلا يَكبُر على ابن آدم أن يُفضَّل عليه في الرزق والمعيشة ، ولا يَكبُر عليه أن يُفضَّل عليه في الحِلم والعِلم والعقل والدِّين . أوَلا يعلم ابن آدم أنَّ الذي رزقه في ثلاثة أزمانٍ من عُمره لم يكن له في واحدٍ منها كَسبٌ ولا حِيلة ، أنه سوف يرزُقُه في الزمن الرابع ؟ أولُ زمانٍ من أزمانه حين كان في بطن أمِّه ، يُخلق فيه ويُرزق من غير مالٍ كَسبَه ، وهو في قرارٍ مكين ، لا يؤذيه فيه حَرٌّ ولا بردٌ ولاشيء ، ولا هَمٌّ ولاحُزنٌ ، وليس له هناك يدٌ تبطش ولا رِجلٌ تسعى ، ولا لسانٌ ينطِق ، فساقَ الله عز وجلَّ إليه رزقه هناك على أتم الوجوه وأهناها وأمراها ، ثم إنَّ الله عزَّ وجلَّ أراد أن يحوِّلهُ من تلك المنزلة إلى غيرها ، ويحدث له في الزمن الثاني رزقاً من أُمِّه ، يَكفيه ويُغنيه ، من غير حَولٍ منه ولا قوةٍ ولا بطشٍ ولا سُمعة ، بل تفضُّلاً من الله ، وجوداً ورزقاً أجراه ، وساقه إليه ، ثم أراد الله سبحانه أن ينقله من الزمن الثاني إلى الزمن الثالث من ذلك اللبن إلى رزق يُحدثه له من كَسب أبويه ، بأن يجعل له الرحمة في قلوبهما حتى يؤثراهُ على نفسِهما بكَسبهما ، ويُغنياه ويغذِّياهُ بأطيب ما يقدران عليه من الأغذية ، وهو لايُعينُهما على شيءٍ من ذلك بكسب ولا حيلة ، حتى إذا عَقَلَ حدَّث نفسه بأنه يُرزق بحيلته ومكسبه وسعيه ، ثم يدخل عليه في الزمن الرابع إساءة الظنِّ بربِّه عزَّ وجلَّ ، فيُضَيِّعُ أوامر الله في طلب المعاش ، وزيادة المال وكثرته ، وينظرُ إلى أبناء الجنس وما عليه من التنافس في طلب الدنيا ، فيكسبُ بذلك ضعف اليقين والإيمان ، ويمتلئ قلبه فقراً وخوفاً منه مع المتاع ، ويُبتلى بموت القلب ، وعدم العقل . ولو نظر ابنُ آدم نظَرَ معرفةٍ وعقل ، لعَلِم أنه لن يُغنيهُ في الزمن الرابع إلا من أغناه ورزقه في الأزمان الثلاثة قبلُ ، فلا مقالَ له ولا معذرةَ مما سُلِّط عليه في الزمان الرابع إلا برحمة الله ، فإن ابن آدم كثيرُ الشكِّ ، يُقصِّرُ به حُكمُهُ وعِلمه عن علم الله والتفكر في أمره ، ولو تفكر حتى يفهم ، وتفهم حتى يعلم ، عَلِمَ أنَّ علامة الله التي بها يُعرف خلقه الذي خلق ، ثم رِزْقَهُ لِمَا خلق ، وقَدَرُهُ لِمَا قَدَّر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٥) .) .
وقال عطاء الخراساني : لَقيتُ وهباً في الطريق فقلت : حدِّثني حديثاً أحفَظُه عنك في مقامي هذا وأوجز . قال : أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داود عليه السلام : يا داود ، أما وعزَّتي وعظمتي لا يَنتصرُ بي عبدٌ من عبادي دون خلقٍ أعلمُ ذلك من نيَّته ، فتكيده السماوات السبعُ ومن فيهنّ والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له منهنَّ فرجاً ومخرجاً ، أما وعزَّتي وجلالي ، لا يعتصم عبدٌ من عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيَّته إلا قطعت أسباب السماوات من

. . . .

= يده ، وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أيِّ وادٍ هَلَك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٥ ، ٢٦) .) .

وقال أبو بلال الأشعري عن أبي هشام الصَّنعاني ، حدثني عبدُ الصمد بن معقل ، قال : سمعتُ وهب بن منبِّه يقول : وجدتُ في بعض الكتب ، أن الله تعالى يقول : كفاني للعبد مآلا ، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيتُه قبل أن يسألني ، وأستجيبُ له من قبل أن يدعوني ، فإني أعلمُ بحاجتِهِ التي ترفقُ به من نفسه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٦).) .

وقال : قرأتُ في بعض الكتبِ أنَّ الشيطان لم يكابد شيئاً أشدَّ عليه من مؤمنٍ عاقل ، لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرةٍ فهو أثقلُ على الشيطان من الجبال الصُّمِّ ، إنه ليُزاوِلُ المؤمنَ العاقلَ فلا يستطيعُه ، فيتحوَّلُ عنه إلى الجاهل ، فيستأمره ويتمكَّنُ من قيادِه (المصدر السابق .) .

وقال : قام موسى عليه السلام ، فلما رأتهُ بنو إسرائيل قاموا فقال : على مكانِكم . ثم ذهب إلى الطُّور ، فإذا هو بنهرٍ أبيض ، فيه مثلُ رؤوس الكُثْبان (في الحلية : (مثل رؤوس الكباش) .) ، كافورٌ محفوفٌ بالرياحين ، فلما رآه أعجبه ، فدخل عليه فاغتسل ، وغسل ثوبَه ثم خرج ، وجفَّف ثوبه ثم رجعَ إلى الماء ، فاستنضحَ فيه إلى أن جفَّ ثوبُه فلَبِسه ثم أخذ نحو الكثيب الآخر الذي فوق الطُّور ، فإذا هو برجلين يَحفِران قبراً ، فقام عليهما ، فقال ألا أُعينُكما ؟ قالا : بلى . فنزل فَحَفر ، فقال لهما : لِتُحَدِّثاني مِثلُ مَنِ الرجلُ ؟ فقالا : على طولك وهيئتك . فاضطجعَ فيه لينظروا ، فالتأمَتْ عليه الأرضُ ، فلم ينظر إلى قبر موسى عليه السلام إلا الرَّخم فأصَمَّها الله وأبكمها ، وقال : يقول الله عزَّ وجلَّ : لولا أني كتبتُ النَّتن على الميت ، لحَبَسَهُ الناسُ في بيوتهم ، ولولا أني كتبتُ الفسادَ على اللحم ، لحرَّمه الأغنياءُ على الفقراء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٧) .) .

وقال : مرَّ عابدٌ براهبٍ فقال له : منذُ كم أنتَ في هذه الصومعة ؟ قال : منذُ ستين سنة . قال : وكيف صبرتَ فيها ستين سنة ؟ قال : مُرَّ فإن الزمان يَمُرّ ، وإن الدنيا تمُرّ . ثم قال له : يا راهب ، كيف ذكرُك للموت ؟ قال : ما أحسبُ عبداً يعرفُ الله تأتي عليه ساعةٌ إلا يذكرُ الموتَ فيها ، ومارفعُ قدماً إلا وأنا أظنُّ أن لا أضعهَا حتى أموت ، وما أضعُ قدماً إلَّا وأنا أظنُّ أن لا أرفعها حتى أموت . فجعل العابدُ يبكي ، فقال له الراهب : هذا بكاؤك إذا خلَوتَ ـ أو قال : كيف أنت إذا خلوت ـ؟ فقال العابد : إني لأبكي عند إفطاري ، فأشربُ شرابي بدموعي ، ويصرعُني النَّومُ فأبلُّ متاعي بدموعي . فقال له الراهب : إنك إنْ تضحك وأنتَ معترفٌ بذنبك خيرٌ لك من أن تبكي وأنتَ مُدلٌّ على الله بعلمِك . فقال : أوصني بوصية. قال: كنْ في الدنيا بمنزلة النحلة، إنْ أكلتْ أكلتْ طيباً، وإن وضعتْ وضعَتْ طيباً، وإن سقطَتْ على شيءٍ لم تضرَّه، ولا تكن في الدنيا بمنزلة الحمار، إنما همته أن يشبع ثم يرمي نفسه في التراب وانصَحْ للهِ نُصْحَ الكلبِ لأهله، فإنهم يُجيعونه ويطردونه وهو يأبى إلَّا أنْ يحرسَهم ويحفظهم. قال أبو عبد الرحمن أشرس: وكان طاوس ذكر هذا الحديث بكى وقال: عزَّ علينا أنْ تكونَ الكلابُ أنصحَ لأهلِها منَّا لمولانا عزَّ وجلَّ. وقد تقدَّم نحو هذا المتن (انظر ص٢٨٤ موضع الحاشية (١).) . وقال وهب: تخلَّى راهبٌ في صومعتِهِ في زمنِ المسيح، فأراد إبليسُ أن يكيدَه، فلم يقدِرْ عليه، فأتاه بكلِّ مُرادٍ فلم يقدر عليه ، فأتاهُ متشبِّهاً بالمسيح ، فناداه : أيُّها الراهب ، أشرفْ عليَّ أكلِّمك ، فأنا المسيح . فقال : إنْ كنتَ المسيح فمالي إليك من حاجة ، أليس قد أمرتَنا بالعبادة ، ووعدتَنا القيامة ؟ انطلقْ لشأنك ، فلا حاجة لي فيك . قال : فذهب عنه الشيطانُ خاسئاً وهو حسير ؛ فلمْ يَعُدْ إليه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٤) بنحوه .) .

ومن طريق أخرى عنه قال : أتى إبليسُ راهباً في صومعته ، فاستفتح عليه ، فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا المسيح . فقال الراهب : والله لئنْ كنتَ إبليس لأخلونَّ بك ، ولئن كنتَ المسيح ما عسى أنْ أصنعَ بك اليوم شيئاً لقد بلَّغتنا رسالةَ ربِّك عزَّ وجلَّ فقبِلْناها عنك ، وشرعتَ لنا الدِّين فنحن عليه ، فاذهبْ فلستُ بفاتحٍ لك . فقال : صدقتَ ، أنا

. . . .

= إبليسُ ولا أريدُ إضلالَكَ بعدَ اليومِ أبداً ، فسَلْني عمَّا بدا لك أخبرْك به . قال : وأنت صادق ؟ قال : لا تسألني عن شيءٍ إلاَّ صَدَقْتُكَ فيه . قال : فأخبِرْني أيُّ أخلاقِ بني آدمَ أوثقُ في أنفسِكم أنْ تضلُّوهم به ؟ قال : ثلاثة أشياء : الحِدَّةُ ، والشُّحُّ ، والسُّكر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٤ ، ٤٥) .) .
وقال وهب : قال موسى : يا ربّ ، أيُّ عبادك [أشقى] ؟ قال : منْ لا تنفعُه موعظة ، ولا يذكُرني إذا خلا . قال : إلٰهي ، فما جزاءُ منْ ذكرَكَ بلسانِه وقلبِه ؟ قال : يا موسى ، أُظِلُّهُ يومَ القيامة بظلِّ عرشي ، وأجعلُه في كَنَفي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٥) بتقديم الشطر الثاني للخبر على الأول .) .
وقال وهب : لَقِيَ عالمٌ عالماً هو فوقَهُ في العلم فقال له : رحمكَ الله ، ما هذا البناء الذي لا إسرافَ فيه ؟ قال : ما ستَرَكَ من الشمس ، وأكنَّكَ من الغَيْث . قال : فما هذا الطعامُ الذي لا إسراف فيه ؟ قال : فوقَ الجُوع دونَ الشِّبَع ، من غيرِ تكلُّف . قال : فما هذا اللباسُ الذي لا إسرافَ فيه ؟ قال : هو ما سترَ العورة ، ومنَعَ الحرَّ والبرد ، من غيرِ تنوُّعٍ ولا تلوُّن . قال : فما هذا الضحكُ الذي لا إسرافَ فيه ؟ قال : هو ما أسفَرَ وجهَك ولا يُسمِعُ صوتك . قال : فما هذا البكاءُ الذي لا إسرافَ فيه ؟ قال : لا تَمَلَّ من البكاءِ من خشيةِ الله عزَّ وجلَّ ، ولا تبكِ على شيءٍ من الدنيا . قال : كم أُخْفي من عملي ؟ قال : ما أظنَّ بِكَ أنَّكَ لم تعمَلْ حسنةً . قال : ما أُعلنُ من عملي ؟ قال : الأمرَ بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وما يَأتم بكَ الحَرِيص ؛ واحذرِ النظرَ إلى الناس (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٥) بنحوه مختصراً .) .
وقال : لكلِّ شيءٍ طرفانِ ووسط ، فإذا أمسكتَ بأحَدِ الطرفَيْن مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط اعتدلا ، فعليكم بالوسَطِ من الأشياء (المصدر السابق .) .
وقال : أربعةُ أحرفٍ في التوراة : منْ لم يشاوِرْ يندَمْ ، ومنِ استغنَى استأثَر ، والفقرُ الموتُ الأحمر ، وكما تَدينُ تُدان ، ومن تَجَرَ فَجَر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٨) ، وليست الجملة الأخيرة فيه .) .
وقال عبدُ الله بنُ المبارك (في كتابه الزهد ص(٥١٤) . وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٨) .) : حدّثنا بكار بن عبد الله ، أنه سمع وَهْب بن منبِّهٍ يقول : كان رجلٌ من أفضلِ أهل زمانه ، وكان يُزارُ فيعظِهُمْ ، فاجتمعوا إليه ذاتَ يوم فقال : إنَّا قد خرجْنا عن الدنيا ، وفارَقْنا الأهلَ والأموالَ مخافةَ الطُّغْيان ، وقد خِفْنا أنْ يكونَ قد دخلَ علينا في حالِنا هذه من الطُّغْيان أعظمُ وأكثرُ ممّا يدخل على أهلِ الأموالِ في أموالهم ، وعلى الملوكِ في مُلكِهم ؛ أُرَانا يُحبُّ أحدُنا أنْ تُقضَى له الحاجة ، وإذا اشترى شيئاً أنْ يُحابَى لمكانِ دينِه ، وأنْ يُعَظَّمَ إذا لَقِيَ الناسَ لمكانِ دينِه ؛ وجعل يُعدِّدُ آفاتِ العلماءِ والعِباد الذين يدخلُ عليهم في دينهم مِنْ حلِّ الشرَفِ والتعظيم . قال : فشاعَ ذلك الكلامُ عنه ، حتى بلَغَ مَلِكَ تلكَ البلاد ، فعَجِبَ منه الملكُ وقالَ لرؤوسِ دولتِه : ينبغي لهذا أنْ يُزار . ثم اتَّعَدوا لزيارتِهِ يوماً ، فركب إليه الملكُ ليسلِّمَ عليه ، فأشرف العابدُ ـ وكان عالماً جيد العلمِ بآفاتِ العلومِ والأعمالِ ودسائسِ النفوس ، فرأى الأرضَ التي تحتَ مكانِه قد سُدَّتْ بالخيلِ والفُرسان ، فقال : ما هذا ؟ فقيلَ له : هذا الملكُ قاصدٌ إليكَ يُسلِّمُ عليك ، لِمَا بلغَهُ من حُسنِ كلامِك . فقال : إنَّا لله ! وما أصنَعُ به ؟ هلَكْنا واللهِ إنْ لم نُلَقَّنِ الحُجَّةَ من عندِ الله معَ هذا الرجل ، وينصرفْ عنا وهو ماقتٌ لنا . ثم سألَ خادِمَهُ : هل عندك طعامٌ ؟ قال : نعم . قال : فَأْتِ بِهِ ، فضَعْهُ بين أيدينا . قال : هو شيءٌ من ثَمَرِ الشجر ، وهو شيءٌ من بَقْلٍ وزيتون . قال : فأتِ به ، فأتى به ، ثم أمرَ بجماعته فاجتمعوا حولَ ذلك الطعام ؛ فقال : إذا دخلَ عليكم هذا الرجلُ فلا يلتفِتْ أحدٌ منكم إليه ، ولا يقُمْ له أحد ، وأقبلُوا على الأكل العَنيف ، ولا يرفَعْ أحدٌ منكمْ رأسَه ، لعلَّ الله أنْ يصرفَهُ عنّا وهو كارهٌ لنا . فإني أخافُ الفِتْنةَ والشُّهرة ، وامتلاءَ القلبِ منهما ، فلا نخلُصُ إلاّ بنارِ جهنّم . قال : فبكى القوم ، وبكى ذلك

. . . .

= الرجلُ العالم ، فلما اقترب الملك من جبلهمُ الذي هُمْ فيه ، ترجَّلَ الملِك ومنْ معه من أعيانِ دولتِه ، وصَعِد في الجبل ، فلما وصل إلى قُرب مكانهم أخذوا في الأكلِ العنيف ، فدخل عليهم الملك وهم يأكلون ، فلم يرفعوا رؤوسَهم إليه ، وجعل ذلك العالِمُ الفاضلُ يلفُّ البقلَ مع الزيتون مع الكسرةِ الكبيرةِ من الخبز ويُدخلُها في فمه ، فسلَّم عليهمُ المِلكُ وقال : أيكم العابد ؟ فأشاروا إليه ، فقال له الملك : كيف أنت أيها الرجل ؟ فقال له : كالناس ـ وهو يأكل ذلك الأكلَ العنيف ـ فقال الملك : ليس عندَ هذا خير . ثم أدبرَ الملكُ خارجاً عنه وقال : ما عند هذا من عِلْم . فلما نزل الملكُ من الجبل نظرَ إليه العابدُ من كُوَّةٍ وقال : أيها الملك ، الحمدُ لله الذي صرفكَ عني وأنتَ لي كارِه ـ أو قال : الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به .

وفي رواية : ذكر ابنُ المبارك أنه قال : الحمدُ لله الذي صرفَهُ عني وهو لي لائم (الزهد لابن المبارك ص(٥١٥) .) .

وفي رواية : أنَّ هذا العابد كان ملكاً وكان قد زَهِدَ في الدنيا وتركها ، لأنه كان قد دخل عليه رجلٌ من بقايا أهلِ الجنة والعمَلِ الصالح فوعظه ، فاتَّعد معه أنْ يصحبَهُ ، وأنه يَخْرُجُ عن المُلْكِ طلباً لِمَا عندَهُ في الدارِ الآخرة ، وأنه وافقَهُ جماعةٌ من بَنِيه وأهلِه ورؤوسِ دولتِه ، فخرجوا برُمَّتِهم لا يدري أحدٌ أين ذهبوا . وكان هذا الملكُ من أهلِ العَدْلِ والخير والخَوْفِ من الله عزَّ وجلَّ ، وكان متسعَ الملكِ والمملكة ، كثيرَ الأموالِ والرجال ؛ فساروا حتى أتَوْا جبلاً في أطرافِ مملكتِه كثير الشجرِ والمياه ، فأقاموا به حيناً . فقال الملك : إنْ نحنُ طالَ أمرُنا ومُقَامُنا في هذا الجبل سَمِعَ بنا الناسُ من أهلِ مملكتِنا ، فلا يدعونا ؛ وإني أرى أن نذهبَ إلى غيرِ مملكتنا ، فننْزِل مكاناً بعيداً عن الناس ، لعلَّ أنْ نسلمَ منهم ويسلموا منّا . فساروا من ذلك الجبل طالبين بلاداً لا يُعرفون ، فوجدوا بها جبلاً نائياً عن الناس ، كثير الأشجار والمياه ، قليلَ الطوارق ، وإذا في ذِروتِهِ عينُ ماءٍ جارية ، وأرضٌ متَّسِعة ، تُزرَعُ لمن أراد الزَّرْعَ بها ؛ فنَزَلوا به وبَنَوْا به أماكنَ للعبادةِ والسُّكْنى ، وزرعوا لهم على ماءِ تلك العَين بعضَ بُقولٍ يأْتَدِمُونَ بها ، وأشجارَ زيتون ، وجعلوا يزرعون بأيديهم ويأكلون ، ثم شاع أمرُهم في بعض تلك البلاد القريبة من جبلِهم ، فجعلوا يأتونهم ويزورونهم إلى أنَ شاع ذلك الكلام المتقدِّم عن ذلك العالم ، فبلَغَ ملكَ تلك البلاد ، فقصَدَهم للزيارةِ فذكر القصةَ كما تقدَّم ، والله أعلم .

وقال وهب : أزهدُ الناسِ في الدنيا وإنْ كان عليها حريصاً منْ لم يرضَ منها إلا بالكَسْبِ الحلال الطيِّب ، مع حفظ الأمانات ، وأرغَبُ الناسِ فيها وإنْ كان عنها معرضاً منْ لم يبالِ من أين كَسْبُه منها حلالاً كان أو حراماً ؛ وإنَّ أجودَ الناسِ في الدنيا من جادَ بحقوقِ الله عزَّ وجلَّ ، وإنْ رآه الناسُ بخيلاً فيما سوى ذلك ؛ وإنَّ أبخل الناسِ في الدنيا من بَخِلَ بحقوقِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وإنْ رآه الناسُ جواداً فيما سوى ذلك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٤٩) ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٠٧) (١٠٧٨١) بسنده معزوّاً إلى أبي أمية .) .

وقال الطبراني (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٠) بهذا الإسناد عن الطبراني .) : حدّثنا معاذ بن المثنى ، حدّثنا عليُّ بن المديني ، حدّثنا محمد بن عمرو بن مِقْسم ، قال : سمعتُ عطاء بن مسلم يقول : سمعتُ وَهْبَ بن مُنَبِّه يقول : إنَّ الله تعالى كلَّمَ موسى عليه السلام في ألفِ مَقَام ، وكان إذا كلَّمَهُ رُئيَ النورُ على وجه موسى ثلاثةَ أيام ، ولم يمسَّ موسى امرأةً منذُ كلَّمَهُ رَبُّه عزَّ وجلَّ .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدّثنا عبد الله بن عامر بن زُرَارة ، حدّثنا عبد الله بن الأجْلَح ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : سمعتُ ابن مُنَبِّه اليماني يقول : إنَّ للنبوةِ أثقالاً ومؤونة ، لا يحمِلُها إلا القويّ ، وإنَّ يونُسَ بنَ متَّى كان عبداً صالحاً ، وكان في خُلُقِهِ ضِيق ، فلما حُمِلَتْ عليه =

. . . .

= النبوّة تفسَّخَ تحتها تفسُّخَ الرُّبَعِ تحت الحِمْل (الرُّبَعُ : الفَصيلُ الذي يُنتَجُ في الربيع ، وهو أولُ النِّتاج ، سُمِّيَ رُبَعاً لأنه إذا مشى ارْتَبَعَ ورَبَع ، أيْ وَسَّعَ خَطْوَهُ وعَدَا ؛ وتفسَّخَ الرُّبَع تحت الحِمل الثقيل : وذلك إذا لم يُطِقْه . اللسان (فسخ ، ربع) .) ، فرفَضَها مِنْ يدِهِ وخرج هارباً ؛ فقال الله تعالى لنبيِّه ﷺ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ؛ وقال : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم : ٤٨] الآية (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٠) .) .

وقال يونس بن بُكَير عن أبي إسحاق بن وهب بن مُنَبِّه ، عن أبيه ، قال : أمرَ الله الريحَ أنْ لا يتكلَّمَ أحدٌ من الخلائق بشيءٍ في الأرض إلا ألقَتْهُ في أُذُنِ سليمان ، فلذلك سَمِعَ كلامَ النَّمْلة (المصدر السابق .) .

وروى سفيان عن عمرو بن دينار ، عن وهب ، قال : كان الرجلُ من بني إسرائيل إذا ساح أربعين سنةً أُري شيئاً ، كأن يرَى علامةَ القَبُول ؛ قال : فساحَ رجلٌ من ولدِ زَنْيَةٍ (في (ق) : « من ولد ربيعة » تصحيف ، والمثبت من الحلية .) أربعينَ سنةً ، فلم يرَ شيئاً ، فقال : يا رب ، إنْ أحسنتُ وأساءَ والداي ، فما ذنبي ؟ قال : فأُرِيَ ما كان يَرَى غيرُه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥١) .) .

وفي رواية : أنه قال : يا ربّ ، إذا كان والدايَ قد أكلا أَضْرَسُ أنا ؟

وفي رواية : عنه أنه قال : يا ربّ ، إذا كان والدايَ قد أساءا أُحرَمُ أنا إحسانَك وبِرَّك ؟ فأظَلَّتْهُ غَمامة .

وروى عبد الله بنُ المبارك عن رَبَاح بن زيد ، عن عبد العزيز بن حَوْران (في (ق) : « عبد العزيز بن مروان » تصحيف ، والمثبت من الحلية ، وترجمته في التاريخ الكبير (٦/ ١٨) ، والجرح والتعديل (٥/ ٣٨٠) ، والثقات لابن حبان (٧/ ١١١) ، وميزان الاعتدال (٤/ ٣٦٣) ، وفيه : بحاء مهملة ضبطه بعضهم ، والأصح بجيم . أهـ .) ، قال : سمعتُ وَهْبَ بنَ مُنَبِّه يقول : مثلُ الدنيا والآخرة مثلُ ضرَّتَيْن ، إن أرضيتَ إحداهما أسخطتَ الأخرى (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥١) .) .

وقال : إنَّ أعظمَ الذنوبِ عند الله بعدَ الشِّرْكِ بالله السِّحْر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥١) وفيه : « بعد الشرك بالله السخرية بالناس » .) .

وروى عبد الرزاق قال : أخبرني أبي عن وهبٍ قال : إذا صام الإنسانُ زاغَ بصَرُه ، فإذا أفطرَ على حلاوةٍ عاد بصَرُه (المصدر السابق .) .

وقال ابنُ المبارك عن بكّار (في (ق) : « عن بكر بن عبد الله » تصحيف والمثبت من الحلية ، وترجمته في التاريخ الكبير (٢/ ١٢١) .) بن عبد الله ، قال : سمعتُ وهباً يقول : مرَّ رجلٌ عابدٌ على رجلٍ عابد ، فرآهُ مفكِّراً ، فقال له : ما لك ؟ فقال له : أعجبُ من فلان أنه كان قد بلَغَ من عبادتهِ ما بلَغ ، ثم مالَتْ به الدنيا ؟ فقال : لا تعجَبْ مِمَّنْ مالَ كيف مال ، ولكنِ اعْجبْ ممَّنِ استقامَ كيف استقام (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥١) .) ؟

وقال عبدُ الله بن الإمام أحمدَ بنِ حَنْبَل : حدّثني عبدُ الرزاق ، حدّثنا بكّار بن عبد الله قال : سمعتُ وَهْبَ بنَ منبّه يقول : إنَّ بني إسرائيلَ أصابَتْهم عقوبةٌ وشِدَّة ، فقالوا لنبيٍّ لهم : وَدِدْنا أنْ نعلمَ ما الذي يُرضي ربَّنا فنتَّبِعَه . فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه : إنَّ قومَكَ يقولون ، [فأخبِرْهم إنْ أرادوا رضائي فَلْيُرضوا المساكين ، فإنَّهم] إذا أرضَوْهُمْ رَضِيت ، وإذا أسخطوهُمْ سَخِطت (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٢) ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدّثنا أبي ، حدّثنا إبراهيم بن خالد ، حدّثني عمر بن عبد الرحمن ، قال : سمعتُ وهب بن منبّه يقول : إنَّ عيسى عليه السلام كان واقفاً على قبرٍ ومعه الحواريُّون ـ أو نفرٌ من أصحابه ـ قال : =

. . . .

= وصاحبُ القبرِ يُدَلَّى فيه ؛ قال : فذكروا من ظلمةِ القبر وضيقِه . فقال عيسى : قد كنتُمْ فيما هو أضيق من ذلك ، في أرحامِ أمهاتِكم ، فإذا أحبَّ الله أنْ يُوسِّعَ وسَّع . أو كما قال (المصدر السابق .) .

وقال عبد الله بن المبارك : حدّثنا بكّار بن عبد الله قال : سمعتُ وَهْبَ بن منبِّه يقول : كان رجلٌ عابدٌ من السُّيَّاح أرادَهُ الشيطانُ من قِبَلِ الشهوةِ والرغبةِ والغضَب ، فلم يستطعْ منه شيئاً من ذلك ، فتمثَّل له حيَّةً وهو يصلِّي ، فمضى ولم يلتفتْ إليه ، فالتوى على قدمَيْه ، فلم يلتفتْ إليه ، فدخلَ ثيابَهُ وأخرجَ رأسَه من عندِ رأسه ، فلم يلتفتْ ولم يستأخِرْ ، فلما أراد أنْ يسجُد التوَى في موضعِ سجودِه ، فلمّا وضع رأسه ليسجُدَ فَتح فاهُ لِيلتقمَ رأسَه ، فوضع رأسه ، فجعل يعرِكُه حتى استمكن من السجود على الأرض ، ثم جاءَهُ على صورةِ رجلٍ فقال له : أنا صاحبُكَ الذي أخوِّفُك ، أتيتك من قِبَلِ الشهوةِ والغضَبِ والرغبة ، وأنا الذي كنتُ أتمثَّلُ لك بالسباعِ والحيَّات فلم أستطعْ منك شيئاً ، وقد بدَا لي أن أصادقَك ، ولا آتيكَ في صلاتك بعدَ اليوم . فقال له العابد : لا يومَ خوَّفَتني خفتُك ، ولا اليومَ بي حاجةٌ في مصادقتِك . قال : سَلْني عمَّا شئت أخبِرْك . قال : فما عسيتَ أنْ أسألك ؟ قال : ألا تسألُني عن مالِكَ ما فُعِل به بعدَك ؟ قال : لو أردتُ ذلك ما فارقتُه . قال : أفلا تسألُني عن أهلِكَ مَنْ ماتَ منهم ومَنْ بَقِي ؟ قال : أنا متُّ قبلَهم . قال أفلا تسألُني عمَّا أُضِلُّ به الناس ؟ قال : أنتَ أَضَلُّهم ؛ فأخبِرْني عن أوثقِ ما في نفسِك تُضلُّ به بني آدم ؟ قال : ثلاثةُ أخلاق : الشُّحّ ، والحِدَّة ، والسُّكْر ؛ فإنَّ الرجلَ إذا كان شحيحاً قلَّلْنا مالَهُ في عِينه ، ورغَّبْناه في أموال الناس ؛ وإذا كان حَديداً تداولناه بيننا كما يتداوَلُ الصبيانُ الكُرَة ؛ ولو كان يُحيي الموتى بدعوته لم نيأسْ منه ، وكلُّ ما يبنيهِ تَهْدِمُه لنا كلمةٌ واحدة ؛ وإذا سَكِرَ قُدْناهُ إلى كلِّ شرٍّ وفَضيحة ، وخِزْيٍ وهوَان ، كما تُقادُ القِطَّةُ إذا أُخذ بأذُنِها كيف شئنا (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٥١٨ ، ٥١٩) ؛ أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٢ ، ٥٣) .) .

وقال وهب : أصاب أيوبَ البلاءُ سبعَ سنين ، وتُرِك يوسفُ في السجن سبعَ سنين ، ومسخ بختنصر في السباع سبع سنين (كذا في (ق) ، وفي الحلية (٤/ ٥٣) : « وعذب بختنصر وحول في السباع سبع سنين » .) .

وسئل وهبٌ عن الدنانيرِ والدراهمِ فقال : هي خواتيمُ ربِّ العالمين في الأرضِ لِمَعايشِ بني آدم ، لا تُؤكل ولا تُشرب ، فأينما ذهبتَ بخاتمِ ربِّ العالمين قُضيَتْ حاجتُك . وهي أزِمَّةُ المنافقين ، بها يقادون إلى الشهوات (المصدر السابق .) .

وروى داود بن عمر الضبيّ ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن سِمَاك بن الفَضْل (في (ق) : « سماك بن المفضل » تصحيف ، والمثبت من الحلية ، وترجمته في التاريخ الكبير (٤/ ١٧٤) ، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤٩) .) ، عن وهب ، قال : مَثَلُ الذي يدعو بغيرِ عمَل ، مثل الذي يرمي بغيرِ وَتَرٍ .

وقال ابن المبارك (في كتابه الزهد ص(٧٢ ، ٧٣) .) : أخبرني عمر بن عبد الرحمن بن مهرب (وقع في الحلية : « عمر بن عبد الرحمن بن مهدي » وهو تصحيف ، وهو على الصواب في الزهد ، وترجمته في التاريخ الكبير (٦/ ١٧٣) ، والجرح والتعديل (٦/ ١٢١) ، ومشاهير علماء الأمصار ص(١٩٢) .) قال : سمعتُ وهباً يقول : قال حكيمٌ من الحكماء : إني لأستحي من الله عزَّ وجلَّ أن أعبُدَهُ رجاءَ ثوابِ الجنةِ فقط ، فأكون كالأجير السَّوْء ، إنْ أُعْطي عَمِل ، وإنْ لم يعطَ لم يعمل ؛ وإني لأستحي من الله أن أعبدَهُ مخافةَ النار فقط ، فأكونُ كالعبد السَّوْء ، إنْ رَهِبَ عَمِل ، وإنْ تُرك لم يعملْ ؛ وإني لَيستخرِج مني حُبُّ الله ما لا يستخرج مني غيرُه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٣ ، ٥٤) .) .

وقال السَّريُّ بن يحيى : كتب وَهْبٌ إلى مكحول : إنك قد أصبتَ بما ظهر من علم الإسلام عند الناس محبةً وقال=

. . . .

= وشرفاً ، فاطلب بما بطن من علم الإنسان (كذا في (ق) ، وفي الحلية : « من علم الإسلام » .) عند الله محبةً وزُلْفَى ، واعلمْ أنَّ إحدى المحبَّتَيْن تمنعُ الأخرى . أو قال : سوف تمنعُك الأخرى (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٤) .) .

وقال زافر بن سليمان : عن أبي سنان الشيباني ، قال : بلغَنا أنَّ وهبَ بن منبِّه قال : قال لقمانُ لابنه : يا بني ، اتخذْ طاعةَ الله تجارةً تزيدُ بها ربحَ الدنيا والآخرة ، والإيمانَ سفينتَك التي تحملُ عليها ، والتوكُّلَ على الله شراعَها ، والدنيا بحرَك ، والأيامَ موجَك ، والأعمالَ الصالحةَ تجارتَكَ التي ترجو رِبْحَها ؛ والنافلةَ هديَّتَك التي ترجو بها كرامتَك ، والحِرْصَ عليها [الرِّيحَ التي] تُسيِّرُها وتُزْجيها ، ورَدَّ النفسِ عن هواها مراسِيهَا ، والموتَ ساحلَها ، والله مَالِكها وإليه مصيرُها . وأحبُّ التجار إلى الله وأفضلُهم وأقربُهم منه أكثرُهم بضاعةً ، وأصفاهم نيةً ، وأخلصهمْ هديةً ، وأبغَضُهم إليه أقلُّهم بضاعةً وأردَؤهم هديةً وأخبَثُهم طويةً ؛ فكلَّما حسَّنْتَ تجارتَك ازدادَ رِبْحُك ؛ وكلَّما خلصَتْ هديتُك تُكْرَم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٤) ، وما بين معقوفين منه .) .

وفي رواية عنه أنه قال : قال لقمانُ لابنِه : يا بُنيَّ ، اتخذْ طاعةَ الله بضاعةً تأتِك الأرباحُ من كلِّ مكان ، واجعلْ سفينتَكَ تقوى الله ، وحشوَها التوكُّلَ على الله ، وشراعَها الإيمان بالله ، وبحرَك العِلْم النافع ، والعمل الصالح ، لعلَّكَ أنْ تنجو ، وما أراك بناجٍ (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(١٩٠) بنحوه .) .

وقال عبد الله بن المبارك (في كتابه الزهد ص(١٩) برقم (٥٦) .) : عن رباح بن زيد ، عن رجل ، قال : إنَّ للعلمِ طُغياناً كطغيانِ المال .

وقال الطبراني : حدّثنا عبيد بن محمد الصنعاني ، حدّثنا أبو قدامة همام بن مسلمة بن عقبة ، حدّثنا غوثُ بن جابر ، حدّثنا عقيل بن منبِّه قال : سمعتُ عمِّي وهبَ بن منبِّه يقول : الأجرُ من الله عزَّ وجلَّ معروض ، ولكنْ لا يستوجبُهُ منْ لا يعمَل ، ولا يَجدُهُ من لا يَبتغيه ، ولا يُبصِرهُ من لا ينظرُ إليه ، وطاعةُ الله قريبةٌ ممّنْ يرغبُ فيها ، بعيدةٌ ممن زَهِدَ فيها ، ومنْ يحرِصْ عليها يَصِلْ إليها ، ومنْ لا يُحبُّها لا يَجِدُها ، لا تسبقُ منْ سعى إليها ، ولا يُدْركُها منْ أبطأَ عنها ، وطاعةُ الله تُشرِّفُ منْ أكرَمَها وتُهينُ مَنْ أضاعها ، وكتابُ الله يدُلُّ عليها ، والإيمان بالله يَحُضُّ عليها (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٤) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إبراهيم بنُ خالد ، حدّثنا عمر بن عبد الرحمن ، سمعت وهب بن منبِّه يقول : قال داود عليه السلام : يا رب ، أيُّ عبادِكَ أحبُّ إليك ؟ قال : مؤمنٌ حسنُ الصورة ، حسَنُ العمَل . قال : يا ربّ ، أيُّ عبادِك أبغضُ إليك ؟ قال : كافرٌ حسنُ الصورة ، كفَرَ أو شَكَر ، هذان (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٥) ، وروايته : « كفر هذا وشكر هذا » .) .

وفي روايةٍ ذكرها أحمد بن حنبل : أيُّ عبادك أبغضُ إليك ؟ قال : عبدٌ استخارَني في أمرٍ فخرتُ له ، فلم يرضَ به (المصدر السابق .) .

وقال إبراهيم بن الجُنيد : حدّثني إبراهيم بن سعيد ، عن عبد المنعم بن إدريس ، حدّثنا عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبِّه ، قال : كان سائحٌ يعبدُ الله تعالى ، فجاءه إبليسٌ أو شيطانٌ فتمثَّلَ بإنسان ، فجعل يُريه أنه يعبدُ الله تعالى ، وجعل يزيدُ عليه في العبادة ، فأحبَّه ذلك السائح ، لِمَا رأى من اجتهادِهِ وعبادتِه ، فقال له الشيطان والسائحُ في مصلاَّه : لو دخلنا إلى المدينة فخالَطْنا الناس ، وصبَرْنا على أذاهم ، وأمَرْنا ونَهَيْنا ، كان أعظمَ لأجرِنا . فأجابَهُ السائحُ إلى ذلك ، فلما أخرج السائح إحدى رجلَيْه من بابِ مكانِهِ لينطلقَ معه هَتفَ به هاتف فقال : =

. . . .

= إنَّ هذا شيطانٌ أرادَ أن يَفتِنَك . فقال السائح : رِجْلٌ خرجَتْ في معصيةِ الله وطاعةِ الشيطان لا تَدخُلُ معي . فما حوَّلها من موضعها ذلك حتى فارقَ الدنيا ، فأنزل الله تعالى ذِكرَه في بعضِ كتبهِ فقال : وذو الرِّجْل (المصدر السابق .) .

وقال وهب : أتى رجلٌ من أهلِ زمانهِ إلى مَلِكٍ كان يَفتِنُ الناسَ على أكلِ لحم الخِنْزير ، فأعظمَ الناسُ مكانَه ، وهالَهُمْ أمرُه ، فقال له صاحبُ شُرْطَةِ الملِكِ سِرّاً بينه وبينه : أيها العالم ، اذبَحْ جَدْياً مما يَحلُّ لك أكلُه ، ثم ادفعْهُ إليَّ أصنعه لك على حِدَتِه ؛ فإذا دَعَا المَلِكُ بلحم الخِنْزير أمرتُ به فوُضع بين يديك ، فتأكلُ منه حلالاً ويَرَى المِلكُ والناسُ أنك إنما أكلتَ لحمَ الخِنْزير . فذبح ذلك العالِمُ جَدْياً ثم دفعه إلى صاحبِ الشرطة ، فصنعه له ، وأمر الطبَّاخين إذا أمَرَ المِلكُ بأنْ يُقدَّمَ إلى هذا العالم لحم الخِنْزير أنْ يضَعوا بين يدَيْهِ لحمَ هذا الجَدْي ؛ واجتمع الناسُ لينظروا أمْرَ هذا العالِم فيه ، أيأكلُ أم لا ؟ وقالوا : إنْ أكَلَ أكَلْنا ، وإن امتنعَ امتنعْنَا . فجاء الملك فدعا لهم بلحومِ الخنازير فوُضعت بين أيديهم ، ووضع بين يدي ذلك العالِم لحمُ ذلك الجَدْي الحلال المُذَكَّى ، فألهمَ الله ذلك العالم ، فأُلقِيَ في رُوْعِه وفكرِه فقال : هَبْ أني أكلتُ لحمَ الجدي الذي أعلم حِلَّه أنا ، فماذا أصنعُ بِمَن لا يعلم ، والناسُ إنما ينتظرونَ أكْلي ليقتدوا بي وهم لا يعلمون إلا أني إنما أكلتُ لحمَ الخِنْزير ، فيأكلونَ اقتداءً بي ، فأكونُ مِمنْ يحمِلُ أوزارَهم يومَ القيامة ؛ لا أفعلُ واللهِ ، وإنْ قُتلت وحُرِّقتُ بالنار . وأبى أن يأكل ، فجعلَ صاحبُ الشرطةِ يَغمزُ إليه ويُومي إليه ويأمرُه بأكلِه ، أيْ إنما هو لحمُ الجَدْي ؛ فأبَى أن يأكل ، ثم أمرَهُ الملكُ أنْ يأكلَ فأبى ، فألَحُّوا عليه ، فأبى ، فأمر الملكُ صاحبَ الشرطةِ بقَتْلِه ، فلما ذهبوا بهِ ليقتلُوه قالَ له صاحبُ الشرطة : ما منعكَ أنْ تأكلَ من اللحم الذي ذَكَّيْتَهُ أنتَ ودفعتَه إليّ ؟ أظننتَ أني أتيتُكَ بغيره وخُنْتُكَ فيما ائتمنتني عليه ؟ ما كنتُ لأفعلَ واللهِ . فقال له العالم : قد علمتُ أنه هو ولكنْ خفتُ أنْ يتأسَّى الناسُ بي ، وهم إنما ينتظرونَ أكْلي منه ، ولا يعلمون إلاَّ أني إنما أكلتُ لحمَ الخِنْزير ، وكذلك كلُّ منْ أُريد على أكلِه فيما يأتي من الزمان يقول : قد أكلَهُ فلان ، فأكونُ فتنةً لهم . فقُتل رَحِمَهُ الله (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٥ ، ٥٦) .) .

فينبغي للعالمِ أنْ يحذرَ المعايب ، ويجتنبَ المحذورات ، فإنَّ زلَّتَهُ وناقِصَتهُ مَنْظورةٌ يَقتدي بها الجاهل .

وقال معاذ بن جَبَل : اتقوا زَيْغَة الحكيم (ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٤٩٥) ضمن كلام لمعاذ . وابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ص(٢٥٣) ، وبعده : « فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالةِ على لسان الحكيم » .) .

وقال غيرُه : اتقوا زَلَّةَ العالم فإنه إذا زَلَّ زَلَّ بزَلَّتِهِ عالَم كثير (أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٥٢٠) معزوّاً لعيسى صلوات الله عليه .) .

ولا ينبغي له أن يستهينَ بالزَّلَّةِ وإنْ صَغُرَتْ ، ولا يفعلُ الرُّخَصَ التي اختلفَ فيه العلماء ، فإنَّ العالِمَ هو عَصَاةُ كلِّ أعمى من العوام ، بها يصولُ على الحق ليَدْحَضهُ ويقول : رأيتُ فلاناً العالم وفلاناً وفلاناً يفعلونَ ويفعلون .

وَلْيَجْتَنبِ العوائدَ النفسية ، فإنَّهُ قد يفعلُ أشيـاءَ على حُكمِ العادة ، فيظنُّها الجاهلُ جائزةً أو سنةً أو واجبة ، كما قيل : سَلِ العالم يَصْدُقْكَ ، ولا تقتدِ بفعلِهِ الغريب ، ولكنْ سَلْه عنه يَصْدُقْكَ إنْ كان ذا دِين . وكم أفسدَ النظرُ إلى غالبِ علماءِ زمانِكَ هذا من خَلْق . فما الظنُّ بمخالطتهِمْ ومجالستِهِمْ ، ولكنْ ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] .

وقال محمد بن عبد الملك بن زَنْجَوَيْه : حدّثنا عبد الرزاق عن أبيه ، قال : قلت لوهب بن منبّه : كنتَ ترى =

. . . .

= الرؤيا فتخبرنا بها ، فلا نلبَثُ أن نراها كما رأيتها ؟ قال : ذهب ذلك عني منذُ وَليتُ القضاء . قال عبد الرزاق : فحدثت به مَعْمَراً فقال : والحسنُ بعدَ مَا وَليَ القضاءَ لم يحمَدُوا فهمَه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٦) .) .

فمَنْ يأمنُ القراءَ بعدَكَ يا شَهْرُ

(هذا عجز بيت قاله أحدهم لشهر بن حوشب ، من كتب الزيادة هنا هو الذي ساقه ، وأصله : أنه روى يحيى بن أبي بكير الكرماني عن أبيه قال : كان شهر بن حَوْشَب على بيتِ المال ، فأخذ خَريطةً فيها دراهم ، فقيل فيه :

لقد باع شهرٌ دينَهُ بخَريطةٍ ... فمَنْ يأمَنِ القُرّاءَ بعدَكَ يا شَهْرُ

أخذتَ بها شيئاً طفيفاً وبعتَهُ ... من ابنِ جريرٍ إنَّ هذا هو الغَدْرُ

قال الذهبي : قلت إسنادها منقطع ولعلها وقعتْ وتابَ منها أو أخذها متأولاً أن له في بيت مال المسلمين حقاً نسأل الله الصفح . سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٥) ، وهو بتحقيقي . وانظر ما سيأتي في ترجمة حوشب ص(٣٠٤) .)

فكيف حالُ مَنْ قد غرق في قاذوراتِ الدُّنيا من علماء زمانكَ هذا ! ولا سيما من بعدِ فتنةِ تيمورلنك ، فإنَّ القلوبَ قد امتلأتْ بحبِّ الدنيا فلا يجد العلمُ فيها مَوْضِعاً ، فجالِسْ مَنْ شئتَ منهم لتنظر مبادىء مجالستهم وغاياتها ولا تستخفك البَدَوات ، فإنما الأمورُ بعواقبها وخواتيمِها ونتائجِها وغاياتها . ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق : ٢ و٣] .

وقال وهب : البلاءُ للمؤمن كالشِّكَالِ للدَّابّة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٦) ، والشكال : الحبل الذي تُشدُّ به قوائم الدابة . اللسان (شكل) .) .

وقال أبو بلال الأشعري : عن أبي هشام (في (ق) : « عن أبي شهاب » تصحيف والمثبت من الحلية ، ومما سبق من هذا الإسناد ، وترجمته في الجرح والتعديل (٢/ ١٨٧) ، وهو إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه أبو هشام الصنعاني .) الصنعاني ، عن عبد الصمد ، عن وهب ، قال : مَنْ أُصيب بشيءٍ من البلاء فقد سُلك به طريقُ الأنبياء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٦) .) .

وقال عبدُ الله ابن الإمام أحمد بن حنبل : حدّثنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا منذر ، قال : سمعتُ وهباً يقول : قرأتُ في كتابِ رجلٍ من الحواريين : إذا سُلك بك طريقُ ـ أو قال : سبيل أهلِ البلاء ـ فطِبْ نفساً ، فقد سُلك بها طريقُ الأنبياء والصالحين (المصدر السابق .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أحمد بن جعفر ، حدّثنا إبراهيم بن خالد ، حدّثني أمية بن شبل ، عن عثمان بن يزدويه ، قال : كنتُ مَعَ وَهْب ، وسعيدِ بن جُبير يومَ عَرَفة تحتَ نَخيلِ ابنِ عامر ، فقال وهب لسعيد : يا أبا عبد الله كم لك منذُ خفتَ من الحجاج ؟ فقال : خرجتُ عن امرأتي وهي حامل ، فجاءني الذي في بطنِها وقد خرَجَ وجهُه (في (ق) : « خرج [شعر] وجهه » ، وهذه الزيادة لا داعي لها ، ومعنى خرج وجهه : أي خرج شعر وجهه وَبَقل . انظر اللسان (خرج) .) . فقال له وهب : إنَّ مَنْ كانَ قبلَكُمْ كان إذا أصابه بلاءٌ عَدَّهُ رخَاءً ، وإذا أصابه رخاءٌ عدَّهُ بلاءً (أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(٣٧٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٦ ، ٥٧ ، و٢٩٠) .) .

وروى عبد الله بن أحمد بسنده ، عن وهب ، قال : قرأتُ في بعضِ الكتب : ليس من عبادي مَنْ سَحَر أو سُحِرَ له ، أو تكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له ، أو تَطَيَّرَ أو تُطُيِّرَ له ، فمنْ كان كذلك ، فَلْيَدعُ غيري ، فإنما هو أنا ، وخَلْقي كلُّهمْ لي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٧) . وأخرج البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٤) برقم (١١٧٦) عن عبد الرزاق أنا معمر بن قتادة ، أن كعباً قال قال الله عزَّ وجلَّ : ليس من عبادي من سحر أو سحر له أو كهن أو كهن له=

. . . .

= أو تطير أو تطير له ، لكنْ من عبادي من آمن وتوكل علي .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إبراهيم بن خالد ، حدّثنا رباح ، عن جعفر بن محمد ، عن التيمي ، عن وهب ، أنه قال : دخولُ الجَمَلِ في سَمِّ الخياط أيْسَرُ من دخولِ الأغنياءِ الجنَّة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٧) .) .

قلت (القائل هنا هو الذي زاد في نسخة (ق) المطبوعة .) : هذا إنما هو لشدة الحساب ، وطول وقوف الأغنياء في الكُرَب ، كما قد ضُربت الأمثال للشدائد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبدُ الرزاق ، حدّثنا بكَّار ، قال : سمعتُ وهباً يقول : تَرْكُ المكافأةِ من التَّطْفِيفِ (أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص(١١١) برقم (٣٦٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٨) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا الحجاج وأبو النضر ، قالا : حدّثنا محمد بن طلحة ، عن محمد بن جُحادة ، عن وهب ، قال : من يتعبَّدْ يَزْدَدْ قوَّةً ، ومن يكسَلْ يَزْدَدْ فَتْرةً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٨) .) .

وقد قال غيره : إنَّ حوراء جاءته في المنام في ليلةٍ باردة فقالت له : قُمْ إلى صلاتِك ، فهي خيرٌ لك من نومةٍ توهنُ بدنَك . ورأيتُ في ذلك حديثاً لم يحضُرْني الآن وهذا أمرٌ مُجَرَّب ، إنَّ العبادة تنشِّطُ البدَن ، وتُلَيِّنُه وإن النومَ يُكسلُ البدَن فيُقَسِّيه ؛ وقد قال بعضُ السلف : لما تبع صِلَةَ بنَ أشْيَم حين دخل تلك الغيضة ، وأنه قام ليلتَه إلى أنْ أصبح قال : فأصبح كأنه باتَ على الحشايا ، وأصبحتُ ولي من الكَسَلِ والفُتور ما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ (انظر قصة صلة بن أشيم والذي تبعه زيد العبدي في شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ١٦٠ ، ١٦١) ، برقم (٣٢١١) .) .

وقد قيل للحسن : ما بالُ المتعبّدين أحسَنُ الناسِ وجوهاً ؟! قال : لأنهم خَلَوْا بالجليل ، فألبسَهُمْ نوراً من نورِه (ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/ ٤١٢) .) .

وقال يحيى بن أبي كثير : والله ما رجلٌ يَخْلو بأهلِه عَروساً أقرَّ ما كانتْ نفسُهُ وآنَسَ بأشدَّ سروراً منهم بمناجاةِ ربِّهم تعالى إذا خَلَوْا به .

وقال عطاء الخراساني : قيامُ الليلِ محْياةٌ للبدَن ، ونورٌ في القلب ، وضياءٌ في الوجه ، وقوّةٌ في البصرِ والأعضاءِ كلِّها . وإنَّ الرجلَ إذا قام بالليل أصبح فرحاً مسروراً ، وإذا نام عن حِزْبه أصبح حزيناً مكسورَ القلب ، كأنه قد فقَدَ شيئاً ، وقد فقد أعظمَ الأمور له نفعاً .

وقال ابنُ أبي الدنيا : حدّثنا أبو جعفر أحمد بن مَنِيع ، حدّثنا هاشم بن القاسم أبو النضر ، حدّثنا بكر بن حبيش ، عن محمد القرشي ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس الخَوْلاني ، عن بلال ، قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بقيامِ الليل فإنه دأبُ الصالحين قبلَكُمْ ؛ وإنَّ قيامَ الليلِ قُرْبَةٌ إلى الله تعالى ، ومَنْهاةٌ عن الإثم ، وتكفيرٌ عن السيئات ، ومَطْرَدَةٌ للشيطان عن الجسد » (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٢٧) برقم (٣٠٨٧) بنحوه ؛ وابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(٢٧٢) ، وفي إسناده ضعف .) .

وقد رواه غيره (أخرجه الترمذي (٣٥٤٩) في الدعوات عن رسولِ الله : باب في دعاء النبي ﷺ عن أبي إدريس الخولاني عن أبي أمامة بلفظ (عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وهو قرب إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة للإثم) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده ، وانظر (الإحياء) .) من طُرق « عليكم بقيام الليل ، فإنَّه دأب الصالحين قبلكم » . ويكفي في هذا الباب ما رواه أهل الصحيح والمسانيد عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « يَعْقدُ الشيطانُ على قافيةِ أحدِكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَد ، يَضرِبُ مكانَ كلِّ عُقْدةٍ : عليك ليلٌ =

. . . .

= طويلٌ فارْقُدْ ، فإذا استيقظَ وذَكَرَ الله انحَلَّتْ عُقْدة ، وإذا توضأ انحلتْ عُقدة ، فإنْ صلَّى انحلَّتْ عُقْدَة ، فأصبح نشيطاً طيِّبَ النفس ، وإلا أصبح خَبيثَ النفس كَسْلان » (أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٩١) في الجمعة : باب عقد الشيطان على قافية الرأس ، و(٣٠٩٦) في بدء الخلق : باب صفة إبليس وجنوده ؛ ومسلم (٧٧٦) في صلاة المسافرين : باب ما روي فيمن قام الليل ؛ والنسائي (١٦٠٧) في قيام الليل وتطوع النهار : باب الترغيب في قيام الليل ؛ وأبو داود (١٣٠٦) في الصلاة : باب قيام الليل ؛ وابن ماجه (١٣٢٩) في إقامة الصلاة والسنة فيها : باب ما جاء في قيام الليل ؛ والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٣ و٢٥٣) (٧٢٦٦ و٧٣٩٢) .) .

وهذا بابٌ واسع ، وقد قال هودٌ فيما أخبر الله عنه : ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [هود : ٥٠] ، ثم قال : ﴿ وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ ﴾ [هود : ٥٢] ، وهذه القوة تشمَلُ جميعَ القوى ، فيزيدُ الله عابديهِ قوةً في إيمانِهم ويقينهم ودينِهم وتوكلِهم ، وغيرِ ذلك مما هو من جنسِ ذلك ؛ ويزِدْهُمْ قوةً في أسماعِهم وأبصارِهم وأجسادِهم وأموالِهم وأولادِهم وغيرِ ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إسماعيل بن عبدِ الكريم ، حدّثني عبد الصمد ، أنه سمع وهباً يقول : تصدَّقْ صدقةَ رجلٍ يعلمُ أنه إنما قدَّمَ بين يديهِ مالَه ، وما خلَّف مالَ غيرِه .

قلت : وهذا كما في الحديث : « أيُّكُمْ مالُ وارثِهِ أحبُّ إليه من مالِه » ؟ فقالوا : كُلُّنا مالُه أحبُّ إليه من مال وارثِه . فقال : « إنَّ مالَهُ ما قدَّم ، ومالَ وارِثِهِ ما أخَّر » (أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود (٦٠٧٧) في الرقاق : باب ما قدم من ماله فهو له ؛ والنسائي (٣٦١٢) في الوصايا : باب الكراهية في تأخير الوصية ؛ والإمام أحمد في المسند (١/ ٣٨٣) (٣٦١٩) .) .

قال : وسمعتُ وَهْباً على المنبرِ يقول : احفظوا عني ثلاثاً : إياكم وهوًى متَّبَعاً ، وقريبَ سَوْء ، وإعجابَ المرءِ بنفسِه .

وقد رُوِيَتْ هذه الألفاظُ في حديث (ولفظه « ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوىً مُتَّبع ، وإعجاب المرء بنفسه » رواه الطبراني في الأوسط وغيره ، من حديث أنس وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يونس بن عبد الصمد بن مَعْقِل ، حدّثنا إبراهيم بن الحجَّاج ، قال : سمعتُ وهباً يقول : أحبُّ بني آدمَ إلى الشيطان النؤومُ الأكول (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٨) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا غوث بن جابر ، حدّثنا عمران بن عبد الرحمن أبو الهذيل ، أنه سمع وهباً يقول : إنَّ الله عزَّ وجلَّ يحفظُ بالعبدِ الصالح القَبِيلَ (في (ق) : « القيل » ، وهو تصحيف ، والمثبت من الحلية (٤/ ٥٨) .) من الناس .

وقال أحمد أيضاً : حدّثنا إبراهيم بن عقيل ، حدّثنا عمران أبو الهذيل ـ من الأبناء ـ عن وهب بن منبِّه ، قال : ليس من الآدميين أحدٌ إلا ومعه شيطانٌ مُوَكَّلٌ به ؛ فأمَّا الكافرُ فيأكلُ معه ، ويشرب معه ، وينام معه على فراشه ؛ وأمَّا المؤمنُ فهو مجانبٌ له ينتظرُ متى يُصيبُ منه غَفْلَةً أو غِرَّةً ؛ وأحبُّ الآدميِّين إلى الشيطان الأكول النؤوم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٨ ، ٥٩) .) .

وقال محمد بن غالب : حدّثنا أبو المعتمر ابن أخي بشر بن منصور ، عن داودَ بن أبي هند ، عن وهب ، قال : قرأتُ في بعضِ الكتب التي أُنزلتْ من السماء على بعضِ الأنبياء ، أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : أتدري لِمَ اتخذتُكَ خليلاً ؟ قال : لا يا رب . قال : لِذُلِّ مَقَامِكَ بين يدي في الصلاة (أخرجه أبو نعيم في الحلية =

. . . .

= (٤/٥٩) .) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا محمد بن أيوب ، حدّثنا أبو بكر بن عياش ، عن إدريس بن وَهْب بن مُنَبّه ، قال : حدّثني أبي قال : كان لسليمانَ بنِ داود ألفُ بيت ، أعلاهُ قوارير ، وأسفله حديد ، فركبَ الرِّيح يوماً ، فمرَّ بحرَّاث ، فنظر إليه الحراث فاستعظم ما أوتي سليمانُ من الملْكِ ! فقال : لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً ، فحملتِ الريحُ كلام الحرَّاث ، فألقته في أُذنِ سليمان ، قال : فأمر الريحَ فوقفَتْ ؛ ثم نزل يمشي حتى أتى الحرَّاث ، فقال له : إني قد سمعتُ قولك ، وإنما مشَيْتُ إليك لئلا تتمنَّى ما لا تقدِرُ عليه مما أقدَرَني اللهُ عليه تفضُّلاً وإحساناً منه عليّ ، لأنه هو الذي أقامني لهذا وأعانني . ثم قال : والله لَتَسْبيحةٌ واحدةٌ يَقْبَلُها الله عزَّ وجلَّ منكَ أو منْ مؤمنٍ خيرٌ ممَّا أُوتيَ آلُ داودَ من الملك ، لأنَّ ما أُوتِيَ آلُ داودَ من مُلكِ الدنيا يَفْنَى ، والتسبيحةُ تَبْقى ؛ وما يَبْقى خيرٌ مما يَفْنَى . فقال الحرَّاث : أذهبَ الله همَّكَ كما أذهبتَ همِّي (المصدر السابق .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إبراهيم بن عَقيل بن مَعْقِل ، حدّثني أبي ، عن وهب بن منبّه ، قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ أعطى موسى عليه السلام نوراً ، فقال له هارون : هَبْهُ لي يا أخي . فوهبَهُ له . فأعطاهُ هارونُ ابنَيْه ، وكان في بيت المقدس آنيةٌ تُعظِّمُها الأنبياءُ والملوك ، فكان ابنا هارونَ يسقيان في تلك الآنية الخمر ، فنزلَتْ نارٌ من السماء فاختطفَتِ ابنَيْ هارون ، فصَعِدَتْ بهما ، ففَزِعَ هارونُ لذلك ، فقام مستغيثاً متوجِّهاً بوجهه إلى السماء بالدعاءِ والتضرُّع ، فأوحى الله إليه : يا هارون ، هكذا أفعل بمَنْ عصاني من أهلِ طاعتي ، فكيف فعلي بمَنْ عصاني من أهلِ معصيتي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٥٩) .) ؟ .

وقال الحكمُ بن أبان : نزلَ بي ضيفٌ من أهلِ صنعاء فقال : سمعتُ وَهْبَ بن منبّه يقول : إن لله عزَّ وجلَّ في السماء السابعة داراً يُقال لها البيضاء ، يَجْمعُ فيها أرواحَ المؤمنين ، فإذا ماتَ الميتُ من أهلِ الدنيا تَلَقَّتْهُ الأرواح ، فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسألُ الغائبَ أهلُهُ إذا قَدِم عليهم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٠) .) .

وقال : من جعل شهوتَهُ تحتَ قدمِه فَزِعَ الشيطانُ من ظِلِّه ؛ ومَنْ غلب علمُهُ هواه فذلك العالِم الغلاَّب (المصدر السابق .) .

وقال فُضيل بن عِيَاض : [قال وهب بن منبِّه] : أوحى الله تعالى إلى بعضِ أنبيائه : بعيني ما يتحمَّلُ المتحمِّلون من أجلي ، وما يكابدون في طلبِ مرضاتي ؛ فكيف بهم إذا صاروا إلى داري ؟ وتَبَحْبَحُوا في رياضِ نعمتي ! هنالك فَلْيُبَشَّرِ المضعِفُون لله أعمالَهم بالنظرِ العَجيب من الحبيبِ القريب ؛ أتُراني أنسَى لهم عملاً ، وكيف وأنا ذو الفَضْلِ العظيم ؟! أجودُ على المُوَلِّينَ الْمُعْرِضينَ عني ، فكيف بالمُقْبلينَ عليّ ؟ وما غضِبتُ على شيءٍ كغضَبي على مَنْ أخطأ خطيئةً فاستعظمَها في جَنْبِ عَفْوي ، ولو تعاجَلْتُ بالعقوبة أحداً أو كانتِ العجلةُ من شأني لعاجلتُ القانِطينَ من رحمتي ؛ ولو رآني عبادي المؤمنين كيف أستوهبُهم ممن اعتدَوا عليه ، ثم أحكمُ لِمَنْ وهبَهم بالخُلد المقيم ، [لَمَا] اتهموا فَضْلي وكرمي ! أنا الديَّانُ الذي لا تحلُّ معصيتي ، والذي أطاعني أطاعني برحمتي ، ولا حاجة لي بهوانِ منْ خاف مقامي ؛ ولو رآني عبادي يومَ القيامةِ كيف أرفعُ قصوراً تحارُ فيها الأبصار ، فيسألوني لِمَنْ ذا ؟ فأقول : لِمَنْ وَهَبَ لي ذنباً ما لم يُوجبْ على نفسِه معصيتي والقنوطَ من رحمتي ، وإني مكافئٌ على المدح فامدحوني (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٠ ، ٦١) ، وبرواية أخرى في (١٠/ ٨١) .) .

وقال سلمة بن شبيب : حدّثنا سلمة بن عاصم ، حدّثنا عبد الله بن محمد بن عقبة ، حدّثنا عبد الرحمن أبو طالوت ، حدّثني مهاجر الأسدي ، عن وَهْب ، قال : مرَّ عيسى بنُ مريم ومعه الحواريُّون بقريةٍ قد مات أهلُها ، =

. . . .

= إنسُها وجنُّها وهوامُّها وأنعامُها وطيورُها ، فقام عليها ينظرُ إليها ساعةً ، ثم أقبلَ على أصحابِه فقال : إنما ماتَ هؤلاءِ بعذابٍ من عندِ الله ، ولولا ذلك لماتوا متفرِّقين . ثم ناداهم عيسى : يا أهلَ القرية ؛ فأجابه مُجيب : لبيكَ يا روحَ الله . فقال : ما كانتْ جنايَتُكم وسبَبُ هلاكِكُمْ ؟ قال : عبادةُ الطاغوت ، وحبُّ الدنيا . قال : وما كانتْ عبادتُكم للطاغوت ؟ قال : طاعة أهل المعاصي هي عبادة الطاغوت . قال : وما كان حُبُّكم للدنيا ؟ قال : كحبِّ الصبيِّ لأمِّه ، كنا إذا أقبلتْ فرِحْنا ، وإذا أدبرتْ حَزِنًا معَ أملٍ بعيد ، وإدبارٍ عن طاعةِ الله ، وإقبالٍ على مَسَاخِطِه . قال : فكيف كان هلاكُكُمْ ؟ قال : بِتْنا ليلةً في عافية ، وأصبحنا في هاوية . قال : وما الهاوية ؟ قال : سِجِّين . قال : وما السِّجِّين ؟ قال : جَمْرةٌ من نارٍ مثلُ أطباقِ الدنيا كُلِّها ، دُفِنَتْ أرواحُنا فيها . قال : فما بالُ أصحابِك لا يتكلَّمون ؟ قال : لا يستطيعونَ أن يتكلَّموا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : هم مُلْجَمون بِلُجُمٍ من نار . قال : وكيف كلَّمْتَني أنتَ من بينهم ؟ قال : كنتُ فيهم لَمّا أصابهم العذاب ، ولم أكنْ منهم ولا على أعمالِهم ، فلمَّا جاء البلاءُ عَمَّني معهم وأنا مُعلَّقٌ بشعرةٍ في الهاوية ، لا أدري أكردَسُ فيها أم أنجو ؟ فقال : عيسى عليه السلام عند ذلك لأصحابه : بحقٍّ أقولُ لكم ، لخُبزُ الشعير ، [و] شُربُ الماءِ القَرَاح ، والنومُ على المزابل ، كثيرٌ على عافيةِ الدنيا والآخرة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦١ ، ٦٢) .) .

وروى الطبراني عنه ، أنه قال : لا يكونُ المرءُ حكيماً حتى يطيعَ اللهَ عزَّ وجلَّ ، وما عصى اللهَ حكيمٌ ، ولا يَعصي اللهَ إلاَّ أحمق ، وكما لا يكمُلُ النهارُ إلا بالشمس ، ولا يعرفُ الليلُ إلا كذلك لا تكملُ الحكمة إلا بطاعة الله عزَّ وجلَّ ، ولا يعصي الله حكيمٌ ، كما لا يطيرُ الطيرُ إلا بجناحَيْن ، ولا يستطيعُ منْ لا جناحَ له أنْ يطير ، كذلك لا يطيعُ الله منْ لا يعملُ له ، ولا يُطيق عملَ اللهِ منْ لا يُطيعه ، وكما لا مُكْثَ للنار في الماء حتى تُطفأ ، كذلك لا مُكثَ لعمَلِ الرِّياء حتى يبور ، وكما يُبدي سرَّ الزانيةِ وفضيحتَها فعلُها ، كذلك يُفتضَحُ بالفعلِ السيِّئِ منْ كان يُقِرُّ لِجليسِه بالقولِ الحسن ولم يعملْ به (في الحلية : « يغر الجليس بالقول الحسن إذا قال ما لا يفعل » .) ، وكما تكذبُ معذرةُ السارقِ بالسرقةِ إذا ظهرَ عليها عندَه ، كذلك تكذِبُ معصيةُ القارئِ لله قراءتَه إذا كان يقرؤها لغيرِ الله تعالى (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٢) .) .

وقال الطبراني : حدّثنا محمد بن النضر ، حدّثنا علي بن بحر بن برِّي ، حدّثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدّثنا عبدُ الصمد بن مَعْقِل ، قال : سمعتُ وَهْباً يقولُ في مزاميرِ آلِ داود : طُوبَى لِمنْ يسلك سبيلَ الحطَّابين ، ولا يجالس البطَّالين ، وطوبى لِمَنْ يسلُكُ طريقَ الأئمة ، ويستقيمُ على عبادةِ ربِّه ؛ فمثَلُه كمثَلِ شجرةٍ نابتةٍ على ساقيةٍ لا تزالُ فيها الحياة ، ولا تزالُ خضراء (المصدر السابق .) .

وروى الطبراني أيضاً عنه ، قال : إذا قامتِ الساعةُ صرَخَتِ الحجارةُ صُراخَ النساء ، وقطَرَتِ العِضَاهُ دَماً (العِضاه : كلُّ شجرٍ له شوك ، مثل الطَّلْح والسَّلم والسَّمُر والسِّدر ، والخبر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٣) .) .

ورُوي عنه أنه قال : ما من شيءٍ إلا يَبدو صغيراً ثم يكبَر إلاّ المصيبة ، فإنها تبدو كَبيرةً ثم تصغُر (المصدر السابق .) .

ورُوي عنه أيضاً أنه قال : وقف سائلٌ على بابِ داودَ عليه السلام فقال : يا أهلَ بيتِ النبوَّة ، تصدَّقوا علينا بشيءٍ رزَقَكمُ الله رِزْقَ التاجرِ المقيمِ في أهله . فقال داود : أعْطُوه ، فو الذي نفسي بيدِه ، إنَّها لفي الزَّبُور (المصدر السابق .) . =

. . . .

= وقال : منْ عُرفَ بالكذب لم يَجُزْ صِدْقُه ؛ ومنْ عُرف بالصِّدْق اؤتُمنَ على حديث ؛ ومنْ أكثر الغِيبة والبغضاءَ لم يوثَقْ منهُ بالنَّصيحة ؛ ومنْ عُرف بالفُجور والخديعة لم يؤمنْ إليه في المِحْنة ؛ ومنِ انتحلَ فوقَ قدرِه جُحِدَ قدرُه . ولا تستحسِنْ فيكَ ما تستقبحُ في غيرِك (في الحلية (٤/ ٦٣) : « ولا يحسن فيه ما يقبح في غيره » .) .

هذه الآثارُ رواها الطبرانيُّ عنه من طُرق .

وروى داود بن عمرو ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، قال : قدم علينا وَهْبٌ مكة ، فطفِقَ لا يشربُ ولا يتوضأُ إلاَّ من زَمْزم ، فقيل له : ما لَكَ في الماء العذب ؟ فقال : ما أنا بالذي أشربُ وأتوضَّأُ إلاّ من زمزمَ حتى أخرجَ منها ؛ إنكم لا تدرونَ ما ماءُ زَمْزم ، والذي نفسي بيده ، إنها لفي كتاب الله : طَعَامُ طُعْم ، وشفاء سُقْم ، ولا يَعْمِدُ أحدٌ إليها يتضلَّع منها رِيّاً ابتغاءَ بركتِها إلا نَزَعتْ منه داءً وأحدثَتْ له شفاءً . وقال : النظرُ في زمزمَ عبادة . وقال : النظرُ فيها يحُطُّ الخطايا حطًّا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٣ ، ٦٤) .) .

وقال وهب : مُسخَ بُخْتَنَصَّرُ أسداً فكان مَلِكَ السِّبَاع ، ثم مُسخ نَسْراً فكان مَلِكَ الطيور ، ثم مُسخ ثوراً فكان مَلِكَ الدوابّ ، وهو في كلِّ ذلك يَعْقِلُ عَقْلَ الإنسان ؛ وكان مُلكُه قائماً يُدبَّر ، ثم رَدَّ الله عليهِ رُوحَهُ إلى حالةِ الإنسان ، فدعا إلى توحيدِ الله وقال : كلُّ إلَهٍ باطلٌ إلا إلَهَ السماء . فقيل له : أماتَ مؤمناً ؟ فقال : وجدتُ أهلَ الكتابِ قدِ اختلفوا فيه ، فقال بعضُهم : آمَنَ قبلَ أنْ يموتَ . وقال بعضهم : قَتَلَ الأنبياءَ وحرَّقَ الكتب ، وحرَّقَ بيتَ المقدِس ، فلم يُقْبَلْ منه التوبة (المصدر السابق (٤/ ٦٤) .) .

هكذا رواه الطبراني عن محمد بن أحمد بن الفرج ، عن عباس بن يزيد ، عن عبد الرزاق ، عن بكَّار بن عبد الله ، قال : سمعتُ وَهْبَ بن مُنبِّه يقول . . فذكره . .

وقال وَهْب : كان رجلٌ بمصر ، فسألهم ثلاثةَ أيام أن يُطعِموه فلم يُطعِموه ، فمات في اليوم الرابع ، فكفَّنوه ودفنوه ، فأصبحوا فوجدوا الكفَنَ في مِحرابِهم مكتوباً عليه : قتلتموه حَيّاً وبرَزْتُموهُ ميتاً . قال يحيى : فأنا رأيتُ القريةَ التي ماتَ فيها ذلك الرجل وما بِها أحدٌ إلا وله بيتُ ضِيافة ، لا غني ولا فقير (المصدر السابق .) .

هكذا رواه يحيى بن عبد الباقي ، عن علي بن الحسن عن عبد الله بن أخي وهب ، قال : حدّثني عمِّي وَهْب بن منبِّه . . فذكره . . قال : وأهلُ القرية يعترفونَ بذلك ؛ فمن ثَمَّ اتَّخذوا بيوتاً للضِّيفانِ والفقراء ، خوفاً من ذلك .

وقال عبد الرزاق : عن بكار ، عن وَهْب ، قال : إذا دخلَتِ الهديةُ من الباب خرجَ الحقُّ من الكُوَّة (المصدر السابق .) .

وقال إبراهيم بن الجنيد : حدّثنا إبراهيم بن سعيد ، عن عبد المنعم بن إدريس ، عن عبد الصمد ، عن وَهب بن منبِّه ، قال : مرَّ نبيٌّ من الأنبياء على عابدٍ في كهف جبل ، فمال إليه فسلَّم عليه وقال له : يا عبد الله ، منذُ كم أنت هاهنا ؟ قال : منذُ ثلاثِمئة سنة . قال : من أينَ معيشتك ؟ قال : من ورَقِ الشجر . قال : فمن أين شرابُك ؟ قال : من ماءِ العيون . قال : فأين تكونُ في الشتاء ؟ قال : تحت هذا الجبل . قال : فكيف صبرُك على العبادة ؟ قال : وكيف لا أصبر ؟ وإنما هو يومي إلى الليل ، وأما أمسِ فقد مضى بما فيه ، وأما غدٌ فلم يأتِ بعدُ . فعجب النبيُّ من قوله : إنما هو يومي إلى الليل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٥) .) .

وبهذا الإسناد أنَّ رجلاً من العُبَّاد قال لمعلِّمه : قطعتُ الهوَى ، فلستُ أهوى من الدنيا شيئاً . فقال له معلِّمهُ : أتفرِّقُ بين النساءِ والدوابِّ إذا رأيتهُنَّ معاً ؟ قال : نعم . قال : أتفرِّقُ بين الدنانير والدراهم والحصا ؟ قال : نعم . قال : يا بُني ، إنك لم تقطعِ الهوى عنك ، ولكنَّك قد أوثقته ، فاحذرِ انفلاتَه وانقلابَه (المصدر السابق .) . =

. . . .

= وقال غوث بن جابر بن غيلان بن مُنبِّه : حدثني عَقِيل بن مَعقِل ، عن وهب ، قال : اعمل في نواحي الدِّين لثلاث ، فإنَّ للدِّينِ نواحِي ثلاثاً ، هُنَّ جِمَاعُ الأعمالِ الصالحة لِمَن أرادَ جمعَ الصالحات : أولاهنَّ تعملُ شكراً للهِ على الأنعُم الكثيراتِ الغاديات الرائحاتِ الظاهراتِ الباطناتِ الحادثاتِ القديمات ، يعملُ المؤمنُ شكراً لهنّ ، ورجاءَ تَمَامِهنّ . والناحيةُ الثانيةُ من الدِّين رغبةٌ في الجنةِ التي ليس لها ثَمَن ، وليس لها مِثْلٌ ، ولايَزهَدُ فيها وفي العمَلِ لها إلا سفيه فاجر ، أو منافقٌ كافر . والناحيةُ الثالثةُ من الدِّين أن يعملَ المومنُ فِراراً من النارِ التي ليس لأحدٍ عليها صَبر ، ولا لأحدٍ بها طاقةٌ ولايدَان ، وليست مصيبتُها كالمصيبات ، ولا حُزنُ أهلِها كالأحزان ، نبَؤها عَظيم ، وشأنُها شديد ، والآخرةُ وحزنُها فظيع ، ولايَغفُلُ عن الفِرار والتعوُّذ بالله منها إلا سفيه أحمقُ خاسِر ، قد ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج : ١١] (المصدر السابق .) .

وقال إسحاق بنُ راهويه : حدثنا عبد الملك بن محمد الذِّمَارِي (في الأصل (ق) : (الدمادي) تصحيف ، والمثبت من التاريخ الكبير (١/ ٩٥) في ترجمة (٢٦١) محمد بن سعيد بن رمانة ، والمقتنى في سرد الكنى (٢/ ١٢٦) ، وتقريب التهذيب ص(٣٦٦) . ويقال فيه عبد الملك بن عبد الرحمن أيضاً .) قال : أخبرني محمد بن سعيد بن رمانة ، قال : أخبرني أبي ، قال : قيل لوَهب : أليس مِفتاحُ الجنةِ لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مِن مفتاحٍ إلا ولهُ أسنان ، فمن أتى الباب بمفتاحٍ بأسنانه فُتح له ، ومن لم يأتِ البابَ بمفتاحٍ بأسنانهِ لم يُفتَحْ له (أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٩٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٦) .) .

وقال محمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن مَعقِل ، أنه سمع وَهباً يقول : ركب ابنُ ملكٍ في جُند من قومه وهو شابٌّ ، فصُرع عن فرَسِه ، فدُقَّ عُنُقه ، فمات في أرضٍ قريبةٍ من القُرى ، فَغَضب أبوهُ وحَلَف أن يقتُل أهلَ تلك القرية عن آخرهم ، وأن يطأهم بالأفيال ، فما أبقتِ الأفيالُ وطِئتهُ الخيل ، فما أبقتِ الخيلُ وطِئتهُ الرجال . فتوجَّه إليهم بعد أن سقى الأفيالَ والخيل الخمرَ وقال : طؤوهُم بالأفيال ، وإلا فما أبقتِ الأفيالُ فَلتَطأهُ الخيل ، فما أخطأتهُ الخيل فَلتطأه الرجال ، فلما سمع بذلك أهلُ تلك القرية ، وعرَفوا أنه قصدَهم لذلك خرجوا بأجمعِهم ، فجأروا إلى الله سبحانه ، وعَجُّوا إليه وابتَهلوا يدعونَه تعالى ليَكشِف عنهم شَرَّ هذا الملك الظالم وما قَصَدَهُ من هلاكِهم ، فبينما الملكُ وجيشهُ سائرون على ذلك ، وأهل القريةِ في الابتهال والدعاء والتضرُّع إلى الله تعالى ، إذ نَزَلَ فارسٌ من السماء ، فوقع بينهم ، فنفرتِ الأفيال ، فطغت على الخيل ، وطغتِ الخيلُ على الرجال ، فقُتل الملك ، ومن معه وُطيء بالأفيالِ والخيل ، ونَجَّى الله أهلَ تلك القريةِ من بأسِهم وشَرِّهم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٦) .) .

وروى عبدُ الرزاق ، عن المنذر بن النعمان ، أنه سمع وهباً يقول : قال الله تعالى لصخرةِ بيت المقدس : لأضَعَنَّ عليكِ عرشي ، ولأحشُرَنَّ عليكِ خَلقي ، وليأتيَنَّك داودُ يومئذ راكباً (المصدر السابق .) .

وروى سِمَاكُ بن الفضل ، عن وهب ، قال : إني لأتفقَّدُ أخلاقي ، وما فيها شيءٌ يُعجِبُني (المصدر السابق .) .

وروى عبد الرزاق عن أبيه ، قال : قال وهب : رُبَّما صلَّيتُ الصُّبحَ بوضوءِ العَتَمة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٦ ، ٦٧) .) .

وقال بَقِيَّةُ بن الوليد : حدثنا ثور بن يزيد (في (ق) : (بقية بن الوليد حدثنا زيد بن خالد) ، وفي الحلية :(بقية بن الوليد عن زيد بن خالد بن معدان) . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من كتب الرجال .) ، عن خالد بن مَعدَان ، عن وهب ، قال : كان نُوحُ عليه السلام من أجملِ أهل زمانه ، وكان يلبس البُرقُع ، فأصابَهُم =

. . . .

= مجاعةٌ في السفينة ، فكان نوحٌ إذا تجَلَّى لهم شَبِعوا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٧) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٥١) .) .

وقال : قال عيسى : الحق أقولُ لكم : إن أشدَّكم جزعاً على المُصيبة أشدُّكم حُبّاً للدنيا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٧) .) .

وقال جعفر بن بُرقان : بلغنا أن وهباً كان يقول : طُوبى لِمن نظر في عيبهِ عن عَيب غيرهِ ، وطُوبى لمن تواضع لله من غيرِ مَسكنة ، ورحِم أهلَ الذُّل والمَسكنة ، وتصدَّق من مالٍ جَمَعَهُ من غيرِ مَعصية ، وجالسَ أهلَ العلمِ والحِلم والحكمة ، ووَسعَتْهُ السُّنَّة ، ولم يتعدَّها إلى البِدْعَة (المصدر السابق .) .

وروى سيَّار ، عن جعفر ، عن عبد الصمد بن مَعقِل ، عن وهب ، قال : وجدتُ في زَبُورِ داود : يا داود ، هل تدري من أسرَعُ الناسِ مَرّاً على الصّراط ؟ الذين يَرضَونَ بِحُكمي ، والسنتهم رَطْبَةٌ بذِكْري (المصدر السابق ، وتتمته فيه :(هل تدري أي الفقراء أفضل ؟ الذين يرضون بحكمي وبقسمي ويحمدونني على ما أنعمت عليهم ؛ هل تدري يا داود أي المؤمنين أعظم عندي منزلةً ؟ الذي هو بما أعطى أشدّ فرحاً منه بما حبس) .) .

وقيل : إنَّ عابداً عَبَدَ اللهَ تعالى خمسين سنة ، فأوحى الله إلى نبيِّهم : إني قد غفرتُ له ، فأخبَره ذلك النبيُّ فقال : أي ربّ ، وأيُّ ذنبٍ تغفرُ لي [ولم أذنب] ؟ فأمر عِرقاً في عُنقه فضَرَبَ عليه ، فلم يَنم ولم يهدأ ولم يصلِّ ليلَته ، ثم سكنَ العِرقُ ، فشكا ذلك إلى النبيِّ فقال : ما لاقيتُ من عرقٍ ضرَبَ علي في عُنقي ثم سكن ؟ فقال له النبي : إنَّ الله يقول : إنَّ عبادتَك خمسين سنة ما تَعدِلُ سكون هذا العِرْق (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٨) .) .

وقال وهب : رؤوس النعم ثلاثة : إحداها نعمة الإسلام التي لا تتمُّ نعمةٌ إلا بها ، والثانية نعمةُ العافية التي لا تطيبُ الحياةُ إلا بها ، والثالثة نعمةُ الغِنَى التي لا يتمُّ العيشُ إلَّا بها (المصدر السابق .) .

ومرَّ وهبٌ بِمُبتَلى أعمى ، مجذوم ، مُقعد ، عُريان ، به وَضَح ، وهو يقول : الحمد لله على نِعَمِه . فقال له رجلٌ كان مع وهب : أيُّ شيءٍ بَقِيَ عليكَ من النعمَة تحمدُ اللهَ عليه ؟ فقال المبتلى : أدِم بصرَكَ إلى أهل المدينةِ وانظر إلى كثرة أهلها ، أولا أحمد الله أنه ليس فيها أحدٌ يعرِفُه غيري (المصدر السابق .) .

وقال وهب : المؤمن يخالطُ لِيعلم ، ويَسكت ليسلَم ، ويتكَّلم ليفهَم ، ويخلو لِيَنْعَم (في الأصل (ق) : (ليفقههم ويخلو ليقيم) والمثبت من المصدر السابق .) .

وقال : المؤمن مُفكِّر مُذَكِّر مُدَّخِر ، تذكَّر فغلبتهُ السَّكينة ، سكنَ فتواضع فلم يُتَّهَم ، رفضَ الشهوات فصار حُرًّا ، ألقى عنه الحسدَ فظهرت له المحبَّة ، زهِدَ في كلِّ فانٍ فاستكمل العقل ، رغب في كلِّ باقٍ فعَقَل المعرفة ، قلبُه متعلِّق بهمِّه ، وهمُّهُ موكَّلٌ بِمَعَادِه ، لا يفرحُ إذا فرحَ أهلُ الدنيا ، بل حُزْنهُ عليه سَرمَد ، وفَرحُه إذا نامتِ العيونُ ، يتلو كتاب الله ويُرَدِّدُهُ على قلبه ، فمرَّةً يفرُغُ قلبُه ، ومرَّةً تدمَعُ عينُه ، يقطع عنه الليل بالتلاوة ، ويقطع عنه النهار بالخلوةِ والعزلة ، مفكِّراً في ذنوبه ، مستصغراً لأعمالِه (المصدر السابق .) .

وقال وهب : فهذا ينادى يومَ القيامة في ذلك الجمع العظيم على رؤوس الخلائق : قُم أيها الكريم ، فادخل الجنة .

وقال إبراهيم بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن مسعود ، عن ثور بن يزيد ، قال : قال وهبُ بن منبِّه : الويل لكم إذا سمَّاكمُ الناس صالحين ، وأكرموكم على ذلك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٩) .) .

وقال الطبراني : حدثنا عُبيد بن محمد الكشوري ، حدثنا همام بن سلمة بن عقبة ، حدثنا غوث بن جابر ، حدثنا=

. . . .

= عقيل بن مَعقل بن مُنبه ، قال : سمعتُ عمِّي وهب بن منبِّه يقول : يابُني ، أخلص طاعة الله بسريرةٍ ناصحة ، يَصدُق بها فعلُكَ في العلانية ، فإنَّ من فعلَ خيراً ثم أسَرَّهُ إلى الله فقد أصابَ مَوَاضعَه ، وأبلغهُ قراره ، ووضعهُ عند حافظه ، وإن من أسَرَّ عملاً صالحاً لم يَطَّلع عليه إلا الله ، فقد اطَّلَع عليه مَن هو حَسْبُه ، واستحفظه واستودعه حفيظاً لايُضيع أجره . فلا تخافَنَّ يا بُني على مَن عَمِل صالحاً أَسَرَّهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ضَيَاعاً ، ولاتخافنَّ ظُلمَهُ ولا هَضمَه ، ولا تظنَّنَّ أنَّ العلانية هي أنجح من السريرة ، فإن مثلَ العلانيةِ مع السريرة كمثَلِ ورق الشجر مع عِرقها ، العلانيةُ وَرَقُها والسريرةُ عِرْقُها (في الأصل : (والسريرة أصلها) المثبت من الحلية .) ، إن يُحرَقِ العِرق هلكت الشجرةُ كلُّها ، وإن صَلَحَ الأصلُ صلَحت الشجرةُ ثَمَرها وورَقُها ، والورقُ يأتي عليه حِينٌ يَجفُّ ويصيرُ هَبَاءً تَذروهُ الرياح ، بخلافِ العِرق فإنه لا يزالُ ما ظهرَ من الشجرة في خيرٍ وعافية ما كان عِرقُها مستخفياً لايُرى منه شيء ، كذلك الدِّين والعِلم والعمل ، لا يزالُ صالحاً ما كان له سريرةٌ صالحة ، يصدِّقُ الله بها علانية العبد ، فإنَّ العلانية تنفعُ مع السريرة الصالحة ، ولا تنفعُ العلانية مع السريرة الفاسدة ، كما ينفعُ عرق الشجرة صلاحُ فَرعِها ، وإن كان حياتُه من قِبَل عِرقِها ، فإنَّ فَرعَها زينتُها وجمالُها ، وإن كانت السريرةُ هي مِلاكُ الدِّين فإنَّ العلانية معها تُزيِّنُ الدِّين وتُجمِّلُهُ إذا عَمِلَها مؤمنٌ لا يريدُ بها إلا رضاءَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٦٩ ، ٧٠) .) .

وقال الهيثم بن جميل : حدثنا صالحٌ المُرِّيّ ، عن أبان ، عن وَهب ، قال : قرأتُ في الحكمة : الكُفرُ أربعةُ أركان ، رُكنٌ منه الغضَب ، وركنٌ منه الشهوة ، وركنٌ منه الطمع ، وركنٌ منه الخَوْف (الحلية (٤/ ٧٠) .) .

وقال : أوحى الله تعالى إلى موسى : إذا دعوتني فكن خائفاً مشفقاً وَجِلاً ، وعَفِّر خَدَّكَ بالتراب ، واسجُد لي بمكارمِ وجهك ويديك ، وسلني حين تسألني بخشيةٍ من قلبكَ ووَجَل . واخشَنِي أيامَ الحياة ، وعلِّمِ الجُهَّالَ آلائي ، وقل لعبادي لا يتمادَوا في غيٍّ ما هُم فيه ، فإنَّ أخذي أليمٌ شَدِيد (المصدر السابق .) .

وقال وهب : إذا هَمَّ الوالي بالجَور ، أو عَمِل به ، دخل النقصُ على أهلِ مملكته ، وقلَّتِ البركاتُ في التجارات والزراعاتِ والضروعِ والمواشي ، ودخلَ المَحقُ في ذلك ، وأدخل الله عليه الذُلَّ في ذاته وفي مُلكه ، وإذا هَمَّ بالعدلِ والخير كان عكس ذلك من كثرةِ الخير ، ونُموِّ البركات .

وقال وهب : كان في مصحف (كذا في (ق) ، وفي مصادر التخريج (صحف) ، وهو أشبه بالصواب .) إبراهيم عليه السلام : أيها المَلِك المبتلَى إني لم أبعثكَ لتجمعَ الدنيا بعضها على بعض ، ولا لتَبنيَ البنيان ، وإنَّما بعثتُكَ لترفعَ لي دعوةَ المظلوم ، فإني لا أرُدُّها ولو كانت من كافر (وقد جاء هذا المعنى في حديث مرفوع رواه أحمد في المسند (٣/ ١٥٣) من حديث أنس بلفظ « اتقوا دعوة المظلوم ، وإن كان كافراً ، فإنه ليس دونها حجاب » وفي إسناده ضعف .) .

وروى ابنُ أبي الدنيا عن محمد بن إسحاق ، عن وهب بن منبِّه ، أنَّ ذا القرنين قال لبعض الملوك : ما بالُ مِلَّتِكم واحدة ، وطريقتُكم مستقيمة ؟ قال : من قِبَلِ أنَّا لا نُخَادِعُ ولا يغتابُ بعضُنا بعضاً .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه ، أنه قال : ثلاثٌ من كُنَّ فيه أصاب البِرّ ، سخاوةُ النفس ، والصبرُ على الأذى ، وطِيبُ الكلام (أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٤٧) .) .

وقال ابنُ أبي الدنيا (في كتابه الصمت ص(٣١١) .) : حدثني سلمة بن شبيب ، حدثنا سهل بن عاصم بن سلمة بن ميمون ، عن المعافى بن عمران ، عن إدريس ، قال : سمعتُ وهباً يقول : كان في بني إسرائيل رجلان ، بلغَت بهما عبادتُهما أنَّهما مشيَا على الماء ، فبينما هما يمشيان على البحر ، إذا هما برجلٍ يمشي في الهواء ، فقالا =

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومئة

ففيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفةَ اليسرى[1] ، وغزا سعيدُ بن هشام الصائفةَ

= له : يا عبد الله ، بأيِّ شيءٍ أدركتَ هذه المنْزلة ؟ قال : بيسيرٍ من البرِّ فعلْتُه ، ويسيرٍ من الشرِّ تركتُه ، فَطَمْتُ نفسي عن الشهوات ، وكففتُ لِساني عمّا لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني إليه خالقي ، ولزِمْتُ الصمت ، فإنْ أقسمتُ على الله عزَّ وجلَّ أبَرَّ قَسَمي ، وإنْ سألتُهُ أعطاني (وأخرج الخبر أيضاً ابن الجوزي في ذم الهوى ص(٢١) ، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(١١٦) .) .

وقال : حدثني أبو العباس البَصْري الأزدي ، عن شيخ من الأزد ، قال : جاء رجلٌ إلى وَهْب بن منبّه ، فقال : علِّمني شيئاً ينفعُني الله به . قال : أكثِرْ من ذكرِ الموت ، وأقصِرْ أملَك ، وخَصْلةٌ ثالثة إن أنت أصبتَها بلغتَ الغايةَ القُصوَى ، وظفِرْتَ بالعبادةِ الكبرى . قال : وما هي ؟ قال : التوكُّل .

ومِمَّنْ تُوفي فيها من الأعيان :

سليمان بن سعد (ترجمته في الجرح والتعديل (٤/ ١١٩) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٤٢٩) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٣٨٩) ، الإصابة (٣/ ٢٩٦) ، الفهرست لابن النديم ص(٣٣٨) .) : كان جميلاً فصيحاً عالماً بالعربية ، وكان يعلِّمُها الناسَ هو وصالح بن عبد الرحمن الكاتب ، وتُوفي صالح بعدَهُ بقليل . وكان صالح فصيحاً جميلاً عارفاً بكتابةِ الديوان ، وبه تخرَّجَ أهلُ العراق من كتابةِ الديوان . وقد ولّاه **سليمان بن عبد الملك** خراجَ العراق .

أم الهذيل (ترجمتها في طبقات ابن سعد (٨/ ٤٨٤) ، رجال صحيح البخاري (٢/ ٨٥٤) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٤٥٠) تهذيب الكمال (٣٥/ ٥١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٧) الكاشف (٢/ ٥٠٥) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٨) ، الإصابة (٨/ ٣١٩) .) : لها رواياتٌ كثيرة ، وقد قرأتِ القرآن وعمرُها اثنتا عشرة سنة ، وكانت فقيهةً عالمة ، من خيارِ النساء ، عاشت سبعين سنة .

عائشة بنت طلحة بن عبدالله التميمي (ترجمتها في طبقات ابن سعد (٨/ ٤٦٧) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٢٨٩) معرفة الثقات (٢/ ٤٥٥) ، رجال صحيح البخاري (٢/ ٨٥٥) ، رجال مسلم (٢/ ٤٢٤) ، تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٣٧) ، الكاشف (٢/ ٥١٣) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٦٩) ، تقريب التهذيب ص(٧٥٠) .) : أمُّها أمُّ كُلثوم بنتُ أبي بكر ، تزوجت بابنِ خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجت بعده بمصعب بن الزبير ، وأصدقها مئة ألف دينار ، وكانتْ بارعةَ الجمال ، عظيمةَ الحُسن ، لم يكنْ في زمانها أجمَلَ منها . تُوفيت بالمدينة .

عبدالله بن سعيد بن جُبير (ترجمته في التاريخ الكبير (٥/ ١٠٣) ، رجال صحيح البخاري (١/ ٤٠٧) ، التعديل والتجريح (٢/ ٨٤٦) ، تهذيب الكمال (١٥/ ٢٦) ، الكاشف (١/ ٥٥٨) ، تقريب التهذيب ص(٣٠٥) .) : له رواياتٌ كثيرة ، وكان من أفضلِ أهلِ زمانه .

عبد الرحمن بن أبان (ترجمته في طبقات ابن سعد (القسم المتمم) ص(٢٠٨) ، طبقات خليفة ص(٢٥٩) ، التاريخ الكبير (٥/ ٢٥٤) ، الجرح والتعديل (٥/ ٢١٠) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٦٦) ، صفة الصفوة (٢/ ١٤٨) تهذيب الكمال (١٦/ ٤٩٢) ، تهذيب التهذيب (٦/ ١١٩) ، تقريب التهذيب ص(٣٢٥) .) بن عثمان بن عفان : له رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ من الصحابة] .

(١) جاء في هامش (ق) ما نصه : (أي : البلاد الواقعة في ساحل بلاد الأناضول) .

اليمنى[١] حتى بلغَ قَيْسَارِيَّةَ من بلادِ الروم .

وفيها عزلَ هشامُ بنُ عبد الملك أشرس بن عبد الله السُلمي عن إمرةِ خُراسان ، وولَّى عليها الجُنيد بن عبد الرحمن المُرِّي ، وولَّى الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمي أرْمِينيَّة .

وفيها قصدتِ التُّركُ بلاد أذْرَبيجان ، فلَقِيَهُمُ الحارث بن عمرو فهزَمَهُم ، ولما وصَلَ الجُنيد بن عبد الرحمن إلى خراسان تلقَّتْهُ خيولُ الأتراكِ منهزمين من المسلمين ، وهو في سبعةِ آلاف ، فتصافُّوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، وطمِعوا فيه وفيمن معه لقلَّتِهم بالنسبة إليهم ، ومعهم مَلِكُهم خاقان ، وكادَ الجنيدُ أن يَهْلك ، ثم أظفَرَهُ الله بِهم فهزمهم هزيمةً مُنكرَة ، وأسرَ ابن أخي ملكِهم ، وبعث به إلى الخليفة .

وحجَّ بالناسِ في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، وهو أميرُ الحرمَيْن والطائف ، وأمير العراق خالدٌ القَسْرِيّ ، وأميرُ خراسان الجُنيد بن عبد الرحمن المُرِّيّ[٢] .

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة ومئة

فيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفة ، فافتتح حصوناً من ناحيةِ مَلطية . وفيها سارَت التُّركُ من اللاّن فلقيهم الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمِيّ فيمَنْ معهُ من أهلِ الشام ، وأذْرَبيجان ، فاقتتلوا قبلَ أن يتكاملَ إليه جيشُه ، فاستشهد الجرَّاح رحمه الله وجماعةٌ معه بِمرْجِ أرْدَبيل ، وأخذَ العدوُّ أرْدَبِيل ، فلما بلغ ذلك هشامَ ابن عبد الملك بعث سعيدَ بن عمرو الحَرَشي[٣] بجيش ، وأمرَهُ بالإسراع إليهم ، فلحق التُّرك وهم يَسِيرون بأسارى المسلمين نحو ملكِهم خاقان ، فاستنقذ منهم الأسارى ومَنْ كانَ معهم من نساءِ المسلمين ، ومن أهلِ الذِّمَّة أيضاً ، وقتلَ من التُّرك مقتلةً عظيمةً جدّاً ، وأسرَ منهم خلقاً كثيراً ، فقتلَهم صَبْراً ، وشَفَى ما كان تغلث[٤] من القلوب ، ولم يكتفِ الخليفة بذلك ، حتى أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك في إثرِ التُّرك فسار إليهم في بردٍ شديد ، وشتاءٍ عظيم ، فوصل إلى باب الأبواب . واستخلف عنه أميراً ، وسار بمَنْ معَهُ في طلب الأتراك مَلِكِهم خاقان ، وكان من أمْرِه معهم ما سنذكرُه ، ونهض أمير خراسان في طلَبِ الأتراك أيضاً في جيشٍ كثيف ، فوصلَ إلى نهر بَلْخ ، ووجَّه إليهم سريَّةً ثمانيةَ عشرَ ألفاً ، وأخرى عشرة آلاف يمنةً ويسرة ، وجاشتِ الترك وجيَّشَتْ ، فأتَوا سَمَرْقَند ، فكتب أميرُهم إليه يُعلمه بِهم ، وأنَّه لا يقدِرُ على صَوْنِ

(١) جاء في هامش (ق) ما نصه : (أي بر الأناضول من جهة البلاد الداخلية) .
(٢) ينظر تاريخ الطبري ٧/ ٦٧ ـ ٦٩ .
(٣) في (ح ، ق) : (الجرشي) بالجيم ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) والإكمال لابن ماكولا (٢/ ٢٣٨) .
(٤) كذا في (ق) وسقطت العبارة من (ب ، ح) . ومعنى تَغَلَّثَ : خالطه السّمّ ، وهو من الغَلْثَى ، مقصور ، على مثال السلوى وهو طعامٌ يُخلَط للنسر فيه سم فيأكله فيقتله فيؤخذ ريشه فتراش به السهام . وقيل : العَلْثَى اسم شجرة إذا أطعم ثمرها السباع قتلتها . اللسان (غلث) .

سمرقنْدَ منهم ، ومعهم ملِكُهم الأعظم خاقان ، فالغوثَ الغوثَ . فسار الجُنيدُ مسرعاً في جيشٍ كثيف نحو سمرقند ، حتى وصل إلى شِعب سَمَرْقند ، وبقي بينه وبينها أربعةُ فراسخ ، فصبَّحَه خاقانُ في جَمعٍ عظيم ، فحمل خاقان على مقدمة الجُنيد ، فانحازوا إلى العسكر ، والتركُ تتبَعُهم من كلِّ جانب ، فتراءى الجَمعَان والمسلمون يتغدَّون ، ولايشعرونَ بانهزامِ مقدّمتهم وانحيازها إليهم ، فنهضوا إلى السلاح واصطفُّوا على منازِلِهم ، وذلك في مجالٍ واسع ، ومكانٍ بارز ، فالتقَوْا ، وحملتِ التركُ على ميمنةِ المسلمين وفيها بنو تميم والأزْد ، فقتل منهم ومن غيرِهم خَلْقٌ كثيرٌ ممن أراد الله كرامتَهُ بالشهادة ، وقد برزَ بعضُ شجعانِ المسلمين لجماعةٍ من المشركين[1] ، فناداهُ ترجمان الملك خاقان إنْ صِرْتَ إلينا جعَلْناك ممن يرفضُ الصنمَ الأعظم فنعبدَك . فقال : ويحكم ! إنما أقاتلكم على أن تعبدوا الله وحدَهُ لا شريكَ له . ثم قاتلهم حتى قُتل رحمه الله ، ثم تَنَاخَى المسلمون ، وتداعَتِ الأبطالُ والشجعانُ من كلِّ مكان ، وصبروا وصابروا ، وحملوا على التُّرك حملةَ رجلٍ واحد ، فهزَمَهم الله عزَّ وجلَّ ، وقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً ، ثم عطفتِ التُّركُ عليهم ، فقتلوا من المسلمين خَلقاً ، حتى لم يبقَ سوى ألفين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وقُتل يومئذٍ سَوْرةُ بن الحرِّ ، واستأسروا من المسلمين جماعةً كثيرة ، فحملوهم إلى الملِك خاقان ، فأمَرَ بقَتْلِهم عن آخرِهم فإنا لله وإنا إليه راجعون . وهذه الوقعة يُقالُ لها وقعةُ الشِّعْب ، وقد بسطها ابنُ جريرٍ جدّاً[2] .

ومممن توفي فيها من الأعيان :

رجاء بن حَيْوَةَ الكِنْدِيّ[3] أبو المِقْدام : ويقال أبو نَصْر الشامي ، وهو تابعيٌّ جَلِيل ، كبيرُ القَدْر ، ثقةٌ فاضلٌ عادل ، وزيرُ صِدقٍ لخلفاءِ بني أمية . وكان مَكْحُول إذا سُئل يقول : سَلُوا شيخَنا وسيدنا رجاء بن حَيْوَة . وقد أثنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة ، ووثَّقوه في الرواية ، وله رواياتٌ وكلامٌ حَسن ، رحمه الله .

شَهْرُ بن حَوْشَب الأشعريُّ الحِمْصِيّ[4] ويقال : إنه دمشقيٌّ تابعيٌّ جليل ، روى عن مولاتِه أسماء بنت يزيد بن السَّكَن وغيرِها .

---

(١) في (ق) : (وقد برز شجعان المسلمين لجماعة من شجعان الترك فقتلهم ، فناداه منادي خاقان : إن . . .) ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٤٦) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٤) ، طبقات خليفة (٣١٠) ، التاريخ الكبير (٣/ ٣١٢) ، المعارف (٤٧٢) ، الجرح والتعديل (٣/ ٥٠١) ، ثقات ابن حبان (٤/ ٢٣٧) ، تاريخ دمشق (٨/ ٣١٢) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٢/ ٣٨٨) ، تهذيب الكمال (٩/ ١٥١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٥٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١١٨) ، العبر (١/ ١٣٨) الوافي بالوفيات (١٤/ ت١٢٤) ، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٥) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٩) ، التاريخ الكبير (٤/ ٢٥٨) ، الجرح والتعديل (١/ ١٤٤ ، و٤/ ٣٨٢) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٤٦١) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٤/ ٣٦) ، الضعفاء للعقيلي (٢/ ١٩١) ، رجال مسلم (١/ ٣١٢) ، تهذيب الكمال (١٢/ ٥٧٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٢) ، ميزان=

وحدث عنه جماعةٌ من التابعين وغيرِهم ، وكان عالماً عابداً ناسكاً ، لكنْ تكلَّم فيه جماعةٌ بسبب أخذِه خريطةً من بيتِ المالِ بغيرِ إذنِ وليِّ الأمر ، فعابوه ونزكوا عرضه[١] ، وتركُوا حديثَه ، وأنشدوا فيه الشعر[٢] ؛ منهم شُعبة وغيرُه . ويقال إنه سرق غيرَها ، فالله أعلم . وقد وثَّقه جماعةٌ آخرون[٣] ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومئة

ففيها غَزَا مُعاويةُ بن هشام أرضَ الرُّوم من ناحيةِ مَرْعَش ، وفيها صار جماعةٌ من دُعاة بني العباس إلى خُراسان ، وانتشروا فيها وقد أخذ أميرُها رجلاً منهم فقتلَه ، وتوعَّدَ غيرَه بمثلِ ذلك ، وفيها وَغَلَ مسلمةُ بن عبدِ الملك في بلاد التُّرْك فقتَلَ منهم خلقاً كثيراً ، وأُمَماً منتشرةً ، حتى قتلَ ابنَ خاقان ، وفتح بلاداً كثيرة ، ودانَتْ له تلك الممالكُ من ناحيةِ بَلَنْجَر[٤] وأعمالِها .

وفيها حجَّ بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك . قاله الواقدي ، وأبو معشر ؛ وقال ابن جرير عن بعضهم : إنه حج بالناس إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ؛ فالله أعلم[٥] .

ونوّاب البلاد هم المذكورون في التي قبلَها .

وممن تُوفي فيها من الأعيان :

قال ابن جرير[٦] : فيها كان مَهْلِكُ :

الأمير عبد الوهاب بن بخت[٧] : وهو مع البطَّال عبدِ الله بأرضِ الروم ، قُتل شهيداً . وهذه ترجمته ،

= الاعتدال (٣/ ٣٨٩)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٢٤) ، تقريب التهذيب ص(٢٦٩) ، تعجيل المنفعة ص(٥٤١).

(١) أي : طعنوا في عرضه .

(٢) انظر ما تقدم ص(١٣٣) .

(٣) وهذه زيادة أخرى مقحمة من زيادات (ق) وهي :
[وقَبِلُوا روايَتَه وأثنَوْا عليه ، وعلى عبادَتِه ودينِه واجتهادِه ، وقالوا : لا يَقدحُ في روايتِه ما أخذَهُ من بيتِ المالِ إنْ صحَّ عنه ، وقد كان والياً عليه ، متصرِّفاً فيه ، فالله أعلم .
قال الواقدي (انظر طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٩) .) : تُوفي شهرٌ في هذه السنة . أعني سنة اثنتي عشرةَ ومئة ، وقيل قبلَها بسنة ، وقيل سنة مئة] .

(٤) تقدم التعريف ببلنجر في ص(٥٧) حاشية (١) .

(٥) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٤٩) . وصحفت وسقطت بعض الألفاظ من (ق) ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري .

(٦) في تاريخ الطبري (٤/ ١٤٩) .

(٧) أخباره في تاريخ الطبري (٤/ ١٤٩) ، شذرات الذهب (١/ ١٤٦) ، التحفة اللطيفة للسخاوي (٢/ ٢٢١) .

هو عبدُ الوهاب بن بُخت أبو عُبيدة ، ويقال أبو بكر مولى آلِ مروان ، مَكّيٌّ سكنَ الشام . ثم تحوَّل إلى المدينة ، روى عن ابن عُمر ، وأنس ، وأبي هريرة ، وجماعةٍ من التابعين ، وعنه خَلْق ، منهم أيُّوب ، ومالك بن أنس ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وعُبيد الله العمري . حديثُهُ عن أنس مرفوعاً : « نَضَّرَ الله امرأً سمع مَقَالتي هذه فوَعَاها ، ثم بلَّغها غيرَه ، فرُبَّ حاملِ فِقْهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ منه . ثلاثٌ لا يَغلُّ عليهنَّ صَدْرُ مؤمن : إخْلاصُ العمَلِ لله ، ومُناصَحَةُ أولي الأمر ، ولزومُ جماعةِ المسلمين ، فإنَّ[١] دَعْوَتَهُمْ تُحيطُ من ورائهم »[٢] .

وروى عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا لَقيَ أحدُكم أخاهُ فَلْيُسَلِّمْ عليه ، فإنْ حالَتْ بينهما شجرة ، ثم لَقيه ، فَلْيُسلِّمْ عليه »[٣] . وقد وثَّق عبدَ الوهاب هذا جماعاتٌ منْ أئمَّةِ العلماء .

وقال مالك : كان كثيرَ الحَجِّ والعُمْرَة والغَزْو حتى استشهد ، ولم يكنْ أحقَّ بما في رَحْلهِ من رفقائِه . وكان سَمْحاً جَوَاداً . استشهد ببلادِ الروم مع الأمير أبي محمد عبدِ الله البطَّال ، ودُفِن هناك رحمه الله . وكانتْ وفاتُه في هذه السنة . قاله خَليفةُ وغيرُه . وذلك أنَّهُ لَقيَ العدو ، ففرَّ بعضُ المسلمين ، فجعلَ يُنادي ويركض فرسَهُ نحو العدوّ أنْ هَلُمُّوا إلى الجنَّة ، ويْحكمْ ! أفِراراً من الجنَّة ؟! أتفِرُّونَ من الجنة !؟ إلى أين ؟ ويحكم ! لا مُقامَ لكم في الدنيا ولا بقاء . ثم قاتَلَ حتى قُتل رحمه الله .

مكحول الشامي[٤] : تابعيٌّ جليلٌ ، كَبير القَدْر ، إمامُ أهلِ الشام في زمانه ، وكان مولًى لامرأةٍ من هُذيل ، وقيل : مولى امرأةٍ من آلِ سعيدِ بن العاص ، وكان نُوبِيّاً ؛ وقيل : من سَبْي كابُل ؛ وقيل : كان من الأبناء ، من سُلالةِ الأكاسرة . وقد ذكرنا نسَبه في كتابنا « التكميل » .

وقال محمد بن إسحاق : سمعتُهُ يقول : طُفتُ الأرض كلَّها في طلبِ العلم[٥] .

---

(١) في (ق) : « كأن » ، والمثب من (ب ، ح) ومسند أحمد .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٢٥) (١٢٩٣٧) ، ابن ماجه (٢٣٦) في المقدمة : باب من بلغ علماً ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أبو داود رقم (٥٢٠٠) وأبو يعلى في مسنده رقم (٦٣٥١) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٣) ، طبقات خليفة (٣١٠) ، تاريخ خليفة (٢٠٦) ، (٣٤٥) ، التاريخ الكبير (٨/ ٢١) ، التاريخ الصغير (١/ ٣٠٦ ، ٣٠٧) ، المعارف (٤٥٢) ، الجرح والتعديل (٨/ ٤٠٧) ، ثقات ابن حبان (٥/ ٤٤٦) ، حلية الأولياء (٥/ ١٧٧) ، طبقات الشيرازي (٧٥) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٥/ ٥٢) ، وفيات الأعيان (٥/ ٢٨٠) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٢٢٤) ، تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٦٤) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٧) ، ميزان الاعتدال (٤/ ١٧٧) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٧٢) ، طبقات الحفاظ (٤٢) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٥) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٥٥) ، شذرات الذهب (١/ ١٤٦) .

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٥١١) ؛ وذكره الخطيب في الرحلة في طلب الحديث ص(١٩٩) رقم (٩٧) وغيره .

وقال الزهري : العلماء أربعة : سعيد بن المُسيِّب بالحِجاز ، والحسن البصري بالبصرة ، والشعبي بالكوفة ، ومكحول بالشام[١] .

وقال بعضهم : كان لا يستطيعُ أن يقول : قُلْ ، وإنما يقول : كُلْ . وكان له وجاهةٌ عند الناس مهما أمَرَ به من شيء يُفعل .

وقال سعيد بن عبد العزيز : كان أفقهَ أهلِ الشام ، وكان أفقهَ من الزهري[٢] .

وقال غير واحد : توفي في هذه السنة ـ وقيل بعدَها ـ والله أعلم[٣] .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومئة

فيها غَزَا معاويةُ بن هشام الصائفةَ اليسرى ، وعلى اليمنى سليمانُ بن هشام بن عبدِ الملك ، وهما ابنا أميرِ المؤمنين هشام ، وفيها التقَى عبدُ الله البطَّال وملكُ الروم المسمَّى فيهم قُسْطَنْطِين ، وهو ابنُ هِرَقْلَ الأول الذي كتب إليهِ النبيُّ ﷺ ، فأسرَهُ البطَّال ، فأرسلَهُ إلى سليمان بن هشام ، فسار به إلى أبيه .

وفيها عَزَلَ هشامٌ عن إمرةِ مكةَ والمدينةِ والطائفِ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وولَّى عليها أخاهُ محمدَ بن هشام ؛ فحجَّ بالناس في هذه السنة ـ في قول ـ وقال الواقدي وأبو معشر : إنما حجَّ بالناس خالد بن عبد الملك بن مروان . والله أعلم[٤] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٧٨ ، ١٧٩) ؛ والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٨) ؛ والمزي في تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٧١) .

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٩) .

(٣) وهذه زيادة أيضاً مقحمة وهي :

[مَكْحُول الشامي : هو ابن أبي مسلم ، واسم أبي مسلم شهراب (في (ق) : « شهزاب » ، بالزاي ، وهو تصحيف والمثبت من الإكمال لابن ماكولا (٥/ ١) .) بن شاذل . كذا نقَلْتُهُ من خطِّ عبدِ الهادي .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه ، أنه قال : من نظَّف ثَوْبَه قَلَّ هَمُّه ، ومَنْ طابَ رِيْحُه زِيدَ في عَقْلِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٤) . ونسب القول إلى الشافعي في صفة الصفوة (٢/ ٢٥٦) وإحياء علوم الدين (١/ ١٨١) .) .

وقال مكحول : في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] ، قال : باردِ الشراب ، وظلالِ المساكن ، وشِبَعِ البطون ، واعتدالِ الخَلْق ، ولَذَاذَةِ النَّوْم (ذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية ، عن عياض بن غنم مرفوعاً ، ولم يذكر مكحولاً .) .

وقال : إذا وضع المجاهدون أثقالَهم عن دوابِّهم أَتَتْها الملائكةُ فمسحَتْ ظهورَها ، ودَعَتْ لها بالبَرَكة إلاّ دابَّة في عُنقها جرَس] .

(٤) ينظر تاريخ الطبري (٧/ ٩٠ ـ ٩١) .

وممن تُوفي فيها من الأعيان :

عطاء بن أبي رباح[١] **الفِهْرِي** : مولاهم أبو محمد المكّيّ ، أحدُ كبارِ التابعينَ الثقاتِ الرفعاء . يُقال : إنَّه أدرك مئتي صحابي . وقال ابن سعد[٢] : سمعت بعضَ أهل العِلم يقول : كان عطاء أسودَ أعورَ أفْطس أشلَّ أعرج ، ثم عَمي بعد ذلك ؛ وكان ثقةً فقيهاً عالماً كثيرَ الحديث .

وقال أبو جعفر الباقر وغيرُ واحد : ما بَقي أحدٌ في زمانِهِ أعلمَ بالمناسكِ منه . وزاد بعضهم : وكان قد حجَّ سبعين حجَّة ، وعُمِّرَ مئةَ سنة ؛ وكان في آخرِ عُمرِهِ يُفطرُ في رمضان من الكِبَرِ والضعف ، ويَفْدي إفطارَهُ ويتأول الآية : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؛ وكان يُنادي منادي بني أمية في أيَّامِ مِنَى : لا يُفْتي الناسَ في الحجِّ إلاّ عَطاءُ بنُ أبي رَبَاح .

وقال أبو جعفر الباقر : ما رأيتُ فيمَنْ لَقيتُ أفقهَ منه ! وقال الأوزاعي : مات عطاء يومَ مات وهو أرْضى أهلِ الأرضِ عندَهم .

وقال ابن جُريج : كان في المسجد فراش عطاء عشرين سنةً ، وكان من أحسَنِ الناسِ به صلاةً[٣] .

وقال قتادة : كان سعيدُ بن المُسَيِّب ، والحسن ، وإبراهيم ، وعطاء ، هؤلاءِ أئمَّةُ الأمصار .

وقال عطاء : إنَّ الرجلَ ليُحدِّثني بالحديث فأُنْصتُ له ، كأني لم أكنْ سمعتُهُ وقد سمعتُهُ قَبْلَ أن يُولد ، فأُريه أنِّي إنما سمعتُهُ الآن منه . وفي رواية : أنا أحفظُ منه له ، فأريهِ أني لم أسمَعْه[٤] .

والجمهور على أنه ماتَ في هذه السنة . رحمه الله تعالى . والله أعلم[٥] .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٦ و٥/ ٤٦٧) ، تاريخ ابن معين (٢/ ٤٠٢) ، طبقات خليفة (٢٨٠) ، تاريخ خليفة (٣٤٦) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤٦٣) ، المعارف (٤٤٤) ، المعرفة والتاريخ (١/ ٧٠١) ، الجرح والتعديل (٦/ ٣٣٠) ، الثقات لابن حبان (٥/ ١٩٨) ، طبقات الشيرازي (٦٩) ، حلية الأولياء (٣/ ٣١٠) ، صفة الصفوة (٢/ ٢١١) ، تاريخ مدينة دمشق (١١/ الورقة ٣١٥ب) ، المختار من مناقب الأخيار (٣/ ٥٦٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦١) ، مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ٦٥) ، تهذيب الكمال (٢٠/ ٦٩) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٧٠) ، تذكرة الحفاظ (٩٨) ، العقد الثمين (٦/ ٨٤) ، غاية النهاية (١/ ٥١٨) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٧٣) ، طبقات الحفاظ (٣٠٩) ، طبقات الشعراني (١/ ٣٩) .

(٢) في الطبقات الكبرى (٥/ ٤٧٠) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٠) ؛ وذكره المزي في تهذيب التهذيب (٢٠/ ٨٠) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٤) .

(٤) ذكره الذهبي في السير (٥/ ٨٦) .

(٥) وهنا زيادة أيضاً وهي :

أسنَدَ أبو محمد عطاء بنُ أبي رَبَاح ـ واسم أبي رباح أسلم ـ عن عددٍ كثيرٍ من الصحابة ، منهم ابن عُمَر ، وابنُ=

. . . .

= عَمْرو، وعبد الله بن الزُّبير، وأبو هريرة، وزيد بن خالد الجُهَني، وأبو سعيد. وسمع مِن ابنِ عباس التفسيرَ وغيرَه.

وروى عنه من التابعين عِدَّة؛ منهم الزُّهري، وعمرو بن دِينار، وأبو الزُّبير، وقَتَادة، ويحيى بن كثير، ومالك بن دينار، وحَبيب بن أبي ثابت، والأعمش، وأيوب السَّخْتِيَاني، وغيرُهم من الأئمة والأعلام كثير.

قال أبو هِزَّان: سمعتُ عطاء بن أبي رباح يقول: منْ جلسَ مجلسَ ذِكْر، كَفَّرَ الله عنه بذلك المجلس عشرَ مجالسَ من مجالِس الباطل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣١٣)؛ ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ص(١٦٨).).

قال أبو هِزَّان: قلت لعطاء: ما مجلسُ الذكر؟ قال: مجالسُ الحلالِ والحرام (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٩٥).). كيف تُصَلِّي، كيف تصوم، كيف تَنْكِحُ وتُطَلِّق، وتَبيع وتَشْتَري؟.

وقال الطبراني: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الرزاق (في المصنف (٨/ ١٣٠) برقم (١٤٥٩٦) إلى قوله: «يقرضون الدراهم».)، عن يحيى بن ربيعة الصَّنْعَاني، قال: سمعتُ عطاء بنَ أبي رباح يقول في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل: ٤٨]، قال: كانوا يُقرِضُونَ الدراهم (إلى هنا أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣١٥) من طريق عبد الرزاق. وأورده المصنف في التفسير (٣/ ٣٦٩) في تفسير الآية، وفيه بعد هذه العبارة: يعني أنهم كانوا يأخذون منها وكأنهم كانوا يتعاملون بها عدداً كما كان العرب يتعاملون.). قيل: كانوا يقصُّونَ منها ويقطعونها.

وقال الثوري: عن عُبيد الله (في (ق) وحلية الأولياء: «عبد الله» تصحيف، والمثبت من الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٣٠٧)، وتقريب التهذيب ص(٣٧٥).) بن الوليد ـ يعني الوَصَّافي ـ قال: قلتُ لعطاء: ما ترى في صاحبِ قلَم إنْ هو كتبَ به عاش هو وعيالُه في سَعَة، وإنْ هو تركه افتقر؟ قال: من الرأس؟ قلت: القَسْري لِخالد. قال عطاء: قال العبدُ الصالح: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٥).).

وقال: أفضلُ ما أُوتي العبادُ العقلَ عن الله وهو الدِّين (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٥)، وروايته: قيل لعطاء: ما أفضل ما أُعطي العباد؟ قال: العقل عن الله عزَّ وجلَّ، وهو المعرفة بالدين.).

وقال عطاء: ما قال العبدُ يا رب يا رب ـ ثلاث مرات ـ إلا نظرَ الله إليه. قال: فذكرتُ ذلك للحسن، فقال: أما تقرؤون القرآن: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٣ ـ ١٩٥]. الآيات (أورده ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(١٠٦).).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدّثنا أبو عبد الله السلمي، حدّثنا ضمرةُ عن عمر بن الورد (كذا في (ق) والحلية: «عمر بن الورد»، وفي الزهد لابن أبي عاصم ص(٣٧٧): «عمرو بن الورد» ولم نقف على ترجمة له.)، قال: قال عطاء: إنِ استطعتَ أن تخلوَ بنفسِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فافْعَلْ (أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ص(٣٧٧)؛ وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٤)؛ كلاهما بهذا الإسناد.).

وقال سعيد بن سلام البصري: سمعتُ أبا حنيفة النعمان يقول: لَقِيتُ عطاء بمكة، فسألتُهُ عن شيء، فقال: من أين أنت؟ فقلت: من أهلِ الكوفة. قال: أنتَ من أهلِ القرية الذين فرَّقوا (في (ق): «فارقوا»، والمثبت من الحلية.) دينهم وكانوا شِيعاً؟ قلت: نعم، فمنْ أيِّ الأصناف أنتَ؟ قلت: ممن لا يسبُّ السَّلف، ويؤمنُ=

. . . .

= بالقدَر ، ولا يُكَفِّرُ أحداً من أهلِ القِبْلَة بذَنْب . فقال عطاء : عرفتَ فالْزَمْ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٤) .) .

وقال عطاء : ما اجتمعتْ عليه الأمة أقوَى عندنا من الإسناد (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٤) .) .

وقيل لعطاء : إنَّ هاهنا قوماً يقولون : الإيمانُ لا يزيدُ ولا يَنْقُصُ . فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد : ١٧] ، فما هذا الهُدَى الذي زادَهمْ ؟ قلت : ويزعمون أنَّ الصلاةَ والزكاةَ ليستَا من دينِ الله . فقال : قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] ، فجعل ذلك دِيناً (المصدر السابق .) .

وقال يَعلَى بن عُبيد : دخلنا على محمد بن سُوقَة فقال : ألا أحدِّثكم بحديثٍ لعله أنْ ينفعَكم ، فإنَّه نفعَني ، قال لي عطاءُ بن أبي رباح : يا بنَ أخي ، إنَّ منْ كانَ قبلَكم كانوا يكرهون فُضولَ الكلام ، وكانوا يعدُّونَ فضولَ الكلام إثماً ما عدا كتاب الله أنْ يُقْرَأ ، أو أمْرٍ بمعروف ، أو نَهْيٍ عن منكر ، أو ينطِقَ العبدُ بحاجتِهِ في معيشتِهِ التي لابدَّ له منها ؛ أتُنكرون ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ [الانفطار : ١٠ ـ ١١] ، و ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٧ ـ ١٨] ، أمَا يَسْتحي أحدُكم لو نُشِرتْ عليه صَحِيفتُهُ التي أمْلاها صَدْرَ نَهارِه ، فرأى أكثرَ ما فيها ليس مِنْ أمْرِ دينِه ولا دُنياه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٥) .) .

وقال : إذا أنتَ خِفْتَ الحرَّ مِنَ اللَّيل ، فاقرَأْ بسم الله الرحمن الرحيم ، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم (كذا في (ق) وفي الحلية : إذا تناهقت الحمر من الليل فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .) .

وروى الطبراني وغيرُه ، إنَّ الحَلْقَة في المسجد الحرام كانتْ لابنِ عباس ، فلما ماتَ ابنُ عباس كانتْ لِعَطاء بنِ أبي رباح .

وروى عثمان بن أبي شيبة عن أبيه ، عن الفضل بن دُكَين ، عن سفيان ، عن سلمةَ بنِ كُهَيْل ، قال : ما رأيتُ أحداً يَطلُبُ بعمَلِه ما عندَ الله تعالى إلاّ ثلاثةً : عطاء ، وطاوس ، ومجاهد (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١١) .) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا ابنُ نمير ، حدّثنا عمر بن ذَرّ ، قال : ما رأيتُ مثلَ عطاءٍ قطُّ ، وما رأيتُ على عطاءٍ قميصاً قَطُّ ، ولا رأيتُ عليه ثوباً يساوي خمسةَ دراهم (ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢١٢) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٧) .) .

وقال أبو بلال الأشعري : حدّثنا قيس ، عن عبد الملك بن جُريج ، عن عطاء ، أنَّ يَعْلَى بنَ أمية كانتْ لهُ صُحبة ، وكان يَقعدُ في المسجد ساعةً يَنْوي فيها الاعتكاف (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٢) .) .

وروى الأوزاعي عن عطاء ، قال : إنْ كانتْ فاطمةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ لتَعجن ، وإنْ كانتْ قُصَّتُها (القُصَّة : شعر الناصية ، وقُصَّة المرأةِ : ناصيتُها .) لتَضرِبُ بالجَفْنَة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٢) .) .

وعن الأوزاعي ، عنه ، قال : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور : ٢] ، قال : ذلك في إقامةِ الحَدِّ عليهما (المصدر السابق .) .

وقال الأوزاعي : كنتُ باليمامة وعليها رجلٌ والٍ يَمْتحنُ الناسَ [برجلٍ] من أصحابِ رسولِ الله ﷺ أنه منافق وما هو بمؤمِن ، ويأخذُ عليهمْ بالطلاقِ والعَتَاق ، أنْ يُسمِّيَ المسيءَ منافقاً ، وما يُسمِّيه مؤمناً ؛ فأطاعوه على ذلك وجعلوه له . قال : فلَقيتُ عطاء فيها بعدُ ، فسألتُهُ عن ذلك فقال : ما أرى بذلك بأساً يقولُ الله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومئة

ففيها وقع طاعونٌ بالشام ، وحجَّ بالناسِ فيها محمد بن هشام بن إسماعيل ، وهو نائبُ الحرمَيْن والطائف ، والنُّوَّابُ في سائرِ البلاد هُمُ المذكورون في التي قبلَها . والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو جعفر البَاقِر[1] : وهو محمد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بنِ أبي طالب القرشيُّ الهاشميُّ أبو جعفر

= تَتَّقُوا۟ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران : ٢٨] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٢ ، ٣١٣) ، وما مرّ بين معقوفين منه .) .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا سفيان بن عُيَينة ، حدّثنا إسماعيل بن أمية ، قال : كان عطاء يُطيل الصَّمْت ، فإذا تكلَّم يُخيَّلُ إلينا أنَّه يؤيَّد (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٣) .) .

وقال في قولِهِ تعالى : ﴿ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور : ٣٧] ، قال : لا يلهيهم بيعٌ ولا شراءٌ عن مواضِعِ حُقوقِ الله تعالى التي افْتَرَضها عليهم أنْ يؤدُّوها في أوقاتِها ، وأوائِلِها (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٢) .) .

وقال ابنُ جَرير : رأيتُ عطاء يَطُوفُ بالبيت ، فقال لقائده : أمْسِكوا ، احفظوا عني خمساً : القَدَرُ خيرُهُ وشرُّه حُلُوهُ ومُرُّهُ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وليس للعبادِ فيهِ مَشيئةٌ ولا تَفويض ؛ وأهلُ قِبْلَتنا مؤمنون ، حَرَامٌ دماؤهم وأموالُهم إلاَّ بِحقِّها ؛ وقتالُ الفئةِ الباغيةِ بالأيدي والنعالِ والسلاح (كذا في (ق) ، وفي الحلية : « بالأيدي والنعال ، لا بالسلاح » .) ؛ والشهادةُ على الخوارجِ بالضَّلالةِ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٢) .) .

وقال ابن عمر : تجمعون لي المسائل وفيكم عطاءُ بن أبي رباح (المصدر السابق (٣/ ٣١١) .) ؟! .

وقال معاذ بن سعد : كنتُ جالساً عند عطاء ، فحدَّث بحديث فعرض رجلٌ له في حديثه ، فغضِبَ عطاء وقال : ما هذه الأخلاق ؟! وما هذه الطبائع ؟ والله إني لأسمعُ الحديثَ من الرجل وأنا أعلمُ بهِ منه ، فأُريهِ أني لا أُحسن شيئاً منه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١١) .) .

وكان عطاء يقول : لأنْ أرى في بيتي شيطاناً خيرٌ من أنْ أرَى فيه وسادة ، لأنَّها تَدْعو إلى النوم .

وروى عثمان بن أبي شيبة عن علي بن المَديني ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابنِ جرير ، قال : كان عطاء بعدما كَبِرَ وضَعُف يقومُ إلى الصلاة ، فيقرأ مئتي آيةٍ من سورةِ البقرة وهو قائمٌ لا يزولُ منه شيء ، ولا يتحرَّك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٧ و٣/ ١٤٨ و٣١٠) ؛ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٧) .) .

وقال ابن عُيينة : قلتُ لابن جَرير : ما رأيتُ مصلِّياً مثلَك ! فقال : لو رأيتَ عطاء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٠) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢١٣) .) ! .

وقال عطاء : إنَّ الله لا يُحبُّ الفتى يَلْبسُ الثوب المشهور ، فيُعرضُ اللهعنه حتى يضعَ ذلك الثوب .

وكان يقال : ينبغي للعبد أنْ يكونَ كالمريض ، لا بدَّ له من قُوت ، وليس كلُّ الطعام يوافقُه .

وكان يقول : الدعوةُ تعمي عينَ الحكيم ، فكيف بالجاهل ؟ ولا تَغبِطَنَّ ذا نِعْمةٍ بما هو فيه ، فإنك لا تدري إلى ماذا يصيرُ بعدَ الموت] .

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٠) ، تاريخ خليفة (٣٤٩) ، طبقات خليفة (٢٥٥) ، التاريخ الكبير (١/ ١٨٣) ،=

البَاقِرِ . وأمُّه أُمُّ عبدِ الله بنتُ الحُسين بن علي وهو تابعيٌّ جَلِيلُ القَدْر ، كثيرُ العِلْم ، أَحَدُ أعلامِ هذه الأمّةِ عِلْماً وعمَلاً وسيادةً وشرفاً ، وهو أَحَدُ مَنْ تَدَّعِي فيه طائفةُ الشيعةِ أنَّهُ أَحَدُ الأئمة الاثني عَشَر ، ولم يكنِ الرجلُ على طريقِهم ، ولا على مِنْوَالِهم ، ولا يَدينُ بما وقع في أذْهانِهم وأوْهامِهم وخيالِهم ، بل كان مِمَّنْ يُقَدِّمُ أبا بكرٍ وعمر ، وذلك صحيحٌ عنهُ في الأثَر ، وقال أيضاً : ما أدركتُ أَحَداً مِنْ أهلِ بيتي إلاَّ وهو يتولاّهما . رضي الله عنهما .

وقد روى عن غيرِ واحدٍ من الصحابة ، وحدَّث عنه جماعةٌ من كبارِ التابعين وغيرِهم ، فَمِمَّن رَوَى عنه ابنُه جعفر الصادِق ، والحكم بن عتيبة ، وربيعة ، والأعمش ، وأبو إسحاق السَّبيعي ، والأوزاعي ، والأعرج ـ وهو أَسَنُّ منه ـ وابنُ جُريج ، وعَطاء ، وعمرو بن دِينار ، والزُّهْرِي .

وقال سفيان بن عيينة : عن جعفر الصادق ، قال : حدثني أبي وكان خيرَ محمديٍّ يومئذٍ على وجه الأرض(١) .

وقال العِجْلي : هو مدنيٌّ تابعيٌّ ثقة .

وقال محمد بن سعد(٢) : كان ثقةً كثيرَ [العلم و] الحديث ، وكانتْ وفاتُه في هذه السنةِ في قول ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها أو في التي هي بعدَها ، وبعدَ بعدِها ، والله أعلم . وقد جاوزَ السبعين . وقيل : لم يجاوزِ الستين . فالله أعلم(٣) .

= المعارف (٢١٥) ، الجرح والتعديل (٢٦/٨) ، الثقات لابن حبان (٣٤٨/٥) ، حلية الأولياء (١٨٠/٣) ، طبقات الفقهاء (٦٤) ، صفة الصفوة (١٠٨/٢) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤٠٩/٤) ، مختصر تاريخ دمشق (٧٧/٢٣) ، تهذيب الكمال (١٣٦/٢٦) ، تذكرة الحفاظ (١١٧/١) ، سير أعلام النبلاء (٤٠١/٤) ، العبر (١٤٢/١) ، الوافي بالوفيات (١٠٢/٤) تهذيب التهذيب (٣٥٠/٩) ، طبقات الشعراني (٣٢/١) ، طبقات الحفاظ (٤٩) ، شذرات الذهب (١٤٩/١) ، الكواكب الدرية (٤٤٠/١) .

(١) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص(١٩٨) ، وساق حديثاً بإسناده . وذكره المزي بهذا الإسناد في تهذيب الكمال (١٤٠/٢٦) .

(٢) في كتابه الطبقات الكبرى (٣٢٣/٥) وما بين معقوفين منه .

(٣) وهنا زيادة مقحمة وهي :

[فصــل :

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب ، كان أبوهُ عليٌّ زينُ العابدين وجَدُّهُ الحسين قُتلا شهيدَيْنِ بالعراق ، وسُمِّيَ الباقِرَ لِبَقْرِهِ العلومَ ، واستنباطِهِ الحُكْم .

كان ذاكراً خاشعاً صابراً ، وكانَ من سُلالةِ النبوّة ، رفيعَ النسَب ، عاليَ الحسَب ، وكان عارفاً بالخَطَرات ، كثيرَ البُكاءِ والعَبَرات ، مُعْرِضاً عن الجِدَالِ والخُصومات .

قال أبو بلال الأشعري : حدثنا محمد بن مروان عن ثابت ، عن محمد بن علي بن الحسين في قوله تعالى : =

. . . .

= ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الفرقان : ٧٥] ، قال : الغُرْفَةُ الجَنَّة ، بما صبروا على الفقرِ في الدنيا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٤٧ و٣/ ١٨١ ، ١٨٢) .) .

وقال عبد السلام بن حَرْب ، عن زيد بن خَيْثَمة ، عن أبي جعفر ، قال : الصواعِقُ تُصيب المؤمنَ وغيرَ المؤمن ، ولا تُصِيبُ الذاكرَ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨١) ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٣٠) (١١٦٢) عن زياد الجعفي عن أبي جعفر ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٠٨) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٨) .) .

قلت : وقد رُوي نحو هذا عن ابنِ عباس قال : لو نزلَ من السماءِ صوَاعِقُ عَدَدَ النجوم ، لم تُصِبِ الذاكرَ .

وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ، إني لَمَحزون ، وإني لَمُشتغِلُ القَلْب . قلت : وما حُزْنُكَ وشُغْلُ قلبِك ؟ قال : يا جابر ، إنَّه مَنْ دخلَ قلبَهُ صافي دينِ الله عزَّ وجلَّ شغَلَهُ عمَّا سواه ، يا جابر ، ما الدنيا وماعسى أنْ تكون ؟ هل هي إلا مركباً رَكِبْتَه ؟ أو ثوباً لبسته ؟ أوِ امرأة أَصَبْتَها ؟ ياجابر ، إنَّ المؤمنين لم يطمئنُّوا إلى الدنيا لِبَقاءٍ فيها ، ولم يأمنوا قدومَ الآخرةِ عليهم ، ولم يَصِمُّهُمْ عن ذكرِ اللهِ ما سمعوا بآذانهمْ من الفِتْنَة ، ولم يُعْمِهِمْ عن نورِ الله ما رأوا بأعينِهم من الزِّينة ، ففازوا بثوابِ الأبرار ، إنَّ أهل التقوى أيسَرُ أهلِ الدنيا مؤونةً ، وأكثرُهم لكَ مَعُونةً ، إنْ نَسِيتَ ذكَّروك ، وإنْ ذكرتَ أعانوك ، قَوَّالينَ بحق الله ، قوَّامينَ بأمْرِ الله ، قُطعوا لمحبة ربِّهم عزَّ وجلَّ ، ونظروا إلى الله وإلى محبتهِ بقلوبِهم ، وتوحَّشوا من الدنيا لطاعةِ محبوبِهم ، وعلموا أنَّ ذلك من أمْرِ خالِقهم ، فأنزلوا الدنيا حيثُ أنزلَها مَلِيكُهم ، كمَنْزِلٍ نزلوهُ ثم ارتحلوا عنه وتركوه ، وكما أصبتَهُ في منامِك ، فلما استيقظتَ إذا ليس في يدِكَ منه شيء ، فاحفظِ الله فيما استرعاك من دِينه وحكمتِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٢) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٠٨ ، ١٠٩) .) .

وقال خالدُ بن يزيد : سمعتُ محمد بن عليٍّ يقول : قال عمر بن الخطاب : إذا رأيتُمُ القارِىءَ يُحِبُّ الأغنياء ، فهو صاحبُ الدنيا ، وإذا رأيتُموه يلزَمُ السلطانَ فهو لِصٌّ (كذا في (ق) ورواية أبي نعيم في الحلية (٣/ ١٨٤) وإسناده فيه هكذا : « حدثنا حبيب بن الحسن حدّثنا أبو شعيب الحراني ، حدّثنا خالد بن يزيد ، حدّثنا أبو داود أنه سمع محمد بن علي يقول إذا رايتم القارىء يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص » .) .

وكان أبو جعفر يصلِّي كلَّ يومٍ وليلةٍ [خمسين ركعة] بالمكتوبة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٢) ، وما بين معقوفين منه ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٤ ، ٤٠٥) .) .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه قال : سلاحُ اللئام قَبِيحُ الكلام (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٢ ، ١٨٣) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٠٩) .) .

وروى أبو الأحوص عن منصور ، عنه قال : لكلِّ شيءٍ آفة وآفة العلم النسيان (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٣) .) .

وقال لابنه : إياك والكسلَ والضجر ، فإنَّهما مفتاحُ كلِّ خَبِيثة ، إنك إذا كسلت لم تؤدِّ حقّاً ، وإنْ ضَجِرتَ لم تصبرْ على حَقّ (المصدر السابق .) .

وقال : أشدُّ الأعمال ثلاثة : ذكرُ اللهِ على كلِّ حال ، وإنصافُكَ من نفسِك ، ومواساةُ الأخِ في المال (المصدر السابق .) . =

. . . .

= وقال خلف بن حوشب : قال أبو جعفر : الإيمان ثابتٌ في القلب ، واليقينُ خَطَرات ، فيمرُّ اليقينُ بالقلب فيصيرُ كأنَّهُ زُبَرُ الحَدِيد (الزُّبَرُ : جمع زُبْرَة ، وهي قطعة الحديد . وزُبَرُ الحديد : قِطَعُه . مختار الصحاح (زبر) .) ، ويخرج منه فيصير كأنَّه خِرقَةٌ بالية (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٠) .) .

وما دخل قلبَ عبدٍ شيءٌ من الكِبْر إلاَّ نَقَصَ من عَقْلِهِ بقَدْرِهِ أو أكثر منه (المصدر السابق ، وذكره المصنف في تفسيره (٣/ ١٨٠) .) .

وقال لجابر الجعفي : ما يقولُ فقهاءُ العراق في قوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف : ٢٤] ؟ قال : رأى يعقوبَ عاضّاً على إبْهامه . فقال : لا ، حدَّثني أبي عن جَدِّي عليِّ بنِ أبي طالب أنَّ البرهانَ الذي رآه أنَّها حين هَمَّتْ بهِ وهَمَّ بِها ، أيْ طَمِعَ فيها ، قامتْ إلى صَنَمٍ لها مكَّللٍ بالدُّرِّ والياقوت في ناحيةِ البيت ، فستَرَتْهُ بثوبٍ أبيض ، خشيةَ أنْ يراها أو استحياءً منه ، فقال لها يوسف : ما هذا ؟ فقالت إلَهي أستحي منه أنْ يراني على هذه الصورة . فقال يوسف : تستحينَ من صنَمٍ لا ينفعُ ولا يَضُرّ ، ولا يسمَعُ ولا يُبصِر ، أفلا أستحي أنا من إلَهي الذي هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبت !؟ ثم قال : والله لا تنالينَ مني أبداً . فهو البرهان [الذي رأى] (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨١) وما بين معقوفين منه .) .

وقال بشرُ بن الحارث الحافي : سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول : سمعت منصوراً يقول : سمعتُ محمد بن عليٍّ يقول : الغِنَى والعِزُّ يجولانِ في قلبِ المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكانٍ فيه التوكُّل أوطَنَاه (أوطناه : أيْ اتخذ الغنى والعز قلبَ المؤمنِ وطناً . والخبر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨١) .) .

وقال : إنَّ الله يُلقِي في قلوب شيعتِنا الرُّعْب ، فإذا قام قائمُنا وظهرَ مَهْدِيُّنا (في (ق) : « مدينِنا » ، تصحيف ، والمثبت من الحلية .) كان الرجلُ منهم أجرأَ من لَيث ، وأمضَى من سيف (في الحلية : « وأمضى من سنان » والخبر فيه (٣/ ١٨٤) .) .

وقال : شيعتُنا من أطاعَ الله عزَّ وجلَّ واتقاه (المصدر السابق .) .

وقال : إياكم والخصومة ، فإنها تُفسِدُ القلب ، وتُورِثُ النِّفاق (المصدر السابق .) .

وقال : الذين يخوضون في آياتِ الله هم أصحابُ الخصومات (المصدر السابق .) .

وقال عروة بن عبد الله : سألتُ أبا جعفر محمد بن علي عن حِلْيَةِ السيف فقال : لا بأسَ به ، قد حَلَّى أبو بكرٍ الصديقُ سيفَه . قال : قلتُ وتقولُ الصِّدِّيق ؟! قال : فوثب وثبةً واستقبل القِبْلَةَ ثم قال : نَعَمْ الصِّدِّيق (العبارة في الحلية « نعم الصديق » قيلت مرة واحدة .) ، نعم الصِّدِّيق ، فمَنْ لم يقل الصِّدِّيق فلا صدَّق الله له قولاً في الدنيا والآخرة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٥) .) .

وقال جابر الجُعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ، بلغَني أنَّ قوماً بالعراق يزعمون أنَّهم يُحِبُّونا ، ويتناولون أبا بكرٍ وعمر ، ويزعمون أني أمَرْتُهم بذلك ، فأبلِغْهُمْ عني أنِّي إلى اللهِ منهم بَريء ، والذي نفسُ محمد بيدِه ـ يعني نفسه ـ لو وُلِّيتُ لتقرَّبْتُ إلى الله بدمائهم ، ولا نالَتْني شفاعةُ محمد ﷺ إنْ لم أكنْ أستغفِرُ لهما وأتَرَحَّم عليهما . إن أعداء الله لغافلونَ عن فضلِهما وسابقتِهما ، فأبلِغْهُمْ أني بريءٌ منهم ومِمَّن تبرَّأ من أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما (المصدر السابق .) .

وقال : مَنْ لم يعرفْ فضلَ أبي بكرٍ وعمر فقد جَهِلَ السُّنَّة (المصدر السابق .) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [المائدة : ٥٥] الآية ، قال : هم أصحابُ محمدٍ ﷺ =

= قال : قلتُ يقولون هو عليّ ؟ قال : عليٌّ من أصحاب محمد (المصدر السابق .) .

وقال عبد الله بن عطاء : ما رأيتُ العلماءَ عند أحدٍ أصغرَ منهم عند أبي جعفر محمد بن علي . قال : رأيتُ الحكيم عنده كأنه مُتعلِّم (الحلية (٣/ ١٨٥ ، ١٨٦) .) .

وقال : كان لي أخٌ في عيني عظيم ، وكان الذي عظَّمَه في عيني صِغَرُ الدنيا في عينِه (الحلية (٣/ ١٨٦) .) .

وقال جعفر بن محمد : ذهبتْ بَغْلَةُ أبي . فقال لئن ردَّها الله علي لأحمَدَنَّهُ بمحامدَ يرضاها . فما كان بأسرع من أنْ أُتيَ بها بسَرْجِها لم يُفقَدْ منها . فقامَ فركِبَها ، فلما استوى عليها وجمع إليه ثيابَه رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله . لم يَزِدْ على ذلك ، فقيل له في ذلك ، فقال : فهل تركْتُ أو أبْقَيْتُ شيئاً ؟ جعلتُ الحمدَ كلَّه للهِ عزَّ وجلَّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٩٦) (٤٣٩٢) .) .

وقال عبد الله بن المبارك : قال محمد بن علي : مَنْ أُعطِيَ الخُلُقَ والرِّفْق فقد أُعْطِيَ الخيرَ والراحةَ ، وحَسُنَ حالُه في دنياه وآخرتِه ، ومَنْ حُرِمَهُما كان ذلك سبيلاً إلى كُلِّ شَرٍّ وبَلِيَّة ، إلاَّ مَنْ عصَمَهُ الله (أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٨٦) .) .

وقال : أيُدْخِلُ أحَدُكُمْ يدَهُ في كُمِّ صاحبِه فيأخذُ مايُريد تامّاً ؟ قال : قلنا : لا (في (ق) : « إلا قال » بدل « قال : قلنا : لا » ، وهو تحريف ، والمثبت من الحلية .) . قال : فلستم إخواناً كما تزعمون (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٧) .) .

وقال : اعرِف مودَّةَ أخيكَ لكَ ، بما لَهُ في قلبِك من المودَّة فإنَّ القلوبَ تتكافأ (المصدر السابق ، وليست فيه الجملة الأخيرة « فإن القلوب تتكافأ » .) .

وسمع عصافيرَ يَصِحْنَ فقال : أتدري ماذا يَقُلْن ؟ قلت : لا . قال : يُسَبِّحْنَ الله ، ويسألْنَهُ رزقَهُنَّ يوماً بيوم (المصدر السابق .) .

وقال : ندعو الله بما نُحب ، وإذا وقع الذي نكره لم نخالفِ الله عزَّ وجلَّ فيما أحَبّ (في (ق) : « تدعو الله بما يحب ، وإذا وقع الذي تكره لم تخالف الله عز وجل فيما أحب » ، والمثبت من الحلية والخبر فيه (٣/ ١٨٧) .) .

وقال : ما مِنْ عبادةٍ أفضلُ من عِفَّةِ بَطْنٍ أو فَرْج ، وما من شيءٍ أحَبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ من أنْ يُسأل ، ومايدَفعُ القضاءَ إلا الدُّعاء ، وإنَّ أسرعَ الخيرِ ثواباً البِرّ ، وأسرعَ الشرِّ عقوبةً البَغْي ، وكفى بالمرء عَيباً أنْ يُبصِرَ من الناس ما يَعْمَى عليه من نفسه ، وأنْ يأمُرَ الناسَ بما لا يَستطيعُ أنْ يفعلَه ، ويَنهَى الناسَ بما لا يستطيعُ أنْ يتحوَّل عنه ، وأنْ يؤذي جليسَهُ بما لا يَعْنِيه (الحلية (٣/ ١٨٨) .) .

هذه كلماتٌ جوامعُ موانع ، لا ينبغي لعاقلٍ أنْ يفعلَها (كذا ، ولعل الصواب يغفلها) .

وقال : القرآنُ كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ غيرُ مخلوق (المصدر السابق .) .

وقال أبو جعفر : صَحِب عمرَ بن الخطاب رجلٌ إلى مكة ، فمات في الطريق ، فاحتبس عليه عمر حتى صلّى عليه ودَفنه ، فقلَّ يومٌ إلاَّ كان عمرُ يتمثَّلُ بهذا البيت :

وبالغُ أمْرٍ كانَ يأمُلُ دونَهُ ... وَمُخْتَلَجٌ من دونِ ما كان يَأمُلُ

(المصدر السابق .)

وقال أبو جعفر : والله لَمَوْتُ عالمٍ أحَبُّ إلى إبليسَ من موتِ ألفِ عابد .

وقال : ما اغرورقَتْ عينُ عبدٍ بمائِها إلا حرَّمَ الله وجهَ صاحبها على النار ، فإنْ سالَت على الخدَّين لم يَرْهَقْ وجهَهُ

ثم دخلت سنة ست عشرة ومئة

ففيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفةَ ، وفيها وقع طاعونٌ عظيمٌ بالشامِ والعراق ، وكان عُظْمُ ذلك في واسط .

وفي المحرَّم منها تُوفِّي الجُنيد بن عبد الرحمن المُرِّي أميرُ خُراسان من مرضٍ أصابَه في بطنِه ، وكان قد تزوَّجَ الفاضلةَ بنتَ يزيدَ بنِ المهلَّب ، فتغضَّبَ عليه أميرُ المؤمنين هشامُ بن عبد الملك ، فعزلَهُ وولَّى مكانَهُ عاصمَ بنَ عبدِ الله على خُراسان وقال له : إنْ أدركتَهُ قبلَ أن يموتَ فأزهِقْ رُوحه . فما قَدِمَ عاصمُ بن عبد الله خُراسان حتى مات الجُنيد في المحرَّم منها بِمَرْو . وقد قال فيه أبو الجرير[1] عيسى بنُ عِصْمَةَ يَرْثيه :

هَلَكَ الجُودُ والجُنَيْدُ جميعاً فعلى الجُودِ والجُنيدِ السلامُ
أصبحا ثاوِيَيْنِ في بَطْنِ مَرْوٍ ما تَغَنَّى على الغصونِ الحَمَامُ
كنتُما نُهْزَةَ[2] الكرامِ فلمَّا مُتَّ مات النَّدَى وماتَ الكرامُ[3]

ولما قَدِم عاصم بنُ عبد الله خُراسانَ أخَذَ نُوَّابَ الجُنيد بالضربِ البَلِيغ وأنواعِ العقوبات ، وعَسَفَهُم[4] في المصادراتِ والجنايات ، فخرج عن طاعتِه الحارثُ بن شريح ، فبارَزَهُ بالحَرْب ، وجرَتْ بينهما أمورٌ يطولُ ذكرُها . ثم هُزِمَ في آخرِ الأمر الحارثُ بن شُريح ، وظهر عاصمٌ عليه .

قال الواقدي : وفيها حَجَّ بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك[5] وهو وليُّ الأمرِ من بعد عَمِّهِ

= قَتَرٌ ولا ذِلَّة ، وما من شيءٍ إلاّ وله جزاء ، إلاّ الدمعةَ فإنَّ الله يُكَفِّرُ بها بحورَ الخطايا ، ولو أنَّ باكياً بكَى من خشيةِ الله في أُمَّةٍ ، رَحِم اللهُ تلك الأمَّة (أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٠٩) بنحوه .) .

وقال : بئس الأخُ أخٌ يَرْعاك غَنِيّاً ويَقْطَعُكَ فقيراً (أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص(٩٤) والإخوان له ص(٢١٧) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١١٢) .) .

قلت (القائل هو من كتب الزيادة التي في (ق) .) : البيتُ الذي يتمثَّل قبلَه بيتانِ وهو ثالثُهما ، وهذه الأبيات تتضمَّنُ حِكَماً وزُهْداً في الدنيا . قال :

لقد غرَّت الدُّنيا رجالاً فأصبحوا بِمَنْزِلَةٍ ما بعدَها متحوَّلُ
فساخِطُ أمْرٍ لا يُبَدَّلُ غيرُهُ وراضٍ بأمرٍ غيرُهُ سَيُبَدَّلُ
وبالغُ أمْرٍ كانَ يأمُلُ دونَهُ ومُخْتَلَجٌ من دونِ ما كان يَأمُلُ]

(١) كذا في الأصول (ب ، ح ، ق) ، وفي تاريخ الطبري : « أبو الجُوَيْرِية » ولم أقف على ترجمته .

(٢) في (ق) وتاريخ الطبري : « نزهة » والمثبت من (ب ، ح) .

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه (٧/ ٩٤) والأبيات فيه بألفاظٍ مقاربة

(٤) « عسفَهُم » : أخذهم بلا تدبيرٍ ولا رَويَّة ، من العَسف ، وهو ركوب الأمرِ بلا تدبُّرٍ ولا رَوِيَّة ، يقال : عسَفَه يعسِفُهُ عَسفاً . اللسان (عسف) .

(٥) كذا في الأصول ، وتاريخ الطبري (٧/ ٩٨) ، وفي تاريخ خليفة (٣٤٧) : « وأقام الحج الوليد بن يزيد بن =

هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين كما سيأتي إنْ شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومئة

فيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفة اليسرى ، وسليمانُ بن هشام الصائفةَ اليُمنى ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام .

وفيها بعث مروان بن محمد ـ وهو مروانُ الحمار[1] ـ وهو على أرْمِينِيَةَ بَعْثَيْن ، ففتح حصوناً من بلاد اللاَّن ، ونزل كثيرٌ منهم على الأمان ، وفيها عَزَلَ هشامٌ عاصمَ بن عبد الله الهلالي عن إمرةِ خُراسان ، وضمَّها إلى خالد بن عبدِ الله القسري مع العراق[2] ، مُعادةً إليه جَرْياً على ما سبق له من العادة ، وكان ذلك عن كتاب عاصم بن عبد الله الهلالي المعزول عنها ، وذلك أنه كتب إلى أمير المؤمنين هشام ، أنَّ ولايةَ خُراسان لا تصلحُ إلاّ مع ولايةِ العراق ، رجاءَ أنْ يُضيفَها إليه ، فانعكس الأمرُ عليه ، فأجابه هشام إلى ذلك قبولاً لِنَصيحتِه وأضافَها إلى خالدٍ القَسْري .

وفيها توفي :

قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيّ[3] أبو الخطاب البصري الأعمَى : أحد علماء التابعين ، والأئِمَّة العاملين .

= عبد الملك ويقال عيسى بن مقسم مولى الوليد بأمر الوليد » والذي في الطبقات الكبرى (القسم المتمم ص(١٦٤)) عن الواقدي محمد بن عمر قال : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري أن هشاماً استعمل ابنه أبا شاكر واسمه مسلمة بن هشام على الحج سنة ست عشرة ومئة ، وأمر الزهري أن يسير معه إلى مكة .

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ٧٤) في سبب تلقيبه بالحمار : وكان مروان بطلاً شجاعاً داهية رزيناً جباراً ، يصل السير بالسرى ولا يجف له لبد ، دوَّخ الخوارج بالجزيرة ، ويقال : بل العرب تسمي كل مئة عام حماراً ، فلما قارب ملكُ آلِ أمية مئةَ سنة لقَّبوا مروان بالحمار ، وذلك ماخوذٌ من موتِ حمارِ العزير عليه السلام وهو مئة عام ثم بعثهم الله تعالى .

(٢) في (ق) في هذا الموضع زيادة وتحريف ، وأثبتنا ما جاء في (ب ، ح) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٩) ، طبقات خليفة (٢١٣) ، تاريخ خليفة (٢٣٢) ، (٣٤٨) ، التاريخ الكبير (٧/ ١٨٥) ، التاريخ الصغير (١/ ٣١٨) ، المعارف (٤٦٢) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٢٧٧) ، الجرح والتعديل (٧/ ١٣٣) ، ثقات ابن حبان (٥/ ٣٢١) ، حلية الأولياء (٢/ ٣٣٣) ، طبقات الفقهاء (٨٩) ، الأنساب (٧/ ٥٨) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٥٩) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٢٢٤) ، معجم الأدباء (١٧/ ٩) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٧) ، وفيات الأعيان (٤/ ٨٥) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٩٨) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٢) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٨٥) ، العبر (١/ ١٤٦) ، مرآة الجنان (١/ ٢٥١) ، طبقات القراء (٢/ ٢٥) ، تقريب التهذيب (٤٥٣) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٧٦) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٠٦ و٤/ ٥٠٨) ، شذرات الذهب (١/ ١٥٣) .

روَى عن أنس بن مالك ، وجماعةٍ من التابعين ، منهم سعيدُ بن المُسَيِّب ، والبصري ، وأبو العالية ، وزُرَارَةُ بنُ أوفى ، وعطاء ، ومجاهد ، ومحمد بن سيرين ، ومسروق ، وأبو مِجْلَز ، وغيرهم .

وحدَّث عنه جماعاتٌ من الكبار ، كأيُّوب ، وحماد بن سَلَمة ، وحُمَيد الطويل ، وسعيد بن أبي عَروبة ، والأعمش ، وشُعبة ، والأوزاعي ، ومِسْعَر ، ومَعْمَر ، وهَمَّام .

قال سعيد بن المسيِّب : ما جاءني عراقيٌّ أفضلُ منه ، وقال بكر المزني : ما رأيتُ أحفظَ منه . وقال محمد بن سِيرين : هو من أحفَظِ الناس ، وقال مَطَر الورّاق : كان قتادةُ إذا سمع الحديث يأخذُه العَوِيلُ والزَّوِيل[١] حتى يحفظَه .

وقال الزُّهْري : هو أعلَمُ من مَكْحُول . وقال معمر : ما رأيتُ أفقهَ من الزُّهري وحَمّاد وقتادة .

وقال قتادة : ما سمعتُ شيئاً إلاَّ وعاهُ قلبي .

وقال أحمد بن حنبل : هو أحفظُ أهلِ البصرة ، لا يسمع شيئاً إلاَّ حَفِظه . وقُرِىءَ عليه صحيفةُ جابرٍ مرَّةً واحدة ، فحفِظَها . وذُكر يوماً فأثنى على علمهِ وفقههِ ومعرفتهِ بالاختلاف والتفسير وغير ذلك .

وقال أبو حاتم[٢] : كانت وفاتُه بِوَاسط في الطاعون . يعني في هذه السنة ، وعمرُه ستٌّ أو سبعٌ وخمسون سنة[٣] .

وفيها تُوفي :

أبو الحُبَاب سعيدُ بن يَسَار ، والأعرج .

(١) جاء في غريب الحديث للخطابي (٣/ ١٥٤) : عن مطر الوراق : الزَّوِيل : الزماع والقلق وهو أن لا يستقر على المكان وأصله من زال الشيء عن مكانه يزول عنه زوالاً وزويلا . وفي لسان العرب (زول) : وورد في حديث قتادة أخذَه العَوِيلُ والزَّوِيلُ : أي القَلَق والانزعاج بحيث لا يستقرُّ على المكان ، وهو والزَّوَال بمعنى .

(٢) في الجرح والتعديل (٧/ ١٣٣) .

(٣) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :

[قال قتادة : منْ وَثِقَ بالله (كذا في (ق) ، وفي الحلية (٢/ ٣٤٠) وصفة الصفوة (٣/ ٢٥٩) : « من يتق الله » .) كان الله معه ، ومنْ يكنِ الله معه تكنْ معَهُ الفئةُ التي لا تُغلب ، والحارسُ الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يَضِلّ ، والعالم الذي لا يَنْسى .

وقال : في الجنة كُوًى إلى النار ، [فيطلع أهل الجنة من تلك الكُوَى إلى النار] فيقولون : ما بالُ الأشقياء دخلوا النار ؟ وإنما دخلنا الجنة بفضلِ تأديبكم ؟ فقالوا : إنَّا كنَّا نأمرُكُمْ ولا نأتمر ، وننهاكم ولا نَنْتَهي (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٠) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٥٩) ، وما بين معقوفين منهما .) .

وقال : بابٌ من العلم يحفَظُه الرجلُ يطلبُ به صلاحَ نفسِه ، وصلاحَ دينِه ، وصلاحَ الناس ، أفضلُ من عبادةِ حَوْلٍ كامل (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤١) .) .

وقال قتادة : لو كان يُكتفى من العلم بشيء لاكتَفَى موسى عليه السلام بما عنده ؛ ولكنَّه طلبَ الزِّيادة] .

وابنُ أبي مُلَيكة .

وعبد الله بن أبي زكريا الخُزَاعي .

ومَيْمون بن مِهْران بن موسى بن وردان[1] .

(١) وهذه زيادة أيضاً وهي :
[فصل :
فأما سعيدُ بن يسار فكان من العُبَّاد الزُّهَّاد ؛ روَى عن جماعةٍ من الصحابة ، وكذلك الأعرج ، وابنُ أبي مُلَيكة .
وأمَّا مَيْمون بن مِهْران (ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٧٧) ، طبقات خليفة (٣١٩) ، تاريخ خليفة (٣٤٧) ، التاريخ الكبير (٧/ ٣٣٨) ، التاريخ الصغير (١/ ٣١٩ ، ٣٢١) ، الجرح والتعديل (٨/ ٢٣٣) ، ثقات ابن حبان (٥/ ٤١٧) ، حلية الأولياء (٤/ ٨٢) ، طبقات الشيرازي (٧٧) ، صفة الصفوة (٤/ ١٩٣) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٥/ ٧٩) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٦٠) ، تهذيب الكمال (٢٩/ ٢١٠) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٧١) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٨) ، العبر (١/ ١٤٧) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٩٠) ، طبقات الحفاظ (٣٩) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٠) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٦٣) ، شذرات الذهب (١/ ١٥٤) .) : فهو من أجلَّاءِ علماءِ التابعينَ وزُهَّادِهم وعُبَّادِهم وأئمَّتِهم . كان ميمون إمامَ أهلِ الجَزيرة .
روى الطبرانيُّ عنه أنه قيل له : ما لك لا يُفارقك أخٌ لك عن قِليً ؟ قال : لأني لا أماريه ولا أُشاريه (أورده المزي في تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٢١) .) .
قال عمرو بن ميمون : ما كان أبي يُكثر الصلاةَ ولا الصيام ، ولكنْ كان يكرَهُ أن يُعصى الله عزَّ وجلَّ (ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ١٩٣) .) .
وروى ابنُ أبي عَدِي عن يونس ، عنه قال : لا تُمَارِيَنَّ عالماً ولا جاهلاً ، فإنكَ إنْ مارَيْتَ عالماً خَزَنَ عنكَ عِلْمَه ، وإنْ مَا رَيْتَ جاهلاً خَشِنَ بصدرِك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٢) ، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٢٢) .) .
وقال عمرو بن ميمون : خرجتُ بأبي أقودُهُ في بعضِ سككِ البصرة ، فمرَرْنا بِجَدْول ، فلم يستطِع الشيخُ أنْ يتخطَّاه ، فاضجَعْتُ له فمرَّ على ظَهْري ، ثم قمتُ فأخذتُ بيدِه ، ثم دَفَعْنا إلى مَنْزِل الحسن ، فطرقتُ الباب ، فخرجَتْ إلينا جاريةٌ سُدَاسية فقالت : منْ هذا ؟ فقلت : هذا مَيمونُ بن مِهران أرادَ لقاءَ الحسن . فقالت : كاتبُ عمر بن عبد العزيز ؟ قلت لها : نعم . قالتْ : يا شَقيّ ، ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء ؟ قال : فبكى الشيخ ، فسمع الحسنُ بكاءَه ، فخرجَ إليه فاعتنقا ، ثم دخلا ، فقال ميمون : يا أبا سعيد ، إني قد أنسْتُ من قلبي غِلْظة ، فاستلِنْ (في (ق) : « فاستكن » ، والمثبت من الحلية .) لي منه . فقرأ الحسنُ : ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٠٥ ـ ٢٠٧] . فسقطَ الشيخ مغشياً عليه ، فرأيتُهُ يَفْحصُ برجلَيْهِ كما تفحصُ الشاةُ إذا ذُبحت ، فأقامَ طويلاً ، ثم جاءتِ الجاريةُ فقالت : قد أتعبتُمُ الشيخ ، قوموا تفرَّقوا . فأخذتُ بيدِ أبي ، فخرجتُ فقلت : يا أبتِ أهذا هو الحسن ؟ قال : نعم . قلت : قد كنتُ أحسبُ في نفسي أنَّهُ أكبرُ من هذا . قال : فوكَزَ في صدري وَكْزةً ثم قال : يا بُني ، لقد قرأ علينا آيةً لو فهمتَها بقلبِك لألفَيْتَ لها فيه كلوماً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٢ ، ٨٣) .) . =

. . . .

= وروى الطبراني عنه أنه قال : ما أُحبُّ أني أعطَيْتُ درهماً في لَهْو ، وأنَّ لي مكانه مئةَ ألف ، أخشَى أنْ تصيبَني هذه الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان : ٦] ، الآية (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٣) .) .

وقال جعفر بن برقان عن ميمون بن مِهْران قال : كنتُ عند عمر بن عبد العزيز ، فلما قمتُ قال عمر : إذا ذهب هذا وأضرابُه لم يبقَ من الناس إلاَّ رَجَاج (في (ق) : « مجاجة » ، والمثبت من المصدر السابق ، ولسان العرب إذ جاء فيه : في حديث عمر بن عبد العزيز : الناس رجاجٌ بعد هذا الشيخ ، يعني مَيْمون بنَ مِهْرانَ ؛ هم رَعاعُ الناس وجُهَّالُهم . اللسان (رجج) .) .

وروى الإمام أحمد عن معمر بن سليمان الرَّقِّي ، عن فُرَات بن سليمان ، عن ميمون بن مِهْران ، قال : ثلاثٌ لا تبلو نفسَك بهنّ : لا تدخلْ على سلطان ، وإن قلتَ آمُرُه بطاعةِ الله ؛ ولا تدخلْ على امرأةٍ وإنْ قلتَ أعلِّمُها كتابَ الله ؛ ولا تُصغيَنَّ بسمعكَ إلى ذي هَوًى ، فإنك لا تدري ما يَعْلَقُ بقلبك من هواه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٤ ، ٨٥) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٧) .) .

وروى عبد الله بن أحمد عنه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴾ [النبأ : ٢١] ، و ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] ، فقال : التَمِسوا هذين المِرْصادَيْن جوازاً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٤) .) .

وفي قوله : ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] ، فيها وَعيدٌ شديد للظَّالم وتعزيةٌ للمظلوم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٣ ، ٨٤) .) .

وقال : لو أنَّ أهلَ القرآن صلَحُوا لصَلَحَ الناس .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا عيسى بن سالم الشاشي ، حدّثنا أبو الْمَليح قال : سمعتُ ميمون بن مِهْران يقول : لا خيرَ في الدنيا إلاَّ لِرجلَيْن : رجل تائب ـ أو قال : يتوب ـ من الخطيئات ؛ ورجل يعملُ في الدرجات (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٣) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ١٩٤) .) .

فلا خيرَ في العيش والبقاء في الدنيا إلاَّ لهذَيْن الرجلَيْن ؛ رجل يعملُ في الكفَّارات ؛ ورجل يعملُ في الدرجات ، وبقاءُ ما سواهما وبالٌ عليه .

وقال جعفر بن بُرْقان : سمعتُ ميمونَ بن مِهْران يقول : إنَّ هذا القرآن قد خُلق في صدور كثيرٍ من الناس ، فالتَمسوا ما سواه من الأحاديث ، وإنَّ فيمن يتبع هذا العلم قوماً يتخذونه بضاعة يلتمس بها الدنيا ؛ ومنهم منْ يُريد أن يُماري به ، وخيرُهم منْ يتعلَّمه ويُطيع اللهَ عزَّ وجلَّ به .

وقال : مَنِ اتَّبعَ القرآن قادهُ القرآنُ حتى يحلَّ به الجنة ، ومنْ ترك القرآنَ لم يدَعْهُ القرآنُ يتَّبِعُه حتى يَقذِفَهُ في النار (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٤) .) .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا خالد بن حيان ، حدّثنا جعفر بن بُرْقان ، عن مَيمون بن مِهْران ، قال : لا يَسْلمُ للرجلِ الحلالُ حتى يجعلَ بينهُ وبينَ الحَرَام حاجزاً من الحَلال (المصدر السابق .) .

وقال ميمون : منْ كان يُريد أنْ يعلمَ ما مَنْزلتُهُ عندَ الله فَلْيَنْظُرْ في عمَلِه ، فإنه قادمٌ عليه كائناً ما كان (المصدر السابق .) .

وقال عبدُ الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا يحيى بن عثمان الحَرْبي ، حدّثنا أبو المَليح عن ميمون بن مِهْران قال : نظرَ رجلٌ من المهاجرينَ إلى رجلٍ يُصلِّي ، فأخفَّ (في (ق) : « فأخفى » ، والمثبت من الحلية (٤/ ٨٤) والخبر

. . . .

= فيه .) الصلاة فعاتَبهُ فقال : إني ذكرتُ ضيعةً لي . فقال : أكبرُ الضَّيعة أضعتَه .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدّثنا جعفر بن محمد الرَّسْعَني (في (ق) : « الدسعني » وفي الحلية : « الرسغني » ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من تقريب التهذيب ص(١٤١) في ترجمته .) ، حدّثنا أبو جعفر النُّفيلي ، حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن طلحة بن زيد ، قال : قال ميمون : لا تعرفِ الأمير ، ولا تعرفْ مَنْ يعرِفُه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٥) .) .

وروَى عبد الله بن أحمد ، عنه أيضاً ، قال : لأنْ أُؤتَمَنَ على بيتِ مالٍ أحبُّ إليَّ منْ أنْ أؤتمنَ على امرأة (المصدر السابق .) .

وقال أبو يعلى المَوْصلي : حدّثنا هاشم بن الحارث ، حدّثنا أبو المليح الرَّقِّيّ ، عن حبيب بن أبي مَرْزوق ، قال : قال ميمون : وَدِدْتُ أنَّ إحدى عينيَّ ذهبَتْ وبقيتِ الأخرى أتَمَتَّعُ بها ، وأنِّي لم ألِ عملاً قطّ . قلتُ : ولا لِعُمَرَ بنِ عبدِ العزيز ؟ قال : ولا لعمرَ بنِ عبد العزيز ؛ لا خيرَ في العملِ لا لِعُمر ، ولا لِغَيْرِه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٦) .) .

وقال أحمد : حدّثنا زيدُ بن الحُبَاب ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا جعفر بن بُرْقان ، عن ميمون بن مِهْران ، قال : ما عرضتُ قولي على عمَلي إلاَّ وجدتُ من نفسِي اعتِراضاً (المصدر السابق .) .

وقال الطبراني : حدّثنا المِقْدام بن داود ، حدّثنا عليُّ بنُ مَعْبد ، حدّثنا خالد بن حيَّان ، حدّثنا جعفر ، عن ميمون ، قال : قال لي مَيمون : قُلْ لي في وجهي ما أكره ، فإنَّ الرجلَ لا يَنْصحُ أخاهُ حتى يقولَ لهُ في وجهِهِ ما يَكْرَه (المصدر السابق .) .

وروى عبدُ الله بن أحمد ، عنه ، في قوله تعالى : ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ [الواقعة : ٣] ، قال : تَخْفِضُ أقواماً وترفَعُ آخرين (المصدر السابق .) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدّثني عيسى بن سالم ، حدّثنا أبو المَلِيح ، حدّثنا بعضُ أصحابي قال : كنتُ أمشي مع مَيمون ، فنظَرَ ، فرأى عليّ ثوْبَ كَتَّان ، فقال : أمَا بلغَكَ أنَّه لا يَلْبسُ الكَتَّانَ إلاَّ غَنِيٌّ أو غاوٍ (المصدر السابق .) ؟ .

وبهذا الإسناد ، سمعتُ مَيمونَ بنَ مِهْران يقول : أولُ منْ مَشَتِ الرِّجالُ معهُ وهو راكِبٌ الأشعثُ بن قيس الكِنْديّ ، ولقد أدركتُ السَّلَفَ وهم إذا نظروا إلى رجلٍ راكبٍ ورجلٍ [ماشٍ] يحضُرُ معهُ قالوا : قاتله [الله] ، جَبَّار (المصدر السابق ، وما بين معقوفين منه .) .

وقال عبد الله بن أحمد : بَلَغني عن عبد الله بن كريم بن حيان وقد رأيته ، حدّثنا أبو المَليح ، قال : قال ميمون : ما أُحبُّ أنَّ لي ما بين بابِ الرُّهَا إلى حَوْران بخمسة دراهم . وقال ميمون : يقولُ أحدُهم : اجلِسْ في بيتك ، وأغلقْ عليك بابَك ، وانظُرْ هل يأتيكَ رِزْقُك ؟ نعَمْ والله ، لو كان له مثلُ يقينِ مَرْيمَ وإبراهيمَ عليه السلام ، وأغلق عليه بابَه ، وأرخَى عليه سِتْرَه لجاءَهُ رزقُه . وقال : لو أنَّ كلَّ إنسانٍ منَّا يتعاهدُ كَسْبَه ، فلم يَكْسِبْ إلاَّ طيِّباً فأخرَجَ ما عليه ، ما احتيجَ إلى الأغنياء ، ولا احتاجَ الفقراء (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٧) .) .

وقال أبو المليح عن ميمون ، قال : ما بَلَغني عن أخٍ لي مكروهٌ قطُّ إلاَّ كانَ إسقاطُ المكروهِ عنه أحَبَّ إليَّ من تَخْفيفِهِ عليه ؛ فإنْ قال : لم أَقُلْ ، كان قولُهُ : لم أَقُلْ أحَبَّ إليَّ من ثمانيةٍ يشهدونَ عليه ؛ فإنْ قال : قلتُ ولم يعتذِرْ أبغضْتُهُ من حيثُ أحبَبْتُه .

. . . .

= وقال: سمعتُ ابن عباس يقول: ما بَلغني عن أخٍ لي مكروهٌ قطُّ إلاَّ أنزلْتُه إحدى ثلاث منازل: إنْ كان فَوْقي عرَفْتُ له قَدْرَه؛ وإنْ كان نَظيري تفضَّلْتُ عليه؛ وإنْ كانَ دُوني لم أحْفِلْ به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رَغبَ عنها فإنَّ أرضَ الله واسعة (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٥).).

وقال أبان بن أبي راشد القُشَيري: كنتُ إذا أردتُ الصائفةَ أتيتُ ميمونَ بن مِهْران أوَدِّعُه، فما يزيدُني على كلمتَيْن: اتَّقِ الله، ولا يغرَّنَّك طمعٌ ولا غَضَب (المصدر السابق، وفيه: «ولا يغيرك طمع..».).

وقال أبو المليح عن ميمون قال: العلماءُ هُمْ ضالَّتي في كلِّ بلدة، وهم أحِبَّتي في كلِّ مِصْر، ووجدتُ صلاحَ قلبي في مجالسةِ العلماء (المصدر السابق.).

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، قال: غُرَفاً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٧).).

وقال: لأنْ أتصدَّقَ بدِرهمٍ في حياتي أحبُّ إليَّ من أنْ أتصدَّق بمئةِ درهمٍ بعد موتي (المصدر السابق.).

وقال: كان يُقال: الذِّكْرُ ذِكْران: ذِكْرُ الله باللِّسان، وأفضلُ من ذلك أنْ تذكرَهُ عند ما أحلَّ وحَرَّم، وعند المعصية، فتكفُّ عنها وقد أشرفتَ [عليها] (المصدر السابق، ومابين معقوفين منه.).

وقال: ثلاثٌ الكافرُ والمؤمنُ فيهنَّ سواء: الأمانةُ تؤدِّيها إلى مَنِ ائتمَنَكَ عليها منْ مسلمٍ وكافر، وبرُّ الوالدَيْن وإنْ كانا كافرَيْن؛ والعَهْدُ تَفي بهِ للمؤمن والكافر (المصدر السابق.).

وقال أبو المليح (في (ق): «وقال صفوان عن خلف بن حوشب عن ميمون». والمثبت من مصادر التخريج.)، عن ميمون، قال: أدركتُ منْ لم يكنْ يملأُ عينيْهِ من السماء فَرَقاً من ربّه عزَّ وجلَّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٨)، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ١٩٤)، والذهبي في السير (٥/ ٧٧).).

وقال أحمد بن بَزيع: حدّثنا يعلى بن عُبيد، حدّثنا هارون أبو محمد البربري، أنَّ عمرَ بن عبدِ العزيز استعملَ مَيْمونَ بنَ مِهْران على الجزيرةِ وعلى قضائها وخراجِها؛ فمكثَ حِيناً، ثم كتب إلى عمر يستعفيهِ عن ذلك وقال: كلَّفْتَني ما لا أُطيق، أقْضي بين الناس وأنا شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ رَقيق. فكتب إليه عمر اجْبِ من الخراجِ الطَّيِّب، واقضِ بما استبانَ لك، فإذا استبانَ لك، فإذا التبسَ عليكَ أمرٌ فارْفَعْهُ إليّ، فإنَّ الناسَ لو كان إذا كَبُرَ عليهم أمرٌ تركوه ما قام لهم دِينٌ ولا دُنيا (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٨).).

قال قُتيبة بنُ سعيد: حدّثنا كثير بن هشام، حدّثنا جعفر بن بُرْقان، قال: سمعتُ ميمونَ بن مِهْران يقول: إنَّ العبدَ إذا أذنبَ ذنباً نُكتَ في قلبه نكتة سوداء، فإذا تابَ مُحِيَتْ من قلبه، فتَرَى قلبَ المؤمن مَجْليّاً مثلَ المرآة، ما يأتيه الشيطانُ من ناحيةٍ إلا أبصرَه؛ وأمّا الذي يتتابعُ في الذنوب فإنه كلَّما أذنبَ نُكِتَتْ في قلبِه نُكْتةٌ سوداء، حتى يسوَدَّ قلبُه، فلا يُبصِرُ الشيطانَ من أينَ يأتيه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٩).).

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عليُّ بن ثابت، حدّثنا جعفر، عن ميمون، قال: ما أقلَّ أكياسَ الناس! لا يُبصرُ الرجلُ أمرَه حتى ينظرَ إلى الناسِ وإلى ما أُمِروا بِه (في (ق): «ما أدوا به»، والمثبت من الحلية (٤/ ٨٩).)، وإلى ما قد أكبُّوا عليه من الدنيا، فيقول: ما هؤلاء إلا أمثال الأباعر، لا همَّ لها إلاَّ ما تجعلُ في أجوافِها، حتى إذا أبصرَ غفلَتهم، نظرَ إلى نفسِهِ فقال: والله إني لأُراني من شرِّهم بعيراً واحداً. وبهذا الإسناد عنه: ما مِنْ صدَقَةٍ أفضلَ من كلمةِ حَقٍّ عندَ إمام جائر (المصدر السابق.).

وقال: لا تُعذِّبِ المملوكَ ولا تضرِبْهُ على كُلِّ ذنب، ولكنِ احفَظْ ذلك له، فإذا عَصَى اللهَ عزَّ وجلَّ فعاقِبْهُ على

. . . .

= معصيةِ الله ، وذَكِّرْهُ الذنوبَ التي أذنبَ بينك وبينه (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٨ ، ٨٩) .) .

وقال قُتيبة : حدّثنا جعفر بن بُرْقان : سمعتُ مَيمون بن مِهْران يقول : لا يكونُ الرجلُ منَ المتَّقين حتى يُحاسبَ نفسَهُ أشدَّ من محاسبةِ الشَّريك شَريكَه ، حتى يعلمَ من أين مَطْعَمُه ؟ ومن أين مَشْربُه ؟ [ومن أين مَلْبَسُه ؟] أمِنْ حلالٍ ذلك أمْ من حرام (المصدر السابق ص(٨٩) .) ؟.

وقال أبو زُرْعة الرازي (في (ق) : « أبو زرعة الدارمي » ، والمثبت من الحلية .) : حدّثنا سعيدُ بن حَفْص النُّفَيلي ، حدّثنا أبو المليح عن ميمون ، قال : الفاسقُ بِمَنْزلةِ السَّبُع ، فإذا كلمتَ فيه فخلَّيْتَ سبيلَهُ ، فقد خَلَّيْتَ سَبُعاً على المسلمين (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩١) .) .

وقال جعفر بن بُرْقان : قلت لميمون بن مِهران : إنَّ فلاناً يستبطىءُ نفسَهُ في زيارتِك ، قال : إذا ثبتَتِ المودةُ في القلوب فلا بأسَ وإنْ طالَ المُكْثُ (المصدر السابق .) .

وقال أحمد : حدّثنا مَيمون الرَّقِّي ، حدّثنا الحسن أبو المَليح ، عن مَيمون ، قال : لا تَجِدُ غريماً أهونَ عليك من بطنِكَ أو ظَهْرِك (المصدر السابق .) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدّثنا عبد الله بن مَيمون ، حدّثنا الحسن ، عن حَبيب بن أبي مَرْزوق ، قال : رأيت على مَيمون جُبَّةَ صوفٍ تحتَ ثيابه ، فقلتُ له : ما هذا ؟ قال : نعَمْ ، فلا تُخبِرْ بِهِ أحداً (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩١ ، ٩٢) .) .

وقال عبد الله بن أحمد : حدّثني يحيى بن عثمان ، حدّثنا أبو المليح عن ميمون ، قال : منْ أساءَ سِرّاً فَلْيَتُبْ سِرّاً ، ومنْ أساءَ علانيةً فَلْيَتُبْ علانيةً ، فإنَّ الله يغفِرُ ولا يعيِّر ، وإنَّ الناسَ يُعَيِّرونَ ولا يغفِرون (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٢) .) .

وقال جعفر : قال ميمون : في المال ثلاثُ آفات : إنْ نَجا صاحبُه من واحدة لم ينْجُ من اثنتَيْن ، وإنْ نَجا من اثنتَيْن كان قَميناً أنْ لا يَنْجوَ من الثالثة ، يَنبغي أنْ يكونَ حَلالاً طيِّباً ؛ فأيُّكمُ الذي يَسْلمُ كَسْبُه فلم يُدخِلْهُ إلا طيِّباً ، فإنْ سَلِم من هذه فيَنبغي أنْ يؤدِّيَ الحقوقَ التي تَلْزَمُهُ في مالِه ؛ فإنْ سلم من هذه فينبغي أنْ يكونَ في نفقَتِه ليس بِمُسْرفٍ ولا مُقتِّر . وقال : سمعتُ ميموناً يقول : أهونُ الصَّوم تَرْكُ الطعامِ والشراب (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٩ ، ٩٠) .) .

وقال عبد الله بن أحمد : حدّثنا يحيى بن عثمان الحَرْبي ، حدّثنا أبو المليح عن مَيمون بن مِهران ، قال : ما نالَ رجلٌ من جَسيم الخير ـ نبيٌّ أو غيرُه ـ إلاَّ بالصبر (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٠) .) .

وبهذا الإسناد قال : الدنيا حُلوة خَضِرَة ، قد حُفَّتْ بالشهوات ، والشيطانُ عدوٌّ حاضر ، فيظنٌّ (في الحلية : « فطن » .) أنَّ أمْرَ الآخرة آجِل ، وأمرَ الدنيا عاجل (المصدر السابق .) .

وقال يونس بن عُبيدة : كان طاعونٌ قِبَلَ بلادِ مَيمون بن مهران ، فكتبتُ إليه أسألُهُ عن أهله ، فكتب إلي : بلغَني كتابُكَ تسألُني عن أهلي ، وإنَّه ماتَ من أهْلي وخاصَّتي سبعةَ عشرَ إنساناً ، وإني أكرهُ البلاءَ إذا أقبلَ ، فإذا أدبر لم يَسُرَّني أنه لم يكنْ ؛ وأمَّا أنت ، فعليك بكتابِ الله ، فإن النَّاسَ قد بَهَوْا به ـ يعني أنِسُوا ـ واختاروا الأحاديثَ أحاديثَ الرجال ؛ وإياكَ والمِراءَ في الدين . قال أبو عُبيد في الغريب (هو القاسم بن سلاّم في كتابه غريب الحديث (٤/ ٤٧٣) . وقد صُحفت العبارة في الحلية و (ق) ، وأثبتُّ ما جاء في غريب الحديث .) : بَهَؤوا به ـ مَهْموزاً ـ ومعناه أنِسُوا به .

وقال عمرو بن مَيمون : كنتُ مع أبي ونحنُ نطوفُ بالكعبة فلَقِيَ أبي شيخٌ فعانقه ، ومع الشيخ فَتىً نَحْوٌ مِنّي . فقال

نافع مولى ابن عمر[(١)] **أبو عبد الله المدني** : من بلاد المغرب ، وقيل من نيسابور ، وقيل من كابُل ، وقيل غيرُ ذلك .

= له أبي : منْ هذا ؟ قال : ابني . قال : كيف رِضاكَ عنه ؟ فقال : ما بَقيتْ خَصْلةٌ يا أبا أيُّوب من خصال الخير إلاَّ وقد رأيتُها فيه إلاَّ واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أنْ يموتَ فأُوَجَرَ فيه ـ أو قال : فأحتسبه ـ ثم فارَقَهُ أبي ؛ فقلتُ منْ هذا الشيخ ؟ فقال : مَكْحول (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٠ ، ٩١) .) .

وقال : شرُّ الناسِ العيَّابون ، ولا يَلْبسُ الكَتَّانَ إلاَّ غَنيٌّ أو غَويّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٢) .) .

وروى الإمام أحمد عنه قال : يا بنَ آدم ، خَفِّفْ عن ظَهرِك ، فإنَّ ظهرَك لا يُطيقُ كلَّ هذا الذي يَحْمِلُ مِنْ ظُلْم هذا ، وأكْلِ مالِ هذا ، وغَشْمِ هذا ، وكلُّ هذا على ظهرِك تَحْمِلُه ، فخَفِّفْ عن ظهرِك . وقال : إن أعمالَكُمْ قليلة فأخلِصُوا هذا القليل . وقال : ما أتَى قومٌ في نادِيهمُ المُنْكَرَ إلاَّ حَقَّ هَلاكُهُمْ (المصدر السابق .) .

وروى عبدُ الله بن أحمد عنه ، أنَّه قرأ : ﴿ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس : ٥٩] ثم فارَقَ حتى بَكَى ، ثم قال : ما سَمِعَ الخلائقُ بَنعْتٍ أشدَّ منه (المصدر السابق ، وفيه « بعتبٍ قط . . . » .) .

وقال أبو عوانة : ح إبراهيم (في (ق) : « حدثنا إبراهيم » وهو تحريف ، هنا في إسناد أبي نعيم في الحلية علامة تحويل للسند ، وما يأتي بين معقوفين منه يبين ذلك .) بن عبد الله ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا قُتيبة بن سعيد ، حدثنا خالد ، [قالا] : عن حُصين بن عبد الرحمن ، عن مَيمون ، قال : أربعٌ لا تكلمَ فيهم : عليٌّ ، وعثمان ، والقدر ، والنجوم (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٢) .) .

وقال :احذروا كلَّ هوىً يسَمَّى بغيرِ الإسلام (المصدر السابق .) .

ورَوَى شبَابةُ عن فُرات بن السائب ، قال : سألتُ ميمونَ : أعَليٌّ أفْضَلُ عندَك أمْ أبو بكرٍ وعمر ؟ فارتعد حتى سقطَتْ عصاهُ من يدِهِ ، ثم قال : ما كنتُ أظُنُّ أنْ أبقَى إلى زمان يُعْدَلُ بهما غيرُهما ، إنهما كانا رِدْأَي الإسلام ، ورأسَ الإسلام ، ورأسَ الجماعة . فقلتُ : فأبو بكرٍ كانَ أولَ إسلاماً أمْ علي ؟ فقال : واللهِ لقد آمنَ أبو بكرٍ بالنبيِّ ﷺ زَمَنَ بَحِيرا الرَّاهب حين مَرَّ به ، وكان أبو بكر هو الذي يختلفُ بينه وبينَ خَدِيجة ، حتى أنْكَحَها إيَّاه ، وذلك كُلُّه قَبْلَ أنْ يُولَدَ علي ، وكان صاحِبَهُ وصديقَهُ قبلَ ذلك (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٢ ، ٩٣) .) .

وروى مَيمون بن مِهران عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قَلَّما يوجَدُ في آخر الزمان درهمٌ من حلال ، أو أخٌ يُوثَقُ به » (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٤) ، وإسناده ضعيف .) .

ورَوَى عن ابن عُمرَ أيضاً ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « شَرُّ المالِ في آخرِ الزمانِ المماليكُ » (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٤) وهو حديث موضوع ساقه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٣٥) .) .

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه قال : مَنْ طلبَ مرضاةَ الإخوانِ بلا شيءٍ فَلْيصادِقْ أهلَ القبور .

وقال : من ظَلَمَ أحداً ففاته أنْ يَخرُج من مَظْلِمَته ، فاستغفر له دُبُرَ كل صلاةٍ ، خَرَج من مَظْلِمَته ، وهذا إنْ شاء الله يدخل فيه الأعراضُ والأموالُ وسائرُ المظالم .

وقال ميمون : القاتلُ والآمِرُ والمأمورُ والظالِمُ والراضي بالظُّلم ، كلُّهم في الوِزْرِ سَوَاء .

وقال : أفضلُ الصبرِ الصبرُ على ما تكرَهُ نفسُكَ من طاعةِ اللهِ عزَّ وجلّ .

روى مَيمون عن جماعةٍ من الصحابة ، وكان يسكنُ الرَّقَّة . رحمه الله تعالى] .

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٨/ ٨٤) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٣١٠) ، الثقات لابن حبان (٥/ ٤٦٧) ، الجرح والتعديل (٨/ ٤٥١) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٢٣) ، وفيات الأعيان (٥/ ٣٦٧) ، سير أعلام=

روى عن مولاه عبد الله بن عمر ، وجماعةٍ من الصحابة ، مثل رافع بن خَدِيج ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، وأمِّ سَلَمة ، وغيرِهم . ورَوَى عنه خَلْقٌ من التابعينَ وغيرِهم ، وكان من الثقاتِ النُّبَلاء ، والأئمةِ الأجِلاَّء .

قال البخاري : أَصَحُّ الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر[١] .

وقال غيرُه : كان عمرُ بن عبد العزيز قد بعثَهُ إلى مصر يعلِّمُ الناسَ السُّنن ، وقد أثنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة ووثَّقوه .

ومات في هذه السنة على المشهور :

ذو الرُّمَّة الشاعر[٢] : واسمه غَيلان بن عُقْبَة بن بُهَيش[٣] ، من بني عبدِ مَنَاة بن أُدِّ بن طابخةَ بنِ إلْياس بن مُضَر ، أبو الحارث ، أحدُ فُحولِ الشعراء ، وله ديوانٌ مشهور ، وكان يتغزَّل في ميّ بنت مقاتل بن طِلْبَة بن قيس بن عاصم المِنْقَري ، وكانتْ جميلة ، وكان هو دَمِيمَ الخَلق ، أسودَ اللَّون ، ولم يكنْ بينهما فُحْشٌ ولا خَنَا ، ولم يكنْ رآها قطُّ ولا رأَتْهُ ، وإنما كانتْ تسمَعُ به ويَسمعُ بها . ويقال : إنَّها كانت تنذُرُ إنْ هي رأَتْهُ أنْ تذبح جَزُوراً ، فلمّا رأَتْه قالتْ : واسوأتاه ! ولم تُبدِ له وَجْهَها قَطُّ إلاّ مرَّةً واحدة ، فأنشأ يقول :

علـى وجـهِ مَـيٍّ لَمْحَـةٌ مـن حـلاوةٍ ... وتحتَ الثيابِ العارُ لو كان بادِيَا

قال : فانسلخَتْ من ثيابها ، فقال :

ألـم تـرَ أنَّ المـاءَ يَخْبُـثُ طَعمُـهُ ... وإنْ كـان لـونُ المـاءِ أبيـضَ صـافِيَا

فقالت : تريدُ أنْ تذوقَ طعمَه ؟ فقال : إي والله . فقالت : تذوقُ الموتَ قبلَ أنْ تذوقَه . فأنشأ يقول :

فوَاضَيعةَ الشعرِ الذي راحَ وانقضى ... بِمَـيٍّ ولـم أملِـكْ ضـلالَ فـؤادِيَـا[٤]

قال ابن خَلِّكان[٥] : ومن شعرِهِ السائر بين الناس ما أنشده :

= النبلاء (٥/ ٩٥) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٩) ، العبر (١/ ١٤٧) ، مرآة الجنان (١/ ٢٥١) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٤) ، طبقات الحفاظ ص(٤٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٥٤) .

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٨٣)(٢١١٦٩) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٧) .

(٢) ترجمته في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٥٣٤) ، الأغاني (١٨/ ٥) ، المنتظم (٧/ ٧٢) ، وفيات الأعيان (٤/ ١١) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٧) نزهة الألباب (٢٩١) ، الإكمال (١/ ٣٧٦) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٤٨) .

(٣) صُحِّف اسمه في الأصول كلها ، والمثبت من مصادر ترجمته .

(٤) أخرجه أبو الفرج الأصبهاني بنحوه في الأغاني (١٨/ ٣٢) .

(٥) في كتابه وفيات الأعيان (٤/ ١٣) .

إذا هبت الأرياحُ من نحوِ جانبٍ ... بـهِ أهـلُ مَـيٍّ هـاجَ شَـوْقِـي هُـبوبُهـا
هَـوًى تَـذْرِفُ العَيْنـانِ منـه وإنمـا ... هَوَى كلِّ نفسٍ أينَ حَلَّ حَبِيبُها[١]

ثم دخلت سنة ثماني عشرة ومئة

فيها غزا معاويةُ وسليمانُ ابنا أميرِ المؤمنين هشام بن عبد الملك بلادَ الرُّوم . وفيها قصَدَ شخصٌ يُقالُ له عمار بن يزيد ، ثم تَسَمَّى بِخِدَاش إلى بلادِ خُراسان ، ودعا الناسَ إلى خلافةِ محمدِ بنِ علي بن عبد الله بن عباس ، فاستجابَ لَهُ خَلْقٌ كثير ، فلما التفُّوا عليه دعاهم إلى مَذْهَبِ الخُرَّمِيَّةِ الزنادقة[٢] وأباح لهم نساءَ بعضِهم بعضاً ، وزعم لهم أنَّ محمد بن علي يقولُ ذلك ، وقد كذَبَ عليه ، فأظهر الله عليه الدولةَ فأُخذ فجيءَ به إلى خالد بن عبد الله القَسْري أميرِ العراق وخُراسان ، فأمر به فقُطعَتْ يدُه ، وسُلَّ[٣] لسانُه ، ثم صُلب بعدَ ذلك[٤] .

وفيها حجَّ بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، أمير المدينة ومكة والطائف .

وقيل إنَّ إمْرَةَ المدينة كانتْ مع خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ، والصحيح أنه كان قد عُزل ووُلِّي مكانَهُ محمد بن هشام بن إسماعيل ، وكانتْ إمْرَةُ العراق إلى خالد بن عبد الله القَسْري ، ونائبه على خراسان وأعمالها أخوهُ أسد بن عبد الله القسري .

وفيها كانت وَفَاةُ :

عليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عباس[٥] بن عبد المطلب : القرشيُّ الهاشميُّ أبو الحسن ، ويُقال أبو محمد ، وأمُّه

---

(١) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :
[وأنشدَ عند الموت :
يا قابض الرُّوح في جسمي إذا احتُضِرَتْ ... وغـافـرَ الـذنـب زَحْـزِحْني عـن النّـارِ]

(٢) الخُرَّمِيَّة : وخُرَّم : لفظ أعجمي يُنبي عن الشيء المستلَذّ المستطاب ، الذي يرتاح الإنسان له ، ومقصود هذا الاسم تسليطُ اللسانِ على اتباع اللذّات وطلب الشهوات كيف كانتْ ، وطيّ بساطِ التكليف ، وحطُّ أعباء الشرع عن العِبَاد . وقد كان هذا الاسم لقباً للمَزْدَكية ، وهم أهلُ الإباحةِ من المجوس الذين اتبعوا في أيام قُبَاذ ، وأباحوا النساء المحرّمات ، وأحلّوا كلّ محظور ، فسُمُّوا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم في نهاية هذا المذهب وإن خالفوهم في مقدماته . تلبيس إبليس ص(١٢٨) .

(٣) في (ح) : « وانتثل » ، وفي (ب) : و « وأرسل » ، والمثبت من (ق) .

(٤) انظر تاريخ الطبري (٤/ ١٦٤) في حوادث هذه السنة .

(٥) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٢) ، طبقات خليفة (٢٣٩ و٢٥٥) ، تاريخ خليفة (١٩٩و٣٤٩) ، التاريخ الكبير (٦/ ٢٨٢) ، المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٨١) ، تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٢/ ٧١٣) ، الكامل للمبرد =

زرْعَة بنتُ مِشْرَح بن مَعْدِيْكَرِب الكِنْدي أحد مُلوك الأربعةِ الأقيال ، المذكور في الحديث الذي رواه أحمد ، وهم مِشْرَح وجَمْد ومِخْوَس وأَبْضَعَة[١] وأختهم العَمَرَّدة ، وكان مَوْلِد عليٍّ هذا يومَ قُتل عليُّ بنُ أبي طالب ، فسماه أبوهُ باسمِه ، وكنَّاهُ بكنيتِه ، وقيل : إنه وُلد في حياةِ عليّ ، وهو الذي سمّاه وكنّاه ولقَّبَهُ بأبي الأملاك ، فلمَّا وَفَدَ على عبدِ الملك بنِ مروان أجلَسَه معه على السَّرير ، وسألهُ عن اسمه وكنيتِه ، فأخبره ، فقال له : أَلَكَ ولد ؟ قال : نعم ، وُلد لي ولد سَمَّيْتُه محمداً . فقال له : أنت أبو محمد ، وأجْزَلَ عطيتَه ، وأحسَنَ إليه ، وقد كان هذا في غايةِ العبادةِ والزهادةِ والعِلم والعمَل ، وحُسنِ الشَّكْلِ والعدالةِ والثِّقَة ، وكانَ يُصَلِّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ ألف رَكْعَةٍ .

قال عمرو بن علي الفَلاَّس : كان من خيرِ الناس ، وكانت وفاتُه بالحُمَيْمَة من أرض الشَّرَاة[٢] ، في هذه السنة وقد قارب الثمانين .

وقد ذكر ابن خَلِّكان[٣] أنه تزوَّجَ لُبَابة بنتَ عبدِ الله بن جعفر التي كانتْ تحتَ عبدِ الملك بن مروان فطلَّقها ، وكان سببُ طلاقِهِ إياها أنَّه عَضَّ تفاحةً ثم رَمَى بها إليها ، فأخذَتِ السِّكِّينَ فحزَّتْ من التفاحةِ مامَسَّ فمَهُ منها فقال : ولِمَ تفعلين هذا ؟ قالت : أزيلُ الأذَى عنها . وذلك لأنَّ عبدَالملك كان أبْخَر ، فطلَّقها عبدُ الملك ، فلما تزوَّجها عليُّ بن عبد الله بن عباس هذا نَقَم عليه الوليدُ بن عبدِ الملك لأجلِ ذلك ، فضرَبَهُ بالسِّيَاط وقال : إنما أرَدْتَ أن تُذِلَّ بنيها من الخلفاء ، وضربه مرَّةً ثانيةً لأنه اشتهر عنه أنه قال : الخلافةُ صائرةٌ إلى بيتِه . فوقع الأمرُ كذلك .

وذكر المُبَرِّدُ[٤] أنَّه دخلَ على هشام بن عبد الملك ومعه ابناه السَّفَّاح والمنصور ، وهما صغيران ، فأكرَمَهُ

= (١٢٤ ، ٣٢٧ ، ٧٥٦) ، الجرح والتعديل (٦/ ١٩٢) ، الثقات لابن حبان (٥/ ١٦٠) ، حلية الأولياء (٣/ ٢٠٧) ، تاريخ مدينة دمشق (١٢/ ٢٢٦) ، صفة الصفوة (٢/ ١٠٧) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٦٣) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٥٠) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٤) ، مختصر تاريخ دمشق (١٨/ ١١٧) ، تهذيب الكمال (٢١/ ٣٥) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٥٢ و٢٨٤) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٤٨) .

(١) هذه الأسماء صُحّفت في الأصول ، فأثبتنا ما في الإكمال لابن ماكولا (٢/ ٥٤١ و٧/ ١٧٥ و١٩٤) وغيره من كتب الضبط .

(٢) في (ق) : « بالجهمة من أرض البلقاء » ، وهو تصحيف ما عدا « البلقاء » ، لأن البلقاء هي مدينة الشراة كما في معجم البلدان (١/ ٤٨٩) ، والحُمَيْمَة ـ كما جاء تعريفها في معجم البلدان أيضاً (٢/ ٣٠٧) ـ : بلفظ تصغير الحُمَة ، بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام كانتْ مَنْزِلَ بني العباس .

(٣) في كتابه وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٥) .

(٤) في كتابه الكامل (٢/ ٧٥٨) ، والنص هنا منقول بألفاظ مقاربة .

هشامٌ وأدْنى مجلسَه ، وأطْلَقَ له مئةً وثلاثين ألْفاً[1] ، وجعل عليُّ بنُ عبدالله يُوصيهِ بابنَيْه خَيْراً ، ويقول : إنَّهما سيليانِ الأمر ، فجعل هشامٌ يتعجَّبُ من سلامةِ باطنِه ، وينسُبُه في ذلك إلى الحُمْق ! فوقَع الأمرُ كما قال .

قالوا : وقد كان عليٌّ في غايةِ الجمال ، وتمام القامة ، كان بين الناس كأنَّه راكبٌ ، وكان إلى مَنْكِبِ أبيه عبدِ الله ، وكان عبدُ الله إلى مَنْكِبِ أبيه العباس ، وكان العباسُ إلى مَنْكِبِ أبيه عبد المطلب ، وقد بايع كثيرٌ من الناس لابنهِ محمدٍ بالخلافة قبلَ أن يموتَ عليٌّ هذا قبلَ هذه السنة بسنوات ، ولكنْ لم يظهرْ أمرُهُ حتى مات ، فقام بالأمرِ مِنْ بعدِه ولَدُه عبدُ الله أبو العباس السفَّاح ، وكان ظهورُه في سنةِ اثنتين وثلاثين كما سيأتي إنْ شاء الله تعالى .

وممن تُوفِّي في هذه السنة :

عمرو بن شُعيب .

وعُبَادَة بن نُسَيّ .

وأبو صخرة جامعُ بن شدَّاد .

وأبو عياش المعافري .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومئة

ففيها غزا الوليد بن القعقاع العَبْسي أرضَ الروم ، وفيها قتل أسَدُ بن عبد الله القَسْريُّ مَلِكَ التُّرْكِ الأعظم خاقان ، وكان سببَ ذلك أنَّ أسَدَ بن عبد الله أميرَ خُراسان عَمِلَ نيابةً عن أخيه خالد بن عبد الله على العراق ، ثم سار بجيوشهِ إلى مدينةِ خُتَّل[2] فافتتحها وتفرَّقتْ في أرضها جنودُه يقتلون ويأْسِرون ويغنمون ، فجاءتِ العيونُ إلى ملك الترك خاقان ، أنَّ جيشَ أسد قد تفرَّقَ في بلاد خُتَّل ، فاغتنم خاقانُ هذه الفرصة ، فركب من فَوْرِهِ في جنودِهِ قاصداً إلى أسد ، وتزوَّدَ خاقانُ وأصحابُه سلاحاً كثيراً وَقَديداً ومِلْحاً ، وساروا في خَلْقٍ عظيم . وجاءتِ العين الصافيةُ إلى أسد ، فأعلمَتْهُ بقَصْدِ خاقانَ له في جيشٍ عظيمٍ كثيف ، فتجهَّزَ لذلك ، وأخذَ أُهْبَتَه ، وأرسلَ من فَوْرِهِ إلى أطرافِ جيشهِ ، فلَمَّها وأشاع بعضُ الناس أنَّ خاقانَ قد هَجَمَ على أسَدِ بن عبد الله فقتَلَهُ وأصحابَه ، ليحصلَ بذلك خِذْلانٌ لأصحابِهِ فلا يجتمعونَ

---

(١) الذي في الكامل : « ثلاثون ألف درهم » .

(٢) خُتَّل ـ بضم أوله وتشديد ثانيه وفتحه ـ كورة واسعة كثيرة المدن ، على تخوم السند يقال لقصبتها هلبك . قال الإصطخري : أول كورةٍ على جيحون من وراء النهر الختل والوخش ، وهما كورتان ، غير أنهما مجموعتان في عمل واحد ، انظر معجم البلدان (٢/٣٤٦) .

إليه ، فرَدَّ الله كيدَهُمْ في نحورِهم ، وجعل تدميرَهم في تدبيرِهم ، وذلك أنَّ المسلمينَ لَمّا سمعوا بذلك أخذَتْهُمْ حَمِيَّةُ الإسلام وازدادوا حَنَقاً على عدوِّهم ، وعَزَموا على الأخْذِ بالثأر ، فقصدوا الموضعَ الذي فيه أسَد ، فإذا هو حَيّ ، قد اجتمعتْ عليه العساكرُ من كلِّ جانب ، وسار أسَدٌ نحوَ خاقان ، حتى أتى جبل المِلْح ، وأراد أنْ يخوضَ نَهرَ بَلْخ ، وكان معهم أغنامٌ كثيرة ، فكَرِه أسَدٌ أنْ يتركَها وراءَ ظهرِه ، فأمر كلَّ فارسٍ أنْ يحمِلَ بين يديه شاةً وعلى عُنُقِهِ شاة ، وتوعَّدَ منْ لم يفعلْ ذلك بقَطْعِ اليد ، وحَمَل هو معه شاةً ، وخاضوا النهر ، فما خلَصُوا منه جيداً حتى دَهِمَهُم خاقانُ من ورائهم في خيلٍ دُهْم ، فقتلوا مَنْ وجدوه لم يقطَعِ النهرَ وبعضَ الضَّعَفَة ، فلما وقفوا على حافةِ النهر أحجموا وظَنَّ المسلمون أنَّهم لا يقطعون إليهم النهر ، فتشاور الأتراكُ فيما بينهم ثم اتفقوا على أنْ يحمِلوا حملةً واحدة ، وكانوا خمسين ألفاً ، فيقتحمون النهر فضربوا بكُوساتِهم[1] ضرباً شديداً حتى ظنَّ المسلمون أنَّهم معهم في عسكرِهم ، ثم رَمَوا بأنفسِهم في النهر رَمْيَةَ رجلٍ واحد ، فجعلَتْ خيولهُم تَنْخُرُ أشدَّ النَّخِيرِ ، وخرجوا منه إلى ناحيةِ المسلمين ، فثبتَ المسلمونَ في معسكرِهم ، وكانوا قد خَنْدَقوا حولَهم خندقاً لا يَخلُصون إليهم منه ، فباتَ الجيشانِ تتراءى ناراهما ، فلما أصبحا مالَ خاقان على بعضِ الجيوش ، فَقَتلَ منهم خَلقاً ، وأسَرَ أُمَماً ، وأخَذَ أموالاً كثيرةً وإبلاً مُوقَرَة ، ثم إنَّ الجيشَيْنِ تواجهوا في يوم عيدِ الفِطْر ، حتى خاف جيشُ أسَدٍ أنْ لا يُصَلُّوا صلاةَ العِيد ، فما صلَّوها إلاَّ على وَجَل ، ثم سار أسَدٌ بِمَنْ معه حتى نزلَ مَرْجَ بلخ ، حتى انقَضَى الشتاء ، فلما كان يومُ عيدِ الأضحى خَطَبَ أسَدٌ الناس واستشارَهم في الذهاب إلى مَرْو أو في لقاء خاقان ، أو في التحَصُّنِ ببَلْخ ، فمنهم مَنْ قال نتحصَّنُ ببلخ ، ونبعثُ إلى خالدٍ والخليفة ، ومن قائل يشير بالذهابِ إلى مَرْو ، وأشار آخرون بِمُلتقاه والتوكُّلِ على الله ، فوافق ذلك رأيَ أسَدِ الأسَدّ ، فقَصَد بجيشِهِ نحوَ خاقان ، وصلَّى بالناسِ ركعَتَيْنِ أطالَ فيهما ، ثم دعا بدعاءٍ طويل ، ثم انصرف وهو يقول : نُصرتُمْ إن شاء الله ـ ثلاثاً . ثم سار بِمَنْ معه من المسلمين ، فالتقَتْ مقدِّمَتُهُ بمقدِّمةِ خاقان ، فقَتَل المسلمون منهم بشراً كثيراً ، وأسروا أميرَهم ، وسبعةً معه ، ثم ساق أسدٌ فانتهى إلى أغنامِهم ، فاستاقها فإذا هي مئةُ ألف وخمسون ألف شاة ، ثم التقى معَهم ، وكان خاقانُ في هذا اليوم إنما معه أربعةُ آلاف أو نحوُها ومعه رجلٌ من العرَب قد خَامرَ إليه يقالُ له الحارث بن شُرَيح ، فهو يدُلُّه على عَوْراتِ المسلمين ، فلما أقبَلَ الناسُ هَرَبتِ الأتراك في كلِّ جانب ، وانهزم خاقانُ ومعه الحارث بنُ شريح يحمِّيه ويُثَبِّتُه ، فتبعَهم أسد فلمَّا كان عندَ الظهيرة انخذلَ خاقانُ في أربعمئةٍ من أصحابهِ ، عليهمُ الخَزّ ، ومعَهم الكُوسات[2] فلما أدركَهُ المسلمون أمرَ بالكوساتِ فضُرِبَتْ ضرباً شديداً ضَرْبَ الانصرافِ ثلاثَ مرَّات ، فلم يستطيعوا الانصراف ، فتقدَّم المسلمون فاحتاطوا على مُعسكرِهم فاحتازوه بما فيه من الأمتعةِ العَظيمة ، والأواني من الذهب

(١) الكوسات : مفردها كُوس ، بالضم ، الطَّبْل . ويقال : هو معرَّب . لسان العرب (كوس) .

(٢) تقدم شرح معناها في الحاشية السابقة .

والفِضَّة ، والنساء والصِّبْيانِ من الأتراك ومَنْ معَهم من الأسارى ، من المسلماتِ وغيرِهم مما لا يُحَدُّ ولا يُوصَف لِكثْرَتِه ، وعِظَم قِيمَتِه وحُسْنِه ، غيرَ أنَّ خاقان لَمَّا أحَسَّ بالهلاك ضَرَب امرأتَهُ بخِنجَرٍ فقتلَها ، فوصلَ المسلمون إلى المعسكر وهي في آخرِ رَمَق ، تتحرَّك . ووجدوا قدورَهُم تغلي بأطعِماتِهم ، وهرب خاقانُ بمَنْ معه ، حتى دخل بعضَ المدن فتحصَّنَ بِها ، فاتَّفَق أنه لعب بالنَّرد مع بعضِ الأمراءِ فَغَلبه الأمير ، فتوعَّدَه خاقانُ بقطعِ اليد ، فَحَنِقَ عليه ذلك الأمير ، ثم عَمِلَ على قتله فقَتَله ، وتفرَّقَتِ الأتراكُ فِرَقاً يَعْدو بعضُهم على بعض ، وينهَبُ بعضُهم بعضاً ، وبعثَ أسَدٌ إلى أخيه خالد يُعلِمه بما وقع من النصر والظَّفَرِ بخاقان ، وبعث إليه بطبول خاقان ، وكانتْ كِباراً لها أصواتٌ كالرَّعْد وبشيءٍ كثيرٍ من حَواصله وأمتعتِه فَوَفدَ بها خالدٌ إلى أمير المؤمنين هشام ، ففَرِح بذلك فرحاً شديداً ، وأطلقَ للرُّسُلِ أموالاً جَزِيلة كثيرة من بيتِ المال . وقد قال بعضُ الشعراء في أسَدٍ يَمْدَحُه على ذلك :

لو سرتَ في الأرضِ تَقِيسُ الأرضا تبيــنُ منهــا طــولَهــاوالعَــرْضَــا
لــم تلــقَ خيــراً إمْــرَةً ونقضــا مــــن الأميــــرِ أســـدٍ وأمْضَــــى
أفضــى إلينــا الخيــرَ حتــى أفضَــى وجمَـــعَ الشَّمْــلَ وكـــان ارْفَضَّـــا
مــافــاتَــهُ خــاقــانُ إلا رَكْضَــا قــد فَــضَّ مــن جمــوعِــهِ مــا فَضَّــا
يــا بــنَ شُــريــحٍ قــد لَقِيــتَ حَمْضَــا حمْضــاً بــه تَشفِــي صُــدَاعَ المَــرْضَــى

وفيها قتل خالدُ بن عبدِ الله القسري المغيرةَ بن سعيد وجماعةً من أصحَابِهِ الذين تابعوهُ على باطِله ، وكان هذا الرجلُ ساحراً فاجراً شِيعِيّاً خَبِيثاً .

قال ابنُ جرير[١] : حدّثنا ابنُ حُميد ، حدّثنا جرير عن الأعمش قال : سمعتُ المغيرةَ بنَ سعيد يقول : لو أرادَ عليٌّ[٢] أنْ يُحيي عاداً وثمودَ وقُروناً لأحياهم . قال الأعمش : وكان المغيرةُ هذا يَخرجُ إلى المَقْبُرَةِ فيتكلّم فيرَى مثلَ الجَرَاد على القبور أو نحو هذا من الكلام .

وذكر ابنُ جَريرٍ له غيرَ ذلك من الأحوال[٣] التي تدلُّ على سِحْرِه وفُجورِه ، ولما بلغ خالداً أمرُه أمرَ بإحضاره ، فجيء به في ستةِ نفر أو سبعةِ نفر ، فأمر خالد فأبرزَ سريره إلى المسجد ، وأمرَ بإحضار أطنانِ[٤] القَصَب والنِّفط فصُبَّ فوقها ، وأمَر المغيرةَ أنْ يحتضنَ طنّاً منها فامتنع ، فضُرب حتى احتَضَن منها واحداً وصُبَّ فوقَ رأسِه النِّفط ، ثم أُضرم بالنار ، وكذلك فعل ببقيَّة أصحابه .

وفي هذه السنة خرج رجلٌ يُقال له بهلول بن بشر ، ويُلَقَّب بكثارة ، واتبعه جماعاتٌ من الخوارج دون

(١) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ١٧٤) .
(٢) سقطت كلمة « علي » من تاريخ الطبري ، و (ق) ، وهي مثبتة في (ب ، ح) .
(٣) في (ق) الأشياء ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٤) في (ق) : « أطناب » والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري (٤/ ١٧٥) .

المئة ، وأمرهم أن يقتلوا خالداً القَسْري ، فبعث إليهم البُعوث ، فكسروا الجيوش واستفحل أمرُهم جدّاً لشجاعتهم وجلَدِهم ، وقلةِ نُصح من يقاتلُهم من الجيوش ، فردُّوا العساكرَ من الألوفِ المؤلَّفة ذواتِ الأسلحةِ والخيل المسوَّمة ، هذا وهم لم يبلغوا المئة ، ثم إنَّهم راموا قدومَ الشام لقَتْلِ الخليفة هشام فصَمَدوا[1] نحوَها ، فاعترضهم جيشٌ بأرضِ الجزيرة ، فاقتَتَلوا معهم قتالاً عظيماً ، وقُتل عامَّةُ أصحابِ بُهلول الخارجي ، ثم إنَّ رجلاً من جَدِيلةَ يُكْنَى أبا الموت ، ضرَبَ بُهلولاً ضربةً فصَرَعه ، وتفرَّقَتْ عنه بقيةُ أصحابه ، وكان جميعُهم سبعين رجلاً ، وقد رثاهُمْ بعض أصحابِهم فقال :

بـدلـت بعـد أبـي بشـر وصحبتـه ... قـومـاً علـيَّ مـع الأحـزابِ أعـوانـا
بانوا كأنْ لم يكونوا من صحابَتِنا ... ولـم يكـونـوا لنـا بـالأمْـسِ خِـلاَّنـا
يـا عيـنُ أذْرِي دمـوعـاً منكِ تهتـانـاً ... وابكـي لنـا صُحبـةً بـانُـوا وجيـرانـا
خَلُّـوا لنـا ظـاهـرَ الـدنيـا وبـاطنَهـا ... وأصبحوا في جِنانِ الخُلْدِ جِيرانا[2]

ثم تجمَّع طائفةٌ منهم أخرى على بعضِ أُمرائهم فقاتلوا وقُتلوا ، وجهَّزَ إليهم خالدٌ الجيوش ، ولم يَزلْ حتى أباد خضراءَهم ، ولم يبق لهم باقية .

وفيها غزا أَسَدٌ القَسْريُّ بلادَ التُّرك ، فعرض عليه مَلِكُهم بدر طُرْخان ألف ألف فلم يقبَلْ منه شيئاً ، وأخَذَهُ قَهْراً فقتلَهُ صبراً بين يديه ، وأخذَ مدينتَه وقلعتَه ، وحَوَاصلَهُ ونساءَه وأموالهُ وأملاكَه .

وفيها خرج الصَّحاريُّ بن شَبِيب الخارجي ، واتبعه طائفةٌ قليلة نحوٌ من ثلاثينَ رجلاً ، فبعث إليهم خالدٌ القَسْري جُنداً ، فقتلوهُ وجميعَ أصحابه ، فلم يتركوا منهم رجلاً واحداً .

وحجَّ بالناسِ في هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحجَّ معه ابنُ شهابٍ الزُّهْريّ ليُعَلِّمهُ مناسكَ الحَجِّ وشؤونه ، وكان أميرُ مكةَ والمدينةِ والطائفِ محمدَ بن هشام بن إسماعيل ، وأميرُ العراق والمشرق بكمالِه خالد بن عبد الله القسري ، ونائبه على خُراسان بكمالِها أخوهُ أسد بن عبد الله القسري ، وقد قيل ؛ إنَّه تُوفِّي في هذه السنة ، وقيل في سنةِ عشرين . فالله أعلم . ونائبُ أرْمِينيَةَ وأذْرَبيجان مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار . والله أعلم .

سنة عشرين ومئة من الهجرة

فيها غزا سُليمان بن هشام بن عبد الملك بلادَ الروم وافتتح هنالكَ حُصوناً .

وفيها غزا إسحاق بن مسلم العُقيلي تومان شاه وافتتحها وخرَّب أراضيَها .

---

(١) في (ق) : « فقصدوا » والمثبت من (ب ، ح) وهما بمعنى .

(٢) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ١٧٧) .

وفيها غزا مروانُ بن محمد الحمار بلادَ الترك .

وفيها كانتْ وفاةُ أسد بن عبد الله القَسْري أمير خُراسان وأعمالها ، نيابةً عن أخيه خالد بن عبد الله ، وكانتْ وفاته بسببِ أنَّه كانتْ لهُ دُبيلة في جَوْفِه ، فلما كان مِهْرجانُ هذه السنة قَدِمَتِ الدَّهاقينُ ـ وهم أُمراء المدن الكبار ـ من سائر البلدان بالهدايا والتُّحَف على أسَد ، وكان فيمن قَدِم نائبُ هَرَاةَ ودِهْقانُها واسم دهقانها خُراسان شاه ، فقَدِمَ بِهدايا عظيمة ، وتُحَفٍ عَزيزة[١] ، وكان من جُملةِ ذلك قصرٌ من ذهب ، وقصر من فِضَّة ، وأباريق من ذهب ، وصِحَافٌ من ذهبٍ وفِضَّة ، وتفاصيلَ من حَريرِ تلك البلاد ، ألوان ملونة[٢] ، فوَضع ذلك كُلَّه بين يدَيْ أسد ، حتى امتلأ المجلس ، ثم قام الدِّهْقانُ خَطِيباً ، فامتدح أسَداً بخصالٍ حسَنة ، على عَقْلِه ورِياسَتِه وعَدْلِه ، ومَنْعِه أهلَهُ وخاصَّتَهُ أن يظلِمُوا أحداً من الرَّعَايا بشيءٍ قَلَّ أو كَثُر ، وأنه قهر الخاقان الأعظم ، وكان في مئة ألف فكسرَهُ وقتَلَه ، وأنَّهُ يَفرَحُ بما يَفِدُ إليه من الأموال ، وهو بما خرج من عِندِه أفرَحُ وأشدُّ سُروراً ، فأثنى عليه أسَد ، وأجلَسَهُ ، ثم فرَّقَ أسَدٌ جميعَ تلك الهدايا والأموال ، وما هناك أجمَع على الأمراء والأكابرِ بين يديه ، حتى لم يبقَ منه شيء ، ثم قام من مجلسِه وهو عليلٌ من تلك الدُّبَيْلة ، ثم أفاقَ إفاقةً وجيء بهديَّةِ كُمَّثرَى ، فجعل يفرِّقُها على الحاضرينَ واحدةً واحدة ، فألقَى إلى دِهْقانِ خُراسانَ واحدة ، فانفجرَت دُبَيْلَتُه ، وكان فيها حَتْفُه ، واستخلف على عملِهِ جعفرَ بن حَنْظَلَةَ البَهْراني ، فمكثَ أميراً أربعةَ أشهر ، حتى جاء عَهْدُ نصرِ بن سَيَّار في رجبٍ منها ، فعلى هذا تكونُ وفاةُ أسدٍ في صفَر من هذه السنة ، وقد قال ابنُ عرس العَبْدي يرثيه :

نَعَى أسَدَ بنَ عبد الله ناعِ ... فَرِيعَ القلبِ للمَلِكِ المُطَاعِ
بِبلْخٍ وافَقَ المقدار[٣] يسري ... وما لقضاءِ رَبِّكَ من دِفَاعِ
فجودي عينُ بالعَبَراتِ سَحّاً ... ألم يَحزُنْكِ تَفريقُ الجِمَاعِ
أتاهُ حِمَامُهُ في جَوْفِ صِيْغٍ[٤] ... وكم بالصِّيغِ من بطلٍ شُجاعِ
كتائبُ قد يُجيبونَ المنادي ... على جُردٍ مُسَوَّمَةٍ سِرَاعِ
سُقيتَ الغَيْثَ إنَّكَ كُنتَ غَيْثاً ... مَريعاً عند مُرْتادِ النِّجَاعِ

وفيها عزل هشامٌ خالدَ بنَ عبدِ الله القَسْري عن نيابةِ العراق ، وذلك أنَّه انحصرَ منه ، لما كان يَبْلُغه من إطلاقِ عبارةٍ فيه ، وأنه كان يقول عنه : ابن الحمقاء ، وكتب إليه كتاباً فيه غِلْظة ، فردَّ عليه هشامٌ ردّاً

---

(١) في (ح) : « غزيرة » ، والمثبت من (ب ، ق) .
(٢) « ألوان ملونة » ليست في (ب ، ح) .
(٣) في (ب ، ح) : « المرار » .
(٤) صيغ ـ بالكسر ثم السكون وآخره غين معجمة بلفظ لم يسم فاعله من ماضي صاغ يصوغ ـ : ناحيةٌ من نواحي خُراسان . قال ياقوت : كان بها مَهْلِكُ أسد بن عبد الله القسري . معجم البلدان (٣/ ٤٣٩) .

عَنِيفاً . ويقال : إنَّه حسَدَه على سَعَةِ ما حَصَل له من الأموال والحواصل والغَلاّت ، حتى قيل إنه كان دَخْلُه في كلِّ سنةٍ ثلاثةَ عشرَ ألف ألف دينار ، وقيل : دِرْهَم . ولِولدِه يزيد بن خالد عشرة آلاف ألف . وقيل إنه وفَد إليه رجلٌ من ألزامِ أمير المؤمنين من قريش يقالُ له ابنَ عمرو ، فلم يُرحِّبْ به ولم يَعْبأ به ، فكتب إليه هشامٌ يُعنِّفُه ويُبَكِّتُه على ذلك ، وأنَّه حالَ وصولِ هذا الكتاب إليه يقومُ مِن فَوْرِهِ بِمَنْ حَوْلَه من أهلِ مجلسِه ، فينطلق على قدمَيْهِ حتى يأتيَ بابَ ابن عمرو صاغراً ذليلاً مستأذناً عليه ، متنصِّلاً إليه مما وقع ، فإن أذِنَ لك ، وإلاَّ فَقِفْ على بابِه حَوْلاً غيرَ مُتحَلِّلٍ من مكانِكَ ولا زائل ، ثم أمْرُكَ إليه إنْ شاء عزلك ، وإن شاء أبْقاك ، وإن شاء انتصر ، وإنْ شاء عَفَا ، وكتب إلى ابن عمرٍو يُعلِمُه بما كتب إلى خالد ، وأمَرَهُ إنْ وقف بين يديه أنْ يَضْربَهُ عشرين سَوْطاً على رأسه إنْ رأى ذلك مصلحة .

ثم إنَّ هشاماً عزَلَ خالداً وأخفَى ذلك ، وبعث البريدَ إلى نائبِهِ على اليَمن ، وهو يوسف بن عمر ، فولاَّهُ إمْرَةَ العراق ، وأمَرَهُ بالمَسيرِ إليها والقدوم عليها في ثلاثينَ راكباً ، فقدموا الكوفة وقت السَّحَر ، فدخلوها ، فلما أذَّنَ المؤذِّنُ أمَرَهُ يوسفُ بالإقامة ، فقال : إلى أنْ يأتيَ الإمامُ - يعني خالداً - فانتهرَهُ ، وأمرَهُ بالإقامة ، وتقدَّمَ يوسفُ فصلَّى وقرأ : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ ، و ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ ﴾ ثم انصرف ، فبعثَ إلى خالدٍ وطارقٍ وأصحابِهما فأُحضِروا ، فأخذ منهم أموالاً كثيرة ، صادرَ خالداً بمئة ألف ألف دِرْهَم .

وكانتْ ولايةُ خالدٍ على العراق في شوالَ سنةَ خمسين ومئة ، وعزل عنها في جمادى الأولى من هذه السنة ، أعني سنة عشرين ومئة ، وفي هذا الشهر قَدِمَ يوسفُ بنُ عمر على ولاية العراق مكانَ خالد بن عبد الله القسري ، واستنابَ على خُراسان جُدَيْع بن علي الكَرْماني ، وعَزَل جعفرَ بن حَنْظلةَ الذي كان استنابَهُ أسَد ، ثم إنَّ يوسف بن عمر عزل جُدَيعاً في هذه السنة عن خُراسان وولَّى عليها نَصْرَ بن سَيَّار ، وذهب جميعُ ما كان اقتناهُ وحَصَّلَهُ خالدٌ من العَقَار والأملاك وَهْلَةً واحدة ، وقد كان أشار عليه بعضُ أصحابِه لما بلغهم عَتْبُ هشامٍ عليه ، أنْ يبعثَ إليه يعرِضُ عليه بعضَ أملاكِه ، فما أحَبَّ منها أخَذَه ، وما شاء تَرَك ، وقالوا له : لأنْ يذهبَ البعضُ ويبقَى البعضُ خيرٌ من أنْ يذهبَ الجميعُ مع العَزْل والإخراق ، فامتنع من ذلك واغترَّ بالدنيا ، وعزَّتْ نفسُهُ عليه أنْ يَذِلّ ، ففجأَهُ العَزْل ، وذهب ما كان حَصَّلَهُ وجمعَه ومنعَه ، واستقرَّتْ ولايةُ يوسفَ بنِ عمر على العِراقِ وخُراسان ، واستقرَّتْ ولايَتُهُ لِنَصْرِ بن سَيَّار على خُراسان ، فتمهَّدَتِ البلاد ، وأمِنَ العباد ولله الحمد والمنة .

وقد قال سوار بن الأشعر(١) في ذلك :

أَضْحَتْ خُراسانُ بعدَ الخَوْفِ آمنةً ... مِن ظُلم كلِّ غَشُومِ الحُكْمِ جَبَّارِ

---

(١) في ق : « الأشعري » ، وفي (ب ، ح) « الأشقر » ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير . وذكره ابن ماكولا في الإكمال ١/ ٨٩ فقال : « سوار بن الأشعر التميمي كان يلي شرطة سجستان فغلب عليها أيام الفتنة » (بشار) .

لَمَّا أَتَى يوسفاً أخبارُ ما لَقِيَتْ اِختارَ نَصْراً لها نصرَ بنَ سَيَّارِ

وفي هذه السنة استبطأَتْ شيعةُ آلِ العباس كتابَ محمدِ بن علي إليهم ، وقد كان عَتَب عليهم في اتباعِهم ذلك الزَّنْدِيق الملقَّب بَخِدَاش ، وكان خُرَّمِيّاً ، وهو الذي أحلَّ لهمُ المُنكراتِ ، وولى[١] المحارم والمصاهرات ، فقتله خالدٌ القَسْري كما تقدَّم ، فَعَتب عليهم محمد بن علي في تصديقِهم له ، واتباعِهم إيَّاه على الباطل ، فلما استبطؤوا كتابَهُ إليهم بعثوا إليهِ رسولاً يخبر لهم أمرَه ، فلما جاء الرسول أعلمه محمدٌ بماذا عَتَب عليهم في قضية خِدَاش الخُرَّمي ، وأرسل مع الرسول كتاباً مختوماً ، فلما فتحوه لم يجدوا فيه سوى : بسم الله الرحمن الرحيم ، تعلَّموا أنَّه إنما تعتَّبَ عليكم بسبب الخُرَّمي ، ثم أرسلَ رسولاً إليهم ، فلم يصدِّقْه كثيرٌ منهم وهَمُّوا به ، ثم جاءتْ من جهتِه عَصا مَلْوِيٌّ عليها حديدٌ ونُحاس ، فعلموا أنَ هذا إشارةٌ لهم إلى أنَّهم عصاة ، وأنَّهم مختلفون كاختلافِ ألوانِ النُّحاسِ والحديد .

قال ابنُ جَرير[٢] : وحجَّ بالناسِ في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المَخْزومي فيما قالهُ أبو معشر . قال : وقد قيل : إنَّ الذي حجَّ بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل : ابنُه يزيد بن هشام . فالله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومئة

ففيها غزا مسلمةُ بنُ هشام بلاد الرُّوم ، فافتتحَ مَطَامِير ـ وهو حِصْن ـ وافتتح مروان بن محمد بلادَ صاحبِ الذهب . وأخذ قِلاعَهُ وخرَّب أرضَه ، فأذعن له بالجِزْيَةِ في كُلِّ سنة بألف رأسٍ يؤدِّيها إليه وأعطاه رَهْناً على ذلك .

وفيها في صَفَر قُتل زيدُ بن علي بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب الذي تنتسبُ إليه الطائفةُ الزَّيدية في قولِ الواقدي ، وقال هشام الكلبي : إنما قُتل في صفر من سنةِ ثنتينِ وعشرين . فالله أعلم .

وقد ساقَ محمدُ بنُ جرير[٣] سببَ مَقتَله في هذه السنة تبعاً للواقدي ، وهو أنَّ زيداً هذا وفَدَ على يوسف بن عمر ، فسأله : هل أودَعَ خالدٌ القَسْريُّ عندَك مالاً ؟! فقال له زيد بن علي : كيف يودعني الرجل مالاً وهو يشتم آبائي على منبره في كل جمعة ؟ فأحلَفهُ أنَّه ما أودعَ عنده شيئاً ، فأمر يوسف بن عمر بإحضار خالدٍ من السجن ، فجيء به في عباءة ، فقال : أنتَ أودعتَ هذا شيئاً نستخلصُه منه ؟ قال : لا ، وكيف وأنا أشتُمُ أباهُ كلَّ جمعة ؟! فتركه عمر ، وأعلمَ أميرَ المؤمنين بذلك ، فعفا عن ذلك . يقال : بلِ

(١) كذا في (ب ، ح) ، وفي (ق) : « ودنَّس » .
(٢) في كتابه تاريخ الطبري (٤/ ١٩٢) .
(٣) في تاريخه (٤/ ١٩٣) .

استحضرَهم فحلفوا بما حلفوا ، ثم إنَّ طائفةً من الشِّيعة التفَّتْ على زيد بن علي ، وكانوا نحواً من أربعين ألفاً ، فنهاهُ بعضُ النُّصحَاءِ عن الخروج ، وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وقال له : إنَّ جدَّكَ خيرٌ منكَ ، وقد التفَّتْ على بيعَتِه من أهل العراق ثمانون ألفاً ، ثم إنَّهم خانوهُ أحوجَ ما كان إليهم ، وإني أحَذِّرُكَ من أهلِ العراق . فلم يقبَلْ ، بلِ استمرَّ يبايع الناس في الباطن في الكوفة على كتابِ الله وسنةِ رسولِه ، حتى استفحلَ أمرُهُ بها في الساكن ، وهو يتحوَّلُ من مَنْزل إلى مَنْزل ، وما زال كذلك حتى دخلت سنةُ ثنتين وعشرين ومئة ، فكان فيها مَقتَلُه كما سنذكر قريباً .

وفيها غزا نَصْرُ بنُ سَيَّار أميرُ خراسانَ غزَوَاتٍ متعدِّدةٍ في التُّرْك ، وأَسَرَ مَلِكَهم كورصول في بعض تلك الحروب وهو لا يعرفهُ ، فلما تيقَّنَهُ وتحقَّقه سأل منه كورصول أن يُطلقَه على أنْ يُرسلَ له ألفَ بعيرٍ من إبلِ التُّرك ـ وهي البَخَاتِيّ ـ وألف بِرْذَوْن ، وهو مع ذلك شيخٌ كبيرٌ جدّاً ، فشاورَ نصرٌ مَنْ بحضرتِهِ من الأمراء في ذلك ، فمنهم مَنْ أشارَ بإطلاقِه ، ومنهم من أشارَ بقتلِه ، ثم سأله نَصْرُ بن سَيَّار : كم غزَوْتَ من غزوة ؟ فقال : ثنتين وسبعين غزوة . فقال له نصر : ما مِثْلُكَ يُطلق ، وقد شهدتَ هذا كلَّه ! ثم أمَرَ به فضُرِبَتْ عُنقه ، وصَلَبَه . فلما بلغَ ذلك جيشَهُ من قَتْلِه باتوا تلك الليلة يجعُرون ويبكون عليه وجَذُّوا لِحاهم وشعورَهم وقطَعوا آذانَهم ، وحرقوا خياماً كثيرةً وقتلوا أنعاماً كثيرة . فلما أصبح أمرَ نصرٌ بإحراقِهِ لئلا يأخذوا جُثَّته ، فكان حريقُه أشدَّ عليهم من قتلِه . وانصرفوا خائبين صاغرين خاسرين ، ثم كرَّ نصرٌ على بلادِهم فقتل منهم خلقاً وأسَرَ أُمَماً لا يُحصَوْنَ كثرةً ، وكان فيمَنْ حضر بين يديه عجوزٌ كبيرةٌ جدّاً من الأعاجم أو الأتراك . وهي من بيت مملكة ، فقالت لنصرِ بن سَيَّار : كلُّ ملكٍ لا يكونُ عندَهُ ستةُ أشياء فهو ليس بملك : وزيرٌ صادقٌ يَفصِلُ خصوماتِ الناس ، ويشاوِرُه ويناصِحُه ، وطبَّاخٌ يصنَعُ له ما يشتهيه ، وزوجةٌ حسناءُ إذا دخل عليها مغتَمّاً فنظر إليها سَرَّتْهُ وذهبَ غَمُّه ، وحِصْنٌ مَنِيعٌ إذا فَزِعَ رعاياهُ لجَؤوا إليه فيه ، وسيفٌ إذا قارعَ به الأقرانَ لم يخشَ خيانتَه ، وذخيرةٌ إذا حملها فأينَ ما وقع من الأرض عاش بِها .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل نائبُ مكةَ والمدينةِ والطائف ، ونائبُ العراق يوسف بن عمر ، ونائبُ خُراسان نصرُ بن سَيَّار ، وعلى أرْمِينيَةَ مروان بن محمد بن مروان الحمار .

ذكرُ مَنْ تُوفِّيَ فيها من الأعيان :

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(١) : والمشهور أنه قُتل في التي بعدَها كما سيأتي بيانُه إنْ شاء الله .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٥) ، طبقات خليفة (٢٥٨) ، التاريخ الكبير (٣/ ٤٠٣) ، الجرح والتعديل (٣/ ٥٦٨) ، مشاهير علماء الأمصار ص(٦٣) ، مقاتل الطالبيين (١٢٧) ، بغية الطلب في تاريخ حلب (٩/ ٤٠٢٧) ، البدء والتاريخ (٦/ ٤٩) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٢٢) ، تهذيب الكمال (١٠/ ٩٥) ، الرياض النضرة (١/ ٣٨٤) ، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٦٢) ، تقريب التهذيب ص(٢٢٤) .

مسْلَمة بن عبد الملك[١] بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القُرَشيُّ الأمَويّ ، أبو سعيد وأبو الأصْبَغ الدمشقي .

قال ابن عساكر[٢] : وداره بدمشق في مَحَلَّةِ القِباب عند بابِ الجامعِ القبْلي ، ووَلِيَ المَوْسِمَ أيَّام أخيه الوليد، وغزا الرُّوم غزواتٍ، وحاصرَ القُسْطَنْطِينيَّةَ وولاَّهُ أخوهُ يزيدُ إمرةَ العِراقينِ ثم عزله ، ووُلِّي أرمينية .

وروى الحديث عن عمرَ بن عبد العزيز . وعنه عبدُ الملك بن أبي عثمان ، وعُبيد الله بن قُزَعَة ، وعُيينة والدُ سفيانَ بنِ عيينة بن أبي عمران[٣] ، ومعاوية بن حُدَيج[٤] ، ويحيى بن يحيى الغساني .

قال الزُّبير بن بكّار : كان مسلمةُ من رجالِ بني أمية ، وكان يلقب بالجرَادةِ الصفراء ، وله آثارٌ كثيرة وحروبٌ ونِكَايةٌ في الرُّوم .

قلت : وقد فَتَح حصوناً كثيرةً من بلادِهم ، ولما وَلِي أرْمينيَة غزا التُّرك فبلغ بابَ الأبواب فهدَم المدينة التي عندَه ، ثم أعادَ بناءَها بعد تسعِ سنين . وفي سنة ثمانٍ وتسعين غزا القُسْطنطينِيَّة فحاصرَها وافتتحَ مدينةَ الصَّقَالِبَة ، وكسر مَلِكَ البُرْجَان[٥] ، ثم عاد إلى محاصرة القُسْطنطينِيَّة .

قال الأوزاعي : فأخذَهُ وهو يُغازيهم صُدَاعٌ عظيمٌ في رأسِهِ ، فبعث ملكُ الرُّوم إليه بقَلَنْسُوَة ، وقال : ضعَها على رأسِكَ يذْهَبْ صُداعُك . فخَشي أنْ تكونَ مَكِيدةً ، فوضعها على رأسِ بهيمةٍ فلم يرَ إلاَّ خيراً ، ثم وضعها على رأسِ بعض أصحابِه فلم يرَ إلاَّ خيراً ، فوضعَها على رأسِه فذَهَبَ صُدَاعُه ، ففتقَها فإذا فيها سبعون سطراً هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] ، مكررة ، لا غير . رواهُ ابنُ عساكر[٦] .

وقد لَقِيَ مسْلمةُ في حصاره القُسْطنطينيَّة شدَّةً عظيمة ، وجاع المسلمونَ عندَها جُوعاً شديداً ، فلما وُلِّيَ عمرُ بن عبد العزيز أرسل إليهمُ البريدَ يأمرُهم بالقُفول ، فحَلَفَ مَسْلمةُ أنْ لا يُقلِعَ عنهم حتى يبنوا له

---

(١) ترجمته في تاريخ خليفة (٣٠١) ، التاريخ الكبير (٣/ ٣٨٧) ، الجرح والتعديل (٨/ ٢٦٦) ، تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٦٢) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤١) ، تاريخ الإسلام (٤/ ٣٠٢) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٤) .

(٢) انظر مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٤/ ٢٦٣) .

(٣) في (ق) : « وابن أبي عمران » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، ومصادر ترجمة سفيان .

(٤) صحفت في (ق) إلى « خديج » .

(٥) بُرْجَان : جنس من الروم يُسمَّون كذلك . قال الأعشى :

وهرقل يوم ذي ساتيدما ... من بني برجان في البأس رجح

لسان العرب (برج) .

(٦) انظر مختصره لابن منظور (٢٤/ ٢٦٦) .

جامعاً كبيراً بالقُسْطنطِينيَّة[١] . فَبَنوا بها جامعاً ومنارةً ، فهو بها إلى الآن يُصلِّي فيه المسلمون الجُمعة والجماعة .

قلتُ : وهي آخر ما يفتحُه المسلمونَ قبلَ خروجِ الدجَّال في آخرِ الزمان ، كما سنورِدُه في الملاحم والفِتَن من الحديث الصحيح عند مسلم رحمه الله[٢] . وبالجملة كانت لمسلمةَ مواقفُ مشهورةٌ مشهودة ، وغزوات متتالية منثورة محمودة ، وقد افتتح حصوناً وقلاعاً ، وأحيا بعزمِهِ قصوراً وبقاعاً ، وكان في زمانه في الغزوات نظيرَ خالدِ بن الوليد في أيامه في كثرةِ مَغَازيه ، وكثرةِ فُتوحه ، وقوَّةِ عزمه ، وشدةِ بأسِه ، وجَوْدَةِ تصرُّفِه في نقضِهِ وإبرامِه، وهذا مع الكرمِ والفصاحة ، والرياسةِ والسَّماحة ، والأصالةِ والـرجاحة .

ومن كلام الحسن قوله : مروءتان ظاهرتان : الرياش والفصاحة . وقال يوماً لِنُصَيبِ الشاعر : سلني . قال : لا . قال : ولم ؟ قال : لأنَّ كفَّكَ بالجزيلِ أكثرُ من مسألتي باللسان . فأعطاهُ ألفَ دينار .

وقال أيضاً : الأنبياءُ لا يتثاءَبونَ كما يتثاءبُ الناس ، ما تثاءَبَ نبيٌّ قَطّ .

وقد أوصىَ بثُلثِ مالِه لأهلِ الأدب وقال : إنها صِناعةٌ مَجْفُوٌّ أهلُها .

وقال الوليد بن مسلم وغيرُه : توفي يوم الأربعاء لسبعٍ مَضَيْنَ من المحرَّم ، سنة إحدى وعشرين ومئة . وقيل : في سنة عشرين ومئة . وكانت وفاته بموضعٍ يُقالُ له الحانوت . وقد رثاه بعضُهم وهو ابنُ أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال :

أقـول ومـا البعـدُ إلاَّ الـرَّدَى ... أمَسْلَـمُ لا تَبْعَـدَنْ مَسْلَمَـهْ
فقد كنتَ نوراً لنا في البلادِ ... مضِيئـاً فقـد أصبحـتْ مُظلمَـهْ
ونَكْتُمُ مَوْتَكَ نخشَى اليقينَ ... فأبْدَى اليقينُ عنِ الجُمْجُمَه

نُمَيْر بن أُوَيس[٣] **الأشعري** ، قاضي دمشق ، تابعيٌّ جَلِيل ، روى عن حُذيفة مرسلاً ، وأبي موسى مرسلاً ، وأبي الدرداء ، وعن معاوية مرسلاً ، وعن غيرِ واحدٍ من التابعين . وحدَّث عنه جماعةٌ كثيرون ، منهم الأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، ويحيى بن الحارث الذِّمَارِي .

---

(١) جاء في معجم البلدان لياقوت (١/ ٢٦١) في رسم « أندس » بضم الدال المهملة والسين مهملة أيضاً مدينة على غربي خليجِ القسطنطينية بين جبلين بينها وبين القسطنطينية ميل ، في مستو من الأرض ، وبأندس مسجدٌ بناهُ مسلمةُ بن عبد الملك في بعضِ غزواته .

(٢) في (ق) : « من كتابنا هذا إن شاء الله . ونذكر الأحاديث الواردة في ذلك هناك » بدل « الحديث الصحيح عند مسلم رحمه الله » والمثبت من (ب ، ح) . على أن السلطان محمداً الفاتح قد افتتحها سنة ١٤٥٣م .

(٣) في (ق) : « نمير بن قيس » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، ومصادر ترجمته وهي : طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٦) ، التاريخ الكبير (٨/ ١١٧) ، الجرح والتعديل (٨/ ٤٩٨) ، الاستيعاب (٤/ ١٥١١) ، تهذيب الكمال (٣٠/ ٢١) ، الكاشف (٢/ ٣٢٦) ، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل ص(٣٢٩) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢٤) ، الإصابة (٦/ ٥١١) .

ولاَّهُ هشام بنُ عبد الملك القضاءَ بعدَ عبد الرحمن بن الخشخاش العُذْري ، ثم استعفى هشاماً فأعفاهُ ، وولّى مكانه يزيدَ بن عبد الرحمن بن أبي مالك ، وكان نُمَيرٌ هذا لا يحكمُ باليمينِ مع الشاهد ، وكان يقول : الأدَبُ من الآباء ، والصلاحُ من الله .

وقال غيرُ واحد : تُوفِّي سنة إحدى وعشرين ومئة . وقيل : سنة ثنتين وعشرين ومئة . وقيل : سنة خمس عشرة ومئة ـ وهذا غريب جدّاً ـ والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومئة

ففيها كان مَقْتَلُ زيدِ بن عليٍّ بنِ الحُسين بن عليٍّ بن أبي طالب[١] ، وكان سببُ ذلك أنَّه لَمَّا أخذَ البَيْعَةَ مِمَّنْ بايَعَهُ من أهلِ الكوفة أمرَهم في أوَّلِ هذه السنةِ بالخُروجِ والتأهُّبِ له . فشرَعوا في أخْذِ الأُهْبَةِ لذلك ، فانطلق رجلٌ يقالُ له سليمان بن سُرَاقة إلى يوسف بنِ عمر نائبِ العراق ، فأخبره ـ وهو بالحِيرَةِ يومئذٍ ـ خبرَ زيدِ بن علي على هذا ، وعندَ مَنْ يكونُ من أهلِ الكوفة ، فبعثَ يوسفُ بن عمر يتطلَّبُه ويُلِحُّ في تطَلُّبِه ، فلما علمتِ الشيعةُ ذلك اجتمعوا عند زَيد بن عليٍّ فقالوا له : ما قولُك ـ يرحمك الله ـ في أبي بكرٍ وعمر ؟ فقال : غفر الله لهما ، ما سمعتُ أحداً من أهلِ بيتي تبرَّأ منهما ، ولا يقولُ فيهما إلا خيراً . قالوا : فلم تطلُبْ إذاً بِدَمِ أهلِ البيت ؟ فقال : إنَّا كُنَّا أحَقَّ الناسِ بهذا الأمر ، ولكنَّ القومَ استأثروا علينا به ، ودفعونا عنه ، ولم يبلُغْ ذلك عندنا بِهِم كُفراً ، وقد وَلُوا فعَدَلوا ، وعمِلوا بالكتاب والسنَّة . قالوا : فلِمَ تُقاتِلُ هؤلاءِ إذاً ؟ قال : إنَّ هؤلاء ليسوا كأولئك ، إنَّ هؤلاءِ ظلموا الناسَ وظلموا أنفسَهم ، وإني أدعو إلى كتابِ الله وسنةِ نبيه ﷺ ، وإحياء السُّنَن ، وإماتةِ البِدَع ، فإن تسمعوا يَكُنْ خيراً لكم ولي ، وإن تأبَوْا فلستُ عليكم بوَكِيل . فرفضوهُ وانصرفوا عنه ، ونقَضُوا بيعتَه وتركوه . فلهذا سُمُّوا الرَّافِضَةَ يومئذٍ ، ومَنْ تابعه من الناس على قولِهِ سُمُّوا الزَّيْدِيَّة ، وغالب أهلِ الكوفةِ منهم رافضة ، وغالبُ أهلِ مكةَ إلى اليوم على مذهبِ الزَّيدية ، وفي مذهبهم حق ، وهو تَعْدِيلُ الشيخَيْن ، وباطلٌ وهو اعتقادُ تقديمِ عليٍّ عليهما ، وليس عليٌّ مقدَّماً عليهما ، بل ولا عثمان على أصَحِّ قَوْلَيْ أهلِ السنَّةِ الثابتة والآثار الصحيحة الثابتةِ عن الصحابة رضي الله عنهم . وقد ذكرنا ذلك في سيرةِ أبي بكرٍ وعمر فيما تقدَّم . ثم إنَّ زيداً عزَمَ على الخروج بِمَنْ بَقِيَ معه من أصحابهِ ، فواعَدَهم ليلةَ الأربعاء مُستَهَلَّ صَفَر من هذه السنة ، فبلغ ذلك يوسفَ بنَ عمر فكتب إلى نائبِهِ على الكوفة ـ وهو الحكم بن الصَّلتْ ـ يأمرُهُ بِجَمْعِ الناسِ كلِّهم في المسجدِ الجامع ، فجمعَ الناسَ لذلك في يوم الثلاثاء سَلْخَ المحرَّم ، قبلَ خروجِ زيدٍ بيوم ، وخرج زيدٌ بِمَنْ معَهُ ليلةَ الأربعاء في بردٍ شديد ، ورفع أصحابُهُ النِّيرانَ وجعلوا ينادُون ، يا منصور ، يا منصور ، فلمَّا طلَعَ

---

(١) تقدمت مصادر ترجمته في حاشية ص(١٧٥) .

الفجرُ إذا قدِ اجتمع معه مئتانِ وثمانيةَ عشرَ رجلاً فجعل زيدٌ يقول : سبحان الله ! أينَ الناس ؟ فقيل : هم في المسجد مَحْصورون . وكتب الحكمُ إلى يوسف بن عمر يعلِمهُ بخروجِ زيدِ بن عليّ ، فبعث إليه سَرِيَّةً إلى الكوفة ، وركبتِ الجيوشُ مع نائبِ الكوفة ، وجاء يوسف بن عمر أيضاً في طائفةٍ كبيرةٍ من الناس ، فالتقى بِمَنْ معه جُرْثومةً منهم فيهم خمسُ مئةِ فارس فهزمهم ، ثم أتَى الكُناسةَ ، فحلَّ على جَمعٍ من أهلِ الشام فهزمهم ، ثم اجتازَ بيوسفَ بنِ عمر وهو واقفٌ فوقَ تلّ ، وزيدٌ في مئتي فارس ، ولو قصد يوسفُ بن عمر لقَتلَه ، ولكنْ أخذ ذاتَ اليمين ، وكلَّما التقى طائفةً من أهلِ الكوفةِ هزمهم ، وجعل أصحابُهُ ينادون : يا أهلَ الكوفة ، اخرجوا إلى الدِّينِ والعِزِّ والدنيا ، لستم في دينٍ ولا عِزٍّ ولا دنيا ، ثم لما أمسَوْا انضاف إليه جماعةٌ من أهلِ الكوفة وقد قُتل بعضُ أصحابِه في أولِ يوم ، فلما كان في اليوم الثاني اقتتل هو وطائفةٌ من أهلِ الشام ، فقتلَ منهم سبعين رجلاً ، وانصرفوا عنه بشرِّ حال ، وأمسَوْا ، فعبَّأ يوسفُ بن عمر جيشَه جيداً ، ثم أصبحوا فالتقَوْا مع زيد بن عليٍّ في أصحابه ، فكشفَهم حتى أخرجهم إلى السَّبَخَة ، ثم شدَّ عليهم حتى أخرجهم إلى بني سُليم ، ثم تَبِعهم في خيلِه ورَجِله ، حتى أخذوا على المُسَنَّاة[1] ثم اقتتلوا هناك قتالاً شديداً جداً حتى كان جُنحُ الليل ، فرُمِيَ زيدٌ بسهم فأصاب جانبَ جَبهتِه اليُسرى ، فوصل إلى دِمَاغِه ، فرجع ورجع أصحابُه . ولا يَظنُّ أهلُ الشامِ أنَّهم رجعوا إلاّ للمساء والليل ، وأُدخل زيدٌ في دار سكةِ البَرِيد ، وجيء بطبيب فانتَزعَ ذلك السهمَ من جبهتِه ، فما عَدَا أن انتزعه حتى ماتَ في ساعتِهِ رحمه الله .

فاختلف أصحابُهُ أين يدفِنُونَه ؟ فقال بعضهم : ألبِسُوهُ دِرْعَهُ وألْقُوهُ في الماء . وقال بعضُهم : احتزُّوا رأسَهُ واتركوه في القتلَى . فقال ابنُه : لا والله لا تأكلُ أبي الكلاب . وقال بعضُهم : ادفِنوه في الكناسة[2] وقال بعضهم : ادفِنُوهُ في الحفرةِ التي يؤخذُ منها الطِّين . ففعلوا ذلك ، وأجرَوْا على قبرِهِ الماءَ لئلا يُعرَف ، وتفلَّلَ أصحابُه[3] ، حيثُ لم يبقَ لهم رأسٌ يقاتلون به ، فما أصبح الفجرُ ولهم قائمةٌ ينهضون بها وتتبَّعَ يوسف بن عمر الجَرْحَى هل يجدُ زيداً بينهم ؛ وجاء مولًى لِزَيْد سِنْديّ ، قد شَهِدَ دفنَه ، فدلَّ على قبره ، فأُخِذَ من قبرِه ، فأمر يوسفُ بن عمر بصَلْبِه على خشبةٍ بالكُناسة ، ومعه نصرُ بن خُزيمة ، ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وزياد النَّهْدي ؛ ويُقال : إنَّ زيداً مكَثَ مصلوباً أربعَ سنين ، ثم أُنزل بعدَ ذلك وأُحرق ، والله أعلمُ .

---

(١) في (ق) : « الساه » ، وفي (ب) : « اكناه » ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من (ح) وتاريخ الطبري ، والمسنَّاة : ضُفَيرة تُبنى للسَّيل لتردَّ الماء سميت مُسَنَّاة لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يَغلِب ، مأخوذٌ من قولك سنَّيتُ الشيءَ والأمر إذا فتحتَ وجهه. لسان العرب (سنن). وجاء فيه مادة (نجف): النجفةُ المسنَّاة ، والنجف : التل . قال الأزهري : والنجفة التي بظهر الكوفة وهي كالمسناة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها .

(٢) في (ب ، ق) : « العباسة » وهو تحريف . والكناسة محلة معروفة بالكوفة .

(٣) في (ق) : « وانفتل أصحابه » ، والمثبت من (ب ، ح) ، والفَلُّ : المنهزمون . وفَلَّ القومَ يفُلّهم فَلاًّ : هزمهم فانفَلُّوا وتَفَلَّلوا . وهم قوم فَلٌّ : منهزمون ، والجمع فُلول وفُلاَّل . لسان العرب (فلل) .

وقد ذكر أبو جعفر بن جرير الطبري[(١)] ، أنَّ يوسفَ بن عمر لم يعلمْ بشيءٍ من شأنِ زيدِ بن علي حتى كتب إليه هشامُ بن عبد الملك يقول له : إنَّك لغافل ، وإنَّ زيد بن علي غارزٌ ذَنَبَهُ بالكوفة يُبايعُ له ، فألِحَّ في طلبه وأعطِهِ الأمان ، وإنْ لم يقبلْ فقاتِلْهُ . فتطلَّبه يوسف بن عمر حتى كان من أمْرِهِ ما تقدَّم ، فلما ظهر على قبرِهِ حزَّ رأسَهُ وبعث به إلى هشام بن عبد الملك ، فنصبه على باب دمشق ؛ ثم أمر به فسارَ إلى المدينة حتى نصبوه على أحدِ أبوابها . وأمّا جثته فلم تزلْ مصلوبةً تُحرسُ ليلاً ونهاراً ، حتى انقضَتْ دولةُ هشام ، وقام من بعدِهِ الوليدُ بن يزيد ، فأمر به فأُنزل وحُرِّق في أيامِه ، قبَّح اللهُ الوليدَ هذا .

فأمَّا ابنُه يحيى بن زيد بن علي فاستجار بعبدِ الملك بن بشر بن مروان ؛ فبعث إليه يوسفُ بن عمر يتهدَّدُهُ حتى يحضرَه ، فقال له عبدُ الملك بنُ بشر : ما كنتُ لآوي مثل هذا الرجل ، وهو عدوُّنا وابنُ عدوِّنا . فصدَّقَهُ يوسفُ بن عمر في ذلك . ولما هدأ الطلَبُ عنه سيَّرهُ إلى خُراسان ، فخرج يحيى بنُ زيد في جماعةٍ من الزيديَّة إلى خراسان ، فأقاموا بها هذه المدة[(٢)] .

قال أبو مِخْنَف : ولما قُتل زيد خطَبَ يوسفُ بن عمر أهلَ الكوفةِ فتهدَّدَهم وتوعَّدهم وشتمهم وأنَّبَهم ، وقال لهم فيما قال : واللهِ لقد استأذنتُ أميرَ المؤمنين في قَتْلِ خَلْقٍ منكم ، ولو أذِنَ لي لقتلتُ مقاتلتكم وسبيتُ ذرارِيَّكم ، وما صعِدْتُ لهذا المنبر إلا لأسمعَكم ما تكرهون .

قال ابنُ جرير[(٣)] : وفي هذه السنة قُتل عبدُ الله البطال في جماعةٍ من المسلمين بأرضِ الروم .

ولم يَزِدِ ابنُ جريرٍ على هذا ، وقد ذكر هذا الرجلَ الحافظُ ابنُ عساكر في تاريخه الكبير فقال :

عبد الله أبو يحيى المعروف بالبَطَّال[(٤)]

كان يَنْزِل أنطاكِية ، حكى عنه أبو مروان الأنْطَاكي ، ثم روى بإسناده أنَّ عبد الملك بن مروان حينَ عقَدَ لابنِهِ مَسْلَمة على غزوِ بلادِ الروم ولَّى على رؤساءِ أهلِ الجزيرةِ والشام البَطَّال ، وقال لابنه مسلمة : سَيِّرْهُ على طلائعِك ، وأمُرْهُ فليعُسَّ بالليل العسكر ، فإنَّهُ أمينٌ ثقةٌ مِقْدامٌ شجاع . وخرج معهم عبدُالملك يُشيِّعُهم إلى بابِ دِمَشق . قال : فقدَّم مسلمةُ البطَّالَ على عشرةِ آلافٍ يكونونَ بين يديه تُرْساً من الرُّوم أنْ يصلوا إلى جيشِ المسلمين .

قال محمد بن عائذ الدمشقي : حدّثنا الوليد بن مسلمة ، حدّثني أبو مروان شيخٌ من أهلِ أنطَاكِيَةَ قال :

(١) في تاريخه (٤/ ٢٠٨) .
(٢) في (ب ، ح) : « كانوا بها مقيمين » .
(٣) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢١٠) .
(٤) ترجمته في تاريخ ابن عساكر (٣٣/ ٤٠٢) ، الكامل (٤/ ٤٥٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٨) ، العبر (١/ ١٤٠) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٧٢) ، شذرات الذهب (١/ ١٥٩) .

كنتُ أغازي مع البَطَّال ، وقد أوطأ الرُّومَ ذُلًّا . قال البطال : فسألني بعضُ ولاةِ بني أمية عن أعجَبِ ما كان من أمري في مغازيَّ فيهم ، فقلت فيهم : خرجتُ في سَرِيَّةٍ ليلاً ، فدفعنا إلى قرية ، فقلتُ لأصحابي : أرْخُوا لُجُمَ خيلِكم ، ولا تحرِّكوا أحداً بقتلٍ ولا بشيء حتى تَشْحَنوا[١] القرية فإنَّهم في نَوْبة . ففعلوا ، وافترقوا في أزِقَّتِها ، فدفعتُ في أناسٍ من أصحابي إلى بيتٍ يَزْهرُ سِرَاجُه[٢] ، وإذا امرأةٌ تُسكِّتُ ابنَها من بكائه وهي تقول له : لَتسكتَنَّ أو لأدفعنَّكَ إلى البطَّال يذهَبُ بك . وانتشلَتْهُ من سريره وقالتْ : خُذْهُ يا بَطَّال . قال : فأخذتُه[٣] .

وروى محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم ، عن أبي مروان الأنطاكي ، عن البطال ، قال : انفردتُ مرَّةً على فرسي ليس معي أحدٌ من الجُند ، وقد سمطتُ[٤] خلفي مِخْلاةً فيها شعير ، ومعي مِنديل فيه خُبز وشِوَاء ، فبينا أنا أسير لعلِّي ألقَى أحداً منفرداً ، أو أطَّلِعُ على خبر ، إذا أنا ببستانٍ فيه بُقولٌ حسنة ، فَنَزلْتُ وأكلتُ من ذلك بالخبزِ والشِّوَاء مع البَقْل ، فأخذَني إسهالٌ عظيم ، قمتُ منه مِراراً ، فخفتُ أنْ أضعُفَ من كثرةِ الإسهال ، فركبتُ فرسي والإسهالُ مستمِرٌّ على حالِه ، وجعلتُ أخشى إنْ أنا نزلْتُ عن فرسي أنْ أضعُفَ عن الرُّكوب ، وأفرطَ بي الإسهالُ في السَّرْج حتى خَشيتُ أنْ أسقُطَ من الضَّعْف ، فأخذتُ بعِنَانِ الفرس ، ونمتُ على وجهي ، لا أدري أين يسيرُ الفرسُ بي ، فلم أشعر إلا بِقَرْعِ نعالِهِ على بَلاط ، فأرفعُ رأسي فإذا دَيْر ، وإذا قد خرج منه نِسْوةٌ صحبةَ امرأةٍ حسناء جميلةٍ جدّاً ، فجعلَتْ تقولُ بِلِسانها أنزِلْنَه . فأنزَلْنَني ، فغسَلْنَ عني ثيابي وسَرْجي وَفَرَسي ، ووضَعْنَني على سرير ، وعَمِلْنَ لي طعاماً وشراباً ، فمكثتُ يوماً وليلةً مَسْبوتاً[٥] ثم أقمتُ بقيةَ ثلاثةِ أيام حتى تُرَدَّ إليَّ حالي ، فبينا أنا كذلك إذْ قيل : جاء البِطْريقُ ، وهو يريد أنْ يتزوَّجها ، فأمرتْ بفرَسي فحُوِّلَ وعُلِّق على الباب الذي أنا فيه ، وإذا هو بِطْريقٌ كبيرٌ فيهم ، وقد جاء لخطبتها ، فأخبرَهُ منْ كان هنالك بأنَّ هذا البيتَ فيه رجلٌ وله فرَس ، فهمَّ بالهجومِ عليّ ، فمنعَتْهُ المرأةُ من ذلك ، وأرسلَتْ تقولُ له : إنْ فَتح عليه الباب لم أقضِ حاجتَه . فثناهُ ذلك عن الهجومِ عليّ ؛ وأقامَ البِطْريقُ إلى آخرِ النهارِ في ضيافتهم ، ثم ركبَ فرسَه ، وركب معه أصحابُهُ وانطلق .

(١) في (ق) : « تستمنوا من القرية ومن سكانها » ، والمثبت من (ب ، ح) ومختصر تاريخ ابن عساكر ، ومعنى تشحنوا : من شَحَنَ البلدَ بالخَيل : مَلأه . وبالبلد شحْنةٌ من الخيل أي رابطة . لسان العرب (شحن) .

(٢) زهَرَ السراجُ يَزْهرُ زُهُوراً : ازْدَهَرَ وتلألأ ، وكذلك الوجه والقمر والنجم . لسان العرب (زهر) .

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر (١٤/ ١٣٧) .

(٤) سَمطَ الشيءَ سَمْطاً عَلَّقَهُ . والسِّمْطُ الدِّرْعُ يُعَلِّقُها الفَارسُ على عَجُزِ فرسه . والسُّمْوطِ هي سُيور تُعلَّقُ من السرجِ سَمَّطْتُ الشيءَ عَلَّقْتُه على السُّموط . لسان العرب (سمط) .

(٥) في (ب ، ق) : « مستويا » ، والمثبت من (ح) ، يقال : سُبتَ المريضُ فهو مَسْبُوت لا يَتحرَّكُ ؛ والمَسْبُوتُ المَيِّتُ وَالمَغْشيُّ عليه ، وكذلك العليل إذا كان مُلْقًى كالنائم يُغمِّضُ عينيه في أكثر أحواله . والسُّباتُ نوم المريضِ والشيخِ المُسنِّ ، وهو النَّومةُ الخَفيفة ، وأصْلُه من السَّبْتِ الراحة والسُّكون . لسان العرب (سبت) .

قال البطال : فنهضتُ في أثَرِهم ، فهمَّتْ أنْ تمنعَني خوفاً عليَّ منهم ، فلم أقبلْ ، وسقتُ حتى لَحِقتُهم ، فحمَلْتُ عليه ، فانفرجَ عنه أصحابُه ، وأرادَ الفِرار ، فألحقُهُ فأضرب عُنقَه ،و استلَبْتُهُ ، وأخذتُ رأسَه مُسْمطاً على فرسي ، ورجعتُ إلى الدَّيْر ، فخَرَجْنَ إليَّ ووقَفْنَ بين يديّ ، فقلتُ اركَبْنَ ، فرَكِبْنَ ما هنالكَ من الدوابّ ، وسقتُ بهنَّ حتى أتَيْتُ أميرَ الجيش ، فدفعتُهن إليه ، فنفَلَني ما شئتُ منهنَّ ، فأخذتُ تلك المرأةَ الحسناءَ بعينِها ، فهي أمُّ أولادي . والبِطْريقُ في لغةِ الرُّوم عبارةٌ عن الأميرِ الكبيرِ فيهم . وكان أبوها بِطْريقاً كبيراً فيهم . يعني تلك المرأة ، وكان البطالُ بعدَ ذلك يُكاتبُ أباها ويُهادِيه .

وذكر محمد بن عائذ عن الوليد ، سمعتُ عبدَ الله بن راشد مولى خزاعة ، يُخبر عمَّن سمعه من البطال ، أنَّ هشامَ بن عبد الملك بن مروان لما ولاه المِصِّيصَة بعثَ البطالُ سَرِيَّةً إلى أرض الروم ، فغابَ عنهُ خبَرُها ، فلم يَدْرِ ما صنعوا ، فركب بنفسِهِ وحدَهُ على فرسٍ له ، وسار حتى وصل عَمُّوريَّة ، فطرَقَ بابَها ليلاً فقال له البواب : منْ هذا ؟ قال البطال : فقلتُ أنا سيَّافُ المَلِك ورسولُهُ إلى البِطْريق ، فأخذَ لي طريقاً إليه ، فلما دخلتُ عليه إذا هو جالسٌ على سرير ، فجلستُ معه على السَّرير إلى جانبِه ، ثم قلتُ له : إنِّي قد جئتُكَ في رسالة ، فمُرْ هؤلاءِ فَلْيَنصرِفوا . فأمَرَ منْ عندَهُ فذهبُوا ، قال : ثم قام فأغلقَ بابَ الكنيسة عليَّ وعليه ، ثم جاء فجلس مكانه ، فاخترطتُ سيفي وضربتُ به رأسَه صفحاً وقلتُ له : أنا البطال ، فاصْدُقْني عمّا أسألُكَ عنه ، وإلاَّ ضربتُ عُنقكَ الساعة . قال : وما هو ؟ قلتُ : السَّريَّة التي بعثتُها ما خبَرُها ؟ فقال : هم في بلادي يَنتهبونَ ما تهيَّأَ لهم ، وهذا كتابٌ قد جاءني يُخبرُ أنهم في وادي كذا وكذا ، واللهِ لقد صدقتُك . فقلت : هاتِ الأمان . فأعطاني الأمان ، فقلت : ائتِني بطعام . فأمر أصحابَهُ فجاؤوا بطعام ، فوُضعَ لي ، فأكلتُ ، فقمتُ لأنصرف ، فقال لأصحابه : اخرُجوا بين يدَيْ رسولِ الملك . فانطلقوا يتعادَوْنَ بين يديّ ؛ وانطلقتُ إلى ذلك الوادي الذي ذكر ، فإذا أصحابي هنالك ، فأخذتُهم ، ورجعتُ إلى المِصِّيصَة . فهذا أغربُ ما جرَى .

قال الوليد : وأخبرني بعضُ شيوخِنا أنَّهُ رأى البطالَ وهو قافلٌ من حجَّتِه ، وكان قد شُغل بالجهادِ عن الحَجّ ، وكان يسأل الله دائماً الحَجَّ ثم الشهادة ، فلم يتمكَّنْ من حجَّةِ الإسلام إلا في السنة التي استشهد فيها . رحمه الله تعالى . وكان سببُ شهادَتِه أنَّ ليون مَلِكَ الرُّوم خرج من القُسْطَنْطينيَّةِ في مئةِ ألفِ فارس ، فبعث البِطْريق ـ الذي البطالُ متزوِّجٌ بابنتِه التي ذكَرْنا أمرَها ـ إلى البطال يُخبرُه بذلك . فأخبرَ البطالُ أميرَ عساكرِ المسلمين بذلك ، وكان الأميرُ مالك بن شَبيب ، وقال له : إنَّ المصلحةَ تقتضي أنْ نتحَصَّنَ في مدينةِ حرَّان ، فنكونُ بها حتى يقدمَ علينا سُليمان بن هشام في الجيوش الإسلامية ، فأبَى عليهِ ذلك ودَهِمَهُمُ الجيش ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، والبطّالُ بين يدَي الأبطال ، ولا يتجاسَرُ أحدٌ أنْ يُنوِّهَ باسمه خوفاً عليه من الروم ؛ فاتَّفقَ أن فداهُ بعضُهم ، وذكر اسمَه غلطاً منه ، فلما سمع ذلك فُرسان الرُّوم حَمَلوا عليه حملةً واحدة ، فاقتلعوهُ من سَرْجِهِ برماحِهم ، فألقَوْهُ إلى الأرض ، وساقوا وراءَ الناسِ يقتلون ويأسرون ،

وقُتل الأميرُ الكبير مالك بن شَبيب ، وانكسر المسلمون ، وانطلقوا إلى تلك المدينةِ الخرَاب ، فتحصَّنوا فيها ، وأصبح ليون ، فوقف على مكانِ المعركة ، فإذا البطَّالُ بآخرِ رَمَق ، فقال له ليون : ما هذا يا أبا يحيى !؟ فقال : هكذا تُقتلُ الأبطال . فاستدعى ليون بالأطباء ليداووه ، فإذا جراحُهُ قد وصلَتْ إلى مَقَاتِلِه ، فقال له ليون : هل من حاجةٍ يا أبا يحيى ؟ قال : نعم . قال : وما هي ؟ قال : تأمر منْ معَكَ من الأسارى من المسلمين ، أنْ يلُوا غَسْلي والصلاةَ عليَّ ودَفْني . ففعل الملكُ ذلك . وأطلقَ لأجلِ ذلك أولئك الأسارى ، وانطلقَ ليون إلى جيشِ المسلمين الذين تحصَّنوا فحاصرَهم ، فبينما هم في تلك الشِّدَّةِ والحِصار إذْ جاءَتْهُم البُرُدُ بقدومِ سليمان بنِ هشام في الجيوش الإسلامية ، ففرَّ ليون في جيشِهِ الخبيث هارباً ، راجعاً إلى بلاده ، قبَّحه الله ، فدخل القُسْطَنْطينيَّةَ وتحصَّنَ بها .

قال خليفةُ بن خياط[١] : كانتْ وفاةُ البَطَّال ومَقْتَلهُ بأرضِ الرُّوم في سنةِ إحدى وعشرين ومئة .

وقال ابنُ جرير[٢] : في سنةِ ثنتين وعشرين ومئة .

وقال ابنُ حسانَ الزيادي : قُتل في سنةِ ثلاثَ عشرةَ ومئة . قلتُ : وقد قاله غيرُه ، وأنه قُتل هو والأمير عبد الوهاب بن بُخت في سنةِ ثلاثَ عشرةَ ومئة ، كما ذكرنا ذلك ، فالله أعلم ، ولكنَّ ابنَ جرير لم يؤرِّخْ وفاتَهُ إلاَّ في هذه السنة . والله أعلم .

وقال أبو بكر بن عياش : قيل للبطَّال : ما الشجاعة ؟ قال : صَبْرُ ساعة .

قلتُ : هذا مُلخَّصُ ابنِ عساكر في ترجمةِ البطَّال ، مع تقَصِّيهِ للأخبار واطِّلاعِه عليها ، وأمَّا ما يذكره العامَّةُ عن البطَّالِ من السيرةِ المنسوبة إلى دلهمة والبطال والأمير عبد الوهاب والقاضي عُقبة ، فكَذِبٌ وافتراء ، ووضعٌ بارد ، وجهلٌ كبير ، وتخبُّطٌ فاحش ، لا يُرَوَّجُ ذلك إلاَّ على غَبيٍّ أو جاهلٍ رَديء ؛ كما يُروَّجُ عليهم سيرةُ عنترةَ العَبْسي المكذوبة ؛ وكذلك سيرة البَكْري والدنف وغير ذلك . والكَذِبُ المفتعلُ في سيرةِ البكري أشدُّ إثماً وأعظَمُ جُرماً من غيرها ، لأنَّ واضعَها يدخل في قول النبي ﷺ : « منْ كَذَبَ عليَّ متعمِّداً فلْيَتَبوَّأ مَقْعَدَهُ من النار »[٣] .

وممن تُوفِّي في هذه السنةِ من الأعيان :

إيـاسُ الـذَّكِـيّ[٤] وهـو إيـاسُ بـن معـاويـة بـن . . . .

---

(١) في تاريخه ص(٣٥٢) .

(٢) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢١٠) ، كما تقدم ص(١٨٠) .

(٣) أخرجه البخاري (١١٠) في باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، مسلم (٣) عن أبي هريرة في المقدمة : باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٣٤) ، التاريخ الكبير (١/ ٤٤٢) ، الجرح والتعديل (٢/ ٢٨٢) ، حلية =

قُرَّة[١] بن إيَاس بن هلال بن رئاب بن عَبْد[٢] بن دُرَيد بن أوْس بن سُوَاءَةَ بن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذُبيان بن ثعلبةَ بنِ أوْس بن عثمان بن عمرو بن أُدِّ بنِ طابِخَة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معَد بنِ عدنان .

هكذا نسبَهُ خليفة بن خياط[٣] ، وقيل غيرُ ذلك في نسبه ، وهو أبو واثلة المُزَني ، قاضي البصرة ، وهو تابعيّ ، ولجَدِّهِ صُحبة ، وكان يُضربُ المثلُ بذكائه .

روى عن أبيه عن جَدِّهِ مرفوعاً في الحياء ، وأنس بن مالك ، وسعيد بن جُبير ، وسعيد بن المُسيِّب ، ونافع ، وأبي مِجْلز . وعنه الحمَّادان ، وشعبة ، والأصمعي ، وغيرُهم .

قال عنه محمد بن سيرين : إنَّه لَفَهِم ، إنَّه لَفَهِم . وقال محمد بن سعد والعِجْلي وابنُ مَعين والنسائي : ثقة . زادَ ابنُ سعد[٤] : وكان عاقلاً من الرجال فَطِناً . وزاد العِجْلي[٥] : وكان فقيهاً عَفيفاً .

وقد قدم دمشق في أيام عبدِ الملك بن مروان ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، ومرَّةً أخرى حين عزلَهُ عَديُّ بن أرْطاة عن قضاءِ البَصْرة . قال أبو عُبيدة وغيرُه : تحاكَمَ إياسٌ ـ وهو صبيٌّ شابٌّ ـ وشيخٌ إلى قاضي عبدِ الملك بن مروان بدمشق ، فقال له القاضي : إنَّهُ شيخٌ وأنتَ شابّ ، فلا تُساوِهِ في الكلام . فقال إياس : إنْ كان كَبيراً فالحقُّ أكبر منه . فقال له القاضي : اسكُتْ . فقال : ومنْ يتكلَّمُ بحُجَّتي إذا سكتُّ ؟ فقال القاضي : ما أحسبكَ تنطقُ بحقٍّ في مجلسي هذا حتى تقوم . فقال إياس : أشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله . زاد غيرُه : فقال القاضي : ما أظنُّك إلاَّ ظالماً له . فقال : ما على ظنِّ القاضي خرجتُ من منزلي . فقام القاضي ، فدخل على عبدِ الملك ، فأخبرَهُ خبرَه . فقال : اقضِ حاجتَه ، وأخرِجْهُ الساعةَ من دمشق لا يُفسد عليَّ الناس .

وقال بعضُهم : لما عزَلَهُ عدِيُّ بن أرطاة عن قضاء البصرة فرَّ منه إلى عمر بنِ عبد العزيز فوجدَهُ قد مات . فكان يَجْلسُ في حَلْقَةٍ في جامعِ دمشق ؛ فتكلَّم رجلٌ من بني أمية ، فردَّ عليه إياس ، فأغلظ له الأموي ، فقام إياس ، فقيل للأموي : هذا إياسُ بن معاوية المزني . فلما عاد من الغد اعتذَر له الأمويُّ

= الأولياء (٣/ ١٢٣) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٢٤٠) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٥٣) ، الثقات لابن حبان (٤/ ٣٥) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٦٣) ، تهذيب الكمال (٣/ ٤٠٧) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥) ، الكاشف (١/ ٢٥٩) ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٥٠) ، لسان الميزان (٧/ ١٨١) ، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٥/ ٩٢) ، تهذيب التهذيب (١/ ٣٤١) ، تقريب التهذيب ص(١١٧) .

(١) وقع في (ق) تصحيف وتحريف في الأسماء كثير ، فأثبتُّ الصواب وأضربتُ عن إثقال الحواشي به .

(٢) وقيل : « عُبيد » كما في تاريخ ابن عساكر (١/ ٩٩) ، وهو بتحقيق كاتب هذه السطور .

(٣) في طبقاته (١/ ٣٧) .

(٤) في الطبقات الكبرى (٧/ ٢٣٤) .

(٥) في معرفة الثقات (١/ ٢٤٠) .

وقال : لم أعرِفْكَ وقد جلستَ إلينا بثيابِ السُّوقة ، وكلَّمتَنا بكلامِ الأشراف فلم نحتمِلْ ذلك .

وقال يعقوبُ بن سفيان : حدّثنا نعيم بن حمّاد ، حدّثنا ضَمْرَة ، عن ابن شَوْذَب ، قال : كان يقال : يُولدُ في كلِّ مئةِ سنةٍ رجلٌ تامُّ العَقْل . فكانوا يرَوْنَ أنَّ إياسَ بن معاويةَ منهم .

وقال العِجْليّ : دخل على إياس ثلاثُ نِسْوة ، فلما رآهنَّ قال : أمَّا إحداهنَّ فمُرْضِع ، والأخرى بِكْر ، والأخرى ثيِّب . فقيل له : بمَ علمتَ هذا ؟ فقال : أمَّا المُرضع فكلما قعدَتْ أمسكتْ ثديَها بيدِها ، وأمَّا البِكْر فكلَّما دخلتْ لم تلتفتْ إلى أحد ، وأمَّا الثَّيِّبُ فكلَّما دخلتْ نظرَتْ ورَمَتْ بعينها .

وقال يونس بن حَبيب[1] : حدّثنا الأحنفُ بن حَكيم بأصبهان ، حدّثنا حماد بن سَلَمة : سمعتُ إياسَ بنَ معاوية يقول : أعرفُ الليلةَ التي وُلدتُ فيها ، وضعَتْ أُمِّي على رأسي جَفْنة .

وقال المدائني : قال إياسُ بن معاويةَ لأُمِّه : ما شيءٌ سمعتُهُ وأنا صغير ، وله جَلَبةٌ شديدة ؟ قالت : ذاك طَسْتٌ من نُحاس ، سقطَ من فَوْقِ الدَّارِ إلى أسفل ، ففَزِعْتُ فوضعتُكَ تلكَ الساعة .

وقال أبو بكر الخرائطي عن عمر بن شَبَّةَ النُّمَيْري ، قال : بلغني أنَّ إياساً قال : ما يَسُرُّني أنْ أكذب كَذْبَةً يَطَّلِعُ عليها أبي معاوية لا أُحاسبُ عليها يوم القيامة ، وأنَّ الدنيا لي بحذافيرها .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا خلف بن هشام ، حدّثنا حمّاد بن زيد ، عن حبيب بن الشهيد ، عن إياس بن معاوية قال : ما خاصمتُ أحداً من أهلِ الأهواء بعَقْلي كُلِّه ، إلاَّ القدَرِيَّة ، قلتُ لهم : أخبروني عن الظلم ما هو ؟ قالوا : أخذُ الإنسانِ ما ليس له . قلت : فإنَّ الله له كلُّ شيء .

قال بعضُهم عن إيَاس قال : كنتُ في الكُتّاب وأنا صبي ، فجعل أولادُ النصارى يضحكونَ من المسلمين ويقولون : إنهم يزعمون أنَّهُ لا فَضلةَ لطعام أهلِ الجنة . فقلت للفقيه ـ وكان نصرانياً ـ ألستَ تزعمُ أنَّ في الطعامِ ما ينصرفُ في غذاءِ البَدَن ؟ قال : بَلَى . قلت : فما يُنكرُ أنْ يجعلَ اللهُ طعامَ أهلِ الجنةِ كلَّهُ غذاءً لأبدانِهم ؟ فقال له معلِّمُهُ : ما أنتَ إلاَّ شيطان .

وهذا الذي قاله إياس وهو صغير بعقله قد ورَدَ به الحديثُ الصحيح كما سنذكُره إنْ شاء الله في صفةِ أهلِ الجنة أنَّ طعامَهم ينصرفُ جُشاءً وعَرَقاً كَالمِسْك ، فإذا البطنُ ضامر[2] .

وقال سفيان : وحين قدم إياس واسط فجاءه ابنُ شُبْرمة بمسائلَ قد أعدَّها ، فقال له : أتأذنُ لي أنْ أسألَكَ ؟ قال : سَلْ وقد ارتبتُ حين سألته عن سبعين مسألةً يُجيبُهُ فيها ، ولم يختلفا إلاَّ في أربعِ مسائل ؛

(١) في (ق) : « صلعب » تصحيف والمثبت من (ب ، ح) ، وطبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ٨٨) ، والخبر فيه .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » رقم (٢٨٣٥) من حديث جابر بن عبد الله ، وأحمد في « مسنده » (٤/ ٣٦٧ و٣٧١) من حديث زيد بن أرقم .

ردَّهُ إياسٌ إلى قوله ، ثم قال له إياس : أتقرأُ القرآن ؟ قال : نعم . قال : أتحفظُ قولَهُ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ؟ قال : نعم . قال : وما قَبلَها وما بعدَها ؟ قال : نعم . قال : فهل أبقَتْ هذه الآية لآلِ شُبْرُمة رأياً ؟ .

وقال عباس عن يحيى بن مَعِين[١] : حدّثنا سعيد بن عامر ، حدّثنا عمر بن علي قال : قال رجلٌ لإياسِ بنِ مُعاوية : يا أبا واثلة ، حتى متى يبقى الناسُ وحتى متى يتوالَدُ الناسُ ويموتون ؟ فقال لجلسائه : أجيبوه . فلم يكن عندَهم جواب ، فقال إياس : حتى تتكاملَ العِدَّتان ، عدَّةُ أهلِ الجنة وعِدَّةُ أهلِ النار .

وقال بعضُهم : اكترى إياسُ بن معاويةَ من الشام قاصداً الحجَّ ، فركب معه في المحارة[٢] غَيلانُ القَدَريّ ، ولا يعرفُ أحدُهما صاحبَه ، فمكثا ثلاثاً لا يُكلِّمُ أحدُهما الآخر ، فلما كان بعد ثلاث ، تحادثا فتعارفا ، وتعجَّبَ كلُّ واحدٍ منهما من اجتماعِهِ مع صاحبه ، لمباينةِ ما بينهما في الاعتقادِ في القدَر ؛ فقال له إياس : هؤلاء أهلُ الجنة يقولون حين يدخلون الجنة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] ؛ ويقول أهل النار : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ [المؤمنون : ١٠٦] ؛ وتقول الملائكة : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة : ٣٢] . ثم ذكر له من أشعارِ العرَب وأمثالِ العجَم ما فيه إثباتُ القدَر ؛ ثم اجتمع مرَّةً أخرى إياسٌ وغَيلان عندَ عمر بن عبد العزيز ، فناظر بينهما ، فقهره إياس ، وما زال يحصُرُهُ في الكلام حتى اعترفَ غَيلانُ بالعجز ، وأظهرَ التوبة ، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز إنْ كان كاذباً ؛ فاستجاب الله منه ، فأمكنَ من غَيلان ، فقُتل وصُلب بعد ذلك ، ولله الحمد والمنة .

ومن كلام إياس الحسَن : لأنْ يكونَ في فعالِ الرجلِ فَضْلٌ عن مقالِهِ خيرٌ من أنْ يكونَ في مقالِهِ فضلٌ عن فعالِه .

وقال سفيان بن حسين : ذكرتُ رجلاً بسُوءٍ عندَ إياسِ بنِ معاوية ، فنظرَ في وَجْهي وقال ؛ أغزوتَ الرُّوم ؟ قلت : لا . قال : السِّنْدَ ؟ قلت : لا ، قال : والهند ؟ قُلتُ : لا . قال : والتُّرك ؟ قلت : لا . قال : أفَسَلِمَ منك الرُّومُ والسِّندُ والهندُ والترك ، ولم يسلَمْ منك أخوك المسلم ؟! قال : فلم أعُدْ بعدَها .

وقال الأصمعي عن أبيه : رأيتُ إياسَ بن معاوية في بيتِ ثابتٍ البناني ؛ وإذا هو أحمرُ طويلُ الذِّراع ، غليظ الثياب ، يلُوثُ عِمَامَته[٣] ، وهو قد غلب على الكلام ، فلا يتكلَّمُ معه أحدٌ إلاَّ عَلاه . وقد قال له

---

(١) في تاريخه (رواية الدوري) (٤/ ٣٤٠) .
(٢) المحارة : شبه الهودج . القاموس (حور) .
(٣) في (ق) : « يلون عمامته » تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومعنى يلوثُ من اللَّوث : وهو الطيّ ؛ لُثت العمامة أَلُوثها لَوْثاً : أدرتُها مرَّتيْن . لسان العرب (لوث) .

بعضُهم : ليس فيك عَيب سوى كثرةِ كلامِك . فقال : أفي حقٍّ أتكلَّمُ أمْ باطل ؟ فقيل : بل في حَقّ . فقال : كلَّما كثُرَ الحقُّ فهو خير .

ولامَهُ بعضُهم في لبسِهِ الثيابَ الغليظة ، فقال : إنما ألْبَسُ ثوباً يخدمني ولا ألبَسُ ثوباً أخدمُه .

وقال الأصمعي : قال إياسُ بن معاوية : إنَّ أشرفَ خِصَالِ الرجلِ صِدْقُ اللِّسان . ومنْ عُدِمَ فَضِيلة الصِّدق فقد فُجع بأكرمِ أخلاقه .

وقال بعضُهم : سأل رجلٌ إياساً عن النَّبيذِ فقال : هو حرام . فقال الرجل : فأخبِرْني عن الماء ؟ فقال : حلال . قال : فالكَشُوث[1] ؟ قال : حلال . قال : فالتمر ؟ قال : حلال . قال : فما بالُهُ إذا اجتمعَ حَرُم ؟ فقال إياس : أرأيتَ لو رَمَيتُكَ بهذه الحفنة من التراب ، أتوجعُك ؟ قال : لا . قال : فهذه الحفنة من التِّبْن ؟ قال : لا توجعني . قال : فهذه الغَرْفةُ من الماء ؟ قال : لا توجعني شيئاً . قال : أفرأيتَ إنْ خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طِيناً ، ثم تركته حتى استحجَر ، ثم رَمَيْتُكَ أيوجعُكَ ؟ قال : إي والله وتقتلُني . قال : فكذلك تلك الأشياءُ إذا اجتمعتْ[2] .

وقال المدائني : بعث عمر بن عبد العزيز عَدِيَّ بن أرطاة على البصرة نائباً ، وأمره أن يجمعَ بين إياس والقاسم بن ربيعة الجَوْشَني ، فأيُّهما كان أفقهَ فَلْيولِّهِ القضاء . فقال إياس ـ وهو يريدُ أن لا يتولَّى ـ : أيُّها الرجل ، سلْ فقيهي البصرةِ الحسنَ وابنَ سيرين . وكان إياسٌ لا يأتيهما ، فعرف القاسم أنَّه إنْ سألهما أشارَا به [يعني بالقاسم لأنه كان يأتيهما] فقال [القاسم][3] لعدي : والله الذي لا إله إلا هو ، إن إياساً أفضَلُ مني وأفقهُ مني وأعلمُ بالقضاء ، فإنْ كنتُ صادقاً فولِّه ، وإنْ كنتُ كاذباً فما ينبغي أن تُولِّيَ كاذباً القضاء . فقال إياس : هذا رجلٌ أوقف على شفيرِ جهنَّم ، فافتدَى منها بيمينٍ كاذبةٍ يستغفرُ الله منها ، فقال عدي : أما إذْ فَطِنتَ إلى هذا فقد وَلَّيتُكَ القضاء . فمكث سنةً يَفصِلُ بين الناس ويُصلحُ بينهم ، وإذا تبيَّنَ له الحقُّ حكم به ، ثم هرَبَ [إلى عمرَ بنِ عبد العزيز بدمشق][3] فاستعفاه القضاء ، فولَّى عَدِيٌّ بعدَهُ الحسَنَ البصري .

قالوا : لما تولَّى إياسٌ القضاءَ بالبَصْرةِ فَرِحَ بهِ العلماء ، حتى قال أيوب : لقد رَمَوها بحَجَرِها . وجاء

---

(١) في (ق) : « فالكسور » تصحيف ، والمثبت من (ح) وتهذيب الكمال . والكشُوثُ ، والأُكْشُوثُ ، والكشُوثَى : كلُّ ذلك نباتٌ مُجْتثٌّ مقطوعُ الأصل ، وقيل : لا أصل له ، وهو أصْفرُ يتعلق بأطراف الشَّوْكِ وغيره ، ويُجْعلُ في النبيذ سوَادِيَّةٌ ، وقال الجوهري : الكشُوثُ نبتٌ يتعلَّقُ بأغصانِ الشجرِ ، من غير أن يَضْربَ بِعِرْقٍ في الأرض ؛ فلا أصلٌ ، ولا وَرَقٌ ، ولا نسيمٌ ، ولا ظِلٌّ ، ولا ثَمرٌ . ويسميه الناسُ الكشُوثَ ؛ قال : وبزْرٌ قطُونا ، قال : والمدُّ فيها أكثر ، وقد يقصران ، وفتح الكاف من كَشُوثاء . لسان العرب (كشث) .

(٢) ذكره المزي في تهذيب الكمال (٣/ ٤١٥) مسنداً مطوّلاً .

(٣) ما مرَّ بين معقوفين ليس في (ب ، ح) وهو من (ق) .

الحسنُ وابنُ سِيرين فسلَّمَا عليه ، فبكى إياس ، وذكر الحديث « القُضاةُ ثلاثة : قاضيانِ في النار وواحدٌ في الجنة »[(١)] . فقال الحسن : فقد قال الله تعالى : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ ﴾ [الأنبياء : ٧٨] إلى قوله : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾ [الأنبياء : ٧٩] ، قال : ثم جلس للناسِ في المسجد ، واجتمعَ عليه الناسُ للخصومات ، فما قام حتى فصل سبعين قضيَّة ، حتى كان يُشبَّهُ بشُريح القاضي .

ورُوِي عنه أنَّه كان إذا أشكلَ عليه شيءٌ بعث إلى محمد بن سيرين فسأله عنه .

وقال إياس : إني لأكلِّمُ الناسَ بنصفِ عَقْلي ، فإذا اختصم إليَّ اثنان جمعت لهما عقلي كُلَّه . وقال له رجل : إنَّك لُتعجَبُ بِرأيك . فقال : لولا ذلك لم أقْضِ به . وقال له آخر : إنَّ فيك خِصالاً لا تُعجبُنِي . فقال : تحكمُ قبلَ أنْ تفهم ، ولا تجالسُ كلَّ أحد ، وتَلبَسُ الثيابَ الغَليظة . فقال له : أيُّها أكثر ، الثلاثة أو الاثنان ؟ قال : الثلاثة . فقال ما أسرَعَ ما فهِمتَ وأجبتَ ! فقال : أوَ يَجهَلُ هذا أحد ؟! فقال : وكذلك ما أحكمُ أنا بِه . وأما مجالستي لكلِّ أحَد فأنْ أجتمعَ بِمَنْ يَعرِفُ لي قدري أحَبُّ إلي من أنْ أجتمع بِمَنْ لا يَعرِفُني . وأما الثيابُ الغِلاظ فأنا ألْبَسُ منها ما يَقِيني لا ما أقيهِ أنا .

قالوا : وتحاكمَ إليه اثنانِ قد أودَعَ أحدُهما عندَ الآخرِ مالاً ، وجحَدَهُ الآخر ، فقال إياس للمُودِع : أين أودعتَهُ ؟ قال : عند شجرةٍ في بُستان ، فقال انطلِقْ إليها فقِفْ عندَها لعلَّكَ تتذكَّرُ ـ وفي رواية : أنه قال له : هل تستطيعُ أنْ تذهبَ إليها فتأتيَ بورقٍ منها ؟ قال : نعم ـ قال : فانطلق وجلس الآخر ، فجعلَ إياسٌ يحكُمُ بين الناس ، ويلاحظُه ، ثم استدعاهُ فقال له : أوَصَلَ صاحبُكَ بعدُ إلى المكان ؟ فقال : لا بعدُ أصلحكَ الله . فقال له : قُمْ يا عَدُوَّ الله ، فأدِّ إليه حَقَّه ، وإلاَّ جعلتُكَ نَكَالاً . وجاء ذلك الرجل ، فقام معه فدفع إليه وديعتَهُ بكمالِها .

وجاء آخَرُ فقال له : إنِّي أودَعْتُ عندَ فلانٍ مالاً ، وقد جَحَدني . فقال له : اذهَبِ الآنَ وأْتِنِي غداً . وبعثَ من فَوْرِهِ إلى ذلك الرجل الجاحِدِ فقال له : إنَّه قدِ اجتمعَ عندَنا هاهنا مال ، فلم نرَ لَهُ أميناً نضَعُهُ عندَهُ إلاَّ أنت ، فضَعْهُ عندَكَ في مكانٍ حَرِيز . فقال له : سمعاً وطاعةً . فقال له : اذهبِ الآن وأْتِنِي غداً . وأصبح ذلك الرجلُ صاحبُ الحق ، فجاء فقال له : اذهَبِ الآن إليه ، فقل له : أعطِني حَقِّي وإلاَّ رفعتُكَ إلى القاضي . فقال له ذلك ، فخافَ أنْ لا يُودعَ القاضي عنده المال فدفع إليه حقَّه وجاء إلى إياس فأعلمَهُ ثم جاء ذلك الرجلُ من الغَدِ رجاءَ أنْ يُودِع ، فانتهرَهُ إياسٌ وطرَدَهُ وقال له : أنت خائن .

وتحاكَمَ إليه اثنان في جارية ، فادَّعَى المشتري أنَّها ضعيفةُ العَقْل ، فقال لها إياس : أيُّ رجلَيْكِ أطول ؟ فقالت : هذه . فقال لها : أتذكرينَ ليلةَ وُلدتِ ؟ فقالت : نعم . فقال للبائع : رُدَّ رُدّ .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/٦١٣) (١٣٢٢) عن بريدة في الأحكام : باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي ، وأبو داود (٣/٢٩٩) (٣٥٧٣) في الأقضية : باب في القاضي يخطىء ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

وروى ابن عساكر أنَّ إياساً سمع صوت امرأةٍ من بيتِها فقال : هذه امرأةٌ حامِلٌ بصَبي . فلمَّا ولدتْ ولدتْ كما قال ، فسئل : بِمَ عرفتَ ؟ قال : سمعتُ صوتَها ونفَسُها معه ، فعلمتُ أنَّها حامل ، وفي صوتِها صَحَل[١] ، فعلمتُ أنَّهُ غلام .

قالوا : ثم مرَّ يوماً ببعضِ المكاتب ، فإذا صبيٌّ هنالك فقال : إنْ كنتُ أدري شيئاً فهذا الصبيُّ ابنُ تلك المرأة . فإذا هو ابنُها .

وقال مالك عن الزهري ، عن أبي بكر ، قال : شهد رجلٌ عندَ إياس ، فقال له : ما اسمُك . فقال : أبو العُنْقُر[٢] . فلم يقبلْ شهادتَه .

وقال سفيان الثوري عن الأعمش : دَعَوني إلى إياس ، فإذا رجلٌ كلَّما فرَغَ من حديثٍ أخَذَ في آخر .

وقال إياس : كلُّ رجلٍ لا يَعْرِفُ عَيبَ نفسِه فهو أحمق . فقيل له : ما عَيْبُك ؟ فقال : كثرةُ الكلام .

قالوا : ولما ماتت أمُّهُ بَكَى عليها ، فقيل له في ذلك ، فقال : كان لي بابانِ مفتوحانِ إلى الجنة ، فغُلِقَ[٣] أحدُهما .

وقال له أبوه : إنَّ الناسَ يلدونَ أبناءً ، ووَلَدْتُ أنا أباً .

وكان أصحابهُ يجلِسُون حولَه ويكتبون عنه الفِرَاسة ، فبينما هم حَوْلَه جلوس ، إذْ نظرَ إلى رجلٍ قد جاء ، فجلس على دَكَّةِ حانوت[٤] ، وجعل كلَّما مَرَّ أحَدٌ ينظرُ إليه . ثم قام فنظر في وجه الرجل ، ثم عاد فقال لأصحابه : هذا فقيهُ كُتَّاب ، قد أبَقَ له غلامٌ أعور ، فهو يتطلَّبُه ، فقاموا إلى ذلك الرجل فسألوه ، فوجدوهُ كما قال إياس ، فقالوا لإياس : مِنْ أينَ عرفتَ ذلك ؟ فقال : لَمَّا جلسَ على دَكَّةِ الحانوت علمتُ أنَّهُ ذو ولاية . ثم نظرتُ فإذا هو لا يصلحُ إلا لفَقَاهةِ المكتب ، ثم جعل ينظرُ إلى كلِّ مَنْ مَرَّ بِه ، فعرفتُ أنَّهُ فَقَدَ غلاماً ، ثم لما قامَ فنظرَ إلى وجهِ ذلك الرجل من الجانب الآخر عرفتُ أنَّ غلامَهُ أعوَر .

وقد أورد ابنُ خَلِّكَان أشياء كثيرةً في ترجمته[٥] ، من ذلك أنَّه قال : شَهِدَ عندَهُ رجلٌ في بستان فقال

---

(١) وفي صَوْتِها صَحَل : يريد فيه كالبُحَّة وهو أنْ لا يكون حادّاً ، والصَّحَلُ البُحَّة ، ومثله الجَشَّة : وهي شدة الصوت مع بحة ، غريب الحديث للخطابي (١/ ٤٣٧) ، ولابن قتيبة (١/ ٤٧٢) .

(٢) نقله من تاريخ دمشق (١٠/ ٣٠) . والعُنْقُر يضم القاف وفتحها أولاد الدهاقين ، وبالضم ناقة منجبة ، كما في القاموس المحيط .

(٣) أغْلَقَ الباب فهو مُغْلَقٌ والاسم الغَلْقُ . وغَلَقَهُ لغة رديئة متروكة . وغَلَّق الأبواب : شُدِّدَ للكثرة . مختار الصحاح (غلق) .

(٤) الدَّكَّةُ : بناءٌ يسطح أعلاه يقعد عليه . لسان العرب (دكك) .

(٥) في وفيات الأعيان (١/ ٢٤٧ ـ ٢٥٠) .

له : كم عددُ أشجارِه ؟ فقال له : كم عددُ جذوعِ هذا المجلس الذي أنتَ فيه من مُدَّةِ سِنين ؟ فقلت : لا أدري . وأقرَرْتُ شهادتَه .

قال خليفة[١] وغيرُ واحد : توفي بواسط سنة ثنتين وعشرين ومئة .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومئة

ذكر المدائني عن شيوخه أنَّ خاقانَ ملكَ التُّرْك لما قُتل في ولايةِ أسَدِ بن عبد الله القَسْرِيّ على خُراسان تفرَّقَ شملُ الأتراك ، وجعل بعضُهم يُغِير على بعض ، وبعضُهم يقتلُ بعضاً ، حتى كادَتْ أنْ تخرَبَ بلادُهم . واشتغلوا عن المسلمين .

وفيها سأل أهلُ الصُّغْد من أمير خُراسان نصرِ بنِ سَيَّار أن يردّهُمْ إلى بلادهم ، وسألوه شروطاً أنكرها العلماء ، منها أن لا يعاقب من ارتدَّ منهمْ عن الإسلام ، ولا يؤخذُ أسيرُ المسلمينَ منهم ، وغير ذلك ، فأراد أنْ يوافِقَهم على ذلكِ لِشِدَّةِ نكايتِهم في المسلمين ، فعاب عليه الناسُ ذلك ، فكتب إلى هشامٍ في ذلك ، فتوقَّف ، ثم رأى أنَّ هؤلاءِ إذا استمرُّوا على معانَدَتِهم[٢] للمسلمين كان ضرَرُهم أشَدَّ أجابَهُمْ إلى ذلك . وقد بعثَ يوسفُ بن عمر أميرَ العراق وفداً إلى أميرِ المؤمنين يسألُ منه أنْ يَضُمَّ إليهِ نِيَابَةَ خُرَاسان ، وتكلّموا في نَصْرِ بن سَيَّار ، بأنَّهُ وإنْ كانَ شَهْماً شجاعاً إلاَّ أنَّه قد كَبِرَ وضَعُفَ بصَرُه ، فلا يَعرفُ الرجلَ إلاَّ من قَرِيبٍ بصَوْتِه ، وتكلَّموا فيه كلاماً كثيراً ، فلم يَلْتَفِتْ إلى ذلك هشام ، واستمرَّ به على إمرَةِ خُراسانَ وولايتِها .

قال ابنُ جرير[٣] : وحجَّ بالناسِ فيها يزيدُ بن هشام بن عبدالملك .

والعُمَّالُ فيها مَنْ تقدَّمَ ذِكْرُهم في التي قبلَها .

وتُوفِّيَ في هذه السنة :

رَبيعةُ بن يزيد القصير من أهل دمشق .

وأبو يونس سليمان بن جُبير .

وسِمَاك بن حَرْب .

ومحمد بن واسع بن حيان ، وقد ذكَرْنا تراجِمَهم في كتابنا « التكميل » ولله الحمد[٤] .

---

(١) في طبقاته (١/ ٢١٢) .

(٢) في (ح) : « معاداتهم » .

(٣) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢١٤) .

(٤) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :

=

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومئة

فيها غزا سليمانُ بن هشام بن عبد الملك بلادَ الروم فلقي اليون فقاتله ، فسَلِمَ سليمانُ وغَنِم .

وفيها قَدِمَ جماعةٌ من دُعاةِ بني العباس من بلاد خُراسان قاصدينَ إلى مكة ، فمرُّوا بالكوفة ، فبَلَغهم

= [قال محمد بن واسع (ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٤١) ، طبقات خليفة (٢١٥) ، تاريخ خليفة (٣٧٨) ، التاريخ الكبير (١/ ٢٥٥) ، التاريخ الصغير (٣٥٤) ، الجرح والتعديل (٨/ ١١٣) ، ثقات ابن حبان (٧/ ٣٦٦) ، حلية الأولياء (٢/ ٣٤٥) ، صفة الصفوة (٣/ ٢٦٦) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٤٦٩) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٨٦) ، تهذيب الكمال (٢٦/ ٥٧٦) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ١١٩) ، العبر (١/ ٢٩٠) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٨) ، الوافي بالوفيات (٥/ ١٧٢) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٩٩) ، طبقات الشعراني (١/ ٣٦) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٣٠) .) : أولُ من يُدْعَى يومَ القيامةِ إلى الحساب القُضاة . وقال : خمسُ خِصَالٍ تُمِيتُ القلب : الذنبُ على الذنب ، ومجالسةُ الموتى ـ قيل له : ومَنِ الموتَى ؟ قال : كلُّ غنيٍّ مُتْرَفٍ وسلطانٍ جائر ـ وكثرةُ مُشاقَّةِ النساء وحديثهنّ ، ومُخَالطةُ أهلِه .

وقال مالكُ بن دينار : إني لأغبطُ الرجلَ يكونُ عيشُهُ كَفَافاً فيقنَعُ به . فقال محمد بن واسع : أغبَطُ منهُ والله عِندي مَنْ يُصبِحُ جائعاً وهو عن الله راضٍ .

وقال : ما آسى على الدنيا إلا على ثلاث : صاحبٌ إذا اعوجَجْتُ قوَّمَني ، وصلاةٌ في جَماعة يُحمَلُ عنِّي سَهْوُها وأفوزُ بفضلِها ، وقُوتٌ من الدنيا ليس لأحدٍ فيه مِنَّة ، ولا للهِ عليَّ فيه تَبِعَة .

وروى زياد (في (ق) : « رواد بن الربيع » تصحيف ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر .) بن الربيع [عن أبيه] قال : رأيتُ محمد بن واسع بسوق مرو (في (ق) : « بسوق بزور » ، والمثبت من مصادر تخريج الخبر ، وفي بعضها « بسوق مرَّةً » .) وهو يعرِضُ حماراً له للبيع ، فقال له رجل : أتَرْضاهُ لي ؟ فقال : لو رضيتُه لم أبِعْه (أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٥٥) في ترجمة محمد بن واسع ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٩) ، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ١٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٣٠) (٥٢٩٦) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٧٠) .) .

ولما ثَقُلَ محمد بن واسع كَثُرَ عليه الناسُ في العِيَادة ، قال بعضُ أصحابه : فدخلتُ عليه فإذا قومٌ قُعود ، وقومٌ قِيَام ، فقال : ماذا يُغني هؤلاء عنِّي إذا أُخِذَ بناصيتي وقدَمي غداً ، وأُلقيت في النار ؟! .

وبعثَ بعضُ الخلفاء مالاً مستكثَراً إلى البصرة ليفرِّقَ في فقراء أهلها ، وأمرَ أنْ يُدفَعَ إلى محمد بن واسع منه ، فلم يقبَلْهُ ولم يلتمِسْ منه شيئاً . وأمَّا مالك بن دينار فإنه قَبِلَ ما أُمِرَ له به ، واشترى به أرِقَّاء وأعتقهم ولم يأخذْ لنفسِهِ منه شيئاً ، فجاءه محمد بن واسع يلومُه على قَبُولِهِ جوائزَ السلطان ، فقال له : يا مالك ، قَبِلتَ جوائزَ السلطان !؟ فقال له مالك : يا أبا عبد الله ، سَلْ أصحابي ماذا فعلتُ منه ، فقالوا له : إنه اشترى به أرِقَّاء وأعتقهم . فقال له : سألتُكَ بالله أقلبُكَ الآنَ لهم مثلُ ما كانَ قبلَ أنْ يَصِلوك ؟ فقام مالك وحَثَى على رأسِهِ الترابَ وقال : إنما يعرفُ اللهَ محمدُ بن واسع ، إنما مالكٌ حمار ، إنما مالك حمار .

وكلامُ محمدِ بن واسع كثيرٌ جِداً رحمه الله] .

أنَّ في السجنِ جماعةً من الأمراء من نُوَّابِ خالد بن عبد الله القَسْري ، قد حبسَهم يوسفُ بن عمر ، وفيهم عيسى بن معقل العجلي ، فاجتمعوا بهم في السجن ، فدعَوْهُمْ إلى البيعةِ لبني العباس وإذا عندَهم من ذلك جانبٌ كبير ، فقَبِلوا منهم ، ووجدوا عندهم في السجن أبا مسلمٍ الخُراساني ، وكان إذْ ذاكَ غلاماً يَخدِمُ عيسى بن معقل العِجْلي ، وكان محبوساً فأعجَبَهم شهامَتُه وقوَّتُه ، واستجابته مع مولاه إلى هذا الأمر ، فاشتراهُ بكرُ بن ماهان بأربعمئةِ درهم ، خرَجوا بهِ معَهم ، فاستندَبُوهُ لهذا الأمر ، فكانوا لا يوجِّهونَهُ إلى مكان إلَّا ذهب ونَتَج ما يوجِّهونه إليه ، ثم كان من أمرِهِ ما سنذكرُه إن شاء الله تعالى فيما بعد .

قال الواقدي : ومات في هذه السنة محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، وهو الذي يدعو إليه دعاةُ بني العباس ، فقام مقامَهُ ولدُه أبو العباس السَّفَّاح ، والصحيح أنَّهُ إنَّما تُوفِّي في التي بعدَها .

قال الواقدي وأبو معشر : وحجَّ بالناس فيها عبدُ العزيز بن الحجَّاج بن عبد الملك ومعه امرأته أم سلمة بنت هشام بن عبد الملك . وقيل : إنما حجَّ بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل . قاله الواقدي ، والأول ذكره ابنُ جرير[١] ، والله أعلم .

وكان نائبُ الحجاز محمد بن هشام بن إسماعيل يَقِفُ على باب أم سلمة ويهدي إليها الألطاف والتُّحَف ، ويعتذِرُ إليها من التقصير ، وهي لا تلتفتُ إلى ذلك . ونوَّابُ البلاد هُمُ المذكورون في التي قبلَها .

وفيها تُوفِّيَ :

القاسم بن أبي بَزَّة[٢] أبو عبد الله المكِّي القارئ ، مولى عبدِ الله بن السائب ، تابعيٌّ جليل .

روى عن أبي الطُّفيل عامرِ بن واثلة ، وعنهُ جماعة ، ووثَّقَه الأئمة .

وكانتْ وفاتُهُ في هذه السنة على الصحيح ، وقيل بعدَها بسنة ، وقيل : سنةَ أربعَ عشرة ، وقيل : سنة خمسَ عشرة ، فالله أعلم .

الزُّهْرِيّ[٣] **محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهْرَة بن**

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢١٥) .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٤٧٩) ، التاريخ الكبير (٧/ ١٦٧) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٢٠٩) ، رجال صحيح البخاري (٢/ ٦١٧) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٣٨) ، الكاشف (٢/ ١٢٧) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٧٨) ، تقريب التهذيب ص(٤٤٩) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٨) ، والقسم المتمم (١٥٧) ، طبقات خليفة (٢٦١) ، تاريخ خليفة (٢١٨) ، (٣٥٦) ، التاريخ الكبير (١/ ٢٢٠) ، التاريخ الصغير (١/ ٣٥٦) ، الجرح والتعديل (٨/ ٧١) ، ثقات ابن حبان (٥/ ٣٤٩) ، حلية الأولياء (٣/ ٣٦٠) ، الأنساب (٦/ ٣٢٨) ، طبقات الشيرازي (٦٣) ، صفة الصفوة (٢/ ١٣٦) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٤٣٨) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٠) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٧٧) ، تاريخ ابن عساكر (٦٤/ ٢٥٨ ـ ٤٦٥) ، تهذيب الكمال (٢٦/ ٤١٩) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦) ، =

كِلاب بن مُرَّة ، أبو بكر القُرَشيُّ الزُّهْرِي ، أحَدُ الأعلام من أئمةِ الإسلام . تابعيٌّ جليل ، سمع غيرَ واحدٍ من التابعين وغيرِهم .

روى الحافظُ ابنُ عساكر عن الزُّهْري ، قال : أصابَ أهلَ المدينةِ جَهْدٌ شَديد ، فارتحلتُ إلى دمشق ، وكان عندي عِيَالٌ كثيرة ، فجئتُ جامعَها ، فجلستُ في أعظم حَلْقَة ، فإذا رجلٌ قد خرج من عندِ أميرِ المؤمنين عبدِ الملك فقال : إنَّهُ قد نزلَ بأميرِ المؤمنين مسألة ـ وكان قد سمع من سعيدِ بن المسيِّب فيها شيئاً وقد شذَّ عنه في أمَّهاتِ الأولاد يرويهِ عن عمر بن الخطاب ـ فقلتُ : إنِّي أحفظُ عن سعيد بن المسيِّب عن عمرَ بن الخطاب ، فأخذني ، فأدخلني على عبدِ الملك ، فسألني مِمَّنْ أنت ؟ فانتسبتُ له ، وذكرتُ له حاجتي وعِيَالي فسألني : هل تحفَظُ القرآن . قلت : نَعَمْ والفرائضَ والسُّنَن ، فسألَني عن ذلك كلِّه فأجبتُه[1] ، فقَضَى دَيْنِي ، وأمَرَ لي بجائزةٍ وقال لي : اطلبِ العِلم ، فإني أرَى لكَ عَيناً حافظة ، وقلباً ذَكيّاً . قال : فرجعتُ إلى المدينةِ أطلبُ العِلْم وأتتبَّعُه ، فبلغني أنَّ امرأةً بقُبَاء رأتْ رؤيا عَجيبة فأتيتُها فسألتُها عن ذلك ، فقالتْ : إنَّ بعلي ماتَ وترك لنا خادماً وداجناً ونُخيلاتٍ نشربُ من لبنها ، ونأكلُ من ثمرها ، فبينما أنا بين النائمةِ واليقظَى رأيتُ كأنَّ ابني الكبير وكان مشتدّاً قد أقبل ، فأخذ الشفرةَ فذبح ولدَ الداجنِ وقال : إنَّ هذا يُضَيِّقُ علينا اللَّبَن ، ثم نَصَبَ القِدْرَ ، وقطَّعها ووضعها فيه ، ثم أخذ الشفرةَ فذبح بها أخاه ، وأخوه صغير ، كما قد جاء ، ثم استيقظتُ مذعورةً ، فدخل ولدي الكبير فقال : أين اللَّبَن ؟ فقلت : يا بُني ، شَرِبَهُ ولدُ الدَّاجن . فقال : إنَّهُ قد ضَيَّقَ علينا اللبن ، ثم أخذ الشفرةَ فذبحَهُ وقطَّعَهُ في القِدْر ، فبَقِيتُ مشفِقَةً خائفةً ممَّا رأيت ، فأخذتُ ولديَ الصغير ، فغَيَّبْتُهُ في بعضِ بيوتِ الجيران ، ثم أقبلتُ إلى المنْزِل وأنا مشفِقةٌ جدًّا مِمَّا رأيت ، فأخذَتْني عيني فنِمت ، فرأيتُ في المنام قائلاً يقول : ما لك مغتمَّة ؟ فقلت : إنِّي رأيتُ مناماً ، فأنا أحذَرُ منه ، فقال : يا رؤيا يا رؤيا ، فأقبلتِ امرأةٌ حسناءُ جميلةٌ ، فقال : ما أردتِ من هذه المرأةِ الصالحة ؟ قالتْ : ما أردتُ إلاَّ خيراً . ثم قال : يا أحلام ، يا أحلام ، فأقبلتِ امرأةٌ دونها في الحُسن والجمال ، فقال : ما أردتِ إلى هذ المرأة الصالحة ؟ فقالت : ما أردتُ إلا خيراً . ثم قال : يا أضغاث ، يا أضغاث ، فأقبلتِ امرأةٌ سوداءُ شَعِثَة ، فقال : ما أردتِ إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت : إنها امرأةٌ صالحة ، فأحببتُ أنْ أعَلِّمَها ساعة . ثم استيقظتُ ، فجاء ابني فوضعَ الطعامَ وقال : أين أخي ؟ فقلت : إنّه درَجَ إلى بيوتِ الجيران ، فذهب وراءه ، فكأنما هُدِيَ إليه ، فأقبل به يُقَبِّلُه ، ثم جاء فوضَعَه ، وجلَسْنا جميعاً ، فأكلنا من ذلك الطعام[2] .

= تاريخ الإسلام (٥/ ١٣٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٨) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٠) ، العبر (١/ ١٥٨) ، الوافي بالوفيات (٥/ ٢٤) ، طبقات القراء (٢/ ٢٦٢) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٩٤) ، طبقات الحفاظ (٤٢) ، شذرات الذهب (١/ ١٦٢) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٣٩ ، و٤/ ٥٤١) .

(١) في (ب ، ح) : « وسأله عن ذلك كله فأجاد » .

(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٦٤/ ٣٩٧) .

ولد الزُّهري في سنةِ ثمانٍ وخمسين في آخرِ خلافةِ معاوية ، وكان قصيراً قليلَ اللِّحْية ، له شعراتٌ طوال ، خفيفَ العارضَيْن . قالوا : وقد قرأ القرآن في نَحوٍ من ثمانٍ وثمانينَ يوماً . وجالس سعيدَ بن المُسيِّب ثمانَ سنين ، تَمَسُّ ركبتُه ركبتَه ، وكان يخدمُ عبدَ الله[١] بن عبدِ الله يستقي له الماء المالح ، ويدورُ على مشايخِ الحديث ومعه ألواحٌ يكْتُبُ عنهم فيها الحديث ، ويكتبُ عنهم كلَّ ما سمِعَ منهم ، حتى صار من أعلمِ الناس ، وأعلمهم في زمانه ، وقد احتاج أهلُ عصرِهِ إليه .

وقال عبدُ الرزاق : أخبرنا معمَرٌ عن الزُّهري قال : كُنَّا نكرَهُ كتابَ العلم حتى أكرَهَنا عليه هؤلاءِ الأمَراء ، فرأينا أنْ لا نَمْنعَهُ أحداً من المسلمين[٢] .

وقال ابنُ إسحاق : كان الزُّهري يرجِعُ من عندِ عُروةَ فيقولُ لجاريةٍ عندَه فيها لُكْنَة : حدثنا عروة ، ثنا فلان . ويسرُدُ عليها ما سَمِعَهُ منه ، فتقول له الجارية : والله ما أدري ما تقول . فيقول لها : اسكتي لَكَاعِ فإني لا أريدُك ، إنما أُريدُ نفسي[٣] .

ثم وفد على عبدِ الملك بن مروان بدمشق ـ كما تقدَّم ـ فأكرمَهُ وقضَى دَينه ، وفرَضَ له في بيتِ المال ، ثم كان بعدُ من أصحابِهِ وجلسائه ، ثم كان كذلك عندَ أولادِهِ من بعدِه الوليدُ وسليمان ، وكذا عند عُمر بن عبد العزيز ، وعند يزيد بن عبد الملك ، واستقضاهُ يزيدُ مع سليمانَ بن حَبيب ، ثم كان حَظِيًّا عند هشام ، وحجَّ معَه ، وجعله معلِّم أولادِهِ إلى أنْ تُوفي في هذه السنة قبلَ هشام بسنة .

وقال ابنُ وَهْب : سمعتُ اللَّيثَ يقول : قال ابنُ شهاب : ما استودعتُ قلبي شيئاً قطُّ فنَسِيتُه . قال : وكان يكرَهُ أكلَ التفَّاح وسؤرَ الفأْرِ ويقُول : إنَّهُ يُنْسِي ، كان يشربُ العَسلَ ويقول : إنَّهُ يُذكِّر[٤] .

وفيه يقولُ فائدُ بنُ أقْرم :

زُرْ ذا وأثنِ على الكريم محمدٍ ... واذكـرْ فـواضِلَـهُ علـى الأصحـابِ
وإذا يقــالُ مَــنِ الجـوَادُ بمـالِـهِ ... قِيـل الجـوادُ محمـدُ بـنُ شهـابِ
أهـل المـدائـنِ يعـرفـونَ مَكـانَـهُ ... وربيـعُ نـادِيـه علـى الأعـرابِ
يَشْـرِي وفـاءَ جِفَـانِـهِ ويَمُـدُّهـا ... بكُسـورِ أثبـاجٍ[٥] وفَتْـقِ لُبَـابِ

---

(١) في بعض النسخ : عُبيد الله .
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٨٩) ، والقسم المتمم ص(١٦٩) .
(٣) تاريخ ابن عساكر (٦٤/ ٣٩٧) .
(٤) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٦٤) (١٨٠٣) ، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٣٤) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٢) .
(٥) في (ق) : « انتاج » ، والمثبت من (ب ، ح) ، والأثباج : جمع ثَبَج ، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . لسان العرب (ثبج) . والأبيات ما عدا الأخير في سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٢) .

وقال ابنُ مَهْدي : سمعتُ مالكاً يقول : حدَّث الزهريُّ يوماً بحديث ، فلما قام أخذتُ بِلِجامِ دابته فاستفهمته ، فقال : أتستفهمُني ؟! ما استفهمتُ عالماً قطّ ، ولا ردَدْتُ على عالمٍ قطّ . ثم جعل ابنُ مهدي يقول : فتلك الطِّوَال ، وتلك المغازي(١) .

وروى يعقوبُ بن سُفيان عن هشام بن خالد السلامي ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد ـ يعني ابنَ عبد العزيز ـ أنَّ هشام بن عبد الملك سأل الزُّهريَّ أن يكتُبَ لِبَنيهِ شيئاً من حديثِه ، فأملَى على كاتِبِه أربع مئة حديث ، ثم خرج على أهلِ الحديث فحدَّثهم بها ، ثم إنَّ هشاماً قال للزُّهْري : إنَّ ذلك الكتابَ ضاع ، فقال : لا عليك . فأملى عليهم تلك الأحاديث ، فأخرج هشامٌ الكتابَ الأول ، فإذا هو لم يغادرْ حَرفاً واحداً ، وإنما أرادَ هشامٌ امتحانَ حِفظِه(٢) .

وقال عمر بنُ عبد العزيز : ما رأيتُ أحداً أحسَنَ سَوْقاً للحديث إذا حدَّث من الزُّهري .

وقال سفيان بنُ عُيَينة عن عمرو بن دينار : ما رأيتُ أحداً أنصَّ للحديثِ من الزُّهري ، ولا أهونَ من الدينارِ والدرهم عندَه ! وما الدراهمُ والدنانيرُ عندَ الزُّهريِّ إلا بِمَنْزلةِ البَعْر . قال عمرو بن دينار : ولقد جالستُ جابراً وابنَ عباس وابنَ عمر وابنَ الزبير ، فما رأيتُ أحداً أسْيَقَ للحديثِ من الزُّهري .

وقال الإمامُ أحمد : أحسنُ الناسِ حديثاً وأجوَدُهم إسناداً الزُّهري .

وقال النسائي : أحسنُ الأسانيد : الزُّهريُّ عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدِّه عليّ ، عن رسول الله ﷺ .

وقال سعيد عن الزهري : مكثتُ خمساً وأربعينَ سنةً أختلفُ من الحجازِ إلى الشام ، ومن الشام إلى الحجاز ، فما كنتُ أسمعُ حديثاً أستطرفُه .

وقال الليث : ما رأيتُ عالماً قطُّ أجمعَ من ابن شهاب ، ولو سمعتَه يحدِّثُ في الترغيبِ والترهيب لقلتَ : ما يُحسنُ غيرَ هذا ؛ وإن حدث عن الأنبياء وأهلِ الكتاب قلت : لا يُحسنُ إلاَّ هذا ؛ وإنْ حدَّثَ عن الأعرابِ والأنسابِ قلت : لا يُحسنُ إلاَّ هذا ؛ وإنْ حدَّث عن القرآن والسُّنَّة كانَ حديثُهُ بِدْعاً جامعاً ؛ وكان يقول : اللهمَّ إني أسألكَ من كلِّ خيرٍ أحاطَ به عِلمُك ، وأعوذُ بك من كلِّ شرٍّ أحاطَ به علمُكَ في الدنيا والآخرة .

قال الليث : وكان الزهريُّ أسخَى منْ رأيت ، يُعطِي كلَّ منْ جاءَ وسألَه ، حتى إذا لم يبقَ عندَهُ شيءٌ

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٦٤/ ٤٠٤) .

(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٦٤/ ٤١٠) .

استسلف . وكان يُطعم الناسَ الثَّريد ، ويسقيهم العسَل ، وكان يسمُرُ على شرابِ العَسَل كما يسمُرُ أهلُ الشرابِ على شرابهم ويقول : اسقونا وحدِّثونا . فإذا نَعَسَ أحدُهم يقول له : ما أنتَ من سمَّارِ قُريش . وكانتْ له قُبَّةٌ معصفَرة ، وعليه مِلْحفةٌ معصفَرة ، وتحتَهُ بساطٌ معصفرٌ .

وقال الليث : قال يحيى بن سعيد : ما بقي عندَ أحدٍ من العلم ما بقي عندَ ابنِ شهاب .

وقال عبد الرزاق : أنبأ معمر قال : قال عمر بن عبد العزيز : عليكم بابنِ شهاب ، فإنه ما بقي أحدٌ أعلمُ بسنَّةٍ ماضيةٍ منه ، وكذا قال مَكْحول .

وقال أيوب : ما رأيتُ أحداً أعلَمَ من الزُّهري ! فقيل له : ولا الحسَن ؟ فقال : ما رأيتُ أعلمَ من الزهري !

وقيل لمكحول : منْ أعلَمُ من لَقيت ؟ قال الزهري : قيل : ثم منْ ؟ قال : الزهري . قيل : ثم منْ ؟ قال : الزهري .

وقال مالك : كان الزهريُّ إذا دخل المدينةَ لم يحدِّثْ بها أحداً حتى يخرج .

وقال عبدُ الرزاق عن ابنِ عُيَينة : محدِّثو أهلِ الحجاز ثلاثة : الزهري ، ويحيى بن سعيد ، وابنُ جُريج .

وقال عليُّ بن المَدِيني : الذين أفتَوْا أربعة : الزُّهْري ، والحكَم ، وحماد ، وقتادة ، والزُّهري أفقَهُهُمْ عندي .

وقال الزهري : ثلاثةٌ إذا كُنَّ في القاضي فليس بقاضٍ : إذا كَرِهَ المَلاوم ، وأحبَّ المحامِد ، وكَرِهَ العزْل .

وقال أحمد بن صالح : كان يُقال : فُصَحاء زمانِهم الزُّهري ، وعمر بن عبد العزيز ، وموسى بن طلحة ، وعُبيد الله ، رحمهم الله .

وقال مالك عن الزهري أنه قال ؛ إنَّ هذا العلم الذي أدَّبَ اللهُ بهِ رسولَ الله ﷺ ، وأدَّب رسولُ الله بهِ أُمَّتَه أمانةُ الله إلى رسولِهِ ليؤدِّيَهُ على ما أُدِّيَ إليه ، فمنْ سَمِعَ علماً فَلْيَجعَلْهُ أمامَهُ حُجَّةً فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ .

وقال محمد بن الحسين عن يونس ، عن الزهريِّ قال : الاعتصام بالسنَّةِ نجاة[١] .

وقال الوليد عن الأوزاعي عن الزهري ، قال : أمِرُّوا أحاديثَ رسولِ الله ﷺ كما جاءت .

---

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٦) .

وقال محمد بن إسحاق عن الزهري : إنَّ من غوائلِ العلم أنْ يُترَكَ العالِمُ حتى يذهبَ عِلمه[١] .

وقال أبو زرعة عن نعيم بن حماد ، عن محمد بن ثَوْر ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : القراءةُ على العالِمِ والسماعُ عليه سواءٌ إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : إذا طال المجلسُ كان للشيطانِ فيه حظٌّ ونَصيب . وقد قضَى عنه هشامٌ مرَّةً ثمانين ألف درهم . وفي رواية : سبعةَ عشرَ ألفاً . وفي رواية : عشرين ألفاً .

وقال الشافعي : عَتَبَ رجاءُ بنُ حَيْوة على الزُّهري في الإسراف ، وكان يَدَّان[٢] ، فقال له : لا آمنُ أنْ يحبِسَ هؤلاء القومُ ما بأيديهم عنك ، فتكون قد حملتَ على أمانيك . قال : فوعده الزهريُّ أنْ يُقصِر ، فمَرَّ به بعد ذلك وقد وضعَ الطعامَ ونصبَ موائدَ العَسَل ، فوقف به رجاء وقال : يا أبا بكر ، ما هذا بالذي فارقْتَنا عليه . فقال له الزهري : انزِلْ فإنَّ السَّخيَّ لا تؤدِّبُهُ التجارِب[٣] .

وقد أنشدَ بعضُهم في هذا المعنى :

لـه سحـائـبُ جـودٍ فـي أنـامِلِـهِ ... أمطـارُهـا الفِضَّـةُ البيضـاءُ والـذهـبُ
يقـول فـي العُسْرِ إنْ أيْسَـرتُ ثـانيـةً ... أقصَرْتُ عن بعضِ ما أُعطي وما أَهَبُ
حتـى إذا عـادَ أيـامُ اليسَـارِ لَـهُ ... رأيـتَ أمـوالَـهُ فـي النـاسِ تُنْتَهَـبُ

وقال الواقدي[٤] : ولد الزهريُّ سنة ثمانٍ وخمسين ، [في آخرِ خلافةِ معاوية بن أبي سفيان ، وهي السنةُ التي ماتتْ فيها عائشةُ زوجُ النبيِّ ﷺ] ، وقَدِمَ في سنةِ أربعٍ وعشرين ومئة إلى أمواله بثلاث[٥] : بِشَغْب وبَدَا[٦] فأقام بها ، فمرض هناك ومات . وأوصَى أنْ يُدفَنَ على قارعةِ الطريق وكانتْ وفاتُه لسبعَ عشرةَ من رمضان في هذه السنة ، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة . قالوا : وكان ثقةً كثيرَ الحديث والعلم

---

(١) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :
[وفي رواية : أنْ يترُكَ العالِمُ العمَل بالعلم حتى يذهب ، فإنَّ منْ غوائِلِهِ قِلَّةَ انتفاعِ العالِمِ بعِلْمِه] ، و[من غوائله] النِّسيان والكذب ، وهو أشدُّ الغوائل .

(٢) في (ق) : « يستدين » والمثبت من (ب ، ح) ، وكلاهما بمعنى يستقرض .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٥١) .

(٤) انظر قول الواقدي في طبقات ابن سعد القسم المتمم ص(١٨٥) وما بين معقوفين منه .

(٥) كذا في (ق) ، وفي (ب ، ح) : « بثلثة » ، وفي طبقات ابن سعد (بثلية) ، ولم أهتد إلى وجه الصواب فيه .

(٦) شَغْب ـ بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره باء موحدة ـ : هي ضيعة خلف وادي القرى ، كانت للزُّهري وبها قبره ، يُروى مقصوراً ، ويروى بغير ألف ، يُنسب إليها زكرياء بن عيسى الشغبي مولى الزهري . وقيل : شَغْبَى ـ وبَدا بالفتح والقصر ـ موضعان بين المدينة وأيْلَة من ساحل البحر . وقيل بوادي القرى ، وقيل بوادي عذرة . معجم البلدان (١/ ٣٥٦ ، و٣/ ٣٥١ و٣٥٢) .

والرواية ، فقيهاً جامعاً . وقال الحسين بن المتوكِّل العَسْقلاني : رأيتُ قبرَ الزهري بشَغْب وبَدَا[(١)] من فِلَسْطينَ مُسَنَّماً مُجَصَّصاً .

وقد وقف الأوزاعي يوماً على قبرِهِ فقال :

يا قبر كم فيك من علم ومن حلم   يا قبر كم فيك من علم ومن كرم
وكـم جمعـتَ روايـاتٍ وأحكـامـا   .... [(٢)]

وقال الزُّبير بن بكار : توفي الزهري بأموالِهِ بِشَغْب[(٣)] ليلةَ الثلاثاء لسبعَ عشرةَ ليلةً خلتْ من رمضان سنة أربعٍ وعِشرين ومئة ، عن ثنتين وسبعينَ سنة ، ودُفن على قارعةِ الطريق ، ليدعُوَ له المارَّة . وقيل : إنه تُوفي سنةَ ثلاثٍ وعشرين ومئة . وقال أبو معشر : سنةَ خمسٍ وعشرين ومئة . والصحيح الأول . والله أعلم[(٤)] .

---

(١) في طبقات ابن سعد (القسم المتمم) ص(١٨٦) : « رأيت قبر الزهري بأُدْمى وهي خلف شَغْب وبَدا ، وهي أول أعمال فلسطين . . » .

(٢) كذا في (ق) ، وأما (ب ، ح) فلم يذكر سوى قوله : « يا قبر كم فيك من علم وحلم » .

(٣) في (ق) : « بشغب ثنين » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وقد تقدم التعريف بشغب .

(٤) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :

[فصل (هذا الفصل ليس في (ب ، ح) ، وهو زيادة من (ق) .) :

وروى الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : أخبرني صالح بن كَيْسان ، قال : اجتمعتُ أنا والزهري ونحن نطلبُ العِلْم ، فقلنا : نحنُ نكتُبُ السُّنَن ؛ فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ . ثم قال لي : هَلُمَّ فَلْنكتُبْ ما جاء عن أصحابه ، فإنه سُنَّة . فقلت : إنه ليس بِسُنَّة ، فلا نكتبُه . قال : فكتب ما جاء عنهم ولم أكتب ، فأنجحَ وضَيَّعتُ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٠) عن الطبراني . وأخرجه وابن سعد في طبقاته (القسم المتمم) ص(١٦٨) ؛ وأبو الوليد الباجي في التعديل والتجريح (٢/ ٧٨٣) عن عبد الرزاق .) .

وروى الإمام أحمد عن معمر ، قال : كنَّا نرى أنَّا قد أكثَرْنا عن الزُّهري حتى قُتل الوليد ، فإذا الدفاترُ قد حُمِلَتْ على الدوابِّ من خزانته ، يقول : من علم الزُّهري (حلية الأولياء (٣/ ٣٦١) .) .

ورُوي عن الليث بن سعد قال : وضع الطَّسْتُ بين يدي ابنِ شهاب ، فتذكَّر حديثاً ، فلم تزلْ يدُهُ في الطَّسْت حتى طلعَ الفَجْر [حتى] صحَّحَه (المصدر السابق ، وما بين معقوفين منه .) .

وروى أصبغ بن الفرج عن ابن وَهْب ، عن يونس ، عن الزُّهري ، قال : للعلمِ وادٍ ، فإذا هبطتَ واديَهُ فعليك بالتُّؤَدة ، حتى تخرجَ منه ، فإنك لا تَقطَعُه حتى يقطعَ بك .

وقال الطبراني : حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب ، حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، حدّثني محمد بن الحسن بن زَبَالَة ، عن مالك بن أنس ، عن الزُّهري ، قال : خدَمْتُ عُبيد الله بن عُتْبة ، حتى إنْ كان خادمُه ليخرُجُ فيقول : منْ بالباب ؟ فتقول الجارية : غلامُك الأعمش ، فتظنُّ أنّي غلامُه ، وأنّي كنتُ لأخدمه حتى أستقيَ وضوءَه .

وروى عبدُ الرحمن بن أحمد ، عن محمد بن عبّاد ، عن الثوري ، عن مالك بن أنس ـ أُراهُ عن الزُّهري ـ قال : تبعت سعيدَ بن المُسيِّب ثلاثةَ أيّامٍ في طلَبِ حديث .
=

. . . .

= وروى الأوزاعيُّ عن الزهري قال : كنَّا نأتي العالِم ، فما نتعلَّمُ من أدبه أحبُّ إلينا من عِلْمه .

وقال سفيان : كان الزُّهري يقول : حدّثني فلان وكان من أوعيةِ العِلم . ولا يقول : كان عالماً .

وقال مالك : أولُ مَنْ دَوَّنَ العِلم ابنُ شهاب . وقال أبو المَلِيح : كان هشامٌ هو الذي أكرَهَ الزهريَّ على كتابةِ الحديث ، فكان الناسُ يكتبونَ بعد ذلك .

وقال رشيد بن سعد (كذا في (ق) ، ولعل الصواب فيه : « رشدين بن سعد » .) : قال الزهري : العلمُ خزائن ، وتفتحُها المسائل .

وقال الزهري : كان يُصطادُ العلمُ بالمسألة كما يُصادُ الوحش .

وكان ابنُ شهاب يَنْزلُ بالأعراب يُعلِّمُهم لئلا يَنسَى العلم . وقال : إنما يُذهبُ العلمَ النسيانُ وتَرْكُ المذاكرة .

وقال : إنَّ هذا العلم إنْ أخذتَهُ بالمُكابرَةَ غلَبَكَ ولم تظفَرْ منه بشيء ، ولكنْ خُذْهُ مع الأيامِ والليالي أخذاً رَفيقاً تظفرْ به .

وقال : ما أحدَث الناسُ مروءةً أعجبَ إليَّ من الفصاحة .

وقال : العلمُ ذكَرٌ ، لا يُحبُّهُ إلاَّ الذكورُ من الرجال ، ويكرَهُهُ مؤنَّثُوهم .

ومرَّ الزُّهريُّ على أبي حازمٍ وهو يقول : قال رسولُ الله ﷺ ، فقال : ما لي أرى أحاديثَ ليس لها خُطُمٌ ولا أزِمَّة ؟ .

وقال : ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أفضلَ من العلم .

وقال ابن مسلم أبي عاصم (كذا في (ق) ، والخبر في حلية الأولياء (٣/ ٣٦٥ ، ٣٦٦) ، وفيه : عبد الله بن محمد بن جعفر عن أبي عاصم .) : حدّثنا دُحَيم ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، عن القاسم بن هِزَّان ، أنَّه سمع الزُّهْري يقول : لا يوثقُ الناسُ بعلمِ عالمٍ لا يعمل به ، ولا يؤمن بقولِ عالمٍ لا يرضى .

وقال ضمرة عن يونس ، عن الزهري ، قال : إياك وغلولَ الكُتب . قلت : وما غلولُها ؟ قال : حَبْسُها عن أهْلِها .

وروى الشافعيُّ عن الزهري قال : حضور المجلِسِ بلا نُسخةٍ ذُلّ .

وروى الأصمعي عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب قال : جلستُ إلى ثعلبةَ بنِ أبي مَعين ، فقال : أراكَ تُحبُّ العلم . قلتُ : نعم . قال : فعليك بذاك الشيخ . يَعني سعيدَ بن المُسيِّب . قال : فلزِمْتُ سعيداً سبعَ سنين ، ثم تحوَّلْتُ عنه إلى عروة ، ففجَّرتُ ثَبَجَ بحرِه .

وقال الليث : قال ابنُ شهاب : ما صبرَ أحدٌ على علم صَبْري ، وما نشرهُ أحدٌ قطُّ نشري . فأمَّا عروةُ بن الزُّبير فبئرٌ لا تُكدِّرُهُ الدِّلاء ، وأمَّا ابنُ المسيِّب فانتصب للناس ، فذهب اسمُه كلَّ مذهب .

وقال مكي بن عبدان : حدّثنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الأوسي ، حدثنا مالك بن أنس أنَّ ابنَ شهاب سأله بعضُ بني أمية عن سعيد بن المسيِّب ، فذكر علمَهُ بخير ، وأخبرَهُ بحالِه ؛ فبلغ ذلك سعيداً ، فلما قدم ابنُ شهاب المدينةَ جاء فسلَّم على سعيد ، فلم يردَّ عليه ولم يكلِّمْه ، فلما انصرف سعيد مَشَى الزهريُّ معه ، فقال : ما لي سلَّمْتُ عليك فلم تكلِّمْني ؟ ماذا بلغك عني ؟ وما قُلتُ إلاَّ خيراً . قال له : ذكرتَني لبني مروان .

قال أبو حاتم : حدّثنا مكي بن عبدان ، حدّثنا محمد بن يحيى ، حدّثني عطَّاف بن خالد المخزومي ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن ابن شهاب قال : أصاب أهلَ المدينةِ حاجةٌ زمانَ فتنةِ عبدِ الملك بنِ =

. . . .

= مروان ، فعمَّتْ أهلَ البلد ، وقد خُيِّلَ إليَّ أنَّه قد أصابنا أهلَ البيتِ من ذلك ما لم يصِبْ أحداً من أهلِ البلد ؛ وذلك لخبرتي بأهلي ، فتذكَّرْتُ هل من أحدٍ أمُتُّ إليهِ برَحِمٍ أو موَدَّةٍ أرجو إنْ خرَجْتُ إليه أنْ أُصيبَ عندَهُ شيئاً ؛ فما علمتُ من أحدٍ أخرُجُ إليه . ثم قلتُ إن الرزقَ بيدِ الله عزَّ وجلَّ . ثم خرجتُ حتى قدمتُ دمشق ، فوضعتُ رَحْلي ، ثم أتيتُ المسجدَ ، فنظرتُ إلى أعظمِ حَلْقةٍ رأيتُها وأكبرِها ، فجلست فيها ، فبينا نحنُ على ذلك إذْ خرجَ رجلٌ من عندِ أميرِ المؤمنين عبد الملك كأجسمِ الرجالِ وأجملِهم وأحسنِهم هيئةً ! فجاء إلى المجلس الذي أنا فيه فَتحثحثوا له ـ أي أوسعوا ـ فجلس ، فقال : لقد جاء أميرَ المؤمنين اليومَ كتابٌ ما جاءه مثله منذُ استخلفَهُ الله . قالوا : ما هو ؟ قال : كتب إليه عاملُهُ على المدينة هشام بن إسماعيل يذكر أنَّ ابناً لمُصعب بنِ الزُّبير من أمِّ ولد مات ، فأرادَتْ أمُّه أنْ تأخذَ ميراثاً منه ، فمنعَهُ عروةُ بن الزبير ، وزعم أنَّهُ لا ميراثَ لها . فتوهَّم أميرُ المؤمنين حديثاً في ذلك سمِعَهُ من سعيدِ بن المسيَّب يذكرُ عن أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب في أمَّهات الأولاد ، ولا يحفَظُهُ الآن ، وقد شذَّ عنه ذلك الحديث . قال ابنُ شهاب : فقلتُ : أنا أحدِّثُه به . فقام إليَّ قَبيصةُ حتى أخذ بيدي ، ثم خرج حتى دخل الدارَ على عبد الملك فقال : السلام عليك . فقال له عبد الملك مجيباً : وعليك السلام . فقال قبيصة : أنَدْخل ؟ فقال عبدُ الملك : ادخلْ . فدخلَ قَبيصَةُ على عبدِ الملك وهو آخذٌ بيدي . وقال : هذا يا أميرَ المؤمنين يحدِّثُكَ بالحديث الذي سمعتَهُ من ابنِ المُسَيَّب في أمَّهاتِ الأولاد . فقال عبدُ الملك : إيهِ . قال الزهري : فقلت : سمعتُ سعيد بن المسيَّب يذكر أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بأُمَّهات الأولاد أن يقوَّمْنَ في أموال أبنائهنَّ بقيمةِ عَدْلٍ ثم يُعتقن . فكتبَ عمرُ بذلك صدراً من خلافتِهِ ، ثم توفِّي رجلٌ من قريش كان لهُ ابنٌ من أمِّ ولَد ، وقد كان عمر يعْجبُ بذلك الغُلام . فمرَّ ذلك الغلامُ على عمرَ في المسجد بعدَ وفاةِ أبيهِ بليالٍ ، فقال له عمر : ما فعلتَ يا بنَ أخي في أمِّك ؟ قال : فعلتُ يا أميرَ المؤمنين خيراً ؛ خيَّروني بين أنْ يَسترقُّوا أُمِّي [أو يُخرجوني من مِيراثي من أبي ، فكان ميراثُ أبي أهونَ عليَّ من أنْ يسترقُّوا أمي] (ما بين معقوفين ناقص في (ق) واستدركتُهُ من حلية الأولياء (٣/ ٣٦٨) .) . فقال عمر : أو لستُ إنما أمرتُ في ذلك بقيمةِ عَدْل ؟ ما أرى رأياً وما أمرتُ بأمرٍ إلاَّ قلتم فيه . ثم قام فجلَسَ على المِنْبَر ، فاجتمعَ الناسُ إليه ، حتى إذا رَضيَ من جماعتِهم قال : أيُّها الناس ، إنِّي قد كنتُ أمَرْتُ في أُمَّهاتِ الأولاد بأمرٍ قد علمتموه ، ثم حدَثَ رأيٌ غيرُ ذلك ، فأيُّما امرئٍ كان عندَهُ أمُّ ولد ، فملَكَها بيمينه ما عاش ، فإذا ماتَ فهي حُرَّةٌ لا سبيلَ لهُ عليها . فقال لي عبدُ الملك : منْ أنت ؟ قلتُ : أنا محمد بن مُسلم بن عُبيد الله بن شهاب . فقال : أمَا واللهِ إنْ كان أبوكَ لأباً نعَّاراً في الفتنة ، مؤذياً لنا فيها . قال الزهري : فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، قلْ كما قال العبدُ الصالحُ : ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ [يوسف : ٩٢] . فقال : أجل . ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ .

قال : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، افرضْ لي فإني منقطعٌ من الديوان . فقال : إنَّ بلدك ما فرَضْنا فيه لأحدٍ منذُ كان هذا الأمر . ثم نظر إلى قَبيصة وأنا وهو قائمان بين يديه ، فكأنه أومأ إليه أن افرضْ له ؛ فقال : قد فَرضَ إليك أميرُ المؤمنين . فقلت : إني واللهِ ما خرَجْتُ من عندِ أهلي إلاَّ وهم في شدَّةٍ وحاجةٍ ما يعلَمُها إلا الله وقد عمَّتِ الحاجةُ أهلَ البلد . قال : قد وصلك أميرُ المؤمنين . قال : قلت : يا أميرَ المؤمنين ، وخادمٌ يخدمُنا فإنَّ أهلي ليس لهم خادمٌ إلاَّ أختي فإنها الآن تعجنُ وتخبزُ وتطحَن . قال : قد أخدمكَ أميرُ المؤمنين .

وروى الأوزاعي عن الزهري ، أنه روى أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا يَزني الزَّاني حين يَزْني وهو مؤمن » . فقلتُ للزُّهْري : ما هذا ؟ فقال : من اللهِ العِلْم ، وعلى رسولِهِ البَلاغ ، وعلينا التسليم ، أمرُّوا أحاديثَ رسولِ الله ﷺ كما=

. . . .

= جاءتْ (أخرجه بهذا الإسناد واللفظ أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩) . والحديث مسنداً أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٥) (٢٣٤٣) في المظالم : باب النهبى بغير إذن صاحبه ؛ ومسلم (١/ ٧٦) (٥٧) في الإيمان : باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي .) .

وعن ابن أخي ابنِ شهاب ، عن عمِّه قال : كان عمرُ بن عبد الخطاب يأمُرُ بروايةِ قصيدةِ لَبيد بنِ رَبيعة التي يقول فيها :

إنَّ تَقْـوى رَبِّنـا خَيْـرُ نَفَـلْ وبـــإذنِ اللهِ رَيْثــي والعَجَـــلْ
أحمــدُ اللهَ فــلا نــدَّ لَــهُ بيــديـهِ الخيـرُ مـا شـاءَ فَعَـلْ
منْ هداهُ سُبُلَ الخيرِ اهتدَى نـاعـمَ البـالِ ومـنْ شـاءَ أضَـلْ

(الأبيات من قصيدة للبيد في ديوانه ص(١٣٩) .)

وقال الزهري : دخلتُ على عُبيد الله بن عبدِ الله بن عُتبة مَنْزِله ، فإذا هو مغتاظٌ ينفُخ ! فقلت : ما لي أراكَ هكذا ؟! فقال : دخلتُ على أميرِكمْ آنفاً ـ يعني عمرَ بن عبدِ العزيز ـ ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فسلَّمْتُ عليهما ، فلم يَرُدَّا عليَّ السلام ، فقلت :

لا تَعْجَبـا أنْ تُـؤتَيـا فتكلَّمـا فمـا حُشـيَ الأقـوامُ شـرّاً مـن الكِبْـرِ
ومُسَّا تُرابَ الأرضِ منهُ خُلِقتُما وفيهـا المعـادُ والمصيـرُ إلـى الحَشْـرِ

فقلت : يرحمك الله ، مِثْلُكَ في فقهِكَ وفضلِكَ وسنِّك تقولُ الشِّعر !؟ فقال : إنَّ المصدورَ إذا نفَثَ بَرَأ (الخبر والأبيات في التمهيد (٩/ ١٣) لابن عبد البر وزاد في الأبيات بيتين آخرين وهما :

فلو شئتُ أنْ ألقَى عدوّاً وطاعناً لـلاقَيْتُـهُ أو قـال عنـديَ فـي السـرِّ
فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أنه عنكما ضحكـتُ لـه حتـى يلـجَّ وَيَسْتَشْـري)

وجاء شيخٌ إلى الزُّهريِّ فقال : حدِّثني . فقال : إنك لا تعرفُ اللغة . فقال الشيخ : لعلِّي أعرفُها . فقال : فما تقولُ في قولِ الشاعر :

صَريع نَدَامَى يَرفَعُ الشَّرْبُ رأسَهُ وقـد مـاتَ منـهُ كـلُّ عُضْـوٍ ومِفْصَـلِ

ما المِفْصل ؟ قال : اللسان . قال : عُدْ عليَّ أُحدِّثْكَ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٧٠) وروايته : « اغدُ عليَّ أحدِّثْك » .) .

وكان الزُّهريُّ يتمثَّلُ كثيراً بهذا .

ذهـب الشبـابُ فـلا يعودُ جُمانـا وكـأنَّ مـا قـد كـانَ لـم يَـكُ كـانـا
فطويتُ كَفِّي يا جُمانُ على العصَا وكَفَـى جُمـانُ بطَيِّهـا حَـدَثـانـا

(الخبر والشعر في الحلية (٣/ ٣٧٠) وروايته : « فطويت كفاً يا جمان على الغضا » .)

وكان نقشُ خاتم الزهري : محمدٌ يسألُ اللهَ العافية .

وقيل لابنِ أخي الزهري : هل كان عمُّك يتطيَّب ؟ قال : كنتُ أشمُّ ريحَ المسكِ منْ سَوْطِ دابَّةِ الزهري .

وقال : استكثروا من شيءٍ لا تَمسُّه النار . قيل : وما هو ؟ قال : المعروف .

وامتدحه رجلٌ مرَّةً فأعطاهُ قميصَه ، فقيل له : أتُعطي على كلام الشيطان ؟ فقال : إنَّ من ابتغاءِ الخيرِ اتِّقاءَ الشرّ (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٧١) ، وروايته : « إن من ابتغى الخير اتقى الشر » .) .

وممنْ تُوفِّي في خِلافةِ هشام بن عبد الملك كما أوردَهُ ابنُ عساكر :

بلال بن سعد[1] بن تميم السَّكوني أبو عمرو ، ويقال : أبو زُرْعة ، إمامُ جامع دمشق أيامَ هشام ، وقاصُّ أهلِ الشام ؛ وكان من الزُّهاد الكِبَار ، والعُبَّاد الصُّوَّام القُوَّام .

روَى عن أبيه ، وكان أبوهُ له صُحْبَة ، وعن جابر ، وابنِ عمر ، وأبي الدرداء ، وغيرهم . وعنه جماعةٌ ، منهم أبو عمرو الأوزاعي ، وكان الأوزاعي يكتبُ عنه ما يَقُولُه من الفوائدِ العظيمةِ من قَصَصِهِ ووَعْظِه ، وقال : ما رأيتُ واعِظاً قَطُّ مِثلَه .

وقال أيضاً : ما بلَغَني عن أحدٍ من العبادةِ ما بلَغَني عنه ، كان يُصلِّي في اليومِ والليلةِ ألفَ رَكْعَة ، قال غيره ـ وهو الأصمعي ـ : كان إذا نَعَسَ في ليلِ الشتاء ألقَى نفسَهُ في ثِيابِه في البِرْكَة ، فعاتَبَهُ بعضُ أصحابِه في ذلك فقال : إنَّ ماء البِرْكةِ أهوَنُ من صَديدِ جهنم .

وقال الوليدُ بن مسلم : كان إذا كبَّرَ في المِحراب سمعوا تكبيرَهُ من الأوْزاع ، قلت : وهي خارج بابِ الفرادِيس ، بِمَحلَّةِ سوق قُميلة اليوم ، قال : وكنّا نتبيّنُ قراءتَهُ من عقبَة الشيخ عند دار الضيافة[2] . يعني من عند دار الذهب داخل باب الفراديس .

وقال أحمد بن عبد الله العِجْلي ـ وهو شامي ـ تابعيٌّ ثِقَة .

وقال أبو زرعة الدمشقي : كان أحدَ العلماء ، وكان قاصًّا ، حسَنَ القَصَص ، وقد اتَّهمَهُ رجاءُ بن

= وقال سفيان : سئل الزهريُّ عن الزاهد ، فقال : منْ لم يمنَع الحلالُ شُكْرَه ، ولم يغلبِ الحرامُ صبرَه .

وقال سفيان : قالوا للزهري : لو أنك الآن في آخرِ عُمرِكَ أقمتَ بالمدينة فغدَوْتَ (في (ق) : « فقعدت . . . ودرجت » ، والمثبت من الحلية (٣/ ٣٧١) .) إلى مسجدِ رسولِ الله ﷺ ، ورُحْتَ وجلسنا إلى عمودٍ من أعمدتِه ، فذكَّرت الناسَ وعلَّمتَهم . فقال : لو أني فعلتُ ذلك لوُطِّىءَ عَقِبي ، ولا ينبغي لي أنْ أفعلَ ذلك حتى أزهدَ في الدُّنيا ، وأرغبَ في الآخرة .

وكان الزهري يحدِّثُ أنه هلك في جبال بيتِ المقدِس بضعةٌ وعشرون نبيّاً ماتوا من الجُوع والعمل ، كانوا لا يأكلونَ إلاَّ ما عرفوا ، ولا يَلْبَسُونَ إلاَّ ما عَرفوا . وكان يقول : العِبَادة هي الوَرَعُ والزُّهْد ، والعِلْمُ هو الحسَنَةُ ، والصَّبْرُ هو احتمالُ المكارِه ، والدعوةُ إلى الله على العمل الصالح] .

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٦١) ، التاريخ الكبير (٢/ ١٠٨) ، الكنى لمسلم ص(١٥١) ، الجرح والتعديل (٢/ ٣٩٨) ، الثقات لابن حبان (٤/ ٦٦) ، الحلية (٥/ ٢٢١) ، تاريخ ابن عساكر (١٠/ ٣٥٤) ، صفة الصفوة (٤/ ٢١٧) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (١/ ٤٨١) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٥/ ٢٦٨) ، تهذيب الكمال (٤/ ٢٩١) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٠) ، تاريخ الإسلام (٤/ ٢٣٤) ، الوافي (١٠/ ٢٧٧) ، تهذيب التهذيب (١/ ٥٠٣) ، الكواكب الدرية (١/ ٩١) .

(٢) كذا في الأصول (ب ، ح ، ق) وتاريخ دمشق ، وفي سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٢) : « دار الصيارفة » .

حَيْوَة بالقَدَر ، حتى قال بلال يوماً في وَعظِه : رُبَّ مسرورٍ مَغْبُون ، ورُبَّ مَغْبُونٍ(١) لا يَشْعُر ، فوَيلٌ لِمَنْ له الوَيْلُ وهو لا يَشْعُر ، يأكلُ ويشرَبُ ويَضْحَك وقد حَقَّ عليه في قضاءِ الله أنَّهُ من أهلِ النار ، فياوَيْل لك جسداً ! فلْتبكِ ولْتبكِ عليك البواكي لطولِ الأبَد .

وقد ساق ابنُ عساكر شيئاً حَسناً من كلامه في مواعظهِ البليغة ، فمنْ ذلك قولُه : واللهِ لكفَى به ذنباً أنَّ اللهَ يُزَهِّدُنا في الدنيا ونحنُ نرغَبُ فيها . زاهِدُكم راغب ، وعالمكم جاهل ، ومجتهدُكم مقصِّر .

وقال أيضاً : أخٌ لك كلَّما لَقِيَكَ ذكَّركَ بنصيبكَ من الله ، وأخبركَ بعَيْبٍ فيك أحَبُّ إليك وخيرٌ لك مِنْ أخٍ كلَّما لَقِيَكَ وضعَ في كفِّكَ ديناراً .

وقال أيضاً : لا تكنْ وَلِيًّا للهِ في العلانية ، وعدوَّهُ في السِّرّ ، [ولا تكنْ عدُوَّ إبليسَ والنفسِ والشَّهَواتِ في العلانية ، وصديقَهم في السِّرّ](٢) . ولا تَكُنْ ذا وجهَيْنِ وذا لسانين فتظهرَ للناس أنك تخشَى الله ليحمَدُوك ، وقلبُكَ فاجر .

وقال أيضاً : أيها الناس ، إنَّكم لم تُخلقُوا للفَنَاء وإنَّما خُلقتُمْ للبقاء ، ولكنَّكم تَنْتقِلُون من دارٍ إلى دار ، كما نُقلتمْ من الأصلابِ إلى الأرحام ، ومن الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبورِ إلى المَوْقف ، ومن الموقف إلى الجنَّةِ أو النار .

وقال أيضاً : عبادَ الرحمن ، إنكم تعملونَ في أيامٍ قصار لأيامٍ طِوَال ، وفي دارِ زَوَالٍ إلى دارِ مُقَام ، وفي دارِ حُزْنٍ ونَصَب ، لِدارِ نعيمٍ وخلُود ، فمن لم يعمَلْ على يقين فلا يتعَنَّ ، عبادَ الرحمن ، لو قد غُفِرَتْ خطاياكمُ الماضية لكان فيما تستقبلون لكمْ شُغُلاً ، لو عَمِلتم بما تعلمون لكنتم عبادَ الله حَقًّا . عبادَ الرحمن ، أمَّا ما وكَّلَكُمْ بهِ فتضيِّعونَه ، وأمَّا ما تكَفَّلَ الله لكُمْ بهِ فتطلبونه ! ما هكذا نعتَ اللهُ عبادَهُ المُوقِنين ، أذوُو عَقْلٍ في الدنيا وبُلْهٌ في الآخرة ، عُمْيٌ عمَّا خُلقْتمْ له ، بُصَراء في أمرِ الدُّنيا ! فكما ترجونَ رحمةَ الله بما تؤدُّونَ من طاعته ، فكذلك أشفِقُوا من عَذَابه بما تنتهكُونَ من معَاصِيه . عبادَ الرحمن ، هل جاءكم مُخبِرٌ يُخبرُكم أنَّ شيئاً من أعمالِكُمْ قد تُقُبِّلَ منكم ؟ أو شيئاً مِنْ خطاياكم قد غُفِرَ لكم ؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] ، واللهِ لو عَجَّلَ لكم الثوابَ في الدنيا لاستقلَلْتُمْ ما فرض عليكم ، أترغبون في طاعةِ الله لتعجيلِ دار هَمّ ، ولا ترغبون وتُنافِسونَ في جنَّةٍ أُكُلُها دائمٌ وظِلُّها ؟ وعَرْضُها عرضُ الأرض والسماوات . ﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد : ٣٥] .

وقال أيضاً : الذِّكرُ ذِكْران ، ذكرُ اللهِ باللِّسان حَسَنٌ جميل ، وذكرُ اللهِ عندما أحَلَّ وحرَّم أفضل . عبادَ

(١) في (ق) : « مغرور » ، في الموضعين ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) ما بين معقوفين ليس في (ب ، ح) وهو من (ق) .

الرحمن ، يقالُ لأحَدِنا تُحِبُّ أن تموت ؟ فيقول : لا . فيقال له : لِمَ ؟ فيقول : حتى أعمَل . فيُقال له : اعمَلْ . فيقول : سوف أعمل . فلا تُحِبُّ أنْ تموتَ ولا تُحبُّ أنْ تعمَل ! وأحَبُ شيْءٍ إليه يُحِبُّ أنْ يؤخِّرَ عمَلَ الله ، ولا يُحِبُّ أنْ يؤخِّرَ الله عنهُ عَرَضَ الدنيا !.

عبادَ الرحمن ، إنَّ العبدَ ليعمَلُ الفريضةَ الواحدةَ من فرائضِ الله ، وقد أضاعَ ما سِواها ، فما يزالُ يُمَنِّيهِ الشيطانُ ويُزَيِّنُ له حتى ما يَرَى شيئاً دونَ الجنة مع إقامَتِهِ على مَعَاصي الله . عبادَ الرحمن ، قبلَ أنْ تعمَلُوا أعمالَكُمْ فانظروا ماذا تُريدون بها ، فإنْ كانَتْ خالصةً فامْضُوها ، وإنْ كانت لغيرِ الله فلا تَشُقُّوا على أنفسكم ، فإنَّ الله لا يقبلُ من العملِ إلاَّ ما كان لهُ خالصاً ، فإنه قال : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر : ١٠] .

وقال أيضاً : إنَّ الله ليس إلى عذابِكم بِسَرِيع ، يقبَلُ المُقبِل ويَدْعو[١] المُدْبِر .

وقال أيضاً : إذا رأيتَ الرجلَ مُتحرِّجاً لَجُوجاً ممارياً مُعجباً برأيه فقد تَمَّتْ خسارَتُه .

وقال الأوزاعي : خرج الناسُ بدمشقَ يَسْتَسقون ، فقام بهم بلالُ بنُ سعدٍ فقال : يا معشر مَنْ حَضَر ، ألستُمْ مقِرِّينَ بالإساءة ؟ قالوا : نعم . فقال : اللهمَّ إنَّكَ قلت : ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ ﴾ [التوبة : ٩١] ، وقد أقرَرْنا بالإساءة فاعفُ عنَّا واغفِرْ لنا . قال : فسُقُوا يومَهمْ ذلك .

وقال أيضاً : سمعتُه يقول : لقد أدرَكْتُ أقواماً يشتدُّونَ بين الأغراض ، ويضحَكُ بعضُهم إلى بعض ، فإذا جَنَّهُمُ الليلُ كانوا رُهْباناً[٢] .

وسمعتُهُ أيضاً يقول : لا تَنظُرْ إلى صِغَرِ الذنب ، وانظُرْ إلى مَنْ عصَيْت .

وسمعتُه يقول : من بادأَكَ بالوُدِّ فقدِ استرَقَّكَ بالشُّكْر .

وكان من دعائه : اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من زَيْغِ القُلوب ، ومن تَبِعاتِ الذنوب ، ومن مُرْدِياتِ الأعمال ، ومُضِلاّتِ الفِتَن[٣] .

---

(١) في (ح) : « ويدع » ، والمثبت من (ب ، ق) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٤٧) ، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف (٥/٣٠٣) (٢٦٣٢٦) ، وابن أبي عاصم في الزهد ص(٢١٠) .

(٣) وهذه من الزيادة المقحمة وهي :

[وقال الأوزاعي عنه ، أنه قال : عبادَ الرحمن ، لو أنتم لم تَدعوا إلى الله طاعةً إلاَّ عَمِلْتُموها ، ولا مَعْصِيَةً إلاَّ اجْتَنَبْتُموها إلاَّ أنكم تُحِبُّون الدنيا لَكفاكُمْ ذلك عقوبةً عندَ الله عزَّ وجلّ .

وقال : إنَّ الله يغفِرُ الذنوبَ لِمَنْ تابَ منها ، ولكنْ لا يَمْحوها من الصَّحِيفةِ حتى يوقَفُ العبدُ عليها يومَ القيامة . ترجمة] .

الجَعْدُ بنُ دِرْهَـم[١] : هو أول من قال بِخَلْقِ القرآن ، وهو الذي يُنسَبُ إليه مروانُ الجَعْدِيّ ، وهو مروانُ الحمار آخرُ خلفاءِ بني أمية . كان شيخُه الجعدَ بن دِرْهم ، أصلُه من حَرَّان[٢] ، ويقال : إنه من موالي بني مروان ، سكن الجعدُ دمشق ، وكان له بها دارٌ بالقُرب من القلانسيِّين إلى جانب الكنيسة ، ذكره ابنُ عساكر . قلت : وهي مَحَلَّةٌ بالقرب من الخوَّاصِين اليوم ، غربيها عند حمام القطَّانين الذي يقال له حمام قلينس .

قال ابنُ عساكر وغيرُه[٣] : وقد أخذ الجَعْدُ بدعَتَهُ عن أبان بن سمعان[٤] ، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لَبِيد بن أعصم زوجِ ابنتِه ، وأخذها لَبِيدُ بنُ أعصَم الساحر الذي سحرَ الرسولَ ﷺ عن يَهوديٍّ باليمن ، وأخذ عن الجَعْد الجَهْم بن صفوان الخزري وقيل الترمذي ، وقد أقامَ بِبلْخ ، وكان يُصلّي مع مُقاتِل بن سليمان في مسجدِه ، ويتناظران ، حتى نُفِيَ إلى تِرْمِذ ، ثم قُتل الجَهْم بأصبهان ، وقيل بِمَرْو ، قتله نائبُها سَلْم بن أحْوزَ رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذَ بِشْرٌ المريْسِي عن الجهم ، وأخذ أحمد بنُ أبي دُوَاد عن بِشر . وأمَّا الجَعْدُ فإنه أقامَ بدمشق حتى أظهرَ القولَ بخَلقْ القرآن ، فتطلَّبه بنو أمية ، فهرب منهم ، فسكن الكوفة ، فلَقِيَهُ فيها الجَهْمُ بنُ صفوان ، فتقلَّد هذا القول عنه . ثم إنَّ خالد بن عبد الله القَسْري قَتَل الجعدَ يومَ عيدِ الأضحى بالكوفة ، وذلك أنَّ خالداً خطَبَ الناسَ فقال في خُطْبَتِهِ تلك : أيها الناس ، ضَحُّوا يَقْبل الله ضحاياكم ، فإني مُضحٍّ بالجَعْدِ بنِ دِرْهَم ، إنَّه زعَمَ أنَّ الله لم يتَّخِذْ إبراهيمَ خليلاً ، ولم يكلِّمْ موسى تَكْليماً ، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الجَعْدُ عُلُوًّا كَبيراً . ثم نزلَ فَذَبحَهُ في أصْلِ المِنْبَر بيدِه ، أثابَهُ الله تعالى وتقبَّلَ منه ، وذلك في أيام هشام بن عبد الملك ، وقد كان هشامٌ صَلَبَهُ بدمشق حين أظهرَ ما أظهر ، ثم إنَّه هربَ بعدَ ذلك ، فكَتَبَ إلى نائبِهِ خالد بن عبد الله القَسْري أنْ يقتُلَه ، فقتلَهُ كما ذكَرْنا .

---

(١) ترجمته في الفهرست لابن النديم ص(٤٧٢) ، الضعفاء للعقيلي (١/ ٢٠٦) ، مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠) ولم تطبع ترجمة الجعد فيما طبع من تاريخ ابن عساكر ، الكامل لابن الأثير (٤/ ٤٦٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣) ، ميزان الاعتدال (٢/ ١٢٥) ، لسان الميزان (٢/ ١٠٥) ، المغني في الضعفاء ص(١٣١) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٨٢) لأبي القاسم اللالكائي .

(٢) في (ق) : « خراسان » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ح) ، ومختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠) ، وتوحيد المقاصد في شرح قصيدة ابن القيم (١/ ٤٩) ، ومنهاج السنة (٢/ ١٩٢) لابن تيمية .

(٣) انظر مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥١) .

(٤) في (ح ، ق) : « بيان بن سمعان » ، وما أثبتناه موافق لما في مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥١) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ١٢١) ، وتوحيد المقاصد في شرح قصيدة ابن القيم (١/ ٤٩) ، وأقاويل الثقات لمرعي بن يوسف ص(٢٣٠) ، والتحفة المدنية في العقيدة السلفية لحمد بن ناصر ص(١٦٦) وسيأتي ذكر الخبر مرة أخرى في ص٢٣٤ من هذا المجلد ، في ترجمة خالد بن عبد الله القسري .

وقد روى قصَّتَه مع خالد البخاري في [خَلْق] أفعال العباد[١] ، وابن أبي حاتم ، وغير واحدٍ مِمَّنْ صنَّف في السنَّة ، كالطبراني ، وابن أبي عاصم ، والبيهقي ، وعبد الله بن أحمد ، وذكرَهُ الحافظُ ابنُ عساكر في التاريخ[٢] ، وذكر أنَّهُ كان يتردَّدُ إلى وَهْب بن مُنَبِّه ، وأنه كان كلَّما راح إلى وَهْب يغتسل ويقول : أجْمَعُ للعَقْل . وكان يسألُ وَهْباً عن صفاتِ الله عزَّ وجَلّ ، فقال له وهبٌ يوماً : ويلك يا جعد ، أقصرِ المسألةَ عن ذلك ، إني لأظنُّكَ من الهالكين ، لو لم يُخبِرْنا الله في كتابه أنَّ لَهُ يداً ما قُلنا ذلك ، وأنَّ لَهُ عيناً ما قُلنا ذلك ، وأنَّ لَهُ نَفْساً ما قُلنا ذلك ، وأنَّ له سَمْعاً ما قُلنا ذلك . وذكَرَ الصفاتِ من العِلْمِ والكلامِ وغيرِ ذلك ، ثم لم يَلْبَثِ الجَعْدُ أنْ صُلِبَ ثم قُتِل . ذكره ابنُ عساكر وذكرَ في ترجمتهِ أنَّه قال للحجَّاجِ بن يوسف ، ويُروَى لِعمْرانَ بنِ حِطَّان[٣] :

ليثٌ عليَّ وفي الحروب نَعَامةٌ ... فَتْخاءُ تَجْفُلُ من صَفِيرِ الصافِرِ
هلاَّ بَرَزْتَ إلى غزالةَ في الوَغَى ... بل كان قلبُكَ في جنَاحَيْ طَائِرِ

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومئة

قال الحافظ أبو بكر البَزَّار[٤] ؛ حدثنا رزق الله بن موسى ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فُدَيك ، حدثنا عبدُ الملك بن زَيد ، عن مصعب بن مصعب ، عن الزُّهري ، عن أبي سَلَمَة بنِ عبدِ الرحمن ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تُرفَعُ زِينةُ الدُّنيا سنةَ خمسٍ وعشرين ومئة » ، وكذا رواهُ أبو يعلى في مُسندِهِ[٥]

(١) صفحة (٢٩) بتحقيق د . عبد الرحمن عميرة ، طبعة دار المعارف السعودية ، الرياض (١٣٩٨/ ١٩٧٨) ، وسوف يذكره المؤلف في صفحة (١٩) من الجزء العاشر من نسخة (ق) .

(٢) انظر تاريخ ابن عساكر (٩/ ١٧٦) .

(٣) ذكر البيتين وعزاهما إلى عمران بن حطان خليفةُ بن خياط في تاريخه ص(٢٧٤ ، ٢٧٥) ، وذكر الخبر عبد الغني بن سعيد الأزدي في المتوارين ص(٧٢ ، ٧٣) وعزاهما إلى عمران أيضاً ، وزاد عليهما ثالثاً وهو قوله :

ذعـرت غـزالـة قلبـه بفـوارس ... تـركـت فـوارسـه كـأمـس الغـابـر

وذكرهما مع هذا البيت ابن عساكر في ترجمة عمران (انظر مختصره لابن منظور (١٨/ ٢٣٩)) ولم تطبع ترجمة حطان فيما طبع من تاريخ ابن عساكر ، وذكرهما ابنُ خَلِّكان في وفيات الأعيان (٢/ ٤٥٥) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٧) من غير عزو ، وقد تقدّم ذكرُ البيتين في مقتل شبيب في سنة سبع وسبعين .

(٤) في البحر الزخار رقم (١٠٢٧) .

(٥) مسند أبي يعلى (٢/ ١٦٠)(٨٥١) ، وذكره الديلمي في مسند الفردوس (٢/ ٧٣)(٢٤١٤) ، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ٣٠٨) في ترجمة عبد الملك بن زيد عن أبي العلاء ، حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا ابن أبي فديك ، به ، وذكره الدارقطني في العلل (٩/ ٢٥٠ ، ٢٥١) وقال ؛ عن أبي سلمة عن أبيه وليس بمحفوظ . وسيعاد ذكر الحديث في الصفحة (٢١١) من هذا الجزء ، وثمة تفسير زينة الدنيا .

عن أبي كُرَيب ، عن ابنِ أبي فُديك ، عن عبد الملك بن زيد بن سعيد بن نُفَيل ، عن مصعب بن مصعب ، عن الزُّهْري ، به .

قلتُ : وهذا حديثٌ غَريبٌ مُنْكَر ، ومُصْعَب بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري تكلَّمَ فيه وضعَّفَهُ عليُّ بن الحسين بن جنيد ، وكذا تكلَّم في الراوي عنه أيضاً . والله أعلم .

وفيها غزا النعمانُ بن يزيد بن عبد الملك الصائفةَ من بلادِ الروم ، وفي ربيع الآخِر منها تُوفِّي أميرُ المؤمنين :

هشامُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوَان(١)

ذكر وفاته وترجمته رحمه الله :

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدِ شمس أبو الوليد القُرشي الأموي الدمشقي أمير المؤمنين ، وأمه أمُّ هشام بنت هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكانت دارُهُ بدِمَشق عند باب الخوَّاصين ، وبعضُها اليوم مدرسةُ نورِ الدينِ الشهيد التي يُقالُ لها النُّورِيَّة الكبيرة ، وتُعرَفُ بدارِ القَبَّابِين ـ يعني الذين يبيعون القِبَاب وهي الخِيَام ـ فكانت تلك المحلَّةُ دارَه ، والله أعلم .

وقد بُويع له بالخِلافةِ بعدَ أخيه يزيدَ بنِ عبدِ الملك بعهدٍ منهُ إليه ، وذلك يومَ الجمعة لأربعٍ بَقِينَ من شعبان سنةَ خمسٍ ومئة ، وكان له من العمر يومئذٍ أربعٌ وثلاثون سنة ، وكان جميلاً أبيضَ أحْوَل ، يَخْضِبُ بالسَّوَاد ، وهو الرابعُ من ولَدِ عبد الملك لِصُلْبِهِ الذين وَلُوا الخِلافة ، وقد كان عبدُ الملك رأى في المنام كأنَّهُ بالَ في المِحراب أربعَ مرَّات ، فدسَّ إلى سعيدِ بن المسيَّب مَنْ سألَهُ عنها ، ففسَّرَها له بأنَّهُ يَلِي الخلافةَ مِنْ وَلَدِهِ أربعة ، فوقَعَ ذلك ، فكانَ هشامٌ آخِرَهُمْ ، وكان في خلافتِهِ حازمَ الرَّأي ، جَمَّاعاً للأموال يُبَخَّل ، وكان ذَكيّاً مُدَبِّراً ، له بصَرٌ بالأمور جَليلِها وحَقيرِها ، وكان فيه حِلْمٌ وأناة ، شتَمَ مرَّةً رجلاً من الأشرافِ فقال : أتشتُمُني وأنتَ خليفةُ اللهِ في الأرض !؟ فاستحيا وقال : اقتصَّ مِنِّي بدلَها ـ أو قال بمثلِها ـ قال : إذاً أكونُ سَفيهاً مثلَك . قال : فخذْ عِوَضاً منها . قال : لا أفعل . قال : فاتْرُكْها لله . قال : هي لله ، ثم لك . فقال هشامٌ عند ذلك : والله لا أعودُ إلى مثلِها .

وقال الأصمعي : أسمَعَ رجلٌ هشاماً كلاماً فقال له : أتقولُ لي مثل هذا وأنا خَلِيفتُك ؟!

وغَضِبَ مرَّةً على رجلٍ فقال له : اسكُتْ وإلاَّ ضرَبْتكَ سَوْطاً .

---

(١) ترجمته في تاريخ الطبري (٤/ ٢١٧) ، تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣١٦) ، الكامل (٤/ ٣٧٠و٤٦٥) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥١) ، تاريخ الخلفاء ص(٢٤٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٦٣) .

وكان عليُّ بنُ الحسين قد اقترَضَ من مروان بنِ الحكم مالاً أربعةَ آلافِ دينار ، فلم يتعرَّضْ لَهُ أحَدٌ من بني مروان، حتى استُخلف هشام، فقال : ما فعَلَ حَقُّنا قِبَلَك ؟ قال : مَوْفورٌ مَشْكور . فقال : هو لك[١] .

وكان هشامٌ من أكرَهِ الناسِ لسَفْكِ الدماء ، ولقد دخلَ عليهِ من مَقْتَلِ زيدِ بن عليٍّ وابنه يحيى أمرٌ شدِيد وقال : وَدِدْتُ أني أفتدَيْتُهما [بجميع ما أملك] .

وقال المدائني عن رجلٍ من غَنِيّ[٢] عن بشر مولى هشام ، قال : أُتِيَ هشامٌ برجلٍ عندَهُ قِيَان وخَمْرٌ وبَرْبَط ، فقال : اكسِروا الطُّنْبُور على رأسه وقرنه ، فبَكَى الشيخ ، قال بشر : [فقلتُ له وأنا أُعَزِّيه : عليك بالصبر] فقال : أتُراني أبكي للضَّرْب ، إنما أبكي لاحتقارِك البربطَ حتى سمَّيْتَهُ طُنبوراً .

وأغلظ لهشامٍ رجلٌ يوماً في الكلام فقال : ليس لك أنْ تقولَ هذا لإمامك .

وتفقَّدَ أحدَ ولَدِهِ يومَ الجمعة ، فبعث إليه : ما لَكَ لم تشهدِ الجُمعة ؟ فقال : إنَّ بغلَتي عجزَتْ عني . فبعث إليه : أما كان يُمكِنكَ المشي ؟ وحرمَهُ[٣] أن يركبَ سنةً ، [وأن يشهدَ الجمعة ماشياً] .

وذكر المدائني أنَّ رجلاً أهدَى إلى هشام طيرَيْن ، فأتى بهما السفير إلى هشام وهو جالسٌ على سرير في وسطِ داره ، فقال له : أرسِلْهما في الدار . فأرسلهما ثم قال : جائزتي يا أميرَ المؤمنين فقال : ويحك ! وما جائزتُكَ على هديةِ طيرَيْن ؟ خُذْ أحدَهما ، فجعل الرجلُ يسعى خلفَ أحدِهما ، فقال : ويحك ! ما بالُك ؟ فقال : أختارُ أجودَهما . قال : وتختارُ أيضاً الجيِّدَ وتترُكُ الرديء ! ثم أمرَ له بأربعينَ أو خمسينَ درهماً . وذكر المدائني عن قحذم[٤] كاتب يوسف بن عمر ، قال : بعثني يوسفُ إلى هشام بياقوتةٍ حمراء ولؤلؤةٍ كانتا لرابعة[٥] جاريةِ خالد بن عبد الله القَسْري ، مُشْتَرَى الياقوتةِ ثلاثةٌ وسبعون ألف دينار ، قال : فدخلتُ عليه وهو على سريرٍ فَوْقَه فُرش ، لم أرَ رأسَهُ من عُلوِّ تلك الفُرش ، فأوردتها له ، فقال : كم زِنَتُها ؟ فقلت : إنَّ مثلَ هذهِ لا مِثْلَ لها . فسكت .

---

(١) وهذه زيادة مقحمة أيضاً وهي :
[قلتُ : هذا الكلامُ فيهِ نَظَر . وذلك أنَّ عليَّ بن الحسين مات سنةَ الفقهاء ، وهي سنةُ أربعٍ وتِسعينَ قبلَ أنْ يَلِيَ هشامٌ الخِلافة بإحدى عشرةَ سنة ، فإنه إنما وَلِيَ الخلافةَ سنةَ خمسٍ ومئة . فقَوْلُ المؤلف : إنَّ أحداً من خلفاءِ بني مروانَ لم يتعرَّضْ لِمُطالبة عليِّ بن الحسين حتى وَلِيَ هشام فطالب بالمال المذكور فيه نظر ، ولا يَصِحُّ لتقدُّمِ مَوْتِ عليٍّ على خلافةِ هشام . والله سبحانه وتعالى أعلم] .

(٢) في (ق) : « حي » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٢١٩) ، والخبر فيه وما بين معقوفين منه .

(٣) في (ق) : « ومنعه » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٤) في (ق) : « محرم » تصحيف والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٢٢١) والخبر فيه .

(٥) كذا في الأصول (ب ، ح ، ق) ، وفي تاريخ الطبري « لرائقة » .

قالوا : ورأى قوماً يَفرُطُون الزيتون ، فقال : القطُوه لَقْطاً ولا تنفضوهُ نفضاً ، فتُفقأ عيونُه ، وتُكسرَ غصونُه .

وكان يقول : ثلاثةٌ لا يَضعْنَ الشريف : تعاهُدُ الضَّيْعة[١] ، وإصلاحُ المعيشة ، وطلَبُ الحَقِّ وإنْ قلّ .

وقال أبو بكر الخرائطي : يُقالُ إن هشاماً لم يَقُلْ من الشعرِ سوَى هذا البيت :

إذا أنتَ لم تعصِ الهوَى قادَكَ الهوَى   إلـى كُـلِّ مـا فيـهِ عليـكَ مَقَـالُ

وقد رُوِيَ له شعرٌ غيرُ هذا .

وقال المدائني عن ابن يسار[٢] الأعرجي ، حدثني ابنُ أبي بجيلة[٣] عن عقال بن شبة قال : دخلتُ على هشامٍ وعليهِ قَباءُ فَنَكٍ[٤] أخضر ، فوجَّهَني إلى خراسان ، ثم جعل يُوصيني وأنا أنظُرُ إلى القباء ففَطِنَ فقال : ما لَك ؟ قلتُ : عليك قَباءُ فَنَكٍ أخضر ، وكنتُ رأيتُ عليك مِثْلَهُ قبلَ أن تَلِيَ الخلافة ، فجعلتُ أتأمَّلُ هذا هو ذاك أمْ غيرُه ؟ قال : واللهِ الذي لا إله غيرُه هو ذاك ، مالي قَبَاءٌ غيرُه ، وما تَرَونَ مِنْ جَمْعِي لهذا المال وصَوْنِهِ إلا لكم . قال عِقَال : وكان هشام مَحْشُوّاً عقلاً[٥] .

وقال عبدُ الله بن علي عَمُّ السَّفَّاح : جمعتُ دواوينَ بني أمية فلم أرَ أصلحَ للعامَّةِ والسُّلطانِ من ديوانِ هشام .

وقال المدائني عن غسان[٦] بن عبد الحميد : لم يكنْ أحَدٌ من بني مروانَ أشدَّ نَظَراً في أصحابِهِ ودواوينِهِ ولا أشدَّ مبالغةً في الفَحْصِ عنهم من هشام ! وهو الذي قتلَ غَيلانَ القَدَري ، ولما أُحضِرَ بين يديه قال له : وَيْحَك ! قُلْ ما عندَك ، إنْ كان حقّاً اتَّبَعْناه ، وإنْ كانَ باطلاً رجعتَ عنه . فناظرَهُ مَيمونُ بن مِهْران ، فقال لِمَيمون : أشاءَ اللهُ أنْ يُعْصَى ؟ فقال له ميمون : أفَعُصِيَ اللهُ كارهاً ؟ فسكتَ غَيلان ، فقَيَّدَهُ حينئذٍ هشامٌ وقتَلَه .

---

(١) في (ق) : « الصنيعة » والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) كذا في الأصول (ب ، ح ، ق) ، وفي تاريخ الطبري « ابن وسنان » والخبر فيه (٤/٢١٨) وفي الكامل (٤/٤٦٥) .

(٣) كذا في (ق) ، وفي (ب ، ح) بمهملات لم يعجم منها سوى الجيم ، وفي تاريخ الطبري « نحيلة » .

(٤) الفَنَكُ : جلْدٌ يُلْبَس ، معرَّب ، قال ابن دريد : لا أحسبه عربيّاً ، وقال كراع : الفَنَكُ دابه يُفْتَرى جلدُها أي يلبس جلدها فَرواً . لسان العرب (فنك) .

(٥) في (ق) : « بخلاً » ، والمثبت من(ب ، ح) .

(٦) في (ق) : « المدائني عن هشام بن عبد الحميد » والمثبت من (ب ، ح) .

وقال الأصمعي عن أبي الزِّناد ، عن منذر بن أبي ثَوْر ، قال : أَصَبْنا في خزائنِ هشام اثني عشرَ ألف قميص ، كلُّها قد أثر بها .

وشكى هشامٌ إلى أبيه ثلاثاً : إحداها أنه يَهابُ الصعودَ إلى المِنبر ، والثانية قِلَّةُ تناولِ الطعام ، والثالثة أنَّ عندَهُ في القصر مئةَ جاريةٍ من حسانِ النساء ، لا يكادُ يَصِلُ إلى واحدةٍ منهن . فكتب إليه أبوه : أمَّا صعودُكَ إلى المنبر فإذا علَوْتَ فوقَهُ فارم ببَصَرِكَ إلى مؤخِّرِ الناس ، فهو أهونُ عليك ، وأمَّا قِلَّةُ تناوُلِ الطعام فمُرِ الطبَّاخَ فَلْيُكْثِرِ الألوان ، فلعَلَّك أن تتناول من كلِّ لَوْنٍ لُقْمَةً ، وعليك بكلِّ بيضاءَ بَضَّة ، ذاتِ جَمَالٍ وحُسْن .

وقال أبو عبد الله الشافعي : لما بَنَى هشامُ بن عبد الملك الرُّصَافةَ قال : أُحِبُّ أنْ أخلُوَ بِها يوماً لا يأتيني فيه خبَرُ غَمٍّ . فما انتصفَ النهار حتى أَتَتْهُ رِيشةُ دَمٍ من بعضِ الثُّغُور ، فقال : ولا يوماً واحداً ؟! .

وقد رُويتْ هذه الحِكاية من وَجْهٍ آخر لم يمكُثْ بعد ذلكَ إلاّ شهراً واحداً .

وقال سفيان بن عُيينة : كان هشامٌ لا يُكتَبُ إليه بكتابٍ فيه ذكرُ الموت .

وقال أبو بكر بن أبي خَيْثَمة : حدثنا إبراهيم بن المنذر الحِزَامي ، حدثنا حُسين بن زيد ، عن شهاب بن عبد رَبِّه ، عن عمر بن علي ، قال : مشَيْتُ معَ محمدِ بن عليٍّ ـ يعني ابنَ الحسين بن علي بن أبي طالب ـ إلى دارِهِ عند الحمام ، فقلت له : إنَّهُ قد طالَ مُلكُ هشام وسُلْطانُه ، وقد قَرُبَ من العشرين سنة ، وقد زَعَمَ الناسُ أنَّ سليمانَ سألَ ربَّهُ مُلكاً لا يَنبغي لأحدٍ من بعدِه ، فزعم الناسُ أنها العشرون . فقال : ما أدْري ما أحاديثُ الناس ، ولكنَّ أبي حدّثني عن أبيه ، عن عليٍّ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لَنْ يَعْمُرَ اللهُ مُلكاً في أمَّةِ نبيٍّ مَضَى قَبلَهُ ما بلَغَ ذلك النبيُّ من العُمر في أُمَّتِه ، فإن الله عمَّرَ نَبيَّهُ ﷺ ثلاثَ عشرةَ سنة بمكَّة ، وعشراً في المدينة » .

وقال أبو بكر بنُ أبي خَيثمة : ليس حديثٌ فيه توقيتٌ غيرَ هذا ، قرأه يحيى بن مَعِين على كتابي فقال : منْ حدَّثك به ؟ فقلت : إبراهيم . فتلهَّف أنْ لا يكونَ سمعَه . وقد رواه ابنُ جرير في تاريخه[١] عن أحمد بن زهير ، عن إبراهيم بن المنذر الحِزَامي .

[وروى مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا القاسم بن الفضل ، حدّثني عياد بن الْمَغْراء العَتَكي[٢] عن عاصم بن المنذر بن الزبير ، حدّثني[٣] عبدُ الله بن الزبير أنه سمع علياً يقول : هلاكُ مُلكِ بني أمية على رجلٍ أحول . يعني هشاماً][٤] .

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ٢٢١) ، وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك (٣/ ٣) (٤٢٥٧) وإسناده ضعيف .

(٢) في (ق) : « عباد بن المعرا الفتكي » تصحيف ، والمثبت من لسان الميزان (٤/ ٣٨٩) في ترجمة عياد هذا ، والخبر فيه بالإسناد نفسه .

(٣) في (ق) : « عن عبد الله . . » والمثبت من لسان الميزان .

(٤) هذا الحديث محصور بين معقوفين من زيادات نسخة (ق) ، ليس في (ب ، ح) .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن أبي معاذ النُّمَيري عن أبيه ، عن عمرِو بنِ كليع[١] عن سالم كاتبِ هشام بن عبد الملك ، قال : خرجَ علينا يوماً هشامٌ وعليه كآبةٌ وقد ظهر عليه الحُزْن ، فاستدعى الأبرشَ بنَ الوليد ، فجاءه فقال : يا أمير المؤمنين ، ما لي أراكَ هكذا ؟ فقال : ما لي لا أكونُ وقد زعم أهلُ العلم بالنجوم أني أموت إلى ثلاثٍ وثلاثينَ من يومي هذا ؟! قال : فكتَبْنا ذلك ، فلمّا كان آخرُ ليلةٍ من ذلك جاءني رسولُهُ في الليل يقول : أحضِرْ معك دواءً للذُّبْحَة . وكان قد أصابتْهُ قبلَ ذلك ، فاستعملَ منه فعُوفي فذهبتُ إليه ومعي ذلك الدواء ، فتناولَهُ وهو في وَجَعٍ شديد ، واستمرَّ فيه عامَّةَ الليل ، ثم قال : يا سالم ، اذهبْ إلى مَنْزلك ، فقد وجدتُ خِفَّةً ، وذرِ الدواءَ عِنْدي . فذهبتُ ، فما هو إلاَّ أنْ وصلتُ إلى منزلي حتى سمعتُ الصِّيَاحَ عليه ، فجئتُ فإذا هو قد مات .

ولما ماتَ جاءتِ الخَزنة ، فختموا على حواصله ، وأرادوا تسخينَ الماء ، فلم يقدِروا له على قُمْقُم[٢] حتى استعاروا له . وكان نقشُ خاتمِه الحكمُ للحَكَمِ الحَكيم . وكانتْ وفاتُه بالرُّصَافة يومَ الأربعاء ، لِستٍّ بَقينَ من ربيعِ الآخِرِ سنةَ خمسٍ وعِشرين ومئة ، وهو ابنُ بِضْعٍ وخمسين سنة . وقيل : إنه جاوزَ الستين ، وصلَّى عليه الوليدُ بن يَزيد بن عبد الملك ، الذي وَلي الخلافةَ بعدَه ؛ وكانتْ خلافةُ هشام تسعَ عشرةَ سنة ، وسبعةَ أشهر وأحدَ عشرَ يوماً ؛ وقيل : وثمانية أشهر وأيام ، فالله أعلم .

وقال ابنُ أبي فُدَيك : حدّثنا عبد الملك بن زيد ، عن مُصْعب ، عن الزُّهْري ، عن أبي سَلَمَة بنِ عبدِ الرحمن ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « تُرْفَعُ زينةُ الدُّنيا سنةَ خمسٍ وعِشرينَ ومئة »[٣] . قال ابنُ أبي فُديك : زِينتُها نورُ الإسلامِ وبَهْجتُه . وقال غيرُه : يعني الرجالَ . والله أعلم .

قلت : لما مات هشامُ [بن عبدِ الملك ماتَ ملكُ بني أمية] وتولَّى ، [وأدبرَ أمرُ الجِهادِ في سبيلِ الله] ، واضطرَبَ أمرُهُمْ جدّاً وإنْ كانتْ قد تأخرَتْ أيامُهم بعدَهُ نحواً من سبعِ سنين ، ولكنْ في اختلافٍ وهَيْج ، وما زالوا كذلك حتى خرجَتْ عليهم بنو العباس فاستلبوهم [نعمتَهم و] مُلْكَهم [وقتلوا منهم خَلْقاً وسَلَبوهُمُ] الخِلافة[٤] [كما سيأتي إنْ شاء الله تعالى ذلك مبسوطاً مقدَّراً في مواضع ، والله سبحانه وتعالى أعلم][٥] .

نهاية الجزء التاسع من نسخة القاهرة (ق)

---

(١) كذا في الأصول ، وتاريخ الطبري ، ولم أقف على ترجمة له .

(٢) في (ب ، ق) : « فحم » ، والمثبت من (ح) .

(٣) تقدم ذكر الحديث ص (٢٠٦) ، وتخريجه ثمة .

(٤) في (ب ، ح) : « خلافتهم » . وكل ما هو محصور بين معقوفين زيادة في (ق) ليس في (ب ، ح) .

(٥) جاء في نهاية هذا الجزء من نسخة (ق) المطبعة ما نصه : « بحمد الله قد تم الجزء التاسع من البداية والنهاية ويليه الجزء العاشر وأوله خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك » .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك[١]

قال الواقدي والمدائني : بُويع له بالخلافةِ يومَ ماتَ عمُّهُ هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لستٍّ خلَوْنَ من ربيعِ الآخر سنةَ خمسٍ وعشرينَ ومئة .

وقال هشام بن الكلبي : بُويع له يومَ السبت في ربيع الآخر ، وكان عُمرُه إذْ ذاكَ أربعاً وثلاثين سنة ، وكان سببُ ولايتِهِ أنَّ أباه يَزيد بن عبد الملك كان قد جعلَ الأمرَ من بعدِهِ لأخيه هشام ، ثم من بعدِهِ لولَدِهِ الوليد هذا ، فلمَّا وَلِيَ هشامٌ أكرمَ ابنَ أخيه الوليد حتى ظهرَ عليه أمرُ الشرابِ وخُلَطَاءِ السَّوْء[٢] ، ومجالسِ اللَّهْو ، فأراد هشامٌ أنْ يقطعَ ذلك عنه ، فأمَّره على الحجِّ سنةَ ستَّ عشرةَ ومئة ، فأخذَ معهُ كلابَ الصَّيد خُفْيةً من عمِّه ، حتى يُقال إنه جعلَها في صناديق ، فسقطَ منها صندوقٌ فيه كلب ، فسُمِع صَوْت ، فأحالوا ذلك على الجمَّال فضُرب على ذلك . قالوا : واصطنَعَ الوليدُ قُبَّةً على قَدْر الكعبة ، ومن عزمه أن ينصبَها فوقها ، ويجلس هو وأصحابُه هنالك ، واستصحَبَ معه الخمورَ [وآلاتِ الملاهي] وغيرَ ذلك من المنكرات ، فلما وصل إلى مكة هابَ أنْ يفعلَ ما كان قد عزمَ عليه من الجلوسِ فوقَ ظهرِ الكعبة خوفاً من الناس ومن إنكارِهم عليه ذلك ؛ فلما تحقَّق عمُّهُ ذلك منه نهاهُ مِراراً فلم ينتهِ ، واستمرَّ على حاله القبيحة ، وعلى فعلهِ الرَّديء ، فعزَم عمُّه على خَلْعِهِ من الخِلافة ـ [وليتَهُ فعَل] ـ وأنْ يولِّيَ بعدَه مَسْلمة بن هشام ، وأجابَهُ إلى ذلك جماعةٌ من الأمراء ، ومنْ أخوالِهِ ، ومن أهلِ المدينة ومن غيرِهم ـ وليتَ ذلك تمَّ ـ ولكنْ لم ينتظِمْ حتى قال هشامٌ يوماً للوليد : ويحك ! واللهِ ما أدري أعَلى الإسلام أنتَ أم لا ؟ فإنك لم تدعْ شيئاً من المنكراتِ إلاَّ أتَيْتَه ، غيرَ مُتحاشٍ ولا مُستَتِر . فكتبَ إليه الوليدُ بن يزيد :

يـا أيُّهـا السـائـلُ عـن دِيننـا ... دينـي علـى ديـنِ أبـي شـاكِـرِ
نشْـرَبُهـا صِـرْفـاً وممـزوجـةً ... بـالسُّخْـنِ أحيـانـاً وبـالفـاتـرِ

---

(١) ترجمته في تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣٣١) ، تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٢) ، مروج الذهب (٢/ ١٤٥) ، الأغاني (٧/ ٩٥١) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٢٦٤) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٧٠) ، تاريخ الإسلام (٥/ ١٧٣ ، ١٧٩) ، تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٠٦) ، الوزراء والكتاب ص(٦٨) ، تاريخ الخميس (٢/ ٣٢٠) ، خزانة الأدب (١/ ٣٢٨) . وانظر ترجمته في هذا الكتاب ما سيأتي ص(٢١٦) في مطلع حوادث سنة ست وعشرين ومئة ، وفيها نبأ مقتله .

(٢) في (ب ، ح) : « والخلطاء » من غير كلمة « السوء » ، والمثبت من (ق) .

فغَضِبَ هشام على ابنِه مَسْلَمة ، وكان يُكنَى بأبي شاكر ، وقال له : يتشبَّهُ بكَ الوليد بن يزيد وأنا أرتَجيكَ للخلافة . وبعثَهُ على الْمَوْسم سنةَ تسعَ عشرةَ ومئة ، فأظهر النُّسْكَ والوَقار ، وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولًى لأهلِ المدينة :

يـا أيهـا السـائـلُ عـن ديننـا نحـنُ علـى ديـنِ أبـي شـاكِـرِ
الـواهـبِ الجُـرْدَ بـأرسَـانِهـا لـيـس بـزنْـديـقٍ ولا كـافِـرِ (١)

ووقعَتْ بين هشامٍ وبينَ الوليد بن يزيدَ وَحْشَةٌ عظيمةٌ بسببِ تَعَاطي الوليدِ ما كانَ يَتعاطاهُ من الفواحِشِ والمنكرات ، فتنكَّرَ له هشامٌ وعزَمَ على خلْعِه وتوليةِ ولدِهِ مَسْلَمة ولايةَ العَهْد ؛ ففرَّ منهُ الوليدُ إلى الصحراء ، وجعلا يتراسلانِ بأقبحِ المراسلات ، وجعل هشامٌ يتوعَّده وعيداً شديداً ، ويتهدَّده ، ولم يزل كذلك حتى مات هشام والوليدُ في البرِّيَّة ، فلما كانتِ الليلةُ التي قدِمَ في صَبيحتِها عليه البُرُدُ بالخِلافة قَلِقَ الوليدُ تلك الليلةَ قلقاً شديداً وقال لبعض أصحابه : ويحك قد أخَذَني الليلةَ قلقٌ عظيم ، فارْكَبْ بنا لعلَّنا ننشَط ، فسارَ مقدارَ ميلَيْن يتكلَّمانِ في هشام وما يتعلَّقُ بهِ من كُتبه إليه بالتهديدِ والوَعيد ، ثم رأيا من بُعْدٍ رَهَجاً وأصواتاً وَغُباراً ، ثم انكشف ذلك عن بُرُدٍ يَقْصدونَهُ بالولاية ، فقال لصاحبه : ويحك ، إنَّ هذه رُسُلُ هشام ؛ اللهمَّ أعطنا خيرها . فلما اقتربَتِ البُرُدُ منه وتَبَيَّنُوهُ ترجَّلُوا إلى الأرض ، وجاؤوا فسلَّموا عليه بالخِلافة ، فبُهتَ وقال : وَيْحكم ! أماتَ هشام ؟ قالوا : نعم . قال : فمنْ بعثَكُمْ ؟ قالوا : سالم بن عبد الرحمن صاحبُ ديوانِ الرسائل . وأعطَوْهُ الكتاب ؛ فقرأه ثم سألهم عن أحوالِ الناس ، وكيف مات عمُّه هشام ؟ فأخبروه ، فكتبَ من فَوْرِهِ بالاحتياطِ على أموالِ هشامٍ وحَواصلِه بالرُّصَافة ، وقال في ذلك :

ليتَ هشاماً عاش حتى يرَى مكيـالَـهُ الأوفـرَ قـد ضُيِّعـا (٢)
كِلْنـاهُ بـالصَّـاع الـذي كـالَـهُ ومـــا ظلَمْنـــاهُ بـــهِ إصبعـــا
ومـــا أتينـــا ذاك عـــن بـــدْعـــةٍ أحلَّـهُ الفُـرْقـانُ لـي أجمَعَـا (٣)

[وقد كان الزهري يَحُثُّ هشاماً على خَلْعِ الوليد هذا ويستنهِضُهُ في ذلك ، فيُحجمُ هشام عن ذلك خَوْفَ الفَضيحةِ من الناس ، ولئلا تتنكَّر قلوبُ الأجنادِ من أجلِ ذلك . وكان الوليدُ يفهمُ ذلك من الزُّهري ويُبْغضُه ويتوعَّدهُ ويتهدَّدُه ، فيقول له الزهري : ما كانَ اللهُ لِيُسلِّطَكَ عليَّ يا فاسق . ثم ماتَ الزهريُّ قبلَ ولايةِ الوليد ؛ ثم فرَّ الوليدُ من عمِّه إلى البرِّيَّة ، فلم يزَلْ بها حتى مات ، فاحتاطَ على أموالِ عمِّه ثم ركب من فَوْرِهِ من البرِّيَّة ، وقصَدَ دمشق ، واستعملَ العُمَّال ، وجاءَتْهُ البيعةُ من الآفاق ، وجاءَتْهُ الوفود ، وكتب

(١) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٢) .
(٢) في (ق) وتاريخ الطبري : « قد طبعا » والمثبت من (ب ، ح) .
(٣) انظر الخبر والأبيات تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٥ ، ٢٢٦) .

إليه مروانُ بن محمد ، وهو إذ ذاك نائبُ إرْمينية يُبارِكُ له في خلافةِ الله له على عبادِه ، والتمكينِ في بلاده ، ويهنِّئه بموتِ هشام ، وظفَرِه به ، والتحكُّم في أمواله وحواصله ، ويذكر له أنه جدَّد البيعة له في بلاده ، وأنَّهم فرحوا واستبشروا بذلك ، ولولا خوفُهُ من الثَّغْر لاستنابَ عليه ورَكِبَ بنفسِهِ شوقاً إلى رؤيته ، ورغبةً في مُشَافَهتِه ، ثم إنَّ الوليدَ سارَ في الناسِ سيرةً حسنةً في باديءِ الأمر ، وأعطَى الزَّمْنى والمَجْذومين والعُمْيان ، لكلِّ إنسانٍ خادماً ، وأخرج من بيتِ المال الطِّيبَ والتُّحَف لعيالات المسلمين ، وزادَ في أُعطِيَاتِ الناس ، ولاسيما أهل الشام والوفود ، وكان كريماً مُمَدَّحاً شاعراً مُجيداً ، لا يُسألُ شيئاً قَطُّ فيقول لا ، ومن شعرِهِ قولُه يَمْدحُ نفسَه بالكرم :

ضَمِنْتُ لكم إنْ لم تُعِقْني عوائقٌ ... بأنَّ سماءَ الضُّرِّ عنكم سَتُقْلِعُ

سيوشكُ إلحاقٌ معاً وزيادةٌ ... وأُعطيةٌ منِّي إليكم تَبرُّعُ[١]

مُحَرَّمُكم ديوانُكم وعَطَاؤكم ... به يكتب الكُتَّاب شهراً وتَطْبَعُ[٢]

وفي هذه السنة عقد الوليدُ البيعةَ لابنِهِ الحكَم ، ثم عثمان على أنْ يكونا وليَّي العَهْدِ من بعدِه ، وبعثَ البيعة إلى يوسف بن عمر أميرِ العراق وخُراسان ، فأرسلها إلى نائبِ خراسان نصرِ بنِ سيَّار ، فخطَبَ بذلك نصرٌ خُطبةً عظيمةً بليغةً طويلة ، ساقها ابنُ جريرٍ بكمالِها[٣] ، واستُوثِقَ للوليد الممالك في المشارِق والمغَارب ، وأُخذتِ البيعةُ لولديهِ من بعدهِ في الآفاق . وكتب الوليدُ إلى نصرِ بن سيار بالاستقلال بولايةِ خُراسان ، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد ، فسأله أن يردَّ إليه ولايةَ خُراسان ، فردَّها إليه كما كانتْ في أيامِ هشام ، وأن يكون نصرُ بن سيَّار وعُمَّاله من تحتِ يدِ يوسف بن عمر . فكتب عند ذلك يوسفُ بن عمر إلى نصرِ بن سَيَّار يَسْتوفِدُهُ إلى أميرِ المؤمنين بأهلِهِ وعِيَالِهِ ، وأنْ يُكثِرَ من استصحابِ الهدايا والتُّحف ؛ فحملَ نصرُ بن سيَّار ألفَ مملوكٍ على الخيل ، وألفَ وَصيفة ، وشيئاً كثيراً من أباريقِ الفِضَّةِ والذهب وغيرِ ذلكَ من التُّحَف . وكتب إليه الوليدُ يَسْتَحثُّهُ سريعاً ، ويطلبُ منه أن يحمِلَ معه طنابيرَ وبَرَابط ومُغنِّيات ، وبازات وبَرَاذين فُرْه ، وغير ذلكَ من آلاتِ الطَّرَب والفِسْق . فكَرِه الناسُ ذلك منه ، وكَرِهوه ، وقال المنجِّمون لنصرِ بن سيار : إنَّ الفتنة قريباً ستقعُ بالشام ، فجعلَ يتثاقلُ في سيرِه ، فلما أنْ كانَ ببعضِ الطريق جاءَتْهُ البُرُد ، فأخبرُوهُ بأنَّ الخليفةَ الوليد قد قُتل ، وهاجَتْ فتنةٌ عظيمةٌ في الناسِ بالشام ، فعَدَلَ بمَا معَهُ من الهدايا والتحف والحواصل إلى بعضِ المُدُنِ فأقامَ بها ، وبلَغَهُ أنَّ يوسفَ بن عمر قد هرَبَ من العراق ، واضطرَبَتِ الأمور ، وذلك بسببِ قَتْلِ الخليفة على ما سنذكره ، وبالله المستعان .

---

(١) في (ب ، ح) : « تفرّع » ، والمثبت من (ق) .

(٢) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٧) ، والأغاني (٧/ ٢٨) على خلاف في بعض الألفاظ .

(٣) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٧) وما بعدها .

وفي هذه السنة ولَّى الوليدُ يوسفَ بن محمد بن يوسف الثقفي ولايةَ المدينةِ ومكةَ والطائف ، وأمرَهُ أنْ يُقيمَ إبراهيم ومحمداً ابني هشام بن إسماعيل المخزومي بالمدينة مُهانَيْن ، لكونِهما خالَيْ هشام ، ثم يبعثُ بهما إلى يوسُفَ بنِ عُمر نائب العراق ، فبعثهما إليه ، فما زالَ يعذِّبُهما حتى ماتا ، وأخذ منهما أموالاً كثيرة .

وفي هذه السنة وُلِّي يوسفُ بن محمد بن يحيى بن سعيد الأنصاري قضاءَ المدينة .

وفيها بعث الوليدُ بن يزيد إلى أهلِ قُبْرُصَ جيشاً مع أخيه وقال : خيِّرْهُمْ ، فمنْ شاءَ أنْ يتحوَّلَ إلى الشام ، ومنْ شاء أنْ يتحوَّل إلى الرُّوم . فكان منهم منِ اختارَ جِوَارَ المسلمين بالشام ، ومنهم من انتقلَ إلى بلادِ الرُّوم .

قال ابنُ جرير[(١)] : وفيها قَدِم سُليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، ولاهز بن قريظ ، وقَحْطبةُ بنُ شبيب مكة ، فلقُوا في قولِ أهلِ السِّيَر محمدَ بن علي فأخبرَهُ بقصةِ أبي مسلم ، فقال : أحُرٌّ هوَ أم لا ؟ فقالوا : أمَّا هو فيزعُمُ أنَّهُ حُرّ ، وأمَّا مولاه فيزعمُ أنه عبدُه ، فاشتروهُ فأعتقوه ، ودفعوا إلى محمد بن علي مئتي ألفِ درهم ، وكسوة بثلاثين ألفاً ، وقال لهم : لعلَّكم لا تلْقَوني بعدَ عامِكم هذا ، فإنْ متُّ فإنَّ صاحبَكمْ إبراهيمُ بن محمد ـ يعني ابنه ـ فإنِّي أثقُ به ، فأوصيكم به . وماتَ محمد بن علي في مُستهلِّ ذي القَعْدة في هذه السنة ، بعد أبيهِ بسبعِ سنين .

وفيها قُتل يحيى بن يزيد بن علي بخراسان . وحجَّ بالناس فيها يوسفُ بن محمد الثقفي أميرُ مكةَ والمدينةِ والطائفِ ، وأميرُ العراق يوسف بن عمر ، وأميرُ خراسان نَصْرُ بن سيَّار ، وهو في همَّةِ الوفودِ إلى الوليد بن يزيد أميرِ المؤمنين بما معهُ من الهدايا والتُّحف ؛ فقُتل الوليدُ قبل أن يجتمعَ به .

وممَّن تُوفِّي فيها من الأعيان :

محمد بن علي[(٢)] **بنِ عبدِ الله بن عباس بن عبد المطلب** ، القرشي الهاشمي ، أبو عبد الله المدني ، وهو أبو السفَّاح والمنصور . روى عن أبيه ، وجدِّه ، وسعيد بن جُبير ، وجماعة . وحدث عنه جماعةٌ منهمُ ابناه الخَلِيفتان أبو العباس عبد الله السفَّاح ، وأبو جعفر عبد الله المنصور . وقد كان عبدُ الله بن محمد بن الحنَفيَّة أوصى إليهِ بالأمرِ من بعدِه ، وكان عنده علمٌ بالأخبار ، فبشَّرَهُ بأنَّ الخلافةَ ستكونُ في

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢٣٢) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (١/ ١٨٣) ، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم للدارقطني (٢/ ٢٢٩) ، تسمية من أخرج لهم البخاري ومسلم للحاكم ص(٢٢٢) ، التعديل والتجريح للباجي (٢/ ٦٦٨) ، تهذيب الكمال (٢٦/ ١٥٣) ، جامع التحصيل لأبي سعيد العلائي ص(٢٦٧) ، الكاشف (٢/ ٢٠٤) ، تقريب التهذيب ص(٤٩٧) .

وَلَدك . فدعَا إلى نفسِه في سنةٍ سبعٍ وثمانين ، ولم يزلْ أمرُهُ يتزايدُ حتى تُوفِّي في هذه السنة ، وقيل في التي قَبْلها ، وقيل في التي بعدَها ، عن ثلاثٍ وستينَ سنة ؛ وكان من أحسنِ الناسِ شَكْلاً ، فأوصى بالأمرِ من بعدِهِ لولَدِهِ إبراهيم ، فما أُبرِمَ الأمرُ إلاَّ لوَلَدِهِ السفَّاح ، فاستلبَ من بني أمية الأمرَ في سنةِ ثنتين وثلاثين كما سيأتي تفصيلُ ذلك .

وأمَّا : **يحيى بن زَيْد**(١) **بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** فإنَّهُ لمَّا قُتل أبوهُ زَيْد في إحدى وعشرين ومئة لم يزَلْ يحيى مُختفياً في خُراسان عند الحَريشِ بنِ عمرو بن داود بِبَلْخ ، حتى مات هشام ، فكتب عند ذلك يوسف بن عمر إلى نَصْر بن سيَّار يُخبرُه بأمرِ يحيى بن زيد ، فكتب نصرٌ بن سيار إلى نائبِ بَلْخٍ مع عقيل بن معقل العِجْلي ، فأحضر الحريش ، فعاقبه ستَّ مئةِ سوْط ، فلم يَدُلَّ عليه ، وجاء وَلَدُ الحريش ، فدلَّهم عليه ، فحُبس ، فكَتَبَ نصرُ بن سيار إلى يوسفَ بذلك ، فبعث يوسفُ إلى الوليد بن يَزيد يُخبرُهُ بذلك ، فكتب الوليد إلى نصرِ بنِ سيَّار يأمرُه بأمانِهِ وإطلاقِهِ من السِّجن ، صُحْبَةَ أصحابِهِ وتَجهيزِهِم إليه ، فأطلقهم وأطلق لهم وجهَّزَهم ، فساروا إلى دمشق ، فلمّا كانوا ببعض الطريق توهَّمَ نصرٌ منه غَدْراً ، فبعث إليه جيشاً فيه عشرة آلاف ، فكسَرَهم يحيى بن زيد ، وإنما معه سبعون رجلاً ، وقتل أميرَهم ، واستلَبَ منهم أموالاً كثيرة ؛ ثم جاءَهُ جيشٌ آخر ، فقتلوه واحتزُّوا رأسَه ، وقتلوا جميعَ أصحابِهِ رَحِمَهم الله .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومئة

فيها كان مَقْتلُ الوليدِ بنِ يزيد بن عبد الملك وهذه ترجمته(٢) :

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو العباس الأموي الدِّمَشْقي ، أمير المؤمنين ، بُويع لهُ بالخلافة بعدَ عمِّهِ هشام بن عبد الملك في السنة الخالية بعهدٍ من أبيه كما قدَّمْنا ، وأمُّه أمُّ الحجَّاج بنتُ محمد بن يوسف الثقفي ، وكان مولدُهُ سنةَ تسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، وقيل سبع وثمانين . وقُتل يومَ الخميس لليلَتيْنِ بقيتا من جُمَادى الآخرة ، سنةَ ستٍّ وعِشرين ومئة ، ووقعَتْ بسَبَبِ ذلك فتنةٌ عظيمةٌ بين الناسِ بسببِ قَتْله وهو خليفة ، وإنما قُتل لفِسْقِه ، وقيل وزَنْدَقتِه ، وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا أبو المغيرة ، حدّثنا ابنُ عيَّاش حدّثني الأوزاعي وغيرُه ، عن

---

(١) تحرف في الأصول إلى « يحيى بن يزيد » ، والمثبت من مصادر ترجمته وهي : تاريخ الطبري (٤/ ٢٣٢) ، البداء والتاريخ (٦/ ٥٢) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤/ ٤٧١) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٢٣) ، المنتظم (٧/ ٢٤٣) .

(٢) انظر مصادر ترجمته في حاشية (١) ص(٢١٢) .

الزهري ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن عمرَ بنِ الخطاب ، قال : وُلِدَ لأخي أُمِّ سلمة ، زوجِ النبيِّ ﷺ غلامٌ فسمَّوْهُ الوليدَ ، فقال النبيُّ ﷺ : « سَمَّيتُموهُ باسمِ فَرَاعِنَتِكُمْ[1] ! لَيكونَنَّ في هذه الأمةِ رجلٌ يُقالُ له الوليد ، لهُوَ أشدُّ فساداً لهذِهِ الأمةِ من فِرْعونَ لِقَومِه »[2] .

قال الحافظ ابنُ عساكر : وقد رواه الوليد بن مسلم ومَعقِل بن زياد ، ومحمد بن كثير ، وبشر بن أبي بكر عن الأوزاعي ، فلم يذكروا عمر في إسناده وأرسلوه ، ولم يذكر ابنُ كثير سعيدَ بن المسيِّب ، ثم ساق طُرُقَه هذه كلَّها بأسانيدها وألفاظِها ، وحُكي عن البيهقي أنه قال : هو مُرْسلٌ حسن ، ثم ساقَ من طريق محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن زينب بنت أم سلمة عن أمها قالتْ : دخل عليَّ النبيُّ وعندي غلامٌ من آلِ المغيرة اسمُه الوليد . فقال : منْ هذا يا أمَّ سَلَمة ؟ قالت : هذا الوليد . فقال النبيُّ ﷺ : « وقد اتخذتمُ الوليدَ حناناً ! غَيِّروا اسْمهُ ، فإنه سيكونُ في هذه الأمة فِرْعونٌ يُقالُ له الوليد »[3] .

وروى الحافظُ ابنُ عساكر من حديث عبدِ الله بن محمد بن مسلم ، حدّثنا محمد بن غالب الأنطاكي ، حدّثنا محمد بن سليمان بن أبي داود ، حدّثنا صدقة ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبةَ الخُشَني ، عن أبي عبيدة بن الجرَّاح ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لا يزالُ هذا الأمرُ قائماً بالقِسْط ، حتى يَثْلُمَهُ رجلٌ من بني أميَّة »[4] .

صفة مقتله وزوال دولته :

كان هذا الرجل مجاهراً بالفواحش ، مُصرًّا عليها ، منتهكاً مَحارمَ الله [عزَّ وجلَّ ، لا يَتَحاشى من مَعْصية] ، وربما اتَّهمه بعضُهم بالزَّنْدقةِ والانحلال [من الدِّين][5] ، فالله أعلم ، لكنَّ الذي يظهر أنَّهُ كان

---

(١) لأنَّ اسم فرعون موسى الوليد ، المنتظم (٧/ ٢٤١) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٨) ؛ وإسناده ضعيف . وأخرجه الدارقطني في العلل (٢/ ١٥٩) . وذكره ابن حجر في القول المسدد ص(٦) وقال : أورده أبو حاتم بن حبان البستي في تاريخ الضعفاء في ترجمة إسماعيل بن عياش وقال : هذا خبر باطل ، ما قال رسول الله ﷺ هذا ، ولا رواه عمر ، ولا حدث به سعيد ، ولا الزهري ، ولا هو من حديث الأوزاعي بهذا الإسناد ، وإسماعيل بن عياش لما كَبِر تغيَّر حفظه فكثر الخطأ في حديثه وهو لا يعلم . وقد أورده ابن الجوزي في موضعين من كتابه الموضوعات وقال : لعل هذا قد أدخل على ابن عياش لما كبر ، أو رواه وهو مختلط انتهى .

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٥٨٠ ، ٥٨١) ، والقول المسدد ص(١٥) ، وإسناده ضعيف .

(٤) أخرجه أبو بكر البزار في مسنده (٤/ ١٠٩ـ ١٢٨٤) ؛ ونعيم بن حماد في الفتن (١/ ٢٨٠) (٨١٧) ؛ وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٧٦) (٨٧٠) وإسناده ضعيف ورواه أيضاً فيه (٢/ ١٧٦) (٨٧١) وفي آخره قوله : « يقال له يزيد » ؛ وأخرجه عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٤٧٥) ، وهو حديث ضعيف .

(٥) ما مرَّ بين معقوفين ليس في (ب ، ح) وهو في (ق) .

عاصياً ، شاعراً ماجناً ، متعاطياً للمَعَاصي لا يتحاشى بها من أحد ولا يَسْتحي من أحد قبلَ أنْ يَلي الخلافة ، وبعدَ أنْ وَلي ، وقد رُوي أنَّ أخاهُ سليمان كان في جملةِ منْ سَعَى في قتلِه ؛ قال : أشهدُ بعدالةِ أنه كان شَروباً للخمر ، ماجناً ، فاسقاً ، ولقد أرادني على نفسي الفاسق .

وحكى المعافَى بنُ زكريا عن ابنِ دُريد ، عن أبي حاتم ، عن العُتْبيّ ، أنَّ الوليدَ بن يزيد نظَرَ إلى نصرانيَّةٍ من حِسَان نساءِ النصارى ، اسمها سفرَى ، فأحبَّها ، فبعث يُراودُها عن نفسها ، فأبتْ عليه ، فألحَّ عليها وعَشِقها ، فلم تطاوِعْه ، فاتفق اجتماعُ النصارى في بعضِ كنائسهم لعيدٍ لهم ، فذهبَ الوليدُ إلى بستانٍ هناك ، فتنكَّرَ وأظهرَ أنه مُصَاب ، فخرج النساءُ من الكنيسةِ إلى البستان ، فرأينَهُ ، فأحدقنَ به ، فجعل يكلِّمُ سفرَى ويُحادِثُها[١] وتُضاحِكُهُ ولا تَعرِفُه ، حتى اشتفَى من النظرِ إليها ، فلما انصرفَتْ قيل لها : ويحكِ ! أتدرينَ منْ هذا الرجل ؟ فقالت : لا . فقيل لها : هو الوليد . فلمَّا تحقَّقتْ ذلك حنَّتْ عليه بعد ذلك وكانتْ عليه أحرصَ منه عليها قبلَ أن تحنَّ عليه ، فقال الوليد في ذلك أبياتاً :

أَضْحكْ فؤادَك يا وليدُ عَميدا ... صبّاً قديماً للحسانِ صَيُودا
في حُبِّ واضحةِ العوارِضِ طَفْلَةٍ ... برزَتْ لنا نحوَ الكنيسةِ عِيدا
ما زلتُ أرمُقُها بعينَيْ وامِقٍ ... حتى بَصُرْتُ بها تُقبِّلُ عُودا
عودَ الصليبِ فَوَيْحَ نفسي منْ رَأى ... منكمْ صَليباً مثلَهُ مَعْبُودا
فسألتُ رَبِّي أنْ أكونَ مكانَهُ ... وأكونَ في لَهَبِ الجَحيمِ وَقُودا

وقال فيها أيضاً لما ظهرَ أمرُهُ وَعَلِمَ بحالِهِ الناس ، وقيل إنَّ هذا وقعَ قبلَ أنْ يَليَ الخِلافة :

ألا حبذا سَفْرَى وإنْ قيلَ إنَّني ... كَلِفْتُ بنَصْرَانيَّةٍ تشربُ الخَمْرَا
يَهُونُ علينا أنْ نظلَّ نَهارَنا ... إلى الليلِ لا ظُهْراً نُصلِّي ولا عَصْرَا

قال القاضي أبو الفرَج المعافَى بن زكريَّا الجَرِيري المعروف بابن طَرَارَةَ[٢] النَّهْرَواني ثم البغدادي ، بعد إيرادِهِ هذه الأشياءَ للوليد في نحوِ هذا من الخَلاعةِ والمجون ، وسَخَافةِ الدِّين ، وما يطولُ ذكرُه . وقد ناقضْناهُ في أشياء منْ منظُومِ شعرِهِ المتضمِّن رَكِيكَ ضلالِهِ وكُفرِه .

وروى ابنُ عساكرَ بسندِه ، أنَّ الوليد سمع بخمَّارٍ صَلِف[٣] بالحِيرة ، فقصَدهُ حتى شرب منه ثلاثةَ

---

(١) في (ح) : « ويمازحها » .
(٢) في الأصول : « طرار » تصحيف ، ومنهم من يثبت ألفاً بدلَ الهاء هكذا : « طرارا » ، والمثبت من تكملة الإكمال لمحمد بن عبد الغني البغدادي (٤/ ١٧) ، والمؤتلف والمختلف (١/ ٤٦) .
(٣) الصَّلَفُ : مُجاوزةُ القَدْر في الظَّرْف والبراعة ، والادِّعاءُ فوق ذلك تكبُّراً ، صَلِفَ صَلَفاً ، فهو صَلِف . لسان العرب (صلف) .

أرْطالٍ من الخَمْر وهو راكبٌ على فرَسِه ، ومعه اثنانِ من أصحابِه ، فلما انصرف أمَرَ للخَمَّار بخمس مئةِ دينار .

وقال القاضي أبو الفرج : أخبارُ الوليدِ كثيرة ، قد جمعَها الأخباريُّون مجموعةً ومُفْرَدَة ؛ وقد جمعتُ شيئاً من سيرَتِه وآثارِه ، ومن شعرِه الذي ضمَّنَه ما فَجَرَ به من جُرْأتِهِ وسَفَاهتِه وحُمْقِه ، وهَزْلِه ومُجُونِه ، وسخافةِ دينه ، وما صرَّح به من الإلحاد في القرآنِ العزيزِ والكُفْرِ بمنْ أنزلَهُ وأُنزلَ عليه ؛ وقد عارضتُ شعرَهُ السخيفَ بشعرٍ حَصِيف ، وباطلهُ بحَقٍّ نَبيهٍ شَرِيف ، وتوَخَّيتُ رضاءَ الله عزَّ وجلَّ ، واستيجابَ مغفرتِه .

وقال أبو بكر بن أبي خَيْثمة : حدّثنا سليمان بن أبي شيخ ، حدّثنا صالح بن سليمان ، قال : أرادَ الوليدُ بن يزيد الحجَّ وقال : أشربُ فوقَ ظهرِ الكعبةِ الخَمْر . فهمَّ قومٌ أنْ يَفْتكُوا بِهِ إذا خرج ، فجاؤوا إلى خالدِ بن عبدِ الله القَسْري ، فسألوهُ أنْ يكونَ معَهم ، فأبى ، فقالوا له : فاكتُمْ علينا . فقال : أمَّا هذا فنَعَمْ . فجاء إلى الوليد فقال : لا تخرُجْ فإنِّي أخافُ عليك . فقال : ومنْ هؤلاء الذين تخافُهم عليّ ؟ قال : لا أخبرُكَ بهم . قال : إنْ لم تخبرْني بهم بعثتُ بك إلى يوسفَ بنِ عمر . قال : وإنْ بعثْتَ بي إلى يوسفَ بنِ عمر . فبعثه إلى يوسف ، فعاقبه حتى قتلَه[١] .

وذكر ابنُ جرير[٢] أنه لمَّا امتنع أنْ يُعلِمَه بهم سجنَهُ ثم سلَّمه إلى يوسف بن عمر يستخلصُ منه أموالَ العراق فقتله . وقد قيل : إنَّ يوسفَ لمَّا وفَدَ إلى الوليد اشترى منه خالدَ بن عبد الله القَسْري بخمسين ألف ألف يُخلِّصُها منه ، فما زال يعاقبُه ويستخلصُ منه حتى قتلَه ؛ فغَضِبَ أهلُ اليمن من قَتْلِه ، وخرجوا على الوليد .

قال الزبيرُ بنُ بكَّار : حدثنا مُصعبُ بن عبدِ الله ، قال : سمعتُ أبي يقول : كنتُ عندَ المَهْدي ، فذُكِرَ الوليدُ بن يزيد ، فقال رجلٌ في المجلس : كان زنديقاً . فقال المهدي : خِلافةُ اللهِ عندَه أجلُّ من أن يجعلَها في زِنْدِيق .

وقال أحمد بن عُمير بن جَوصاء الدِّمَشْقي : حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا حصين بن الوليد ، عن الأزهر بن الوليد قال : سمعتُ أمَّ الدرداء تقول : [سمعتُ أبا الدرداء يقول] : إذا قُتل الخليفةُ الشابُّ من بني أمية بين الشام والعراق مظلوماً لم تزلْ طاعةً مُسْتَخَفّاً بِها ، ودَماً مَسْفُوكاً على وجهِ الأرض[٣] بغَيْرِ حقّ[٤] .

---

(١) أخرجه ابن أبي جرادة في بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٠٨٦) .

(٢) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢٣٦) .

(٣) في الأصل : لم تزل طاعةً مستخف بها ، ودم مسفوك على وجه الأرض . وما أثبتناه من بعض النسخ .

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ١٩٥) (٥٣٠) عن الوليد بن مسلم ، به ، وما بين معقوفين منه .

قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري[١] :

ذِكْرُ قَتْلِ يزيدَ بنِ الوليد الذي يقال له الناقص للوليد بن يزيد

قد ذكرنا بعضَ أمرِ الوَليد بن يزيد ، وخلاعتِه ، ومجانتِه ، وفسقِه ، وما ذُكر عن تَهاوُنِهِ بالصلوات ، واستخفافِه بأمرِ دينِه قَبْلَ خلافتَه ، ولمَّا وَليَ الخلافةَ وأفْضَتْ إليه لم يَزْدَدْ في الخلافةِ إلَّا شرّاً ولَهْواً ولَذَّةً ، ورُكوباً للصيد ، وشُربَ المُسْكر ، ومنادمةَ الفُسَّاق ، فما زادَتْهُ الخلافةُ على ما كانَ قبلَها إلَّا تمادياً وغُروراً ، فثَقُل ذلك على الأمراءِ والرَّعيَّةِ والجُنْد ، وكرِهوهُ كراهةً شديدة ، وكان من أعظمِ ما جَنى على نفسِه حتى أورَثَهُ ذلك هلاكَه إفسادُهُ على نفسِه بني عمَّيهِ هشامٍ والوليد ابني عبدِ الملك ، مع إفسادِهِ اليمانية ، وهي أعظمُ جندِ خُراسان .

وذلك أنه لما قتل خالدَ بن عبد الله القَسْري ، وسلَّمَهُ إلى غَريمِهِ يوسف بن عمر ، الذي هو نائبُ العراق إذْ ذاك ، فلم يزَلْ يُعاقِبُهُ حتى هلَك ؛ انقلبوا عليه ، وتنكَّروا له وساءهم قَتلُه كما سنذكُرُه في ترجمته .

ثم روى ابنُ جَرير[٢] بسنده ، أنَّ الوليدَ بن يزيد ضرَبَ ابنَ عمِّه سليمانَ بن هشام مئةَ سوْط ، وحلَقَ رأسَهُ ولِحْيَتَه ، وغَرَّبهُ إلى عُمان فحبَسَه بها ، فلم يزَلْ هناك حتى قُتل الوليد ، وأخذ جاريةً كانَتْ لآلِ عمِّه الوليدِ بن عبد الملك ، فكلَّمَهُ فيها عمرُ بن الوليد فقال : لا أردُّها . فقال : إذاً تكثُرُ الصواهلُ حَولَ عسكرِك . وحَبَس الأفقَم يزيدَ بن هشام ، وبايَعَ لولدَيْه الحكم ثم عثمان ، وكانا دونَ البُلوغ ، فشقَّ ذلك على الناسِ أيضاً ونصَحُوهُ فلم ينتصِحْ ، ونَهَوْهُ فلم يَرْتَدِعْ ولم يَقْبَلْ .

قال المدائني في روايته : ثَقُل ذلك على الناس ، ورماهُ بنو هاشمٍ وبنو الوليدِ بالكفرِ والزندقة ، وغشيانِ أمَّهاتِ أولادِ أبيه ، [وباللِّوَاطِ وغيره] . وقالوا : اتَّخَذَ مئةَ جامعةٍ[٣] ، على كلِّ جامعةٍ اسمُ رجلٍ من بني هاشم ليقتُلَهُ بها . ورمَوْهُ بالزَّنْدقة ، وكان أشدَّهُم منه قولاً يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناسُ إلى قَوْلِهِ أمْيَل ، لأنه أظهرَ النُّسُكَ والتواضُع ، ويقول : ما يَسَعُنا الرِّضا بالوليد حتى حَمَلَ الناسَ على الفَتْكِ به . قالوا : وانتدَبَ للقيامِ عليهِ جماعةٌ من قُضَاعَةَ واليمانيَّة ، وخلقٌ من أعيانِ الأمراء وآلِ الوليد بن عبد الملك ، وآلِ هشام بن عبد الملك ، وكانَ القائمُ بأعباءِ ذلك كلِّه ، والداعي إليه يَزيد بن الوليد بنِ عبد الملك ، وهو من ساداتِ بني أميَّة ، وكان يُنسبُ إلى الصلاحِ والدِّينِ والوَرَع ، فبايعه الناسُ

(١) في تاريخه (٤/ ٢٣٥) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الجامعةُ : الغُلُّ ، لأنَّها تَجْمعُ اليدين إلى العُنق . لسان العرب .

على ذلك ، وقد نَهاهُ أخوهُ العباسُ بن الوليد فلم يقبَلْ ، فقال : واللهِ لولا أنِّي أخافُ عليك الوليد لقيَّدتك وأرسلتك إليه . واتَّفَقَ خروج الناس من دمشق من وباء وقع بها ، فكان ممَّن خرج الوليدُ بن يزيد أميرُ المؤمنين في طائفةٍ من أصحابه نحو المئتَيْنِ إلى ناحيةِ مشارف دمشق[١] ، فانتظم لِيَزيدَ بنِ الوليد أمرُه ، وجعل أخوهُ العباسُ يَنْهاهُ عن ذلك أشدَّ النَّهْي فلا يَقبَلْ ، فقال العباسُ في ذلك :

إنــي أعيــذُكُــمُ بــاللهِ مــن فِتَــنٍ ... مثلَ الجبالِ تَسَامَى ثم تَنْدَفِعُ
إنَّ البــرِيَّــةَ قــد ملَّــتْ سيــاسَتَكُــمْ ... فاستمسِكُوا بعَمُودِ الدِّينِ وارتَدِعُوا
لا تُلْحِمُــنَّ ذئــابَ النــاس أنفسَكــم ... إنَّ الــذئــاب إذا مــا أُلْحِمَــتْ رَتَعُــوا
لا تَبْقُــرُنَّ بــأيــديكــم بُطُــونَكُــمُ ... فثَــمَّ لا حَسْــرَةٌ تُغْنــي ولا جَــزَعُ[٢]

فلما استوْثَقَ لِيَزيدَ بنِ الوليد أمْرُهُ ، وبايَعهُ منْ بايَعَهُ من الناس قَصَدَ دمشقَ ، فدخلها في غَيْبَةِ الوليد ، فبايَعهُ أكثرُ أهْلِها في الليل ، وبلَغهُ أنَّ أهلَ المِزَّةِ بايعوا كبيرَهم معاويةَ بنَ مصَاد ، فمضى إليه يزيدُ ماشياً في نفرٍ من أصحابه ، فأصابَهم في الطريق خطرٌ شديد ، فأتَوْهُ ، فطرقُوا بابَهُ ليلاً ، ثم دخلوا فكلَّمَهُ يزيدُ في ذلك ، فبايَعهُ ابنُ مصَاد ثم رجعَ يزيدُ من ليلتِهِ إلى دمشق على طريقِ القَناة ، وهو على حمارٍ أسود ، فحَلَفَ أصحابُهُ أنه لا يدخلُ دمشقَ إلا في السلاح ، فلَبس سلاحاً من تحتِ ثيابه ، فدخلَها ، وكان الوليدُ قدِ استنابَ على دمشقَ في غَيْبتِهِ عبدَ الملك بن محمد بن الحجَّاج بن يوسف الثقفي ، وقد خرج منها أيضاً من الوباء ، فهو مقيمٌ بِقَطَنا[٣] ، واستخلفَ ابنَه[٤] على دمشق ، وعلى شُرْطتِها أبو العاج كثير بن عبد الله السُّلَمي ، فلمَّا كان ليلة الجمعة اجتمَعَ أصحابُ يزيدَ بين العشاءَيْن ، عند بابِ الفرادِيس ، فلمَّا أذَّن عشاءُ الآخرة دخلوا المسجد ، فلمَّا لم يبقَ في المسجد غيرُهم بعثوا إلى يزيدَ بنِ الوليد ، فجاءهم ، فقصدوا بابَ المقصورة ، ففتح لهم خادم ، فدخلوا فوجدوا أبا[٥] العاج وهو سكران ، فأخذوه وأخذوا خزائنَ بيتِ المال ، وتسلَّموا الحواصلَ ، وتقوَّوْا بالأسلحة ، وأمرَ يزيدُ بإغلاق أبوابِ البلد ، وأن لا يُفْتَح إلاَّ لِمَنْ يُعرَف ، فلمَّا أصبح الناسُ قَدِمَ أهلُ الحَوَاضرِ من كلِّ جانب فدخلوا من سائرِ أبوابِ البلدِ كلُّ أهلِ مَحلَّةٍ من البابِ الذي يَليهم ، فكثُرَتِ الجيوشُ حَوْلَ يزيدَ بنِ الوليد بنِ عبد الملك في نُصْرَتِه ، وكلُّهم قد بايَعَهُ بالخلافة ، وقد قال فيه بعضُ الشعراء في ذلك :

فجاءَتْهُمُ أنصارُهُمْ حينَ أصبحوا ... سَكَــاسِكَهــا أهــلُ البيــوتِ الصنــادِدِ

---

(١) في (ب ، ح) : « مشارق » .
(٢) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٢٣٩ ، ٢٤٠) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٤/ ٤٨١ ، ٤٨٢) .
(٣) قَطَنا : من قرى دمشق ، تقع إلى جنوبها الغربي ، وتبعدُ عنها نحو خمس وعشرين كيلومتراً .
(٤) في الأصل : أباه ، وفي بعض النسخ : ابنه .
(٥) في الأصل : أبو ، وفي بعض النسخ : أبا .

وكلبٌ فجاؤوهم بخيلٍ وعُدَّةٍ ... من البيضِ والأبدانِ ثم السواعِدِ
فأكْرِمْ بها أحياءَ أنصار سنَّةٍ[١] ... هُمُ مَنَعُوا حُرماتِها كُلَّ جاحِدِ
وجاءَتْهُمُ شيبانُ والأزْدُ شُرَّعاً ... وَعَبْسٌ وَلَخْمٌ بينَ حامٍ وذائدِ
وغَسَّانُ والحيَّانِ قيسٌ وتَغْلبٌ ... وأحْجمَ عنها كلُّ وانٍ وزاهِدِ
فما أصبحوا إلاّ وهُمْ أهلُ مُلْكِها ... قدِ استَوْثَقُوا من كُلِّ عاتٍ ومارِدِ[٢]

وبعث يزيدُ بن الوليد عبدَ الرحمنِ بن مصَاد في مئتي فارسٍ إلى قَطَنا ، ليأتُوهُ بعبدِ الملك بن محمد بن الحجَّاج نائبِ دمشق ، وله الأمان ، وكان قد تحصَّنَ في قصرٍ هناك ، فدخلوا عليه ، فوجدوا عنده جرَّتَيْن[٣] ، في كلِّ واحدةٍ منهما ثلاثون ألفَ دينار ، فلما مرُّوا بالمزَّة قال أصحابُ ابنِ مصَاد خُذْ هذا المالَ فهو خيرٌ من يزيدَ بنِ الوليد . فقال : لا والله لاتُحدِّثُ العرب أنِّي أوَّلُ مَنْ خان . ثم أتَوْا بهِ يزيدَ بنِ الوليد ، فاستخدَمَ من ذلك المال جنداً للقتال قريباً من ألفَيْ فارس ، وبعثَ بهِ مع أخيه عبدِ العزيز بنِ الوليد بن عبد الملك خَلْفَ الوليدِ بن يزيد ليأتوا به ، وركب بعضُ موالي الوليد فرساً سابقاً ، فساق به حتى انتهى إلى مولاهُ من الليل ، وقد نَفَقَ الفرسُ من السَّوْق ، فأخبرَهُ الخبر ، فلم يُصدِّقْهُ وأمرَ بضَرْبه ، ثم تواترتْ عليه الأخبار ، فأشارَ عليه بعضُ أصحابِهِ أن يتحوَّلَ من مَنْزلهِ ذاكَ إلى حِمص ، فإنها حَصينة ، وقال الأبرش سعيدُ بن الوليد الكلبي : انزِلْ على قومي بتَدْمُر . فأبى أن يقبلَ شيئاً من ذلك ، بل ركب بمَنْ معهُ وهو في مئتي فارس ، وقصد أصحابَ يزيد ، فالتقَوْا بثَقَلِهِ في أثناءِ الطريقِ فأخذوه ، وجاء الوليدُ فنزَلَ حِصْنَ البَخْراء[٤] الذي كان للنعمانِ بن بَشير[٥] ، وجاءه رسولُ العباسِ بنِ الوليد أنِّي آتيك ـ كان من أنصاره ـ فأمر الوليدُ بإبرازِ سريرِه ، فجلس عليه وقال : أعليَّ يتوثَّبُ الرِّجال وأنا أثِبُ على الأسدِ وأتخصَّرُ الأفاعي ؟! وقَدِمَ عبدُ العزيزِ بن الوليد بمَنْ معه ، وإنما كان قد خَلَصَ معه من الألفَيْ فارس ثمانُ مئةِ فارس ، فتصافُّوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل من أصحاب العباس جماعةٌ حُملتْ رؤوسُهم إلى الوليد ، وقد كان جاء العباسُ بن الوليد لِنُصْرَةِ الوليدِ بن يزيد ، فبعث إليه أخوهُ عبدَ العزيز ، فجيء به قهراً حتى بايع لأخيه يزيدَ بنِ الوليد ، واجتمعوا على حرب الوليد بن يزيد ، فلما رأى الناسُ اجتماعَهم فرُّوا من الوليد إليهم ، وبقي الوليدُ في ذُلٍّ وقُلٍّ من الناس ، فلجأ إلى الحِصْن ، فجاؤوا إليه وأحاطوا بهِ من كلِّ جانبٍ يحاصرونَه ، فدَنَا الوليدُ من باب الحِصْن فنادَى : لِيُكَلِّمْني رجلٌ شريف . فكلَّمَهُ يزيدُ بن عَنْبَسَة

---

(١) في (ب ، ح) : « أنصار سيد » .
(٢) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٢٤١) .
(٣) في (ب ، ق) : « خرجين » والمثبت من (ح) .
(٤) البخراء : أرض بالشام ، سميت بذلك لعفونةٍ في تربتها ونَتْنها . معجم ما استعجم (١/ ٢٣٠) .
(٥) في (ب ، ح) : « الذي كان للضحاك بن قيس » .

السَّكْسَكيُّ فقال الوليد : ألم أدفعِ الموتَ عنكم ؟ ألم أُعطِ فقراءَكم ؟ ألم أخدمْ زَمْناكُمْ ؟ فقال يزيد : إنما نَنْقِمُ عليكَ انتهاكَ المحارِم ، وشُرْبَ الخمور ، ونكاحَ أمَّهاتِ أولادِ أبيك ، واستخفافَكَ بأمرِ الله عزَّ وجلَّ . فقال : حَسْبُكَ يا أخا السكاسك ، لقد أكثرتَ وأغرقْتَ ، وإنَّ فيما أحَلَّ اللهُ لي لَسَعةً عمَّا ذكرتَه . ثم قال : أما والله لئن قتلتموني لا تُرْتَقنَّ فتنتكُم وأقبل يقرأُ فيه وقال : يومٌ كيومِ عثمان . واستسلم ، وتسوَّرَ عليه أولئك الحائط ، فكان أوَّلَ من نزل إليه يزيدُ بن عَنْبَسة ، فتقدَّمَ إليه وإلى جانبه سيف ، فقال : نَحِّهِ عنك . فقال الوليد : لو أردتُ القتالَ به لكان غيرَ هذا . فأخذ بيده وهو يريدُ أنْ يحبِسَهُ حتى يبعثَ بهِ إلى يزيدَ بنِ الوليد ، فبادرَهُ عليه عشرةٌ من الأمراء ، فأقبلوا على الوليد يضربونه على رأسِهِ ووجهِهِ بالسيوفِ حتى قتلوه ، ثم جَرُّوهُ برِجْلِهِ لِيُخرِجوه ، فصاحَتِ النسوةُ فتركوه ، واحتزَّ أبو عِلاقة القُضَاعيُّ رأسَه وخاطوا ما كان جُرِحَ بهِ في وجْههِ ، وبعَثُوا بهِ إلى يزيدَ مع عشرةِ نفَر ، منهم منصورُ بن جُمهور ، ورَوْح بن مُقبل ، وبشر مولى كِنَانةَ من بني كَلْب ، وعبد الرحمن الملقَّب بوَجْه الفَلْس ، فلما انتهَوْا إليه بشَّروهُ بقَتْلِ الوليد ، وسلَّموا عليه بالخلافة ، فأطلق لكلِّ رجلٍ من العشرة عشرةَ آلاف ، فقال له روح بن بشر بن مقبل : أبشرْ يا أمير المؤمنين بقتلِ الوليد الفاسق . فسجَدَ شكراً لله ، ورجعتِ الجيوش إلى يزيد ، فكان أولَ من أخذ يدَهُ للمبايعة يزيدُ بن عَنبسةَ السَّكْسَكي ، فانتزع يدَهُ من يده وقال : اللهم إنْ كان هذا رِضًى لك فأعِنِّي عليه . وكان قد جعلَ لِمنْ جاءه برأسِ الوليد مئة ألف دِرْهم ، فلما جيء به وكان ذلك ليلةَ الجمعة ـ قيل يوم الأربعاء لِلَيْلتَيْنِ بقيتا من جُمادى الآخرة سنةَ ستٍّ وعِشرين ومئة ، فأمر يزيدُ بنَصْب رأسِه على رُمْح ، وأنْ يُطافَ به في البلد . فقيل له : إنما يُنصبُ رأسُ الخارجي . فقال : والله لأنصبَنَّه . فشهَرَهُ في البلد على رُمْح ، ثم أودَعَهُ عند رجلٍ شهراً ثم بعثَ إلى أخيه سُليمانَ بنِ يزيد ، فقال أخوهُ عندَ ذلك : بُعْداً له ، أشهدُ أنَّكَ كنتَ شروباً للخمر ، ماجناً فاسقاً ؛ ولقد أرادَني على نفسي هذا الفاسق وأنا أخوه ، لم يأنَفْ من ذلك . وقد قيل : إنَّ رأسَهُ لم يزل معلَّقاً بحائطِ جامعِ دمشق الشرقي مما يلي الصَّحْن حتى انقضَتْ دولةُ بني أمية . وقيل إنما كان ذلك أثَر دَمِه ، وكان عمرُه يومَ قُتل ستاً وثلاثينَ سنة . وقيل ثمانياً وثلاثين ، وقيل : إحدى وثلاثين ـ وقيل ثنتَيْن ، وقيل خمساً ، وقيل ستاً وأربعين ـ سنة . ومُدَّةُ ولايَتِهِ سنةٌ وستةُ أشهرٍ على الأشْهَر ، وقيل : ثلاثة أشهر .

قال ابن جرير(١) : كان شديدَ البطش ، طويلَ أصابعِ الرجلَيْن ، كانت تُضربُ له سكَّةُ الحديد في الأرض ، ويُرْبطُ فيها خيطٌ إلى رِجْلِه ، ثم يَثِبُ على الفرس فيَرْكَبُها ولا يَمَسُّ الفرس ، فتنقَلِعُ تلك السِّكَّةُ من الأرض مع وَثْـبَتِـهِ .

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/٢٤٧) .

خلافةُ يَزيدَ بنِ الوليد بنِ عبدِ الملك بن مَرْوان(١)

وهو الملقَّبُ بالنَّاقِصِ لِنَقْصِهِ الناسَ من أُعطياتِهم ما كان زادَهُ الوليدُ بن يزيد في أُعْطياتِهم وهي عشرة عشرة ، ورَدِّهِ إياهم إلى ما كانوا عليه في زَمَنِ هشام . ويقال : إنَّ أَوَّلَ منْ لَقَّبَهُ بذلك مروانُ بن محمد . بُويع له بالخِلافة بعدَ مقتَلِ الوليدِ بنِ يزيد ، وذلك ليلةَ الجمعة لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيتَا من جُمادَى الآخرة من هذه السنة ، أعني سنةَ ستٍّ وعشرين ومئة . وكان فيه صلاحٌ ووَرَعٌ قبل ذلك ، فأولُ ما عَمِلَ انْتَقصَ من أرزاق الجُنْد ما كان الوليدُ زادَهُمْ وذلك في كلِّ سنةٍ عشرةً عشرةً ، فسُمِّيَ الناقصَ لذلك ، ويقال في المثل : الأشجُّ والناقِصُ أعْدَلا(٢) خلفاءِ بني مروان ، يعني عمرَ بنَ عبدِ العزيز ، وهذا ، ولكنْ لم تَطُلْ أيامُه ، فإنه تُوفِّيَ من آخِرِ هذه السنة ، واضطرَبَتْ عليه الأمور ، وانتشرَتِ الفِتَن ، واختلفَتْ كلمةُ بني مروان ، فنهض سليمانُ بن هشام وكان معتقَلاً في سِجْنِ الوليد بعُمان ، فاستحوزَ على أموالِها وحَواصلِها ، وأقبلَ إلى دمشق ، فجعل يَلْعنُ الوليدَ ويَعيبُه ، ويَرْميهِ بالكُفْر ، فأكرَمَهُ يزيدُ وردَّ عليه أموالَهُ التي كان أخذها منه الوليد ، وتزوَّج يزيدُ أختَ سليمان ، وهي أُمُّ هشام بنتُ هشام .

ونهض أهلُ حمصَ إلى دارِ العباسِ بن الوليد التي عندَهم فهدموها ، وحبسوا أهلَهُ وبَنيه ، وهربَ هو من حمصَ ، فلَحِقَ بيزيدَ بنِ الوليد إلى دمشق ، وأظهر أهلُ حمْصَ الأخذَ بدَمِ الوليدِ بنِ يزيد ، وأغلقوا أبوابَ البلد ، وأقاموا النوائحَ والبواكي على الوليد ، وكاتبوا الأجنادَ في طلَبِ الأخذِ بالثأر ، فأجابَهم إلى ذلك طائفةٌ كبيرةٌ منهم على أن يكونَ الحكَمُ بنُ الوليد بن يزيد الذي أُخذ له العهد هو الخليفةَ ، وخلعوا نائبَهم وهو مروانُ بنُ عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ثم قتلوهُ وقتلوا ابنَه . وأمَّروا عليهم معاويةَ بنِ

---

(١) ترجمته في تاريخ خليفة (٣٦٨) ، تاريخ اليعقوبي (٣/ ٧٤) ، تاريخ الطبري حوادث سنة (١٢٦) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ، تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٠٦) ، النجوم الزاهرة (١/ ١٢٦) ، تاريخ الخميس (٢/ ٣٢١ ، ٣٢٢) .

(٢) كذا في الأصول ، وأفعل التفضيل يضاف إلى نحو ما يضاف إليه ، أي تقول : هو أفضل الرجلين ، وأفضل القوم ، وتقول : هو أفضل رجل ، وهما أفضل رجلين ، وهم أفضل رجال ، والمعنى في هذا إثبات الفضل على الرجال إذا فضلوا رجلاً رجلاً واثنين اثنين وجماعةً جماعةً . وله معنيان : أحدُهما أنْ يُرادَ أنه زائدٌ على المضاف إليهم في الخصلة ، هو وهم فيها شركاء ، والثاني أن يؤخذ مطلقاً له الزيادةَ فيها إطلاقاً ، ثم يضاف لا للتفضيل على المضاف إليهم ، لكنْ لمُجرَّدِ التخصيص ، كما يُضاف ما لا تفضيلَ فيه ، وذلك نحو قولك : الناقصُ والأشجُّ أعْدَلا بني مروان . كأنك قلت : عادِلا بني مروان ، فأنت على الأول يجوزُ لك توحيدُه في التثنية والجمع ، وعلى الثاني ليس لك إلاَّ أن تثنيه وتجمعه وتؤنثه . وقد اجتمع الوجهان في قوله عليه السلام : « ألا أخبركم بأحبِّكم إلي وأقربكم مني مجالس يومَ القيامة أحاسنُكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون » . اهـ المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ص(١٢٠) .

يزيدَ بنِ حُصين ، فلما انتهى خبَرُهم إلى يزيدَ بنِ الوليد كتب إليهم كتاباً مع يعقوب بن هانىء ، ومضمونُ الكتاب أن يدعو إلى أن يكونَ الأمرُ شُورَى ، فقال عمرو بن قيس : فإذا كان الأمرُ كذلك ، فقد رَضِينا بوليِّ عهدِنا الحكمِ بنِ الوليد ، فأخذ يعقوبُ بلِحْيَتِه وقال : ويحك ! لو كان هذا الذي تدعو إليه يتيماً تحتَ حجرِك لم يَحِلَّ لك أن تدفعَ إليه مالَهُ ، فكيف أمرُ الأمَّة ؟! فوثَبَ أهلُ حمص على رُسلِ يزيدَ بنِ الوليد فطرَدُوهُمْ عنهم ، وأخرجوهم من بين أظْهرِهم ، وقال لهم أبو محمد السُّفياني : لو قَدِمتُ دمشق لم يختلف عليَّ منهمُ اثنان . فركبوا معه وساروا نحو دمشق ، وقد أمَّروا عليهم السفيانيّ ، فتلقَّاهم سليمانُ بن هشام في جيشٍ كثيف ، قد جَهَّزَهم معَه يزيدُ بن الوليد ، وجهز أيضاً عبدَ العزيزِ بن الحجاج في ثلاثةِ آلاف يكونون عندَ ثنيَّةِ العُقَاب[١] وجهز هشام بن مصَاد المِزِّي في ألفٍ وخمسِ مئة ، ليكونوا على عَقَبَةِ السَّلَمِيَّة[٢] ، فخرج أهلُ حمصَ فساروا وتركوا جيشَ سليمان بن هشام ذاتَ اليسار وتعَدَّوْه ، فلما سمع بهم سُليمانُ ساقَ في طلَبِهم ، فلَحِقَهُمْ عند السُّلَيمانية[٣] ، فجعلوا الزيتون عن أيمانِهم ، والجبلَ عن شمائِلهم ، والجباب من خلفِهم ، ولم يبقَ تخلُّصٌ إليهم إلا من جهةٍ واحدة ، فاقتتلوا هنالك في قبالةِ الجِسر قتالاً شديداً ، فقُتل طائفةٌ كبيرةٌ من الفريقَيْن ، فبينما هم كذلك إذْ جاء عبدُ العزيز بنُ الحجاج بمن معه ، فحمل على أهلِ حِمص فاخترق جيشَهُم حتى ركب التلَّ الذي في وسطِهم ، وكانتِ الهزيمة ، فهرب أهلُ حِمص وتفرَّقوا ، فاتَّبَعَهُمُ الناسُ يقتلونَ ويأسِرون ، ثم تنادَوْا بالكَفِّ عنهم على أنْ يُبَايعوا ليزيدَ بنِ الوليد .

وأسروا منهم جماعةً ، منهم أبو محمد السفياني ، ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية ، ثم ارتحلَ سليمانُ وعبدُ العزيز فنَزلا عَذْراء ، ومعهمُ الجيوشُ وأشرافُ الناس وأشرافُ أهلِ حمص من الأسارَى ، ومنِ استجابَ من غيرِ أسْر ، بعدَما قُتل منهم ثلاث مئة نفس ، فدخلوا بهم على يزيدَ بنِ الوليد فأقبل عليهم ، وأحسن إليهم وصفَحَ عنهم ، وأطلق الأُعطياتِ لهم ، لا سيما لأشرافِهم ، وولَّى عليهم الذي اختاروه ، وهو معاويةُ بن يزيدَ بنِ الحُصَين ، وطابَتْ عليه أنفسُهم ، وأقاموا عندَهُ في دمشق ، سامِعين مُطيعين له .

---

(١) ثَنِيَّةُ العُقَاب : بالضم ، وهي ثنيةٌ مشرفةٌ على غوطةِ دِمشق ، يَطَؤها القاصدُ من دمشقَ إلى حمص . ويقال : إنما سُمِّيتْ ثنية العُقَاب بعُقَابٍ من الطير كان ساقطاً عليها بعُشِّهِ وفراخِه . سار خالد بن الوليد من العراق حتى أتى إليها ، فوقف عليها ساعةً ناشراً رايته وهي رايةٌ كانتْ لرسولِ الله ﷺ . معجم البلدان (٢/ ٨٥) . وتُعرف عند العامَّةِ اليوم بـ « طلوع التنايا » .

(٢) سَلَمْيَة : بفتح أوله وثانيه وسكون الميم وياء مثناة من تحت خفيفة ، كذا جاء به المتنبي في شعره ، وهي بُليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين ، وكانت تُعدُّ من أعمال حمص . وأهلُ الشام يقولون : سَلَمِيَّة ـ بفتح أوله وثانيه وكسر الميم وياء النسبة . معجم البلدان (٣/ ٢٤٠ ، ٢٤١) . وفي نسخة « مقبة السلامة » .

(٣) السُّلَيمانية : مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلا . تاريخ الطبري (٤/ ٢٥٣) ، والخبر فيه مفصلاً .

وفيها بايع أهلُ فلسطينَ يزيدَ بن سليمان بن عبد الملك ، وذلك أنَّ بني سليمان كانتْ لهم أملاكٌ هناك ، فكانوا يَنْزِلونها ، وكان أهلُ فِلَسْطين يُحبُّونَ مجاورَتهم ، فلما قُتل الوليد بن يزيد كتب سعيدُ بن رَوْح بن زِنْبَاع ـ وكان رئيسَ تلك الناحية ـ إلى يزيدَ بنِ سليمانَ بنِ عبد الملك يدعوهُ إلى المبايعة له ، فأجابَهُ إلى ذلك ، فلما بلَغَ أهلَ الأردُنِّ خبرُهم بايعوا أيضاً محمد بن عبد الملك بن مروان ، وأمَّروهُ عليهم ، فلما انتهى خبرُهُم إلى يزيدَ بن الوليد أميرِ المؤمنين بعث إليهم الجيوشَ مع سليمانَ بنِ هشام في الدماشقةِ وأهلِ حِمص الذين كانوا مع السُّفْياني ، فصالحهم أهلُ الأردنِّ أوّلاً ورجعوا إلى الطاعة ، وكذلك أهلُ فلسطين . وكتب يزيدُ بن الوليد ولايةَ الإمرةِ بالرَّمْلةِ وتلك النواحي إلى أخيه إبراهيم بن الوليد ، واستقرَّتِ الممالكُ هنالك .

وقد خطبَ أميرُ المؤمنين يزيدُ بن الوليدِ الناسَ بدمشق ، فحمدَ الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أمَّا بعد ، أيها الناس ، أما والله ما خرجتُ أشراً ولا بَطراً ، ولا حِرْصاً على الدنيا ، ولا رغبةً في المُلك ، وما بي إطراء نفسي ، إني لظَلُومٌ لِنَفْسي إنْ لم يرحَمْني ربِّي فإني هالك ، ولكنِّي خرجتُ غَضَباً للهِ ورسولِهِ ولدينِه ، وداعياً إلى الله وكتابِه ، وسُنَّةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ ، لمَّا هُدمَتْ معالمُ الدِّين ، وأُطفىءَ نورُ أهلِ التقوى ، وظهر الجبارُ العَنيد ، المستحلُّ لكُلِّ حُرْمة ، والراكبُ كلَّ بِدْعة ، مع أنه والله ما كان مُصدِّقاً بالكتاب ، ولا مؤمناً بيومِ الحساب ، وإنه لابنُ عمِّي في النسب ، وكُفئي بالحسَب ؛ فلمَّا رأيتُ ذلك استخرتُ الله في أمرِهِ ، وسألتُهُ أنْ لا يَكِلَني إلى نفسي ، ودَعَوْتُ إلى ذلك منْ أجابني من أهلِ ولايتي ، وسعَيْتُ فيه حتى أراحَ اللهُ منه العِبَادَ والبلاد ، بِحَوْلِ الله وقوَّتِه ، لا بِحَوْلي ولا بقُوَّتي . أيها الناس ، إنَّ لكم عليَّ أن لا أضعَ حجَراً على حجر ، ولا لَبِنةً على لَبِنَة ، ولا أكْري نَهْراً ، ولا أُكثِرَ مالاً ، ولا أُعطيَهُ زوجةً ولا وَلَداً ، ولا أنقلَ مالاً من بلد إلى بلد ، حتى أسُدَّ ثَغْرَ ذلك البلد ، وخصَاصةَ أهلِه بما يُغْنيهم ، فإنْ فَضَلَ عن ذلك فَضْلٌ نَقَلْتُهُ إلى البلدِ الذي يَليه ، ممَّن هو أحْوجُ إليه ، ولا أجَمِّركم في ثُغوركم فأفتِنكم وأفْتِنَ أهليكم ، ولا أغلِقَ بابي دونَكم ، فيأكلَ قويُّكمْ ضعيفَكُمْ ، ولا أحمِلَ على أهلِ جِزْيتكمْ ما يُجْليهم عن بلادِهم ، ويقطعُ نَسْلَهُمْ[1] ؛ وإنَّ لكم عِندي أُعطياتِكُمْ في كلِّ سنة ، وأرزاقَكمْ في كلِّ شهر ، حتى تستدِرَّ المعيشةُ بين المسلمين ، فيكونُ أقصاهم كأدناهم ، فإنْ أنا وفَيْتُ لكم بما قلت فعليكم السمعُ والطاعة ، وحُسنُ المؤازرة ، وإنْ أنا لم أوفِ لكم فلكم أنْ تخلعُوني وإلاَّ أنْ تَسْتتيبوني ، فإنْ تُبتُ قَبلتم منِّي ، وإنْ عَلِمْتُمْ أحداً من أهلِ الصلاح والدِّين يُعطيكُمْ من نفسِه مثلَ ما أُعطيكم فأرَدْتُمْ أنْ تبايعُوهُ فأنا أوَّلُ منْ يُبايعُه ويدخُلُ في طاعتِه . أيُّها الناس ، إنه لا طاعةَ لِمَخْلوقٍ في معصيةِ الخالق ، إنما الطاعةُ طاعةُ الله ، فمن أطاعَ الله فأطيعوهُ ما أطاعَ الله ، فإذا عَصَى أو دَعَا إلى معصية ، فهو أهلٌ أنْ يُعْصى ولا يُطاع ، بل يُقتلُ ويُهانُ ، أقولُ قَوْلي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم .

---

(١) في (ق) : « سيلهم » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري .

وفي هذه السنة عَزَل يزيدُ بن الوليد يوسفَ بن عمر عن إمرةِ العِراق ، لِمَا ظهر منه من الحَنَق على اليمانيَّة ، وهم قومُ خالدِ بنِ عبدِ الله القَسْري ، حتى قتلوا الوليدَ بن يزيد ، وكان قد سجَنَ غالبَ منْ ببلادِه منهم ، وجعل الأرصادَ على الثغور خَوْفاً من جُندِ الخليفة ، فعزلهُ عنها أميرُ المؤمنين يزيدُ بن الوليد ، وولَّى عليها منصورَ بنَ جُمهور مع بلاد السِّنْد وسِجِسْتان وخُراسان . وقد كان منصور بن جُمهور أعرابيّاً جِلْفاً ، وكان يَدينُ بمَذْهبِ الغَيْلانيَّةِ القدَريَّة ، ولكنْ كانتْ لَهُ آثارٌ حسنة ، وعناءٌ كثير في مَقْتلِ الوَليدِ بنِ يزيد ، فحَظيَ بذلك عند يَزيدَ بنِ الوليد . ويقال : إنه لما فرَغ الناسُ من الوليد ذهب من فَوْرِهِ إلى العراق ، فأخذ البيعةَ من أهلِها إلى يزيد ، وقرَّر بالأقاليم نُوَّاباً وعُمَّالاً وكَرَّ راجعاً إلى دمشق في آخرِ رمضان ؛ فلذلك ولَّاهُ الخليفةُ ما ولَّاه . والله أعلم .

وأما يوسف بن عمر فإنَّه فرَّ من العراق ، فلَحِقَ ببلادِ البَلْقاء ، فبعث إليه أميرُ المؤمنين يزيد ، فأحضروهُ إليه ، فلما وقف بين يديه أخَذَ بلِحيَته ، وكان كبيرَ اللِّحْيةِ جدّاً ، ربما كانتْ تُجاوزُ سُرَّتَه ، وكان قصيرَ القامة ، فوبَّخهُ وأنَّبَه ثم سجنَه ، وأمرَ باستخلاصِ الحقوقِ منه . ولما انتهى منصورُ بن جُمهور إلى العراق قرأ عليهم كتابَ أميرِ المؤمنين إليهم في كيفية مَقْتل الوليد ، وأنَّ الله أخذَهُ أخْذَ عزيزٍ مُقتدِر ، وأنه قد ولَّى عليهم منصورَ بن جُمهور لما يعلمُ من شجاعتِه ومعرفتِه بالحَرْب ؛ فبايعَ أهلُ العراق ليزيدَ بنِ الوليد ، وكذلك أهلُ السِّنْد وسِجِسْتان .

وأمَّا نَصْرُ بن سَيَّار نائبُ خُراسان فإنه امتنعَ من السَّمْعِ والطاعةِ لِمَنصورِ بنِ جُمهور وأبَى أنْ ينقادَ لأوامرِهِ ، وقد كان نصرٌ هذا جَهَّزَ هدايا كبيرةً للوليدِ بن يزيد ، فاستمرَّتْ له .

وفي هذه السنة كتب مروانُ الملقب بالحِمار كتاباً إلى عمرَ بنِ يزيد أخي الوليد بن يزيد يَحُثُّه على القيامِ بطَلبِ دم أخيه الوليد ، وكان مروانُ يومئذٍ أميراً على أذْرَبيجَان وأرْمِينيَة ، ثم إنَّ يزيدَ بن الوليد عزل منصورَ بن جُمهور عن ولايةِ العراق ، وولى عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقال له : إنَّ أهل العِراقِ يُحِبُّونَ أباك ، فقد ولَّيتُكَها ، وذلك في شوال ، وكتب له إلى أُمراء الشام الذين بالعراق يوصيهم بِه خشيةَ أنْ يمتنِعَ منصورُ بن جُمهور من تسليم البلاد إليه فسلم إليه وأطاعَ وسلَّم ، وكتب الخليفةُ إلى نصرِ بن سَيَّار باستمرارِهِ بولايةِ خُراسان ، مستقِلاًّ بها فخرج عليه رجلٌ يُقالُ له الكَرْماني لأنَّهُ وُلِدَ بكَرْمان وهو أبو علي جديع بن علي بن شبيب المعني، واتبعه خلقٌ كثير ، بحيثُ إنه كان يشهَدُ الجُمعة في نحوِ ألف وخمسمئة، وكان يُسلِّمُ على نَصْرِ بن سَيَّار ولا يَجلِسُ عنده ، فتحيَّرَ نصرُ بن سيار وأمراؤه فيما يصنع به ، فاتفق رأيُهم بعدَ جَهْدٍ على سَجْنِه ، فسُجن قريباً من شهر ، ثم أطلقه ، فاجتمع إليه ناسٌ كثير ، وجَمٌّ غَفِير ، وركبوا معه ، فبعث إليهم نصرٌ مَنْ قاتلهم فقتلَهم وقهرَهم وكسرَهم ، واستخفَّ جماعاتٌ من أهلِ خَراسان

بأمرِ نَصْرِ بن سيَّار [وتلاشوا أمره وحرمته][١] وألَحُّوا عليه في أُعطياتِهم ، وأسمعوهُ غَلِيظَ ما يَكْرَه ، وهو على المِنبر بسفارةِ سَلْم بن أحوز أدنَى ذلك إليه ، وخرجت الباعَةُ من المسجد الجامع وهو يخطب ، وانفضَّ كثيرٌ من الناس عنه ، فقال لهم نصرٌ فيما قال : والله لقد نشَرْتُكم وطوَيْتُكم ، وطوَيْتُكم ونشَرْتُكم ، فما عِنْدي عشرةٌ منكم على دِين ، فاتقوا الله ، فو الله لئن اختلفَ فيكم سيفان لَيتمَنَّيَنَّ الرجلُ منكم أنْ ينخلعَ من أهلِهِ ومالِهِ وولدِه ، ولم يكنْ رآها . ثم تمثَّلَ بقولِ النابغة[٢] :

فإنْ يغلِبْ شقاؤكمُ عليكمْ ... فإني في صلاحِكُمُ سَعَيْتُ

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن الورد بن المغيرة الجعدي :

أبيتُ أرْعَى النجومَ مُرْتَفِقاً ... إذا استقلَّتْ نَحْوِي أوائِلُها
مِن فِتْنَةٍ أصبَحَتْ مُجَلِّلَةً ... قد عَمَّ أهْلَ الصلاةِ شامِلُها
مَنْ بِخُراسانَ والعراقِ ومَنْ ... بالشامِ كلٌّ شَجَاهُ شاغِلُها
يَمشي السفيهُ الذي يُعنَّفُ بالْـ ... ـجهلِ سواء فيها وعاقِلُها
فالناسُ منها في لَوْنِ مُظلِمَةٍ ... دهماءَ مُلتَجَّةٍ غَياطِلُها
والناسُ في كُرْبَةٍ يكادُ لها ... تَنْبِذُ أولادَها حوامِلُها
يغدونَ منها في كُلِّ مُبْهَمَةٍ ... عمياءَ تَغْتالُهُمْ غَوائلُها[٣]
لا يُبْصِرُ الناسُ من عواقِبِها ... إلَّا التي لا يَبِينُ قائِلُها
كرَغْوَةِ البَكْرِ أو كَصَيْحَةِ حُبْـ ... ـلَى طَرَّقَتْ حَوْلَها قَوابِلُها
فجاء فينا تُزْرِي بوجهَتِهِ ... فيها خُطوبٌ حُمْرٌ زَلازِلُهَا

وفي هذه السنة أخذ الخليفةُ البيعةَ من الأمراء وغيرِهم بولايةِ العَهْدِ من بعدِهِ لأخيه إبراهيمَ بنِ الوليد بن عبد الملك ، ثم من بعدِ إبراهيم لعبدِالعزيز بن الحجَّاج بن عبدِ الملكِ بن مروان وذلك بسبَبِ مرَضِهِ الذي ماتَ فيه ، وكان ذلك في شهرِ ذي الحِجَّةِ منها وقد حرَّضَهُ على ذلك جماعةٌ من الأمراءِ والأكابرِ والوزراء . وفيها عزَلَ يزيدُ عن إمرَةِ الحجاز يوسُفَ بنَ محمد الثقفيّ ، وولَّى عليها عبدَ العزيز بنَ عمر بن عبد العزيز ، فقَدِمهَا في أواخرِ ذي القَعْدَةِ منها .

وفيها أظهر مروانُ الحِمار الخلافَ لِيَزِيدَ بن الوليد وخرجَ من بلادِ إرْمينيَةَ يُظْهِرُ أنه يطلُبُ بدَمِ الوليدِ بن يزيد ، فلما وصل إلى حَرَّان أظهر الموافقةَ ، وبايع لأميرِ المؤمنين يزيدَ بن الوليد .

---

(١) ما بين معقوفين زيادة في (ق) ليست في (ب ، ح) .
(٢) في تاريخ الطبري (٤/ ٢٦٥) : « النابغة الذبياني » ، ولم أجده في ديوانه .
(٣) في (ق) : « تمنى لهم غوائلها » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٢٦٦) .

وفيها أرسلَ إبراهيمُ بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبا هاشم بكرَ بنَ ماهان إلى أرض خُراسان ، فاجتمع بجماعةٍ من أهلِ خُراسانَ بِمَرْو . فقرأ عليهم كتابَ إبراهيمَ بنِ محمد الإمام إليه وإليهم ، ووصيَّتَه ، فتلقَّوْا ذلك بالقَبُول ، وأرسَلُوا معَهُ ما كان عندَهم من النفقَات .

وفي سَلْخِ ذي القَعْدَة ـ وقيل في سَلْخِ ذي الحِجَّة ، وقيل لعشرٍ مضَيْنَ منه ، وقيل بعدَ الأضحى منها كانت وفاةُ أميرِ المؤمنين :

يزيدَ بنِ الوليد بنِ عبدِ الملك بنِ مروان(١)

هو يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبد الملك بنِ مروان بنِ الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بنِ قُصَيّ أبو خالد الأُمَوي ، أميرُ المؤمنين ، بُويعَ بالخِلافة أولَ ما بويع بِها في قريةِ المِزَّة من قُرَى دمشق ، ثم دخل دمشقَ فغَلَبَ عليها ، ثم أرسلَ الجيوشَ إلى ابنِ عَمِّه الوليدِ بن يزيد ، فقَتَلَهُ واستحوَذَ على الخلافةِ في أواخرِ جُمَادَى الآخرة من هذه السنة ، وكان يُلَقَّبُ بالنَّاقِص لِنَقْصِهِ الناس العشراتِ التي زادَهُمْ إياها الوليدُ بن يزيد . وقيل : إنَّما سَمَّاهُ بذلك مروانُ الحِمَار ، وكان يقول : الناقص ابن الوليد ، وأمه شاهفرند(٢) بنت فيروز بن يَزْدَجِرْد بن كِسْرَى كِسْرَوَيْه .

وقال ابنُ جرير(٣) : وأمه شاه آفريد بنت فَيْرُوز بن يَزْدَجِرْد بن (شيرويه بن)(٤) شَهْرَيار بن كِسْرَى ، وهو القائل :

أنا ابنُ كِسْرَى وأبي مروان وقيصَرٌ جَدِّي وجَدِّي خاقان

وإنما قال ذلك لأنَّ جدَّهُ فيروز لأمِّ أُمِّهِ بنت قيصر ، وأمُّ شيرويه وهي بنت خاقان ملك الترك . وكانتْ قد سباها قُتيبةُ بنُ مسلم هي وأختٌ لَها فبعثهما إلى الحجَّاج ، فأرسلَ بِهذِهِ إلى الوليد واستبقى عندَهُ الأخرى ، فولدت هذه للوليد يزيد الناقص هذا ؛ وهذه أخذها الحجاج فكانت عنده بالعراق . وكان مَوْلِدُهُ في سنةِ تسعين ، وقيل : في سنةِ ستٍّ وتسعين . وقد رَوَى عنه الأوزاعيُّ مسألةَ السَّلَم . وقد ذكرنا كيفية ولايتِهِ فيما سلَفَ في هذه السنة ، وأنه كان عادِلاً دَيِّناً مُحِبّاً للخير ، مُبْغِضاً للشر ، قاصداً للحق .

وقد خرج يومَ عيدِ الفِطْر من هذه السنة إلى صلاةِ العِيد بين صَفَّينِ من الخيَّالة ، والسيوفُ مُسَلَّلَة عن يَمِينِه وشِمالِه ، ورجع من الْمُصَلَّى إلى الخضراء كذلك . كان رجلاً صالحاً يقالُ في المثَل : الأشَجُّ

(١) انظر مصادر ترجمته في حاشية ص(٢٢٤) .
(٢) كذا في (ب ، ق) وفي (ح) : « شاهفريد » .
(٣) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٢٧٢) .
(٤) هذه الزيادة من (ب ، ح) وليست في (ق) ولا تاريخ الطبري .

والناقِصُ أعدَلا[١] بني مروان . والمُراد عمر بن عبد العزيز ، وهذا .

وقد قال أبو بكر بنُ أبي الدنيا : حدثني إبراهيمُ بن محمد المَرْوَزِيّ عن أبي عثمان اللَّيْثي قال ، قال يزيدُ بن الوليد الناقص : يا بني أمية ، إياكم والغناء ، فإنَّهُ يُنقِصُ الحياء ، وَيزيدُ في الشَّهْوَة ، ويَهْدِمُ المروءة ، وإنَّهُ لينوبُ عن الخَمْر ، ويفعَلُ ما يفعَلُ الْمُسْكِر ، فإنْ كنتُمْ لا بدَّ فاعلين ، فجَنِّبُوهُ النِّسَاء ، فإنَّهُ داعِيَةُ الزِّنا[٢] .

وقال ابن عبد الحكيم عن الشافعي : لَما ولِيَ يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له الناقص دعا الناسَ إلى القَدَر ، وحملَهُمْ عليه ، وقَرَّبَ غَيْلان . قاله ابنُ عساكر . قال : ولعلَّه قرَّبَ أصحابَ غَيْلان ، لأنَّ غيلان قتَلهُ هشامُ بنُ عبد الملك .

وقال محمد بن المبارك : آخِرُ ما تكلَّم به يزيدُ بن الوليد الناقص : واحسرتاه ! واأسفاه[٣] ! . وكان نقشُ خاتمه : العظمة لله .

وكانت وفاتُه بالخَضْراء من طاعونٍ أصابَه ، وذلك يوم السبت لسبعٍ مضَيْنَ من ذي الحِجَّة . وقيل : يوم الأضحى منه ، وقيل : بعده بأيام ، وقيل : لعشرٍ بَقِينَ منه ، وقيل : في سَلْخِه ، وقيل : في سَلْخ ذي القَعْدَة من هذه السنة . وأكثرُ ما قيل في عُمره : ستٌّ وأربعون سنة ، وقيل : ثلاثون سنة ، وقيلَ غيرُ ذلك ، فالله أعلم . وكانت مُدة ولايتِه ستةَ أشْهُر على الأشهر ، وقيل : خمسة أشهر وأيام . وصلَّى عليه أخوهُ إبراهيم بن الوليد ، وهو وليُّ العَهْدِ من بعدِه . رَحِمَهُ الله .

وذكر سعيدُ بن كثير بن عُفَير أنه دُفن بين باب الجابية وبابِ الصَّغِير . وقيل : إنه دُفن ببابِ الفَرَادِيس ، وكان أسمرَ نَحِيفاً ، حسنَ الجِسم ، حسنَ الوَجْه .

وقال علي بن محمد المديني : كان يَزِيدُ أسمرَ طويلاً صغيرَ الرأس ، بوجههِ خال ، وكان جميلاً ، وفي فَمِهِ بعضُ السَّعَةِ وليس بالمُفْرِط .

وحَجَّ بالناسِ فيها عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ بن عبد العزيز ، وهو نائبُ الحِجاز ، وأخوه عبد الله نائب العِراق ، ونصرُ بن سَيَّار على نيابةِ خُراسان[٤] . والله سبحانه أعلم .

---

(١) انظر ما تقدَّم ص(٢٢٤) حاشية (٢) من هذا الجزء .

(٢) ذكره أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ٢٨٦) ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص(٢٨٩) ، وابن قيم الجوزية في إغاثة اللهفان (١/ ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

(٣) في (ق) : « واحزناه ! واشقاآه » والمثبت من (ب ، ح) .

(٤) جاء في نهاية الصفحة (٤٥٢) وهي آخر صفحة من هذا الجزء من نسخة (ح) ما نصه : « آخر المجلد ، ويتلوه الذي بعدَه إن شاء الله تعالى من توفي في هذه السنة من الأعيان والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي =

[(١)]ومِمن تُوفِّي في هذه السنة من الأعيان :

خالد بن عبد الله بن يزيد[(٢)] بن أسد بن كُرْز بن عامر بن عَبْقَري ، أبو الهيثم البَجَليُّ القَسْرِيُّ الدمشقِيّ ، أميرُ مكَّةَ والحِجَاز للوليد ، ثم لِسُليمان ، وأميرُ العراقَيْنِ لهشام خمسَ عشرةَ سنة .

قال ابنُ عساكر : كانتْ دارُهُ بدمشق ، في مُربعة القز[(٣)] وتعرف اليوم بدار الشريف اليَزِيدي ، وإليه يُنسب الحمَّامُ الذي داخلَ بابِ تُوما .

روى عن أبيه ، عن جَدِّه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له : « يا أسَد ، أتُحِبُّ الجنَّة » ؟ قال : نعم . قال : « فأَحِبَّ للمُسلمينَ ما تُحِبُّ لِنفسِك » . رواه أبو يَعْلَى[(٤)] عن عثمانَ بنِ أبي شيبة ، عن هُشَيْم ، عن سَيَّار أبي الحكم[(٥)] ، أنه سمعه على المِنبر يقولُ ذلك[(٦)] .

وممن روى عنه إسماعيل بن أوسط ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وحبيب بن أبي حبيب ، وحُمَيد الطويل ، ورُوي أنه رَوَى عن جَدِّهِ عن النبيِّ ﷺ في تكفيرِ المرضِ الذنوبَ[(٧)] . وكانتْ أُمُّهُ نَصْرَانِيَّةً . وذكره أبو بكر بن عيَّاش في الأشراف فيمن أُمُّهُ نَصْرانيَّة .

وقال المدائني : أولُ ما عُرف من رياستِهِ أنه وَطَأَ صَبِياً[(٨)] بدمشق بفرسِه ، فحمَلَهُ ، فأشهدَ طائفةً من الناس أنه هو صاحبُه ، فإن ماتَ فعليهِ دِيَتُه .

= الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير » .

(١) جاء في بداية الصفحة الثانية من هذا الجزء من نسخة (ح) ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر وأعِنْ يا كريم ، واختم بخير في عافية » .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٣/ ١٥٨) ، الجرح والتعديل (٣/ ٣٤٠) ، الأغاني (٢٢/ ٥ ، ٢٩) ، تاريخ ابن الأثير (٥/ ١٢٤ و٢٧٦) وما بعدها ، بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٠٦٨) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٢٦) ، تهذيب الكمال (٨/ ١٠٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٦٩) .

(٣) ويقال : إن هذه المربعة بقرب القدم ، انظر الدارس (١/ ٤٣١) .

(٤) في (ق) : « عن سيار من أبي الحكم » تحريف ، وسيار هو أبو الحكم ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر تخريج الحديث .

(٥) في مسنده رقم (٩١١) .

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على مسند أبيه (٤/ ٧٠) ، وأبو الحسين بن قانع في معجم الصحابة (١/ ٤٢) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٨٦) (٧٣١٣) وهو حديث حسن .

(٧) رواه عبد الله بن أحمد في زيادته على مسند أبيه ٤/ ٧٠ ، والطبراني في المعجم الكبير رقم (١٠٠٢) وهو حديث حسن .

(٨) في (ح) : « أوطى ذمّيّاً » .

وقد استنابَهُ الوليدُ على الحجاز من سنةِ تسعٍ وثمانين إلى أنْ تُوفِّيَ الوليد ، ثم سليمان من بعده . وفي سنة ستٍّ ومئة استنابَهُ هشامٌ على العراق إلى سنةِ عِشرينَ ومئة ، وسلَّمه إلى يوسف بن عمر الذي وَلَّاه مكانَهُ ، فعاقبَهُ وأخذَ منه أموالاً ، ثم أطلقَهُ ، وأقام بدمشق إلى المحرَّم من هذه السنة ، فسلَّمَهُ الوليدُ بن يزيدَ إلى يوسفَ بنِ عمرَ يستخلِصُ منه خمسين ألف ألف ، فماتَ تحتَ العُقوبةِ البليغة ، كسَرَ قدَمَيْه ثم ساقَيْه ثم فَخِذَيه ، ثم صدرَه ، فمات ولم يتكلَّمْ كلمةً واحدة ، ولا تَأَوَّهَ حتى خرَجَتْ رُوحُه . رَحِمهُ الله .

قال العُتْبي[1] عن أبيه خطَبَ خالدٌ القَسْريُّ يوماً فأُرْتِجَ عليه فقال : أيُّها الناس ، إنَّ هذا الكلامَ يَجِيءُ أحياناً ، ويعزُبُ أحياناً ، فيتَسبَّبُ عندَ مجيئِهِ سَبَبُهُ ، ويتعذَّرُ عندَ عُزوبِهِ مَطْلَبُه ، وقدُ يرَدُّ إلى السَّلِيطِ بَيانُه ، ويُنِيبُ[2] إلى الحَصِرِ كلامُه ، وسيعودُ إلينا ما تُحِبُّون ، ونعودُ لكم كما تُريدون .

وقال الأصمعي وغيرُه : خطَبَ خالدٌ القَسْرِيُّ يوماً بواسطَ فقال : يا أيها الناس ، تنافسوا في المَكَارِمِ ، وسارعوا إلى المغانم ، واشتروا الحمدَ بالجُود ، ولا تَكْتَسِبوا بالمَطْلِ ذَمّاً ، ولا تعتدُّوا بمعروفٍ لم تُعَجِّلوه ، ومهما تكنْ لأحدٍ منكم نعمةٌ عندَ أحدٍ لم يبلُغْ شكرَها ، فالله أحسَنُ له جزاءً ، وأجزَلُ عطاءً . واعلموا أنَّ حوائجَ الناسِ إليكم نِعَمٌ فلاتَمَلُّوها ، فتُحَوَّلُ نِقَماً ، فإن أفضلَ المالِ ما كَسبَ أجراً ، وأورَثَ ذِكْراً . ولو رأيتم المعروفَ لرأيتموه رجلاً حسناً جميلاً ، يسرُّ الناظرين ، ويفوق العالمين ، ولو رأيتُم البُخْلَ لرأيتموهُ رجلاً مشوَّهاً قَبِيحاً ، تَنْفِرُ منهُ القلوب ، وتُغَضُّ دونه الأبصار ، إنَّهُ مَنْ جادَ ساد ، ومَنْ بَخِلَ ذَلّ . وأكرمُ الناسِ مَنْ أعطَى مَنْ لا يَرْجُوه ، ومَنْ عَفَا عن قُدْرَة ، وأفضلُ الناسِ مَنْ وَصَلَ عن قَطِيعَة . ومَنْ لم يَطِبْ حَرْثُه ، لم يَزْكُ نَبْتُه ، والفُروعُ عندَ مغارِسِها تَنْمو ، وبأُصولِها تسمو .

وروى الأصمعي عن عمر بن الهيثم ، أنَّ أعرابيّاً قَدِمَ على خالد فأنشدَهُ قصيدةً امتدَحَهُ بِها يقول فيها :

إليكَ ابنَ كُرْزِ الخَيْرِ أقبلتُ راغباً ... لتَجبُرَ منِّي ما وَهَى وتَبَدَّدا
إلى الماجِدِ البُهْلولِ ذي الحلمِ والنَّدَى ... وأكرَمِ خَلْقِ اللهِ فَرْعاً ومَحْتِدَا
إذا ما أُنَاسٌ قَصَّروا بفِعَالِهِم ... نَهَضْتَ فلم تَلْقَى هنالِكَ مَقْعَدَا
فيالَكَ بَحْراً يَغْمُرُ الناسَ مَوْجُهُ ... إذا يُسألُ المعروفَ جاشَ وأزْبَدَا
بَلَوْتُ ابنَ عبدِالله في كُلِّ مَوْطِنٍ ... فألفَيْتُ خيرَ الناسِ نفساً وأمْجَدَا
فلو كان في الدنيا من الناسِ خالدٌ ... يَجُودُ بمعروفٍ لكنتَ مُخَلَّدَا
فلا تَحْرِمَنِّي منكَ ماقَدْ رَجَوْتُهُ ... فيصبحَ وجهي كالِحَ اللَّوْنِ أرْبَدَا

قال : فحَفِظَها خالد ، فلما اجتمع الناسُ عندَ خالد قام الأعرابيُّ يُنْشِدها ، فابتدَرَهُ إليها خالدٌ فانشدَها

---

(١) في بعض النسخ : « الليثي » وهو تحريف . والخبر رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦/ ١٤١ .

(٢) في بعض النسخ : « ويثيب » ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ دمشق .

قبلَه وقال : أيُّها الشيخ ، إنَّ هذا شعرٌ قد سبقْناكَ إليه ، فنَهَضَ الشيخ ، فولَّى ذاهباً ، فأتْبَعَهُ خالدٌ مَنْ يَسْمَعُ مايقول ، فإذا هو يُنشِد هذه الأبيات :

ألا في سبيل الله ما كنتُ أرْتَجِي ... لـدَيْـهِ ومـا لاقَيْتُ مِـنْ نَكَـدِ الجَهْـدِ
دخلـتُ علـى بَحْـرٍ يَجُـودُ بِمـالِـه ... ويُعْطِي كثيرَ المالِ في طلَبِ الحَمْدِ
فخـالَفَنـي الجَـدُّ المَشُـومُ لِشِقْـوَتـي ... وقـارَبَنِـي نَحْسِـي وفـارَقَنِـي سَعْـدِي
فلـو كـان لـي رِزْقٌ لَـدَيْـهِ لَنِلْتُـهُ ... ولكنَّـهُ أمْـرٌ مـنَ الـواحِـدِ الفَـرْدِ

فرَدَّهُ إلى خالد ، وأعلمَهُ بما كان يقول ، فأمر لَهُ بعشرةِ آلافِ درهم[١] .

وقال الأصمعي : سأل أعرابيٌّ خالداً القَسْرِيَّ أنْ يَمْلأ له جِرَابَهُ دقِيقاً ، فأمرَ بِمَلْئِهِ دراهم ، فقيل للأعرابي حين خرج : ما فعلَ معك ؟ فقال ؛ سألتُهُ بما أشتهي فأمَرَ لي بما يَشْتَهِي هو .

وقال بعضُهم : بينما خالدٌ يَسِير في مَوْكِبه إذْ تلَقَّاهُ أعرابيٌّ فسألَهُ أنْ يَضْرِبَ عُنقَه ، فقال : وَيْحَك ! ولِمَ ؟ أقطَعْتَ السَّبِيل ؟ أأخرجتَ يداً من طاعَة ؟ فكلُّ ذلك يقول : لا . قال : فلِمَ ؟ قال : من الفقرِ والفاقة . فقال : سَلْ حاجتَك . قال : ثلاثين ألفاً ، فقال خالد : ما رَبِحَ أحَدٌ مثلَ ما ربحتُ اليوم . إني وضعتُ في نفسي أنْ يسألَني مئةَ ألف ، فسأل ثلاثين فربحتُ سبعين ، ارجِعُوا بنا اليوم . وأمَرَ لَهُ بثلاثين ألفاً .

وكان إذا جلس تُوضَعُ الأموالُ بين يديه ويقول : إنَّ هذِهِ الأموالَ ودائعُ لا بُدَّ من تَفرِقَتِها .

وسقَطَ خاتمٌ لجاريتِهِ رائقة[٢] يُساوي ثلاثين ألفاً في بالوعَةِ الدار ، فسألتْ أنْ تؤتَى بِمَنْ يَستخرجُه ، فقال : إنَّ يدَكِ أكرَمُ عليَّ من أنْ تلبَسَهُ بعدَما صارَ إلى هذا المَوْضِعِ القَذِر . وأمرَ لها بخمسةِ آلافِ دينارٍ بدَلَه ، وقد كان لرائقةَ هذِهِ من الحُلِيِّ شيٌ عظيم ، من جملةِ ذلك ياقوتةٌ وجوهرة ، كلُّ واحدةٍ بثلاثةٍ وسبعين ألف دينار .

وقد روى البخاري في كتاب « أفعال العباد »[٣] وابنُ أبي حاتم في كتاب السُّنَّة وغيرُ واحدٍ مِمَّنْ صنَّفَ في كُتُبِ السُّنَّة أنَّ خالد بن عبد الله القَسْري خطبَ الناسَ في عيدِ أضحى ، فقال : أيُّها الناس ، ضَحُّوا يَقبَلُ اللهُ ضحاياكم ، فإنِّي مُضَحٍّ بالجَعْدِ بن دِرْهَم ، إنهُ زعَمَ أنَّ اللهَ لم يَتَّخِذْ إبراهيمَ خليلاً ، ولم يُكلِّمْ موسى

---

(١) الخبر والشعر في بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٠٧٩) .
(٢) في (ح ، ق) : « رابعة » ، والمثبت من « ب » وتاريخ دمشق ١٦/ ١٥٠ وبغية الطلب (٧/ ٣٠٨٢) .
(٣) هو كتاب « خلق أفعال العباد » في صفحة (٢٩) ، وقد سبق للمؤلف أن ذكره في الجزء التاسع ص(٣٥٠) من نسخة (ق) .

تَكْلِيماً ، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الجعدُ بن دِرْهَم عُلُوّاً كبيراً . ثم نزَلَ فذبحَهُ في أصلِ المِنْبَر[١] .

قال غيرُ واحدٍ من الأئمة : كان الجعدُ بنُ دِرْهَم من أهلِ الشام ، وهو مؤدِّبُ مروانَ الحِمار ، ولهذا يُقالُ له مروان الجَعْدِي ، فنُسب إليه ، وهو شيخُ الجَهْمِ بنِ صفوانَ الذي تُنسَب إليه الطائفةُ الجهميةُ الذين يقولون : إنَّ الله في كلِّ مكان بذاتِه ، تعالى الله عمَّا يقولونَ عُلُوّاً كبيراً .

وكان الجعدُ بن درهم قد تلَقَّى هذا المذْهبَ الخبيثَ عن رجلٍ يُقالُ له أبَان بن سمعان ، وأخذه أبَانُ عن طالوت ابن أُختِ لَبيد بن أعْصَم ، عن خالِهِ لبيدِ بن أعصَم اليهودي ، الذي سَحَرَ النبيﷺ في مُشْط ومُشَاطَة ، وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ له[٢] ، وتحتَ راعُوفَةٍ ببئرِ ذي أرْوَان[٣] الذي كان ماؤها نُقَاعَة الحِنَّاء[٤] ، وقد ثَبَتَ الحديثُ بذلك في الصحيحَيْن وغيرهما[٥] وجاء في بعض الأحاديث أن الله تعالى أنزل بسبب ذلك سورتَي المعوِّذتَيْن .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي ، سمعتُ أبا بكر بن عياش قال : رأيتُ

---

(١) سبقت الإشارة إلى رواية البيهقي وابن عساكر لخبر قتله في الصفحة المشار إليها في الحاشية السابقة من البداية والنهاية نسخة (ق) ، ويضاف إلى مصادر التخريج أبو القاسم اللالكائي في كتابه اعتقاد أهل السنة (٢/٣١٩)(٥١٢) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/١٥٨) في ترجمة خالد القسري ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٢٥) ، والمزي في تهذيب الكمال (٨/ ١١٨) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٢) .

(٢) في (ق) : « وماشطة » ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر تخريج الحديث ، ومُشَاطة : بضم الميم ، وهي الشعرُ الذي يسقطُ من الرأس أو اللحية عند تسريحِه ، وأما الْمُشط ففيه لغات : مُشْط ومُشُط ومِشْط ، وأما قوله « وجف » ، وفي رواية : « جب » بالجيم وبالباء الموحدة ، وهما بمعنى ، وهو وِعَاءُ طَلْع النخل ، وهو الغشاء الذي يكون عليه ، ويُطلق على الذكر والأنثى ، فلهذا قيَّدَهُ في الحديث بقوله : « طلعة ذكر » ، وهو بإضافة طَلْعَةٍ إلى ذكر ، والله أعلم ، ووقع في البخاري من رواية ابن عُيينة « ومشاقة » بالقاف بدل « مشاطة » وهي الْمُشاطة أيضاً ، وقيل : مُشَاقَةُ الكَتَان . شرح النووي (١٤/ ١٧٧) .

(٣) راعوفة البئر : صخرة تترك في أسفل البئر إذا احتُفرت ، تكونُ ثابتةً هناك ، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنْقِي عليها ، ويقال : بل هو حجرٌ ناتىء في بعض البئر يكون صُلباً ، لايمكنهم حفره فيُترك على حاله ، ويقال : هو حجرٌ يكون على رأس البئر يقوم عليه المستقي . وقد روى بعض المحدِّثين هذا الحديث أنه جعل سِحرَهُ في جُب طلعة ، ولا أعرف الجُبَّ إلا البئر التي ليست بمطوية ، ولا أرى المحفوظ في الحديث إلا الجف ـ بالفاء . قال أبو عبيد : يقال : أرعُوفة البئر وراعُوفه . غريب الحديث لابن سلام (٢/ ٢٦٨) . وبئر ذي أروان : ووقع في بعض روايات البخاري « ذروان » وكلاهما صحيح ، والأول أجود وأصحّ ، وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق . شرح النووي (١٤/ ١٧٧) .

(٤) النُّقاعة ، بضم النون : الماء الذي يُنقَع فيه الحناء ، شرح النووي (١٤/ ١٧٧) .

(٥) صحيح البخاري (٥/ ٢١٧٤ و٢١٧٦) (٥٤٣٠ و٥٤٣٣) ومسلم (٤/ ١٧٢٠)(٢١٨٩) ، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦)(٦٥٨٣ و٦٥٨٤) .

خالداً القَسْريَّ حين أُتِيَ بالمغيرة وأصحابِه ، وقد وُضع له سريرٌ في المسجد ، فجلس عليه ثم أمر برجلٍ من أصحابه فضُرِبَتْ عُنقه ، ثم قال للمغيرة بن سعيد : أحْيِه ـ وكان المغيرةُ يزعمُ أنَّهُ يُحْيي الموتى ـ فقال له : واللهِ ـ أصلحك الله ـ ما أحيي الموتى . قال : لتُحيينَّهُ أو لأضربن عنقك . قال : والله ما أقدِرُ على ذلك . ثم أمَرَ بِطنِّ قَصَبٍ فأضرموا فيه ناراً ، ثم قال للمغيرة : اعتَنِقْهُ . فأبَى ، فعدا رجلٌ من أصحابِهِ فاعتنَقَه ، قال أبو بكر : فرأيتُ النارَ تأكلُهُ وهو يُشِيرُ بالسَّبَّابة . قال خالد : هذا واللهِ أحَقُّ بالرِّياسةِ منك . وقتلَ أصحابَه .

وقال المدائني : أُتِي خالدُ بنُ عبدِ الله برجلٍ تنبَّأ بالكوفة ، فقيل له : ما علامةُ نُبُوَّتِك ؟ قال : قد أُنْزِلَ عليَّ قرآن . قيل : ما هو ؟ قال : إنَّا أعطيناكَ الجماهر ، فصلِّ لربِّكَ ولا تُجَاهِرْ ، ولا تُطِعْ كلَّ كافرٍ وفاجر . فأمَرَ به فصُلب ، فقالَ وهو يُصْلَب : إنا أعطيناكَ العَمُود ، فصلِّ لِرَبِّكَ على عُود ، فأنا ضامِنٌ لكَ ألاَّ تَعُود .

وقال المبرِّد : أُتِيَ خالدٌ بشابٍّ قد وُجد في دارِ قَوْم ، وادُّعِيَ عليه السرقة ، فسألَهُ ، فاعترَف ، فأمرَ بقطعِ يدِه ، فتقدَّمَتْ حَسْناءُ فقالت :

أخالدُ قد أُوطِئتَ واللهِ عَشْوَةً[1] ... وما العاشقُ المسكينُ فينا بسارِقِ
أقرَّ بما لم يَجْنِهِ غيرَ أنَّهُ ... رأى القَطْعَ أولَى من فَضِيحةِ عاشِقِ[2]

فأمر خالدٌ بإحضارِ أبيها ، فزَوَّجها من ذلك الغلام ، وأمهَرها عنه عشرةَ آلافِ درهم .

وقال الأصمعي : دخل أعرابيٌّ على خالدٍ فقال : إني قد مدَحْتُكَ ببيتَيْن ، ولستُ أُنشِدُهما إلاَّ بعشرةِ آلاف وخادِم . فقال : نعَمْ . فأنشأ يقول :

لَزِمْتَ نَعَمْ حتى كأنَّكَ لم تكُنْ ... سمعتَ من الأشياءِ شيئاً سوى نَعَمْ
وأنكرتَ لا حتى كأنَّكَ لم تكنْ ... سمعتَ بها في سالفِ الدَّهْرِ والأُمَمْ

قال : فأمرَ له بعشرةِ آلاف درهم وخادمٍ يَحمِلُها .

قال : ودخل عليه أعرابيٌّ فقالَ له : سَلْ حاجَتَك . فقال : مئةَ ألف . فقال : أكثَرْتَ ، حُطَّ منها .

---

(١) في (ق) : « عثرة » وفي (ح) : « عزة » ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من (ب) ، ومعناه مِنْ أَوطأه العَشْوَةَ وعَشْوةً : أي أَرْكَبَه على غير هُدىً . يقال : مَنْ أَوطأكَ عَشْوةً ؟ وأَوطأْتُه الشيءَ فَوَطِئَه . والوَطْأَةُ : موضع القَدَم . وقالوا في المثل « أوْطاَتَه العَشْوة » : إذا سامه أمراً ملتبساً يَغْترُّ به ، لأن مَنْ وطِىءَ الظلمةَ يطأُ مالايُبْصره ، فربما تردَّى في هُوَّة أو وضع قدمه على هامَّة . الفائق للزمخشري (١/ ٨٦) ، واللسان (وطأ) .

(٢) الخبر والبيتان في تاريخ دمشق (١٦/ ١٥٠) المستطرف لابن حجة الحموي (١/ ٤٥٣) .

قال : أضعُ تسعين ألفاً فتعجَّبَ منه خالد ! فقال : أيها الأمير ، سألتُك على قَدْرِك . ووَضَعْت على قدري ، فقال له : لن تغلِبَني أبداً ، وأمرَ له بمئةِ ألف .

قال : ودخلَ عليه أعرابيٌّ فقال : إنِّي قد قلتُ فيك شعراً وأنا أستصغِرُهُ فيك ، فقال : قُلْ . فأنشأ يقول :

تعرَّضتَ لي بالجُودِ حتى نعَشْتَني ... وأعطيتَني حتى ظَنَنْتُكَ تَلْعَبُ
فأنتَ الندَى وابنُ الندَى وأخو الندَى ... حليفُ الندى ما للنَّدَى عنكَ مَذْهَبُ

فقال : سَلْ حاجتَك . قال : عليَّ خمسونَ ألفَ دينار . فقال : قد أمرتُ لك بها وأضْعَفْتُهَا لك[١] . فأعطاهُ مئةَ ألف .

قال أبو الطيب محمدُ بن إسحاق بن يحيى الوَشَّاء[٢] : دخل أعرابي على خالدٍ القَسْرِيِّ فأنشده :

كتبتَ نَعَمْ ببابِكَ فهي تَدْعُو ... إليكَ الناسَ مُسْفِرَةَ النِّقَابِ
وقلتَ لِلاعليكِ بِبابِ غَيْرِي ... فإنَّكِ لَنْ تَرَيْ أبداً بِبَابِي

قال : فأعطاهُ على كلِّ بيتٍ خمسين ألفاً .

وقد قال فيه ابنُ مَعِين : كان رَجُلَ سَوْء ، يَقَعُ في عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِي الله عنه .

وذكر الأصمعيُّ عن أبيه ، أنَّ خالداً حَفَرَ بئراً بمكة ادَّعَى فَضْلَها على زَمْزَم . وله في رواية عنه تفضيلُ الخليفةِ على الرسول ، وهذا كفر ، إلا أنْ يُريدَ بكلامِهِ غيرَ ما يَبْدو منه ، والله أعلم . والذي يَظْهَر أنَّ هذا لا يَصِحُّ عنه ، فإنَّهُ كان قائماً في إطفاءِ الضَّلال والبِدَع كما قدَّمنا من قَتْلِهِ للجَعْدِ بنِ دِرْهَم وغيرِهِ من أهلِ الإلحاد .

وقد نَسَبَ إليه صاحبُ العِقْد أشياءَ لا تَصِحّ ، لأنَّ صاحبَ العِقْد كان فيه تشَيُّعٌ شَنِيع ، ومُغَالاةٌ في أهلِ البيت ، وربما لا يَفْهَمُ أحدٌ من كلامِهِ ما فيه من التشيُّع . وقد اغترَّ بِهِ شيخنا الذهبي فمَدَحَهُ بالحِفْظِ وغيرِه .

وقد ذكر ابنُ جرير وابنُ عساكر وغيرُهما[٣] أن الوليدَ بن يزيد كان قد عزَمَ على الحَجِّ في إمارتِه ، فمن نِيَّتِهِ أن يشربَ الخمرَ على ظهرِ الكعبة ، فلما بلغ ذلك جماعةً من الأمراء اجتمعوا على قتلِه ، وتوليةِ غيرِهِ

---

(١) في (ب ، ح) : « وشفعتها لك » .

(٢) في (ق) : « الوساى » ، تصحيف ، وهو محمد بن إسحاق أبو الطيب النحوي ، يعرف بابن الوشاء ، كان من أهل الأدب ، حسن التصانيف ، مليح الأخبار ، وحدث عن عبد الله بن أبي سعد الوراق وأبي العباس ثعلب ، والمبرد وطبقته ، روت عنه منية جارية خلافة أم ولد المعتمد على الله . تاريخ بغداد (١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤) .

(٣) انظر مختصر تاريخ ابن عساكر (٧/ ٣٨٤) ، وما تقدم ص(٢١٩) من هذا الجزء .

من الجماعة ، فحَذَّرَ خالدٌ أميرَ المؤمنين منهم ، فسأله أن يُسمِّيَهم فأبى عليه ، فعاقبه عقاباً شديداً ، ثم بعث بهِ إلى يوسفَ بن عمر ، فعاقبه حتى ماتَ شرَّ قِتْلَةٍ وأسوَإِها ، وذلك في مُحَرَّم من هذه السنة . أعني سنةَ ستٍّ وعشرين ومئة .

وذكره القاضي ابنُ خَلِّكَان في الوفيات وقال[١] : كان مُتَّهماً في دينِه ، وقد بَنَى لأُمِّهِ كَنِيسةً في دارِهِ ، فنال منه بعضُ الشعراء بسببِ ذلك[٢] .

وقال صاحبُ الأعيان[٣] : كان في نسبِهِ يهود ، فانتمَوْا إلى العرب ، وكان يقرب إلى شِقٍّ وسَطِيح ، قال القاضي ابن خَلِّكان[٤] : وقد كانا ابنَي خالة ، وعاش كلٌّ منهما ستَّ مئة ، ووُلِدَا في يومٍ واحِد ، وذلك يوم ماتتْ طريفة بنت الخير بعدَما تفلَتْ في فمِ كلٍّ منهما وقالت : إنَّهُ سيقومُ مقامي في الكَهَانة . ثم ماتَتْ من يومِها .

وممن توفي في هذه السنة :

جَبَلَةُ بن سُحَيم[٥] .

ودَرَّاج أبو السَّمْح[٦] .

وسعيد بن مسروق[٧] في قول .

وسليمان بن حَبِيب المحاربي قاضي دمشق[٨] .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/٢٢٨) .

(٢) وهو الفرزدق في قوله :

ألا قبح الرحمن ظهر مطية ... أتتنا تهادى من دمشقَ بخالدِ
وكيف يؤمُّ الناسَ مَنْ كانتِ امُّهُ ... تَدِينُ بأنَّ الله ليس بواحدِ
بَنَى بيعَةً فيها الصليبُ لأُمِّهِ ... وَيَهْدِمُ من بغضٍ منارَ المساجدِ

انظر وفيات الأعيان (٢/٢٢٨ ، ٢٢٩) . وانظر ديوان الفرزدق ص(٢٦) فروايته « وهدَّم من بغض الصلاةِ المساجدا » .

(٣) هو ابن خلِّكان السابق ذكره في الوفيات (٢/٢٣٠) .

(٤) في وفيات الأعيان (٢/٢٣٠) .

(٥) ترجمته في التاريخ الكبير (٢/٢١٩) ، الجرح والتعديل (١/١٣٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/٣١٥) .

(٦) هو ابن سمعان ، ترجمته في التاريخ الكبير (٣/٢٥٦) ، الجرح والتعديل (٣/٤٤١) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٨٩) ، تهذيب الكمال (٨/٤٧٧) ، تقريب التهذيب ص(٢٠١) .

(٧) ترجمته في التاريخ الكبير (٣/٥١٣) ، الجرح والتعديل (٤/٦٦) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٦٧) .

(٨) ترجمته في التاريخ الكبير (٤/٦) ، الجرح والتعديل (٤/١٠٥) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١١٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/٣٠٩) .

وعبد الرحمن بن قاسم شيخ مالك .

وعبيد الله بن أبي يزيد[١] .

وعمرو بن دينار[٢] . وقد ذكرنا تراجِمَهم في كتاب« التكميل » .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومئة

استُهلَّت هذه السنةُ والخليفةُ إبراهيم بن الوليدِ بن عبدِ الملك بوَصِيَّةٍ أخيه يزيدَ الناقصِ إليه ، ومبايَعَةِ الأمراءِ له بذلك ، وجميعِ أهلِ الشام ، إلاَّ أهلَ حِمص فلم يُبايعوه ، وقد تقدَّمَ أنَّ مروانَ بن محمد الملقَّبَ بالحِمار كان نائباً بأذْرَبيجَانَ وإرْمينيَة ، وتلك كانتْ لأبيه من قبلِه ، وكان نَقَمَ على يزيدَ بن الوليد في قَتْلِهِ الوليدَ بن يزيد ، وأقبل في طلبِ دَمِ الوليد ، فلما انتهَى إلى حَرَّان أنابَ وبايَعَ يزيدَ بنَ الوليد ، فلم يلبَثْ إلاَّ قليلاً حتى بلغَهُ موتهُ ، فأقبل في أَهلِ الجزيرة ، حتى وصل قِنَّسْرِين ، فحاصرَ أهلَها فنزَلوا على طاعته ، ثم أقبلَ إلى حمص وعليها عبدُ العزيز بن الحجَّاج من جهةِ أميرِ المؤمنين إبراهيمَ بنِ الوليد ، فحاصرهم حتى يبايعوا لإبراهيم بنِ الوليد ، وقد أصرُّوا على عدَمِ مُبايعته ، فلما بلغ عبدَ العزيز قربُ مروانَ بنِ محمد ترحَّلَ عنها ، وقدم مروانُ إليها ، فبايعوه وساروا معَهُ قاصِدينَ دمشق ، ومعهم جندُ الجزيرة وجُندُ قِنَّسْرِين ، فتوجَّهَ مروانُ إلى دمشقَ في ثمانينَ ألفاً وقد بعث إبراهيمُ بن الوليد سليمانَ[٣] بنَ هشام بن عبد الملك في مئةٍ وعشرينَ ألفاً ، فالتقى الجيشان عندَ عَيْنِ الجَرّ[٤] من البِقَاع ، فدعاهُمْ مروانُ إلى الكفِّ عن القتال ، وأن يتخلَّوْا عنِ ابنَيِ الوليد بن يزيد ، وهما الحكم وعثمان اللذان قد أخذَ العهدَ لهما ، وكان يزيدُ قد سجنَهما بدمشق ، فأبَوْا عليه ذلك . فاقتتلوا قِتالاً شديداً ، من حين ارتفاعِ النهار إلى العصر ، وبعثَ مروانُ سريةً تأتي جيشَ سليمان بن هشام من ورائهم ، فتمَّ لهم ما أرادوه ، وأقبلوا من ورائهم يُكَبِّرون ، وحَمَلَ الآخرون من تلقائهم عليهم ، فكانتِ الهزيمةُ في أصحابِ سليمان ، فقتَلَ منهم أهلُ حمصَ خلقاً كثيراً ، واستُبيح عسكرُهم ، وكان مقدارُ ما قُتل من أهلِ دمشقَ في ذلك اليوم قريباً من سبعة عشر ألفاً أو ثمانيةَ عَشرَ ألفاً ، وأُسر منهم مثلُهم ، فأخذ عليهم مروانُ البيعة للغلامَيْنِ ابنَيِ الوليد الحكمِ

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٥/ ٤٠٣) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤٢) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٦/ ٣٢٨) ، الجرح والتعديل (٦/ ٢٣١) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٠) .

(٣) سقطت كلمة « سليمان » من نسخة (ق) ، وهو تحريف شنيع ، وأثبتُّها من (ب ، ح) ، وروي الخبر مفصلاً في تاريخ الطبري (٤/ ٢٧٤) .

(٤) الجَرّ ، بالفتح والتشديد : وهو في الأصل الجبل ، وعين الجر : جبلٌ بالشام ، من ناحية بَعْلَبَكّ . معجم البلدان (٢/ ١٢٤) .

وعثمان ، وأطلقَهم كلَّهم سوى رجلَيْن ، وهما يزيدُ بن العقار ، والوليد بن مصَاد الكلبيَّان ، فضربَهما بين يديه بالسياط وحبسهما ، فماتا في السجن ، لأنهما كانا مِمَّنْ باشرَ قتلَ الوليد بن يزيد حين قُتل . وأمَّا سليمان بن هشام وبقيةُ أصحابه فإنهم استمرُّوا منهزمين ، فما أصبحَ لهم الصبحُ إلا بدمشق فأخبروا أميرَ المؤمنين إبراهيم بن الوليد بما وقع ، فاجتمع معهم رؤوس الأمراء في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجَّاج ، ويزيد بن خالد بن عبد الله القَسْري وأبو علاقة السَّكْسَكي ، والأصبغ بن ذؤالة الكلبي ، ونظراؤهم ، على أن يَعمِدوا إلى قتل ابني الوليد الحكم وعثمان خشيةَ أن يَلِيَا الخلافةَ فيُهْلِكا مَنْ عاداهما وقَتَل أباهما ، فبعثوا إليهما يزيدَ بن خالد بن عبد الله القسري فعمد إلى السجن وفيه الحكم وعثمان ابنا الوليد وقد بَلَغا ، ويقال : ولد لأحدِهما ولد ، فشدَخهما بالعُمُد ، وقتَلَ يوسفَ بن عُمر وكان مسجوناً معَهما ، وكان في سجنِهما أيضاً أبو محمد السفياني ، فهرب فدخل في بيتٍ داخلَ السجن ، وجعل وراء البابِ رَدْماً فحاصروه ، فامتَنع ، فأتَوْا بنارٍ ليحرقوا الباب ، ثم اشتغلوا عن ذلك بقُدومِ مروانَ بنِ محمد وأصحابِه إلى دمشق في طلب المنهزمين .

ذكرُ دخولِ مروانَ الحمار دمشقَ وولايَتِه الخلافةَ وعزلِهِ إبراهيمَ بنِ الوليدِ عنها

لما أقبل مروانُ بِمَنْ معَه من الجُنود من عينِ الجَرّ ، واقتربَ من دمشق وقد انهزمَ أهلُها بين يديه بالأمس ، هرَبَ إبراهيمُ بن الوليد ، وعمَدَ سليمانُ بن هشام إلى بيت المال ففتحه وأنفَقَ ما فيه على أصحابِه ومَنِ اتَّبَعَهُ من الجيوش ، وثار موالي الوليدِ بن يزيد إلى دارِ عبد العزيز بن الحجَّاج فقتلوه فيها وانتهبوها ، ونبَشوا قبرَ يزيدَ بنِ الوليد وصلبوه على بابِ الجابية ، ودخل مروانُ بن محمد دمشق فنَزَل في أعاليها ، وأُتِي بالغلامَيْن الحكم وعثمان وهما مقتولان ، وكذلك يوسف بن عمر ، فأمرَ بهم فدُفنوا ، وأُتِيَ بأبي محمد السُّفياني وهو في كُبوله ، فسلَّمَ على مروانَ بالخلافة ، فقال مروان : مَهْ . فقال : إنَّ هذَيْنِ الغلامَيْنِ جعَلاها لك من بعدِهما . ثم أنشد قصيدةً قالها الحكَمُ في السِّجْن ، وهي طويلة منها قوله :

ألا مَـنْ مُبلـغٌ مـروانَ عَنِّـي ... وعَمِّي الغَمْرَ طالَ بِذا حَنِينَا
بأنِّي قد ظُلمتُ وصارَ قومي ... علـى قَتْـلِ الـوليـد متـابعينـا
فإنْ أهْلِكْ أنا ووليُّ عَهْدِي ... فمَـــروانٌ أميــرُ المــؤمنينــا

ثم قال أبو محمد السُّفياني لمروان : ابْسُطْ يدَك . فكان أولَ مَنْ بايَعَهُ بالخِلافة معاويةُ[1] بن يزيد بن

(١) في (ق) : « فمعاوية » ، فعلى هذا يكون السفياني أول من بايعه ، ولكنْ ليست الفاء في (ب ، ح) ولا في تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٠) ، ولفظه : « فكان أول من نهض معاوية . . . » والخبر والقصيدة فيه بتمامها .

حصين بن نمير ، ثم بايعه رؤوس أهلِ الشام من أهلِ دمشقَ وحمصَ وغيرِهم ، ثم قال لهم مروان : اختاروا أُمرَاء نُوَلِّيهمْ عليكم . فاختار أهلُ كلِّ بلَدٍ أميراً فوَلَّاهُ عليهم . فعلى دمشق زامِلُ بن عمرو الحُبْراني ، وعلى حمص عبد الله بن شجرة الكِنْدي ، وعلى الأُرْدُنِّ الوليد بن معاوية بن مروان ، وعلى فِلَسْطين ثابت بن نعيم الجذامي ، ولما استوَتِ الشامُ لمروانَ بن محمد رجَعَ إلى حَرَّان ، وعند ذلك طلَبَ منه إبراهيمُ بن الوليد الذي كان خليفةً وابنُ عمِّه سليمان بن هشام الأمانَ فأمَّنَهُما ، وقَدِمَ عليه سليمانُ بن هشام في أهلِ تدمرَ فبايَعُوه ، ثم لما استقرَّ مروانُ في حَرَّان أقامَ فيها ثلاثةَ أشهر ، فانتقضَ عليه ما كان انبرم له من مُبايعة أهل الشام ، فنقَضَ أهلُ حمصَ وغيرُهم ، فأرسلَ إلى أهلِ حمصَ جيشاً فوافَوْهُمْ ليلةَ عيدِ الفِطْر من هذه السنة ، وقَدِمَ مروانُ إليها بعد الفِطْرِ بيومَيْن ، فنازَلها مروانُ في جنودٍ كثيرة ، ومعه يومئذٍ إبراهيمُ بن الوليد المخلوع ، وسليمانُ بن هشام وهُما عندَهُ مُكَرَّمانِ خَصِيصَان ، لايَجلِسُ إلَّا بِهما وقتَ الغَدَاء والعَشَاء ، فلما حاصَرَ حمصَ نادَوْه : إنَّا على طاعَتِك . فقال : افتحوا بابَ البلد . ففتحوه ، ثم كان منهم بعضُ القتال ، فقُتل منهم نحو الخمسمئة ، أو الست مئة ، فأمَرَ بِهم فصُلِبوا حولَ البَلَد ، وأمَرَ بِهَدْمِ بعضِ سُورِها .

وأمَّا أهلُ دمشق ، فأمَّا أهلُ الغُوطة فحاصروا أميرَهم زاملَ بن عمرو ، وأمَّروا عليهم يزيدَ بن خالد القَسْري . وثبت في المدينةِ نائبُها ، فبعث إليه أمير المؤمنين مروان من حمص عسكراً نحوَ عشرة آلاف ، فلما اقتربوا من دمشق خرج النائبُ ومَنْ معَه ، والتقَوْا والعسكرَ بأهلِ الغُوطَةِ فهزموهم ، وحرقوا المِزَّة وقُرَى أخرى معها ، واستجار يزيدُ بن خالد القَسْريُّ وأبو علاقة الكلبي برجلٍ من أهلِ المِزَّة من لَخْم ، فدلَّ عليهم زاملُ بنُ عمرو فقتلَهما وبعثَ برأسَيْهما إلى أميرِ المؤمنين مروانَ وهو بحمص .

وخرج ثابتُ بنُ نُعيم في أهلِ فلَسْطِين على الخليفة ، وأتَوْا طَبَرِيَّةَ فحاصروها ، فبعث الخليفةُ إليهم جيشاً فأجلَوْهُمْ عنها ، واستباحوا عسكرَهم ، وفرَّ ثابتُ بنُ نُعَيم هارباً إلى فِلَسطين ، فاتَّبَعَهُ الأمير أبو الوَرْد ، فهزمه ثانيةً ، وتفرَّقَ عنه أصحابُه . وأسر أبو الورد ثلاثةً من أولادِه ، فبعثَ بِهم إلى الخليفة وهم جرحَى ، فأمرَ بِمُدَاواتِهم ، ثم كتبَ أمير المؤمنينَ إلى نائبِ فِلَسْطِين ، وهو الرُّمَاحِسُ بن عبدالعزيز الكِنَاني يأمرُهُ بطَلَبِ ثابتِ بن نُعيم حيث كان ، فما زالَ يتلطَّفُ بهِ حتى أخذَهُ أسيراً . وذلك بعد شهرَيْن ، فبعثه إلى الخليفة ، وأمرَ بقطع يديه ورِجْلَيْه ، وكذلك جماعة كانوا معَه ، وبعثَ بهم إلى دمشق ، فأُقِيموا على بابِ مسجدِها ، لأنَّ أهلَ دمشقَ كانوا قد أرْجَفوا بأن ثابتَ بن نُعيم ذهب إلى ديارِ مصر ، فتغلَّبَ عليها ، وقتلَ نائبَ مروانَ فيها ، فأُرسل إليهم مقطَّعَ اليدَيْن والرجلَيْن لِيعرفوا بُطلانَ ما كانوا به أرجفوا ، وأقام الخليفةُ مروانُ بدَيْر أيُّوب عليهِ السلام مُدَّةً ، حتى بايع لابنِهِ عبدِ الله ، ثم عُبيدالله ، وزوَّجَهما ابنتَيْ هشام ، وهما أمُّ هشام ، وعائشة ، وكانَ مَجْمَعاً حافِلاً ، وعَقْداً هائلاً ، ومُبايعةً عامَّةً ، ولكن لم تكنْ في نفسِ الأمرِ تامَّةً .

وقَدِمَ الخليفةُ إلى دمشق ، وأمر بثابتٍ وأصحابِهِ بعدَما كانوا تقطَّعوا أنْ يُصَلَّبوا على أبوابِ البلد ، ولم يستبقِ منهم أحداً إلا واحداً ، وهو عُمَرُ بن الحارث الكلبي ، وكان عندَهُ فيما زَعَمَ عِلْمٌ بودائعَ كان ثابتُ بنُ نُعيم أودَعَها عندَ أقوام ، واستوسَقَ أمرُ الشام لِمَروان ماعدا تَدْمُر ، فسار من دمشقَ فنَزَل القَسْطَلَ من أرضِ حِمْص ، وبَلَغَهُ أنَّ أهلَ تَدْمُرَ قد غوَّروا مابينَهُ وبينهم من المياه ، فاشتدَّ غَضَبُهُ عليهم ، ومعه جحافِلُ من الجيوش ، فتكلَّم الأبرشُ بنُ الوليد . وكانوا قومَه ، فسأل منه أنْ يُرْسِلَ إليهم أولاً لِيُعْذِرَ إليهم ، فبعث عمرَو بن الوليد أخا الأبرش ، فلمَّا قَدِمَ عليهم لم يَلْتفِتُوا إليه ولا سمعوا له قولاً فرجع ، فهَمَّ الخليفةُ أنْ يبعثَ الجنود ، فسأله الأبرشُ أنْ يذهبَ إليهم بنفسِه ، فأرسلَهُ ، فلما قَدِمَ عليهم الأبرشُ كلَّمهم واستمالَهم إلى السمعِ والطاعة ، فأجابَهُ أكثرُهم وامتَنَعَ بعضُهم ، فكتبَ إلى الخليفةِ يُعلِمُهُ بما وقع ، فأمرَهُ الخليفةُ أن يَهْدِمَ بعضَ سُورِها ، وأنْ يُقبِلَ بمَنْ أطاعَهُ منهم إليه ، ففعل ، فلمَّا حضروا عندَهُ سارَ بِمَنْ معَهُ من الجنود نحوَ الرُّصَافةِ على طريق البَرِّيَّة ، ومعه من الرؤوسِ إبراهيمُ بنُ الوليد المَخْلوع ، وسليمان بن هشام ، وجماعةٌ من ولدِ الوليد ويزيد وسليمان ، فأقام بالرُّصَافةِ أياماً ، ثم شخَصَ إلى الرَّقَّة ، فاستأذنه سليمانُ بن هشام أن يقيمَ هناكَ أيَّاماً ليستريحَ ويَحْمِي ظهرَه . فأذِنَ له ، فانحدرَ مروانُ فنَزلَ عندَ واسطَ على شَطِّ الفرات ، فأقام ثلاثاً ، ثم مضى إلى قَرْقِيسِيَا وابنُ هُبَيرةَ بها ليبعثَهُ إلى العراق لِمُحاربة الضحَّاك بن قيس الشيباني الخارجي الحَرُوري ، واشتغل مروانُ بهذا الأمر ، وأقبلَ عشرةُ آلاف فارسٍ ممَّنْ كان مروانُ قد بعثَهم في بعض السرايا ، فاجتازوا بالرُّصَافة وفيها سليمانُ بن هشام بن عبد الملك الذي كان استأذن الخليفةَ في الْمُقَامِ هناكَ للرَّاحة ، فدعَوْهُ إلى البيعةِ له وخَلْعِ مَرْوانَ بن محمد ومحارَبَته ، فاستزَلَّهُ الشيطان ، فأجابهم إلى ذلك ، وخلعَ مروانَ ، وسارَ بالجيوشِ إلى قِنَّسْرين ، وكاتَبَ أهلَ الشام ، فانتهوا[1] إليه من كلِّ وَجْه ، وكتب سليمانُ إلى ابنِ هُبيرةَ الذي جهَّزَهُ مروانُ لقتالِ الضحَّاك بن قيس الخارجي ، يأمرُهُ بالمسيرِ إليه ، فالتفَّ إليه نَحْوٌ من سبعين ألفاً ، وبعث مروانُ إليهم عيسى بنَ مسلم ، في نحوٍ من سبعين ألفاً ، فالتقَوْا بأرضِ قِنَّسْرين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وجاء مروانُ والناسُ في حَرْب ، فقاتلهم أشدَّ قتالٍ فهزمهم ، وقَتَل يومئذٍ إبراهيمَ بنَ سليمان بن هشام ، وكانَ أكبرَ ولدِه ، وقتل منهم نيفاً وثلاثين ألفاً ، وذهب سليمانُ مغلوباً ، فأتى حِمص ، فالتفَّ عليه مَنِ انْهَزم من الجيش ، فعسكر بهم فيها ، وبَنَى ما كان مروانُ هدَمَ من سُورِها ، فجاءهم مروان ، فحاصرهم بها ، ونصَبَ عليهم نيِّفاً وثمانين مَنْجَنِيقاً ، فمكث كذلك ثمانيةَ أشهرٍ يَرْمِيهم ليلاً نهاراً ، ويخرجون إليه كلَّ يوم ، ويقاتلون ثم يَرْجِعون . هذا وقد ذهب سليمانُ وطائفةٌ من الجيشِ معَهُ إلى تدمرَ وقد اعترضوا جيشَ مروانَ في الطريق ، وهَمُّوا بالفَتْكِ به ، وأن ينتهبوه ، فلم يُمكِنهم ذلك ، وتَهيَّأَ مروانُ فقاتلهم ، فقتلوا من جيشهِ قريباً من ستةِ آلاف ،

(١) في (ق) : « فانفصوا » ، والمثبت من (ب ، ح) .

وهم تسع مئة ، وانصرفوا إلى تدمر ، ولَزِمَ مروانُ محاصرةَ حِمص كمال عشرةِ أشهر ، فلمَّا تتابعَ عليهمُ البلاءُ ولَزِمَهُمُ الذُّلُّ سألوه أنْ يُؤمِّنَهم ، فأبَى إلاَّ أنْ يَنْزِلوا على حُكْمِه ، ثم سألوه الأمانَ على أنْ يُمكِّنُوهُ من سعيدِ بنِ هشام[١] وابنَيْهِ مروانَ وعثمان ، ومن السَّكْسَكِيِّ الذي كان معه على جيشه ، ومن حُبْشِي ـ كان يفتري عليه ويشتمه ـ فأجابَهم إلى ذلك ، فأمَّنَهم وقتلَ أولئك ، ثم سار إلى الضحَّاك .

وكان عبدُ الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق قد صالح الضحَّاكَ الخارجي على ما بيدِهِ من الكوفةِ وأعمالِها ، وجاءتْ[٢] خيول مروانَ قاصدةً إلى الكوفة ، فتلقَّاهُمْ نائبُها من جهة الضحَّاك مِلْحَانُ الشيباني ، فقاتَلَهم ، فقُتِلَ مِلْحان ، واستنابَ الضحَّاكُ عليه المثنَّى بنَ عمرانَ من بني عائدة ، وسار الضحَّاكُ في ذي القعدة إلى المَوْصِل ، وسار ابنُ هُبيرة إلى الكوفة ، فانتزَعَها من أيدي الخوارج ، وأرسل الضحَّاكُ جيشاً إلى الكوفة فلم يجدْ شيئاً .

وفي هذه السنة خرج الضحَّاكُ بن قيس الشيباني ، وكان سببَ خروجه أنَّ رجلاً يُقالُ له سعيدُ بن بَهْدَل ـ وكان خارجياً ـ اغتنمَ غفلةَ الناس ، واشتغالَهم بمقتلِ الوليد بن يزيد ، فثارَ في جماعةٍ من الخوارج بالعراق ، فالتفَّ عليه أربعةُ آلاف ـ ولم تجتمِعْ قبلَها لخارجيّ ـ فقصَدَتْهم الجيوش ، فاقتتلوا معهم ، فتارةً يَكْسِرون ، وتارةً يُكْسَرون ، ثم مات سعيد بن بهدل في طاعونٍ أصابه ، واستخلف على الخوارج من بعدِهِ الضحَّاكَ بنَ قيس هذا ، فالتفَّ أصحابُهُ عليه ، والتقى هو وجيشٌ كثير ، فغلبتِ الخوارجُ وقَتَلوا خلقاً كثيراً ، منهم عاصمُ بن عمر بن عبد العزيز ، أخو أميرِ العراق عبدِ الله بن عمر بن عبد العزيز ، فرثاه بأشعار ، ثم قصَدَ الضحَّاكُ بطائفةٍ من أصحابِهِ مروانَ ، فاجتازَ الكوفة ، فنهضَ إليهِ أهلُها فكسَرَهم ، ودخل الكوفَة فاستحوذَ عليها ، واستنابَ بِها رجلاً اسْمُهُ حسَّان ، ثم استنابَ مِلْحَان الشيبانيَّ في شعبانَ من هذه السنة ، وسار في طلب عبدِ الله بن عمر بن عبد العزيز نائبِ العراق ، فالتقَوْا ، فجرَتْ بينَهم حروبٌ كثيرةٌ يطولُ ذِكْرُها وتَفْصِيلُها .

وفي هذه السنة اجتمعَتْ جماعةٌ من الدُّعَاةِ إلى بني العباس عندَ إبراهيمَ بنِ محمد الإمام ، ومعهم أبو مُسلم الخُرَاساني ، فدفعوا إليهِ نفَقَاتٍ كثيرةً ، وأعطَوْهُ خُمْسَ أموالِهم ، ولم ينتَظِمْ لهمْ أمرٌ في هذه السنة لكثرَة الشُّرورِ المنتشرة ، والفِتَنِ الواقعة بين الناس .

وفي هذه السنة خرج بالكوفة معاويةُ بن عبدِ الله بن جعفر بن أبي طالب ، فدعا إلى نفسِه وخرجَ إلى محاربة أميرِ العراق وعبدِ الله بن عمر بن عبد العزيز ، فجَرتْ بينهما حروبٌ يطولُ ذكرُها ، ثم أجلاهُ عنها ، فلَحِقَ بالجِبال ، فتغلب عليها .

---

(١) جاء في (ق) من هذا الموضع علَّق عليها الناسخ أنها زيادة من النسخة المصرية ، قلتُ : هذه الزيادة المشار إليها بالحاصرتين والحاشية موجودة في نسختي (ب ، ح) .

(٢) في (ح) : « وكانت » .

وفي هذه السنة خرج الحارث بن سُرَيج الذي كان لَحِقَ ببلاد التُّرك ، ومالأَهُمْ على المسلمين ، فمَنَّ اللهُ عليه بالهِداية ، ووفَّقَهُ حتى خرج إلى بلادِ الشام ، وكان ذلك عن دعاءِ يزيدَ بنِ الوليد إلى الرجوع إلى الإسلام وأهلِه ، فاجابه إلى ذلك ، وخرج إلى خراسان فأكرَمَهُ نَصْرُ بن سيَّار نائبُها ، وفرح المسلمون به ، وجاؤوا لتهنئته ، ثم وقعَ بينه وبين نصر بن سيار سَوْرَة[1] ، واستمرَّ الحارثُ بن سريج على الدعوةِ إلى الكتابِ والسنَّة ، وطاعةِ الإمام ، وعنده بعضُ المناوَأَة لنصرِ بنِ سيار .

قال الواقدي وأبو معشر[2] : وحجَّ بالناسِ في هذه السنة عبدُ العزيز بنُ عمر بن عبد العزيز ، أميرُ الحجاز ومكة والمدينة والطائف ، وأمير العراق النَّضْرُ بن سعيد الحَرَشيّ ، وقد خرج عليه الضحَّاك الحَرُوريّ وعبد الله بن عبد العزيز ، وأميرُ خراسان نصر بن سَيَّار ، وقد خرج عليه الكَرْماني والحارثُ بن سُريج .

ومِمن تُوفي في هذه السنة :

بُكَير بن الأشج[3] ،

وسعد بن إبراهيم ،

وعبدالله بن دينار ،

وعبدالملك بن مالك الجزري ،

وعُمير بن هانىء ،

ومالك بن دينار ،

ووَهْب بن كَيْسان ،

وأبو إسحاق السَّبِيعِي .

---

(١) سَوْرَةُ السُّلْطان : سطوته واعتداؤه ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت زينب فقالت : كُلُّ خِلَالِهَا محمودٌ ما خلا سَوْرَةً مِنْ حِدَّة . اللسان (سور) . وما قبل هذه اللفظة في (ق) ساقط منها وهو مثبت في (ب ، ح) ولفظه فيهما« صورة » بدل « سورة » .

(٢) ذكر ذلك الطبري في تاريخه (٤/ ٢٩١) .

(٣) في (ق) : « بكر » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وهو بُكير بن عبد الله بن الأشج ، ترجمته في التاريخ الكبير (٢/ ١١٣) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٢٥٤) ، الثقات لابن حبان (٦/ ١٠٦) ، التعديل والتجريح (١/ ٤٣٩) ، تهذيب الكمال (٤/ ٢٤٢) ، الكاشف (١/ ٢٧٥) ، تقريب التهذيب ص(١٢٨) .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وعشرين ومئة

فيها كان مقتلُ الحارثِ بن سُريج ، وكان سببُ ذلك أنَّ يزيدَ بن الوليد الناقص كان قد كتبَ إليه كتابَ أمانٍ حتى خرج من بلادِ التُّرك وصار إلى المسلمين ، ورجَعَ عن موالاةِ المشركينَ إلى نُصْرَةِ الإسلامِ وأهلِه ، وأنَّهُ وقع بينه وبين نصرِ بن سيَّار أميرِ خراسان وَحْشَةٌ ومُنَافسَاتٌ كثيرةٌ يطول ذكرُها ، فلما صارتِ الخلافةُ إلى مروانَ بنِ محمد استَوْحَش الحارثُ بن سُريج من ذلك ، وتولَّى ابنُ هُبيرة نيابةَ العراق ، وجاءتِ البيعةُ لمروان ، فامتنع الحارثُ من قَبُولِها ، وتكلَّمَ في مروان ، وجاءهُ مَسْلمةُ بن أحْوَز أميرُ الشرطة ، وجماعةٌ من رؤوسِ الأجنادِ والأمراء ، وطلبوا منه أن يكفَّ لسانَهُ ويدَه ، وأن لا يُفرِّقَ جماعةَ المسلمين ، فأبَى وبرَزَ ناحيةً عن الناس ، ودعا نصرَ بنَ سيارٍ إلى ما هو عليهِ من الدعوةِ إلى الكتابِ والسنَّة ، فامتنع نصرٌ من موافقتِه ، واستمرَّ هو على خروجهِ على الإسلام ، وأمرَ الجَهْمَ بنَ صفوانَ مولى بني راسب ـ ويُكنَى بأبي محرز ، وهو الذي نُسبَتْ إليه الفرقةُ الجَهْمِيَّة ـ أن يقرأ كتاباً فيه سيرةُ الحارثِ على الناس ، وكان الحارثُ يقول : أنا صاحبُ الرايات السود ، فبعث إليه نصرٌ يقول : إنْ كنتَ ذاك فلعمري إنكمُ الذين تُخربونَ سُورَ دمشق ، وتُزيلون بني أمية ، فخُذْ مِنِّي خمسَ مئةِ رأس ، ومئتَي بَعِير ، وما شئتَ من الأموال ، وإنْ كنتَ تُريدُ غيرَه فقد أهلكتَ عشيرتَك . فبعث إليه الحارثُ يقول : لعمري إنَّ هذا الأمرَ لكائن ، فقال له نصر : فابدأْ بالكَرْماني أولاً ، ثم سِرْ إلى الرَّيّ وأنا في طاعتِكَ إذا وصلتَها .

ثم تناظَرَ نصرٌ والحارثُ ورَضِيَا أنْ يَحْكُم بينهما مُقاتِلُ بن حَيَّان ، والجَهْمُ بن صَفْوان ، فحكمَا أنْ يُعزَلَ نصرٌ ويكونَ الأمرُ شُورَى ، فامتنعَ نصرٌ من قَبُول ذلك ، ولَزِمَ الجَهْمُ بنُ صفوان وغيرُه قراءةَ سيرةِ الحارثِ على الناس في الجامعِ والطُّرُق ، فاستجابَ له خَلْقٌ كَثِير وجمعٌ غفير ، فعند ذلك انتدَبَ لقتالِهِ جماعاتٌ من الجيوش عن أمرِ نصرِ بن سَيَّار ، فقصَدوه ، فجاحَفَ[1] دونه أصحابُه ، فقُتل منهم طائفةٌ كثيرةٌ ، منهم الجَهْمُ بن صَفوان ، طعنَهُ رجلٌ في فيهِ فقتلَه .

مقتل الجَهْم بن صَفْوان

ويقال : بل أُسرَ الجهمُ ، فأوقف بين يدَيْ سَلْم بن أحوَز ، فأمرَ بقَتْلِه ، فقال : إنَّ لي أماناً من أبيك . فقال : ما كان له أنْ يؤمِّنَك ، ولو فعَل ما أمَّنْتُك ، ولو ملأتَ هذهِ الْمُلاءةَ كواكب ، وأنزلتَ عيسى ابنَ

(١) في (ق) : « فحارب » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وجاحف من تَجَاحُف القوم في القِتال : هو تناوُلُ بعضهم بعضاً بالعِصِيّ والسُّيوف . والجحافُ : مُزاحمةُ الحَرْبِ . لسان العرب (جحف) .

مريم ما نجَوْت ؛ والله لو كنتَ في بطني لشقَقْتُ بَطْني حتى أقتُلَك . وأمرَ عبد ربه بنَ سيسن[١] فقتله ، ثم اتفق الحارثُ بن سُريج والكَرْماني على نصر ومخالفتِه ، والدعوةِ إلى الكتاب والسنَّة ، واتباعِ أئمةِ الهدى ، وتحريم المنكرات ، إلى غير ذلك مما جاءتْ به الشريعة ، ثم اختلفا فيما بينهما ، واقتتلا قتالاً شديداً ، فغلب الكَرْمانيُّ وانهزَم أصحابُ الحارث ، وكان راكباً على بغل ، فتحوَّل إلى فرس ، فحرنَتْ أنْ تمشي ، وهربَ عنه أصحابُه ، ولم يبقَ معهُ منهم سوى مئة ، فأدركه أصحابُ الكَرْماني فقتلوه تحتَ شجرةِ زيتون ، وقيل : تحت شجرة غُبَيْراء[٢] ، وذلك يوم الأحد لستٍّ بَقِينَ من رجب من هذه السنة ، وقُتل معه مئةٌ من أصحابه ، واحتاط الكرمانيُّ على حواصِلِه وأمواله ، وأخذ أموالَ منْ خرجَ معَه أيضاً ؛ وأمر بصَلْبِ الحارث بلا رأس على بابِ مدينة مَرْو .

ولما بلغ نصرَ بنَ سيَّار مقتلُ الحارثِ قال في ذلك :

يا مُدْخلَ الذُّلِّ على قومِهِ ... بُعْداً وسُحْقاً لكَ منْ هالِكِ
شؤمُكَ أرْدَى مُضَراً كُلَّها ... وغَضَّ منْ قومِكَ بالحارِكِ
ما كانتِ الأزْدُ وأشياعُها ... تطمعُ في عَمْرٍو ولا مالِكِ
ولا بني سَعْدٍ إذا ألْجَموا ... كُلَّ طِمِرٍّ لَوْنُهُ حالِكِ[٣]

وقد أجابهُ عبَّاد[٤] بن الحارث بن سُريج فيما قال :

ألا يا نصرُ قد بَرِحَ الخَفَاءُ ... وقد طالَ التمنِّي والرجاءُ
وأصبحتِ المزونُ بأرضِ مَرْوٍ ... تُقضِّي في الحكومةِ ما تشاءُ
يجوزُ قضاؤها في كلِّ حُكْمٍ ... على مُضَرٍ وإنْ جارَ القضاءُ
وحِمْيَرُ في مجالسها قُعودٌ ... تَرقْرَقُ في رقابِهمُ الدِّماءُ
فإنْ مُضَرٌ بذا رَضِيتْ وذَلَّتْ ... فطالَ لها المذلَّةُ والشَّقاءُ
وإنْ هي أعتَبَتْ فيها وإلَّا ... فحلَّ على عساكرِها العَفَاءُ

---

(١) في (ق) : « وأمر ابن ميسر فقتله » . والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٢٩٥) .

(٢) في (ق) : « عبيرا » ، وفي (ح) : « عتبرا » ، والمثبت من (ب) ، والغبيراء : نباتٌ سُهْليّ ، وقيل : الغَبْراء شجرته ، والغُبيراء ثمرته ؛ وهي فاكهة ، وقيل : الغُبيراء شجرته ، والغَبراء ثمرته ، بقلب ذلك ، الواحدُ والجمعُ فيه سواء . وأما هذا الثمر الذي يقال له الغُبيراء فدخيلٌ في كلام العرب . قال أبو حنيفة : الغُبيراء شجرةٌ معروفة ، سُمِّيتْ غُبيراء لِلَوْن ورَقِها وثمرتِها إذا بدَتْ ، ثم تحمرُّ حمرةً شديدة . قال : وليس هذا الاشتقاق بمعروف . قال : ويُقال لثمرتِها الغُبيراء . قال : ولا تُذكر إلا مصغَّرة . لسان العرب (غبر) .

(٣) الخبر مفصلاً والأبيات في تاريخ الطبري (٤/٢٩٨ ، ٢٩٩) ، والكامل لابن الأثير (٥/ ٢٠) .

(٤) في (ب ، ح) : « غياث بن الحارث » ، والمثبت من (ق) وتاريخ الطبري (٤/٢٩٩) .

وفي هذه السنة بعث إبراهيمُ بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبا مسلم الخُراساني إلى خراسان وكتب معه كتباً إلى شيعتِهم بها ، إنَّ هذا أبا مسلم فاسمعوا له وأطيعوا ، وقد ولَّيتُهُ على ما غلَبَ عليه من أرضِ خُرَاسان ، فلمَّا قَدِمَ أبو مسلم خراسان ، وقرأ على أصحابه هذا الكتاب لم يلتفتوا إليه ، ولم يعملوا به ، وأعرضوا عنه ، ونَبَذوه وراءَ ظهورهم ، فرجع إلى إبراهيم بن محمد أيام الموسم فاشتكاهم إليه ، وأخبرهُ بما قابلُوهُ من المخالفة ، فقال له : يا عبدَ الرحمن إنَّك رجلٌ منا أهلَ البيت ، ارجعْ إليهم ، وعليك بهذا الحيِّ من اليمن ، فأكرِمْهُمْ[1] وانزِلْ بين أظهُرِهم ، فإنَّ الله لا يُتمِّمُ هذا الأمرَ إلَّا بهم . ثم حذَّرهُ من بقيَّةِ الأحياء وقال له : إنِ استطعتَ أنْ لا تدعَ بتلك البلادِ لساناً عربيّاً فافعلْ ، ومنْ بلَغَ من أبنائهم خمسةَ أشبار واتَّهمتَهُ فاقتُلْه ، وعليك بذاك الشيخ فلا تَعْصِهِ[2] ـ سليمان بن كثير .

وسيأتي ما كان من أمرِ أبي مسلم الخُراساني فيما بعدُ إنْ شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة قُتل الضحَّاكُ بن قيس الخارجي في قولِ أبي مِخْنَف ، وكان سببُ ذلك أنَّ الضحاك حاصرَ عبدَ الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط ، ووافقه على مُحَاصرَتِه منصور بن جُمهور ، فكتب عبدُ الله بن عمر بن عبد العزيز إليه : إنه لا فائدةَ لك في محاصرتي ، ولكنْ عليك بمروان بن محمد ، فسرْ إليه ، فإن قتلتهُ اتبعتُك . فاصطلحا على مخالفةِ مروانَ بنِ محمد أميرِ المؤمنين . وترحَّل الضحاك عنه ، وسارَ قاصداً إلى قتالِ مروانَ بن محمد أميرِ المؤمنين ، فلما اجتازَ الضحَّاكُ بالمَوْصل كاتبهُ أهلُها فمالَ إليهم ، فدخلَها وقتَلَ نائبَها ، واستحوذَ عليها ، وبلغ ذلك مروانَ وهو مُحاصِرٌ حِمص ، ومشغولٌ بأهلها ، وعدمِ مبايعتِهم إياه ، فكتب إلى ابنه عبدِ الله بن مروان ـ وهو نائبُهُ على الجزيرة ـ يأمرهُ أن يقاتلَ الضحاك بالموصل ، وسار الضحاكُ إلى عبد الله بن مروان ، وكان الضحاك قد التفَّ عليه مئةُ ألفٍ وعشرون ألفاً ، فحاصروا نَصيبين ، وساق مروانُ في طلبه ، فالتقَيَا هنالك ، فاقتتلا قتالاً شديداً جدّاً ، فاقتحمَ الضحاكُ عن فرسِه ، وترجَّلَ معه جماعةٌ من كُبَراء الأمراء ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل الضحَّاكُ في المعركة ، وحجَز الليلُ بين الفريقَيْن ؛ وفقَدَ أصحابُ الضحاكِ الضحاكَ ، وشكُّوا في أمرِهِ حتى أخبرَهم منْ شاهدَهُ قد قُتل ، فبكَوْا عليه وناحوا ، وجاء الخبرُ إلى مروان ، فبعث إلى المعركةِ بالمشاعل ومَنْ يعرفُ مكانَهُ بين القتلَى فلمّا وجدوه جاؤوا به إلى مروانَ وهو مقتول ، وفي رأسه ووجههِ نحوٌ من عشرين ضربة ، فأمرَ برأسِه فطِيفَ به في مدَائنِ الجزيرة . واستخلف الضحاكُ على جيشهِ من بعدِهِ رجلاً يُقالُ له الخَيْبَري ، فالتفَّ عليه بقيةُ جيشِ الضحَّاك ، والتفَّ مع الخيبري سليمانُ بن هشام بن عبدِ الملك وأهلُ بيتِه ومواليه ، والجيش الذي كانوا قد بايعوه في السنة الماضية على الخلافة ، وخلعوا مروانَ بنَ

(١) في (ح) : « فالزمهم » ، وما أثبتناه موافق لتاريخ الطبري .
(٢) في بعض النسخ : « تقصه » وما أثبتناه من (ح) وتاريخ الطبري .

محمد عن الخلافة لأجلِه ، فلما أصبحوا اقتتلوا مع مروان ، فحملَ الخيبريُّ في أربعمئة من شجعان أصحابه على مروانَ وهو في القلب ، فكرَّ منهزماً ، واتَّبعوهُ حتى أخرجوه من الجيش ، ودخلوا عسكرَه ، وجلس الخيبريُّ على فُرُشِه ، هذا وميمنةُ مروانَ ثابتة ، وعليها ابنُه عبدُ الله ، وميسرتُهُ أيضاً ثابتةٌ وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي ، ولما رأى عبدُ الله العسكر فارِّين مع الخيبري ، وأنَّ الميمنةَ والميسرةَ من جهتهم[1] باقيتان ، طَمِعُوا فيه ، فأقبلوا إليه بعُمُد الخيام فقتلوه بها ، وبلغ قتلُهُ مروانَ وقد سارَ عن الجيش نحوَ خمسةِ أميال أو ستة ، فرجع مسروراً ، وانهزم أصحابُ الضحاك وقد ولَّوْا عليهم شَيبان ، فقصَدَهم مروانُ بعدَ ذلك بمكانٍ يُقال له الكراديس[2] فهزمهم .

وفيها بعث مروانُ الحمار على إمارةِ العراق يزيدَ بن عمرَ بنِ هُبيرة ليقاتِلَ منْ بها من الخوارج .

وفي هذه السنة حجَّ بالناسِ عبدُ العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو نائبُ المدينةِ مكةَ والطائف ، وأميرُ العراق يزيدُ بن عمر بن هُبيرة ، وأميرُ خراسان نصر بن سيَّار .

وممن توفي في هذه السنة :

بكرُ بن سَوَادة ،

وجابرٌ الجُعْفيّ ،

والجَهْمُ بن صَفْوان مقتولاً كما تقدَّم ،

والحارثُ بن سُريج أحَدُ كُبَراء الأمراء ـ وقد تقدَّمَ شيءٌ من ترجمتِه ـ

وعاصمُ بنُ بَهْدَلة ،

وأبو حَصِين عثمان بن عاصم ،

ويَزِيد بنُ أبي حَبِيب ،

وأبو التَّيَّاح يزيد بن حُميد ،

وأبو جَمْرة الضُّبَعِيّ[3] ،

---

(١) في (ح) : « جيشهم » .

(٢) كذا في الأصول ، وصُحِّف في (ح) إلى « الكرادش » ، وهو وهمٌ من المؤلف ، فليس ثمة موضع يقال له الكراديس ، وعبارة الطبري تكشف عن هذا الوهم إذْ قال في تاريخه (٤/ ٣٠٢) : « فقاتلهم مروانُ بعدَ ذلك بالكراديس وأبطلَ الصفَّ منذُ يومئذٍ » . فلا يقصد بالكراديس اسم الموضع ، وإنما قصدَ طريقةَ القتال بالكراديس . وهي جمع كُرْدُوس ، وهو القطعةُ من الخيل العظيمة ، ويقال : كَرْدَسَ القائدُ خيلَه : أيْ جعلَها كتيبةً كتيبة .

(٣) واسمه نصر بن عمران بن عصام . تقريب التهذيب ص(٥٦١) .

وأبو الزبير المكّي[١] ،

وأبو عِمْرانَ الجَوْنِي[٢] ،

وأبو قَبيل الْمَعَافِريّ[٣] ؛ وقد ذكَرْنَا تراجِمَهُم في « التكميل » .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومئة

فيها اجتمعتِ الخوارجُ بعدَ الخيبري على شيبانَ بنِ عبد العزيز بن الحليس اليشكري الخارجي ، فأشار عليهم سُليمان بن هشام أنْ يتحصَّنوا بالمَوصل ، ويجعلوها مَنْزلاً لهم ، فتحوَّلوا إليها ، وتَبِعهم مروانُ بن محمد أميرُ المؤمنين ، فعسكروا بظاهرها ، وخندقوا عليهم ممايلي جيشَ مروان ، وقد خندق مروانُ على جيشِهِ أيضاً من ناحيتِهم ، وأقام سنةً يُحاصِرُهم ويقتَتِلونَ في كُلِّ يومٍ بُكْرَةً وعشيَّة . وظَفِرَ مروانُ بابنِ أخٍ لسليمان بن هشام وهو أمية بن معاوية بن هشام ، أسرَهُ بعضُ جيشِه ، فأمر بهِ فقُطعتْ يدَاه ، ثم ضرب عُنقه ، وعمُّه سليمانُ والجيشُ ينظرون إليه ؛ وكتب مروان إلى نائبِهِ بالعراق يزيدَ بنِ عمر بن هُبيرة يأمرُهُ بقتالِ الخوارجِ الذين في بلادِه ، فجرَتْ له معهم وقعاتٌ عديدة ، فظفر بهم ابنُ هُبيرة وأبادَ خَضْراءَهم ، ولم يبقَ لهم بَقِيَّةٌ بالعراق ، واستنقذَ الكوفة من أيدي الخوارج ، وكان عليها المثنى بن عمران العائذي ـ عائذة قريش ـ في رمضان من هذه السنة . وكتب مروانُ إلى ابنِ هُبيرة لما فَرَغ من الخوارج أنْ يُمُدَّهُ بعامر بن ضُبَارة[٤] ـ وكان من الشجعان ـ فبعثه إليه في سبعةِ آلاف أو ثمانية آلاف ، فأرسلتِ الخوارجُ إليه سريَّةً في أربعةِ آلاف ، فاعترضوه في الطريق ، فهزمهم ابنُ ضُبارة ، وقتل أميرَهم الْجَوْنَ بن كلاب الشيباني الخارجي ، وأقبل نحو الموصل ، ورجعَ فَلُّ الخوارجِ إليهم ، فأشار سليمان بنُ هشام عليهم أنْ يرتحلوا عن الموصل ، فإنه لم يكنْ يُمكِنهُم الإقامةَ بها ؛ ومروانُ من أمامِهم وابنُ ضُبارةَ من ورائهم ، وقد قطع عنهم المِيرَة ، حتى يجدوا شيئاً يأكلونَه ، فارتحلوا عنها ،و ساروا على حُلْوان إلى الأهواز . فأرسل مروانُ بن ضُبَارة في آثارِهم في ثلاثةِ آلاف ، فاتَّبعَهم يقتلُ منْ تخلَّف منهم ، ويلحقهم في مواطن فيقاتلهم ، وما زال وراءهم حتى فرَّقَ شَمْلَهم شذَرَ مَذَر وهلك أميرُهم شيبان بن عبد العزيز اليَشْكُرِيُّ بالأهواز في السنة القابلة ، قتله خالدُ بن مسعود بن جعفر بن خُليد الأزْدي . وركب سليمان بن هشام في مواليه وأهلِ بيتِه السُّفُنَ وساروا إلى السِّنْد .

---

(١) واسمه محمد بن مسلم بن تَدْرُس . تقريب التهذيب ص(٥٠٦) .

(٢) واسمه عبد الملك بن حبيب الأزدي . تقريب التهذيب ص(٣٦٢) .

(٣) واسمه حُييُّ بن هانيء . تقريب التهذيب ص(١٨٥) .

(٤) في الأصول : « عمار بن صبارة » ، وهو تصحيف والمثبت من تاريخ الطبري في مواضع عدة .

ورجعَ مروانُ من الموصل فأقام بِمَنْزِله بِحَرَّان ، وقد وجد سروراً بزوالِ الخوارج ، ولكنْ لم يتمَّ سرورُه ، بل أعقبه القدَرُ منْ هو أقوى شوكةً ، وأعظَمَ أتباعاً ، وأشدَّ بأساً من الخوارج ، وهو ظهور أبي مسلم الخُراساني ، الداعيةُ إلى دولةِ بني عباس .

أول ظهورِ أبي مسلم الخُراساني

وفي هذه السنة ورَدَ كتابُ إبراهيمَ بنِ محمد الإمامِ العباسي بطلَبِ أبي مسلم الخُراساني من خُراسان ، فسار إليه في سبعينَ من النُّقَبَاء ، لا يمرُّونَ ببلدٍ إلاَّ سألوهم : إلى أين تذهبون ؟ فيقول أبو مسلم : نُريدُ الحجّ . وإذا توسَّمَ أبو مسلم من بعضِهم ميلاً إليهم دعاهم إلى ما هم فيه ، فيُجيبُهُ إلى ذلك ، فلما كان ببعضِ الطريق جاء كتابٌ ثانٍ من إبراهيمَ الإمام إلى أبي مسلم : إني بعثتُ إليك برايةِ النصر ، فارجعْ إلى خُراسان ، وأظهرِ الدَّعْوَة . وأمَرَ قحطبةَ بنَ شبيب أن يسيرَ بما معه من الأموال والتُّحَف إلى إبراهيم الإمام ، فيوافيه في الموسم .

فرجع أبو مسلم بالكتاب ، فدخلَ خُراسان في أولِ يومٍ من رمضان ، فرُفعَ الكتاب إلى سليمانَ بنِ كثير ، وفيه : أنْ أظهرْ دعوتَك ولا تتربَّصْ . فقدَّموا عليهم أبا مسلمٍ الخُراساني داعياً إلى بني العباس ، فبعثَ أبو مسلم دُعاتَهُ في بلاد خُراسان ، وأميرُ خُراسان نَصْرُ بن سَيَّار مشغولٌ بقتالِ الكِرْماني ، وشيبانَ بنِ سلمةَ الحَرُوريّ ، وقد بلغ من أمرِه أنه كان يُسلِّم عليه أصحابُه بالخلافة في طوائفَ كثيرةٍ من الخوارج .

فظهر أمْرُ أبي مسلم ، وقصَدَهُ الناسُ من كلِّ جانب ، فكان ممَّنْ قصدَهُ في يومٍ واحدٍ أهلُ ستينَ قريةً ، فأقام هناك اثنين وأربعين يوماً ، ففُتحت على يديه أقاليمُ كثيرة ، ولما كان ليلةُ الخميس لخمسٍ بَقين من رمضان في هذه السنة عقدَ أبو مسلم اللواءَ الذي بعثَهُ إليه الإمامُ ـ ويُدْعَى الظِّل ـ على رُمْحٍ طولُه أربعةَ عشرَ ذراعاً ؛ وعقَدَ الرايةَ التي بعَثَ بها الإمام أيضاً ـ وتُدْعى السحاب ـ على رُمحٍ طولُه ثلاثةَ عشرَ ذراعاً ؛ وهما سَوْداوان ، وهو يتلو قولَهُ تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٩] ؛ ولَبِسَ أبو مسلم وسليمانُ بن كثير ومنْ أجابَهم إلى الدعوة السَّوَاد ، وصارت شعارَهم ؛ وأوْقَدوا في هذه الليلة ناراً عظيمةً يَدعونَ بها أهلَ تلكَ النواحي ؛ وكانتْ علامةً بينهم ، فتجمَّعوا ، ومعنى تسميةِ إحدَى الرايتَيْن بالسحاب ، أنَّ السحابَ كما يُطبقُ جميعَ الأرض ، كذلك بنو العباس تطبقُ دعوتُهم أهلَ الأرض . ومعنى تسميةِ الأخرى بالظِّلّ أنَّ الأرضَ كما أنَّها لا تخلو من الظِّلّ ، فكذلك بنو العباس لا تخلو الأرضُ من قائمٍ منهم . وأقبل الناسُ إلى أبي مسلمٍ من كلِّ جانب ، وكثُرَ جيشُه .

ولما كان يومُ عيدِ الفِطْر أمرَ أبو مسلمٍ سليمانَ بن كثير أنْ يُصلِّيَ بالناس ، ونَصَبَ له مِنْبراً ، وأن يُخالفَ في ذلك بني أمية ، ويعملَ بالسُّنَّة ؛ فنُودِيَ للصلاة الصلاة جامعة ، ولم يؤذِّنْ ولم يُقِم ، خلافاً لهم ، وبدأ بالصلاةِ قبلَ الخُطْبة ، وكبَّرَ سبعاً في الأولى قبلَ القراءة لا أربعاً ؛ وخمساً في الثانية لا ثلاثاً ،

خلافاً لهم ، وابتدأ الخطبةَ بالذِّكْرِ والتكبير ، وختمها بالقراءة . وانصرفَ الناسُ من صلاةِ العيد وقد أعدَّ لهم أبو مسلمٍ طعاماً ، فوضعهُ بين يدي الناس ، وكتب إلى نصر بن سيَّار كتاباً بدأ فيه بنفسه ثم قال :

إلى نصرِ بنِ سَيَّار ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإن الله عَيَّرَ أقواماً في كتابِهِ فقال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر : ٤٢ ـ ٤٣] . فعَظُمَ على نصر أنْ قَدَّمَ اسمَهُ على اسمِه ، وأطال الفِكْرَ وقال : هذا كتابٌ لهُ جواب .

قال ابنُ جرير(١) : ثم بعث نصرُ بن سيار خيلاً عظيمةً لمحاربةِ أبي مسلم ، وذلك بعد ظهورِهِ بثمانيةَ عشرَ شهراً ، فأرسل أبو مسلم إليهم مالكَ بن الهيثم الخُزَاعي ، فالتقَوْا ، فدعاهُمْ مالكٌ إلى الرِّضا عن آلِ رسولِ الله ﷺ ، فأبوْا ذلك ، فتصافُّوا من أوَّلِ النَّهار إلى العصر ، فجاء إلى مالكٍ مدَد ، فقَوي عليهم واستظهر ، فظَفِرَ بهم مالك ، وكان هذا أولُ موقفٍ اقتتَلَ فيه دعاةُ بني العباس وجندُ بني أمية .

وفي ذي القَعْدةِ من هذه السنة غلَبَ خازمُ بن خزيمة على مَرْوِ الرُّوذ ، وقَتَلَ عاملَها من جهةِ نصرِ بن سَيَّار ، وهو بِشْرُ بن جعفر السَّعدي ، وكتب بالفَتْحِ إلى أبي مسلم ، وكان أبو مسلم إذْ ذاك شابّاً قد اختاره إبراهيمُ لدعوتِهم ، وذلك لشهامتِهِ وصرَامتِه ، وقوةِ فَهْمِهِ وجَوْدةِ ذِهْنه ، وأصلُهُ من سوادِ الكُوفة ؛ وكان مولًى لإدريسَ بنِ مَعْقل العِجْلي ، فاشتراهُ بعضُ دعاةِ بني العباس بأربع مئةِ دِرْهم ، ثم أخذه محمدُ بن علي ، ثم آلَ وَلاؤهُ لآلِ العباس ، وزوَّجهُ إبراهيمُ الإمامُ بابنةِ أبي النَّجْم إسماعيلَ بنِ عمران ، وأصدَقَها عنه ، وكتب إلى دُعاتِهم بخراسان والعراق ، أنْ يسمعوا له . فامتثلوا أمرَهُ في هذه المدَّة ، وقد كانوا في السَّنة الماضية قبلَ هذه السنة ردُّوا عليه أمرَهُ لِصِغَرِهِ فيهم ؛ فلمَّا كانتْ هذه السنةُ أَكَّدَ الإمام كتابةُ إليهم في الوصاةِ به وطاعته ، وكان في ذلك الخيرُ له ولهم ، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

ولمَّا فَشَا أمرُ أبي مسلم بخراسان تعاقدَتْ طوائفُ من أحياءِ العربِ الذين بها على حَرْبه ومُقاتلته ، ولم يُكرَهِ الكرماني وشيبان لأنّهما خرجا على نصر ، وأبو مسلم مخالفٌ لنصر كحالِهما ، وهو مع ذلك يَدْعو إلى خَلْعِ مروانَ الحمار ، وقد طلب نصرٌ من شيبانَ أنْ يكونَ معهُ على حَرْب أبي مسلم أو يكفَّ عنه حتى يتفرغَ لحَرْبه ، فإذا قتلَ أبا مسلم عادا إلى عداوتهما ؛ فأجابه إلى ذلك فبلغَ ذلك أبا مسلم ، فبعث إلى الكَرْمانيِّ يُعلمُه بذلك ، فلام الكرمانيُّ شيبانَ على ذلك وثناه عن ذلك ، وبعث أبو مسلم إلى هَرَاة النضرَ بنَ نُعيم ، فأخذها من عاملها عيسى بن عقيل الليثيّ ، وكتب إلى أبي مسلم بذلك ، وجاء عاملُها إلى نصرٍ هارباً ، ثم إنَّ شيبانَ وادَعَ نصرَ بن سيَّارٍ سنةً على تَرْك الحرب بينه وبينه ، وذلك عن كُرْهٍ من الكَرْمانيّ ، فبعث ابنُ الكرماني إلى أبي مسلم : إني معك على قتالِ نصر ، ورَكِبَ أبو مسلم في خدمةِ ابنِ الكَرْمانيّ ، فنَزلَ عنده ، واجتمعا فاتفقا على حربِ نصرٍ ومخالفتِه ، وتحول أبو مسلمٍ إلى موضعٍ فسيح ،

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٠٨) .

وكَثُرَ جُندُه ، وعَظُمَ جيشُه ، واستعمل على الحَرَسِ والشُّرطِ والرسائلِ والديوان وغير ذلك مما يحتاج إليه الملك عمّالاً ، وجعل القاسمَ بن مجاشع التميميَّ ـ وكان أحدَ النقباء ـ على القضاء ؛ وكان يصلِّي بأبي مسلم الصلوات ، ويقصُّ بعض القصص ، فيذكر محاسن بني هاشم ، ويذم بني أمية ، ثم تحوَّل أبو مسلم إلى قريةٍ يُقالُ لها بالين ، وكان في مكانٍ منخفِض ، فخشيَ أنْ يقطعَ عنه نصرُ بن سيارٍ الماء ، وذلك في سادسِ ذي الحجَّة من هذه السنة ، وصلَّى بهم يوم النَّحْر القاضي القاسم بن مجاشع ، وسار نصرُ بنُ سيار في جحافلَ كالسحاب قاصداً قتالَ أبي مسلم ، واستخلف على البلاد نُوَّاباً ، وكان من أمرهما ما سنذكرُه في السنةِ الآتية .

مقتل ابن الكرماني

ونَشِبتِ الحرب بين نصرِ بن سيارٍ وبين ابنِ الكَرْماني ، وهو جديع بن علي الكَرْماني ، فقُتل بينهما من الفريقَيْن خَلْقٌ كثير ، وجعل أبو مسلم يُكاتبُ كلاًّ من الطائفتين ، ويستميلُهم إليه ، يكتبُ إلى نصر ، وإلى ابنِ الكَرْماني : إنَّ الإمامَ قد أوصاني بكُمْ خيراً ، ولستُ أعدو رأيَهُ فيكم . وكتب إلى الكُور يَدْعو إلى بني العباس ، فاستجاب له خَلْقٌ كثير ، وجَمٌّ غفِير ، وأقبل أبو مسلمٍ فَنزلَ بين خندقِ نصر ، وخندقِ ابن الكرماني ، فهابَهُ الفريقان جميعاً ، وكتب نصرُ بن سيَّارٍ إلى مروانَ يُعلِمُهُ بأمرِ أبي مسلم وكثرةِ منْ معه ، وأنه يدعو إلى إبراهيمَ بنِ محمد ، وكتب في جملةِ كتابِه :

أرى بين الرَّمَادِ وَمِيضَ جَمْرٍ ... وأحْرَى أنْ يكونَ لَهُ ضِرَامُ
فإنَّ النارَ بالعِيدانِ تُذْكَى ... وإنَّ الحربَ مَبْدؤها الكلامُ
فقلتُ من التعجُّب ليتَ شِعْري ... أأيقاظٌ أميةُ أمْ نيامُ[1]

فكتب إليه مروان : الشاهِدُ يرَى ما لا يراهُ الغائب . فقال نصر : إنَّ صاحبَكمْ قد أخبرَكم أنْ لا نَصْرَ عندَه .

وبعضُهم يرويها بلفظٍ آخر :

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نارٍ ... فيوشكُ أنْ يكونَ لَها ضِرَامُ
فإنَّ النارَ بالزَّيْدَيْنِ تُورَى ... ونارُ الحربِ أوَّلُها كلامُ
فإن لم يُطْفِها عقلاءُ قومٍ ... يكونُ وقودَها جُثَثٌ وهامُ
فقلتُ من التعجُّبِ ليتَ شِعْري ... أأيقاظٌ أميةُ أمْ نِيَامُ

(١) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٣١٤) .

فـإنْ كـانـوا لِحَيْنِهِـمُ نيـامـاً فقُلْ قوموا فقد حانَ القيامُ[١]

قال ابنُ خَلِّكان[٢] : وهذا كما قال بعضُ عَلَويَّةِ الكُوفة حين خرجَ محمدٌ وإبراهيمُ ابنا عبدِ الله بن الحسن على المنصور أخي السفاح :

أرى نـاراً تشـبُّ علـى بِقَـاعٍ لهَـا فـي كـلِّ نـاحيـةٍ شُعَـاعُ
وقد رَقَدَتْ بنو العباسِ عنها وبـاتَـتْ وهـي آمنـةٌ رِتَـاعُ
كمـا رقـدَتْ أميـةُ ثـم هَبَّـتْ تُـدَافـعُ حيـن لا يُغْنـي الـدِّفَـاعُ

وكتبَ نصرُ بن سيَّار أيضاً إلى نائبِ العراق يزيدَ بنِ عمر بنِ هُبيرة يستمِدُّه ، وكتب إليه :

أبلـغْ يـزيـدَ وخيـرُ القـولِ أصـدقُـهُ وقد تبيَّنْتُ أنْ لا خيرَ في الكذِبِ[٣]
بـأنَّ أرضَ خُـراسـانٍ رأيـتُ بهـا بيْضاً لو افْرَخَ قد حدَّثْتُ بالعَجَبِ[٤]
فِـرَاخُ عـامَيْـنِ إلاَّ أنَّهـا كَبِـرَتْ لَمَّـا يَطِـرْنَ وقـد سُرْبِلْـنَ بـالـزَّغَـبِ
فـإنْ يَطِـرْنَ ولـم يُحْتـلْ لَهُـنَّ بهـا يُلْهبـنَ نِيـرانَ حَـرْبٍ أيَّمـا لَهَـبِ[٥]

فبعث ابنُ هُبَيرةَ بكتابِ نصرٍ إلى مروان ، واتَّفَقَ في وصولِ الكتابِ إليه أنْ وجدوا رسولاً من جهةِ إبراهيم الإمام ، ومعه كتابٌ منه إلى أبي مسلم ، وهو يشتُمُه فيه ويسُبُّه ، ويأمرُهُ أنْ يُناهضَ نصرَ بنَ سَيَّارٍ وابنَ الكَرْماني ، ولا يترُك هناك منْ يُحْسنُ العربية . فعند ذلك بعثَ مروانُ وهو مقيمٌ بحَرَّانَ كتاباً إلى نائبهِ بدمشق ، وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك ، يأمرُهُ أنْ يرسل كتاباً إلى نائبهِمْ بالبَلْقاء ، أنْ يَذْهب إلى الحُمَيْمَة[٦] ـ وهي البلدةُ التي فيها إبراهيمُ بن محمد الإمام ـ فيُقَيِّدَه ويُرسلَهُ إليه . فبعثَ نائبُ دمشقَ إلى نائبِ البَلْقاء ، فذهب إلى مسجدِ البلدةِ المذكورة ، فوجدَ إبراهيمَ الإمام جالساً ، فقيَّدهُ وأرسل به إلى دمشق ، فبعثه نائبُ دمشقَ من فَوْرِهِ إلى مروان ، فأمرَ بِهِ فسُجنَ ثم قُتل كما سيأتي .

وأمَّا أبو مسلم فإنَّه لَمَّا توسَّطَ بين جيشِ نصرٍ وابنِ الكَرْمَانيّ ، كاتَبَ ابنَ الكرماني : إني معك . فمالَ إليه ، فكتبَ إليه نصر : وَيْحَك ! لا تَغْتَرّ ، فإنَّهُ إنما يُريد قتلَكَ وقتلَ أصحابِك ، فهَلُمَّ حتى نكتبَ كتاباً بيننا بالمُوَادَعَة . فدخلَ ابنُ الكَرْمانيِّ دارَهُ ثم خرج إلى الرَّحْبَةِ في مئةِ فارس ، وبعث إلى نصر هَلُمَّ حتى

---

(١) الأبيات والخبر في وفيات الأعيان (٣/ ١٤٩ ، ١٥٠) .
(٢) في وفيات الأعيان (٣/ ١٥٠) .
(٣) في (ق) : « وقد تحققت » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٤) في (ق) : « بيضاً إذا أفرخت » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٥) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣١٤) .
(٦) الحميمة : بلفظ تصغير الحُمَة . بلدٌ من أرض الشراة من أعمال عَمَّان ، في أطرافِ الشام ، كانتْ منزلَ بني العباس . معجم البلدان (٢/ ٣٠٧) .

نتكاتبَ ، فأبصرَ نَصْرٌ غِرَّةً من ابنِ الكَرْمانيِّ فنهض إليهِ في خلْقٍ كثير ، فحمَلوا عليه فقتلوه ، وقتلوا من جماعتهِ جماعةً ، وقُتل ابنُ الكرمانيِّ في المعركة ، طعَنَهُ رجلٌ في خاصِرَتِه ، فخَرَّ عن دابَّتِهِ ، ثم أمر نصرٌ بصَلْبِه وصَلَب معه جماعةً ، وصلَبَ معه سمكة ، وانضافَ وَلَدُهُ إلى أبي مسلم الخُراساني ، ومعه طوائفُ من الناسِ من أصحابِ ابنِ الكَرْماني ، فصاروا كَتِفاً واحداً على نصر .

قال ابنُ جرير[١] : وفي هذه السنة تغلَّبَ عبدُ الله بن معاوية بنِ عبد الله بن جعفر على فارسَ وكُورِها ، وعلى حُلْوان ، وقُومس ، وإصْبهان ، والرَّيّ ، بعدَ حَرْبٍ يطولُ ذكرُها ؛ ثم التقى عامر بن ضُبَارة معه بإصْطَخر ، فهزمه ابنُ ضُبَارة وأسَرَ من أصحابِهِ أربعينَ ألفاً ، فكان منهم عبدُ الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، فنسبه ابنُ ضُبارة وقال له : ما جاء بكَ معَ ابنِ معاوية وقد علمتَ خِلافةُ لأميرِ المؤمنين ؟ فقال : كان عليَّ دَيْنٌ فأتَيْتُهُ فيه . فقامَ إليه حَرْب بن قَطَنِ بن وهب الهلالي فاستوهَبَهُ منه وقال : هو ابنُ أختنا . فوهَبَهُ لهُ وقال : ما كنتُ لأقدِمَ على رجلٍ من قريش . ثم استعلَمَ ابنُ ضُبارةَ منه أخبارَ ابنِ معاوية ، فذَمَّهُ ورَمَاهُ هو وأصحابَه باللِّوَاط ؛ وجيء من الأسارَى بمئةِ غلامٍ عليهم الثيابُ المصبغة ، وقد كان يعملُ معهمُ الفاحشة . وحمل ابنُ ضُبارة عبدَ الله بن علي على البريد لابن هُبيرة لِيُخبرَهُ بما أخبر به ابنُ ضبارة عن ابنِ معاوية ، وقد كتب الله عزَّ وجلَّ أنَّ زوالَ مُلكِ بني أمية يكونُ على يديْ هذا الرجل ، وهو عبدُ الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولا يَشْعُرُ واحدٌ منهم بذلك .

قال ابنُ جرير[٢] : وفي هذه السنة وافَى[٣] الموسمَ أبو حمزةَ الخارجي ، فأظهر التحكيمَ والمخالفة لمروانَ ، وتبرَّأ منه . فراسلهم عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وهو يومئذٍ أميرُ مكَّةَ والمدينةِ والطائف ، وإليهِ أمرُ الحَجيج في هذه السنة ، ثم صالحهم على الأمانِ إلى يوم النَّفْر ، فوقفوا على حِدَةٍ بين الناس بعرفات ، ثم تحيَّزوا عنهم ، فلما كان يومُ النَّفْرِ الأولِ تعَجَّلَ عبدُ الواحدِ وترَكَ مكةَ فدخلها الخارجيُّ بغيرِ قتال ، فقال بعضُ الشعراء في ذلك :

زارَ الحَجِيجَ عصابةٌ قد خالَفُوا دِينَ الإلَهِ فَفَرَّ عبدُ الواحدِ
ترَكَ الحلائلَ والإمارةَ هارباً ومَضَى يُخبِّطُ كالبعيرِ الشَّارِدِ
لو كان والدُهُ تنصَّلَ عِرْقَهُ لصَفَتْ مواردُهُ بِعِرْقِ الوالِدِ

ولما رجع عبدُ الواحدِ إلى المدينة شرَعَ في تجهيز السرايا إلى قتالِ الخارجي ، وبَذْلِ النَّفَقات ، وزادَ

(١) في تاريخه (٤/ ٣١٥) .
(٢) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣١٧) .
(٣) في (ح ، ق) : « ولي » ، والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري .

في أعطيةِ الأجناد ، وسيَّرَهم سريعاً ، وكان أمير العراق يزيد بن هُبيرة ، وأمير خُراسان نصر بن سَيَّار ، وقد استحوذَ على بعضِ بلادِه أبو مسلم الخراساني .

وممَّنْ تُوفِّي فيها من الأعيان :

سالم أبو النَّضْر .

وعليُّ بن زيد بن جُدْعان في قول .

ويحيى بن أبي كثير . وقد ذكَرْنا تراجِمَهم في « التكميل » ولله الحمد .

سنة ثلاثين ومئة

في يوم الخميس لتسعِ خلَوْنَ من جُمَادَى الأولى منها دخل أبو مسلم الخُراساني مدينةَ مَرْو ، ونزَلَ دارَ الإمارةِ بِها وانتزَعَها من يَدِ نَصْرِ بن سَيَّار ، وذلك بمساعدة علي بن الكَرْماني ، وهرَبَ نصرُ بن سيَّار في شِرْذِمةٍ قليلةٍ من الناس ، نحو من ثلاثة آلاف ، ومعه امرأتُهُ الْمَرْزُبانة ، ثم عجَّلَ الهَربَ حتى لَحِقَ سَرْخَس ، وترك امرأتَهُ وراءَهُ ونَجَا بنفسِه ، واستفحلَ أمْرُ أبي مسلمٍ جدّاً ، والتفَّتْ عليه الطوائفُ من الناس وجماعةٌ من أحياء العرب .

مَقْتَلُ شيبانَ بن سَلَمةَ الحَرُورِي

ولما هربَ نصرُ بن سيَّار بَقِيَ شيبان ، وكان مُمالئاً له على أبي مسلم ، فبعث إليه أبو مسلم رسلاً ، فحَبسَهم ، فأرسل أبو مسلم إلى بسَّام بن إبراهيم مولى بني ليث ، يأمرُه أنْ يركبَ إلى شيبانَ فيُقاتِلَه ، فسار إليه ، فاقتتلا ، فهزمه بسَّامٌ فقتَلَه ، واتَّبَعَ أصحابَهُ يقتُلُهم ويأسِرُهم ، ثم قتلَ أبو مسلمٍ عليّاً وعثمانَ ابني الكَرْماني . وكان سببُ ذلك أنَّ أبا مسلم كان وَجَّه موسى بن كعب إلى أَبِيوَرْدَ فافتتحهَا ، وكتبَ إلى أبي مسلم يعلمه بذلك ، ووجَّهَ أبا داودَ إلى بَلْخٍ فأخذَها من زياد بن عبد الرحمن القُشَيْري ، فجمعَ زيادٌ خلقاً من الجنود من أهلِ تلك الناحية لقتالِ السُّود ، فنهضَ إليهم أبو داود ، فقاتلهم حتى كَسَرَهم ، واستباحَ معسكرَهم ، وقتل منهم خلقاً واصطفى أموالاً جَزيلة ، واستفحلَ أمرُهُ هناك ، ثم وقعت كائنةٌ اقتضَتْ أن اتَّفَقَ رأيُ أبي مسلم مع أبي داود على قَتْلِ عثمان بن الكَرْماني في يومٍ كذا وكذا ، وفي ذلك اليوم بِعَيْنِه يقتل أبو مسلم عليَّ بن جديع الكَرْماني ، فوقع ذلك كذلك .

وفي هذهِ السنةِ وجَّهَ أبو مسلم قَحْطَبَةَ بن شَبيب إلى نَيْسابورَ لقتالِ نَصْرِ بن سيَّار ، ومع قحطبةَ جماعةٌ من كبارِ الأمراء ، منهم خالدُ بن بَرْمَك ، وخلقٌ منهم ، فالتقَوْا مع تميم بن نَصْرِ بن سيَّار وقد وجَّهَهُ أبوهُ لقتالِهم بِطُوس ، فقتلَ قحطبةُ من أصحاب نصرٍ نحواً من سبعةَ عشرَ ألفاً في المعركة ، وقد كان أبو مسلم

بعث إلى قحطبةَ مدداً نحو عشرةِ آلاف فارس ، عليهم عليُّ بنُ مَعْقِل ، فاقتتلوا ، فقتلوا من أصحابِ نصرٍ خلقاً كثيراً ، وقتلوا تميمَ بنَ نَصْر ، وغَنِموا أموالاً جَزيلة جداً ، ثم إنَّ يزيدَ بنَ عمر بنِ هُبيرةَ نائبَ مروانَ على العراق ، بعث بسَرِيَّةٍ مدداً لنصرِ بنِ سيَّار ، فالتقى معهم قحطبةُ في مُستهَلِّ ذي الحِجَّة ، وذلك يوم الجُمعة ، فقام قحطبةُ في الناس خطيباً ، فحثَّهم على الجهادِ والقتال ، وذكَّرهم ، وأمرهم بالمصابَرَة ، ووعدَهم عن الإمام أنهم يُنصَرون في هذا اليوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم جندُ بني أمية ، وقُتل من أهل الشام وغيرِهم عشرةُ آلاف ، منهم أميرُ المدد نُباتَةُ بن حنظلة عاملُ جُرْجان ورساتيقها لابن هُبيرة ، فبعث قحطبةُ برأسِهِ إلى أبي مسلم .

ذكرُ دخولِ أبي حمزةَ الخارجي المدينةَ النبويَّةَ واستيلائِـهِ عليها مدة ثلاثة أشهر حتى ارتحل منها

قال ابنُ جرير[١] : وفي هذه السنةِ كانت وقعةٌ بقُدَيد من أرض الحجاز ، بين أبي حمزةَ الخارجي الذي كان عامَ أول في أيامِ الموسم ، فقتل من أهلِ المدينة من قريش وغيرهم خلقاً كثيراً ، ثم دخل المدينةَ وهرَبَ نائبُها عبدُ الواحد بنُ سليمان ، فقتل الخارجيُّ من أهلِها خلقاً ، وذلك لتسعَ عشرةَ ليلةً خلَتْ من صفرَ من هذه السنة ، ثم خطبَ على مِنبرِ رسولِ الله ﷺ ، فوبَّخَ أهلَ المدينة وأنَّبهمْ ، وكان فيما وبَّخهمْ به أنْ قال : يا أهلَ المدينة ، إني مررتُ بكمْ أيامَ الأحول ـ يعني هشامَ بنَ عبدِ الملك ـ وقد أصابَتْكُمْ عاهةٌ في ثمارِكم فكتبتُمْ إليه تسألونَهُ أنْ يضَعَ الخَرْصَ[٢] عن ثمارِكم فوضعه ، فزاد غَنِيَّكم غِنىً ، وزاد فقيرَكم فقراً ، فكتبتم إليه : جزاكَ الله خيراً ، فلا جَزاهُ الله خيراً . في كلام طويل . فأقام عندَهم ثلاثةَ أشهر بقيةَ صفر وشهرَيْ ربيع ، وبعض جُمَادَى الأولى فيما قال الواقدي وغيرُه[٣] .

وقد روى المدائني ، أنَّ أبا حمزةَ رَقِي يوماً منبرَ رسولِ الله ﷺ فحمد الله ثم أثنى عليه ، ثم قال : تعلمون يا أهل المدينة أنَّا لم نخرُجْ من ديارِنا وأبنائنا بطَراً ولا أشَراً ، ولا عبثاً ، ولا لِدَوْلةِ مَلِكٍ نُريد أن

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٢٨) .

(٢) الخَرْصُ : حَزْرُ ما على النَّخل من الرُّطَبِ تمراً ، وقد خَرَصْت النخلَ والكرْمَ أَخْرُصُه خَرْصاً ، إذا حَزَرَ ما عليها من الرُّطب تمراً ، ومن العِنَبِ زبيباً ، وهو من الظنّ لأن الحَزْر إنما هو تقديرٌ بِظَنٍ ، وخرَصَ العددَ يَخْرُصُه ويَخرِصُه خَرْصاً وخِرْصاً : حَزَرَه ، وقيل : الخَرْصُ المصدرُ والخِرْصُ ، بالكسر ، الاسمُ . يقال : كم خِرْصُ أرْضِك وكم خِرْصُ نَخْلِكَ ؟ بكسر الخاء ، وفاعلُ ذلك الخارِصُ ، وكان النبيّ يبعَث الخُرَّاص على نَخِيل خَيْبَر عند إدْراك ثَمرِها ، فَيحزِرُونه رُطباً كذا وتَمراً كذا ، ثم يأخذهم بمَكِيلة ذلك من التمر الذي يجب له وللمساكين . لسان العرب (خرص) .

(٣) انظر قول الواقدي في تاريخ الطبري (٤/ ٣٣٠) .

نخوضَ فيه ، ولا لِثأرٍ قَدِيم نِيلَ منَّا . ولكنَّا لما رأينا مصابيحَ الهُدَى عُطِّلَتْ[(١)] ، وضَعُفَ القائلُ بالحق ، وقُتل القائمُ بالقسط ، ضاقَتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعةِ الرحمن وحُكْمِ القرآن ، فأجَبْنا داعيَ الله ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأحقاف : ٣٢] ، أقبلْنَا من قبائلَ شَتَّى ، النَّفَرُ مِنَّا على بعيرٍ واحد ، عليهِ زادُهُمْ وأنفُسُهم ، يتَعاوَرُونَ لِحَافاً واحداً ، قليلونَ مُسْتَضْعَفونَ في الأرض فآوانا الله وأيَّدَنا بنصرهِ ، فأصبَحْنا واللهِ بنعمةِ الله إخواناً ، ثم لَقِينا رجالَكُمْ بِقُدَيْد ، فدعَوْناهم إلى طاعةِ الرحمنِ وحُكْمِ القُرآن ، ودعَوْنا إلى طاعة الشيطانِ وحُكم بني مروان ، فشَتَّانَ لعمرُ الله ما بين الغيِّ والرُّشْد ، ثم أقبلوا نحوَنا يُهْرَعُونَ ، قد ضربَ الشيطانُ فيهم بِجِرَانِه ، وغلَتْ بدمِائِهم مَرَاجِلُه ، وصدَق عليهم ظَنُّـهُ فاتَّبعوه ، وأقبلَ أنصارُ الله عصائبَ وكتائبَ ، بكُلِّ مُهَنَّدٍ ذي رونق ، فدارَتْ رَحَانا ، واستدارَتْ رَحَاهُمْ بضربٍ يَرْتابُ منه المُبْطِلون . وأنتم يا أهلَ المَدينة ، إنْ تَنْصُروا مروانَ يُسْحِتكُمُ الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا ويَشْفِ صدورَ قومٍ مؤمنين ، ياأهلَ المدينة ، أوَّلُكُمْ خيرُ أول ، وآخِرُكم شَرُّ آخِر . ياأهلَ المدينة ، الناسُ مِنَّا ونحن منهم ، إلاَّ مُشْركاً عابِدَ وَثَن ، أو كافراً أهلَ كتاب ، أو إماماً جائراً ، يا أهلَ المدينة ، مَنْ زَعَم أنَّ الله يُكَلِّفُ نفساً فوق طاقَتِها ، أو يسألها ما لم يؤتِها فهو لله عدوّ ، وأنا له حَرْب ، يا أهلَ المدينة ، أخبِروني عن ثمانيةِ أسْهُم فرَضَها الله في كتابهِ على القويِّ والضعيف ، فجاءَ تاسِعٌ ليس له منها ولا سهمٌ واحد ، فأخذها لنفسِهِ مُكابِراً محارِباً لِرَبِّه ، يا أهلَ المدينة ، بَلَغَني أنكم تَنْتَقِصونَ أصحابي ، قلتُمْ شَبَابٌ أحداث ، وأعرابٌ جُفَاةٌ أجلاف ، وَيْحكم ! فهل كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ إلاَّ شباباً أحداثاً ؟ شُبَّانٌ والله مُكْتَهِلُون في شَبَابِهم ، غَضَّةٌ عن الشرِّ أعينُهم ، ثَقِيلةٌ عن السَّعْيِ في الباطل أقدامُهم ، قد باعوا للهِ أنفساً تموت ، بأنفسٍ لا تموت ، قد خالطوا كلالَهم بكلالِهم ، وقيامَ ليلِهم بصيام نهارِهم ، مُنحَنِيةٌ أصلابُهم على أجزاءِ القرآن ، كلَّما مرُّوا بآيةِ خوفٍ شَهَقُوا خوفاً من النار ، وإذا مرُّوا بآيةِ شَوْقٍ شَهَقوا شوقاً إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف قد انْتُضِيَتْ ، وإلى الرِّمَاحِ قد شُرِعتْ وإلى السهامِ قد فُوِّقَتْ ، وأرعدَتِ الكتيبةُ بصواعقِ الموت استخفُّوا واللهِ وَعِيدَ الكتيبةِ لِوَعِيدِ الله في القرآن ، ولم يستخفُّوا وَعِيدَ الله لِوَعِيدِ الكتيبة ، فطُوبى لهم وحسنُ مآب . فكم من عينٍ في مناقيرِ الطيرِ طالما فاضَتْ في جَوْفِ الليلِ من خشيةِ الله ؟ وطالما بكَتْ خاليةً من خوفِ الله ! وكم من يدٍ زالَتْ عن مَفْصِلها طالما ضرَبَتْ في سبيل الله ! وجاهدَتْ أعداءَ الله ، وطالما اعتمَدَ بها صاحبُها في طاعةِ الله ! أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ من تقصيري ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكَّلتُ ، وإليه أُنِيب[(٢)] .

ثم روى المدائني عن العباس ، عن هارون ، عن جَدِّه ، قال : كان أبو حمزةَ الخارجي قد أحسن

---

(١) في (ق) : « مصابيح الحق طمست » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) أخرج الخبر الطبري في تاريخه (٤/ ٣٣٠) .

السيرةَ في أهلِ المدينة ، فمالوا إليه حتى سمعوهُ يقول : بَرِحَ الخَفَاء ، أين عن بابِك نذهب ؟ ثم قال : مَنْ زَنَا فهو كافر ، ومَنْ سَرَقَ فهو كافر . فعند ذلك أبغضوهُ ورجَعُوا عن محبَّتِه ، وأقام بالمدينةِ حتى بعث مروانُ الحمار عبدَ الملك بن محمد بن عَطِيَّة ، أحَدَ بني سعدٍ في خيلِ أهلِ الشام أربعة آلاف ، قدِ انتخَبَها مروانُ من جيشِه ، وأعْطَى كلَّ رجلٍ منهم مئةَ دينار ، وفرساً عربيَّةً ، وبَغْلاً لِثقَلِه ، وأمرَهُ أنْ يُقاتِلَهُ ولا يَرْجِعَ عنه ، ولو لم يَلْحَقْهُ إلاَّ باليمن فَلْيَتْبَعْهُ إليها ، ولْيُقاتِلْ نائبَ صنعاء عبدَ الله بن يحيى ، فسارَ ابنُ عطيَّة حتى بلَغَ وادي القُرَى ، فتلقَّاهُ أبو حمزةَ الخارجيّ قاصداً قتالَ مروانَ بالشام ، فاقتتلوا هنالكَ إلى الليل ، فقال له : وَيْحَك يا ابنَ عطيَّة ، إنَّ الله قد جعلَ الليلَ سَكَنَاً ، فأخِّرْ إلى غد . فأبى عليهِ أنْ يُقلعَ عن قتاله ، فما زال يُقاتلهم حتى كسرَهم فولَّوْا ، ورجع فَلُّهم إلى المدينة ، فنَهَضَ إليهم أهلُ المدينة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ودخل ابنُ عطيةَ المدينة وقد انهزَمَ جيش أبي حمزةَ عنها ، فيقال إنه أقامَ بِها شهراً ثم استخلف عليها ، ثم استخلف على مكَّة وسار إلى اليمن ، فخرج إليه عبدُ الله بن يحيى نائبُ صنعاء فاقتتلا ، فقَتَله ابنُ عَطِيَّةَ وبعث برأسِهِ إلى مروان ، وجاء كتابُ مروانَ إليه يأمرُهُ بإقامةِ الحجِّ للناس في هذِه السنة ، ويستعجلُه في المسيرِ إلى مكة ، فخرجَ من صنعاءَ في اثني عشر راكباً ، وتركَ جيشَه بصنعاء ومعه خُرْجٌ[١] فيه أربعون ألفَ دينار ، فلما كان ببعضِ الطريق نزلَ مَنْزِلاً إذْ أقبل إليه أميرانِ يُقال لهما ابنا جُمانة ، من ساداتِ تلك الناحية ، فقالوا : وَيْحكم ! أنتم لصوص . فقال : أنا ابنُ عَطِيَّةَ وهذا كتابُ أميرِ المؤمنينَ إليَّ بإمْرَةِ الحَجّ ، فنحن نُعَجِّلُ السيرَ لِنُدرِكَ المَوْسِم ، فقالوا : هذا باطل ، ثم حَمَلوا عليهم فقتلوا ابن عطيةَ وأصحابهُ ولم يُفلِتْ منهم إلاَّ رجلٌ واحد ، وأخذوا مامعَهم من المال .

قال أبو معشر : وحجَّ بالناس في هذه السنة محمدُ بن عبد الملك بن مروان ، وقد جُعلت إليه إمرةُ المدينةِ ومكةَ والطائفِ ، ونائبُ العراق ابنُ هُبيرة ، وإمرةُ خُراسان إلى نَصْرِ بن سيار ، غيرَ أنَّ أبا مسلم قدِ استحوَذَ على مُدُنٍ وقُرىً كثيرةٍ من خُراسان وكُوراً ورَسَاتِيق ، وقد أرسل نصرٌ إلى ابنِ هُبيرةَ يستَمِدُّهُ ويستنجِدُهُ ، ويطلبُ أن يُمِدَّهُ من عندِهِ بعشرةِ آلافٍ قبلَ أنْ لايكفيَهُ مئةُ ألف ، وكتبَ أيضاً إلى مروانَ يستَمِدُّه ، فكتب مروانُ إلى ابنِ هُبيرةَ يُمِدُّه بما أراد .

ومِمَّنْ تُوفِّي فيها من الأعيان :

شُعيب بن الحَبْحَاب .

وعبدُالعزيزِ بنُ صُهيب .

وعبدُالعزيزِ بنُ رُفَيع .

وكعب بن علقمة .

---

(١) الخُرْجُ : وعاء معروف ، عربيٌّ صحيح ، والجمع خِرَجَة ، وزان عنبة . المصباح المنير (خرج) .

ومحمد بن المُنْكَدِر .

والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومئة

في المحرَّمِ منها وجَّهَ قَحْطَبَةُ بن شَبِيب ولدَهُ الحسن إلى قُومِسَ لِقِتالِ نصرِ بنِ سيَّار ، وأردَفَهُ بالأمْداد ، فخامَرَ بعضُهم إلى نصر ، وارتحل نصرٌ فنزَلَ الرَّيّ ، فأقام بها يومين ، ثم مَرِضَ فسار منها إلى هَمَذَان ، فلمَّا كان بسَاوَهْ[١] ، قريباً من هَمَذان ، تُوفِّيَ لمُضِيِّ ثنتَيْ عشرةَ ليلةً خلَتْ من ربيعِ الأول من هذه السنة ، عن خمسٍ وثمانينَ سنة . فلَّما ماتَ نصرٌ تمكَّنَ أبو مسلمٍ وأصحابُه من بلادِ خُراسان ، وقويَتْ شَوْكتُهم جداً ، وسار قحطبةُ من جُرْجَان ، وقَدِمَ أمامَهُ زيادُ بن زُرارَةَ القُشَيري ، وكان قد نَدِم على اتباعِ أبي مسلم ، فترك الجيشَ وأخذَ جماعةً معه ، وسلك طريقَ أصبَهان ليأتِيَ ابنَ ضُبَارَة ، فبعثَ قحطبةُ وراءَهُ جيشاً ، فقتلوا عامَّةَ أصحابِه ، وأقبل قحطبةُ ورَاءَهُ ، فقَدِمَ قُومِسَ وقد افتتحها ابنُهُ الحسن ، فأقام بها وبعث ابنَهُ بين يديه إلى الرَّي ، ثم ساق وراءَهُ فوجدَهُ قد افتتحها ، فأقام بها . وكتبَ إلى أبي مسلم بذلك ، وارتحلَ أبو مسلمٍ من مَرْوَ ، فنَزل نَيْسابور ، واستفحل أمرُه ، وبعث قحطبةُ بعدَ دخولِهِ الرَّي ابنَهُ الحسن بين يديه إلى هَمَذان ، فلما اقتربَ منها خرجَ منها مالكُ بن أدهم وجماعةٌ من أجنادِ الشام وخُراسان ، فنَزلوا نَهَاوَنْد ، فافتتح الحسنُ هَمَذان ، ثم سار وراءَهُم إلى نَهَاوَنْد ، وبعث إليه أبوهُ بالأمْداد ، فحاصرَهم حتى افتتحَها .

وفي هذه السنة مات عامرُ بن ضُبَارة ، وكان سببُ ذلك أنَّ ابنَ هُبَيرةَ كتب إليهِ أنْ يسيرَ إلى قحطبةَ وأمَدَّهُ بالعساكر ، فسار ابنُ ضُبَارةَ حتى التقى مع قحطبة ، وابنُ ضُبَارةَ في مئةٍ وخمسين ألفاً ، وكان يقالُ له عسكر العساكر ، وقحطبة في عشرين ألفاً ، فلما تواجَهَ الفريقان رفَعَ قحطبةُ وأصحابُهُ المصاحفَ ونادى المنادي : يا أهلَ الشام إنَّا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف ، فشَتَموا المناديَ وشتموا قحطبة ، فأمر قحطبةُ أصحابَهُ أنْ يحمِلوا عليهم ، فلم يكنْ بينَهم كبيرُ قتال حتى انهزم أصحابُ ابنِ ضُبَارَة ، واتَّبعهم أصحابُ قحطبةَ فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وقتلوا ابنَ ضُبَارَةَ في العسكر [لشجاعَتِه ، فإنَّه لم يُوَلِّ][٢] وأخذوا منْ عسكرِهم ما لا يُحدُّ ولا يُوصَف .

(١) سَاوَهْ : بعد الألف واو مفتوحة ، بعدَها هاءٌ ساكنة : مدينةٌ حسنةٌ بين الرَّيِّ وهَمَذان ، في وَسَط ، بينها وبين كلِّ واحدٍ من همذان والري ثلاثون فرسخاً ، وكان بها دارُ كتب ، لم يكن في الدنيا أعظمُ منها ، بلغني أنهم أحرقوها ، اهـ معجم البلدان (٣/ ١٧٩) .

(٢) ما بين معقوفين ليس في الأصول ، وهو مثبت هكذا بين الحاصرتين في (ق) .

وفيها حاصرَ قحطبةُ نَهَاوَنْدَ حصاراً شديداً ، حتى سألَهُ أهلُ الشام الذين بِها أنْ يُمْهِلَ[١] أهلَها حتى يفتحوا له الباب ، ففتحوا له الباب وأخذوا لهم منه أماناً ، فقال لهم مَنْ بها من أهلِ خُرَاسان : ما فعلتُمْ ؟ فقالوا : أخَذْنا لنا ولكم أماناً . فخرجوا ظانِّين أنهم في أمان ، فقال قحطبةُ للأمراء الذين معه : كلُّ مَنْ حَصَل عندَه أسيرٌ من الخراسانيِّين فَلْيضرِبْ عُنقَه ، وَلْيأتِنَا برأسِه ، ففعلوا ذلك ، ولم يبقَ ممن كان هرَبَ من أبي مسلم أحدٌ . وأطلقَ الشاميِّين وأوفى لهم عَهْدَهم ، وأخذَ عليهمُ الميثاق أنْ لا يُمالئوا عليه عدوّاً . ثم بعث قحطبةُ أبا عَوْن إلى شَهْرَزُور عن أمر أبي مسلم في ثلاثين ألفاً ، فافتتحها وقتل نائبَها عثمانَ بن سفيان ، وقيل : لم يُقتَل ، بل تحوَّلَ إلى المَوْصِل والجزيرة ، وبعث إلى قحطبةَ بذلك ، ولما بلغ مروانَ خبَرُ قحطبةَ وأبي مسلم وما وقع من أمرِهما تحوَّلَ مروانُ من حَرَّان ، فنَزل بمكانٍ يُقال له الزابُ الأكبر .

وفيها قصد قحطبةُ في جيشٍ كثِيف نائبَ العراق يزيدَ بن عمر بن هُبيرة ، فلما اقتربَ منه تقهقر ابنُ هُبيرةَ إلى ورائه ، وما زال يتقهقَرُ إلى أنْ جاوز الفُرَات ، وجاء قحطبةُ فجازها وراءَه ، وكان من أمرِهما ما سنذكرُهُ في السنةِ الآتيةِ إنْ شاءَ الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومئة

في المحرَّمِ منها جاز قحطبةُ بنُ شَبِيب الفرات ، ومعه الجنودُ والفرسان ، وابنُ هُبيرةَ مُخيِّمٌ على فَمِ الفرات مما يلي الفَلُّوجَة[٢] في خلقٍ كثير ، وجَمٍّ غَفِير ، وقد أمِدَّ مروان بجنودٍ كثيرة ، وانضاف إليه كلُّ مَنِ انهزَمَ من جيشِ ابن ضُبَارة ، ثم إنَّ قحطبةَ عدلَ إلى الكوفةِ ليأخذَها ، فاتبعهُ ابنُ هُبيرةَ ، فلما كانتْ ليلةُ الأربعاء لثمانٍ مضَيْنَ من المحرم اقتتلوا قتالاً شديداً ، وكثُرَ القتلُ في الفريقَيْن ، ثم ولَّى أهلُ الشامِ مُنْهَزِمين ، واتبعهم أهلُ خُراسان ، وفُقِد قحطبةُ من الناس ، فأخبرهم رجلٌ أنه قُتلَ وأوصى أنْ يكونَ أميرَ الناسِ من بعده ولدُهُ الحسنُ حاضراً عند الجيش ، فبايعوا حُمَيد بن قحطبةَ لأخيهِ الحسن ، وذهبَ البريدُ إلى الحسن ليحضُر ، وقُتل في هذه الليلةِ جماعةٌ من الأمراء ، والذي قتلَ قحطبةَ مَعْنُ بن زائدة ويحيى بنُ حصين ، وقيل : بل قتلَهُ رجلٌ ممن كان معه آخذاً بثأرِ ابني نصرِ بن سيَّار ، فالله أعلم ، ووُجدَ قحطبةُ في القتلى ، فدُفن هنالك .

---

(١) في (ب ، ح) : « يشغل » بدل « يمهل » .

(٢) الفَلُّوجَة : بالفتح ثم التشديد ، وواو ساكنة ، وجيم : قال الليث : فَلاليجُ السواد قُراها ، وإحداها الفَلُّوجَة ، والفلوجة الكبرى ، والفلوجة الصغرى ، قريتان كبيرتان من سوادِ بغدادَ والكوفة ، قربَ عينِ التمر ، ويقال الفلوجة العليا ، والفلوجة السفلى أيضاً ، وفي الصحاح : الفلوجة : الأرض المصلحة للزرع ، ومنه سُمِّي موضعٌ على الفرات الفلوجة ، والجمع فلاليج . معجم البلدان (٤/ ٢٧٥) ، وهي اليوم مدينة معروفة بغربي بغداد تبعد عنها (٧٠) كيلومتراً .

وجاءَ الحسَنُ بنُ قحطبةَ فسار نحو الكوفة ، وقد خرج بها محمدُ بن خالد بن عبد الله القَسْري ، ودعا إلى بني العباسِ وسَوَّد ، وكان خروجُهُ ليلةَ عاشوراء المحرم من هذه السنة ، وأخرج عامِلَها من جهةِ ابنِ هُبيرةَ وهو زيادُ بن صالح الحارثي ، وتحول محمد بن خالد إلى قَصْرِ الإمارة ، فقصد حَوْثَرَةَ في عشرين ألفاً من جهةِ ابنِ هُبيرة ، فلما اقترب من الكوفة أصحابُ حَوْثَرَة يذهبون إلى محمد بن خالد ، فيبايعونه لبني العباس ، فلما رأى حوثرةُ ذلك ارتحل إلى واسط . ويقال : بل دخل الحسنُ بن قحطبةَ الكوفة ، وكان قحطبةُ قد جعل في وصيَّته أنْ تكون وزارةُ الخلافةِ إلى أبي سلمةَ حفصِ بنِ سليمان مولى السَّبِيع الكوفي الخلَّال ، وهو بالكوفة ، فلمَّا قَدِموا عليه أشار إلى أن يذهب الحسنُ بن قحطبةَ في جماعةٍ من الأمراء إلى قتالِ ابنِ هُبيرة بِوَاسِط ، وأنْ يذهبَ أخوهُ إلى المدائن ، وبعثَ البعوثَ إلى كلِّ جانبٍ يفتتحونَها ، وفتحوا البصرة ، افتتحها مسلمُ بن قُتيبة لابنِ هُبيرة ، فلما قُتل ابنُ هُبيرةَ جاء أبو مالك عبدُ الله بنُ أسيد الخُزَاعي ، فأخذ البصرة لأبي مسلم الخُراساني[١] .

وفي هذه السنة ليلة الجمعة لثلاثَ عشرةَ خلَتْ من ربيعِ الآخر أُخذتِ البيعةُ لأبي العباس السفَّاح ، وهو عبدُ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . قاله أبو معشر وهشام الكلبي . وقال الواقدي : في جُمَادَى الأولى من هذه السنة ، فالله أعلم .

ذكر مقتل إبراهيم بن محمد الإمام

وقد ذكرنا في سنةِ تسعٍ وعشرين ومئة ، أنَّ مروانَ اطَّلَعَ على كتابٍ من إبراهيمَ الإمام إلى أبي مسلم الخراساني يأمرُهُ فيه بأن لا يُبْقِي أحداً بأرضِ خُراسانَ مِمَّنْ يتكلَّمُ بالعربيةِ إلَّا أباده[٢] ، فلما وقف مروانُ على ذلك سأل عن إبراهيمَ فقيل له : هو في البَلْقاء ، فكَتَبَ إلى نائبِ دمشقَ أنْ يحضُر ، فبعث نائبُ دمشق بريداً ومعَهُ صِفَتُه ونَعْتُه ، فذهب الرسولُ فوجد أخاهُ أبا العباس السفَّاحَ ، فاعتقَدَ أنَّهُ هو ، فأخذَهُ ، فقيل له : إنه ليس به ، وإنما هو أخوه . فدُلَّ على إبراهيم ، فأخذَهُ وذهبَ معَهُ بأمِّ وَلَدٍ كان يُحِبُّها ، وأوصَى إلى أهلِهِ أنْ يكونَ الخليفةَ من بعدِهِ أخوهُ أبو العباس ، وأمرَهم بالمسيرِ إلى الكوفة ، فارتحلوا من يومِهم[٣] إليها ، وكانوا جماعةً ، منهم أعمامُه الستة ، وهم : عبدُ الله ، وداودُ ، وعيسى ، وصالح ، وإسماعيل ، وعبدُ الصمد بنو علي ، وأخواه أبو العباس عبد الله السفاح ، ويحيى ابنا محمد بن علي ، وابناه محمد وعبد الوهاب ابنا إبراهيم الإمام الممسوك ، وخَلْقٌ سِواهم ، فلمَّا دخلوا الكوفة أنزلَهم أبو سلمة الخلَّال

(١) انظر تاريخ الطبري (٤/٣٤٣) .
(٢) انظر ما سبق ص(٢٤٦ و٢٥٢) .
(٣) في (ب ، ح) : « فورهم » .

دارَ الوليدِ بن سعد مولى بني هاشم ، وكَتَم أمرَهم نحواً من أربعين ليلةً من القُوَّادِ والأمراء ، ثم ارتحلَ بِهم إلى موضعٍ آخر ، ثم لم يزَلْ يَنقُلُهم من مكانٍ إلى مكان ، حتى فُتحت البلاد ، ثم بُويع للسَّفَّاح .

وأما إبراهيمُ بن محمد الإمام فإنَّه سِيرَ به إلى أميرِ المؤمنينَ في ذلك الزمان مروانَ بنِ محمد ، وهو بِحَرَّان ، فحبسَه ـ كما قدَّمنا[1] ـ وما زال في السِّجْن إلى هذهِ السنة ، فمات في صفر منها في السِّجن عن ثمانٍ وأربعينَ سنة ، وقيل : إنه غُمَّ بِمِرْفَقَةٍ[2] وُضِعتْ على وجهِهِ حتى ماتَ عن إحدى وخمسين سنةً ، وصلَّى عليهِ رجلٌ يُقال له بُهْلول بن صفوان ، وقيل : إنه هُدِمَ عليه بيتٌ حتى مات ، وقيل : بل سُقِيَ لبناً مسموماً فمات ، وقيل : إنَّ إبراهيم الإمام شَهِدَ الموسم عامَ إحدى وثلاثين ، واشتهَر أمرُه هنالك ، لأنَّهُ وقف في أُبَّهَةٍ عظيمة ، ونَجَائب كثيرة ، وحُرْمَةٍ وافرة ، فأُنْهِي أمره إلى مروان ، وقيل له : إنَّ أبا مسلمٍ يَدْعو الناسَ إلى هذا ، ويُسَمُّونَهُ الخليفة ، فبعثَ إليه في المحرَّم من سنةِ ثنتين وثلاثين ، وقتله في صفر من هذه السنة . وهذا أصَحُّ مِمَّا تقدَّم . وقيل : إنما أخذَهُ من الكوفةِ لا من حُمَيْمَةِ البلقاء ، والله أعلم .

وقد كان إبراهيمُ هذا كريماً وجواداً ، له فضائلُ وفواضل . وروَى الحديثَ عن أبيه ، عن جَدِّه ، وأبي هاشم عبدِ الله بن محمد بنِ الحنَفِيَّة . وعنه أخواه عبدُ الله السفاح ، وأبو جعفر عبدُ الله المنصور ، وأبو سلَمَة عبدُ الرحمن بن مسلم الخُراساني ، ومالك بن هاشم .

ومن كلامِهِ الحسَنِ : الكاملُ المروءة منْ أحرزَ دِينَه ، ووَصَلَ رَحِمَه ، واجتنبَ ما يُلامُ عليه .

خِلافةُ أبي العباس السَّفَّاح

لما بلَغَ أهلَ الكوفةِ مقتَلُ إبراهيمَ بن محمد أراد أبو سَلَمَةَ الخلَّال أنْ يحَوِّلَ الخِلافةَ إلى آلِ عليٍّ بنِ أبي طالب ، فغلَبَهُ بقيَّةُ النُّقَبَاءِ والأمراء ، وأحضروا أبا العباس السفَّاح ، وسلَّمُوا عليهِ بالخِلافة ، وذلك بالكوفة ، وكان عمرُهُ إذ ذاك سِتّاً وعشرين سنةً . وكان أولَ مَنْ سَلَّمَ عليه بالخِلافة أبو سلمةَ الخَلَّال ، وذلك ليلةَ الجُمعة ، لثلاثَ عشرةَ ليلة خلَتْ من ربيع الآخر من هذه السنة ، فلما كان وقتُ صلاةِ الجُمعة خرَجَ السفَّاحُ على بِرْذَوْنٍ أبْلَق ، والجنودُ مُلبَسَةٌ معه ، حتى دخل دارَ الإمارة ، ثم خرج إلى المسجدِ الجامع ، وصلى بالناس ثم صَعِدَ المِنبَر ، وبايَعَهُ الناسُ وهو على المِنْبَرِ في أعلاه ، وعَمُّهُ داودُ بن علي واقفٌ دونَهُ بثلاث درج ، وتكلَّمَ السفَّاحُ وكان أوَّلَ مانطَقَ به أنْ قال : الحمدُ للهِ الذي اصطَفَى لنفسهِ دِيناً ، وكرَّمَهُ وشرَّفَهُ وعَظَّمَهُ ، واختارَهُ لنا ، وأيَّدَهُ بنا ، وجعلَنَا أهلَهُ وكَهْفَه ، والقُوَّامَ به ، والذَّابِّينَ عنه ،

---

(١) انظر ما سبق ص (٢٥٢) .

(٢) في (ق) : « بمرقفة » تصحيف ، والمِرْفَقَة ـ بالكسر ـ والمِرْفَق : المُتَّكأ ، والمِخَدَّة ، وقد تَمَرْفق : إذا أخذَ مِرْفَقَة . لسان العرب (رفق) .

والناصرينَ له ، وألزمَنَا كلمةَ التقوَى ، وجعلنَا أحقَّ بِها وأهلَها ، خَصَّنا بِرَحِمِ رسول الله ﷺ وقَرَابَته ، ووضَعَنا بالإسلام وأهلِهِ في المَوْضِعِ الرَّفِيع ، وأنزلَ بذلك على أهلِ الإسلام كتاباً يُتلَى عليهم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، وقل : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٢٣] . وقال : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] . وقال : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾ [الحشر : ٧] ، الآية . فأعلمهم عزَّ وجلَّ فضلنَا وأوجَبَ عليهم حقَّنا ومودَّتنا ، وأجزل من الفَيْءِ والغَنِيمةِ نصيبنَا . تكرِمَةً لنا ، وتَفْضِلَةً[1] علينا ، والله ذو الفضلِ العظيم ، وزعمتِ السَّبَئِيَّة الضُّلَّال أنَّ غيرَنا أحَقُّ بالرياسةِ والسِّياسةِ والخلافةِ منَّا ، فشاهتْ وجوهُهم .

أيُّها الناس ! بنا هَدَى الله الناسَ بعدَ ضلالَتِهم ونصرَهم بعد جهالَتِهم ، وأنقذَهُم بعد هَلَكَتِهم وأظهرَ بنا الحقَّ وأدْحَضَ بنا الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ورفَعَ بنا الخسيسة ، وأتمَّ النَّقِيصة ، وجمع الفُرْقة ، حتى عاد الناسُ بعد العداوةِ أهل تَعاطُفٍ وبِرٍّ ومواساةٍ في دنياهم ، وإخواناً على سُرُرٍ متقابِلِين في أخرَاهم ، فتَحَ اللهُ علينا ذلك مِنَّةً ومِنْحَةً بمحمدٍ ﷺ ، فلما قبَضَهُ إليه قام بذلك الأمرَ بعدَهُ أصحابُه ، وأمْرُهُمْ شُورى بينهم ، فحوَوْا مَوَاريثَ الأُمَم ، فعدَّلوا فيها ، ووضعوها مواضعها ، وأعطوها أهلها ، وخرجوا خماصاً منها ، ثم وثب بنو حربٍ ومروان ، فابتزوها لأنفسهم ، وتداوَلوها ، فجاروا فيها واستأثروا بها ، وظلموا أهلَها ، فأملى الله لهم حيناً ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف : ٥٥] ، فانتزع منهم ما بأيديهمْ بأيدينا ، وردَّ الله علينا حَقَّنا ، وتدارَكَ بنا أُمَّتنا ، وتولَّى أمرَنا والقيامَ بنصرِنا لِيَمُنَّ بنا على الذين استُضْعِفُوا في الأرض ، وختَمَ بنا كما افتتح بنا .

وإنِّي لأرجو أنْ لا يأتيَكُم الجَوْرُ من حيثُ جاءكَمُ الخير ، ولا الفسادُ من حيثُ جاءكَمُ الصلاح ، وما توفيقُنا أهلَ البيتِ إلاَّ بالله ، يا أهلَ الكوفة ، أنتم مَحَلُّ مَحبَّتنَا ، ومَنْزِلُ مودَّتِنا ، وأنتم أسعدُ الناسِ بنا ، وأكرمُهم علينا ؛ وقد زِدْتُكُمْ في أُعطياتِكم مئةَ دِرْهم ، فاستعدُّوا ، فأنا السَّفَّاحُ الهائج ، والثائرُ الْمُبير . وكان به وَعْك ، فاشتدَّ عليه حتى جلس على المنبر ، ونهَضَ عمُّه داود فقال : الحمدُ لله شكراً ، الذي أهلَكَ عدوَّنا ، وأصارَ إلينا مِيراثنا من بيتنا . أيها الناس ، الآنَ انقشعَتْ حَنَادسُ الظلماتِ وانكشف غِطَاؤها ، وأشرقَتْ أرضُها وسماؤها ، فطلعتْ شمسُ الخِلافةِ مِنْ مَطْلعها ، وبَزَغَ القمرُ من مَبْزَغِه ، ورجَعَ الحقُّ إلى نصابِه ، في أهلِ نبيِّكُمْ ، أهلِ الرأفةِ والرحمةِ والعَطْف ، عليكم أيُّها الناس ، إنَّا واللهِ ما خرَجْنا لهذا الأمر ، لِنكْنزَ لُجَيْناً ولا عِقْيَاناً ، ولا لِنحفِرَ نَهْراً ولا لِنَبْنيَ قصراً ، ولا لنجمعَ ذهباً ولا فِضَّةً ، وإنما أخرجَتْنا الأنَفَةُ من انتزَاعِ حَقِّنا ، والغضَب لبني عَمِّنا ، ولِسُوء سيرةِ بني أمية فيكم ،

(١) في (ب ، ح) : « وفضله » .

واستذلالِهم لكم ، واستئثارِهم بفَيْئكمْ وصدَقَاتِكم ؛ فلكُمْ علينا ذِمَّةُ اللهِ وذمَّةُ رسولِه ، وذمَّةُ العباس أنْ نحكمَ فيكم بما أنزل الله ، ونعملَ بكتاب الله ، ونسيرَ في العامَّةِ والخاصَّةِ بسيرةِ رسولِ الله . تَبّاً تَبّاً لبني أميةَ وبني مروان ، آثروا العاجلةَ على الآجِلة ، والدارَ الفانيةَ على الدارِ الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا الأنام ، وارتكبوا المحارِم ، وغَشُوا الجرائم ، وجاروا في سيرَتِهم في العباد ، وسُنَّتِهم في البلادِ التي بها استلذُّوا تسَرْبُلَ الأوزار ، وتجَلْبُبَ الآصار ، ومرَحُوا في أعِنَّةِ المعاصي ، وركضوا في ميادين الغي ، جهلاً منهم باستدراجِ الله ، وعُمياً عن أخذِ الله ، وأمناً لِمَكْرِ الله ، فأتاهم بأسُ الله بياتاً وهُمْ نائمون ، فأصبحوا أحاديثَ ومُزِّقوا كلَّ مُمَزَّق ؛ فبُعداً للقوم الظالمين ، وأدالَنَا اللهُ من مروان[١] ، وقد غرَّهُ باللهِ الغَرور ، أرسلَ عدوُّ الله في عِنَانه ، حتى عَثَرَ جوادُهُ في فَضْلِ خِطَامِه ، أظنَّ عدوُّ الله أنْ لن يَقدرَ عليه أحَد؟ فنادَى حزبَه ، وجمعَ مكايدَهُ[٢] ، ورمَى بكتائبه[٣] ، فوجَدَ أمامَهُ ووراءَهُ وعن يمينِه وعن شمَالِه ، ومن فوقِهِ ومن تحتِه من مكرِ الله وبأسِهِ ونقمتِه ما أماتَ باطلَه ، ومَحَق ضلالَه ، وأحلَّ دائرَةَ السَّوْءِ به ، وأحيا شرفَنا وعزَّنا ، وردَّ إلينا حقَّنا وإرْثَنا . أيُّها الناس ، إنَّ أميرَ المؤمنين نصرَهُ الله نصراً عزيزاً ، إنما عادَ إلى المنبرِ بعدَ صلاةِ الجمعة لأنه كَرِه أن يخلِطَ بكلامِ الجُمعةِ غيرَه ، وإنما قطعَهُ عن استتمامِ الكلام شدَّةُ الوَعْك ، فادْعوا اللهَ لأميرِ المؤمنين بالعافية ، فقد أبدَلَكم الله بمروانَ عدوِّ الرحمن ، وخليفةِ الشيطان ، المتَّبِعِ للسِّفْلَةِ الذين يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون ، المتوكِّلَ على الله ، المقتدي بالأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا الأرضَ بعدَ فسادِها بمعالمِ الهدى ومناهجِ التَّقوى . قال : فعَجَّ الناسُ له بالدُّعاءِ ثم قال : واعلموا يا أهلَ الكوفةِ ، أنه لم يصعَدْ مِنبرَكم هذا خليفةٌ بعد رسولِ الله ﷺ إلاَّ أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب وأميرُ المؤمنين هذا ـ وأشارَ بيده إلى السفَّاح ـ واعلموا أنَّ هذا الأمرَ فينا ليس بخارجٍ عنا حتى نُسْلِمَهُ إلى عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ والحمدُ لله ربِّ العالمين على ما أبلانا وأولانا[٤] .

ثم نزل أبو العباس وداود حتى دخلا القصر ، ثم دخلَ الناسُ يُبايعون إلى العَصْر ، ثم من بعدِ العصر إلى الليل ، ثم إنَّ أبا العباس خرج فعسكَرَ بظاهرِ الكوفة ، واستخلَفَ عليها عمَّهُ داود بن علي ، وبعث عمَّه عبدَ الله بنَ علي إلى ابنِ عَوْن بن أبي يزيد ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسنِ بن قَحْطَبة ، وهو يومئذٍ بواسط يُحاصرُ ابنَ هُبيرة ، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس إلى حُميد بن قَحْطبة بالمدائن ، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز ، وبعث سلمةَ بنَ عمرو بن عثمان إلى مالكِ بنِ الطواف ، وأقام هو بالعسكر أشهراً ؛ ثم ارتحل

---

(١) يقال : أدالَ اللهُ زيداً من عمروٍ ـ مجازاً ـ : نَزَع الله الدولة من عمرٍو فآتاها زيداً . الفائق للزمخشري (١/٤٤٦) .
(٢) في (ق) : « وجمع جنده » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وتاريخ الطبري .
(٣) في (ب ، ح) : « ورمى بكنانته » .
(٤) خطبة السفاح وعمه في تاريخ الطبري (٤/٣٤٦ـ٣٤٨) بنحوه .

فنزل المدينةَ الهاشميةَ في قصرِ الإمارة وقد تنكَّر لأبي سلمةَ الخلَّال ، وذلك لمَا كان بلَغَهُ عنه من العُدول بالخلافة عن ابن عباس إلى آلِ عليٍّ بن أبي طالب ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكرُ مَقْتَلِ مروانَ بنِ محمد بن مروان

آخرِ خلفاء بني أمية ، وتحوُّل الخلافةِ إلى بني العباس .

وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] ، وقوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ، الآية ، وقد ذكَرْنا أنَّ مروان لَمَّا بلغَهُ خبرُ أبي مسلم وأتباعِه ، وما جرَى بأرضِ خُراسان تحوَّلَ من حَـرَّان ، فنزل على نهرٍ قريبٍ من المَوْصل يقالُ له الزَّاب من أرضِ الجزيرة ، ثم أبلغَهُ أنَّ السفَّاحَ قد بُويع له بالكوفة ، والتفَّ عليه الجنود ، واجتمع له أمرُه اشتدَّ عليه ذلك جداً ، وجمع جنودَهُ ، فتقدَّم إليه أبو عَوْن بن أبي يزيد في جيشٍ كثيف وهو أحدُ أمراءِ السفَّاح ، فنازلهُ على الزَّاب ، وجاءتْهُ الأمدادُ من جهةِ السفَّاح ، ثم ندَبَ السفاحُ الناسَ ممن يلي القتال من أهل بيتِه ، فانتدَبَ له عبدَ الله بن علي ، فقال : سِرْ على بركةِ الله . فسار في جنودٍ كثيرة ، فقَدِم على أبي عَوْن ، فتحوَّل له أبو عَون عن سُرَادِقِه ، وخلاَّه لَهُ وما فيه ؛ وجعل عبدُ الله بن علي على شُرْطَتِه حَيَّاشَ بنَ حبيب الطائي ، ونَصيرَ بن الْمُحْتَفِز ، ووجَّه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبدِ الله بن علي ، يحُثُّهُ على مناجزَةِ مروان ، والمبادرةِ إلى قتالهِ ونِزالِهِ قبلَ أن تحدُثَ أمورٌ ، وتبردَ نيرانُ الحرب . فتقدَّمَ عبدُ الله بن علي بجنودِه حتى واجه جيشَ مروان ، ونهض مروانُ في جنودِه ، وتصافَّ الفريقانِ في أولِ النهار .

ويقال إنه كان مع مروان يومئذٍ مئةُ ألفٍ وخمسون ألفاً . ويقال : مئةٌ وعشرون ألفاً . وكان عبدُ الله بن علي في عشرين ألفاً ، فقال مروانُ لعبدِ العزيز بن عمر بن عبد العزيز : إنْ زالتِ الشمسُ يومئذٍ ولم يقاتلونا كنَّا نحنُ الذين ندفَعُها إلى عيسى ابنِ مريم ، وإنْ قاتلونا قبل الزوال فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

ثم أرسل مروانُ إلى عبدِ الله بن علي يسألُهُ المُوادَعةَ . فقال عبدُ الله : كذَبَ ابنُ زُرَيق ، لا تزولُ الشمسُ حتى أوطئَهُ الخيلَ إنْ شاء الله . وكان ذلك يوم السبت لإحدى عشرةَ ليلةً خلَتْ من جُمادى الآخرة من هذه السنة ، فقال مروان لأهلِ الشام : قفوا ، لا تبتدئوهُمْ بقتال . وجعل ينظرُ إلى الشمس ، فخالفهُ الوليدُ بن معاويةَ بنِ مروان ـ وهو خَتنُ مروانَ على ابنتِه ـ فحمَل ، فغَضِبَ مروانُ فشتمَه ، فقاتَلَ أهلُ الميمنة ، فانحاز أبو عون إلى عبدِ الله بنِ علي ، فقاتل موسى بن كعب لعبدِ الله بن علي ، فأمر الناسَ فنَزلوا ، ونُودي : الأرضَ الأرض . فنَزلوا وأشرعوا الرماحَ وجثَوْا على الرُّكَب ، وقاتلوهم ، وجعل أهلُ الشام يتأخَّرون ، كأنما يُدفعون ، وجعل عبدُ الله يمشي قُدُماً ، وجعل يقول : يا ربّ ، حتى متى نُقتلُ فيك ؛ ونادَى : يا أهلَ خُراسان ، يا ثاراتِ إبراهيمَ الإمام ، يا محمد ، يا منصور . واشتدَّ القتالُ جدّاً بين

الناس ، فلا تَسْمعُ إلاَّ وقعاً كالمرازب[١] على النحاس ، فأرسل مروانُ إلى قُضاعةَ يأمرُهم بالنُّزول ، فقالوا : قُلْ لبني سُليم فَلْيَنزلوا . وأرسلَ إلى السَّكَاسِكِ أن احْمِلوا ، فقالوا : قُلْ لبني عامرٍ أنْ يحملوا . فأرسل إلى السَّكونِ أن احْمِلوا ، فقالوا : قُلْ إلى غَطَفانَ فَلْيحملوا . فقال لصاحبِ شُرْطَتِه : انزِلْ . فقال : لا واللهِ لا أجعلُ نفسي غَرَضاً . قال : أمَا واللهِ لأسوءَنَّك . قال : وَدِدْتُ لو قدَرْت على ذلك .

ويُقال : إنه قال ذلك لابنِ هُبَيرة . قالوا : ثم انهزَمَ أهلُ الشام ، واتبعَتْهُمْ أهلُ خُراسانَ في أدبارِهم يقتلون ويأسِرون ، وكان منْ غَرِقَ من أهل الشَّام أكثر ممَّنْ قُتل ؛ وكان في جُملةٍ منْ غَرِق إبراهيمُ بن الوليد بن عبدِ الملك المخلوع ، وقد أمرَ عبدُ الله بنُ علي بعَقْدِ الجِسْر ، واستخرَجَ منْ غَرِق في الماء ، وجعلَ يتلو قولهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٠] . وأقام عبدُ الله بن علي في موضعِ المعركة سبعةَ أيام ، وقد قال رجلٌ من ولَدِ سعيدِ بنِ العاص في مروانَ وفِرَاره يومئذٍ :

لَـجَّ الفِـرَارُ بمـروانٍ فقلـتُ لـهُ ... عـادَ الظَّلُـومُ ظَليمـاً همُّـهُ الهَـرَبُ
أين الفِرَارُ وتَرْكُ الملكِ إذْ ذهبَتْ ... عنك الهُـوَيْنا فـلا ديـنٌ ولا حسَـبُ
فراشة الحِلْم فِرْعون العقاب وإنْ ... تطلـبْ نَـدَاهُ فكلـبٌ دونَـهُ كَلَـبُ[٢]

واحتاز عبدُ الله ما في مُعَسْكرِ مروان من الأموالِ والأمتعةِ والحواصل ، ولم يجد فيه امرأةً سوى جاريةٍ كانتْ لعبدِ الله بن مروان . وكتب إلى أبي العباس السفاح بما فتحَ الله عليه من النصر ، وما حَصَلَ لهم من الأموال ، فصلَّى السفَّاحُ ركعتَيْنِ شكراً للهِ عزَّ وجلَّ ، وأطلقَ لكلٍّ من حضرَ الوقعة خمسَ مئةٍ خمسَ مئة ، ورفعَ في أرزاقِهم إلى ثمانين ، وجعل يَتْلو قوله : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] . الآية .

صِفَةُ مَقْتَلِ مَرْوان الحمار

ويقال له الجَعْدي ، لأنه تأدَّب على الجَعْدِ بنِ درهم ، وهو آخرُ خلفاء بني أمية :

لَمَّا انهزمَ مروانُ سارَ لا يَلْوي على أحد ، فأقامَ عبدُ الله بن علي في مكانِ المعركةِ سبعةَ أيام ، ثم سار خلفَهُ بمنْ معَهُ من الجنود ، وذلك عن أمرِ السَّفَّاح له بذلك ، فلمَّا مَرَّ مروانُ بحَرَّانَ اجتازَها ، وأخرجَ أبا محمدٍ السفيانيَّ من سِجنِه ، واستخلف عليها أبانَ بنَ يزيد ـ وهو ابنُ أُختِه وزوجُ ابنتِه أم عثمان ـ فلمَّا قَدِمَ عبدُ الله على حَرَّان خرَجَ إليه أبانُ بنُ يزيد مُسوِّداً فأمَّنَه عبدُ الله بن علي ، وأقرَّهُ على عملِه ، وهدَمَ الدارَ التي سُجنَ فيها إبراهيم الإمام ، واجتازَ مروانُ قِنَّسرينَ قاصداً حِمص ، فلمَّا جاءها خرج إليه أهلُها

(١) المرازب : جمع مِرْزَبَة ، وهي المطرقة الكبيرة تكون للحدّاد . لسان العرب (رزب) .
(٢) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري ٣٥١/٤ والكامل في التاريخ (٥/ ٧١) .

بالأسواق والمعايش[١] ، فأقام بها يومَيْنِ أو ثلاثة ، ثم شَخَصَ منها ، فلمَّا رأى أهلُ حمصَ قلَّةَ منْ معه اتَّبعوهُ لِيَقتُلوه ، طمعاً فيه وقالوا : مَرْعُوبٌ مهزوم . فأدركوهُ بوَادٍ عندَ حِمْص ، فأكْمَنَ لهم أميرَيْن ، فلما تلاحقوا بِمَرْوان عَطَفَ عليهم فأنشَدَهُمْ أنْ يَرْجِعوا ، فأبَوا إلاَّ مقاتَلَته ، فثارَ القتالُ بينهم وثارَ الكَمينان من ورائهم ، فانهزم الحِمْصيُّون ، وجـاء مروانُ إلى دمشق وعلى نيابتِها من جهتِه زوجُ ابنتِهِ الوليدُ بن معاويةَ بنِ مروان ، فترَكَهُ بها واجتاز عنها قاصداً إلى الديارِ المِصْريَّة ، وجعل عبدُ الله بنُ علي لا يَمرُّ ببلدٍ إلا خرجوا إليه وقد سوَّدُوا ، فيُبايعونه ويعطيهمُ الأمان ، ولما وصل إلى قِنَّسْرينَ وصل إليه أخوهُ عبدُ الصمد بنُ علي في أربعةِ آلاف ، وقد بعثهمُ السفاح مدداً له ؛ ثم سار عبدُ الله حتى أتى حمصَ ، ثم سار منها إلى بَعْلَبَكّ ، ثم منها حتى أتى دمشق من ناحيةِ الْمِزَّة ، فنزل بها يومين أو ثلاثة ، ثم وصل إليه أخوه صالح بن علي في ثمانية آلاف مدداً من السفاح ، فنزل صالحٌ بِمَرْجِ عَذْراء ، ولما جاء عبدُ الله بنُ علي دمشقَ نزلَ على البابِ الشرقي ، ونزَلَ صالحٌ أخوه على بابِ الجابية ، ونزل أبو عَوْن على بابِ كَيْسان ، على الباب الصَّغِير ، وحُمَيْد بن قَحْطَبَة على باب تُوما . وعبدُ الصمد وَيحيى بنُ صفوان والعباسُ بن يزيد على باب الفراديس ، فحاصرَها أياماً ثم افتتَحَها يومَ الأربعاء لعشرٍ خلَوْنَ من رمضان هذه السَّنَة ، فقتَلَ مِنْ أهلها خلقاً كثيراً وأباحَها ثلاثَ ساعاتٍ وهَدَمَ سُورَها . ويُقال إنَّ أهلَ دمشقَ لما حاصرهم عبدُ الله اختلفوا فيما بينهم ما بين عباسيٍّ وأُمويّ ، فاقتتلوا ، فقتَلَ بعضُهم بعضاً ، وقتلوا نائبَهم ، ثم سلَّموا البلد ، وكان أولَ منْ صَعِدَ السُّور من ناحيةِ البابِ الشرقي رجلٌ يُقال له عبدُ الله الطائي ، ومن ناحيةِ البابِ الصغير بسَّامُ بن إبراهيم . ثم أُبيحَتْ دمشقُ ثلاثَ ساعاتٍ حتى قيل : إنه قُتل بِها في هذه المُدَّة نحوٌ من خمسين ألفاً .

وذكر ابنُ عساكر في ترجمة عبيد بن الحسن الأعرج[٢] من ولدِ جعفر بن أبي طالب ، وكان أميراً على خمسةِ آلافٍ مع عبد الله بن علي في حصارِ دمشق ، أنَّهم أقاموا محاصريها خمسةَ أشهر ، وقيل مئةَ يوم ، وقيل شهراً ونصفاً ، وأنَّ البلد كان قد حصَّنهُ نائبُ مروان تحصيناً عظيماً ، ولكن اختلف أهلُها فيما بينهم بسبب اليمانية والمُضَريَّة ؛ وكان ذلك بسبب الفتح ، حتى إنهم جعلوا في كلِّ مسجدٍ مِحْرابَيْن للقِبْلَتَيْن ، حتى في المسجدِ الجامع منبرَيْن ، وإمامَينِ يَخطُبانِ يومَ الجُمعة على المنبرَيْن . وهذا من عَجيبِ ما وقَع ، وغَريب ما اتّفق ، وفَظيعِ ما أُحدث بسبب الفتنة والهوى والعصبية نسأل الله السلامة والعافية . وقد بسط ذلك ابنُ عساكر في هذه الترجمة المذكورة[٣] .

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/ ٣٥٣) : « بالأسواق وبالسمع والطاعة » .

(٢) انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٣٧/ ٤٢٣ ـ ٤٢٥) .

(٣) قال ابن عساكر في تاريخه : (٣٧/ ٤٢٥) بعد سياقه هذه الأخبار بإسناده : هذا منقطع ، والواقدي ضعيف ، والمدائني شيعي متهم . اهـ .

وذكر رحمه الله في ترجمة محمد بن سليمان بن عبد الله النَّوفَليّ قال[١] : كنتُ مع عبدِالله بن عليّ أولَ ما دخل دمشق ، دخلها بالسيف ، وأباح القتلَ فيها ثلاثَ ساعات ، وجعل جامعَها سبعينَ يوماً إسطبلاً لدوابِّه وجمَاله ، ثم نَبشَ قبورَ بني أمية ، فلم يَجدْ في قبرِ مُعاوية إلاَّ خيطاً أسودَ مثلَ الهَبَاء ، ونَبشَ قبرَ عبدِ الملك بنِ مروان ، فوجَدَ جُمْجُمتَه ، وكان يجدُ في القبر العُضْوَ بعدَ العُضو ، إلاَّ هشامَ بنَ عبدِ الملك فإنَّه وجدَهُ صحيحاً لم يَبْلَ منه غيرُ أرنبةِ أنفِه ، فضَرَبه بالسِّيَاطِ وهو ميت ، وصلَبَهُ أياماً ثم أحرَقَهُ ودَقَّ رمادَهُ ثم ذرَّهُ في الرِّيح ، وذلك أنَّ هشاماً كان قد ضرَبَ أخاهُ محمد بن عليٍّ حينَ كان قد اتُّهم بقتلِ ولدٍ له صغير سبعَ مئةِ سَوْط ثم نَفَاهُ إلى الحُمَيْمةِ بالبَلْقاء[٢] .

قال : ثم تتبَّع عبدُ الله بن عليٍّ بني أمية من أولادِ الخلفاءِ وغيرِهم ، فقتَل منهم في يوم واحدٍ اثنينِ وتسعين ألفاً عندَ نَهرٍ بالرَّمْلة ، وبسَطَ عليهمُ الأنطاع ، ومدَّ عليهم سماطاً ، فأكلَ وهم يَختلجون تحتَه . وهذا من الجَبَروتِ والظُّلم الذي يُجازيهِ الله عليه ؛ وقد مَضى ولم يَدُمْ لهُ ما أرادَهُ ورَجاه ـ كما سيأتي في ترجمته ـ وأرسل امرأةَ هشامِ بنِ عبدِ الملك وهي عبدةُ بنت عبد الله بن يزيدَ بنِ معاوية ، صاحبةُ الخال مع نفرٍ من الخُراسانيَّة إلى البرِّيَّة ماشيةً حافيةً حاسرةً [عن وَجْهها وجسدها وثيابها] ، أتَوْا بها ثم قتلوها ، ثم أُحرق ما وُجِدَ منْ عَظْم ميتٍ منهم ، وأقام بها عبدُ الله خمسةَ عشر يوماً .

وقد استدَعى بالأوزاعي ، فأُوقفَ بين يديه ، فقال له : يا أبا عمرو ، ما تقولُ في هذا الذي صنعناه؟ قال : فقلتُ له لا أدري ، غيرَ أنه قد حدَّثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عمر بن الخطاب ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّما الأعمالُ بالنيات » . . فذكر الحديث . قال الأوزاعي : وانتظرتُ رأسيَ أنْ يسقُطَ بين رِجْليّ ، ثم أُخرجتُ ، وبَعَث لي بمئةِ دينار ، ثم سارَ وراءَ مروان ، فنزل على نَهرِ الكُسوة[٣] ووجَّه يحيى بن جعفر الهاشميَّ نائباً على دمشق ، ثم سار وارتحلَ إلى الأُرْدُنّ ، فأتَوْه وقد سَوَّدوا . ثم سار إلى بَيْسان ، ثم سار فنزل مَرْج الرُّوم ، ثم أتَى نَهْرَ أبي فُطْرُس[٤]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٥٣/ ١٢٧) .

(٢) انظر التعريف بالحُميمة ص(٣٣) حاشية (٦) .

(٣) الكُسْوة : قريةٌ هي أولُ منْزِلٍ تَنْزِلُه القوافلُ إذا خرجَتْ من دمشق إلى مصر . قال الحافظ أبو القاسم : وبلغني أنَّ الكُسوة إنّما سُمِّيتْ بذلك لأنَّ غسانَ قتلَتْ بها رُسُلَ ملكِ الرُّوم لمّا أتَوْا إليهم لأخذِ الجِزْيَةِ منهم . واقتسمتْ كسوتهم . معجم البلدان (٤/ ٤٦١) .

(٤) نهر أبي فُطْرس ـ بضم الفاء وسكون الطاء وضم الراء وسين مهملة ـ : موضعٌ قُرْبَ الرَّمْلَة من أرضِ فلسطين . قال المهلَّبي : على اثني عشرَ ميلاً من الرَّمْلَة ، في سَمْتِ الشَّمَال نهرُ أبي فُطْرُس ، ومَخْرَجُه من أعْيُنٍ في الجبلِ المتَّصِل بنابُلُس ، ويَنْصبُّ في البحرِ الملح بين يدي مدينتي أرسوف ويافا . به كانت وقعةُ عبدِ الله بن علي بنِ عبدِ الله بن العباس مع بني أمية فقتَلَهم في سنة . معجم البلدان (٥/ ٣١٥) .

فوجد مروانَ قد هرَب ، فدخل مصرَ وجاءَهُ كتابُ السَّفَّاح ابعثْ صالحَ بنَ عليٍّ في طلَبِ مَرْوان ، وأقِمْ أنتَ في الشام نائباً عليها ، فسار صالحُ بن عليٍّ يطلبُ مروانَ في ذي القَعْدةِ من هذه السنة ومعه أبو عَوْن وعامر بن إسماعيل ، فَنزلَ على ساحلِ البحر ، وجَمع ما هناك من السُّفُن ، وبلغَهُ أنَّ مروانَ قد نَزلَ الفَرَما[١] وقيل الفَيُّوم ، فجعلَ يسيرُ على الساحل والسُّفُنُ تُقادُ معه في البحر حتى أتى العَريش ، ثم سار حتى نزلَ على النِّيل ، ثم سار إلى الصَّعِيد ، فعبرَ مروانُ النِّيل ، وقطعَ الجِسرَ ، وحرق ما حَوْلَهُ من العَلَفِ والطعام ، ومَضَى صالحٌ في طَلَبه فالتقى بخيلٍ لِمروان ، فهزَمَهم ، ثم جعل كلَّما التَقَوْا مع خيلٍ لِمروانَ يَهْزِمُونَهم حتى سألوا بعضَ منْ أسرُوا عن مروان ، فدلُّوهم عليه ، وإذا به في كَنِيسَةِ بُوصير[٢] فوافَوْهُ من آخرِ الليل ، فانهزم منْ معهُ من الجُند ، وخرج إليهم مروانُ في نَفَرٍ يَسيرٍ معَه ، فأحاطوا به حتى قتلوهُ ، طَعَنهُ رجلٌ من أهلِ البصرةِ يُقالُ له مُعَوِّذ ولا يَعرِفُه ، حتى قال رجلٌ : صُرِع أمير المؤمنين . فابتدرَهُ رجلٌ من أهلِ الكوفة كان يَبيع الرمان ، فاحتزَّ رأسَه ، فبعث به عامر بن إسماعيل أمير هذه السريَّة إلى أبي عَوْن ، فبعث به أبو عون إلى صالح بن علي ، فبعث به صالح مع رجلٍ يقال له خُزيمة بن يزيد بن هانىء ، كان على شرطته لأميرِ المؤمنين السفَّاح .

وكان مقتلُ مروانَ يومَ الأحد لثلاثٍ بَقِينَ من ذي الحجَّة ، وقيل يوم الخميس لستٍّ مَضَيْنَ منها سنةَ ثِنتَيْنِ وثلاثين ومئة ، وكانت خلافتُه خمسَ سِنين وعشرةَ أشهر وعشرةَ أيام على المشهور . واختلفوا في سنِّه ، فقيل أربعون سنة ، وقيل ست ، وقيل ثمان وخمسون سنة ، وقيل ستون ، وقيل اثنتان ، وقيل ثلاثٌ ، وقيل تسعٌ وستون سنة ، وقيل ثمانون ، والله أعلم .

ثم إنَّ صالح بنَ عليٍّ سارَ إلى الشام ، واستخلفَ على مصر أبا عَوْن بنَ أبي يزيد ، والله سبحانه أعلم .

وهذا شيءٌ من ترجمةِ مروانَ الحمار ، وهو :

مروان بن محمد

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي[٣] أبو عبد الملك ، أميرُ المؤمنين ، آخرُ

---

(١) الفَرَما : مدينةٌ على الساحل من ناحية مصر . وقال الحسن بن محمد المهلبي : الفَرَما حصن على ضفة البحر لطيف . انظر معجم البلدان (٤/ ٢٥٥) .

(٢) بوصِير ـ بكسر الصاد وياء ساكنة وراء ـ : اسمٌ لأربَع قُرًى بمصر ، بوصير قوريدس ، وقال الحسن بن إبراهيم بن زولاق : بها قُتل مروانُ بن محمد بن مروان بن الحَكم الذي به انقرض ملكُ بني أمية وهو المعروف بالحمار والجعدي ، قُتل بها لسبعٍ بَقينَ من ذي الحجة سنة (١٣٢) . وقال أبو عمر الكِنْدي : قُتل مروان ببُوصير من كورةِ الأشمونين . انظر معجم البلدان (١/ ٥٠٩) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٧) ، تاريخ خليفة (٤٠٣ ـ ٤٠٩) ، تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٠) وما بعدها ، =

خلفاءِ بني أمية ، وأمُّهُ أمَةٌ كُرْديَّة يُقال لها لُبَابَة ، وكانت لإبراهيمَ بنِ الأشتر النَّخَعي ، أخذها محمد بن مروان يومَ قتلَه ، فاستولدَها مروانَ هذا . ويُقال : إنها كانتْ أولاً لِمُصعَب بنِ الزُّبير ، وقد كانتْ دارُ مروانَ هذا في سوق الأكَّافين . قاله ابنُ عساكر(١) .

بُويع له بالخلافة بعد قتلِ الوليدِ بنِ يزيد ، وبعد موتِ يزيدَ بنِ الوليد ، ثم قَدِمَ دمشق وخلَعَ إبراهيم بن الوليد ، واستتبَّ لهُ الأمر في نصفِ صفر ، سنةَ سبعٍ وعشرين ومئة .

وقال أبو معشر : بُويع بالخلافة في ربيع الأول سنةَ تسعٍ وعشرين ومئة ، وكان يُقال له مروان الجَعْدِي نسبةً إلى رأي الجَعدِ بنِ دِرْهَم ، وتلقَّبَ بالحمار ، وهو آخرُ منْ ملَكَ من بني أمية . وكانت خلافتُهُ منذُ سلمَ إليه إبراهيمَ بن الوليد إلى أن بويع السفَّاح خمسَ سنين وعشرةَ أشهرٍ وعشرةَ أيَّام وقيل خمس سنين وشهراً . وبَقِيَ بعدَ أن بُويع للسَّفَّاح تسعةَ أشهر . وكانَ أبيضَ مُشرباً بالحُمرة ، أزرقَ العينَيْن ، كبيرَ اللِّحْية ، ضخمَ الهامة ، رَبْعَةً ، ولم يكن يَخْضب . ولاَّهُ هشامٌ نيابةَ أذْربيجانَ وإرْمينيَةَ ، والجزيرة في سنةِ أربعَ عشرةَ ومئة ، ففتح بلاداً كثيرةً وحُصوناً متعددةً في سنينَ كثيرة ، وكان لا يُفارقُ الغزوَ في سبيلِ الله ، وقاتَلَ طوائفَ من الناس الكفَّارِ ومن التُّرْكِ والخَزَرِ واللاَّن وغيرِهم ، فكسرَهم وقهرَهم ؛ وقد كان شُجاعاً بطَلاً مِقْداماً ، حازمَ الرأي ، لولا أنَّ جُندَهُ خَذَلوه بتقديرِ الله عزَّ وجلَّ ، لِمَا لَهُ من ذلك من حكمةِ سَلْبِ الخلافة ، لِشجاعتِهِ وصرامَتِه ؛ ولكنْ منْ يَخْذِلِ الله يُخْذَلْ ، ومنْ يُهنِ الله فمالَهُ من مُكْرِم .

قال الزبير بن بَكَّار عن عَمِّهِ مُصعب بن عبد الله : كان بنو أمية يرَوْنَ أنَّهُ تذهَبُ منهمُ الخلافةُ إذا وَليها مَنْ أُمُّهُ أمَة ؛ فلمَّا وَليها مروانُ هذا أُخِذَتْ منهم في سنةِ ثنتين وثلاثين ومئة .

وقد قال الحافظُ ابن عساكر(٢) : أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسن ، أخبرنا سهل بن بشر ، أنبأ الخليل بن هبة الله بن الخليل ، أنبأ عبد الوهاب الكلابي ، حدثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين ، أنبأ العباس بن الوليد بن صبح ، حدثنا عباس بن نجيح(٣) أبو الحارث ، حدثني الهيثم بن حُميد ، حدثني راشد بن داود ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تزالُ الخِلافةُ في بني أمية يتلَقَّفُونَها تلقُّفَ الغِلمانِ الكُرَة ، فإذا خرجتْ من أيديهِمْ فلا خيرَ في عيش » .

هكذا أورده ابنُ عساكر وسكت عليه ، وهو منكرٌ جدّاً ، وقد سأل الرشيدُ أبا بكر بن عيَّاش : خيرُ

= و(٤/ ٣٥٣) وما بعدها ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٥٧/ ٣١٩) ، الكامل (٥/ ٤) وما بعدها ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٧٤) ، مآثر الإنافة (١/ ١٦٢) .

(١) في تاريخ مدينة دمشق (٥٧/ ٣٢٠) .

(٢) في تاريخ مدينة دمشق (٥٧/ ٣٣٠ ، ٣٣١) .

(٣) في بعض النسخ : « يحيى » ، وهو تحريف . وهو العباس بن عبد الرحمن بن الوليد بن نجيح الدمشقي . وانظر ترجمته في الجرح والتعديل ٦/ ٢١١ ، وتاريخ دمشق ٢٦/ ٢٧٢ .

الخلفاءِ نحنُ أو بنو أُميَّة ؟ فقال : هم كانوا أنفعَ للناس ، وأنتم أقومُ للصلاة . فأعطاهُ ستةَ آلاف .

قالوا : وقد كان مروانُ هذا كثيرَ المروءة ، كثيرَ العَجَب ، يُعجبهُ اللَّهْوُ والطرَب ، ولكنَّهُ كان يشتغلُ عن ذلك بالحرب .

قال ابنُ عساكر(١) : قرأت بخط أبي الحسن عليِّ بن مقلد بن نصر بن مُنقِذ ابن الأمير ، في مجموعٍ له : كتب مروانُ بنُ محمد إلى جاريةٍ لهُ ترَكَها بالرَّمْلَةِ عندَ ذهابهِ إلى مصرَ منهزماً :

وما زال يدعوني إلى الصبرِ ما أرى | فأبى ويُدنِيني الذي لكِ في صَدْري
وكان عزيزاً أنْ تبيتي وبيننا | حِجَابٌ فقد أمسَيْتِ منِّي على عَشْرِ
وأنكاهما واللهِ للقلبِ فاعلمي | إذا زدتِ مِثلَيْها فَصِرت على شهرِ
وأعظمُ من هذينِ واللهِ أنَّني | أخافُ بأنْ لا نلتقي آخرَ الدَّهْرِ
سأبكيكِ لا مُستبقياً فيضَ عَبْرةٍ | ولا طالباً بالصبرِ عاقبةَ الصَّبرِ

وقال بعضُهم : اجتاز مروانُ وهو هاربٌ براهب ، فاطَّلَعَ عليه الراهب ، فسلَّمَ عليه ، فقال له : يا راهب ، هل عندك علمٌ بالزمان ؟ قال : نعم ، عندي مِن تَلَوُّنِهِ ألوان . قال : هل تبلغُ الدنيا من الإنسانِ أنْ تجعلَهُ مملوكاً بعدَ أنْ كان مالِكاً ؟ قال : نعم . قال : فكيف ؟ قال : بِحُبِّهِ لهَا وحِرْصِهِ على نَيْلِ شهواتها ، وتَضْييعِ الحَزْمِ ، وتَرْكِ انتهازِ الفُرَص ؛ فإنْ كنتَ تُحبُّها فإنَّ عبدَها منْ أحبَّها . قال : فما السبيلُ إلى العَتق ؟ قال : بِبُغضها والتجافي عنها . قال : هذا ما لا يكون . قال الراهب : أمَا إنَّه سيكون ، فبادرْ بالهرَبِ منها قبلَ أنْ تُسلبَها . قال : هل تعرفُني ؟ قال : نعم . أنت مَلِكُ العَرَب مروان ، تُقتلُ في بلاد السُّودان ، وتُدفنُ بلا أكفان . فلولا أنَّ الموتَ في طلبك لدَلَلْتُكَ على مَوْضعِ هَرَبِك .

قال بعض الناس : كان يُقال في ذلك الزمان : يَقْتُل ع بن ع بن ع [بن ع] م بن م بن م . يَعْنُونَ يَقتُلُ عبدُ الله بنُ عليِّ [بن عبد الله] بنِ عباس مروانَ بنَ محمدِ بنِ مروان .

وقال بعضُهم : جلس مروانُ يوماً وقد أُحيطَ به ، وعلى رأسِهِ خادمٌ قائمٌ فقال مروانُ لبعضِ مَنْ يُخاطِبُه : ألا ترى ما نحنُ فيه ، لَهْفِي على يدٍ ما ذُكِرَتْ ، ونعمةٍ ما شُكرت ، ودولةٍ ما نُصِرَتْ . فقال له الخادم : يا أميرَ المؤمنين ، من ترَكَ القليلَ حتى يَكْثُر ، والصغيرَ حتى يَكْبَر ، والخَفِيَّ حتى يظهرَ ، وأخَّرَ فعلَ اليومِ لغَدٍ حَلَّ بِهِ أكثرُ مِنْ هذا ، فقال مروان : هذا القولُ أشدُّ عليَّ مِنْ فَقْدِ الخِلافة .

وقد قيل : إنَّ مروانَ قُتل يومَ الإثنين ، لثلاثَ عشرةَ خلَتْ من ذي الحِجَّة سنة ثنتين وثلاثين ومئة ، وقد جاوز السِّتِّينَ وبلَغَ الثمانين . وقيل : إنما عاش أربعينَ سنةً . والصحيحُ الأول ، وكانتْ خِلافتُه خمسَ سنين وكسراً . وهو آخِرُ خلفاءِ بني أمية ، به انقضَتْ دولتُهم .

---

(١) في تاريخ مدينة دمشق (٥٧/ ٣٣٧) .

ذكرُ ما ورد في انقضاءِ دولةِ بني أمية وابتداءِ بني العباس من الأخبار النبويَّة وغيرها

قال العلاءُ بنُ عبدِ الرحمن عن أبيه . عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا بَلَغَ بنو [أبي] العاص أربعين رجلاً اتخذوا دينَ اللهِ دَغَلاً ، وعبادَ الله خَوَلاً ، ومالَ اللهِ دُوَلاً[١] » .

ورواهُ الأعمش عن عَطيّة ، عن أبي سعيد مرفوعاً بنحوِهِ[٢] . وروى ابنُ لَهيعةَ عن أبي قَبِيل ، عن ابن وَهْبٍ أنَّه كان عندَ معاوية ، فدخل عليه مروانُ بنُ الحكم ، فتكلَّم في حاجة ، فقال : اقضِ حاجتي ، فإنِّي لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعمُّ عشرة . فلما أدبرَ مروانُ قال معاويةُ لابنِ عباس وهو معه على السرير : أما تعلَمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتَّخذوا مالَ اللهِ بينهم دُوَلاً ، وعبادَ اللهِ خَوَلاً ، وكتابَ اللهِ دَغَلاً ، فإذا بلغوا سبعةً وتسعين وأربع مئة كان هلاكُهُمْ أسرعَ من لَوْكِ تَمْرَة » ؟ فقال ابنُ عباس : اللهمَّ نعم . فلما أدبرَ عبد الملك[٣] قال معاوية : أَنْشُدُكَ بالله يا بن عباس ، أما تعلَمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكرَ هذا ، فقال : « أبو الجبابرة الأربعة » ؟ فقال ابنُ عباس : اللهمَّ نعم .

وقال أبو داود الطيالسي[٤] : حدثنا القاسم بن الفضل ، حدثنا يوسف بن مازن الراسبي قال : قام رجلٌ إلى الحسن بن علي فقال : يا مسوِّدَ وجوهِ المؤمنين . فقال الحسن : لا تؤنِّبْني ـ رحمك الله ـ فإنَّ رسول الله ﷺ رأى بني أميةَ يَخطُبون على مِنبرِهِ رجلاً رجلاً فساءهُ ذلك ، فَنزلتْ ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ وهو نَهرٌ في الجنة ، ونَزلَتْ ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ السورة إلى قوله : ﴿ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ [القدر : ١ ـ ٣] ، مملكة بني أمية . قال : فحَسَبْنَا ذلك ، فإذا هو كما قال ، لا يَزيدُ ولا يَنْقُص .

وقد رواه الترمذي[٥] عن محمود بن غَيلان ، عن أبي داود الطيالسي ، ثم قال : غريبٌ لا نعرِفُهُ إلاَّ من حديث القاسم بن الفضل وهو ثقة ، وثَّقَهُ يحيى القطَّان وابنُ مهدي . قال : وشيخُه يوسف بن سعد ـ ويقال : يوسف بن مازن ـ رجلٌ مجهول ، ولا نعرفُ [هذا الحديث] بهذا اللفظ إلاَّ من هذا الوجه ، وأخرجه الحاكم في مستدركه[٦] من حديث القاسم بن الفضل الحُدَّاني . وقد تكلَّمتُ على نكارةِ هذا

---

(١) حديث أبي هريرة رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥٠٧) هكذا مرفوعاً ، ورواه أبو يعلى في مسنده (٦٥٢٣) من قول أبي هريرة موقوفاً (بشار) .

(٢) حديث أبي سعيد الخدري نقله المؤلف من دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٥٠٧) . وقد أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٨٠) وأبو يعلى في مسنده (١١٥٢) ، والحاكم في المستدرك ، وإسناده ضعيف .

(٣) في بعض النسخ : « مروان » وما أثبتناه موافق لما في دلائل النبوة ، وهو الذي يدل عليه السياق .

(٤) نقله المؤلف من دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) .

(٥) في سننه (٥/ ٤٤٤) (٣٣٥٠) في التفسير : باب ومن سورة القدر ، وإسناده ضعيف .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٨٦) (٤٧٩٦) وإسناده ضعيف .

الحديث في التفسير[١] بكلامٍ مبسوط ولله الحمدُ والمِنَّة ، وإنما يكونُ متجهاً إذا قيل إنَّ دولَتهم ألف شهر بأن نُسقط منها أيامَ عبدِ الله بن الزُّبير ، وذلك أنَّ معاويةَ بُويع له مستقلاً بالمُلك في سنةِ أربعين ، وهي عامُ الجماعة حينَ سَلَّم إليه الحسَنُ بن علي الأمرَ بعدَ ستةِ أشهرٍ من قتل علي . ثم زالتِ الخلافةُ عن بني أُمية في هذه السنة وهي سنةُ ثنتينِ وثلاثين ومئة ، وذلك ثنتان وتسعونَ سنة وإذا أُسقط منها تسعُ سنين خلافةُ ابنِ الزُّبير بقِيَ ثلاثٌ وثمانون سنة ، وهي مُباينةٌ لِمَا وَرَدَ في هذا الحديث ، ولكنْ ليس هذا الحديثُ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ أنه فسَّر الآيةَ بهذا العدد ، وإنما هذا من قَوْلِ بعضِ الرواة ، وقد تكلَّمنا على ذلك مطوَّلاً في التفسير[٢] وتقدَّم في الدلائل أيضاً تقريرُهُ ، والله أعلم .

وقال عليُّ بنُ المديني عن يحيى بن سعيد ، عن سفيانَ الثوريّ ، عن عليِّ بن زيد ، عن سعيد بن المسيِّب ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « رأيتُ بني أمية يصعدون مِنبري ، فشقَّ ذلك عليّ ، فأُنزلَتْ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ . فيه ضَعفٌ وإرسال[٣] .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا يحيى بن مَعِين ، حدثنا عبد الله بن نُمير ، عن سفيان ، عن عليِّ بنِ زيد ، عن سعيد بن المسيِّب في قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠]، قال : رأى ناساً من بني أميةَ على المنابرِ ، فساءه ذلك ، فقيل له : إنما هي دُنيا يُعطَوْنَها وتَضْمَحِلُّ عن قليل ، فسُرِّيَ عنه[٤] .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع قال : لَمَّا أُسري برسول الله ﷺ رأى فلاناً وهو من بعضِ بني أمية على المنبر يخطُبُ الناس ، فشقَّ ذلك عليه ، فأنزل الله ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء : ١١١][٥] .

وقال مالك بن دينار : سمعتُ أبا الجوزاء يقول : والله لَيُعِزَّنَّ[٦] الله مُلكَ بني أمية كما أعزَّ مُلكَ مَنْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٠ ، ٥٣١) في تفسير سورة القدر .

(٢) ومن جملة ما قاله المؤلف في التفسير : ومما يدلُّ على ضعف هذا الحديث أنه سيق لِذَمِّ دولةِ بني أمية ، ولو أُريد ذلك لم يكن بهذا السياق ، فإنَّ تفضيلَ ليلة القدر على أيامهم لا يدلُّ على ذمِّ أيامهم ، فإنَّ ليلة القدر شريفةٌ جداً ، والسورة الكريمة إنما جاءت لِمَدْحِ ليلة القدر فكيف تُمدح لتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث . اهـ .

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٤٤) وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٧٠١) (١١٧٠) ، ولفظهما : « رأيتُ بني أمية في صورة القردة والخنازير يصعدون . . . . » ، وإسناده ضعيف .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٠) في تفسير الآية بنحوه ، وقال : أخرجه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر ، أقول : وإسناده ضعيف .

(٥) وإسناده ضعيف .

(٦) في بعض النسخ : لَيُغَيِّرَنَّ الله .

كان قبلَهم ، ثم لَيُذِلَّنَّ مُلكَهم كما أذلَّ مُلكَ مَنْ كان قبلَهم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] [فيه ضعف وإرسال] .

وقال ابنُ أبي الدنيا(١) : حدثني إبراهيمُ بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا عمر بن حمزة ، أخبرني عمر بن سيف(٢) مولًى لعثمانَ بن عفان ، ثم قال : سمعتُ سعيدَ بنَ المُسَيِّب وهو يقولُ لأبي بكرِ بنِ عبد الرحمن ، ولأبي بكر بن سُليمانَ بنِ أبي خيثمة ، وذكروا بني أمية فقال : لا يكونُ هلاكُهم إلَّا بينَهم ، قالوا : كيف ؟ قال : يَهْلِكُ خُلفاؤهم ويَبْقَى شرارُهم ، فيتنافسونها ، ثم يكثرُ الناسُ عليهم فيُهلِكُونَهم .

وقال يعقوب بن سفيان : أنبأ أحمد بن محمد الأزرقي ، حدثنا الزَّنْجِي عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « رأيتُ في النوم بني أبي الحكم ، أو بني أبي العاص يَنْزونَ على مِنْبَري كما تَنْزو القِردَة » . قال : فما رُئِيَ رسولُ الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً بعدَها حتى تُوفِّي(٣) .

قال أبو محمد عبدُ الله بن عبد الرحمن الدَّارِمِي(٤) : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سعيد بن زيد ـ أخو حَمَّاد بن زيد ـ عن علي بن الحكم البُنَاني ، عن أبي الحسن هو الحمصي ، عن عمرو بن مُرَّةَ ـ وكانت له صُحْبة ـ قال : جاء الحكمُ بنُ أبي العاص يستأذِنُ على رسول الله ﷺ فعرَفَ كلامَهُ فقال : « ائذنوا له ، صُبَّتْ عليه لعنةُ الله وعلى مَنْ يَخْرُجُ من صُلْبِه ، إلا المؤمنين ، وقَلِيلٌ ما هم ، يُشَرَّفون في الدنيا ويُوضَعونَ في الآخرة ، ذَوُو دَهَاءٍ وخَدِيعة ، يُعْطَوْنَ في الدُّنيا وما لَهُمْ في الآخرةِ مِنْ خَلاق »(٥) .

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي : أنبأ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد ، أنبأ محمد بن المظفر الحافظ ، أنبأ أبو القاسم تمام بن خريم بن محمد بن مروان الدمشقي ، أنبأ أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملابس ، حدثنا أبو النظر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد مولى أمِّ الحكم بنت عبد العزيز ، حدثنا يزيد بن ربيعة ، حدثنا أبو الأشعث الصَّنْعاني ، عن ثوبان ، قال : كان رسولُ الله ﷺ نائماً ، واضعاً رأسه على فَخِذِ أمِّ حَبِيبة بنتِ أبي سفيان ، فنَحَب ثم تبسَّم ، فقالوا : يا رسول الله ، رأيناك نَحَبْتَ ثم تبسَّمْتَ !

---

(١) في كتابه الحلم ص(٥٤) برقم (٦٥) .

(٢) كذا في الأصول ، وفي « الحلم » : « عمرو بن سيف » ولم أقف على ترجمة له .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٥٢٧) (٨٤٨١) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥١١) من طريق الأزرقي به ، وأبو يعلى في مسنده (١١/٣٤٨) ، وهو حديث حسن .

(٤) جاء في (ق) : « الداري » وأتبعها بقوله بين معقوفين [لعله الدارمي] ، وهو صحيح ، ترجمته في تهذيب الكمال (١٥/ ٢١٠) ، وروايته عن مسلم بن إبراهيم ثابتة فيه ، وهو من شيوخه . روايته عنه في السنن كثيرة .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٥٢٨) (٨٤٨٤) بإسناده عن مسلم بن إبراهيم ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، حدثنا علي بن الحكم البناني به . وإسناده ضعيف لجهالة أبي الحسن الحمصي .

فقال : « رأيتُ في منامي بني أميةَ يتعاوَرُونَ على مِنْبَرِي . فساءني ذلك ، ثم رأيتُ بني العباس يتعاورون على مِنبري فسرَّني ذلك »[١] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثني محمد بن خالد بن العباس ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني أبو عبد الله عن الوليد بن هشام الْمُعَيطِي ، عن أبان بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط[٢] ، قال : قدم ابنُ عباس على معاويةَ وأنا حاضر ، فأجازه فأحسَنَ جائزتَه ، ثم قال : يا أبا العباس ، هل يكونُ لكُمْ دَوْلة ؟ فقال : اعْفِني يا أمير المؤمنين . فقال : لَتُخْبِرَنِّي . قال : نعم . قال : فمن أنصارُكم ؟ قال : أهلُ خُراسان ، ولبني أميةَ من بني هاشمٍ نَطَحات[٣] .

وقال المِنْهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبير : سمعتُ ابنَ عباس يقول : يكونُ مِنَّا ثلاثةٌ أهلَ البَيْت : السَّفَّاح ، والمنصور ، والمَهْدي .

رواه البيهقي من غيرِ وَجْه ، ورواه الأعمَشُ عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً[٤] .

وروى ابن أبي خيثمة عن ابن مَعِين ، عن سفيان بن عُيَينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي معبد ، عن ابن عباس قال : كما افتَـتَح الله بأوَّلِنا فأرجو أنْ يَختِمَهُ بآخرنا .

وهذا إسنادٌ صحيح إليه ، وكذا وقع ويَقَعُ للمَهْديِّ إنْ شاء الله .

وروى البيهقيُّ عن الحاكم ، عن الأصَمّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يخرُجُ رجلٌ من أهلِ بيتي عنِ انقطاعٍ من الزمان ، وظهورٍ من الفتن ، يُقالُ له السَّفَّاح ، يُعطي المالَ حَثْياً »[٥] .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٩٦)(١٤٢٥) ، وفيه يزيد بن ربيعة ، وهو الرحبي ، متروك ، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٢٢) .

(٢) في (ق) : « عن أبان بن الوليد ، عن عقبة بن أبي معيط » والمثبت من (ب ، ح) ، وكتاب الفتن .

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ٢٠٢) برقم (٥٥٠) ولفظه : « ولبني أمية من بني هاشم نطحات ، ولبني هاشم من بني أمية نطحات ، ثم يخرج السُّفياني » .

(٤) قلت : أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ٩٦) برقم (٢٢٨) عن المنهال به ، ولفظه « عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم ذكروا عنده اثني عشر خليفة ثم الأمير . فقال ابن عباس : والله إنَّ منَّا بعد ذلك السفاح والمنصور ، والمهدي يدفعها إلى عيسى بن مريم ، وأخرجه بنحوه في (١/ ٤٠٠) برقم (١٢٠٣) و(١/ ٤٤٤) برقم (١٢٨٢) والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٦٣) قال بشار : هو حديث موضوع ولا يصح عن ابن عباس شيء في ذلك ، كما بينته مفصلاً في تعليقي على تاريخ مدينة السلام للخطيب (١/ ٣٧٠) فيما بعد .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨ و٦٠ و٨٠) ، وفيه عطية العوفي ، وهو ضعيف .

وقال عبد الرزاق[١] : حدثنا الثوري عن خالد الحذَّاء ، عن أبي قِلابة عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقتتل عند حَرَّتِكُم هذه ثلاثةٌ كلُّهم وَلَدُ خليفة ، لا تَصِيرُ إلى واحدٍ منهم ، ثم تُقبِلُ الراياتُ [السود] من خُراسان ، فيقتلونكم مَقْتَلَةً لم يُرَ مثلها ـ ثم ذكر شيئاً ـ فإذا كان كذلك فأْتُوهُ ولو حَبْواً على الثَّلْج ، فإنَّهُ خليفةُ الله المَهْدِي » .

رواه بعضُهم عن ثوبان ، فوَقَفَه ، وهو أشبه[٢] ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدثني يحيى بن غيلان ، وقتيبة بن سعيد ، قالا : حدثنا رِشْدِينُ بن سعد ، [قال يحيى بن غَيْلان في حديثه :] حدثني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن قَبِيصة ـ هو ابن ذؤيب ـ عن أبي هُريرة ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال : « يخرج من خُراسانَ راياتٌ سُود ، لا يَرُدُّها شيء حتى تُنصَبَ بإيلياء » .

وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث رِشْدِين بن سعد المصري[٤] ، وهو ضَعِيف ، ثم قال : قد رُوي قريباً من هذا عن كعب الأحبار ـ وهو أشبه ـ ثم قال : من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا محدِّثٌ عن أبي المغيرة عبد القدوس ، عن ابن عباس ، يحدثه عن كعب أيضاً قال : « تظهر راياتٌ سود لبني العباس حتى ينزلوا الشام ، ويَقتُلُ الله على أيديهم كلَّ جبَّارٍ وعَدُوٍّ لهم »[٥] .

وروى إبراهيمُ بن الحسين بن ديزيل ، عن ابن أبي أُوَيس عن ابن أبي ذؤيب[٦] ، عن محمد بن عبد الرحمن العامري ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال للعباس : « فيكم النبوَّة وفيكمُ المَمْلَكة »[٧] .

وروى عبد الله بن أحمد عن ابن مَعِين ، عن عبيد بن أبي قُرَّة ، عن الليث ، عن أبي قَبِيل ، عن

(١) أخرجه من طريق عبد الرزاق مرفوعاً ابن ماجه في سننه (٤٠٨٤) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥١٥) .
(٢) أخرج الموقوف : الحاكم (٤/ ٥٠٢) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥١٦) .
(٣) في المسند (٢/ ٣٦٥) وما يأتي بين معقوفين منه ، وإسناده ضعيف .
(٤) قلت : ورواه أيضاً في المعجم الأوسط (٤/ ٣١) (٣٥٣٦) بالإسناد نفسه .
(٥) انظر الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٢٠٩) (٥٧٠) .
(٦) في الدلائل : عن ابن أبي فديك .
(٧) أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٢/٤٨٨ ، ٤٨٩) (١٩٧) ، وابن عدي في الكامل (٤/ ٢٦٢) في ترجمة عبد الله بن شبيب ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٨٩) ، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ١١٨) في ترجمة عبد الله بن شبيب أيضاً ، وابن حجر في لسان الميزان (٣/ ٢٩٩) ، وقال : لم ينفرد به عبد الله بن شبيب (وهو متروك) بل رواه عن إسماعيل بن أبي أويس أيضاً الإمام المجمع على حفظه وثقته إبراهيم بن الحسن بن ديزيل ، أورده البيهقي في « دلائل النبوة » ، من طريقه ثم قال : تفرد به محمد بن عبد الرحمن العامري وليس بالقوي . اهـ .

أبي مَيْسرة مولى العباس ، قال : سمعتُ العباسَ يقول : كنتُ عندَ رسولِ الله ﷺ ذاتَ ليلة ، فقال : « انظُرْ ، هل ترى في السماء من شيء ؟ » قلت : نعَمْ . قال : « ما ترى ؟ » قلتُ : الثُّريَّا . قال : « أما أنَّهُ سَيمْلِكُ هذه الأمة بِعَدَدِها من صُلْبِكَ » . قال البخاري : عُبيد بن أبي قُرَّة لا يُتابَعُ على حديثِه[1] .

وروى ابنُ عدي[2] من طريق سويد بن سعيد ، عن حجاج بن تميم ، عن مَيمون بن مِهْران ، عن ابن عباس قال : مررتُ برسولِ الله ﷺ ومعه جِبريل وأنا أظنُّهُ دِحْيَةَ الكلبي ، فقال جبريلُ لرسولِ الله ﷺ : إنه لَوَسِخُ الثياب ، وسيلبَسُ ولَدُهُ من بعدِه السواد . وهذا منكرٌ من هذا الوَجْه .

ولا شكَّ أنَّ بني العباس كان السوادُ من شِعارِهم ، أخذوا ذلك من دخولِ رسولِ الله ﷺ مكةَ يومَ الفَتْح ، وعلى رأسه عِمَامَةٌ سَوْداء ، فأخذوا بذلك وجعَلُوهُ شعارَهُم في الخُطَبِ والأعياد والجُمَع والمَحافل . وكذلك كان جُنْدُهم لا بدَّ من أن يكونَ على أحدِهم شيءٌ من السَّوَاد ، ومن ذلك ما يُلْبِسُهُ الملوكُ لِلأُمَراء حين يُخلَعُ عليهم بالإمرة ، لا بدَّ وأن يلبَسَ شيئاً من السواد ، وهو الشَّرْبُوش ، وكذلك دخل عبد الله بن علي دمشق يوم دخلها وعليه السواد ، فجعل النساءُ والغِلْمان يعجَبُون من لباسِه ، وكان دخولُهُ من بابِ كَيْسان ، وقد خطَبَ الناسَ يوم الجمعة ، وصلَّى بِهم وعليهِ السواد .

وقد رَوَى ابنُ عساكر عن بعض الخُراسانية قال : لَمَّا صلَّى عبدُ الله بن علي بالناسِ يومَ الجمعة صلَّى إلى جانبي رجلٌ فقال : الله أكبر ، سبحانك اللهمَّ وبحمدك ! وتبارَكَ اسْمُكَ ، وتعالى جَدُّك ، ولا إله غيرُك ، انظروا إلى عبدِ الله بن علي ، ما أقبحَ وجهَه ! وأشْنَعَ سوادَه ! .

وما زال السوادُ شعارهم إلى يومكَ هذا كما تراه على الخُطباء يومَ الجمعةِ والأعياد .

---

(١) أخرجه البخاري في الكنى (١/ ٧٥) ترجمة أبي ميسرة ، وأحمد في المسند (١/ ٢٠٩) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٦٨) (٥٤١٤) ، والمقدسي في المختارة (٨/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦) (٤٧٤ ـ ٤٧٦) ، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٥/ ٢٩ ، ٣٠) في ترجمة عبيد بن أبي قرة ، وقال : هذا باطل ، وقد روى إبراهيم بن سعيد الجوهري عنه أحاديث منكرة عن ابن لهيعة ، ساقها ابن عدي ، وعقَّب عليه ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ١٢٢) بقوله : ولم أر من سبق المؤلف إلى الحكم على هذا الحديث بالبطلان ، وقد قال ابنُ أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا عبيد بن أبي قرة بهذا الحديث . قال : وسمعتُ أبي يقول : هذا حديث لم يروه إلاَّ عُبيد بن أبي قُرَّة ، وكان عند أحمد بن حنبل أو يحيى بن معين ، وكان يَضَنُّ به ، قال : ورأيت أبي يستحسن هذا الحديث ويُسَرُّ به ، حيث وجده عند يحيى بن سعيد . وقال عبد الله بن أبي داود : حدثنا أبي حدثنا حجاج ـ يعني ابن الشاعر ـ حدثنا عبيد بهذا الحديث ، قال عبد الله : كتب هذا الحديث أحمد بن صالح عن أبي ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : من أهل بغداد ، سكن مصر ، ربما خالف . وأخرج الحاكم في مستدركه حديثه المذكور عن مشايخه ، عن عبيد الله بن أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن عبيد بن أبي قرة ، اهـ .

(٢) في كتابه الكامل (٢/ ٢٢٩) في ترجمة حجاج بن تميم .

ذِكْرُ استقلالِ أبي العباس عبدِ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقَّب بالسَّفَّاح بالخلافة وما اعتمدَهُ في أيامه من السيرة الحسنة

قد تقدَّم أنه أول ما بُويع له بالخِلافة بالكوفة يومَ الجمعةِ الثاني عشر من ربيعِ الآخر ، وقيل : الأول من هذه السنة سنةِ ثنتَيْنِ وثلاثين ومئة . ثم جرَّد الجيوش إلى مروان [الحمار] ، فطَرَدُوهُ عن المملكة ، وأجلَوْهُ عنها ، وما زالوا خَلْفَهُ حتى قتلوه بِبُوصيرَ من بلادِ الصَّعيد بأرضِ مِصْر ، في العشر الأخير من ذي الحِجَّة من هذه السنة ـ على ما تقدَّم بيانه ـ وحينئذ استقلَّ السفاحُ بالخلافة ، واستقرَّتْ يَدُهُ على بلادِ العراقِ وخُراسانَ والحِجَاز والشامِ والديارِ المصرية ، لكنْ لم يحكمْ على بلادِ الأندلس ، ولا على بلادِ المغرب ، فإنَّهُ لم يَحْكُمْ عليها ولا وَصَلَ سلطانُه إليها ، وذلك أنَّ بعضَ مَنْ دخلَها من بني أميةَ استحوذَ عليها ومَلَكَها كما سيأتي بَيَانُه .

وقد خرَجَ على السفَّاحِ في هذه السنةِ طوائفُ ، فمنهم أهلُ قِنَّسْرين بعدَما بايعوه على يدَيْ عَمِّهِ عبدِ الله بن علي ، وأقرَّ عليهم أميرَهم وهو أبو الوَرْد مَجْزَأة بن الكَوْثَر بن زُفَر بن الحارث الكِلابيّ ، وكان من أصحاب مروانَ وأُمرائه ، فخَلَعَ السفَّاح ولَبِسَ البياض ، وحمل أهلَ البلدِ على ذلك ، فوافقوه ، وكان السفَّاحُ يومئذٍ بالحِيرة ، وعبدُ الله بنُ علي مشغولٌ بالبَلْقاء ، يقاتِلُ بها حَبيبَ بنَ مُرَّةَ المُرِّي[1] ومَنْ وافقَهُ من أهلِ البَلْقاء والبَثَنِيَّةِ[2] وحَوْرَان على خَلْعِ السفَّاح ، فلمَّا بلَغَهُ عن أهلِ قِنَّسْرِينَ ما فعلوا صالَحَ حَبيبَ بن مُرَّة ، وسارَ نحو قِنَّسْرين ، فلمَّا اجتازَ بدمشق ـ وكان بها أهلُه وثَقَلُه ـ استخلف عليها أبا غانم عبدَ الحميد بن رِبْعِي الكِناني في أربعةِ آلاف ، فلمَّا جاوزَ البلد وانتهى إلى حِمص نَهَضَ أهلُ دمشقَ مع رجلٍ يُقالُ له عثمان بن عبد الأعلى بن سُرَاقة ، فخلَعُوا السفَّاح وبيَّضوا ، وقَتلوا الأميرَ أبا غانم ، وقتلوا جماعةً من أصحابِهِ ، وانتهبوا ثَقَلَ عبدِ الله بن علي وحواصِلَه ، ولم يتعرَّضُوا لأهلِه ، وتفاقَمَ الأمرُ على عبدِ الله بن علي ، وذلك أنَّ أهلَ قِنَّسْرين تراسلوا مع أهل حِمص وتَدْمُر ، واجتمعوا على أبي محمد السُّفْياني ، وهو أبو محمد بن عبدِ الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فبايعوهُ بالخِلافة ، وقام معَهُ نحوٌ من أربعين ألفاً ، فَقَصَدَهُمْ عبدُ الله بنُ علي ، فالتقَوْا بِمَرْجِ الأخْرَم ، فقدَّمَ عبدُ الله بنُ علي أخاهُ عبدَ الصمد بن علي في عشرة آلاف من الفرسان بين يدَيْه ، فاقتتلوا مع مقدِّمةِ السُّفياني وعليها أبو الوَرْد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وهَزَموا عبد الصَّمَد ، وقُتل من الفريقَيْنِ ألوف ، فتقدم إليهم عبدُ الله بن علي ومعه

(١) في بعض النسخ : « المزي » ، وما أثبتناه موافق لتاريخ الطبري .

(٢) البَلْقَاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القُرى ، قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ومزارعُ واسعة . وبِجَوْدَةِ حنطتها يضرب المثل ، والبَثَنِيَّة : اسمُ ناحيةٍ من نواحي دمشق بين دمشق وأذرعات ، انظر معجم البلدان (١/ ٣٣٨ ، ٤٨٩) .

حُميد بن قَحْطبة بمن معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً جدّاً ، وجعل أصحابُ عبدِ الله يَفِرُّون ، وهو ثابتٌ هو وحُميد ، وما زال حتى هزم أصحاب أبي الورد ، وثبَتَ أبو الورد في خمسمئةِ فارسٍ من أهل بيتِه وقومِه فقُتلوا جميعاً . وهرب أبو محمد السُّفياني ومَنْ معَهُ حتى لَحِقوا بتَدْمُر ، وأمَّنَ عبدُ الله أهلَ قِنَّسْرين ، وسوَّدوا وبايعوه ورجعوا إلى الطاعة ، ثم كرَّ عبدُ الله راجعاً إلى دمشق ، وقد بلَغهُ ما صنعوا ، فلما دَنَا منها تفرَّقوا عنها وهرَبوا ، ولم يكنْ منهم قتال ، فأمَّنهم ودخلوا في الطاعة ، وسوَّدوا موافقةً للخليفة ، وكان ذلك شعارَ السمعِ والطاعة .

وأما أبو محمد السُّفياني فإنه ما زال مُضَيَّعاً ، ومشتتاً من بلدٍ إلى بلد ، حتى لَحِقَ بأرضِ الحِجَاز فقاتَلَهُ نائبُ أبي جعفر المنصور في أيامِ المنصور ، فقتله وبعثَ برأسِهِ وبابنينِ له أخذَهما أسيرَيْن ، فأطلقهما المنصورُ في أيامه . وقد قيل إنَّ وقعةَ السفيانيِّ يوم الثلاثاء آخر يومٍ من ذي الحِجَّة سنةَ ثنتين وثلاثين ومئة ، والله أعلم .

ومِمَّنْ خلعَ السفَّاح أيضاً أهلُ الجزيرة حين بلَغَهم أنَّ أهْلَ قِنَّسْرينَ خلَعوا ، فوافَقوهم وبيَّضوا ورَكِبوا إلى نائب حَرَّان من جهةِ السفَّاح ، وهو موسى بن كعب ، وكان في ثلاثةِ آلاف قد اعتصم بالبلد ، فحاصروه قريباً من شهرَيْن ، ثم بعث السفاحُ أخاه أبا جعفر المنصور فيمَنْ كان بواسط محاصِري ابنِ هُبيرة ، فمَرَّ في مسيرهِ إلى حَرَّان بِقَرْقِيسيا[١] وقد بيَّضوا ، فغلَّقوا أبوابَها دونَه ، ثم مَرَّ بالرَّقَّة وعليها بَكَّار بن مسلم ، وهم كذلك ، ثم بِحَاجِر[٢] ، وعليها إسحاق بن مسلم ، فيمن معه من أهل الجزيرة يحاصرونَها . فرحل إسحاقُ عنها إلى الرُّهَا . وخرج موسى بنُ كعب فيمَنْ معه من جُند حَرَّان ، فتلقَّاهُ المنصور ، ودخلوا في جيشه ، وقَدِمَ بكَّار بن مسلم على أخيه إسحاقَ بنِ مسلم بالرُّهَا ، فوجَّهَهُ إلى جماعةِ ربيعة بدارا وماردِين ، ورئيسُهم حَرُورِيٌّ يُقال له بُريكة ، فصارا حزباً واحداً ، فقصد إليهم أبو جعفر فقاتلهم قتالاً شديداً ، فقُتل بُريكة في المعركة ، وهرب بكَّارُ إلى أخيه بالرُّهَا ، فاستخلَفَهُ بها ومَضَى بِمُعظَمِ العسكر حتى نزل سُمَيْساط ، وخندَقَ على عسكرِه ، وأقبل أبو جعفر فحاصر بكَّاراً بالرُّهَا ، وجرت له معه وقعات ، وكتب السفَّاحُ إلى عمِّه عبدِ الله بن علي أن يسيرَ إلى سُميساط وقد اجتمع على إسحاقَ بنِ مسلم ستون ألفاً من أهل الجزيرة ، فسار إليهم عبدُ الله ، واجتمع إليه أبو جعفر المنصور ، فكاتبهم إسحاقُ وطلب منهم الأمان ، فأجابوهُ إلى ذلك على إذْنِ أمير المؤمنين .

---

(١) قَرْقِيسِيا : بالفتح ثم السكون وقاف أخرى وياء ساكنة وسين مكسورة وياء أخرى وألف ممدودة ، ويقال بياءٍ واحدة ، قال حمزة الأصبهاني : قرقيسيا مُعَرَّب كركيسيا ، وهو مأخوذ من كركيس وهو اسمٌ لأرسال الخيل المسمَّى بالعربية الحَلْبَة ، وكثيراً ما يجيء في الشعر مقصوراً ، وهي بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصب الخابور في الفرات ، فهي في مثلث بين الخابور والفرات ، معجم البلدان (٤/ ٣٢٨) .

(٢) في بعض النسخ : ثم جاء حرَّان .

وولّى السفَّاح أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرةَ وأذْرَبيجانَ وأرْمِينيةَ ، فلم يزَلْ عليها حتى أفَضَتْ إليه الخلافةُ بعد أخيه ، ويُقال إن إسحاق بن مسلم العُقيلي إنمَّا طلبَ الأمانَ لَمَّا تحقّقَ أنَّ مروانَ قد قُتل ، وذلك بعد مُضِيِّ سبعةِ أشهر وهو محاصر ، وقد كان صاحباً لأبي جعفر المنصور فآمنه .

وفي هذه السنة ذهب أبو جعفر المنصور عن أمْرِ أخيه السفَّاح إلى أبي مسلم الخُراساني ، وهو أميرها[١] ليستطلعَ رأيَهُ في قتلِ أبي سلَمَة ، حفص بن سليمان الوزير ، وكان سببُ ذلك أن السفَّاحَ سَمَرَ ليلَةً مع أهلِ بيته ، فتذاكروا ما كان من أمرِ أبي سلَمَة حين كان أرادَ أنْ يصرِفَ الخلافةَ عن بني العباس ، فسألَ سائلٌ : هل ذلك كان عن مُمَالأةِ أبي مسلم لأبي سَلَمَةَ في ذلك أم لا ؟ فسكت القوم ، فقال السفاح : لئن كان هذا عن رأيِه ، إنا لَبِعُرْضِ بَلاءٍ عظيم ، إلاّ أنْ يدفعَهُ الله عنَّا . قال أبو جعفر : فقال لي أخي : ما تَرَى ؟ فقلت : الرأيُ رأيُك . فقال : إنه ليس أحدٌ أخصَّ بأبي مسلم منك ، فاذهبْ إليهِ فاعلَمْ لي عِلْمَه ، فإن كان عن رأيِهِ احتَلْنا له ، وإنْ لم يكنْ عن رأيِهِ طابَتْ أنفسُنا . قال أبو جعفر : فخرَجْتُ إليه قاصداً على وَجَل . قال المنصور : فلمَّا وصلتُ إلى الريّ إذا كتابُ أبي مسلم إلى نائبِها يستحثُّني إليه في المسير ، فازدَدْتُ وَجَلاً ، فلما انتهيت إلى نيسابور إذا كتابُه يستحثُّني أيضاً ، وقال لنائبها : لا تدَعْهُ يَقَرُّ ساعةً واحدةً ، فإنَّ أرضَكَ بِها خوارجُ كثيرة . فانشَرَحْتُ لذلك ، فلما صرتُ من مَرْوَ على فرسخَيْن ، خرج يتلقَّاني ومعه الناس ، فلما واجَهَني ترجَّلَ ، فقبَّلَ يدي ، فأمَرْتُهُ فركِب ، فلما دخلتُ مَرْوَ ونزلتُ في دارِه ، فمكثتُ ثلاثاً لا يسألُني في أيِّ شَيْءٍ جئت ؟ فلما كان اليومُ الرابع سأَلني : ما أقدمَكَ ؟ فأخبَرْتُهُ بالأمر . فقال : أفَعَلَها أبو سَلَمَة ؟! أنا أكفيكُمُوه . فدعا مرارَ بن أنس الضَّبِّيَّ فقال : اذهَبْ إلى الكوفة ، فحيثُ لَقِيتَ أبا سَلَمَة فاقتُلْه ، وانتَهِ في ذلك إلى رأي الإمام . فقَدِمَ مرارٌ الكوفة الهاشمية ، وكان أبو سَلَمة يَسْمُرُ عند السفَّاح ، فلمَّا خرج قتَلَهُ مرار . وشاعَ أنَّ الخوارجَ قتلوه . وغلّقت البلد ، ثم صلَّى عليه يحيى بن محمد بن علي ، أخو أميرِ المؤمنين ، ودُفن بالهاشمية ، وكان يقال له وزيرُ آلِ محمد ، ويقال لأبي مسلم أميرُ آل محمد . قال الشاعر :

إنَّ الـوزيـرَ وزيـر آلِ محمـدٍ أوْدَى فمَنْ يَشْنَاكَ كان وَزِيرا

ويُقال : إنَّ أبا جعفر إنما سار إلى أبي مسلم بعد قتْلِ أبي سَلَمَة ، وكان معه ثلاثون رجلاً على البريد ، منهم الحجَّاج بن أرطاة وإسحاق بن الفضل الهاشمي ، وجماعةٌ من السادات ، ولما رجع أبو جعفر من خُراسان قال لأخيه : لستَ بخليفةٍ ما دام أبو مسلم حيّاً حتى تقتلَه . لِمَا رأى من طاعةِ العساكرِ والأمراءِ له ، فقال له السفَّاح اكْتُمْها . فسكت ، ثم إنَّ السفَّاح بعثَ أخاهُ أبا جعفر إلى قتالِ ابنِ هُبيرة بواسط ، فلما اجتاز بالحسن بن قَحْطَبة أخَذَهُ معه ، فلما أُحيط بابن هُبيرة كتب إلى محمد بن عبد الله بن الحسن لِيُبايع له

---

(١) يعني أمير خراسان .

بالخِلافة ، فأبطأ عليه جوابُه ، فمال إلى مُصالحةِ أبي جعفر ، فاستأذن أبو جعفر أخاهُ السفَّاح في ذلك ، فأذِنَ له في المصالحة ، فكتب له أبو جعفر كتاباً بالصُّلح ، فمكَثَ ابنُ هُبيرة يُشاور فيه العلماء أربعين يوماً ، ثم خرج يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاث مئة من البخاريَّة ، فلمَّا دَنَا من سُرَادِق أبي جعفر همَّ أنْ يدخلَ بفرسَهِ فقال الحاجب سلام : انزِلْ أبا خالد . وكان حولَ السُّرادِق عشرة آلاف من أهلِ خُراسان ، ثم أذن له في الدخول ، فقال : أنا ومَنْ معي ؟ قال : لا ، بل أنتَ وحدَك . فدَخل ، ووُضعت له وسادةٌ فجلس عليها ، فحادثه أبو جعفر ساعةً ، ثم خرج من عندِهِ ، فأتْبعَه أبو جعفر بصَرَه ، ثم جعل يأتيهِ يوماً بعدَ يوم في خمس مئةِ فارس وثلاث مئة راجل ، فشكوا ذلك إلى أبي جعفر ، فقال أبو جعفر للحاجب : مُرْهُ فَلْيَأتِ في حاشيته . فكان يأتي في ثلاثين نفساً ، فقال الحاجب : كأنَّك تأتي متأهِّباً[(١)] . فقال : لو أمرتموني بالمشي لمشَيْتُ إليكم . ثم كان يأتي في ثلاثةِ أنفس ، وقد خاطَبَ ابنُ هُبيرة يوماً لأبي جعفر فقال في غبون[(٢)] كلامه : يا هناه ـ أو قال : يا أيها المرء ـ ثم اعتذر إليه بأنه قد سبَقَ لسانُهُ إلى ذلك ، فأعذَرَه .

وقد كان السفَّاحُ كتَبَ إلى أبي مسلم يستشيرُه في مصالحةِ ابنِ هُبيرة ، فنَهاه عن ذلك ، وكان السفَّاحُ لا يقطَعُ أمراً دُونَ مراجعةِ أبي مسلم ، فلما وَقَعَ الصُّلْحُ على يدي أبي جعفر لم يحبَّ السفاحُ ذلك ولم يُعجِبْه . وكتب إلى أبي جعفر يأمرُ بِقَتْلِه ، فراجَعَهُ أبو جعفر مراراً لا يُفيدُهُ ذلك شيئاً ، حتى جاء كتابُ السفَّاح : أن اقتُلْهُ لا محالة ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! كيف يُعطي الأمانَ ويَنْكُث ؟! هذا فعلُ الجبابرة . وأقسم عليه في ذلك ، فأرسل إليه أبو جعفر طائفةً من الخُراسانية ، فدخلوا عليه وعندَهُ ابنُه داود ، وفي حجْرِهِ صبيٌّ صغير ، وحوله مَوَاليه وحاجِبُه ، فدافع عنه ابنُهُ حتى قُتل ، وقُتل خلقٌ من مَوَاليه ، وخَلَصوا إليه ، فألقَى الصبيَّ من حجرِهِ وخَرَّ ساجداً ، فقُتل وهو ساجد . واضطربَ الناس ، فنادى أبو جعفر في الناس بالأمان ، إلا عبدَ الملك بن بشر ، وخالد بن سلمة المخزومي ، وعمر بن ذَرّ . فسكَنَ الناس ، ثم استؤمن لبعض هؤلاء وقُتل بعضهم .

وفي هذه السنة بعث أبو مسلم الخراساني محمد بن الأشعث إلى فارس ، وأمرَهُ أنْ يأخذَ عُمَّالَ أبي سلمةَ الخلاَّل فيضربَ أعناقَهم ، ففعل ذلك .

وفيها ولَّى السفَّاحُ أخاه يحيى بن محمد الموصلَ وأعمالَها ، وولَّى عمَّهُ داودَ مكَّةَ والمدينة واليمن

---

(١) في تاريخ الطبري (٤/٣٦٣) : « مباهياً » .

(٢) كذا في الأصول ، وقد تردد ذكر هذه الكلمة في عدد من أجزاء الكتاب مراراً ، وهو من قولهم غَبَنَ الثوبَ : إذا ثناه وعطَفَه والمراد هنا تضاعيف الكلام ومثانيه . انظر لسان العرب والقاموس (غبن) .

واليمامة ، وعزلَهُ عن الكوفة ، وولَّى مكانَهُ عليها عيسى بن موسى ، وولَّى قضاءَها ابنَ أبي ليلى ، وكان على نيابةِ البصرة سفيانُ بن معاوية المهلَّبي ، وكان على قضائها الحجَّاج بن أرطاة ، وعلى السِّنْد منصور بن جُمهور ، وعلى فارس محمد بن الأشعث ، وعلى أرمينِيَةَ وأذْرَبيجَانَ والجزيرة أبو جعفر المنصور ، وعلى الشام وأعمالِها عبدُ الله بن علي عمُّ السفّاح ، وعلى مصر أبو عَوْن عبدُ الملك بن يزيد ، وعلى خُراسان وأعمالِها أبو مسلم الخُراساني ، وعلى ديوان الخراج خالد بن بَرْمَك . وحجَّ بالناس فيها داودُ بن علي .

ذِكْرُ مَنْ تُوفِّي فيها من الأعيان :

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك الأموي آخر خلفاء بني أمية ، فقُتل في العشر الأخير من ذي الحِجَّة من هذه السنة ، كما تقدَّمَ ذلك مبسوطاً[١] ، ووزيرُهُ :

عبدُ الحميد بن يحيى بن سعد[٢] : مولى بني عامر بن لؤي ، الكاتبُ البَلِيغ ، الذي يُضرَبُ به المَثلُ فيقال : فُتحتِ الرسائلُ بعبد الحميد ، وخُتمتْ بابنِ العَمِيد . وكان إماماً في الكتابةِ وجميع فنونِها ، وهو القدوةُ فيها ، وله رسائلُ في ألفِ ورَقة ، وأصلُهُ من قَيْسَارِيَّة ، ثم سكن الشام ، وتعلم هذا الشأنَ من سالم مولى هشام بن عبد الملك ، وكان يعقوبُ بن داود وزيرُ المهدي يكتبُ بين يديه ، وعليه تخرَّج ، وكان ابنُه إسماعيل بن عبدِ الحميد ماهراً في الكتابة أيضاً . وقد كان أولاً يُعلِّمُ الصِّبيان ، ثم تقلَّبَتْ به الأحوال حتى وَزَرَ لمروان ، وقَتَلَهُ السفَّاحُ ومَثَّلَ به ، وكان اللائقُ بمثلِهِ العَفْوَ عنه .

ومن مُستجاد كلامِه : العلمُ شجرةٌ ثَمرَتُها الألفاظ ، والفكرُ بحرٌ لؤلؤهُ الحِكْمَة .

ومن كلامه وقد رأى رجلاً يكتُبُ خطّاً رديئاً ، فقال : أطِلْ جَلْفَةَ قَلَمِكَ وأسْمِنْها ، وحَرِّفْ قَطَّتَكَ وأيمِنْها . قال الرجل : ففعلتُ ذلك ، فجادَ خَطِّي[٣] .

وسأله رجلٌ أن يكتبَ له كتاباً إلى بعضِ الأكابر يُوصيهِ به ، فكتب إليه : حَقُّ موصِلِ كتابي إليك كَحَقِّهِ عليّ إذ رآكَ مَوْضِعاً لأمَلِه ، ورآني أهلاً لحاجتهِ ، وقد قضيتُ أنا حاجتَه فصَدِّقْ أنتَ أملَه[٤] .

وكان كثيراً ما يُنشِدُ هذا البيت :

---

(١) تقدمت ترجمته ومصادرها في الحاشية (٣) من الصفحة (٢٦٨) .

(٢) ترجمته في الفهرست ص(١٧٠) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٢٨) ، ثمار القلوب ص(١٩٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٢) ، أبجد العلوم (٣/ ٦٦) .

(٣) الرجل هو إبراهيم بن جبلة كما في ثمار القلوب ص(١٩٨) ، والخبر فيه .

(٤) ذكره ابن خلِّكان في وفيات الأعيان (٣/ ٢٢٩) ،

إذا خرج[١] الكُتّابُ كان دوِيُّهُمْ قِسِيّاً وأقلامُ القِسِيِّ لهم نَبْلا[٢]

وأبو سلمة حفصُ بن سُليمان[٣] : هو أولُ من وزرَ لآلِ العباس ، قتَلَهُ أبو مسلم بالأنبار عن أمرِ السفَّاح بعدَ ولايتِهِ بأربعة أشهر في شهر رجب ، وكان ذا هيئةٍ فاضلاً حسنَ المفاكهة وكان السفاحُ يأنَسُ به ، ويحبُ مسامرَتَه لِطيبِ مُحاضرته ، ولكنْ توَهَّمَ مَيْلَهُ لآلِ عليّ ، فدَسَّ أبو مسلم عليه مَنْ قتَلَهُ غِيلَةً كما تقدَّم ، فأنشد السفَّاحُ عند قتله :

إلى النارِ فَلْيَذْهَبْ ومَنْ كان مِثْلَهُ على أيِّ شيءٍ فاتَنَا منه نأسَفُ[٤]

كان يقالُ له وزيرَ آلِ محمد ، ويُعرف بالخَلّال لِسُكْناهُ الخَلَّالِين بالكوفة ، وهو أولُ مَنْ سُمِّي بالوزير . وقد حكى ابن خَلِّكان[٥] عن ابن قُتيبة أنَّ اشتقاقَ الوزير من الوِزْر ، وهو الحِمْل ، فكأنَّ السلطانَ حَمَّلَهُ أثقالاً لاستنادِهِ إلى رأيه ، وقال الزجَّاج : هو مشتقٌّ من الوَزَر ، وهو الجبَل ، وكأنَّ السلطانَ لجَأَ إلى رأيِهِ كما يلجأ الخائفُ إلى جبَلٍ يعتصِمُ به . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومئة

فيها ولَّى السفَّاح عمَّه سليمانَ بن علي البصرةَ وأعمالَها ، وكُورَ دِجْلةَ والبحرَين وعُمَان ، ووجَّه عمَّه إسماعيل بن علي إلى كُورِ الأهْوَاز .

وفيها قَتَل داودُ بنُ علي من بمكَّةَ والمدينة من بني أمية . وفيها تُوفِّي داودُ بنُ علي بالمدينة في شهر ربيع الأول ، واستخلف ابنَهُ موسى على عملِه ، وكانت ولايتُهُ على الحجاز ثلاثةَ أشهر ، فلمَّا بلغ السفَّاحَ موتُه استنابَ على الحجاز خالَهُ زيادَ بن عبيد الله بن عبد الدار[٦] الحارثي ، وولَّى اليمن لابنِ خالِه محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد الدار ، وجعل إمرةَ الشام لعمَّيه عبدِ الله وصالح ابني علي ، وأقرَّ أبا عَوْن على الديارِ المصرية نائباً .

---

(١) في بعض النسخ : إذا جرح .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ترجمته في المنتظم (٣١٥/٧) ، وفيات الأعيان (١٩٥/٢) ، سير أعلام النبلاء (٧/٦) ، تاريخ اليعقوبي (٣٥٢/٢) .
(٤) وفيات الأعيان (١٩٦/٢) . والبيت من ثلاثة أبيات قيلت في الفضل بن مروان كاتب المعتصم . انظر الكامل لابن الأثير (٢٢/٦) .
(٥) في وفيات الأعيان (١٩٧/٢) .
(٦) في بعض النسخ : عبد الدان ، هنا ، إلى آخر البحث .

وفيها توجَّه محمد بن الأشعث إلى إفْرِيقِيَةَ ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، حتى فتحها . وفيها خرجَ شَرِيك ابن شيخ المهري بِبُخَارى على أبي مسلم ، وقال : ما على هذا بايَعْنا آلَ محمد ، على سفكِ الدماء وقتلِ الأنفُس ، واتَّبَعه على ذلك نحوٌ من ثلاثينَ ألفاً ، فبعث إليه أبو مسلم زيادَ بن صالح الخزاعي فقاتله فقتَله .

وفيها عزَلَ السفَّاحُ أخاه يحيى بن محمد عن المَوْصل وولَّى عليه عمَّه إسماعيل .

وفيها ولَّى الصائفةَ من جهتِه صالحَ بن علي بن سعيد بن عبيد الله ، وغزا ما وراءَ الدُّروب ، وحجَّ بالناس خالُ السفَّاح زياد بن عُبيد الله بن عبدالدار الحارثي ، ونُوَّابُ البلادِ همُ الذين كانوا في التي قبلَها سوى مَنْ ذكَرْنا أنه عُزل .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومئة

فيها خلَعَ بسامُ بن إبراهيم بن بسام الطاعة ، وخرج على السفَّاح ، فبعث إليه خازم بن خزيمة فقاتله ، فقتَلَ عامةَ أصحابِه واستباح عسكرَه ، ورَجَع فمر بملأٍ من بني عبدِ الدار أخوالِ السفَّاح فسألهم عن بعضِ ما فيه نُصرة للخليفة فلم يردُّوا عليه ، واستهانوا به ، وأمرَ بضَرْبِ أعناقِهم ، وكانوا قريباً من عشرين رجلاً ومثلِهم من مواليهم ، فاستعدى بنو عبدِ الدار على خازم بن خزيمة إلى السفاح ، وقالوا : قَتَل هؤلاء بلا ذنب ، فهم السفَّاحُ بقتلِه ، فأشار عليه بعضُ الأمراء بأنْ لا يقتُلَه ، ولكنْ لِيبْعَثَهُ مبعثاً صَعْباً . فإنْ سَلِم فذاك ، وإنْ قُتل كان الذي أراد ، فبعثَهُ إلى عُمَان وكان بها طائفةٌ من الخوارج قد تمرَّدوا ، وجهَّز معه سبعَ مئةِ رجل ، وكتبَ إلى عمِّه سليمانَ بالبصرةِ أنْ يحمِلَهم في السفن إلى عُمَان ففعل ، فقاتل الخوارجَ فكسرَهم وقهرَهم واستحوذَ على ما هنالك من البلاد ، وقتلَ أميرَ الخوارجِ الصُّفْرِيَّة ، وهو الجُلَنْدَى ، وقتَلَ من أصحابِهِ وأنصارِهِ نحواً من عشرةِ آلاف ، وبعث بِرؤوسِهم إلى البصرة ، فبعث بها نائبُ البصرة إلى الخليفة ، ثم بعدَ أشهر كتب إليه السفَّاح أن يرجِع ، فرجع سالماً غانماً منصوراً .

وفيها غزا أبو مسلم بلاد الصُّغْد[١] ، وغزا أبو داود أحدُ نُوَّابِ أبي مسلم بلادَ كَشّ[٢] ، فقَتَل خلقاً كثيراً ، وغَنِمَ من الأواني الصِّينيَّة المنقوشةِ بالذهبِ شيئاً كثيراً جداً .

---

(١) الصُّغْد ـ بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة وقد يقال بالسين مكان الصاد ـ : هي كُورةٌ عجيبةٌ قَصَبتها سَمَرْقَنْد ؛ وقيل : هما صغدان صغد سمرقند ، وصغد بخارى . وقيل : جنان الدنيا أربع : غوطة دمشق ، وصغد سمرقند ، ونهر الأُبُلَّة ، وشِعْبُ بَوَّان . وهي قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريبٍ من بُخارى ، لا تبين القرية حتى تأتيها لالتحافِ الأشجار بها ؛ وهي من أطيب أرض الله ، كثيرة الأشجار ، غزيرة الأنهار ، متجاوبة الأطيار . معجم البلدان (٣/ ٤٠٩) .

(٢) كَشّ ـ بالفتح ثم التشديد ـ قريةٌ على ثلاثةِ فراسخَ من جُرْجان على جبل . معجم البلدان (٤/ ٤٦٢) .

وفيها بعث السفَّاحُ موسى بن كعب إلى منصور بن جُمهور وهو بالهند في اثني عشر ألفاً ، فالتقاهُ موسى بن كعب وهو في ثلاثةِ آلاف ، فهزَمَهُ واستباحَ عسكرَه .

وفيها مات عامل اليمن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد الدار ، فاستخلف السفاحُ عليها عمَّه ، وهو خالُ الخليفة .

وفيها تحوَّلَ السفاحُ من الحِيرة إلى الأنبار . وحجَّ بالناس نائبُ الكوفة عيسى بن موسى ، ونوَّابُ الأقاليم هم هم .

وفيها توفي من الأعيان :

أبو هارون العَبْدي .

وعُمارةُ بنُ جُوين .

ويزيد بن جابر الدمشقي . والله اعلم .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومئة

فيها خرج زياد بن صالح من وراءِ نَهرِ بَلْخ على أبي مسلم فأظفَرهُ الله بهم ، فبدَّد شملَهم ، واستأصل خضراءهم ، واستقرَّ أمرُه بتلك النواحي ، وحج بالناس فيها سليمان بن علي نائبُ البَصْرة ، والنوَّاب همُ المذكورون قبلَها .

وممن تُوفِّي فيها من الأعيان :

يزيدُ بن سِنان ،

وأبو عَقِيل زهرةُ بن مَعْبَد ،

وعطاء الخراساني .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومئة

فيها قدم أبو مسلم من خُراسان على السفَّاح بالعراق ، وذلك بعد استئذانه الخليفةَ في القُدومِ عليه ، فكتب إليه أنْ يقدَمَ في خمسِ مئةٍ من الجند ، فكتب إليه : إني قد وَتَرْتُ الناس ، وإني أخشى من قِلَّةِ الخمس مئة ، فكتبَ إليه أن يقدَمَ في ألف ، فقدِمَ في ثمانيةِ آلاف ، فرَّقهم وأخذ معه من الأموال والتُّحَفِ والهدايا شيئاً كثيراً . ولما قدم لم يكنْ معَهُ سوى ألفٍ من الجُند ، فتلقَّاه القوَّادُ والأمراء إلى مسافةٍ بعيدة ،

ولما دخل على السفَّاح أكرَمَهُ وعظَّمَهُ واحترَمَه ، وأنزله قريباً منه ، وكان يأتي إلى الخدمةِ كلَّ يوم ، واستأذَنَ الخليفةَ في الحجِّ فأذِنَ له وقال : لولا أنِّي عَيَّنْتُ الحجَّ لأخي أبي جعفر لأمَّرْتُكَ على الحَجّ . وكان الذي بين أبي جعفر وأبي مسلم خراباً ، وكان يُبغِضُه ، وذلك لِمَا رأى ما هو فيه من الحُرْمَةِ حين قَدِم عليه نَيسابور في البَيْعَةِ للسفَّاح وللمنصورِ من بعده ، فحارَ في أمره لذلك ، فحقَدَ عليه المنصور ، وأشار على السفَّاح بقَتْلِه ، فأمَرَهُ بِكَتْمِ ذلك ، وحين قَدِم أمَرَهُ بقَتْلِهِ أيضاً ، وحرَّضَهُ على ذلك ، فقال له السفَّاح : قد علمتَ بلاءَهُ معَنا وخدمَتَهُ لنا ! فقال أبو جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنما ذلك بدَوْلَتِنا ، والله لو أرسلتَ سِنَّوْراً لسَمِعوا لها وأطاعوا ، وإنَّك إنْ لم تتعشَّ بهِ تغدَّى بك هو ، فقال له : كيف السبيل إلى ذلك ؟ فقال : إذا دخل عليك فحادِثْهُ ، ثم أجيء أنا من ورائِهِ فأضْرِبُهُ بالسيف . قال : كيف بِمَنْ معه ؟ قال : هم أذَلُّ وأقلّ . فأذِنَ له في قَتْلِه ، فلما دخل أبو مسلم على السفَّاح نَدِم على ما كان أذِنَ لأخيه فيه ، فبعث إليه الخادمَ يقول له : إنَّ ذاك الذي بينك وبينه نَدِمَ عليه فلا تفعَلْه ، فلما جاءه الخادمُ وجَدَهُ محتبياً بالسيف ، قد تهيَّأ لِمَا يُريد من قَتْلِ أبي مسلم ، فلما نهاهُ عن ذلك غَضِب أبو جعفر غضباً شديداً .

وفيها حَجَّ بالناسِ أبو جعفر المنصور عن ولايةِ أخيه السفَّاح ، وسار معه إلى الحجاز أبو مسلم الخراساني عن أمرِ الخليفة ، وأذِنَ له في الحَجّ ، فلمَّا رجعا من الحجّ ، وكانا بذاتِ عِرْق جاء الخبَرُ إلى أبي جعفر ـ وكان يسير قبلَ أبي مسلم بمرحلة ـ بِمَوْتِ أخيه السفَّاح ، فكتب إلى أبي مسلم أنْ قد حدَثَ أمرٌ فالعَجَلَ العجَل . فلمَّا استعلم أبو مسلم الخبَر عَجَّلَ السَّيْرَ وراءه ، فلَحِقَهُ إلى الكوفة ، وكانتْ بيعةُ المنصور على ما سيأتي بيانُه وتفصيلُه قريباً ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ترجمة أبي العباس السفَّاح أولِ خلفاء بني العباس وذكر وفاته(١)

هو عبد الله السفاح ـ ويقال له المرتضى والقاسم أيضاً ـ ابن محمد بن الإمام ابن علي السَّجَّاد بن عبد الله الحَبْر بن العباس ذي الرأي ابن عبد المطلب ، شيبةِ الحَمْد ، هاشم بن عمرو بن عبد مناف بن قُصَيّ ، أبو العباس القرشيُّ الهاشميّ ، أميرُ المؤمنين الملقَّب بالسفَّاح ، وهوأول خلفاء بني العباس ، وأمُّه رَيْطَة ـ ويُقال رائطة ـ بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد الْمَدَان بن الدَّيَّان الحارثي . كان مولد السفاح بالحُمَيْمَةِ من أرضِ الشَّرَاةِ من البَلْقَاءِ بالشام ، ونشأ بها حتى طُلب أخوه إبراهيم ، فقتله مروان الحمار بحرَّان ، فانتقلوا إلى الكوفة ، وبويع له بالخلافة بعد مقتل أخيه في حياة مروانَ يومَ الجمعة ، الثاني عشر من ربيع الأول بالكوفةِ كما تقدَّم . وتُوفِّي بالْجُدَرِيِّ بالأنْبَار يوم الأحد الحادي عشر ـ وقيل الثالث عشر ـ من

---

(١) ترجمته في تاريخ خليفة ص(٤٠٩) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦) ، تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣٤٩) ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٢٧٦) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/ ٩٩) . سير أعلام النبلاء (٦/ ٧٧) ، طبقات الحنفية ص(٤٢٣) ، تاريخ الخلفاء ص(٢٥٦) ، مآثر الإنافة (١/ ١٧٠) ، شذرات الذهب (١/ ١٨٣ ، ١٩٥) ، وما بعدها .

ذي الحِجَّة سنةَ سِتٍّ وثلاثين ومئة ، وكان عمرهُ ثلاثاً ـ وقيل : ثنتين ، وقيل : إحدى ـ وثلاثين سنة ، وقيل ثمان وعشرين سنة .

قال غير واحد : وكانتْ خلافتهُ أربعَ سنين وتسعةَ أشهر ، وكان أبيضَ جميلاً طويلاً أقْنَى الأنف ، جَعْدَ الشعر . حسن اللِّحْيَة ، حسنَ الوَجْه ، فصيحَ الكلام ، حسنَ الرَّأي ، جيدَ البَدِيهة ، دخل عليه في أول ولايته عبدُ الله بن حسن بن حسن بن عليّ ومعه مُصحف ، وعند السفَّاح وجوهُ بني هاشم من أهل بيتِه وغيرِهم ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أعطِنا حقَّنا الذي جعلَهُ الله لنا في هذا المصحف . قال : فأشفَقَ عليه الحاضرونَ أن يَعْجَلَ السفَّاحُ عليه بشيء ، أو يَعْيَا بجوابِه فيبقَى ذلك سُبَّةً عليه وعليهم ، فأقبل السفَّاح عليه غيرَ مُغْضَبٍ ولا مُنْزَعِج فقال : إنَّ جَدَّكَ عليًا كان خيراً مِنِّي ، وأعدَل ، وقد وَلِيَ هذا الأمر ، فأعطَى جدَّيك الحسنَ والحُسين ـ وكانا خيراً منك ـ شيئاً قد أعطيتُكَهُ وزدْتُكَ عليه ، فما كان هذا جزائي منك . قال : فما ردَّ عليه عبدُ الله بن حسن جواباً ، وتعجَّبَ الناسُ من سُرعةِ جوابِه ، وجِدَّتِه وجَوْدَتِه على البديهة .

وقد ورد في حديثٍ ذكره ـ رحمه الله ـ فقال الإمامُ أحمد في مسنده[١] : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن الأعمش ، عن عطيَّة العَوْفي ، عن أبي سعيد الخُدْري ، قال : قال رسولُ اللهﷺ : « يخرجُ عند انقطاعٍ من الزمان وظهورٍ من الفِتَن رجلٌ يُقالُ له السفَّاح ، يكونُ إعطاؤه المال حَثْياً »[٢] .

وكان رواه زائدةُ وأبو معاوية عن الأعمش به ، وهذا الحديث في إسنادِهِ عطيةُ العَوْفي وقد تكلَّموا فيه ، وفي أنَّ المراد بهذا الحديث هذا السفَّاح نَظَرٌ ، والله أعلم . وقد ذكَرْنا فيما تقدَّم عند زوالِ دولةِ بني أميةَ أخباراً وآثاراً في مثلِ هذا المعنى[٣] .

وقال الزُّبير بن بَكَّار : حدثني محمد بن سلمة بن محمد بن هشام ، أخبرني محمد بن عبد الرحمن المخزومي ، حدثني داود بن عيسى عن أبيه ، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ـ وهو السفَّاح ـ قال : دخلتُ على عمرَ بن عبد العزيز وعنده رجلٌ من النصارَى ، فقال له عمر : من تجدونَ الخليفةَ بعدَ سليمان ؟ قال له النصراني : أنت . فأقبل عمر بن عبد العزيز فقال له : زِدْني من بيانِك . فقال : ثم آخر ، إلى أنْ ذكر خلافةَ بني أمية إلى آخرِها ، قال محمد بن علي : فلما كان بعد ذلك جعلتُ ذلك النصراني في بالي ، فرأيتُه يوماً ، فأمرتُ غلامي أن يحبِسَهُ علي ، وذهبتُ إلى منزلي ، فسألته عَمَّا يكونُ

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٨٠) وإسناده ضعيف .
(٢) وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ٣٦٢) (١٠٥٦) ؛ وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٥/ ٩٥٧) (٥٠٩) وعبد الكريم القزويني في تاريخ قزوين (٢/ ٢٢٧) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر ص(٢٧١) من هذا الجزء .

في خلفاءِ بني أمية ، فذكرهم واحداً واحداً ، وتجاوز عن مروانَ بنِ محمد ، قلت : ثم مَنْ ؟ قال : ثم ابنك ابنُ الحارثـيَّة . قال : وكان إذ ذاك حَمْلاً . قال : ووفد أهلُ المدينة على السفَّاح ، فبادروا إلى تقبيلِ يدهِ غيرَ عمرانَ بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العَدوِي ، فإنه لم يُقبِّل يده ، إنما حيَّاهُ بالخلافةِ فقط وقال : واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، لو كان تقبيلُها يَزيدُكَ رفعةً ويزيدُني وَسيلةً إليك ماسَبَقَني إليها أحدٌ من هؤلاء ، وإنِّي لَغَنِيٌّ عمَّا لا أجرَ فيه ، ورُبَّما قادَنا عمَلُهُ إلى الوِزْر . ثم جلس . قال : فوالله ما نَقَصَهُ ذلك عندَهُ حظًّا من حظِّ أصحابِه بل أحبَّهُ وزادَه .

وذكر القاضي الْمُعافَى بن زكريَّا أنَّ السَّفَّاح بعث رجلاً يُنادي في عَسْكَرِ مروانَ بهذَيْنِ البيتَيْنِ ليلاً ثم رجع :

يـا آلَ مـروانَ إنَّ الله مُهْلِكُكُـمْ ومُبْـدِلٌ أمنكُـمُ خـوفـاً وتَشْـريـدا
لا عَمَّـرَ الله مـن أنسـالِكُـم أحـداً وبَثَّكُمْ في بلادِ الخَوْفِ تَطْرِيدا[1]

وروى الخطيب البغدادي[2] أنَّ السفَّاح نظرَ يوماً في المرآة وكان من أجملِ الناسِ وجهاً ـ فقال : اللهمَّ لا أقولُ كما قال سُليمانُ بن عبدِ الملك : أنا الخليفةُ الشابّ ، ولكن أقول : اللهمَّ عَمِّرْني طويلاً في طاعتك ، مُمَتَّعاً بالعافية ، فما استتَمَّ كلامهُ حتى سمع غلاماً يقولُ لآخر : الأجَلُ بيني وبينك شهرانِ وخمسةُ أيام ، فتطَيَّرَ من كلامِهِ وقال : حسبي الله لا قوةَ إلا بالله ، عليه توكَّلْتُ وبه أستعين . فمات بعدَ شهرَيْن وخمسةِ أيام .

وذكر محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعي ، أنَّ الرَّشيد أمرَ ابنَهُ أنْ يسمعَ من إسحاق بن عيسى بن على ما يرويه عن أبيه في قصةِ السفَّاح ، فأخبره عن أبيه عيسى ، أنه دخل على السفَّاح يومَ عرَفَةَ بُكْرَةً فوجدَهُ صائماً ، فأمرَهُ أنْ يحادِثَهُ في يومِهِ هذا ، ثم يختِمُ ذلك بفِطْرِه عندَه ، قال : فحادَثْـتُه حتى أخذَهُ النَّوم ، فقمتُ عنهُ وقلت : أقِيلُ في مَنْزِلي ، ثم أجيءُ بعدَ ذلك ، فذهبتُ فنمتُ قليلاً ثم قمتُ فأقبلتُ إلى دارِه ، فإذا على بابِهِ بَشِيرٌ يُـبَشِّرُ بفتحِ السِّند وبيعتِهِمْ للخليفة ، وتسليم الأمور إلى نُوَّابِه ، قال : فحَمِدتُ الله الذي وفَّقني في الدخولِ عليهِ بِهذه البِشارة ، فدخلتُ الدَّار ، فإذا بشيرٌ آخر معه بشارةٌ بفتحِ إفْريقيَة ، فحمِدت الله ، فدخلت عليه فبشَّرْتُهُ بذلك وهو يُسَرِّحُ لِحيتَهُ بعدَ الوضوء ، فسقط المشطُ من يدِه ثم قال : سبحان الله ! كلُّ شيءٍ بائدٌ سواه ، نُعِيَتْ واللهِ إليَّ نفسي ، حدثني إبراهيمُ الإمام عن أبي هاشم ، عن عبد الله بن محمد بن عليِّ بن أبي طالب ، عن علي بن أبي طالب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يَقْدَمُ عليَّ في مَدينتي

---

(١) ذكر البيتين ابن الأثير في الكامل في التاريخ (٥/ ٩٩) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ٧٩) وعزاهما للسفاح .
(٢) في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٩) .

هذِهِ وافدان ، وافدُ السِّنْد ، والآخر وافدُ إفريقِيَةَ بسَمْعِهم وطاعَتِهم وبَيْعَتِهم ، فلا يَمضي بعدَ ذلك ثلاثةُ أيامٍ حتى أموت » . قال : وقد أتاني الوافدان ، فأعظَمَ اللهُ أجرَكَ يا عَمُّ في ابن أخيك ، فقلت : كلاَّ يا أميرَ المؤمنين إن شاء الله ، قال : بلا إن شاء الله . لئن كانتِ الدنيا حبيبةً فالآخرةُ أحَبُّ إليّ ، ولقاءُ رَبِّي خيرٌ لي . وصحَّةُ الروايةِ عن رسولِ الله بذلك أحَبُّ إلي منها ، والله ما كَذَبْت ولا كُذِبْت . ثم نهض ودخل مَنْزِله ، وأمرَني بالجلوس ، فلما جاء المؤذِّنُ يُعلِمُه بوقتِ الظُّهر خرج الخادم يُعلمني أنْ أصلِّيَ عنه ، وكذلك العصرَ والمغربَ والعشاء ، كلُّ ذلك يخرجُ الخادم فيأمرني أن أُصلِّي عنه ، وبِتُّ هناك ، فلما كان وقتُ السَّحَر أتاني الخادمُ بكتابٍ معه ، يأمرُني أنْ أصلِّيَ عنه الصُّبحَ والعِيد ، ثم أرجعُ إلى داره ، وفيه يقول : يا عَمّ . إذا متُّ فلا تُعلِمِ الناسَ في موتي حتى تقرأَ عليهم هذا الكتاب ، فيُبايعوا لِمَنْ فيه ، قال : فصلَّيت بالناس ، ثم رجعتُ إليه ، فإذا ليس به بأس ، ثم دخلتُ عليه من آخرِ النهار ، فإذا هو على حالِه ، غيرَ أنه قد خرجَتْ في وجههِ حبَّتان صغيرتان ثم كَبُرَتَا ثم صار في وجهه حَبٌّ صغار بِيض ، يُقالُ إنه جُدَرِيّ ، ثم بكَّرتُ إليه في اليوم الثاني من أيَّامِ التشريق . فإذا هو قد هُجِر ، وذهبَتْ عنه معرفتي ومعرفةُ غيري ، ثم رجعتُ إليه بالعَشِي ، فإذا هو انتفخَ حتى صار مثل الزِّقّ ، وتُوفِّيَ اليومَ الثالث من أيام التشريق ، فسَجَّيتُهُ كما أمَرَني ، وخرجتُ إلى الناس فقرأتُ عليهم كتابَه ، فإذا فيه : من عبدِ الله أميرِ المؤمنين إلى الرسولِ والأولياء وجماعة المسلمين ، سلامٌ عليكم ، أمَا بعد ، فقد قَلَّدَ أميرُ المؤمنين الخلافةَ عليكم بعدَ وفاتِهِ أخاه ، فاسمعوا وأطيعوا ، وقد قلَّدها من بعدِه عيسى بنَ موسى إنْ كان . قال : فاختلف الناسُ في قولهِ إنْ كان ، قيل إنْ كان أهلاً لها ، وقال آخرون : إنْ كان حيّاً . وهذا القول الثاني هو الصواب . ذكره الخطيب[١] وابنُ عساكر مطوَّلاً[٢] ، وهذا مُلَخَّصٌ منه ، وفيه ذكرُ الحديثِ المرفوع ، وهو مُنكَرٌ جِدّاً .

وذكر ابنُ عساكر[٣] أن الطبيبَ دخل عليه فأخذ بيده ، فأنشأ يقول عند ذلك :

انظُرْ إلى ضَعْفِ الحـرَا ... كِ وذُلِّـهِ بعـدَ السُّكُـونْ
يُنْبِيـكَ أنَّ بيـانَـهُ ... هـذا مقـدِّمـةُ الْمَنُـونْ

قال الطبيب : أنتَ صالح . فأنشأ يقول :

يُبَشِّرُنِي بأنِّي ذو صلاحٍ ... يَبِيـنُ لَـهُ وبـي داءٌ دَفيـنُ
لقد أيقنتُ أنِّي غيرُ باقٍ ... ولا شَكٌّ إذا وَضَحَ اليَقِينُ

---

(١) في تاريخه (١٠/ ٥٠ ـ ٥١) .
(٢) في تاريخ مدينة دمشق (٣٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٤) .
(٣) في تاريخ مدينة دمشق (٣٢/ ٢٩٠) .

قال أهلُ العلم : كان آخرَ ما تكلَّمَ به السفَّاح : الملكُ لله الحَيِّ القَيُّوم ، ملكِ الملوك ، وجبَّارِ الجبابرة ، وكان نقشُ خاتَمِهِ : الله ثقةُ عبد الله . وكان موتُهُ بالجُدَرِيّ ، في يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحِجَّة سنةَ ستٍّ وثلاثين ومئة بالأنبارِ العَتيقة ، عن ثلاثٍ وثلاثينَ سنة ، وكانتْ خلافتُهُ أربعَ سنين وتسعةَ أشهر على أشهر الأقوال ، وصلَّى عليه عمُّه عيسى بن علي . ودُفن في قصرِ الإمارةِ من الأنبار ، وتَرَك تسع جِباب ، وأربعةَ أقمصة ، وخمسَ سراويلات ، وأربعة طيالِسَة ، وثلاثةَ مَطَارِفِ خَزٍّ ، وقد ترجَمَهُ ابنُ عساكر فذكر بعضَ ما أورَدْناه[1] والله أعلم .

وممن تُوفي فيها من الأعيان :

السفَّاح كما تقدَّم ،

وأشعَثُ بنُ سَوَّار ،

وجعفر بنُ أبي ربيعة

وحُصين بن عبدالرحمن ،

ورَبيعة الرأي ،

وزيد بن أسلم ،

وعبد الملك بن عُمير ،

وعبد الله بن أبي جعفر ،

وعطاء بن السائب ، وقد ذكرنا تراجمهم في « التكميل » ولله الحمد .

خلافة أبي جعفر المنصور

واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، قد تقدَّمَ أنَّهُ لَمَّا مات السفَّاح كان في الحجاز ، فبلَغَهُ موتُه وهو بذاتِ عِرْق راجعاً من الحَجّ ، وكان معه أبو مسلم الخُرَاساني فعجَّل السَّير ، وعزَّاهُ أبو مسلم في أخيه ، فبَكَى المنصور عندَ ذلك ، فقال له : أتبكي وقد جاءَتْك الخلافة ، أنا أكفيكَها إنْ شاء الله ، فسُرِّيَ عنه . وأمر زيادَ بنَ عُبيد الله أنْ يرجعَ إلى مكَّة والياً عليها ، وكان السفَّاحُ قد عزلَهُ عنها بالعباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، فأقَرَّهُ عليها . والنُّوَّابُ على أعمالِهم حتى انسلخَتْ هذه السنة . وقد كان عبدُ الله بن علي قَدِم على ابن أخيه السَّفَّاح الأنبارَ فأمَّرَهُ على الصائفة ، فركب في جيوشٍ عظيمةٍ

(١) انظر مصادر ترجمته في حاشية الصفحة (٢٨٥) .

إلى بلادِ الرُّوم ، فلما كان ببعضِ الطريق بلغَهُ موتُ السفَّاح فكرَّ راجعاً إلى حَرَّان ، ودعا إلى نفسه ، وزعم أن السفَّاحَ كان عهِد إليه حينَ بعثه إلى الشام أنْ يكونَ وليَّ العهدِ من بعدِه ، فالتفَّتْ عليه جيوشٌ عظيمة ، وكان من أمرِهِ ماسنذكرُهُ في السنةِ الآتية إنْ شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومئة

ذكر خروج عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس على ابنِ أخيه المنصور

لما رجَعَ أبو جعفر المنصور من الحج بعدَ موتِ أخيه السفَّاح دخل الكوفةَ فخطَبَ بأهلِها يوم الجمعة ، وصلَّى بِهم ، ثم ارتحل منها إلى الأنبار وقد أخذَتْ له البَيْعَةُ من أهلِ العراق وخُراسان وسائرِ البلاد سوى الشام ، وقد ضبط عيسى بنُ علي بيوتَ الأموالِ والحواصلِ للمنصور حتى قَدِمَ فسلَّمَ إليه الأمر ، وكتب إلى عمِّهِ عبدِ الله بنِ علي ـ وهو بالرُّوم ـ يُعلِمُهُ بوفاةِ السفَّاح ، فلما بلَغَهُ الخبَرُ نادَى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع إليه الأمراءُ والناس فقرَأَ عليهم وفاةَ السفَّاح ، ثم قام فيهم خطيباً ، فذكر أنَّ السفَّاح كان عَهِدَ إليه حين بعثه إلى مروان أنْ يكونَ الأمرُ إليه من بعدِه ، وشهد له بذلك بعضُ أمراءِ العِراق ، ونهضوا إليه فبايعوه ، ورجَعَ إلى حَرَان فتسلَّمَها من نائبِ المنصور بعدَ محاصرةٍ أربعينَ ليلة ، وقتل مقاتل العَتَكِي نائبُها ، فلمَّا بلغ المنصورَ ما كان من أمرِ عمِّه بعثَ إليه أبا مسلمٍ الخُراسانيَّ ومعه جماعةٌ من الأمراء ، وقد تحصَّنَ عبدُ الله بن علي بِحَرَّان ، وأرصد عنده مما يحتاجُ إليه من الأطعمةِ والسلاح شيئاً كثيراً جدّاً ، فسار إليه أبو مسلمٍ الخُراسانيّ ، وعلى مقدّمتهِ مالكُ بن هيثم الخُزَاعي ، فلما تحقَّق عبدُ الله قدومَ أبي مسلم إليه خَشِيَ من جيشِ العراق الذين معَهُ أنْ لا يُناصحوه ، فقَتَلَ منهم سبعةَ عشرَ ألفاً ، وأراد قتلَ حُميد بن قَحْطَبة ، فهرَبَ منه إلى أبي مسلم ، فركب عبدُ الله بن علي فنزل على نَصِيبين ، وخندَقَ حولَ عسكرِه وأقبل أبو مسلم فنَزل ناحيته ، وكتب إلى عبدِ الله : إني لم أومَرْ بقتالِك ، وإنما بعثني أميرُ المؤمنين والياً على الشام ، فأنا أريدها . فخاف جنودُ الشام من هذا الكلام فقالوا : إنَّا نخافُ على ذَرَارِينا وديارِنا وأموالِنا ، فنحن نذهبُ إليها نَمْنَعُهم منه . فقال عبدُ الله : ويحكم ، واللهِ لم يأتِ إلاَّ لقتالِنا ، فأبَوْا إلاَّ أنْ يَرتحلوا نحو الشام ، فتحوَّل عبدُ الله من مَنْزِلِهِ ذلك ، وقصَدَ ناحيةَ الشام ، فنهض أبو مسلم فنَزَل موضعَهُ ، وغوَّر ما حولَهُ من المياه ، وكان موضعُ عبدِ الله الذي تحوَّلَ منه موضعاً جيداً جدّاً ، فاحتاجَ عبدُ الله وأصحابُه فنَزلوا في موضعِ أبي مسلم فوجدوه مَنْزلاً رديئاً .

ثم أنشأ أبو مسلمٍ القتال ، فحَارَبَهم خمسةَ أشهر ، وكان على خيلِ عبدِ الله أخوهُ عبدُ الصمدِ بن علي ، وعلى ميمنتِهِ بَكَّارُ بن مسلم العُقَيلي ، وعلى ميسرته حَبيب بن سُويد الأسدي ، وعلى ميمنةِ أبي مسلم الحسنُ بن قَحْطبة ، وعلى ميسرَتِهِ أبو نصر خازم بن خُزَيمة ، وقد جرَتْ بينهم وقعات ، وقُتل منهم جماعاتٌ في أيامٍ نَحِسات ، وكان أبو مسلم إذا حمَل يرتجزُ ويقول :

مَـنْ كـانَ يَنْـوِي أهلَـهُ فـلا رَجَـعْ   فَرَّ من الموتِ وفي الموت وَقَعْ

وكان يُعمل له عريش ، فيكونُ فيه إذا التَقى الجيشان ، فما رأى في جيشِهِ من خلَل أرسل فأصلَحَه ، فلمَّا كان يومُ الثلاثاء أو الأربعاء لسبعٍ خَلَوْنَ من جُمادَى الآخرة التَقَوْا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فمَكَرَ بِهم أبو مسلم ، بعث إلى الحسن بن قَحْطَبَةَ أميرِ الميمنة فأمرَهُ أن يتحوَّل بِمَنْ معه إلا القليل إلى الميسرة ، فلما رأى ذلك أهلُ الشام انحازوا إلى الميمنة بإزاءِ الميسرة التي تعمَّرَتْ ، فأرسل حينئذٍ أبو مسلمٍ إلى القلب أنْ يَحمِلَ بمَنْ بقي في الميمنة على ميسرةِ أهلِ الشام ، فحَطَموهُمْ ، فجالَ أهلُ القلب والميمنةِ من الشاميِّين ، فحمل الخراسانيُّون على أهلِ الشام ، وكانتِ الهزيمة ، وانهزم عبدُ الله بن علي بعد تلوُّم ، واحتاز أبو مسلم ما كانَ في مُعَسكرِهم من الأموالِ والحَوَاصل ، وأمَّنَ أبو مسلمٍ بقيَّةَ الناس ، فلم يقتلْ منهم واحداً ، وكتب إلى المنصور بذلك ، فأرسل المنصورُ مولاه أبا الخصيب ، لِيُحصِيَ ما وجدوا في معسكر عبد الله ، فغضب من ذلك أبو مسلم الخراساني .

واستوسقتِ الممالكُ لأبي جعفر المنصور ، ومضى عبدُ الله بن علي وأخوه عبدُ الصمد على وجهَيْهما ، فلمَّا مَرَّا بالرُّصافة أقام بها عبدُ الصمد ، فلما رجع أبو الخصيب وجدَهُ بِها ، فأخذه معَهُ مقيَّداً في الحديد ، فأدخله على المنصور فدفعَهُ إلى عيسى بن موسى ، فاستأمَنَ له المنصور ، وقيل : بل استأمنَ له إسماعيلُ بنُ علي ، وأمَّا عبدُ الله بنُ علي فإنَّهُ ذهبَ إلى أخيه سُليمانَ بنِ علي بالبصرة ، فأقام عندَهُ زماناً مختفياً ، ثم علم به المنصور ، فبعث إليه فسجنَهُ [في بيتٍ بني أساسهُ على الملح ، ثم أطلق عليه الماء ، فذابَ المِلْحُ وسقطَ البيتُ على عبدِالله فمات . وهذه من بعضِ دواهي المنصور ، والله سبحانه أعلم][1] . فلَبِثَ في السِّجْنِ سبعَ سنين ، ثم سقط عليه في البيت الذي هو فيه فمات كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .

مَهْلِكُ أبي مسلم الخُراسانيّ

في هذه السنة أيضاً لَمَّا فرغ أبو مسلم من الحَجّ سبق الناسَ بِمَرْحَلَة ، فجاءه خبَرُ السفَّاح في الطريق ، فكتب إلى أبي جعفر يُعَزِّيه في أخيه ، ولم يهنِّئْهُ بالخلافة ، ولا رَجَعَ إليه ، فغَضِبَ المنصورُ من ذلك مع ما كان قد أضمرَ له من السُّوءِ إذا أَفْضَتْ إليه الخلافة ، وقيل : إنَّ المنصور هو الذي كان قد تقدَّمَ بين يدَيِ الحَجِّ بمَرْحلة ، وإنه لَمَّا جاء خبَرُ موت أخيه كتبَ إلى أبي مسلم يستعجلُهُ في السيرِ كم قدَّمناه[2] ، فقال لأبي أيوب : اكتُبْ له كتاباً غليظاً . فلمّا بلغَهُ الكتابُ أرسلَ يُهنِّئُهُ بالخلافة ، وانقَمَع من ذلك ، وقال بعضُ

---

(١) هذه الزيادة بين الحاصرتين ليست في (ب ، ح) ، وهي زيادة وجدت في نسخة الآستانة كما في (ق) .

(٢) في ص (٢٨٥) .

الأمراء للمنصور : إنَّا نرى أنْ لا تُجامعَهُ في الطريق ، فإنَّ معه من الجنودِ مَنْ لا يُخالفُه ، وهم لَهُ أهْيَب ، وعلى طاعَتِهِ أحرص ، وليس معَكَ أحد . فأخذ المنصورُ برأيه ، ثم كان من أمرِهِ في مبايعته لأبي جعفر ما ذكَرْنا ، ثم بعث إلى عَمِّه عبدِ الله فكسَرَهُ كما تقدَّم .

وقد بعثَ في غُبونِ ذلك[1] الحسنَ بن قَحْطَبَة لأبي أيُّوب كاتِبِ رسائلِ المنصور يشافههُ ويُخبِرُهُ بأنَّ أبا مسلمٍ متَّهَمٌ عند أبي جعفر ، فإنَّهُ إذا جاءه كتابٌ منه يقرؤهُ ثم يَلْوِي شدقَيْه ، ويَرْمِي بالكتابِ إلى أبي نصر ، ويضحكانِ استهزاءً . فقال أبو أيوب : إنَّ تُهمة أبي مسلم عندنا أظهَرُ من هذا .

ولَمَّا بعث أبو جعفر مولاهُ أبا الخصيب يقطين ليحتاطَ على ما أُصيب من معسكر عبدِ الله من الأموال والجواهر الثمينةِ وغيرِها غضب أبو مسلم ، فشتَمَ أبا حعفرٍ وهَمَّ بأبي الخَصِيب حتى قيل له : إنما هو رسول ، فتركَهُ ورجع أبو الخصيب . فلما قدم أخبر المنصورَ بما كان ، وبما هَمَّ به أبو مسلم من قتلِه ، فغضب المنصورُ وخشي أن يذهب أبو مسلم من مكانِه إلى خراسان فيشقُّ عليه تحصيلُهُ بعدَ ذلك ، وأن تحدث حوادِثُ . فكتب إليه مع يقطين : إني قد ولَّيتك الشامَ ومِصر ، وهما خيرٌ من خراسان ، فابعَثْ إلى مصرَ مَنْ شئتَ وأقِمْ أنتَ بالشام لتكونَ أقربَ إلى أميرِ المؤمنين إذا أرادَ لقاءك كنتَ منه قريباً . فغضب أبو مسلم من ذلك وقال : قد ولاني الشام ومصر ، ولي ولايةُ خراسان ، فإذاً أذهبُ إليها وأستخلفُ على الشام ومصر . فكتب إلى المنصور بذلك ، فقَلِقَ المنصورُ من ذلك كثيراً .

ورجع أبو مسلم من الشام قاصداً خُراسانَ وهو عازمٌ على مخالفةِ المنصور ، فخرج المنصورُ من الأنبار إلى المدائن ، وكتب إلى أبي مسلم بالمصيرِ إليه ، فكتب إليه أبو مسلم وهو على الزَّاب عازمٌ على الدخول إلى خُراسان ، أنه لم يبقَ لأميرِ المؤمنين عدوٌّ إلا مَكَّنَهُ الله منه ، وقد كُنَّا نَرْوِي عن ملوكِ آلِ ساسان أنَّ أخوفَ ما يكونُ الوزراء إذا سكَنتِ الدهماء ، فنحن نافرونَ من قُرْبِك ، حريصون على الوفاءِ بعهدك ما وفيت ، حَريُّونَ بالسمعِ والطاعة ، غيرَ أنَّها من بعيد حيثُ يُقارِنُها السلامة ، فإنْ أرضاكَ ذلك فأنا كأحسَنِ عبيدك ، وإنْ أبيتَ إلاَّ أنْ تُعطيَ نفسك إرادَتَها نقَضْتُ ما أبرمتُ من عهدِكَ ضَنّاً بنفسي عن مقاماتِ الذُّلِّ والإهانة . فلما وصل الكتابُ إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم : قد فهمتُ كتابَك ، وليستْ صِفَتُكَ صِفَةَ أولئك الوزراء الغَشَشَة إلى ملوكِهم الذين يتمنَّوْنَ اضطرابَ حبلِ الدولةِ لكثرةِ جرائمهم ، وإنما راحتهم في تبدُّدِ نظام الجماعة ، فلِمَ سوَّيتَ نفسَكَ بهم وأنتَ في طاعتك ومُناصحتِك واضطلاعِكَ بما حملتَ من أعباء هذا الأمر على ما أنتَ به ، وليس مع الشريطةِ التي أوجبَتْ منك سمعٌ ولا طاعة ، وقد حمَّلَ أمير المؤمنين عيسى بن موسى إليك رسالةً ليسكُنَ إليها قلبُكَ إنْ أصغيتَ إليها ، وأسألُ اللهَ أنْ يحولَ

(١) يعني في أثناء ذلك ، انظر حاشية (٢) الصفحة (٢٨٠) .

بين الشيطانِ ونزَغَاتِهِ وبينك ، فإنَّهُ لم يجدْ باباً يُفسِدُ به نِيَّتَك أوكدَ عندَهُ من هذا ، ولا أقربَ من طبّهِ[١] من الباب الذي فَتَحَهُ عليك .

ويُقال : إن أبا مسلم كتب إلى المنصور : أمَّا بعد ، فإني اتَّخذتُ رجلاً إماماً ، ودليلاً على ما افترض الله على خلقِه ، وكان في محلَّةِ العلمِ نازلاً ، وفي قرابتِهِ من رسولِ اللهﷺ قريباً ، فاستجهَلَني بالقرآنِ فحرَّفَهُ عن مواضعِهِ ، طمعاً في قليلٍ قد تعافاهُ الله إلى خلقِه ، وكان كالذي دَلَّى بغرُور ، وأمرني أنْ أُجَرِّدَ السيفَ وأرفعَ المَرْحَمَة ، ولا أقبلَ المعذِرَة ، ولا أُقيلَ العَثْرة ، ففعلتُ توطيداً لسلطانِكُمْ ، حتى عرَّفكم الله مَنْ كان يجهلُكم ، وأطاعَكم مَنْ كان عدوَّكم ، وأظهركم الله بي بعد الإخفاء والحقارَةِ والذُّلّ ، ثم استنقذني الله بالتَّوبة ، فإنْ يعفُ عني فقديماً عُرف به ، ونُسب إليه ، وإنْ يعاقِبْني فبما قدَّمَتْ يداي ، فما الله بظلامٍ للعبيد . ذكره المدائني عن شيوخه[٢] .

وبعث المنصورُ إليه جريرَ بنَ يزيدَ بنِ عبدِ الله البَجَلي ، وقد كان أوحدَ أهلِ زمانه في جماعةٍ من الأمراء ، وأمرَهُ أنْ يُكَلِّمَ أبا مسلمٍ باللِّين كلاماً يقدِرُ عليه ، وأن يكون في جملةِ ما يكلِّمُه به أنه يُريدُ رفعَ قَدْرِك ، وعلوَّ مَنْزلتِك ، والإطلاقاتِ لك ، فإنْ جاء بهذا فذاك ، وإنْ أبى فقلْ : هو بريءٌ من العباس إنْ شققتَ العَصَا على وجهك ، لَيُدْرِكَنَّكَ بنفسِه ، وليقاتلَنَّك دونَ غيرِه ، ولو خُضتَ البحرَ الخِضَمَّ لخاضَهُ خلفَك حتى يدركَكَ فيقتلكَ أو يموتَ قبل ذلك ، ولا تقلْ له هذا حتى تيأسَ من رجوعِهِ بالتي هي أحسن .

فلمَّا قَدِمَ عليه أمراءُ المنصورِ بِحُلْوان دخلوا عليه ، ولامُوهُ فيما هَمَّ بهِ من مُنابَذَةِ أميرِ المؤمنين وما هو فيه من مخالفتِه ، ورغَّبوهُ الرجوعَ إلى الطاعة ، فشاوَرَ ذوي الرأي من أمرائِه ، فكلُّهم نَهاهُ عن الرجوعِ إليه وأشاروا بأنْ يُقيمَ في الرَّيّ ، فتكونُ خراسانُ تحتَ حُكمِه ، وجنودُه طوعاً له ، فإن استقام لَهُ الخليفةُ وإلاَّ كانَ في عِزٍّ ومَنَعَةٍ من الجُند ، فعند ذلك أرسلَ أبو مسلم إلى أمراءِ المنصور فقال لهم : ارجِعوا إلى صاحبِكم ، فلستُ ألقاه ، فلمّا استيأسوا منه قالوا ذلك الكلامَ الذي كان المنصور أمرَهم به ، فلما سمع ذلك كَسَرَهُ جِدّاً وقال : قوموا عني الساعة .

وكان أبو مسلم قدِ استخلف على خُراسان أبا داود إبراهيم بن خالد ، فكتب إليه المنصورُ في غَيبةِ أبي مسلم حين اتُّهم : إنَّ ولايةَ خُراسانَ لكَ ما بَقِيت ، فقد ولَّيتُكها وعزَلْتُ عنها أبا مسلم . فعند ذلك كَتَبَ أبو داودَ إلى أبي مسلمٍ حينَ بلَغَهُ ما عليه من مُنَابَذَةِ الخليفة أنه ليس يليقُ بنا منابذةُ خلفاءِ أهلِ بيتِ رسولِ الله ﷺ ، فارجِعْ إلى إمامِكَ سامعاً مُطيعاً والسلام . فزادَهُ ذلك كسراً أيضاً ، فبعث إليهم أبو مسلم : إني سأبعثُ إليه أبا إسحاق ، وهو مِمَّنْ أثِقُ به ، فبعث أبا إسحاق إلى المنصور ، فأكرمه

(١) في (ح) : « ظنه » .
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (٤/ ٣٨٢) عن المدائني .

ووَعَدَهُ بنيابةِ العراقِ إنْ هو ردّه ، فلمّا رجع إليه أبو إسحاق قال له : ما وراءك ؟ قال : رأيتُهم مُعظِمينَ لك ، يعرفون قدرَك . فغَرَّهُ ذلك ، وعزم على الذهاب إلى الخليفة ، فاستشار أميراً يُقالُ له نَيْزَك فنهاه ، فصمَّمَ على الذهاب ، فلما رآهُ نيزك عازماً على الذهاب تمثَّلَ بقولِ الشاعر :

ما لِلرِّجَالِ مع القضاءِ محَالَةٌ ذهـب القضـاءُ بِحِيلَـةِ الأقـوام

ثم قال له : احفظْ عني واحدةً . قال : وما هي ؟ قال : إذا دخلتَ عليه فاقتُلْهُ ثم بايعْ مَنْ شئتَ بالخلافة ، فإنَّ الناسَ لا يخالفونك . وكتب أبو مسلم يُعلِمُهُ بقُدومِهِ عليه . قال أبو أيوب كاتبُ الرسائل : فدخلت على المنصور وهو جالسٌ في خِبَاءِ شعَر ، جالسٌ في مُصَلاهُ بعدَ العَصْر ، وبين يديه كتاب ، فألقاهُ إليّ ، فإذا هو كتابُ أبي مسلم يُعلمه بالقُدوم عليه ، ثم قال الخليفة : والله لئن ملأتُ عيني منه لأقتلَنَّه . قال أبو أيوب : فقلتُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] ، وبِتُّ تلك الليلةَ لا يأتيني نَوْم ، وأفكِّرُ في هذه الواقعة ، وقلت : إنْ دخل أبو مسلم خائفاً ربما يَبدو منه شرٌّ إلى الخليفة ، والمصلحةُ تقتضي أن يدخلَ آمناً ليتمكَّنَ منه الخليفة ، فلما أصبحتُ طلبتُ رجلاً من الأمراء وقلتُ له : هل لك أن تتولَّى مدينةَ كَسْكَر[1] فإنها مُغِلَّةٌ في هذه السنة . فقال : ومَنْ لي بذلك ؟ فقلت له : فاذهَبْ إلى أبي مسلم فتلقَّاهُ في الطريق فاطلبْ منه أنْ يُولِّيَكَ تلك البلد ، فإنَّ أمير المؤمنين يُريد أن يُولِّيَهُ ما وراء بابه ويستريحَ لنفسه . واستاذنتُ المنصورَ له أنْ يذهبَ إلى أبي مسلم ، فأذِنَ له وقال له : سَلِّمْ عليه وقُلْ له : إنَّا بالأشواق إليه . فسار ذلك الرجلُ وهو سلمة بن فلان[2] إلى أبي مسلم فأخبرَهُ باشتياقِ الخليفةِ إليه ، فسرَّهُ ذلك وانشرح ، وإنما هو غرورٌ ومَكْرٌ به ، فلما سمع أبو مُسلم بذلك عجَّلَ السَّيْرَ إلى مَنِيَّتِه ، فلما قرب من المدائن أمر الخليفةُ القوَّادَ والأمراءَ أنْ يتلقَّوه ، وكان دخولُه على المنصور من آخرِ ذلك اليوم ، وقد أشار أبو أيوب على المنصور أنْ يؤخِّرَ قتلَهُ في ساعتِهِ هذه إلى الغد ، فقبل ذلك منه ، فلما دخل أبو مسلم على المنصور من العَشِيّ أظهر له الكرامةَ والتعظيم ، ثم قال : اذهَبْ فأرِحْ نفسَك ، وادخُلِ الحمَّام ، فإذا كان الغَدُ فأْتِني ، فخرج من عِنده ، وجاءه الناسُ يُسلِّمون عليه ، فلما كان الغدُ طلب الخليفةُ بعضَ الأمراء فقال له : كيف بلائي عندَك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو أمرتَني أن أقتلَ نفسي لقتلتُها . قال : فكيف بك

---

(١) كَسْكَر : بالفتح ثم السكون وكاف أخرى وراءه : معناه عامل الزرع ، كُورةٌ واسعة يُنسَبُ إليها الفراريج الكَسْكَرية لأنها تكثر بها جدّاً ، رأيتها أنا ، تُباع فيها أربعة وعشرون فروجاً كباراً بدرهم واحد ، قال ابن الحجاج : ما كان قط غذاءها إلا الدجاج المصدّر ، والبط يُجلب إليها ، لكنْ يُجلَب من بعض أعمال كسكر ، وقصَبَتُها اليومَ واسط ، القصبة التي بين الكوفة والبصرة ، وكان قصبتها قبل أن يُمَصِّرَ الحجاجُ واسطاً خسرو سابور ، ويقال : إنَّ حَدَّ كورةِ كَسْكَر من الجانب الشرقي في آخرِ سقْيِ النهروان إلى أن تصُبَّ دِجلَةُ في البحرِ كله من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها . معجم البلدان (٤/ ٤٦١) .

(٢) هو سلمة بن سعيد بن جابر كما في تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٤) .

لو أمرتُكَ بقتلِ أبي مسلم ؟ قال : فوَجَم ساعةً ثم قال له أبو أيوب : ما لَكَ لا تتكلَّم ؟ فقال قولةً ضعيفة : أقتلُه . ثم اختار له من عيونِ الحرَس أربعةً ، فحرَّضَهم على قتله ، وقال لهم : كونوا من وراء الرُّوَاق ، فإذا صفَّقتُ بيدي فاخرجوا عليه فاقتلوه . ثم أرسل المنصورُ إلى أبي مسلم رسلاً تَتْرَى يتبع بعضُهم بعضاً ، فأقبل أبو مسلم فدخل دارَ الخلافة ، ثم دخل على الخليفة وهو يبتسِم ، فلمَّا وقف بين يديه جعل المنصورُ يعاتِبُهُ في الذي صنَعَ واحدةً واحدةً ، فيعتذِرُ عن ذلك كلِّه ، فيما كان اعتمدَهُ من الأمور التي تسَرَّعَ فيها ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أرجو أن تكونَ نفسُكَ قد طابَتْ عليّ . فقال المنصور : أما والله ما زادَني هذا إلاَّ غَيْظاً عليك . ثم ضرَبَ بإحدى يديه على الأخرى ، فخرج عثمانُ وأصحابُه فضربوه بالسيوف حتى قتلوه ولفُّوهُ في عباءة ، ثم أمَرَ بإلقائه في دِجْلَة ، وكان آخرَ العَهْدِ به ، وكان مقتَلُهُ في يومِ الأربعاء لأربع بَقِينَ من شعبان سنةَ سبعٍ وثلاثين ومئة . وكان من جُملة ما عاتبه به المنصور أن قال : كتبتَ إليَّ مرَّاتٍ تبدأُ بنفسِك ، وأرسلتَ تخطُبُ عمَّتي أمينة ، وتزعمُ أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس إلى غيرِ ذلك . فقال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين لا يُقال لي هذا وقد سعَيْتُ في أمرِكم بما عَلِمَهُ كلُّ أحد . فقال : وَيْلَك ! لو قامَتْ في ذلك أمَةٌ سوداء لأتَمهُ الله لجِدِّنا وحَيْطَتِنا . ثم قال : والله لأقتلَنَّك . فقال : استبقِني يا أميرَ المؤمنين لأعدائك . فقال : وأيُّ عدوٍّ لي أعدَى منك ؟ ثم أمر بقتلِهِ كما تقدَّم . فقال له بعضُ الأمراء : يا أميرَ المؤمنين الآنَ صرتَ خليفة .

ويقال : إنَّ المنصور أنشدَ عندَ ذلك

فألقَتْ عصاها واستقرَّ بِها النَّوَى   كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

وذكر ابنُ خَلِّكان أنَّ المنصور لَمَّا أرادَ قتلَ أبي مسلم تحيَّرَ في أمره ، هل يستشيرُ أحداً في ذلك أو يستبدُّ هو لئلا يَشِيعَ وينتشر ؟ ثم استشار واحداً من نُصَحاء أصحابه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] . فقال له : لقد أودعتَها أُذُناً واعية . ثم عزم على ذلك .

ترجمة أبي مسلم الخراساني (١)

هو عبدُ الرحمن بن مسلم أبو مسلم، صاحبُ دولةِ بني العباس، ويُقالُ له أميرُ آلِ بيتِ رسولِ الله ﷺ .

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٧) ، تاريخ مدينة دمشق (٣٥/ ٤٠٨ ، و٦٧/ ٢٢٤) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤/ ٤٦١ ، و٥/ ٢١) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٤٥) ، المغني في الضعفاء (٢/ ٣٨٧) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (٢/ ٧٦) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٣١٧) ، لسان الميزان (٣/ ٤٣٦) ، نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر (٢/ ٢٧٢) ، النجوم الزاهرة (١/ ٣٣٥) .

وقال الخطيب[١] : يقال له عبد الرحمن بن مسلم بن سنفيرون بن اسفنديار ، أبو مسلم المروزِيّ ، صاحبُ الدولةِ العباسية ، يَرْوي عن أبي الزبير [محمد بن مسلم المكِّي] ، وثابت البُنَاني ، وإبراهيم ، وعبدِ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . زاد ابن عساكر[٢] في شيوخه : محمد بن علي ، وعبد الرحمن بن حَرْمَلَة ، وعكرمة مولى ابن عباس .

قال ابنُ عساكر[٣] : روى عنه إبراهيم بن ميمون الصائغ ، وبشر والد مُصعَب بن بشر ، وعبد الله بن شُبْرُمَة ، وعبدُ الله بن مُنِيب المروزي ، وقُديد بن مَنِيع ، صِهْر أبي مسلم .

قال الخطيب[٤] : وكان أبو مسلم فاتكاً ذا رأي وعقل وتدبير وحزم ، قتله أبو جعفر المنصور بالمدائن .

وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان : كان اسمه عبد الرحمن بن عثمان بن يسار ، قيل إنه ولد بأصبهان ، وروى عن السُّدِّي وغيرِه ، وقيل اسمه إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سندوس بن جودرن ، من ولدِ بُزُرْجمْهر ، وكان يُكنى أبا إسحاق ، ونشأ بالكوفة ، وكان أبوه أوصى به إلى عيسى بن موسى السرَّاج ، فحمله إلى الكوفة وهو ابنُ سبعِ سنين ، فلما بعثه إبراهيم بن محمد الإمام إلى خراسان قال له غَيِّر اسْمَكَ وكُنْيَتَك ؛ فتَسَمَّى عبد الرحمن بن مسلم ، واكتنى بأبي مسلم ، فسار إلى خُراسان وهو ابنُ سبعَ عشرةَ ، راكباً على حمارٍ بإكاف ، وأعطاهُ إبراهيم بن محمد نفقةً من عنده ، فدخل خراسانَ وهو كذلك ، ثم آلَ به الحال حتى صارَتْ له خُراسانُ بأزِمَّتِها وحَذَافيرِها .

وذكر بعضُهم أنه في ذهابِهِ إليها عدا رجلٌ من بعضِ الحانات[٥] على حمارِهِ فهَلَبَ ذنَبه[٦] ، فلما تمكَّن أبو مسلم جعل ذلك المكان دَكّاً ، فكان بعدَ ذلك خراباً .

وذكر بعضُهم أنه أصابه سِبَاءٌ في صِغَرِهِ ، وأنه اشتراهُ بعضُ دعاةِ بني العباس بأربعمئة درهم ، ثم إن إبراهيم بن محمد الإمام استوهَبَهُ واشتراه ، فانتمى إليه ، وزوَّجهُ إبراهيمُ بنتَ أبي النَّجْم عمرانَ بنِ إسماعيل الطائيِّ أحَدِ دُعاتِهم لمَّا بعثه إلى خراسان ، وأصدَقَها عنه أربعمئة درهم ، فوُلد لأبي مسلم بنتان ، إحداهما أسماءُ أعقبَتْ ، وفاطمة لم تُعقب .

---

(١) في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٧) .
(٢) في تاريخ مدينة دمشق (٣٥/ ٤٠٨) .
(٣) في تاريخه (٣٥/ ٤٠٨) .
(٤) في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٧) .
(٥) في (ح) : « الحمامات » .
(٦) الهُلْب : الشعر كله ، وقيل : هو في الذنب وحده . وفرسٌ مَهْلُوب : مستأصَلُ شعَرِ الذنب ، وهُلِبَ ذَنبهُ : أيْ استؤصل جَزّاً . لسان العرب (هلب) .

وقد تقدَّمَ ذكرُ كيفيةِ استقلالِ أبي مسلم بأمورِ خُراسانَ في سنةِ تسعٍ وعشرين ومئة ، وكيف نشر دعوةَ بني العباس . وقد كان ذا هيبةٍ وصَرَامةٍ وإقدامٍ وتسرُّعٍ في الأمور ، وقد روى ابنُ عساكر[١] من طريقِ مصعب بن بشر ، عن أبيه قال : قام رجلٌ إلى أبي مسلم وهو يخطب فقال : ما هذا السوادُ الذي أرى عليك ؟ فقال : حدثني أبو الزُّبير عن جابر بن عبدِ الله ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل مكة يومَ الفتح وعليهِ عمَامةٌ سوداء ، وهذهِ ثيابُ الهيبةِ[٢] وثيابُ الدولة ، يا غلام ، اضربْ عُنقَه .

وروى[٣] من حديث عبد الله بن مُنيب عنه[٤] عن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن جدِّهِ عبدِ الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « منْ أراد هوانَ قُريشٍ أهانَهُ الله »[٥] .

وقد كان إبراهيمُ بن ميمون الصائغُ من أصحابِهِ وجلسائهِ في زمَنِ الدعوة ، وكان يَعِدُهُ إذا ظهَرَ أنْ يُقيمَ الحُدود ، فلمَّا تمكَّنَ أبو مسلم ألحَّ عليهِ إبراهيمُ بن ميمون في القيام بما وَعَدهُ به حتى أحرَجَه ، فأمرَ بضَرْبِ عُنقه بعد ما قال له : هلاَّ تُنكرُ على نصرِ بنِ سيَّارٍ وهو يعملُ أوانيَ الخمر من الذهب فيبعثها إلى بني أمية ؟ فقال له : إنَّ أولئك لم يُقرِّبوني من أنفسِهم ويَعِدُوني منها ما وعَدْتَني أنت .

وقد رأى بعضُهم ـ في المنام لإبراهيمَ بنِ مَيْمون هذا منازلَ عاليةً في الجنة بصَبْرِهِ على الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْي عن المنكر ، فإنه كان آمراً ناهياً قائماً في ذلك ، فقتله أبو مسلم رحمه الله .

وقد ذكرنا طاعةَ أبي مسلمٍ للسَّفَّاح واعتناءَهُ بأمرِه ، وامتثالِ مَراسيمِه ، فلمّا صار الأمرُ إلى المنصور استخفَّ بهِ واحتقرَهُ ، ومع هذا بعثه إلى عمِّه عبدِ الله إلى الشام فكسرَهُ واستنقذ منه الشام ورَدَّها إلى حُكمِ المنصور ، ثم شَمَختْ نفسُهُ على المنصور ، وهمَّ بقتله ، ففَطِنَ لذلك المنصور مع ما كان مُبْطناً له من البِغْضَة في نفس الأمر ، وقد سأل أخاهُ السفاحَ غيرَ مرَّةٍ أنْ يقتُلَهُ فصدَفَ عن ذلك ؛ وذكرْنا أيضاً ما كان من أمرِ أبي مسلم والمنصور من المراسلات والمكاتبات حين استوحش منه المنصور ، واتَّهَمهُ بسوء النِّيَّة ،

---

(١) في تاريخ مدينة دمشق (٤٠٨/٣٥ ، ٤٠٩) .
(٢) في (ق) : « الهيئة » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر .
(٣) يعني ابن عساكر في تاريخه (٤٠٩/٣٥) .
(٤) يعني أبا مسلم الخراساني .
(٥) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١٠٩/٢) من طريق عبد الله بن منيب ، به ، وإسناده ضعيف . ورواه الخطيب في تاريخه (٩/١٥ بتحقيقنا) من قول ابن عباس موقوفاً عليه ، وإسناده ضعيف أيضاً كما بينته في تعليقي عليه . لكن الحديث قد روي من طرق أخرى يرتقي بمجملها إلى درجة الحسن ، فقد أخرجه أحمد في مسنده (١٨٣/١) والترمذي (٣٩٠٦) من حديث سعد بن أبي وقاص . ورواه أحمد أيضاً (٦٤/١) وابن حبان (٦٢٦٩) من حديث عثمان بن عفان .

وما زال يراسِلُهُ ويستدعيه ويَخْدَعُه ويُماكِرُهُ حتى استحضَرَهُ فقتَلَه كما قدَّمنا بيانه[١] .

قال بعضُهم كتبَ المنصورُ إلى أبي مسلم : أمَّا بعد ، فإنه يُرينُ على القلوب ، ويَطْبَعُ عليها المعاصي فع أيها الطائش ، وأفِقْ أيُّها السَّكْران ، وانتبِهْ أيها النائم ، فإنَّك مغرورٌ بأضغاثِ أحلام كاذبة ، في بَرْزَخِ دُنيا قد غرَّتْ منْ كانَ قَبْلَك ، وُسِمَ بها سوالفُ القُرون ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم : ٩٨] ، وإن الله لا يُعجِزُهُ منْ هرَب ، ولا يَفُوته من طلب ، فلا تغترَّ بمن معك من شيعتي وأهلِ دعوتي ، فكأنَّهم قد صالوا عليك بعدَ أنْ صالوا معكَ إنْ أنتَ خلعتَ الطاعةَ وفارقتَ الجماعة ، وبدا لَكَ من الله ما لم تكنْ تحتسِب ، مهلاً مهلاً ، احذرِ البغيَ أبا مسلم ، فإنه من بَغى واعتَدَى تخلَّى الله عنه ، ونصر عليه منْ يصرَعُهُ لليدينِ والفمِ ، واحذرْ أنْ تكونَ سُنَّةً في الذين قد خَلَوْا من قبلك ، ومُثْلَةً لمن يأتي بعدَك ، فقد قامتِ الحُجة ، وأعذرتُ إليك وإلى أهل طاعتي فيك . قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

فأجابه أبو مسلم : أما بعد فقد قرأتُ كتابَك ، فرأيتُك فيه للصواب مجانباً ، وعن الحقِّ حائداً ، إذ تضربُ فيه الأمثالَ على غيرِ أشكالِها ، وكتبتَ إليَّ فيه آياتٍ مُنْزلةً من الله للكافرين ، وما يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وإنَّني والله ما انسلختُ من آياتِ الله ، ولكنَّني يا عبدَ الله بن محمد ، كنتُ رجلاً متأوِّلاً فيكم من القرآن آياتٍ أوجبَتْ لكمُ الولايةَ والطاعة ، فأتمَمْتُ بأخوينِ لك من قبلِك ، ثم بكَ من بعدِهما ، فكنتُ لهما شيعةً متديِّناً ، أحسبُني هادياً مُهتدِياً ، وأخطأتُ في التأويل ، وقِدْماً أخطأ المتأوِّلون ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤] ؛ وإنَّ أخاكَ السفَّاحَ ظَهَرَ في صورةِ مَهْدِيّ ، وكان ضالاًّ ، فأمَرَني أن أُجرِّدَ السيف وأقتلَ بالظِّنَّة ، وأُقدمَ بالشُّبْهَة ، وأرفعَ الرَّحْمَة ، ولا أُقيلَ العَثْرة ، فوترتُ أهلَ الدُّنْيا في طاعتِكم ، وتَوْطِئَة سُلطانكم ، حتى عرَّفكم الله منْ كانَ جَهِلَكُم ، ثم إنَّ الله سبحانه وتعالى تداركَني منه بالنَّدَم ، واستنقذني بالتَّوبة ، فإنْ يَعْفُ عنِّي ويصفَح ، فإنه كان للأوَّابين غفوراً ، وإنْ يُعاقِبْني فبذنوبي ، وما ربُّكَ بظلامٍ للعَبيد .

فكتب إليه المنصور : أمَّا بعدُ أيها المجرمُ العاصي ، فإنَّ أخي كان إمامَ هُدى ، يَدْعو إلى الله على بَيِّنةٍ من ربِّه ، فأوضح لك السبيل ، وحَمَلكَ على المنهج السَّديد ، فلو بأخي اقتديت لمَا كنتَ عن الحقِّ حائداً ، وعن الشيطانِ وأوامرِهِ صادراً ، ولكنَّه لم يسنَحْ لكَ أمرانِ إلاَّ كنتَ لأرشَدِهما تاركاً ، ولأغواهُما راكباً ، تقتُل قتلَ الفراعنة ، وتبطِشُ بطشَ الجبابرة ، وتَحكُمُ بالجَوْرِ حُكْمَ المفسدين ، وتبذرُ المالَ وتضَعُه في غير مَوَاضعِهِ فعلَ المسرفين ؛ ثم من خبَري أيها الفاسق ، أنّي قد ولَّيتُ موسى بن كعبٍ

---

(١) انظر ص(٢٩١) من هذا الجزء .

خُراسان ، وأمَرْتُهُ أنْ يُقيمَ بنَيْسابور ، فإنْ أردتَ خُراسان لَقيَكَ بمَنْ معه من قُوَّادي وشيعتي ، وأنا مُوَجِّهٌ للقائك أقرانَك ، فاجْمَعْ كَيْدك وأمْرُكَ غيرُ مسدَّدٍ ولا مُوَفَّق ؛ وحَسْبُ أميرِ المؤمنينَ ومَنِ اتَّبَعَهُ الله ونعمَ الوَكيل .

ولم يزَلِ المنصورُ يُراسلهُ تارةً بالرغبة ، وتارةً بالرَّهْبة ، ويستخِفُّ أحلامَ منْ حَوْلَهُ من الأمراءِ والرسُل الذين يبعثهم أبو مسلم إلى المنصور ، ويَعِدُهم حتى حَسَّنوا لأبي مسلم في رأيه القُدومَ عليه سوى أميرٍ معه يُقال له نَيْزك ، فإنَّه لم يُوافقْ على ذلك ، فلمَّا رأى أبا مسلم وقد انصاعَ لهم أنشدَ عن ذلك البيت المتقدِّم(١) وهو :

ما للرجال مع القضاء مُحالةٌ ذهب القضاءُ بحيلةِ الأقوام

وأشار عليه بأن يقتلَ المنصور ويستخلفَ بدَلَه ؛ فلم يُمْكِنْهُ ذلك ، فإنَّه لما قَدِمَ المدائن تلقَّاهُ الأمراءُ عن أمرِ الخليفة ، فما وصل إلاَّ آخرَ النهار ، وقد أشار أبو أيوب كاتبُ الرسائل أنْ لا يَقْتُلَهُ يومَهُ هذا كما تقدَّم . فلما وقف بين يدي الخليفة أكرَمهُ وعَظَّمهُ وأظهرَ احترامَه وقال : اذهبِ الليلةَ فأذهبْ عنك وعْثاءَ السَّفَر ثم ائتِني من الغد . فلما كان الغَدُ أرصَدَ لهُ من الأمراءِ منْ يَقْتُلُه منهم عثمان بن نَهِيك ، وشبيب بن واج ، وأرسل إليه رسلاً تترى ليقدم عليه ، فقتلوه كما تقدَّم(٢) .

ويُقال بل أقام أياماً يُظهِرُ له المنصورُ الإكرام والاحترام ، ثم بَدَا له منه الوَحْشةُ ، فخاف أبو مسلم ، واستشفَعَ بعيسى بنِ موسى ، واستجارَ به وقال : إني أخافُهُ على نفسي . فقال : لا بأس عليك . فانطلِقْ فإنِّي آتٍ وراءَكَ ، أنتَ في ذمَّتي حتى آتيَكَ . ولم يكنْ مع عيسى خبرٌ بما يُريدُ بهِ الخليفة ؛ فجاء أبو مسلم يستأذنُ المنصور ، فقالوا له : اجلِسْ هاهنا ، فإنَّ أميرَ المؤمنين يتوضَّأ ، فجلس وهو يودُّ أنْ يطولَ مجلسُه ، ليجيءَ عيسى بنُ موسى ، فأبطأ ، وأذنَ له الخليفة ، فدخل عليه ، فجعل يُعاتِبُهُ في أشياءَ صدَرَتْ منه ، فيعتذرُ عنها جيداً ، حتى قال له : فلِمَ قتلتَ سليمان بن كَثير ، وإبراهيمَ بنَ ميمون وفلاناً وفلاناً ؟ قال : لأنَّهم عصَوْني وخالفوا أمْري . فغَضبَ عندَ ذلكَ المنصور وقال : وَيْحَك ! أنتَ تقتُلُ إذا عُصيت ، وأنا لا أقتُلُكَ وقد عصَيْتَني ؟! وصَفَّقَ بيدَيْه ، وكانتِ الإشارةَ بينه وبين أولئكَ المُرْصَدِين لقَتْلِه ، فتبادروا إليه ليقتلوه ، فضرَبَهُ أحدُهم فقطَعَ حمائلَ سيفِه ، فقال : يا أميرِ المؤمنين استبقِني لأعدائك . فقال : وأيُّ عدوٍّ أعْدَى منك ؟! ثم زجَرَهُم المنصور ، فقطَّعوهُ قِطَعاً ولفُّوهُ في عباءة ، ودخل عيسى بن موسى على إثْر ذلك ، فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا أبو مسلم . فقال : إنا لله وإنَّا إليه راجعون . فقال له المنصور : أحمد الله الذي هجمت عليَّ نِعَمُه ، ولم تَهجُمْ عليَّ نِقَمُه . ففي ذلك يقول أبو دُلامة :

---

(١) تقدم ص(٢٩٤) .

(٢) تقدم ص(٢٩٥) .

أبــا مسلــم مــا غيَّــرَ اللهُ نِعمــةً علــى عبــدِهِ حتــى يُغيِّــرَهــا العَبْــدُ
أبـا مسلـمٍ خـوَّفتَنـي القتـلَ فـانْتحـى عليك بما خوَّفتني الأسَدُ الوَرْدُ[1]

وذكر ابنُ جرير[2] أنَّ المنصور تقدَّمَ إلى عثمانَ بنِ نَهيك ، وشبيب بن واج ، وأبي حنيفة حرب بن قيس ، وآخر من الحرس ، أن يكونوا قريباً منه ، فإذا دخل عليه أبو مسلم وخاطبه ، وضرب بإحدى يديه على الأخرى فَلْيَقتلوه . فلما دخل عليه أبو مسلم قال له المنصور ما فعلَ السيفانِ اللذانِ أصبتَهما من عبدِ الله بن علي ؟ فقال : هذا أحدُهما . فناوله السيف فوضعه تحت ركبته ، ثم قال له : ما حملك على أن تكتب لأبي عبد الله السفَّاح تنهاهُ عن الموات ، أردتَ أنْ تعلِّمَنا الدِّين ؟! قال : إنَّني ظننتُ أنَّ أخْذَهُ لا يَحِلّ ، فلما جاءني كتابُ أميرِ المؤمنين علمتُ أنه وأهلَ بيته مَعْدِنُ العِلْم . قال : فلِمَ تقدَّمتَ عليَّ في طريقِ الحجّ ؟ قال : كرهتُ اجتماعَنا على الماء ، فيضرّ ذلك بالناس ، فتقدَّمْتُ التماسَ الرِّفق . قال : فلِمَ لا رجعتَ إليَّ حين أتاكَ خبرُ موتِ أبي العباس ؟ قال : كرهتُ التضييقَ على الناسِ في طريقِ الحج ، وعرفتُ أنَّا سنجتمعُ بالكوفة ، وليس عليكَ منِّي خلاف . قال : فجاريةُ عبدِ الله بنِ علي أردتَ أن تتَّخِذَها لنفسِك ؟ قال : لا ، ولكنْ خفتُ أن تَضِيعَ فحمَلْتُها في قُبَّة ، ووكَّلْتُ بِها من يَحفَظُها . ثم قال : ألستَ الكاتبَ إليَّ تبدأُ بنفسِك ؟ والكاتب إليَّ تَخطُبُ أمينةَ بنتَ عليّ ، وتزعمُ أنك ابنُ سَليط بن عبدِ الله بن عباس ؟ هذا كلُّه ويَدُ المنصورِ في يَدِهِ يَعْرِكُها ويُقَبِّلُها ويعتذر ؛ ثم قال له : فما حَمَلكَ على مُرَاغمتي ودخولكَ إلى خُراسان ؟ قال : خِفْتُ أنْ يكونَ دَخَلكَ منِّي شيء ، فأردتُ أنْ أدخُلَ خراسانَ وأكتبَ إليكَ بعُذْري . قال : فلِمَ قتلتَ سليمانَ بنَ كَثير وكان من نُقبائنا ودُعاتنا قَبْلَك ؟ قال : أرادَ خِلافي . فقال : وَيْحك ! وأنتَ أردتَ خلافي وعَصَيتني ، قَتَلَني اللهُ إنْ لم أقتُلْك . ثم ضرَبَهُ بعمودِ الخيمة ، وخرج إليه أولئك ، فضربه عثمانُ فقطَعَ حمائلَ سيفه ، وضرَبَهُ شبيبٌ فَقَطعَ رِجْلَه ، وحمَلَ عليه بقيَّتُهُم بالسيوف ، والمنصورُ يَصيح : ويحكم اضربوه ، قطَعَ اللهُ أيديكم . ثم ذَبَحوه وقطَّعوه قطعاً قِطَعاً ، ثم أُلقي في دِجْلة .

ويُروى أنَّ المنصورَ لمَّا قتلَه وقف عليه فقال : رَحِمكَ اللهُ أبا مسلم بايعتَنا فبايعناك ، وعاهدتَنا وعاهَدْناك ، ووفيتَ لنا فوَفَيْنا لك ، وإنَّا بايعناك على أنْ لا يَخرجَ علينا أحدٌ في هذه الأيام إلاَّ قَتَلْناه ، فخرَجْتَ علينا فقتَلْناك وحَكَمْنا عليك حُكْمكَ على نفسِك لنا . ويُقال : إنَّ المنصور قال : الحمدُ لله الذي أرانا يومكَ يا عدوَّ الله .

---

(١) البيتان في ديوان أبي دلامة ص(٥١) : وزاد فيهما بيتاً ثالثاً هو :
أفي دَولَةِ المَهْدِيِّ حَاوَلْتَ غَدْرَةً ألا إنَّ أهْــلَ الغَــدْرِ آبــاؤُكَ الكُــرْدُ
(٢) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٨٥) بألفاظ مقاربة .

قال ابنُ جرير[١] : وقال المنصورُ عند ذلك :

زعمتَ أنَّ الدَّيْن لا يُقتضَى ... فاستوفِ بالكَيْلِ أبا مُجْرِمِ
سُقيتَ كأساً كنتَ تَسْقِي بها ... أمَرَّ في الحَلْقِ من العَلْقَمِ

ثم إنَّ المنصورَ خطَبَ في الناسِ بعدَ قتلِ أبي مسلم فقال : أيها الناس ، لا تُنَفِّروا أطيارَ النِّعَم بتَرْكِ الشُّكْر ، فتَحِلَّ بكُمُ النِّقَم ، ولا تُسِرُّوا غِشَّ الأئمَّة ، فإنَّ أحداً لا يُسِرُّ منكمْ شيئاً إلا ظَهَرَ في فَلَتاتِ لسانِه ، وصَفَحاتِ وَجْهِه ، وطوالِعِ نَظَرِه ، وإنَّا لنْ نجهَلَ حقوقَكُمْ ما عرَفْتُمْ حَقَّنا ، ولا نَنْسى الإحسانَ إليكم ما ذكرتُمْ فضلَنا ، ومنْ نازَعَنا هذا القَميص أوطأْنا أمَّ رأسِهِ حتى يستقيمَ رجالُكم ، وترتَدِعَ عُمَّالُكم ، وإنَّ هذا الغَمْرَ أبا مسلم ، بايَعَ على أنَّهُ منْ نَكَثَ بيعتَنا ، وأظهرَ غِشَّنا ، فقد أباحَنا دَمَه ، فنكَثَ وغدَرَ وفجَرَ وكفَر ، فحكَمْنا عليه لأنفسنا حُكْمَهُ على غيرِه لنا ؛ وإنَّ أبا مسلمٍ أحسَنَ مُبتدياً وأساءَ منتهياً ، وأخذَ من الناسِ بنا لنفسِهِ أكثرَ ممَّا أعطانا ، ورَجَّحَ قبيحَ باطِنِه على حُسْنِ ظَاهِرِه ، وعَلِمْنا من خُبْثِ سريرَتِه وفسادِ نِيَّتِهِ ما لو علم اللائمُ لنا فيه لما لام ، ولو اطَّلع على ما اطَّلَعْنا عليه منه لعَذَرَنا في قَتْلِه ، وعَنَّفَنا في إمْهالِه ، وما زال يَنْقُضُ بيعتَه ، ويَخْفِرُ ذمَّتَه حتى أحلَّ لنا عقوبتَه ، وأباحَنا دَمَه ، فحكمنا فيه حُكْمَهُ في غيرِهِ مِمَّنْ شقَّ العَصَا ، ولم يمنَعْنا الحقُّ له من إمضاءِ الحقِّ فيه ، وما أحسن ما قالَ النابغةُ الذبياني للنعمان ـ يعني ابنَ المنذر :

فمنْ أطَاعكَ فانفَعْهُ بطاعتِهِ ... كما أطاعَكَ وادْلُلْهُ على الرَّشَدِ
ومنْ عصاكَ فعاقِبْهُ مُعاقبةً ... تَنْهى الظلومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ[٢]

وقد روى البيهقيُّ عن الحاكمِ بسندِه ، أنَّ عبدَ الله بنَ المبارك سُئل عن أبي مسلم ، أهو خيرٌ أمِ الحجَّاج ؟ فقال : لا أقولُ أنَّ أبا مسلمٍ كان خيراً من أحد ، ولكنْ كان الحجَّاج شرّاً منه ، قد اتهمَهُ بعضُهم على الإسلام ، ورَمَوْهُ بالزَّنْدقة ؛ ولم أَرَ فيما ذكروهُ عن أبي مسلم ما يدلُّ على ذلك ، بل على أنه كان ممَّنْ يخافُ الله من ذنوبهِ ، وقد ادَّعَى التَّوْبة فيما كان منه من سَفْكِ الدماء في إقامةِ الدولة العباسية ، والله أعلمُ بأمرِه .

وقد روى الخطيب[٣] عنه أنه قال : ارتديتُ الصَّبْر ، وآثرتُ الكفاف[٤] ، وحالفْتُ الأحزانَ والأشجان ، وشامَخْتُ[٥] المقاديرَ والأحكام ، حتى بلغتُ غايةَ همَّتي ، وأدركتُ نهايةَ بُغْيتي ثم أنشأ يقول :

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٨٦) .
(٢) البيتان في ديوان النابغة الذبياني من قصيدة يمدح فيها النعمان المذكور ص(٣٠) .
(٣) في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٠٨) .
(٤) في تاريخ الخطيب : « الكتمان » ، وهو الأوفق .
(٥) في تاريخ الخطيب وسير أعلام النبلاء (٦/ ٥٣) : « وسامحت » .

قد نلتُ بالعَزْمِ والكِتْمانِ ما عَجَزتْ عنه ملوكُ بني مروانَ إذْ حَشَدوا
ما زلتُ أضرِبُهم بالسيفِ فانتبهوا من رَقْدةٍ لم ينَمها قبلَهم أحدُ
وطُفْتُ أسعى عليهم في ديارِهم والقومُ في مُلكِهم في الشامِ قد رَقدوا
ومنْ رَعى غنماً في أرضِ مَسْبعةٍ ونامَ عنها تولَّى رَعْيَها الأسدُ

وقد كان قتلُ أبي مسلم بالمدائن يومَ الأربعاء لسبعٍ خلَوْنَ ـ وقيل لخمسٍ بَقين ، وقيل لأربعٍ ، وقيل لليلتينِ بَقِيتا ـ من شعبان من هذه السنة ، أعني سنةَ سبعٍ وثلاثين ومئة .

قال بعضُهم : كان ابتداءُ ظهورِهِ في رمضان من سنةِ تسعٍ وعشرين ومئة ، وقيل : في شعبان سنة سبعٍ وعشرين ومئة .

وزعم بعضُهم أنه قُتل ببغداد في سنةِ أربعين ؛ وهذا غلَطٌ من قائله ، فإنَّ بغدادَ لم تكُنْ بُنيت بعدُ كما ذكرَهُ الخطيب في تاريخ بغداد ، وردَّ هذا القول .

ثم إنَّ المنصور شرع في تأليف أصحابِ أبي مسلم بالأُعطية والرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ والولايات ، واستدعى أبا إسحاق ـ وكان من أعزِّ أصحابِ أبي مسلم ـ وكان على شرطة أبي مسلم ، وهمَّ بضَرْبِ عُنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أمنتُ قطُّ إلاَّ في هذا اليوم ، وما من مرَّةٍ كنتُ أدخلُ عليك إلا تحنَّطْتُ ولبستُ كفَني ، ثم كشف عن ثيابِهِ التي تَلِي جسَدَه ، فإذا هو مُحنَّطٌ وعليه أدراعُ أكفان ، فرقَّ له المنصور وأطلَقَه .

وذكر ابنُ جرير[1] أن أبا مسلم قتل في حروبه وما كان يتعاطاهُ لأجلِ دولةِ بني العباس ستَّمئةِ ألفٍ صَبْراً زيادة عن منْ قتلَ بغيرِ ذلك . وقد قال للمنصور وهو يعاتبهُ على ما كان يصنعه : يا أمير المؤمنين لا يُقال لي هذا بعد بلائي وما كان مني . فقال له : يا بن الخبيثة ، لو كانتْ أمةٌ مكانَكَ لأجزأتْ ناحيتها ، إنما عملتَ ما عملتَ بدولتِنا وبريحِنا ، ولو كان ذلك إليك لما قطعتَ فَتيلاً . ولمَّا قتله المنصور لُفَّ في كساءٍ وهو مقطَّعٌ إرْباً إرْباً ، فدخل عيسى بن موسى فقال : يا أمير المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟ قال : قد كان هاهنا آنفاً . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عرفتَ طاعتَهُ ونَصِيحتَه ، ورأيَ إبراهيمَ الإمامِ فيه ! فقال له : يا أنْوَك ، والله ما أعلمُ في الأرض عدوّاً أعدَى لكَ منه ، هاهو ذاك في البِساط . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال له المنصور : خلَعَ الله قلبَك ، وهل كان لكم مكانٌ أو سلطانٌ أو أمرٌ أو نَهْيٌ مع أبي مسلم ؟ ثم استدعى المنصورُ برؤوسِ الأُمَرَاءِ فجعل يستشيرُهم في قتلِ أبي مسلم قبلَ أنْ يعلموا بقتلِه ، فكلُّهم يُشيرُ بقتلِه ، ومنهم منْ كانَ إذا تكلَّم أسَرَّ كلامَهُ خوفاً من أبي مسلم لئلا يُنقل إليه . فلمَّا

(١) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٣٨٦ ، ٣٨٧) .

أطلعَهم على قَتْلِه أفزَعهم ذلك ، وأظهروا سروراً كثيراً . ثم خطب المنصور الناس بذلك كما تقدَّم .

ثم كتب المنصورُ إلى نائبِ أبي مسلم على أموالِهِ وحواصِلِهِ بكتابٍ على لسان أبي مسلم ، أنْ يقدمَ بجميعِ ما عندَهُ من الحواصلِ والذخائرِ والأموالِ والجواهر . وختم الكتابَ بخاتم أبي مسلم بكمالِه مطبوعاً بكلِّ فَصِّ الخاتم ، فلما رآه الخازنُ استرابَ في الأمر ، وقد كان أبو مسلم تقدَّمَ إلى خازنِه ، أنَّهُ إذا جاءك كتابي فإنْ رأيتَهُ مختوماً بنصفِ الفَصّ فامضِ لما فيه ، فإني إنما أختمُ بنصفِ فَصِّهِ على كُتبي ، وإذا جاءك الكتابُ مختوماً عليه بكمالِهِ فلا تقبَلْ ولا تُمْضِ ما فيه . فامتَنَعَ عندَ ذلك خازنُه أنْ يقبلَ ما بعثَ به المنصور ، فأرسلَ المنصورُ بعدذ لك إليه منْ أخذَ جميعَ ذلك . وقتَلَ ذلك الرجلَ الخازن .

وكتب المنصور إلى أبي داود إبراهيمَ بنِ خالد بإمْرَةِ خُراسان كما وَعَدهُ قبلَ ذلك عوضاً عن أبي مسلم .

وفي هذه السنة خرج سنباذ يطلُبُ بدمِ أبي مسلم ، وقد كان سنباذُ هذا مجوسيّاً ، تغلَّبَ على قُومِسَ(١) وأصبهان ، ويُسمَّى بفيروز إصْبَهَبذ ، فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشاً هم عشرة آلاف فارس ، عليهم جَهْوَر بن مرار العِجْلي ، فالتقَوْا بين هَمَذانَ والرَّيِّ بالمفازة ، فهزم جَهْوَرُ لسنباذ ، وقتل من أصحابِهِ ستين ألفاً وسَبَى ذرارِيَّهُمْ ونساءَهم ، وقتل سنباذَ بعدَ ذلك ، فكانتْ أيامُهُ سبعينَ يوماً ، وأخَذَ ما كان استحوَذَ عليهِ من أموالِ أبي مسلمٍ التي كانتْ بالرَّيّ(٢) .

وخرج في هذه السنةِ أيضاً رجلٌ يُقالُ له مُلْبد بن حَرْمَلة الشيباني في ألفٍ من الخوارجِ بالجزيرة ، فجهَّزَ إليه المنصورُ جيوشاً متعدِّدةً كثيفة ، كلُّها تنفرُ منه وتنكسِر ، ثم قاتله حُميدُ بن قحطبة نائبُ الجزيرةِ فهزمَهُ مُلْبِد ، وتحصَّنَ منه حُميد في بعضِ الحُصون ، ثم صَالحَهُ حُميد بن قَحْطَبة على مئةِ ألف ، فدفعها إليه وقَبِلَها مُلْبِد وانقلعَ عنه(٣) .

وحج بالناس في هذه السنة عمُّ الخليفة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس ، قال الواقدي : وكان نائبَ المَوْصِل ـ يعني عمَّ المنصور ـ وعلى نيابةِ الكوفةِ عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سليمان بن علي ، وعلى الجزيرة حُميد بن قحطبة ، وعلى مصر صالح بن علي ، وعلى خراسان أبو داود إبراهيم بن خالد ، وعلى الحجاز زياد بن عبد الله . ولم يكن للناس في هذه السنة صائفةٌ لشُغلِ الخليفةِ بسنباذ وغيرِه .

---

(١) قُومِس : بالضم ثم السكون وكسر الميم وسين مهملة : هي تعريب كومس ، وهي كُورةٌ كبيرة واسعة ، تشتمل على مدنٍ وقُرىً ومزارع ، وهي في ذيلِ جبالِ طَبَرسْتان ، وأكبر ما يكون في ولاية ملكها وقصبتها المشهورة دامغان ، وهي بين الري ونيسابور . معجم البلدان (٤/ ٤١٤) .

(٢) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٨) .

(٣) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٨ ، ٣٨٩) .

ومن مشاهير منْ تُوفِّي فيها :

أبو مسلم الخراساني كما تقدَّم .

ويزيدُ بن أبي زياد ، أحدُ منْ تُكُلِّمَ فيه ، كما ذكرناهُ في التكميل . والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومئة

فيها دخل قسطنطين ملكُ الرُّوم مَلَطْيَةَ عَنْوةً ، فهدَمَ سورَها ، وعَفَا عمَّنْ قدَرَ عليه من مُقاتليها .

وفيه غزا الصائفة صالحُ بنُ علي ، نائبُ مصر ، فبَنى ما كان هدَمَ ملكُ الروم من سُورِ مَلَطية ، وأطلقَ لأخيهِ عيسى بنِ علي أربعين ألفَ دينار ، وكذلك أعطى لابن أخيه العباسِ بن محمد بن علي أربعين ألفَ دينار .

وفيها بايع عبدُ الله بن علي الذي كسَرَهُ أبو مسلم ، وانهزَمَ إلى البصرة ، واستجار بأخيهِ سليمان بن علي حتى بايعَ للخليفةِ في هذه السنة ورجَعَ إلى طاعَتِهِ ، ولكنْ حُبس في سجنِ بغداد كما سيأتي .

وفيها خَلَعَ جَهْوَرُ بن مرار العِجليُّ الخليفةَ المنصورَ بعدما كسرَ سنباذَ واستحوذَ على حواصلِه وعلى أموالِ أبي مسلم ، فقويَتْ نفسهُ بذلك ، وظنَّ أنه يقدرُ على منابذَةِ الخليفةِ بتلك الأموال ، فأرسل إليه الخليفةُ محمدَ بن الأشعث الخُزاعيَّ في جيشٍ كَثيف ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهُزم جَهْوَر ، وقُتل عامَّةُ منْ معه ، وأُخذ ما كان معه من الأموالِ والحواصِلِ والذخائر ، ثم لَحِقُوهُ فقتلوه .

وفيها قُتل المُلْبدُ الخارجيُّ على يدَيْ خازِمِ بن خُزيمة في ثمانية آلاف ، وقُتل من أصحابِ المُلْبِد ما يزيدُ على ألف ، وانهزم بقيَّتُهم .

قال الواقدي[1] : وحَجَّ بالناسِ فيها الفضلُ [بن صالح] بن علي [بن عبد الله بن عباس] ، والنوابُ فيها همُ المذكورونَ بالتي قبلَها .

وممَّن تُوفِّي فيها من الأعيان :

زيدُ بن واقد .

والعلاء بن عبد الرحمن .

وليث بن أبي سُليم في قول .

(١) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٣٩١) وما يأتي بين معقوفين منه .

وفيها كانتْ خلافةُ الداخلِ من بني أمية إلى بلادِ الأندلس ؛ وهو عبدُ الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الهاشمي [قلتُ : ليس هو بهاشمي إنما هو من بني أمية ، ويُسمَّى أمويّاً][(١)] ، كان قد دخل إلى بلادِ المغرب [فِرَاراً من عبدِ الله بن علي بن عبدِ الله بن عباس] ، فاجتازَ بِمَنْ معه من أصحابِه [الذين فَرُّوا معه] بقومٍ يقتتلونَ على عصبيَّةِ اليمانيةِ والمضريَّة ؛ فبعث مولاه بدراً إليهم فاستمالَهم إليه ، فبايعوه ودخل بِهم ، ففتح بلادَ الأندلس ، واستحوذَ عليها ، وانتزَعها من نائبِها يوسفَ بنِ عبدِ الرحمن بن حبيب بن أبي عُبيدة بن عُقْبَةَ بنِ نافع الفِهْرِي ، وقتله وسكن عبدُ الرحمن قُرْطُبَة ، واستمرَّ في خلافته في تلك البلاد من هذهِ السنة أعني سنةَ ثمان وثلاثين ومئة ، إلى سنة ثنتَيْنِ وسبعين ومئة ، فتوفِّي فيها ولَهُ في الملك أربعٌ وثلاثون سنةً وأشْهُرٌ ، ثم قام من بعدِهِ ولَدُه هشام ستَّ سنين وأشهراً ، ثم مات فوَلِيَ بعدَهُ الحكَمُ بن هشام ستاً وعشرين سنةً وأشهراً ، ثم مات ، ثم ولي بعده ولَدُه عبدُالرحمن بن الحكم ثلاثاً وثلاثين سنة ، ثم مات ، ثم ولي بعدَهُ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ستّاً وعشرين سنة ، ثم ابنه المنذر بن محمد ، ثم أخوه محمد بن المنذر ، وكانت أيامُه بعد الثلاث مئة بدَهْر . ثم زَالتْ تلك الدولةُ كما سنذكرُه من زوالِ تلك السنين وأهلِها ، [وما قضَوْا من النعيمِ والعيش الرغيد ، والنساء الحسان :

ثم انقضَتْ تلك السنونُ وأهلُها] فكأنَّهم كانوا على ميعادِ[(٢)]
[ثم أضحَوْا كأنَّهم ورَقٌ جَفـ ـفَ فألوَتْ عليهِ الصَّبا والدَّبُورُ][(٣)]

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومئة

فيها أكمل صالحُ بن علي بناءَ مَلَطْيَة ، ثم غزا الصائفةَ على طريق الحدث ، فوَغَلَ في بلادِ الروم ، وغزا معه أختاه أمُّ عيسى ولُبَابَةُ ابنتا علي ، وكانتا نذَرَتا إنْ زال ملكُ بني أميَّةَ أنْ يُجاهدا في سبيلِ الله عزَّ وجلّ .

وفيها كان الفداءُ الذي حصَلَ بين المنصور وبين ملكِ الرُّوم ، فاستنقذَ بعض أسرى المسلمين ، ثم لم يكنْ للناس صائفةٌ في هذه السنةِ إلى سنةِ ستٍّ وأربعين ، وذلك لاشتغالِ المنصور بأمرِ ابني عبدِ الله بن

---

(١) ليس ما بين المعقوفين في (ب ، ح) ، وهو من (ق) .
(٢) صدر البيت من قصيدة لأبي تمام وعجزه : « فكأنها وكأنهم أحلامُ » ص(٧٢) . وعجز البيت من قصيدة للأسود بن يعفر ذكرها صاحب الأغاني (١٣/ ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣) ، وصدره فيه : « جرت الرياح على محلِّ ديارهم » .
(٣) نثر البيت في جميع النسخ وحرف ، وهو من قصيدة لعدي بن زيد العبادي ذكرها أبو الفرج في أغانيه (٢/ ١٣٩) .

حسَن ، كما سنذكره . ولكنْ ذكرَ بعضُهم أنَّ الحسن بن قَحْطَبة غزا الصائفةَ مع عبدِ الوهاب بنِ إبراهيم الإمام سنةَ أربعين ، فالله أعلم .

وفيها وسَّع المنصور المسجدَ الحرام ، وكانت هذه السنةُ خِصْبَةً جدّاً ، أي : كثيرَةَ الخِصْبِ ، فكان يُقال لها السنة الخِصْبة ، وقيل : إنما كان ذلك في سنةِ أربعين .

وفيها عزَلَ المنصورُ عمَّهُ سُليمان عن إمْرَةِ البصرة ، فاختفى عبدُ الله بن علي وأصحابهُ خوفاً على أنفسهم ، فبعث المنصورُ إلى نائبِهِ على البصرة ـ وهو سفيان بن معاوية ـ يستحثُّهُ في إحضارِ عبدِ الله بن عليٍّ إليه ، فبعثه في أصحابِه ، فقتَلَ بعضهم ، وسجَنَ عبدَ الله بن عليٍّ عمَّهُ ، وبعث بقيةَ أصحابه إلى أبي داود ، نائبِ خُراسان ، فقتلهم هناك .

وحَجَّ بالناس فيها العباسُ بن محمد بن علي بن عبدِ الله بن عباس .

وفيها تُوفِّي :

عمرو بن مجاهد .

ويزيد بن عبد الله بن الهاد .

ويونس بن عُبيد ، أحَدِ العُبَّاد ، وصاحبُ الحسن البصري .

ثم دخلت سنة أربعين ومئة

فيها ثار جماعةٌ من الجند على أبي داود نائبِ خُراسان ، وحاصروا دارَه ، فأشرف عليهم وجعَلَ يستغيثُ بجندِهِ ليَحْضُروا إليه ، واتَّكأ على آجُرَّةٍ في الحائط فانكسرَتْ به ، فسقط فانكسَرَ ظهرُهُ فمات ، فخَلَفَهُ على خراسان عاصمٌ صاحبُ الشُّرطة ، حتى قدِمَ الأميرُ من جهةِ الخليفةِ عليها ، وهو عبدُ الجبار بن عبدِ الرحمن الأزْدي ، فتسلَّمَ بلادَ خُراسان ، وقتَلَ جماعةً من الأمراء ، لأنه بلغَهُ عنهم أنهم يدعون إلى خلافةِ آلِ عليٍّ بن أبي طالب ، وحبَسَ آخرين ، وأخذ نُوَّابَ أبي داود بِجبِاية الأموالِ المنكسرةِ عندَهم .

وفيها حَجَّ بالناس الخليفةُ المنصور ، أحرَمَ من الحِيرة ، ورَجَعَ بعدَ انقضاءِ الحج إلى المدينة ، ثم رَحَلَ إلى بيتِ المقدِس ، فزارَهُ ثم سلك الشام إلى الرَّقة ، ثم سار إلى الهاشمية ، هاشميةِ الكوفة ، ونُوَّابُ الأقاليم همُ المذكورون في التي قبلَها سوى خراسان ، فإنه مات نائبُها أبو داود ، فخَلَفَهُ مكانَهُ عبدُ الجبار الأزْدي .

وفيها تُوفِّي :

داودُ بن أبي هِنْد .

وأبو حازم سلمَةُ بن دِينار .

وسُهيل بنُ أبي صالح .

وعُمَارة بن غَزِيَّة .

وعمرو بن قيس السَّكُونيّ .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومئة

فيها خرجَتْ طائفةٌ يُقال لها الرَّاوَنْدِيَّة على المنصور .

ذكَرَ ابنُ جَرِير[1] عن المدائني أنَّ أصلَهُمْ من خُراسان ، وهم على رأي[2] أبي مسلم ، كانوا يقولونَ بالتناسُخ ، ويَزْعُمون أنَّ رُوح آدَمَ انتقلَتْ إلى عثمان بن نَهِيك ، وأنَّ رَبَّهم الذي يُطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور ، وأنَّ الهيثم بن معاوية جبريل . قبَّحهم الله .

قال ابنُ جرير[3] : فأتَوْا يوماً قصرَ المنصور ، قد جعلوا يطوفونَ به ويقولون : هذا قصرُ رَبِّنا ، فأرسل المنصورُ إلى رؤسائهم ، فحبس منهم مئتين ، فغَضِبوا من ذلك وقالوا : علامَ تحبسُهم ؟ ثم عمدوا إلى نَعْشٍ فحملوهُ على كواهِلِهم ، وليس عليه أحد ، واجتمعوا حَوْلَه ، كأنَّهم يشيِّعون جنازةً ، واجتازُوا بباب السِّجْن ، فألقَوُا النعشَ ودخلوا السجنَ قَهْراً ، واستخرجوا مَنْ فيهِ من أصحابِهم ، وقصدوا نحو المنصور ، وهم في ست مئة ، فتنادَى الناسُ وغُلِّقَتْ أبوابُ البلد ، وخرج المنصور من القصر ماشياً ، لأنه لم يَجِدْ دابةً يركبها ، ثم جيء بدابَّة فركبها ، وقصد نحو الراوندِيَّة ، وجاء الناسُ من كلِّ ناحية ، وجاء معنُ بن زائدة ، فلما رأى المنصورَ ترجَّلَ وأخَذَ بلِجَام دابَّةِ المنصورِ وقال : يا أميرَ المؤمنين ، ارجِعْ نحنُ نَكْفيكَهم ، فأبَى ، وقامَ أهلُ الأسواقِ إليهم فقاتلوهم ، وجاءتِ الجيوش ، فالتقُوا عليهم من كلِّ ناحية ، فحصدوهم عن آخرِهم ، ولم يبقَ منهم بقيَّة ، وجرحوا عثمانَ بن نَهيك بسهم بين كتفَيْه ، فمرض أياماً ثم مات ، فصلَّى عليه الخليفة ، وقام على قبرِه حتى دُفن ، ودَعَا له ، وولَّى أخاه عيسى بن نَهِيك على الحرس ، وكان ذلك كُلُّه بالمدينة الهاشميةِ بالكوفة ، ولَمَّا فرغ المنصورُ من قتال الرَّاوَنْدِيَّةِ ذلك اليوم صلَّى بالناسِ الظُّهر في آخرِ وقتِها ، ثم أُتِيَ بالطعام فقال : أين مَعْنُ بن زائدة ؟ وأمسك عن الطعام حتى جاء مَعْن ، فأجلسَهُ إلى جَنْبِه ، ثم أخَذَ في شُكْرِهِ لِمَنْ بِحَضرته ، لمَا رأى من شهامتِهِ يومئذٍ ، فقال مَعْن :

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٩٥) .

(٢) في (ب ، ح) : « على دين أبي مسلم » .

(٣) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٣٩٥) .

والله يا أميرَ المؤمنين ، لقد جئتُ وإني لوَجِل ، فلمَّا رأيتُ استهانتَكَ بِهِمْ وإقدامَك عليهم قَوِيَ قَلْبي واطمأنّ ، وما ظننتُ أنَّ أحداً يكونُ في الحَرْب هكذا ، فذاكَ الذي شجَّعني يا أمير المؤمنين ، فأمر له المنصور بعشرةِ آلاف ، ورضي عنه ، وولاَّهُ اليمن ، وكان مَعْنُ بن زائدةَ قبلَ ذلك متخفياً ، لأنَّهُ قاتَلَ المسوِّدَةَ مع ابنِ هُبيرة ، فلم يظهروا إلاَّ في هذا اليوم ، فلمَّا رأى الخليفةُ صِدْقَهُ في قتالِه رضي عنه .

ويُقال : إن المنصور قالَ عن نفسِه : أخطأتُ في ثلاث : قتلتُ أبا مسلم وأنا في جماعةٍ قليلة ، وحين خرجتُ من الشام ، ولو اختلف سيفان بالعراق لذهبَتِ الخلافة ، ويوم الراوَنْدِيَّة ، لو أصابني سَهْمٌ غَرْبٌ لذهبْتُ ضيَاعاً . وهذا من حَزْمِهِ وصرامَتِه .

وفي هذه السنة ولَّى المنصورُ ابنَهُ محمداً العَهْدَ من بعدِه ، ودعاهُ بالمَهْدِيّ ، وولاَّهُ بلادَ خُراسان ، وعزَلَ عنها عبدَ الجبار بن عبد الرحمن ، وذلك أنه قتَلَ خَلْقاً من شيعةِ الخليفة ، فشكاهُ المنصورُ إلى أبي أيوب كاتبِ الرسائل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أكتُبْ إليه لِيَبْعَثْ جيشاً كَثِيفاً من خُراسان إلى غَزْوِ الروم ، فإذا خرجوا بعثتَ إليه مَنْ شئتَ فأخرجوه من بلادِ خراسانَ ذَلِيلاً . فكتب إليه المنصورُ بذلك ، فردَّ الجوابَ بأنَّ بلادَ خراسان قد عاثَّتْ بِهَا الأتراك ، ومتى خرَجَ منها جيشٌ خِيفَ عليها ، وفسَدَ أمرُها . فقال المنصور لأبي أيوب : ماذا ترى ؟ قال : فاكتُبْ إليه : إنَّ بلادَ خراسان أحَقُّ بالمَدَدِ لثغورِ المسلمين من غيرِها ، وقد جهَّزْتُ إليك الجنود ، فكتب إليه أيضاً : إنَّ بلادَ خُراسان ضيقَةٌ في هذا العامِ أقواتُها ، ومتى دخلها جيشٌ أفسدَها . فقال الخليفةُ لأبي أيوب : ماذا تقول ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا رجلٌ قد أبدَى صفحتَه وخُلع ، فلا تُناظِرْه . فحينئذٍ بعث المنصورُ ابنَهُ محمداً المهديَّ لِيُقيمَ بالرَّيّ . فبعث المهديُّ بين يديه خازمَ بن خُزَيمة ، مقدمةً إلى عبدِ الجبار ، فما زال به يَخْدَعُهُ ومَنْ معه حتى هرَبَ مَنْ معه ، وأخذوهُ هو ، فأركبوه بعيراً محوَّلاً وجهُهُ إلى ناحيةِ ذَنَبِ البعير ، وسَيَّروهُ كذلك في البلاد ، حتى أقدموه على المنصور ، ومعه ابنُه وجماعةٌ من أهلِه ، فضَرَبَ المنصورُ عُنقَه ، وسيَّرَ ابنَهُ ومَنْ معه إلى جزيرةٍ في طرَفِ اليمن ، فأسرَتْهُمُ الهنودُ بعدَ ذلك ، ثم فُودي بعضُهم بعدَ ذلك ، واستقرَّ المهديُّ نائباً على خراسان ، وأمرَهُ أبوهُ أنْ يَغْزُوَ طَبَرِسْتان ، وأنْ يُحاربَ الإصْبَهْبَذ بِمَنْ معه من الجنود ، وأمدَّهُ بجيشٍ عليهم عمر بن العلاء ، وكان من أعلمِ الناس بِحَرْبِ طَبَرِسْتان ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

فقُلْ للخليفةِ إن جئتَهُ ... نَصِيحاً ولا خيرَ في المتَّهَمْ
إذا أيقَظَتْكَ حُروبُ العِدَا ... فنَبِّهْ لَهَا عُمَراً ثُمَّ نَمْ
فَتىً لاينامُ على دِمْنَةٍ ... ولا يشرَبُ الماءَ إلا بِدَمْ[١]

---

(١) الشاعر بشار بن برد ، والأبيات من قصيدة في ديوانه ص(٥٨٨) ، وتاريخ الطبري (٤/ ٣٩٨) .

فلما تواقفتِ الجيوش على طَبَرِسْتانَ فتحوها ، وحصروا الأصبَهْبَذ حتى ألجؤوهُ إلى قلعتِه ، فصالَحَهم على ما فيها من ذخائر .

وكتب المهديُّ إلى أبيه بذلك ، ودخل الأصبهبَذُ بلادَ الدَّيْلَم ، فمات هناك ، وكسروا أيضاً ملكَ التُّرك الذي يُقال له المَصْمَغان ، وأسَرُوا أُمَماً من الذَّرَارِي ، فهذا فتحُ طَبَرِسْتانَ الأول .

وفيها فرغ بناء المصيصة على يَدَيْ جبريلَ بنِ يحيى الخراساني ، وفيها رابَطَ محمدُ بن إبراهيم الإمام ببلادِ مَلَطْيَة .

وفيها عزَلَ المنصورُ زيادَ بن عبيد الله عن إمرةِ الحجاز ، وولَّى المدينةَ محمد بن خالد القَسْري ، وقَدِمَها في رجب . وولَّى مكةَ والطائف الهيثم بن معاوية العَكّيّ ، وفيها تُوفِّي موسى بن كعب ، وهو على شُرْطةِ المنصور ، وعلى مصر مَنْ كان عليها في السنةِ الماضية ، ثم ولَّى مصر محمد بن الأشعث ، ثم عزله عنها وولَّى نَوْفلَ بن الفرات .

وحجَّ بالناس فيها صالحُ بنُ علي ، وهو نائبُ قِنَّسْرِينَ وحِمْصَ ودمشق ، وبقيةُ البلاد عليها مَنْ ذكَرْنا في التي قبلَها ، والله أعلم .

وفيها تُوفِّي :

أبانُ بن تَغْلب .

وموسى بن عُقْبَة صاحبُ المغازي .

وأبو إسحاق الشَّيباني في قول ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومئة

فيها خلَعَ عُيَينةُ بن موسى بنِ كعب نائبُ السِّنْد الخليفة ، فجهَّزَ إليه العساكر صُحبةَ عمرَ بنِ حفص بن أبي صُفْرَة ، وولاَّهُ السِّنْدَ والهِنْد ، فحاربه عمر بنُ حفص وقهَرَهُ على الأرض ، وتسلَّمها منه .

وفيها نكَثَ أصبَهْبَذُ طَبَرِسْتانَ العَهْدَ الذي كان بينَهُ وبين المسلمين ، وقتل طائفةً مِمَّنْ كان بطَبَرِسْتان ، فجهَّز إليه الخليفةُ الجيوش صُحبةَ خازم بن خُزيمة ، ورَوْح بن حاتم ، ومعهم مَرْزوق أبو الخَصِيب مولى المنصور ، فحاصروهُ مُدَّةً طويلة ، فلما أعياهُمْ فَتْحُ الحِصْنِ الذي هو فيه احتالوا عليه ، وذلك أنَّ أبا الخَصِيب قال : اضرِبُوني واحلِقُوا رأسِي ولِحْيتي ، فذهب إليه كأنَّهُ مُغاضِبٌ للمسلمين ، قد ضربوه وحَلَقوا لِحْيتَهَ ، فدخل الحِصْنَ ، ففرِحَ به الأصبَهْبَذ ، وأكرَمَهُ وقرَّبه ، وجعل أبو الخَصِيب يُظْهِرُ له النُّصْحَ والخِدْمة حتى خدَعَهُ وحظي عندَه جِدّاً ، وجعله من جُملةِ مَنْ يتولَّى فتحَ الحِصْنِ وغَلْقَه ، فلمَّا تمكَّن من

ذلك كاتَبَ المسلمين وأعلَمَهم أنه الليلةَ الفلانية في حرَسِه ، فاقتربُوا من الباب حتى أفتحَهُ لكم . فلما كانتْ تلك الليلة فتَحَ لهم بابَ الحصن ، فدخلوا فقتلوا مَنْ فيهِ من المقاتِلة ، وسبَوْا الذُّرِّيَّة ، وامتصَّ الأَصْبَهْبَذُ خاتماً مسموماً فمات . وكان فيمن أَسِروا يومئذٍ أُمُّ منصورٍ بن المهدي ، وأُمُّ إبراهيم بن المهدي ، وكانتا من بناتِ الملوك الحِسَان .

وفيها بَنَى المنصورُ لأهلِ البَصرةِ قبلتَهم التي يُصلُّون عندها بالجَبَّان ، وتولى بناءها سَلَمَةُ بن سعيد بنِ جابر نائبُ الفرات والأُبُلَّة . وصام المنصورُ شهر رمضانَ بالبصرة ، وصلَّى بالناسِ العِيدَ في ذلك المصلَّى .

وفيها عزَلَ المنصور نوفلَ بن الفُرَات عن إمْرَةِ مصر ، وولَّى عليها حُميدَ بن قَحْطَبة ، وحجَّ بالناسِ فيها إسماعيلُ بن علي .

وفيها تُوفي :

سليمانُ بن علي بن عبدِ الله بن عباس[١] : عَمُّ الخليفة ، ونائبُ البصرة ، كان ذلك يومَ السبت لسبعٍ بَقِينَ من جُمَادَى الآخرة وهو ابنُ تسعٍ وخمسين سنة ، وصلى عليه أخوهُ عبدُ الصمَد ، ورَوَى عن أبيه وعكرمة ، وأبي بُرْدَةَ بنِ أبي موسى . وعنه جماعةٌ منهم بنوهُ جعفر ، ومحمد ، وزينب ، والأصمعي .

وكان قد شاب وهو ابنُ عشرين سنة ، وخضب لحيته من الشيب في ذلك السن . وكان كريماً جواداً مُمَدَّحاً ، وكان يُعتِقُ عشيةَ عرفة في كلِّ سنة مئةَ نسمة ، وبلغتْ صِلاتُهُ لبني هاشم وسائرِ قريش والأنصار خمسةَ آلافِ ألف . واطَّلعَ يوماً من قصره ، فرأى نسوةً يَغْزِلْنَ في دارٍ من دورِ البصرة ، فاتفق في نظرِهِ إليهنَّ أنْ قالَتْ واحدةٌ منهنّ : لو أنَّ الأمير نظَرَ إلينا واطَّلع على حالِنا فأغنانا عن الغَزْل . فنهض من فوره ، فجعل يدورُ في قصره ، ويجمَعُ من حُلِيِّ نسائهِ من الذهبِ والجواهر وغيرِها ما ملأ به مِنْديلاً كبيراً ، ثم دَلاَّهُ إليهنَّ ونثَرَ عليهنَّ من الدنانير والدراهمِ شيئاً كثيراً ، فماتَتْ إحداهنَّ من شدَّةِ الفرَح ، فأَعْطَى دِيَتَها ، وما تركَتْهُ من ذلك لورَثَتِها .

وقد ولِيَ الحجَّ في أيامِ السفَّاح ، ووَلِيَ البصرةَ أيامَ المنصور ، وكان من خِيَارِ بني العباس ، وهو أخو إسماعيل ، وداودَ وصالحٍ وعبدِ الصمد وعبدِ الله وعيسى ومحمد ، وهو عَمُّ السفَّاحِ والمنصور .

---

(١) ترجمته في : طبقات ابن سعد(القسم المتمم) ص(٢٤٦) ، التاريخ الكبير (٤/ ٢٥) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٦٩) ، تهذيب الكمال (١٢/ ٤٤) ، الكاشف (١/ ٤٦٢) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٢) ، تقريب التهذيب (٢٥٣) .

ومِمن تُوفِّي فيها من الأعيان :

خالدٌ الحذَّاء .

وعاصمٌ الأحول .

وعمرو بن عُبيد القَدَريُّ في قول ، وهو : **عمرو بن عُبيد بن باب**[١] ويُقال : ابن كيسان التميمي ، مولاهم ، أبو عثمان البصري ، من أبناءِ فارِس ، شيخ القَدَرِيَّة والمعتزلة . روى الحديث عن الحسن البصري ، وعبيد الله بن أنس ، وأبي قِلابة . وعنه الحمَّادان ، وسفيان بن عُيينة ، والأعمش ـ وكان من أقرانه ـ وعبدُ الوارث بن سعيد ، وهارون بن موسى ، ويحيى القطَّان ، ويَزِيد بن زُرَيع .

قال الإمام أحمد بن حنبل[٢] : ليس بأهلٍ أن يُحدَّث عنه .

وقال علي بن المديني ويحيى بن معين : ليس بشيء . وزاد ابنُ مَعِين : وكان رجلَ سَوْء ، وكان من الدَّهْرِيَّة الذين يقولون : إنما الناس مثلُ الزَّرْع[٣] .

وقال الفلاَّس : متروك ، صاحبُ بِدْعَة ، كان يحيى القطَّان يحدِّثنا عنه ثم تركه . وكان ابنُ مهدي لا يحدِّث عنه . وقال أبو حاتم : متروك . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال شعبة عن يونس بن عبيد : كان عمرو بن عُبيد يكذِبُ في الحديث . وقال حماد بن سلمة : قال لي حُميد : لا تأخُذْ عنه ، فإنه كان يكذِبُ على الحسَنِ البصري . وكذا قال أيوب وعوف وابنُ عَوْن . وقال أيوب : ما كنتُ أعدُّ لهُ عَقْلاً . وقال مطر الورَّاق : والله لا أُصدِّقُه في شيء . وقال ابنُ المبارك : إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القَدَر .

وقد ضعَّفه غيرُ واحدٍ من أئمة الجرح والتعديل ، وأثنى عليه آخرون في عبادته وزُهدِهِ وتقشُّفه . قال الحسن البصري : هذا سيدُ شبابِ القُرَّاء ما لم يُحدِث . قالوا فأحدثَ والله أشدَّ الحدَث .

وقال ابن حبّان[٤] : كان من أهلِ الورع والعبادةِ إلى أن أحدَثَ ما أحدث ، واعتزَلَ مجلسَ الحسَن هو

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٦/٣٥٢) ، الضعفاء الصغير له ص(٨٥) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/٥٤٧) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي ص(٧٩) ، الجرح والتعديل (٦/٢٤٦) ، الكامل لابن عدي (٥/٩٦) ، الضعفاء للعقيلي (٣/٢٧٧) ، الضعفاء لأبي نعيم ص(١١٨) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/٢٢٩) ، تهذيب الكمال (٢٢/١٢٣) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/٣٩٠) ، سير أعلام النبلاء (٦/١٠٤) ، ميزان الاعتدال (٥/٣٢٩) لسان الميزان (٧/٣٢٦) .

(٢) في كتابه بحر الدم ص(٣٢١) .

(٣) انظر المجروحين لأبي حاتم بن حبان البستي (٢/ ٧٠) .

(٤) في المجروحين (٢/٦٩) .

وجماعةٌ معه ، فسُمُّوا المعتزلة ، وكان يشتُمُ الصحابةَ ويكذِبُ في الحديث وَهْماً لا تعَمُّداً .

وقد رُوي عنه أنه قال : إنْ كانتْ ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ [المسد : ١] في اللَّوح المحفوظ فما تُعَدُّ منه على ابنِ آدمَ حُجَّة[١] .

ورُوي له حديثُ ابنِ مسعود : حدثنا الصادق المصدوق « إنَّ خَلْقَ أحَدِكم يُجمَعُ في بطنِ أُمِّه أربعين يوماً » حتى قال : « فيؤمر بأربعِ كلماتٍ رزقِهِ وأجَلِهِ وعمَلِهِ وشقيٌّ أمْ سعيد »[٢] إلى آخره ، فقال : لو سمعتُ الأعمش يرويه لكذَّبته ، ولو سمعتُه من زيد بنِ وَهْب لما أحببتُه ، ولو سمعتُه من ابنِ مسعود لما قَبِلْتُه ، ولو سمعتُه من رسول الله ﷺ لردَدْتُه ، ولو سمعتُ الله يقولُ هذا لقلتُ ما على هذا أخذتَ علينا الميثاق . وهذا أقبحُ من الكفر ، لعنه الله إنْ كان قال هذا ، وإذا كان مكذوباً عليه فعلى مَنْ كذَبَهُ عليه ما يستحقُّه .

وقد قال عبدُ الله بن المبارك رحمه الله :

أيها الطالبُ علماً ... إيتِ حَمَّادَ بنَ زَيْد
فخُذِ العلمَ بِحِلْم ... ثُمَّ قَيِّدْهُ بقَيْدِ
وذَرِ[٣] البِدْعَةَ مِنْ آ ... ثارِ عَمْرِو بن عُبَيْدِ[٤]

وقال ابنُ عدي[٥] : كان عمرٌو يغرُّ الناس بتقَشُّفِهِ ، وهو مذمومٌ ضعيفُ الحديثِ جدّاً ، مُعْلِنٌ بالبِدَع .

وقال الدارَقُطْني : ضعيف الحديث . وقال الخطيب البغدادي[٦] : جالس الحسن واشتهرَ بصُحْبَتِه ، ثم أزالَهُ واصلُ بنُ عطاء عن مذهبِ أهلِ السُّنَّة ، وقال بالقَدَر ودَعَا إليه ، واعتزَلَ أصحابَ الحديث ، وكان له سمت[٧] وإظهار زُهْد .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧١٣) (٧٠١٦) باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٢) ، وابن ماجه في سننه (١/ ٢٩)(٧٦) في باب : في القدر .

(٣) في (ح) : « واردد البدعة » ، والمثبت من (ب) ومصادر التخريج .

(٤) الأبيات الثلاثة في الكامل لابن عدي (٥/ ١٠٠) ، وحلية الأولياء (٦/ ٢٥٨) ورواية البيت الثالث فيه :

لا كثورٍ وكجهمٍ ... وكعمرو بن عُبيدِ

والأول والثاني في التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٥) ، والجرح والتعديل (١/ ١٧٩) ، والمعجم الأوسط (٣/ ٣٨٠)(٣٤٥٥) وتاريخ بغداد (٦/ ٢٩) .

(٥) في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال (٥/ ١١٠) .

(٦) في تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٦) .

(٧) في تاريخ بغداد « سمعة » .

وقد قيل : إنه وواصل بن عطاء ولدا سنة ثمانين . وحكى البخاري[١] أن عَمْراً مات سنة ثنتين أو ثلاثٍ وأربعين ومئة بطريق مكة .

وقد كان عمرو مَحْظِيّاً عند أبي جعفر المنصور ، كان المنصورُ يُحبُّه ويعظِّمه لأنه كان يَفِدُ على المنصور مع القرَّاء فيعطيهم المنصور فيأخذون ، ولا يأخذُ عمرٌو منه شيئاً ، وكان يسألُهُ أنْ يقبلَ كما يقبَلُ أصحابهُ فلا يقبَلُ منه ، فكان ذلك مما يغُرُّ المنصور ويروج به عليه حالُه ، لأنَّ المنصورَ كان بخيلاً ، وكان يُعجِبُهُ ذلك منه ويُنشد :

كلُّكــــمْ يَمْشِـــي رُويْـــدْ كلُّكُـــمْ يَطلُـــبُ صَيْـــدْ
غيرَ عمرِو بنِ عُبَيْدْ[٢]

ولو تبصَّرَ المنصور لعلم أنَّ كلَّ واحدٍ من أولئك القراء خيرٌ من مِلْءِ الأرض مثل عمرو بن عبيد ، والزُّهد لا يدلُّ على صلاح ، فإنَّ بعضَ الرُّهبان قد يكونُ عنده من الزُّهد ما لا يُطِيقُهُ عمرو . ولا كثيرٌ من المسلمين في زمانه .

وقد روَيْنا عن إسماعيل بن خالد القَعْنَبي ، قال : رأيتُ الحسنَ بن جعفر في المنام بعدَما مات بعَبَّادان فقال لي : أيوب ويونس وابن عَوْن في الجنة . قلتُ : فعمرو بن عُبيد ؟ قال : في النار . ثم رآه مرَّةً ثانية ـ ويُروى ثالثة ـ فيسأله فيقول له مثلَ ذلك ، وقد رُئيت له مناماتٌ قَبيحة ، وقد أطال شيخُنا في تهذيبه في ترجمَتِهِ[٣] ولَخَّصنا حاصلَها في كتاب « التكميل » وإنما أشَرْنا هاهنا إلى نُبْذَةٍ من حالِهِ ليُعرَف فلا يُغْتَرّ به . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومئة

فيها ندب المنصورُ الناسَ إلى غَزْوِ الدَّيْلَم لأنَّهم قتلوا من المسلمين خلقاً ، وأمر أهلَ الكوفة والبصرة مَنْ كان منهم يقدِرُ على عشرةِ آلافٍ فصاعداً فَلْيَذْهَبْ مع الجيش إلى الدَّيْلَم ، فانتدب خلقٌ كثير ، وجَمٌّ غَفِيرٌ لذلك .

وحجَّ بالناس فيها عيسى بن موسى نائبُ الكوفة وأعمالِها .

(١) في التاريخ الكبير (٦/ ٣٥٢) .
(٢) ذكر الأبيات الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٨) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٥) .
(٣) انظر تهذيب الكمال (٢٢/ ١٣٣) .

وفيها تُوفِّي :

حجَّاجُ الصواف .

وحُميد بن زاذويه الطويل .

وسليمان بن طرخان التميمي ـ وقد ذكرناهُ في التي قبلَها ـ

وعمرو بن عُبيد في قول .

وليث بن أبي سُليم على الصحيح ،

ويحيى بن سعيد الأنصاري .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومئة

فيها سار محمد بن أبي العباس السفَّاح عن أمرِ عمِّه المنصور إلى بلاد الدَّيلم ، ومعه الجيوشُ من الكوفةِ والبصرةِ وواسط والموصل والجزيرة .

وفيها قدم محمد بن جعفر المنصور المهدي على أبيه من بلادِ خُراسان ، ودخل بابنةِ عَمِّهِ رائطة بنتِ السفَّاح بالحِيرَة .

وفيها حَجَّ بالناس أبو جعفر المنصور ، واستخلف على الحِيرة والعسكر خازمَ بن خُزيمة ، وولَّى رباح بن عثمان الْمُرِّي المدينة ، وعزَلَ عنها محمدَ بن خالد القَسْري ، وتلقَّى الناسُ أبا جعفرٍ المنصور إلى أثناء طريقِ مكة في حَجِّهِ في سنة أربعٍ وأربعين ومئة ؛ وكان من جُملة من تلقَّاه عبدُ الله بن حسن بن حسن بن عليٍّ بن أبي طالب ، فأجلسه المنصورُ معه على السِّمَاط ، ثم جعل يُحادثهُ بإقبالٍ زائد ، بحيثُ إنَّ المنصور اشتغلَ بذلك عن عامَّةِ غَدَائه ، وسأله عن ابنَيْهِ إبراهيم ومحمد : لِمَ لا جاأاني مع الناس ؟ فحلَفَ عبدُ الله بن حسن أنه لا يدري أين صارا من أرض الله ؟ وصدق في ذلك ، وما ذاك إلا أن محمد بن عبد الله بن حسن كان قد بايَعَهُ جماعةٌ من أهلِ الحجاز في أواخرِ دولةِ مروانَ الحمار بالخلافةِ وخَلْعِ مروان ، وكان في جُمْلة منْ بايَعَهُ على ذلك أبو جعفر المنصور ، وذلك قبلَ تحويلِ الدولةِ إلى بني العباس ، فلما صارتِ الخلافةُ إلى أبي جعفر المنصور خاف محمدُ بن عبدِ الله بن الحسن وأخوه إبراهيم منهُ خوفاً شديداً ؛ وذلك لأنَّ المنصور توهَّمَ منهما أنهما لا بدَّ أنْ يخرجا عليه كما أرادا أنْ يخرُجا على مروان ؛ والذي توَهَّم منه المنصورُ وقع فيه ؛ فذهبا هرَباً في البلاد الشاسعة ، فصارا إلى اليمن ثم سارا إلى الهند فاختفيا بها ، فدلَّ على مكانِهما الحسنُ بن زيد ، فهرَبَا إلى موضعٍ آخر ، فاستدلَّ عليهِ الحسنُ بن زيد ودَلَّ عليهما ، وانتصَبَ إلْباً عليهما عندَ المنصور ؛ والعجب منه أنه من أتباعِهما ! واجتهد المنصورُ بكل

طريقٍ على تحصيلِهما فلم يَتَّفِقْ له ذلك وإلى الآن ؛ فلما سأل أباهما عنهما حلَفَ أنه لا يَدْري أين صارا من أرضِ الله ، ثم أَلَحَّ المنصورُ على عبدِ الله في طلَبِ ولدَيْه ، فغضب عبدُ الله من ذلك وقال : واللهِ لو كانا تحتَ قدمي ما دلَلْتُكَ عليهما . فغضب المنصورُ وأمر بسَجْنِه ، وأمَرَ ببيعِ رقيقِهِ وأموالِه ، فلبث في السجنِ ثلاثَ سنين ، وأشاروا على المنصور بحَبْس بني حسن عن آخرِهم ، فحبسهم وجدَّ في طلب إبراهيمَ ومحمدٍ جدّاً ، هذا وهما يحضرانِ الحجَّ في غالب السنين ، ويَكْمُنانِ في المدينةِ في غالبِ الأوقات ولا يَشْعُرُ بهما من يَنِمُّ عليهما ولله الحمد ؛ والمنصور يعزلُ نائباً عن المدينة ويُوَلِّي عليها غيرَه ، ويُحرِّضُهُ على إمساكهما والفَحْصِ عنهما ، وبَذْلِ الأموالِ في طلَبِهما ، وتُعْجِزُهُ المقاديرُ عنهما لمَا يُريدُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ .

وقد واطأهما على أمرِهما أميرٌ من أمراءِ المنصور يُقالُ له أبو العساكر خالدُ بن حسان ، فعزموا في بعضِ الحجَّاتِ على الفتكِ بالمنصور بين الصَّفَا والمَرْوَة ، فنهاهُمْ عبدُ الله بن حسن لِشَرَفِ البُقْعة ، وقد اطَّلَعَ المنصورُ على ذلك ، وعلم بما مالأهما ذلك الأمير ، فعذَّبه حتى أقرَّ بما كانوا تمالؤوا عليه من الفَتْكِ به ، فقال : وما الذي صرَفَكُمْ عن ذلك ؟ فقال : عبدُ الله بن حسن نهانا عن ذلك ، فأمر به الخليفةُ فغُيِّبَ في الأرض ، فلم يَظْهَر حتى الآن . وقد استشار المنصور منْ يَعْلَم من أمرائِهِ ووزرائه من ذوي الرأي في أمرِ ابني عبدِ الله بن حسن ؛ وبعث الجواسيس والقُصَّادَ في البلاد ، فلم يقَعْ لَهُما على خبر ، ولا ظهر لهما على عَيْنٍ ولا أثر ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ [يوسف : ٢١] ، وقد جاء محمدُ بن عبد الله بن حسن إلى أمِّه فقال : يا أُمَّه ، إني قد شَفِقْتُ على أبي وعُمومتي ، ولقد هممتُ أن أضعَ يدي في يد هؤلاء لأريحَ أهلي ، فذهبَتْ أمُّه إلى السجن ، فعرضَتْ عليهم ما قال ابنُها ، فقالوا : لا ولا كرامة ، بل نصبِرُ على أمره ، فلعلَّ الله يفتَحُ على يديه خيراً ، ونحن نصبِرُ وفرَجُنا بيدِ الله ، إنْ شاء فرَّجَ عنَّا وإنْ شاء ضيَّق وتمالؤوا كلُّهم على ذلك رحمهم الله .

وفيها نُقل آلُ حسنٍ من حَبْسِ المدينة إلى حَبْسٍ بالعراق وفي أرجُلِهمُ القيود ، وفي أعناقهم الأغلال ، وكان ابتداءُ تقييدِهم من الرَّبَذَة بأمرِ أبي جعفر المنصور ، وقد أشخَصَ معهم محمدَ بنَ عبدِ الله العثماني ـ وكان أخا عبدِ الله بن حسن لأمِّه ـ وكانتِ ابنتُه تحتَ إبراهيمَ بنِ عبدِ الله بن حسن ، وقد حملَتْ قريباً ، فاستحضرَهُ الخليفةُ وقال : قد حلفتَ بالعتاقِ والطلاق إنك لم تغشَّني وهذه ابنتُك حامل ، فإنْ كان من زوجِها فقد حَبِلَتْ منهُ وأنتَ تعلمُ به ، وإنْ كان من غيرِه فأنتَ ديُّوث . فأجابه العثمانيُّ بجوابٍ أحفَظَهُ به ، فأمر به فجُرِّدتْ عنه ثيابُه ، فإذا جسمُهُ مثلُ الفضَّةِ النقيَّة ثم ضرَبَهُ بين يديهِ مئةً وخمسين سَوْطاً ، منها ثلاثونَ فوق رأسِه أصابَ أحدُها عينَهُ فسالَتْ ، ثم ردَّهُ إلى السجن ، وقد بقيَ كأنه عبدٌ أسود من زُرْقَةِ الضَّرْبِ وتراكُمِ الدِّماءِ فوقَ جِلْدِه ، فأُجلس إلى جانبِ أخيهِ لأُمِّه عبدِ الله بن حسن ، فاستسقى ماءً ، فما جَسَرَ أحدٌ أنْ يَسْقيَهُ حتى سقاهُ خُراسانيٌّ من جملةِ الجلاوزة الموكَّلين بهم .

ثم ركب المنصورُ هوْدَجَهُ وأركبوا أولئك في مَحَامِلَ ضيِّقة وعليهمُ القيودُ والأغلال ، فاجتاز بهم

المنصورُ وهو في هَوْدَجه ، فناداهُ عبدُ الله بن حسن : والله يا أبا جعفر ما هكذا صنَعْنا بأسراكُمْ يومَ بَدْر ! فأخسأ ذلك المنصور ، وثَقُلَ عليه ، ونفرَ عنهم . ولما انتهَوْا إلى العراق حُبسوا بالهاشمية . وكان فيهم محمدُ بن إبراهيم بن عبدِ الله بن حسن ، وكان جميلاً فتيّاً ، فكان الناس يذهبون لينظروا إلى حُسنهِ وجَمَالِه ، وكان يُقال له الدِّيباج الأصفر ، فأحضرَهُ المنصورُ بين يديه وقال له : أما لأقتلَنَّكَ قتلةً ما قتلتُها أحداً . ثم ألقاهُ بين أسْطُوانتَيْن ، وسدَّ عليه حتى مات . فعلى المنصورِ ما يَسْتَحِقُّهُ من عذابِ اللهِ ولعنتِه .

وقد هَلَكَ كثيرٌ منهم في السجن ، حتى فرَّجَ عنهم بعدَ هلاكِ المنصور على ما سنذكُرُه . فكان فيمن هلَكَ في السجن عبدُ الله بن حسن بن حسن بن عليٍّ بن أبي طالب ؛ وقد قيل : والأظهَرُ أنَّهُ قُتل صبراً ، وأخوهُ إبراهيمُ بن الحسن وغيرُهما ؛ وقلَّ منْ خرَجَ منهم من الحَبْس ؛ وقد جعلَهُمُ المنصورُ في سجنٍ لا يسمعون فيه أذاناً ولا يعرفون فيه وقتَ صلاةٍ إلاّ بالتِّلاوة . ثم بعث أهلُ خراسانَ يَشفعونَ في محمدِ بنِ عبدِ الله العثماني ، فأمر به فضُربَتْ عُنقُه ، وأرسل برأسِهِ إلى أهلِ خُراسان ـ لا جزاهُ الله خيراً ـ ورحم الله محمدَ بن عبدِ الله العثماني ، وهو :

محمد بن عبدِ الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي[١] رحمه الله ، أبو عبدِ الله المدني المعروف بالدِّيباج لِحُسْنِ وجههِ ، وأمُّهُ فاطمةُ بنت الحسين بن علي . رَوَى الحديثَ عن أبيه وأُمِّه ، وخارجةَ بن زيد ، وطاوس ، وأبي الزِّناد ، والزُّهْري ، ونافع ، وغيرِهم . وحدَّث عنه جماعة ، ووثَّقَهُ النَّسائي وابنُ حبَّان . وكان أخا عبدِ الله بنِ حسن لأمِّه . وكانتِ ابنتُه رُقيَّة زوجةَ ابنِ أخيه إبراهيم بن عبدِ الله ، وكانتْ من أحسنِ النساء ، وبِسَبَبِها قَتَلهُ أبو جعفر المنصور في هذه السنة ، وكان كَرِيماً جَوَاداً مُمَدَّحاً .

قال الزُّبير بن بَكَّار : أنشَدَني سليمانُ بن عباس السَّعدي لأبي وَجْزَةَ السَّعْدي يَمْدَحُه :

وجدْنا الْمَحْضَ الأبيضِ من قريشٍ ... فتًى بين الخليفةِ والرسولِ
أتاك المجدُ من هذا وهذا[٢] ... وكنتَ له بِمُعْتَلجِ السُّيُولِ
فما للمجدِ دونك منْ مَبيتٍ ... وما للمجدِ دونك منْ مَقيلِ
ولا يمضي وراءك يبتغيهِ ... ولا هو قابلٌ بكَ منْ بَدِيلِ[٣]

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (١/ ١٣٨) ، التاريخ الصغير له (٢/ ٨١) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٢٤٢) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٤١٧) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٦/ ٢١٨) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٨٥) ، تهذيب الكمال (٢٥/ ٥١٦) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٣٥٥) ، لسان الميزان (٧/ ٣٦٤) ، نزهة الألباب في الألقاب ص(٢٦٩ ، ٢٧٠) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (٢/ ٤٩٨) .

(٢) في (ب) : « من هنا وهنا » . وكذا في مصادر التخريج . والمثبت من (ح) .

(٣) الأبيات في تاريخ بغداد (٥/ ٣٨٧) ، وتهذيب الكمال (٢٥/ ٥٢١) ، والبيت الأول منها في التحفة اللطيفة (٢/ ٤٩٨) .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومئة

فمما كان فيها من الأحداث مَخْرَجُ محمدِ بن عبدِ الله بن حسن بالمدينة وأخيه إبراهيم بالبصرة على ما سَنُبيِّنُهُ إنْ شاء الله .

أمَّا محمد فإنه خرج على أثَرِ ذهابِ أبي جعفر المنصور بأهلِهِ بني حَسَن من المدينة إلى العراق على الصفةِ والنعتِ الذي تقدَّم ذكرُه ، وسجَنَهم في مكانٍ ساء مُستقرّاً ومُقاماً ، لا يسمعون فيه أذاناً ، ولا يعرفون فيه دخولَ أوقاتِ صلوات إلاَّ بالأذكار والتلاوة ؛ وقد مات أكثرُ أكابرِهم هنالك رحمهم الله . هذا كلُّه ومحمد الذي يطلبه مُختفٍ بالمدينة ، حتى إنه في بعض الأحيان اختفى في بئرٍ نزل في مائه كلِّه إلا رأسَه وباقيه مغمور بالماء ، وقد تواعد هو وأخوه وقتاً معيَّناً يظهران فيه هو بالمدينة وإبراهيم بالبصرة ، ولم يزَلِ الناسُ ـ أهلُ المدينة وغيرُهم ـ يؤنِّبون محمدَ بن عبدِ الله في اختفائه وعدَمِ ظهوره ، حتى عزم على الخروج ، وذلك لما أضرَّ به شدَّةُ الاختفاء ، وكثرةُ إلحاحِ رَبَاحٍ نائبِ المدينة في طلبه ليلاً ونهاراً ؛ فلمَّا اشتدَّ به الأمرُ وضاق الحالُ واعَدَ أصحابَهُ على الظهورِ في الليلةِ الفلانية ، فلما كانتْ تلكَ الليلة جاء بعضُ الوشاة إلى متولِّي المدينة ، فأعلَمَهُ بذلك فضاقَ ذَرْعاً ، وانزعج لذلك انزعاجاً شديداً ، وركب في جَحَافِلِهِ ، فطاف المدينةَ وحولَ دارِ مروان ، وهم مجتمعون بها ، فلم يُشْعَرْ بهم ، فلما رجَعَ إلى مَنْزِلِهِ بعث إلى بني حُسين بن علي فجمعهم ومعهم رؤوسٌ من ساداتِ قريش وغيرِهم ، فوعَظَهُمْ وأنَّبهم وقال : يا معشرَ أهلِ المدينة ، أميرُ المؤمنين يتطلَّبُ هذا الرجلَ في المشارقِ والمغارب ، وهو بين أظهُركم !؟ ثم ما كفاكم حتى بايَعْتُموه على السمعِ والطاعة ! والله لا يبلُغني عن أحدٍ منكم خرَجَ معه إلاَّ ضربتُ عُنقَه . فأنكر الذين هُمْ هنالكَ حاضرون أنْ يكونَ عندَهم علمٌ أو شعورٌ بشيءٍ من هذا وقالوا : نحن نأتيك برجالٍ مُسَلَّحين يُقاتلون دونَكَ إنْ وَقَعَ شيءٌ من ذلك . فنهضوا ، فجاؤوه بجماعةٍ مسلَّحين ، فاستأذنوه في دخولِهِم عليه ، فقال : لا إذنَ لهم ، إني أخشى أنْ يكونَ ذلك خديعة . فجلس أولئك على الباب ، ومكث الناسُ جلوساً حولَ الأمير وهو واجمٌ لا يتكلَّمُ إلاَّ قليلاً ؛ حتى ذهبتْ طائفةٌ من الليل ، ثم ما فُجِىء الناسُ إلاَّ وأصحابُ محمد بن عبدِ الله قد ظهروا وأعلنوا بالتكبير ، فانزعج الناسُ في جوف الليل ، وأشارَ بعضُ الناسِ على الأمير أنْ يضربَ أعناقَ بني حُسين . فقال أحدُهم : علامَ ونحن مُقِرُّونَ بالطاعة ؟! واشتغل الأميرُ عنهم بما فجأهُ من الأمر ، فاغتنموا الغفلةَ ونَهضوا سِراعاً ، فتسوَّروا جدارَ الدار ، وألقَوْا أنفسَهُمْ على كُناسةٍ هنالك ؛ وأقبلَ محمدُ بن عبدِ الله بن حسن في مئتين وخمسين ، فمرَّ بالسِّجنِ فأخرج منْ فيه ، وجاء دارَ الإمارة فحاصرَها فافتتحها ، ومسك الأميرَ رَبَاحَ بنَ عثمان نائبَ المدينة ، فسجنه في دارِ مروان ، وسجن معه ابن مُسلم بن عُقْبة ، وهو الذي أشار بقتلِ بني حُسين في أولِ هذه الليلة ، فنجَوْا وأُحيط به . وأصبح محمد بن عبد الله بن حسن وقد استظهر على المدينة ، ودانَ له أهلُها ، فصلَّى بالناسِ

الصُّبح ، وقرأ فيها سورة ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] ، وأسفرَتْ هذه الليلة عن مُستهلِّ رجل من هذه السنة ، وقد خطَبَ محمدُ بن عبد الله أهلَ المدينة في هذا اليوم ، فتكلَّم في بني العباس ، وذكر عنهم أشياءَ ذَمَّهُمْ بها ، وأخبرَهم أنه لم ينْزِلْ بلداً من البلدان ، إلاَّ وقد بايعوه على السمعِ والطاعة ، فبايعه أهلُ المدينةِ كلُّهم إلاَّ القليل .

وقد روى ابنُ جرير[1] عن الإمام مالك ، أنه أفتَى الناسَ بمبايعته ؛ فقيل له : فإن في أعناقنا بيعةً للمنصور . فقال : إنما كنتمْ مُكْرَهين ، وليس لِمُكْرَهٍ بَيْعة . فبايعَهُ الناسُ عندَ ذلك عن قولِ مالك . ولزِمَ مالكٌ بيتَه . وقد قال له إسماعيل بنُ عبدِ الله بن جعفر حين دعاه إلى بيعتِه : يا ابنَ أخي ، إنك مقتول . فارتدَعَ بعضُ الناسِ عنه ، واستمرَّ جُمهورهُم معه . فاستنابَ عليهم عثمانَ بنَ محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبدَ العزيزِ بن المطلب بن عبدِ الله المخزومي ، وعلى شُرْطتها عثمانَ بن عبدِ الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبدَ الله بن جعفر بن عبدِ الله بن مِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ، وتلقَّبَ بالْمَهْديِّ طمعاً في أن يكونَ المذكورَ في الأحاديث التي سنوردُها في كتاب « الفتن والملاحم » فلم يكنْ إياه ، ولا تمَّ له ما رَجَاه ، ولا ما تمنَّاه ، فإنَّا لله . وقد ارتحل بعضُ أهلِ المدينةِ عنها ليلةَ دخَلَها ؛ فطوَى المراحلَ البعيدةَ إلى المنصور في سبعِ ليالٍ فورَدَ عليه ، فوجَدَهُ نائماً في الليل ، فقال للربيع الحاجب : استأذنْ على الخليفة . فقال : إنه لا يُوقظُ في هذه الساعة . فقال : إنه لا بُدَّ من ذلك . فأخبرَ الخليفةَ فخرج ، فقال : ويحك ! ما وراءك . فقال : إنه خرج ابنُ حسن بالمدينة ، فلم يُظهِرِ المنصورُ لذلك اكتراثاً وانزعاجاً ، بل قال : أنتَ رأيتَه ؟ قال : نعم . فقال : هَلَك واللهِ وأهلَكَ منِ اتَّبَعَه . ثم أمرَ بالرجلِ فسُجن ، ثم جاءتِ الأخبارُ بذلك فتواترتْ ، فأطلقهُ المنصور ، وأطلَقَ لهُ عن كلِّ ليلةٍ ألفَ دِرْهم ، فأعطاهُ سبعةَ آلافِ درهم .

ولما تحقَّقَ المنصورُ الأمرَ من خروجِه ضاقَ ذَرْعاً ، فقال له بعضُ المنجِّمين : يا أمير المؤمنين ، لا عليكَ منه ، فوالله لو ملَكَ الأرضَ بِحَذَافيرِها فإنه لا يُقيم أكثرَ من سبعين يوماً . ثم أمر المنصورُ جميعَ رؤوس الأمراء أنْ يذهبوا إلى السجن ، فيجتمعوا بعبدِ الله بن حسن والدِ محمد فيُخبروه بما وَقَعَ من خروجِ ولدِه ، ويسمعوا ما يقولُ لهم . فلمَّا دخلوا عليه أخبروه بذلك ، فقال : ما ترونَ ابنَ سلامة فاعلاً ـ يعني المنصور ـ فقالوا : لا ندري . فقال : والله لقد قَتَلَ صاحبَكُمُ البُخل ، ينبغي له أنْ يُنفقَ الأموال ، ويستخدم الرجال ، فإنْ ظهر فاسترجاعُ ما أنفقَ سَهْل ، وإلاَّ لم يكن لصاحبكم شيءٌ في الخزائن ، وكان ما خَزَنَ لغيرِه . فرجعوا إلى الخليفةِ فأخبروه بذلك ، وأشار الناس على الخليفة بمناجَزَتِهِ ؛ فاستدعَى عيسى بن موسى فنَدَبه إلى ذلك ثم قال : إني سأكتُبُ إليه كتاباً أُنْذِرُهُ بهِ قبلَ قتالِهِ . فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدِ الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله ، ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ

---

(١) يعني الطبري في تاريخه (٤/٤٢٧) .

﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ ، الآية إلى قوله : ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة : ٣٣ ـ ٣٤] . ثم قال : فلَكَ عَهْدُ الله وميثاقُه ، وذِمَّتُهُ وذِمَّةُ رسولِه ، إنْ أنتَ رجعتَ إلى الطاعة لأؤمِّنَكَ ومَنِ اتَّبَعَك ، ولأعطينَّكَ ألفَ ألفِ دِرْهم ، ولأدَعنَّكَ في أحبِّ البلادِ إليك ، ولأقضيَنَّ لك جميعَ حوائجكَ . . . في كلامٍ طويل .

فكتب إليه محمدٌ جوابَ كتابه :

من عبدِ الله المهدي محمد بن حسن ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص : ١ ـ ٥] . ثم قال : وإني أعرضُ عليكَ من الأمانِ ما عرضتَ عليّ ، فأنا أحقُّ بهذا الأمرِ منكم ، وأنتم إنما وصلتُمْ إليه بِنَا ، فإنَّ عليّاً كان الوَصِيَّ وكان الإمام ، فكيف وَرِثْتُمْ ولايتَهُ وولَدُهُ أحياء ، ونحن أشرَفُ أهلِ الأرض نسَباً ، فرسولُ الله خيرُ الناس ، وهو جدُّنا ، وجدَّتُنا خديجةُ ، وهي أفضلُ زوجاتِه ، وفاطمةُ ابنتُهُ أُمُّنا ، وهي أكرمُ بناتِه ، وإنَّ هاشماً وَلَدَ عليّاً مرَّتَيْن ، وإنَّ حَسَناً ولَدَهُ عبدُ المطلب مرَّتَيْنِ ، وهو وأخوه سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ وَلَدني مرَّتَيْن ، [منْ قِبَلِ حسن وحسين] وإني أوسطُ بني هاشمٍ نسباً ، [وأصرَحُهم أباً ، لم تُعرقْ فيَّ العَجَم ، ولم تنازعْ فيَّ أمهاتُ الأولاد][1] .

فأنا ابنُ أرفعِ الناس درجةً في الجنة ، وأخفِّهم عذاباً في النار ، فأنا أولى بالأمر منك ، وأولى بالعهد ، وأوفى به منك ، فإنك تُعطي العَهْدَ ثم تَنْكُثُ ولا تَفِي ، كما فعلتَ بابنِ هُبيرة ، فإنَّك أعطَيْتَهُ العهدَ ثم غدَرْتَ به ؛ ولا أشدُّ عذاباً من إمامٍ غادِر ، وكذلك فعلتَ بعمِّك عبدِ الله بن علي ، وأبي مسلم الخراساني ؛ ولو أعلم أنك تصدُق لأجبتُكَ لِمَا دعوتَني إليه ، ولكنَّ الوفاءَ بالعهدِ من مثلِكَ لِمثلي بعيد . والسلام .

فكتب إليه أبو جعفر جوابَ ذلك في كتابٍ طويل ، حاصلُه : أمَّا بعد ، فقد قرأتُ كتابَك ، فإذا جُلُّ فَخْرِكَ وإدْلالِكَ قرابةُ النساء ، لِتُضلَّ به الجُفَاةَ والغَوْغاء ، ولم يجعلِ الله النساءَ كالعمومةِ والآباء ، لا كالعُصوبةِ[2] والأولياء ، وقد أنزل الله : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ؛ وكان حينئذٍ لَهُ

(١) ما بين معقوفين من تاريخ الطبري (٤/ ٤٣١) .

(٢) في (ب) : « كالعصبية » وفي تاريخ الطبري : « كالعَصَبَة » والمثبت من (ب ، ح) ، والعَصَبةُ : قرابةُ الرجل لأبيه وكأنَّه جمعُ عاصب ، وإن لم نسمع به ، من عَصَبُوا به : إذا أحاطوا حوله ، ثم سُمِّي به الواحدُ والجمعُ والمذكَّر والمؤنَّث للغَلَبة وقالوا في مصدرها : العُصُوبة . والذكر يُعَصِّبُ الأنثى ، أيْ يجعلها عَصَبة . المغرب (عصب) (٢/ ٦٤) .

أربعةُ أعمام ، فاستجاب له اثنان ، أحدُهما جَدُّنا ، وكفر اثنان ، أحدُهما أبوك ـ يعني جدَّهُ أبا طالب ـ فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعلْ بينهما إلاًّ ولا ذِمَّة ، وقد أنزل الله في عدم إسلام أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] ؛ وقد فَخَرْتَ به وأنَّهُ أخَفُّ أهلِ النار عذاباً ، وليس في الشرِّ خِيَار ، ولا ينبغي لمؤمنٍ أنْ يفخرَ بأهلِ النار ؛ وفخرتَ بأنَّ علياً ولَدَهُ هاشمٌ مرَّتَيْن ، وأنَّ حسناً ولَدَهُ عبدُ المطلب مرَّتين ، فهذا رسولُ الله ﷺ إنما ولَدَهُ عبدُ الله مرةً واحدة ؛ وقولُكَ إنَّكَ لم تلِدْكَ أمهاتُ أولاد ؛ فهذا إبراهيمُ ابنُ الرسول ﷺ من مارية ، وهو خيرٌ منك ، وعليُّ بن الحسن منْ أُمِّ وَلَد ، وهو خيرٌ منك ، وكذلك ابنُه محمد بن علي ، وابنُه جعفر بن محمد جَدَّاتُهما أمهاتُ أولاد ، وهما خيرٌ منك ، وأما قولُكَ بنو الرسولِ فقد قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ؛ وقد جاءتِ السنَّةُ التي لا خلافَ فيها بين المسلمين أنَّ الجَدَّ أبا الأمِّ والخال والخالة لا يُورَّثون ، ولم يكنْ لفاطمةَ مِيراثٌ من رسولِ الله ﷺ بنَصِّ الحديث ، وقد مَرض رسولُ الله ﷺ وأبوك حاضر ، فلم يأمُرْهُ بالصلاةِ بالناس ، بل أمَرَ غيرَه ؛ ولمَّا تُوفي لم يَعْدِلِ الناسُ بأبي بكرٍ وعُمرَ أحداً ، ثم قدَّموا عليه عثمانَ في الشُّورى والخلافة ؛ ثم لما قُتل عثمان اتَّهمَهُ بعضُهم به ، وقاتله طلحةُ والزُّبير على ذلك وامتنع سعدٌ من مبايعتِه ، ثم بعد ذلك معاوية ، ثم طلبها أبوك وقاتل عليها الرجال ، ثم اتفق على التحكيم فلم يَفِ به ، ثم صارت إلى الحسن فباعَها بِخِرَقٍ ودراهم ، وأقام بالحجاز مالاً من غيرِ حِلِّه ، وسلَّم الأمرَ إلى غيرِ أهله ، وترك شيعَتَهُ في أيدي بني أميةَ ومعاوية . فإنْ كانتْ لكم فقد تركتموها وبعتموها بثمنِها ؛ ثم خرج عمُّكَ حُسينٌ على ابن مَرْجانة ، وكان الناسُ معهُ عليه ، حتى قتلوه وأتَوْا برأسِهِ إليه ، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جُذوع النخل ، وحرقوكم بالنار ، وحملوا نساءَكم على الإبل كالسبايا إلى الشام ، حتى خرَجْنا عليهم نحن ، فأخَذْنا بثأركم وأدْرَكْنا بدمائكم وأورثناكم أرضَهم وديارَهم ، وذكَرْنا فضلَ سَلَفكمْ ، فجعلتَ ذلك حُجَّةً علينا ، وظننتَ أنَّا إنَّما ذكَرْنا فَضْلَهُ على أمثالِه ، على حمزةَ والعباس وجعفر ، وليس الأمر كما زعمت ، فإنَّ هؤلاء مضوْا ولم يدخلوا الفِتَن ، وسَلِموا من الدنيا ، فلم تنقصْهم شيئاً ، فاستوفوا ثوابَهم كاملاً ، وابتُليَ بذلك أبوك ، وكانتْ بنو أمية تَلْعنُهُ كما تلعنُ الكفرةَ في الصلواتِ المكتوبات ، فأحيينا ذكرَه ، وذكَرْنا فضلَه ، وعنَّفْناهم بما نالوا منه . وقد علمتَ أنَّ مَكْرُمتنا في الجاهلية بسقاية الحجيج الأعظم ، وخدمةِ زَمْزَم ، وحَكَمَ رسولُ الله ﷺ لنا بها ، ولما قُحط الناس زمنَ عمر استَسْقى بأبينا العباس ، وتوسَّل به إلى ربِّه ، وأبوكَ حاضِر ، وقد علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ من بني عبد المطلب بعد رسولِ الله ﷺ إلا العباس ، فالسقايةُ سقايتُه ، والوراثةُ وِراثتُه ، والخلافةُ في وَلَدِه ، فلم يبق شرَفٌ في الجاهلية والإسلام[1] إلا والعباس وارِثُهُ ومُوَرِّثه . في كلامٍ طويل ، فيه بحثٌ ومناظرةٌ وفصاحة ، وقد استقصاهُ ابنُ جرير بطولِه ، والله سبحانه أعلم .

---

(١) في (ب ، ح) : « في الدنيا والآخرة » ، والمثبت من (ق) وتاريخ الطبري .

فصل
في ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن حسن[١]

بعَثَ محمدُ بن عبد الله بن حسن في غبونِ[٢] ذلك رسولاً إلى أهلِ الشام يدعوهم إلى بيعتِهِ وخِلافَتِه ، فأبَوْا قَبُولَ ذلك منه ، وقالوا : قد ضَجِرنا من الحروب ، ومَلِلْنا القتال . ولم يكترثوا بأصحابه ، فرجعوا إليه بعدَ ما خافوا على أنفسِهم ؛ وجعل يستميلُ رؤوسَ أهلِ المدينة ، فمنهم من أجابَه ، ومنهم منِ امتنع عليه ، وقال له بعضُهم : كيف أُبايعُك وقد ظهرتَ في بلدٍ ليس فيه مالٌ تستعينُ به على استخدامِ الرجال ؟ . ولَزِمَ بعضُهم مَنْزِلَهُ فلم يخرُجْ حتى قُتل محمد .

وبعَثَ محمدٌ الحسنَ بن معاوية[٣] في سبعين رجلاً ونحواً من عشرةِ فوارس إلى مكةَ نائباً إنْ هو دخلَها ، فساروا إليها ، فلما بلغ أهلَها قدومُهم خرجوا إليهم في ألوفٍ من المقاتلة ، فقال لهم الحسن بن معاوية : علامَ تُقاتلون وقد ماتَ أبو جعفر ؟ فقال السريُّ بنُ عبدِ الله زعيمُ أهلِ مكة : إنَّ بُرُدَهُ جاءتنا من أربعِ ليالٍ وقد أرسلتُ إليه كتاباً فأنا أنتظرُ جوابهُ إلى أربع ؛ فإنْ كان ما تقولون حقّاً سلَّمتُكم البلدَ وعليَّ مؤنة رجالِكم وخيلكم ، فامتنع الحسنُ بنُ معاوية من الانتظار وأبى إلا المناجزة ، وحلف لا يبيتُ الليلةَ إلا بمكَّة إلَّا أن يموت ؛ وأرسل إلى السري ، أن ابرُزْ من الحرَم إلى الحلّ حتى لا تُراقَ الدماءُ في الحرم . فلم يخرُجْ فتقدَّموا إليهم فصافُّوهم ، فحملَ عليه الحسن وأصحابُه حملةً واحدة ، فهزموهم وقتلوا منهم نحو سبعة ، ودخلوا مكة ، فلما أصبحوا خطَبَ الحسنُ بن معاوية الناسَ وعَزَّاهم[٤] بأبي جعفر ، ودعاهم إلى محمد بن عبد الله بن حسن المهدي .

خروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بن حسن

وظهر بالبصرة أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وجاء البريدُ إلى أخيه محمد ، فانتهى إليه فاستؤذن له عليه وهو بدارِ مروان ، فطرق بابها فقال : اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ طوارقِ الليلِ والنهار إلا طارقاً يطرُقُ بخيرٍ يا رحمن . ثم خرج فأخبر أصحابَه عن أخيه ، فاستبشروا جدّاً وفرحوا كثيراً ، كان يقول للناسِ بعدَ صلاةِ الصُّبحِ والمغرب : ادعوا الله لإخوانكم أهلِ البصرة ، وللحسن بن معاوية بمكّة ، واستنصروهُ على أعدائكم .

---

(١) ستأتي ترجمته في الصفحة (٣٣١) من هذا الجزء .

(٢) كذا في الأصول ، وانظر حاشيتي الصفحتين (٢٨٠ و٢٩٢) ذات الرقم (٢ و١) على التوالي من هذا الجزء .

(٣) في (ق) : « الحسين بن معاوية » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري .

(٤) في (ق) : « وأغراهم » ، وفي تاريخ الطبري : « ونعى إليهم أبا جعفر » ، والمثبت من (ب ، ح) .

وأما ما كان من المنصور فإنه جهَّز الجيوشَ إلى محمد بن عبد الله بن حسن صحبةَ عيسى بن موسى عشرةَ آلاف فارس من الشجعان المنتخَبين ، منهم محمد بن أبي العباس ، وجعفر بن حنظلة البهراني ، وحُميد بن قَحْطَبة . وكان المنصورُ قد استشارَهُ فيه فقال : يا أمير المؤمنين ادعُ بمنْ شئتَ مِمَّنْ تَثِقُ به من مواليك ، فابعَثْ بهم إلى وادي القُرى يمنعونَهم من ميرةِ الشام ، فيموتُ هو ومنْ معه جُوعاً ، فإنه ببلدٍ ليس فيه مالٌ ولا رجالٌ ولا كُرَاعٌ ولا سلاح . وقدم بين يديه كثير بن الحصين العبدي ، وقد قال المنصور لعيسى بن موسى حين ودَّعه : يا عيسى إني أبعثُكَ إلى ما بين جنبيَّ هذين ، فإنْ ظَفِرت بالرجل ، فشِمْ سيفَك ، ونادِ في الناس بالأمان ، وإنْ تغيَّب فضَمِّنْهُمْ إيَّاهُ حتى يأتوكَ به ، فإنَّهمْ أعلمُ بمذاهبه . وكتب معه كُتباً إلى رؤساءِ قريش والأنصارِ من أهلِ المدينة يدفعُها إليهم خُفْية ، يدعوهم إلى الرجوعِ إلى الطاعة . فلما اقترب عيسى بن موسى من المدينة بعث الكُتبَ مع رجل ، فأخذه حرسُ محمدِ بن عبد الله بن حسن ، فوجدوا معه تلك الكُتب ، فدفعوها إلى محمد ، فاستحضر جماعةً من أولئك فعاقبهم وضرَبهم ضرباً شديداً وقيَّدهم قيوداً ثقالاً ، وأودَعهم السجن . ثم إنَّ محمداً استشارَ أصحابَهُ بالقيام بالمدينة حتى يأتيَ عيسى بن موسى فيُحاصرهم بها أو أنه يخرجُ بمنْ معه فيقاتل أهلَ العراق ، فمنهم من أشار بهذا ، ومنهم من أشار بذاك ، ثم اتفق الرأيُ على المقام بالمدينة ، لأنَّ رسولَ الله ﷺ نَدِمَ يومَ أُحُد على الخروجِ منها ؛ ثم اتفقوا على حفرِ خندقٍ حولَ المدينةِ كما فعل رسولُ الله ﷺ يومَ الأحزاب ، فأجابَ إلى ذلك كلِّه ، وحَفَرَ مع الناسِ في الخندق بيدِهِ اقتداءً برسولِ الله ﷺ ، وقد ظهر لهم لَبِنةٌ من الخندقِ الذي حفرَهُ رسولُ الله ﷺ ، ففرحوا بذلك وكَبَّروا ، وبشَّروهُ بالنَّصْر ، وكان محمدٌ حاضراً عليه قَباءٌ أبيض ، وفي وسطه مِنْطقة ، وكان شَكِلاً[١] ضخماً أسمرَ عظيمَ الهامة .

ولما نزل عيسى بنُ موسى الأعْوَص[٢] واقترب من المدينة صَعِدَ محمدُ بن عبد الله المنبرَ ، فخطب الناسَ وحثَّهم على الجهاد ، وكانوا قريباً من مئة ألف ، فقال لهم في جملةِ ما قال : إنِّي جعلتُكم في حِلٍّ من بيعتي ، فمنْ أحبَّ منكم أنْ يُقيم عليها فعَل ، ومَنْ أحبَّ أنْ يترُكَها فعَل . فتسلَّلَ كثيرٌ منهم أو أكثرُهم عنه ، ولم يبقَ إلاَّ شِرْذمةٌ قليلةٌ معه ؛ وخرج أكثرُ أهلِ المدينة بأهلِهم منها لئلا يشهَدوا القتالَ بها ؛ فنَزَلوا الأعراضَ ورؤوسَ الجبال[٣] ، وقد بعث محمدٌ أبا الليث ليردَّهم عن الخروج فلم يُمكنْهُ ذلك في أكثرِهم ، واستمرُّوا ذاهبين ؛ وقال محمدٌ لرجل : أتأخذُ سيفاً ورُمحاً وتردُّ هؤلاء الذين خرجوا من

---

(١) رجل أشْكَلُ العين ، وأشْهَلُ العين ، وفيها شُكْلَة ، وهي حُمْرة في بياضِها ، وشُهْلةٌ في سوادِها . المغرب (شكل) (١/ ٤٥٢) .

(٢) الأعوص ـ بفتح أوله وبالصاد المهملة على وزن أفعل ـ : موضعٌ بشَرْقيِّ المدينة ، على بضعةَ عشرَ ميلاً منها . معجم ما استعجم (١/ ١٧٣) .

(٣) أعراضُ المدينة : هي بطونُ سوادِها ، وقراها التي في أوديَتها ، حيث الزرعُ والنخل . معجم البلدان (١/ ٢٢٠) .

المدينة ؟ فقال : نعم إنْ أعطيتَني رمحاً أطعَنُهم وهم بالأعراض ، وسيفاً أضرِبُهم وهم في رؤوس الجبال فعَلْتُ . فسكت محمد ثم قال لي : ويحك ! أهلُ الشام والعراقِ وخُراسان قد بَيَّضوا - يعني لبسوا البياض - موافقةً لي وخلَعُوا السواد . فقال : وماذا ينفعُني أنْ لو بقيتِ الدنيا زبدةً بيضاء ، وأنا في مثلِ صُوفةِ الدواة ؟! وهذا عيسى بن موسى نازلٌ بالأعْوَص . ثم جاء عيسى بن موسى فَنزل قريباً من المدينة على ميلٍ منها ، فقال له دليلُهُ ابنُ الأصم : إني أخشى إذا كشفتُموهم أنْ يَرْجِعوا إلى معسكرِهم سريعاً قبل أن تدركهم الخيل . ثم ارتحلَ به فأنزلَهُ الجُرْف على سقاية سليمانَ بنِ عبد الملك على أربعةِ أميالٍ من المدينة ، وذلك يوم السبت لِصُبْحِ اثنتي عشرةَ ليلةً خلَتْ من رمضان من هذه السنة ؛ وقال : إنَّ الراجل إذا هرب لا يقدِرُ على الهرولةِ أكثرَ من ميلَيْنِ أو ثلاثة فتدركُه الخيل .

وأرسل عيسى بن موسى خمس مئة فارس ، فنَزلوا عندَ الشجرةِ في طريقِ مكة ، وقال لهم : هذا الرجلُ إنْ هرب فليس له ملجأٌ إلاَّ مكة ، فاقتلوه وحُولوا بينهُ وبينها[1] . ثم أرسل عيسى إلى محمدٍ يدعوه إلى السمعِ والطاعةِ لأميرِ المؤمنين المنصور ، وأنَّه قد أعطاهُ الأمانَ له ولأهلِ بيته إنْ هو أجابَه . فقال محمد للرسول : لولا أنَّ الرسل لا تُقتل لقتلتُك . ثم بعث إلى عيسى بنِ موسى يقولُ له : إني أدعوك إلى كتابِ الله وسنةِ رسولِه ، فاحذَرْ أنْ تمتنعَ فأقتُلَكَ فتكونَ شرَّ قَتيل أو تقتُلَني فتكونَ قتلتَ مَنْ دعاكَ إلى اللهِ ورسولِه . ثم جعلت الرسلُ تتردَّدُ بينهما ثلاثةَ أيام هذا يدعو هذا ، وهذا يدعو هذا ؛ وجعل عيسى بن موسى يقفُ كلَّ يومٍ من هذه الأيام الثلاثة على الثنيَّةِ عندَ سَلْعٍ فيُنادي : يا أهلَ المدينة إنَّ دماءكم علينا حرام ، فمنْ جاءنا فوقف تحت رايتِنا فهو آمِنٌ ، ومنْ خرج من المدينةِ فهو آمنٌ ، ومنْ دخلَ دارَه فهو آمن ، ومن ألقى سلاحهُ فهو آمن ، فليس لنا في قتالِكم أرَب ، وإنما نريدُ محمداً وحدَه لنذهبَ بهِ إلى الخليفة . فجعلوا يَسُبُّونهُ وينالونَ من أُمِّه ، ويكلِّمونه بكلامٍ شَنيع ، ويخاطبونه مخاطبةً فظيعة ، وقالوا له : هذا ابنُ رسولِ الله ﷺ معنا ونحن معهُ نقاتلُ دونه . فلمّا كان اليومُ الثالث أتاهُمْ في خيلٍ ورجالٍ وسلاحٍ ورماح ، لم يُر مثلُها فناداه : يا محمد ، إنَّ أميرَ المؤمنين أمرني أنْ لا أُقاتلكَ حتى أدعوكَ إلى الطاعة ، فإنْ فعلتَ أمَّنَكَ وقضَى دَيْنك ، وأعطاكَ أموالاً وأراضي ، وإنْ أبيت قاتلتُك ؛ فقد دعوتُك غيرَ مرَّة . فناداهُ محمد : إنَّه ليس لكم عندي إلاَّ القتال فنشبتِ الحربُ حينئذٍ بينهم ، وكان جيشُ عيسى بن موسى فوقَ أربعةِ آلاف ، وعلى مقدمته حُميد بن قَحْطبة ، وعلى ميمنته محمد بن السفاح ، وعلى ميسرته داودُ بن كَرَّاز[2] ، وعلى الساقةِ الهيثمُ بن شعبة ؛ ومعهم عُددٌ لم يُر مثلها . وفرَّق عيسى أصحابَه في كلِّ قُطْرٍ طائفة ، وكان محمدٌ وأصحابُهُ على عِدَّةِ أصحابِ أهلِ بدر ، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً جدّاً ،

---

(١) في (ق) : « فحولوا بينه وبينها » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) في (ح ، ق) : « داود بن كرار » ، والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري (٤/ ٤٤٢) ، والضبط من الإكمال (٧/ ١٣٤) .

وترجَّلَ محمد إلى الأرض ، فيقال إنه قتَلَ بيدِهِ من جيشِ عيسى بن موسى سبعينَ رجلاً من أبطالِهم ، وأحاط بهم أهلُ العراق ، فقتلوا طائفةً من أصحابِ محمد بن عبد الله بن حسن ، فاقتحموا عليهمُ الخندقَ الذي كانوا قد حفروه ، وعملوا أبواباً على قدرِه . وقيل : إنّهم رَدَموه بحدائجِ الجمال حتى أمكَنهم أن يجوزوه ، وقد يكونون فعلوا هذا [في] موضعٍ منه ، وهذا في موضعٍ آخر ، والله أعلم .

ولم تزلِ الحربُ ناشبةً بينهم من بُكْرَةِ النهار حتى صُلِّيتِ العصر ، فلما صلَّى محمدٌ العصرَ نزَلوا إلى مَسيلِ الوادي بسَلْع ، فكسَرَ جفنَ سيفِه وعَقَر فرسَه ، وفعل أصحابُهُ مثلَه ، وصبروا أنفسَهم للقِتال وحَميتِ الحربُ حينئذٍ جدّاً ، فاستظهر أهلُ العراق ، ورفعوا رايةً سوداءَ فوقَ سَلْع ، ثم دَنَوْا إلى المدينة ، فدخلوها ونصبوا رايةً سوداء فوقَ مسجدِ رسولِ الله ﷺ ؛ فلما رأى ذلك أصحابُ محمد تنادَوْا : أُخذتِ المدينة ، وهرَبوا ، وبقي محمدٌ في شِرْذِمةٍ قليلةٍ جدّاً ، ثم بقي وحدَهُ وليس معه أحد ، وفي يده سيفٌ صَلْتٌ يضربُ به منْ تقدَّم إليه فكان لا يقومُ له شيء [إلاّ أنامه ، حتى قتَلَ خلقاً من أهلِ العراق من الشجعان] ، ويقال : إنَّه كان في يده يومئذٍ ذو الفَقَار ، ثم تكاثَرَ عليه الناس ، فتقدَّم إليه رجلٌ فضربه بسيفِهِ تحتَ شحمةِ أُذُنهِ اليُمنى ، فسقَطَ لِرُكْبَتِهِ ، وجعل يَحْمي نفسَهُ ويقول : ويحكم ! ابنُ نبيِّكم مجروحٌ مظلوم ! وجعل حُميد بن قَحْطبة يقول : ويحكم ! دعوهُ لا تقتلوهُ . فأحْجَمَ عنه الناس ، وتقدَّم إليه حُميد بن قَحْطبة فحزَّ رأسَه ، وذهب به إلى عيسى بن موسى ، فوضعه بين يديه ؛ وكان حُميد قد حلَفَ أنْ يقتُلَهُ متى رآه ، فما أدركَهُ إلاَّ كذلك ، [ولو كان على حالِهِ وقوّته لما استطاعه حُميد ولا غيرُه من الجيش][1] .

وكان مقتلُ محمدِ بن عبد الله بن حسن عند أحجارِ الزَّيت يوم الإثنين بعدَ العصر لأربعَ عشرةَ ليلةً خلَتْ من رمضان ، سنة خمسٍ وأربعين ومئة . وقال عيسى بن موسى لأصحابِهِ حين وُضع رأسُه بين يديه : ما تقولون فيه ؟ فنال منه أقوامٌ وتكلَّموا فيه ؛ فقال رجل : كذبتُمْ والله ، لقد كان صَوَّاماً قوَّاماً ، ولكنَّه خالفَ أميرَ المؤمنين ، وشقَّ عَصَا المسلمين ، فقتلْناهُ على ذلك . فسكتوا حينئذ .

وأما سيفُه ذو الفَقَار فإنَّهُ صارَ إلى بني العباس يتوارثونه ، حتى جرَّبه بعضُهم فضرب به كلباً فانقطع . ذكرهُ ابنُ جرير وغيرُه[2] .

وقد بلغ المنصورَ في غبونٍ[3] هذا الأمر أنَّ محمداً فرَّ من الحَرْب فقال : هذا لا يكون ، فإنَّا أهلَ بيتٍ لا نَفِرّ[4] .

---

(١) ما مرَّ بين معقوفين ليس في (ب ، ح) ، أثبتناه من (ق) .
(٢) ابن جرير هو الطبري في تاريخه (٤/٤٤٦) .
(٣) كذا في الأصول، انظر حواشي الصفحات (٢٨٠و٢٩٢و٣٢١) ذوات الأرقام (٢ و١ و٢) على التوالي من هذا الجزء.
(٤) تاريخ الطبري (٤/٤٤٧) .

وقال ابنُ جرير[١] : حدّثني عبدُ الله بن راشد أبو الحجّاج قال : إنّي لقائمٌ على رأسِ المنصور وهو يسألني عن مَخرجِ محمد ، إذْ بلَغَهُ أنَّ عيسى بن موسى قد انهزم ، وكان متكئاً فجلس ، فضرب بقضيبٍ معه مصلاه وقال : كلاَّ ، وأين لُعبُ صبياننا بها على المنابر ومشورةُ النساء ؟ ما أنى لذلك بعد . وبَعَثَ عيسى بنُ موسى بالشارةِ إلى المنصور مع القاسم بن حسن ، وبالرأس مع ابن أبي الكرام ، وأمرَ بدفن الجُثَّة . فدُفن بالبَقيع ، وأمر بأصحابِه الذين قُتلوا معه فصُلبوا صَفَّينِ ظاهرَ المدينة ثلاثة أيام ، ثم طُرحوا على مقبرةِ اليهودِ عندَ سَلْع ، ثم نُقلوا إلى خندقٍ هناك . وأخذَ أموالَ بني حسن كلَّها ، فسوَّغَها له المنصور ؛ ويقال : إنه ردَّها بعدَ ذلك إليهم . حكاهُ ابنُ جرير[٢] .

ونُودي في أهلِ المدينة بالأمان ، فأصبح الناسُ في أسواقِهم ، وترفَّع عيسى بن موسى في الجيش إلى الجُرْف من مطرٍ أصابَ الناسَ يومَ قُتل محمد ، وجعل ينتابُ المسجد من الجُرف ، وأقام بالمدينة إلى اليوم التاسعَ عشرَ من رمضان ، ثم خرج منها قاصداً مكة ؛ وكان بها الحسن بن معاوية من جهةِ محمد ، قد كتب إليه يقدمُ عليه ، فلما خرج من مكة وكان ببعضِ الطريق تلقَّتْهُ الأخبارُ بقتلِ محمد ، فاستمرَّ فارّاً إلى البصرة إلى أخي محمد إبراهيمَ بنِ عبدِ الله الذي كان قد خرج بها ، ثم قُتل بعد أخيه في هذه السنة على ما سنذكرُه .

ولما جيء المنصورُ برأسِ محمد بنِ عبد الله بن حسن ، فوُضع بين يديه أمَرَ فطيفَ به في طَبَقٍ أبيض ، ثم طِيف به في الأقاليم بعدَ ذلك ، ثم شرَعَ المنصورُ في استدعاءِ منْ خَرَجَ مع محمدٍ من أشرافِ أهلِ المدينة ، فمنهم من قتلَه ، ومنهم من ضربَهُ ضَرْباً مُبَرِّحاً ، ومنهم من عفا عنه . ولما توجَّه عيسى إلى مكة استنابَ على المدينةِ كثيرَ بن حصين ، فاستمرَّ بها شهراً ، حتى بعث المنصورُ على نيابتِها عبدَالله بن الربيع ، فعاث جندُهُ في المدينة ، فصاروا إذا اشترَوا من الناس شيئاً لا يُعطونهم ثمنَه ، وإنْ طُولبوا بذاك ضرَبوا المطالِب وخوَّفوهُ بالقتل ؛ فثار عليهم طائفةٌ من السودان ، واجتمعوا ونفخوا في بُوقٍ لهم ، فاجتمع على صوته كلُّ أسودَ في المدينة ، وحملوا عليهم حملةً واحدةً وهم ذاهبون إلى الجمعة لسبعٍ بَقينَ من ذي الحجَّة من هذه السنة ، وقيل : لخمسٍ بَقينَ من شوَّال منها ؛ فقتلوا من الجندِ طائفةً كثيرة بالمزاريق وغيرِها ، وهرب الأميرُ عبدُ الله بن ربيع ، وترك صلاةَ الجمعة ، وكان رؤس السودان وثيقٌ ويَعقل ورمقة وحديا وعُنقود ومِسعر وأبو النار ؛ فلما رجع عبدُ الله بنُ الربيع ركبَ في جنودِه والتقى مع السودان فهزموهُ أيضاً ، فلحقوه بالبقيع ، فألقى لهم رداءه يشغَلُهم فيه حتى نجا بنفسِه ومنِ اتَّبعه ، فلحق ببَطْنِ نَخْلٍ على ليلتَيْنِ من المدينة ، ووقع السودانُ على طعامِ للمنصور كان مخزوناً في دارِ مروان ، قد قدِم به في البحر ،

---

(١) في تاريخه (٤/٤٤٨) .
(٢) في تاريخه (٤/٤٥١) .

فنهبُوه ونهبوا ما للجند الذين في المدينة من دَقيقٍ وسَويقٍ وغيرِه ، وباعوا ذلك بأرخصِ ثمن ، وذهب الخبرُ إلى المنصور بما كان من أمرِ السُّودان ، وخاف من معرَّةِ ذلك ، فاجتمعوا وخطَبهم ابنُ أبي سَبْرَةَ ، وكان مسجوناً ، فصعِدَ المنبر وفي رجليهِ القيود ، فحثَّهم على السمعِ والطاعةِ للمنصور ، وخوَّفهم شرَّ ما صنعه مواليهم ، فاتفق رأيهم على أنْ يكُفُّوا مواليَهم ويفرِّقوهم ويذهبوا إلى أميرِهم فيردُّوه إلى عملِه ، ففعلوا ذلك ، فسكنَ الأمرُ وهدأَ الناس ، وأنطفأتِ الشرور ، ورجع عبدُ الله بن الربيعِ إلى المدينة ، فقطَعَ يدَ وثيقٍ وأبي النار ويَعقِلَ ومِسْعَر .

ذكر خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن بالبصرة

كان إبراهيم قد هرب إلى البصرة فنَزَلَ في بني ضُبيعةَ من أهلِ البصرة في دارِ الحارث بن عيسى ، وكان لا يرى بالنهار ، وكان قدومُهُ إليها بعدَ أن طاف بلاداً كثيرةً جدّاً ، وجرَتْ عليه وعلى أخيه خطوبٌ شديدةٌ هائلة ، وانعقد أسبابُ هلاكِهما في أوقاتٍ متعدِّدَة ، ثم كان آخرُ ما استقرَّ أمرُه بالبصرة في سنةِ ثلاثٍ وأربعين ومئة ، بعد مُنصرَفِ الحَجيج ؛ وقيل : إنَّ قدومَهُ إليها كان في مستهلِّ رمضان سنةَ خمسٍ وأربعين ومئة ، بعثَه أخوهُ إليها بعد ظهورهِ بالمدينة . قاله الواقدي[1] . قال : وكان يدعو في السرِّ إلى أخيه ، فلما قُتل أخوهُ أظهرَ الدعوةَ إلى نفسِهِ في شوال من هذه السنة ، والمشهور أنه قدمها في حياةِ أخيه ، دعا لنفسِه كما تقدَّم والله أعلم .

ولما قَدِم البصرة نزلَ عند يحيى بن زياد بن حسان النَّبَطي ، فاختفى عندَهُ هذه المدَّةَ كلَّها ، حتى ظهر في هذه السنة في دارِ أبي فَرْوة ، وكان أولَ من بايعه نُميلة بن مرَّة ، وعفوُ الله بن سفيان[2] ، وعبدُ الواحد بن زياد ، وعمر بن سلمة الهُجيمي ، وعبيد الله بن يحيى بن حُضَين الرقاشي . وندبوا الناسَ إليه ، فاستجاب له خلقٌ كثير ، فتحوَّل إلى دارِ أبي مروان في وسطِ البصرة ، واستفحل أمرُه ، وبايعه فئامٌ من الناس ، وتفاقم الخَطْبُ به ، وبلغ خبَرُه إلى المنصور ، فازدادَ غَمّاً إلى غَمِّهِ بأخيه محمد ، وذلك لأنه ظهَرَ قبلَ مقتل أخيه ، وإنما كان سببَ تعجيلِه الظهورَ كتابُ أخيه إليه ، فامتثَلَ أمرَه ، ودعا إلى نفسه ، فانتظم أمرُهُ بالبصرة ، وكان نائبَها من جهةِ المنصور سفيانُ بن معاوية ، وكان ممالئاً لإبراهيمَ هذا في الباطن ، ويبلغُهُ أخبارُه فلا يكترِثُ بها ، ويُكَذِّبُ منْ أخبرَه ، ويودُّ أنْ يتَّضِحَ أمرُ إبراهيم ، وقد أمدَّه المنصورُ بأميرينِ من أهلِ خُراسان ، معهما ألفا فارسٍ وراجل ؛ فأنزلهما عندَه ، ليتقوَّى بهما على محاربةِ إبراهيم . وتحوَّلَ المنصورُ من بغداد ـ وكان قد شَرَعَ في عِمَارتِها ـ إلى الكوفة ، وجعل كلَّما اتَّهم رجلاً من

---

(١) انظر قول الواقدي في تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٨) .
(٢) في (ح ، ق) : « عبد الله بن سفيان » ، والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري (٤/ ٤٦٥) .

أهلِ الكوفة في أمرِ إبراهيم بعث إليه يقتلُه في الليل في مَنْزِله ، وكان الفُرَافصةُ العِجْلي قد همَّ بالوثوبِ بالكوفةِ فلم يمكنْهُ ذلك ، لمَكانِ المنصورِ بها ، وجعل الناسُ يقصدُونَ البصرةَ من كلِّ فجٍّ لمُبايعةِ إبراهيم ، ويفدون إليها جماعاتٍ وفُرَادى ، وجعل المنصورُ يرصُدُ لهم المسالِحَ فيقتلونَهم في الطريق ، ويأتونه برؤوسِهم فيصلبها بالكوفةِ ليتَّعِظَ بها الناس ، وأرسل المنصورُ إلى حرب الراوندي ، وكان مرابطاً بالجزيرة في ألفَيْ فارسٍ لقتالِ الخوارج ، يستدعيهِ إليه إلى الكوفة ، فأقبل بمَنْ معه ، فاجتاز ببلدة بها أنصارٌ لإبراهيم ، فقالوا له : لا ندَعُكَ تجتاز ، لأن المنصور إنما دعاكَ لقتالِ إبراهيم . فقال : ويحكم ! دعوني . فأبَوْا ، فقاتلهم ، فقتل منهم خمسمئة ، وأرسل برؤوسِهم إلى المنصور ، فقال : هذا أول الفتح .

ولما كانتْ ليلةُ الاثنين مستهلَّ رمضان من هذه السنة خرجَ إبراهيمُ في الليل إلى مقبرةِ بني يَشكُر في بضعةَ عشرَ فارساً ، وقدم في هذه الليلةِ أبو حماد الأبرَص في ألفَيْ فارس مدداً لسفيانَ بن معاوية ، فأنزلهمُ الأميرُ في القصر ، ومال إبراهيمُ وأصحابه ومن التفَّ عليه وصار إلى دوابِّ أولئك الجيش وأسلحتِهم ، فأخذوها جميعاً فتقوَّوْا بها ، فكان أول ما أصاب ؛ وما أصبح الصباح إلاَّ وقد استظهر جدّاً ، فصلَّى بالناسِ صلاةَ الصُّبح في المسجدِ الجامع ، والتفَّ الخلائقُ عليه ، ما بين ناظرٍ وناصِر ، وتحصَّن سفيانُ بن معاوية نائبُ الخليفة بقصرِ الإمارة ، وحبس عندَهُ الجنودَ فحاصرهم إبراهيم ، فطلب سفيانُ بن معاوية من إبراهيمَ الأمانَ فأعطاهُ الأمانَ ودخل إبراهيمُ قصرَ الإمارة ، فبُسطت له حصير ليجلسَ عليها في مقدَّم إيوانِ القصر ، فهبَّتِ الرِّيحُ فقلبت الحصيرَ ظهراً لبطن ، فتطيَّرَ الناسُ بذلك ، فقال إبراهيم : إنَّا لا نتطَّير . وجلس على ظهرِ الحصير ، وأمر بحبس سفيان بن معاوية مقيداً ، وأرادَ بذلك براءةَ ساحتِهِ عند المنصور ، واستحوذ على ما كان في بيتِ المال ، فإذا فيه ستمئة ألف ، وقيل : ألفا ألف . فقَوِيَ بذلك جدًّا .

وكان في البصرةِ جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي ، وهما ابنا عمِّ الخليفة المنصور ، فركبا في ستمئة فارس إليه ، فهزمهما ، وأركب إبراهيمُ المضاءَ بنَ القاسم في ثمانيةَ عشرَ فارساً وثلاثين راجلاً فهزم ستَّمئةِ فارسٍ كانت لهما ؛ وأمَّنَ منْ بقيَ منهم ، وبعث إبراهيم إلى أهلِ الأهواز ، فبايعوهُ وأطاعوه ، وأرسل إلى نائبِها مئتي فارس ، عليهم المغيرة ، فخرج إليه محمد بن الحصين نائبُ البلاد في أربعةِ آلاف فارس ، فهزمه المغيرةُ واستحوَذَ على البلاد ، وبعث إبراهيم إلى بلادِ فارس فأخذها ، وكذلك واسطَ والمدائن والسواد ، واستفحل أمرُهُ جدًّا ، ولكنْ لمّا جاءه نعيُ أخيهِ محمد انكسر جِدًّا ، وصلَّى بالناسِ يومَ العيدِ وهو مكسور . قال بعضُهم : والله لقد رأيتُ الموتَ في وجههِ وهو يخطبُ الناس ، فنَعَى إلى الناسِ أخاه محمداً ، فازداد الناسُ حَنَقاً على المنصور ، وأصبح فعسكر بالناسِ واستناب على البصرةِ نُميلة ، وخلَّف ابنَه حسناً معه .

ولما بلغ المنصورَ خبرُه تحَيَّرَ في أمرِه ، وجعل يتأسَّفُ على ما فرَّق من جندِهِ في الممالك ، وكان قد

بعث مع ابنِهِ المهديِّ ثلاثين ألفاً إلى الرَّيّ ، وبعث مع محمد بن الأشعث إلى إفريقية أربعين ألفاً ، والباقون مع عيسى بن موسى بالحجاز ، ولم يبق مع المنصور سوى ألفَيْ فارس ، وكان يأمرُ بالنيرانِ الكثيرة فتُوقدُ ليلاً فيحسب الناظرُ إليها أنَّ ثمَّ جُنداً كثيراً . ثم كتب المنصورُ إلى عيسى بن موسى إذا قرأتَ كتابي هذا فأقبلْ من فَوْرك ، ودَعْ كلَّ ما أنتَ فيه . فلم ينشبْ أنْ أقبل إليه ، فقال له : اذهبْ إلى إبراهيمَ بالبصرة ، ولا يهولنَّك كثرةُ منْ معه ، فإنَّهم جملا بني هاشمٍ المقتولانِ جميعاً ، فابسُطْ يدَك ، وثِقْ بما عندَك ، وستذكرُ ما أقولُ لك . فكان الأمرُ كما قال المنصور .

وكتب المنصور إلى ابنِهِ المهدي أنْ يوجِّهَ خازمَ بن خُزيمةَ في أربعةِ آلاف إلى الأهواز ، فذهب إليها ، فأخرج منها نائبَ إبراهيم ، وهو المغيرة ، وأباحها ثلاثةَ أيام ، ورجع المغيرةُ إلى البصرة ، وكذلك بعث إلى كلِّ كُورةٍ من هذه الكُور التي نقضَتْ بيعتَه جنداً يردُّونَ أهلَها إلى الطاعة . قالوا ولزِمَ المنصورُ موضعَ مُصَلَّاه ، فلا يبرَح منه ليلاً ونهاراً في ثيابٍ بذْلَةٍ قدِ اتَّسختْ ؛ فلم يزَلْ مقيماً هناك بضعاً وخمسين يوماً حتى فتح الله عليه وقد قيل له في غبون[1] ذلك إنَّ نساءك قد خَبُثَتْ نفسُهن لغيبتِكَ عنهنّ . فانتهَرَ القائلَ وقال : وَيْحكَ ! ليست هذه أيام نساء ، حتى أرى رأسَ إبراهيمَ بين يدي ، أو يُحمل رأسي إليه .

وقال بعضُهم : دخلتُ على المنصور وهو مهمومٌ من كثرةِ ما وقع من الشرور وهو لا يستطيع أن يتابعَ الكلامَ من كثرةِ كَرْبِهِ وهمِّه ، وما تَفَتَّقَ عليه من الفتوق والخروق ، وهو مع ذلك قد أعدَّ لكلِّ أمرٍ ما يسدُّ خَلَلَهُ به ، وقد خرجَتْ عن يده البصرةُ والأهواز وأرضُ فارس والمدائنُ وأرضُ السواد ؛ وفي الكوفةِ عندَهُ مئةُ ألفٍ مغمدةٌ سيوفها تنتظرُ به صيحةً واحدة فَيَثِبُونَ مع إبراهيم ، وهو مع ذلك يَعْرِكُ النوائبَ ويَمْرُسُها ، ولم تقعُدْ به نفسُه ، وهو كما قال الشاعر :

نفسُ عصامٍ سَوَّدتْ عصاما وعلَّمَتْـهُ الكَـرَّ والإقـداما
فصيَّرَتْهُ مَلِكاً هُمَاما[2]

وأقبل إبراهيمُ بعساكرَ من البصرة إلى الكوفة في مئةِ ألف مقاتل ، فأرسل إليه المنصورُ عيسى بنَ موسى في خمسةَ عشرَ ألفاً ، وعلى مقدَّمته حُميد بن قحطبة في ثلاثةِ آلاف ، وجاء إبراهيمُ فنزلَ في باخُمْرَى[3] في جحافلَ عظيمة ، فقال له بعضُ الأمراء إنَّكَ قد اقترَبْتَ من المنصور ، فلو أنك سرتَ إليه بطائفةٍ من جيشِك لأخذتَ بقفاه ، فإنه ليس عندَهُ من الجيوشِ ما يردُّون عنه . وقال آخرون : إنَّ الأولى أنْ

---

(١) كذا في الأصول، انظر حواشي الصفحات (٢٨٠ و٢٩٢ و٣٢١ و٣٢٤) ذوات الأرقام (٢و١و٢و٣) على التوالي من هذا الجزء.

(٢) نسبت الأبيات للنابغة الذبياني ، وهي في ديوانه ص(١١٨) . وزاد بيتاً رابعاً وهو قوله :
حتى علا وجاوز الأقواما

(٣) باخمرى ـ بالراء ـ موضعٌ بين الكوفةِ وواسط ، وهو إلى الكوفةِ أقرب تبعد عنها ستة عشر فرسخاً . معجم البلدان (٣١٦/١) ، وكما سيأتي بعد قليل .

نُناجز هؤلاءِ الذين بإزائنا ، ثم هو في قبضتِنا ، فثناهُمْ ذلك عن الرأيِ الأول ، ولو فعلَهُ لتمَّ لهمُ الأمر . ثم قال بعضُهم : خَندِقْ حولَ الجيش . وقال آخرون : إنَّ هذا الجيش لا يحتاجُ إلى خندقٍ حوله . فترك ذلك ، ثم أشار بعضُهم أنْ يُبَيِّتَ جيشَ عيسى بن موسى[١] ، فقال إبراهيم : أنا لا أرَى ذلك . فتركه ، ثم أشار آخرون بأنْ يجعل جيشَهُ كراديس ، فإنْ غُلب كردوس ثَبتَ الآخر . وقال آخرون : الأولى أن نُقاتِلَ صفوفاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] ، والأمر لله وما شاء فعل . ولو ساروا إلى الكوفة وبيَّتوا الجيشَ أو جعلَ جيشه كراديسَ لتمَّ له الأمر مع تقديرِ الله تعالى .

وأقبلَ الجيشان ، فتصافُّوا في باخُمْرَى ، وهي على ستةَ عشرَ فرسخاً من الكوفة ، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً فانهزم حُميد بن قحطبةَ بمنْ معه من المقدِّمة ، فجعل عيسى يُناشدهم الله في الرجوعِ والكرَّة ، فلا يلوي عليه أحد ، وثبَتَ عيسى بن موسى في مئةِ رجلٍ من أهلِه ؛ فقيل له : لو تنَحَّيْتَ من مكانك هذا لئلا يحطِمَكَ جيشُ إبراهيم . فقال : والله لا أزولُ منه حتى يفتحَ الله لي أو أقتلَ هاهنا . وكان المنصورُ قد تقدَّم إليه بما أخبره بعضُ المنجِّمين ، أنَّ الناس يكونُ لهم جَوْلة عن عيسى بن موسى ، ثم يقومون إليه ، وتكونُ العاقبةُ له . فاستمرَّ المنهزمون ذاهبين إلى نهرٍ بين جبلَيْن ، فلم يُمكنهم خوضه ، فكرُّوا راجعينَ بأجمعِهم ، وكان أولُ راجعٍ حُميد بن قحطبة الذي كان أولَ منِ انهزم ، ثم اجتلدوا هم وأصحابُ إبراهيم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقُتل من كلا الفريقَيْنِ خلقٌ كثير ، ثم انهزم أصحابُ إبراهيم ، وثبَتَ هو في خمسمئة ، وقيل : في أربعمئة ، وقيل : في تسعين رجلاً ، واستظهر عيسى بنُ موسى وأصحابُه ، وقُتل إبراهيم في جملةِ من قُتل ، واختلط رأسُه مع رؤوسِ أصحابه ، فجعل حُميد يأتي بالرؤوس إلى عيسى بن موسى حتى عرفوا رأسَ إبراهيم ، فبعثوه مع البشيرِ إلى المنصور ، وكان نيبخت المنجِّم قد دخل على المنصور قبلَ مجيء الرأس ، فأخبره أنَّ إبراهيم مقتول ، فلم يصدِّقْه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنْ لم تصدِّقْني فاحبِسْني ، فإنْ لم يكنِ الأمرُ كما ذكرتُ فاقتُلْني . فبينما هو عندَه إذْ جاء البشيرُ بهزيمةِ جيشِ إبراهيم ، ولما جيء بالرأس تمثَّل المنصور ببيتِ مُعَقِّرِ بنِ أوسِ بنِ حمار البارقيّ :

فألقَتْ عصاها واستقرَّ بها النَّوَى كما قَـرَّ عينـاً بـالإيـابِ المُسَـافـرُ

وقيل : إنَّ المنصور لمّا رأى الرأسَ بكى حتى جعلتْ دموعُه تسقُطُ على الرأس ، وقال : والله لقد كنتُ لهذا كارهاً ، ولكنَّكَ ابتُليتَ بي وابتليتُ بك . ثم أمرَ بالرأسِ فنُصب بالسوق ، وأقطَعَ نيبختَ المنجِّم الكذّاب ألفَيْ جَريب[٢] .

---

(١) بَيَّتَ جيش العدوّ : أوقَعَ بهم ليلاً . القاموس (بيت) .

(٢) وهذه زيادة من (ق) المقحمة وهي : =

وذكر صالح مولى المنصور قال : لما جيء برأسِ إبراهيمَ جلس المنصورُ مجلساً عامّاً ، وجعل الناسُ يدخلونَ عليه فيهنِّئونه وينالونَ من إبراهيم ، ويُقبِّحون الكلامَ فيه ابتغاءَ مرضاةِ المنصور ، والمنصورُ ساكتٌ متغيِّرُ اللون لا يتكلَّم ، حتى دخل جعفرُ بن حَنْظلةَ البهراني ، فوقف فسلَّم ثم قال : أعظَمَ الله أجرَكَ يا أميرَ المؤمنين في ابنِ عمِّك ، وغفَرَ له ما فرَّط من حَقِّك . قال : فاصفرَّ لونُ المنصور ، وأقبل عليه وقال له : يا أبا خالد ، مرحباً وأهلاً ، هاهنا فاجلسْ ، فعلم الناسُ أنَّ ذلك وقع منه موقعاً جيداً ؛ فجعل كلُّ منْ جاء يقولُ كما قال جعفرُ بن حنظلة .

قال أبو نُعيم الفضلُ بن دُكين : كان مقتلُ إبراهيمَ في يومِ الخميس ، لخمسٍ بقينَ من ذي الحجَّةِ من هذه السنة .

ذكرُ منْ تُوفِّي فيها من الأعيان :

فمن أعيانِ أهلِ البيت عبدُ الله بن حسن .

وابناه محمد وإبراهيم .

وأخوه حسن بن حسن .

وأخوه لأمِّه محمد بن عبدِ الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، الملقَّب بالدِّيباج ؛ وقد تقدَّمت ترجمتُه[١] .

وأما أخوه :

عبدُ الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب[٢] : القرشيُّ الهاشميُّ فتابعيّ ، روى عن أبيه وأُمِّه فاطمةَ بنتِ الحسين ، وعبدِ الله بن جعفر بن أبي طالب ـ وهو صحابيٌّ جليل ـ وغيرهم . وروى عنه جماعةٌ ، منهم سفيانُ الثوري ، والدَّرَاوَرْدي ، ومالك . وكان معظَّماً عندَ العلماء ، وكان عابداً كبيرَ القَدْر . قال يحيى بنُ معين : كان ثقةً صدوقاً ، وَفَد على عمرَ بن عبد العزيز فأكرَمه ، ووفد على السفَّاح فعظَّمهُ وأعطاهُ ألفَ ألفِ درهم ؛ فلمّا ولي المنصورُ عامَلَهُ بعكسِ ذلك ، وكذلك أولادُه وأهلُه ؛ وقد مضَوْا جميعاً ، والتقَوْا عندَ الله عزَّ وجلَّ .

= [فهذا المنجِّم إنْ كان قد أصاب في قضية واحدة فقد أخطأ في أشياءَ كثيرة ، فهُمْ كَذَبةٌ كَفَرة ؛ وقد كان المنصورُ في ضلالٍ مع منجِّمهِ هذا . وقد ورَّث الملوكَ اعتقادَ أقوالِ المنجِّمين ، وذلك ضلالٌ لا يجوز] .

(١) في ص(٣١٦) من هذا الجزء .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٥/ ٧١) ، مشاهير علماء الأمصار (١/ ١٢٧) ، الثقات لابن حبان (٧/ ١) ، تاريخ بغداد (٩/ ٤٣١) ، الكاشف للذهبي (١/ ٥٤٥) ، تهذيب الكمال (١٤/ ٤١٤) ، طبقات الحنفية (١/ ٤٥٤) .

وأخذهُ المنصورُ وأهلَ بيتِهِ مقيَّدين مغلولين مُهانينَ من المدينةِ إلى الهاشميَّة ، فأودعهُمُ السِّجنَ الضيق ـ كما قدَّمنا ـ فماتَ أكثرُهم فيه ، فكان عبدُ الله بن حسن هذا أولَ منْ ماتَ فيه بعدَ خروج محمدٍ بالمدينة . وقد قيل : إنه قُتل في السجن عمداً ، وكان عمرُه يومَ مات خمساً وسبعين سنة ؛ وصلَّى عليه أخوهُ لأمِّهِ الحسنُ بن الحسن بن علي ، ثم ماتَ بعدَهُ أخوه حسن ، فصلَّى عليه أخوه لأمِّه محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان ، ثم قُتل بعدَهما وحُمل رأسُهُم إلى خُراسان كما تقدَّم .

وأمَّا ابنُه :

محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب(١) : الذي خرج بالمدينة ، فروى عن أبيه ، ونافع ، وعن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، في كيفيَّةِ الهُويِّ إلى السُّجود . وحدَّث عنه جماعةٌ . ووثقه النسائي وابنُ حبَّان ، وقال البخاري : لا يُتابع حدِيثه ؛ وقد ذكر أنَّ أُمَّه حملَتْ به أربعَ سنين ، وكان طويلاً سميناً أسمرَ ضَخْماً ، مُفَخَّماً ، ذا هِمَّةٍ سامية ، وسَطْوةٍ عالية ، وشجاعةٍ باهرة ، قُتل بالمدينةِ في مُنتصَفِ رمضان ، سنةَ خمسٍ وأربعين ومئة ، وله خمسٌ وأربعون سنة . وقد حملوا برأسِهِ إلى المنصور ، وطِيف به في الأقاليم .

وأما أخوه إبراهيم فكان ظهورُه بالبصرةِ بعد ظهورِ أخيهِ بالمدينة ، وكان مقتَلُه بعدَ مقتلِ أخيه في ذي الحِجَّة من هذه السنة ، وليس له شيءٌ في الكتبِ السِّتَّة . وحكى أبو داود السِّجسْتاني عن أبي عوانة أنه قال : كان إبراهيمُ وأخوهُ محمد خارجِيَّيْن(٢) . قال داود : ليس كما قال ، هذا رأيُ الزيديَّة . قلتُ : وقد حُكي عن جماعةٍ من العلماءِ والأئمة أنهم مالوا إلى ظهورِهما . وفي هذا نظر ، والله أعلم .

وفيها تُوفِّي من المشاهيرِ والأعيان :

الأجلحُ بن عبدِ الله .

وإسماعيلُ بنُ أبي خالد ـ في قول ـ

وحبيب بن الشهيد .

وعبد الملك بن أبي سليمان .

وعمرو مولى عَفْرة .

---

(١) ترجمته في الثقات لابن حبان (٩/ ٤٠) ، تهذيب الكمال (٢٥/ ٦٤٥) ، المغني في الضعفاء (٢/ ٥٩٦) ، الكاشف (٢/ ١٨٥) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٤٥٢) ، لسان الميزان (٧/ ٣٦٣) ، تقريب التهذيب ص(٤٨٧) .

(٢) في (ق) : « خارجين » ، وفي (ب ، ح) : « خارجيان » .

ويحيى بن الحارث الذِّمَاري .

ويحيى بن سعيد أبو حيَّان التيميّ .

ورؤبة بن العَجَّاج[١] : والعجَّاج لقَب ، واسمهُ أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة ، أبو محمد التميمي البصري الراجز ابن الراجز ، ولكلٍّ منهما ديوانُ رَجَز ؛ وكلٌّ منهما بارعٌ في فَنِّهِ لا يُجارى ولا يُمارى ، عالمٌ باللغة .

وعبدُ الله بن المقفَّع[٢] : الكاتبُ المفوَّه ، أسلم على يدِ عيسى بنِ عليّ ، عَمِّ السفَّاحِ والمنصور ، وكتبَ له ، وله رسائلُ وألفاظٌ صحيحة ، وكان مُتَّهماً بالزَّنْدَقة ، وهو الذي صنَّف كتابَ « كليلة ودِمْنَة » ؛ ويُقال : بل هو الذي عرَّبها من الفارسيَّة إلى العربية ، قال المهدي : ما وُجدَ كتابُ زَنْدقةٍ إلاَّ وأصلُه من ابنِ المقفع . وقال الجاحظ : الزنادقةُ ثلاثة ؛ ابن المقفَّع ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد . قالوا : ونَسِيَ الجاحظُ نفسَهُ ، وهو رابعُهم . وكان مع هذا فاضِلاً بارعاً فَصِيحاً . قال الأصمعي : قيل لابنِ المقفَّع : منْ أدَّبك ؟ قال : نفسي ؛ إذا رأيتُ منْ غيري قَبيحاً أبيتُه ، وإذا رأيتُ حسناً أتَيْتُه .

ومن كلامه : شربتُ من الخُطَب رِيّاً ، ولم أضبِطْ لها رَوِيّاً ، فغاضَتْ ثم فاضَتْ ، فلا هي نِظَاماً وليس غيرها كلاماً .

وكان قتلُ ابنِ المقفَّع على يدِ سفيان بن معاوية بن يزيدَ بنِ المهلَّبِ بنِ أبي صُفْرَة ، نائبِ البصرة ، وذلك أنه كان يعبثُ به ويسبُّ أُمَّه ، وإنما كان يسمِّيه ابنَ المغتلمة ، وكان كبيرَ الأنف ، وكان إذا دخل عليه يقول : السلامُ عليكما على سبيلِ التهكُّم . وقال لسفيانَ بنِ معاوية مرَّةً : ما نَدمتُ على سكوتٍ قطّ . فقال : صدقتَ ، الخرَسُ لك خيرٌ من كلامِك . ثم اتفق أنَّ المنصورَ غَضِبَ على ابنِ المقفَّع ، فكتب إلى نائبِهِ سفيانَ بنِ معاويةَ هذا أنْ يقتُلَه ؛ فأخذهُ فأحْمَى له تَنُّوراً ، وجعل يُقطِّعُهُ إرْباً إرْباً ، ويُلقيهِ في ذلك التنُّور حتى حَرَقه كلَّه ، وهو ينظر إلى أطرافِهِ كيف تُقطَّع ثم تُحرق . وقيل غيرُ ذلك في صِفَةِ قتلِه .

قال ابنُ خلِّكان : ومنهم منْ يقول : إنَّ ابن المقفَّع نُسب إلى بيعِ القفاع ، وهي من الجريد كالزَّنْبيل بلا آذان[٣] . والصحيح أنه ابنُ المقفع وهو أبو داذويه ، كان الحجاج قد استعمله على الخراج فخانَ ، فعاقَبَهُ حتى تقفَّعَتْ يداه ، والله أعلم .

---

(١) ترجمته في طبقات فحول الشعراء (٢/ ٧٣٨ و٧٦١) ، التاريخ الكبير (٣/ ٣٤٠) ، الجرح والتعديل (٣/ ٥٢١) ، والأغاني (٢٠/ ٣٥٩) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ١٤٣) ، الأسماء المفردة ص(١٣٦) .

(٢) ترجمته في وفيات الأعيان (٢/ ١٥١)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٨)، لسان الميزان (٣/ ٣٦٦)، الفهرست ص(١٧٢).

(٣) جاء في لسان العرب (قفع) ما نصه : والقَفَعةُ : جماعةُ الجرادِ . وفي حديث عمر : أنه ذكر عنده الجراد فقال : لَيْتَ عندنا منه قَفْعةً أو قَفْعَتَيْن ؛ القَفْعة : هو هذا الشبيه بالزَّبِيل ، وقال الأزهري : هو شيء كالقفة يتخذ واسعَ =

وفيها خرج التُّرك والخَزَر ببابِ الأبواب ، فقتلوا من المسلمين بأرمينيةَ جماعةً كثيرة ، وحجَّ بالناس في هذه السنةِ [السريُّ بن عبد الله بن الحارث بن عباس بن عبد المطلب نائب مكة ، وكان] نائب المدينة عبدُ الله بن الربيع الحارثي ، وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سلم بن قُتيبة ، وعلى مصر يزيدُ بن حاتم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومئة

فيها تكامل بناءُ مدينةِ السلام بغداد ، وسكنها المنصور في صفر من هذهِ السنة ، وكان مقيماً قبلَ ذلك بالهاشميَّة المتاخمةِ للكوفة ، وكان قد شَرَعَ في بنائِها في السنةِ الخارجة ، وقيل في سنةِ أربع وأربعين ومئة . فالله أعلم .

وقد كان السبَبُ الباعثُ له على بنائها أنَّ الرَّاوَنْديَّة لمَّا وثبوا عليهِ بالكوفة ، ووقاهُ الله شرَّهم ، بقيَتْ منهم بقيَّة ، فخَشِيَ على جُنده ، فخرج من الكوفةِ يَرْتادُ لهم موضعاً لبناء مدينة ؛ فسار في الأرض حتى بلَغَ الجزيرة ، فلم يرَ موضعاً أحسنَ لوضعِ المدينةِ من موضعِ بغدادَ الذي هي فيه الآن ؛ وذلك بأنَّهُ موضعٌ يُغدَى إليه ويُرَاحُ بخيراتِ ما حَوْلهُ في البرِّ والبحر ، وهو مُحَصَّنٌ بدِجْلَةَ والفُرات ، من هاهنا وهاهنا ، لا يقدِرُ أحدٌ أنْ يتواصل إلى موضعِ الخليفةِ إلاَّ على جِسْر ؛ وقد بات به المنصورُ قبلَ بنائِه ليالي ، فرأى الرياحَ تَهُبُّ بهِ ليلاً ونهاراً [من غير انجعارٍ ولا غُبَار][(١)] ؛ ورأى طيبَ تلك البُقعة ، وطيبَ هوائها ، وقد كان في موضعِها قُرًى وديورٌ لِعُبَّادِ النَّصَارى وغيرِهم . ذكر ذلك مفصَّلاً بأسمائه وتَعْدادِه أبو جعفر بنُ جَرير[(٢)] ؛ فحينئذ أمر المنصور باختطاطِها ، فرسموها له بالرَّماد ، فمشى في طُرقِها ومسالِكها ، فأعجبه ذلك ، ثم سلَّم كلَّ رُبع منها لأميرٍ يقومُ على بنائه ، وأحضر من كلِّ البلادِ فُعَّالاً[(٣)] وصُنَّاعاً ومهندسين ، فاجتمع عنده أُلوفٌ منهم ، ثم كان هو أوَّلَ منْ وضع لَبنةً فيها بيدِه ، وقال : بسم الله والحمدُ لله ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] . ثم قال : ابنوا على بَرَكةِ الله . وأمر ببنائها مُدَوَّرَةً ، سَمْكُ سورِها من أسفلِهِ خمسون ذراعاً ، ومن أعلاه عشرون ذراعاً ،

= الأسفل ضَيِّقَ الأعلى ، حَشْوُها مكانَ الحَلْفَاءِ عَراجينُ تُدَقُّ ، وظاهرها خُوص على عمَلِ سلالِ الخوص . وفي المحكم : القَفْعةُ هنةٌ تُتَّخذُ من خوص تشبه الزَّبيلَ ليس بالكبير ، لا عُرى لها ، يُجْنى فيها الثمر ونحوه وتسمى بالعِراق القُفَّة . وقال ابن الأعرابي : القَفْع القِفافُ ، واحدتُها قَفْعةٌ . وقال محمد بن يحيى : القَفْعة الجُلّة بلغة اليمن يحمل فيها القطن .

(١) ما بين معقوفين انفردت فيه (ق) .

(٢) في تاريخه (٤/٤٧٨) .

(٣) في (ب ، ح) : « فعولا » ، والمثبت من (ق) .

وجعل لها ثمانيةَ أبوابٍ في السور البرَّاني ، ومثلها في الجُوَّاني ، وليس كلُّ واحدٍ تجاهَ الآخر ، ولكنْ جعله أزْوَرَ عن الذي يليه ، ولهذا سُمِّيت بغدادُ الزَّوْراء لازوِرَارِ أبوابِها بعضِها عن بعض ؛ وقيل : سُمِّيتْ بذلك لانحراف دِجْلَةَ عندها .

وبَنَى قصرَ الإمارةِ في وسط البلد ، ليكون الناس منه على حدٍّ سواء ، واختطَّ المسجدَ الجامع إلى جانبِ القَصْر ، وكان الذي وضع قبلتَهُ الحجَّاجُ بن أرطاة .

وقال ابنُ جرير[١] : ويقال : إنَّ في قِبْلَتِه انحرافاً يحتاجُ المصلِّي فيه أن ينحرفَ إلى ناحيةِ بابِ البصرة ، وذكر أنَّ مسجدَ الرُّصافة أقربُ إلى الصوابِ منه لأنَّه بُني قبلَ القصر ، وجامعُ المدينة بُني على القصر ، فاختلَّتْ [قِبلته] بسببِ ذلك .

وذكر ابنُ جرير[٢] عن سليمان بن مُجالد أنَّ المنصور أراد أبا حنيفةَ النعمانَ بن ثابت على القضاء بها ، فأبَى وامتنع ؛ فحَلَفَ المنصورُ أن يتولَّى له ، وحلف أبو حنيفةَ أنْ لا يتولَّى له ؛ فولَّاهُ القيامَ بأمرِ المدينةِ وضَرْبِ اللَّبِن ، وأخذ الرجالُ بالعمل ، وكان أبو حنيفة المتولِّي لذلكَ حتى فرغوا من استتمامِ حائطِ المدينةِ ممايلي الخندق . وكان استتمامُهُ في سنةِ أربعٍ وأربعين ومئة .

قال ابنُ جرير[٣] : وذُكر عن الهيثم بن عديّ ، أنَّ المنصورَ عَرَض على أبي حنيفةَ القضاءَ والمظالِمَ فامتنع ، فحَلَف أنْ لا يُقلعَ عنهُ حتى يعمَلَ له ، فأُخبرَ بذلك أبو حنيفة ، فدعا بقَصَبةٍ فعَدَّ اللَّبِنَ لِيَبَرَّ بذلك يمينَ أبي جعفر . ومات أبو حنيفة ببغداد بعد ذلك .

وذكر[٤] أنَّ خالدَ بنَ بَرْمَك هو الذي أشار على المنصورِ ببنائها ، وأنه كان مستحثاً فيها للصُّنَّاع ، وقد شاور المنصورُ الأمراءَ في نقل القصر الأبيض من المدائن إلى بغداد ، لأجل قصرِ الإمارة بها ، فقالوا : لا تفعلْ فإنَّهُ آيةٌ في العالَم ، وفيه مُصَلَّى أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب . فخالفَهُمْ ونقلَ منه شيئاً كثيراً ، فلم يفِ ما تحصَّلَ منه بأجرةِ ما يُصرَف في حَمْلِه ؛ فتركه ونقَلَ أبوابَ قصرِ واسطَ إلى أبوابِ قصرِ الإمارةِ ببغداد . وقد كان الحجَّاجُ نَقَلَ حجارتَهُ من مدينةٍ هناك كانتْ من بناء سليمانَ بنِ داود ؛ وكانتِ الجنُّ قد عملَتْ تلكَ الأبواب ، وهي حجارةٌ هائلة ، وقد كانت الأسواقُ وضَجيجُها تُسمع من قصرِ الإمارة ، فكانتْ أصواتُ الباعةِ وهَوسناتُ الأسواق تُسمع منه ؛ فعاب ذلك بعضُ بطارقةِ النصارَى ممَّنْ قدِمَ في بعض الرسائلِ من الرُّوم ، فأمر المنصورُ بنقلِ الأسواقِ من هناك إلى موضعٍ آخر ، وأمر بتوسعةِ الطُّرقاتِ أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً ؛ ومنْ بَنَى في شيءٍ من ذلك هُدم .

---

(١) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٤٧٩) .
(٢) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٤٥٩) .
(٣) في تاريخه (٤/ ٤٦٠) .
(٤) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٤٧٨) .

قال ابنُ جرير[١] : وذُكر عن عيسى بن المنصور أنه قال : وجدتُ في خزائنِ المنصورِ في الكتب أنَّه أنفق على بناءِ مدينةِ السلام ومسجدِها الجامع وقصرِ الذهب بها والأسواقِ والفصلان والخنادق وقبابها أربعةَ آلاف [ألف] وثمان مئة وثلاثة وثمانين ألف درهم ؛ وكان أجرةُ الأستاذ من البنَّائين كلَّ يوم قيراط فِضَّة ، وأُجرة الصانع من الحَبَّتَيْنِ إلى الثلاثة .

قال الخطيب البغدادي[٢] : وقد رأيتُ ذلك في بعض الكتب . وحكى عن بعضِهم أنه قال : أنفق عليه ثمانيةَ عشرَ ألف ألف . فالله أعلم .

وذكر ابنُ جرير[٣] أنَّ المنصورَ ناقَصَ أحدَ المهندسين الذي بنى بيتاً حسناً في قصرِ الإمارة ، فَنَقَصَهُ درهماً عمَّا ساوَمَهُ ، وأنَّهُ حاسَبَ بعضَ المستحِثِّين على الذي كان عندَه ، ففَضَلَ عندَهُ خمسة عشر درهماً ، فحبَسَهُ حتى جاء بِها وأحضرها ، وكان شحيحاً .

قال الخطيب[٤] : وبناها مُدَوَّرة ، ولا يُعرف في أقطارِ الأرض مدينةٌ مدوَّرةٌ سواها ؛ ووضع أساسَها في وقتٍ اختارَهُ له نُوبَخْت المنجِّم . ثم ذكرَ عن بعضِ المنجِّمين قال : قال لي المنصور لَمَّا فَرَغ من بناءِ بغداد : خُذِ الطالِعَ لها . فنظرتُ في طالِعِها ، وكان المشتري في القَوْس ، فأخبرتُهُ بما تدلُّ عليه النجومُ من طولِ زمانِها ، وكثرةِ عِمارتِها ، وانصبابِ الدنيا إليها ، وفقرِ الناسِ إلى ما فيها . قال : ثم قلت له : وأُبَشِّرُكَ يا أمير المؤمنين ، أنه لا يموتُ فيها أحدٌ من الخلفاءِ أبداً . قال : فرأيتُهُ يتبَسَّم ، ثم قال : الحمدُ لله ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١ والجمعة : ٤] . وذكر عن بعض الشعراء أنه قال في ذلك شعراً ، منه :

قَضَى رَبُّها أنْ لا يموتَ خليفةٌ   بها إنَّهُ ما شاء في خلقِهِ يَقْضِي[٥]

وقد قرَّرَهُ على هذا الخطأ الخطيب وسلَّم ذلك ولم ينقُضْهُ بشيء ، بل قرَّرَهُ مع اطِّلاعِهِ ومعرفتِه[٦] .

قال[٧] : وزعم بعضُ الناس أنَّ الأمين قُتل بدَرْبِ الأنبار منها . فذكرتُ ذلك للقاضي أبي القاسم

---

(١) في تاريخه (٤/ ٤٨١) .
(٢) في تاريخ بغداد (١/ ٦٩) .
(٣) في تاريخه (٤/ ٤٨١) .
(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٦٧) .
(٥) أورد الخطيب في تاريخه (١/ ٦٨) عدة أبيات نسبها إلى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطَفَى ، ثم قال : بعد روايتها : وقد رويت هذه الأبيات لمنصور النمري . والله أعلم .
(٦) انظر تاريخ بغداد (١/ ٦٨) .
(٧) يعني الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٦٨) .

علي بن حسن التنوخي فقال : محمد الأمين لم يُقتل بالمدينة ، إنما قد نزل في سفينةٍ إلى دِجلة ليَتنزَّه ، فقُبِض عليه في وسط دجلة وقُتل هناك . وذكر ذلك الصُّولي وغيرُه .

وذكر عن بعضِ مشايخِ بغداد ، أنه قال : اتساعُ بغدادَ مئةٌ وثلاثون جَريباً ، وذلك بقَدْرِ ميلَيْن في مَيلَيْن .

قال الإمام أحمد[١] : بغداد من الصَّراة إلى باب التبن .

وذكر الخطيب[٢] أنَّ بين كلِّ بابَيْنِ من أبوابِها الثمانية ميلاً . وقيل أقلّ من ذلك .

وذكر الخطيب[٣] صفةَ قصرِ الإمارة ، وأنَّ فيه القبَّةَ الخضراء ، طولُها ثمانون ذراعاً ، على رأسِها تمثالُ فَرَسٍ عليه فارسٌ في يَدِهِ رُمْحٌ يدورُ به ، فأيُّ جهةٍ استقبلها واستمرَّ مستقبلَها عَلِمَ السلطانُ أنَّ في تلك الجهةِ قد وقع حدَث ، فلم يلبَثْ أنْ يأتيَ الخليفةَ خبرُه .

وهذه القبةُ وهي على مجلسٍ في صدرِ إيوانِ المحكمة ، وطولُه ثلاثون ذراعاً ، وعرضه عشرون ذراعاً وقد سقطَتْ هذه القبةُ في ليلة بردٍ ومطر ورعدٍ وبَرْق ، ليلةَ الثلاثاء لسبعٍ خلَوْنَ من شهرِ جُمَادَى الآخرة سنة تسعٍ وعشرين وثلاث مئة .

وذكر الخطيبُ البغدادي[٤] أنه كان يُباع في بغداد في أيام المنصور الكبش بدِرْهم ، والحَمَلَ بأربعةِ دوانِق ، ويُنادى على لحمِ الغنم كلّ ستينَ رطلاً بدرهم ، ولحم البقر كل تسعين رطلاً بدرهم ، والتمر كل ستين رطلاً بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم ، والسمن ثمانية أرطال بدرهم ، والعسل عشرة أرطالٍ بدرهم ، ولهذا الأمن والرُّخص كَثُرَ ساكنوها ، وعَظُمَ أهلوها ، وكَثُرَ الدارجُ في أسواقِها وأزِقَّتها ، حتى كان المارُّ لا يستطيعُ أنْ يجتازَ في أسواقِها لكثرةِ زِحامِ أهلِها .

قال بعضُ الأمراءِ وقد رجَعَ من السُّوق : طالَ واللهِ ما طرَدْتُ خلفَ الأرانب في هذا المكان .

وذكر الخطيب[٥] أن المنصور جلس يوماً في قصرِه ، فسمع ضجَّة عظيمة ، ثم أخرى ، ثم أخرى ، فقال للربيع الحاجب : ما هذا ؟ فكشف فإذا بقرةٌ نفرَتْ من جازِرِها هاربةً في الأسواق . فقال الرومي : يا أمير المؤمنين ، إنك بنَيْتَ بناءً لم يبنِهِ أحدٌ قبلَك ، وفيه ثلاثةُ عيوب : بُعدُهُ من الماء ، وقُرْبُ الأسواقِ منه ، وليس عندَه خُضْرة ، والعينُ خضراء تُحبُّ الخُضرة . فلم يرفَعْ بِها المنصورُ رأساً . ثم أمَرَ بتغييرِ

---

(١) تاريخ بغداد : (١/ ٧٠ ، ٧١) .
(٢) في تاريخ بغداد (١/ ٧١) .
(٣) في تاريخ بغداد (١/ ٧٣) .
(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٧٠) .
(٥) في تاريخ بغداد (١/ ٧٨) .

ذلك ، ثم بعدَ ذلك ساق إليها الماء ، وبَنَى عندَها البساتين ، وحوَّلَ الأسواقَ من ثمَّ إلى الكَرْخ .

قال يعقوبُ بن سفيان : كمَلَ بناءُ بغداد في سنةِ ستٍّ وأربعين ومئة ، وفي سنة سبعٍ وخمسين حوَّل الأسواقَ إلى بابِ الكَرْخ وباب الشعير وباب المحوَّل ، وأمر بتَوْسعةِ الأسواق أربعين ألفاً[١] . وبعد شهرين من ذلك شرَعَ في بناءِ قصره المسمَّى بالخُلد ، فكمَلَ سنةَ ثمانٍ وخمسين ومئة ، وجعَلَ أمرَ ذلك إلى رجلٍ يُقال له الوضَّاح . وبنى للعامَّةِ جامعاً للصلاةِ والجُمعة لئلا يدخلوا إلى جامعِ المنصور . فأمَّا دارُ الخلافة التي كانتْ ببغداد بعدَ ذلك فإنَّها كانتْ للحسن بن سهل ، فانتقلَتْ من بعدِهِ إلى بُوران زوجةِ المأمون ، فطَلَبها منها المعتضد ـ وقيل المعتمد ـ فأنعمَتْ له بِها ، ثم استنظرَتْهُ أياماً حتى تنتقلَ منها ؛ فأنظَرَها ، فشرَعَتْ في تلك الأيَّام في ترميمِها وتبييضِها وتحسينِها ، ثم فرشَتْها بأنواعِ الفُرش والبُسط ، وعلَّقَتْ فيها أنواعَ الستور ، وأرصدَتْ فيها ما ينبغي للخلافةِ من الجواري والخدم ، وألبسَتْهم أنواعَ الملابس ، وجعلَتْ في الخزائنِ ما ينبغي من أنواعِ الأطعمةِ والمآكل ، وجعلتْ في بعض بيوتِها من أنواعِ الأموال والذخائر ، ثم أرسلَتْ بمفاتيحِها إليه . ثم دخلَها فوجَدَ فيها ما أرصدَتْه بها ، فهالَهُ ذلك واستعظمَه ؛ وكان أولَ خليفةٍ سكنها ، وبنى عليها سوراً . ذكرَهُ الخطيب .

وأما التاج فبناه المكتفي على دِجْلة ، وحَوْلَهُ القِبَابُ والمجالس والميدان والثُّرَيَّا وحَيْرُ الوحوش[٢] . وذكر الخطيب صفةَ دارِ الشجرة التي كانت في زمنِ المقتدر بالله وما فيها من الفُرُشِ والسُّتور والخدمِ والمماليك والحشمةِ الباهرة ، والدنيا الظاهرة ، وأنها كان بها أحد عشر ألف طَوَاشي ، وسبع مئة حاجب . وأمَّا المماليك فألوفٌ لا يُحصونَ كثرةً . وسيأتي ذكرُ ذلك مفصّلاً في أيامِهم ودولتِهم التي ذهبَتْ كأنها أحلامُ نُوَّم بعدَ سنة ثلاث مئة .

وذكر الخطيب[٣] دار الملك التي بالْمُخَرِّم ، وذكر الجوامع التي تقام فيها الجمعات ، وذكر الأنهار والجُسور التي بها ، وما كان في ذلك في زمن المنصور ، وما أُحدث بعده إلى زمانه . وأنشد لبعض الشعراء في جسور بغداد التي على دِجْلَة :

يوم سرقنا العيشَ فيه خِلْسَةً ... في مجلسٍ بِفنَاءِ دِجلَةَ مُفْرَدِ
رَقَّ الهـواءُ بـرقَّـةٍ قـدَّامـهُ ... فغدوتُ رقّاً للزمانِ الْمُسْعَدِ
فكـأنَّ دِجلـةَ طيلسـانٌ أبيـضٌ ... والجسرُ فيها كالطِّرازِ الأسودِ

---

(١) في بعض النسخ : ذراعاً .
(٢) الحَيْر : الحظيرة . لسان العرب (حير) .
(٣) في تاريخ بغداد (١/ ١٠٥ ـ ١١٧) .

وقال آخر :

أيا حبَّذا جسرٌ على مَتْنِ دِجْلةٍ ... بـإتقـانِ تـأسيـسٍ وحُسْـنٍ ورَوْنَـقِ
جَمـالٌ وحسـنٌ للعـراقِ ونُـزْهـةٌ ... وسَلـوةُ مـنْ أضنـاهُ فَـرْطُ التشـوُّقِ
تــراهُ إذا مــا جئتَــهُ متــأمِّــلاً ... كسطرِ عَبيرٍ خُطَّ في وَسْطِ مُهْرَقِ
أو العـاجِ فيـه الآبَنُـوسُ مُـرَقَّـشٌ ... مثــالُ فيــولٍ تحتَهــا أرضُ زئبــقِ

وذكر الصولي قال[١] : ذكر أحمدُ بن أبي طاهر في كتاب بغداد أنَّ ذراعَ بغدادَ من الجانبين ثلاثةٌ وخمسون ألف جَريب ، وسبعمئة وخمسون جريباً ، وأنَّ الجانبَ الشرقيَّ ستةٌ وعشرون ألف جَريب وسبعُمئةٍ وخمسون جَريباً ، وأنَّ عدَّةَ حَمَّاماتِها ستون ألفَ حَمَّام ؛ وأقلُّ ما في كلِّ حَمَّام منها خمسةُ نفر : حَمَّامي ، وقَيِّم ، وزَبَّال ، ووَقَّاد ، وسَقَّاء ؛ وأنَّ بإزاءِ كلِّ حَمَّام خمسةُ مساجد ؛ فذلك ثلاث مئةِ ألفِ مسجد ، وأقلُّ ما يكون في كلِّ مسجدٍ خمسةُ نفر : يعني إماماً وقيِّماً ومأذوناً ومأمومين . ثم تناقصَتْ بعدَ ذلك ، ثم دُثِرَتْ بعدَ ذلك حتى صارتْ كأنَّها خَربةٌ صورةً ومعنًى ، على ما سيأتي بيانُه في موضعِه .

وقال الحافظ أبو بكر البغدادي[٢] : لم يكن لبغداد نظيرٌ في الدنيا ، في جلالةِ قدرِها ، وفخامةِ أمرِها ، وكثرةِ علمائها وأعلامها ، وتَمَيُّزِ خواصِّها وعوامِّها ، وعظم أقطارِها وسعةِ أطرارِها ، وكثرةِ دُورِها ودُروبِها ومنازِلِها وشوارِعِها ومَحَالِّها وأسواقِها وسِكَكِها وأزِقَّتِها ومساجدِها وحماماتِها وخاناتِها ؛ وطيبِ هوائِها ، وعذوبةِ مائِها ، وبَرْدِ ظلالِها ، واعتدالِ صيفِها وشتائِها ، وصحَّةِ ربيعِها وخريفِها ، وأكثر ما كانتْ عمارةً وأهلاً في أيامِ الرَّشيد . ثم ذكرَ تناقُصَ أحوالِها وهلمَّ جَرّا إلى زمانِه .

قلتُ : وكذا من بعدِهِ إلى زمانِنا هذا ، ولاسيما في أيامِ هولاكو بن تولي بن جنكز خان التركي ، الذي وضع معالِمَها ، وقتلَ خليفَتها وعالِمَها ، وخرَّب دُورَها ، وهدَمَ قصورَها ، وأبادَ الخواصَّ والعوامَّ ، وأهلَكَ ما يقرب من ألفي ألف من أهلِها في ذلك العام ؛ وأخَذَ الأموالَ والحواصِل ، ونَهبَ الذَّراريَّ والأصائل ، وأورث بها حُزْناً يُعدَّدُ به في البُكَراتِ والأصائل ، وصيَّرها مُثْلَةً في الأقاليم ، وعِبْرَةً لكلِّ معتبرٍ عليم ، وتذكرةً لكلِّ ذي عقلٍ مستقيم ، وبُدِّلت بعدَ تلاوةِ القرآنِ بالنغماتِ والألحانِ وإنشادِ الأشعار ، وكان وكان ؛ وبعدَ سماعِ الأحاديث النبوية بدَرْسِ الفلسفةِ اليونانيَّة والمناهجِ الكلاميَّة ، والتأويلاتِ القِرْمطيَّةِ ، وبعد العلماء بالحكماء ، وبعد الخليفةِ العبَّاسيّ ، بشرِّ الوُلاةِ من الأناسيّ ، وبعد الرِّياسةِ والنباهَةِ ، بالخساسةِ والسَّفَاهة ، وبعد العُبَّاد بالأنكاد ، وبعدَ الطلبة المشتغلين بالظَّلَمة والعَيَّارين ، وبعد الاشتغال بفنون العلم من التفسير والفقه والحديث ، وتعبيرِ الرؤيا بالزَّجَل والموشح

(١) ذكر قول الصولي الخطيب في تاريخ بغداد (١/١١٧) .
(٢) في تاريخ بغداد (١/١١٩) .

ودوبيت ومواليا . وما أصابهم ذلك إلَّا ببعضِ ذنوبهم ؛ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] ، والتحوُّلُ منها في هذا الزمان لكثرةِ ما فيها من المنكرات الحِسِّيَّة والمعنوية ، وأكْلِ الحشيشة ، والانتقالِ عنها إلى بلادِ الشام الذي تكفَّلَ الله بأهلها أفضلُ وأكملُ وأجمَل . وقد روى الإمام أحمدُ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى يتحوَّلَ خيارُ أهلِ العراقِ إلى الشام ، وشرارُ أهلِ الشامِ إلى العراق »[١] .

ما ورد في مدينة بغداد من الآثار وما فيها من الأخبار

فيها أربعُ لغات : بغداد وبغداذ ـ بإهمال الدال الثانية وإعجامها ـ وبغدان ـ بالنون آخره ـ وبالميم مع ذلك أولاً : مَغْدان . وهي كلمةٌ أعجمية ؛ قيل : إنّها مركبةٌ من « بَغْ » و « داد » ، فقيل : بَغْ بستان ، وداد اسمُ رجل . وقيل : بَغْ اسمُ صَنَم ، وقيل : شيطان ، وداد عطيَّةُ الصنم ، ولهذا كَره عبدُ الله بنُ المبارك والأصمعي وغيرُهما تسميتَها بغداد ، وإنما يُقال لها مدينة السلام ؛ وكذا أسماها بانيها أبو جعفر المنصور ، لأنَّ دجلةَ كان يُقال لها وادي السلام ، ومنهم من يُسمِّيها الزَّوراء ؛ وهو لَقَبٌ لها .

فروى الخطيبُ البغدادي[٢] من طريقِ عمَّار بن سيف ـ وهو مُتَّهم ـ قال : سمعتُ عاصم الأحول يحدِّثُ عن سفيانَ الثوريّ ، عن أبي عثمان ، عن جريرِ بنِ عبد الله قال : قال رسولُ الله ﷺ : « تُبنى مدينةٌ بين دِجْلَة ودُجَيل وقُطْرُبُلَّ والصَّرَاة ، تُجْبَى إليها خزائنُ الأرض ، وملوكُها جبابرة ، فلَهيَ أسرعُ ذهاباً في الأرضِ من الوَتِدِ الحديدِ في الأرضِ الرِّخْوَة » .

قال الخطيب : وقد رواهُ عن عاصم الأحول سيف ابنُ أختِ سفيان الثوري ، وهو أخو عمار بن يوسف .

قلتُ : وكلاهما ضعيفٌ متَّهَم ، يُرمَى بالكذب ، ومحمد بن جابر اليمامي[٣] ضعيف ، وأبو شهاب الحنَّاط ضعيف .

وروى عن سفيان الثوري عن عاصم ، من طُرق ، ثم أسند ذلك كلَّه .

وأورد من طريق يحيى بن معين ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عمار بن سيف ، عن الثوري ، عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن جرير ، عن النبيِّ ﷺ ، فذكره .

قال أحمد ويحيى : ليس لهذا الحديث أصل . وقال أحمد : ما حدَّث به إنسانٌ ثقة .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٩) من حديث أبي أمامة ، وإسناده ضعيف .

(٢) في تاريخ بغداد (١/ ٢٨) .

(٣) في (ح ، ب) : « اليماني » والمثبت من (ب) والتاريخ الكبير (١/ ٥٣) ، والتاريخ الصغير (٢/ ١٨٨) ، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢٣٨) ، وتقريب التهذيب ص (٤٧١) .

وقد عَلَّلَه الخطيبُ من جميعِ طُرقه[١] ، وساقه أيضاً من طريقِ عمَّار بن سيف ، عن الثوري ، عن أبي عُبيدةَ حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ؛ ولا يَصِحُّ أيضاً . ومن طريقِ عمر بن يحيى ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن رِبْعِيّ ، عن حُذيفة مرفوعاً بنحوِهِ ولا يَصِحّ . ومن غيرِ وَجْهٍ عن علي بنِ أبي طالب ، وابنِ مسعود ، وثَوْبان ، وابنِ عباس ، وفي بعضها ذكرَ السفياني ، وأنَّه يُخرِّبُها .

ولا يَصِحُّ إسنادُ شيءٍ من هذه الأحاديث ، وقد أوردها الخطيبُ بأسانيدِها وألفاظِها ؛ وفي كلٍّ منها نَكَارَة ؛ وأقربُ ما فيها عن كعبِ الأحبار ، وقد جاء في آثارٍ عن كتبٍ متقدِّمة أنَّ بانيها يُقال له مِقْلاص ، وذو الدَّوَانيق . وقد كان المنصور يُلقَّب بمِقلاص في صِغَرِه ، ولما وُلِّي لُقِّب بذي الدَّوانيق لِبُخْلِهِ .

فصل
محاسن بغداد ومساوئها وما روي في ذلك عن الأئمة

قال يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفي : قال لي الشافعي : هل رأيتَ بغداد ؟ قلت : لا . فقال : ما رأيتَ الدنيا . وقال الشافعي : ما دخلتُ بلداً قطُّ إلاَّ عدَدْتُهُ سفراً إلاَّ بغداد ، فإنِّي حين دخلتُها عدَدْتها وطناً[٢] .

وقال بعضُهم : الدنيا بادية ، وبغدادُ حاضِرَتُها .

وقال ابنُ عُلَيَّة : ما رأيتُ أعقلَ في طلَبِ الحديث من أهلِ بغداد ، ولا أحسَنَ دَعةً منهم .

وقال ابنُ مجاهد : رأيتُ أبا عمرو بنَ العلاء في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : دَعْني من هذا ، من أقامَ ببغدادَ على السُّنَّةِ والجماعة ومات ، نُقل من الجنَّةِ إلى الجنَّة[٣] .

وقال أبو بكر بن عياش : الإسلامُ ببغداد ، وإنَّها لَصَيَّاد ، تَصيدُ الرجال ، ومن لم يرَها لم يرَ الدنيا .

وقال أبو معاوية : بغدادُ دارُ الدنيا والآخرة .

وقال بعضُهم : من محاسنِ الإسلام يومُ الجمعةِ ببغداد ، وصلاةُ يومِ الجمعة ببغداد ، وصلاةُ التراويح بمكة ، ويومُ العيد بطرَسُوس .

قال الخطيب[٤] : منْ شهد يومَ الجُمعة بمدينةِ السلام عَظَّمَ الله في قلبه محلَّ الإسلام ، لأنَّ مشايخَنا كانوا يقولون : يوم الجمعة ببغداد كيومِ العيدِ في غيرِها من البلاد .

---

(١) انظر تاريخ بغداد (١/ ٣٣ ، ٣٤) .
(٢) في تاريخ بغداد (١/ ٤٦) .
(٣) في تاريخ بغداد (١/ ٤٦) .
(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٤٧) .

وقال بعضُهم : كنتُ أواظِبُ على الجمعةِ بجامعِ المنصور ، فعرَضَ لي شُغل ، فصلَّيتُ في غيره ، فرأيتُ في المنام كأنَّ قائلاً يقول : تركتَ الصلاةَ في جامع المدينة ، وإنه ليصلي فيه كلَّ جمعةٍ سبعون ولياً ! .

وقال آخر : أردتُ الانتقالَ من بغداد ، فرأيتُ كأنَّ قائلاً يقولُ في المنام : أتنتقلُ من بلدٍ فيه عشرةُ آلافِ وليٍّ للهِ عزَّ وجلَّ ؟

وقال بعضُهم : رأيتُ كأنَّ ملَكَيْنِ أتيا بغداد ، فقال أحدُهما لصاحبِه : اقلِبْ بها ، فقد حقَّ القولُ عليها . فقال الآخر : كيف أقلِبُ ببلدٍ يُختمُ فيها القرآن كلَّ ليلةٍ خمسةَ آلافِ ختمة(١) ؟ .

وقال أبو مُسهر عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى قال : إذا كان علمُ الرجلِ حجازيّاً ، وخُلُقه عِراقيّاً ، وصلاتُه شاميَّةً فقد كمَل(٢) .

وقالت زُبيدة لمنصور النَّمَريّ : قُلْ شعراً تُحبِّبُ فيه بغدادَ إليّ ، فقد أختارُ عليها الرافقة . فقال :

ماذا ببغدادَ منْ طيبِ الأفانينِ ومنْ مَنَازلَ(٣) للدنيا وللدِّينِ
تُحْيي الرياحُ بها المَرْضَى إذا نَسَمَتْ وجَوَّسَتْ بين أغصانِ الرياحينِ

قال فأعطَتْهُ ألفَيْ دينار(٤) .

وقال الخطيب(٥) : وقرأتُ في كتابِ طاهر بن مظفَّر بن طاهر الخازن بِخَطِّه من شعره :

سقى الله صَوْبَ الغادياتِ مَحلَّةً ببغدادَ بين الكَرْخِ فالخُلْدِ فالجسرِ
هي البلدةُ الحسناءُ خُصَّتْ لأهلِها بأشياءَ لم يُجْمَعْنَ مُذْ كنَّ في مِصْرِ
هواءٌ رقيقٌ في اعتدالٍ وصِحَّةٍ وماءٌ له طَعْمٌ ألذُّ من الخَمْرِ
ودِجْلَتُها شَطَّانِ قد نُظِما لنا بتاجٍ إلى تاجٍ وقصرٍ إلى قصرِ
تراها كمِسْكٍ والمياهُ كفِضَّةٍ وحَصْبَاؤها مِثْلُ اليواقيتِ والدُّرِّ

وقد أورد الخطيبُ في هذا أشعاراً كثيرةً ، وفيما ذكرْنا كفاية .

وقد كان الفراغُ من بناءِ بغدادَ في هذه السنة ـ أعني سنةَ ستٍّ وأربعين ومئة . وقيل : في سنة ثمانٍ

---

(١) في تاريخ بغداد (١/ ٤٨) .
(٢) في تاريخ بغداد (١/ ٥٠) .
(٣) في (ق) ، وتاريخ بغداد : « منازه » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٥٢) .
(٥) في تاريخ بغداد (١/ ٥٢ ، ٥٣) .

وأربعين . وقيل : إنَّ خندقَها وسُورَها كملا في سنةِ سبعٍ وأربعين ، ولم يزَلِ المنصور يَزيدُ فيها ويتأنَّقُ في بنائها ، حتى كان آخرَ ما بنى فيها قصر الخُلْد ؛ فظنَّ أنه يَخلُدُ فيها ، أو أنّها تخلُد فلا تَخْرَب ؛ فعندَ كمالِهِ مات . وقد خَرِبَتْ بغدادُ مرَّاتٍ كما سيأتي بيانُه .

قال ابنُ جرير(١) : وفي هذه السنة عزل المنصورُ سَلْمَ بنَ قُتيبة عن البصرة ؛ وولَّى عليها محمدَ بنَ سليمانَ بن علي ، وذلك لأنَّه كتب إلى سَلْمٍ يأمرُه بِهَدْمِ بيوت الذين بايعوا إبراهيمَ بنَ عبد الله بن حسن ؛ فتوانَى في ذلك ، فعزلَهُ وبعَثَ ابنَ عمِّه محمد بن سليمان ، فعاث بِها فساداً ، وهدم دوراً كثيرةً ، وعزل عبدَ الله بن الرَّبيع عن إمرةِ المدينة ، وولَّى عليها جعفرَ بن سليمان ؛ وعزل عن مكةَ السريَّ بنَ عبدِ الله ، وولَّى عليها عبدَ الصمد بن علي .

قال(٢) : وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي ، قالَهُ الواقدي وغيرُه .

قال(٣) : وفيها غزا الصائفةَ من بلاد الروم جعفرُ بن حنظلةَ البهراني .

وفيها تُوفي من الأعيان :

أشعثُ بن عبد الملك .

وهشام السائب الكلبي .

وهشام بن عروة .

ويزيد بن أبي عُبيد ـ في قولٍ .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومئة

فيها أغار اشترخان الخُوَارزْمي في جيشٍ من الأتراك على ناحيةِ أرْمِينيَة ، فدخلوا تَفْلِيس ، وقتلوا خلقاً كثيراً ، وأسروا كثيراً من المسلمينَ وأهلِ الذِّمَّة ، ومِمَّنْ قُتل يومئذٍ حَرْبُ بن عبدِ الله الراوَنْديّ ، الذي تُنسبُ إليه الحَرْبيَّةُ ببغداد ، وكان مقيماً بالمَوْصِل في ألفين لمقاتلةِ الخوارج ، فسيَّرَهُ المنصورُ لمساعدةِ المسلمينَ ببلاد أرمينية ، وكان في جيشِ جبريلَ بنِ يحيى ، فهُزم جبريلُ وقُتل حربٌ رحمه الله .

وفي هذه السنة كان مَهْلِكُ عبدِ الله بن عليٍّ عمِّ المنصور ، وهو الذي أَخَذَ الشامَ من أيدي بني أُمية ،

---

(١) في تاريخه تاريخ الطبري (٤/ ٤٨١) .

(٢) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٤٨١ ، ٤٨٢) .

(٣) المصدر السابق .

وكان عليها والياً حتى ماتَ السفَّاح ، فلما مات دعا إلى نفسِه فبعث إليه المنصورُ أبا مسلم الخُراساني فهزَمَهُ أبو مسلم ، وهرب عبدُ الله إلى عندِ أخيه سليمانَ بنِ عليٍّ والي البصرة ، فاختفَى عندَه مُدَّةً ، ثم ظهر المنصورُ على أمرِه فاستدعى به وسجَنَه ؛ فلما كان في هذه السنة عزم المنصورُ على الحجّ ، فطلب ابن أخيه عيسى بن موسى ـ وكان وليَّ العَهْدِ من بعدِ المنصور عن وصيَّةِ السفَّاح ـ وسلَّمَ إليه عمَّه عبدَ الله بن علي وقال له : إنَّ هذا عدوِّي وعدوُّك فاقتُلْهُ في غيبتي عنكَ ولا تتَوَانَى . وسار المنصورُ إلى الحجّ ، وجعل يكتبُ إليه من الطريق يستحثُّه في ذلك ويقولُ له : ماذا صنعتَ فيما أوعزتُ إليك فيه ؟ مرَّةً بعدَ مرَّة .

وأما عيسى بن موسى فإنَّه لمَّا تسلَّم عَمه حارَ في أمرِه وشاوَرَ بعضَ أهلِه ؛ فأشار بعضُهم ممن له رأيٌ أنَّ المصلحةَ تقتضي أنْ لا تقتُله وأبقِه عندَك ، وأظهِرْ قتلَه ، فإنَّا نخشَى أنْ يطالِبَكَ به جَهْرةً فتقول قتلتُه ، فيأمرُ بالقَوَد ، فتدَّعي أنه أمَرَك بقتلِهِ بالسِّرِّ بينك وبينه ، فتعجز عن إثبات ذلك ، فيقتُلَكَ به ، وإنما يريدُ المنصورُ قتلَهُ وقتلَكَ ليستريحَ منكما معاً . فتغيَّرَ عيسى بنُ موسى عند ذلك ، وأخفَى عمَّه ، وأظهر أنه قتَله . فلما رجَعَ المنصورُ من الحجّ أمَرَ أهله أنْ يدخلوا عليه ويشفَعُوا في عَمِّ عبدِ الله بن علي ، فجاؤوا كلُّهم ، فدخلوا عليه ، وشفعوا في عبد الله بن علي ، وألحُّوا في ذلك ، فأجابَهم إلى ذلك ، واستدعى عيسى بن موسى وقال له : إنَّ هؤلاءِ شفعوا في عبدِ الله بن علي وقد أجبتُهم إلى ذلك ، فسلِّمْهُ إليهم . فقال عيسى : وأين عبدُ الله ذاك قتلتُهُ منذُ أمرتَني . فقال المنصور : لم آمُرْكَ بذلك ، وجَحَد ذلك ، وأنْ يكونَ تقدَّمَ إليه منه أمرُه في ذلك . فأحضَرَ عيسى الكُتبَ التي كتب إليه المنصورُ مرَّةً في ذلك ، فأنكرَ أنْ يكونَ أرادَ ذلك ، وصمَّمَ على الإنكار ، وصمَّمَ عيسى بنُ موسى أنه قد قتَله . فأمرَ المنصورُ عند ذلك بقتلِ عيسى بنِ موسى قِصَاصاً بعبدِ الله . فخرج به بنو هاشم ليقتلوه ، فلما جاؤوا بالسيف قال : رُدُّوني إلى الخليفة . فردُّوهُ إليه ، فقال له : إنَّ عمَّكَ حاضرٌ ولم أقتُلْه . فقال : هلُمَّ بِهِ فأحْضِرْه . فسُقِط في يدِ الخليفة ، وأمرَ بسَجْنِه بدارٍ جدرانُها مبنيَّةٌ على مِلْح ، فلمّا كان الليل ، أرسل على جدرانِها الماء ، فسقطَ عليهِ البناءُ فهلَكَ .

ثم إنَّ المنصور خلَعَ عيسى بنَ موسى عن ولايةِ العَهْد ، وقدَّمَ عليهِ ابنَهُ المَهْديّ ، وكان يُجلِسُهُ فوق عيسى بنِ موسى عن يمينِه ، ثم كان لا يلتفتُ إلى عيسى بنِ موسى ، ويُهينُهُ في الإذْنِ والمشورَةِ ، والدخولِ عليه ، والخروجِ من عندِه ؛ ثم ما زال يُقصيهِ ويُبعِدُه ويتهدَّده ويتوعَّدُه ، حتى خلَعَ نفسَهُ بنفسِه ، وبايَعَ لمحمدِ بن منصور ، وأعطاهُ المنصورُ على ذلك نحواً من اثني عشرَ ألفَ ألفِ دِرهم . وانصَلَح أمرُ عيسى بن موسى وبنيه عندَ المنصور ، وأقبلَ عليهِ بعدَما كان قد أعرضَ عنه . وكان قد جرَتْ بينهما قبلَ ذلك مكاتباتٌ في ذلك كثيرةٌ جدّاً ، ومُراوداتٌ في تمهيدِ البيعةِ لابنِهِ المهدي ؛ وخلع عيسى نفسَه ، وإنَّ العامَّةَ لا يَعْدِلُوْنَ بالمهديِّ أحداً ؛ وكذلك الأمراءُ والخواصّ ، ولم يزَلْ بهِ حتى أجابَ إلى ذلك مُكرَهاً ، فعوَّضَهُ عن ذلك ما ذكرنا . وسارتْ بَيْعَةُ المهديِّ في الآفاقِ شرقاً وغرباً وبُعداً وقُرباً ، وفرح المنصورُ

بذلك فرحاً شديداً ، واستقرَّتِ الخلافةُ في ذُرِّيتِهِ إلى زمانِنا هذا ؛ فلم يكنِ الخليفةُ من بني العباس إلاَّ من سُلالتِه ، ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦ ويس : ٣٨ وفصلت : ١٢] .

وفيها تُوفي :

عُبيد الله بن عمر العُمري .

وهاشم بن هاشم .

وهشام بن حسان صاحبُ الحسن البصري .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وأربعين ومئة

فيها بعث المنصورُ حُميدَ بنَ قحطبةَ لِغَزْوِ التُّرْك الذين عاثوا في السنةِ الماضيةِ ببلادِ تَفْليس ، فلم يجد منهم أحداً ، فإنَّهم انشمروا إلى بلادِهم .

وحجَّ بالناس فيها جعفرُ بن أبي جعفر ، ونُوَّابُ البلاد فيها همُ المذكورون في التي قبلَها .

وفيها تُوفي جعفر بن محمدِ الصادِق المنسوبُ إليه كتاب « اختلاج الأعضاء » وهو مكذوبٌ عليه .

وفيها توفي سليمان بن مِهْرَانَ الأعمش ، أحدُ مشايخِ الحديث ، في ربيع الأول منها .

وعمرو بن الحارث .

والعوَّامُ بن حَوْشَب .

والزبيدي .

ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

ومحمد بن عَجْلان .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومئة

فيها فرِغ من بناءِ سورِ بغداد وخَنْدَقها ؛ وفيها غزا الصائفة العباسُ بن محمد ، فدخل بلادَ الرُّوم ومعه الحسينُ بن قَحْطبة ، ومحمد بن الأشعث ، ومات محمد بن الأشعث في الطريق .

وفيها حجَّ بالناس محمد بنُ إبراهيمَ بن محمد بنِ علي ، وولاَّه المنصورُ على مكةَ والحِجَاز عوضاً عن عمِّه عبدِ الصَّمَدِ بن علي ؛ وعمَّالُ الأمصار فيها همُ الذين كانوا في السنةِ قبلَها .

وفيها تُوفي :

زكريا بنُ أبي زائدة .

وكَهْمَس بن الحسن .

والمثنّى بن الصباح .

وعيسى بن عمر أبو عمرو الثقفي البصري النحوي(١) : شيخُ سِيبَويه ، يُقال إنه من مَوالي خالدِ بن الوليد ، وإنما نزَلَ في ثَقيف فنُسب إليهم ، وكان إماماً كبيراً جليلاً في اللغةِ والنَّحْوِ والقراءاتِ .

أخذ ذلك عن عُبيد الله بن كثير ، وابن المحيصِن ، وعبد الله بن أبي إسحاق . وسمع الحسنَ البصري وغيرَهم .

وعنه الخليل بن أحمد ، والأصمعي ، وسِيبَوَيه ، ولَزِمَهُ وعُرف به ، وانتفع به ، وأخذ كتابَهُ الذي سماه بالجامعِ ، فزادَ عليه وبسَطَهُ ، فهو كتابُ سيبويه اليوم ، وإنما هو كتابُ شيخِه ، وكان سِيبَوَيْه يسألُ شيخَهُ الخليلَ بنَ أحمد عمَّا أشكَلَ عليه فيه ، فسأله الخليلُ أيضاً عمَّا صنَّف عيسى بن عمر فقال : جمعَ بضعاً وسبعين كتاباً ذهبَتْ كلُّها إلا كتاب « الإكمال » وهو بأرض فارس ،وكتابه « الجامع » وهو الذي أشتغلُ فيه وأسألُكَ عن غوامضِه . فأطرَقَ الخليلُ ساعةً ثم أنشد :

ذهــبَ النحــوُ جميعــاً كلُّــهُ غير ما أحدث عيسى بن عُمَرْ
ذاك إكمــالٌ وهــذا جــامــعٌ وهمــا للنــاسِ شمــسٌ وقمَــرْ

وقد كان عيسى يُغرب ويتقعَّر في عبارتِهِ جدّاً(٢) ، وقد حكى الجوهري عنه في الصّحَاح أنه سقطَ يوماً عن حمارِه ، فاجتمع عليه الناسُ فقال : ما لَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ عليَّ تَكَأْكُؤَكُمْ على ذي جِنَّةٍ ؟! افْرَنْقِعُوا عَنِّي . معناه ما لكم تَجَمَّعْتُمْ عليَّ تجمُّعَكمْ على مجنون ؟! انكشِفُوا عني .

وقال غيرُه : كان به ضيقُ نَفَس فسقَطَ بسببِه ، فاعتقد الناسُ أنه مصروع ، فجعلوا يعوِّذونه ويقرؤون عليه ؛ فلمَّا أفاق من غَشْيَتِه قالَ ما قالَ . فقال بعضُهم : إنَّ جِنِّيَتَهُ تتكلَّمُ بالفارسيَّة .

وذكر ابنُ خلِّكان أنه كان صاحباً لأبي عمرٍو بن العلاء ، وأنَّ عيسى بن عمر قال يوماً لأبي عمرٍو بن

---

(١) ترجمته في الفهرست ص(٦٢) ، الكامل لابن الأثير (٥/١٨٩) ، المنتظم (٦/٩٨ ، و٨/١١٨) ، وفيات الأعيان (٣/٤٨٦) ، سير أعلام النبلاء (٧/٢٠٠) ، معرفة القراء الكبار (١/١١٩) ، طبقات المحدثين ص(٥٦) ، أخبار النحويين ص(٢٠) ، البلغة ص(١٦٧) ، شذرات الذهب (١/٢٢٤) ، النجوم الزاهرة (٢/١١) .

(٢) في (ح) : « وقد كان عيسى بن عمر يتبعه في عبارته جداً » .

العلاء : أنا أفصَحُ من مَعَدِّ بنِ عدنان . فقال له أبو عمرو : كيف تقرأُ هذا البيت ؟

قد كُنَّ يَخْبأنَ الوجوهَ تَسَتُّراً فـاليـوم حيـن بَـدَأْنَ للنُّظَّـارِ

أو « بَدَيْنَ » فقال : بدَيْن . فقال أبو عمرو : أخطأت ، ولو قال : بدأنَ لأخطَأَ أيضاً ، وإنما أرادَ أبو عمرو تغليطَهُ ، وإنما الصوابُ بدَوْنَ ، منْ بدَا يَبْدُو إذا ظَهَرَ . وبدَأ يبدَأُ : إذا شرَعَ في الشيء .

ثم دخلت سنة خمسين ومئة من الهجرة

فيها خرج رجلٌ من الكَفَرَةِ يُقال له أستاذسيس في بلادِ خُراسان ، فاستحوَذَ على أكثرِها ، والتفَّ معه نحوُ ثلاثِ مئة ألف ، وقتلوا من المسلمين هنالك خلقاً كثيراً ، وهزموا الجيوشَ في تلك البلاد ، وسبَوْا خلقاً كثيراً ، وتحكَّمَ الفسادُ بسببهم ، وتفاقَمَ أمرُهم ، فوجَّهَ المنصورُ خازمَ بنَ خُزيمة إلى ابنِهِ المَهْدِيِ لِيُولِّيَهُ حربَ تلك البلاد ، ويضُمَّ إليه من الأجناد ما يُقاومُ أولئك ، فنهَضَ المهديُّ في ذلك نَهْضَةً هاشميَّة ، وجمَعَ لِخازمِ بن خُزيمة الإمرةَ على تلك البلاد والجيوش ، وبعثَهُ في نحوٍ من أربعينَ ألفاً ، فسار إليهم ، وما زال يُراوِغُهم ويُماكرُهم ويعملُ الخديعةَ فيهم ، حتى فاجأَهُمْ بالحرب ، وواجههم بالطَّعْنِ والضرب ، فقتل منهم نحواً من سبعين ألفاً ، وأسر منهم أربعةَ عشرَ ألفاً ، وهرب مِلكُهم أستاذسيس ، فتحرَّزَ في جبل ، فجاء خازمٌ إلى تحتِ الجبل ، وقتل أولئك الأسرى كلَّهم ، ولم يزَلْ يُحاصرُه حتى نزلَ على حُكْمِ بعضِ الأمراءِ ، فحكم أن يُقيَّدَ بالحديد هو وأهلُ بيته ، وأن يعتقَ منْ معَهُ من الأجناد ، وكانوا ثلاثين ألفاً ، ففعل خازمٌ ذلك كلَّه وأطلَقَ لكلِّ واحدٍ ممَّن كانَ مع أستاذسيس ثوبَيْن ، وكتب بما وقع من الفتح إلى المهدي ، فكتب المهديُّ بذلك إلى أبيه المنصور .

وفيها عزَلَ الخليفةُ عن إمرةِ المدينةِ جعفرَ بن سليمان ، وولَّاها الحسنَ بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وفيها حجَّ بالناس عبدُ الصمد ابنُ عمِّ الخليفة .

وتُوفِّي فيها جعفرُ ابن أميرِ المؤمنين المنصور ، ودُفن ليلاً بمقابر بني هاشم من بغداد ، ثم نُقل منها إلى موضعٍ آخر .

وفيها توفي عبدُ الملك بن عبد العزيز بن جُريج ، أحدُ أئمةِ أهلِ الحجاز ، ويُقال إنَّهُ أولُ منْ جمَعَ السننَ .

وعثمان بن الأسود .

وعمر بن محمد بن زيد .

وفيها تُوفِّي :

الإمامُ أبو حنيفة(١) .

ذكرُ ترجمته :

هو الإمامُ أبو حَنيفة ، واسمه النُّعمانُ بن ثابت التَّيْمي مولاهم الكوفي ، فقيهُ العراق ، وأحدُ أئمةِ الإسلام ، والسادةِ الأعلام ، وأحدُ أركانِ العُلماء ، وأحدُ الأئمة أصحابِ المذاهبِ المُتَّبعة ، وهو أقدمُهم وفاةً ، لأنَّه أدركَ عصرَ الصحابة ، ورأى أنسَ بن مالك ، قيل : وغيرَه . وذكر بعضُهم أنه روى عن سبعة من الصحابة . فالله أعلم(٢) .

---

(١) ترجمته في الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٢٧٦) ، طبقات خليفة ص(١٦٧ و٣٢٧) ، بحر الدم ص(٤٣٠) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٣١٤) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٧/ ٥) ، الضعفاء للعقيلي (٤/ ٢٦٨) ، كتاب المجروحين لابن حبان (٣/ ٦١) ، الضعفاء لأبي نعيم ص(١٥٧) ، الفهرست ص(٢٨٤) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/ ١٦٣) ، تهذيب الأسماء (٢/ ٥٠١) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٢٠٤) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٣٥١) ، الجرح والتعديل (٨/ ٤٤٩) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٣) ، تهذيب الكمال (٢٩/ ٤١٧) ، الكاشف (٢/ ٣٢٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٨) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠) ، ميزان الاعتدال (٧/ ٣٧) ، طبقات المحدثين ص(٥٧) ، تقريب التهذيب ص(٥٦٣) ، طبقات الحفاظ ص(٨٠) .

(٢) هنا زيادة مقحمة من(ق) وهي :

[وروى عن جماعةٍ من التابعين ، منهم الحكم ، وحمَّاد بن أبي سليمان ، وسَلَمَةَ بنِ كُهَيل ، وعامرٍ الشعبي ، وعكرمة ، وعطاء ، وقتادة ، والزُّهري ، ونافع مولى ابنِ عمر ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وأبو إسحاق السَّبيعي . وروى عنهُ جماعةٌ ، منهم ابنُه حمَّاد ، وإبراهيمُ بن طَهْمَان ، وإسحاقُ بن يوسف الأزرق ، وأسدُ بن عمرو القاضي ، والحسنُ بن زياد اللؤلؤي ، وحمزةُ الزيات ، وداود الطائي ، وزُفَر ، وعبد الرزاق ، وأبو نُعيم ، ومحمد بن الحسن الشَّيباني ، وهُشيم ، ووَكيع ، وأبو يوسف القاضي .

قال يحيى بنُ مَعين : كان ثقةً ، وكان من أهلِ الصِّدْق ، ولم يُتَّهمْ بالكذِب ، ولقد ضرَبَهُ ابنُ هُبيرَة على القضاءِ فأبى أنْ يكونَ قاضياً . وقد كان يحيى بن سعيد يختار قولَهُ في الفتوى . وكان يحيى يقول : لا نكذب الله ، ما سَمِعْنا أحسنَ من رأيِ أبي حنيفة . وقد أخذَ بأكثرِ أقوالِه . وقال عبدُ الله بنُ المبارك : لولا أنَّ الله أغاثني بأبي حنيفةَ وسفيانَ الثوريّ لكنتُ كسائرِ الناس .

وقال الشافعي عن مالك : رأيتُ رجلاً لو كلَّمَكَ في هذا السارية أنْ يجعلَها ذهباً لقام بِحُجَّتِه .

وقال الشافعي : منْ أرادَ الفقهَ فهو عيالٌ على أبي حَنيفة ؛ ومن أرادَ السِّيَر فهو عيالٌ على محمدِ بنِ إسحاق ؛ ومن أراد الحديث فهو عيالٌ على مالك ؛ ومن أراد التفسير فهو عيالٌ على مُقاتل بنِ سليمان .

وقال عبدُ الله بن داود الخُريبي : ينبغي للناس أن يدعوا في صلاتِهم لأبي حنيفةَ لحفظِه الفقهَ والسُّنَّة عليهم .

وقال سفيانُ الثوريُّ وابنُ المبارك : كان أبو حنيفةَ أفقهَ أهلِ الأرضِ في زمانِه .

وقال أبو نُعيم : كان صاحبَ غَوْصٍ في المسائل .

وقال مكي بنُ إبراهيم : كان أعلمَ أهلِ الأرض . =

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومئة

فيها عزل المنصورُ عمرَ بنَ حفص عن السِّنْد ، وولَّى عليها هشامَ بن عمرٍو التغلبي ، وكان سببَ عزلِه عنها أنَّ محمد بن عبدِ الله بن حسن لَمّا ظهر بعث ابنَهُ عبدَ الله الملقَّب بالأشتر ومعهُ جماعةٌ بهديَّةٍ وخيولٍ عِتَاق إلى عمرَ بنِ حفص هذا إلى السِّنْد ، فقَبِلَها ، فدَعَوْهُ إلى دعوةِ أبيه محمد بن عبدِ الله بن حسن في السِّرّ ، فأجابهم إلى ذلك وبايع له مَنِ استطاعَ من الأمراء سِرّاً ، فأجابوه إلى ذلك ، ولَبِسُوا البياض . ولَمَّا جاء خبرُ مقتلِ محمدِ بنِ عبد الله بالمدينة سُقِطَ في أيدي عمر بن حفص وأصحابه ، وأخذوا في الاعتذارِ إلى عبدِ الله بنِ محمد ، فقال له عبد الله : إنِّي أخشى على نفسي . فقال : إني سأبعَثُكَ إلى مَلِكٍ من المشركين في جوارِ أرضِنا ، وإنَّه من أشدِّ الناسِ تعظيماً لرسولِ الله ﷺ ، وإنَّه متى عَرَفَك أنَّكَ من سُلالَتِهِ أحبَّك . فأجابَهُ إلى ذلك ، وسار عبدُ الله بنُ محمد إلى ذلك الملك ، وكان عندَهُ آمناً ، وصار عبدُ الله يركبُ في موكبِ الزَّيديَّة ، ويتصيَّدُ في جَحْفَلٍ من الجنود ، وانضمَّ إليه خلق ، وقَدِمَ عليه طوائفُ من الزَّيْديَّة .

وأمَّا المنصور فإنه بعث يعتبُ على عمرَ بنِ حفص نائبِ السِّنْد ، فقال رجلٌ من الأمراء : ابعَثْني إليه ، واجعل القضيةَ مسندةً إليّ ، فإني سأعتذرُ إليه من ذلك ، فإنْ سَلِمْتُ ، وإلاَّ كنتُ فداءَكَ وفداءَ مَنْ عندك من الأمراء . فأرسله سفيراً في القضيَّةِ إلى المنصور ، فلما وقف بين يدي المنصور أمرَ بضَرْبِ عُنقه . وكتب إلى ابن حفصٍ بعَزْلِهِ عن السند ، وولاَّهُ بلادَ إفريقيةَ عوضاً عن أميرِها ، ولمَّا وجَّهَ المنصورُ هشامَ بنَ عمرٍو إلى السِّنْد أمرَهُ أن يجتهدَ في تحصيلِ عبدِ الله بن محمد ، فجعل يتَوَانى في ذلك ، فبعث إليه المنصورُ يستحثُّهُ في ذلك ، ثم اتفق الحالُ أنَّ سيفاً أخا هشامِ بن عمرو لَقِيَ عبدَ الله بن محمد في بعضِ الأماكن ، فاقتتلوا فقُتل عبدُ الله وأصحابُه جميعاً ، واشتبَهَ عليهم مكانُهُ في القَتْلَى فلم يقدروا عليه ؛ فكتب هشامُ بن عمرٍو إلى المنصور يُعلِمُهُ بقتلِه ، فبعث يشكرُهُ على ذلك ، ويأمرُهُ بقتالِ الملك الذي آواه ، ويُعلمه أنَّ عبدَ الله كان قد تسرَّى بجاريةٍ هنالك ، وأولدَها ولداً أسماه محمداً ، فإذا ظَفِرْتَ بالملك ،

= وروى الخطيبُ بسندِهِ عن أسد بنِ عمرو (في (ق) : « أحمد بن عمرو » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وتاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٤) .) ، أنَّ أبا حنيفةَ كان يُصلِّي بالليلِ ويقرأ القرآنَ كلَّ ليلةٍ ويبكي حتى يرحَمَهُ جيرانهُ ؛ ومكثَ أربعين سنةً يُصلِّي الصبحَ بوضوءِ العشاء ؛ وختمَ القرآنَ في الموضع الذي تُوفِّي فيه سبعة آلاف مرَّة .

وكانت وفاته في رجب من هذه السنة ـ أعني سنةَ خمسين ومئة ـ وعن ابن مَعِين سنةَ إحدى وخمسين ومئة . وقال غيرُه سنة ثلاثٍ وخمسين . والصحيح الأول .

وكان مَولدُهُ في سنةِ ثمانين ، فتمَّ له من العُمر سبعون سنة ، وصُلِّي عليه ببغداد ستَّ مرَّاتٍ لكثرةِ الزِّحَام . وقبره هناك رحمه الله] .

فاحتفِظْ بالغلام ، فنهض هشام بن عمرو إلى ذلك الملك ، فقاتلَهُ فغلبَهُ وقَهرَهُ على بلادِهِ وأموالِه وحواصِله ، وبعث بالفتحِ والأخماس وبذلك الغلام والملك إلى المنصور ؛ ففرح المنصورُ بذلك ، وبعث الغلامَ إلى المدينة ، وكتبَ المنصورُ إلى نائبِها يُعلمهُ بصحةِ نسَبِه .

وفي هذه السنة قدم المهديُّ بن المنصور على أبيه من خُراسان فتلقَّاهُ أبوهُ والأمراء والأكابر إلى أثناء الطريق ، وقدم بعدَ ذلك نُوَّابُ الشامِ وغيرِها للسلام عليه وتهنئتِهِ بالسلامةِ والنَّصْر ، وحملَ إليه من الهدايا ما لا يُحَدُّ ولا يُوصفُ .

بناء الرُّصَافَة

قال ابنُ جرير[١] : وفي هذه السنةِ شرع المنصورُ في بناء الرُّصافة لابنِهِ المهديّ بعدَ مَقْدَمِهِ من خُراسان ؛ وهي في الجانب الشرقي من بغداد ، وجعل لها سُوراً وخندقاً ، وعَمِلَ عندها ميداناً وبستاناً ، وأجرى إليها الماء من نَهرِ المهدي .

قال ابن جرير[٢] : وفيها جدد المنصورُ البيعةَ لنفسِهِ ثم لولدِهِ المهديِّ من بعدِه ، ولعيسى بنِ موسى من بعدِهما ؛ وجاء الأمراءُ والخواصُّ فبايعوا ، وجعلوا يُقبِّلون يدَ المنصورِ ويَدَ ابنِه ، ويلمسُونَ يدَ المنصورِ ويَدَ ابنِه ، ويلمَسُونَ يدَ عيسى بنِ موسى ويشيرون إليها ولا يُقبِّلُونَها .

قال الواقدي[٣] : وولَّى المنصور مَعْنَ بنَ زائدة سِجسْتان .

وحجَّ بالناسِ فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، وهو نائبُ مكة والطائف ؛ وعلى المدينة الحسن بن زيد ، وعلى الكوفة محمدُ بن سليمان ، وعلى البصرةِ جابرُ بن زيد الكِلابي ، وعلى مصر يزيد بن حاتم ، ونائبُ خُراسان حُميد بن قَحْطَبة ، ونائبُ سِجِسْتانَ مَعْنُ بن زائدة . وغزا الصائفةَ فيها عبدُ الوهاب بن إبراهيم بن محمد .

وفيها تُوفي :

حنظلةُ بن أبي سفيان ،

وعبدُ الله بن عَوْن .

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٥٠٠) .

(٢) في تاريخه تاريخ الطبري (٤/ ٥٠١) .

(٣) المصدر السابق .

ومحمد بن إسحاق بن يسار صاحبُ السيرةِ النبويَّةِ التي جمعَها وجعلَها علماً يُهتدَى به ، وفجراً يُستجلى به ، والناسُ كلُّهم عيالٌ عليه في ذلك كما قال الشافعيُّ وغيرُه من الأئمة .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومئة

فيها عزل المنصورُ عن إمرةِ مصرَ يزيدَ بن حاتم ، وولاَّها محمدَ بن سعيد ، وبعث إلى نائبِ إفريقية ـ وكان قد بلغَهُ أنَّهُ عَصَى وخَالَف ـ فلمّا جيء به أمرَ بضَرْبِ عُنقه . وعزَلَ عن البصرةِ جابرَ بن زيد الكلابي وولاها يزيدَ بن منصور . وفيها قَتلتِ الخوارجُ مَعْن بنَ زائدة بسِجِسْتان .

وفيها تُوفِّي :

عَبَّاد بن منصور .

ويونُسُ بن يزيد الأيلي .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومئة

وفيها غَضِبَ المنصورُ على كاتبِه أبي أيوب المُورياني وسجَنَه ، وسجن أخاه خالداً وبَني أخيه الأربعة سعيداً ومسعوداً ومخلداً ومحمداً ؛ وطالبَهم بالأموالِ الكثيرة ؛ وكان سببُ ذلك ما ذكرَه ابنُ عساكر في ترجمةِ أبي جعفر المنصور[1] ، وهو أنَّه كان في زمَنِ شبيبتِه قد وردَ الْمَوْصِلَ وهو فقير لا شيء له ، ولا معه شيء ، فأجَّر نفسَه من بعضِ الملاَّحين ، حتى اكتسبَ شيئاً تزوَّجَ به امرأةً ، ثم جعلَ يعدُها ويُمنِّيها أنه من بيتٍ سيصيرُ المُلكُ إليهم سريعاً ، فاتَّفَقَ حَبَلُها منه ، ثم تطلَّبَهُ بنو أمية فهرَبَ عنها وتركها حاملاً ، ووضع عندَها رُقعةً فيها نسبتُه ، وأنه عبدُ الله بن محمد بن علي بن عبدِ الله بن عباس ، وأمَرَها إذا بلَغَها أمرُه أنْ تأتيَهُ ، وإذا ولَدَتْ غلاماً أنْ تُسمِّيه جعفراً ؛ فولَدَتْ غلاماً فسمَّته جعفراً . ونشأ الغلامُ فتعلَّمَ الكتابة ، وغَوِيَ العربيةَ والأدَب ، وأتقن ذلك إتقاناً جيداً . ثم آلَ الأمرُ إلى بني العباس ، فسألَتْ عن السفَّاح ، فإذا هو ليس صاحبَها ، ثم قام المنصورُ وصارَ الولدُ إلى بغداد ، فاختلط بكُتَّابِ الرسائل ، فأُعجب به أيوبُ المورياني صاحبُ ديوانِ الإنشاء للمنصور ، وحَظِيَ عندَهُ وقدَّمهُ على غيرِه ، فاتفق حضورُهُ معه بين يدي الخليفة ، فجعل الخليفةُ يلاحِظُه ، ثم بعث يوماً الخادمَ ليأتيَهُ بكاتب ، فدخل ومعه الغلام ، فكتب بين يدي المنصور كتاباً ، وجعل الخليفةُ ينظرُ إليه ويتأمَّلُه ، ثم سأله عن اسمِه ، فأخبرَهُ أنه جعفر ، فقال : ابنُ

---

(١) ذكر ابن عساكر قصة مطولة ، انظر تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٧) .

منْ ؟ فسكت الغلام ، فقال : ما لَكَ لا تتكلّم ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين إنَّ من خبرِي كَيْتَ وكَيْت . فتغيَّر وجهُ الخليفة ، ثم سأله عن أُمِّه ، فأخبرَه ، وسأله عن أحوالِ بلدِ المَوْصل ، فجعل يُخبره والغلام يتعجَّب . ثم قام إليه الخليفةُ فاحتضَنَهُ وقال : أنتَ ابنِي . ثم بعثَهُ بعِقْدٍ ثمين ، ومالٍ جَزيل ، وكتابٍ إلى أُمِّهِ يُعْلِمُهَا بحقيقةِ الأمر ، وحالِ الوَلَد . وخرج الغلامُ ومعه ذلك من بابِ سرِّ الخليفة ، فأحرَزَ ذلك ، ثم جاءَ إلى أبي أيوب فقال : ما بَطَّأَ بكَ عند الخليفة ؟ فقال : إنه استكتَبَني في رسائلَ كثيرة . ثم تقاولا ، ثم فارقَهُ الغُلام مُغْضباً ؛ ونَهَضَ من فَوْرِهِ ، فاستأجر إلى الموصل لِيُعْلِمَ أُمَّهُ ويَحْمِلَها وأهلَها إلى بغدادَ إلى أبيهِ الخليفة ؛ فسار مراحل ، ثم سأل عنه أبو أيُّوب ، فقيل : سافر . فظنَّ أبو أيُّوب أنه أفشَى شيئاً من أسرارِهِ إلى الخليفة ، وفرَّ منه ، فبعثَ في طلبه رسولاً وقال : حيثُ وجدتَهُ فرُدَّهُ عليّ[1] . فسارَ الرسولُ في طلبِهِ ، فوجده في بعضِ المنازِلِ ، فخنقهُ وألقاهُ في بئر ، وأخذ ما كانَ معَه . فرجع إلى أبي أيوب ، فلما وقف أبو أيُّوب على الكتاب أُسقطَ في يدِه وندم على بَعْثِه خلفَه ، وانتظر الخليفةُ عَودَ وَلَدِهِ إليه ، واستبطأه ، وكشَفَ عن خبَرِه ، فإذا رسولُ أبي أيوب قد لَحِقه وقتَله . فحينئذٍ استحضرَ أبا أيوب . وألْزمَهُ بأموالٍ عظيمة ، ومازال في العقوبةِ حتى أخذَ جميعَ أموالِهِ وحواصِلِه ، ثم قَتَله ، وجعل يقول : هذا قَتَل حَبيبي . وكان المنصورُ كلَّما ذكرَ ولدَهُ حزنَ عليه حزناً شديداً .

وفيها خرجتِ الخوارجُ من الصُّفْرِيَّة[2] وغيرِهم ببلادِ إفريقيَة ، فاجتمع منهم ثلاثُمئةِ ألفٍ وخمسون ألفاً ، ما بين فارسٍ وراجل ، وعليهم أبو حاتم الأنماطي ، وأبو عبَّاد ، وانضمَّ إليهم أبو قُرَّة الصُّفْري في أربعين ألفاً ، فقاتلوا نائبَ إفريقية ، فهزموا جيشَه ، وقتلوه وهو عمر بن عثمان بن أبي صُفْرَة الذي كان نائبَ السِّنْد ، فعزلَهُ المنصور عنها بسببِ مبايعتِهِ محمد بن عبد الله بن حسن ، وولاَّه هذه البلادَ ، فقتلَتْهُ الخوارج رحمه الله . وأكثرتِ الخوارجُ الفسادَ في البلاد ، وقتلوا الحريمَ والأولاد ، وآذَوْا عامّةَ العباد .

وفيها ألزم المنصورُ الناس بِلُبْسِ قلانسَ سودٍ طِوالٍ جدّاً حتى كانوا يستعينون على رفعها من داخِلها بالقَصَب فقال أبو دُلامةَ الشاعرُ في ذلك :

وكنَّا نُرَجِّي من إمامٍ زيادةً ... فزادَ الإمامُ المرتَجَى في القلانسِ
تراها على هامِ الرجالِ كأنَّها ... دِنَانُ يَهُودٍ جُلِّلَتْ بالبَرانِسِ[3]

---

(١) كذا في الأصول ، وعبارة ابن عساكر : « فقال لرجلٍ من أصحابه : اخرُجْ إلى طريقِ الموصل ، ثم أعط خبر الغلام مَنْزِلاً منزلاً ، حتى تأتي الموصلَ قريةَ كذا وكذا فإذا عرفتَ موضعَه فاقتُلْهُ وجِئْني بما معه » . وهو أشبه بالصواب كما يبدو من السياق .

(٢) الصُّفْرِيَّةُ ، ـ بالضم ، ويكسرُ ـ : قَوْمٌ من الحَرُورِيَّةِ ، نُسِبوا إلى عبدِ الله بنِ صَفَّارٍ ، ككَتَّانٍ ، أو إلى زياد بن الأصْفَرِ ، أو إلى صُفْرَةِ ألوانِهم ، أو لِخُلُوِّهم من الدِّينِ . والمَهالِبةُ نُسبُوا إلى آلِ أبي صُفْرَةَ . القاموس (صفر) .

(٣) البيتان في ديوانِ أبي دلامة ص(٧٥) .

وفيها غزا الصائفةَ مَعْيُوفُ بن يحيى الحُجوري ، فأسرَ خلقاً كثيراً من الروم ، ينيفُ على ستةِ آلاف أسير ، وغَنم أموالاً جزيلةً .

وحجَّ بالناس المهديُّ بنُ المنصور ، وهو وليُّ العَهْد الملقَّب بالمَهْدي ، وكان على نيابةِ مكةَ والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى المدينة الحسنُ بن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة يزيد بن منصور ، وعلى مصر محمد بن سعيد . وذكر الواقدي أنَّ يزيد بن منصور كان ولاَّهُ المنصور في هذه السنة اليمن . فالله أعلم .

وفيها تُوفِّيَ :

أبانُ بن صَمعَة .

وأسامةُ بن زيد الليثي .

وثور بن يزيد الحمصي .

والحسن بن عمارة .

وفِطْرُ بن خليفة .

ومعمر .

وهشام بن الغاز . والله أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومئة

فيها دخل المنصورُ بلادَ الشام ، وزار بيتَ المقدِس ، وجهَّزَ يزيدَ بنَ حاتم في خمسينَ ألفاً ، وولاَّهُ بلادَ إفريقية ، وأمرَهُ بقتالِ الخوارج ؛ وأنفقَ على هذا الجيش نحوَ ثلاثٍ وستين ألف دِرْهم . وغَزَا الصَّائفةَ زُفَرُ بن عاصم الهلالي .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن إبراهيم ، ونُوَّابُ البلادِ والأقاليم همُ المذكورون في التي قبلَها ، سوى البصرة ، فعليها عبدُ الملك بن أيوب بن ظَبْيان .

وفيها تُوفي :

أبو أيوب الكاتب .

وأخوه خالد ، وأمرَ المنصورُ ببني أخيه أنْ تُقَطَّعَ أيديهم وأرجُلُهم ، ثم تضرَبَ بعدَ ذلك أعناقُهم ، ففعل ذلكَ بِهم .

وفيها تُوفي :

أشعَبُ الطامِع[١] : وهو أشعبُ بن جُبير أبو العلاء ، ويقال : أبو إسحاق المدَني ، ويُقال له : ابن أُمِّ حُميدة ، وكان أبوهُ مولًى لابنِ الزُّبير ، قتلَهُ المختار ، وهو خالُ الواقدي .

وروى عن عبدِ الله بن جعفر أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يتختَّمُ في اليمين[٢] . وأبان بن عثمان وسالم وعكرمة ، وكان ظريفاً ماجناً ، يُحبُّه أهلُ زمانِهِ لخلاعتِه وطمَعِه ؛ وكان يُجيدُ الغناء ، وقد وَفَد على الوليد بن يزيد ، فترْجَمَهُ ابنُ عساكر ترجمةً ذكر عنه فيها أشياءَ مضحكة[٣] ؛ وأسنَدَ عنه حديثَيْن .

ورُوي عنه أنه سُئل يوماً أنْ يحدِّث فقال : حدّثني عكرمةُ عن ابنِ عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « خَصْلتانِ منْ عمل بِهما دخلَ الجنة » ، ثم سكت ، فقيل له : ما هما ؟ فقال : نَسِي عكرمةُ الواحدة ، ونسيتُ أنا الأخرى .

وكان سالم بنُ عبدِ الله بن عمر يستخِفُّه ويستحليه ويضحكُ منه ؛ ويأخذُهُ معه إلى الغابة ، وكذلك كان غيرُه من أكابرِ الناس .

وقال الشافعي : عَبَثَ الوِلْدانُ يوماً بأشعب ، فقال لهم : إنَّ هاهنا أناساً يُفرِّقون الجوز ؛ لِيطرُدَهُمْ عنه ، فتسارَعَ الصبيانُ إلى ذلك ، فلمَّا رآهم مسرعين قال : لعلَّهُ حقّ ؛ فتبعَهم .

وقال له رجل : ما بلغَ من طَمَعك ؟ فقال : ما زُفَّتْ عروسٌ بالمدينة إلاَّ رجَوْتُ أنْ تُزفَّ إليّ ، فأكسحُ داري ، وأنظِّفُ بابي ، وأكنسُ بيتي .

واجتاز يوماً برجلٍ يصنعُ طبقاً من قَشّ ، فقال له : زِدْ فيه طَوْراً أو طورَيْن ، لعلَّهُ أنْ يُهدَى يوماً لنا فيه هديَّة .

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (٧/ ٣٧) ، الإكمال لابن ماكولا (١/ ٩٠) ، تهذيب مستمر الأوهام ص(٨٤) ، تاريخ دمشق لابن عساكر (٩/ ١٤٧) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٦٦) ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٢) ، لسان الميزان (١/ ٤٥٠) ، المغني في الضعفاء (١/ ٩١) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٩/ ١٤٧) عن أشعب عن عبد الله بن جعفر . وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٤٧٧) ، وأحمد في المسند (١/ ٢٠٤) ؛ وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٣١٤) (٤٣٥ ، ٤٣٦) ؛ والمقدسي في المختارة (٩/ ١٧٢ ، ١٧٣) (١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤) ؛ والترمذي في السنن (٤/ ٢٢٨) (١٧٤٤) ؛ وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٠٣) (٣٦٤٧) ؛ والبزار في مسنده (٦/ ٢١٥ ، ٢١٩) (٢٢٥٦ ، ٢٢٥٩) من حديث عبد الله بن جعفر ، وهو حديث صحيح .

(٣) ترجمته في تاريخ ابن عساكر من (٩/ ١٤٧ ـ ١٦٣) .

وروى ابنُ عساكر(١) أنَّ أشعبَ غَنَّى يوماً لسالم بنِ عبدِ الله بنِ عمر قولَ بعضِ الشعراء :

مُغِيرِيَّةٌ كالبدرِ سُنَّةُ وجهِها ... مطهَّرةُ الأثوابِ والدِّينُ وافرُ(٢)
لها حسبٌ زاكٍ وعِرْضٌ مُهذَّبٌ ... وعن كُلِّ مَكْرُوهٍ من الأمرِ زاجرُ
من الخَفِراتِ البيضِ لم تلقَ ريبَةً ... ولم يستَمِلْها عن تُقَى اللهِ شاعرُ

فقال له سالم : أحسنتَ فزِدْنا . فغنَّاه :

ألمَّتْ بنا والليلُ داجٍ كأنَّهُ ... جناحُ غرابٍ عنه قد نفَضَ القَطْرا
فقلتُ أعطَّارٌ ثَوَى في رِحالِنا ... وما حَمَلَتْ ليلى سوى رِيحِها عِطْرا

فقال له : أحسنتَ ! ولولا أنْ يتحدَّثَ الناسُ لأجزَلْتُ لك الجائزة ، وإنَّكَ من الأمرِ لَبِمَكان !.

وفيها تُوفي :

جعفرُ بن بُرقان .

والحكم بن أبان .

وعبد الرحمن بن زيد بن جابر .

وقُرَّة بن خالد .

وأبو عمرو بن العلاء(٣) : أحدُ أئمَّةِ القُرَّاء ، واسمُه كنيتُه ؛ وقيل : اسمه زَبَّان ؛ والصحيح الأول . وهو أبو عمرو بنُ العلاءِ بن عمار بنِ العُرْيان بنِ عبدِ الله بن الحُصين التميميُّ المازنيُّ البصري . وقيلَ غيرُ ذلك في نسبه . كان علاَّمةَ زمانِه في الفقهِ والنَّحْوِ وعِلْمِ القراءات ؛ وكان من كبارِ العلماء العاملين ؛ يقال : إنه كتب مِلْءَ بيتٍ من كلامِ العرب ، ثم تزَهَّدَ فأحرقَ ذلك كلَّه ؛ ثم راجَعَ الأمرَ الأول ، فلم يكنْ عندَهُ إلاَّ ما كان يحفظُه من كلامِ العرب . وكان قد لَقِيَ خلقاً كثيراً من أعرابِ الجاهليَّة . كان مقدَّماً أيامَ الحسن البصري ، ومن بعدِه . ومن اختياراته في العربية قولُهُ في تفسيرِ الغُرَّةَ في الجَنين أنَّها لا يقبلُ إلا

---

(١) في تاريخه تاريخ مدينة دمشق (٩/١٥٧) .
(٢) الشطر الأول في (ط) : « مضين بها والبدر يشبه وجهها » ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ ابن عساكر .
(٣) ترجمته في الكنى والأسماء لمسلم (١/٥٦٤) ، المقتنى في سرد الكنى (١/٤٣٠) ، الكنى للبخاري ص(٥٥) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٥٣) ، الثقات (٦/٣٤٥) ، الفهرست ص(٤٢) ، المنتظم لابن الجوزي (٨/١٨٢) ، تهذيب الكمال (٣٤/١٢٠) ، البلغة ص(١٠١) ، معرفة القراء الكبار (١/١٠٠) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/٣٥٩) ، وفيات الأعيان (٣/٤٦٦) ، سير أعلام النبلاء (٦/٤٠٧) ، ميزان الاعتدال (٧/٤٠٥) ، الوفيات للقسنطي ص(١٣١) ، لسان الميزان (٧/٤٧٦) ، تهذيب التهذيب (١٢/١٩٧) ، تقريب التهذيب ص(٦٦٠) ، شذرات الذهب (١/٢٣٧) ، أبجد العلوم (٣/٣٨) .

أبيضَ غلاماً كان أو جارية . فَهِمَ ذلك من قولِهِ عليه السلام : « غُرَّةٌ عبدٌ أو أمَة »[١] ، ولو أُريدَ أي عبد كان أو جارية لما قَيَّدَهُ بالغُرَّة ، وإنما الغُرَّةُ البياض . قال ابنُ خَلِّكان : وهذا غريب ، ولا أعلَمُ هل يوافق قول أحدٍ من الأئمة المجتهدين أم لا ؟ .

وذُكر عنه أنه كان إذا دخل شهرُ رمضان لا يُنشدُ بيتاً حتى ينسلخ ، وإنما كان يقرأ القرآن ؛ وأنه كان يشتري له كلَّ يومٍ كوزاً جديداً وريحاناً طريًّا . وقد صَحِبَهُ الأصمعي نحواً من عشرِ سنين .

كانت وفاتُه في هذه السنة ، وقيل في سنةِ ستٍّ وخمسين ، وقيل سبعٍ وخمسين ومئة فالله أعلم ، وقد قَارَبَ التسعين ، وقيل : إنه جاوزَها فالله أعلم . وقبرُه بالشام ، وقيل بالكوفة ، فالله أعلم .

وقد روى ابنُ عساكر[٢] في ترجمةِ صالح بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جدِّه عبد الله بن عباس مرفوعاً : « لأنْ يُرَبِّي أحدُكم بعدَ أربعٍ وخمسين ومئة جَرْوَ كلبٍ خيرٌ له من أنْ يُرَبِّي ولداً لِصُلْبِه » . وهذا مُنكرٌ جدّاً . وفي إسنادِهِ نظَر . ذكرَهُ من طريقِ تَمَّام ، عن خيثمة بنِ سليمان ، عن محمد بن عوف الحمصي ، عن أبي المغيرة عن عبد الله بن السمط ، عن صالح به ؛ وعبد الله بن السمط هذا لا أعرفُه ، وقد ذكرَهُ شيخنا الحافظُ الذهبي في كتابهِ الميزان[٣] وقال : رَوَى عن صالحِ بنِ علي حديثاً موضوعاً .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومئة

فيها دخلَ يزيدُ بن حاتم بلادَ إفريقيَة ، فافتتحها عوداً على بَدْء ، وقَتَلَ مَنْ كان فيها ممَّنْ تغلَّبَ عليها من الخوارج ، وقتَلَ أمراءَهم ، وأسَرَ كُبَراءهم ، وأذلَّ أشرافَهم ، وأرغَمَ آنافَهم ، وبدَّدَ آلافَهم ، واستبدلَ أهلَ تلك البلادِ بالخَوفِ أمْناً وسلامةً ، وبالإهانةِ كرامةً .

---

(١) الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٠/٣٢٣ ، ٣٢٤) (٥٩١٧) بسنده عن أبي هريرة قال : قضى رسولُ الله ﷺ في الجنين غرة عبد أو أمة . قال : فقال الذي قَضَى عليه : أيعقلُ مَنْ لا أكلَ ولا شرب ولا صاحَ فاستهلّ ؟ فمِثْلُ ذلك يُطَلّ ؟! فقال النبيُّ ﷺ : « إنَّ هذا يقولُ بقولِ شاعر ، فيه غُرَّةٌ عبدٌ أو أمّة » . ورواه أبو داود رقم (٤٥٧٦) وابن ماجه رقم (٢٦٣٩) وهو حديث صحيح وقال الخطابي في غريب الحديث (١/ ٢٣٦) : قال أبو عمرو بن العلاء : قولُ رسولِ الله : « في الجنين غُرَّة عبد أو أمة » ، لولا أنَّ رسولَ الله أرادَ بالغُرَّةِ معنى لقال : « في الجنين عبد أو أمة » ، ولكنَّه عَنَى البياضَ حتى لا يُقبلَ في الديةِ إلا غلامٌ أو جاريةٌ بيضاء ، ولا يُقْبَلَ فيها أسود ولا سوداء . قال أبو سليمان : وهذا شبيهٌ بالمعنى الأول ، لأنَّ البياضَ ممّا يُبتغَى في الرقيق ، ويُزاد له في القيمة ؛ وكانت العَرَب تقتني الحَبَش والنُّوبة ، والبياضُ فيهم عزيز ، فمنْ أرادَ البياض في الجِنْس كالرُّوم والصقالبة لم يقدرْ عليه إلا بأنْ يرفعَ في الثمن . اهـ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٢٣/ ٣٥٧ ، ٣٥٨) .

(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ١١٦) .

وكانَ من جُملةِ منْ قَتلَ من أمرائهم أبو حاتم ، وأبو عبَّاد ، الخارجيَّان ، ثم لمّا استقامَتْ له وبه الأمورُ في البلدان دخل بعدَ ذلك بلادَ القَيْروان ، فمَهَّدَها وأطَّرها[١] وأقرَّ أهلَها ، وقرَّرَ أمورَها ، وأزال محذورَها . والله سبحانه أعلم .

بناءُ الرَّافِقَة المدينة المشهورة

وفيها أمَرَ المنصورُ ولدَهُ الْمَهْديَّ ببناء الرَّافِقَة على مِنْوالِ بناءِ بغداد في هذه السنة ؛ وأمرَ فيها ببناءِ سُورٍ وعمَلِ خندَقٍ حولَ الكوفة . وأخذَ ما عزَمَ على ذلك من أموالِ أهلِها ، من كلِّ إنسانٍ من أهلِ اليسار أربعين درهماً . وقد فرَضها أولاً خمسةَ دراهم ، ثم جباها أربعين أربعين ؛ فقال في ذلك بعضُهم :

يـا لَقَـوْمـي مـا رأينـا ... فـي أميـرِ المـؤمنينـا
قسَـمَ الخمسـةَ فينـا ... وجَبَـانـا أربعينـا

وفيها غَزَا الصائفةَ يزيدُ بن أسد السُّلَمي . وفيها طلبَ ملكُ الرُّوم الصلحَ من المنصور ، على أنْ يَحْمِلَ إليه الجزية .

وفيها عزلَ المنصورُ أخاهُ العباس بن محمد عن الجزيرة ، وغرَّمَهُ أموالاً كثيرة . وفيها عزَلَ محمد بن سليمان بن علي عن إمرةِ الكوفة ، فقيل : لأُمور بلغَتْهُ عنه ، في تعاطي منكراتٍ وأمورٍ لا تَليقُ بالعمَّال ؛ وقيل : لِقَتْلِهِ محمد بن أبي العَوْجاء ، وقد كان ابنُ أبي العوجاء هذا زِنْديقاً ، يُقال إنه لما أمَرَ بضرْبِ عُنقه اعترفَ على نفسِه بوضعِ أربعةِ آلافِ حديث يُحلُّ فيها الحرام ، ويُحَرِّمُ فيها الحلال ، ويصوِّمُ الناسَ يومَ الفِطْر ، ويُفَطِّرُهم في أيام الصيام ، فأرادَ المنصورُ أن يجعلَ قتلَهُ لهُ ذنباً ؛ فعزلَهُ به ؛ وإنما أرادَ أنْ يُقيدَهُ منه ، فقال له عيسى بن موسى : يا أميرَ المؤمنين لا تعزِلْهُ بهذا ، ولا تقتُلْهُ به ، فإنه إنما قتلَهُ على الزَّنْدَقة ، ومتى عزلتَهُ به شكرَهُ العامَّةُ وذمُّوك . فترَكَهُ حيناً ثم عزلَهُ وولَّى مكانَهُ على الكوفة عمرَ بن زهير .

وفيها عزل المنصورُ عن المدينة الحسن بن زيد وولَّى عليها عمَّهُ عبدَ الصمد بن علي ، وجعل معه فليح بن سليمان مشرفاً عليه . وعلى إمرةِ مكة محمدُ بن إبراهيم بن محمد ؛ وعلى البصرة الهيثمُ بن معاوية ؛ وعلى مصر محمد بن سعيد ؛ وعلى إفريقيَةَ يزيدُ بن حاتم .

وفيها تُوفِّي :

صفوان بن عمر .

وعثمان بن أبي العاتكة الدمشقيان .

---

(١) هو من التأطير ، وهو اتِّخاذ الإطارِ للبيتِ ، وهو كالمِنْطَقَةِ حَوْلَهُ . القاموس (أطر) .

وعثمان بن عطاء .

ومِسْعَر بن كِدَام .

وحَمَّاد الرَّاوية[١] وهو ابنُ أبي ليلى ميسرة ، ويقال سابور بن المبارك بن عُبيد الدَّيْلميُّ الكوفيّ ، مولى بُكير بن زيد الخيل الطائي . كان من أعلمِ الناس بأيامِ العرب وأخبارِها وأشعارِها ولغاتِها ؛ وهو الذي جمعَ السبعَ المعلَّقاتِ الطِّوال ؛ وإنما سُمِّي الراويةَ لكثرةِ روايتِهِ الشعرَ عن العرب . اختبرَهُ الوليدُ بن يزيد بن عبدِ الملك أميرُ المؤمنين في ذلك ، فأنشدَهُ تسعاً وعشرينَ قصيدةً على حروفِ المعجم ، كلُّ قصيدةٍ نحوٌ من مئةِ بيت . وزعم أنه لا يُسمَّى شاعرٌ من شعراءِ العرب إلاَّ أنشدَ له ما لا يحفظُه غيرُه . فأطلق له مئةَ ألفِ درهم .

وذكر أبو محمد الحريري في كتابِهِ « دُرَّة الغوَّاص » أنَّ هشام بن عبد الملك استدعاهُ من العراق من نائبِهِ يوسف بن عمر ، فلما دخل عليه إذا هو في دارٍ قَوْرَاء[٢] ، مُرَخَّمةٍ بالرُّخامِ والذهب ، وإذا عنده جاريتانِ حسَنَتان جدّاً ، فاستنشدَهُ شيئاً ، فأنشده ، فقال له : سَلْ حاجَتَك . فقال : كائنةً ما كانتْ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : وما هي ؟ فقال : تُطلِّق لي إحدى هاتين الجاريتَيْن . فقال : هما وما عليهما لك . وأخلاهُ في بعض دارِه وأطلقَ له مئةَ ألفِ درهم .

هذا مُلَخَّصُ الحكاية ، والظاهرُ أنَّ هذا الخليفةَ إنما هو الوليدُ بن يزيد ، فإنه ذكَرَ أنه شَرِبَ معهُ الخمر ، وهشامٌ لم يكنْ يشرَب ، ولم يكنْ نائبَهُ على العراق يوسُف بن عمر ، إنما كان نائبَهُ خالدُ بن عبدِ الله القَسْري ، وبعدَهُ يوسف بن عمر بن عبد العزيز .

وكانت وفاةُ حمَّاد في هذه السنة ، عن ستين سنة . قال ابنُ خَلِّكان[٣] : وقيل إنه أدرك أوَّلَ خلافةِ المهدي في سنةِ ثمانٍ وخمسين . فالله أعلم .

وفيها قُتل :

حَمَّاد عَجْرَد[٤] على الزَّنْدَقَة ، وهو حَمَّاد بن عمر بن يونس بن كُليب الكوفي ، ويقال إنه واسطي ،

---

(١) ترجمته في طبقات فحول الشعراء (١/ ٤٨) ، الأغاني (٦/ ٧٩) ، الفهرست ص(١٣٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٠٦) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٥٧) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٨) ، المنتظم لابن الجوزي (٨/ ٢٧٢) ، نزهة الألباب في الألقاب ص(٢٢٣) ، لسان الميزان (٢/ ٣٥٢) ، المزهر للسيوطي (٢/ ٣٤٨) .

(٢) الدار القوراء : واسعة الجوف . لسان العرب (قور) .

(٣) في وفيات الأعيان (٢/ ٢٠٩) .

(٤) ترجمته في الأغاني (١٤/ ٣١٣) ، تاريخ بغداد (٨/ ١٤٨) ، المنتظم لابن الجوزي (٨/ ٢٩٦) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢١٠) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٥٦) ، كتاب حماد عجرد (ذكره النديم في الفهرست ص(٢٠٢ ، نزهة=

مولى بني سواد ، وكان شاعراً ماجناً ظريفاً زنديقاً خَليعاً ، مُتَّهماً على الإسلام ، وقد أدرك الدولتين الأمويَّةَ والعباسية ، ولم يشتهر إلا في أيام بني العباس ، وكان بينه وبين بشَّار بن بُرْد مُهاجاةٌ كثيرة ، وقد قُتل بشارٌ هذا على الزَّنْدَقةِ أيضاً كما سيأتي ، ودُفن مع حماد هذا جانب قبرِه . وقيل : إنَّ حماد عجرد ماتَ سنةَ ثمانٍ وستين ، وقيل : إحدى وستين ومئة . فالله أعلَم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومئة

فيها ظَفِر الهيثمُ بن معاوية نائبُ المنصور على البصرة بعمرو بن شدَّاد ، الذي كان عاملاً لإبراهيم بن عبد الله على فارس ؛ فقيل : أمر فقُطِعَتْ يداهُ ورِجلاه وضُربت عُنقه ثم صُلب .

وفيها عزل المنصورُ الهيثمَ بن معاوية هذا الذي فعل هذه الفَعْلَةَ عن البصرة ، وولَّى عليها قاضيها سَوَّار بنَ عبدِ الله ، فجمع له بين القضاء والصلاة ، وجعل على شُرْطتِها وأحداثِها سعيدَ بنَ دَعْلَج ، ورجع الهيثمُ بن معاوية قاتلُ عمرِو بن شدَّاد إلى بغداد ، فمات فيها فجأةً في هذه السنة ، وهو على بطنِ جاريةٍ له ، وصلَّى عليه المنصور ، ودُفن في مقابر بني هاشم ، ويُقال : أصابَهُ عمرو بن شدَّاد الذي قتله تلك القِتْلَة . فليتَّقِ العبدُ الظلم .

وحجَّ بالناسِ العباسُ بن محمد أخو المنصور ؛ ونُوَّابُ البلاد همُ المذكورون في التي قبلَها ؛ وعلى فارس والأهواز وكُوَرِ دِجْلَةَ عمارةُ بن حمزة ؛ وعلى كَرْمانَ والسِّنْد هشام بن عمرو .

وفيها تُوفِّي :

حمزَةُ الزيَّات[1] في قول وهو أحدُ القرَّاء المشهورين ، والعُبَّاد المذكورين ، وإليه تُنسب المُدودُ الطويلة في القراءة اصطلاحاً من عندِه ، وقد تكلَّم فيه بسببِها بعضُ الأئمة ، وأنكروها عليه .

وسعيد بن أبي عَرُوبة وهو أولُ منْ جمَعَ السُّنَن في قول .

وعبدُ الله بن شَوْذَب .

وعبد الرحمن بن زياد بن أنْعُم الإفريقي .

وعُمَرُ بن ذَرّ .

= الألباب في الألقاب (٢/ ٢٣) ، لسان الميزان (٢/ ٣٤٩) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٨) .

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٨٥) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٦٨) ، الفهرست ص(٤٤) ، صفة الصفوة (٣/ ١٥٦) ، المنتظم (٨/ ١٨٨) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢١٦) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٠) ، معرفة القراء الكبار (١/ ١١١) ، العبر (١/ ٢٢٦) ، طبقات المحدثين ص(٦٠) ، مآثر الإنافة (١/ ١٨٠) ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ص(٤٢٣) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٨) ، شذرات الذهب (١/ ٢٤٠) .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومئة

فيها بَنَى المنصورُ قصرَهُ المسمَّى بالخُلْد في بغداد ، تفاؤلاً بالتَّخْليدِ في الدنيا ، فعندَ كمالِهِ مات ، وخَرِبَ القصرُ من بعدِه ؛ وكان المستحثَّ في عمارته أبانُ بن صدقة ، والربيعُ مولى المنصور ـ وهو حاجبُه ـ وفيها حوَّل المنصورُ الأسواقَ من قُرْبِ دارِ الإمارةِ إلى باب الكَرْخ .

وقد ذكرنا فيما تقدَّم سببَ ذلك[١] .

وفيها أمر بتوسعةِ الطُّرقات ، وفيها أمَرَ بعمَلِ جسرٍ عند باب الشعير ، وفيها استعرَضَ المنصورُ جُنْدَهُ وهم مُلْبسون السلاح ، وهو أيضاً لابسٌ سلاحاً عظيماً ؛ وكان ذلك عند دِجْلة .

وفيها عَزَلَ عن السِّنْد هشامَ بن عمرو وولَّى عليها معبد بن الخليل[٢] .

وفيها غزا الصائفةَ يزيدُ بن أسيد السُّلَمي ، فأوْغَلَ في بلادِ الروم ، وبعث سِنَاناً مولى البَطَّال مقدِّمةً بين يديه ، ففتح حصوناً ، وسَبَى وغَنِم .

وفيها حَجَّ بالناسِ إبراهيمُ بن يحيى بن محمد بن عليّ ، ونُوَّابُ البلاد همُ المذكورونَ في التي قبلَها .

وفيها تُوفي :

الحسين بن واقد .

والإمام الجليل علَّامةُ الوقت أبو عمرو . عبد الرحمن بن عمرو الأوْزَاعيّ[٣] فقيهُ أهلِ الشام وإمامُهم ، وقد بقي أهلُ دمشق وما حولَها من البلاد على مذهبِهِ نحواً من مئتين وعشرين سنة .

---

(١) انظر ص(٣٣٦ ، ٣٣٧) من هذا الجزء .

(٢) في (ب ، ق) : « سعيد بن الخليل » ، والمثبت من (ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٥١١) ، وما سيأتي في ص(٣٧٨) من هذا الجزء .

(٣) ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٤٨٨) ، بحر الدم لأحمد بن حنبل ص(٢٦٤) ، التاريخ الكبير (٥/ ٣٢٦) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٥٦٦) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٨٣) ، الجرح والتعديل (١/ ١٨٤) ، و(٥/ ٢٦٦) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٨٠) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٦٢) ، التعديل والتجريح (٢/ ٨٧٣) ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٣٥/ ١٤٧) ، صفة الصفوة (٤/ ٢٥٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٢٧) ، تهذيب الكمال (١٧/ ٣٠٧) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٠٥) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٤٢٩) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧) ، الكاشف (١/ ٦٣٨) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٣٦٥) ، طبقات الفقهاء للشيرازي ص(٧١) ، تحفة التحصيل ص(٢٠٢) ، تهذيب التهذيب (٦/ ٢١٦) ، تقريب التهذيب ص(٣٤٧) ، لسان الميزان (٧/ ٢٨٣) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٣٠) ، شذرات الذهب (١/ ٢٤١) .

شيء من ترجمة الأوزاعي رحمه الله

هو عبدُ الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد ، أبو عمرو الأوزاعي ، والأوْزاع بطنٌ من حِمْيَر ، وهو من أنفسِهم . قاله محمدُ بن سعد(١) . وقال غيرُه : لم يكن من أنفُسهم ، وإنما نزلَ في مَحَلَّةِ الأوزاع ؛ وهي قريةٌ خارجَ بابِ الفراديس من قُرَى دمشق ؛ وهو ابنُ عمٍّ يحيى بن عمرو الشيباني .

قال أبو زُرْعة : وأصلُهُ من سبي السِّنْد ، فنَزَلَ الأوْزاع ، فغلَب عليه النسبةُ إليها .

وقال غيره : ولد ببَعْلَبَكَّ ، ونشأ بالبقاع يتيماً في حِجْرِ أُمِّه ، وكانت تنتقلُ بهِ من بلدٍ إلى بلد ، وتأدَّب بنفسِه ، فلم يكنْ في أبناءِ الملوكِ والخلفاءِ والوزراءِ والتُّجَّارِ وغيرهم أعقلَ منه ، ولا أوْرَع ولا أعلم ولا أفصَح ولا أوْقَرَ ولا أحلمَ ولا أكثرَ صَمْتاً منه ؛ ما تكلَّم بكلمةٍ إلاَّ كان المتعيِّنُ على منْ سَمِعها من جلسائه أنْ يكتبَها عنهُ من حسنِها .

وكان يُعاني الرسائلَ والكتابة ، وقد اكتتبَ مرَّةً في بعثٍ إلى اليمامة ؛ فسمع الحديث من يحيى بن أبي كثير ، وانقطعَ إليه ، فأرشدَهُ إلى الرحلة إلى البصرةِ ليسمعَ من الحسنِ وابنِ سيرين ، فسارَ إليه فوجد الحسنَ قد تُوفِّيَ من شهرَيْن ، ووجد ابنَ سيرين مريضاً ، فجعل يتردَّدُ لعيادتِه ، فقَوي المرضُ به ومات ؛ ولم يسمع منه الأوزاعيُّ شيئاً .

ثم جاء فنزل دمشقَ بمحلَّةِ الأوْزَاع ـ خارجَ بابِ الفَرَاديس ـ وسادَ أهلَهَا في زمانِه وسائرَ البلادِ في الفِقْهِ والحديثِ والمغازي وغيرِ ذلك من علومِ الإسلام ؛ وقد أدركَ خلقاً من التابعين وغيرهم ، وحدَّثَ عنه جماعاتٌ من ساداتِ المسلمين ، كمالكِ بن أنس ، والثوري والزُّهري ـ وهو من شيوخِه ـ وأثنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة ، وأجمع المسلمونَ على عدالتِهِ وإمامتِه .

قال مالك : كان الأوزاعي إماماً يُقتدى به . وقال سفيانُ بن عُيينة وغيره : كان الأوزاعيُّ إمامَ أهلِ زمانهِ ؛ وقد حجَّ مرةً فدخلَ مكةَ وسفيانُ الثوري آخذٌ بزمامِ جمَلِه ، ومالكُ بن أنس يسوقُ به ، والثوريُّ يقول : افسحوا للشيخ ؛ حتى أجلساه عندَ الكعبة ، وجلَسا بين يديه يأخذانِ عنه . وقد تذاكَرَ مالكٌ والأوزاعي مرَّةً بالمدينةِ من الظهر حتى صلَّيَا العصر ، ومن العصرِ حتى صلَّيَا المغرب ؛ فغَمَرَهُ الأوزاعيُّ في المغازي ، وغمَرَهُ مالكٌ في الفقه ، أو في شيءٍ من الفقه .

وتناظَرَ الأوزاعيُّ والثوريُّ في مسجدِ الخليفةِ في مسألةِ رفعِ اليدَيْنِ في الركوعِ والرَّفْعِ منه ، فاحتجَّ الأوزاعيُّ على الرفعِ في ذلك بما رواهُ عن الزُّهري عن سالم ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يرفعُ يدَيْهِ

(١) في ترجمته في الطبقات الكبرى (٧/ ٤٨٨) .

في الرُّكوع والرفعِ منه ؛ واحتجَّ الثوريُّ بحديثِ يزيدَ بنِ أبي زياد ، فغضِبَ الأوزاعيُّ وقال : تُعارضُ حديثَ الزهري بحديثِ يزيدَ بن أبي زياد وهو رجلٌ ضعيف ؟! فاحمارَّ وجهُ الثوري ، فقال الأوزاعي : لعلَّكَ كرهتَ ما قلتُ ؟ قال : نعم . قال : فقُمْ بنا حتى نلتعنَ عندَ الرُّكْن أيُّنا على الحق . فسكت الثوريُّ .

وقال هِقْلُ بن زِيَاد : أفتى الأوزاعيُّ في سبعينَ ألفِ مسألةٍ بحدَّثَنا وأخبرَنا .

وقال أبو زُرْعة : روي عنه ستونَ ألفَ مسألة .

وقال غيرُهما : أفتى في سنةِ ثلاثَ عشرةَ ومئة ، وعمرُه إذْ ذاك خمسٌ وعشرون سنة ؛ ثم لم يزلْ يُفتي حتى مات ، وعَقْلُهُ زاكٍ .

وقال يحيى القطَّان عن مالك : اجتمع عندي الأوزاعيُّ والثوريُّ وأبو حَنيفة ، فقلتُ : أيُّهم أرجح ؟ قال : الأوزاعي .

وقال محمد بن عَجْلان : لم أرَ أحداً أنصَحَ للمسلمينَ من الأوزاعي .

وقال غيرُه : ما رُئِيَ الأوزاعيُّ ضاحكاً مقهقِهاً قطّ ، ولقد كان يَعِظُ الناس ، فلا يَبقَى أحدٌ في مجلسه إلَّا بَكَى بعينهِ وبقلبِه ؛ وما رأيناهُ يَبْكي في مجلسِهِ قطّ ، وكان إذا خَلا بكَى حتى يُرْحَم .

وقال يحيى بن مَعين : العلماءُ أربعة : الثوريُّ ، وأبو حنيفة ، ومالك ، والأوزاعي .

قال أبو حاتم : كان ثقةً مُتَّبعاً لما سمع .

قالوا : وكان الأوزاعيُّ لا يَلْحَنُ في كلامِه ، وكانت كُتُبُه تَردُ على المنصور فينظرُ فيها ويتأمَّلُها ويتعجَّبُ من فصاحتِها وحلاوةِ عباراتِها ؛ وقد قال المنصورُ يوماً لأحْظَى كُتَّابِهِ عندَه ـ وهو سليمانُ بن مجالد ـ : ينبغي أنْ نجيبَ الأوزاعيَّ على ذلك دائماً لنستعينَ بكلامِهِ فيما نُكاتبُ به إلى الآفاق إلى منْ لا يعرفُ كلامَ الأوزاعي . فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ، لا يَقدِرُ أحدٌ من أهلِ الأرضِ على مثلِ كلامِه ، ولا على شيءٍ منه .

وقال الوليد بنُ مسلم : كان الأوزاعي إذا صلَّى الصُّبْح جلس يذكرُ الله سبحانه وتعالى حتى تطلُعَ الشمس ؛ وكان يَأثِرُ عن السلف ذلك ، قال : ثم يقومون فيتذاكرون في اللغةِ والفقهِ والحديث .

وقال الأوزاعي : رأيتُ ربَّ العزَّةِ في المنام فقال : أنت تأمرُ بالمعروف وتنهَى عن المنكر ؟ فقال : بفَضْلِكَ أيْ ربّ ؛ ثم قلت : يا ربّ ، أمِتْني على الإسلام . فقال : وعلى السُّنَّة .

وقال محمد بن سابور : قال لي شيخٌ بجامعِ دمشق : أنا ميتٌ في يوم كذا وكذا . فلمّا كان في ذلك اليوم رأيتُهُ في صحنِ الجامع يتفلَّى ، فقال لي : اذهبْ إلى سريرِ الموتى فأحرِزْهُ لي عندك قبل أن تُسبق إليه . فقلت : ماذا تقول ؟ فقال : هو ما أقولُ لك ، وإني رأيتُ كأنَّ قائلاً يقول : فلانٌ قَدَري ، وفلان

كذا ، وعثمانُ بن أبي العاتكة نعمَ الرجل ، وأبو عمرو الأوزاعي خيرُ منْ يمشي على وجه الأرض ؛ وأنتَ ميِّتٌ في يومِ كذا وكذا . قال محمد بن شُعيب : فما جاء الظهر حتى مات ، وصلَّينا عليه بعدَها ، وأُخرجت جنازتُه . ذكر ذلك ابنُ عساكر[١] .

وكان الأوزاعي رحمه الله كثيرَ العبادة ، حسنَ الصلاة ، وَرِعاً ناسِكاً ، طويلَ الصمت ، وكان يقول : منْ أطالَ القيامَ في صلاة الليل هَوَّنَ الله عليه طُولَ القيام يوم القيامة . أخذَ ذلك من قولِهِ تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٦ ـ ٢٧] .

وقال الوليد بن مسلم : ما رأيتُ أحداً أشدَّ اجتهاداً من الأوزاعي في العبادة . وقال غيرُه : حجَّ فما نامَ على الراحلة ، إنما هو في صلاة ، فإذا نَعَسَ استندَ إلى القَتَب ؛ وكان من شدَّة الخشوع كأنه أعمى .

ودخلتِ امرأةٌ على امرأةِ الأوزاعي ، فرأتِ الحصيرَ الذي يُصلِّي عليه مبلولاً ، فقالت لها : لعلَّ الصبيَّ بال هاهنا . فقالت : هذا أثرُ دموعِ الشيخ من بكائهِ في سجودِهِ هكذا يصبحُ كلَّ يوم .

وقال الأوزاعي : عليك بآثارِ منْ سلَفَ وإنْ رَفَضَكَ الناس ، وإياك وأقوالَ الرجالِ وإنْ زخرفوهُ وحسَّنوه ، فإنَّ الأمر ينجلي وأنت منه على طريقٍ مستقيم .

وقال أيضاً : اصبِرْ على السُّنَّة ، وقفْ حيثُ يقفُ القوم ، وقل ما قالوا ، وكُفَّ عمَّا كفُّوا ؛ ولْيَسَعْكَ ما وَسِعَهم .

وقال : العلمُ ما جاء عن أصحابِ محمد ، وما لم يجىء عنهم فليس بعلم . وكان يقول : لا يجتمعُ حبُّ عليٍّ وعثمانَ إلَّا في قلبِ مؤمن . وإذا أراد الله بقومٍ شرّاً فتح عليهم باب الجدَل ، وسدَّ عنهم باب العِلم والعمَل .

قالوا : وكان الأوزاعيُّ من أكرمِ الناسِ وأسخاهم ، وكان له في بيت المال على الخلفاء إقطاعٌ صار إليه في بني أمية ، وقد وصل إليه من خلفاء بني أمية وأقاربهم وبني العباس نحو سبعين ألف دينار ، فلم يُمسِكْ منها شيئاً ، ولا اقتنى شيئاً من عقارٍ ولا غيرِه ، ولا ترك يومَ ماتَ سوى سبعةِ دنانيرَ كانتْ جهازه ؛ بل كان يُنفق ذلك في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين .

ولما دخل عبدُ الله بن علي [عمُّ السفَّاح الذي أجلى بني أمية عن الشام ، وأزال الله سبحانه وتعالى دولتهم على يدِهِ][٢] دمشقَ فطلبَ الأوزاعي ، فتغيَّب عنه ثلاثةَ أيام ، ثم حضَرَ بين يديه ، قال الأوزاعي : دخلتُ عليه وهو على سرير ، وفي يده خَيْزُرَانة ، والمسوِّدَةُ عن يمينِهِ وشمالِه ، معهم السيوفُ مُصْلَتَة ،

---

(١) في تاريخه (٣٥/ ١٩٤) .
(٢) ليس ما بين المعقوفين في (ب ، ح) ، وهو من (ق) .

والعُمد الحديد ، فسلمتُ عليه فلم يَرُدّ ، ونَكَتَ بتلك الخيْزُرانةِ التي في يده ثم قال : يا أوزاعي ، ما ترى فيما صنَعْنا من إزالةِ أيدي أولئك الظلمةِ عن العباد والبلاد ؟ أجهاداً ورِباطاً هو ؟ قال : فقلت : أيُّها الأمير ، سمعتُ يحيى بن سعيد الأنصاريَّ يقول : سمعتُ محمد بن إبراهيم التيميَّ يقول : سمعتُ علقمةَ بن وقَّاصٍ يقول : سمعتُ عمرَ بن الخطاب يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنما الأعمالُ بالنِّيَّات ، وإنما لكلِّ امرىءٍ ما نَوَى ، فمنْ كانتْ هجرَتُهُ إلى اللهِ ورسولِه ، فهجرتُهُ إلى الله ورسولِه ، ومنْ كانتْ هجرتُهُ لِدُنيا يُصيبها ، أو امرأةٍ يتزوَّجُها فهجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليه »[(١)] . قال : فنكَتَ بالخَيْزُرانةِ أشدَّ مما كان ينكُت ؛ وجعل منْ حَوْلَهُ يقبضُونَ أيديَهم على قبضاتِ سُيوفِهم ؛ ثم قال : يا أوزاعيّ ، ما تقولُ في دماء بني أمية . فقلت: قال رسولُ الله ﷺ : « لا يَحِلُّ لمسلم دَمُ امْرىءٍ مسلم إلاَّ بإحدى ثلاث : النفسُ بالنفس ، والثَّيِّبُ الزَّاني ، والتاركُ لدينِه المفارقُ للجماعة »[(٢)] . فنكَتَ بها أشدَّ من ذلك ، ثم قال : ما تقولُ في أموالِهم ؟ فقلت : إنْ كانتْ في أيديهم حراماً فهي عليك أيضاً ؛ وإنْ كانتْ لهم حلاًّ فلا تَحِلُّ لك إلا بطريقٍ شرعي . فنكَتَ أشدَّ ممَّا كان ينكُتُ قبلَ ذلك ؛ ثم قال : ألا نُوَلِّيك القضاء ؟ فقلت : إنَّ أسلافَكَ لم يكونوا يَشُقُّونَ عليَّ في ذلك ، وإني أُحِبُّ أن يتمَّ ما ابتدؤوني به من الإحسان . فقال : كأنَّكَ تحبُّ الانصراف. فقلت : إنَّ ورائي حُرَماً ، وهم محتاجونَ إلى القيامِ عليهنَّ وسترِهنّ ، وقلوبُهنَّ مشغولةٌ بسببي. قال: وانتظرتُ رأسي أنْ يسقُطَ بين يدي؛ فأَمَرَني بالانصراف، فلما خرجتُ إذا برسولِهِ من ورائي، وإذا معه مئتا دينار ، فقال : يقولُ لك الأمير : استنفِقْ هذه . قال : فتصدَّقْتُ بها . وإنما أخذتُها خوفاً .

قال : وكان في تلك الأيام الثلاثة صائماً ، فيقال : إنَّ الأمير لمّا بلغه ذلك عرَضَ عليه الفِطْرَ عندَهُ فأبَى أن يُفطرَ عندَه .

قالوا : ثم رحل الأوزاعيُّ من دمشق ، فنزل بيروتَ مُرابطاً بأهله وأولادِه . قال الأوزاعي : وأعجبني في بيروت أنِّي مررتُ بقبورِها ، فإذا امرأة سوداءُ في القبور فقلتُ لها : أين العِمَارةُ يا هَنَتَاه[(٣)] ؟ فقالت : إنْ أردتَ العِمَارَةَ فهي هذه ـ وأشارت إلى القبور ـ وإنْ كنتَ تُريدُ الخرابَ فأمامَكَ ـ وأشارت إلى البلد ـ فعزمتُ على الإقامةِ بها .

وقال محمد بن كثير : سمعتُ الأوزاعيَّ يقول : خرجتُ يوماً إلى الصحراء ، فإذا رِجْلُ جرادٍ[(٤)] ،

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣) (١) ؛ ومسلم (٣/ ١٥١٥) (١٩٠٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٢١) (٦٤٨٤) ؛ ومسلم (٣/ ١٣٠٣) (١٦٧٦) ؛ وغيرهما .

(٣) يا هنتاه : قال الخطابي : معناه يا هذه ، يقال للمذكر إذا كُني عنه : هَنٌ ، وللمؤنث هَنَةٌ . وقد ذكر الحُميدي أنَّ معناه البَلْهاء ، فهو نسبةٌ إلى البَلَهِ وقِلَّة المعرفة . غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٥٠٢ ، ٥٠٣) .

(٤) الرِّجْل : الطائفةُ من الشيء ، أنثى ؛ وخصَّ بعضُهم بهِ القطعةَ العظيمةَ من الجراد والجمع أرجال ؛ وهو جمعٌ على غير لفظ الواحد . لسان العرب (رجل) .

وإذا شخصٌ راكبٌ على جَرَادةٍ منها وعليه سلاحُ الحديد ، وكلَّما قال بيدِهِ هكذا ـ إلى جهةٍ ـ مالَ الجرادُ مع يده وهو يقول : الدنيا باطل باطل باطل ، وما فيها باطل باطل باطل .

وقال الأوزاعي : كان عندنا رجلٌ يخرجُ يومَ الجمعةِ إلى الصيد ، ولا ينتظرُ الجمعة ، فخُسف ببغلتِه ، فلم يبقَ منها إلا أُذُناها .

وخرج الأوزاعيُّ[1] يوماً من بابِ مسجدِ بيروت ، وهناك كان فيه رجلٌ يبيعُ النَّاطِف[2] ، وإلى جانبِهِ رجلٌ يبيع البصل وهو يقول له : يا بصل أحلى من العسل ؛ أو قال : أحلى من الناطف . فقال الأوزاعي : سبحان الله ! [أيظنُّ هذا أنَّ شيئاً من الكذبِ يُباح ؟ فكأنَّ هذا][3] ما يَرَى في الكذبِ بأساً .

وقال الواقدي : قال الأوزاعي : كُنَّا قبل اليوم نضحكُ ونلعب ، أمَّا إذْ صِرْنا أئمَّةً يُقتدَى بنا فلا نرى أنْ يسعَنا ذلك ، وينبغي أن نتحفَّظ .

وكتب إلى أخٍ له : أمَّا بعد ، فقد أُحيط بك من كلِّ جانب ، وإنه يُسارُ بك في كلِّ يومٍ وليلة ، فاحذرِ الله والقيامَ بين يديه ، وأنْ يكون آخرَ العهدِ بك ، والسلام .

وقال ابنُ أبي الدنيا[4] : حدّثني محمد بن إدريس ، سمعتُ أبا صالحٍ كاتبَ اللَّيث يذكُرُ عن الهِقْل بنِ زياد ، عن الأوزاعي أنه وعَظَ فقالَ في موعظته : أيها الناس تقوَّوْا بهذه النِّعَم التي أصبحتم فيها على الهربِ من نار الله الموقدة ، التي تطَّلِعُ على الأفئدة ، فإنَّكم في دارٍ الثَّوَاءُ فيها قليل ، وأنتم عمَّا قليل عنها راحلون ، خلائف بعدَ القرون الماضية ، الذين استقبلوا من الدنيا آنَقَها وزهرتَها ، فهم كانوا أطولَ منكم أعماراً ، وأمَدَّ أجساماً ، وأعظمَ أحلاماً ، وأكثرَ أموالاً وأولاداً ؛ فخدَّدوا الجبال ، وجابوا الصخرَ بالواد ، وتنقَّلوا في البلاد ، مؤيَّدينَ ببطشٍ شديد وأجسادٍ كالعماد ، فما لَبِثَتِ الأيامُ والليالي أنْ طوَتْ آثارَهم ، وأخربتْ منازلَهم وديارَهم ، وأنْسَتْ ذكرَهم ، فـ ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم : ٩٨] ، كانوا بِلَهْوِ الأمل آمنين ، وعن ميقاتِ يومِ موتِهم غافلين ، فآبوا إيابَ قومٍ نادمين ، ثم إنكم قد علمتمُ الذي نزَلَ بساحتِهم بياتاً من عقوبة الله ، فأصبح كثيرٌ منهم في ديارِهم جاثِمين ، وأصبح الباقون المتخلِّفون يُبصرون في نعمةِ الله ، وينظرون في آثار نِقْمَتِه ، وزوالِ نعمتِه عمَّنْ تقدَّمَهم من الهالِكين ، ينظرونَ واللهِ في مساكنَ خاليةٍ خاوية ، وقد كانتْ بالعِزِّ مَحْفوفة ، وبالنعم معروفة ، والقلوب إليها

---

(١) من هنا إلى كلمة الأوزاعي في الخبر التالي ساقط من نسخة (ب) .

(٢) الناطف : القُبَّيْط ، لأنه يتنطف قبل استضرابه أي يسيل ويقطرُ قبل خثورته ، وهو نوعٌ من الحلواء ، يسمَّى القُبَّيْطَى إذا أنَّثوه ، وإذا ذكَّروه قالوا : قُبَّيْط . لسان العرب (نطف) .

(٣) ما بين معقوفين زيادة من (ق) .

(٤) في كتابه الشكر ص (١٤) (٣٠) .

مصروفة ، والأعين نحوها ناظرة ، فأصبحتْ آيةً للذين يخافونَ العذابَ الأليم ، وعبرةً لمن يَخْشَى ، وأصبحتُم بعدَهم في أجلٍ مَنْقوص ، ودنيا منقوصة ، في زمانٍ قد وَلَّى عَفْوُه ، وذهب رجاؤُه وخَيْرُهُ وصفوُه ، فلم يبقَ منه إلاَّ جُمَّةُ شَرٍّ[١] ، وصُبَابَةُ كَدَر ، وأهاويلُ عِبَر ، وعُقوباتُ غِيَر ، وإرسال فتن ، وتتابع زلازل ، ورذالة خَلَف ؛ بهم ظهر الفسادُ في البرِّ والبحر ، [يضيِّقونَ الديار ، ويُغلونَ الأسعار ، بما يرتكبونه من العارِ والشَّنَار][٢] ؛ فلا تكونوا أشباهاً لِمَنْ خدعَهُ الأمل ، وغرَّهُ[٣] طولُ الأجَل ، ولعبَتْ به الأماني ؛ نسألُ الله أن يجعلَنا وإيَّاكم ممَّنْ إذا دُعي بَدَر ، وإذا نُهي انتهى وعَقَل مثواه[٤] ، فمهد لنفسه .

وقد اجتمع الأوزاعيُّ بالمنصور حين دخل الشام ، ووعَظَهُ وأحبَّهُ المنصور وعظَّمه ، ولما أراد الانصرافَ من بين يديه استأذنه في أنْ لا يلبسَ السواد ، فأذِنَ له ، فلما خرج قال المنصور للربيع الحاجب : الْحَقْهُ فاسألْهُ لِمَ كَرِهَ لُبْسَ السواد ؟ ولا تُعلِمْهُ أنِّي قلتُ لك . فسألَهُ الربيع ، فقال : لأني لم أرَ مُحْرِماً أحرَمَ فيه ، ولا ميتاً كُفِّن فيه ، ولا عروساً جُليَتْ فيه ، فلهذا أكرهُه .

وقد كان الأوزاعيُّ في الشام معظَّماً مُكَرَّماً ، أمرُهُ أعزُّ عندَهم من أمرِ السلطان ، وقد همَّ به بعضُ الولاةِ مرَّةً ، فقال له أصحابُه : دَعهُ عنك ، واللهِ لو أمرَ أهلَ الشامِ أنْ يقتلوك لقتلوك .

ولما مات جلس على قبرِهِ بعضُ الولاة فقال : رحمك الله ، فوالله لقد كنتُ أخافُ منك أكثرَ ممَّا أخافُ من الذي ولاَّني ـ يعني المنصور .

وقال ابنُ أبي العشرين : ما مات الأوزاعيُّ حتى جلسَ وحدَه ، وسمع شَتْمهُ بأذنه .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدَّثنا محمد بن عُبيد الطَّنَافسي ، قال : كنتُ جالساً عند الثوري ، فجاءه رجلٌ فقال : رأيتُ كأنَّ ريحانةً من المغرب ـ يعني قُلعَتْ ـ قال : إنْ صدقَتْ رؤياك فقد مات الأوزاعي . فكتبوا ذلك ، فجاء موتُ الأوزاعيِّ في ذلك اليوم .

وقال أبو مُسْهر : بلَغَنا أنَّ سببَ موتِهِ أنَّ امرأته أغلقَتْ عليه بابَ حمَّام فمات فيه ، ولم تكنْ عامدةً ذلك ، فأمَرَها سعيدُ بن عبدِ العزيز بِعتْقِ رقبة . قال : وما خَلَّفَ ذهباً ولا فضَّةً ولا عَقاراً ، ولا متاعاً ، إلاَّ ستةً وثمانين فضَلَتْ من عَطَائِه . وكان قد اكتُتِبَ في ديوانِ السَّاحل .

---

(١) في الشكر لابن أبي الدنيا : « حمة » بالحاء المهملة ، والمثبت من الأصول . والحُمَة ـ بالحاء المهملة وتخفيف الميم ـ : هي الإبرة التي تضرب بها الحية والعقرب والزنبور ونحو ذلك أو تلدغ بها ، وسُمُّ كل شيء يلدغ ويلسع . لسان العرب (حمم ، جمم) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ق) ، ليست في (ب ، ح) ولا في كتاب الشكر لابن أبي الدنيا .

(٣) في (ق) : « وغَيَّرَهُ » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٤) كذا في (ق) ، وفي كتاب الشكر « ممن وعى نفسه فانتهى وعقل مسراه » ، وفي (ح) : « ممن دعى بدره » ، وفي (ب) : « ممن وعى نذره وبلغ انتهى وعقل مثواه » .

وقال غيره : كان الذي أغلَقَ عليه بابَ الحمّام صاحبُ الحمَّام ، أغلقَهُ وذهبَ لحاجةٍ له ، ثم جاء ففتح الحمَّام فوجدَهُ ميتاً قد وضع يدَهُ اليُمنَى تحت خدِّه وهو مستقبِل القبلة . رحمه الله .

قلتُ : لا خلافَ أنه ماتَ ببيروتَ مُرَابطاً ، واختلفوا في سنةِ وفاتِه ، فروى يعقوبُ بن سفيان عن سلمة ، قال : قال أحمد : رأيتُ الأوزاعيَّ وتوفي سنةَ خمسين ومئة . قال العباس بن الوليد البيروتي : تُوفي يومَ الأحد أولَ النهار لليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين ومئة ، وهو الذي عليه الجمهور ، وهو الصحيح ، وهو قولُ أبي مُسهر ، وهشام بن عمار ، والوليد بن مسلم ـ في أصحِّ الرواياتِ عنه ـ ويحيى بن معين ، ودُحَيم ، وخليفة بن خياط ، وأبي عُبيد ، وسعيد بن عبد العزيز ، وغير واحد . قال العباس بن الوليد : ولم يبلغ سبعين سنة . وقال غيره : جاوز السبعين . والصحيح سبع وستون سنة ، لأنَّ ميلادَهُ في سنةِ ثمانٍ وثمانين على الصحيح . وقيل : إنه ولد سنة ثلاثٍ وسبعين . وهذا ضعيف .

وقد رآه بعضُهم في المنام فقال له : دُلَّني على عملٍ يُقرِّبُني إلى الله . فقال : ما رأيتُ في الجنةِ درجةً أعلى من درجةِ العلماء العاملين ثم المحزونين .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وخمسين ومئة

فيها تكامل بناء قصرِ المنصور المسمَّى بالخُلْد ، وسكنَهُ أياماً يسيرَة ثم مات وتركَه .

وفيها مات طاغيةُ الروم . وفيها وجَّه المنصور ابنَهُ المهديَّ إلى الرقة ، وأمرَهُ بعَزْل موسى بن كعب عن الموصل ، وأن يُولِّيَ عليها خالد بن بَرْمَك ، وكان ذلك بعد نُكْتَةٍ غريبةٍ اتفقتْ ليحيى بن خالد ، وذلك أنَّ المنصور كان قد غَضِبَ على خالد بن بَرْمَك ، وألزَمَهُ بِحَمْلِ ثلاثةِ آلاف ألف ، فضاق ذَرْعاً بذلك ، ولم يبقَ له مالٌ ولا حال ، وعجزَ عن أكثرِ ما طـلَبَهُ منه ، وقد أجَّلَهُ ثلاثةَ أيام ، وأن يحمل ذلك في هذه الثلاثة أيام وإلاَّ فدَمُهُ هَدَر . فجعل يُرسِلُ ابنَهُ يحيى إلى أصحابِه من الأمراء يستقرضُ منهم ، فكان منهم مَنْ أعطاهُ مئةَ ألف ، ومنهم أقلَّ وأكثر . قال يحيى بن خالد : فبينا أنا ذاتَ يومٍ من تلك الأيامِ الثلاثة على جسرِ بغداد وأنا مَهْمُومٌ في تحصيلِ ما طُلب منَّا مِمَّا لا طاقةَ لنا به إذْ وثَبَ إليَّ زاجرٌ من أولَئك الذين يكونون عند الجسر ، من الطُّرُقِيَّة ، فقال لي : أبشِرْ . فلم ألتفِتْ إليه ، فتقدم حتى أخذ بِلِجامِ فرسي ثم قال لي : أنت مَهْموم ، لَيُفرِّجَنَّ الله هَمَّك ، ولَتَمُرَّنَّ غداً في هذا الموضع واللواءُ بين يديك ، فإنْ كان ما قلتُ لكَ حقّاً فلي عليك خمسةُ آلاف . فقلت : نعم ، ولو قال خمسون ألفاً لقلتُ نعم ، لِبُعْدِ ذلك عندي ، وذهبت لشأني ، وقد بقي علينا من الحمل ثلاثُ مئةِ ألف ، فوَرَدَ الخَبَرُ إلى المنصور بانتقاضِ المَوصِل ، وانتشارِ الأكرادِ فيها ، فاستشار المنصورُ الأمراءَ مَنْ يصلحُ للمَوصل ؟ فأشار بعضُهم بخالد بن بَرْمَك ، فقال له المنصور : أوَ يَصْلُحُ لذلك بعد ما فعَلْنا به ؟ فقال : نعم ، وأنا الضَّامِنُ أنه يصلُحُ لها . فأمر بإحضارِه ،

فولاهُ إياها ، ووضَعَ عنه بقيَّةَ ما كان عليه ، وعقَدَ له اللِّوَاء ، ووَلَّى ابنَهُ يحيى أذْرَبيجان ، وخرج الناسُ في خدمتِهما . قال يحيى : فمرَرْنا بالجِسْر ، فثار لي ذلك الزاجِرُ فطالَبَني بما وعدتُه بِه ، فأمَرْتُ له به ، فقَبَضَ خمسةَ آلاف .

وفي هذه السنة خرج المنصور إلى الحج ، فساق الهَدْيَ معه ، فلما جاوز الكوفةَ بمرَاحِل أخذَهُ وجَعُهُ الذي ماتَ به ، وكان عنده سوءُ مِزَاج ، فاشتدَّ عليه من شدَّةِ الحَرِّ وركوبِهِ في الهواجِر ، وأخَذَهُ إسهال ، وأفرَطَ به ، فقَوِيَ مرضهُ ، ودخل مكةَ فتُوفِّي بها ليلةَ السبت ، لِستٍّ مَضَيْنَ من ذي الحِجَّة ، وصُلِّيَ عليه ، ودُفن بكَدَاء عندَ ثَنِيَّةِ بابِ الْمَعْلاةِ التي بأعلى مكة ، وكان عُمُرهُ يومئذٍ ثلاثاً ـ وقيل أربعاً وقيل خمساً ـ وستين ، وقيل : إنه بلغ ثمانياً وستين ، والله أعلم .

وقد كتَمَ الربيعُ الحاجبُ موتَهُ حتى أخذَ البيعة للمَهْدِيِّ من القُوَّاد ورؤوس بني هاشم ، ثم دُفن . وكان الذي صلَّى عليه إبراهيمُ بن يحيى بن محمد بن علي ، وهو الذي أقام للناسِ الحجَّ في هذه السنة .

وهذه ترجمة المنصور(١)

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو جعفر المنصور ، وكان أكبرَ من أخيه أبي العباس السفَّاح ، وأمُّه أمُّ ولد ، اسمها سلامة .

وروى عن جدِّه عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ كان يتختَّم في يمينه . أورده ابن عساكر(٢) من طريق محمد بن إبراهيم السلمي عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن أبيه المنصور به .

بُويع له بالخلافة بعد أخيه في ذي الحِجَّة سنةَ ستٍّ وثلاثين ومئة ، وعمره يومئذٍ إحدى وأربعون سنة ، لأنه وُلد سنةَ خمسٍ وتسعين على المشهور في صفر منها بالحُمَيْمَة من بلادِ البَلْقَاء ، وكانت خلافتُهُ ثنتَيْن وعشرين سنة إلاَّ أياماً ، وكان أسمر اللَّون ، موفَّرَ اللِّمَّة ، خفيفَ اللِّحْيَة ، رَحْبَ الجَبْهَة ، أقْنَى الأنف ، بَيِّنَ القَنَا ، أعْيَن ، كأنَّ عينَيْهِ لسانانِ ناطقان ، يخالطه أُبَّهَةُ الملك(٣) ، وتقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرفُ الشرف في مواضِعِه(٤) ، والعِتْق في صورته ، والليث في مشيته . هكذا وصفه بعضُ مَنْ رآه(٥) .

---

(١) ترجمته في طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٤٣٥) ، تاريخ بغداد (١/ ٦٢) ، تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٢٩٨) ، تهذيب الأسماء للنووي (٢/ ٤٩٠) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٣٤٢) ، نزهة الألباب لابن حجر (٢/ ٢٠٢ ، ٢٩٢) .

(٢) تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٢٩٩) .

(٣) في تاريخ ابن عساكر « أبهة الملوك » .

(٤) في تاريخ ابن عساكر « تواضعه » .

(٥) تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٣٠١) .

وقد صحَّ عن ابن عباس أنه قال : منَّا السفَّاح والمنصور . وفي رواية : حتى نسلمَها إلى عيسى ابن مريم . وقد رُوي مرفوعاً ولا يَصِحّ ، ولا وَقْفُهُ أيضاً . وذكر الخطيبُ أنَّ أُمَّهُ سلامة قالتْ : رأيتُ حين حملتُ به كأنه خرجَ مني أسَد ، فزَأرَ واقفاً على يدَيْه ، فما بقي أسدٌ حتى جاء فسجَدَ له . وقد رأى المنصورُ في صغره مناماً غريباً ، كان يقول : ينبغي أنْ يُكتَبَ في ألواحِ الذهب ، ويُعلَّق في أعناقِ الصبيان ، فقال : رأيتُ كأنِّي في المسجدِ الحرام ، وإذا رسول الله ﷺ في الكعبة والناسُ مجتمعون حولَها ، فخرج من عندِهِ منادٍ أين عبدُ الله ؟ فقام أخي السفَّاحُ يتخطَّى الرجالَ حتى جاء بابَ الكعبة ، فأخذ بيده ، فأدخلَهُ إيَّاها ، فما لبِثَ أنْ خرجَ ومعه لواء أسود ، ثم نودي أين عبد الله ؟ فقمت أنا وعمي عبد الله بن علي نستبق ، فسبقته إلى باب الكعبةِ فدخلتُها ، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر وبلال ، فعقَدَ لي لواءً وأوْصَاني بأُمَّتِه وعَمَّمَني عِمَامةً كُورُها ثلاثةٌ وعشرون كُوراً ، وقال : « خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة »[١] .

وقد اتَّفَقَ سجنُ المنصور في أيام بني أمية ، فاجتمع به نوبَخْتُ المنجِّم ، وتوسَّمَ فيه الرِّيَاسة فقال له : مِمَّنْ تكون ؟ فقال : من بني العباس . فلمَّا عرف منه نسَبَه وكنيتَه قال : أنتَ الخليفةُ الذي تلي الأرض . فقال له : وَيْحَك ! ماذا تقول ؟ فقال : هو ما أقولُ لك ، فضَعْ لي خطَّك في هذه الرُّقْعةِ أنْ تُعطيَني شيئاً إذا وَلِيت . فكتب له ، فلمّا ولي المنصور أعطاه ، وأسلم نوبختُ على يديه ، وكان قبلَ ذلك مَجُوسيّاً ، ثم كان من أخصِّ أصحابِ المنصور . وقد حجَّ المنصورُ بالناس سنةَ أربعين ومئة ، وأحرَمَ من الحِيرَة . وفي سنةِ أربعٍ وأربعين ، وفي سنة سبعٍ وأربعين ، وفي سنةِ ثنتَيْنِ وخمسين ، ثم في هذه السنةِ التي ماتَ فيها . وبَنَى بغدادَ والرُّصَافة ، والرَّافِقَة ، وقصرَهُ الخُلْد .

قال الربيعُ بن يونس الحاجب : سمعتُ المنصور يقول : الخلفاءُ أربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي . والملوكُ أربعة : معاوية ، وعبدُالملك بن مروان ، وهشامُ بن عبد الملك ، وأنا[٢] .

وقال مالك : قال لي المنصور : مَنْ أفضَلُ الناسِ بعدَ رسولِ الله ﷺ ؟ فقلت : أبو بكر ، وعمر . فقال : أصبت . وذلك رأيُ أميرِ المؤمنين .

وعن إسماعيل الفِهْري قال : سمعتُ المنصور على مِنبر عرَفَة يوم عَرَفَةَ يقول : أيها الناس ، إنمَّا أنا سلطانُ الله في أرضِه ، أسوسُكم بتوفيقِهِ ورُشْدِه ، وخازنُهُ على مالِه ، أقسِمُه بإرادته وأُعطيه[٣] بإذنه ، وقد

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ٦٤ ، ٦٥) ، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٢/ ٣٠٥ ، ٣٠٦) .

(٢) تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٣٠٩) .

(٣) في الأصل : وأعطيتُه ، وفي بعض النسخ : وأُعطيه بإذنه .

جعلني الله عليه قُفْلاً ، فإنْ شاء أن يفتحَني لأُعطياتِكُمْ وقَسْمِ أرزاقِكم فتحَني ، وإذا شاء أن يقفِلَني قفلني فارغبوا إلى الله أيها الناس ، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وَهبَكم فيه من فضلِه ما أعلمكم به في كتابهِ إذ يقول : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة : ٣] ، أنْ يُوفِّقني للصواب ، ويُسَدِّدَني للرَّشاد ، ويُلْهِمَني الرأفةَ بكم ، والإحسان إليكم ، ويفتحَني لأُعطياتِكم ، وقسم أرزاقكم بالعَدْلِ عليكم ، فإنه سميعٌ مُجيب[١] .

وقد خطب يوماً فاعترضَهُ رجلٌ وهو يُثني على اللهِ عزَّ وجلَّ فقال : يا أمير المؤمنين ، اذكُرْ مَنْ أنتَ ذاكرهُ ، واتَّقِ الله فيما تأتيهِ وتذَره . فسكتَ المنصورُ حتى انتهى كلامُ الرجل ، فقال : أعوذُ بالله أنْ أكونَ مِمَّنْ قال الله عزَّ وجلَّ فيه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ ﴾ [البقرة : ٢٠٦] ، أو أنْ أكونَ جبَّاراً عَصِيّاً ، أيها الناس ، إنَّ الموعظةَ علينا نزلَتْ ، ومن عندِنا نبتَتْ . ثم قال للرجل : ما أظنُّكَ في مقالتكَ هذه تريدُ وجهَ الله ، وإنما أردتَ أنْ يُقالَ عنك : وَعَظَ أميرَ المؤمنين . أيُّها الناس ، لا يغرَّنَّكم هذا ، فتفعلوا كفعلِه . ثم أمَرَ به فاحتفِظَ به وعاد إلى خُطبتِهِ فأكملَها ، ثم قال لِمَنْ هو عندَه : اعرِضْ عليه الدنيا ، فإنْ قبِلَها فأعلِمْني ، وإن رَدَّها فأعلِمني . فما زال الرجلُ الذي عنده حتى أخذَ المالَ ومالَ إلى الدنيا ، فولاَّهُ الحِسْبَةَ والمظالم ، وأدخلَهُ على الخليفة في بزَّةٍ حسنَة ، وثيابٍ وشارةٍ وهيئةٍ دُنيويَّة ، فقال له الخليفة : ويحك ! لو كنتَ مُحِقّاً مُريداً وجهَ اللهِ بما قلتَ على رؤوس الناس لَمَا قَبِلْتَ شيئاً مِمّا أرى ، ولكنْ أردتَ أنْ يُقالَ عنك : إنَّكَ وعظتَ أميرَ المؤمنين ، وخرجتَ عليه . ثم أمَرَ بِهِ فضُرِبَت عُنقُه .

وقد قال المنصور لابنه الْمَهْدي : إنَّ الخليفةَ لا يُصلِحُه إلاَّ التقوى ، والسلطانُ لا يُصلِحهُ إلاَّ الطاعة ، والرعيَّةُ لا يُصلِحُها إلاَّ العَدْل ، وأولى الناسِ بالعَفْو أقدَرُهم على العُقوبة ، وأنقَصُ الناسِ عقلاً مَنْ ظَلَمَ مَنْ دونَه . وقال أيضاً : يا بُني ، استدِمِ النعمةَ بالشُّكر ، والقُدرةَ بالعَفْو ، والطاعةَ بالتأليف ، والنصرَ بالتواضُعِ والرحمةِ للناس ، ولا تنسَ نصيبَكَ من الدنيا ، ونصيبَكَ من رحمةِ الله .

وحضَرَ عندَهُ مباركُ بن فَضَالةَ يوماً وقد أمَرَ برجلٍ أنْ يُضرَبَ عُنقُه ، وأحضرَ النِّطْعُ والسيف ، فقال له مبارك : سمعتُ الحسين يقول : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يومُ القيامةِ نادَى منادٍ : لِيَقُمْ مَنْ كان أجرُهُ على الله . فلا يقوم إلاَّ مَنْ عفَا » . فأمَرَ بالعَفْوِ عن ذلك الرجل . ثم أخَذَ يُعَدِّدُ على جُلسائه عظيمَ جرائمِ ذلك الرجل ، وما صنَعَه .

وقال الأصمعي : أُتي المنصورُ برجلٍ ليعاقِبَه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الانتقامُ عَدْل ، والعَفْوُ فَضْل ، ونُعيذُ أميرَ المؤمنين بالله أنْ يَرْضَى لنفسِهِ بأوْكَسِ النَّصِيبَيْن ، وأدْنَى القِسْمَيْن ، دون أرفعِ الدرجتَيْن . قال : فعفَا عنه .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٣٢/ ٣١٠ ، ٣١١) .

وقال الأصمعي : قال المنصورُ لرجلٍ من أهلِ الشام : احْمَدِ اللهَ يا أعرابي الذي دفع عنكم الطاعونَ بولايتِنا . فقال : إنَّ الله لا يَجْمَعُ علينا حَشَفاً وسُوءَ كَيْل[١] ؛ وِلايتكم والطاعون .

والحكاياتُ في ذكرِ حِلْمِهِ وعفوِهِ كثيرةٌ جدّاً . ودخل بعضُ الزُّهَّاد إلى المنصور فقال : إنَّ اللهَ أعطاكَ الدنيا بأسرِها ، فاشترِ نفسَكَ ببعضِها ، واذكُرْ ليلة تبيتُ في القبر لم تَبِتْ قبلَها ، ليلةً تَمْخَضُ عن يومٍ لا ليلةَ بعدَه . قال : فأفحَمَ المنصورَ قولُه ، وأمَرَ له بمال ، فقال : لو احتجتُ إلى مالك لما وعظْتُك .

ودخل عمرو بن عُبيد القَدَرِيُّ على المنصور ، فأكرَمَهُ وعظَّمَهُ وقرَّبَه ، وسأله عن أهلِهِ وعِيَالِه ، ثم قال له : عِظْنِي . فقرأ عليه سورةَ الفَجْر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] . فبكى المنصورُ بُكاءً شديداً ، حتى كأنَّهُ لم يسمَعْ بِهذه الآياتِ من قبل ، ثم قال له : زِدْنِي . فقال : إنَّ الله قد أعطاكَ الدنيا بأسرِها فاشترِ نفسَكَ ببعضِها . وإنَّ هذا الأمرَ كان لِمَنْ قبلَكَ ثم صار إليك ، ثم هو صائرٌ لِمَنْ بعدَك ، واذكُرْ ليلةً تُسْفِرُ عن يومِ القيامة . فبكى المنصورُ أشدَّ من بُكائه الأول ، حتى اختلفَت أجفانُه[٢] ؛ فقال له سليمان بن مجالد : رِفْقاً بأميرِ المؤمنين . فقال عمرو : وماذا على أميرِ المؤمنين أنْ يبكيَ من خشيةِ الله عزَّ وجلّ ؟! ثم أمر له المنصور بعشرةِ آلاف درهم ، فقال : لا حاجةَ لي فيها . فقال المنصور : والله لتأخذَنَّها . فقال : واللهِ لا أخَذْتُها . فقال له المهدي وهو جالسٌ في سوادِهِ وسيفِه إلى جانبِ أبيه : أيحلفُ أميرُ المؤمنين وتحِلفُ أنت ؟ فالتفت إلى المنصور فقال : ومَنْ هذا ؟ فقال : هذا ابني محمد الْمَهْدِي ، وليُّ العَهْدِ من بعدي . فقال عمرو إنَّك سَمَّيتَهُ اسماً لم يستحقَّه بعملِهِ هذا ، وألبستَهُ لَبُوساً ما هو لَبُوسُ الأبرار ، ولقد مهدتَ له أمراً أمتَعُ ما يكونُ به أشغَلُ ما يكونُ عنه . ثم التفتَ إلى المهديِّ فقال : يا ابنَ أخي ، إذا حلَفَ أبوكَ وحَلَفَ عَمُّك فلأَنْ يَحْنَثَ أبوكَ أيْسَرُ من أن يَحنث عمُّك ، لأنَّ أباك أقدَرُ على الكفَّارَةِ من عمِّك . ثم قال المنصور : يا أبا عثمان هل مِنْ حاجة ؟ قال : نعم . قال : وما هي ؟ قال : لا تبعَثْ إليَّ حتى آتِيكَ ، ولا تعطِني حتى أسألَك . فقال المنصور : إذاً واللهِ لا نلتقي . فقال عمرو : عن حاجتي سألتَني . فودَّعَهُ وانصرف . فلمّا وَلَّى أمَدَّهُ بصَرَهُ وهو يقول :

---

(١) قال أبو عبيد : من أمثالهم : أحَشَفاً وسُوءَ كَيْل ! قال أبو بكر : يُقال : كِلْتُ الشيءَ أَكِيلُهُ كَيْلاً ، وأوفاني كِيلَةً حَسَنة . ومن أمثالهم أحشَفاً وسوءَ كِيْلَة ! هكذا أتى المثل كِيْلة لا كَيْل . فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ص(٣٧٤) . وفي مجمع الأمثال (١/ ٢٠٧) : الكِيلَةُ فِعْلَة من الكَيْل ، وهي تدلُّ على الهيئة والحالة ، نحو الرِّكْبة والجِلْسة ، والحَشَفُ أردأُ التمر ، أيْ أتجمعُ حشفاً وسُوءَ كَيْل ؟ يُضرَبُ لِمَنْ يَجْمَعُ بين خصلتَيْنِ مكروهتين . وفي جمهرة الأمثال (١/ ١٠١) ونصبوا حَشَفاً بفعلٍ مضمر يريدون : أتجمع حشفاً ؟ وعطفوا الكِيلَةَ عليه .

(٢) كذا في (ق) وفي (ب) : « اختلف جنباه » ، وفي (ح) : « احتلف جفناه » ، ولعل الصواب « احتفلت أجفانه » ، بالحاء المهملة ، أي امتلأت بالدموع .

كلُّكُمْ يمشي رُوَيْدْ   كُلُّكُم يَطْلُبُ صَيْدْ
غيرَ عَمْرِو بنِ عُبَيْد

ويقال : إنَّ عمرو بن عبيد أنشد المنصورَ قصيدةً في موعظتِهِ إياه وهي قوله :

يا أيهذا الذي قد غَرَّهُ الأمَلُ   ودُونَ ما يأمُلُ التنغيصُ والأجَلُ
ألا تَرَى أنَّما الدنيا وزينتها   كمَنْزِلِ الرَّكْبِ حَلُّوا ثُمَّتَ ارتحلوا
حُتُوفُها رَصَدٌ وعَيشُها نَكَدٌ   وصَفوُها كَدَرٌ ومُلْكُها دُوَلُ
تظَلُّ تُفْزِعُ بالرَّوْعاتِ ساكنَها   فما يَسُوغُ له لِينٌ ولا جَدَلُ
كأنَّهُ للمنَايا والرَّدَى غَرَضٌ   تظلُّ فيه بناتُ الدَّهْر تَنْتَضِلُ[١]
تُدِيرُهُ ما أدارَتْهُ[٢] دوائرها   منها المصيبُ ومنها المخطىءُ الزَّلِلُ
والنفسُ هاربةٌ والموتُ يطلبُها   وكلُّ عَثْرَةِ رِجلٍ عندَها جَلَلُ
والمرءُ يسعى بما يسعى لوارِثِهِ   والقبرُ وارثُ ما يَسْعَى له الرجل[٣]

وقال ابن دُريد عن الرِّياشي ، عن محمد بن سلام ، قال : رأتْ جاريةٌ للمنصور ثوبَهُ مرقوعاً ، فقالتْ : خليفةٌ وقميصُهُ مَرْقوع ! فقال : ويحك ! أمَا سمعتِ ما قاله ابنُ هَرْمَة :

قد يُدرِكُ الشرفَ الفتى ورداؤه   خَلَقٌ وبعضُ قميصِهِ مَرْقوعُ

ومن[٤] شعرِهِ لَمَّا عزمَ على قتلِ أبي مسلم :

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكُنْ ذا عَزِيْمَةٍ   فإنَّ فسادَ الرأيِ أنْ يترَدَّدا
ولا تُمْهِلِ الأعداءَ يوماً لِغَدْرَةٍ   وبادِرْهُمُ أنْ يَمْلِكوا مثلَها غَدا[٥]

---

(١) في (ب ، ق) : تنتقل ، وفي (ح) : تنتفل ، والمثبت من المدهش لابن الجوزي ص(١٩٤) .
(٢) في (ق) : « تديره ما تجور به دوائرها » ، وهو خطأ ، وفي (ب) : « أردته » ، وفي (ح) : « أرادته » ، والمثبت من تاريخ بغداد والمدهش .
(٣) الأبيات بتمامها في تاريخ بغداد (١٦٦/١٢) ، والمنتظم لابن الجوزي (٥٨/٨ ، ٥٩) ، وفي المدهش ص(١٩٤) ما عدا البيت السادس .
(٤) في نسخة (ق) كرّر الناسخ الخبر الذي مضى في الصفحة السابقة الذي يبتدئ بقوله : « ودخل بعض الزهاد » . وليس هذا التكرار في (ب ، ح) .
(٥) البيت الأول في جمهرة الأمثال (٥٠/٢) ، وهما في الحلة السيراء (٣٤/١) ، والمنتظم (١٠/٨) ، وتاريخ الخلفاء ص(٢٦٨) ، وبعده في المستطرف (١٦٧/١) منسوباً إلى علي رضي الله عنه :
وإن كنت ذا عزمٍ فأنفِذْهُ عاجلاً   فإنَّ فسادَ العَزْمِ أن يتقيَّدا .
وروايتهم « بقدرة » بدل « بغدرة » .

ولما قتله ورآه طَريحاً بين يديه قال :

قــد اكتنفَتْــك خَــلاَّتٌ ثــلاثٌ جَلَبْــنَ عليــك مَحْتــوم الحِمَــام
خِـلافُـكَ وامتنـاعُـكَ مـن يَمِيـنـي وقَــوْدُكَ للجمــاهيــرِ العِظَــامِ

ومن شعره أيضاً :

المــرءُ يــأمُــلُ أنْ يَعِيــ ــش وطـولُ عُمْـرٍ قـد يَضُـرُّهْ
تَبْلَــى بشــاشَتُــهُ ويَبْـ ـقــى بعــدَ حُلْــوِ العيــشِ مُـرُّهْ
وتَخُــونُــهُ الأيــامُ حَتْـ ـتَــى لا يَــرَى شيئــاً يَسُــرُّهْ
كـم شـامِـتٍ بـي إنْ هَلَكْـ ـــتُ وقـــائـــلٍ للهِ دَرُّهْ[١]

قالوا : وكان المنصور في أولِ النهار يتصدَّى للأمر بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المنكر ، والولايات والعزل ، والنظر في مصالح العامَّة ، فإذا صلى الظهر دخل منْزِلَهُ واستراح إلى العصر ، فإذا صلاَّها جلس لأهلِ بيتِه ، ونظرَ في مصالحِهم الخاصَّة ، فإذا صلَّى العِشاء نظر في الكتب والرسائل الواردَةِ من الآفاق ، وجلس عندَهُ مَنْ يُسَامِرُهُ إلى ثلثِ الليل . ثم يقومُ إلى أهله ، فينامُ في فراشِهِ إلى الثُّلُثِ الآخِرِ ، فيقومُ إلى وضوئه وصلاتِه حتى يتفجر الصباح ، ثم يخرجُ فيُصَلِّي بالناس ، ثم يدخلُ فيجلسُ في إيوانِه .

وقد وَلَّى بعضَ العُمَّال على بلد ، فبلَغَهُ أنه قد تصدَّى للصَّيد ، وأعَدَّ لذلك كِلاباً وبُزَاةً ، فكتب إليه : ثَكِلَتْكَ أمُّك وعشيرتُك ، وَيْحك ! إنا إنما استكفيناكَ واستعمَلْناك على أمورِ المسلمين ، ولم نستكفِكَ أمورَ الوحوش في البَراري ، فسَلِّمْ ما تَلِي من عَمَلِنا إلى فلان ، والْحَقْ بأهلك مَلُوماً مَدْحوراً .

وأُتِي يوماً بخارجيٍّ قد هزَمَ جيوشَ المنصور غيرَ مرَّة ، فلمّا وقف بين يدَيْهِ قال له المنصور : وَيْحَك يا بن الفاعلة ، مِثلُكَ يَهْزِمُ الجيوش ! فقال الخارجي : وَيْلَك ! سوأةً لك ، بيني وبينك أمسِ السيفُ والقتل واليومَ القَذْفُ والسبّ ، وما يؤمنكَ أنْ أَرُدَّ عليكَ وقد يئستُ من الحياة فما أستقبلُها أبداً . قال : فاستَحى منه المنصورُ وأطلقَه ، فما رأى له وجهاً إلى الحَوْل .

وقال لابنِهِ لَمَّا ولاَّهُ العَهْدَ : يا بُنَيّ ، ائتدِمِ النعمةَ بالشُّكر ، والقُدْرَةَ بالعَفْو ، والنصرَ بالتواضُع ، والتألُّفَ بالطاعة . ولا تنسَ نَصِيبَك من الدنيا ، ونصيبَكَ من رحمةِ الله .

وقال أيضاً : يا بُنَيّ ، ليس العاقلُ مَنْ يحتالُ للأمرِ الذي وقَعَ فيه حتى يخرُجَ منه ، ولكنِ العاقلُ الذي يحتالُ للأمرِ الذي غَشِيَهُ حتى لا يقعَ فيه . وقال المنصور : يا بُني ، لا تجلسْ مجلساً إلاَّ وعندَكَ من أهلِ

(١) الأبيات في تاريخ بغداد (١٠/ ٦٠) .

العِلْم⁽¹⁾ مَنْ يُحَدِّثُك ، فإنَّ الزُّهْريَّ قال : علمُ الحديثِ ذَكَرٌ لا يُحِبُّه إلا ذُكْرانُ الرجال ، ولا يكرَهُهُ إلاَّ مؤنَّثوهم . وصدَقَ أخو زُهْرَة .

وقد كان المنصورُ في شيبتِه يطلبُ العلمَ من مظانِّه ، والحديثَ والفقه ، فنال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً ، وقد قيل له يوماً : يا أميرَ المؤمنين ، هل بقي شيءٌ من اللذَّاتِ لم تنَلْهُ ؟ قال : شيءٌ واحد . قالوا : وما هو ؟ قال : قول المحدِّث للشيخ : مَنْ ذكرتَ رحمك الله . فاجتمع وزراؤه وكتَّابه وجلسوا حولَهُ وقالوا : لِيُمْلِ علينا أميرُ المؤمنينَ شيئاً من الحديث . فقال : لَسْتُم بِهم ، إنما هُمْ الدَّنِسَةُ ثيابُهم ، المشقَّقةُ أرجلُهم ، الطويلةُ شعورُهم ، رُوَّادُ الآفاق ، وقُطَّاع المسافات ، تارةً بالعِراق ، وتارةً بالحِجَاز ، وتارةً بالشام ، وتارةً باليمن ، فهؤلاءِ نَقَلَةُ الحديث .

وقال يوماً لابنه المهدي : كم عندَكَ من دابّة ؟ فقال : لا أدري . فقال : هذا هو التقصير ، فأنتَ لأمرِ الخلافةِ أشدُّ تضييعاً ، فاتق الله يا بُني .

وقالتْ خالصةُ إحدى حَظِيَّاتِ المهدي : دخلتُ يوماً على المنصور وهو يشتكي ضِرْسَه ، ويداهُ على صُدْغَيْه ، فقال لي : كم عندكِ من المال يا خالصة ؟ فقلت : ألفُ دِرهم . فقال : ضَعِي يدَكِ على رأسي واحلِفِي . فقلتُ : عندي عشرةُ آلافِ دينار . قال : اذهبي فاحمليها إليّ . قالت : فذهبتُ حتى دخلتُ على سيِّدي المهدي وهو مع زوجتِه الخَيْزُران ، فشكَوْتُ ذلك إليه ، فوكزَني برجلِهِ وقال : وَيْحَك ! إنه ليس بِهِ وَجَع ، ولكنِّي سألتُه بالأمس مالاً فتمارض ، وإنَّه لا يسَعُكِ إلا ما أمَرَكِ به . فذهبَتْ إليه خالصةُ ومعها عشرةُ آلاف دينار ، فاستدعَى بالمهدي ، فقال له : تشكو الحاجةَ وهذا كلُّه عند خالصة ؟ ! وقال المنصور لخازِنه : إذا علمتَ بِمَجِيءِ المهدي فأتِني بِخُلْقَان الثياب قبلَ أنْ يجيء . فجاء بها فوضعَها بين يديه ، ودخل المهدي والمنصور يُقَلِّبُها ، فجعلَ المهديُّ يضحك⁽²⁾ ، فقال : يا بُني ، مَنْ ليس لَهُ خَلَقٌ ليس له جديد ، وقد حَضَر الشتاء ، فنحتاج نُعِين العيالَ والولد . فقال المهدي : عليَّ كسوةُ أميرِ المؤمنين وعيالِهِ . فقال : دونك فافعَلْ .

وذكر ابنُ جرير⁽³⁾ عن الهيثم ، أنَّ المنصور أطلَقَ في يومٍ واحد لبعضِ أعمامِه ألفَ ألفِ درهم ، وفي هذا اليوم فرَّق في بيته عشرةَ آلاف درهم ، ولا يُعلم خليفةٌ فرَّق مثلَ هذا في يوم واحد . وقرأ بعضُ القرَّاء عند المنصور ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [النساء : ٣٧] . فقال : والله لولا أنَّ المالَ

---

(١) في (ق) : « من أهل الحديث » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) في (ح) : « فجعل المنصور يضحك » ، والمثبت من (ب ، ق) .
(٣) يعني الطبري في تاريخه (٤/ ٥٣٢) .

حِصْنٌ للسُّلطان ، ودِعَامَةٌ للدِّين والدُّنيا وعِزِّهما ما بِتُّ ليلةً واحدةً وأنا أخزُنُ[١] منه ديناراً ولا درهماً ، لِمَا أجِدُ لِبَذْلِ المالِ من اللذَّة ، ولِمَا أعلمُ في إعطائه من جزيلِ المثوبة .

وقرأ عنده قارئٌ آخر ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] ، الآية فقال : ما أحسَنَ ما أدَّبَنا رَبُّنا عزَّ وجلّ ! .

وقال المنصور : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الله يقول : سادةُ أهلِ الدنيا الأسخياء ، وسادةُ أهلِ الآخرةِ الأتقياء .

ولما عزَمَ المنصورُ على الحج هذه السنة ـ أعني سنة ثمان وخمسين ومئة ـ دعا ولدَهُ المهديَّ فأوصاهُ في خاصَّةِ نفسِه ، وبأهلِ بيتِه ، وبسائرِ المسلمين خيراً ، وعلَّمه كيف يفعلُ الأشياء ، وتُسَدُّ الثغور ، وأوصاه بوصايا يطولُ بَسْطُها . وحَرَّجَ عليه أنْ لا يفتَحَ شيئاً من خزائنِ المسلمينَ حتى يتحقَّق وفاتَه ، فإنَّ بِها من الأموالِ ما يكفي المسلمين لو لم يُجْبَ إليهم من الخراجِ درهمٌ عشرَ سنين . وعهد إليه أن يقضيَ ما عليه من الدَّين وهو ثلاثمئة ألف دينار ، فإنه لم يرَ قضاءَها من بيتِ المال . فامتثل المهديُّ ذلك كلَّه . وأحرم المنصورُ بِحَجٍّ وعُمرة من الرُّصافة ، وساقَ بَدَنَةً وقال : يا بُني إني وُلدت في ذي الحِجَّة ، وقد وقع لي أنْ أموتَ في ذي الحِجَّة ، وهذا الذي حَدَا بي[٢] على الحجِّ عامي هذا . وودَّعَهُ وسار . واعتراهُ مرضُ الموتِ في أثناءِ الطريق ، فما دخل مكة إلاَّ وهو ثَقِيلٌ جدّاً ، فلمَّا كان بآخرِ مَنْزِلٍ نزلَهُ دون مكة إذا في صدر مَنْزله مكتوب : [بسم الله الرحمن الرحيم][٣]

أبا جعفرٍ حانَتْ وفاتُك وانقضَتْ ... سِنُوكَ وأمرُ الله لا بُدَّ واقعُ
أبا جعفر هل كاهنٌ أو منجِّمٌ ... بك اليومَ من كَرْبِ المنيَّةِ مانعُ

فدعا بالحَجَبَة ، فأقرأهم ذلك ، فلم يرَوْا شيئاً ، فعرف أنَّ أجلَهُ قد نُعِيَ إليه .

قالوا : ورأى المنصور في منامه ، ويُقال بل هتف به هاتف وهو يقول :

أما وربِّ السُّكُونِ والحَرَكِ ... إنَّ المنايا كثيرةُ الشَّرَكِ
عليكِ يا نفسُ إنْ أسأتِ وإنْ ... أحسنتِ يا نفسُ كان ذاكَ لكِ
ما اختلف الليلُ والنهارُ ولا ... دارَتْ نجومُ السماءِ في الفَلَكِ
إلاَّ بِنَقْلِ السُّلطانِ عن مَلِكٍ ... إذا انقضَى مُلْكُهُ إلى مَلِكِ

---

(١) في (ق) : « أحرز » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) في (ق) : « جرأني » ، تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٣) هذه البسملة انفردت بها نسخة (ق) .

حتـى يُصيِّـرَانِـهِ إلـى مَلِـكٍ مـا عِـزُّ سلطـانِـهِ بمُشْتَـرِكِ[١]
ذاك بَـدِيـعُ السمـاءِ والأرضِ والـْ مُـرسِـي الجبـالِ المسخِّـرُ الفَلَـكِ[٢]

فقال المنصور : هذا أوانُ حضورِ أجَلِي وانقضاءِ عُمري . وكان قد رأى قبل ذلك في قصرِه الخُلد الذي بناهُ وتأنَّقَ فيه مناماً أفزَعَه ، فقال للربيع : ويحكَ يا ربيع ! لقد رأيتُ مناماً هالَني ، رأيتُ قائلاً وقف في بابِ هذا القصرِ وهو يقول :

كـأنِّي بهـذا القصـر قـد بـادَ أهلُـهُ وأوحـشَ منـهُ أهلُـهُ ومنـازِلُـهْ
وصار رئيسُ القصرِ من بعدِ بَهْجةٍ إلـى جـدَثٍ تُبْنَـى عليـه جَنـادِلُـهْ[٣]

فما أقام في الخُلد إلا أقلَّ من سنةٍ حتى مرض في طريقِ الحجّ ؛ ودخل مكة مُدْنفاً ثقيلاً ، وكانتْ وفاتُه ليلةَ السبت ، لست ـ وقيل لسبع ـ مضَيْنَ من ذي الحجَّة ، وكان آخرَ ما تكلَّمَ به أنْ قال : اللهمَّ بارك لي في لقائِك . وقيل : إنه قال : يا ربِّ ، إنْ كنتُ عصَيْتُكَ في أمور كثيرة ، فقد أطعتُكَ في أحبِّ الأشياءِ إليك ؛ شهادة أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله مُخْلصاً . ثم مات . وكان نقشُ خاتِمِه : الله ثقة عبدِ الله ، وبه يؤمن . وكان عمرُهُ يومَ وفاته ثلاثاً وستين سنةً على المشهور ، منها ثنتانِ وعشرون سنةً خليفةً ، ودُفن بباب الْمَعْلاة رَحِمهُ الله .

قال ابنُ جَرير[٤] : ومما رُثِيَ به قولُ سَلْم الخاسِر الشاعر :

عجَبـاً للـذي نَعَـى النـاعيـانِ كيـف فـاهَـتْ بِمَـوْتِـهِ الشفتـانِ
مَلِكٌ إنْ عَدَا على الدهرِ يوماً أصبح الدهرُ ساقطاً للجِرَانِ
ليـت كَفّـاً حَثَـتْ عليـهِ تُـرابـاً لـم تَعُـدْ فـي يمينِهـا بِبَنَـانِ
حين دانَتْ له البلادُ على العَسْـ ـفِ وأغْضَى من خَوْفِهِ الثَّقَلانِ
أين رَبُّ الزوراءِ قد قلَّدَتْهُ الـ ـمُلْكَ عشرين حِجَّةً واثنتانِ
إنَّمـا المـرءُ كـالـزنـادِ إذا مـا أخـذَتْـهُ قـوادِحُ النيـرانِ
ليس يَثْني هَواهُ زَجْرٌ ولا يَقْـ ـدَحُ فـي حَبْلِـهِ ذوو الأذهـانِ
قَلَّـدَتْـهُ أعِنَّـةُ الملـكِ حتـى قـادَ أعـداءَهُ بغيـرِ عِنَـانِ
يكْسرُ الطَّرْفُ دُونهُ وترى الأيْـ ـدي من خَوْفِهِ على الأذقانِ

(١) كذا في (ق) وتاريخ الطبري والكامل في التاريخ ، ورواية (ب ، ح) : « لا ينقضي ملكُهُ إلى مَلِكِ » .
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٣) ، والكامل في التاريخ (٥/ ٢١٥) .
(٣) البيتان في المنتظم (٨/ ٢٢٠) .
(٤) في تاريخه تاريخ الطبري (٤/ ٥٣٩ ، ٥٤٠) .

ضمَّ أطرافَ مُلْكِهِ ثم أضْحَى خَلْفَ أقْصَاهُمُ ودون الدَّاني
هاشميُّ التَّشْمير لا يَحملُ الثِّقْـ ـلَ على غاربِ الشَّرُودِ الهِدَانِ
ذو أناةٍ يَنْسى لها الخائفُ الخَوْ فَ وعَـزْمٍ يَلْـوي بكُـلِّ جَنـانِ
ذهبَـتْ دونـه النفـوسُ حِـذَاراً غيرَ أنَّ الأرواحَ في الأبدانِ[١]

وقد دُفن عند باب الْمَعْلاةِ بمكة ، ولا يُعْرَفُ قَبْرُه ، لأنه أعمى قبرَه ، فإنَّ الرَّبيعَ الحاجِبَ حَفرَ مئةَ قبرٍ ودفنه في غيرِها لئلا يُعرف .

ذكرُ أولادِ المنصور

محمد الْمَهْدي ، وهو وليُّ عَهْدِه ، وجعفر الأكبر ، مات في حياته ، وأمُّهما أرْوَى بنتُ منصور ، وعيسى ، ويعقوب ، وسليمان ، وأمُّهم فاطمةُ بنتُ محمد ، من ولَدِ طَلْحَة بنِ عُبيدِ الله . وجعفر الأصغر من أمِّ ولدٍ كُرْدِيَّة . وصالحُ المسكينِ من أمِّ ولَدٍ رُوميَّة ، ويُقال لها : قالى الفراشة . والقاسم من أمِّ ولَدٍ [أيضاً ، والعَاليةُ] من امرأةٍ من بني أُميَّة .

ذكرُ خِلافةِ المَهْديِّ بنِ المنصور

لمَّا ماتَ أبوه لِستٍّ أو لِسَبْعٍ مَضَيْنَ من ذي الحجَّة من سنةِ ثمانٍ وخمسين ومئة ؛ أُخذتِ البيعةُ للمَهْدي من رؤوسِ بني هاشم ، والقُوَّاد الذين هُمْ مع المنصور في الحجِّ قبلَ دَفْنِه ؛ وبعَثَ الربيعُ الحاجبَ بالبَيْعَةِ وبالبُرُدِ والقَضيب[٢] إلى الْمَهْدي وهو ببغداد ؛ فدخل عليه البريدُ بذلك يومَ الثلاثاء النصف من ذي الحجَّة ، فسلّم عليه بالخلافة ، وأعطاه الكُتبَ بالبيعة ، وبايَعَهُ أهلُ بغداد . ونفَذَتْ بيعتُهُ إلى سائرِ الآفاق .

وذكر ابنُ جرير[٣] أنَّ المنصور قبلَ موتِهِ بيوم تَحَامَلَ وتَساند ، واستدعَى بالأمراء ، فجدَّدَ البيعةَ لابنِهِ المهدي ، فتسارعوا إلى ذلك ، وتبادروا إليه .

وحجَّ بالناس في هذه السنةِ إبراهيمُ بنُ يَحْيى بنِ محمد بنِ علي بن عبدِ الله بنِ عباس ؛ عن وصيَّةِ عمِّهِ

---

(١) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٠) .
(٢) في (ق) : . . . بالبيعة مع البرد إلى المهدي ، والمثبت من (ب ، ح) . ورواية الطبري تاريخه (٤/ ٥٤٥ ـ ٥٤٧) مطولة ، وفيها : « وبعثا بعد بقضيب النبي ﷺ وبردته التي يتوارثها الخلفاء مع الحسن الشروري ؛ وبعث أبو العباس الطوسي بخاتم الخلافة مع منارة ، ثم خرجوا من مكة ، وسار عبد الله بن المسيب بن زهير بالحربة بين يدي صالح بن المنصور على ما كان يسير بها بين يديه في حياة المنصور » .
(٣) في تاريخه تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٦) .

المنصور ، وهو الذي صلَّى عليه . وقيل : إنَّ الذي صلى على المنصور عيسى بن موسى وليُّ العهد من بعدِ المهدي ، والصحيح الأول ، لأنه كان نائبَ مكةَ والطائف ، وعلى إمرةِ المدينة عبدُ الصمد بن علي ، وعلى الكوفة عمر بن زهير الضبِّي أخو المسيب بن زهير أمير الشرطة للخليفة ، وعلى خراسان حُميد بن قَحْطَبة ، وعلى خَرَاجِ البصرةِ وأرضِها عمارة بن حمزة ، وعلى صلاتها وقضائها عبدُ الله بن الحسن العَنْبري ، وعلى أحداثها سعيد بن دَعْلَج .

قال الواقدي[١] : وأصابَ الناسَ في هذه السنة وباءٌ شديد ؛ فتُوفِّي فيه خلقٌ كثير ، وجَمٌّ غَفير ، منهم :

أفلح بن حُميد .

وحَيْوَةُ بن شُريح .

ومعاوية بن صالح بمكة .

وزُفَر بن الهذيل[٢] بن قيس بن سُليم بن مكمل بن ذُهْل بن ذُؤيب بن جَذِيمة بن عمرو بن حنجور بن جُنْدب بن العَنْبَر بن عمرو بن تميم بن مر بن أُدِّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان[٣] التميميُّ العَنْبَريُّ الكوفيُّ الفقيهُ الحنفي ؛ أقدَمُ أصحابِ أبي حنيفةَ وفاةً وأكثَرُهم استعمالاً للقِيَاس . وكان عابداً اشتغل أولاً بعِلْمِ الحديث ، ثم غلَبَ عليه الفقهُ والقياس ، وُلد سنةَ ستَّ عشرةَ ومئة ، وتُوفي سنةَ ثمانٍ وخمسين ومئة عن ثنتين وأربعين سنة رحمه الله وإيانا .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومئة

استُهلَّتْ هذه السنةُ وخليفةُ الناس أبو عبدِ الله محمد بن المنصور المهدي ؛ فبعث في أولها العباسَ بن محمد إلى بلادِ الرُّوم في جيشٍ كثِيف ، وركب معَهم مُشَيِّعاً لهم ، فساروا إليها ، فافتتحوا مدينةً عظيمةً للرُّوم ، وغَنِموا غنائمَ كثيرةً ورجَعوا سالِمينَ لم يُفقَدْ منهم أحد .

وفيها تُوفي حُميد بن قَحْطبة نائبُ خراسان ، فولَّى المهديُّ مكانَهُ أبا عَوْن عبدَ الملك بن يزيد ، وولَّى حمزةَ بن مالك سِجِسْتان ، وولَّى جبريلَ بنَ يحيى سَمَرْقَنْد .

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٧) .

(٢) ترجمته في تسمية فقهاء الأمصار ص(١٨٢) للنسائي ، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص(١٧٠) ، طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٤٥٠) ، الفهرست لابن النديم ص(٢٨٥) ، طبقات الفقهاء ص(١٤١) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣١٧) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨) ، العبر (١/ ٢٢٩) ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ص(٢٤٣) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٣٢) ، شذرات الذهب (١/ ٢٤٣) .

(٣) بدل هذا النسب في (ق) : قوله : « ثم ساق نسبه إلى معد بن عدنان » ، والمثبت من (ب ، ح) .

وفيها بنى المهديُّ مسجدَ الرُّصافة وخندقَها . وفيها جهَّز جيشاً كثيفاً إلى بلادِ الهند ، فوصلوا إليها في السنة الآتية ، وكان من أمرِهم ما سنذكرُه . وفيها تُوفي نائبُ السِّند مَعْبَد بن الخليل فولّى المهديُّ مكانَهُ رَوْحَ بن حاتم بمشورةِ وزيرِه أبي عبدِ الله . وفيها أطلق المهديُّ مَنْ كان في السُّجون إلاَّ مَنْ كان محبوساً على دم ، أو مَنْ سَعَى في الأرض فساداً ، أو مَنْ كان عندَهُ حَقٌّ لأحد . وكان من جُملة من أُخرج من الْمُطْبَق يعقوبُ بن داود مولى بني سُليم ، والحسن بن إبراهيم بن عبدِ الله بن حسن ، وأمرَ بصيرورةِ حسنٍ هذا إلى نصير الخادم لِيَحْتَرِزَ عليه . وكان الحسنُ قد عَزَمَ على الهربِ من السِّجْنِ قبلَ خروجِهِ منه ، فلما خرجَ يعقوبُ بن داود ناصَحَ الخليفةَ بما كان عزَمَ عليه ؛ فنقله من السجن وأودَعَه عند نصير الخادم ليحتاطَ عليه . وحَظِيَ يعقوبُ بن داود عند المهدي جدّاً حتى صار يدخلُ عليه في الليلِ بلا استئذانٍ ؛ وجعله على أمورٍ كثيرة ، وأطلق له مئةَ ألفِ درهم ؛ وما زال عنده كذلك حتى تمكَّنَ المهديُّ من الحسن بن إبراهيم ، فسقطت منْزِلةُ يعقوب عنده . وقد عزل المهديُّ نُوّاباً كثيرةً عن البلاد ، وولّى بدلهم .

وفي هذه السنة تزوَّج المهديُّ بابنةِ عمِّه أمِّ عبدِ الله بنت صالح بن علي ، وأعتق جاريتَهُ الخَيْزُران ، وتزوَّجَها أيضاً ، وهي أمُّ الرَّشيد ، وفيها وقَعَ حريقٌ عظيم في السُّفُنِ التي في دِجْلَةِ بغداد . ولمّا وَلِيَ المهديُّ سأل عيسى بنَ موسى ـ وكان وليَّ العَهْدِ بعدَه ـ أنْ يَخلَعَ نفسَهُ من الأمر ؛ فامتنع على الْمَهْديّ ؛ وسألَ المهديَّ أنْ يُقيم بأرضِ الكوفة في ضيعةٍ له ، فأذِنَ له وكان قد استقرَّ على إمرةِ الكوفة رَوْحُ بن حاتم ، فكتب إلى المهدي : إنَّ عيسى بن موسى لا يأتي الجمعةَ ولا الجماعةَ مع الناس إلا شَهْرين من السنة ؛ وإنه إذا جاء يدخلُ بدوابِّه داخلَ بابِ المسجد ، فتروثُ دوابُّه حيثُ يُصلِّي الناس . فكتب إليه المهدي أنْ يعملَ خشباً على أفواهِ السِّكَكِ حتى لا يَصِلَ الناسُ إلى المسجدِ إلا مُشاةً . فعلم بذلك عيسى بن موسى ، فاشترى قبلَ الجمعة دارَ المختارِ بن أبي عُبيد من ورَثَته ، وكانت ملاصقةً للمسجد ، وكان يأتي إليها من يوم الخميس فإذا كان يومُ الجمعة ركب حماراً إلى بابِ المسجد ، فنَزَل إلى هناك ، وشهد الصلاة مع الناس ، وأقام بالكلية بالكوفةِ بأهلِه ، ثم أَلَحَّ عليه المهديُّ في أنْ يخلعَ نفسَهُ ، وتوعَّدَهُ إنْ لم يفعلْ ، ووعَدَه إنْ فعل . فأجابه إلى ذلك ، فأعطاه أقطاعاً عظيمةً ، وأعطاهُ من المال عشرةَ آلافِ ألف ، وقيل عشرين ألفَ ألف ، وبايع المهديُّ لولدَيْه من بعدِه موسى الهادي ، ثم هارون الرشيد كما سيأتي .

وحجَّ بالناس يزيدُ بن منصور خالُ المهدي ، وكان نائباً على اليمن ، فولاهُ الموسم ، واستقدمه عليه شوقاً إليه . وغالبُ نوّاب البلاد عزلَهم المهدي ، غيرَ أنَّ إفْريقيَةَ مع يزيدَ بنِ حاتم ، وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضَمْرَة ، وعلى خُراسان أبو عَوْن ، وعلى السِّنْد بِسْطامُ بن عمرو ، وعلى الأهواز وفارس عمارة بن حمزة ، وعلى اليمن رجاء بن رَوْح ، وعلى اليمامةِ بشر بن المنذر ، وعلى الجزيرة الفضلُ بن صالح ، وعلى المدينة عُبيد الله بن صفوان الجُمَحي ، وعلى مكةَ والطائف إبراهيم بن يحيى ، وعلى

أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي ، وعلى خراجها ثابت بن موسى وعلى قضائها شريك بن عبد الله النَّخعي وعلى أحداثِ البصرة عمارة بن حمزة ، وعلى صلاتِها عبدُ الملك بن أيوب بن ظبيان النَّمَري ، وعلى قضائها عُبيد الله بن الحسن العَنْبَري .

وفيها تُوفي :

عبدُ العزيز بن أبي رَوَّاد .

وعكرمة بن عمار .

ومالك بن مِغْوَل .

ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب المدني ، نَظِير مالك بن أنس في الفقه ، وربما أنكر على مالك أشياءَ ترَكَ الأخذَ فيها ببعضِ الأحاديث كان يراها مالكٌ من إجماعِ أهلِ المدينة ، وغير ذلك من المسائل .

ثم دخلت سنة ستين ومئة

فيها خرج رجلٌ بِخُراسان على المهدي مُنكراً عليه أحوالَهُ وسيرتَه ، وما يتعاطاه ؛ يُقال له يوسف البرم ، والتفَّ عليه خلقٌ كثير ، وتفاقَمَ الأمر ، وعَظُم الخطبُ به ، فتوجَّه إليه يزيدُ بنُ مَزْيَد ، فلَقِيَهُ فاقتتلا قتالاً شديداً حتى تنازلا وتعانقا ، فأسر زيدُ بن مزيد يوسُفَ هذا ، وأسَرَ جماعةً من أصحابِه ، فبعثهم إلى المهدي ، فأُدخلوا عليه وقد حُملوا على جمالٍ مُحَوَّلة وجوهُهم إلى ناحيةِ أذنابِ الإبِل ، فأمر الخليفةُ هَرْثَمَةَ أنْ يقطعَ يدي يوسُفَ ورجلَيْه ثم يضربَ عُنقَه وأعناقَ منْ معه وصَلَبَهم على جسرِ دِجْلَةَ الأكبر مما يلي عسكر المهدي ، وأطفأ الله نائرَتَهم(١) وكفَى شرَّهم .

ذكر البيعة لموسى الهادي وهارون الرشيد

ذكرنا أنَّ المهدي ألَحَّ على عيسى بن موسى أنْ يخلَعَ نفسَه ، وهو مع كلِّ ذلك يمتنعُ وهو مُقيمٌ بالكوفة ، فبعث إليه المهدي أحدَ القوَّادِ الكبار ، وهو أبو هريرة محمد بن فرُّوخ في ألفٍ من أصحابِهِ لإحضارِهِ إليه ، وأمَرَ كلَّ واحدٍ منهم أنْ يحملَ طبلاً ، فإذا واجهوا الكوفةَ عند إضاءةِ الفجر ضَرَبَ كلُّ واحدٍ منهم على طبلِه . ففعلوا ذلك ، فارتَجَّتِ الكوفة ، وخاف عيسى بنُ موسى فلمَّا انتهَوْا إليه دعَوْهُ إلى حضرةِ الخليفة ، فأظهرَ أنه يَشتكي ، فلم يقبلوا ذلك منه ، بل أخذوه معهم ، فدخلوا به على الخليفة في

---

(١) « النائرة » : العداوة والشحناء والفتنة ؛ ونار الحرب ونائرتها : شرُّها وهيجها . لسان العرب (نور) . وإطفاء النائرة : عبارة عن تسكين الفتنة وهي فاعلة من النار . المصباح المنير . والمغرب (٢/ ٣٣٢) (نور) .

يوم الخميس لثلاثٍ خلَوْنَ من المحرَّم من هذه السنة ، فاجتمع عليه وجوهُ بني هاشم والقضاةُ والأعيان وسألوه في ذلك وهو يَمتنع ، ثم لم يزلِ الناسُ به بالرغبةِ والرَّهْبَةِ حتى أجابَ يومَ الأربعاء[١] لأربعٍ مضَيْنَ من المحرَّم بعد العصر ، وبويع لولدَي المهدي موسى وهارون الرشيد صباحةَ يوم الخميس ، لثلاثٍ بَقينَ من المحرَّم . وجلس المهديُّ في قُبَّةٍ عَظيمة في إيوان الخِلافة ، ودخل الأمراءُ فبايعوه ، ثم نَهَضَ فصَعِدَ المنبرَ وجلَسَ ابنُه موسى الهادي تحتَه ، وقام عيسى بنُ موسى في أولِ درجة ، وخطَبَ المهديُّ فأعلَمَ الناسَ بما وقع من خَلْع عيسى بن موسى نفسَه ، وأنه قد حلَّلَ الناسَ من الأيمانِ التي له في أعناقِهم ، وجعل ذلك إلى موسى الهادي ، فصدَّقَ عيسى بنُ موسى ذلك ، وبايع المهديَّ على ذلك . ثم نَهَض الناسُ فبايعوا الخليفةَ على حسَبِ مراتِبهم وأسنانِهم . وكتَبَ على عيسى بنِ موسى مكتوباً مؤكَّداً بالأيمان البالغة ، من الطَّلاق والعَتَاق ، وأشهد عليه جماعةَ الأمراءِ والوزراء ، وأعيانَ بني هاشم وغيرَهم ، وأعطاهُ ما ذكَرْنا من الأموال وغيرِها .

وفيها دخلَ عبدُ الملك بن شِهاب المسمعي مدينةَ بارْبَد من الهند في جحفلٍ كبير ، فحاصرها ونصبوا عليها المجانيق ، ورَمَوْها بالنِّفْط ، فأحرقوا منها طائفة ، وهلك بشرٌ كثيرٌ من أهلِها ، وفتحوها عَنْوةً ، وأرادوا الانصراف فلم يُمكنهم ذلك لاعتلاءِ البحر ، فأقاموا هنالك ، فأصابَهم داءٌ في أفواهِهم يُقالُ له حُمام قُرٍّ ، فمات منهم ألفُ نفس ، منهم الربيع بن صُبيح ، فلما أمكَنَهم المسيرُ ركبوا في البحر ، فهاجت عليهم ريح ، فغرق طائفةٌ أيضاً ، ووصل بقيتُهم إلى البصرة ومعهم سَبْيٌ كثير ، فيهم بنتُ ملكِهم[٢] .

وفيها حَكَمَ المهديُّ بإلحاق ولدِ أبي بكر الثقفي إلى ولاءِ رسولِ الله ﷺ ، وقَطْعِ نسَبِهم من ثَقِيف ، وكتَبَ بذلك كتاباً إلى والي البصرة ، وقطَعَ نسبه من زياد ، ومن نسَبِ نافع ؛ ففي ذلك يقولُ بعضُ الشعراء وهو خالد النجَّار :

إنَّ زيــاداً ونــافعــاً وأبَــا ... بَكْرَة عِنْدي من أعْجَبِ العَجَبِ
ذا قُــرشــيٌّ كمــا يقــولُ وذَا ... مــولًى وهــذا بــزَعْمِــهِ عَـرَبـي

وقد ذكر ابنُ جرير أنَّ نائبَ البصرةِ لم يُنفِذْ ذلك[٣] .

وفي هذه السنة حجَّ بالناس المهدي ، واستخلف على بغداد ابنَهُ موسى الهادي ، واستصحَبَ مَعَهُ ابنه هارونَ الرَّشيد ، وخَلْقاً من الأمراء ، منهم يعقوبُ بنُ داود على مَنْزِلَته ومكانتِه ، وكان الحسنُ بنُ إبراهيم قد هرَبَ من الخادم ، فلَحِقَ بأرضِ الحِجَاز ، فاستأمَنَ لهُ يعقوب بن داود ، فأحسن المهديُّ صِلَـتَه ،

---

(١) في (ق) : يوم الجمعة ، وهو تصحيف والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٤/ ٥٥٣) .
(٢) الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٥) .
(٣) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٦) .

وأجزَلَ جائزتَه . وفرّقَ الْمَهْديُّ في أهلِ مكةَ مالاً كثيراً جداً ، كان قد قَدِمَ معه بثلاثينَ ألفَ ألفِ درهم ، ومئة ألف ثوب ، وجاء من مصرَ ثلاثُمئة ألف دينار ، ومن اليمن مئتا ألف دينار ، فأعطاها كلَّها في أهلِ مكةَ والمدينة ، وشكَتِ الحَجَبةُ إلى المهدي أنهم يخافون على الكعبة أن تَنْهدمَ من كثرةِ ما عليها من الكساوَى ، فأمرَ بتجريدِها من الكسوة ، فلما انتهَوْا إلى كساوي هشام بن عبدِ الملك وَجَدَها من دِيباج ثخين ، فأمر بإزالتها ، وبقيَتْ كساوي الخلفاء قبلَهُ وبعدَه ، فلمَّا جرَّدَها طلاها بالخَلُوف ، وكساها كسوةً حسنةً جدّاً ؛ ويُقال إنه استفتى مالكاً في إعادةِ الكعبةِ إلى ما كانتْ عليه من بنايةِ ابنِ الزُّبير ، من توسيعها على الوجه الذي كان يَوَدُّهُ رسولُ الله ﷺ ، فقال مالك : دَعْها فإني أخشَى أن يتخذَها الملوكُ مَلْعَبة . فترَكَها على ما هي .

وحمل له محمد بن سليمان نائبُ البصرةِ الثلجَ إلى مكة ، وكان أولَ خليفةٍ حُمل له الثلجُ إليها . ولمَّا دخل المدينة النبوية وسَّع المسجدَ النبوي ، وكان فيه مقصورة ، فأزالَها وأرادَ أنْ يُنْقصَ من المنبر ما كان زادَهُ معاوية بن أبي سفيان ، فقال له مالك : إنه يخشى أن ينكسرَ خَشَبةُ العتيقُ إذا زُعزع ، فتركه .

وتزوّج من المدينة رُقيَّةَ بنتَ عمرو العثمانية ، وانتخبَ من أهلِها خمسَمئةٍ من أعيانِها ليكونوا حولهُ حرساً بالعراق وأنصاراً ، وأجرى عليهم أرزاقاً غيرَ أُعطياتِهم ، وأقطعَهُمْ أقطاعاً معروفةً بهم .

وفيها توفي :

الربيع بن صبيح .

وسفيان بن حسن أحد أصحابِ الزُّهري .

وشعبةُ بنُ الحجَّاج بن الورد العَتَكي الأزدي[1] : أبو بِسْطَام الواسطي ، ثم انتقل إلى البصرة[2] ، رأى شعبةُ الحسنَ وابنَ سِيرين وروى عن أُممٍ من التابعين . وحدَّث عنه خلقٌ من مشايخه وأقرانِه وأئمةِ الإسلام . وهو شيخ المحدِّثين الملقَّب فيهم بأميرِ المؤمنين ، قاله الثوري .

وقال يحيى بن مَعين : هو إمامُ المتَّقين ، وكان في غايةِ الزُّهْدِ والوَرَعِ والتقشُّف والحفظ وحُسنِ الطريقة .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٠) ، التاريخ الكبير (٤/ ٢٤٤) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ١٥٤) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٤٥٦) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٧٧) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٤٤٦) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٢٠٥) ، الجرح والتعديل (١/ ١٢٦) ، و(٤/ ٣٦٩) ، رجال مسلم (١/ ٢٩٩) ، رجال صحيح البخاري (١/ ٣٥٤) ، تاريخ بغداد (٩/ ٢٥٥) ، تهذيب الكمال (١٢/ ٤٧٩) ، الكاشف (١/ ٤٨٥) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٩٣) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ١٧٠) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٧) ، تقريب التهذيب ص(٢٦٦) ، تعجيل المنفعة ص(٥٤٠) ، طبقات الحفاظ ص(٨٩) .

(٢) يعني واسطي الأصل ، بصري الدار ، كما جاء في مصادر ترجمته .

وقال الشافعي : لولاه ما عُرف الحديثُ بالعِراق .

وقالِ الإمامُ أحمد : كان أمةً وحدَهُ في هذا الشأن ، ولم يكن في زمانه مثله .

وقال محمد بن سعد : كان ثقةً مأموناً حُجَّةً ، صاحبَ حديث .

وقال وكيع : إني لأرجو أنْ يرفعَ الله لشعبةَ في الجنةِ درجات بِذَبِّهِ عن حديثِ رسولِ الله ﷺ .

وقال صالح بن محمد جَزَرة : كان شعبةُ أولَ من تكلَّم في الرجال ، وتَبِعَهُ يحيى القطَّان ، ثم أحمد وابنُ مَعين .

وقال ابن المهدي : ما رأيتُ أعقلَ من مالك ، وأشدَّ تقشُّفاً من شعبة ، ولا أنصحَ للأمَّةِ من ابنِ المبارك ، ولا أحفظَ للحديث من الثوري .

وقال مسلم بن إبراهيم : ما دخلتُ على شعبةَ في وقتِ صلاةٍ إلاَّ ورأيتُه يُصلِّي ؛ وكان أباً للفقراء ، وأُمّاً لهم .

وقال النَّضْرُ بن شُميل : ما رأيتُ أرحمَ بِمسكينٍ منه . كان إذا رأى مِسْكيناً لا يزالُ ينظرُ إليه حتى يَغيب عنه .

وقال غيره : ما رأيتُ أعبدَ منه ! لقد عَبَدَ الله حتى لَصِقَ جِلْدُهُ بعظمِه .

وقال يحيى القطان : ما رأيتُ أرقَّ للمِسكين منه ! كان يدخل المسكينُ في مَنْزِلِه فيعطيه ما أمكنه .

قال محمد بن سعد وغيرُه : مات في أول سنة ستين ومئة في البصرة عن ثمانٍ وسبعين سنة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومئة

فيها غزا الصائفة ثمامة بن الوليد ، فنزل دابق ، وجاشت الروم عليه ؛ فلم يتمكَّنِ المسلمون من الدخول إليها بسببِ ذلك .

وفيها أمر المهديُّ بحَفْرِ الرَّكايا ، وعمَلِ المصانع ، وبناءِ القُصور في طريقِ مكة . ووَلَّى يقطين بن موسى على ذلك ، فلم يزلْ يعملُ في ذلك إلى سنةِ إحدى وسبعين ومئة مقدارَ عشرِ سنين ، حتى صارتْ طريقُ الحجاز من العراق من أرفَقِ الطرقات ، وآمَنِها وأطيبها .

وفيها وسَّعَ المهديُّ جامعَ البَصْرة من قِبْلَتِهِ وغَرْبِه . وفيها كتب إلى الآفاق أنْ لا تبقى مقصورةٌ في مسجدِ جماعة ، وأن تُقصَّرَ المنابرُ إلى مقدارِ منبرِ رسولِ الله ﷺ . ففعَلَ ذلك في المدائنِ كلِّها . وفيها اتَّضعتْ مَنْزلةُ أبي عُبيد الله وزيرِ المهدي ، وظهرَتْ عنده خيانتُه ؛ فضمَّ إليه المهديُّ منْ يُشرفُ عليه ،

وكان ممَّنْ ضُمَّ إليه إسماعيل بن عُلَيَّة . ثم أبعدَه وأقصاهُ وأخرَجهُ من مُعَسْكَرِه . وفيها ولي القضاء عافيةُ بن يزيد الأزدي ، وكان يحكُمُ هو وابنُ عُلاثة في عسكرِ المهدي بالرُّصافة . وفيها خرجَ رجلٌ يقال له المقنَّع بخُراسان في قريةٍ من قرى مَرْو ، كان يقولُ بالتناسخ ، واتَّبعهُ على ذلك خلقٌ كثير ؛ فجهَّز إليه المهدي عدَّةً من أمرائه ، وأنفذ إليه جيوشاً كثيرة ، منهم معاذ بن مسلم أمير خراسان ، وكان من أمرِهِ وأمرِهم ما سنذكُرُه . وحجَّ بالناس فيها موسى الهادي بن المهدي .

وفيها تُوفي :

إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعي .

وزائدة بن قُدامة .

وسفيان بن سعيد بن مَسْروق الثوري[1] : أحد أئمةِ الإسلام وعُبَّادهم ، والمقتدَى به ، أبو عبد الله الكوفي ، روى عن غيرِ واحدٍ من التابعين ، وروى عنه خلقٌ من الأئمَّة وغيرهم . قال شعبة وأبو عاصم وسفيان بن عُيينة ويحيى بن معين وغيرُ واحد : هو أميرُ المؤمنين في الحديث .

وقال ابنُ المبارك : كتبتُ عن ألفِ شيخٍ ومئة شيخ هو أفضلُهم .

وقال أيوب : ما رأيتُ كوفيّاً أفضِّلُه عليه .

وقال يونس بن عُبيد : ما رأيتُ أفضلَ منه .

وقال عبدُ الله بن داود : ما رأيتُ أفقهَ من الثَّوري .

وقال شعبة : ساد في الناس بالورَعِ والعِلْم .

وقال سفيان بن عُيينة : أصحابُ الحديث ثلاثة[2] : ابن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والثوري في زمانه .

وقال الإمام أحمد : لا يتقدَّمه في قلبي أحد . ثم قال : تدري منِ الإمام ؟ الإمام سفيانُ الثوري .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٧١) ، التاريخ الكبير (٤/ ٩٢) . التاريخ الصغير (٢/ ٢٥٤) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٣٨٨) ، الجرح والتعديل (١/ ٥٥) ، و(٤/ ٢٢٢) ، رجال صحيح مسلم (١/ ٣٢٩) ، التدوين في أخبار قزوين (٣/ ٤٨) ، تاريخ بغداد (٩/ ١٥١) ، تهذيب الأسماء (١/ ٢١٥) ، تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩) ، لسان الميزان (٧/ ٢٣٣) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٩٩) ، تقريب التهذيب ص(٢٤٤) ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٩٥) .

(٢) في (ح ، ق) : « أصحاب المدينة » ، والمثبت من (ب) وتاريخ بغداد (٣/ ٢٢٧) ، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٠) .

وقال عبدُ الرزاق : سمعت الثوريَّ يقول : ما استودعتُ قلبي شيئاً قطُّ فخانني ، حتى إني لأمرُّ بالحائك يتغنَّى ، فأسدُّ أُذني مخافةَ أنْ أحفظَ ما يقول . وقال : لأن أتركَ عشرةَ آلافِ دينار يُحاسبني الله عليها أحبُّ إليَّ من أنْ أحتاجَ الناس .

قال محمد بن سعد[١] : أجمعوا أنه توفي في البصرة سنة إحدى وستين ومئة ، وكان عمره يوم مات أربعاً وستين سنة .

ورآه بعضُهم في المنام يطيرُ في الجنة من نخلةٍ إلى نخلة ، ومن شجرةٍ إلى شجرة ، وهو يقرأ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ [الزمر : ٧٤] ، الآية .

وقال : إذا ترأس الرجلُ سريعاً أضرَّ بكثيرٍ من العِلْم[٢] .

وممن تُوفي فيها :

أبو دُلامَةَ[٣] زَنْد بن الجَوْن ، الشاعر الماجِن ، أحدُ الظُّرَفاء ، أصلُه من الكوفة ، وأقام ببغداد وحَظِيَ عند المنصور لأنه كان يُضحِكُه ، ويُنشده الأشعار ويمدَحُه ؛ حضر يوماً جنازةَ امرأةِ المنصور وكانتِ ابنةَ عمِّه ، يُقال لها حمادة بنت عيسى ، وكان المنصور قد حَزِنَ عليها ، فلما سوَّوْا عليها التراب ، وكان أبو دُلامة حاضراً . فقال له المنصور : ويحكَ يا أبا دُلامة ! ما أعددتَ لهذا اليوم ؟ فقال : ابنةَ عمِّ أميرِ المؤمنين . فضحك المنصورُ حتى استلقَى ، ثم قال : ويحك فضَحْتَنا .

ودخل يوماً على المهدي يهنِّئُهُ بقدومِهِ من سفرِه وأنشده :

إني حلَفْتُ لئنْ رأيتُكَ سالماً ... بقُرَى العراقِ وأنتَ ذو وَفْرِ
لَتُصَلِّيَنَّ على النبيِّ محمدٍ ... ولَتملأنَّ دراهماً حِجْرِي[٤]

فقال المهدي : أمَّا الأولى فنعَمْ ، نُصلِّي على النبيِّ محمدٍ ﷺ ، وأما الثانية فلا . فقال : يا أمير المؤمنين ، هما كلمتان ، فلا تفرِّقْ بينهما . فأمر أنْ يملأ حجرهُ دراهم ، ثم قال له : قم . فقال : إذاً ينخرق منها قميصي . فأُفرغَتْ منه في أكياسِها ، ثم قام فحملها وذهب .

---

(١) في الطبقات الكبرى (٦/ ٣٧١) .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (١/١٤٧) (٥٥٤) ؛ والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٥٥) (١٦٧٠) ولفظه : « من أسرع الرئاسة أضر بكثير من العلم ، ومن لم يسرع الرئاسة كتب ثم كتب ثم كتب » .

(٣) ترجمته في تاريخ بغداد (٨/ ٤٨٨) ، أخبار المصحفين للعسكري (١/ ٦٢) ، المنتظم (٨/ ٢٥١) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٢٠) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٧٤) ، العبر (١/ ٢٦١) ، شذرات الذهب (١/ ٢٤٩) .

(٤) البيتان في ديوانه ص(٦٧) . والخبر في وفيات الأعيان (٢/ ٣٢٥) ، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٧٥) .

وذكر عنه ابنُ خَلِّكان[١] أنه مَرِض ابنٌ له ، فداواهُ طبيب ، فلمّا عُوفي قال له : ليس عندَنا ما نُعطيك ولكنْ ادَّعِ على فلان اليهودي بمبلغٍ ما تستحقُّه عندَنا من أُجرتك حتى أشهدَ أنا وولَدِي بالمبلغِ المذكور . قال : فذهب الطبيبُ إلى قاضي الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ـ وقيل ابن شُبْرُمة ـ فادَّعى عليه عندَه ، فأنكر اليهودي ، فشهد له أبو دُلامة وابنُه ، فلم يستطعِ القاضي أن يردَّ شهادَتهما ، وخاف من طلَبِ التزكية[٢] ، فأعطى الطبيبَ المدَّعي المالَ من عندِه وأطلَقَ اليهودي ، وجمع القاضي بين المصالح .

توفي أبو دُلامة في هذه السنة ، وقيل : إنه أدركَ خلافةَ الرشيد سنةَ سبعين . فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومئة

فيها خرج عبدُ السلام بن هاشم اليشكري بأرضِ قِنَّسْرِين ، واتَّبَعَهُ خلقٌ كثير ، وقَوِيَتْ شَوْكتهُ ، فقاتله جماعةٌ من الأمراء فلم يقدِروا عليه ، فجهَّز إليه المهديُّ جيوشاً ، وأنفق فيهم أموالاً ، فهزَمَهم مرَّات ، ثم آلَ الأمرُ به أنْ قُتل بعد ذلك .

وفيها غزا الصائفةَ الحسنُ بن قحطبة في ثمانين ألفاً من المرتزقة ، سوى المتطوِّعة ، فدمَّرَ الروم ، وحرق بلداناً كثيرة ، وخرَّب أماكن ، وأسَرَ خلقاً من الذَّرَاريّ . وكذلك غزا يزيدُ بن أسيد السلمي بلادَ الروم من باب قالِيقَلا[٣] فغَنِم وسَلِم ، وسَبَا خلقاً كثيراً .

وفيها خرجَتْ طائفةٌ بِجُرْجان ، فلَبسوا الحمرةَ مع رجلٍ يُقال له عبد القهار ، فغزاهُ عمر بن العلاء من طَبَرِسْتان ، فقهر عبد القهار وقتلَهُ وأصحابَه .

---

(١) في وفيات الأعيان (٢/ ٣٢٥) .

(٢) زاد ابن خلكان هنا ما نصّه : فأنشد في الدِّهْليز قبل دخوله بحيثُ يسمع القاضي :

إن الناسُ غطَّوْني تغطَّيْتُ عنهمُ ... وإنْ بَحثُوا عني ففيهم مَبَاحِثُ
وإنْ نَبَثُوا بئري نبثتُ بئارَهم ... ليعلَمَ قومٌ كيف تلك النَّبَائِثُ

ثم حضرا بين يدي القاضي ، وأدّيَا الشهادة ، فقال له : كلامُك مسموع ، وشهادتُك مقبولة . ثم غرم المبلغ من عندِه وأطلَقَ اليهودي .

(٣) « قالِيقَلا » : بأرْمينيَة العظيمة من نواحي خِلاط ، ثم من نواحي منازجرد . قال النحويون : حكم قاليقلا حكم معديكَرِب ، إلاَّ أنَّ قاليقلا غير منوَّن على كلِّ حال ، إلا أن تجعل قالي مضافاً إلى قلا وتجعل قلا اسمَ موضعٍ مذكَّر فتنونه ، فتقول : هذا قاليقلا فاعلم . والأكثر ترك التنوين . وتعمل بقاليقلا هذه البسط المسماة بالقالي ، اختصروا في النسبة إلى بعض اسمه لثقله ؛ وإليها يُنسب الأديبُ العالم أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي . معجم البلدان (٤/ ٢٩٩ ، ٣٠٠) .

وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والآفاق على المجذومين والمحبوسين ؛ وهذه مثُوبةٌ عظيمة ، ومكْرُمةٌ جَسيمة .

وفيها حجَّ بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور .

وفيها توفي من الأعيان :

إبراهيم بن أدهم[(١)] : أحدُ مشاهيرِ العُبّاد ، وأكابر الزُّهّاد ، كانتْ له همَّةٌ عاليةٌ في ذلك ، رحمه الله . فهو إبراهيمُ بن أدهم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق التميمي ، ويُقال له العِجْلي ؛ أَصْلُهُ من بَلْخ ، ثم سكن الشام ، ودخل دمشق ، وروى الحديثَ عن أبيه ، والأعمش ، ومحمد بن زياد صاحبِ أبي هريرة ، وأبي إسحاق السَّبِيعي ، وخَلْق . وحدَّث عنه خَلْق ، منهم بقِيَّة ، والثوري ، وأبو إسحاق الفَزَاري ، ومحمد بن حِميَر ؛ وحكى عنه الأوزاعي .

وروى ابن عساكر[(٢)] من طريق عبدِ الله بن عبد الرحمن الجزري ، عن الثوري ، عن إبراهيم بن أدهم ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، قال : دخلتُ على رسولِ الله ﷺ وهو يُصلِّي جالساً فقلت : يا رسولَ الله ، إنَّكَ تُصَلِّي جالساً ، فما أصابك ؟ قال : « الجوعُ يا أبا هريرة » ؟ قال : فبكَيْت ، فقال : « لا تبك ، فإنَّ شدَّةَ يومِ القيامةِ لا تُصيبُ الجائعَ إذا احتَسَبَ في دارِ الدُّنيا »[(٣)] .

ومن طريق بقيَّة ، عن إبراهيم بن أدهم : حدّثني أبو إسحاق الهمداني ، عن عمارة بن غَزِيَّة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الفتنة تجيءُ فتنسِفُ العبادَ نسفاً ، وينجو العالِم منها بعِلْمِه »[(٤)] .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (١/ ٢٧٣) ، الجرح والتعديل (٢/ ٨٧) ، طبقات الصوفية ص(٢٧) ، حلية الأولياء (٧/ ٣٦٧ ، و٨/ ٣) ، الرسالة القشيرية (١/ ٥٤) ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٦/ ٢٧٧) ، صفة الصفوة (٤/ ١٥٢) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (١/ ٢١٢) ، الأنساب (٢/ ٢٨٤) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٤/ ١٧) ، تهذيب الكمال (٢/ ٢٧) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨٧) ، مرآة الجنان (١/ ٣٤٩) ، الوافي بالوفيات (٥/ ٣١٨) ، فوات الوفيات (١/ ١٣) ، طبقات الأولياء ص(٥) ، تقريب التهذيب ص(٨٧) ، تهذيب التهذيب (١/ ١٠٢) ، طبقات الشعراني (١/ ٦٩) ، شذرات الذهب (١/ ٢٥٥) ، الأعلام (١/ ٣١) .

(٢) في تاريخ مدينة دمشق (٦/ ٢٧٨) .

(٣) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠٩) و(٨/ ٤٢) وقال : غريب من حديث الثوري ، لم نكتبه إلا من حديث ابن عيسى عن الجزري .

(٤) أخرجه ابن عساكر (٦/ ٢٧٩) ؛ وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية (٨/ ٤١) وقال : غريب من حديث أبي إسحاق الهمداني وإبراهيم بن أدهم ، لم نكتبه إلا من حديث عطية عن أبيه بقية . وأخرجه القضاعي في مسنده الشهاب (٢/ ١٣٩) (١٠٥٦) ؛ والقزويني في التدوين في أخبار قزوين (٢/ ١٧٢) .

قال النسائي : إبراهيم بن أدهم ثقةٌ مأمون ، أحدُ الزّهاد .

وذكر أبو نُعيم[(١)] أنه كان ابنُ مِلكٍ من مُلوك خُراسان ، وكان قد حُبِّبَ إليه الصَّيد ، قال : فخرجتُ مرَّةً ، فأثَرْتُ ثعلباً أو أرنباً ، فهتَفَ بي هاتف من قَرَبُوسِ سَرْجي : ما لهذا خُلقت ، ولا بهذا أُمرت . فنَزل عن فرسه ، قال : فوقفتُ وقلت : انتهيت انتهيت ، جاءني نذيرٌ من ربِّ العالمين ؛ فرجعتُ إلى أهلي ، فخلَّيتُ عن فَرَسي وجئتُ إلى بعضِ رعاةِ أبي ، فأخذتُ منه جُبَّةً وكِسَاءً ، ثم ألقيتُ ثيابي إليه ، ثم أقبلتُ إلى العراق ، فعملتُ بها أياماً ، فلم يصفُ لي بها الحلال ، فسألتُ بعضَ المشايخ عن الحلال ، فأرشدَني إلى بلادِ الشام ، فأتيتُ طَرَسُوس ، فعملتُ بها أياماً أنطرُ البساتين ، وأحصدُ الحصاد . وكان يقول : ما تهنَّيتُ بالعيش إلاَّ في بلادِ الشام ، أفِرُّ بديني من شاهِقٍ إلى شاهِق ، ومن جبلٍ إلى جبل ، فمنْ يَراني يقول : هو مُوَسْوس .

ثم دخل البادية ، ودخل مكة ، وصَحِبَ الثوريّ ، والفُضيل بن عِيَاض ، ودخل الشام ، وماتَ بها . وكان لا يأكلُ إلاَّ من عمَلِ يدَيْه ، مثل الحصاد وعمل الفاعل ، وحفظ البساتين ، وغيرِ ذلك . وما رُوي عنه أنه وجد رجلاً في البادية فعلَّمه اسم الله الأعظم ، فكان يدعو به حتى رأى الخَضِر ، فقال له : إنما علَّمكَ أخي داودُ اسمَ الله الأعظم . ذكره القُشيري وابنُ عساكر عنه بإسنادٍ لا يَصِحّ . وفيه أنه قال له : إنَّ إلياس علَّمك اسمَ الله الأعظم . وقال إبراهيم : أطِبْ مطعَمَك ولا عليك أنْ لا تقومَ الليل ، ولا تصوم النهار .

وذكر أبو نعيم عنه ، أنه كان أكثر دعائه : اللهمَّ انقلني من ذُلِّ معصيتِك إلى عِزِّ طاعتِك . وقيل له : إنَّ اللحمَ غلا . فقال : أرْخِصوه . أيْ : لا تشتروه ، فإنه يَرْخُص . وقال بعضُهم : هتف به الهاتف من فوقه : يا إبراهيم ، ما هذا العبَث ؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] ، اتَّقِ الله ، وعليك بالزَّادِ ليومِ القيامة . فنَزَل عن دابَّته ، ورَفَض الدنيا ، وأخَذَ في عملِ الآخرة .

وروى ابن عساكر[(٢)] بإسنادٍ فيه نظر من ابتداءِ أمرِه قال : بينما أنا يوماً في مَنْظَرةٍ ببَلْخ[(٣)] ، وإذا شيخٌ حسَنُ الهيئة ، حسَنُ اللِّحْية ، قد استظلَّ بظِلِّها ، فأخذَ بِمَجَامعِ قلبي ، فأمرتُ غلاماً فدعاه فدخل ، فعرضتُ عليه الطعام ، فأبَى ، فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : من وراء النهر . قلت : أين تُريد ؟ قال : الحج . قلت : في هذا الوقت ؟ وقد كان أولَ يومٍ من ذي الحِجَّة أو ثانيه . فقال : يفعلُ الله ما يشاء .

---

(١) في حلية الأولياء (٧/ ٣٦٨) . وفي (ب ، ح) : « وذكر الأستاذ أبو القاسم القشيري في رسالته أن إبراهيم بن أدهم كان من أبناء . . . » .

(٢) في تاريخ مدينة دمشق (٦/ ٢٨٥) .

(٣) المنظرة : الْمَرْقَبَة . لسان العرب (نظر) .

فقلت : الصحبة . قال : إنْ أحببتَ ذلك فموعِدُك الليل . فلما كان الليل جاءني فقال : قُمْ بسمِ الله . فأخذتُ ثيابَ سَفَري ، وسرنا نمشي كأنما الأرض تجذب من تحتنا ونحن نمر على البلدان ونقول : هذه فلانة ، هذه فلانة ، فإذا كان الصباحُ فارَقَني ويقول : مَوْعِدُك الليل . فإذا كان الليل جاءني ففَعَلنا مثلَ ذلك . فانتهينا إلى مدينةِ النبيِّ ﷺ ، ثم سِرْنا إلى مكة ، فجئناها ليلاً ، فقضَيْنا الحجَّ مع الناس ثم رجعنا إلى الشام ، فزُرْنا بيتَ المقدِس ، وقال : إني عازمٌ على المُقام بالشام . ثم رجعتُ أنا إلى بلدي بَلْخ كسائرِ الضعفاء ، حتى رجَعْنا إليها ولم أسألْهُ عن اسمِه ، فكان ذلك أولَ أمري .

ورُوي من وجهٍ آخر فيه نظر[١] .

[وقال أبو حاتم الرازي : عن أبي نُعيم ، عن سفيان الثوري ، قال كان إبراهيمُ بن أدهم يُشبه إبراهيمَ الخليل ، ولو كان في الصحابة كان رجلاً فاضلاً له سرائر ، وما رأيته يُظهرُ تسبيحاً ولا شيئاً ، ولا أكلَ مع أحدٍ طعاماً إلاَّ كان آخرَ منْ يرفعُ يدَيْه][٢] .

وقال عبدُ الله بن المبارك[٣] : كان إبراهيمُ رجلاً فاضلاً له سرائرُ ومعاملات بينه وبين الله عزَّ وجلَّ ؛ وما رأيتُه يُظهرُ تسبيحاً ولا شيئاً من عمَلِه ولا أكَلَ مع أحدٍ طعاماً إلا كان آخرَ منْ يرفَعُ يدَه .

وقال بشر بن الحارث الحافي : أربعة رفَعَهمُ الله بطيبِ المطعم : إبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخَوَّاص ، ووُهَيب بن الورد ، ويوسف بن أسباط[٤] .

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨) .

(٢) ما بين معقوفين ليس في (ب ، ح) وهو زيادة من النسخة المصرية في (ق) ، يدل على ذلك ما سيأتي في الخبر التالي .

(٣) كذا في الأصول ، وفي تهذيب الكمال (٢/ ٣٢) وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٩٠) أنَّ القائل هو سفيان الثوري ، كما جاء في الخبر السابق . وقد أتى ابن عساكر على كلا الروايتين في تاريخه (٦/ ٢٨٩) أولهما : « محمد بن إدريس الحنظلي قال : سمعت أبا نعيم يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : إبراهيم بن أدهم كان يشبه إبراهيم خليل الرحمن ، ولو كان في أصحاب النبي لكان رجلاً فاضلاً » . وثانيهما : « سليمان بن أيوب قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : قلتُ لابن المبارك : إبراهيم بن أدهم ممَّن سمع ؟ فقال : قد سمع من الناس ، ولكن له فضل في نفسه ، صاحب سرائر وما رأيته يظهر تسبيحاً ولا شيئاً من الخير ، ولا أكل مع قوم طعاماً قط إلا كان آخر من يرفع يديه من الطعام » .

(٤) أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٥٧ ، ٥٨) برقم (٥٧٦٤) بإسناده : عن بشر بن الحارث قال : سمعت المعافى بن عمران يقول : كان عشرة فيمن مضى من أهل العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد ، لا يُدخلون بطونَهم إلا ما يعرفون من الحلال ، وإلا استفوا التراب . ثم عدَّ بشر : إبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخواص ، وعلي بن فضيل بن عياض ، وأبا معاوية الأسود ، ويوسف بن أسباط ، ووُهَيب بن الورد ، وحذيفة شيخ من أهل حرَّان ، وداود الطائي .

وروى ابنُ عساكر من طريق معاوية بن حفص ، قال : إنما سمع إبراهيم بن أدهم حديثاً واحداً فأخذَ بهِ ، فسادَ أهلَ زمانِه . قال : حدّثنا منصور عن رِبْعيٍّ بن حِرَاش قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، دُلَّني على عملٍ يُحبَّني الله عليه ، ويُحِبَّني الناسُ . قال : « إذا أردتَ أنْ يُحبَّكَ الله فأبغِضِ الدُّنيا ؛ وإذا أردتَ أنْ يُحبَّكَ الناس ، فما عندَكَ من فُضولِها فانْبِذْهُ إليهم »[١] .

وقال ابنُ أبي الدنيا : حدّثنا أبو ربيع عن إدريس قال : جلس إبراهيمُ إلى بعضِ العلماء ، فجعلوا يتذاكرون الحديث وإبراهيمُ ساكت ، ثم قال : حدّثنا منصور ، ثم سكتَ فلم ينطِقْ بحرفٍ حتى قامَ من ذلك المجلس ، فعاتبه بعضُ أصحابِه في ذلك ، فقال : إني لأخشَى مضرَّةَ ذلك المجلس في قلبي إلى هذا اليوم .

وقال رِشْدينُ بن سعد : مرَّ إبراهيمُ بن أدهم بالأوزاعيِّ وحَوْلَه حَلْقَة ، فقال : لو أنَّ هذه الحَلْقَة على أبي هريرة لَعَجز عنهم . فقام الأوزاعيُّ وترَكَهم .

وقال إبراهيم بن بشار : قيل لابن أدهم : لمَ تركتَ الحديث ؟ فقال : إني مشغولٌ عنه بثلاث : بالشكرِ على النِّعم ، والاستغفارِ من الذنوب ، وبالاستعدادِ للموت . ثم صاح وغُشِيَ عليه ، فسمعوا هاتفاً يقول : لا تدخلوا بيني وبين أوليائي .

وقال أبو حنيفةَ يوماً لإبراهيمَ بنِ أدهم : قد رُزقت من العبادةِ شيئاً صالحاً ، فليكنِ العلمُ من بالِك ، فإنَّهُ رأسُ العبادةِ وقِوَامُ الدِّين . فقال له إبراهيم : وأنت فليكنِ العبادةُ والعملُ بالعِلْم من بالِك ، وإلاَّ هلَكْت .

وقال إبراهيم : ماذا أنعم الله على الفقراء ؛ لا يسألُهم يومَ القيامةِ عن زكاةٍ ، ولا عن حجٍّ ، ولا عن جهادٍ ، ولا عن صِلَةِ رَحِم ؛ إنما يسألُ ويحاسبُ هؤلاء المساكينَ الأغنياء .

وقال شقيق بن إبراهيم[٢] : لَقيتُ ابن أدهم بالشام وقد كنتُ رأيتُه بالعراق ، وبين يديه ثلاثون شاكِرِيّاً[٣] ، فقلت له : تركتَ مُلكَ خُراسان ، وخرجتَ من نعمتِك ! فقال : اسكتْ ما تَهَنَّيْتُ بالعَيش إلا هاهنا ، أفِرُّ بديني من شاهِقٍ إلى شاهِقٍ ، فمن يراني يقول هو مُوَسْوَس ، أو حمَّال أو ملاَّح ؛ ثم قال :

---

(١) وأخرجه بهذا اللفظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٢٧٠) ؛ وبنحوه أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٢ ، و٥٣) ؛ وابن رجب في جامع العلوم والحكم ص(٢٨٨) . وإسناده ضعيف فهو مرسل ، ربعي بن حراش تابعي لم يدرك النبي ﷺ .

(٢) في (ب ، ق) : « شقيق بن إبراهيم » ، والمثبت من (ح) وترجمته ومصادرها في المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٣/ ١٠٨) .

(٣) « الشاكِرِيّ » : الأجير والمستخدم ؛ معرَّب جاكر . القاموس (شكر) .

بلَغَني أنه يُؤتى بالفقير يومَ القيامة ، فيوقَفُ بين يديِ الله فيقول له : يا عبدي ، ما لَكَ لم تَحُجّ ؟ فيقول : يا رب لم تعطني شيئاً أحجُّ به . فيقول الله : صَدَقَ عبدي ، اذهبوا به إلى الجنَّة[١] .

وعن إبراهيم بن أدهم قال : أقمتُ بالشام أربعاً وعشرين سنة ، ولم أُقِمْ بها لجهادٍ ولا رِبَاط ، إنما نزَلْتُها لأشبع من خبزٍ حلال .

وقال : الحُزْنُ حُزنان : حُزْنٌ لكَ وحُزْنٌ عليك ؛ فحزُنكَ على الآخرة لك ، وحزنُك على الدنيا وزينتها عليك .

وقال : الزُّهْد ثلاثة : واجبٌ ، ومُسْتَحبّ ، وزُهْدُ سلامة ؛ فأمَّا الواجب فالزُّهْد في الحرامِ ، والزُّهْد عن الشهواتِ الحلال مستحَبّ ، والزُّهْد عن الشُّبُهات سلامة .

وكان هو وأصحابُه يَمنعونَ أنفسَهم الحَمَّام ، والماءَ البارد ، والحِذاء ؛ ولا يجعلون في مِلْحِهم أبْزاراً . وكان إذا جلس على سُفْرَةٍ فيها طعامٌ طَيِّب ، رَمَى بطيِّبها إلى أصحابِه ، وأكل هو الخُبْزَ والزَّيتون .

وقال : قِلَّةُ الحِرْصِ والطمعِ ، تُورثُ الصِّدْقَ والوَرَع ؛ وكثرةُ الحِرْصِ والطَّمَع تُورثُ الغَمَّ والجَزَع .

وقال له رجل : هذه جُبَّةٌ أحبُّ أنْ تقبلَها مني . فقال : إنْ كنتَ غَنيّاً قَبِلتُها ، وإنْ كنتَ فقيراً لم أَقبَلْها . قال : أنا غنيّ . قال : كم عندَك ؟ قال : ألفان . قال : تودُّ أنْ تكونَ أربعةَ آلاف ؟ قال : نعم . قال فأنتَ فقير ، لا أقبلُها منك .

وقيل له : لو تزوَّجْتَ . فقال : لو أمكنَني أنْ أُطَلِّقَ نفسي لطلَّقْتُها .

ومكث بمكةَ خمسةَ عشرَ يوماً لا شيءَ له ، ولم يكنْ له زادٌ سوى الرَّمْل بالماء ، وصلى بوضوءٍ واحدٍ خمسَ عشرةَ صلاةً .

وأكَلَ يوماً على حافةِ الشَّريعةِ كُسَيْراتٍ مبلولةً بالماء وضَعَها بين يديه أبو يوسف الغَسُولي ، فأكل منها ثم قامَ فشرب من الشريعة ، ثم جاء واستَلْقَى على قفاهُ وقال : يا أبا يوسف ، لو علم الملوكُ وأبناءُ الملوك ما نحن فيه من النَّعيم لجالَدُونا بالسيوف أيامَ الحياةِ على ما نحن فيه من لذيذِ العيش . فقال أبو يوسف : طلَبَ القومُ الراحةَ والنَّعِيم فأخطؤوا الطريقَ المستقيم . فتبسَّمَ إبراهيمُ وقال : من أين لك هذا الكلام ؟ .

وبينما هو بالْمَصِّيصةِ في جماعة من أصحابِه إذ جاءَهُ راكبٌ فقال : أيُّكُمْ إبراهيمُ بن أدهم ؟ فأُرشِدَ إليه فقال : يا سيدي ، أنا غلامُك ، وإنَّ أباك قد ماتَ وترَكَ مالاً هو عند القاضي ، وقد جئتُكَ بعشرةِ آلافِ درهمٍ لِتُنفقَها عليك إلى بَلْخ ، وفرَسٍ وبَغْلة . فسكَتَ إبراهيمُ طويلاً ، ثم رفع رأسه فقال : إنْ كنتَ صادقاً فالدَّراهمُ والفرسُ والبغلةُ لك ، ولا تُخبِرْ به أحداً . ويُقال : إنه ذهب بعد ذلك إلى بَلْخ ، وأخذ المالَ من

---

(١) انظر حلية الأولياء (٣٦٩/٧) ، وإحياء علوم الدين (٢٢٧/٢) .

الحاكم وجعَلَهُ كلَّهُ في سبيل الله . وكان معَهُ بعضُ أصحابِه ، فمكثوا شهرَيْن لم يَحصُلْ لهم شيءٌ يأكلونه ، فقال له إبراهيم : ادخُلْ إلى هذه الغَيْضة ـ وكان ذلك في يوم شاتٍ ـ قال : فدخلتُ ، فوجدتُ شجرةً عليها خَوْخٌ كثير ، فملأتُ منه جِرَابي ، ثم خرجْتُ . فقال : ما معَك ؟ قلت : خَوْخ . فقال : يا ضعيفَ اليقين ، لو صبَرْتَ لوجدتَ رُطَباً جَنياً كما رُزِقَتْ مَرْيَمُ بنتُ عِمران .

وشكا إليه بعضُ أصحابِهِ الجُوع ، فصلَّى رَكعتَيْن ، فإذا حولَهُ دنانيرُ كثيرة ، فقال لصاحبه : خُذْ منها ديناراً . فأخذَهُ واشترى لهم به طعاماً .

وذكروا أنه كان يعملُ بالفاعل ، ثم يذهب فيشتري البيضَ والزُّبْدَة ، وتارةً الشِّوَاءَ والجُوذابات[1] ، والخَبِيص[2] ، فيُطْعِمه أصحابَهُ وهو صائم ، فإذا أفطَرَ يأكلُ من رَديءِ الطعام ويَحْرِم نفسَهُ المطعمَ الطِّيب لِيَبَرَّ بهِ الناسَ تأليفاً لهم وتَحبُّباً وتودُّداً إليهم .

وأضاف الأوزاعيُّ إبراهيمَ بنَ أدْهَمَ ، فقَصَّرَ إبراهيمُ في الأكل ، فقال : مالكَ قصَّرْت ؟ فقال : لأنك قَصَّرْتَ في الطعام ؛ ثم عَمِلَ إبراهيمُ طعاماً كثيراً ودَعَا الأوزاعيَّ ، فقال الأوزاعي : أما تخافُ أنْ يكونَ سرَفاً ؟ فقال : لا ، إنَّما السَّرَفُ ما كان في معصيةِ الله ، فأمَّا ما أنفقَهُ الرجلُ على إخوانهِ فهو من الدِّين .

وذكروا أنه حصَدَ مرَّةً بعشرينَ ديناراً ، فجلَسَ مرَّةً عند حَجَّام هو وصاحبٌ له لِيَحْلِقَ رؤوسهم ويَحْجِمَهُمْ ، فكأنَّه تَبَرَّمَ بهم واشتغَلَ عنهم بغيرِهم ، فتأذَّى صاحبُه من ذلك ، ثم أقبل عليهمُ الحجّام فقال : ماذا تريدون ؟ قال إبراهيم : أريدُ أن تَحْلِقَ رأسي وتَحْجِمني . ففعل ذلك ، فأعطاه إبراهيمُ العِشْرين ديناراً ، وقال : أردتُ أنْ لا تَحْقِرَ بعدَها فقيراً أبداً .

وقال مضاء بن عيسى : ما فاق إبراهيمُ أصحابهُ بصَوْمٍ ولا صلاة ، ولكنْ بالصدقةِ والسَّخَاء .

وكان إبراهيمُ يقول : فِرُّوا من الناس كفِرَارِكُم من الأسَدِ الضاري ، ولا تَخلَّفوا عن الجُمعةِ والجماعة .

وكان إذا سافر مع أحدٍ من أصحابه يُحدِّثُهُ إبراهيم ، وكان إذا حَضَرَ في مجلس فكأنما على رؤوسِهم الطَّير هَيْبةً وإجلالاً .

ورُبَّما تسامرَ هو وسفيانُ الثَّوري في الليلةِ الشاتِيَةِ إلى الصباح ، وكان الثوريُّ يتحرَّزُ معهُ في الكلام .

ورأى رجلاً قيل له : هذا قاتِلُ خالِك . فذَهَبَ إليه فسلَّمَ عليه ، وأهدَى له وقال : بلَغني أنَّ الرجلَ لا يَبْلُغُ درجةَ اليقين حتى يأمَنَهُ عدوُّه .

---

(١) في (ق) : « والجوذبان » ، وفي (ح) : « والجذابات » ، والمثبت من (ب) والجُوذابات : جمع ، مفرده جُوذاب : وهو طعامٌ يُصنعُ بسُكَّرٍ وأرُزٍّ ولَحْم . لسان العرب .

(٢) « الخَبِيص » : الطعام المعمول من التمر والسمن . القاموس (خبص) .

وقال له رجل : طوبَى لك ! أفنيتَ عُمرَك في العبادة ، وتركتَ الدنيا والزوجات ! فقال : أَلَكَ عِيَال ؟ قال : نعم . فقال : لَرَوْعةُ الرجلِ بِعِيَالِه ـ يعني في بعض الأحيان ـ من الفاقَةِ أفضلُ من عبادةِ كذا وكذا سنة .

ورآهُ الأوزاعيُّ ببيروت وعلى عُنقه حُزْمةُ حطَب ، فقال : يا أبا إسحاق ، إنَّ إخوانَكَ يَكْفُونَك هذا . فقال له : اسكُتْ يا أبا عمرو ، فقد بلَغني أنه إذا وُقف الرجلُ موقفَ مَذَلَّةٍ في طَلَبِ الحلال وجَبَتْ له الجنَّة .

وخرج ابنُ أدهمَ من بيتِ المقدس ، فمرَّ بطريق ، فأخذَتْهُ المَسْلَحةُ في الطريق ، فقالوا : أنتَ عبد ؟ قال : نعم . قالوا : آبق ؟ قال : نعم . فسَجَنوه ، فبلَغَ أهلَ بيتِ المقدس خبَرُه ، فجاؤوا بِرُمَّتِهِمْ إلى نائبِ طَبَرِيَّة فقالوا : علامَ سجنتَ إبراهيم بن أدهم ؟ قال : ما سَجَنْتُهُ . قالوا : بلَى ، هو في سِجْنِك . فاستحضره ، فقال : عَلامَ سُجنتَ ؟ فقال : سَلِ الْمَسْلَحَة . قالوا : أنتَ عَبْد ؟ قلت : نعم وأنا عبدُ الله . قالوا : آبق ؟ قلتُ : نعم ، وأنا عبدٌ آبقٌ من ذنوبي . فخَلَّى سَبِيلَه .

وذكروا أنَّهُ مَرَّ مع رُفْقَةٍ ، فإذا الأسَدُ على الطريق ، فتقدَّم إليه إبراهيمُ بن أدهم ، فقال له : يا قَسْوَرَة ، إنْ كنتَ أُمِرْتَ فينا بشيءٍ فامضِ لِمَا أُمِرْتَ به ، وإلاَّ فَعَوْدُكَ على بَدْئك . قالوا : فولَّى السَّبُعُ ذاهباً يَضْربُ بذَنَبِه ؛ ثم أقبلَ علينا إبراهيمُ فقال : قولوا اللهمَّ راعِنا بِعَيْنكَ التي لا تَنَام ، واكْنُفْنا بكَنَفِكَ الذي لا يُرام ، وارْحَمْنَا بقُدْرَتِكَ علينا ، ولا نَهْلِكُ وأنتَ رجاؤنا ، يا الله ، يا الله ، يا الله . قال خلفُ بنُ تَميم : فما زلتُ أقولُها منذُ سمعتُها ، فما عَرَضَ لي لِصٌّ ولا غيرُه .

وقد رُوي لهذا شواهدُ من وجوهٍ أُخَر . ورُوي أنه كان يصلِّي ذاتَ ليلة ، فجاءه أُسْدٌ ثلاثة ، فتقدَّم إليه أحدُهم ، فشَمَّ ثيابَهُ ثم ذهبَ فرَبَضَ قريباً منه ، وجاء الثاني ففعَلَ مثلَ ذلك ، وجاء الثالثُ ففعل مثلَ ذلك ، واستمرَّ إبراهيمُ في صلاتِه ، فلمَّا كان وقتُ السَّحَر قال لهم : إنْ كنتُم أُمِرْتُمْ بشيءٍ فهَلُمُّوا ، وإلاَّ فانصرِفوا . فانصرَفوا .

وصَعِدَ مرَّةً جبلاً بمكَّة ومعه جماعة ، فقال لهم لو أنَّ وليّاً من أولياءِ الله قالَ لِجَبَلٍ : زُلْ لَزالَ . فتحرَّك الجبلُ تحتَهُ ، فوكَزهُ بِرجْلِه وقال : اسْكُنْ ، فإنَّما ضرَبْتُكَ مثلاً لأصحابي . وكان الجبلُ أبا قُبَيس .

وركب مرَّةً سفينةً ، فأخذهُمُ الموجُ من كلِّ مكان ، فلَفَّ إبراهيمُ رأسَهُ بكِسَائِهِ واضْطَجَع ، وعَجَّ أصحابُ السفينةِ بالضَّجيجِ والدُّعاء ، وأيقظوه وقالوا : ألا تَرَى ما نحنُ فيه من الشِّدَّة ؟! فقال : ليس هذه شِدَّة ، وإنما الشِّدَّةُ الحاجةُ إلى الناس . ثم قال : اللهمَّ أَرَيْتَنا قُدْرَتَك ، فأرِنَا عَفْوك . فصار البحرُ كأنه قدَحُ زَيْت . وكان قد طالبه صاحبُ السفينةِ بأُجْرَةِ حَمْلِهِ دينارَيْن ، وألَحَّ عليه ، فقال له : اذهَبْ معي حتى أعطيَكَ دينارَيْك . فأتى إلى جزيرةٍ في البحر ، فتوضَّأ إبراهيمُ وصلَّى ركعتَيْن ، ودَعَا ، وإذا ما حَوْلَهُ قد مُلِئ دنانير ، فقال له : خُذْ حَقَّك ولا تَزِدْ ، ولا تذكُرْ هذا لأحد .

وقال حُذيفةُ المَرْعشيّ : أَوَيْتُ أنا وإبراهيمُ إلى مسجدِ خرابٍ بالكوفة ، وكان قد مَضَى علينا أياماً لم نأكُلْ فيها شيئاً ، فقال لي : كأنَّك جائع . قلت : نعم . فأخذ رُقْعةً فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصودُ إليه بكلِّ حال ، المشار إليه بكلِّ مَعْنى :

أنا حامدٌ أنا ذاكرٌ أنا شاكرٌ أنا جائعٌ أنا حاسرٌ أنا عاري
هي ستَّةٌ وأنا الضَّمينُ بنصفِها فكُنِ الضَّمينَ لنصفِها يا باري
مَدْحي لغيرِك وَهْجُ نارٍ خُضتُها فأجِرْ عُبَيدَكَ من دخولِ النارِ

ثم قال : اخرُجْ بهذهِ الرُّقْعَة ولا تُعَلِّقْ قلبَكَ بغيرِ الله سبحانه وتعالى ، وادْفَعْ هذه الرقعةَ لأوَّلِ رجلٍ تلقاه .

فخرجتُ فإذا رجلٌ على بغلة ، فدفعتُها إليه ، فلما قرأها بكى ، ودفع إليَّ ست مئة دينارٍ وانصرَفَ ؛ فسألتُ رجلاً : منْ هذا الذي على البغلة ؟ فقالوا : هو رجلٌ نصرانيّ . فجئتُ إبراهيمَ ، فأخبرتُهُ فقال : الآن يجيء فيُسْلِم . فما كان غيرَ قريب حتى جاء ، فأكبَّ على رأسِ إبراهيمَ وأسلم[(١)] .

وكان إبراهيمُ يقول : دارُنا أمامَنا ، وحياتُنا بعدَ وفاتِنا ، فإمَّا إلى الجنة وإما إلى النار ، مَثِّلْ لبَصرِكَ حضورَ ملَكِ الموتِ وأعوانِهِ لقبضِ رُوحِك ، وانظرْ كيف تكونُ حينئذٍ ، ومَثِّلْ له هَوْلَ الْمَضْجَع ، ومساءلَةَ مُنْكرٍ ونَكير ، وانظُرْ كيف تكون ؟ ومَثِّلْ له القيامةَ وأهوالَها وأفزاعَها ، والعَرْضَ والحساب ، وانظُرْ كيف تكون ؟ ثم صرَخَ صرخةً خرَّ مَغْشيّاً عليه .

ونظر إلى رجلٍ من أصحابه يَضْحَك ، فقال له : لا تطمَعْ فيما لا يكونُ ولا تَنْسَى ما يكون ، فقيل له : كيف هذا يا أبا إسحاق ؟ فقال : لا تطمَعْ في البقاءِ والموتُ يَطْلُبُك ، فكيف يَضْحكُ منْ يَموتُ ولا يَدْري أين يُذهَبُ به ، إلى جنَّةٍ أمْ إلى نار ؟ ولا تنسَ ما يكون ، الموتُ يأتيك صباحاً أو مساءً . ثم قال أوَّهْ ، أوَّه ! . ثم خرَّ مَغْشيّاً عليه .

وكان يقول : ما لنا نَشْكُو فقرنا إلى مِثْلِنا ، ولا نسألُ كَشْفَهُ من ربِّنا ؟! ثم يقول : ثَكِلَتْ عبداً أُمُّهُ أحبَّ الدنيا ونَسِيَ ما في خزائنِ مولاه .

وقال : إذا كنتَ بالليل نائماً ، وبالنهارِ هائماً ، وفي المعاصي دائماً ، فكيف تُرْضي منْ هوَ بأمورك قائماً ؟ .

ورآه بعضُ أصحابِهِ ، وهو بمسجدِ بَيْرُوت ، وهو يَبْكي ويَضْربُ بيدَيْه على رأسه ؛ فقال : ما يُبْكيك ؟ فقال : ذكرتُ يوماً تتقَلَّبُ فيه القلوبُ والأبصار .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٨) ، وابن عساكر (انظر المختصر ٤/ ٣٠) ، وابن الأثير في المختار من مناقب الأخيار (١/ ٢٣٦) .

وقال : إنَّك كلَّما أمعنتَ النظرَ في مرآةِ التَّوبة بانَ لك قُبحُ شَيْنِ المعْصِيَة .

وكتب إلى الثَّوْريّ : منْ عرَف ما يطلُب هانَ عليه ما يَبْذُل ؛ ومنْ أطلَقَ بصرَهُ طالَ أسَفُه ، ومن أطلَقَ أمَلَه ساء عمَلُه ، ومن أطلق لسانَه قتَلَ نفسَه .

وسأله بعضُ الولاة[١] : من أين مَعِيشتُك ؟ فأنشأ يقول :

نُـرَقِّـعُ دنيـانـا بتَمْـزيـقِ ديننـا ... فـلا دِينُنـا يَبْقَـى ولا مَـا نُـرَقِّـعُ

وكان كثيراً ما يتمَثَّلُ بهذه الأبيات :

لِمَا تُوعِدُ الدُّنيا به من شُرورِها ... يكـونُ بكـاءُ الطفـلِ سـاعـةَ يـوضَـعُ
وإلاَّ فمـا يبكيــهِ منهـا وإنَّهـا ... لأرْوَحُ ممَّـا كـان فيـه وأوْسَـعُ
إذا أبصـرَ الـدُّنيـا استهـلَّ كـأنمـا ... يرى ما سَيَلْقى من أذاها ويَسْمعُ[٢]

وكان يتمثَّل أيضاً :

رأيـتُ الـذنـوبَ تُميـتُ القلـوبَ ... ويُــورِثُهـا الــذُّلَّ إدْمَــانُهـا
وتـركُ الـذنـوبِ حيـاةُ القلـوبِ ... وخيــرٌ لنفسِــكَ عِصْيَــانُهـا
ومـا أفسـدَ الـديـنَ إلا الملـوكُ ... وأحْبَـارُ سَــوْءٍ ورُهْبـانُهـا
وبـاعـوا النفـوسَ فلـم يَـرْبَحـوا ... ولـم تَغْـلُ بـالبيـعِ أثْمَـانُهـا
لقــد رَتَــعَ القــومُ فــي جيفــةٍ ... يبيــنُ لِــذِي اللُّــبِّ إنتـانُهـا[٣]

وقال : إنما الورعُ بتَسْويةِ كُلِّ الخلقِ في قلبِك ، والاشتغال عن عُيوبِهم بذنبِك ، وعليك باللَّفْظِ الجميل من قلبٍ ذَليل ، لِرَبٍّ جَليل ؛ فكِّرْ في ذنبِك وتُبْ إلى ربِّك ، يَنْبُتِ الورَعُ في قلبِك ؛ واقْطَعِ الطمعَ إلاَّ من ربِّك .

وقال : ليس من أعلامِ الحُبِّ أنْ تُحبَّ ما يُبْغضُهُ حَبيبُك ؛ ذمَّ مولانا الدُّنيا فمَدَحْناها ، وأبغَضَها

(١) هو أبو جعفر المنصور كما في حلية الأولياء (٨/ ١٠) . وينسب البيت لعبد الله بن المبارك ، وهو في ديوانه ص(٨٦) وبعده :

ففـي كـلِّ يـومٍ يَبْتَـديـك بنعمـةٍ ... منـه وأنـت لشُكْـرِ ذاك مُضَيِّـعُ

(٢) الأبيات لابن الرومي وهي في ديوانه بألفاظ مقاربة ص(٣٩٢) ، وله أيضاً بقافية الدال ص(٣٧٣) :

لِمَا تُؤذن الدنيا به من صروفها ... يكـون بكـاءُ الطفـل سـاعـةَ يُـولَـدُ
وإلا فمـا يبكيـه منهـا وإنهـا ... لأفْسَـحُ ممَّـا كـان فيـه وأرْغَـدُ
إذا أبصـرَ الـدنيـا اسْتَهـلَّ كـأنـه ... بمـا سـوف يلقـى مـن أذاهـا يُهـدَّدُ

(٣) الأبيات لعبد الله بن المبارك وهي في ديوانه ص(٦٦) .

فأحببْناها ، وزهَّدَنا فيها فآثَرْنا ورَغِبْنا في طَلَبِها ؛ ووعَدَكم خرابَ الدُّنيا فحصَّنْتُموها ، ونَهاكم عن طلَبِها فطلبتُموها ، وأنذرَكُمُ الكُنُوز فكنَزْتُموها ، دَعَتْكُمْ إلى هذه الغَرَّارةِ دواعيها فأجبتُمْ مُسْرِعينَ مُناديها ، خَدَعتْكُمْ بغُرورها ومَنَّتْكُمْ فانقَدْتُمْ خاضعين لأمانيها ؛ تتمرَّغُونَ في زَهَراتِها وزَخارِفها وتتَنَعَّمون في لذَّاتها ، وتتقلبّون في شهَواتها ، وتتلوَّثونَ بتَبِعَاتِها ، تَنْبشُونَ بمَخالِبِ الحِرْصِ عن خزائنِها ، وتحفِرونَ بمعَاوِلِ الطمَعِ في معادنِها .

وشكى إليه رجلٌ كثرةَ عِيَالِهِ فقال : ابعَثْ إليَّ منهم منْ لا رِزْقُهُ على الله . فسكتَ الرجل . وقال : ومررتُ في بعضِ جبال ، فإذا حجرٌ مكتوب عليهِ بالعربية :

كُــلُّ حــي وإنْ بَقِــي فمِــنَ العَيْــشِ يَسْتَقِــي
فــاعمَلِ اليومَ واجتهدْ واحْذَرِ الموتَ يا شَقي

قال : فبينما أنا واقفٌ أقرأُ وأبكي ، وإذا برجلٍ أشعَرَ أغْبَر ، عليه مِدْرَعةٌ من شَعر ، فسَلَّمَ وقال : ممَّ تبكي ؟ فقلت : من هذا . فأخَذَ بيدي ومَضَى غيرَ بعيد ، فإذا بصخرةٍ عظيمةٍ مثلِ الْمحْراب ، فقال : اقرَأْ وابْكِ ولا تقصِّرْ . وقام هو يُصلِّي ، فإذا في أعلاهُ نَقْشٌ بَيِّنٌ عَرَبي :

لا تَبْغِيَنْ جاهاً وجاهُكَ ساقِطٌ عندَ المليكِ وكُنْ لجاهِكَ مُصْلحا

وفي الجانب الآخر نقشٌ بَيِّنٌ عرَبي :

مـنْ لـم يَثِـقْ بـالقضـاءِ والقَـدَرِ لاقَـى هُمـومـاً كثيـرةَ الضَّـرَرِ

وفي الجانب الأيْسَرِ نَقْشٌ بَيِّنٌ عربي :

ما أزْيَنَ التُّقَى ، وما أقبح الخنا ، وكلٌّ مأخوذٌ بما جَنا ، وعند الله الجزا .

وفي أسفل المحراب فوق الأرض بذراعٍ أو أكثر :

إنَّمـــا الفَـــوْزُ والغِنَـــى فـــي تُقَـــى اللهِ والعَمَـــلْ

قال : فلمَّا فرَغْتُ من القراءة التفَتُّ ، فإذا ليس الرجلُ هناك ، فما أدري ، أنصرفَ أمْ حُجِب عني ؟ .

وقال : أثقل الأعمال في الميزان أثقلُها على الأبدان ، ومنْ وَفَى العمل وُفِّي له الأجر ؛ ومنْ لم يعمَلْ رَحَلَ من الدنيا إلى الآخرةِ بلا قليلٍ ولا كثير .

وقال : كُلُّ سلطانٍ لا يكونُ عادلاً فهو واللصُّ بمَنْزلةٍ واحدة ؛ وكلُّ عالِمٍ لا يكونُ وَرِعاً فهو والذئبُ بمَنْزلةٍ واحدة ؛ وكلُّ منْ خدَم سوى الله فهو والكلبُ بمَنْزلةٍ واحدة .

وقال : ما ينبغي لمَنْ ذَلَّ للهِ في طاعته ، أنْ يَذِلَّ لغيرِ الله في مَجاعَته ؛ فكيف بمنْ هو يتقلَّبُ في نِعَمِ الله وكِفَايته .

وقال : أعرَبْنا في كلامِنا فلم نَلْحنْ ، ولَحَنَّا في أعمالنا فلم نُعْرِبْ .

وقال : كُنَّا إذا رأينا الشابَّ يتكلَّمُ في المجلس أيسْنا من خيرِه .

وقال : جانبوا الناس ، ولا تنقطعوا عن جُمعةٍ ولا جَماعة .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب : أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين[1] بن محمد بن رامين[2] الإستراباذي ، قال : أنبأ عبدُ الله بن محمد الشِّيرازي ، أنبأ القاضي أحمد بن محمود بن خرَّزاد الأهوازي ، حدّثني علي بن محمد القصري ، حدّثني أحمد بن محمد الحلبي ، سمعتُ سَرِيّاً السَّقَطيَّ يقول : سمعتُ بشرَ بن الحارث الحافي يقول : قال إبراهيمُ بن أدهم : وقفتُ على راهبٍ ، فأشرف عليَّ فقلت له : عِظْني . فأنشأ يقول :

خُذْ عن الناس جانبا ... كـي يظنُّـوك راهبـا
إنَّ دَهْـراً أظلَّنـي ... قـد أرانـي العجـائبـا
قَلِّبِ الناس كيف شِئْـ ... ـتَ تَجِـدْهُـمْ عَقَـارِبـا

قال بشر : فقلت لإبراهيم : هذه موعظة الراهب لك ، فعِظْني أنت . فأنشأ يقول :

تَوَحَّشْ من الإخوانِ لا تَبْغِ مُؤنساً ... ولا تتخِـذْ خِـلاًّ ولا تَبْـغِ صـاحبـا
وكُنْ سامِرِيَّ الفعلِ من نسلِ آدمٍ ... وكُـنْ أوحَـدِيّـاً مـا قَـدَرْتَ مُجـانبـا
فقد فسد الإخوانُ والحُبُّ والإخَا ... فلسـتَ تـرى إلاَّ مَـذُوقـاً[3] وكـاذِبـا
فقلـتُ ولـولا أنْ يُقـالَ مُـدَهْـدَهٌ[4] ... وتُنْكـر حـالاتـي لقـد صِـرْتُ راهبـا

قال سَرِيّ : فقلتُ لِبشر : هذه موعظةُ إبراهيمَ لك ، فعِظْني أنت . فقال : عليك بالخُمول ، ولُزومِ بيتِك . فقلت : بلَغني عن الحسن أنه قال : لولا الليلُ وملاقاةُ الإخوان ما بالَيْتُ متى مِتّ .

فأنشأ بشرٌ يقول :

---

(١) في الأصول وتاريخ ابن عساكر : « أبو محمد الحسن بن الحسن » ، والمثبت من تاريخ بغداد (٧/ ٣٠٠) في ترجمته ، ومواضع كثيرة منه ، ومن مؤلفات الخطيب البغدادي ، إذ هو شيخ أبي بكر الخطيب .

(٢) في (ق) : « زامين » بالزاي ، والمثبت من (ح) والمصادر المذكورة في الحاشية السابقة .

(٣) كذا في الأصول ، والوجه أن يقول : « مِذَاقاً » ، جاء في لسان العرب (مذق) : الْمُمَاذقةُ في الوُدّ : ضدُّ المُخالصَة . ومَذَق الوُدَّ لم يُخلِصْهُ . ورجلٌ مَذَّاق : كذُوب . ورجلٌ مَذِق ، ومَذَّاق ومُماذِق : بَيِّنُ الْمِذَاق . مَلُول . وفي الصحاح غيرُ مُخْلص ، وهو الْمِذَاق .

(٤) « دَهْدَهَ الشيءَ فتَدَهْدَهَ » : حَدَرهُ من عُلوٍ إلى سُفْل تَدَحْرُجاً . ودَهْدَهَهُ : قَلَبَ بعضَهُ على بعض ، فهو مُدَهْدَه . لسان العرب (دهده) .

يـا مَـنْ يُسـرُّ بـرؤيـةِ الإخـوانِ ... مهْـلاً أمِنْـتَ مَكـايِـدَ الشيطـانِ
خَلَـتِ القلـوبُ مـن الْمَعـادِ وذِكْـرِهِ ... وتشـاغلـوا بـالحِـرْصِ والخُسْـرانِ
صارَتْ مجالسُ منْ تَرَى وحديثُهم ... فـي هَتْـكِ مَسْتُـورٍ ومَـوْتِ جَنَـانِ(١)

قال الحلبي : فقلتُ لِسَريّ : هذه موعظةُ بشر ، فعِظْني أنت . فقال : عليك بالإخْمال . فقلت : أحبُّ ذاك . فأنشأ يقول :

يـا مـنْ يَـرُومُ بـزَعْمِـهِ إخْمـالاً ... إنْ كـان حقّـاً فـاستعِـدَّ خِصـالا
تَـرْكَ المجالِسِ والتذاكُرِ يا أخي ... واجعَـلْ خـروجَـكَ للصـلاةِ خَيَـالا
بـل كُـنْ بهـا حَيّـاً كـأنَّـكَ مَيّـتٌ ... لا يَـرْتَجـي منـه القـريـبُ وِصَـالا

قال محمد بن محمد القَصْري : قلتُ للحلبي : هذه موعظةُ سَريٍّ لك ، فعِظْني أنت . قال : يا أخي أحَبُّ الأعمالِ إلى الله ما صَعِدَ إليه من قلبِ زاهدٍ في الدُّنيا ؛ فازْهَدْ في الدنيا يُحبَّكَ الله ثم أنشأ يقول :

أنـــتَ فـــي دارِ شَتَـــاتٍ ... فتـــأهَّـــبْ لِشَتـــاتِـــكْ
واجعـــلِ الـــدُّنيـــا كيـوم ... صمْتَـــهُ عـــن شَهَـــواتِـــكْ
واجعـــــلِ الفِطْـــــرَ إذا ... مـــا صُمْتَـــهُ يـــومَ وفـــاتِـــكْ

قال ابنُ خُرَّزاد : فقلت لعلي : هذه موعظةُ الحلبيِّ لك ، فعِظْني أنت . فقال لي : احفَظْ وقتَك ، واسخُ بنفسِك للهِ عزَّ وجلَّ ، وانزِعْ قيمةَ الأشياءَ من قلبِك ، يَصْفُ لك بذلك سِرُّك ، ويَذْكُو به ذِكْرُك . ثم أنشدَ يقول :

حيـاتُـكَ أنفـاسٌ تُعـدُّ فكلَّمـا ... مضَى نَفَسٌ منها انْتَقَصْتَ بهِ جُزْءا
فتصبحُ في نَقْصٍ وتُمسي بمِثْلهِ ... ومـالَـكَ مَعْقـولٌ تُحسُّ بـك رُزْءا
يُميتُكَ ما يُحْييكَ في كلِّ ساعةٍ ... ويَحدُوكَ حادٍ ما يَزيدُ بكَ الْهُزْءا

قال أبو محمد : قلتُ لأحمد : هذه موعظةُ عليٍّ لك ، فعِظْني . فقال : يا أخي ، عليك بلُزومِ الطاعة ، وإيَّاك أنْ تُفارقَ بابَ القناعة ، وأصْلِحْ مَثْواك ، ولا تُؤْثِرْ هَوَاك ، ولا تَبعْ آخرَتَكَ بدُنياك ؛ واشتغِلْ بما يَعْنيكَ بِتَرْكِ ما لا يَعْنيك . ثم أنشد :

نَـدِمْـتُ علـى مـا كـانَ منّـي نَـدامـةً ... ومـنْ يَتَّبِـعْ مـا تشتهـي النفسُ يَنْـدَم
فخافوا لكيما تأمنوا بعدَ موتِكُمْ ... ستَلْقَـوْنَ رَبّـاً عـادِلاً ليـس يَظْلِـمُ(٢)
فليـس لِمَغْـرورٍ بـدُنْيـاهُ زاجِـرٌ ... سيَنْـدمُ إنْ زَلَّـتْ بـهِ النَّعْـلُ فـاعْلَـمِ

(١) في (ب ، ح) : « وخلق قران » ، بدل « وموت جنان » ، والمثبت من (ق) .
(٢) كذا في الأصول ، بإقواءٍ في القافية ، ولعلّ الصواب : « لم يُظَلَّم » ، أي لم ينسب إلى الظُّلم أبداً .

قال أبو محمد بن رامين : فقلتُ لأبي محمد : هذه موعظةُ أحمد لك ، فعِظْني أنت . فقال : اعلَمْ رَحِمكَ الله أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُنْزِلُ العَبيد حيثُ نَزَلَتْ قلوبُهم بهُمومها ، فانظُرْ أين يَنْزِلُ قلبُك ؟ واعلَمْ أنَّ الله سبحانه يَقْرُبُ من القلوب على حَسَبِ ما قُرِّبَ إليها[١] ؛ فانظُرْ مِنِ القريبُ من قلبِك . وأنشدني :

قلوبُ رجالٍ في الحجابِ نُزولُ ... وأرواحُهم فيما هناك حُلولُ
تَروحُ نَعيمُ الأنسِ في عزِّ قُرْبِهِ ... بإفرادِ تَوْحيدِ المَليكِ تَجُولُ
لهم بِفَناءِ القُرْبِ من مَحْضِ بِرِّهِ ... عوائدُ بَذْلٍ خَطْبُهُنَّ جَليلُ

قال الخطيب : فقلتُ لابنِ رَامين[٢] هذه موعظةُ الحميدي لك ، فعِظْني أنت . فقال : اتَّقِ الله وثِقْ به ، ولا تتَّهِمْه ، فإنَّ اختبارَهُ لك خيرٌ من اختبارِكَ لنفسِك . وأنشدني :

اتَّخِذِ[٣] الله صاحبا ... ودَعِ الناسَ جانبا
جَرِّبِ الناسَ كيف شِئْـ ... ـتَ تَجِدْهُمْ عَقَاربا

قال أبو الفرج غَيْثُ الصُّوري : فقلتُ للخطيب : هذه موعظةُ ابن رامين لك ، فعِظْني أنت . فقال : احذَرْ نفسَك التي هي أعْدَى أعدائِكَ أنْ تُتَابِعَها على هَوَاها ، فذاك أعْضَلُ دائك ، واستَشْرِفِ الخوفَ من الله تعالى بخِلافها ، وكَرِّرْ على قلبك ذكرَ نُعوتِها وأوصافِها فإنَّها الأمَّارةُ بالسُّوءِ والفحشاء ، والمُوردَةُ مَنْ أطاعَها موارد العَطَبِ والبَلاء ، واعْمِدْ في جميع أمورِك إلى تَحرِّي الصِّدْق ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] ، وقد ضَمِنَ الله لمنْ خالَفَ هواهُ أنْ يجعلَ له جنَّةَ الخُلدِ قَرَارَهُ ومأواه . ثم أنشد لنفسه :

إنْ كنتَ تَبْغي الرَّشَادَ مَحْضاً ... في أمْرِ دُنْيَاكَ والْمَعَادِ
فخالفِ النفسَ في هواها ... إنَّ الهوى جامعُ الفَسَادِ[٤]

قال ابن عساكر[٥] : المحفوظ أنَّ إبراهيم بن أدهم تُوفِّي سنة ثنتين وستين ومئة . وقال غيره : إحدى وستين . وقيل : سنة ثلاث . والصحيحُ ما قاله ابنُ عساكر ، والله أعلم . وذكروا أنه تُوفِّي في جزيرةٍ من جزائرِ الرُّوم ، وهو مُرَابط ، وأنه ذهَبَ إلى الخَلاء ليلةَ مات نحواً من عشرين مرَّة وفي كلِّ مرَّةٍ يُجدِّدُ

---

(١) أقحمت عبارة في هذا الموضع في (ق) ، ليست في (ب ، ح) ، ولا في بغية الطلب .

(٢) في (ق) : « زامين » ، انظر الحاشية على هذا الاسم في صدر الخبر .

(٣) كذا في الأصول ، والصواب : « تَخِذِ » ، ليستقيم وزن البيت .

(٤) ساقه بطوله ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٦/ ٣٤٥ ـ ٣٤٨) ، وابن العديم بن أبي جرادة في بغية الطلب (٢/ ١٠٨٠ـ١٠٨٣) بإسنادهما عن الخطيب البغدادي .

(٥) في تاريخ مدينة دمشق (٦/ ٦ ـ ٣٤٩) .

الوُضوء بعدَها . وكان به البَطْن ، فلما كانتْ غشيةُ الموت قال : أوْتروا لي قَوْسي . فأوْتَروه ، فقَبَضَ عليه ، فماتَ وهو قابضٌ عليهِ يُريدُ الرَّمْيَ به إلى العدو ، رحمه الله وأكرَمَ مَثْواه .

وقد قال أبو سعيد بنُ الأعرابي : حدّثنا محمد بن علي بن يزيد الصائغ قال : سمعتُ الشافعيَّ يقول : سمعتُ السَّريَّ بن حيان[١] يقول ـ وكان سفيانُ معجباً به ـ :

أجاعتهمُ الدُّنيا فجاعوا[٢] ولم يزلْ كذلك ذو التقوى عن العيش مُلجَما
أخــو طيِّــئٍ داودُ منهــم ومِسْعــرٌ ومنهم وُهيبٌ والعريبُ ابنُ أدْهَما
وفي ابنِ سعيدٍ قدوةُ البرِّ والنُّهَى وفي الوارثِ الفاروقِ صِدْقاً مُقَدَّما
وحَسْبُكَ منهم بـالفُضَيـل مع ابنـهِ ويـوسـفَ إنْ لـم يـألُ أنْ يَتَسلَّمـا
أولئـك أصحـابـي وأهـلُ مـودَّتـي فصلَّـى عليهـم ذو الجـلالِ وسَلَّمـا
فما ضرَّ ذا التقوى تَضَاؤلُ نِسْبَةٍ[٣] ومـا زال ذو التقـوى أعَـزَّ وأكْـرَمـا
وما زالتِ التقوى تُريكَ على الفَتَى إذا مَحَّضَ التقوى من العِزِّ مَبْسَما[٤]

وروى البخاري في كتاب الأدب[٥] عن إبراهيمَ بن أدهم . وأخرج الترمذي في جامعه حديثاً مُعلَّقاً في المسح على الخُفَّيْن[٦] .

وأما : **داود الطائي**[٧] : فهو داودُ بنُ نُصيْر الطائي ، أبو سليمان الكوفي الفقيه الزاهد ، أخَذَ الفقه عن

---

(١) كذا في (ب ، ح) وحلية الأولياء ، وسقط الاسم من (ق) ، وفي تاريخ ابن عساكر : « سمعت السري بن جمكان » ، ولم أقف على ترجمة له .

(٢) في (ق) : « فخافوا » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٣) في (ب) : « يصال بسببه » ، وفي (ح) : « يضاد سبه » ، وفي تاريخ ابن عساكر : « نصال أسنة » ، والمثبت من حلية الأولياء .

(٤) في (ب ، ق) وتاريخ ابن عساكر : « ميسما » ، والمثبت من (ح) وحلية الأولياء والخبر والشعر فيه (٦/ ٣٧٥) ، وفي تاريخ ابن عساكر (٦/ ٣٤٩) .

(٥) كتاب الأدب المفرد للبخاري ص(٤٢٨) برقم (١٢٥٣) ، يروي البخاري فيه خبراً عن محمد بن عبد العزيز العمري ، بإسناده إلى إبراهيم بن أدهم ، فذكر قصة زيارته إلى يحيى بن حسان البكري .

(٦) جامع الترمذي برقم (٩٤) في الطهارة : باب في المسح على الخفين معلقاً ، ورواه مسنداً الترمذي برقم (٦٧١) و(٦١٢) وهو حديث صحيح .

(٧) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٦٧) ، التاريخ الكبير (٣/ ٢٤٠) ، المعارف ص(٥١٥) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٦٨) ، حلية الأولياء (٧/ ٣٣٥) ، تاريخ بغداد (٨/ ٣٤٧) ، الرسالة القشيرية (١/ ٨١) . الأنساب (٨/ ٣٠٦) ، مناقب الأبرار لابن خميس ص(٤٨/ب) ، المختصر لابن خميس ص(٤٥/أ) ، صفة الصفوة (٣/ ١٣١) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ٥٠) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٥٩) ، تهذيب الكمال (٨/ ٤٥٥) ، =

أبي حَنيفة . قال سفيانُ بن عُيَيْنة : ثم تَرَكَ داودُ طلَبَ الفقه ، وأقبلَ على العِبَادَةِ ، ودَفَن كُتبَه .

قال عبدُ الله بن المبارك : وهل الأمر إلاَّ ما كان عليه داودُ الطائي ؟ .

قال ابنُ مَعين : كان ثقةً ، وفد على المهدي ببغداد ، ثم عاد إلى الكوفة .

ذكرَهُ الخطيب البغدادي وقال : مات في سنة ستين ومئة ؛ وقيل : سنة خمسٍ وستين ومئة[١] .

قلتُ : وقد ذكرَ شيخُنا الذهبي في تاريخه أنَّهُ تُوفِّي في هذه السنة ـ أعني سنةَ ثنتين وستين ومئة . فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومئة

فيها حُصر المقنَّع الزِّنْديق الذي كان قد نَبَغَ بخُرَاسان ، وقال بالتناسُخ ، واتَّبَعهُ على جَهَالَتِه وضلالتِهِ خَلْقٌ من الطَّغَام ، وسُفَهاءِ الأنام ، والسِّفْلَةِ من العَوَام ؛ فلما كان في هذا العام ، لَجَأ إلى قلعةِ كَشّ[٢] ، فحاصَرَهُ سعيدٌ الحَرَشِيّ[٣] فألَحَّ عليه في الحصار ، فلمَّا أحسَّ بالغَلَبة تَحَسَّى سُمّاً ، وسمَّ نساءَهُ فماتوا جميعاً ؛ عليهم لعائنُ الله . ودخل الجيشُ الإسلامي قلعتَه ، فاحتزُّوا رأسَه ، وبَعثُوهُ إلى المهدي ؛ وكان المهديُّ بحلب .

قال ابنُ خَلِّكَان[٤] : كان اسمُ المقنَّع عَطاء ، وقيل : حَكيم ، والأول أشهر . وكان أولاً قَصَّاراً [من أهل مَرْو ، وكان يعرفُ شيئاً من السِّحْر والنِّيرَجَات[٥]] ، ثم ادَّعى الرُّبوبيَّةَ مع أنه كان أعوَرَ قبيحَ المنظر ،

= سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٢) ، الوافي (١٣/ ٤٩٥) ، طبقات ابن الملقن ص(٢٠٠) ، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٠٣) ، طبقات الشعراني (١/ ٧٦) ، شذرات الذهب (١/ ٢٥٦) .

(١) في (ح ، ق) : سنة ست وخمسين ومئة ، والمثبت من (ب) وتاريخ بغداد للخطيب (٨/ ٣٥٤) .

(٢) كَشّ ـ بالفتح ثم التشديد ـ : قريةٌ على ثلاثةِ فراسخَ من جُرْجانَ على جَبَل . وتقال « قلعة كس » بالسين ، وتُسمَّى أيضاً « قلعة سَنَام » كما سيأتي . معجم البلدان (٤/ ٤٦٢ ، و٣/ ١٩١) . وقال ابنُ خَلِّكان في وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٤) : ولم أر أحداً ذكر هذه القلعة وأين هي حتى أذكرها ، ثم رأيت في كتاب الشهاب ياقوت الحموي الذي وضعه في معرفة المواضع المشتركة ، فقال في باب « سَنَام » بفتح السين : إنها أربعة مواضع ، والموضع الرابع منها سنام ، قلعة عمرها المقنَّع الخارجي بما وراء النهر . اهـ . وفيان الأعيان ج : ٣ ص : (٢٦٥) . والله أعلم والظاهر أنها هذه القلعة ثم وجدت في أخبار خراسان أنها هي وأنها من رستاق كش والله أعلم .

(٣) في (ح ، ق) : الحريثي ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري (٤/ ٥٦٦) .

(٤) في ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٣) ، وما سيأتي بين معقوفين منه .

(٥) « النِّيرجات ، واحدُها نِيرَج » : أُخذٌ تُشْبهُ السِّحْرَ وليستْ بحقيقته ، ولا كالسِّحْر ، إنما هو تشبيهٌ وتَلْبيس . لسان العرب (نرج) .

وكان يتَّخِذُ له وجهاً من ذَهَبَ ، وتابَعهُ على جَهالَتِهِ خلقٌ كثير ، وكان يُري الناسَ قمَراً من مسيرةِ شهريْن ، ثم يَغِيب ؛ فعَظُمَ اعتقادُهم له ، ومنعُوهُ بالسِّلاح ؛ وكان يَزْعُم ـ لعنهُ الله وتعالى عمَّا يقولون عُلُوّاً كبيراً ـ أنَّ الله ظهَرَ في صورةِ آدَم ، ولهذا سجدَتْ له الملائكة ، ثم في نُوح ، ثم في الأنبياء واحداً واحداً ، ثم تحوَّلَ إلى أبي مسلمٍ الخُراساني ، ثم تحوَّلَ إليه .

ولما حاصرَهُ المسلمون في قلعتِهِ ـ كان جدَّدَها بناحيةِ كَشّ ، ممَّا وراء النَّهْر ، ويُقالُ لَها سَنام ـ تحَسَّى هو ونساؤه سُمّاً فماتوا ، واستحوذ المسلمون على حَواصله وأموالِه .

وفيها جهَّز المهديُّ البُعوثَ من خُرَاسان وغيرِها من البلاد لغزوِ الرُّوم . وأمَّرَ على الجميع ولَدَهُ هارونَ الرَّشيد ، وخرج من بغدادَ مُشَيِّعاً له ، فسار معهُ مَرَاحل ، واستخلف على بغدادَ ولَدَهُ موسى الهادي ، وكان في هذا الجيش الحُسين بن قَحْطبة ، والربيع الحاجبُ ، وخالدُ بن بَرْمك ـ وهو مثلُ الوزيرِ للرَّشيد وليِّ العهد ـ ويحيى بن خالد وهو كاتبُه ، وإليه النفقات . وما زال المهديُّ مع ولدِهِ مشيِّعاً له حتى بلغ دروبَ الرُّوم عند جيحَان[1] ، وارتادَ هناكَ المدينة المسمَّاة بالْمَهْديَّة في بلادِ الرُّوم ، ثم رجع إلى الشام ، وزار بيتَ المقدس ، فسار الرشيدُ إلى بلادِ الروم في جحافلَ عظيمة ، وفتح الله عليهم فتوحاتٍ كثيرةً ، وغَنموا أموالاً جزيلةً جدّاً ، وكان لِخالدِ بنِ بَرْمَكَ في ذلك أثَرٌ جميلٌ لم يكنْ لغيرِه ؛ وبعثوا بالبشارةِ مع سُليمان بنِ بَرْمَك إلى المهدي ، فأكرَمهُ المهديُّ وأجزلَ عطاءَه .

وفيها عزَلَ المهديُّ عمَّه عبدَ الصمد بن علي عن الجزيرة ، وولَّى عليها زُفَرَ بن عاصم الهلالي ، ثم عزله وولَّى عبدَ الله بن صالح بن علي .

وفيها ولَّى المهديُّ ولدَهُ هارونَ الرشيد بلادَ المغرب ، وأذْرَبيجان ، وإرْمينيَة ، وجعل على رسائِله يحيى بن خالد بن بَرْمَك ؛ وولَّى وعزلَ جماعةً من النوَّاب . وحجَّ بالناس فيها المهدي عليُّ بنُ المهدي .

وفيها تُوفِّي :

إبراهيمُ بن طَهْمان .

وحَريزُ بن عثمان الحمصي الرَّحبي .

وموسى بن علي اللَّخْميُّ المصريّ .

---

(١) في (ق) : « . . . بلغ الرشيد إلى بلاد الروم » ، وفي (ح) : « حتى بلغ دروب المدينة . . . » ، وفي (ب) : « حتى بلغ دروب الروم عند صحار » . وأثبتنا ما في (ب) بعد تصحيح التصحيف في « صحار » ، من الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/ ٢٤٤) . وجيحان ـ بالفتح ثم السكون والحاء مهملة وألف ونون ـ : نَهْرٌ بالْمَصِّيصَة بالثغر الشامي ، ومَخْرَجُه من بلاد الروم ، ويمرُّ حتى يصبَّ بمدينة تُعرف بكفربيا بإزاء المصيصة . معجم البلدان (٢/ ١٩٦) .

وشُعيب بن أبي حمزة .

وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عمُّ السفَّاح ، وإليه يُنسب قصرُ عيسى ونهرُ عيسى ببغداد . قال يحيى بن مَعين : كان له مذهبٌ جميل ، وكان معتزلاً للسُّلطان ، توفي في هذه السنة عن ثمانٍ وسبعين سنة .

وهمَّام بن يحيى ،

ويحيى بن أيوب المصري .

وعُبيدة بنت أبي كلاب العابدة ، بكَتْ من خشيةِ الله أربعين سنة حتى عَمِيَتْ . وكانت تقول : أشتهي الموت ، فإني أخشى أن أجْنيَ على نفسي جنايةً تكونُ سببَ هلاكي يومَ القيامة .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومئة

فيها غزا عبدُ الكبير بن عبدِ الحميد بن زَيْد بن الخطَّاب بلادَ الرُّوم ؛ فأقبل إليه ميخائيل البِطْريق في نحوِ تسعين ألفاً ، فيهم طازاذ الأرمني البِطْريق ، ففشِلَ عنه عبدُ الكبير ، ومنَعَ المسلمين من القتال ، وانصرف راجعاً . فأراد المهديُّ ضَرْبَ عُنقِه ، فكُلِّمَ فيه ، فحَبَسهُ في الْمُطْبِق .

وفي يوم الأربعاء في أواخر ذي القَعْدَة أسَّسَ المهديُّ قصراً من لَبِن بِعِيسَاباذ[1] ، ثم عزَمَ على الذهابِ إلى الحجّ ، فأصابَهُ حُمَّى ، فرجع من أثناءِ الطريق ، فعَطِشَ الناسُ في الرَّجْعَة ، حتى كاد بعضُهم يَهْلِك ، فغضب المهديُّ على يقطين صاحبِ المصانع ، وبعث من حيثُ رَجَعَ المهلَّبُ بن صالح بن أبي جعفر لِيَحُجَّ بالناس ؛ فحج بهم عامَئِذٍ .

وفيها توفي :

شيبان بن عبد الرحمن النَّحْوي .

وعبدُ العزيز بن أبي سَلَمة الماجشُون .

ومُبارك بن فَضَالة صاحبُ الحسن البصري .

---

(١) عِيسَابَاذ : « باذ » في هذا الاسم مما تستعمله الفرس ، ومعنى « باذ » العِمَارة ، فكأنَّ معناهُ عمارة عيسى ، ويُسمُّونَ العامر أباذان ، هذه مَحَلَّةٌ كانت بشرقيِّ بغداد منسوبةً إلى عيسى بن المهدي ، وأمِّهِ وأمِّ الرشيد ، والهادي الخيزران هو أخوهما له ، وبها ماتَ موسى بنُ المهدي بن الهادي ، وبنى بها المهديُّ قصرَهُ الذي سمَّاه قصر السلام ، فبلغتِ النفقةُ عليه خمسين ألف ألف درهم . معجم البلدان (٤/ ١٧٢ ، ١٧٣) .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومئة

فيها جهَّزَ المهديُّ ولدَهُ الرشيد لغزوِ الصائفة ، وأنفَذَ معه من الجيوش خمسةً وتسعين ألفاً ، وسبعَ مئة وثلاثةً وتسعين رجلاً ؛ وكان معه من النفقة مئةُ ألف دينار ، وأربعةٌ وتسعون ألفَ دينار ، وأربعُمئةٍ وخمسون ديناراً ؛ ومن الفضَّة إحدى وعشرون ألفَ ألفٍ ، وأربعُمئة ألفٍ ، وأربعةَ عشرَ ألفاً وثمان مئةِ درهم . قاله ابنُ جرير[١] . فبلغ بجنودِهِ خليجَ البحر الذي على القُسْطَنْطينيَّة ، وصاحبُ الروم يومئذٍ أُغسطةُ امرأةُ ألْيون ، ومعها ابنُها في حجرِها من الملك الذي تُوفي عنها ؛ فطلبتِ الصُّلحَ من الرشيد على أن تدفعَ له سبعينَ ألفَ دينارٍ في كلِّ سنة ، فقَبِل ذلك منها ، وذلك بعدما قَتَلَ من الرُّوم في الوقائع أربعةً وخمسينَ ألفاً ، وأَسَرَ من الذَّرَاري خمسةَ آلاف رأس وستَّمئةٍ وأربعينَ رأساً ، وقتل من الأسرى ألفَيْ قتيلٍ صَبْراً ، وغَنِمَ من الدَّوَابِّ بأدواتها عشرين ألفَ فرس ، وذَبَحَ من البقر والغَنَمِ مئةَ ألفِ رأس ، وبيع البِرْذَوْنُ بدِرهم ، والبغلُ بأقلَّ من عشرةِ دراهم ، والدِّرْعُ بأقلَّ من درهم ، وعشرون سيفاً بدرهم ، فقال في ذلك مروانُ بنُ أبي حَفْصَة :

أطُفتَ بِقُسْطَنْطينةِ[٢] الرُّوم مُسْنِداً ... إليها القَنَا حتى اكتسى الذُّلَّ سُورُها
وما رُمْتَها حتى أَتَتْكَ ملوكُها ... بجِزْيَتها والحربُ تَغْلي قدورُها

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالحُ بن أبي جعفر المنصور .

وفيها تُوفِّي :

سليمانُ بن المغيرة .

وعبدُ الله بن العلاء بن زَبْر[٣] .

وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان[٤] .

ووهب بن خالد .

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٥٧٢) .

(٢) في (ق) : « بقسطنطينية » ، ولا يستقيم بها الوزن ، والمثبت من (ب ، ح) وديوان مروان بن أبي حفصة ص(٦٦) .

(٣) في (ق) : « دبر » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ١٦٢) ، وتقريب التهذيب ص(٣١٧) .

(٤) في (ق) : « عبد الرحمن بن نائب بن ثوبان » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص(١٨١) ، وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٢٢) ، وتقريب التهذيب ص(٣٣٧) .

ثم دخلت سنة ست وستين ومئة

في المحرَّم منها قَدِم الرشيدُ من بلادِ الرُّوم ، فدخل بغدادَ في أُبَّهةٍ عظيمة ، ومعه الرُّوم يَحْمِلونَ الجِزْيَةَ من الذهب وغيرِه . وفيها أخذَ المهديُّ البيعةَ لولدِهِ هارونَ من بعدِ موسى الهادي ، ولُقِّبَ بالرَّشيد .

وفيها سَخِطَ المهديُّ على يعقوبَ بنِ داود ، وكان قد حَظِيَ عندَهُ حتى استوزَرَه ، وارتفعَتْ منْزلتُه في الوزارة ، حتى فوَّض إليه جميعَ أمرِ الخلافة ؛ وفي ذلك يقول بشَّارُ بنُ بُرْد :

بني أميةَ هُبُّوا طالَ نومُكُمُ[١] إنَّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داودِ
ضاعَتْ خلافتُكمْ يا قومُ فاطَّلبوا خليفةَ الله بين الزِّقِّ والعُودِ[٢]

فلم تزل السُّعاةُ والوشاةُ بينه وبين الخليفة حتى أخرجوه عليه ، وكلَّما سعَوْا به إليه دخل إليه فأصلح أمرَه معَه ، حتى وقَعَ من أمرِهِ ما سأذكرُه ، وهو أنه دخل ذاتَ يومٍ على المهدي في مجلسٍ عظيم ، قد فُرش بأنواعِ الفُرش ، وألوانِ الحرير ، وحول ذلك المكان أشجارٌ[٣] مُزهرة بأنواعِ الأزاهير ، فقال : يا يعقوب ، كيف رأيتَ مجلسَنا هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ أحسنَ منه ! فقال : هو لك بما فيه ، وهذه الجارية ، لِيَتِمَّ بها سرورُك ، ولي إليك حاجةٌ أحبُّ أنْ تقضِيَها . قلت : وما هي يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : حتى تقولَ نعَمْ . فقلتُ : نعمْ ، وعلى السمعِ والطاعة . فقال : آلله ؟ فقلت : آلله . قال : وحياة رأسي ؟ قلت : وحياةِ رأسك . فقال : ضَعْ يدَكَ على رأسي وقُلْ ذلك . ففعلت ، فقال : إنَّ هاهنا رجلاً من العلويِّين أحبُّ أنْ تَكْفينيهِ ـ والظاهر أنه الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليِّ بن أبي طالب ـ فقلت : نعم . فقال : وعَجل عليّ ، ثم أمرَ بتحويل ما في ذلك المجلس إلى مَنزلي ، وأمرَ لي بمئةِ ألفِ درهم ، وتلك الجارية ، فما فرحتُ بشيءٍ فرَحي بها ؛ فلمَّا صارتْ بمَنزلي حجبتُها في جانبِ الدار في خِدْر ، فأمَرْتُ بذلك العَلويّ ، فجيء به فجلسَ إليَّ فتكلَّم ، فما رأيتُ أعقلَ منه ولا أفهَم ! ثم قال لي : يا يعقوب ، تَلْقَى الله بدَمي وأنا رجلٌ من ولَدِ فاطمةَ بنتِ رسولِ الله ﷺ ؟ فقلتُ : لا والله ، ولكنِ اذهَبْ حيثُ شئتَ وأين شئت . فقال : إنِّي أختارُ بلادَ كذا وكذا . فقلتُ : اذهبْ كيف شئت ، ولا يظهرَنَّ عليك المهديُّ فتَهْلِكَ وأهلِك . فخرج من عندي وجهَّزْتُ معه رجلَيْنِ يسفِّرانِهِ

---

(١) كذا في الأصول ، وتاريخ الطبري (٤/ ٥٧٥) ، وفي ديوان بشار « يا أيها الناس قد ضاعت خلافتكم » ، وهو أشبه بالصواب .

(٢) البيتان في ديوان بشار ص(٣٩٥) .

(٣) في (ق) : أصحان ، والمثبت من (ب ، ح) .

ويُوصلانِهِ بعضَ البلاد ، ولم أشعُرْ بأنَّ الجارية قد أحاطَتْ علماً بما جرَى ، وأنَّها كالجاسوسِ عليّ فبَعَثَتْ بخادِمِها إلى المهديِّ فأعلَمَتْهُ بما جرَى ، وتقول له : هذا الذي آثرته بي قد فعل كذا وكذا . فغَضِبَ المهديّ ، فبعث إلى تلك الطريق ، فردُّوا ذلك العلويّ ، فحبَسَهُ عندَهُ في بيتٍ من دارِ الخِلافة ، وأرسل إليَّ من اليوم الثاني ، فذهبتُ إليه ، ولم أشعُرْ منْ أمْرِ العلويِّ بشيء ، فلمَّا دخلتُ عليه قال : ما فعلَ العلويّ ؟ قلتُ : مات . قال : آلله ؟ قلت : آلله . قال : فضَعْ يدَكَ على رأسي واحْلِفْ بحياتِه . ففعلتُ ، فقال : يا غلام ، أخرِجْ ما في هذا البيت . فخرَجَ العلويّ ، فأُسقِطَ في يدي ، فقال المهدي : دمُكَ حلال . ثم أمَرَ به فأُلقيَ في بئر في الْمُطْبِق . قال يعقوب : فكنتُ في مكانٍ لا أسمعُ فيه ولا أُبصِر ، فذهب بصَرِي وطال شَعْري حتى صرتُ مثلَ البهائم ، ثم مَضَتْ عليَّ مُددٌ متطاولة ، فبينما أنا ذاتَ يوم إذْ دُعيت ، فخرجتُ من البئر ، فقيل لي : سلِّمْ على أميرِ المؤمنين ، فسلَّمْتُ وأنا أظنُّه المهدي ، فلما ذكرتُ المهدي قال : رحم الله المهدي . فقلت : الهادي ؟ فقال : رحم الله الهادي . فقلت : الرشيد ؟ قال : نعم . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، قد رأيتَ ما حَلَّ بي من الضَّعْف والعِلَّة ، فإنْ رأيتَ أنْ تُطلِقَني . فقال : أين تُريد ؟ قلت : مكة . فقال : اذهَبْ راشداً . فسار إلى مكة ، فما لَبِثَ بها إلاَّ قليلاً حتى مات رحمه الله تعالى .

وقد كان يعقوبُ هذا يَعِظُ المهديَّ في تعاطيهِ شُربَ النَّبيذِ بين يديه ، وكثرَةِ سماعِ الغِنَاء ، فكان يَلومُهُ على ذلك ويقول : ما على هذا استوزَرْتَني ، ولا على هذا صَحِبتُك ، أَبَعْدَ الصلواتِ الخمس في المسجدِ الحرام يُشربُ الخمر ؟! ويُغَنَّى بين يديك ؟! فيقول له المهدي : فقد سمع عبدُ الله بن جعفر . فقال له يعقوب : إنَّ ذلك لم يكنْ من حَسَناتِه ، ولو كان هذا قُرْبَةً لكان كلَّما داوم عليه العبدُ أفضل . وفي ذلك يقولُ بعضُ الشعراء حَثّاً للمَهْديِّ على ذلك :

فدَعْ عنكَ يعقوبَ بنَ داودَ جانباً وأقبِلْ على صهباءَ طَيِّبةِ النَّشْرِ

وفيها ذهب المهديُّ إلى قصرِه المسمَّى بقصر السلام بِعيساباذ[1] ـ بُني له بالآجُرِّ بعد القصرِ الأول الذي بناه باللَّبِن ـ فسكنَهُ ، وضرَبَ هناك الدراهمَ والدنانير ، وفيها أمرَ المهديُّ بإقامةِ البريد بين مكة والمدينة واليمن ، ولم يفعل أحَدٌ هذا قبلَ هذه السنة . وفيها خرج موسى الهادي إلى جُرْجان . وفيها ولَّى القضاءَ أبا يوسُفَ صاحبَ أبي حَنيفَة . وفيها حجَّ بالناس إبراهيمُ بن يحيى بن محمد ، عاملُ المدينة ، ولم يكنْ في هذه السنةِ صائفةٌ للهُدْنةِ التي كانتْ بينَ الرَّشيد وبين الرُّوم .

فيها توفي :

صدَقَةُ بن عبد الله السَّمين .

---

(١) انظر ما تقدم ص(٤٠٢)ح (١) .

وأبو الأشهب العُطَارِديّ .

وأبو بكر النَّهْشَليّ .

وعُفير بن مَعْدَان .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومئة

فيها وجَّه المهديُّ ابنَهُ موسى الهادي إلى جُرْجان في جيشٍ كَثيف لم يُرَ مثلُه ، وجعل على رسائِله أبان بن صدَقة ، وفيها تُوفي عيسى بن موسى الذي كان وليَّ العَهْد من بعدِ المهدي ، مات بالكوفة ، فأشهدَ نائبُها روحُ بن حاتم على وفاته القاضيَ وجماعةً من الأعيان ، ثم دُفن . وكان قد امتنع من الصلاةِ عليه ، فكتب إليه المهديُّ يُعنِّفُهُ أشدَّ التَّعْنيف ، وأمَرَ بِمُحاسَبَتِهِ على عمَلِه . وفيها عزل المهديُّ أبا عُبيد الله معاويةَ بنَ عبيد الله عن ديوانِ الرسائل وولَّاهُ الربيعَ بنَ يونس الحاجب ، فاستخلف فيه سعيدَ بن واقد ؛ وكان أبو عبيد الله يدخلُ على مرتبتِه . وفيها وقع وباءٌ شديد ، وسُعالٌ كثيرٌ ببغدادَ والبصرة ، وأظلمتِ الدنيا حتى كانتْ كالليل ، حتى تعالَى النهار ، وكان ذلك لِلَيَالٍ بَقينَ من ذي الحجَّة من هذه السنة . وفيها تتبَّع المهديُّ جماعةً من الزنادقة في سائر الآفاق ، فاستحضرَهم وقتلهم صَبْراً بين يديه[١] ، وكان المتولي أمْرَ الزنادقة عمرُ الكَلْوَاذي . وفيها أمرَ المهديُّ بزيادةٍ كثيرةٍ في المسجد الحرام ، فدخل في ذلك دورٌ كثيرة ، وولَّى ذلك لِيَقْطين بن موسى الموكَّلِ بأمرِ الحرمَيْن ، فلم يزل في عمارةِ ذلك حتى مات المهدي ـ كما سيأتي ـ ولم يكنْ للناسِ صائفةٌ للهُدْنة . وحجَّ بالناس في هذه السنة نائبُ المدينة إبراهيمُ بن محمد ، وتوفي بعد فراغِهِ من الحجِّ بأيام ، وولَّى مكانه إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس .

وممَّنْ تُوفي فيها من الأعيان :

بَشَّارُ بنُ بُرْد أبو مُعَاذ الشاعر[٢] : مولى عُقَيل ، وُلد أعمَى ، وقال الشعرَ وهو دون عشرِ سنين ، وله التشبيهاتُ التي لم يهتدِ إليها البُصَراء ؛ وقد أثنى عليه الأصمعيّ ، والجاحظ ، وأبو تمام ، وأبو عُبيدة وقال : له ثلاثةَ عشرَ ألفَ بيتٍ من الشعر ، فلمَّا بلغَ المهديَّ أنه هَجَاه ، وشهد عليه قومٌ أنَّه زِنْديق ، أمَرَ به

---

(١) كلُّ ذي رُوح يُصْبَرُ حيّاً ثم يُرْمى حتى يُقتل . فقد قُتل صبراً . لسان العرب (صبر) .

(٢) ترجمته في الأغاني (٣/ ١٢٧) ، الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١٨٤) ، الفهرست ص(٢٢٧) ، تاريخ بغداد (٧/ ١١٢) ، المنتظم (٨/ ٢٨٩) ، الكامل في التاريخ (٥/ ٢٥٤) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٧١) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤) ، لسان الميزان (٢/ ١٥) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٥٣) ، شذرات الذهب (١/ ٢٦٤) .

فضُرب حتى مات ، عن بضعٍ وسبعين سنةً . وقد ذكره ابنُ خلِّكَانَ في الوفيات فقال[١] : بشارُ بنُ بُرْد بن يَرْجُوخ العُقَيلي مولاهم ، ،قد نَسَبهُ صاحبُ الأغاني[٢] فأطالَ نَسَبه ، وهو بصريٌّ قَدِمَ بغداد ، أصلُهُ من طَخَارِسْتَان[٣] ؛ وكان ضخماً عظيمَ الخَلْق ، وشِعرُه في أوَّلِ طبقاتِ المولَّدين ؛ ومن شعرِهِ البيتُ المشهور :

هـل تعلمينَ وراءَ الحُبِّ مَنْزِلـةً ... تُدْني إليكِ فإنَّ الحُبَّ أقصاني[٤]

وقوله :

أنــا واللهِ أشتهــي سِحْــرَ عَيْنَيْـ ... ـكِ وأخْشَى مصارعَ العُشَّاقِ[٥]

وله :

يا قومُ أُذْني لبعضِ الحَيِّ عاشقةٌ ... والأذنُ تعشَـقُ قبـل العيـنِ أحيـانـا
قالوا لِمَنْ لا تَرَى تَهْذي فقلتُ لهم ... الأذنُ كالعينِ تؤتي القلبَ ما كانا[٦]

وله :

إذا بَلَـغَ الـرأيُ التشـاوُرَ فـاستَعِـنْ ... بحَـزْمِ نَصيـحٍ أو نَصِيحـةِ حـازِمِ
ولا تَجْعلِ الشُّورَى عليكَ غَضَاضةً ... فَـريـشُ الخَـوافـي قُـوَّةٌ للقَـوَادِمِ
وما خيرُ كَفٍّ أَمسَكَ الغُلُّ أختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائِمِ[٧]

كان بشارٌ يَمدحُ المهدي ، حتى وَشَى إليه الوزيرُ أنَّهُ هجاهُ وقَذَفَهُ ، ونسَبَه إلى شيءٍ من الزَّنْدَقة ، وأنَّهُ يقولُ بتَفْضيلِ النارِ على التُّراب ، وعَذَرَ إبليسَ في السُّجودِ لآدَم ، وأنَّه أنشد :

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٢٧١) .

(٢) الأغاني (٣/ ١٢٧) .

(٣) طَخَارِسْتان ـ بالفتح وبعد الألف راء ثم سين ثم تاء مثناة من فوق ـ ويُقال طَخِيرستان : هي ولايةٌ واسعةٌ كبيرة ، تشتملُ على عِدَّةِ بلاد ، وهي من نواحي خُراسان ، وهي طخارستان العليا والسفلى ، فالعليا شرقي بَلْخ ، وغربي نهر جِيحُون ، وبينها وبين بَلْخ ثمانيةٌ وعشرون فرسخاً ؛ وأمَّا السُّفلى فهي أيضاً غربي جيحون ، إلاَّ أنَّها أبعدُ من بلَخْ ، وأضربُ في الشرق من العليا . ومن مُدُنها خلم وسمنجان وبغلان وسكلكند وورورواليز . قال الإصطخري : وأكبرُ مدينةٍ بطخارستان طالقان . معجم البلدان (٤/ ٢٣) .

(٤) البيت من مقطَّعةٍ في ديوان بشار ص(٦١٨) .

(٥) البيت من مقطَّعةٍ في ديوان بشار ص(٥٦٥) .

(٦) البيتان في ديوان بشار ص(٦١٢) مع بيت ثالث .

(٧) الأبيات في ديوان بشار ص(٥٩٢) .

الأرضُ مُظلمـةٌ والنـارُ مُشـرقـةٌ والنارُ معبودةٌ مُذْ كانتِ النارُ[١]

فأمَرَ المهديُّ بضَرْبِه ، فضُرب حتى مات . ويُقال : إنَّه غَرق ، ثم نُقل إلى البصرة في هذِهِ السنة .

فيها تُوفي :

الحسن بن صالح بن حَيّ .

وحمَّاد بن سَلَمة .

والربيعُ بن مسلم .

وسعيد بن عبد العزيز بن مسلم .

وعُتبة الغلام ؛ وهو : عُتْبة بن أبَان بن صَمَعَة[٢] : أحدُ العُبَّادِ المشهورين ، البَكَّائين المذكورين ؛ كان يأكُلُ من عَمِلَ يَدِهِ في الخُوص ، ويصومُ الدَّهر ، ويُفطِرُ على الخُبزِ والمِلح .

والقاسم الحذَّاء .

وأبو هلال محمد بن سليم .

ومحمد بن طلحة .

وأبو حمزة السُّكَّري[٣] **محمد بن ميمون .**

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومئة

فيها في رَمَضان منها نَقضتِ الرُّوم ما بينهم وبين المسلمينَ من الصُّلحِ الذي عقدَهُ هارون الرَّشيد عن أمرِ أبيهِ المهدي ، ولم يستمرُّوا على الصلحِ إلاَّ اثنيْنِ وثلاثين شهراً ، فبعَثَ نائبُ الجزيرةِ خيلاً إلى الرُّوم ، فقتَلوا وأسرُوا وغَنِموا وسَلِموا .

وفيها اتَّخَذَ المهديُّ دواوينَ الأزمَّة ، ولم يكنْ بنو أُميَّةَ يعرفون ذلك[٤] .

---

(١) البيت في ديوان بشار ص(٥٣٩) .

(٢) ترجمته في حلية الأولياء (٦/ ٢٢٦) ، صفة الصفوة (٣/ ٣٧٠) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٣/ ٥٤٨) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٦٢) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٧) .

(٣) في بعض النسخ : « اليشكري » مصحف ، وهو من رجال التهذيب (بشار) .

(٤) أول من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع في خلافة المهدي ، وذلك أنه لما جُمعت له الدواوين تفكَّر فإذا هو لا يضبطُها إلاَّ بزِمامٍ يكون له على كلِّ ديوان ؛ فاتَّخذَ دواوين الأزمَّة ، وولَّى كلَّ ديوانٍ رجلاً ، فكان واليه على زِمَامِ ديوانِ الخَرَاج إسماعيل بن صبيح . ولم يكنْ لبني أمية دواوين أزِمَّة . تاريخ الطبري (٤/ ٥٨٢) .

وفيها حجَّ بالناس عليُّ بن محمد المهدي الذي يُقال له ابنُ رَيْطَة .

وفيها توفي :

الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب(١) ، ولاَّهُ المنصورُ المدينةَ خمسَ سنين ، ثم غَضِبَ عليه ، فضرَبَهُ وحبَسَه ، وأخذَ جميعَ مالِه(٢) .

وخارجةُ بن مُصْعَب .

وعُبيدُ الله بن الحسن بن الحُصَيْن بن أبي الحُرّ العَنْبَري(٣) : قاضي البصرة بعد سَوَّار . سمع خالداً الحذَّاء ، وداود بن أبي هِنْد وسعيداً الجُرَيْري ، وروى عنه ابنُ مهدي ، وكان ثقةً فقيهاً ، له اختياراتٌ تُعزَى إليه ، غريبةٌ في الأصول والفروع ، وقد سُئل عن مسألةٍ فأخطأ في الجواب ، فقال له قائل : الحُكمُ فيها كذا وكذا ، فأطرَقَ ساعةً ثم قال : إذاً أرجع وأنا صاغِر ، لأنْ أكونَ ذَنَباً في الحق ، أَحَبُّ إليَّ منْ أكونَ رأساً في الباطل .

توفي في ذي القَعْدَة من هذه السنة ، وقيل بعدَ ذلك بعشرِ سنين ، فالله أعلم .

غَوْثُ بن سليمان بن زياد بن ربيعة(٤) **أبو يحيى الحَضْرَمي**(٥) : قاضي مصر ، كان من خِيَارِ الحُكَّام ؛ وَلِيَ الديارَ المصريَّةَ ثلاثَ مرَّات ، في أيامِ المنصور ، والمهدي .

وفُلَيح بن سليمان(٦) .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (القسم المتمم) ص(٣٨٦) . وتصحَّف في (ق) إلى « الحسن بن يزيد بن حسن » .

(٢) جاء في نسخة (ق) زيادة محصورة بين معقوفين ، وكذا في (ب) ، وهذه الزيادة ليست في (ح) ، ولا تصحّ لأن ترجمة حماد عجرد تقدمت في ص(٣٥٧) في وفيات سنة (١٥٥) من نسخة (ق) من هذا الجزء ، وهذه الزيادة هي : [وحَمَّاد عَجْرَد كان ظريفاً ماجناً شاعراً ، وكان ممَّنْ يُعاشر الوليدَ بن يزيد ، ويُهاجي بشارَ بنَ بُرْد ، وقَدِمَ على المهدي ، ونزلَ الكوفة ، واتُّهم بالزندقة . قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : ثلاثةٌ حمَّادون بالكوفة يُرْمَوْنَ بالزندقة : حماد الراوية ، وحماد عَجْرَد ، وحماد بن الزِّبْرِقان النَّحْوي ؛ وكانوا يتشاعرون ويتماجنون] .

(٣) في الأول : « عبد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحسن البصري » ، وقد صُحِّف في اسمه اسم أجداده في الأصول وكثير من المصادر ، وما أثبتُّه من ترجمته في : طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٥) ، والجرح والتعديل (٥/ ٣١٢) ، ومشاهير علماء الأمصار ص(١٥٩) ، والثقات لابن حبان (٧/ ١٥٢) ، وتاريخ بغداد (١٠/ ٣٠٦) ، والإكمال لابن ماكولا (١/ ٢٨) ، ورجال مسلم (٢/ ١٠) ، ولسان الميزان لابن حجر (٧/ ٢٩٦) ، وتقريب التهذيب ص(٣٧٠) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٥١٧) ، التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ١١١) ، الجرح والتعديل (٧/ ٥٧) ، مشاهير علماء الأمصار ص(١٩١) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٣٠) .

(٥) في (ق) : « الجرمي » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته .

(٦) هذا الاسم معطوف على عُبيد الله بن الحسن بن الحصين ، المتقدِّم .

وقيسُ بن الربيع في قول .

ومحمد بن عبد الله بن علاثة بن علقمة بن مالك[١] : أبو اليَسَر العُقَيلي ، قاضي الجانب الشرقي من بغداد للمَهْدي ، هو وعافية بن يزيد . وكان يُقال لابنِ عُلاثةَ قاضي الجنّ ، لأنه كانَتْ بئرٌ يُصابُ من أخذَ منها شيئاً ، فقال : أيُّها الجِنّ ، إنَّا حَكَمْنا أنَّ لكمُ الليل ، ولنا النهار ، فكان من أخذَ منها شيئاً في النهار لم يُصِبْهُ شيء . قال ابنُ مَعين : كان ثقةً . وقال البخاري : في حفظِهِ شيء .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومئة

فيها في المحرَّم منها توفي المهديُّ بنُ المنصور بمكانٍ يُقال له ماسَبَذَان[٢] بالحُمَّى ، وقيل مسموماً ، وقيل : عَضَّهُ فرسٌ فمات . هذه ترجمتُه ، هو :

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[٣]

أبو عبد الله المهدي ، أميرُ المؤمنين ، وإنما لُقِّب بالمهدي رجاءَ أنْ يكونَ الموعودَ به في الأحاديث ، فلم يكنْ به ، وإن اشتركا في الاسم ، فقد افترقا في الفِعل ، ذاك يأتي آخرَ الزمان ، عند فسادِ الدنيا ، فيملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جَوْراً وظُلْماً ؛ وقد قيل : إنَّ في أيامِهِ يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم بدمشق ، وسيأتي ذِكرُ ذلك في أحاديث الفِتَنِ والملاحم ، وذكرُ المهدي ونزول عيسى ابن مريم إنْ شاء الله وبه الثِّقة . وقد جاء في حديثٍ من طريق عثمان بن عفَّان ، أنَّ المهديَّ من بني العباس ، وجاء موقوفاً على ابنِ عباس ، وكعب الأحبار ـ ولا يَصِحّ ـ وبتقديرِ صِحَّةِ ذلك لا يَلْزَمُ أنْ يكونَ على التعيين ، وقد ورد في حديثٍ آخر ، أنَّ المهديَّ من ولدِ فاطمة[٤] ، فهو يعارض هذا ، والله أعلم .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٣) ، التاريخ الكبير (١/ ١٣٢) ، التاريخ الصغير (٢/ ١٨٧) ، الجرح والتعديل (٧/ ٣٠٢) ، الضعفاء للعقيلي (٤/ ٩٢) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٦/ ٢٢٢) الضعفاء لأبي نعيم الأصبهاني ص(١٤٢) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٨٨) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ، الكاشف (٢/ ١٨٩) ، لسان الميزان (٧/ ٣٦٤) .

(٢) ماسَبَذَان : بفتح السين والباء الموحدة والذال معجمة وآخره نون ؛ وأصلُهُ ماه سَبَذان ، مضافٌ إلى اسم القَمَر ، ماه ، ومن هذه المدينة إلى الروذ بالراء عدة فراسخ ، وبها قبر المهدي ، وليس له أثر إلا بناء قد تعفَّتْ رسومُه ، ولم يبق منه إلا الآثار . معجم البلدان ج : (٥) ص : (٤١) .

(٣) ترجمته في تاريخ خليفة ص(٤٣٦ ، ٤٤٠) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٩١) ، التدوين في أخبار قزوين (١/ ٤٣١) ، التحفة اللطيفة (٢/ ٥٠١) ، تاريخ الخلفاء ص(٢٧١) .

(٤) رواه ابن ماجه في سنة رقم (٤٠٨٦) من حديث أم سلمة ، وأبو داود (٤٢٨٤) ، والحاكم (٤/ ٥٥٧) وإسناده=

وأمُّ المهديِّ بن المنصور أمُّ موسى بنت منصور بن عبدِ الله الحِمْيَري .

وروى عن أبيه ، عن جدِّهِ ، عن أبيه عبدِ الله بن عباس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ جَهَرَ ببسمِ الله الرحمن الرحيم . رواهُ عنه يحيى بن حمزة البَتَلْهيّ[(١)] ، قاضي دمشق ، وذكر أنَّهُ صلَّى خلفَ المهدي حين قدم دمشق فجَهَر في السورتَيْنِ بالبسملة ، وأسند ذلك عن رسولِ الله ﷺ ، ورواه غيرُ واحدٍ عن يحيى بن حمزة ؛ ورواهُ المهدي عن المباركِ بنِ فضالَة ؛ ورواه عنه أيضاً جعفر بنُ سليمانَ الضُّبَعيّ ، ومحمد بن عبد الله الرقاشي ، وأبو سفيان سعيد بن يحيى بن المهدي[(٢)] .

وكان مَوْلد المهدي في سنةِ ستٍّ أو سبعٍ وعشرين ومئة ، أو في سنةِ إحدى وعشرين ومئة ؛ وَلِيَ الخلافةَ بعدَ موتِ أبيه في ذي الحجَّة سنة ثمانٍ وخمسين ومئة ، وعمرُه إذْ ذاك ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً ، ولد بالحميمة من أرض البلقاء ، وتوفي في المحرم من هذه السنة أعني سنة تسعٍ وستين ومئة عن ثلاثٍ أو ثمانٍ وأربعين سنة ؛ وكانتْ خلافتُهُ عشرَ سنين وشهراً وبعضَ الشهر ؛ وكان أسمرَ طويلاً ، جعدَ الشعر ، على إحدى عينَيْهِ نُكتةٌ بيضاء ، قيل : على عينه اليمنى ، وقيل : اليسرى .

قال الربيع الحاجب : رأيتُ المهديَّ يُصلِّي في ليلةٍ مُقمرة ، في بَهْوٍ لَه ، عليه ثيابٌ حسنة ، فما أدري هو أحسنُ أمِ القمر أمْ بَهْوُهُ أم ثيابُه ؟ فقرأ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] ، الآية ؛ ثم أمَرَني فأحضرتُ رجلاً من أقاربِهِ كان مسجوناً ، فأطلقَه .

ولما جاء خبَرُ موتِ أبيه بمكةَ ـ كما تقدَّم ـ كَتَمَ الأمرَ يومَيْن ، ثم نُودي في الناسِ يومَ الخميس : الصلاة جامعة . فقام فيها خَطيباً ، فأعلَمَهُمْ بموتِ أبيه وقال : إنَّ أميرَ المؤمنين دُعيَ فأجاب ، فعندَ الله أحتسبُ أميرَ المؤمنين ، وأستعينُه على خلافةِ المسلمين ، ثم بايَعهُ الناسُ بالخلافةِ يومئذ ؛ وقد عزَّاهُ أبو دُلامة ، وهنَّأهُ في قصيدةٍ له ، يقولُ فيها :

عينـايَ واحـدةٌ تُـرَى مسـرورةً ... بـأميرِهـا جَـذْلَـى وأخرى تَـذْرِفُ
تبكي وتضحَكُ تارةً ويَسُوؤها ... مـا أنكـرتْ ويَسُرُّهـا مـا تَعْـرِفُ

= ضعيف ، لضعف زياد بن بيان في إسناده . وقد ساق العقيلي في ضعفائه ، وقال البخاري : في إسناده نظر ، وقال ابن عدي في الكامل بعد أن أورد حديثه هذا : « والبخاري إنما أنكر من حديثه هذا الحديث ، وهو معروف به . وقال الذهبي في الميزان : لم يصح حديثه وانظر بلا بد تعليقي على هذا الحديث في سنن ابن ماجه بتحقيقي (بشار) .

(١) في (ق) : « النهشلي » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وترجمت في سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥٤)، ومصادر ترجمته ، وهو نسبة إلى بيت لِهْيا ، قريةٍ مشهورةٍ في غوطةِ دمشق . انظر معجم البلدان (١/ ٥٢٢) .

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ٣٠٣) في باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها ؛ والصيداوي في معجم الشيوخ ص(١٧٢ ، ١٧٣) ؛ وذكره ابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢٣٥) .

فيسوؤها موتُ الخليفةِ مُحْرِماً ويَسُرُّها أنْ قام هـذا الأرْأفُ
ما إنْ رأيت كما رأيتُ ولا أرى شَعَراً أُرَجِّلُـهُ وآخـرَ يُنْتَـفُ
هَلَـكَ الخليفـةُ يـالَ أُمَّـةِ أحمـدٍ وأتـاكُـمُ مـن بعـدِهِ مـنْ يَخْلُـفُ
أهـدَى لِهـذا اللهُ فَضْـلَ خـلافـةٍ ولِذاكَ جَنَّاتِ النَّعيمِ تُزَخْرَفُ(١)

وقد قال المهديُّ يوماً في خطبة :

أيُّها الناس ، أسِرُّوا مثلَما تُعْلِنون من طاعَتِنا تَهْنِكُمُ العافية ، وتَحْمَدوا العاقبة ؛ واخفِضوا جناحَ الطاعةِ لمنْ ينشُرُ مَعْدِلَتَهُ فيكم ، ويَطْوِي ثوبَ الإصْرِ عنكم ، وأهالَ عليكم السلامةَ ولينَ المعيشةِ من حيثُ أراهُ الله ، مقدِّماً ذلك على فعلِ من تقدَّمَه ؛ والله لأفْنِيَنَّ عُمري من عقوبتِكم ، ولأحملَنَّ نفسي على الإحسانِ إليكم . قال : فأشرَقَتْ وجوهُ الناسِ من حُسنِ كلامِه ؛ ثم استخرج حوَاصلَ أبيه من الذهبِ والفِضَّةِ التي كانتْ لا تُحدُّ ولا تُوصفُ كثرةً ؛ ففرَّقَها في الناس ، ولم يُعطِ أهلَهُ ومواليَهُ منها شيئاً ، بل أجْرَى لهم أرزاقاً بحَسَبِ كفاياتِهم من بيتِ المال ، لكلِّ واحدٍ خمس مئةٍ في الشهر ، غير الأُعطيات . وقد كان أبوهُ حريصاً على توفيرِ بيتِ المال ، وإنما كان يُنفقُ في السنة ألفَيْ درهم ، من مال السَّرَاة . وأمر المهديُّ ببناء مسجدِ الرُّصافة ، وعُمل خندقٌ وسُورٌ حولَها . وبَنى مُدُناً ذكرْناها فيما تقدَّم .

وذُكر له عن شريك بن عبد الله القاضي أنه لا يرى الصلاةَ خلفَه ، فأحضره فتكلَّم معه ، ثم قال له المهدي في جملةِ كلامه : يا ابنَ الزانية ! فقال له شريك : مَهْ ، مَهْ يا أميرَ المؤمنين ، فلقد كانتْ صوَّامةً قوَّامة . فقال له : يا زِنْديق ، لأقتلنَّك . فضحك شريك فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ للزنادقةِ علاماتٍ يُعرفون بها ، شربهم القهوات ، واتخاذهم القينات . فأطرَقَ المهدي ، وخرج شريك من بين يديه .

وذكروا أنه هاجتْ ريحٌ شديدة في زمن المهدي ، فدخل المهديُّ بيتاً في دارِهِ ، فألزَقَ خدَّهُ بالتراب وقال : اللهمَّ إنْ كنتُ أنا المطلوب بهذه العقوبةِ دون الناس فها أنا ذا بين يديك ؛ اللهمَّ لا تُشْمتْ بي الأعداء من أهلِ الأديان . فلم يزل كذلك حتى انجلَتْ .

ودخل عليه رجلٌ يوماً ومعه نَعْل ، فقال : هذه نعلُ رسولِ الله ﷺ قد أهديتُها لك . فقال : هاتها . فناوله إيَّاها فقبَّلَها ووضعها على عينَيْه ، وأمر له بعشرةِ آلاف درهم ؛ فلما انصرف الرجل قال المهدي : والله إني لأعلمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ لم ير هذه النعل ، فضلاً عن أن يلبسَها ، ولكنْ لو ردَدْتُه لذهب يقولُ للناس أهديتُ إليه نعلَ رسولِ الله ﷺ فردَّها عليّ . فتصدِّقه الناس ، لأنَّ العامَّةَ تميلُ إلى أمثالِها ، ومن شأنِهم نصرُ الضعيفِ على القَوي إنْ كان ظالماً ، فاشترينا لسانَهُ بعشرةِ آلاف درهم ، ورأينا هذا أرجحَ وأصلح .

---

(١) الأبيات في ديوان أبي دلامة ص(٨٢) . وبعدها بيت واحد :
فابْكُوا لِمَصْرَعِ خَيْرِكُمْ ووَلِيِّكُمْ واسْتَشْرِفُوا لِمَقَـامِ ذا وتَشَـرَّفُـوا

واشتهر عنه أنه كان يحبُّ اللَّعِبَ بالحمَام ، والسِّبَاق بينها ، فدخل عليه جماعةٌ من المحدِّثين فيهم غياث بن إبراهيم ، فحدَّثه بحديثِ أبي هريرة « لا سَبْقَ إلاَّ في خُفٍّ أو نَصْلٍ أو حافِرٍ » وزادَ الحديث : أو جَنَاح . فأمر له بعشرةِ آلاف ، ولما خرج قال : والله إني أعلمُ أنَّ غِياثاً كذَبَ على رسولِ الله ﷺ . ثم أمرَ بالحمَام فذَبَحه ، ولم يذكُرْ غِياثاً بعدَها .

وقال الواقدي : دخلتُ على المهديِّ يوماً ، فحدَّثته بأحاديث ، فكتبها عني ، ثم قام فدخل بيوتَ نسائه ، ثم خرج وهو ممتلىءٌ غيظاً ، فقلت : ما لك يا أمير المؤمنين ؟! فقال : دخلتُ على الخَيْزران ، فقامَتْ ومزَّقَتْ ثَوْبي ، وقالت : ما رأيتُ منك خيراً ، وإني والله يا واقدي إنما اشتريتُها من نَخَّاس ، وقد نالَتْ عندي ما نالت ، وقد بايعتُ لولدَيْها بإمرَةِ المؤمنينَ من بعدي . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّهنَّ يغلِبْنَ الكرام ، ويغلِبُهُنَّ اللئام »[١] . وقال : « خيرُكم خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لأهلي »[٢] . وقد خُلقَتِ المرأةُ من ضِلَعٍ أعْوَج ، إنْ قَوَّمْتَهُ كسَرْتَه . وحدَّثتُه في هذا الباب بكلامٍ حضَرَني ، فأمرَ لي بألفَيْ دينار ، فلمَّا وافَيْتُ المَنْزِل إذا رسولُ الخيزران قد لَحِقني بألفَيْ دينارٍ إلاَّ عشرةَ دنانير ، وإذا معه أثوابٌ أُخَر ؛ وبعثَتْ تشكرُني وتُثني عليَّ معروفاً .

وذُكر أن المهديَّ كان قد أهدَرَ دمَ رجلٍ من أهلِ الكوفة ، وجعل لمن جاء به مئةَ ألف ، فدخل الرجلُ بغدادَ متنكِّراً ، فلقيه رجل ، فأخذ بمَجَامِعِ ثوبِهِ ، ونادى : هذا طَلِبَةُ أميرِ المؤمنين . وجعل الرجلُ يريد أن يُفلِتَ منه فلا يَقدِر ، فبينما هما يتجاذبان ، وقد اجتمع الناس عليهما إذْ مَرَّ أميرٌ في مَوْكِبه ، وهو مَعْنُ بن زائدة ، فقال الرجل : يا أبا الوليد ، خائفٌ مستجير ! فقال معن : وَيْلَك ! ما لَكَ ولَه ؟ فقال : هذا طَلِبَةُ أمير المؤمنين ، جعل لِمَنْ جاء به مئةَ ألف . قال معن : أما علمتَ أنِّي قد أجَرْتُه ؟ أرسِلْهُ من يدِك . ثم أمر بعضَ غلمانِهِ فترجَّل ، وأركبَهُ وذهَبَ به إلى مَنْزِله ؛ وانطلق ذلك الرجلُ إلى بابِ الخليفة ، وأنْهَى إليهمُ الخبر ، فبلَغَ المهديَّ ، فأرسل إلى معن ، فدخل عليه ، فسلَّمَ ولم يردَّ عليه السلام وقال : يا معن ، أبَلَغَ من أمرِكَ أنْ تُجيرَ عليَّ ؟ قال : نعم . قال : ونَعَمْ أيضاً ؟! نَعَمْ ، قد قتلتُ في دولتِكم أربعةَ آلاف مُصَلٍّ ، فلا يُجارُ لي رجلٌ واحد ؟ فأطرَقَ المهديُّ ثم رفع رأسَهُ إليه وقال : وقد أجَرْنا من أجَرْتَ يا مَعْن . فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ الرجلَ ضعيف ، فأمر له بثلاثينَ ألفاً ، فقال : إنَّ جريمتَهُ عظيمة ، وإنَّ جوائزَ الخلفاء

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٠) ، بهذا السياق . وذكره ابن حجر في شرح حديث أم زرع في فتح الباري (٩/ ٢٦٥) ، منسوباً إلى معاوية .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٠٥) عن عبد الله بن شداد ؛ وابن حبان في صحيحه (٩/ ٤٨٤) (٤١٧٧) عن عائشة ، و(٩/ ٤٩١) (٤١٨٦) عن ابن عباس ؛ والترمذي (٥/ ٧٠٩) (٣٨٩٥) باب فضل أزواج النبي ﷺ ؛ وابن ماجه (١/ ٦٣٦) (١٩٧٧) باب حسن معاشرة النساء ؛ وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٣٨) ، والخطيب في تاريخه (١٤/ ٤٣٠) بهذا السياق ، و(٧/ ١٣) عن أبي هريرة ، وهو حديث صحيح كما قال الترمذي .

على قَدْرِ جرائمِ الرَّعِيَّة . فأمر له بمئةِ ألف ، فحملَتْ بين يدَيْ معنٍ إلى ذلك الرجل ، فقال له معن : خُذِ المال وادْعُ لأميرِ المؤمنين ، وأصْلِحْ نِيَّتَكَ في المستقبل .

وقَدِمَ المهديُّ مرَّةً البصرة ، فخرج ليُصلِّيَ بالناس ، فجاء أعرابيٌّ فقال : يا أمير المؤمنين ، مُرْ هؤلاءِ فلينتظروني حتى أتوضأ ـ يعني المؤذِّنين ـ فأمرَهُمْ بانتظارِه ، ووقف المهديُّ في المِحراب لم يُكَبِّرْ حتى قيل له : هذا الأعرابيُّ قد جاء فكبَّرَ . فتعجَّبَ الناسُ من سمَاحة أخلاقِه .

وقَدِم أعرابيٌّ ومعه كتابٌ مَخْتوم ، فجعل يقول : هذا كتابُ أميرِ المؤمنين إلى ابنِ الرجل الذي يُقال له الربيع الحاجب . فأخذ الكتابَ وجاء به إلى الخليفة ، وأوقف الأعرابيَّ وفتح الكتاب ، فإذا هو قطعةُ أديم ، فيها كتابةٌ ضعيفة ، والأعرابيُّ يزعُمُ أنَّ هذا خطُّ الخليفة ؛ فتبسَّم المهديُّ وقال : صدَقَ الأعرابي ، هذا خطِّي إني خرجتُ يوماً إلى الصَّيد ، فضِعْتُ عن الجيش ، وأقبل الليل ، فتعوَّذْتُ بتعويذِ رسولِ الله ﷺ ، فرُفع لي نارٌ من بعيد ، فقصدتُها ، فإذا هو الشيخُ وامرأتُه في خِبَاء يوقِدان ناراً ، فسلَّمْتُ عليهما ، فردَّا السلام ، وفرش لي كساءً ، وسقاني من لَبنٍ مَشُوبٍ بماءٍ ، فما شربتُ شيئاً إلَّا وهو أطيبُ منه ، ونمتُ نومةً على تلك العباءة ، ما أذكرُ أني نِمْتُ أحْلَى منها . فقام إلى شُوَيْهةٍ فذبحها ، فسمعتُ امرأتَهُ تقول له : عمَدْتَ إلى مَكْسَبِكَ ومعيشةِ أولادِك فذبحتَها ! أهلكتَ نفسَك وعيالَك . فما التفتَ إليها . واستيقظْتُ فاشتَوَيْتُ من لَحمِ تلك الشُّويهةِ وقلت له : أعندكَ شيءٌ أكتُبُ لك فيه كتاباً ؟ فأتاني بهذه القطعة ، فكتبتُ له بعودٍ من ذلك الرَّمَاد خمسَمئةِ ألف ، وإنما أردتُ خمسين ألفاً ، والله لأنفِذَنَّها له كلَّها ، ولو لم يكنْ في بيتِ المالِ سواها . فأمَرَ له بخمسمئةِ ألف . فقبَضَها الأعرابيُّ واستمرَّ مقيماً في ذلك الموضعِ في طريقِ الحاجِّ من ناحيةِ الأنبار ، فجعَلَ يَقْري الضَّيفَ ومنْ مَرَّ به من الناس ، فعُرف منْزِلُهُ بِمَنْزِلِ مُضيفِ أميرِ المؤمنين المهدي .

وعن سوَّارٍ صاحبِ رَحْبَةِ سوَّار قال : انصرفتُ يوماً من عندِ المهدي ، فجئتُ منْزلي ، فوُضع لي الغداء ، فلم تُقبلْ نفسي عليه ، فدخلتُ خلوتي لأنامَ في القائلة ، فلم يأخُذْني نوم ، فاستدعَيْتُ بعضَ حَظَاياىَ لأتَلَهَّى بها ، فلم تنبَسِطْ نفسي إليها ، فنهضتُ فخرجتُ من المنْزِل ، وركبتُ بغلتي ، فما جاوَزْتُ الدارَ إلَّا قليلاً حتى لقيَني رجلٌ ومعه ألفا درهم ، فقلت : من أين هذه ؟ فقال : من مُلْكِكَ الجديد . فاستصحبتُه معي ، وسرتُ في أزِقَّةِ بغداد لأتشاغلَ عمَّا أنا فيه من الضجَر ، فحانَتْ صلاةُ العصر عند مسجدٍ في بعض الحارات ، فنزلْتُ لأصلِّي فيه ، فلما قُضيتِ الصلاة إذا برجل أعمى ، قد أخذَ بثيابي فقال : إنَّ لي إليك حاجة . فقلت : ما حاجتُك ؟ فقال : إني رجلٌ ضرير ، ولكني لما شمِمْتُ رائحةَ طيبك ظننتُ أنكَ من أهلِ النِّعمةِ والثَّرْوة ، فأحببتُ أن أُفْضِي إليك بحاجتي . فقلت : وما هي ؟ فقال : إنَّ هذا القصرَ الذي تجاه المسجد كان لأبي ، فسافر منه إلى خُراسان ، فباعَهُ وأخذَني معه وأنا صغير ، فافترَقْنا هناك ، وأصابني أنا الضررُ فرَجَعْنا إلى بغداد بعد أن مات أبي ، فجئتُ إلى صاحبِ هذا القصر

أطلبُ منه شيئاً أتبَلّغُ به ، لعلّي أجتمعُ بسَوَّار ، فإنه كان صاحباً لأبي ، فلعله أن يكونَ عنده سَعةٌ يجودُ منها عليّ . فقلت : ومن أبوك ؟ فذكر رجلاً كان أصحبَ الناس إليّ ، فقلت : إنِّي أنا سوَّار صاحبُ أبيك ، وقد منعني الله في يومك هذا النومَ والقرارَ والأكلَ والراحة ، حتى أخرجني من منْزلي لأجتمعَ بك ، وأجلَسَني بين يديك . وأمرتُ وكيلي فدفع له الألفي الدرهم التي معه ، وقلت له : إذا كان الغَدُ فَأْتِ منْزلي في مكانِ كذا وكذا . وركبتُ فجئتُ دارَ الخلافةِ وقلت : ما أتحفَ المهديَّ الليلةَ في السَّمَرِ بأغربَ من هذا . فلما قصصتُ عليه القصَّة تعجَّب من ذلك جدّاً ، وأمر لذلك الأعمى بألفَيْ دينارٍ وقال لي : هل عليك دَيْن ؟ قلت : نعم . قال : كم ؟ قلت : خمسون ألفَ دينار . فسكت ، وحادثني ساعةً ، ثم قمتُ من بين يديه ، فوصلت المنْزل ، إذا الحمَّالون قد سبقُوني بخمسينَ ألفَ دينار ، وألفَيْ دينار للأعمى ، فانتظرتُ الأعمى أن يجيءَ في ذلك اليوم ، فتأخَّر ، فلمَّا أمسى عدتُ إلى المهدي ، فقال : قد فكَّرتُ في أمرك فوجدتُكَ إذا قضيتَ دَيْنَك لم يبقَ معك شيء ، وقد أمرتُ لك بخمسين ألفَ دينارٍ أخرى . فلمَّا كان اليومُ الثالث جاءني الأعمى ، فقلت : قد رزقني الله بسببك خيراً كثيراً ، ودفعتُ له الألفَيْ دينارٍ التي من عند الخليفة ، وزدتُهُ من عندي أيضاً .

ووقفتِ امرأةُ المهدي فقالت : يا عُصبةَ رسولِ الله ، اقضِ حاجتي . فقال المهدي : ما سمعتُها من أحدٍ غيرِها ، اقضوا حاجتَها ، وأعطُوها عشرةَ آلاف درهم .

ودخل ابنُ الخياط على المهدي فامتدحَه ، فأمر له بخمسينَ ألفَ درهم ، ففرَّقها ابنُ الخيَّاط وأنشأ يقول :

أخذتُ بكفي كفَّه أبتغي الغِنَى ... ولم أدرِ أنَّ الجودَ من كَفِّهِ يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغنى ... أفَدْتُ وأعداني فبدَّدْتُ ما عندي

قال : فبلغ ذلك المهدي ، فأعطاه بدَلَ كلِّ درهمٍ ديناراً .

وبالجملة فإنَّ للمهدي مآثرَ ومحاسنَ كثيرة ، وقد كانت وفاتُهُ بِمَاسَبَذان[1] ، كان قد خرجَ إليها ليبعثَ إلى ابنِهِ الهادي ، ليحضُرَ إليه من جُرْجان ، حتى يخلَعَهُ من ولايةِ العَهْد ، ويجعلَهُ بعدَ هارونَ الرشيد ، فامتنعَ الهادي من ذلك ، فركب المهديُّ إليه قاصداً إحضارَه ، فلما كان بماسَبَذان مات بها ، وكان قد رأى في النوم وهو بقصرِهِ ببغداد ، وأظنُّهُ المسمَّى بقصر السلامة ، كأنَّ شيخاً وقف ببابِ القصر ، ويُقال إنه سمع هاتفاً يقول :

كأنِّي بهذا القصرِ قد بادَ أهلُهُ ... وأوحشَ منه رَبْعُهُ ومنازِلُهُ
وصار عَميدُ القومِ منْ بعد بَهْجةٍ ... ومُلْكٍ إلى قبرٍ عليه جنادِلُهُ

(١) انظر التعريف بماسبذان في حاشية (٢) في الصفحة (٤١٠) من هذا الجزء .

ولـم يبـقَ إلاَّ ذكـرُهُ وحـديثُـهُ تنـادي عليـه مُعْـولاتٍ حـلائلُـهْ

فما عاش بعدَها إلاّ عشراً حتى مات . رحمه الله وسامحه وأدخله الجنة ، برحمته آمين .

ويُروى أنه لما قال له الهاتف :

كأنِّي بهذا القصرِ قد بادَ أهلُهُ وقـد درسَـتْ أعـلامُـهُ ومنـازلُـهْ

فأجابه المهدي :

كذاكَ أمورُ الناسِ يَبْلَى جَديدُها وكـلُّ فتًـى يـومـاً ستبلَـى فعـائلُـهْ

فقال الهاتف :

تـزوَّدْ مـن الـدنيـا فـإنـك مَيِّـتٌ وإنك مسؤولٌ فما أنتَ قائلُهْ ؟

فأجابه المهدي :

أقــولُ بــأنَّ الله حَــقٌّ شهِـدْتُـهُ وذلك قولٌ ليس تُحصَى فضائلُهْ

فقال الهاتف :

تـزوَّدْ مـن الـدنيـا فـإنـك راحـلٌ وقد أزِفَ الأمرُ الذي بك نازلُهْ

فأجابه المهدي :

متى ذاك خَبِّرْني هُديتَ فإنني سأفعلُ ما قد قلتَ لي وأعاجِلُهْ

فقال الهاتف :

تلَبَّـثْ ثـلاثـاً بعـد عشـريـنَ ليلـةً إلى مُنْتَهى شهرٍ وما أنتَ كاملُهْ

قالوا : فلم يعِشْ بعدَها إلا تسعاً وعشرينَ يوماً حتى مات . رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابنُ جرير(١) اختلافاً في سبَبِ موتِه ؛ فقيل إنه ساق خلفَ ظَبْيٍ والكلابُ بين يديه ، فدخل الظبيُ إلى خَربَةٍ ، فدخلتِ الكلابُ وراءَهُ ، وجاء الفرس ، فحمل بمشواره ، فدخل الخَرِبة ، فكُسر ظهرُه ، وكانت وفاتُه بسببِ ذلك .

وقيل : إنَّ بعض حظاياهُ بعثَتْ إلى أخرى لبناً مسموماً ، فمرَّ الرسولُ بالمهدي ، فأكل منه فمات . وقيل : بل بعثَتْ إليها بصينيَّةٍ فيها الكُمَّثْرَى ، وفي أعلاها واحدةٌ كبيرةٌ مسمومة ، وكان المهديُّ يُعجبُه الكُمَّثْرَى ، فمرَّتْ به الجاريةُ ومعها تلك الصينية ، فرآها فاستدعاها ، فأخذ التي في أعلاها ، فأكلها

---

(١) هو الطبري في تاريخه (٤/ ٥٨٣) .

فماتَ من ساعتِه . فجعلتِ الحظيَّة تندبُهُ وتقول : واأميرَ المؤمنيناه ! أردتُ أنْ يكونَ لي وحدي قتلتُه بيدي . وكانت وفاتُه في المحرَّم من هذه السنة ، أعني سنةَ تسعٍ وستين ومئة . وله من العمر ثلاثٌ وأربعون سنةً على المشهور . وكانت خلافتُهُ عشرَ سنين وشهراً وكسوراً . ورثاهُ الشعراء بمراثيَ كثيرة ، قد ذكرَها ابنُ جرير وابنُ عساكر .

وفيها توفي من الأعيان :

عُبيد الله بن زياد .

ونافع بن عمر الجمحي .

ونافع بن أبي نعيم القاري .

خلافة موسى الهادي بن المهدي

تُوفي أبوه في المحرَّم من أول سنةٍ تسعٍ وستين ومئة ، وكان وليَّ العهد من بعدِ أبيه ، وكان أبوه قد عزم قبلَ موته على تقديمِ أخيه الرشيد عليه في ولاية العهد ، فلم يتفِقْ ذلك حتى مات المهدي بماسَبَذَان ؛ وكان الهادي إذْ ذاك بجُرْجان ، فهمَّ بعضُ رجال الدولةِ منهم الربيع الحاجب وطائفةٌ من القُوَّاد على تقديمِ الرشيد عليه ، والمبايعةِ له ، وكان الرشيدُ حاضراً ببغداد ، وعزموا على النفقة على الجُند لذلك ، تنفيذاً لِما رآه المهديُّ من ذلك ، فأسرع الهادي السيرَ من جُرْجان إلى بغداد ، حين بلغَهُ الخبر ، فساق منها إليها في عشرين يوماً ، فدخل بغداد ، وقام في الناس خطيباً ، وأخذ البيعةَ منهم فبايعوه ، وتغيَّبَ الربيعُ الحاجب ، فتطلَّبه الهادي حتى حضَرَ بين يديه ، فعفا عنه ، وأحسن إليه ، وأقرَّهُ على وظيفته الحُجوبيَّة ، وزادَهُ الوِزَارة وولاياتٍ أُخَر ، وشرع الهادي في تطلُّبِ الزنادقةِ من الآفاق فقتل منهم طائفةً كثيرة ، واقتدى في ذلك بأبيه .

وقد كان موسى الهادي من أفْكَهِ الناس مع أصحاب في الخلوة ، فإذا جلس في مقامِ الخِلافة كانوا لا يستطيعونَ النظرَ إليه ، لما يعلوهُ من المهابةِ والرِّيَاسة . وكان شابّاً حسناً وقوراً مَهيباً .

وفيها ـ أعني سنةَ تسعٍ وستين ومئة ـ خرج بالمدينة الحسينُ بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وذلك أنه أصبح يوماً وقد لبس البياض ، وجلس في المسجد النبويّ ، وجاء الناسُ إلى الصلاة ، فلما رأوه ولَّوْا راجعين ، والتفَّ عليه جماعةٌ فبايعوه على الكتابِ والسنَّة والرِّضَا من أهلِ البيت ؛ وكان سببُ خروجه أنَّ متولِّيَها خرج منها إلى بغداد لِيُهَنِّىءَ الخليفةَ بالولاية ، ويُعزِّيَهُ في أبيه ؛ ثم جرتْ أمورٌ اقتضَتْ خروجَه ؛ والتفَّ عليه جماعةٌ من أهلِ البيت وغيرهم ، وجعلوا مأواهمُ المسجد النبوي ، منعوا الناسَ من الصلاةِ فيه ، ولم يُجِبْهُ أهلُ المدينةِ إلى ما أرادَه ، بل جعلوا يدعون عليه لانتهاكِهِ

المسجد ؛ حتى ذُكِرَ أنَّهم كانوا يقذرون في جنباتِ المسجد ، وقد اقتتلوا مع المسوِّدَة مرَّات ، فقُتل من هؤلاء وهؤلاء . ثم ارتحل إلى مكة فأقام بها إلى زمن الحجّ ، فبعث إليه الهادي جيشاً ، فقاتلوه بعدَ فراغ الناسِ من الموْسِم ، فقتلوه وقتلوا طائفةً من أصحابه ، وهرَب بقيتُهم وتفرَّقوا شَذَرَ مَذَر . فكان مُدَّةُ خروجِه إلى أن قُتل تسعةَ أشهرٍ وثمانيةَ عشرَ يوماً . وقد كان كريماً من أجودِ الناس ، دخل يوماً على المهدي ، فأطلق له أربعينَ ألفَ دينار ، ففرَّقها في أهلِهِ وأصدقائِهِ من أهلِ بغدادَ والكوفة ، ثم خرج من الكوفة وما عليه قميص ، إنما كان فَرْوة ، وليس تحتها قميص .

وفيها حجَّ بالناسِ سليمان بن أبي جعفر ، عمُّ الخليفة ، وغزا الصائفةَ من طريقِ دَرْبِ الرَّاهب معتوق بن يحيى ، في جَحْفَلٍ كثيف ، وقد أقبلتِ الرُّوم مع بِطْرِيقِهَا ، فبلغوا الحدَث .

وفيها تُوفي :

الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، قُتل في أيامِ التشريق . كما تقدم .

والربيع بن يونس الحاجب مولى المنصور ، وكان حاجبَهُ ووزيرَه ، وقد وَزَرَ للمهدي والهادي ، وكان بعضهم يطعنُ في نسبه ، وقد أورد الخطيبُ في ترجمتِهِ حديثاً من طريقِه ، ولكنه مُنكر ؛ وفي صحتِه عنه نَظَر . وقد وَلِيَ الحُجُوبيَّةَ بعدَهُ ولدُهُ الفضلُ بن الربيع ، ولاَّه إياها الهادي .

ثم دخلت سنة سبعين ومئة من الهجرة النبوية

وفيها عزَمَ الهادي على خَلْعِ أخيه هارونَ الرشيدِ من الخلافةِ وولايةِ العَهْد لابنِهِ جعفر بن الهادي ، فانقادَ هارونُ لذلك ، ولم يظهرْ عليه منازعة ، بل أجاب ، واستدعى الهادي جماعةً من الأمراء فأجابوهُ إلى ذلك ، وأبَتْ أمُّهما الخَيْزُران ، وكانت تميلُ إلى ابنِها هارون أكثرَ من موسى ، وكان الهادي قد منعَها من التصرُّف في شيءٍ من المملكةِ لذلك بعدَما كانتْ قد استحوذَتْ عليه في أول ولايتِهِ ؛ وانقلبتِ الدولُ إلى بابِها والأُمراء إلى جانبها ؛ فحلف الهادي لئن عاد أميرٌ إلى بابها ليضربَنَّ عُنقه ولا يقبَلُ منه شفاعة . فامتنعتْ من الكلام في ذلك ، وحلفَتْ لا تكلِّمُه أبداً ، وانتقلَتْ عنه إلى مَنْزلٍ آخر ، وألحَّ هو على أخيه هارون في الخَلْع ، وبعث إلى يحيى بن خالد بن بَرْمَك ، وكان من أكابرِ الأمراء الذين هم في صفِّ الرشيد ، فقال له : ماذا ترى فيما أريد من خلع هارون وتوليةِ ابني جعفر ؟ فقال له يحيى بن خالد : إنِّي أخشى أن تَهُونَ الأيمانُ على الناس ، ولكنَّ المصلحةَ تقتضي أنْ تجعلَ جعفراً وليَّ العهد من بعدِ هارون ، وأيضاً فإنِّي أخشَى أنْ لا يُجيب أكثرُ الناسِ إلى البيعةِ لجعفر لأنه دون البلوغ ، فيتفاقَمُ الأمرُ ويختلفُ الناس ، فأطرَقَ ملياً ، وكان ذلك ليلاً ، ثم أمر بسَجْنِه ، ثم أطلقَه ، وجاء يوماً إليه أخوهُ هارون الرشيد ، فجلس عن يمينه بعيداً ، فجعل الهادي ينظرُ إليه ملياً ثم قال : يا هارون ، تطمعُ أنْ تكونَ وليّاً للعَهْد حقّاً ؟ فقال :

إي والله ، ولئن كان ذلك لأصِلَنَّ منْ قطَعْت ، ولأنصِفَنَّ منْ ظلمت ، ولأزوِّجَنَّ بَنِيكَ من بناتي . فقال : ذاك الظنُّ بك . فقام إليه هارون يُقبِّلُ يدَه ، فحلَفَ الهادي ليجلسنَّ معه على السرير ، فجلس معه ، ثم أمر له بألف ألف دينار ، وأنْ يدخُلَ الخزائنَ فيأخذ منها ما أراد ؛ وإذا جاء الخراجُ دَفَعَ إليه نصفَه ، ففُعل ذلك كلُّه ، ورضي الهادي عن الرشيد .

ثم سافر الهادي إلى حديثةِ الموصل بعد الصُّلح ، ثم عاد منها ، فمات بعِيساباذَ(١) ليلةَ الجمعة للنصف من ربيع الأول ؛ وقيل آخر سنةِ سبعين ومئة ، وله من العمر ثلاثٌ وعشرون سنة ، وكانت خلافتُه ستةَ أشهر وثلاثة وعشرينَ يوماً ، وكان طويلاً جميلاً أبيض ، بشفته العليا تقلُّص .

وقد تُوفِّي في هذه الليلة خليفة ، وهو الهادي ، ووُلِّيَ خليفةٌ وهو الرشيد ، ووُلد خليفةٌ وهو المأمون بنُ الرشيد ، وقد قالتِ الخيزُرَانُ أمُّهما في أولِ الليل : إنه بلغني أنْ يولَدَ خليفة ، ويموتَ خليفة ، ويُولَّى خليفة . يقال إنَّها سمعتْ ذلك من الأوزاعي قبلَ ذلك بمدَّة ؛ وقد سرَّها ذلك جدّاً . ويقال : إنها سمَّتْ ولدَها الهادي خوفاً منها على ابنِها الرشيد ، ولأنه كان قد أبعَدها وأقصاها ، وقرَّبَ حَظيَّتَه خالصةَ وأدناها ، فالله أعلم .

وهذا ذكرُ شيءٍ من ترجمةِ الهادي(٢)

هو موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو محمد الهادي ، وَليَ الخلافةَ في مُحَرَّم سنة تسعٍ وستين ومئة ، ومات في النصف من ربيع الأول أو الآخر سنةَ سبعين ومئة ، وله من العمر ثلاثٌ ـ وقيل أربعٌ ، وقيل ستٌّ ـ وعشرون سنة ، والصحيح الأول ، ويقال إنه لم يَلِ الخلافةَ أحدٌ قبلَهُ في سنِّه ، وكان حسناً جميلاً أبيض ، وكان طويلاً ، وكان قويَّ البأس ، يَثِبُ على الدابَّةِ وعليه دِرْعان ، وكان أبوه يُسمِّيه ريحانتي .

وذكر عيسى بن دأب قال : كنتُ يوماً عند الهادي إذْ جيء بطَسْتٍ فيه رأسُ جاريتين قد ذُبحا وقُطعا ، لم أرَ أحسنَ صوراً منهما ، ولا مثلَ شعورهما ، وفي شعورهما اللآلىء والجواهر منضَّدة ولا رأيت مثل طيبِ ريحِهما ، فقال لنا الخليفة : أتدرونَ ما شأنُ هاتَيْن ؟ قلت : لا ، فقال : إنه ذُكر أنه تركبُ إحداهما الأخرى يفعلانِ الفاحشة ، فأمرتُ الخادمَ فرصدَهما ، ثم جاءني فقال : إنهما مجتمعتان فجئتُ فوجدتُهما

---

(١) « عيساباذ » : محلة كانت بشرقي بغداد ، ومعنى باذ العمارة فكأن معناه عمارة عيسى ويُسمُّون العامر أباذان ، وهي منسوبة إلى عيسى بن المهدي وأمه وأم الرشيد والهادي الخيزران هو أخوهما . معجم البلدان (٤/ ١٧٢) .

(٢) ترجمته في تاريخ خليفة بن خياط ص(٤٤٥) ، تاريخ الطبري (٤/ ٦٠٤) ، تاريخ بغداد للخطيب (١٣/ ٢١) ، تاريخ اليعقوبي (٢/ ٤٠٤) ، المنتظم (٨/ ٣٠٥) ، العبر (١/ ٢٥٧) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤١) ، شذرات الذهب (١/ ٢٧١) .

في لحافٍ واحد ، وهما على الفاحشة ، فأمرتُ بجزِّ رقابِهما . ثم أمر برفع رؤوسِهما من بين يديه ، ورجعَ إلى حديثِهِ الأول كأنه لم يصنَعْ شيئاً . وكان شهماً خبيراً بالْمُلك ، كريماً . ومن كلامه : ما أُصلحَ الملكُ بمثل تعجيلِ العُقوبة للجاني ، والعفو عن الزلّات ، ليقلَّ الطمعُ عن الملك .

وغضِبَ يوماً من رجل ، فاستَرْضَى عنه ، فرَضِي ، فشرَعَ الرجلُ يعتذِر ، فقال الهادي : إنَّ الرِّضا كفاكَ مؤنة الاعتذار .

وعزَّى رجلاً في ولدِه فقال له : أسرَّك وهو عدوٌّ وفتنة ، وأحزَنَكَ وهو صلاةٌ ورحمة ؟ .

وروى الزُّبير بن بكّار أنَّ مروان بن أبي حَفْصَة أنشدَ الهادي قصيدةً له منها قوله :

تشابَهَ يوما بأسُه ونوالُه فما أحدٌ يَدْري لأيِّهما الفضلُ

فقال له الهادي : أيُّما أحبُّ إليك ؟ ثلاثون ألفاً معجَّلة ؟ أو مئةُ ألفٍ تدورُ في الدواوين ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أوَ أحسنُ من ذلك ؟ قال : ما هو ؟ قال : ثلاثون ألفاً معجَّلة ، ومئةُ ألفٍ تدورُ بالدواوين . فقال : أو أحسنُ من ذلك ؟ نعجّل الجميع لك . فأمَرَ له بمئةِ ألفٍ وثلاثين ألفاً معجَّلة .

قال الخطيب البغدادي(١) : حدّثني الأزهري حدّثنا سهل بن أحمد الديباجي حدّثنا الصولي حدّثنا [ابنُ] الغلابي ، حدّثني محمد بن عبد الرحمن التيمي المكي ، حدّثني المطلب بن عُكاشة الْمُزني ، قال : قدمنا على أبي محمد الهادي شهوداً على رجلٍ منّا أنه شتَمَ قريشاً وتخطّى إلى ذكرِ رسولِ الله ﷺ ، فجلس لنا مجلساً أحضَرَ فيه فقهاءَ أهلِ زمانِه ، ومنْ كان بالحضرةِ على بابه ، وأُحضر الرجلُ ، وأحضرنا فشَهِدنا عليه بما سمعنا منه ، فتغيَّرَ وجهُ الهادي ، ثم نكس رأسه ، ثم رفعه ، ثم قال : إني سمعتُ أبي المهدي يحدِّثُ عن أبيه المنصور عن أبيه محمد ، عن أبيه عليِّ بن عبدِ الله بن عباس قال : منْ أهانَ قريشاً أهانَهُ الله . وأنتَ يا عدوَّ الله ، لم ترضَ بأنْ أردتَ ذلك من قريش ، حتى تخطَّيتَ إلى ذكرِ رسولِ الله ﷺ ! اضربوا عنُقَه . فما بَرِحْنَا حتى قُتل .

تُوفِّي الهادي في ربيع الأول من هذه السنة ، وصلَّى عليه أخوهُ هارون ، ودُفن في قصرٍ بناهُ وسمَّاه الأبيض بعيساباذ من الجانب الشرقيِّ من بغداد . وكان له من الوَلَد تسعة ، سبعةٌ ذُكور وابنتان ، فالذكور : جعفر ، وعباس ، وعبدُ الله ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وسليمان ، وموسى الأعمى ، الذي ولد بعد وفاته ، فسُمِّيَ باسمِ أبيه . والبنتان هما : أمُّ عيسى التي تزوَّجها المأمون ، وأمُّ العباس تُلقَّب تَوْبَة .

---

(١) في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٢ ، ٢٣) ، وما يأتي بين معقوفين منه .

خلافة هارون الرشيد بن المهدي

بويع له بالخلافة ليلةَ مات أخوه ، وذلك ليلةَ الجمعة ، للنصف الأول من ربيع الأول ، سنة سبعين ومئة ، وكان عمرُ الرَّشيد يومئذٍ ثنتين وعشرين سنة ، فبعث إلى يحيى بن خالد بن بَرْمك ، فأخرجه من السِّجن ، وقد كان الهادي عزَمَ تلك الليلةَ على قتلِه ، وقتلِ هارونَ الرشيد ؛ وكان الرشيدُ ابنهُ من الرَّضاعة ، فولاَّهُ حينئذٍ الوزارة ، وولَّى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابةَ الإنشاء ، وكان هو الذي قام خطيباً بين يديه حتى أُخذتِ البيعةُ له على المنبر بعيساباذ . ويُقال إنه لمَّا مات الهادي في الليل جاء يحيى بنُ خالد بن بَرْمَك إلى الرشيد ، فوجده نائماً ، فقال : قُمْ يا أميرَ المؤمنين . فقال له الرشيد : كم تُرَوِّعُني ، ولو سمعَكَ هذا الرجلُ بهذا الكلام ! لكان ذلك أكبَرَ ذنوبي عندَه . فقال : قد ماتَ الرجل . فجلس هارونُ فقال : أشرْ عليَّ في الولايات . فجعل يذكرُ الأقاليمَ لرجالٍ يُسمِّيهم ، فيولِّيهم الرشيد ، فبينما هما كذلك إذْ جاء آخرُ فقال : أبشرْ يا أميرَ المؤمنين ، فقد وُلد لك الساعةَ غلام . فقال : هو عبدُ الله ، وهو المأمون . ثم أصبح فصلَّى على أخيه الهادي ، ودفنه بعيساباذ ، وحلَفَ لا يُصلِّي الظهرَ إلاَّ ببغداد . فلما فرغ من الجنازة أمرَ بضَرْبِ عُنق أبي عصمةَ القائد ؛ لأنه كان مع جعفر بن الهادي ، فزاحموا الرشيدَ على جِسْر ، فقال أبو عصمة : اصبرْ وقِفْ حتى يجوزَ وَليُّ العهد . فقال الرشيد : السمعُ والطاعةُ للأمير . فجاز جعفر وأبو عصمة ، ووقف الرشيدُ مكسوراً ذليلاً . فلمَّا وُلِّي أمرَ بضرب عُنق أبي عصمة . ثم سار إلى بغداد ، فلما انتهى إلى جسرِ بغداد استدعى بالغوَّاصين فقال : إني سقطَ مني ههنا خاتمٌ كان والدي المهدي قد اشتراهُ لي بمئةِ ألف ، فلما كان من أيام بعث إلى الهادي يطلبُه فألقيته إلى الرسول فسقط ههنا ، فغاص الغوَّاصون وراءه فوجدوه ، فسُرَّ به الرشيد سروراً كثيراً . ولما ولَّى الرشيد يحيى بن خالدٍ الوزارةَ قال له : قد وضعتُ إليك أمرَ الرعيَّة ، وخلَعْتُ ذلك من عُنقي وجعلتُهُ في عُنقك ، فوَلِّ منْ رأيتَ واعزِلْ منْ رأيت . ففي ذلك يقول إبراهيم بن الموصلي :

ألم تر أنَّ الشمسَ كانتْ سقيمةً فلمَّا وَلي هارونُ أشرَقَ نورُها
بيُمْنِ أمين الله هارونَ ذي النَّدَى فهـارونُ واليهـا ويحيـى وزيـرُهـا

ثم إنَّ هارونَ أمر يحيى بن خالد أنْ لا يقطعَ أمراً إلاَّ بمشاورة والدتِه الخَيْزُرَان ، فكانتْ هي المشاوِرَةَ في الأمورِ كلِّها ، فتُبْرمُ وتحُلّ ، وتُمضي وتَحكم .

وفيها أَمَرَ الرشيدُ بسهم ذوي القُرْبَى أن يُقسم بين بني هاشم على السَّوَاء . وفيها تتبَّع الرشيدُ خلقاً من الزنادقة ، فقتل منهم طائفةً كثيرة . وفيها خرج عليه بعضُ أهلِ البيت . وفيها وُلد الأمينُ محمدٌ بن الرشيد ابن زُبيدة ، وذلك يوم الجمعة لستٍّ خلَتْ من شوال من هذه السنة . وفيها كَمَلَ بنـاءُ مدينةِ طَرَسُوس على يدَيْ فرجٍ الخادمِ التركي ، ونزلها الناس . وفيها حجَّ بالناس أميرُ المؤمنين الرشيد ، وأعطى

أهلَ الحرمَيْن أموالاً كثيرة ، ويُقال إنه غَزَا في هذه السنةِ أيضاً ؛ وفي ذلك يقولُ داود بن رَزين الشاعر :

بهارونَ لاح النورُ في كلِّ بلدةٍ ... وقام به في عَدْلِ سيرتِهِ النَّهْجُ
إمامٌ بذاتِ الله أصبح شغلُهُ ... وأكثرُ ما يُعْنى به الغَزْوُ والحجُّ
تَضيقُ عيونُ الناسِ عن نورِ وجهِهِ ... إذا ما بدا للناس منظَرُهُ البَلْجُ(١)
وإنَّ أمينَ الله هارونَ ذا النَّدَى ... يُنيلُ الذي يرجوهُ أضعافَ ما يَرْجو

وغزا الصائفة فيها سليمانُ بن عبد الله البكائي .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

الخليلُ بنُ أحمد بن عمرو بن تميم(٢) **أبو عبد الرحمن الفَرَاهيدي** : ويقال الفَرْهودي الأزْدي اليحْمدي ، شيخُ النحاة ، وعنه أخذَ سِيبَوَيْه ، والنَّضْرُ بن شُمَيل ، وغيرُ واحدٍ من أكابرِهم ، وهو الذي اخترع علم العَرُوض ، قسمَهُ إلى خمسِ دوائر ، وفرَّعَهُ إلى خمسةَ عشرَ بحراً ؛ وزاد الأخفشُ فيه بحراً آخرَ وهو الخَبَب . وقد قال بعضُ الشعراء :

قد كان شعرُ الورَى صحيحاً ... من قبلِ أنْ يُخلَقَ الخليلُ

وقد كان له معرفةٌ بعلْمِ النغَم ، وله فيه تصنيفٌ أيضاً ؛ وله كتابُ العين في اللُّغة ، ابتدأه وأكمَلَهُ النَّضْرُ بن شُمَيل وأضرابُهُ من أصحابِ الخليل ، كمُؤرِّج السَّدُوسِيّ ، ونصر بن علي الجَهْضمي ، فلم يناسبوا ما وضَعَهُ الخليل ، وقد وضع ابنُ دَرَسْتُويه كتاباً وصَفَ فيه ما وقع لهم من الخلل فأفاد . وقد كان الخليلُ رجلاً صالحاً عاقلاً وقوراً كاملاً ، وكان متقلِّلاً من الدنيا جدّاً ، صبوراً على خشونةِ العَيش وضِيقه ، وكان يقول : لا يجاوزُ همِّي ما وراءَ بابي ، وكان ظريفاً حسنَ الخُلق . وذكر أنه اشتغل رجلٌ عليه في العَرُوض ، وكان بعيدَ الذِّهْنِ فيه ؛ قال : فقلتُ له يوماً : كيف تُقَطِّعُ هذا البيت :

إذا لم تستطعْ شيئاً فدَعْهُ ... وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ

فشرَعَ معي في تقطيعِهِ على قَدْرِ معرفتِه ، ثم إنه نَهَضَ من عندي فلم يَعُدْ إليّ ، وكأنَّهُ فَهِمَ ما أشرتُ إليه .

ويُقال : إنه لم يُسمَّ أحدٌ بعد النبيِّ ﷺ بأحمدَ سوى أبيه . ورَوَى عن أحمد بن أبي خيثمة ـ والله أعلم ـ وُلِدَ الخليل سنةَ مئة من الهجرة . ومات بالبصرة سنةَ سبعين ومئة على المشهور ، وقيل سنة ستين .

---

(١) « رجلٌ بَلْجٌ » : طَلْقُ الوجه . القاموس (بلج) .

(٢) ترجمته في المقتنى في سرد الكنى (١/ ٣٦٩) ، الثقات لابن حبان (٨/ ٢٢٩) ، الفهرست ص(٦٣) ، مشتبه أسماء المحدثين ص(١٠٨) ، الكامل في التاريخ (٥/ ٢٣٧) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٤) ، تهذيب الكمال (٨/ ٣٢٦) ، العبر (١/ ٢٦٨) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٤٦) ، تقريب التهذيب (١٩٥) ، تهذيب التهذيب (٣/ ١٤١) ، شذرات الذهب (١/ ٢٧٥) .

وزعم ابنُ الجَوْزي في كتابه « شذور العقود » أنه توفي سنة ثلاثين ومئة . وهذا غريبٌ جدّاً والمشهور الأول . والله أعلم .

وفيها توفي :

الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم المصري المؤدِّب ؛ راوية الشافعي ، وآخِرُ منْ رَوَى عنه ؛ وكان رجلاً صالحاً ، تفرَّس فيه الشافعي ، وفي البُوَيْطي والْمُزَني وابنِ عبدِ الحكم العِلْم ، فوافَقَ ذلك ما وقَعَ في نفس الأمر . رحمه الله . ومن شعر الربيع هذا :

صبراً جميلاً ما أسرعَ الفَرَجا   مَنْ صدَّقَ اللهَ في الأمورِ نَجَا
مَـن خَشـيَ الله لـم ينَلْـهُ أذًى   ومَنْ رجَا الله كان حيثُ رَجَا

فأمّا الربيع بن سليمان بن داود الجِيزي فإنه روى عن الشافعي أيضاً ، وقد مات في سنةِ ستٍّ وخمسين ومئتين . والله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومئة

فيها أضاف الرشيدُ الخاتم إلى يحيى بن خالد مع الوزارة . وفيها قتل الرشيدُ أبا هريرة محمد بن فرُّوخ نائبَ الجزيرة صبراً في قصر الخُلد بين يديه . وفيها خرج الفضلُ بن سعيد الحَرُوْريّ فقُتل . وفيها قدم رَوْحُ بنُ حاتم نائبُ إفريقيَة . وفيها خرجَتْ أم أمير المؤمنين الخَيْزُران إلى مكة ، فأقامَتْ بها إلى أنْ شَهِدَتِ الحجّ . وكان الذي حجَّ بالناس فيها عبدُ الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس عمُّ الخلفاء . رحمه الله وأكرمه وتقبَّل منه .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومئة

فيها وضع الرشيدُ عن أهلِ العراق العُشْرَ الذي كان يؤخذ منهم بعدَ النصف . وفيها خرج الرشيدُ من بغداد يَرْتادُ له مَوْضعاً يسكنه غيرَ بغداد ، فتشوَّش فرجع . وفيها حج بالناس يعقوبُ بن أبي جعفر المنصور عمُّ الرشيد . وفيها غَزَا الصائفةَ إسحاقُ بن سليمان بن علي .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومئة

فيها توفي بالبصرة محمد بن سليمان ، فأمر الرشيدُ بالاحتياط على حواصله التي تصلح للخلفاء ، فوجدوا من ذلك شيئاً كثيراً جدّاً ، فقبضوه من الذهب والفضة والأمتعةِ التي يُستعان بها على الحرب ،

وعلى مصالح المسلمين من العُدَد والبرك وغير ذلك ؛ وهو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمُّه أمُّ حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي ، وكان من رجالاتِ قريشٍ وشُجعانهم . جمع له المنصورُ بين البصرةِ والكوفة ، وزوَّجه المهديُّ ابنتهُ العبَّاسة . وكان له من الأموال شيءٌ كثير ؛ كان دخلُهُ في كلِّ يومٍ مئةَ ألف ، وكان له خاتمٌ من ياقوتٍ أحمر ، لم يُرَ مثلُه .

وروى الحديث عن أبيه عن جدِّه الأكبر وهو ابنُ عباس ، وهو حديث مرفوع في مَسْحِ رأسِ اليتيم إلى مقدَّم رأسِه ، ومَسْح رأسِ منْ له أبٌ إلى مؤخَّرِ رأسِه[١] . وقد وَفَد على الرشيد فهنَّأه بالخِلافة ، فأكرمه وعظَّمَه ، وزاده في عمَلِهِ شيئاً كثيراً . ولما أراد الخروجَ خرَجَ معه الرشيدُ يُشيِّعُهُ إلى كَلْوَاذى[٢] . توفي في جُمادَى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وخمسين سنة ، وقد أرسل الرشيد منِ اصطفى من ماله الصامت ، فوجد له من الذهب ثلاثة آلاف ألف دينار ، ومن الدراهم ستة آلاف ألف خارجاً عن الأملاك .

وقد ذكر ابنُ جرير أن وفاته ووفاة الخَيْزُران في يومٍ واحد[٣] .

وقد وقفَتْ جاريةٌ من جواريه على قبرِه فأنشأت تقول :

أمسى الترابُ لِمَنْ هَويتُ مَبِيتا الْقَ الترابَ فقلْ له حُيِّيتا
إنَّا نُحبُّكَ يا ترابُ وما بنا إلاَّ كرامةُ مَنْ عليه حُثِيتا

وفيها توفيت الخيزُران جاريةُ المهدي ، وأمُّ أميرِ المؤمنين الهادي والرشيد ، اشتراها المهديُّ وحَظِيَتْ عندَهُ جدّاً ثم أعتقَها وتزوَّجها ، ولدَتْ له خليفتَيْن : موسى الهادي ، والرشيد ، ولم يتفق هذا لغيرِها من النساء إلاَّ لولاَّدة بنت العباس العبسيَّة ، زوجةِ عبدِ الملك بن مروان ، وهي أمُّ الوليد وسليمان ، وكذلك لشاه فرنْد بنت فَيروز بن يَزْدَجِرْد ، ولدَتْ لِمولاها الوليد بن عبد الملك : مروانَ وإبراهيم ، وكلاهما وَلي الخلافة . وقد رُوي من طريق الخيزُرَان عن مولاها المهدي ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابن عباس ، عن النبيِّ ﷺ قال : « مَنِ اتقى الله وقاهُ كلَّ شيء »[٤] . ولما عُرضَتِ الخيزُران

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٢٩٢) في ترجمة صالح الناجي ، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٢٩١) في ترجمة محمد بن سليمان ، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٦/ ١٧٦) في ترجمته أيضاً وقال : هذا موضوع وتابعه ابن حجر في لسان الميزان (٥/ ١٨٨) في ترجمته أيضاً .

(٢) « كلواذى » : آخره ألف تكتب ياء مقصورة ، وهو طَسُّوج قُرب مدينة السلام بغداد ، وناحيةُ الجانب الشرقي من بغداد من جانبها ، وناحية الجانب الغربي من نهر بوق ، وهي الآن خراب ، أثرها باق بينها وبين بغداد فرسخٌ واحد للمنحدر ، وقد ذكرها الشعراء ولهج كثيراً بذكرها الخلعاء ، يقال : إنها سُمِّيت بكلواذى بن طهمورث الملك . ويقال : إن الكلواذ تابوت توراة موسى عليه السلام . انظر معجم البلدان (٤/ ٤٧٧ ، ٤٧٨) .

(٣) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٦٢٣) .

(٤) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٤/ ٤٣٠ ـ ٤٣١) قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام : لا يثبت .

على المهدي ليشتريَها أعجبَتْه إلاَّ دقةً في ساقَيْها ، فقال لها : يا جارية إنكِ لعلى غايةِ الْمُنَى والجمال لولا حُمُوشَةٌ في ساقَيْكِ[١] . فقالت : يا أميرَ المؤمنين إنك أحوَجُ ما تكونُ إليهما لا تراهما . فاستحسَنَ جوابَها واشتراها ، وحَظِيَتْ عندَهُ جدّاً . وقد حَجَّتِ الخَيْزُران مرَّةً في حياةِ المهدي ، فكتب إليها وهي بمكَّة يستوحشُ لها ويتشوَّقُ إليها بهذا الشِّعْر :

نحن في غايةِ السرورِ ولكنْ ... ليس إلاَّ بكُمْ يتمُّ السرورُ
عَيْبُ ما نحن فيه يا أهلَ وُدِّي ... أنَّكم غُيَّبٌ ونحنُ حُضُورُ
فأجدُّوا في السَّيرِ بل إنْ قَدَرْتُمْ ... أنْ تطيروا مع الرياحِ فَطيروا

فأجابَتْهُ أو أمرَتْ منْ أجابَهُ :

قد أتانا الذي وصفتَ من الشَّوْ ... قِ فَكِدْنا وما فعلنا نطيرُ[٢]
ليت أنَّ الرياحَ كُنَّ يؤدِّيْـ ... ـنَ إليكمْ ما قَدْ يُكِنُّ[٣] الضميرُ
لم أزَلْ صبَّةً فإنْ كنتَ بعدي ... في سرورٍ فدامَ ذاك السرورُ

وذكر أنه أهدَى إليها محمد بن سليمان نائبُ البصرة الذي مات في اليوم الذي ماتَتْ فيه مئة وَصِيفة ، مع كلِّ وَصيفة[٤] جامٌ من فِضَّة مملوءٌ مسكاً . فكتبَتْ إليه : إنْ كان ما بعثتَهُ ثمناً عن ظَنِّنا فيك فظنُّنا فيك أكثرُ مما بعثت ، وقد بَخَسْتَنا في الثمن ؛ وإنْ كنتَ تُريد به زيادةَ المودَّة فقد اتَّهمتَني في المودَّة . وردَّتْ ذلك عليه . وقد اشترتِ الدارَ المشهورةَ بها بمكة ، المعروفة بدار الخَيْزُران ، فزادَتْها في المسجدِ الحرام . وكان مَغَلُّ ضياعِها في كلِّ سنةٍ ألفَ ألفٍ وستين ألفاً . واتَّفَقَ موتُها ببغدادَ ليلةَ الجمعة لثلاثٍ بَقِينَ من جُمادَى الآخرة من هذه السنة . وخرج ابنُها الرَّشيد في جنازتِها وهو حاملٌ سريرَها يخبُّ في الطِّين فلما انتهى إلى الْمَقْبُرَة أُتيَ بماءٍ ، فغسل رجلَيْه ، ولبس خُفّاً وصلَّى عليها ، ونزلَ لحْدَها ، فلما خرج من القبر أُتيَ بسريرٍ فجلس عليه ، واستدعى بالفَضْلِ بنِ الرَّبيع ، فولاَّهُ الخاتم والنفقات . وأنشد الرشيدُ قولَ ابنِ نُوَيْرة حين دفَنَ أمَّهُ الخيزُران :

وكنَّا كندمانَيْ جَذِيمَةَ بُرْهَةً ... من الدهرِ حتى قيل لنْ يتصدَّعا
فلما تفرَّقْنا كأني ومالكاً ... لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا[٥]

---

(١) في (ق) : « لولا دقة ساقيك وخموشهما » . وهو تصحيف . والمثبت من (ب ، ح) ، والحموشة : الدِّقَّةُ .
(٢) في (ق) : « فكدنا وما قدرنا نطير » . والمثبت من (ب ، ح) .
(٣) في (ب ، ح) : « يجنُّ الضمير » .
(٤) في (ب ، ح) : « مئة وصيف مع كل وصيف » . والمثبت من (ق) .
(٥) الشعر لمتمّم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً كما في الأغاني (١٥/ ٢٨٨ ، و٢٩٨ ، ٢٩٩) .

وفيها تُوفيتْ :

غادر[١] : جاريةٌ كانت لموسى الهادي ، كان يُحبُّها حبّاً شديداً جدّاً ، وكانت تُحسنُ الغناء جدّاً ، فبينما هي يوماً تُغنِّيه إذْ أخذَتْهُ فكرةٌ غيَّبَتْهُ عنها ، وتغيَّرَ لونُه ، فسأله بعضُ الحاضرين : ما هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : أخذَتْني فكرةٌ أني أموت ، وأخي هارونُ يتولَّى الخلافةَ بعدي ، ويتزوَّج جاريتي هذه . ففدَاهُ الحاضرون ودَعَوْا له بطول العُمر . ثم استدعى أخاه هارون ، فأخبَرَهُ بما وقع ، فعَوَّذَهُ الرشيدُ من ذلك ، فاستحلفه الهادي بالأيمان المغلَّظة من الطلاق والعَتَاق والحَجِّ ماشياً حافياً أنْ لا يتزوَّجَها ، فحلف له واستحلف الجاريةَ كذلك ، فحلفَتْ له ؛ فلم يكنْ إلاَّ أقلَّ من شهرَيْن حتى مات . ثم خطبَها الرشيد ، فقالت : كيف بالأيمان التي حلفناها أنا وأنت ؟! فقال : إنِّي أكفِّرُ عنِّي وعنك . فتزوَّجَها وحَظِيَتْ عندَهُ جدّاً ، حتى كانتْ تنامُ في حَجْرِهِ فلا يتحرَّكُ خشيةَ أنْ يُزْعجها ؛ فبينما هي ذات ليلة نائمة ببغداد ، إذِ انتبهَتْ مَذْعُورةً تبكي ، فقال لها : ما شأنُك ؟ فقالت يا أميرَ المؤمنين ؟ رأيتُ الهادي في منامي هذا وهو يقول :

أخْلَفْتِ عَهْدي بعدما جاوَرْتُ سُكَّانَ المقابِرْ
ونَسيتِني وحَنِثْتِ في أيمانِكِ الكَذِبِ الفَواجِرْ
ونَكَحْتِ غادرةً أخي صَدَقَ الذي سمَّاكِ غادرْ
أمسَيْتُ في أهلِ البِلَى وعُدِدْتُ في الموتى الغَوابِرْ
لا يَهْنِكِ الإلْفُ الجَدِيـ ـدُ ولا تَدُرْ عنكِ الدوائرْ
ولَحِقْتِ بي قبلَ الصَّبَا حِ وصِرْتِ حيثُ غدوْتُ صائرْ

فقال الرشيد : إنما هذا أضغاثُ أحلام . فقالتْ كلاَّ واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، فكأنما كُتِبَتْ هذه الأبيات في قلبي . ثم ما زالَتْ تَرْتَعدُ وتضطربُ حتى ماتتْ قبلَ الصباح .

وفيها ماتَتْ :

هَيْلانَة[٢] : جاريةُ الرشيد وهو الذي سمَّاها هَيْلانة لكثرةِ قولِها : هي لانه . قال الأصمعي : وكان لها مُحبّاً ، وكانت قبله لخالدِ بن يحيى بن بَرْمَك ، فدَخَلَ الرشيدُ يوماً مَنْزِلَهُ قبلَ الخلافة ، فاعترضَتْهُ في طريقِهِ وقالتْ : أما لنا منك نصيب ؟ فقال : وكيف السبيلُ إلى ذلك ؟ فقالت : استَوْهبني من هذا الشيخ .

---

(١) ترجمتها في المنتظم (٨/ ٣٤٩) .

(٢) ينظر في ترجمتها تاريخ بغداد (١/ ٩٦) وما بعدها ، والمنتظم لابن الجوزي (٨/ ٣٥٢) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص(٢٩٥) .

فاستوهَبَها من يحيى بن خالد ، فوَهَبها له ، وحَظيتْ عندَه ؛ ومكثتْ عنده ثلاث سنين ، ثم تُوفيت . فحَزِنَ عليها حُزناً شديداً ، ورثاها ، وكان من قوله فيها :

قد قلتُ لمَّا ضَمَّنوكِ الثَّرَى ... وجالتِ الحَسْرَةُ في صَدري
اذْهَبْ فلاقِ الله لا سَرَّني ... بَعْدَكِ شيءٌ آخرَ الدَّهْرِ (١)

وقال العباس بنُ الأحنف في موتِها :

يا من تباشرتِ القبورُ بمَوتها ... قَصَدَ الزمانُ مساءتي فرَمَاكِ
أبغي الأنيسَ فما أرى لي مؤنساً ... إلَّا التردُّدَ حيثُ كنتُ أراكِ
مَلِكٌ بكاكِ فطالَ بعدَكِ حُزْنُهُ ... لو يستطيعُ بِمُلْكِهِ لَفَدَاكِ
يَحْمي الفؤادَ عن النساءِ حَفِيظةً ... كي لا يَحِلَّ حِمَى الفؤادِ سواكِ (٢)

قال : فأمر له الرشيدُ بأربعين ألفاً ، لكلِّ بيتٍ عشرةُ آلاف . فالله أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومئة من الهجرة النبوية

فيها وقعَتْ عصبيَّةٌ بالشام وتَخبيطٌ من أهلِها . وفيها استقضى الرشيدُ يوسُفَ بنَ أبي يوسف وأبوهُ حيّ . وفيها غزا الصائفة عبدُ الملك بن صالح ، فدخل بلادَ الروم . وفيها حجَّ بالناس الرشيدُ ، فلما اقترب من مكة بلغَهُ أنَّ فيها وباءً فلم يدخلْ مكة حتى كان وقتُ الوقوف ؛ فوقف ، ثم جاء الْمُزْدَلِفَةَ ثم مِنَى ، ثم دخل مكة ، فطافَ وسَعَى ، ثم ارْتَحَلَ ولم يَنْزِلْ بها .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومئة

فيها أخذ الرشيدُ بولايةِ العهدِ من بعدِهِ لوَلَدِهِ محمد بن زُبَيْدَة ، وسَمَّاهُ الأمين ، وعمرُهُ إذْ ذاكَ خمسُ سنين ؛ فقال في ذلك سَلْمٌ الخاسر :

قد وفَّقَ الله الخليفةَ إذْ بَنَى ... بيتَ الخلافةِ للهِجَانِ الأزْهَرِ
فهو الخليفةُ عن أبيه وجَدِّهِ ... شَهِدَا عليه بمَنْظَرٍ وبمَخْبَرِ
قد بايعَ الثقلانِ في مَهْدِ الهُدَى ... لمحمدِ بنِ زُبَيْدَةَ ابنةِ جَعْفرِ (٣)

---

(١) البيتان في تاريخ بغداد (١/ ٩٨) ، والمنتظم (٨/ ٣٥٢) .

(٢) الأبيات في تاريخ بغداد (١/ ٩٨) والمنتظم (٨/ ٣٥٢ ، ٣٥٣) . وقد سقط من (ق) البيتان الثالث والرابع ، وهما في (ح) .

(٣) الأبيات في تاريخ الخلفاء ص(٢٩١) وفيه : « قد بايع الثقلان مهديَّ الهدى » .

وقد كان الرشيدُ يتوسَّمُ النجابةَ والرَّجَاحة في عبدِ الله المأمون ويقول : والله فيه حَزْمُ المنصور ، ونُسك المَهْديّ ، وعِزَّةُ نفسِ الهادي ، ولو شئتُ أنْ أقولَ الرابعةَ مني لقلت ، وإنِّي لأقَدِّمُ محمدَ بن زُبيدة ، وإني لأعلمُ أنه مُتَّبعٌ هواه ، ولكنْ لا أستطيعُ غيرَ ذلك ثم أنشأ يقول :

لقد بانَ وَجْهُ الرأي لي غيرَ أنني ... غُلبتُ على الأمرِ الذي كان أحزَمَا
وكيف يُرَدُّ الدَّرُّ في الضَّرْعِ بعدَمَا ... تَـوَزَّعَ حتـى صـار نَهْبـاً مُقسَّمَـا
أخـافُ التِـواءَ الأمـرِ بعـدَ اسْتِـوائِـهِ ... وأنْ يُنْقَض الأمرُ الذي كان أُبْرِمَا[١]

وغزا الصائفةَ عبدُ الملك بن صالح في قول الواقدي[٢] ؛ وحج بالناس الرشيد . وفيها سار يحيى بن عبد الله بن حسن إلى الدَّيْلَم ، وتحرَّك هناك .

وفيها تُوفي من الأعيان :

شَعْوانةُ العابدةُ الزاهدةُ[٣] : كانت أمَةً سوداء ، كثيرة العبادة ، رُوي عنها كلماتٌ حسان ، وقد سألها الفُضَيْلُ بن عياض الدعاءَ فقالت : أمَا بينَكَ وبينَهُ ما إنْ دعَوْتَهُ استجابَ لك ؟! فشهق الفُضيل ، ووقَعَ مَغْشيّاً عليه .

وفيها تُوفي :

اللَّيْثُ بن سعد بن عبد الرحمن الفَهميّ ، مولاهم[٤] : قال ابنُ خَلِّكان[٥] : كان مولى قيسِ بن

---

(١) الأبيات في المنتظم (٩/ ١٠) .

(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/ ٢٨٨) .

(٣) انظر خبرها في حلية الأولياء (٨/ ١١٣) ، وتاريخ بغداد (٩/ ١١٢) . وترجمتها في صفة الصفوة (٤/ ٥٣) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٥/ ٢٦٤) ، روض الرياحين (٢٥٧) (الحكاية (١٨٩) ، و(٥١٦) (الحكاية (٤٧٥) ، طبقات الشعراني (١/ ٦٧) ، الكواكب الدرية (١/ ٣٢٧) ، الدر المنثور (٢٥٦) .

(٤) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٥١٧) ، طبقات خليفة (٢٩٦) ، تاريخ خليفة (٤٤٩) ، التاريخ الكبير (٧/ ٢٤٦) ، التاريخ الصغير (٢/ ١٩١) ، المعارف (٥٠٥) ، الكنى والأسماء للدولابي (١٤٥) ، الجرح والتعديل (٧/ ١٧٩) ، مشاهير علماء الأمصار الترجمة (١٥٣٦) ، الحلية (٧/ ٣١٨) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٣) ، طبقات الفقهاء (٧٨) ، صفة الصفوة (٤/ ٣٠٩) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٢٣٩) ، جامع الأصول له (١٥/ ١٤٨) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧٣) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٢٧) ، طبقات علماء الحديث الترجمة (١٩٤) ، مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ٢٤٦) ، الأنساب (٩/ ٣٥٣) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٢٣) ، العبر (١/ ٢٦٦) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٤) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩) ، تقريب التهذيب (٤٦٤) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٨٢) ، الطبقات الصغرى للمناوي (٥٢٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٣٣٩) ، جامع كرامات الأولياء (٢/ ٢٣٨) .

(٥) في وفيات الأعيان (٤/ ١٢٧) .

رفاعة ، وهو مولى عبدِ الرحمن بن مسافر الفَهْمي . كان الليثُ إمامَ الدِّيار المصرية بلا مُدَافَعَة ، وولد بِقَرْقَشْندَة من بلادِ مصر[١] ، سنةَ أربعٍ وتسعين . وكانت وفاتُه في شعبان من هذه السنة ، ونشأ بالديار المصرية . وقال ابنُ خلِّكان : أصلُهُ من قَلْقَلَشَنْدَة[٢] ، وضَبَطَهُ بقافين الثانية متحرِّكة . وحُكي عن بعضهم أنه كان جيِّدَ الذِّهْن[٣] ، وأنه وَلِي القضاءَ بمصر ، [فلم يحمَدوا ذهنهُ بعدَ ذلك][٤] .

ولد سنةَ أربعٍ وعشرين ومئة ، وذلك غريبٌ جدّاً . وذكروا أنه كان يدخلُه من مُلْكِه في كلِّ سنةٍ خمسةَ آلاف دينار . وقال آخرون : كان يدخُلُه من الغَلَّة في كلِّ سنة ثمانون ألفَ دينار ، وما وجبَتْ عليه زكاة . وكان إماماً في الفقه والحديث والعربية .

قال الشافعي : كان الليثُ أفقهَ من مالك ، إلَّا أنه ضيَّعهُ أصحابُه[٥] . وبعث إليه مالك يستهديه شيئاً من العصفر لأجلِ جهاز ابنتِه ، فبعث إليه بثلاثين حِملاً ، فاستعمل منه مالكٌ حاجتَه ، وباع منه بخمس مئة دينار ، وبقيَتْ عنده منه بقيَّة . وحجَّ مرةً فأهدى له مالكٌ طبقاً فيه رُطَب ، فردَّ الطبقَ وفيه ألفُ دينار . وكان يهبُ للرجلِ من أصحابِهِ من العلماء الألف دينار وما يُقاربُ ذلك ، وكان يخرج إلى الإسكندرية في البحر هو وأصحابه في مركب ومطبَخُهُ في مركب . ومناقبه كثيرةٌ جدّاً ، وقد ذكرناه في التكميل . وحكى ابنُ خَلِّكان أنه سمع قائلاً يقولُ يوم مات الليث :

ذهب اللَّيثُ فلا لَيْثَ لكم ومَضَى العلمُ غريباً وقُبِرْ

فالتفتوا فلم يرَوْا أحداً .

وفيها تُوفي :

المنذر بن عبد الله بن المنذر[٦] القُرَشي ، عَرَض عليه المهدي أنْ يليَ القضاء ، ويعطيَهُ من بيت المال مئة ألف درهم ؛ فقال : إني عاهدتُ الله أنْ لا أليَ شيئاً ، وأعيذُ أميرَ المؤمنين بالله أنْ أخيسَ بعَهْدي . فقال له المهدي : آللهِ ؟ قال : آللهِ . قال : انطلقْ ، فقد أعفَيْتُك .

---

(١) معجم البلدان (٤/ ٣٢٧) .
(٢) في (ح ، ق) : « قلقشندة » ، وكذا في وفيات الأعيان ، والمثبت من (ب) .
(٣) في (ب) : « حنفي المذهب » ، وفي (ح) « جيد المذهب » ، والمثبت من (ق) .
(٤) ما بين المعقوفين ليس في (ب ، ح) ، وهو من (ق) .
(٥) طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٤٠٦) ، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨٢) .
(٦) ترجمته في الثقات لابن حبان البستي (٩/ ١٧٦) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٤٤) ، تهذيب الكمال (٢٨/ ٥٠٣) ، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (٣١٧) ، تقريب التهذيب (٥٤٦) .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومئة

فيها كان ظهورُ يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ببلاد الدَّيْلَم ، واتَّبعهُ خلقٌ كثير ، وجَمٌّ غَفير ، وقَويتْ شوكتُه ، وارتَحلَ إليه الناسُ من الكُوَرِ والأمصار ، فانزعجَ لذلك الرشيد ، وقَلِقَ من أمرِه ؛ فنَدَبَ إليه الفضلَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمك في خمسين ألفاً ، وولَّاهُ كُوَرَ الجبلِ والرَّيِّ وجُرْجَانَ وطَبَرِسْتانَ وقُومس ، وغيرِ ذلك ، فسار الفضلُ بن يحيى إلى تلك الناحية في أُبَّهةٍ عظيمة ، وكُتُبِ الرشيدِ تَلْحَقُه مع البُرُدِ في كلِّ مَنْزلة ، وأنواعُ التُّحَفِ والبِرّ . وكاتَبَ الرشيدُ صاحبَ الدَّيْلم ، ووعَدَهُ بألفِ ألفِ درهم إنْ هو سَهَّلَ خروجَ يحيى إليهم . وكتب الفضلُ إلى يحيى بن عبد الله يَعِدُه ويُمَنِّيه ، ويؤمِّلُه ويُرَجِّيه ، وأنه إنْ خرجَ إليه أنْ يُقيم له العُذْرَ عند الرشيد ؛ فامتنَعَ يحيى أن يخرجَ إليهم حتى يكتُبَ له الرشيدُ كتابَ أمانٍ بيدِه فكتبَ الفضلُ إلى الرشيد بذلك ، ففَرِحَ الرشيد ، ووقَعَ منه موقعاً عظيماً . وكتب الأمانَ بيدِه ، وأشهَدَ عليه القضاةَ والفقهاء ، ومشيخةَ بني هاشم ، منهم عبدُ الصمد بنُ علي . وبعث الأمانَ وأرسل معه جوائزَ وتُحَفاً كثيرةً جدّاً ، فلما وصلَتْ إلى الفضل ، بعثَها بكمالِها إلى يحيى بن عبد الله ، فسارَ بهِ الفضلُ ، فدخل بهِ بغداد ، وتلقَّاهُ الرشيدُ وأكرَمَهُ ، وأجزَلَ له في العطاء ، وخدَمَهُ آلُ برمكَ خدمةً عظيمة ، بحيث إنَّ يحيى بنَ خالد كان يقول : خدمتُه بنفسي وولدي ، وعَظُمَ الفضلُ عندَ الرشيدِ جدّاً بهذه الفَعْلة ، حيث سعى بالصُّلح بين العباسيِّين والفاطميِّين ؛ ففي ذلك يقولُ مروان بنُ أبي حَفْصَة بن يحيى ، ويشكرُهُ على صَنيعهِ هذا :

ظَفِرْتَ فلا شَلَّتْ يَدٌ بَرْمَكيَّةٌ ... رَتَقْتَ بها الفَتْقَ الذي بين هاشِمِ
على حينِ أعْيَا الرَّاتِقينَ التئامُهُ ... فكَفُّوا وقالوا ليس بالمتلائِمِ
فأصبحتَ قد فازَتْ يداكَ بخطَّةٍ ... من المجدِ باقٍ ذكرُها في المواسِمِ
وما زالَ قِدْحُ المُلكِ يَخْرُجُ فائزاً ... لكُمْ كلَّما ضُمَّتْ قِدَاحُ الْمُسَاهِمِ(١)

قالوا : ثم إنَّ الرشيدَ تنكَّرَ ليحيى بن عبد الله بن حسن ، وتغيَّرَ عليه ، ويُقال إنه سَجَنَه ، ثم استحضرَه ، وعندَهُ جماعاتٌ من الهاشميِّين وأحضرَ الأمانَ الذي بعثَ به إليه ، فسأل الرشيدُ محمدَ بن الحسن عن الأمان ، أصحيحٌ هو ؟ قال : نعم . فتغيَّظَ الرشيدُ عليه ؛ وقال أبو البَخْتَرِيّ : ليس هذا الأمانُ بشيء ، فاحكُمْ فيه بما شئت . ومزَّقَ الأمانَ وبصق فيه أبو البختريّ ، وأقبل الرشيدُ على يحيى بن عبد الله فقال : هيهِ ، هيه ! وهو يتبسَّمُ تبسُّمَ الْمُغضَب وقال : إنَّ الناس يزعمون أنَّا سَممناك . فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ، إنَّ لنا قرابةً ورَحماً وحقّاً ، فعلامَ تعذِّبُني وتَحبسُني ؟ فرَقَّ له الرشيد ، فاعترض بكَّارُ بن

(١) الأبيات في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٧) .

مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لا يغرَّنَّك هذا الكلام من هذا ، فإنه عاصٍ شاقٌ ، وإنما هذا منه مكْرٌ وخُبْث ؛ وقد أفسَدَ علينا مدينتَنا وأظهر فيها العِصْيان . فقال له يحيى : ومن أنتم عافاكُمُ الله ، وإنما هاجر أبوك إلى المدينة بآبائي وآباء هذا . ثم قال يحيى : يا أمير المؤمنين ، إنما الناسُ نحنُ وأنتم . والله يا أمير المؤمنين ، لقد جاءني هذا حين قُتل أخي محمد بن عبد الله فقال : لعَنَ الله قاتلَه ، وأنشدني فيه نحواً من عشرين بيتاً وقال لي : إنْ تحرَّكْتَ إلى هذا الأمر فأنا أولُ من يُبايعُك ، وما يمنعُكَ أنْ تلحقَ بالبصرة وأيدينا معك . قال : فتغيَّرَ وجهُ الرشيد ووجهُ الزُّبيريّ ، وأنكَرَ وشرَعَ يَحْلِفُ الأيمانَ المغلَّظَة إنه لكاذبٌ في ذلك . وتحَيَّرَ الرشيدُ ثم قال ليحيى : أتحفظُ شيئاً من المرثيَّة ؟ قال : نعم ، وأنشده منها جانباً فازدادَ الزُّبير في الإنكار ، فقال له يحيى بنُ عبدِ الله : فقلْ إنْ كنتُ كاذباً فقد برئتُ من حَوْلِ الله وقُوَّتِه ، ووَكَلَني الله إلى حولي وقُوَّتي . فامتنعَ من الْحَلِفِ بذلك . فعزَمَ عليه الرشيد ، فحلف بذلك ، فما كان إلاَّ أنْ خرجَ من عند الرشيد ، فرَمَاهُ الله بالفالِج ، فمات من ساعته . ويُقال إنَّ امرأته غمَّتْ وجهَهُ بِمَخدَّة ، فقتلَه الله .

ثم إنَّ الرشيد أطلق يحيى بن عبد الله ، وأطلق له مئة ألف دينار . ويُقال : إنما حبَسَه بعضَ يوم ، وقيل ثلاثة أيام ، وكان جملةُ ما وصله من المال من الرشيد أربعمئة ألف دينار من بيتِ المال ، وعاش بعد ذلك كلِّه شهراً واحداً ، ثم مات رحمه الله .

وفيها وقعَتْ فتنةٌ عظيمةٌ بالشام بين النِّزَاريَّة ـ وهم قَيْس ـ واليمانيَّة ـ وهم يَمَن ـ وهذا كان أولَ يوم بُدوٍّ أمرِ العشيرتينِ بحَوْران ، وهم قيسٌ ويَمَن ، أعادوا ما كانوا عليه في الجاهليَّة في هذا الآن ؛ وقُتل منهم في هذه السنة بشرٌ كثير . وكان على نيابةِ الشام كُلِّها من جهةِ الرشيد ابنُ عمِّهِ موسى بن عيسى ، وقيل عبد الصمد بن علي ، فالله أعلم . وكان على نيابةِ دمشق بخصوصها سِنْديُّ بن سهل أحدُ موالي جعفر المنصور . وقد هَدَمَ سورَ دمشق حين ثارَتِ الفتنةُ خوفاً من أنْ يتغلَّب عليها أبو الهيذام المِرِّي رأسُ القيسيَّة . وقد كان سنديٌّ هذا دميمَ الخلق . قال الجاحظ : وكان لا يُحلِّفُ المكاري ولا الملاَّح ولا الحائك ويقول : القولُ قولُهم ؛ ويستخيرُ الله في الحمَّال ومعلِّم الكُتَّاب . وقد تُوفِّي سنةَ أربعٍ ومئتين .

فلما تفاقم الأمرُ بعَثَ الرشيدُ من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعةٌ من القُوَّاد ورؤوس الكُتَّاب ، فأصلحوا بين الناس ، وهدأتِ الفتنة ، واستقام أمرُ الشام[1] ، وحملوا جماعات من رؤوس الفتنة إلى دار السلام ، فردَّ الرشيدُ أمرَهم إلى يحيى بن خالد ، فعَفَا عنهم وأطلقهم ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

قـد هـاجَـتِ الشامُ هيجـاً يُشيـــــبُ راسَ وليـــــدِهْ

---

(١) في (ق) : « أمر الرعية » ، وفي (ح) : « أمر الرشيد » ، والمثبت من (ب) .

فصَبَّ موسى عليها بخَيْلِهِ وجُنودِهْ
فدانتِ الشَّامُ لمَّا أتى نَسيجُ وَحيدِهْ
هذا الجَوَادُ الذي بَذْ ذَ كُلَّ جُودٍ بجُودِهْ
أعْدَاهُ جودُ أبيهِ يَحْيَى وجُودُ جُدُودِهْ
فجاد موسى بن يحيى بطارفٍ وتليدِهْ
ونالَ موسى ذُرَا المَجْدِ وهو حَشْوُ مُهُودِهْ
خَصَصْتُهُ بِمَديحي مَنْثُورِهِ وقَصِيدِهْ
من البرامِكِ عُوداً لَهُ فأكْرِمْ بِعُودِهْ
حَوَوْا على الشِّعْرِ طُرّاً خَفيفِهِ ومَدِيدِهْ

وفيها عَزَلَ الرشيدُ الغِطْريفَ بنَ عطاء عن خراسان وولَّاها حمزةَ بنَ مالك بن الهيثم الخزاعي الملقَّب بالعروس . وفيها ولَّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك نيابةَ مصر ، فاستنابَ عليها جعفرٌ عمرَ بن مِهْرَان ، وكان شَنيعَ الخُلُق زَريَّ الشكل بين الكتَبَة ، أحوَل ، وكان سببُ ولايته إيّاها أنَّ نائبَها موسى بن عيسى كان قد عزَمَ على خَلْع الرشيد ، فقال الرشيد : واللهِ لأعزلَنَّه ، ولأوَلِّينَّ عليها أحسنَ الناس . فاستدعى عمرَ بن مهران هذا ، فولَّاهُ عليها عن نائبِهِ جعفر بن يحيى البَرْمكيّ ؛ فسار إليها عمر بن مهران على بغل ، وغلامه أبو دُرَّة على بغلٍ آخر ، فدخلها كذلك ، فانتهى إلى مجلسِ نائبها موسى بنِ عيسى ، فجلس في أُخرَيَاتِ الناس ، فلمّا انفضَّ الناسُ أقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرِفُ منْ هو فقال : أَلَكَ حاجةٌ يا شَيخ ؟ قال : نعَمْ أصلَحَ الله الأمير . ثم دفعَ الكُتُبَ إليه ، فلمَّا قرأها قال : أنت عمرُ بن مِهْران ؟ قال : نعم . قال : لعَنَ الله فِرْعونَ حين قال : ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [الزخرف : ٥١] . ثم سلَّم إليه العمل ، وارتحل منها ، وأقبل عمر بن مِهْرَان على عمَلِه ، وكان لا يقبلُ شيئاً من الهدايا إلَّا ما كان ذهباً أو فضَّة أو قماشاً ، ثم يكتبُ على كلِّ هديَّةٍ اسمَ مُهْديها ، ثم يطلبُ الخراجَ ويُلحُّ في طلَبِهِ عليهم ، فشرَعَ بعضُهم في مُماطَلَتِه ، فأقسم لا يَمْطُلُهُ أحدٌ فيقبض منه شيئاً ؛ وإنما يَبْعَثُهُ إلى بغداد ، ويَزِنُ خراجَهُ بها ، ويأتي بورقة القبض ، ففعل ذلك ببعض الناس ، فتأدَّبَ بقيَّتُهم ، ثم جَباهُمُ القسط الثاني ، فلما كان الثالث عَجَزَ كثيرٌ منهم عن الأداء ، فجعَلَ يستحضرُ ما كانوا أَدَّوْهُ إليه من الهدايا ، فإنْ كان نقداً أدَّاهُ عنهم ، وإنْ كان بزّاً باعَهُ وأدَّاهُ عنهم ، وقال لهم : إنِّي إنَّما ادَّخَرْتُ هذا لكم إلى وقتِ حاجتِكم . ثم أكمل استخراجَ جميعِ الخراج بديارِ مصر ، ولم يفعلْ ذلك أحدٌ قبلَه . ثم انصرف عنها لأنه كان قد شرَط الرشيدُ أنه إذا مهد البلاد ، وجَبَى الخراج ، فذاك إذنُهُ في الانصراف . ولم يكنْ معه بالديارِ المصريةِ جيشٌ ولا غيرُه ، سوى مولاهُ أبو دُرَّةَ وحاجبُه ، وهو منفذٌ أمورَه .

وفيها غزا الصائفة عبدُ الرحمن بن عبد الملك ، ففتح حصناً . وفيها حجَّتْ زُبيدة زوجةُ الرشيد ومعها أخوها ، وكان أميرَ الحج سليمانُ بن أبي جعفر المنصور ، عمُّ الرشيد .

وفيها تُوفي :

إبراهيم بن صالح[١] بن علي بن عبد الله بن عباس ، كان أميراً على مصر ، توفي في شعبان . حكى عنه عبد الله بن وهب .

وإبراهيم بن هَرْمَة[٢] : كان شاعراً ، وهو إبراهيمُ بن عليٍّ بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمَة ، أبو إسحاق الفِهْريُّ المدني . شاعرٌ مُفْلِق . وَفَد على المنصور في وَفْدٍ من أهل المدينةِ حين استوفدَهُمْ عليه ، فجلسوا إلى سِترٍ دونَ المنصور ، يرى الناسَ من ورائه ولا يرَوْنَه ، وأبو الخصيب الحاجب واقفٌ يقول : يا أمير المؤمنين ، هذا فلانٌ الخطيب ؛ فيأمرُه فيخطب ، ويقول : هذا فلانٌ الشاعر ؛ فيأمره فيُنْشد ، حتى كان من آخرِهم ابنُ هَرْمَةَ هذا ، فسمعتُه يقول : لا مرحباً ولا أهلاً ، ولا أنعمَ الله بكَ عيناً ! .

قال : فقلتُ : هلَكْتُ ، ثم استنشدني فأنشدتُه قصيدتي التي أقولُ فيها :

سَرَى ثوْبَهُ عنكَ الصِّبَا المتخايلُ وقَـرَّبَ للبَيْـنِ الخليـطُ الْمُـزَايـلُ[٣]

حتى انتهيتُ إلى قولي :

فـأمَّـا الـذي أمَّنْتَـهُ يـأمـنُ الـرَّدَى وأمَّـا الـذي حـاولـتَ بـالثُّكْلِ ثـاكِـلُ

قال : فأمر برَفْعِ الحجاب ، فإذا وجههُ كأنه فَلْقَةُ قمَر فاستنشدني بقيَّةَ القصيدة ، وأمَرَ لي بالقُرْب بين يديه ، والجلوسِ إليه ، ثم قال : ويحك يا إبراهيم ! لولا ذنوبٌ بلغَتْني عنك ، لفضَّلْتُكَ على أصحابك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلُّ ذنبٍ بلغَكَ عني لم تعفُ عنه فأنا مُقرٌّ به . قال : فتناول الْمِخْصَرة ، فضربني بها ضربتَيْن ، وأمر لي بعشرةِ آلافٍ وخِلْعَة ، وعَفَا عني ، وألحقَني بنُظَرائي . وكان من جملةِ ما نقَمَ المنصورُ عليه قولُه :

ومهمـــا أُلامُ علـــى حُبِّهِـــمْ فـإنِّـي أُحِـبُّ بنـي فـاطمَـهْ
بني بنتِ منْ جاء بالمحكماتِ وبـالـدِّيـنِ والسُّنَّـةِ القـائمَـهْ
فلســتُ أبــالـي بحُبِّـي لهـمْ سـواهـم مـن النَّعَـمِ السَّـائمـهْ[٤]

---

(١) ترجمته في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٧٤) .

(٢) ترجمته في الأغاني (٤/ ٣٦١) ، تاريخ بغداد (٦/ ١٢٧) ، الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٣١٤) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٧) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/ ٨٠) .

(٣) البيت من شواهد اللسان (سري) : وفيه : سَرَوتُ الثوبَ وغيرَهُ عنّي سَرْواً سَرَيْتُه سَرَّيْتُه إذا ألقَيْتَهُ عنك ونَضَوْتَه . وساق البيت . والخبر والشعر في تاريخ بغداد (٦/ ١٢٨) ، والمنتظم (٩/ ٢١) .

(٤) الأبيات في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٣) .

قال الأخفش : قال لنا ثعلب : قال الأصمعي : خُتم الشعراء بابن هَرْمَة[١] .

ذكر وفاته في هذه السنة أبو الفرَج ابنُ الجوزي[٢] .

وفيها توفي :

الجرَّاح بن مليح والد وكيع بن الجراح .

وسعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جميل أبو عبد الله المدَني ، وَلي قضاءَ بغداد سبعَ عشرةَ سنة لعسكرِ المهدي . وثَّقه ابنُ معين وغيرُه .

وفيها توفي :

صالح بن بشير المُرِّيّ[٣] : أحدُ العُبَّاد الزُّهَّاد ، كان كثيرَ البكاء ، وكان يَعِظُ فيحضُر مجلسَهُ سفيانُ الثَّوْريُّ وغيرُهُ من العلماء ؛ ويقولُ سفيان : هذا نذيرُ قوم . وقد استدعاهُ المهديُّ لِيَحْضُرَ عندَه ، فجاء إليه راكباً على حمار ، فدَنَا من بساطِ الخليفةِ وهو راكب ، فأمر الخليفةُ ابنَيْهِ وليَّي العهد من بعدِه موسى الهادي وهارون الرشيد أنْ يقوما إليه ليُنْزلاهُ عن دابّته ، فابتدَرَاهُ فأنزلاه . فأقبل صالحٌ على نفسه فقال : لقد خبتُ وخَسِرْت إنْ أنا داهنتُ ولم أصدَعْ بالحقِّ في هذا اليوم وفي هذا المقام . ثم جلس إلى المهدي ، فوعَظَه موعظةً بليغةً حتى أبكاه . ثم قال له : اعلمْ أنَّ رسولَ الله ﷺ خَصْمُ من خالَفَهُ في أمَّتِه ، ومن كان محمدٌ خصمهُ كان الله خصمَه ؛ فأعدَّ لمخاصمةِ الله ومُخاصمةِ رسولِه حُجَجاً تضمنُ لك النجاة ، وإلَّا فاستسلمْ للهَلَكة ، واعلَمْ أنَّ أبطأ الصَّرْعَى نهضةً صريعُ هَوى بدْعَته ؛ واعلم أن الله قاهرٌ فوقَ عبادِه ، وأنَّ أثبتَ الناسِ قدَماً آخذُهُمْ بكتابِ الله وسُنَّةِ رسولِه . وكلام طويل . فبكى المهدي ، وأمر بكتابةِ ذلك الكلام في دواوينه .

---

(١) بعد هذه الكلمة في (ب ، ح) ما نصّه : « وهو آخر الحج » ، وفي الأغاني (٤/ ٣٦٧) : كان الأصمعيُّ يقول : ختم الشعراء بابن هرمة ، والحكم الخضري ، وابن ميادة ، وطفيل الكناني ، ومكين العذري .

(٢) انظر مصادر ترجمته في مطلع ترجمته في الصفحة السابقة .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨١) ، تاريخ خليفة (٤٤٨) ، طبقات خليفة (٢٢٣) ، التاريخ الكبير (٤/ ٢٧٣) ، الضعفاء للعقيلي (٢/ ١٩٩) ، الجرح والتعديل (٤/ ٣٩٥) ، الكامل في الضعفاء (٤/ ٦٠) ، حلية الأولياء (٦/ ١٦٥) ، تاريخ بغداد (٩/ ٣٠٥) ، صفة الصفوة (٣/ ٣٥٠) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٣/ ١٣٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٩٢) ، تهذيب الكمال (١٣/ ١٦) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢) ، ميزان الاعتدال (٢/ ٢٨٩) ، المغني في الضعفاء (١/ ٣٠٢) ، العبر (١/ ٢٦٢) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٨٢) ، الوافي بالوفيات (١٦/ ت٢٧٦) ، طبقات الشعراني (١/ ٤٦) ، شذرات الذهب (١/ ٢٨١) .

وفيها تُوفي :

عبدُ الملك بن محمد بن أبي بكر عمرو بن محمد بن عمرو بن حَزْم ؛ قَدِم قاضياً بالعِراق .

وفَرَج بن فضالة التنوخي الحمصي[١] : كان على بيتِ المال ببغداد في خلافةِ الرشيد ، فتوفي في هذه السنة ، وكان مولدُه سنة ثمانٍ وثمانين ، فمات وله ثمانٌ وثمانون سنة ، ومن مناقبه أنَّ المنصورَ دخل يوماً إلى قصرِ الذهب ، فقام الناسُ إلاَّ فرجَ بن فضالة ، فقال له وقد غَضِب عليه لمَ لم تقمْ ؟ قال : خفتُ أنْ يسألَني الله عن ذلك ويسألَك : لِمَ رضيتَ بذلك ، وقد كَرِهَ رسولُ الله ﷺ القيامَ للناس . قال : فبكى المنصورُ وقرَّبَهُ وقَضَى حوائجَه .

والمسيَّب بن زهير بن عمرو[٢] : أبو سَلَمة الضَّبِّي ، كان واليَ الشُّرطة ببغداد في أيامِ المنصور والمهدي والرشيد ، ووَلي خراسان مرةً للمهدي . عاش ستّاً وتسعين سنة .

والوضَّاح بن عبدِ الله[٣] : أبو عوانة اليَشْكُري[٤] ، مولاهم ، كان من أئمة المشايخ في الرواية ، توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومئة

فيها عزل الرشيدُ جعفر بن يحيى البرمكيَّ عن مصر ، وولَّى عليها إسحاق بن سليمان ، وعزَل حمزة بن مالك عن خُراسان وولَّى عليها الفضلَ بن يحيى البرمكي ، مضافاً إلى ما كان بيدِه من الأعمال بالريِّ وسِجِسْتان ، وغير ذلك . وذكر الواقديُّ أنه أصاب الناسَ ريحٌ شديدةٌ وظُلْمةٌ في أواخر المحرَّم من هذه السنة ، وكذلك في أواخر صفر منها . وفيها حجَّ بالناس أمير المؤمنين هارون الرشيد .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ١٣٤) ، التاريخ الصغير له (٢/ ٢٠٥) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٦٨٥) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (٨٧) ، الضعفاء للعقيلي (٣/ ٤٦٣) ، الجرح والتعديل (٧/ ٨٥) ، المجروحين لابن حبان (٢/ ٢٠٦) ، الكامل لابن عدي (٦/ ٢٨) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٩٣) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/ ٤) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ١٥٦) ، الكاشف (٢/ ١٢٠) ، ميزان الاعتدال (٥/ ٤١٥) ، تحفة التحصيل (٢٥٧) ، الكشف الحثيث (٢٠٨) ، لسان الميزان (٧/ ٣٣٤) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٣٤) ، تعجيل المنفعة (٣٣٣) .

(٢) ترجمته في تاريخ بغداد (١٣/ ١٣٧) .

(٣) ترجمته في تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٤١) ، تاريخ جرجان (٤٨١) ، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (٣٣٦) ، تهذيب التهذيب (١١/ ١٠٣) ، طبقات الحفاظ (١٠٦) .

(٤) في (ح ، ق) : « السري » ، تصحيف ، والمثبت من (ب) ومصادر ترجمته .

وفيها توفي :

شَريك بن عبد الله[١] : القاضي الكوفي النَّخَعي ، سمع أبا إسحاق السَّبيعي ، وغيرَ واحد . وكان مَشْكوراً في حُكْمه ، وتنفيذِ الأحكام . وكان لا يجلسُ للحُكْم حتى يتغدَّى ، ثم يُخرجُ ورقةً من قِمَطْرِه[٢] ، فينظرُ فيها ، ثم يأمرُ بتقديم الخُصوم إليه ، فحرَصَ بعضُ أصحابِهِ على قراءةِ ما في تلك الورقة ، فإذا فيها : شَريكُ بن عبدِ الله اذكُرِ الصِّراطَ وحِدَّتَه ، يا شريكُ بنَ عبدِ الله ، اذكُرِ الموقفَ بين يدي الله عزَّ وجلَّ .

كانت وفاتُهُ يوم السبت مستهلَّ ذي القَعْدَة منها .

وفيها تُوفي :

عبدُ الواحد بن زيد .

ومحمد بن مسلم .

وموسى بن أعْيَن .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وسبعين ومئة

فيها وثبَت طائفةٌ من الحَوفية ، من قيسٍ وقُضاعة على عامِلِ مصر إسحاقَ بنِ سليمان ، فقاتلوه ، وجرَتْ فتنةٌ عظيمة ، فبعثَ الرشيدُ هَرْثَمةَ بن أعيَن ، نائبَ فِلَسْطين ، في خَلْقٍ من الأمراء ، مدداً لإسحاق ، فقاتلوهم حتى أذْعَنوا بالطاعة ، وأدَّوْا ما عليهم من الخراجِ والوظائفِ ؛ واستمرَّ هَرْثَمةُ نائباً على مصر نحواً من شهر ، عِوضاً عن إسحاقَ بنِ سليمان ؛ ثم عزَلَهُ الرشيدُ عنها ، وولَّى عليها عبدَ الملك بن صالح .

وفيها وثبَتْ طائفةٌ من أهل إفريقيَةَ ، فقتلوا الفضلَ بن رَوْح بن حاتم ، وأخرجوا منْ كان بها من آلِ المُهلَّب ، فبعث إليهم الرشيدُ هَرثَمة ، فرجعوا إلى الطاعةِ على يديه .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٤/ ٢٣٧) ، معرفة الثقات (١/ ٤٥٣) ، ذكر أسماء التابعين للدارقطني (٢/ ١١٣) ، الضعفاء للعقيلي (٢/ ١٩٣) ، الجرح والتعديل (٤/ ٣٦٥) ، مشاهير علماء الأمصار (١٧٠) ، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٤/ ٦) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/ ٣٩) ، تهذيب الكمال (١٢/ ٤٦٢) ، الكنى في سرد الكنى (١/ ٣٥٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٣٢) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٠) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٧٢) ، التبيين لأسماء المدلسين للطرابلسي (١١١) ، تحفة التحصيل (١٤٧) ، طبقات المدلسين لابن حجر (٣٣) ، الكواكب النيرات (٤٧) .

(٢) في (ق) : « من خفه » . والقِمَطْر ، ما يُصان به الكتب .

وفيها فوَّضَ الرشيدُ أمورَ الخلافةِ كلَّها إلى يحيى بنِ خالد بن بَرْمك . وفيها خرج الوليدُ بن طريف بالجزيرة ، وحكم بها ، وقتل خَلْقاً من أهلِها ، ثم مَضَى منها إلى إرْمِينيَة ، فكان من أمرِهِ ما سنذكُرُه .

وفيها سار الفضلُ بن يحيى إلى خراسان ، فأحسَنَ السيرةَ فيها ، وبَنَى فيها الرُّبُط والمساجد ، وغزا ما وراءَ النهر ، واتَّخذ بها جنداً من العَجَم ، سَمَّاهُم العبَّاسيَّة ، وجعل ولاءَهُمْ لَه ، وكانوا نحواً من خمسِمئةِ ألف ، وبعثَ منهم نحواً من عشرينَ ألفاً إلى بغداد ، فكانوا يُعرفون بها بالكَرْنَبيَّة ؛ وفي ذلك يقولُ مروانُ بن أبي حَفْصَة :

مـا الفضـلُ إلاَّ شهـابٌ لا أفُـولَ لَـهُ ... عنـد الحـروبِ إذا مـا تـأفُـلُ الشُّهُـبُ
حـامٍ علـى مُلـكِ قـومٍ غـرّ سهمهـمُ ... مـن الـوراثـةِ فـي أيـديهـمُ سَبَـبُ
أمسَتْ يـدٌ لبني ساقي الحَجيجِ بها ... كتـائـبٌ مـالَهـا فـي غيـرِهـمْ أرَبُ
كتـائـبٌ لبنـي العبـاسِ قـد عَـرَفـتْ ... مـا ألَّـفَ الفضـلُ منهـا العُجْـمُ والعـرَبُ
أثبـتَّ خمـسَ مِئيـنٍ فـي عـدادِهـمُ ... من الألـوفِ التي أحْصَتْ لَهـا الكُتُـبُ
يُقـارعـون عـن القـومِ الـذيـنَ هـمُ ... أولَـى بـأحمـدَ في الفُـرْقـانِ إنْ نُسِبُـوا
إنَّ الجـوادَ بـن يحيـى الفضـل لا وَرِقٌ ... يبقَـى علـى جـودِ كفَّيْـهِ ولا ذَهَـبُ
مـا مـرَّ يـومٌ لـه مُـذْ شـدَّ مِئـزَرَهُ ... إلاَّ تمـوَّلَ أقـوامٌ بمـا يَهَـبُ
كم غايةٍ في النَّدَى والبأسِ أحْرَزَها ... للطـالبيـنَ مـداهـا دونَهـا تعَـبُ
يُعطِي اللُّهَى حين لا يُعطي الجوادُ ولا ... يَنْبُـو إذا سُلَّـتِ الهنـديَّـةُ القُضُـبُ
ولا الـرِّضَـا والـرِّضـا للهِ غـايَتُـهُ ... إلـى سوى الحقِّ يدعُوهُ ولا الغَضَبُ
قـد فـاض عـرفُـكَ حتـى مـا يُعـادِلُـهُ ... غَيـثٌ مُغيـثٌ ولا بحـرٌ لَـهُ جَـدَبُ

وكان قد أنشده قبلَ خروجه إلى خراسان :

ألـم تَـرَ أنَّ الجـودَ مـن يـدِ آدمٍ ... تحدَّرَ حتى صار في راحةِ الفَضْلِ
إذا مـا أبـو العبـاسِ سَحَّتْ سماؤه ... فيا لَكَ منْ هَطْلٍ ويا لَكَ من وَبْلِ

وقال فيه أيضاً :

إذا أُمُّ طفـلٍ راعهـا جـوعُ طِفْلِهـا ... دعَتْهُ بإسمِ الفضلِ فاعتصَمَ الطفلُ
ليحيـى بـك الإسـلامُ إنَّـكَ عِـزُّهُ ... وإنَّـك مـن قـومٍ صغيـرُهُـمُ كَهْـلُ

قال : فأمرَ له بمئةِ ألف درهم . ذكره ابنُ جرير . وقال سَلْمٌ الخاسر فيهم أيضاً :

وكيـف تخـافُ مـن بـؤسٍ بـدارٍ ... يُجـاورُهـا البـرامكـةُ البحـورُ

وقومٌ منهمُ الفضلُ بنُ يحيى نَفِيرٌ ما يُؤازِرُهُ[١] نَفِيرُ
له يومان يومُ ندى وبأسٍ كأنَّ الدَّهرَ بينهما أسيرُ
إذا ما البَرْمَكيُّ غدَا ابنَ عَشْرٍ فهمَّتُهُ أميرٌ أو وزيرُ

وقد اتَّفق للفضلِ بن يحيى في هذه السفرةِ إلى خراسان أشياء غريبة ، وفتح بلاداً كثيرة منها كابُل وما وراء النهر ، وقَهَرَ ملكَ التُّرك ،وكان ممتنعاً ، وأطلق أموالاً جزيلةً جدّاً ، ثم قفل راجعاً إلى بغداد ، فلما اقترب منها خرج الرشيدُ ووجوهُ الناس إليه ، وقَدِمَ عليه الشعراءُ والخطباء ، وأكابرُ الناس ، فجعل يُطلق الألفَ ألفٍ ، والخمسَمئةِ ألفٍ ونحوها ، وأنفذ في ذلك من الأموال شيئاً كثيراً لا يُمكنُ حصرُهُ إلَّا بتعَبٍ وكُلْفة ، وقد دخل عليه بعضُ الشعراء والبِدَرُ موضوعةٌ بين يديه ، وهي تُفرَّقُ على الناس ، فقال :

كفى الله بالفضلِ بن يحيى بن خالدٍ وجودِ يديهِ بُخلَ كلِّ بَخيلِ

فأمَرَ له بمالٍ جَزيل .

وغزا الصائفةَ في هذه السنة معاويةُ بن زُفر بن عاصم ؛ وغزا الشاتيةَ سليمانُ بن راشد . وحجَّ بالناس فيها محمدُ بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، نائبُ مكة .

وفيها توفي :

جعفر بن سليمان .

وعنتر بن القاسم .

وعبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم القاضي ببغداد ، وصلَّى عليه الرشيد ، ودُفن بها ؛ وقد قيل : إنه مات في التي قبلها . فالله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومئة

فيها كان قدومُ الفضل بن يحيى من خراسان ، وقد استخلف عليها عمرَ بن جميل ، فولَّى الرشيدُ عليها منصورَ بن يزيد بن منصور الحميري . وفيها عزل الرشيدُ خالدَ بن بَرْمك عن الحُجوبة ، وردَّها إلى الفضل ابن الربيع . وفيها خرج بخراسان حمزةُ بن أترك السِّجْستاني ، وكان من أمرِهِ ما سيأتي طرَفٌ منه . وفيها رجع الوليدُ بن طريف الشاري إلى الجزيرة ، واشتدَّتْ شوكتُه ، وكَثُرَ أتباعُه ، فبعث إليه الرشيدُ يزيدَ بن مَزْيد الشيباني ، فراوَغَهُ[٢] حتى قتلَه ، وتفرَّق أصحابُه ؛ فقالت الفارعةُ في أخيها الوليد بن طريف ترثيه :

---

(١) في (ق) : « يوازنه » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) في (ح) : « فوادعه » ، والمثبت من (ب ، ق) .

أيا شجر الخابورِ مالكَ مُورقاً   كأنك لم تجزَعْ على ابنِ طريفِ
فتًى لا يحبُّ الزادَ إلاَّ من التُّقى   ولا المالَ إلاَّ من قَناً وسيوفِ

وفيها خرج الرشيدُ معتمراً من بغداد شكراً للهِ عزَّ وجلَّ ، فلما قضى عُمرتَه أقام بالمدينةِ حتى حجَّ بالناس في هذه السنة ، فمشى من مكة إلى مِنَى ، ثم إلى عرفات ، وشهد المشاهدَ والمشاعرَ كلَّها ماشياً ؛ ثم انصرف إلى بغدادَ على طريقِ البصرة .

وفيها توفي :

إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة[١] **أبو هاشم الحميري** ، الملقَّب بالسَّيِّد ، كان من الشعراء المشهورين والمبرِّزين في هذه الصناعة ، المفوَّهين ، ولكنه كان رافضيّاً خبيثاً ، وشيعيّاً غَثيثاً[٢] ، وكان ممَّنْ يشربُ الخمرَ ويقولُ بالرَّجْعَة ، أي : بالدَّور ؛ قال يوماً لرجل : أقرِضْني ديناراً ولك عندي مئةُ دينارٍ إذا رجَعْنا إلى الدنيا . فقال له الرجل : إني أخشى أن تعودَ كلباً أو خِنْزيراً فيذهبُ ديناري .

وكان قبَّحَهُ الله يَسُبُّ الصحابةَ في شعرِه ؛ قال الأصمعي : ولولا ذلك ما قدَّمتُ عليهِ أحداً في طبقته ، ولا سيما الشيخين وابنيْهما رضي الله عنهما[٣] . وقد أورد ابنُ الجَوْزي شيئاً من شعرِه في ذلك[٤] ، كرهتُ أنْ أذكرَهُ لبشاعتِهِ وشناعته . وقد اسودَّ وجهُهُ عند الموت ، وأصابه كَرْبٌ شديدٌ جدّاً ؛ ولما مات لم يدفِنوه لِسَبِّهِ الصحابةَ رضي الله عنهم .

وفيها توفي :

حمَّادُ بن زيد[٥] : أحَدُ أئمةِ الحديث .

وخالدُ بن عبد الله ، أحدُ الصلحاء ؛ وكان من ساداتِ المسلمين ، اشترى نفسه من الله أربعَ مرات .

---

(١) ترجمته في الأغاني (٧/ ٢٤٨) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٣٩) ، وفيات الأعيان (٦/ ٣٤٣) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤) ، لسان الميزان (١/ ٤٣) ، (٧/ ١١٦) .
(٢) « الغَثُّ والغَثيثُ » : الرديءُ من كلِّ شيء ؛ ورجلٌ غَثٌّ وغُثٌّ : رديء . وقد غثثتَ في خُلقك وحالك غثاثةً وغُثوثة ، وذلك إذا ساء خُلقه وحالُه . لسان العرب (غثث) .
(٣) كذا في الأصول ، ولعل الصواب أن تقدم هذه العبارة على قول الأصمعي .
(٤) انظر المنتظم (٩/ ٣٩) .
(٥) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٥) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٥٤) ، تسمية فقهاء الأمصار (١٢٩) ، معرفة الثقات (١/ ٣١٩) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٢١٧) ، الجرح والتعديل (٣/ ١٣٧) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٤٠٥) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٧٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٨) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦) .

ومالك بن أنس الإمام .

والهِقْل بن زياد ، صاحب الأوزاعي ؛ وأبو الأحْوَص ؛ وكلهم قد ذكرناهم في « التكميل » بما فيه مَقْنعٌ وكفاية ، ممَّا يُغْني عن ذكرهم هنا ؛ ولكنَّ :

الإمام مالك[١] : هو أشهَرُهم ، وهو أحد الأئمة الأربعة ، أصحابِ المذاهبِ المتَّبَعة ، فهو مالكُ بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خُثَيل[٢] بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصْبَح الحِمْيَري ، أبو عبدِ الله المدَني ، إمامُ دارِ الهجرةِ في زمانِه .

روى مالكٌ عن غيرِ واحدٍ من التابعين ، وحدَّثَ عنه خَلْقٌ من الأئمة ، منهم السفيانان ، وشُعْبَة ، وابنُ المبارك ، والأوزاعي ، وابنُ مَهْدِي ، وابنُ جُرَيْج ، واللَّيث ، والشافعي ، والزُّهْري شيخُه ، ويحيى بن سعيد الأنصاري وهو شيخه ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويحيى بن يحيى الأندلسي ، ويحيى بن يحيى النيسابوري .

قال البخاري : أصحُّ الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر[٣] .

وقال سفيان بن عُيينة : ما كان أشدَّ انتقادِه للرجال[٤] .

وقال يحيى بنُ مَعين : كلُّ منْ روى عنهُ مالك فهو ثقةٌ إلاَّ أبا أمية[٥] .

وقال غيرُ واحد : هو أثبَتُ أصحابِ نافعٍ والزُّهري[٦] .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (القسم المتمم) (٤٣٣) ، تاريخ خليفة (٤٥١) ، طبقات خليفة (٢٧٥) ، التاريخ الكبير (٧/ ٣١٠) ، التاريخ الصغير (٢/ ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١) ، المعارف لابن قتيبة (٤٩٨) ، الجرح والتعديل (٨/ ٢٠٤) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٤٥٩) ، مشاهير علماء الأمصار ترجمة (١١١٠) ، حلية الأولياء (٦/ ٣١٦) ، طبقات الشيرازي (٦٧) ، ترتيب المدارك (١/ ١٠٢) ، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة (١٨٣) صفة الصفوة (٢/ ١٧٧) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٢٦٣) ، جامع الأصول (١٥/ ٢٢٥) له ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧٥) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٣٥) ، تهذيب الكمال (٢٧/ ٩١) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٧) ، العبر (١/ ٢٧٢) ، مرآة الجنان (١/ ٣٧٣) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٥) ، غاية النهاية (٢/ ٣٥) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٩٦) ، طبقات الشعراني (١/ ٥٢) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٢٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٢) .

(٢) في (ق) زيادة ، وتصحيف وتحريف لبعض الأسماء ، والمثبت من (ب ، ح) وكتب الضبط .

(٣) ذكره النووي في تهذيب الأسماء (٢/ ٤٢٤) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٧) .

(٤) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٣) .

(٥) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٠/ ٦) . وفيه إلا عبد الكريم . وهو أبو أمية عبد الكريم بن أبي المخارق المعلم البصري . كما في الكنى والأسماء (١/ ٨٢) لمسلم ، والتاريخ الكبير (٦/ ٨٩) للبخاري .

(٦) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٩) عن النسائي ، وبنحوه في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٠٥) .

وقال الشافعي : إذا جاء الحديث فمالك النجم . وقال : من أراد الحديث فهو عيالٌ على مالك[١] .

ومناقبُه كثيرةٌ جدّاً ، وثناءُ الأئمة عليه أكثرُ من أن يُحصَر في هذا المكان .

قال أبو مُصعَب : سمعتُ مالكاً يقول : ما أفتَيْتُ حتى شهد لي سبعونَ أنّي أهلٌ لذلك[٢] .

وكان إذا أراد أنْ يُحدِّثَ تنظَّفَ وتطيَّب ، وسرَّح لِحيته ، ولبس أحسنَ ثيابه . وكان يلبسُ حسناً . وكان نقشُ خاتِمه حسبي الله ونعمَ الوكيل . وكان إذا دخل مَنْزِله قال : ما شاء الله لا قوَّةَ إلا بالله . وكان مَنْزلُهُ مبسوطاً بأنواعِ المفارش . ومن وقتِ خروجِ محمد بن عبدِ الله بن حسن لَزِمَ مالكٌ بيتَه ، فلم يكنْ يأتي أحداً ، لا لِعَزاء ولا لهناء ، حتى قيل : ولا يخرجُ لِجُمعة ولا لِجماعة ، ويقول : ما كلُّ ما يُعلم يُقال ، وليس كلُّ أحدٍ يقدِرُ على الاعتذار . ولمّا احتُضر قال : أشهدُ شهادةَ أنْ لا إلٰه إلا الله ، وأنَّ محمداً رسولُ الله . ثم جعل يقول : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم : ٤] . ثم قُبض في ليلةِ أربعَ عشرة من صفر ، وقيل : من ربيع الأول من هذه السنة ، وله خمسٌ وثمانونَ سنة .

قال الواقدي : بلغ تسعين سنة[٣] ، ودُفن بالبَقِيع .

وقد رَوَى الترمذيُّ[٤] عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن ابنِ جُريج ، عن أبي الزُّبير ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، روايةً « يوشك أنْ يضربَ الناسُ أكبادَ الإبل يطلُبون العِلْم ، فلا يجدون أحداً أعلمَ من عالِم المدينة »[٥] . ثم قال : هذا حديث حَسن ، وهو حديثُ ابنِ عُيينة ، وقد رُوي عن ابنِ عُيينة أنه قال : [في هذا سُئل منْ عالِمُ المدينة ؟ فقال] : هو مالك بن أنس . وكذا قال عبدُ الرزاق ، وابن عُيينة روايةً أنه عبدُ العزيز بن عبدِ الله العُمَري [من وَلدِ عمر بن الخطاب] .

وقد تَرجَمَهُ ابنُ خَلِّكان في الوَفَيات فأطنَبَ وأتى بفوائدَ جَمَّة[٦] .

ثم دخلت سنة ثمانين ومئة

فيها هاجَتِ الفتنةُ بالشام بين النِّزاريَّة واليمَنيَّة ، فانزَعَج الرشيدُ لذلك ، فندب جعفر البَرْمَكيَّ إلى الشام ، في جماعةٍ من الأمراءِ والجنود ، فدخل الشام ، فانقادَ الناسُ له ، ولم يدَعْ جعفرٌ بالشام فرساً ولا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ١٤ ، و٨/ ٢٠٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١٦) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٧٧) .

(٣) في (ق) : « سبعين سنة » ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٤) في السنن (٥/ ٤٧) (٢٦٨٠) كتاب العلم : باب ما جاء في عالم المدينة ، وإسناده ضعيف . وما يأتي بين معقوفين مستدرك منه .

(٥) وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٩) عن أبي هريرة مرفوعاً ، وإسناده ضعيف .

(٦) انظر الصفحة الماضية في مصادر ترجمته .

سيفاً ولا رمحاً إلا استلبَهُ من الناس ، وأطفأ الله به نارَ تلك الفتنة . وفي ذلك يقول بعضُ الشعراء[(١)] :

لقد أُوقِدَت بالشامِ نيرانُ فِتْنةٍ فهذا أوانُ الشامِ تُخْمَدُ نارُها
إذا جاشَ مَوْجُ البحرِ من آلِ بَرْمَكٍ عليها خَبَتْ شُهبانُها وشَرارُهَا
رماها أميرُ المؤمنين بجعفرٍ وفيه تَلاقَىٰ صَدْعُها وانكسارُها
رماها بميمون النَّقيبَةِ ماجدٍ تَراضَى به قحطانُها ونِزارُها

ثم كرَّ جعفرٌ راجعاً إلى بغداد بعدَما استخلف على الشام عيسى العَكِّيّ . ولما قَدِمَ على الرشيد أكرمَهُ وقرَّبه وأدناه ، وشرع جعفر يذكر كثرةَ وحشتِه له في الشام ويَحمدُ الله الذي منَّ عليه برجوعه إلى أمير المؤمنينَ ورؤيته وجهَه .

وفيها ولَّى الرشيدُ جعفراً خراسانَ وسِجِسْتان ، فاستعمل على ذلك محمد بن الحسن بن قَحْطَبة ، ثم عزلَ جعفراً عن خُراسان بعدَ عشرينَ ليلةً .

وفيها هَدَم الرشيدُ سُورَ الْمَوْصِل بسببِ كثرةِ الخوارج ، وجعل الرشيدُ جعفراً على الحرس ، ونزل الرشيدُ الرَّقَّةَ واستوطنها ، واستنابَ على بغدادَ ابنَهُ الأمينَ محمداً ، وولاَّهُ العراقَيْن ، وعزل هَرْثَمَةَ عن إفْرِيقِيَة ، واستدعاهُ إلى بغداد ، فاستنابَهُ جعفرٌ على الحرس .

وفيها كانتْ بمصرَ زَلْزلةٌ شديدة ، سقط منها رأسُ منارةِ الإسكندريَّة .

وفيها خرج بالجزيرة خُرَاشةُ الشيباني ، فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العُقَيلي .

وفيها ظهرت طائفةٌ بِجُرْجان يقالُ لها المُحَمِّرة ، لَبسوا الحُمْرة ، واتبعوا رجلاً يُقالُ له عمر بن محد العمركي ، وكان يُنسب إلى الزَّنْدَقة ، فبعث الرشيدُ يأمرُ بقتلِه ، فقتل ؛ وأطفأ الله نارَهم في ذلك الوقت .

وفيها غزا الصائفة زُفَرُ بنُ عاصم ، وحجَّ بالناس موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدِ الله بن عباس .

وفيها كانت وفاةُ جماعةٍ من الأعيان :

إسماعيل بن جعفر بن أبي كَثِير الأنصاري[(٢)] : قارىءُ أهلِ المدينة ، ومؤدِّبُ علي بن المهدي

(١) وهو منصور النمري ، والأبيات من قصيدة في ديوانه (٢٣) بيتاً سيذكر المؤلف منها (٩) أبيات في ص(٤٦٩) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٣٤٩) ، الجرح والتعديل (٢/ ١٦٢) ، مشاهير علماء الأمصار (١٤١) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٤٤) ، رجال صحيح البخاري (١/ ٦٦) ، رجال مسلم (١/ ٥٨) ، تاريخ بغداد (٦/ ٢١٨) ، تهذيب الكمال (٣/ ٥٦) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٢٨) ، المقتنى في سرد الكُنى للذهبي (١/ ٥٨) ، تهذيب التهذيب (١/ ٢٥١) ، تقريب التهذيب (١٠٦) ، طبقات الحفاظ (١١٢) .

ببغداد . وقد مات علي بن المهدي في هذه السنة أيضاً ، وقد ولي إمارةَ الحج غيرَ مرّة ، وكان أسنَّ من الرشيد بشهور .

حسَّان بن سِنَان[١] **بن أبي أوفى بن عَوْف التَّنُوخي الأنباري** : وُلد سنةَ ستين ، ورأى أنسَ بن مالك ، ودَعَا له ، فجاء منْ نسلِهِ قُضاة ووزراء وصُلحاء ، وأدرك الدولَتيْن الأمويّة والعبَّاسيَّة ، وكان نصرانيّاً ، فأسلمَ وحَسُنَ إسلامُه ؛ وكان يكتُب بالعربية والفارسية والسُّرْيانيَّة ، وكان يُعَرِّبُ الكُتبَ بين يدَيْ رَبيعةَ لَمَّا ولاَّهُ السَّفاحُ الأنبار .

وفيها تُوفِّي :

عبدُ الوارث بن سعيد التَّنُّوري[٢] : أحدُ الثقات .

وعافية بن يزيد[٣] **بن قيس** القاضي للمهدي على جانب بغداد الشرقي ، هو وابن علاثة ، وكانا يحكمانِ بجامعِ الرُّصَافة . وكان عافيةُ عابداً زاهداً وَرِعاً . دخل يوماً على المهدي في وقتِ الظَّهيرة فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أعفِني . فقال له المهدي : ولِمَ أعفيك ؟ هل اعترَضَ عليك أحدٌ من الأمراء ؟ فقال له : لا ، ولكنْ كان بينَ اثنينِ خُصومةٌ عندي ، فعَمَد أحدُهما إلى رُطَبِ السُّكَّر ، وكأنَّه سمع أنِّي أُحبُّه ، فأهدَى إليَّ منه طبقاً لا يصلُحُ إلاَّ لأميرِ المؤمنين ، فردَدْتُهُ عليه ، فلما أصبحنا وجلَسْنا إلى الحُكومة لم يستويا عِنْدِي في قلبي ، ولا نَظَري ، بل مالَ قلبي إلى المُهْدِي منهما هذا ، مع أني لم أَقْبَلْ منه ما أهداه ، فكيف لو قَبِلْتُ منه ؟ فأعفِني عفا الله عنك . فأعفاه .

وقال الأصمعي : كنتُ عند الرشيد يوماً ، وعنده عافيةُ وقد أحضرَه ؛ لأنَّ قوماً استعدَوْا عليه إلى الرشيد ، فجعل الرشيدُ يُوقِفُه على ما قيل عنه ، وهو يُجيب عمّا يسألُه ؛ وطال المجلِس ، فعَطَس الخليفةُ

---

(١) في (ق) : « حسان بن أبي سنان » وهو تحريف ، والمثبت من (ب ، ح) ، ومصادر ترجمته في تاريخ بغداد (٨/ ٢٥٨) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٩٤) ، المنتظم (٩/ ٤٩) ، طبقات الحنفية (١/ ١٨٥) . أما حسان بن أبي سنان فذاك من تابعي البصرةِ وعُبّادِها ، وترجمته في التاريخ الكبير (٣/ ٣٥) ، الجرح والتعديل (٣/ ٢٣٦) ، تهذيب الكمال (٦/ ٢٦) ، تقريب التهذيب (١٥٨) ، الكاشف (١/ ٣٢٠) ، الإصابة (٢/ ٢١٠) .

(٢) في (ق) : البيروتي ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته وهي : التاريخ الكبير (٦/ ١١٨) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٢١) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٥٩٠) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ١٠٧) ، الجرح والتعديل (٦/ ٧٥) ، مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (١/ ٤٠٧) ، الثقات (٧/ ١٤٠) ، مشاهير علماء الأمصار (١٦٠) ، تهذيب الكمال (١٨/ ٤٧٨) ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٣٨٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥٧) ، طبقات المحدثين (٦٧) ، توضيح المشتبه (٢/ ٧٣) .

(٣) ترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٠٧) ، الفهرست (٤٣٨) ، تهذيب الكمال (١٤/ ٥) ، ميزان الاعتدال (٤/ ١٥) ، لسان الميزان (٧/ ٢٥٤) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٥٣) .

فشَمَّتَهُ الناسُ ولم يُشَمِّتْهُ عافية ، فقال له الرشيد : لِمَ لم تشمِّتْني مع الناس ؟ فقال : لأنَّك لم تحمَدِ الله . واحتجَّ بالحديثِ في ذلك ، فقال له الرشيد : ارجِعْ لعَملك ، فوالله ما كنتَ لِتفعَل ما قيلَ عنك وأنتَ لم تسامِحْني في عَطْسَةٍ لم أحمدِ الله فيها . ثم ردَّهُ ردّاً جميلاً إلى ولايته .

فيها توفي :

سِيبَوَيْه[1] : إمامُ النُّحَاة ، واسمه عمرو بن عثمان بن قَنْبَر ، أبو بشر ، المعروف بسيبويه ، مولى بني الحارث بن كعب ، وقيل : آل مولى الربيع بن زياد . وإنما سُمِّي لأنَّ أمَّه كانتْ تُرَقِّصُهُ وتقولُ له ذلك ، ومعنى سيبويه : رائحةُ التفَّاح . وقد كان في ابتداءِ أمرِهِ يصحَبُ أهلَ الحديثِ والفقهاء ، وكان يستملي على حَمّاد بن سَلَمة ، فَلَحَنَ يوماً ، فرَدَّ عليه قولَه ، فأنِفَ من ذلك ، فلَزِمَ الخليلَ بنَ أحمد ، فبرَع في النحو ، ودخل بغدادَ وناظر الكِسَائي . وكان سيبويه شابّاً حسناً جميلاً نظيفاً ، وقد تعلَّق من كلِّ علمٍ بسبَب ، وضرَبَ مع كلِّ أهلِ أدَبٍ بسَهْم ، مع حداثةِ سِنه ؛ وقد صَنَّفَ في النحو كتاباً لا يُلْحَقُ شأوُه ، وشرَحَهُ أئمةُ النحاةِ بعدَهُ فانغمروا في لُجَجِ بَحْرِه ، واستخرجوا من دُرَرِه ، ولم يبلغوا إلى قعره . وقد زعَمَ ثعلبٌ أنه لم ينفردْ بتصنيفِه ، بل ساعده جماعةٌ في تصنيفهِ نحواً من أربعينَ نفساً ، هو أحدُهم ؛ وهو أُصولُ الخليل ، فادَّعاهُ سيبويه إلى نفسِه . وقد استبعد ذلك السِّيرافي في كتابِ « طبقاتِ النحاة » . قال : وقد أخذ سيبويهِ اللغاتِ عن أبي الخطَّاب ، والأخْفَش وغيرِهما ، وكان سيبويه يقول : سعيد بن أبي العَرُوبة ، والعَرُوبة يومُ الجمعة ، وكان يقول : من قال عروبة فقد أخطأ . فذكر ذلك ليونس فقال : أصابَ للهِ درُّه .

وقد ارتحلَ إلى خُراسان ليحظَى عند طلحة بن طاهر ، فإنه كان يُحبُّ النَّحْوَ فمرض هناك مرضه الذي تُوفي فيه ، فتَمثَّلَ عندَ الموت :

يــؤمِّــلُ دنيــا لِتبقَــى لَــهُ ... فمــات المــؤمِّــلُ قبــلَ الأمَــلْ
حَثيثــاً يُــروِّي أُصــولَ الفسيــلِ ... فعاشَ الفَسيلُ ومات الرَّجُلْ[2]

ويُقال إنه لمَّا احتُضر وضع رأسَهُ في حِجْرِ أخيه ، فدمعت عينُ أخيه ، فاستفاق ، فرآه يبكي ، فقال :

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ١٩٥) ، الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٤١٩ ، ٤٢٠) ، الفهرست (٧٦) ، المنتظم (٩/ ٥٣) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٦٣) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥١) ، البلغة (١٦٣) ، نزهة الألباب في الألقاب (٣٨٢) ، طبقات الحنفية (٣٧٣) .

(٢) كذا البيتان في (ب ، ح) وحلية الأولياء (٢/ ٣٨٣) ، والمنتظم (٩/ ٥٥) ، وصفة الصفوة (٤/ ٥٥ ، ٥٦) ، وجاء في رواية الحلية بسند أبي نعيم إلى عبيد الله قال : مرَّ مالك بن دينار على رجلٍ يَغرِسُ فسيلاً ، فغَبَرَ عنه يسيراً ، ثم مرَّ بالفَسيل وقد أطعمَ ، فسأل عن الذي غرَسَه ، فقالوا : مات . ثم أنشأ يقول . . فذكر البيتين . ورواية صدر الثاني منهما : « يُربِّي فسيلاً ويعنى به » .

وكنَّـا جميعـاً فَـرَّقَ الـدَّهْـرُ بيننـا إلى الأَمَدِ الأقصَى فمنْ يأمنُ الدَّهْرا

قال الخطيب البغدادي[١] : يُقال إنه توفي وعمرُهُ ثنتانِ وثلاثونَ سنةً .

وفيها تُوفِّيتْ :

عُفَيْرَةُ العابدة[٢] : كانتْ طويلةَ الحُزن ، كثيرةَ البُكاء ، قَدِمَ قريبٌ لها من سفر ، فجعلَتْ تبكي ، فقيل لها : ليس هذا وقت بكاء . فقال : لقد ذكَّرَني قُدومُ هذا الفتى يومَ القُدومِ على الله ، فمَسْرورٌ ومَثْبُور .

وفيها مات :

مسلم بنُ خالد الزَّنْجي[٣] : شيخ الشافعي ، كان من أهلِ مكة ، ولقد تكلَّموا فيه لسوءِ حفظِه .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومئة

فيها غزا الرشيدُ بلادَ الرُّوم ، فافتتح حِصناً يُقال له الصَّفْصاف ، فقال في ذلك مروانُ بنُ أبي حَفْصَة :

إنَّ أميـرَ المـؤمنيـنَ الْمُنْصِفَـا قد تركَ الصَّفْصَافَ قاعاً صَفْصَفا

وفيها غزا عبدُ الملك بن صالح بلادَ الرُّوم أنْقَرَة ، وافتتح مَطْمُورَة[٤] .

وفيها تغلَّبَتِ الْمُحَمِّرَة على جُرْجَان .

وفيها أمَرَ الرشيدُ أنْ يُكتبَ في صدورِ الرسائل الصلاةُ على رسولِ الله ﷺ بعد الثناءِ على الله عزَّ وجلَّ .

وفيها حجَّ بالناسِ الرشيد ، وتعجَّل بالنَّفْر . وسأله يحيى بنُ خالد أنْ يُعْفِيَه من الولاية ، فأعفاه . وأقام يحيى بمكة .

---

(١) في تاريخ بغداد (١٢/ ١٩٨) .

(٢) ترجمته في صفة الصفوة (٤/ ٣٣) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير الجزري (٥/ ٢٧٣) ، طبقات الشعراني (١/ ٦٧) ، الكواكب الدرية (١/ ٣٩٢) . ولها ذكر في حلية الأولياء (٦/ ٢١٨ ، و٢٢١) .

(٣) ترجمته في التاريخ الكبير (٧/ ٢٦٠) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٦٣) ، تسمية فقهاء الأمصار للنسائي (١٢٧) ، الجرح والتعديل (٨/ ١٨٣) ، مشاهير علماء الأمصار (١٤٩) ، الثقات (٧/ ٤٤٨) ، في المقتنى في سرد الكنى للذهبي (١/ ٢١١) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥٥) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٧٦) ، طبقات الحفاظ (١١٥) .

(٤) « مَطْمُورة » : بلد في ثغور بلاد الرُّوم بناحية طَرَسُوس . ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٥/ ١٥١) .

وفيها توفي :

الحسنُ بن قَحْطَبَة[١] : أحَدُ أكابر الأمراء العباسيَّة .

وحمزة بن مالك ، وَلِيَ إمْرَةَ خراسان في أيام الرشيد .

وخلف بن خليفة ، شيخُ الحسن بن عرَفَة ، عن مئةِ سنة .

وعبد الله بن المبارك[٢] **أبو عبد الرحمن المَرْوزيّ** ، كان أبوهُ تركيّاً ، مَوْلًى لرجلٍ من التجّار ، من بني حَنْظَلَة من أهلِ هَمَذان ، وكان ابنُ المبارك إذا قَدِمَهَا أحسنَ إلى ولَدِ مولاهم . وكانتْ أمُّه خُوَارِزْميَّة . وُلد لثمان عشرةَ ومئة .

وسمع إسماعيلَ بن أبي خالد . والأعمش ، وهشام بن عروة ، وحُميد الطويل ، وغيرَهم من أئمَّةِ التابعين . وحدَّث عنه خلائقُ من الناس ، وكان موصوفاً بالحفظ ، والفقه ، والعربية ، والزُّهْد ، والكرم والشجاعة ، والشعر . له التصانيفُ الحِسَان ، والشعرُ الحسَن ، المتضمِّنُ حِكَماً جَمَّة . وكان كثيرَ الغزوِ والحجّ ، وكان له رأسُ مالٍ نحو أربعمئة ألف ، يدور يتَّجرُ به في البلدان فحيثُ اجتمع بعالمٍ أحسَنَ إليه . وكان يَرْبو كَسْبُه في كلِّ سنةٍ على مئةِ ألف ، يُنفقُها كلَّها في أهلِ العبادةِ والزُّهدِ والعِلْم . وربما أنفقَ من رأسِ مالِه .

قال سفيانُ بن عُيينة : نظَرْتُ في أمرِهِ وأمرِ الصحابة ، فما رأيتُهم يَفْضُلون عليه إلاَّ في صُحْبَتِهم رسولَ الله ﷺ .

وقال إسماعيل بن عياش : ما على وجهِ الأرض مثلُه ، وما أعلمُ خَصْلَةً من الخَير إلاَّ وقد جعلَها الله في ابن المبارك ؛ ولقد حدثني أصحابي أنَّهم صحبُوهُ من مصرَ إلى مكة ، فكان يُطعِمُهم الخَبيصَ وهو الدهرَ صائم . وقدِمَ مرَّةً الرَّقَّة وبها هارونُ الرشيد ، فلما دخلها احتفَلَ الناسُ به ، وازدحم الناسُ حَولهُ ، فأشرفَت أمُّ ولَدٍ للرشيد من قصرٍ هناك ، فقالت : ما للناس ؟ فقيل لها : قَدِمَ رجلٌ من علماءِ خُراسان ،

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (٧/ ٤٠٣) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٥٨) .

(٢) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٢) ، طبقات خليفة (٣٢٣) ، المعارف (٥١١) ، التاريخ الكبير (٥/ ٢١٢) ، الجرح والتعديل (٥/ ١٧٩) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٧) المدارك (١/ ٣٠٠) ، أنساب السمعاني (٤/ ٢٥١) تاريخ مدينة دمشق (٨٣/ ٣٠١) ، صفة الصفوة (٤/ ١٣٤) ، جامع الأصول لابن الأثير (١٤/ ٢٨٦) ، المختار من مناقب الأخيار له (٣/ ٤٧٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٨٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٢) ، مختصر تاريخ دمشق (١٤/ ١٣) ، تهذيب الكمال (١٦/ ٥) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٣٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٤) ، العبر (١/ ٢٨٠) ، الوافي بالوفيات (١٧/ت ٣٥٩) ، مرآة الجنان (١/ ٣٧٨) ، غاية النهاية (١/ ٤٤٦) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٠٣) ، طبقات الشعراني (١/ ٥٩)، الكواكب الدرية (١/ ١٣١) ، شذرات الذهب (١/ ٢٩٥) .

يقال له عبد الله بن المبارك ، فانجفَلَ الناسُ إليه . فقالت المرأة : هذا هو المُلك ، لا مُلْكُ هارونَ الرشيد الذي يجمعُ الناسَ عليه بالسَّوْطِ والعصا ، والرَّغْبة والرَّهْبة .

وخرج مرَّةً إلى الحجّ ، فاجتاز ببعضِ البلاد ، فمات طائرٌ معهم ، فأمَرَ بإلقائِه على مَزْبلةٍ هناك ، وسارَ أصحابُه أمامَه ، وتخلَّفَ هو وراءهم ، فلما مرَّ بالمزبلة إذا جاريةٌ قد خرجَتْ من دارٍ قريبةٍ منها ، فأخذَتْ ذلك الطائرَ الميت ، ثم لفَّتْه ، ثم أسرعَتْ به إلى الدَّار ، فجاء فسألَها عن أمرِها ، وأَخْذِها الميتة ، فقالت : أنا وأخي هنا ليس لنا شيءٌ إلاَّ هذا الإزار ، وليس لنا قُوتٌ إلاَّ ما يُلْقى على هذه المزبلة ، وقد حلَّتْ لنا الميتةُ منذُ أيَّام ، وكان أبونا له مالٌ ، فظُلمَ وأُخذ مالُه وقُتل . فأمَرَ ابنُ المبارَكِ بِرَدِّ الأحمال ، وقال لِوَكيلِه : كم معك من النفقَة ؟ قال : ألفُ دينار . فقال : عُدَّ منها عشرينَ ديناراً تَكْفينا إلى مَرْو ، وأعْطِها الباقي ، فهذا أفضلُ من حَجِّنا في هذا العام . ثم رجع . وكان إذا عزم على الحج يقولُ لأصحابه : منْ عزَمَ منكم في هذا العام على الحجِّ فَلْيأتني بنفقتِهِ حتى أكونَ أنا أُنفقُ عليه . فكان يأخذُ منهم نفقاتِهم ، ويكتُبُ على كلِّ صُرَّةٍ اسمَ صاحبِها ، ويجمَعها في صندوق ، ثم يخرجُ بهم في أوسَعِ ما يكونُ من النفقاتِ والرُّكوب ، وحُسن الخُلق والتيسير عليهم ؛ فإذا قضَوْا حجَّتَهم فيقول لهم : هل أوصاكم أهلوكُم بِهَديَّة ؟ فيشتري لكلِّ واحدٍ منهم ما وصَّاه أهلُه من الهدايا المكيَّة واليمنيَّة وغيرها ، فإذا جاؤوا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية ، فإذا رجعوا إلى بلادِهم بعث من أثناءِ الطريقِ إلى بيوتهم ، فأُصلحت وبُيِّضَتْ أبوابُها ، ورُمِّمَ شعثُها ، فإذا وصلوا إلى البلد عَمِلَ وليمةً بعدَ قدومِهم ، ودعاهم فأكلوا ، وكساهم ، ثم دعا بذلك الصندوق ، ففتحَهُ وأخرجَ منه تلك الصُّرَر ، ثم يُقسمُ عليهم أنْ يأخذَ كلُّ واحدٍ نفقتَه التي عليها اسمُه ، فيأخذونها وينصرفونَ إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الثناءِ الجميل . وكانت سُفْرَتُهُ تُحملُ على بعيرٍ وحدَها ، وفيها من أنواعِ المأكول من اللَّحمِ والدجاج والحَلْوى وغيرِ ذلك ؛ ثم يُطعِمُ الناسَ وهو الدهرَ صائمٌ في الحَرِّ الشديد . وسألَهُ مرَّةً سائلٌ فأعطاه درهماً ، فقال له بعضُ أصحابه : إنَّ هؤلاء يأكلون الشِّوَاءَ والفالوذَجَ ، وقد كان يكفيهِ قطعة . فقال : والله ما ظَنَنْتُ أنه يأكلُ إلا البَقْلَ والخبز ، فأمَّا إذا كان يأكلُ الفالوذَجَ والشواء فإنَّهُ لا يكفيهِ دِرْهم . ثم أمَرَ بعضَ غلمانِهِ فقال : رُدَّهُ وادفَعْ إليهِ عشرةَ دراهم . وفضائله ومناقبه ومآثرةُ كثيرةٌ جداً .

قال أبو عمر بنُ عبدِ البَرّ : أجمع العلماءُ على قَبُولِهِ ، وجلالتِه وإمامَتِه وعَدْلِه . توفي عبد الله بن المبارك بِهِيت[1] في هذه السنة ، في رمضانِها ، عن ثلاثٍ وستِّين سنة .

---

(١) « هيت » : بكسر أوله وبالتاء المعجمة باثنتين من فوقها ؛ مدينةٌ مذكورةٌ في تحديد العراق ، وهي على شاطئ الفرات عامرة معروفة إلى اليوم وقبر ابن المبارك ظاهر فيها يزار .

ومُفَضَّل بن فَضَالَة[١] : وَلِيَ قضاءَ مصر مرتَيْن ، وكان دَيِّناً ثقةً ، فسألَ الله أنْ يُذهِبَ عنه الأمَل ، فأذهبَهُ ، فكان بعدَ ذلك لا يُهنئُهُ العيش ، ولا شيءٌ من الدنيا ؛ فسأل الله أنْ يردَّهُ عليه فردَّه ، فرَجَعَ إلى حالِه .

ويعقوب التائب : العابدُ الكوفي . قال علي بن الموفق عن منصور بن عمَّار : خرجتُ ذاتَ ليلةٍ وأنا أظنُّ أنِّي قد أصبحت ، فإذا عليَّ ليل ، فجلستُ إلى بابٍ صغير ، وإذا شابٌّ يبكي وهو يقول : وعِزَّتِكَ وجلالِك ، ما أردتُ بِمَعصيتِكَ مخالفتَك ، ولكنْ سَوَّلَتْ لي نفسي ، وغلبَتْني شِقْوَتي ، وغرَّني سِتْرُك المُرْخَى علي فالآن من عذابك مَنْ يستنقذُني ؟ وبحبل منْ أتَّصِلُ إنْ أنْت قطعتَ حبلَكَ عني ؟ واسَوْأتاهُ على ما مضَى من أيامي في معصيةِ ربي ، يا وَيْلي ! كم أتوبُ ؟! وكم أعود ؟! قد حان لي أنْ أستحيَ من ربِّي عزَّ وجلَّ . قال منصور : فقلتُ أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] . قال : فسمعتُ صوتاً واضطراباً شديداً ، فذهبتُ لِحاجتي ، فلما رجعتُ مررتُ بذلك الباب ، فإذا جنازةٌ موضوعة ، فسألتُ عنه ، فإذا ذاك الفتى قد مات من هذه الآية .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومئة

فيها أخذ الرشيدُ لولدِهِ عبدِ الله المأمون ولايةَ العَهْدِ من بعدِ أخيه محمد الأمين بن زُبيدة ، وذلك بالرَّقَّة ، بعد مَرْجِعِهِ من الحجّ ، وضمَّ ابنَهُ المأمونَ إلى جعفر بن يحيى البَرْمكي ، وبعثَهُ إلى بغداد ، ومعه جماعةٌ من أهلِ الرَّشيد ، خدمةً له ، وولَّاهُ خراسانَ وما يتَّصلُ بها ، وسماه المأمون .

وفيها رجع يحيى بنُ خالد البرمكي من مُجاورَتِهِ بمكةَ إلى بغداد .

وفيها غزا الصائفةَ عبدُ الرحمن بن عبد الملك بن صالح ، فبلغ مدينةَ أصحاب الكهف .

وفيها سَمَلتِ الرومُ عَيْني ملكِهم قُسْطَنْطين بن أليون ، وملَّكوا عليهم أمَّه رينى ، وتُلقَّبُ أعطشة[٢] .

وحجَّ بالناس موسى بن عيسى بن العباس .

---

(١) التاريخ الكبير (٧/٤٠٥) ، التاريخ الصغير (٢/٢٢٧) ، الجرح والتعديل (٨/٣١٧) ، الثقات لابن حبان (٧/٤٩٦) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٦/٤٠٩) ، من تكلم فيه للذهبي (١٨٠) ، ميزان الاعتدال (٦/٥٠١) .

(٢) في (ق) وتاريخ الطبري : « أغسطة » ، والمثبت من (ب ، ح) والكامل لابن الأثير .

وفيها تُوفي من الأعيان :

إسماعيل بن عياش الحمصي(١) : أحد المشاهير من أئمة الشاميِّين ، وفيه كلام .

ومروان بن أبي حَفْصَة(٢) : الشاعر المشهور المشكور ، كان يمدحُ الخلفاءَ والبرامكةَ ومعنَ بن زائدة(٣) وكان يحصلُ له من الأموال شيءٌ كثيرٌ جدّاً ، وكان مع ذلك من أبْخَلِ الناس ، لا يكادُ يأكلُ اللحمَ من بُخلِه ، ولا يُشعلُ في بيتهِ سراجاً ، ولا يلبسُ من الثياب إلا الكِرْباسَ(٤) والفَرْوَ الغليظ . وكان رفيقَهُ سَلْمٌ الخاسِر ، إذا ركب إلى دارِ الخلافة يأتي على بِرْذَوْن ، وعليه حُلَّةٌ تُساوي ألفَ دينار ، والطِّيبُ ينفحُ من ثيابه ، ويأتي هو في شَرِّ حِيبَة(٥) وأسوئِها .

وخرج يوماً إلى المهدي ، فقالتِ امرأةٌ من أهلِه : إنْ أطلق لك الخليفةُ شيئاً فاجعلْ لي منه شيئاً . فقال إنْ أعطاني مئةَ ألفِ درهم فلكِ درهم . فأعطاهُ ستين ألفاً ، فأعطاها أربعةَ دَوَانيق .

تُوفي ببغداد في هذه السنة ودُفن في مقبرة نصرِ بن مالك .

والقاضي أبو يوسُف(٦) : واسمه يعقوبُ بن إبراهيم بن حَبيب بن سَعْد بن حَبْتَة(٧) ـ وهي أمُّه ـ وأبوه بُجَير بن معاوية ، وسعدٌ هذا صحابي ، استُصغر يومَ أُحد . وأبو يوسف كان أكبرَ أصْحابِ أبي حنيفة ، رَحِمَهُ الله .

روى الحديث عن الأعمش ، وهشام بن عروة ، ومحمد بن إسحاق ، ويحيى بن سعيد ، وغيرِهم ، وعنه محمدُ بن الحسن ، وأحمدُ بن حنبل ، ويحيى بن مَعين .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (١/ ٣٦٩) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٦٣٧) ، ، كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي (١٦) ، الجرح والتعديل (٢/ ١٩١) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (١/ ٢٩١) ، كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١/ ١١٨) ، تهذيب الكمال (٣/ ١٦٣) ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٠) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥٣) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣١٢) ، طبقات المدلسين لابن حجر (٣٧) ، طبقات الحفاظ (١١٤) .

(٢) ترجمته في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٧٩) .

(٣) أثبتت نسخة (ق) اسم معن بن زائدة في سطرٍ على حدة بما يوحي أنه رأس ترجمة له ، وهو خطأ ، بل هو معطوفٌ على البرامكة ، أي أن مروان الشاعر مدح معن بن زائدة أيضاً .

(٤) « الكرباس » : القطن . لسان العرب (كربس) .

(٥) في (ق) : حالة ، والمثبت من (ب ، ح) ، وهما بمعنى .

(٦) ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٣٠) ، التاريخ الكبير (٨/ ٣٩٧) ، تسمية فقهاء الأمصار (١٢٨) ، تاريخ جرجان (٤٨٧) ، الفهرست (٢٨٦) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٢) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥) ، لسان الميزان (٦/ ٣٠٠) ، طبقات الحفاظ (١٢٧) .

(٧) في (ق) تصحيف وتحريف ونقص ، فأثبتنا ما جاء في (ب ، ح) موافقاً لمصادر الترجمة .

قال علي بن الجعد : سمعتُه يقول : تُوفي أبي وأنا صغير ، فأسلمَتْني أُمِّي إلى قصَّار ، فكنتُ أمرُّ على حَلْقَةِ أبي حنيفةَ فأجلسُ فيها ، فكانتْ أُمِّي تتبعُني فتأخذُ بيدي من الحَلْقَة وتذهبُ بي إلى القصَّار ؛ ثم كنتُ أخالفُها في ذلك ، وأذهبُ إلى أبي حنيفة ، فلما طالَ ذلك عليها قالتْ لأبي حنيفة : إنَّ هذا صبيٌّ يتيم ، ليس له شيءٌ إلَّا ما أُطعِمُهُ من مِغْزَلي ، وإنك قد أفسدتَهُ عليّ . فقال لها : اسكُتي يا رَعْناء ، هاهو ذا يتعلَّمُ العِلْم ، وسيأكلُ الفالوذَجَ بِدُهْنِ الفُسْتُق ، في صحونِ الفَيْروزَج . فقالتْ له : إنَّكَ شيخٌ قد خَرِفت . قال أبو يوسف : فلمّا وُلِّيتُ القضاء ـ وكان أولُ من ولَّاه القضاءَ الهادي ، وهو أولُ منْ لُقِّب قاضي القضاة ، وكان يُقال له قاضي قضاة الدنيا ، لأنه كان يَسْتَنيبُ في سائرِ الأقاليمِ التي يحكم فيها الخليفة ، قال أبو يوسف ـ : فبينا أنا ذاتَ يوم عندَ الرشيد إذْ أُتي بفالوذَجٍ في صحنِ فيروزَج ، فقال لي : كُلْ من هذا ، فإنَّه لا يُصنعُ لنا في كلِّ وقت . وقلت : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الفالوذَج . قال : فتبسَّمت ، فقال : ما لَكَ تتبسَّم ؟ فقلت : لا شيء ، أبقى الله أميرَ المؤمنين . فقال : لَتُخْبرَنِّي . فقصصتُ عليه القصَّة . فقال : إنَّ العلمَ ينفعُ ويَرْفَعُ في الدنيا والآخرة . ثم قال : رَحِمَ الله أبا حنيفة ، فلقد كان ينظرُ بعينِ عقله ما لا ينظر بعينِ رأسِه . وكان أبو حنيفة يقولُ عن أبي يوسف : إنه أعلمُ أصحابِه .

وقال الْمُزَني : كان أبو يوسف أتبعَهُمْ للحديث . وقال ابنُ الْمَديني : كان صدوقاً . وقال ابنُ معين : كان ثقةً . وقال أبو زرعة : كان سليماً من التَّجَهُّم .

وقال بشار الخفَّاف : سمعتُ أبا يوسف يقول : منْ قال : القرآنُ مخلوق ، فحرامٌ كلامُه ، وفَرْضٌ مُبَايَنتُه ، ولا يجوزُ السلامُ ولا رَدُّه عليه .

ومن كلامِه الذي ينبغي كتابتُهُ بماءِ الذهب قولُه : مَنْ طلَب المالَ بالكيمياء أفلس ، ومن تتبَّعَ غرائبَ الحديث كذَب ، ومن طلب العلمَ بالكلام تَزَنْدَق .

ولما تناظر هو ومالكٌ بالمدينة بحضرةِ الرشيد في مسألةِ الصاع وزكاة الخضراوات احتجَّ مالكٌ بما استدعى به من تلك الصيعان المنقولةِ عن آبائهم وأسلافِهم ، وبأنَّهُ لم تكنِ الخضراوات يُخرجُ فيها شيءٌ في زمن الخلفاء الراشدين . فقال أبو يوسف : لو رأى صاحبي ما رأيتُ لَرَجعَ كما رجعتُ . وهذا إنصافٌ منه .

وقد كان يحضُرُ في مجلسِ حُكمِه العلماءُ على طَبقاتِهم ، حتى إنَّ أحمد بن حنبل كان شابّاً ، وكان يحضُرُ مجلسَهُ في أثناء الناس ، فيتناظرونَ ويتباحثون ، وهو مع ذلك يَحكُمُ ويُصنِّفُ أيضاً . وقال وُلِّيتُ هذا الحُكم ، وأرجو الله أنْ لا يسألني عن جَوْرٍ ولا مَيْلٍ إلى أحد ، إلَّا يوماً واحداً جاءني رجل ، فذكر أنَّ له بستاناً ، وأنه في يدِ أميرِ المؤمنين ، فدخلتُ إلى أميرِ المؤمنين فأعلمتُه ، فقال : البستانُ لي ، اشتراهُ لي

المهدي . فقلت : إنْ رأى أميرُ المؤمنين أنْ يُحضِرَهُ لأسمعَ دعواه . فأحضرَه ، فادَّعى بالبستان ، فقلت : ما تقولُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : هو بستاني . فقلتُ للرجل : قد سمعتَ ما أجاب . فقال الرجل : يَحلف . فقلتُ : أتحلفُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : لا . فقلتُ : سأعرضُ عليك اليمينَ ثلاثاً ، فإنْ حلفتَ وإلَّا حكمتُ عليك يا أميرَ المؤمنين ؛ فعرضتُها عليه ثلاثاً ، فامتنع ، فحكمتُ بالبستانِ للمُدَّعي . قال : فكنتُ في أثناء الخُصومةِ أوَدُّ أنْ ينفصل . ولم يُمكِّني أنْ أُجلسَ الرجلَ مع الخليفة . وبعث القاضي أبو يُوسف في تسليم البستانِ إلى الرجل .

وروَى المُعافَى بنُ زكريَّا الجَريري ، عن محمد بن أبي الأزْهَر ، عن حماد بن أبي إسحاق الْمَوْصلي ، عن أبيه ، عن بشر بن الوليد ، عن أبي يوسف ، قال : بينا أنا ذاتَ ليلةٍ قد نمتُ في الفراش ، إذا رسولُ الخليفةِ يطرُقُ الباب ، فخرجتُ مُنْزعجاً ، فقال : أميرُ المؤمنين يدعوك . فذهبتُ ، فإذا هو جالسٌ ومعهُ عيسى بنُ جعفر ، فقال لي الرشيد : إنَّ هذا قد طلَبْتُ منه جاريةً يَهَبُنِيها ، فلم يفعلْ ، أو يبيعُنيها ، فلم يفعل وإنِّي أُشهدك إنْ لم يُجبني إلى ذلك قتلتُه . فقلتُ لعيسى : لمَ لم تفعلْ ؟ فقال : إني حالفٌ بالطلاقِ والعَتاق ، وصدَقَةِ مالي كلِّه أنْ لا أبيعَها ، ولا أهبَها . فقال لي الرشيد : فهل له من مُخلِّص ؟ فقلت : نعم . يَبيعُكَ نصفَها ، ويَهبُكَ نصفَها . فوهَبَه النِّصفَ وباعَهُ النصفَ بمئةِ ألف دينار . فقبل منه ذلك ، وأُحضرتِ الجارية ، فلما رآها الرشيدُ قال : هل لي من سبيلٍ عليها الليلة ؟ قلت : إنَّها مملوكة ، ولا بدَّ من استبرائها ، إلَّا أنْ تُعتِقَها وتتزوَّجَها ، فإنَّ الحرَّةَ لا تُستبرَأ . قال : فأعتَقَها وتزوَّجها منه بعشرينَ ألفَ دينار ، وأمَرَ لي بمئتي ألفِ درهم ، وعشرين تختاً من ثياب[١] ، وأرسلتُ إلى الجاريةِ بعشرةِ آلافِ دينار .

قال يحيى بن مَعين : كنتُ عند أبي يوسف ، فجاءتهُ هديَّةٌ من ثيابٍ دَبيقِيّ[٢] ، وطيبٍ وتماثيل نِدٍّ ، وغيرِ ذلك ، فذاكَرَني رجلٌ في إسنادِ حديث « منْ أُهديَتْ له هديَّةٌ وعندَهُ قومٌ جُلوس فهمْ شركاؤه »[٣] . فقال أبو يوسف : إنما ذاك في الأقِطِ والتَّمرِ والزَّبيب ، ولم تكنِ الهدايا في ذلك الوقت ما ترَوْن ؛ يا غلام ، ارفَعْ هذا إلى الخزائن . ولم يُعطهمْ منها شيئاً[٤] .

وقال بشر بن غياث الْمَرِّيسي : سمعتُ أبا يوسف يقول : صحبتُ أبا حنيفةَ سبعَ عشرةَ سنة ، ثم انصبَّتْ عليَّ الدنيا سبعَ عشرةَ سنة ، وما أظنُّ أجَلي إلَّا قَدِ اقترب . فما مكثَ بعدَ ذلك إلَّا شهوراً حتى

(١) « التخت » : وعاءٌ تصان فيه الثياب . فارسي ، وقد تكلمت به العرب لسان العرب (تخت) .

(٢) في (ق) : « ديبقي » وهو تصحيف ، والدَّبيقيُّ : من دقِّ ثياب مصر معروفة ، تنسب إلى دَبيق . لسان العرب (دبق) .

(٣) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٦٧) (١٠٣١) ، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٠٢) وقال : لا يصح في هذا الباب شيء ، وابن حجر في لسان الميزان (٤/ ١٤) .

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٥٢) .

مات . وقد مات أبو يوسف في ربيع الأول من هذه السنة ، عن سبعٍ وستين سنة ، ومكث في القضاء ستَّ عشرةَ سنة ، وُلِّي القضاءَ من بعدِهِ ولَدُهُ يوسف ؛ وقد كان نائبَهُ على الجانبِ الشرقيِّ من بغداد ؛ ومن زعمَ من الرواة أنَّ الشافعيَّ اجتمع بأبي يوسف كما يقولُهُ عبدُ الله بن محمد البَلَوي الكذَّاب في الرِّحْلة التي ساقها الشافعي فقد أخطأ في ذلك ؛ إنما وَرَدَ الشافعيُّ بغدادَ في أولِ قدمةٍ قَدِمها إليها في سنة أربعٍ وثمانين ، وإنما اجتمع الشافعيُّ بمحمد بن الحسن الشيباني ، فأحَسَن إليه وأقبل عليه ، ولم يكنْ بينهما شَنَـآن كما يذكُرُهُ بعضُ منْ لا خِبْرَةَ له في هذا الشأن . والله أعلم .

وفيها توفي :

يعقوب بن داود بن طَهْمان[(١)] أبو عبد الله مولى عبد الله بن حازم السُّلَمي ، استوزَرَهُ المهدي ، وحَظيَ عندَه جدّاً وسلَّم إليه أزِمَّةَ الأمور ، ثم لما أمر بقتلِ ذلك العلويِّ كما تقدَّم[(٢)] ، فأطَلَقه ، ونَمَّتْ عليه تلك الجارية ، وتحقَّقَ أنه لم يفعلْ سجَنهُ المهديُّ في بئر ، وبُنِيتْ عليه قُبَّة ، ونبتَ شعرُه حتى صار مثلَ شعورِ الأنعام ، وعمِي . ويُقال : بل عَشَا بصَرُهُ ، ومكَث نحواً من خمسةَ عشرَ سنةً في ذلك البئر ، لا يَرَى ضَوْءاً ، ولا يسمعُ صوتاً إلاَّ في أوقاتِ الصلوات ، يُعلمونَهُ بذلك ، ويُدلَّى إليه في كلِّ يومٍ رغيفٌ وكُوزُ ماءٍ ؛ فمكث كذلك حتى انقضَتْ أيامُ المهدي وأيامُ الهادي وصدرٌ من أيام الرشيد ؛ قال يعقوب : فأتاني آتٍ في منامي فقال :

عسى الكربُ الذي أمسَيْتَ فيه ... يكـونُ وراءَهُ فـرَجٌ قَـريـبُ
فيـأمـنُ خـائـفٌ ويُفَـكُّ عـانٍ ... ويـأتـي أهلَـهُ النـائـي الغـريـبُ

فلما أصبحتُ نُوديتُ ، فظننْتُ أني أُعلَمُ بوقتِ الصلاة ، ودُلِّيَ إليَّ حبلٌ وقيل لي : ارْبِطْ هذا الحبلَ في وَسَطِك . فأخرجوني ، فلما نظرْتُ إلى الضياءِ لم أُبصرْ شيئاً ، وأُوقفتُ بين يدي الخليفة ، فقيل لي : سلِّمْ على أميرِ المؤمنين . فظنَنْتُهُ المهدي ، فسلَّمْتُ عليهِ باسمه ، فقال : لستُ به . فقلت : الهادي . فقال : لستُ به . فقلت : السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنينَ الرشيد . فقال نعم . ثم قال : والله إنه لم يشفعْ فيكَ عندي أحدٌ ولكنِّي البارحةَ حُمِلتْ جاريةٌ لي صغيرةٌ على عُنقي ، فذكرتُ حَمْلَكَ إيَّايَ على عُنقك ؛ فرَحِمْتُ ما أنتَ فيه من الضِّيق ، فأخرَجْتُك . ثم أنعم عليه وأحسَنَ إليه ، فغارَ منه يحيى بن خالد بن برْمك ، وخشِيَ أنْ يُعيدهُ إلى مَنْزِلَتِهِ التي كان عليها أيامَ المهدي ، وفَهِمَ ذلك يعقوبُ فاستأذن الرشيدَ في

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٦٢) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٨٠) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٣١٦) ، وفيات الأعيان (٧/ ١٩) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٦) .

(٢) انظر ما تقدم ص(٤٠٤) .

الذهابِ إلى مكَّة ؛ فأذن له ، فكان بها حتى ماتَ في هذه السنةِ رَحمَهُ الله . وقال : يَخْشى يحيى أَنْ أرجِعَ إلى الولايات ، لا والله ما كنتُ لأفعلَ أبداً ؛ ولو رُدِدتُ إلى مكاني .

وفيها تُوفِّي :

يزيدُ بن زُرَيع[١] أبو معاوية : شيخُ الإمام أحمدَ بنِ حنبل في الحديث . كان ثقةً ، عالماً ، عابداً ، وَرِعاً . تُوفي أبوه وكان واليَ البصرة ، وترك من المالِ خمسَ مئةِ درهم ، فلم يأخذْ منها يزيدُ درهماً واحداً . وكان يعملُ الخُوصَ بيدِه ، ويَقْتاتُ منه هو وعيالُه . تُوفي بالبصرة في هذه السنة ، وقيل قبل ذلك ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومئة

فيها خرجتِ الخَزَرُ على الناس من جهةِ إرْمِينيَة ، فعاثوا في تلك البلاد فساداً ، وسبَوْا من المسلمين وأهلِ الذِّمَّة نحواً من مئة ألف ؛ وقتلوا بشَراً كثيراً ، وانهزَمَ نائبُ إرْمِينيَةَ سعيدُ بن مسلم ، فأرسل الخليفةُ هارون الرشيدُ إليهم خازِمَ بن خُزَيْمة ، ويزيدَ بن مَزْيَد ، في جيوشٍ كثيرةٍ كثيفة ، فأصلحوا ما فسد في تلك البلاد . وحجَّ بالناسِ العباسُ بن موسى الهادي .

وفيها توفي من الأعيان :

عليُّ بن الفُضيل بن عياض في حياةِ أبيه ؛ كان كثيرَ العبادةِ والوَرَع ، والخوفِ والخَشْيَة .

ومحمد بن صُبيح[٢] أبو العباس : مولى بني عِجْل المذكِّر ، ويعرف بابن السَّمَّاك . روى عن إسماعيلَ بنِ أبي خالد ، والأعمش ، والثوري ، وهشام بن عروة ، وغيرِهم . ودخل يوماً على الرشيد فقال : إنَّ لك بين يدَيِ الله موقفاً ، فانظُرْ أين مُنْصَرَفُكَ ؟ إلى الجنةِ أمِ النَّارِ ؟ فبكى الرشيدُ حتى كاد يموتُ .

وموسى بن جعفر[٣] بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن الهاشمي ، ويُقال

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٨/ ٣٣٥) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٣٠) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٧٥٩) ، الجرح والتعديل (٩/ ٢٦٣) ، مولد العلماء ووفياتهم (٤١٢) ، طبقات المحدثين (٧١) ، تقريب التهذيب (٦٠١) ، نزهة الألباب في الألقاب ، طبقات الحفاظ (١١٦) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (١/ ١٠٦) ، الجرح والتعديل (٧/ ٢٩٠) ، الثقات لابن حبان (٩/ ٣٢) ، حلية الأولياء (٨/ ٢٠٣) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٨) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٣٤٣) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٢٨) ، ميزان الاعتدال (٦/ ١٩٠) ، لسان الميزان (٥/ ٢٠٤) .

(٣) ترجمته في الجرح والتعديل (٨/ ١٣٩) ، الضعفاء للعقيلي (٤/ ١٥٦) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٧) ، صفة الصفوة=

له الكاظم . وُلد سنة ثمانٍ أو تسعٍ وعشرين ومئة ؛ وكان كثيرَ العبادةِ والمروءة ، إذا بلغَهُ عن أحدٍ أنه يؤذيه أرسل إليه بالذَّهَبِ والتُّحَف . وُلد له من الذكورِ والإناث أربعونَ نَسَمة . وأهدَى له مرةً عبدٌ عصِيدَةً ، فاشتراهُ واشترى المزرعةَ التي هو فيها بألفِ دينار ، وأعتَقَهُ وَوَهب المزرعةَ له . وقد استدعاهُ المهديُّ إلى بغداد ، فحَبَسه ، فلما كان في بعضِ الليالي ، رأى المهديُّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ وهو يقولُ له : يا محمد ، ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] ، فاستيقظ مذعوراً ، وأمَرَ بهِ فأُخرج من السجنِ ليلاً ، فأجلَسَهُ معه وعانَقَه ، وأقبل عليه ، وأخذ عليه العَهْدَ أنْ لا يَخرُجَ عليه ، ولا على أحدٍ من أولادِه . فقال : والله ما هذا من شأني ، ولا حدَّثْتُ فيه نفسي . فقال : صدقت . وأمَرَ له بثلاثةِ آلافِ دينار ، وأمَرَ به فرُدَّ إلى المدينة ، فما أصبح الصباحُ إلاَّ وهو على الطريق ، فلم يزَلْ بالمدينةِ حتى كانتْ خلافةُ الرشيد ، فحجَّ ، فلما دخَلَ لِيُسلِّمَ على قبرِ النبيِّ ﷺ ، ومعه موسى بن جعفر الكاظِم ، فقال الرشيدُ : السلامُ عليكَ يا رسولَ الله ، يا بنَ عمّ . فقال موسى : السلامُ عليك يا أبتِ . فقال الرشيد : هذا هو الفخرُ يا أبا الحسن ! ثم لم يزَلْ في نفسِه حتى استدعاهُ في سنةِ تسعٍ وستين ، وسجَنَهُ فأطالَ سجنَه ؛ فكتب إليه موسى رسالةً يقولُ فيها : أمَّا بعد ، يا أمير المؤمنين ، إنه لم ينقَضِ عنِّي يومٌ من البلاء إلاَّ انقضَى عنك يومٌ من الرَّخاء ، حتى يُفضي بنا ذلك إلى يومٍ يَخْسَرُ فيهِ الْمُبْطلون .

توفي لخمسٍ بقينَ من رجب من هذه السنةِ ببغداد ، وقبرُه هناك مشهور .

وفيها توفي :

هُشيم بن بَشير أبي خازم[١] بن القاسم بن دينار ، أبو معاوية السُّلَمي الواسطي ، كان أبوهُ طَبَّاخاً للحجَّاج بن يوسف الثقفي ثم كان بعدَ ذلك يَبيعُ الصِّحْناةَ والكوامِخ[٢] . وكان يَمْنعُ ابنَهُ منْ طلَبِ العلم

= (٢/ ١٨٤) ، تهذيب الكمال (٢٩/ ٤٣) ، ميزان الاعتدال (٦/ ٥٣٨) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠٢) ، تقريب التهذيب (٥٥٠) .

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٨/ ٢٤٢) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٣٢) ، الكنى والأسماء لمسلم (٢/ ٧٥٩) ، الجرح والتعديل (٩/ ١١٥) ، معرفة الثقات (٢/ ٣٣٤) ، مشاهير علماء الأمصار (١٧٧) ، ميزان الاعتدال (٧/ ٩٠) ، المقتنى في سرد الكنى (٨٦) ، تذكرة الحفاظ (٢٤٨) ، طبقات المحدثين (٧٠) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٥٣) ، تقريب التهذيب (٥٧٤) ، لسان الميزان (٧/ ٤١٩) ، طبقات الحفاظ (١١١) .

(٢) « الصِّحْناةُ » ـ بالكسر ـ : إدامٌ يُتَّخذُ من السمك ، يُمدُّ ويقصر ، والصَّحناةُ أخصُّ منه . وقال ابن سيده : الصِّحْنا والصِّحْناةُ الصِّيرُ . وحُكي عن أبي زيد : الصِّحْناة فارسية ، وتسمِّيها العربُ الصِّيرَ ، قال : وسأل رجل الحسن عن الصحناة فقال : وهل يأكل المسلمون الصِّحْناة ؟ قال : ولم يعرفها الحسن لأنها فارسية ، ولو سأله عن الصِّير لأجابه . وأورد ابنُ الأثير هذا الفصل وقال فيه الصِّحْناةُ هي التي يقال لها الصِّيَرُ ، قال ، وكلا اللفظين غير عربي . والكوامخ : جمع الكامخ : وهو نوع من الأدْم معرّب . لسان العرب (كمخ ، صحن) .

لِيُسَاعِدَهُ على شُغْلِه(١) ، فأبى إلاَّ أنْ يسمعَ الحديث ، فاتفق أنَّ هُشيماً مَرِض ، فجاءه أبو شيبةَ قاضي واسط عائداً له ، ومعه خَلْقٌ من الناس ، فلما رآه بَشِير فرح بذلك وقال : يا بُني أبَلَغَ من أمرِك أنْ جاء القاضي إلى مَنْزلي ؟! لا أمنعُكَ بعدَ هذا اليومِ من طلبِ الحديث . كان هُشيم من ساداتِ العلماء ، وحدَّث عنه مالك ، وشعبة ، والثَّوْري ، وأحمد بن حنبل ، وخلقٌ غيرُ هؤلاء . وكان من الصلحاء العُبَّاد ؛ ومكَثَ يُصلِّي الصُّبحَ بوضوءِ العِشاء قبلَ أنْ يَموتَ بعشرِ سنين .

ويحيى بن زكريا(٢) بن أبي زائدة ، قاضي المدائن ، كان من الأئمةِ الثقات .

ويونس بن حَبيب(٣) : أحد النحاةِ النجباء . أَخَذَ النحوَ عن أبي عمرو بن العلاء وغيرِه ، وأخذ عنه الكِسَائي والفَرَّاء . وقد كانتْ له حَلْقةٌ بالبصرةِ ينتابُها أهلُ العلمِ والأدب ، والفصحاء من الحاضرين والغرباء . تُوفي في هذه السنة عن ثمانٍ وسبعين سنة .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومئة

فيها رجَعَ الرشيدُ من الرقَّةِ إلى بغداد ، فأخذ الناسُ بأداءِ بقايا الخراج الذي عليهم ، وولَّى رجلاً يضربُ الناسَ على ذلك ويَحْبسُهم ، وولَّى على أطرافِ البلاد ، وعزَلَ وولَّى وقطَعَ ووَصَل .

وخرج بالجزيرةِ أبو عمرو الشاري ، فبعث إليه الرشيدُ من قِبَلِه شَهْرَزُور . وحجَّ بالناس فيها إبراهيمُ بن محمد العباسي .

وفيها تُوفي :

أحمد ابن أمير المؤمنين الرَّشِيد(٤) : كان زاهداً عابداً قد تنسَّك ، وكان لا يأكلُ إلاَّ من عمَلِ يدِه في الطِّين . كان يعملُ فاعلاً فيه ، وليس يَمْلِكُ إلاَّ مَرّاً وزِنْبِيلاً(٥) ؛ أي : مِجْرَفَة وقُفَّة . وكان يعملُ في كلِّ

---

(١) في (ب ، ح) : « ليساعده على صناعته » .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٨/ ٢٧٣) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٣٦١) ، معرفة الثقات (٢/ ٣٥٢) ، ذكر أسماء التابعين فمن بعدهم (٤٠٣) ، المقتنى في سرد الكنى (٢٦٩) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٧) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٣٧) ، طبقات المحدثين (٧٠) ، طبقات الحفاظ (١٢٠) .

(٣) ترجمته في التاريخ الكبير (٨/ ٤١٣) ، الكنى والأسماء (١/ ٥٢٥) ، الجرح والتعديل (٩/ ٢٣٧) ، الثقات لابن حبان (٩/ ٢٩٠) ، الفهرست (٦٢) ، المقتنى في سرد الكنى (٣٧٠) .

(٤) ترجمته في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٩٣) ، وفيات الأعيان (١/ ١٦٨) .

(٥) في (ح ، ق) : « مرواً وزنبيلاً » وهو تصحيف والمثبت من (ب) ، والمرُّ : المِسْحاة . والزِّنْبيل : الجِراب ، وقيل : الوِعاء يُحْمل فيه ، فإذا جَمَعوا قالوا زَنَابيل . وقيل : الزِّنْبيل خطأ ، وإنما هو زَبيل وجمعه زُبُل وزُبْلان . لسان العرب (مرر ، زبل) .

جمعةٍ بدِرْهمٍ ودانِق ، يتَقوَّتُ بهما من الجمعةِ إلى الجمعة ، وكان لا يعملُ إلاَّ في يوم السبت فقط(١) ؛ ثم يُقبلُ على العبادةِ بقيَّةَ أيامِ الجُمعة ، وكان من زُبيدةَ في قولِ بعضِهم ، والصحيحُ أنَّهُ من امرأةٍ كان الرشيدُ قد أحبَّها فتزوَّجها ، فحملَتْ منه بهذا الغلام ؛ ثم إنَّ الرشيدَ أرسلها إلى البصرة ، وأعطاها خاتماً من ياقوتٍ أحمر ، وأشياءَ نفيسة ، وأمرَهَا إذا أفضَتْ إليه الخلافةُ أنْ تأتيه ؛ فلما صارَتِ الخلافةُ إليه لم تأتِهِ ، ولا ولَدُها ، بل اختفيا . وبلغَهُ أنَّهما ماتا ، ولم يكنِ الأمرُ كذلك ، وفحَصَ عنهما فلم يطَلِعْ لهما على خبر ، فكان هذا الشابُ يعملُ بيدِهِ ويأكلُ من كَدِّها ، ثم رجَعَ إلى بغداد ، وكان يعملُ في الطِّين ويأكلُ مدَّةً زمانية . هذا وهو ابنُ أميرِ المؤمنين ، ولا يذكرُ للناسِ منْ هو ، إلى أن اتَّفقَ مرَضُهُ في دارٍ منْ كان يستعملُه في الطِّين ، فمرَّضَهُ عندَه ، فلمَّا احتُضر ، أخرج الخاتمَ وقال لصاحبِ المنزل : اذهَبْ بهذا إلى الرشيد ، وقل له : صاحبُ هذا الخاتم يقولُ لك : إيَّاكَ أنْ تموتَ في سكرتِكَ هذهِ فتندمَ حيثُ لا ينفعُ نادماً نَدَمُه ، واحذَرِ انصرافَكَ منْ بين يدي الله إلى الدارَيْن ، وأنْ يكونَ آخرَ العَهْدِ بك ، فإنَّ ما أنتَ فيه لو دامَ لغيرِك لم يَصِلْ إليك ، وسيصيرُ إلى غيرِك ، وقد بَلَغكَ أخبارُ مَنْ مَضَى .

قال : فلمَّا ماتَ دَفَنْتُه ، وطلبتُ الحضورَ عندَ الخليفة ، فلمَّا أُوقفتُ بين يديه قال : ما حاجتُك ؟ قلت : هذا الخاتم دفعَهُ إليَّ رجل ، وأمَرني أنْ أدْفعَهُ إليك ، وأوصاني بكلامٍ أقوله لك . فلمَّا نظَرَ إليه عرفَهُ فقال : وَيْحك ! وأين صاحبُ هذا الخاتم ؟ قال : فقلت : ماتَ يا أميرَ المؤمنين ، وهو يقولُ لك : احذَرْ أن تموتَ في سَكْرَتِكَ هذهِ فتندَم . وذكرتُ له أنه يعملُ بالفاعل في كلِّ جمعةٍ يوماً بدرهمٍ وأربعِ دوانيق ، أو بدرهمٍ ودانق ، يتقوَّتُ به سائرَ الجمعة ، ثم يُقبلُ على العبادة . قال : فلما سمع هذا الكلام قامَ فضرَبَ بنفسِهِ الأرض ، وجعل يتمرَّغُ ويتقلَّبُ ظهراً لِبَطْنٍ ويقول : والله لقد نصَحْتَني يا بُني . ثم بكى ، ثم رفع رأسَهُ إلى الرجل وقال : أتعرِفُ قبرَه ؟ قلت : نعم ، أنا دفنتُه . قال : إذا كان العشيُّ فأْتني . قال : فأتيتُهُ فذهَبَ إلى قبرِه ، فلم يزَلْ يبكي عندَهُ حتى أصبح . ثم أمر لذلك الرجل بعشرةِ آلافِ درهم ، وكتب له ولعيالِهِ رزقاً .

وفيها مات :

عبد الله بن مُصْعَب(٢) بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القُرَشيُّ الأسديّ ، والدُ بكَّار ، ألزمه

---

(١) رواية (ب ، ح) : « كانت أجرتُهُ في كل يوم يعملُ فيه من الجمعةِ إلى الجمعة درهما ودانِقاً » .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٥/ ٢١١) ، الجرح والتعديل (٥/ ١٧٨) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٥٦) ، تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٣) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٠١) ، المغني في الضعفاء (٣٥٨) ، الإكمال للحسيني (٦٥٠) ، لسان الميزان (٣/ ٣٦١) ، تعجيل المنفعة (٢٣٥) ، نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ١٠) .

الرشيدُ بولايةِ المدينة ، فقَبِلها بشروطِ عَدْلٍ اشترَطَها ، فأجابه إلى ذلك ؛ ثم أضاف إليه نيابةَ اليمن ، فكان من أعدَلِ الولاة . وكان عمرُهُ يوم تولّى نحواً من سبعين سنة .

عبد الله بن عبد العزيز العمري(١) : أدرك أبا طُوَالة ، وروى عن أبيه ، وإبراهيم بن سعد . وكان عابداً زاهداً ؛ وعَظَ الرشيدَ يوماً فأطنَبَ وأطيَب. قال له وهو واقفٌ على الصفَا : أتنظُرُ كم حولَها ـ يعني الكعبة ـ من الناس ؟ فقال : كثير . فقال : كلٌّ منهم يُسألُ يومَ القيامة عن خاصَّةِ نفسِه ، وأنتَ تسألُ عنهم كلِّهم . فبكى الرشيدُ بكاءً كثيراً . وجعلوا يأتونَهُ بِمنديلٍ بعدَ منديل ، ينشفُ به دموعَه . ثم قال له : يا هارون ، إنَّ الرجل لَيُسْرِفُ في مالِهِ فيستحقُّ الحَجْرَ عليه ، فكيف بمَنْ يُسْرِفُ في أموالِ المسلمين كلِّهم ؟ ثم تركه وانصرَف ، والرشيدُ يبكي . وله معَهُ مواقفُ محمودةٌ غير هذه . تُوفي عن ستٍّ وستين سنة .

ومحمد بن يوسف بن مَعْدَان(٢) **أبو عبد الله الأصبهاني** ، أدرك التابعين ، ثم اشتغل بالعِبَادَةِ والزَّهادَة ، كان عبدُ الله بن المبارك يُسَمِّيهِ عَرُوسَ الزُّهَّاد . وقال يحيى بنُ سعيد القَطَّان : ما رأيتُ أفضلَ منه ، كان كأنَّهُ قد عايَن . وقال ابنُ مهدي : ما رأيتُ مثلَه . وكان لا يشتري خُبزةُ من خبَّازٍ واحد ، ولا بَقْلهُ من بقَّالٍ واحد ، كان لا يشتري إلاَّ ممَّنْ لا يعرِفه ، يقول : أخشَى أنْ يُحابوني فأكونُ ممَّن يعيشُ بدينِهِ . وكان لا يضعُ جَنبَهُ للنوم صيفاً ولا شتاءً . ومات ولم يجاوزِ الأربعين سنةً . رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومئة

فيها قَتل أهلُ طَبَرِسْتان مُتولِّيهم مِهْرَويْه الرازي ؛ فولَّى الرشيدُ عليهم مكانَهُ عبدَ الله بنَ سعيد الحَرَشيّ .

وفيها قَتَل عبدُ الرحمن الأنباري أبانَ بن قَحْطبة الخارجي بمَرْجِ القَلَعَة(٣) .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (٥/ ١٤٠) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٣٥) ، مشاهير علماء الأمصار (١/ ١٢٩) ، الثقات (٧/ ١٩) ، مولد العلماء ووفياتهم (٤١٦) ، صفة الصفوة (٢/ ١٨١) ، تهذيب الكمال (١٥/ ٢٤١) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٣٧٠) ، ميزان الاعتدال (٤/ ١٤١) .

(٢) ترجمته في الجرح والتعديل (٨/ ١٢١) ، الثقات لابن حبان (٩/ ٧٤) ، حلية الأولياء (٨/ ٢٢٥) ، (١٠/ ٣٨٩) ، طبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ٢١ ، و٣/ ٤٣٩) ، صفة الصفوة (٤/ ٨١) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٤٨٢) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢٥) ، الوافي بالوفيات (٥/ ٢٤٤) ، طبقات الأولياء (٤٠٤) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١١٧) ، طبقات الشعراني (١/ ٦١) ، الكواكب الدرية (١/ ١٦٣) .

(٣) في (ق) : « مرج العلقة » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومعجم البلدان (٤/ ٣٨٩ و٥/ ١٠١) ، وفيه : القَلَعة بالتحريك مَرْجُ القَلَعة ، قال العمراني : موضعٌ بالبادية ، وإليه تُنسب السيوف . وقيل : هي القرية التي دون حُلْوانَ العراق . بينه وبين حُلْوان مَنْزل ، وهو من حُلوان إلى جهةِ هَمَذان .

وفيها عاثَ حمزةُ الشاري ببلادِ باذَغِيس[١] من خُراسان . فنهض عيسى بنُ علي بن عيسى إلى عشرةِ آلافٍ من جيشِ حمزةَ فقتلهم ، وسار وراء حمزة إلى كابُل وزابُلِسْتان[٢] .

وفيها خرج أبو الخَصيب ، فتغلَّبَ على أبيوَرْدَ ، وطُوس ، ونَيْسابور ؛ وحاصر مَرْو ؛ وقَوي أمرُه .

وفيها توفي يزيد بن مَزْيَد بِبَرْذَعَة[٣] فولَّى الرشيدُ مكانهُ ابنهُ أسدَ بن يزيد . واستأذن الوزير يحيى بنُ خالد الرشيدَ في أن يعتمرَ في رمضان ، فأذنَ له ؛ ثم رابَطَ بجُنده إلى وقتِ الحجّ . وكان أمير الحج في هذه السنة منصور بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس .

وفيها توفي :

عبدُ الصَّمَد بنُ علي[٤] **بنِ عبد الله بنِ عباس بن عبد المطَّلبِ الهاشمي** ، عَمُّ السفَّاحِ والمنصور . وُلد سنة أربعٍ ومئة ؛ وكان ضخمَ الخَلْق جدّاً ، ولم يُبَدِّلْ أسنانَه ، وكانتْ أصولُها صفيحةً واحدة . قال يوماً للرشيد : يا أمير المؤمنين ، هذا المجلسُ اجتمع فيه عمُّ أميرِ المؤمنين ، وعمُّ عَمِّه وعَمُّ عَمِّ عمِّه ؛ وذلك أنَّ سليمانَ بنِ أبي جعفر عمُّ الرشيد ، والعباسَ بنَ محمد بن علي عمُّ سليمان ، وعبدَ الصمدِ بنَ علي عَمُّ السفَّاح . وتلخيصُ ذلك أنَّ عبدَ الصمد عَمُّ عمِّ عمِّ الرشيد ، لأنه عمُّ جدِّه .

روى عبدُ الصمد عن أبيه ، عن جدِّه عبدِ الله بن عباس ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إنَّ البِرَّ والصِّلَةَ لَيُطيلانِ الأعمار ، ويُعْمِرَانِ الدِّيار ، ويُثْرِيانِ الأموال . ولو كان القومُ فُجَّاراً »[٥] .

---

(١) « باذَغيس » ـ بفتح الذال وكسر الغين المعجمة وياء ساكنة وسين مهملة ـ : ناحيةٌ تشتملُ على قرى من أعمالِ هَرَاة ومَرْو الرُّوذ ، يكثر فيها شجر الفستق . وقيل : إنها كانت دارُ مملكة الهياطلة . وقيل أصلها بالفارسية باذخير ، معناه قيام الريح أو هبوب الريح لكثرة الرياح بها . معجم البلدان (١/ ٣١٨) .

(٢) « زابُلِسْتان » ـ بعد الألف باء موحدة مضمومة ، ولام مكسورة وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة من فوق وآخره نون ـ : كورةٌ واسعةٌ قائمةٌ برأسها جنوبيَّ بَلْخ وطُخَارستان وهي زابُل ، والعجَم يزيدون السين وما بعدها في أسماء البلدان شبيها بالنسبة ، وهي منسوبة إل زابُل جدِّ رُستم بن دستان ؛ وهي البلادُ التي قصَبتُها غُزْنة البلد المعروف العظيم . معجم البلدان (٣/ ١٢٥) .

(٣) « برذعة » ـ وقد رواه أبو سعد بالدال المهملة ، والعين مهملة عند الجميع ـ : بلد في أقصى أذْرَبيجَان . وقال هلال بن المحسن : برذعة قصبة أذربيجان . وذكر ابنُ الفقيه أن برذعة هي مدينة أران وهي آخرُ حدودِ أذْرَبيجان . وهي نزهةٌ خِصْبةٌ كثيرةُ الزرع والثمار جدّاً ، وليس ما بين العراق وخراسان بعد الرّي وأصبهان مدينةٌ أكبرَ ولا أخصبَ ولا أحسنَ موضعاً من مرافق برذعة معجم البلدان (١/ ٣٧٩) .

(٤) ترجمته في مولد العلماء ووفياتهم (٤١٩) ، تاريخ بغداد (١١/ ٣٧) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٩٥) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢٩) ، العبر (١/ ٢٩٠) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢/ ١٧٨) .

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٨٦) ؛ وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٣٤) برقم (٨٩٠) بلفظ : =

وبه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ البرَّ والصلةَ لَيُخَفِّفانِ الحسابَ يومَ القيامة » . ثم تلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد : ٢١][١] . وغير ذلك من الأحاديث .

ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف بالإمام ، كان على إمارةِ الحاج ، وإقامةِ سِقَايتِهِ في خلافةِ المنصور عِدَّةَ سنين . تُوفي ببغداد فصلَّى عليه الأمينُ في شوال من هذه السنة ودُفن بالعباسيَّة .

وفيها توفي من مشايخِ الحديث :

تمام بن إسماعيل .

وعمرو بن عبيد .

والمطلب بن زياد .

والمُعافى بن عمران في قول .

ويوسُف بن الماجِشُون .

وأبو إسحاق الفَزَاري[٢] ، إمامُ أهلِ الشامِ بعدَ الأوزاعي في المغازي والعلم والعبادة .

ورابعَة العَدَويَّة[٣] : وهي رابعةُ بنتُ إسماعيل ، مولاةُ آلِ عَتيك ، العَدَويَّةُ البصريَّةُ ، العابدةُ

= « البر وحسن الجوار ، عمارة الديار ، وزيادة الأعمار » وقال : رواه ابنُ عبدِ البرّ عن أبي سعيد الخدري موقوفاً ؛ وقيل مرفوعاً . قال في المقاصد نقلاً عن ابنِ عبدِ البر : وفيه نظر . وتبعه الذهبي ثم شيخُنا . وقال النجم : وعند الديلمي عن ابن عباس « البر والصلة يطيلان الأعمار ، ويعمران الديار ، ويثريان الأموال ، ويُخفِّفَانِ سُوءَ الحساب » . أقول : وهو ضعيف بهذا اللفظ ، وقد رواه أحمد في المسند (٦/١٥٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « صلة الرحم ، وحسن الجوار ، وحسن الخلق ، يعمرن الديار ، ويزدن في الأعمار » وهو حديث صحيح ورواه الباغندي في جزء له .

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١/٣٨٦) ، وذكره العجلوني في كشف الخفا ، وانظر الحاشية السابقة .

(٢) سيذكر المؤلف وفاته في سنة (١٨٨) ، انظر ص(٢٠٠) من نسخة (ق) ؛ وترجمته في طبقات ابن سعد (٧/٤٨٨) ، طبقات خليفة (٣١٧) ، التاريخ الكبير (١/٣٢١) ، التاريخ الصغير (٢/٢١٧) ، المعرفة والتاريخ (١/١٧٧) ، حلية الأولياء (٨/٢٥٣) ، معجم الأدباء (١/٢٠٩) ، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (١/٢٦٩) ، الكامل لابن الأثير (٦/١٧٤) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٤/١١٣) ، تهذيب الكمال (٢/١٦٧) ، سير أعلام النبلاء (٨/٤٧٣) (أو ٥٣٩) (ترجمة رقم ١٤٢) ، وطبقات علماء الحديث (١/٣٩٩) ، الوافي (٦/١٠٤) ، طبقات الحفاظ (١١٧) ، شذرات الذهب (١/٣٠٧) .

(٣) ترجمتها في صفة الصفوة (٤/٢٧) ، المختار من مناقب الأخيار (٥/٢٥٣) ، وفيات الأعيان (٢/٢٨٥) ، سير=

المشهورة ؛ ذكرَهَا أبو نُعيم في « الحلية » ؛ والقشيري في « الرسالة »[(١)] ؛ وابنُ الجَوْزي في « صِفَة الصَّفْوَة » ؛ والشيخ شهاب الدِّين السَّهْرَوَردي في « المعارف » . وأثنى عليها أكثرُ الناس ، وتكلَّم فيها أبو داود السِّجْستاني ، واتَّهمَها بالزَّندَقة ، فلعلَّه بلغه عنها أمر . وأنشَدَ لها السَّهْرَوَرْديُّ في « المعارف » :

إنـي جعلتُـكَ فـي الفـؤادِ مُحـدِّثـي ... وأبَحْـتُ جِسْمـيَ مـنْ أرادَ جُلـوسـي
فـالجسـمُ منِّـي للجَليـسِ مـؤانِـسٌ ... وحَبيـبُ قلبـي فـي الفـؤادِ أنيسـي[(٢)]

وقد ذكروا لها أحوالاً وأعمالاً صالحة ، وصيامَ نهارٍ وقيامَ ليلٍ . ورُئيتْ لها مناماتٌ صالحة ، فالله أعلم .

تُوفِّيتْ بالقُدْس الشريف ، وقبرُها شرقيَّهُ بالطُّور . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومئة

فيها خرجَ عليُّ بنُ عيسى بن ماهان من مَرْو لِحَرْبِ أبي الخَصيب إلى نَسَا ؛ فقاتَلَهُ بها ، وسَبَى نساءَهُ وذَرَارِيَّهُ . واستقامَتْ خُراسان . وحجَّ بالناسِ فيها الرشيد ، ومعه ابناهُ محمدٌ الأمين ، وعبد الله المأمون ، فبلَغَ جملةُ ما أعطى لأهلِ الحرَمَيْن ألفَ ألفِ دينار ، وخمسين ألفَ دينار ، وذلك أنه كان يُعطي الناس ، فيذهبونَ إلى الأمين فيُعطيهم ، فيذهبون إلى المأمون فيعطيهم . وكان إلى الأمين ولايةُ الشام والعراق ، وإلى المأمون هَمَذان إلى بلاد المشرق ، ثم تابع الرشيدُ لولدِهِ القاسم من بعدِ ولدَيْه ، ولقَّبهُ المؤتَمن ، وولَّاهُ الجزيرةَ والثُّغور والعواصم ، وكان الباعث له على ذلك أنَّ ابنه القاسم هذا كان في حِجْر عبدِ الملك بن صالح ، ولما بايَعَ الرشيدُ لولدَيْه الأمين والمأمون كتَبَ إليه :

يــا أيهــا الملــكُ الــذي ... لـو كـان نجماً كـان سَعْـدا
اعقِــدْ لقــاسِــم بيعــةً ... واقدَحْ له في المُلك زَنْدا
فـــاللهُ فـــرْدٌ واحـــدٌ ... فاجْعلْ وُلاةَ العَهْدِ فَرْدا[(٣)]

= أعلام النبلاء (٨/ ٢١٥) (٢٤١) ، العبر (١/ ٢٧٨) ، مرآة الجنان (١/ ٢٨١) ، الوافي بالوفيات (١٤/ ٥١) ، طبقات الأولياء (٤٠٨) ، النجوم الزاهرة (١/ ٣٣٠) ، طبقات الشعراني (١/ ٦٥) ، الكواكب الدرية (١/ ٢٨٥) ، شذرات الذهب (١/ ١٩٣) .

(١) لم أجد لها ترجمة مفردة في الرسالة القشيرية بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ؛ ولكن لها ذكر في مواضع متفرِّقة منها ، انظر فهارس الرسالة القشيرية .

(٢) البيتان في صفة الصفوة (٤/ ٣٠١ ، ٣٠٢) ، وجامع العلوم والحكم (٤٤٩) .

(٣) الأبيات في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١١١) .

ففعل الرشيدُ ذلك ، وقد حَمَدهُ قومٌ على ذلك وذَمَّهُ آخرون . ولم ينتظِمْ للقاسم هذا أمر ، بلِ اختطفَتْهُ المَنُونُ والأقدارُ عن بلوغِ الأملِ والأوطار . ولما قَضَى الرشيدُ حجَّه أحضر منْ معه من الأمراءِ والوزراء ، وأحضر وليَّ العهد محمداً الأمين ، وعبدَ الله المأمون ، وكتب بمضمونِ ذلك صحيفةً ، وكتب فيها الأمراءُ والوزراءُ خُطوطَهم بالشهادةِ على ذلك ؛ وأرادَ الرشيدُ أن يُعلِّقَها في الكعبة فسقطَتْ ، فقيل : هذا أمرٌ سريعٌ انتقاضُه . وكذا وقَعَ كما سيأتي .

وقال إبراهيمُ المَوْصلي في عَقدِ هذه البَيْعةِ في الكعبة :

خيـــرُ الأمـــورِ مَغبَّـــةً وأحـــقُّ أمْـــرٍ بـــالتَّمـــامْ
أمـرٌ قَضَـى أحكـامَـهُ الـرْ رَحمـنُ فـي البلـدِ الحَـرَامْ

وقد أطالَ القولَ في هذا المقام أبو جعفر بن جرير ، وتبعه ابنُ الجوزي في « المنتظم »[١] .

وفيها تُوفي من الأعيان :

أصبغُ بن عبدِ العزيز بن مروان بن الحكم أبو زَبَّان[٢] في رمضان منها .

وحسان بن إبراهيم قاضي كَرْمان عن مئةِ سنة .

وسَلْم الخاسِر الشاعر[٣] : وهو سَلْم بن عمرو بن حمَّاد بن عطاء ، وإنَّما قيل له الخاسر لأنَّه باع مُصحفاً واشترى به ديوانَ شعرٍ لامرىء القيس[٤] ، وقيل : لأنه أنفق مئتي ألفٍ في صناعةِ الأدب . وقد كان شاعراً منطيقاً ، له قدرةٌ على الإنشاء على حرفٍ واحد ، كما قال في موسى الهادي :

موسى المَطَرْ ، غَيْثٌ بَكَرْ ، ثم انْهَمَرْ ، كم اعتَبَرْ ، ثم فتَرْ ، وكم قَدَرْ ، ثم غَفَرْ ، عدْلُ السِّيَرْ ، باقي الأثَـرْ ، خَيْرُ البَشَرْ ، فَرْعُ مُضَرْ ، بَدْرٌ بَدَرْ ، لِمَنْ نَظَرْ ، هو الوَزَرْ[٥] ، لِمَنْ حَضَرْ ، والمُفْتَخَرْ ، لِمنْ غَبَرْ .

وذكر الخطيبُ أنه كان على طريقةٍ غيرِ مَرْضيَّةٍ من المُجونِ والفِسْق ، وأنه كان من تلاميذِ بشَّارِ بنِ بُرْد ، وأنَّ نظمَهُ أحسنُ من نظمِ بشار . فمِمَّا غلَبَ فيه بشاراً قولُه :

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٥/ ٧١٠) ، والمنتظم (٩/ ١١٢) .

(٢) صُحِّفت كنيته في الأصول ، والمثبت من ترجمته في الإكمال لابن ماكولا (٤/ ١١٦) .

(٣) ترجمته في الأغاني (١٩/ ٢٧٦) . تاريخ بغداد (٩/ ١٣٦) ، المنتظم (٩/ ١٢٠) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٠) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٩٣) .

(٤) وقيل : لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طُنبوراً . انظر الأغاني (١٩/ ٢٧٦) ، والمنتظم (٩/ ١٢٠) .

(٥) « الوَزَر » : الملجأ . لسان العرب (وزر) .

مَنْ راقَبَ الناسَ لم يظفَرْ بحَاجَتِهِ   وفـاز بـالطَّيِّبـاتِ الفـاتِـكُ اللَّهِـجُ(١)

فقال سَلْم :

مـنْ راقَـبَ النـاسَ مـاتَ غَمّـاً   وفـاز بـاللَّـذَّةِ الجسـورُ

فغَضِبَ بشارٌ وقال : أخذَ مَعانيَّ فكساها ألفاظاً أخفَّ من ألفاظي .

وقد حَصَلَ له من الخلفاءِ والبرامكة نحو من أربعين ألفَ دينار ؛ وقيل : أكثر من ذلك ؛ ولما مات ترَكَ ستةً وثلاثين ألفَ دينار وديعةً عند أبي الشِّمْر الغسَّاني ؛ فغنَّى إبراهيمُ المَوْصِليُّ يوماً الرَّشيد ، فأطرَبَه ، فقال له : سلْ . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أسألُكَ شيئاً ليس فيه من مالِكَ شيء ، ولا أرْزَؤكَ شيئاً سواه . قال : وما هو ؟ فذكر له وديعةَ سَلْم الخاسِر ، وأنَّهُ لم يترُكْ وارثاً . فأمر له بِها . ويقال : إنها كانت خمسين ألفَ دينار .

والعباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عمُّ أبي الرشيد ، كان من ساداتِ قُريش ، ولي إمارةَ الجزيرة في أيامِ الرشيد ، وقد أطلَقَ له الرشيدُ في يومٍ خمسةَ آلافِ ألفِ درهم ، وإليه تُنسب العبَّاسية ، وبها دُفن وعُمرُه خمسٌ وستون سنة . وصلَّى عليه الأمين .

ويَقْطِينُ بنُ مُوسى(٢) : كان أحدَ الدُّعاة إلى دولةِ بني العباس ، وكان داهيةً ذا رأي وقدِ احتالَ مرَّةً حيلةً عظيمة ، لما حبس مروانُ الحمار إبراهيمَ بن محمد بِحَرَّان ، فتحيَّرَتِ الشيعةُ العباسية فيمَنْ يولُّون ؟ ومَنْ يكونُ وليَّ الأمرِ من بعدِهِ إنْ قُتل ؟ . فذهب يقطينُ هذا إلى مروان ، فوقف بين يديه في صورةِ تاجرٍ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قد بعتُ إبراهيم بن محمد بضاعةً ولم أقبِضْ ثمنَها منه ، حتى أخَذَتْهُ رُسُلُك ، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يجمعَ بيني وبينه لأطالبَهُ بمالي فعَل . قال : نعم . فأرسل به إليه مع غلام ، فلما رآه قال : يا عدوَّ الله ، إلى مَنْ أوْصَيْتَ بعدَكَ آخُذُ مالي منه ؟ فقال له : إلى ابنِ الحارثيَّة . يعني أخاه عبدَ الله السفَّاح . فرجَعَ يقطينُ إلى الدعاة إلى بني العباس ، فأعلمهم بما قال ، فبايعوا السفَّاح ، فكان من أمرِهِ ما ذكَرْناه .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومئة

فيها كان مَهْلِكُ البَرامكة على يدَي الرشيد ، قتَلَ جعفرَ بن يحيى بن خالد البَرْمَكي ، ودَمَّرَ ديارَهم ، واندرستْ آثارُهم ، وذهب صغارُهم وكبارُهم . وقد اختُلف في سببِ ذلك على أقوال ، ذكرها ابنُ جرير

(١) البيت في ديوان بشار ص(٢٣٥) .

(٢) ترجمته في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٢٥) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٢٠) .

وغيرُه من علماء التاريخ ، فمِمَّا قيل : إنَّ الرشيد كان قد سلَّم يحيى بن عبد الله بن حسن إلى جعفر البَرْمَكي لِيسجُنَهُ عندَه ، فما زال يحيى يترفَّق له حتى أطلقَهُ جعفر ، فنَمَّ الفضلُ بنُ الربيع في ذلك على جعفر إلى الرشيد ، فقال له الرشيد : وَيْلَك ! لا تدخُلْ بيني وبين جعفر ، فلعلَّهُ أطلَقَهُ عن أمْرِي وأنا لا أشعُر . ثم سأل الرشيدُ جعفراً عن ذلك ، فصدَّقه ، فتغيَّظ عليه ، وحلَفَ لَيَقْتُلَنَّه . وكرهَ البرامكة ، ثم قتلهم وقلاهم بعدَما كانوا أحظَى الناس عندَه وأحبَّهم إليه . وكانتْ أمُّ جعفر والفضل أمَّ الرشيد من الرَّضاعة ، وقد جعلهم الرشيدُ من الرفعةِ في الدنيا وكثرةِ المال بسببِ ذلك شيئاً كثيراً ، لم يحصُلْ لِمَنْ قبلَهم من الوزراء ، ولا لِمَنْ بعدَهم من الأكابر والرؤساء ، بحيثُ إنَّ جعفراً بَنَى داراً غَرِمَ عليها عشرين ألفَ ألفِ درهم ، وكان ذلك من جُملةِ ما نَقِمَهُ عليه الرشيد .

ويقال : إنما قتلهم الرشيدُ لأنه كان لا يَمُرُّ ببلدٍ ، ولا إقليمٍ ، ولا مزرعةٍ ، ولا بستانٍ إلاَّ قيل : هذا لِجعفر . ويُقال : إنَّ البرامكةَ كانوا يُريدون إبطالَ خلافةِ الرشيد ، وإظهارَ الزَّنْدَقة . وقيل : إنما قتلهم بسببِ العبَّاسَة . ومن العلماء من أنكرَ ذلك ، وإنْ كان ابنُ جرير قد ذكرَه .

وذكر ابنُ الجوزي أنَّ الرشيد سُئل عن سببِ قتلِهِ البرامكَة فقال : لو أعلمُ أنَّ قميصي يعلَمُ ذلك لأحرقتُه . وقد كان جعفرٌ يدخلُ على الرشيد بغيرِ إذْن ، حتى كان يدخُلُ عليه وهو في الفِراش مع حظاياه ، وهذهِ وجاهةٌ عظيمة ، ومَنْزِلةٌ عالية ، وكان عندَهُ من أحظَى العُشَراء على الشراب المسكر ـ فإنَّ الرشيد كان يستعملُ في أواخرِ أيامِ خلافتِه المسكرَ وكأنَّه المختلَفُ فيه ـ وكان أحبَّ أهلِهِ إليه العبَّاسةُ بنتُ المهدي ، وكان يُحضِرُها معه ، وجعفرٌ البرمكيُّ حاضرٌ أيضاً معه ، فزوَّجَهُ بها لِيحلَّ النظر إليها ، واشترطَ عليه أنْ لا يطأها ، وكان الرشيدُ ربما قامَ وتركهما وهما ثَمِلانِ من الشراب ، فربَّما واقَعَها جعفرٌ فحَبِلَتْ منه ، فولدَتْ ولداً وبعثَتْهُ مع بعضِ جواريها إلى مكة ، وكان يُرَبَّى بِها .

وذكر ابنُ خَلِّكان في الوفيات أنَّ الرشيد لَمَّا زوَّجَ أختَهُ العبَّاسة من جعفر أحبَّها حُبّاً شديداً ، فراوَدَتْهُ عن نفسِه فامتَنع أشدَّ الامتناع خوفاً من الرشيد ، فاحتالَتْ عليه ، وكانت أمُّهُ تُهدي له في كلِّ ليلةِ جمعةٍ جاريةً حسناءَ بِكْراً ، فقالت : أدخِلِيني عليهِ بصفةِ جارية . فهابَتْ ذلك ، فتهدَّدَتْها حتى فعلتْ ذلك ، فلما دخلَتْ عليه لم يَتحقَّقْ وجهَها ، فواقَعَها ، فقالتْ له : كيف رأيتَ خديعةَ بناتِ الملوك ؟ وحملَتْ من تلك الليلة ، فدخل على أُمِّه فقال : بعتيني واللهِ برخيص . ثم إنَّ والدَهُ يحيى بن خالد جعل يُضَيِّقُ على عيالِ الرشيد في النَّفَقَة ، حتى شكَتْ زُبَيدةُ ذلك إلى الرشيد مرَّاتٍ ، ثم أفشَتْ له سِرَّ العبَّاسة ، فاستشاطَ غيظاً ، ولما أخبرَتْهُ أنَّ الولدَ قد أرسلَتْ به إلى مكة ، حجَّ عامَ ذلك حتى تحقَّقَ الأمر .

ويقال : إنَّ بعضَ الجواري نَمَّتْ عليها إلى الرشيد ، وأخبرَتْهُ بما وقع ، وأنَّ الولدَ بمكة ، وعندَهُ جوارٍ وأموالٌ وحُلِيٌّ كثيرة ، فلم يصدِّقْ حتى حجَّ في السنةِ الخالية ، ثم كشَفَ الأمرَ عن الحال ، فإذا هو كما ذُكر .

وقد حجَّ في هذه السنة التي حجَّ فيها الرشيدُ يحيى بنُ خالدٍ الوزير وقد استشعرَ الغضب من الرشيدِ عليه ، فجعل يدعو عندَ الكعبة : اللهمَّ إنْ كان يُرضيكَ عني سلبُ جميعِ مالي وولدي وأهلي فافعَلْ ذلك ، وأبقِ عليَّ منهم الفضل . ثم خرج . فلما كان عند بابِ المسجد رجَعَ فقال : اللهمَّ والفضلُ معَهم ، فإنِّي راضٍ بِرضاك عني ، ولا تستَثْنِ منهم أحداً .

فلما قفَلَ الرشيدُ من الحجِّ صار إلى الحِيرة ، ثم ركب في السُّفن إلى الغَمْرِ من أرضِ الأنبار ، فلما كانتْ ليلةُ السبت ، سَلْخَ المحرَّم من هذه السنة أرسل مسروراً الخادمَ ومعه حَمَّاد بن سالم أبو عصمة في جماعةٍ من الجند ، فأطافوا بجعفر بن يحيى ليلاً ، فدخل عليه مسرورٌ الخادم وعندَهُ بَخْتَيْشُوع المتطبِّب وأبو زَكَّار(١) الأعمى المُغَنِّي الكَلْوَذاني ، وهو في أمرِه وسرورِه وأبو زكَّار يُغنِّيه :

فـلا تَبْعَـدْ فكُـلُّ فتًـى سيـأتـي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادِي(٢)

فقال الخادمُ له : يا أبا الفضل هذا الموتُ قد طرَقَك ، أجِبْ أميرَ المؤمنين . فقام إليه يُقَبِّلُ قدمَيْه ، ويدخُلُ عليه أنْ يُمكنَهُ فيدخلَ إلى أهلِهِ فيُوصِيَ إليهم ويُودِّعَهم ، فقال : أمَّا الدخـولُ فلا سبيلَ إليه ، ولكنْ أوْصِ . فأوْصَى وأعتَقَ جميعَ مماليكِه أو جماعةً منهم ، وجاءت رُسلُ الرشيدِ تستحِثُّه ، فأُخرج إخراجـاً عَنيفاً ، فجعلوا يقودونه حتى أتَوْا به المَنْزِل الذي فيه الرشيد ، فحبسَهُ وقيَّدَه بقيدِ حِمـار ، وأعلموا الرشيدَ بِما كان يفعل ، فامَرَ بضَرْبِ عُنقِه ، فجاء السَّيَّافُ إلى جعفر فقال : إنَّ أميرَ المؤمنين قد أمرَني أنْ آتيَهُ برأسِك . فقال : يا أبا هاشم ، لعلَّ أميرَ المؤمنين سكران ، فإذا صحا عاتَبَك فيّ . فعاوَدَهُ فرجَعَ إلى الرشيد ، فقال : إنه يقولُ لعلَّك مشغول . فقال : يا ماصَّ بَظَرِ أمِّه ، ائتني برأسِه . فكرَّرَ عليه جعفرٌ المقالةَ ، فقال الرشيدُ في الثالثة : برئتُ من المهديِّ إنْ لم تأتِني برأسِه لأبعثَنَّ مَنْ يأتيني برأسِكَ ورأسِه . فرجع إلى جعفر ، فحزَّ رأسَه وأتى به إلى الرشيد ، فألقاه بين يديه ، وأرسل الرشيدُ من ليلتِه البُرُدَ بالاحتياطِ على البرامكةِ جميعِهم ببغدادَ وغيرِها ، ومن كان منهم بسبيل . فأُخذوا كلُّهم عن آخرِهم ، فلم يفْلتْ منهم أحد ، وحُبس يحيى بنُ خالد في مَنْزِله ، وحُبس الفضلُ بن يحيى في مَنْزِلٍ آخر ، وأُخذ جميعُ ما يَمْلِكونَهُ من الدنيا ، وبعث الرشيدُ برأسِ جعفرٍ وجُثَّتِه ، فنُصب الرأسُ عند الجِسْرِ الأعلى ، وشُقَّتِ الجُثَّةُ باثنتَيْن ، فنُصب نصفُها الواحدُ عند الجسرِ الأسفل ، والأخر عند الجسرِ الآخر ، ثم أُحرقَتْ بعدَ ذلك ، ونُودِيَ في بغداد : أنْ لا أمانَ للبرامكة ، ولا لِمَنْ آواهم ، إلاَّ محمد بن يحيى بن خالد ، فإنه مُستَثنىً منهم ، لِنُصْحِهِ للخليفة . وأُتِي الرشيد بأنس بن أبي شيخ ، كان يُتَّهَمُ بالزَّنْدَقة ، وكان مُصاحباً لجعفر ، فدار بينه وبين الرشيد كلام ، ثم أخرج

---

(١) صحفت اللفظة في الأصول ، والمثبت من تاريخ الطبري (٤/ ٦٦١) ، والإكمال لابن ماكولا (٤/ ١٨٧) .

(٢) الخبر والبيت في الأغاني (٧/ ٢٤٦) في ترجمة أبي زكار الأعمى .

الرشيدُ من تحتِ فراشِهِ سيفاً وأمر بضربِ عُنقِه به ، وجعل يتمثَّلُ ببيتٍ قيل في قتل أنسٍ قبلَ ذلك :

تلمَّظَ السيفُ من شوقٍ إلى أنس ... فالسيفُ يلحَظُ والأقدارُ تنتظِرُ

فضُربَتْ عُنقُ أنس ، فسبَقَ السيفُ الدَّمَ ، فقال الرشيد : رحمَ الله عبدَ الله بن مُصعَب . فقال الناس : إنَّ السيفَ كان للزُّبير بنِ العوَّام . ثم شُحنت السجونُ بالبرامكة ، واستُلبَتْ أموالُهم كلُّها ، وزالتْ عنهمُ النِّعمة . وقد كان الرشيدُ في اليوم الذي قتل جعفراً في آخرِه هو وإيَّاهُ راكبَيْنِ في الصَّيد في أوَّله ، وقد خلا به دون ولاةِ العُهود ، وطيَّبَهُ في ذلك بالغالية بيدِه ، فلما كان وقتُ المغرب ودَّعَهُ الرشيدُ وضَمَّهُ إليه وقال : لولا أنَّ الليلةَ ليلةُ خلوتي بالنساء ما فارقتُك ، فاذهبْ إلى مَنْزِلك ، واشرَبْ واطرَبْ وطِبْ عيشاً ، حتى تكونَ على مثلِ حالي ، فأكون أنا وأنتَ في اللذَّةِ سواءً . فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ، لا أشتهي ذلك إلَّا معَك . فقال : لا ، انصرِفْ إلى مَنْزِلك . فانصرَفَ عنه جعفر . فما هو إلَّا أنْ ذهب من الليلِ بعضُه حتى أوقعَ به من البأسِ والنَّكالِ ما تقدَّم ذكرُه ، وكان ذلك ليلةَ السبت ، آخرَ ليلةٍ من المحرَّم ، وقيل : إنَّها أولُ ليلةٍ من صَفَر في هذه السنة ، كان عمرُ جعفرٍ إذْ ذاك سبعاً وثلاثين سنة . ولما جاء الخَبرُ إلى أبيه يحيى بنِ خالد بقتلِه : قال : قتَلَ الله ابنَه . ولما قيل له : قد خَربَتْ دارُك . قال : خرَّب الله دورَه . ويقال : إنَّ يحيى لما نظر إلى دُوره وقد هُتكتْ ستورُها ، واستُبيحتْ قصورُها ، وانتُهب ما فيها قال : هكذا تقومُ الساعة . وقد كتَبَ إليه بعضُ أصحابه يُعزِّيه فيما جرى له ، فكتب إليه جوابَ التعزية : أنا بقضاء الله راضٍ وباختيارِهِ عالِم ، ولا يؤاخِذُ الله العبادَ إلَّا بذنوبهم ، وماالله بظلَّامٍ للعبيد ، وما يغفِرُ الله أكثَرُ ، ولله الحمد . وقد أكثر الشعراءُ من المراثي في البرامكة ، فمن ذلك قولُ الرَّقَاشي ، وقيل : إنَّها لأبي نُوَاس :

الآن استرَحْنا واستراحَتْ رِكَابُنَا ... وأمسَكَ مَنْ يُجْدي ومَنْ كان يَجْتَدي
فقلْ للمَطايَا قد أمِنْتِ من السُّرَى ... وطَيِّ الفيافي فَدْفَداً بعدَ فَدْفَدِ
وقلْ للمنايا قد ظَفِرْتِ بجعفرٍ ... ولن تَظْفَري من بعدِهِ بِمُسَوَّدِ
وقلْ للعطايا بعد فضلٍ تعَطَّلي ... وقلْ للرزَّايا كلَّ يوم تَجَدَّدي
ودونكِ سيفاً برمكيّاً مُهَنَّداً ... أُصيبَ بسيفٍ هاشميٍّ مُهنَّدِ[1]

وقال الرَّقَاشيُّ وقد نظرَ إلى جعفرٍ وهو على جذْعه :

أمَا واللهِ لولا خوفُ واشٍ ... وعينٌ للخليفةِ لا تنامُ
لَطُفْنا حولَ جِذْعِكَ واستلَمْنا ... كما للناسِ بالحجَرِ استلامُ
فما أبصرتُ قبلكَ يا بن يَحيى ... حُساماً فَلَّهُ السيفُ الحسامُ

(١) الأبيات والخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٦٦٤) ، والكامل لابن الأثير (٥/ ٣٣٠) ، ووفيات الأعيان (١/ ٣٤٦) .

علـى اللـذَّات والـدنيـا جميعـاً ودولـةِ آلِ بَـرْمَـكٍ السـلامُ[١]

قال : فاستدعاهُ الرشيدُ فقال له : كم كان يُعطِيكَ جعفرٌ كلَّ عام ؟ قال : ألفَ دينار ، فأمر له بألفَيْ دينار .

وقال الزُّبير بن بكار عن عَمِّه مصعب الزُّبيري قال : لما قتل الرشيدُ جعفراً وقفتِ امرأةٌ على حمارٍ فارهٍ فقالتْ بلسانٍ فصيح : والله يا جعفر ، لئن صرتَ اليوم آيةً لقد كنتَ في المكارم غاية . ثم أنشأتْ تقول :

ولمـا رأيـتُ السيـفَ خـالَـطَ جعفـراً ونـادَى منـادٍ للخليفـةِ فـي يحيـى
بكَيْـتُ علـى الـدنيـا وأيقنـتُ أنَّمـا قُصـارَى الفتـى يـومـاً مُفـارقـةُ الـدنيـا
ومـا هـي إلاَّ دولـةٌ بعـدَ دولـةٍ تُخَـوِّلُ ذا نُعْمَـى وتُعْقِـبُ ذا بَلْـوَى
إذا أنـزلَـتْ هـذا منـازلَ رفعـةٍ من المُلكِ حَطَّتْ ذا إلى الغايةِ القُصْوَى

قال : ثم حرَّكَتْ حمارَها فذهبَتْ . فكأنها كانتْ ريحاً لا أثرَ لها ، ولا يُعرف أين ذهبَتْ .

وذكر ابنُ الجوزي[٢] ، أنَّ جعفراً كان له جاريةٌ يُقالُ لها فَتِينَة ، مُغَنِّية ، لم يكنْ لَها في الدُّنيا نظير ، كان مُشتراها عليه بِمَنْ معها من الجواري مئة ألف دينار ، فطلبَها منه الرشيدُ فامتنَعَ من ذلك ، فلما قتَلَهُ الرشيدُ اصطَفَى تلك الجارية ، فأحضرَها ليلةً في مجلسِ شرابِه ، وعنده جماعةٌ من جُلسائهِ وسُمَّارِه ، فأمَرَ مَنْ معَها أنْ يُغَنِّين . فاندفعَتْ كلُّ واحدةٍ تُغَنِّي حتى انتهَتِ النَّوْبَةُ إلى فَتِينَة ، فأمرَهَا بالغِناء فأسبلَتْ دمعَها وقالتْ : أمَّا بعدَ السادةِ فلا . فغَضِبَ الرشيدُ غضباً شديداً ، وأمرَ بعضَ الحاضرين أنْ يأخذَها إليه ، فقد وهَبَها له . ثم لَمَّا أراد الانصرافَ قال له فيما بينه وبينه : لا تطَأْها . ففَهِمَ أنه يُريد بذلك كسرَها . فلما كان بعد ذلك ، أحضرَها وأظهرَ أنه قد رَضِي عنها ، وأمرَها بالغناء فامتنعَتْ وأرسلَتْ دمعَها وقالت : أمَّا بعد السادةِ فلا . فغَضِبَ الرشيدُ أشدَّ من غَضَبِهِ في المرَّةِ الأولى وقال : النِّطْعَ والسيف . وجاء السيَّاف ، فوقف على رأسها ، فقال له الرشيد : إذا أمرتُكَ ثلاثاً وعَقدتُ أصابعي ثلاثاً فاضرِبْ . ثم قال : غَنِّي . فبكَتْ وقالتْ : أمَّا بعدَ السادةِ فلا . فعقَدَ أصبعَهُ الخِنْصَر ، ثم أمرَها الثانيةَ فامتنعَتْ ، فعقَدَ اثنتَيْن ، فارتعَدَ الحاضرونَ وأشفقوا غايةَ الإشفاق ، وأقبلوا عليها يسألونَها أنْ تغنِّيَ لئلا تقتلَ نفسَها ، وأنْ تُجيبَ أميرَ المؤمنينَ إلى ما يُريد ، ثم أمرها الثالثة ، فاندفعَتْ تُغَنِّي كارهةً :

لَمَّـا رأيـتُ الـدِّيـار قـد دَرَسَـتْ أيقنـتُ أنَّ النعيـمَ لـم يَعُـدِ

قال : فوثب إليها الرشيد ، وأخذ العُودَ من يدِها ، وأقبل يضرب به وجهَها ورأسَها ، حتى تكسَّر ، وأقبلتِ الدماء ، وتطايرتِ الجواري من حولِها ، وحُملت من بين يديه ، فماتَتْ بعدَ ثلاث .

---

(١) الأبيات في تاريخ بغداد (٧/ ١٥٨) ، والمنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٢٦) ، ووفيات الأعيان (١/ ٣٤٠) .
(٢) في المنتظم (٩/ ١٣٠) .

ورُوي أنَّ الرشيد كان يقول : لعَنَ الله مَنْ أغراني بالبرامكة ، فما وجدتُ بعدَهم لذَّةً ولا راحةً ولا رجاءً ، وَدِدْتُ والله أني شطَرْتُ نصفَ عُمري ، ومُلكي ، وأنِّي تركتُهم على حالِهم .

وحكى ابنُ خَلِّكان ، أنَّ جعفراً اشترى جاريةً من رجلٍ بأربعين ألفَ دينار ، فالتفتَتْ إلى بائعها وقالتْ : اذكُرِ العهدَ الذي بيني وبينَك . لا تأكُلْ من ثَمَني شيئاً . فبَكى سيِّدُها وقال : اشهدوا أنها حُرَّة وأنِّي قد تزوَّجْتُها . فقال جعفر : اشهدوا أنَّ الثمنَ له أيضاً .

وكتب إلى نائبٍ له : أمَّا بعد ، فقد كَثُرَ شاكوك ، وقلَّ شاكروك ، فإمَّا أنْ تَعدِل ، وإمَّا تَعْتَزِل .

ومن أحسَنِ ما وقَعَ منه من التلطُّف في إزالةِ هَمِّ الرشيد ، وقد دخل عليه مُنَجِّمٌ يهوديّ ، فأخبَرَهُ أنه سيموتُ في هذه السنة ، فحمَلَ الرشيدُ هَمّاً عظيماً ، فدخل عليه جعفرٌ فسأله ؛ ما الخبر ؟ فأخبرَهُ بقولِ اليهودي ، فاستدعَى جعفرٌ اليهوديَّ فقال له : كم بَقِيَ لكَ من العُمر ؟ فذكر مدَّةً طويلة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين اقتُلْهُ حتى تعلمَ كَذِبَهُ فيما أخبَرَ عن عُمره . فأمر الرشيدُ باليهوديِّ فقُتل ، وسُرِّيَ عن الرشيدِ الذي كان فيه .

وبعد مقتَلِ البرامكة قتل الرشيدُ إبراهيمَ بن عثمان بن نَهِيك ، وذلك أنَّهُ حَزِنَ على البرامكة ، ولا سيما جعفر ، كان يُكثر البكاءَ عليهم ، ثم خرج من حَيِّزِ البكاء إلى حَيِّزِ الانتصار لهم ، والأخذِ بثأرهم . وكان إذا شرب في مَنْزله يقولُ لِجاريته : ائتني بسيفي . فيَسُلُّهُ ثم يقول : واللهِ لأقتلَنَّ قاتِلَه ، فأكثَرَ أن يقولَ ذلك ، فخَشِيَ ابنُه عثمانُ أنْ يطَّلِعَ الخليفةُ على ذلك فيُهلِكَهم عن آخرِهم ، ورأى أنَّ أباهُ لا يَنْزِعُ عن هذا ، فذهب إلى الفَضْلِ بن الربيع فأعلمَه ، فأخبرَ الفضلُ الخليفة ، فاستدعى به ، فاستخبرَهُ فأخبرَه ، فقال : مَنْ يشهَدُ معَكَ عليه ؟ فقال : فلانٌ الخادم . فجاء به فشَهِد ، فقال الرشيد : لا يَحِلُّ قتلُ أميرٍ كبير ، بِمُجَرَّدِ قولِ غلامٍ وخَصِيّ ، لعلَّهما قد تواطأا على ذلك ، فأحضَرَهُ الرشيدُ معه على الشراب ، ثم خلا به فقال : ويحكَ يا إبراهيم ، إنَّ عندي سِرّاً أُحِبُّ أنْ أُطلِعَكَ عليهِ أقلَقَني في الليلِ والنهار . قال : وما هو ؟ قال : إنِّي نَدِمْتُ على قتلِ البرامكة ، ووَدِدْتُ أني خرجتُ من نصفِ مُلْكي ونصفِ عُمري ولم أكنْ فعلتُ بِهم ما فعلت ، فإني لم أجدْ بعدَهم لذَّةً ولا راحة . فقال : رحمةُ الله على أبي الفضل ـ يعني جعفراً ـ وبكى وقال : والله يا سيدي لقد أخطأتَ في قتلِه . فقال له : قُمْ لعنكَ الله . ثم حبسه ثم قتَلَهُ بعد ثلاثةِ أيام . وسَلِمَ أهلُهُ وولَدُه .

وفي هذه السنةِ غَضِبَ الرشيدُ على عبدِ الملك بن صالح بسببِ أنَّهُ بلَغَهُ أنه يُريدُ الخلافة . واشتدَّ غضبُه بسَبَبِه على البرامكةِ الذين هم في الحُبوس ، ثم سجَنَه ، فلم يزل في السجنِ حتى مات الرشيد ، فأخرجَهُ الأمين ، وعقَدَ له على نيابةِ الشام .

وفيها ثارَتْ العصَبِيَةُ بالشام بين المُضَرِيَّةِ والنِّزاريَّة ، فبعث إليهمُ الرشيدُ محمدَ بن منصور بن زياد ، فأصلح بينهم .

وفيها كانت زلزلةٌ عظيمة بالمِصِّيصَة ، فانهدَمَ بعضُ سورِها ، ونَضَبَ ماؤها ساعةً من الليل .

وفيها بعث الرشيدُ ولدَهُ القاسِمَ على الصائفة ، وجعَلَهُ قُرْباناً ووسيلةً بين يديه ، وولاَّهُ العَوَاصم . فسار إلى بلادِ الرُّوم فحاصرَهَم حتى افتَدَوْا بِخَلْقٍ من الأسَارَى ، يُطِلقُونَهم ، ويَرْجِعُ عنهم . ففعَلَ ذلك .

وفيها نقَضَتِ الرُّوم الصُّلحَ الذي كان بينهم وبين المسلمين ، الذي كان عقَدَهُ الرشيدُ بينه وبينَ رينى[١] مَلِكَةِ الروم ، الملقبة أغسطه . وذلك أنَّ الرُّومَ عَزَلوها عنهم ، ومَلَّكُوا عليهمُ النَّقْفُور ، وكان شجاعاً ، يقال : إنه من سُلالةِ آلِ جَفْنَة ، فخلعوا رينى وسَمَلوا عينيْهَا ، فكتب نَقْفُور إلى الرشيد :

من نَقْفُور ملكِ الرُّوم إلى هارونَ ملِكِ العرب ، أمَّا بعد ، فإنَّ الملكةَ التي كانتْ قبلي أقامَتْكَ مقامَ الرُّخّ[٢] ، وأقامَتْ نفسَها مقامَ البَيْدَق ، فحملَتْ إليك من أموالِها ما كنتَ حقيقاً بحَمْلِ أمثالِهِ إليها ، وذلك من ضَعْفِ النساءِ وحُمقِهِنّ . فإذا قرأتَ كتابي هذا فارْدُدْ إليَّ ما حملَتْهُ إليكَ من الأموال ، وافتدِ نفسَك به ، وإلاَّ فالسيفُ بيننا وبينَك .

فلما قرأ هارونُ الرشيدُ كتابَه أخَذَهُ الغضَبُ الشديد ، حتى لم يتمكَّنْ أحدٌ أنْ ينظُرَ إليه ، ولا يستطيعُ مخاطبتَه ، وأشفَقَ عليه جلساؤه خوفاً منه ، ثم استدعى بدواةٍ وكتب على ظهرِ الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارونَ أميرِ المؤمنين إلى نقفور كلبِ الرُّوم . قد قرأتُ كتابَك يا ابنَ الكافرة ، والجوابُ ما تراهُ دونَ ما تسمَعُه . والسلام .

ثم شخَصَ من فَوْرِه ، وسار حتى نزَلَ ببابِ هِرَقْلَة ففتحها[٣] ، واصطفَى ابنةَ مَلِكِها ، وغَنِمَ من

---

(١) تصحفت في (ق) إلى : « رنى » ، وما أثبتناه من (ب ، ح) والطبري وغيره .

(٢) « الرُّخّ » : من أداة الشطرنج ، وهو أكبر مَنْزلةً من البيدق ، وهو معرّب من كلام العجم . انظر لسان العرب (رخخ) .

(٣) « هِرَقْلَة » ـ بالكسر ثم الفتح ـ : مدينةٌ ببلادِ الروم ، سُميت بهرْقلة بنتِ الرُّوم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام . وكان الرشيدُ غزاها بنفسه ، ثم افتتحها عَنْوةً بعدَ حصارٍ وحَرْبٍ شديد ، ورمى بالنارِ والنِّفْط ، حتى غلب أهلها . فلذلك قال المكي الشاعر :

هَـوَتْ هِـرَقْلـةُ لَمَّـا أنْ رأتْ عَجَبـا ... جـوَّ السمـا تَـرْتَمـي بـالنِّفْـطِ والنـارِ
كـأنَّ نيـرانَنَـا فـي جنـبِ قلعتِهـم ... مُصَبَّغَـاتٌ علـى أرسـانِ قصَّـارِ

ثم قَدِم الرقَّة في شهرِ رمضان ، فلما عيَّد جلس للشعراء فدخلوا عليه وفيهم أشجع السُّلَمي ، فبدر فأنشد :

لا زلـتَ تنشُـرُ أعيـاداً وتطـويهـا ... تمضـي لهـا بـك أيـامٌ وتُمضيهـا
ولا تقضَّتْ بـك الـدنيـا ولا بَـرِحَـتْ ... يَطْـوي بـك الـدهـرُ أيـامـاً وتطْـويهـا
لِيَهْنِـكَ الفتـحُ والأيـامُ مُقبلـةٌ ... إليـك بـالنصـرِ معقـوداً نـواصيهـا
أمْسَتْ هِـرَقْلـةُ تَهْـوي مـن جـوانبِهـا ... ونـاصـرُ الله والإسـلامِ يـرميهـا
مَلَكْتَهـا وقتلـتَ النـاكثيـن بهـا ... بنصـرِ مَـنْ يَمْلِـكُ الـدنيـا ومـا فيهـا =

الأموال شيئاً كثيراً ، وخرَّبَ وأحرَق . فطلبَ نقفور منه الموادَعَةَ على خراجٍ يؤدِّيه إليه في كلِّ سنة . فاجابَهُ الرشيدُ إلى ذلك ، فلما رجَعَ من غَزْوَتِه وصار بالرَّقَّة ، نقَضَ الكافِرُ العَهْدَ وخانَ المِيثاق ، وكان البَرْدُ قد اشتدَّ جدّاً ، فلم يقدِرْ أحَدٌ أنْ يَجِيءَ فيُخبِرَ الرشيدَ بذلك لِخَوْفهم على أنفسِهم من البَرْد ، حتى يَخرُجَ فصلُ الشتاء .

وحجَّ بالناس فيها عبدُ الله بن عباس بن محمد بن علي .

ذكرُ من تُوفِّي فيها من الأعيان :

جعفر بن يحيى بن خالد بن بَرمك[١] **أبو الفضل البَرْمَكي** ، الوزيرُ ابنُ الوزير ؛ ولَّاهُ الرشيدُ الشامَ وغيرَها من البلاد ؛ وذكر ابنُ عساكر[٢] ، أنَّ الرشيد بعثَهُ إلى دمشق لمَّا ثارَتِ الفتنةُ العِشْرَيْنِ[٣] بحوران بين قيسٍ ويَمَن ، وكان ذلك أولَ نارٍ ظهرَتْ بين قيسٍ ويَمنٍ في بلاد الإسلام ، كان خامداً من زَمَنِ الجاهليَّة ، فأثاروهُ في هذا الأوان ، فلما قَدِم جعفرٌ بجيشه خَمَدتِ الشُّرور ، وظهر السرور ، وقيلتْ في ذلك أشعارٌ حِسَان ؛ قد ذكر ذلك ابنُ عساكر في ترجمةِ جعفر من تاريخه[٤] ، منها :

لقد أُوقِدَتْ في الشام نيرانُ فتنةٍ ... فهذا أوانُ الشام تُخْمَدُ نارها
إذا جاشَ مَوْجُ البحرِ من آلِ برمَكٍ ... عليها خَبَتْ شُهْبَانُها وشَرَارُها
رماها أميرُ المومنينَ بجعفرٍ ... وفيه تلاقَى صَدْعُها وانْجبارُها
رماها بميمون النقيبةِ ماجدٍ ... تَراضَى بهِ قحطانُها ونِزَارُها

= ما رُوعي الدينُ والدنيا على قدَم ... بمثلِ هارونَ راعيهِ وراعيها

فأمر له بعشرةِ آلاف دينار ، وقال : لا يُنشدني أحدٌ بعدَه بشيء . فقال أشجع : والله لأمرُهُ ألاّ يُنشده أحدٌ من بعدي أحبُّ إليَّ من صِلَتِه . وكان في السبي الذي سُبي من هِرَقلة ابنةُ بِطْريقها ، وكانتْ ذاتَ حسنٍ وجمال ، فنُودي عليها في المغانم ، فزاد عليها صاحبُ الرشيد ، فصادفَتْ منه مَحَلاً عظيماً ، فنقلها معه إلى الرقة ، وبنى لها حِصْناً بين الرافقة وبالِس على الفرات ، وسمَّاهُ هِرَقْلة ، يَحكي بذلك هرقلةَ التي ببلاد الروم . وبقي الحصنُ عامراً مدَّةً حتى خَرِب ، وآثاره إلى وقتنا ذا باقية ؛ وفيه آثارُ عمارةٍ وأبنيةٍ عجيبة ، وهو قُرْب صفِّين من الجانب الغربي . معجم البلدان (٣٩٨/٥ ، ٣٩٩) .

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (١٥٢/٧) ، المنتظم (١٤٠/٩) ، وفيات الأعيان (٣٢٨/١) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٩٨/٦) ، سير أعلام النبلاء (٥٩/٩) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢٤٣/١) .

(٢) انظر مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٩٨/٦) ، وترجمته ليست فيما طبع من تاريخ ابن عساكر ، وهي من ضمن الأجزاء المفقودة منه .

(٣) في (ح) : العشران . وعليه .

(٤) انظر الحاشية قبل السابقة .

هو الملِكُ المأمولُ للبِرِّ والتُّقَى ... وصَولاتُهُ لا يُستطاعُ خِطَارُها
وزيرُ أميرِ المؤمنينَ وسيفُهُ ... ومُدْيَتُهُ[١] والحربُ تَدْمى شِفَارُها
ومنْ تُطْوَ أسرارُ الخليفةِ دونَهُ ... فعندَكَ مأواها وأنتَ قرارُها
إذا ما ابنُ يحيى جعفرٌ قُصِدَتْ لَهُ ... مِلِمَّاتُ خَطْبٍ لم تَرُعْهُ كِبارُها
لقد نشأتْ بالشامِ منكَ غمامةٌ ... يؤمَّلُ جَدْواها ويُخْشى دَمارُها

وهي قصيدةٌ طويلة ، اقتصرنا منها على هذا القَدْر[٢] .

وكانتْ له فصاحةٌ وبلاغةٌ وذكاءٌ وكرمٌ زائد ؛ كان أبوهُ قد ضمَّهُ إلى القاضي أبي يُوسُف ، فتفَقَّهَ عليه ، وصار له اختصاصٌ بالرَّشيد . وقد وقَّعَ ليلةً بحضرَةِ الرشيد زيادةً على ألفِ توقيع ، ولم يَخرجْ في شيءٍ منها عن مُوجبِ الفقه .

وقد روى الحديثَ عن أبيه ، عن عبد الحميدِ الكاتب ، عن عبد الملكِ بنِ مروان ، كاتبِ عثمان ، عن زيد بن ثابت ، كاتبِ الوحي قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا كتبتَ بسم الله الرحمن الرحيم فبَيِّنِ السينَ فيه » . رواه الخطيب وابنُ عساكر من طريق أبي القاسم الكَعْبي المتكلِّم ، واسمه عبدُ الله بنُ أحمد البَلْخي ؛ وقد كان كاتباً لمحمد بن زيد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن [مُصْعَب بن رزيق[٣]] ، عن الفَضْلِ بن سهل ذي الرِّياستَيْن ، عن جعفر بن يحيى ، به[٤] .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : قال جعفرٌ للرشيد : يا أميرَ المؤمنين ، قال لي أبي يحيى : إذا أقبلَتِ الدنيا عليك فأعْطِ ، فإنها لا تَفنى ، وإذا أدبرَتْ فأعطِ ، فإنَّها لا تبقى . وأنشدَني أبي :

لا تبخلَنَّ لدُنيا وهي مُقبلةٌ ... فليس يَنْقصها التبذيرُ والسَّرَفُ
فإن تولَّت فأحرى أنْ تجودَ بها ... فالحمدُ منها إذا ما أدبرَتْ خَلَفُ[٥]

قال الخطيب[٦] : ولقد كان جعفرٌ من عُلُوِّ القَدْر ، ونَفَاذِ الأمْر ، وعِظَمِ المَحلّ ، وجلالةِ المَنْزِلة عندَ الرشيد على حالةٍ انفرَد بها ، ولم يشارِكْهُ فيها أحد . وكانَ سَمْحَ الأخلاق ، طَلْقَ الوَجْه ، ظاهرَ البِشْر .

---

(١) المدية : السكين والشفرة ، ورواية الديوان : « وصعدته » .
(٢) وقد سبق للمؤلف أن ذكر منها أربعة أبيات في ص ٤٤٢ وذكرتُ ثمة أن القصيدة لمنصور النمري وهي في ديوانه .
(٣) تصحف في الأصول إلى « زريق » ، والمثبت من الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٥١) في ترجمته .
(٤) أخرجه بهذا الإسناد الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤٠) ، وما بين معقوفين منه . وذكر الحديث أيضاً الديلمي في الفردوس (١/ ٢٧٨) برقم (١٠٨٧) ، والمناوي في فيض القدير (١/ ٤٣٣) ، وإسناده ضعيف ، وهو إلى الوضع أقرب كما بينه الدكتور بشار في تعليقه على طبعته من تاريخ الخطيب (١٤/ ٢٩٩) .
(٥) الخبر والبيتان في مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٦/ ٩٨) .
(٦) في تاريخ بغداد (٧/ ١٥٢) .

أمَّا جودُهُ وسخاؤه ، وبَذلُهُ وعطاؤه ، فأشهرُ منْ أنْ يُذكَر . وكان أيضاً من ذوي الفصاحة ، والمذكورينَ [باللِّسَنِ] والبلاغة .

وروى ابنُ عساكر(١) عن مُهَذَّب حاجب العباس بن محمد ، صاحبِ قَطيعةِ العبَّاس والعباسة ، أنه أصابَتْهُ فاقةٌ وضائقة ، وكان عليه ديون ، فألحَّ عليه المطالبون وعندَهُ سَفَطٌ فيه جواهر ، شراؤه عليه ألفُ ألف درهم ، فأتى به جعفراً ، فعرَضَهُ عليه ، وأخبره بما هو عليه من الثمن ، وأخبره بإلحاحِ المطالبينَ بديونِهم ، وأنه لم يبقَ له سوى هذا السَّفَط . فقال : قد اشتريتُهُ منك بألفِ ألف . ثم أقبَضَهُ المالَ وقبَضَ السَّفَط منه ، وكان ذلك ليلاً ، ثم أمر من ذهب بالمالِ إلى مَنزله ، وأجلسَهُ معه في السَّمَرِ تلك الليلة ؛ فلما رجَعَ إلى مَنْزله ، إذا السفَطُ قد سبقَهُ إلى مَنْزله أيضاً . قال : فلمَّا أصبحتُ غدَوْتُ إلى جعفر لأتشكَّر له ، فوجدتُه مع أخيه الفضل على بابِ الرشيدِ يستأذنُ عليه ، فقال له جعفر : إني قد ذكرتُ أمرَكَ للفضل ، وقد أمرَ لك بألفِ ألف ، وما أظنُّها إلاَّ قد سبقَتْكَ إلى مَنْزلك ، وسأفاوضُ فيك أميرَ المؤمنين . فلما دخل ذكر له أمرَهُ وما لَحِقَهُ من الديون ، فأمرَ له بثلاثِمئةِ ألفِ دينار .

وكان جعفرٌ ليلةً في سَمَرِه عند بعضِ أصحابِه ، فجاءتِ الخُنْفُساءُ فركبتْ ثيابَ الرجل ، فألقاها عنه جعفرٌ وقال : إنَّ الناسَ يقولون : من قصدَتْهُ الخُنفساء يُبَشَّرُ بمالٍ يُصيبُه . فأمر له جعفرٌ بألفِ دينار . ثم عادتِ الخُنفساء فرجَعَتْ إلى الرجل ، فأمر له بألفِ دينارٍ أخرى .

وحجَّ مرَّةً مع الرشيد ، فلما كانوا بالمدينة ، قال لرجلٍ من أصحابِه : انظُرْ جاريةً أشتريها ، تكونُ فائقةً في الجمالِ والغِنَاءِ والدُّعابَة . ففتَّش الرجلُ ، فوَجَدَ جاريةً على النَّعْت ؛ فطلب سيدُها فيها مالاً كثيراً ، على أنْ يراها جعفرٌ فذهب جعفر إلى مَنْزِل سيدِها ، فلما رآها أُعجب بها ، فلما غنَّته ، أعجبَتْهُ أكثر ، فساوَمَهُ صاحبُها فيها ، فقال له جعفر : قد أحضَرْنا مالاً ، فإنْ أعجَبكَ وإلاَّ زِدْناك . فقال لها سيدُها : إنِّي كنتُ في نعمة ، وكنتِ عندي في غايةِ السُّرور ، وإنه قد انقبَضَ عليَّ حالي ، وإني قد أحببتُ أنْ أبيعَكِ لهذا المَلِك ، لكي تكوني عندَهُ كما كنتِ عندي . فقالتْ له الجارية : والله يا سيِّدي لو ملكتُ منكَ كما ملكتَ مني لم أبِعْكَ بالدنيا وما فيها ؛ وأين ما كنتَ عاهَدْتَني أنْ لا تبيعَني ، ولا تأكُلَ من ثمني ؟ فقال سيدها لِجعفرٍ وأصحابِه : أُشهدُكُمْ أنَّها حُرَّةٌ لوجهِ الله ، وأنِّي قد تزوَّجْتُها . فلما قال ذلك : نَهضَ جعفرٌ وقام أصحابُه ، وأمروا الحمَّالَ أنْ يحملَ المال ، فقال جعفر : واللهِ لا يتْبَعُني . وقال للرجل : قد مَلَّكْتُكَ هذا المال ، فأنفِقْهُ على أهلِك . وذهبَ وترَكه .

هذا وقد كان يُبَخَّلُ بالنسبةِ إلى أخيه الفضل ، إلاَّ أنَّ الفضلَ كان أكثرَ منه مالاً . ورَوَى ابنُ عساكر من

---

(١) انظر مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٦/ ١٠٠) .

طريقِ الدَّارَقُطْنيِّ بسندِه ، أنه لما أُصيب جعفرٌ وجدوا له في جرَّةٍ ألفَ دينار ، زِنَةُ كلِّ دينار مئةُ دينار ، مكتوبٌ على صفحةِ الدينار جعفر ، والأخرى :

وأصفَر من ضَرْبِ دارِ الملوكِ يَلُـوحُ علـى وجْهِـهِ جعفَـرُ
يَـزيـدُ علـى مئـةٍ واحـداً متـى تُعْطِـهِ مُعْسـراً يُـوسِـرُ

وقال أحمد بن المعَلَّى الراوية : كتبَتْ عنانُ جاريةُ الناطِفيِّ لجعفرٍ تطلُبُ منه أنْ يقولَ لأبيه يحيى أنْ يُشيرَ على الرشيد بشرائها . وكتبَتْ إليه هذه الأبيات من شعرِها في جعفر .

يـا لائمـي جهـلاً ألا تُقْصـرُ مَنْ ذا على حرِّ الهوَى يَصْبرُ
لا تَلْحَني إذا شربتُ الهوَى صِرفاً فمَمْزوجُ الهوَى يُسْكِرُ
أحاطَ بي الحبُّ فخَلْفي لَهُ بَحْـرٌ وقُـدَّامِـي لَـهُ أبْحُـرُ
تَخفقُ راياتُ الهوَى بالرَّدَى فَوْقي وحَوْلي للهوى عَسْكرُ
سِيَّان عندي في الهوَى لائمٌ أقَـلَّ فيـهِ والـذي يَكْثُـرُ
أنتَ المصفَّى من بني بَرْمكٍ يـا جعفـرَ الخيـراتِ يـا جعفـرُ
لا يَبْلُغُ الواصفُ في وَصْفِهِ ما فيكَ من فضلٍ ولا يَعْشُرُ[1]
مَـنْ وَفَّـرَ المـالَ لأغـراضِـهِ فجعفَـرٌ أغـراضُـهُ أوْفَـرُ
دِيبـاجَـةُ المُلْكِ على وجهِـهِ وفـي يـديـهِ العـارضُ المُمْطـرُ
سَحَّـتْ علينـا منهمـا دِيمـةٌ يَنْهـلُّ منهـا الـذَّهَـبُ الأحمـرُ
لـو مَسَحـتْ كفَّـاهُ جُلْمُـودةً نُضِّـرَ فيهـا الـورَقُ الأخضـرُ
لا يَسْتَتِـمُّ المجـدَ إلاَّ فتًـى يَصْبِـرُ للبَـذْلِ كمـا يَصْبِـرُ
يَهْتـزُّ تـاجُ المُلْكِ مـن فَوْقِـه فَخْـراً ويُـزْهَـى تحتَـهُ الْمِنبَـرُ
أشْبَهَـهُ البَـدْرُ إذا مَـا بَـدَا أوْ غُـرَّةٌ فـي وَجْهِـهِ تَـزْهـرُ
والله مـا أدْري أبَـدْرُ الـدُّجَـى فِـي وَجْهِـهِ أمْ وَجْهُـهُ أنْـورُ
يَسْتَمْطِـرُ الـزُّوَّارُ منـكَ النَّـدَى وأنْـتَ بـالـزُّوارِ تَسْتَبْشِـرُ

وكتبتْ تحتَ أبياتِها حاجتَها . فرَكِبَ من فَوْرِهِ إلى أبيه ، فأدخَلَهُ على الخليفة ، فأشارَ عليهِ بشرائها . فقال : لا والله لا أشتريها . وقد قال فيها الشعراءُ فأكثروا ، واشتهَرَ أمرُها ، وهي التي يقولُ فيها أبو نُواس :

---

(١) لا يعشر : أي لا يأتي على ذكرِ العُشرِ من فضلك .

لا يشتـريهـا إلاَّ ابـنُ زانيـةٍ أو قَلْطَبَانٌ[١] يكونُ منْ كانا

وعن ثُمامةَ بنِ أشْرَس قال : بتُّ ليلةً مع جعفر بن يحيى بنِ خالد ، فانتبه من منامِهِ يَبْكي مَذْعوراً ، فقلت : ما شأنُك ؟ قال : رأيتُ شيخاً جاء فأخذَ بِعَضَادَتَيْ هذا البابِ وقال :

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُونِ إلى الصَّفَا أنيـسٌ ولـم يَسْمُـرْ بمكَّـةَ سـامِـرُ

قال : فأجبتُهُ :

بَلَـى نحـنُ كُنَّـا أهلَهـا فـأبـادَنَـا صروفُ الليالي والجدودُ العوائِرُ[٢]

قال ثُمامة : فلما كانتِ الليلةُ القابلة ، قتلَهُ الرشيد ، ونصَبَ رأسَهُ على الجسر . ثم خرج الرشيد ، فنظر إليه فتأمَّلَه ، ثم أنشأ يقول :

تقـاضـاكَ دَهْـرُكَ مـا أسْلَفَـا وكُـدِّرَ عيشُـكَ بعـدَ الصَّفَـا

فـلا تَعْجَبَـنَّ فـإنَّ الـزمـانَ رَهيـنٌ بتفـريـقِ مـا ألَّفَـا

قال : فنظرتُ إلى جعفرٍ وقلت : أمَا لئنْ أصبَحْتَ اليومَ آية ، فلقد كنتَ في الكرَمِ والجودِ غاية . قال : فنظَرَ إليَّ كأنَّهُ جَملٌ صَؤول ، ثم أنشأ يقول :

مـا يَعْجـبُ العـالَـمُ مـن جعفـرٍ مـا عـايَنُـوهُ فبِنَـا كـانـا

مَـنْ جعفـرٌ أوْ مَـنْ أبـوهُ ومَـنْ كـانـتْ بنـو بَـرْمـكٍ لـولانـا

ثم حَوَّلَ وَجْهَ فرسِهِ وانصرف .

وقد كان مَقْتَلُ جعفرٍ ليلةَ السبت ، مُستهلَّ صفَر ، من سنةِ سبع وثمانين ومئة . وكان عمرُه سبعاً وثلاثين سنة . ومكَثَ وزيراً سبعَ عشرةَ سنةً . وقد دَخلَتْ عُبادةُ أمُّ جعفرٍ على أناسٍ في يوم أضْحَى تَسْتَمنحُهم جلدَ كبشٍ تدفأُ به ؛ فسألوها عما كانتْ فيه من النِّعمة ؟ فقالت : لقد أصبحتُ في مثلِ هذا اليوم وإنَّ على رأسي أربعَمئة وصيفة ، وأقول : إنَّ ابني جعفراً عاقٌّ لي .

وروى الخطيبُ البغداديُّ بإسنادِهِ ، أنَّ سفيان بنَ عُيَيْنَةَ لَمَّا بلَغَهُ قتلُ الرشيد جعفراً ، وما أحلَّ

---

(١) القَلْطَبان ، أو القَرْطبان : الذي تقولُه العامَّةُ للذي لا غيرةَ له . فهو مُغيَّرٌ عن وجهه ؛ قال الأصمعي : الكَلْتَبان مأخوذٌ من الكَلَب ، وهو القِيَادة ، والتاء والنون زائدتان . قال : وهذه اللفظةُ هي القديمةُ عن العرب وغيَّرَتْها العامَّةُ الأولى فقالت : القَلْطَبان . قال : وجاءتْ عامَّةٌ سُفْلَى فغيَّرتْ على الأولى فقالت : القَرْطَبان . لسان العرب (قرطب) .

(٢) قال أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (١٥/ ١٠) : الشعر فيما ذكر ابن إسحاق صاحب المغازي لِمُضاض بن عمرو الجُرْهُمي . وقال غيرُه : بل هو للحارثِ بن عمرو بن مُضَاض . أخبرنا بذلك الجوهري ، عن عمر بن شَبَّة ، عن أبي غسان محمد بن يحيى ، عن غسان بن عبد الحميد . وقال عبدُ العزيز بن عمران : هو عمرو بن الحارث بن مُضَاض .

بالبرامكة ، استقبل القِبْلَةَ وقال : اللهمَّ إنَّ جعفراً كان قد كفاني مؤنةَ الدنيا ، فأكْفِهِ مؤنةَ الآخرة .

حكاية غريبة

ذكر ابنُ الجَوْزي في « المنتظَم »[١] أنَّ المأمونَ بلغه أنَّ رجلاً يأتي كلَّ يومٍ إلى قبورِ البرامكة ، فيبكي عليهم ويَندُبُهم ، فبعث منْ جاء به ، فدخل عليه وقد يئس من الحياة ، فقال له : ويحك ! ما يَحمِلُكَ على صنيعِكَ هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين . إنَّهم أسدَوْا إليَّ معروفاً وخيراً كثيراً . فقال وما الذي أسدوْهُ إليك ؟ فقال : أنا المنذرُ بن المغيرة ، من أهل دمشق ، كنتُ بدمشقَ في نعمةٍ عظيمةٍ واسعة ، فزالَتْ عنِّي حتى أفضَى بيَ الحالُ إلى أنْ بِعتُ داري ، ثم لم يبقَ لي شيء ؛ فأشار بعضُ أصحابي عليَّ بقَصْدِ البرامكةِ ببغداد ؛ فأتيتُ أهلي ، وتحمَّلْتُ بعيالي ، فأتيتُ بغدادَ ومعي نَيِّفٌ وعشرون امرأةً ، فأنزلتُهُنَّ في مسجدٍ مهجور ، ثم قصدتُ مسجداً مأهولاً أُصَلِّي فيه ، فدخلتُ مسجداً فيه جماعةٌ لم أرَ أحسنَ وجوهاً منهم ، فجلستُ إليهم ، فجعلتُ أُديرُ في نفسي كلاماً أطلبُ به منهم قُوتاً للعِيَالِ الذين معي ؛ فيمنَعُني من ذلك السؤالِ الحياءُ ؛ فبينا أنا كذلك إذا بخادمٍ قد أقبَل ، فدعاهم فقاموا كلُّهم ، وقمتُ معهم ، فدخلوا داراً عظيمةً ، فإذا الوزيرُ يحيى بنُ خالد جالسٌ فيها ، فجلسوا حولَه ، فعَقَدَ عَقْدَ ابنتِهِ عائشةَ على ابنِ عمٍّ له ، ونثروا فِلَقَ المسكِ وبنادِقَ العَنْبَر ؛ ثم جاء الخَدمُ إلى كلِّ واحدٍ من الجماعة بصينيَّةٍ من فِضَّة ، فيها ألفُ دينار ، ومعها فُتاتُ المسك . فأخذَها القومُ ونَهضوا ، وبَقيتُ أنا جالساً ، وبين يديَّ الصينيَّةُ التي وضعوها لي ، وأنا أهابُ أنْ آخذَها من عظَمَتِها في نفسي ؛ فقال لي بعضُ الحاضرين : ألا تأخذُها وتذهب ؟ فمدَدْتُ يدي فأخذتُها ، فأفرغتُ ذهبَها في جَيبي ، وأخذتُ الصينيَّةَ تحتَ إبْطي ، وقمتُ وأنا خائفٌ أنْ تُؤخذَ منِّي ، فجعلتُ أتلفَّتُ والوزيرُ ينظرُ إليّ ، وأنا لا أشعرُ ؛ فلما بلغتُ السِّتارة ، أمَرَهُمْ فرَدُّوني ، فيئستُ من المال ، فلما رجعْتُ قال لي : ما شأنُكَ خائف ؟ فقصصتُ عليه خَبَري . فبَكى ثم قالَ لأولادِه : خذوا هذا فضمُّوهُ إليكم . فجاءني خادِم ، فأخذ منِّي الصينيَّةَ والذهب ، وأقمتُ عندَهم عشرةَ أيامٍ ، من ولدٍ إلى ولد ، وخاطري كلُّه عندَ عيالي ولا يُمْكنني الانصراف . فلما انقضَتِ العشرةُ الأيام جاءني خادمٌ فقال : ألا تذهبُ إلى عيالِك ؟ فقلت : بلى والله . فقام يَمشي أمامي ، ولم يعطِني الذهبَ ولا الصِّينيَّة ، فقلت : يا ليتَ هذا كانَ قبلَ أنْ تؤخذ مني الصينيَّةُ والذهب ، يا ليتَ عيالي رأوا ذلك . فسارَ يَمشي أمامي إلى دارٍ لم أَرَ أحسنَ منها ! فدخلتُها ، فإذا عيالي يتمرَّغون في الذهب ، والحرير فيها ، وقد بعثوا إلى الدارِ مئةَ ألفِ درهم ، وعشرةَ آلاف دينار ، وكتاباً فيه تمليكُ الدارِ بما فيها ، وكتاباً آخرَ فيه تمليكُ قريتَيْنِ جليلتين . فكنتُ مع البرامكةِ في أطيبِ عيش ؛ فلما أُصيبوا أخذ مني عمرو بن مَسْعَدةَ القَرْيَتَيْن ، وألْزَمني بخراجهما ؛ فَكُلَّما لَحِقَتْني فاقةٌ قصدتُ دورَهم وقبورَهم ، فبكَيْتُ عليهم . فأمرَ

---

(١) المنتظم (٩/١٤٦) .

المأمونُ بِرَدِّ القريتَيْن ، فبكى الشيخُ بكاءً شديداً ؛ فقال المأمون : ما لَك ؟ ألم أستأنِفْ بك جميلاً ؟ قال : بلَى . ولكنْ هو من بركةِ البرامكة . فقال له المأمون : امضِ مُصاحَباً ، فإنَّ الوفاءَ مُبارَك ، ومراعاةُ حُسنِ العَهْدِ والصُّحْبَةِ من الإيمان .

وفيها توفي :

الفُضَيل بن عِيَاض[١] أبو علي التَّميمي ، أحدُ أئمةِ العُبَّاد الزُّهَّاد ، وهو أحد العلماء والأولياء . ولد بخُراسان ، بكُورَةِ دِيْنَوَر ، وقدم الكوفةَ وهو كبير ، فسمع به الأعمش ، ومنصور بن المعتمر ، وعطاء بن السائب ، وحُصين بن عبد الرحمن ، وغيرهم . ثم انتقل إلى مكة ، فتعبَّدَ بها . وكان حسَنَ التلاوة ، كثيرَ الصلاةِ والصيام ؛ وكان سيداً جليلاً ، ثقةً ، من أئمة الرواية . رحِمَهُ الله ورضي عنه . وله مع الرشيدِ قصَّةٌ طويلة ، وقد روَيْنا ذلك مُطوَّلاً في كيفيَّةِ دخولِ الرشيد عليه مَنْزِلَه ؛ وما قال له الفُضَيل بن عياض ؛ وعرَض عليه الرشيدُ المال ، فأبَى أنْ يقبلَ منه ذلك . توفي بمكة في المحرَّم من هذه السنة . وذكروا أنه كان شاطراً يقطعُ الطريق . وكان يتعشَّقُ جاريةً ، فبينما هو ذات ليلةٍ يتسوَّرُ عليها جداراً إذْ سمع قارئاً يقرأ : ﴿ ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ١٦] ، فقال : بلَى . وتابَ وأقلَعَ عمَّا كان عليه ، ورجَعَ إلى خَربةٍ فباتَ بها ، فسمع سُفَّاراً يقولون : انهضوا بنا نسافر . فقال بعضُهم[٢] : إنَّ فُضَيلاً أمامَكم يقطعُ الطريق . فأمَّنهم واستمرَّ على توبته ، حتى كان منه ما كان ، من السيادَةِ والزَّهادة ؛ ثم صار علَماً يُقتدى به ، ويُهتدَى بكلامهِ وفعالِه .

قال الفُضيل : لو أنَّ الدنيا كلَّها حلالٌ لا أُحاسبُ بها ، لكنتُ أتقذَّرُها كما يتقذَّرُ أحدُكم الجيفةَ إذا مَرَّ بها أنْ تُصيبَ ثوبَه[٣] .

---

(١) ترجمته في معرفة الرجال (٢/ ٢١٣) ، طبقات ابن سعد (٥/ ٥٠٠) ، تاريخ خليفة (٤٥٨) ، طبقات خليفة (٢٨٤) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢١٩) ، التاريخ الكبير (٧/ ١٢٣) ، المعارف (٥١١) ، الجرح والتعديل (٧/ ٧٣) ، مشاهير علماء الأمصار الترجمة (١١٧٩) ، طبقات الصوفية (٦) ، حلية الأولياء (٨/ ٨٤) ، الرسالة القشيرية (١/ ٦٢) ، تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/ ٣٧٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٢٣٧) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ١٩٣) ، جامع الأصول (١٥/ ٣٧) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥١) ، وفيات الأعيان (٤/ ٤٧) ، تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٨١) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٩٨) ، طبقات علماء الحديث الترجمة (٢١٥) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٦١) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٤٥) ، العبر (١/ ٢٩٨) ، طبقات الأولياء (٢٦٦) ، العقد الثمين (٧/ ١٣) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٤) ، تقريب التهذيب (٤٤٨) ، النجوم الزاهرة (٣/ ١٢١) ، الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٦٨) ، الكواكب الدرية (١/ ٣٩٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٣٩٩) ، جامع كرامات الأولياء (٢/ ٢٣٥) .

(٢) في (ق) : « . . . ويقولون : خُذوا حِذْرَكم ، إن فضيلاً . . . » . والمثبت من (ب ، ح) .

(٣) كذا رواية (ق) : ورواية (ب ، ح) : « لو أن الدنيا كلها لي ولا أحاسب عليها لأنفتها وتجنَّبْتُها كما يتجنَّبُ أحدكم=

وقال : العملُ لأجلِ الناسِ شِرْك ، وتَرْكُ العملِ لأجلِ الناسِ رياء ؛ والإخلاصُ أنْ يُعافيكَ الله منهما .

وقال له الرشيدُ يوماً : ما أزْهَدَك ! فقال : أنتَ أزهدُ مني ، لأني أنا زَهِدْتُ في الدنيا التي هي أقلُّ من جناحِ بعوضة ، وأنتَ زهدْتَ في الآخرةِ الباقيَةِ ؛ فأنا زاهدٌ في الفاني ، وأنتَ زاهدٌ في الباقي ؛ ومنْ زَهدَ في دُرَّةٍ ، أزهَدُ ممَّنْ زَهِدَ في بَعْرَة .

وقد رُوي مثلُ هذا عن أبي حازمٍ أنه قال ذلك لسليمانَ بنِ عبدِ الملك .

وقال : لو أنَّ لي دعوةً مستجابةً لجعلتُها للإمام ؛ لأنَّ بهِ صلاحَ الرَّعيَّة ، فإذا صَلَحَ أمِنَتِ العبادُ والبلاد .

وقال : إني لأعصي الله ، فأعرفُ ذلك في خُلُقِ حماري وخادمي وامرأتي وفأرِ بيتي .

وقال في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود : ٧ والملك : ٢] . قال : يعني أخلصَهُ وأصوبَهُ ؛ إنَّ العمل يجبُ أنْ يكونَ خالصاً لله ، وصواباً على متابعةِ النبيِّ ﷺ .

وفيها توفي :

بشرُ بن المفضَّل .

وعبدُ السلام بن حرب .

وعبدُ العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْديّ .

وعبدُ العزيز العمِّي .

وعلي بن عيسى الأميرُ ببلادِ الروم مع القاسم بنِ الرشيد في الصائفة .

ومعتمرُ بن سليمان .

وأبو شُعيب البَرَاثيُّ الزاهد(١) : وكان أولَ منْ سكنَ بَراثا(٢) في كوخٍ له يتعبَّدُ فيه ، فهَويَتْهُ امرأةٌ من

= الجيفة أن تمسَّ ثيابه » .

(١) ترجمته في حلية الأولياء (١٠/ ٣٢٣) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٤١٨) ، صفة الصفوة (٢/ ٣٨٨) ، معجم البلدان (١/ ٣٦٣) .

(٢) كذا في الأصول ، ومعجم البلدان ، بألف ، والوجه « بَراثى » بألف على شكل الياء ، لأنها حرف رابع في الاسم ، وبالثاء المثلثة والقصر ؛ وهي محلَّةٌ كانت في طرَفِ بغداد ، في قبلةِ الكَرْخ ، وجنوب بابِ مُحَوِّل . وكان لها جامعٌ مفرَد تصلِّي فيه الشيعة ، وقد خَرِب عن آخره ، وكذلك المحلَّة ، لم يبق لها أثر . وكانت براثا قبلَ بناءِ بغداد قريةً يزعمون أن علياً مر بها لما خرج لقتال الحرورية بالنهروان وصلى في موضع من الجامع المذكور ، وذكر أنه دخل =

بنات الرؤساء ، فانخلعَتْ ممَّا كانتْ فيه من الدنيا والسعادةِ والحِشْمة ، وتزوَّجَتْهُ وأقامتْ معهُ في كُوخِهِ تتعبَّد حتى ماتا . يُقال : إنَّ اسمَها جوهرة .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثمانين ومئة

فيها غزا إبراهيمُ بن جبريل[١] الصائفة ، فدخل بلادَ الرُّوم من دَرْبِ الصَّفْصَاف ، فخرج النَّقْفُورُ للقائه ، فجُرح النقفورُ ثلاث جِرَاحات ، وانهزم ، وقُتل من أصحابِهِ أكثر من أربعينَ ألفاً . وغَنِموا أكثرَ من أربعةِ آلاف دابَّة .

وفيها رابط القاسمُ بن الرشيد بمَرْجِ دابق . وفيها حجَّ بالناسِ الرشيد ، وكانتْ آخرَ حجَّاتِه . وقد قال أبو بكر بن عيَّاش حين رأى الرشيدَ منصرفاً من الحج ، وقدِ اجتازَ بالكوفة : لا يحجُّ الرشيدُ بعدَها ، ولا يحجُّ بعدَهُ خليفةٌ أبداً . وقد رأى الرشيد بُهلول المولَّه فوعظَهُ موعظةً حسنة . فرَوَيْنا من طريقِ الفَضْل بن الربيع الحاجب ، قال : حجَجْتُ مع الرشيد ، فمرَرْنا بالكوفة ، فإذا بُهلول المجنون يَهْذي ، فقلت : اسكُتْ فقد أقبلَ أميرُ المؤمنين . فسكَت ، فلما حاذاهُ الهَوْدجُ قال : يا أميرَ المؤمنين ، حدَّثني أيمنُ بن نابِل[٢] ، حدَّثنا قُدَامةُ بن عبد الله العامري ، قال : رأيتُ النبيَّ ﷺ بمنًى على جمل ، وتحتَهُ رَحْلٌ رَثّ ، ولم يكنْ ثمَّ طَرْدٌ ولا ضَرْبٌ ، ولا إليكَ إليكَ . قال الفضل بن الربيع : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّهُ بُهلول . فقال : قد عرفتُه ، قُلْ يا بُهلول . فقال :

فهبْ أنْ قدْ مَلَكتَ الأرضَ طُرّاً ... ودانَ لكَ العبادُ فكانَ ماذا
أليس غداً مَصيرُكَ جَوفَ قَبْرٍ ... ويَحْثُو التُّربَ هذا ثُمَّ هذا

قال : أجدتَ يا بُهلول ، أفغيره ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، منْ رزَقَهُ الله مالاً وجمالاً فعَفَّ في جمالِه ، وواسَى في مالِه ، كُتب في ديوانِ الله من الأبرار . قال : فظنَّ أنهُ يُريدُ شيئاً ، فقال : إنَّا أمَرْنا بقضاءِ دَيْنِك . فقال : لا تفعلْ يا أميرَ المؤمنين ، لا يُقضَى دينٌ بدَيْن ، ارْدُدِ الحقَّ إلى أهلِهِ ، واقضِ دَيْنَ نفسِك من نفسِك . قال : إنَّا أمرْنا أنْ يُجرَى عليك رزقٌ تقتاتُ به . قال : لا تَفْعلْ يا أميرَ المؤمنين ، فإنه سبحانه لا يُعطيك وينساني ؛ وها أنا قد عشتُ عمراً لم تُجْرِ عليَّ زرقاً ، انصرِفْ ، لا حاجةَ لي في جِرَايتِك . قال : هذه ألفُ دينارٍ خُذْها . فقال : ارْدُدْها على أصحابِها فهو خيرٌ لك ؛ وما أصنعُ أنا بها ؟!

= حماماً كان في هذه القرية . معجم البلدان (١/ ٣٦٢ ، ٣٦٣) .

(١) في (ق) : « إبراهيم بن إسرائيل » ، وهو تصحيف والمثبت من (ب ، ح) وكتب التاريخ .

(٢) تصحف الاسم في الأصول ، والمثبت من الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٢٥٠) ، وتقريب التهذيب (١١٧) ، وفيهما « نابل » بنون وموحّدة .

انصرِفْ عنِّي ، فقد آذَيْتني . قال : فانصرفَ عنه الرشيدُ وقد تصاغرَتْ عندَهُ الدنيا[١] .

وممن تُوفِّي فيها من الأعيان :

أبو إسحاق الفَزَاري[٢] إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة ، إمامُ أهلِ الشام في المغازي وغيرِ ذلك . أخذ عن الثوري ، والأوزاعي ، وغيرهما . تُوفي في هذه السنة ، وقيل قبلَها[٣] .

وإبراهيم الموصلي[٤] النَّديم وهو إبراهيم بن ماهان بن بهمن ، أبو إسحاق ، أحدُ الشعراءِ والمغنِّين والنُّدماء للرشيد وغيره ؛ أصلُهُ من الفُرْس ، ووُلد بالكوفة ، وصحب شبابَها ، وأخذ عنهمُ الغناء ، فأجاد في عِلْمِهِ . ثم سافر إلى المَوْصِل ، ثم عاد إلى الكوفة ، فقالوا له : الموصلي . ثم اتصل بالخلفاء ، أولُهم المهدي ، وحَظِيَ عند الرشيد . وكان من جُملةِ سُمَّارِهِ ونُدَمائهِ ومُغنِّيه . وقد أثرَى وكَثُرَ مالُه جدًّا ، حتى قيل : إنه ترك أربعةً وعشرينَ ألفَ ألف درهم . وكانتْ له طُرفٌ وحكاياتٌ غَريبة . وكان مولدُه سنةَ خمسَ عشرةَ ومئة في الكوفة ، ونشأ في كفالةِ بني تميم ، فتعلَّم منهم ، ونُسب إليهم . وكان فاضلاً بارعاً في صناعةِ الغناء . وكان مُزَوَّجاً بأختِ المنصور الملقَّب بِزَلْزَل[٥] الذي كان يضرب معه ، فإذا غنَّى هذا وضربَ هذا اهتزَّ المجلس .

تُوفي في هذه السنةِ على الصحيح . وحكى ابنُ خَلِّكان في الوفيات[٦] ، أنه توفي وأبو العتاهية وأبو عمرو الشيباني ببغداد في يومٍ واحد ، من سنةِ ثلاثَ عشرةَ ومئتين ، وصحح الأول .

ومن قولِهِ في شعرِهِ عند احتضارِه قولُه :

مَـــــلَّ واللهِ طَبيبـــــي   مـنْ مُقـاسـاةِ الـذي بـي
سوف أُنْعَى عن قريبٍ   لِعَـــــدُوٍّ وحَبيـــــبِ

وفيها مات :

جَرير بنُ عبدِ الحميد .

---

(١) الخبر والشعر في صفة الصفوة (٢/ ٥١٧ ، ٥١٨) ، والمختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (١/ ٥٠٨) ، وهو بتحقيقي ، وتعجيل المنفعة (٥٦) لابن حجر .

(٢) ذكر المؤلف وفاته في سنة (١٨٥) ، انظر ص٤٥٩ من هذا الجزء ، ومصادر ترجمته ذُكرتْ ثَمّ .

(٣) انظر الحاشية السابقة .

(٤) ترجمته في الأغاني (٥/ ١٦٩) ، تاريخ بغداد (٦/ ١٧٥) ، الفهرست (٢٠١) ، المؤتلف والمختلف لابن القيسراني (١٣٦ ، و٢٠١) ، المنتظم (٩/ ١٥٦) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٤٩٠) ، وفيات الأعيان (١/ ٤٢) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٧٩) ، شذرات الذهب (١/ ٣١٨ ، ٣١٩) .

(٥) انظر نزهة الألباب في الألقاب (٣٤٤) .

(٦) وفيات الأعيان (١/ ٤٣) .

ورِشْدِينُ بنُ سعد .

وعَبْدةُ بن سليمان .

وعُقبةُ بن خالد .

وعمر بن أيوب العابد ، أحدُ مشايخِ أحمدَ بنِ حنبل .

وعيسى بنُ يونس في قول .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومئة

فيها رَجَعَ الرشيدُ من الحج ، وسار إلى الرَّيّ ، فولّى وعزل .

وفيها ردَّ عليَّ بن عيسى إلى ولايةِ خُراسان . وجاءه نُوَّابُ تلكَ البلاد بالهدايا والتُّحف من سائرِ الأشكالِ والألوان . ثم عاد إلى بغداد ، فأَدركهُ عيدُ الأضحى بقصر اللصوص[1] ، فضحَّى عندَه ، ودخل إلى بغداد لثلاثٍ بَقينَ من ذي الحجَّة ؛ فلما اجتاز بالجسر أمرَ بجثَّةِ جعفر بن يحيى البرمكي فحُرِّقَتْ ودُفنتْ ، وكانت مصلوبةً من حينِ قُتل إلى هذا اليوم .

ثم ارتحل الرشيدُ من بغدادَ إلى الرقَّة ليسكنَها ، وهو متأسِّفٌ على بغدادَ وطيبها ، وإنما مرادُهُ بمُقَامِهِ بالرقَّةِ رَدْعُ المفسدين بها . وقد قال العباسُ بن الأحنف في خروجِهم من بغدادَ مع الرشيد :

ما أَنَخْنَا حتى ارْتَحَلْنا فما نَفْـ ـرِقُ بيـن المُنَـاخِ والارتحـالِ
ساءَلونا عن حالِنا إذْ قَدِمنا فقَـرَنَّـا وداعَهـم بـالسُّـؤالِ[2]

وفيها فادَى الرشيدُ الأسارى من المسلمين الذين كانوا ببلادِ الرُّوم ، حتى يُقال إنه لم يترُكْ بها أسيراً من المسلمين ، فقال فيه بعضُ الشعراء :

وفُكَّتْ بك الأسرى التي شُيِّدَتْ لَها مَحَـابِـسُ مـا فيهـا حَميـمٌ يَـزورُهـا

---

(١) قال صاحبُ الفتوح : لما فُتحت نَهَاوَنْد سار جيشٌ من جيوش المسلمين إلى هَمَذَان ، فنزلوا كنكور ، فسُرقت دوابُّ من دوابِّ المسلمين ، فسُمي يومئذٍ قصرَ اللصوص ، وبقي اسمه إلى الآن ؛ وهو في الأصل موضع قصر كنكور ، وهو قصر شيرين . وقال مسعر بن المهلهل : قصر اللصوص بناؤه عجيبٌ جدّاً ، وذلك أنه على دكّةٍ من حَجَر ارتفاعها عن وجه الأرض نحو عشرين ذراعاً ، فيه إيوانات وجواسيق وخزائن تتحيَّرُ في بنائه وحسنِ نُقوشِه الأبصار ، وكان هذا القصر معقِلَ أبرويز ومسكنَهُ ومتنزَّهَه ، لكثرة صيده وعذوبة مائه وحسن مروجه وصحاريه . وحول هذا القصر مدينةٌ كبيرةٌ لها جامع . معجم البلدان (٤/ ٣٦٣ ، ٣٦٤) .

(٢) الخبر والشعر في تاريخ الطبري (٤/ ٦٧٥) ، والكامل لابن الأثير (٥/ ٣٣٩) .

على حين أعيا المسلمينَ فكاكُها وقالوا سجونُ المشركينَ قبورُها[1]

وفيها رابطَ القاسمُ بنُ الرشيد بمَرْجِ دابِق يُحاصِر الرُّوم .

وفيها حجَّ بالناس العباسُ بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

ذكرُ من تُوفي فيها من الأعيان :

علي بن حمزة بن عبد الله بن فَيْروز[2] **أبو الحسن الأسدِي** مولاهم ، الكوفي ، المعروف بالكِسائي ، لإحرامهِ في كِسَاء ؛ وقيل : لاشتغالِهِ على حمزةَ الزيَّات في كِسَاء . كان نَحْوِيّاً لُغَوِيّاً ، أحدَ أئمةِ القُرَّاء . أصله من الكوفة ، ثم استوطنَ بغداد ، فأدَّبَ الرشيد وولدَهُ الأمين . وقد قرأ على حَمْزةَ بنِ حَبيبٍ الزَّيَّاتِ قراءَتَه ؛ وكان يُقرىء بها ، ثم اختارَ لنفسِهِ قراءةً ، وكان يقرأ بها .

وقد روَى عن أبي بكرِ بن عيَّاش ، وسفيان بن عُيينةَ وغيرِهما . وعنه يحيى بنُ زياد الفرَّاء ، وأبو عُبيد .

قال الشافعي : منْ أرادَ النحوَ فهو عيالٌ على الكِسَائي . أخذَ الكسائيُّ عن الخليل صناعةَ النَّحْو ، فسألَهُ يوماً عن منْ أخذتَ هذا العلم ؟ قال : منْ بَوَادي الحِجاز . فرحَلَ الكِسَائيُّ إلى هناك ؛ فكتبَ عن العرب شيئاً كثيراً ، ثم عاد إلى الخليل ، فإذا هو قد مات ، وتصدَّرَ في موضِعِه يونس ؛ فجرَتْ بينهما مناظراتٌ أقَرَّ له فيها يونُسُ بالفَضْل وأجلسه في موضعه .

قال الكِسَائي : صليت يوماً بالرشيد ، فأعجَبَتْني قراءتي ، فغَلِطتُ غلطةً ما غَلِطَها صبيّ ، أردتُ أنْ أقول ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ فقلت : لعلَّهم يرجعين ، فما تَجاسَرَ الرشيدُ أنْ يردَّها ، فلما سلَّمْتُ قال : أيُّ لغةٍ هذه ؟ فقلتُ : إنَّ الجوادَ قد يَعْثُر . فقال : أمَّا هذا فنعَمْ .

وقال بعضُهم : لَقِيتُ الكِسَائيّ ، فإذا هو مهموم ، فقلت : ما لَك ؟ فقال : إنَّ يحيى بنَ خالدٍ قد وجَّهَ إليَّ لِيسألَني عن أشياء ، فأخشى من الخطأ . فقلت : قُلْ ما شئت ، فأنتَ الكِسَائي . فقال : قطعَهُ الله ـ يعني لسانَه ـ إنْ قلتُ ما لم أعلمْ .

وقال الكسائيُّ يوماً : قلتُ لنجّار : بكم هذانِ البابان ؟ فقال : بسَلْحَتان يا مَصْفَعان[3] .

---

(١) الخبر والبيتين في تاريخ الطبري (٤/ ٦٧٥) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٦/ ٢٦٨) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٢١٨) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٤٢٧) ، تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٣) ، الفهرست (٩٧) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٦٨) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٥) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ١٧٩) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣١) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٥) ، نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ٣٠٧) .

(٣) في (ق) : « بسالجيان » ، في (ح) والمنتظم (٩/ ١٧٣) : « بسلحتان » ، يقال : سلح الطائر سلحاً ؛ كالتغوط=

تُوفي الكِسَائيُّ في هذه السنةِ على المشهور ، عن سبعين سنة . وكان في صُحْبَةِ الرشيدِ ببلادِ الرَّيّ ، فمات بنواحيها ، هو ومحمد بن الحسن في يومٍ واحد . وكان الرشيدُ يقول : دفنتُ الفقهَ والعربيةَ بالرَّي .

قال ابن خَلِّكان(١) : وقيل : إنَّ الكِسَائي توفي بطُوسَ سنةَ ثنتين [أو ثلاث] وثمانين ومئة . والله أعلم .

وقد رأى بعضُهم الكِسَائي في المنام ووجهُه كالبَدْر ، فقال : ما فعل بكَ ربُّك ؟ فقال : غفَرَ لي بالقرآن . فقلت : ما فعل حمزة ؟ قال : ذاك في عِلِّيِّين ، ما نراهُ إلا كما نَرَى الكوكب .

وفيها توفي :

محمد بن الحسن بن فَرْقَد(٢) أبو عبد الله الشيباني مولاهم ، صاحبُ أبي حنيفة ، أصلُهُ من قريةٍ من قُرى دمشق ، قدم أبوه العراق ، فولد بواسط سنةَ ثنتَيْن ومئة ، ونشأ بالكوفة . فسمع من أبي حنيفة ، ومِسْعَر ، والثوري ، وعمر بن ذر ، ومالك بن مِغْوَل . وكتب عن مالك بن أنس ، والأوزاعي ، وأبي يوسف . وسكن بغداد ، وحدَّث بها . وكتب عنه الشافعي حين قَدِمها في سنةِ أربعٍ وثمانين ومئة ، وولاَّه الرشيدُ قضاءَ الرقَّة ، ثم عزله . وخرج مع الرشيد إلى الرَّي فماتَ بها .

وكان يقولُ لأهله : لا تسألوني حاجةً من حاجاتِ الدنيا فتشغَلُوا قلبي ، وخذوا ما شئتُم من رَحْلي ، فإنه أقلُّ لِهَمِّي ، وأفرغُ لقلبي .

وقال الشافعي : ما رأيتُ حبراً سميناً مثلَه ! ولا رأيتُ أخفَّ روحاً منه ، ولا أفصحَ منه ؛ كنتُ إذا سمعتُه يقرأُ القرآنَ كأنَّما يَنْزِلُ القرآنُ بلغتِه .

وقال أيضاً : ما رأيتُ أعقلَ منه ! كانَ يملأ العَيْنَ والقلب .

قال الطَّحَاويّ : كان الشافعيُّ قد طلبَ من محمدِ بنِ الحسن كتاب السِّيَر ، فلم يُجِبْهُ إلى الإعارة . فكتب إليه :

= من الإنسان والمَصْفَعان : الذي يُصْفعُ على قَفَاه . وفي جواب النجار ضرب من السخرية بشيخ العربية ، الذي لم يقم لسانه بقواعد النحو ، إذ الوجه أن يقول : « بكم هذين البابين ؟ » .

(١) في وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٦) ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٢) في (ق) : محمد بن الحسن بن زفر ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته ، وهي في : الضعفاء للعقيلي (٤/ ٥٢) ، الكامل لابن عدي (٦/ ١٧٤) ، المجروحين (٢/ ٢٧٥) ، تاريخ بغداد (٢/ ١٧٢) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/ ٥٠) ، ميزان الاعتدال (٦/ ١٠٧) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ٣٥٨) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤) ، المغني في الضعفاء (٢/ ٥٦٧) ، رواة الآثار لابن حجر (١٦٢) ، التدوين في أخبار قزوين (١/ ٢٥١) .

قُـلْ للـذي لـم تَـرَ عَيْـ ـنَـا مـنْ رآهُ مثلَـهُ
حتـى كـأنَّ مـنْ رآ هُ قـد رأى مـنْ قبلَـهُ
العلـمُ يَنْهَـى أهلَـهُ أنْ يَمْنَعُـوهُ أهْلَـهُ
لعلَّـهُ يَبْـذُلُـهُ لأهلِـهِ لَعَلَّـهُ[١]

قال : فوجَّهَ به إليهِ في الحالِ هديَّةً لا عاريَّة .

وقال إبراهيمُ الحربي : قيل لأحمد بن حنبل : هذه المسائل الدِّقَاق ، منْ أين هي لك ؟ قال : من كُتب محمدِ بنِ الحسن رحمه الله . وقد تقدَّمَ أنه ماتَ هو والكِسَائي في يومٍ واحدٍ من هذه السنة . فقال الرشيد : دفنتُ اليومَ اللغةَ والفِقْه جميعاً . وكان عمرهُ ثمانيةً وخمسين سنة .

ثم دخلت سنة تسعين ومئة من الهجرة

فيها خلَعَ رافعُ بنُ لَيْث بنِ نصر بن سَيَّار نائبُ سَمَرْقَنْدَ الطاعة ، ودَعَا إلى نفسه ، وتابعَهُ أهلُ بلدِهِ وطائفةٌ كثيرة من تلك الناحية ؛ واستفحل أمرُه ، فسار إليه نائبُ خُرَاسانَ عليُّ بن عيسى ، فهزمَهُ رافع ، وتفاقَمَ الأمرُ به .

وفيها سار الرشيدُ لِغَزْوِ بلادِ الرُّوم لعشرٍ بَقينَ من رجب ، وقد لبس على رأسِهِ قَلَنْسُوةً ، فقال فيه أبو المعلّى الكلابي :

فمَـنْ يطلُـبْ لقـاءَكَ أو يُـرِدْهُ فبـالحـرَمَيْـنِ أو أقصَـى الثُّغـورِ
ففـي أرضِ العـدوِّ علـى طِمِـرٍّ وفـي أرض التَّـرَفُّـهِ[٢] فَـوْقَ كُـورِ
ومـا حـازَ الثغـورَ سـواكَ خَلْـقٌ مـن المتخلِّفيـنَ علـى الأمـورِ[٣]

فسارَ حتى وصل إلى الطُّوَانَة[٤] ، فعسكر بها وبعث إليه نَقْفُور إليه بالطاعة ، وحَمَلَ الخراجَ والجِزْيَة ، حتى عن رأسِ وَلَدِه ورأسِه ، وأهلِ مملكتِه ، في كلِّ سنةٍ خمسةَ عشرَ ألفَ دينار . وبعثَ يَطْلُبُ من الرشيدِ جاريةً قد أسروها ، وكانتِ ابنةَ ملكِ هِرَقْلَة ، وكان قد خطبَهَا على ولَدِه . فبعث بها الرشيدُ مع

---

(١) رواية (ق) في البيت الأول : « لم تر عيناي مثله » ، والمثبت من (ب ، ح) وبنحوه الأبيات في ديوان الشافعي ص(١٢١) ، وفيه زيادة بيت قبل الأخير وهو :
لأنَّ مـا يُجنُّـهُ فـاقَ الكمـالَ كُلَّـهُ
(٢) هذه رواية (ق) ، وفي (ب ، ح) : « الثنية » .
(٣) ليس هذا البيت في (ب ، ح) .
(٤) « طُوَانة » ـ بضمِّ أوله ، وبعد الألف نون ـ : بلدٌ بِثُغور المَصِّيصَة . معجم البلدان (٤/ ٤٥) .

هدايا وتُحَفٍ وطيبٍ بعَثَ يطلُبُهُ من الرشيد . واشترَطَ عليه الرشيدُ أنْ يَحْمِلَ كلَّ سنةٍ ثلاثَ مئةِ ألف دينار ، وأنْ لا يَعْمُرَ هِرَقْلَة .

ثم انصرف الرشيدُ راجعاً ، واستناب على الغَزْو عُقْبَةَ بن جعفر .

ونقَضَ أهلُ قُبْرُصَ العَهْد ، فغزاهُمْ مَعْيوفُ بن يحيى ، فسَبَى أهلَها ، وقتل منهم خلقاً كثيراً . وخرج رجلٌ من عَبْدِ القَيْس ، فبعث إليه الرشيدُ مَنْ قَتَله .

وحجَّ بالناس فيها عيسى بن موسى الهادي .

ممن تُوفِّي فيها من الأعيان والمشاهير :

أسد بن عمرو بن عامر(١) أبو المنذر البَجَليُّ الكوفيّ ، صاحبُ أبي حَنيفة ، حكم ببغداد وبِوَاسِط ، فلما أَنْكَرَ بصَره عزَلَ نفسَهُ عن القضاء .

قال أحمدُ بن حنبل(٢) : كان صدوقاً . ووثقه ابنُ معين ، وتكلَّم فيه عليُّ بن المَديني ، والبخاري .

وسَعْدُون المجنون(٣) : صامَ ستين سنة ، فخفَّ دِمَاغُه ، فسمَّاهُ الناسُ مجنوناً ، وقف يوماً على حَلْقَةِ ذي النُّون المِصري ، فسمع كلامَهُ فصرَخ ، ثم أنشأ يقول :

ولا خيرَ في شَكْوَى إلى غيرِ مُشْتَكى ولا بُدَّ من شكوى إذا لم يكنْ صَبْرُ

وقال الأصمعي : مرَرْتُ به وهو جالسٌ عند رأسِ شيخٍ سكران ، يذبُّ عنه ، فقلتُ له : ما لي أراك عندَ رأسِ هذا الشيخ ؟ فقال : إنه مجنون . فقلت : أنتَ مجنونٌ أوْ هو ؟ قال : لا ، بل هو ، لأني صلَّيْتُ الظهر والعصرَ في جماعة ، وهو لم يصلِّ جماعةً ولا فُرادى . وهو مع هذا قد شرِبَ الخمر ، وأنا لم أشرَبْها . قلتُ : فهل قلتَ في هذا شيئاً ؟ قال : نَعمْ . ثم أنشأ يقول :

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٣١) ، بحر الدم للإمام أحمد (٧٣) ، الكنى للبخاري (٢/ ٤٩) ، الكنى والأسماء لمسلم (٢/ ٧٧٣) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (١٩) ، تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد للنسائي (١٢٤) ، الضعفاء للعقيلي (١/ ٢٣) ، الجرح والتعديل (٢/ ٣٣٧) ، المجروحين لابن حبان (١/ ١٨٠) ، الكامل لابن عدي (١/ ٣٩٨) ، تاريخ جرجان (٥٥٣) ، تاريخ بغداد (٧/ ١٦) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١/ ١٠٦) ، الكشف الحثيث لسبط بن العجمي (٦٧) ، المغني في الضعفاء (٧٦) ، المنتقى في سرد الكنى (٢/ ٩٨) ، ميزان الاعتدال (١/ ٣٦٣) ، الإكمال للحسيني (٢٣) ، لسان الميزان (١/ ٣٨٣) ، تعجيل المنفعة (٣٠) .

(٢) في كتاب بحر الدم (٧٣) .

(٣) ترجمته في عقلاء المجانين (٥٤) ، إحياء علوم الدين (١/ ٣١٦) ، صفة الصفوة (٢/ ٥١٢) ، المختار من مناقب الأخيار (٧٨) ، الوافي بالوفيات (١٥/ ت ٢٦٦) ، فوات الوفيات (٢/ ٤٨) ، روض الرياحين الحكاية (٢١ و٢٢ و٢٤ و٢٥) ، طبقات الشعراني (١/ ٦٨) ، الطبقات الصغرى للمناوي (٣٢٣) .

تـركـتُ النبيـذَ لأهـلِ النبيـذِ وأصبحتُ أشربُ ماءً قَرَاحا

لأنَّ النبيــذَ يُــذلُّ العــزيــزَ ويَكْسُو السوادَ الوجوهَ الصِّبَاحا

فـإنْ كـان ذا جـائـزاً للشبـابِ فما العُذْرُ منه إذا الشَّيبُ لاحا

قال الأصمعي : فقلتُ له : صدقتَ . أنتَ العاقلُ وهو المجنون .

وعُبيدة بنُ حُميد بن صُهيب[١] أبو عبد الرحمن التَّيْمي[٢] ، الكوفي ، مؤدِّبُ الأمين . روى عن الأعمش وغيرِه . وعنه أحمدُ بن حنبل ، وكان يُثْني عليه .

وفيها توفي :

يحيى بنُ خالد بن بَرْمَك[٣] أبو علي الوزير ، والدُ جعفرٍ البَرْمكي ، ضمَّ إليه المهديُّ ولَدَهُ الرشيدَ فربَّاهُ ، وأرضعَتْهُ امرأتُهُ مع الفضلِ بنِ يحيى ، فلما وُلِّي الرشيد ، عرف له حقَّه ، وكان يقول : قال أبي ، قال أبي . وفوَّضَ إليه أمورَ الخلافةِ وأزِمَّتَها ، ولم يزَلْ كذلك حتى نُكِبَتِ البرامكة ، فقتل جعفراً[٤] ، وخَلَّدَ أباه يحيى في الحبسِ حتى ماتَ في هذه السنة . وكان كريماً فَصِيحاً ذا رأيٍ سديد ، يظهَرُ من أمورِهِ خيرٌ وصلاح .

قال يوماً لولَدِهِ : خُذوا من كلِّ شيءٍ طَرَفاً ، فإنَّ منْ جَهِل شيئاً عاداه . وقال لأولاده : اكتبوا أحسنَ ما تسمعون ، واحفظوا أحسنَ ما تكتبون ، وتحدَّثوا بأحسنِ ما تحفظون . وكان يقولُ لهم : إذا أقبلتِ الدنيا فأنفِقوا منها ، فإنَّها لا تبقَى ، وإذا أدْبَرَتْ فأنفِقوا منها فإنَّها لا تبقَى[٥] .

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٢٩) ، بحر الدم للإمام أحمد (٢٨٨) ، التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٨٦) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٥٢٦) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ١٢٣) ، الطبقات للنسائي (١٣٢) ، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي (١٧١) ، الثقات له (٧/ ١٦٢) ، الجرح والتعديل (٦/ ٩٢) ، رجال صحيح البخاري للكلاباذي (٢/ ٥٠٥) ، تسمية من أخرج له البخاري ومسلم للحاكم (١٩٢) ، التعديل والتجريح للباجي (٢/ ٩٣٣) ، تاريخ بغداد (١١/ ١٢٠) ، تهذيب الكمال (١٩/ ٢٥٧) ، ميزان الاعتدال (٥/ ٣٣) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٣١١) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٠٨) ، الكاشف (١/ ٦٩٤) ، لسان الميزان (٧/ ٣٠٠) ، تقريب التهذيب (٣٧٩) ، طبقات الحفاظ (١٣٥) .

(٢) في (ق) : « التميمي » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته .

(٣) ترجمته في تاريخ بغداد (١٤/ ١٢٨) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٨٨) ، وفيات الأعيان (٦/ ٢١٩) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٨٩) ، العبر (١/ ٣٠٦) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٣٣) .

(٤) في (ح ، ق) : « جعفر » ، والمثبت من (ب) ، والضمير في قتل عائد على الرشيد .

(٥) تقدم هذا القول في ترجمة ابنه جعفر ص(٤٧٠) .

وكان إذا سأله سائلٌ في الطريق وهو راكب أقلُّ[(١)] ما يأمُرُ له بمئتي درهم . فقال رجلٌ يوماً :

يا سَميَّ الحَصُورِ يحيى أُتيحَتْ ... لـكَ مـن فضـلِ رَبِّنـا جَنَّتـانِ
كلُّ منْ مَرَّ في الطريقِ عليكُمْ ... فلَـهُ مـنْ نَـوَالِكُـمْ مِئتـانِ
مِئتـا دِرْهـمٍ لِمِثْلـي قليـلٌ ... هـي منكـمْ للفـارسِ العَجْـلانِ

فقال : صدَقْت . وأمرَ أنْ يُسبَق به إلى الدار ، فلما رجَعَ سأل عنه ، فإذا هو قد تزوَّج ، وهو يريدُ أن يدخلَ على أهلِه ، فأعطاهُ صداقها أربعةَ آلاف ، وعن دار أربعةَ آلاف ، وعن الأمتعةِ أربعةَ آلاف ، وعن الدخول أربعة آلاف ، وأربعة آلاف يستظهر بها .

وجاءَهُ رجلٌ يوماً فسأله شيئاً ، فقال : وَيْحَك لقد جئتَني في وقتٍ لا أملِكُ فيه مالاً ؛ ولكنْ بعث إليَّ صاحبٌ لي يطلُبُ مني أنْ يُهدي إليَّ ما أحب ، وقد بلغني أنكَ تُريد أن تبيعَ جاريةً لك ، وأنَّك قد أُعطيتَ فيها ثلاثةَ آلاف دينار ، وإني سأطلُبها ، فلا تَبِعْها منه بأقلَّ من ثلاثينَ ألفَ دينار . فجاؤوني فبلغوا معي بالمساومةِ إلى عشرين ألفَ دينار ، فلما سمعتُها ضَعُفَ قلبي عن رَدِّها ، وأَجَبْتُ إلى بيعها ، فأَخَذَها ، وأخذتُ العشرين ألفَ دينار ، فأهداها إلى يحيى . فلما اجتمعتُ بيحيى قال : بكم بعتَها ؟ قلتُ : بعشرين ألفَ دينار . قال : إنك لَخَسيس ، خُذْ جاريتَك إليك . وقد بعث إليَّ صاحبُ فارس ، يطلبُ مني أنْ أستهديَهُ شيئاً ، وإني سأطلُبها منه ، فلا تَبِعْها بأقلَّ من خمسينَ ألفَ دينار . فجاؤوني فوصلوا في ثمنِها إلى ثلاثين ألفَ دينار ، فبعتُها منهم . فلمّا جئتُه لامني أيضاً وردَّها عليّ ، فقلتُ : أُشهدُك أنَّها حُرَّة ، وأني قد تزوَّجْتُها ؛ وقلت : جاريةٌ قد أفادَتْني خمسين ألف دينار ، لا أفرِّطُ فيها بعدَ اليوم[(٢)] .

وذكر الخطيب ، أنَّ الرشيد طلَبَ من منصورِ بنِ زياد عشرة آلاف ألف درهم ، ولم يكنْ عندَهُ منها سوى ألفِ ألفِ درهم ، فضاق ذَرْعاً ، وقد توعَّده بالقتلِ وخرابِ الديار إنْ لم يحمِلْها في يومِه ذلك ؛ فدخل على يحيى بنِ خالد ، وذكرَ أمرَه ، فأطلقَ له خمسةَ آلافِ ألف ، واستطلق له من ابنِهِ الفضل ألفَيْ ألف ، وقال لابنه : يا بُني ، بلغَني أنك تُريدُ أن تشتريَ بها ضَيْعةً ، وهذه ضيعةٌ تَغُلُّ الشكرَ وتبقى مدَى الدَّهر . وأخذ له من ابنِهِ جعفر ألفَ ألف ، ومن جاريته دنانير عِقْداً مُشتراه مئةُ ألف دينار ، وعشرون ألف دينار ، وقال للمترسِّم عليه : قد حسبناهُ عليك بألفَيْ ألف . فلما عُرضتِ الأموالُ على الرشيد رَدَّ العِقْد ، وكان قد وهبَهُ لجاريةِ يحيى ، فلم يعدْ فيه بعدَ إذْ وَهَبه لها . وقال له بعضُ بنيه وهم في السجن والقيود : يا أبتِ ، بعدَ الأمرِ والنَّهْي والنِّعْمة صِرْنا إلى هذا الحال ؟! فقال : يا بُني ، دعوةُ مظلومٍ سرَتْ بلَيلٍ ونحن عنها غافلون ، ولم يغفلِ اللهُ عنها . ثم أنشأ يقول :

رُبَّ قومٍ قد غدَوْا في نعمةٍ ... زمنـاً والـدَّهْـرُ ريَّـانٌ غَـدَقْ

---

(١) كذا في الأصول ، والوجه (فأقلّ) .
(٢) انظر الحكاية بأوضح مما هنا في تاريخ بغداد (١٤/ ١٣١) .

سكَتَ الدهرُ زماناً عنهمُ ثم أبكاهُمْ دماً حين نَطَقْ[١]

وقد كان يحيى بن خالد هذا يُجري على سفيانَ بن عُيينة كلَّ شهرٍ ألفَ درهم ، وكان سفيانُ يدعو له في سجودِهِ يقول : اللهمَّ إنه قد كفاني المؤنة ، وفرَّغني للعبادة ، فاكفِهِ أمرَ آخرتِه . فلما مات يحيى رآه بعضُ أصحابِه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفَرَ لي بدُعاءِ سفيان .

وقد كانتْ وفاةُ يحيى بنِ خالد رحمه الله في الحبس في الرَّافِقَة ، لثلاثٍ خلَوْنَ من المحرَّم من هذه السنة ، عن سبعين سنة ، وصلَّى عليه ابنُه الفَضْل ، ودُفن على شطِّ الفُرَات ؛ وقد وُجد في جَيبه رُقْعةٌ مكتوبٌ فيها بخَطِّه : قد تقدَّمَ الخَصْم والمدَّعَى عليه بالأثر ، والحاكمُ الحكَمُ العَدْلُ الذي لا يَجُور ، ولا يحتاجُ إلى بَيِّنة . فحُملتْ إلى الرشيد ، فلما قرَأها بكَى يومَه ذلك ، وبقي أياماً يتبيَّنُ الأسى في وَجْهِه . وقد قال بعضُ الشعراء في يحيى بن خالد :

سألتُ النَّدى : هل أنتَ حُرٌّ ؟ فقال : لا ولكنَّني عبدٌ ليَحيى بنِ خالدِ

فقلتُ : شِراءً ؟ قال : لا بلْ وِرَاثةً توارَثَ رِقِّي والدٌ بعدَ والِدِ

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومئة

فيها خرج رجلٌ بسوادِ العراق يُقال له ثَرْوان بن سيف ، وجعل يتنقَّلُ فيها من بلدٍ إلى بلد ، فوجَّه إليه الرشيدُ طَوْق بن مالك فهزمَه ، وجرح ثروانَ وقتلَ عامَّة أصحابِه ، وكتب بالفتحِ إلى الرشيد .

وفيها خرج بالشام أبو النِّداء ، فوجَّه إليه الرشيدُ يحيى بنَ معاذ ، واستنابه على الشام .

وفيها وقع الثلجُ ببغداد . وفيها غزا بلادَ الروم يزيدُ بن مخلد الهُبَيْري في عشرةِ آلاف ، فأخذتْ عليه الرومُ المضيق ، فقتلوه في خمسين من أصحابه ، على مرحلتين من طَرَسُوس ، وانهزم الباقون . وولَّى الرشيدُ غزوَ الصائفة لِهَرْثَمةَ بنِ أعين ، وضمَّ إليه ثلاثين ألفاً فيهم مسرورٌ الخادم ، وإليه النفقات .

وخرج الرشيد إلى الحَدَث[٢] ليكونَ قريباً منهم . وأمر الرشيدُ بِهَدْمِ الكنائسِ والدُّيُور ، وألزَمَ أهلَ الذِّمَّة بتمييزِ لباسِهم وهيئاتِهم في بغدادَ وغيرِها من البلاد .

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ١٣١) .

(٢) الحَدَث ـ بالتحريك وآخره ثاء مثلثة ـ : قلعةٌ حصينة بين مَلَطْيَة وسُمَيْساط ومَرْعش ، من الثُّغور ، ويقال لها الحمراء ، لأنَّ تُرْبَتَها جميعاً حمراء ، وقلعتُها على جبلٍ يُقال له الأحَيدب . وفي كتاب أحمد بن يحيى بن جابر : كان حصن الحدث مما فتح في أيام عمر رضي الله عنه ، فتحه حَبيب بن مَسْلَمة الفِهْري من قبل عِياض بن غَنْم ، وكان معاوية يتعاهدُه بعد ذلك ؛ وكانت بنو أمية يُسمُّون دَرْبَ الحدث دَرْبَ السلامة للطِّيَرَة ، لأنَّ المسلمين أُصيبوا به ، وكان ذلك الحدث الذي سُمِّيَ به الحَدَث فيما يقول بعضُهم . وقال آخرون لقي المسلمين على دَرْبِ الحدَثِ =

وفيها عزل الرشيدُ عليَّ بن موسى عن إمرة خُراسان ، وولاَّها هَرْثَمةَ بن أعْيَن .

وفيها فتح الرشيدُ هِرَقْلةَ في شوال ، وخرَّبَها ، وسَبَى أهلَها ، وبثَّ الجيوشَ والسَّرايا بأرضِ الرُّوم إلى عينِ زُرْبَة ، والكنيسة السوداء ، وكان دَخْلُ[1] هِرَقْلةَ في كلِّ يومٍ مئةَ ألف ، وخمسةً وثلاثين ألفَ مُرْتَزق . ووُلِّيَ حُميد بن مَعْيُوف سواحلَ الشام إلى مصر ؛ ودخل جزيرةَ قُبْرُص ، فسَبَى أهلَها ، وحمَلهم حتى باعَهُم بالرافِقَة ؛ فبلغ ثَمَنُ الأسْقُفِّ ألفَيْ دينار ، باعهم أبو البَخْتَري القاضي .

وفيها أسلم الفضل بن سَهْل على يدَي المأمون . وحجَّ بالناس فيها الفضلُ بن عباس بن محمد بن علي العباسي ، وكان واليَ مكة . ولم يكن للناس بعدَ هذه السنة صائفة إلى سنة خمسَ عشرةَ ومئتين .

وفيها تُوفي من الأعيان :

سَلَمةُ بن الفضل الأبرش .

وعبدُ الرحمن بن القاسم[2] : الفقيه الراوي عن مالك ، الذي هو العمدةُ في مذهب مالك فيما يرويه عن الإمام مالك . وكان من كبار الصالحين .

وعيسى بن يونس بن أبي إسحاق[3] : قدم على الرشيد ، فأمر له بمالٍ جَزيل نحواً من خمسين ألفاً ، فلم يقبَلْه .

والفضل بن موسى السِّيناني .

ومحمد بن سلمة .

ومَخْلَد بن الحسين المِصِّيصِي[4] : أحدُ الزهَّاد الثقات . قال : لم أتكلَّمْ بكلمةٍ أحتاجُ إلى الاعتذارِ منها منذُ خمسين سنة .

= غلامٌ حَدَث ، فقاتلهم في أصحابه قتالاً استظهر فيه ؛ فسُمِّي الحدثُ بذلك الحدث . انظر معجم البلدان (٢/ ٢٢٧) .

(١) في (ح) : « خرج » ، والمثبت من (ب ، ق) .

(٢) ترجمته في تسمية فقهاء الأمصار للنسائي (١٢٧) ، الجرح والتعديل (٥/ ٢٧٩) ، الثقات لابن حبان (٨/ ٣٧٤) ، الفهرست (٢٨١) ، التعديل والتجريح للباجي (٢/ ٨٧٦) ، تهذيب الكمال (١٧/ ٣٤٤) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٥٦) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٠) ، الكاشف (١/ ٦٤٠) ، الوفيات للقسنطي (١٥٠) ، تقريب التهذيب (٣٤٨) ، تهذيب التهذيب (٦/ ٢٢٧) ، طبقات الحفاظ (١٥٢) .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٨) ، التاريخ الكبير (٦/ ٤٠٦) ، الجرح والتعديل (٦/ ٢٩١) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٢٣٨) ، رجال مسلم لابن منجويه (٢/ ١١٤) ، تاريخ بغداد (١١/ ١٥٢) ، صفة الصفوة (٤/ ١٨٩) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ٦٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٩) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨٩) ، تهذيب التهذيب (٨/ ٢١٢) ، تقريب التهذيب (٤٤١) .

(٤) في (ق) : « محمد بن الحسين المصيصي » ، وهو تصحيف والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمته في طبقات=

وفيها توفي معمَر الرقِّي .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومئة

فيها دخل هَرْثَمةُ بن أعْيَن إلى خراسان نائباً عليها ، وقبض على علي بن عيسى ، فأخذ أموالَهُ وحواصِلَه ، وأركبه على بعير ، وَجْهُه لِذَنَبه ، ونادَى عليه ببلادِ خراسان ، وكتب إلى الرشيدِ بذلك . فشكره على ذلك ، ثم أرسله إلى الرشيد بعدَ ذلك ، فحُبس بدارِهِ ببغداد .

وفيها ولَّى الرشيدُ ثابتَ بنَ نصرِ بن مالك نيابةَ الثغور ، فدخلَ بلادَ الروم ، وفتح مطمورة[١] .

وفيها كان الصُّلح بين المسلمين والرُّوم على يد ثابت بن نصر .

وفيها خرجتِ الخُرَّمِيَّةُ بالجبل وبلادِ أذْربيجَان ؛ فوجَّه الرشيدُ إليهم عبدَ الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي في عشرةِ آلافِ فارس ؛ فقتل منهم خلقاً ، وأسر وسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ ، وقَدِم بهم بغدادَ ، فأمَرَ له الرشيد بقتلِ الرجالِ منهم ، وبالذُّرِّيَّةِ فبيعوا فيها ، وكان قد غزاهم قبلَ ذلك خُزيمةُ بن خازِم .

وفي ربيع الأول منها قدم الرشيدُ من الرقة إلى بغداد في السُّفُن ، وقد استخلف على الرَّقَّةِ ابنَهُ القاسم ، وبين يديه خُزيمة بن خازم ، ومن نِيَّةِ الرشيد الذهابُ إلى خراسان لغَزْوِ رافع بن ليث الذي كان قد خلَعَ الطاعةَ واستحوذَ على بلادٍ كثيرةٍ من بلادِ سَمَرْقَنْدَ وغيرِها . ثم خرج الرشيدُ في شعبانَ قاصداً خراسان ، واستخلف على بغدادَ ابنَه محمداً الأمين ، وسأل المأمونُ من أبيه أنْ يخرجَ معه خوفاً من غَدْرِ أخيه الأمين ، فأذِنَ له ، فسار معه وقد شكا الرشيدُ في أثناءِ الطريقِ إلى بعضِ أمرائه جفاء بَنِيهِ الثلاثة الذين جعلهم ولاةً للعَهْدِ من بعدِه ؛ وأراهُ داءً في جسَدِه وقال : إنَّ لِكُلٍّ واحدٍ من الأمين والمأمون والقاسم عندي عَيْناً عليّ ، وهم يَعُدُّونَ أنفاسي ، ويتمنَّوْنَ انقضاءَ أيَّامي ، وذلك شَرٌّ لهم لو كانوا يعلمون . فدعا له ذلك الأمير ؛ ثم أمر له الرشيدُ بالانصرافِ إلى عمَلِهِ وودَّعَه ، وكان آخِرَ العَهْدِ به .

وفيها تحرَّك ثَرْوانُ الحَرُوريّ وقتل عاملَ السلطان بِطَفِّ البصرة[٢] .

= ابن سعد (٧/ ٤٨٩) ، طبقات خليفة (٣١٨) ، التاريخ الكبير (٧/ ٤٣٧) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٥٤) ، الجرح والتعديل (٨/ ٣٤٧) ، الثقات لابن حبان (٩/ ١٨٥) ، حلية الأولياء (٨/ ٢٦٦) ، تالي تلخيص المتشابه للخطيب البغدادي (٢/ ٥٧٢) ، صفة الصفوة (٤/ ٢٦٦) ، المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٤٩٠) ، تهذيب الكمال (٢٧/ ٣٣٢) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٣٦) ، العبر (١/ ٣٠٨) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٧٢) ، الكواكب الدرية (١/ ٤٤٤) ، شذرات الذهب (١/ ٣٢٩) .

(١) « مطمورة » : بلدٌ في ثغور بلاد الروم بناحيةِ طَرَسُوس . معجم البلدان (٥/ ١٥١) .

(٢) « الطَّفُّ » : ما أشْرَفَ من أرض العرب على ريف العراق ، مشتق من ذلك ، وطفُّ الفرات : شطُّه ، سمي بذلك =

وفيها قتل الرشيدُ الهَيْصَمَ اليماني . ومات عيسى بنُ جعفر وهو يريدُ اللَّحَاقَ بالرشيد ، فمات في الطريق .

وفيها حجَّ بالناس العباسُ بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور .

وفيها توفي :

إسماعيلُ بن جامع(١) بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وَدَاعة أبو القاسم ، أحدُ المشاهيرِ بالغناء . كان مِمَّنْ يُضرب به المثَل . وقد كان أولاً يَحفَظُ القرآن ، ثم صار إلى صناعةِ الغناء ، وترك القرآن . وذكر عنه أبو الفرج بن علي بن الحسين صاحب الأغاني حكاياتٍ غريبة(٢) ، من ذلك أنه قال : كنتُ يوماً مشرفاً من غُرْفةٍ بحرَّان(٣) ، إذ أقبلَتْ جاريةٌ سوداء ، معها قِرْبةٌ تستقي الماء ، فجلسَتْ ووضَعَتْ قِربتَها واندفعتْ تُغنِّي :

إلى الله أشكو بُخْلَها وسماحتي ... لها عَسَلٌ منِّي وتَبْذُلُ عَلْقَما

فرُدِّي مُصَابَ القلبِ أنتِ قتلتِهِ ... ولا تترُكِيهِ هائمَ القلبِ مُغْرَما

قال : فسمعتُ ما لا صَبْرَ لي عنه ، ورجَوْتُ أنْ تُعيدَه ؛ فقامَتْ وانصرفَتْ ، فنَزَلْتُ وانطلقتُ وراءها ، وسألتُها أن تعيدَه ، فقالت : إنَّ عليَّ خراجاً كلَّ يومٍ درهمَيْن ، فأعطيتُها درهمين ، فأعادَتْهُ ، فحَفِظْتُهُ وسلكته يومي ذلك ، فلما أصبحتُ أُنسيتُه ، فأقبلتِ السوداءُ فسألتُها أنْ تعيدَه ، فلم تفعَلْ إلاَّ بدرهمين ، ثم قالت : كأنكَ تستكثرُ أربعةَ دراهم ! كأنِّي بكَ وقد أخذتَ عليه أربعةَ آلافِ دينار . قال ابنُ جامع : فغنَّيتُهُ ليلةً للرشيد ، فأعطاني ألفَ دينار ، ثم استعادَنيهِ ثلاثَ مرَّاتٍ أخرى ، وأعطاني ثلاثةَ آلافِ دينار ؛ فتبسَّمتُ ، فقال : ممَّ تبسَّمتَ ؟ فذكرتُ له القصة ، فضَحِك وألقى إليَّ كيساً آخرَ فيه ألفُ دينارٍ ، وقال : لا أكذبُ السوداء .

وحكى عنه أيضاً قال(٤) : أصبحتُ يوماً بالمدينةِ وليس معي إلا ثلاثةُ دراهم ، فإذا جاريةٌ على رقبتِها جرَّةٌ تُريدُ الرَّكِيّ ، وهي تسعَى وتترنَّمُ بصوتٍ شَجِيّ :

شكَوْنا إلى أحبابنا طولَ ليلِنا ... فقالوا لنا ما أقصَرَ الليلَ عندَنا

وذاكَ لأنَّ النَّومَ يَغْشَى عيونَهم ... سريعاً ولا يَغْشَى لنا النَّومُ أعْيُنَا

= لدُنُوِّه . وقيل غير ذلك ، انظر لسان العرب (طفف) .

(١) ترجمته في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٦/ ٣٠٤) ، الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٣٠٢) ، تهذيب مستمر الأوهام له (٢٥٩) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٩٨) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٣٩) .

(٢) الأغاني (٦/ ٣٠٤) ، وما بعدها ، والحكاية الآتية في (٦/ ٣٥٠) .

(٣) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « في غرفة لي باليمن » .

(٤) يعني صاحب الأغاني في كتابه الأغاني (٦/ ٣٢٦) .

إذا ما دنا الليلُ المُضِرُّ بذي الهوَى جَـزِعْنـا وهـم يَستبشـرون إذا دَنَـا
فلـو أنَّهـم كـانـوا يُـلاقُـونَ مثـلَ مـا نُلاقي لكانوا في المضاجعِ مِثْلَنا

قال : فاستعدتُهُ منها وأعطيتُها الدراهمَ الثلاثة ، فقالت : لتأخُذَنَّ بدلَها ألفَ دينار ، وألفَ دينار ، وألفَ دينار . فأعطاني الرشيدُ ثلاثةَ آلافِ دينارٍ في ليلةٍ على ذلك الصوت .

وفيها توفي :

بكر بن النَّطَّاح أبو وائل الحَنَفِي[١] : الشاعر المشهور ، نزل بغداد في زمنِ الرشيد ، وكان يخالطُ أبا العتاهية .

قال أبو هَفَّان[٢] : أشعَرُ أهلِ العَدْل من المحدَثين أربعة : أوَّلُهم بكر بن النَّطَّاح .

وقال المبرِّد : سمعتُ الحسنَ بن رجاء يقول : اجتمع جماعةٌ من الشعراء ومعهم بكرُ بن النطَّاح يتناشدون ؛ فلما فرَغوا من طُوَالِهم أنشد بكر بن النَّطاح لنفسه :

ما ضرَّها لو كتبَتْ بالرِّضا فجفَّ جَفْنُ العينِ أو أُغمضا
شفـاعـةٌ مـردودةٌ عنـدَهـا في عاشقٍ يَوَدُّ لو قد قَضَى
يا نفسُ صبراً واعلمي أنَّ ما نـأمَلُ منهـا مثلَمـا قـد مَضَـى
لم تمرضِ الأجفانُ من قاتلٍ بلحظـهِ إلاَّ لأنْ أمْـرَضَـا

قال : فابتدروهُ يُقبِّلون رأسَه[٣] .

ولما مات رثاهُ أبو العتاهية فقال :

مـاتَ ابـنُ نطَّـاحٍ أبـو وائـلٍ بَكْرٌ وأمسى الشعرُ قد بانا[٤]

وفيها تُوفي :

بُهلول المجنون ، كان يأتي إلى مقابرِ الكوفة ، وكان يتكلَّمُ بكلماتٍ حسَنة . وقد وعَظ الرشيد وغيرَهُ كما تقدَّم[٥] .

---

(١) ترجمته في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١٩/ ١١٣) ، الفهرست (٢٣٢) ، تاريخ بغداد (٧/ ٩١) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٠١) .

(٢) في (ق) : أبو عفان ، تصحيف والمثبت من (ب ، ح) ومصادر ترجمة أبي هفان .

(٣) الخبر والشعر في تاريخ بغداد (٧/ ٩١) .

(٤) كذا في الأصول ، والبيت في ديوان أبي العتاهية ص(١٠٥) ، وروايته : « قد ماتا » ، وهو بيت مفرد مذكورٌ مع القوافي التي رَوِيُّها على حرف التاء .

(٥) انظر ص(٤٧٧) من هذا الجزء .

وعبدُ الله بن إدريس الأَوْدِي الكوفي[١] : سمع الأعمش ، وابن جُريج ، وشعبة ، ومالكاً ، وخلقاً سواهم . وروى عنه جماعاتٌ من الأئمة . وقد استدعاهُ الرشيد ليولِّيهُ القضاء ، فقال : لا أصلح . وامتنع أشدَّ الامتناع ، وكان قد سأل قبلَهُ وكيعاً فامتنع أيضاً ، فطلب حفصَ بن غياث فقَبِل ، وأطلق لكلِّ واحدٍ خمسةَ آلافٍ عِوَضاً عن كُلفتِه التي تكلَّفها في السفر فلم يقبَلْ وكيعٌ ولا ابنُ إدريس ، وقبل ذلك حفص ؛ فحلف ابنُ إدريس لا يكلِّمُه أبداً .

وحجَّ الرشيدُ في بعض السنين ، فاجتاز بالكوفةِ ومعه القاضي أبو يوسف ، والأمين ، والمأمون ، فأمر الرشيد أنْ يجتمعَ شيوخُ الحديث ليُسمِعوا ولدَيْه . فاجتمعوا إلا ابنَ إدريس هذا ، وعيسى بنَ يونس ، فركب الأمينُ والمأمونُ بعد فراغِهما من سماعِهما على مَنِ اجتمع من المشايخ إلى ابنِ إدريس ، فأسمعَهما مئةَ حديث ، فقال له المأمون : يا عم ، إنْ أردتَ أعدتُها من حِفْظي ، فأذِنَ له ، فأعادَها من حفظِه كما سَمِعَها ، فتعجَّبَ لحفظِه . ثم أمر له المأمون بمال ، فلم يقبَلْ منه شيئاً . ثم سارا إلى عيسى بنِ يونس ، فسمعا عليه ، ثم أمر له المأمونُ بعشرةِ آلاف ، فلم يقبَلْها ، فظنَّ أنه استقلَّها ، فأضعفَها فقال : والله لو ملأتَ لي المسجدَ مالاً إلى سقفِه ما قَبِلْتُ منه شيئاً على حديثِ رسولِ الله ﷺ . ولما احتُضر ابنُ إدريس بكَتِ ابنتُه ، فقال : علامَ تبكي ؟ فقد ختمتُ في هذا البيت أربعةَ آلافِ ختمة .

صَعْصَعةُ بن سلام[٢] ويقال ابن عبد الله ، أبو عبد الله الدمشقي ، ثم تحوَّل إلى الأندلس ، فاستوطنها في زمنِ عبد الرحمن بن معاوية[٣] ، وابنِهِ هاشم . وهو أولُ من أدخل علمَ الحديث ومذهبَ الأوزاعي إلى بلاد الأندلس[٤] . ووَلِيَ الصلاةَ بِقُرْطُبَة . وفي أيامه غُرست الأشجارُ بالمسجدِ الجامعِ هناك ، كما يراهُ الأوزاعي والشاميُّون، ويَكْرَهُهُ مالكٌ وأصحابُه. وقد روى عن مالك، والأوزاعي، وسعيدِ بن عبد العزيز. وروى عنه جماعةٌ منهم عبدُ الملك بن حَبِيب الفقيه ، وذكرَهُ في كتاب « الفقهاء » وذكره ابنُ يونس في تاريخِه تاريخِ مصر ، والحُميدي في تاريخ الأندلس . وحرَّرَ وفاتَه في هذه السنة . وحكَى عن شيخِهِ ابنِ حَزْم أنَّ صعصعةَ هذا أولُ من أدخلَ مذهبَ الأوزاعي إلى الأندلس . وقال ابن يونس : أول من أدخل علمَ الحديث إليها . وذكر أنه تُوفي قريباً من سنةِ ثمانين ومئة . والذي حرَّرَهُ الحُميدي في هذه السنة أثبت .

---

(١) ترجمته في بحر الدم للإمام أحمد (٢٣١) ، التاريخ الكبير (٥/ ٤٩) ، الكنى والأسماء لمسلم (٢/ ٧٣٧) ، معرفة الثقات للعجلي (٢/ ٢١) ، الجرح والتعديل (٥/ ٨) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٥٩) ، مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (١/ ٤٣١) ، تقريب التهذيب (٢٩٥) ، طبقات الحفاظ (١٢٤) .

(٢) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي (١/ ٦١٠) وتاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٦٥٦) (بتحقيق الدكتور بشار عواد) .

(٣) في (ح ، ق) : زمن عبد الملك بن معاوية ، وهو تصحيف والمثبت من (ب) .

(٤) قال الذهبي في تاريخ الإسلام معقباً على أنه أول من أدخل الحديث بالأندلس : « بل كان قبله معاوية بن صالح في طبقة شيوخه » .

علي بن ظَبْيَان[١] أبو الحسن العَبْسي ، قاضي الشرقيَّة من بغداد ، ولاَّهُ الرشيدُ ذلك ، كان ثقةً عالماً ، من أصحابِ أبي حنيفة ، ثم ولاَّهُ الرشيد قضاءَ القُضاة ، وكان الرشيدُ يخرجُ معه إذا خرج من عندِه . مات بقَرْمِيسينَ في هذه السنة[٢] .

العباس بن الأحنف[٣] بن الأسود بن طلحة ، الشاعرُ المشهور ، كان من عرَبِ خُراسان ، ونشأ ببغداد ، وكان لطيفاً ظَريفاً مقبولاً ، حسَنَ الشعر .

قال أبو العباس : قال عبدُ الله بن المعتز : لو قيل لي : منْ أحسنُ الناسِ شعراً تعرفه ؟ لقلت : العباس .

قد سَحَّبَ الناسُ أذيالَ الظُّنونِ بنا ... وفـرَّقَ النـاسُ فينـا قـولَهـم فِـرَقـا
فكـاذبٌ قـد رَمَـى بـالظـنِّ غيـرَكـم ... وصـادقٌ ليـس يَـدْري أنَّـهُ صَـدَقـا[٤]

وقد طلَبَهُ الرشيدُ ذاتَ ليلةٍ في أثناءِ الليل ، فانزعج لذلك ، وخاف نساؤه ؛ فلما وقف بين يدَي الرشيد قال له : ويحك ، إنه قد عنَّ لي بيتٌ في جاريةٍ لي فأحببتُ أن تشفَعَهُ بمثلِه . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما خفتُ أعظمَ من هذه الليلة . فقال : ولِمَ ؟ فذكر له دخولَ الحرسِ عليه في الليل ، ثم جلس حتى سكَنَ رُوعُه ، ثم قال : ما قلتَ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال :

حنـــانٌ قـــد رأينـــاهـــا ... فلـــم نَـــرَ مثلهـــا بَشَـــرا

فقال العباس :

يَـزيـدُكَ وَجْهُهـا حُسْنـاً ... إذا مـــا زِدْتَـــهُ نَظَـــرا

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٤٠٢) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (٧٧) ، الضعفاء للعقيلي (٣/ ٢٣٤) ، كتاب المجروحين لابن حبان البستي (٢/ ١٠٥) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٤٣١) ، الكامل لابن عدي (٥/ ١٨٧) ، تاريخ بغداد (١١/ ٤٤٣) ، كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/ ١٩٥) ، تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٩٦) ، ميزان الاعتدال (٥/ ١٦٣) ، الكاشف (٢/ ٤٢) ، لسان الميزان (٧/ ٣١١) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٠) ، تقريب التهذيب (٤٠٢) .

(٢) في (ق) : « قوميسين » ، والمثبت من (ب ، ح) ، وقَرْميسين ـ بالفتح ثم السكون وكسر الميم وياء مثناة من تحت وسين مهملة مكسورة وياء اخرى ساكنة ونون وهو تعريب كرمان شاهان ـ : بلدٌ معروف ، بينه وبين هَمَذان ثلاثون فرسخاً ، قُرْبَ الدِّينور . وهي بين هَمَذان وحُلْوان على جادَّة الحاج . معجم البلدان (٤/ ٣٣٠) .

(٣) ترجمته في الأغاني (٨/ ٣٦٦) ، تاريخ بغداد (١٢/ ١٢٧) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٠٦) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٣٣٧) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٠) ، العبر (١/ ٣١٢) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٩٨) ، شذرات الذهب (١/ ٣٣٤) .

(٤) البيتان في ديوان العباس ص(٢٢٤) ، والأغاني (٨/ ٣٨٣) ، والمدهش لابن الجوزي (٤٠٠) .

فقال الرشيد : زِدْ . فقال :

إذا مـا الليـل مـالَ علَيْـ ـكَ بـالإظْـلام واعْتَكَـرا
ودَجَّ فلـم تَـرَى فَجْـراً فـأبْـرِزْهـا تَـرَى قَمَـرا(١)

فقال : إنَّا قد رأيناها ، وقد أمرنا لك بعشرةِ آلافِ درهم .

ومن شعرِه الذي أقرَّ له فيه بشارُ بنُ بُرْد ، وأثبته في سِلْك الشعراء بسببِه قولُه :

أبكـي الـذيـن أذاقـونـي مَـوَدَّتَهُـمْ حتـى إذا أيقظـونـي للهـوَى رَقَـدوا
واستنهضـونـي فلمَّـا قمـتُ مُنتصباً بِثقْـلِ مـا حَمَّلـونـي منهـمُ قَعَـدوا(٢)

وله أيضاً :

وحـدَّثتَنِـي يـا سعـدُ عنهـا فِـزدْتَنـي جنوناً فزِدْني من حديثِكَ يا سَعْدُ
هواها هوى لم يعرِفِ القلبُ غيرَهُ فليـس لـه قَبْـلٌ وليـس لَـهُ بَعْـدُ(٣)

قال الأصمعي : دخلتُ على العباسِ بنِ الأحنف بالبصرةِ وهو طَريحٌ على فراشِه ، يَجُودُ بنفسِهِ وهو يقول :

يـا بعيـدَ الـدارِ عـن وطنِـهْ مُفـرداً يبكـي علـى شَجَنِـهْ
كلَّمـا جـدَّ النحيـبُ بـهِ زادَتِ الأسقـامُ فـي بَـدَنِـهْ

ثم أُغمي عليه ، ثم انتبه بصوتِ طائرٍ على شجرةٍ فقال :

ولقـد زاد الفـؤادَ شجـاً هـاتـفٌ يبكـي علـى فَنَنِـهْ
شـاقَـهُ مـا شـاقَنـي فبَكَـى كُلُّنـا يبكـي علـى سَكَنِـه(٤)

قال : ثم أُغمي عليه أخرى ، فحرَّكْتُهُ فإذا هو قد مات .

قال الصولي : كانتْ وفاتُه في هذه السنة . وقال القاضي ابن خلِّكان إنه تُوفي بعدَها ، وقيل قبلَها ، في سنةِ ثمانٍ وثمانين ومئة . فالله أعلم . وقال عمر بن شبَّة : سنة ثمان وثمانين . وزعم بعضُ المؤرِّخين أنه بَقي بعدَ الرشيد .

---

(١) الأبيات في ديوان الأحنف ص(١٥٢) ، وقوله : « ترى » برفع المجزوم في شطري البيت الأخير ، من ضرورات الشعر . ولفظ الديوان « يكن » في الشطرين .
(٢) البيتان في ديوان العباس ص(١٠٤) ، وهما في ديوان بشار بن برد أيضاً ص(٤٣٤) .
(٣) البيتان في ديوان العباس ص(١٢٠) .
(٤) الأبيات بألفاظٍ مقاربة في ديوان العباس ص(٣١١) .

عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أخو زُبيدة كان نائباً على البصرة في أيامِ الرَّشيد ، فمات في أثناء هذه السنة .

وفيها توفي :

الفَضْلُ بن يحيى[١] **بن خالد بن بَرْمَك** ، أخو جعفر وإخوته ، كان هو والرشيد يتراضَعان ، أرضعَتِ الخَيْزُرانُ فضلاً ، وأرضعَتْ أمُّ الفضلِ ـ وهي زُبيدةُ بنتُ منين بن بويه[٢] ـ هارونَ الرشيد ، وكانت زُبيدة هذه من مولَّدات المدينة[٣] . وقد قال في ذلك بعضُ الشعراء[٤] :

كفَى لكَ فضلاً أنَّ أفضلَ حُرَّةٍ غذَتْكَ بِثَدْيٍ والخليفةَ واحدِ
لقد زِنْتَ يحيى في المشاهدِ كلها كما زانَ يحيى خالداً في المشاهدِ

قالوا : وكان الفضلُ أكرمَ من أخيه جعفر ، ولكنْ كان فيه كِبْرٌ شديد ، وكان عبوساً ؛ وكان جعفرٌ أحسنَ بشراً منه ، وأطلَقَ وجهاً ، وأقلَّ عطاءً ؛ وكان الناسُ إليه أمْيَل ، ولكن خَصْلَةَ الكرَمِ تُغَطِّي جميعَ القبائح ، فهي تسترُ تلك الخَصْلَةَ التي كانتْ في الفضل . وقد وهبَ الفضلُ لطبَّاخِهِ مئةَ ألفِ درهم ، فعابَهُ أبوهُ على ذلك ، فقال : يا أبتِ إنَّ هذا كان يَصْحَبُني في العُسْرِ واليُسر ، والعيشِ الخَشِن ، واستمرَّ معي في هذا الحالِ فأحسَنَ صُحبتي ، وقد قال بعضُ الشعراء[٥] :

إنَّ الكرامَ إذا ما أيسَروا ذكروا منْ كانَ يَعْتادُهُمْ في المَنْزِلِ الخَشِنِ

ووَهَبَ يوماً لبعضِ الأدباءِ عشرةَ آلافِ دينار ، فبكى الرجل ، فقال له : ممَّ تبكي ؟ أستَقْلَلْتَها ؟ قال : لا والله ولكنِّي أبكي أنَّ الأرض تأكُلُ مثلَكَ أو تُواري مثلَك .

وقال عليُّ بن الجَهْم عن أبيه : أصبحتُ يوماً لا أملكُ شيئاً ، حتى ولا علَفَ الدابَّة ، فقصدتُ الفضلَ بن يحيى ، فإذا هو قد أقبلَ من دارِ الخلافةِ في موكبٍ من الناس ، فلما رآني رحَّبَ بي وقال :

---

(١) ترجمته في تاريخ الطبري (٥/ ١٣) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٣٤) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٠٨) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٣٥٢) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٩١) ، العبر (١/ ٣٠٩) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٤٠) .

(٢) كذا في (ب ، ح) ، وفي (ق) : « زينب بنت بن بريه » . وفي تاريخ بغداد (١٢/ ٣٣٤) : « زبيدة بنت سنين بربرية مولدة بالمدينة » . وفي المنتظم (٩/ ٢٠٨) : « زبيدة بنت منين بربرية فأرضعته وأرضعت زبيدة أمه الرشيد » . وفي النجوم الزاهرة (٢/ ١٤٠) : « زبيدة بنت منير بن زبيد من مولدات المدينة » . ولم أجد نصّاً يضبط اسم أبيها .

(٣) في (ح ، ق) : من مولدات « بتبين البرية » وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) ومصادر الترجمة .

(٤) هو مروان بن أبي حفصة ، والبيتان في ديوانه ص(٥٠) .

(٥) هو دِعْبِل بن علي الخُزاعي ، والبيت في ديوانه ص(١٧٥) .

هَلُمَّ . فسرتُ معه ، فلما كان ببعضِ الطريق سمع غلاماً يدعو جاريةً من دار ، وإذا هو يدعوها باسم جاريةٍ له يُحبُّها . فانزعج لذلك ، وشكا إليَّ ما لَقِيَ من ذلك ؛ فقلت : أصابك ما أصابَ أخا بني عامرٍ حيثُ يقول(١) :

وداعٍ دعا إذْ نحنُ بالخَيفِ منْ منًى   فهيَّـجَ أحـزانَ الفـؤادِ ولا يَـدْري
دَعـا بـاسـمِ ليلـى غيـرَهـا وكـأنَّمـا   أطارَ بليلى طائراً كانَ في صدري

فقال اكتبْ لي هذَيْنِ البيتين . قال : فذهبتُ إلى بقَّالٍ فرَهَنْتُ عندَهُ خاتمي على ثَمَنِ ورَقَة ، وكتبتُهما له ، فأخذهما وقال : انطلِقْ راشداً . فرجعتُ إلى مَنْزلي ، فقال لي غُلامي : هاتِ خاتمكَ حتى نَرْهنهُ على طعامٍ لنا وعَلَفٍ للدابَّة . فقلت : إني رَهَنْتُه . فما أمسَيْنا حتى أرسلَ إليَّ الفضلُ بثلاثين ألفاً من الذهب ، وعشرةِ آلافٍ من الوَرِق ، أجراهُ عليَّ كلَّ شهر ، وأسلَفَني شهراً .

ودخل على الفضل يوماً بعض الأكابر ، فأكرمَهُ الفضلُ وأجلسَهُ معه على السرير ؛ فشكا إليه الرجلُ دَيْناً عليه ، وسأله أنْ يُكلِّمَ في ذلك أميرَ المؤمنين . فقال : نعَمْ ، وكم دَيْنُك ؟ قال : ثلاثُ مئةِ ألف درهم . فخرج من عندِه وهو مَهْمومٌ لضعفِ رَدِّهِ عليه ؛ ثم مال إلى بعضِ إخوانه ، فاستراحَ عندَه ، ثم رجع إلى مَنْزِله ، فإذا المالُ قد سبَقَهُ إلى دارِه . وما أحسنَ ما قال فيه بعضُ الشعراء :

لك الفضلُ يا فَضْلُ بنَ يحيى بنِ خالدٍ   وما كُلُّ منْ يُدْعى بفضلٍ لَهُ فَضْلُ
رأى اللهُ فَضْلاً منكَ في الناسِ واسِعاً   فسمَّاكَ فَضْلاً فالتقى الإِسمُ والفِعْلُ

وقد كان الفضلُ أكبرَ رتبةً عندَ الرشيد من جعفر ، وكان جعفرٌ أحْظَى عند الرشيد منه وأخصّ . وقد ولَّى الفضلَ أعمالاً كباراً ، منها نيَابَةُ خراسانَ وغيرِها ، ولما قتَل الرشيدُ البرامكةَ وحَبَسهم ، جلَدَ الفضلَ هذا مئةَ سَوْط ، وخَلَّدَهُ في الحبس حتى ماتَ في هذه السنة ، قبلَ الرشيد بشهورٍ خمسة في الرقَّة . وصلَّى عليه بالقصرِ الذي ماتَ فيه أصحابُه . ثم أُخرجت جنازَتُه ، فصلَّى عليها الناس ، ودُفن هناك ، وله خمسٌ وأربعون سنة . وكان سببَ موتِهِ ثِقَلٌ أصابَهُ في لسانِه ، اشتدَّ بهِ يومَ الخميس ويومَ الجُمعة . وتُوفي قبلَ أذانِ الغداةِ من يوم السبت . قال ابنُ جرير(٢) : وذلك في المحرَّم من سنةِ ثلاثٍ وتسعين ومئة . وقال ابنُ الجوزي(٣) : في سنةِ ثنتَيْنِ وتسعين . فالله أعلم .

وقد أطال ابنُ خلِّكان ترجمته(٤) ، وذكر طَرَفاً صالحاً من محاسنِه ومكارمِه ، من ذلك أنه ورَدَ بَلْخَ

---

(١) هو الشاعر قيس لبنى ، والبيتان في ديوانه ص(٩٧) .
(٢) يعني الطبري في تاريخه (٥/ ١٣) .
(٣) في المنتظم (٩/ ٢٠٩) .
(٤) بلغت ترجمته في وفيات الأعيان من (٤/ ٢٧) إلى (٤/ ٣٦) .

حين كان نائباً على خراسان ، وكان بها بيتُ النار التي كانتْ تعبدُها المجوس ، وقد كان جدُّه بَرْمَك من خُدَّامِها ، فهَدَمَ بعضَه ولم يتمكَّنْ من هَدْمِهِ كُلِّه ، لِقُوَّةِ إحكامه . وبَنَى مكانَهُ مسجداً لله تعالى ، وذكر أنه كان يتمثَّلُ في السِّجْنِ بهذه الأبيات ويبكي :

إلى الله فيما نالنا نَرْفَعُ الشَّكْوَى ... ففـي يَـدِهِ كَشْـفُ المضَـرَّةِ والبَلْـوَى
خرَجْنا من الدُّنيا ونحنُ مِنَ اهْلِها ... فلا نحنُ في الأمواتِ فيها ولا الأحيا
إذا جـاءنـا السَّجَّـانُ يـومـاً لحـاجـةٍ ... عَجِبنـا وقُلْنـا جـاءَ هـذا مـن الـدُّنيـا

ومحمد بن أمية الشاعر الكاتب[١] : وهو من بيتٍ كلُّهم شعراء أُدَباء ، وقد اختلَطَ أشعارُ بعضِهم في بعض . وله شعرٌ رائق ، ومَديحٌ فائق .

ومنصور بن الزِّبْرِقان[٢] بن سَلَمة ، أبو الفَضْل النُّمَيري الشاعر ، امتدَحَ الرشيد ؛ وأصلُهُ من الجزيرة ، وأقام ببغداد ، ويُقال لِجَدِّهِ مُطْعِمُ الكَبْشَ الرَّخَمَ ، وذلك أنه أضافَ قوماً ، فجعلت الرَّخَمُ تَحُومُ حولَهم ، فأمرَ بكبشٍ يُذبَحُ للرَّخَم ، حتى لا يتأذَّى بها ضيفانُه ، ففُعل له ذلك ، فقال الشاعر فيه :

أبـــوكَ زعيـــمُ بنـــي قـــاسِـــطٍ ... وخـالُـكَ ذو الكَبْشِ يَقْـري الـرَّخَـمْ

وله أشعارٌ حسَنة ، وكان يَرْوي عن كُلْثومِ بن عمرو ، وكان شيخَهُ الذي أخذ عنه الغِنَاء .

يوسف بن القاضي أبي يوسف[٣] : سمع الحديثَ من السَّرِيِّ بن يحيى ، ويونس بن أبي إسحاق . ونظر في الرَّأْي ، وتفقَّه ووُلِّي قضاء الجانب الشرقي ببغداد في حياةِ أبيه أبي يوسف . وصلَّى بالناسِ الجُمعةَ بجامعِ المنصور عن أمرِ الرشيد . تُوفي في رجب من هذه السنة ، وهو قاضٍ ببغداد .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومئة

قال ابنُ جرير[٤] : في المحرَّم منها تُوفي الفضلُ بن يحيى . وقد أرَّخ ابنُ الجوزي وفاتَهُ في سنة ثنتين وتسعين كما تقدَّم[٥] . وما قاله ابنُ جرير أقرب .

قال : وفيها تُوفي سعيدٌ الجَوْهَري .

---

(١) ترجمته في الأغاني (١٢/ ١٧١) ، تاريخ بغداد (٢/ ٨٦) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١٠) .
(٢) ترجمته في الأغاني (١٣/ ١٥٧) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٦٥) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١١) .
(٣) ترجمته في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٩٦) .
(٤) أي الطبري في تاريخه (٥/ ١٣) .
(٥) في الصفحة السابقة ، موضع الحاشية (٣) .

قال : وفيها وافى الرشيدُ جُرْجَان ، وانتهتْ إليه خزائنُ عليِّ بن عيسى ، تُحملُ على ألفٍ وخمسِ مئةِ بعير ؛ وذلك في صَفَر منها . ثم تحول منها إلى طُوس وهو عَلِيل ، فلم يزَلْ بها حتى كانتْ وفاتُه فيها .

وفيها تَوَاقَعَ هَرْثَمةُ نائبُ العراق هو ورافِع بن اللَّيث ، فكسَرَه هَرْثَمةُ وافتتح بُخارى ، وأَسَرَ أخاه بشير بن اللَّيث ، فبعثَهُ إلى الرشيد وهو بطُوس ، قد ثَقُل عن السَّيْر ، فلما وقف بين يديْه شَرَعَ يترقَّقُ له ، فلم يقبَلْ منه ، بل قال : والله لو لم يبقَ من عُمري إلاَّ أنْ أُحرِّكَ شَفَتيَّ بقَتْلِك لَقتلتُك . ثم دعا بقصَّاب ، فجزَّأه بين يديه أربعةَ عشرَ عُضواً . ثم رفع الرشيدُ يدَيْهِ إلى السماء يَدْعو الله أنْ يُمكِّنَهُ من أخيهِ كما مكَّنَهُ من أخيه بشير .

وفاةُ الرَّشِيد

كان قد رأى وهو بالرَّقَّة[1] رؤيا أفزعَتْه ، وغَمَّهُ ذلك ، فدخل عليه جبريلُ بنُ بَخْتَيْشُوع فقال : ما لَكَ يا أميرَ المؤمنين . فقال : رأيتُ كفّاً فيها تُربةٌ حمراء ، خرجَتْ من تحتِ سَريري هذا ، وقائلاً يقول : هذه تُربةُ هارون . فهَوَّنَ عليه جبريلُ أمرَها وقال : هذه من أضغاثِ الأحلام ، من حديثِ النفس ، فتناسَهَا يا أميرَ المؤمنين . فلما سارَ يُريدُ خراسان ، ومرَّ بِطُوس ، واعتقَلَتْهُ العِلَّة بها ، ذكَرَ رؤياهُ ، فهالَهُ ذلك وانزعَجَ جدّاً ؛ فدخلَ الناسُ عليه ، فقال لِجبريل : ويحك ! أما تذكرُ ما قَصَصْتُهُ عليكَ من الرؤيا ؟ فقال : بلَى يا أمير المؤمنين ، فكان ماذا ؟ فدَعَا مسروراً الخادمَ وقال : ائتِني بشيءٍ من تُربةِ هذه الأرض في يدِك . فجاءه بتربةٍ حمراءَ في يدِه ، فلمَّا رآها قال : واللهِ هذه الكفُّ التي رأيتُ والتربةُ التي كانتْ فيها . قال جبريل : فوالله ما أَتَتْ عليهِ ثلاثٌ حتى تُوفِّي ؛ وقد أمَرَ بحَفْرِ قبرِه قبلَ موتِهِ في الدارِ التي كان فيها ؛ وهي دارُ حُميد بن أبي غانم الطائي ، فجعل ينظُرُ إلى قبرِهِ وهو يقول : يا ابنَ آدم ، تصيرُ إلى هذا . ثم أمَرَ أن يقرؤوا القرآنَ في قبره ؛ فقرؤوهُ حتى ختموه ، وهو في مِحَفَّةٍ على شَفِيرِ القبر ؛ ولما حضرَتْهُ الوفاةُ احْتَبَى بِمُلاءَةٍ وجلَسَ يُقاسي سكراتِ الموت ، فقال له بعضُ منْ حضَره : لو اضطجَعْتَ كان أهونَ عليك . فضَحِكَ ضحكاً صحيحاً ثم قال : أمَا سمعتَ قولَ الشاعر :

وإنـيَ مـن قـومٍ كـرامٍ يَـزيـدُهُـمْ ... شِمَـاسـاً وصَبْـراً شِـدَّةُ الحَـدَثـانِ

وكانتْ وفاتُهُ ليلةَ السبت ، وقيل : ليلةَ الأحد مستهلَّ جُمادَى الآخرة ، سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة ، عن خمسٍ ـ وقيل : سبعٍ ـ وأربعينَ سنةً ؛ وكان مُلْكُه ثلاثاً وعشرين سنةً . وهذه ترجمتُه ، هو :

---

(١) في (ق) : « بالكوفة » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ الطبري (٥/ ١٤) ، وروي الخبر فيه مطولاً .

هارونُ الرَّشِيد[١]

أمير المؤمنين ابن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبدِ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، القرشيُّ الهاشميّ ، أبو محمد ، ويقال : أبو جعفر . وأمُّهُ الخَيْزُران أمُّ وَلَد . كان مَوْلِدُه في شوال سنةَ ستّ ، وقيل : سبع . وقيل : ثمانٍ وأربعين ومئة . وقيل : إنه وُلد سنةَ خمسين ومئة ، وبُويع له بالخِلافة بعدَ موتِ أخيه موسى الهادي في ربيع الأول سنةَ سبعين ومئة ، بعهدٍ من أبيه المَهْدي .

روى الحديثَ عن أبيهِ وجدِّه ، وحدث عن المبارك بن فَضَالة ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تَمْرَة »[٢] . أوْرَدَهُ وهو على المِنْبَر وهو يخطُبُ الناس . وقد حدث عنه ابنُه ، وسيلمانُ الهاشمي والدُ إسحاق ، ونُباتة بن عمرو .

وكان الرشيدُ أبيضَ طويلاً جميلاً ، وقد غزا الصائفةَ في حياةِ أبيهِ المهدي مِراراً ، وعقَدَ الهُدْنَةَ بين المسلمينَ والروم بعدَ محاصرته القُسْطَنْطِينيَّة ؛ وقد لقي المسلمون من ذلك جهداً جَهيداً ، وخوفاً شديداً ، وكان الصلحُ مع امرأةِ ليون ، وهي الملقبة بأعطشة[٣] على حمل كثيرٍ تبذلُه للمسلمينَ في كلِّ عام ، ففرح المسلمون بذلك ، وكان هذا الذي حدا أباه على البيعةِ له بعد أخيه في سنة ستٍّ وستين ومئة . ثم لما أفضَتْ إليه الخلافةُ في سنةِ سبعين ومئة كان من أحسَنِ الناسِ سيرةً وأكثرِهمْ غزواً وحجّاً ؛ ولهذا قال فيه أبو السعلي :

فمـنْ يطلُـبْ لقـاءَك أو يُـرِدْهُ ... فبـالحـرمَيْـنِ أو أقَصَـى الثُّغُـورِ
ففي أرضِ العدو على طِمِرٍّ ... وفي أرضِ البَنِيَّةِ[٤] فوقَ كُورِ
وما حازَ الثغورَ سواكَ خَلْقٌ ... مـن المُتَخلِّفيـنَ علـى الأمـورِ

وكان يتصدَّقُ من صُلْبِ مالِهِ في كلِّ يومٍ بألفِ درهم . وإذا حجَّ أحَجَّ معه مئةً من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يَحُجَّ أحَجَّ ثلاثَ مئةٍ بالنفَقَةِ السابغة ، والكسْوة التامَّة ، كان يُحبُّ التشبُّه بجَدِّهِ أبي جعفر

---

(١) ترجمته في تاريخ خليفة بن خياط (٤٦٠) ، تاريخ الطبري (٤/ ٦١٧) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٣٣) ، و(٥/ ١٤) ، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٥) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٨٦) ، مآثر الإنافة للقلقشندي (١/ ١٩٢) ، شذرات الذهب (١/ ٣٣٤) ، تاريخ الخلفاء (٢٨٣) .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » من حديث أنس رقم (٣٦٤٤) وهو عند البخاري رقم (١٤١٧) ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم .

(٣) في (ق) : بأغسطه ، والمثبت من (ب ، ح) ، وانظر ما مضى ص(١٧٨) من نسخة (ق) .

(٤) في (ق) : « التَرَفُّهِ » ، وفي (ح) : « الثنية » ، والمثبت من (ب) .

المنصور ، إلاَّ في العطاء ، فإنه كان سريعَ العطاءِ جَزِيلَه . وكان يُحبُّ الفقهاءَ والشعراء ، ويُعطيهم ، ولا يَضيعُ لدَيْهِ برٌّ ومعروف . وكان نقشُ خاتمِهِ لا إله إلا الله . وكان يُصلِّي في كلِّ يومٍ مئةَ ركعةٍ تطوُّعاً إلى أنْ فارق الدنيا ، إلاَّ أنْ تَعرِضَ له عِلَّة .

وكان ابنُ أبي مريم هو الذي يُضحكُه . وكان عنده فضيلةٌ بأخبارِ الحجازِ وغيرِها . وكان الرشيد قد أنزلَهُ في قَصْره ، وخلَطَهُ بأهله ؛ نَبَّهَهُ الرشيدُ يوماً إلى صلاة الصُّبح ، فقام فتوضَّأ ثم أدرك الرشيدَ وهو يقرأ : ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [يس : ٢٢] ، فقال ابنُ أبي مريم : لا أدري والله . فضَحِك الرشيدُ وقطع الصلاة ، ثم أقبل عليه وقال : ويحك ! اجتَنِبِ الصلاةَ والقرآن ، وقُلْ فيما عدا ذلك . ودخل يوماً العباسُ بن محمد على الرشيد ومعه بَرْنِيَّةٌ[١] من فِضَّة فيها غاليةٌ من أحسَنِ الطِّيب ؛ فجعل يمدَحُها ويزيدُ في شكرها ، وسأل من الرشيد أنْ يقبلَها منه ، فقبِلَها ، فاستوهبها منه ابنُ أبي مريم ، فوهَبَها له ؛ فقال له العباس : ويحك ! جئتُ بشيءٍ منعتُه نفسي وأهلي وآثرتُ به أمير المؤمنين سيدي فأخذتَه ؟ فحلَفَ ابنُ أبي مريمَ لَيُطَيِّبَنَّ به استه ؛ ثم أخذ منه شيئاً فطلَى به استَه ودهَنَ جوارِحَهُ كلَّها والرشيدُ لا يتمالكُ نفسَهُ من الضحك . ثم قال لخادمٍ قائمٍ عندَهم يُقال له خاقان : اطلب لي غلامي . فقال الرشيدُ : ادْعُ له غلامَه . فقال له : خُذْ هذهِ الغاليةَ واذهبْ بها إلى ستِّكَ[٢] فَمُرْها فَلْتُطَيِّبْ منها استَها حتى أرجعَ إليها فأنيكها . فذهب الضَّحِكُ بالرشيدِ كلَّ مذهب . ثم أقبل ابنُ أبي مريم على العباس بن محمد فقال له : جئتَ بهذه الغالية تمدَحُها عندَ أميرِ المؤمنين الذي ما تُمطرُ السماءُ شيئاً ولا تُنبت الأرضُ شيئاً إلاَّ وهو تحت تصرُّفِه وفي يدِه ! وأعجَبُ من هذا أنْ لو قيل لِمَلَكِ الموت : مهما أمَرَك به هذا فأنفِذْه . وأنتَ تمدَحُ هذه الغاليةَ عندَهُ كأنه بقَّالٌ أو خبَّازٌ أو طبَّاخٌ أو تَمَّار ! فكادَ الرشيدُ يَهْلِكُ من شدَّةِ الضَّحِك . ثم أمَرَ لابنِ أبي مريمَ بمئةِ ألفِ درهم .

وقد شرب الرشيدُ يوماً دواءً ، فسأله ابنُ أبي مريمَ أن يَلِيَ الحِجَابةَ في هذا اليوم ومهما حَصَلَ له كان بينه وبين أمير المؤمنين . فولاَّه الحِجَابة ، فجاءتِ الرسُلُ بالهدايا من كلِّ جانبٍ ؛ من عندِ زُبيدَةَ والبرامكةِ وكبارِ الأمراء ؛ وكان حاصلُهُ في هذا اليوم ستين ألفَ دينار ، فسأله الرشيدُ في اليوم الثاني عمَّا تحصَّل ، فأخبره بذلك ، فقال له : فأين نَصِيبي ؟ فقال ابنُ أبي مريم : قد صالَحْتُكَ عليه بعشرةِ آلافِ تُفَّاحة .

وقد استدعَى إليه أبا معاوية الضرير محمدَ بن خازم ليسمعَ منه الحديث ؛ قال أبو معاوية : ما ذكرتُ عندَهُ حديثاً إلا قال : صلَّى الله وسلَّم على سيِّدي محمد . وإذا سمع حديثاً فيه موعظةٌ بكى حتى يبلَّ

---

(١) البَرْنِيَّة : إناءٌ من خزَف . القاموس المحيط (برن) . وفي كتاب العين (٨/ ٢٧٠) : شبه فخَّارةٍ ضَخْمةٍ خضراء ، من القوارير الثخانِ الواسعةِ الأفواه .

(٢) في (ح) : بنتك .

الثَّرَى ؛ وأكلتُ عنده يوماً ثم قمتُ لأغسلَ يدي ، فصبَّ الماء عليَّ وأنا لا أراه . ثم قال : يا أبا معاوية ، أتدري منْ يصبُّ عليك الماء ؟ قلت : لا . قال : يصبُّ عليك أميرُ المؤمنين . قال أبو معاوية : فدعَوْتُ له ، فقال : إنما أردتُ تعظيمَ العِلْم . وحدَّثه أبو معاويةَ يوماً عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرةَ بحديثِ احتجاجِ آدَمَ وموسى ، فقال عمُّ الرشيد : أين التقَيَا يا أبا معاوية ؟ فغَضِب الرشيدُ من ذلك غضباً شديداً وقال : أتعترضُ على الحديث ؟ عليَّ بالنِّطْعِ والسيف . فأُحضر ذلك ، فقام الناسُ إليه يشفعونَ فيه ، فقال الرشيد : هذه زَنْدَقة . ثم أمَرَ بسَجْنِه ، وأقسم أنْ لا يَخرُجَ حتى يُخبرَني من ألقى إليه هذا . فأقسم عمُّه بالأيمانِ المغلَّظةِ ما قال هذا له أحد ، وإنما كانتْ هذه الكلمة بادرةً منِّي ، وأنا أستغفرُ الله وأتوبُ إليه منها . فأطلقه .

وقال بعضُهم : دخلتُ على الرشيد وبين يديه رجلٌ مَضروبُ العُنق ، والسيَّافُ يمسَحُ سيفَهُ في قَفَا الرجل المقتول ؛ فقال الرشيد : قتلتُهُ لأنه قال القرآنُ مخلوق . فقتلَه على ذلك قُربةً إلى الله عزَّ وجلَّ .

وقال بعضُ أهلِ العلم : يا أميرَ المؤمنين ، انظُرْ هؤلاء الذين يُحبُّون أبا بكرٍ وعمر ويقدِّمونَهما ، فأكرِمْهُم بعزِّ سُلطانك . فقال الرشيد : أو لستُ كذلك ؟ أنا والله كذلك . أُحبُّهما وأُحبُّ مَنْ يُحبُّهما ، وأُعاقبُ مَنْ يُبغِضُهما .

وقال له ابنُ السمَّاك : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ الله لم يجعلْ أحداً من هؤلاءِ فوقَك ، فينبغي[1] أن لا يكونَ فيهم أحدٌ أطوَعَ إلى الله منك . فقال : لئن كنتَ أقصرتَ في الكلام لقد أبلَغْتَ في الموعظة .

وقال له الفُضيل بن عِياض ـ أو غيره ـ : إن الله لم يجعَلْ أحداً من هؤلاء فوقَك في الدُّنيا ، فأجهِدْ نفسَك أنْ لا يكونَ أحدٌ منهم فوقَك في الآخرة ؛ فاكدَحْ لنفسِك ، وأعمِلْها في طاعةِ ربِّك .

ودخل عليه ابنُ السمَّاك يوماً فاستسقى الرشيدُ ، فأُتي بِقُلَّةٍ فيها ماءٌ مُبَرَّد ، فقال لابنِ السمَّاك : عِظْني . فقال : يا أمير المؤمنين ، بِكَم كنتَ مشترياً هذه الشَّرْبَةَ لو مُنعتَها ؟ فقال : بِنِصْفِ مُلْكي . فقال : اشرَبْ هنيئاً . فلما شرب قال : أرأيتَ لو مُنعتَ خُروجَها من بدَنِك ، بكَمْ كنتَ تشتري ذلك ؟ قال : بنصف مُلْكي الآخَر . فقال : إنَّ مُلْكاً قيمةُ نصفِهِ شَرْبةُ ماء ، وقيمةُ نصفِهِ الآخَرِ بَوْلة ، لخَليقٌ أنْ لا يُتَنافسَ فيه . فبكى هارون .

وقال ابنُ قُتيبة : حدّثنا الرِّيَاشي ، سمعتُ الأصمعيَّ يقول : دخلتُ على الرشيد وهو يُقَلِّمُ أظفارَهُ يومَ الجمعة ، فقلتُ له في ذلك ، فقال : أخْذُ الأظفارِ يومَ الخميسِ من السُّنَّة ، وبلَغَني أنَّ أخْذَها يوم الجمعةِ يَنْفي الفقر . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، أوَ تَخْشَى الفقر ؟ فقال : يا أصمعيّ ، وهل أحدٌ أخْشَى للفقرِ منِّي ؟ .

---

(١) في (ق) : « فاجتهدْ » ، والمثبت من (ب ، ح) .

وروى ابنُ عساكر[١] ، عن إبراهيم المهدي قال : كنتُ يوماً عند الرَّشيد ، فدعا طبَّاخَهُ فقال : أعندَكَ في الطعام لَحمُ جَزُور ؟ قال : نعم ، ألوانٌ منه . فقال : أحضِرْهُ مع الطعام . فلما وُضع بين يديه أخَذَ لقمةً منه فوضَعَها في فيه ، فضَحِكَ جعفرٌ البرمكي ، فترك الرشيدُ مضْغَ اللُّقمةِ وأقبل عليه فقال : ممَّ تضحك ؟ قال : لا شيء يا أميرَ المؤمنين ، ذكرتُ كلاماً بيني وبين جاريتي البارحة . فقال له : بِحَقِّي عليكَ لَمَّا أخبرتني به . قال : حتى تأكُلَ هذه اللُّقمة . فألقاها من فيه وقال : والله لتخبرَنِّي . فقال : يا أمير المؤمنين ، بكم تقولُ إنَّ هذا الطعام من لحم الجزور يقومُ عليك ؟ قال : بأربعةِ دراهم . قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، بل بأربعِ مئةِ ألفِ درهم . قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنك طلبتَ من طبَّاخِك لحمَ جزورٍ قبلَ هذا اليوم بمدَّةٍ طويلة ، فلم يوجدْ عندَه ، فقلت : لا يخلوَنَّ المطبخُ من لحمِ جزور . فنحنُ نَنْحَرُ كلَّ يومٍ جَزوراً لأجلِ مطبخِ أميرِ المؤمنين ، لأنَّا لا نشتري من السوق لحمَ جزور ، فصُرف في لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا أربعُ مئة ألف درهم ، ولم يطلُبْ أميرُ المؤمنين لحمَ جَزورٍ إلَّا هذا اليوم . قال جعفر : فضحكتُ ، لأنَّ أميرَ المؤمنين إنما نالَهُ من ذلك هذه اللُّقمة ، فهي على أمير المؤمنين بأربع مئة ألف .

قال : فبكى هارونُ الرشيد بكاءً شديداً ، وأمَرَ برَفْعِ السِّمَاطِ من بين يديه ، وأقبل على نفسِهِ يُوبِّخُها ويقول : هلكتَ والله يا هارون ، ولم يزَلْ يبكي حتى آذنَهُ المؤذِّنون بصلاةِ الظُّهر ، فخرج فصلَّى بالناسِ ثم رجَعَ يبكي حتى آذنَهُ المؤذِّنون بصلاةِ العصر . وقد أمرَ بألفَيْ ألفٍ تُصرف إلى فقراءِ الحرمَيْن ، في كلِّ حَرَمٍ ألفُ ألف صدَقة ؛ وأمر بألفَيْ ألفٍ يُتصدَّق بها في جانبي بغداد الغربي والشرقي ، وبألفِ ألفٍ يُتصدَّق بها على فقراء الكوفةِ والبصرة . ثم خرج إلى صلاةِ العصر ، ثم رجع يبكي حتى صلَّى المغرب ، ثم رجع ، فدخل عليه أبو يوسف القاضي فقال : ما شأنُكَ يا أميرَ المؤمنين باكياً في هذا اليوم ؟ فذكر أمرَهُ وما صرَفَ من المال الجزيلِ لأجلِ شهوتِه ، وإنما نالَهُ منها لقمة . فقال أبو يوسف لجعفر : هل كان ما تَذْبحونَهُ من الجزور يَفْسُدُ أو يأكلُهُ الناس ؟ قال : بل يأكلُهُ الناس . فقال : أبشِرْ يا أميرَ المؤمنين بثوابِ الله فيما صرَفْتَهُ من المالِ الذي أكلَهُ المسلمون في الأيامِ الماضية ، وبمَا يسَّرَهُ الله عليك من الصدقة ، وبما رزقك الله من خشيتِه وخَوْفِه في هذا اليوم ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] . فأمَرَ له الرشيد بأربعِ مئةِ ألف . ثم استدعَى بطعام ، فأكل منه فكان غَداؤه في هذا اليوم عشاءً .

وقال عمرو بنُ بحر الجاحظ : اجتمع للرَّشيدِ من الجِدِّ والهَزْلِ ما لم يجتمعْ لغيرِه من بعدِه ؛ كان أبو يوسف قاضيَه ، والبرامكةُ وزراءَه ، وحاجبُه الفضلُ بن الربيع ، أنْبَهُ الناسِ وأشدُهم تعاظُماً ؛ ونَديمه عمُّه

---

(١) ليست ترجمة هارون الرشيد فيما طبع من تاريخ ابن عساكر ، ويبدو أنها في الأجزاء المفقودة منه ، وهذا الخبر ، أورده ابن منظور في مختصره لتاريخ ابن عساكر (٢٧/ ١٣ ـ ١٥) .

العباس بن محمد صاحب العباسيَّة ، وشاعره مروان بن أبي حفصة ، ومُغنِّيه إبراهيم الموصلي واحد عَصْرِهِ في صناعِته ، ومُضْحِكه ابن أبي مريم ، وزامره بَرْصُوما ، وزوجته أم جعفر ـ يعني زُبيدة ـ وكانتْ أرغبَ الناس في كلِّ خير ، وأسرعَهُمْ إلى كلِّ بِرٍّ ومعروف ، أدخلتِ الماءَ الحرَم بعد امتناعِه من ذلك . إلى أشياء من المعروف أجراها الله على يدِها(١) .

وروى الخطيبُ البغدادي(٢) ، أنَّ الرشيد كان يقول : إنَّا من قومٍ عَظمُتْ رَزِيَّتُهم ، وحَسُنتْ بَقِيَّتُهم(٣) ، وَرِثْنا رسولَ الله ﷺ ، وبقيت فينا خلافةُ الله .

وبينما الرشيدُ يطوفُ يوماً بالبيت إذْ عَرضَ له رجلٌ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إني أريدُ أنْ أُكلِّمكَ بكلامٍ فيه غِلْظة . فقال : لا ، ولا نعْمَةَ عَيْن(٤) ، قد بعث الله منْ هو خيرٌ منكَ إلى منْ هو شرٌّ منِّي ، فأمرَهُ أن يقولَ له : ﴿ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه : ٤٤] .

وعن شُعيب بن حَرْب قال : رأيتُ الرشيدَ في طريق مكة ، فقلتُ في نفسي : قد وجَبَ عليك الأمرُ بالمعروف والنَّهْي عن المنكر ، فخوَّفَتْني فقالت : إنه الآن يضربُ عُنقَك . فقلت : لابدَّ من ذلك . فنادَيْتُهُ فقلت : يا هارون ، قد أتعبتَ الأمَّة والبهائم . فقال : خذوه . فأُدخلتُ عليه وفي يَدِهِ لُتٌّ من حديد(٥) يلعبُ به ، وهو جالسٌ على كُرسيّ ، فقال : ممَّنِ الرجل ؟ فقلت : رجلٌ من المسلمين . فقال : ثَكِلَتْكَ أمُّك ؟ ممَّنْ أنت ؟ فقلت : من الأنبار . فقال : ما حمَلك على أنْ دعوتَني باسمي ؟ قال : فخطر ببالي شيءٌ لم يخطُرْ قبلَ ذلك . فقلت : أنا أدعو اللهَ باسمه يا الله ، أفلا أدعوكَ باسمك ؟ وهذا الله سبحانه قد دعا أحبَّ خلقِهِ إليه باسمه محمد(٦) ، وكنَّى أبغضَ خَلْقِهِ إليه فقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ . فقال الرشيد : أخرجُوه ، أخرِجُوه .

وقال له ابن السَّماكِ يوماً : إنك تموتُ وحدَك ، وتدخُلُ القبرَ وحدَك ، وتُبعثُ منه وحدَك ، فاحذَرِ

---

(١) الخبر في تاريخ بغداد (١٤/ ١١) .

(٢) في تاريخ بغداد (١٤/ ٨) .

(٣) في (ق) : « بعثتهم » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) وتاريخ بغداد .

(٤) ولا نعمة عين : أي لا أفعل ذلك كرامةً لك ، وإنعاماً بعينك . قال سيبويه : نصبوا كل ذلك على إضمار الفعل المتروك إظهاره . انظر لسان العرب (نعم) .

(٥) في مختصر تاريخ ابن عساكر : وبيده عمود يلعب به . واللُّتّ ـ بضم اللام ـ : نوعٌ من آلةِ السلاح ، معروفٌ في زمانِنا ؛ وهو لفظٌ مولَّد ، ليس من كلام العرب ، ولم أره في شيءٍ مما صُنِّف في المعرَّب . وأخبرني الشيخ أبو الحسين علي بن أحمد بن عبد الواحد أنه قرأه على المصنِّف بالضَّمّ ، فينبغي أن يُقرأ مضموماً كما يقولُه الناس . اهـ . المطلع على أبواب المقنع لمحمد بن أبي الفتح البعلي المتوفّى (٧٠٩هـ) ص(٣٥٧) .

(٦) في (ق) قبل ذكر محمد : « بأسمائهم : يا آدمُ ، يا نُوحُ ، يا هُودُ ، يا صالحُ ، يا إبراهيمُ يا موسى ، يا عيسى » ، والمثبت من (ب ، ح) ومختصر تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ١٩) .

المقامَ بين يدي الجبَّار[١] ، والوقوفَ بين الجنةِ والنار ، حين يُؤخَذُ بالكَظَم[٢] ، وتَزِلُّ القدَم ، ويَقَعُ النَّدَم ؛ فلا توبةٌ تُقبل ، ولا عَثْرَةٌ تُقال ، ولا يُقبل فداءٌ بمال . فجعل الرشيدُ يبكي حتى عَلا صوتُه . فقال يحيى بن خالد له : يا بنَ السمَّاك ، لقد شقَقْتَ على أميرِ المؤمنين الليلة . فقام فخرج من عندِه وهو يبكي .

وقال له الفُضيل بن عِياض ـ في كلامٍ كثير ليلةَ وعظِه بمكة ـ : يا صَبيحَ الوَجْه ، إنك مسؤول عن هؤلاء كلِّهم ؛ وقد قال تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] . قال : حدّثنا ليث ، عن مجاهد ، قال : الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا . فبكى حتى جعل يَشْهَق . وقال الفُضَيل : استدعاني الرشيدُ يوماً وقد زخرَفَ منازلَه ، وأكثرَ الطعامَ والشرابَ واللذَّاتِ فيها ، ثم استدعَى أبا العتاهيةِ فقال له : صِفْ لنا ما نحنُ فيهِ من العيشِ والنَّعيم . فقال :

عِشْ ما بَدَا لك سالِماً ... في ظلِّ شاهقةِ القُصُورِ
تَسْعَى عليك بما اشتهَيْـ ... ـتَ لَدَى الرواحِ إلى البُكُورِ
فإذا النفوسُ تقعْقَعَتْ ... عن ضيقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فهناكَ تعلَمُ مُوقناً ... ما كنتَ إلَّا في غُرورِ[٣]

قال : فبكى الرشيدُ بكاءً كثيراً شديداً . فقال له الفضلُ بن يحيى : دعاكَ أميرُ المؤمنين لِتَسُرَّهُ فأحزَنْتَهُ ! فقال له الرشيد : دَعْهُ ، فإنَّهُ رآنا في عَمًى . فكره أن يزيدَنا عَمى . ومن وجهٍ آخر ، أنَّ الرشيد قال لأبي العتاهية : عِظْني بأبياتٍ من الشعرِ وأوجِزْ . فقال :

لا تأمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسِ ... ولو تَمنَّعْتَ بالحُجَّابِ والحَرَسِ
واعلَمْ بأنَّ سهامَ الموتِ صائبةٌ ... لكلِّ مُدَّرِعٍ منها ومُتَّرِسِ
تَرْجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ مسالِكَها ... إنَّ السفينةَ لا تَجْري على اليَبَسِ[٤]

قال : فخرَّ الرشيدُ مَغْشيّاً عليه . وقد حَبَسَ الرشيدُ مرَّةً أبا العَتاهية ، وأرصَدَ عليه منْ يأتيهِ بما يقول : فكتبَ مرَّةً على جدارِ الحبس :

---

(١) في (ق) : « بين يدي الله عزَّ وجلَّ » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) الكَظَم : مَخْرَج النفَس . يقال : كَظَمني فلان وأخذ بكَظمي . وأخذ بكَظَمه أي بحَلْقِه ؛ ويقال : أخذت بكَظمه : أي بمَخْرَج نَفَسه ، والجمع كِظام . وفي الحديث : لعلَّ الله يصلح أمر هذه الأمة ولا يؤخذ بأكْظامها ؛ هي جمع كَظَم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفَس من الحلق . لسان العرب (كظم) .
(٣) الأبيات في ديوان أبي العتاهية ص(١٦٣) .
(٤) الأبيات في ديوان أبي العتاهية ص(٢٣٠) .

أمـــا واللهِ إنَّ الظُّلـــمَ شُـــومُ ... وما زال المُسـيءُ هـو الظَّلُومُ
إلى دَيَّانِ يومِ الدِّينِ نَمْضي ... وعنـدَ الله تَجتمـعُ الخُصومُ[١]

قال : فاستدعاهُ واستجعله في حِلّ ، ووهبَهُ ألفَ دينارٍ وأطلقَه .

وقال الحسين بن الفهم[٢] : حدّثنا محمد بن عباد ، عن سفيان بن عُيينة قال : دخلتُ على الرشيد فقال : ما خبَرُك ؟ فقلت :

بعيـنِ الله مـا تُخْفـي البيـوتُ ... فقد طال التَّحمُّل والسكوتُ

فقال : يا فلان ، مئة ألفٍ لابنِ عُيينة تُغنيه وتُغْني عَقِبَه ، ولا تضُرُّ الرشيدَ شيئاً[٣] .

وقال الأصمعي : كنتُ مع الرشيدِ في الحج ، فمرَرْنا بوادٍ ، فإذا على شفيرِهِ امرأةٌ صَبيَّةٌ حسناء ، بين يدَيْها قصعة ، وهي تأكلُ منها وهي تقول :

طَحْطَحَتْنا طَحَاطِحُ الأعوامِ ... ورمَتْنـا حـوادثُ الأيَّـامِ
فـأتينـاكُـمْ نَمُـدُّ أكُفّـاً ... نـائـلاتٍ لِـزادِكُـمْ والطَّعَـامِ
فاطلُبوا الأجْرَ والمثوبَةَ فينا ... أيُّهـا الـزائـرونَ بيـتَ الحـرامِ
مَنْ رآني فقد رآني ورَحْلي ... فارْحَمُوا غُرْبَتي وذُلَّ مَقَامِي

قال الأصمعي : فذهبتُ إلى الرشيد ، فأخبرتُهُ بأمرِها ، فجاء بنفسِهِ حتى وقف عليها ، فسمعَها ، فرَحِمَها وبكى ، وأمَرَ مسروراً الخادمَ أنْ يَملأ قصعتهَا ذهباً ، فملأها حتى جعلَتْ تَفِيضُ يَميناً وشِمالاً[٤] .

وسمع مرَّةً الرشيدُ أعرابيّاً يَحْدو إبلَهُ في طريق الحج :

أيُهـا المُجمِـعُ هَمّـاً لا تُهَـمّ ... إنك إنْ تُقْضى لكَ الحُمَّى تُحَمْ
كيف توَقِّيكَ وقد جَفَّ القلَمْ ... حُطَّتِ الصِّحَّةُ منكَ والسَّقَمْ[٥]

---

(١) الأبيات والخبر في ديوان أبي العتاهية ص(٣٩٨) . وتنسب إلى الإمام علي بن أبي طالب ، وهي في ديوانه ص(١١٣) .

(٢) في (ق) : « الحسن بن أبي الفهم » ، وهو تصحيف والمثبت من (ب ، ح) ؛ ولم أقف على ترجمة له ، ولكن له ذكر وهو راوي كتاب « الطبقات الكبير » لابن سعد ، وفي المطبوع منه زيادات عى ابن سعد طبعت مع النص . وهو أبو علي الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن الفهم . انظر طبقات ابن سعد (٣/ ٥٤٢ ، ٧/ ٣٥٧) ، وتهذيب الكمال (٢/ ١٢٩ ، و٣/ ١٥ ، ١٥٩ ، و٨/ ٣٠١ ، و١٧/ ١٨٠ ، و٣١/ ٢١٢) .

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٢٣) .

(٤) انظر مختصر ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٢٣ ، ٢٤) .

(٥) الخبر والبيتان في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٢٤) ، وقد روى ابنُ قتيبة البيتين في تأويل مختلف=

فقال الرشيدُ لبعض خدَمِه : ما معَك ؟ قال : أربعُ مئة دينار . فقال : ادفَعْها إلى هذا الأعرابي . فلما قبضَها ضرَبَ رفيقَهُ بيدِهِ على كتفه وقال متمثّلاً :

وكنـتَ جليـسَ قعقـاعِ بـن عمـروٍ ولا يَشْقَـــى بقعقـــاعٍ جليـــسُ

فأمر الرشيدُ بعضَ الخدم أن يُعْطَى المتمثِّلُ ما معه من الذهب ، فإذا معه مئتا دينار .

قال أبو عُبيد : إنَّ أصلَ هذا المثل ، أنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيان أُهديَتْ له هديَّة ، جاماتٌ من ذهَب ، ففرَّقَها على جُلسائه ، وإلى جانبِهِ قعقاعُ بن عمرو ، وإلى جانبِ القعقاعِ أعرابيٌّ لم يَفْضُلْ له منها شيء ، فاطرق الأعرابيُّ حياءً . فدفعَ إليه القعقاعُ الجامَ الذي حصلَ له ، فنهض الأعرابيُّ وهو يقول :

وكنـتَ جليـسَ قعقـاعِ بـن عمـرٍو ولا يَشْقَـــى بقعقـــاعٍ جليـــسُ

وخرج الرشيدُ يوماً من عندِ زُبيدةَ ابنةِ عمِّه وهو يضحك ، فقيل له : مِمَّ تضحكُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : دخلتُ اليومَ إلى هذه المرأة ـ يعني زوجتَه زُبيدة ـ فأكلتُ عندَها ونمت ، فما استيقظتُ إلاَّ على صَوْتِ ذهبٍ يُصَبّ ، فقلتُ : ما هذا ؟ قالوا : هذه ثلاثُ مئةِ ألفِ دينار قَدِمَتْ من مِصر . فقالتْ زُبيدة : هَبْها لي يا ابنَ عَمّ . فقلت : هي لكِ . ثم ما خرَجْتُ حتى عَرْبَدَتْ عليَّ وقالت : أيّ خيرٍ رأيتُه منك ؟! .

وقال الرشيدُ مرَّةً للمُفَضَّل الضَّبِّيّ : ما أحسَنُ ما قيل في الذئب ؟ ولك هذا الخاتم ، وشراؤه ألفٌ وست مئِة دينار . فأنشد قولَ الشاعر[١] :

ينـامُ بـإحـدَى مُقلتَيْـهِ ويَتَّقِـي بأخرى الرَّزَايا فهو يقظانُ هاجِعُ[٢]

فقال : ما قلتَ هذا إلا لتَسْلُبَنا الخاتم . ثم ألْقاهُ إليه ، فبعثَتْ زُبيدة فاشترَتْهُ منه بألفٍ وست مئةِ دينار ، وبعثَتْ به إلى الرشيد وقالت : إني رأيتُكَ مُعجَباً به ، فرَدَّهُ إلى المفضَّل والدنانير ، وقال : ما كنَّا لِنَهَبَ شيئاً ونرجعَ فيه .

وقال الرشيدُ يوماً للعباسِ بن الأحنف : أيُّ بيتٍ قالتِ العَربُ أرقّ ؟ فقال : قولُ جميلٍ في بُثَينة :

ألا ليتَنـي أعمَـى أصَـمُّ تقـودُني بثينَـةُ لا يَخْفَـى علـيَّ كـلامُهـا

فقال له الرشيد : أرَقُّ منه قولُكَ في مثلِ هذا :

= الحديث ص(٢٨) ، ونسبها إلى بعض الرجاز ، ولفظه :

يـا أيهـا المضمـر همـاً لا تُهـمْ إنـك إنْ تُقْـدَرْ لـك الحمَّـى تُحَـمْ
ولـو علـوت شـاهقـاً مـن العلَـمْ كيـف تَـوَقِّيـكَ وقـد جَـفَّ القلَـمْ

(١) هو الشاعر المخضرم حُميد بن ثور الهلالي والبيت في ديوانه ص(٥٦) .

(٢) في(ق) : « يقظان نائم » ، ورواية الديوان : « بأخرى الأعادي » . والمثبت من (ب ، ح) .

طـاف الهـوَى فـي عبـادِ الله كلِّهـم حتـى إذا مـرَّ بـي مـن بينِهـم وَقَفـا

فقال له العباس : فقولك يا أميرَ المؤمنين أَرَقُّ من هذا كُلِّه :

أمـا يَكْفيـكِ أنّـكِ تَمْلِكينـي وأنَّ النـاسَ كلَّهُـمُ عَبيـدي

وأنـك لـو قطعـتِ يَـدِي ورِجْلـي لقلـتُ مـن الهـوى أحسنـتِ زِيـدي

قال : فضحك الرشيد وأعجبه ذلك .

ومن شعر الرشيد في ثلاثِ حظِيَّاتٍ كُنَّ عندَهُ من الخواصّ قولُه :

مَلَـكَ الثـلاثُ الناشئـاتُ عِنَانـي وحَلَلْـنَ مـن قلبـي بكـلِّ مَكَـانِ

مـالـي تطـاوِعُني البـريَّـةُ كلُّهـا وأُطيعُهـنَّ وهُـنَّ فـي عِصْيَـانـي

مـا ذاك إلّا أنَّ سلطـانَ الهـوَى وبِـهِ قَـوِيـنَ أعَـزُّ مِـنْ سُلْطـانـي

وما أورد له صاحبُ « العِقْد » في كتابه[١] :

تُبْدِي الصدودَ وتُخْفي الحبَّ عاشقةٌ فـالنفـسُ راضيـةٌ والطَّـرْفُ غَضْبَـانُ

وذكر ابنُ جرير وغيرُه أنه كان في دارِ الرشيد من الجواري والحظايا وخدَمِهِنَّ وخدَمِ زوجتِه وأخَوَاتِه أربعةُ آلافِ جارية ، وأنَّهنَّ حضَرْنَ يوماً بين يديه ، فغنَّتْهُ المطرِباتُ منهنّ ، فطَرِبَ جدّاً ، وأمَرَ بمالٍ فنُثِر عليهن . وكان مبلَغُ ما حصل لكلِّ واحدةٍ منهنَّ ثلاثةَ آلافِ درهم في ذلك اليوم . رواه ابن عساكر أيضاً[٢] .

ورَوَى[٣] أنه اشترى جاريةً من المدينة فأُعجب بِها جدّاً ، فأمَرَ بإحضار مواليها ومَنْ يَلُوذُ بها ليقضي حوائجَهم . فقدِموا عليه بثمانينَ نفساً ، فأمر الحاجبَ ـ وهو الفضل بن الربيع ـ أن يتلقَّاهم ويكتبَ حوائجَهم . فكان فيهم رجلٌ ، قد أقام بالمدينة لأنه كان يَهْوَى تلك الجارية ، فبعثَتْ إليه ، فأتى به ، فقال له الفضل : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يُجلِسَني أميرُ المؤمنين مع فلانة ، فأشربَ ثلاثةَ أرطالٍ من خمرٍ . وتُغَنِّيني ثلاثةَ أصوات . فقال : أمجنونٌ أنت ؟! فقال : لا ، ولكن اعْرِضْ حاجتي هذه على أميرِ المؤمنين . فذكر للرشيد ذلك ، فأمر بإحضاره ، وأنْ تَجلِسَ معه الجاريةُ بحيثُ ينظرُ إليهما ولا يَرَيَانِه . فجلسَتْ على كُرسي ، والخُدَّامُ بين يدَيْها ، وأُجلس على كُرسي ، فشَرِبَ رِطْلاً وقال لها : غنِّي :

خليلـيَّ عُـوجَـا بـارك الله فيكمـا وإنْ لم تكُنْ هندٌ بأرضِكُما قَصْدا

---

(١) هو ابن عبد رَبّه في كتابه العقد ، وبعضهم يُطلق عليه اسم « العقد الفريد » انظر كشف الظنون (٢/ ١١٤٩) .

(٢) انظر مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٣٢ ، ٣٣) .

(٣) ابن عساكر ، انظر مختصر تاريخه لابن منظور (٢٧/ ٣٤ ، ٣٥) .

وقُولا لها ليس الضَّلالُ أجازَنا ولكنَّنا جُزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا
غداً يكثُرُ الباكُونَ[١] منَّا ومنكُمُ وتَزْدادُ داري من ديارِكُمُ بُعْدا[٢]

قال : فغنَّتْهُ . ثم استعجَلَهُ الخدَم ، فشَرِبَ رِطْلاً آخر ، وقال : غَنِّي جُعلتُ فداك :

تكلَّمَ منَّا في الوجوهِ عيوننا فنحنُ سكوتٌ والهَوىَ يتكلَّمُ
ونَغْضَبُ أحياناً ونَرْضَى بطَرْفِنا وذلك فيما بيننا ليس يُعْلَمُ[٣]

قال : فغنَّتْهُ ، ثم شرب رطلاً ثالثاً وقال : غنِّي جعلَني الله فداك :

أحسَن ما كنَّا تفرُّقُنا وخاننا الدَّهْرُ وما خُنَّا
فليتَ ذا الدهرَ لنا مرَّةً عادَ لنا يوماً كما كُنَّا

قال : ثم قام الشابُّ إلى درجةٍ هناك ، ثم ألقَى نفسَهُ من أعلاها على أمِّ رأسِهِ فمات . فقال الرشيد : عَجِلَ الفتى ، والله لو لم يَعْجَلْ لوهَبْتُها له[٤] .

وفضائل الرشيد ومكارِمهُ كثيرةٌ جدّاً ، فقد ذكر الأئمةُ من ذلك شيئاً كثيراً ، فذكَرْنا منه أُنموذجاً صالحاً . وقد كان الفُضيل بن عياض يقول : ليس موتُ أحدٍ أعزَّ علينا من موتِ الرشيد ، لِمَا أتخوَّفُ بعدَهُ من الحوادث ، وإني لأدعو اللهَ أن يزيدَ في عمرِهِ من عُمري . قالوا : فلما مات الرشيدُ وظهرَت الفِتَنُ والحوادثُ والاختلافات ، وظهر القولُ بِخَلْقِ القرآن ، فعرَفْنا ما كان تخوَّفَهُ الفُضيلُ من ذلك . وقد تقدَّمَتْ رؤياه لذلك الكفّ ، وتلك التربةِ الحمراء ، وقائلٍ يقول : هذه تربةُ أميرِ المؤمنين . فكان موتُهُ بِطُوس .

وقد روَى ابنُ عساكر[٥] أنَّ الرشيدَ رأى في مَنَامِهِ قائلاً يقول :

كأنِّي بِهذا القصرِ قد بادَ أهلُه ....

الشعر إلى آخرِهِ . وقد تقدَّم أنَّ ذلك إنما رآه أخوه موسى الهادي ، وأبوه محمد المهدي ، فالله أعلم[٦] .

---

(١) في (ق) : « البادون » ، وفي (ح) : « الباقون » ، والمثبت من (ب) ومختصر تاريخ ابن عساكر .
(٢) البيتان الأول والثاني في ديوان الحماسة (٢/ ١٢٢ ، ١٢٣) ، وهما منسوبان فيه لِوَرد الجَعدي ، ولفظه : « أجارنا . . جرنا » بالراء المهملة .
(٣) البيتان للعباس بن الأحنف ، وهما في ديوانه ص(٢٧٣) .
(٤) الخبر في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٣٤ـ ٣٦) .
(٥) انظر مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٣٦ ، ٣٧) .
(٦) انظر ما تقدم ص(٣٧٥ و٤١٥) من هذا الجزء. والخبر في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢٧/ ٣٦، ٣٧) .

وقدَّمْنا أنه أمَرَ بِحَفْرِ قَبْرِهِ في حياتهِ ، وأنْ تُقرأَ فيه ختمةٌ تامَّة[١] . وحُمل حتى نظر إليه . فجعل يقول : إلى هنا تَصِيرُ يا بنَ آدم ! ويبكي ، وأمر أن يُوَسَّعَ عندَ صَدْرِه ، وأنْ يُمَدَّ من عندِ رِجْلَيْه ، ثم جعل يقول : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٨ ، ٢٩] ، ويبكي[٢] .

وقيل : إنه لما احتُضر قال : اللهمَّ انفَعْنا بالإحسان ، واغفِرْ لنا الإساءة ، يا مَنْ لا يَموتُ ، ارْحَمْ من يموت . وكان مرَضُهُ بالدَّم ، وقيل : بالسل . وجبريل الطبيبُ يكتُمُ ما بهِ من العِلَّة ، فأمر الرشيدُ رجلاً أنْ يأخُذَ ماءه في قارورة . ويذهبَ به إلى جبريل ، فيريَهُ إيَّاه ، ولا يذكرَ له بَوْلَ مَنْ هو ، فإنْ سألَهُ قال : هو بولُ مريضٍ عندَنا ، فلمّا رآه جبريلُ قال لرجلٍ عندَه : هذا مثلُ ماءِ ذلك الرَّجُل . ففَهِمَ صاحبُ القارورةِ مَنْ عَنَى به ، فقال له : باللهِ عليكَ أخبِرْني عن حالِ صاحبِ هذا الماء ، فإنَّ لي عليه مالاً ، فإنْ كان به رجاء ، وإلاَّ أخذتُ مالي منه . فقال : اذهَبْ فتخلَّصْ منه ، فإنَّهُ لا يعيشُ إلا أياماً . فلما جاء وأخبرَ الرشيدَ بعث إلى جبريل . فتغَيَّبَ حتى مات الرشيد . وقد قال الرشيدُ وهو في هذه الحال :

إنِّـي بِطُـوسٍ مُقِيـمُ مالي بِطُوسٍ حَمِيم
أرجو إلَهي لِمَا بي فــإنــه بــي رَحِيــم
لقد أتى بِيَ طُوساً قضــاؤه المحتــومُ
وليس إلاَّ رِضَـائي والصَّبْـرُ والتَّسْلِيـمُ

مات بطُوسَ يومَ السبت ، لثلاثٍ من جُمادَى الآخرة ، سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة . وقيل : إنه توفي في جُمادَى الأولى ، وقيل : في ربيعٍ الأوَّل ، ولَهُ من العمرِ خمسٌ ـ وقيل سبعٌ ، وقيل ثمانٌ ـ وأربعونَ سنةً ، ومُدَّةُ خلافتِهِ ثلاثٌ وعشرون سنة ، وشهرٌ وثمانيةَ عشرَ يوماً . وقيل : ثلاثة أشهر . وصلَّى عليه ابنُهُ صالِح ، ودُفِن بقريةٍ من قُرى طُوس ، يُقالُ لها سَنَاباذ[٣] .

وقال بعضُهم : قرأتُ على خيامِ الرشيد بسَناباذَ والناسُ منصَرِفون من طُوس ، من بعد مَوْتِهِ :

منــازلُ العَسْكَــرِ مَعْمُــورَةٌ والمَنْـزِلُ الأعظـمُ مَهْجُـورُ
خليفــةُ اللهِ بــدارِ البِلَــى تَسْفِي على أجداثِهِ المُورُ[٤]
أقبلــتِ العِيـرُ تُبَـاهـي بِـهِ وانصرفَتْ تَنْدُبُهُ العِيرُ[٥]

---

(١) انظر ما تقدَّم ص(٤٩٧) من هذا الجزء .
(٢) الخبر في مختصر تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ٣٨) .
(٣) سَناباذ ـ بالفتح ـ : قريةٌ بِطُوس ، فيها قبرُ الإمام علي بن موسى الرضا ، وقبر أمير المؤمنين الرشيد ، بينها وبين مدينة طوس نحو ميل . معجم البلدان (٣/ ٢٥٩) .
(٤) المور : الغُبار بالريح ، لسان العرب (مور) .
(٥) الأبيات في مختصر تاريخ ابن عساكر (٢٧/ ٣٨) .

وقد رثاه أبو الشِّيص فقال :

غرَبَتْ في الشرقِ شمسٌ فلهــا العَيْنــانِ تَــدْمَــعْ
مــا رأينــا قَــطُّ شمســاً غرَبَتْ من حيثُ تَطْلُعْ[١]

وقد رثاهُ الشعراء بقصائد .

قال ابنُ الجوزي في المنتظم[٢] : قد ترَكَ الرشيدُ من الميراث ما لم يُخَلِّفْهُ أحدٌ من الخلفاء ، وخلَّفَ من الجواهرِ والأثاثِ والأمتعةِ سوى الضياعِ والدُّور ما قيمتُه مئةُ ألف ألف دينار ، وخمسة وثلاثون ألفَ ألفِ دينار .

قال ابنُ جرير[٣] : وكان في بيتِ المال تسعُمئةِ ألف ألف ونيِّف .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته

تزوَّج أمَّ جعفر زُبيدةَ بنت عمِّه جعفر بن أبي جعفر المنصور ، تزوَّجها في سنةِ خمسٍ وستين ومئة في حياةِ أبيه المهدي ، فولدَتْ له محمداً الأمين . وماتَتْ زُبيدة في سنةِ ستَّ عشرةَ ومئتين كما سيأتي .

وتزوَّجَ أمَةَ العزيز ، أُمَّ وَلَد ، كانتْ لأخيه موسى الهادي ، فولَدَتْ له عليَّ بنَ الرشيد .

وتزوَّجَ أمَّ محمد بنتَ صالح المسكين ، والعبَّاسة بنت عمِّه سليمان بن أبي جعفر ، فزُفَّتا إليه في ليلةٍ واحدة ، سنةَ سبعٍ وثمانين ومئة بالرَّقَّة .

وتزوَّجَ عزيزةَ بنتَ الغِطْرِيف ، وهي بنتُ خالِه أخي أُمِّهِ الخَيْزُرَان .

وتزوَّجَ ابنةَ عبدِ الله بن محمد بن عبدِ الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العثمانية ، ويُقال لها الجُرَشِيَّة لأنها وُلدَتْ بِجُرَش باليمن .

وتُوفِّي عن أربع : زُبيدة ، وعبَّاسة ، وابنة صالح ، والعثمانية هذه . وأمَّا الحظايا من الجوار[ي] فكثيرٌ جدّاً ، حتى قال بعضُهم : إنه كان في دارِهِ أربعة آلاف جاريةٍ سرارِيّ حسان .

وأما أولادُه الذكور فمحمد الأمين ابن زُبيدة ، وعبدُ الله المأمون من جاريةٍ اسمُها مراجل ، ومحمد أبو إسحاق المعتصِم من أُمِّ وَلَدٍ يُقالُ لها ماردة ، والقاسمُ المؤتمن من جاريةٍ يُقال لها قصف ، وعليّ أُمُّه أمَةُ العزيز ، وصالح من جاريةٍ اسمُها رئم ، ومحمد أبو يعقوب ، ومحمد أبو عيسى ، ومحمد أبو العباس ، ومحمد أبو علي ، كلُّ هؤلاءِ من أُمهات أولاد .

---

(١) البيتان في المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢٣٢) .
(٢) المنتظم (٩/ ٢٣٢) .
(٣) يعني الطبري في تاريخ (٥/ ٢٦) .

وكان من الإناث سُكينة من قصف ، وأمُّ حبيب من ماردة ، وأرْوَى ، وأمُّ الحسين ، وأم محمد وهي حَمْدونة ، وفاطمة وأمُّها غصص ، وأم سَلَمة ، وخَدِيجة ، وأمُّ القاسم رَمْلَة . وأم علي ، وأُمُّ الغالِيَة ، ورَيْطَة ، كلُّهنَّ من أمهاتِ أولاد .

خلافة محمد الأمين

لما تُوفي الرشيد بِطُوس في جُمادَى الآخرة من هذه السنة ـ أعني سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة ـ . كتب صالِحُ بن الرشيد إلى أخيه وليِّ العَهْد من بعدِ أبيه محمدٍ الأمين بن زُبيدة وهو ببغداد ، يُعلِمُه بوفاةِ أبيه ، ويُعَزِّيه فيه ، فوصل الكتابُ صحبةَ رجاءٍ الخادم ، ومعه الخاتمُ والقَضِيبُ والبُرْدَة يوم الخميس الرابع عشر من جُمادَى الآخرة . فركب الأمينُ من قصرهِ الخُلْد إلى قصر أبي جعفر المنصور ـ وهو قصرُ الذهَب ـ على شَطِّ بغداد ، فصلَّى بالناس ، ثم صَعِدَ المنبر ، فخطَبَهم وعزَّاهم في الرشيد ، وبسَطَ آمالَ الناس ، ووعَدَهم الخير ، فبايَعَه الخواصُّ من قومه ، ووجوهُ بني هاشم ، والأمراء ، وأمرَ بصَرْفِ أُعطياتِ الجُند عن سنتَيْن ، ثم نزَل . وأمَرَ عمَّهُ سُليمان بن جعفر أنْ يأخذَ له البيعةَ من بقيةِ الناس ، فلما انتظم أمرُ الأمين ، واستقام حالُه ، حسَدَهُ أخوه المأمون ، ووقَعَ الخُلْفُ بينهما على ما سنذكرهُ إنْ شاء الله تعالى .

اختلاف الأمين والمأمون

كان السببُ في ذلك أنَّ الرشيد لَمَّا وصل إلى أولِ بلادِ خُراسان وَهَبَ جميعَ ما فيها من الحواصِلِ والدوابِّ والسلاح لولدِهِ المأمون ، وجدَّدَ له البيعة ، وكان الأمين قد بعثَ بكرَ بنَ المعتمر بكتبٍ في خُفْيَةٍ ليوصِلَها إلى الأمراء إذا مات الرشيد ، فلما تُوفي الرشيد نفذتِ الكتبُ إلى الأمراء وإلى صالح بن الرشيد ، وفيها كتابٌ إلى المأمون ، يأمرهُ بالسمع والطاعة ، فأخذ صالِحٌ البيعةَ من الناسِ إلى الأمين ، وارتحل الفضلُ بن الربيع بالجيشِ إلى بغداد ، وقد بقي في نفوسِهم تحرُّجٌ من البيعةِ التي أُخِذَتْ للمأمون ، وكتب إليهمُ المأمونُ يدعوهمْ إلى بيعَتِه فلم يُجيبوه ، فوقعتِ الوَحْشَةُ بين الأخوَيْن ، ولكنْ تحوَّل عامَّةُ الجيش إلى الأمين ، فعند ذلك كتب المأمونُ إلى أخيه الأمين بالسَّمْع والطاعةِ والتعظيم ، وبعَثَ إليه من هدايا خُراسان وتُحَفِها من الدوابِّ والمِسك ، وغيرِ ذلك ،وهو نائبُهُ عليها . وقد أمرَ الأمينُ في صبيحةِ يوم السبت بعدَ أخذِ البيعةِ يومَ الجمعة ببناءِ ميدانَيْن للصَّيد ، فقال في ذلك بعضُ الشعراء :

بَنَى أمينُ الله مَيْدانا وصَيَّرَ الساحةَ بُسْتانا
وكانتِ الغزلانُ فيه بانا يهدى إليه فيه غِزْلانا[1]

(١) الخبر والشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٣١) ، والكامل لابن الأثير (٥/ ٣٦١ ، ٣٦٢) .

وفي شعبان من هذه السنة قَدِمَتْ زُبَيدَةُ من الرَّقَّة بالخزائن ، وما كان عندَها من التُّحَفِ والقماش من الرشيد ، فتلقَّاها ولَدُها الأمينُ إلى الأنبار ، ومعه وجوهُ الناس ، وأقرَّ الأمينُ أخاهُ المأمونَ على ما تحتَ يدِهِ من بلادِ خُراسانَ والرَّيّ وغيرِ ذلك ، وأقرَّ أخاه القاسمَ على الجزيرةِ والثُّغور ، وأقرَّ عمَّالَ أبيه على البلادِ إلاَّ القليلَ منهم .

وفيها مات نقْفُور ملكُ الرُّوم قتَلَهُ البُرْجان[1] ، وكان ملكُه تسعَ سنين ، وأقام بعدَهُ ولدُه استبراق شهرَيْن فمات ، فملَكَهُم ميخائيلُ زوجُ أختِ نقْفور ، لعنهم الله .

وفيها تواقع هَرْثَمةُ بن أعْيَن نائبُ خراسان ورافع بن اللَّيث ، فاستجاشَ رافعٌ بالتُّرك[2] ثم هربوا ، وبَقِيَ رافعٌ وحدَه ، فضَعُفَ أمرُه .

وحَجَّ بالناسِ في هذه السنة نائبُ الحجاز داودُ بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي .

وفيها توفي من الأعيان :

إسماعيلُ بن عُلَيَّة[3] : وهو من أئمةِ العلماء ، والمحدِّثين الرُّفَعاء . روى عنه الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وقد وُلِّيَ المظالِمَ ببغداد ، وكان ناظرَ الصدقاتِ بالبصرة ، وكان ثقةً نبيلاً جليلاً كبيراً . وكان قليلَ التَّبسُّم . وكان يَتَّجِرُ في البَزّ ، ويُنفق على عيالِهِ منه ، ويحجُّ منه ، ويَبَرُّ أصحابَهُ منه ، مثل السفيانَيْن وغيرِهما . وقد ولاَّهُ الرشيدُ القضاء ، فلما بلغ ابنَ المبارك أنه تولَّى القضاء كتب إليهِ يَلُومُه نظماً ونثراً ، فاستعفى ابنُ عُلَيَّةَ من القضاء ، فأعفاه ، وكانتْ وفاتُه في ذي القَعْدَةِ من هذه السنة ، ودُفن في مقابِرِ عبدِ الله بن مالك .

---

(١) « بُرْجان » : جيلٌ من الناس ، بلادُهم قريبةٌ من قُسْطَنْطِينيَّة ، وبلاد الصَّقَالبَة قريبةٌ منهم . المغرب (برج) (١/ ٦٥) .

(٢) كذا في الأصول ، بتعدية استجاش بالباء ، وجاء في لسان العرب (جيش) : « اسْتَجاشَه » : أي طلب منه جيشاً . وفي حديث عامر بنُ فُهَيرة : فاستجاش عليهم عامرُ بن الطُّفيل أي طَلب لهم الجيشَ وجمَعَه عليهم . اهـ .

(٣) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٢٥) ، التاريخ الكبير (١/ ٣٤٢) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ١٤٣) ، تسمية فقهاء الأمصار ص(١٣٠) ، الجرح والتعديل (٢/ ١٥٣) ، مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (١/ ٢٦٢ ، و٤٣٥) ، مشاهير علماء الأمصار (١٦١) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٤٤) ، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم (١/ ٤٩) ، الفهرست (٣١٧) ، تاريخ بغداد (٦/ ٢٢٩) ، التعديل والتجريح للباجي (١/ ٣٦١) ، رجال مسلم لابن منجويه (١/ ٥٤) ، تهذيب الكمال (٣/ ٢٣) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢٢) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٧) ، تهذيب التهذيب (١/ ٢٤١) ، تقريب التهذيب (١٠٥) ، طبقات الحفاظ ص(١٣٩) .

وفيها مات :

محمد بن جعفر[١] **الملقَّب بِغُنْدَر** : روى عن شعبة ، وسعيد بن أبي عَرُوبة ، وعن خلقٍ كثير . وعنه جماعةٌ ، منهم أحمد بن حنبل . وكان ثقةً جليلاً حافظاً مُتقِناً ، وقد ذُكر عنه حكاياتٌ تدلُّ على تغفيله في أمورِ الدنيا . كانت وفاتُه بالبصرة في هذه السنة ، وقيل في التي قبلَها ، وقيل في التي بعدَها . وقد لُقِّب بهذا اللقب جماعةٌ من المتقدِّمين والمتأخِّرين .

وفيها توفي هارون أمير المؤمنين ، وقد تقدَّمت ترجمته قريباً .

وأبو بكر بن عياش[٢] : أحد الأئمة ، سمع أبا إسحاق السَّبِيعي ، والأعمش ، وهشام بن عروة[٣] ، وجماعة . وحدث عنه خلق ، منهم أحمد بن حنبل . وقال يزيد بن هارون : كان خَيِّراً فاضلاً ، لم يضَعْ جَنْبَهُ إلى الأرض أربعين سنة . قالوا : ومكث ستين سنةً يَختِمُ القرآنَ في كلِّ يومٍ خَتْمَةً كاملة . وصام ثمانين رمضاناً ، وتُوفي وله ستٌّ وتسعون سنة . ولما احتُضر بكى عليه ابنُه ، فقال : يا بُني علامَ تبكي ؟! والله ما أتَى أبوك فاحشةً قط .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومئة

فيها خلَعَ أهلُ حمصَ نائبَهم ، فعزَلَهُ عنهم الأمين ، وولَّى عليهم عبدَ الله بن سعيد الحَرَشي ، فقتل طائفةً من وجوهِ أهلِها ، وحرَّق نواحِيهَا ، فسألوه الأمانَ فأمَّنَهم ، ثم هاجوا فضرب أعناقَ كثيرٍ منهم أيضاً .

---

(١) ترجمته في التاريخ الكبير (١/ ٥٧) ، الكنى والأسماء لمسلم (١/ ٤٩٢) ، مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (٢/ ٦٧١) ، الجرح والتعديل (٧/ ٢٢١) ، الثقات لابن حبان (٩/ ٥٠) ، تهذيب الكمال (٢٥/ ٥) ، تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٠) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٩٨) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٨٤) ، تقريب التهذيب (٤٧٢) ، طبقات الحفاظ (٣٨٥) .

(٢) قيل اسمه شعبة ، وقيل سالم ، وقيل غير ذلك ، والصحيح اسمه كنيته ، وترجمته في طبقات ابن سعد (٦/ ٣٨٦) ، طبقات خليفة (١٧٠) ، التاريخ الكبير (٩/ ١٤) ، التاريخ الصغير (٢/ ٢٤٨) ، الثقات لابن حبان (٧/ ٦٦٨) ، حلية الأولياء (٨/ ٣٠٣) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٣٧١) ، صفة الصفوة (٣/ ١٦٤) ، تهذيب الكمال (٣٣/ ١٢٩) ، طبقات علماء الحديث (١/ ٣٨٧) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٥) ، المقتنى في سرد الكنى (١/ ١١٧) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٥) ، معرفة القراء الكبار (١/ ١٣٤) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٩٩) ، العبر (١/ ٣١١) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٤) ، الكواكب الدرية (١/ ٨٢) ، شذرات الذهب (١/ ٣٣٤) .

(٣) في (ق) : وهشام وهمام بن عروة ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) ، وفي تهذيب الكمال (٣٣/ ١٣٠) ، ذكر المزي من جملة من روى عنهم : هشام بن حسان ، وهشام بن عروة .

وفيها عزل الأمينُ أخاه القاسمَ عن الجزيرةِ والثُّغور وولَّى على ذلك خُزيمة بن خازم ، وأمَّرَ أخاه بالمقام عندَهُ ببغداد .

وفيها أمرَ الأمينُ بالدعاءِ لولده موسى على المنابر في سائرِ الأمصار ، وبالإمْرَةِ من بعدِه ، وسَمَّاهُ الناطِقَ بالحقّ . ثم يُدعَى من بعدِهِ لأخيه المأمون ، ثم لأخيه القاسم . وكان من نيَّةِ الأمين الوفاءُ لأخوَيْهِ بِما شرَطَ لهما ، فلم يزَلْ بهِ الفضلُ بن الربيع حتى غيَّرَ نيَّتَه في أخوَيْه ، وحسَّنَ له خَلْعَ المأمونِ والقاسم ، وصغَّرَ عندَهُ شأنَ المأمون . وإنما حمَلَهُ على ذلك خوفُهُ من المأمون إنْ أفضَتْ إليه الخلافةُ أن يخلَعَهُ من الحجابة[١] ، فوافقه الأمينُ على ذلك ، وأمر بالدُّعاءِ لولدِهِ موسى ، وبولايةِ العَهْدِ من بعدِه . وذلك في ربيع الأول من هذه السنة ؛ فلما بلَغَ المأمونَ قَطَعَ البريدَ عنه ، وتَرَكَ ضَرْبَ اسمِهِ على السِّكَّة والطراز ، وتنكَّر للأمين ، وبعث رافعَ بن اللَّيث إلى المأمون يسألُ منه الأمان ، فأمَّنه فسار إليه بمَنْ معه ، فأكرمه المأمونُ وعظَّمَه ، وجاء هَرْثَمةُ على إثْرِه ، فتلقَّاه المأمونُ ووجوهُ الناس ، وولاَّهُ الحرَس . فلما بلَغَ الأمينَ أن الجنودَ التفَّتْ على أخيه المأمون ساءه ذلك وأنكرَه ؛ وكتب إلى المأمون كتاباً ، وأرسل إليه رُسُلاً ثلاثةً من أكابرِ الأمراء ، سألَهُ أن يُجيبَهُ إلى تقديم ولَدِهِ عليه ، وأنه قد سَمَّاهُ الناطِقَ بالحق . فأظهر المأمونُ الامتناع ، فشرَعَ الأمراءُ في مُطَايَبَتِه ومُلايَنَتِه ، وأن يُجيبَهُم إلى ذلك ، فأبَى كلَّ الإباء ، فقال له العباسُ بن موسى بن عيسى : فقد خلَعَ أبي نفسَه فماذا كان ؟ فقال المأمون : إنَّ أباكَ كان امرأً مكرهاً . ثم لم يزل المأمونُ يَعِدُ العبَّاسَ ويُمنِّيه حتى بايَعَهُ بالخلافة . ثم لما رجع إلى بغداد كان يُراسِلُه بما كان من أمرِ الأمينِ ويُناصِحُه ؛ ولما رجع الرسُلُ إلى الأمين أخبروه بما كان من قولِ أخيه ، فعند ذلك صَمَّمَ الفضلُ بن الربيع على الأمين في خَلْعِ المأمون ، فخلَعهُ وأمرَ بالدعاءِ لولده في سائرِ البلاد . وأقاموا منْ يتكلَّمُ في المأمون ، ويذكرُ مساويه ، وبعثوا إلى مكة فأخذوا الكتابَ الذي كتبه الرشيد ، وأودَعَهُ في الكعبة ، فمزَّقَهُ الأمين ، وأكَّدَ البيعةَ إلى ولدِهِ الناطقِ بالحق على ما ولاَّهُ من الأعمال .

وجرَتْ بين الأمينِ والمأمونِ مكاتباتٌ ورُسُلٌ يطولُ بَسْطُها ؛ وقد استقصاها ابنُ جرير في تاريخِه[٢] ، ثم آلَ بهما الأمرُ إلى أنِ احتفظ كلٌّ منهما على بلادِه وحِصْنِها ، وهيأ الجيوشَ والجنود ، وتألَّفَ الرعايا .

وفيها عدَتِ الرُّومُ على مَلِكِهم ميخائيل[٣] ، فراموا خلعَه وقتلَه ، فترَكَ الملكَ وترَهَّب ، وولَّوْا عليهم أليون .

---

(١) في (ب ، ح) : « إنْ أفضَتْ إليه الخلافةُ يوماً من الدهر ، فسعى في خلعِهِ وزوالِ الخلافةِ عنه » ، والمثبت من (ق) .

(٢) انظر تاريخ الطبري (٥/ ٣٥) وما بعدها .

(٣) في (ق) : « وفيها غدرت الروم بملكهم . . » . والمثبت من (ب ، ح) .

وحجَّ بالناسِ فيها نائبُ الحجاز داودُ بن عيسى ، وقيل : علي بن الرشيد .

وفيها توفي من الأعيان :

سَلْم بن سالم أبو بَحْر البَلْخِيّ(١) : قدم بغداد وحدَّث بها عن إبراهيم بن طَهْمَان ، والثَّوري . وعنه الحسنُ بن عَرَفة . وكان عابداً زاهداً مكَثَ أربعين سنةً لم يُفرَشْ له فِراش ، وصامها كلَّها إلاَّ يومي العيد . ولم يرفَعْ رأسَهُ إلى السماء . وكان داعيةَ الإرجاء ، ضعيفَ الحديث ، إلاَّ أنه كان رأساً في الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان قد قدم بغداد فأنكر على الرشيدِ وشنَّع عليه ، فحبَسَه وقيَّدَه باثني عشرَ قيداً ؛ فلم يزَلْ أبو معاوية يشفعُ فيه حتى جعلوه في أربعةِ قيود . ثم كان يدعو الله أن يردَّهُ إلى أهلِه ؛ فلما تُوفي الرشيد أطلقَتْهُ زُبيدة ، فرجع .

وكانوا بمكة قد جاؤوا حُجَّاجاً ، فمرض بمكة ، واشتهى يوماً بَرَداً ، فسقط في ذلك الوَقْتِ بَرَدٌ حين اشتهاه ، فأكل منه . مات في ذي الحجة من هذه السنة .

وعبدُ الوهاب بن عبد المجيد الثقفي(٢) : كانتْ غَلَّتُهُ في السنةِ قريباً من خمسين ألفاً ، يُنفِقها كلَّها على أهل الحديث . توفي عن أربعٍ وثمانين .

وأبو النصر الجهني المصاب(٣) : كان مقيماً بالمدينة النَّبويَّة بالصُّفَّةِ من المسجدِ في الحائطِ الشماليِّ منه وكان طويلَ السكوت ، فإذا سئل أجاب بجوابٍ حسَن ، يتكلم بكلماتٍ مفيدة تُؤثر عنه وتكتب ، وكان يخرجُ يومَ الجمعة قبلَ الصلاة ، فيقفُ على مجامعِ الناسِ فيقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [لقمان : ٣٣] ، و﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة : ٤٨] . ثم ينتقلُ إلى جماعةٍ أخرى ، ثم إلى أخرى ،

---

(١) في (ح ، ق) : سالم بن سالم ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) ومصادر ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٤) ، أحوال الرجال للجوزجاني (٢٠٨) ، الجرح والتعديل (٤/ ٢٦٦) ، الضعفاء للعُقيلي (٢/ ١٦٥) ، تاريخ بغداد (٩/ ١٤٠) ، الكامل لابن عدي (٣/ ٣٢٦) ، كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/ ٩٦) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢١) ، ميزان الاعتدال (٣/ ٢٦٣) ، لسان الميزان (٣/ ٦٣) .

(٢) ترجمته في كتاب بحر الدم للإمام أحمد (٢٨٣) ، التاريخ الكبير (٦/ ٩٧) ، الجرح والتعديل (٦/ ٧١) ، الضعفاء للعقيلي (٣/ ٧٥) ، مشاهير علماء الأمصار (١٦٠) ، الثقات لابن حبان (٧/ ١٣٢) ، تاريخ بغداد (١١/ ١٨) ، التعديل والتجريح (٢/ ٩١٩) ، رجال مسلم (٢/ ٥) ، تهذيب الكمال (١٨/ ٥٠٣) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٣٤) ، المقتنى في سرد الكنى (٢/ ٥١) ، كتاب المختلطين (٧٨) ، تقريب التهذيب (٣٦٨) ، طبقات الحفاظ (١٣٩) .

(٣) ترجمته في صفة الصفوة (٢/ ١٩٩) .

حتى يدخلَ المسجد ، فيُصَلِّي فيه الجمعة ثم لا يَخْرُجُ منه حتى يُصَلِّي العشاءَ الآخرة .

وقد وعَظَ مرَّةً هارونَ الرشيد بكلامٍ حسن ، فقال : اعلَمْ أنَّ الله سائلُكَ عن أُمَّةِ نبيِّه ، فأعِدَّ لذلك جواباً ، وقد قال عمرُ بن الخطَّاب : لو ماتتْ سخلةٌ بالعراق ضَيَاعاً لَخَشيت أنْ يسألَني الله عنها . فقال الرشيد : إني لستُ كعمر ، وإنَّ دَهْري ليس كَدَهْرِه . فقال : ما هذا بِمُغْنٍ عنك شيئاً . فأمر له بثلاثِ مئةِ دينار . فقال : أنا رجلٌ من أهلِ الصُّفَّة ، فمُرْ بها فَلْتُقْسم عليهم ، وأنا واحدٌ منهم .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومئة

فيها في صَفَر منها أمَرَ الأمينُ الناسَ أنْ لا يتعاملوا بالدراهمِ والدنانيرِ التي عليها اسمُ المأمون . ونَهَى أنْ يُدعَى له على المنابر ، وأنْ يُدعَى له ولولَدِهِ من بعدِه .

وفيها تَسَمَّى المأمونُ بإمامِ الهدى ؛ وفي ربيع الآخر فيها عَقَدَ الأمينُ لعليِّ بن عيسى بن ماهان الإمارةَ على الجبَلِ وهمَذان وأصْبَهانَ وقُمّ ، وتلكَ البلاد ، وأمَرَهُ بِحَرْبِ المأمون ، وجهَّزَ معهُ جيشاً كثيراً ؛ وأنفقَ فيهم نفقاتٍ عظيمة ؛ وأعطاهُ مئتي ألف دينار ، ولولده خمسين ألفَ دينار ، وألفَيْ سيف مُحلّى ، وستة آلاف ثوبٍ للخِلَع . فخرج عليُّ بن موسى بن ماهان من بغداد في أربعين ألفَ مقاتلٍ فارس ؛ ومعه قَيْدٌ من فِضَّة ليأتي فيه بالمأمون .

وخرج الأمينُ معه مشيِّعاً ، فسار حتى وصلَ الرَّيّ ، فتلقَّاهُ الأميرُ طاهرٌ في أربعةِ آلاف ، فجرَتْ بينهم أمورٌ آلَ الحالُ فيها أنِ اقتَتَلوا ؛ فقُتل عليُّ بن عيسى ؛ وانهزم أصحابُه ، وحُمل رأسُه وجُثَّتُهُ إلى الأمير طاهِر . فكتب بذلك إلى وزيرِ المأمون ذي الرِّيَاستَيْن وكان الذي قَتَل عليَّ بن عيسى رجلٌ يُقال له طاهر الصغير . فسُمِّي ذا التيمِينَيْن ، لأنه أخذ السيفَ بيدَيْه الثِّنْتَيْن ، فذبح به عليَّ بن عيسى بن ماهان ، ففَرِحَ بذلك المأمونُ وذووه ، وانتهى الخَبرُ إلى الأمين وهو يَصيدُ السمَكَ من بركة القصر ؛ فقال : وَيْحَك ! دَعْني من هذا ، فإنَّ كَوْثراً قد صاد سمكتَيْن ولم أصِدْ بعدُ شيئاً . وأرْجَفَ الناسُ ببغداد ، وخافوا غائلةَ هذا الأمر . ونَدِمَ محمدٌ الأمين على ما كان منه من نَكْثِ العَهْد ، وخَلْعِ المأمون ، وما وقع من الأمر الفَظيع . وكان رجوعُ الخبَرِ إليه في شوال من هذه السنة .

ثم جهَّزَ عبدَ الرحمن بن جَبَلة الأبْنَاويَّ في عشرين ألفاً من المقاتِلَة إلى هَمَذانَ ليقاتلوا طاهرَ بن الحسين بن مُصعب ومنْ مَعَهُ من الخراسانيَّة ؛ فلما اقتربوا منهم تواجهوا فتقاتلوا قتالاً شديداً ، حتى كثرتِ القتلى بينهم ، ثم انهزم أصحابُ عبد الرحمن بنِ جَبَلة ، فلجؤوا إلى هَمَذان ، فحاصرَهم بها طاهرٌ حتى اضطرَّهم إلى أنْ دَعَوْا إلى الصُّلح ، فصالحهم وأمَّنَهم ، ووَفَى لهم ؛ وانصرف عبدُ الرحمن بن جبلة على أن يكونَ راجعاً إلى بغداد ، ثم غدَروا بأصحابِ طاهر ، وحملوا عليهم وهم غافلون ، فقتَلوا منهم خلقاً ،

وصبَرَ لهم أصحابُ طاهر ، ثم نهضوا إليهم وحملوا عليهم فهزموهم . وقُتل أميرُهم عبد الرحمن بن جَبَلة ، وفرَّ أصحابُهُ خائبين .

فلما رجعوا إلى بغداد اضطربتِ الأمور ، وكثرتِ الأراجيف ، وكان ذلك في ذي الحجَّة من هذه السنة ، وطرَدَ طاهرٌ عُمَّالَ الأمين عن قَزْوينَ وتلك النواحي ، وقَوِيَ أمرُ المأمون جدّاً بتلك البلاد . وفي ذي الحجَّة من هذه السنة ظهر أمرُ السُّفْيَانيِّ بالشام ، واسمه علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فعزَلَ نائبَ الشام عنها ، ودَعَا إلى نفسِه ؛ فبعث إليه الأمينُ جيشاً فلم يقدموا عليه ، بل أقاموا بالرَّقَّة . ثم كان من أمرِه ما سنذكرُه .

وحجَّ بالناسِ فيها نائبُ الحجاز داودُ بن عيسى .

وفيها كانتْ وفاةُ جماعةٍ من الأعيان ، منهم :

إسحاق بن يوسف الأزرق(١) : أحد أئمة الحديث . روى عنه أحمد وغيره . ومنهم :

بَكَّار بن عبد الله(٢) بن مصعب بن ثابت بن عبدِ الله بن الزُّبير . كان نائبَ المدينةِ للرشيد ثنتَيْ عشرةَ سنةً وشهراً ؛ وقد أطلق الرشيدُ على يدَيْهِ لأهلِها ألفَ ألفِ دينار ومئتي ألفِ دينار . وكان شريفاً جواداً معظَّماً .

وفيها توفي :

أبو نُوَاس الشاعر(٣) : واسمُهُ الحسن بن هانىء بن صباح بن عبد الله بن الجرَّاح بن هِنب بن ددة بن غَنْم بن سُليم بن حَكَم بن سعد العشيرة بن مالك بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّىء بن أُدَد بن شبيب بن [عمر بن] سبيع بن الحارث بن زيد بن عدي بن عوف بن زيد بن هميسع بن عمرو بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان بن عابِر بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٣١٥) ، التاريخ الكبير (١/ ٤٠٦) ، الكنى والأسماء لمسلم (٢/ ٧٤٢) ، الجرح والتعديل (٢/ ٢٢٨) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٥٢) ، رجال صحيح البخاري للكلاباذي (١/ ٧٩) ، رجال مسلم لابن منجويه (١/ ٥٤) ، تاريخ بغداد (٦/ ٣١٩) ، تهذيب الكمال (٢/ ٤٩٦) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧١) ، تهذيب التهذيب (١/ ٢٢٥) ، تقريب التهذيب (١٠٤) ، طبقات الحفاظ (١٣٨) .

(٢) ترجمته في الجرح والتعديل (٣/ ٥٨٥) ، الثقات لابن حبان (٦/ ١٠٧) .

(٣) ترجمته في الأغاني (٢٠/ ٧١) ، تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٦) ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٣/ ٤٠٧) ، المنتظم لابن الجوزي (١٠/ ١٦) ، الكامل لابن الأثير (٥/ ٣٧٩) ، وفيات الأعيان (٢/ ٩٥) ، بغية الطلب في تاريخ حلب (١٠/ ٤٦٤٥) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٧٩) ، ميزان الاعتدال (٧/ ٤٣٦) ، العبر (١/ ٣٢١) ، لسان الميزان (٢/ ٢٨٥ ، و٧/ ١١٥) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٥٦) ، شذرات الذهب (١/ ٣٤٥) .

نوح . كذا نسَبَهُ عبدُ الله بن [أبي] سعد الورّاق(١) ، نسَبَه إلى ولاءِ الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمي . ويقال له أبو نُوَاس البَصْري ، كان أبوهُ من أهلِ دمشق ، من جُندِ مروانَ بنِ محمد ، ثم صار إلى الأهواز ، وتزوَّج امرأةً يُقال لها جلبان ، فولَدَتْ له أبا نُوَاس وابناً آخر يُقال له أبو مُعاذ .

ثم صار أبو نواس إلى البصرة ، فتأدَّبَ بها على أبي زيد وأبي عُبيدة . وقرأ كتابَ سِيبَوَيْه ، ولزم خَلَفاً الأحمر ؛ وصحب يونُسَ بن حَبيب الجَرْميَّ النَّحْوي .

وقد قال القاضي ابنُ خَلِّكان(٢) : صحب أبا أسامة والبةَ بن الحُبَاب الكوفي .

ورَوَى الحديث عن أزهرَ بنِ سعد ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وعبد الواحد بن زياد ، ومعتمر بن سليمان ، ويحيى القطَّان . وعنه محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي . وحدث عنه جماعةٌ منهم الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وغُنْدَر ، ومشاهيرُ العلماء .

ومن مشاهيرِ حديثِهِ ما رواه محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي ، [عن الحسن بن هانىء] ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يموتنَّ أحدُكم إلاَّ وهو يُحسنُ الظنَّ بالله ، فإنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بالله ثَمَنُ الجنَّة »(٣) .

وقال محمد بن إبراهيم : دخلنا عليه وهو في الموت ، فقال له صالح بن علي الهاشمي : يا أبا علي ، أنت اليومَ في آخرِ يومٍ من أيام الدنيا ، وأولِ يومٍ من أيامِ الآخرة ، وبينك وبين الله هَنَاتٌ(٤) ، فتُبْ إلى الله من عَمِلك . فقال : إيَّاي تُخَوِّفَ بالله ؟! أسنِدُوني . قال : فأسندناه . فقال : حدثني حماد بن سَلَمة ، عن يزيد الرَّقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لِكُلِّ نبيٍّ شفاعةٌ ، وإني اختبأتُ شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أمتي يومَ القيامة »(٥) . ثم قال : أفلا تراني منهم ؟ .

---

(١) ترجمة الوراق هذا في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٥) . ومابين معقوفين منه ، ومن نسب أبي نواس في تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٦) . وقد سقط هذا النسب من (ق) ، وهو مثبت في (ب ، ح) .

(٢) في وفيات الأعيان (٢/ ٩٥ ، ٩٦) .

(٣) إسناده ضعيف جداً ، فإن راويه عن محمد بن إبراهيم بن كثير هو إسماعيل بن علي الصيرفي ، وهو غير ثقة ، وأبو نواس غير أهل لرواية الحديث . وهذا الحديث نقله المؤلف من تاريخ دمشق لابن عساكر الذي نقله من معجم ابن جميع الصيداوي (٣٠١) حيث رواه من طريق ثابت عن أنس ، وما أظنه إلا واهماً ، فهذا الحديث ساقه الخطيب بالإسناد نفسه في ترجمة محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي من تاريخ (٢/ ٢٨٣ بتحقيقنا) ولكنه ذكره من حديث حماد ، عن يزيد الرقاشي عن أنس ، وهو الصواب ، ويزيد ضعيف .
على أن الشطر الأول من متن الحديث صحيح من حديث جابر بن عبد الله ، فهو عند مسلم (٨/ ١٦٥) (٢٨٧٧) وغيره ، وينظر تمام تخريجه في تعليقنا على ابن ماجه (٤١٦٧) وتاريخ الخطيب (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) (بشار) .

(٤) « هنات » : خِصالُ شرّ ، مفردها هَنَة . النهاية في غريب الحديث (هنو) .

(٥) إسناده ضعيف من هذا الوجه ، ورواية يزيد الرقاشي عن أنس لهذا الحديث غريبة غير محفوظة ، والمحفوظ رواية=

وقال أبو نُوَاس : ما قلتُ الشعر حتى رَوَيتُ عن ستين امرأةً ، منهنَّ خنساء ، وليلى ، فما ظنُّكَ بالرجال ؟ .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت : إذا رويتَ الشعرَ عن امرىء القيس والأعشى من أهلِ الجاهلية ، ومن الإسلاميِّين جريرٍ والفرزدق ، ومن المُحدَثين عن أبي نُواس فحسبُك .

وقد أثنى عليه غيرُ واحد ، منهم الأصمعيّ ، والجاحظ ، والنَّظّام .

قال أبو عمرو الشيباني : لولا أنَّ أبا نواس أفسَدَ شعرَهُ بما وَضَعَ فيه من الأقذار لاحتَجَجْنا به . يعني شعرَه الذي قاله في الخمريَّات والمُرْدَان ـ وقد كان يَميلُ إليهم ـ ونحو ذلك مما هو معروفٌ في شعرِه .

واجتمع طائفةٌ من الشعراء عند المأمون ، فقيل لهم : أيُّكم القائل :

فلمّـا تَحَسَّـاهـا وقَفْنـا كـأنَّنـا نَرَى قمراً في الأرضِ يبلُغُ كوكبا[(١)] ؟

قالوا : أبو نواس . قال : فأيُّكم القائل :

إذا نزلَتْ دون اللَّهَاةِ من الفتى دعَا هَمّهُ عن قلبهِ برَحِيلِ[(٢)] ؟

قالوا : أبو نواس . قال : فأيُّكم القائل :

فتمشَّـتْ فـي مَفَـاصِلِهـم كتمَشِّي البُرْءِ في السَّقَمِ[(٣)] ؟

قالوا : أبو نواس . قال : فهو أشعَرُكم .

وقال سفيانُ بن عُيينةَ لابن مناذِر : ما أشعرَ ظريفَكُمْ أبا نُوَاسٍ في قوله :

يـا قمـراً أبصـرتُ فـي مَـأتَـم يَنْـدُبُ شَجْـواً بيـنَ أتـرابِ
أبْـرَزَهُ المـأتَـمُ لـي كـارهـاً بـرَغْـمِ ذي بـابٍ وحُجَّـاب
يَبْكي فيَذْري الدُّرَّ من عينه ويَلْطِـمُ الـوَرْدَ بِعُنَّـابِ

= ثابت عن أنس ، أخرجه الطيالسي (٢٠٢٦) والترمذي في الجامع (٢٤٣٥) ، والبزار كما في كشف الأستار (٣٤٩٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٢٨٤) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢٧٠) ، وابن حبان (٦٤٦٨) ، والطبراني في الأوسط (٨٥١٣) ، والحاكم (١/ ٦٩) ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .
وأخرجه أحمد (٣/ ٢١٣) ، وأبو داود (٤٧٣٩) ، وابن خزيمة في التوحيد ٢٧١ ، والحاكم (١/ ٦٩) من حديث أشعث المداني عن أنس (بشار) .

(١) لم أجد البيت في ديوان أبي نواس بهذا اللفظ ، والذي فيه ص(٣٧) :
إذا عبَّ فيها شاربُ القَوْمِ خِلْتهُ يُقَبِّـلُ فـي داجٍ مـن الليـل ، كَـوْكَبـا

(٢) البيت في ديوان أبي نواس ص(٤٨٢) .

(٣) البيت في ديوان ص(٥٣٧) .

لا زالَ مَـوْتـاً دَأْبُ أحبابِـهِ ولـم تَـزَلْ رُؤْيَتُـهُ دابـي[١]

قال ابنُ الأعرابي : أشعَرُ الناسِ أبو نُوَاس في قوله :

تغَطَّيْتُ من دَهْري بظِلِّ جناحِهِ فعيني تَرَى دهري وليس يَرَاني
فلو تسألُ الأيامَ عنِّيَ ما دَرَتْ وأين مكاني ما عَرَفْنَ مكاني[٢]

وقال أبو العتاهية : قلتُ في الزُّهْد عشرينَ ألفَ بيت ، وَدِدْتُ أنَّ لي مكانَها الأبياتَ الثلاثةَ التي قالها أبو نُوَاس ، وهي هذه ، وكانتْ مكتوبةً على قبرِه :

يـا نُـوَاسِـيُّ تَـوَقَّـرْ أو تَغَيَّـرْ أو تَصَبَّـرْ
إنْ يَكُـنْ سـاءَكَ دَهـرٌ فلَمَـا سَـرَّكَ أكْثَـرْ
يـا كثيـرَ الـذَّنْبِ عَفْـوُ اللهِ مـن ذَنْبِـكَ أكْبَـرْ[٣]

ومن شعرِ أبي نُوَاس يَمدَحُ بعضَ الأمراء :

أوجَـدَهُ اللهُ فمـا مِثْلُـهُ لطـالِـبِ ذاكَ ولا نـاشِـدِ
وليـس للهِ بِمُسْتَنْكَـرٍ أنْ يَجمعَ العالَمَ في واحِدِ[٤]

وأنشدوا لسفيانَ بنِ عُيينة قولَ أبي نواس :

مـا هَـوَى إلاَّ لـه سَبَـبُ يبْتَـدي منـهُ ويَنْشَعِـبُ
فتَنَـتْ قلبـي مُحجَّبَـةٌ وجْهُهـا بـالحُسْـنِ مُنْتَقِـبُ
حَلِيَـتْ والحُسْـنُ تـأخـذُهُ تنْتَقـي منـه وتَنْتَخِـبُ
فـاكتسَـتْ منـهُ طـرائفَـهُ واستـرَدَّتْ بعضَ مـا تَهَـبُ
فَهْـيَ لـو صَيَّـرْتُ فيـه لَهَـا عـوْدةً لـم يَثْنِهـا أرَبُ
صـار جِـدّاً مـا مَـزَحْـتُ بِـهِ ربَّ جِـدٍّ جَـرَّهُ اللَّعِـبُ[٥]

فقال ابنُ عُيينة : آمنتُ بالذي خلَقَها .

---

(١) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٥٣) بألفاظ مقاربة .
(٢) البيتان في ديوان أبي نواس ص(٦٥٠) .
(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٣٤٨) . وهي في تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٥٩ ، ٤٦٠) ، وفيه زيادة بيت وهو :
أكثـرُ العصيـانِ لله فـي أصْـ ـغَـرِ عفـوِ الله يَصْغَـرْ
(٤) البيتان من قصيدة في ديوان أبي نواس ص(٢١٨) .
(٥) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٥١) .

وقال ابنُ دُريد : قال أبو حاتم : لو أنَّ العامَّةَ بدَّلَتْ هذَيْنِ البيتين لكتبتُهما بماءِ الذهب[(١)] :

ولو أني استزَدْتُكَ فوقَ ما بي ... من البَلْوَى لأعْوَزَكَ المزيدُ
ولو عُرِضَتْ على الموتى حياتي ... بعيشٍ مثل عيشي لم يُريدوا

وقد سمع أبو نُواس حديثَ سُهيل ، عن أبي صالح[(٢)] ، عن أبي هُريرة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « القلوبُ جُنودٌ مُجنَّدة ، فما تعارَفَ منها ائتلَفَ ، وما تَناكَرَ منها اختلف »[(٣)] . فنظم ذلك في قصيدةٍ له فقال :

إنَّ القلوبَ لأجنادٌ مُجَنَّدةٌ ... لله في الأرضِ بالأهواءِ تعترِفُ
فما تناكَرَ منها فهو مختلفٌ ... وما تعارَفَ منها فهو مؤتلفُ[(٤)]

ودخل يوماً أبو نواس مع جماعةٍ من المحدِّثين على عبدِ الواحد بن زياد فقال لهم عبدُ الواحد : لِيَخْتَرْ كلُّ واحدٍ منكم عشرةَ أحاديث أُحدِّثُه بها . فاختار كلُّ واحدٍ عشرةً إلاَّ أبا نُواسَ ، فقال له : ما لَكَ لا تختارُ كما اختاروا فأنشأ يقول :

ولقد كُنَّا رَوَيْنا ... عن سعيدٍ عن قَتَادهْ
عن سعيدِ بنِ المُسَيَّـ ... ـبِ ثم ابنِ عُبَادَهْ[(٥)]
وعن الشعبيِّ والشَّعْـ ... ـبِيُّ شيخٌ ذو جَلادَهْ
وعن الأخيارِ نَحْكيـ ... ـهِ وعَنْ أهْلِ الإفادَهْ
أنَّ مَنْ ماتَ مُحِبّاً ... فلَهُ أجْرُ شَهَادَهْ[(٦)]

---

(١) زادت نسختا (ب ، ح) ما نصّه : وهما لأبي نواس . ولم أجدهما في ديوانه .
(٢) كذا في الأصول ، وفي تاريخ بغداد (٤/ ٣٥١) : « سهيل بن أبي صالح عن أبيه » .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١) (٢٦٣٨) ، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٢) (٦١٦٨) ، وأبو داود (٤/ ٢٦٠) (٤٨٣٤) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٥١) ، ولفظهم جميعاً « الأرواح جنود . . . » .
(٤) البيتان في ديوان أبي نواس ص(٤٢٢) .
(٥) في الأصول : ثم « سعد بن عبادة » ، ولا يستقيم به وزن البيت .
(٦) كذا روى الخبر والأبيات الخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ٤٣٨) ، ولم نجد الأبيات في ديوان أبي نواس ، وهي في ديوان محيي الدين بن عربي ص(٣٩١) بألفاظ مقاربة وزيادة ، وهي :

حدّث الشيخُ أبونا ... عن أبيه عن قتادَهْ
عن عطاءِ بنِ يسارٍ ... عن سعيد بن عُبَادَهْ
إنَّ مَنْ مات محبّاً ... فله أجرُ الشهادَهْ
ثم قد جاء بأخرى ... مثلَ هذا وزيادَهْ
عن فُضيلِ بنِ عياضٍ ... وهو من أهل الزيادَهْ
إنَّ مَنْ مات خليّاً ... كانتِ النار مِهَادَهْ

فقال له عبدُ الواحد : قُمْ عَنِّي يا فاجر ، لا حدَّثْتُكَ ولا حدَّثْتُ أحداً من هؤلاءِ من أجلِك . فبلغ ذلك مالكَ بنَ أنس وإبراهيمَ بن أبي يحيى ، فقالا : كان ينبغي أن يُحدِّثَه ، لعلَّ الله أن يُصْلِحَه . قلت : وهذا الذي أنشَدَهُ أبو نُواس في شعره قد رواهُ ابنُ عديٍّ في كامِلِه عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً « منْ عَشِقَ فعَفَّ فكتَمَ فماتَ ماتَ شهيداً »(١) .

ومعناه : أنَّ منِ ابتُلي بالعِشْقِ من غيرِ اختيارٍ منه فصَبَرَ ، وعَفَّ عن الفاحشة ، ولم يُفشِ ذلك ، فماتَ بسبب ذلك حَصَل له أجرٌ كثير . فإنْ صَحَّ هذا كان ذلك له نوع شهادة . والله أعلم .

وروى الخطيبُ أيضاً(٢) ، أنَّ شُعبة لَقِيَ أبا نواس فقال له : حدِّثْنا من طُرَفِك . فقال مرتجلاً(٣) :

حـدثنـا الخفَّـافُ عـن وائـلِ ... وخـالـدُ الحـذَّاءُ عـن جـابِـرِ
ومِسْعـرٌ عـن بعضِ أصحابِه ... يـرفعُـهُ الشيـخُ إلـى عـامِـرِ
قالوا جميعاً : أيُّما طَفْلَةٍ(٤) ... عُلِّقَهـا ذو خُلُـقٍ طـاهـرِ
فـواصلَتْـهُ ثـم دامَـتْ لَـهُ ... على وِصَالِ الحافِظِ الذاكرِ
كـانـت لـه الجنـة مفتـوحـةً ... يَـرْتـعُ فـي مـرتَعِهـا الـزاهـرِ
وأيُّ مَعْشـوقٍ جَفَـا عـاشقـاً ... بعـدَ وِصَـالٍ دائـمٍ نـاضِـرِ
ففـي عـذابِ الله بُعـداً لَـه ... نَعَـمْ وسُحـقٍ دائـمٍ داخِـرِ

فقال له شعبة : إنك لجميل الأخلاق ، وإني لأرجو لك .

وأنشد أبو نُواس أيضاً :

يـا سـاحـرَ المُقْلَتَيْـنِ والجيـدِ ... وقـاتِلـي منـكَ بـالـمـواعيـدِ
تُوعِدُني الوَصْلَ ثم تُخْلِفُني ... فلا تَفي منه لي بمَوْعُودي(٥)

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٢٩٧) ، وابن حبان في كتاب المجروحين (١/ ٣٥٢) (٤٥٦) ، وعده بعضُهم من الموضوعات ، وانتصر له آخرون ، وانظر نقد المنقول لمحمد بن أبي بكر الزرعي ص(١٣٢) (٢٢٤) ، والمنار المنيف ص(١٤٠) (٣٢١) ، وكشف الخفا (٢/ ٣٤٥ ، ٣٤٦) ، وفيض القدير (٦/ ١٨٠) ، فهو حديث غير صحيح .

(٢) في تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٩) .

(٣) في (ق) : تحولت الأبيات إلى نثر ، وربما ضلَّلتْ كتابتها نثراً جامعي ديوان أبي نواس ، فلم يثبتوها فيه .

(٤) « الطَّفْلة » : الجارية الرَّخْصةُ الناعمة . لسان العرب (طفل) .

(٥) في (ق) : « ويلاي من خلفك موعودي » ؛ وفي (ب ، ح) : « فوابلائي من مخلف موعودي » ؛ وبكلا الروايتين لا يستقيم وزن البيت من المنسرح ، والمثبت من تاريخ جرجان ص(٥١١) .

حدَّثني الأَزْرَقُ المحدِّثُ عن ... شِمْرٍ وعَوْفٍ عن ابنِ مسعودِ[١]
ما يُخْلِفُ الوَعْدَ غيرُ كافرةٍ ... وكـافِرٍ فـي الجحيـمِ مَصْفُـودِ

فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال : كذَبَ عدوُّ الله عليَّ وعلى التابعين ، وعلى أصحابِ محمدٍ ﷺ .

وعن سُليم بن منصور بن عمار ، قال : رأيتُ أبا نُوَاس في مجلس أبي يبكي بكاءً شديداً ، فقلت : إني لأرجو أنْ لا يُعذِّبَكَ الله بعدَ هذا البكاء . فأنشأ يقول :

لم أبكِ في مجلسِ مَنْصُورِ ... شَـوْقـاً إلـى الجنَّـةِ والحُـورِ
ولا مِـنَ القَبْـرِ وأهـوالِـهِ ... ولا مـن النَّفْخَـةِ فـي الصُّـورِ
ولا مـنَ النـارِ وأغـلالِهـا ... ولا مِـنَ الخِـذْلانِ والجَـوْرِ
لكـنْ بُكـائـي لبُكـا شـادنٍ ... تَقِيـه نفسـي كـلَّ مَحْـذورِ[٢]

ثم قال : إنما بكيتُ لبكاء هذا الأمردِ الذي إلى جانبِ أبيك . وكان صبيّاً حسنَ الصورة ، يسمعُ الوَعْظَ فيبكي خوفاً من الله عزَّ وجلَّ .

قال أبو نواس : دعاني يوماً بعضُ الحاكَةِ وألحَّ عليَّ ليُضِيفني في مَنْزِله ، ولم يزلْ بي حتى أجبتُه ؛ فسار إلى مَنْزله وسرتُ معه ، فإذا مَنْزلٌ لا بأسَ به ، وقد احتفَلَ الحائكُ في الطعام ، وجمع جمعاً من الحُيَّاك ، فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا سيدي أشتهي أنْ تقولَ في جاريتي شيئاً من الشعر ـ وكان مُغرَماً بجاريةٍ له ـ قال : فقلت : أرنيها حتى أنظمَ على شكلِها وحُسْنِها . فكشف عنها فإذا هي أَسْمجُ خَلْقِ اللهِ وأوحَشُهم ، سوداء ، شَمْطاء ، ديدانيّة[٣] ، يسيلُ لُعابُها على صدرها ، فقلت لسيدها : ما اسمُها ؟ فقال : تسنيم . فأنشأتُ أقول :

أسهَـرَ ليلـي حُـبُّ تَسْنِيـمِ ... جـاريـةٍ فـي الحُسْـنِ كـالبُـومِ
كـأنَّمـا نَكْهَتُهـا كـامـخٌ ... أو حُـزمـةٌ مـن حُـزَمِ الثُّـومِ
ضرَطَتْ من حُبِّي لها ضَرْطَةً ... أفـزَعَـتْ منهـا مَلِـكَ الـرُّومِ

(١) في تاريخ جرجان : « ... عن عمرو بن شمر عن ابن مسعود » ، وفي (ق) : « ... عن شهر وعوف عن ابن مسعود » . والمثبت من (ب ، ح) . ولم نجد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع .

(٢) البيت الأول والأخير في ديوان أبي نواس ص(٣٠١) . أما الثاني والثالث فلا وجود لهما فيه ، وتفردت (ق) بالبيت الثالث إذ سقط من (ب ، ح) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٤٣٩) ، والخبر فيه .

(٣) كذا في (ق) ، وفي (ب) : دندانية ، وهي غير معجمة في (ح) ، ولم أقف على معناها ، ولا على مصدر يذكر الخبر أو الشعر . ولعلّه نسبَها إلى الدُّود .

قال : فقام الحائكُ يرقُصُ ويصفِّقُ سائرَ يومِه ، ويفرَحُ ويقول : إنه شبَّهها والله بمَلِك الرُّوم . ومن شعرِهِ أيضاً :

أبْرَمني الناسُ يقولونَ تُبْ ... بزَعْمِهِمْ كَثَّرْتُ أوْزَارِيَهْ[١]

إنْ كنتُ في النارِ وفي جنَّةٍ ... ماذا عليكم يا بني الزَّانِيَهْ

وبالجملة ، فقد ذكروا له أموراً كثيرةً ومجوناً وأشعاراً مُنكرة ؛ وله في الخمريات والقاذورات والتشبيب بالمُرْدانِ والنِّسوان أشياءُ بشعةٌ شَنيعة . فمن الناس منْ يُفَسِّقُه ويَرْميهِ بالفاحشة ؛ ومنهم من يرميه بالزَّنْدَقة ؛ ومنهم من يقول : كان إنما يخرب على نفسه . والأول أظهر ، لمَا في أشعارِهِ . فأمَّا الزندقةُ فبعيدةٌ عنه ، ولكنْ كان فيه مُجون وخلاعةٌ كثيرة . وقد عزَوْا إليه في صِغَرِه وكِبَرِه أشياء مُنكَرَة ، الله أعلمُ بصِحَّتِها . والعامَّةُ تنقلُ عنه أشياء كثيرةً لا حقيقةَ لها . وفي صحنِ جامعِ دمشق قُبَّةٌ يَفُورُ منها الماء ، يقولُ الدماشقة : قبة أبي نُواس ، وهي مبنيَّةٌ بعدَ موتِهِ بأزيَدَ من مئةٍ وخمسين سنة ؛ فما أدْري لأيِّ شيءٍ نُسبَتْ إليه ، فالله أعلمُ بِهذا .

وقال محمد بن أبي عمير : سمعتُ أبا نُواسٍ يقول : والله ما فتحتُ سراويلي لِحَرامٍ قَطّ .

وقال له محمدٌ الأمينُ بنُ الرشيد : أنتَ زِنْديق . فقال : يا أمير المؤمنين ، لستُ بِزْنديق ، وأنا أقول :

أُصلِّي الصلاةَ الخمسَ في حينِ وقتِها ... وأشهدُ بالتوحيدِ للهِ خاضعا

وأُحسنُ غُسْلي إنْ ركبتُ جَنَابةً ... وإنْ جاءني المسكينُ لم أكُ مانعا

وإنِّيَ إنْ حانتْ من الكاسِ دعوةٌ ... إلى بيعةِ الساقي أجبتُ مسارعا

وأشْرَبُها صِرْفاً على جَنْبِ ماعزٍ ... وجَدْيٍ كثيرِ الشَّحْمِ أصبح راضعا

وجُوذابِ حُوَّارَى ولَوْزٍ وسُكَّرٍ ... وما زال للخمَّارِ ذلك نافعا

وأجعَلُ تَخْليطَ الروافِضِ كلِّهم ... لِفَقْحةِ بَخْتَيْشُوعَ في النار طائعا

فقال له الأمين : ويحك ! وما الذي ألجأك إلى فَقْحةِ بَخْتَيشُوع ؟ فقال : به تَمَّتِ القافية . فأمَرَ له بجائزة . وبَخْتَيشوعُ الذي ذكرَهُ هو طبيبُ الخلفاء .

وقال الجاحظ : لا أعرفُ في كلام الشعراءِ أرَقَّ ولا أحسَنَ من قولِ أبي نُواس حيث يقول :

أيَّةُ نارٍ قَدَحَ القادِحُ ... وأيُّ جدٍّ بلَغَ المازِحُ

---

(١) ليس الشعر في ديوان أبي نواس ، وفي (ح ، ق) : « يقولون بزعمهم » ، وفي (ب) : « تب عمهم » . وما أثبتُّه أشبه بالصواب وزناً ومعنًى .

لله دَرُّ الشَّيْبِ من واعظٍ وناصحٍ لو حَذِرَ[(١)] الناصحُ
يأبَى الفتى إلاَّ اتباعَ الهوَى ومَنْهَجُ الحَقِّ لَهُ واضِحُ
فاسْمُ بعَيْنَيْكَ إلى نِسْوَةٍ مُهورُهُنَّ العَمَلُ الصَّالِحُ
لا يَجْتَلي الحوراءَ في خِدْرِها إلاَّ امرؤٌ ميزانُهُ راجِحُ
مَنِ اتَّقَى الله فذاكَ الذي سِيقَ إليه المَتْجَرُ الرابحُ
فاغْدُ فما في الدِّين أُغْلوطةٌ ورُحْ لما أنتَ لَهُ رائحُ[(٢)]

وقد استنشَدَهُ أبو هَفَّان قصيدَتَهُ التي في أوَّلِها : « لا تنس ليلى ولا تطرب إلى هند »[(٣)] . فلما فرَغَ منها سجَد له أبو هَفَّان ، فقال له أبو نُوَاس : واللهِ لا أُكَلِّمُكَ مُدَّةً . قال : فغَمَّني ذلك ، فلما أردتُ الانصراف قال : متى أراك ؟ فقلت : ألم تُقسِمْ ؟ فقال : الدهرُ أقصرُ من أنْ يكونَ معه هَجْر .

ومن مُستجادِ شعرِه قولُه :

ألا رُبَّ وَجْهٍ في التُّرابِ عَتِيقِ ويا رُبَّ حُسْنٍ في التُّرابِ رَقيقِ
ويا رُبَّ حَزْمٍ في التُّرابِ ونَجْدَةٍ ويا رُبَّ رأيٍ في التُّرابِ وَثيقِ
فقُلْ لِقَريبِ الدارِ إنك ظاعِنٌ إلى سَفَرٍ نائي المَحلِّ سَحِيقِ
أرى كلَّ حَيٍّ هالكاً وابنَ هالكٍ وذا نَسَبٍ في الهالكينَ عَريقِ
إذا امتَحَنَ الدنيا لَبيبٌ تكشَّفَتْ له عن عدوٍّ في لباسِ صَدِيقِ[(٤)]

وقوله :

لا تشرَهَنَّ فإنَّ الذُّلَّ في الشَّرَهِ والعِزُّ في الحِلْمِ لا في الطَّيْشِ والسَّفَهِ
وقلْ لِمُغْتَبِطٍ في التِّيهِ من حُمُقٍ لو كنتَ تعلَمُ ما في التِّيهِ لم تَتِهِ
التِّيهُ مَفْسَدةٌ للدِّينِ مَنْقَصَةٌ للعقلِ مَهْلَكةٌ للعِرْضِ فانتَبِهِ[(٥)]

وجلس أبو العتاهية القاسم بن إسماعيل على دُكَّانِ ورَّاق ، فكتب على ظهر دفترٍ هذه الأبيات :

أيا عجباً كيف يُعْصَى الإلـ ـهُ أمْ كيف يَجْحَدُهُ الجاحِدُ

---

(١) في (ق) : « خطىء » ، وفي الديوان : « سمع » ، والمثبت من (ب ، ح) .
(٢) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(١٧٥) .
(٣) كذا في (ب ، ح) ، وفي (ق) : « لا تنس ليلى ولا تنظر إلى هند » . والقصيدة في ديوان أبي نواس ، ومطلعها :
لا تَبْكِ ليلى ولا تطرَبْ إلى هندِ واشرَبْ على الوَرْدِ من حَمْرَاءَ كالوَرْدِ
(٤) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٤٦٥) .
(٥) لم أجد الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع .

وفـي كـلِّ شـيءٍ لَـهُ آيـةٌ تَـدُلُّ علـى أنَّـهُ واحِـدُ
وللهِ فـي كـلِّ تَسْكِينـةٍ وتَحْرِيكـةٍ أبداً لـه شاهِـدُ[١]

ثم جاء أبو نُواس فقرأها ، فقال : أحسَنَ قاتَلَهُ الله ، والله لوَدِدْتُ أنَّها لي بجميع شيءٍ قلتُه ؛ لِمَنْ هذه ؟ قيل له : لأبي العتاهية . فأخذ الدفترَ فكتَبَ في جانبِها :

سبحـانَ مـنْ خلَـقَ الخلْـ ـقَ مِـنْ ضَعيـفٍ مَهيـن
يَسـوقُـهُ مـن قَـرَارٍ إلـى قـرارٍ مَكِيـنِ
يَحُـورُ شيئـاً فشيئـاً فـي الحُجْـبِ دون العيـونِ
حتـى بَـدَتْ حَـرَكـاتٌ مَخْلـوقَـةٌ مـن سُكُـونِ[٢]

ومن شعرِهِ المستجاد قولُه :

انقضَـتْ شِـرَّتي فعِفْـتُ الملاهـي إذْ رَمَـى الشَّيـبُ مَفْـرِقي بـالـدَّوَاهـي
ونَهَتْنـي النُّهَـى فمِلْـتُ إلـى العَـدْ لِ وأشْفَقْـتُ مـن مَقـالـةِ نـاهـي
أيُّهـا الغـافِـلُ المُقِـرُّ علـى السَّهْـ ـوِ ولا عُـذْرَ فـي المعـادِ لِسَـاهـي
لا بـأعمـالِنـا نُطيـقُ خـلاصـاً يـومَ تَبْـدو السمـاءُ فـوقَ الجِبَـاهِ
غيـرَ أنَّـا علـى الإسـاءةِ والتَّفْـ ـرِيطِ نرجو من حُسْنِ عَفْوِ الإلَهِ[٣]

وقوله :

نمـوتُ ونَبْلَـى غيـرَ أنَّ ذنـوبَنـا إذا نحـن مِتنـا لا تمـوتُ ولا تَبْلَـى
ألا رُبَّ ذي عينَيْـنِ لا تنفعـانِـهِ وما تنفعُ العينانِ مَنْ قلبه أعمَى[٤]

وقوله :

لـو أنَّ عينـاً أوْهَمَتْهـا نفسُهـا يـومَ الحسـابِ ممثَّـلاً لـم تَطْـرِفِ
سبحـانَ ذي الملَكُـوتِ أيَّـةُ ليلـةٍ مخضَـتْ صبيحتهـا بيـومِ المَـوْقِـفِ
كتـب الفنـاءَ علـى البـريَّـةِ ربُّهـا فـالنـاسُ بيـن مقـدَّمٍ ومُخلَّـفِ[٥]

وذُكر أنَّ أبا نُواس لَمَّا أراد الإحرامَ بالحجِّ قال :

---

(١) الأبيات في ديوان أبي العتاهية ص(١٢٢) ، وهي في ديوان لبيد بن ربيعة ص(٢٣١) .
(٢) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٦٦٦) .
(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٦٨٨) .
(٤) لم أجد البيتين في ديوان أبي نواس المطبوع ، وهي في تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٥٤) .
(٥) لم أجد الأبيات في ديوان أبي نواس ، والبيتان الأول والثاني في ديوان أبي العتاهية ص(٢٧٦) .

إلَهنـا مـا أعْـدَلَـكْ مَليـكَ كُـلِّ مـنْ ملَـكْ
لَبَّيْكَ قد لبَّيْتُ لك
لبَّيْـكَ إنَّ الحمـدَ لـكْ والمُلْـكَ لا شَـريـكَ لَـكْ
عبـدُكَ قـدْ أهَـلَّ لَـكْ مـا خَـابَ عبـدٌ سـألَـكْ
أنـتَ لَـهُ حيـثُ سَلَـكْ لـولاك يـا ربُّ هَلَـكْ
لَبَّيْـكَ إنَّ الحمـدَ لـكْ وَالمُلْـكَ لا شَـريـكَ لَـكْ
واللَّيْـلُ لَمَّـا أنْ حَلَـكْ والسـابحـاتُ فـي الفَلَـكْ
علـى مَجَـاري المُنْسَلَـكْ كـلُّ نبـيٍّ ومَلَـكْ
وكُـلُّ مـنْ أهَـلَّ لـكْ سَبَّـحَ أو صَلَّـى فَلَـكْ
لبَّيْـكَ إنَّ الحمـدَ لـكْ والمُلْـكَ لا شَـريـكَ لَـكْ
يـا مُخْطئـاً مـا أغْفَلَـكْ عَصَيْـتَ ربّـاً عَـدَلَـكْ
وأقْـدرَكْ وأمْهَلَـكْ عَجِّـلْ وبـادِرْ أمَلَـكْ
واختِمْ بخيرٍ عَمَلَكْ
لبَّيْـكَ إنَّ الحمـدَ لـكْ والمُلْكَ لا شَريكَ لَكْ(١)

وقال المعافَى بنُ زكريَّا الجَريريّ ، حدّثنا محمد بن العباس بن الوليد ، سمعتُ أحمد بن يحيى بن ثعلب يقول : دخلتُ على أحمد بنِ حنبل ، فرأيتُ رجلاً تَهُمُّه نفسُه ، لا يُحبُّ أنْ يُكثر عليه ، كأنَّ النيرانَ قد سُعرَتْ بين يديه ، فما زلتُ أترفَّقُ به ، وتوسَّلتُ إليه أني من موالي شيبان ، حتى كلَّمني فقال : في أيِّ شيءٍ نظَرْتَ من العلوم ؟ فقلت في اللُّغةِ والشِّعر . قال : رأيتُ بالبصرةِ جماعةً يكتبونَ عن رجلٍ الشعر ، قيل لي : هذا أبو نُوَاس فتخلَّلْتُ الناسَ ورائي ، فلما جلستُ إليه أمْلَى علينا :

إذا ما خلَوْتَ الدهرَ يوماً فلا تَقُلْ خلَوْتُ ولكنْ في الخلاءِ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفُـلُ سـاعـةً ولا أنَّ مـا يَخْفَـى عليـه يَغيـبُ
لَهَـوْنـا لَعَمْـرُ اللهِ حتى تتابَعَـتْ ذُنـوبٌ علـى آثـارِهـنَّ ذُنـوبُ
فيـا لَيْـتَ أنَّ الله يَغفِـرُ ما مَضَـى ويـأذنُ فـي تَـوْبـاتِنـا فنَتُـوبُ(٢)

---

(١) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٤٨١) ، وقد سقط منها بضعة أبيات ، وكذا سقط من بعض الأصول ، فأثبتُّ ما جاء فيها جميعاً . وهي مع الخبر في تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٥٤ ، ٤٥٥) .
(٢) الأبيات الثلاثة الأولى في ديوان أبي نواس ص(١٠٣) ، والأربعة جميعاً في ديوان أبي العتاهية ص(٣٤) وفيها زيادة .

وزاد بعضُهم[١] في روايةٍ عن أبي نُواس بعدَ هذه الأبيات :

أقولُ إذا ضاقَتْ عليَّ مذاهبي وحلَّتْ بقلبي للهُموم نُدُوبُ
لِطُولِ جِنَاياتي وعُظْم خَطِيئتي هَلَكْتُ ومالي في المتابِ نَصيبُ
وأغرَقُ في بَحرِ المخافَةِ آيساً وتَرْجِعُ نفسي تارةً فتتوبُ
وتذكُرُ عفواً للكريم عن الورَى فأحْيَا وأرجو عَفْوَهُ فأُنيبُ
وأخضَعُ في قولي وأرغَبُ سائلاً عَسَى كاشفُ البَلْوَى عليَّ يتوبُ

قال ابنُ طَرَارا[٢] الجَرِيري : وقد روَيْتُ هذه الأبيات لِمَنْ قبلَ أبي نُواس ، وهي في زُهْدِيَّاتِه ؛ وقد استشهَدَ بها النُّحَاة في أماكنَ كثيرة قد ذكَرْناها .

وقال حسنُ بن الدايَة : دخلتُ على أبي نواس وهو في مَرَضِ الموت فقلت : عِظْني . فأنشأ يقول :

فكَثِّرْ ما استطعتَ من الخطايا فإنك لاقياً رَبّاً غفورا
ستبصِرُ إنْ وردتَ عليه عَفْواً وتَلْقَى سيِّداً مَلِكاً قديرا
تعضُّ ندامَةً كفَّيْكَ مِمَّا تركتَ مخافةَ النارِ الشُّرورا[٣]

فقلت : ويحك ، وبمثلِ هذا الحالِ تَعِظُني بهذه الموعظة ! ، قال : اسكُتْ . حدّثنا حمادُ بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال ﷺ : « ادَّخَرتُ شفاعتي لأهلِ الكبائرِ مِنْ أُمَّتي »[٤] .

وقد تقدَّمَ له بهذا الإسناد عنه : « لا يموتَنَّ أحدُكم إلاَّ وهو يُحسنُ الظنَّ بالله »[٥] .

وقال الربيع وغيرُه ، عن الشافعيِّ قال : دخَلْنا على أبي نُوَاس في اليوم الذي مات فيه وهو يَجودُ بنفسِهِ ، فقلنا : ما أعدَدْتَ لهذا اليوم ؟ فأنشأ يقول :

تَعاظَمَني ذَنبي فلمَّا قَرَنْتُهُ بعَفْوِكَ ربي كان عَفْوكَ أعظَما
وما زلتَ ذا عَفْوٍ عن الذنبِ لم تزَلْ تَجودُ وتعفو مِنَّةً وتكرُّما
ولولاك لم يَغْوَ بإبليس عابدٌ وكيف وقد أغْوَى صَفِيَّكَ آدما

---

(١) هو ابن عساكر في تاريخه تاريخ مدينة دمشق (١٣/٤٥٦ ، ٤٥٧) .
(٢) في (ق) : طراز ، وفي (ب ، ح) طرار . وكلاهما تصحيف ، والمثبت مما مضى في حاشية ص(٧) من نسخة (ق) . وهو المعافى بن زكريا الذي سبق ذكره آنفاً .
(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٣٠٧) بألفاظ مقاربة .
(٤) انظر تخريج الحديث في حاشية الصفحة(٥١٧) رقم (٥) .
(٥) تقدم تخريجه في حاشية الصفحة (٥١٧) رقم (٣) .

رواه ابنُ عساكر(١) . وروى(٢) أنهم وجدوا عند رأسِهِ رُقعةً مكتوباً فيها بخطِّهِ :

يا رَبِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنوبي كثرةً ... فلقد علمتُ بأنَّ عَفْوَكَ أعظَمُ
أدعوكَ رَبِّ كما أَمَرْتَ تضرُّعاً ... فإذا رَدَدْتَ يدي فمنْ ذا يَرْحمُ
إنْ كانَ لا يرجوكَ إلاَّ مُحْسنٌ ... فمَنِ الذي يَرْجو المسيءُ المُجْرِمُ
ما لي إليك وسيلةٌ إلاَّ الرجا ... وجميلُ عَفْوِكَ ثم أنِّي مُسْلِمُ(٣)

وقال يوسف بن الداية : دخلتُ عليه وهو في السِّيَاق ، فقلت : كيف تَجِدُك ؟ فأطرَقَ مَلِيّاً ، ثم رفع رأسه فقال :

دَبَّ فِيَّ الفناءُ سُفْلاً وعُلْواً ... وأُراني أموتُ عُضْواً فعُضْوَا
ليس تأتي من ساعةٍ بِيَ إلاَّ ... نَقَصَتْني بمرِّها بِيَ جُزْوَا
ذهبَتْ جِدَّتي بِلَذَّةِ عَيْشي ... وتذكَّرْتُ طاعةَ اللهِ نِضْوَا(٤)
قد أسأنا كُلَّ الإساءةِ فاللَّـ ... ـهُمَّ صَفْحاً عنَّا وغَفْراً وعَفْوَا(٥)

ثم ماتَ من ساعتِه . سامَحَنا الله وإياه آمين .

وقد كان نقشُ خاتمِهِ : لا إله إلا الله مُخلِصاً . فأوصَى أنْ يُجعَلَ في فَمِه إذا غَسَّلوه ؛ ففعلوا به ذلك . ولما مات لم يجدوا له من المال سوى ثلاثِمئةِ درهم ، وثيابِه وأثاثِه . وقد كانتْ وفاتُه في هذه السنةِ ببغداد ، ودُفن في مقابرِ الشُّونيزيّ ، في تلِّ اليهود ، وله خمسون سنة ، وقيل ستون سنة ، وقيل تسع وخمسون سنة . وقد رآه بعضُ أصحابِه في المنامِ فقال له : ما فعلَ الله بك ؟ فقال : غفَرَ لي بأبياتٍ قلتُها في النَّرْجِس :

تفكَّرْ في نباتِ الأرضِ وانظُرْ ... إلى آثارِ ما صَنَعَ المَليكُ
عيونٌ من لُجَيْنٍ شاخصاتٌ ... بأبصارٍ هي الذهَبُ السَّبيكُ
على قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شاهداتٌ ... بأنَّ الله ليس له شَريكُ(٦)

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٣/ ٤٥٨) .
(٢) المصدر السابق (١٣/ ٤٦١) .
(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٣٠٧) . وهي أيضاً مع الخبر في تاريخ ابن عساكر كما أشرنا في الحاشية السابقة .
(٤) النِّضْو بالكسر : البَعير المهزولِ وقيل : هو المهزول من جميعِ الدوابِ وهو أكثر ، والجمع أنضاءِ وقد يُستعمل في الإنسان . لسان العرب (نضو) .
(٥) الخبر والأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٦٠ ، ٤٦١) . وهي في ديوان أبي نواس ص(٦٩١) .
(٦) الخبر والأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٦٥) ، ولم نجدها في ديوان أبي نواس .

وفي روايةٍ عنه أنه قال: غفَرَ لي بأبياتٍ قلتُها وهي تحت وسادتي. فجاؤوا، فوجدوها برُقْعةٍ في خَطِّه:

يا ربِّ إنْ عَظُمتْ ذُنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأنَّ عَفْوَكَ أعظَمُ

الأبيات وقد تقدَّمَتْ[١].

وفي روايةٍ لابنِ عساكر[٢]: قال بعضُهم: رأيتُه في المنام في هيئةٍ حسنة، ونعمةٍ عظيمة، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفَرَ لي. قلت: بماذا وقد كنتَ مُخلِّطاً على نفسِك؟ فقال: جاء ذاتَ ليلةٍ رجلٌ صالِحٌ إلى المقابر، فبسط رداءه وصلَّى ركعتين، قرأ فيهما ألفَيْ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ثم أهدى ثوابَ ذلك لأهلِ تلك المقابر، فدخلتُ أنا في جُملتِهم، فغفر الله لي.

وقال ابنُ خَلِّكان[٣]: أولُ شعرٍ قاله أبو نُواس لما صحب أبا أُسامة والِبَة بنَ الحُبَاب:

حامِلُ الهوَى تعِبُ يَسْتَخِفُّهُ الطَّرَبُ
إنْ بكَى يحِقُّ لَهُ ليس ما بِهِ لَعِبُ
تضحكينَ لاهِيَةً والْمُحِبُّ يَنْتَحِبُ
تعجبينَ من سَقَمي صِحَّتي هي العَجَبُ[٤]

وقال المأمون: ما أحسنَ قولَه:

وما الناسُ إلا هالِكٌ وابنُ هالِكٍ وذو نَسَبٍ في الهالِكينَ عَريقِ
إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفَتْ له عن عدوٍّ في لباسِ صديقِ[٥]

قال ابن خَلِّكان[٦]: وما أشدَّ رجاءه بربِّه حيثُ يقول:

تكَثَّرْ ما استطعتَ من الخطايا فإنك لاقياً رَبّاً غفورا
ستبصرُ إنْ وردتَ عليه عَفْواً وتَلْقَى سيِّداً مَلِكاً كبيرا
تعَضُّ ندامةً كفَّيْكَ مِمَّا تركتَ مخافةَ النارِ الشُّرورا[٧]

---

(١) في الصفحة السابقة.
(٢) تاريخ ابن عساكر (١٣/ ٤٦٥).
(٣) في وفيات الأعيان (٢/ ٩٥)، وفيه الخبر مطول.
(٤) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٥١)، وفيه بيت خامس وهو:
كُلّما انقَضى سببٌ مِنْكِ عادَ لي سَبَبُ
(٥) البيتان في ديوان أبي نواس ص(٤٦٥)، بألفاظ مقاربة.
(٦) في وفيات الأعيان (٢/ ٩٦)، بنحوه.
(٧) الأبيات في ديوان أبي نواس ص(٣٠٧) بألفاظِ مقاربة، وقد تقدمت في الصفحة السابقة.

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومئة

فيها تُوفي أبو معاوية الضرير محمد بن خازم ، أحد مشايخِ الحديث الثقاتِ الرُّفَعاءِ المشهورين . والوليد بن مسلم الدمشقي تلميذُ الأوزاعي .

وفيها حَبَس محمدٌ الأمينُ أسَد بن يزيد لأجلِ أنه نَقَم على الأمينِ لَعِبَهُ وَتَهاوُنَه في أمرِ الرعيَّة ، وارتكابَهُ للصيد وغيرِهِ في هذا الوقت .

وفيها وجَّهَ الأمينُ عمَّهُ أحمد بن مزيد ، وعبدَ الله بن حُميد بن قَحْطَبة ، في أربعين ألفاً ، مع كلِّ واحدٍ منهما عشرون ألفاً إلى حُلْوان لقتالِ طاهرِ بنِ الحُسين أمير الحرب من جهةِ المأمون ؛ فلما وصلوا إلى قريبٍ من حُلْوان خندقَ طاهرٌ على جيشِه خندقاً ، وجعل يُعملُ الحيلةَ في إيقاعِ الفتنة بين الأميرَيْن ، فاختلفا ، فرجعَا ولم يقاتلاه ، ودخل طاهرٌ إلى حُلْوان ؛ وجاءه كتابُ المأمون بتسليمِ ما تحتَ يدِهِ إلى هَرْثمةَ بنِ أعيَن ، وأن يتوجَّهَ هو إلى الأهواز ؛ ففعل ذلك .

وفيها رفع المأمون وزيرَهُ الفضلَ بن سَهْل وولاَّهُ أعمالاً كباراً ، وسمَّاهُ ذا الرِّيَاسَتَيْن .

وفيها ولَّى الأمينُ نيابةَ الشام لعبدِ الملك بن صالح بن علي ، وقد كان أخرجه من سجنِ الرشيد ، وأمرَهُ أنْ يبعثَ له رجالاً وجنوداً لقتالِ طاهرٍ وهَرْثمة ؛ فلمَّا وصلَ عبدُ الملك بن صالح إلى الرقَّة أقامَ بها ، وكتبَ إلى رؤساء الشام ، يتألَّفُهم ويدعوهم إلى الطاعة ، فقَدِمَ عليه منهم خلقٌ كثير ، ثم وقعَتْ حروبٌ كان مَبْدَؤها من أهلِ حمص ؛ وتفاقم الأمر ، وطال القتالُ بين الناس ، ومات عبدُ الملك بن صالح هنالك ؛ فرجع الجيشُ إلى بغداد صحبةَ الحسين بن علي بن ماهان ، فتلقَّاهُ أهلُ بغدادَ بالإكرام ، وذلك في شهر رجب من هذه السنة ؛ فلما وصل إليها جاء رسولُ الأمين يطلُبُه ، فقال : واللهِ ما أنا بمُسامِرٍ ولا مُضحِك ، ولا وَليتُ له عملاً ، ولا جاء له[1] على يدي مال ، فلماذا يطلُبني في هذه الليلة ؟ .

سبب خلع الأمين بن زُبيدة وكيف أفضَتِ الخلافةُ إلى أخيه المأمون

لما أصبح الحسين بن علي بن ماهان ولم يذهبْ إلى الأمين لمَّا طلبه ، وذلك بعد مَقْدَمِهِ بالجيش من الشام قام في الناس خطيباً وألَّبهم على الأمين ، وذكر لَعِبه وما يتعاطاهُ من اللَّهْو وغير ذلك من المعاصي ، وأنه لا تصلُحُ الخلافةُ لمنْ هذا حالُه ، وأنه يُريد أنْ يُوقع البأسَ بين الناس ، ثم حثَّهم على القيامِ عليه ، والنهوض إليه ، ونَدَبهم لذلك ؛ فالتفَّ عليه خلقٌ كثير ، وجمٌّ غفير ، وبعث محمدٌ الأمين إليه خيلاً فاقتتلوا مَلِيّاً من النهار ، فأمر الحسينُ أصحابَهُ بالترجُّل إلى الأرض ، وأنْ يُقاتلوا بالسيفِ والرِّماح ، فانهزم

(١) في (ق) : « ولا جبى » وفي تاريخ الطبري (٥/ ٦٤) : « ولا جرى له » ، والمثبت من (ب ، ح) .

جيشُ الأمين ؛ وخلَعَه ، وأخذَ البيعةَ لعبدِ الله المأمون ، وذلك يوم الأحد الحادي عشرَ من شهرِ رجب من هذه السنة . ولما كان يومُ الثلاثاء نقل الأمين من قصرِهِ إلى قصرِ أبي جعفر وسطَ بغداد ، وضيَّق عليه وقيَّده واضطهده ، وأمر العباسُ بن عيسى بن موسى أمَّه زُبيدة أن تنتقلَ إلى هناك ، فامتنعَتْ ، فضربَها[١] بالسَّوْط ، وقهرَها على الانتقال ، فانتقلت مع أولادِها ، فلما أصبح الناسُ يومَ الأربعاء طلبوا من الحسين بن علي أُعطيَاتِهم ، واختلفوا عليه ، وصار أهلُ بغدادَ فِرْقَتَيْن ؛ فِرقةٌ مع الأمين ، وفرقةٌ عليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فغلب حِزْبُ الخليفةِ أولئك ، وأَسَروا الحسينَ بن عليّ بن عيسى بن ماهان ، وقيَّدوه ، ودخلوا به على الخليفة ، ففكُّوا عنه قيودَه ، وأجلسوهُ على سريره ؛ فعند ذلك أمَرَ الخليفةُ مَنْ لم يكنْ معه سلاحٌ من العامَّة أنْ يُعْطى سلاحاً من الخزائن ، فانتهبَ الناسُ الخزائنَ التي فيها السلاحُ بسببِ ذلك ؛ وأمر الأمينُ ، فأُتي بالحسين بنِ عليِّ بن عيسى ، فلامَهُ على ما صدَرَ منه ، فاعتذر إليه بأنَّ عفوَ الخليفةِ حَمله على ذلك . فعَفا عنه وخلَعَ عليه واستوزَرَه وأعطاه الخاتم ، وولَّاهُ ما وراءَ بابه ، وولَّاهُ الحَرْب ، وسَيَّرَهُ إلى حُلوان . فلمّا وصل إلى الجسر هرب في حاشيتِهِ وخدَمِه ، فبعث إليه الأمينُ مَنْ يَرُدُّه . فركبتِ الخيولُ وراءَه ، فأدركوه ، فقاتلهم وقاتلوه فقتلوه ، لمنتصف رجب ، وجاؤوا برأسِهِ إلى الأمين ، وجدَّد الناسُ البيعةَ للأمين يومَ الجمعة .

ولما قُتل الحسين بن علي بن عيسى هرب الفضلُ بن الربيع الحاجب ، واستحوذ طاهر بن الحسين على أكثرِ البلاد للمأمون ، واستنابَ بها النُّوَّاب ، وخلعَ أكثرُ أهلِ الأقاليم الأمينَ وبايعوا المأمون ، ودنا طاهرٌ إلى المدائن ، فأخذها مع واسطَ وأعمالِها ، واستناب من جهتِهِ على الحجازِ واليمنِ والجزيرةِ والموصل ، وغير ذلك ، ولم يبقَ مع الأمينِ من البلادِ إلا القليل .

وفي شعبانَ منها عقدَ الأمينُ أربعمَئةِ لواء ، مع كلِّ لـواءٍ أمير ، وبعثَهُم لقتالِ هَرْثَمـة بن أعين ، فالتقَوْا في شهر رمضان ، فكسَرَهم هَرْثَمة ، وأسر مقدَّمَهم عليَّ بن محمد بن عيسى بن نَهيك ، وبعث به إلى المأمون . وهرب جماعةٌ من جُند طاهر ، فساروا إلى الأمين ، فأعطاهم أموالاً كثيرة وأكرمهم ، وغلَّفَ لِحاهُمْ بالغالِيَة[٢] ، فسُمُّوا جيشَ الغالية ، ثم ندَبَهم الأمين ، وأرسل معهم جيشاً كثيفاً لقتالِ طاهر ، فهزمهم طاهرٌ وفرَّق شملَهم ، وأخذ ما كان معهم ، واقترب طاهرٌ من بغداد فحاصرها ، وبعث القُصَّاد والجواسيس ، يُلْقون الفِتْنة بين الجُند ، حتى تفرَّقوا شِيَعاً ، ثم وقع[٣] بين الجيش ، وسعَتِ[٤]

---

(١) في (ب ، ح) : « فقنعها بالسوط » .

(٢) « الغَالية » : نوعٌ من الطِّيب مُركَّب من مِسْك وعَنْبَر وعُود وَدُهْن ، وهي مَعْروفة . والتَّغلُّف بها : التَّلَطُّخ . النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٣) .

(٣) كذا في الأصول ، ولعل الصواب : « أوقع » .

(٤) في (ق) : وتشعبت ، وفي (ب) : وشعث ، والمثبت من (ح) .

الأصاغرُ على الأكابر ، واختلفوا على الأمين في سادس ذي الحِجَّة ، فقال بعضُ البغادِدَة :

قُـلْ لأميـنِ اللهِ فـي نفسِـهِ ما شتَّتَ الجندَ سوى الغالِيَهْ
وطاهرٌ نفسي فدا طاهرٍ بـرُسْلِـهِ والعـدَّة الكـافيـهْ
أضْحَى زمامُ الملكِ في كفِّهِ مقـاتـلاً للفئـةِ البـاغِيَـهْ
يـا نـاكثـاً أسلَمـهُ نَكْثُـهُ عيـوبُـهُ فـي خُبْثِـهِ فـاشِيَـهْ
قـد جـاءك اللَّيْـثُ بشـدَّاتِـهِ مُسْتكلِباً فـي أُسُـدٍ ضـارِيَـهْ
فاهْرُبْ ولا مَهْرَبَ من مثلِهِ إلَّا إلـى النـارِ أوِ الهـاوِيَـهْ

فتفرَّق على الأمين شملُه ، وحار في أمرِه ، وجاء ابنُ الحسين بجيوشِه ، فنَزَل على بابِ الأنبارِ يومَ الثلاثاء ، لثنتي عشرةَ ليلةً خلتْ من ذي الحجَّة . واشتدَّ الحالُ على أهلِ البلد ، وأخافَ الدُّعَّارُ والشُّطَّارُ أهلَ الصلاح ، وخَربتِ الديار ، وثارتِ الفتنةُ بين الناس ، حتى قاتلَ الأخُ أخاهُ للأهواء المختلفة ، والابنُ أباه ، وجرَتْ شرورٌ عَظيمة ، واختلفتِ الأهواء ، وكَثُرَ الفسادُ والقتلُ داخلَ البلد .

وحجَّ بالناس فيها العباسُ بن موسى بن عيسى الهاشميّ من قِبَلِ طاهر ، ودعا للمأمونِ بالخِلافة بمكَّةَ والمدينة ، وهو أولُ مَوْسمٍ دُعي فيه للمأمون .

وفيها تُوفي :

بَقِيَّةُ بن الوليد الحِمصي[(١)] : إمامُ أهلِ حِمصَ وفقيهُها ومُحدِّثُها .

وحَفْصُ بن غِيَاث القاضي[(٢)] : عاش فوق التسعين ، ولما احتُضر بكَى بعضُ أصحابه فقال له : لا تبكِ ، واللهِ ما حللتُ سراويلي على حرامٍ قَطّ ، ولا جلس بين يديَّ خصمان فبالَيْتُ على منْ وقع الحُكم عليه منهما ، قريباً كان أو بعيداً ، مَلِكاً أو سُوقَةً .

---

(١) ترجمته في تاريخ البخاري (٢/ ١٥٠) ، الجرح والتعديل (٢/ ٤٣٤) ، رجال مسلم (١/ ٩٩) ، مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر (١/ ٢٧٢ ، ٤٤٠ ، ٢/ ٤٤٤) ، تهذيب الكمال (٤/ ١٩٢) ، المقتنى في سرد الكنى (٢/ ١٤٢) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٨٩) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٥١٨) ، تهذيب التهذيب (١/ ٤١٦) ، تقريب التهذيب (١٢٦) ، طبقات الحفاظ (١٢٦) .

(٢) ترجمته في التاريخ الكبير (٢/ ٢٧٠) ، الجرح والتعديل (٣/ ١٨٥) ، معرفة الثقات للعجلي (١/ ٣١٠) ، مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، و٢/ ٦٢٥) ، مشاهير علماء الأمصار (١٧٢) ، الثقات لابن حبان (٦/ ٢٠٠) ، رجال مسلم (١/ ١٤٤) ، تهذيب الكمال (٧/ ٥٦) ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٩٧) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢) ، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٥٨) ، تقريب التهذيب (١٧٣) ، طبقات الحفاظ (١٣٠) .

وعبد الله بن مَرْزوق[١] أبو محمد الزاهد ، كان وزيراً للرشيد فترك ذلك كلَّه ، وتزَهَّدَ وأوْصَى عندَ موتِهِ أن يُطرحَ قبلَ مَوْتِهِ على مَزْبلة ، لعلَّ الله أن يرحَمَه .

أبو الشِّيص الشاعر[٢] محمد بن رَزِين بن سليمان[٣] . كان إنشادُ الشعر[٤] وإنشاؤه ونظمُه أسهلَ عليه من شُرب الماء . كذا قال ابنُ خَلِّكان وغيرُه[٥] . وكان هو ومسلم بن الوليد الملقَّب صَريع الغَوَاني ، وأبو نُواس ، ودِعْبِل ، يجتمعونَ ويتناشدون . وقد عَمِيَ أبو الشِّيص في آخرِ عُمرِه . ومن جَيِّد شعرِه قولُه :

وقَفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي ... متـــأخَّـــرٌ عنـــه ولا مُتقـــدَّمُ
أجِـدُ المـلامَـةَ فـي هـواكِ لـذيـذةً ... حُبّـاً لِـذِكـرِكِ فَلْيَلُمْنـي اللُّـوَّمُ
أشبَهْـتِ أعـدائـي فصِـرتُ أُحبُّهـمْ ... إذْ كـانَ حظِّـي منـكِ حَظِّـي منهـمُ
وأهَنْتنـي فـأهنـتُ نفسـي صـاغـراً ... مـا مَـنْ يَهُـونُ عليـكِ ممَّـن يُكْـرَمُ[٦]

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومئة

استُهلَّتْ هذه السنةُ وقد ألحَّ طاهرُ بن الحسين وهَرْثمةُ بن أعْيَن ومنْ معَهما في حصارِ بغداد ، والتضييقِ على الأمين ، وهرَبَ القاسمُ بن الرَّشيد ، وعمُّه منصورُ بن المهدي إلى المأمون ، فأكرَمَهما ، وولَّى أخاهُ القاسمَ جُرْجان ؛ واشتدَّ حصارُ بغداد ، ونُصبَ عليها المَجَانيقُ والعَرَّادات ، وضاقَ الأمينُ بهم ذَرْعاً ، ولم يبقَ معه ما يُنفق في الجُنْد ، فاضطُرَّ إلى ضَرْبِ آنيةِ الفِضَّة والذَّهَبِ دراهمَ ودنانير ؛ وهرَبَ كثيرٌ من جُنده إلى طاهر ، وقُتل من أهلِ البلدِ خلقٌ كثير ، وأُخذتْ أموالٌ كثيرةٌ من التجّار ، وبعث الأمينُ إلى قُصورٍ كثيرة ، ودورٍ شهيرةٍ مزخرفة ، وأماكنَ ومَحالَّ كثيرة فحرَّقَها بالنار ، لمَّا رأى في ذلك من

---

(١) ترجمته في الثقات لابن حبان (٨/ ٣٤٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٣١٧) .

(٢) ترجمته في الأغاني (١٦/ ٤٣٢) ، تاريخ بغداد (٥/ ٤٠١) ، الفهرست (٢٣٠) ، ديوان الحماسة (٢/ ١٤٣) ، المنتظم لابن الجوزي (١٠/ ٣٣) ، نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ٢٦٥) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٥٢) .

(٣) وقيل : محمد بن عبد الله بن رَزين ، وقيل : رزين بن سليمان ، كنيته أبو جعفر . انظر نزهة الألباب في الألقاب (٢/ ٢٦٥) .

(٤) في (ق) : « كان أستاذ الشعراء ، وإنشاء الشعر . . . » ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب ، ح) .

(٥) لم أجد ترجمة لأبي الشيص في وفيات الأعيان ، ولم أجد فيه هذا النص ، وهذا القول منسوب لابن المعتز في الأغاني (١٦/ ٤٣٢ ، ٤٣٣) .

(٦) الأبيات في ديوان أبي الشيص ص(١٠١) . والأبيات أيضاً في ديوان الحماسة (٢/ ١٤٣ ، ١٤٤) ، ولفظه : « ممن أُكرمُ » .

المصلحة ، فعَلَ كلَّ هذا فِراراً من الموت ، ولِتدومَ الخلافةُ له فلم تَدُمْ ، وقُتل ، وخُرِّبَتْ ديارُه كما سيأتي قريباً ، وفعَلَ طاهرٌ مثلَ ما فَعَلَ الأمين ، حتى كادتْ بغدادُ تخربُ بكمالِها ؛ فقال بعضُهم في ذلك :

مـنْ ذا أصابَـكِ يـا بغـدادُ بـالعَيْـنِ … ألـم تكـونـي زمـانـاً قُـرَّةَ العَيْـنِ
ألـم يكـنْ فيـكِ قـومٌ كـان مسكنُهم … وكـان قُـرْبُهـمُ زَيْنـاً مـن الـزَّيْـنِ
صاحَ الغُرابُ بهم بالبَيْنِ فافترقوا … مـاذا لَقِيـتُ بهـم مـن لَـوْعَـةِ البَيْـنِ
أستـودِعُ الله قـومـاً مـا ذكـرْتُهُـمُ … إلاَّ تحـدَّرَ مـاءُ العَيْـنِ مـن عَيْنـي
كـانـوا ففـرَّقهـم دَهْـرٌ وصـدَّعَهُـمْ … والدَّهْرُ يَصْدَعُ ما بين الفَريقَيْنِ[١]

وقد أكثر الشعراءُ في ذلك ، وقد أورد ابنُ جَرير من ذلك طَرَفاً صالحاً ، وأورد في ذلك قصيدةً طويلةً جدّاً ، فيها بَسْطُ ما وَقَعَ ، وهي هَوْلٌ من الأهوال ، اختصرناها بالكلية[٢] .

واستحوذ طاهرٌ على ما في الضياع من الغَلاَّتِ والحواصلِ للأمراءِ وغيرِهم ، ودعاهم إلى الأمانِ والبيعةِ للمأمون ، فاستجاب له جماعة ؛ منهم عبدُ الله بن حُميد بن قَحْطَبة ويحيى بن علي بن ماهان ، ومحمد بن أبي العباس الطوسي ، وكاتَبَهُ خلقٌ من الهاشميِّين والأمراء ، وصارتْ قلوبُهم معه ، واتفق في بعضِ الأيام أنْ ظَفِرَ أصحابُ الأمينِ ببعضِ أصحابِ طاهِر ، فقتلوا منهم طائفةً عند قَصْرِ صالح ، فلما سمع الأمينُ بذلك بَطِرَ وأشِر ، وأقبل على اللَّهْو والشُّرب واللَّعِب ، ووكَّل الأمورَ وتدبيرَها إلى محمد بن عيسى بن نَهيك ، ثم قَوِيتْ شوكةُ أصحابِ طاهر ، وضَعُفَ جانبُ الأمين جدّاً ، وانحاز الناسُ إلى جيشِ طاهر ، وكان جانبُهُ آمِناً جدّاً ، لا يخافُ أحدٌ فيه من سَرِقةٍ ولا نَهْبٍ ، ولا غيرَ ذلك ، وقد أخذ طاهرٌ أكثرَ مَحالِّ بغدادَ وأرباضِها ومَنَع الملاَّحينَ أن يحملوا طعاماً إلى منْ خالَفَه لِيُضيِّقَ عليهم ، فغلَتِ الأسعارُ جدّاً عند منْ خالفَه ، ونَدِم منْ لم يكنْ خرج من بغدادَ قبل ذلك ؛ ومُنعت التجارُ من القدوم إلى بغدادَ بشيءٍ من البضائع أو الدقيق ، وصُرفتِ السُّفُن إلى البصرةِ وغيرِها وجرَتْ بين الفريقَيْن حروبٌ كثيرة ، فمن ذلك وقعةُ دَرْبِ الحجارة ، كانتْ لأصحاب الأمين ، قُتل فيها خلقٌ من أصحابِ طاهر ، كان الرجلُ من العيَّارين والحَرافشة من البغادِدة ، يأتي عُرْيانا ومعه بارِيَّةٌ مُقَيَّرَة[٣] ، وتحت كَتِفه مِخلاةٌ فيه حجارة ، فإذا ضربه الفارسُ من بعيدٍ بالسهم اتَّقاه ببارِيَّتِهِ فلا يؤذيه ، وإذا اقترَبَ منه رماهُ بحجرٍ في المِقْلاع أصابه ؛ فهزموهم بذلك . ووَقْعةُ الشَّمَّاسيَّة ، أُسر فيها هَرْثَمة بن أعْيَن ، فشَقَّ ذلك على طاهر ، وأمر بعَقْدِ جسرٍ على دِجْلة فوق الشَّمَّاسيَّة ، وعَبَر طاهرٌ بنفسه ومنْ معه إلى الجانبِ الآخر ، فقاتلهم بنفسِه أشدَّ القتال ،

---

(١) الأبيات منسوبة في تاريخ الطبري (٥/ ١٠٦) إلى عمرو بن عبد الملك الورَّاق ، وفيه زيادة ، وساق خمسة الأبيات أيضاً كما هنا في (٥/ ٧٥) .

(٢) انظر تاريخ ابن جرير الطبري (٥/ ٧٦) وما بعدها .

(٣) « البارِيَّة » : الحصير المنسوج . والمقيَّر : المطلي بالقار . لسان العرب (بور ، قير) .

حتى أزالَهم عن مواضعهم ، واستردَّ منهم هرثمةَ وجماعةً ممن كانوا أسروهم من أصحابه ؛ فشقَّ ذلك على محمدٍ الأمين وقال في ذلك :

مُنيتُ بأشجَعِ الثقلَيْنِ قلباً إذا ما طال ليس كما يطولُ
لـه معَ كُلِّ ذي بدَنٍ رقيبٌ يُشاهِدُهُ ويعلمُ ما يقولُ
فليس بمُغْفلٍ أمراً عِناداً إذا ما الأمرُ ضَيَّعهُ الغفولُ[١]

وضعف أمرُ الأمينِ جدّاً ولم يبقَ عنده مالٌ يُنفقهُ على جُنده ، ولا على نفسِه ، وتفرَّق أكثرُ أصحابِه عنه ، وبقي مضطهَداً ذليلاً .

ثم انقضَتْ هذه السنةُ بكمالِها والناسُ في بغدادَ في قلاقلَ وزلازل وأهوِيَةٍ مختلفة ، وقتالٍ وحريق وسرقات . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وساءت بغدادُ فلم يبقَ فيها أحدٌ يردُّ عن أحد ، كما هي عادةُ الفتنة .

وحجَّ بالناس فيها العباسُ بن موسى بن عيسى الهاشمي ، ودعا للمأمون .

وفيها تُوفي من السادةِ الأعيان :

شُعيب بن حَرْب أحدُ الزُّهَّاد ،

وعبدُ الله بن وَهْب إمامُ أهلِ الديارِ المصرية ،

وعبدُ الرحمن بن مُسْهِر ، أخو عليِّ بن مُسْهِر ،

وعثمان بن سعيد الملقَّب بوَرْش أحدُ القرَّاء المشهورين الرواةِ عن نافع بن أبي نُعيم .

ووَكيع بن الجرَّاح الرُّؤَاسي أحدُ أعلامِ المحدِّثين . مات عن ستٍّ وستين سنة .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وتسعين ومئة

فيها خامَرَ خُزيمة بن خازم على محمدٍ الأمين ، وأخذ الأمانَ من طاهر ، ودخل هَرْثمةُ بن أعْيَن من الجانب الشرقي . وفي يوم الأربعاء لثمانٍ خلَوْنَ من المحرَّم وثَبَ خُزيمةُ بن خازم ومحمدُ بن علي بن عيسى على جسرِ بغداد فقطَعاه ونصَبَا رايتَهما عليه ؛ ودعَوْا إلى بيعةِ عبدِ الله المأمون ، وخَلْع محمدٍ الأمين . ودخل طاهرٌ يومَ الخميس إلى الجانب الشَّرْقي ، فباشر القتالَ بنفسِه ، ونادَى بالأمانِ لمنْ لزم مَنْزَله . وجرَتْ عند دارِ الرقيقِ والكَرْخ وغيرِهما وقعات ؛ وأحاطوا بمدينةِ أبي جعفر والخُلْد ، وقصرِ زُبيدة ، ونصَبَ المجانيق حولَ السُّور وحذاءَ قصرِ زُبيدة ، ورماهُ بالمنجنيق ، فخرج الأمينُ بأُمِّهِ وولَدِه إلى

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٨٧) .

مدينةِ أبي جعفر ، وتفرّق عنه عامّة الناس في الطريق ، لا يَلْوي أحدٌ على أحد ، حتى دخل قصرَ أبي جعفر ، وانتقل من الخُلْد لكثرةِ ما يأتيه فيه من رَمْي المنجنيق ، وأمَرَ بتحريقِ ما كان فيه من الأثاث ، والبُسطِ والأمتعة ، وغيرِ ذلك . ثم حُصر حَصْراً شديداً ، ومع هذه الشِّدَّة والضِّيق ، وإشرافِهِ على الهلاك خرج ذاتَ ليلةٍ في ضوءِ القمر إلى شاطىء دِجْلة ، واستدعى بنبيذٍ وجارية ، فغنَّتْه ، فلم ينطلق لسانُها إلاَّ بالفرَاقيَّاتِ وذكرِ الموت ، وهو يقول : غيرَ هذا . وتذكر نظيرَه حتى غنَّته آخرَ ما غنَّته :

أمـا وربِّ السُّكـونِ والحَـرَكِ … إنَّ المنـايـا كثيـرةُ الشَّـرَكِ
ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ولا … دارَتْ نجومُ السماءِ في الفَلَكِ
إلاَّ لِنَقْـلِ السلطـانِ مـن مَلِـكٍ … غاوٍ يُحبُّ الدُّنيا إلى مَلِكِ[1]
ومُلْكُ ذي العرشِ دائمٌ أبداً … ليـس بفـانٍ ولا بمُشْتَـرِكِ[2]

قال فسبَّها وأقامَها من عندِه ، فعثَرَتْ في قَدحٍ كان له بِلَّوْر فكسرتْه فتطيَّرَ بذلك . ولما ذهبتِ الجاريةُ سمع صارخاً يقول : ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٤١] . فقال لجليسه : ويحك ألا تسمع ؟ فتسمَّع ، فلم يسمع شيئاً ، ثم عادَ الصوتُ بذلك ، فما كان إلاَّ ليلةٌ أو ليلتان ، حتى قُتل في رابعِ صفـر ، يـوم الأحد ، وقد حصل له من الجهد والضِّيق في حَصْرِه شيئاً كثيراً ، بحيثُ إنه لم يبقَ له طعامٌ يأكلُه ، ولا شراب ، فجاع ليلةً فما أُتي برغيفٍ ودجاجة إلاَّ بعد شدَّةٍ عظيمة ، ثم طلب ماءً فلم يوجدْ له . فبات عطشاناً[3] ، فلما أصبح قُتل قبلَ أن يشرَبَ الماء .

كيفيةُ مَقْتَلِه

لما اشتدَّ به الأمر اجتمع عندَهُ مَنْ بَقِيَ من الأمراء والخدَم والجُند ، فشاورهم في أمرِه ، فقالتْ طائفة : تذهَبُ بمنْ بَقِيَ معك إلى الجزيرةِ أو الشام ، فتتقوَّى بالأموال ، وتستخدمُ الرجال . وقال بعضُهم : تخرُج إلى طاهر ، وتأخذُ منه أماناً وتُبايعُ لأخيك ، فإذا فعلتَ ذلك فإنَّ أخاكَ سيأمُرُ لك بما يكفيكَ ويكفي أهلَكَ من أمرِ الدنيا ، وغايةُ مرادِك الدَّعَةُ والرَّاحة ، وذلك يحصُل لك تامّاً . وقال بعضُهم : بل هَرْثمة أولى بأنْ يأخذَ لك منه الأمان ، فإنَّه مولاكم ، وهو أحْنَى عليك . فمالَ إلى ذلك ؛ فلما كانتْ ليلةُ الأحد الرابع من صفر بعدَ عشاء الآخِرة واعَدَ هرثمةَ أنْ يخرجَ إليه ، ثم لبس ثيابَ الخلافةِ

---

(١) في (ق) : « قد انقضى ملكه إلى ملك » ، وفي تاريخ الطبري (٥/ ٩٣) : « عان بحب الدنيا إلى ملك » . والمثبت من (ب ، ح) .

(٢) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/ ٩٣) ، ورويت ضمن أبيات أخر فيه (٤/ ٥٤٣) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/ ٤٠١) ، وبغية الطلب (٣/ ١٤٩٢) .

(٣) كذا في الأصول ، ويصح صرفه ، لأنه يقال في مؤنثه : عطشانة وعطشى . كما في لسان العرب (عطش) .

وطَيْلساناً ، واستدعَى بولدَيْه فشمَّهما وضمَّهما إليه وقال : أستودِعُكما الله . ومسح دموعَه بطرَفِ كُمِّه ، ثم ركب على فرسٍ سوداء ، وبين يديه شمعة ، فلما انتهَى إلى هَرْثمة ، أكرَمَهُ وعظَّمه ، وركبا في حرَّاقةٍ في دِجلة . وبلغ ذلك طاهراً ، فغَضِبَ من ذلك وقال : أنا الذي فعلتُ هذا كلَّه ويذهبُ إلى غيرِي ، ويُنسب هذا كلُّهُ إلى هرثمة ؟ فلَحِقهما وهما في الحرَّاقة ، فأمالهَا أصحابُهُ فغرِقَ منْ فيها ؛ غيرَ أنَّ محمداً الأمين سبَحَ إلى الجانبِ الآخر ، وأسرَهُ بعضُ الجُند ، وجاء فأعلَمَ طاهراً ؛ فبعث إليه جُنداً من العجم ، فجاؤوا إلى البيت الذي أوى إليه ، وعندَهُ بعضُ أصحابِهِ وهو يقول له : ادْنُ منِّي ، فإني أجدُ وحشةً شديدة . وجعل يلتفتُ في ثيابه شديداً ، وقلبُهُ يخفقُ خفقاناً عظيماً كادَ يخرُجُ من صدرِه ، فلما دخل عليه أولئك قال : إنَّا لله وإنا إليه راجعون . ثم دَنَا منه أحَدُهم فضرَبَهُ بالسيف على مَفْرِقِ رأسِه ، فجعل يقول : وَيْحَكم أنا ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ ، أنا ابنُ هارون ، وأنا أخو المأمون ، اللهَ اللهَ في دمي . فلم يلتفتُوا إلى شيءٍ من ذلك ، بل تكاثروا عليه وذَبَحوهُ من قفاه ، وهو مكبوبٌ على وجهِه ، وذهبوا برأسِه إلى طاهر ، وتركوا جُثَّتَه ، ثم جاؤوا بُكْرَةً إليها ، فلفُّوها في جُلِّ فَرَس ، وذهبوا بها ، وذلك ليلةَ الأحد ، لأربعِ ليالٍ خلَتْ من صفر من هذهِ السنة .

شيءٌ من ترجمته[١]

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، أبو عبد الله ، ويقال أبو موسى الهاشمي العباسي ، وأمُّه أمُّ جعفر زُبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور . كان مولدُه بالرُّصافة سنةَ سبعين ومئة .

قال أبو بكر بنُ أبي الدنيا : حدّثنا عباس[٢] بن هشام عن أبيه قال : ولد محمد الأمين بنُ هارون الرشيد في شوال سنة سبعين ومئة . وأتته الخلافةُ بمدينة السلام بغداد لثلاثَ عشرةَ ليلةً بقيتْ من جُمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وتسعين ، وقيل : ليلةَ الأحد لخمسٍ بَقِينَ من المحرَّم ، وقُتل سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئة ، قتله قريش الدَّنْدَاني ، وحمل رأسَهُ إلى طاهرِ بن الحسين ، فنصبه على رمح ، وتلا هذه الآية : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ، وكانت ولايتُهُ أربعَ سنين وسبعةَ أشهر وثمانيةَ أيام . وكان طويلاً سميناً أبيض ، أقْنَى الأنف ، صغيرَ العينَيْن ، عظيمَ الكراديس ، بعيدَ ما بينَ المَنْكِبَيْن ، وقد رماه بعضُهم بكثرةِ

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (٣/ ٣٣٦) ، المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١٨) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٤) ، تاريخ الخلفاء (٢٩٧) .

(٢) في (ق) : عياش بن هشام ، وهو تصحيف ، وسقط الاسم من (ب) وليس الخبر في (ح) ، والتصحيح من تاريخ بغداد (٣/ ٣٣٧) . وترجمة أبيه في لسان الميزان (٦/ ١٩٦) ، وهو العباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وهو شيخ لابن أبي الدنيا .

اللعب والشُّرب ، وقِلَّةِ الصلاة . وقد ذكر ابنُ جرير طرفاً من سيرته[١] في إكثاره من اقتناء السُّودان والخِصْيَان ، وإعطائه الأموالَ والجواهر ، وأمْرِهِ بإحضارِ الملاهي والمغنِّين من سائر البلاد ، وأنه أمَرَ بعمَلِ خمس حرَّاقاتٍ على صورةِ الفيلِ والأسدِ والعُقاب ، والحيَّةِ والفرس ، وأنفق على ذلك أموالاً جزيلةً جدّاً ، وقد امتدَحَهُ أبو نواس بشعرٍ أقبحَ في معناه من صنيعِ الأمين ، فإنه قال في أوله :

سخَّـرَ الله لـلأميـنِ مطـايـا لـم تُسَخَّـرْ لصاحـبِ المحرابِ
فـإذا مـا رِكـابُـهُ سِـرْنَ بَـرّاً سار في الماء راكباً ليثَ غابِ[٢]

ثم وصف كلاًّ من تلك الحرَّاقات ، واعتنى الأمين ببنايات هائلة ، للنُّزْهَة وغيرِها ، وأنفق في ذلك أموالاً كثيرةً جدّاً ، فكثُرَ النَّكيرُ عليه بسببِ ذلك .

وذكر ابنُ جرير[٣] أنَّه جلس يوماً في مجلس أنفق عليه مالاً جزيلاً في الخُلد ، وقد فُرش له بأنواع الحرير ، ونُضِّد بآنيةِ الذهبِ والفضة ، وأحضر نُدَماءه ، وأمر القَهْرَمانةَ أنْ تُهيِّيء له مئةَ جاريةٍ حسناء ، وأمرها أن تبعثَهن إليه عشراً بعد عشرٍ يُغَنِّينَه ، فلما جاءتِ العشرُ الأُوَل اندفَعْنَ يُغَنِّينَ بصوتٍ واحد :

همـو قتلوهُ كـي يكـونـوا مكـانَـهُ كما غدرَتْ يوماً بكِسْرى مَرَازِبُهْ

فغضب من ذلكَ وتبرَّم ، وضرب رأسَها بالكأس ، وأمر بالقَهْرمانة أنْ تُلقَى إلى الأسد فأكلها . ثم استدعى بعشرةٍ فاندفَعْنَ يُغَنِّين :

منْ كان مسروراً بمقتلِ مالكٍ فليـأتِ نسـوتَنـا بـوَجْـهِ نَهـارِ
يجـدِ النسـاء حـواسـراً يَنْـدُبْنَـهُ يَلْطِمْـنَ قبـلَ تَبَلُّـجِ الأسحـارِ

فطردَهُنَّ واستدعى بعشرٍ غيرِهنّ ، فلما حضَرْنَ اندفَعْنَ يُغَنِّينَ بصوتٍ واحد :

كُليبٌ لعَمْرِي كان أكثرَ ناصراً وأيسَـرَ ذنبـاً منكَ ضُرِّجَ بـالـدَّمِ

فطرَدَهنَّ وقام من فورِه ، وأمر بتخريبِ ذلك المجلس ، وتحريقِ ما فيه .

وذكر[٤] أنه كان كثيرَ الأدب ، فصيحاً يقولُ الشعر ، ويُعطي عليه الجوائزَ الكثيرة ، وكان شاعرُه أبا نواس ، وقد قال فيه أبو نُواس مدائحَ حساناً ، وقد وجدَهُ مسجوناً في حبسِ الرشيدِ مع الزنادقة ، فأحضرَهُ وأطلقه ، وأطلق له مالاً وجعلَهُ من ندمائه . ثم حبسه مرَّةً أخرى في شُرب الخمر ، وأطال

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٥/ ١١٠) وما بعدها .
(٢) البيتان في ديوان أبي نواس ص(٨٣) .
(٣) في تاريخه تاريخ الطبري (٥/ ١١٣ ، ١١٤) .
(٤) يعني الطبري في تاريخه (٥/ ١١٤) وما بعدها .

حبسَه ، ثم أطلقَهُ وأخذ عليه العهدَ أن لا يشربَ الخمر ، ولا يأتي الذُّكور من المُرْدان ، فامتثل ذلك ، وكان لا يفعلُ شيئاً من ذلك بعدَ ما استتابه الأمين . وقد تأدَّب على الكِسَائي ، وقرأ عليه القرآن . وروى الخطيبُ من طريقِه[١] حديثاً أورده عنه لَمَّا عُزِّي في غلامٍ له تُوفي بمكة فقال : حدثني أبي عن أبيه ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن علي بن عبدِ الله ، عن أبيه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ ماتَ مُحْرِماً حُشِرَ مُلَبِّياً »[٢] .

وقد قدَّمنا ما وقع بينه وبين أخيه من الاختلاف والفُرقة حتى أفضى ذلك إلى خَلْعِه وعَزْله ، ثم إلى التضييق عليه ، ثم إلى قتله ، وأنه حُصر في آخر أمرِه حتى احتاج إلى مُصانعةِ هَرْثَمة ، وأنه أُلقي في حرَّاقة ثم أُلقي منها فسبَح إلى الشطِّ الآخر ، فدخل دارَ بعضِ العامَّة ، وهو في غايةِ الخوف والدَّهَشِ والجوعِ والعُرْي ، فجعل الرجلُ يُلقِّنه الصبرَ والاستغفار ، فاشتغل بذلك ساعةً من الليل ، ثم جاء الطلَبُ وراءه من جهةِ طاهرِ بن الحسين بن مُصْعب ، فدخلوا عليه وكان البابُ ضيقاً ، فتدافعوا عليه ، وقام إليهم فجعَلَ يُدافعُهم عن نفسه بِمخدَّةٍ في يدِه ، فما وصلوا إليه حتى عرقبوه ، وضربوا رأسَه أو خاصرتَهُ بالسيوف ، ثم ذبحوه وأخذوا رأسَه وجُثَّته ، فأتَوْا بهما طاهراً ، ففَرِح بذلك فرحاً شديداً ، وأمر بنَصْبِ الرأسِ فوقَ رُمْحٍ هناك ، حتى أصبح الناسُ فنظروا إليه فوق الرمح عند بابِ الأنبار . وكثر عددُ الناس ينظرون إليه ، ثم بعث طاهرٌ برأسِ الأمينِ مع ابنِ عمِّه محمد بن مصعب ، وبعث معه بالبُرْدَةِ والقضيبِ والنَّعْل ، وكان من خُوصٍ مُبَطَّن ، فسلَّمَهُ إلى ذي الرِّيَاستَيْن ، فدخل به على المأمون على تُرْس ، فلما رآه سجد ، وأمر لمن جاء به بألفِ ألفِ درهم . وقد قال ذو الرياستَيْن حين قدم الرأس يُؤلِّب على طاهر : أمرناه بأن يأتيَ به أسيراً ، فأرسل به إلينا عَقِيراً ! فقال المأمون : مضى ما مضى ، وكتب طاهرٌ إلى المأمون كتاباً ذكرَ فيه صورةَ ما وقع حتى آلَ الحالُ إلى ما آلَ إليه . ولما قُتل الأمين هدأَتِ الفِتَن ، وخمدتِ الشرور ، وأمن الناس ، وطابتِ النفس ، ودخل طاهر بغدادَ يومَ الجمعة ، وخطبهم خُطبةً بليغة ، ذكر فيها آياتٍ كثيرةً من القرآن ، وأنَّ الله يفعَلُ ما يشاء ، ويحكُمُ ما يُريد ، وأمرهم فيها بالجماعةِ والسمعِ والطاعة ، ثم خرج إلى معسكرِهِ فأقام به ، وأمر بتحويلِ زُبيدةَ من قصرِ أبي جعفر إلى قصر الخُلد ، فخرجتْ يومَ الجمعةِ الثاني عشر من ربيعِ الأول من هذه السنة ، وبعث بموسى وعبدِ الله ابنَي الأمين إلى عمِّهما المأمون بخراسان ، وكان ذلك رأياً سديداً . وقد وثب طائفة من الجند على طاهر بعدَ خمسةِ أيام من مقتلِ الأمين ، وطلبوا منه أرزاقَهم ، فلم يكنْ عندَهُ إذْ ذاك مال ، فتحزَّبوا واجتمعوا ، ونَهبوا بعضَ متاعِه ، ونادَوا : يا موسى ، يا منصور ، واعتقدوا أنَّ موسى بن الأمين الملقَّب بالناطق هناك ، وإذا هو قد سيَّرَهُ إلى عمِّه . وانحاز طاهرٌ بِمَنْ معه من القوَّاد ناحيةً ، وعزَمَ على قتالِهم بِمَنْ معه . ثم رجعوا إليه واعتذروا ونَدِموا . فأمر لهم برِزْقِ أربعة

---

(١) في تاريخ بغداد (٣/ ٣٣٨) .

(٢) وذكره المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٢٥) ، وعزاه إلى الخطيب ، وهو حديث ضعيف .

أشهر بعشرينَ ألفَ دينار ، اقترَضَها من بعضِ الناس ، فطابتِ الخواطر . ثم إنَّ إبراهيم بن المهدي قد أسِفَ على قَتْل محمدٍ الأمينِ بن زُبيدة ، ورثاهُ بأبيات ، فبلغ ذلك المأمون ، فبعث إليه يُعنِّفُه ويَلُومُه على ذلك . وقد ذكر ابنُ جرير مراثِيَ كثيرةً للناس في الأمين[١] ، وذكر من أشعارِ الذين هجَوْه طرَفاً ، وذكر من شعر طاهر بن الحسين حين قتله قوله :

ملكتَ الناسَ قَسْراً واقتِدارا وقَتَّلْـتَ الجبـابـرةَ الكِبَـارا
ووجَّهْتَ الخلافةَ نحوَ مَرْوٍ إلـى المـأمـونِ تبتـدرُ ابتِـدَارا

خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد هارون

لما قُتل أخوه محمد في رابعِ صفر من سنةِ ثمان وتسعين ومئة ، وقيل في المحرم استَوْسَقَتِ البيعةُ شرقاً وغرباً للمأمون عبد الله بن الرشيد ، فولَّى الحسنَ بن سهل نيابةَ العِراق وفارس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن ، وبعثَ نُوَّابَهُ إلى هذه الأقاليم ، وكتب إلى طاهرِ بن الحسين وهو ببغداد أنْ ينصرفَ إلى الرَّقَّة لِحَرْب نَصْر بن شَبَث ، وولَّاه نيابةَ الجزيرةِ والشام والموصل والمغرب ، وكتب إلى هَرْثَمة بنِ أعْيَن بنِيَابةِ خُراسان .

وفيها حَجَّ بالناس العباسُ بن موسى بن عيسى الهاشمي .

وفيها تُوفي :

سفيان بن عُيينة .

وعبدُ الرحمن بن مهدي .

ويحيى بن سعيد القطَّان .

فهؤلاء الثلاثة سادةُ العلماءِ في الحديثِ والفِقْه وأسماءِ الرجال .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومئة

فيها قَدِم الحسنُ بن سهل بغدادَ نائباً عليها من جهةِ المأمون ، ووجَّه نُوَّابَهُ إلى بقيةِ أعمالِه . وتوجَّه طاهرٌ إلى نيابَةِ الجزيرةِ والشام وبلاد المغرب . وسار هَرْثَمةُ إلى خراسانَ نائباً عليها . كان قد خرج في أواخرِ السنة الماضية في ذي الحِجَّة منها الحسن بن الهرش[٢] يدعو إلى الرِّضَا من آلِ محمد ، فجَبَى

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٥/ ١٠٥) وما بعدها .
(٢) كذا في(ب ، ح) ، وفي(ق) وتاريخ الطبري (٥/ ١٢١) : « الحسن الهرش » .

الأموال ، وانتهَبَ الأنعام ، وعاث في البلادِ فساداً ، فبعث إليه المأمونُ جيشاً فقتلوهُ في المحرَّم من هذهِ السنة .

وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يومَ الخميس لعشرٍ خلَوْنَ من جُمادَى الآخرة ، يدعو إلى الرِّضا من آلِ محمد ، والعمل بالكتابِ والسُّنَّة ، وهو الذي يُقال له ابن طَبَاطَبَا ، وكان القائمَ بأمرِه ، وتدبيرِ الحرب بين يدَيه أبو السرايا السَّرِيُ بن منصور الشيباني ، وقد اتفق أهلُ الكوفة على موافقتِه ، واجتمعوا عليه من كلِّ فَجٍّ عميق ، ووَفَدَتْ إليه الأعرابُ من نواحي الكوفة ، وكان النائبَ عليها من جهةِ الحسن بن سهل سليمانُ بنُ أبي جعفر المنصور ، فبعث الحسنُ بن سهل يلومه ويؤنِّبُه على ذلك ، وأرسل إليه بعشرةِ آلافِ فارس صُحْبَةَ زاهرِ بن زُهير بن المُسَيَّب ، فتقاتلوا خارجَ الكوفة ، فهزموا زاهراً واستباحوا جيشَه ، ونَهبوا ما كان عليه ، وذلك يوم الأربعاء سَلْخَ جُمادَى الآخرة ، فلما كان الغَدُ من الوَقْعة تُوفي ابنُ طَبَاطَبَا أميرُ الشيعةِ فجأة ، يُقال : إنَّ أبا السرايا سَمَّه وأقامَ مكانَهُ غُلاماً أمْرَد ، يُقال له محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وانعزل زاهرٌ بِمَنْ بقي معه من أصحابِه إلى قصرِ ابنِ هُبيرة ، وأرسل الحسنُ بن سهل مع عَبْدوس بن محمد أربعةَ آلاف فارس ، صورةَ مددٍ لِزاهر ، فالتقَوْا هُمْ وأبو السرايا فهزَمَهم أبو السرايا ، ولم يُفلتْ من أصحابِ عَبدوس أحد . وانتشر الطالبيُّون في تلك البلاد ، وضرب أبو السرايا الدراهمَ والدنانيرَ في الكوفةِ ، ونقَشَ عليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ [الصف : ٤] ، الآية ، ثم بعث أبو السرايا جيوشَهُ إلى البصرةِ وواسِط والمدائن ، فهزموا مَنْ فيها من النُّوَّاب ، ودخلوها قَهْراً ، وقَويَتْ شوكتُهم ، فأهمَّ ذلك الحسنَ بنَ سهل ، وكتب إلى هرثمة يستدعيه لِحَرْبِ أبي السرايا فتمَنَّع ، ثم قدم عليه ، فخرج إلى أبي السرايا ، فهزم أبا السرايا غَيرَ مرَّة ، وطرَدَه حتى ردَّهُ إلى الكوفة . ووثب الطالبيُّون على دُور بني العباس بالكوفة فنهبوها ، وخربوا ضياعَهم ، وفعلوا أفعالاً قبيحة ، وبعث أبو السرايا إلى المدائن ، فاستجابوا وبعث إلى أهلِ مكة حُسين بن حسن الأفطس لِيُقيم لهم الموسم ، فخافَ أن يدخلَها جَهْرةً ، ولما سمع نائبُ مكة وهو داود بن عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس هرب من مكة طالباً أرضَ العراق . وبقي الناسُ بلا إمام ، فسئل مؤذِّنُها أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي أنْ يُصلِّيَ بِهم فأبى ، فقيل لقاضيها محمد بن عبد الرحمن المخزومي فامتنعَ وقال : لِمَنْ أدعو وقد هرَبَ نُوَّابُ البلاد ؟ فقدَّم الناسُ رجلاً منهم فصلَّى بِهمُ الظهرَ والعصر ، وبلغ الخبرُ إلى حسين الأفطس ، فدخل مكةَ في عشرةِ أنفُسٍ قبلَ الغروب ، فطافَ بالبيت ثم وقف بعرَفَةَ ليلاً ، وصلى بالناس الفجرَ بِمُزْدَلِفَة ، وأقام بقيَّةَ المناسِك في أيامِ منَى ، فدَفَع الناسُ من عرَفَةَ بغيرِ إمام .

فيها تُوفي :

إسحاق بن سليمان .

وابنُ نُمير .

وابنُ سابور .

وعمرو العَنْبري .

وأبو مُطيع البَلْخي(١) .

ويونس بن بُكير .

ثم دخلت سنة مئتين من الهجرة

في أول يومٍ منها جلس حُسين بن حسن الأفطس على طِنْفِسَةٍ مثلَّثةٍ خلفَ المقام ، وأمرَ بتجريدِ الكعبة مِمَّا عليها من كساوَى بني العباس وقال : نُطَهِّرُها من كساويهم . وكساها مُلاءتَيْن صفراوَيْن ، عليهما اسمُ أبي السرايا ، ثم أخذ ما في كَنْز الكعبةِ من الأموال ، وتتبَّع ودائعَ بني العباس فأخذها ، حتى إنه أخذَ مالَ ذوي المال ، ويزعُم أنه للمسوِّدة ، وهرب منه الناسُ إلى الجبالِ وسبَكَ ما على رؤوس الأساطينِ من الذهب ، وكان يَنْزِلُ مِقدارٌ يسيرٌ بعد جهد ، وقلعوا ما في المسجِد الحرام من الشبابيك وباعوها بالبَخْس ، وأساؤوا السِّيرة جدّاً ، فلما بلغَهُ مقتل أبي السرايا كتَمَ ذلك ، وأمَّرَ رجلاً من الطالبيِّين شيخاً كبيراً ، واستمرَّ على سوء السيرة ، ثم هرب في سادس عشر المحرَّم منها وذلك لما قهر هرثمةُ أبا السرايا ، وهزم جيشَه وأخرجه ومَنْ معَهُ من الطالبيِّين من الكوفة ، ودخلها هرثمةُ ومنصور بن المهدي ، فأمَّنوا أهلَها ولم يتعرَّضوا لأحد .

وسار أبو السرايا بِمَنْ معه إلى القادسيَّة ، ثم سار منها فاعترضهم بعضُ جيوشِ المأمون فهزمهم أيضاً وجُرح أبو السرايا جِراحةً مُنكرة جدّاً ، وهربوا يريدون الجزيرة إلى مَنْزل أبي السرايا برأس العَين ، فاعترضهم بعضُ الجيوش أيضاً ، فأسروهم وأتَوْا بهم الحسَن بن سهل وهو بالنَّهْرَوَان ، حين طردَتْهُ الحربيَّة ، فأمر بضرْبِ عُنق أبي السرايا ، فجَزِع من ذلك جزَعاً شديداً جدّاً ، وطِيف برأسه ، وأمر بجسده أن يقطَّع اثنتين ، وينصب على جسري بغداد . فكان بين خروجه وقتلِه عشرةُ أشهر . فبعث الحسنُ بن سهل محمدَ بن محمد إلى المأمون مع رأسِ أبي السرايا ، وقال بعض الشعراء :

ألم تَرَ ضَرْبَةَ الحسنِ بن سَهْلٍ بسيفِكَ يا أميرَ المؤمنينا

---

(١) في(ح ، ق) : والد مطيع البلخي ، وهو تصحيف ، والمثبت من(ب) ، وهو الحكم بن عبد الله أبو مطيع البلخي ، ترجمته في الجرح والتعديل (٣/ ١٢١) ، وميزان الاعتدال (٢/ ٣٣٩) .

أدارَتْ مَرْو رأسَ أبي السَّرَايا وأثبــتَ عِبْـرَةً للعــالمينـا[١]

وكان الذي في يدِه البصرةُ من الطالبيِّين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، ويقال له زيد النار لكثرةِ ما حرَّق من البيوت التي للمسوِّدة ، فأسرَهُ عليُّ بن سعيد ، وأمَّنه وبعث به وبِمَنْ معه من القوَّاد إلى اليمن لِقتالِ مَنْ هناك من الطالبيِّين .

وفيها خرج باليمن إبراهيمُ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، ويقال له الجزَّار لكثرةِ مَنْ قتلَ من أهلِ اليمن ، وأخذ من أموالِهم ، وهو الذي كان بمكةَ وفعَلَ فيها ما فعَلَ كما تقدَّم . فلمَّا بلغَهُ قتلُ أبي السرايا هرب إلى اليمن ، فلما بلغ نائبَ اليمنِ خبَرهُ ترك اليمنَ وسار إلى خُراسان . واجتاز بمكة ، وأخذ أُمَّه منها ، واستحوذ إبراهيمُ هذا على بلادِ اليمن ، وجرَتْ حروبٌ كثيرةٌ يطولُ ذكرُها . ورجع محمد بن جعفر العلوي عمَّا كان يزعُمه ، وكان قد ادَّعى الخلافةَ بمكة ، وقال : كنتُ أظنُّ أن المأمونَ قد مات ، وقد تحقَّقتْ حياتُه وأنا أستغفرُ الله وأتوبُ إليه مِمَّا كنتُ ادَّعَيتُ من ذلك ، وقد رجعتُ إلى الطاعة ، وأنا رجلٌ من المسلمين .

ولما هُزم هرثمةُ راسلَ ابا السرايا ، وهو الذي أمرَهُ بالظهور ، فاستدعاه المأمونُ إلى مَرْو ، فأمر به فضُرب بين يديه ، ووُطِىء بطنُه ، ثم رُفع إلى الحبس ، ثم قُتل بعدَ ذلك بأيام . وانطوَى خبَرُه بالكليَّة . ولما وصل خبَرُ قتلِهِ إلى بغداد عبثَتِ العامَّةُ والحربيَّةُ بالحسن بن سهل نائبِ العراق وقالوا : لا نَرْضَى به ولا بعُمَّالِه ببلادِنا . وأقاموا إسحاقَ بن موسى المهدي نائباً . واجتمع أهلُ الجانبَيْنِ على ذلك ، والتفَّتْ على الحسنِ بن سهل جماعةٌ من الأمراءِ والأجناد ، وأرسل مَنْ وافق العامَّةَ على ذلك من الأمراء يحرِّضُهم على القتال ، وجرت الحروبُ بينهم ثلاثةَ أيام في شعبانَ من هذهِ السنة ، ثم اتفق الحالُ على أن يُعطيَهم شيئاً من أرزاقهم يُنفقونَها في شهرِ رمضان ، فما زال يَمطُلُهم إلى ذي القعدة حتى يدرِكَ الزرع ، فخرج في ذي القَعْدة زيدُ بن موسى الذي يُقال له زيد النار ، وهو أخو أبي السرايا ، وقد كان خروجُه هذه المرة بناحيةِ الأنْبَار ، فبعث إليه عليُّ بن هشام نائبُ بغداد عن الحسنِ بن سهل ، والحسن بالمدائن إذْ ذاك ، فأُخِذ وأُتِيَ به إلى عليِّ بن هشام ، وأطفأ الله نائِرَتَه[٢] .

وبعث المأمونُ في هذه السنةِ يطلبُ مَنْ بَقِيَ من العباسيين ، وأحصى كم العباسيُّون ؟ فبلغوا ثلاثةً وثلاثين ألفاً ما بين ذكورٍ وإناث .

وفيها قتَلَتِ الرومُ مَلِكَهم أليون ، وقد ملَكَهم سبعَ سنين ، وملَّكوا عليهم ميخائيل نائبَه .

---

(١) الخبر والبيتان في تاريخ الطبري (٥/ ١٢٧) ، بألفاظ مقاربة .

(٢) « إطفاء النائرة » : القضاء على الحقد والعداوة . لسان العرب (نير) .

وفيها قتل المامونُ يحيى بن عامر بن إسماعيل لأنه قال للمأمون : يا أميرَ الكافرين . فقُتل صبراً بين يديه .

وفيها حجَّ بالناسِ محمدُ بن المعتصِم بن هارون الرشيد .

وفيها تُوفي من الأعيان :

أسباطُ بن محمد .

وأبو ضَمْرَة أنس بن عياض .

وسَلْمُ[1] بن قتيبة .

وعمر بن عبدالواحد .

وابن أبي فديك .

ومُبشِّر بن إسماعيل .

ومحمد بن حمير[2] .

ومعاذ بن هشام .

•••

(١) في الأصل : مسلمة ، والصواب ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : محمد بن جبير ، وهو خطأ .

ثم دخلت سنة إحدى ومئتين

فيها : راود أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع من ذلك ، فراودوه على أن يكون نائباً للمأمون يدعو له في الخطبة ، فأجابهم إلى ذلك ، وذلك بعد إخراج أهل بغداد عليَّ بن هشام نائب الحسن بن سهل من بين أظهرهم ، فجرت حروب كثيرة بسبب ذلك .

وفي هذه السنة عمَّ البلاء بالعيّارين ، والشطّار والفسّاق ببغداد وما حولها من القرى ، فكانوا يأتون الرجل يسألونه مالاً يقرضهم أو يصلهم به ، فيمتنع عليهم فيأخذون جميع ما في منزله ، وربما تعرَّضوا للغلمان والنسوان ، ويأتون أهل القرية فيستاقون من الأنعام والمواشي ، ويأخذون ما شاؤوا من الغلمان والنسوان ، وانتهبوا أهلَ قُطْرُبُّلَ[١] ولم يَدعوا لهم شيئاً أصلاً ، فانتُدِب رجلٌ يقال له : خالد الدريوش ، وآخر يقال له : سهل بن سلامة ، أبو حاتم الأنصاري ، من أهل خراسان . والتفَّ عليهما جماعة من العامة[٢] فردُّوا شرهم وقاتلوهم وقووا عليهم ومنعوهم من العيث في الأرض فساداً ، واستقرَّت الأمور كما كانت ، وذلك في شعبان ورمضان ، ولله الحمد والمنَّة[٣] .

وفي هذه السنة في شوال منها رجَعَ الحسنُ بن سهل إلى بغداد وصالَحَ الجندَ ، وانفصل منصور بن المهدي ومن التفَّ معه من الأمراء .

وفي هذه السنة بايع المأمون لعلي الرِّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أن يكون وليَّ العهد من بعده ، وسمَّاه الرِّضا من آل محمد ﷺ ، وطَرَحَ لبسَ السواد ولبِسَ الخُضْرَةَ ، وألزم جنده بذلك ، وكتب به إلى الآفاق والأقاليم . وكانت مبايعتُه له يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان من سنة إحدى ومئتين ، وذلك أن المأمون رأى أنَّ علياً الرِّضا خيرُ أهلِ البيتِ ، وليس في بني العباس مثلُه في علمه[٤] ودينه ، فجعله وليَّ عهدِهِ من بعده .

---

(١) في آ : قرطبل ، والمثبت من ظا ، ط . و« قُطْرُبُّل » : اسم قرية بين بغداد وعُكْبَرا ، ينسب إليها الخمر ، وما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها . ياقوت .

(٢) في آ : من الأعيان .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٨/ ٥٥١) والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٢٤) .

(٤) في آ ، ط : عمله ، والمثبت من ظا ، ب .

بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي

لما جاء الخبر إلى بغداد : أنَّ المأمون بايع لعلي الرِّضا بن موسى بولاية العهد من بعده اختلفوا فيما بينهم ؛ فمن مجيبٍ ، ومن مانعٍ ، وجمهور العباسيين على الامتناع . وكان الباعث لهم والقائم في ذلك إبراهيم ومنصور ابنا المهدي .

فلما كان يوم الثلاثاء لخمسٍ بقين من ذي الحجة أظهر العباسيون البيعة لإبراهيم بن المهدي ولقبوه : المبارك ـ وكان أسود اللون ـ ومِن بعده لابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي ، وخلعوا المأمون .

فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة أرادوا أن يدعوا للمأمون ثم من بعده لإبراهيم فقالت العامة : لا نرضى إلا بإبراهيم فقط ، واختلف الناس واضطربوا فيما بينهم ، ولم يصلّوا الجمعةَ ، وصلّى الناس فُرَادى أربع ركعاتٍ(١) .

وفي هذه السنة افتتح نائبُ طَبَرِسْتان جبالَها وبلادَ اللارز(٢) والشَّيزر . وذكر ابن جرير(٣) : أن سَلْماً الخاسِرَ قال في ذلك شعراً .

وقد ذكر ابنُ الجوزي وغيرُه أن سَلْماً(٤) توفي قبل ذلك بسنين(٥) ، فالله أعلم .

وفي هذه السنة أصاب أهلَ خراسان والرَّيِّ وأصبهان مجاعةٌ شديدة ، وعزَّ الطعام جداً .

وفي هذه السنة تحرَّك بابَكُ الخُرَّمِيُّ واتَّبعه طوائفُ من السّفَلة والجهلة ، وكان يقول بالتناسخ قبَّحه الله ولعنه . وسيأتي(٦) ما آل أمره إليه .

---

(١) الخبر في الطبري (٨/ ٥٥٥) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٢٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٧) .
(٢) في آ ، ظا : البلاذر . وأثبت ما جاء في ط والطبري .
(٣) في آ ، ط : ابن حزم ، تحريف . والخبر في تاريخ الطبري (٩/ ٥٥٦) .
(٤) في آ : سالماً ، وفي ظا سليمان . وعند الطبري : سلام ، وهو سَلْم بن عمرو بن حماد ، شاعر ، خليع ، ماجن ، من أهل البصرة ، من الموالي ، سكن بغداد . له مدائح في المهدي والرشيد ، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية . قيل : سمي الخاسر ؛ لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً ، توفي سنة ١٨٦هـ ، أي قبل هذا الفتح بسنين ، كما قال ابن الجوزي . الأعلام (٣/ ١١٠) . وذكر الطبري (٨/ ٥٥٦) أن والي طبرستان كان عبد الله بن خُرْداذبه ، وفيه قال سَلْم الخاسر :

إنـا لنـأمُـلُ فتـح الـروم والصِّيـن ... بمـن أدال لنـا مـن مُلـك شَـرْوِيـنِ
فـاشْـدُدْ يـديـكَ بعبـد الله إنَّ لـه ... مـع الأمـانـةِ رأيٌ غيـرُ مَـوْهُـونِ

(٥) ذكره ابن كثير فيمن توفي سنة ١٦هـ .
(٦) سيأتي في حوادث سنة ٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٣هـ .

وفيها : حجَّ بالناس إسحاقُ بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

وفيها توفي من الأعيان :

أبو أسامة حمّاد بن أسامة(١) .

وحمّاد بن مَسْعَدَة(٢) .

وحَرَميّ بن عُمارة(٣) .

وعلي بن عاصم(٤) .

ومحمد بن محمد صاحب أبي السَّرايا ، الذي كان قد بايعه أهلُ الكوفة بعد ابن طباطبا(٥) .

ثم دخلت سنة ثنتين ومئتين

في أوَّل يوم منها بُويع لإبراهيمَ بن المهديّ بالخلافة ببغداد وخُلع المأمون ، فلمَّا كان يوم الجمعة خامسُ المحرم صعِدَ إبراهيمُ بن المهدي المنبرَ فبايعه الناسُ ولُقِّب بالمبارك ، وغلب على الكوفة وأرض السَّواد ، وطلب منه الجندُ أرزاقهم فماطلهم ، ثم أعطاهم مئتي درهم لكل واحدٍ ، وكتب لهم بتعويضٍ من أرض السَّواد ، فخرجوا لا يمرُّون بشيء إلا انتهبوه ، وأخذوا حاصل الفلاح والسلطان ، واستناب إبراهيمُ على الجانب الشرقيِّ العبَّاسَ بن موسى الهادي ، وعلى [الجانب](٦) الغربيِّ إسحاقَ بن موسى الهادي .

[وفيها](٧) : خرج خارجيٌّ يقال له : مَهدي بن عُلوان ، فبعث إليه إبراهيمُ جيشاً عليهم أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد في جماعة من القُوَّاد ، فكسره وردَّ كيده ، ولله الحمد .

---

(١) أبو أسامة ، حماد بن أسامة بن زيد ، الكوفي . الحافظ الثبت . كان من أئمة العلم . مات وله نحو ثمانين سنة . طبقات خليفة (ترجمة ١٣١٥) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٧٧) .

(٢) حمّاد بن مَسْعَدَة ، أبو سعيد التميمي ، ويقال : الباهلي ، مولاهم البصري . الحافظ الحجة . طبقات ابن سعد (٧/ ٢٩٤) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٦) .

(٣) في آ : محمري بن عمارة ، وفي ظا : حماد بن عمارة ، وفي ط حرسي بن عمارة ، وما أثبته من تهذيب التهذيب (٢/ ٢٣٢) . وهو حَرَمي بن عمارة بن أبي حفصة ، أبو روح البصري .

(٤) هو علي بن عاصم بن صُهيب ، أبو الحسن الواسطيّ القرشي التيمي . الإمام العالم ، شيخ المحدثين ، مسند العراق . ولد سنة ٢٠٧هـ ، وكان من ذوي الأموال والاتساع في الدنيا ، ولم يزل ينفق في طلب العلم ويُفضل على أهله قديماً وحديثاً . طبقات ابن سعد (٧/ ٣١٣) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٤٩) .

(٥) حوادث سنة ١٩٩ وتاريخ الطبري (٨/ ٥٢٨) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٠٢) .

(٦) زيادة من ط .

(٧) زيادة من ط .

وفي هذه السنة خرج[١] أخو أبي السَّرايا بالكوفة ، فبيّض[٢] ، فأرسل إليه إبراهيمُ بن المهدي مَن قاتله فقتل أخو أبي السرايا وأرسل برأسه إلى إبراهيم .

ولما كان ليلة أربعَ عشرةَ من ربيع الآخر من هذه السنة ظهرت في السماء حُمرةٌ ثم ذهبت ، وبقي بعدها عمودان أحمران في السماء إلى آخر الليل . وجرت بالكوفة حروب بين أصحاب إبراهيم وأصحاب المأمون ، واقتتلوا قتالاً شديداً . وعلى أصحاب إبراهيمَ السَّوادُ ، وعلى أصحاب المأمون الخُضْرَةُ ، واستمرَّ القتالُ بينهم إلى أواخر رجب .

وفي هذه السنة ظفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطَّوّعي فسجنه ، وذلك لأنه التف عليه جماعةٌ من الناس يقومون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن [كانوا][٣] قد جاوزوا الحدَّ ، وأنكروا على السلطان ، ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة ، وصار بابُ داره كأنَّه بابُ سلطان ، عليه السلاح والرجال وغيرُ ذلك من أُبَّهة الملك ، فقاتله الجند فكسروا أصحابه ، فألقى السلاح وصار بين النساء والنظارة ، ثم اختفى في بعض الدروب ، فأُخذ وجِيء به إلى إبراهيم فسجنه سنة كاملة .

وفي هذه السنة أقبل المأمون من خراسان قاصداً العراق ، وذلك أنَّ عليَّ بن موسى بن جعفر العلوي أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتن والاختلاف بأرض العراق ، وأنَّ الهاشميين يتهمون المأمون بأنه مسحور ومجنون[٤] ، وأنهم قد ينقمون عليك ببيعتك إليَّ من بعدك ، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وبين إبراهيم بن المهدي . فاستدعى المأمون بجماعة من أمرائه وقراباته[٥] فسألهم عما أخبره[٦] به علي الرِّضا ، فصدَقوه الأمرَ بعد أخذهم الأمان منه ، وقالوا له : إنَّ الفضل بن سهل حسَّن لك قتل هَرْثَمَةَ[٧] ، وقد كان ناصحاً لك ، فعاجله بقتله ، وإن طاهرَ بن الحسين مهَّد لك الأمور حتى قاد لك

---

(١) في آ ، ظا : خروج أبو السرايا وأثبت ما جاء في ط ، وقد قتل أبو السرايا في سنة ١٩٩هـ .
(٢) « بيّض » : أي أمر بلبس الخضرة ، مخالفاً بذلك ما عليه بنو العباس من لبس السواد ، وهو شعارهم .
(٣) زيادة من ط .
(٤) كذا في ظا والطبري : مجنون ، وفي ط مسجون ، تحريف .
(٥) في ط : وأقربائه . وقرابة الرجل ، على المصدر .
(٦) في آ ، ط : أخبرهم ، وأثبت ما جاء في ظا .
(٧) هو هَرْثَمَة بن أعيَن ، أمير ، من القادة الشجعان ، ولاه الرشيد مصر ، ووجهه إلى إفريقية ، وعقد له على خراسان . ولما بدأت الفتنة بين الأمين والمأمون انحاز إلى المأمون ، فقاد جيوشه وأخلص له الخدمة حتى سكنت الفتنة بمقتل الأمين . ونقم المأمون عليه أمراً ، قيل : اتهمه بممالأة إبراهيم بن المهدي أو بالتراخي في قتال الطالبيين وأبي السرايا ، فدعاه إليه وشتمه وضربه وحبسه . وكان الفضل بن سهل (الوزير) يبغضه ، فدس إليه من قتله في الحبس سراً . ترجمته في الأعلام (٨/ ٨١) .

الخلافة بزمامها فطردَتْه إلى الرقة ، وقعد لا عَمَل له ولا تستنهضه في أمرٍ ، وإنَّ الأرض قد تفتَّقت من أقطارها ، وكثرت الفتن ، وانتشرت الشرور بين الناس .

فلما تحقَّق ذلك المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد ، وقد فطِنَ الفضلُ بن سهل بما تمالأ عليه أولئك الناصحون للمأمون ، فضرب قوماً ونتف لحى بعضهم . وسار المأمون ، فلمَّا كان بسَرَخْس(١) عدا قومٌ على الفضل بن سهل وزير المأمون وهو في الحمام بالسيوف فقتلوه ، وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان وله ستون سنة(٢) . فبعث المأمون في آثارهم فجيء بهم وهم أربعة من المماليك فقتلهم ، وكتب إلى أخيه الحسن بن سهل يعزِّيه فيه ، وولاه مكانه الوزارة ، وارتحل المأمون من سَرَخْس يوم عيد الفطر نحو العراق وإبراهيمُ بن المهدي بالمدائن ، وفي مقابلته جيش يقاتلونه من جهة المأمون .

وفي هذه السنة تزوج المأمون بُوران(٣) بنتَ الحسن بن سهل ، وزوَّج عليَّ بن موسى الرِّضا بابنته أُمِّ حبيب ، وزوَّج ابنه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بابنته الأخرى أمِّ الفضل .

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيمُ بن موسى بن جعفر أخو علي الرِّضا ، ودعا لأخيه بعد المأمون . ثم انصرف من بعد الحج إلى اليمن ، وقد كان تغلب عليها حَمْدَوَيْه بن علي بن موسى بن ماهان(٤) .

وفيها توفي من الأعيان :

أيّوبُ بن سُوَيد(٥) .

وضَمْرَة(٦) .

وعمر بن حبيب(٧) .

---

(١) « سَرَخْس » : مدينة قديمة من نواحي خراسان، كبيرة واسعة ، وهي بين نيسابور ومَرْو ، في وسط الطريق . ياقوت .

(٢) قتل الفضل بن سهل عن ثمان وأربعين سنة ، فقد ولد سنة ١٥٤هـ . وقيل : إن المأمون قد دسَّ إليه من قتله بعد أن ثقل عليه أمره .
وهو الفضل بن سهل السَّرَخسي ، أبو العباس ، وكان مجوسياً ، اتصل بالمأمون في صباه ، وأسلم على يديه سنة ١٩٠ وقبل أن يلي الخلافة ، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً ، فكان لقب بذي الرياستين ، الحرب والسياسة . وخبر مقتله عن ستين سنة غير صحيح ، وقع فيه الطبري وتابعه في ذلك المؤلف وابن الأثير في كامله . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٩٩) وشذرات الذهب (٢/ ٤) ، والأعلام (٥/ ١٤٩) .

(٣) بنى المأمون على بوران سنة ٢١٠هـ وسيورد ابن كثير خبر عرسها في تلك السنة .

(٤) ينظر تاريخ الطبري (٨/ ٥٦٦-٥٦٧) .

(٥) أيوب بن سُوَيد الرَّمْليّ ، أبو مسعود الحِمْيَري السَّيباني ، نسبة إلى سيبان ، بطن من حمير . كان سيء الحفظ ، ليِّن الحديث . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٣٠) .

(٦) هو ضَمْرَةُ بن ربيعة ، أبو عبد الله الرَّمْلي . الإمام الحافظ القدوة ، محدِّث فلسطين . سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢٥) .

(٧) في ط : عمرو بن حبيب . وهو عمر بن حبيب العَدَوي البصري ، القاضي ، ضعيف الحديث . نقل غير واحد أنه=

والفضلُ بن سهل الوزير(١) .

وأبو يحيى الحِمّاني(٢) .

ثم دخلت سنة ثلاث ومئتين

فيها : وصل المأمون في سيره من خراسان إلى العراق إلى مدينة طُوس(٣) ، فأقام [بها](٤) عند قبر أبيه أياماً من شهر صفر . فلما كان في أواخر الشهر أكل عليُّ بنُ موسى الرِّضا عنباً فمات فجأة ، فصلَّى عليه المأمون ودفنه إلى جانب أبيه الرشيد ، وأسف عليه أسفاً كبيراً فيما ظهر ، والله أعلم . وكتب إلى الحسن بن سهل يعزِّيه في عليِّ الرِّضا ويخبره بما حصل له من الحزن عليه ، وكتب إلى بني العباس ببغداد يقول لهم : إنَّكم إنما نقَمْتُم عليَّ بسبب توليتي العهدَ مِن بعدي لعليٍّ الرِّضا ، وهاهو قد مات فارجعوا إلى السمع والطاعة . فأجابوه بأغلظِ جوابٍ كُتب به إلى أحدٍ .

وفي هذه السنة غلبت السوداءُ(٥) على الحسن بن سهل حتى قُيِّد بالحديد وأُودع في بيتٍ ، فكتب الأمراء بذلك إلى المأمون ، فكتب إليهم : إنِّي واصلٌ على إثر كتابي هذا .

ثم جرت حروب كثيرة بين إبراهيم وأهل بغداد ، وتنكَّروا عليه وأبغضوه . وظهرت الفتنُ والشطَّار والفسّاق ببغداد ، وتفاقم الحال ، وصلَّوا يومَ الجمعة ظهراً ، أمَّهم المؤذنون من غير خطبة ، بأربع ركعات ، واشتدَّ الأمرُ ، واختلف الناسُ فيما بينهم في إبراهيمَ والمأمون ، ثم غلبت المأمونية عليهم .

ذكر خلع أهل بغداد إبراهيم [بن المهدي](٦) ودعائهم للمأمون

لمَّا كان يومُ الجمعة المقبلة دعا الناس للمأمون وخلعوا إبراهيم ، وأقبل حُمَيد بن عبد الحميد في

= مات بالبصرة سنة سبع ومئتين . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩٠) .

(١) مضت ترجمته قبل قليل .

(٢) أبو يحيى الحِمَّاني ، أصله من خوارزم ، ولقبه بشَمْين . من علماء الحديث . قال أبو داود : كان داعية إلى الإرجاء .

(٣) « طُوس » : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ . ياقوت .

(٤) زيادة من ظا .

(٥) في ظا ، ب : غلبت السواد . وفي ط : تغلبت الثوار وهو تحريف . وقد أصيب الحسن بن سهل بمرض السوداء بعد مقتل أخيه الفضل ، فتغيَّر عقله حتى شُدَّ في الحديد . ثم شفي منه قبل زواج المأمون بابنته بوران سنة ٢١٠ ، وعاش إلى أن توفي سنة ٢٣٦هـ .

(٦) زيادة من ط .

جيشٍ من جهة المأمون فحاصر بغداد ، وأطمع[١] جندها في العطاء فطاوعوه على السمع والطاعة [للمأمون][٢] .

وقد قاتل عيسى بن محمد بن أبي خالد في جماعة من جهة إبراهيمَ بن المهدي ، ثم احتال عيسى حتى صار في أيدي المأمونية أسيراً ، ثم آل الحال إلى أن اختفى إبراهيمُ بنُ المهدي في آخر هذه السنة .

وكانت أيامه سنةً وأحدَ عشرَ شهراً واثني عشرَ يوماً . وقد وصل في هذا الوقت المأمون إلى همذان ، وجيوشُه قد استعادوا بغداد إلى طاعته .

وحجَّ بالناس في هذه السنة سليمانُ بنُ عبد الملك بن سليمان بن علي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عليّ بن موسى[٣] : ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي العلوي ، الملقب بالرِّضَا ، كان المأمون قد همَّ أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك ، فجعله وليَّ العهد من بعده كما قدمنا ذلك ، فتوفي في صفر من هذه السنة بطوس .

وقد رَوى الحديثَ عن أبيه وغيره .

وعنه : جماعةٌ ، منهم المأمون ، وأبو الصلت الهرويّ ، وأبو عثمان المازني النحوي .

قد[٤] سمعته يقول : اللهُ أعدلُ من أن يكلِّف العباد ما لا يطيقون ، وهم أعجز من أن يفعلوا ما يريدون . ومن شعره :

كُلُّنا يأمُلُ مدّاً في الأجَلْ[٥] والمنايا هي[٦] آفاتُ الأملْ
لا تغرّنْكَ أباطيلُ المُنى والزَمِ القَصْدَ ودَعْ عنكَ العللْ[٧]
إنَّما الدُّنيا كظلٍّ زائلٍ حَلَّ فيهِ راكبٌ ثمَّ ارْتَحَلْ

(١) في آ : وطمع ، والمثبت من ظا ، ب .
(٢) زيادة من ظا ، ب ، ط .
(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٥٥٤ ، ٥٦٨) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ٣٢٦ ، ٣٥١) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٩) ، سير اعلام النبلاء (٩/ ٣٨٧) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٨٧) ، خلاصة تذهيب الكمال (٢٧٨) ، شذرات الذهب (٢/ ٦٥٢) .
(٤) في ظا ، ب : قال .
(٥) في آ : كلنا نأمل بتداني الأجل ، والمثبت من ظا ، ب ، ط .
(٦) في ط : هُنَّ .
(٧) « القَصْدُ » : استقامة الطريق ، وهو خلاف الإفراط .

ثم دخلت سنة أربع ومئتين

فيها : كان قدومُ المأمون أرضَ العراق ، وذلك أنه مرَّ بجرجان فأقام بها شهراً، ثم سار منها [وكان][١] ينزل في المنزلة يوماً أو يومين ، ثم جاء إلى النّهروان فأقام بها ثمانية أيام ، وقد كان كتب إلى طاهر بن الحسين وهو بالرقّة أن يوافيه إلى النّهروان ، فوافاه بها ، وتلقاه رؤوس أهل بيته والقُوَّادُ وجمهورُ الجيش، فلما كان السبت الآخر دخل بغداد ارتفاعَ النهار لأربعَ عشرة ليلةً بقيت من صفر ، في أُبّهة عظيمةٍ، وجيشٍ عظيمٍ ، وعليه وعلى جميع أصحابه وفتيانهم وجميع لباسهم الخُضْرَةُ ، فلبس أهلُ بغداد وبنو هاشم أجمعون الخُضْرَةَ .

ونزل المأمون بالرَّصافة ، ثم تحوَّل إلى قصره على دجلة ، وجعل الأمراءُ ووجوه الدولة يترددون إلى داره على العادة ، وقد تحوَّل لباسُ البغاددة إلى الخُضْرَة ، وجعلوا يحرقون كلَّ ما يجدونه من السواد ، فمكث بذلك ثمانية أيام . ثم استعرض حوائجَ طاهر بن الحسين فكان أوَّل حاجةٍ سألها أن يرجع إلى لباس السَّواد ، فإنَّه لباسُ آبائه من دولةِ ورثة الأنبياء .

فلما كان السبت الآخر ، وهو الثالث والعشرون من صفر ، جلس المأمون للناس وعليه الخُضْرَةُ ، ثم إنَّه أمر بخِلْعةٍ[٢] سوداء وَألبسها طاهر بن الحسين ، ثم ألبس[٣] بعده جماعةً من الأمراء السواد ، فلبس الناسُ السواد وعادوا إلى ذلك ، بعدما علم منهم الطاعة والموافقة . وقد قيل : إنَّ المأمون مكث يلبَسُ الخُضْرة بعد قدومه بغداد تسعاً وعشرين ليلة ، والله أعلم .

ولما جاء إليه عمُّه إبراهيمُ بنُ المهدي بعد اختفائه ست سنين وشهوراً ، قال له المأمون : أنت الخليفةُ الأسود، فأخذ في الاعتذار والاستغفار، وقال له : أنا الذي مننتَ عليه بالعفو ، وأنشد المأمونَ عند ذلك :

لَيسَ يُزْري السَّوادُ بالرَّجُلِ الشَّهْـ ـمِ ولا بـالفتـى الأديـبِ الأريـبِ
إن يكنْ للسَّوادِ منكَ نصيبٌ[٤] فبيـاضُ الأخـلاقِ منـكَ نصيبـي

قال القاضي ابن خلكان[٥] : وقد نظم هذا المعنى بعضُ المتأخرين وهو نصر الله[٦] بن قلاقس الإسكندري فقال :

---

(١) زيادة من ط .
(٢) « الخِلْعَةُ » : ما تخعله من الثِّياب ونحوها . ويقال : خَلَعَ عليه خِلْعَة : أعطاه أو ألبسه إياها .
(٣) في ظ ، ب : لبس .
(٤) في آ : إن يكن السواد منك نصيباً ، وما أثبته من : ظا ، ب ، ط .
(٥) وفيات الأعيان (١/ ٤١) والأبيات جميعاً فيه .
(٦) هو نصر بن عبد الله بن مخلوف اللخمي ، أبو الفتوح ، المعروف بابن قلاقس الإسكندري . شاعر ، نبيل ، من كبار الكتاب المترسلين ، وديوانه مشهور . مات سنة ٥٦٧هـ .

ربَّ سـوداءَ وهـي بيضـاءُ فِعْـلٍ   حَسَـدَ المسـكَ عنـدهـا الكـافُـورُ
مثـلُ حـبِّ العيـونِ يحسَبُهُ النَّـا   سُ سَـواداً وإنَّمـا هُـوَ نـورُ

وكان المأمون قد شاور في قتل عمه إبراهيم بن المهدي ، فقال له أحمد بن أبي خالد ، الوزير الأحول : يا أمير المؤمنين ، إنْ قتلْتَه فَلَكَ نُظراء ، وإنْ عفوْتَ عنه فما لَكَ نظيرٌ .

ثمَّ شرع المأمون في بناء قصورٍ على دجلة إلى جانب قصره بها ، وسكنت الفتن وانزاحت الشرور ، وأمر بمقاسمة أهل سواد العراق على الخُمسين ، وكانوا يقاسَمون على النصف . واتخذ القفيزَ[١] الملجم ، وهو عشرة مكاكي بالمَكُّوك[٢] الهاروني ، ووضَعَ شيئاً كثيراً من خَراجات بلاد شتى ، ورفق بالناس في مواضعَ كثيرةٍ ، وولّى أخاه أبا عيسى بنَ الرشيد الكوفةَ ، وولّى أخاه صالحاً البصرةَ ، وولّى عبيد الله بنَ الحسن بن عُبيد الله[٣] بن العباس بن علي بن أبي طالب نيابةَ الحرَمين ، وهو الذي حجَّ بالناس في هذه السنة .

وفيها : واقع يحيى بن معاذ بابَك الخُرَّمي فلم يظفر به .

فيها : توفي جماعة من الأعيان ، منهم :

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي[٤] : وقد أفردنا له ترجمةً مطولة في أوَّل كتابنا « طبقات الشافعيين » ، ولنذكر هاهنا ملخصاً من ذلك ، وبالله المستعان .

هو الإمام العالم أبو عبد الله بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السَّائب بن عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المُطَّلب بن عبد مَناف بن قُصَيّ ، القرشي المطلبي ، والسَّائب بن يزيد أسلم يوم بدر ، وابنه شافع بن السَّائب من صغار الصحابة ، وأمُّه أزدية . وقد رأت حين حملت بالشافعي كأنَّ المشتري خرج من فرجها حتى انقضَّ بمصر ، ثم وقع في كل بلدٍ [منه][٥] شَظِيَّةٌ .

= معجم الأدباء (١٩/ ٢٢٦) ، وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٦) ، حوادث سنة ٥٦٧ والأعلام (٨/ ٢٤) ، وفي الأخير ترجمة مطولة له .

(١) « القَفيز » : مكيال ، وهو ثمانية مكاكيك عند أهل العراق ، والجمع أقفزة .

(٢) « المَكُّوك » : مكيال ، صاع ونصف ، والجمع مكاكيك ، وربَّما قيل : مَكَاكيُّ ، على البدل كراهية التضعيف ، ومنعه ابن الأنباري . المصباح المنير ، واللسان .

(٣) في ط : « عبيد الله بن الحسين بن عبد الله » ، تحريف ، وما أثبتناه كما في تاريخ الطبري (٨/ ٥٧٦) .

(٤) ترجمته ومصادرها في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥ـ٩٩) . وترجمه الفاسي في العقد الثمين مرتين (٥/ ٣٠٥) فسمى أباه « الحسن » مرة ، و« الحسين » مرة أخرى ، وهو ينقل من تاريخ الطبري ، وسيأتي اسم أبيه « الحسن » في أحداث سنة ٢٠٥هـ .

(٥) زيادة في ب ، ظا .

وقد ولد الشافعي بغزة ، وقيل : بعَسْقَلان ، وقيل : باليمن سنة خمسين ومئة ، ومات أبوه وهو صغير ، فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين لئلا يضيع نسبُه ، فنشأ بها ، وقرأ القرآن وهو ابنُ سبع [سنين][١] ، وحفظ « الموطأ » وهو ابنُ عشر ، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة . وقيل : ابن ثماني عشرة سنة ، أذِنَ له شيخهُ مسلم بن خالد الزَّنجيُّ[٢] ، وعُني باللغة والشعر ، وأقام في هذيل نحواً من عشر سنين ، وقيل : عشرين سنة ، فتعلَّم منهم لغاتِ العربِ وفصاحتها ، وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة ، وقرأ بنفسه « الموطَّأ » على مالك من حفظه ، وأعجبته قراءته وهِمَّته ، [وأخذ عنه علم الحجاز من بعد أخذه عن مسلم بن خالد][٣] .

وأخذ عنه خلقٌ كثيرٌ قد ذكرنا[٤] أسماءهم مرتبين على حروف المعجم .

وقرأ القرآن على إسماعيل بن قُسْطَنطين ، عن شِبْلٍ ، عن ابن كثير ، عن مجاهدٍ ، عن ابن عبّاس ، عن أُبَيّ بن كعبٍ ، عن رسول الله ﷺ ، عن جبريلَ ، عن الله عز وجل .

وأخذ الشافعيُّ الفقه عن مسلم بن خالد ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء ، عن ابن عباس وابن الزبير وغيرهما ، عن جماعة من الصحابة ؛ منهم : عمر وعلي[٥] وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم . وكلُّهم عن رسول الله ﷺ . وتفقَّه أيضاً على مالك عن مشايخه .

وتفقَّه به جماعةٌ قد ذكرناهم ومَن بعدهم إلى زماننا في تصنيفٍ مفردٍ ، ولله الحمد والمنَّة .

وقد روى ابنُ أبي حاتم ، عن أبي بشر الدولابي ، عن محمد بن إدريس ورَّاقِ الحُميدي ، عن الحُميدي ، عن الشافعيِّ : أنَّه ولي الحكم بنجران من أرض اليمن ، ثم تعصَّبوا عليه ووشَوْا به إلى الرشيد هارون أنه يَرُومُ الخلافة ، فحُمِلَ على بغلٍ في قيدٍ إلى بغداد ، فدخلها في سنة أربعٍ وثمانين وعمرُه ثلاثون سنةً ، فاجتمع بالرشيد ، فتناظر هو ومحمد بن الحسن[٦] بين يديه ، وأحسن القولَ فيه محمد بن

---

(١) زيادة في ب ، ظا .

(٢) مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد ، المخزوميّ مولاهم ، الزَّنجيّ ، المكّي ، فقيه صدوق ، كثير الأوهام في الحديث . كان أبيض بحمرة ، ولقب بالزَّنجي لحبه للتمر . قالت له جاريته : ما أنت إلا زنجيّ . وبه تفقه الإمام الشافعي قبل أن يلقى مالكاً ، وقد أذِن له بالإفتاء . توفي سنة ١٧٩هـ . سير أعلام النبلاء (٨/ ١٥٨) ، والأعلام (٧/ ٢٢٢) .

(٣) زيادة في ب ، ظا .

(٤) في ظا ، ب : سردنا .

(٥) في ط : عمرو بن علي وهو تصحيف .

(٦) هو محمد بن الحسن بن فرقد ، أبو عبد الله الشيباني ، فقيه العراق ، صاحب أبي حنيفة . ترجم له المؤلف في حوادث سنة ١٨٩ .

الحسن ، وتبين للرشيد براءته مما نُسب إليه ، وأنزله محمد بن الحسن عنده . وكان أبو يوسف[١] قد مات قبل ذلك بسنة ، وقيل : بسنتين . وأكرمه[٢] محمد بن الحسن وكتب عنه الشافعيُّ وِقْرَ بعيرٍ ، ثم أطلق له الرشيدُ ألفي دينارٍ ، وقيل : خمسة آلاف دينار .

وعاد الشافعيُّ إلى مكَّةَ ، ففرَّق عامة ما حصل له في أهله وذوي رَحِمِهِ من بني عمِّه .

ثم عاد الشافعيُّ إلى بغداد في سنة خمس وتسعين ومئة ، فاجتمع به جماعةٌ من العلماء هذه المرة ، منهم : أحمد بن حنبل ، وأبو ثور[٣] ، والحسين بن علي الكَرابيسي ، والحارث بن سُريج النَّقَّال[٤] ، وأبو عبد الرحمن الشافعي ، والزَّعفراني ، وغيرهم .

ثم رجع إلى مكة ، ورجع إلى بغداد أيضاً ، سنة ثمان وتسعين ومئة ، ثم انتقل منها إلى مصر فأقام بها إلى أن مات في سنة أربع ومئتين ، كما سيأتي .

وصنف بها كتابه « الأم » فهو من كتبه الجديدة ؛ لأنَّها من رواية الرَّبيع بن سليمان ، وهو مصري . وقد زعم إمام الحرمين[٥] وغيرُه أنَّها من القديم ، وهذا بعيدٌ وعجيب من مثله ، والله أعلم .

وقد أثنى على الشافعي غيرُ واحدٍ من كبار الأئمة ، منهم : عبدُ الرحمن بن مهدي[٦] ، وسأله أن يكتب له كتاباً في الأصول فكتب له « الرسالة »[٧] ، فكان يدعو له في صلاته دائماً ، وشيخُه مالك بن

---

(١) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري ، الكوفي ، القاضي أبو يوسف ، صاحب الإمام أبي حنيفة . ترجم له المؤلف في حوادث سنة ١٨٢ .

(٢) في آ وأدبه .

(٣) هو إبراهيم بن خالد الكلبي ، أبو ثور ، الفقيه المشهور ، ت٢٤٠هـ .

(٤) في آ : الحارث بن شريح القفال وفي ظا ، ط البقال ، وهو الحارث بن سريج النقّال ، أبو عمر ، خوارزمي الأصل ، أحد الفقهاء ، متهم في الحديث . تاريخ بغداد (١٨/ ٢٠٩) ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٣٣) .

(٥) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، الملقب بإمام الحرمين ؛ لمجاورته بمكة أربع سنين . أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، توفي سنة ٤٧٨هـ .

(٦) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ، أبو سعيد العنبري ، اللؤلؤي . من كبار حفاظ الحديث ؛ قال الشافعي : لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن . توفي سنة ١٩٨هـ . سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢ـ٢٠٩) .

(٧) في الأصول : بالرسالة ، وأثبت ما في ط . وكتاب « الرسالة » في أصول الفقه ، مطبوع . وكتب الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٤) ما نصه : كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي ، وهو شاب ، أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ، ويجمع قبول الأخبار ، وحُجّة الإجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ ، فوضع له كتاب الرسالة .
وفي هامش التحقيق : وهي الرسالة القديمة التي كتبت عنه بالعراق ، وأرسلها إلى عبد الرحمن بن مهدي مع الحارث بن سُريج النقّال الخوارزمي ، ثم البغدادي ، وبسبب ذلك سمي النقّال . وهذه الرسالة القديمة غير معروفة ، وليس في أيدي الناس الآن غير الرسالة الجديدة المطبوعة طبعة جيدة بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله .

أنس ، وقتيبةُ بن سعيد[١] ؛ وقال : هو إمام [سنّة][٢] ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطّان ، وكان يدعو له في صلاته ، وأبو عُبَيد[٣] ؛ وقال : ما رأيت أفصحَ ولا أعقلَ ، ولا أورَعَ من الشافعي ، ويحيى بن أكثم القاضي ، وإسحاق بن رَاهَوَيه ، ومحمد بن الحسن ، وغيرُ واحد ممن يطولُ ذِكرهم وشرح أقوالهم[٤] .

وكان أحمدُ بن حنبل يدعو له في صلاته نحواً من أربعين سنة ، وكان أحمدُ يقولُ في الحديث الذي رواه أبو داود[٥] من طريق عبد الله بن وَهْب ، عن سعيد بن أبي أيوب ، عن شراحيل بن يزيد ، عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « إنَّ اللهَ يبعَثُ لهذه الأُمَّةِ على رأسِ كُلِّ مئة سَنَةٍ من يُجدِّدُ لها أَمْرَ دِينِها »[٦] . قال : فعُمَرُ بنُ عبد العزيز على رأسِ المئة ، والشافعيُّ على رأس المئتين .

وقال أبو داود الطيالسيُّ[٧] : حدثنا جعفرُ بن سليمان ، عن النَّضر بن معبد[٨] الكندي ـ أو العبدي ـ عن الجارود[٩] ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تَسُبُّوا قُريشاً ، فإنَّ عالِمَها يملأ الأرضَ علماً ، اللهم إنَّك أذقْتَ أوَّلَها عَذَاباً ، أو وبالاً ، فأذِقْ آخرَها نَوالاً » . هذا غريبٌ من هذا الوجه[١٠] .

---

(١) قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي أبو رجاء البغلاني . شيخ الإسلام ، المحدث الإمام ، الثقة ، مات سنة ٢٤٠هـ . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣ـ٢٤) .

(٢) زيادة من ظا ، ب .

(٣) أبو عبيد ، القاسم بن سلام الهروي ، أحد أئمة اللغة والفقه والحديث والقرآن وغيرها . مات سنة ٢٢٤هـ .

(٤) كثيرون هم الذين ترجموا للإمام الشافعي وكتبوا عنه ذاكرين مناقبه وسيرته رحمه الله ؛ منهم على سبيل المثال : البيهقي وله « مناقب الشافعي » ، والرازي وله أيضاً « مناقب الشافعي » ، والسبكي في « طبقات الشافعية » وابن الجوزي في « صفة الصفوة » ، ولابن حجر العسقلاني « توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس » . وغير ذلك .

(٥) سنن أبي داود (٤٢٩١) في الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المئة ، وهو حديث صحيح .

(٦) وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل (١/ ١٢٣) ، والحاكم (٤/ ٥٢٢) ، والبيهقي في المعرفة ٥٢ ، والخطيب في تاريخ مدينة السلام (ط . د . بشار) من طريق سعيد بن أبي أيوب ، به . وإسناده حسن ، وشرح معناه في جامع الأصول (١١/ ٣٢٠) (بشار) .

(٧) مسند الطيالسي (٣١٠) .

(٨) هكذا في النسخ ، وهو كذلك في مسند الطيالسي ، وحلية الأولياء ، وتاريخ الخطيب ، وتاريخ دمشق ، وتهذيب الكمال . ووقع في ضعفاء العقيلي (٤/ ٢٨٩) والجرح والتعديل (٨/الترجمة ٢١٨٤) ، وميزان الاعتدال (٤/ الترجمة ٩٠٦٠) « حميد » ، ومهما يكن فهو متروك لا يفرح به (بشار) .

(٩) هكذا ورد اسمه في النسخ كافة ، وفي عدد من مصادر التخريج ، وهو وهم من بعض رواة الحديث حيث أسقط لفظة « أبي » منه ، والصواب « أبو الجارود » وهو زياد بن المنذر الكوفي ، كذبه يحيى بن معين ، كما في التقريب لابن حجر .

(١٠) وأخرجه أيضاً العقيلي في الضعفاء (٤/ ٢٨٩)؛ وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٥٩)؛ و(٩/ ٦٥) والخطيب البغدادي في=

وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه[١] .

قال أبو نُعيم عبد الملك بن محمد الإسفراييني : لا ينطبق هذا إلا على محمد بن إدريس الشافعيِّ ؛ حكاه الخطيب .

وقال يحيى بن مُعين : صدوقٌ لا بأس به[٢] .

وقال مرَّةً : لو كان الكذبُ له مطلقاً لكانت مروءته تمنعه من أن يكذبَ[٣] .

وقال[٤] ابنُ أبي حاتم : سمعتُ أبي يقولُ : الشافعيُّ فقيه البدن ، صدوقُ اللسان .

وحكى بعضُهم عن أبي زُرْعَة ، أنَّه قال : ما عندَ الشافعيِّ حديثٌ غَلِطَ فيه[٥] .

وحُكي عن أبي داود نحوه[٦] .

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خُزَيمة ـ وقد سئل : هل سنة لم تبلغ الشافعيَّ؟ ـ فقال لا[٧] .

ومعنى هذا : أنها تبلغه تارة بسندها ، وتارة مرسلةً ، وتارة منقطعةً ، كما هو الموجود في كتبه ، والله أعلم .

وقال حَرْمَلَةُ : سمعتُ الشافعيَّ يقول : سُمِّيتُ ببغداد ناصِرَ السنة[٨] .

= تاريخه (٢/ ٣٩٨) (ط . د . بشار) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/ ٣٢٦) ، والمزي في تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٦٣) من طريق النضر الكندي ، به وإسناده ضعيف جداً ، لكن قوله في آخر الحديث : « اللهم ، إنك أذقت أولها عذاباً أو وبالا ، فأذق آخرها نوالا » رواه الترمذي رقم (٣٩٠٨) وأحمد في المسند (١/ ٢٤٢) من حديث ابن عباس . وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وله شاهد من حديث ابن عمر في مسند الشهاب للقضاعي (٢/ ٣٤١) ، فهذه الزيادة ثابتة ، ولكن أول الحديث « لا تسبوا قريشاً ، فإن عالمها يملأ الأرض علماً » ضعيف جداً كما تقدم .

(١) لم أجده عند الحاكم .

(٢) الحلية (٩/ ٩٧) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧) .

(٣) في آ: من الكذب . معجم الأدباء (١٧/ ٣١٤) .

(٤) من هنا حتى قوله: صدوق اللسان لم يرد في ظا ، ب .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧) .

(٦) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧)

(٧) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤) أن يحيى بن منصور القاضي ، قال: سمعت إمامَ الأئمة ابنَ خزيمة يقول ، وقلت له: هل تعرف سنةً لرسول الله ﷺ في الحلال والحرام لم يُودعها الشافعيُّ كتبَه ؟ قال: لا .

(٨) تاريخ بغداد (٢/ ٦٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧) .

وقال أبو ثَوْرٍ : ما رأينا مثلَ الشافعيِّ ، ولا رأى هو مثلَ نفسِهِ[١] . وكذا قال الزَّعْفَرَانيُّ وغيرُ واحد .

وقال داود بن علي الظاهريُّ[٢] في كتابٍ جَمعه في فضائل الشافعي : للشافعيِّ من الفضائل ما لم يجتمع لغيره ؛ من شرفِ نسبِهِ ، وصحة دِينه ومعتقده[٣] ، وسخاوةِ نفسِه ، ومعرفته بصحة الحديث وسقمه ، وناسخه ومنسوخه ، وحفظِه الكتابَ والسنَّةَ وسيرةَ الخلفاءِ ، وحسنِ التصنيف ، وجودةِ الأصحابِ والتلامذة ، مثلِ أحمد بن حنبل في زهده وورعه ، وإقامته على السنة . ثم سَرَد أعيانَ أصحابه من البغاددة والمصريين . وكذا عدَّ أبو داود في جملة تلامذته في الفقه : أحمد بن حنبل .

وقد كان الشافعيُّ ـ رحمه الله ـ من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة ، وأشدِّ النَّاس انتزاعاً للدلائل منهما .

وكان من أحسن النَّاس قصداً وإخلاصاً ، كان يقولُ : وددْتُ : أنَّ النَّاس تعلموا هذا العلمَ ولا يُنسبُ إليَّ منه شيءٌ أبداً ، فأُوْجَرُ عليه ولا يَحمدوني[٤] .

وقد قال غيرُ واحدٍ عنه : إذا صحَّ عندكم الحديثُ عن رسول الله ﷺ فقولوا به ودعوا قولي ، فإني أقولُ به ، وإن لم تسمعوه منِّي[٥] .

وفي رواية : فلا تقلِّدُوني .

وفي رواية : فلا تلتفتوا إلى قولي .

[وفي رواية : فاضْرِبُوا بقولي عُرْضَ الحائطِ ، فلا قولَ لي مع رسول الله ﷺ][٦] .

وقال : لأنْ يَلقى اللهَ المرْءُ[٧] بكل ذنبٍ ما خلا الشرك باللهِ ، خيرٌ له من أن يَلْقَاه بشيءٍ من الأهواء .

وفي رواية : خيرٌ له من أن يلقاه بعلمِ الكلام .

وقال : لو علِمَ النَّاس ما في الكلام من الأهواء لفرُّوا منه كما يُفَرُّ مِنَ الأسدِ .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٤١١) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦) .

(٢) أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام ، تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، سميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة ، وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس . توفي سنة ٢٧٠هـ ، وسيترجم له المؤلف في تلك السنة .

(٣) في ب ، ظا : ومعرفته . والخبر في معجم الأدباء (١٧/ ٣١٥) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥)

(٥) المصدر السابق .

(٦) ما بين قوسين زيادة من ط فقط . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣ـ٣٥) .

(٧) في ط وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦): العبد .

وقال أيضاً : حكمي في أهلِ الكلام أن [يُضربوا بالجَريد][(١)] ، ويُطاف بهم في القبائل ، ويُنادى عليهم : هذا جزاءُ من ترك الكتاب والسنة ، وأقبلَ على الكلام .

وقال البُوَيْطيُّ : سمعت الشافعيَّ يقولُ : عليكم بأصحاب الحديث فإنَّهم أكثرُ الناس صواباً .

وكان يقول : إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث فكأنَّما رأيتُ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ وجزاهم الله خيراً ، حفظوا لنا الأصلَ ، فلهم علينا الفضل[(٢)] . ومن شعره في هذا المعنى قولُه[(٣)] :

كُلُّ العُلوم سِوَى القرآنِ مَشغلةٌ إلا الحديثَ وإلا الفقهَ في الدِّينِ
العلمُ ما كانَ فيهِ قالَ حدَّثنا وما سِوى ذاكَ وَسواسُ الشَّياطينِ

وكان يقول : القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ ، ومَن قال مخلوقٌ فهو كافر[(٤)] . وقد روى عنه الربيعُ وغيرُ واحدٍ من رؤوس أصحابه ما يدُلُّ على أنه كان يُمرُّ آياتِ الصِّفات وأحاديثَها كما جاءت من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، ولا تحريف ، على طريقة السَّلف .

وقال ابنُ خُزيمة : أنشدني المُزنيُّ ، قال : أنشدنا الشافعيُّ لنفسه[(٥)] :

فما شئتَ كانَ وإنْ لم أشأْ وما شئتُ إنْ لم تَشَأْ لم يكنْ
خَلَقْتَ العِبادَ على ما علمْتَ ففي العلم يجري الفَتَى والمُسِنّ
فمنهم شقيٌّ ومنهمْ سعيدٌ ومنهمْ قبيحٌ ومنهمْ حَسَنْ
على ذا مَنَنْتَ وهذا خذَلْتَ وهذا أعنْتَ وذا لم تُعِنْ

وقال الربيعُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : أفضلُ الناس بعدَ رسولِ الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي .

وعن الربيع ، قال : أنشدنا الشافعيُّ[(٦)] :

قد نفَّرَ[(٧)] الناس حتَّى أحدثوا بِدَعاً في الدِّينِ بالرأي لم تُبعَثْ بها الرُّسُلُ

---

(١) زيادة من ط وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩) . و« الجَريد » : جمع جريدة ، وهي السَّعَفَة التي تقشر من خوصها .
(٢) حلية الأولياء (٩/ ١٠٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٠) .
(٣) طبقات الشافعية للسبكي (١/ ٢٩٧) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨ـ٣٠) .
(٥) طبقات الشافعية للسبكي (١/ ٢٩٥) ، وابن عساكر (١٤/ ٤٠٦ـ٤٠٧) ، ومناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤١٢ و٢/ ١٠٩) .
(٦) ابن عساكر (١٠/ ١٩٠) ، ومناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٧١) وفي الأخير : لم يبرح الناس .
(٧) في ط : عوج .

حتَّى استخَفَّ بحقِّ اللهِ أكثرُهم وفي الذي حُمِّلُوا من حقِّهِ شُغُلُ

وقد ذكرنا من شعره في السُّنّة وكلامه فيها وفي الحِكم والمواعظ طرفاً صالحاً في الذي كتبناه في أول « طبقات الشافعية » .

وقد كانت وفاتُه بمصرَ يومَ الخميس ، وقيل : يوم الجمعة ، في آخر يومٍ من رجبَ سنة أربعٍ ومئتين ، عن أربع وخمسين سنة .

وكان أبيضَ جميلاً ، طويلاً ، مَهيباً ، يخضِبُ بالحِنَّاء ، مخالفاً للشيعة ، رحمه الله ، وأكرَمَ مثواه[١] .

وممن توفي فيها أيضاً :

إسحاق بن الفُرات[٢] .

وأشْهَبُ بن عبد العزيز المصريُّ المالكيُّ[٣] .

والحسنُ بن زياد اللؤلؤي الكوفي الحنفي[٤] .

وأبو داود سليمان بن داود الطَّيالسي صاحبُ المسند[٥] ، أحد الحفاظ .

وأبو بدر شُجاع بن الوليد[٦] .

وأبو بكر الحنفي ، عبدُ الكبير[٧] .

---

(١) وفيات الأعيان (٤/ ١٦٥) .

(٢) إسحاق بن الفُرات بن الجَعْد ، أبو نُعَيم التُّجيبيُّ ، فقيه الديار المصرية وقاضيها ، تلميذ الإمام مالك . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٣) .

(٣) أشهب بن عبد العزيز بن داود ، أبو عمرو القيسي ، يقال : اسمه ، مِسكين ، وأشهب لقبٌ له . مفتي مصر ، فقيه ، ثقة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٠) .

(٤) هو أبو علي الأنصاري ، صاحب أبي حنيفة ، فقيه العراق ، أحد الأذكياء البارعين في الرأي . تاريخ بغداد (٧/ ٣١٤) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤٣) .

(٥) سليمان بن داود بن الجارود ، أبو داود الطيالسي البصري ، ثقة حافظ ، غلط في أحاديث . سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٧٨) ، وتقريب التهذيب (١/ ٣٢٣) .

(٦) شجاع بن الوليد بن قيس السَّكوني ، أبو بدر الكوفي ، نزيل بغداد ، كثير الصلاة والورع ، صدوق ، له أوهام .

(٧) في ط وعبد الكريم ، خطأ . وهو عبد الكبير بن عبد المجيد البصري ، من أئمة الحديث . وثقه أحمد بن حنبل وغيره .
سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٨٩) .

وعبد الوهَّاب بن عطاء الخفَّاف[١] .

والنَّضْر بن شُمَيل ، أحدُ أئمة اللغة[٢] .

وهشامُ بن محمد بن السَّائب الكلبي ، أحدُ علماء التاريخ[٣] .

ثم دخلت سنة خمس ومئتين

فيها : ولَّى المأمون طاهر بن الحسين بن مصعب نيابةَ بغداد والعراق وخراسان إلى أقصى عملِ المشرق ، ورضي عنه ، ورفَعَ منزلته جداً ، وذلك لمرض الحسن بن سهل بالسَّوداء . وولَّى المأمون مكان طاهر على الرقة والجزيرة يحيى بن معاذ .

فقدم عبدُ الله[٤] بن طاهر بن الحسين إلى بغداد في هذه السنة ، وكان أبوه قد استخلفه على الرقة وأمره بمقاتلة نَصْر بن شَبَث[٥] .

وولَّى عيسى بن محمد بن أبي خالد أذربيجان وأرمينية ، وأمره بمحاربة بابَك الخرّمي .

وولَّى عيسى بن يزيد الجُلوديَّ مقاتلة الزُّطّ .

ومات نائبُ مصر السَّريُّ بن الحكم بها ، ونائبُ السند داودُ بن يزيد ، فولَّى مكانه بشرَ بن داود ، على أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم .

---

(١) هو أبو نصر البصري الخفَّاف ، مولى بني عجل ، إمام ، صدوق ، عابد ، محدِّث ، ربما أخطأ . سكن بغداد . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥١) ، تقريب التهذيب (١/ ٥٢٨) .

(٢) النَّضْر بن شُمَيْل بن خَرَشة بن يزيد المازني التميمي ، أبو الحسن . أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة ، اتصل بالمأمون العبَّاسي فأكرمه ، وقرَّبه ، توفي بمرو . إنباه الرواة (٣/ ٣٤٨) ، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢٨) .

(٣) هو هشام بن محمد بن السَّائب بن بشر الكلبي ، أبو المنذر . مؤرخ ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها ، كأبيه محمد بن السّائب . وتصانيفه جمّة ، يقال : بلغت مئة وخمسين مصنفاً ، ذكر منها ابن النديم في فهرسه مئة وأربعة وأربعين كتاباً . من كتبه : جمهرة الأنساب ، والأصنام ، ونسب الخيل ، وغير ذلك .
الفهرست (١٠٨) ، وتاريخ بغداد (١٤/ ٤٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠١) .

(٤) في آ : طاهر بن عبد الله بن الحسين ، وهو تحريف .

(٥) في آ : ظا : شيب ، خطأ . وهو نصر بن شَبَث العقيلي ، ثائر للعصبية العربية ، من بني عقيل ، وكانت إقامته في كَيْسوم بشمالي حلب ، وحاصره عبد الله بن طاهر ، وانتهى أمره بالاستسلام ، وسير إلى بغداد سنة ٢١٠هـ ، ولا يعلم ما آل إليه أمره بعد ذلك . الطبري (٨/ ٥٨٠ ، ٥٩٨) والأعلام (٨/ ٢٣) .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبيدُ الله بن الحسن[١] ، نائب الحرمين الشريفين .

وتوفي فيها من الأعيان :

إسحاق بن منصور السَّلُوليُّ[٢] .

وَبِشْرُ بن بكر الدِّمشقيُّ[٣] .

وأبو عامر العَقَديّ[٤] .

ومحمد بن عُبيد الطَّنافسيّ[٥] .

ويعقوب الحضرميُّ[٦] .

وأبو سليمان الدَّاراني[٧] : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية ، وقيل : عبد الرحمن بن عَطِيَّة ، وقيل : عبد الرحمن بن عَسْكَر ، أبو سليمان الدَّارانيُّ ، أحدُ أئمة العلماء العاملين ، أصله من واسط ، وسكن قرية غربي دمشق يُقال لها : داريَّا .

وقد سمع الحديثَ من سفيان الثوريِّ وغيره ، ورَوى عنه أحمدُ بن أبي الحواري وجماعة .

وأسند الحافظُ ابنُ عساكر من طريقه ، قال : سمعت عليَّ بن الحسن بن أبي الربيع الزاهد ، يقول : سمعت إبراهيمَ بنَ أدهم ، يقول : سمعت ابنَ عجلانَ يذكُرُ عن القَعْقَاع بن حكيم ، [عن أبي صالح][٨]

---

(١) في آ : الحسين ، وأثبت ما جاء في ظا ، ب والطبري .

(٢) إسحاق بن منصور السَّلُوليُّ ، أبو عبد الرحمن الكوفيُّ . صدوق ، تكلم فيه للتشيع . تهذيب الكمال (٢/ ٤٧٨) وتقريب التهذيب (١/ ٦١) .

(٣) بِشر بن بكر ، أبو عبد الله البَجَليّ الدِّمشقي ، التِّنِّيسي ، الإمام الحجّة ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٧) .

(٤) هو عبد الملك بن عمرو القيسي العَقَديّ ، البصري ، أبو عامر . محدِّث البصرة ، الحافظ ، ثقة مأمون . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٦٩) .

(٥) محمد بن عبيد بن أبي أُميَّة الطَّنافِسيّ ، الكوفي ، الأحدب ، ثقة ، يحفظ . تقريب التهذيب (٢/ ١٨٨) .

(٦) في ط : يعقوب الحضري ، تحريف . وهو يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي ، أبو محمد المقرىء ، صدوق . تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٥) .

(٧) له ترجمة في تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني ص٥١ وطبقات الصوفية (ص٧٥) ، وحلية الأولياء (٩/ ٢٥٤) ، وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٨) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢) ، وشذرات الذهب (٢/ ١٣) ، وقد اختلف في سنة وفاته ، فقيل : سنة ٢١٥ ، وقيل : سنة ٢٠٥ ، وقيل غير ذلك .

(٨) ما بين قوسين لم يرد في آ ، ط وأثبت من ظا ، ب و« ابن عساكر » ، وهو أبو صالح السمَّان ، واسمه ذكوان ، المدني ، الزيات ، ثقة ، ثبت مات سنة ١٠١هـ . تقريب التهذيب (١/ ٢٣٨) . ابن عساكر المجلد الأربعون (ص٧٧) .

عن أنسِ بن مالك ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ صلَّى قبلَ الظهر أربعاً غُفِرَت ذنوبُه يومَه ذلكَ »[١] .

وقال أبو القاسم القشيريُّ : حُكي عن أبي سليمان الداراني ، قال : اختلفْتُ إلى مجلسِ قاصٍّ ، فأثَّر كلامُه في قلبي ، فلمَّا قمتُ لم يبقَ في قلبي شيءٌ ، فعدت إليه ثانيةً ، فأثَّر كلامُه في قلبي بعدما قُمْتُ وفي الطريق ؛ ثم عُدْت ثالثةً ، فبقي أثرُ كلامِه في قلبي حتَّى رجعت إلى منزلي ، فكسرْتُ آلات المخالفات ، ولزمت الطريق[٢] .

فحُكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ ، فقال : عصفورٌ اصطادَ كُرْكِيًّا[٣] ، يعني بالعصفور : القاصَّ ، وبالكُرْكيِّ : أبا سليمان الداراني[٤] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان ، يقول : ليس لمن أُلهمَ شيئاً من الخير أن يعملَ به حتى يسمَعَهُ من الأثَرِ ، فإذا سمعه من الأثر عمِل به ، وحمدَ اللهَ حين وافق ما في قلبه[٥] .

وقال الجُنَيْد : قال أبو سليمان الدّارانيُّ : ربَّما يَقَعُ في قلبي النُّكْتةُ مِن نُكَتِ القومِ أياماً ، فلا أَقْبَلُ منه إلا بشاهدين عَدْلين : الكتابِ والسُّنَّة[٦] .

قال : وقال أبو سليمان : أفضلُ الأعمال خلافُ هوى النَّفْس[٧] .

وقال : لِكُلِّ شيء عَلَمٌ ، وَعَلَمُ الخِذْلانِ تركُ البكاء[٨] .

وقال : لِكُلِّ شيءٍ صَدَأٌ ، وصَدَأ نورِ القلب شِبَعُ البَطْنِ[٩] .

---

(١) وأخرجه أيضاً الخطيب البغدادي (١٠/ ٢٤٨) .
وفي سنده (محمد بن عمر بن الفضل) قال الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » (٣/ ٦٧١) عنه : اتهم بالكذب ، قال : وقال ابن أبي الفوارس : وكان كذاباً وانظر « زوائد تاريخ بغداد » رقم (١٥٢٥) ويغني عنه حديث « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر ، وأربع بعدها ، حرَّمه الله على النار » رواه أبو داود رقم (١٢٦٩) والترمذي (٤٢٨) من حديث أم حبيبة وقال الترمذي : حديث صحيح .
(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، المجلد الأربعون (ص٨٠) وطبقات الأولياء (٣٨٨) .
(٣) « الكُرْكيّ » طائر كبير ، أغبر اللون ، طويل العنق والرجلين ، أبتر الذنَب ، قليل اللحم ، يأوي إلى الماء أحياناً . جمع كَراكيّ .
(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، المجلد الأربعون ص(٨٠) ، وطبقات الأولياء (٣٨٨) .
(٥) في ط عمل به ، فكان نوراً على نور . والخبر في تاريخ ابن عساكر المجلد الأربعون (ص٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٣) .
(٦) تاريخ ابن عساكر المجلد الأربعون (ص٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٣) ، والحاشية (٣) .
(٧) ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٣) .
(٨) ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٣) .
(٩) المصدر السابق .

وقال : كُلُّ ما شَغَلَكَ عن الله من أهلٍ ، أو مالٍ ، أو ولدٍ ، فهو عليك مشؤومٌ[١] .

وقال : كنتُ ليلةً في المحراب أدعو ويداي ممدودتان ، فغلبني البَرْدُ ، فضممْتُ إحداهما وبقيت الأخرى مبسوطةً أدعو بها ، وغلبَتْني عيني فنمت ، فهَتفَ بي هاتفٌ : يا أبا سليمان : قد وضَعْنا في هذه ما أصَابَها ، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها . قال : فآليْتُ على نفسي ألا أدعوَ إلا ويداي خارجتان ، حَرّاً كان أو برداً[٢] .

وقال أبو سليمان : نمت ليلةً عن وِرْدِي ، فإذا أنا بحوراءَ تقولُ لي : تنام وأنا أُرَبَّى لكَ في الخُدورِ منذ خمسمئة عام[٣] ؟

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان ، يقول : إنَّ في الجنة أنهاراً على شاطئيها خيامٌ فيهن الحُور ، ينشئ الله خلق إحداهن[٤] إنشاءً فإذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهن الخيامَ ، جالسة[٥] على كرسي ميل في ميل ، قد خرج[٦] عَجيزتُها من جوانب الكرسيّ ، فيجيء أهلُ الجنة من قصورهم يتنزهون ما شاؤوا ، ثم يخلو كلُّ رجلٍ منهم بواحدة منهن . قال أبو سليمان : كيف يكونُ في الدنيا حالُ منْ يُريد يفتضُّ[٧] الأبكار على شاطئ الأنهار في الجنة[٨] ؟ .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : ربَّما مكثت خمس ليالٍ لا أقرأ بعد الفاتحة إلا بآيةٍ واحدةٍ أتفكَّر في معانيها ، ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل ، فسبحان مَن يردُّه بعدُ[٩] .

وسمعته يقول : أصلُ كُلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرة الخوفُ من الله عز وجلَّ ، ومفتاحُ الدنيا الشِّبَعُ ، ومفتاحُ الآخرة الجوعُ[١٠] .

---

(١) ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٨٢ ، ٨٥) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٤) ، حلية الأولياء (٩/ ٢٦٤) .
(٢) حلية الأولياء (٩/ ٢٥٩) ، وتاريخ ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٨٣) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٤) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) في ط : الحوراء .
(٥) في ط : الواحدة منهن جالسة .
(٦) في ط : وابن عساكر : خرجت .
(٧) في ط : افتضاض .
(٨) تاريخ ابن عساكر ، المجلد ٤٠ ، (ص٩٢) .
(٩) حلية الأولياء (٩/ ٢٦٢) . وتاريخ ابن عساكر (المجلد ٤٠) ، (ص٨٣) .
(١٠) تاريخ ابن عساكر ، المجلد ٤٠ (ص٨٤) .

وقال لي يوماً : يا أحمدُ ، جوعٌ قليلٌ ، وذلٌّ قليلٌ ، وعُرْيٌ قليلٌ ، وفقرٌ قليلٌ ، وصبرٌ قليلٌ ، وقد انقضت عنك أيامُ الدنيا(١) .

قال : واشتهى يوماً(٢) رغيفاً حارًّا بملحٍ . قال : فجئته به ، فعضَّ منه عضَّةً ثم طرَحَه ، وأقبل يبكي ، ويقولُ : يا ربّ ، عجّلتَ لي شهوتي ، لقدْ أطلت جهدي وشِقْوتي ، وأنا تائب [فاقبل توبتي](٣) . فلم يذق الملح حتَّى لحق بالله عزَّ وجلَّ(٤) .

قال : وسمعته يقول : ما رضيتُ عن نفسي طرفة عينٍ ، ولو أنَّ أهلَ الأرض اجتمعوا على أن يَضَعوني كاتِّضاعي(٥) عند نفسي ما أحسنوا(٦) .

وسمعته يقول : مَن رأى لنفسه قيمةً لم يَذُقْ حلاوةَ الخِدْمة(٧) .

[وسمعته يقول : إذا تكلَّفَ المتعبِّدون ألا يتكلموا إلا بالإعراب ذهب الخشوع من قلوبهم](٨) .

[وسمعته يقول : مَنْ حَسُنَ ظنُّه بالله ثم لا يخافُ ، فهو مَخْدوعٌ(٩) .

وقال : ينبغي للخوف أن يكونَ أغلبَ من الرجاء ، فإذا غلب الرجاء على الخوف فَسَدَ القلب(١٠) .

وقال لي يوماً : هل فوقَ الصبر منزلة ؟ فقلت : نعم - يعني : الرضا - فصرخ صرخةً غشي عليه ، ثم أفاق ، فقال : إذا كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب ، فما ظنك بالأخرى(١١) ، وهم الذين رضي عنهم .

وقال أبو سليمان : ما يسرّني أن لي الدنيا من أولها إلى آخرها أنفقه في وجوه البرِّ ، وأنّي أغفلُ عن الله طرفة عين(١٢) .

---

(١) في آ: جوّع قلبك ، وذلل قلبك ، وعز قلبك ، وفقر قلبك ، وصبر قلبك ، واثبت ما جاء في ظا ، ب ، وابن عساكر المجلد ٤٠ ، (ص٨٦) .
(٢) في ظا ، ب: مرة .
(٣) زيادة من ظا ، ب وابن عساكر .
(٤) تاريخ ابن عساكر ، المجلد الأربعون (ص٨٦) .
(٥) وَضُعَ الرجل يَوْضُع ضِعة بفتح الضاد وكسرها: صار وضيعاً .
(٦) تاريخ ابن عساكر ، المجلد ٤٠ (ص٨٧) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٩) .
(٧) تاريخ ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٨٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٤) .
(٨) زيادة من ظا ، ب وابن عساكر (ص٨٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٤) .
(٩) تاريخ ابن عساكر ، المجلد ٤٠ (ص٨٨) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٦) .
(١٠) ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٩١) .
(١١) تاريخ ابن عساكر ، المجلد ٤٠ (ص٨٨) .
(١٢) ذكره ابن عساكر في تاريخه ، المجلد ٤٠ (ص٨٩) من طريق ابن أبي الدنيا ، عن موسى بن عمران ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٥) .

وقال أبو سليمان : قال زاهدٌ لزاهدٍ : أَوْصِني ، فقال : لا يراكَ اللهُ حيثُ نهاكَ ، ولا يفقِدُكَ حيث أمرَكَ . فقال : زِدْني . فقال : ما عندي زيادة[١] .

وقال أيضاً : مَنْ أحسَنَ في نهاره كوفىء في ليله ، ومَنْ أحسَنَ في ليله كوفىء في نهاره ، ومَنْ صَدَقَ في ترك شَهْوةٍ ذَهب[٢] اللهُ بها من قلبه ، والله أكرمُ من أن يعذِّب قلباً في[٣] شهوةٍ تُركت له[٤] .

وقال : إذا سكنت الدنيا القلبَ ترحَّلَتْ منه الآخرة[٥] .

وقال : إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تَزْحَمُها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تَزْحَمْها الآخرة ؛ إنَّ الآخرة كريمةٌ ، والدنيا لئيمةٌ[٦] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : بِتُّ ليلةً عند أبي سليمان ، فسمعته يقول : وعزَّتِك وجلالِك ، لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنَّك بعفوك ، ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بسخائك ، ولئن أمرتَ بي إلى النار لأخبرنَّهم أنِّي كنت أحبُّك[٧] .

وكان أبو سليمان يقول : لو شكَّ النَّاسُ كلُّهم في الحق ما شككتُ فيه وحدي[٨] .

وكان يقول : ما خَلق اللهُ خَلْقاً أهونَ عليَّ[٩] من إبليس ، ولولا أنَّ الله أمرني أن أتعوَّذ منه ما تعوذت منه أبداً ، ولو بدا لي ما لطمت إلا صفحةَ وجهه[١٠] .

وكان يقول : إنَّ اللص لا يجيء إلى خربة ينقب حيطانها وهو قادر على الدخول إليها من أي مكان شاء ، وإنما يجيء إلى بيت معمورٍ ، وكذلك إبليسُ لا يجيء إلا إلى كُلِّ قلبٍ عامر ليستنزله[١١] عن شيءٍ[١٢] .

---

(١) ابن عساكر ، المجلد ٤٠ (ص٨٩) .
(٢) في آ ، ب : ذهب بها من قلبه ، وأثبت ما جاء في ظا وابن عساكر .
(٣) في ط وابن عساكر : بشهوة .
(٤) ابن عساكر ، المجلد (٤٠/ ٩١) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٩) .
(٥) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٢) .
(٦) بعدها في ط : وما ينبغي لكريم أن يزاحم لئيماً .
ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٢) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٥) .
(٧) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٥) . وفي ط : لأخبرن أهل النار أني أحبك .
(٨) ابن عساكر (المجلد ٥٠/ ٩٥) .
(٩) في آ : عليه .
(١٠) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٦) .
(١١) في ط : ليستنزله وينزله عن كرسيه ويسلبه أعزَّ شيء .
(١٢) الحلية (٩/ ٢٥٧) ، وابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٦) .

وكان يقول : إذا أخلص العبدُ انقطع عنه كثرةُ الوسواس والرّياء ، أو الرؤيا[(١)] .

قال : ومكثت عشرين سنةً لم أحتلم ، فدخلْتُ مكة ففاتتني صلاةُ العشاء في جماعة ، فاحتلمت تلك الليلة[(٢)] .

وقال : إن من خلق الله قوماً لا يَشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه ، فكيف يُشغلون بالدنيا[(٣)] ؟ .

وقال : الدنيا عند اللهِ أقلُّ من جناح بعوضةٍ ، فما الزهد فيها ، إنَّما الزهد في الجنان والحور العين ، حتَّى لا يرى اللهُ في قلبكَ غيرَه[(٤)] .

وقال الجُنيد : شيء يُروى عن أبي سليمان أنا استحسنْتُه كثيراً ، قوله : من اشتغل بنفسه شُغل عن الناس ، ومن اشتغل بربِّه شُغل عن نفسه وعن الناس[(٥)] .

وقال غيره : كان أبو سليمان يقول : خيرُ السَّخاء ما وافق الحاجة[(٦)] .

وقال أبو سليمان : من طلب الدنيا حلالاً واستعفافاً عن المسألة ، واستغناءً عن الناس ، لقي الله عزَّ وجلَّ يومَ يلقاه ووجهُهُ كالقمر ليلةَ البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً مكاثِراً مفاخراً لقي الله عز وجل يوم يلقاه وهو عليه غضبان[(٧)] .

وقال أبو سليمان : إنَّ قوماً طلبوا الغنى فحسبوا أنَّه في جمع المال ، ألا وإنَّما الغنى في القناعة . وطلبوا الراحة في الكَثْرة ، ألا وإنَّما الراحةُ في القِلَّة . وطلبوا الكرامة من الخلق ، ألا وإنَّما هي في التقوى . وطلبوا النعمة في اللباس الرقيق اللين ، وفي طعامٍ طيبٍ ، والنعمة في الإسلام والسِّترِ والعافيةِ[(٨)] .

وكان يقول : لولا قيامُ الليل ما أحببت البقاء في الدنيا ، وما أحبُّ البقاء لتشقيق الأنهار ولا لغرس الأشجار[(٩)] .

---

(١) بعدها في ط : يعني الجنابة ، ابن عساكر (المجلد ٤٠/٩٦ ، ٩٧) .
(٢) ابن عساكر (المجلد ٤٠/٩٧) .
(٣) تاريخ داريا (١١٧) ، وابن عساكر (المجلد ٤٠/٩٩) .
(٤) ابن عساكر (المجلد ٤٠/٩٩) .
(٥) ابن عساكر (المجلد ٤٠/٩٨) .
(٦) ابن عساكر (المجلد ٤٠/٩٨) .
(٧) ابن عساكر (المجلد ٤٠/١٠٠) .
(٨) ابن عساكر (المجلد ٤٠/١٠١) .
(٩) بعدها في ط : وإنما أحبها لصيام الهواجر وقيام الليل .
ابن عساكر (المجلد ٤٠/١٠٣) ، وصفة الصفوة (٤/٢٢٣) .

وقال : أهلُ الطاعة في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو بلهوهم ، وربَّما استقبلني الفرح في جوف الليل ، وربَّما رأيت القلْبَ يضحك ضحكاً[١] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان يقول : بينا أنا ساجد إذ ذَهب بي النَّوْمُ[٢] ، فإذا أنا بها ـ يعني : الحوراء ـ قد ركَضَتْني برجلها ، فقالت : حبيبي ، أترقدُ عيناك والمَلِكُ يَقْظَان ينظر إلى المتهجّدين في تهجُّدِهم ؟ بؤساً لعين آثرت لَذَّةَ نومةٍ على لَذَّةِ مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ ، ولقي المحبون بعضُهم بعضاً ، فما هذا الرُّقاد ؟! حبيبي وقرَّةَ عيني ، أترقدُ عيناك وأنا أُربَّىٰ لك في الخُدور منذ كذا وكذا ؟ فوثبْتُ فزِعاً وقد عَرِقْتُ استحياءً من توبيخها إيَّاي ، وإنَّ حلاوة منطِقها لفي سمعي وقلبي[٣] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : دخلت على أبي سليمان فإذا هو يبكي ، فقلت : ما لك ؟ فقال : زُجِرْتُ البارحةَ في منامي . قلت : ما الذي حلَّ بك[٤] ؟ قال : بينا أنا قد غفوت في محرابي إذ وقفْتُ على جاريةٍ تفوق الدنيا حسناً ، وبيدها ورقة ، وهي تقول : أتنام يا شيخ؟ فقلت : من غلبته عينُه نام . فقالت : كلا ، إنَّ طالب الجنة لا ينام ، فقالت : أتقرأ ؟ فأخذت الورقة من يدها ، فإذا فيها مكتوب[٥] :

لَهَتْ بكَ لَذَّةٌ عنْ حسنِ عيشٍ ... معَ الخيراتِ في غُرفِ الجنانِ
تعيشُ مخلَّداً لا موتَ فيها ... وتنعمُ في الجنانِ معَ الحسانِ
تيقَّظْ من منامِكَ إنَّ خيراً ... منَ النومِ التهجّد بالقرانِ

وقال أبو سليمان : أما يستحي أحدهم أن يلبَسَ عباءةً بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم[٦]؟!

وقال أيضاً : لا يجوز لأحدٍ أن يُظهر للناس الزهدَ والشهواتُ في قلبه ، فإذا لم يبقَ في قلبه شيءٌ من شهواتِ الدنيا جاز له أن يظهر للناس الزُّهدَ بلبس العَبَاء[٧] ، فإنَّها عَلَمٌ من أعلام الزُّهاد ، ولو لبس ثوبين أبيضين ليسترَ بهما أبصار الناس عنه كان أسلم لزهده[٨] .

---

(١) ابن عساكر (المجلد ٤٠/١٠٣) .
وبعدها في ط : وقال : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً ، فأقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيشٍ طيبٍ .
(٢) في آ : الليل .
(٣) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٤) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٥) .
(٤) في ظا ، ب : رأيت ، وفي ط : زجرك .
(٥) الخبر والأبيات في ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٤) .
(٦) حلية الأولياء (٩/ ٢٦٨) ، وابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٤) .
(٧) « العَبَاء » : ضرب من الأكسية ، الواحدة عباءة وعباية ، وقد تقع على الواحد؛ لأنه جنس . وقد تكرّر في الحديث . النهاية لابن الأثير (٣/ ١٧٥) .
(٨) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٥) .

وكان يقول : إذا رأيتَ الصوفيَّ يتنوَّق[١] في الصوف فليس بصوفيٍّ[٢] .

وخيارُ هذه الأمة أصحابُ القُطنِ ؛ أبو بكر الصدِّيق وأصحابه[٣] .

وقال أبو سليمان : إنَّما الأخ الذي يعظك برؤيته قبلَ كلامِهِ ، وقد كنتُ أنظر إلى الأخ من أصحابي بالعراق فأنتفع[٤] برؤيته شهراً .

وقال أبو سليمان : قال الله تعالى : عبدي ، إنك ما استحييتَ مني أنسيْتُ الناسَ عيوبَكَ ، وأنسيْتُ بقاعَ الأرض ذنوبَك ، ومحوْتُ زلاتِك من أُمِّ الكتاب ، ولا أناقشك في الحساب يومَ القيامة[٥] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سألت أبا سليمان عن الصبر ، فقال : والله إنَّك لا تقدرُ عليه في الذي تحبُّ ، فكيفَ فيما تكره[٦] ؟ .

وقال أحمد : تنهدْتُ عنده يوماً ، فقال : إنَّك مسؤولٌ عنها يوم القيامة ، فإنْ كانت على ذنبٍ سَلَفَ فطُوبى لك ، وإن كانت على الدنيا فويلٌ لك[٧] .

وقال : إنَّما رَجَعَ مَن رَجَع من الطريق قبلَ الوصول ، ولو وصلوا إلى الله ما رَجَعوا[٨] .

وقال : إنَّما عَصَى اللهَ من عصاه لهوانهم عليه ، ولو كرموا [عليه][٩] لحجزهم عن معاصيه[١٠] .

وقال : جُلَسَاءُ الرحمن يومَ القيامة مَنْ جعل فيهم خصالاً : الكرَم ، والحلم ، والحكمة ، والرَّحمة ، والرِّقَّة ، والفضل ، والصفح ، والإحسان ، والبرَّ ، والعفو ، واللطف[١١] .

وذكر أبو عبد الرحمن السُّلَميُّ في كتاب « محن المشايخ » : أنَّ أبا سليمان الدارانيَّ أُخرج من

---

(١) « تنوَّق في الأمر » : أي تأنَّق فيه .
(٢) ابن عساكر (المجلد ١٠٥/٤٠) .
(٣) ابن عساكر (المجلد ١٠٦/٤٠) وبعدها في ط ، وقال غيره : إذا رأيت ضوء الفقير في لباسه فاغسل يديك من لافحه .
(٤) في ابن عساكر : فأعمل على رؤيته شهراً ، وكذا في صفة الصفوة (٢٢٦/٥) .
(٥) ابن عساكر (المجلد ١٠٦/٤٠) .
(٦) ابن عساكر (المجلد ١٠٦/٤٠) .
(٧) ابن عساكر (المجلد ١٠٧/٤٠) .
(٨) ابن عساكر (المجلد ١٠٧/٤٠) .
(٩) من ظا ، ب .
(١٠) ابن عساكر (المجلد ١٠٨/٤٠) .
(١١) ابن عساكر (المجلد ١٠٩/٤٠) .

دمشق ، وقالوا : إنه يزعم أنَّه يرى الملائكة ويكلّمونه ، فخرج إلى بعض الثغور ، فرأى بعضُ أهل دمشق : أنه إن لم يرجع إليكم هلكتم . فخرجوا في طلبه وتشفَّعُوا إليه حتَّى ردُّوه[١] .

وقد اختلف الناس في وفاته على أقوال ، فقيل : سنة أربع ومئتين ، وقيل : سنة خمس ومئتين ، وقيل : سنة خمس عشرة ، وقيل : سنة خمس وثلاثين ، والله أعلم .

وقد قال مروان الطَّاطَرِيُّ[٢] يوم مات أبو سليمان : لقد أصيبَ به أهلُ الإسلام كلُّهم[٣] .

قلت : وقد دفن في قرية دارَيَّا ، وقبره بها مشهور وعليه بناءٌ ، وقبلته مسجد بناه الأمير ناهض الدين عمر المهراني ، ووقف على المقيمين عنده وقفاً يدخل عليهم منه غلة ، وقد جُدد مزارُه في زماننا هذا ، ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرَّض لموضع دفنه بالكلية ، وهذا عجيب منه .

وروى ابنُ عساكر ، عن أحمد بن أبي الحواري ، قال : كنت أشتهي أن أرى أبا سليمان في المنام ، فرأيتُه بعد سنة ، فقلت : ما فعلَ اللهُ بك يا معلّم ؟ فقال : يا أحمدُ ، دخلت يوماً من باب الصَّغير فرأيت حِمْلَ شِيحٍ[٤] ، فأخذتُ منه عوداً ، فما أدري تخلَّلتُ به أو رميته ، فأنا في حسابه إلى الآن[٥] .

وقد توفي ابنه سليمان بعده بنحوٍ من سنتين ، رحمهما الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست ومئتين

فيها : ولَّى المأمون داودَ بن ماسجور بلاد البصرة ، وكُور[٦] دِجْلَة ، واليمامة ، والبحرين ، وأمره بمحاربة الزُّطّ .

وفيها : جاء مدٌّ كثير فغرق بلاد أرض السواد ، وأهلك للناس شيئاً كثيراً .

وفيها : ولَّى المأمون عبدَ الله بن طاهر بن الحسين الرَّقَّة ، وأمره بمحاربة نَصْر بن شَبَثٍ ، وذلك أن

---

(١) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١١٠) .

(٢) يقال لمن يبيع الثياب البيض بدمشق ومصر : طاطري .
وهو مروان بن محمد بن حسَّان ، أبو بكر ، الإمام القدوة الحافظ ، مات سنة ٢١٠هـ .
اللباب (٢/ ٢٦٨) ، وسير اعلام النبلاء (٩/ ٥١٠) .

(٣) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١١٢)

(٤) في ظا ، ط: حمل شيخ . وفي ابن عساكر وسير أعلام النبلاء: وَسْقَ شيح . و« الوَسْق »: حمل بعير . و« الشِّيح »: نبتٌ سهلي رائحته طيّبة قوية . و« باب الصغير »: مقبرة في دمشق .

(٥) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١١٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٥) .

(٦) قال ياقوت : إذا أطلق هذا الاسم فإنما يراد به أعمال البصرة ما بين مَيْسان إلى البحر ، كلمة يقال له: كُور دِجْلَة .

نائبها يحيى بن معاذ مات ، وقد كان استخلَفَ مكانه ابنَه أحمد ، فلم يمض ذلك المأمون ، واستناب عليها عبدَ الله بن طاهر ، لشهامته وبصَرِه بالأمور ، وحثَّه على قتال نَصْر بن شَبَث ، وقد كَتَبَ إليه أبوه من خراسان بكتابٍ فيه الأمر له بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتباع الكتاب والسنة .

وقد ذكره ابنُ جرير(١) بطوله ، وقد تداوله الناسُ بينهم واستحسنوه وتهادَوه بينهم ، حتى بلغ أمرُه إلى المأمون ، فأمر فقرىء بين يديه ، فاستجاده جداً ، وأمر أن يكتب به نسخٌ إلى سائر العمال في الأقاليم .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين .

وفيها توفي من الأعيان :

إسحاق بن بشر الكاهلي أبو حذيفة صاحب كتاب « المبتدأ »(٢) .

وحجَّاج بن محمد الأعور(٣) .

وداود بن المُحَبَّر الذي وضع « كتاب العقل »(٤) .

وشَبَابة بن سَوَّار(٥) .

ومحاضر بن المُوَرِّع(٦) .

وقُطْرُب صاحب « المثلَّث » في اللغة(٧) .

---

(١) أي ذكر كتاب طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله . تاريخ الطبري (٨/ ٥٨٢ ـ ٥٩١) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٧٧) .

(٢) هو إسحاق بن بشر بن محمد القرشي البخاري ، أبو حذيفة . اشتغل بالحديث فوصم بالكذب . وقد خلط ابن حبان ترجمة هذا بترجمة إسحاق بن بشر الكاهلي الكوفي . وكتابه المبتدأ مخطوط ، منه الجزء الرابع ، في المجموع ٧١ بالظاهرية .
سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٧٧) ، والأعلام (١/ ٢٩٤) .

(٣) حجَّاج بن محمد الأعور ، أبو محمد المِصِّيصي ، ثقة ، ثبت ، مات في بغداد .

(٤) داود بن المُحَبَّر ، ابن قَحْذَم الثقفي ، البَكراوي ، أبو سليمان البصري ، نزيل بغداد ، متروك الحديث ، وأكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات ، كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب (١/ ٢٣٤) .

(٥) شَبَابة بن سَوَّار المدائني ، أبو عمرو الفزاريّ ، الإمام الحافظ الحجّة . ثقة ، حافظ ، رمي بالإرجاء . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٣) ، وتقريب التهذيب (١/ ٣٤٥) .

(٦) في ط : المورد ، خطأ . وهو محاضر بن المُوَرِّع الكوفي ، صدوق ، له أوهام . التقريب (٢/ ٢٣٠) .

(٧) هو محمد بن المُسْتَنير بن أحمد ، أبو علي ، الشهير بقُطرب ، وهو لقب دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه . وهو أول من وضع « المثلث » في اللغة ، وهو أحد أئمة النحو واللغة .
معجم الأدباء (١٩/ ٥٢) ، وبغية الوعاة (١٠٤) ، والأعلام (٧/ ٩٥) .

ووَهْب بن جَرير(١) .

ويزيد بن هارون شيخ الإمام أحمد(٢) .

ثم دخلت سنة سبع ومئتين

فيها خَرَجَ عبدُ الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ببلاد عَكّ ، في اليمن ، يدعو إلى الرِّضا من آل محمد ﷺ . وذلك أنَّ العمال باليمن أساؤوا السيرة إلى الرعايا ، فلما ظهر عبد الرحمن هذا بايعه الناس ، فلمَّا بلغ أمره إلى المأمون بعث إليه دينارَ بنَ عبد الله في جيشٍ كثيفٍ ، ومعه كتابُ أمانٍ لعبد الرحمن إن هو سمعَ وأطاع ، فحضروا الموسمَ ، ثمَّ ساروا إلى اليمن ، فلمَّا انتهَوا إلى عبد الرحمن بعث إليه دينار بكتاب الأمان ، فقبله وسمع وأطاع ، وجاء حتَّى وَضَعَ يدَه في يد دينار ، فسار معه إلى بغداد ولَبِسَ السَّوادَ .

وفيها : توفي طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق بكمالها وخراسان ، وُجد في فراشه ميتاً بعدَما صلَّى عشاءَ الآخرة ، والتفَّ في الفراش ، فاستبطأ أهلُه خروجَه لصلاة الفجر ، فدخل عليه أخوه وعمُّه فوجداه ميتاً ، فلمَّا بلغ موتُه المأمونَ قال : لليدين وللفم ، [الحمدُ الله الذي قدَّمه وأخَّرنا](٣) .

وذلك أنَّه بلَغه أنَّه خطب يوماً فلم يدعُ له فوق المنبر ، ومع هذا ولَّى ولدَه عبدَ الله مكانَه ، مع إضافة الجزيرة والشام إلى نيابته ، فاستخلف عبدُ الله على خراسان أخاه طلحة بن طاهر سبعَ سنين ، ثم توفي طلحة فاستقلَّ عبدُ الله بجميع تلك البلاد . وكان نائب عبد الله بن طاهر على بغداد إسحاق بن إبراهيم .

وقد كان طاهر بن الحسين هذا هو الذي انتزع بغداد وأرض العراق بكمالها من يد الأمين بن الرشيد وقتله أيضاً . واستوسق الأمر للمأمون كما ذكرنا في سنة خمس وتسعين ، وقد دخل يوماً طاهر هذا على المأمون فسأله حاجة فقضاها له ، ثم نظر إليه المأمونُ واغرورقت عيناه ، فقال له : ما يبكيك يا أميرَ المؤمنين ؟! فلم يخبره ، فأعطَى طاهرٌ حسيناً الخادمَ مئتي ألف درهم حتَّى استعلَم له ما كان خبر بكائه ، فقال له : لا تخبر به أحداً ، أقتلك ، ذكرت مقتل أخي وما ناله من الإهانة على يدي طاهر ، ووالله لا يفوته مني ما يكره .

---

(١) وَهْب بن جرير بن حازم بن زيد ، أبو العباس الأزدي البصري ، الحافظ ، الصدوق . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٢) ، والتقريب (٢/ ٣٣٨) .

(٢) يزيد بن هارون بن زاذي (أو زاذان) ، أبو خالد السُّلمي الواسطي ، الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، كان رأساً في العلم والعمل ، ثقة حجّة ، كبير الشأن . سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٥٨) .

(٣) زيادة من ط والطبري .

فلما تحقق طاهر ذلك سعَى في النقلة من بين يديه ، ولم يزل حتَّى ولاه المأمون خراسان ، وأطلق له خادماً من خدامه ، وعهد إلى الخادم إن رأى منه شيئاً يريبه أن يسمَّه(١) .

فلما خطب يوم الجمعة ولم يَدْعُ للمأمون سمَّه الخادمُ في كامَخٍ(٢) فمات من ليلته .

وقد كان طاهرٌ هذا يقال له : ذو اليمينين ، وكان بفرد عين . فقال فيه عمرو بن بانة(٣) .

يــا ذا اليمينيــنِ وعَيــنٍ واحِــدَهْ نُقْصَــانُ عَيْــنٍ ويَميــنٌ زائــدَهْ

واختلف في معنى كونه ذا اليمينين ، فقيل : لأنه ضَرَبَ رجلاً بشماله فقدَّه نصفين ، ويحتمل أنَّه لُقِّبَ بذلك ؛ لأنَّه وُلِّي العراقَ وخراسانَ . وقد كان كريماً ممدّحاً ، يحبُّ الشعر(٤) ويجزي عليه الجزيلَ ؛ ركب يوماً في حرَّاقةٍ ، فقال فيه شاعرٌ(٥) :

عجبتُ لحرَّاقةِ(٦) ابنِ الحسينِ لا غــرِقَــتْ كيــفَ لا تَغْــرَقُ
وبَحْــرانِ مــن فــوقهــا واحــدٌ وآخَــرُ مِــن تحتِهــا مُطبِــقُ
وأعجــبُ مِــن ذاك أعْــوادُهــا وقــد مسَّهــا كيــفَ لا تُــورِقُ

فأجازَهُ بثلاثة آلاف دينار . وقال : إن زدتنا زدناك . قال ابن خلّكان(٧) : وما أحسَنَ ما قاله بعضُ الشعراء في بعضِ الرؤساء وقد ركب البحرَ :

ولمَّا امْتَطَى البَحْرَ ابْتَهَلْتُ تضرُّعاً إلى اللهِ يا مُجرِي الرِّياحِ بلطفِهِ
جعلْتَ النَّدَى مِنْ كفِّهِ مثلَ مَوْجِهِ فسلِّمْه واجْعَلْ مَوْجَهُ مثلَ كَفِّهِ

---

(١) بعده في ط : ودفع إليه سماً لا يطاق .
(٢) « الكامَخُ » : ما يؤتدم به ، أو المُخَلَّلات المُشَهِّيَة ، جمع كوامِخ ، معرّب .
(٣) في ط : عمرو بن نباتة ، تحريف . وهو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، وبانة أمه ، نسب إليها . نديم ، من الشعراء العلماء بالغناء ، وكان خصيصاً بالمتوكل العباسي ، توفي سنة ٢٧٨هـ .
الأغاني (١٥/ ٢٦٩) (دار الكتب) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٩) ، الأعلام (٥/ ٨٥) ، والشعر في وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٠) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٨٢) .
(٤) في آ ، ط : الشعراء ، وأثبت ما جاء في ظا ، ب .
(٥) الأبيات في وفيات الأعيان (٢/ ٥١٩) قالها مُقدِّس من صيفي الخلوقي الشاعر . وهي في طبقات الشعراء (١٨٩) منسوبة إلى عوف بن ملحم .
(٦) « الحَرَّاقة » : ضرب من السفن فيها مرامي نيران يُرمى بها العدوُّ في البحر . وسفينة خفيفة المرِّ .
(٧) وفيات الأعيان (٢/ ٥١٩) وقد ذكر البيتين .

قال القاضي ابن خلكان : مات طاهر بن الحسين هذا يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع[١] ومئتين ، وكان مولده سنة تسع[٢] وخمسين ومئة . وكان الذي سار إلى عبد الله بن طاهر وهو بأرض الرقّة يعزِّيه في أبيه ويهنِّئه بولاية تلك البلاد ، القاضي يحيى بن أكثم عن أمر المأمون .

وفي هذه السنة غلا السعر ببغداد والكوفة والبصرة ، حتَّى بلغ سعرُ القفيز من الحنطة أربعين درهماً[٣] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو علي[٤] بن الرشيد هارون أخو المأمون .

وفيها توفي من الأعيان :

بِشْر بن عمر الزهرانيُّ[٥] .

وجعفر بن عَوْن[٦] .

وعبد الصَّمد بن عبد الوارث[٧] .

وقُرَاد أبو نوح[٨] .

وكثير بن هشام[٩] .

ومحمد بن كُنَاسَة[١٠] .

---

(١) في آ ، ظا : تسع ومئتين ، وأثبت ما جاء في ط وكذلك وفيات الأعيان (٢/ ٥٢١) .
(٢) في آ ، ظا ، ط : سبع ، وأثبت ما جاء في ب ، وابن خلكان .
(٣) بعدها في ب : إلى خمسين درهماً .
(٤) في الطبري وابن الأثير : أبو عيسى بن الرشيد . وقد ذكر الطبري جميع ولده في تاريخه (٨/ ٣٦٠) ، وابن الأثير في كامله (٦/ ٢١٦) ، وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٢٢٢) .
(٥) بشر بن عمر الزّهراني البصري ، أبو محمد . الإمام الحافظ الثَّبْت . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤١٧) .
(٦) جعفر بن عَوْن بن جعفر بن عمرو ، أبو عَوْن المخزومي العَمْريّ ، نسبة إلى عمرو بن حُريث الصحابي . الإمام الحافظ ، محدِّث الكوفة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٣٩) .
(٧) عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذَكْوان ، أبو سهل التَّميميّ العَنْبري ، الإمام الحافظ الثقة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٦) .
(٨) في آ ، ظا : قراد بن نوح ، وأثبت ما جاء في ب ومصادر ترجمته . وهو عبد الرحمن بن غَزْوان الخزاعي . ويقال : الضبيّ ، أبو نوح ، الملقب بقُراد . نزيل بغداد ، ومن علماء الحديث ، له ما يُنكر . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٨) .
(٩) كثير بن هشام الكلابي ، أبو سهل الرّقيّ ، نزيل بغداد ، ثقة . تقريب التهذيب (٢/ ١٣٤) .
(١٠) محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى ، الأسدي الكوفي ، أبو عبد الله وأبو يحيى ، وكُناسة لقبٌ لجدِّه عبد الأعلى ، وقيل: لأبيه ، ثقة ، صالح الحديث ، له علم بالعربية والشعر وأيام الناس . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٨) .

ومحمد بن عمر الواقِديّ قاضي بغداد وصاحبُ السير والمغازي[١] .

وأبو النَّضْر هاشم بن القاسم[٢] .

والهيثم بن عَديّ صاحب التصانيف[٣] .

ويحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور[٤] : أبو زكريا الكوفيُّ ، نزيل بغداد ، مولى بني سعد المشهور بالفرَّاء ، شيخُ النحاة واللغويين والقرَّاء ، وكان يقال له : أميرُ المؤمنين في النحو .

روى الحديث عن خازم بن الحسين[٥] البصري ، عن مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك ، قال : « قرأ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعثمان : ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحمد : ٤] بالألف »[٦] . رواه الخطيبُ ، قال وكان ثقةً إماماً .

وذكر[٧] أنَّ المأمون أمره بوضع كتابٍ في النحو ، فأملاه ، وكتبَهُ الناسُ عنه ، وأمر المأمونُ بكَتْبه في الخزائن . وأنَّه كان يؤدِّبُ ولديه وليي العهد ، فقام يوماً ، فابتدراه أيُّهما يقدِّم نعليه ، فتنازعا في ذلك ، ثم اصطلحا على أن يقدِّمَ كلُّ واحدٍ نعلاً ، فأطلق لهما أبوهما عشرين ألفَ دينارٍ ، وللفرَّاء عشرةَ آلافِ درهم . وقال له : لا أعزَّ منك إذ يقدِّم نعليك وليَّا العهدِ[٨] .

ورُوي أنَّ بِشراً المَرِيسيَّ ، أو محمد بن الحسن ، سألَ الفرَّاء عن رجلٍ سَهَا في سجدتي السهو ، فقال : لا شيءَ عليه . قال : ولم ؟ قال : لأنَّ أصحابنا قالوا : المصغَّر لا يُصغَّر . فقال : ما ظننتُ أنَّ

---

(١) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله . من أقدم المؤرخين في الإسلام ، ومن أشهرهم ، ومن حفاظ الحديث . ولد بالمدينة ، وانتقل إلى بغداد . وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبير . المجروحين والضعفاء (٢/ ٢٩٠) ، تاريخ بغداد (٣/٣) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥٤) ، الأعلام (٦/ ٣١١) .

(٢) هو هاشم بن القاسم اللَّيثي الخراساني البغدادي ، أبو النَّضْر ، يلقب بقيصر ، شيخ المحدثين ، ثقة ، ثبت ، أملى ببغداد أربعة آلاف حديث . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤٥) ، تهذيب التهذيب (١١/ ١٨) .

(٣) الهيثم بن عديّ بن عبد الرحمن الثعلي ، الطائي الكوفي ، أبو عبد الرحمن : مؤرخ ، عالم بالأدب والنسب ، وهو من غير الثقات في الحديث . معجم الأدباء (١٩/ ٣٠٤) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٣) ، الأعلام (٨/ ١٠٤) .

(٤) له ترجمة في طبقات الزبيدي (١٤٣) ، أخبار النحويين البصريين للسيرافي (٥١) ، تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩) ، نزهة الألباء (٩٨) ، معجم الأدباء (٢٠/ ٩) ، وفيات الأعيان (٦/ ١٧٦) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١١٨) وغير ذلك .

(٥) في الأصل « حازم بن الحسن » ، مصحف في اسمه ومحرف في اسم أبيه وصوابه « خازم ـ بالخاء المعجمة ـ بن الحسين » ، وهو من رجال التهذيب ، وخازم قيده الحافظ ابن حجر في التقريب وقال : ضعيف .

(٦) وقد قرأ بالألف من ﴿ مالك ﴾ : عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ، وقرأ الباقون بغير ألف . النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧١) ، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٩) ، تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩) .

(٧) تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩) .

(٨) المصدر السابق .

امرأةً تلِدُ مثلَك[١] . والمشهور : أنَّ محمداً [هو الذي][٢] سأله عن ذلك ، كان ابنَ خالة الفرَّاء[٣] .

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الصُّوليُّ : توفي الفرَّاءُ سنة سبع ومئتين[٤] .

قال الخطيب[٥] : وكانت وفاته ببغداد ، وقيل : بطريق مكة ، وقد امتدحوه وأثنوا عليه في مصنّفاته .

ثم دخلت سنة ثمانٍ ومئتين

فيها : ذَهَبَ الحسنُ بن الحسين بن مُصْعَب أخو طاهرٍ فارّاً من خُراسان إلى كَرْمان ، فعصَى بها ، فسار إليه أحمدُ بن أبي خالد ، فحاصره حتَّى نزَل قهراً ، فذهب به إلى المأمون فعفا عنه ، فاستحسن ذلك منه[٦] .

وفيها : استعفَى محمد بن سَماعَة من القضاء ، فأعفاه المأمونُ وولَّى مكانه إسماعيلَ بنَ حَمَّاد بن أبي حنيفة[٧] .

وفيها : ولَّى المأمون محمد بن عبد الرحمن المخزوميَّ القضاءَ بعسكر المهدي في شهر المحرم ، ثم عزله عن قريب ، وولَّى مكانه بِشرَ بن الوليد[٨] الكنديّ في شهر ربيع الأول منها[٩] . فقال المخزوميُّ في ذلك[١٠] :

يا أيُّها[١١] الملِكُ المُوحِّدُ رَبَّهُ قَاضِيكَ بِشْرُ بنُ الوليدِ حِمارُ
يَنفي شَهَادَةَ مَنْ يَدينُ بما بِهِ نَطَقَ الكِتابُ وجاءَتِ الآثار[١٢]

(١) تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٢) .
(٢) زيادة من ط .
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ١٥٢) .
(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ١٥٥) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) تاريخ الطبري (٨/ ٥٩٧) ، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٤٢) .
(٧) المصدر السابق .
(٨) في ط : « بشر بن سعيد بن الوليد » ، خطأ . وتنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٣) .
(٩) تاريخ الطبري (٨/ ٥٩٧) .
(١٠) تاريخ الطبري (٨/ ٥٩٧) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٨٦) .
(١١) في آ ، ظا : أيها ، وفي ط : ألا يا أيها ، وأثبت ما جاء في ب والطبري وابن الأثير .
(١٢) في ط والطبري : الأخبار .

ويَعُدُّ عَدْلاً مَنْ يَقُولُ بأنَّهُ شيخٌ تحيطُ بجسمِهِ الأقطارُ

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالح بن هارون الرشيد عن أمر أخيه المأمون .

وتوفي فيها من الأعيان :

الأسود بن عامر(١) .

وسعيد بن عامر(٢) .

وعبد الله بن بكر أحد مشايخ الحديث(٣) .

والفضل بن الربيع الحاجب(٤) .

ومحمد بن مُصْعَب(٥) .

وموسى بن محمد الأمين ، الذي كان قد ولَّاه العهدَ من بعده ، ولقَّبه بالناطق بالحقِّ ، ولم يتمّ له أمره حتَّى قتل أبوه وكان ما كان .

ويحيى بن أبي بُكَيْر(٦) .

ويحيى بن حَسَّان(٧) .

ويعقوب بن إبراهيم الزُّهريّ(٨) .

---

(١) أسود بن عامر شاذان ، الشَّامي ، أبو عبد الرحمن ، نزيل بغداد ، ثقة ، روى له الجماعة . تهذيب الكمال (٣/ ٢٢٦) .

(٢) سعيد بن عامر الضُّبعي البصري الزَّاهد ، أبو محمد . ثقة ، صالح . وقال أبو حاتم: ربما وهم . تقريب التهذيب (١/ ٢٩٩) .

(٣) عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي ، أبو وَهْب البصري ، نزيل بغداد . وثَّقه أحمد بن حنبل وجماعة ، وكان أحد الفقهاء وأصحاب الحديث . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥٠) .

(٤) سيترجم له المؤلف بعد قليل .

(٥) محمد بن مصعب بن صَدَقة القَرْقَساني ، أبو عبد الله ، وقيل: أبو الحسن . نزيل بغداد ، صدوق ، كثير الغلط . تهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٨) ، والتقريب (٢/ ٢٠٨) .

(٦) في الأصول والمطبوع: يحيى بن أبي بكر ، وصحح من سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩٧) ومصادر ترجمته . وهو يحيى بن أبي بُكَير بن نَسْر العَبْديّ القيسيّ مولاهم ، الكوفي ، ثقة ، روى له الجماعة .

(٧) يحيى بن حسَّان بن حيَّان ، أبو زكريا البكري ، البصري ، نزيل تِنِّيس ، حافظ ، قدوة ، ثقة ، عالم بالحديث . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٢٧) .

(٨) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم ، ابن صاحب رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف ، أبو يوسف الزُّهريّ المدني ، نزيل بغداد ، ثقة ، فاضل . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩١) ، تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٤) .

ويونس بن محمد المؤدِّب[١] .

وفاة السيدة نَفيسَة[٢] : فيها : كانت وفاة السيّدة نَفيسة بنت أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، القرشية الهاشمية ، كان أبوها نائباً للمنصور على المدينة النبويّة خمس سنين ، ثم غضب أبو جعفر المنصور [عليه] فعزله عنها ، وأخذ منه كُلَّ ما كان جمعه منها ، وأودَعَه السّجنَ ببغداد . فلم يزل به حتَّى توفي المنصور ، فأطلقه المهديُّ ، وأطلَقَ له كُلَّ ما كان أُخذ منه ، وخرج معه إلى الحج في سنة ثمان وستين ومئة ، فلمَّا كان بالحاجِر[٣] توفي الحسن بن زيد عن خمس وثمانين سنة .

وقد روى له النسائي حديثاً عن عِكْرمة ، عن ابن عباس : « أنَّ رسولَ الله ﷺ احتجَمَ وهو مُحرِمٌ »[٤] .

وقد ضعَّفَه ابنُ معين وابن عدي ، ووثَّقه ابنُ حبان . وذكره الزبيرُ بنُ بكار وأثنى عليه في رِياسته وشهامته[٥] .

والمقصود أنَّ ابنته الست نَفيسةَ دخلت إلى الديار المصرية مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر [الصادق][٦] ، فأقامت بها ، وكانت ذاتَ مالٍ وإحسان إلى الجذمى[٧] والزَّمْنى[٨] والمَرْضَى وعمومِ الناس ، وكانت عابدةً زاهدةً كثيرةَ الخير .

ولمَّا وَرَدَ الشافعيُّ الدّيار المصريّة كانت تحسن إليه ، وربَّما صلَّى بها في شهر رمضان . وحين توفي أمرت بجنازته فأُدخلت إليها المنزلَ فصلّت عليه .

---

(١) أبو محمد البغداديّ ، واسم جده مُسلم . إمام حافظ ثقة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٧٣) .

(٢) فوات الوفيات (٢/ ٣١٠) ، وفيات الأعيان (٥/ ٤٢٣) ، العبر (١/ ٣٥٥) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٦) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١) ، الأعلام (٨/ ٤٤) .

(٣) « الحاجِر »: موضع قبل معدِن النَّقرة ، على طريق مكة ، منزل للحاج . ياقوت والقاموس .

(٤) رواه في السنن الكبرى (٣٢١٥) من طريق الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن عكرمة عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم ، وينظر تحفة الأشراف للمزي (٥/ ١٢٠) رقم (٦٠٢٠) وهو حديث صحيح؛ وقد جاء الحديث برواية « احتجم وهو محرم » و« احتجم وهو صائم » . وقد رواه بلفظ: « احتجم وهو محرم » أيضاً البخاري (٤/ ٤٣) في الحج ، باب الحجامة للمحرم؛ ومسلم رقم (٨٣٩)؛ والنسائي في المجتبى (٥/ ١٩٣)؛ وابن ماجه رقم (٣٠٨١)؛ والدارمي (٢/ ٣٧)؛ وأحمد في المسند ، وغيرهم من طريق طاووس وعطاء عن عكرمة عن ابن عباس .

(٥) قال ابن حجر في تقريب التهذيب (١/ ١٦٦): صدوق ، يهم . قال بشار: هو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ، كما بيناه في تحرير التقريب (١/ ٢٧٣) .

(٦) زيادة من ظا ، ب .

(٧) « الأجذم »: المقطوع اليد . وقيل: الذي ذهبت أنامله .

(٨) « الزَّمْنَى »: مفردها زَمين ، وهو المصاب بالزَّمانة .

ولمَّا توفيت عزم زوجُها إسحاق بن جعفر أن ينقلَها إلى المدينة النبويّة ، فمنعه أهلُ مصر من ذلك ، وسألوه أن يتركها[١] عندهم ، فدُفنت في المنزل الذي كانت تسكنه في محلةٍ كانت تُعرف قديماً بدَرْبِ السّباع ، بين مصر والقاهرة اليوم ، وقد بادت تلك المحلة فلم يبق هناك سوى قبرها .

وكانت وفاتُها في شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكره القاضي شمس الدين ابن خلكان في « وفيات الأعيان »[٢] . قال : ولأهل مصر فيها اعتقاد ، وإلى الآن ، وقد بالغ العامة في أمرها كثيراً جداً ، ويطلقون فيها عبارات فيها مجازفة وألفاظ كثيرة ينبغي أن يعرفوا بأنَّها لا يجوز إطلاقها في مثل أمرها .

وربَّما نسبَها بعضُهم إلى زَيْن العابدين[٣] ، وليست من سلالته .

والذي ينبغي أن يعتقد فيها من الصلاح ما يليق بأمثالها من النساء الصالحات[٤] ، رحمها الله وأكرمها ، وجعل الجنَّة منزلها .

الفَضْلُ بنُ الرَّبيع[٥] : ابن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فَرْوة كيسان ، ولي عثمان بن عفان ، الذي كان زوال دولة البرامكة على يديه ، وقد وُزِّر [بعدهم][٦] للرشيد ، وقد كان متمكِّناً من الرشيد ، وكان شديدَ التشبُّه بالبرامكة ، وكانوا يتشبَّهون[٧] به ، فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا كما تقدَّم[٨] .

وذكر القاضي ابنُ خلكان[٩] أنَّه دخل يوماً على يحيى بن خَالدٍ وابنُهُ جعفر يوقِّعُ بين يديه ، ومع الفضل بن الربيع عَشرُ قِصَصٍ ، فلم يقضِ له [منها][١٠] واحدة ، بل يتعلل عليه في كلِّ واحدةٍ منها ، فجمعهنَّ الفضلُ بن الرَّبيع ، وقال : ارجِعْنَ خائباتٍ خاسئات ، ثم نهض وهو يقول :

---

(١) في ط : أن يدفنها .

(٢) وفيات الأعيان (٥/ ٤٢٤) .

(٣) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، الملقب بزين العابدين ، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، يضرب به المثل في الحلم والورع . توفي سنة ٩٤هـ . وترجم له المؤلف مطولاً في حوادث سنة ٩٤هـ .

(٤) بعدها في ط : وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمِّها ، والمغالاة في البشر حرام . ومن زعم أنها تفك من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك .

(٥) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤٣) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ٣٨٦) ، وفيات الأعيان (٤/ ٣٧) ، العبر (١/ ٣٥٥) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٩) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٨٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٠) .

(٦) زيادة من ب .

(٧) في ط : يتشبون به ، وفي ب : يستهينون به .

(٨) في سنة ١٨٧هـ .

(٩) وفيات الأعيان (٤/ ٣٧) ، والفرج بعد الشدة (١/ ٣٠٧-٣٠٩) .

(١٠) زيادة من ظا ، ب .

عَسَى وعَسَى يَثْني الزمانُ عِنانَهُ ... بتصريفِ حالٍ والزمانُ عَثُورُ
فتُقضَى لُبانَاتٌ وتشفى حسائفٌ[١] ... وتَحدُثُ مِن بعدِ الأمورِ أمورُ

فسمعه الوزير يحيى بن خالد ، فقال له : أقسمْتُ عليك لمَا رجعتَ ، وأخذ من يده القِصَص فوقَّع عليها .

ثم لم يزل يحفِرُ خلفهم حتَّى تمكَّن منهم ، وتولَّى الوزارةَ بعدهم ، وفي ذلك يقول أبو نواس[٢] :

ما رعَى الدّهرُ آلَ بَرْمَكَ لمَّا ... أنْ رَمَى مُلكَهُمْ بأمرٍ فظيعِ
إنَّ دهراً لم يَرْعَ عهداً ليحيى ... غيرُ راعٍ ذِمَامَ آلِ الرَّبيعِ

ثم وُزِّر من بعد الرشيد لابنه الأمين ، فلمَّا دخل المأمونُ بغدادَ اخْتَفَى ، فأرسل له ذِماماً[٣] . فخرج ، ولم يزل خاملاً حتَّى مات في هذه السنة ، وله ثمان وستون سنة ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة تسع ومئتين

فيها : حصر عبدُ الله بن طاهر نَصْرَ بنَ شَبَث[٤] بعدما حاربَه خمسَ سنين ، فلمَّا حصره في هذه السنة ، ضيَّق عليه جداً حتى ألجأه إلى أن طلب من عبد الله بن طاهر الأمانَ ، فكتبَ ابنُ طاهر إلى المأمون يعلمه بذلك ، فبعث إليه المأمون يأمره بكتابة أمانٍ لنَصْر بن شَبَثَ عن أمير المؤمنين . فكتب له عبد الله بن طاهر كتابَ أمانٍ ، فنزل فأمر عبدُ الله بتخريب المدينة التي كان متحصّناً بها ، وذَهَبَ شرُّه .

وفيها : جرت حروبٌ مع بَابَكَ الخُرَّمِي فأسرَ بابك بعضَ أمراء الإسلام ، أحد مقدَّمي العساكر ، فكان ذلك شديداً على المسلمين .

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو والي مكة .

وفيها توفي ملك الروم ميخائيل بن نقفور (جورجيس) وكان له عليهم تسع سنين ، فملَّكوا عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل .

---

(١) في ظا، ب: حشاشة. يقال: رجع بحسيفة نفسه: أي رجع ولم يقض حاجة نفسه، جمع حسائف. واللُّبانة: الحاجة.
(٢) وفيات الأعيان (٤/ ٣٨) .
(٣) في ط: فأرسل له المأمون أماناً ، فخرج فدخل على المأمون بعد اختفاء مدة فأمنه ، ثم لم يزل . . . و« الذِّمام »: العهد والأمان .
(٤) نَصْر بن شَبَث العُقيلي ، ثائر للعصبية العربية ، امتنع عن البيعة للمأمون ، وثار في كيسوم ، وانتهى أمره بالاستسلام إلى عبد الله بن طاهر ، فسيره إلى المأمون في سنة ٢١٠ ، ولم يعرف خبره بعد ذلك .
الكامل لابن الأثير (٦/ ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٢) .

وفيها توفي من مشايخ الحديث :

الحسن بن موسى الأشْيَبُ(١) .

وأبو علي الحنفيّ(٢) .

وحفص بن عبد الله ، قاضي نيسابور(٣) .

وعثمان بن عُمر بن فارس(٤) .

ويَعْلى بن عُبَيد الطَّنافِسي(٥) .

[ثم دخلت] سنة عشر ومئتين

في صفر منها دخل نَصْر بن شَبَث إلى بغداد ، بعثه عبد الله بن طاهر من الرقة ، فدخلها ولم يتلقَّاه أحدٌ من الجند ، بل دخل وحدَه ، فأنزل في مدينة أبي جعفر ، ثم حوِّل إلى موضعٍ آخر .

وفي هذا الشهر ظفر المأمونُ بجماعةٍ من كبراء مَن كان بايع إبراهيمَ بنَ المهدِيّ ، فعاقبهم وحبسهم في المطبق .

ظهور إبراهيم بن المهدي بعد اختفائه : لمَّا كان ليلة الأحد لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر منها ، اجتاز إبراهيم بن المهديّ ـ وله مدّة ست سنين وشهور مختفٍ من المأمون ، وهو متنقِّبٌ في زي امرأة ، ومعه امرأتان ـ في بعض الدروب في أثناء الليل ، فقام الحارسُ ، فقال : إلى أين هذه الساعة ؟ ومن أين ؟ ثم أراد أن يمسكهنَّ ، فأعطاه إبراهيمُ خاتماً كان في يده من ياقوت ، فلمَّا نظر إليه الحارس استراب ، وقال : إنَّما هذا خاتم رجلٍ كبير الشأن ، فذهب بهنَّ إلى متولي الليل ، فأمرهُنَّ أن يُسفرن عن وجوههن ، فتمنَّع إبراهيمُ ، فكشفوا عن وجهه فإذا هو هو ، فعرفه ، فذهب به إلى صاحب الجسر ، فسلَّمه إليه ،

(١) الحسن بن موسى البغدادي ، الأشيب ، أبو علي . حافظ ، ثقة ، قاضي الموصل ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٥٩) .

(٢) هو عُبيد الله بن عبد المجيد ، الإمام الصدوق ، أخو أبي بكر الحنفي . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٨٧) .

(٣) حفص بن عبد الله بن راشد السُّلمي ، أبو عمرو النيسابوري ، قاضيها ، صدوق . تقريب التهذيب (١/ ١٨٦) .

(٤) عثمان بن عمر بن فارس العَبْديّ ، البصري . أصله من بُخارى . ثقة . كان يحيى بن سعيد لا يرضاه . تقريب التهذيب (٢/ ١٣) .

(٥) يَعْلَى بن عُبيد بن أبي أميَّة ، أبو يوسف الطَّنافِسيّ الكوفيّ . الحافظ ، الثقة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٧٦) .

فرفعه الآخر إلى نائب[١] المأمون ، فأصبح في دار الخلافة ونقابُه على رأسه ، والمِلْحَفَةُ[٢] في صدره ، ليراه الناسُ ، وليعلموا كيفَ أُخِذ . فأمر المأمون بالاحتفاظ به والاحتراسِ عليه مدَّةً ، ثم أطلقه ورضي عنه[٣] .

هذا وقد صلب جماعة ممن كان سجنهم بسببه ، لكنَّهم أرادوا الفَتْكَ بالموكّلين بالسجن ، ويهربون منه ، فصلَبَ منهم أربعةً .

وقد ذكروا : أنَّ إبراهيم بن المهدي لمَّا أُوقف بين يدي المأمون شرع في تأنيبه ، فترقَّق له عمُّه إبراهيمُ كثيراً ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ! إنْ تعاقبْ فبحقِّك ، وإن تعفُ فبفضلِكَ . فقال : بل أعفو يا إبراهيمُ ! إنَّ القدرة تذهب بالحفيظة[٤] ، والندم توبة ، وبينهما عفو الله عزَّ وجلَّ ، وهو أكبر ما تسأله ، فكبَّر إبراهيمُ وسجَدَ شكراً لله عزَّ وجلَّ .

وقد امتدح إبراهيمُ بنُ المهدي ابن أخيه المأمون بقصيدة بالَغ فيها ، فلمَّا سمعها المأمونُ ، قال : أقولُ كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٩٢] .

وذكر الحافظ ابنُ عساكر[٥] : أنَّ المأمون لمَّا عفا عنه أَمَرَه أن يغنّيه شيئاً ، فقال : إنِّي تركته . فأَمَرَه ، فأخَذَ العُودَ في حجره ، وقال :

هــذا مقــام مشــرَّدٍ خــربَـتْ منـازلُـهُ ودورُهْ
نمَّــتْ عليــه عــداتُــهُ كــذِبـاً فعــاقَبَــهُ أميــرُهْ

ثم عاد فقال[٦] :

ذهبْتُ مِن الدُّنيا وقد ذهبَتْ منِّي لَوى الدَّهْرُ بي عنها ووَلَّى بها عَنِّي
فإنْ أبكِ نفسِي أبكِ نَفساً عَزِيزةً وإنْ أحتقِرْها أحتقِرْها على رَضْنِ[٧]

---

(١) في ط والطبري : باب المأمون .
(٢) « المِلْحَفة » : الملاءة التي تلتحف بها المرأة .
(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٦٠٣) .
(٤) « الحفيظة » : الغضب .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٢٦٢أ) .
(٦) الأول والثاني في الأغاني (١٠/ ١٣٦) ، وأشعار أولاد الخلفاء (ص٢٢) .
(٧) في ط : على ضفن . وفي الأغاني : وأشعار أولاد الخلفاء : وإن احتسِبْها أحتسِبْها على ضَنٍّ .

وإنّي وإنْ كنتُ المسيءَ[١] بِعَيْنِهِ فإنّي بربّي مُوقنٌ حَسَنُ الظنِّ[٢]
عَدَوْتُ على نفسي فعادَ بعفوِهِ عليَّ فعادَ العفوُ مَنّاً على مَنِّ

فقال المأمون : أحسنتَ يا أميرَ المؤمنين حقّاً . فرمَى العودَ من حجره ووثَبَ قائماً فزعاً من هذا الكلام ، فقال له المأمون : اقعد واسكن ، مرحباً بك ، لم يكن ذلك لشيءٍ تتوهّمه ، وواللهِ لا رأيتَ[٣] طولَ أيامي شيئاً تكرهه وتغتمُّ به . ثم أمر له بردِّ جميع ما كان له من الأموال والضياع والدُّور ، فردَّت إليه ، وأمر له بعشرة آلاف دينار وخلَع عليه ، وخرج من عنده مكرَّماً معظَّماً .

عرس بُوران[٤] : وفي رمضان منها بنى المأمونُ ببوران بنت الحسن بن سهل ، وقيل : إنه خرج من بغداد في رمضان إلى معسكر الحسن بن سهل بفَم الصِّلْح[٥] ، وكان [الحسن] قد عوفي من مرضه ذلك ، فنزل المأمون عنده بمن معه من وجوه الأمراء والرؤساء وأكابر بني هاشم ، فدخل ببوران في شوّال من هذه السنة في ليلةٍ عظيمة ، وقد أُشعلت بين يديه شموع العنبر ، ونُثر على رأسه الدرُّ والجوهر ، فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر . وقد كان عددُ الجوهر منه ألفَ درّةٍ ، فأمر به فجمع في صينيته التي كان فيها من الذهب ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّما نثرناه لتلتقطه الجواري ، فقال : لا أنا أعوّض من ذلك ، فجمع ذلك كله .

فلمَّا جاءت العروسُ ومعها جَدّتها[٦] ، وزُبيدة أمّ الأمين ـ من جملة من جاء معها ـ فأُجلست إلى جانبه ، فصبَّ في حِجْرها ذلك الجوهرَ ، وقال : هذا نِحْلةٌ منّي لك ، وسلي حاجتك ، فأطرقت حياءً . فقالت جدَّتُها : تكلمي وسلي من سيدك ما أمرك به . فقالت : يا أمير المؤمنين ، أسألك أنْ ترضَى عن عمِّك إبراهيمَ بنِ المهدي . وأن تردَّه إلى منزلته التي كان فيها قبل ذلك . فقال : نعم ! قالت : وأمّ جَعفر ـ تعني : زُبيدة ـ تأذن لها في الحجّ . قال : نعم ! فخلعت عليها زبيدة بذلتها[٧] الأميرية ، وأطلقت لها قرية مقوَّرة .

وأمَّا والدُ العروس الحسنُ بن سهل فإنَّه كتب أسماء قُراه[٨] وضياعه وأملاكه في رقاع ونشرها على

---

(١) في آ ، ظا : المسمّى وأثبت ما جاء في ب ، ط .
(٢) في الأصول المخطوطة : فإني بربي تعالى جدّه حسن الظن ، وهو تحريف .
(٣) ابن عساكر : لا رأيت مني .
(٤) ترجم لها المؤلف في حوادث سنة ٢٧١هـ .
(٥) « فمُ الصِّلْح » نهر كبير فوق واسط ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون . (ياقوت) .
(٦) في آ ، ب : جدّته ، وأثبت ما جاء في ظا والطبري .
(٧) في الطبري : البَدَنة الأموية ، ولعله الصواب . و« البَدَنة » : الثوب يُشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كُمَّيْن .
(٨) في الأصول : قراياه ، وأثبت ما جاء في ط . وجمع القرية : القُرى ، على غير قياس .

الأمراء ووجوه الناس ، فمن وقعت في يده منها رقعة بعث إلى القرية التي فيها نوابه ، فتسلَّمها[١] ملكاً خالصاً . وأنفق على المأمون ، ومن معه من الجيشِ في مدة مقامه عنده سبعة عشر يوماً ما يعادل خمسين ألفَ ألفِ درهمٍ .

ولمَّا أراد المأمونُ الانصراف من عنده أطلق له عشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه البلده التي هو نازل بها ، وهو إقليم فم الصِّلْح ، مضافاً إلى ما بيده من الإقطاعات . ورجع المأمون إلى بغداد في أواخر شوال من هذه السنة .

وفي هذه السنة ركبَ عبدُ الله بن طاهر إلى الديار المصرية فاستنقذها بأمر المأمون من يدي عُبَيْد[٢] الله بن السَّرِي بن الحكم المتغلب بها[٣] ، واستعادها منه بعد حروب يطول ذكرها[٤] .

وفيها : توفي من الأعيان :

أبو عمرو الشَّيْباني اللغوي ، واسمُه إسحاق بن مِرار[٥] .

ومَروان بن محمد الطَّاطَريُّ[٦] .

ويحيى بن إسحاق[٧] .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومئتين

وفيها توفي من الأعيان :

أبو الجوَّاب[٨] .

---

(١) في آ ، ب : فسلموها ، وأثبت ما جاء في ظا .

(٢) في الأصول : عبد الله ، وصححت من الطبري .

(٣) في ط : عليها .

(٤) تاريخ الطبري (٨/ ٦١٠ـ٦١٧) .

(٥) في ظا ، ب : نزار . وهو إسحاق بن مرار الشيباني بالولاء ، أبو عمرو . أديب ، لغوي . من رمادة الكوفة ، سكن بغداد ومات بها . واختلف في سنة وفاته ، فقيل : سنة ٢٠٦ ، وقيل : سنة ٢١٠ . وقيل : سنة ٢١٣هـ . وفيات الأعيان (١/ ٦٥) ، والأعلام (١/ ٢٩٦) .

(٦) مروان بن محمد بن حسّان ، أبو بكر ، ويقال : أبو عبد الرحمن الأسدّي الدمشقي الطَّاطريّ . الإمام القدوة ، الحافظ . ثقة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٠) .

(٧) يحيى بن إسحاق ، أبو زكريا السَّيْلَحِيني . و« السَّالِحين » : من قرى العراق . صدوق . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٥) .

(٨) هو أحْوَصُ بن جَوَّاب الضَّبِّيُّ ، أبو الجَوَّاب الكوفيُّ . صدوق . تهذيب الكمال (٢/ ٢٨٨) .

وطَلْقُ بنُ غَنَّام[١] .

وعبد الرزاق بن همَّام الصَّنْعاني صاحب « المصنّف » و« المسند »[٢] .

وعبد الله بن صالح العِجليّ[٣] .

وأبو العتاهية الشاعر المُفْلِق المشهور[٤] : واسمه إسماعيل بن القاسم بن سُويد بن كيسان ، أصلُه من الحجاز ، وسكن بغداد ، وكان يبيع الجرار أولاً ، ثم حظي عند الخلفاء[٥] ، لا سيما المهدي . وقد كان مع هذا يتعشّق جارية للمهدي اسمها عُتْبةُ ، وقد طلبها من الخليفة غير مرة ، فإذا سمح بها لا تريده الجاريةُ ، وتقول للخليفة : أتعطيني لرجلٍ دميم الخلق كان يبيع الجِرار ؟ فكان يُكثر التغزّل فيها ، وشاع أمره واشتهر بها ، وكان المهديُّ يفهم ذلك . وقد اتفق في بعض الأحيان أن استدعى الخليفة المهدي الشعراء إلى مجلسه فاجتمعوا ، وكان فيهم بشار بن برد الأعمى ، فسمع صوتَ أبي العتاهية ، فقال لجليسه : أثَمَّ هاهنا أبو العتاهية ؟ [قال : نعم][٦] . فانطلق ينشده قصيدته فيها التي أولها[٧] :

ألا مـا لِسَيِّـدَتـي مـا لَهَـا أدَلَّـتْ فـأحْمِـلَ إدْلالَهـا

فقال بشار لجليسه : ما رأيتُ أجسَرَ من هذا ، حتى انتهى أبو العتاهية إلى قوله :

أتَتْـهُ الخِـلافَـةُ مُنْقَـادَةً إليـهِ تُجَـرِّرُ أذْيَـالَهـا
فَلَـمْ تَـكُ تَصْلُـحُ إلا لَـهُ وَلَـمْ يَـكُ يَصْلُـحُ إلا لَهـا
ولـو رامَهـا أحَـدٌ غَيْـرُهُ لَـزُلْـزِلَـتِ الأرْضُ زِلْـزَالَهـا
وَلَوْ لَمْ تُطِعْهُ بَناتُ القُلُوبِ لَمـا قَبِـلَ اللهُ أعمَـالَهـا

فقال بشارٌ لجليسه : انظر ويحك ! أطارَ الخليفةُ عن فراشه ؟ قال : فوالله ما خَرَجَ أحدٌ من الشعراء يومئذٍ بجائزةٍ غيره .

---

(١) طَلْق بن غَنَّام بن طَلْق بن معاوية ، المحدِّث الحافظ . ثقة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤٠) .

(٢) عبد الرزاق بن همَّام بن نافع الحِمْيري ، أبو بكر الصَّنعاني . الحافظ الكبير ، عالم اليمن . من حفاظ الحديث الثقات . مصنف ، شهير ، كان يتشيع . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣-٥٨٠) ومصادر ترجمته فيه .

(٣) عبد الله بن صالح بن مسلم بن صالح ، أبو أحمد العِجلي ، الكوفي . صدوق . نزل بغداد ، وأقرأ بها القرآن . سير أعلام النبلاء (١٠/٤٠٣) .

(٤) له ترجمة في الشعر والشعراء (٢/ ٤٩١ ـ ٧٩٥) ، الأغاني (٤/ ١ ـ ١١٢) ، تاريخ بغداد (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٦٠) ، وفيات الأعيان (١/ ٢١٩ ـ ٢٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٥) وغير ذلك .

(٥) في آ: الخليفة .

(٦) زيادة من ظا ، ب ، ط .

(٧) ديوان أبي العتاهية (٦٠٩) ، ووفيات الأعيان (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) .

قال ابنُ خلكان[١] : اجتمع أبو العتاهية بأبي نواس ـ وكان في طبقته وطبقةِ بشار بن برد ـ فقال أبو العتاهية لأبي نواس : كم تعملُ في اليوم من الشعر؟ قال : بيتاً أو بيتين . فقال : لكنّي أعمَلُ المئة والمئتين . فقال أبو نواس : لأنك تعملُ[٢] مثلَ قولك[٣] :

يـا عُتْـبُ مـالـي ولَـكِ   يـا لَيْتَنِـي لَـمْ أرَكِ

ولو أردْتُ مثلَ هذا الألفَ والألفين لقدرتُ عليه وأنا أعمل مثل قولي[٤] :

من كفِّ ذاتِ حِرٍ في زيِّ ذي ذَكَرٍ   لهـا مُحِبَّـانِ : لـوطـيٌّ وَزَنَّـاءُ

ولو أردْتَ مثلَ هذا لأعجزكَ الدَّهْرَ .

قال ابنُ خلكان[٥] : ومن لطيف شعر أبي العتاهية[٦] :

وَلَقَدْ[٧] صَبَوْتُ إليكِ حتّى   صـارَ مِـن فَـرْطِ التَّصـابـي
يَجِـدُ الجَلِيـسُ إذا دَنـا   رِيحَ التَّصـابـي فـي ثِيـابـي

قال ابن خلكان[٨] : وأشعاره كثيرة ومولده سنة ثلاثين ومئة . وتوفي يوم الإثنين ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ، وقيل : سنة ثلاثَ عشرة [ومئتين] ، وأوصى أن يكتب على قبره ببغداد[٩] :

إنَّ عَيْشاً يكـونُ آخـرَهُ المَـوْ   تُ لَعَيْـشٌ مُعَجَّـلُ التَّنْغِيـصِ

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة ومئتين

فيها : وجَّه المأمونُ محمد بن حُميد الطوسيَّ على طريق الموصل لمحاربة بابك الخُرّميّ في أرض أذْرَبيجان ، فأخذ جماعة من المتغلبين فيها ، فبعث بهم إلى المأمون أسراء إلى بغداد .

وفي ربيع الأول من هذه السنة أظهر المأمون في الناس بدعتين فظيعتين ، إحداهما أطَمُّ من الأخرى ،

(١) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٢) .
(٢) قوله: لأنك تعمل، لم يرد في ظا، ب. وفي ط: لعلك تعمل. وما أثبته موافق لما جاء في وفيات الأعيان ونسخة (آ) .
(٣) ديوانه (٥٩٥) .
(٤) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٣) .
(٥) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٣) .
(٦) ديوانه (٤٩٠) .
(٧) في آ ، ب : ولو . وأثبت ما جاء في ظا والديوان وابن خلكان .
(٨) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٢) .
(٩) البيت في هامش الديوان (ص١٩٩) ، وابن خلكان (١/ ٢٢٢) .

وهي : القولُ بخلق القرآن ، والأخرى : تفضيل عليّ بن أبي طالب على الناس بعد رسولِ الله ﷺ . وقد أخطأ في كلٍّ من هذين المذهبين خطأً كبيراً ، وأثم إثماً عظيماً ، [ومن العلماء من يكفّر من يقول بخلق القرآن ، كما سيأتي ذلك في موضعه][١] .

وحجَّ بالناس عبدُ الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

وفيها توفي من الأعيان :

أسد بن موسى ، الذي يقال له أسدُ السُّنَّة[٢] .

والحسين بن حَفص[٣] .

وأبو عاصم النَّبيل ، الضَّحَّاك بن مَخْلَد[٤] .

وأبو المُغيرة ، عبدُ القُدُّوس بن الحجَّاج الشامي الحمصي[٥] .

ومحمد بن يوسف[٦] الفِريابيّ ، شيخ البخاري .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومئتين

فيها : ثار رجلان بمصر ، وهما : عبدُ السلام ، وابن جَليس ، فخلعا المأمون واستحوذا على الديار المصرية ، وتابعها طائفة من القيسيّة واليمانية ، فولَّى المأمون أخاه أبا إسحاق نيابة الشام [ومصر][٧] ،

---

(١) زيادة من ظا ، ب .

(٢) هو أسد بن موسى بن إبراهيم بن الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، القرشي ، الأموي ، أبو سعيد ، الحافظ الثقة ، ذو التصانيف . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦٢) .

(٣) في ط : الحسن بن جعفر ، تحريف . وهو الحسين بن حَفص بن الفضل بن يحيى بن ذكوان الهَمْداني ، أبو محمد الأصبهاني . الإمام الثقة الجليل الفقيه . كانت إليه رئاسة أصبهان وقضاؤها وأمر الفتاوى . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥٦) .

(٤) الضَّحَّاك بن مَخْلَد بن الضَّحَّاك بن مسلم ، أبو عاصم النبيل الشيباني ، البصري . شيخ حفَّاظ الحديث في عصره . صدوق . تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٠) .

(٥) عبد القُدُّوس بن الحجّاج الخَوْلاني الحمصي ، أبو المغيرة ، المحدّث الصادق ، مسند حمص . روى له جماعة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٣) .

(٦) في آ ، ط : يونس . وهو محمد بن يوسف بن واقد الفِريابيّ ، أبو عبد الله الضَّبِّي ، الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، ثقة صدوق . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٤) .

(٧) زيادة من ب ، ظا .

وولّى ابنَه العبَّاس نيابةَ الجزيرة والثغور والعواصم ، وأطلق لكلٍّ منهما ولعبد الله بن طاهر في ذلك اليوم خمسمئة ألف دينار . فلم يُرَ يومٌ أكثر إطلاقاً منه ، أطلق فيه لهؤلاء الأمراء الثلاثة ألفَ ألف دينارٍ وخمسمئة ألف دينار .

وفيها : ولّى السند غسّان بن عباد .

وحجَّ بالناس فيها أميرُ السنة الماضية .

وفيها توفي من الأعيان :

عبد الله بن داود الخُرَيبي[١] .

وعبدُ الله بن يزيد المُقرئ البصريّ[٢] .

وعُبيد الله بن موسى العَبْسيّ[٣] .

وعمرو بن أبي سَلَمة الدِّمشقي[٤] .

وحكى ابنُ خلكان[٥] في « الوفيات » عن بعضهم : أنَّ في هذه السنة توفي إبراهيم بن مَاهان المَوْصِلي النَّديم[٦] . وأبو العتاهية[٧] . وأبو عمرو الشيباني النحوي[٨] ، في يوم واحدٍ ببغداد ، ولكنه صحَّح أن إبراهيم النَّديم توفي سنة ثمان وثمانين ومئة .

قال السُّهيلي : وفي هذه السنة تُوفي **عبدُ الملك بن هشام** راوي السيرة ، حكاه ابن خلِّكان[٩] عنه .

---

(١) عبد الله بن داود بن عامر ، أبو عبد الرحمن الهمداني ، الشعبي ، الكوفي ، ثم البصري . المشهور بالخُرَيبي لنزوله محلَّة الخُرَيْبَة بالبصرة . إمام ، حافظ ، قدوة . كان ثقة عابداً ناسكاً . سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٤٦) .

(٢) في الأصول : « المصري » ، وأثبت ما جاء في المصادر . وهو : عبد الله بن يزيد بن عبد الرحمن الأهوازي الأصل ، البصري ، ثم المكي . إمام كبير في الحديث ، ثقة ، مشهور في القراءات ، لقن القرآن سبعين سنة ؛ أقرأ القرآن بالبصرة ستاً وثلاثين سنة ، وبمكة خمساً وثلاثين سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦٦) ، طبقات القراء (١/ ٤٦٣) .

(٣) عُبيد الله بن موسى بن أبي المختار ، بأذام ، أبو محمد العَبْسيّ مولاهم ، الكوفي . الإمام الحافظ العابد ، أول من صنّف المسند على ترتيب الصّحابة بالكوفة . ثقة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٥٣) . .

(٤) عمرو بن أبي سَلَمة ، أبو حفص التِّنِّيسي ، من موالي بني هاشم ، الدمشقي ، إمام ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٣) .

(٥) وفيات الأعيان (١/ ٤٣) .

(٦) ترجم له المؤلف في حوادث سنة ١٨٨ .

(٧) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٢١١ .

(٨) هو إسحاق بن مرار الشيباني ، أبو عمرو ، ذكره المؤلف فيمن توفي سنة ٢١٠هـ .

(٩) وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) .

والصحيح أنَّه توفي في سنة ثماني عشرة ، كما نص عليه أبو سعيد بن يونس في « تاريخ مصر »[(١)] .

والعَكَوَّك الشاعر[(٢)] : أبو الحسن علي بن جبلة بن المسلم بن عبد الرحمن ، الخراساني ، ويلقَّب بالعَكَوَّك ؛ لقصره وسمنه ، وكان من الموالي ، وولد أعمى ، وقيل : بل أصابه جدري وهو ابنُ سبع سنين ، فعمي ، وكان أسودَ أبرصَ ، وكان شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً ، وقد أثنى عليه في الشعر الجاحظُ فمن بعده . قال الجاحظُ : ما رأيت بدوياً ولا حضرياً أحسنَ إنشاداً منه[(٣)] . فمن ذلك قوله[(٤)] :

بـأبـي مَـنْ زارَنـي مُتكتِّمـاً خـائفاً مِـنْ كُـلِّ شـيءٍ جَـزِعـا
زَائـرٌ نَـمَّ عليـهِ حُسْنُـهُ كَيْفَ يُخفي اللَّيْلُ بَدْراً طَلَعا
رَصَـدَ الغَفْلَـةَ حتَّـى أمكَنَـتْ وَرَعَى السَّامرَ حتَّى هَجَعا[(٥)]
رَكِـبَ الأهـوالَ فـي زَوْرَتِـه ثـمَّ مـا سَلَّـم حتَّـى وَدَّعـا

وهو القائلُ في أبي دُلف القاسم بن عيسى العجلي يمتدحه[(٦)] :

إنَّمـا الـدُّنيـا أبُـو دُلَـفٍ بَيْـنَ مَغْـزَاهُ وَمُحْتَضَـرِهْ
فـإذا وَلَّـى أبُـو دُلَـفٍ وَلَّـتِ الـدُّنيـا عَلَـى أثَـرِهْ
كلُّ مَنْ في الأرض من عَرَبٍ بيـن بَـادِيـهِ إلـى حَضَـرِهْ
مستعيـرٌ منـكَ مَكْـرُمَـةً يَلْبَسُهـا[(٧)] يَـوْمَ مُفْتَخَـرِهْ

ولما بلغت المأمون هذه الأبياتُ ـ وهي في قصيدة طويلةٍ عارض فيها أبا نواس[(٨)] الحسنَ بن هانئ ـ فتطلَّبه المأمونُ فهَرب منه كلَّ مهرب ، ثم أحضر بين يديه ، فقال له : ويحك ! فضَّلْت القاسمَ بن عيسى

---

(١) انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) .
وهو: عبد الملك بن هشام بن أيوب ، أبو محمد الذُّهلي السَّدوسي ، العلامة النحوي الأخباري ، نزيل مصر . هذَّب السيرة النبوية ، رواها عن ابن إسحاق ، وتعرف بسيرة ابن هشام .

(٢) ترجمته في الشعر والشعراء (٨٦٤ ـ ٨٦٨) ، الأغاني (٢٠/ ١٤ـ٤٣) ، تاريخ بغداد (١١/ ٣٥٩) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٠) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٢) ، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٨) . و« العَكَوَّك »: القصير السمين مع صلابة .

(٣) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٢) .

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٠) .

(٥) « السّمر » المتسامرون . و« هجع »: نام .

(٦) الأغاني (٢٠/ ١٥) ، الشعر والشعراء (٨٦٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٥١) .

(٧) في ط : يأتيها ، وفي رواية : يكتسيها .

(٨) قصيدة أبي نواس في ديوانه (٣٠٨ـ٣١١) ، وأخبار أبي نواس لابن منظور (١٣٤) وهي:
أيهـا المُنْتـابُ عـن عُفُـرِه لسـتَ مِـن لَيْلـي ولا سَمَـرِه

علينا . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهلُ بيتٍ اصطفاكم اللهُ من بين عباده ، وآتاكم ملكاً عظيماً ، وإنَّما مدحته[١] على أشكاله وأقرانه . فقال : والله ما أبقيت أحداً ولا تركت ، وقد أدخلتنا في الكلّ ، حيث تقول :

كـلُّ مـنْ فـي الأرضِ مِـنْ عَـرَبٍ . . . . البيتين

ومع هذا فلا أستحِلُّ قتلك بهذا ، ولكن بكُفْرِكَ وشِرْكِكَ ، حيثُ تقولُ في عبدٍ ذليل :

أنْـتَ الـذي تُنْـزِلُ الأيّـامَ مَنْـزِلَهـا وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إلى حالِ
وَمَا مَدَدْتُ مَدَى طَرْفٍ إلى أحَدٍ إلا قَضَيْـتَ بـأرْزَاقٍ وآجـالِ

ذاك اللهُ يفعلُه ، أخرجوا لِسانَه مِنْ قَفاه . فأخرَجُوا لسانه مِن قفاه ، فمات في هذه السنة ، سامحه الله[٢] .

ومن قوله يمتدح حُمَيْدَ بن عبد الحميد الطُّوسيَّ[٣] :

إنَّمـا الـدُّنيـا حُمَيـدٌ وأيـادِيـهِ الجسـامُ[٤]
فـإذا وَلَّـى حُمَيـدٌ فعلَـى الـدُّنيـا السَّـلامُ

وقوله[٥] :

تكفَّلَ ساكِني الدُّنيا حُمَيد فقد أضحَوْا له فيها عِيالا
كأن أباه آدمَ كان أوْصَى إليـه أن يَعُـولَهُـمُ فَعَـالا

ولما مات حُمَيْد هذا في سنة عشر مع المأمون ، بِفَم الصِّلح ، قال العَكَوَّك يرثيه ، قصيدة ، منها قوله[٦] :

فـأدَّبَنـا مـا أدَّب النَّـاسَ قبلنـا ولكنَّه لم يَبْقَ للصَّبر موضِعُ

(١) في ط : فضَّلته .
(٢) الأبيات والخبر في الشعر والشعراء (٨٦٦) ، وطبقات الشعراء لابن المعتز (١٧٢) ، والأغاني (٢٠/ ٤١ ـ ٤٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٣ ـ ١٩٤) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٣) .
(٣) الأغاني (٢٠/ ٣٧) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٢) .
(٤) في الأصول بغير إعجام ، وأثبت ما جاء في الأغاني .
(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٣) .
(٦) الأغاني (٢٠/ ٢٧) من قصيدة مطولة مشهورة ، أولها :
أَلِلدهر تبكي أم على الدهر تجزع ؟ ومـا صـاحـبُ الأيـام إلا مفجّـعُ
البيت والخبر في وفيات الأعيان (٧/ ٣٥٤) .

وقال أبو العتاهية يرثي حُميداً هذا[١] :

أبـا غـانِـم أمَّـا ذراكَ فـواسِـعٌ وَقَبْرُكَ مَعْمُورُ الْجَوانِبِ مُحْكَمُ
ومـا يَنْفَعُ المَقْبُـورَ عُمْرانُ قَبْرِهِ إذا كـانَ فيـهِ جِسْمُـهُ يَتَهَـدَّمُ

وقد أورد ابنُ خلكان[٢] لِعَكَوَّك هذا أشعاراً جيدة تركناها اختصاراً .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومئتين

في يوم السبت لخمسٍ بقين من ربيع الأول منها التقى محمد بن حُمَيد وبابَك الخُرّمي ، لعنه الله ، فقتَلَ الخُرَّمِيُّ خلقاً كثيراً من جيشه ، وقتلَه أيضاً ، وانهزم بقيَّةُ أصحاب ابنِ حُمَيْد ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . فبعث المأمون إسحاق بنَ إبراهيمَ ويحيى بن أكثم إلى عبد الله بن طاهر ، يخيّرانه بين خراسان ، ونيابة الجبال وأذربيجان وأرمينية ؛ لمحاربة[٣] بابك الخُرّمي ، فاختار الإقامة بخراسان ، لكثرة احتياجها إلى الضبط ، وللخوف من ظهور الخوارج بها .

وفيها : دخل أبو إسحاق بن الرشيد الدِّيارَ المصرية ، فافتتحها ، واستعادها إلى السمع والطاعة ، وظفر بعبد السلام ، وبابن جليس فقتلهما .

وفيها : خرج رجلٌ يقال له : بلال الضِّبابيّ الشّاري ، فبعث إليه المأمون ابنَه العبَّاسَ في جماعةٍ من الأمراء ، فقتلوا بلالاً وعادوا سالمين .

وفيها : ولَّى المأمون عليَّ بن هشام الجَبَل ، وقُمَّ ، وأصبهان ، وأذربيجان .

وفيها : حجَّ بالناس إسحاق بن العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمدُ بن خالد الوَهْبيُّ[٤] .

وأحمد بن يوسف بن القاسم بن صَبيح[٥] : أبو جعفر الكاتب ، وَلي ديوان الرسائل للمأمون .

---

(١) ديوانه (ص٦٣٥) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٤) .
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٠ـ٣٥٤) .
(٣) في ط والطبري : ومحاربة بابك .
(٤) هو أحمد بن خالد بن موسى ، الوَهْبي ، الكِنْديّ ، ويقال له : الذهبي أيضاً ، أبو سعيد . صدوق . رَاوي المغازي عن ابن إسحاق ، وكان مكثراً ، حسن الحديث . العبر (١/ ٢٨٨) ، وتهذيب الكمال (١/ ٢٩٩) .
(٥) ترجمته في تاريخ بغداد (٥/ ٢١٦) ، ومعجم الأدباء (٥/ ١٦١) ، والنجوم الزاهرة (٢/ ٢٠٦) ، وتاريخ ابن عساكر=

ترجمه ابنُ عساكر وأورد من شعره قوله[١] :

قد يُرْزَقُ المرءُ لا مِن حسن[٢] حيلتِهِ ويُصْرَفُ الرِّزْقُ عن ذي الحيلةِ الدَّاهي
مـا مَسَّنـي مِـن غنـى يـومـاً ولا عـدمٍ إلا وقـــولـــي عليـــهِ الحمـــدُ للهِ

وله[٣] :

إذا قلـتَ فـي شـيءٍ نَعَـمْ فـأتمَّـهُ فـإنَّ نَعَـمْ دَيْـنٌ علـى الحـرِّ واجـبُ
وإلا فَقُـلْ : لا ، فـاسْتَـرِحْ وأرحْ بهـا لئـلا يَقُـولَ النَّـاسُ إنَّـكَ كـاذِبُ

وله[٤] :

إذا المـرءُ أفْشَـى سِـرَّهُ بلسـانِـهِ فَـلامَ عَلَيْـهِ غيـرَهُ فهـوَ أحْمَـقُ
إذا ضَـاقَ صَـدْرُ المرءِ عـن سِرِّ نَفْسِهِ فَصَـدْرُ الَّـذي اسْتَـوْدَعْتَـهُ السِّرَّ أضْيَـق

وحسين[٥] بن محمد المرُّوذيّ ، شيخُ الإمام أحمد .

وعبدُ الله بن عبد الحكم المصريّ[٦] .

ومعاوية بن عمرو[٧] .

أبو محمد عبد الله بن [عبد الحكم بن][٨] أعْيَن بن لَيْث بن رافع المصريّ[٩] : أحدُ من قرأ « الموطأ » على الإمام مالك ، وتفقَّه لمذهبه ، وكان معظَّماً ببلاد مصرَ ، له بها ثَروةٌ وأموالٌ وافرةٌ . وحين قدِمَ الشافعيُّ مصرَ أعطاه ألفَ دينار ، وجمع له من أصحابه ألفي دينارٍ أخرى .

= (نسخة كامبرج) (١/ ٩٧) ، ومختصره لابن منظور (٣/ ٣٣٠_٣٣٢) .

(١) تاريخ ابن عساكر (٩٧/ أ) ، ومختصره (٣/ ٣٣١) .

(٢) لفظة حسن سقطت من آ .

(٣) تاريخ ابن عساكر (٩٧/ أ) ومختصره (٣/ ٣٣١) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) في آ ، ط : حسن . وهو حسين بن محمد بن بَهْرام التَّميمي المرُّوذي ، أبو أحمد المؤدِّب ، نزيل بغداد . إمام حافظ ثقة . روى له الجماعة . تهذيب الكمال (٦/ ٤٧١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٦) .

(٦) سيفرده بالترجمة بعد قليل ، ولعل الاسمين قد اختلطا عنده .

(٧) معاوية بن عمرو بن المهلَّب بن عمرو ، أبو عمرو الأزديّ البغدادي . الإمام ، الحافظ ، الصادق . حدث عنه الجماعة . كان بطلاً مقداماً ، معروفاً بالإقدام والرباط . العبر (١/ ٢٨٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٤) .

(٨) ما بين الحاصرتين سقط من ط ، ولا يصح إلا بها .

(٩) التاريخ الكبير (٥/ ١٤٢) ، الجرح والتعديل (٥/ ١٠٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٤) ، العبر (١/ ٣٦٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٠) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٨٩) .

وهو والد محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، الذي صحبَ الشافعيَّ .

ولمَّا توفي في هذه السنة دُفِن إلى جانب قبر الشافعي . وحين تُوفي ابنُه عبدُ الرحمن دُفِنَ إلى جانب أبيه من القبلة[١] .

قال ابنُ خلكان[٢] : فهي ثلاثةُ أقبرٍ ؛ الشافعيُّ شاميها ، وهما قبلتُه ، رحمهم الله .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومئتين

في أواخر المحرم من هذه السنة ركب المأمونُ في العساكر من بغدادَ قاصداً بلاد الروم لغزوهم . واستخلف على بغداد وأعمالها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلمَّا كان بتكريتَ تلقَّاه محمدُ بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من المدينة النبوية ، فأذِنَ له المأمونُ في الدخول على ابنته أمِّ الفضل بنت المأمون ؛ وكان معقودَ العقد عليها في حياة أبيه [علي بن موسى][٣] ، فدخل بها ، وأخذها معه إلى بلاد الحجاز .

وتلقَّاه أخوه أبو إسحاق بن الرشيد من الديار المصرية قبل وصوله إلى الموصل .

وسار المأمون في جحافل كثيرةٍ إلى بلاد طَرَسُوسَ في جمادى الأولى منها ، وفتح حصناً[٤] هناك عَنْوَةً ، وأمر بهدمِهِ .

ثم رجع المأمون من بلاد الروم إلى دمشق، فنزلها، وعمَّر دَير مُرَّان[٥] بسفح قاسيون ، وأقام بها مدَّة .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الله بنُ عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو زيد الأنصاريّ .

ومحمد بن عبد الله الأنصاريّ[٦] .

---

(١) في آ: من القبلي .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥) .

(٣) زيادة من ط .

(٤) في الكامل: حصن قُرَّة .

(٥) هذا الدير بالقرب من دمشق ، على تل مشرف على مزارع الزَّعفران ، ورياض حسنة ، وبناؤه بالجصّ ، وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن ، وهو دير كبير ، وفيه رهبان كثيرة ، في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني . ياقوت .

(٦) أبو عبد الله ، قاضي البصرة وعالمها ومسندها . عاش سبعاً وتسعين سنة ، وهو من كبار شيوخ البخاري . العبر (١/ ٣٦٨) .

ومحمد بن المبارك الصُّوريُّ[١] .

وقَبيصَةُ بنُ عُقْبَةَ[٢] .

وعليُّ بن الحسن بن شقيق[٣] .

ومكِّيّ بن إبراهيم[٤] .

فأمَّا أبو زيد الأنصاري[٥] : فهو سعيدُ بنُ أوس بن ثابت البصريُّ اللغويُّ ، أحدُ الثِّقات الأثبات ، ويقال : إنه كان يَرَى ليلة القَدْر .

قال أبو عثمان المازنيُّ : رأيت الأصمعيَّ جاء إلى مجلس أبي زَيْد الأنصاريِّ ، فقبَّلَ رأسَه ، وجلَس بين يديه ، وقال : رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة[٦] .

قال القاضي ابنُ خلكان[٧] : وله مصنفات كثيرة ؛ منها : « خلق الإنسان » ، و« كتاب الإبل » ، و« كتاب المياه » ، وكتاب « القوس والترس » ، وغير ذلك .

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل : في التي قبلها أو التي بعدها ، وقد جاوز التسعين ، وقيل : إنه قارب المئة[٨] .

= وقبلها في آ: وأبو سليمان الداراني ، وقد ترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٠٥هـ .

(١) أبو عبد الله ، الحافظ ، صاحب سعيد بن عبد العزيز . فقيه ، مفتي دمشق . ثقة . خرّجوا له في الدواوين الستة . العبر (١/ ٣٦٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٩٠) .

(٢) قَبيصة بن عقبة السُّوائي الكوفي العابد ، أبو عامر . أحد الحفّاظ ، كان يقال له: زاهد الكوفة ، والرجل الصالح . العبر (١/ ٢٩٠) ط . بيروت .

(٣) علي بن الحسن بن شقيق بن دينار بن مِشْعب ، أبو عبد الرحمن العبدي مولاهم ، المروزي ، وكان جدّه شقيق بصرياً ، فقدِم خراسان . كان حافظاً ، كثير العلم ، من كبار الأئمة بخراسان . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٤٩) ، والعبر (١/ ٣٦٨) .

(٤) مَكّي بن إبراهيم بن بشير بن فَرْقد ، التّميمي ، الحنظليّ ، البَلْخي ، أبو السَّكن ، الإمام الحافظ . ، مسند خراسان ، صدوق . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤٩) .

(٥) تاريخ خليفة (٩٧) ، الجرح والتعديل (٤/ ٤) ، تاريخ بغداد (٩/ ٧٧) ، نزهة الألباء (١٧٣) ، معجم الأدباء (١١/ ٢١٢) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٨) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩٤) ، طبقات القراء (١/ ٣٠٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٣٤) .

(٦) في تاريخ بغداد (٩/ ٧٧) ، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩٥): منذ ثلاثين سنة . وفي معجم الأدباء (١١/ ٢١٦): منذ عشرين سنة ، وفي وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٩): منذ خمسين سنة .

(٧) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٩) .

(٨) بعدها في ط : وأما أبو سليمان فقد قدمنا ترجمته .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومئتين

في هذه السنة عدا ملك الروم ، وهو توفيل بن ميخائيل ، فقتل جماعة من المسلمين في أرض طَرَسُوس نحواً من ألف وستمئة إنسان . ويقال : إنه كتب أيضاً إلى المأمون فبدأ بنفسه ، فلمَّا قرأ المأمون ذلك نهض من فوره ، فركب في الجيوش إلى بلاد الروم عَوداً على بدءٍ ، وصحبته أخوه أبو إسحاق بن الرشيد نائب الشام ومصر ، فافتتح بلداناً كثيرة ، صلحاً وعَنْوَةً ، وافتتح أخوه ثلاثين حصناً ، وبعث المأمون يحيى بن أكثم في سَرِيَّة إلى طُوانة[1] فافتتح بلاداً كثيرة ، وأسر خلقاً من الذراري وغيرهم . وقتل خلقاً من الروم ، وحَرَق حصوناً عدة ، ثم عاد سالماً مؤيداً منصوراً إلى العسكر . وأقام المأمون ببلاد الروم من منتصف جمادى الآخرة إلى النصف من شعبان ، ثم عاد إلى دمشق . وقد وثب رجلٌ يقال له : عَبْدُوس الفِهريّ في شعبان من هذه السنة ببلاد مصر ، فتغلب على نواب أبي إسحاق بن الرشيد ، وقويت شوكته ، واتَّبعه خلقٌ كثيرٌ منهم ، فركب المأمون من دمشق يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة منها إلى الديار المصرية ، فكان من أمره بها ما سنذكره .

وفي هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد وما والاها من البلاد ، يأمره أن يأمرَ الناسَ بالتكبير عقب الصّلوات ، فكان أول شيء بُدئ به في جامع المدينة والرّصافة يوم الجمعة لأربعَ عشرَة ليلة خلت من شهر رمضان من هذه السنة ، أنهم لمَّا قضوا الصَّلاةَ قام الناس قياماً ، فكبَّروا ثلاث تكبيراتٍ ، ثم استمروا على ذلك بقيةَ الصّلوات .

وهذه بِدْعَة أحدثها المأمونُ بلا مستندٍ ولا دليلٍ ، ولا معتمدٍ ، فإنَّ هذا لم يفعله من قبله أحدٌ .

ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنَّ رَفْعَ الصَّوت بالذكرِ كان على عهد رسول الله ﷺ ، حين ينصرفُ الناسُ من المكتوبة[2] ، وقد استحبَّ هذا طائفةٌ من العلماء ، كابن حزم وغيره .

وقال أبو الحسن بن بَطَّال[3] : المذاهبُ الأربعة وغيرهم على عدم استحباب ذلك .

---

(١) « طُوَانة » : بلد بثغور المَصِّيصة ، بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . ياقوت .

(٢) روى البخاري في صحيحه (٢/ ٢٦٩) في الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، ومسلم رقم (٥٨٣) في المساجد ومواضع الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ . أقول : ولكن لم يكن جماعياً ، بل كان فردياً (ع) .

(٣) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بَطَّال ، أبو الحسن . من أهل قرطبة ، عالم بالحديث . توفي سنة ٤٤٩هـ . شذرات الذهب (٣/ ٢٨٣) ، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٥) .

قال النووي : وقد رُوي عن الشافعي أنَّه قال : إنما كان ذلك ليعلَم النَّاسُ أنَّ الذِّكرَ بعد الصَّلوات مشروعٌ ، فلمَّا عُلم ذلك لم يبقَ للجهر معنىً .

وهذا كما رُوي عن ابن عباس أنه كان يجهر بالفاتحة في صلاة الجنازة ، ليعلم الناس أنها سنة ، ولهذا نظائر ، والله أعلم .

[وأما هذه البِدْعَةُ التي أمر بها المأمونُ فإنَّها بِدْعَةٌ محدثة لم يعملْ بها أحدٌ من السَّلف .

وفيها : وَقَعَ بَرْدٌ شديدٌ جداً .

وفيها : حجَّ بالناس الذي حَجَّ بهم في العام الماضي ، وقيل : غيرُه ، والله أعلم][1] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

حَبَّان بن هِلال[2] .

وعبد الملك بن قُرَيب الأَصْمَعيّ ، صاحبُ اللغة والنحو والشعر وغير ذلك[3] .

ومحمد بن بكَّار بن هلال[4] .

وهَوْذَة بنُ خَلِيفة[5] .

وَزُبَيْدَة امرأة هارون الرشيد وابنةُ عمّه[6] : وهي أم جَعْفَر أَمَةُ العزيز ، الملقَّبة زُبَيْدَة بنت جَعْفَر بن المنصور ، أبي جعفر ، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، القرشية

---

(١) ما بين قوسين زيادة من ط فقط ، ولم ترد في الأصول المعتمدة .

(٢) حَبَّان بن هِلال ، الباهلي ، أبو حبيب البصريّ . ثقة ، ثبت ، حجة ، امتنع من التحديث قبل موته . تهذيب الكمال (٥/ ٣٢٨) .

(٣) عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد الأصمعي . أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان والأخبار . كان كثير التطواف في البوادي ، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ، ويتحف بها الخلفاء ، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة . وكان الأصمعي يقول : أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة . وله تصانيف كثيرة .
أخبار النحويين البصريين ص٥٨ ، تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠) ، تاريخ ابن عساكر (١٠/ ورقة ٢٣٩/ أ-٢٤٧/ أ) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٥) ، الأعلام للزركلي (٤/ ١٦٢) .

(٤) كذا في الأصول والمطبوع . والصحيح : بلال . وهو محمد بن بكَّار بن بلال العامليّ ، أبو عبد الله الدمشقي ، القاضي . صدوق . مات في هذه السنة وله أربع وسبعون سنة .
انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ١١٤) ، وتقريب التهذيب (٢/ ١٤٧) .

(٥) هَوْذة بن خليفة بن عبد الله الثقفي البَكْراوي ، أبو الأشهب البصري ، الأصمّ ، نزيل بغداد ، صدوق . تقريب التهذيب (٢/ ٣٢٢) .

(٦) تاريخ بغداد (١/ ٤٣٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤١) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٢١٣) ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (٢١٥) .

الهاشمية ، العباسية . امرأة هارون الرشيد ، وأحبُّ الناس إليه في زمانها ، مع ما كان معها من الحظايا والزوجات ، كما ذكرنا في ترجمته[١] .

وإنما لقِّبت بزُبَيْدَة ؛ لأنَّ جدَّها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها ، ويرقصها وهي صغيرة ، ويقول لها : إنما أنت زُبْدَ زُبَيْدَة ، فغلب ذلك عليها ، فلا تعرف إلا به . وأصلُ اسمها أمة العزيز . وكانت من الجمال والمال والخير والديانة على جانب ، ولها من الصدقات والأوقاف ووجوه القربات شيء كثير جداً .

وروى الخطيب البغدادي : أنها حجَّت فبلَغت نفقتُها في ستين يوماً أربعةً وخمسين ألف ألف درهم[٢] .

وأنَّها لمَّا هنَّأت المأمون بالخلافة حين دخل بغداد قالت له : لقد هنّأت نفسي بها عنك[٣] قبلَ أن أراك ، ولئن كنتُ فقدْتُ ابناً خليفةً ، لقد عُوِّضت ابناً خليفةً لم ألده ، وما خسِرَ من اعْتَاضَ مثلك ، ولا ثُكلت أمٌّ ملأت يدَها منك ، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخَذ ، وإمتاعاً بما عوَّض[٤] . وذكر[٥] أنّها تُوفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومئتين .

ثم قال الخطيب : حدّثني الحسن[٦] بن محمد الخلال لفظاً ، قال : وجدت[٧] بخط أبي الفتح القواس ، [قال] : حدثنا صدقة بن هبيرة الموصلي ، حدثنا محمد بن عبد الله الواسطي ، قال : قال عبدُ الله بن المبارك : رأيت زُبَيْدَة في المنام ، فقلت : ما فعل الله بكِ ؟ فقالت : غفَر لي في أوَّل معْوَلٍ ضربت في طريق مكة . قلت : فما هذه الصُّفرة ؟ قالت : دُفن بين ظهرانينا رجلٌ يقال له : بِشْر المَرِيسي[٨] زفَرت عليه جهنّم زفرة ، فاقشعرَّ لها جسدي ، فهذه الصُّفْرة من تلك الزَّفرة[٩] .

وذكر القاضي ابن خلكان أنه كان لها مئة جارية ، كلهن يحفظْن القرآن العظيم ، وَوِرْدُ كُلِّ واحدةٍ عُشْرُ القرآن ، وكان يُسمَعُ لهنَّ في القصر دويٌّ كدويّ النحل[١٠] .

---

(١) ترجم له المؤلف في حوادث سنة ١٩٣ .

(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٣) .

(٣) في ظا ، ب : بك عنها .

(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٤) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) في آ ، ط : الحسين . وهو الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الخلال ، أبو محمد ، فاضل ، من أهل بغداد ، توفي سنة ٤٣٩هـ . تاريخ بغداد (٧/ ٤٢٥) .

(٧) في آ : وجدت أبا الفتح القواس .

(٨) من كبار المعتزلة ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٢١٨هـ .

(٩) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٤) .

(١٠) وفيات الأعيان (٢/ ٣١٤) . وبعدها في ط ما نصه: وورد أنها رؤيت في المنام ، فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات ، وما عملته في طريق الحج ، فقالت: ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله ، وما نفعنا إلا ركعات=

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومئتين

في المحرم منها دخل المأمونُ الديار المصرية ، ظفر بعَبْدُوس الفِهْري ، فأمر فضربتْ عنقه . ثم كرَّ المأمون راجعاً إلى الشام .

وفي هذه السنة ركب المأمون إلى بلاد الروم أيضاً ، فحاصر لؤلؤة[١] مئةَ يوم ، ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها عُجَيفاً ، فخدعته الروم ، فأسروه ، فأقام في أيديهم ثمانية أيام ، ثم انفلت من أيديهم ، واستمر محاصِراً لهم ، فجاء ملك الروم بنفسه فأحاط بجيشه من ورائه ، فبلغ المأمون فسار إليه ، فلما أحسَّ توفيل بقدومه انصرف هارباً من وجهه ، وبعث إليه الوزير ، الذي يقال له : الصنفل ، فسأله الأمان والمصالحة والمهادنة ، لكنه بدأ بنفسه في كتابه إلى المأمون ، فردَّ عليه المأمون كتاباً بليغاً ، مضمونُه التقريعُ والتوبيخ ، وإني إنَّما أقبلُ منك الدخول في الحنيفيّة ، وإلا فالسيفُ والقتل . والسلام على من اتبع الهدى[٢] .

وحجَّ بالناس فيها سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي .

ومن توفي فيها من الأعيان :

حَجَّاج بن مِنْهال[٣] .

وسُرَيْج بن النُّعمان[٤] .

وموسى بن داود الضَّبِّيّ[٥] .

= كنت أركعهن في السحر . وفيها جرت حوادث وأمور يطول ذكرها .

(١) « لؤلؤة » : قلعة قرب طَرَسوس . ياقوت .

(٢) راجع نص الرسالتين المتبادلتين بين توفيل والمأمون في تاريخ الطبري (٨/ ٦٢٩) .

(٣) حجَّاج بن مِنهال البصريّ ، أبو محمد الأنماطي . كان دلالاً في الأنماط . ثقة ، صاحب سنّة . العبر (١/ ٣٧١) .

(٤) سُرَيْج بن النُّعمان الجوهريّ البغدادي الحافظ ، كان ثقة مبرّزاً . تهذيب الكمال (١٠/ ٢١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٩) .

(٥) أبو عبد الله الكوفيّ الطّرسوسي ، نزيل بغداد . كان مصنفاً مكثراً مأموناً ، وكان ثقة زاهداً صاحب حديث . ولي قضاء طرسوس حتى مات . العبر (١/ ٣٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٣٦) .

ثم دخلت سنة ثمانٍ[١] عشرة ومئتين

في أول يوم من جمادى الأولى منها وجَّه المأمونُ ابنَه العبَّاسَ إلى بلاد الروم لبناء الطُّوانة ، وتجديد عمارتها . وبعث إلى سائر الأقاليم والآفاق في تجهيز الفَعَلَةِ[٢] من كلّ بلدٍ إليها ، من مصر والشام والعراق وغير ذلك ، فاجتمع خلقٌ كثير لا يعلمهم إلا الله عزَّ وجلَّ . وأمره أن يجعلها ميلاً في ميلٍ ، وأن يجعل سورَها ثلاثة فراسِخَ ، وأن يجعل لها ثلاثة أبواب ، عند كُلِّ بابٍ حِصْنٌ .

ذكر أوَّل المحنة[٣] :

في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدّثين بالقول بخلق القرآن ، وأن يرسل إليه جماعة منهم إلى الرّقة . ونسخة كتاب المأمون إلى نائبه مطولة ، قد سردها ابنُ جرير[٤] ؛ ومضمونها الاحتجاجُ على أنَّ القرآن محدث وليس بقديم ، وعنده أن كلَّ محدث فهو مخلوق ، وهذا أمرٌ لا يوافقه عليه كثيرٌ من المتكلمين ولا المحدثين ، فإنَّ القائلين بأنه تعالى تقوم به الأفعال الاختيارية ، لا يقولون بأنَّ فعله تعالى القائم بذاته المقدسة[٥] بعد أن لم يكن مخلوقاً[٦] ، بل يقولون : هو محدَثٌ وليس بمخلوق ، بل هو كلام الله تعالى القائم بذاته المقدسة ، وما كان قائماً بالذات لا يكون مخلوقاً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢][٧] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الأعراف : ١١] . فالأمر منه بالسجود صدرَ منه تعالى بعد خلقه آدم ، فالكلام القائم بالذات ليس بمخلوق ، وهذا له موضع آخر .

وقد صنف البخاريُّ كتاباً في هذا المعنى سمَّاه « خلق أفعال العباد » .

والمقصود أن الكتاب[٨] لمَّا ورد بغداد قُرِئَ على الناس . وقد عيَّن المأمونُ جماعةً من المحدّثين

---

(١) في الأصول : ثماني عشرة بإثبات الياء ، كالاسم المنقوص المضاف . وأثبت ما جاء في ط .
(٢) « الفَعَلَة » : صفة غالبة على عَمَلةِ الطين والحفر ونحوهما ؛ لأنَّهم يفعلون . اللسان : فعل .
(٣) في ط : ذكر أوَّل المحنة والفتنة .
(٤) تاريخ الطبري (٨/ ٦٣١) .
(٥) في ط : المقدسة مخلوق ، بل لم يكن مخلوقاً .
(٦) في ظا ، ب : محدثاً .
(٧) وفي الأصول : من الرحمن محدث وهي الآية (٥) من سورة الشعراء . وقد أثبت ما جاء في ط .
(٨) في ط : أن كتاب المأمون .

ليحضرهم إليه ؛ وهم : محمد بن سعد كاتب الواقديّ ، وأبو مسلم ، مستملي يزيد بن هارون[١] ، ويحيى بن معين ، وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن الدّورقيّ[٢] .

فبعث بهم إلى المأمون ، إلى الرقة ، فامتحنهم بالقول بخلق القرآن ، فأجابوه إلى ذلك ، وأظهروا موافقتَه وهم كارهون . فردَّهم إلى بغداد ، وأمرَ بإشهار أمرهم بين الفقهاء ، ففعل إسحاق بن إبراهيم ذلك .

وأحضر خلقاً من مشايخ الحديث والفقهاء والقضاة وأئمة المساجد وغيرهم ، فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون ، وذكر لهم موافقة أولئك المحدّثين في ذلك ، فأجابوا بمثل جواب أولئك . ووقعت بين الناس فتنةٌ عظيمةٌ ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ثم كتب المأمون كتاباً ثانياً إلى إسحاق بن إبراهيم يستدلّ فيه على القول بخلق القرآن بشُبهٍ من الدلائل لا تحقيق فيها ، ولا حاصلَ لها ، بل هي من المتشابهات ، وأورد من القرآن آياتٍ هي حجة عليه لا له ؛ أورده ابنُ جرير[٣] بطوله . وأمره[٤] أن يقرأ ذلك على أناس وأن يدعوهم إليه والقول به . فأحضر إسحاق بن إبراهيم جماعةً من الأئمة ، وهم : أحمد بن حنبل ، وقُتَيْبة ، وأبو حسّان الزِّياديُّ ، وبشر بن الوليد الكِندي ، وعليّ بن أبي مُقاتل ، وسَعْدُويه الواسطيّ ، وعليّ بن الجَعْد ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وابن الهِرْش ، وابن عُلَيَّة الأكبر ، ويحيى بن عبد الرحمن[٥] العمري ، وشيخ آخر من سلالة عمر ، كان قاضياً على الرقة ، وأبو نَصر التَّمّار ، وأبو مَعْمَر القَطيعيّ ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، ومحمد بن نوح الجنديسابوري المضروب ، وابن الفَرُّخان ، [والنَّضْر بن شميل ، وأبو علي بن عاصم ، وأبو العوام الجزّار[٦] ، وابن شجاع][٧] ، وعبد الرحمن بن إسحاق ، وجماعة[٨] .

فلمّا دخلوا على إسحاق بن إبراهيم قرأ عليهم كتاب المأمون ، فلما فهموه قال لبشر بن الوليد : ما تقولُ في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله . قال : ليس عن هذا أسألك ، إنما أسألك أهو مخلوقٌ ؟ قال :

---

(١) في ط وأبو مسلم المستملي ، ويزيد بن هارون ، وهو تحريف .
(٢) الطبري (٨/ ٦٣٤) .
(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٦٣٢) .
(٤) في ط : وأمر نائبه .
(٥) في ط : « عبد الحميد » محرف .
(٦) تحرفت نسبته في النسخ التي بين أيدينا على وجوه مختلفة ، وما أثبتناه من كتب الرجال ، وهو فائد بن كيسان الباهلي أبو العوام الجزار (ع) .
(٧) ما بين قوسين من ظا ، ب . وابن شجاع : هو محمد بن شجاع المرُّوذي ، من رجال التهذيب .
(٨) تاريخ الطبري (٨/ ٦٣٧) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٤٢٣) .

ليس بخالق . قال : ولا عن هذا أسألك . فقال : ما أُحسن غيرَ هذا . وصمَّم على ذلك . فقال : أتشهد أن لا إلّه إلا الله أحداً فرداً ، لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجهٍ من الوجوه ؟ قال : نعم ! فقال للكاتب : اكتب بما قال . فكتب .

ثم امتحنهم رجلاً رجلاً ، فأكثرُهم امتنَعَ من القول بخلق القرآن ، وإذا مانع الرجل منهم يمتحنه بالرقعة[١] التي وافق عليها بِشْرُ بن الوليد الكِنديّ ؛ من أنه تعالى لا يشبهه شيء من خلقه في معنىً من المعاني ولا وجهٍ من الوجوه ، فيقول : نعم ، كما قال [بِشر] .

ولما انتهت النوبةُ إلى امتحان أحمد بن حنبل ، قال له : أتقولُ إن القرآن مخلوق ؟ فقال : القرآن كلامُ الله ، لا أزيد على هذا . قال : فما تقول في هذه الرقعة ؟ فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] . فقال رجلٌ من المعتزلة : إنه يقول : سميع بأُذن ، بصير بعين . فقال له [إسحاق] : ما أردْتَ بقولك : سميع بصيرٌ ؟ فقال : أردت منها ما أرادَه اللهُ منها ، وهو كما وَصَفَ نفسَه ، ولا أزيدُ على ذلك .

فكُتبتْ جواباتُ القوم ، رجل[٢] رجل ، وبعث بها إلى المأمون .

فصــل

قد تقدَّم : أن إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد لمّا امتحن الجماعة في القول بخلق القرآن ، ونفي التشبيه ، فأجابوا كلُّهم إلى نفي المماثلة . وأما القولُ بخلق القرآن فامتنعوا من ذلك ، وقالوا كلهم : القرآن كلام الله . قال الإمام أحمد : ولا أزيدُ على هذا حَرْفاً أبداً ، وقرأ في نفي المماثلة : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، فقالوا : ما أردْتَ بقولك : السَّميع البصير ؟ فقال : أردْتُ منها ما أراد الله منها .

وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مُصانعة مكرهاً ؛ لأنّهم كانوا يعزِلون مَن لا يجيبُ عن وظائفه ، وإن كان له رِزْقٌ على بيت المال قُطِعَ ، وإن كان مفتياً مُنع من الإفتاء ، وإن كان شيخَ حديثٍ ، رُدِعَ عن الإسماع والأداء . ووقعت فتنة صمَّاء ، ومحنة شنعاء ، وداهية دهياء ، فلا حولَ ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ، العزيز الحكيم .

وأمر النائبُ إسحاق بن إبراهيم للكاتب فكتب عن كُلِّ واحدٍ منهم جوابه بعينه ، وبعث به إلى

---

(١) ظا ، ب : بما في الرقعة .
(٢) في ط : رجلاً رجلاً .

المأمون ، فجاء الجواب يمدح النائب على ما فعل ، والرد على كل فردٍ فردٍ فيما قال . وأمر نائبه أن يمتحنهم أيضاً ، فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس ، ومن لم يجب منهم إلى القول بخلق القرآن فابعث به إلى عسكر أمير المؤمنين مقيَّداً محتفظاً به حتَّى يصل إلى أمير المؤمنين ، فيرى به رأيه ، ومن مذهبه[١] أن يضرب عنق من لم يقل بخلق القرآن . فعقد الأميرُ ببغداد مجلساً آخر ، وأحضر أولئك وفيهم إبراهيم بن المهديّ ، وكان صاحباً لبشر بن الوليد الكِنديّ ، وقد نصَّ المأمون على قتلهما إن لم يجيبا على الفور ، فلمَّا امتحنهم إسحاق بن إبراهيم ثانياً بعد قراءة كتاب الخليفة أجابوا كلهم مكرهين متأوِّلين قولَه تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٦] ، إلاَّ أربعةً ، [وهم] : أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، والحسن بن حمّاد سَجَّادة ، وعُبَيد الله بن عمر القَوَاريري . فقيَّدهم وأرصدهم ليبعث بهم إلى الخليفة ، ثم استدعَى بهم في اليوم الثاني فامتحنهم ، فأجاب سَجَّادة إلى القول بخلق القرآن ، فأطلق قيده وأطلقه . ثم امتحنهم في اليوم الثالث ، فأجاب القَواريريُّ إلى ذلك أيضاً فأطلق قيدَه أيضاً وأطلقه . وأصرَّ أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح الجنديسابوري على الامتناع من ذلك ، فأكَّد قيودَهما ، وجمعهما في الحديد ، وبعث بهما إلى الخليفة وهو بطَرَسُوسَ ، وكتب معهما كتاباً بإرسالهما إليه فسارا مقيَّدين في محارة على جمل متعادلين ، رضي الله عنهما .

وجعل الإمام أحمد يدعو الله عزَّ وجلَّ ألا يجمعَ بينهم[٢] وبين المأمون ، وألا يرياه ولا يراهما . وجاء كتاب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم ، وفيه : أنه قد بلغني أن القوم إنما أجابوا مكرَهين متأوِّلين قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل : ١٠٦] . وقد أخطؤوا في ذلك خطأً كبيراً ، فأرسلهم كلهم إلى أمير المؤمنين .

فاستدعاهم إسحاق بن إبراهيم ، وألزمهم بالمسير إلى طَرَسُوس ، فساروا إليها ، فلمَّا كانوا ببعض الطريق بلغهم وفاة المأمون ، فرُدُّوا إلى الرّقَّة ، ثم أذن لهم بالرجوع إلى بغداد . وكان أحمد بن حنبل ، وصاحبه محمد بن نوح قد سبقا الناس ، ولكن لم يجتمعا به حتى مات ، واستجاب الله من عبده ووليه أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، فلم يجتمعوا بالمأمون ، ورُدُّوا إلى بغداد .

وسيأتي تمام ما وقع من الأمر الفظيع في أول ولاية المعتصم بن الرشيد ، وتمام الكلام فيها في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومئتين ، وبالله المستعان .

---

(١) في ط : ومن رأيه .
(٢) في ط : بينهما .

وهذه ترجمة المأمون[(١)] :

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي العباسي ، أبو جعفر أمير المؤمنين [المأمون][(٢)] ، وأمُّه أمُّ ولدٍ اسمها : مَراجل الباذغيسيّة[(٣)] ، وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومئة ليلةَ توفي عمُّه الهادي ، وولي أبوه هارون الرشيد ، وكان ذلك ليلة جمعة كما تقدَّم .

قال ابن عساكر[(٤)] : رَوَى الحديث عن أبيه ، وهُشَيم بن بشير ، وأبي مُعاوية الضَّرير ، ويوسف بن عطيّة ، وعبَّاد بن العوام ، وإسماعيل بن عُلية ، وحجاج بن محمد الأعور .

وروى عنه : أبو حذيفة إسحاق بن بشر ـ وهو أسن منه ـ ويحيى بن أكثم القاضي ، وابنه الفضل بن المأمون ، ومعمر بن شبيب ، وأبو يوسف القاضي ، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي ، وأحمد بن الحارث الشيعي ، واليزيدي ، وعمرو بن مسعدة ، وعبد الله بن طاهر بن الحسين ، ومحمد بن إبراهيم السُّلَميّ ، ودِعْبِل بن عليّ الخُزَاعيُّ . قال[(٥)] : وقدِمَ دمشقَ دفعات ، وأقام بها مدة .

ثم روى [ابنُ عساكر][(٦)] من طريق أبي القاسم البَغوي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي ، قال : سمعت المأمون في الشَّمَّاسِيَّة[(٧)] وقد أجرى الحَلْبة[(٨)] ، فجعل ينظر إلى كثرة الناس ، فقال ليحيى بن أكثم : أما ترى ؟ ثم قال : حدثنا يوسف بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس ، أن النبيَّ ﷺ قال : « الخَلْقُ كلُّهم عيال الله فأحبُّهم إليه[(٩)] أنفعُهم لعياله »[(١٠)] .

---

(١) المعارف ، لابن قتيبة (ص٣٨٧) ، وتاريخ الطبري (٨/ ٤٢٨ و٦٤٥) ، تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٣) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩ ، ٢٢٢) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ٢٨٢ و٤٢٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٢) ، شذرات الذهب (٢/ ٣٩) .

(٢) زيادة من ب ، ظا .

(٣) نسبة إلى باذَغِيس ، وهي بليدات وقُرى كثيرة ومزارع بنواحي هراة . اللباب (١/ ١٠٥) .

(٤) ابن عساكر الجزء (٣٩/ ٢٢٢) .

(٥) أي ابن عساكر .

(٦) زيادة من ط .

(٧) « الشَّمَّاسِيَّة » : بفتح أوله وتشديد ثانيه ، ثم سين مهملة ، منسوبة إلى بعض شمَّاسي النصارى ، وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد . ياقوت .

(٨) « الحَلْبة » : خيل تجمع للسباق من كل أوْب ، جمع حلائب .

(٩) تاريخ ابن عساكر : في رواية : فأحب خلقه إليه ، وفي الجزء ٣٩/ ٢٢٤ .

(١٠) وفي سنده يوسف بن عطية بن ثابت الصفار البصري ، أبو سهل ، وهو متروك ، كما قال الحافظ في التقريب . ورواه أيضاً من حديث أنس أبو يعلى والبزار ، كما في مجمع الزوائد (٨/ ١٩١) ، وقال الحافظ الهيثمي : وفيه =

ومن حديث أبي بكر المَيَانَجِيّ(١) عن الحسين بن أحمد المالكي ، عن يحيى بن أكثم القاضي ، عن المأمون ، عن هُشَيم ، عن منصور عن الحسن ، عن أبي بكرة : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « الحياء من الإيمان »(٢) .

ومن حديث جعفر [بن محمد] بن أبي عثمان الطيالسي ، أنه صلَّى العصر يوم عرفة خلف المأمون بالرصافة ، فلمَّا سلَّم كبَّر النَّاسُ ، فجعل يقول : لا يا غوغاء ، لا يا غوغاء ، غداً سنة أبي القاسم ﷺ . فلما كان الغدُ صعِدَ المنبرَ ، فكبَّر . ثم قال : أنبأ هُشَيم بن بشير ، حدَّثنا ابن شُبْرُمة ، عن الشَّعبيّ ، عن البَراء بن عازب ، عن أبي بُرْدَة بن نيار ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ ذَبَح قَبْلَ أنْ يُصَلِّي فإنَّما هو لحمٌ قدَّمه لأهله ، ومَنْ ذَبَح بعد أن يُصَلِّي الغداة فقد أصاب السُّنَّة »(٣) . الله أكبر كبيراً . والحمد لله كَثيراً ، وسبحان الله بُكرةً وأصيلاً ، اللهم أصلحني واسْتَصْلِحني ، وأصلحْ على يديّ .

وكان مولد المأمون ليلة مات عمه الهادي ، وولي أبوه الرشيد ، وذلك ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومئة ، وولي الخلافة في المحرم لخمس بقين منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومئة ، واستمرَّ في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر .

وقد كان فيه تشيّع واعتزالٌ وجهلٌ بالسُّنَّة الصحيحة ، وقد بايع في سنة إحدى ومئتين بولاية العهد من

= يوسف بن عطية الصفار ، وهو متروك . وذكره الهيثمي من حديث ابن مسعود ، وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه عمير ، وهو أبو هارون القرشي ، متروك .

وقد رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بلفظ : « أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجلَّ سرورٌ تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً . . » .

وإسناده ضعيف ، ولكن له طريق آخر ، رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » عن بعض أصحاب النبي ﷺ ، وابن عساكر من طرقٍ عن ابن عمر ، فهو حديث حسن (ع) .

وفي رواية : أحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله . رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد لأبيه ، عن الحسن مرسلاً ، وهو ضعيف ، لكن له شواهد ، يكون بها حسناً لغيره .

(١) انظر غرائب حديث الميانجي (خ حديث ٢٧٩ ق ١٢٣ ظاهرية) ، وتاريخ ابن عساكر ، الجزء٣٩ ، ص٢٢٥ .

(٢) وإسناده ضعيف ، ولكن رواه البخاري (١٠/ ٤٣٣) في الأدب ، باب الحياء ؛ ومسلم رقم (٣٦) في الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان ، وفضيلة الحياء ؛ وأبو داود رقم (٤٧٩٥) في الأدب ، باب في الحياء ؛ والترمذي رقم (٢٦١٥) في الإيمان ، باب ما جاء أن الحياء من الإيمان ؛ وابن ماجه رقم (٥٨) في المقدمة ، باب في الإيمان ، كلهم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . ورواه الترمذي رقم (٢٠٠٩) في البر والصلة ، باب ما جاء في الحياء ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . فالحديث صحيح .

(٣) وهو في صحيح البخاري (١٠/ ٢ و٣) في الأضاحي ، باب سنة الأضحية ؛ ومسلم رقم (١٩٦١) (٧) ؛ والنسائي (٣/ ١٨٢) في العيدين ؛ والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٧٦) في الأضاحي ؛ باب وقت الأضحية ؛ من حديث البراء بن عازب ، رضي الله عنه .

بعده لعلي الرِّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب ، وخلَع السّوادَ ولبس الخُضْرَةَ كما قدَّمنا[١] ، فأعظَمَ ذلك العبّاسيون من البغاددة وغيرهم ، وخلعوا المأمون وولَّوا عليهم إبراهيم بن المهدي ، كما تقدَّم ، ثم ظفر المأمون بهم واستقام أمره في الخلافة ، وذلك بعد موت عليّ الرِّضا بطُوس ، وعفا عن عمِّه إبراهيم بن المهدي ، كما تقدّم بسطُ ذلك في موضعه[٢] .

وأمَّا كونه على مذهب الاعتزال فإنَّه اجتمع بجماعة ؛ منهم : بِشْرُ بن غياث المَريسي ، فأخذ عنهم هذا المذهب الباطل . وكان يحبُّ العلم ، ولم يكن له بصيرةٌ نافذة فيه ، فدخل عليه بسبب ذلك الداخلُ ، وراج عنده الباطلُ ؛ ودعا إليه وحَمَل الناس قهراً عليه ؛ وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : كان المأمون أبيضَ ربعةً ، حسنَ الوجه ، قد وخَطَهُ الشَّيبُ ، تعلُوه صُفْرَةٌ ، أعينَ، طويلَ اللّحية ، رقيقَها ، ضيِّقَ الجَبينِ ، على خَدِّه خالٌ ؛ أمُّه أمُّ ولدٍ يقالُ لها : مَراجل[٣] .

وروى الخطيب البغدادي عن القاسم بن محمد بن عباد ، قال : لم يحفظ القرآنَ أحدٌ مِن الخلفاء غيرُ عثمانَ بن عفان والمأمون[٤] ؛ وهذا غريبٌ جدّاً[٥] .

قالوا : وكان يتلو في شهر رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمةً ، وجلس يوماً لإملاء الحديث فاجتمع حوله القاضي ابن أكثم وجماعة ، فأملى عليهم من حفظه ثلاثين حديثاً . وكانت له بصيرة بعلوم متعددة ، من فقهٍ ، وطبٍّ ، وشعرٍ ، وفرائضَ ، وكلامٍ ، ونحوٍ ، وعربية ، وغريبٍ ، وعلم النجوم ؛ وإليه يُنسب الزِّيج[٦] المأموني . وقد اختبر مقدار الدرجة في وطأة سنجار ، فاختلف عملُه وعمل الأوائل من القدماء .

وروى ابن عساكر[٧] أنَّ المأمون جلس يوماً للناس ، وفي مجلسه الأمراء والعلماء ، فجاءت امرأة تتظلَّم إليه ، فذكرت أن أخاها توفي وترك ستمئة دينار ، فلم يحصل لها سوى دينار واحد . فقال لها على البديهة : قد وصل إليك حقُّكِ ، كأن أخاك قد ترك بنتين[٨] ، وأمَّاً ، وزوجة ، واثني عشر أخاً ، وأختاً

---

(١) تقدَّم في حوادث سنة ٢٠٤هـ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٤) ، تاريخ ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٣) .
(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٩٠) ، وتاريخ ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٤) .
(٥) بعدها في ط : لا يوافق عليه ، فقد كان يحفظ القرآن عدة من الخلفاء .
(٦) « الزِّيج » : كتاب أو جدول يعرف منه سير الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم . فارسي معرب .
(٧) تاريخ ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٦) . والخبر في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٧) ، والوافي بالوفيات (١٧/ ٦٥٧) ، وفوات الوفيات (١/ ٢٤٠) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٣١) .
(٨) في ابن عساكر : أربع بنات .

واحدة وهي أنت ؟ قالت : نعم يا أميرَ المؤمنين . فقال : للبنتين الثلثان أربعمئة دينار ، وللأم السدسُ مئةُ دينار ، وللزوجة الثمن خمسة وسبعون ديناراً ، ويبقى خمسة وعشرون ديناراً ، لكلّ أخٍ ديناران [ديناران][١] ، ولك دينار واحدٌ .

فعجب الناس من فطنته [وِحدَّةِ ذِهنه][٢] وسرعة جوابه . وقد رُويت هذه الحكاية عن علي بن أبي طالب .

ودخل بعضُ الشعراء على المأمون وقد قال فيه بيتاً يراه عظيماً ، فلما أنشده إياه لم يقع منه موقعاً طائلاً ، فخرج من عنده ، فلقيه شاعر آخر فقال : ألا أعجبك ؟ أنشدْتُ المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأساً . فقال : وما هو ؟ قال : قلت فيه[٣] :

أضحى إمامُ الهُدَى المأمونُ مُشْتَغلاً بـالـدِّيـنِ والنَّـاسُ بـالـدنيـا مَشَـاغِـلُ

فقال له ذلك الشاعر : ما زِدْتَ على أن جعلْتَه عجوزاً في محرابها . فهلا قلت كما قال جريرٌ في عبد العزيز بن الوليد[٤] :

فَـلا هُـوَ فـي الـدُّنيـا مُضيعٌ نَصِيبَـهُ ولا عَرَضُ الدُّنيا عن الدِّينِ شاغِلُهْ

وقال المأمون يوماً لبعض جلسائه : بيتان لاثنين ما لحقهما أحدٌ ، قولُ أبي نواس[٥] :

إذا اختبَـرَ الـدُّنيـا لبيـبٌ تكشَّفَـتْ لَـهُ عـن عَـدوٍّ فـي ثيـابِ صـديـقِ

وقولُ شريح[٦] :

تهـونُ علـى الـدُّنيـا المـلامـةُ إنَّـهُ حريصٌ على اسْتِصْلاحها مَنْ يَلُومُها

قال [المأمون][٧] : وقد ألجأني الزّحام يوماً وأنا في الموكب حتى خالطت السوق[٨] فرأيت رجلاً

---

(١) زيادة من ابن عساكر وط .
(٢) ما بين حاصرتين زيادة من ط (ع) .
(٣) البيت في الطبري (٨/ ٦٦٣) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٨) ، والصناعتين (١١٩) ، وسر الفصاحة (٢٤٨) ، وشعر مروان بن أبي حفصة (ص١١٧ ، ١٣٣) .
(٤) الطبري (٨/ ٦٦٣) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٩) وديوان جرير (٤٣٥) وفي ط (عبد العزيز بن مروان) (ع) .
(٥) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٩) وديوان أبي نواس (٢٨٧) .
(٦) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٩) .
(٧) زيادة من ط .
(٨) في ط : السوقة .

في دكان عليه أثواب خَلقة[(١)] ، فنظر إليَّ نظرَ مَن يرحمُني أو يتعجَّبُ من أمري ، فقال[(٢)] :

أَرَى كـلَّ مَغْـرُورٍ تُمَنِّيـهِ نفسُـهُ　　إذا مـا مَضَـى عـامٌ سـلامةَ قـابِـلِ

وقال يحيى بن أكثم : سمعت المأمون يوم عيد خطب الناس ؛ حمد الله وأثنى عليه ، وصلَّى على رسول الله ﷺ ثم قال : عبادَ الله ! عظم أمرُ الدارين ، وارتفع جزاءُ العاملين ، وطالت مدَّة الفريقين ، فوالله إنه للجِدُّ لا اللعبُ ، وإنَّه للحَقُّ لا الكذِب ، وما هو إلَّا الموت ، والبعث ، والحساب ، والفَصْل ، والصِّراط ، ثم العقاب ، والثواب . فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هَوَى يومئذ فقد خاب . الخيرُ كُلُّه في الجنة ، والشرُّ كلُّه في النار[(٣)] .

وروى ابن عساكر[(٤)] من طريق النَّضْر بن شُميل ، قال : دخلْتُ على المأمون ، فقال : كيف أصبحْتَ يا نَضْر ؟! قلت : بخير يا أمير المؤمنين ! فقال : ما الإرجاءُ[(٥)] ؟ فقلْتُ : دين يوافق الملوكَ ؛ يصيبون به من دنياهم وينقصون من دينهم . قال : صدقْتَ . ثم قال : يا نَضْر ! أتدري ما قلْتُ في صبيحة هذا اليوم ؟ قلت : إني لم أعلم الغيب . فقال : قلت[(٦)] :

أَصْبَـحَ دينـي الَّـذي أَدِيـنُ بـهِ　　وَلَسْـتُ منـهُ الغَـدَاةَ مُعْتَـذِرا
حـبُّ علـيٍّ بعـدَ النَّبـيِّ ولا　　أشتِـمُ صِـدِّيقنـا ولا عُمَـرا
ثـم ابـن عفَّـان فـي الجِنَـانِ مَعَ الـ　　أَبْـرارِ ذاكَ القتيـلُ مُصْطَبِـرا
لا ، لا ، ولا أشتـمُ الـزُّبيـرَ ولا　　طلحـةَ إنْ قـالَ قـائـلٌ غـدرَا
وعـائـشُ الأمُّ لسـتُ أَشْتِمُهـا　　مَـن يَفْتَـرِيهـا فنَحْـنُ منـهُ بـرا

وهذا المذهب ثاني مراتب التشيّع ، وفيه[(٧)] تفضيل عليٍّ على عثمان[(٨)] . وقد قال بعضُ السَّلف والدارقطني : مَن فضَّل علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار - يعني في اجتهادهم ثلاثة أيام ، ثم اتفقوا على تقديم عثمان على عليٍّ بعد مقتل عُمَرَ ، رضي الله عنهم - وبعد ذلك ستَّ عشرةَ مرتبةً في التشيّع ، على ما ذكره صاحبُ كتاب « البلاغ الأكبر ، والناموس الأعظم » ، ينتهي إلى أكفر الكفر .

---

(١) يقال : ثوب خَلَق : بالٍ ، والجمع خُلْقان وأخْلاق .
(٢) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٩) .
(٣) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٤٨) .
(٤) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٤٨ - ٢٤٩) .
(٥) في ابن عساكر : أتدري بالإرجاء؟ .
(٦) الأبيات في ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٤٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٨٢) ، ووفيات الأعيان (٢/ ٢٣٨) .
(٧) في ب ، ظا : وقبله .
(٨) في ط : الصحابة .

وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه قال : لا أُوتى بأحدٍ فضَّلني على أبي بكرٍ وعُمَر إلا جَلَدتُه جَلْدَ المُفْتَري . وتواتر عنه أنه قال : خيرُ الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان[١] .

فقد خالف المأمون بن الرشيد في مذهبه الصحابة كلَّهم حتى عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم .

وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والأنصار ، وخالفهم في ذلك ، البدعةَ الأخرى والطَّامة العظمى ، وهي القولُ بِخَلْقِ القرآن ، مع ما فيه من الانهماك على تعاطي المسكِر وغير ذلك من الأفعال التي يعذر فيها المنكِر .

ولكن كان فيه شهامة عظيمة ، وقوة جسيمة ، وله همة في القتال ، وحصار الأعداء ، ومصابرة الروم وحصرهم في بلدانهم ، وقتل فرسانهم ، وأسر ذراريهم وولدانهم .

وكان يقول : [معاوية] بعَمْرِه ، وعبد الملك بحجَّاجِهِ ، وأنا بنفسي[٢] .

وكان يقصد العدل ، ويتوَّلى بنفسه بين الناس الفصلَ ؛ جاءته امرأة ضعيفة فتظلَّمت على ابنه العباسِ وهو واقف على رأسه ، فأمرَ الحاجبَ فأخذ بيده فأجلَسَه معها بين يديه ، فادَّعَتْ عليه أنه أخذ ضيعةً لها واستحوذ عليها ، فتناظرا ساعةً فجعل صوتُها يعلو على صوته ، فزجرها بعضُ الحاضرين ، فقال له المأمون : اسكت ، فإنَّ الحقَّ أنطقها والباطلَ أسكته ، ثم حكم لها بحقها ، وأغرم لها ولَدَه بعشرة آلاف درهم[٣] .

وكتب إلى بعض الأمراء : ليس من المروءة أن تكون آنيتك من ذهب وفضَّة ، وغريمك عارٍ ، وجارك طاوٍ[٤] .

ووقف رجلٌ بين يدي المأمون ، فقال له المأمون : والله لأقتلنَّك ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، تأنَّ عَليَّ ، فإنَّ الرِّفْقَ نِصفُ العَفْو ، فقال : ويحك ! وقد حلفت لأقتلنَّكَ ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لأنْ تلقى الله عزَّ وجلَّ حانِثاً خيرٌ لك من أن تلقاه قاتلاً . فعفا عنه[٥] .

وكان يقول : ليت أهلَ الجرائم يعرفون مذهبي في العفو حتى يذهبَ الخوفُ عنهم ، ويدخلَ السُّرورُ إلى قلوبهم[٦] .

(١) قوله : ثم عثمان لم يرد في ب ، ط .
(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٩٠) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٥٥) ، والوافي بالوفيات (١٧/ ٦٥٦) .
(٣) العقد الفريد (١/ ٢٢) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٥٦) .
(٤) العقد الفريد (٤/ ٣٠٣) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٥٨) .
(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ١٩١) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٥٩) .
(٦) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٥٩) ، والوافي بالوفيات (١٧/ ٦٥٧) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٣٢٥) .

وركبَ يوماً في حرَّاقة ، فسمع ملاحاً يقول : أترون هذا المأمونَ ينبُلُ في عيني ، وقد قتلَ أخاه الأمين ؟ وهو لا يشعر بمكان الخليفة ، فجعَلَ المأمون يتبَّسم ويقولُ : كيف ترون الحيلةَ حتَّى أنبُلَ في عينِ هذا الرجل الجَلِيل(١) ؟ وحضر عنده هُدْبَةُ بن خالد يوماً ، فتغدَّى عنده ، فلمَّا رُفعت المائدة جعلَ هُدْبَةُ يلتقطُ ما تناثر منها ، فقال له المأمون : أما شبعْتَ يا شيخُ ؟! فقال : بلى ، ولكن حدَّثني حمَّاد بنُ سلمة ، عن ثابتٍ ، عن أنس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ أكَلَ ما تحتَ مائدتِهِ أمِنَ منَ الفقر »(٢) قال : فأمر له المأمون بألف دينارٍ(٣) .

وروى ابن عساكر(٤) أن المأمون قال يوماً لمحمد بن عبَّاد بن المهلب : يا أبا عبد الله ! قد أعطيتُكَ ألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ ، وإنَّ عليك ديناً ! فقال : يا أميرَ المؤمنين : إنَّ منع الموجود سوءُ ظَنٍّ بالمعبود . فقال : أحسنت يا أبا عبد الله ! أعطوه ألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ .

ولمَّا أراد المأمون أن يدخلَ ببوران(٥) بنت الحسن بن سهل جعل الناس يهدون لأبيها الأشياء النفيسة ، وكان من جملة من يعتزُّ به رجلٌ من الأدباء ؛ فأهدى إليه مِزْوَداً(٦) فيه ملح طيب ، ومِزْوداً فيه أشنان(٧) جيد ، وكتب إليه : إني كرهت أن تُطوى صحيفة أهل البرّ ولا أذكر فيها ، فوجَّهت إليك بالمبتدأ به لِيُمنه وبركته ، وبالمختوم به لطيبه ونظافته . وكتب إليه(٨) :

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٩) ، ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٦٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٩) ، الوافي بالوفيات (١٧/ ٦٥٧) ، فوات الوفيات (٢/ ٢٣٦) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٢٦) .

(٢) ذكره الحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء صفحة (٣٢٢) فقال : وأخرج الخطيب ، أي البغدادي ، عن هدبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ: « من أكل ما تحت مائدة أمن من الفقر » .
وذكر الحديث أيضاً المتقي الهندي في كنز العمال (١٥/ ٢٥٢) رقم (٤٠٨٢١) من حديث هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، وقال : قال ابن حجر في أطراف المختارة : سنده من هدبة على شرط مسلم ، والمتن منكر . فلينظر فيمن دون هدبة .
وفي رواية : « من أكل ما يسقط من المائدة لم يزل في سعة من رزق » رواه الدارقطني في الغرائب من حديث أبي هريرة . قال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٦٢) وفيه أحمد بن سليمان الحراني . قال الذهبي : ليس بعمدة .
وفي رواية من حديث ابن عباس : « من أكل ما يسقط من المائدة نفي عنه الفقر » عند الديلمي ، وفيه يوسف بن أبي يوسف القاضي ، وهو مجهول .

(٣) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٦٦) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٢٧) .

(٤) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٦٧) ، وعيون الأخبار (٣/ ١٧٥) ، والعقد الفريد (١/ ١٧٢) ، والمستجاد (١٧٩) .

(٥) تقدم الحديث عن عرس بوران في حوادث سنة ٢١٠هـ .

(٦) « المِزْوَد » : وعاء الزاد ، جمع مَزاود .

(٧) « الأشنان والإشنان » : شجر ينبت في الأرض الرملية ، يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي .

(٨) البيتان والخبر في ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) .

بِضـاعتي تقصُرُ عـن هِمَّتي   وهِمَّتـي تقصُـرُ عـن مـالـي
فالمِلْحُ والأشْنَانُ يا سيدي   أحسَـنُ مـا يُهـديـهِ أمثـالـي

قال : فدخل بهما الحسنُ بن سهل على المأمون فأعجبَهُ ذلك ، وأمر بالمِزْوَدَين ففرّغا وملئا دنانيرَ ، وبعث بهما إلى ذلك الأديب .

وولد للمأمون ابنُه جعفر ، فدخل الناس عليه يهنّئونه بصنوفِ التهاني ، ودخل بعضُ الشعراء[١] ، فقال : يهنِّيه بولده :

مـدَّ لـكَ اللهُ الحيـاةَ مَـدَّاً   حتـى تـرى ابنَـكَ هـذا جَـدَّا
ثـمَّ يُفْـدَى مثـلَ مـا تُفَـدَّى   كـأنَّـهُ أنـتَ إذا تَبَـدَّى
أشبـهُ منـكَ قـامـةً وقَـدَّاً   مـؤزَّراً بمجـدِه مُـردَّا[٢]

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقدِمَ عليه وهو بدمشق مالٌ جزيل بعدما كان قد أفْلَسَ ، وشكا إلى أخيه المعتصم ذلك ، فورد عليه خزائن من خراسان ثلاثون ألف ألف درهمٍ ، فخرج يستعرضها وقد زينت الجمال والأحمال ، ومعه يحيى بن أكثم القاضي ، فلما دخلت البلد قال : ليس من المروءة أن نحوزَ نحن هذا كلَّه والناسُ ينظرون ، ثم فرَّق منه أربعة وعشرين ألفَ ألفِ درهم ، ورِجلُه في الركاب لم ينزل عن فرسه[٣] .

ومن لطيف شعره قوله[٤] :

لِسـانـي كَتُـومٌ لأسـرارِكـمْ   ودمعِـي نمـومٌ لِسـرِّي مُـذِيـعُ
فلولا دُموعي كَتَمْتُ الهوَى   ولولا الهوى لَمْ تَكُنْ لي دُموعُ

وقد بَعث خادماً ليلة من الليالي ليأتيه بجارية ، فأطال [الخادم][٥] عندها المُكْث ، وتمنَّعت الجارية من المجيء إليه حتى يأتي إليها الخليفة بنفسه ، فأنشأ المأمون يقولُ[٦] :

---

(١) هو العباس بن الأحنف ، تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٩) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٧٦) والأبيات أيضاً في الأغاني (٥/ ٣٢٣) (دار الكتب) منسوبة إلى إسحاق بن إبراهيم برواية ومناسبة مختلفتين .

(٢) « مؤزر »: من الإزار؛ و« مردّى »: من الرداء .

(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٦٥٢) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٤٣٣) .

(٤) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٠) ، والمحاسن والمساوىء (٣٧٧) ، والوافي (١٧/ ٦٥٩) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٣٣) .

(٥) زيادة من ط .

(٦) الطبري (٨/ ٦٥٨) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٧٩ ، ٢٨٠) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٤٣٦) .

بعثتــكَ مُشْتــاقــاً ففُــزْتَ بنَظْــرةٍ وأغفَلْتَنــي حتَّــى أســأْتُ بــكَ الظَّنَّـا
وناجيْتَ مَنْ أهْوَى فَكُنْتَ مُقرَّباً فياليتَ شعري عن دُنوِّك ما أغْنَى
وردَّدْتَ طَرفاً في محاسِنِ وجْهها ومَتَّعْــتَ بــاستمتــاعِ نغْمَتِهــا أذْنــا
أرى أثراً في صحن خدِّك لم يكن[١] لقد سرقَتْ عيناكَ من حُسْنِها حُسْنا

ولما ابتدَعَ المأمونُ ما ابتدع من التشيُّع والاعتزال ، فرح بذلك بِشْر المَرِيسيّ[٢] ـ وكان شيخَ المأمون في ذلك ـ فأنشأ المَرِيسيّ يقول[٣] :

قــد قــالَ مــأمُــونُنــا وسيِّــدُنــا قَــولاً لــه فــي الكتــابِ تَصــديــقُ
إنَّ عليّــاً أعنــي أبــا حَسَــنٍ أفضــلُ مــن أرقلَــتْ بــه النُّــوقُ[٤]
بَعْــدَ نبــيِّ الهُــدَى وإنَّ لنــا أعمــالَنَــا ، والقــرانُ مخلــوقُ

فأجابه بعضُ الشعراء من أهل السنة فقال[٥] :

يــا أيُّهــا النَّــاسُ لا قــولٌ ولا عمــلٌ لِمَــنْ يقــولُ : كــلامُ الله مخلــوقُ
مــا قــالَ ذاكَ أبــو بكــرٍ ولا عُمَــرٌ ولا النبــيُّ ولــم يــذكــرْهُ صِــدّيــقُ
ولــم يقــلْ ذاكَ إلا كُــلُّ مبتــدِعٍ علــى الإلــه وعنــدَ اللهِ زنــديــقُ
عَمْــداً أرادَ بــهِ إمحــاقَ دينكــمُ لأنَّ دينهُــــم واللهِ ممحــــوقُ
أصبَحَ يا قوم عقلاً من خليفتكمْ يُمسي ويُصبح في الأغلالِ موثوقُ[٦]

وقد سأل بشر من المأمون أن يطلب قائلَ هذا فيؤدِّبه على ذلك ، فقال : ويحك ! لو كان فقيهاً لأدَّبته ، ولكنه شاعر فلست أعرِضُ له .

ولما تجهز المأمون للغزو في آخر سفرة سافرها إلى طَرَسُوسَ ، استَدْعَى بجاريةٍ كان يحبُّها وقد

(١) في ط والطبري وابن الأثير : أرى أثراً منه بعينك بيناً .
(٢) من كبار الفقهاء ، قال بخلق القرآن ، ودعا إليه . وسيورد المؤلف ترجمته بعد قليل .
(٣) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٢) .
(٤) « أرْقَلت به النوق »: أسرعت .
(٥) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٢) .
(٦) روايته في ط :
يا قوم أصبح عقل من خليفتكم مقيَّداً وهو في الأغلال موثوق

اشتراها في آخر عمره ، فضمَّها إليه ، فبكت الجارية وقالت : قتلْتَنِي يا أميرَ المؤمنين بسفرك ! ثم أنشأتْ تقول[١] :

سَـأدعـو دَعْـوَةَ المضطـرِّ ربّـاً يُثيـبُ علـى الـدُّعـاءِ ويستجيـبُ
لعـلَّ اللهَ أن يكفيـكَ حَـرْبـا ويَجْمَعَنـا كمـا تهـوى القُلـوبُ

فضمَّها إليه وأنشأ يقول : متمثِّلاً[٢] :

فيا حُسْنَها إذ يغسِل الدَّمْعُ كُحْلَها وإذ هي تَذْري الدمعَ منها الأناملُ
صبيحةَ قالـت في العتابِ قتلْتَني وقتلي بمـا قـالـتْ هنـاكَ تحـاوِلُ

ثم أمر الخادم مسروراً بالإحسان إليها ، والاحتفاظ عليها حتَّى يرجعَ ، ثم قال : نحنُ كما قال الأخطلُ[٣] :

قـومٌ إذا حـارَبـوا شَـدُّوا مـآزِرَهـم دُونَ النسـاءِ ولـو بـاتَـتْ بـأطهـارِ

ثم ودَّعها وسار فمرضت الجارية في غيبته هذه ، ومات المأمون أيضاً ، فلمَّا جاء نعيُه إليها تنفَّست الصُّعَداء وحضرتها الوفاة ، وأنشأت تقول وهي[٤] في السِّياق[٥] :

إنَّ الـزَّمـانَ سقـانـا مِـنْ مَـرارَتِـهِ بعـدَ الحـلاوةِ أنفـاسـاً فـأروانـا
أبـدَى لنـا تـارةً منـه فـأضحكنـا ثـمَّ انثنـى تـارةً أُخـرى فـأبْكـانـا
إنَّـا إلـى اللهِ فيمـا لا يـزالُ لنـا مـن القضـاءِ ومـن تلـوينِ دنيـانـا
دنيـا نـراهـا تُـرينـا مِـنْ تصـرُّفهـا مـا لا يـدومُ مصـافـاةً وأحـزانـا
ونحـنُ فيهـا كـأنَّـا لا يُـزايلنـا للعيشِ أحيـاؤنـا[٦] يبكـونَ مـوتـانـا

كانت وفاة المأمون بطَرَسُوس في يوم الخميس وقتَ الظهر ، وقيل : بعد العصر ، لثلاث عشرة بقيت من رجب من سنة ثماني عشرة ومئتين ، وله نحو من ثمان وأربعين سنة . وكانت مدَّة خلافته[٧] عشرين سنة وأشهراً ، وصلَّى عليه أخوه المعتصم وهو وليُّ العهد من بعده ، ودُفن بطَرَسُوس في دار خاقان

(١) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٣) ، وشذرات الذهب (٢/ ٣٩) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ديوانه (١٢٠) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٤) .
(٤) هي في السِّياق : أي في النَّزْع . و« السِّياق » : نزع الروح .
(٥) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٤) .
(٦) في آ ، ط : أحيا وما : وأثبت ما جاء في ب وابن عساكر .
(٧) في ابن عساكر : وكانت ولايته التي استقامت له عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً .

الخادم . وقيل : كانت وفاته يوم الثلاثاء . وقيل : يوم الأربعاء ، لثمان بقين من رجب من هذه السنة . وقيل : إنه مات خارج طَرَسُوسَ بأربع مراحل ، فحُمِلَ إليها حتى دُفن بها . وقيل : إنه نُقِلَ بعد ذلك في رمضان إلى أذَنَة ، فدفن بها ، والله أعلم .

وقد قال أبو سعيد المخزومي[١] :

ما رأيتُ[٢] النُّجومَ أغنَتْ عن المأْ ... مونِ في عزِّ مُلْكِهِ[٣] المأسُوسِ
خَلَّفوهُ بِعَرْصَتَيْ طَرَسُوسٍ ... مثلما خلَّفوا أباهُ بطُوسِ

وقد كان أوصى إلى أخيه المعتصم ، وكتبَ وصيتَه بحضرة ابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكُتَّاب .

وفيها القولُ بخلق القرآن ، ولم يتبْ من ذلك حتَّى أدركه أجلُه ، وانقضى عَملُه ، وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتبْ منه . وأوْصَى أن يكبِّر عليه الذي يصلِّي عليه خمساً . وأوْصَى أخاه أبا إسحاق المعتصم بتقوى الله عزَّ وجلَّ والرِّفقِ بالرعيَّة ، وأن يعتقدَ ما كان يعتقده أخوه في القرآن ، والدعاء إلى ذلك . وأوصاه بعبد الله بن طاهر ، وإسحاق[٤] بن إبراهيم ، وأحمد بن أبي دواد[٥] ، قال : شاوره في أمورك ولا تفارقه ، وحذَّره من يحيى بن أكثم ، ونهاه عنه وذمَّه ، وقال : خانني ونفَّر الناسَ عنِّي ، ففارقته غيرَ راضٍ عنه . ثم أوصاه بالعلويين خيراً ؛ أن يقبلَ من محسنهم ، ويتجاوزَ عن مسيئهم ، وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة .

وقد ذكر ابن جرير[٦] للمأمون ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة لم يذكرها الحافظ ابن عساكر مع كثرة ما يورده ، وفوق كلِّ ذي علم عليم .

---

(١) تاريخ الطبري (٨/ ٦٥٥) ، ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٩٢) ، معجم البلدان (طرسوس) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣١٩) .

(٢) في ب ، ط ، والطبري ، ومعجم البلدان وتاريخ الخلفاء: هل رأيتَ .

(٣) في ط والطبري: شيئاً أو ملكه .

(٤) في آ ، ط: أحمد بن إبراهيم ، وأثبت ما جاء في ظا ، ب . وهو إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب الخزاعي الأمير ، ابن عم طاهر بن الحسين ، ولي بغداد أكثر من عشرين سنة ، وكان صارماً سائساً حازماً ، وهو الذي كان يطلب الفقهاء ويمتحنهم بأمر المأمون . مات في بغداد سنة ٢٣٥هـ . وسيترجم له المؤلف في أحداث سنة ٢٣٥هـ ، وترجمته أيضاً في العبر (١/ ٤٢٠) ، وشذرات الذهب (٢/ ٨٤) .

(٥) في آ ، ب: أحمد بن داود ، وأثبت ما جاء في ظ ، ط ، وهو: أحمد بن أبي دواد الإيادي ، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ، ورأس فتنة القول بخلق القرآن ، وسيترجم له المؤلف في أحداث سنة ٢٤٠هـ .

(٦) تاريخ الطبري (٨/ ٤٧٨ـ٦٦٦) ، وتاريخ ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٢٢ـ٢٩٣) .

خلافة المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد :

بُويع له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطَرَسُوس يوم الخميس الثاني عشر من رجب من سنة ثماني عشرة ومئتين ، وكان إذ ذاك مريضاً ، وهو الذي صلَّى على أخيه المأمون ، وقد شغب بعض الجند ، فأرادوا أن يولّوا العباس بن المأمون ، فخرج عليهم العباس بن المأمون ، فقال لهم : ما هذا الحبّ البارد ؟ أنا قد بايعتُ عمِّي المعتصم ، فسكن الناس ، وخمدت الفتن وركبت البرد بالبيعة إلى الآفاق ، وبالتعزية بالمأمون ، وولاية المعتصم .

فأمر المعتصم بهدم ما كان بناه المأمون في مدينة طُوَانة ، وأمر بإبطال ذلك ، ونقل ما كان حوِّل إليها من السلاح وغير ذلك ، وأذن للفعول[١] بالانصراف إلى بلدانهم وأقاليمهم ، ثم ركب المعتصم في الجنود قاصداً بغداد وصحبتُه العباس بن المأمون ، فدخلها يوم السبت مستهل رمضان في أبّهة عظيمة وتجمّل تام .

وفي هذه السنة دخل خلق كثير من أهل هَمَذان ، وأصْبَهَان ، وماسَبَذان ، ومِهْرِجَان في دين الخُرَّمية ، فتجمَّع منهم بشر كثير ، فجهز إليهم المعتصمُ جيوشاً كثيرة ، آخر من جهَّز إليهم إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب في جيش عظيم ، وعقد له على الجبال ، فخرج من بغداد في ذي القعدة ، وقرئ كتابه بالفتح يوم التَّروية ، وأنَّه قهر الخرَّمية ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وهرب بقيتهم إلى بلاد الروم ، ولله الحمد والمنَّة .

وعلى يديه[٢] جرت فتنة الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، وضُرب بين يديه ، كما سيأتي بسطُ ذلك في ترجمة أحمد عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومئتين .

وممن توفي فيها من المشاهير والأعيان :

[بِشْر المَرِيسيّ][٣] : [وهو] بِشْرُ بن غِياث بن أبي كريمة ، أبو عبد الرحمن المَرِيسيّ المتكلم ، شيخُ المعتزلة ، وأحدُ مَن أضلَّ المأمون .

وقد كان هذا الرجل نظَرَ في شيء من الفقه ، وأخذ عن القاضي أبي يوسُف ، ورَوَى الحديث عنه ، وعن حمَّاد بن سَلَمة ، وسُفيان بن عُيينة ، وغيرهم .

---

(١) كذا في الأصول ، وفي ط : الفَعَلَة ، وهي صفة غالبة على عَمَلَة الطين والحفر ونحوهما ، لأنهم يفعلون .

(٢) في ط : وعلى يدي هذا .

(٣) ترجمته في الفَرق بين الفِرَق (١٩٢) ، وتاريخ العبر (٧/ ٥٦) ، ووفيات الأعيان (١/ ٢٧٧) ، والعبر (١/ ٣٧٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩) ، وشذرات الذهب (٢/ ٤٤) .

ثم غَلَبَ عليه علمُ الكلام ، وقد نهاه الشافعيُّ عن تعاطي ذلك فلم يقبل منه ، وقال الشافعيُّ : لأن يلقى اللهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ ما عدا الشرك أحبُّ إليَّ[١] من أن يلقاه بعلم الكلام .

وقد اجتمع بِشْرٌ بالشافعي عندما قدِمَ الشافعيُّ بغداد .

قال القاضي ابن خلكان[٢] : جرَّد القَوْلَ بخلق القرآن ، وحُكي عنه أقوالٌ شنيعة ، وكان مرجئاً ، وإليه تُنْسب الطائفة المَرِيسيَّةُ من المرجئة ، وكان يقول : إنَّ السُّجود للشمس والقمر ليس بكفر ، وإنَّما هو علامة الكفر ، وكان يناظر الإمام الشافعي ، وكان لا يحسن النَّحو ، وكان يَلحنُ لحناً فاحشاً .

قال[٣] : ويقال : إنَّ أباه كان يهودياً صبّاغاً بالكوفة ، وكان يسكن درب المَرِيس[٤] ببغداد . والمَريسُ عندهم هو الخبزُ الرّقاق يُمرس بالسمن والتمر . قال : ومَرِيس[٥] ناحية ببلاد النوبة تأتي من نحوها في الشتاء ريحٌ باردة .

قلت[٦] : ثم راج بِشْر المَرِيسيّ عند المأمون ، وحظي عنده ، وقدّم في حضرته ، ونفق سوقه الكاسد ، واستجيد ذهنه البارد .

ولمّا توفي في ذي الحجة من هذا العام ، أو الذي قبله في قولٍ[٧] ، صلَّى عليه رجلٌ من المحدّثين يقال له : عبيد الشُّونيزي ، فلامه بعضُ المحدّثين ، فقال لهم : ألا تسمعون كيف دعوت له في صلاتي عليه ؛ قلت : اللهم ، إنَّ عبدك هذا كان ينكر عذاب القبر ، اللهم ! فأذقه من عذاب القبر ؛ وكان ينكر شفاعة نبيّك ، فلا تجعله من أهلها ؛ وكان ينكر رؤيتك في الدار الآخرة ، فاحجبْ وجهك الكريمَ عنه . فقالوا له : أصبت .

وهذا الذي نطق به بعض السَّلف ، حيث قالوا : من كذَّب بكرامة لم ينلها .

وتوفي في هذا العام :

عبدُ الله بن يوسُف التِّنِّيسيّ[٨] .

---

(١) في ب ، ظا : إليه .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٢٧٧) .
(٣) في اللباب (٣/ ٢٠٠) : المَريسي : نسبة إلى مَرِيس ، وهي قرية بمصر .
(٤) المصدر السابق .
(٥) في معجم البلدان (٥/ ١١٨) ؛ المَريسة : جزيرة في بلاد النوبة كبيرة يُجلب منها الرقيق .
(٦) لفظة : قلت : لم ترد في ب ، ظا . ومن هنا حتى قوله : من كذب بكرامة لم ينلها ساقط في ط .
(٧) لفظة قول لم ترد في آ .
(٨) أبو محمد الكلاعي الدمشقي ، ثقة متقن ، من أثبت الناس في الموطأ . إمام حافظ . =

وأبو مُسْهِر عبدُ الأعلى بن مُسْهِر الغسَّاني الدمشقيّ[١] .

ويحيى بن عبد الله البَابْلُتِّي[٢] .

وأبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِمْيَري المَعَافِريّ[٣] : راوي السِّيرة عن زياد بن عبد الله البَكَّائي ، عن محمد بن إسحاق مصنفها ، وإنما نسبت إليه فيقال : « سيرة ابن هشام » ؛ لأنه هذَّبها وزاد فيها ونقص منها ، وحرَّر أماكن واستدرك أشياء .

وقد كان إماماً في اللغة والنحو والعربية . وكان مقيماً بديار مصر ، واجتمع به الشافعيُّ حين وردها ، وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة .

وكانت وفاته بمصر لثلاثَ عشرة خلَتْ من ربيع الآخر من هذه السنة ؛ قاله ابن يونُس في « تاريخ مصر »[٤] . وزعم السُّهَيلي[٥] أنه توفي في سنة ثلاث عشرة ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومئتين

فيها : ظهر محمد بن القاسم بن عليّ[٦] بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطَّالَقان[٧] من خراسان ، يدعو إلى الرِّضا من آل محمد ، واجتمَعَ عليه خلقٌ كثير ، وقاتلَه قوَّادُ عبد الله بن طاهر مرات متعددة ، ثم ظهروا عليه وهرب ، فأُخذ ثم بعث به إلى عبد الله بن طاهر ، فبعثه إلى المعتصم ، فدخل عليه في المنتصف من ربيع الآخر [من هذه السنة][٨] فأمر به فحُبِس في مكان

= سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥٧) ، وتقريب التهذيب (١/ ٤٦٣) .

(١) أحد شيوخ دمشق ، روى القراءة عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ، وسمع منه أبو زرعة الدمشقي . مات محبوساً بسبب الفتنة بخلق القرآن بالعراق ، ثقة فاضل ، روى له الجماعة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٨) ، وطبقات القراء لابن الجزري (١/ ٣٥٥) .

(٢) يحيى بن عبد الله بن الضَّحَّاك بن بابُلُت الأموي ، مولاهم البَابْلُتِّي ، نسبة إلى بَابُلُت موضع بالجزيرة ، أبو سعيد الحراني . ضعيف في الحديث . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٨) ، واللباب (١/ ١٠١) .

(٣) وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢٨) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٦) ، بغية الوعاة (٢/ ١١٥) .

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) .

(٥) الروض الأنف (١/ ٧) .

(٦) في ط : « محمد » بدل « علي » ، وهو تحريف . وينظر ترجمته في مقاتل الطالبين (ص٥٧٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩١) .

(٧) بلدتان ، إحداهما بخراسان ، بين مرو الرّوذ وبلخ . ياقوت .

(٨) زيادة من ظا ، ب .

ضيِّق ، طولُه[١] ثلاثة أذرع في ذراعين ، فمكث فيه ثلاثاً ، ثم حُوِّلَ إلى أوسَعَ منه ، وأُجري عليه رزقٌ ، ومن يخدمُه ، فلم يَزَلْ محبوساً هنالك إلى ليلة عيد الفطر ، فاشتغل الناسُ بالعيد ، فدُلِّيَ له حبلٌ من كُوَّة كان يأتيه الضّوء منها ، فذهَبَ فلم يدر كيف ذهب ، ولا إلى أين صار من الأرض[٢] .

وفي يوم الأحد لإحدى عشرة ليلةً خلَتْ من جمادى الأولى دخل إسحاق بن إبراهيمَ إلى بغداد راجعاً من قتال الخُرَّمِيَّة ، ومعه الأسْرى منهم ، وقد قتل في حربه هذا من الخرَّميَّة مئة ألف مقاتل منهم[٣] ، ولله الحمد والمنَّة .

وفيها : بعث المعتصم عُجَيْفاً في جيشٍ كثيفٍ لقتال الزُّطّ الذين عاثوا في بلاد البصرة ، وقطعوا الطريق ، ونهبُوا الغلات ، فمكث في قتالهم تسعةَ أشهرٍ ، فقهرهم ، وقمعَ شرَّهم ، وأباد خضراءهم . وكان القائم بأمرهم رجلٌ يقال له : محمد بن عثمان ، ومعه إنسان يقال له : سملق ، هو داهيتهم وشيطانهم ، فأراح الله المسلمين منهم ومن شرهم[٤] .

وفيها توفي من الأعيان :

سليمان بن داود الهاشميّ[٥] ، شيخ الإمام أحمد .

وعبد الله بن الزُّبير الحُمَيديّ[٦] ، صاحب « المسند »[٧] ، وتلميذ الشافعيّ .

وعلي بن عَيَّاش[٨] .

وأبو نُعَيْم الفضلُ بن دُكَيْن ، شيخ البخاري[٩] .

---

(١) في آ ، ب : طول .
(٢) الطبري (٩/ ٧) ، وابن الأثير (٦/ ٤٤٢) .
(٣) الطبري (٩/ ٨) ، وابن الأثير (٦/ ٤٤٥) .
(٤) الطبري (٩/ ٨) ، وابن الأثير (٦/ ٤٤٣) .
(٥) سليمان بن داود بن الأمير داود بن علي الهاشمي العباسي ، أبو أيوب ، من كبار الأئمة ، روي أن الإمام أحمد بن حنبل أثنى عليه وقال : يصلح للخلافة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٥) ، تهذيب التهذيب (٤/ ١٨٧) .
(٦) عبد الله بن الزبير بن عيسى ، أبو بكر القرشي الأسدي الحُميدي المكي ، شيخ الحرم ، إمام في الحديث ، ثقة حافظ فقيه . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٦) ، والعبر (١/ ٣٧٧) .
(٧) طبع في جزأين بتحقيق المحدث حبيب الله الأعظمي ، ثم طبع مرة أخرى بدمشق بتحقيق الأستاذ حسين الأسد (ع) .
(٨) علي بن عيَّاش بن مسلم ، أبو الحسن الألْهانيُّ الحمصي ، محدّث حمص وعابدها ، ثقة ، ثبت . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٨) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٤٢) .
(٩) الفَضْل بن دُكَين الكوفي ، واسم دُكَيْن : عمرو بن حماد بن زهير ، التيمي مولاهم ، الأحول ، أبو نُعَيم المُلائي ، ثقة ، ثبت ، من كبار شيوخ البخاري ، الحافظ الكبير . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٤٢) ، وتقريب التهذيب (٢/ ١١٠) .

وأبو غسَّان النَّهْدِي[١] .

[ثم دخلت[٢] سنة عشرين ومئتين من الهجرة]

في يوم عاشوراء دخل عُجَيْف في السُّفن إلى بغدادَ ومعه من الزُّطّ سبعة وعشرون ألفاً قد جاؤوا بالأمان إلى الخليفة ، فأُنزلوا في الجانب الشرقي ، ثم نفاهم الخليفة إلى عَين زَرْبة[٣] ، فأغارت الرّوم فاجتاحوهم عن آخرهم ، فلم يفلت منهم أحدٌ ، وكان آخر العهد بهم[٤] .

وفيها : عقد المعتصمُ للأفشين ، واسمُه : حَيْدر بن كاوس ، على جيشٍ عظيمٍ ؛ لقتال بابَك الخُرَّمي ، لعنه الله . وكان قد استفحَلَ أمره جداً ، وقويت شوكته ، وانتشرت أتباعه في بلاد أذْرَبيجان وما والاها ، وكان أوَّل ظهوره في سنة إحدى ومئتين ، وكان زنديقاً كبيراً ، وشيطاناً رَجيماً[٥] . فسار الأفشين ، وأحكم صناعة الحرب في الأرصاد ، وعمارة الحصون ، واتصال[٦] المَدَدِ . وأرسل إليه المعصتم مع بُغا الكبير أموالاً جزيلة نفقةً لمن معه من الجند والأتباع ، وقد التقى هو وبابَك في هذه السنة ، فاقتتلا قتالاً عظيماً ، فقتل الأفشين من أصحاب بَابَك خلقاً كثيراً أزيدَ[٧] من ألف ، وانهزم هو إلى مدينته ، فأوى إليها مكسوراً ، فكان هذا أول ما تضعضع من أمر بابَك ، لعنه الله . وجرت بينهما حروبٌ يطول ذكرها وبسطها ، وقد استقصاها الإمام أبو جعفر بن جرير[٨] ، رحمه الله .

وفي هذه السنة خرج المعتصم من بغداد ، فنزل القَاطُولَ فأقام بها .

وفيها : غضب المعتصم على الفضل بن مروان بعد المكانة العظيمة ، وعزله عن الوزارة وحبسَه وأخذ أمواله ، وجعل مكانه محمد بن عبد الملك الزيّات .

---

(١) في آ: أبو محمار النهدي ، وفي ط : أبو بحار الهندي . واثبت ما جاء في ب ، ظا .
وهو مالك بن إسماعيل بن دِرْهم ، أبو غسّان النَّهدي مولاهم ، الكوفي . ثقة ، متقن ، عابد ، صحيح الكتاب . روى له الجماعة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٣٠) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٢٣) .

(٢) زيادة من ط .

(٣) بلد بالثغر من نواحي المصيصة . ياقوت .

(٤) الطبري (٩/ ١٠) ، وابن الأثير (٦/ ٤٤٦) .

(٥) في ب ، ظا : شيطاناً مَريداً .

(٦) في ب ، ظا : وإيصال المدد .

(٧) في ط : أزيد من مئة ألف ، وما هنا من النسخ وتاريخ الطبري .

(٨) الطبري (٩/ ١١ ـ ٥٥) ، وابن الأثير (٦/ ٤٤٧ ـ ٤٧٨) .

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالح بن عباس[١] بن محمد أمير السنة الماضية .

وفيها : توفي من الأعيان :

آدم بن أبي إياس[٢] .

وعبد الله بن رَجاء[٣] .

وعَفَّان بن مُسلم[٤] .

وقَالُون[٥] ، أحد مشاهير القرّاء .

وأبو حُذَيْفة النَّهْدِيّ[٦] .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومئتين

فيها : كانت وقعة هائلة بين بُغا الكبير وبابَك الخُرَّميّ ، فهزم بَابَك بُغَا ، وقَتَلَ خَلْقاً من أصحابه ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

ثم اقتتل الأفشين وبابَك فهزَمَه أفشين وقَتَل خَلْقاً من أصحابه بعدَ حروبٍ طويلةٍ قد استقصاها ابنُ جرير[٧] في « تاريخه » .

وحجَّ بالناس نائبُ مكَّة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

---

(١) في النسخ والمطبوع: « صالح بن علي بن محمد » ، ولعله سهو من النساخ ، وقد صححت من الطبري وابن الأثير . وهو صالح بن عباس بن محمد بن علي ، أمير مكة .

(٢) أبو الحسن الخراساني البغدادي نزيل عَسْقلان ومحدِّثها ، واسم أبيه ناهية بن شعيب ، وقيل: عبد الرحمن شيخ الشام ، روى الكثير ، وكان صالحاً قانتاً . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٥) ، العبر (١/ ٣٧٩) .

(٣) أبو عمر الغُدّانيّ البصري ، ويقال: كنيته: أبو عمرو ، صدوق ، يهم قليلاً . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٧٦) ، وتقريب التهذيب (١/ ٤١٤) .

(٤) عَفَّان بن مسلم بن عبد الله الصفَّار ، أبو عثمان ، الحافظ البصري ، أحد أركان الحديث . نزل بغداد ونشر بها علمه . روى له الجماعة ، وهو من حفاظ الحديث الثقات . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤٢) ، والعبر (١/ ٣٨٠) .

(٥) هو عيسى بن مِينا بن وردان ، أبو موسى ، الملقب بقالون ، قارىء المدينة ونحويُّها ، الإمام المجوِّد ، تلميذ نافع . وكان أصمّ يُقرأ عليه القرآن ، وكان ينظر إلى شفتي القارئ ، فيرد عليه اللحن والخطأ .
سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٢٦) ، وطبقات القراء لابن الجزري (١/ ٦١٥) .

(٦) هو موسى بن مسعود النَّهديّ البصري ، أبو حُذَيْفَة ، المحدّث الحافظ . صدوق ، سيء الحفظ . مات في هذه السنة ، أو بعدها ، وقد جاوز التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٣٧) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٨٨) .

(٧) في آ : أبو جعفر رحمه الله في تاريخه . وانظر الطبري (٩/ ٢٣ وما بعدها) .

وفيها توفي من الأعيان :

عاصم بن عليّ[١] .

وعبد الله بن مَسْلَمَة[٢] القَعْنَبِيّ .

وعَبْدَان[٣] .

وهشام بن عُبيد الله الرازيّ[٤] .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومئتين

فيها : وجَّه المعتصم جيشاً كثيفاً مدداً للأفشين على محاربة الخُرَّميّة ، وبعث إليه ثلاثين ألف ألف درهم نفقةً للجند والأتباع .

وفيها : اقتتل الأفشين والخرَّميَّة قتالاً عظيماً ، وافتتح الأفشين البَذّ[٥] ، مدينة بابَك ، واستباحَ ما فيها ، ولله الحمد . وذلك يوم الجمعة لعشرٍ بقين من رمضان . وذلك بعد محاصرةٍ عظيمة ، وحروبٍ هائلة ، وقتالٍ شديد ، وجهدٍ جهيد ، وقد أطال أبو جعفر[٦] بسطه جداً . وحاصلُ الأمر أنه افتتح البلد ، وأخذ جميع ما احتوى عليه من الأموال .

ذكرُ مسك بابَك الخُرَّميّ وأَسْره وقتله

لما احتوى المسلمون على بلده المُسمَّى بالبَذّ ، وهي دارُ ملكه ، ومَقرُّ سلطانه هَرَبَ بمن معه من أهله وولده ، ومعه أمُّه وامرأته ، فانفرد في شِرْذِمَةٍ قليلة من خدمِهِ ، ولم يبقَ معهم طعام ، فاجتاز بحَرَّاثٍ ،

(١) عاصم بن علي بن عاصم الواسطيّ ، أبو الحسين ، أو أبو الحسن التيمي . حافظ صدوق ، من أصحاب شعبة ، قدم بغداد فازدحموا عليه من كل مكان ، حتى حُزر مجلسُه بمئة ألف .
سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٦٢) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ٤٩) .

(٢) في الأصول والمطبوع : مسلم ، وأثبت ما جاء في المصادر . وهو عبد الله بن مَسْلَمة بن قَعْنَب الحارثي المدنيّ القَعْنَبِيّ ، أبو عبد الرحمن ، الإمام الثبت القدوة ، شيخ الإسلام ، نزيل البصرة ، ثم مكة ، وهو أوثق من روى الموطّأ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٥٧) ، والعبر (١/ ٣٨٢) ، وتقريب التهذيب (١/ ٤٥١) .

(٣) هو عبد الله بن عثمان بن جَبَلة بن أبي رَوّاد ، العَتَكي ، أبو عبد الرحمن المَروزي ، الملقب عَبْدان ، الإمام الحافظ ، محدّث مرو ، ثقة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٠) ، وتقريب التهذيب (١/ ٤٣٢) .

(٤) الفقيه السُّنِّي ، أحد أئمة السُّنَّة . كان من بحور العلم ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٤٦) .

(٥) « البَذّ » : كورة بين أذربيجان وأرَّان ، بها كان مخرج بابَك الخُرَّمي في أيام المعتصم . ياقوت .

(٦) ابن جرير الطبري في تاريخه (٩/ ٢٩ـ٥١) .

فبعث غلامَه إليه ومعه ذهب ، فقال : أعطِه الذهب ، وخذ ما معه من الخبز ، [فجاء إليه ، فدفع إليه الدنانير ، وناوله الحَرَّاث ما معه من الخبز][١] ، فنظر شَريكُ الحَرَّاث إليه من بعيد وهو يأخذ من الخبز ، فظنَّ أنه قد اغتصبه منه ، فذهب إلى حصنٍ هناك فيه نائبٌ للخليفة يقال له : سهل بن سنباط ، ليستعدي على ذلك الغلام ، فركب بنفسه وجاء فوجد الغلام ، فقال : ما خبرُك ؟ فقال : لا شيء ، إنما أعطيته دنانير وأخذت منه هذا الخبز . فقال : ومن أنت؟ فأراد أن يعمِّي عليه الخبر ، فألَحَّ عليه ، فقال : من غلمان بابَك ، فقال : وأين هو ؟ فقال : هاهو ذا جالس يريد الغداء . فسار إليه سهل بن سنباط ، فلمَّا رآه ترجَّل وجاءه فقبَّل يده ، وقال : يا سيديّ أين تريد ؟ قال : أريدُ أن أدخلَ بلاد الروم ، فقال : إلى عند مَن تذهب أحرز من حصني وأنا غلامُك وفي خدمتك ؟ وما زال به حتى خدَعه وأخذه معه إلى الحصن ، فأنزله عنده ، وأجرى عليه النفقاتِ الكثيرةَ والتّحفَ وغير ذلك ، وكتب إلى الأفشين يعلمه بذلك ، فأرسل إليه أميرين لقبضه ، فنزلا قريباً من الحصن ، وكتبا إلى ابن سنباط ، فقال : أقيما مكانكما حتى يأتيكما أمري . وقال لبابك : إنَّك قد حصل لك غمّ وضِيق من هذا الحصن ، وقد عزمْتُ على الخروج اليومَ إلى الصَّيد ومعنا بُزاةٌ وكلاب ، فإنْ أحببت أن تخرج معنا لتنشرح ؟ قال : نعم ! فخرجوا وبعثَ ابنُ سنباط إلى الأميرين : أن كونا بمكان كذا وكذا ، في وقت كذا وكذا من النهار ، فلما كانوا بذلك الموضع أقبلَ الأميران بِمَنْ معهما من الجنود ، فأحاطوا ببابَك[٢] وبابن سنباط ، فلما رأوه جاؤوا إليه فقالوا : ترجَّلْ عن دابتك ، فقال : ومن أنتما ؟ فذكرا له أنهما من عند الأفشين ، فترجَّل حينئذ عن دابته وعليه دُرَّاعة بيضاء ، وعمامة بيضاء[٣] ، وخُفّ قصير ، وفي يده باز ، فنظر إلى ابن سنباط ، وقال : قبَّحك الله ! فهلا طلبْتَ منِّي من المال فكنت أعطيتك أكثرَ ممَّا يعطيك هؤلاء ! ثم أركبوه وأخذوه معهما إلى الأفشين ، فلما اقتربوا من بلد الأفشين فرح[٤] ، فتلقاه وأمَر الناس أن يصطفُّوا صفين ، وأن يترجَّل بَابَك : فيدخل بين الناس وهو ماشٍ ، ففعل ذلك ، وكان يوماً مشهوداً جدًّا . وكان ذلك في شوال من هذه السنة ، ثم احتفظ به وهو في السجن عنده .

ثم كتب الأفشين إلى المعتصم يخبره بأنَّ بابَك في أسره ، وقد استحضره وأخاه عبد الله أيضاً . فكتب إليه المعتصم يأمره أن يقدم بهما عليه إلى بغداد ، فتجهَّز بهما إلى بغداد في تمام هذه السنة .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن داود المتقدِّم ذكره .

---

(١) ما بين قوسين زيادة من ظا ، ب .

(٢) في آ ، ط : ببابك ، وهرب ابن سنباط ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا والطبري (٩/ ٤٩) .

(٣) قوله : وعمامة بيضاء لم ترد في آ ، ط ، وأثبت من ب ، ظا والطبري . . و« الدُّرَّاعة » : ثوب من صوف .

(٤) في ط : خرج .

وفيها توفي :

أبو اليَمَان ، الحَكَمُ بن نافع[١] .

وعُمَر بن حَفْص بن غِياث[٢] .

ومُسلم بن إبراهيم[٣] .

ويحيى بن صالح الوُحَاظيّ[٤] .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومئتين

في يوم الخميس ثالث صفر من هذه السنة دخل الأفشين على المعتصم سامَرّاء ، ومعه بابَك الخُرَّميّ وأخوه عبد الله ، في تجمّل عظيم ، وقد أمر المعتصم ابنَه هارون الواثق أن يتلقَّى الأفشين ، وكانت أخباره تَفِدُ إلى المعتصم في كلِّ يومٍ من شدَّة اعتناء المعتصم بأمر بابَك ، وقد ركب المعتصم قبل وصول بابَك بيومين على البريد حتَّى دخل إلى بابَك وهو لا يعرفه ، فنظر إليه ثم رجع ، فلما كان يوم دخوله عليه تأهَّب المعتصم ، واصطفَّ الناس سِماطين[٥] ، وأمر ببابَك أن يركبَ على فيل ليشهر أمره ويعرفوه ، وعليه قَبَاء ديباجٍ وقَلَنْسَوة سمّور مدوَّرة ، وقد هيئ الفيل ، وخضّبت أطرافه ، وألبس من الحرير والأمتعة التي تليق به شيئاً كثيراً ، وقد قال فيه بعضُهم[٦] :

قـد خُضِـبَ الفيـلُ كعـاداتِـهِ　　يَحمِـلُ شَيْطـانَ خُـراسـانِ
والفيـلُ لا تُخْضَـبُ أعضـاؤه　　إلا لـذِي شـأْنٍ مِـنَ الشـان

ولما أحضر بين يدي الخليفة أمر بقطع يديه ورجليه، وحزّ رأسه، وشقّ بطنه ، ثم أمر بحمل رأسه إلى

(١) الحكم بن نافع البَهْراني ، أبو اليَمَان الحمصي ، مشهور بكنيته ، ثقة ثبت . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٩) ، وتقريب التهذيب (١/ ١٩٣) .

(٢) يكنى أبا حفص الكوفي ، من العلماء الأثبات . ثقة ، ربما وهم . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٣٩) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٥٣) .

(٣) مسلم بن إبراهيم الفراهيدي ، أبو عمرو البصري ، القَصَّاب . محدّث البصرة . وكان ثقة حجّة . أضرَّ بأخرة . وكان يقول : ما أتيت حراماً ولا حلالاً قطّ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٤) ، والعبر (١/ ٣٨٥) .

(٤) أبو زكريا الوُحَاظي ، الدمشقي ، وقيل : الحمصي ، صدوق ، من أهل الري . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٥٣) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٤٩) .

(٥) في آ : صفين ، وهما بمعنى .

(٦) قالهما محمد بن عبد الملك الزيات ، كما في الطبري (٩/ ٥٣) ، وابن الأثير (٦/ ٤٧٧) .

خراسان ، وصلب جثته على خشبة بسامَرّا . وكان بابَك ـ لعنه الله ـ قد شرب الخمر في ليلة أسفَرَ صباحها عن قتله ، وذلك ليلة الخميس لثلاث عشرة خلَتْ من ربيع الآخر من هذه السنة .

وكان هذا الملعون قد قتل من المسلمين في مدة ظهوره ، لعنه الله ـ وهي عشرون سنة ـ مئتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمئة [إنسان][(١)] ؛ قاله ابنُ جرير[(٢)] ، وأَسَرَ خَلْقاً لا يُحصون[(٣)] كثرةً ، وكان من جملة من استنقذه الأفشين من أسره نحو من سبعة آلاف وستمئة إنسان ، وأسر من أولاده سبعةَ عشَرَ رجلاً ، ومن حلائله وحلائل أبنائه ثلاثاً وعشرين امرأة من الخواتين[(٤)] . وقد كان أصلُ بابَك ـ لعنه الله ـ ابن جارية زريّة الشكل جدّاً ، فآل به الحالُ إلى هذه الحال ، ثم أراح الله المسلمين من شرِّه بعدما افتَتَن به خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ من الطَّغام[(٥)] .

ولما قتله المعتصم[(٦)] توّج الأفشين وقلَّده وِشاحين من جوهر ، وأطلَق له عشرين ألف ألف درهم ، وكتب له بولاية السِّند ، وأمر الشعراء أن يدخلوا عليه فيمدحوه على ما فعل من الخير إلى المسلمين ، وعلى تخريبه بلد بابَك التي يقال لها البَذّ ، وتركه إياها يباباً[(٧)] خراباً . فقالوا في ذلك فأحسنوا ، وكان من جملتهم أبو تمام الطائيّ ، وقد أورد قصيدته بتمامها الإمام أبو جعفر بن جرير ـ رحمه الله ـ في « تاريخه »[(٨)] ، وهي قوله :

بَذَّ الجِلادُ البَذَّ[(٩)] وهي[(١٠)] قَطِينُ ما إنْ بها[(١١)] إلا الوُحُوشَ دَفينُ[(١٢)]
لم يُقْرَ هذا السيفُ هَذا الصَّبرَ في هَيْجَـاءَ إلا عَـزَّ هـذا الـدِّيـنُ

(١) زيادة من ط والطبري .
(٢) الطبري (٩/ ٥٤) .
(٣) في آ : لا يحصرون .
(٤) الخواتين : جمع خاتون ، وهي لفظة تركية معناها السيدة العريقة الأصل ، وهي مستعملة في العراق إلى عهد قريب (بشار) .
(٥) « الطَّغام » : أوغاد الناس ، الواحد والجمع فيه سواء .
(٦) لفظة : المعتصم سقطت من آ .
(٧) ليس بها ساكن ، في جوف الليل . وفي ط : قيعاناً .
(٨) الطبري (٩/ ٥٥) ولم ترد القصيدة فيه بتمامها كما أشار المؤلف رحمه الله ، وإنما وردت الأبيات نفسها في البداية . وهي مطلع قصيدة طويلة بلغت ستة وثلاثين بيتاً في ديوانه (٣/ ٣١٦ ـ ٣٢٢) .
(٩) في آ : إليك .
(١٠) في ط والديوان والطبري : فهو دفين .
(١١) الديوان : به ، والطبري : بها .
(١٢) في ط والديوان والطبري : قطين . و« بَذَّ » : سَبَقَ وغَلَب . و« القطين » : أهل الدار ، أي غلب الضِّراب هذا المكان ، وهو موضع بابَك الخُرَّميّ .

قد كان عُذْرَةَ سُوددٍ فافْتَضَّها   بالسّيفِ فَحْلُ المَشْرِقِ الأفشِينُ[١]
فأعادَها تَعْوِي الثَّعالِبُ وسْطَها   ولقَدْ تُرى بالأمس وَهْيَ عَرِينُ
هَطَلَتْ عليها من جَمَاجِمِ أهلِها[٢]   دِيَمٌ أمَارَتُها طُلًى وشُؤونُ
كَانتْ مِنَ الهَيْجاء قبلُ مفازةً[٣]   عشراً فأضحَتْ وهي منهُ مَعِينُ

وفي هذه السنة ، أعني سنة ثلاث وعشرين ومئتين ، أوقعَ ملك الروم توفيل بن ميخائيل ـ لعنه الله ـ بأهل مَلَطْيَة[٤] من المسلمين وما والاها ملحمةً عظيمةً ، قتل فيها منهم خلقاً كثيراً ، وأسر ما لا يحصون كثرةً ، وكان من جملة من أسر ألفُ امرأة من المسلمات . ومثَّل بمن وقَعَ في أسره من المسلمين ، فقطع آذانهم وآنافهم ، وسَمَلَ أعينهم ، قبَّحه الله[٥] .

وكان سبب ذلك أن بَابَك ـ لعنه الله ـ لمَّا أحيط به في مدينة البَذّ ، واستوسقت الجنود حوله ، كتب إلى ملك الروم يقولُ له : إنَّ ملك العرب قد جهَّز إليَّ جمهور جيشه ، ولم يبقَ في أطراف بلاده من يحفظها ، فإن كنتَ تريدُ الغنيمة فانهَضْ سريعاً إلى ما حولك من بلاده فخذها ، فإنَّك لا تجد أحداً يمانعك عنها[٦] .

فركب توفيل ـ لعنه الله ـ في مئة ألف ، وانضافَ إليه المحمّرة الذين كانوا قد خرجوا في الجبال ، وقاتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فلم يقدر عليهم ، وتحصَّنوا بتلك الجبال ، فلمَّا قدِمَ ملك الروم صاروا معه على المسلمين ، فوصلوا إلى زِبَطْرَة ، فقتلوا من رجالها خلقاً ، وأسروا من حريمها أمَّةً كثيرة ، فبلغ ذلك المعتصم فانزعج لذلك جدّاً ، وصرخ في قصره بالنفير ، ونهض من فوره فأمر بتعبئة الجيوش ، واستدعى بالقاضي والعدول ، فأشهدهم أن ما يملكه من الضّياع ثلثه لله[٧] ، وثلثه لولده ، وثلثه لمواليه[٨] .

وخرج من بغداد ، فعسكر غربيّ دجلة يوم الإثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى ، ووجَّه بين يديه عُجَيْفاً وطائفةً من الأمراء ، ومعهم[٩] خَلْق من الجيش إعانةً لأهل زِبَطْرَة . فأسرعوا السيرَ ، فوجدوا ملك

---

(١) أي كان محصَّناً محروساً ففتحه الأفشين .
(٢) في الديوان : جادت عليها .
(٣) في الطبري وط : كانت من المهجات ، وفي الديوان : كانت من الدَّم قبلَ ذاك مفازةً .
(٤) بلدة من بلاد الروم مشهورة ، تتاخم الشام .
(٥) الطبري (٩/ ٥٥) .
(٦) الطبري (٩/ ٥٦) ، وابن الأثير (٦/ ٤٧٩) .
(٧) في ط : صدقة .
(٨) الطبري (٩/ ٥٦) .
(٩) في آ : معه ، وفي ب ، ظا : معهم ، بلا واو ، وأثبت ما جاء في ط .

الروم قد فَعَلَ ما فَعَلَ ، وانْشَمَر[١] راجعاً إلى بلاده ، وتفارطَ الحالُ ولم يمكن الاستدراك فيه ، فرجعوا إلى الخليفة لإعلامه بما وقع من الأمر ، فقال للأمراء : أيُّ بلاد الروم أمنعُ؟ قالوا : عَمّورية ، لم يعرِض لها أحدٌ منذ كان الإسلام ، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية[٢] .

ذكر فتح عَمُّوريَّـة على يَدِ المعتصم

لما تفرَّغ المعتصم من شأن بابَك ، لعنه الله ، وقتَلَه ، وأخَذَ بلادَه ، استدعى بالجيوش إلى بين يديه ، وتجهَّز جَهازاً لم يتجهَّزهُ أحدٌ كان قبله من الخلفاء ، وأخذ معه من آلات الحرب والأحمال والجمال والقِرَبِ والدّوابِّ والنفط والخيل والبغال شيئاً لم يُسمع بمثله ، وسار إليها[٣] في جحافلَ كالجبال ، وبعث الأفشينَ حيدرَ بن كاوس[٤] من ناحية سَرُوج ، وعَبَّى الخليفة جيشه تعبئة لم يسمع بمثلها ، وقدَّم بين يديه الأمراء المعروفين بالحرب وخبرته ، فانتهى في سيره إلى نهر اللس[٥] ، وهو قريب من طرَسوس ، وذلك في رجب من هذه السنة المباركة .

وقد ركب ملك الروم في جيشه ، فقصد نحو المعتصم ، فتقاربا حتى كان بين الجيشين نحو من أربعة فراسخ ، ودخل الأفشين بلاد الروم من ناحية أخرى [فجاء من وراء ملك الروم][٦] فحار في أمره ، وضاق ذرعه بسبب ذلك ، إن هو ناجز الخليفةَ جاءه الأفشين من خلفه فالتقيا عليه فيهلك ، وإن سار إلى أحدهما وترك الآخر أخذه من ورائه . ثم اقترب منه الأفشين فسار[٧] في شِرْذِمَةٍ من الجيش إليه ، واستخلف على بقيته قريباً له ، فالتقى هو والأفشين في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان من هذه السنة ، فثبت الأفشين في ثاني الحال وقَتَل من الروم خلقاً وجرح آخرين ، وتغلب فيه[٨] ملك الروم ، وبلغه أن بقيَّة الجيش قد شردوا عن قرابته وذهبوا عنه وتفرقوا عليه ، فأسرع الأوبةَ فإذا نظام الجيش قد انحلَّ ، فغضب على قرابته وضرب عنقه .

وجاءت الأخبار بذلك كلِّه إلى المعتصم فسرَّه ذلك جداً ، فركب من فوره وجاء إلى أنقرة ، ووافاه الأفشين بمن معه إلى هنالك ، فوجدوا أهلها قد هربوا منها وتفرَّقوا عنها ، فتقوّوا منها بطعام وعلوفةٍ

---

(١) « انشمر للأمر وتشمَّر » : أي تهيَّأ .
(٢) الطبري (٩/ ٥٧) .
(٣) في ط : إلى عَمُّوريَّة .
(٤) في آ ، ظا : داوس ، والمثبت من الطبري ، وفي هذا الأخير : خَيْذَر بن كاوس .
(٥) في الكامل لابن الأثير (٦/ ٤٨١) : نهر السنّ .
(٦) زيادة في ب ، ظا .
(٧) في ط : فسار إليه ملك الروم في شرذمة .
(٨) في ط : على .

كثيرةٍ . ثم فرَّق المعتصم جيشَه ثلاث فرق ؛ فالميمنة عليها الأفشين ، والميسرة عليها أشناس ، والمعتصم في القلب ، وبين كل عسكرين فرسخان ، وأمر كلَّ أميرٍ من الأفشين وأشناس أن يجعل لجيشه ميمنةً وميسرةً وقلباً ومقدِّمة وساقة ، وأنهم مهما مرُّوا عليه من القُرى حرقوا وخرَّبوا وأسروا وغنموا ، وسار بهم كذلك قاصداً إلى عمُّوريَّة ، وكان بينها وبين أنقرة سبعُ مراحلَ ، فأوَّل من وصل إليها من الجيوش أشناس أمير الميسرة ضَحْوة يوم الخميس لخمس خلون من رمضان من هذه السنة ، فدار حولها دَوْرَةً ، ثم نزل على ميلين منها . ثم جاء المعتصم صبيحة يوم الجمعة بعدَه ، فدار حولَها دَوْرَةً ، ثم نزل قريباً منها . ثم قدم الأفشين يوم السبت ، فدار حولها دَوْرَةً ، ثم نزل قريباً منها . وقد تحصَّن أهلها وملؤوا أبراجها بالرجال والسّلاح ، وهي مدينة عظيمة جدّاً ، ذاتُ سور منيعٍ وأبراجٍ عالية كبيرةٍ .

وقسَّم المعتصم الأبراج على الأمراء ، فنزل كلُّ أميرٍ تجاه الموضع الذي أقطعه وعيَّنه له ، ونزل المعتصم قبالة مكان هناك قد أرشده إليه بعضُ مَن كان فيها من المسلمين الأسراء ، وكان قد تنصَّر عندهم وتزوج منهم ، فلما رأى أميرَ المؤمنين ، والمسلمين معه ، رجع إلى الإسلام وخرج إلى الخليفة فأسلَم وأعلَمه بمكانٍ في السور كان قد هدمه السيلُ ، وبُني بناءً فاسداً بلا أساس ، فنصب المعتصمُ المجانيقَ حول عَمُّوريَّة ، فكان أوّل موضعٍ انهدَم [من سورها][1] ذلك الموضع الذي نصح فيه ذلك الأسير ، فبادر أهل البلد فسدّوه بالخشب الكبار المتلاصقة ، فألحَّ عليها المنجنيق فكسرها ، فجعلوا فوقها البراذع[2] ليردُّوا حدَّة الحجر .

فلمَّا ألحَّ عليها المنجنيق لم تغنِ شيئاً ، وانهدَمَ السّور من ذلك الجانب وتفسَّخ فكتب نائب البَلَد[3] إلى ملك الروم يعلمه بذلك ، وبعث ذلك مع غلامين من قومهم ، فلمَّا اجتازوا بالجيش في طريقهم أنكروا[4] أمرهما ، فسألوهما : من أنتما؟ فقالا : من أصحاب فلان ؛ لرجلٍ من المسلمين ، فحملا إلى المعتصم ، فقررهما فإذا معهما كتابُ ياطس نائب عَمُّوريَّة إلى ملك الروم يعلمه بما حصل لهم من الحصار ، وأنَّه عازم على الخروج من أبواب البلد بمن معه بغتةً ، فيناجز المسلمين بمن معه ، كائناً في ذلك[5] ما كان .

فلما وقف المعتصم على ذلك أمَرَ بالغلامين فخُلع عليهما ، وأن يُعطى كلُّ واحدٍ منهما بَدْرَةً[6] ،

---

(١) زيادة في ط .

(٢) « البَرْذَعة » أو « البَرْدَعة » : ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه ، كالسرح للفرس . جمع بَرَاذِع أو بَرَادع .

(٣) في آ : البَلْدة ، وهما بمعنى .

(٤) في ط : أنكر المسلمون .

(٥) في آ : في ذلك الوقت ما كان .

(٦) « البَدْرَة » : عشرة آلاف درهم .

فأسلما من فورهما ، فأمر بهما الخليفة أن يطاف بهما حول البَلَد وعليهما الخِلَعُ ، وأن يوقفا تحت الحِصن الذي فيه ياطس[(١)] فينثرَ عليهما الدراهم والخِلَع ، ومعهما الكتاب الذي كتب به ياطس إلى ملك الروم ، فجعلت الروم تلعنهما وتسبُّهما .

وأمر المعتصم عند ذلك بتجديد الحرس والاحتفاظ فيه من خروج الروم بغتةً ، فضاقت الروم ذَرْعاً بذلك ، وألحَّ عليهم المسلمون في الحصار ، وقد أعد المعتصم عليها المجانيق الكثيرة والدبابات وغير ذلك من الآلات الحربية .

ولمَّا رأى المعتصم عمقَ خندقها وارتفاع سورها ، عمل المجانيق في مقاومة سورها ، وكان قد غنم من الطريق غَنَماً كثيراً جدّاً ، ففرقها في الناس ، وقال : ليأكل الرجل الرأس وليجيء بملء جلده تراباً فيطرحه في الخندق ، ففعل الناس ذلك ، فتساوى الخندقُ بوجه الأرض من كثرة ما طُرح فيه من جلود الأغنام ، ثم أمر بالتراب فوضع فوق ذلك حتى صار طريقاً ممهداً ، وأمر بالدبابات أن توضع فوقه فلم يحوج اللهُ إلى ذلك . وبينما الناس في الجسر [المردوم][(٢)] إذ هدم المنجنيق ذلك الموضع المعيب من السور ، فلما سقط ما بين البرجين سمع الناس هدَّةً عظيمة ، فظنَّها من لم يرها أنَّ الروم قد خرجوا على الناس بغتةً ، فبعث المعتصم من ينادي في الناس : إنما ذلك سقوطُ السور . ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، لكن لم يتسع أن يدخل منه الجيش لضيقه عنهم ، فأمر المعتصم بالمجانيق المتفرقة ، فجمعت هنالك ونصب حول ذلك الموضع الذي سقط ؛ ليضرب بها ما حوله ؛ ليتسع لدخول الخيل والرجال .

وقوي الحصار هنالك ، وقد وكلت الروم بكل برجٍ من أبراج السور أميراً يحفظه ، واتفق أن ذلك الأمير الذي انهدم ما عنده من السور ، ضعف عن مقاومة ما يلقاه من المسلمين ، فذهب إلى ياطس فسأله النجدة فامتنع أحدٌ من الروم أن ينجده ، وقالوا : لا نترك ما نحن بصدده من حفظ أماكننا التي قد عيِّنت لنا .

فلمَّا يئس منهم خرج إلى المعتصم ليجتمع به ، فلمَّا وصل إليه ، أمر الخليفة المسلمين أن يدخلوا البلد من تلك الثغرة التي قد انهدمت وخلت من المقاتلة ، فركب المسلمون نحوها ، فجعلت الروم يشيرون إليهم ؛ لا يجيؤون ، ولا يقدرون على دفاعهم ، فلم يلتفت إليهم المسلمون ، ثم تكاثروا عليهم ودخلوا البلد قهراً ، وتتابع المسلمون إليها يكبِّرون ، وتفرَّقت الروم عن أماكنها فجعلوا[(٣)] يقتلونهم في كل مكان حيث وجدوهم وأين ثقفوهم ، وقد حشروهم في كنيسة لهم هائلةٍ ففتحوها قَسْراً ، وقتلوا من

(١) في الكامل لابن الأثير : ناطس ، وما أثبتناه كما في تاريخ الطبري .
(٢) زيادة من ط .
(٣) في ط : فجعل المسلمون .

فيها ، وأحرقوا عليهم باب الكنيسة فأحرقوا عن آخرهم ، ولم يبق فيها موضعٌ محصَّن سوى المكان الذي فيه النائب ، وهو ياطس في حصن منيع ، فركب المعتصم فرسه وجاء حتى وقف بحذاء الحصن الذي فيه ياطس فناداه المنادي : ويحك يا ياطس ! هذا أمير المؤمنين واقف تجاهك . فقال : ليس ياطس هاهنا ، مرتين . فغضب المعتصم من ذلك وولى ، فنادى[١] ياطس : هذا ياطس ، هذا ياطس ! فرجع الخليفة ونصبَ السلالم على الحصن ، وطلعت الرسل إليه ، فقالوا له : ويحك ! انزل على حكم أمير المؤمنين . فتمنَّع ، ثم نزل متقلِّداً سيفاً ، فوضع السيف من عنقه ، ثم جيء به حتى أوقف بين يدي المعتصم فضرب[٢] بالسوط على رأسه ، ثم أمر به أن يمشي إلى مِضْرَب الخليفة ، فمشى مهاناً إلى الوطاق الذي فيه الخليفة نازل ، فأوثق هناك .

وأخذ المسلمون من عَمُّوريَّة أموالاً عظيمة وغنائم لا تحدُّ ولا تُوصف ، فحملوا ما أمكن حمله ، وأمر المعتصم بإحراق ما بقي من ذلك ، وبإحراق ما هنالك من المجانيق والدبابات وآلات الحرب ، لئلا يتقوَّى بها الروم على شيء من حرب المسلمين . وانصرف [المعتصم][٣] راجعاً إلى ناحية طَرَسوس في آخر شوال من هذه السنة . وكانت إقامته على عَمُّوريَّة خمسة[٤] وخمسين يوماً[٥] .

ذكر مقتل العباس بن المأمون

كان العباس بن المأمون مع عمِّه المعتصم في غَزاة عَمُّوريَّة ، وكان عُجَيف بن عَنبسة قد ندَّمه إذ لم يأخذ الخلافة بعد أبيه المأمون حين مات بطَرَسُوس ، ولامه على مبايعته عمه المعتصم ، ولم يزل به حتى أجابه إلى الفتك بعمِّه المعتصم وأخذ البيعة من الأمراء له ، وجهَّز رجلاً يقال له : الحارث السمرقندي ، كان نديماً للعباس ، فأخذ له البيعة من جماعة من الأمراء في الباطن ، واستوثق منهم ، وتقدَّم إليهم أنَّه متى[٦] ما فتك بعمِّه فليقتل كلُّ واحد منهم من يقدر عليه من رؤوس أصحاب المعتصم ، كالأفشين وأشناس وغيرهم من الكبار . فلمَّا كانوا بدرب الروم وهم قاصدون إلى أنقرة ومنها إلى عَمُّوريَّة ، أشار عُجَيْف على العباس أن يقتلَ عمَّه في هذا المضيق ويأخذَ له البيعة ويرجعَ إلى بغداد ، فقال العباس : إنِّي أكره أن أعطِّل على الناس هذه الغزوةَ ، فلمَّا فتحوا عَمُّوريَّة ، واشتغل الناس بالمغانم ، أشار عليه أن يفتك

---

(١) في الطبري : صاح الروم .
(٢) في ك : فضربه ، وفي الطبري : فقنَّعه سوطاً .
(٣) زيادة من ط .
(٤) في آ ، ط : خمسة وعشرين يوماً ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا ، والطبري ، وابن الأثير .
(٥) أخبار فتح عَمُّورية في تاريخ الطبري (٩/ ٥٧ ـ ٧٠) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٤٨٠ ـ ٤٨٨) .
(٦) في آ : أنه يلي ما قبل عمِّه ، فليسل ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا .

به ، فوعده مضِيق الدّرب إذا رجعوا ، فلما رجعوا فطن المعتصم بالخبر ، فأمر بالاحتفاظ وقوَّةِ الحرس ، وأخذ بالحزم ، واجتهد في العزم ، واستدعى بالحارث السمرقنديّ فاستقره فأقرَّ له بجليَّة الأمر ، وأنَّه أخذ البيعة للعباس بن المأمون من جماعةٍ من الأمراء سمَّاهم له ، فاستكثرهم المعتصم ، واستدعى بابن أخيه العباس بن المأمون فقيَّده وغضب عليه وأهانه ، ثم أظهر له أنه قد رضي عنه وعفا عنه ، فأرسلَه من القيد وأطلق سراحه ، فلمَّا كان من الليل استدعاه إلى حضرته في مجلسِ شرابه واستخلاه حتَّى سقاه ، واستحكاه عن الذي كان قد دبَّره من الأمر ، فشرح له القضية ، وأنهى له القصة ، فإذا الأمرُ كما ذَكَرَ الحارثُ السمرقنديّ .

فلمَّا أصبح استدعى بالحارث فأخلاه وسأله عن القضية ثانياً ، فذكرها له كما ذكرها أول مرة ، فقال له : ويحك ! إنِّي كنت حريصاً على ذلك ، فلم أجد إلى ذلك سبيلاً بصدقك إياي في هذه القصة . ثم أمر المعتصم حينئذ بابن أخيه العباس فقيِّد وسُلِّم إلى الأفشين ، وأمر بعُجَيْف وبقيّة من ذكر من الأمراء فاحتيط عليهم ، فأحيط بهم ، ثم أخذ في أنواع النقمات يقترحها لهم ، فقتل كلَّ إنسانٍ منهم بنوعٍ من القتلات ، ومات العباس بن المأمون بمَنْبج فدفن هناك ، وكان سبب موته أنه جاع جوعاً شديداً ، ثم جيء بأكل كثير فأكل ، وطلب الماء ، فمنع منه حتى مات . وأمر المعتصم بلعنه على المنابر وسمَّاه اللعين . وقتل جماعةً من ولد المأمون أيضاً[١] .

وفتحت فيها عَمُّوريَّة كما تقدَّم .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بابَك الخُرَّمي ، قُتِلَ وصُلِبَ كما قدَّمنا ذلك مبسوطاً .

وخالد بن خِدَاش[٢] .

وعبد الله بن صالح ، كاتب الليث [بن سعد][٣] .

---

(١) خبر خروج العباس بن المأمون وموته في الطبري (٩/ ٧١ ـ ٧٩) ، وابن الأثير (٦/ ٤٨٩ ـ ٤٩٣) .

(٢) خالد بن خِدَاش بن عَجلان ، أبو الهيثم المُهلَّبي البصريّ ، الإمام الحافظ الصدوق ، نزيل بغداد ، عالم أهل مرو ومحدِّثهم . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٨٨) ، العبر (١/ ٣٨٦) .

(٣) زيادة من ط . وهو عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم ، أبو صالح الجُهنيّ المصري ، المحدّث ، شيخ المصريين ، كاتب الليث بن سعد . صدوق ، وكانت فيه غفلة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٠٥) تقريب التهذيب (١/ ٤٢٣) .

ومحمد بن سِنان العَوَقِيّ[١] .

وموسى بن إسماعيل[٢] .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومئتين

فيها : خرج رجل بآمُل[٣] طَبَرِستان يقال له : مازيار بن قارن بن وندا هُرْمُز ، وكان لا يرضى أن يرفع الحمل[٤] إلى نائب خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين ، بل يبعثه إلى الخليفة ليقبضه منه ، فبعث الخليفة من يتلقى الحمل إلى بعض البلاد فيقبضه منه ، ثم يدفعه إلى عبد الله بن طاهر ، ثم وثب[٥] على تلك البلاد وأظهر المخالفة للمعتصم .

وقد كان المازيار هذا ممن يكاتب بابَك الخُرَّمِيّ ويعِدُه بالنصر . ويقال : إن الذي قوّى رأس المازيار هو الأفشين ، ليعجز عبدُ الله بن طاهر فيولِّيه المعتصم بلادَ خراسان مكانه ، فبعث إليه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مُصْعَب ، أخا إسحاق بن إبراهيم ، في جيشٍ كثيف ، فجرَتْ بينهم حروبٌ طويلة استقصاها ابن جرير[٦] ، وكان آخر ذلك أسر المازيار ، وحمل إلى عبد الله بن طاهر ، فاستقرَّه عن الكتب التي بعثها إليه الأفشين فأقرَّ بها ، فأرسله نحو أمير المؤمنين ومعه من أمواله التي اصطفيت أشياء كثيرة جداً ؛ من الذهب والجواهر والثياب . فلما أوقف بين يدي الخليفة سأله عن كتب الأفشين إليه فأنكرها ، فأمر به فضرب بالسّياط حتّى مات ، وصلب إلى جانب بابَك الخُرَّميّ على جسر بغداد ، وقتل عيون أصحابه وأتباعه .

وفي هذه السنة تزوَّج الحسن بن الأفشين بأُتْرُجَّة بنت أشناس ودخل بها في قصر المعتصم بسامرّاء في جمادى ، وكان عرساً عظيماً ، وليه أمير المؤمنين المعتصم بنفسه ، حتى قيل : إنهم كانوا يخضِبُون لحى العامة بالغالية[٧] .

---

(١) محمد بن سنان العَوَقي ، أبو بكر البصري . و« العَوَقة » : حيٌّ نزل فيهم ، وهم بطن من الأزد . أحد الأثبات . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٨٥) ، العبر (١/ ٣٨٨) .

(٢) أبو سَلَمة التَّبُوذكِيُّ ، المِنْقَريّ ، الإمام الحجّة ، كان من بحور العلم ، ثقة ثبت ، كثير الحديث . قال عباس الدوري : كتبت عنه خمسة وثلاثين ألف حديث . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٦٠) ، العبر (١/ ٣٨٨) .

(٣) في الأصول : من بابل ، وأثبت ما جاء في ط . و« آمُلُ » : اسم أكبر مدينة بطبرستان في السهل ، ومنها المؤرخ أبو جعفر الطبري ، رحمه الله . ياقوت .

(٤) في ط : الخراج .

(٥) في ط : ثم آل أمره إلى أن وثب .

(٦) الطبري (٩/ ٨٠ـ١٠١) .

(٧) « الغالية » : نوع من الطيب .

وفيها خرج مَنكجور قرابة الأفشين بأرض أذْرَبيجان ، وخلع الطاعة ، وذلك أنه كان الأفشين قد استنابه على بلاد أذْرَبيجان حين فَرَغَ من أمر بابَك ، فظفر مَنكجور بمالٍ عظيم مخزون لبابَك في بعض البلدان ، فاحتجبه لنفسه وأخفاه عن الخليفة ، وظهر على ذلك رجلٌ يقال له : عبد الله بن عبد الرحمن ، فكاتب الخليفة بذلك ، فكتب مَنكجور يكذِّبه في ذلك ، وهمَّ به ليقتله فامتنع منه أهل أرْدَبيل . فلمَّا تحقَّق الخليفة كذب مَنكجور بعث إليه بُغا الكبير فحاربه وأخذه بالأمان وجاء به إلى الخليفة .

وفي هذه السنة مات ياطس الرومي الذي كان نائباً على عَمُّوريَّة حين فتحها المعتصم ، ونزل من حصنه على حكم المعتصم ، فأخذه معه أسيراً فاعتقله بسامرّاء حتى توفي في هذا العام .

وفي رمضان منها توفي :

إبراهيم بن المهديّ بن المنصور : عم الخليفة ، ويعرف بابن شَكْلَة[١] ، وكان أسودَ اللون ضخماً فصيحاً فاضلاً ، قال ابن ماكولا[٢] : وكان يقال له : التِّنِّين ، يعني لسواده ، وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[٣] ترجمة حافلةً ، وذكر أنه ولي إمرة دمشق نيابة عن أخيه الرشيد مدة سنتين ، ثم عزل عنها ثم أعيد إليها الثانية فأقام بها أربع سنين . وذكر من عدله وصرامته أشياءً حسنةً ، وأنَّه أقام للناس الحجَّ سنة أربع وثمانين ، ثم عاد إلى دمشق ، وكان قد بايعه أهل بغداد في أول خلافة المأمون سنة ثنتين ومئتين كما ذكرنا ، وقد قاتله الحسن بن سهل نائبُ بغداد ، فهزمه إبراهيمُ هذا ، فقصده حُمَيد الطُّوسيّ فهزم إبراهيم ، واختفى إبراهيمُ ببغداد حين قدمها المأمون مدة طويلة ، ثم ظفر به المأمون سنة عشر فعفا عنه وأكرمه .

وكانت مدة ولايته على بغداد ومعاملتها سنة وأَحَدَ عشرَ شهراً واثني عشر يوماً [وقيل : وخمسة أيّام][٤] . وكان بدء اختفائه في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث ومئتين ، وكانت مدة اختفائه ست سنين وأربعة أشهر وعشراً ، وكان الظفر به في ثالث عشر ربيع الأول من سنة عشر ومئتين . وقد جرت له في اختفائه هذا أمور عجيبة يطول بسطها .

---

(١) بالفتح والكسر ، وهي أمُّه ، مولَّدة ، كان أبوها من أصحاب المازيار ، فقتل معه ، سُبيت بنته شَكْلَة ، فحملت إلى المنصور ، فوهبها إلى محيَّاة أم ولده فربَّتها . فلما كبرت رآها المهدي فأعجبته ، فطلبها من مُحَيَّاة فأعطته إيَّاها فولدت منه إبراهيم . وترجمة إبراهيم بن المهدي في الأغاني (١٠/ ٩٥ ـ ١٥٠) ، وتاريخ بغداد (٦/ ١٤٢) ، ووفيات الأعيان (١/ ٣٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٧) .

(٢) الإكمال (١/ ٥١٨) .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨) ومختصره (٤/ ١٢٦ ـ ١٤٨) .

(٤) زيادة في ب ، ظا .

قال الخطيب البغدادي[١] : وقد كان إبراهيم بن المهدي وافرَ الفَضْل ، غزيرَ الأدبِ ، واسعَ النفس ، سخيَّ الكفِّ ، وكان معروفاً بصنعة الغناء ، حاذقاً بها .

وذكر الخطيب[٢] أنَّه قلَّ المال على إبراهيم بن المهدي في أيام خلافته ببغداد ، فألحَّ الأعرابُ عليه في أخذ أعطياتهم ، فجعل يُسَوِّف بهم ، فخرج إليهم رسوله يقول : إنه لا مالَ عنده اليومَ ، فقال بعضهم : فَلْيَخرج الخليفةُ إلينا فَلْيُغَنِّ لأهل هذا الجانب ثلاثة أصواتٍ ، وللجانب الآخر ثلاثة أصوات . فقال في ذلك دِعْبِلُ بن عليٍّ شاعرُ المأمون يذمُّ إبراهيمَ بن المهدي في ذلك[٣] :

يا مَعْشَرَ الأعرابِ لا تغلَطوا ... خُذُوا عَطاياكُمْ ولا تَسْخَطُوا
فَسَوْفَ يُعطيكُمْ حُنَيْنِيَّةً[٤] ... لا تَدْخُلُ الكِيسَ ولا تُرْبَطُ
والمَعْبَدِيَّاتُ لِقُوَّادكُمْ ... وما بهذا أحدٌ يُغبَطُ[٥]
فهكذا يَرْزُقُ أصحابَهُ ... خليفَةٌ مُصْحَفُه البَرْبَطُ[٦]

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى ابن أخيه المأمون حين طال عليه الاختفاء : وليُّ الثَّأرِ مُحَكَّمٌ في القصاص ، والعفو أقربُ للتقوى ، وقد جعل اللهُ أميرَ المؤمنين فوقَ كُلِّ ذي عفوٍ ، كما جَعَلَ كلَّ ذي ذَنْبٍ دونه ، فإن عفا فبفضله ، وإن عاقب فبحقِّه[٧] .

فوقَّع المأمون في جواب ذلك : القدرةُ تُذهِبُ الحفيظةَ ، وكفَى بالنَّدم إنابةً ، وعفو اللهِ أوسَعُ من كُلِّ شيءٍ[٨] .

ولمَّا دخل إبراهيم عليه ، أنشأ يقولُ[٩] :

إن أكن مُذْنِباً فحظِّيَ أخطأْ ... تُ فَدَعْ عَنكَ كَثْرَةَ التَّأْنِيبِ
قلْ كما قالَ يُوسف لِبَني يَعْـ ... ـقُوبَ لمَّا أتَوْهُ : لا تَثْرِيبَ

فقال المأمون : لا تثريب .

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ١٤٤) .
(٢) تاريخ بغداد (٦/ ١٤٤) .
(٣) ديوانه (ص١٧٥) مع اختلاف يسير في الرواية .
(٤) « حنينيّة » : نسبة إلى حُنين الحيري المغنِّي .
(٥) « المَعبديات » : نسبة إلى معبد اليقطني المغنِّي . و« يُغبط » : يُسَرُّ .
(٦) « البَربط » : العُودُ ، معرب . والعرب تسميه : المِزهر .
(٧) تاريخ بغداد (٦/ ١٤٤) ، ومختصر ابن عساكر (٤/ ١٢٦) .
(٨) المصدر السابق .
(٩) البيتان في تاريخ بغداد (٦/ ١٤٥) ، ومختصر ابن عساكر (٤/ ١٣٣) .

وروى الخطيب(١) البغدادي: أنَّ إبراهيم بن المهديّ لمَّا أُوقف بين يدي المأمون شرَعَ يؤنِّبه على ما فعل، فقال: يا أمير المؤمنين، حضرْتُ أبي، وهو جدُّك، وقد أُتي برجلٍ ذنبُه أعظمُ من ذنبي، فأمر بقتله، فقال مُبارك بن فَضَالة(٢): يا أميرَ المؤمنين، إنْ رأيتَ أن تؤخِّرَ قَتْلَ هذا الرجل حتى أحدِّثك حديثاً، فقال: قل. قال: حدثني الحسن البصريُّ، عن عمران بن حُصَين: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نادَى منادٍ من بُطْنَانِ(٣) العَرْشِ: ألا لِيَقُم العافون من الخُلفاء إلى أكرم الجزاء، فلا يقوم إلا مَنْ عَفَا»(٤).

فقال المأمون: قد قبلت هذا الحديث بقبوله، وعفَوْتُ عنكَ يا عم.

وقد ذكرنا في سنة أربع ومئتين زيادة على هذا. وقد كانت له أشعار جيدة بليغة، سامحه الله. وقد ساق من ذلك الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» أشياء حسنة كثيرة(٥).

كان مولد إبراهيم بن المهدي في مستهل ذي القعدة سنة ثنتين وستين ومئة، وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من رمضان من هذه السنة عن ثنتين وستين سنة، رحمه الله.

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان أيضاً:

سعيد بن أبي مَريم المصريّ(٦).

وسليمان بن حرب(٧).

وأبو مَعْمَر المُقْعَد(٨).

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ١٤٥).

(٢) مبارك بن فَضَالة بن أبي أميّة، أبو فَضَالة القرشي العدوي، من كبار علماء البصرة، ولد في أيام الصحابة، وصحب الحسن البصري. صدوق، فيه ضعف. توفي سنة ١٦٥هـ. سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٨١)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨).

(٣) «بُطْنان العرش»: وسَطه، وقيل: أصْله. وقيل: البُطنان: جمع بَطْن، وهو الغامض من الأرض؛ يريد: من دواخل العرش. النهاية (١/ ١٣٧).

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٦/ ١٤٥)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه، وهو في مختصر تاريخ ابن عساكر (٤/ ١٢٦) من حديث مبارك بن فضالة عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر (٤/ ١٢٦ ـ ١٤٨).

(٦) هو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم الجمحي المصري، أبو محمد. حافظ فقيه، من أئمة الحديث، خرج له أصحاب الكتب الستة. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٢٧).

(٧) سليمان بن حرب بن بَجيل، أبو أيوب الواشحيّ الأزدي البصري، إمام حافظ ثقة، قاضي مكة، وتوفي في البصرة. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٠).

(٨) هو عبد الله بن عمرو بن أبي الحَجَّاج، أبو مَعْمَر المِنْقَري البصري، المُقْعَد، واسم جدّه أبي الحجَّاج ميسرة. حافظ، مجوّد، ثقة، رمي بالقَدَر. سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٢٢)، تقريب التهذيب (١/ ٤٣٦).

وعليّ بن محمد المَدَائنيّ الأخباري[١] ، أحد أئمة هذا الشأن في زمانه .

وعمرو بن مَرزُوق ، شيخ البخاري[٢] ، وقد تزوج هذا الرجل ألف امرأةٍ .

وأبو عبيد القاسم بن سلَّام البغدادي[٣] : أحد أئمة اللغة والفقه والحديث والقراءات والأخبار وأيام الناس . وله المصنَّفات المشهورة المنتشرة بين العلماء ، حتى يقال : إن الإمام أحمد كتب كتابه في « الغريب » بيده ، ولمَّا وقف عليه عبدُ الله بن طاهر رتَّب له في كُلِّ شهر خمسمئة درهم ، وأجراها على ذريته من بعده[٤] .

وذكر ابن خلكان أن ابن طاهر[٥] استحسنه ، وقال : ما ينبغي لعقل بعثَ[٦] صاحبه على تصنيف هذا الكتاب ، حقيق ألا يُحْوَج صاحبه إلى طلبِ المعاش ، وأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر[٧] .

وقال محمد بن وهب المسعري : سمعت أبا عبيد يقول : مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة[٨] .

وقال هِلال بنُ العلاء الرَّقِّي : مَنَّ الله على المسلمين بهؤلاء الأربعة : بالشَّافعي ، تفقَّه في الحديث ؛ وبأحمد بن حنبل ، ثَبَت في المحنة ؛ وبيحيى بن مَعين . نَفَى الكَذِبَ عن الحديث ؛ وبأبي عُبَيد ، فسَّرَ غريبَ الحديث . ولولا ذلك لاقتحم الناسُ في الخطأ[٩] .

---

(١) أبو الحسن ، نزل بغداد ، وصنَّف التصانيف ، وكان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب ، مصدَّقاً فيما ينقله ، عالي الإسناد . مات في دار إسحاق الموصلي ، وكان منقطعاً إليه . وذكر كتبه ابن النديم في الفهرست (١١٣ـ١١٧) ، وياقوت في معجم الأدباء (١/ ١٢٩ـ١٣٩) . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٠٠) ، والأعلام (٤/ ٣٢٣) .

(٢) أبو عثمان الباهلي ، مسند البصرة ، ثقه له أوهام ، حدث عنه البخاري في صحيحه مقروناً بآخر . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤١٧) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٧٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٥٥) ، المعارف لابن قتيبة (٥٤٩) ، الفهرست لابن النديم (٧٨) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٣) ، معجم الأدباء (١٦/ ٢٥٤) ، وفيات الأعيان (٤/ ٦٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠) ، معرفة القراء (١/ ١٤١) ، بغية الوعاة (٢/ ٢٥٣) ، شذرات الذهب (٢/ ٥٤) وغيرها .

(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٦) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٥) .

(٥) في آ : ابن طاهر بن الحسين .

(٦) في آ ، ب : تعب ، وأثبت ما جاء في ظا ، ط . وفي معجم الأدباء : إن عقلاً بعث صاحبه . . لحقيق .

(٧) وفيات الأعيان (٤/ ٦١) ، ومعجم الأدباء (١٦/ ٢٥٥) .

(٨) وفيات الأعيان (٤/ ٦١) .

(٩) تاريخ بغداد (١٢/ ٤١٠) ، ووفيات الأعيان (٤/ ٦١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٩) .

وذكر ابن خلكان أنَّه ولي القضاءَ بطَرَسُوسَ ثماني عشرة سنة ، وذكر له من العبادة والاجتهاد في العبادة شيئاً كثيراً[١] .

وقد روى العربية عن أبي زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وأبي عُبَيدة [مَعْمَر بن المثنى][٢] ، وابن الأعرابي ، والفرَّاء والكسائي وغيرهم[٣] .

وقال إسحاق بن راهويه : نحن نحتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا[٤] .

وقدم بغداد وسمع الناس منه ، من تصانيفه[٥] .

وقال إبراهيم الحَرْبيُّ : كان كأنه جبلٌ نُفخ فيه روحٌ ، يُحسِنُ كُلَّ شيء[٦] .

وقال أحمدُ بن كامل القاضي : كان أبو عُبَيد فاضِلاً ، ديِّناً ، رَبَّانياً ، متقناً في أصناف علوم الإسلام : من القرآن والفقه والعربية والأخبار ، حَسَنَ الرِّوايةِ ، صَحيح النَّقْلِ ، لا أعلمُ أحداً طَعَنَ عليه في شيءٍ من علمه وكتبه[٧] .

وله : كتاب « الأموال » ، وكتاب « فضائل القرآن » و« معانيه » وغير ذلك من الكتب المنتفع بها ، رحمه الله[٨] .

توفي في هذه السنة قاله البخاري[٩] . وقيل : في التي قبلها بمكة وقيل : بالمدينة ، وله سبع وستون سنة[١٠] ، رحمه الله . وقيل : جاوز السبعين ، والله أعلم .

محمد بن عثمان أبو الجُماهر الدمشقي الكَفْرسُوسي[١١] ، أحد مشايخ الحديث[١٢] .

---

(١) وفيات الأعيان (٤/ ٦١ـ٦٢) .
(٢) زيادة من ط .
(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٩٣) ، ووفيات الأعيان (٤/ ٦١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٣) .
(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٤١١) ، ووفيات الأعيان (٤/ ٦١) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٢) .
(٦) تاريخ بغداد (١٢/ ٤١٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠١) .
(٧) تاريخ بغداد (١٢/ ٤١١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠١) .
(٨) معجم الأدباء (١٦/ ٢٦٠) ، والأعلام للزركلي (٥/ ١٧٦) .
(٩) التاريخ الكبير (٧/ ١٧٢) .
(١٠) تاريخ بغداد (١٠/ ٥٠٧) .
(١١) نسبة إلى كَفْرسُوسية ، قرية بغوطة دمشق . اللباب (٣/ ١٠٣) .
(١٢) إمام محدّث حافظ ثبت . قال أبو حاتم : ما رأيت أحداً أفصح منه . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٤٨) .

ومحمد بن الفضل ، أبو النُّعمان السَّدُوسي ، الملقب بعارِم ، شيخ البخاري[١] .

ومحمد بن عيسى بن الطبَّاع[٢] .

ويزيد بن عَبد رَبّه الجُرْجُسيّ الحمصيّ ، شيخها في زمانه[٣] .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومئتين

فيها : دخل بُغا الكبير ومعه مَنكجور قد أعْطَى الطاعةَ بالأمان .

وفيها : عزل المعتصم جعفر بن دينار عن نيابة اليمن وتغضَّبَ[٤] عليه وولَّى على اليمن إيتاخ .

وفيها : وجَّه عبد الله بن طاهر بالمازيار ، فدخل بغداد على بغلٍ بإكاف[٥] لخمس خلون من ذي القعدة ؛ فضربه المعتصم بين يديه أربعمئة وخمسين سوطاً ، ثم سُقيَ الماء حتى مات[٦] . وأمر بصلبه إلى جانب بابَك الخُرَّميّ ، وأقرَّ في ضربه أن الأفشين كان يكاتبه ويحسِّنُ له خَلْعَ الطاعة ، فغضب المعتصم على الأفشين وأمر بسجنه ، فبني له مكان كالمنارة من دار الخلافة تسمَّى لؤلؤة ، إنَّما يسع مكانه فقط . وذلك حين تحقق الخليفةُ أنه كان يريد مخالفته والخروجَ عليه ، وأنه يعزِمُ على الذهاب إلى بلاد الخَزَر[٧] ليستجيش بهم على المسلمين ، فعاجلَه الخليفةُ بالقبض عليه قبل ذلك كلِّه ، وعقد له المعتصم مجلساً فيه قاضيه أحمد بن دُوَاد[٨] المعتزلي ، ووزيره محمد بن عبد الملك بن الزيَّات ، ونائبه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فاتّهم الأفشين في هذا المجلس بأشياءَ تدلُّ على أنَّه باقٍ على دين أجداده من الفرس ؛ وذلك أنَّه غيرُ مختون ، فاعتذر بأنه يخافُ من ألم ذلك ، فقال له الوزير ، وهو الذي كان يتولَّى مناظرته من بين القوم : فأنت تطاعنُ بالرماح في الحروب ولا تخاف من وقعها ، وأنت تزعم أنك تخاف من قطع قلفة

---

(١) إمام حافظ ثقة ثبت ، تغيّر في آخر عمره . قال الذهلي : كان بعيداً من العَرَامة . و« العرامة » : الشدة والقوة والشراسة . سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٦٥) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٠٠) .

(٢) محمد بن عيسى بن نَجِيح ، أبو جعفر بن الطبَّاع ، البغدادي ، تحوَّل إلى الشام ، ورابط بأذَنَة من بلاد الثغور ، ثقة ، فقيه ، ذكره أحمد بن حنبل ، فقال : لبيب كَيِّس . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٨٦) ، وتقريب التهذيب (٢/ ١٩٨) .

(٣) أبو الفضل الزُّبَيدي المؤذِّن ، كان سكن عند كنيسة جُرجس بحمص ، فغلبت عليه النِّسبة إليها . إمام حافظ ثبت ، ثقة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٦٧) .

(٤) في ط : وغضِب ، وهما بمعنى .

(٥) « الإكاف » : البَرْذَعَة ، جمع أُكُف .

(٦) في الطبري (٩/ ١٠٤) : وطلب ماء فسُقي ، فمات من ساعته .

(٧) أي بلاد الترك .

(٨) في الأصول وط : داود ، وأثبت ما جاء في الطبري وابن الأثير . وسيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٤٠هـ .

بدنك ؟! وأنه ضرب رجلين ؛ إماماً ومؤذناً ، كلّ واحدٍ ألفَ سوطٍ ؛ لكونهما هدما بيتَ أصنامٍ ، فاتخذاه مسجداً . وأنَّه عنده كتاب « كليلة ودمنة » ، وفيه الكفر ، وهو محلّى بالجواهر والذهب ، فاعتذر بأنه ورثه من أبيه . واتُّهم بأنَّ الأعاجم يكاتبونه[1] فتقول : إلى إلَه الآلهة من عبيده ، وأنَّه يقرُّهم على ذلك . فجعل يعتذر بأنه إنما أجراهم على ما كانوا يكاتبون به آباءه وأجداده ، وخاف أن يأمرهم بترك ذلك فيتَّضع عندهم .

فقال له الوزير : ويحك ! فماذا أبقيتَ لفرعون[2] حين قال : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] وأنه كان يكاتب المازيار بأن يخرجَ عن الطاعة وأنه حنَّقه حتى ينصر دينَ المجوس الذي كان قديماً ، ويظهره على العرب والمغاربة والأتراك ، وأنه كان يستطيب المخنوقة على المذبوحة ، وأنه كان في كلِّ يوم أربعاء يستدعي بشاة سوداء فيضربها بالسيف نصفين ، ويمشي بينهما ، ثم يأكلهما . فعند ذلك كُلِّه أمر المعتصم بُغا الكبير فسحبه[3] إلى سجنه مهاناً ذليلاً ، فجعل يقول : أما[4] كنتُ أتوقع منكم ذلك .

وفي هذه السنة حمل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وزوجته أُتْرجَّة بنت أشناس إلى سامرَّاء .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن داود .

وفيها توفي من الأعيان :

أَصْبَغُ بن الفَرَج[5] .

وسَعْدُويَه[6] .

ومحمد بن سَلام البيكَنْديّ[7] .

---

(١) في ط : يكاتبونه ، وتكتب إليه في كتبها : أنت إلٰه الآلهة . .

(٢) في آ : لقارون .

(٣) تقرأ في الأصول : فسجنه ، ولعل ما أثبته الصواب .

(٤) في ب ، ظا : ما كنت ، وفي ط : إني كنت .

(٥) أَصْبَغ بن الفَرَج بن سعيد بن نافع ، أبو عبد الله الأموي المصري المالكي ، الإمام الكبير ، مفتي الديار المصرية وعالمها . ذكر ابن معين أنه كان من أعلم خلق الله برأي مالك . طلبه المعتصم في المحنة ، فهرب واختفى بحُلوان . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٨) .

(٦) « وهو سعيد بن سليمان ، أبو عثمان الضَّبِّيُّ الواسطيُّ البزَّاز ، الملقب بسعدويه . سكن بغداد ، ونشر بها العلم . وكان من أهل السنة ، وقد أجاب في المحنة ، وحين سئل قال : كفرنا ورجعنا . ثقة . حافظ . مات وله مئة سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٨١) ، وتقريب التهذيب(١/ ٢٩٨) .

(٧) محمد بن سَلام بن الفَرَج ، أبو عبد الله السُّلمي البخاري البِيكَنْدي . كان من أوعية العلم ، وأئمة الأثر . ثقة ، ثبت . سير أعلا النبلاء (١٠/ ٦٢٨) ، وتقريب التهذيب (٢/ ١٦٨) .

وأبو عُمَر الجَرْمي[(١)] .

[وأبو عمر الحَوْضيّ][(٢)] .

[وأبو دُلَف العِجْلي التّميميّ ، الأميرُ ، أحدُ الأجواد][(٣)] .

وسعيد بن مَسْعَدَة[(٤)] : أبو الحسن الأخْفَش الأوسط البلخيُّ ، ثم البصريّ النَّحويُّ ، أخذ النحو عن سِيبويه ، وصنَّف كتباً كثيرة ؛ منها كتاب في « معاني القرآن » ، وكتاب « الأوسط » في النحو ، وغير ذلك . وله كتاب في العَروض زاد فيه بحرَ « الخَبب » على الخليل[(٥)] .

وسُمِّيَ « الأخفش » لصغر عينيه وضعف بصره ، وكان أيضاً أجْلَعَ ، وهو الذي لا يضم[(٦)] شفتيه على أسنانه ، وكان أولاً يقال له : « الأخفش الصغير » بالنسبة إلى الأخفش الكبير ، أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الهَجري ، شيخ سيبويه وأبي عبيدة ، فلمَّا ظهر عليُّ بنُ سليمان ولُقِّب بالأخفش أيضاً ، صار سعيدُ بن مَسْعَدَة هو الأوسط ، والهَجري الأكبر ، وعليُّ بن سليمان الأصغر .

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل : سنة إحدى وعشرين ومئتين[(٧)] .

الجَرْميّ النَّحويّ[(٨)] : هو صالحُ بن إسحاق البَصْريّ ، قدِمَ بغداد وناظر بها الفرَّاء[(٩)] .

وكان قد أخذ النَّحو عن أبي عُبَيدة ، وأبي زيدٍ ، والأصمعي[(١٠)] . وصنف كتباً منها : « الفرخ » ،

---

(١) هو صالح بن إسحاق الجَرْمي البصريّ النحوي ، إمام العربية ، صاحب التصانيف ، عالم بالنحو واللغة ، من أهل البصرة ، سكن بغداد . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦١) ، وبغية الوعاة (٢/ ٨) .

(٢) ما بين قوسين زيادة من ظا فقط ، وهو حفص بن عمر بن الحارث بن سَخْبَرة ، أبو عمر الأزدي ، المشهور بالحَوضي ، إمام حافظ ، متقن ، صدوق ، أعرابي فصيح . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥٤) .

(٣) ما بين قوسين لم يرد في ظا ، ب ، وسيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٢٦هـ .

(٤) المعارف (٥٤٥) ، أخبار النحويين البصريين (٥٠) ، الفهرست (٥٨) ، معجم الأدباء (١١/ ٢٢٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٨٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٦) ، بغية الوعاة (١/ ٥٩٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٣٦) وغيرها .

(٥) كان الخليل بن أحمد الفراهيدي قد جعل البحور خمسة عشر ، فأصبحت ببحر الخبب ستة عشر .

(٦) في ب ، ظا : لا تنضم شفتاه .

(٧) وفيات الأعيان (٢/ ٣٨١) .

(٨) طبقات الزبيدي (٤٦) ، أخبار البصريين (٧٢) ، تاريخ بغداد (٩/ ٣١٣) ، معجم الأدباء (١٢/ ٥) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٨٥) ، سير أعلام النبلاء (١/ ٥٦١) ، طبقات القراء (١/ ٣٣٢) ، بغية الوعاة (٢/ ٨) ، شذرات الذهب (٢/ ٥٧) .

(٩) معجم الأدباء (١٢/ ٦) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦٣) .

(١٠) معجم الأدباء (١٢/ ٥) وفيه : أخذ عن هؤلاء اللغة ، وأخذ عن يونس بن حبيب العربية ، وعن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ، وقرأ عليه كتاب سيبويه . وفيات الأعيان (٢/ ٤٨٥) .

يعني فرخ كتاب سيبويه ، وكان فقيهاً ، فاضلاً ، نحوياً ، بارعاً ، عالماً باللغة ، حافظاً لها ، ديناً ورعاً حسَنَ المذهب ، صحيحَ الاعتقاد ، روى الحديث . قاله كلَّه ابنُ خلكان[١] .

وروى عنه المبرّد[٢] .

وذكره أبو نُعيم في « تاريخ أصبهان »[٣] .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومئتين

في شعبان منها توفي الأفشين في الحبس ، فأمر به المعتصم فصُلِبَ ، ثم أحرق وذُرِّي رماده في دجلة ، واحتيط على أمواله وحواصله ، فَوُجِدَ[٤] فيها أصنام مكللة بذهبٍ وجواهر ، وكتب عن دين المجوس ، وأشياء كثيرة مما يتَّهم بها ، ويتحقَّق بسببها ما ذكر عنه من الانتماء إلى دين آبائه المجوس ، لعنهم الله .

وفيها توفي : محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين .

وحجَّ بالناس محمد بن داود .

وفيها توفي من سادات المحدّثين :

إسحاق الفَرْوي[٥] ،

وإسماعيل بن أبي أُوَيْس[٦] .

وسُنَيد بن داود ، صاحبُ التفسير[٧] .

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٨٥ـ٤٨٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦٢) .

(٣) تاريخ أصبهان (١/ ٣٤٦) .

(٤) في آ : فوجدوا فيها أصناماً . . . وأثبت ما جاء في ب ، ظا .

(٥) إسحاق بن محمد بن إسماعيل الأموي الفَروي المَدني ، أبو يعقوب . الإمام المحدّث العالم . صدوق ، كُفَّ ، فَسَاء حفظه . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٤٩) ، وتقريب التهذيب (١/ ٦٠) .

(٦) إسماعيل بن أبي أُوَيْس عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر ، أبو عبد الله الأصبحي المدني . صدوق ، أخطأ في أحاديث من حفظه . قرأ القرآن وجوَّده على نافع . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٩١) ، وتقريب التهذيب (١/ ٧١) .

(٧) في آ ، ظ : محمد بن داود . وأثبت ما جاء في ب ، ظا . وهو حسين بن داود ، أبو علي ، ولقبه سُنَيْد ، المصيصي ، المحتسب ، صاحب التفسير الكبير ، الإمام الحافظ ، محدِّث الثَّغْر . ضعيف مع إمامته ومعرفته . خرج له ابن ماجه حديثاً واحداً . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٢٧) ، وتقريب التهذيب (١/ ٣٣٥) .

وغسان بن الرّبيع[١] .

ويحيى بن يحيى التَّمِيميّ ، شيخُ مسلم بن الحجاج[٢] .

أبو دُلَف العِجْلِيّ[٣] : القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزّى[٤] بن دُلَف بن جشم بن قيس بن سعد بن عِجْل بن لجيم ، الأمير ، أبو دُلَف العِجْلِي . أحدُ قواد المأمون والمعتصم ، وإليه يُنسب الأميرُ أبو نصر بن ماكولا ، صاحب كتاب « الإكمال » .

وكان القاضي جلال الدين القزويني [خطيب دمشق][٥] يزعم أنه من سلالته ، ويذكر نسبه إليه . وكان أبو دُلَف هذا كريماً جواداً ممدّحاً ، قصده الشعراء من كُلِّ أوب ، وكان أبو تمام الطائيّ من جملة من يَغشاه ويستمنحُ نداه ، وكانت لديه فضيلة في الأدب والغناء ، وصنَّف كتباً منها « سياسة الملوك » ، ومنها في الصيد والبزاة ، وفي السلاح ، وغير ذلك . وما أحسَنَ ما قال فيه بَكْر بن النَّطّاح[٦] الشاعر :

يـا طـالبـاً لِلْكِيميـاءِ وعِلْمِـهِ مَدْحُ ابنِ عيسى الكيمياءُ الأعْظَمُ
لو لم يكُنْ في الأرضِ إلا دِرهَمٌ ومـدحْتَـهُ لأتَـاكَ ذاكَ الـدِّرْهَـمُ

فيقال : إنَّه أعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم .

وكان شجاعاً فاتكاً ، ومعطاءً لا يملُّ من العطاء ، ويستدين على ذمته ويعطي ، وكان أبوه قد شرع في بناء مدينة الكَرَج[٧] فمات ولم يتمها ، فأتمها أبو دُلَف هذا .

وكان فيه تشيّعٌ ، وكان يقول : من لم يكن مغالياً في التشيّع فهو ولد زِنَى . فقال له ابنه دُلَف :

---

(١) غسّان بن الربيع الأزدي ، محدّث الموصل ، كان ورعاً ، كبير القدر ، لكن ليس بحجّة . العبر (١/ ٣١١) .

(٢) هو يحيى بن بكر بن عبد الرحمن ، أبو زكريا التَّميمي المِنْقَريّ النيسابوري ، شيخ الإسلام ، عالم خراسان . وكان يشبَّه بابن المبارك في وقته . ثقة ، ثبت . قال ابن راهويه : مات وهو إمام أهل الدنيا . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥١٢) ، والعبر (١/ ٣٩٧) .

(٣) مروج الذهب (٤/ ٥) ، الأغاني (٨/ ٢٤٨) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٤١٦) ، وفيات الأعيان (٤/ ٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦٣) ، شذرات الذهب (٢/ ٥٧) .

(٤) في ط : « عبد العزيز » ، وهو تحريف .

(٥) تكملة من ب ، ظا ، ط .

(٦) في آ ، ط : النَّطّاع ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا . وهو بكر بن النَّطّاح الحنفي ، أبو وائل . اتصل بأبي دُلَف العجلي ، فجعل له رزقاً إلى أن توفي . مات سنة ١٩٢هـ . ترجم له المؤلف في (حوادث سنة ١٩٢) . والبيتان في وفيات الأعيان (٤/ ٧٤) .

(٧) جاء في معجم البلدان (٤/ ٤٤٦) : الكَرَج : مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق ، وإلى همذان أقرب ، وأول من مصَّرها أبو دُلَف القاسم بن عيسى العِجلي ، وجعلها وطنه . ووقع في الأصول وط : « الكرخ » وهو خطأ .

لست على مذهبك يا أبت ! فقال له : والله لقد وطئت أمَّك قبل أن أشتريها ، فهذا من ذاك[١] .

فذكر القاضي ابنُ خلكان[٢] : أنَّ ولده رأى في المنام بعد وفاة أبيه أن آتياً أتاه ، فقال : أجب الأمير ! قال : فقمت معه ، فأدخلني داراً وَحْشَةً ، وَعْرَةً ، سوداءَ الحيطان ، مغلَّقة السقوف والأبواب ، وأصعدني في درجٍ منها ، ثم أدخلني غرفة ، في حيطانها أثرُ النيران ، وفي أرضها أثرُ الرّماد ، وإذا بأبي فيها وهو عُرْيان ، واضعٌ رأسَه بين ركبتيه ، فقال لي كالمستفهم : دُلَف ؟ فقلت : دُلَف . فأنشأ يقول :

أبْلِغَـنْ أهْلَنـا ولا تُخْـفِ عَنْهُـمْ ... مـا لَقِينـا فـي البَـرْزَخِ الخَنّـاقِ
قد سُئِلْنا عن كلِّ ما قدْ فَعَلْنا ... فَأرْحَمُوا وَحْشَتي وَمَا قَدْ ألاقِي

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ! فأنشَدَ :

فَلَـوْ أنَّـا إذا متنـا تُـرِكْنَـا ... لَكَـانَ المَـوْتُ راحَـةَ كُـلِّ حَـيِّ
ولكنَّـا إذا متْنـا بُعِثْنـا ... ونُسْـألُ بَعْـدَهُ عَـنْ كُـلِّ شَـيِّ

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم . وانتبهت .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومئتين

فيها : خرَج رجلٌ من أهل الغَور بالشام يقال له : أبو حَرْب المُبَرْقَع اليَمانيّ ، فخلع الطاعة ، ودعا إلى نفسه ، [وسُمِّي السفياني][٣] .

وكان سبب خروجه أن رجلاً من الجند أراد أن ينزلَ في منزله ، وذلك في غيبة أبي حَرْب ، فمانَعَتْه المرأة ، فضربَها الجنديّ في يدها ، فأثَّرت الضربة في معصمها .

فلمَّا جاء بعلها أخبرته ، فذهب إلى الجندي وهو غافل فضربه ، فقتله ، ثم تحصَّن في رؤوس الجبال وهو مُبَرْقَعٌ ، فإذا جاء أحدٌ دعاه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويذمُّ من السلطان ، فاتبعه خلق كثير من الحرَّاثين وغيرهم ، وقالوا : هذا هو السُّفياني المذكور أنه يملك الشامَ ، واستفحل أمره جدًّا ، واتبعه نحو من مئة ألف مقاتل ، فنفذ إليه الخليفةُ المعتصم وهو في مرض موته جيشاً نحواً من ألفِ مقاتل .

فلمَّا قدم الأميرُ وجَدَ أمَّةً كثيرةً قد اجتمعوا حوله ، فخشي أن يناجزه والحالة هذه ، فانتظر حتى جاء وقت حَرْث الأراضي فتصرَّم عنه الناس إلى أراضيهم ، وبقي في شِرْذمةٍ قليلة من أصحابه ، فناهضه فأسره

---

(١) وفيات الأعيان (٤/ ٧٨) .
(٢) وفيات الأعيان (٤/ ٧٨) وفيه الأبيات .
(٣) زيادة من ب ، ظا .

جيش الخليفة ، وتفرَّق عنه أصحابه ، وحمله أمير السرية ، وهو رَجَاء بنُ أيُّوبَ ، حتَّى قدِمَ به على المعتصم ، فلامه المعتصم في تأخُّره ، فاعتذر بأنَّه كان معه مئة ألف أو يزيدون ، فلم يزل يطاوله حتى أمكنه ذلك منه ، فشكره على ذلك[١] .

[وقد ذكر قصته مبسوطة الحافظ ابن عساكر في ترجمته من الكنى][٢] .

ذكر وفاة المعتصم

وفي يوم الخميس لساعتين مضتا منه ، الثامن عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، كانت وفاة أبي إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور .

وهذه ترجمة الخليفة المعتصم[٣] : هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المعتصم بن أمير المؤمنين هارون الرشيد بن أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويقال له : المثمَّن ؛ لوجوهٍ ، منها : أنه ثامن ولد العباس ؛ ومنها : أنه ثامن الخلفاء من ذريته ؛ ومنها : أنه فتح ثمان فتوحات ؛ [بلاد بابك ، على يدي الأفشين ، وعَمُّوريَّة بنفسه ، والزُّطّ بعُجَيف ، وبَحر البصرة ، وقلعة الأجراف ، وأعراب ديار ربيعة ، والشارك ، وفتح مصر بعد عصيانها . وقيل : ثمانية أعداء ؛ بابك ، ومازيار ، وياطى الرومي ، والأفشين ، ورئيس الزنادقة ، وعُجَيف ، وقارن ، وقائد الرافضة][٤] : ومنها : أنه أقام في الخلافة ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وقيل : ويومين ؛ وأنه ولد سنة ثمانين ومئة في شعبان ، وهو الشهر الثامن ؛ ومنها : أنه توفي وله من العمر ثمانية[٥] وأربعون سنة ؛ ومنها : أنه خلف ثمانية بنين وثماني بنات ؛ ومنها : أنه دخل بغداد من الشام وهو خليفة في مستهل رمضان سنة ثماني عشرة ومئتين ، بعد استكمال ثمانية أشهر من السنة ، بعد موت أخيه المأمون بطَرَطُوس ، كما تقدَّم .

قالوا : وكان أُمِّياً لا يحسن الكتابة ، وكان سبب ذلك أنه كان يتردد معه إلى الكتَّاب غلامٌ ، فمات ، فقال لأبيه : مات فلان واستراح من الكتّاب ، فقال له أبوه الرشيد : لا تذهب إلى الكتَّاب

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١١٦ ـ ١١٨) وابن الأثير (٦/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) .
(٢) زيادة من ب ، ظا . تاريخ ابن عساكر (ج١٩/ ورقة ١٥/ ب) .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١١٨ ـ ١٢٣) ، تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٢) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ٤٣٩ و٥٢٣) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩٠) ، فوات الوفيات (٤/ ٤٨) ، الوافي بالوفيات (٥/ ١٣٩) ، تاريخ الخلفاء (٣٣٩ ـ ٣٤٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٦٣) .
(٤) ما بين قوسين زيادة من (ب ، ظا) والخبر في تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٣) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٢) .
(٥) كذا في الأصول ، وحقها : ثمان وأربعون .

بعدها ، فتركوه فكان أميّاً . وقيل : بل كان يكتب كتابةً ضعيفةً[(١)] .

وقد أسند الخطيبُ[(٢)] البغداديّ من طريقه عن آبائه حديثين منكرين ؛

أحدهما : في ذم بني أمية ومدح بني العباس من الخلفاء .

والثاني : في النهي عن الحِجامة يومَ الخميس .

وذكر بسنده[(٣)] عن المعتصم : أنَّ ملك الروم كتب إليه كتاباً يتهدَّدُه فيه ، فقال للكاتب : اكْتُبْ : « قد قرأتُ كتابَك وسمعت خطابَكَ ، والجوابُ ما تَرى لا ما تسمَعُ ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد : ٤٢] » .

قال الخطيب[(٤)] : غزا المعتصم بلاد الروم في سنة ثلاث وعشرين ومئتين ، فأنْكَى نكايةً عظيمة في العدوِّ ، ونصب على عَمُّوريّة المجانيق ، وأقام عليها حتى فتحها ودخلها ، فقتل فيها : ثلاثين ألفاً ، وسبَى مثلهم ، وكان في سبيه ستون بطريقاً ، وطرح النار في عَمُّوريَّة من سائر نواحيها ، فأحرقها ، وجاء ببابها إلى العراق ، وهو باقٍ حتى الآن ، منصوب على أحد أبواب دار الخلافة مما يلي المسجد الجامع في القصر .

وروى عن أحمد بن أبي دُواد القاضي أنه قال : ربَّما أخرج المعتصمُ ساعدَه إليَّ ، وقال لي : عضَّ يا أبا عبد الله بكل ما تقدر عليه ، فأقول : إنه لا تطيبُ نفسي يا أميرَ المؤمنين ! فيقول : إنه لا يضرُّني . فأكْدِمُ[(٥)] بكلِّ ما أقدرُ عليه فلا يؤثِّر ذلك في يده[(٦)] .

وقال : مَرَّ يوماً في خلافة أخيه بمخيَّم الجندِ ، فإذا امرأة تقول : ابني ابني فقال : ما شأنُكِ ؟ فقالت : أخذه صاحبُ هذه الخيمة ، فجاء إليه المعتصم ، فقال له : أطلق هذا الصبي ! فامتنع عليه ، فقبض على

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٣) ، وتاريخ الخلفاء (٣٣٩) .

(٢) ذكر حديث ذم بني أميّة الخطيب البغدادي في تاريخه (٣/ ٣٤٣) والحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص٣٣٩) في ترجمة المعتصم ، وقال في آخره : قلت : الحديث موضوع ، وآفته الغلابي . في تاريخ الخلفاء العلائي ، وهو تصحيف . والغلابي هذا هو : محمد بن زكريا الغلابي البصري الأخباري ، وهو ضعيف وقال الدارقطني : يضع الحديث . والحديث الآخر : من احتجم يوم الخميس ، فمرض فيه مات فيه . ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير من رواية ابن عساكر عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء صفحة (٣٣٩) عن ابن عساكر بسنده ، وإسناده ضعيف .

(٣) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٤) .

(٤) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٤) .

(٥) الكدم : العضُّ ، وفي تاريخ بغداد : فأروم ذلك .

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٣) .

جسده بيده ، فسُمع صوتُ عظامه من تحت يده ، ثم أرسلَه ، فسقَطَ ميتاً ، وأمر بإخراج الصبيّ إلى أمه[١] .

ولمَّا ولي الخلافة كان شَهْماً في أيامه ، له همة عالية ، ومهابة عظيمة جداً . وقال بعضهم : إنما كانت همته [في الإنفاق][٢] في الحرب لا في البناء ولا في غيره .

وقال القاضي أحمد بن أبي دُواد : تصدَّقَ المعتصم على يديَّ ، وهب ما قيمته مئة ألف ألف درهم[٣] .

وقال غيره : كان المعتصم إذا غضبَ لا يبالي مَنْ قَتَل ولا ما فعل[٤] .

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : دخلتُ يوماً على المعتصم وعنده قَيْنةٌ له تغنِّيه ، فقال لي : كيف تراها ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ! أراها تقهَرُه بحِذْقٍ ، وتختله برِفْقٍ ، ولا تخرُجُ من شيء إلا إلى أحسنَ منه ، وفي صوتها قطع شُذُور أحسنُ من نظم الدُّرِّ على النُّحور . فقال : والله لَصِفَتُكَ لها أحسنُ منها ومن غنائها ، ثم قال لابنه هارون الواثق وليّ عهده من بعده : اسمع هذا الكلامَ[٥] .

وقد استخدم من الأتراك خَلْقاً عظيماً ، كان له من المماليك قريبٌ من عشرين ألفاً . وتمَّ له من آلات الحرب والدواب ما لم يتفق لغيره .

ولمَّا حضرته الوفاةُ جعل يقول : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ [الأنعام : ٤٤] . وقال : لو علمت أن عمري قصيرٌ ما فعلْتُ ما فعلْتُ . وقال : إني أوخذ من بين هذا الخلق . وجعل يقول : ذهبَت الحيل ، فليست حيلة .

ورُوي عنه أنه قال في مرض موته : اللّهُمَّ إنِّي أخافُكَ مِنْ قِبَلي ولا أخافُكَ مِن قِبَلِك ، وأرجوك من قِبَلِك ، ولا أرجُوكَ مِن قِبَلِي[٦] .

وكانت وفاته « بسرَّ مَنْ رأى » في يوم الخميس ضحًى لسبعَ عشرةَ خَلَتْ من ربيع الأول من هذه السنة ، أعني سنة سبعٍ وعشرين ومئتين ، وكان مولده يوم الإثنين لعشر خلون من شعبان سنة ثمانين ومئة ، وولي الخلافة في رجب سنة ثماني عشرة ومئتين .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) زيادة في ب ، ظا ، ط .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٣) .
(٤) الطبري (٩/ ١٢١) ، وابن الأثير (٦/ ٥٢٦) .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٣) .
(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٦) .

وكان المعتصم أبيضَ ، أصهبَ[١] اللحية طويلها ، مربوعاً ، مُشْرَبَ اللون .

أمُّه أمُّ ولد اسمُها مارِدة . وهو أحدُ أولاد ستةٍ من أولاد الرشيد ، كلٌّ منهم اسمُه محمد ، وهم : أبو إسحاق المعتصم ، وأبو العباس الأمين ، وأبو عيسى ، وأبو أحمد ، وأبو يعقوب ، وأبو أيوب ؛ قاله هشام بن الكلبي[٢] .

وقد قام بالخلافة بعدَه ولدُه هارون الواثق .

ذكر ابن جرير أن وزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات رثاه ، فقال[٣] :

قَد قُلْتُ إذْ غَيَّبُوكَ واصْطَفَقَتْ ... عَلَيْكَ أيدي[٤] التُّراب والطِّينِ
اذهَبْ فنِعمَ الحفيظُ كنْتَ على الـ ... ـدُّنيا ونِعْمَ الظهيرُ للدِّينِ
لا جَبَرَ اللهُ أُمَّةً فَقَدَتْ ... مِثلَكَ إلا بمِثْلِ هارُونِ

وقال مَرْوان بن أبي الجنوب ، وهو ابن أخي مروان بن أبي حَفْصة[٥] :

أبو إسحاقَ ماتَ ضُحىً فمِتْنا ... وأمْسَيْنا بهارُونٍ حَيينا
لئنْ جاءَ الخميسُ بما كرهنا ... لقَدْ جاءَ الخميسُ بما هَوِينا

خلافة هارون الواثق بالله بن المعتصم

بُويع له بالخلافة قبل أن يموت أبوه المعتصم يوم الأربعاء لثمانٍ خلَوْن من ربيع الأول من هذه السنة ، أعني سنة سبع وعشرين ومئتين . ويكنى بأبي جعفر ، وأُمُّه أمُّ ولدٍ رُوميَّة ، يقال لها : قراطيس ، وقد خرجَتْ في هذه السنة قاصدةً الحجَّ ، فماتت بالحيرة ، ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى ، وذلك لأربع خَلَوْن من ذي القعدة من هذه السنة[٦] .

وكان الذي أقام للناس الحجَّ في هذه السنة جعفر بن المعتصم[٧] .

---

(١) « الأصْهَب » : ذو اللون الأصفر الضارب إلى شيء من الحمرة والبياض .
(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢٣) .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١١٩) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٥٢٥) .
(٤) في الطبري وابن الأثير : أيْدٍ بالتُّرب .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٠) .
(٦) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٣) .
(٧) المصدر السابق .

وممن توفي في هذه السنة من المشاهير :

ملك الروم توفيل بن ميخائيل ، وكانت مدَّة ملكه ثنتي عشرة سنة ، فملكَتْ بعده امرأته تدورة ، وكان ابنها ميخائيل بن توفيل صغيراً[١] .

وفيها توفي :

بِشْر الحافِي الزَّاهد المشهور[٢] : وهو بِشْر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المَرْوَزِيّ ، أبو نَصْر الزاهد ، المعروف بالحَافي ، نزيلُ بغداد .

قال ابن خلكان[٣] : وكان اسمُ جدِّه عبد الله الغيور ، أسلم على يدي عليّ بن أبي طالب .

قلت : وكان مولدُه ببغداد[٤] سنة خمسين ومئة ، وسمع بها شيئاً كثيراً من حمَّاد بن زيد ، وعبد الله بن المُبَارك ، وابن مهدِيّ ، ومالكٍ[٥] ، وأبي بكر بن عياش ، وغيرهم .

وعنه جماعة ، منهم : أبو خَيْثمة زهير بن حرب ، وسَرِيٌّ السَّقَطِيُّ ، والعباس بن عبد العظيم ، ومحمد بن حاتِم .

قال محمد بن سعد[٦] : سمع كثيراً ، ثم اشتغل بالعبادة ، واعتزل الناس ، ولم يُحدِّثْ .

وأثنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة في عبادته وزهده وورعه ونسكه وتقشُّفه .

قال [الإمام] أحمد يوم بلغه موتُه : لم يكن له نظيرٌ إلا عامر بن عبد قيس ، ولو تزوَّج لكان قد تمَّ أمرُه[٧] .

وقال إبراهيم الحربيُّ : ما أخرجَتْ بغدادُ أتمَّ عقلاً ، ولا أحفَظَ للسانه منه ، ما عُرِفَ له غِيبةٌ لمسلم ، وكان في كل شعرة[٨] منه عقل . ولو قُسم عقلُه على أهل بغدادَ لصاروا عقلاءَ وما نقص من عقله شيء[٩] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٣٣٦) ، تاريخ بغداد (٧/ ٦٧) ، تهذيب ابن عساكر (٣/ ٢٣١) ، تاريخ ابن عساكر (٥/ ٣٨) ، صفة الصفوة (٢/ ٣٢٥) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٧٤) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩) ، تهذيب الكمال (٤/ ٩٩) ، طبقات الأولياء (١٠٩) شذرات الذهب (٢/ ٦٠) .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ٢٧٤) ، واسم جدِّه فيه : بعبور . وفي تاريخ بغداد : يعفور ، ولم ترد في ب ، ظا .

(٤) قال علي بن خشرم (وهو ابن عمِّ بشر الحافي) : « ولد بشر في هذه القرية ، وهي مرو » تهذيب الكمال (٤/ ١٠٢) ولهذا يقال في ترجمته كما ذكر ابن كثير نفسه : « نزيل بغداد » وقال الذهبي : « المروزي ثم البغدادي » .

(٥) سماع بشر من مالك في بغداد لا يصح ، وإنما سمع منه في الحج كما ذكر بشر نفسه (تاريخ بغداد ٧/ ٥٤٧) .

(٦) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٤٢) .

(٧) تاريخ بغداد (٧/ ٧٣) ، تاريخ ابن عساكر ، المجلدة العاشرة ، صفحة (٤٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤) ، تهذيب الكمال (٤/ ١٠٥) ، وبعدها في المطبوع ؛ وفي رواية عنه أنه قال : ما ترك بعده مثله .

(٨) في النسخ : شعره عقل ، والمثبت من ط .

(٩) تاريخ بغداد (٧/ ٧٣) ، وابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٥١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧٢ ، ٤٧٥) .

وذُكِر عن غير واحدٍ أنَّه كان شاطراً[١] في بدء أمره ، وأنَّ سبب توبته أنه وجد رُقْعَةً فيها اسمُ الله عزَّ وجلَّ في أتُونِ حمَّامٍ ، فرفعها ، ورفَعَ طَرْفَه إلى السَّماء ، وقال : سيِّدي ! اسمُكَ هاهنا ملقًى ! ثم ذَهَبَ إلى عطَّار فاشترى بدرهم غالية[٢] وضمَّخ تلك الرُّقْعَة منها ، ووضعها حيث لا تُنال ، فأحْيَى اللهُ قلبَه ، وألهمه رشدَه ، وصار إلى ما صار إليه من العبادة والزهادة[٣] .

ومن كلامه : مَنْ أحبَّ الدنيا فليتهيَّأ للذُّلِّ . وكان يأكلُ الخبزَ وحدَهُ ، فقيل له : بماذا تأتدم ؟ فقال : أذكر العافيةَ فأجعلها أُدْماً .

وكان لا يلبَسُ نعلاً بل يمشي حافياً ، طرق يوماً باباً ، فقيل : من ؟ فقال : بِشر الحافي . فقالت جارية أما وجَدَ دانقين[٤] يشتري له بها نعلاً ويستريح من هذا الاسم ؟ قالوا : وكان سببُ تركه النعلَ : أنَّه جاء إلى حَذَّاء فطلب منه شِراكاً[٥] لنعله ، فقال له : ما أكثَرَ كلفتكم[٦] على الناس ؟ فطرح النَّعلَ من يده ، وخَلَعَ الأخرى من رجله ، وحلَفَ لا يلبَسُ نعلاً أبداً[٧] .

قال ابن خلكان[٨] : وكانت وفاته يومَ عاشوراء ، وقيل : في رمضان ببغداد ، وقيل : بمرو . قلت : الصحيح ببغداد في هذه السنة ، وقيل : في سنة ست وعشرين ، والأول أصحُّ ، والله أعلم .

وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد على[٩] بَكْرَةِ أبيهم ، فأُخرج من بعد صلاة الفجر ، فلم يستقرَّ في قبره إلا بعدَ العَتَمَةِ ؛ وكان عليّ بن المدينيّ وغيرُه من أئمة الحديث يصيح بأعلى صوته في الجنازة : هذا والله شرفُ الدنيا قبل شَرَفِ الآخرة[١٠] .

ورُوي : أنَّ الجِنَّ كانت تنوحُ عليه في بيته الذي كان يسكن فيه . وأنَّه رآه بعضهم في المنام ، فقال له : ما فَعَلَ اللهُ بك ؟ فقال : غفَرَ لي ولكلِّ من شهد جنازتي ، ولكلِّ مَن أحبَّني إلى يوم القيامة[١١] .

---

(١) « الشاطر » : الخبيث الفاجر ، وجمعها شُطَّار .
(٢) « الغالية » : الطيب .
(٣) تاريخ ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٣٩) ، ومختصره (٥/ ١٩١) ، وتهذيب الكمال (٤/ ١٠٣) .
(٤) في آ : دانقاً . و« الدَّانق » : سُدُسُ دِرْهم ، معرَّب .
(٥) « شِراك النعل » : سيرُها الذي على ظهر القدم .
(٦) بعد هذا في ط : « يافقراء » ، وليست في النسخ ولا وفيات الأعيان (١/ ٢٧٥) .
(٧) تاريخ بغداد (٧/ ٦٩) ، وتاريخ ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٤١) ، ومختصره لابن منظور (٥/ ١٩٢) ، وتهذيب الكمال (٤/ ١٠٢) .
(٨) وفيات الأعيان (١/ ٢٧٦) .
(٩) في النسخ : عن بكرة .
(١٠) ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٧٩) ، ومختصره (٥/ ٢٠٤) ، وتهذيب الكمال (٤/ ١٠٨) .
(١١) ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٨٠ ، ٨٢) ، ومختصره (٥/ ٢٠٤ ، ٢٠٦) ، وتهذيب الكمال (٤/ ١٠٩) .

وذكر الخطيبُ البغداديّ[١] أنه كان له أخواتٌ ثلاثٌ ، وهنَّ : مُخَّة ، ومُضْغة ، وزُبْدة ؛ وكلهنَّ عابدة زاهدة مثله ، وأشدّ ورعاً أيضاً ؛ ذهبت إحداهن فاستأذنَتْ على أحمد بن حنبل رحمه الله ، فقالت : إنّي ربَّما طُفىء السّراج عليَّ وأنا أغزِلُ ، فإذا كان ضوء قمرٍ غزلْتُ فيه ، فعليَّ عند البيع أن أميزَ بين هذا وهذا ؟ فقال لها : إنْ كان بينهما فرقٌ فأعلمي به المشتري . وقالت[٢] له : مرَّ الحرَسُ ليلةً بمشعلٍ ، فغزَلْتُ في ضوئه طاقات ، فخلّصني من ذلك . فأمرَها أن تتصدَّق بذلك الغَزْلِ كلّه لِما اشْتبه عليه معرفةُ [عين] ذلك المقدار . وسألته عن أنين المريض : أفيه شكْوَى ؟ قال : لا ، إنَّما هو شكوى إلى الله عزَّ وجلَّ . ثم خرجت ، فقال [لابنه عبد الله][٣] : يا بني ، اذهبْ فاعلم لي مَن هذه المرأة ؟ قال عبدُ الله : فذهبتُ وراءها ، فإذا هي قد دخلَتْ دارَ بِشْر الحافي ، وإذا هي أخته ، وفي رواية : مُخَّة .

وروى الخطيب[٤] البغدادي عن زُبْدَة ، قالت : جاء ليلة أخي بِشْر ، فدخل برجلِه في الدار ، وبقيت الأخرَى من خارج ، فاستمرَّ كذلك ليلَته حتَّى أصبَحَ ، فقيل له : فيمَ تفكَّرْتَ ليلتَكَ ؟ قال : تفكَّرْتُ في بِشْر النصرانيّ ، وبِشْر اليهوديّ ، وبِشر المجوسيّ ، وفي نفسي ، واسمي بِشْرٌ ، فقلْتُ في نفسي : ما الذي سبَقَ منك [إليه] حتى خصَّكَ بالإسلام من بينهم ؟ فتفكَّرْتُ في تَفضُّلِه عليَّ ، وحمِدْتُه على أن جعلني من خاصته ، وألبَسَني لباسَ أحبابه .

وقد ترجمه ابنُ عساكر[٥] فأطنب ، وأطيب ، وأطال من غير مَلال . وقد ذكر ابن عساكر أشعاراً حسنة ، وذكر أنه كان يتمثل بهذه الأبيات[٦] :

تعافُ القَذَى في الماءِ لا تستطيعُهُ ... وتكرَعُ في حَوْضِ الذنوب فتشربُ
وتؤثِرُ من أكلِ الطَّعامِ ألَذَّهُ ... ولا تذكرُ المختارَ من أينَ يُكسبُ[٧]
وترقُدُ يا مسكينُ فوقَ نَمارقٍ[٨] ... وفي حشوها نارٌ عليك تَلَهَّبُ
فحتى متى لا تَستفِيقُ جهالةً ... وأنتَ ابنُ سبعينَ بدينكَ تلعَبُ

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٦) .
(٢) في ط : وقالت له مرة إحداهن : ربما تمرّ بنا مشاعل بني طاهر في الليل ونحن نغزل ، فنغزل الطاق والطاقين والطاقات ، فخلصني . .
(٣) زيادة من ط .
(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٨) ، تاريخ ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٦١) ، ومختصره (٥/ ١٩٧) ، وصفة الصفوة (٢/ ٣٣١) ، وما بين قوسين زيادة من تاريخ بغداد .
(٥) تاريخ ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٣٥ ـ ٨٦) ، ومختصره لابن منظور (٥/ ١٩١ ـ ٢٠٧) .
(٦) تاريخ ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٧٥) .
(٧) في ب ، ظا : ولا تذكر المجنى ومن أين تكسب .
(٨) « النّمارق » : مفردها نُمْرُق ، وهي الوسادة الصغيرة .

وممن توفي فيها :

أحمد بن يونُس اليَربوعيّ[١] .

وإسماعيل بن عَمرو البَجَليّ[٢] .

وسعيد بن منصور ، صاحب « السُّنن » المشهورة التي لا يشاركه في مثلها إلا القليل[٣] .

ومحمد بن الصَّبَّاح الدُّولابي ، وله « سُنن » أيضاً[٤] .

وأبو الوليد الطَّيالسيّ[٥] .

وأبو الهُذَيل العلاف ، المتكلِّم المعتزليّ[٦] .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومئتين

في رمضانها خلَعَ الخليفة الواثق على أشناس الأمير ، وتوجَّه ، وألْبَسَهُ وِشاحَين من جوهرٍ .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود الأمير .

وغَلا السعر على الناس في طريق مكة جداً ، وأصابهم حرٌّ شديد وهم بعرفة ، ثم برد شديد ومطر عظيم في ساعةٍ واحدةٍ ، ونزل عليهم وهم بمِنًى مطرٌ لم يُرَ مثله ، وسقطت قطعةٌ من الجبل عند جمرة العقبة فقتلَتْ جماعةً من الحجَّاج .

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي اليَربُوعيّ الكوفي ، أبو عبد الله . ينسب إلى جدّه تخفيفاً . إمام ، حجّة ، ثقة ، متقن . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٥٧) .

(٢) إسماعيل بن عمرو بن نَجيح البَجَلي الكوفيّ ، شيخ أصبهان ومسندها . ذكره ابن عدي في الضعفاء ، وهو من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٣٥) .

(٣) سعيد بن منصور بن شعبة ، أبو عثمان الخراسانيّ المروزيّ ، ويقال : الطالقاني ، ثم البلخي ، ثم المكي المجاور ، ثقة ، متقن ، وهو ممن جمع وصنَّف ، شيخ الحرم . وهو من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٨٦) .

(٤) هو أبو جعفر المزني ، البغدادي . ثقة ، صاحب حديث . كان أحمد بن حنبل يجلُّه ويعظِّمه . مات بالكَرْخ عن سبع وسبعين سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٠) .

(٥) هو هشام بن عبد الملك ، أبو الوليد الباهلي ، البصري ، الطيالسي ، الإمام الحافظ الناقد ، شيخ الإسلام ، أمير المحدثين ، ثقة ، ثبت . مات عن أربع وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٤١) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٣١٩) .

(٦) هو محمد بن الهُذيل البصري العلاف ، أبو الهُذيل ، صاحب التصانيف ، ورأس المعتزلة . لم يكن بالتَّقيّ ، وكان قد أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء . وقد طال عمره ، وجاوز التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٢) .

قال ابنُ جرير[١] : وفيها مات أبو الحسن المدائنيّ في منزل إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، وحَبيب بن أوس الطائيّ أبو تمام الشاعر .

قلت : أمَّا أبو الحسن ، عليّ بن محمد المدائنيّ ، أحدُ أئمة هذا الشأن ، وإمام الأخباريين في زمانه ، فتقدَّم[٢] ذكرُ وفاته قبل هذه السنة ، والله أعلم .

وأمَّا **أبو تمَّام الطائي الشاعر**[٣] : صاحبُ الحماسة التي جمعها في فصل الشتاء بهَمَذان ، في دار وزيرها ، فهو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشَج بن يحيى بن مرينا بن سهم بن خلجان بن مروان بن دُفافة بن مرّ بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عَدي بن عمرو بن الحارث بن طيِّيء ، وهو جُلْهُمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان[٤] ، أبو تمَّام الطائي الشاعر الأديب المشهور .

ونقل الخطيب[٥] عن محمد بن يحيى الصولي : أنه حكي عن بعض الناس أنهم قالوا : أبو تمَّام حبيب بن تدوس النصراني ، فسماه أبو تمام[٦] أوس بدل تدوس .

قال ابن خلكان[٧] : وأصله من قرية جاسم من عمل الجَيْدور بالقرب من طَبَرِيَّةَ . وكان بدمشق يعمل عند حائك . ثم صار[٨] إلى مصر في شبيبته .

وابن خلكان أخذ ذلك من تاريخ الحافظ ابن عساكر[٩] ، وقد ترجم أبا تمام ترجمة حسنة .

وقال الخطيب[١٠] البغدادي : وهو شامي الأصل ، وكان بمصر في حداثته يسقي الماء في المسجد الجامع ، ثم جالس الأدباء فأخذ عنهم ، وتعلَّم منهم . وكان فطناً فهماً ، وكان يحبُّ الشعر ، فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر فأجاد ، وشاع ذكره ، وسار شعره ، وبلغ المعتصم خبره ، فحمله إليه ، وهو بسرَّ مَن رأى ، فعمل فيه قصائدَ ، فأجازه المعتصم ، وقدَّمه على شعراء وقته ، فقدم بغدادَ فجالس الأدباءَ ،

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٤) .
(٢) تقدم في وفيات سنة (٢٢٤هـ) .
(٣) الأغاني (١٦/ ٣٨٣) ، تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٨) ، مختصر ابن عساكر (٦/ ١٧٨) ، وفيات الأعيان (٢/ ١١) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٦٣) ، شذرات الذهب (٢/ ٧٢) ، تهذيب ابن عساكر (٤/ ١٨) ، معاهد التنصيص (١/ ٣٨) .
(٤) الجمهرة لابن حزم (ص٣٩٩) ، ووفيات الأعيان (٢/ ١١) .
(٥) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٩) وفيه : حبيب بن بدوس .
(٦) في آ : أبو حبيب ، وما أثبته من ب ، ظا .
(٧) وفيات الأعيان (٢/ ١١ ، ١٧) مع اختلاف في العبارة .
(٨) في آ : سار ، وفي ط : سار به ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا . وفي الوفيات : ونشأ بمصر .
(٩) تاريخ ابن عساكر (٤/ ٧٧أ) وما بعدها (نسخة الظاهرية) ، ومختصره لابن منظور (٦/ ١٧٨ _ ١٨٢) .
(١٠) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٨) ، ومختصر ابن عساكر (٦/ ١٧٨) .

وعاشر العلماء، وكان موصوفاً بالظَّرْف، وحسن الأخلاق، وكرم النفس. وقد روى عنه أحمد بن أبي طاهر وغيره أخباراً مسندة.

قال القاضي ابن خلكان[١]: كان يحفظ أربعة[٢] عشر ألف أرجوزة للعرب، غير القصائد والمقاطيع وغير ذلك.

وكان يقال: في طيِّيء ثلاثة: حاتِمٌ في كرمه، وداود الطائيُّ[٣] في زهده، وأبو تمَّام في شعره.

قلْتُ: وقد كان الشعراء في زمانه جماعةً، فمن مشاهيرهم: أبو الشِّيص[٤]، ودِعْبِل بن علي، وابن أبي فنن[٥]، وقد كان أبو تمام من خيارهم ديناً وأدباً وأخلاقاً. ومن رقيق شعره[٦]:

يا حَليفَ النَّدى ويا مَعدِنَ[٧] الجُو ... دِ ويا خَيْرَ مَن حَويتَ[٨] القَرِيضا

ليتَ حُمَّاكَ بي وكانَ لكَ الأجْـ ... ـرُ فلا تشتكي وكنتُ المريضا

وقد ذكر الخطيبُ[٩] عن إبراهيم بن محمد بن عرفة: أنَّ أبا تمام توفي سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين، وكذا قال ابن جرير[١٠].

وحكي عن بعضهم أنه قال: توفي في سنة إحدى وثلاثين[١١].

وقيل: سنة ثنتين وثلاثين[١٢] ومئتين، الله أعلم.

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ١٢).

(٢) في النسخ ووفيات الأعيان: أربع عشرة.

(٣) هو داود بن نُصير الطائي الكوفي، أبو سليمان. الإمام الفقيه، القدوة الزاهد، أحد الأولياء، من أئمة المتصوفة. مات سنة ١٦٥هـ. حلية الأولياء (٧/ ٣٣٥)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٢).

(٤) وهو محمد بن علي بن عبد الله بن رَزين الخزاعي، ابن عم دعبل، شاعر مطبوع، من أهل الكوفة، غلبه على الشهرة صاحباه صريع الغواني وأبو نواس، قتله خادم عقبة بن جعفر في الرقة سنة ١٩٦هـ. طبقات الشعراء لابن المعتز (٧٢)، والأعلام (٧/ ١٥٤).

(٥) أبو عبد الله، أحمد بن صالح، شاعر مفلق مطبوع، اتصل بمحمد بن عبد الله بن طاهر ومدحه. طبقات ابن المعتز (٣٩٦).

(٦) ابن عساكر (٤/ ٨٠)، تاريخ بغداد (٨/ ٢٥٢).

(٧) في تاريخ بغداد وابن عساكر: يا تؤم.

(٨) في تاريخ بغداد وابن عساكر: حبوتُ.

(٩) تاريخ بغداد (٨/ ٢٥٢).

(١٠) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٤).

(١١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٦٧).

(١٢) قاله مَخلد الموصلي، كما في سير أعلام النبلاء (١١/ ٦٧).

وكانت وفاته بالموصل ، وبنيت على قبره قبة . وحكى الصولي عن الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيّات أنّه قال يرثيه[١] :

نَبَأٌ أتَى مِن أعظم الأنباءِ ... لمَّا ألمَّ مُقَلْقِل الأحْشَاءِ
قَالُوا حَبيبٌ قَدْ ثَوَى فأجَبْتُهم ... نَاشَدْتُكم لا تَجْعَلُوهُ الطَّائي

وقال غيره[٢] :

فُجِعَ القَريضُ بخَاتَمِ الشُّعَراءِ ... وَغَديرِ رَوْضتِها حَبيبِ الطائي
مَاتا مَعاً فتَجاوَرا في حُفْرَةٍ ... وكذاكَ كانا قَبْل في الأحْياءِ

وقد جمع الصُّولي شعرَ أبي تمام على حروف المعجم . قال القاضي ابن خلكان[٣] : وقد امتدح أحمدَ بن المعتصم ، ويقال : أبْنَ المأمون ، بقصيدته التي يقول فيها :

إقْدامُ عَمْرٍو في سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ... في حِلْمِ أحنَفَ في ذَكاءِ إياسِ

فقال له بعضُ الحاضرين[٤] : أتقول هذا للأمير وهو أكبرُ قدراً من هؤلاء[٥] ؟ فأطرق ساعةً ، ثم قال :

لا تُنْكروا ضَرْبي لَهُ مَنْ دُونَهُ ... مَثلاً شَرُوداً في النَّدى والبَاسِ
فاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأقَلَّ لِنُورِهِ ... مَثلاً مِنَ المِشْكَاةِ والنِّبْرَاسِ

فلمَّا أخذوا منه القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين ، وإنَّما قالهما ارتجالاً . فقال [بعضهم] : لا يعيش هذا بعد هذا إلا قليلاً ، فكان كذلك .

قال القاضي ابن خلكان[٦] : وقد زعم بعضهم أنَّ هذه القصيدة امتدح بها بعضَ الخلفاء ، فأقطعه الموصل ، فأقام بها أربعين يوماً ، وليس هذا بصحيح ، ولا أصلَ له ، وإن كان قد لهِج به بعضُ الناس ، كالزمخشري وغيره .

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٢٥٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٦٧) ونسبا أيضاً لغيره .
(٢) هو الحسن بن وهب الوزير ، والبيتان في وفيات الأعيان (٢/ ١٨) ، ومختصر ابن عساكر (٦/ ١٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٦٧) .
(٣) وفيات الأعيان (٢/ ١٥) ، وفيه الأبيات الثلاثة ، وهي في ديوانه (٢/ ٢٤٩) .
(٤) هو يعقوب بن إسحاق الكندي ، كما في ديوانه (٢/ ٢٥٠) .
(٥) بعدها في ط : فإنك ما زدت على أن شبهته بأجلافٍ من العرب البوادي .
(٦) وفيات الأعيان (٢/ ١٥) .

وقد أورد له الحافظ ابن عساكر[(١)] أشياء مستظرفة من شعره الرائق ونظمه الفائق ، فمن ذلك قوله[(٢)] :

وَلَوْ كانَتِ الأَرْزَاقُ تُجْرَى على الحِجَا هَلَكْـنَ إذاً مـن جَهْلِهـنَّ البَهَـائِـمُ
ولَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وغَرْبٌ لِقَاصِدٍ ولا المَجْدُ في كفِّ امرىءٍ والدَّراهِمُ

ومنه قوله[(٣)] :

وما أنا بالعراقِ مِن دُونِ عُرْسِهِ[(٤)] إذا أنا لم أُصْبِحْ غَيُوراً على العِلْمِ
طَبِيبُ فؤادي مُذْ ثلاثون حجَّةً[(٥)] ومُـذهِـبُ همِّـي والمُفَـرِّجُ للغَـمِّ[(٦)]

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أبو نَصر التَّمَّار[(٧)] .

والعَيْشي[(٨)] .

وأبو الجَهْم[(٩)] .

ومُسَدَّد[(١٠)] .

وداودُ بن عَمرو الضَّبِّي[(١١)] .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٤/ ٨٠/ أ) نسخة الظاهرية .
(٢) ديوانه (٣/ ١٧٨) .
(٣) ديوانه (٤/ ٤٩٥) من قصيدة يعاتب فيها أبا القاسم بن الحسن بن سهل .
(٤) في الديوان : وما أنا بالغيران من دُون جاره ، وفي ط وابن عساكر : وما أنا بالغيران من دون عرسه .
(٥) في الديوان : لصيق فؤادي مُذْ ثلاثون حجّة ، وفي ط : طبيب فؤادي مذ ثلاثين حجة .
(٦) في الديوان : وصَيقل ذهني والمروِّحُ عن همِّي .
(٧) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن ذكوان . إمام ثقة زاهد . نزيل بغداد . امتحن بمسألة خلق القرآن فأجاب تقية وخوفاً من النَّكال ، وهو ثقة بحاله . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٧١) .
(٨) في النسخ بغير إعجام ، وفي ط : العبسي ، وهو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر ، أبو عبد الرحمن القرشي التيمي البصري ، ويعرف بابن عائشة ، وبالعَيْشي ، لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله . وهو إمام ثقة ، أخباري صادق ، كان طلاباً للحديث ، عالماً بالعربية وأيام الناس ، كريماً سخياً .
تاريخ بغداد (١٠/ ٣١٤) ، اللباب (٢/ ٣٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦٤) .
(٩) هو العلاء بن موسى بن عطية الباهليّ البغدادي ، أبو الجَهم . الشيخ المحدث الثقة . صدوق ، من أبناء الثمانين . تاريخ بغداد (١٢/ ٢٤٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٢٥) .
(١٠) هو مُسَدَّد بن مُسَرْهَد بن مُسَرْبَل ، السدي ، البصري ، أبو الحسن . أحد أعلام الحديث . ثقة ، حافظ . يقال : إنه أول من صنّف المسند بالبصرة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩١) ، تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٢) .
(١١) داود بن عَمرو بن زهير بن عمرو ، أبو سليمان الضَّبِّي البغدادي ، ثقة ، من كبار شيوخ مسلم .
سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٠) ، تقريب التهذيب (١/ ٢٣٣) .

ويحيى بن عبد الحَميد الحِمَّانيّ[١] .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومئتين

في هذه السنة أمر الواثق بالله بضرب الدَّوَاوين[٢] واستخلاص الأموال منهم[٣] ، فمنهم مَن ضُرب ألف سوط ، ومنهم من أخذ منه ألف ألف دينار ، ودون ذلك . وجاهر الوزير محمد بن عبد الملك لسائر ولاة الشُّرَط بالعَداوة ، فكُشفوا وحُبسوا ولقوا جهداً عظيماً . وجلس إسحاق بن إبراهيم للنظر في أمرهم ، وأقيموا للناس ، وافتضحوا فضيحة بليغة .

وكان سببُ ذلك أنَّ الواثق جلس ليلةً في دار الخلافة يُسمَر عنده ، فقال : هل منكم أحدٌ يعلم سبب عقوبة جدّي الرشيد للبرامكة ؟ فقال بعض الحاضرين : نعم يا أميرَ المؤمنين ! كان سبب ذلك : أنَّ الرشيد عُرضت عليه جارية ، فأعجبه جمالُها ، فساوم سيدَها فيها ، فقال : يا أميرَ ألمؤمنين ! إني أقسمت [بكل يمين][٤] ألا أبيعَها بأقلَّ من مئة ألف دينار ، فاشتراها منه بها ، وبعث إلى يحيى بن خالد الوزير ليبعث بها إليه من بيت المال ، فاعتلَّ بأنها ليست عنده ، فأرسل الرشيد يؤنِّبه ، ويقولُ : أليس في بيت مالي مئة ألف دينار ؟ وألحَّ في طلبها ، فقال يحيى بن خالد : أرسلوها إليه دراهِمَ ليستكثر ذلك ، ولعلَّه يردُّ الجارية ، فبعثوا بمئة ألف دينار دراهمَ ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ثمن الجارية ، فاستكثر ذلك ، وأمرَ بخزنها عند بعض خدمه في دار الخلافة ، وأعجبَه جمعُ المال في حواصله .

ثم شَرَعَ في تتبُّع أموال بيت المال ، فإذا البرامكة قد استهلكوه ، فجعل يهمُّ بأخذهم تارة ، ويحجم أخرى ، حتى كان في بعض الليالي سمر عنده رجلٌ يقال له : أبو العود ، فأطلق له ثلاثين ألف درهم ،فذهب إلى الوزير يحيى بن خالد بن برمك ، فماطله بها مدة طويلة . فلمَّا كان في بعض الليالي عرض أبو العود ذلك للرشيد بقول عمر بن أبي ربيعة[٥] :

وَعَدَتْ هِنْدٌ وما كانتْ تَعِدْ ... لَيْتَ هِنْداً أنْجَزَتْنا ما تَعِدْ
واسْتَبَدَّتْ مَرَّةً واحِدَةً ... إنَّما العاجِزُ مَن لا يَسْتَبِدّ

---

(١) يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون بن عبد الرحمن ، أبو زكريا الحِمَّاني الكوفي . حافظ ، إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٢٦) ، تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٢) .

(٢) في الطبري وابن الأثير : الكتَّاب .

(٣) بعده في ط : لظهور خيانتهم وإسرافهم في أمورهم .

(٤) زيادة في ب ، ظا ، ط .

(٥) ديوانه (ص١٠١) ط . صادر ، مع خلاف في الرواية .

فجعل الرشيدُ يكرِّر قولَه : إنَّما العاجزُ من لا يستبدّ ، ويعجبُه ذلك . فلما كان الصباح دخل عليه يحيى بن خالد فأنشده الرشيدُ هذين البيتين وهو يستحسنهما ، ففهم ذلك يحيى بنُ خالد وخافَ وسأل عمن أنشد ذلك للرشيد ؟ فقيل له : أبو العود . فبعث إليه فأنجز له الثلاثين ألفاً ، وأعطاه من عنده عشرين ألفاً ، وكذلك ولداه الفضل وجعفر ، فما كان عن قريبٍ حتى أخذ الرشيدُ البرامكة ، وكان من أمره وأمرهم ما كان .

فلمَّا سمِعَ ذلك كلّه الواثقُ أعجبه ذلك وجعلَ يكرِّر قولَ الشاعر : إنَّما العاجزُ من لا يستبدّ ، ثم بطش بالكتَّاب على إثر ذلك ، وأخذ منهم أموالاً عظيمة جداً[١] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود أمير الحجيج في السنين الماضية .

وممن توفي فيها من الأعيان :

خلف بن هشام البزَّار ، أحد مشاهير القرَّاء[٢] .

وعبد الله بن محمد المُسْنَديّ[٣] .

ونُعَيْم بن حمَّاد الخُزاعيّ ، أحد أئمة السُّنَّة بعدَ أن كان من أكابر الجَهْمية ، وله المصنَّفات المشهورة في الفتن وغيرها[٤] .

وممن توفي في هذه السنة **دينار بن عبد الله**[٥] ، المنسوب إليه النسخة المكذوبة عنه أو منه ، ولكنها عالية الإسناد إليه ، ولكنها موضوعة .

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٥ ـ ١٢٨) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١٠ ـ ١١) .

(٢) خلف بن هشام بن ثعلب ، أبو محمد البغدادي البزَّار ، المقرىء ، الحافظ ، الحجة ، شيخ الإسلام ، أحد القراء العشرة ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين . كان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٧٦) ، غاية النهاية (١/ ٢٧٢) .

(٣) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن يمان الجُعفي ، أبو جعفر ، المعروف بالمُسندي ، لكثره اعتنائه بالأحاديث المسندة . قال الحاكم : إمام الحديث في عصره بما وراء النهر ، وهو أستاذ البخاري . وهو من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٨) .

(٤) وهو أحد علماء الأثر ، وله غلطات ومناكير مغمورة في كثرة ما روى ، وامتحن بخلق القرآن فلم يجب ، فحبس وقيِّد ومات في الحبس . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩٥) ، العبر (١/ ٤٠٥) .

(٥) هو دينار بن عبد الله ، أبو مِكْيَس الحبشي الأسود المعمّر . منكر الحديث . كان يزعم أنه خادم أنس بن مالك . كتاب المجروحين والضعفاء (١/ ٢٩٥) ، وتاريخ بغداد (٨/ ٣٨١) ، وميزان الاعتدال (٢/ ٣٠) .

سنة ثلاثين ومئتين

في جمادى[١] منها خرجت بنو سُليم حول المدينة النبوية، فعاثوا في الأرض فَسَاداً، وأخافوا السبيل، وقاتلهم أهلُ المدينة، فهزموا أهلَها، واستحوذوا على ما بين المدينة ومكّة وتلك المناهل والقُرى.

فبعث إليهم الواثقُ بُغا الكبيرَ أبا موسى التركيّ في جيشٍ، فقاتلهم في شعبان، فقتَلَ منهم خمسين فارساً، وأسر مثلهم، وانهزم بقيتُهم، فدعاهم إلى الأمان وأن يكونوا على حكم أميرِ المؤمنين، فاجتمع إليه منهم خلقٌ كثيرٌ، فدخل بهم المدينة، وسجن رؤوسهم في دار يزيد بن معاوية. وخرج إلى الحجِّ في هذه السنة، وشهد معه الموسم إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب نائبُ العراق.

وحجَّ بالناس محمد بن داود الأمير.

وفي هذه السنة توفي:

عبد الله بن طاهر بن الحسين[٢]: نائبُ خراسان وما والاها من البلدان. وكان خراج ما تحت يده ثمانية وأربعين ألفَ ألف درهم، فولّى الخليفةُ ابنه طاهراً مكانه. وكانت وفاة عبد الله بن طاهر الأمير بعد موت أشناس التركي بتسعة أيام، وذلك يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلَتْ من شهر ربيع الأول من هذه السنة.

وقد حكى القاضي ابن خلكان[٣]: أنه توفي سنة ثمان وعشرين بمَرْو، وقيل: بنيسابور. وكان كريماً جواداً ممدَّحاً، له شعر حسنٌ، أورد له منه.

قال[٤]: وقد ولي نيابة مصرَ بعد العشرين ومئتين.

وذكر الوزير أبو القاسم بن المغربي: أن البطيخ العَبْدَلاوي الذي بمصرَ منسوبٌ إلى عبد الله بن طاهر هذا.

قال القاضي ابن خلكان[٥]: إما أنه كان يستطيبه، أو لأنَّه أوَّلُ مَن زرعه هناك، والله أعلم. ومن شعره[٦]:

اغتفِـرْ زَلَّتـي لِتُحْـرِزَ فَضْـلَ الشُّـ ـكْـرِ مِنِّـي ولا يفـوتَـكَ أجْـرِي

---

(١) الطبري: في جمادى الآخرة.

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٤٨٣)، ابن عساكر (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٢٧)، الكامل لابن الأثير (٧/ ١٤)، وفيات الأعيان (٣/ ٨٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٤)، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٥٨).

(٣) وفيات الأعيان (٣/ ٨٨) وحكى أيضاً أنه توفي سنة ثلاثين ومئتين ورجح ذلك، ولذلك ذكره المصنف هنا.

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٨٧) وفيه: كان دخوله إليها سنة إحدى عشرة ومئتين.

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٨٨).

(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٨٦).

لا تَكِلْنِي إلى التَّوسُّلِ بالعُذْ ... رِ لَعَلّي ألاَّ أقُومَ[١] بِعُذْرِي

ومن شعره أيضاً[٢] :

نحنُ قومٌ تُلِينُنا الحَدَقُ النُّجْـ ... ـلُ علَى أنَّا نُلينُ الحَدِيدا

طَوعَ أيدي الظِّبا تَصَيَّدنا[٣] العِيـ ... ـنُ ونقتادُ بالطِّعانِ الأسودا[٤]

نملكُ الصَّيدَ ثم تملِكُنا البِيـ ... ـضُ المضيئات[٥] أعيُناً وخُدودا

تتَّقي سُخْطنا الأسودُ ونخشى ... سَخَطَ الخِشْفِ[٦] حين تُبدي الصُّدودا

فترانا يومَ الكريهةِ أحرا ... راً وفي السِّلم للغواني عَبيدا

قال ابن خلكان[٧] : وكان خُزاعياً من موالي طَلْحة الطَّلَحات الخُزَاعيّ[٨] ، وقد كان أبو تمام يمدحه ، فرحل مرةً إليه ، فاعتاقه الثلج بهَمَذان ، فصنَّف كتاب « الحماسة » عند بعض رؤسائها . وروى الحافظ ابن عساكر[٩] أنَّه لمَّا ولاه المأمونُ نيابة بلاد الشام وديار مصر ، سار إليها ، وقد رسم له بما في ديار مصر من الحواصل ، فحمل إليه وهو في أثناء الطريق ثلاثة آلاف ألف دينار ، ففرَّقها كلَّها في مجلس واحد . وأنه لمَّا واجه مصرَ نظرَ إليها فاحتقرَها ، وقال : قبَّحَ اللهُ فرعون ! ما كان أخسَّه وأضعفَ همَّته حين مَلَكَ هذه القريةَ ، وقال : أنا ربُّكُم الأعْلَى ! [ثم قال عبد الله بن طاهر : والله لا أدخلها[١٠]][١١] .

وممن توفي فيها :

عليُّ بن الجَعْد الجوهريُّ[١٢] .

---

(١) في النسخ : لا أقوم ، وأثبت ما جاء في (ط) والوفيات .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٨٥ ـ ٨٦) وفيه : وقيل : إنها لأصرم بن حميد ، ممدوح أبي تمام ؛ وكذلك في الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٢٠) .

(٣) في الوفيات : تقتادنا .

(٤) في ط : ومن شأننا نصيد الأسودا .

(٥) في الوفيات : المصونات .

(٦) الخِشف : الظبي التي نفرت من أولادها وتشرَّدت . القاموس .

(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٨٨) .

(٨) هو طَلْحَة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، أحد الأجواد المقدَّمين ، كان أجود أهل البصرة في زمانه . مات نحو ٦٥هـ . الأعلام (٣/ ٢٢٩) .

(٩) تاريخ ابن عساكر (٣٤/ ٢٠٨) ، تاريخ بغداد (٩/ ٤٨٣) .

(١٠) في ب : لأدخلها ، وابن عساكر : لادخلتها .

(١١) زيادة من نسختي ب ، ظا .

(١٢) علي بن الجعد بن عبيد ، أبو الحسن البغدادي الجوهريّ ، مولى بني هاشم . شيخ بغداد في عصره . ثقة ، ثبت ، رمي بالتشيع . مات عن ست وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٥٩) ، تقريب التهذيب (٢/ ٣٣) .

ومحمد بن سعد[١] ، كاتبُ الواقديّ ، وله كتاب « الطبقات » وغيرها من المصنفات .

وسعيد بن محمد الجَرْميّ[٢] .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومئتين

فيها : وقعت مفاداةٌ لجماعةٍ من المسلمين كانوا بأيدي الروم ، على يدي الأمير خاقان الخادم ، وذلك في المحرّم من هذه السنة ، وكان عدة الأسارى الذين استُنقذوا من أيدي الكفار أربعة آلاف وثلاثمئة واثنين وستين أسيراً ، ولله الحمد والمنة .

وفيها كان مقتل :

أحمد بن نَصْر الخُزَاعي[٣] : رحمه الله وأكرم مثواه .

وكان سبب ذلك أنَّ هذا الرجلَ ، وهو أحمد بن نَصْر بن مالك بن الهَيْثم الخُزَاعيّ ؛ وجدُّه مالك بن الهَيْثم من أكبر الدعاة في الناس إلى دولة بني العبّاس[٤] ، وكانت له وجاهة ورياسة ؛ وكان أبوه نَصْر بن مالك يَغْشاه أهلُ الحديث ، وقد بايعه العامّة في سنة إحدى ومئتين على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حين كثرت الدُّعّار والشُّطّار[٥] في أرجاء بغداد في زمان غيبة المأمون عن بغداد ، كما قدَّمنا بسط ذلك ، وبه تُعرف سُوَيْقَةُ[٦] نَصْرٍ ببغداد .

وكان أحمد هذا من أهل العلم والديانة والعمل والاجتهاد في الخير ، ومن أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلامُ الله ، منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ ،

---

(١) محمد بن سعد بن منيع ، أبو عبد الله البغدادي . مؤرخ ثقة ، من حفاظ الحديث ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد ، وتوفي فيها . صحب الواقدي المؤرخ ، وكتب له وروى عنه ، وعرف بكاتب الواقدي . من أشهر مؤلفاته كتاب طبقات الصحابة ، ويعرف بطبقات ابن سعد . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٦٤) ، الأعلام (٦/ ١٣٦) .

(٢) سعيد بن محمد بن سعيد الجَرْمي الكوفي ، أبو عُبيد الله . محدّث ، صدوق ، رمي بالتشيّع ، حدّث عنه البخاري ومسلم . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٣٧) .

(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١٣٥ ـ ١٣٩ و١٩٠) ، تاريخ بغداد (٥/ ١٧٣ ـ ١٧٦) ، طبقات الحنابلة (١/ ٨٠) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٢٠) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٦) ، تهذيب الكمال (١/ ٥٠٥ ـ ٥١٤) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٢١١) ، شذرات الذهب (٢/ ٦٩) .

(٤) بعده في ط : الذين قتلوا ولده هذا ، وكان أحمد بن نصر هذا له وجاهة ورياسة . .

(٥) « الدعّار » : مفرده الداعر ، وهو الخبيث المفسد . و« الشطّار » : مفرده الشاطر ، وهو الخبيث الماكر .

(٦) « سُوَيْقَة » : تصغير ساق ، وهي مواضع كثيرة . و« سُوَيْقَة نَصر » : بشرقي بغداد أقطعه إياها المهدي . معجم البلدان .

وكان الواثقُ هارون من أشدّ الناس في القول بخلق القرآن ، يدعو إليه ليلاً ونهاراً ، وسرّاً وجهاراً ، اعتماداً على ما كان عليه أبوه المعتصم وعمه المأمون في ذلك ، من غير دليل ولا برهان ، ولا حجة ولا بيان ، ولا سنة ولا قرآن(١) . فاجتمع على هذا الرجل أحمد بن نصر جماعة من أهل بغداد ، والتفَّ عليه من الألوف أعدادٌ . وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نَصْر هذا رجلان ، وهما أبو هارون السرَّاج يدعو أهل الجانب الشرقيّ ، وطالب(٢) يدعو أهلَ الجانب الغربي . ولمَّا كان شعبان من هذه السنة انتظمَت البيعةُ لأحمدَ بن نَصْر الخُزاعيّ في السرّ على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والخروج على السلطان ، لِبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن(٣) . . فتواعدوا على أنَّه في الليلة الثالثة من شعبان ، وهي ليلة الجمعة ، يُضْرَبُ طبلٌ في الليل ، فيجتمع الناس الذين بايعوا في مكانٍ اتفقوا عليه ، وأنفَقَ طالبٌ وأبو هارون في أصحابه ديناراً ديناراً ، فكان في جملة مَن أعطوه رجلان من بني أشْرس ، وكانا يتعاطيان الشرابَ ، فلمَّا كانت ليلة الخميس شرِبا في قومٍ من أصحابهم ، واعتقدا أنَّ تلك الليلة هي ليلةُ الوعْدِ ، وكان ذلك قبلَه بليلةٍ ، فقاما يضربان على طبلٍ في الليل ؛ ليجتمعَ إليهما الناسُ ، فلم يجيءْ أحدٌ ، وانخرَمَ النّظام ، وسمِعَ الحرسُ في الليل ، فأعلموا نائبَ السلطنة ، وهو محمد بن إبراهيم بن مُصْعَب ، نائب أخيه إسحاق بن إبراهيم ؛ لغيبته عن بغدادَ ، فأصبح الناس متخبِّطينَ ، واجتهد نائبُ السلطنة على إحضار ذينك الرجلين ، فعاقبهما ، فأقرَّا عليه في الحال ، فتطلب أحمد بن نصر ، وأخذ خادماً له فاستقرّه فأقرَّ بما أقرَّ به الرجلان ، فجمع جماعةً من رؤوس أصحاب أحمد بن نَصْر معه ، وأرسَلَ بهم إلى الخليفة بسُرَّ مَن رأى ، وذلك في آخر [يوم من](٤) شعبان من هذه السنة .

فأحضر له جماعة من الأعيان ، وحضر القاضي أحمد بن أبي دواد المعتزليّ ، ولم يظهر منه على أحمد بن نَصْرعتب .

فلمَّا أوقف أحمد بن نَصْر بين يدي الخليفة الواثق فلم يعاتبْه على شيء ممَّا كان منه في أمر مبايعة العامة له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأعرض عن ذلك ، وقال له : ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلامُ الله . قال : أمخلوقٌ هو ؟ قال : هو كلامُ الله . وكان أحمد بن نصر قد استقبل(٥) وحضر ، وقد تحنَّط وتنوَّرَ(٦) فقال له الواثق : فما تقولُ في ربِّك ، أتَراه يوم القيامة ؟ فقال : يا أميرَ

---

(١) بعدها في ط : فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله ، وإلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، في أشياء كثيرة دعا الناس إليها .
(٢) في ط : وآخر يقال له : طالب . .
(٣) بعدها في ط : ولما هو عليه وأمراؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها .
(٤) زيادة من ب ، ظا .
(٥) في آ : استقل . وفي ط : استقتل وباع نفسه وحضر .
(٦) بعدها في ط : وشد على عورته ما يسترها .

المؤمنين[١] ! جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : « تَرَوْنَ ربَّكُم يومَ القيامة كما تَرَوْنَ هذا القمرَ لا تُضامُّون في رؤيته »[٢] ؛ فنحن على الخبر .

زاد الخطيبُ[٣] في إيراده ؛ فقال الواثق : وَيْحَك ! أيُرَى كما يُرى المحدودُ المتجسّم ؟ ويحويه مكان ويحصُره الناظرُ ؟ أنا أكفرُ بربٍّ هذه صفته .

قلت : وهذا الذي قاله الخليفة الواثق لا يرد ، ولا يلزم ، ولا يرد به مثل هذا الخبر الصحيح ، والله أعلم .

ثم قال أحمد بن نَصْر الخُزَاعيّ للواثق : وحدثني سفيان بحديثٍ يرفعه : « إن قلب ابن آدم بين إصبعَين من أصابع الله يقلِّبُه كيف يشاء » . وكان النبيُّ يقول : « يا مقلِّبَ القلوب ، ثبِّت قلبي على دينك »[٤] فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويلك ! انظر ما تقول ؟ فقال : أنت أمرتني بذلك . فأشفق إسحاق من ذلك ، وقال : أنا أمرتك بذلك ؟! قال : نعم ، أنت أمرتني أن أنصَحَ له .

فقال الواثق لمن حوله : ما تقولون في هذا ؟ فأكثروا القولَ فيه . فقال عبد الرحمن بن إسحاق ـ وكان قاضياً على الجانب الغربيّ فعزِلَ ، وكان مواداً لأحمد بن نَصْر قبل ذلك : يا أميرَ المؤمنين ، هو حلالُ الدّم !

وقال أبو عبد الله الأرمنيّ ، صاحبُ أحمد بن أبي دواد : اسقني دمَه يا أمير المؤمنين ! فقال الواثق : تأتي[٥] على ما تريد .

وقال القاضي أحمد بن أبي دواد : يا أمير المؤمنين ، هو كافر يُستتاب ، لعلَّ به عاهةً أو نقصَ عقل !

فقال الواثق : إذا رأيتموني قمْت إليه فلا يقومَنَّ أحدٌ معي ، فإنِّي أحتسب خُطاي . ثم نهض إليه بالصَّمصامة ـ وقد كانت سيفاً لعمرو بن معديكرب الزّبيدي ، أُهديت لموسى الهادي في أيام خلافته ،

---

(١) بعدها في ط : قد جاء القرآن والأخبار بذلك ، قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، وقال رسول الله ﷺ : « إنكم ترون . . » .

(٢) رواه البخاري (٢/ ٢٧) في مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، وباب فضل صلاة الفجر ، وفي تفسير سورة قٓ ، وفي التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ ؛ ومسلم رقم (٦٣٣) في المساجد ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ، والمحافظة عليهما ؛ وأبو داود رقم (٤٧٢٩) في السنة ، باب في الرؤية ؛ والترمذي رقم (٢٥٥٤) في صفة الجنة ، باب ما جاء في رؤية الله تبارك وتعالى .

(٣) تاريخ بغداد (٥/ ١٧٦) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٦/ ٢٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها و(٦/ ٣١٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، ورواه الترمذي رقم (٢١٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه ، وابن ماجه رقم (١٩٩) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح (ع) .

(٥) في ط : لا بد أن يأتي ما تريد ، وفي الطبري : القتل يأتي على ما تريد .

وكانت صفيحة موصولة في أسفلها مسمورة بثلاثة[١] مسامير ـ فلمّا انتهى إليه ضربه بها على عاتقه ، وهو مربوطٌ بحبْلٍ قد أوقف على نطعٍ ، ثم ضربه أخرى على رأسه ، ثم طعنَه بالصَّمصامة في بطنه ، فسقط رحمه الله صريعاً على النّطع ميتاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . ثم انْتَضَى سِيمَا الدّمشقي سيفَه فضرب عنقَه ، وحزَّ رأسه ، وحُمل معترضاً حتى أُتِيَ [به] الحظيرة التي فيها بابَك الخُرَّميّ ، فصلب فيها ، وفي رجليه زَوْج قُيود ، وعليه سَرَاويل وقميص ، وحُمل رأسُه إلى بغدادَ ، فنُصبَ في الجانب الشرقيّ أياماً ، وفي الجانب الغربيّ أياماً ، وعنده الحرسُ في الليل والنهار ، وفي أذنه رقعة مكتوبٌ فيها : هذا رأسُ الكافر المشرك الضّال أحمد بن نَصْر ، ممن قُتل على يدي عبدِ الله هارون الإمام الواثق بالله أميرِ المؤمنين ، بعد أن أقام عليه الحجّة في خَلْق القرآن ، ونفي التشبيه ، وعَرَضَ عليه التوبةَ ، ومكّنه من الرجوع إلى الحق ، فأبَى إلاّ المعاندة والتصريح ، فالحمدُ لله الذي عجّله إلى ناره وأليم عقابه بالكُفْر ، فاستحلَّ بذلك أميرُ المؤمنين دَمَهُ ، ولعْنَه .

ثم أمر الخليفة بتتبع رؤوس أصحابه ، فأخذ منهم نحواً من سبعة وعشرين رجلاً ، فأودعوا في السجون ، وسُمُّوا الظلمة ، ومُنعوا أن يزورَهم أحد ، وقيّدوا بالحديد ، ولم يُجرَ عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين ، وهذا ظلمٌ عظيمٌ .

[هذا ملخص ما أورده ابن جرير ، رحمه الله][٢]

وقد كان أحمد بن نَصْر هذا ـ رحمه الله ـ من أكابر العلماء العاملين ، وممن كان قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسمع الحديث من حمّاد بن زيد ، وسفيان بن عُيينة ، وهُشَيم بن بشير ، وكانت عندَه مصنَّفاته كلُّها ، وسمع من الإمام مالك بن أنس أحاديثَ جيدة ، ولم يحدِّث بكثير من حديثه .

وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقيُّ ، وأخوه يعقوب بن إبراهيم ، ويحيى بن مَعين ؛ وذكره يوماً فترحَّم عليه ، وقال : قد خَتَم اللهُ له بالشهادة ، وقد كان لا يحدِّث ؛ يقول : إني لست أهلَ ذاك . وأحسن يحيى بن معين الثناء عليه[٣] .

وذكره الإمام أحمد بن حنبل يوماً ، فقال : رحمه الله ! ما كان أسخاه ! لقد جاد بنفسه لله عزَّ وجلَّ[٤] .

---

(١) في آ ، ظا غير مقروءة ، وأثبت ما جاء في ب والطبري .
(٢) زيادة في ب ، ظا ، وكذلك في تاريخ الطبري (٩/ ١٣٥ ـ ١٣٩) .
(٣) تهذيب الكمال (١/ ٥٠٧) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٨) ، وتهذيب الكمال (١/ ٥١٠) .

وقال جعفر بن محمد الصائغ : بَصَرُ عينيَّ وإلا فعَميتا ، وسَمْعُ أذنيَّ وإلا فصمَّتا ، أحمدُ بن نَصْر الخُزَاعيُّ حين ضُرِبَتْ عنقُهُ يقولُ رأسُه : لا إلّه إلا الله[١] .

وقد سمعه بعضُ الناس ورأسُه مصلوبٌ على الجِذْع يقرأ : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت : ١ ـ ٢] ، قال : فاقشعرَّ جلدي[٢] .

ورآه بعضُهم في النوم فقال له : ما فعلَ بك ربُّك ؟ فقال : ما كانت إلا غفْوةً حتَّى لقيتُ الله عزَّ وجلَّ ، فضحك إليَّ . ورأى بعض الناس في المنام رسولَ الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر ، وقد مرُّوا على الجِذْع الذي عليه رأس أحمد بن نَصْر ، فلما جاوزه أعرضَ رسولُ الله ﷺ بوجهه الكريم عنه ، فقيل له : يا رسولَ الله ! ما لك أعرضتَ عن أحمدَ بن نَصْر ؟ فقال : استحياءً منه حين قتله رجلٌ من أهل بيتي[٣] .

ولم يزل رأس أحمد بن نَصْر منصوباً ببغداد من يوم الخميس الثامن[٤] والعشرين من شعبان من هذه السنة ، أعني سنة إحدى وثلاثين ومئتين ، إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومئتين ، فجُمع بين رأسه وجثته ، ودُفِنَ بالجانب الشرقيّ من بغداد ، بالمقبرة المعروفة بالمالكية[٥] ، رحمه الله . وذلك بأمر المتوكل على الله الذي ولي الخلافة بعد أخيه الواثق بالله .

وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكِنَاني[٦] ، صاحب كتاب الحَيْدة ، على أمير المؤمنين المتوكل على الله ، وكان من خيار الخلفاء ، وأحسن صنيعاً إلى أهل السُّنَّة ، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمِّه المأمون[٧] . وكان يكرم الإمام أحمد بن حنبل إكراماً زائداً جداً ، كما سيأتي بيانه في موضعه .

والمقصود أنَّ عبد العزيز الكِناني قال للمتوكل : يا أميرَ المؤمنين ! ما رُئيَ أعجَب من أمر الواثق ، قَتَلَ أحمد بن نَصْر وكان لسانُهُ يقرأ القرآن إلى أن دُفِنَ . فوجد المتوكل من ذلك وساءَه ما سمع في أخيه الواثق ، فلمَّا دخل عليه الوزير محمد بن عبد الملك بن الزَّيات ، قال له : في قلبي شيء من قَتْل أحمد بن

---

(١) تهذيب الكمال (١/ ٥٠٩) .
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٦٤) ، تهذيب الكمال (١/ ٥١٢) .
(٣) تاريخ بغداد (٥/ ١٧٩) ، تهذيب الكمال (١/ ٥١٢) .
(٤) في ب ، ظا : الثاني والعشرين .
(٥) تاريخ بغداد (٥/ ١٨٠) ، وتهذيب الكمال (١/ ٥١٣) .
(٦) فقيه مناظر ، من تلاميذ الإمام الشافعي . قدم بغداد أيام المأمون ، فجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن ، له تصانيف عديدة ، قيل : منها « الحَيْدة » ، رسالة في مناظرة لبشر المريسي ، ونفى صاحب ميزان الاعتدال (٢/ ١٤١) نسبته إليه . الأعلام (٤/ ٢٩) .
(٧) بعده في ط : فإنهم أساؤوا إلى أهل السنة ، وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم ، فأمره أن ينزل جثة محمد بن نصر ويدفنه ففعل ، وقد كان المتوكل يكرم . .

نَصْر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أحْرَقني الله بالنار ، إنْ قَتَلَه أميرُ المؤمنين الواثق إلا كافراً ! ودخل عليه هَرْثَمَة ، فقال له في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قطعني الله إرْباً إرْباً ، إنْ قَتَلَهُ الواثق إلا كافراً ! ودخل عليه القاضي أحمد بن أبي دواد ، فقال له مثل ذلك ، فقال : ضربني الله بالفالج ، إنْ قَتَله الواثق إلا كافراً !

قال المتوكِّلُ : فأمَّا ابنُ الزَّيَّات فأنا أحرقْتُه بالنَّار . وأمَّا هَرْثَمة فإنَّه هرب وتَبَدَّى ، فاجتاز بقبيلة خُزَاعَةَ ، فعرفَه رجلٌ من الحيِّ ، فقال : يا معشَرَ خُزَاعَةَ ، هذا الذي قتل ابنَ عمِّكم أحمد بن نَصْر ، فقَطَّعُوه إرْباً إرْباً . وأمَّا ابنُ أبي دواد ، فقد سَجَنه اللهُ في جِلْدِه ، يعني بالفالج ، ضَرَبهُ اللهُ به قبل مَوْتِه بأربع سنين ، وصُودر من صلب ماله بمال جزيل جداً كما سيأتي بيان ذلك في موضعه[١] .

وروى أبو داود في كتاب « المسائل » عن أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقيِّ ، عن أحمد بن نَصْر ، قال : سألتُ سفيانَ بن عُيَينَةَ : « القلوبُ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ »[٢] ، و« إنَّ الله يضحَكُ مِمَّن يذكرُه في الأسواق »[٣] . فقال : ارووها كما جاءت بلا كيف[٤] .

وفي هذه كان الواثق قد عزم على الحج ، واستعدَّ لذلك ، فذُكر له أنَّ الماء بالطريق قليلٌ ، فترك الحجَّ عامئذ .

وفيها : تولَّى[٥] جعفر بن دينار[٦] نيابة اليمن فسار إليها في أربعة آلاف فارس .

وفيها : عدا قوم من العامّة على بيت المال ، فأخذوا منه شيئاً من الذهب والفضة ، فأُخِذُوا وسُجنوا .

وفيها : ظهر خارجيٌّ ببلاد ربيعة ، فقاتلَهُ نائبُ المَوْصِل فكسره ، وانْهَزَم بقيَّةُ أصحابه .

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ١٧٧) ، تهذيب الكمال (١/ ٥١٠) .

(٢) رواه بنحوه أحمد في المسند (٢/ ١٦٨) ، ومسلم رقم (٢٦٥٤) في القدر من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ : « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » ، وبنحوه عن الترمذي رقم (٢١٤٠) من حديث أنس ، وعند ابن ماجه رقم (١٩٩) من حديث النواس بن سمعان ، وعن أم سلمة عند الترمذي رقم (٣٥٢٢) وأحمد (٦/ ٣٠٢ و٣١٥) وعن عائشة عند أحمد (٦/ ٢٥٠ و٢٥١) .

(٣) ذكره بهذا اللفظ أبو عمر بن عبد البر ، في « التمهيد » (٧/ ١٤٩) ولم أجده عند غيره ، وقد ورد إسناد الضحك إلى الله تعالى في غير ما حديث صحيح ، منها ما رواه البخاري (٦/ ٢٩ و٣٠) في الجهاد ، ومسلم رقم (١٨٩٠) في الإمارة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد » ولكن نكل علمه إلى الله تعالى (ع) .

(٤) تهذيب الكمال (١/ ٥١٤) .

(٥) في آ ، ب : توفي ، وأثبت ما جاء في ظا والطبري وابن الأثير .

(٦) في آ : نائب ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا .

وفيها : قدم وصيف الخادم بجماعةٍ من الأكراد نحو من خمسمئة في القيود ، كانوا قد أفسدوا في الطرقات وقطعوها ، فأطلق الخليفةُ لوصيف خمسةً وسبعينَ ألفَ دينار ، وخلع عليه .

وفي هذه السنة قدم خاقان الخادمُ من بلاد الروم ، وقد تمَّ الصلح والمفاداة بينه وبين الروم ، وقدم معه جماعة من رؤوس أهل الثغور ، فأمر الواثق بامتحانهم في القول بخَلْق القرآن ، وأنَّ الله لا يُرى في الآخرة ، فأجابوا ، إلاَّ أربعةً ، فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يجيبوا بمثل ما أجاب به بقيتهم . وأمر الواثق أيضاً بامتحان الأسارى المسلمين الذين فودي عنهم بذلك ، فمن أجاب إلى القول بخَلْقِ القرآن وأنَّ الله لا يُرى في الآخرة فُودِيَ ، وإلا تُرِكَ في أيدي الكُفَّار . وهذه بِدْعَة صَلْعاء[١] ، شَنعاء ، عَمياء ، صمَّاء ، لا مستند لها من كتاب ولا سنَّة ، ولا عقلٍ صحيح ، [ولا نقلٍ صريح][٢] ، بل الكتابُ والسُّنَّةُ والعقلُ الصَّحيحُ بخلافها ، كما هو مقرَّرٌ في موضعه ، وبالله المستعان .

وكان وقوع المفاداة عند نهر يقال له : اللامِس ، عند سَلُوقيَة بالقرب من طَرَسُوسَ ، بدل كل مسلمٍ أو مسلمة في أيدي الروم ، أو ذميّ أو ذميّة كان تحت عقد المسلمين أسير من الروم كان بأيدي المسلمين ممن لم يسلم ، فنصبوا جسرين على النهر ، فإذا أرسَلَ الروم رجلاً أو امرأةً في جسرهم فانتهى إلى المسلمين كبَّر وكبَّر المسلمون ، ويرسل المسلمون أسيراً من الروم على جسرهم ، فإذا انتهى إليهم تكلَّم بكلام يشبه التكبير أيضاً . ولم يزالوا كذلك مدَّة أربعة أيامٍ بدل كلّ نفس نفس ، ثم بقي مع خاقان جماعة من الأسارى فأطلقهم للروم حتَّى يكونَ له الفضلُ عليهم .

قال ابنُ جرير[٣] : وفي هذه السنة مات الحسن بن الحسين أخو طاهر بن الحسين بطَبرِستان في شهر رمضان .

وفيها : مات الخطاب بن وجه الفُلْس .

وفيها : مات أبو عبد الله ابن الأعرابيّ[٤] الراويةُ ، يوم الأربعاء لثلاثَ عشرة خلَتْ من شعبان ، وهو ابن ثمانين سنة .

وفيها : ماتت[٥] أم أبيها بنت موسى أخت علي بن موسى الرِّضا .

---

(١) « الصَّلعاء » : الداهية والأمر الشديد .

(٢) زيادة من ب ، ظا .

(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١٤٥) .

(٤) هو محمد بن زياد بن الأعرابي ، أبو عبد الله ، إمام اللغة ، وإليه كان المنتهى في معرفة لسان العرب وله عددٌ من المصنفات . معجم الأدباء (١٨/ ١٨٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧) .

(٥) في آ : مات أم أمها ، وفي ب ، ظا : مات أم ابنها ، وأثبت ما جاء في ط والطبري وابن الأثير .

وفيها : مات مُخَارق المغنِّي[١] .

وأبو نصر أحمد بن حاتم ، راوية الأصمعي[٢] .

وعمرو بن أبي عمرو الشيباني[٣] .

ومحمد بن سَعْدان النَّحوي[٤] .

قلت : وممن توفي فيها من الأعيان أيضاً :

أحمد بن نَصْر الخُزَاعيّ ، كما تقدَّم .

وإبراهيم بن محمّد بن عَرْعَرَة[٥] .

وأُميَّة بن بِسْطَام[٦] .

وأبو تمام الطائي الشاعر ، في قولٍ ، والمشهور ما تقدَّم[٧] .

وكاملُ بنُ طلحة[٨] .

ومحمّد بن سَلام الجُمحيّ[٩] . وأخوه عبد الرحمن[١٠] .

---

(١) مخارق ، أبو المهنّأ ، ابن يحيى الجزار ، إمام عصره في فن الغناء ، ومن أطيب الناس صوتاً . كان الرشيد يعجب به حتى أقعده مرة على السرير معه ، وأعطاه ثلاثين ألف درهم . وكان لحاناً ، لا يقيم الإعراب . الأعلام (٧/ ١٩١) .

(٢) أديب ، من أهل البصرة . روى عن الأصمعي كتبه كلها ، له عدة كتب ، منها : « شرح ديوان ذي الرُّمة » مطبوع في ثلاثة أجزاء ، برواية أبي العباس ثعلب . تاريخ بغداد (٤/ ١١٤) ، الأعلام (١/ ١٠٩) .

(٣) روى عن أبيه أبي عمرو الشيباني .

(٤) محمد بن سَعْدان الكوفي ، أبو جعفر . نحوي مقرئ ضرير ، له كتب في النحو والقراءات . نَكْتُ الهميان (٢٥٢) ، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٢٤) ، والأعلام (٦/ ١٣٧) .

(٥) أبو إسحاق القرشي الشامي البصري ، الحافظ الكبير المجوِّد ، نزل بغداد ، ونشر بها العلم ، وهو من أولاد المحدّثين ؛ كان والده من شيوخ البخارى القدماء . صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧٩) ، والعبر (١/ ٤٠٨) .

(٦) أميَّة بن بِسْطام بن المنتشر ، أبو بكر العيشيّ البصري ، الحافظ الثقة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٩) ، العبر (١/ ٤٠٩) .

(٧) تقدمت ترجمته ووفاته في حوادث سنة ٢٢٨هـ .

(٨) أبو يحيى الجَحْدري ، شيخ البصرة في وقته ، نزيل بغداد . إمام صدوق ، ذكره ابن حبان في الثقات . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٠٧)

(٩) أبو عبد الله ، إمام في الأدب ، من أهل البصرة ، مات ببغداد . كان عالماً أخبارياً ، أديباً بارعاً ، له كتب ، منها : طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥١) ، الأعلام (٦/ ١٤٦) .

(١٠) أبو حرب ، أخو محمد بن سلام الجمحي . إمام ثقة صدوق ، مات بالبصرة ، وهو من أبناء التسعين كأخيه . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٠) .

ومحمَّد بن مِنهال الضَّرير(١) .

ومحمد بن مِنهال ، أخو حجَّاج(٢) .

وهارون بن معروف(٣) .

والبُوَيْطيّ(٤) ، صاحب الشافعي ، مات في السجن مقيّداً حتى يقولَ بخلْق القرآن ، فامتنع من ذلك ، رحمه الله .

ويحيى بن بُكَير(٥) ، راوي « الموطّأ » عن مالك .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومئتين

فيها : عاثت قبيلة يقال لهم : بنو نُمَيْر باليمامة في الأرض فساداً ، فكتب الواثق إلى بُغا الكبير وهو مقيمٌ بأرض الحجاز ، فحاربَهم فقتَل منهم جماعةً ، وأسرَ منهم آخرين ، وهزم بقيتهم ، ثم التقى مع بني تميم وهو في ألف(٦) فارس وهم في ثلاثة آلاف ، فكانت بينهم حروب طويلة ، ثم كان الظفَر له عليهم آخراً ، وذلك في النصف من جمادى الآخرة .

ثم عاد بعد ذلك كله إلى بغداد ومعه من أعيان رؤوس العرب في الأسر والقيود ، وقد قتل من أشرافهم في الوقائع المتقدم ذكرها ما ينيف على(٧) ألفي رجل من بني سليم ، ونُمَير ، وكِلاب ، ومُرَّة ، وفَزارة ، وثَعلبة ، وطيّيء ، وتميم وغيرهم .

---

(١) أبو جعفر ، وقيل : أبو عبد الله التَّميميّ البصري ، صاحب يزيد بن زُريع وراويته . حافظ ، مجوِّد ثقة ، لم يرحل ، ولا كتب ، بل كان يحفظ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٤٢) .

(٢) محمد بن المِنهال البَصريّ العطَّار ، أخو الحافظ الثقة حجَّاج بن منهال الأنماطي ، وهو كسَمِيِّه محمد بن المنهال ثقة ، والضرير أحفظ وأكيس ، ومات مثله في السنة نفسها . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٤٥) .

(٣) أبو علي المَرْوَزيّ البغدادي الخزَّاز الضرير ، الإمام القدوة ، من حفاظ الوقت ، صاحب سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٩) ، العبر (١/ ٤١٠) .

(٤) هو يوسف بن يحيى البُوَيْطيّ ، أبو يعقوب ، صاحب الإمام الشافعي ، لزمه مدة ، وتخرَّج به ، كان عابداً مجتهداً ، دائم الذكر ، كبير القدر ، إماماً في العلم والفقه . ثقة صاحب سنة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٨) ، العبر (١/ ٤١١) .

(٥) هو يحيى بن عبد الله بن بُكير ، أبو زكريا القرشي المخزومي ، المِصري ، الإمام المحدِّث الحافظ . ثقة في الليث ، وتكلموا في سماعه من مالك . سمع الموطّأ من الإمام مالك سبع عشرة مرة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٢) ، تقريب التهذيب (٢/ ٣٥١) .

(٦) في آ ، ط : ألفي فارس ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا والطبري وابن الأثير .

(٧) في النسخ : عن ، وأثبت ما جاء في ط .

وفي هذه السنة أصاب الحجيج في الرجوع عطشٌ شديد حتى بيعت الشَّرْبةُ بالدَّنانير الكثيرة ، ومات خَلْق كثير من العطش ، رحمهم الله .

وفيها : أمر الواثق بترْك جباية أعشار سفن البحر .

وفاة الخليفة أبي جعفر هارون الواثق بن محمد المعتصم

ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله ذي الدوانيق بن محمد الإمام بن علي السجَّاد بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي . كان هلاكه في ذي الحجة من هذه السنة بعلة الاستسقاء ، فلم يقدر على حضور العيد عامئذ ، فاستناب في الصلاة بالناس قاضيه أحمد بن أبي دواد الإياديّ المعتزليّ . وكانت وفاته لست بقين من الشهر ، وذلك أنه قوي به الاستسقاء ، فأُقعِدَ في تنّور قد أُحمي له بحيث يمكن إجلاسه فيه ليسكنَ وجعُه ، فلان عليه أمره بعض الشيء ، فلمَّا كان من الغد أمر بأن يُحمى أكثر من العادة ، فأُجلس فيه ، ثم أُخرج فوضع في مِحَفَّةٍ ، فحُمِلَ فيها وحولَه أمراؤه ووزراؤه وقاضيه ، [فمات وهو محمول ، فما شعروا حتى سقط جبينُه على المِحَفَّة][١] وهو ميت ، فغمَّضَ القاضي عينيه بعد ذلك ، وهو الذي ولي غسلَه والصَّلاةَ عليه ودفنه في القصر الهاروني .

وكان أبيضَ اللون ، مشرباً حُمرةً ، جَميلاً رَبْعَةً ، حسنَ الجسم ، قائمَ العين اليسرى ، فيها نُكتة بياض .

وكان مولده سنة ست وتسعين ومئة بطريق مكة ، فمات وهو ابن ستٍّ وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته خمسَ سنين ، وتسعة أشهر ، وخمسة أيام ، وقيل : وسبعة أيام واثنتي عشرة ساعة[٢] .

وقد كان جمع أصحابَ النُّجوم [في زمانه][٣] حين اشتدَّتْ علَّته[٤] ، لينظروا في مولده ، وما تقتضيه صناعةُ النجوم كم تدوم أيامُ دولته ، فاجتمَعَ عنده من رؤوسهم جماعة ؛ منهم : الحسن بن سهل ، والفضلُ بن إسحاق الهاشميّ ، وإسماعيل بن نُوبَخت ، ومحمد بن موسى الخُوارزميّ والمجوسيّ القُطْرُبُّليّ ، وسند صاحب محمد بن الهيثم ، وعامَّة مَنْ ينظر في النجوم . فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال عندهم[٥] ، ثم أجمَعُوا على أنه يعيش دهراً طويلاً ، وقدَّروا له خمسين سنة مستقبلة ، فلم

---

(١) تكملة من نسخة ب .

(٢) بعدها في ط : فهكذا أيام أهل الظلم والفساد والبدع قليلة قصيرة .

(٣) زيادة في ب ، ظا ، ط .

(٤) بعدها في ط : وإنما اشتدت بعد قتله أحمد بن نصر الخزاعي ، ليلحقه إلى بين يدي الله . فلمَّا جمعهم أمرهم أن ينظروا . .

(٥) في آ : عنده .

يلبث بعد قولهم إلا عشرة أيام حتى مات . ذكره الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري[١] ، رحمه الله .

قال ابن جرير[٢] : وذكر الحسين بن الضحَّاك أنَّه شهد الواثقَ بعد أن مات المعتصم بأيام ، وقد قعد مجلساً كان أوَّل مجلس قعده . وكان أوّل من تغنَّى في ذلك المجلس أن تغنَّت[٣] شارية جارية إبراهيم بن المهديّ :

ما دَرَى الحامِلونَ يومَ استقلُّوا نَعْشَــهُ للثَّــواءِ أمْ للِّقَــاءِ[٤]

فلْيقُلْ فيكَ باكِياتُكَ ما شِئْـ ـنَ صَباحاً وعندَ كُلِّ مَسَاءِ

قال : فبكى وبكينا حتَّى شَغَلَنا البكاء عن جميع ما كنَّا فيه . ثم اندفع بعضهم يغنِّي[٥] :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطيقُ وَدَاعا أيُّها الرَّجُلُ !

فازداد والله بكاؤه ، وقال : ما سمعْتُ كاليوم قطّ تعزيةً بأبٍ ونعيّ نفس ، ثم ارفضَّ ذلك المجلس .

وروى الخطيب[٦] البغدادي : أنَّ دِعْبِلَ بنَ عليّ الشاعر لمَّا تولَّى الواثقُ عَمَدَ إلى طُومَارٍ[٧] فكتب فيه أبياتَ شعرٍ ، ثم جاء إلى الحاجب فدفعه إليه ، وقال : أقرئْ أميرَ المؤمنين السلام ، وقل : هذه أبيات امتدَحَكَ بها دِعْبِل ، فلمَّا فضَّها الواثق إذا فيها[٨] :

الحَمْــدُ للهِ لا صَبْــرٌ ولا جَلَــدُ ولا رُقَادٌ إذا أهلُ الهَوَى رَقَدُوا[٩]

خليفةٌ ماتَ لم يَحْزَنْ لَهُ أحَدٌ وآخـرٌ قـامَ لـم يَفْـرَحْ بـهِ أحَـدُ

فَمَــرَّ هــذا ومَــرَّ الشُّؤْمُ يَتبعُـهُ وقـامَ هـذا فقـامَ الـويـلُ والنَّكَـدُ

قال : فتطلَّبه الخليفة بكلِّ ما يمكنه ، فلم يقدر عليه حتى مات الواثق .

وروى[١٠] أيضاً : أنَّه لمَّا استخلَفَ الواثق ابنَ أبي دوادَ على الصَّلاة في يوم العيد فرجع إليه ، فقال :

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٥٠ـ١٥١) .
(٢) تاريخ الطبري (٩/ ١٥١) ، ابن الأثير (٧/ ٣١) .
(٣) في النسخ غير واضحة ، وأثبت ما جاء في الطبري .
(٤) في الطبري : للغناء .
(٥) للأعشى : ديوانه (١٤٤) ط . صادر .
(٦) تاريخ بغداد (١٤/ ١٦) .
(٧) « الطُّومار » : الطامور ، وهي الصحيفة ، وجمعها طوامير .
(٨) ديوانه ص(١١٥) ، وتاريخ بغداد (١٤/ ١٧) .
(٩) الديوان ولا عَزاء إذا أهل البَلا رقدوا .
(١٠) تاريخ بغداد (١٤/ ١٨) .

كيف كان عيدكُم يا أبا عبد الله ؟ فقال : كنّا في نهارٍ لا شمسَ فيه . فضحك ، وقال : يا أبا عبد الله ، أنا مؤيِّد بك .

قال الخطيب[(١)] : وكان ابن أبي دواد قد اسْتَولى على الواثق ، وحمَلَه على التشديد في المِحنة ، ودعا الناسَ إلى القَوْل بخَلْقِ القرآن . قال : ويقال : إنَّ الواثق رجع عن ذلك قبل موته فأخبرني عبيد الله بن أبي الفتح ، أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ، حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة ، حدّثني حامد بن العباس ، عن رجل ، عن المهدي ، أنَّ الواثق مات وقد تاب عن القول بخَلْق القرآن .

وروى[(٢)] أن الواثق دخل عليه يوماً مؤدِّبُه فأكرمه إكراماً كثيراً ، فقيل له في ذلك ، فقال : هذا أوَّلُ من فتق لساني بذكر الله ، وأدناني من رحمة الله .

وكتب إليه بعض الشعراء[(٣)] :

جَذَبْتُ دَوَاعي النَّفْسِ عن طَلَبِ الغِنَى ... وقلْتُ لها عفّي عنِ الطَّلبِ النَّزْرِ
فإنَّ أميرَ المؤمنينَ بكفِّهِ ... مَدَارُ رَحَى الأَرْزَاقِ دائبة تجري

فوقَّع له في رُقْعَته : جَذَبَتْكَ نفسُك عن امْتِهانها ، ودَعَتْكَ إلى صَوْنِها ، فخُذْ ما طلبته هيِّناً ، وأجْزَلَ له العطاء .

ومن شعره قوله[(٤)] :

هَيَ المقاديرُ تَجْرِي في أعِنَّتِها ... فاصْبِرْ فليسَ لها صَبْرٌ عَلَى حَالِ

ومن شعر الواثق [قوله][(٥)] :

تنحَّ عنِ القَبيحِ ولا تُرِدهُ ... ومَنْ أوْلَيْتَهُ حُسناً فَزِدْهُ
ستُكْفَى من عدوِّك كلَّ كيدٍ ... إذا كادَ العَدُوُّ ولَمْ تَكِدْهُ

وقال القاضي يحيى بنُ أكثم[(٦)] : ما أحسَنَ أحدٌ من خلفاء بني العباس إلى آل أبي طالب ما أحسَنَ إليهم الواثق : ما مات وفيهم فقيرٌ .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ١٧) ، ومؤدبه هو هارون بن زياد ، كما في تاريخ بغداد ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٣٤٩) .
(٣) هو محمد بن حماد ، والبيتان في تاريخ بغداد (١٤/ ١٧) .
(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ١٨) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) تاريخ بغداد (١٤/ ١٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٧) .

ولما احتُضِرَ الواثق جعلَ يردِّد هذين البيتين[١] :

المَـوْتُ فيـهِ جَميعُ الخَلْقِ مشترِكٌ ... لا سُـوقَـةٌ مِنْهُـمُ يَبْقَـى ولا مَلِـكُ
مـا ضَـرَّ أهـلَ قليـلٍ فـي تفـاقُـرِهـمْ ... وليسَ يُغني عن الأمْلاكِ ما مَلَكُوا

ثم أمر بالبُسُطِ فطُويت ، ثم ألْصَقَ خدَّهُ بالأرض ، وجعل يقول : يا مَن لا يَزُول ملكُه ، ارْحَمْ مَن قد زالَ مُلْكُهُ .

وقال بعضهم : لما احتُضِرَ الواثق ونحن حولَه ، غشي عليه ، فقال بعضُنا لبعض : انظروا هل قضى نحبه؟ قال : فدنَوْتُ من بينهم إليه لأنظرَ هَلْ هدأ نَفَسُه ، فأفاق فَلَحَظَ إليَّ بعينه ، فرجعْتُ القَهْقَرى خوفاً منه ، فتعلَّقَتْ قائمة سيفي بشيء ، فكدت أن أهلك ، فما كان عن قريب حتى مات ، وأُغلِقَ عليه الباب الذي هو فيه ، وبقي فيه وحدَه ، واشتغَلُوا عن تجهيزه بالبيعة لأخيه جعفر المتوكل ، وجلسْتُ أنا أحرُسُ البابَ ، فسمعْتُ حركةً من داخل البيت ، فدخلْتُ ، فإذا جُرَذٌ قد أكل عينَه التي لَحَظَ إليَّ بها ، وما كان بين الحالين إلا اليسير[٢] .

وكانت وفاته بسرَّ مَن رأى التي كان يسكنها في القصر الهاروني ، في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة من هذه السنة ـ أعني سنة ثنتين وثلاثين ومئتين ـ عن ست وثلاثين سنة ، وقيل : عن ثنتين وثلاثين سنة . وكانت مدة خلافته خمسَ سنين ، وتسعةَ أشهرٍ ، وخمسة أيام . وقيل : خمس سنين ، وشهران ، وأحد وعشرون يوماً ، وصلَّى عليه أخوه جعفر المتوكِّل .

خلافة المتوكِّل على الله جعفر بن المعتصم بالله

بُويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق هارون ، وكانت بيعته وقت زوال الشمس من يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة ، وكانت الأتراك قد عزموا على تولية محمد بن الواثق فاستصغروه فتركوه وعدلوا إلى جعفر هذا ، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة ، وكان الذي ألبسه خلعة الخلافة أحمد بن أبي دواد القاضي ، وهو أوَّلُ من سلَّم عليه بالخلافة ، وبايعه الخاصّة ثمّ العامّة . وكانوا قد اتفقوا على تسميته بالمنتصر إلى صبيحة يوم الجمعة ، فقال أحمد بن أبي دواد : رأيت أن يلقَّبَ أمير المؤمنين بالمتوكِّل على الله ، فاتفقوا على ذلك ، وكتب به إلى الآفاق ، وأمر بإعطاء الشاكريّة من الجند ثمانية شهور ، وللمغاربة أربعة شهور ، ولغيرهم ثلاثة شهور ، واستبشر الناس به .

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ١٩) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٣) .
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ١٩) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٣) .

وقد كان المتوكل رأى في منامه في حياة أخيه الواثق كأنَّ شيئاً نزل[١] عليه من السماء مكتوب فيه « جعفر المتوكِّل على الله » ، فعبَّرها ، فقيل له : هي الخلافة ، فبلَّغ ذلك أخاه الواثق فسجنه حيناً ثم أرسله[٢] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود ، أمير مكّة ، شرَّفها الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحَكَمُ بن موسى[٣] .

وعمرو بن محمد النَّاقد[٤] .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومئتين

في يوم الأربعاء سابع صفر منها أمر الخليفة المتوكِّلُ على الله بالقبض على محمد بن عبد الملك بن الزيات ، وزير الواثق ، وكان المتوكِّلُ يبغضه لأمورٍ ، منها أنَّ أخاه الواثق تغَضَّبَ عليه في بعض الأوقات ، وكان ابنُ الزّيّات يزيد الواثق غضَباً على أخيه ، فبقي ذلك في نفسه منه ، ثم كان الذي استرضى الواثقَ عليه أحمد بن أبي دواد ، فحظي بذلك عنده في أيام مُلْكه ؛ ومن ذلك أنَّ ابن الزيات كان قد أشار بخلافة محمد بن الواثق بعد أبيه ، ولَفَّ عليه الناس ، وجعفر المتوكِّل في جنب دار الخلافة ، فلم يتمّ الأمر إلا لجعفر المتوكل ، على رغم أنف ابن الزيات . فلهذا أمر بالقبض عليه سريعاً ، فطلبه[٥] فركب بعد غدائه يظنُّ أن الخليفة بعث إليه ، فأتت به الرسل إلى دار إيتاخ أمير الشرطة ، فاحتيط عليه ، وقُيِّد ، وبعثوا في الحال إلى داره فأُخِذَ جميعُ ما كان فيها من الأموال والجواري والجواهر والحواصل والأثاث ، ووجدوا في مجلسه الخاص به آلات الشراب .

وبعث الخليفة إلى حواصله وضياعه بسائر الأماكن فاحتيط عليها ، وأمر به أن يعذَّبَ ؛ فمنع من

---

(١) في ب ، ظا : دلّي عليه .
(٢) في ب ، ظا : أطلقه .
(٣) أبو صالح البغدادي القَنْطَريّ الزاهد ، أحد العبّاد ، الإمام المحدّث القدوة الحجّة ، وثقه ابن معين . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥) .
(٤) عمرو بن محمد بن بُكَير بن سابور البغدادي الناقد ، أبو عثمان ، نزيل الرقة . ثقة ، صاحب حديث ، من الحفاظ المعدودين . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٤٧) .
(٥) في آ: فطلب .

الكلام[١] ، وجعلوا يساهرونه كلما أراد الرُّقاد نُخِسَ بالحديد ، ثم وُضِعَ بعد ذلك كلّه في تنّور من خشب فيه مساميرُ قائمة في أسفله ، فأقيمَ عليها ، ووكِّلَ به من يمنعه من الرُّقاد ، فمكث كذلك أياماً حتى مات وهو كذلك .

ويقال : إنه أخرج من التنوّر وفيه رَمَقٌ ، فضُرِبَ على بطنه ، ثم على ظهره حتى مات وهو تحت الضرْبِ .

ويقال : إنه أُحرِق ، ثم دُفعت جثته إلى أولاده فدفنوه ، فنبشت عليه الكلاب ، فأكلت لحمه وجلده ، سامحه الله .

وكانت وفاته لإحدى عشرة من ربيع الأول منها .

وكان قيمة ما وُجد له من الحواصل نحواً من تسعين ألف ألف دينار ، وقد قدَّمنا أنَّ المتوكِّلَ سأله عن قتل أخيه الواثق أحمد بن نَصْر ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، أحرقني الله بالنار إن كان الواثق قتله يوم قتلَه إلا وهو كافر .

وفي جمادى الأولى منها فُلِجَ أحمدُ بن أبي دواد القاضي المعتزلي ، فلم يزل كذلك حتى مات بعد أربع سنين وهو كذلك ، كما دعا على نفسه كما تقدَّم .

ثم غضبَ المتوكِّلُ على جماعة من الكتّاب والعمّال ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة جداً .

وفيها : ولَّى [المتوكِّلُ][٢] ابنه محمداً المنتصر الحجاز واليمن ، وعقَدَ له على ذلك كلِّه في رمضان منها .

وفيها : عَمَدَ ملكُ الروم ميخائيل بن توفيل إلى أمِّه تدُورَةَ فأقامها في الشمس[٣] ، وألزمها الدّير ، وقتل الرجل الذي اتَّهمها به ، وكان ملْكُها ستَّ سنين .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود أمير مكّة ، حرسها الله تعالى وشرَّفها .

وفيها توفي :

إبراهيم بن الحجّاج السَّامي[٤] .

---

(١) في ب ، ظا : الطعام .
(٢) زيادة في ط .
(٣) الطبري : فشمَّسها .
(٤) في النسخ والمطبوع : الشامي ، وأثبت ما جاء في تهذيب الكمال (٢/ ٦٩) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩) .
والسَّامي ، بالسين المهملة : نسبة إلى سامَة بن لؤي . وهو إبراهيم بن الحجّاج بن زيد السَّامي الناجي ، أبو إسحاق البَصريّ ، المحدّث ، ذكره ابن حبان في الثقات .

وحِبَّان بن موسى العربي(١) .

وسُليمان بن عبد الرحمن الدمشقيّ(٢) .

وسهل بن عثمان العسكريّ(٣) .

ومحمد بن سَماعة القاضي(٤) .

ومحمّد بن عائذ الدِّمشقيُّ ، صاحبُ المغازي(٥) .

ويحيى المَقابريّ(٦) .

ويحيى بن مَعين(٧) ، أحد أئمة الجرح والتعديل ، وأستاذ أهل صناعة الحديث في زمانه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومئتين

فيها : خرج محمّد بن البعِيث بن الجليس(٨) عن الطاعة في بلاده ، في أذْربيجان ، وأظهر أنَّ المتوكِّلَ قد مات ، والتفَّ عليه جماعة من أهل تلك الرَّساتيق(٩) ، ولجأ إلى مدينة مَرَنْد(١٠) فحصَّنها ،

---

(١) كذا في آ ، ط : العربي . وفي ب ، ظا : المغربي . وهو حِبَّان بن موسى بن سَوَّار السُّلَميّ ، أبو محمد المَروزي الكُشْمِيهَنِيّ . محدّث مشهور ، ذكره ابن حبّان في الثقات . تهذيب الكمال (٥/ ٣٤٤) .

(٢) سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون ، أبو أيوب التميمي الدمشقي ، ابن بنت شُرَحْبيل ، جدّه شُرَحبيل بن مسلم الخولاني . محدّث دمشق ، حافظ ثقة . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٦) .

(٣) أبو مسعود ، الحافظ المجوّد الثبت ، أحد الأئمة . توفي في هذه السنة ، أو في حدودها . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥٤) ، والعبر (١/ ٤١٤) .

(٤) أبو عبد الله ، قاضي بغداد ، صنف التصانيف ، ولي القضاء للرشيد ، تفقّه على أبي يوسف ، ومحمد ، وقد جاوز المئة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٤٦) .

(٥) أبو عبد الله الدمشقي الكاتب ، صاحب المغازي والفتوح ، والصوائف ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، تولى ديوان الخراج بالشام زمن المأمون ، مؤرخ صادق . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٠٤) ، العبر (١/ ٤١٤) .

(٦) هو يحيى بن أيوب المقابري ، أبو زكريا البغدادي العابد ، أحد أئمة الحديث والسُّنّة ، ثقة ، مات وله ست وسبعون سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٨٦) ، العبر (١/ ٤١٥) .

(٧) أبو زكريا البغدادي ، أحد الأعلام ، وحجة الإسلام ، شيخ المحدثين . نعته الذهبي بسيد الحفاظ ، له كتاب التاريخ والعلل في الرجال . توفي بالمدينة حاجاً . سير أعلام النبلاء (١١/ ٧١) ، الأعلام (٨/ ١٧٢) .

(٨) في ط والطبري: حَلْبَس . وماهنا كما في الكامل لابن الأثير (٧/ ٤١) .

(٩) « الرُّسْتاق »: قرىً ، أو بيوت مجتمعة ، وجمعها رساتيق ، معرّب . وفي المصباح المنير: الرُّستاق: معرّب ، ويستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم .

(١٠) « مَرَنْد »: من مشاهير مدن أذربيجان ، بينها وبين تبريز يومان . ياقوت .

وجاءته البعوثُ من كلِّ جانب ، وأرسل إليه المتوكِّلُ جيوشاً يتبَعُ بعضُها بعضاً ، فنصَبُوا على بلده المجانيق من كلِّ جانب ، وحاصروه محاصرةً عظيمة جدّاً ، وقاتلهم مقاتلة هائلة ، وصبَرَ هو وأصحابُه صَبراً بليغاً .

وقدِمَ بُغا الشرابيّ لمحاصرته ، فلم يزل به حتى أسره[١] واستباح أموالَه وحرمَه ، وقتل خلْقاً من رؤوس أصحابه ، وأسر سائرهم ، وانحسمت مادة ابن البعيث ، ولله الحمد .

وفي هذه السنة في جمادى الأولى منها خرج المتوكِّل على الله إلى المدائن .

وفيها : حجَّ إيتاخ أحدُ الأمراء الكبار ، وهو والي مكة والمدينة والموسم ، ودُعي له على المنابر .

وقد كان إيتاخ هذا غلاماً خَزَريّاً طبَّاخاً ، وكان لرجلٍ يقال له : سلام الأبرش ، فاشتراه منه المعتصم في سنة تسعٍ وتسعين ومئة ، فرفع منزلته وحظي عنده ، وكذلك الواثقُ من بعد أبيه ، ضمَّ إليه أعمالاً كثيرة ، وكذلك عامله المتوكِّل على الله أيضاً ، وذلك لرُجْلة[٢] إيتاخ وشهامته ونهضته . ولمَّا كان في هذه السنة شرب ليلةً مع المتوكِّل ، فعربَدَ عليه المتوكِّلُ ، فهمَّ إيتاخ بقتله ، فلمَّا كان الصباح اعتذر المتوكِّلُ إليه ، وقال : أنتَ أبي ، وأنت ربَّيتني ، ثم دسَّ إليه من يُشير عليه بأنْ يستأذن للحجِّ ، فاستأذن ، فأذن له ، وأمَّره على كل بلْدة يحلُّ بها ، وخرج القوَّادُ في خدمته إلى طريق الحجِّ حين خرج ، وولَّى المتوكِّلُ الحِجابة لوصيف الخادم عوضاً عن إيتاخ .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن داود أميرُ مكة ، وهو أمير الحجيج من سنين متقدمة .

وفيها توفي من الأعيان :

أبو خَيْثَمة ، زُهَيْر بن حَرْب[٣] .

وسليمان بن داود الشَّاذَكوني ، أحدُ الحفاظ[٤] .

وعبد الله بن محمد النُّفَيْليّ[٥] .

---

(١) في آ: حصره ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا .

(٢) « الرجلة »: الرجولية .

(٣) زهير بن حرب بن شداد الحَرَشي البغدادي ، الحافظ ، الحجة ، أحد أعلام الحديث ، ثقة ، ثبت ، متقن . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٩) .

(٤) سليمان بن داود بن بشر المنقري البصري الشاذَكوني ، أبو أيوب ، كان آية في كثرة الحفظ ، ولكنه متروك الحديث . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٩) ، العبر (١/ ٤١٦) .

(٥) عبد الله بن محمد بن علي بن نُفَيْل ، أبو جعفر القُضاعي ثم النُّفَيْلي الحرَّاني ، أحد الأعلام . قال أبو داود: لم أر أحفظ منه ، ثقة ، مأمون ، من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٣٤) .

وأبو الرَّبيع الزَّهْرَانيُّ(١) .

وعليُّ بن عبد الله بن جعفر المَدِينيّ(٢) ، شيخ البخاري في صناعة الحديث .

ومحمد بن عبد الله بن نُمَيْر(٣) .

ومحمد بن أبي بكر المُقَدَّمي(٤) .

والمُعَافَى الرَّسْعَنِي(٥) .

ويحيى بن يحيى الليثي ، راوي « الموطَّأ » للمغاربة عن الإمام مالك بن أنس(٦) .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومئتين

في جمادى الآخرة منها كان هلاك إيتاخ في السجن ، وذلك أنَّه رجع من الحجّ فتلقته هدايا الخليفة ، ولمَّا اقترب يريد دخول سامرّا التي فيها أمير المؤمنين ، بعث إليه إسحاق بن إبراهيم نائبَ بغداد عن أمر الخليفة يستدعيه إليها ليتلقاه وجوه بني هاشم ، فدخلها في أُبّهة عظيمة ، فقبض عليه إسحاق بن إبراهيم ، وعلى ابنيه مظفر ومنصور ، وكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصراني ، فأسلم تحت العقوبة ، وكان هلاكه بالعطش ، وذلك أنه أكل شيئاً كثيراً بعد جوعٍ شديدٍ ، ثم استسقى الماء فلم يُسق ، فمات ليلة الأربعاء لخمس خلون من جمادى الآخرة منها ، ومكث ولداه في السجن مدة خلافة المتوكِّل ، فلمَّا ولي المنتصر ولدُه أخرجهما .

---

(١) سليمان بن داود الأزدي العتكي ، أبو الربيع الزَّهراني البصري ، الحافظ المقرىء ، أحد الثقات ، المحدث الكبير . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٦) ، طبقات القراء (١/ ٣١٣) .

(٢) أبو الحسن ، أمير المؤمنين في الحديث ، صاحب التصانيف . قال البخاري : ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند عليّ بن المديني . وكان أعلم من الإمام أحمد باختلاف الحديث . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١) ، والأعلام (٤/ ٣٠٣) .

(٣) أبو عبد الرحمن الهمذاني الكوفي ، أحد الأئمة . حدث عنه الجماعة . وكان رأساً في العلم والعمل . ثقة ، يحتج بحديثه . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥٥) ، والعبر (١/ ٤١٨) .

(٤) محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدَّم الثقفي ، أبو عبد الله المقدَّمي البصريّ . وثقه يحيى بن معين وأبو زرعة من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٦٠) .

(٥) المعافى بن سليمان الرَّسْعَني ، محدِّث رأس العين ، حافظ صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٢١) .

(٦) يحيى بن يحيى بن كثير ، أبو محمد الليثي البربري ، الفقيه الأندلسي القرطبي . ارتحل إلى المشرق في أواخر أيام مالك الإمام ، فسمع منه « الموطّأ » سوى أبواب . كان كبير الشأن ، وافر الجلالة ، عظيم الهيبة ، نال من الرئاسة والحُرمة ما لم يبلغه أحد . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥١٩) .

وفي شوال منها قدم بُغا سامُرَّاء ومعه محمد بن البعيث ، وأخواه صقْر وخالد ، ونائبه العلاء ، ومعه من رؤوس أصحابه نحو من مئة وثمانين إنساناً ، فأدخلوا على الجِمال ليراهم الناس ، فلمَّا أوقف ابن البعيث بين يدي المتوكِّل أمر بضرب عنقه ، فأحضر السيف والنِّطع ، وجاء السيَّافون فوقفوا حوله ، فقال له المتوكِّل : ويلك ! ما دعاك إلى ما صنعتَ؟ فقال : الشِّقْوة ، يا أمير المؤمنين ! وأنتَ الحَبْلُ الممدودُ بين الله وبين خلْقه ، وإنَّ لي فيك لَظَنَّيْن ؛ أسبقهما إلى قلبي ، أوْلاهما بك ، وهو العفو . ثم اندفع يقولُ [فيه] بديهة(١) :

أبَى النَّاسُ إلا أنَّك اليومَ قاتِلي ... إمامَ الهُدَى والصَّفحُ بالمرء أجمَلُ
وهَلْ أنا إلا جُبْلَةٌ من خَطيئةٍ ... وعَفوُك من نُورِ النُّبُوَّةِ يُجْبَلُ
فإنَّك خيرُ السَّابقين إلى العُلا ... ولا شَكَّ أنْ خَيْرَ الفِعالَيْنِ تَفْعَلُ

فقال المتوكِّلُ : إنَّ معه لأدباً ، ثم عفا عنه . ويقال : بل شَفَعَ فيه المعتزُّ بنُ المتوكِّل فشفَّعه فيه ، ويقال : بل أودع في السجن في قيودٍ ثقيلةٍ(٢) ، فلم يزل فيه حتَّى هرب بعد ذلك ، وقد قال حين هرب(٣) :

كَمْ قد قضيْتُ أموراً كانَ أهمَلَها ... غَيري وقد أخَذَ الإفلاسُ بالكرم(٤)
لا تَعْذُلِينيَ فيما ليسَ يَنْفَعُني ... إليكِ عنِّي جَرَى المِقدارُ بالقَلَمِ
سأتلِفُ المَالَ في عُسْرٍ وفي يُسْرٍ ... إنَّ الجَوادَ الَّذي يُعطِي عَلى العَدَمِ

وفي هذه السنة أمر المتوكل على الله أهلَ الذِّمَّة بأن يتميَّزوا عن المسلمين في لباسهم ، في عمائمهم وثيابهم ، وأن يتطيلسوا بالمصبوغ بالقِلْي(٥) ، وأن يكون على غلمانهم رِقاع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم وبين أيديهم ، وأن يلزموا بالزَّنانير الخاصرة ثيابهم كزنانير الفلاحين اليوم ، وأن يحملوا في رقابهم كُراتٍ ، من خشب كثيرة ، وألا يركبوا خيلاً ، ولتكن رُكبهم من خشبٍ ، إلى غير ذلك من الأمور الفظيعة(٦) لهم ، قبَّحهم الله ، وألا يُستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكمٌ على مسلمٍ ؛ وأَمَر بتخريب كنائسهم المحدثة ، وبتضييق منازلهم المتسعة ، فيؤخذ منها العشر ، وأن يعمل ما كان من

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٧٠) ، وابن الأثير (٧/ ٤٨) .
(٢) في آ: في قيوده قبله ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١٧١) ، وابن الأثير (٧/ ٤٨) .
(٤) في ط والطبري وابن الأثير: بالكَظَم ، وهو السكوت واجتراع الغيظ .
(٥) في ب ، ظا: بالعلي . والقِلْي لغة في القِلْو ، وهو الذي يستعمله الصباغ في العصفر .
(٦) في ط: المذلة لهم ، المهينة لنفوسهم ، وألا يستعملوا . . .

ذلك متسعاً كبيراً مسجداً ، وأمَر بتسوية قبورهم بالأرض ، وكَتَبَ بذلك إلى سائر الأقاليم والآفاق ، وإلى كل بلد ورُسْتاق[١] .

وفيها : خرج رجل يقال له : محمود بن الفرج النيسابوريّ ، ممن كان يتردد إلى جِذْع[٢] بابَك[٣] فيقعد قريباً منه ، وذلك بقرب دار الخلافة بسرَّ مَن رأى ، فادَّعى أنه نبيّ ، وأنه ذو القرنين ، وقد اتبعه على هذه الضلالة ووافقه في هذه الجهالة جماعة أقلُّون[٤] ، وهم سبعة[٥] وعشرون رجلاً ، وقد نَظَم لهم كلاماً في مصحف له ، قبَّحه الله ؛ زعم ـ لعنه الله ـ أنَّ جبريل عليه السلام جاءه به من الله ، فأُخِذَ ، فرُفع أمره إلى المتوكِّل فأمر به فضُرِبَ بين يديه بالسِّياط ، فاعترف بما نُسب إليه وما هو معوّل عليه ، وأظهر التوبة من ذلك ، والرجوع عن ذلك ، فأمر الخليفة كلَّ واحدٍ من أتباعه بصفعه[٦] عشر صفعات ، فعليه وعليهم لعنة ربِّ الأرض والسموات . ثم اتفق موته في يوم الأربعاء لثلاث خَلَوْن من ذي الحجة من هذه السنة .

وفي يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة من هذه السنة المباركة ، أخذ الخليفة المتوكِّل على الله العهدَ لأولاده الثلاثة من بعده ، وهم : محمد المنتصر ، ثم أبو عبد الله المعتز بالله ، واسمه محمد ، وقيل : الزّبير ، ثم لإبراهيم ، وسمَّاه المؤيَّد بالله ، ولم ينل هذا الخلافة . وأعطى كلَّ واحد منهم طائفةً من البلاد يكون نائباً عليها ، ونوابه[٧] فيها ، ويضرب له السكّة بها . وقد عيَّن ابنُ جرير[٨] ما لكل واحد منهم من البلدان والأقاليم والرساتيق ، وعقد لكل واحد منهم لواءَين ، لواءً أسودَ للعهد ، ولواءً أبيض للعمالة . وكُتب بينهم كتاب بالرِّضا منهم وبمبايعة الأمراء والكبراء لهم على ذلك ، وكان يوماً مشهوداً .

وفي شهر ذي الحجة تغيَّر ماءُ دجلةَ إلى الصُّفْرة ثلاثة أيام ، ثم صار في لون ماء المدود ، ففزع[٩] الناس لذلك .

وفي هذه السنة أُتي المتوكِّل بيحيى بن عمر بن يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب

(١) تفصيل ذلك في تاريخ الطبري (٩/ ١٧١ ـ ١٧٥) .
(٢) في ط والطبري: خشبة .
(٣) بعدها في ط : وهو مصلوب .
(٤) في ط : قليلون .
(٥) في آ ، ط : تسعة ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا والطبري وابن الأثير .
(٦) في آ : فصفعه صفعات .
(٧) في ط : ويستنيب .
(٨) تاريخ الطبري (٩/ ١٧٦) وما بعدها .
(٩) قوله : ففزع الناس لذلك ، تقدم في الطبري وابن الأثير على قوله : ثم صار في لون ماء المدود . وفي عبارة المؤلف ـ رحمه الله ـ بعد .

من بعض النواحي ، وكان قد اجتمع إليه قوم من الشيعة ، فأمر بضربه فضُرب ثماني عشرة مِقْرَعةً ، ثم حبس في المطبَق .

وحجَّ بالناس محمد بن داود .

قال ابن جرير[(١)] : وفيها توفي إسحاق بن إبراهيم ، صاحبُ الجسر ، يعني نائب بغداد ، في يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة وصيِّر ابنُه محمد مكانه ، وخلع عليه خمسَ خلع ، وقلَّده سيفاً .

قلت : وقد كان له في نيابة بغداد والعراق من زمن المأمون ، وهو من [أكبر][(٢)] الدعاة تبعاً لسادته وكبرائه إلى القول بخَلْق القرآن[(٣)] .

وفيها توفي :

إسحاق بن إبراهيم بن ماهان[(٤)] : الموصليّ النديم الأديب ابن الأديب النادر الشكل في وقته ، المجموع الفضائل من كلِّ فن يعرفه أبناء عصره ؛ في الفقه والحديث والجدل والكلام واللغة والشعر ، وإنما اشتهر بالغناء لأنَّه لم يكن له في الدنيا نظيرٌ فيه .

قال المعتصم : كان إسحاق إذا غنَّاني تخيَّل إليَّ أنَّه قد زيد في ملكي[(٥)] .

وقال المأمون : لولا اشتهارُه بالغناء لولَّيته القضاءَ ، لما أعلَمُ من عفَّته ونزاهته وأمانته .

وله شعر حسن وديوان كبير ، وكانت عنده كتبٌ كثيرة[(٦)] .

وتوفي في هذه السنة ، قال ابن خلكان[(٧)] : وقيل : في التي قبلها ، [وقيل : في التي بعدها][(٨)] ، وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر[(٩)] ترجمة حافلة ، وذكر عنه أشياء حسنة ، وأشعاراً بديعة ، رائقة ،

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٨١) .

(٢) زيادة من ب ، ظا .

(٣) بعده في ط : الذي قال الله تعالى فيهم : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ الآية . وهو الذي كان يمتحن الناس ويرسلهم إلى المأمون .

(٤) ترجمته في تاريخ الطبري الجزء التاسع ، والكامل لابن الأثير الجزء السابع ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧١) ، والوافي بالوفيات (٨/ ٣٩٦) ، وشذرات الذهب (٢/ ٨٤) ، والأغاني (ط . دار الكتب) (٥/ ٢٦٨ ـ ٤٣٥) ، وتاريخ بغداد (٦/ ٣٣٨) ، ووفيات الأعيان (١/ ٢٠٢) .

(٥) في ب ، ظا : قلبي . وفيات الأعيان (١/ ٢٠٤) .

(٦) بعدها في ط : من كل فن . وفيات الأعيان (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

(٧) وفيات الأعيان (١/ ٢٠٤) وقد رجح وفاته سنة ٢٣٥هـ ، ولم يذكر ما قبلها .

(٨) زيادة في ب ، ظا ، ولم ترد فيهما عبارة : وقيل : في التي قبلها .

(٩) مختصر ابن عساكر (٤/ ٢٧٣ ـ ٢٨١) .

وحكايات مدهشة يطول استقصاؤها ، فمن غريب ذلك : أنَّه غنَّى يوماً ليحيى بن خالد بن بَرمك فوقَّع له بألف ألفٍ ، ووقَّع له ابنُه جعفر بمثلها ، والفضل بمثلها ، في حكاية طويلة .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان أيضاً :

سُرَيْج بن يُونس(١) .

وشَيْبان بن فَرُّوخ(٢) .

وعبيد الله بن عمر القواريرِيّ(٣) .

وأبو بكر بن أبي شيبة(٤) ، أحد الأعلام وأئمة الإسلام ، وصاحبُ « المصنف » الذي لم يصنِّف أحدٌ مثلَه قطُّ لا قبلَه ولا بعدَه .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومئتين

فيها : أمر المتوكل بهدْم قبر الحسين بن عليّ ، وما حوله من المنازل والدّور ، ونودي في الناس : من وُجِدَ هاهنا بعد ثلاثة أيام [رفع] إلى المطبَق ؛ فلم يبقَ هناك بشرٌ ، واتُّخِذ ذلك الموضع مزرعةً تُحرث وتستغل .

وفيها : حجَّ بالناس محمد المنتصر(٥) بن المتوكل .

وفيها : توفي محمد بن إبراهيم بن مُصْعَب ، سمَّه ابنُ أخيه محمد بن إسحاق بن إبراهيم ، وكان محمد بن إبراهيم هذا من الأمراء الكبار .

---

(١) صحف في المطبوع إلى شريح ، وهو سريج بن يونس بن إبراهيم ، أبو الحارث المروزي البغدادي ، من الأئمة العابدين ، وكان رأساً في السنة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٤٦) .

(٢) هو شيبان بن أبي شَيبة ، أبو محمد الحَبطي مولاهم الأبُلِّي البصري ، الحافظ الصدوق ، مسند عصره ، كان يرى القدرَ ، غير أنه تفرد بالأسانيد العالية . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٠١) .

(٣) عبيد الله بن عمر بن مَيْسَرة ، أبو سعيد الجشمي مولاهم البصري القواريري الزجاج ، نزيل بغداد . محدّث الإسلام . ثقة كثير الحديث . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤٢) .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ، أبو بكر العبسي الكوفي ، وهو من أقران أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ . الإمام العلم ، سيّد الحفاظ ، صاحب الكتب الكبار . والمسند والمصنف والتفسير والأحكام . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٢) .

(٥) في ط : « محمد بن المنتصر » خطأ .

وفيها : توفي الحسن بن سهل الوزير والد بوران زوجة المأمون التي تقدَّم ذكرها ، وكان من سادات[١] الناس ورؤسائهم .

ويقال : إن إسحاق بن إبراهيم توفي في هذه السنة ، والله أعلم .

وفيها : توفي أبو سعيد محمد بن يوسف المروزيّ فجأة ، فولَّى ابنَه يوسفَ مكانه على نيابة أرمينية .

وفيها : توفي إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ[٢] .

ومُصْعَب بن عبد الله الزبيريّ[٣] .

وهُدْبَةُ بن خالد القَيْسيّ[٤] .

وأبو الصَّلت الهرويّ ، أحد الضعفاء[٥] .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومئتين

فيها : قبض يوسف بن محمد بن يوسف نائب أرمينيّة على البطريق الكبير بها ، وبعثه إلى نائب الخليفة ، واتفق بعد بعثه إياه أن سقط ثلجٌ عظيم على تلك البلاد ، فتحزَّب أهلُ ذلك البطريق ، وجاؤوا فحاصروا البلدة التي فيها يوسف بن محمد ، فخرج إليهم ليقاتلهم ، فقتلوه وطائفةً كثيرةً من المسلمين الذين معه ، وهلك كثير من الناس في الثلج من شدّة البرد . ولمَّا بلغ المتوكِّلَ ما وقع من هذا الأمر الفظيع أرسل إلى أهل تلك الناحية بُغا الكبير في جيش كثيف جداً ، فقتل بُغا من أهل تلك الناحية ممن حاصر المدينة[٦] وقتل الأمير نحواً من ثلاثين[٧] ألفاً ، وأسر منهم طائفة كثيرة ، ثم سار إلى بلاد الباق من كُور البسفرجان[٨] ، وسلك إلى مدن كثيرة كبار ، ومهّد الممالك ، ووطد البلادَ والنَّواحي .

---

(١) في ب ، ظا : سَراة .

(٢) أبو إسحاق القرشي الأسدي الحِزامي المدني ، الحافظ ، محدِّث المدينة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٩) ، والعبر (١/ ٤٢٢) .

(٣) أبو عبد الله ، ابن أمير اليمن القرشي الأسدي الزبيري المدني ، نزيل بغداد ، النسّابة الإخباري ، من نبلاء الرجال وأفرادهم ، كان نسابة قريش ، عاش ثمانين سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٠) ، والعبر (١/ ٤٢٣) .

(٤) هُدْبة بن خالد بن أسود بن هُدْبة ، أبو خالد القيسي البصري . مسند وقته ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ٩٧) ، والعبر (١/ ٤٢٣) .

(٥) هو عبد السلام بن صالح الهروي ، الشيخ العالم العابد ، شيخ الشيعة ، له فضل وجلالة . قال أبو حاتم : لم يكن عندي بصدوق ، وله عدة أحاديث منكرة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤٦) .

(٦) في ب ، ظا : البلد .

(٧) في آ : ثلاثين ألف رأس .

(٨) في النسخ : كورة السيرجان ، وأثبت ما جاء في ط ، والطبري ، وابن الأثير .

وفي صفر من هذه السنة غضبَ المتوكِّلُ على أحمد بن أبي دواد القاضي ، وكان على المظالم ، فعزله عنها ، واستدعى بيحيى بن أكثم فولاه قضاء القضاة ، والمظالم أيضاً .

وفي ربيع الأول أمر الخليفة بالاحتياط على ضياع ابن أبي دواد ، وأخذ ابنَه أبا الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد ، فحبسه في يوم السبت لثلاث خلون من ربيع الآخر ، وأمر بمصادرته فحمل مئة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، ومن الجواهر النفيسة ما يقاوم عشرين ألف دينار ، ثم صُولح على ستةَ عشرَ ألف ألف درهم .

وكان ابن أبي دواد قد أصابه الفالج كما ذكرنا ، ثم نفي أهله من سامرّاء إلى بغداد مهانين . قال ابنُ جرير[1] : فقال في ذلك أبو العتاهية :

لو كنتَ في الرأيِ منسُوباً إلى رَشَدٍ ... وكـان عَـزْمُـكَ عَـزْمـاً فيـه تـوفيـقُ
لكـانَ فـي الفقـهِ شغـلٌ لـو قَنِعْـتَ بـه ... عــنْ أنْ تَقُـولَ : كتـابُ اللهِ مَخْلُـوقُ
مـاذا عليـكَ وأصْـلُ الـدِّيـنِ يجمَعُهُـمْ ... ما كانَ في الفرعِ لولا الجهلُ والمُوقُ[2]

وفي عيد الفطر أمر المتوكِّلُ بإنزال رأس[3] أحمد بن نَصْر الخُزاعيِّ ، والجمع بينه وبين جسده ، وأن يسلّم إلى أوليائه ، ففرح الناس بذلك ، واجتمع من العامة خلق كثير في جنازته ، وجعلوا يتمسَّحون بأعواده للبركة ، وبالجذْع الذي كان مصلوباً فوقه ، وأرهج[4] العامة في ذلك ، فكتب [المتوكل][5] إلى النائب يأمره بردعهم عن تعاطي مثل ذلك ، وكتب به إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام ، والكفّ عن القول بخلْق القرآن[6] .

وأظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه ، فاجتمع به وأكرمه ، وأمر له بجائزة سنيَّة فلم يقبل منها شيئاً ، وخلع عليه خلعة سنيةً من ملابسه ، فاستحيا منه كثيراً فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلاً فيه ، ثم نزعها نزعاً عنيفاً وهو يبكي ، رحمه الله .

وجعل [المتوكل][7] في كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص ، يظنُّ أنه يأكل منه . وكان الإمام

---

(١) الطبري (٩/ ١٨٩) .
(٢) « الموق » : الحمق في غباوة .
(٣) في آ ، ب : جُثَّة ، وأثبت ما جاء في ظا .
(٤) « الرَّهج » : الشغب .
(٥) زيادة من (ط) .
(٦) بعده في ط : وأن من تعلم علم الكلام ، لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت . وأمر الناس ألا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير .
(٧) زيادة من (ط) .

أحمد لا يأكل لهم طعاماً ، بل كان صائماً مواصلاً يطوي تلك الأيام كلها ؛ لأنه لا يتيسّر له شيء يرضى أكله ، ولكن كان ابنه[(١)] صالح وعبد الله يقبلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشيء من ذلك . [قال صالح][(٢)] : فلولا أسرعنا الأوبة إلى بغداد لخشيت أن يموت الشيخ من الجوع[(٣)] .

وارتفعت السُّنَّة جداً في أيام المتوكل ، وكان لا يولّي أحداً إلا بعد مشورة الإمام أحمد بن حنبل ؛ وكانت ولاية يحيى بن أكثم قضاء القضاة[(٤)] عن مشورته ، وقد كان يحيى بن أكثم هذا من أئمة السُّنَّة ، وعلماء الناس ، ومن المعظّمين للكتاب والسنّة وللفقه والحديث واتباع الأثر ، وكان قد ولّى من جهته حيّان بن بشر قضاء الشرقية ، وسَوَّار بن عبد الله العنبري قضاءَ الجانب الغربيّ[(٥)] ، كلاهما كان أعور ، فقال في ذلك بعض أصحاب ابن أبي دواد[(٦)] :

رَأيتُ مِنَ الكبائرِ قاضِيَيْنِ ... هما أُحْدُوثَةٌ في الخافِقَيْنِ
هُمَا اقْتَسَما العَمَى نِصْفَينِ قَدّاً ... كما اقْتَسَما قَضاءَ الجانِبَيْنِ
وتَحسَبُ منهما مَنْ هزَّ رأساً ... لِيَنظرَ في مَواريثٍ ودَيْنِ
كأنَّكَ قد وضَعْتَ عليه دَنّاً ... فَتَحْتَ بُزَالَهُ[(٧)] من فَرْدِ عَيْنِ
هما فَألُ الزَّمانِ بهُلْكِ يحيى ... إذ افْتَتَحَ القضاءَ بأعْوَرَيْنِ

وغزا الصائفةَ في هذه السنة عليُّ بن يحيى الأرمنيّ .

وحجَّ بالناس فيها عليّ بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، أمير الحجاز .

وفيها توفي :

حاتِم الأصمُّ[(٨)] .

---

(١) في ب . ظا : ابناه .
(٢) زيادة من ب ، ظا .
(٣) قوله : من الجوع ، لم يرد في ب ، ظا .
(٤) بعدها في ط : موضع ابن أبي دواد .
(٥) في آ ، ب : الجانب الشرقي ، والمثبت من ظا والطبري وابن الأثير .
(٦) الأبيات في تاريخ الطبري (٩/ ١٨٩) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٦٠) ، ونسبت فيهما إلى الجمّاز .
(٧) « البُزال » : موضع الثقب من الإناء .
(٨) هو حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي الأصمّ ، أبو عبد الرحمن ، الواعظ الزاهد الربّاني ، الناطق بالحكمة ، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم ، كان يقال له : لقمان هذه الأمة . حلية الأولياء (٨/ ٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٤) .

وعبد الأعلى بن حمَّاد[١] .

وعُبيد الله بن معاذ العَنبريّ[٢] .

وأبو كامل ، الفضيل بن الحسين الجَحْدَريّ[٣] .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومئتين

في ربيع الأول منها حاصر بُغا مدينة تَفْلِيس[٤] وعلى مقدمته زيرك التركي ، فخرج صاحبُ تَفْليس إسحاق بن إسماعيل فقاتله فأسر إسحاق ، فأمر بُغا بضرب عنقه وصلبه ، وأمر بإلقاء النار في النفط إلى نحو المدينة ، وكان أكثر بنائها من خشب الصَّنَوْبَر ، فأحرق أكثَرها ، وأحرَق من أهلها نحواً من خمسين ألف إنسانٍ ، وطفئت النار بعد يومين ؛ لأنَّ نار الصنوبر لا بقاءَ لها .

ودخل الجند فأسروا من بقي من أهلها واستلبوهم ، حتى استلبوا الموتى[٥] .

ثم سار بُغا إلى مدن أخرى ممن كان يمالئ أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف ، آخذاً بثأره وعقوبة لمن تجرَّأ عليه .

وفي هذه السنة جاءت الفرنج في نحو من ثلاثمئة مركب قاصدين ديار مصر من ناحية دمياط ، فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً ، وحرقوا المسجد الجامع والمنبرَ ، وأسروا من النساء نحواً من ستمئة امرأة ؛ من المسلمات مئة وخمس وعشرون امرأة ، والباقيات من نساء القِبْط ، وأخذوا من الأمتعة والأسلحة والمغانم شيئاً كثيراً جداً ، وفرَّ الناس منهم في كل جهة ، فكان من غرِقَ في بحيرة تِنِّيس أكثرَ ممن أسروه ، ثم رجعوا على حَمِيَّةٍ[٦] ، ولم يعرض لهم أحد حتى عادوا إلى بلادهم ، لعنهم الله وقبّحهم .

وفي هذه السنة غزا الصائفة عليّ بن يحيى الأرمنيّ .

---

(١) أبو يحيى النَّرسي البصري ، الحافظ المحدث . وثقه أبو حاتم وغيره . كان ممن قدم على المتوكل فوصله بمال . سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨) ، والعبر (١/ ٤٢٤) .

(٢) أبو عمرو العنبري البصري ، الحافظ ، الثقة . كان يحفظ نحواً من عشرة آلاف حديث . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٨٤) .

(٣) سمع حمّاد بن سلمة والكبار ، وكان له حفظ ومعرفة . تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٦٩) والعبر (١/ ٤٢٥) .

(٤) « تَفْليس » : بلد بأرمينية الأولى ، وبعض يقول : بأرّان ، وهي مدينة قديمة أزلية . ياقوت .

(٥) في آ ، ط : المواشي ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا والطبري وابن الأثير .

(٦) أي بشدة وسرعة .

وحجَّ بالناس أمير السنة التي قبلها .

وفيها توفي الإمام إسحاق بن رَاهَوَيْه(١) ، أحدُ الأعلام وعلماء الإسلام ، والمجتهدين من الأنام .

وبشر بن الوليد ، الفقيه الحنفي(٢) .

وطالوت بن عبَّاد(٣) .

ومحمد بن بكار بن الريان(٤) .

ومحمد بن البُرْجُلانيّ(٥) .

ومحمّد بن أبي السّريّ العسقلانيّ(٦) .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومئتين

في المحرم منها زاد المتوكِّلُ في التغليظ على أهل الذِّمَّة في التمييز في اللباس عن المسلمين ، وأكَّد الأمر بتخريب الكنائس المُحدَثة في الإسلام .

وفيها : نَفَى المتوكِّلُ عليَّ بن الجهم إلى خراسان .

وفيها : اتفق شعانين النَّصارى والنَّوروز(٧) في يوم واحد ، وذلك يوم الأحد ، العشرين من ذي

(١) أبو يعقوب ، الحنظلي المروزي ، سيّد الحفاظ ، وشيخ المشرق . صاحب التصانيف . قال الإمام أحمد : لا أعلم بالعراق له نظيراً ، عاش سبعاً وسبعين سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨) ، والعبر (١/ ٤٢٦) .

(٢) بشر بن الوليد الكندي ، أبو الوليد ، قاضي العراق . تفقّه على أبي يوسف ، وسمع من مالك وطبقته . كان محمود الأحكام ، كثير العبادة والنوافل ، محدّثاً صادقاً ، مات وله سبع وتسعون سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٣) ، العبر (١/ ٤٢٧) .

(٣) أبو عثمان الصَّيرفيّ البصريّ ، المعمّر ، الثقة ، له مشيخة عالية مشهورة . روى عن حمّاد بن سلمة وطبقته . سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٥) ، والعبر (١/ ٤٢٧) .

(٤) في آ ، ظا ، ط : الزيات ، وأثبت ما جاء في ب والمصادر . وهو محمد بن بكار بن الريان ، أبو عبد الله البغدادي الرُّصافي ، مولى بني هاشم ، محدّث حافظ صدوق . عاش ثلاثاً وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ١١٢) ، العبر (١/ ٤٢٨) .

(٥) نسبة إلى قرية بُرجُلان ، قرية من قرى واسط ، أو نسبة إلى محلة البُرجلانية . وهو محمد بن الحسين بن أبي شيخ البرجلاني ، صاحب التواليف في الرقائق ، وعنه ابن أبي الدنيا كثيراً . سير أعلام النبلاء (١١/ ١١٢) ، العبر (١/ ٤٢٨) ، اللباب (١/ ١٣٤) .

(٦) أبو عبد الله ، الحافظ العالم الصادق ، من أوعية الحديث .
قال ابن عدي : كان كثير الغلط . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦١) ، العبر (١/ ٤٢٩) .

(٧) في ظا : والنَّيروز . وفي ط : يوم النيروز . ومعناهما بالفارسية اليوم الجديد ، وهو أول يوم من السنة الشمسيّة =

القَعْدَة ، وزعمت النَّصارى أنَّ هذا شيء لم يتفق مثلُه في الإسلام إلا في هذا العام .

وغزا الصائفة عليُّ بن يحيى المذكور[١] . وحجَّ بالناس عبدُ الله بن محمّد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، وهو والي مكّة .

قال ابنُ جرير[٢] : وفيها توفي أبو الوليد محمد بن القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي المعتزليّ .

قلت : وممن توفي فيها من الأعيان :

داود بن رُشَيد[٣] .

وَصَفْوان بن صالح[٤] ، مؤذن أهل دمشق .

وعبد الملك بن حَبيب[٥] ، الفقيه المالكي ، أحد المشاهير .

وعثمان بن أبي شيبة ، صاحب « التفسير » و« المسند » المشهور[٦] .

ومحمد بن مِهْران الرازي[٧] .

ومحمود بن غَيْلان[٨] .

ووَهْب بن بَقيَّة[٩] .

= الإيرانية ، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر آذار من السنة الميلادية . وعيد النَّوْروز أو النَّيْروز أكبر أعياد الفرس .

(١) في الطبري : علي بن يحيى الأرمني .

(٢) تاريخ الطبري (٩/ ١٩٦) .

(٣) أبو الفضل الخوارزمي البغدادي ، مولى بني هاشم ، رحَّال جوَّال ، صاحب حديث ، حافظ ، ثقة ، من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٣) ، والعبر (١/ ٤٢٩) .

(٤) أبو عبد الملك الثقفي الدمشقي ، مؤذن جامع دمشق ، كان حنفي المذهب ، الحافظ المحدث الثقة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧٥) ، العبر (١/ ٤٣٠) .

(٥) أبو مروان ، الأندلسي القرطبي المالكي ، فقيه الأندلس ، وأحد الأعلام . كان موصوفاً بالحِذق في الفقه ، كبير الشأن ، بعيد الصيت ، كثير التصانيف ، إلا أنه لم يكن له علم بالحديث ، وليس فيه بحجة . من مصنفاته كتاب الواضحة وغير ذلك . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٠٢) ، العبر (١/ ٤٢٧) .

(٦) هو عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ، أبو الحسن العبسيّ الكوفي ، رحل ، وطوّف ، وصنف التفسير والمسند ، وكان ثقة مأموناً ، صاحب دعابة . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٥١) ، العبر (١/ ٤٣٠) .

(٧) أبو جعفر الجمّال الرازي ، ثقة حافظ ، جوّال ، روى عن فضيل بن عياض وخلق كثير . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٤٣) ، العبر (١/ ٤٣٠) .

(٨) أبو أحمد المروزي ، محدّث مرو ، الحافظ الحجّة ، صاحب سنة . وثقه النسائي . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٣) ، العبر (١/ ٤٣١) .

(٩) وهب بن بَقِيّة بن عثمان بن سابور ، أبو محمد الواسطي ، ويقال له : وَهْبان . كان ثقة ، قدم بغداد وحدّث بها . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦٢) ، العبر (١/ ٤٣١) .

أحمد بن عاصم الأنطاكيّ[١] : أبو علي الواعظ الزاهد أحد العبّاد ، له كلام حسنٌ في الزُّهد ومعاملات القلوب ، قال أبو عبد الرحمن السلميّ ، كان من طبقة الحارث المحاسبي ، وبِشر الحافي . وكان أبو سليمان الدارانيّ يسميه جاسوسَ القلوب ، لحدَّة فِراسته .

روى عن أبي معاوية الضَّرير وطبقته .

وعنه : أحمد بن أبي الحَواري ، ومحمود بن خالد ، وأبو زُرْعَة الدِّمشقيّ ، وغيرهم .

وروى عنه أحمد بن أبي الحَواري ، عن مخلد بن الحسين ، عن هشام بن حسان ، قال : مررت بالحسن البصري وهو جالس وقت السحر ، فقلت : يا أبا سعيد ، مثلك يجلس في هذا الوقت ؟ قال : إني قد توضأت ، فأردتها[٢] أن تقوم فتصلي ، فأبت عليَّ ، وأرادتني[٣] على أن تنام فأبَيْتُ عليها .

ومن مستجاد كلامه : إذا أردتَ صلاح قلبك فاستعِنْ عليه بحفظ لسانك[٤] .

وقال : من الغنيمة الباردة أن تصلحَ ما بقي من عمرك فيغفرَ لك ما مضى منه .

وقال أيضاً : يَسيرُ اليقين يُخرج الشَّكَّ كلَّه من القلب ، ويَسيرُ الشَّكِّ يُخرجُ اليقين كلَّه منه .

وقال : من كان بالله أعرفَ كان منه أخْوَفَ .

وقال : خيرُ صاحبٍ لك في دنياك الهمُّ ، يقطعُكَ عن الدُّنيا ويُوصلك إلى الآخرة[٥] .

ومن شعره[٦] رحمه الله :

هَمَمْتُ ولَمْ أعزمْ ولو كنتُ صادقاً ... عَزَمْتُ ولكنَّ الفِطَامَ شَديدُ
ولو كانَ لي عَقْلٌ وإيقانُ مُوقنٍ ... لَمَا كُنْتُ عَنْ قَصْدِ الطَّريقِ أحِيدُ
ولا كانَ في شَكِّ اليقينِ[٧] مَطَامِعي ... ولكنْ عنِ الأقدارِ كيفَ أحِيدُ

ومن شعره أيضاً :

---

(١) ترجمته في حلية الأولياء (٩/ ٢٨٠) ، صفة الصفوة (٤/ ٢٧٧) ، مختصر ابن عساكر (٣/ ١٢٧) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٨٧ و١١/ ٤٠٩) .

(٢) في ط : وأردت نفسي على الصلاة .

(٣) في آ : وأرادت .

(٤) في ط : جوارحك .

(٥) الأقوال في مختصر ابن عساكر (٣/ ١٢٧ـ١٢٩) .

(٦) مختصر ابن عساكر (٣/ ١٣٠) .

(٧) في آ : الطريق .

داعياتُ الهَوَى تخفُّ علينا وخلافُ الهوَى عَلْينا ثَقِيلُ
فُقِدَ الصِّدْقُ[١] في الأماكنِ حتَّى وَصْفُه اليَوْمَ ما عليه دَليلُ
لا نَرَى خائِفاً[٢] فيلزمُنا الخَوْ فُ ولا صَادِقاً بما قد يقولُ
فَبَقيْنا مُذَبْذَبين حَيارَى نطلبُ الصِّدْقَ ما إليه وُصُولُ[٣]

وله أيضاً :

هَوِّنْ عليكَ فكُلُّ الأمْرِ يَنْقَطِعُ وخَلِّ عنْكَ عِنانَ[٤] الهَمِّ ينْدَفِعُ
فَكُلُّ همٍّ له مِنْ بعده فَرَجٌ وكلُّ كَرْبٍ إذا ما ضَاقَ يتَّسِعُ
إنَّ البَلاءَ وإنْ طالَ الزَّمانُ بِهِ الْمَوْتُ يقْطَعُهُ أوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ

وقد أطال الحافظ ابنُ عساكر[٥] ترجمته ولم يؤرِّخْ وفاته ، وإنما ذكرته هاهنا تقريباً ، والله أعلم .

سنة أربعين ومئتين من الهجرة النبوية

فيها : عدا أهلُ حمصَ على عاملهم أبي المُغِيث[٦] موسى بن إبراهيم الرَّافقي[٧] ، وكان قد قتل رجلاً من أشرافهم ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، وأخرجوه من بين أظهرهم ، فبعث إليهم المتوكِّل أميراً عليهم، وقال للسفير معه : إن قبلوه[٨] وإلا فأعلمني ، فقبلوه ، فعمل فيهم الأعاجيبَ ، وأهانهم غاية الإهانة .

وفيها : عزل المتوكِّلُ القاضي يحيى بن أكثم عن قضاء القضاة[٩] ، وصادره بما مبلغه ثمانون ألفَ دينار ، وأخذ منه أراضيَ كثيرةً في أرض البصرة ، وولَّى مكانه جعفرَ بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي على قضاء القضاة[١٠] .

(١) في آ : الصبر .
(٢) في آ : الخوف .
(٣) في ب ، ظا ، ط : سبيل .
(٤) في ط : ضباب .
(٥) ترجمته في ابن عساكر ناقصة في نسخ دار الكتب الظاهرية ، وهي في مختصر ابن عساكر لابن منظور (٣/ ١٢٧) وما بعد .
(٦) في ط : « الغيث » خطأ . وتنظر ترجمته في تاريخ دمشق (٦٠/ ٣٨٨) .
(٧) في الطبري وابن الأثير : الرافعي ، خطأ .
(٨) في آ : قتلوه . . فقتلوه .
(٩) في آ : البصرة .
(١٠) في آ : البصرة .

قال ابن جرير[١] : وفي المحرّم منها توفي أحمد بن أبي دواد بعد ابنه بعشرين يوماً .

وهذه ترجمة أحمد بن أبي دُوَاد القاضي[٢] : أحمد بن أبي دُواد ـ واسمه الفرج ، وقيل : دُعْمَيّ ، والصحيح أن اسمه كنيته ـ بن جرير القاضي ، أبو عبد الله الإياديّ المعتزليّ .

قال ابن خلكان[٣] في نسبه : هو أبو عبد الله أحمد بن أبي دُوَاد فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عَبَّاد بن سَلام [بن مالك] بن عبد هند بن عبد لَخْم بن مالك بن قَنَص بن مَنَعة بن برجان بن دَوْس بن الدُّئِل[٤] بن أُميَّة بن حذافة بن زُهر بن إياد بن نِزار بن معدّ بن عدنان .

قال الخطيب[٥] البغدادي : ولي ابنُ أبي دُوَاد قضاء القضاة للمعتصم ، ثم للواثق ، وكان موصوفاً بالجود والسَّخاء ، وحسن الخلق ، ووفور الأدب ، غير أنَّه أعلن بمذهب الجَهْمِيّة ، وحمل السلطان[٦] على امتحان الناس بخلْق القرآن[٧] .

قال الصّولي[٨] : لم يكن بعد البرامكة أكرم منه ، فلولا ما وضع من نفسه من محبة المِحْنة لاجتمعت عليه الألسن .

قالوا : وكان مولده في سنة ستين ومئة ، وكان أسنَّ من يحيى بن أكثم بعشرين[٩] سنة .

قال ابن خلكان[١٠] : وأصله من بلاد قِنَّسْرين[١١] ، وكان أبوه تاجراً يفدُ إلى الشام ، ثم أخذ ولدَه معه

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٩٧) .

(٢) ترجمته في تاريخ بغداد (٤/ ١٤١) ، وفيات الأعيان (١/ ٨١) ، مختصر ابن عساكر (٣/ ٦٦) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٩) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٢٨١) ، شذرات الذهب (٢/ ٩٣) .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ٨١) .

(٤) في النسخ غير مقروءة ، وأثبت ما جاء في الجمهرة (٣٢٨) ، ووفيات الأعيان .

(٥) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٢) ، ومختصر ابن عساكر (٣/ ٦٦) .

(٦) في ب ، ظا : الخليفة .

(٧) بعدها في ط : وأن الله لا يُرى في الآخرة .

(٨) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٢) ، ومختصر ابن عساكر (٣/ ٧٠) .

(٩) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٢) وهو مخالف لما ذكر عن ولادة يحيى بن أكثم ، إذ أجمعت المصادر أنه ولد أيضاً نحو سنة ١٥٩هـ . وفيات الأعيان (١/ ٨٩) .

(١٠) وفيات الأعيان (١/ ٨١) .

(١١) « قِنَّسرين » : بكسر أوله ، وفتح ثانيه وتشديده . وقد كسره قوم ، ثم سين مهملة . كانت وحمص شيئاً واحداً ، فتحت على يد أبي عبيدة بن الجراح ، رضي الله عنه سنة ١٧هـ . ياقوت .

إلى العراق ، فاشتغل بالعلم ، وصحب هَيّاج بن العلاء السّلمي ، أحد أصحاب واصل بن عطاء ، فأخذ عنه الاعتزال .

وذكر[١] أنه كان يصحب يحيى بن أكثم القاضي ويأخذ عنه العلم . ثم سرد له ترجمة طويلة في كتاب الوفيات[٢] . وقد امتدحه بعض الشعراء فقال[٣] :

رَسُـولُ[٤] اللهِ والخلفـاءُ مِنَّـا ومنَّـا أحمَـدُ بـنُ أبـي دُوَادِ

فردَّ عليه بعضُ الشعراء[٥] فقال :

فَقُـلْ للفـاخـريـنَ علـى نِـزارٍ وَهُمْ في الأرضِ ساداتُ العِبادِ
رَسُـولُ اللهِ والخلفـاءُ مِنَّـا ونَبْـرَأُ مـن دَعِـيّ بنـي إيـادِ
ومـا مِنَّـا إيـادٌ إذ أقـرَّتْ بـدَعْـوَةِ أحمَـدَ بـنِ أبـي دُوَادِ

فلمَّا بلغ ذلك أحمد بن أبي دُوَاد ، قال : لولا أني أكره العقوبة لعاقبْتُ هذا الشاعر عقوبةً ما فعلَها أحدٌ ، وعفا عنه .

قال الخطيب[٦] : حدثني الأزهري ، حدّثنا عمر بن أحمد الواعظ ، حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك ، حدثني جرير بن أحمد أبو مالك ، قال : كان أبي ـ يعني أحمد بن أبي دُوَاد ـ إذا صلَّى رفَعَ يديه[٧] إلى السَّماء وخاطَبَ ربَّه ، وأنشأ يقولُ[٨] :

مـا أنـتَ بـالسَّبَبِ الضَّعِيفِ وإنَّمـا نُجْـحُ الأمـورِ بقـوَّةِ الأسبـابِ
واليـومَ حـاجَتُنـا إليـكَ وإنَّمـا يُدْعَى الطَّبيبُ لِسَاعَةِ الأوصابِ[٩]

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٨٤) .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٨١ ـ ٩١) .
(٣) وفيات الأعيان (١/ ٨٦) ضمن أبيات خمسة قالها مروان بن أبي الجنوب ، تاريخ بغداد (٤/ ١٤٣) ، مختصر ابن عساكر (٣/ ٦٧) .
(٤) حتى قوله : سادات العباد ساقط في آ .
(٥) هو أبو هِفان المَهْزَميّ ، كما في وفيات الأعيان (١/ ٨٧) ، وتاريخ بغداد (٤/ ١٤٣) ، ومختصر ابن عساكر (٣/ ٦٧) .
(٦) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٣) .
(٧) في ب ، ظا وتاريخ بغداد : يده .
(٨) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٣) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧٠) .
(٩) الأوصاب : الأمراض ، مفردها : الوصب .

ثم روى الخطيب[١] : أنَّ أبا تمام دخل يوماً على ابن أبي دُوَاد ، فقال له : أحسبك عاتباً [يا أبا تمام][٢] ؟ فقال : إنَّما يُعْتَبُ على واحدٍ وأنتَ النَّاسُ جميعاً . فقال له : أنَّى لك هذه ؟ فقال : من[٣] قول أبي نواس :

وليـــــسَ للهِ[٤] بِمُسْتَنْكَـــــرٍ   أن يَجْمَـعَ العـالَـم فـي واحـدِ

وامتدَحه أبو تمام يوماً فقال[٥] :

لقـد أنْسَـتْ مَسَـاوِئَ كُـلِّ دَهْـرٍ   مَحَـاسِـنُ أحمَـدَ بـنِ أبـي دُوَاد
ومـا سـافَـرْتُ فـي الآفـاقِ إلا   وَمِـنْ جَـدْوَاكَ راحِلَتـي وَزَادِي
يُقيـمُ الظَّـنُّ عِنْـدَكَ والأمـانـي   وإنْ قَلِقَـتْ رِكـابـي فـي البـلادِ

فقال له : هذا المعنى تفردت به أو أخذتَه من غيرك ؟ فقال : هو لي ، غير أني ألممت[٦] بقول أبي نواس[٧] :

وإنْ جَـرَتِ الألْفَـاظُ يَـوْمـاً بمـدْحـةٍ   لِغَيْـرِكَ إنسانـاً فـأنْـتَ الَّـذي نَعْنِـي

وقال محمد بن يحيى الصولي : ومن مختار مديح أبي تمام لأحمدَ بن أبي دُوَاد قولُه[٨] :

أأحْمَـدُ إنَّ الحـاسِـديـنَ كَثيـرُ   ومَـا لَـكَ إنْ عُـدَّ الكِـرامُ نَظيـرُ
حَلَلْتَ مَحَلاً فاضِلاً[٩] متقادماً[١٠]   مِنَ المَجدِ ، والفَخْرُ القديمُ فَخُورُ[١١]

(١) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٤) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧٠) .
(٢) زيادة من تاريخ بغداد ومختصر تاريخ ابن عساكر .
(٣) في تاريخ بغداد ومختصر ابن عساكر : من قول الحاذق ـ يعني أبا نواس ـ للفضل بن الربيع .
(٤) في ط : « وليس على الله » ، وماهنا من النسخ ، وهو الموافق لجميع النسخ الخطية من تاريخ الخطيب ، كما يظهر من تعليق الدكتور بشار عواد على طبعته منه (٥/ ٢٣٧) والبيت من السريع ، والمصنف ينقل من تاريخ الخطيب .
(٥) ديوانه (١/ ٣٧٤) ، وتاريخ بغداد (٤/ ١٤٥) ، ومختصر ابن عساكر (٣/ ٧١) .
(٦) في ط : ألمحت ، وفي ب ، ظا : أتممت قول .
(٧) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٥) .
(٨) ديوانه (٢/ ٢١٨) ، تاريخ بغداد (٤/ ١٤٥) .
(٩) في النسخ : قاضياً ، وأثبت ما جاء في ط والديوان .
(١٠) الديوان : متقدِّماً .
(١١) ويروى فُخور ، بضم الفاء ، ومعناه : أن الفخر القديم يقوم مقام الفخور الكثيرة ، ومن فتحها أراد أن الإنسان إذا كان له شرف قديم فكأنه يفخر ، لأنه لا اختلاف في أن ما قدم من المآثر أفضل من المحدثات . الديوان (٢/ ٢١٨) حاشية (٣) .

فَكُـلُّ غَنِـيٍّ أو فَقِيـرٍ فـإنَّـهُ[١] إليـكَ وإنْ نـالَ السَّمـاءَ فَقِيـرُ
إليكَ تَنَاهَى المَجْدُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ يَصيـرُ فما يَعْـدُوكَ حَيْـثُ يَصِيـرُ[٢]
وبَـدْرُ إيـادٍ أنْـتَ لا يُنْكِـرُونَـهُ كـذاكَ إيـادٌ لـلأنـامِ بُـدورُ
تَجَنَّبْتَ أنْ تُـدْعَى الأمِيرَ تَـوَاضُعاً وأنْـتَ لِمَـنْ يُـدْعَى الأميرَ أمِيرُ[٣]
فَمَـا مِـنْ نَـدًى إلا إلَيْـكَ مَحَلُّـهُ ومـا رِفْعَـةٌ إلا إليـكَ تَشيـرُ[٤]

قلت : وقد أخطأ الشاعر في هذا خطأ كبيراً ، وأفحَشَ في المبالغة كثيراً[٥] .

وقال أحمد بن أبي دُوَاد يوماً لبعضهم : لِم لا تسألني ؟ فقال له : لأني لو سألتك أعطيتُك ثمن[٦] ما تعطيني ، فقال له : صدقْتَ ، وأرسَلَ إليه بخمسة آلاف درهم[٧] .

وقال ابنُ الأعرابي : سأل رجلٌ من [أصحاب][٨] ابن أبي دُوَاد أن يحمله على عَيْر[٩] ، فقال : يا غلام ، أعطه عيْراً وبَغْلاً وبِرْذَوناً[١٠] وفرساً وجاريةً ، ثم قال له : لو أعلم مركوباً غيرَ هذا لأعطيتك[١١] . ثم أورد الخطيبُ[١٢] بأسانيده عن جماعة من الناس في أخبارٍ تدُلُّ على كرمه ، وفصاحته ، وأدبه ، وحلمه ، ومبادرته إلى قضاء الحاجات ، وعظم[١٣] منزلته عند الخلفاء .

وذكر[١٤] عن محمد المهتدي بن الواثق : أنَّ شيخاً دخل يوماً على الواثق ، فسلَّم ، فلم يردَّ عليه الخليفة ، بل قال : لا سلَّمَ اللهُ عليك . فقال : يا أميرَ المؤمنين ! بئس ما أدَّبك معلِّمُك ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء : ٨٦] فلا حيَّيتني بأحسَنَ منها ولا رددتَّها . فقال

---

(١) الديوان : فكلُّ قويٍّ أو غنيٍّ فإنَّه .
(٢) الديوان : حين تصير ، وقال التبريزي في شرحه : تقديره : يصير حين تصير فما يعدوك .
(٣) سقط هذا البيت من نسخة آ واستدرك من ب ، ظا ، وقد تأخر في الديوان عمايليه . وترتيبه هنا كما ورد في تاريخ بغداد .
(٤) في آ وتاريخ بغداد : تشير ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا والديوان .
(٥) بعده في ط : ولعله إن اعتقد هذا في مخلوق ضعيف مسكين ضال مضل ، أن يكون له جهنم وساءت مصيراً .
(٦) في ط : ثمن صلتك .
(٧) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٥) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧١) .
(٨) تكملة من ب ، ظا .
(٩) « العَيْر » : الحمار .
(١٠) « البِرْذَون » : ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء ، وجمعها بَرَاذين .
(١١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧٣) .
(١٢) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٦) .
(١٣) في ب ، ظا : عظمة ، وفي ط : عظيم .
(١٤) تاريخ بغداد (٤/ ١٥١ ـ ١٥٢) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧٧) .

القاضي أحمد بن أبي دُوَاد : يا أميرَ المؤمنين ، الرجلُ متكلِّم . فقال : ناظره . فقال له القاضي : ما تقولُ يا شيخُ في القرآن ، أمخلوق هو ؟ فقال له الشيخ : لم[١] تنصفني ، المسألة لي . فقال : قل . فقال : هذا الذي تقوله علمَه رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ أو ما علموه ؟ فقال : لم يعلموه . قال : فأنتَ علمت ما لَمْ يعلَموا ؟ فخجل وسكت . ثم قال : أقلني ، بل علموه ، قال : فلم لا دعوا إليه الناسَ كما دعوتهم أنتَ ، أمَا وسعَكَ ما وسعهم ؟ فسكت ابن أبي دُوَاد . وأمر الواثق له بجائزة نحو من أربعمئة دينار .

قال المهتدي : فدخل أبي المنزل واستلقى على قفاه[٢] ، وجعل يكرِّرُ قولَ الشيخ على نفسه ، ويقول : أمَا وسِعَكَ ما وسعهم ؟ ثم أطلق[٣] الرجلَ وأعطاه أربعمئة دينار ، وردَّه إلى بلاده ، وسقط من عينه أحمد بنُ أبي دُوَاد ، ولم يمتحن بعدَه أحداً . رواه الخطيب[٤] البغدادي في « تاريخه » بإسنادٍ فيه بعضُ من لا أعرفه ، وساقها مطوَّلةً وفيها نكارة .

وقد أنشد ثعلبٌ عن أبي الحجَّاج الأعرابي ، أنَّه قال في ابن أبي دُوَاد :

نَكَسْتَ الدِّينَ يا بْنَ أبي دُوَاد ... فأصْبَحَ مَنْ أطَاعَكَ في ارْتِدَادِ
زَعَمْتَ كلامَ ربِّكَ كان خَلْقاً ... أمَا لَكَ عندَ ربِّكَ مِنْ مَعادِ
كلامُ اللهِ أنزلَهُ بعلمٍ ... وأنزلَهُ على خَيْرِ العبادِ
ومَنْ أمْسَى ببابِكَ مستَضيفاً ... كَمَنْ حَلَّ الفَلاةَ بغيرِ زَادِ
لقدْ أطرفْتَ يا بْنَ أبي دُوادٍ ... بقَوْلِكَ إنَّني رَجُلٌ إيادي

ثم قال الخطيب[٥] : أنبأ القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري ، قال : أنشدنا المعافَى بن زكريا الجريري ، عن محمد بن يحيى الصّولي لبعضهم ، يهجو أحمد بن أبي دُوَاد :

لو كُنْتَ في الرأي منسُوباً إلى رَشَدِ ... وكَان عَزْمُكَ عَزْماً فيه توفيقُ
لكان في الفقه شغلٌ لو قَنِعْتَ به ... عن أن تقولَ : كتابُ الله مخلُوقُ
ماذا عَلَيْكَ وأصلُ الدِّين يجمَعُهُمْ ... ما كان في الفرع، لولا الجهلُ والمُوقُ

وقد تقدمت[٦] هذه الأبيات .

---

(١) في آ : لِم لا تنصفني .
(٢) في ط : « ظهره » ، وما هنا من ب ، ظا ، وتاريخ الخطيب .
(٣) في ب ، ظا : ثم أمر بإطلاق الرجل وإعطائه .
(٤) تاريخ بغداد (٤/ ١٥٢) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) تقدمت في حوادث سنة (٢٣٧) ، رواها ابن جرير الطبري ونسبها إلى أبي العتاهية .

وروى الخطيب[١] عن يحيى الجلاء أو أحمد بن الموفَّق أنه قال : ناظَرني رجلٌ من الواقِفيّة[٢] في خَلْق القرآن ، فنالني منه ما أكرَه ، فلما أَمْسَيْتُ أتيْتُ امرأتي ، فوضعَتْ ليَ العشاء فلم أقدرْ أن أنالَ منه شيئاً . ونمت فرأيتُ رسولَ الله ﷺ في المسجد الجامع ، وهناك حَلْقة فيها أحمدُ بن حنبل وأصحابه ، [وحَلْقَة فيها أحمد بن أبي دُوَاد وأصحابه][٣] ، فجعل رسولُ الله ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ ويشير إلى حلقة ابن أبي دُوَاد ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] . ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه ، رحمهم الله .

وقال بعضهم : رأيت في المنام [ليلة مات أحمد بن أبي دُوَاد][٤] ، كأنَّ قائلاً يقول : هَلَكَ الليلةَ أحمدُ بن أبي دُوَاد . فقلت : وما سببُ هلاكه ؟ فقال : أغضَبَ اللهَ عليه فغضِبَ عليه من فوق سبع سماوات .

وقال بعضهم : رأيت في تلك الليلة كأنَّ النَّار زفرت زفرةً عظيمةً فخرج منها اللهب ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : هذه أُعِدَّت لابن أبي دُوَاد .

وقد كان موته في يوم السبت لسبع[٥] بقيت من المحرم من هذه السنة ، وصلَّى عليه ابنه العباس ، ودفن في داره ببغداد وعمره يومئذ ثمانون سنة . وكان قد فلج ، قبل موته بأربع سنين ، وبقي طريحاً في فراشه لا يقدر أن يحرِّكَ شيئاً من جسده[٦] .

وقد دخل عليه بعضهم فقال له : والله ما جئتك عائداً ، ولكن جئتك لأحمدَ الله عزَّ وجلَّ على أن سجنك في جسدك[٧] .

وقد صودر في العام الماضي بأموال جزيلة جدًّا[٨] ، كما تقدَّم[٩] بيانه .

قال ابن خلكان[١٠] : وقد كان مولده في سنة ستين ومئة .

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ١٥٣) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧٦) . وفيهما : علي بن الموفق بخلاف الأصول .
(٢) « الواقفية » : فرقة من المتصوفة والمبْطلة .
(٣) زيادة في ب ، ظا .
(٤) زيادة من ب ، ظا .
(٥) في ظا : لتسع ، وفيات الأعيان (١/ ٩٠) .
(٦) بعدها في ط : وحرم لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك .
(٧) بعدها في ط : الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن ، ثم خرج عنه داعياً عليه بأن يزيده الله ولا ينقصه مما هو فيه ، فازداد مرضاً إلى مرضه .
(٨) بعدها في ط : ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل .
(٩) تقدم في حوادث سنة (٢٣٧) .
(١٠) وفيات الأعيان (١/ ٨٩) .

قلت : فعلى هذا يكونُ أسنَّ من أحمد بن حنبل ، ومن يحيى بن أكثم الذي ذكر ابنُ خلكان أنَّه كان سبب اتصاله بالمأمون على يديه ، فحظي عنده بحيث إنه أوصَى به إلى أخيه المعتصم ، فولاه المعتصم القضاء ، وعزل ابن أكثم . وكان لا يقطع أمراً دونه ، فكان عنده خصيصاً ، ولاه القضاء والمظالم . وكان ابنُ الزيات الوزيرُ يبغضه ، وبينهما منافسات وهجو[١] كما تقدَّم .

وقد بالغ ابن خلكان[٢] في ترجمته ومدحه وقرَّظه وذكره من مآثره ومحاسنه ، فأطنَبَ وأكثر ، وما أطيب . ولم يذكر شيئاً من مساوئه ، بل ذكر امتحانه للإمام أحمد بن حنبل ذِكراً موجزاً بأطراف الأنامل ؛ وهي المحنة التي هي أسُّ[٣] ما بعدها من المحن ، والفتنة التي فتحت على الناس أبواب الفتن .

وذكر [ابن خلكان][٤] ما ضُرب به من الفالج ، وما صُودِرَ به من المال ، وأن ابنَه أبا الوليد محمداً صُودِرَ بألف ألف دينارٍ ومئتي ألف دينار ، وأنَّه مات قبل أبيه بشهر .

وأما الحافظ ابنُ عساكر[٥] فإنَّه بسَطَ القول في ترجمته وشرحها شرحاً مليحاً .

وقد كان الرجل أديباً فصيحاً كريماً جواداً ممدَّحاً ، يؤثر العطاء على المنع ، والتفرقة على الجمع ، وقد روى [ابن عساكر][٦] بإسناده : أنَّه جلس يوماً مع أصحابه ينتظرون خروجَ الواثق ، فقال[٧] القاضي : إنَّه ليعجبني هذان البيتان :

ولـي نَظْـرَةٌ لَـوْ كـانَ يُحْبِـلُ نـاظِـرٌ ... بِنَظْـرَتِـهِ أُنْثَـى لَقَـدْ حَبِلَـتْ مِنِّـي

فإنْ وَلَدَتْ ما بَيْنَ[٨] تِسْعَةِ أَشْهُرٍ ... إلـى نَظَـري إبْنـاً فـإنَّ ابنَهـا مِنِّـي[٩]

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أبو ثور ، إبراهيم بن خالد الكلبيّ[١٠] ، أحدُ الفقهاء المشاهير ؛ قال الإمام أحمد : هو عندنا في

---

(١) في ب ، ظا : هجر .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٨١ ـ ٩١) .
(٣) في ب ، ظا : رأس . وأسُّ الشيء : أصله .
(٤) زيادة من (ط) : وفيات الأعيان (١/ ٨٩ ـ ٩٠) .
(٥) مختصر ابن عساكر لابن منظور (٣/ ٦٦ ـ ٧٨) .
(٦) زيادة من ط ، مختصر ابن عساكر (٣/ ٧٥) وفيه البيتان .
(٧) في ط : فقال ابن أبي دواد .
(٨) في ب ، ظا : من بعد .
(٩) في آ : إلى نظرٍ ، وفي مختصر ابن عساكر : إلى نظري أنثى فإن ابنها ابني .
(١٠) ويكنى أيضاً أبا عبد الله البغدادي ، مفتي العراق ، أحد الأعلام ، تفقه بالشافعي ، وبرع بالعلم ولم يقلِّد أحداً. سمع من سفيان بن عيينة وغيره . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٧٢) ، العبر (١/ ٤٣١) .

مِسْلاخ[١] الثوريّ .

وخليفةُ بنُ خَيَّاط ، أحدُ أئمة التاريخ[٢] .

وسُوَيد بنُ سعيد الحَدَثانيّ[٣] .

وسُوَيد بنُ نَصْر[٤] .

وعبد السلام بن سعيد ، الملقب بسُحْنُون ، أحدُ فقهاء المالكية المشهورين .

وعبد الواحد بن غِياث[٥] .

وقتيبة بن سعيد ، شيخ الأئمة الستة[٦] .

وأبو العَمَيْثَل[٧] : عبد الله بن خُلَيْد[٨] ، كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان عالماً باللغة وله فيها مصنفات عديدة أورد منها القاضي ابن خلكان جملة . ومن شعره يمدَحُ عبدَ الله بن طاهر[٩] :

يا مَنْ يُحاوِلُ أنْ تَكُونَ صِفاتُهُ كصفاتِ عبدِ الله أنصِتْ واسْمَعِ
فلأنْصَحَنَّكَ في خِصالٍ والَّذي حَجَّ الحَجيجُ إليه فاسْمَعْ أو دَعِ

---

(١) أي على هيئته وهديه وطريقته . والمِسْلاخ : الجلد . وفي حديث عائشة : ما رأيت امرأة أحبَّ إليَّ أن أكون في مِسلاخها من سَوْدَةَ ، تمنَّت أن تكون في مثل هديها وطريقتها . التاج : سلخ . والنهاية (٢/ ٣٨٩) .

(٢) أبو عمرو العُصْفُريُّ البصريّ ، المعروف بشَباب ، صاحب التاريخ والطبقات وغير ذلك . وعُصْفُر : فخذ من العرب . كان عالماً بالنسب والسِّير وأيام الناس ، من أبناء الثمانين . تهذيب الكمال (٨/ ٣١٤) ، والعبر (١/ ٤٣٢) .

(٣) سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار ، أبو محمد الهَرَوي الحَدَثاني ، نزيل حديثة الفرات (حديثة النورة) ، بليدة تحت عانة ، وفوق الأنبار . محدّث مكثر ، صاحب حديث وعناية بهذا الشأن ، رحّال جوّال ، قال أبو حاتم : صدوق ، كثير التدليس . بلغ مئة سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١٠) ، والعبر (١/ ٤٣٢) .

(٤) أبو الفضل المروزيّ ، ويعرف بالشاه ، إمام ، محدّث ، حدث عن ابن المبارك وابن عيينة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٠٨) ، والعبر (١/ ٤٣٢) .

(٥) عبد الواحد بن غياث المِربديّ البصري ، أبو بحر الصيرفي . ذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب التهذيب (٦/ ٤٣٨) .

(٦) في آ : أئمة السنة ، وفي ط : الأئمة والسنة ، وما أثبته من ب ، ظا . وهو قُتَيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي ، البلخي ، البَغلاني ، أبو رجاء . اسمه يحيى : وقيل : علي ، وقتيبة لقبه . سمع مالكاً والليث والكبار ، ورحل العلماء إليه من الأوطان . وكان محدِّث خراسان ، ثقة . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣) ، والعبر (١/ ٤٣٣) .

(٧) ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٨٩) ، وسمط اللآلي (٣٠٨) ، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٠) .

(٨) في ط : « خالد » ، محرف .

(٩) وفيات الأعيان (٣/ ٨٩) ، ومرآة الجنان (٢/ ١٣٠) .

اصْدُقْ وَعِفَّ وبرَّ واصْبِرْ واحْتَمِلْ واصْفَحْ وكافِ ودارِ[١] واحْلُمْ واشجعِ
والْطُفْ ولِنْ وتأنَّ وارْفُقْ واتئِدْ[٢] واحْزُمْ وجدّ وحَام واحمِلْ وادْفَعِ
فلقد محضْتُكَ إن قبلْتَ نَصِيحَتي وهُديتَ للنَّهجِ الأسَدِّ المَهْيَعِ[٣]

سُحْنُون المالكي صاحبُ المُدَوَّنة[٤] : هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التَّنُوخيّ ، أصلُه من مدينة حمص ، فدخل به أبوه مع جندها بلادَ المغرب فأقام هنالك ، وانتهت إليه رياسة مذهب مالك هنالك .

وكان قد تفقَّه على ابن القاسم ، وسببه أنَّه قدم أسدُ بنُ الفرات المالكيُّ من بلاد العراق إلى بلاد مصر ، فسأل عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك عن أسئلة كثيرة فأجابه عنها ، فعَقَلَها عنه ، ودخل فيها بلادَ المغرب فانتسخها منه سُحْنون ، ثم قدمَ على ابن القاسم مصرَ فأعاد سُؤْلَه عنها ، فزاد فيها ونقص ، ورجع عن أشياء منها ، ورتَّبها سُحْنون ، ورجع بها إلى بلاد المغرب ، وكتب معه ابنُ القاسم إلى أسَد بن الفرات أن يعرض نسخته[٥] على نسخة سُحْنون ويصلحَها بها فلم يقبَلْ ، فدعا[٦] عليه ابنُ القاسم ، فلم ينتفع به ولا بكتابه ، وصارت الرحلة إلى سُحْنون ، وانتشرت عنه « المُدوَّنةُ » ، وساد أهلَ ذلك الزمان ؛ وتولَّى القضاء بالقيروان إلى أن توفي في هذه السنة عن ثمانين عاماً ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومئتين

في جمادى الآخرة من هذه السنة وثبَ أهلُ حمصَ أيضاً على عاملهم محمد بن عبدَوَيْه ، فأرادوا قتله ، وساعدهم نصارى أهلِه أيضاً عليه ، فكتب إلى الخليفة يُعلمه بذلك ، فكتب إليه يأمره بمناهضتهم ، وكتب إلى متولّي دمشق أن يمدَّه بجيشٍ من عنده ؛ ليساعده على أهل حِمْصَ ، وكتب إليه أن يضربَ ثلاثةً منهم معروفين بالشرِّ بالسّياط حتى يموتوا ، ثم يصلُبهم على أبواب البلد ، وأن يضربَ

(١) في ط : وكافىء دار .
(٢) « اتَّئِد » : تمهل .
(٣) « المَهْيَع » : الواضح البيِّن .
(٤) ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ١٨٠) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٣) ، والعبر (١/ ٤٣٢) ، وترتيب المدارك (٢/ ٥٨٥) ، والديباج المذهب (٢/ ٣٠) ، رياض النفوس (١/ ٢٤٩) ، مرآة الجنان (٢/ ١٣١) .
وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء تفسير « سحنون » بأنه اسم طائرٍ بالمغرب ، يوصف بالفطنة والتحرُّز ، وهو بفتح السين وضمِّها .
(٥) وهي المسماة الأسديّة .
(٦) في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٦) : قال : اللهم لا تُبارك في الأسديّة ، فهي مرفوضة عند المالكية ، وخبر المسائل الأسدية في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٤٦٩) وما بعدها .

عشرين آخرين منهم ، كلّ واحدٍ منهم ثلاثمئة ثلاثمئة ، وأن يرسلهم إلى سامرّا مقيَّدين في الحديد ، وأن يخرج كلَّ نصرانيٍّ بها ، وأن يهدمَ كنيستها العظمى التي إلى جانب المسجد الجامع ، ويضيفها إليه ، وأمر له بخمسين ألف درهم ، وللأمراء الذين ساعدوه بصِلات سنيَّة ، فامتثل ما أمره به الخليفةُ في أهل حمصَ .

وفي هذه السنة ضُرب رجلٌ ببغداد يقال له : عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم[١] ، ضرباً شديداً مبرِّحاً ، يقال : إنه ضرب ألف سوط حتى مات ، وذلك لأنه شهدَ عليه سبعةَ عشرَ رجلاً عند قاضي الشرقية أبي حسّان الزيادي أنه يشتم[٢] أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة ، رضي الله عنهم أجمعين . فرفع أمره إلى الخليفة ، فجاء كتابُ الخليفة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين نائب بغداد يأمره أن يضرب هذا الرجل بين الناس حدَّ السّب ، ويضرب بالسّياط حتَّى يموت ، ويلقى في دجلة ولا يصلّى عليه ، ليرتدع بذلك أهلُ الإلحاد والمعاندة ، ففعل معه ذلك ، قبّحه الله ولعنه . ومثل هذا يكفّر إن كان قد قذف عائشة أمّ المؤمنين بالإجماع ، ومن[٣] قذف من سواها من أمهات المؤمنين قولان ، والصحيح أنَّه يكفّر أيضاً ، لأنهن أزواج رسول الله ﷺ .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة انقضّت الكواكب ببغداد وتناثرت ، وذلك ليلة الخميس لليلة خلت من جمادى الآخرة .

قال[٥] : وفيها : مُطِر الناس في آب مطراً[٦] شديداً جدًّا .

قال[٧] : وفيها مات شيء كثير من الدّواب والبقر .

قال[٨] : وفيها أغارت الرّوم على عَين زَرْبى[٩] فأسَروا مَنْ بها من الزّطّ ، وأخذوا نساءهم وذراريّهم ودوابهم .

---

(١) أضاف الطبري بعده : صاحب خاقان عاصم ببغداد .
(٢) في ب ، ظا والطبري : شتم .
(٣) في ب ، ظا : وفي قذف ، وفي ط : وفيمن .
(٤) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠١) .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠٠) .
(٦) في آ ، ظا : مطر شديد .
(٧) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠١) ونصه فيه : وفيها وقع بها الصدام فنفقت الدواب والبقر .
(٨) الطبري (٩/ ٢٠١) .
(٩) عين زربى : بلد بالثغر من نواحي المصيصة . ياقوت .

قال[1] : وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم ، وكان ذلك ببلاد طَرَسُوسَ بحضرة قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد ، عن إذن الخليفة له في ذلك ، واستنابته ابن أبي الشّوارب . فكان عدة الأسرى من المسلمين سبعمئة وخمسة وثمانين رجلاً ، ومن النساء مئة وخمساً وعشرين امرأة ، وقد كانت أم الملك تَدُورة ـ لعنها الله ـ عرضت النّصرانية على من كان في يدها من الأسرى ، وكانوا نحواً من عشرين ألفاً ، فمن أجابها إلى النصرانية وإلا قتلته ، فقتلت اثني عشر ألفاً وتنصَّر بعضهم ، وبقي منهم هؤلاء الذين ذكرناهم ، وهم قريبٌ من التسعمئة رجالاً ونساءً .

وفيها : أغارت البُجَة على حرسٍ من أرض مصر ، وقد كانت البُجَة لا يغزون المسلمين قبل هذا ، لهدنة كانت لهم من المسلمين . فنقضوا الهدنة وصارحوا بالمخالفة . والبُجَة طائفة من سودان بلاد المغرب ، وكذا النوبة والفرويّة وثنيون وزعرير وبكسوم ، وأمم كثيرون لا يعلمهم إلا الذي خلقهم . وفي بلاد هؤلاء معادن الذهب والجوهر ، وكان عليهم حمل في كلِّ سنة إلى ديار مصر من هذه المعادن .

فلما كانت دولة المتوكِّل امتنعوا من أداء ما عليهم سنين متعددة ، فكتب نائب مصر ـ وهو يعقوب بن إبراهيم الباذغيسيّ مولى الهادي ، وهو المعروف بقوصرة ـ بذلك كلِّه إلى المتوكِّل ، فغضب الخليفة من ذلك غضباً شديداً ، وشاور في أمر البُجَة ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ! إنهم قوم أهل إبلٍ وبادية ، وإنَّ بلادهم بعيدة ومعطشة ، ويحتاج الجيش الذاهبون إليها أن يتزوَّدوا لمقامهم بها طعاماً وماءً ؛ فصدَّه ذلك عن البعث إليهم .

ثم بلغه أنهم يغيرون على أطراف الصعيد ، وخشيَ أهلُ مصرَ على أنفسهم منهم ، فجهَّز لحربهم محمد بن عبد الله القُمِّيّ ، وجعل إليه نيابة تلك البلاد كلِّها المتاخمة لأرضهم ، وكتب إلى عمال مصر أن يعينوه بجميع ما يحتاج إليه من الطعام وغير ذلك ، فتخلص معه من الجيوش الذين انضافوا إليه من تلك البلاد حتى دخل بلادهم في عشرين ألفَ فارسٍ وراجلٍ ، وحمل معه الطعام والإدام في مراكبَ سبعةٍ ، وأمر الذين هم بها أن يلجُّوا بها في البحر ، ثم يوافوه بها إذا توسط بلاد البُجَة ، ثم سار حتَّى دخل بلادهم ، وجاوز معادنهم ، وأقبل إليه ملك البُجَى ـ واسمه علي بابا ـ في جمع عظيم أضعاف مَن مع محمد بن عبد الله القُمِّيّ ، وهم قوم مشركون يعبدون الأصنام ، فجعل الملك يطاول المسلمين في القتال ، لعله تنفَدُ أزوادُهم فيأخذونهم بالأيدي ، فلمَّا نفِدَ ما عند المسلمين ، وطمع فيهم السودان يسَّر الله وله الحمد بوصول تلك المراكب ، وفيها من الطعام والتمر والزيت وغير ذلك ممَّا يحتاجون إليه شيء كثير جداً ، فقسَّمه الأمير بين المسلمين بحسب حاجاتهم ، فيئس السودان من هلاك المسلمين بالجوع ،

---

(١) الطبري (٩/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) .

فشرعوا في التأهُّب لقتال المسلمين ، وكانوا يركبون على إبلٍ شبيهة بالهُجُنِ ، زَعِرة[١] جدًّا ، كثيرة النِّفار ، لا تكاد ترى شيئاً [ولا تسمع شيئاً][٢] إلا جفلت منه .

فلما كان يوم الحرب عمد الأميرُ إلى جميعِ الأجراس التي معهم في الجيش فجعلَها في رقاب الخيل ، فلمَّا كانت الوقعة حمل المسلمون حملةَ رجلٍ واحدٍ[٣] ، ونفرت إبلهم من أصوات تلك الأجراس في كلِّ وجهٍ ، وتفرَّقوا شذَر مذَرَ ، وأتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤوا ، لا يمتنع منهم أحد ، فلا يعلم عدد من قتلوا منهم إلا الله عزَّ وجلَّ . ثم أصبحوا وقد اجتمعوا رجَّالة فكبسهم القُمِّيّ من حيث لا يشعرون ، فقتل عامَّة مَن بقي ، وأخذ الملِكَ بالأمان ، وأدَّى ما كان عليه من الحمل ، وأخذه معه أسيراً إلى الخليفة .

وكانت هذه الوقعة في أوَّل يوم من هذه السنة ، وكان وصوله إلى الخليفة في أواخر هذه السنة ، فولاه الخليفة على بلاده كما كان ، وجعل إلى ابن القُمِّيّ أمْرَ تلك الناحية ، والنَّظَر في أمرها ، ولله الحمدُ والمنة .

قال ابن جرير[٤] : ومات في هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقَوْصَرَة في جمادى الآخرة .

قلت : وهذا الرجل كان نائباً على الديار المصرية من جهة المتوكل على الله .

قال[٥] : وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود ، وحجَّ جعفر بن دينار فيها ، وهو والي طريق مكة وأحداث الموسم .

ولم يتعرَّض ابنُ جرير لوفاةِ أحدٍ من المحدّثين في هذه السنة .

وقد توفي فيها من الأعيان :

الإمام أحمد بن حنبل .

وجُبَارة بن المُغَلِّس الحِمَّانيّ[٦] .

وأبو تَوْبَة الحَلبي[٧] .

---

(١) « الهجان من الإبل » : البيضاء الخالصة اللون ، من نوق هُجُن . و« زَعِرة » : قليلة الشعر .

(٢) زيادة من ط .

(٣) بعدها في ب ، ظا : وهرب السودان فرار رجل واحد .

(٤) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠٦) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) أبو محمد الحِمّاني ، الكوفي ، الشيخ المعمَّر المحدّث ، قال البخاري : حديثه مضطرب . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٥٠) ، وتهذيب الكمال (٤/ ٤٨٩) .

(٧) واسمه الربيع بن نافع ، نزيل طَرَسوس ، ثقة ، حافظ ، سمع معاوية بن سلام وشريكاً القاضي والكبار . وهو من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٣) ، والعبر (١/ ٤٣٦) .

والحسن[١] بن حمَّاد سَجَّادَة .

ويعقوب بن حُميد بن كاسِب[٢] .

ولنذكر شيئاً من أخبار :

الإمام أحمد بن حنبل[٣] رحمه الله

[فضائله ، ومناقبه ، ومآثره ، على سبيل الاختصار][٤] : فنقول وبالله المستعان : أحمد بن محمد بن حَنْبَل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عَوْف بن قاسِط بن مازن بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط به هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أُدٍّ بن أُدَد بن الهَمَيْسَع[٥] بن النبت[٦] بن قَيْذار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل [عليهما السلام][٧] ، أبو عبد الله الشيباني المروزيّ ثم البغدادي ، هكذا ساق نسبه الحافظُ الكبير أبو بكر البيهقي ، رحمه الله في الكتاب الذي جمعه في مناقب الإمام أحمد عن شيخه الحافظ أبي عبد الله الحاكم ، صاحب « المستدرك »[٨] .

---

(١) في النسخ : عيسى ، وفي ظا : عيسى بن حمَّاد وسَجَّادة ، ولعله سهو من النساخ . وهو الحسن بن حمَّاد بن كُسَيْب الحَضْرميّ ، أبو علي البغدادي ، المعروف بسَجَّادَة ، كان ثقة وصاحب سنة . كان من جِلة العلماء وثقاتهم في زمانهم . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٢) ، والعبر (١/ ٤٣٥) ، وتهذيب الكمال (٦/ ١٢٩) . وأما عيسى بن حمّاد ، فهو المعروف بزُغْبَة ، وقد توفي سنة ثمان وأربعين ومئتين .

(٢) أبو الفضل المدني ، نزيل مكة ، المحدّث الكبير ، صدوق ، ربما وهم . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٥٨) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٧٥) ، حلية الأولياء (٩/ ١٦١) .

(٣) ترجم له عدد كبير من مؤلفي كتب التراجم ، وتاريخ بغداد (٤/ ٤١٢) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، الجزء السابع ص(٢١٨ ـ ٢٩٦) ، ومختصره لابن منظور (٣/ ٢٤٠ ـ ٢٥٧) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧) ، والأعلام (١/ ٢٠٣) .

(٤) زيادة من ب ، ظا .

(٥) بعد هذا في ط : « بن حمل » ، وليس في شيء من النسخ ، ولا فيما نقله الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/ ٢٥٦) ، وجاء ذكره في غير هذا الطريق ، وفي عمود نسبه اختلاف ينظر في مصادر ترجمته .

(٦) في النسخ : ثابت ، وأثبت ما جاء في ط والمصادر .

(٧) زيادة من ط .

(٨) تاريخ بغداد (٤/ ٤١٣) ، تاريخ دمشق لابن عساكر ، الجزء السابع (ص٢١٨) وما بعدها ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٨) .

وروي عن صالح ابن الإمام أحمد قال : رأى أبي هذا النسب في كتاب لي ، فقال : وما يصنع بهذا ؟ ولم يُنكر النسب[١] .

قالوا : وقدم به أبوه من مَرْو وهو حَمْل ، فوضعته أمُّه ببغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومئة ، وتوفي أبوه وهو ابنُ ثلاث سنين ، فكفلته أمُّه .

قال صالح عن أبيه : فثقبَتْ أذنيّ وجعلَتْ فيها[٢] لؤلؤتين ، فلمّا كبِرْتُ دفعتهما إليَّ فبعتهما بثلاثين درهماً .

وتوفي أبو عبد الله أحمد بن حَنْبل في يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين[٣] ، وله من العمر سبع وسبعون سنة ، رحمه الله .

وقد كان في حداثته[٤] يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف ، ثم ترك ذلك وأقبلَ على سماع الحديث ، فكان أوّل طلبه الحديث وأوّل سماعه من مشايخه في سنة تسع وسبعين ومئة ، وله من العمر ست عشرة [سنة] ، وحجَّ أوّل حجة حجَّها في سنة سبع وثمانين ومئة ، ثم في سنة إحدى وتسعين ؛ وفيها حجَّ الوليد بن مُسلم ، ثم في سنة ست وتسعين ، وجاور في سنة سبعٍ وتسعين ، ثم حجَّ في سنة ثمان وتسعين وجاور إلى سنة تسع وتسعين عند عبد الرزاق باليمن ، فكتب عنه هو ويحيى بن معين . وإسحاق بن رَاهَوَيْه .

قال الإمام أحمد[٥] : حججت خمس حجج ، منها ثلاث راجلاً ، أنفقتُ في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهماً .

قال : وقد ضللْتُ في بعض هذه الحجج عن الطريق وأنا ماشٍ ، فجعلت أقول : يا عبادَ الله دلّونا على الطريق ، فلم أزل أقولُ ذلك حتى وقفت[٦] على الطريق .

قال : وخرجْتُ إلى الكوفة ، فكنتُ في بيتٍ تحت رأسي لَبِنةٌ ، ولو كان عندي خمسون[٧] درهماً

---

(١) ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٢١) .
(٢) في آ : فيه ، وفي سير أعلام النبلاء : فيهما ، وهو الصواب (ع) .
(٣) بعده في ابن عساكر : صلّى عليه محمد بن عبد الله بن طاهر ، أمير بغداد ، ودُفن بباب حرب .
(٤) في آ : بدايته .
(٥) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابق/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .
(٦) في ب ، ظا : وقعت ، لم يكن من عادة الإمام أحمد ، أن ينادي عباد الله ، وإنما ينادي الله فقط . قال رسول الله ﷺ : إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله (ع) .
(٧) في آ : تسعين ، وفي ط : تسعون .

كنت رحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الريّ ، وخرج بعضُ أصحابنا ولم يُمكنِّي الخروج ؛ لأنَّه لم يكن عندي .

وقال ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن حَرْمَلة ، قال : سمعت الشافعي يقول : وعدني أحمدُ بن حَنْبل أن يقدمَ علي مصر .

قال ابن أبي حاتم : يشبه أن تكون خِفَّةُ ذاتِ اليد حالت بينه وبين الوفاء بالعدة .

وقد طاف أحمد بن حنبل في البلاد والآفاق ، وسمع من مشايخ العصر ، وكانوا يجلُّونه ، ويحترمونه في حال سماعه منهم ، وقد سرد شيخُنا في « تهذيبه »[١] أسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم ، وكذلك الرواة عنه .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي بعد أن ذكر جماعة من شيوخ الإمام أحمد : وقد أكثر أحمد بن حنبل في « المسند » وغيره الرواية عن الشافعي ، وأخذ عنه جملةً من كلامه في أنساب قريش ، وأخذ عنه من الفقه ما هو مشهور ، وحين توفي أحمد وجدوا في تركته رسالتي الشافعي القديمة والجديدة[٢] .

قلت : قد أفرد ما رواه الإمام أحمد عن الشافعيّ ، وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثاً ؛ ومن أحسن ما رويناه عن الإمام أحمد[٣] ، عن الإمام الشافعي ، عن الإمام مالك بن أنس ، عن الزهريّ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « نَسَمَةُ المُؤمِنِ طائرٌ يَعْلُق في شجر الجنَّة حتى يرجعَه الله إلى جَسَدِه يوم يَبْعَثُهُ »[٤] . وقد قال له الشافعي لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلى بغداد بعد سنة تسعين ومئة ، وعمر أحمد إذ ذاك نيف وثلاثون سنة ؛ قال له : يا أبا عبد الله ، إذا صحَّ عندكم الحديثُ فأعلِمْني أذهب إليه ، حجازيًا كان ، أو شاميًا أو عراقيًا ، أو يمنيًا . يعني أنه لا يقول بقول فقهاء الحجاز الذين لا يقبلون إلا رواية الحجازيين ، ويُنزلون أحاديث مَن سواهم منزلةَ أحاديث أهل الكتاب . وقول الشافعيّ له هذه المقالة تعظيمٌ لأحمدَ وإجلالٌ له ، وأنه عنده بهذه المثابة إذا صحَّح أو ضعَّف يرجع إليه في ذلك .

وقد كان الإمام أحمد بهذه المثابة عند الأئمة والعلماء ، كما سيأتي ثناء الأئمة عليه ، واعترافهم له

---

(١) تهذيب الكمال للحافظ المِزّي (١/ ٤٣٧ _ ٤٤٢) .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٨٦) وما بعدها .

(٣) في مسنده (٣/ ٤٥٥) .

(٤) رواه النسائي في الجنائز ، باب أرواح المؤمنين (٤/ ١٠٨) ، والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٣٨٦) ، وفي الموطأ (١/ ٢٤٠) في الجنائز ، باب جامع الجنائز . ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٤٢٧١) في الزهد ، باب ذكر القبر والبلى ، وهو حديث صحيح .

بعلوّ المكانة وارتفاع المنزلة في العلم ، رحمهم الله . وقد بعُد صيتُه في زمانه ، واشتهر اسمُه في شبيبته في الآفاق .

ثم حكى البيهقي كلام أحمد في الإيمان وأنه قول وعمل يزيد وينقص ، وكلامه في أنَّ القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق ، وإنكاره على من يقول : إنَّ لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن .

قال : وفيها(١) حكى أبو عمارة وأبو جعفر ، أنبأ(٢) أحمد شيخنا السراج عن أحمد أنه قال : اللفظ محدَث ، واستدلَّ بقوله : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] . قال : فاللفظ كلام الآدميين .

وروى غيرهما عن أحمد أنه قال : القرآن كيف ما تصرف غيرُ مخلوق ، وأمَّا أفعالنا فهي مخلوقة .

قلت : وقد قرر البخاريُّ هذا المعنى في « أفعال العباد » وذكره أيضاً في الصحيح ، واستدلَّ بقوله ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم »(٣) ، ولهذا قال غيرُ واحد من الأئمة : الصوت صوت القاري ، والكلام كلام الباري . وقد قرر البيهقيّ ذلك أيضاً(٤) .

ثم ذكر البيهقيُّ كلامَ الإمام أحمد في إثبات رؤية الله في الدَّار الآخرة ، واحتجَّ بحديث صُهيب الرومي في الرؤية(٥) وهي الزيادة ، وكلامه في نفي التشبيه ، وترك الخَوْض في الكلام ، والتمسّك بما ورد في الكتاب والسنة من الآثار عن النبي ﷺ وأصحابه .

---

(١) كذا في ط ، وفي ظا : وفيما .

(٢) في ب ، ظا : حكاه .

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٣٣ و٣٤) وأبو داود رقم (١٤٦٨) في الصلاة ، باب استحباب الترتيل في القراءة ، والنسائي (٢/ ١٧٩ ، ١٨٠) في الصلاة ، باب تزيين القرآن بالصوت ، والدارمي (٢/ ٤٧٤) ، وأحمد (٤/ ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤) ، وابن ماجه رقم (١٣٤٢) وصححه ابن حبان والحاكم ، وهو حديث صحيح من حديث البراء بن عازب (ع) .
قال الخطابي في قوله : « زينوا القرآن بأصواتكم » قد فسّره غير واحد من أئمة الحديث : زينوا أصواتكم بالقرآن ، وقالوا : هذا من باب المقلوب .

(٤) زِيدَ في المطبوع عن البيهقي ما نصه :
وروى البيهقي من طريق إسماعيل بن محمد بن إسماعيل السلمي ، عن أحمد أنه قال : من قال : القرآن محدث فهو كافر . ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أحمد أنه أجاب الجهميّة حين احتجوا عليه بقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢] . قال : يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث ، لا الذكر نفسه هو المحدث . وعن حنبل ، عن أحمد ، أنه قال : يحتمل أن يكون ذكر آخر غير القرآن ، وهو ذكر رسول الله ﷺ ، أو وعظه إياهم .

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٣٢ و٦/ ١٥) ، ومسلم في صحيحه رقم (١٨١) : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر بن عياش ، حدَّثنا عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ قال : ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئ[(١)] . وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر ، رضي الله عنه ، إسناد صحيح[(٢)] .

قلت : وهذا الأثر فيه حكاية إجماعٍ عن الصحابة في تقديم الصِّدِّيق ، رضي الله عنه . والأمر كما قاله ابنُ مسعود ، رضي الله عنه ، وقد نصَّ على ذلك غيرُ واحد من الأئمة .

قال الإمام أحمد بن حنبل حين اجتاز بحمصَ ، وقد حُمل إلى المأمون في زمن المحنة ، ودخل عليه عمرو بن عثمان الحمصي ، فقال له : ما تقولُ في الخلافة ؟ فقال الإمام أحمد : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ومن قدَّم عليًّا على عثمان فقد أزرى بأصحاب الشورى ، لأنهم قدَّموا عثمان رضي الله عنه[(٣)] .

فصل في ورعه وزهده وتقشفه رحمه الله ورضي عنه

روى البيهقي من طريق المُزني ، عن الشافعي ، أنه قال للرشيد : إن اليمن تحتاج إلى قاضٍ ، فقال له : اختَرْ من نولِّه إياه . وأنَّ الشافعي قال لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من يأخذ عنه[(٤)] ، فامتنع من ذلك شديداً ، وقال : إنِّي إنَّما أختلِفُ إليك للعلم ، أفتأمرني أن أَليَ القضاء ؟ فاستحيا الشافعي[(٥)] .

وروى أنه كان لا يصلي خلفَ عمِّه إسحاق بن حنبل ، ولا خلف بنيه ، ولا يكلِّمهم أيضاً ؛ لأنَّهم أخذوا جائزة السلطان .

ومكث مرة ثلاثة أيام لم يحصل له ما يأكله ، حتى بعث إلى بعض أصحابه فاستقرض منه دقيقاً ، فعرف أهله حاجته إلى الطعام ، فعجَّلوا وعجنوا وخبزوا له سريعاً ، فقال : ما هذه العجلة ! كيف خبزتم سريعاً ؟ فقالوا : وجدنا تنُّور بيتِ صالح[(٦)] مسجوراً ، فخبزنا لك فيه . فقال : ارفعوا ، ولم يأكل ، وأمر بسدّ بابه إلى دار صالح .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٧٩) ، رقم (٣٦٠٠) وأبو داود الطيالسي صفحة (٣٣) ورواه البزار والطبراني وأبو نعيم في الحلية ، موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه ، (ع) .

(٢) هذا اجتهاده رحمه الله ، لكن عاصم بن أبي النجود حسن الحديث لا يرتقي حديثه إلى مراتب الصحيح (بشار) .

(٣) ب ، ظا : عنهم .

(٤) بعده في ط : ألا تقبل قضاء اليمن؟ .

(٥) تاريخ ابن عساكر (٧/ ٢٣٧) .

(٦) زاد ابن عساكر في تاريخه (٧/ ٢٦١) : ابنِه .

قال البيهقي : لأن صالحاً أخذ جائزة المتوكل على الله .

وقال عبد الله : مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً لم يأكل فيها إلا ربع مدّ سويقاً ، يفطر بعد كل ثلاث ليال على سُفَّة[١] منه حتى رجع إلى بيته ، ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر ، رأيت موقيه دخلا[٢] في حدقتيه .

قال البيهقي : وقد كان الخليفة يبعث من مائدته[٣] شيئاً كثيراً ، وكان أحمد لا يتناول من طعامه شيئاً . وبعث الخليفة المأمون مرة ذهباً ليقسم على أصحاب الحديث ، فما بقي منهم أحدٌ إلا أحمدَ بن حنبل ، فإنَّه أبَى .

وقال سُلَيمان الشَّاذَكوني : حضرت أحمد وقد رهن سطلاً له عند فامِيٍّ[٤] باليمن ، فلمَّا جاءه بفكاكه أخرج إليه سطلين ، فقال : خذ متاعك ، فاشتبه عليه أيُّهما الذي له ، فقال له : أنت في حِلٍّ منه ومن الفِكاك ، وتركه[٥] .

وحكى عبد الله ، قال : كنا في زمن الواثق في ضِيقٍ شديد ، فكتب رجل إلى أبي : إنَّ عندي أربعة آلاف درهم ورثتها من أبي ، وليست صدقة ولا زكاة ، فإن رأيت أن تقبلها مني ؟ فامتنع من ذلك ، وكرَّر عليه فأبَى ، فلمَّا كان بعد حين ذكرنا ذلك فقال : لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت[٦] .

وعرض عليه بعضُ التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة جعلَها باسمه ، فأبَى عن أن يقبلها ، وقال : نحن في كفايةٍ ، وجزاكَ اللهُ عن قَصْدِك خيراً .

وعرض عليه تاجر آخرُ ثلاثة آلاف دينار ، فامتنع من قبولها ، وقام وتركه .

ونفِدَتْ نفقة أحمدَ وهو في اليمن فعرض عليه شيخُه عبدُ الرَّزَّاق ملءَ كفِّه دنانير ، فقال : نحن في كفاية ، ولم يقبلْها .

وسُرقت ثيابه وهو باليمن ، فجلس في بيته ، ورَدَّ عليه الباب ، وفقده أصحابه فجاؤوا إليه فسألوه فأخبرهم ، فعرضوا عليه ذهباً فلم يقبلْه ولم يأخذ منهم إلا ديناراً واحداً ؛ ليكتبَ لهم به ، فكَتَبَ لهم بالأجر ، رحمه الله .

---

(١) « سُفَّة من سويق » : أي حبَّة وقبضة منه .
(٢) في آ : دخلتا ، وفي ظ : دخل . والمثبت من ب ، ط . تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٦٠) .
(٣) في آ : لمائدته .
(٤) « الفامِيّ » : بائع الفُوم ، مغيّر عن فُومي . وهو بائع الحِمّص ، لغة شامية . اللسان (فوم) .
(٥) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٦١) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠٣) .
(٦) في ط : ذهبت وأكلناها .

وقال أبو داود : كانت مجالس[١] أحمدَ مجالسَ الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قطّ .

وروى البيهقي عن الإمام أحمد أنه سئل عن التوكّل ، فقال : هو قطعُ الاستشرافِ باليأس من الناس ، فقيل : هل من حجَّةٍ على هذا ؟ قال : نعم ! إن إبراهيم لمَّا رُمِيَ[٢] به من المنجنيق عَرَضَ له جبريل ، فقال : هل لكَ من حاجة ؟ قال : أمَّا إليك فلا[٣] ، قال : فَسَلْ من لك إليه الحاجة ؛ قال : أَحَبُّ الأمْرَيْنِ إليَّ أحبُّهما إليه[٤] .

وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب الصفَّار ، قال : كنَّا مع أحمد بن حنبل بِسُرَّ مَن رأى ، فقلنا : ادعُ الله لنا ، فقال : اللهم ، إنَّك تعلم أنَّا نعلم أنك لنا على أكثر مما نحبُّ ، فاجعلنا على ما تحبُّ دائماً ، ثم سكت . فقلنا : زِدْنا ، فقال : اللهم ، إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسماوات والأرض : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] . اللهم ، وفقنا لمرضاتك ، اللهم ، إنَّا نعوذُ بكَ من الفقر إلا إليك ، ونعوذُ بك من الذلِّ إلا لك ، اللهم ، لا تكثر فنطغَى ولا تقلّ علينا فننسَى ، وهَبْ لنا من رحمتك وسَعَةِ رزقك ما يكونُ بلاغاً في دنياك[٥] ، وغنىً من فضلك .

قال البيهقي : وفي حكاية أبي الفضل التَّميميّ ، عن أحمد : وكان دعاؤه في السجود : اللهم ، من كان من هذه الأئمة على غير الحقِّ وهو يظنُّ أنَّه على الحقِّ فَرُدَّه إلى الحقِّ ؛ ليكون من أهل الحقِّ . وكان يقول : اللهم ، إن قبلت من عصاة أمَّةِ محمّدٍ ﷺ فداءً ، فاجعلني فداءً لهم .

وقال صالح بن الإمام أحمد : كان أبي لا يدع أحداً يستقي له الماء للوضوء ، بل كان يلي ذلك بنفسه ، فإذا خرج الدَّلْو ملأً[٦] ، قال : الحمدُ لله . فقلْتُ : يا أبة ، ما الفائدةُ في ذلك ؟ فقال : يا بنيَّ ، أمَا سمعْتَ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠] . والأخبار عنه في هذا الباب كثيرة جداً .

وقد صنف أحمد في الزهد كتاباً حافلاً عظيماً لم يسبق إلى مثله ، ولم يلحقه أحدٌ فيه . والمظنون ،

(١) في آ ، بك مجالسة أحمد مجالسة ، وأثبت ما جاء في ط .
(٢) في ط : رمي به في النار في المنجنيق .
(٣) لقد ذكر هذا المعنى البغوي في تفسير سورة الأنبياء وضعفه ، وروي مثله عن كعب الأحبار ، وهو من الإسرائيليات ، وليس له أصل في السنة بل هو مخالف ، لأن الدعاء مشروع ، وفيه عبودية لله تعالى (ع) .
(٤) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٦٧)
(٥) في ط : دنيانا .
(٦) أراد مَلآن فخفَّف .

بل المقطوعُ به : أنَّه يأخذ بما أمكنه من ذلك رحمه الله ، وأكرم مثواه ، وجعل جنَّات الفردوس منقلبه ومأواه .

وقال إسماعيل بن إسحاق السرّاج : قال لي أحمد بن حنبل : هل تستطيع أن تريني الحارث المُحَاسبي إذا جاء منزلك ؟ فقلت : نعم ! وفرحت بذلك ، ثم ذهبت إلى الحارث ، فقلت له : إني أحبُّ أن تحضر الليلة أنت وأصحابك . فقال : إنهم كثير فأحضرْ لهم التمر والكُسْبَ(١) . فلما كان بين العشاءين جاؤوا ، وكان الإمام أحمد قد سبقهم ، فجلس في غرفةٍ(٢) ، فلمَّا صلَّوا العشاء لم يصلُّوا بعدها شيئاً ، حتَّى جاؤوا فجلسوا بين يدي الحارث سكوتاً(٣) كأنَّما على رؤوسهم الطير ، حتى كان قريباً(٤) من نصف الليل ، ثم سأله رجل عن مسألةٍ ، فشرع الحارث يتكلم فيما يتعلَّق بالزهد والوعظ ، فجعل هذا يبكي ، وهذا يئنُّ ، وهذا يَزْعَقُ . قال : فصعِدت الغرفة ، فإذا الإمام أحمد بن حنبل يبكي ، حتَّى كاد يغشى عليه ، ثم لم يزالوا كذلك حتَّى الصباح . فلمَّا أراد الانصراف قلتُ : كيف رأيْتَ هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ فقال : ما رأيت أحداً يتكلَّمُ في الزُّهد مثل هذا الرجل ، وما رأيت مثلَ هؤلاء ، ومع هذا فلا أرى لك أن تجتمعَ بهم .

قال البيهقي : يحتمل أنه كره له صحبتهم ؛ لأن الحارث بن أسد ، وإن كان زاهداً ، لكنه كان عنده شيء من علم الكلام ، وكان أحمد يكره ذلك . أو لعله كره له أن يصحبهم ولا يدرك شأوهم ، والله أعلم .

قلت : بل إنَّما كره ذلك لأن في كلام بعض هؤلاء من التقشُّف الذي لم يرد به الشرعُ والتدقيق والتنقير(٥) والمحاسبة البليغة ما لم يأت به أمرٌ ، ولهذا لمَّا وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث بن أسد المسمَّى بـ « الرعاية » ، قال : هذا بِدعة ؛ ثم قال للرجل الذي جاء به : عليك بما كان عليه مالكٌ والثوريُّ والأوزاعيّ والليث بن سعد ، وَدَعْ هذا ، فإنَّه بِدْعَةٌ .

وقال إبراهيم الحربي : سمعت أحمد يقول : إن أحببت أن يدومَ الله لك على ما تحبُّ فدُمْ له على ما يحبُّ . كان يقول : الصَّبرُ على الفقر مرتبةٌ لا ينالها إلا الأكابر .

وكان يقول : الفقر أشرفُ من الغنى ، فإنَّ الصبر عليه أعظم مرارةً ، وانزعاجه أعظمُ حالاً من الشكر(٦) .

---

(١) « الكُسْب » : عصارة الدهن ، وثُفل بزور القطن والكتان والسمسم بعد عصرها .
(٢) بعدها في ط : بحيث يراهم ويسمع كلامهم ولا يرونه .
(٣) بعدها في ط : مطرقي الرؤوس .
(٤) في آ ، ب : قريب ، وأثبت ما جاء في ظا ، ط .
(٥) « التنقير عن الأمر » : البحث عنه .
(٦) بعده في ط : وقال : لا أعدل بفضل الفقر شيئاً .

وكان يقول : على العبد أن يقبلَ الرِّزقَ بعد اليأس ، ولا يقبله إذا تقدَّمه طمع[١] . وكان يحب التقلُّل طلباً[٢] لخفَّة الحساب .

وقال إبراهيم : قال رجل لأحمد : هذا العلم تعلَّمْتَه لله ؟ فقال : هذا شرطٌ شديدٌ ، ولكن حُبِّبَ إليَّ شيءٌ فجمعته[٣] .

وروى البيهقيُّ : أنَّ رجلاً جاء إلى أحمد ، فقال : إنَّ أُمِّيَ زَمِنَةٌ[٤] مُقْعَدَةٌ منذ عشرين سنة ، وقد بعثتني إليك لتدعو اللهَ لها . فكأنَّه غضب من ذلك ، وقال : نحن أحوجُ أن تدعوَ هي لنا ، ثم دعا الله عزَّ وجلَّ لها . فرجع الرجل إلى أمِّه فدقَّ الباب فخرجت إليه على رجليها ، وقالت : قد وهبني اللهُ العافية[٥] .

وروى : أن سائلاً سأل ، فأعطاه الإمام أحمدُ قطعةً ، فقام رجلٌ إلى السائل ، فقال : هَبني هذه القطعةَ حتَّى أعطيك عِوَضَها ، ما يساوي درهماً ، فأبَى ، فرقَّاه إلى خمسين ، وهو يأْبَى ، وقال : إنِّي أرجو من بركتها ما ترجوه أنتَ من بركتها[٦] .

قال البيهقي رحمه الله :

باب ذكر ما جاء في محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، رحمه الله

في أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق بسبب القرآن ، وما أصابَه من الحبس الطويل ، والضَّرْب الشَّديد ، والتهديد بالقتل بسوء العذاب وأليم العقاب ، وقلة مبالاته بما كان منهم من ذلك إليه ، وصبره عليه ، وتمسّكه بما كان عليه من الدِّين القويم والصراط المستقيم ، وكان رحمه الله قد سمع ما ورد في مثل حاله من الآيات المتلوَّة ، والآثار[٧] المأثورة ، وبلغه ما أوصي به في المنام واليقظة فرضي وسلَّم إيماناً واحتساباً ، وفاز بخير الدُّنيا ونعيم الآخرة ، هنَّاه الله بما آتاه من ذلك ببلوغ أعلى منازل أهل البلاء في الله من أولياء الله ، وألحق به محبيه فيما نال من كرامة الله تعالى إن شاء اللهُ من غير بلية ، وبالله التوفيق والعِصْمة .

---

(١) في ط : طمع أو استشراف .

(٢) في آ : لطلب خفة الحساب ، وفي ط : من الدنيا لأجل خفة الحساب ، والمثبت من ب .

(٣) بعده في ط : وفي رواية أنه قال : أما لله فعزيز ، ولكن حُبب إليَّ شيء فجمعته .

(٤) أي مبتلاة بعلة دائمة .

(٥) الحلية (٩/ ١٨٦) ، وتاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٥٩) ، وصفة الصفوة (٢/ ٣٤٩) .

(٦) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٥٨) .

(٧) في ط : والأخبار .

قال الله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١ ـ ٣] . وقال الله تعالى في وصية لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] . في آي سواها في معنى ما كتبنا .

وقد روى الإمام أحمد الممتحَنُ في « مسنده »(١) قائلاً فيه : حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عاصم بن بَهْدَلة [قال] : سمعْتُ مُصْعَب بن سعد يحدِّثُ عن سعد ، قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ : أيُّ الناس أشدُّ بلاءً ؟ فقال : « الأنبياء ، ثم الأَمْثَلُ فالأمثلُ ، يُبتلَى الرَّجُلُ على حسب دينه ، فإنْ كان رقيقَ الدِّين ابتُلِي على حسب ذلك ، وإن كان صُلْبَ الدِّين ابْتُلِيَ على حسب ذلك ، وما يزال البلاءُ بالرَّجل حتى يمشيَ على الأرض وما عليه خطيئة » .

وقد رواه مسلم في « صحيحه »(٢) .

وقال(٣) : حدثنا عبد الوهَّاب الثَّقفيّ ، حدَّثنا أيُّوب ، عن أبي قِلابَة ، عن أنس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه فقد وَجَدَ حلاوَةَ الإيمان : مَن كان اللهُ ورسُولُه أحبَّ إليه مِمَّا سواهما ، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلا لله ، وأن يقذف في النار أحبُّ إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذَه الله منه » .

وأخرجاه في الصحيحين(٤) .

وقال أبو القاسم البغوي :

حدثنا أحمد بن حنبل ، حدَّثنا أبو المُغيرة ، حدَّثنا صفوان بن عمرو السَّكْسَكِيّ ، حدَّثنا عمرو بن قيس السَّكُوني ، حدَّثنا عاصم بن حميد ، قال : سمعت معاذ بن جبل يقول : « إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاءً وفتنةً ، ولن يزداد الأمر إلا شِدَّة ، [ولا الأنفس إلا شحًّا](٥) » .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٧٤) ، وأخرجه أحمد أيضاً (١/ ١٧٢ و١٨٠ و١٨٥) ، والدارمي (٢/ ٣٢٠) والترمذي (٢٣٩٨) ، وابن ماجه رقم (٤٠٢٣) وغيرهم ، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢) لم أقف عليه في صحيحه ، ولا ذكر المزي أن مسلماً أخرجه ، كما في مسند مصعب بن سعد عن أبيه من تحفة الأشراف ٣/ ٢٨٥ حديث (٣٩٣٤) من طبعتنا (بشار) .

(٣) أي أحمد ، وهو في مسنده (٣/ ١٠٣) .

(٤) رواه البخاري (١/ ٥٦) ، في الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، وباب من كره أن يعود في الكفر ، وفي الأدب ، باب الحب في الله ، وفي الإكراه ، باب من اختار القتل والضرب والهوان على الكفر .
ورواه مسلم رقم (٤٣) في الإيمان ، باب خصال الإيمان ، من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥) زيادة من ط .

وبه قال معاذ : « لن تروا من الأئمة إلا غلظة ، ولن تروا أمراً يهولكم[١] ويشتد عليكم إلا حضر بعده ما هو أشدُّ منه » .

قال البغوي : سمعت أحمد يقول : اللهم رضينا [يمدُّ بها صوته][٢] .

وروى البيهقيّ ، عن الربيع ، قال : بعثني الشافعيُّ بكتاب من مصرَ إلى أحمد بن حنبل ، فأتيته وقد انفتل من صلاة الفجر فدفعت إليه الكتاب ، فقال : أقرأته ؟ فقلت : لا ! فأخذه فقرأه فدمعت عيناه ، فقلت : يا أبا عبد الله ، وما فيه ؟ فقال : يَذكرُ أنَّه رأى رسولَ الله ﷺ في المنام ، فقال [له] : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه منِّي السلام ، ويقول : إنَّك ستمتَحَنُ ، وتُدْعَى إلى القول بخلْق القرآن ، فلا تجبهم ، فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة .

قال الرَّبيع : فقلت : البشارة . فخلع قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه ، فلمَّا رجعت إلى الشافعيّ أخبرته ، فقال : إني لست أفجعك فيه ، ولكن بلَّه بالماء وأعطنيه حتى أتبرَّك به .

ذكر ملخص الفتنة والمحنة مجموعاً من كلام أئمة السُّنَّة
رحمهم الله وأثابهم الجنة

قد ذكرنا فيما تقدَّم : أنَّ المأمون كان قد اجتمع به واستحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحقِّ إلى الباطل ، وزيَّنوا له القولَ بخلْق القرآن ونفي الصِّفات عن الله عزَّ وجلَّ .

قال الحافظ البيهقي : ولم يكن في الخلفاء قبله ؛ لا من بني أمية ولا من بني العباس خليفةٌ إلا على منهج السَّلف ، حتى وَلِيَ هو الخلافة ، فاجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك . قالوا : واتفق خروجُه إلى طَرَسُوسَ لغزو بلاد الروم ، فعنَّ له أن يكتب إلى نائب بغداد إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب يأمره أن يدعوَ النَّاس إلى القول بخلق القرآن ، واتفق ذلك في آخر عمره ، قبل موته بشهورٍ ، من سنة ثماني عشرة ومئتين .

فلمَّا وصل الكتاب ـ كما ذكرنا ـ استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا ، فتهدَّدهم بالضَّرْب وقَطْعِ الأرزاق ، فأجاب أكثرُهم مكرهين . واستمرَّ على الامتناع في ذلك أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح الجُنْدَيْسابوريّ ، فحُملا على بعير وسيَّرهما[٣] إلى الخليفة عن أمره بذلك ، وهما

---

(١) في ب ، ظا : يهولنكم .
(٢) ما بين قوسين لم يرد في آ ، ط .
(٣) في ط : وسيرا .

مقيَّدان متعادلان في محمل على بعيرٍ واحدٍ ، فلمَّا كانوا ببلاد الرَّحْبَة[١] جاء رجلٌ من الأعراب من عبّادهم ، يقال له : جابر بن عامر ، فسلَّم على الإمام أحمد ، وقال له : يا هذا ، إنَّك وافدُ النَّاسِ ، فلا تكن مَشْؤُوماً عليهم ، وإنَّك رأسُ الناس اليومَ ، فإياك أن تجيبَ[٢] فيجيبوا ، وإن كنت تحبُّ الله فاصبر على ما أنت فيه ، فإنَّما بينك وبين الجنة أن تقتَلَ ، وإنَّك إنْ لم تقتلْ تمت ، وإنْ عِشْتَ عِشْتَ حَميداً .

قال الإمام أحمد : فكان ذلك مما قوَّى عَزْمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك .

فلمَّا اقتربوا من جيش المأمون ، ونزلوا دونه بمرحلةٍ ، جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف قِبائه ، وهو يقول : يعزُّ عليَّ يا أبا عبد الله أنَّ المأمون قد سلَّ سيفاً لم يسلَّه قبل ذلك[٣] ، وأنه يُقسِمُ بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تجبْه إلى القول بخلْق القرآن ليقتلنَّك بذلك السيف .

قال : فجثَى الإمام أحمد على ركبتيه ، ورَمَقَ بطَرْفه إلى السَّماء ، ثم قال : سيدي ! غرَّ هذا الفاجرَ حِلْمُك حتى تجرَّأ[٤] على أوليائك بالضرب والقتل ، اللهم فإن يكن القرآنُ كلامك غيرَ مخلوقٍ فاكْفنا مؤونته . قال : فجاءهم الصَّريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل . قال الإمام أحمد : ففرحت بذلك ، ثم جاء الخبر بأنَّ المعتصم قد ولِيَ الخلافة ، وقد انضمَّ إليه أحمد بن أبي دُواد ، وأنَّ الأمر شديدٌ ، فردُّونا إلى بغداد في سفينةٍ مع بعض الأسارى ، ونالني منهم أذًى كثير ، وكان في رجليه القيودُ ، ومات صاحبُه محمد بن نوح في الطريق ، وصلَّى عليه أحمد ، فلمَّا رجع أحمد إلى بغداد دخلها وهو مريض ، وذلك في رمضان ، فأودع السجنَ نحواً من ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل : نيفاً وثلاثين شهراً ، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة . وقد كان الإمام أحمد هو الذي يصلي في أهل السجن وعليه قيوده في رجليه .

ذكرُ ضَرْبه رضي الله عنه بين يدي المعتصم

لمَّا أحضره المعتصمُ من السجن زيد في قيوده ، قال أحمد : فلم أستطع أن أمشيَ بها ، فربطتها في التِّكَّة وحملتها بيدي ، ثم جاؤوني بدابَّة فحُمِلْتُ عليها ، فكدت أن أسقطَ على وجهي من ثِقَلِ القيود ، وليس معي أحدٌ يمسكني ، فسلَّم اللهُ حتَّى جئنا دار الخلافة ، فأُدْخِلت في بيتٍ وأُغْلِق عليَّ وليس عندي سراجٌ ، فأردت الوضوء ، فمددْتُ يدي فإذا إناءٌ فيه ماء فتوضأْتُ منه ، ثم قمت ولا أعرف القِبلة ، فلمَّا أصبحت إذا أنا على القِبلة ، ولله الحمد .

---

(١) هي رَحْبةُ مالك بن طَوْق ، وهي بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات . ياقوت .

(٢) في ط : أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه ، فيجيبوا ، فتحمل أوزارهم يوم القيامة .

(٣) بعده في ب ، ظا : وبسط نطعاً لم يبسطه قبل ذلك .

(٤) في آ : تجبَّر .

قال : ثم دعيتُ فأدخلت على المعتصم ، فلمَّا نظر إليَّ وعنده ابن أبي دُوَاد ، قال : أليس قد زعمتم أنَّه حدَثُ السنِّ وهذا شيخٌ مكتهل ؟ فلمَّا دَنَوْتُ منه وسلَّمْتُ ، قال لي : ادنه ، فلم يزل يدنيني حتَّى قَرُبْتُ منه ، ثم قال : اجلس ! فجلست وقد أثقلني الحديد ، فمكثْتُ ساعةً ، ثم قلت : يا أميرَ المؤمنين ! إلام دَعَا إليه ابنُ عمِّكَ رسولُ الله ﷺ ؟ قال : إلى شهادة أن لا إلَه إلا الله . قلْتُ : فإنِّي أشهدُ أن لا إلَه إلا الله . قال : ثم ذكرت له حديثَ ابن عباس في وَفْدِ عبد القيس[١] ، ثم قلت : فهذا الذي دعا إليه رسولُ الله ﷺ.

قال : ثم تكلَّم ابنُ أبي دُوَاد بكلامٍ لم أفهمه ، وذلك لأني لم أتفقه كلامه ، ثم قال المعتصم : لولا أنك كنت في يدِ مَنْ كان قبلي لم أعرض لك ، ثم قال : يا عبدَ الرحمن ، ألم آمرك أن ترفع المحنة ؟ قال : فقلت : الله أكبرُ ، هذا فرجٌ للمسلمين . ثم قال : ناظروه ، يا عبدَ الرحمن ، كلمْه . فقال لي عبد الرحمن : ما تقولُ في القرآن ؟ فلم أجبه ، فقال المعتصم : أجبْه ، فقلت : ما تقولُ في العلم ؟ فسكت ، فقلْتُ : القرآن من علم الله ، ومَنْ زَعَمَ أنَّ علم الله مخلوقٌ فقد كفر بالله ، فسكت ، فقالوا فيما بينهم : يا أميرَ المؤمنين ، أكْفَرك وأكفرنا ، فلم يلتفت إلى ذلك ، فقال عبد الرحمن : كان اللهُ ولا قرآنَ ، فقلْتُ : أكان اللهُ ولا علمَ ؟ فسكت . فجعلوا يتكلمون من هاهنا وهاهنا ، فقلْتُ : يا أمير المؤمنين ، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سُنَّةِ رسول الله ﷺ حتى أقولَ به . فقال ابنُ أبي دُوَاد : وأنتَ لا تقولُ إلا بهذا وهذا ؟ فقلْتُ : وهل يقوم الإسلام إلا بهما . وجرت بينهما مناظراتٌ طويلة ، واحتجوا عليه بقوله : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] ، وبقوله : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦] . وأجاب[٢] بما حاصله أنه عام مخصوص بقوله : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٥] . فقال ابن أبي دُوَاد : هو والله يا أمير المؤمنين ضالٌّ مضلٌّ مبتدعٌ ، وهؤلاء قضاتك والفقهاء فسلهم ، فقال لهم : ما تقولون فيه ؟ فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دُوَاد ، ثم أحضروه في اليوم الثاني ، فناظروه أيضاً ، ثم في اليوم الثالث فناظروه أيضاً ، وفي ذلك كله يعلُو صوتُه وحجته عليهم .

قال : فإذا سكتوا فتحَ الكلامَ عليهم ابنُ أبي دُوَاد ، وكان من أجهل الناس بالعلم والكلام ، وقد تنوَّعت بهم المسائل[٣] في المجادلة ، ولا علمَ لهم بالنقل ، فجعلوا يُنكرون الآثارَ ويَرُدُّون الاحتجاجَ بها .

---

(١) حديث وفد عبد القيس هذا ، رواه البخاري في الإيمان ، باب أداء الخمس (١/ ١٢٠ ـ ١٢٥) وهو عنده أيضاً في العلم ، باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان ، وفي المغازي ، باب وفد عبد القيس؛ وأخرجه مسلم في الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى رقم (١٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) في ب : وعنه في ذلك يحدث إنزاله ، أو ذكر غير القرآن محدث ، كما تقدم . ورشح هذا بقوله : ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ [صٓ : ١] . يعني به القرآن ، بخلاف النكرة ، فإنه غير القرآن .

(٣) في ب ، ظا : المسالك .

قال أحمد : وسمعت منهم مقالاتٍ لم أكن أظنُّ أنَّ أحداً يقولها . وقد تكلَّم معي برغوث[(١)] بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيرَه بما لا فائدة فيه ، فقلْتُ : لا أدري ما تقولُ ، إلا أني أعلم أن الله أحدٌ صمَدٌ ، ليس كمثله شيء ، فسكت عنه . وقد أوردت لهم حديث الرؤية[(٢)] في الدَّار الآخرة ، فحاولوا أن يضعفوا إسناده ويلفِّقوا عن بعض المحدِّثين كلاماً يتسلَّقون به إلى الطعن فيه ، وهيهات ، ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[(٣)] [سبأ : ٥٢] ، وفي غُبُون[(٤)] ذلك كلِّه يتلطَّفُ به الخليفة ، ويقولُ : يا أحمد ، أجبْني إلى هذا حتَّى أجعلَكَ من خاصَّتي وممن يطأ بساطي . فأقولُ : يا أميرَ المؤمنين ، يأتوني[(٥)] بآية من كتاب الله أو سنَّةٍ عن رسول الله ﷺ حتَّى أجيبهم إليها .

واحتجَّ أحمد عليهم حين أنكروا الاحتجاج بالآثار ، بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم : ٤٢] ، وبقوله : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء : ١٦٤] ، وبقوله : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه : ١٤] ، وبقوله : ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] إلى غير ذلك من الآيات . فلمَّا لم يقمْ لهم معه حجة ، عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة في ذلك ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، هذا كافرٌ ضالٌّ مضِلٌّ . وقال له إسحاق بن إبراهيم نائبُ بغداد : يا أميرَ المؤمنين ! ليس من تدبير الخلافة أن تخلِّيَ سبيله ويغلبَ خليفتين ، فعند ذلك حَمِيَ [الخليفة][(٦)] واشتدَّ غضبُه ، وكان أَلينَهم عريكةً ، وهو يظنُّ أنَّهم على شيء . قال أحمد : فعند ذلك قال لي : لَعنَكَ الله ! طمعتُ فيك أن تجيبني . ثم قال : خذوه ، خلِّعوه ، اسحبوه . قال : فأُخْذْتُ وسُحِبْتُ وجيء بالعُقابين[(٧)] والسياط وأنا أنظر .

وكان معي شَعْر من شَعْر النبي ﷺ مصرورٌ في ثوبي ، فجرَّدوني منه وصرْتُ بين العُقَابين ، فقلْتُ :

---

(١) في آ ، ط : ابن غوث ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا .
وهو محمد بن عيسى الجهمي ، أبو عبد الله ، رأس البدعة ، وأحد من كان يناظر الإمام أحمد وقت المحنة . له عدد من المصنفات . قيل : توفي سنة ٢٤٠ أو ٢٤١هـ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٤) .

(٢) حديث الرؤية ، أي رؤية الله تعالى في الآخرة ، رواه البخاري (٢/ ٢٧) ، في الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، و(٢/ ٤٣) باب فضل الفجر ، وفي التوحيد (١٣/ ٣٥٧) باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ ؛ ومسلم رقم (٦٣٣) في المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ، من حديث جرير بن عبد الله البجلي ، رضي الله عنه .

(٣) « التناوش » : التناول . وأراد : كيف لهم أن يتناولوا ما بعد عنهم من الإيمان وامتنع بعد أن كان مبذولاً لهم مقبولاً منهم .

(٤) كذا في النسخ والمطبوع . والمستعمل : غضون ، يقال : جاء في غضون ذلك ، أي في أثنائه .

(٥) في آ : تأمرني .

(٦) زيادة من ب ، ظا .

(٧) هما خشبتان يشبح بينهما الرجل ليجلد .

يا أميرَ المؤمنين ، الله الله ، إنَّ رسولَ الله ﷺ ، قال : « لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مسلم يشهَدُ أنْ لا إلَه إلا الله إلا بإحدى ثلاث » وتَلَوْتُ الحديثَ[١] ، وأنَّ رسول الله ﷺ ، قال : « أُمِرْتُ أنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا لا إلَه إلا الله ، فإذا قالوها عَصَمُوا منِّي دماءَهم وأموالَهم »[٢] . ففِيمَ تستحلُّ دَمِي ولم آت شيئاً من هذا ؟ يا أميرَ المؤمنين ، اذكرْ وقوفَكَ بين يدي الله تعالى كوقوفي بين يديك ؛ فكأنه أمسَكَ . ثم لم يزالوا يقولون له : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّه ضالٌّ مضِلٌّ كافرٌ ، فأمر بي فأقمْتُ بين العُقَابين ، وجيء بالضرَّابين ومعهم السِّياط ، فجعَلَ أحدُهم يضربني سوطين ويقول له : شُدَّ ، قطَعَ الله يديك ! ويجيء الآخر فيضربني سوطين ، ثم الآخر كذلك ، فضربوني أسواطاً ، فأغمي عليَّ ، وذهب عقلي مراراً ، فإذا سكَنَ الضَّرْبُ يعود عليَّ عقلي ، وقام المعتصم إليَّ يدعوني إلى قولهم ، فلم أجبْهُ ، وجعلوا يقولون : ويحك ! الخليفةُ على رأسك ، فلم أقبل ، وأعادوا الضرب ، ثم عاد إليّ فلم أجبْهُ ، فأعاد الضرب ، ثم جاء إليَّ الثالثة ، فدعاني فلم أعقِلْ ما قال من شدَّة الضرب ، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس به ، وأرعبه ذلك من أمري ، وأمَرَ بي فأطلقت ، ولم أشعر إلاَّ وأنا في بيت من حجرة ، وقد أطلقت الأقياد من رجلي ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومئتين . ثم أمر الخليفةُ بإطلاقه إلى أهله . وكان جملة ما ضُرب نيفاً وثلاثين سوطاً ، وقيل : ثمانين سوطاً ، لكن كان ضرباً مبرِّحاً شديداً جدًّا . وقد كان الإمام أحمد رجلاً طوالاً رقيقاً ، أسمرَ اللون ، كثيرَ التواضع ، رحمه الله ورضي عنه وأكرم مثواه .

ولمَّا حُمِلَ من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائمٌ ، أتوه بسَويق وماءٍ ليفطر من الضعف ، فامتنع من ذلك وأتمَّ صومَه ، وحين حضرت صلاةُ الظهر صلَّى معهم ، فقال له ابنُ سَمَاعَةَ القاضي : صليتَ في دمك ! فقال له أحمد : قد صلَّى عمرُ وجُرْحُه يَثْعَبُ دَماً[٣] ، فسكتَ .

---

(١) حديث : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث . . » رواه البخاري (١٢/ ١٧٦) في الديات ، ومسلم رقم (١٦٧٦) في القسامة ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
ورواه أبو داود رقم (٢١٥٩) في الفتن ، والنسائي (٧/ ٩٢) في تحريم الدم ، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه البخاري (١/ ٧٠ و٧١) في الإيمان ، ومسلم رقم (٢٢) في الإيمان ، من حديث ابن عمر ، ورواه البخاري (٣/ ٢١١) في الزكاة ؛ ومسلم رقم (٢١) في الإيمان ، من حديث أبي هريرة ، والبخاري (١/ ٤١٧) في الصلاة ؛ والترمذي رقم (٢٦٠٨) في الإيمان ، والنسائي (٧/ ٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مالك في « الموطأ » رقم (٧٩) ، باب العمل فيمن غلبه الدم من جرح أو رعاف ، من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه : أنَّ المِسْوَر بن مَخْرَمة أخبره أنه دخل على عمر بن الخطاب من الليلة التي طعن فيها ، فأيقظ عمر لصلاة الصبح ، فقال عمر : نعم ، ولا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، فصلَّى عمر وجرحه يَثْعَبُ دماً ، أي : يجري ويتفجر منه الدم ، وهو حديث صحيح .

ويُروى أنّه لمَّا أقيم ليضربَ انقطعت تِكَّةُ سَراويله ، فخشي أن تسقط فتتكشَّف عورتُه ، فحرَّكَ شفتيه بدعاءٍ ، فعاد سراويله كما كان . ويُروى أنه قال : يا غياثَ المستغيثين ، يا إلّه العالمين ، إن كنتَ تعلم أنِّي قائمٌ لك بحقٍّ فلا تهتِكْ لي عورةً[١] .

ولمَّا رجع إلى منزله جاءه الجرائحيُّ[٢] فقطع لحماً ميتاً من جسده ، وجعلَ يداويه ، والنائبُ [يبعث كثيراً][٣] في كلِّ وقتٍ يسأل عنه ، وذلك أن المعتصم ندِمَ على ما كان منه إلى أحمد نَدَماً كثيراً ، وجعل يسأل النائبَ عنه ، والنائب يستعلم خبرَه ، فلمَّا عُوفي فرح المعتصم والمسلمون بذلك .

ولمَّا شفاه الله بالعافية بقي مدّةً وإبهاماه يؤذيهما البرْدُ ، وجعلَ كلَّ من سَعَى في أمره في حِلٍّ إلا أهل البِدْعة ، وكان يتلو في ذلك قولَه تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] .

ويقول : ماذا ينفعك أن يعذَّب أخوك المسلمُ بسببك ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٤] [الشورى : ٤٠] . وينادي يوم القيامة : ليقم مَنْ أجرُه على الله فلا يقومُ إلاَّ مَنْ عَفَا .

وفي صحيح مسلم[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مالٌ مِنْ صَدَقَةٍ ، وما زادَ اللهُ عبداً بعفوٍ إلا عِزّاً ، ومَنْ تَوَاضَعَ لله رفعَهُ اللهُ » .

---

(١) روي الخبر بأطول من هذا في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٥٥) ، من طريق داود بن عرفة .
وعلق الذهبي على ذلك بقوله : هذه حكاية منكرة ، أخاف أن يكون داود وضعها .

(٢) « الجرائحي » : الطبيب الذي يعالج الجراحة .

(٣) زيادة من ب ، ظا .

(٤) في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٥٧) : عن عبد الله بن أحمد ، قال : « سمعت أبي يقول : لقد جعلت الميّت في حِلٍّ من ضربه إياي . ثم قال : مررت بهذه الآية : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ، فنظرت في تفسيره ، فإذا هو ما أخبرنا هاشم بن القاسم ، أخبرنا المبارك بن فضالة ، قال : أخبرني من سمع الحسن ، يقول : إذا كان يوم القيامة جَثَت الأمم كُلُّها بين يدي الله ربِّ العالمين ، ثم نُودي ألا يقوم إلا من أجرُهُ على الله ، فلا يقوم إلا مَنْ عَفَا في الدنيا . قال : فجعلت الميِّت في حِلٍّ . ثم قال : وما على رجل ألا يعذِّب الله بسببه أحداً » . تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٧٧٢) .

(٥) لفظه في صحيح مسلم رقم (٢٥٨٨) في البر والصلة ، باب استحباب العفو والتواضع : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » .
ورواه كذلك الترمذي رقم (٢٠٢٩) في البر والصلة ، باب ما جاء في التواضع ، وأما باللفظ الذي ذكره المؤلف رحمه الله : « ثلاث أقسم عليهن » فقد رواه الترمذي رقم (٢٣٢٥) ، وأحمد في المسند (٤/ ٢٣٠) من حديث أبي كبشة الأنماري بلفظ : « ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عنها إلا زادهُ الله عزاً ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . . » الحديث .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

وكان الذين ثبتوا على المحنة فلم يُجيبوا بالكلِّيّة أربعة[١] :

أحمد بن حنبل ، وهو رئيسهم ومقدَّمهم .

ومحمد بن نوح بن ميمون الجنديسابوريّ ، ومات في الطريق حين ذهب هو وأحمد إلى المأمون .

ونُعَيم بن حمَّاد الخُزَاعي ، وقد مات في السجن .

وكذلك أبو يعقوب البُوَيْطيّ ، مات في سجن الواثق على القول بخَلْق القرآن ، لم يجبْهم إليه ، وكان مثقلاً بالحديد ، وأوْصَى أن يدفن فيها .

وأحمد بن نَصْر الخُزَاعيّ وقد ذكرنا كيفية مقتله[٢] رحمه الله في أيام الواثق .

ذكر ثناء الأئمة على الإمام أحمد بن حنبل[٣]

قال البُخاريّ : لمَّا ضُرب أحمدُ بن حنبل كنَّا بالبصرة ، فسمعت أبا الوليد الطيالسي يقول : لو كان هذا في بني إسرائيل لكان أحدوثةً .

وقال إسماعيل بن الخليل : لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل لكان عجباً .

وقال المزنيُّ : أحمد بن حنبل يوم المحنة ، وأبو بكر يومَ الرِّدَّة ، وعُمَرُ يومَ السَّقيفة ، وعثمانُ يومَ الدَّار ، وعليٌّ يومَ صفّين .

وقال حَرْمَلَةُ : سمعت الشافعيَّ يقولُ : خرجت من العراق فما رأيت[٤] بها رجلاً أفضلَ ولا أعلمَ ولا أورعَ ولا أتقى من أحمد بن حنبل .

وقال شيخه يحيى بن سعيد القطَّان : ما قدِمَ عليَّ من بغداد أحدٌ أحبُّ إليَّ من أحمد بن حنبل .

وقال قتيبة : مات سفيان الثوري ومات الورع ، ومات الشافعيُّ وماتت السُّنَنُ ، ويموتُ أحمدُ بن حنبل وتظهر البِدَعُ .

وفي رواية : قال قتيبة : إنَّ أحمد بن حنبل قام في الأمَّة مقام النُّبوَّة . قال البيهقي : يعني في صبره على ما أصابَه من الأذى في ذات الله عزَّ وجلَّ .

---

(١) هم خمسة كما سيأتي .

(٢) في آ : قتله ، وسقط قوله : رحمه الله في أيام الواثق من ط . كما سقط قوله : وأحمد بن نصر . . في أيام الواثق من نسختي ب ، ظا ، فيكون عدد من ثبت في المحنة على ذلك أربعة ، كما ذكر أولاً .

(٣) بعدها في آ : المعظّم المبجّل .

(٤) في ب ، ظا : خلفت بها ، وفي ط : تركت .

وقال أبو عمر بن النحاس وذكر أحمد يوماً ، فقال : رحمه الله ، في الدِّين ما كان أصبره[١] ، وبالصالحين ما [كان] ألحقه ، وبالماضين ما كان أشبهه ، عرضت له الدنيا فأباها ، والبدع فنفاها .

وقال بشر بن الحارث الحافي بعدما ضُرب أحمد بن حنبل : أدخل الكير فخرج ذهباً أحمرَ .

وقال الميموني : قال لي عليّ بن المديني بعدما امتحن أحمد وقبل أن يمتحن : يا ميموني ، ما قام أحدٌ في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل . فعجبت من هذا عجباً شديداً ، وذهبْتُ إلى أبي عُبيد القاسم بن سلام ، فحكيت له مقالةَ عليّ بن المدينيّ ، فقال : صدَقَ ، إنَّ أبا بكر الصِّدّيق وجَدَ يومَ الرِّدَّة أنصاراً وأعواناً ، وإنَّ أحمد بن حنبل لم يجدْ أعواناً ولا أنصاراً . ثم أخذ أبو عبيد يُطري أحمد ، ويقول : لستُ أعلمُ في الإسلام مثلَه .

وقال إسحاق بن رَاهَوَيْه : أحمد بن حنبل حجَّةٌ بين الله وبين عبيده في أرضه .

وقال عليُّ بن المديني : إذا ابتليت بشيء فأفتاني أحمدُ بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربِّي كيفَ كانَ .

وقال علي أيضاً : اتخذت أحمدَ حجَّةً فيما بيني وبين الله عزَّ وجلَّ . ثم قال : ومن يَقْوَى على ما يقوى عليه أبو عبد الله ؟ .

وقال يحيى بن مَعين : كان في أحمدَ بن حنبل خصالٌ ما رأيتها في عالم قطّ ، كان محدِّثاً ، وكان حافظاً ، وكان عالماً ، وكان ورِعاً ، وكان زاهداً ، وكان عاقلاً .

وقال يحيى بن مَعين أيضاً : أراد النَّاس منَّا أن نكونَ مثلَ أحمد بن حنبل ، والله ما نقوى أن نكونَ مثلَ أحمد ، ولا في طريق أحمد .

وقال [محمد بن يحيى][٢] الذهليّ : اتخذت أحمد بن حنبل حجَّة فيما بيني وبين الله عزَّ وجل .

وقال هلال بن الملك الرقيّ[٣] : مَنَّ اللهُ على هذه الأمة بأربعة : بالشافعيِّ ؛ فهم الأحاديثَ وفسَّرها للناس ، وبيَّن المجمل من المفسَّر[٤] ، والخاصّ والعامّ ، والناسخ من المنسوخ ؛ وبأبي عُبَيد عرف الغريب وفسَّره ؛ وبيحيى بن مَعين ، نَفَى الكذِبَ من الأحاديث ؛ وبأحمد بن حنبل ، ثبت في المحنة ؛ لولا هؤلاء الأربعة لهلك الناس .

وقال أبو بكر بن أبي داود : أحمد بن حنبل مقدَّم على كُلِّ من حمل بيده قلماً ومحبرة ، يعني : في عصره .

---

(١) بعدها في ط : وعن الدنيا ما كان أصبره ، وفي الزهد ما كان أخبره .

(٢) زيادة من ب ، ظا . وفي آ : وقال عن الذهلي .

(٣) في ط : هلال بن المعلى الرقي .

(٤) في ط : مجملها من مفصّلها .

وقال أبو بكر محمد بن رجاء[١] : ما رأيتُ مثلَ أحمد بن حنبل ، ولا رأيتُ من رأى مثله .

وقال أبو زرعة الرازيُّ : ما أعرف في أصحابنا أسودَ الرأس أفقه منه .

وروى البيهقيُّ عن الحاكم ، عن يحيى بن محمد العنبريّ ، قال : أنشدنا أبو عبد الله البوشنجيّ في أحمدَ بن حنبل رحمه الله[٢] :

إنّ ابنَ حَنْبَلَ إنْ سألْتَ إمامُنا ... وبهِ الأئمةُ في الأنامِ تمسَّكُوا
خلَفَ النَّبيَّ محمّداً بَعْدَ الألى ... كانوا الخلائفَ بعدَهُ واستهلكوا
حَذْوَ الشِّراكِ[٣] على الشِّراكِ وإنَّما ... يَحذو المثالَ مثالُهُ المتمسِّكُ

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ : أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهم ، ولا من خالَفَهُم ، حتَّى يأتيَ أمْرُ الله وهم كذلك »[٤] .

قال عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما : هم أهل الحديث .

وروى البيهقيُّ ، عن أبي سعد المالينيّ[٥] ، عن ابن عديٍّ ، عن أبي القاسم البَغويّ ، عن أبي الرَّبيع الزهرانيّ ، عن حمَّاد بن زيد ، عن بقية بن الوليد ، عن معان بن رفاعة ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ح . قال البغوي : وحدثني زياد بن أيوب ، حدثنا مبشر ، عن معان ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذريّ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يحمل هذا العلم من كُلِّ خلف عُدُولُه ، ينفون عنه تحريفَ الغالين ، وانْتِحَالَ المبطلين ، وتأويلَ الجاهلين »[٦] .

---

(١) في ب ، ظا : محمد بن محمد بن رجاء .
(٢) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٨٠) .
(٣) « الشِّراك » : سير النعل على ظهر القدم .
(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٩٢٥) (١٧٠) في الإمارة ، من حديث ثوبان رضي الله عنه بلفظ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » .
ورواه البخاري (١٢٣/ ٢٥٠) في الاعتصام ، ومسلم رقم (١٠٣٧) (١٧٤) في الإمارة من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بلفظ : « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس » .
(٥) في ط وبقية النسخ : أبو سعيد الماليني ، وهو خطأ ، والصحيح أبو سعد الماليني ، وهو أحمد بن محمد الماليني الهروي المتوفى سنة (٤١٢) هـ (ع) .
(٦) هذا الحديث مشهور ، رواه الخطيب البغدادي في « شرف أصحاب الحديث » صفحة (٢٩) ، وابن وضاح في « البدع والنهي عنها » صفحة (١) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ١٧) والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٢٥٦) ، وابن عدي في الكامل (١/ ١٥٣) . ، من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ، وقال العقيلي : « وقد رواه قوم مرفوعاً من جهة لا تثبت » . والمصنف على تضعيف هذا الحديث مرفوعاً ، وهو الصواب إن شاء الله تعالى (بشار). =

وهذا الحديث مرسلٌ وإسنادُه فيه ضعف . والعجب أنَّ ابن عبد البر صحَّحه واحتجَّ به على عدالة كُلِّ مَن نسب إلى حَمْل العلم ، والإمام أحمد من أئمة أهل العلم ، رحمه الله وأكرمَ مثواه .

ذكر ما كان من أمر الإمام أحمد بعد المِحْنة

حين خرج من دار الخلافة بعد الضرب صار إلى منزله فَدُووي حتى برأ ، ولله الحمد والمنّة ، ولزم منزلَه فلا يخرج منه ، لا إلى جماعة ولا جمعة ، وامتنع من التحديث ، كانت غلّتُه مِن ملْكٍ له في كلِّ شهر سبعة عشر درهماً ينفقها على عياله ويتقنّع[1] بذلك ـ رحمه الله ـ صابراً محتسباً . ولم يزَلْ كذلك مدَّة خلافة المعتصم ، وكذلك في أيام ابنه محمد الواثق ، فلما وليَ المتوكِّلُ على الله جعفر بن المعتصم بالله استبشر الناس بولايته ، فإنَّه كان محبّاً للسُّنَّة وأهلها ، ورفع المِحْنَة عن الناس ، وكتب إلى الآفاق ألا يتكلَّمَ أحدٌ في القَوْل بخلْق القرآن ، ثم كتب إلى نائبه ببغداد ، وهو إسحاق بن إبراهيم ، أن يبعثَ بأحمد بن حنبل إليه ، فاستدعى بالإمام إليه فأكرمه إسحاق وعظّمه ، لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله ، وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن ، فقال له الإمام أحمد : سؤال تعنّت أو استرشاد ؟ فقال : بل سؤال استرشاد . [فقال : هو كلام الله منزلٌ غير مخلوق][2] ، فسكن إلى قوله في ذلك ، ثم جهَّزه إلى الخليفة بِسُرَّ مَن رأى ، وسبقه إليه .

وبلغه أن أحمد بن حنبل اجتاز بابنه[3] محمد بن إسحاق فلم يأته ولم يسلِّم عليه ، فغضب إسحاقُ بن إبراهيم من ذلك وشكاه إلى الخليفة ، فقال المتوكِّلُ : يُرَدُّ وإنْ كان قد وطِئ بساطي ، فرجع الإمام أحمد من الطريق إلى بغداد . وقد كان الإمام أحمد متكرّهاً لذلك ؛ ولكن لم يهنْ ذلك على كثيرٍ من الناس ؛ وإنَّما كان رجوعُه عن قول إسحاق بن إبراهيم الذي كان هو السبب في ضربه .

ثم إنَّ رجلاً من المبتدعة ، يقال له : ابن الثَّلْجِيّ[4] ، وشَى إلى الخليفة شيئاً ، وهو أنَّه يزعم

= وانظر « العواصم والقواصم » لمحمد بن إبراهيم الوزير اليماني (١/ ٣٠٨ ـ ٣١٣) فإنه جمع طرقه وشواهده ، وقد يصل الحديث إلى درجة الحسن لغيره بطرقه وشواهده موقوفاً مرفوعاً . (ع) .

(١) في ب ، ظا : يقتنع . ومعنى يتقنَّع : يتكلَّف القناعة .

(٢) ما بين قوسين لم يرد في آ .

(٣) في آ : بنائبه .

(٤) في آ ، ط : ابن البلخي ، والمثبت من (ب ، ظا) .
وهو محمد بن شجاع ، أبو عبد الله ، يعرف بابن الثَّلْجِي ، فقيه العراق ، وشيخ الحنفية ، صنف واشتغل ، ووصفه الذهبي بأنه كان صاحب تعبُّد وتهجُّد وتلاوة ، إلا أنَّه كان يقف في مسألة القرآن ، فلا يقول : القرآن مخلوق أو غير مخلوق ، وقد ترك حديثه . توفي وهو ساجد سنة ٢٦٦هـ عن خمس وثمانين سنة .
ترجم في العبر (٢/ ٣٣) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦٧) و(١٢/ ٣٧٩) ، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٢٠) .

أنَّ رجلاً من العلويين قد ضَوَى[(١)] إلى منزل أحمد بن حنبل وهو يبايع له الناس في الباطن .

فأمر الخليفة نائبَ بغداد أن يكبس منزل الإمام أحمد من الليل ، فلم يشعروا إلا بالمشاعل قد أحاطَتْ بالدار من كُلِّ مكان حتَّى من فوق الأسطحة ، فوجدوا الإمام أحمد جالساً في داره مع عياله ، فسألوه عمَّا ذُكر عنه ، فقال : ليس عندي من هذا علمٌ ، وليس من هذا شيء ، وإنِّي لأرَى طاعة أمير المؤمنين في السِّرِّ والعلانية ، وفي عُسْري ويُسْري ، ومَنْشَطي[(٢)] ومَكْرَهي ، وأثَرةٍ عليَّ ، وإنِّي لأدعو الله له بالتَّسْديد والتَّوفيق ؛ في الليل والنهار ، في كلام كثير . قال : ففتَّشوا منزله ، حتَّى مكان الكتب ، وبيوت النساء ، والأسطحة ، فلم يروا شيئاً[(٣)] .

فلمَّا بلغ المتوكِّلَ ذلك ، وعلم براءته مما نُسب إليه ، علم أنهم يكذبون عليه كثيراً ، فبعث إليه يعقوب بن إبراهيم المعروف بقَوْصَرة ـ وهو أحد الحجبة ـ بعشرة آلاف درهم من الخليفة ، وقال : هو يقرأ عليك السلام ، ويقول : انتفق[(٤)] هذه ، فامتنع من قبولها . فقال : يا أبا عبد الله ، إنِّي أخشى من رَدِّك إياها أن يقعَ وَحْشَةٌ بينك وبينه ، والمصلحةُ لك قبولها ، فوضَعَها عنده ثم ذهب ، فلمَّا كان من آخر الليل استدعى الإمام أحمد أهلَه وبني عمه وعياله ، وقال : لم أنَمْ هذه الليلة ، فجلسوه وكتبوا أسماءَ جماعةٍ من المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة ، ثم أصبح ففرَّقها في الناس ما بين الخمسين إلى المئة والمئتين ، فلم يُبق منها درهماً ، وأعطى منها لأبي كُرَيْب[(٥)] ، وأبي سعيد الأشج ، وتصدَّق بالكيس الذي[(٦)] كانت فيه ، ولم يُعطِ منها لأهله شيئاً وهم في غاية الفقر والحاجة ، وجاء بني ابنه ، فقال : أعطني درهماً . فنظر أحمد إلى ابنه صالح ، فتناول صالح قطعةً فأعطاها الصبيَّ ، فسكت أحمدُ ، رحمه الله . وبلغ الخليفةَ أنه تصدَّق بالجائزة كلِّها حتى لم يبق منها شيئاً ، وأنه قد تصدَّق بكيسها ، فقال عليّ بن الجَهْم : يا أميرَ المؤمنين ، إنه قد قبلها منك وتصدَّق بها عنك ، وماذا يصنع أحمدُ بالمال ؟ إنما يكفيه رغيفٌ . فقال : صدقْتَ .

فلمَّا مات إسحاق بن إبراهيم وابنُه محمد ، ولم يكن بينهما إلا القريب ، وتولَّى نيابةَ بغدادَ عبدُ الله بن إسحاق ، كتبَ المتوكِّلُ إليه أن يحمل إليه الإمامَ أحمدَ ، فقال لأحمد في ذلك ، فقال : إني شيخٌ كبيرٌ

---

(١) في ط : أوى .

(٢) « المَنْشَط » : ما يُخفُّ إليه ويؤثر فعله . و« المَكْرَه » : ما يكرهه الإنسان ويشق عليه . ومن حديث عُبادة : بايعت رسول الله ﷺ على المَنْشَط والمَكرَه ، يعني المحبوب والمكروه ، وهما مصدران . النهاية (٤/ ١٦٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٧) .

(٤) في آ : انتفق من هذه . وفي ط : استنفق هذه ، والمثبت من ب ، ظا .

(٥) في آ ، ط : أيوب ، والمثبت من ب ، ظا . وهو محمد بن العلاء بن كُرَيب الهمداني الكوفي ، شيخ المحدثين . مات نحو سنة ٢٤٨هـ . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٤) .

(٦) في النسخ : التي .

وضعيف ، فردَّ الجوابَ على الخليفة بذلك ، فأرسل يعزم عليه لَيأتيَنَّ ، وكتب إلى أحمد يقول له : إنِّي أحبُّ أن آنس بقربك[١] ، ويحصلَ لي بركةُ دعائك .

فسار الإمام أحمد ـ وهو عليلٌ ـ في[٢] بنيه وبعض أهله ، فلمَّا قارب العسكر تلقَّاه وصيف الخادم في موكبٍ عظيمٍ ، فسلَّم على الإمام أحمد فردَّ السَّلام ، ثم قال له وصيف : قد أمكنك الله من عدوِّك ابن أبي دُوَاد ، فلم يردَّ عليه جواباً ، وجعل ابنه يدعو الله للخليفة ولوصيف . فلمَّا وصلوا إلى العسكر بسُرَّ من رأى ، أنزل في دار إيتاخ ، فلمَّا علم بذلك ارتحلَ منها ، وأمر أن يُستكرى له دار غيرها .

وكانت رؤوس الأمراء في كلِّ يوم يحضرون عنده ويبلغونه عن الخليفة السَّلام ، ولا يدخلون عليه حتى يقلعوا[٣] ما عليهم من الزينة والسلاح . وبعث إليه الخليفةُ بالمفارش الطرية وغيرها من الآلات التي تليق بتلك الدار العظيمة ، وأراد منه الخليفة أن يقيمَ هناك ليحدِّث الناس عوضاً عمَّا فاتهم منه في أيام المحنة وما بعدَها من السنين المتطاولة وهو محجوب في داره لا يخرج إلى جماعة ، ولا جمعة أيضاً ، فاعتذر إليهم بأنَّه عليل ، وأسنانُه تتحرَّك وهو ضعيفٌ .

ويبعث إليه الخليفة في كُلِّ يوم مائدة فيها ألوان الأطعمة والفاكهة والثلج ، ما يقاوم مئة وعشرين درهماً في كُلِّ يوم ، والخليفة يحسب أنَّ أحمد يأكلُ من ذلك ، ولم يكن أحمدُ يطعم من ذلك شيئاً بالكلية ، بل كان صائماً يطوي ، فمكث ثمانية أيام لم يستطعم بطعام ، ومع ذلك هو عليلٌ . ثم أقسم عليه ولده حتَّى شرب قليلاً من السَّويق بعد ثمانية أيام .

وجاءه عُبيد الله بن يحيى بن خاقان بمالٍ جزيلٍ من الخليفة جائزةً له ، فامتنع من قبولها ، فألحَّ عليه الأميرُ فلم يقبل . فأخذَها الأميرُ ففرَّقها على بنيه وأهله ، وقال : إنه لا يمكن أن تُرَدَّ على الخليفة جائزته . وكتب الخليفة لأهله وأولاده في كلِّ شهر بأربعة آلاف درهم ، فمانَع أبو عبد الله في ذلك ، فقال الخليفة : لا بُدَّ من ذلك ، وما هذا إلا لولدك . فأمسك أبو عبد الله ، ثم أخذ يلوم أهله وبني عمه ، وقال : إنما بقي لنا أيام قلائل ، وكأننا وقد نزل بنا الموت ؛ فإمَّا إلى جنة وإمَّا إلى نارٍ[٤] ؛ في كلام طويل يعظهم به . فاحتجُّوا عليه بالحديث الصحيح : « مَن جاءَهُ من هذا المالِ شيء وهو غير سائلٍ ولا مستشرفٍ فليقبله »[٥] . وبأن ابنَ عمر وابنَ عباس قبلا جوائز السلطان . فقال : ما هذا

(١) بعده في ط : وبالنظر إليك .

(٢) في آ : في بعض بنيه وأهله .

(٣) في ب ، ظا : ط : يقلعون .

(٤) بعدها في ط : فنخرج من الدنيا وبطوننا قد أخذت من مال هؤلاء .

(٥) هذا الحديث رواه البخاري (١٣/ ١٣٤) في الأحكام ، ومسلم رقم (١٠٤٥) في الزكاة ، من حديث عبد الله بن عمر أن عمر قال : كان رسول الله ﷺ يُعطيني العطاء ، فأقول : أعطِهِ من هو أفقر إليه منّي ، قال : فقال : خُذْه ، وإذا=

وذاك سواء ، ولو أعلم أنَّ هذا المال أخذ من حقِّه وليس فيه ظلم ولا جور لم أبالِ[١] .

ولما استمر ضعف أبي عبد الله جعل المتوكِّل يبعث إليه ابن ماسَوَيْه المتطبِّب لينظرَ في مرضه ، فرجع إليه فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ أحمد بن حنبل ليس به عِلَّةٌ في بدنه ، إنَّما علته من قلّة الطعام وكثرة الصيام والعبادة ، فسكت المتوكل .

ثم سألت أمُّ الخليفة منه أن ترى الإمام أحمد بن حنبل ، فبعث المتوكّلُ إليه يسأله أن يجتمعَ بابنه المعتز ويدعُوَ له ، ويكون في حجره . فتمنَّع من ذلك ، ثم أجاب إليه رجاء أن يعجِّل[٢] برجوعه إلى أهله ببغداد .

وبعث الخليفة إليه بخِلْعَة سنيَّةٍ ، ومَرْكُوب[٣] من مراكبه ، فامتنع من ركوبه لكون عليه مِيثَرَةُ[٤] نُمُورٍ . فجاء ببغل لبعض التجار ، فركبه ، وجاء إلى مجلس المعتز ، وقد جلس الخليفة وأمُّه في ناحية من ذلك المجلس ، من وراء سِتر رقيق . فلمَّا جاء أحمد ، قال : السَّلامُ عليكم ، وجَلَس ، ولم يسلِّم عليه بالإمْرَةِ ، فقالت أمُّ الخليفة : الله الله يا بني في هذا الرجل ، تردُّه إلى أهله ، فإنَّ هذا ليس ممن يريد ما أنتم فيه . وحين رأى المتوكل أحمد قال لأمه : يا أمَّه ، قد أنارت الدار . وجاء الخادم ومعه خِلْعة سنِيَّة مبطَّنة وثوبٌ وقَلَنْسُوة وطَيْلَسان ، فألبسَها الإمام أحمدَ بيده ، وأحمدُ لا يتحرَّك بالكلية .

قال الإمام أحمد : لمَّا جلست إلى المعتزِّ قال مؤدِّبُه : أصلَحَ الله الأمير ! هذا الذي أمر الخليفة أن يكون مؤدِّبك . فقال : إنْ عَلَّمَني شيئاً تعلَّمْتُه . قال أحمد : فتعجبت من ذكائه في صغره . ثم خرج أحمد وهو يستغفرُ الله[٥] ، ثم بعد أيام أذن له الخليفة في الانصراف ، وهَيَّأ له حَرَّاقة[٦] فلم يفعلْ أن ينحدرَ فيها ، بل ركب في زورقٍ ، ودخل بغداد مختفياً ، وأمَر أن تباع تلك الخِلْعَةُ وأن يُتصدَّقَ بثمنها على الفقراء والمساكين .

وجعل يتألَّم من اجتماعه بهم ، ويقول : سَلِمْتُ منهم طولَ عمري ، ثم ابتُليت بهم في آخره ، وكاد يهلك من الجوع .

= جاءك شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموَّلْه ، فإن شئت كله ، وإن شئت تصدق به ، وما لا فلا تُتبِعْه نفسك ، وله روايات أخرى بهذا المعنى .

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦٩ ـ ٢٧١) .

(٢) سير أعلام النبلاء : أن يُطْلَق .

(٣) في ب ، ظا : ومركب .

(٤) « الميثرة » : جلد يكون في السرج .

(٥) بعدها في ط : ويستعيذ بالله من مقته وغضبه .

(٦) « الحَرَّاقة » : سفينة خفيفة المرِّ ، جمع حَرَّاقات .

وقد قال بعضُ الأمراء للمتوكّل على الله الخليفة : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ أحمد بن حنبل لا يأكلُ لك طعاماً ، ولا يشرب لك شراباً ، ولا يجلس على فرشكَ ، ويحرِّم ما تشربه . فقال لهم : والله لو نُشر المعتصم وكلَّمني في أحمد لم أقبَلْ منه .

وجعلت رسلُ المتوكّل تفدُ إليه في كُلِّ يوم تستعلم عن أخباره وكيف حاله . وجعل يستفتيه في أموال ابن أبي دُواد ولا يجيب بشيء . ثم أحدر ابن أبي دُوَاد من سامَرّاء إلى بغداد بعدما أشهدَ على نفسه ببيع ضياعه ، وأخذت أمواله كلّها .

قال عبد الله : وحين رجع أبي من سامَرّاء إلى بغداد دخلت عيناه في موقيه ، وما رجعت إليه نفسُه إلا بعد ستة أشهر ، وامتنع[١] من أن يستقرّ ببيت قرابته ، أو ينتفعَ بشيءٍ ممَّا هم فيه ، لأجل قبولهم أموال السلطان[٢] .

وكان مسيرُ أحمدَ إلى المتوكّل في سنة سبع وثلاثين ومئتين ، ثم مكث إلى سنة وفاته ، قَلَّ يومٌ إلا ورسالة المتوكّل تفدُ إليه في أمورٍ يشاوره فيها ، ويستشيره .

ولمَّا قدم المتوكِّل بغدادَ بعثَ إليه ابنَ خاقان ومعه ألفُ دينار ليفرِّقها على مَنْ يرى ، فامتنع من قبولها ، وقال : إنَّ أميرَ المؤمنين قد أعفاني ممَّا أكره ، فردَّها .

وكتب رجلٌ رُقْعَةً إلى المتوكّل ، يقولُ فيها : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ أحمد بن حنبل يشتم آباءَكَ ويرميهم بالزَّندقة .

فكتبَ فيها المتوكّلُ : أمَّا المأمون فإنَّه خلَطَ ، فسلَّطَ الناس على نفسه ؛ وأمَّا أبي المعتصم فإنَّه كان رجلَ حربٍ ولم يكن له بَصَرٌ بالكلام ؛ وأمَّا أخي الواثق فإنه استحقَّ ما قيل فيه . ثم أمر أن يضرب هذا الرجل الرافع[٣] الرُّقْعَةَ مئتي سوط ، فأخذه عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم فضَرَبه خمسمئة سوط ، فقال له الخليفة : لِمَ ضربته خمسمئة سوط ؟ فقال : مئتين لطاعتك ، ومئتين لطاعةِ الله ورسوله ، ومئة لكونه قذف هذا الشيخَ ، الرّجلَ الصالح أحمدَ بن حنبل .

وقد كتب الخليفةُ إلى الإمام أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤالَ استرشاد لا تعنّت ولا امتحان ولا عناد . فكتب إليه أحمدُ ـ رحمه الله ـ رسالةَ حسنة فيها آثارٌ عن الصحابة وغيرهم ، وأحاديث مرفوعة . وقد أوردها ابنه صالح في المحنة التي ساقها ، وهي مروية عنه ، ونقلها غير واحد من الحفَّاظ .

---

(١) في ط : وامتنع أن يدخل بيت قرابته أو يدخل بيتاً هم فيه ، أو ينتفع .
(٢) في ب ، ظا : قبولهم الأموال .
(٣) في ط : الذي رفع إليه الرقعة .

ذكر وفاة الإمام أحمد رحمه الله

قال ابنُه صالح : كان مرضه في أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين ، دخلتُ عليه يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول وهو محموم يتنفس الصُّعَداء ، وهو ضعيف ، فقلت : يا أبت ، ما كان غداؤك ؟ فقال : ماء الباقلا . ثم ذكر كثرة مجيء الناس من الأكابر وعموم الناس لعيادته ، وكثرة جزع[١] الناس عليه ، وكان معه خُرَيْقة فيها قُطَيعات يُنفق على نفسه منها ، وقد أمر ولدَه عبدَ الله أن يطالب سكان ملكه ، وأن يكفِّر عنه كفَّارة يمين . فأخذ شيئاً من الأجرة فاشترى تمراً ، وكفَّر عن أبيه ، وفضل من ذلك ثلاثة[٢] دراهم .

وكتب الإمام أحمد وصيَّته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به[٣] أحمد بن محمد بن حنبل ؛ أوصى أنَّه يشهدُ أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحقِّ ليظهرَه على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون . وأوصى مَنْ أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين ، وأن يحمدوه في الحامدين ، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين . وأوصى أني قد رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمّدٍ نبيّاً . وأوصى أنَّ لعبد الله بن محمد المعروف بفوران[٤] عليَّ نحواً من خمسين ديناراً ، وهو مُصَدَّق[٥] فيما قال ، فيُقْضى ماله عليّ من غلّة الدّار ، إن شاء الله . فإذا استوفَى أعطِيَ ولدُ[٦] صالح ، كُلُّ ذكرٍ وأنثى عشرة دراهم ، عشرة دراهم .

ثم استدعى بالصبيان من ورثته[٧] ، فجعل يدعو لهم ، وكان قد ولد له صَبيّ قبلَ موته بخمسين يوماً ، فسمَّاه سعيداً ، وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مشى حين مرض الإمام أحمد ، فدعاه فالتزمه وقبَّله ، ثم قال : ما كنت أصنعُ بالولد على كبر السنّ ؟ فقيل له : ذرية تكون بعدك يدعون لك ، قال : وذاك ، وجعل يحمَدُ الله عزَّ وجلَّ .

---

(١) في آ ، ط : حرج .
(٢) في النسخ : ثلاث .
(٣) به من ط .
(٤) في آ ، ط : ببوران ، والمثبت من ب ، ظا ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨١) .
(٥) في آ ، ط : مصدَّق فيها ، قال : يقضي ، والمثبت من ب ، ظا .
(٦) في سير أعلام النبلاء : ولد عبد الله وصالح .
(٧) في ب ، ظا : ذريته .

وقد بلغه في مرضه[١] عن طاووس أنه كره الأنين في المرض ، فترك الأنينَ ، فلم يئنّ حتّى كانت الليلة التي توفي في صبيحتها ، وكانت ليلة الجمعة ، الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، فأنَّ حين اشتد عليه الوجع .

وقد رُوِيَ عن ابنه عبد الله ، ويُروى عن صالح أيضاً ، أنه قال : لمَّا احتُضر بي رحمه الله جعل يكثر أن يقولَ : لا ، بعدُ ، لا ، بعدُ ، فقلْتُ : يا أبة ، ما هذه اللفظة التي لهجت بها في هذه الساعة ؟ فقال : يا بنيّ ، إنَّ إبليسَ واقفٌ في زاوية البيت ، وهو عاضّ على أصبعه ، وهو يقول : فُتَّنِي يا أحمد ؟ فأقولُ : لا ، بعدُ ، لا ، بعد . يعني لا يفوته حتَّى تخرجَ روحه من جسده على التوحيد . كما جاء في بعض الأحاديث ، قال إبليس : يا ربّ ، وعزَّتِك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحُهم في أجسادهم . فقال : وعزَّتي وجَلالي ، ولا أزال أغفِرُ لهم ما استغفروني[٢] .

وأحسن ما كان من أمره أنه أشار إلى أهله أن يوضِّئوه ، فجعلوا يوضئونه وهو يُشيرُ إليهم أن خلِّلوا أصابعي وهو يذكر الله عزَّ وجلَّ في جميع ذلك ، فلمَّا أكملوا الوضوء توفي ، رحمه الله ، ورضي عنه .

وقد كانت وفاة الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ صبيحة يوم الجمعة ، حين مضى نحو من ساعتين من النهار . فاجتمع الناس في الشوارع ، وبعث محمد بن عبد الله بن طاهر حاجبَه ومعه غلمان يحملون مناديل فيها أكفان ، وأرسل يقولُ : هذا نيابة عن الخليفة ، فإنَّه لو كان حاضراً لبعث بهذا . فأرسل أولاده يقولون : إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته مما يكره ، وهذا مما يكرهه ، وأبوا أن يكفّنوه في تلك الأثواب ، وأتَوا بثوب كان قد غزلته جاريته فكفَّنوه فيه ، واشتروا معه عَوَز لُفافة وحَنُوطاً ، واشتروا له راوية ماءٍ ، وامتنعوا أن يغسلوه بماءٍ من بيوتهم ؛ لأنَّه كان قد هجَر بيوتهم ، فلا يأكل منها ، ولا يستعيرمن أمتعتهم ، وكان لا يزال متغضِّباً عليهم ، لكونهم كانوا يتناولون ما رُتِّب لهم على بيت المال ؛ في كُلِّ شهر أربعةُ آلاف درهم . وكانوا عالةً[٣] وفقراء . وحضر غسله نحو مئة من بيت الخلافة من بني هاشم ، فجعلوا يقبّلون بين عينيه ، ويدعون له ، ويترحَّمون عليه ، [ويترضَّون عنه][٤] .

وخرج الناس بنعشه ، والخلائق حوله من الرجال والنساء ما لا يعلم عددهم إلا الله ، ونائب البلدة

---

(١) في ب ، ظا : مرض موته .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٩ و٤١) رقم (١١١٧٨) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان قال : وعزتك يا رب ، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسامهم ، فقال الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » وإسناده ضعيف ، ولكن له طرقه ، فهو بها حسن .

(٣) العالة : الفقراء ، جمع عائل .

(٤) الزيادة من ب ، ظا .

محمد بن عبد الله بن طاهر واقفٌ في الناس ، وتقدَّم خطوات فعزَّى أولاد الإمام أحمد فيه ، وكان هو الذي أمَّ الناس في الصلاة عليه ، وقد أعاد جماعة من الناس الصلاة على القبر بعد الدفن من أجل ذلك ، ولم يستقرَّ في قبره ـ رحمه الله ـ إلا بعد صلاة العصر ، وذلك لكثرة الخلق .

وقد روى البيهقيُّ وغيرُ واحدٍ : أنَّ الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحزر الناس فوجدوا ألفَ ألفٍ وثلثمئة ألف ، وفي رواية : وسبعمئة [ألف] إنسان ، سوى من كان في السُّفُن[(١)] . وأقل ما قيل : سبعمئة ألف .

وقال ابنُ أبي حاتم : سمعتُ أبا زُرْعة ، يقول : بلغني أنَّ المتوكِّل أمَرَ أنْ يُمْسَحَ الموضعُ الذي وقفَ الناس عليه حيث صُلِّي على أحمد بن حنبل ، فبلغ مقام ألفي ألفٍ وخمسمئة ألف[(٢)] .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقيّ عن الحاكم : سمعْتُ أبا بكر أحمد بن كامل القاضي ، يقول : سمعت محمد بن يحيى الزنجاني سمعت عبد الوهاب الورَّاق ، يقول : ما بلغنا أن جمعاً في الجاهلية والإسلام كان أكثر من الجمع على جنازة أبي عبد الله .

وقال أبو محمد ، عبد الرحمن بن أبي حاتم : حدثني محمد بن العبَّاس المكّيّ ، سمعت الوَرْكاني ، جارَ أحمد بن حنبل ، قال : أسلم يوم مات أحمدُ عشرون ألفاً من اليهود ، والنصارى ، والمجوس . [ووقع المأتم في المسلمين واليهود والنصارى والمجوس][(٣)] . وفي بعض النسخ : أسلم عشرة آلاف بدل عشرين ألفاً ، والله أعلم[(٤)] .

وقال الدَّارَقُطني : سمعتُ أبا سهل بن زياد ، يقول : سمعت عبد الله بن أحمد ، يقول : سمعت أبي ، يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يوم الجنائز . وقد صدَّق الله قوله في هذا ، فإنه ـ رحمه الله ـ كان إمامَ السُّنَّة في زمانه ، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دُوَاد القاضي[(٥)] لم يحتفل أحدٌ بموته ، ولا شيَّعه من الناس إلا القليل . وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي ، مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته نفسه

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤٠) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) زيادة من ب ، ظا .
(٤) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤٣) : هذه حكاية منكرة ، تفرَّد بنقلها هذا المكي عن هذا الوَرْكاني ، ولا يُعْرَف ، وماذا بالوركاني المشهور محمد بن جعفر الذي مات قبل أحمد بن حنبل بثلاث عشرة سنة ، وهو الذي قال فيه أبو زرعة : كان جاراً لأحمد بن حنبل . ثم العادة والعقل تحيل وقوع مثل هذا؛ وهو إسلام ألوف لموت وليٍّ لله ، ولا ينقل ذلك إلا مجهول لا يُعرف؛ ولو وقع ذلك لاشتهر ولتواتر؛ لتوفر الهمم؛ والدواعي على نقل مثله . بل لو أسلم لموته مئة نفسٍ لقُضي من ذلك العجب ، فما ظنك ؟! .
(٥) في ط : وهو قاضي قضاة الدنيا .

في خطراته وحركاته ، لم يصلِّ عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس[١] . فلله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ .

وقد روى البيهقيُّ ، عن حجاج بن محمد الشاعر : أنه قال : ما كنتُ أحبُّ أن أقتَلَ في سبيل الله ولم أصلِّ على الإمام أحمد .

وروى عن رجل من أهل العلم : أنه قال يوم دُفِنَ أحمد : دُفِنَ اليومَ سادسُ خمسةٍ ، وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعمر بن عبد العزيز ، رحمهم الله . وكان عمره يوم توفي ـ رحمه الله ـ سبعاً وسبعين سنة وأياماً أقلّ من شهر .

ذكر ما رُئي من المنامات الصالحة التي رآها الإمام أحمد ورئيت له

وقد صحَّ في الحديث : « لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبوَّةِ إلا المُبَشِّرات »[٢] . [وفي رواية : « إلا الرؤيا الصالحة][٣] يراها المؤمن أو تُرَى له » .

وروى البيهقيُّ عن الحاكم ، سمعتُ علي بن حَمْشاذ ، سمعت جعفر بن محمد بن الحسين ، سمعتُ سلمة بن شبيب ، يقول : كنَّا عند أحمد بن حنبل ، وجاءه شيخ ومعه عُكَّازة فسلَّم وجَلَسَ ، فقال : من منكم أحمد بن حنبل ؟ فقال أحمد : أنا ، ما حاجتك ؟ قال : ضربْتُ[٤] إليك من أربع مئة فرسخٍ ، أريت الخضِرَ في المنام ، فقال : سر[٥] إلى أحمد بن حنبل ، وسَلْ عنه ، وقل له : إنَّ ساكن العرش والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله عزَّ وجلَّ[٦] .

وعن أبي عبد الله محمد بن خزيمة الإسكندراني ، قال : لمَّا مات أحمد اغتممْتُ غمّاً شديداً ، فرأيته في المنام وهو يَتَبَخْتَرُ في مشيته ، فقلْتُ له : يا أبا عبد الله ، أيُّ مشيةٍ هذه ؟ فقال : مِشْيَةُ الخُدَّام في دار

(١) بعدها في ط : وكذلك بشر بن غياث المريسي ، لم يصلِّ عليه إلا طائفة يسيرة جداً .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٢/ ٣٣١) في التعبير ، باب المبشرات ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤية الصالحة » .
قال الحافظ في الفتح : كذا ذكره باللفظ الدال على المضي تحقيقاً لوقوعه ، والمراد الاستقبال ، أي : لا يبقى .
والمعنى : لم يبق بعد النبوة المختصة بي إلا المبشرات ، ثم فسرها بالرؤيا .
وجاء الحديث من حديث ابن عباس عند أحمد (١/ ٢١٩) ، ومسلم رقم (٤٧٩) ، وأبي داود رقم (٨٧٦) ، وابن ماجه رقم (٣٨٩٩) بلفظ : « أيها الناس ، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » . وهو جزء من حديث طويل قاله في مرض موته ﷺ .

(٣) زيادة من ط .

(٤) في سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥١) : صِرْتُ إليك .

(٥) في ب ، ظا : قُمْ وصِرْ .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (الجزء السابع/ ٢٧٤ و٢٧٥) .

السلام ، فقلْتُ : ما فَعَلَ اللهُ بك ؟ قال : غَفَرَ لي ، وتوَّجني ، وألْبَسَني نعلَيْن مِنْ ذَهبٍ ، وقال لي : يا أحمدُ ، هذا بقولك : القرآنُ كلامي ، ثم قال : يا أحمدُ ، ادعُني بتلك الدَّعَوات التي بَلَغَتْكَ عن سفيان الثَّوْري ، كنتَ تدعو بهنَّ في دار الدنيا . قال : قلت : يا ربَّ كلِّ شيءٍ ، بقدرتك على كلِّ شيءٍ ، اغفرْ لي كُلَّ شيءٍ ، حتَّى لا تسألني عن شيء . فقال لي : يا أحمدُ ، هذه الجنة قُم ادخلْ إليها ، فدخلْتُ فإذا أنا بسفيان الثوريّ وله جناحان أخضران ، يطيرُ بهما من نخلةٍ إلى نخلةٍ ، وهو يقول : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر : ٧٤] . قال : فقلت له : ما فَعَلَ بِشْرٌ الحافيّ ؟ فقال : بَخٍ بَخٍ ! ومَنْ مثلُ بِشْر ؟! تركته بين يدي الجليل ، وبين يديه مائدةٌ من الطَّعام ، والجليلُ مقبِلٌ عليه ، وهو يقول : كُلْ يا مَنْ[١] لم يأكل ، اشربْ يا مَن لم يشرب ، وانْعَمْ يا مَنْ لم ينعَمْ ، أو كَما قال[٢] .

وقال أبو محمد بن أبي حاتم ، عن محمد بن مسلم بن وَارة ، قال : لمَّا مات أبو زُرعة رأيته في المنام ، فقلت : ما فَعَلَ اللهُ بك ؟ فقال : قال لي الجبَّار : ألحقوه بأبي عبد الله ، وأبي عبد الله ، وأبي عبد الله ؛ مالك والشافعي وأحمد بن حنبل .

وقال عثمان[٣] بن خُرَّزاد الأنطاكي : رأيت في المنام كأنَّ القيامة قد قامت وقد برز الربُّ لفصل القضاء ، وكأنَّ منادياً ينادي من تحت بطنان العرش : أدخلوا أبا عبد الله ، وأبا عبد الله ، وأبا عبد الله ، [وأبا عبد الله][٤] الجنّة . قال : فقلْتُ لملك إلى جانبي : من هؤلاء ؟ فقال : مالك ، والثوريّ ، والشافعيّ ، وأحمد بن حنبل .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن أيّوب المقدسيّ ، قال : رأيت رسولَ الله في النوم وهو نائمٌ وعليه ثوب مغطى ، وأحمد بن حنبل ويحيى بن مَعين يذبَّان عنه .

وقد تقدَّم[٥] في ترجمة أحمد بن أبي دُواد عن يحيى الجلاء ، أنه رأى كأنَّ أحمد بن حنبل في حَلْقةٍ بالمسجد الجامع وأحمد بن أبي دُوَاد في حَلْقةٍ أخرى ، وكأنَّ رسولَ الله ﷺ واقفٌ بين الحلقتين وهو يتلو هذه الآية : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [الأنعام : ٨٩] ويشير إلى حَلْقة ابن

---

(١) آ ، ب : يا من لا أكل ، والمثبت من ظا ، ط .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (الجزء السابع/ ٢٩٠ و٢٩١) . والمجلدة العاشرة (ترجمة بشر الحافي) ص(٨٥) ، وفي مختصره لابن منظور (٣/ ٢٥٥ و٥/ ٢٠٦) وبعضه في صفة الصفوة (٢/ ٣٣٥) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤٨) .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : أحمد .

(٤) ما بين قوسين لم يرد في آ .

(٥) تقدم في حوادث سنة (٢٤٠) .

أبي دُوَاد وأصحابه ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] ، ويُشير إلى أحمدَ بن حنبل وأصحابِه .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومئتين

فيها : كانت زلازلُ هائلة في البلاد ؛ فمن ذلك ما كان بمدينة قُوْمِس[١] ، تهدَّم منها دورٌ كثيرةٌ ، ومات من أهلها نحو من خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين[٢] نفساً .

وكانت باليمن وخراسان وفارس والشام وغيرها من البلاد زلازلُ منكرةٌ .

وفيها : أغارت الروم على بلاد الجزيرة ، فانتهبوا شيئاً كثيراً ، وأسروا نحواً من عشرة آلاف من الذَّراري ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وحجَّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن عليّ ، نائب مكة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن عليّ بن الجَعْد ، قاضي مدينة المنصور[٣] .

وأبو حسَّان الزِّياديّ[٤] : قاضي الشرقيّة ، واسمه[٥] الحسن بن عثمان بن حمَّاد بن حسَّان بن عبد الرحمن بن يزيد البغدادي . سمع الوليد بن مسلم ، ووكيع بن الجرَّاح ، والواقديّ ، وخلْقاً سواهم .

وعنه : أبو بكر بن أبي الدنيا ، وعليّ بن عبد الله الفَرْغَاني الحافظ المعروف بطفك ، وجماعة .

ترجمه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[٦] قال : وليس هو من سلالة زياد بن أبيه ، إنَّما تزوج بعضُ أجداده بأمِّ وَلَدٍ لزيادٍ ، فقيل له : الزِّياديّ .

---

(١) « قُوْمِس » : كورة كبيرة تشتمل على مدن وقرى ومزارع ، وهي في ذيل جبال طبرستان ، وقصبتها المشهورة دامغان ، وهي بين الري ونيسابور . (ياقوت) .

(٢) في النسخ : وتسعون .

(٣) الحسن بن علي بن الجَعْد بن عبيد الجوهري . ولي قضاء مدينة المنصور . وكان من العلماء بمذهب أهل العراق ، أخذ عن أبيه ، وولي القضاء في حياة أبيه . تاريخ بغداد (٧/ ٣٦٤) .

(٤) معجم الأدباء (٩/ ١٨) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٣٥٦) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٣٤٧) ، والعبر (١/ ٤٣٧) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩٦) .

(٥) في آ ، ب : واسم أبي حسان الزيادي الحسن . . ، والمثبت من ط .

(٦) تاريخ ابن عساكر (٤/ ٢٣٦أ) ، ومختصر ابن عساكر (٦/ ٣٤٧) .

ثم أورد من حديثه بسنده عن جابرٍ : « الحلالُ بيِّن ، والحَرَامُ بيِّنٌ »[١] . . . الحديث .

وروي عن الخطيب[٢] أنه قال : كان من العلماء الأفاضل ، من أهل المعرفة والثقة والأمانة ، وليَ قضاءَ الشّرقية في خلافة المتوكّل ؛ وله تاريخٌ على السنين ، وله حديثٌ كثير .

وقال غيره[٣] : كان صالحاً ديناً قد عمل الكتب ، وكانت له معرفة جيدة بأيَّام الناس ، وله تاريخٌ حسن ، وكان كريماً مفضالاً .

وقد ذكر ابن عساكر[٤] عنه أشياء حسنة ؛ منها : أنَّه أنفَذَ إليه بعضُ أصحابه يذكر أنَّه قد أصابته ضائقة في عيدٍ من الأعياد ، ولم يكنْ عنده غيرُ مئة دينار ، فأرسلها بصُرّتها إليه ، ثم سأل ذلك الرجلَ صاحبٌ له أيضاً يشكو مثل تلك الحال ، فأرسل بها إليه ، وكتب أبو حسَّان إلى ذلك الرجل الذي أخذ المئة يستقرضُ منه شيئاً وهو لا يشعر بالأمر ، فأرسل إليه بالمئة في صرّتها ، فلمَّا رآها تعجَّبَ مِنْ أمرها ، وركبَ إليه يسأله عن ذلك ، فذكر أنَّ فلاناً أرسلها إليه ؛ فاجتمع الثلاثة ، واقتسموا المئة دينار ؛ رحمهم الله وجزاهم عن مروءتهم خيراً .

وفيها توفي أبو مُصْعَب الزُّهريّ ، أحدُ رواة « الموطَّأ » عن مالك[٥] .

وعبد الله بن ذَكْوان ، أحد القرَّاء المشاهير[٦] .

---

(١) حديث جابر هذا رواه ابن عساكر في تاريخه ، وهو في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٦/ ٣٤٧) .
وقد رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٧) في الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، وفي البيوع ، باب الحلال بين والحرام بين ؛ ومسلم في صحيحه رقم (١٥٩٩) في المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ؛ وأبو داود رقم (٣٣٢٩) و(٣٣٣٠) والترمذي رقم (١٢٠٥) ، والنسائي (٧/ ٢٤١) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ؛ قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » صفحة (٦٣) : هذا الحديث صحيح متفق على صحته من رواية النعمان بن بشير .
وقد روي عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر ، وعمار بن ياسر ، وجابر بن عبد الله ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وحديث النعمان أصح أحاديث الباب .
وقد ألف الشوكاني إمام القطر اليماني رسالة حول هذا الحديث ، سماها كشف الشبهات عن المشتبهات ، فانظرها .

(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٣٥٦) ، ومختصر ابن عساكر (٦/ ٣٤٧) .

(٣) مختصر ابن عساكر (٦/ ٣٤٧) ، لم تطبع ترجمته في تاريخ ابن عساكر .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٣٤٩) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩٧) .

(٥) هو أحمد بن أبي بكر الزُّهريّ ، القاسم بن الحارث ، الفقيه ، قاضي المدينة ومفتيها . تفقَّه على مالك ، وسمع منه الموطأ ، ولزمه مدّة . قال الزبير بن بكار : مات وهو فقيه المدينة غير مدافع ، عن اثنتين وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٣٦) ، والعبر (١/ ٤٣٦) .

(٦) هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان ، أبو عمرو ، ويقال : أبو محمد ، المقرئ ، شيخ الإقراء بالشام ، وإمام جامع دمشق ، قرأ على أيّوب بن تميم . غاية النهاية (١/ ٤٠٤) .

ومحمد بن أَسْلَم الطّوسيّ[١] .

ومحمّد بن رُمْح[٢] .

ومحمد بن عبد الله بن عمَّار الموصليّ ، أحد أئمة الجرح والتعديل[٣] .

والقاضي يحيى بن أَكْثَم[٤] .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومئتين

في ذي القعدة منها توجَّه المتوكِّلُ على الله من العراق قاصداً مدينة دمشق ، ليجعلَها دارَ إقامته ، ومحل إمامته ، فأدركه عيدُ الأضحى وهو بمدينة بَلَد ، فضحَّى بها ، وتأسَّفَ أهلُ العراق على ذلك ، فقال في ذلك يزيد بن محمد المهلّبيُّ[٥] :

أظُنُّ الشَّامَ تَشْمَتُ بالعِراقِ إذا عَزَمَ الإمامُ على انْطِلاقِ
فإنْ تَدَعِ العِراقَ وساكِنيها فقدْ تُبْلى المليحةُ بالطَّلاق

وحجَّ بالناس عبد الصمد ، المذكور في التي قبلَها ، وهو نائب مكّة .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

قال ابنُ جرير : وفيها توفي :

إبراهيم بن العبَّاس[٦] : متولِّي[٧] ديوان الضِّياع . قلت : إبراهيم بن العبَّاس بن محمد بن صُول تكينْ

(١) أبو الحسن ، صاحب المسند والأربعين ، كان يشبه في وقته بابن المبارك . روى عن إمام الأئمة ابن خزيمة ، إمام حافظ ثقة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٥) ، والعبر (١/ ٤٣٧) .

(٢) أبو عبد الله التُّجيبي مولاهم ، المصريّ ، الحافظ الثبت . قال النسائي : ما أخطأ في حديث واحد . وكان معروفاً بالإتقان الزائد والحفظ ، ولم يرحل . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩٨) ، والعبر (١/ ٤٣٨) .

(٣) هو أبو جعفر ، صاحب التاريخ وعلل الحديث . ثقة ، حافظ حجة ، محدِّث الموصل . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦٩) ، العبر (١/ ٤٣٨) .

(٤) يحيى بن أكثم بن محمد بن قَطَن ، أبو محمد المروزيّ ، البغدادي ، قاضي القضاة ، وأحد الأعلام . ولاه المأمون قضاء بغداد ، وأخذ بمجامع قلبه ، فكانت الوزراء لا تعمل شيئاً إلا بعد مطالعته . وجعله المتوكل في مرتبة أحمد بن أبي دُواد ، ثم غضب عليه . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥) ، العبر (١/ ٤٣٩) .

(٥) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠٩) ، وابن الأثير (٧/ ٨٣) .

(٦) الأغاني (١٠/ ٤٣ ـ ٦٨) ، وتاريخ بغداد (٦/ ١١٧) ، ومعجم الأدباء (١/ ١٦٤ ـ ١٩٨) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٤) .

(٧) حتى قوله : العباس لم يرد في ب ، ظا .

الصُّوليّ ، الشاعر الكاتب ، وهو عمّ محمّد بن يحيى الصُّولي[١] . وكان جدُّه صُول تكين ملك جُرْجان ، وكان أصله منها ، ثم تمجّس ، ثم أسلَمَ على يدي يزيدَ بن المهلّب بن أبي صُفْرة .

ولإبراهيم هذا ديوان شعرٍ ذكره ابنُ خلكان واستجادَ من شعره أشياء ؛ منها قولُه[٢] :

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بها[٣] الفَتَى ذَرْعاً وعِنْدَ اللهِ منها مَخْرَجُ
كَمَلَتْ[٤] فلمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُها فُرِجَتْ وكُنْتُ أظُنُّها لا تُفْرَجُ

ومنها قوله[٥] :

كُنْتَ السَّوادَ لِمُقْلَتي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فعلَيْكَ كُنْتُ أحاذِرُ

ومن ذلك ما كَتَبَ به إلى وزير المعتصم محمد بن عبد الملك بن الزيات[٦] :

وَكُنْتَ أخِي بإخاءِ الزَّمانِ فلمَّا نَبا[٧] صِرْتَ حَرْباً عَوَانَا
وَكُنْتُ أذُمُّ إليكَ الزَّمَانَ فأصْبَحْتُ منكَ أذُمُّ الزَّمَانَا
وَكُنْتُ أعِدُّكَ لِلنَّائباتِ فَهَا أنا أطْلُبُ مِنْكَ الأمَانَا

وله أيضاً[٨] :

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ العَيْشِ في دَعَةٍ نُزُوعُ نَفْسٍ إلى أهْلٍ وأوطانِ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلادٍ إنْ حَلَلْتَ بِهَا أهْلاً بأهْلٍ[٩] وجيراناً بجِيرانِ[١٠]

وكانت وفاته بمنتصف شعبان من هذه السنة بِسُرَّ مَن رأى ؛ رحمه الله .

---

(١) في الوفيات (١/ ٤٥) وهو عم والد أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي ، صاحب كتاب الوزراء وغيره من المصنفات .
(٢) الطرائف الأدبية ديوانه ١٧١ ، ومعجم الأدباء (١/ ١٨٧) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٦) .
(٣) في النسخ : لها ، والمثبت من ط ومصادر الشعر .
(٤) في الوفيات : ضاقت .
(٥) يرثي ابنه ، الطرائف الأدبية ديوانه (١٦٩) ، والأغاني (١٠/ ٤٩) ، ومعجم الأدباء (١/ ١٧٧) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٧) .
(٦) الطرائف الأدبية ديوانه (١٦٦) ، معجم الأدباء (١/ ١٧١) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٦) ، والأغاني (١٠/ ٥٧) .
(٧) في ظا ، ط : ثنى .
(٨) الطرائف الأدبية ديوانه (١٥١) ، ومعجم الأدباء (١/ ١٩٢) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٦) .
(٩) معجم الأدباء : أرضاً بأرضٍ ، وفي الديوان : داراً بدار .
(١٠) في ط : وأوطاناً بأوطان .

[والحسن بن مَخْلَد بن الجرَّاح ، خليفة إبراهيم ، في شعبان][١] .

قال[٢] : ومات هاشم بن بَنجور في ذي الحجّة .

قلت أنا : وتوفي فيها :

أحمد بن سعيد الرِّباطيُّ[٣] .

والحارث بن أسد المُحَاسبيُّ[٤] ، أحد أئمة الصّوفية .

وحَرْمَلة بن يحيى التُّجيبيُّ[٥] ، صاحب الشافعيّ .

وعبد الله بن معاوية الجُمَحيُّ[٦] .

ومحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني[٧] .

وهارون بن عبد الله الحمَّال[٨] .

---

(١) ما بين قوسين زيادة في آ ، ط ، ولم ترد في نسختي ب ، ظا .
وعبارة الطبري : وفيها مات إبراهيم بن العباس ، فولي ديوان الضياع الحسنُ بن مخلَد بن الجرَّاح ، خليفةُ إبراهيم ، في شعبان وهو الحسن بن مَخْلَد ، أبو محمد البغدادي ، الوزير الأكمل ، من الكتاب ، له علم بالأدب ، كان يتولى ديوان الضياع للمتوكل العباسي ، واستوزره المعتمد سنة ٢٦٣هـ ، ثم عزله ، وأعاده ، وعزله سنة ٢٦٥هـ ، ومازال على غير استقرار حتى طلبه أحمد بن طولون إلى مصر ، وجعل إليه نظر الإقليم ، ثم غضب عليه فحبسه بأنطاكية فمات فيها نحو سنة ٢٦٩هـ . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٧) ، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٢٣) .

(٢) ابن جرير الطبري (٩/ ٢٠٩) وفي ابن الأثير : منجور .

(٣) أبو عبد الله ، أمير الرِّباط ، المروزي ، نزيل نيسابور ، الحافظ ، الحجّة ، المتقن ، الثقة . سمع وكيعاً وعبد الرزاق . تاريخ بغداد (٤/ ١٦٥) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٠٧) .

(٤) أبو عبد الله ، الزاهد العارف ، شيخ الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، واعظاً مبكياً . له تصانيف في الزهد ، وأصول الديانة ، والردّ على المعتزلة والرافضة . حلية الأولياء (١٠/ ٧٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٠) ، والأعلام (٢/ ١٥٣) .

(٥) حَرْمَلة بن يحيى بن عبد الله ، أبو حفص التُّجيبيُّ ، المصري . حدث عن ابن وهب ، فأكثر جداً ، وعن الشافعي فلزمه ، وتفقَّه به ، صنف المختصر والمبسوط . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٨٩) ، والعبر (١/ ٤٤٠) .

(٦) أبو جعفر ، مسند البصرة ، عاش مئة عام ، كان ثقةً صاحب حديث . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٣٥) ، والعبر (١/ ٤٤٠) .

(٧) في النسخ والمطبوع : « محمد بن عمر العدني » والمثبت من سير أعلام النبلاء وغيره . وهو محمد بن يحيى بن عمر ، أبو عبد الله العَدَنيّ الحافظ ، صاحب المسند ، شيخ الحرم ، كان عبداً صالحاً خيراً . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٦) ، والعبر (١/ ٤٤١) .

(٨) أبو موسى البغدادي البزّار ، المعروف بالحمَّال ، قيل : إنه تزهَّد وصار يحمل بأجرة يتقوَّت بها . وقيل : إنه لقب بالحمال؛ لكثرة ما حمل من العلم . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٥) ، والعبر (١/ ٤٤١) .

وهنَّاد بن السَّرِيّ[١] .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومئتين

في صفر منها دخل الخليفة المتوكّلُ إلى مدينة دمشق في أُبَّهَةِ الخلافة ، وكان يوماً مشهوداً ، فعزم على الإقامة بها ، وأمَر بنقل دواوين الملك إليها ، وأمر ببناء القصور بها ، وهي التي بطريق داريَّا ، ثم إنَّه استوخَمها ، ورأى أنَّ هواءها باردٌ نَدِيّ ، وماءها ثقيلٌ بالنسبة إلى هواء العراق ومائه ، ورأى الهواء يتحرَّك من بعد الزوال في زمن الصيف ، فلا يزالُ في اشْتِداد وغبارٍ إلى قريبٍ من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها . ودخل عليه فصلُ الشتاء ، فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً عجيباً ، وغلَت الأسعار وهو بها ، وانقطعت الأجلاب بسبب كثرة الشتاء والثلوج ، فضجر منها .

فجهَّز بُغا إلى بلاد الروم ، ثم رجع من آخر السَّنة إلى سامُرّاء بعدما أقام بدمشق شهرين وعشرة أيام ، والله أعلم .

وفي هذه السنة أتي المتوكل بالحربة التي كانت تُحمل بين يدي رسول الله ﷺ يوم العيد وغيره ، وقد كانت للنجاشيّ ، فوهبها للزُّبير بن العوّام ، فوهبها الزُّبيرُ من النَّبيّ ﷺ[٢] ، فلمَّا صارت للمتوكل على الله ، فرح بها فرحاً شديداً ، وأمَر صاحبَ الشرطة أن يحملَها بين يديه كما كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ .

وفيها : غضبَ المتوكّلُ على الطبيب بَخْتَيشُوعَ[٣] ونفاه ، وأخذ ماله .

وحجَّ بالناس فيها عبدُ الصمد المذكور قبلها .

واتفق في هذه السنة يومُ عيد الأضحى وعيد الفطير[٤] لليهود ، وشعانين النصارى ، وهذا عجيب[٥] غريب .

---

(١) هنَّاد بن السَّريِّ بن مصعب ، أبو السّريّ التميمي الكوفيّ ، صاحب كتاب الزهد وغير ذلك . صدوق ، كان كثير البكاء، وما تزوج، ولا تسرَّى ، وكان يقال له : راهب الكوفة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦٥) ، والعبر (١/ ٤٤١).

(٢) في ط : للنبي .

(٣) هو بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس ، طبيب سرياني الأصل مستعرب . قربه الخلفاء العباسيون ولا سيما المتوكل العباسي ، فعلت مكانته ، وأثرى حتى كان يضاهي المتوكل في الفرش واللباس . صنف كتاباً في الحجامة ، مات ببغداد سنة ٢٥٦هـ . الأعلام للزركلي (٢/ ٤٤) .

(٤) في ط : وخميس فطر اليهود .

(٥) في آ : أمر عجيب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن مَنِيع(١) .

وإسحاق بن موسى الخَطْميُّ(٢) .

وحميد بن مَسْعَدَة(٣) .

وعبد الحميد بن بيان(٤) .

وعليّ بن حُجْر(٥) .

والوزير محمد بن عبد الملك بن الزَّيَّات(٦) .

ويعقوب بن السكيت(٧) ، صاحب « إصلاح المنطق » .

---

(١) أحمد بن مَنيع بن عبد الرحمن ، أبو جعفر البَغَوِيّ ، ثم البغدادي . حافظ ثقة ، رحل ، وجمع ، وصنَّف المسند . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٣) .

(٢) إسحاق بن موسى بن عبد الله ، أبو موسى الخَطْمي ، المدني ثم الكوفي ، نزيل سامراء ، قاضي نَيْسابور ، الفقيه . ثقة ، أطنب أبو حاتم في الثناء عليه ، وكان كثير الأسفار فتوفي بجوسية من أعمال حمص . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٥٤) ، والعبر (١/ ٤٤٢) .

(٣) حميد بن مَسْعَدَة بن المبارك الباهلي ، أبو علي ، ويقال : أبو العباس البصري . روى عن حماد بن زيد وطبقته ، وكان صدوقاً . العبر (١/ ٤٤٣) ، وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٩) .

(٤) عبد الحميد بن بَيان بن زكرياء الواسطيّ ، أبو الحسن . روى عن خالد الطحان وهشيم فأكثر . ذكره ابن حبان في الثقات . (١/ ٤٤٣) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ١١١) .

(٥) عليّ بن حُجْر بن إياس ، أبو الحسن السعدي المَرْوزي ، نزيل نيسابور ، نزل بغداد قديماً ، ثم انتقل إلى مرو ، واشتهر حديثه بها . وكان صادقاً متقناً حافظاً . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠٧) ، العبر (١/ ٤٤٣) .

(٦) هذا وهم من ابن كثير رحمه الله ، إذ أن ابن الزيات توفي مقتولاً على يد المتوكل في عام ٢٣٣هـ ، وذكر مقتله في حوادث تلك السنة ، قال بشار : ولعله اشتبه عليه بمحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب البصري المحدث المشهور ، فإنه توفي في هذه السنة . وتنظر ترجمته في تاريخ الخطيب (٣/ ٥٩٦) وتهذيب الكمال (٢٦/ ١٩) .

(٧) هو يعقوب بن إسحاق بن السِّكِّيت ، أبو يوسف ، إمام في اللغة والأدب ، النحوي المؤدِّب . أصله من خوزستان ، تعلم ببغداد ، واتصل بالمتوكل العباسي ، فعهد إليه بتأديب أولاده ، وجعله في عداد ندمائه ، ثم قتله . وكتابه « إصلاح المنطق » كتاب في اللغة مشهور .
طبقات النحويين واللغويين (٢٠٢) ، معجم الأدباء (٢٠/ ٥٠) ، وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٦) .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومئتين

فيها : أمر المتوكّلُ ببناء مدينة الماحُوزَة وحفر نهرٍ لها ، فيقال : إنه أنفق على بنائها وبناء قصر الخلافة فيها الذي يقال له : « اللؤلؤة » ألفي ألف دينار .

وفي هذه السنة وقعت زلازل كثيرة ببلاد شتّى ؛ فمن ذلك بمدينة أنطاكية ، سقط فيها ألف وخمسمئة دار ، وانهدَمَ من سورها نيّفٌ وتسعون بُرْجاً ، وسُمعت من كُوى دورها أصواتٌ مزعجة جدّاً ، فخرجوا من منازلهم سراعاً يهرعون ، وسقط الجبل الذي إلى جانبها الذي يقال له « الأقرع » ، فساخ في البحر ، فهاجَ البحرُ عند ذلك ، وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن ، وغار نهر على فرسخ منها ، فلا يُدْرَى أين ذهب بالكلية .

أورده الإمام أبو جعفر[١] بن جرير .

قال[٢] : وسمُع بتِنِّيس صيحة دائمة طويلة ، مات منها خلق كثير .

قال[٣] : وزلزلت فيها السِّن[٤] والرَّقَّة وحَرَّان ورأسُ العين وحمص ودمشق والرُّها وطَرَسُوس والمصِّيصة وأذنة وسواحل الشام ، ورجفت اللاذقية ، فما بقي منها منزل ، ولا بقي من أهلها إلا اليَسير ، وذهبت جَبَلَة بأهلها .

وفيها : غارت مُشاش ـ عين مكة ـ حتَّى بلغ ثمن القربة بمكّة درهماً[٥] ، حتى بعث المتوكّلُ فأنفقَ عليها .

قال[٦] : وفيها مات إسحاق بن أبي إسرائيل[٧] ، وسوّار بن عبد الله القاضي[٨] ، وهلال الرَّأْي[٩] .

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٢١٢ـ٢١٣) .

(٢) تاريخ الطبري (٩/ ٢١٣) وفيه : وسمع فيها ـ كما قيل ـ أهل تِنِّيس ضجّة . . .

(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٢١٣) .

(٤) في الطبري : بالس ، وهي بلد بالشام بين حلب والرقة . أما السِّنُّ فاسم لعدد من الأماكن ، منها قلعة بالجزيرة قرب سميساط ، وتعرف بسن ابن عُطَير . ياقوت .

(٥) في تاريخ الطبري : ثمانين درهما ، فبعثت أم المتوكل فأنفقت عليها .

(٦) تاريخ الطبري (٩/ ٢١٣) .

(٧) من كبار المحدّثين، سمع حمّاد بن زيد وطبقته. أعرضوا عن الأخذ عنه ، لأنه أظهر الوقف في مسألة القرآن ، فقال: القرآن كلام الله، ووقف. مات ببغداد وله خمس وتسعون سنة. سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧٦) ، والعبر (١/ ٤٤٤).

(٨) سوّار بن عبد الله بن سوّار بن قُدامة ، أبو عبد الله التميمي العنبري البصريّ ، قاضي الرّصافة ببغداد ، وهو من بيت العلم والقضاء، كان جدّه قاضي البصرة . وكان من فحول الشعراء ، فصيحاً مفوّهاً سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٤٣) والعبر (١/ ٤٤٤).

(٩) تحرفت في المطبوع والطبري وابن الأثير إلى : الرازي ، وهو هلال بن يحيى بن مسلم البصري . فقيه من أعيان الحنفية ، من أهل البصرة . لقب بالرأي؛ لسعة علمه وكثره أخذه بالقياس ، له عدة مصنفات . الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/ ٢٠٧) ، والأعلام (٨/ ٩٢) .

وفيها هلك :

نجاح بن سلمة : وكان على ديوان التوقيع ، وقد كان حظياً عند المتوكِّل ، ثمَّ جرَتْ له كائنة اقتضت أنْ يأمر المتوكِّلُ بأخذ أمواله وأملاكه وحواصله ، وقد أورد قصَّته مطوّلة أبو جعفر بن جرير[(١)] ، رحمه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عَبْدَة الضَّبِّيّ[(٢)] .

وأبو الحسن القَوَّاس ، مقرئ مكة[(٣)] .

وأحمد بن نَصْر النَّيسابوريّ[(٤)] .

وإسحاق بن أبي إسرائيل[(٥)] .

وإسماعيل بن موسى ، ابن بنت السُّدِّيّ[(٦)] .

وذو النُّون المِصريّ[(٧)] .

وسوّار القاضي[(٨)] .

وعبد الرحمن بن إبراهيم ، دُحَيْم[(٩)] .

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٢١٤ ـ ٢١٧) وابن الأثير (٧/ ٨٨) .

(٢) أحمد بن عَبْدَة بن موسى الضَّبِّي ، أبو عبد الله البصريّ . سمع حمَّاد بن زيد والكبار ، وروى الكثير . ثقة . تهذيب الكمال (١/ ٣٩٧) ، والعبر (١/ ٤٤٤) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عَوْن القَوَّاس النَّبَّال ، أبو الحسن ، المكي ، إمام مكة في القراءة ، قرأ على وهب بن واضح ، وقرأ عليه قُنبل . تهذيب الكمال (١/ ٤٨٢) ، وغاية النهاية (١/ ١٢٣) .

(٤) أحمد بن نَصْر بن زياد ، الشيخ أبو عبد الله القرشي النيسابوري ، شيخ نيسابور ومقرئها ومفتيها وزاهدها ، كان فقيه أهل الحديث في عصره ، كثير الرحلة والحديث . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٣٩) ، وغاية النهاية (١/ ١٤٥) .

(٥) سقط في ب ، ظا ، وقد تقدم قبل قليل .

(٦) أبو محمد ، ويقال : أبو إسحاق الكوفي ، الفَزَاريّ ، الشيعي ، المحدّث . روى عن مالك وطبقته . ذكره ابن حبّان في الثقات ، وقال : كان يخطئ . تهذيب الكمال (٣/ ٢١٠) ، والعبر (١/ ٤٤٤) .

(٧) واسمه : ثَوبان بن إبراهيم الإخميمي ، نسبة إلى بلدة إخميم من ديار مصر بالصعيد ، أبو الفيَّاض ، أبو الفيض . وستأتي ترجمته مطولة بعد قليل .

(٨) سقط في (ط) ، وقد تقدم قبل قليل .

(٩) عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو بن ميمون الدمشقي ، أبو سعيد دُحَيْم ، قاضي فلسطين والأردن ، محدّث الشام . كان يعرف بدُحَيْم اليتيم ، ثقة ، لم يكن في زمانه مثله . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥١٥) ، والعبر (١/ ٤٤٥) .

ومحمّد بن رافع(١) .

وهشام بن عمّار(٢) .

وأبو تراب النَّخْشَبيُّ(٣) .

وابن الرَّاوَنْدي(٤) : الزِّنديق ، أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الرَّاوَنْدِي ، نسبة إلى قرية ببلاد قاشان ، كان ببغداد يصنف كتباً في الزَّنْدَقة ، وكانت لديه فَضيلةٌ ، لكنَّه استعملها فيما يضرُّه في الدّنيا والآخرة . وقد ذكرنا له ترجمةً مطوَّلة حسب ما ذكرها ابنُ الجَوزي(٥) [في سنة ثمان وتسعين ومئتين](٦) ، وإنما ذكرناه هاهنا لأنَّ القاضي ابنَ خلكان(٧) ذكر أنه توفي في هذه السنة . وقد تلبَّس عليه ، ولم يجرِّحْه بشيء أصلاً ، بل مدحه ، فقال : أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الرَّاونديُّ ، العالم المشهور ، له مقالة في علم الكلام ، وكان من الفُضلاء في عصره ، وله من الكتب المصنَّفة نحو من مئة وأربعة عشر كتاباً ؛ منها كتاب « فضيحة المعتزلة » ، وكتاب « التاج » ، وكتاب « الزُّمُرُّدَة »(٨) ، وكتاب « القصب »(٩) وغير ذلك . وله محاسن(١٠) ومحاضرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام في كتبهم .

توفي سنة خمس وأربعين ومئتين ، برحبة مالك بن طَوْق التَّغلِبيّ ، وقيل : ببغداد ، [وتقدير عمره

---

(١) أبو عبد الله القشيريّ ، مولاهم النيسابوريّ . شيخ عصره بخراسان في الصدق والرحلة . كان زاهداً عابداً صالحاً . أرسل إليه ابن طاهر خمسة آلاف درهم ، فردَّها ، ولم يكن لأهله يومئذ خبز . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢١٥) ، والعبر (١/ ٤٤٥) .

(٢) أبو الوليد السّلميّ ، خطيب دمشق وقارئها وفقيهها ومحدّثها . قرأ القرآن على أيوب بن تميم وعراك عن قراءتهما على يحيى الذّماري صاحب ابن عامر . ثقة صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٢٠) ، العبر (١/ ٤٤٥) ، غاية النهاية (٢/ ٣٥٤) .

(٣) هو عسكر بن الحُصين النَّخْشَبيّ ، من كبار مشايخ القوم ، صحب حاتماً الأصمَّ وغيرَه . كتب العلم ، وتفقَّه ثم تألَّه وتعبَّد ، وساح وتجرد . مات بالبادية ، قيل : نهشته السباع . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٤٥) ، العبر (١/ ٤٤٥) .

(٤) سيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٩٨هـ ، وإنما ذكره هنا اقتداءً بابن خلكان ، الذي جعل وفاته في سنة ٢٤٥هـ ، فوقع في خطأ فاحش ، كما قال ابن الأثير .

(٥) المنتظم (٦/ ٩٩ ـ ١٠٥) .

(٦) زيادة من ط .

(٧) وفيات الأعيان (١/ ٩٥) .

(٨) وفيات الأعيان والمنتظم وهدية العارفين والأعلام : الزمرد .

(٩) في ب ، ظا : النصب ، ولعل الصواب كتاب قضيب الذهب كما ورد في المصادر والوفيات (١/ ٩٤) وحاشية (١) .

(١٠) في وفيات الأعيان : مجالس ومناظرات .

أربعون سنة . وذكره في البستان أنه توفي سنة خمسين ، فالله أعلم . هذا لفظه][1] بحروفه . وإنَّما أرَّخَ ابنُ الجَوزيّ وفاته في سنة ثمان وتسعين ومئتين ، وسيأتي .

ذو النُّون المِصْريّ[2] : ثَوبان بن إبراهيم ، وقيل : ابن الفيض بن إبراهيم ، أبو الفيض المِصريّ ، أحدُ المشايخ المشهورين ، وقد ترجمه القاضي ابن خلكان في « الوفيات » ، وذكر شيئاً من فضائله وأحواله ، وأرَّخ وفاته في هذه السنة ، وقيل : في التي بعدها ، وقيل : في سنة ثمان وأربعين ومئتين ، والله أعلم .

وهو معدودٌ في جملة من رَوى « الموطأ » عن مالك . وذكره ابنُ يونس في « تاريخ مصر » ، وقال : كان أبوه نُوبياً ، وقيل : إنه كان من أهل إخْمِيم . وكان حليماً فصيحاً .

قال[3] : وسئل عن سبب توبته ، فذكر أنَّه رأى قُنْبَرَة[4] عمياءَ نزلت من وَكْرِها ، فانشقَّت لها الأرض عن سُكُرُّجَتَيْن[5] من ذهبٍ وفضةٍ ، في إحداهما سِمْسِم ، وفي الأخرى ماء ، [فأكلَتْ من هذه وشربَتْ من هذه][6] .

وقد شُكي مرةً إلى المتوكّل ، فأحضره[7] ، فلمَّا دخل عليه وعظه ، فأبكاه ، فرَدَّه مكرَّماً إلى بلده . فكان إذا ذكر عنده يثني[8] عليه .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومئتين

في يوم عاشوراء منها دخل المتوكِّلُ إلى الماحوزة ، فنزل بقصر الخلافة منها ، واستدعى بالقرّاء ، ثم بالمطربين ، وأعطَى وأطلَقَ ، وكان يوماً مشهوداً .

---

(١) زيادة من ب ، ظا . وأراد بلفظه ابن خلكان (١/ ٩٤) .

(٢) له ترجمة في حلية الأولياء (٩/ ٣٣١ و١٠/ ٣) ، وتاريخ بغداد (٨/ ٣٩٣) ، ومختصر ابن عساكر (٨/ ٢٤٦) ، ووفيات الأعيان (١/ ٣١٥) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٢) ، والرسالة القشيرية (٢١١) .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ٣١٦) .

(٤) « القُنْبُرَة والقُبَّرَة » : عصفور من فصيلة القُبَّرِيَّات ، ورتبة الجواثم المخروطية المناقير ، سُمْرٌ في أعلاها ، ضاربة إلى بياض في أسفلها ، وعلى صدرها بقعة سوداء . وجمعها : القُبَّرُ .

(٥) « السُّكُرُّجة » : إناء صغير ، يؤكل فيه القليل من الأدم ، وهي فارسية .

(٦) زيادة من ط ، ويوافق ذلك الوفيات .

(٧) بعده في ط : من مصر إلى العراق ، وفي الوفيات : من مصر .

(٨) في سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٤) : كان يقول : إذا ذُكر الصالحون ، فحيَّ هلا بذي النون .

وفي صفر منها وقَعَ الفداءُ بين المسلمين والروم ، ففودي من المسلمين نحو من أربعة[١] آلاف أسير .

وفي شعبان منها مُطرت بغداد مطراً عظيماً استمر نحواً من أحدٍ وعشرين يوماً .

ووقع بأرض بَلْخ مطرٌ ، إنَّما هو دمٌ عَبيط[٢] .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن سليمان الزينبيّ .

وحجَّ فيها من الأعيان محمد بن عبد الله بن طاهر ، ووَلِي هو أمرَ المَوْسِم .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن إبراهيم الدَّورقيُّ[٣] .

والحسين بن الحسن المروزيّ[٤] .

وأبو عمر الدُّوريّ[٥] ، أحد القراء المشاهير .

ومحمد بن مُصَفَّى الحِمْصيُّ[٦] .

ودِعْبِل بن عليّ[٧] : ابن رَزِين بن سليمان الخُزَاعيُّ ، مولاهم ، الشاعر الماجن ، البليغُ في المدح ، وفي الهجاء أكثر . قال : حضر يوماً عند سهل بن هارون الكاتب ، وكان بخيلاً ، فاسْتَدْعَى بغدائه ، فإذا ديكٌ في قصعة ، وإذا هو قاس لا يقطعه سكين ، ولا يعمل فيه ضِرْسٌ . ففقد الرأس ، فقال للطباخ : ويلك ! ماذا صنعت به ؟ ، قال : حسبت أنَّك لا تأكله ، فألقيتُه ، فقال : ويحك ! والله لأعيبُ على من يُلقي الرِّجْلَيْن ، فكيف بالرأس ، وفيه الحواس الأربع ، ومنه يصوّت وبه فضل ، وعيناه ، وبهما يُضْرَبُ المثلُ ، وعُرْفُه وبه يتبرّك ، وعظمُه أهشّ العظام ؛ فإن كنتَ رغبتَ عن أكله

---

(١) في الطبري وابن الأثير : ففودي بألفين وثلاثمئة وسبعة وستين نفساً .

(٢) « العَبيط من الدَّم » : الخالص الطري .

(٣) أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي ، أبو عبد الله العبدي ، وهذه النسبة إلى بيع القلانس الدَّوْرَقيَّة . حافظ مجوِّد مصنِّف ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٣٠) ، والعبر (١/ ٤٤٦) .

(٤) الحسين بن الحسن بن حَرْب ، أبو عبد الله المروزيّ ، صاحب ابن المبارك ، جاور بمكة ، وجمع وصنَّف . وهو راوي كتاب « الزهد » لأحمد بن حنبل . صدوق ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٠) ، تقريب التهذيب (١/ ١٧٥) .

(٥) حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صُهْبان الدُّوريّ الضرير ، نزيل سامُرّاء ، شيخ المقرئين ، قرأ على الكسائي وغيره ، وجمع القراءات وصنَّفها ، وكان صدوقاً . قرأ عليه خلق كثير . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٤١) ، العبر (١/ ٤٤٦) ، غاية النهاية (١/ ٢٥٥) .

(٦) أبو عبد الله ، العبد الصالح ، حدث عن الوليد بن مسلم وطائفة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٤) .

(٧) طبقات الشعراء (٢٦٤) ، الشعر والشعراء (٥٣٩) ، الأغاني (٢٠/ ١٢٠ ـ ١٨٦) ، تاريخ بغداد (٨/ ٣٨٢) ، معجم الأدباء (١١/ ٩٩) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٨/ ١٧٢) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥١٩) .

فأحضِرْه . فقال : لا أدري أين هو ؟ فقال : بل أنا أدري ، هو في بطنك ، قاتلك الله[١] !

أحمد بن أبي الحواري[٢] : واسمه[٣] عبد الله بن مَيْمون بن عياش بن الحارث ، أبو الحسن التغلبيّ الغَطَفانيُّ ، أحد الزهَّاد المشهورين ، والعبَّاد المذكورين ، والأبرار المشكورين[٤] ، ذوي الأحوال الصالحة ، والكرامات الصادقة ، أصلُه من الكوفة ، وسكن دمشق ، وتَلْمَذَ للشيخ أبي سليمان الدَّارانيِّ ، رحمهما الله .

وروى الحديث عن سُفيان بن عُيَيْنَةَ ، ووكيع ، وأبي أسامة ، وخلقٍ .

وعنه : أبو داود ، وابنُ ماجه ، وأبو حاتِم ، وأبو زُرْعَةَ الدِّمشقي ، وأبو زُرْعَة[٥] الرَّازيُّ ، وخلق كثيرون .

ذكره أبو حاتم ، فأثنى عليه .

وقال يحيى بن معين : إني لأظنُّ أنَّ الله يَسقي أهلَ الشَّام به .

وكان الجُنَيْد بن محمد يقولُ : هو رَيْحَانةُ الشَّامِ .

وقد روى الحافظ ابن عساكر[٦] أنَّه كان قد عاهد أبا سليمان الدَّارانيَّ ألا يغضبَه [ولا يخالفه][٧] ، فجاءه يوماً وهو يحدِّث الناس ، فقال : يا سيدي ، هذا قد سجروا التنور فماذا تأمُرُ ؟ فلم يردَّ عليه أبو سليمان ؛ لشغله بالناس ، ثم أعادها أحمدُ ثانية ، وثالثة ، فقال له في الثالثة : اذهبْ فاقعد فيه . ثم اشتغل أبو سليمان بحديث الناس ، ثم استفاق ، فقال لمن حَضَره : إنِّي قلتُ لأحمد : اذهب فاقعدْ في التَّـنُّور ، وإني أخشى أن يكون قد فعل ذلك ، فقوموا بنا إليه . فذهبوا فوجدوه جالساً في التَّـنُّور ولم يحترِقْ منه شعرةٌ واحدة .

وروى[٨] : أن أحمد بن أبي الحَواريّ أصبحَ ذاتَ يومٍ وقد وُلِدَ له ولدٌ ولا يملك شيئاً يصلح به الولد ، فقال لخادمه : اذهبْ فاستدن لنا وزنةً من دقيق ، فبينما هو في ذلك إذ جاءه رجل بمئتي درهم ، فوضعها

---

(١) بعده في ط : فهجاه بأبيات ذكر فيها بخله ومسكه .

(٢) حلية الأولياء (١٠/ ٥) ، الرسالة القشيرية (٢١) ، صفة الصفوة (٤/ ٢٣٧) ، تاريخ ابن عساكر (٣٣/ ٢٥٥) ، تهذيب الكمال (١/ ٣٦٩) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٨٥) .

(٣) أي اسم أبي الحواري .

(٤) في آ : المشهورين .

(٥) في النسخ : والرازي ، والزيادة من ط .

(٦) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٣) ، والخبر ساقط من ترجمته في تاريخ ابن عساكر (٣٣/ ٥٥) .

(٧) زيادة في ط . وعبارة المختصر : عقد ألا يخالفه .

(٨) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٤) مع اختلاف في الرواية ، والخبر ساقط من ترجمته في تاريخ ابن عساكر (٣٣/ ٥٥) .

بين يديه ، فدخل عليه رجل في تلك الساعة فقال : يا أحمد ، إنه قد وُلِدَ لي الليلةَ ولدٌ ولا أملك شيئاً ، فرفع أحمد طرفه إلى السماء ، وقال : يا مولاي ، هكذا بالعجلة ، وقال للرجل : خُذْ هذه الدراهم لك ، فلم يُبق له منها درهماً ، واستدان لأهله دقيقاً .

وروى[١] عنه خادمُه : أنه خرج إلى الثغر للرباط[٢] ، فمازالت الهدايا تفد[٣] إليه من بُكْرَة النَّهار إلى الزَّوال ، ثم فرَّقها إلى الغروب ، ثم قال لي : كُنْ هكذا لا تردَّ على الله شيئاً ، ولا تدَّخر عنه شيئاً .

ولما جاءت المحنة في زمن المأمون إلى دمشق ، وعيّن فيها أحمد بن أبي الحَواريّ ، وهشام بن عمَّار ، وسليمان بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن ذَكْوان ؛ فكلُّهم أجابوا إلا أحمد بن أبي الحَواريّ ، فحبس بدار الحِجارة ، ثم هُدِّد فأجاب توريةً مكرَهاً ، ثم أطلق ، رحمه الله .

وقد قام ليلة بالثَّغر يُكرِّر هذه الآية : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، حتَّى أصبح .

وقد ألقى كتبَه في البحر ، وقال : نعم[٤] الكتب دليل إلى الله عزَّ وجلَّ ، ولكن الاشتغال بالدليل بعدَ الوصول إليه محالٌ[٥] .

ومن كلامه : لا دليلَ على الله سواه ، وإنَّما يُطلب العلم لآداب الخدمة[٦] .

وقال : من عَرَفَ الدُّنيا زَهِدَ فيها ، ومن عَرَفَ الآخرة رغِبَ فيها ، ومن عرَفَ اللهَ آثر رضاه[٧] .

وقال : مَنْ نَظَر إلى الدنيا نظر إرادة وحُبٍّ لها ، أخرَجَ اللهُ نورَ اليقين والزُّهْدِ من قلبه[٨] .

وقال أيضاً : قلت لأبي سليمان الدَّارانيّ في ابتداء أمري : أوصني . فقال : أمستوصٍ أنت ؟ قلت : نعم ، إن شاء الله تعالى . فقال : خالف نفسك في كُلِّ مراداتها ، فإنَّها الأمَّارة بالسوء ، وإياك أن تحقر[٩] أحداً من المسلمين ، واجْعَلْ طاعة اللهِ دثاراً ، والخوفَ منه شعاراً ، والإخلاصَ زاداً ، والصِّدْقَ جُنَّةً ، واقْبَلْ منِّي هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ولا تغفُل عنها : إنَّه من استحيا من الله في كُلِّ أوقاته وأحواله

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٥) . ولم أجدها في ترجمته في تاريخ ابن عساكر (٣٩/ ٢٠١) .
(٢) ابن عساكر : رباط بيروت .
(٣) في آ : تنقل .
(٤) في ط : نعم الدليل كنتِ لي على الله وإليه .
(٥) حلية الأولياء (١٠/ ٦) .
(٦) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٥) . لم أجدها في تاريخ ابن عساكر (٣٩/ ٢٠١) .
(٧) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٦) . لم أجدها في تاريخ ابن عساكر (٣٩/ ٢٠١) .
(٨) المصدر السابق .
(٩) في آ : أن تحقر إخوانك المسلمين .

وأفعاله ، بلغه إلى مقام الأولياء من عباده . قال : فجعلْتُ هذه الكلمات أمامي ، ففي كُلِّ وقتٍ أذكرها وأطالبُ نفسي بها[١] .

والصحيح أنَّه توفي في هذه السنة ، وقيل : في سنة ثلاثين ومئتين ، وقيل غير ذلك .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومئتين

في شوال منها كان مقتل الخليفة المتوكِّلِ على الله على يدي ولده المنتصِر ، وكان سبب ذلك أنَّه أمر ابنه أبا عبد الله المعتز ، الذي هو وليُّ العهد من بعده ، أن يخطبَ بالناس في يوم جمعةٍ ، فأدَّاها أداءً عظيماً بليغاً ، فبلغ ذلك من المنتصر كلَّ مبلغ ، وحنِقَ على أبيه وأخيه ، ثم اتفق أن أحضره أبوه بين يديه فأهانه ، وأمر بضربه في رأسه وصَفَعَه ، وصرَّح بعزله عن ولاية العهد ، فاشتد أيضاً حَنَقُه أكثرَ ممَّا كان .

فلمَّا كان يوم عيد الفطر خطب الخليفة المتوكل على الله بالناس ، وعنده بعضُ التشكّي من علَّةٍ به ، ثم عدل إلى خيامٍ قد ضُربت له ، أربعة أميال في مثلها ، فنزل هناك ، ثم استدعى في يوم ثالث الشهر بندمائه ، وكان على عادته في سَمَرِه وحضرته وشربه ، ثم تمالأ ولدُه المنتصِرُ وجماعةٌ من الأمراء على الفَتْكِ به ، فدخلوا عليه ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال[٢] ، [ويقال : من شعبان][٣] من هذه السنة ، وهو على السِّماط ، فابتدروه بالسيوف فقتلوه ، ثم ولّوا بعده ولده المنتصر ، على ما سنذكره .

وهذه **ترجمة المتوكِّل على الله**[٤] جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، أبو الفضل ، المتوكِّل ، وأمُّه أمُّ ولدٍ يقال لها : شجاع ، وكانت من سَرَوات النِّساء سخاءً وحزماً . كان مولده بفَمِ الصلح سنة سبع ومئتين[٥] ، وبويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق في يوم الأربعاء لستٍّ بقين من ذي الحجّة سنة ثنتين وثلاثين ومئتين ، كما تقدَّم .

وروى الخطيبُ[٦] من طريقه عن يحيى بن أكثم ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن موسى بن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن هلال ، عن جرير بن عبد الله ،

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٥) . ولم تطبع ترجمة المتوكل في تاريخ ابن عساكر بعد .

(٢) في النسخ : من شعبان ، والمثبت من ط والطبري .

(٣) زيادة من ط ، وفي آ : ويقال من شوال ، وهي ساقطة في ب ، ظا .

(٤) تاريخ الطبري (٩/ ٢٢٢ ـ ٢٣٤) ، تاريخ بغداد (٧/ ١٦٥) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٥٠) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٩٥) وما بعدها ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠) ، تاريخ الخلفاء (٣٥٢ ـ ٣٦٤) .

(٥) وقيل : سنة خمس ومئتين .

(٦) تاريخ بغداد (٧/ ١٦٦) ، مختصر ابن عساكر (٦/ ٨٦) . ولم تطبع ترجمة المتوكل في تاريخ ابن عساكر بعد .

عن النبيّ ﷺ قال : مَنْ حُرِمَ الرِّفْق حُرِمَ الخَيْر »[١] ، ثم أنشأ المتوكِّلُ يقول :

الــرِّفْــقُ يُمْــنٌ والأنــاةُ سَعــادَةٌ ... فــاسْتَــأْنِ فــي رِفْــقٍ تُــلاقِ نَجَــاحَــا

لا خَيْــرَ فــي حَــزْمٍ بغَيْــرِ رَوِيَّــةٍ ... والشَّــكُّ وَهْــنٌ إن أَرَدْتَ سَــرَاحَــا

وقال الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » : وحدَّث عن أبيه المعتصم ، ويحيى بن أكثم القاضي . وروى عنه عليُّ بن الجهم الشاعر ، وهشام بن عمَّار الدمشقيّ .

وقدِمَ دمشقَ في خلافته ، وابتنَى بها قصراً بأرض داريَّا .

وقال يوماً لبعضهم[٢] : إنَّ الخلفاء كانت تتصعَّبُ[٣] على الرعيَّةِ لتطيعَها ، وإني[٤] ألينُ لهم لِيُحبُّوني ويُطيعوني .

وقال أحمد بن مروان المالكي : حدثنا أحمد بن علي البصري ، قال : وجَّه المتوكِّلُ إلى أحمد بن المُعَذَّل وغيره من العلماء ، فجمعهم في داره ، ثم خرج عليهم ، فقام الناس كلُّهم [له] غير أحمد بن المُعذَّل . فقال المتوكِّلُ لعُبيد الله : إنَّ هذا لا يرى بيعتنا ؟ فقال له : بلى ، يا أميرَ المؤمنين ولكن في بصره سوء . فقال أحمد بن المُعَذَّل : يا أميرَ المؤمنين ، ما في بصري سوء ، ولكن نزَّهتُكَ من عذاب الله . قال النبيُّ ﷺ : « مَنْ أحَبَّ أن يَتَمَثَّلَ له الرِّجالُ قياماً ، فليتَبَوَّأْ مَقعَدَهُ من النار »[٥] .

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ١٦٦) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .
ورواه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٩٢) في البر ، باب فضل الرفق ، وأبو داود رقم (٤٨٠٩) في الأدب ، باب في الرفق ، من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، بلفظ : « من حرم الرفق حرم الخير ، أو من يحرم الرفق يحرم الخير » . ولفظ أبي داود : « يحرم الخير كله » .

(٢) ليزيد بن محمد المهلّبيّ ، كما في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٢) .

(٣) في ط : تتغضب ، وفي فوات الوفيات (١/ ٢٩٠) : تغضب .

(٤) في ب ، ظا : وأنا .

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٧٥٥) في الأدب ، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، وأبو داود رقم (٥٢٢٩) في الأدب ، باب في قيام الرجل للرجل ، من حديث معاوية رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، ولفظه عند أبي داود : « من أحب أن يَمْثُلَ له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » ، ولفظه عند الترمذي : « من سَرَّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/ ٣٧٤) : لم تكن عادة السلف على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام كلما يرونه ﷺ ، كما يفعله كثير من الناس ، بل قد قال أنس رضي الله عنه : لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ ، وكانوا لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته للقيام ، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقياً له ، قال : وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقياً له ، فحسن ، ثم قال : وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ، ولو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ، ولم يعلم العادة الموافقة للسنة ، فالأصلح أن يقام له؛ لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء . وأما من عرف عادة القوم الموافقة=

فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه[١] .

وروى الخطيب[٢] البغدادي : أنَّ عليَّ بن الجَهم دخَلَ على المتوكِّل وفي يده دُرَّتان يقلِّبُهما ، فأنشده قصيدتَه التي يقولُ فيها :

وإذا مَـــرَرْتَ بِبئــرِ عُــرْ وَةَ فـاسْتَقِـي مـن مـائهـا[٣]

فأعطاه التي في يمينه وكانت تساوي مئة ألف . ثم أنشده[٤] :

بِسُـرَّ مَـنْ رأى أميـرُ عَـدْلٍ تَغْـرِفُ مِـنْ بَحْـرِهِ البِحـارُ
يُرْجَى ويُخْشَى لِكُلِّ خَطْبٍ كَـأنَّـهُ جَنَّـةٌ وَنَـارُ
المُلْـكُ فِيـهِ وفـي بَنِيـهِ مـا اخْتَلَـفَ اللَّيْـلُ والنَّهَـارُ
يَـدَاهُ فـي الجُـودِ ضَـرَّتـانِ عَلَيْـهِ كِلْتَـاهُمـا تَغَـارُ
لَـمْ تَـأْتِ مِنـهُ اليَمِيـنُ شَيئـاً إلا أتَـتْ مِثْلَـهُ اليَسَـارُ

قال : فأعطاه التي في يساره أيضاً .

قال الخطيب[٥] : وقد رويت[٦] هذه الأبيات للبُحتري في المتوكل .

وروى ابنُ عساكر[٧] ، عن عليِّ بن الجهم ، قال : وقفت قبيحة حظيّةُ المتوكِّل بين يديه وقد

= للسنة فليس في ترك ذلك إيذاء له ، وليس هذا القيام المذكور في قوله ﷺ : « من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » ؛ فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد ، ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء ، ولهذا فرقوا بين أن يقال : قمت له ، وقمت إليه ، والقائم للقادم ساواه في القيام ، بخلاف القائم للقاعد . اهـ .

(١) انظر مختصر ابن عساكر (٦/ ٨٨) ، ترجمة المتوكل لم تطبع فيما طبع من تاريخ ابن عساكر .

(٢) تاريخ بغداد (٧/ ١٦٧) ، مختصر ابن عساكر (٦/ ٨٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٢) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٥٦) . ولم تطبع ترجمته في تاريخ ابن عساكر بعد .

(٣) ديوان علي بن الجهم صفحة (٣٧) ، وبئر عروة بالمدينة المنورة ، ماؤه أطيب المياه ، كان يحمل منه لهارون الرشيد في القوارير .

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ١٦٧) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) في الأصول : وقد رويت هذه الأبيات لعلي بن هارون البحتري في المتوكل ، والتصحيح من تاريخ بغداد (٧/ ١٦٧) . وعلي بن هارون هذا راوية للشعر ، ومن ندماء الخلفاء ، توفي سنة ٣٥٢هـ ، وقد ذكره الخطيب بعد ذلك على أنه أنشد الأبيات للبحتري ، قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي ، أخبرنا محمد بن عمران المرزباني ، قال : أنشدني علي بن هارون للبحتري . . وذكر الأبيات .

(٧) مختصر ابن عساكر (٦/ ٩٠) . والأبيات الثلاثة الأولى في الأغاني (١٩/ ٣١١) منسوبة إلى فضل الشاعرة . والأول والثاني في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٣) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٥٦) . ولم تطبع ترجمته في تاريخ ابن عساكر بعد .

كتبتْ على خدِّها بالغالية[١] « جعفر » ، فتأمَّل ذلك ، ثم أنشأ يقول :

وكاتبةٍ في الخدِّ بالمِسْكِ جَعْفَراً بِنَفْسي مَحَطُّ[٢] المِسْكِ مِنْ حَيْثُ أثَّرا
لَئِنْ أوْدَعَتْ سَطْراً مِنَ المِسْكِ خدَّها لَقَدْ أوْدَعَتْ قَلْبِي مِنَ الحُبِّ أسْطُرا
فيا مَنْ مُناها في السَّريرةِ جَعْفَرٌ سقَى اللهُ مِن سُقيا ثَنَايَاكِ جَعْفَرا
ويا مَنْ لِمَمْلُوكٍ لِمُلْكِ يَمِينِهِ مُطِيعٍ لَهُ فيما أسَرَّ وأظْهَرا

قال ثم أمر المتوكِّلُ عَريباً[٣] فغنَّتْ به .

وقال الفتح بن خاقان[٤] : دخلت يوماً على المتوكِّلِ فإذا هو مطرِق مفكر ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، ما لك مفكراً ؟ فوالله ما على الأرض أطيب منك عيشاً ، ولا أنعم منك بالاً . فقال : أطيبُ منِّي [عيشاً][٥] رجلٌ له دارٌ واسعةٌ ، وزوجة صالحة ، ومعيشة حاضرة ، لا يعرفنا فنؤذيه ، ولا يحتاج إلينا فنزدريه .

وقد كان محبّباً إلى رعيته ، قائماً بالسُّنَّة فيهم ، وقد شبَّهه بعضُهم بالصِّدِّيق في ردِّه على أهل الرِّدَّة ، حتى رجعوا إلى الدِّين ؛ وبعمرَ بن عبد العزيز حين رَدَّ مظالم بني أمية ؛ وقد أظهر السُّنَّة بعدَ البِدْعَةِ ، وأخْمَدَ البِدْعَة بعد انتشارها واشتهارها ، فرحمه الله[٦] .

وقد رآه بعضُهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور ، فقال : المتوكل ؟ فقال : المتوكل . قال : فما فعلَ الله بكَ ؟ قال : غفر لي . قلْتُ : بماذا ؟ قال : بقليل من السُّنَّة أحْيَيْتُها .

وروى الخطيب[٧] عن صالح بن أحمد ، أنَّه رأى في منامه ليلةَ مات المتوكِّلُ كأنَّ رجلاً يُصعَدُ به إلى السَّماء ، وقائلاً يقول :

ملكٌ يُقادُ إلى مليكٍ عادلٍ متفضِّلٍ في العَفْوِ ليسَ بجائرِ

وروى عن عمرو بن شيبان الحلبيّ ، قال : رأيت ليلة قتل المتوكل قائلاً يقول :

---

(١) « الغالية » : أخلاط من الطيب .
(٢) الأغاني : سواد المسك .
(٣) وهي عَريب المأْمُونيَّة ، من أعلام العارفات بصنعة الغناء ، وسيترجم لها المؤلف في حوادث سنة ٢٧٧هـ .
(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٩٠) لم تطبع ترجمة المتوكل في تاريخ ابن عساكر ، وتاريخ الخلفاء (٣٦٠) .
(٥) زيادة من ط .
(٦) روي عن قاضي البصرة إبراهيم بن محمد التيمي أنه كان يقول : الخلفاء ثلاثة : أبو بكر الصدِّيق ، قاتل أهل الرِّدَّة ، حتى استجابوا له ، وعمر بن عبد العزيز ردَّ مظالم بني أميَّة ، والمتوكل محا البِدع ، وأظهر السُّنَّة . مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٨٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٢) .
(٧) تاريخ بغداد (٧/ ١٧١) وتاريخ الخلفاء (٣٦١) وتاريخ الطبري (٩/ ٢٣٠) وابن الأثير (٧/ ١٠٠) .

يا نائمَ العينِ في أقطارِ[١] جُثْمانِ   أفضْ دموعَكَ يا عَمْرو بن شَيبان
أما ترى الفتية الأرْجَاسَ ما فَعَلُوا   بالهاشميِّ وبالفتح بنِ خاقانِ
وافَى إلى الله مظْلوماً فَضَجَّ لهُ   أهْلُ السماواتِ من مثنًى ووحْدَانِ
وسَوْفَ يَأْتِيكُمُ أخْرَى مُسوَّمة   تَوَقَّعُوها لَها شَانٌ مِنَ الشَّانِ
فابْكُوا على جَعْفَرٍ وابْكُوا خَلِيفَتَكُمْ   فَقَدْ بَكَاهُ جَمِيعُ الإنْسِ والجانِ[٢]

قال : فأصبحتُ[٣] فأخبرت النَّاسَ ، فجاء نعيُه أنَّه قد قُتِلَ في تلك الليلة .

قال : ثم رأيته بعد هذا بشهرٍ وهو واقفٌ بين يدي الله عزَّ وجلَّ ، فقلْتُ : ما فعل بك ربُّك ؟ قال : غفر لي ، قلْتُ : بماذا ؟ قال : بقليل من السُّنَّةِ أحْيَيْتُها[٤] . قلْتُ : فما تصنَعُ هاهنا ؟ قال : أنتظر ابني محمّداً أخاصِمُه إلى الله الحليم العظيم الكريم[٥] .

وقد ذكرنا قريباً كيفيَّة مقتلِه وأنَّ ابنه محمداً المنتصر مالأ جماعةً من الأمراء على قتله ، فقتل في ليلة الأربعاء أوّل الليل لأربع خَلَتْ من شوال من هذه السنة ـ أعني سنة سبع وأربعين ومئتين ـ بالمتوكِّلية[٦] هي الماحوزة ، وصُلّي عليه يوم الأربعاء ، ودُفِنَ بالجعفري وله من العمر أربعون سنة ، وكانت مدة خلافته أربعَ عشرةَ سنةً وعشرة أشهرٍ وثلاثة أيام .

وكان أسمر ، حسَنَ العينين ، نحيفَ الجسم ، خفيفَ العارضين ، أقربَ إلى القِصَر .

خلافة محمد المنتصر بن المتوكِّل

قد تقدَّم : أنه تمالأ هو وجماعةٌ من الأمراء على قتل أبيه ، فحين قُتِلَ الخليفة المتوكّل بُويع له في الليل ، فلمَّا كان الصَّباح من يوم الأربعاء رابع شوال ، أُخِذَتْ له البيعةُ من العامَّة ، وكان أوَّل ما تكلَّم به أن اتَّهَم الفتح بن خاقان على قتل أبيه ، وقتله أيضاً .

وبعث إلى أخيه المعتز فأحضره إليه ، فبايعه أخوه المعتز ، وقد كان وليَّ العهد قبله ، ولكن أكرهه فسلَّم وبايع . وبعث البيعة إلى الآفاق .

---

(١) في ط : في أوطان .
(٢) تاريخ بغداد (٧/ ١٧١) .
(٣) في تاريخ بغداد : فأصبحت فإذا الناس يخبرون أن جعفراً قد قتل في هذه الليلة .
(٤) في تاريخ بغداد : تمسكت بها .
(٥) تاريخ بغداد (٧/ ١٧١) .
(٦) « المتوكلية » : مدينة بناها المتوكل قرب سامُرّا بنى فيه قصراً وسماه الجعفري . و« الماحوز » : ضرب من الرياحين .

وفي ثاني يوم من خلافته ولَّى المظالمَ لأبي عَمْرَة أحمد بن سعيد مولى بني هاشم ، فقال الشاعر(١) :

يا ضَيْعَةَ الإسلامِ لمَّا وَلِي مَظَالِمَ النَّاسِ أبو عَمْرَهْ
صُيِّر مَأْمُوناً على أمَّةٍ ولَيْسَ مأموناً على بَعْرَهْ

وكانت البيعة له بالمتوكِّليَّة ، وهي الماحوزة ، فأقام بها عشرة أيام ، ثم تحوَّلَ هو وجميعُ قُوَّاده وحشمه منها إلى سامرَّاء .

وفي ذي الحجة من هذه السنة أخرج المنتصر عمَّه عليّ بن المعتصم من سامرًا إلى بغداد ووكَّل به .

وحجَّ بالناس محمد بن سليمان الزينبيّ .

ومن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن سعيد الجَوْهَريّ(٢) .

وسفيان بن وكيع بن الجرَّاح(٣) .

وسَلَمَةُ بن شَبيب(٤) .

وأبو عثمانَ المازِنيّ النَّحويُّ(٥) : واسمه بَكْرُ بنُ محمّد بن عثمان البَصرِيّ ، شيخُ النُّحاة في زمانه . أخَذَ عن أبي عُبَيْدَة ، والأصمعيِّ ، وأبي زيد الأنصاريِّ وغيرهم . وأخذ عنه أبو العبَّاس المبرِّدُ وأكثَرَ عنه .

وللمازنيِّ مصنَّفات كثيرة في هذا الشأن . وكان شبيهاً بالفقهاء ، وَرِعاً ، زاهداً ، ثقةً ، مأموناً .

روى عنه المبرِّدُ(٦) أنَّ رجلاً من أهل الذِّمَّة طلبَ منه أن يقرأ عليه كتابَ سيبويه ويعطيه مئة دينارٍ ،

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٢٣٩) ، وابن الأثير (٧/ ١٠٩) .

(٢) أبو إسحاق البغدادي ، الحافظ ، صاحب المسند . وكان من أركان الحديث ، خرَّج مسند أبي بكر الصديق في نيف وعشرين جزءاً . مات مرابطاً بعين زَرْبة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤٩) ، والعبر (١/ ٤٤٨) .

(٣) أبو محمد ، الرُّؤاسي ، محدِّث الكوفة ، كان من أوعية العلم على لين لحقه . وكان شيخاً فاضلاً صدوقاً ، إلا أنه ابتلي بورَّاق سوء ، كان يدخل عليه الحديث . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٥٢) .

(٤) أبو عبد الرحمن الحَجْري المِسْمَعي النيسابوري ، نزيل مكة . سمع يزيد بن هارون وطبقته ، وحدَّث عنه من الكبار الإمام أحمد بن حنبل . صدوق . توفي من أكلة فالوذج . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥٦) .

(٥) أخبار النحويين البصريين (٧٤) ، طبقات النحويين واللغويين (٨٧) ، معجم الأدباء (٧/ ١٠٧) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٨٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٧٠) ، العبر (١/ ٤٤٨) .

(٦) معجم الأدباء (٧/ ١١١) .

فامْتَنَعَ من ذلك ، فلامَهُ بعضُ النَّاس في ذلك فقال : تركت هذا لِما فيه من آيات الله تعالى . فاتفق بعد هذا أنَّ جارية غنَّتْ بحضرة الواثق :

أَظَلُـومُ إنَّ مُصَـابَكُـمْ رَجُـلاً ردُّ السَّـلامِ تَحِيَّـةً ظُلْـمُ

فاختلف مَن بحضرة الواثق في إعراب هذا البيت ، وهل يكون « رجلًا » مرفوعاً أو منصوباً ، وبم نصَبَ ؟ أهو اسم « إنَّ » أم ماذا ؟ وأصرّت الجارية على أنَّ المازنيَّ حفَّظها هكذا . قال : فأرسلَ الخليفة إليه ، فلمَّا مَثَل بين يديه ، قال له : أنتَ المازنيُّ ؟ قال : نعم . قال : من مازن تميم ، أم من مازن ربيعة ؛ أم من مازن قيس ؟ قلت : من مازن ربيعة . قال : فأخذ يكلِّمُني بلغتي ، فقال : باسْمُك ؟ وهم يقولون[١] الباء ميماً والميم باءً ، فكرهت أنْ أقولَ مكر ، فقلت : بكر ، فأعجبه إعراضي عن المَكْرِ ، وعرَفَ ما أردْتُ . فقال : على[٢] ما انتصبَ رجلاً ؟ فقلت : لأنَّه معمولُ المصدر « مصابكم » . فأخذ اليزيديُّ يعارضه ، فعلاه المازني بالحُجَّةِ ، فأطلق له الخليفةُ ألفَ دينارٍ وردَّه إلى أهله مكرَّماً ، وعوَّضه الله عن المئة الدينار .

وروى المبرِّدُ عنه ، قال : أقرأتُ رجلاً كتابَ سيبويه إلى آخره ، فلمَّا انتهى ، قال لي : أمَّا أنت فجزاكَ اللهُ خيراً ، وأمَّا أنا فوالله ما فهِمْتُ منه حرفاً .

توفي المازنيُّ في هذه السنة ، وقيل : في سنة ثمان وأربعين ومئتين . [وأغرب من قال : سنة ست وثلاثين ، فالله أعلم][٣] .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومئتين

فيها : أغزى المنتصرُ وصيفاً التركيّ غزو الصائفة لقتال الروم ، وذلك أنَّ ملك الروم قصدَ بلاد الشام ، وجهز معه جيشاً كثيفاً ورجالًا وعدداً ، وأمر له بنفقاتٍ كثيرة ، وأمره إذا فرغ من قتال الروم أن يقيمَ بالثَّغر أربعَ سنين ، وكتب له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق كتاباً عظيماً[٤] ، فيه آيات كثيرة ، في التَّحريض على القتال والترغيب فيه .

وفي ليلة السبت لسبع بقين من صفر من هذه السنة المباركة خلع أبو عبد الله محمد المعتز ، والمؤيد إبراهيم أخوا أمير المؤمنين وليا العهد ، أنفسَهما من الخلافة ، وأشهدا عليهما بذلك ، وأنَّهما عاجزان عن

---

(١) كذا في النسخ ، وفي ط : يقلبون .
(٢) سقطت من ب ، ظا .
(٣) زيادة من ب ، ظا .
(٤) نصه في الطبري (٩/ ٢٤١ ـ ٢٤٣) .

الخلافة ، وأن المسلمين في حلٍّ من بيعتهما ، وذلك بعدما تهدَّدهما أخوهما المنتصرُ وتوعَّدهما بالقتل ، ليفعلا ذلك ، ومقصودُه توليةُ ابنه عبد الوهاب عن إشارة أمراء الأتراك بذلك . وخطبا[١] بذلك على رؤوس الأشهاد بحضرة القوّاد والقضاة وأعيان بني هاشم والناس عامة .

وكتب بذلك إلى الآفاق والأقاليم ليعلموا بذلك ويخطبوا بذلك على المنابر ، ويزال اسماهما عن محل الكتابة ، والله غالبٌ على أمره ، فأراد أن يسلبَهما المُلْكَ ويجعلَه في عقبه ، والأقدارُ تكذبه وتخالفه ، وذلك أنَّه لم يستكمِلْ بعدَ قتل أبيه سوى ستة أشهر ، ففي أواخر صفر عرضَتْ له عِلَّةٌ كان فيها حتفُه على ما سنذكره .

وقد كان المنتصر رأى في منامه كأنَّه يصعد سلّماً ، فبلغ إلى آخر خمس وعشرين درجة . فقصَّها على بعض المعبرين ، فقال له : هذه خمس وعشرون سنة تلي فيها الخلافة ، وإذا بها مدّة عمره ، وقد استكملها في هذه السنة .

وقال بعضهم : دخلنا عليه يوماً فإذا هو يبكي وينتحب شديداً ، فسأله بعضُ أصحابه ، فقال : رأيتُ أبي المتوكِّلَ في منامي هذا ، وهو يقولُ : ويلك يا محمّد ! قتلْتَني ، وظلمْتَني وغصبْـتَني خلافتي ، والله لا مُتِّعْتَ بها بعدي إلا أياماً يسيرة ، ثم مصيرُك إلى النار ! قال : فما أملك عيني ولا جزَعي . فقال له بعضُ أصحابه[٢] : هذه رؤيا ، وهي تصدَّق وتكذب ، فقم بنا إلى الشراب ! فأحضر الشراب والندماء ، فأخذ فيه وهو منكسرُ الهمَّةِ ، وما زال كذلك مكسوراً حتَّى مات .

وقد اختلفوا في علته التي كانت فيها وفاته ؛ فقيل : إنه أصابه داء في رأسه ، فقطر في أذنه دهن ، فلمَّا انتهى إلى دماغه عُوجل بالموت . وقيل : بل ورِمَتْ معدتُه ، فانتهى الوَرَمُ إلى قلبه فمات . وقيل : بل أصابته ذَبْحَةٌ فاستمرَّت به عشرة أيام . فمات . وقيل : بل فَصَده الحجّام بمِبْضَعٍ مسموم فمات من يومه .

قال ابن جرير[٣] : فأخبرني بعضُ أصحابنا : أن ذلك الحجّامَ رجع إلى منزله وهو محمومٌ ، فدعا أجيراً[٤] له ليفصده ، فأخذ مباضعَ أستاذه ، فاختار منها أجودها ، فإذا له ذلك المِبضع المسموم الذي فُصِد به الخليفة ، ففصَد أستاذه به وهو لا يشعرُ ، وأنسَى اللهُ سبحانه الحجّام ، فما ذكر حتى رآه قد فَصَدَه به ، وتحكَّم فيه السُّمُّ ، فأوصى عند ذلك ، ومات من يومه .

---

(١) في آ ، ط : وخطب ، والمثبت من ب ، ظا . وفي الطبري : ثم قاما بذلك على رؤوس الأشهاد .
(٢) بعده في ط : من الغرارين الذين يغرون الناس ويفتنونهم .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٢٥١) بتصرف يسير .
(٤) في ط والطبري : تلميذاً .

وذكر ابنُ جرير[١] : أنَّه دخلت عليه أمُّه وهو في المرض الذي مات فيه ، فقالت له : كيف حالك ؟ فقال : ذهبَتْ منّي الدنيا والآخرة .

ويقال : إنه أنشد لمَّا أحيط به ويئس من الحياة وهو في السّياق[٢] :

فما فَرِحَتْ نفسِي بِدُنيا أَصَبْتُها ولكنْ إلى الرَّبِّ الكَريمِ أصيرُ

ومات يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر من هذه السنة ، وقتَ صلاة العصر ، عن خمسٍ وعشرين سنة ، وقيل : وستة أشهر . ولا خلاف أنه إنما ولي الخلافة ستة أشهر ، لا أزيدَ منها .

وذكر ابنُ جريرٍ[٣] عن بعض أصحابه : أنه لم يزل يسمع الناس يقولون ؛ العامَّةُ وغيرهم ، حين ولي المنتصر : إنه لا يمكث في الخلافة سوى ستة أشهر ، كما مكث شيرويه بن كسرى حين قتل أباه ؛ وكذلك وقع سواء .

وقد كان المنتصرُ أعيَنَ ، أقنى[٤] ، قصيراً ، مَهيباً ، جيد البدن ، وهو أوَّل خليفة من بني العباس أبرزَ[٥] قبرُه ، وذلك بإشارة أمِّه حبشيّة الرّومية .

ومن جيِّد كلامه قولُه : واللهِ ما عزَّ ذو باطلٍ قطّ ، ولو طلَعَ القمرُ من جبينه ؛ ولا ذلَّ ذو حقٍّ قطّ ، ولو أصفقَ العالَمُ عليه[٦] .

خلافة المستعين بالله

وهو أبو العبَّاس أحمد بن محمد بن المعتصم . بُويع له بالخلافة يوم مات المنتصِرُ ، بايعَهُ عمومُ النَّاس ، ثم خرجت عليه شِرْذِمةٌ من الأتراك يقولون : يا معتز ، يا منصور ؛ فالتفَّ عليهم خلق . وقام بنصر المستعين جمهورُ الجيش ، فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً ، فقتل خلْقٌ من الفريقين ، وانتُهبت أماكنُ كثيرة من بغداد ، وجرت فتن كثيرة جداً ، ثم استقرَّ الأمر للمستعين ، فَعَزَلَ وَوَلَّى ، وقَطَعَ وَوَصَلَ ، وأمَر ونَهَى[٧] .

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٢٥٢) .
(٢) تاريخ الطبري(٩/ ٢٥٤) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١١٥) .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٢٥٢) .
(٤) « القَنَا » : احديداب في الأنف .
(٥) الطبري وابن الأثير : عرف قبره .
(٦) الكامل لابن الأثير (٧/ ١١٦) .
(٧) بعده في ط : أياماً ومدة غير طويلة .

ومات بُغا الكبير في جمادى الآخرة ، فولّى الخليفةُ مكانَه ولَدَه : موسى بن بُغا . وقد كانت له همم[١] عالية ، وآثار سامية ، وغزوات في المشارق والمغارب متوالية .

وفي هذه السنة ابتاع المستعين من أبي عبد الله المعتز شيئاً كثيراً من المتاع والأثاث والضياع بما قيمته عشرة آلاف ألف دينار ، وعشر حبّات جوهر . ومن إبراهيم بما قيمته ثلاثة آلاف ألف دينار[٢] وثلاث حبّات .

وفيها : عَدَا أهلُ حمصَ على عاملهم[٣] فأخرجوه من بين أظهرهم ، فبعث إليهم المستعين فأخذ منهم مئة رجلٍ من سَرَاتهم ، وأمر بهدْمِ سورهم .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن سليمان الزَّينبيّ .

وتوفي فيها من الأعيان :

أحمد بن صالح[٤] .

والحسين بن علي الكَرَابيسيُّ[٥] .

وعبد الجبَّار بن العلاء[٦] .

وعبد الملك بن شُعيب[٧] .

---

(١) في ب ، ظا : همة .

(٢) في الطبري (٩/ ٢٥٩) : درهم .

(٣) هو كيدر بن عبيد الله ، كما في الطبري (٩/ ٢٥٩) .

(٤) أبو جعفر المصري ، المعروف بابن الطبري . حافظ زمانه بالديار المصرية ، ثقة ، مقرىء ، عالم بالحديث وعلله . كان أبوه من أجناد طبرستان ، وولد له أحمد بمصر . رحل إلى بغداد واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل ، وأخذ كل منهما عن الآخر . توفي بمصر .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٦٠) ، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٦٢) .

(٥) الحسين بن علي بن يزيد البغدادي الكَرَابيسي ، أبو علي ، الفقيه المتكلّم . تفقَّه على الشافعيّ ، وسمع من إسحاق الأزرق وجماعة ، وصنف التصانيف . كان متضلعاً في الفقه والأصول والحديث ومعرفة الرجال . والكرابيس : الثياب الغلاظ ، كان أبو علي يبعيها فنسب إليها .
سير أعلام النبلاء (٢/ ٧٩) ، والعبر (١/ ٤٥٠) .

(٦) أبو بكر البصري ، ثم المكي المجاور . روى عن سفيان بن عيينة وطبقته ، ثقة ، صاحب حديث . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٠١) ، والعبر (١/ ٥١) .

(٧) عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد الفَهْمي مولاهم المصري أبو عبد الله . سمع أباه وابنَ وَهْب . ثقة . كان فقيهاً محدثاً .
تهذيب التهذيب (٦/ ٣٩٨) .

وعيسى بن حمَّاد[١] .

ومحمد بن حُمَيْد الرَّازي[٢] .

ومحمد بن زُنبور[٣] .

ومحمد بن العلاء أبو كُرَيب[٤] .

ومحمد بن يزيد أبو هشام الرِّفاعيُّ[٥] .

وأبو حاتم السِّجِسْتانيُّ[٦] : واسمه سهلُ بن محمد بن عثمان بن يزيد الجُشَميُّ ، أبو حاتم ، النَّحويُّ ، اللّغويُّ ، صاحبُ المصنَّفات الكثيرة[٧] . وكان بارعاً في اللغة ؛ اشتغل فيها على أبي عُبَيْدة ، والأصمعيِّ ، وأكثَرَ الرِّواية عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ .

وأخذ عنه المبرّد ، وابنُ دُرَيد ، وغيرهما .

وكان صالحاً ، كثيرَ الصَّدَقة والتلاوة ، وكان يتصدَّق كلَّ يومٍ بدينارٍ ، ويقرأ في كُلِّ أسبوعٍ ختمة ، وله شعر كثير ؛ من[٨] ذلك قولُه :

أبـــرزوا وَجْهَـــهُ الجميـــلَ ولامُـــوا مَـــنِ افْتَتَـــنْ

---

(١) عيسى بن حمَّاد بن مسلم ، التُّجيبي المصري ، أبو موسى ، لقبه زُغْبَة وهو لقب أبيه أيضاً . ثقة . وهو آخر من حدّث عن الليث بن سعد من الثقات .
سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠٦) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٩٧) .

(٢) أبو عبد الله . حافظ كبير ، كان من أوعية العلم . وهو مع إمامته منكر الحديث .
سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠٣) .

(٣) محمد بن زنبور بن أبي الأزهر ، واسم زنبور جعفر ، أبو صالح المكي . صدوق ، له أوهام . تقريب التهذيب (٢/ ١٦١) .

(٤) محمد بن العلاء بن كُرَيب الهَمْداني ، أبو كُرَيب ، الكوفي . الحافظ ، شيخ المحدثين . صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٤) .

(٥) العلامة ، الفقيه ، المقرىء ، قاضي بغداد . أخذ القراءة عن جماعة ، وصنَّف كتاباً في القراءات فيه شذوذ كثير ، وهو صاحب غرائب في الحديث .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٥٣) ، غاية النهاية (٢/ ٢٨٠) .

(٦) الجرح والتعديل (٤/ ٢٠٤) ، أخبار النحويين البصريين (٩٣) ، طبقات النحويين واللغويين (٩٤) ، نزهة الألباء (١٨٩) ، معجم الأدباء (١١/ ٢٦٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٨) ، إنباه الرواة (٢/ ٥٨) ، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٢٠) .

(٧) ذكر له القفطي في إنباه الرواة (٢/ ٦٢) ما يقرب من ثلاثة وثلاثين كتاباً .

(٨) في آ : فمن قوله ، وأثبت ما جاء في (ب) . والبيتان في وفيات الأعيان (٢/ ٤٣١) ، وبغية الوعاة للسيوطي (١/ ٦٠٧) ، قالهما في المبرّد ، وكان غلاماً وسيماً يحضر حَلقته ويلازم القراءة عليه .

لَــوْ أرادُوا صِيــانَتــي سَتَــرُوا وَجْهَــهُ الحَسَــنْ

قال ابن خلكان[١] : وكانت وفاته في المحرم ، وقيل : في رجب من هذه السنة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومئتين

في يوم الجمعة النصف من رجب منها التقى جمعٌ من المسلمين وخلْقٌ من الروم بالقرب من مَلَطيَة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً[٢] ، قُتل من الفريقين خلْق كثير ، وقُتل أميرُ المسلمين عمرُ بن عُبَيد[٣] الله بن الأقطع ، وقُتل معه ألفا رجلٍ من المسلمين ، كذلك قُتل الأمير عليّ بن يحيى الأرمنيّ في طائفة من المسلمين أيضاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقد كان هذان الأميران من أكبر أنصار الإسلام .

ووقعت فتنةٌ عظيمة ببغداد في أول[٤] صفر من هذه السنة ، وذلك أنَّ العامّة كرهوا جماعةً من الأمراء الذين قد تغلَّبوا على أمر الخلافة وقتلوا المتوكِّلَ ، واستضعفوا المنتصر والمستعين بعده ، فنهضوا إلى السّجن ، فأخرجوا مَنْ فيه ، وجاؤوا[٥] إلى أحد الجسرين فقطعوه وضربوا الآخر بالنار ، فأحرقوا ونادَوا بالنَّفير ، فاجتمع خلْقٌ كثير وجَمٌّ غفير ، ونهبوا أماكنَ متعددةً ، وذلك بالجانب الشرقيّ من بغداد .

ثم جمع أهلُ اليسار أموالاً كثيرة [من أهل بغداد][٦] لتُصرفَ إلى من ينهض[٧] إلى ثغور الروم لقتالهم عوضاً عمن قُتل من المسلمين هناك ، فأقبل خلْق كثير من نواحي الجبال ، والأهواز ، وفارس ، وغيرها لغزو الروم ، وذلك أنَّ الخليفة والجيش تأخَّروا عن النّهوض إلى بلاد الروم ، فغضبت العامّة من ذلك ، وفعلوا ما ذكرنا .

ولتسعٍ بقين من ربيع الأول نهض عامة أهل سامُرَّاء إلى السجن ، فأخرجوا مَنْ فيه . وجاءهم قومٌ من الجيش يقال لهم الزرافة فهزمتهم العامة ، فركب عند ذلك وصيفٌ ، وبُغَا الصغير ، وعامّة الأتراك ، فقتلوا من العامّة خلْقاً كثيراً ، وجرت فتن طويلة كثيرة ، ثم سكنت .

وفي المنتصف من ربيع الآخر وقعت فتنةٌ بين الأتراك ، وذلك أن الخليفة المستعين قد فوَّض أمر

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٣) .
(٢) في آ ، ب : عظيماً .
(٣) في آ ، ط : عبد الله .
(٤) في ب ، ظا : أول يوم من صفر .
(٥) في الأول : وجاؤوا إلى الجسر ، والمثبت من ط والطبري .
(٦) زيادة في ط : وفي الطبري : من أهل بغداد وسامرا .
(٧) في ب ، ظا : نهض .

الخلافة والتصرف في أموال بيت المال إلى ثلاثة ؛ وهم : أتامش التركي ، وكان أخص مَن عنده ، وهو بمنزلة الوزير ، وفي حِجْره العباس بن المستعين يربّيه ويعلِّمه الفروسية ؛ وإلى شَاهك الخادم ؛ وإلى أم الخليفة ؛ كان لا يمنعها شيئاً تريده ، وكان لها كاتب يقال له : سلمة بن سعيد النصرانيّ .

فأقبل أتامش فأسرف في أخذ الأموال حتى لم يُبقِ ببيت المال شيئاً ، فغضبت الأتراك من ذلك ، وغارت منه ، فعند ذلك اجتمعوا عليه ، وركبوا إليه ، فأحاطوا بقصر الخلافة وهو عند المستعين ، فلم يمكنه منعه منهم ، ولا دفعهم عنه ، فأنزلوه صاغراً فقتلوه ، وانتهبوا أمواله وحواصله ودوره ، واستوزر الخليفةُ بعده أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وولّى بُغا الصغيرَ فلسطين ، وولّى وصيفاً الأهوازَ ، وجرى خَبْطٌ[1] كثير ، ووهنٌ كبير من أمر الخليفة ، وتحركت المغاربة بسامُرّا في يوم الخميس لثلاثٍ خلون من جمادى الآخرة ، وكانوا يجتمعون فيركبون ثم يتفرّقون .

وفي يوم الجمعة لخمسٍ بقين من جمادى الأولى، وهو اليوم السادس عشر من تمُّوز ، مُطِرَ أهلُ سامُرّا مطراً[2] عظيماً برعدٍ وبرقٍ ، والغيم مطبق ، والمطر مستهل كثير ، من أوّل النّهار إلى اصْفِرار الشمس .

وفي ذي الحجة أصاب أهلَ الريّ زلزلةٌ شديدة جداً ، ورَجْفة هائلة تهدَّمت منها الدور ، ومات منها خلْق كثير ، وخرج بقيّة أهلها إلى الصحراء .

وحجَّ بالناس في هذه السنة : عبدُ الصّمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام ، وهو والي مكة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أيّوب بن محمد الوَزّان[3] .

والحسن بن الصَّبّاح البَزّار[4] ، صاحب « كتاب السنن » .

وَرَجَاء بنُ مَرَجّى الحافظ[5] .

---

(١) « الخَبْط » : الفوضى .

(٢) في ب ، ظا : مطر عظيم .

(٣) أيوب بن محمد بن زياد بن فَرّوخ الوَزّان ، أبو محمد الرَّقِّيّ ، كان يزن القطن في الوادي . ذكره ابن حبّان في الثقات . تهذيب الكمال (٣/ ٤٨٩) .

(٤) الحسن بن الصَّبّاح بن محمد ، أبو علي الواسطي ، البغدادي ، البزّار ، ويعرف بابن البزّار . سمع سفيان بن عُيينة وطبقته . وكان الإمام أحمد بن حنبل يرفع قدره ويجلّه ويحترمه ، وكانت له جلالة عجيبة ببغداد .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٢) .

(٥) رجاء بن مُرَجّى بن رجاء بن رافع ، أبو محمد السمرقنديّ . روى عن النَّضْر بن شُمَيل فمن بعده . قال الخطيب البغدادي : كان ثقة ثَبْتاً إماماً في الحفظ والمعرفة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٨) ، والعبر (١/ ٤٥٤) . .

وعَبْدُ بنُ حَميد ، صاحب « التفسير » الحافل[١] .

وعمرو بن علي الفَلاَّس[٢] .

وعليّ بن الجَهْم[٣] : ابن بَدْر بن الجَهْم بن مسعود بن أسيد القرشي السَّامي ، من وَلَد سَامَةَ بن لُؤيّ الخراسانيّ ، ثم البغدادي ، أحد الشعراء المشهورين وأهل الديانة المعتبرين .

وله ديوان شعر فيه أشياء حسنة ، وكان فيه تحامل على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان له خصوصية بالمتوكِّل ، ثم غضِبَ عليه فنفاه إلى خراسانَ ، وأمر نائبَه بها أن ينصبَه[٤] يوماً مجرداً ففعل به ذلك .

ومن مستجاد شعره قوله[٥] :

بَلاءٌ لَيْسَ يَعْدِلُهُ بَلاءُ ... عَدَاوةُ غيرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ
يبيحكَ منه عِرْضاً لم يَصُنْهُ ... وَيَرْتَعُ مِنْكَ في عِرْضٍ مَصُونِ

وإنَّما قال ذلك في مروان بن أبي حَفْصَة حين هجاه ، فقال في هجائه له[٦] :

لَعَمْرُكَ ما الْجَهْمُ بْنُ بَدْرٍ بشاعرٍ ... وهذا عَلِيٌّ بَعْدَهُ يَدَّعِي الشِّعرا
ولكنْ أبي قَدْ كانَ جَاراً لأمِّهِ ... فلمَّا ادَّعَى الأشْعارَ أوْهَمني أمْرَا

كان عليّ بن الجَهْم قد قدِمَ الشَّام ثم عاد قاصداً العراق ، فلمَّا جاوز حلبَ ثار عليه أناسٌ من بني كَلْب ، فقاتلهم ، فجرح ، فكان فيه حتْفُه ، فوجد[٧] بين ثيابه رقعة فيها مكتوب[٨] :

---

(١) عبد بن حُميد بن نصر ، أبو محمد الكِسِّي ، ويقال له الكَشِّي ، بالفتح والإعجام . صاحب « المسند » و« التفسير » . سمع يزيد بن هارون وابن أبي فديك وطبقتهما .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٣٥) ، والعبر (١/ ٤٥٤) .

(٢) عمرو بن علي بن بحر ، أبو حفص الباهليّ الصيرفي الفلاَّس ، الحافظ المجوّد الناقد ، أحد الأعلام ، ثقة .
سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧٠) ، والعبر (١/ ٤٥٤) .

(٣) الأغاني ، ط ، الدار (١٠/ ٢٠٣) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٥) ، تاريخ الطبري (٩/ ٢٦٤) ، معجم الشعراء للمرزباني (١٤٠) ، تاريخ بغداد (١١/ ٣٦٧) .

(٤) في ط : أن يضربه . وفي الأغاني : أن يصلب .

(٥) ديوانه (١٨٧) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٦) .

(٦) ليسا في ديوان مروان بن أبي حفصة ، ويبعد أن يكون قد قالهما فيه ، إذ توفي مروان سنة ١٨٢هـ . وهما في وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٧) ، ترجمة علي بن الجهم .

(٧) في آ : فوجد ثوباً به رقعة فيها مكتوب والمثبت من ب ، ظا .

(٨) ديوانه (١٥٤) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٦) .

يا رَحْمَتا للغريبِ في البلد النّا زحِ ماذا بنفسِهِ صَنَعا
فارَقَ أحبابَهُ فما ٱنتفعُوا بالعَيشِ مِنْ بعدِهِ وما ٱنْتَفَعا

وكانت وفاته بهذا السبب في هذه السنة ، رحمه الله[١] .

سنة خمسين ومئتين من الهجرة

فيها كان ظهور أبي الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين[٢] بن يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة ، وأمّه فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وذلك أنّه أصابته فاقةٌ شديدة فرحل إلى سامُرّاء ، فسأل وصيفاً أن يجريَ عليه رزقاً ، فأغلظ له القولَ .

فرجع إلى أرض الكوفة ، فاجتمع عليه خلْق من الأعراب ، وخرج إليه خلْق من أهل الكوفة ، فنزل على الفَلُّوجَة[٣] وقد كثر الجمع معه ، فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق إلى عامل الكوفة ـ وهو أيوب[٤] بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان ـ يأمره بمقاتلته .

ودخل يحيى بن عمر قبل ذلك في طائفة من أصحابه إلى الكوفة ، فاحْتوى على بيت ماله ، فلم يجدْ فيه سوى ألفي دينار وسبعين ألف درهم ، وظهر أمرُه بالكوفة وفَتَحَ السِّجنَيْن وأطلق منْ فيهما ، وأخرَجَ نوّاب الخليفة منها ، وأخذ اموالهم واستحوذ عليها ، واستحكم أمرُه بها ، والتفَّ عليه خلْقٌ من الزَّيديّة وغيرهم .

ثم خرج من الكوفة إلى سوادها ، ثم كَرَّ راجعاً إليها ، فتلقاه عبد الرحمن بن الخطاب الملقَّب وَجْه الفَلْس ، فقاتله قتالاً شديداً ، فانهزم وَجْهُ الفَلْس . ودخل يحيى بن عمر الكوفة ، ودعا إلى الرضا من آل محمد ، وقوي أمره جدّاً ، وصار إليه جماعة من الناس من أهل الكوفة وغيرها ، وتولاه أهل بغداد من العامّة وغيرهم ممن ينسب إلى التشيّع ، وأحبّوه أكثر مما كانوا يحبُّون أحداً من الخارجين من أهل البيت .

---

(١) قوله : رحمه الله ، لم يرد في ب ، ظا ، ط .

(٢) في الأصول : حسن والمثبت من ط والطبري وابن الأثير على الصواب . وتنظر ترجمته في مقاتل الطالبيين (ص٤٥٣) .

(٣) « فلاليج السواد » : قراها ، واحدها الفلُّوجة . والفلُّوجة الكبرى والفلُّوجة الصغرى : قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر . ياقوت . وهذه التسمية مستعملة إلى هذا الوقت في بلاد العراق .

(٤) في آ ، ط : أبو أيوب .

وشرع في تحصيل السلاح وطبعه[(١)] ، وإعداد آلات العدد ، وجمع الرجال . وقد خرج نائب الكوفة منها - وهو الحسين بن إسماعيل - إلى ظاهرها ، واجتمع إليه أمدادٌ كثيرة من جهة الخليفة ومحمد بن عبد الله بن طاهر ، واستراحوا وجمّت[(٢)] خيولهم .

فلمَّا كان اليوم الثالث عشر من رجب أشار من أشار على يحيى بن عمر ممن لا رأي له ، أنْ يركبَ ويناجز الحسين بن إسماعيل ، ويكبسَ جيشه ، فركب في جيش كثير ، فيه خلْق من الفرسان والمشاة أيضاً من عامّة أهل الكوفة بغير أسلحة ، فساروا ، فلمَّا انتهوا[(٣)] إليهم نهضوا إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في ظلمة آخر الليل ، فما طلَعَ الفجرُ إلا وقد انكشف أصحابُ يحيى بن عمر ، [وداستهم الخيل ، ووجدوا يحيى بن عمر][(٤)] ، وقد تقنطر به فرسه ، وطعن في ظهره ، فحزُّوا رأسَه ، وحمله إلى الأمير فبعثه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأرسله من الغد إلى الخليفة مع رجلٍ ، يقال له : عمر بن الخطاب ، أخي عبد الرحمن بن الخطاب ، فنُصب بسامُرّا ساعةً من النهار ، ثم بعث[(٥)] إلى بغداد ، فنصب عند الجسر ، فلم يمكن ذلك من كثرة[(٦)] العامّة ، فجعل في خزائن السلاح .

ولمَّا جيء برأس يحيى بن عمر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، دخل الناسُ يهنّونه بالفتح والظفر ، فدخَلَ عليه أبو هاشم داود بن الهيثم الجعفريّ ، فقال له : أيها الأمير ! إنك لَتُهنّأ بقتْل رجلٍ لو كان رسولُ الله ﷺ حيّاً لَعُزِّيَ به . فما ردَّ عليه شيئاً ، ثم خرج أبو هاشم الجعفريّ ، وهو يقول[(٧)] :

يـا بَنـي طـاهـرٍ كُلُـوهُ وَبِيّـاً ... إنَّ لَحْـمَ النَّبـيِّ غيـرُ مَـرِيِّ
إنَّ وِتـراً يكـونُ طـالِبَـهُ اللـ ... ـهُ لَـوِتْـرٌ نجاحُـهُ بـالحَـرِيِّ

وكان الخليفة المستعين قد وجّه أميراً[(٨)] إلى الحسين بن إسماعيل نائب الكوفة ، فلما قتل يحيى بن عمر ، ودخلوا الكوفة ، أراد ذلك الأمير أن يضَعَ في أهلها السيفَ ، فمنعه الحسين بن إسماعيل ، وآمن الأسود والأبيض ، وأطفأ اللهُ هذه الفتنة .

---

(١) لفظة وطبعه لم ترد في ب ، ظا ، ط .
(٢) في ط : وجمعوا . ومعنى « وجمت » : تركت تستريح فلم تركب .
(٣) في ب ، ظا : انتهى .
(٤) زيادة في ب ، ظا .
(٥) في ب ، ظا : بعثه ، وفي ط : بعث به .
(٦) في ب ، ظا : من جهة .
(٧) تاريخ الطبري (٩/ ٢٧٠) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١٢٩) .
(٨) هو كلباتكين ، كما في الطبري (٩/ ٢٧٠) .

ثم خرج آخر من أهل البيت أيضاً

فلمَّا كان رمضان من هذه السنة ، خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب بناحية طَبَرِستان .

وكان سببُ ذلك أنَّه لما قُتل يحيى بن عمر أقطع المستعينُ لمحمد بن عبد الله بن طاهر طائفةً من أرض تلك الناحية ، فبعث كاتباً له يقال له : جابر بن هارون ، وكان نصرانيّاً ، ليتسلَّم تلك الأراضي ، فلمَّا انتهى إليهم كرهوا ذلك جدّاً ، وأرسلوا إلى الحسن بن زيد هذا ، فجاء إليهم ، فبايعوه والتفَّت عليه كلمة الدَّيلم وجماعة الأمراء في تلك النَّواحي ، فركب فيهم ودخل آمُل طبرِستان ، وأخذها قَهْراً ، وجَبَى خراجها ، واستفحل أمرُه جدّاً . ثم خَرَجَ منها طالباً لقتال سليمان بن عبد الله أميرِ تلك النَّواحي ، فالتقيا هنالك ، وكانت بينهما حروبٌ ، ثم انهزم سليمان هزيمةً منكرةً ، وترك أهلَه ومالَه ، ولم يرجعْ دون جُرْجان . فدخل الحسنُ بن زيد « سَارية »[١] فأخذ ما فيها من الأموال والحواصل ، وسيَّر أهل سليمان إليه على مراكب مكرمين ، واجتمع للحسن بن زيد إمرة طَبرِستان بكمالها .

ثم بعث إلى الرّيّ فأخذها أيضاً وأخرج منها الطَّاهريّة ، وصار له إلى جند همذان .

ولما بلغ خبرُه المستعينَ ـ وكان مدبِّر ملكه يومئذٍ وصيفٌ التركيّ ـ اغتمَّ لذلك جداً ، واجتهد في بعث الجيوش والأمداد لقتال الحسن بن زيد هذا[٢] .

وفي يوم عرفة من هذه السنة ظهر بالرَّيّ أحمد بن عيسى بن حسين الصغير بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ؛ فصلَّى بالنَّاس يومَ العيد أحمدُ بن عيسى هذا ، ودعا إلى الرِّضا من آل محمد ؛ فحاربه محمد بن عليّ بن طاهر ، فهزمه أحمد بن عيسى هذا ، واستفحل أمره[٣] .

وفي هذه السنة وثبَ أهلُ حِمْصَ على عاملهم الفَضْل بن قارن [أخي المازيار بن قارن][٤] ، فقتلوه في رجب ، فوجه إليه المستعين موسى بن بُغَا الكبير ، فاقتتلوا بأرض الرَّسْتَن ، فهزمهم ، وقتل جماعةً من أهلها ، وأحرَقَ أماكنَ كثيرةً منها ، وأسر أشراف أهلها[٥] .

---

(١) سارية : مدينة بطبرستان ، جعلها الحسن بن زيد ومحمد بن زيد العَلَويان دار مقامهما ، وبين سارية والبحر ثلاثة فراسخ ، وبين سارية وآمل ثمانية عشر فرسخاً . ياقوت .

(٢) الطبري (٩/ ٢٧١ ـ ٢٧٥) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١٣٠ ـ ١٣٤) .

(٣) الطبري (٩/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١٣٤) .

(٤) زيادة من ب ، ظا .

(٥) الطبري (٦/ ٢٧٦) ، وابن الأثير (٧/ ١٣٤) .

وفيها : وثبت الشاكريّة والجُنْدُ في أرض فارس على عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ، فهرب منهم ، فانتهبوا دارَهُ ، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن .

وفيها : غضِبَ الخليفةُ على جعفر بن عبد الواحد ، ونفاه إلى البصرة[١] .

وفيها : أسقطت مرتبةُ جماعة من الأمويين في دار الخلافة .

وحجَّ بالناس فيها جَعْفر بن الفضل ، أمير مكّة ، شرَّفها الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو الطاهر ، أحمد بن عمرو بن السَّرْح[٢] .

والبَزِّيّ ، أحد القراء المشاهير[٣] .

والحارث بن مسكين[٤] .

وأبو حاتم السِّجِسْتانيُّ[٥] ، أحد أئمة اللغة .

وعبَّاد بن يعقوب الرَّوَاجِنيُّ[٦] .

وعمرو بن بَحْر الجاحظ[٧] ، صاحب الكلام والمصنفات .

---

(١) وذلك لأنه كان بعث إلى الشاكريّة ، فزعم وصيفٌ أنه أفسدهم . الطبري (٩/ ٢٧٦) ، وابن الأثير (٧/ ١٣٤) .

(٢) الفقيه المصري ، مولى بني أميّة . روى عن ابن عُيَينة وابن وَهْب . وكان من أبناء الثمانين .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٢) ، والعبر (١/ ٤٥٥) .

(٣) هو أبو الحسن ، أحمد بن محمد البَزِّي ، المقرىء ، مؤذن المسجد الحرام وشيخ الإقراء به . وكان ليّن الحديث ، حجة في القرآن .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٠) ، والعبر (١/ ٤٥٥) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١١٩) .

(٤) أبو عمرو ، الأموي ، المصري ، قاضي القضاة بمصر . أخذ في المحنة فحبس دهراً حتى أخرجه المتوكل . وكان من كبار أئمة السنة . ثقة ثبت .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٤) ، العبر (١/ ٤٥٥) .

(٥) هو سهل بن محمد بن عثمان ، أبو حاتم السِّجِسْتاني ، ثم البصري ، المقرىء النحوي اللغوي ، صاحب المصنفات . حمل العربية عن أبي عبيدة والأصمعي ، وقرأ القرآن على يعقوب ، وكتب الحديث عن طائفة . وتخرّج به أئمة ، منهم : أبو العباس المبرّد . عاش ثلاثاً وثمانين سنة .
معجم الأدباء (١١/ ٢٦٤) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٨) ، العبر (١/ ٤٥٥) .

(٦) أبو سعيد الأسدي الرَّواجنيّ الكوفي ، صدوق ، محدّث الشيعة ، روى عنه البخاري مقروناً بآخر .
سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٦) ، والعبر (١/ ٤٥٦) .

(٧) عمرو بن بَحْر بن محبوب البصري المعتزلي ، أبو عثمان الجاحظ . صاحب التصانيف الكثيرة في الفنون . كان بحراً من بحور العلم ، رأساً في الكلام والاعتزال ، عاش تسعين سنة . =

وكثير بن عبيد الحِمْصِيّ[١] .

ونَصْر بن عليّ الجَهْضَميُّ[٢] .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومئتين

فيها اجتمع رأي المستعين وبُغَا الصغير ووصيف على قتل باغر التركيّ ، وكان من القواد الكبار الذين باشروا قتل المتوكِّل ، وقد اتسع إقطاعه ، وكثرت أعماله[٣] ، فقُتِلَ ونُهبت دارُ كاتبه دُلَيْل بن يعقوب النّصرانيّ ، وأمواله وحواصله . وركب الخليفة في حراقة من سامُرّا إلى بغداد ، فاضطربت الأمور بسبب خروجه إليها ، وذلك في [خامس][٤] المحرم ؛ فنزل الخليفة دار محمد بن عبد الله بن طاهر .

وفي هذه السنة وقعت فتنة شنعاء بين جند بغدادَ وجند سامُرّا ، دعا أهل سامُرّا إلى بيعة المعتز ، واستقرَّ أمرُ أهل بغداد على المستعين ، وأخرج المعتز وأخوه المؤيد من السجن ، فبايع أهلُ سامُرّا المعتز ، واستحوذَ على حواصل بيت المال بها ، فإذا فيها[٥] خمس مئة ألف دينار ، وفي خزانة[٦] أمِّ المستعين ألف ألف دينار ، وفي حواصل العباس بن المستعين ستمئة ألف دينار ، واستفحل أمر المعتز بسامُرّا .

وأمر المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر أن يحصِّنَ بغداد ، ويعمل في السُّورَين والخندق ، وغرم على ذلك ثلاث مئة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، ووكّل بكل باب أميراً يحفظه ، ونصب على السور خمسة مَجانيق ؛ منها واحد كبير جدّاً ، يقال له الغضبان ، وست عَرّادات[٧] ، وأعدوا آلات الحرب والعدد ، وقطعت القناطر من كُلِّ ناحية لئلا يصلَ الجيشُ إليهم .

= معجم الأدباء (١٦/ ٧٤) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦) ، العبر (١/ ٤٥٦) .

(١) كثير بن عبيد بن نمير المَذْحِجِيّ الحذّاء ، أبو الحسن الحمصي ، المقرىء ، إمام جامع حمص مدة ستين سنة . وكان عبداً صالحاً .
العبر (١/ ٤٥٦) ، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٢٣) .

(٢) أبو عمرو البصري الحافظ ، أحد أوعية العلم . روى عن يزيد بن زريع وطبقته .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٣٦) ، العبر (١/ ٤٥٦) .

(٣) في ب ، ظا : أمواله ، وفي ط : عماله .

(٤) زيادة من ب ، ظا .

(٥) في ب ، ظا : فيه .

(٦) في ب ، ظا : حواصل .

(٧) « العَرّادة » : آلة من آلات الحرب ، وهي مَنْجنيق صغير .

وكتب المعتزّ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعوه إلى الدخول معه في أمره ، ويذكِّره ما كان أخذه عليه المتوكِّلُ من العهود والمواثيق ؛ أن تكون الخلافة بعد المنتصر له ، فلم يلتفت إليه ، بل ردَّ عليه ، واحتجَّ بحججٍ يطول ذكرها .

وكتب كلُّ واحدٍ من المستعين والمعتزّ إلى موسى بن بُغَا الكبير ، وهو مقيم بأطراف الشام لحرب أهل حمص ، يدعوه إلى نفسه ، وبعث إليه بألوية يعقِدها لمن اختار من أصحابه ، وكتب إليه المستعين يأمره بالمسير إليه إلى بغداد ، ويستنيب في عمله ، فركب مسرعاً فسار[1] إلى سامُرّا ، فكان مع المعتزّ على المستعين .

وكذلك هرب عبد الله بن بُغَا من عند أبيه من بغداد إلى سامُرّا ، وكذلك غيره من الأمراء والأتراك .

وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكّل على حرب المستعين ، وجهَّز معه جيشاً لذلك ، فسار في خمسة آلافٍ من الأتراك وغيرهم نحوَ بغداد ، وصلَّى بعُكْبَرا[2] يوم الجمعة ، ودعا لأخيه المعتزّ .

ثم وصل إلى بغداد في ليلة الأحد لسبعٍ خلون من صفر ، فاجتمعت العساكر هنالك ، وقد قال رجلٌ يقال له : باذنجانة ، كان في عسكر أبي أحمد[3] :

يـا بنـي طـاهـرٍ أتتكُـمْ جُنـودُ الـ ... ـلَّـــهِ والمـــوتُ بينهـــا منثـــورُ
وجيـــوشٌ أمَـــامَهُـــنَّ أبـــو أحْـ ... ـمَدَ نِعْـمَ المَـوْلَـى ونِعْـمَ النَّصِيرُ

ثم جرت بينهم حروبٌ طويلة وفتنٌ مهولة جدّاً ، وقد أوردها ابنُ جرير[4] مطوَّلة .

ثم بعث المعتزُّ مع موسى بن أشناس ثلاثة آلافٍ مدداً لأخيه أبي أحمد بن المتوكل ، فوصلوا لليلةٍ بقيت من ربيع الأول ، فوقفوا في الجانب الغربي عند باب قُطْرُبُّل ، وأبو أحمد وأصحابُه على باب الشَّماسية ، والحرب مستعرة ، والقتال كثير ، والقتل واقع .

قال ابن جرير[5] : وذكر أن المعتزَّ كتب إلى أخيه أبي أحمد يلومُه على التقصير في قتال أهلِ بغداد ، فكتب إليه أبو أحمد :

لأمْـرِ المنَـايـا علينـا طَـريـقُ ... وللـدَّهـرِ فينـا اتّسـاعٌ وضِيـقُ

---

(١) في ب ، ظا : فصار .
(٢) « عُكْبَرا » : بليدة من نواحي دُجَيل ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، والنسبة إليها عكبري وعكبراويّ ، ياقوت .
(٣) تاريخ الطبري(٩/ ٢٩١) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١٤٥) .
(٤) تاريخ الطبري (٩/ ٢٩٠ _ ٢٩٦) .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ٣١٦) .

وأيَّـــامُنـــا عِبَـــرٌ لـــلأنـــام فمنهـا البُكُـورُ ومنهـا الطُّـروقُ[١]
ومنهـا هَنَـاتٌ[٢] تُشيـبُ الـوليـدَ ويَخـذُلُ فيهـا الصَّـديقَ الصَّـديقُ
وفتنـــةُ ديـــنٍ لهـــا ذُرْوَةٌ[٣] تَفُـوتُ العيُـونَ وبَحْـرٌ عميـقُ
قِتَـالٌ متيـنٌ[٤] ، وسَيْـفٌ عَتِيـدٌ وخَـوْفٌ شـديـدٌ ، وحِصْـنٌ وَثيقُ
وطُولُ صِياحٍ لداعي الصَّباحِ الـ ـسلاحَ السـلاحَ ، فمـا يَسْتَفيـقُ
فهـذا طَـريـحٌ ، وهـذا جَـريـحٌ وهـذا حَـريـقٌ ، وهـذا غَـريـقُ
وهَـذا قَتِيـلٌ ، وهـذا تَلِيـلٌ[٥] وآخَـرُ يَشْـدَخُـهُ المَنْجَنيـقُ
هُنـاكَ اغْتِصـابٌ وَثَـمَّ انْتِهَـابٌ ودُورٌ خَـرَابٌ وكـانَـتْ تَـرُوقُ
إذا مـا سَمَـوْنـا[٦] إلـى مَسْلَـكٍ وَجَـدْنـاهُ قـدْ سُـدَّ عَنَّـا الطـريقُ
فبـاللهِ نَبْلُـغُ مـا نَـرْتَجـي[٧] وبـاللهِ نَـدْفَـعُ مـا لا نطيـقُ

قال ابنُ جرير[٨] : هذا الشعر ينشد لعليّ بن أميّة في فتنة المخلوع والمأمون .

وقد استمرَّت الفتنة والقتال ببغدادَ بين أبي أحمد أخي المعتز ، وبين محمد بن عبد الله بن طاهر نائب المستعين ، والبلد محصور ، وأهله في ضيق شديد جداً ، بقية شهور هذه السنة ، وقُتل من الفريقين خلْق كثير في وقَعات متعددات ، وأيام نَحْسات ، فتارةً يظهرُ أصحابُ أبي أحمد ويأخذون بعضَ الأبواب ، فتحملُ عليهم الطاهريّةُ فيزيحونهم عنها[٩] ، ويقتلون منهم خلْقاً ، ثم يتراجعون إلى مواقفهم ويصابرونهم مصابرةً عظيمة . لكنَّ أهلَ بغداد كلَّما هم إلى ضَعفٍ بسبب قلّة الميرة ، والجلب إليهم[١٠] .

ثم شاع بين العامّة أنَّ محمد بن عبد الله بن طاهر يريد أن يخلعَ المستعين ويبايعَ للمعتزّ ، وذلك في أواخر السنة ، فتنصَّل من ذلك واعتذَرَ إلى الخليفة وإلى العامّة ، وحلف بالأيمان العظيمة[١١] ، فلم تبرأ

(١) « الطُّروق » : ما يطرق ليلاً .
(٢) « الهنات » : الدواهي .
(٣) في ط والطبري : وسور عريض له ذروة .
(٤) في الطبري : مبيدٌ .
(٥) « التليل » : الصريع .
(٦) في آ : شمرنا وابن الأثير : شرعنا .
(٧) في الطبري : نرتجيه .
(٨) تاريخ الطبري (٩/ ٣١٧) ، وابن الأثير (٧/ ١٥٣) .
(٩) في الأصول عنه ، وأثبت ما جاء في ط .
(١٠) في ط : إلى داخل البلد .
(١١) في ط : الغليظة .

ساحتُه من ذلك حقَّ البرَاءة عند العامّة . واجتمعت العامّة والغَوغاء إلى دار ابن طاهر والخليفة نازلٌ بها ، فسألوا أن يبرزَ لهم الخليفة ليروه[١] ويسألوه عن ابن طاهر أهو راضٍ عنه أم لا . وما زالت الضجَّة والأصواتُ حتَّى برزَ لهم الخليفة من فوق المكان الذي هم فيه ، وعليه السَّواد ، ومن فوقه البُردة النبويَّة ، وبيده القضيبُ . وقال لهم فيما خاطبهم به : أقسمْتُ عليكم بحق صاحب هذه البُردة والقضيب لَما رجعتم إلى منازلكم ورضيتم عن ابن طاهر ، فإنه غير متَّهم لديَّ . فسكت الغَوغاء وتراجعوا إلى منازلهم .

ثم انتقل الخليفة من دار ابن طاهر إلى دار رزق الخادم ، وذلك في أوائل شهر ذي الحجة ، وصلَّى بهم العيد يوم الأضحى في الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر ، وبرز الخليفةُ للناس يومئذ وبين يديه الحربة وعليه البُردة ، وبيده القضيب ، وكان يوماً مشهوداً ببغداد على ما بأهلها من الحصار وغلاء الأسعار المترجمين عن لباس الجوع والخوف ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

ولمّا تفاقم الأمر ، واشتدَّ الحال ، وضاق المجالُ ، وجهد الرجال ، وجاع العيال ، شرع ابنُ طاهر يُظهر ما كان كامناً في نفسه من خلْع المستعين ، فجعل يعرِضُ له بذلك ، ثم كاشفَهُ به ، وناظره فيه ، وقال له : إنَّ المصلحة تقتضي أن تصالحَ عن الخلافة[٢] على مال تأخذه سلفاً وتعجيلاً ، ويكون لك من الخراج في كُلِّ عامٍ ما تختاره وتحتاجه ؛ ولم يَزَلْ يَفْتِلُ في الذِّرْوَة والغَارِبِ[٣] حتى أجاب إلى ذلك وأناب . فكُتب بما اشترطه المستعين في خلعه نفسه من الخلافة كتاب .

ولمَّا كان يوم السَّبْت لعشر بقين من ذي الحجَّة ركب محمد بن [عبد الله بن] طاهر إلى الرُّصافة ، وجمع القضاة والفقهاء ، وأدخلهم على المستعين فوجاً فوجاً ، وأشهدهم عليه أنه قد صيَّر أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكذلك جماعة الحجّاب والخدَم ، ثم تسلَّم منه جوهر الخلافة ، وأقام عند المستعين إلى هُويٍّ[٤] من الليل . وأصبح الناس يَدوكون[٥] ويتنوعون فيما يقولون من الأراجيف .

وأمَّا ابنُ طاهر فإنَّه أرسل بالكتاب مع جماعةٍ من الأمراء إلى المعتزّ بسامُرّا ، فلمَّا قدِمُوا عليه بذلك

---

(١) في آ : ليرده .
(٢) في آ : الخليفة .
(٣) في حديث الزبير : فما زال يَفْتِلُ في الذِّروة والغارب حتى أجابته عائشة إلى الخروج . « الغارب » : مقدَّم السَّنام ، و « الذِّروة » : أعلاه . أراد أنه ما زال يخادعها ويتلطفها حتى أجابته ، والأصل فيه : أن الرجل إذا أراد أن يؤنس البعير الصَّعْب ، ليزمَّه وينقاد له ، جَعَل يُمِرُّ يده عليه ، ويمسح غاربه ، ويفتِلُ وَبَرُه حتى يستأنِسَ ، ويضع فيه الزِّمام . اللسان (غرب) .
(٤) « الهويّ » : الساعة الممتدّة من الليل . ومضى هويٌّ من الليل : أي هزيع منه .
(٥) في ط : يذكرون وهو تحريف . وجاء في حديث خيبر : أنَّ النبي ﷺ ، قال : لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، فبات الناس يَدوكون تلك الليلة فيمن يدفعها إليه . أي يخوضون ويموجون ويختلفون فيه . اللسان (دوك) .

أكرمَهُم وخَلَعَ عليهم ، وأجازهم فأسنى جوائزهم . وسيأتي ما كان من الأمر في أوّل السنة الداخلة .

وفي هذه السنة في ربيع الأول منها كان ظهور رجلٍ من أهل البيت أيضاً بأرض قزوين وزَنجان ، وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، ويعرف الحسين بن أحمد هذا بالكوكبي . وسيأتي ما كان من أمره هناك .

وفيها : خرج إسماعيل بن يوسف العلوي ، وهو ابن أخت موسى بن عبيد الله الحسني ، وسيأتي ما كان من أمره أيضاً .

وفيها : خرج بالكوفة أيضاً رجل من الطالبيين ، وهو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن حسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فوجَّه إليه المستعين مزاحم بن خاقان فاقتتلا ، فهزم العلويّ ، وقُتل من أصحابه بشرٌ كثير . ولما دخل مزاحم الكوفة حرق بها ألفَ دار ونهبَ أموالَ الذين خرجوا معه ، وباع بعض جواري الحسين بن محمد هذا ، وكان معتقه على باب المسجد الجامع .

وفيها : ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن[١] بن علي بن أبي طالب بمكّة ، فهرب منه نائبُها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى ، فانتهب إسماعيل بن يوسف منزله ومنازلَ أصحابه ، وقتلَ جماعةً من الجند وغيرهم من أهل مكّة ، وأخذ ما في الكعبة من الذّهبِ والفِضّة والطّيب وكُسوة الكعبة ، وأخذ من الناس نحواً من مئتي ألف دينار ، ثم خرج إلى المدينة النبويّة ، فهرب منه عاملُها عليّ بن الحسين بن إسماعيل ، ثم رجع إسماعيل بن يوسف إلى مكّة في رجب ، فحصرَ أهلَها حتّى هلكوا جوعاً وعطشاً ، وبيع الخبز ثلاث أواق بدرهم ، واللحم الرطل بأربعة ، وشربة الماء بثلاثة دراهم ، ولقيَ منه أهلُ مكّة كُلَّ بلاءٍ ، ثم ترحّل عنهم إلى جُدّة ، بعد مقام سبعة وخمسين يوماً ، فانتهب أموال التجار[٢] هنالك ، وأخذَ المراكبَ ، وقطع الميرةَ عن أهل مكّة حتّى جلبت إليها من اليمن ، ثم عاد لا جزاه الله خيراً عن المسلمين إلى مكّة .

فلمّا كان يوم عرفة لم يمكن الناس من الوقوف نهاراً ولا ليلاً ، وقتل من الحجيج ألفاً ومئة ، وسلب أموالهم ، ولم يقف بعرفة عامئذ سواه ومَنْ معه من أصحابه ، لا تقبّل الله منهم صَرْفاً ولا عَدْلاً[٣] .

وفيها : توفي من الأعيان :

إسحاق بن منصور الكَوْسَج[٤] .

---

(١) في ط : « الحسين » ، خطأ . وتنظر ترجمته في العقد الثمين (٣/ ٣١١) .

(٢) في آ : الكبار .

(٣) أي لا تقبّل الله منهم توبة ولا فِدية .

(٤) أبو يعقوب المَرْوَزي ، نزيل نيسابور . سمع سفيان بن عيينة وطائفة . وهو أحد الأئمة من أصحاب الحديث من=

وحُمَيْد بن زَنْجَوَيه[١] .

وعمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصيّ[٢] .

وأبو التَّقيِّ هشام بن عبد الملك اليَزَنِيُّ[٣] .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومئتين

ذكر خلافة المعتزّ بعد خلع المستعين نفسه

استهلّت وقد استقرَّت الخلافةُ باسم أبي عبد الله المعتزّ ، محمد بن جعفر المتوكّل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور . وقيل : إنَّ اسم المعتزّ أحمد ، وقيل : الزبير ، وهو الذي عوَّل عليه الحافظ ابنُ عساكر وترجمه في « تاريخه »[٤] .

وقد خلع المستعين أحمد بن محمد المعتصم نفسَه من الخلافة ، وبايع للمعتزّ .

ولمَّا كان يوم الجمعة رابع المحرم دعا الخطباء بجوامع[٥] بغداد على المنابر للخليفة المعتزّ بالله ، وانتقل المستعين من الرُّصافة إلى قصر الحسن بن سهل هو وعيالُه وولَدُه وجواريه ، ووكَّل بهم سعيد بن رجاء في جماعة معه ، وأخذ من المستعين البُرْدة ، والقضيب ، والخاتم ، وبعث بذلك إلى المعتزّ ، ثم أرسل إليه المعتز يطلب منه خاتمين من جوهرٍ بقيا[٦] عنده ، يقال لأحدهما بُرْج ، والآخر جَبَل ، فأرسلهما .

وطلب المستعين أن يسير إلى مكّة فلم يمكن ، فطلب البصرةَ ، فقيل : إنها وبيّة . فقال : إنَّ تَرْكَ الخلافة أوبأُ منها .

= الزُّهَّاد والمتمسكين بالسُّنة . وهو صاحب المسائل عن أحمد بن حنبل .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥٨) ، والعبر (٢/ ١) .

(١) أبو أحمد النَّسائي ، صاحب المصنفات . روى عن النَّضْر بن شُميل وخلق بعده . ثقة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩) ، والعبر (٢/ ١) .

(٢) أبو حفص ، حافظ ثبت ، محدّث حمص . روى عن إسماعيل بن عيّاش وجماعة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠٥) ، والعبر (٢/ ١) .

(٣) حافظ متقن ، حدّث عن إسماعيل بن عيَّاش ، وبقيَّة بن الوليد ، وعدة . ثقة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠٣) ، والعبر (٢/ ١) .

(٤) مختصره لابن منظور (٩/ ٥) .

(٥) في ب ، ظا : في البلدان مع بغداد .

(٦) في آ : ثميناً .

ثم أذن له في المسير إلى واسط ، فخرج ومعه حرسٌ يوصلوه إليها نحواً[١] من أربعمئة .

واستَوزر المعتزُّ أحمد بن إسرائيل[٢] ، وخلَعَ عليه ، وألبَسَه تاجاً على رأسه . ولمَّا تمهَّد أمرُ بغدادَ واستقرَّت البيعة للمعتزّ بها ، ودان له أهلُها ، واجتمع شملُها ، وقدمتها الميرةُ من كُلِّ جانب ، واتَّسَعَ النَّاس في الأرزاق والأطعمة ، ركبَ أبو أحمد منها في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرّم إلى سامُرّا ، وشيَّعه محمد بن عبد الله بن طاهر في وجوه القواد ، فخلع أبو أحمد على ابن طاهر خمسَ خلع وسيفاً ، وردَّه من الرُّوذَبار[٣] .

وقد ذكر ابنُ جرير[٤] مدائحَ الشعراء في المعتزِّ وتشفّيهم بخلْعِ المستعين ، فأكثَرَ من ذلك جدّاً . فمن ذلك قولُ محمد بن مروان بن أبي الجَنوب بن مروان في مدح المعتزّ وذمِّ المستعين ، كما جرت عادة الشعراء[٥] :

إنَّ الأمورَ إلى المعتزِّ قد رَجَعتْ ... والمُستعينُ[٦] إلى حالاتِهِ رَجَعا
وكانَ يَعلَمُ أنَّ المُلْكَ ليسَ لَهُ ... وَأنَّهُ لَكَ لكنْ نفسَهُ خَدَعا
ومالكُ المُلْكِ مُؤتِيهِ ونازِعُهُ ... آتاكَ مُلْكاً ومنهُ الملكَ قَدْ نَزَعا
إنَّ الخِلافَةَ كانتْ لا تُلائِمُهُ ... كانَتْ كَذاتِ حَليلٍ زُوِّجَتْ مُتَعَا
ما كان أقبحَ عندَ النَّاسِ بَيْعَتَهُ ... وكانَ أحسَنَ قَوْل النَّاسِ قد خُلِعا
[ليتَ السَّفِينَ إلى قافٍ دَفَعْنَ بِهِ ... نفسي الفِداءُ لملاحٍ بِهِ دَفَعَا
كم سَاسَ قبلَكَ أمْرَ النَّاسِ من مَلِكٍ ... لو كانَ حُمِّلَ ما حُمِّلْتَه ظَلَعا][٧]
أمْسَى بكَ النَّاسُ بعد الضِّيقِ في سَعَةٍ ... واللهُ يَجعلُ بعدَ الضِّيقِ مُتَّسَعَا
واللهُ يدفَعُ عنكَ السّوءَ من مَلِكٍ ... فإنَّه بكَ عنَّا السوءَ قد دَفَعَا

وكتب أمير المؤمنين المعتزُّ من سامُرّاء إلى نائب بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر أن يُسقِطَ اَسْمَ

---

(١) في آ : نحو .
(٢) في ط : « أحمد بن أبي إسرائيل » خطأ . وتنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٣٢) .
(٣) تحرفت في ط إلى : وردّه من الطريق إلى بغداد . و« الرُّوذَبار » : لفظة لمواضع عدة عند الأنهار ، منها قرية قرب بغداد . ياقوت .
(٤) انظر تاريخ الطبري (٩/ ٣٥٠ـ٣٥٣) .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ٣٥١) .
(٦) الطبري : والمستعان .
(٧) ما بين قوسين زيادة من ط والطبري . و« ظَلع في مشيه » : عَرَجَ .

وصيفٍ وبُغَا ما[١] كان من رسومهما في الدواوين ، وعزم على قتلهما ، ثم استُرضي عنهما فرضي عنهما .

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتزُّ أخاه إبراهيم الملقب بالمؤيد من ولاية العهد وحبَسَه ، وأخاه أبا أحمد ، بعدما ضرب المؤيدَ أربعين مِقْرَعةً .

ولمَّا كان يوم الجمعة سابعه خطب بخلْعه ، وقرأ[٢] كتابه على نفسه بذلك .

وكانت وفاته بعد ذلك بخمسة عشر يوماً ، فقيل : إنه أدرجَ في لحاف سَمّور[٣] ، وأمسِكَ طرفاه حتَّى مات غمّاً . وقيل : بل ضُرِب بحجارةٍ من ثَلْجٍ حتَّى ماتَ بَرْداً ، وبعد ذلك أُخرِجَ من السّجن ولا أثَرَ به ، فأحضر القضاةُ والأعيان فأشهِدوا على موته من غير سببٍ وليس به أثر ، ثم حُمِلَ على حمارٍ ومعه كفنُه إلى أُمِّه فدفنته .

ذكر مقتل المستعين

في شوَّال من هذه السنة كتب المعتزُّ إلى نائبه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بتجهيز جيشٍ نحو المستعين ، فجهز أحمد بن طولون التركيّ فوافاه ، فأخرجه لستٍّ بقين من رمضان ، فقدم به القاطولَ لثلاثٍ مضيْنَ من شوَّال ، ثم قتل ، فقيل : ضُرِبَ حتى مات ، وقيل : بل غرق في دُجَيل ، وقيل : بل ضُربت عنقه .

وقد ذكر ابنُ جرير[٤] أنَّه[٥] سأل من سعيد بن صالح التركيّ حين أراد قتله أن يمهلَه حتَّى يصلِّيَ ركعتين ، فلمَّا كان في السّجدة الأخيرة قتلَهُ وهو ساجدٌ ، ودفَنَ جثته في مكانها ، وعفّى أثره .

وحمَلَ رأسه إلى المعتزِّ ، فدخَل به عليه وهو يلعب بالشطرنج ، فقيل : هذا رأس المخلوع ، فقال : ضعوه حتى أفرغَ من الدَّسْت[٦] ، فلمَّا فَرَغَ نظر إليه وأمرَ بدفنه ، ثم أطلق لسعيد بن صالح الذي قتله خمسين ألف درهم ، وولاه معونة البصرة .

وفي هذه السنة مات إسماعيل بن يوسف العلويّ الذي فعل بمكّة ما فعل ، وألحد في حرم الله ما ألْحَدَ ، كما تقدم ، فهلك في هذه السنة ، ولم يُنظره ربُّه عزَّ وجلَّ .

---

(١) في ب ، ظا : ما كان في رسومهما ، وفي الطبري : ومن كان في رسمهما من الدواوين .
(٢) في ب ، ظا : وقرىء ، وفي ط : وأمره أن يكتب كتاباً على نفسه بذلك .
(٣) في ب ، ظا : في لحاف من سمّور .
(٤) الطبري (٩/ ٣٦٤) .
(٥) في ب ، ظا : أنَّ المستعين .
(٦) « الدّسْت » : اللعبة ، يقال : فلان حسن الدّست : شطرنجي ماهر .

وأحمد بن محمد ، المستعين بالله .

وإسحاق بن بُهْلُول[١] .

وزياد بن أيّوب[٢] .

ومحمد بن بشار ، بُنْدار[٣] .

ومحمد بن المُثَنَّى ، الزَّمِن[٤] .

ويعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقيُّ[٥] .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومئتين

في رجب منها عقد المعتزُّ لموسى بن بُغَا الكبير على جيشٍ قريبٍ من أربعة آلاف ؛ ليذهبوا إلى قتال عبد العزيز بن أبي دُلَف بناحية همذان ؛ وذلك لأنه خرج عن الطاعة ، وهو في نحوٍ من عشرين ألفاً . فهزموا عبدَ العزيز في أواخر هذا الشهر هزيمةً فظيعة . ثم كانت بينهم وقعةٌ أخرى في رمضان عند الكَرَج ، فهُزِم عبدُ العزيز أيضاً ، وقُتِلَ من أصحابه بشرٌ كثير . وأسروا ذرارِي كثيرةً ، حتَّى أَسَروا أمَّ عبد العزيز ، وبعثوا إلى الخليفة سبعين حملاً من الرؤوس ، وأعلاماً كثيرة . وأخذ من عبد العزيز ما كان استحوذ عليه من بلاد الخليفة .

---

(١) أبو يعقوب التَّنوخي الأنباري الحافظ ، سمع ابن عيينة وطبقته . وكان من كبار الأئمة ، صنَّف في القراءات وفي الحديث والفقه ، وله مذاهب اختارها ، وكان ثقة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٨٩) ، العبر (٢/ ٣) .

(٢) أبو هاشم الطُّوسيّ البغدادي ، ويلقّب أيضاً : دَلُّوَيْه . وكان يقال له : شُعبة الصغير؛ لإتقانه ومعرفته . صدوق .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٢٠) والعبر (٢/ ٣) .

(٣) محمد بن بشار بن عثمان ، أبو بكر العبديّ البصريّ ، بُنْدَار ، لُقِّب بذلك ، لأنه كان بُنْدَار الحديث في عصره ببلده ، و « البُنْدَار » : الحافظ . قال أبو داود : كتبت عنه خمسين ألف حديث . سمع معتمر بن سليمان ، وغُنْدَراً وطبقتهما . روى عنه الستة في كتبهم .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤٤) ، العبر (٢/ ٣) .

(٤) أبو موسى العَنَزيّ البصريّ ، ولد مع بُنْدار في عام وفاة حمَّاد بن سلمة ، حافظ ثبت ، جمع وصنف وكتب الكثير . كان صدوقاً ورِعاً .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٢٣) ، العبر (٢/ ٤) .

(٥) أبو يوسف العَبْديّ القيسيّ مولاهم . سمع هشيماً وإبراهيم بن سعد وطبقتهما . حدث عنه الجماعة . قال الخطيب : كان ثقة حافظاً متقناً ، صنف المسند .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤١) ، العبر (٢/ ٤) .

وفي رمضان منها خَلَعَ المعتزُّ على بُغَا الشرابيّ وألبَسه التَّاجَ والوشاحين .

وفي يوم عيد الفطر كانت وقعة هائلة عند مكان يقال له : البَوازِيْج[١] ، وذلك أنَّ رجلاً يقال له : « مُساور بن عبد الحميد » حكّم[٢] فيها ، والتفَّ عليه نحو من سبعمئة من الخوارج ، فقصَدَ له رجلٌ يقال له : « بُنْدار الطبريّ » في ثلاثمئة من أصحابه ، فالتقوا في هذا اليوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتِلَ من الخوارج نحو من خمسين ، وقُتِلَ من أصحاب بُنْدار مئتان وخمسون رجلاً ، وقُتِلَ بُنْدَار فيمن قُتِلَ : رحمه الله .

ثم صَمَدَ[٣] مُساور إلى حُلوان ، فقاتله أهلُها ، وأعانهم حُجّاج أهلِ خراسان ، فقتَلَ مُساور منهم نحواً من أربعمئة إنسانٍ ؛ قبَّحه الله . وقُتِلَ من أصحابه جماعة كثيرون أيضاً .

ولثلاث بَقِين من شوال قُتِلَ وصيف التركيّ ، وأرادت العامة أن تنتهبَ دارَه بسامُرّا ودورَ أولاده ، فلم يمكنهم ذلك . جعَلَ المعتزُّ الخليفة ما كان إليه إلى بُغَا الشرابيّ .

وفي ليلة أربعَ عشرة من ذي القعدة من هذه السنة كُسِفَ[٤] القمرُ حتَّى غاب أكثرُه وغرق نورُه ، وعند انتهاء كُسُوفه مات محمد بن عبد الله بن طاهر نائبُ العراق ببغداد . وكانت عِلَّتُه قروحاً في رأسه وحَلْقِه فذبحته .

ولمَّا أتي به لِيُصلَّى عليه اختلف أخوه عُبيدُ الله وابنُه طاهر ، أيُّهما يُصلّي عليه ، وتنازعا حتى جُذبت السّيوف ، وترامى الناس بالحجارة ، وصاحت الغَوْغَاءُ : يا طاهر ، يا منصور ؛ فمال عُبيدُ الله إلى الشرقية ومعه القواد وأكابر الناس ، فدخل داره وكان أخوه قد أوصى إليه . وحين بلَغَ المعتزَّ ما وقع ، بعثَ بالخِلَع والولاية لِعُبيد الله بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأطلَقَ عُبيد الله للذي قدِمَ بالخلع خمسين ألف درهم .

وفيها : نَفَى الخليفةُ المعتزُّ أخاه أبا أحمد من سُرَّ مَنْ رأى إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم رُدَّ إلى بغداد ، [فأنزل في الشرقية ، في قصر دينار بن عبد الله .

---

(١) بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة ، وهي الآن من أعمال الموصل . ياقوت .
(٢) أي قال : لا حكم إلا لله .
(٣) في الطبري : مضى .
(٤) في ط : خُسِف خسوفه ، ويوافق ذلك ما جاء في الطبري . قال ابن الأثير : ورد الخسوف في الحديث كثيراً للشمس ، والمعروف لها في اللغة الكسوف لا الخسوف ، وخسوف القمر : كسوفه . وأجود الكلام : كسفت الشمس وخسف القمر . اللسان : خسف .

وفيها : نفي عليّ بن المعتصم إلى واسط ، ثم رُدَّ إلى بغداد][١] أيضاً .

وفي يوم الإثنين سَلْخ ذي القعدة التقى موسى بن بُغا الكبير ، هو والحسين بن أحمد الكوكبيّ الطالبي ، الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين ، فاقتتلا قتالًا شديداً ، ثم هُزِمَ الكوكبيُّ ، وأخذ موسى قزوين وهَرَب الكوكبيُّ إلى الدَّيْلَم .

وذكر ابنُ جرير[٢] عن بعضٍ من حَضَرَ هذه الوقعة أنَّ الكوكبيَّ حين التقى أمر أصحابه أن يتترّسوا بالحجف[٣] ، وكانت السهام لا تعمل فيهم ، فأمر موسى بن بُغَا أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم من النفط بالأرض ، ثم حاولوهم وأروهم أنَّهم قد انهزموا منهم ، فتبعهم أصحابُ الكوكبيّ ، فلمَّا توسَّطوا الأرضَ التي فيها النفطُ أَمَرَ عند ذلك بإلقاء النار فيه ، فجعلت النار تحرق أصحابَ الكوكبيِّ ، ففرُّوا سراعاً هاربين ، وكرَّ عليهم موسى وأصحابُه ، فقتَلُوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وهربَ الكوكبيُّ إلى الدَّيْلَم ، وتسلَّم موسى بن بُغا قزوين .

وفيها : حجَّ بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبيُّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو الأشعث[٤] .

وأحمد بن سعيد الدَّارِميُّ[٥] .

وسَرِيّ السَّقَطِيُّ[٦] : أحد كبار مشايخ أئمة الصّوفية . وهو السَّرِيُّ بن المُغَلِّس ، أبو الحسن السَّقطيّ البغدادي ، تلميذ مَعروف الكَرْخِيّ .

---

(١) زيادة من ب ، ظا . والطبري (٩/ ٣٧٧) .
(٢) الطبري (٩/ ٣٧٨) .
(٣) « الحَجَف » : ضربٌ من التَّرسَة ، واحدتها حَجَفة ، وهي الترس إذا كان من جلود ليس فيه خَشَب ولا عَقَب .
(٤) هو أحمد بن المِقْدام بن سليمان بن الأشعث ، أبو الأشعث العِجْليّ البصري . محدّث ، سمع حماد بن زيد وطائفة كثيرة ، ثقة ، صدوق .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢١٩) ، العبر (٢/ ٥) .
(٥) أحمد بن سعيد بن صخر الدَّارميّ السَّرَخْسي ، أبو جعفر . الفقيه الحافظ الثَّبت ، أحد الفقهاء والأئمة في الأثر ، سمع النَّضْر بن شُميل وطبقته .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٣) ، العبر (٢/ ٤) .
(٦) طبقات الصوفية ٤٨ ، حلية الأولياء (١٠/ ١١٦) ، تاريخ بغداد (٩/ ١٨٧) ، صفة الصفوة (٢/ ٣٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٥) ، العبر (٢/ ٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٢٧) .

حدَّث عن هُشَيم ، وأبي بكر بن عيَّاش ، وعليِّ بن غُراب ، ويحيى بن يَمَان ، ويزيدَ بنِ هارون ، وغيرهم .

وعنه : ابنُ أخته الجُنَيد بن محمد ، وأبو الحسين[١] النُّوري ، ومحمد بن الفضل بن جابر السَّقَطِيّ ، وجماعة .

وكانت له دكانٌ يتَّجر فيها ، فمرت به جارية قد انكسَرَ إناءٌ كان معها تشتري فيه شيئاً لسادتها ، فجعلتْ تبكي ، فأعطاها سَرِيٌّ شيئاً تشتري به بدله ، فنظر معروف إليه وما صنع بتلك الجارية ، فقال له : بَغَّضَ الله إليك الدنيا[٢] .

وقال سرِيّ : مررت في يوم عيدٍ فإذا معروفٌ ومعه صبيٌّ صغير شعث الحال ، فقلت : ما هذا؟ فقال : هذا كان واقفاً والصّبيان يلعبون وهو منكسرٌ ، فقلت : ما لك لا تلعبُ ؟ فقال : أنا يتيم ، لا شيءَ معي أشتري به جوزاً ألعبُ به ، فأخذته لأجمع له نوى يشتري به جوزاً يفرح به . فقلت : ألا أكسوه وأعطيه شيئاً يشتري به؟ فقال : أو تفعلُ؟ قلت : نعم . فقال : خذْه ، أغنى الله قلبك ! قال سريّ : فسويت عندي الدّنيا أقلَّ شيء .

وكان عنده مرّة لوزٌ ، فساومه رجلٌ على الكُرِّ[٣] بثلاثة وستين ديناراً ، ثم ذهب الرجل ، فإذا اللوز يساوي الكُرُّ منه تسعين ديناراً ، فقال له : إني أشتري منك الكُرَّ بتسعين ديناراً . فقال : إنِّي ساومتك بثلاثة وستين ديناراً ، وإني لا أبيعه إلا بذلك ، فقال الرجل : فأنا أشتري منك بتسعين ، فقال : لا أبيعه إلا بما ساومتك عليه . فقال الرجل : إنَّ من النُّصح أن لا أشتري منك إلا بتسعين ديناراً ، وذهَبَ فلم يشتر منه .

وجاءت امرأة يوماً إلى سَرِيّ ، فقالت : إنَّ ابني قد أخذه الحرس ، وإنِّي أحبُّ أن تبعثَ إلى صاحب الشُّرْطة لئلا يضربَ ، فقام فصلَّى فطوَّل في الصلاة ، وجعلت المرأة تحترقُ في نفسها ، فلمَّا انصرَفَ من الصَّلاة ، قالت : اللهَ اللهَ في ولدي ! فقال : [ها أنا ذا في حاجتك . فما رام[٤] من مجلسه حتَّى جاءت امرأة إلى تلك المرأة ، فقال لها : أبشري ، فقد أطلق المتولي ولدك ، فانصرفت إليه .

وقال السَّرِيُّ : أشتهي أن آكل أكلةً ليس عليَّ فيها تَبِعَةٌ[٥] ، ولا لأحد عليَّ فيها مِنَّة ، فما أجدُ إلى ذلك سبيلاً .

---

(١) في الأصول والمطبوع : أبو الحسن ، وهو أحمد بن محمد الخراساني البغوي الزاهد ، أبو الحسين النوري ، شيخ الطائفة بالعراق ، وأحذقهم بلطائف الحقائق . صحب السرِيَّ السَّقطي وغيره . وكان الجُنَيد يعظّمه . ترجمته ومصادرها في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٧٠) .

(٢) بعدها في ط : فوجد الزهد من يومه . تاريخ بغداد (٩/ ١٨٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٦) .

(٣) « الكُرُّ » : مكيال لأهل العراق ، أو ستون قفيزاً ، أو أربعون إردبًّا .

(٤) في ب ، ظا : قام .

(٥) « التَّبعة » : ما فيه إثم يُتَّبَع به .

وفي رواية : قال : إني لأشتهي البَقْلَ منذ ثلاثين سنة فما أقدِرُ عليه .

وعن السَّرِيِّ أنه قال : احترَقَ سوقُنا ، فقصدْتُ المكانَ الذي فيه دُكّاني ، فتلقَّاني رجل ، فقال : أبشر ، فإنَّ دكَّانَكَ سَلِمَتْ . فقلت : الحمدُ لله . ثم تذكَّرت ذلك التَّحميدَ[١] ، فأنا أستغفر اللهَ منه منذ ثلاثين سنة ، رواها الخطيب[٢] .

وقال السَّرِيُّ : صَلَّيْتُ وِرْدِي ذاتَ ليلةٍ ، ثم مدَدْتُ رجلي في المحراب ، فنُوديتُ : يا سَرِيُّ ! كذا تجالسُ الملوكَ ؟! قال : فضمَمْتُ رِجْلي ، ثم قلْتُ : وعِزَّتِك لا مدَدْتُ رِجْلي أبداً[٣] .

وقال الجُنَيْد بن محمد : ما رأيت أعبَدَ [لله][٤] من السَّرِيّ السَّقَطِيِّ ، أتَتْ عليه ثمانٌ وتسعون سنة ما رُئي مُضطجعاً إلا في علَّةِ الموت[٥] .

وروى الخطيبُ[٦] ، عن أبي نعيم ، عن جعفر الخُلْديّ ، عن الجُنَيْد بن محمد ، قال : دخلْتُ عليه أعودُه ، فقلت : كيفَ تجدُك ؟ فقال :

كيفَ[٧] أشكُو إلى طبيبي ما بي ؟ والـذي قـد أصـابنـي مِـنْ طبيبـي

قال : فأخذْتُ المِرْوَحَةَ أروّحه ، فقال لي : كيف يجد رَوح[٨] المِرْوَحةِ مَنْ جَوْفُه يحترِقُ من داخل ؟ ثم أنشأ يقول :

القلـبُ محتـرِقٌ ، والـدَّمْعُ مُستبِقٌ والكَـرْبُ مجتمِـعٌ ، والصَّبـرُ مُفتـرِقُ
كيـفَ القـرارُ علـى مَـنْ لا قَـرارَ لَـه ممَّـا جنـاهُ الهَـوَى والشَّـوقُ والقَلَـقُ
يا ربّ إنْ كان شيءٌ فيه لي فَرَجٌ فـأْمْنُـنْ علـيَّ بـه مـا دامَ بـي رَمَـقُ

قال[٩] : وقلت له : أوصني ، فقال : لا تصحَبِ الأشرارَ ، ولا تشتغِلْ عن الله بمجالسة الأخيار .

---

(١) بعدها في ط : إذ حمدت الله على سلامة دنياي ، وأني لم أواس الناس فيما هم فيه .
(٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٨٨) .
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ١٨٧) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٥) .
(٤) من ب .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٦) .
(٥) تاريخ بغداد (٩/ ١٩٢) .
(٦) تاريخ بغداد (٩/ ١٩١) .
(٧) في آ : أنا وسقطت في ب ، ظا .
(٨) في آ ، ظا : ريح .
(٩) أي الجنيد ، وانظر تاريخ بغداد (٩/ ١٩١) ، وصفة الصفوة (٢/ ٣٨٥) .

وقد ذكر الخطيب[١] وفاته يوم الثلاثاء لستٍّ خَلَوْنَ من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومئتين ، بعد أذان الفجر ، ودفن بعد العصر . [قال : ودفن][٢] بمقبرة الشُّونيزيّ ، وقبره ظاهر معروف ، وإلى جنبه قبر الجُنَيْد .

وروى[٣] عن القاضي عن أبي عبيد بن حربويه ، قال : رأيت سَرِيًّا في المنام فقلت : ما فعلَ الله بك ؟ فقال : غفَرَ لي ولكُلِّ من شهد جنازتي . فقلت : فإنِّي ممَّن حضر جنازتك وصَلَّى عليك . قال : فأخرَجَ درجاً ، فنظَرَ فيه فلم يَرَ اسمي فيه ، فقلت : بلى ! قد حضرت [جنازتك ، فنظر][٤] ، فإذا اسْمِي في الحاشية .

وحكى ابن خلكان[٥] قولاً : أنَّ سَرِيًّا توفي سنة إحدى وخمسين . وقيل : سنة ست وخمسين ، فالله أعلم . قال ابن خلكان[٦] : ومما كانَ ينشده السَّريُّ ، رحمه الله :

إذا ما شكَوْتُ الحبَّ قالتْ كَذَبْتَني فما لي أرَى الأعْضَاءَ منك كَواسيا
فلا حُبَّ حتَّى يَلْصَقَ الجِلدُ بالحَشَا وتَـذْهَـلَ حتَّـى لا تُجيـبَ المنـادِيـا

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومئتين

فيها أمر الخليفة المعتزُّ بقتل بُغَا الشرابيّ ، ونصب رأسه بسامُرَّاء ، ثم ببغداد ، وحرّقت جثته [بالنار][٧] ، وأخذت أمواله وحواصله .

وفيها : ولي أحمد بن طولون الدِّيار المصريّة ، وهو باني الجامع المشهور بها .

وحجَّ بالناس فيها علي بن الحسين بن إسماعيل بن العبَّاس بن محمّد .

وتوفي فيها من الأعيان :

زياد بن أيوب الحَسَّانيّ[٨] .

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ١٩٢) .
(٢) من ب ، ظا .
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ١٩٢) .
(٤) من ب ، ظا .
(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٩) .
(٦) وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٩) .
(٧) زيادة من ب ، ظا .
(٨) كذا هو في الأصول ، ولعله زياد بن يحيى بن زياد بن حسَّان بن عبد الله الحَسَّانيّ ، أبو الخطاب النُّكريّ ، العَدَني ، البَصريّ . ذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب الكمال (٩/ ٥٢٣) .

وعلي بن محمد [بن علي][(١)] بن موسى الرضا[(٢)] ، يوم الإثنين لأربع بَقين من جمادى الآخرة ببغداد ، وصلَّى عليه أبو أحمد بن المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد ، ودفن بداره ببغداد .

ومحمد بن عبد الله المُخَرِّمي[(٣)] .

ومُؤمّل بن إهاب[(٤)] .

وأبو الحسن عليّ الهادي[(٥)] : ابن محمد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن عليّ بن أبي طالب . أحدُ الأئمة الاثني عشر ، وهو والد الحسن بن عليّ العسكريّ المنتظَر عند الفرقة الضَّالّة الجاهلة الكاذبة الخاطئة .

وقد كان عابداً زاهداً ، نقله[(٦)] المتوكِّل إلى سامُرَّا فأقام بها أزيدَ من عشرين سنةً بأشهر . ومات بها في هذه السنة .

وقد ذُكِرَ للمتوكِّل أنَّ بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرةً من الناس ، فأرسل فكَبَسه ، فوجدوه جالساً مستقبل القِبْلَة وعليه مِدْرَعة من صوفٍ ، وهو على بسيط الأرض ليس دونها حائلٌ ، فأخذوه كذلك فحملوه إلى المتوكِّل وهو على شرابه ، فلمَّا مَثَلَ بين يديه أجلَّه وأعظمَه وأجلسه إلى جانبه ، وناوله الكأس الذي في يده ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ! إنَّه لم يخالط لحمي ودمي قطّ ، فاعْفِني منه ، فأعفاه ، ثم قال له : أنشدني شعراً ، فأنشده[(٧)] :

باتوا على قُلَلِ الأجبال تحرُسُهُمْ غُلْبُ الرِّجال فما أغنتهُمُ القُلَلُ[(٨)]
واستُنزِلوا بعدَ عِزٍّ عن مَعاقِلِهِمْ فأودِعُوا حُفَراً يا بئسَ ما نَزَلُوا

---

(١) زيادة من ب ، ظا .
(٢) سيترجم له المؤلف بعد قليل .
(٣) أبو جعفر القرشي مولاهم البغدادي المخرِّمي المدائني ، قاضي حلوان . روى عن وكيع وطبقته . وكان من كبار الحفاظ . ثقة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٥) ، العبر (٢/ ٦) .
(٤) مؤمَّل بن إهاب بن عبد العزيز الربعي ، العجلي ، أبو عبد الرحمن الكوفي . نزل الرملة ومصر ، وهو كرماني الأصل ، روى عن ضمرة بن ربيعة ويحيى بن آدم وطبقتهما . ذكره ابن حبان في الثقات . مات في الرملة . تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٨٢) ، العبر (٢/ ٧) .
(٥) له ترجمة في وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٢) ، ومنهاج السنة (٢/ ١٢٩) ، وتاريخ بغداد (١٢/ ٥٦) ، ونزهة الجليس (٢/ ٨٢) .
(٦) في آ : انتقله .
(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٢) ، والبصائر والذخائر (٤/ ٢٢٣) .
(٨) « القُلل » : أعالي الجبال وقلة كل شيءٍ أعلاه .

نادى بهم صارخٌ مِن بعدِ ما قُبِروا[١] أيـنَ الأسِـرَّةُ والتّيجـانُ والحُلـلُ
أيـنَ الـوجـوهُ التـي كـانـتْ منعَّمـةً من دونها تُضربُ الأستارُ والكِلَلُ[٢]
فأفصَحَ القَبْرَ عنهمْ حين ساءَلَهُمْ تلـكَ الـوجُـوهُ عليهـا الـدُّودُ يَقتتِـلُ
قد طالَ ما أكلوا دهراً وماشربوا فأصبَحُوا بعدَ طُولِ الأكْلِ قد أُكِلُوا

قال : فبكى المتوكِّلُ حتّى بلَّ الثرَى ، وبكى مَنْ حولَه بحضرته ، وأمَرَ برفع الشراب ، وأمَر له بأربعة آلاف دينار ، وحالل[٣] منه ، وردَّه إلى منزله مكرَّماً ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومئتين

فيها كانت وقعةٌ بين مُفلِح وبين الحسن بن زيد الطالبيّ ، فهزمه مُفْلِحٌ ودَخَل آمُل طَبَرستان ، وحرق منازل الحسن بن زيد ، ثم سار وراءه إلى الدَّيْلَم .

وفيها : كانت محاربةٌ شديدةٌ بين يعقوب بن الليث وبين عليّ بن الحسين بن قُرَيش بن شِبْل ، فبعث عليّ بن الحسين رجلاً من جهته يقال له : طَوْق بن المغلِّس ، فصابره أكثرَ من شهر ثم ظفر يعقوب بطَوْقٍ ، فأسرَهُ وأَسَرَ وجوه أصحابه .

ثم سار إلى عليّ بن الحسين هذا ، فأسَره أيضاً وأخذ بلاده ، وهي كِرْمان ، فأضافَها إلى ما بيده من مملكة سِجِسْتان .

ثم بعث يعقوب بن الليث بهديّةٍ سنيَّة إلى المعتزّ بالله ؛ دوابّ ، وبُزَاة ، وثيابٍ فاخرة .

وفيها : ولَّى الخليفةُ سليمانَ بن عبد الله بن طاهر نيابة بغداد والسّواد في ربيع الأوّل منها .

وفيها : أخذ صالحُ بن وصيف أحمدَ بن إسرائيل كاتبَ المعتزّ ، والحسنَ بن مخْلد كاتبَ قَبيحة أُمّ المعتزّ ، وأبا نوح عيسى بن إبراهيم ، وكانوا قد تمالؤوا على أكل أموال بيت المال ، فضربهم ، وأخذ خطوطهُم بأموالٍ جزيلةٍ يحملونها ، وذلك بغير رضىً من المعتزّ في الباطن . واحتيط على أموالهم وحواصلهم وضياعهم ، وسُمُّوا الكتّاب الخونة ، وولَّى الخليفةُ عن قهرٍ غيرَهم .

وفي رجب من هذه السنة ظهر عيسى بن جعفر ، وعليّ بن زيد الحسنيّان بالكوفة ، وقتلا بها عبدَ الله بن محمد بن داود بن عيسى ، واستفحل أمرهما بها .

---

(١) في ظ : دفنوا .
(٢) الكلل : مفردها كِلّة وهي الشيء الرقيق .
(٣) قوله : وحالل منه لم يرد في ب ، ظا . وفي ط : وتحلل منه .

موت الخليفة المعتزّ بالله : ولثلاث بَقِين من رجب من هذه السنة خُلِعَ الخليفةُ المعتزُّ بالله ، ولليلتين [مضتا][(١)] من شعبان أظهِرَ موتُه .

وكان سببُ خلْعه أنَّ الجند اجتمعوا ، فطلبوا منه أرزاقهم ، فلم يكن عنده ما يعطيهم ، فسأل من أمّه أن تقرضَه مالاً يدفعهم عنه ، فلم تعطِهِ ، وأظهرَتْ أنَّه لا شيءَ عندها . فاجتمع الأتراك على خلْعه ، فأرسلوا إليه ليخرجَ إليهم ، فاعتذر بأنَّه قد شرِبَ دواءً ، وأن عنده ضعفاً ، ولكن ليدخلْ إليَّ بعضُكم ، فدخَلَ إليه بعضُ الأمراء ، فتناولوه بالدَّبابيس يضرِبونه ، وجرّوا بِرِجْلِه ، وأخرجوه وعليه قميص مخرّق متلطخ بالدَّم ، فأقاموه في وسط دار الخلافة في حَرٍّ شديدٍ ، حتَّى جَعَلَ يراوح[(٢)] بين قدميه من شدَّة الحرّ ، وجعَلَ بعضُهم يلطِمُه وهو يتقي[(٣)] ، ويقول له الضاربُ : اخلعْها والناس مجتمعون ، ثم أدخلوه حجرَةً مضيّقاً عليه فيها . وما زالوا عليه بأنواع العذاب حتَّى خلَعَ نفسه من الخلافة ، فولِّي بعدَه المهتدي بالله ، كما سيأتي .

ثم سلَّموه إلى من يسومُه سوءَ العذاب بأنواع المَثُلات[(٤)] ، ومُنع من الطعام والشراب ثلاثة أيام حتَّى جعل يطلب شَرْبةً من ماء البئر فلم يُسْقَ ، ثم أدخلوه سَرَباً[(٥)] فيه جِصّ ثخين ، فدسُّوه فيه ، فأصبح ميتاً . فاستلّوه من الجِصّ سليمَ الجسَدِ ، فأشهدوا عليه جماعةً من الأعيان أنَّه مات وليس به أثرٌ .

وكان ذلك في اليوم الثاني من شعبان من هذه السنة ، وكان يوم السبت . وصلَّى عليه المهتدي بالله ، ودفن عند أخيه المنتصر إلى جانب قصر الصّوامع ، عن أربع وعشرين سنة .

وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً . وكان طويلاً ، جسيماً ، وسيماً ، أقنى الأنف ، مدوَّر الوجه ، حسنَ الضحك[(٦)] ، أبيضَ ، أسودَ الشعر جَعْده كثيفه ، كثيفَ اللحية ، حسن العينَيْن والوجه ، ضيّق الجبين ، أحمر الوجنتين ؛ رحمه الله .

وقد أثنى الإمام أحمد بن حنبل على جودة ذهنه وحسن فهمِه وأدبه حين دخلَ عليه في حياة أبيه المتوكِّل ، كما قدمنا[(٧)] في ترجمة الإمام أحمد .

---

(١) زيادة من ب .
(٢) في آ ، ظا : يراوح . وراوح بين قدميه : قام على كُلّ منهما مرَّةً .
(٣) في آ ، ط : يبكي ، والمثبت من ب ، ظا . وفي الطبري : يتقي بيده .
(٤) أي بأنواع العقوبات .
(٥) « السَّرَب » : بفتحتين : بيت في الأرض .
(٦) في ب ، ظا : المضحك .
(٧) تقدم في حوادث سنة ٢٤١هـ .

وروى الخطيبُ البغداديّ(١) عن عليّ بن حرب ، قال : دخلت على المعتزّ بالله ، فما رأيت خليفة أحسن وَجْهاً منه ، فلما رأيتُه سجدْتُ ، فقال : يا شيخ ، تسجد لأحدٍ من دون الله ؟.

فقلت : حدَّثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد النَّبيل ، حدثنا بكار بن عبد العزيز بن أبي بَكْرة ، عن أبيه ، عن جده : أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا رأى ما يفرحُ به ، أو بُشِّرَ بما يُسرُّ به ، سجَدَ شكراً لله عزَّ وجلّ(٢) .

وقال الزّبير بن بكار : سرتُ إلى المعتز وهو أمير ، فلمَّا سمع بقدومي خرج مستعجلاً إليَّ فعثر ، فأنشأ يقول(٣) :

يَمُـوتُ الفَتَـى مِـنْ عَثْـرةٍ بِلِسَـانِـهِ　　　وليسَ يموتُ المرءُ مِنْ عَثْرةِ الرِّجْلِ
فَعَثْـرَتُـه مِـنْ فيـهِ تَـرْمِـي بـرأسِـهِ　　　وعَثْـرَتُـه بـالـرِّجْـلِ تُبْـرَا علـى مَهْـلِ

وذكر الحافظُ ابنُ عساكر(٤) : أنَّ المعتزَّ لمَّا حَذَقَ القرآنَ في حياة أبيه المتوكِّل ، اهتمَّ أبوه لذلك ، واجتمعت الكبراء والأمراء والرؤساء بسُرَّ مَنْ رأى ، واحتفلوا لذلك أياماً عديدة ، وجرَتْ أحوالٌ عظيمة . ولمَّا جلس الصَّبيُّ على المنبر ، وسلَّم على أبيه بالخلافة ، وخَطَبَ الناسَ ، نُثِرَت الجواهرُ في الصواني والذَّهب والدَّراهم على الخواصّ والعوامّ بدار الخلافة ، فكان قيمةُ ما نُثِرَ من الجوهر ما يساوي مئة ألف دينار ، ومثلها ذهباً ، وألف ألف درهم ، غير ما كان من خِلَعٍ وأسمطة وأقمشة مما يفوت الحصر ، وكان وقتاً مشهوداً لم يكن سرور بدار الخلافة أبهَجَ منه ولا أحسَنَ . وخلع الخليفةُ على أُمِّ ولده المعتزِّ ، وهي : قبيحة ، خلعاً سنية ، وأعطاها وأجزل العطاء ، وكذلك على مؤدِّب المعتزّ ، وهو محمد بن عمران ، من الجوهر والذَّهب وغير ذلك شيئاً كثيراً جدًّا .

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٢٤) ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ، ومختصره لابن منظور (٩/ ٨) ، وترجمة المعتز بالله لم تطبع فيما طبع من تاريخ ابن عساكر .

(٢) ورواه أيضاً أبو داود في سننه رقم (٢٧٧٤) في الجهاد ، باب في سجود الشكر ، والترمذي في سننه رقم (١٥٧٨) في الجهاد باب ما جاء في سجدة الشكر ، من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه ، ورواه ابن ماجه في سننه رقم (١٣٩٢) في إقامة الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر ، من حديث أنس بن مالك .
وفي الباب أحاديث كثيرة عن جابر ، وابن عمر ، وجرير ، وأبي جحيفة ، وقال المنذري : وقد جاء حديث سجدة الشكر من حديث البراء بن عازب ، ومن حديث كعب بن مالك وغير ذلك . فالحديث صحيح بطرقه وشواهده .
قال الترمذي : والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم رأوا سجدة الشكر .

(٣) الأول في تاريخ بغداد (٢/ ١٢٥) ، وهما في وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٩) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٩/ ٩) ، مع اختلاف في الرواية .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر (٩/ ٧) . ولم تطبع بعد ترجمة ابن المعتز في تاريخ ابن عساكر .

خلافة المهتدي بالله

أبي عبد الله محمد بن الواثق بن المعتصم ، وكانت بيعته يوم الأربعاء لليلة[١] بقيت من رجب من هذه السنة بعد خلْع المعتزِّ نفسه بين يديه وإشهاده على نفسه بأنه عاجز عن القيام بأمر الخلافة ، وأنَّه قد رغِبَ إلى من يقوم بأعبائها : محمد بن الواثق بالله ، ثم مَدَّ يده فبايعه قبلَ الناس كلِّهم ، ثم بايعه الخاصّة ، ثم كانت بيعة العامّة . وكتب على المعتزِّ كتاباً أشهد عليه فيه بالخلْع والعجز والمبايعة للمهتدي .

وفي آخر يومٍ من رجب هذا وقع ببغداد فتنة هائلة ؛ وثبت العامّة على نائبها سليمان بن عبد الله بن طاهر ، ودعوا إلى بيعة أبي أحمد بن المتوكِّل ، وذلك لعدم علم أهل بغداد بما وقع بسامُرّا من بيعة المهتدي بالله بن الواثق ، وقُتل من أهل بغداد وغَرِق منهم خلْق كثير ، ثم لمَّا بايع الناس بيعة العامّة للمهتدي بالله في سابع شعبان ، وبلغ أهلَ بغداد ذلك ، سكتوا واستقرَّت الأمور واستقل المهتدي بالخلافة ، ولله الحمد .

وفي رمضان من هذه السنة ظهر عند قبيحة أُمِّ المعتزِّ أموالٌ عظيمة ، وجواهرُ نفيسة ؛ كان من جملة ذلك ما يقارب ألفي ألف دينار ، ومن الزمرّد الذي لم يُرَ مثله مقدار مَكُّوك[٢] ، ومن الحبّ الكبار مكُّوك ، وكَيْلَجَة ياقوت أحمر مما لم يُرَ مثله أيضاً .

وقد كانت قبل ذلك مختفية عند صالح بن وصيف ، ثم نزعت[٣] عنه ، فكانت تدعو عليه ؛ تقول : اللهم ! اخز صالح بن وصيف كما هتك ستري ، وقتل ولدي ، وبدّد شملي ، وأخذ مالي ، وغرّبني عن بلدي ، وركب الفاحشة مني .

هذا وقد كان الأتراك قد طلبوا من ابنها المعتزّ خمسين ألفَ دينار تُصرف في أرزاقهم ، وضمِنوا له أن يقتلوا صالحَ بن وصيف ، فلم يكن عنده من ذلك شيء ، فطلب من أمِّه قَبيحة ـ قَبَّحها الله ـ فامتنعت أن تقرضه ذلك ، فأظهرت أنَّه لا شيء عندها . ثمَّ ظهر عندها من الأموال ما ذكرنا . وكان لها من الغلات في كُلِّ سنة ما يعدل عشرة آلاف ألف دينار .

واستقرَّت الخلافة للمهتدي بالله . وكان ـ ولله الحمد ـ خليفةً صالحاً ؛ قال يوماً للأمراء : إنِّي ليست لي أمٌّ لها من الغلات[٤] ما يقاوم عشرة آلاف ألف دينار ، ولست أريد إلا القوت فقط ، لا أريد فضلاً على ذلك إلَّا لإخوتي ، فإنَّهم قد مسَّتْهم الحاجة .

---

(١) في آ : لليلتين بقيتا ، وفي ب ، ظا : لثلاث بقيت ، وأثبت ما جاء في ط والطبري وابن الأثير .

(٢) « المكُّوك » : مكيال ، وهو ثلاث كَيْلجات ، والجمع مكاكيك وهو يعادل (٤) ليترات تقريباً .

(٣) في ب ، ظا : نزحت ، وفي ط : تزوجت به .

(٤) في ب ، ظا : الغلة .

وفي يوم الخميس لثلاث بَقِين من رمضان أمَرَ صالح بن وصيف بضرب أحمد بن إسرائيل الذي كان وزيراً ، وأبي نوح عيسى بن إبراهيم الذي كان نصرانياً فأظهر الإسلام ، وكان كاتبَ قَبيحةَ ، فضربَ كلّ واحدٍ منهما خمسمئة سوطٍ ، بعد استخلاص أموالهما ، ثم طِيفَ بهما على بغْلَين منكّسين ، فماتا وهما كذلك . ولم يكن ذلك عن رضى المهتدي بالله ، ولكنه لا يقدر على الإنكار على صالح بن وصيف في باديء الأمر .

وفي رمضان هذا وقعت فتنةٌ ببغداد أيضاً ، بين محمد بن أوس ومن تبعه من الشاكرية والجند وغيرهم ، وبين العامّة والرَّعاع ، فاجتمع من العامَّة نحو من مئة ألفٍ ، وكان بين الناس قتال بالنّبال والرماح والسيوف ، وقتل خلْق كثير ، ثم انهزم محمد بن أوس وأصحابُه ، فنَهبت العامَّةُ ما وجدوا من أمواله ، فكان منه شيء يعدل ألفي ألف [درهم][1] أو نحو ذلك . ثم اتفق الحال على إخراج محمد بن أوس من بغداد إلى أينما أراد من سائر البلاد ، فخرج منها خائفاً طريداً ؛ وذلك لأنَّه لم يكن عند النَّاس مرضيَّ السّيرة ، بل كان جبّاراً عنيداً ، وشيطاناً مريداً .

وأمر الخليفةُ المهتدي بالله بإخراج[2] القيان والمغنين من سامُرّا ، وأمر بقتْل السّباع التي في دار السلطان ، والكلاب[3] المعدّة للصيد أيضاً ، وإبطال الملاهي ، وردِّ المظالم ، وجلس للعامة . وكانت ولايته والدّنيا كلُّها من أرض الشام[4] مفتونة .

ثم استدعى الخليفة المهتدي موسى بن بُغَا الكبير ليتقوّى به على مَنْ عنده من الأتراك ؛ لتجتمع كلمة الخلافة ، واعتذر من استدعى به بما هو فيه من الجهاد بتلك البلاد .

ذكر خارجيّ آخر ٱدَّعى أنَّه من أهل البيت بالبصرة

وفي النصف من شوَّال من هذه السنة ظهر رجلٌ بظاهر البصرة ، زعم أنَّه عليّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، ولم يكن صادقاً في دعواه هذا النسب ، وإنما كان عبقسيّاً من عبد القيس ، واسمُه عليّ بن محمد بن عبد الرحيم ، وأمُّه قرَّة[5] بنت عليّ بن رحيب بن محمد بن حكيم ، من بني أسد بن خُزَيمة ، وأصله من قرية من قرى الرَّيّ ؛ قاله ابنُ جرير[6] .

---

(١) من الطبري .
(٢) في آ : أن تنفى القينات والمغنيين وفي ب ، ظا : أن ينفى القيان والمغنون ، وأثبتت عبارة الطبري .
(٣) في الطبري وابن الأثير : وطرد الكلاب .
(٤) في الطبري : الإسلام . وعبارة ابن الأثير : ولمّا ولي كانت الدنيا كلها بالفتن منسوخة ، وفي نسخ منه مشحونة .
(٥) في آ : فروة .
(٦) الطبري (٩/ ٤١٠) ، وفيه : قرية من قرى الرَّي يقال لها : وَرْزَنين .

قال[١] : وقد خرج في سنة تسع وأربعين ومئتين ، فادَّعى أنَّه عليّ بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عُبيد الله[٢] بن عباس بن عليّ بن أبي طالب ، فدعا الناس بهَجَر إلى طاعته ، فاتبعه جماعة من أهلها ، فوقع بسببه قتالٌ كثير ، وفتن كبار ، وحروب كثيرة منتشرة .

ولمَّا خرج خَرْجتَه هذه[٣] التفَّ عليه خلْق من الزَّنج الذين كانوا يكسَحُون السِّباخَ[٤] ، فعبر بهم دِجلة ، فنزل الدِّيناريّ . وكان يزعم لبعض الجهلة من أتباعه : أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة ، وكان يدَّعي أنه حفظ سوراً من القرآن في ساعة واحدةٍ جرى بها لسانه لا يحفظها غيرُه في مدة ، وهنّ سبحان والكهف وصٓ . وزعم أنه فكَّر يوماً وهو في البادية إلى أي البلاد يسير[٥] ، فخوطب من سحابة أن يقصد إلى البصرة فقصدها ، ولمَّا اقترب منها وجَدَ أهلها مفترقين على شعبتين ؛ سعديّة ، وبلالية ، فطَمِع أن ينضمَّ إلى إحداهما ، فيستعين بها على الأخرى ، فلم يقدر على ذلك ، فارتحل إلى بغداد ، فأقام بها سنةً ، انتسب بها إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد ، وكان يزعم بها أنَّه يعلم بما في ضمائر أصحابه ، وأنَّ الله يعلمه بذلك ، فتبعه على ذلك جَهَلَةٌ من الطَّغام ، وطائفة من رَعاع العوام .

ثم عاد إلى أرض البصرة في رمضان من هذه السنة ، فاجتمع معه بشر كثير ، ولكن لم يكن معهم عُدد ، يقال : إنه تقدَّم إليهم جيش من ناحية البصرة فالتقوا جميعاً ، فلم يكن في جيش هذا الخارجيّ سوى ثلاثة أسياف ، ومع هذا هزموا عدوَّهم ، وكانوا في أربعة آلاف مقاتل .

ثم مضى نحو البصرة بمن معه ، فأهدى له رجل من أهل جُبَّى فرساً فلم يجد لها سَرْجاً ولا لجاماً ، فألقى[٦] عليها حبلاً وركبها ، وشنق حنكها بليف . ثم صادر رجلاً فتهدَّده بالقتل ، فأخذ منه مئة[٧] وخمسين ديناراً وألف درهم ، فكان هذا أوَّلَ مالٍ غنمه من هذه البلاد ، وأخذ من آخر ثلاثة بَراذين[٨] ، وأخذ من موضع آخر شيئاً من الأسلحة والأمتعة ، ثم سار في جيشٍ قليل بلا سلاح وخيول ، ثم جرت بينه وبين جيوش من جهة نائب البصرة وقَعات متعددة ، يهزمهم[٩] فيها ، وكلما لاموه يقوى ، ويتزايد أصحابه ، ويعظم جيشه ، وهو مع ذلك لا يتعرَّض لأموال الناس ، وإنَّما يريد أخذ أموال السّلطان .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) في ط : « عبد الله » ، خطأ .
(٣) بعدها في ط : الثانية بظاهر البصرة .
(٤) « السَّبَخة » : أرض ذات ملح ونَزٍّ ، وجمعها سِباخ .
(٥) في آ : أسير ، وفي ب ، ظا : يصير ، والمثبت من (ط) .
(٦) عبارة الطبري : فركبه بحبل ، وسَنَفه بليف .
(٧) في الطبري (٩/٤١٧) : فأتاه بمئتي دينار وخمسين ديناراً وألف درهم .
(٨) « البَراذين » : جمع بِرْذَوْن ، وهو ضرب من الدوابّ يخالف الخيل العِراب ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء .
(٩) في آ : يهزموهم .

وقد انهزم أصحابه في بعض تلك الحروب هزيمة فظيعة ، ثم تراجعوا إليه ، واجتمعوا عليه ، ثم كرُّوا على أهل البصرة ، فهزموهم ، وقتلوا منهم خلْقاً وأسروا آخرين ، فكان لا يؤتى بأحدٍ من الأسرى إلا قتله . ثمَّ قوي أمره بعد ذلك وخافه أهل البصرة ، وبعث الخليفة إليها مدداً يكونون لهم على صاحب الزَّنج هذا الخارجيّ ، قبَّحه الله . ثم أشار عليه رؤوس أصحابه أن يهجم بهم على أهل البصرة فيدخلوها عَنْوَةً ، فهجَّن آراءهم ، وقال : بل نكون منها قريباً حتَّى يكونوا هم الذين يطلبوننا إليها ، ويخطبوننا عليها .

وسيأتي ما كان من أمره وأمر أهل البصرة في السنة المستقبلة إن شاء الله تعالى .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عليّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

الجاحظ المتكلِّم المعتزليّ(١) : وإليه تُنسَبُ الفرقة الجاحظيّة . وهو أبو عثمان عَمرو بن بَحْر بن مَحْبُوب الكِنانيّ الليثي ، المعروف بالجاحظ ؛ لجحوظ(٢) عينيه ، ويقال له الحَدقيّ ، وكان شنيعَ المنظر ، سيء المخبر ، رديء الاعتقاد ، ينسب إلى البدعة ، وربما جاز(٣) به بعضهم إلى الانحلال حتى يقال في المثل : يا ويحَ من كفره ككفرِ الجاحظ ، والله أعلم بحاله .

وكان بارعاً فاضلاً قد أتقن علوماً كثيرةً ، وصنَّف كتباً جمَّة تدل على قوَّة ذهنه وجودة تصرُّفه . ومن أجلِّ كتبه : كتاب « الحيوان » ، وكتاب « البيان والتبيين » .

قال ابن خلكان(٤) : وهما أحسن مصنفاته وأمتعها . وقد أطال ترجمته بحكايات ذكرها عنه . وذكر أنه أصابه الفالج في آخر عمره ، وحكى أنه قال : أنا من جانبي الأيسر مفلوجٌ ، لو قُرِضَ بالمقاريض ما علِمْتُ به ، ومن جانبي الأيمن مُنَقْرسٌ(٥) لو مرَّت به الذُّبابة لألِمْتُ ، وبي حصاةٌ ، وأشدُّ ما عليَّ ستٌّ وتسعون سنةً . وكان ينشد(٦) :

أتَـرْجُـو أنْ تَكُـونَ وَأنْـتَ شَيْـخٌ كَمـا قَـدْ كُنْـتَ أيَّـامَ الشَّبـابِ

---

(١) له ترجمة في الفهرست (٢٠٨) ، أمالي المرتضى (١/ ١٩٤) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٢١٢) ، نزهة الألباء (١٣٢) ، معجم الأدباء (١٦/ ٧٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦) .

(٢) في بعض النسخ : لسوء .

(٣) في ب ، ظا : جاوز .

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٤٧١) .

(٥) « منقرس » : مصاب بالنقرس .

(٦) تاريخ بغداد (١٢/ ٢١٩) ، ومعجم الأدباء (١٦/ ١١٣) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٧٣) .

لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبٌ دَرِيسٌ[١] كَالجَدِيدِ مِنَ الثِّيَابِ

وعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدَّارِميّ[٢] ، صاحب الكتاب المشهور ، وقد سمعناه بعلو .

وعبد الله بن هاشم الطُّوسيُّ[٣] .

والخليفة أبو عبد الله محمد المعتزّ بالله بن جعفر المتوكِّل على الله ، في رجب ، كما تقدَّم .

ومحمد بن عبد الرحيم ، الملقب : صَاعِقَة[٤] .

ومحمّد بن كَرَّام[٥] : المتكلِّم الذي تنسب إليه الفرقة الكَرَّاميَّة . وقد نُسب إليهم[٦] جواز وضع الأحاديث . وهو محمد بن كَرَّام ـ بفتح الكاف وتشديد الراء ، على وزن جَمَّال ـ بن عراق [ابن حزابة][٧] بن البراء ، أبو عبد الله السِّجِسْتانيّ العابد ، يقال : إنه من بني تراب[٨] . ومنهم من يقول : محمد بن كِرَام ، بكسر الكاف وتخفيف الراء ، كجمع كريم .

وفرَّق البيهقيّ بينهما ، فجعل الذي تنسب إليه الكرّاميّة ، بفتح الكاف وتشديد الراء ، وهو الذي سكن بيت المقدس إلى أن مات [بها][٩] . وجعل الآخر شيخاً من أهل نيسابور .

والصحيح الذي يظهر من كلام الحاكم أبي عبد الله الحافظ ، والحافظ ابن عساكر أنهما واحد .

روى ابن كَرَّام عن عليّ بن حجر ، وعليّ بن إسحاق الحنظليّ السَّمرقنديّ ؛ سمع منه التفسير عن محمد بن مروان عن الكلبي ، وإبراهيم بن يوسف الماكيانيّ ، ومالك بن سليمان الهرويّ ، وأحمد بن

---

(١) « الدَّريس من الثياب » : البالي .

(٢) أبو محمد التّميمي ، ثم الدَّارمي السمرقندي ، أحد الأعلام ، صاحب المسند المشهور ، رَحَل وطوَّف ، وسمع النَّضْر بن شُميل وزيد بن هارون وطبقتهما . أظهر علم الحديث بسمرقند .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٤) ، العبر (٢/ ٨) .

(٣) أبو عبد الرحمن الطوسي المولد ، النيسابوري الوطن . سمع سفيان بن عيينة ، ووكيعاً ، وعدة . حافظ متقن ثقة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٢٨) ، تهذيب الكمال (لوحة ٧٥٠) .

(٤) أبو يحيى ، العدويّ العمريّ مولاهم ، الفارسي ثم البغدادي ، البزّاز . قيل : سمي صاعقة؛ لأنه كان جيّد الحفظ .
قال الخطيب : كان متقناً ضابطاً عالماً حافظاً .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٩٥) العبر (٢/ ١٠) .

(٥) له ترجمة في الملل والنحل (١/ ١٥٨) وتاريخ دمشق (٥٥/ ١٢٧) ، اللباب (٣/ ٨٩) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٢١) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٣) ، الوافي بالوفيات (٤/ ٣٧٥) .

(٦) في ط : إليه .

(٧) زيادة من ب ، ظا .

(٨) في ب ، ظا : نزار .

(٩) زيادة من ب ، ظا .

حرب ، وعُتَيْق بن محمد الحَرَشي[(١)] ، وأحمد بن الأزهر النَّيْسَابوريّ ، وأحمد بن عبد الله الجُوَيْباري[(٢)] ، ومحمد بن تميم الفاريابي ، وكانا كذابين وضاعَين ـ وغيرهم .

وعنه : محمد بن إسماعيل بن إسحاق ، وأبو إسحاق إبراهيم بن سفيان ، وعبد الله بن محمد القيراطي ، وإبراهيم بن الحجاج النيسابوري .

ذكر الحاكم أنه حبسه محمد بن طاهر بن عبد الله ، وطال حبسه فكان يتأهبُ لصلاة الجمعة[(٣)] ، فيمنعه السجَّان ، فيقول : اللهم ! إنك تعلم أنَّ المنع من غيري .

وقال غيره : أقام ببيت المقدس أربع سنين ، وكان يجلس للوعظ عند العمود[(٤)] الذي عند مشهد[(٥)] عيسى عليه السلام ، واجتمع عليه خلْق كثيرٌ ، ثم تبيَّن لهم أنه يقولُ : إنَّ الإيمان قول ، فترَكَهُ أهلُها ، ونفاه متولّيها إلى غور زغر ، فمات بها ، ونقل إلى بيت المقدس . وكانت وفاته في صفر من هذه السنة .

وقال الحاكم : توفي ببيت المقدس ليلاً ، ودفن بباب أريحا عند قبور الأنبياء عليهم السلام ، وله ببيت المقدس من الأصحاب نحو من عشرين ألفاً .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومئتين

في صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من المحرّم قدم موسى بن بُغَا الكبير إلى سامُرَّا ، فدخلها في جيشٍ هائلٍ قد عبَّأه ميمنةً وميسرة وقلباً وجناحين ، فقصد[(٦)] دار الخلافة التي فيها المهتدي جالس[(٧)] للعامّة ؛ لكشف المظالم ، فاستأذنوا[(٨)] عليه ، فتمادى الإذن ساعةً ، وتأخَّر عنهم ، فظنُّوا في أنفسهم أنَّ الخليفة إنَّما طلبهم خديعة منه ؛ ليسلِّط عليهم صالحَ بن وصيف ، فدخلوا عليه هجماً فجعلوا يتراطنون[(٩)]

---

(١) في ط : « الجسري » ، محرف . وتنظر ترجمته في إكمال ابن ماكولا (٦/ ١١٢) ، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٦/ ١٧٥) .
(٢) نسبة إلى قرية من قرى هراة واسمها جُويبار ، وهو الكذاب الخبيث أبو علي ، أحمد بن عبد الله بن خالد التميمي الجويباري الهروي ، يروي عن ابن عيينة ووكيع ، ويضع عليهما الكثير . اللباب (١/ ٣١٣) .
(٣) بعدها في ط : ويأتي إلى السجان فيقول : دعني أخرج إلى الجمعة ، فيمنعه . . .
(٤) في النسخ : العامود .
(٥) في ب ، ظا : مهد .
(٦) في ط : فأتوا .
(٧) في ب ، ظا : والخليفة جالس للعامّة .
(٨) في ب ، ظا : فاستأذنوه .
(٩) في آ : يراطنوهم وفي ظ : يتراطنون عليه ، وأثبت ما جاء في (ب) . و « التراطن » : التخاطب بالأعجمية .

بالتركي ، ثم عزموا فأقاموه من مجلسه ، وانتهبوا ما كان فيه ، ثم أخذوه مهاناً إلى دارٍ أخرى ، فجعل يقول لموسى بن بُغَا : مالك ويحك ! إنِّي إنما جئت بك لأتقوَّى بك على صالح بن وصيف . فقال [له موسى][1] : لا بأس عليك ، احلفْ لي أنك لا تريد لي خلافَ ما أظهرت . فحلَفَ له الخليفة ، فطابت أنفسهم ، وبايعوه بيعةً ثانيةً مشافهةً ، وأخذوا عليه العهودَ والمواثيقَ أن لا يمالىءَ صالحاً عليهم ، واصطلحوا على ذلك .

ثم بعثوا إلى صالح بن وصيف ليحضرهم للمناظرة في أمر المعتزِّ ومَنْ قَتَلَه صالحُ بن وصيف من الكتَّاب وغيرهم ، فوعدهم أن يأتيهم ، ثم اجتمع بجماعةٍ من الأمراء من أصحابه ، وأخذ يتأهَّبُ لجمع الجيوش عليه ، ثم اختفى من ليلته فلم يدرِ أحدٌ أين ذهب في تلك الساعة ، فبعثت المنادية عليه في أرجاء البلد ، وتُهدِّدَ من أخفَاه ، فلم يزل في خفاءٍ إلى أواخر صفر على ما سنذكر .

ورُدَّ سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى نيابة بغداد .

وسُلِّم الوزير عبد الله بن محمد بن يَزداد إلى الحسن بن مَخْلَد الذي كان أراد صالح بن وصيف قَتْلَه مع ذينك الرجلين ، فبقي في السِّجن حتى رجع إلى الوزارة .

ولما أبطأ خبرُ صالح بن وصيف على موسى بن بُغَا وأصحابه قال بعضُهم لبعض : اخلعوا هذا الرجل ، يعني الخليفة ، فقال بعضهم : أتقتلون رجلاً صوَّاماً قوّاما ، لا يشرب الخمر[2] ، ولا يأتي الفواحش ؟ والله إن هذا ليس كغيره ، ولا يطاوعكم الناس عليه . وبلغ ذلك الخليفة ، فخرج إلى الناس وهو متقلِّد سيفاً ، فجلس على السرير ، واستدعى بموسى بن بُغَا وأصحابه ، فقال : قد بلغني ما تَمالأتم عليه من أمري ، وإنِّي والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنِّط وقد أوصيت إلى أخي بولدي ، وهذا سيفي ، والله لأضربنَّ به ما استمسك قائمُه بيدي ؛ والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكنَّ أو ليذهبنَّ بها أكثركم . أمَا دِين ؟ أمَا حياء ؟! أما رِعة ؟! كم يكون هذا الإقدام على الخلفاء والجرأة على الله عزَّ وجلَّ ؟! سواء عندكم[3] مَنْ قصد الإبقاءَ عليكم ومن كان إذا بلغه هذا عنكم ، دعا بأرطال الشراب فشربها سروراً بمكروهكم ، واذهبوا فانظروا منزلي ومنازل إخوتي ومَنْ يتصل بي هل فيها من آلات الخلافة أو فرشها شيء غير ما يكون في بيوت آحاد الناس ! ويقولون : إني أعلم علم صالح ، وهل هو إلا كواحدٍ منكم ؟ فاذهبوا فاعلموا علمه ، فابلغوا شفاء نفوسكم منه ، وأمَّا أنا فلست أعلم علمه .

---

(١) زيادة من (ط) .
(٢) في آ : النبيذ .
(٣) في ب ، ظا والطبري : عليكم .

قالوا : فاحلف لنا على ذلك . قال : أمَّا اليمين فإنِّي أبذُلها [لكم][1] ، ولكنِّي أدَّخرها حتَّى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدّلين وأصحاب المراتب في غدٍ إذا صلَّيت صلاة الجمعة . قال : فكأنهم لانوا لذلك قليلاً[2] .

ولمَّا كان يوم الأحد لثمانٍ بَقين من صفر ظفروا بصالح بن وصيف ، فقتل وجيء برأسه إلى المهتدي بالله وقد انفتَلَ من صلاة المغرب ، فلم يزِدْ على أن قال : واروه ، ثم أخذ في تسبيحه وذكره . ولما أصبح الصباح يوم الإثنين رُفع الرأس على رمح ونودي عليه في أرجاء البلد : هذا جزاء مَنْ قتل مولاه . وما زال الأمر مضطرباً حتى تفاقم الأمر وعظم الخطب .

ذكر خلْع المهتدي وولاية المعتمد
أحمد بن المتوكل وإيراد شيء من فضائل المهتدي

لمَّا بلغ موسى بن بُغا أن مساور الشاري قد عاث بتلك الناحية ، ركب إليه في جيشٍ كثيفٍ ومعه مُفْلِح وبايكباك[3] التركي ، فاقتتلوا هم ومساور الخارجي ، فلم يظفروا منه بشيء ، فعجزهم وهرب منهم وأعجزهم ، وقد فعل قبل مجيئهم الأفاعيل المنكرة . والمقصود أنَّ الخليفة المهتدي بالله أراد أن يخالف بين كلمة الأتراك ، فكتب إلى بايكباك : أن يتسلم الجيش من موسى بن بُغا ، ويكون هو الأميرَ على الناس ، وأن يقبلَ بهم إلى سامُرّاء . فلمَّا وصل إليه الكتاب أقرأه موسى بن بُغا ، فاشتدَّ غضبه على المهتدي ، واتفقا عليه ، وقصدا إليه إلى سامُرّا ، وتركا ما كانا فيه . فلمَّا بلغ ذلك المهتدي استخدم من فوره جنداً من المغاربة والفراعنة والأشروسْنيَّة والأرزكشيّة والأتراك أيضاً ، وركب في جيشٍ كثيفٍ ، فلمَّا سمعوا به رجع موسى بن بُغا إلى طريق خراسان وأظهر بايكباك السمع والطاعة ، فدخل في ثاني عشر رجب إلى الخليفة سامعاً مطيعاً ، فلمَّا أوقف بين يديه وحوله الأمراء والسادة من بني هاشم شاورهم فيه ، فقال له صالح بن عليّ بن يعقوب بن أبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ! لم يبلغ أحدٌ من الخلفاء في الشجاعة والإقدام ما بلغْتَ ، وقد كان أبو مسلم الخراساني شرّاً من هذا وأكثرَ جنداً ، ولما قتله أبو جعفر المنصور سكنت الفتنة ، وخَمَدَ صوتُ أصحابه . فأمر عند ذلك المهتدي بالله بضرب عنق بايكباك ، ثم ألقى رأسه إلى الأتراك ، فلما رأوا ذلك أعظموه ، وأصبحوا من الغد مجتمعين على أخيه طغوتيا ، فخرج إليه الخليفة فيمن معه ، فلمَّا التقوا خامرت الأتراك الذين كانوا مع الخليفة إلى أصحابهم ، وصاروا إلباً

(١) زيادة من ط والطبري .
(٢) انظر تاريخ الطبري (٩/ ٤٤١ ـ ٤٤٣) .
(٣) في ب ، ظا والنجوم الزاهرة : باكباك ، وفي الكامل لابن الأثير : بابكيال . وفي سير أعلام النبلاء وتاريخ الخلفاء : باكيال .

واحداً على الخليفة وأصحابه ، فقتل منهم نحو من أربعة آلاف ، ثم حملوا عليهم فهزموهم ، وانهزم المهتدي بالله وبيده السيف صلتاً وهو ينادي : يا أيها الناس ! انصروا خليفتكم . فدخل دار أحمد بن جُمَيل صاحب المعونة ، فوضع فيها سلاحه ، ولبس البياض ، وأراد أن يذهب فيختفي ، فعاجله أحمد بن خاقان فيها ، فأخذه قبل أن يذهب ، ورُمي بسهم ، وطعن في خاصرته وحمل على دابّةٍ وخلفَهُ سائسٌ ، وعليه قميصٌ وسراويلُ حتى حصل[١] في دار أحمد بن خاقان ، فجعل مَنْ هناك يصفَعُونه ويبزُقون في وجهه ، وأخذوا خطَّه بستمئة ألف دينار ، وسلَّموه إلى رجل ، فلم يزل يطأ خصييه حتى مات ؛ رحمه الله . وذلك يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلةً بقيت من رجب .

وكانت خلافته أقلَّ من سنةٍ بخمسة أيام ، وولد في سنة تسع عشرة ، وقيل : سنة خمس عشرة ومئتين . وصلَّى عليه جعفر بن عبد الواحد ودفن بمقبرة المنتصر بن المتوكِّل .

وكان أسمر رقيقاً ، أجْلَى[٢] ، حسن اللحية ، أشهب[٣] ، حسن العينين ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، قصيراً ، طويل اللحية ، يكنى أبا عبد الله .

قال الخطيب[٤] : وكان من أحسن الخلفاء مذهباً ، وأجملهم طريقة ، وأظهرهم ورعاً ، وأكثرهم عبادة . وإنَّما روى حديثاً واحداً ، ثم أسند عنه . قال : حدَّثني عليّ بن أبي هاشم بن طِبْرَاخ[٥] ، عن محمد بن الحسن الفقيه ، عن ابن أبي ليلى ، عن داود بن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قال العباس : يا رسولَ الله ! ما لنا في هذا الأمر ؟ قال : « لي النبوة ولكم الخلافة ، بكم يفتح هذا الأمر وبكم يختم » . وقال للعباس : « من أحبك نالته شفاعتي ، ومن أبغضك لا نالته شفاعتي »[٦] .

---

(١) في ظا : صار .

(٢) « الأجلى » : الحسن الوجه .

(٣) الأشهب : الذي حال لونه وتلوَّح من برد أو حرّ . وفي الطبري : أشْهَل ، وهو الذي شهلت عينه ، وهو اختلاط أحد اللونين بالآخر . و « الشَّهل » : أن يشوب إنسانَ العين حمرةٌ .

(٤) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٨) .

(٥) في آ : علي بن هاشم بن طراح ، وفي ب ، ظا : علي بن هاشم طباخ ، وفي تاريخ بغداد علي بن هاشم بن طَبْراخ . وهو علي بن أبي هاشم عبيد الله بن طِبْرَاخ البغدادي ، صدوق ، تكلم فيه للوقف في القرآن . وتقريب التهذيب (٢/ ٤٥) . كما في تهذيب التهذيب (٧/ ٣٩٣) .

(٦) هو في تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩) . قال بشار : وهو خبر باطل وإسناد تالف ، وسيماء الوضع ظاهرة عليه ، داود بن علي بن عبد الله بن عباس ضعيف ، ومحمد بن عمر الجعابي ، كان فاسقاً رقيق الدين لا يتورع . وقد تفرد الخطيب برواية هذا الحديث من طريق الجعابي .

وروى الخطيب[١] : أنَّ رجلاً استعدى المهتدي على خصمه[٢] ، فحكم بينهما بالعَدْلِ ، فأنشأ الرجلُ يقولُ :

حَكَّمْتُمُـوه فقضـى بينكُـمْ[٣] أبْلَـجُ مثـلُ القَمَـرِ الـزَّاهـرِ
لا يقبَـلُ الـرِّشْوَةَ فـي حُكْمِـهِ ولا يُبَـالـي غَبَـنَ الخـاسـرِ

فقال له المهتدي بالله : أمَّا أنت أيُّها الرَّجُلُ فأحسَنَ اللهُ مقالتك ، وأمَّا أنا فإنِّي ما جلست حتَّى قر أت قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] . قال : فبكَى الناس حوله ، فما رؤي أكثر باكياً من ذلك اليوم .

وقال بعضُهم : سَرَدَ[٤] المهتدي الصَّوْمَ منذ ولي إلى أن قتل ، رحمه الله .

وكان يحب الاقتداء بما سلكه عمرُ بن عبد العزيز الأموي في أيام خلافته ، من الورع والتقشّف وكثرة العبادة وشدة الاحتياط[٥] .

وقال أحمد بن سعيد الأمويّ : كنا جلوساً بمكَّة وعندي جماعة يبحثون في النَّحو وأشعار العرب ، إذ وقف علينا رجلٌ نظنه مجنوناً ، فأنشأ يقول[٦] :

أمَـا تَسْتَحُـونَ اللهَ يـا مَعْـدِنَ الحِلْـمِ[٧] شُغِلْتُمْ بـذا والنَّـاسُ فـي أعظـمِ الشغْـلِ
إمَـامُكُـم أضْحَـى قتيـلاً مجـدَّلاً[٨] وقـد أصبـحَ الإسـلامُ مفتـرِقَ الشَّمْـلِ
وأنتمْ على الأشعارِ والنَّحوِ عُكَّفٌ[٩] تصيحونَ بالأصواتِ في أحسنِ السُّبْلِ[١٠]

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٩) ، وفيه البيتان ، وهما في الكامل لابن الأثير (٧/ ٢٣٤) .
(٢) في آ : حقه . وفي تاريخ بغداد عن عبد الله بن إبراهيم الإسكافي قال : حضرت مجلس المهتدي وقد جلس للمظالم ، فاستعداه رجل على ابن له ، فأمر بإحضاره ، فأحضر ، وأقامه إلى جنب الرجل ، فسأله عمّا ادعاه عليه فأقرَّ به ، فأمره بالخروج له عن حقه ، فكتب له بذلك كتاباً ، فلما فرغ ، قال له الرجل : والله يا أمير المؤمنين ما أنت إلا كما قال الشاعر : . . .
(٣) في ب ، ظا : عليكم .
(٤) « سرد الصوم » : أي تابعه . تاريخ بغداد (٣/ ٣٥٠) .
(٥) بعدها في ط : ولو عاش ووجد ناصراً لسار سيرته ما أمكنه ، وكان من عزمه أن يبيد الأتراك الذين أهانوا الخلفاء وأذلوهم ، وانتهكوا منصب الخلافة .
(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٣٥١) .
(٧) في تاريخ بغداد : الجهل ، وفي ط : النحو .
(٨) في ظا : مجندلا ، وهما بمعنى .
(٩) في ب ، ظا وتاريخ بغداد : عكّفاً .
(١٠) في ظا : في أنسب السبل ، وفي ب : في العقل . وفي تاريخ بغداد : في است أم ذا العقل .

قال : فنظرنا ، وأرَّخنا ذلك اليوم ، فإذا المهتدي بالله قد قُتِلَ في ذلك اليوم ، وكان يوم الإثنين لأربع عشرة بقيت من رجب سنة ستٍّ وخمسين ومئتين .

خلافة المعتمد على الله

أحمد بن المتوكِّل على الله ، ويعرف بابن فِتيان[(١)] ، بويع بالخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من رجب من سنة ست وخمسين ومئتين في دار الأمير بارجوخ[(٢)] وذلك قبل خلع المهتدي بأيام . ثم كانت بيعة العامة يوم الإثنين لثمان بقين من رجب .

ولعشر بقين من رجب دخل موسى بن بُغَا ومُفْلِح إلى سُرَّ مَنْ رأى ، فنزل موسى في داره ، وسكن الناس ؛ وخَمَدَت الفتن هنالك .

وأمَّا صاحبُ الزَّنْج المدَّعي أنه علويّ ، فهو محاصِر للبصرة ، والجيوش[(٣)] الخليفية في وجهه دونها ، وهو في كُلِّ وقت يقهرها ، ويغنم ما يفد إليهم في المراكب من الأطعمة وغيرها ، واستحوذَ بعد ذلك على الأُبُلَّة وعبّادان وغيرهما من البلاد ، وخاف منه أهلُ البصرة خوفاً شديداً ، وكل ما لأمره يقوى ، ولجيوشه تكثر ، ولعدده يتزايد ، ولم يزل ذلك دأبه إلى انسلاخها .

وفي هذه السنة خرج رجل آخر بالكوفة يقال له : عليّ بن زيد الطالبيّ ، وجاءه جيشٌ من جهة الخليفة فكسره الطالبيُّ ، واستفحل أمره بالكوفة وقويت شوكته ، وتفاقم أمره .

وفيها : وثَبَ محمّد بن واصل [بن إبراهيم][(٤)] التميمي على نائب الأهواز الحارث بن سيما الشرابيّ[(٥)] ، فقتله واستحوذ على بلاد الأهواز .

وفي رمضان منها تغلَّب الحسن بن زيد الطالبيّ على بلاد الرَّيّ ، فتوجَّه إليه موسى بن بُغَا في شوال من عند المعتمد ، وخرج لتوديعه .

وفيها : كانت وقعة عظيمة على باب دمشق بين أماجور نائب دمشق ـ ولم يكن معه إلا قريب من أربعمئة فارس ـ وبين ابن لعيسى بن الشيخ ، وهو في قريب من عشرين ألفاً ، فهزمه أماجور وجاءت من الخليفة ولاية لابن الشيخ على بلادِ أرمينية على أن يترك أهل الشام ، فقبل ذلك وانصرف عنهم .

---

(١) في آ : قينان ، وفي ب ، ظا : عينان ، والمثبت من الطبري ومصادر أخرى . وفتيان أمه ، وهي رومية .
(٢) في الأصل غير معجمة ، وفي الكامل لابن الأثير : ياركوج . وما أثبته يوافق ما جاء في ط والطبري .
(٣) في آ : وجيوش الخليفة .
(٤) من ب ، ظا والطبري .
(٥) في الأصول : الشارباني ، وأثبت ما جاء في ط والطبري .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمّد بن أحمد بن عيسى بن أبي جعفر المنصور .

وكان في جملة الحجاج أبو أحمد بن المتوكّل ، فتعجَّل وعجّل السيرَ إلى سامُرّاء ، فدخلها ليلة الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخليفة المهتدي بالله ، في رجب منها ، كما تقدّم .

والزُّبَير بن بَكّار[١] : ابن عبد الله بن مُصْعَب بن ثابِت بن عبد الله بن الزُّبَيْر بن العَوّام القُرَشيُّ الزُّبَيْريُّ ، قاضي مكة . قدم بغداد وحدث بها . وله كتاب « أنساب قريش » ، وكان[٢] من أهل العلم بذلك ، وكتابه في ذلك حافل جداً ، وقد روى عنه ابنُ ماجَه وغيرُه .

وقد وثقه الدَّارَقُطْنِيُّ والخطيب[٣] وأثنى عليه وعلى كتابه .

وتوفي بمكّة عن أربع وثمانين سنة في ذي القعدة من هذه السنة ، ودفن بمكة ، رحمه الله .

البُخَاريُّ صاحبُ الصَّحيح[٤] : وقد ذكرنا له ترجمةً حافلةً في أول شرحنا « لصحيحه » ، ولنذكر هاهنا نُبْذَةً من ذلك ، فنقول وبالله المستعان :

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه[٥] الجُعْفِيّ مولاهم ، أبو عبد الله البخاري الحافظ ، إمام أهل الحديث في زمانه ، والمقتدَى به في أوانه[٦] ، والمقدَّم على سائر أضرابه وأقرانه ، وكتابه الصحيح يُسْتَسْقَى بقراءته الغمام ، وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهلُ الإسلام .

ولد البخاريّ رحمه الله في ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومئة ، ومات أبوه وهو

---

(١) له ترجمة في الأغاني (٩/ ٤١) ، الفهرست (١٢٣) ، تاريخ بغداد (٨/ ٤٦٧) ، معجم الأدباء (١١/ ١٦١) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣١١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣١١) ، تهذيب الكمال (٩/ ٢٩٣) ، ومقدمة كتابه جمهرة نسب قريش بقلم محمود محمد شاكر .

(٢) في ب ، ظا : وكان من أعلم الناس بذلك .

(٣) المصدر السابق (٧/ ٤٦٨) ، وجاء فيه : وكان ثقة ثبتاً عالماً بالنسب ، عارفاً بأخبار المتقدِّمين ومآثر (أو سائر) الماضين ، وله الكتاب المصنَّف في نسب قريش وأخبارها .

(٤) له ترجمة في طبقات الحنابلة (١/ ٢٧١) ، تاريخ بغداد (٢/ ٤) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٦٧) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٨٨) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢١٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١) ، شذرات الذهب (٢/ ١٣٤) ، وغيرها كثير .

(٥) « بَرْدِزْبَة » : بباء موحدة مفتوحة ، وراء ساكنة ، ودال مهملة مكسورة ، ثم زاي ساكنة ، ثم باء موحدة ، ثم هاء . هكذا قيده ابن ماكولا ، وقال : هو بالبخارية ، ومعناه بالعربية : الزرّاع . تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٦٧) .

(٦) في آ : آدابه .

صغير ، فنشأ في حجر أُمِّه ، فألهم حفظ الحديث وهو في المكتب ، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابنُ ستَّ عشرةَ سنة حتى قيل : إنه كان يحفظ وهو صبيٌّ سبعين ألفَ حديثٍ سرداً .

وحجَّ وعمرُه ثماني عشرةَ سنةً ، فأقام بمكة يطلب بها الحديث ، ثم ارتحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنه[١] الرحلة إليها ، وكتب عن أكثر من ألف شيخ .

وروى عنه خلائق وأمم ، وقد روى الخطيب البغدادي[٢] عن الفِرَبْرِيّ[٣] ، أنَّه قال : سمع الصحيح من البخاري معي نحو من تسعين[٤] ألفاً لم يبقَ منهم أحد غيري .

وقد روي[٥] البخاريُّ من طريق الفِرَبْريّ كما هي رواية الناس اليوم من طريقه ، وحَمَّاد بن شاكر ، وإبراهيم بن مَعْقِل ، وطاهر بن محمد بن مَخْلَد .

وآخر من حدَّث عنه أبو طلحة منصورُ بن محمد بن عليّ البَزْدَوِيّ[٦] النَّسَفِيّ ، وقد توفي النَّسَفِيُّ هذا في سنة تسع وعشرين وثلاثمئة ، ،وثقه الأمير أبو نصر بن ماكولا[٧] .

وممن روى عن البخاريِّ مسلمٌ في غير « الصحيح » ، وكان يتَلْمَذُ له ويعظِّمُه ، وروى عنه الترمذيُّ في جامعه ، والنَّسائيُّ في « سننه » في قول بعضِهم[٨] .

وقد دَخَلَ بغدادَ ثمان مرات ، وفي كُلٍّ منها يجتمع بالإمام أحمد بن حنبل ، فيحثُّه أحمدُ على المقام ببغداد ، ويلومُه على الإقامة بخراسان[٩] .

وقد كان يستيقظُ في الليلة الواحدة من نومه ، فيُورِي السّراجَ فيكتب الفائدةَ تمرُّ بخاطره ، ثم يُطفىء سراجَه ، ثم يقومُ مرَّةً أخرى ، حتَّى كان يتعدَّد ذلك منه قريباً من عشرين مرة[١٠] .

وقد كان أصيبَ بصرُه وهو صغيرٌ ، فرأت أمُّه إبراهيمَ الخليلَ ؛ عليه السلام ، فقال : يا هذه !

---

(١) في ظا : أمكنه ، وفي ط : أمكنته .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٩) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٨) .
(٣) هو محمد بن يوسف الفِرَبْرِيّ .
(٤) في ب ، ظا ، ط : سبعين .
(٥) في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٨) : روى صحيح البخاري جماعة ، منهم : الفِرَبْرِيُّ . . .
(٦) ويقال : البَزْدِيّ النَّسَفي ، دِهْقَان قرية بَزْدَة ، وهي قلعة على ستة فراسخ من نسف . كان آخر من حدَّث بـ الجامع الصحيح عن البخاري .
(٧) الإكمال (٧/ ٢٤٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٨) ، و(١٥/ ٢٧٩) .
(٨) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٧) .
(٩) تاريخ بغداد (٢/ ٢٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٣) .
(١٠) تاريخ بغداد (٢/ ١٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٤) .

قد رَدَّ اللهُ على ولدك بصرَهُ بكثرة دُعائِكِ ، أو قال : بكائِكِ ، فأصبح وهو بَصيرٌ[١] .

وقال البخاري : فكَّرت البارحة فإذا أنا قد كتبت في مصنفاتي نحواً من مئتي ألف حديث مسندة ، وكان يحفظها كلَّها[٢] .

ودخل مرَّةً إلى سمرقند فاجتمع أربع مئةٍ من علماء الحديث بها ، فركّبوا له أسانيد ، وأدخلوا إسنادَ الشام في إسناد أهل العراق ، وخلطوا الرجال في الأسانيد ، وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها ، ثم قرأوها على البخاريِّ ، فردَّ كلَّ حديثٍ إلى إسناده ، وقوَّم تلك الأسانيد كلّها ، وما تعلَّقوا عليه بسقطة في إسنادٍ ولا في متنٍ[٣] . وكذلك صنع بمئة محدِّثٍ من أهل بغداد .

وذكروا أنَّه كان ينظر في الكتاب مرَّةً واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة ؛ والأخبار عنه في هذا المعنى كثيرة[٤] .

وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه . فقال الإمام أحمد : ما أخرجت خراسان مثلَه[٥] .

وقال إسحاق بن راهَوَيْه : لو كان في زمن الحسنِ لاحتاجَ الناسُ إليه ؛ لمعرفته بالحديث وفِقهِهِ[٦] .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نُمَير : [ما رأينا][٧] مثله[٨] .

وقال عليّ بن المدينيّ : لم يَرَ مِثْلَ نفسِه[٩] .

وقال عليّ بن حُجْر : لا أعلَمُ مِثْلَه[١٠] .

وقال محمود بن النضر بن سهل الشافعي : دخلْتُ البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها، كلَّما جرى ذكرُ محمد بن إسماعيل البخاريّ فَضَّلُوه على أنفسهم[١١] . وقال أبو العباس

---

(١) تهذيب الكمال (١١٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١٢) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١١) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٨) وما بعدها .
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٢١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١) .
(٦) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١) .
(٧) زيادة من ب ، ظا .
(٨) تهذيب الكمال (اللوحة ١١٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١) .
(٩) تهذيب الكمال (اللوحة ١١٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١) . وفي المطبوع : لم يَرَ البخاريّ مثل نفسه .
(١٠) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١) .
(١١) تاريخ بغداد (٢/ ١٩) ، تهذيب الكمال (لوحة ١١٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٢) .

الدَّغُوليّ[١] : كتب أهلُ بغداد إلى البخاريّ[٢] :

المُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ ما حييتَ لَهُم   وليسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حينَ تُفْتَقَدُ

وقال الفلَّاس[٣] : كُلُّ حديثٍ لا يعرفه البخاريُّ فليس بحديثٍ . وقال نُعَيْمُ بن حمَّاد : هو فقيه هذه الأمة[٤] . وكذا قال يعقوبُ بن إبراهيمَ الدَّوْرَقيُّ[٥] . ومنه من فضله في الفقه والحديث على الإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه[٦] .

وقال قُتيبة بن سعيد : رُحِلَ إليَّ من شرق الأرض وغربها ، فما رحل إليَّ مثلُ محمّد بن إسماعيل البخاري[٧] .

وقال مُرَجَّى بن رجاء[٨] : فَضْلُ البخاريّ على العلماء ـ يعني في زمانه ـ كفضل الرجال على النساء ، وقال : هو آيةٌ من آيات الله يمشي على الأرض .

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدَّارِميّ : محمد بن إسماعيل البخاري أفقهنا ، وأعلمنا ، وأغْوَصُنا ، وأكثرنا طلباً[٩] .

وقال إسحاق بن راهويه : هو أبصرُ منّي[١٠] .

وقال أبو حاتم الرَّازي : محمد بن إسماعيل أعلَمُ مَنْ دَخَلَ العراق[١١] .

وقال عُبيد العجلي[١٢] : رأيت أبا حاتم وأبا زرعة يجلسان إليه يستمعان ما يقول ، ولم يكن مُسلم يبلغه ، وكان أعلَمَ من محمد بن يحيى الذّهلي بكذا وكذا ، وكان ديِّناً فاضلاً يُحسِنُ كُلَّ شيءٍ .

وقال غيره : رأيت محمد بن يحيى الذّهلي يسأل البخاري عن الأسامي والكُنى والعِلل ،

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن الفقيه الدَّغولي ، أبو العباس .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٢) ، تهذيب الكمال (لوحة ١١٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٤) .
(٣) هو عمرو بن علي بن بحر ، أبو حفص الباهلي البصري الصيرفي الفلاس ، حافظ مجوِّد ناقد ، ثقة ، صاحب حديث . مات سنة ٢٤٩هـ . والخبر في تاريخ بغداد (٢/ ١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٠) .
(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٢٢) ، تهذيب الكمال (لوحة ١١٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١٩) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٤) ، ومقدمة الفتح (٤٨٣) .
(٦) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٠ و٤٢٩ و٤٣١) .
(٧) نفس المصدر السابق .
(٨) كذا في الأصول ، ولعل صوابه : رجاء بن مُرَجَّى ، كما في تاريخ بغداد (٢/ ٢٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٧) ، ومقدمة الفتح (٤٨٤) . ومرجّى بن رجاء متقدم على البخاري ، وقد التقى رجاء بن مرجّى بالبخاري رحمه الله في بخارى وتذاكرا . مات رجاء سنة ٢٤٩هـ .
(٩) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٦) .
(١٠) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٩) .
(١١) المصدر السابق (١٢/ ٤٣١() .
(١٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٦) : الحسين بن محمد المعروف بعُبيد العجل . تاريخ بغداد (٢/ ٢٩) .

وهو يمرُّ فيها كالسَّهم ، كأنه يقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[١] .

وقال أحمدُ بن حمدون القصَّار : رأيت مُسلمَ بنَ الحجَّاج جاء إلى البخاري ، فقبَّل بين عينيه ، وقال : دعني حتى أُقَبِّلَ رجليك يا أستاذ الأستاذِين، وسَيِّدَ المُحدِّثين ، وطبيبَ الحديثِ في عِلَلِهِ[٢] . ثم سأله عن حديث كَفَّارة المجلس[٣]، فذكر له علَّته . فلمَّا فرغ قال مسلم : لا يبغضُكَ إلا حاسدٌ ، وأشهدُ أنَّه ليس في الدنيا مثلُك[٤] .

وقال الترمذي : لم أرَ بالعراق ولا بخراسان في معنى العِلل والتاريخ ومعرفةِ الأسانيد أعلَمَ مِنَ البخاريّ[٥] . وكنَّا يوماً عند عبد الله بن منير فقال للبخاري : جَعَلَكَ اللهُ زَيْنَ هذه الأمَّة . قال الترمذي : فاستجيب له فيه[٦] . وقال ابنُ خَزَيْمة : ما رأيْتُ تحتَ أديمِ السَّماء أعلَمَ بحديثِ رسول الله ﷺ وأحفَظَ له من محمّدِ بن إسماعيل البخاري[٧] . ولو ذهبنا نسطِّر ما أثنى عليه الأئمة في حفظه وإتقانه وعلمه وفقهه

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٣١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٢ و٤٣٦) .

(٢) طبقات السبكي (٢/ ٢٢٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٢ و٤٣٦) .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٩٤) والترمذي في سننه رقم (٣٤٣٣). قال الحافظ العراقي في (تخريج الإحياء) (٢/ ١٩٣) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه ورواه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٣٧) من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط مسلم ، ولكن أعله البخاري بحديث وهيب عن ابن عقبة عن سهيل عن أبيه عن كعب قوله . قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) (١٣/ ٥٤٤) كذا قال الحاكم ، ووهم في ذلك فليس في هذا السند ذكر لوالد سهيل ولا كعب ، والصواب عن سهيل عن عون وكذا ذكره على الصواب في (علوم الحديث) . قال الحافظ : وأخرجه البيهقي في (المدخل) عن الحاكم بسنده المذكور في (علوم الحديث) عن البخاري فقال : عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين كلاهما عن حجاج بن محمد ، وساق كلام البخاري ، لكن قال : لا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا غير هذا الحديث وهو المنقول عن البخاري ، لا قوله : لا أعلم في الدنيا في هذا الباب ، فإن في الباب عدة أحاديث لا تخفى على البخاري . وكأن الحاكم وهم في هذه اللفظة ، وهي قوله : في هذا الباب وإنما هي بهذا الإسناد ، وهو كما قال . قال الحافظ : وأما من صححه ، فإنه لا يرى هذا الاختلاف علة قادحة . . قال الحاكم (١/ ٥٣٧) بعدما ذكر حديث أبي هريرة . ولهذا الحديث شواهد عن جبير بن مطعم، وأبي برزة الأسلمي، ورافع بن خديج . فذكرها ، وصحح حديث جبير بن مطعم ، ووافقه الذهبي . قال الحافظ : وذكر شيخنا شيخ الإسلام أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي في النكت التي جمعها على علوم الحديث لابن الصلاح : أن هذا الحديث ورد من رواية جماعة من الصحابة ، عدتهم سبعة زائدة على ما ذكره الترمذي . قال الحافظ : وقد تتبعت طرقه فوجدته من رواية خمسة آخرين ، فكملوا خمسة عشر نفساً ، ووقد خرجت طرقه فيما كتبته على علوم الحديث ، فذكرها وقال : ووقع لي مع ذلك من مراسيل جماعة من التابعين ، وقال : وأسانيد هذه المراسيل جياد ، وفي بعض هذا ما يدل على أن للحديث أصلاً . وقد استوعبت طرقها وبنيت اختلاف أسانيدها ، وألفاظ متونها . ورأيت ختم هذا الفتح يعني (فتح الباري) بطريقة من طرق هذا الحديث مناسبة للختم أسوقها بالسند المتصل العالي بالسماع والإجازة إلى متنها ، فذكره بطوله سنداً ومتناً ، وختم الحديث بقوله (سبحانك اللهم وبحمد ، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك) . أقول : فالحديث صحيح مرفوعاً وموقوفاً بطرقه وشواهده الكثيرة، والحمد لله وانظر (فتح الباري) (١٣/ ٥٤٤ ـ ٥٤٦) (ع) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٦) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٢) .

(٦) تاريخ بغداد (٢/ ٢٦) ، طبقات السبكي (٢/ ٢٢١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٣) .

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٠) ، طبقات السبكي (٢/ ٢١٨) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣١) .

وورعه وزهده لطال علينا ، ونحن على عجلٍ من أجل الحوادث . وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً في أول شرح الصحيح . والله سبحانه وتعالى هو المستعان .

وقد كان رحمه الله في غاية الحياء والشجاعة والسَّخاء والورع والزهد في الدنيا دارِ الفَنَاء ، والرغبة في الآخرة دارِ البقاء . قال : أرجو أن ألقى الله وليس أحد يطالبني أنِّي اغتبتُه . فذُكر له « التاريخ » وما ذَكَرَ فيه من جرحٍ وتعديلٍ وغير ذلك ، فقال : ليس هذا من هذا ، قال النبي ﷺ : « ائذنوا له ولبئسَ أخو العَشِيرة »[١] ونحن روينا ذلك رواية ولم نقلْهُ من عند أنفسنا .

وقد كان رحمه الله يصلِّي في كُلِّ ليلةٍ ثلاثَ عشرةَ ركعةً ، وكان يختمُ في كُلِّ يومٍ من رمضان خَتْمة ، وكانت له جدة ومال جيدٌ يُنفِقُ منه سرّاً وجهراً ، ويكثر الصَّدَقة بالليل والنهار سرّاً وعلانية .

وكان مستجاب الدعوة ، مسدَّد الرمية ، شريف النفس ، بَعَثَ إليه بعضُ السلاطين ليأتيه حتى يسمَعَ أولادُه عليه ، فأرسل إليه : « في بيته يُؤتى الحَكَمُ »[٢] ، يعني إن كنتم تريدون ذلك فهلمُّوا إليَّ ، وأبَى أن يذهَبَ إليهم . وهو[٣] خالد بن أحمد الذّهلي ، نائب الظاهريّة ببخارى .

فبقي في نفس الأمير من ذلك ، فاتفق أن جاء كتابٌ من محمد بن يحيى الذّهلي من نيسابور بأن البخاري يقول بأنّ لفظَه بالقرآن مخلوق . وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلامٌ ، وصنَّف البخاري في ذلك كتابه « خلْق أفعال العباد » ، فأراد الأميرُ أن يصرفَ النَّاسَ عن السَّماع من البخاري ، وقد كانوا يعظّمونه جدّاً ؛ حين رجع إليهم نثروا على رأسه الذَّهَب والفضة يوم دخل بُخارى عائداً إلى أهله ، وكان له مجلس للإملاء بجامعها ، فلم يَقبلوا من الأمير ، فأمر عند ذلك بنفيه من البلاد[٤] ، فخرج منها ، ودعا على خالد بن أحمد ، فلم يمضِ شهرٌ حتى أمر ابنُ طاهر بأن ينادَى على خالد بن أحمد على أتان ، وزال ملكه ، وسُجن ببغداد حتى مات ، ولم يبقَ أحدٌ ساعدَه على ذلك إلا ابتُلي ببلاءٍ شديد[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٧٨ ، ٣٧٩) في الأدب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ؛ ومسلم (٢٥٩١) في البر والصلة ، باب مداراة من يتّقي فحشه ؛ وأبو داود (٤٧٩١) ، والترمذي (١٩٩٦)؛ وأحمد (٦/ ٣٨) عن عائشة : أنَّ رجلاً استأذن على النبي ﷺ ، فقال : ائذنوا له ، بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة ، فلما دخل عليه ألان له القول ، قالت عائشة : فقلت : يا رسول الله ! قلتَ له الذي قلت ،. ثم ألنت القول ؟ قال : يا عائشة ! إنَّ شرَّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة مَنْ تركه الناس اتقاء شرِّه .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٦) . وقوله : في بيته يؤتى الحَكَم ، أي : الحاكم ، وهو مثل ، قصته في كتاب الأمثال لابن سلام (٥٤) ، والعسكري (٢/ ١٠١) ، وأمثال الميداني (٢/ ٧٢) ، واللسان (حكم) .

(٣) في ط : والسلطان .

(٤) في ب ، ظا : البلد .

(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٣٣) ، تهذيب الكمال (لوحة ١١٧٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٤) .

فنزح البخاري إلى بلدة يقال لها : خَرْتَنْك ، على فرسخين من سَمَرْقَنْد ، فنزل عند أقارب له ، وجعل يدعو الله أن يقبضَه إليه حين رأى الفِتَن ، كما جاء في الحديث : « وإذا أردْتَ بقومٍ فتنةً فتوفَّنا إليكَ غيرَ مفتونين »[١] .

ثم اتفق مرضُه على إثر ذلك ، وكانت وفاته ليلة عيد الفطر ، وكانت ليلة السبت عند صلاة العشاء ، وصلّي عليه يوم العيد بعد الظهر من هذه السنة ، أعني سنة ستٍّ وخمسين ومئتين ، وكُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيضٍ ، ليس فيها قميص ولا عمامة . وَفْقَ ما أوصى . وحين دُفن فاحت من قبره رائحةُ غاليةٍ[٢] أطيب من المسك ، فدام ذلك أياماً ، ثم علت سواري بيض بحذاء قبره . وكان عمره يوم مات ، رحمه الله ، اثنتين وستين سنة .

وقد ترك بعده رحمه الله علماً نافعاً لجميع المسلمين ، فعمله فيه لم ينقطع ، بل هو موصول بما أسداه من الصَّالحات في الحياة ؛ وقد قال رسولُ الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطَعَ عَمَلُه إلا من ثلاث ؛ من علم ينتفع به » الحديث ، رواه مسلم[٣] .

وشرطه في « صحيحه » هذا أعزُّ من شرط كُلِّ كتابٍ صُنِّفَ في الصحيح ، لا يوازيه فيه غيرُه ، لا صحيح مسلم ولا غيره . وما أحسَنَ ما قال بعضُ الفصحاء من الشعراء[٤] :

صحيحُ البُخاريِّ لَوْ أنْصَفُوهُ ... لَمَا خُطَّ إلا بماءِ الذَّهَبْ
هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ الهُدَى والعَمَى ... هو السَّدُّ بين الفَتَى والعَطَبْ
أسانيدُ مِثلُ نُجومِ السَّماءِ ... أمامَ مُتونٍ لها كالشُّهُبْ[٥]
به قامَ ميزانُ دِينِ الرَّسُولِ ... ودانَ بِهِ العُجمُ بعدَ العَرَبْ
حِجابٌ مِنَ النَّارِ لا شَكَّ فيهِ ... يميِّزُ بينَ الرِّضا والغَضَبْ

(١) هو جزء من حديث طويل رواه أحمد (٥/ ٢٤٣) والترمذي رقم (٣٢٣٥) في تفسير القرآن ، من سورة (ص) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . ورواه أحمد (١/ ٣٦٨) والترمذي رقم (٣٢٣٣) من حديث ابن عباس ، وهو حديث صحيح ، وهو حديث المنام الطويل المشهور بـ (حديث اختصام الملأ الأعلى) ، وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي شرحاً جيداً في رسالة سماها (اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى) .

(٢) « الغالية » : أخلاط من الطيِّب ، كالمسك والعنبر .

(٣) رواه مسلم رقم (١٦٣١) في الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٢) ، وأبو داود رقم (٢٨٨٠) في الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت ، والترمذي رقم (١٣٧٦) في الأحكام ، باب في الوقف ، والنسائي (٦/ ٢٥١) ؛ كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ولفظه عند مسلم : إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة ؛ إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له .

(٤) الأبيات في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧١) .

(٥) في ب ، ظا وسير أعلام النبلاء : كمثل الشُّهب .

وسِتْـرٌ رَقيـقٌ إلـى المُصْطَفَـى ... ونَـصٌّ مُبيـنٌ لِكَشْـفِ الـرِّيَـبْ
فيـا عـالمـاً أجمعَ العـالِمـو ... نَ على فَضْلِ رتبتهِ في الرّتَبْ
سَبَقْـتَ الأئِمـةَ فيمـا جَمَعْـتَ ... وفُزْتَ على رَغْمِهِم[1] بالقَصَبْ
نَفَيْتَ الضَّعِيفَ مِنَ النَّاقِلينَ ... ومَـنْ كَـانَ مُتَّهمـاً بـالكَـذِبْ
وأبْـرَزْتَ فـي حُسْـنِ تَـرتيبـهِ ... وتبـويبِـهِ عَجَبـاً لِلْعَجَـبْ
فـأعطـاكَ مَـوْلاكَ مـا تَشْتَهيـهِ ... وأجْـزَلَ حَظَّـكَ فيمـا وَهَـبْ

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومئتين

فيها ولي الخليفة المعتمد على الله ليعقوب بن الليث بَلْخ وطَخارستان وما يلي ذلك من كَرْمان وسِجِسْتان والسِّند وغيرها .

وفي صفر منها عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على الكوفة وطريق مكّة والحرمين واليمن وأضاف إليه في رمضان نيابة بغداد والسّواد وواسط وكُور دِجلة والبصرة والأهواز وفارس ، وأذن له أن يستنيبَ في ذلك .

وفيها : تواقع سعيد الحاجب وصاحب الزَّنج في أراضي البصرة ، فهزمه سعيد واستنقَذَ من يده خلْقاً من النساء والذرّية ، واسترجع منه أموالاً جزيلة ، وأهان الزَّنْجَ غايةَ الإهانة والمذلَّة .

ثم إنَّ الزَّنج بيَّتوا سعيداً وجيشَه ، فقتلوا منهم خلْقاً كثيراً ، ويقال : إن سعيدَ بن صالح قُتل أيضاً . ثم[2] التقى مع منصور بن جعفر الخيَّاط في جيشٍ كثيفٍ ، فهزمهم هذا الخارجيّ المدَّعي أنَّه طالبيّ ، وهو كاذب .

قال ابنُ جرير[3] : وفيها ظُفِرَ[4] ببغداد بموضعٍ يقال له : بِرْكةُ زلزلٍ برجلٍ خنّاق ، قد قتل خلْقاً من النساء[5] ، فحمل إلى المعتمد ، فضُرِب بين يديه ألفي سوط وأربعمئة أرْزَن[6] ، فلم يمتْ حتَّى ضربَه الجلادون على أنثيه بخشب العقابين ، فمات ، فَرُدَّ إلى بغدادَ ، وصُلِبَ هناك ، ثم أحرقت جثته .

وفي ليلة الرابع عشر [من شوال][7] من هذه السنة كُسِفَ القمر وغابَ أكثره .

---

(١) في الأصل بغير إعجام ، وفي ظا ، ط ، : زعمهم والمثبت من ب وسير أعلام النبلاء .
(٢) في ط : ثم إنَّ الزَّنج التقوا هم ومنصور .
(٣) الطبري (٩/ ٤٧٩) .
(٤) الطبري : ظُهِر .
(٥) بعدها في ط : كان يؤلف المرأة ثم يخنقها ويأخذ ما عليها ، فحمل . .
(٦) « الأرْزَنُ » : شجر صُلْب تتخذ منه عِصِيّ صُلْبة .
(٧) من ب ، ظا ، ط .

وفي صبيحة هذا اليوم دخل جيشُ الخبيث إلى البصرة قَهْرا ، فقتَلَ من أهلها خلْقاً كثيراً ، وهرب نائبها بُغراج ومَن معه ، وحرقت الزَّنجُ جامعَ البصرة ودوراً كثيرة ، وانتهبوها ، ثم نادى فيهم إبراهيم بن يحيى المهلبي أحدُ أصحاب الخارجي : مَنْ أراد الأمان فليحضر . فاجتمع خلْق كثير من أهلها ، فرأى أنَّه قد أصاب فرصةً ، فغدَرَ بهم ، وأمر بقتلهم ، فلم يفلت منهم إلا الشاذ . كانت الزَّنج تحيط بالجماعة من أهل البصرة ، ثم يقول بعضهم لبعض : كيلوا ، وهي الإشارة بينهم إذا أرادوا قتلَ أحدٍ ، فيحملون عليه بالسيوف ، فلا تسمع إلا[(١)] تشهّد أولئك ، وضجيجهم عند القتل ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

وهكذا [يفعلون في][(٢)] كُلِّ مَحَلَّةٍ من محالّ البصرة في عدة أيام ، وهرب الناس منهم كُلَّ مهربٍ ، وأحرقوا الكلأ من الجبل إلى الجبل ، فحرقت[(٣)] النار ما وجدت من شيءٍ ؛ من إنسان ، أو بهيمة ، أو أثاث أو غير ذلك ؛ وأحرقوا المسجد الجامع أيضاً . [وقد قتل في هؤلاء جماعةٌ كثيرة من الأعيان والأدباء والفضلاء والمحدّثين والعلماء ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون][(٤)] .

وكان هذا الخبيث قد أوقع بأهل فارس وقعةً عظيمة[(٥)] ، ثم بلَغَه أنَّ أهلَ البصرة قد جاءهم من الميرة شيءٌ كثيرٌ ، وقد اتسعوا بعد الضّيق ، فحسدهم على ذلك ، فروى ابنُ جرير[(٦)] عمَّن سمعه يقول : دَعَوْتُ اللهَ على أهل البصرة . فخوطبْتُ ، فقيل لي : إنَّما أهلُ البصرة خُبْزَةٌ [لك][(٧)] تأكلها من جوانبها ؛ فإذا انكسر نصْفُ الرَّغيف خربت البصرة ، فأوَّلتُ ذلك بانكساف القمر . وقد كان هذا شائعاً في أصحابه ، حتَّى وقَعَ الأمرُ طِبْقَ ذلك .

ولا شك أنَّ هذا كان مع شيطان يخاطبه ، كما كان يأتي شيطان مسيلمة إلى مسيلمة ، [والله أعلم][(٨)] .

ولما أوقَعَ أصحابه من الزَّنْج وغيرهم ما أوقعوا بأهل البصرة ، قال لمن معه ؛ أي : صبيحة ذلك اليوم : دَعَوْتُ اللهَ على أهل البصرة ، فرُفعت لي [البصرة][(٩)] بين السَّماء والأرض ، ورأيْتُ أهلَها

---

(١) في ط : إلا قول أشهد أن لا إله إلا الله من أولئك المقتولين ، وضجيجهم عند القتل ، أي صراخ الزنج وضحكهم ، فإنا لله . . .

(٢) من ب ، ظا ، ط .

(٣) في آ : تحرق .

(٤) زيادة من ب ، ظا والنسخة المصرية من المطبوع .

(٥) في آ : كبيرة .

(٦) الطبري (٩/ ٤٨١) .

(٧) زيادة من ط والطبري .

(٨) من ب ، ظا .

(٩) من ط والطبري .

يُقتَلُون ، ورأيْتُ الملائكة تقاتل مع أصحابي ، وإني لمنصور على الناس ، والملائكة تقاتل معي ، وتثبِّت[(١)] جيوشي ، وتؤيدني في حروبي[(٢)] .

ولمَّا صار إليه العلويّة الذين كانوا بالبصرة ، انتسب حينئذ إلى يحيى بن زيد ، وهو كاذب في ذلك بالإجماع ، لأن يحيى بن زيد لم يعقِب إلا بنتاً ماتت وهي ترضع[(٣)] ؛ فقبَّح الله هذا اللعين ما أكذبَهَ وأفجَرَه وأغدَرَه .

وفي مستهل ذي القَعْدَة وجَّه الخليفةُ من سامُرّاً جيشاً كثيفاً مع الأمير محمد ، المعروف بالمولَّد ، لقتال صاحب الزَّنْج ، فقبض في طريقه على سعيد[(٤)] بن أحمد الباهليّ ، الذي كان قد تغلَّب على أرض البطائح ، وأخاف السبيل .

وفيها : خالف محمد بن واصل السلطانَ بأرض فارس ، وتغلَّب عليها .

وفيها : وثَبَ رجلٌ من الروم يقال له : بسيل الصّقلبيّ ، على ملِكِ الروم ميخائيل بن توفيل ، فقتله ، واستحوذ على مملكة الروم ، وقد كان ميخائيل[(٥)] في ملك الروم أربعاً وعشرين سنة .

وحجَّ بالناس في هذه السنة : الفضلُ بن إسحاق بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسَنُ بنُ عَرَفَةَ بن يَزيد[(٦)] : صاحبُ الجزء المشهور المرويّ ، وقد جاوز المئة بعشر سنين ، وقيل : بسبع ، وكان له عشرة من الولد ، سمَّاهم بأسماء العشرة[(٧)] رضي الله عنهم .

وقد وثقه يحيى بن معين وغيرُه ، وكان يتردَّد إلى الإمام أحمد .

وكان مولده في سنة خمسين ومئة ، وتوفي في هذه السنة عن مئةٍ وسبع سنين .

---

(١) في الطبري : وتثبِّت مَن ضعف قلبه من أصحابي .

(٢) تاريخ الطبري (٩/ ٤٨٧) مع شيء من الاختلاف .

(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٤٨٧) .

(٤) في ط : « سعد » ، وما أثبتناه من ب وتاريخ الطبري .

(٥) في الأصول : لميخائيل .

(٦) تاريخ بغداد (٧/ ٣٩٤) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٤٠) ، المنتظم (٥/ ٣) ، تهذيب الكمال (٦/ ٢٠١) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٤٧) ، العبر (١/ ٢٨٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٣٦) .

(٧) أي أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عُبيدة بن الجراح .

وزَيْد[(١)] بن أخْرم الطائيّ ، والرِّياشي[(٢)] : ذبحهما الزَّنْج في جملة مَن قتلوا من أهل البصرة ، كما قدمنا قصتهم قبَّحهم الله ، وما قتلوا من المسلمين ، رحمهم الله .

وعليّ بن خَشْرَمَ[(٣)] .

وأبو سعيد الأشَجُّ[(٤)] ، أحد مشايخ مسلم الذي يكثر عنهم الرواية .

والعبَّاس بن الفَرَج : أبو الفضل الرِّياشي النَّحويّ اللغويّ[(٥)] .

كان عالماً بأيام العرب والسير ، وكان كثير الاطلاع ، ثقةً ، عالماً .

روى عن الأصمعيّ ، وأبي عبيدة وغيرهما .

وعنه إبراهيم الحربيّ ، وأبو بكر بن أبي الدنيا وغيرهما . قُتِل الرِّياشي[(٦)] في البصرة في هذه السنة ، قَتَلَه الزَّنْج فيمن قتلوا .

ذكره القاضي ابن خلكان[(٧)] في « الوفيات » .

وحكي عنه [عن][(٨)] الأصمعي ، أنه قال : مرَّ بنا أعرابيٌّ يَنْشُدُ ابْنَه ، فقلنا له : صفه لنا ، فقال : كأنه دنينير ، فقلنا : لم نره ، فلم يلبث أن جاء يحمله على عنقه أُسَيِّد[(٩)] كأنه سفل[(١٠)] ، فقلنا له : لو

(١) في آ ، ط : يزيد . وهو زيد بن أخْزَم ، بمعجمتين ، الطائي ، النبهاني ، أبو طالب البصري . ثقة ، حافظ ، استشهد في كائنة الزَّنج بالبصرة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٠) ، وتقريب التهذيب (١/ ٢٧١) .

(٢) في آ ، ط : الرقاشي ، وهو تحريف . وهو عبَّاس بن الفرج الرِّياشي ، أبو الفضل البصري النحوي ، شيخ الأدب . قتلته الزَّنج بالبصرة وله ثمانون سنة . وكان إماماً في اللغة والنحو ، أخبارياً ، علامة ، ثقة .
مراتب النحويين (٧٥) ، تاريخ بغداد (١٢/ ١٣٨) ، معجم الأدباء (١٢/ ٤٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٧) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٧٢) ، معجم الأدباء (١٢/ ٤٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٧) .

(٣) عليّ بن خَشْرم بن عبد الرحمن ، أبو الحسن المروزي ، ابن أخت بشر الحافي . الإمام الحافظ الصدوق . حدث عنه مسلم والترمذي والنسائي وابن خزيمة وطائفة . قال أبو رجاء : سمعته يقول : صُمت ثمانية وثمانين رمضاناً .
سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٥٢) .

(٤) عبد الله بن سعيد الكندي الكوفي الحافظ المفسِّر ، صاحب التصانيف . صدوق ، توفي في هذه السنة وقد نيف على التسعين . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٢) ، العبر (٢/ ١٥) .

(٥) تقدمت ترجمته قبل قليل . وفي آ : الرقاشي .

(٦) في آ : الرقاشي .

(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٢٧) .

(٨) زيادة من ب ، ظا . وفيات الأعيان (٣/ ٢٧) .

(٩) « أُسَيِّد » : تصغير أسود ، ويقال : أسَيْود ، أي : قارب السَّواد .

(١٠) في ط : سفل القدر . وفي الوفيات : كأنه جُعَلٌ قد حمله على عنقه .

سألتنا عن هذا لأرشدناك إليه ، إنه منذ اليوم هاهنا يلعب مع الغلمان . ثم أنشد الأصمعيُّ[١] :

نِعْمَ ضجيعُ الفَتَى إذا بَرَدَ اللـ ـيـلُ سُحيـراً وقَـرْقَـفَ الصَّـرَدُ
زَيَّنَهـا اللهُ فـي الفـؤادِ كَمَـا زُيِّـنَ فـي عَيْـنِ وَالِـدٍ وَلَـدُ

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومئتين

في يوم الإثنين لعشرٍ بَقين من ربيع الأول عقد الخليفة المعتمد على الله لأخيه أبي أحمد على ديار مصر وقنَّسرين والعواصم ، وجلس يوم الخميس مستهلّ ربيع الآخر ، فخلع على أخيه وعلى مُفْلِح ، وركبا نحو البصرة في جيشٍ كثيف في عَدد وعُدد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتِلَ مُفْلِح للنصف من جمادى الأولى ، أصابه سهمٌ بلا نصْلٍ في صدره فأصبح ميتاً ، وحملت جثته إلى سامُرّا ودُفن بها .

وفيها : أُسِرَ يحيى بن محمد البحرانيّ ، أحدُ أمراء صاحب الزَّنْج الكبار ، وحُمِلَ إلى سامُرّا ، فضرب بين يدي المعتمد مئتي سوط ، ثم قُطعت يداه ورجلاه من خلاف ، ثم خُبط بالسيوف ، ثم ذُبح ، ثم أحرِقَ .

وكان الذي أسروه جيش أبي أحمد في وقعةٍ هائلةٍ مع الزَّنْج ؛ قبَّحهم الله . ولمَّا بلغ خبرُه صاحبَ الزَّنْج أسِفَ على ذلك ، ثم قال : لقد خوطبت فيه فقيل لي : قَتْلُه كان خيراً لك ؛ لأنه كان شرِهاً يخفي من المغانم خيارها .

وقد كان هذا اللعين ، أعني صاحب الزَّنْج ، المدّعي إلى غير أبيه ، يقول : لقد عُرِضَتْ عليَّ النبوّة فخفْتُ أن لا أقومَ بأعبائها ، فلم أقبلْها .

وفي ربيع الآخر وصل سعيد بن أحمد الباهليُّ إلى باب السلطان ، فضرب سبعمئة سوط حتَّى مات ، ثم صُلِبَ .

وفيها : قتل قاضٍ وأربعة وعشرون رجلاً من أصحاب صاحب الزَّنْج عند باب العامة بسامُرَّا .

وفيها : رجع محمد بن واصل إلى طاعة السلطان ، وحمل خراج فارس ، وتمهَّدت الأمور هناك ، واستقلَّت على السّداد .

وفي أواخر رجب كانت بين أبي أحمد وبين الزَّنْج وقعةٌ هائلةٌ ، قتل فيها خلْق من الفريقين .

ثم استوخَمَ أبو أحمد منزله ، فتحيَّز إلى واسط ، فنزلها في أوائل شعبان ، فوقعت هناك زلزلة

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٢٧) .

شديدة وهدَّة عظيمة ، تهدَّمت بسبب ذلك دور كثيرة ، ومات من الناس نحو من عشرين ألفاً .

وفي هذه السنة وقع في الناس وباءٌ شديد ببغداد وسامُرَّا وواسط وغيرها من البلاد ، وحصل للناس ببغداد داءٌ يقال له : القُفَّاع(١) ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الخميس لسبعٍ خلون من رمضان أخِذ رجلٌ(٢) من باب العامّة بسامُرَّا ، ذُكر عنه أنه يسبُّ السلف ، فضُرب ألف سوط وخمسين سوطاً حتى مات .

وفي يوم الجمعة ثامنه توفي الأمير يارجُوخ فصلَّى عليه أخو الخليفة أبو عيسى ، وحضره جعفر بن المعتمد على الله .

وفيها : كانت وقْعَةٌ هائلة بين موسى بن بُغَا وبين أصحاب الحسن بن زيد ببلاد خراسان ، فهزمهم موسى بن بُغَا هزيمة فظيعة .

وفيها : كانت وَقْعَة بين مسرور البلخيّ وبين مُساور الخارجيّ ، فكسره مسرور ، فأسر من أصحابه جماعة كثيرة .

وحجَّ بالناس الفضل بن إسحاق المتقدم ذكره .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن بُدَيْل(٣) .

وأحمد بن حَفْص(٤) .

وأحمد بن سِنَان القَطَّان(٥) .

---

(١) « القُفَّاع » : داء تتقبَّض منه الأصابع .

(٢) في الطبري : يعرف بأبي فَقْعَس .

(٣) أبو جعفر اليَامِي الكوفي ، قاضي الكوفة ، ثم قاضي همذان . وكان صالحاً لما تقلد القضاء ، عادلاً في أحكامه ، وكان يسمى راهب الكوفة لعبادته . ذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن عدي : روى أحاديث أنكرت عليه ، وهو ممن يُكتب حديثه على ضعفه .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٣١) ، العبر (٢/ ٢٢) ، تهذيب التهذيب (١/ ١٧) .

(٤) أحمد بن حَفْص بن عبد الله بن راشد ، أبو علي النيسابوري ، قاضي نيسابور . روى عن أبيه وجماعة . إمام ثقة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٨٣) ، العبر (٢/ ٢٢) .

(٥) أحمد بن سِنان بن أسد بن حِبَّان ، أبو جعفر الواسطيّ القطَّان ، الحافظ المجوّد . سمع أبا معاوية وطبقته ، وصنف المسند ، كتب عنه ابن أبي حاتم ، وقال : هو إمام أهل زمانه . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٤٤) ، العبر (٢/ ٢٢) ، تهذيب الكمال (١/ ٣٢٢) .

وأحمد بن الفُرات[١] .

وحُمَيد بن الرَّبيع[٢] .

ومحمد بن سنجر[٣] ، صاحب المسند .

ومحمد بن يحيى الذُّهْليُّ[٤] .

ويحيى بن مُعاذ الرَّازي[٥] .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومئتين

في يوم الجمعة لأربعٍ بَقِين من ربيع الآخر رجع أبو أحمد بن المتوكل من واسط إلى سامُرَّاء ، وقد استخلف على حرب الخبيث صاحبِ الزَّنْج محمّداً الملقب بالمولَّد ، وكان شجاعاً شهماً .

وفيها : بعث الخليفة إلى كَنْجور نائب الكوفة جماعةً من القواد ، فذبحوه[٦] ، وأخذوا ما كان معه من المال ، فإذا هو أربعون ألف دينار .

---

(١) أحمد بن الفُرات بن خالد الضَّبِّيُّ ، أبو مسعود الرازي ، نزيل أصبهان . حافظ كبير حجّة ، طلب العلم في الصغر ، وعُدَّ من الحفَّاظ وهو شاب أمرد ، طوَّف النواحي ، سمع أبا أسامة وطبقته ، صنف المسند والتفسير ، وقال : كتبت ألف ألف وخمسمئة ألف حديث .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٨٠) ، العبر (٢/ ٢٢) ، تهذيب الكمال (١/ ٤٢٢) .

(٢) حُمَيْد بن الربيع بن مالك ، أبو الحسن اللخمي الكوفي ، قدم بغداد وحدَّث بها عن هشيم وابن عيينة وابن إدريس وغيرهم . قال عثمان بن أبي شيبة : أنا أعلم الناس به ، هو ثقة ، ولكنه شره مدلس . توفي بسُرَّ منْ رأى .
تاريخ بغداد (٨/ ١٦٢) ، والمنتظم (٥/ ١٢) .

(٣) أبو عبد الله الجرجاني . رحل في طلب العلم ، وسكن قرية من قرى مصر ، وصنف مسنداً ، سمع أبا نعيم وطبقته .
المنتظم (٥/ ١٥) ، العبر (٢/ ٢٣) .

(٤) أبو عبد الله الذُّهْليّ ، مولاهم ، النيسابوري ، أحد الأئمة الأعلام ، وإمام أهل الحديث بخراسان . كان الإمام أحمد يجلُّه ويعظِّمه . وقال أبو بكر بن أبي داود : هو أمير المؤمنين في الحديث . أكثر من الترحال ، وصنف التصانيف . عاش ستاً وثمانين سنة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٧٣) ، العبر (٢/ ٢٣) .

(٥) الزاهد العارف ، حكيم زمانه ، وواعظ عصره . دخل بلاد خراسان ثم انصرف إلى نيسابور ، فسكنها إلى أن توفي بها . وكتب على قبره : مات حكيم الزمان يحيى بن معاذ . ومن أقواله : الدرجات سبع : التوبة ، ثم الزّهد ، ثم الرِّضا ، ثم الخوف ، ثم الشوق ، ثم المحبَّة ، ثم المعرفة . حلية الأولياء (١٠/ ٥١) ، المنتظم (٥/ ١٦) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٥) .

(٦) في آ : فدعوه ، وهو تحريف .

وفيها : تغلَّب رجل جمَّال يقال له : « شركب » على مدينة مَرْو ، فانتهبها مَنْ كان معه مِن أتباعه ، وتفاقم أمره هناك .

ولثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة توجه موسى بن بُغا الكبير من سامُرَّا لحرب الخبيث ، وخرج الخليفة المعتمد لتوديعه ، وخلَعَ عليه عند مفارقته .

وخَرَج عبدُ الرحمن بن مُفْلِح إلى بلاد الأهواز نائباً عليها ؛ ليكون عوناً لموسى بن بُغَا على حرب صاحب الزَّنْج الخبيث ؛ لعنه الله ، فهزم عبدُ الرحمن بن مُفْلِح جيشاً للخبيث ، وقتَلَ مِن الزَّنْج خلْقاً كثيراً ، وأسَرَ طائفةً كبيرةً منهم ، وأرعبهم إرعاباً بليغاً ، بحيث لم يتجاسروا على موافقته مرَّةً ثانية ، وقد حرَّضهم الخبيثُ كُلَّ التحريض فلم ينجعْ فيهم .

ثم تواقع عبدُ الرحمن بن مُفْلِح وعليُّ بن أبان المهلبيُّ ؛ وهو مقدَّمُ جُيوشِ صاحبِ الزَّنْج ، فجرت بينهما حروب يطول شرحُها ، ثم كانت الدائرة على الزَّنْج ، ولله الحمد والمنَّة . فرجع عليٌّ بن أبان إلى الخبيث مغلولاً[١] مقهوراً ، مذموماً مدحوراً ، وبعث عبد الرحمن بن مفلح بالأسارى إلى سامُرَّا ، فبادر إليهم العامَّة فقتلوا أكثرهم ، وسلبوهم .

وفيها : تدنى[٢] ملك الروم ـ لعنه الله ـ إلى بلاد سُمَيساط ، ثم إلى مَلَطْية ، فقاتله أهلُها فهزموه ، وقتلوا بطريق البطارقة الذي كان معه ، ورجع إلى بلاده خاسئاً وهو حسير .

وفيها : دخل يعقوب بن الليث إلى نيسابور ، فظفر بالخارجي الذي كان بهَرَاة[٣] ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة، فقتله وحمل رأسَه على رمحٍ، وطيف به في الآفاق والأقاليم، ومعه رقعة مكتوبٌ فيها ذلك[٤] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس[٥] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن يعقوب[٦] [**بن إسحاق**][٧] [**أبو إسحاق**][٨] **الجُوْزَجَانيّ** ، خطيب دمشق، له المصنفات المفيدة ، منها « المترجم » فيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة .

---

(١) في الأصول : مغلولاً ، وفي ط : مغلوباً ، وأثبت ما جاء في الطبري (٩/ ٥٠٦) .
(٢) الطبري : غلب صاحب الروم على سُمَيساط . . .
(٣) « هَرَاة » : مدينة عظيمة مشهورة ، من أمهات مدن خراسان . ياقوت .
(٤) ذكر الطبري أنه كتب فيها : هذا رأس عدوّ الله عبد الرحمن الخارجي بهَرَاة ، ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة ، قتله يعقوب بن الليث .
(٥) زاد الطبري : المعروف ببُرَيه .
(٦) تهذيب الكمال (٢/ ٢٤٤) ، العبر (٢/ ٢٤) ، تهذيب التهذيب (١/ ١٨١) ، تقريب التهذيب (١/ ٤٦) .
(٧) من ط .
(٨) من ب ، ظا .

وأحمد بن إسماعيل السَّهْميّ[١] .

وحَجّاج بن يوسف الشاعر[٢] .

ومحمود بن آدم[٣] .

سنة ستين ومئتين من الهجرة

فيها وقَعَ غلاءٌ عظيم ببلاد الإسلام كلِّها حتى أجلى أكثرُ أهلِ البلدان منها ينتجعون غيرها ، ولم يبقَ بمكة أحدٌ من المجاورين ومن يشبههم ، حتى ارتحلوا إلى المدينة وغيرها من البلاد ، وخرج نائبُ مكّة منها ، وبَلَغَ كُرُّ[٤] الحنطة ببغداد مئةً وعشرين ديناراً ، واستمرَّ ذلك شهوراً .

وفيها : قَتْلُ صاحب الزَّنْج المستحوذ على البصرة لعليِّ بن زيدٍ صاحبِ الكوفة .

وفيها : أخذت الروم من المسلمين حصنَ لؤلؤة .

وحجَّ بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المذكور قبلها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن محمد الزَّعْفَرَانيُّ[٥] .

---

(١) أحمد بن إسماعيل بن محمد بن نُبَيْه ، أبو حُذَافة السَّهْمِيّ القرشيُّ المدني ، نزيل بغداد ، بقية المسندين . ضعَّفه الدارقطني وغيره ، وهو آخر من حدَّث عن مالك .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤) ، العبر (٢/ ٢٤) ، تهذيب الكمال (١/ ٢٦٦) .

(٢) حَجّاج بن يوسف بن حجّاج الثَّقفي ، أبو محمد بن أبي يعقوب البغدادي ، المعروف بابن الشَّاعر . كان أبوه شاعراً ، صحب أبا نواس وأخذ عنه ، وكان يلقَّب لَقْوة ، وكان منشؤه بالكوفة ، وأما ابنه حجاج هذا فبغداديّ المولد والمنشأ ، وفيها طلب العلم . ثقة ، من الحفاظ ، وممن يحسن الحديث .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠١) ، تهذيب الكمال (٥/ ٤٦٦) .

(٣) أبو أحمد ، ويقال : أبو عبد الرحمن المروزي ، صدوق ذكره ابن عدي في شيوخ البخاري ، وابن حبان في الثقات . تهذيب التهذيب (١٠/ ٦١) .

(٤) « الكُرُّ » : مكيال لأهل العراق ، أو ستون قفيزاً ، أو أربعون إردبّاً ويعادل (١٥٦٠) كغ .

(٥) أبو علي البغدادي الزَّعفراني ، يسكن محلة الزّعفراني . قرأ على الشافعي كتابه القديم ، وكان مقدماً في الفقه والحديث ، ثقة جليلاً ، عالي الرواية ، كبير المحلِّ . روى عن سفيان بن عيينة وطبقته ، وكان من أذكياء العلماء .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٢) ، العبر (٢/ ٢٠) .

وعبد الرحمن بن بشر[١] .

ومالك بن طَوْق[٢] ، الذي تنسب إليه رَحْبَة مالك بن طَوْق .

وحُنَيْن بن إسحاق العِبَاديّ[٣] ، الطبيب المشهور ، الذي عرَّب كتاب إقليدس وحرره بعدَه ثابت بن قُرَّة[٤] . وعرَّب حنين كتاب المجسطي أيضاً ، وغير ذلك من كتب الطب من لغة اليونان إلى لغة العرب . وكان المأمون شديدَ الاعتناء بذلك جداً ، وكذلك جعفر البرمكي قبله . ولحنين مصنَّفاتٌ كثيرةٌ في الطب ، وإليه تنسب « مسائل حنين » ، وكان بارعاً في فنه جدّاً .

وكانت وفاته يوم الثلاثاء لست خلون من صفر من هذه السنة ؛ قاله ابن خلكان[٥] .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومئتين

فيها انصرف الحسن بن زيد من بلاد الدَّيْلَم إلى طَبَرِسْتان ، وأحرق مدينة شالُوس[٦] ؛ لممالأتهم يعقوب بن الليث عليه .

---

(١) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم ، أبو محمد ، ابن الإمام أبي عبد الرحمن العَبْدي النيسابوري . محدّث ، ثقة ، جواد . حدث عنه البخاري ومسلم وطائفة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤٠) ، تهذيب التهذيب (٦/ ١٤٤) .

(٢) هو مالك بن طَوْق بن عتاب التغلبي ، أبو كلثوم ، أمير عرب الشام ، من الأشراف الفرسان الأجواد . ولي إمرة دمشق والأردنّ ، وفيها توفي ، بنى بمساعدة الرشيد بلدة الرحبة التي على الفرات بين الرقة وبغداد ، وتعرف برحبة مالك ، نسبة إليه ، وكثر سكانها في أيامه ، وكان فصيحاً ، له شعر .
معجم البلدان (٣/ ٣٤) ، فوات الوفيات (٣/ ٢٣١) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢) .

(٣) أبو زيد ، طبيب ، مؤرخ ، مترجم . كان أبوه صيدلانياً ، من أهل الحيرة ، وسافر حنين إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد ، وانتقل إلى بغداد فأخذ الطبَّ عن يوحنا بن ماسويه وغيره ، وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية . واتصل بالمأمون فجعله رئيساً لديوان الترجمة ، ولخّص كثيراً من كتب أبقراط وجالينوس ، وأوضح معانيها . وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية من الكتب .
له ترجمة في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١/ ١٨٤) ، ووفيات الأعيان (٢/ ٢١٧) ، والعبر (٢/ ٢٠) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢) ، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٧٧) .

(٤) هو ثابت بن قُرَّة بن زهرون الحرَّاني ، أبو الحسن ، الصَّابىء ، طبيب ، حاسب ، فيلسوف . لم يكن في زمانه من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة . صنف نحو (١٥٠) كتاباً ، منها الذخيرة في علم الطب . مات سنة ٢٨٨هـ .
له ترجمة في طبقات الأطباء (١/ ٢١٥) ، ووفيات الأعيان (١/ ٣١٣) ، والأعلام للزركلي (٢/ ٩٨) .

(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٢١٨) .

(٦) « شالوس » : مدينة بجبال طبرستان ، وهي أحد ثغورهم . ياقوت .

وفيها : قَتْلُ مُساور الخارجي ليحيى[١] بن جعفر الذي كان يلي طريق خراسان في جمادى الآخرة ، فشخص إليه مسرور البلخيّ ، ثم تبعه أبو أحمد بن المتوكل ، فتنحّى مساور فلم يلحَقْ .

وفيها كانت وقعة بين ابن واصل الذي تغلّب على فارس ، وبين عبد الرحمن بن مُفْلِح ، فكسره ابنُ واصل ، وأسره ، وقتل طاشتمر ، واصطلم[٢] الجيش الذين[٣] كانوا معه ، فلم يفلت منهم إلا اليسير .

ثم سار ابنُ واصل إلى واسط يريد حرب موسى بن بُغَا ، فرجع موسى بن بُغَا إلى باب السلطان ، وسأل أن يعفى من نيابة بلاد المشرق ؛ لما رأى من كثرة المتغلبين بها ، فعُزل عنها ، وولي ذلك أبو أحمد أخو الخليفة المعتمد .

وسار أبو الساج لحرب الزَّنْج ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكسرتهم الزَّنْج ، ودخلوا الأهواز فقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأحرقوا منازلهم .

ثم صُرِف أبو الساج عن نيابة الأهواز وحَرْبِ الزَّنْج ، ووَلِّي ذلك إبراهيم بن سيما .

وتجهَّز مسرور البلخيّ في جيش لقتال الزنج أيضاً .

وفيها : ولّي نصر بن أحمد بن أسد السامانيّ ما وراء نهر بلخ ، وكتب إليه بذلك في شهر رمضان منها .

وفي شوّال من هذه السنة قصد يعقوب بن الليث إلى ابن واصل ، فالتقيا في ذي القعدة ، فهزمه يعقوب وفلَّ عسكره ، وأسر خاله[٤] وطائفة من حرمه ، وأخذ من أمواله ما قيمته أربعون ألف ألف درهم ، وقتل من كان يمالئه وينصره من أهل تلك البلاد ، وأطَّد[٥] تلك الناحية ، جزاه الله خيراً .

ولاثنتي عشرة ليلة خلَتْ من شوّال من هذه السنة ولّى المعتمدُ على الله ولدَه جعفراً العهدَ من بعده ، وسمّاه المفوّض إلى الله ، وولاه المغرب ، وضمَّ إليه موسى بن بُغَا ، وولاه إفريقيةَ ، ومصر ، والشام ، والجزيرة ، والموصل ، وإرمينية ، وطريق خُراسان وغير ذلك ، وجعل الأمر من بعد جعفر إلى أبي أحمد بن المتوكل ، ولقّبه الموفَّق بالله ، وولاه المشرق ، وضمَّ إليه مسروراً البلخيَّ ، وولاه بغداد ، والسواد ، والكوفة ، وطريق مكّة والمدينة ، واليمن ، وكَسْكر ، وكُور دجلة ، والأهواز وفارس ، وأصبهان ، وقُمَّ ، والكرخ ، والدِّينَوَر ، والرَّيّ ، وزِنجان[٦] ، والسِّند ، وكُتب بذلك مكاتبات وقرئت في الآفاق ، وعُلِّق منها نسخةٌ بالكعبة المعظمة .

---

(١) في ط والطبري : يحيى بن حفص . وما هنا موافق لما في الكامل (٧/ ٢٨٨) .
(٢) « اصطلم » : استأصل وأباد .
(٣) في ب ، ظا : الذي كان معهما .
(٤) في ط : رجاله ، وفي الطبري : وأسر مرداساً خال ابن واصل .
(٥) يقال : وطَّدَ الله للسلطان ملكه وأطَّدَه إذا ثبته (اللسان) .
(٦) زاد في الطبري (٩/ ٥١٤) : وقزوين وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند .

وحجَّ بالناس فيها الفضلُ بن إسحاق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن سليمان الرُّهاوِيُّ[١] .

وأحمد بن عبد الله العِجْليُّ[٢] .

والحسن بن أبي الشَّوارب ، بمكّة[٣] .

وداود بن سليمان[٤] **الجعفريّ** .

وشعيب بن أيُّوب[٥] .

وعبد الله بن الواثق ، أخو المهتدي بالله .

وأبو شعيب السوسيّ[٦] .

---

(١) أحمد بن سليمان بن عبد الملك الرُّهاوي ، أبو الحسين ، الحافظ ، محدّث الجزيرة ، سمع زيد بن الحُبَاب وطبقته . قال النسائي : ثقة مأمون ، صاحب حديث .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧٥) ، تهذيب الكمال (١/ ٤٢٠) .

(٢) أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم ، أبو الحسن العِجْلي الكوفي ، نزيل مدينة اطرابلس المغرب ، الحافظ الزاهد ، صاحب التاريخ ، والجَرْح والتعديل . نزح إلى المغرب أيام محنة القرآن ، وسكنها ، وقبره هناك على الساحل ، وقبر ولده صالح إلى جنبه . مات وله ثمانون سنة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٠٥) ، العبر (٢/ ٢٧) .

(٣) هو الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، أبو محمد ، قاضي قضاة الخليفة المعتمد ، وأحد العلماء الأجواد الممدَّحين .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥١٨) ، العبر (٢/ ٢٨) .

(٤) كذا في الأصول ، ولعل صوابه : أبو سليمان ، وهو داود بن عبد الله بن أبي الكرم الجعفريّ ، أبو سليمان المدني . ذكره ابن حبّان في كتاب « الثقات » ، وقال : يخطئ .
تهذيب الكمال (٨/ ٤٠٩) .

(٥) شعيب بن أيوب بن زُريق الصّريفيني القاضي ، أصله من واسط ، وسكن صريفين بلدة بالقرب من بغداد . صدوق يدلس ، ذكره ابن حبّان في الثقات . مقرئ واسط وعالمها .
تهذيب التهذيب (٤/ ٣٤٨) ، وتقريب التهذيب (١/ ٣٥١) ، وطبقات القراء (١/ ٣٢٧) وفيه رزيق .

(٦) هو صالح بن زياد بن عبد الله ، الرُّسبي السُّوسي الرّقّي ، مقرئ أهل الرقّة وعالمهم ، صدوق ، صاحب سنّة . مات وقد قارب التسعين .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٨٠) ، العبر (٢/ ٢٨) ، طبقات القراء (١/ ٣٣٢) .

وأبو يزيد البِسْطَاميُّ ، أحد أئمة الصوفية[١] .

وعليُّ بن إشكاب[٢] ، وأخوه محمد[٣] .

ومسلم بن الحجَّاج ، صاحب الصحيح ؛ رحمهم الله تعالى .

وهذا ذكر شيء من أخبار مسلم بن الحجَّاج[٤] ، على سبيل الاختصار ، رحمه الله وأكرم مثواه

مسلم بن الحجَّاج بن مسلم ، أبو الحسين القشيري النيسابوري ، أحدُ الأئمة ، من حفاظ الحديث ، صاحبُ الصحيح الذي هو تلو الصحيح للبخاريّ عند أكثر العلماء .

وذهب المغاربة وأبو علي النيسابوريّ ، شيخ الحاكم النيسابوري من المشارقة ، إلى تفضيل « صحيح مسلم » على « صحيح البخاري » ؛ فإن أرادوا تقديمه عليه في كونه ليس فيه شيء من التعليقات إلا القليل ، وأنَّه يسوق الأحاديث بتمامها في موضعٍ واحدٍ ، ولا يقطِّعها كتقطيع البخاري لها في الأبواب ، فهذا القدر لا يوازي قوَّة أسانيد البخاري واختياره في الصحيح[٥] ما أورده في جامعه معاصرةَ الرَّاوي لشيخه ، وسماعه منه في الجملة ، فإنَّ مسلماً لا يشترط في كتابه الشرط الثاني ، كما هو مقرر في علوم الحديث[٦] ، وقد بسطت ذلك في أول شرح البخاري ، ولله الحمد والمنّة ، في ترجمة الإمام البخاري ، رحمه الله .

---

(١) طيفور بن عيسى ، أحدُ الزُّهَّاد ، له شطحات ، نسبته إلى بسطام ، بلدة بين خراسان والعراق ، أصله منها ، وتوفي فيها . له أخبار كثيرة؛ كان يقول : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء ، فلا تغترُّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الشريعة . ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية .
حلية الأولياء (١٠/ ٣٣) ، صفة الصفوة (٤/ ١٠٧) ، العبر (٢/ ٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٦) .

(٢) هو أبو الحسن ، محدث فاضل متقن . طال عمره ، وتزاحم عليه الطلاب . وثقه النسائي وغيره . مات وله بضع وثمانون سنة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٥٢) .

(٣) محمد بن إشكاب ، أبو جعفر ، أخو علي بن إشكاب ، ومحمد هو الأصغر والأحفظ . إمام حافظ ثقة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٥٢) .

(٤) له ترجمة في تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٠) ، طبقات الحنابلة (١/ ٣٣٧) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٨) ، العبر (٢/ ٢٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٥٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٤٤) .

(٥) في ب : تصحيح .

(٦) قال الإمام النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم (ص١٤) : اتفق العلماء ـ رحمهم الله ـ على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان : البخاري ومسلم ، وتلقتهما الأمة بالقبول ، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة ، وقد صح أنَّ مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث . وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار .

والمقصود الآن أن مسلماً رحَلَ إلى العراق والحجاز والشام ومصر ، وسمع من جماعةٍ كثيرين قد أوردهم شيخنا الحافظ المِزِّيُّ في تهذيبه[١] ، مرتبين على حروف المعجم .

وروى عنه جماعة كثيرون ؛ منهم الترمذيُّ في « جامعه » حديثاً واحداً وهو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أنَّ رسول الله ﷺ ، قال[٢] : « أحصوا هلال شعبان لرمضان » .

وصالحُ بن محمد جَزَرَة ، وعبدُ الرحمن بن أبي حاتم ، وابنُ خُزَيْمة ، وابنُ صاعد ، وأبو عَوَانَة الإسفراييني .

وقال الخطيب البغدادي[٣] : أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب ، أخبرنا محمد بن نعيم الضَّبِّيُّ ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، [قال] : سمعت أحمد بن سَلَمة ، يقول : رأيت أبا زُرْعة وأبا حاتم يقدِّمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما .

وأخبرني ابن يعقوب ، أخبرنا محمد بن نعيم ، [قال] : سمعت الحسين بن محمد الماسرْجِسِيّ ، يقول : سمعت أبي يقول : سمعتُ مسلم بن الحجَّاج يقول : صنَّفت هذا « المسند الصحيح » من ثلاثمئة ألف حديث مسموعة[٤] .

وروى الخطيب[٥] قائلاً : حدثني أبو القاسم عبد الله[٦] بن أحمد بن علي السُّوذَرجاني بأصبهان ، سمعت محمد بن إسحاق بن مَنْدَه ، سمعت أبا علي الحسين بن علي النيسابوريّ يقول : ما تحتَ أديم السَّماء أصحُّ من كتاب ابن الحجَّاج في علم الحديث .

وقد ذُكِرَ مسلمٌ عند إسحاق بن راهَوَيْه فقال بالعجمية ما معناه : أيَّ رجلٍ كان هذا[٧] ؟! .

وقال إسحاق بن منصور لمسلم : لن يَعْدَمَ الخيرُ ما أبقاكَ اللهُ للمسلمين[٨] .

---

(١) تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٩٩ ـ ٥٠٤) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم (٦٨٧) في الصوم : باب ما جاء في إحصاء هلال شعبان لرمضان ، عن مسلم ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث ، وقال : حديث غريب . يعني ضعيف .

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠١) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٣) .

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٥) .

(٥) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠١) ، ووفيات الأعيان (٥/ ١٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٦) .

(٦) في ط : « عبيد الله » ، خطأ ، وهو شيخ للخطيب معروف ، توفي سنة ٤٢٥هـ . تنظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات ٤٢٥هـ) .

(٧) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٣) .

(٨) في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٣) : قال أبو عمرو المستملي : أملى علينا إسحاقُ الكَوْسَج سنة إحدى وخمسين ، ومسلم ينتخِب عليه ، وأنا أستملي ، فنظر إليه إسحاق . وقال : لن نَعْدَمَ الخير ما أبقاك الله للمسلمين .

وقد أثنى عليه جماعة من علماء أهل الحديث وغيرهم .

وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأخرم : قلَّ ما يفوتُ البخاريَّ ومُسْلماً مما يثبتُ في الحديث[١] .

وروى الخطيبُ[٢] ، عن أبي عمرو محمد بن حَمدان الحيريّ ، قال : سألْتُ أبا العباس أحمد بن سعيد بن عُقْدَة الحافظ عن البُخاريِّ ومسلم : أيُّهما أعلمُ ؟ فقال : كان البخاريُّ عالماً ، ومسلمٌ عالماً ، فكرَّرْتُ ذلك مراراً وهو يردّ على هذا الجواب ، ثم قال لي : يا أبا عمرو ! قد يقَعُ للبخاري الغَلَطُ في أهل الشام ، وذلك أنَّه أخَذَ كتبهم ، فَنَظَر فيها ، فربَّما ذكَرَ الواحدَ منهم بكُنْيَتِهِ ، ويذكره في موضعٍ آخَرَ بأَسْمِهِ ، ويتوهَّم أنَّهما اثنان . وأمَّا مُسْلمٌ فقلَّما يقَعُ[٣] له الغَلَطُ ؛ لأنه كتب المقاطيع والمراسيل .

قال الخطيب[٤] : إنما قفا مسلم طريقَ البخاري ، ونظر في علمه ، وحذا حَذْوَه . ولما ورد البخاريُّ نيسابورَ في آخر أمره ، لازمه مسلم ، وأدام الاختلاف إليه[٥] .

وقد حدثني عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفيُّ ، قال : سمعت أبا الحسن الدَّارقُطني يقول : لولا البخاريُّ ما ذَهَبَ مسلمٌ ولا جاء[٦] .

قال الخطيب[٧] : وأخبرني أبو بكر المنكَدِر[٨] ، حدثنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثني أبو نصر[٩] بن محمد الزراد ، سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون القصّار ، سمعتُ مُسلمَ بن الحجَّاج ، وجاء إلى محمّد بن إسماعيل البخاريّ ، فقبَّل بين عينيه ، وقال : دَعْني حتى أقبِّل رجليك يا أستاذَ الأستاذِين ، وسيِّدَ المُحدِّثين ، وطبيبَ الحديث في علله ؛ حدثك محمد بن سلام ، حدثنا مَخْلَدُ بن يزيد الحراني ، حدثنا ابنُ جُرَيْج ، عن موسى بن عُقبة ، عن سُهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ

---

(١) جامع الأصول (١/ ١٨٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٥) ، وفي حاشية هذا الأخير رقم (٢) ما نصه : إن كان يُراد من هذا الخبر ما دوّناه في صحيحيهما ففيه نظر ، لأنه قد فاتهما كثير من الأحاديث الصحيحة استدركها عليهما مَنْ أَلَّف في الصحيح ، كابن خزيمة ، وابن حبان ، وغيرهما .

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٥) .

(٣) كذا في الأصول . وفي سير أعلام النبلاء : يقع له من الغلط في العلل ، لأنه كتب المسانيد ، ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل .

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) .

(٥) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٧٢) .

(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، جامع الأصول (١/ ١٨٨) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٧٠) .

(٧) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٦) .

(٨) هو أحمد بن محمد بن عمر بن عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن المنكدِر ، القرشي ، التيمي ، المدني ، المنكدري ، نزيل خراسان ، توفي سنة ٣١٤هـ عن نيف وثمانين سنة . سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٢) .

(٩) في تاريخ بغداد : أحمد بن محمد الوراق .

في كَفَّارة المجلس[(١)] ، فما عِلَّته ؟ فقال البخاري : هذا حديثٌ مَلِيح ، ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غيرَ هذا الحديث[(٢)] ، إلا أنَّه معلولٌ[(٣)] ؛ حدثنا به موسى بن إسماعيل ، حدثنا وُهَيْب ، عن سُهَيْل ، عن عون بن عبد الله قَوْلَه ، قال البخاري : وهذا أولى ، فإنَّه لا يُعرف لموسى بن عقبة سماعٌ من سُهيل .

قلت : وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة ، وأوردت فيه طرقه وألفاظه ومتنه وعلله ، ولله الحمد والمنة .

قال الخطيب[(٤)] : وقد كان مسلم يناضل عن البخاري ، ثم ذكر ما وقع بين البخاري ومحمد بن يحيى الذهليِّ في مسألة اللفظ بالقرآن في نيسابور ، وكيف نُودي على البخاري بسبب ذلك بنيسابور ، وأنَّ الذُّهْليَّ قال يوماً لأهل مجلسه وفيهم مُسلم بن الحجَّاج : ألا مَنْ كان يقول بقول البخاري [في مسألة اللفظ][(٥)] فليعتزِلْ مجلسنا ؛ فنهض مسلم من فوره إلى منزله ، وجمع ما كان سمعه من الذُّهلي جميعَه وأرسل به إليه ؛ وترك الرواية عن الذُّهْلِيّ بالكلية ، فلم يَرْوِ عنه شيئاً ؛ لا في صحيحه ولا في غيره ، واستحكمت الوحشة بينهما . هذا ولم يتركه البخاريُّ ، بل روى عنه في صحيحه ، وعَذَرَه ، رحمه الله .

وقد ذكر الخطيب[(٦)] سبب موت مسلم رحمه الله أنَّهُ عُقد له مجلس للمذاكرة ، فسئل يوماً عن حديث لم يعرفه ، فانصرف إلى منزله ، فأوقَدَ السِّراج ، وقال لأهله : لا يدخل أحدٌ الليلة عليَّ ، وقد أُهدِيَتْ له سلَّة من تمرٍ ، فهي عنده يأكل تمرة ويكشف عن حديث ، ثم يأكل أخرى ويكشف عن حديثٍ آخر ، ولم يزل ذلك دأبه حتَّى أصبحَ وقد أكل تلك السلَّة وهو لا يشعر .

فحصل له بسبب ذلك ثقلٌ ومرضٌ من ذلك حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد ، ودُفن يوم الإثنين لخمس بَقِين من رجب سنة إحدى وستين ومئتين ، وذلك بنيسابور ، وكان مولده في السنة التي توفي فيها الشافعيُّ ، سنة أربع ومئتين ، وكان عمره سبعاً وخمسين سنة ؛ رحمه الله تعالى .

أبو يزيد البَسْطَامي[(٧)] : طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن عليّ ، أحدُ مشايخ الصّوفية ، وكان جده

(١) مضى تخريج الحديث في وفيات سنة ٢٥٦هـ .

(٢) صوابه : لا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا غير هذا الحديث، وهو المنقول عن البخاري لا قوله : لا أعلم في الدنيا في هذا الباب . فإن في الباب عدة أحاديث لا تخفى على البخاري، وانظر (فتح الباري) للحافظ ابن حجر (١٣/ ٥٤٤) (ع) .

(٣) انظر التعليق عليه في الصفحة (٢٥٤) .

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٣٠ ـ ٣٢ و١٣/ ١٠٣) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٣ ـ ٤٦٠ و٥٧٢) .

(٥) زيادة من ظا ، ط .

(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٣) ، تهذيب الكمال (لوحة ١٣٢٥) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٤) .

(٧) طبقات الصوفية (٦٧) ، حلية الأولياء (١٠/ ٣٣) ، صفة الصفوة (٤/ ١٠٧) ، المنتظم (٥/ ١٨) ، وفيات الأعيان (٢/ ٥٣١) ، سير أعلام النبلاء (٣/ ٨٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٤٣) .

مجوسيًّا فأسلم ، وكان لأبي يزيد أخوان صالحان عابدان ، وهو أجلُّ منهما ؛ وقد قيل له : بأيِّ شيءٍ وصلتَ إلى هذه المعرفة ؟ فقال : ببطنٍ جائعٍ ، وبدنٍ عارٍ .

وكان يقول : دعوْتُ نفسي إلى طاعة الله فلم تجبْني ، فمنعتها الماء سنةً .

وقال أيضاً : إذا نَظَرْتُم إلى الرجل قد أُعطِي من الكَرَامات حتَّى يرتفع في الهواء ، فلا تغْترُّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنَّهْي وحفظ الحدود وأداء الشريعة[١] .

قال القاضي ابن خلكان[٢] : وله مقامات كثيرة ، ومجاهدات مشهورة ، وكرامات ظاهرة . وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومئتين ؛ رحمه الله .

قلت : وقد حُكِي[٣] عنه كلمات فيها شطح ، وقد تكلَّم كثير من العلماء من الصوفيّة والفقهاء عليها ؛ فمِن متأوِّل على المحامِل البعيدة ، أو قائل : إن هذا قاله في حال الاصطلام[٤] والسُّكر ؛ ومن مبدِّعٍ ومخطئ ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومئتين

فيها قدم يعقوب بن الليث في جحافِل ، فدخل واسط قهراً ، فخرج الخليفة المعتمد بنفسه من سامُرَّا لقتاله ، فتوسَّط بين بغداد وواسطَ ، فانتدب له أبو أحمد الموفّق بالله أخو الخليفة ، في جيشٍ عظيمٍ ، على ميمنته موسى بن بُغا ، وعلى ميسرته مسرور البلخيُّ ، فاقتتلوا في رجب من هذه السنة أياماً قتالاً عظيماً هائلاً ، ثم كانت الغلبة على يعقوب وأصحابه ، وذلك يوم عيد الشعانين ، فقتل منهم خلق كثيرون ، وغنم منهم أبو أحمد شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والمسك والدواب . ويقال : إنهم وجدوا في جيش يعقوب هذا راياتٍ عليها صلبان .

ثم انصرف المعتمد إلى المدائن ، ورَدَّ محمد بن طاهر إلى نيابة بغداد ، وأمر له بخمسمئة ألف درهم .

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٤٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٨) .

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٥٣١) ، وجاء فيه : وكانت وفاته سنة إحدى وستين ، وقيل أربع وستين ومئتين .

(٣) في ط : وقد حكي عنه شطحات ناقصات ، وقد تأملها كثير من الفقهاء والصوفية ، وحملوها على محامل بعيدة . وقد قال بعضهم : إنه قال ذلك في حال الاصطلام والغيبة . ومن العلماء من بدَّعه وخطّأه ، وجعل ذلك من أكبر البدع ، وأنها تدل على اعتقادٍ فاسدٍ كامنٍ في القلب ، ظهر في أوقاته ، والله أعلم .

(٤) « الاصطلام » : الموت والانقطاع ، وهو هناك الغيبة .

وفيها : غلب يعقوب بن الليث على بلاد فارس ، وهرب ابنُ واصل منها .

وفيها : كانت حروب كثيرة بين صاحب الزَّنْج وجيش الخليفة .

وفيها : ولي القضاءَ عليُّ بن محمد بن أبي الشوارب .

وفيها : جمع للقاضي إسماعيل بن إسحاق قضاء جانبي بغداد .

وحَجَّ بالناس الفضلُ بن إسحاق العباسيّ .

قال ابن جرير(١) : وفيها وقع بين الحنَّاطين والخرَّازين(٢) بمكّة قتال ، فاقتتلوا يوم التَّروية أو قبلها بيوم ، فقتل منهم سبعة عشر نفساً ، وخاف الناس أن يفوتهم الحجُّ بسببهم ، ثم توادعوا إلى ما بعد الحجِّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

صالح بن عليّ بن يعقوب بن المنصور(٣) ، في ربيع الآخر منها .

وعُمَرُ بنُ شَبَّة النُّميريّ(٤) .

ومحمّد بن عاصم(٥) .

ويعقوب بن شَيْبَة(٦) ، صاحب المسند الحافل المشهور .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومئتين

فيها جرت حروبٌ كثيرة منتشرة في بلادٍ شتَّى ؛ فمن ذلك مقتلةٌ عظيمةٌ في الزَّنْج ، قبَّحهم الله ، حصرهم في بعض المواقف بعضُ الأمراء من جهة الخليفة ، فقتَلَ الموجودين عنده عن آخرهم ، ولله الحمدُ والمنّة .

---

(١) الطبري (٩/ ٥٢٦) .

(٢) في الطبري وابن الأثير : والجزارين .

(٣) له ذكر في الكامل لابن الأثير (٧/ ٢٢٩ ، ٣٠٥)

(٤) أبو زيد النميري البصري النحوي ، نزيل بغداد . الإخباري الحافظ الحجة ، صاحب التصانيف ، مستقيم الحديث ، صاحب أدب وشعر وأخبار ومعرفة بأيام الناس . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٦٩) ، تاريخ بغداد (١١/ ٢٠٨) .

(٥) محمد بن عاصم بن عبد الله ، أبو جعفر ، الأصبهاني ، العابد القدوة ، سمع سفيان بن عيينة وأبا أسامة وطبقتهما . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٧٧) ، العبر (٢/ ٢٥) .

(٦) أبو يوسف السدوسي البصري ثم البغدادي ، صاحب المسند الكبير ، العديم النظير ، المعلل ، الذي ما صنف أحد أكبر منه ، ولم يتمه ، تم من مسانيده نحو من ثلاثين مجلداً ، ولو كمُل لجاء في مئة مجلد . علامة ثقة . تاريخ بغداد (١٤/ ٢٨١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧٦) .

وفيها : سلَّمت الصقالبةُ حصنَ لؤلؤة إلى طاغية الروم ، لعنه الله .

وفيها : تغلَّب أخو شركب الجمّال على نيسابور ، وأخرج منها عاملها الحسين بن طاهر ، وأخذ من أهلها ثلث أموالها مصادرةً ، قبّحه الله .

وحجَّ بالناس فيها الفضلُ بن إسحاق العباسي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

مُسَاور بن عبد الحميد الشاري الخارجي[١] : وقد كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين ، والتفَّ عليه خلق من الأعراب وغيرهم ، وطالت مدَّتُه حتَّى قصمه الله .

ووزير الخلافة عبيد الله بن يحيى بن خاقان[٢] : صدمه في الميدان خادم ، يقال له : رشيق ، فسقط عن دابته على أمِّ رأسه ، فخرج دماغه من أذنيه وأنفه ، فمات بعد ثلاث ساعات ، وصلَّى عليه أبو أحمد الموفَّق بن المتوكل ، ومشى في جنازته ، وذلك يوم الجمعة لعشر خَلَوْن من ذي القعدة من هذه السنة . واستوزر من الغد الحسن بن مخلد ، فلمَّا قدم موسى بن بُغَا سامُرَّا عزلَه واستوزر مكانه سليمان بن وهب ، وسلِّمت دار عُبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الأمير المعروف بكَيْغَلَغ .

وأحمد بن الأزْهر[٣] .

والحسن بن أبي الرَّبيع[٤] .

ومعاوية بن صالح الأشعريّ[٥] .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومئتين

في المحرم منها عسكر أبو أحمد وموسى بن بُغَا بسامُرَّا ، وخرجا منها لليلتين مضتا من صفر ، وخرج

---

(١) الطبري (٩/ ٥٣٢) وما قبلها ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٣٠٩) وأماكن أخرى .

(٢) الطبري (٩/ ٥٣٢) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٣١٠) ، ومختصر ابن عساكر (١٦/ ١١) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٩) .

(٣) أحمد بن الأزهر بن منيع بن سليط ، أبو الأزهر العَبْدي النيسابوري ، محدث خراسان في زمانه . صدوق . تاريخ بغداد (٤/ ٣٩) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٦٣) .

(٤) الحسن بن يحيى بن الجعد العبدي الجرجاني ، نزيل بغداد ، حافظ صدوق .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٥٦) .

(٥) معاوية بن صالح بن الوزير بن يسار الأشعري ، أبو عبيد الله الأشعري الدمشقي ، حافظ مجوِّد . سأل يحيى بن معين وتخرج به . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٣) ، العبر (٢/ ٢٧) .

المعتمد لتوديعهما ، وسارا ، فلما سارا[(١)] إلى بغداد ، توفي الأمير موسى بن بُغَا بها ، وحُمِلَ إلى سامُرَّا ، ودُفِنَ بها .

وفيها : وُلِّي[(٢)] محمّد المولَّد واسطاً ؛ فحاربه سليمان بن جامع نائبُها من جهة الخبيث صاحبِ الزَّنْج ، فهزمه محمّد المولّد بعد حروب طويلة بينهما .

وفيها سار ابنُ الدَّيْرانيّ إلى مدينة الدِّينَوَر ، فاجتمع عليه دُلَف بن عبد العزيز بن أبي دُلَف وابنُ عياض ، فهزماه ونهبا أمواله ، ورجع[(٣)] مفلولاً .

ولما توفي موسى بن بُغا عزل الخليفة المعتمد الوزيرَ الذي كان من جهته وهو سليمان بن وهب[(٤)] ، وحبسه مقيّداً ، وأمر بنهب دوره ودور أقربائه ، وردَّ الحسن بن مخلد إلى الوزارة ، فبلغ ذلك أبا أحمد وهو ببغداد ، فسار بمن معه إلى سامُرَّا ، فتحصَّن منه أخوه المعتمد بجانبها الغربيّ ، فلمَّا كان يوم التَّروية عبر جيش أبي أحمد إلى الجانب الذي فيه المعتمد ، فلم يكن بينهم قتالٌ ، بل اصطلحوا على ردِّ سليمان بن وهب إلى الوزارة ، وهَرَبَ الحسنُ بن مخلد ، فنهبت أمواله وحواصله ، واختفى أبو موسى ابن المتوكِّل ، ثم ظهر . وهرب جماعة من الأمراء إلى الموصل خوفاً من أبي أحمد[(٥)] .

وحجَّ بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشميّ الكوفيّ .

وممن توفي فيها من الأعيان .

أحمد بن عبد الرحمن بن وَهْب[(٦)] .

وإسماعيل بن يحيى المُزَنيّ[(٧)] ، أحد رواة الحديث[(٨)] عن الشافعي ، من أهل مصر ، وقد ترجمناه في

---

(١) في ب : صارا وفي ط : وصلا .

(٢) في آ : وَلّى المعتمد المولَّد واسطاً .

(٣) في الطبري : ورجع إلى حُلوان مفلولاً . وتقرأ في ط والأصول مغلولاً .

(٤) في آ ، ط : سليمان بن حرب .

(٥) تاريخ الطبري (٩/ ٥٤٠ ـ ٥٤١) .

(٦) أبو عبيد الله المصري القرشيّ ، ولقبه بَحْشَل ، ابن أخي عالم مصر عبد الله بن وهب . حافظ محدث ، أكثر عن عمّه جدّاً ، وعن الشافعي وجماعة . صدوق ، له أحاديث مناكير ، وقد احتجَّ به مسلم . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣١٧) ، العبر (٢/ ٣٤) .

(٧) أبو إبراهيم ، تلميذ الشافعي ، فقيه المِلّة . كان زاهداً عابداً يغسّل الموتى حِسبة ، وصنَّف الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، وتفقه عليه خلق . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢) ، العبر (٢/ ٢٨) .

(٨) في آ ، ب : الجديد .

طبقات الشافعيين[١] ، وترجمه ابن خلكان[٢] في الوفيات أيضاً ، فأحسن وأطنب وأطيب .

وأبو زُرْعَة[٣] : عُبَيْد الله بن عبد الكريم الرَّازي ، أحد الحفاظ المشهورين ، قيل : إنه كان يحفظ سبعمئة ألف حديث ، وكان فقيهاً ورعاً زاهداً عابداً خاشعاً متواضعاً ، أثنى عليه أهل[٤] زمانه ، وشهدوا له بالتقدّم على أقرانه .

وكان في حال شبيبته إذا اجتمع بأحمد بن حنبل للمذاكرة ، يقتصر أحمد على الصَّلوات المكتوبات ، ولا يفعل المندوبات ، اكتفاءً بالمذاكرة .

وكانت وفاته يوم الاثنين سلخ ذي الحجة من هذه السنة ، وكان مولده سنة مئتين ، وقيل : سنة تسعين ومئة ، وقد ذكرنا ترجمته مبسوطة في التكميل .

ومحمد بن إسماعيل بن عُلَيَّة ، قاضي دمشق[٥] .

ويُونس بن عبد الأعْلى الصَّدَفي المصريّ[٦] ، ممن روى عن الشافعيّ أيضاً ؛ وقد ذكرناه في « التكميل » وفي « الطبقات » .

وقبيحة أمُّ المعتز[٧] : إحدى حظايا المتوكل على الله ، جمعت من الجواهر واللآلئ والذهب والمصاغ ما لم يعهد لمثلها . ثم سُلِبت ذلك كلّه ، وقتل ولدها المعتزّ ، وشحَّتْ عليه بخمسين ألف دينار تداري بها عنه ، وكانت وفاتها في ربيع الأول من هذه السنة .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومئتين

فيها كانت وقعة بين ابن لَيثَوَيْهِ عامل أبي أحمد على جُنْبُلاء[٨] ، وبين سليمان بن جامع ، ظفر فيها ابنُ ليثَوَيْهِ بابن جامع الذي من جهة الخبيث صاحبِ الزَّنْج ، فقتل خلقاً من أصحابه ، وأصاب منهم

---

(١) في ب ، ظا : الشافعية .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٢١٧ ـ ٢١٩) .
(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٢٦) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٩٩) ، المنتظم (٥/ ٤٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٥) ، العبر (٢/ ٣٤) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٤٧) .
(٤) في ب ، ظا : أئمة .
(٥) أبو بكر ، وأبو عبد الله ، قاضي دمشق ومفتيها ومحدثها ، حافظ ثقة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٩٤) .
(٦) أبو موسى ، المقرىء الحافظ المحدث ، قرأ القرآن على وَرْش صاحب نافع ، وكان من كبار العلماء في زمانه بمصر . تفقه على الشافعي ، ووثقه النسائي . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤٨) ، العبر (٢/ ٣٥) .
(٧) الطبري (٩/ ٣٩٣) ، والمنتظم (٥/ ٤٨) .
(٨) « جُنْبُلاء » : كورة وبليد ، وهو منزل بين واسط والكوفة . ياقوت .

سبعة وأربعين أميراً ، وحرق له مراكبَ كثيرة ، وغنم منهم أموالاً جزيلة ، ولله الحمد والمنة .

وفي المحرم من هذه السنة حاصر أحمد بن طولون نائبُ الديار المصرية مدينة أنطاكية ، وفيها سيما الطويل ، فأخذها فلم يزل [حتى افتتحها بعد حروب يطول ذكرها ، وقتل سيما المذكور ، وأقام بها حتى][١] جاءته هدايا ملك الروم ، وفيها جماعة أسارى من المسلمين ، مع كل أسيرٍ مصحف ، ومنهم عبد الله بن رشيد بن كاوس الذي كان عامل الثغور ، فاجتمع لأحمد بن طولون مُلْكُ الشام بكماله مع الدّيار المصرية ، لأنه لما مات نائبُ دمشق أماخور[٢] ركب ابن طولون من مصر فتلقاه ابن أماخور إلى الرملة ، فأقره عليه ، وسار إلى دمشق ، فدخلها ، ثم إلى حمص فتسلمها ، ثم إلى حلب فاستحوذ عليها ، ثم ركب إلى أنطاكية فكان من أمره ما فرغ من ذكره .

وكان أحمد بن طولون قد استخلف على الديار المصرية ابنَه العباس ، فلما بلغه قدومُ أبيه عليه ، أخذ ما كان في بيت المال من الحواصل ، ووازره جماعة على ذلك ، فصاروا إلى بَرْقة ، خارجاً عن طاعة أبيه ، فبعث إليه من أخذه ذليلاً حقيراً ، وردُّوه إلى مصرَ ، فحبسه ، وقتلَ جماعةً من أصحابه[٣] .

وفيها : خرج[٤] رجل يقال له : القاسم بن مهاة على دُلَف بن عبد العزيز بن أبي دُلَف العجلي ، فقتله ، واستحوذ على أصبهان . فانتصر أصحاب دُلَف له ، فقتلوا القاسم هذا ، ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز .

وفيها : لحق محمد المولَّد بيعقوب بن الليث ، فصار إليه في المحرم منها ، فأمر السلطان بنهب أمواله وحواصله وأملاكه وضياعه .

وفيها : دخل صاحبُ الزَّنج إلى النُّعْمَانِيَّة[٥] ، فقتل وحرق ، ثم سار إلى جَرْجَرَايا[٦] ، فانزعج الناس ، ودخل أهلُ السَّواد إلى بغداد ، فلجؤوا إليها محصورين .

وفيها : ولَّى أبو أحمد عمرَو بن الليث خراسان وفارس وأصبهان وسِجستان وكرمان والسند ، ووجّه إليها بذلك ، وبالخلع والتُّحف .

---

(١) من ب ، ظا .

(٢) في ب ، ظا : أباجور .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٢٤ـ٣٢٥) .

(٤) في ب ، ظا : وثب .

(٥) « النُّعْمانيّة » : بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة ، معدودة من أعمال الزاب الأعلى . ياقوت .

(٦) « جَرْجَرَايا » : بلد من أعمال النهروان الأسفل ، بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي . ياقوت .

وفيها : حاصرت الزَّنْج تُسْتَر[١] حتى كادوا يفتحونها ، فوافاهم تكين البخاريّ ، فلم يضع ثياب سفره حتَّى ناجز الزَّنْج فهزمهم هزيمة فظيعة منكرة جدّاً ، وقتل منهم خلقاً لا يحصون كثرة ، وهرب أميرُهم عليُّ بن أبان المهلبيّ مفْلولاً[٢] مخذولاً مدحوراً ؛ قال ابنُ جرير[٣] : وهذه وقعة مادمودك[٤] المشهورة .

ثم إن عليّ بن أبان المهلبيّ أخذ في مكاتبة تكين واستمالته إليه ، وإلى صاحب الزَّنج ، فشرع تكين في الإجابة إلى ذلك ، فبلغ مسروراً البلخيّ ، فسار نحوه ، وأظهر له الأمان حتى أخذه ، فقيَّده ، وتفرَّق جيشه عنه ، ففرقة صارت إلى الزَّنج ، وفرقة إلى محمد بن عبيد الله الكرديّ ، وفرقة انضافت إلى مسرور البلخيّ بعد إعطائه إياهم الأمان ، وولَّى مكانه على عمالته أميراً آخر يقال له : أغرتمش .

وحجَّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى العباسيّ .

توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن منصور الرَّماديّ[٥] ، راوية عبد الرزاق ، وقد صحب الإمام أحمد ، كان يُعدُّ من الأبدال ، عن ثلاث وثمانين سنة .

وسَعْدان بن نصر[٦] .

وعبد الله بن محمد المُخَرِّمِيّ[٧] .

وعليّ بن حرب الطائي الموصليّ[٨] .

وأبو حفص النَّيسابوريّ[٩] .

---

(١) « تُسْتَر » : مدينة كبيرة بخوزستان . ياقوت . .
(٢) في الأصول مغلولاً ، والمثبت من الطبري .
(٣) الطبري (٩/٥٤٦) .
(٤) في الطبري : باب كودك ، وفي الكامل لابن الأثير : باب كورك .
(٥) أحمد بن منصور بن سيّار بن المبارك البغدادي ، أبو بكر ، المعروف بالرَّمادي . حافظ ثقة . تهذيب الكمال (١/٤٩٢) .
(٦) سعدان بن نصر بن منصور ، أبو عثمان الثقفي البغدادي البزّاز ، اسمه سعيد ، ولقب بسَعْدان ، محدّث صدوق ، من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٢/٣٥٧) .
(٧) أبو محمد ، المحدّث الفقيه الورع . صدوق . سير أعلام النبلاء (١٢/٣٥٩) .
(٨) أبو الحسن ، المحدث الثقة الأديب ، مسند وقته . من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٢/٢٥١) .
(٩) عمرو بن سلم ، وقيل : عمر . وقيل : عمرو بن سلمة ، الزاهد ، شيخ خراسان . كان حداداً ، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور . سير أعلام النبلاء (١٢/٥١٠) .

وعليّ بن موفق الزاهد(١) .

ومحمد بن سَحْنون(٢) .

قال ابن الأثير في كامله(٣) :

وفيها : قُتِلَ أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشيّ ، صاحبُ أبي عبيدة والأصمعيّ ، قتلته الزَّنْج بالبصرة .

ويعقوب بن الليث الصَّفَّار(٤) : أحد الملوك العقلاء الأبطال ، فتح بلاداً كثيرة ؛ ومن ذلك بلد الرُّخَّج(٥) التي كان بها ملكٌ يُحمل في سرير من ذهب على رؤوس اثني عشر رجلاً ، وكان له بيت في رأس جبل عالٍ سمَّاه مكة ، فما زال حتَّى قتله وأخذ بلده ، وأسلم أهلُها على يديه ، ولكن كان قد خرج عن طاعة الخليفة وقاتله أبو أحمد الموفق كما تقدم .

ولما مات ولّوا أخاه عمرو بن الليث ما كان يليه أخوه يعقوب ، مع [شرطة](٦) بغداد وسامُرّا ، كما سيأتي .

ثم دخلت سنة ست وستين ومئتين

في صفر منها تغلَّب أساتكين على بلد الرَّيّ ، وأخرج عاملَها منها ، ثم مضى إلى قَزْوين ، فصالحه أهلُها [فدخلها](٧) وأخذ منها أموالاً جزيلة ، ثم عاد إلى الرّيّ ، فمانعه أهلُها عن الدخول إليها ، فقاتلهم ودخلها قهراً .

وفيها : أغارت سريّة من الرّوم على ناحية دِيار ربيعة ، فقتلوا ومثَّلوا ، وسلبوا نحواً من مئتين وخمسين

---

(١) علي بن الموفق العابد ، أبو الحسن . حدث عن منصور بن عمار وأحمد بن أبي الحواري ، وكان ثقة . المنتظم (٥/ ٥٣) .

(٢) أبو عبد الله ، ابن فقيه المغرب عبد السلام سَحنون ، القيرواني ، شيخ المالكية . تفقَّه بأبيه . كان محدثاً بصيراً بالآثار ، واسع العلم ، متحرّياً متقناً ، علاَّمة كبير القدر وكان يناظر أباه . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٠) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٢٨) .

(٤) وفيات الأعيان (٦/ ٤٠٢) ، العبر (٢/ ١٩) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥١٣) ، شذرات الذهب (٢/ ١٥٠) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ١٨٤ و١٩١) .

(٥) في آ ، ظا : الزنج ، وفي ط : الرجح ، وأثبت ما جاء في الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٢٦) . وهي كورة ومدينة من نواحي كابل ، كما في معجم البلدان لياقوت .

(٦) زيادة من ب ، ظا ، ط .

(٧) زيادة من ب ، ط ، وفي ظا : فدخل .

أسيراً ، فنفر إليهم أهلُ نَصيبين وأهلُ الموصل ، فهربت منهم الرّوم ورجعوا إلى بلادهم ، لعنهم الله .

وفيها : ولّى عمرو بن الليث شرطة بغداد وسامُرّا لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وبعث إليه أبو أحمد بالخلعة ، وخلع عليه عمرو بن الليث أيضاً ، وأهدى إليه عمودين من ذهب ، وذلك مضافاً إلى ما كان أخوه يليه من البلدان .

وفيها : سار أغرتمش لقتال عليّ بن أبان المهلبيّ ، فاجتاز[١] بِتُسْتَر ، فأخذ من كان في السّجن من أصحاب عليّ بن أبان المهلبيّ من الأمراء ، فقتلهم عن آخرهم ، ثم سار إلى عليّ بن أبان ، فاقتتلا قتالاً شديداً في مرّات عديدة ، كانت آخراً لعليّ بن أبان المهلبيّ ، قتل خلْقاً من أصحاب أغرتمش ، وأسر بعضهم فقتلهم، وبعث برؤوسهم إلى الخبيث صاحب الزّنج، فنصب رؤوسهم على سور مدينته، قبّحه الله .

وفيها : وثب أهلُ حمص على عاملهم عيسى الكرخيّ ، فقتلوه في شوّال منها .

وفيها : دعا الحسنُ بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسن الأصغر العقيقيُّ أهلَ طبرستان إلى نفسه ، وأظهر لهم أن الحسن بن زيد قد أُسِر ، ولم يبقَ مَنْ يقوم بهذا الأمر غيرُه ، فبايعوه .

فلمّا بلغ ذلك الحسن بن زيد قصده ، فقاتله فقتله ، ونهب أموال من اتَّبعه وحرق دورهم .

وفيها : وقعت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفريّة والعَلويّة ، وتغلب عليها رجل[٢] من أهل البيت من سلالة الحسن بن زيد الذي تغلَّب على طَبَرستان ، وجرت شرور كثيرة هنالك بسبب قتل[٣] الجعفريّة والعَلَويّة ، يطول ذكرها[٤] .

وفيها : وثبت طائفة من الأعراب على كُسوة الكعبة ، فانتهبوها . وصار[٥] بعضها إلى صاحب الزّنج ، وأصاب الحجيجَ منهم شدَّة عظيمةٌ ، وبلاءٌ شديد .

وفيها : أغارت الروم أيضاً على ديار ربيعة .

وفيها : دخل أصحابُ صاحب الزّنج إلى رَامَهُرْمُز ، فافتتحوها بعد قتال طويل .

وفيها : دخل ابنُ أبي الساج مكّة ، فقاتله ابن المخزومي[٦] ، فقهره ابنُ أبي الساج ، وحرق داره ، واستباح أمواله ، وذلك يوم التروية من هذه السنة .

وقد جعل إلى ابن أبي الساج إمرة الحرمين من جهة الخليفة .

---

(١) في آ : فأجاز تستر .
(٢) هو أبو القاسم أحمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد ، ابن عم الحسن بن زيد صاحب طبرستان . الطبري (٩/ ٥٥٣).
(٣) في ب ، ظا : قتال .
(٤) انظر تاريخ الطبري (٩/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣) .
(٥) في آ ، ط : وسار .
(٦) في آ : المخرمي .

وحجَّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد المتقدّم ذكره قبلها .

وفي هذه السنة عمل محمد بن عبد الرحمن الداخل ـ خليفةُ الأندلس وبلاد المغرب ـ مراكبَ في نهر قُرطُبة ؛ ليدخل بها إلى البحر المحيط ، لتسير الجيوش في أطرافه إلى بعض البلدان ليقاتلوهم ، فلمَّا دخلت المراكبُ البحرَ المحيط تكسَّرت وتقطَّعت ولم ينجُ من أهلها إلا اليسير ، وغرق أكثرهم(١) .

وفيها : التقى أسطول المسلمين وأسطول الروم ببلاد صِقِلِّيَة ، فاقتتلوا ، فقتل من المسلمين خلق كثير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : حارب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون لموسى بن أتامش فكسر جيشه ، وأسره لؤلؤ ، وبعث به إلى مولاه أحمد بن طولون نائب الشام ومصر وإفريقية من جهة الخليفة . ثم اقتتل لؤلؤ هذا وطائفة من الرّوم فقتَلَ من العدوّ خلقاً كثيراً .

قال ابن الأثير(٢) : وفيها : اشتدَّ الحال وضاق الناس ذرعاً بكثرة الهيج ، وتغلَّب القواد والأجناد على كثير من البلاد بسبب ضعف الخليفة المعتمد على الله ، واشتغال أخيه أبي أحمد بقتال الزّنج .

قال(٣) : وفيها : اشتدَّ الحرُّ في تشرين الثاني جدّاً ، ثم قوي به البرد حتَّى جَمَدَ الماء .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن أورمَة(٤) .

وصالح ابن الإمام أحمد(٥) ، قاضي أصبهان .

ومحمّد بن شُجَاع الثَّلْجيّ(٦) ، أحدُ [عبَّاد](٧) الجهميّة .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٣٤) .

(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٣٦) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٣٦) .

(٤) أبو إسحاق الأصبهاني ، الحافظ البارع ، أحد الأذكياء المحدّثين . روى عنه ابن أبي الدنيا وآخرون . ثقة نبيل . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٤٥) ، والعبر (٢/ ٣٢) .

(٥) صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو الفضل الشيباني البغدادي ، قاضي أصبهان ، المحدث الحافظ الفقيه ، سمع أباه ، وتفقَّه عليه . صدوق ، ثقة . وهو أكبر إخوته .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٩) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٧٣) .

(٦) في الأصول : البلخي ، وهو محمد بن شجاع ، أبو عبد الله ، البغدادي الحنفي ، ويعرف بابن الثَّلْجي . من بحور العلم ، كان صاحب تعبد وتهجّد وتلاوة . قال أحمد بن حنبل : الثلجي متبوع صاحب هوى . متروك الحديث ، مات وله خمس وثمانون سنة . المنتظم (٥/ ٥٧) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٧٩) . .

(٧) من ب ، ظا ، ط .

ومحمد بن عبد الملك الدَّقِيقيُّ[١] .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومئتين

فيها وجَّه أبو أحمد الموفّق ولده أبا العباس في نحوٍ من عشرة آلاف فارس وراجلٍ في أحسن هيئة وأكمل تجمّل ؛ لقتال الزَّنج ، فساروا نحوهم ، فكان بينهم من القتال والنزال في أوقات متعددات ووقَعات مشهورات ما يطول بسطه ، وقد استقصاه الإمام أبو جعفر ابنُ جرير ، رحمه الله ، في « تاريخه »[٢] مبسوطاً .

وحاصل ذلك : أنه آل الحال وانتهى الحرب والجدال إلى أن استحوذ أبو العباس بن الموفّق على ما كان استولى عليه الزَّنج ببلاد واسط وأراضي دِجْلة ، هذا وهو شاب حَدَث لا خبرة له بالحرب ، ولكن سلَّمه الله وغنَّمه وأعلى كلمته ، وسدَّد رميته ، وأجاب دعوته ، وفتح على يديه ، وأسبغ نعمه عليه ، وهذا الشاب هو الذي ولي الخلافة بعد عمِّه المعتمد ، ولقب بالمعتضد ، كما سيأتي .

ثم ركب أبو أحمد الموفّق ناصرُ دين الله من بغداد في صفر من هذه السنة في جيوش كثيفة ، فدخل واسط في ربيع الأول منها ، فتلقاه ابنه فأخبره عن الجيوش[٣] الذين معه ، وما تحمَّلوا من أعباء الجهاد ، فخلع عليه وعلى الأمراء كلِّهم خِلَعاً سنيّةً ، ثم سار بجميع الجيوش إلى صاحب الزَّنج وهو بالمدينة التي أنشأها وسمَّاها المنيعة ، فقاتلوا دونها قتالاً شديداً[٤] ، فقهرهم ، ودخلها عنوةً ، وهربوا منها ، فبعث[٥] في آثارهم جيشاً ، فلحقوهم إلى البطائح يقتلون ويأسرون . وغنم أبو أحمد من المدينة شيئاً كثيراً ، واستنقذ من النساء المسلمات خمسةَ آلاف امرأةٍ ، وأمر بإرسالهن إلى أهاليهن[٦] بواسط ، ثم أمر بهدم سور البلد ، وطمِّ خندقها وجعلها بَلْقَعاً[٧] بعدما كانت للبشر[٨] مجمعاً ، وعادت يباباً[٩] بعدما كانت للخبيث جَنَاباً .

---

(١) أبو جعفر الواسطي الدَّقيقي ، محدّث حجة ، سمع يزيد بن هارون وغيره . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٨٢) ، العبر (٢/ ٣٤) .

(٢) الطبري (٩/ ٥٥٧) وما بعدها .

(٣) في ب ، ظا : الجيش الذي .

(٤) في آ : عظيماً .

(٥) في آ : فبعثوا .

(٦) في ب ، ظا : أماكنهن .

(٧) أي قفراً .

(٨) في ط : للشر .

(٩) « اليباب » : الخراب . و« الجَنَاب » : الكَنَف والمحلة .

ثم سار الموفّق إلى المدينة التي يقال لها : المنصورة ، من إنشاء الزّنج أيضاً ، بها سليمان بن جامع ، فحاصرها ، وقاتلوه دونها ، فقُتِلَ خلْقٌ كثير من الفريقين ، ورَمَى أبو العباس بن الموفّق أحمد بن هندي بسهمٍ ، فأصابه في دماغه فقتله ، وكان من أكابر أمراء صاحب الزّنج ، فشقَّ ذلك عليه جدّاً ، وأصبح الناس محاصرين مدينة الزّنْج ، وذلك يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر ، والجيوش الموفَّقيَّة مرتَّبة أحسن الترتيب ، فتقدَّم الموفّق ، فصلَّى أربع ركعات ، وابتهل إلى الله في الدعاء ، واجتهد في حصارها ، فهزم اللهُ مقاتلتها ، وانتهى إلى خندقها فإذا هو قد حُصِّن غاية التحصين ، وإذا قد جعلوا حول البلد خمسة خنادق وخمسة أسوار ، فجعل كلَّما جاوز سوراً قاتلوه دون الآخر ، فيقهرهم ويجوز إلى الذي يليه ، حتى انتهى إلى البلد فقتل منهم خلْقاً كثيراً ، وهرب بقيَّتُهم ، وأسر من نساء الزّنج ومن حلائل سليمان بن جامع وذويه نساءً[(١)] كثيراً وصبياناً ، واستنقذ من أيديهم من النساء المسلمات والصبيان من أهل البصرة والكوفة [وواسط][(٢)] نحواً من عشرة آلاف نسمة ، فسيَّرهم إلى أهاليهم ، جزاه[(٣)] الله خيراً .

ثم أمر بهدم فنادقها وأسوارها وردم خنادقها وأنهارها ، وأقام بها سبعة عشر يوماً ، وبعث في آثار من انهزم من الزّنج ، فكان لا يؤتى بأحدٍ منهم إلا استماله إلى الخير برفقٍ ولينٍ وصفحٍ ، وأضافه إلى بعض الأمراء ، وكان مقصوده رجوعهم إلى الحقّ .

ثم ركب إلى الأهواز ، فأجلاهم عنها ، وطردهم منها ، وقتل خلْقاً كثيراً من أشرافهم ؛ منهم : أبو عيسى محمد بن إبراهيم البصري ، وكان رئيساً فيهم مطاعاً . وغنم شيئاً كثيراً من أموالهم ، وكتب الموفّق إلى صاحب الزّنج ـ قبَّحه الله ـ كتاباً يدعوه إلى التوبة والإنابة مما ارتكبه من المآثم والمظالم والمحارم ودعوى النبوّة والرسالة وخراب البلدان واستحلال الفروج والأموال ، ويبذل له الأمان إن هو رجع إلى الحقّ ، فلم يردّ عليه صاحبُ الزّنج جواباً .

ذكر مسيرة أبي أحمد الموفّق إلى المدينة التي فيها صاحب الزّنج وهي المختارة ليحاصرها

لمَّا كتب أبو أحمد إلى صاحب الزّنْج يدعوه إلى الحقِّ فلم يجبه ، استهانةً به ، ركب في جيوشٍ عظيمةٍ قريب من خمسين ألف مقاتل ، قاصداً إلى مدينته التي أنشأها وسمَّاها المختارة ، فلما انتهى إليها وجدها في غاية الإحكام ، وقد حوط عليها من آلات الحصار شيئاً كثيراً ، وقد التفَّ على صاحب الزّنج

(١) في آ : شيئاً كثيراً .
(٢) زيادة من ب ، ظا .
(٣) في آ : جزاهم .

نحو من ثلاثمئة ألف مقاتل بسيفٍ ورمحٍ ومقلاعٍ ، ومن يكثر سوادهم ، فقدَّم الموفّق ولدَه أبا العباس بين يديه ، فتقدَّم حتى وقف تحت قصر الملك ، فحاصره محاصرة لم ير مثلها ، وتعجبت الزَّنج من إقدامه وجرأته مع صغر سنه وحداثة عمره ، فتراكمت الزنوج عليه من كلِّ مكان ، فهزمهم ، وأثبت بهبوذ أكبر أمرائه بالسهام والحجارة ، ثم خامرت[1] جماعة من أمراء صاحب الزَّنج وأجناده إلى الموفّق ، فأكرمهم وأعطاهم خِلَعاً سنية ، فرغب إلى ذلك جماعة كثيرون منها ، فصاروا إليه .

وركب أبو أحمد في يوم النصف من شعبان ونادى في الناس كلِّهم بالأمان إلا صاحب الزَّنج ، فتحوَّل خلْق من جيشه إلى أبي أحمد ، ولله الحمد .

وابتنى الموفّق تجاه مدينة صاحب الزَّنج مدينة سمَّاها الموفَّقيَّة ، وأمر بحمل الأمتعة والتجارات إليها ، فاجتمع بها من أنواع الأشياء وصنوفها ما لم يجتمع في بلدٍ قبلها ، وعظم شأنها . وإنَّما بناها ليستعين بها على قتال صاحب الزَّنج ، ثم جرت بينهم حروب عظيمة ، وما زالت الحرب ناشبةً بينهم حتَّى انسلخت هذه السنة وهم محاصرون [لبلد][2] الخبيث ومن فيه ، وقد تحول منهم خلْق كثير فصاروا على صاحب الزَّنج بعد أن كانوا معه ، بلغ عددهم قريباً من خمسين ألفاً من الأمراء الخواص والأجناد ، والموفَّق وأصحابه ولله الحمد في ازدياد وقوة وظفر ونصر .

وحجَّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن سَمُّويَه[3] .

وإسحاق بن إبراهيم ، شاذان[4] .

وبحر[5] **بن نَصْر الخَوْلانيّ** .

وعباس التُّرْقُفيّ[6] .

---

(١) « خامرت » : خالطت وقاربت .

(٢) من ب ، ظا .

(٣) إسماعيل بن عبد الله بن مسعود ، أبو بِشْر العَبْدي الأصبهاني ، سَمُّويَه ، صاحب الأجزاء الفوائد التي تنبئ بحفظه وسعة علمه ، ثقة صدوق . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠) ، العبر (٢/ ٣٥) .

(٤) أبو بكر ، النهشلي ، الفارسي ، شاذان ، محدث ، وثقه ابن حِبَّان . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٨٢) ، العبر (٢/ ٣٥) .

(٥) في الأصول والمطبوع : يحيى . وهو بحر بن نَصْر بن سابق الخولاني مولاهم المصري ، أبو عبد الله . محدّث ثقة . تهذيب الكمال (٤/ ١٦) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٠٢) .

(٦) عباس بن عبد الله بن أبي عيسى الباكُسائي التُّرْقُفي ، محدث حجة أحد الرحَّالين في السُّنن ، ثقة صالح عابد . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٢) ، واللباب (١/ ١١٢) .

ومحمد بن حماد بن بكر بن حماد أبو بكر المقرئ[١] ، صاحب خلف بن هشام البزار ، ببغداد ، في ربيع الأول .

ومحمد بن عُزَيز الأيليّ[٢] .

ويحيى بن محمد بن يحيى الذُّهْليّ ، حَيْكان[٣] .

ويونُس بن حَبيب[٤] ، راوي مسند أبي داود الطيالسيّ عنه .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومئتين

في المحرم منها استأمن جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان ـ وكان من أكابر أمراء صاحب الزَّنج وثقاتهم في أنفسهم ـ ففرح به الموفّق ، وخلع عليه وأمَّره ، فركب في سمريه ، فوقف تجاه قصر الملك ، فنادى في الناس وأعلمهم بكذب صاحب الزَّنج وفجوره ، وأنه في غرورٍ هو ومَن اتبعه ، فاستأمن بسبب ذلك بشرٌ كثيرٌ منهم ، وبرد قتال الزَّنج إلى ربيع الآخر ، فعند ذلك أمر الموفّق أصحابَه بمحاصرة السور ، وأمرهم إذا نقبوه أن لا يدخلوا البلد حتى يأمرهم ، فنقبوا البلد ، وانثلم السور ، وعجلوا فدخلوا ، فقاتلهم الزَّنج فهزمهم المسلمون ، وتقدَّموا إلى وسط المدينة ، فجاءتهم الزَّنج من كلِّ جانب ، وخرجت الكمناء من أماكن لا يهتدون إليها ، فقتلوا من المسلمين خلْقاً واستلبوهم ، وفرَّ الباقون ، فلامهم أبو أحمد على مخالفته في[٥] العجلة ، وأجرى الأرزاقَ على ذريَّة مَن قُتِلَ منهم ، فحسن ذلك عند الناس جدّاً .

---

(١) سمع يزيد بن هارون وغيره . وكان أحد القراء المجودين ومن العباد الصالحين ، وكان أحمد بن حنبل يجلّه ويكرمه ويصلي خلفه شهر رمضان وغيره . المنتظم (٥/ ٦١) .

(٢) محمد بن عُزَيز بن عبد الله بن زياد ، الأيلي ، أبو عبد الله العقيلي . روى عنه النسائي وابن ماجه وأبو داود في غير السنن . قال ابن أبي حاتم : كان صدوقاً . توفي بأيلة . تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٤) .

(٣) أبو زكريا ، الحافظ المجوّد الشهير ، إمام أهل الحديث بنيسابور . قال الحاكم : هو إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة ، وابن إمامها ، وأمير المطَّوِّعة المجاهدين بخراسان بلا مدافعة . قتله أحمد الخُجُسْتاني ظلماً لكونه قام عليه ، وحاربه لاعتدائه وخسفه . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٨٥) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٢٧٦) .

(٤) أبو بشر العجليّ ، مولاهم ، الأصبهاني . روى عن أبي داود الطيالسيّ « مسنداً » في مجلد كبير . قال بعضهم : كان يونس محتشماً ، عظيم القدر بأصبهان ، موصوفاً بالدّين والصيانة والصلاح . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٦) ، العبر (٢/ ٣٧) .

(٥) في آ : من .

وظفر أبو العباس بجماعةٍ من الأعراب وغيرهم كانوا يجلبون الطعام إلى الزَّنج فقتلهم ، وظفر ببهبوذ بن عبد الوهاب فقتله ، وكان ذلك من أكبر الفتح عند المسلمين ، وأعظم الرزايا عند الزَّنج ، ولله الحمد .

وبعث عمرو بن الليث إلى أبي أحمد الموفّق ثلاثمئة ألف دينار وخمسين مَنّاً[(١)] من مسكٍ ، وخمسين مَنّاً من عنبر ، ومئتي مَنٍّ عوداً ، وفضة بقيمة مئة ألف دينار ، وثياباً من وشي ، وغلماناً كثيرة جداً[(٢)] .

وخرج ملك الروم المعروف بابن الصّقْلبيّة ، فحاصر أهل مَلَطْيَة ، فأعانهم أهلُ مَرْعش[(٣)] ، ففرَّ الخبيث خاسئاً .

وغزا الصائفة من ناحية الثغور[(٤)] عاملُ ابن طولون ، فقتل من الرّوم سبعة[(٥)] عشر ألفاً .

وحجَّ بالناس فيها هارون بن محمد الهاشمي .

وقتل أحمد بن عبد الله الخُجُسْتانيّ[(٦)] .

وتوفي فيها من الأعيان :

أحمد بن سيَّار[(٧)] .

وأحمد بن شَيبان[(٨)] .

وأحمد بن يونس الضَّبِّيّ[(٩)] .

---

(١) « المَنُّ » : مكيال بوزن فيه رطلان بغداديان . ويعادل : ٨١٦ غراماً .
(٢) تاريخ الطبري (٩/ ٦٠٦) .
(٣) في الطبري : أهل مرعش والحَدَث .
(٤) الطبري : الثغور الشامية .
(٥) الطبري : بضعة عشر .
(٦) قتله غلام له في ذي الحجة ، كما في تاريخ الطبري (٩/ ٦١٢) .
(٧) أحمد بن سيَّار بن أيوب بن عبد الرحمن المَرْوَزيّ ، أبو الحسن . إمام أهل الحديث في بلده علماً وأدباً وزهداً وورعاً ، وكان يقاس بعبد الله بن المبارك في عصره . وهو أحد من أدخل فقه الشافعي على خراسان ، أخذه عن الربيع وغيره .
تهذيب الكمال (١/ ٣٢٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٠٩) ، تهذيب التهذيب (١/ ٣٥) .
(٨) أحمد بن شيبان بن الوليد بن حيَّان ، أبو عبد المؤمن الرَّملي ، المحدّث الكبير الصدوق ، وثقه الحاكم .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤٦) .
(٩) أحمد بن يونس بن المسيّب بن زهير بن عمرو ، أبو العباس الضَّبِّي الكوفي ، المحدّث القدوة . مات بأصبهان ، وكان من جلّة المسندين بها . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٥) .

وعيسى بن أحمد البَلْخيّ[١] .

ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ[٢] ، الفقيه المالكي ، وقد صحب الشافعيَّ وروى عنه .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومئتين

في هذه السنة اجتهد الموفق وفقه الله ، في تخريب سور مدينة صاحب الزَّنْج ، فخرب منه[٣] شيئاً كثيراً ، وتمكن الجيوش من العبور إلى البلد ، ولكن جاءه في أثناء هذه الحالة سهمٌ في صدره من يد رجلٍ رومي يقال له : قرطاس ، فكاد يقتله ، ولكن اضطرب لذلك وهو يتجلّد ، ويحضر القتال مع ذلك ، وأقام ببلده الموفّقية أياماً يتداوى ، واضطربت الأحوال وخاف الناس جدّاً من صاحب الزَّنْج ، وأشاروا على الموفّق بالمسير إلى بغداد ، فلم يقبل ، وقويت علَّته ، ثم منَّ الله عليه بالعافية في شعبان ، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، فنهض مسرعاً إلى الحصار ، فوجد الخبيثَ قد رمَّم كثيراً مما كان هدم الموفّقُ ، فأمر بتخريبه وما حوله وما قرب منه ، ثم لازم الحصار ، وما انفك حتَّى فتح المدينة الغربية ، وخرّب قصور صاحب الزَّنج ودورَ أمرائه ، واستلب من أموالهم شيئاً كثيراً مما لا يُحدُّ ولا يوصف كثرةً ، وأسر من نساء الزَّنج ، واستنقذ من نساء المسلمين وصبيانهم خلْقاً كثيراً ، فأمر بردّهم إلى أهاليهم مكرمين ، وقد تحوَّل صاحبُ الزَّنج إلى الجانب الشرقيّ ، وعمل الجسر والقناطر الحائلة بينه وبين وصول السمريات إليه ، فأمر الموفّقُ بتخريبها وقطع الجسور ، واستمرَّ الحصار في هذه السنة ، وما برح حتَّى تسلَّم الجانب الشرقيّ ، واستحوذ على حواصله وأمواله ، وفرَّ الخبيثُ ذاهباً وكرَّ هارباً ، وترك حلائله وأولاده وحواصله ، فأخذها الموفّق ولله الحمد والمنة ، وشرحُ ذلك كلّه يطول جدّاً ؛ وقد حرره مبسوطاً ابنُ جرير[٤] ، ولخَّصه ابنُ الأثير[٥] ، واختصره ابن كثير[٦] ، والله الموفّق للصواب وإليه المرجع والمآب .

ولما رأى الخليفة المعتمد أن أخاه قد استحوذ على أمور الخلافة وصار هو الحاكم الآمر الناهي ،

---

(١) عيسى بن أحمد بن عيسى بن وردان ، أبو يحيى البغدادي ، ثم البَلْخي العسقلاني ، المحدّث الثقة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٨١) .

(٢) أبو عبد الله ، عالم الديار المصرية في عصره مع المزني ، من أصحاب مالك ، تفقَّه به ، ولزمه مدَّة . له تصانيف كثيرة ، منها كتاب في الرد على الشافعي . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٧) .

(٣) في آ : منها .

(٤) انظر تاريخ الطبري (٩/ ٦١٤ ـ ٦٢٠ و٩/ ٦٢٢ ـ ٦٥٢) .

(٥) الكامل (٧/ ٣٧٤ ـ ٣٩٣) .

(٦) يعني نفسه .

الذي إليه تجلب الأموال ويحمل الخراج ، وهو الذي يولِّي ويعزل ، كتب إلى أحمد بن طولون يشكو إليه ذلك ، فكتب إليه أن يتحوَّل إلى عنده ببلاد مصر ، ووعده النصر والقيام معه . فاستغنم غيبة أخيه الموفّق ، وركب في جمادى الأولى ومعه جماعة من القواد ، وقد أرصد له أحمد بن طولون جيشاً بالرقة يتلقَّونه ، فلمَّا اجتاز الخليفةُ بإسحاق بن كنداج نائب الموصل وعامة الجزيرة اعتقله عنده عن المسير ، وقيَّد أعيان الأمراء الذين معه ، وعاتَبَ الخليفة ولامَهُ على هذا الصّنيع أشدَّ اللوم ، ثم ألزمه العَودَ إلى سامُرّا ومَنْ معه من الأمراء ، فرجعوا إليها في غاية الإهانة والمذلَّة .

ولمَّا بلغ ذلك الموفّق شكر سعي إسحاق ، وولاه جميعَ أعمال أحمد بن طولون إلى أقصى بلاد إفريقية ، وكتب إلى أخيه أن يلعن ابن طولون في دار العامّة ، فلم يمكن المعتمد إلا إجابته إلى ذلك ، وهو كاره ، وكان ابن طولون قد قطع من الخطبة ذكر الموفّق ، وأسقط اسمه عن الطرازات .

وفي ذي القعدة وقعت فتنة بمكّة بين أصحاب الموفّق وأصحاب ابن طولون ، فقُتِلَ من أصحاب ابن طولون مئتان وهرب بقيتهم ، واستلبهم أصحاب الموفّق شيئاً كثيراً(١) .

وفي هذه السنة قطع الأعراب على الحجيج الطريقَ وأخذوا منهم خمسةَ آلاف بعير بأحمالها .

وفيها توفي :

إبراهيم بن مُنْقِذ الكِنانيّ(٢) .

وأحمد بن خلاد(٣) ، مولى المعتصم ، وكان من دعاة المعتزلة ، أخذ الكلام عن جعفر بن معشر المعتزلي .

وسليمان بن حفص المعتزليّ(٤) ، صاحب بشر المَرِيسيّ ، وأبي الهُذَيل العلاف .

وعيسى بن الشيخ بن السّليل الشيباني(٥) ، نائب إرمينية ، وديار بكر .

وأبو فروة يزيد بن محمد الرُّهاوي ، أحد الضعفاء(٦) .

---

(١) تفصيل ذلك في الطبري (٩/ ٦٥٢) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٣٩٤) .

(٢) أبو إسحاق الخولاني مولاهم ، المصري العُصْفري ، من أصحاب ابن وهب ، وكانت كتبه قد احترقت وبقيت منها بقية ، فحدث بما بقي . وهو ثقة . المنتظم (٥/ ٦٧) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٠٣) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٩٨) وفيه : أحمد بن مخالد أخذ الكلام عن جعفر بن مبشر .

(٤) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٩٨) ، وفيه : سلمان بن حفص بن أبي عصفور الإفريقي ، وكان معتزليًّا يقول بخلق القرآن ، وأراد أهل القيروان ، فسلم ذلك ، وصحب بشراً المَرِيسي وأبا الهُذيل وغيرهما من المعتزلة .

(٥) كان غلب على دمشق أيام المهتدي وأوّل أيام المعتمد ، فجاء عسكر المعتمد ، فالتقاهم ابنه ووزيره فهزموا ، وقتل ابنه وصلب وزيره ، وهرب عيسى ، ثم استولى على آمد وديار بكر مدة . العبر (٢/ ٤٧) .

(٦) هو يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان ، المحدث ، سمع أباه والحسن بن موسى الأشيب وطائفة . قال ابن =

سنة سبعين ومئتين من الهجرة

فيها كان مقتل صاحب الزَّنج قبَّحه الله ؛ وذلك أن الموفَّق لمَّا فَرَغَ من شأن مدينة صاحب الزَّنج المختارة ، واحتاز ما كان بها من الأموال ، وقتل من كان بها من الرجال ، وسبَى مَن وجد فيها من النساء والأطفال ، وقد هرب الخبيث عن حومة الجلاد والنزال ، وسار إلى بعض البلاد طريداً شريداً بشرِّ حال ، عاد الموفَّق وفقه الله ، إلى مدينته الموفّقية مؤيداً منصوراً ، وقدم عليه لؤلؤ غلامُ أحمد بن طولون منابذاً لسيده ، سامعاً مطيعاً لأبي أحمد الموفّق ، فكان وروده عليه في ثالث المحرم من هذه السنة ، فأكرمه وعظَّمه ، وأعطاه وخلع عليه وأحسن إليه ، وبعثه طليعة بين يديه لقتال صاحب الزَّنج ، وركب هو في الجيوش الكثيفة الهائلة وراءه ، فقصد الخبيثَ وقد تحصَّن ببلدة أخرى ، فلم يزل به محاصراً له حتى أخرجه منها ذليلاً وهو صاغر ، واستحوذ هو على ما كان بها من الأموال والمغانم ، ثم بعث السّرايا وراءه ، فأسروا عامّةَ مَنْ كان قد صحبه من خاصته وجماعتهم ؛ منهم سليمان بن جامع ، فاستبشر الناس بأسره ، وكبَّروا فرحاً بالنصر والفتح ، وحمل الموفَّق بمن معه حملة واحدة على أصحاب الخبيث ، فاستحرَّ فيهم القتل ، وما انجلت الحرب حتى جاءه البشير بقتل الخبيث صاحبِ الزَّنج في المعركة ، وأتي برأس الخبيث مع غلام للؤلؤ ؛ فتى أحمد بن طولون ، فلمَّا تحقق الموفَّق أنه رأسه ، بعد شهادة الأمراء الذين كانوا من أصحابه بذلك ، خرَّ لله عزَّ وجلَّ ساجداً ، ثم انكفأ راجعاً إلى الموفَّقيَّة ، ورأسُ الخبيث يُحمل بين يديه ، وسليمانُ معه أسير ، فدخل البلدَ وهو كذلك ، فكان يوماً مشهوداً ، وفرح المسلمون بذلك في المشارق والمغارب ، ثم جيء بأنكلاي ولدِ صاحب الزَّنج ، وأبان بن عليّ المهلبيّ ، مسعر حربهم ، مأسورين ، ومعهما قريبٌ من خمسة آلاف أسير ، فتمَّ السرورُ ، وهرب قرطاس الذي رمى الموفَّق في صدره بذلك السهم ، إلى رامهرمز ، فأخِذَ ، وبُعث به إلى الموفَّق ، فقتله أبو العباس ولدُ الموفّق . واستأمن مَنْ بقي من جيوش الزَّنج ، فأمَّنهم الموفَّق ، وفَّقه الله ، ونادى في الناس بالأمان ، وأن يرجع الناس الذين أخرجوا من ديارهم بسبب فتنة الزَّنج إلى أوطانهم وبلدانهم . ثم قدَّم ولده أبا العباس بين يديه إلى بغداد ، ومعه رأسُ الخبيث يُحمل ليراه أهل بغداد ، فدخلها لثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، وكان يوماً مشهوداً ببغداد ، وانتهت أيامُ صاحبِ الزَّنج المدّعي الكذاب ، قبحه الله تعالى .

= أبي حاتم : سألت أبي عن يزيد بن سنان ، فقال : محله الصدق ، والغالب عليه الغفلة ، يكتب حديثه ، ولا يُحتج به . وسئل علي بن المديني عنه ، فقال : ضعيف الحديث . الجرح والتعديل (٩/ ٢٦٦) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٥٥) .

وقد كان ظهوره في يوم الأربعاء لأربع بَقِين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومئتين ، وقتل في يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومئتين . وكانت دولته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ، ولله الحمد والمنة .

وقد قيل في انقضاء دولة الزَّنج وما كان من النصر عليهم أشعارٌ كثيرة[١] ؛ من ذلك قولُ يحيى بن محمّد الأسلميّ[٢] .

أقـولُ وقـد جـاءَ البشيـرُ بـوقعـةٍ ... أعـزَّتْ مِـنَ الإسـلامِ مـا كـان واهيـا
جَزَى اللهُ خيرَ النَّاسِ للناسِ بَعْدَما ... أبيـحَ حِمـاهُـمْ خيـرَ مـا كـانَ جـازيـا
تَفَـرَّدَ إذْ لـم ينصـرِ اللهَ نـاصـرٌ ... بتجـديـدِ ديـنٍ كـانَ أَصبـحَ بـاليـا
وتجديدِ[٣] مُلْكٍ قد وَهَى بعدَ عِزِّهِ ... وأخـذِ بثـارات تُبيـرُ الأعـاديـا
وَرَدَّ عِمـاراتٍ أزيلَـتْ وأخـربـتْ ... ليـرجـعَ فـيءٌ قـدْ تُخُـرِّمَ وافِيـا
وتَـرجِـعَ أمصـارٌ أبيحـتْ وأحـرِقَـتْ ... مِـراراً فقـد أمْسَـتْ قِـوَاءً عَـوافِيـا
ويَشفِـي صـدورَ المسلميـنَ بـوقعـةٍ ... يُقَـرُّ بهـا منَّـا العيـونَ البـواكيـا
ويُتلَـى كتـابُ اللهِ فـي كـلِّ مسجـدٍ ... ويُلفـى[٤] دعـيّ الطـالبييـن خـاسيـا
فـأعـرَضَ عـن أحبـابـهِ ونعيمـه ... وعـنْ لـذَّة الـدنيـا وأصبـحَ غـازيـا

[وهي قصيدة طويلة هذا طرف منها][٥] .

وفي هذه السنة أقبلت الروم في مئة ألف مقاتل ، فنزلوا قريباً من طَرَسُوسَ ، فخرج إليهم المسلمون فبيَّتوهم ، فقتلوا منهم في ليلةٍ واحدةٍ حتَّى الصباح نحواً من سبعين ألفاً من المقاتلة ، ولله الحمد والمنة . وقُتل المقدَّم الَّذي عليهم وهو بطريق البطارقة ، وجرح أكثر الباقين ، وغنم المسلمون منهم غنيمةً عظيمة ؛ من ذلك سبعة صلبان من ذهب وفضة ، وصليبهم الأعظم عندهم ، وهو من ذهب ، صامت مكلَّل بالجواهر ، وأربعة كراسي من ذهب ، ومئتا كرسي من فضة ، وآنية كثيرة من الفضة ، وعشرة آلاف علَم من ديباج ، وغنموا حريراً كثيراً ، وخمسة عشر ألف دابّة ، وسروجاً وسلاحاً وسيوفاً محلاةً ، وشيئاً كثيراً جدًّا ، ولله الحمد والمنة [أولاً وآخراً][٦] .

---

(١) ذكر الطبري قسماً منها في تاريخه (٩/ ٦٦٣ ـ ٦٦٥) .
(٢) الطبري (٩/ ٦٦٣) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٤٠٥) .
(٣) في ط والطبري : وتشديد .
(٤) في ظا والطبري وابن الأثير : ويلقى دعاء .
(٥) من ب ، ظا .
(٦) من ب ، ظا .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن طُولون(١) : أبو العبّاس أميرُ الديار المصرية وباني الجامع بها المنسوب إليه ، وقد ملك دمشق ، والعواصم ، والثغور ، مدَّة طويلة . وقد كان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد بن سامان السامانيّ عامل بُخَارى إلى المأمون في سنة مئتين ، ويقال : إلى الرشيد في سنة تسعين ومئة .

وولد أحمد هذا في سنة أربع عشرة ، وقيل(٢) : في سنة عشرين ومئتين ، ومات أبوه طولون في سنة ثلاثين ، وقيل : في سنة أربعين ومئتين .

وحكى ابنُ خلِّكان(٣) أنه لم يكن ابنه وإنما تبنَّاه ، والله أعلم .

وحكى ابنُ عساكر(٤) أنه من جارية تركيَّة اسمها هاشم .

ونشأ أحمد هذا في صيانةٍ وعفافٍ ودراسة للقرآن العظيم ، مع حسن الصَّوت . وكان يعيب على أولاد الترك ما يرتكبونه من المحرَّمات والأشياء المنكرات(٥) .

وحكى الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »(٦) عن بعض مشايخ مصرَ : أن طولون لم يكن أباه ، وإنما كان قد تبنَّاه ، وأنه كان ظاهر النجابة من صغره ، وأنَّه اتفق أنه بعثه طولون في حاجةٍ ليأتيه بها من قصر دار الإمارة ، فذهب فإذا حظيَّة من حظايا أبيه مع بعض الخدم في فاحشةٍ ، فأخذ حاجته التي أمره بها [أبوه](٧) ، وكرَّ راجعاً إليه سريعاً ، ولم يخبره بشيء مما رأى من ذلك ، فتوهَّمت الحظيّة أن يكون قد أخبره [بما رأى](٨) ، فجاءت إلى طولون ، فقالت : إنَّ أحمد جاءني الآن إلى المكان الفلاني وراودني عن نفسي ، وانصرفت إلى قصرها ، فوقع في نفسه صدقُها ، فاستدعى أحمد ، وكتب معه في كتاب ، وختمه إلى بعض الأمراء : أن إذا وصل إليك حامل هذا الكتاب فاضرب عنقه ، وابعث برأسه سريعاً إليَّ .

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٣/ ١٢٢) ، الطبري (٩/ ٦٦٦) ، المنتظم (٥/ ٧١) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٠٨) ، وفيات الأعيان (١/ ١٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩٤) ، العبر (٢/ ٤٣) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٤٣٠) ، النجوم الزاهرة (٣/ ١ ـ ٢١) ، شذرات الذهب (٢/ ١٥٧) .
(٢) قوله : وقيل : في سنة عشرين لم يرد في ب ، ظا ، ط .
(٣) وفيات الأعيان (١/ ١٧٤) .
(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٢٥) .
(٥) بعدها في آ ، ط : وكانت أمه جارية اسمها هاشم ولم ترد في ب ، ظا .
(٦) مختصره لابن منظور (٣/ ١٢٢) .
(٧) من ب ، ظا .
(٨) من ب ، ظا .

فذهب أحمد وهو لا يدري ما في الكتاب ، فاجتاز في طريقه بتلك الحظية ، فاستدعته إليها ، فقال : إنِّي مشغول بهذا الكتاب لأوصله إلى فلان . فقالت : هلمَّ ، فلي إليك حاجة ، وأرادت أن تحبسه عندها ليكتب لها كتاباً ؛ لتحقق في ذهن الملك ما ذكرته من أمره ، وأرسلت بذلك الكتاب مع الخادم الذي كانت هي وإياه على الفاحشة . وجلس أحمد يكتب لها ، وذهب ذلك الخادم إلى ذلك الأمير بالكتاب .

فلما قرأه أمر بضرب عنقه ، وأرسل برأسه إلى الملك طُولون . فتعجب الملك ، وقال : أين أحمد ؟ فطُلِبَ له ، فقال : ويحك ! أخبرني كيف صنعت منذ خرجت من بين يدي ؟ فأخبره بما جرى من الأمر . ولمَّا سمعت تلك الحظيَّة بأنَّ رأسَ الخادم قد أُتِيَ به إلى الملك أسقط في يدها ، وتوهَّمت أنَّ الملك قد تحقَّق الحال ، فقامت إليه تعتذر وتستغفر مما وقع منها مع الخادم ، واعترفت بالحقِّ ، وبرّأت ساحة أحمد ، فحظي عنده ، وأوصى له بالملك من بعده[١] .

ثم ولي نيابة الديار المصرية للمعتزّ ، فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقِين من رمضان سنة أربع وخمسين ومئتين ، فأحسن إلى أهلها إحساناً كثيراً ، وأنفق فيهم من بيت المال ومن صدقاته . واستغل الديار المصرية في بعض السنين أربعة آلاف ألف دينار [وثلاثمئة ألف دينار][٢] ، وبنى بها الجامع ، وغرم عليه مئة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وكان فراغه في سنة تسع وخمسين ، وقيل : في سنة ست وستين . وكانت له مائدة في كلِّ يومٍ يحضرها الخاصّ والعامّ ، وكان يتصدَّق في كلِّ شهرٍ من خالص ماله بألف دينار . وقال له وكيله يوماً : إنَّه تأتيني المرأة وعليها إزار وبذلة وهيئة ، فتسألني ، أفأعطيها ؟ فقال : من مدَّ يده إليك فأعطه . وكان من أحفظ الناس لتلاوة القرآن ، ومن أطيبهم صوتاً به .

وقد قيل فيما حكاه ابن خلِّكان[٣] : إنه قتل صبراً نحواً من ثمانية عشر ألف نفسٍ ، والله أعلم .

وبنى البيمارستان فغرم عليه ستين ألفَ دينار ، على المَيْدان[٤] مئة وخمسين ألفاً ، وكان له صدقات كثيرة جدًّا ، وإحسان زائد .

ثم ملك دمشق بعد أميرها أماخور في سنة أربع وستين ومئتين ، فأحسن إليهم أيضاً ، واتفقَ أن وقع بها حريق عند كنيسة مريم ، فنهض بنفسه إليه ومعه أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي ، وكاتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطيّ . ثم أمر كاتبه أن يخرج من مال الأمير سبعين ألف دينار تصرف إلى أهل الدُّور والأموال التي أحرقت ، فصرف إليهم جميع قيمة ما ذكروه ، وبقي أربعة عشر ألف

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٢٣) ، والنجوم الزاهرة (٣/ ٢) .
(٢) من ب ، ظا .
(٣) وفيات الأعيان (١/ ١٧٣) .
(٤) في النجوم الزاهرة (٣/ ١٢) : وعلى المَيْدان خمسين ألف دينار .

دينار ، فأمر بها أن توزَّع عليهم على قدر حصصهم ، ثم أمر بمالٍ عظيم يفرَّق على فقراء دمشق وغوطتها ، فأقل ما حصل للفقير دينار(١) . رحمه الله .

ثم خرج إلى أنطاكية ، فحاصر بها صاحبها سيما حتَّى قتله وتسلَّم البلد ، كما ذكرنا ذلك فيما تقدَّم .

ثم كانت وفاته بمصر في أوائل ذي القعدة من هذه السنة من علَّة أصابته من أكل لبن الجواميس ، فأصابه ذَرَبٌ(٢) ، فداواه الأطباء [وأمروه أن يحتمي منه](٣) فلم يقبل منهم ، فكان يأكل منه في الخفية ، فمات رحمه الله .

وقد ترك من الأموال والأثاث والدّواب شيئاً كثيراً جدًّا ؛ من ذلك عشرة آلاف ألف دينار . وكان له ثلاثة وثلاثون ولداً ، منهم سبعة عشر ذكراً ، فقام بالأمر من بعده ولدُه خُمَارَوَيْه ، وسيأتي(٤) ما كان من أمره .

وكان له من الغلمان أربعة وعشرون ألف غلام ، ومن الموالي سبعة آلاف مولى ، ومن البغال والخيل والجمال شيء كثير جدّاً .

قال ابن خلِّكان(٥) : وإنما تغلَّب على البلاد لاشتغال الموفّق طلحة بن المتوكل بحرب صاحب الزَّنج ، وقد كان الموفّق نائبَ أخيه المعتمد(٦) على الله ، وهو والد المعتضد ، رحمهم الله .

وأحمد بن محمد بن عبد الكريم بن سَهْل الكاتب ، صاحب كتاب « الخراج » ؛ قاله ابن خلكان(٧) .

وأحمد بن عبد الله بن البَرْقيّ(٨) .

وأسيدُ بن عاصم الجَمَّال(٩) .

---

(١) مختصر ابن عساكر (٣/ ١٢٦) ، النجوم الزاهرة (٣/ ١٣ ـ ١٤) .
(٢) « الذَّرَبُ » : داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ، ويفسد فيها ولا تمسكه .
(٣) زيادة من ط .
(٤) سيأتي في وفيات سنة ٢٨٢هـ .
(٥) وفيات الأعيان (١/ ١٧٣) .
(٦) في آ : « المعتمد على أخيه ، وهو والد المعتمد ، رحمهم الله » وصححت من ب ، ظا .
(٧) وفيات الأعيان (١/ ١٠١) .
(٨) أبو بكر ، المحدّث ، الصادق . له كتاب في معرفة الصحابة وأنسابهم ، وكان من أئمة الأثر ، وكان يمشي في سوق الدواب فضربته دابة فمات من يومه ، وهو من أبناء الثمانين . المنتظم (٥/ ٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧) .
(٩) أسيد بن عاصم الثقفي الأصبهاني ، أبو الحسين . المحدّث الحافظ . وثقه ابن أبي حاتم . والجمَّال لقب لأسيد بن زيد بن نجيح الجمَّال القرشي الهاشمي ، فلعله اختلط في ذهن المؤلف ، رحمه الله . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٧٨) ، وتهذيب الكمال (٣/ ٣٣٨) .

وبكّار بن قُتيبة المصريّ[١] ، في ذي الحجة من هذه السنة .

والحسن بن زيد العلويّ[٢] : صاحب طَبَرستان في رجب من هذه السنة ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام ، وقام من بعده [بالأمر][٣] أخوه محمّد بن زيد[٤] .

وكان الحسن بن زيد كريماً جواداً ممدّحاً ، يعرف الفقه والعربية ، قال له شاعر في جملة قصيدة : الله فردٌ ، وابن زيد فردٌ ، فقال له : بفيك[٥] الإثلِبُ ، هلا قلت : اللهُ فردٌ ، وابن زيد عبدٌ . ثم نزل عن سريره وخرَّ ساجداً لله ، وألصق خدَّه بالتراب ولم يعطِ ذلك الشاعرَ شيئاً .

وامتدحه بعضهم ، فقال في أول قصيدته[٦] :

لا تَقُلْ بُشرى ولكن بُشْريَان ... عِزَّةُ الدَّاعي ويَوْمُ المِهْرَجانِ

فقال له الحسن بن زيد : لو ابتدأت بالمصراع الثاني لكان أحسن ، وأبعد ذلك أن تبتدئَ شعرك بحرف « لا » . فقال له الشاعر : ليس في الدنيا كلمة أجل من قول : لا إلّه إلا الله . فقال : أصبت ، وأمر له بجائزة سنية .

والحسن بن عليّ بن عفّان العامريّ[٧] .

وداود بن عليّ[٨] **الأصبهاني ثم البغدادي ، الفقيه الظاهري** : إمام أهل الظاهر ، روى عن أبي ثور[٩] إبراهيم بن خالد ، وإسحاق بن راهَوَيْه ، وسليمان بن حَرْب ، وعبد الله بن مَسْلمة القَعْنَبيّ ، ومُسَدَّد بن مسَرْهَدٍ[١٠] ، وغيرِ واحدٍ .

---

(١) بكّار بن قتيبة الثقفي البَكْراوي ، أبو بَكْرة ، العلامة المحدّث ، قاضي الديار المصرية ، الفقيه الحنفي . له أخبار في العدل والعفة والنزاهة والورع . ولاه المتوكل القضاء . وكان أحمد بن طولون أراد بكاراً على لعن الموفّق ، ولِيّ عهد المعتمد ، فامتنع ، فسجنه ، إلى أن مات ابن طولون . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٩) ، والعبر (٢/ ٤٤) .

(٢) تاريخ الطبري (٩/ ٢٧١ ـ ٢٧٦ و٦٦٦) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ١٣٠ ـ ١٣٤ و٤٠٧) ، سير أعلام النبلاء ١٣٠/ ١٣٦) . وتحدث المؤلف عن خروجه في حوادث سنة ٢٥٠ .

(٣) من ب ، ظا ، ط .

(٤) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٠٧) .

(٥) لفظة بفيك سقطت من آ . و« الإثلب » : التراب والحجارة .

(٦) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٠٨) .

(٧) أبو محمد الكوفيّ . المحدّث الثقة ، المسند . ذكره ابن حبّان في الثقات . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤) ، تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٧) .

(٨) تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٩) ، المنتظم (٥/ ٧٥) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٥٥) ، ميزان الاعتدال (٢/ ١٤) ، العبر (٢/ ٤٥) ، طبقات السبكي (٢/ ٢٨٤) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٤٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٥٨) .

(٩) هو أبو ثور الكلبي .

(١٠) في آ ، ط : مسهر .

وروى عنه ابنه الفقيه أبو بكر بن داود ، وزكريّا بن يحيى السَّاجي .

قال الخطيب[١] : وكان فقيهاً زاهداً ، وفي كُتُبِه حديثٌ كثيرٌ ، والرواية عنه عزيزة جدًّا .

وكانت وفاته ببغداد في هذه السنة ، وكان مولده في سنة مئتين .

وذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقاته »[٢] : أن أصله من أصبهان ، وولد بالكوفة ، ومنشَؤُه ببغداد ، وأنه انتهت إليه رئاسة العلم بها ، وكان يحضر مجلسه أربعُمئة طَيْلسان أخْضَر ، وكان من المتعصِّبين للشَّافعي ، وصنَّف[٣] مناقبه . وقال غيره : كان حسن الصلاة والتواضع . وقد قال الأزدي : تُرك حديثه . ولم يتابع[٤] الأزدي على ذلك . لكن روي عن الإمام أحمد أنَّه تكلَّم فيه بسبب كلامه في القرآن وأنَّ لفظه به مخلوق ، كما نسب إلى الإمام البخاري ، رحمه الله .

قلت : وقد كان من الفقهاء المشهورين ، ولكن حصر نفسه بنفيه القياس الصحيح ، فضاق بذلك ذرعه في أماكنَ كثيرةٍ من الفقه ، فلزمه القول بأشياء فظيعة صار إليها بسبب اتباعه الظاهر المجرد من غير تفهُّم لمعنى النص . وقد اختلف [الفقهاء][٥] القياسيُّون بعده في الاعتداد بخلافه ؛ هل ينعقد الإجماع بدونه مع خلافه أم لا ؟ على أقوالٍ ليس هذا موضع بسطها .

وممن توفي فيها :

الرَّبيع بن سليمان المُراديّ[٦] ، صاحب الشافعيّ وقد ترجمناه في « طبقات الشافعية » .

والقاضي بكَّار بن قتيبة ، الحاكم بالدِّيار المصرية من سنة ست وأربعين ومئتين إلى أن توفي بها مسجوناً في حبس أحمد بن طُولون ؛ لكونه لم يخلع الموفَّق في سنة سبعين ، رحمه الله . وكان عالماً عابداً زاهداً كثيرَ التلاوة والمحاسبة لنفسه ، وقد شَغَرَ منصبُ القضاء بعدَه بمصر ثلاث سنين . وقد بسط ابن خلكان[٧] ترجمته في الوفيات ، رحمه الله .

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٩) .
(٢) طبقات الفقهاء (٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٢) .
(٣) صنَّف كتابين في فضائله والثناء عليه . طبقات الفقهاء (٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٣) .
(٤) في آ : يتابعه .
(٥) من ب ، ظا .
(٦) أبو محمد ، المصري المؤذن ، صاحب الإمام الشافعي وناقل علمه ، وشيخ المؤذنين بجامع الفسطاط ، ومستملي مشايخ وقته . المحدث الفقيه الكبير . أفنى عمره في العلم ونشره . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥١٧) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ١٣٢) .
(٧) وفيات الأعيان (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢) . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٩ ـ ٦٠٥) .

ابن قُتَيْبَةَ الدِّيْنَوَرِيّ[١] **عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة الدِّيْنَوَريّ** : قاضيها ، النحويّ ، اللغويّ ، صاحبُ المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة نافعة .

اشتغل ببغداد وسمع بها الحديث على إسحاق بن رَاهَوَيْه ، وطبقته ، وأخذ اللغة عن أبي حاتم السجستانيّ وذويه ، وصنَّف وجمَعَ وألَّف الكتب المشهورة الكثيرة ، فمن ذلك : كتاب « المعارف » ، و « أدب الكاتب » الذي شرحه أبو محمد بن السيد البطليوسي ، وكتاب « مشكل القرآن والحديث » ، و « غريب القرآن والحديث » ، و « عيون الأخبار » ، و « إصلاح الغلط » ، وكتاب « الخيل » ، وكتاب « الأنوار » ، وكتاب « المسائل والجوابات » ، وكتاب « الميسر والقداح » ، وغير ذلك .

كانت وفاته في هذه السنة ، وقيل في التي بعدها[٢] . ومولده في سنة ثلاث عشرة ومئتين ، ولم يجاوز الستين ، رحمه الله .

وروى عنه ولدُه أحمدُ جميعَ مصنّفاته . وقد ولي ولده أحمد قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة ، وتوفي بها بعد سنة ، رحمه الله .

ومحمد بن إسحاق بن جعفر الصاغانيّ[٣] .

ومحمد بن مُسلم بن وَارَة[٤] .

ومُصعب بن أحمد بن مُصعب ، أبو أحمد الصّوفي[٥] ، كان من أقران الجُنَيْد .

وفيها : توفي ملك الروم : ابن الصَّقلبيَّة ، لعنه الله .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (١١٦) ، الفهرست : المقالة الثانية ، الفن الثالث ، تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠) ، المنتظم (٥/ ١٠٢) ، إنباه الرواة (٢/ ١٤٣) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٢) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٧٥) ، بغية الوعاة (٢/ ٦٣) ، شذرات الذهب (٢/ ١٦٩) .

(٢) جعلها الذهبي في سير أعلام النبلاء سنة (٢٧٦هـ) ، وسيذكر المؤلف ترجمته في هذه السنة أيضاً .

(٣) في آ ، ط : الصفار والمثبت من ب ، ظا . وهو أبو بكر . حافظ مجوِّد حجة ، ثقة . أحد الأثبات المتقنين ، مع صلابة في الدين ، واشتهار بالسنة ، واتساع في الرواية . تاريخ بغداد (١/ ٢٤٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٢) .

(٤) محمد بن مُسلم بن عثمان بن عبد الله ، أبو عبد الله ، ابن وارة الرّازي . أحد الأعلام . كان يضرب به المثل في الحفظ ، على حُمْق فيه وَتِيه . قال النسائي : هو ثقة ، صاحب حديث . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨) ، العبر (٢/ ٤٦) .

(٥) هو أبو أحمد القلانِسي ، البغدادي ، شيخ الصوفيّة ، كان مقدماً على جميع مريدي بغداد ؛ لما كان فيه من السخاء والأخلاق ، ومراعاته مذاهب النسك ، مع طيب القلب . تاريخ بغداد (١٣/ ١١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٠) .

وفيها : ابتدأ إسماعيل بن موسى ببناء مدينة لارِدَة[١] من الأندلس[٢] .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومئتين

فيها عزل الخليفةُ عمرَو بن الليث عن ولاية خراسان ، وأمر بلعنه على المنابر ، وفوَّض أمرَ خراسان إلى محمد بن طاهر ، وبعث إلى عمرو جيشاً ، فهُزِم[٣] عمرو .

وفيها : كانت وقعة بين أبي العباس المعتضد بن الموفّق أبي أحمد وبين خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، وذلك أن خُمَارَوَيْه لمَّا ملك بعد أبيه بلادَ مصر والشام ، جاءه جيشٌ من جهة الخليفة عليهم إسحاق بن كنداجيق ، نائب الجزيرة ، وابن أبي السَّاج ، فقاتلوه بأرض شِيرَز[٤] ، فامتنع من تسليم الشام إليهم ، فاستنجدوا بأبي العباس ، فقدِمَ إليهم ، فكسَرَ جيشَ خُمَارَوَيْه بن أحمد ، وتسلَّمَ دمشقَ واحتازها ، ثم سار نحو خُمَارَوَيْهِ لا إلى بلاد الرَّملة عند ماءٍ عليه طواحين ، فاقتتلوا هنالك ، فبذلك تسمَّى وقعة الطواحين ، ثم كانت النوبة أولاً لأبي العبَّاس على خُمَارَوَيْه ، فهزمه حتَّى هرب خُمَارَوَيْه لا يلوي على شيء ، فلم يرجعْ حتَّى دخل الدِّيار المصرية ، فأقبل أبو العبَّاس وأصحابُه على نَهْب معسكرهم ، فبينما هم كذلك إذْ أقبل كمينٌ لجيشِ خُمَارَوَيْه ، وهم مشغولون بالغنيمة ، فوضعت المصريون فيهم السيوفَ ، فقُتِلَ خلْقٌ كثير ، وانهزم الجيش ، وهرب أبو العبَّاس المعتضدُ ، فلم يرجعْ حتَّى وصَل إلى دمشق ، فلم يفتحْ له أهلُها بابها ، فانصرف حتَّى وصل إلى طَرَسُوسَ .

وبقي الجيشان المصري والعراقي يقتتلان ، وليس في واحدٍ منهما أمير ، ثم كان الظَّفَرُ للمصريين ؛ لأنَّهم أقاموا أبا العشائر أخا خُمَارَوَيْه عليهم أميراً ، فغَلَبوا بسبب ذلك ، واستقرَّت أيديهم على دمشقَ وسائر الشام ، وهذه[٥] من أعجب الوقعات .

وفيها : جرت حروب كثيرة بأرض الأندلس من بلاد المغرب[٦] .

وفيها : دخل إلى المدينة النبويّة محمّد وعليٌّ ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمّد بن

---

(١) « لارِدَة » : مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة . ياقوت .

(٢) وتتمة الخبر في الكامل لابن الأثير (٧/ ٤١١) : وكان مخالفاً لمحمد صاحب الأندلس ، ثم صالحه في العام الماضي ، فلما سمع صاحب برشلونه الفرنجيّ ، جمع وحشد وسار يريد منعه من ذلك ، فسمع به إسماعيل ، فقصده وقاتله ، فانهزم المشركون ، وقتل أكثرهم ، وبقي أكثر القتلى في تلك الأرض دهراً طويلاً .

(٣) في ظ : فهزمه عمرو .

(٤) تحرفت من ط إلى ويترز . وشِيْرَز : من قرى سَرَخْس ، شبيهة بالمدينة ، على طرف من طريق هراة . ياقوت .

(٥) في آ : وهذا .

(٦) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤١٦ ـ ٤١٧) .

عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فقتلا خلْقاً كثيراً من أهلها ، وأخذا أموالاً جزيلة ، وتعطَّلت الصلوات في المسجد النبويّ أربعَ جمَع ، لم يحضر الناس فيه جمعة ولا جماعة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[١] .

وجرت بمكَّة فتنة أخرى ، واقتتل الناس على باب المسجد الحرام أيضاً[٢] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة هارون بن إسحاق العباسي[٣] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبَّاس بن محمّد الدُّوريُّ[٤] ، تلميذ ابن مَعين وغيره من أئمة الجرح والتعديل .

وعبد الرحمن بن محمد بن منصور البصريّ[٥] .

ومحمد بن حمَّاد الطِّهْرانيّ[٦] .

ومحمد بن سِنان القزَّاز[٧] .

ويوسف بن مُسَلَّم[٨] .

بوران بنت الحسن بن سهل زوجة المأمون[٩] : ويقال : إن اسمها خديجة ، وبوران لقب ، والصحيح الأول .

---

(١) الطبري (١٠/ ٧) ، ابن الأثير (٧/ ٤١٣) .

(٢) تفصيل ذلك في الطبري (١٠/ ٨) .

(٣) في آ : هارون بن موسى بن إسحاق ، والمثبت من (ب ، ظا) . وفي الطبري : هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى العباسي .

(٤) أبو الفضل الدُّوريّ ثم البغدادي ، مولى بني هاشم ، أحد الأثبات المصنفين ، من حفاظ وقته .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٢) .

(٥) أبو سعيد الحارث ، البصري ، ثم البغدادي ، ولقبه كُرْبُزَان ، محدِّث ، معمّر ، ليس بالقوي . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٣٨) ، العبر (٢/ ٤٨) .

(٦) أبو عبد الله الرازيّ الطِّهراني . أحد من رحل إلى عبد الرزاق ، وحدّث بمصر والشام والعراق ، وكان ثقة . توفي بعَسْقَلان وله نيف وثمانون سنة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٢٨) ، العبر (٢/ ٤٨) .

(٧) في الأصول : العوفي ، خطأ ، وهو محمد بن سنان القزَّاز ، أبو الحسن ، أخو يزيد بن سنان القزَّاز . اتهمه أبو داود وكذَّبه ، وأما الدارقطني فقال : لا بأس به .
وهناك محمد بن سنان الباهلي ، أبو بكر البصري ، المعروف بالعَوَقي ، المتوفى نحو سنة ٢٢٣هـ .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٥٤) ، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٠٥) .

(٨) هو يوسف بن سعيد بن مُسَلَّم ، أبو يعقوب المِصِّيصيّ ، الحافظ الحجة المصنِّف ، محدِّث المصّيصة . قال النسائي : ثقة حافظ . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٢٢) ، العبر (٢/ ٤٨) .

(٩) وفيات الأعيان (١/ ٢٨٧) ، مروج الذهب (٤/ ٣٠) .

عقد عليها المأمون بفم الصلح سنة ثنتين ومئتين ، ولها عشر سنين ، فنثر أبوها على الناس يومئذٍ بنادقَ المسك ، مكتوبٌ في ورقة وسط كُلِّ بندقة اسمُ قريةٍ ، أو مُلْكٌ ، أو جارية ، أو غلام ، أو فرس ، فمن التقط من ذلك شيئاً ملكه ، ونثر على عامَّة الناس الدنانير ونَوافجَ[١] المسك وبَيْض العنبر . وأنفق على المأمون وعسكره مدة مقامه تلك الأيام خمسين ألف ألف درهم . فلما ترحَّل [المأمون][٢] عنه أطلق له عشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه فم الصلح .

وبنى بها في سنة عشر[٣] .

فلما جلس المأمون فرشوا له حصيراً من ذهبٍ ، ونثروا على قدميه ألفَ حبّةٍ جوهر ، وهناك تَوْرٌ[٤] من ذهب فيه شمعة من عنبرٍ ، زنة أربعين مَنّاً من عنبر ، فقال : هذا سَرَفٌ ، ونظر إلى ذلك الحب على الحصر يضيء ، فقال : قاتَلَ اللهُ أبا نُوَاس حيث يقول في صفة الخمر[٥] :

كـأنَّ صُغْـرَى وكُبْـرَى مِـنْ فَقـاقِعِهـا ... حَصْبـاءُ دُرٍّ علـى أرْضٍ مِـنَ الـذَّهَـبِ

ثم أمر بالدُّرِّ فجُمع فوضع في حجرها ، وقال : هذا نِحْلَةٌ[٦] منِّي لكِ ، وسلي حاجتك .

فقالت لها جدتها : سلي سيدك ، فقد استنطقك .

فقالت : أسألُ أميرَ المؤمنين أن يرضى عن إبراهيم بن المهديّ ، فرضي عنه .

ثم أراد الاجتماع بها فإذا هي حائض ، وكان ذلك في شهر رمضان . ثم توفي المأمون في سنة ثماني عشرة ومئتين ، وتأخَّرت هي بعده حتى كانت وفاتها في هذه السنة ، ولها ثمانون سنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومئتين

في جُمادى الأولى منها سار نائب قزوين وهو أذكوتكين في أربعة آلاف مقاتل ، إلى محمد بن زيد العلويّ ، صاحب طَبَرستان بعد أخيه الحسن بن زيد ، وهو بالرَّيّ ، في جيشٍ عظيم من الدَّيلم وغيرهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمه أذكوتكين[٧] ، وغنم ما في معسكره ، وقتَلَ من أصحابه ستة

(١) « النوافج » : جمع نافِجة ، وهي وعاء المسك في جسم الظبي .
(٢) زيادة من ط .
(٣) راجع حوادث سنة (٢٠٢) وسنة (٢١٠) .
(٤) « التَّوْر » : إناء يشرب فيه .
(٥) ديوان أبي نواس ، المطبعة العمومية ص(٢٤٣) .
(٦) « النِّحْلَة » : العطيّة .
(٧) في آ : أزلرتكين .

آلاف ، ودخل الرَّيّ ، فأخذ من أهلها مئة ألف ألف دينار ، وفرّق عمّاله في نواحي الرَّيّ[١] .

وفيها : وقع بين أبي العباس بن الموفّق وبين صاحب ثغر طَرَسوس وهو بازمار[٢] الخادم فثار أهلُ طَرَسوس على أبي العباس ، فأخرجوه عنهم ، فرجع إلى بغداد .

وفيها : دخل حَمدان بن حمدون ، وهارون الشاري ، مدينة الموصل ، وصلّى بهم الشاري في جامعها الأعظم .

وفيها : عاثت بنو شيبان في أرض الموصل ، وسعَوا في الأرض فساداً .

وفيها : تحرّكت بقيّة الزّنج في أرض البصرة ، ونادوا : يا أنكلاي[٣] ، يا منصور ، ـ وكان أنكلاي ابن صاحب الزّنج ـ وسليمان بن جامع ، وأبان بن علي المهلّبيّ ، وجماعة من وجوه أمرائهم ، في جيش الموفّق ، فبعث إليهم ، فقُتلوا ، وحُمِلَت رؤوسهم إليه ، وصُلبت أبدانهم ببغداد ، وسكنت الشرور .

وفيها : صلَح أمر المدينة النبوية وتراجع الناس إليها ، ولله الحمد .

وفيها : جرت حروبٌ كثيرة ببلاد الأندلس ، وتسلّمت الروم من المسلمين بلدين عظيمين من الأندلس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : قدم صاعد بن مخلد الكاتب من فارس إلى واسط ، فأمر الموفّقُ القوّاد أن يتلقّوه ، فدخل في أُبّهة عظيمة ، ولكن ظهر منه تِيهٌ وعجب شديد ، فأمر الموفّق عمّا قريب بالقبض عليه وعلى أهله وأمواله وحواصله ، واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بُلبل .

وحجَّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق العباسي ، أمير الحج منذ دهر .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن الوليد الجَشّاش[٤] .

وأحمد بن عبد الجبّار بن محمد بن عُطارد العُطَارديّ التّميميّ[٥] ، راوي السيرة عن يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق بن يسار وغير ذلك .

---

(١) ابن الأثير (٧/ ٤١٨) .

(٢) في ط والطبري : يازمان .

(٣) في ب ، ظا : يا أنكالي .

(٤) في ط : « بن الحسحاس » وفي الكامل « بن الخشخاش » وكلاهما خطأ ، وما أثبتناه من كتب المشتبه ومنها توضيح ابن ناصر الدين (٢/ ٣٦١) وهو إبراهيم بن الوليد بن أيوب أبو إسحاق الجشاش . سمع أبا نعيم والقعنبي وغيرهم كان ثقة . تنظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب (٦/ ١٩٩) والمنتظم (٥/ ٨٥) ، وابن الأثير (٧/ ٤٢١) .

(٥) أبو عمرو الكوفي ، الشيخ المعمّر المحدِّث ، ضعيف ، وسماعه للسيرة صحيح . مات بالكوفة وله خمس وتسعون سنة . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٥) ، تقريب التهذيب (١/ ١٩) .

وأبو عُتْبَةَ الحِجازيّ(١) .

وسليمان بن سَيْف(٢) .

وسليمان بن وَهْب الوزير(٣) ، في حبس الموفَّق .

وشعيب بن بكَّار(٤) ، يَروي عن أبي عاصم النبيل .

ومحمد بن صالح بن عبد الرحمن الأَنماطي ، ويلقب بكَيْلَجة(٥) ، وهو من تلاميذ يحيى بن معين .

ومحمد بن عبد الوهاب الفرَّاء(٦) .

ومحمد بن عُبَيد الله ، ابن المُنَادي(٧) .

ومحمد بن عَوْف الحمصيّ(٨) .

وأبو مَعْشَر المنجِّم(٩) : واسمه جعفر بن محمد بن عمر البلخيّ ، أستاذ عصره في صناعة التنجيم ،

---

(١) هو أحمد بن الفرج بن سليمان ، أبو عُتْبَة الكِندي الحمصي ، الملقب بالحجازي المؤذن . كانت له رحلة وعناية بالحديث ، وعُمِّر دهراً ، واحتيج إليه . وهو وسط ليس بالحجة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٨٤) ، العبر (٢/ ٤٩) .

(٢) سليمان بن سَيْف بن يحيى بن درهم ، أبو داود الحَرَّاني ، الطائي مولاهم ، محدِّث حرَّان وشيخها . روى عنه النسائي كثيراً ، وقال : ثقة . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٤٧) ، العبر (٢/ ٥٠) .

(٣) أبو أيوب الحارثي ، وزير ، من كبار الكتَّاب ، من بيت كتابة وإنشاء في الشام والعراق . كتب للمأمون وهو حَدَث ، وولي الوزارة للمهتدي بالله ، ثم للمعتمد على الله ، ونقم عليه الموفَّق بالله ، فحبسه ، فمات في حبسه . له « ديوان رسائل » . وفيات الأعيان (٢/ ٤١٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٢٧) .

(٤) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٢١) ، وفي آ ، ط : شعبة .

(٥) في الأصول والمطبوع : « ويلقب بمكحلة » ، وصححت من مصادر الترجمة . وهو أبو بكر الأنماطي البغدادي ، محدّث جوال ، حافظ متقن ثقة . توفي بمكة وكيلجة لقب . لقبه إياه يحيى بن معين .
تاريخ بغداد (٤/ ٢٠٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٠٦) ، العبر (٢/ ٥٠) .

(٦) محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران ، العَبْدي الفرَّاء النيسابوري ، ويعرف أيضاً بحَمَك ، أبو أحمد . العلامة الحافظ الأديب . كان وجه مشايخ نيسابور عقلاً وعلماً وجلالة وحشمة . قال الحاكم : كان يفتي في الفقه والحديث والعربية ، ويرجع إليه فيها . مات عن نيِّف وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٠٦) ، العبر (٢/ ٥٠) .

(٧) محمد بن عبيد الله بن يزيد ، أبو جعفر ، ابن المنادي البغدادي ، المحدث الثقة . مات وله مئة سنة وسنة وأربعة أشهر . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٥٥) ، العبر (٢/ ٥٠) .

(٨) أبو جعفر الطائي ، محدِّث حمص ، حافظ مجوِّد ، من أئمة الحديث . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦١٣) ، العبر (٢/ ٥٠) .

(٩) الفهرست (١/ ٢٧٧) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٥٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦١) ، شذرات الذهب (٢/ ١٦١) ، الأعلام للزركلي (٢/ ١٢٧) .

وله فيه التصانيف المشهورة ، كـ « المدخل »[١] و « الزِّيج »[٢] ، و « الألوف »[٣] وغيرها ؛ ويتكلَّم على ما يتعلق بالتيسير وكذلك بالأحكام .

قال ابن خلكان[٤] : وله إصابات عجيبة . ثم حكى : أنَّ بعض الملوك تطلَّب رجلاً ، فذهب ذلك الرجل فاختفى ، وخاف من أبي مَعْشر المنجّم ، أن يدلَّ عليه الملكَ بصنعته ، فعمَدَ إلى طَسْت ، فملأه دماً ، ووضع أسفله هاوناً ، وجلس على ذلك الهاون . فاستدعى الملك أبا مَعْشَر ، فضرب رمله ، وحرَّر[٥] أمره ، ثم قال : هذا عجيبٌ ، أجدُ هذا الرجل جالساً على جبلٍ من ذهب في وسط بحر من دمٍ ، ولكن ليس هذا في الدنيا . ثم أعاد الضرْبَ فوجده كذلك ، فتعجَّب الملك أيضاً ، ونادى في البلد بأمان المذكور ، فظهر ، فلمَّا مثل بين يدي الملك سأله أين اختفى ؟ فأخبره بأمره ، فتعجَّب الناس من ذلك .

قلت : والظاهر أنَّ الذي ينسب إلى جعفر بن محمد الصادق من علم الزجر ، والطرق ، واختلاج الأعضاء ، ونحو ذلك ، إنما هو منسوب إلى جعفر بن محمد هذا ، وليس بالصادق ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومئتين

فيها وقع بين إسحاق بن كنداجيق نائب الموصل والجزيرة ، وبين صاحب ابن أبي الساج نائب قِنَّسرين وغيرها ، بعدما كانا متّفقين ، وكاتب ابن أبي الساج خُمَارَوَيْه صاحب مصر ، وخطب له ببلاده ، وقدم خُمَارَوَيْه إلى الشام ، فاجتمع به ابنُ أبي الساج ، ثم سار إلى إسحاق بن كنداجيق ، فتواقعا ، فانهزم ابن كنداجيق ، وهرب إلى قلعة ماردين ، فحاصره بها .

ثم ظهر أمر ابن أبي الساج ، واستحوذ على الموصل وبلاد الجزيرة ، وخطب بها لخُمَارَوَيْه ، واستفحل أمره جداً .

وفيها : قبض الموفَّق على لؤلؤ غلام أحمد بن طولون ، وصادره بأربعمئة ألف دينار ، وسجنه ؛ فكان يقول : ليس لي ذَنْبٌ إلا كثرة مالي . ثم أخرج بعد ذلك من السجن وهو فقير ذليل ، فعاد إلى الديار المصرية في أيام هارون بن خُمَارَوَيْه ، ومعه غلامٌ واحد . وهذا جزاء كفر نعمة سيِّده عليه .

وفيها : عدا أولاد ملك الروم على أبيهم فقتلوه ، وتملَّك بعده أحد أولاده .

---

(١) في الأعلام : المدخل الكبير ، وهو مخطوط ، ترجم إلى اللاتينية ونشر بها .
(٢) « الزِّيج » : كتاب يُعرف منه سير الكواكب ومنه يستخرج التقويم .
(٣) في الأعلام : الألوف في بيوت العبادات ، وهو مطبوع مع ترجمة إنكليزية .
(٤) وفيات الأعيان (١/ ٣٥٨) .
(٥) في آ : وحرَّر رمله ، وفي ط : وحرره .

وفيها : كانت وفاة :

محمد بن عبد الرحمن بن الحَكم الأمويّ(١) : صاحب الأندلس عن خمس وستين سنة . وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً . وكان أبيض مُشرباً بحمرة ، رَبعة ، أوقص ، يخضب بالحنَّاء والكتَم ، وكان عاقلاً لبيباً ، وكان يدرك الأشياء المشتبهة . وخلَّف ثلاثة وثلاثين ذكراً .

وقام بالأمر بعده ولدُه المنذور ، فأحسن إلى الناس وأحبّوه .

وفيها كانت وفاة :

خلف بن أحمد بن خالد : الذي كان أمير خراسان في حبس المعتمد على الله . وهذا الرجل هو الذي أخرج البخاري من بخارى ، فدعا عليه ، فلم يفلحْ بعدها ، ولم يبقَ في الإمرة إلا أقلّ من شهرٍ ، حتى احتيط عليه وعلى أمواله وحواصله ، وأركب حماراً ونودي عليه في بلده ، ثم سجن ، فمات فيه في هذه السنة ؛ وهذا جزاء مَنْ تعرَّض لأهل السنة وأئمة الحديث .

وممن توفي فيها أيضاً من الأعيان :

إسحاق بن سيَّار(٢) .

وحنبل بن إسحاق(٣) ، ابن عم الإمام أحمد بن حنبل ، وأحد الرواة المشهورين عنه ، على أنه قد اتُّهم في بعض ما يرويه ويحكيه ، والله أعلم .

وأبو أُميّة الطَّرَسُوسي(٤) .

والفتح(٥) **بن شُخْرُف** ، أحد مشايخ الصوفية ، ذوي الأحوال والكرامات والمقامات والكلمات النافعات .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٢٤) ، البيان المغرب (٢/ ١٤١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧١) ، الوافي بالوفيات (٣/ ٢٢٤) ، شذرات الذهب (٢/ ١٦٤) .

(٢) إسحاق بن سيَّار بن محمد ، أبو يعقوب النَّصيبي ، محدِّث نَصيبين ، حافظ ، ثقة .
سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩٤) ، العبر (٢/ ٥١) .

(٣) أبو علي الشيباني ، حافظ ، محدِّث ، صدوق ، مصنف . قال الخطيب : كان ثقة ثبتاً . وقال الذهبي : له مسائل كثيرة عن أحمد ، ويتفرَّد ، ويغرب . من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١) ، العبر (٢/ ٥١) .

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن مسلم البغدادي ، الطرسوسي ، نزيل طرسوس ، ومحدِّثها ، وصاحب المسند والتصانيف . حافظ مجوِّد رحَّال . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩١) ، العبر (٢/ ٥١) .

(٥) في آ ، ب ، ط : « أبو الفتح » . وهو الفتح بن شُخرف بن داود بن مزاحم ، أبو نصر الكشي . قال أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل فتح بن شخرف . كان رجلاً صالحاً زاهداً ، ذا أخلاق حسنة .
المنتظم (٥/ ٨٩) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٠٢) ، مختصر ابن عساكر (٢٠/ ٢٥٧) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٨٤) .

ووهم ابنُ الأثير في قوله في كامله[١] : إن أبا داود صاحبَ السُّنن ، توفي هذه السنة ، بل في سنة خمس وسبعين كما سيأتي .

وابن ماجه القزوينيّ[٢] : صاحب السُّنن ، وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القَزويني ، مولى ربيعة ، صاحب كتاب « السُّنن » المشهورة ، وهي دالَّة على علمه وتبحُّره واطِّلاعه واتِّباعه للسنة النبوية في الأصول والفروع ؛ ويشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً ؛ وألف[٣] وخمسمئة باب . ويحتوي على أربعة آلاف حديث كلّها جياد سوى اليسير .

وقد حُكي عن أبي زُرعة الرَّازي أنه انتقد منها بضعةَ عشرَ حديثاً ؛ ربَّما يقال : إنها موضوعة أو منكرة جدًّا[٤] .

وله تفسير حافل ، وتاريخ كامل من لدن الصحابة إلى عصره .

قال أبو يَعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزوينيّ : أبو عبد الله ، محمد بن يزيد ويُعرف بمَاجَه ، مولى ربيعة ، عالم بهذا الشأن ، صاحب التصانيف ، في « التاريخ » و « السُّنن » ، ارتحل إلى العراقين[٥] ، ومصر والشام ، ثم ذكر طرفاً من مشايخه ؛ وقد ترجمناهم في كتابنا « التكميل » ، ولله الحمد والمنة .

قال : وقد روى عنه الكبار القدماء : ابن سيبويه ، ومحمد بن عيسى الصفَّار ، وإسحاق بن محمد ، وعلي بن إبراهيم بن سلمة القَطَّان ، وجدي أحمد بن إبراهيم ، وسليمان بن يزيد .

وقال غيره[٦] : كانت وفاته يوم الإثنين ، ودُفِنَ يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومئتين عن أربع وستين سنة . وصلَّى عليه أخوه أبو بكر ، وتولَّى دَفْنَه مع أخيه أبي عبد الله وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد ، رحمه الله .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٢٥) .

(٢) المنتظم (٥/ ٩٠) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٧) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٦٤) .

(٣) في الأصول : وأربعاً .

(٤) روى الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٨) عن ابن ماجه ، قال : عرضت هذه السُّنن على أبي زُرعة الرازي ، فنظر فيه ، وقال : أظنُّ إن وقع هذا في أيدي الناس تعطَّلت هذه الجوامع ، أو أكثرها . ثم قال : لعل لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً ، مما في إسناده ضعف ، أو نحو ذا .
قال الذهبي : قد كان ابن ماجه حافظاً ناقداً صادقاً ، واسع العلم ، وإنَّما غضَّ من رتبة سننه ما في الكتاب من المناكير ، وقليل من الموضوعات . وقول أبي زُرْعة ـ إن صَحَّ ـ فإنما عنى بثلاثين حديثاً الأحاديث المطَّرحة السَّاقطة ، وأمَّا الأحاديث التي لا تقوم بها حجَّة ، فكثيرة ، لعلها نحو الألف .

(٥) في آ : العراق .

(٦) هو الحافظ محمد بن طاهر ، كما في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٩) .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومئتين

فيها نشبت[١] الحرب بين أبي أحمد الموفَّق وبين عمرو بن الليث بفارس ، فقصده أبو أحمد ، فهرب منه عمرو من بلدٍ إلى بلدٍ ، وهو يتبعه ، ثم لم يقع بينهما قتال ولا مواجهة ، وقد تحيَّز إلى أبي أحمد الموفَّق مقدَّمُ جيشِ عمرو بن الليث ، وهو أبو طلحة شركب الجمَّال ، ثم أراد العَود ، فقبض عليه أبو أحمد ، وأباح ماله لولده أبي العباس المعتضد ، وذلك بالقرب من شِيراز .

وفيها : غزا بازمار الخادم ، نائب طَرَسُوس ، بلاد الروم ، فأوغل فيها ، فقتل وغنم وسلم .

وفيها : دخل صدِّيق الفرغانيّ سامُرّا ، فنهب دور التجّار بها ، وكرَّ راجعاً . وقد كان هذاالرجل ممن يحرس الطرقات ، فترك ذلك وأقبل يقطع الطرقات ، وضعف الجند بسامُرَّا عن مقاومته .

ومن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن أحمد بن يحيى الأصم : أبو إسحاق ، قال ابنُ الجوزي في « المنتظم »[٢] : كان حافظاً فاضلاً ، روى عن حرملة وغيره . وتوفي في جمادى الآخرة من هذه السنة .

إسحاق بن إبراهيم بن زياد : أبو يعقوب المقرئ . عن هُدبة . وعنه ابن مخلد[٣] . توفي في ربيع الأول منها .

أيوب بن سليمان[٤] : ابن داود الصفدي . عن آدم بن أبي إياس ، وأبي اليمان ، وعليّ بن الجَعْد . وعنه ابن صاعد ، وابن السماك ، وكان ثقة ، توفي في رمضان منها .

الحسن بن مُكْرَم[٥] : ابن حسان أبو علي البزَّاز .

سمع عفَّاناً ، وأبا النَّضْر[٦] ، ويزيد بن هارون ، وغيرهم .

وعنه المَحَاملي ، وابن مخلد ، والنَّجَّاد .

---

(١) في آ : شبت .
(٢) المنتظم (٥/ ٩٢) .
(٣) المنتظم (٥/ ٩٢) وفيه : عن هدبة بن خالد ، روى عنه ابن خالد .
(٤) المنتظم (٥/ ٩٣) .
(٥) المنتظم (٥/ ٩٣) ، تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩٢) .
(٦) هما عفان بن مسلم ، وهاشم بن القاسم ، أبو النَّضر .

وكان ثقة . وتوفي في رمضان منها عن ثلاث[١] وتسعين سنة .

خلف بن محمد[٢] : ابن عيسى ، أبو الحسين الواسطيّ ، الملقب بكُرْدُوس ، روى عن يزيد بن هارون وغيره . وعنه المَحَاملي ، وابن مخلد .

قال ابن أبي حاتم[٣] : صدوق .

وقال الدَّارَقُطنيُّ[٤] : ثقة .

توفي في ذي الحجة منها ، وقد نيَّف على الثمانين .

عبد الله بن رَوْح[٥] بن عبد الله : أبو محمد المدائني المعروف بِعَبْدوس .

روى عن شَبَابة ، ويزيد بن هارون .

وعنه المَحَاملي ، وابن السماك ، وأبو بكر الشافعيّ .

وكان من الثقات . توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة .

عبد الله بن أبي سعد[٦] : أبو محمد الورَّاق[٧] ، أصله من بَلْخ ، وسكن بغداد .

روى عن سُرَيج بن يونس ، وعفَّان ، وعليّ بن الجَعْد ، وغيرهم .

وعنه ابنُ أبي الدنيا ، والبغويّ ، والمَحَاملي .

وكان ثقة ، صاحب أخبار وآداب وملح . وتوفي بواسط في جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين سنة .

محمد بن إسماعيل[٨] : ابن زياد أبو عبد الله ، وقيل : أبو بكر الدولابيّ . سمع أبا النَّضْر ، وأبا اليمان ، وأبا مسهر . وعنه أبو الحسين بن المنادي ، ومحمد بن مَخْلد ، وابن السَّمَّاك . وكان ثقة .

---

(١) في ب ، ظا ، ط : ثلاث وسبعين .
(٢) المنتظم (٥/ ٩٣) ، تاريخ بغداد (٨/ ٣٣٠) ، تهذيب الكمال (٨/ ٢٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩٩) .
(٣) الجرح والتعديل (٧/ الترجمة ٩٩٧) .
(٤) سؤالات البرقاني للدارقطني (١٣١) ، وتاريخ بغداد (٨/ ٣٣٠) .
(٥) تاريخ بغداد (٩/ ٤٥٤) ، المنتظم (٥/ ٩٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥) .
(٦) المنتظم (٥/ ٩٣) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٥) .
(٧) زاد في تاريخ بغداد : وهو عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن بن بشر بن هلال الأنصاري .
(٨) المنتظم (٥/ ٩٤) ، تاريخ بغداد (٢/ ٣٨) .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومئتين

في المحرم منها وقع الخُلْف بين ابن أبي الساج وبين خُمَارَوَيه ، واقتتلا عند ثَنِيَّة العُقاب[١] شرقي دمشق ، فغُلِبَ ابن أبي الساج وانهزم ، وكانت حواصله بحمص ، فبعث خُمَارَوَيْه مَنْ سبقه إليها فأخذها ، ومنع منه حمصَ ، فذهب إلى حلب ، فتبعه[٢] خُمَارَوَيْه ، فسار إلى الرَّقَّة ، فاتبعه ، فذهب إلى الموصل ، ثم انهزم منها خوفاً من خُمَارَوَيْه ، ووصل خُمَارَوَيْه إلى بَلَد ، واتخذ له بها سريراً طويل القوائم ، فكان يجلس عليه في الفرات .

وعند ذلك طمع[٣] فيه إسحاق بن كنداجيق ، فسار وراءه ليظفر منه بشيء فلم يقدر ، وقد التقيا في بعض الأيام فصبر ابنُ أبي الساج صبراً عظيماً ، فسلِمَ ، وانصرف إلى أبي أحمد ببغداد ، فأكرمه وخلع عليه واستصحبه معه إلى الجبل ، ورجع إسحاق بن كنداج إلى ديار بكر ومضر من الجزيرة .

وفي هذه السنة ، في شوَّال منها ، سجَن أبو أحمد الموفَّق ابنَه أبا العباس المعتضد في دار الإمارة .

وكان سبب ذلك أنه أمره بالمسير إلى بعض الوجوه ، فامتنع أن يسير إلا إلى الشام التي كان عمه المعتمد ولاه إياها ، فغضب عليه ، وأمر بسجنه ، فثارت الأمراء واختبطت بغداد ، وركب الموفَّق إلى الميدان[٤] ، وقال للناس : أتظنون أنكم أشفق على ولدي مني ؟ فسكن الناس عند ذلك وتراجعوا إلى منازلهم ، ثم أفرج عنه ، ولله الحمد والمنة .

وفي هذه السنة سار رافع[٥] إلى محمد بن زيد ، أخي الحسن بن زيد العلوي ، فأخذ منه مدينة جُرجان ، فهرب منه إلى إستراباذ ، فحصره بها سنتين ، فغلا بها السعر حتَّى بيع الملح بها وزن الدرهم بدرهمين ، فهرب محمد بن زيد منها ليلاً إلى سارية ، فأخذ منه رافع بلاداً كثيرة بعد ذلك في مدة متطاولة[٦] .

وفي المحرّم منها أو في صفر كانت وفاة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن [الأموي][٧] ، صاحب الأندلس ، عن ست وأربعين سنة . وكانت ولايته سنةً وأحدَ عشر شهراً ، وعشرة أيام .

---

(١) « ثنيّة العقاب » : ثنية مشرفة على غوطة دمشق ، يطؤها القاصد من دمشق إلى حمص .

(٢) في ط : « فمنعه » ، وما أثبتناه من ب ، ظا ، وابن الأثير (٧/ ٤٢٩) .

(٣) أي طمع في ابن أبي الساج . وتفصيل ذلك في الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٣٠) .

(٤) في آ ، ط : بغداد .

(٥) هو رافع بن هَرْثَمة .

(٦) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٣٤) .

(٧) زيادة من ط وابن الأثير .

وكان أسمر طويلاً ، بوجهه أثر جُدَري ، جواداً ممدّحاً ، يحبّ الشعراء ويصلهم بمال كثير ، وخلَّف من الأولاد ستة ذكور .

وقام بالأمر من بعده أخوه عبد الله بن محمد ، فامتلأت بلاد الأندلس في أيامه فتناً وشروراً حتَّى هلك ، كما سيأتي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجَّاج(١) **المَرُّوذي** : صاحب الإمام أحمد . وكان من الأئمة الأذكياء ، كان أحمد يقدّمه على جميع أصحابه ، ويأنس به ، ويبعثه في الحاجة ، فيقول : قل ما شئت .

وهو الذي أغمض الإمام أحمد ، وكان فيمن غسّله أيضاً .

وقد نقل عن أحمد مسائل كثيرة ، وحصلت رفعة عظيمة [بعده](٢) ؛ تتبعه إلى سامُرّا حين أراد الغزو خمسون ألفاً .

أحمد بن محمد بن غالب(٣) : ابن خالد بن مِرْداس ، أبو عبد الله الباهليّ البصريّ ، المعروف بغُلام خليل ، وقد سكن بغداد .

روى عن سليمان بن داود الشَّاذَكُوني ، وشَيْبان بن فروخ ، وقُرَّة بن حبيب ، وغيرهم .

وعنه ابن السَّمَّاك ، وابن مَخْلَد ، وغيرهما .

وقد أنكر عليه أبو حاتم وغيره أحاديثَ رواها منكرة عن شيوخ مجهولين .

قال أبو حاتم(٤) : ولم يكن ممن يفتعل الأحاديث ، كان رجلاً صالحاً .

وكذَّبه أبو داود(٥) وغيرُ واحد .

وروى ابن عَدِيّ عنه أنه اعترف بوضع الحديث ليرقِّقَ به قلوبَ الناس(٦) .

---

(١) المنتظم (٥/ ٩٤) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٣٥) ، العبر (٢/ ٥٤) .

(٢) من ب ، ظا .

(٣) الجرح والتعديل (٢/ ٧٣) ، كتاب المجروحين والضعفاء (١/ ١٥٠) ، تاريخ بغداد (٥/ ٧٨) ، المنتظم (٥/ ٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٢) .

(٤) الجرح والتعديل (٢/ ٧٣) .

(٥) في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٣) : وروي عن أبي داود السِّجستاني أنه قال : ذاك دجَّال بغداد ، نظرت في أربعمئة حديث له ، عُرِضَتْ عليَّ ، كلّها كذب ، متونها وأسانيدها .

(٦) الكامل في الضعفاء (١/ ١٩٨) ، وتاريخ بغداد (٥/ ٧٩) .

وقد كان عابداً زاهداً يقتات الباقلاء الصرف . وحين مات أغلقت[١] أسواق بغداد ، وحضر الناس للصلاة عليه ، ثم حُمِلَ في زورق[٢] إلى البصرة ، فدفن بها ، وكان ذلك في رجب من هذه السنة[٣] .

وأحمد بن مُلاعب[٤] . روَى عن يحيى بن معين وغيره . وكان ثقة ديناً عالماً فاضلاً ، انتشر به علمٌ كثير .

وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السُكَّريّ ، النَّحوي ، اللغوي ، صاحب التصانيف[٥] .

وإسحاق بن إبراهيم بن هانئ ، أبو يعقوب النَّيسابوري[٦] ، كان من أخِصَّاء أصحاب الإمام أحمد ، وعنده اختفى في زمن المحنة .

وعبد الله بن يعقوب بن إسحاق التَّميميّ العطَّار الموصليّ . قال ابن الأثير[٧] : وكان كثير الحديث معدَّلًا عند الحُكَّام .

ويحيى بن أبي طالب[٨] .

وأبو داود السِّجستانيّ[٩] : صاحب السنن ، وهو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بَشير بن شَدَّاد بن عمرو بن عِمران ، أبو داود السِّجِسْتاني ، أحد الأئمة الراحلين الجوَّالين في الآفاق والأقاليم . جمع وصنَّف وخرَّج وألَّف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة والعراق وخراسان وغير ذلك . وله : « السُّنَن » المشهورة المتداولة بين العلماء ، التي قال فيها أبو حامد الغزالي : يكفي المجتهدَ معرفتُها من الأحاديث النبوية .

---

(١) في ب ، ظا : غلقت .

(٢) في تاريخ بغداد وغيره : تابوت .

(٣) تاريخ بغداد (٥/ ٨٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٥) .

(٤) أبو الفضل المخرّمي . المحدِّث ، الحافظ ، ثقة . تاريخ بغداد (٥/ ١٦٨) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢) .

(٥) قال الخطيب البغدادي : كان ثقة ديِّناً فاضلاً ، يقرىء القرآن ، وانتشر عنه شيء كثير من كتب الأدب . كان عجباً في معرفة أشعار العرب ، ألف لجماعة منهم دواوين .
تاريخ بغداد (٧/ ٢٩٦) ، المنتظم (٥/ ٩٧) ، معجم الأدباء (٨/ ٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٢٩) .

(٦) المنتظم (٥/ ٩٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩) .

(٧) الكامل (٧/ ٤٣٥) .

(٨) هو يحيى بن جعفر بن عبد الله بن الزِّبرقان ، أبو بكر البغدادي ، المحدِّث . صحح الدارقطني حديثه .
تاريخ بغداد (١٤/ ٢٢٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦١٩) .

(٩) تاريخ بغداد (٩/ ٥٥) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٥٩) ، المنتظم (٥/ ٩٧) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٤) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩١) ، طبقات السبكي (٢/ ٢٩٣) ، شذرات الذهب (٢٢/ ١٦٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٣) .

حدث عنه جماعة ؛ منهم : ابنه أبو بكر عبد الله ، وأبو عبد الرحمن النَّسائي ، وأحمد بن سلمان النَّجَّاد ، وهو آخر من روى عنه في الدنيا .

سكن البصرة ، وقدم بغداد غيرَ مرة ، وحدَّث بكتابه « السُّنن » بها ، ويقال : إنه صنَّفه بها[١] وعرضه على الإمام أحمد ، فاستجاده واستحسنه .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي[٢] : حدَّثني أبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم القارئ الدِّينوريّ بلفظه ، قال : سمعت أبا الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الفَرَضي ، قال : سمعت أبا بكر بن دَاسَة يقول ، سمعت أبا داود يقول :

كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمئة ألف حديثٍ ، انتخبتُ منها ما ضمَّنتُه الكتاب يعني « السُّنَن » ، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمئة حديث[٣] ، ذكرت الصَّحيح ، وما يشبهُهُ ويقاربُه ، ويكفي الإنسانَ لدينه من ذلك أربعةُ أحاديث[٤]، أحدها : قولُه عليه الصلاة والسلام : « الأعمالُ بالنيَّاتِ »[٥] . الثاني : قوله : « مِنْ حُسْنِ إسلام المرءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيه »[٦] . والثالث : قوله : « لا يكونُ المؤمِنُ مؤمِناً حتَّى يَرْضَى لأخِيه ما يَرْضى لِنَفْسِهِ »[٧] . الرَّابع : قوله : « الحَلالُ بيِّن والحرامُ بيِّن وبين ذلك أمورٌ مشتبهاتٌ »[٨] .

---

(١) في ب ، ظا : صنفه قديماً .

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٥٧) .

(٣) عددها في المطبوع برواية اللؤلؤي (٥٢٧٤) .

(٤) علق الذهبي على ذلك بقوله : يكفي الإنسان لدينه ، ممنوع ، بل يحتاج المسلم إلى عدد كثير من السُّنن الصحيحة مع القرآن . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٠) .

(٥) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٥ و٤٣) ، والبخاري في صحيحه (١/ ٧ و١٥) ، في بدء الوحي وفي الإيمان ، باب ما جاء أن الأعمال بالنية ، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومسلم رقم (١٩٠٧) في الإمارة ، باب قوله ﷺ : إنما الأعمال بالنية ، وأبو داود رقم (٢٢٠١) في الطلاق ، والترمذي رقم (١٦٤٧) ، والنسائي (١/ ٥٩ و٦٠) ، وابن ماجه رقم (٤٢٢٧) كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام .

(٦) رواه الترمذي رقم (٢٣١٧) في الزهد ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مالك في « الموطأ » في كتاب حسن الخلق (٢/ ٩٠٣) ، والترمذي رقم (٢٣١٨) من حديث علي بن الحسين مرسلاً ، وهو ضعيف من هذا الوجه ، لكن روي الحديث عن عدد من الصحابة كما في الجامع الصغير فيتحسن الحديث ، وهو أصل عظيم من أصول الأدب في الإسلام .

(٧) أقول : لم أقف عليه بهذا اللفظ في سنن أبي داود ، وقد ساقه ابن الأثير في جامع الأصول الذي حققته (١/ ١٩٠) والحافظ المزي في تهذيب الكمال المخطوط (١/ ٥٣١) والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٠) ، في معرض خبر نسبوه إلى أبي بكر بن داسة .
والمحفوظ ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ : لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه .

(٨) رواه البخاري في الإيمان ، رقم (٥٢) ، ومسلم رقم (١٥٩٩) في المساقاة ، وأبو داود رقم (٣٣٣٠) ، والترمذي=

وحدثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبليّ ، أن أبا بكر الخلال قال : أبو داود سليمانُ بن الأشعث السِّجِسْتاني الإمام المقدَّم في زمانه ، رجلٌ لم يسبقه إلى معرفة تخريج العلوم وبصره بمواضعه أحدٌ من أهل زمانه ، رجل وَرِعٌ مقدَّم ، وقد سمع منه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً ، كان أبو داود يذكره(١) .

وكان إبراهيم الأصبهاني ، وأبو بكر بن صدَقَة يرفعون من قدره ، ويذكرونه بما لا يذكرون أحداً في زمانه مثله(٢) .

قلت : الحديثُ الذي كتبه عنه وسمعه منه الإمامُ أحمد ، هو ما رواه [أبو داود](٣) من حديث حمَّاد بن سَلَمة ، عن أبي العُشَراء(٤) الدَّارمي ، عن أبيه : أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئل عن العَتِيرَةِ ، فحَسَّنها(٥) .

وقال إبراهيم الحَرْبيّ وغيرُه : أُلينَ لأبي داود الحديث ، كما أُلينَ لداود الحديدُ(٦) . وقال غيرُهُ(٧) : كان أحدَ حفَّاظ الإسلام للحديث وعلله وسَنَده ، في أعلى درجة النُّسْك والعفاف والصلاح والورع ، من فرسان الحديث .

وقال غيره : كان ابن مسعود يُشَبَّه بالنبيِّ ﷺ في هَدْيه وَدَلِّه وسَمْته ، وكان عَلْقَمَةُ يشبهه ، [وكان إبراهيم يشبهه](٨) ، وكان منصور يشبهه ، وكان سفيان الثوري يشبهه ، وكان وكيعٌ يشبهه ، وكان أحمد يشبهه ، وكان أبو داود يشبه أحمد بن حنبل(٩) .

= رقم (١٢٠٥) ، وابن ماجه رقم (٣٩٨٤) في الفتن ، والدارمي (٢/ ٢٤٥) ، وأحمد في المسند (٤/ ٢٦٧ و٢٦٩) كلهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما . وللشوكاني رسالة في شرح هذا الحديث سماها كشف الشبهات عن المشتبهات مطبوعة وجديرة بأن تحقق وتخرج في ثوب جديد . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١١) .

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٥٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١١) .
(٢) زيادة من ط .
(٣) زيادة من ط .
(٤) في الأصول العشر ، وأثبت ما جاء في سير أعلام النبلاء ، وتاريخ بغداد ، وكتب التراجم .
(٥) قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١١) عن هذا الحديث : هذا حديث منكر ، تُكلم في عبد الرحمن بن قيس ـ وهو الراوي عن حماد بن سلمة ـ وإنما المحفوظ عن حماد بهذا السند حديث « أما تكون الذّكاة إلا من اللَّبَّة » . أقول : وقد أخرجه بهذا اللفظ أبو داود رقم (٢٨٢٥) والترمذي رقم (١٤٨١) وابن ماجه رقم (٣١٨٤) ، وأبو العشراء مجهول .
(٦) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٢) .
(٧) هو أحمد بن محمد بن ياسين الهروي . ورد ذلك في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١١) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (١٠/ ١١٠) .
(٨) زيادة من ظا ، ط ، وهو إبراهيم النخعي ، وباقي الفقرة من (ب) . وهي ناقصة في نسخة (آ) .
(٩) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٦) .

وقال محمد بن بكر بن عبد الرزاق : كان لأبي داود كُمٌّ واسعٌ ، وكُمٌّ ضيقٌ ، فقيل له : ما هذا يرحمك الله ؟ فقال : هذا الواسع للكتب ، والآخر لا يُحتاج إليه[١] .

وقد كان مولد أبي داود في سنة ثنتين ومئتين ، وتوفي بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوّال سنة خمس وسبعين ومئتين عن ثلاث وسبعين سنة ، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثوري . وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا « التكميل » وذكرنا ثناء الأئمة عليه .

ومحمد بن إسحاق بن إبراهيم[٢] : **أبو العَنْبَس الصَّيمريّ**[٣] **الشاعر** ، كان مجيداً في شعره ديِّناً ، كثيرَ الملح ، وكان هجَّاءً ، ومن جيد شعره قوله[٤] :

كم مريضٍ قَدْ عاشَ مِنْ بَعْدِ يأسٍ بَعْـدَ مـوتِ الطَّبيـبِ والعُـوَّادِ
قـد يُصَـادُ القطـا فينجـو سليمـاً ويَحِـلُّ القَضَـاءُ بـالصَّيَّـادِ

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومئتين

في المحرم منها أعيد عمرو بن الليث إلى شرطة بغداد ، وكُتِبَ اسمُه على الفرش والمقاعد والستور ، ثم أسقط اسمه في شوال منها ، وعزل عن ذلك ، وولي عبيد الله بن [بن عبد الله][٥] بن طاهر .

وفيها : ولَّى الموفَّقُ ابنَ أبي الساج نيابةَ أذْرَبيجان .

وفيها : قصد هارون الشاري الخارجي مدينة الموصل ، فنزل شرقيّ دجلتها ، فحاصرها ، فخرج إليه أشراف أهلها ، فاستأمنوه فأمَّنَهم ، ورجع عنه .

وحجَّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد العباسي ، أمير الحرمين والطائف .

ولمَّا رجع حُجَّاج اليمن نزلوا في بعض الأماكن ، فجاءهم سَيْلٌ ولم يشعروا به حتى غرَّقهم كلَّهم ، فلم يفلت منهم أحدٌ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (١٠/ ١١١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٧) .

(٢) نديم المتوكل والمعتمد العباسيين ، كان أديباً ظريفاً عارفاً بالنجوم ، وهو من أهل الكوفة ، وقبره فيها . ولي قضاء الصيمرة فنسب إليها ، له مناظرة مع البحتري . وهجاه أكثر شعراء زمانه .
له ترجمة في تاريخ بغداد (١/ ٢٣٨) ، ومعجم الأدباء (١٨/ ٨) ، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٨) ، ومعجم البلدان (صَيْمَرة) ، والمنتظم (٥/ ٩٩) .

(٣) في آ ، ط : الضيمري .

(٤) البيتان في تاريخ بغداد (١/ ٢٣٨) ، ومعجم الأدباء (١٨/ ٩) ، ومعجم البلدان (٣/ ٤٣٩) ، والمنتظم (٥/ ٩٩) .

(٥) من ب ، ظا .

وذكر ابن الجوزي في « منتظمه »[١] ، وابن الأثير في « كامله »[٢] : أن في هذه السنة انفرج تلٌّ في أرض البصرة يعرف بتل شقيق عن سبعة أقبر في مثل الحوض ، وفيها سبعة أبدانهم صحيحة ، وأكفانهم يفوح منها ريح المسك ، أحدهم شاب له جُمّة ، وعلى شفتيه بلل كأنه قد شرب ماءً ، وكأن عينيه مكحّلتان ، وبه ضربة في خاصرته . وأراد بعض من حضره أن يأخذ من شعره شيئاً ، فإذا هو قويّ كشعر الحيّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن حازم بن أبي غَرَزَة[٣] ، الحافظ ، صاحب المسند المشهور ، له حديث كثير ورواية عالية .

بَقِيُّ بنُ مَخْلَد[٤] : أبو عبد الرحمن الأندلسي ، الحافظ الكبير ، [صاحب][٥] « المُسْنَد » المبوَّب على الفقه ؛ روى فيه عن ألف وستمئة صحابي ، وقد فضَّله ابنُ حزم على مسند الإمام أحمد ، وعندي في ذلك نظر ، والظاهر أن مسند أحمد أجود منه وأجمع ؛ [فإنه ليس هو ببلادهم ، ولا وقع لهم روايته ، ولو اطلع عليه ووقف على ما فيه ، لما فضّل عليه مسنداً من المسندات ، اللهم إلا أن يكون بَقِيّ قد سمع من أحمد جميع المسند وزاد عليه ، كما قد يسَّرَ الله من الزيادات التي ألحقناها بمسند الإمام أحمد ، ولله الحمد والمنة أبداً][٦] .

وقد رحل بَقِيّ إلى العراق ، فسمع من الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث بالعراق وغيرها يزيدون على المئتين بأربعة وثلاثين شيخاً ، وله تصانيف أخر .

وكان مع ذلك رجلاً صالحاً عابداً زاهداً ، مجابَ الدعوة ؛ ذكر القشيريُّ : أنَّ امرأة جاءته ، فقالت : إنَّ ابني أسرته الإفرنج ، وإنِّي لا أنام الليل من شوقي إليه ، ولي دُوَيرة أريدُ أن أبيعها لأستفكَّه[٧] ؛ فإن رأيت أن تشير إلى أحدٍ يأخذها لأسعى في فكاكه بثمنها ، فليس لي ليل ولا نهار ، [ولا نوم][٨] ولا صبر ، ولا قرار . فقال : نعم ، انصرفي حتى ننظر في ذلك ، إن شاء الله .

---

(١) المنتظم (٥/ ١٠٠) .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٣٧) ، وهو في تاريخ الطبري أيضاً (١٠/ ١٦) .
(٣) أبو عمرو الغِفاري الكوفي ، كان حافظاً متقناً ، ذكره ابن حبان في الثقات . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٣٩) ، العبر (٢/ ٥٥) .
(٤) معجم الأدباء (٧/ ٧٥) ، المنتظم (٥/ ١٠٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٦٩) .
(٥) من ب ، ظا .
(٦) ما بين قوسين زيادة من ب ، ظا .
(٧) في ب ، ظا : لأن أستفكه بها .
(٨) زيادة من ب ، ظا .

وأطرق الشيخ وحرَّك شفتيه يدعو الله عزَّ وجلَّ لولدها بالخلاص ، فذهبت ، فما كان إلا عن قليلٍ حتَّى جاءت ، وابنُها معها ، فقالت : اسمعْ خبَره ، يرحمك الله ! فقال : كيف كان أمرك ؟ فقال : إنِّي كنت فيمن يخدُمُ الملك ونحن في القيود ، فبينا أنا ذات يوم أمشي إذ سقط القيدُ من رجلي ، فأقبل عليَّ الموكَّل بنا ، فشتمني ، وقال : فككتَ القيد من رجليك[١] ؟ فقلت : لا والله ، ولكنه سقط ولم أشعر ، فجاؤوا بالحداد فأعادوه ، وشدّ مسماره وأيّد ، ثم قمت فسقط أيضاً ، فأعادوه وأكّدُوه ، فسقط أيضاً ، فسألوا رهبانهم ، فقالوا : له والدة ؟ فقلت : نعم ، فقالوا : إنَّه قد استجيب دعاؤها له ، أطلقوه ، فأطلقوني ، وخفَروني حتَّى وصلْت إلى بلاد الإسلام . فسأله بَقيٌّ عن الساعة التي سقط القيد من رجليه ، فإذا هي الساعة التي دعا اللهَ له فيها[٢] .

صاعد بن مَخْلَد[٣] : الكاتب ، كان كثير الصدقة والصلاة ، وقد أثنى عليه أبو الفرج بن الجَوزي في « منتظمه »[٤] ، وتكلم فيه ابن الأثير في « كامله »[٥] . وذكر أنه كان فيه تيه وحمق ، وقد يمكن الجمع بين القولين وهاتين الصفتين .

ابن قتيبة[٦] : عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة ، أبو محمد الدِّينَوَريّ ، ثم البغدادي ، أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء . روى عن إسحاق بن راهَوَيْه ، وغير واحد ، وله التصانيف المفيدة المشهورة الأنيقة ، كغريب القرآن ، ومشكله ، والمعارف ، وأدب الكاتب ، وعيون الأخبار ، وغير ذلك .

وكان ثقة جليلاً نبيلاً ، وكان أهل [العلم][٧] يتَّهمون من لم يكن في منزله من تصنيف ابن قُتيبة شيء .

وكان سبب وفاته أنه أكل لقمة من هريسةٍ ، فإذا هي حارَّة ، فصاح صيحة شديدة ، ثم أغمي عليه إلى وقت الظهر ، فأفاق ، ثم لم يزل يتشهَّد إلى أن مات وقت السحر ، أوَّل ليلة من رجب من هذه السنة ، وقيل : إنه توفي في سنة سبعين ومئتين ، والصحيح في هذه السنة .

---

(١) في آ : رجلك .
(٢) معجم الأدباء (٧/ ٨٤) ، المنتظم (٥/ ١٠٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٠) .
(٣) تاريخ الطبري (انظر الفهرس) ، والكامل لابن الأثير (انظر الفهرس) ، والمنتظم (٥/ ١٠١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٢٦) .
(٤) المنتظم (٥/ ١٠١)
(٥) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤١٩) .
(٦) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٢٧٠هـ . وسقطت هنا في ب ، ظا ، غير أن نسخة ب أوردت اسمه فقط عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
(٧) زيادة من ط .

عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو قِلابة الرَّقَاشيّ[(١)] : أحد الحفاظ ، وكان يكنى بأبي محمد ، ولكن غلب عليه لقب أبو قِلابة .

سمع يزيد بن هارون ، ورَوْح بن عُبَادة ، وأبا داود الطيالسيّ ، وغيرهم .

وعنه ابن صاعد ، والمَحَامليّ ، والنَّجَّاد ، وأبو بكر الشَّافعي ، وغيرهم .

وكان صدوقاً ، عابداً ، يصلِّي في كل يوم أربعمئة ركعة . وروى من حفظه ستين ألف حديث ، غلط في بعضها لا على سبيل العمد . وكانت وفاته في شوَّال من هذه السنة عن ستٍّ وثمانين سنة .

ومحمد بن أحمد بن أبي العَوَّام[(٢)] .

ومحمد بن إسماعيل الصائغ[(٣)] .

ويزيد بن عبد الصَّمد[(٤)] .

وأبو الرَّدَّاد : عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرَّدَّاد ، المؤذن ، صاحب « المقياس » [بمصر] ، الذي هو مسلَّم إليه وإلى ذريته إلى يومنا هذا . قاله القاضي ابن خلكان في « الوفيات »[(٥)] .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومئتين

فيها دعا بازمار نائب طَرَسُوسَ لِخُمَارَوَيْه ، وذلك لأنه هاداه بذهبٍ كثير وتُحف هائلة ؛ من حريرٍ وغير ذلك .

وفيها : قدِم قائد عظيم من أصحاب خُمَارَوَيْه إلى بغداد .

وفيها : ولي المظالمَ ببغداد يوسفُ بن يعقوب ، ونودي في الناس : مَنْ كانت له مظلمة ولو عند

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٢٥) ، المنتظم (٥/ ١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٠) .

(٢) محمد بن أحمد بن يزيد بن أبي العَوَّام الرِّياحي ، أبو بكر ، وأبو جعفر . المحدِّث . صدوق . المنتظم (٥/ ١٠٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٧) .

(٣) محمد بن إسماعيل بن سالم ، أبو جعفر الصَّائغ ، القرشي ، العباسي ، مولى المهدي ، المحدّث ، شيخ الحرم المكي ، صدوق ، من أبناء التسعين . المنتظم (٥/ ١٠٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦١) .

(٤) هو يزيد بن محمد بن عبد الصَّمد الدمشقي ، أبو القاسم ، المحدِّث المتقن . كان ثقة بصيراً بالحديث . توفي بدمشق . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥١) ، العبر (٢/ ٥٨) .

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ١١٢) ، والأعلام للزركلي (٤/ ٩٨) .

الأمير الناصر لدين الله أبي أحمد الموفَّق ، أو عند أحدٍ من الناس فليحضر . وسار في الناس سيرة حسنة ، وأظهر صرامة لم يُرَ مثلها .

[وحجَّ بالناس هارون بن محمّد الهاشمي](١) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن إسحاق بن أبي العَنْبَس(٢) ، أبو إسحاق الكوفي ، قاضي بغداد بعد ابن سَماعة ، سمع يَعْلَى(٣) بن عبيد وغيره ، وحدَّث عنه ابن أبي الدنيا وغيره . وتوفي عن ثلاث وتسعين سنة ، وكان ثقة فاضلاً ديناً صالحاً .

أحمد بن عيسى(٤) : **أبو سعيد الخرَّاز** ، أحد مشاهير الصوفية بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة ، وله تصانيف في ذلك ، وله كرامات وأحوال وصبر على الشدائد وضيق الحال .

روى عن إبراهيم بن بشَّار ، صاحب إبراهيم بن أدهم ، وغيره .

وعنه : عليّ بن محمد المصري ، وجماعة .

ومن جيد كلامه قوله ـ رحمه الله ـ : إذا بكت أعينُ الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم(٥) .

وقوله ـ رحمه الله ـ : العافية تستر البَرَّ والفاجر ، فإذا جاءت البلوى تبين عندها الرجال(٦) .

وقوله : كلُّ باطنٍ يخالفه ظاهرٌ ، فهو باطلٌ(٧) .

وقوله : الاشتغال بوقتٍ ماضٍ تضييع وقت ثانٍ(٨) .

وقوله : ذنوب المقرَّبين حسنات الأبرار(٩) .

---

(١) زيادة من ب ، ظا .

(٢) في الأصول والمطبوع : ابن أبي العينين ، وأثبت ما جاء في المصادر : تاريخ بغداد (٦/ ٢٥) ، والمنتظم (٥/ ١٠٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩٨) .

(٣) في آ ، ط : معلى ، وهو يعلى بن عبيد الطنافسي .

(٤) طبقات الصوفية (٢٢٣ ـ ٢٢٨) ، حلية الأولياء (١٠/ ٢٤٦) ، تاريخ بغداد (٤/ ٢٧٦) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٣٥) ، تاريخ ابن عساكر (٥/ ١٢٨) ، المنتظم (٥/ ١٠٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٩) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٢) .

(٥) المنتظم (٥/ ١٠٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٣٧) .

(٦) المنتظم (٥/ ١٠٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٣٧) .

(٧) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٠) .

(٨) تاريخ ابن عساكر (٥/ ١٣٢) .

(٩) صفة الصفوة (٢/ ٤٣٧) .

وقوله : الرّضا قبل القضاء تفويض ، والرّضا مع القضاء تسليم[١] .

وقد روى البيهقيُّ بسنده إليه أنه سئل عن قوله عليه الصلاة والسلام : « جُبِلَت القلوبُ على حُبِّ مَنْ أحْسَنَ إليها » ، فقال : يا عجباً لمن لم يَرَ محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه[٢] ؟ .

قلت : وهذا الحديث ليس بصحيح ، ولكن كلامه عليه حَسَنٌ[٣] .

وقال ابنه سعيد : طلبت من أبي دانقَ فضةٍ ، فقال : يا بنيّ ، اصبر ، فلو أحبَّ أبوك أن يركَبَ الملوكُ إلى بابه ما تأبّوا عليه[٤] .

وروى الحافظ ابن عساكر[٥] عنه قال : أصابني[٦] مرّة جوع شديد ، فهممت أن أسأل الله طعاماً ، ثم قلت : هذا ينافي التوكّل ، فهممت أن أسأله صبراً ، فهتف بي هاتف :

ويَـزْعُـمُ أنَّـهُ منَّـا قـرِيـبٌ ... وَأنَّـا لا نُضيِّـعُ مَـنْ أتـانـا
وَيَسَألُنا القِرى جهداً وصَبْراً ... كـأنَّـا لا نَـرَاهُ ولا يَـرانـا

قال : فقمت ومشيت فراسخ بلا زادٍ .

وقال أبو سعيد الخرّاز : المحبُّ يتعلل إلى محبوبه بكل شيء ، ولا يتسلَّى عنه بشيء ، يتبع آثاره ولا يدع استخباره ، ثم أنشد[٧] :

أسـائِلُكُـمْ عنهـا فَهَـلْ مِـنْ مخبِّرٍ ... فمـالـي بِنُعْمَـى بَعْـدَ مكَّتِنـا عِلْـمُ
فلـوْ كُنْـتُ أدْري أيـنَ خَيَّـم أهلُهـا ... وأيّ بـلادِ اللهِ إذْ ظَعَنُـوا أمُّـوا[٨]
إذاً لسلَكنـا مسلـكَ الـرِّيـحِ خَلْفَهـا ... ولو أصبحَتْ نُعْمَى ومِن دُونها النَّجْمُ

---

(١) تاريخ دمشق (٥/ ١٣٧) .
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٤٣٧) .
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٥٧٤) ، قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة صفحة (١٧٢) ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية وهو باطل مرفوعاً وموقوفاً ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١) ، وأبو الشيخ وابن حبان في روضة العقلاء ، وآخرون كلهم من طريق إسماعيل بن أبان الخياط ، قال : بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش وقع فيه ، فبعث إليه بكسوة ، فمدحه الأعمش ، فقيل للأعمش : ذممته ثم مدحته ، فقال : إن خيثمة حدثني عن ابن مسعودٍ قال : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وهكذا رواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٧٠١) . وإسماعيل بن أبان الخياط متروك ، رمي بالوضع ، كما قال الحافظ في تقريب التهذيب .
(٤) تاريخ دمشق (٥/ ١٣٩) .
(٥) تاريخ دمشق (٥/ ١٤٠ ـ ١٤١) .
(٦) في تاريخ ابن عساكر : كنت في البادية فنالني جوع . .
(٧) الأبيات في طبقات الصوفية ص٢٢٨ ، وحلية الأولياء (١٠/ ٢٤٨) .
(٨) « ظعنو » : ساروا ، و « أمّوا » : قصدوا .

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل : في سنة سبع وأربعين[(١)] ، وقيل : في سنة ست وثمانين والأول أصح .

عيسى بن عبد الله بن سِنان بن دَلَّوَيْه[(٢)] : أبو موسى الطَّيالسيّ ، الحافظ ، يلقب زَغَاث[(٣)] ، سمع عفَّان وأبا نُعَيم ، وعنه أبو بكر الشافعي وغير واحد . وثقه الدَّارقطني . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة عن أربع وثمانين سنة .

أبو حاتم الرَّازيّ[(٤)] : محمد بن إدريس بن المُنْذر بن داود بن مِهْران ، أبو حاتم الحَنْظَلي الرَّازي ، أحد الأئمة الحفاظ الأثبات ، العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل ، وهو قرين أبي زُرْعَة الرَّازي ، تغمدهما الله برحمته .

سمع الكثير ، وطاف الأقطار والأمصار ، وروى عن خلق من الكبار ، وحدَّث عنه : الرَّبيع بن سليمان ، ويونس بن عبد الأعلى ، وهما أكبر منه ، وقدم بغداد فحدَّث بها ، وروى عنه من أهلها إبراهيمُ الحَرْبي ، وابنُ أبي الدنيا ، والمَحَاملي ، وغيرهم .

قال لابنه عبد الرحمن[(٥)] : يا بُنَيَّ ، مشَيْتُ على قدمي في طلب الحديث أكثَر من ألف فَرْسَخ ، وذكر أنه لم يكن له شيء ينفق عليه في بعض الأحيان ، وأنَّه مكث ثلاثاً لا يأكل شيئاً حتى استقرضَ من بعض أصحابه نصفَ دينار .

وقد أثنى عليه غيرُ واحد من العلماء والفقهاء .

وكان يتحدَّى مَنْ حضَر عنده من الحفَّاظ وغيرهم ؛ فيقول : مَنْ أغْرَبَ عليَّ بحديثٍ واحدٍ صحيحٍ فله عليَّ درهمٌ أتصدَّق به . قال : ومرادي أن أسمعَ ما ليس عندي ، فلم يأتِ أحد بشيء من ذلك ، وكانَ في جملة من حضر ذلك أبو زُرْعَة الرازي[(٦)] . كانت وفاة أبي حاتم في شعبان من هذه السنة .

محمد بن الحسين بن موسى[(٧)] : ابن الحسن أبو جعفر الكوفي الخرَّاز ، المعروف بالحُنَيْني ، له مسندٌ كبير .

---

(١) بعده عند ابن عساكر : وهو باطل .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ١٧٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦١٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦١٨) ، طبقات الحفاظ (٢٧٢) .

(٣) في ب : رغاب ، وفي ظا : رعاث .

(٤) الجرح والتعديل (١/ ٣٤٩) ، تاريخ بغداد (٢/ ٧٣) ، طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٤) ، المنتظم (٥/ ١٠٧) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٦٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٧) ، العبر (٢/ ٥٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧١) .

(٥) المنتظم (٥/ ١٠٨) .

(٦) المنتظم (٥/ ١٠٨) ، الجرح والتعديل (١/ ٣٥٥) .

(٧) الجرح والتعديل (٧/ ٢٣٠) ، تاريخ بغداد (٢/ ٢٢٥) ، المنتظم (٥/ ١٠٩) ، سير إعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٣) .

روى عن : عُبَيْد الله بن موسى ، والقَعْنَبيِّ ، وأبي نُعَيْم ، وغيرهم . وعنه : ابن صَاعد ، والمَحَاملي ، وابن السَّمَّاك . كان ثقة ، صدوقاً .

محمد بن سعدان[١] ، **أبو جعفر البَزَّاز** ، سمع من أكثر من خمسمئة شيخ ، ولكن لم يحدِّث إلا باليسير ، وتوفي في شعبان منها .

قال ابن الجوزي[٢] : وثمَّ محمد بن سعدان البزاز ، عن القَعْنَبي ، وهو غير مشهور . ومحمد بن سعدان ، النَّحوي ، مشهور ؛ توفي في سنة إحدى [وثلاثين][٣] ومئتين .

قال ابن الأثير في كامله[٤] : وتوفي فيها :

يعقوب بن سفيان بن جُوَان[٥] ، الإمام الفسوي ، وكان يتشيع .

ويعقوب بن يوسف بن معقل الأمويّ ، مولاهم ، والد أبي العباس أحمد الأصم .

وعَريب ، المغنّية المأمونيّة ، قيل : إنَّها ابنة جعفر بن يحيى البرمكيّ ، فأما :

يعقوب بن سفيان بن جُوَان[٦] : فهو أبو يوسف بن أبي معاوية الفارسي الفَسَوي ، سمع الحديث الكثير ، وروى عن أكثر من ألف شيخ من الثقات[٧] ؛ منهم : هشام بن عمَّار ، ودحيم ، وأبو الجماهر ، وسليمان بن عبد الرحمن ، الدمشقيون ، وسعيد بن منصور ، وأبو عاصم ، ومكي بن إبراهيم ، وسليمان بن حَرْب ، ومحمد بن كثير ، وعبيد الله بن موسى ، والقَعْنَبي .

روى عنه : النسائي في « سننه » ، وأبو بكر بن أبي داود ، والحسن بن سفيان ، وابن خراش ، وابن خزيمة ، وأبو عَوانة الإسفراييني ، وخلق سواهم ، وصنَّف كتاب « التاريخ » و « المعرفة » وغيره من الكتب المفيدة النافعة .

وقد رحل في طلب الحديث إلى البلدان النائية ، وتغرَّب عن وطنه في ذلك نحو ثلاثين سنة .

---

(١) المنتظم (٥/ ١٠٩) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٢٥) .
(٢) المنتظم (٥/ ١٠٩) .
(٣) من ب ، ظا ، والمنتظم ومن ترجمته في تاريخ بغداد (٥/ ٣٢٤) .
(٤) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٤٠) .
(٥) في آ ، ط : حِران .
(٦) الجرح والتعديل (٩/ ٢٠٨) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٠) ، العبر (٢/ ٥٨) ، تهذيب الكمال (لوحة ١٥٥٠) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٨٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧١) .
(٧) علَّق الذهبي على ذلك في سير أعلام النبلاء ، فقال : ليس في مشيخته إلا نحو من ثلاثمئة شيخ ، فأين الباقي ؟ ثم في المذكورين جماعة قد ضُعِّفوا .

وروى ابن عساكر[١] عنه أنَّه قال : كنتُ أكتب في الليل على ضوء السِّراج في زمن الرحلة ، فبينا أنا ذات ليلة إذ وقع شيء على بصري ، فلم أبصر معه السِّراجَ ، فجعلت أبكي على ما فاتني من ذهاب بصري ، وما يفوتني بسبب ذلك من كتابة حديث رسول الله ﷺ ، وما أنا فيه من الغربة ، ثم غلبتني عيني فنمت ، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام ، فقال : ما لك[٢] ؟ فشكوت إليه ما أنا فيه من الغربة ، وما فاتني من كتابة السنة . فقال : ادْنُ منِّي ، فدنوت منه ، فوضع يده على عيني ، وجعل كأنه يقرأ شيئاً من القرآن . ثم استيقظت فأبصرت ، وجلست أنسخ .

وقد أثنى عليه أبو زُرْعة الدمشقيّ ، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري ، وقال : هو إمام أهل الحديث بفارس ، وقدم نيسابور وسمع منه مشايخنا ، وقد نسبه بعضهم إلى التشيّع .

وذكر ابن عساكر[٣] : أن يعقوب بن الليث صاحب فارس بلغه عنه أنه يتكلم في عثمان بن عفان ، فأمر بإحضاره ، فقال له وزيره : أيها الأمير ، إنه لا يتكلَّم في شيخنا عثمان بن عفان السِّجزي ، وإنما يتكلم في عثمان بن عفان الصحابي ، فقال : دعوه ، ما لي وللصحابي[٤] ، إني حسبته يتكلَّم في شيخنا [عثمان بن عفان السِّجزي][٥] .

قلت : وما أظنُّ هذا صحيحاً عن يعقوب بن سفيان ؛ فإنَّه إمام محدِّث كبيرُ القدر ، وقد كانت وفاته قبل أبي حاتم الرَّازي بشهر في رجب من هذه السنة بالبصرة ، رحمه الله .

وقد رآه بعضهم في المنام ، فقال له : ما فعل بك ربُّك ؟ قال : غفر لي وأمرني أن أمليَ الحديث في السَّماء كما كنت أمليه في الأرض ، فجلَسْتُ للإملاء في السماء الرابعة ، وجلس حولي جماعةٌ من الملائكة ؛ منهم جبريل ، يكتبون ما أمليه من الحديث بأقلام الذهب .

وأما عَريب المأمونيّة[٦] : فقد ترجمها الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » ، وحكى قولاً لبعضهم أنها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد البَرْمكي ، سُرِقَتْ وهي صغيرة عند ذهاب دولة البرامكة ، وبِيعتْ ،

---

(١) حرف الياء من تاريخ ابن عساكر ساقط في النسخ المخطوطة المتوفرة منه . وهو بنحوه في « مختصر تاريخ دمشق » لابن منظور (٢٨/ ٤٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨١) ، وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٨٧) ، وتهذيب الكمال (لوحة ١٥٥١) .

(٢) في ب ، ظا : مالك كئيباً .

(٣) هو بنحوه في « مختصر تاريخ دمشق » لابن منظور (٢٨/ ٤٦) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٢) .

(٤) في ب ، ظا : وللصحابة .

(٥) زيادة من ط .

(٦) الأغاني (٢١/ ٥٤ ـ ٩١) ، تاريخ ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٢٩ ـ ٢٣٩) ، وابن الأثير (٧/ ٤٤٠) .

فاشتراها[١] المأمون بن الرشيد . ثم روى[٢] عن حمَّاد بن إسحاق ، عن أبيه أنه قال : ما رأيت امرأةً قطّ أحسنَ وَجْهاً ، وأدَباً ، وغناءً ، وضَرْباً ، وشِعراً ، ولَعِباً بالشِّطْرنج والنَّرْد منها ؛ وما تشاء أن تجدَ خَصْلَةً حسنةً ظريفةً بارعةً في امرأةٍ إلا وجدتَها فيها .

وقد كانت شاعرة مطيفة فصيحةً بليغةً ؛ كان المأمون يتعشَّقُها ، ثم أحبَّها بعده المعتصم ، وكانت هي تتعشَّق لرجلٍ يقال له : محمد بن حامد[٣] ، وربما أدخلته إليها في دار الخلافة ، قبَّحها الله ، على ما ذكره ابن عساكر عنها .

ثم تعشَّقت صالحاً المنذريّ ، وتزوجته سراً ، وكانت تقول فيه الشعر ، وربما غنَّته بين يدي المتوكِّل وهو لا يشعر فيمن هو ، فيضحك جواريه من ذلك ، فتقول لهن : يا سحّاقات ، هذا خيرٌ من عملكن[٤] . وقد أورد ابن عساكر شيئاً كثيراً من شعرها ، فمن ذلك أنَّها لمَّا دخلت على المتوكِّل تعودُه من مرض أصابه ، أنشدته من شعرها وغنَّته به[٥] :

أَتَـوْنـي فَقَـالـوا : بـالخليفـةِ عِلَّـةٌ ... فقلْتُ ونارُ الشَّوقِ تُوقدُ في صدري
ألا لَيْـتَ بـي حُمَّـى الخليفةِ جعفـرٍ ... فكانتْ بيَ الحمَّى وكانَ له أجْري
كفى حَزَناً أن قيلَ حُمّ فلم أمُتْ ... مِنَ الحُزْنِ إنِّي بعدَ هذا لَذُو صَبْري
جُعِلْـتُ فِـداءً للخليفـةِ جعفـرٍ ... وذاكَ قليـلٌ للخليفـةِ مِـنْ شكـري

ولمَّا عُوفي دخلت عليه ، فغنَّته من قبلها[٦] :

شكراً لأنْعُم مَنْ عافاكَ مِنْ سَقَمِ ... دُمْـتَ المعـافَـى مـن الآلام والسَّقَـمِ
عـادَتْ بنُـوركَ لـلأيَّـامِ بهجَتُهـا ... واهتـزَّ نَبْـتُ ريـاضِ الجُـودِ والكَـرَمِ
ما قامَ للدِّينِ بعدَ المصطفى مَلِكٌ ... أعَـفُّ منكَ ولا أرعـى علـى الـذِّمَمِ
فعمَّـرَ اللهُ فينـا جعفَـراً ونفـى ... بنُـورِ سنَّتِـهِ عنَّـا دُجَـى الظُّلَـمِ

ولها في عافيته أيضاً[٧] :

---

(١) في تاريخ ابن عساكر : واشتراها الأمين ، ثم اشتراها المأمون .
(٢) ابن عساكر (تراجم النساء) (ص٢٢٩) ، الأغاني (٢١/ ٥٤) .
(٣) في الأغاني : محمد بن حامد الخاقاني المعروف بالخشن ، أحد قواد خراسان ، وكان أشقر أصهب الشعر أزرق العينين .
(٤) الأغاني (٢١/ ٧٢) ، ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٣٥) .
(٥) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٣٣)
(٦) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٣٣) .
(٧) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٣٤) .

حَمِدنا الذي عافَى الخليفةَ جَعْفراً ... على رُغْمِ أشياخِ الضّلالةِ والكُفْرِ
وما كانَ إلا مثلَ بَدْرٍ أصابهُ ... كُسُوفٌ قليلٌ ثم أجْلَى عنِ البَدْرِ
سلامَتُهُ للدِّينِ عِزٌّ وقُوّةٌ ... وعِلَّتُه للدِّينِ قاصمةُ الظَّهرِ
مَرِضْتَ فأمرضْتَ البَرِيَّةَ كلَّها ... وأظلَمَتِ الأمصارُ من شدَّةِ الذُّعرِ
فلما استبانَ الناسُ مِنْكَ إفاقةً ... أفاقوا وكانوا كالنِّيام[١] على الجَمْرِ
سلامةُ دنيانا سلامةُ جَعْفَرٍ ... فدامَ معافاً سالماً آخِرَ الدَّهرِ
إمامٌ يعمُّ الناسَ بالفضلِ[٢] والتُّقى ... قريباً مِنَ التَّقوى بَعِيداً مِنَ الوِزْرِ

ولها من الأشعار الرائقة الفائقة شيء كثير ، وفيما ذكرنا كفاية ، والله الموفق للصواب .

قال ابن عساكر[٣] : بلغني أن مولدها في سنة إحدى وثمانين ومئة ، وتوفيت سنة سبع وسبعين ومئتين بسُرَّ من رأى ، ولها ستٌّ وتسعون سنة .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومئتين

قال ابن الجوزي[٤] : في المحرم من هذه السنة طلع نجم ذو جُمَّةٍ[٥] ثم صارت الجُمَّةُ ذؤابةً[٦] .

قال[٧] : وفي هذه السنة غار ماء النيل ، وهذا شيء لم يعهد مثله ، ولا بلغنا في الأخبار السابقة ، فغلت الأسعار بمصر بسبب ذلك جدًّا .

قال[٨] : وخلع على عبيد الله بن سليمان بن وهب بالوزارة .

قال[٩] : وفي المحرم منها قدم الموفَّق أبو أحمد من الغزو فتلقاه الناس إلى النهروان ، فدخل بغداد وهو مريض بالنقرس ، فاستقرَّ في داره في أوائل صفر ، ومات بعد أيام ، كما سيأتي في ترجمته في هذه السنة .

---

(١) تاريخ ابن عساكر : كالقيام .
(٢) في ب ، ظا : بالعقل ، وفي تاريخ ابن عساكر بالعدل .
(٣) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٣٩) .
(٤) المنتظم (٥/ ١٠٩) ، الطبري (١٠/ ١٩) .
(٥) « الجُمَّة » : مجتمع شعر الرأس .
(٦) « الذؤابة » : الشعر المضفور من شعر الرأس .
(٧) المنتظم (٥/ ١١٠) .
(٨) المنتظم (٥/ ١٠٩) .
(٩) المنتظم (٥/ ١٠٩) .

[أول ظهور القرامطة في سنة ثمان وسبعين ومئتين][١]

قال ابن الجوزي[٢] : وفي هذه السنة تحركت القرامطة ، قبَّحهم الله ، وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوَّة زرادشت ومزدك ، وكانا يبيحان المحرمات . ثم [هم][٣] بعد ذلك أتباعُ كلِّ ناعقٍ إلى باطلٍ ، وأكثر ما يدخلون من جهة الرافضة[٤] ؛ لأنَّهم أقلُّ الناس عندهم وعند غيرهم عقولاً .

ويقال لهم : الإسماعيلية ؛ لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق .

ويقال لهم : القرامطة ؛ قيل : نسبة إلى قِرْمِط بن الأشعث البقار[٥] .

وقيل : إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر مَن اتبعه بخمسين[٦] صلاة في كُلِّ يوم وليلة ؛ ليشغلهم بذلك عمَّا يريد تدبيره من المكيدة . ثم اتخذ نقباء اثني عشر ، وأسس لأتباعه دعوة ومسلكاً ، ودعا إلى إمام من أهل البيت .

ويقال لهم : الباطنية ؛ لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحضَ ، والخُرَّميَّة ، والبابكيَّة نسبة إلى بابَك الخرَّميّ الذي ظهر في أيام المعتصم ، فلم يزل يبعث خلفه الجيوش حتى جيء به أسيراً فقتله ، كما ذكرنا فيما سبق[٧] .

ويقال لهم : المُحَمِّرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعاراً ، مضاهاة لسواد بني العباس .

والتعليمية ، نسبة إلى التعلم[٨] من الإمام المعصوم ، وترك الرأي ومقتضى[٩] العقل .

ويقال لهم : السبعية ، نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المتحيِّزة السيَّارة مدبِّرة لهذا العالم فيما يزعمون ، لعنهم الله . وهي القمر في الأولى ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمرِّيخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة .

---

(١) زيادة من ب ، ظا .
(٢) المنتظم (٥/ ١١٠) .
(٣) من ب ، ط .
(٤) في ب ، ظا : القرامطة .
(٥) في المنتظم : قرمط بن الأشعب ، البقال .
(٦) في آ : بخمس صلوات .
(٧) حوادث سنة ٢٢٢ و٢٢٣ .
(٨) في ب ، ظا : التعليم .
(٩) في المنتظم : وإفساد تصرف العقل .

قال ابن الجوزي[١] : وقد بقي من البابكيّة جماعةٌ يقال : إنهم يجتمعون في كلِّ سنة ليلة هم ونساؤهم ، ثم يطفئون المصابيح ، وينتهبون النساء ، فمن وقع في يده امرأة حلت له ؛ ويقولون : هذا اصطياد مباحٌ ، لعنهم الله . وقد بسط أبو الفرج بن الجوزي في هذا الموضع من تاريخه المسمَّى « بالمنتظم » تفصيل قولهم ، لعنهم الله .

وقد سبقه إلى ذلك القاضي أبو بكر الباقلانيّ[٢] المتكلِّم المشهور في كتابه « هتك الأستار وكشف الأسرار » في الردِّ على الباطنية ، في الكتاب الذي جمعه بعض قضاتهم بديار مصر في أيام الفاطميين الذي سماه « البلاغ الأعظم والناموس الأكبر » جعله ست عشرة درجة ، أول درجة : أن يدعوَ من يجتمع به أولاً إن كان من أهل السُّنَّة إلى القول بتفضيل عليٍّ على عثمان ، ثم ينتقل به إذا وافقه على ذلك إلى تفضيله على الشيخين أبي بكر وعمر ، ثم يترقَّى من ذلك إلى سبِّهما ؛ لأنهما ظلما علياً وأهلَ البيت الحقّ ، ثم يترقَّى بعد ذلك إلى تجهيل الأمة وتخطئتها في موافقة أكثرهم على ذلك ، ثم يشرع في القدْح في دين الإسلام من حيث هو .

وقد ذكر لمخاطبته[٣] شبهاً وضلالات لا تروج إلا على كل غبيٍّ جاهل شقيٍّ ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ [الذاريات : ٧ ـ ٩] ، أي يضلّ به من هو ضال . وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ١٦١ ـ ١٦٣] . وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢ ـ ١١٣] . والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ومضمونها أنَّ الجهلَ والضَّلال لا ينقاد له إلَّا شرار الرجال ، كما قال بعضُ الشعراء :

إنْ هـو مستحـوذاً علـى أحـدٍ إلا علـى أضْعَـفِ المَجَـانيـنِ

ثم بعد هذا كلِّه لهم مقامات في الكفر والجهل والسخافة والرُّعونة ما لا ينبغي لضعيف عقلٍ أو دينٍ ، أو تصور سماعه ، مما فتح عليهم إبليس من أبواب وأنواع الجهالات ، وربما أفاد بعضهم إبليس أشياء لم تكن عنده ، كما قال بعضهم :

وكنتُ أمرأً من جندِ إبليسَ بُرهةً مِنَ الدَّهرِ حتَّى صَارَ إبليسُ مِنْ جُندي

(١) المنتظم (٥/ ١١٤) .

(٢) هو محمد بن الطيب بن محمد ، من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة . ولد في البصرة وسكن بغداد ، وتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ .

(٣) بعدها في ط : لمن يريد أن يخاطبه بذلك .

والمقصود : أنَّ هذه الطائفة تحرَّكت في هذه السنة ، ثم استفحل أمرهم ، وتفاقم الحال بهم ، على ما سنذكره ، حتى آل الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام ، فسفكوا فيه دماء الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة المكرمة ، وكسروا الحجر الأسود ، واقتلعوه من موضعه ، وذهبوا به إلى بلادهم في سنة سبع عشرة وثلاثمئة ، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة ، فمكث غائباً عن موضعه ثنتين وعشرين سنة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[١] .

واتفق في هذه السنة شيئان ؛ أحدهما : ظهور هؤلاء ، والثاني : موتُ حسام الإسلام وناصر الدين أبي أحمد الموفَّق ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ، بكرمه ومنّه . لكن أبقى الله للمسلمين بعده ولده أبا العباس أحمد بن أبي أحمد الموفَّق ، الملقب بالمعتضد . وقد كان [الموفَّق أبو أحمد][٢] شهماً شجاعاً فاتكاً جواداً ممدَّحاً .

وهذه ترجمة أبي أحمد الموفَّق[٣] ، رحمه الله : هو الأمير الناصر لدين الله ، الموفَّق بالله ، أبو أحمد ، محمد ، ويقال : طلحة بن المتوكِّل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد .

كان مولده في يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومئتين ، وكان أخوه المعتمد حين صارت إليه الخلافة قد عهد إليه بالولاية بعد ابنه جعفر ، ولقَّبه الموفَّق بالله ، ثم لمَّا قُتِل صاحب الزّنج وكسر جيشه تلقَّب بناصر دين الله ، وصار إليه العقد والحلّ والولاية والعزل ، وإليه يُجبى الخراج ، وكان يخطب له على المنابر ، فيقال : اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله ، أبا أحمد الموفَّق بالله ، ولي عهد المسلمين ، أخا أمير المؤمنين .

ثم اتفق موته قبل أخيه المعتمد بستة أشهر ، رحمه الله ، وكان غزير العقل ، حسن التدبير ، [كريماً ، جواداً ، ممدّحاً ، شجاعا ، مقداماً ، رئيساً ، حسن المحادثة والمجالسة ، عادلاً ، حسن السيرة][٤] ، يجلس للمظالم ، وعنده القضاة ، فينصف المظلوم من الظالم ، وكان عالماً بالأدب ، والنسب ، والفقه ، وسياسة الملك وغير ذلك ، وله محاسن ومآثر كثيرة جداً .

وكان سبب موته : أنَّه أصابه مرض النِّقْرس في السَّفر ، ثم قدم إلى بغداد وهو عليل ، فاستقرَّ في داره

---

(١) بعده في المطبوع ما نصه : « وكل ذلك من ضعف الخليفة وتلاعب الترك بمنصب الخلافة واستيلائهم على البلاد وتشتت الأمر .

(٢) من ب ، ظا .

(٣) له ترجمة في تاريخ الطبري ، وتاريخ بغداد (٢/ ١٢٧) ، المنتظم (٥/ ١٢١) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٤١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦٩) ، العبر (٢/ ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٩ ـ ٦٠) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٩٤) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٢) .

(٤) زيادة من ب ، ظا .

في أوائل صفر وقد تزايد به المرض ، وتورَّمت رجله حتى عظمت جداً ، وكان يوضع عليها الأشياء المبرّدة كالثلج ونحوه ، فكان يحمل سريره أربعون رجلاً بالنوبة ، عشرون ، عشرون . فقال لهم ذات يوم : ما أظنكم إلا قد مللتم ، فياليتني كواحدٍ منكم ، آكل كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون في عافية .

وقال أيضاً : في ديواني مئة ألف مرتزق ليس فيهم أسوأ حالاً مني .

ثم كانت وفاته في القصر الحسيني ليلة الخميس لثمان بقين .

قال ابن الجوزي(١) : من هذه السنة .

وقال ابن الأثير(٢) : في صفر من هذه السنة .

قال ابن الجوزي(٣) : وله سبع وأربعون سنة تنقص شهراً وأياماً .

ولما توفي أبو أحمد الموفَّق اجتمع الأمراء على أخذ البيعة بولاية العهد من بعده لولده أبي العباس أحمد ، فبايع له المعتمد بولاية العهد بعد ابنه المفوّض ، وخطب له على المنابر بعد المفوّض ، وجعل إليه ما كان إلى أبيه من الولاية والعزل والقطع والوصل ، والعقد والحل ، ولقّب المعتضد بالله .

وممن توفي فيها أيضاً :

إدريس بن سُليم القَعْنبي(٤) الموصلي ، قال ابن الأثير(٥) : وكان كثير الحديث والصلاح .

وإسحاق بن كنداجيق(٦) ، نائب الجزيرة ، وكان من ذوي الرأي ، وقام(٧) بما كان إليه ولدُه محمد .

ويا زمان(٨) ، نائب طَرَسُوس ، جاءه حجر مِنْجنيق من بلدة كان يحاصرها ببلاد الروم ، فمات منه ، وذلك في رجب من هذه السنة ، ودفن بطَرَسوس ، فولّي نيابة الثغر بعده أحمد العُجيفيّ بأمر خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، ثم عزله عن قريب بابن عمه محمد بن موسى بن طولون .

وعبدة بن عبد الرحيم ، قبّحه الله . ذكر ابن الجوزي في « المنتظم »(٩) : أن هذا الشقيَّ كان من

---

(١) المنتظم (٥/ ١٢٢) وفيه : من صفر هذه السنة .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٤٣) .
(٣) المنتظم (٥/ ١٢٢) .
(٤) في المطبوع وابن الأثير الفَقْعَسيّ .
(٥) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥١) .
(٦) في ط : كنداج .
(٧) عبارة ابن الأثير (٧/ ٤٥١) : وولي ما كان إليه من أعمال الموصل وديار ربيعة ابنه محمد .
(٨) في ب ، ظا : مازيار .
(٩) المنتظم (٥/ ١٢٠) .

المجاهدين كثيراً في بلاد الروم ، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرون لبلدةٍ من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة في ذلك الحصن فهويها ، فراسلها : ما السبيلُ إليك ؟ فقالت : أن تتنصَّرَ وتصعدَ إليَّ ، فأجابها إلى ذلك ، قبَّحه الله ، فما راع المسلمين إلا وهو عندها ، فاغتمَّ المسلمون بسبب ذلك غمّاً شديداً ، وشق عليهم مشقةً عظيمةً . فلمَّا كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن ، فقالوا له : يا فلان ، ما فعل قرآنُك ؟ ما فعل [عملك][1] ؟ ما فعل صيامك وصلاتك ؟ فقال : اعلموا أني أنسيت القرآن كلّه إلا قوله : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٢ ـ ٣] .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومئتين

في أواخر المحرم منها خلع جعفر المفوّض من ولاية العهد ، واستقلَّ بولاية العهد من بعد المعتمد أبو العباس بن الموفّق ، ولقّب بالمعتضد ، وجعل إليه السلطنة ، كما كان أبوه ، وخطب بذلك المعتمدُ على رؤوس الأشهاد ، وكان يوماً مشهوداً . ففي ذلك يقول يحيى بن علي يهنِّىء المعتضد[2] :

ليهنكَ عقدٌ أنتَ فيهِ المقدَّمُ ... حباكَ بهِ ربٌّ بفضلِكَ أعلمُ
فإنْ كنْتَ قد أصبحْتَ واليَ عهدِنا ... فأنتَ غداً فينا الإمامُ المعظَّمُ
ولازال من والاكَ فيك مبلَّغاً ... مُناهُ ومَنْ عاداكَ يخزى ويندمُ
وكانَ عمودُ الدينِ فيه تأوُّدٌ ... فعادَ بهذا العهدِ وهوَ مقوَّمُ
وأصبحَ وجهُ المُلكِ جذلانَ ضاحكاً ... يضيءُ لنا منهُ الذي كانَ يُظلِمُ
فدونكَ فاشددْ عَقْدَ ما قَدْ حويتَهُ ... فإنَّكَ دونَ الناسِ فيهِ المُحكَّمُ

وفيها : نودي ببغداد أن لا يمكِّن القصّاصُ الطرقية والمنجمون ومن أشبههم من الجلوس في المساجد ولا في الطرقات ، وأن لا تباع كتبُ الكلام والفلسفة والجدل بين الناس ، وذلك بهمَّة أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام .

وفي هذه السنة وقعت حروبٌ بين هارون الشاري وبين بني شيبان في أرض الموصل ، وقد بسط ذلك ابنُ الأثير[3] في « كامله » .

---

(١) زيادة من ب ، ظا . وفي المطبوع والمنتظم : علمك .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٢) .
(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤) .

وفي رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الإثنين لتسع[١] عشرة خلت منه .

وهذه ترجمة المعتمد[٢] : هو أمير المؤمنين المعتمد على الله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ، واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . استمرت أيامه في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وستة أيام ، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وستة أشهر ، كان أسنَّ من أخيه أبي أحمد الموفّق بستة أشهر ، وتأخّر بعده أقل من سنة ، ولم يكن إليه من الأمر شيء ، وإنّما كان الأمر كلّه فيما يتعلّق بتدبير الخلافة إلى الموفّق ، وقد اتفق أنَّ المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمئة دينار فلم يحصل له ، فقال في ذلك[٣] :

أليسَ مِنَ العجائبِ أنَّ مثلي ... يَرَى ما قَلَّ ممتنِعاً عليهِ
وتؤخَذُ باسْمِهِ الدُّنيا جميعاً ... وما مِن ذاكَ شيءٌ في يَدَيْهِ
إليه تُحمَّلُ الأموالُ طُرّاً ... ويُمنَعُ بعض ما يُجْبَى إليهِ

وكان أول خليفة انتقل من سامُرَّا إلى بغداد بعدما بنيت سامُرَّا ، ثم لم يعد إليها أحد من الخلفاء ، بل جعلوا دار إقامتهم ببغداد ، وكان سبب هلاكه فيما ذكر ابن الأثير[٤] أنه شرب تلك الليلة شراباً كثيراً ، وتعشّى عشاءً كثيراً . وكانت وفاته في القصر الحَسَني من بغداد ، وحين مات أحضر المعتضدُ القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه ، ثم غسّل وكفّن ، وصلّى عليه ، ثم حمل فدفن بسامُرَّا .

وفي صبيحة العزاء بُويع للمعتضد بالله .

البلاذري المؤرِّخ ، أحد المشاهير[٥] : **أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن** ، ويقال : أبو جعفر ، ويقال : أبو بكر البغدادي البَلاذُري ، صاحب التاريخ المنسوب إليه .

سمع هشام بن عمّار ، وأبا عُبَيْد القاسم بن سلام ، وأبا الرَّبيع الزهراني وجماعة .

---

(١) في ب ، ظا : لسبع عشرة . مصحف ، وما أثبتناه موافق لمصادر ترجمته .

(٢) في الأصول : وهذه ترجمته . وترجمته في تاريخ الطبري (٩/ ٤٧٤) ، تاريخ بغداد (٤/ ٦٠) ، الكامل لابن الأثير ، الجزء السابع ، في أماكن متفرقة ، فوات الوفيات (١/ ٦٤) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٤٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٣) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٥) ، فوات الوفيات (١/ ٦٦) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٤٨ و٦٠٢) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٩٣) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٧٥) .

(٤) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٥) .

(٥) تأخرت ترجمة البلاذري في (آ) ووردت بعد ترجمة المعتضد . وترجمته في الفهرست لابن النديم ، المقالة الثالثة ، الفن الأول ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٣١٩) ، معجم الأدباء (٥/ ٨٩) ، فوات الوفيات (١٠/ ١٥٥) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٢٣٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦٢) ، لسان الميزان (١/ ٣٢٢) .

وعنه : يحيى بن النَّديم ، وأحمد بن عمَّار ، وأبو يوسُف يعقوب بن نعيم بن قَرْقَارة الأزدي .

قال ابن عساكر[١] : كان أديباً ، راوية ، له كتبٌ جيادٌ ، ومدَحَ المأمون بمدائحَ ، وجالس المتوكِّل ، وتوفي أيام المعتضد ، وَوُسوس في آخر عمره .

وروى ابن عساكر[٢] عن البَلاذُري قال : قال لي محمود الورّاق : قُلْ من الشعر ما يبقى ذلك ذكره ، ويزول عنك إثمه ، فقلت :

استعدّي يا نفسُ للموتِ واسعَيْ ... لنجَاةٍ فالحَازِمُ المُسْتَعِدُّ
قد تبيَّنْتُ أنَّه ليس للحـ ... ـيِّ خُلودٌ ولا مِنَ الموتِ بُدُّ
إنَّما أنتِ مستعيرةٌ ما سَوْ ... فَ تَرُدِّينَ والعَواري تُرَدُّ[٣]
أنْتِ تَسْهِينَ والحوادِثُ لا تَسْـ ... ـهُو وَتَلْهِينَ والمَنَايا تَعُدُّ[٤]
أيُّ مُلْكٍ في الأرْضِ أيُّ حَظٍّ ... لامرىءٍ حظُّهُ مِنَ الأرْضِ لَحْدُ
لا تُرَجِّي البَقَاءَ في مَعْدِنِ المَوْ ... ت ودَارٍ حتوفُها لكِ وِرْدُ
كيفَ يَهْوَى امْرُؤٌ لَذَاذَةَ أيَّا ... مٍ عليه الأنفاسُ فيها تُعَدُّ

خلافة المعتضد بالله[٥]

أمير المؤمنين أبي العباس أحمد [ابن الأمير أبي أحمد الموفّق بن جعفر المتوكِّل][٦] . وكان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم . كانت البيعة له صبيحة موت المعتمد لعشرٍ بقِين من رجب من هذه السنة ، أعني سنة تسع وسبعين ومئتين ، وقد كان أمر الخلافة داثراً فأحياه بهمَّته وعدله وشهامته وصرامته وشجاعته ، استوزر عبيد الله بن سليمان بن وَهْب ، وولَّى مولاه بَدْراً الشُّرْطَة ببغداد ، وجاءته هدايا عمرو بن الليث ، ويسأل منه أن يولِّيه إمرةَ خراسان ، فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه بالخِلَع واللواء ، فنصبه عمرو بن الليث في داره ثلاثة أيام فرحاً وسروراً بذلك[٧] .

وعزل رافعَ بن هَرْثَمة عن إمرة خراسان ، ودخلها عمرو بن الليث ، فلم يزَلْ يتبع رافعاً من بلدٍ إلى بلدٍ

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٣١٩) ، ومعجم الأدباء (٥/ ٩٩) ، والوافي بالوفيات (٨/ ٢٣٩) .
(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٣١٩) ، ومعجم الأدباء (٥/ ٩٧ ـ ٩٨) .
(٣) « العارة والعارية » : ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك ، يقال : عارية مستردة ، والجمع العواري .
(٤) في مختصر تاريخ ابن عساكر ومعجم الأدباء : تَجِدُّ .
(٥) سترد ترجمته مفصلة في حوادث سنة (٢٨٨هـ) .
(٦) زيادة من ب ، ظا ، ط .
(٧) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٦) .

حتَّى قتلَه في سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي ، وبعث برأسه إلى المعتضد ، وصَفَتْ إمرةُ خراسان لعمرو بن الليث[١] .

وفي هذه السنة قَدِمَ الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصَّاص من الدِّيار المصرية ، بهدايا عظيمة من خُمَارَوَيْه صاحب مصر إلى المعتضد بالله ، فتزوَّج المعتضدُ بابنة خُمَارَوَيْه ، فجهَّزها أبوها بجهازٍ لم يُسْمَعْ بمثله ، حتَّى قيل : إنه كان فيه من الهواوين الذهب مئة هاون ، فحمل ذلك كلّه من الدِّيار المصرية إلى بغداد صحبة العروس ، وكان وقتاً مشهوداً .

وفي هذه السنة تملَّك أحمد بن عيسى بن الشيخ قَلْعة ماردين ، وكانت قبل ذلك لإسحاق بن كنداجيق[٢] .

وفيها : حجَّ بالناس هارون بن محمد العبَّاسي ، وهي آخر حجة حجَّها ، وكان أوَّل حجَّة حجَّها بالناس سنة أربع وستين ومئتين [إلى هذه السنة][٣] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد[٤] أمير المؤمنين المعتمد ، كما تقدَّم في ترجمته قريباً .

أبو بكر بن أبي خَيْثمة[٥] : واسمه : أحمد بن زهير بن خيثمة ، صاحب التاريخ وغيره . سمع أبا نعيم ، وعفَّان . وأخذ علمَ الحديث عن أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ؛ وعلمَ النسب عن مصعب الزبيري ؛ وأيامَ الناس عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني ، وأخذ علمَ الأدب عن محمد بن سلام الجمحي .

وكان ثقة حافظاً ضابطاً مشهوراً ، وفي تاريخه هذا فوائد كثيرة وفرائد غزيرة .

وقد روى عنه البغوي ، وابنُ صاعد ، وابن أبي داود ، وابن المنادي . وقد كانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، رحمه الله .

خاقان أبو عبد الله الصوفي[٦] ، كانت له أحوال وكرامات .

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٧ـ٤٥٩) .
(٢) في ط والطبري : كنداج .
(٣) تكملة من الطبري وابن الأثير .
(٤) حتى قوله : قريباً لم يرد في ب ، ظا .
(٥) تاريخ بغداد (٤/ ١٦٢) ، المنتظم (٥/ ١٣٩) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٤) .
(٦) كان من كبار الصوفية البغداديين ، له أخبار في المنتظم (٥/ ١٤٠) .

[نصر بن أحمد بن أسد بن سامان[١] : الساماني ، أحد ملوكهم الأكابر ، وقد كانوا من سلالة الأكاسرة ، كان جدهم سامان من أصحاب أبي مسلم الخراساني ، وأصله من ذرية بهرام بن أزدشير بن سابور ، ثم كان ابنه أسد من عقلاء الرجال . وخلَّف نوحاً وأحمد ويحيى وإلياس ، وقد ولي كل واحد من هؤلاء مملكة ، ناحية من النواحي ؛ وهم السامانية][٢] .

التِّرمِذيّ[٣] : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضَّحَّاك ، وقيل : محمد بن عيسى بن يزيد بن سَوْرة بن السَّكَن ، ويقال : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن شدَّاد أبو عيسى السّلمي التِّرمذيّ الضرير ، ويقال : إنه ولد أكْمَه[٤] .

وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه ، وله المصنفات المشهورة : « جامعه » ، و« الشمائل » ، و« أسماء الصحابة » وغير ذلك . وقد صار كتابه هذا من الكتب الستة التي يرجع إليها العلماء في سائر الآفاق والأرجاء ، وجهالة ابن حزم لأبي عيسى حيث قال في محلاه[٥] : ومَن محمد بن عيسى بن سَوْرة ؟ لا تضرُّه في دينه ودنياه ، ولا تضع من قدره عند أهل العلم ، بل تحطّ من منزلة ابن حزم عند الحفاظ :

وكيفَ يَصِحُّ في الأذهانِ شيءٌ إذا احْتَاجَ النَّهارُ إلى دَلِيلِ

وقد ذكرنا مشايخه في كتابنا « التكميل » .

وروى عنه غيرُ واحد من العلماء ؛ منهم : محمد بن إسماعيل البخاري في غير « الصحيح » ؛ والهَيْثَم بن كُلَيْب الشَّاشي ، صاحب « المسند » ؛ ومحمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي ، راوي « الجامع » عنه ؛ ومحمد بن المنذر شَكَّر .

قال الحافظ أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليليّ القَزْوينيّ في كتابه « علوم الحديث »[٦] : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن شدَّاد ، الحافظ ، متفق عليه ، وله كتاب في السنن ، وكلام في الجرح والتعديل ،

---

(١) المنتظم (٥/ ١٤١) ، وابن الأثير (أماكن متفرقة) والنجوم الزاهرة (٣/ ٨٣) .

(٢) ما بين قوسين لم يرد في آ ، ط .

(٣) وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٨) ، تهذيب الكمال (خ ١٢٥٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٣) ، العبر (٢/ ٦٢) ، الوافي بالوفيات (٤/ ٢٩٤) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٤) .

(٤) « الأكْمَه » : الذي يولد أعمى . واستبعد الذهبي ذلك وقال في السير : والصحيح أنه أضرَّ في كبره ، بعد رحلته وكتابته العِلم .

(٥) أي كتابه المحلى في الفقه .

(٦) اسم كتابه : الإرشاد في معرفة المحدّثين وهو فيه (٣/ ٩٠٤ ـ ٩٠٥) .
وكان الخليلي ثقة حافظاً ، عارفاً بالرجال والعلل ، كبير الشأن ، توفي بقزوين في آخر سنة ست وأربعين وأربعمئة ، وكان من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٦٦) .

روى عنه ابن مَحْبُوب والأجلاء ، وهو مشهور بالأمانة والعلم ، مات بعد الثمانين ومئتين ؛ كذا قال في تاريخ وفاته .

وقد قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الغُنْجَار[١] في « تاريخ بخارى » : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضَّحَّاك السّلميّ التِّرمذيّ ، الحافظ ، دخل بُخَارَى وحدَّث بها ، وهو صاحب « الجامع » و« التاريخ » ؛ توفي بالتِّرْمِذ[٢] ليلة الإثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين .

وذكره الحافظ أبو حاتم بن حبَّان في « الثِّقات »[٣] ، فقال : كان ممن جَمَعَ ، وصنَّف ، وحفِظَ ، وذاكر .

قال التِّرْمذيُّ : كتب عنِّي البخاري حديثَ عَطِيَّة ، عن أبي سعيد ، أنَّ رسول الله ﷺ قال[٤] : « لا يَحِلُّ لأحدٍ [أنْ] يُجنبَ في هذا المسجد غيري وغيرُك »[٥] .

وروى ابن نقطة[٦] في « تقييده »[٧] عن الترمذي ، أنه قال : صنفت هذا المسند الصحيح فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به ، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنَّما في بيته نبيٌّ يتكلَّم .

قالوا : وجملة المسند الجامع الذي صنفه الترمذي مئة وأحد وخمسون كتاباً ، وكتاب « العلل » صنفه بسمَرْقَند ، وكان فراغه منه في يوم عيد الأضحى سنة سبعين ومئتين .

---

(١) الإمام الحافظ ، محدّث بخاري ، وصاحب « تاريخها » ، توفي سنة ٤١٢هـ وقد شاخ . سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠٤) .

(٢) اختلف في كيفية هذه النسبة ، بعضهم يقول بفتح التاء ، وبعضهم يقول بضمها ، وبعضهم يقول بكسرها . وهي مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيحون من جانبه الشرقي . (ياقوت) .

(٣) ثقات ابن حبان (٩/ ١٥٣) .

(٤) في ط : قال لعلي .

(٥) رواه الترمذي في جامعه رقم (٣٧٢٧) ، في مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفي سنده عطية بن سعد العوفي ، وهو ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقد سمع مني محمد بن إسماعيل هذا الحديث واستغربه .

(٦) في آ : ابن عطية ، والمثبت من ب . وهو محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي نصر البغدادي الحنبلي ، أبو بكر ، معين الدين ، ابن نقطة . عالم بالأنساب ، حافظ للحديث ، من أهل بغداد ، ثقة ، ديّن ، توفي سنة ٦٢٩هـ .

(٧) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص٩٧ ـ ٩٨) .

قال ابن نقطة[١] : [أنبأنا عبد القادر بن عبد الله الفهمي ، قال : حدثنا عبد الرحيم بن أبي الوفاء الحاجي بأصبهان ، قال :][٢] سمعت محمد بن طاهر المقدسي ، سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري يقول : كتاب الترمذي عندي أفيدُ[٣] من كتابَي البخاري ومسلم . قلت : ولمَ ؟ قال : لأنه لا يصل إلى الفائدة منهما إلا مَنْ هو من أهل المعرفة التامة ، وهذا الكتاب قد شرح أحاديثه وبيَّنها ، فيصل إليه كلُّ أحدٍ من الناس ؛ من الفقهاء والمحدّثين وغيرهما .

قلت : والذي يظهر من حاله أنه طرأ عليه العَمَى بعد أن رحلَ وسمعَ وكتبَ وذاكرَ وناظرَ وصنَّف ، ثم اتفق موتُه في بلده في رجب من هذه السنة على الصحيح المشهور ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمانين ومئتين [من الهجرة النبوية][٤]

في المحرم منها قتل المعتضدُ رجلاً من أمراء الزّنج كان قد لجأ إليه بالأمان ويعرف بِشَيْلَمة[٥] ، ذكر له أنه كان يدعو إلى رجلٍ لا يعرف من هو ، وقد أفسد جماعةً ، فاستدعى به فقرَّره فلم يقرّ ، وقال : لو كان تحت قدميَّ ما أقررت[٦] به ، فأمر به فشُدَّ على عمود خيمةٍ ، ثم لوّحه على النار حتى تساقط جلده عن عظامه ، ثم أمر بضَرْب عنقه ، وصلبه ، لسبع ليال خلون من المحرم .

وفي أول صفر ركب الخليفة المعتضد بالله من بغداد قاصداً بني شيبان من أرض المَوْصِل ، فأوقع بهم بأساً شديداً عند جبل يقال له : نوباد[٧] . وكان مع المعتضد حادٍ جيد الحداء ، فقال في بعض تلك الليالي يحدو بالمعتضد[٨] :

---

(١) التقييد (ص٩٨) .
(٢) ما بين حاصرتين إضافة من « التقييد » لا يستقيم النص من غيرها .
(٣) في سير أعلام النبلاء : أنفع ، وفي ط : أنور .
(٤) زيادة من ب ، ظا .
(٥) في الطبري : محمد بن الحسن بن سهل ، المعروف بشيلمة . وفي آ : بشيملة ، وفي ط : بسلمة .
(٦) في الطبري وابن الأثير : ما رفعتهما عنه .
(٧) في المنتظم : نوباذ . وفي معجم البلدان : تَوْباذ بفتح التاء ثم السكون ، آخره ذال معجمة ، جبل بنجد ، ثم ذكر الأبيات الثلاثة مع بيت رابع بعدها ، وهو :

إنـي لأبكـي اليـوم مـن حـذري غـداً ... وأقلـق والحيّـان مـؤتلفـان

(٨) المنتظم (٥/ ١٤٢) ، ومعجم البلدان (٢/ ٥٥) : توباذ .

فـأَجْهَشْـتُ للنَّـوْبـادِ حِيـنَ رأيتُـهُ   وهلَّلـتُ[١] للـرحمـنِ حيـنَ رآنـي
وقلـتُ لـه أيـنَ الَّـذيـن عَهـدتُهُـمْ   بظلّـكَ فـي[٢] أمـن وأيـن زمـانـي
فقالَ مضوا واستخْلَفُوني مكانَهُم   ومَن ذا الَّذي يَبْقَى على الحَدَثانِ[٣]

قال : فتغرغرت عينا المعتضد ، وقال : من ذا الذي يبقى على الحَدَثان !؟ .

وفي هذه السنة أمر المعتضد بتسهيل عقبة حُلْوان ، فغُرم عليها عشرون ألف دينار ، وكان الناس يلقون منها شدة عظيمة[٤] .

وفيها : وسَّع المعتضد جامع المنصور بإضافة دار المنصور إليه ، وغُرم عليه عشرون ألف دينار ، وكانت الدارُ قبلتَه ، فبناها مسجداً على حدة وفتح بينهما سبعة عشر باباً[٥] ، وحوَّل المنبر والمحراب[٦] إلى المسجد ؛ ليكون في قبلة الجامع على عادة الخطب[٧] . قال الخطيب البغدادي[٨] : وزاد بَدْر مولى المعتضد المسقطات من قصر المنصور المعروفة بالبدرية في هذا الوقت .

ذكر بناء دار الخلافة ببغداد

أول من بناها المعتضد في هذه السنة . وكان أول من سكنها من الخلفاء إلى آخر دولتهم ، وكانت أولًا داراً للحسن بن سهل تعرف بالقصر الحسني ، ثم صارت بعد ذلك لابنته بوران التي تزوج بها المأمون ، فعمَّرت فيها حتى استنزلها المعتضد عنها ، فأجابته إلى ذلك ، ثم أصلحت ما وَهَى منها ورمَّمت ما كان قد تشعَّث فيها ، وفرشَتْ في كُلِّ موضع منها ما يليق به من المفارش ، وأسكنت فيه ما يليق به من الجواري والخدم ، وأعدت بها المآكل الشهية ، وما يحسن ادِّخاره في ذلك الزمان ، ثم أرسلت بمفاتيحها إلى المعتضد ، فلما دخلها أذهله ما رأى فيها من الخيرات ، ثم وسَّعها وزاد فيها ، وجعل لها سوراً حولها ، فكانت قدر مدينة شيراز ، وبنى الميدان[٩] ، ثم بنى قصراً مشرفاً على دجلة . ثم

---

(١) في المنتظم : وهلَّل ، وفي معجم البلدان : وسبَّح .
(٢) في ط : في أمنٍ ولين زمان ، وفي المنتظم : في خفض وأمن زمان ، وفي معجم البلدان : في خفض وعيسى ليان .
(٣) « الحَدَثان » : الليل والنهار . وحَدَثان الدهر : نوائبه ومصائبه .
(٤) المنتظم (٥/ ١٤٣) ، وانظر في حلوان ونخلتيها معجم البلدان .
(٥) في المنتظم : طاقاً .
(٦) بعدها في المنتظم : والمقصورة .
(٧) تاريخ بغداد (٥/ ٦١) ، المنتظم (٥/ ١٤٣) . وفي ب ، ظا : على عادة الخطيب .
(٨) المنتظم (٥/ ١٤٣) .
(٩) في ب ، ظا : الميدان والثريا .

بنى فيها المكتفي التاج ، ثم كانت أيام المقتدر فزاد فيها زيادات[١] عظيمة جداً . تأخرت آثارها إلى أيام التتار الذين خربوها وسبَوا من كان بها من الحرائر الآمنات ، كما سيأتي بيانه في موضعه ـ إن شاء الله تعالى ـ من سنة ست وخمسين وستمئة .

قال الخطيب البغدادي[٢] : والذي يشبه أن تكون بوران سلمت دار الخلافة إلى المعتمد : فإنها لم تعش[٣] إلى أيام المعتضد .

وفيها : زُلزلزت أرْدَبيل[٤] ست مرات ، فتهدَّمت دورها فلم يبقَ منها مئةُ دارٍ ، ومات تحت الردم مئة ألف وخمسون ألفاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : غارت المياه ببلاد الرَّيِّ وطَبَرِستان حتَّى بيعَ الماءُ كل ثلاثة أرطال بدرهم ، وغلت الأسعار هنالك جداً[٥] .

وفيها : غزا إسماعيل بن أحمد السامانيُّ بلادَ الترك ، ففتح مدينة ملكهم ، وأسر امرأته الخاتون وأباه ونحواً من عشرة آلاف أسير ، وغنم من الدّوابّ والأمتعة والأموال شيئاً كثيراً ، أصاب الفارس ألف درهم[٦] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو بكر محمّد بن هارون بن إسحاق العباسي[٧] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن سيَّار بن أيوب ، الفقيه الشافعي المشهور بالعبادة والزهادة[٨] .

وأحمد بن أبي عِمران[٩] **: موسى بن عيسى ، أبو جعفر البغدادي** ، كان من أكابر الحنفية ، تفقَّه على

---

(١) في المطبوع : زيادات أخر كباراً كثيرة جداً ، ثم بعد هذا كله خربت حتى كأن لم يكن موضعها عمارة ، وتأخرت . . .

(٢) تاريخ بغداد (١/ ٩٩) ، والمنتظم (٥/ ١٤٤) .

(٣) ماتت بوران سنة (٢٧١) ، وقد تقدمت ترجمتها في حوادث تلك السنة .

(٤) عند الطبري وابن الأثير : دَبِيل .

(٥) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٦٥) .

(٦) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٦٥) .

(٧) في الطبري وابن الأثير : المعروف بابن تُرُنجة .

(٨) وهو أبو الحسن المَرْوزي ، إمام أهل الحديث في بلده علماً وأدباً وزهداً وورعاً ، وكان يقاس بعبد الله بن المبارك في عصره ، وكان حافظاً ثقة . توفي سنة ٢٦٨هـ . وليس في هذه السنة كما ذكر المؤلف نقلاً عن ابن الأثير في تاريخه . تهذيب الكمال (١/ ٣٢٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٠٩) ، وحوادث سنة ٢٦٨هـ (١١/ ٤٢) .

(٩) طبقات الفقهاء (١٤٠) ، المنتظم (٥/ ١٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٤) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٥) .

محمد بن سَمَاعة ، وهو أستاذ أبي جَعْفَر الطَّحاوي . وكان ضريراً ، سمع الحديث من عليّ بن الجَعْد وغيره ، وقدِمَ مصرَ فحدَّث بها من حفظه ، وتوفي بها في المحرم من هذه السنة ، وقد وثقه ابن يونس في تاريخ مصر .

أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر[١] : **أبو العباس البِرْتي**[٢] ، القاضي بواسط ، صاحب المسند . روى عن مسلم بن إبراهيم ، وأبي سلمة التَّبُوذكيّ ، وأبي نعيم ، وأبي الوليد ، وخَلْق . وكان ثقة ثبتاً ، تفقَّه بأبي سليمان الجُوزجاني ، صاحب محمد بن الحسن . وقد حكم بالجانب الشرقيّ من بغداد في أيام المعتزّ[٣] ، فلما كان أيام الموفّق طلب منه ومن إسماعيل القاضي أن يعطياه ما بأيديهما من أموال اليتامى الموقوفة ؛ فبادَرَ إلى ذلك إسماعيل القاضي ، واستنظره أبو العباس البِرْتي هذا ، ثم بادر إلى كلٍّ من أنس منه رشداً فدفع إليه ماله ، فلمَّا طولب به قال : ليس عندي منه شيء ، دفعْتُه إلى أهله ، فعزل عن القضاء ولزم بيته ، فتعبَّد إلى أن توفي في ذي الحجة من هذه السنة .

وقد رآه بعضهم في المنام وقد دخل على رسول الله ﷺ ، فقام إليه وصافحه وقبَّل بين عينيه ، وقال : مرحباً بمن يعمل بسنتي وأثري .

وفيها توفي :

جعفر بن المعتمد ، وكان يسامر[٤] المعتضد .

وراشد مولى الموفَّق بمدينة الدِّينور ، فحمل إلى بغداد[٥] .

وعثمان بن سعيد الدَّارِميّ[٦] ، مصنف « الرد على بِشْر المَرِيسيِّ » فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجَهْميّة ، وقد ذكرناه في « طَبَقات الشافعية » .

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٦١) ، طبقات الفقهاء (١٤٠) ، المنتظم (٥/ ١٤٥) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٠٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٥) .

(٢) في الأصول : البرقي .

(٣) في المنتظم : المعتمد . وفي تاريخ بغداد (٥/ ٦٢) : ولي قضاء بغداد بعد أبي هشام الرّفاعي لما توفي في سنة تسع وأربعين ومئتين . قلت : وكانت خلافة المعتز من سنة ٢٥٢ إلى سنة ٢٥٥هـ ، والمعتمد بعده .

(٤) في الأصول : جعفر بن المعتضد ، وكان يسامر أباه وصححت من الطبري وابن الأثير .
وعبارة الطبري : وذكر أن جعفر بن المعتمد توفي في يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الآخر منها ، وأنه كان مقامه في دار المعتضد لا يخرج ولا يظهر ، وقد كان المعتضد نادمه مراراً .

(٥) الطبري (١٠/ ٣٤) ، وابن الأثير (٧/ ٤٦٥) .

(٦) وهو أبو سعيد التميمي الدارمي ، صاحب « المسند » الكبير والتصانيف ، وكان إماماً يقتدى به . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩) ، العبر (٢/ ٦٤) .

ومسرور الخادم[١] ، وكان من أكابر الأمراء .

ومحمد بن إسماعيل بن يوسف أبو إسماعيل التِّرْمذيّ ، صاحب التصانيف الحسنة في رمضان من هذه السنة ؛ قاله ابن الأثير[٢] ، وشيخنا الذهبيّ[٣] .

وهلال بن العلاء[٤] ، المحدِّث المشهور ، وقد وقع[٥] لنا من حديثه طرف[٦] .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومئتين

فيها : دخل المسلمون بلاد الروم فغنموا وسلموا ، ولله الحمد .

وفيها : تكامل غور المياه ببلاد الرَّيّ وطَبَرِستان ، وغلت الأسعار جداً ، وجهد الناس وقحطوا ، حتى أكل بعضهم بعضاً ، وكان[٧] الرجل يأكل ابنته ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : حاصر المعتضد قلعة ماردين ، وكانت بيد حَمدان بن حمدون ففتحها قسراً ، وأخذ ما كان فيها ، ثم أمر بتخريبها فهدمت .

وفي هذه السنة وصلت قطر النَّدى بنت خُمَارَوَيْه نائب الدِّيار المصرية إلى بغداد في تجمّل عظيم ، ومعها من الجهاز شيء عظيم ، حتى قيل : إنه كان في الجهاز مئة هاون من ذهب ، ثم بعد كلِّ حساب معها مئة ألف دينارٍ ليشترى بها من العراق ما قد تحتاج إليه ، مما لا يتهيأ مثله بالديار المصرية[٨] .

وفيها : خرج المعتضد إلى بلاد الجبل ، وولَّى ولده عليّاً المكتفي نيابة الرَّيّ ، وقَزوين ، وزَنْجان وقُم ، وهَمْذان ، والدِّينَوَر ، وجعل على كتابته أحمد بن الأصْبَع ، وولَّى عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف نيابةَ أصبهان ، ونَهَاوند ، والكَرَج ، ثم عاد راجعاً إلى بغداد .

---

(١) إنما هو مسرور البلخي الأمير ، وليس مسروراً خادم الرشيد . وانظر أخباره في فهارس الطبري وابن الأثير .
(٢) ابن الأثير (٧/ ٤٦٥) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٢) ، والعبر (٢/ ٦٤) ، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٠٥) .
(٤) هلال بن العلاء بن هلال بن عمر ، أبو عمر الباهلي ، مولى قتيبة بن مسلم ، الأمير الرّقيّ . قال النسائي : ليس به بأس ، روى أحاديث منكرة عن أبيه ، ولا أدري : الريب منه ، أو من أبيه ، وله شعر رائق ، من أبناء التسعين .
(٥) في آ وقع لنا حديثه من طرق . والمثبت من ب ، ط .
(٦) تأتي بعد هذا في ب ، ظا ، ط ترجمة سيبويه إمام النحاة المتقدمة ترجمته في وفيات سنة (١٨٠) من هذا الكتاب ، ولم ترد في « أ » وهو الصواب حيث أقحمت هنا بلا معنى ، وابن كثير لا يمكن أن يتوهم مثل هذا الوهم الفاحش ، فهي بلا شك من زيادات بعض جهلة النساخ ، لذلك حذفناها .
(٧) في المنتظم (٥/ ١٤٧) : وأكل إنسان منهم ابنته .
(٨) المنتظم (٥/ ١٤٧) .

وحجَّ بالناس محمد بن هارون بن إسحاق .

وأصاب الحجّاج في الأجْفُر[١] مطر عظيم ، فغرق منهم بشر كثير ، كان الرجل يغرق في الرمل[٢] فلا يقدر أحد على خلاصه .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن الحسين بن دِيْزِيل[٣] ، الحافظ ، صاحب كتاب[٤] المصنفات ، منها في « صفين » مجلدٌ كبير .

أحمد بن محمد الطائيّ ، بالكوفة ، في جمادى ، منها[٥] .

إسحاق بن إبراهيم[٦] : المعروف بابن الجَبُّلي ، سمع وكان يفتي الناس بالحديث ، وكان يوصف بالفهم والحفظ .

ابن أبي الدُّنيا[٧] : عبد الله بن محمد بن عُبَيد بن سفيان بن قَيْس القرشيّ ، مولى بني أمية . أبو بكر بن أبي الدُّنيا ، الحافظ ، المصنِّف ، المشهور ، له التصانيف النَّافعة الشائعة الذائعة في الرقائق وغيرها ، تزيد على مئة مصنف ، رحمه الله . [وقيل : إنها نحو ثلاثمئة مصنَّف ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقلّ][٨] .

سمع إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ ، وخالد بن خِداش ، وعليّ بن الجَعْد ، وخلقاً . وكان مؤدِّب المعتضد وابنه عليّ بن المعتضد الملقَّب بالمكتفي ، وكان له عليه في كل شهر خمسة عشر ديناراً . وكان ثقة صدوقاً حافظاً ذا مروءة ، لكن قال صالح بن محمد جزرة : إلا أنه كان يروي عن رجل يقال له :

---

(١) « الأجْفر » : بضم الفاء ، جمع جَفر ، وهو البئر الواسعة لم تطو ، وهو موضع بين فَيْد والخُزَيمية ، بينه وبين فَيْد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة . ياقوت .

(٢) في المنتظم : الوحل .

(٣) أبو إسحاق ، الهمذاني ، الكسائي ، وكان يلقَّب بدابَّة عفَّان لملازمته له ، ويلقَّب بسيْفَنة ، و« سيفنة » : طائر ببلاد مصر ، لا يكاد يحط على شجرة إلا أكل ورقها ، فكذلك كان إبراهيم ، إذا ورد على شيخ لم يفارقه حتى يستوعب ما عنده . قال الحاكم : ثقة مأمون . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٤) .

(٤) لفظة كتاب لم ترد في ب ، ظا .

(٥) الطبري (١٠/ ٣٦) ، وابن الأثير (٧/ ٤٦٧) .

(٦) تاريخ بغداد (٦/ ٣٧٨) ، طبقات الحنابلة (١/ ١١٠) ، المنتظم (٥/ ١٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٤٣) . و« جَبُّل » : بُلَيدة من سواد العراق .

(٧) ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٨٩) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٩٢) ، المنتظم (٥/ ١٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٧) ، طبقات الحفاظ (٢٩٤) .

(٨) ما بين قوسين زيادة من المطبوع . وأحصيتُ مؤلفاته في مقدمة كتاب الشكر فبلغت أزيد من مئتي مؤلف .

محمد بن إسحاق البلخي ، وكان هذا الرجل كذاباً يضع للكلام إسناداً ، ويروي أحاديث منكرة .

ومن شعر ابن أبي الدنيا أنه جلس أصحاب له ينتظرونه ليخرج إليهم ، فجاء المطر فحال بينه وبينهم ، فكتب إليهم رقعة فيها مكتوب[١] :

أنـا مشتـاقٌ إلـي رُؤيتكُـمْ يـا أخِـلائي وسَمْعي والبصَـرْ
كيفَ أنساكُمْ وقلبي عندَكُمْ حـالَ فيمـا بيننـا هـذا المَطَـرْ

توفي ببغداد في جمادى الأولى من هذه السنة عن سبعين سنة ، وصلَّى عليه يوسف بن يعقوب القاضي ، ودفن بالشونيزية ، رحمه الله .

عبد الرحمن بن عمرو[٢] ، أبو زُرْعَة الدّمشقيّ ، الحافظ الكبير ، الشهير بين أهل العلم .

محمد بن إبراهيم[٣] ، ابن الموَّاز ، الفقيه المالكي ، له اختيارات في مذهب الإمام مالك ؛ فمن ذلك وجوب الصلاة على رسول الله ﷺ في الصَّلاة .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومئتين

في خامس ربيع الأول يوم الثلاثاء دخل المعتضد بالله بزوجته ابنة خُمَارَوَيْه ، وكان قدومها إلى بغداد صحبة عمِّها وصحبة ابن الجصَّاص ، وكان الخليفة غائباً ، وكان دخولها إليه يوماً مشهوداً ، ومُنع النَّاسُ من المرور في الطرقات .

وفيها : نهى الخليفة المعتضد أن يعمل للناس في يوم النيروز[٤] ما كانوا يتعاطَونه ؛ من إيقاد النيران ، وصبِّ الماء ، وغير ذلك من الأفعال المشابهة للمجوس ، ومنع من حمل هدايا الفلاحين إلى المنقطعين[٥] في هذا اليوم ، وأمر بتأخير ذلك إلى الحادي عشر من حزيران ، وسمى النوروز المعتضدي ، كتب بذلك إلى الآفاق وسائر العمال .

وفي ذي الحجّة من هذه السنة قدم إبراهيم بن أحمد الماذرائيّ من دمشق على البريد ، فأخبر

(١) المنتظم (٥/ ١٤٩) .
(٢) في الأصول : عمر ، وهو عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله النصري ، الدمشقي ، وكانت داره عند باب الجابية . وله تاريخ مفيد ، طبع في مجمع اللغة العربية بدمشق . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١١) .
(٣) أبو عبد الله ، فقيه الديار المصرية ، صاحب التصانيف ، انتهت إليه رئاسة المذهب . قدم دمشق في صحبة السلطان أحمد بن طولون . وجعل بعضهم وفاته سنة ٢٦٩هـ . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦) .
(٤) في ب ، ظا : النوروز . وفي القاموس : النيروز : أول يوم من السنة ، معرَّب نوروز .
(٥) في المنتظم : المتغلبين .

المعتضدَ بالله أنَّ خُمَارَوَيْه ذبحه بعضُ خدمه على فراشه ، وولّوا بعدَه ولده جيشاً ، ثم قتلوه ونهبوا داره ، وولّوا هارون بن خُمَارَوَيْه . وقد التزم في كلِّ سنة بألف ألف دينار وخمسمئة ألف دينار ، تحمل إلى نائب الخليفة . فأقرّه المعتضد على ذلك ، فلمَّا كان المكتفي عَزَلَه وولَّى مكانه محمد بن سليمان الواثقيّ ، فاصطفى أموال آل طولون ، وكان ذلك آخر العهد بهم .

وفيها : أطلِقَ لؤلؤ غلام أحمد بن طولون من السجن ، فعاد إلى مصر في أذلّ حال[١] .

وحجَّ بالناس الأمير المتقدِّم ذكره .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن داود ، أبو حنيفة الدِّينوَريّ[٢] اللغويّ ، صاحب « كتاب النبات » .

إسماعيل بن إسحاق[٣] : ابن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد ، أبو إسحاق الأزدي القاضي ، أصلُه من البصرة ، ونشأ ببغداد ، وسمع مسلم بن إبراهيم ، ومحمّد بن عبد الله الأنصاريّ ، والقَعْنَبيّ ، وعليّ بن المَديني . وكان حافظاً فقيهاً مالكياً ، جمع وصنَّف ، وشرح في المذهب عدة مصنفات في التفسير والحديث والفقه ، وغير ذلك .

وقد ولي القضاء في أيام المتوكّل بعد سوَّار بن عبد الله ببغداد ، ثم عزل ، ثم ولي وصار مقدَّم القضاة .

وكانت وفاته فجأة ليلة الأربعاء لثمانٍ بقين من ذي الحجة من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، رحمه الله .

الحارث بن محمّد بن أبي أسامة ، صاحب « المسند » المشهور[٤] .

خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون[٥] : صاحب الدِّيار المصرية . بويع له بملك الديار المصرية [بعد أبيه

---

(١) بعده في المطبوع : بعد أن كان من أكثر الناس مالاً وعزاً وجاهاً .

(٢) كان نحوياً لغوياً ، مهندساً منجماً حاسباً ، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه ، أخذ عن البصريين والكوفيين ، وأكثر أخذه عن ابن السكيت . معجم الأدباء (٣/ ٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٢) .

(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٢٨٤) ، طبقات الفقهاء (١٦٤) ، المنتظم (٥/ ١٥١) ، معجم الأدباء (٦/ ١٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٩) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٨) .

(٤) أبو محمد التميمي ، البغدادي ، الخَصيب ، الحافظ ، الصدوق ، مسند العراق . ذكره ابن حبَّان في الثقات . المنتظم (٥/ ١٥٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٨) .

(٥) تاريخ الطبري (١٠/ ٨ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٤٢) ، المنتظم (٥/ ١٥٥) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٠٩ ، ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤٦) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٤٩ـ٨٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٨) .

سنة إحدى وسبعين ومئتين ، فقصده المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفَّق في حياة أبيه][١] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، في أرض الرملة ، وقيل : في أرض الصعيد . فانهزم[٢] خُمَارَوَيْه هارباً على حمار ، وكرَّ جيشه على المعتضد ، فهرب كما قدَّمنا . ثم تزوَّج ابنته وتصافيا بعد ذلك .

فلما كان في ذي الحجّة من هذه السنة عَدَا الخدم من الخصيان على خُمَارَوَيْه ، فذبحوه وهو على فراشه ، وذلك لأنه اتَّهمهم بجواريه ، فمات عن ثنتين وثلاثين سنة ، فقام بالأمر من بعده ولدُه هارون بن خُمَارَوَيْه ، وهو آخر الطولونية .

وذكر ابن الأثير[٣] فيمن توفي في هذه السنة :

عثمان بن سعيد بن خالد ، أبو سعيد الدَّارميّ ، الفقيه الشافعي .

أخذ الفقه عن البويطيّ ، صاحب الشافعي[٤] .

الفضل بن محمّد بن المسيَّب[٥] : ابن موسى بن زهير بن يزيد بن كَيْسان بن بَاذَان ملك اليمن ، وقد أسلم[٦] بَاذَان في حياة رسول الله ﷺ ، أبو محمد الشَّعْراني[٧] الأديب الفقيه العابد الحافظ الرحَّال ، تلميذ ليحيى بن مَعين ، وروى عنه الفوائد في الجرح والتعديل وغير ذلك ، وكذلك أخذ عن أحمد بن حنبل ، وعليّ بن المديني ؛ وقرأ على خَلَف بن هشام البزار ؛ وتعلم اللغة من ابن الأعرابي ، وكان ثقة كبير القدر .

[أبو العَيْنَاء][٨] : محمّد بن القاسم بن خَلاد ، أبو العَيْنَاء البَصْريّ ، الضَّرير ، الشاعر الأديب البليغ اللغويّ ، تلميذ الأصمعي . وكنيته أبو عبد الله ، وإنما لُقِّب بأبي العَيْنَاء ؛ لأنه سئل عن تصغير عيناء[٩] فقال : عُيَيْناء ، وله معرفة تامّة بالأدب والحكايات والمُلَح ؛ فأمَّا الحديثُ فليس له منه إلا القليل .

---

(١) ما بين قوسين ساقط في آ .

(٢) في ب ، ظا : فانهزم كما قدمنا .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٧٥) .

(٤) زاد ابن الأثير : والأدب عن ابن الأعرابي .

(٥) المنتظم (٥/ ١٥٥) ، اللباب (٢/ ١٩٩) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٩) .

(٦) قصة إسلامه في سيرة ابن هشام (١/ ٦٩) .

(٧) عُرف بذلك لكونه كان يرسِل شَعْرَه .

(٨) طبقات الشعراء لابن المعتز (٤١٥) ، تاريخ بغداد (٣/ ١٧٠) ، المنتظم (٥/ ١٥٦) ، معجم الأدباء (١٨/ ٢٨٦) ، وفيات الأعيان (٤/ ٣٤٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٠٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٠) .

(٩) في آ : عينه .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومئتين

في المحرم منها خرج المعتضد من بغداد قاصداً بلادَ المَوْصِل ؛ لقتال هارون الشاري الخارجيّ ، فظفر به ، وهزم أصحابه ، وكتب بذلك إلى بغداد ، ولمَّا رَجَعَ الخليفة إلى بغداد أمر بصلب هارون الخارجيّ ، وكان صُفْرياً[1] . فلمَّا صُلِبَ ، قال : لا حكم إلا لله ولو كَرِه المشركون .

وكان الحسين بن حَمدان بن حمدون قد قاتل الخوارج في هذه الغزوة قتالاً عظيماً ، فأطلق الخليفةُ أباه حمدان بن حمدون من القيود بعدما كان قد سجنه حين أخذ قلعة ماردين من يده ، وهدمها عليه ، فأطلقه ، وخلع عليهما ، وأحسن إليه .

وفيها : كتب المعتضد إلى الآفاق بردِّ ما فضل عن سهام ذوي الفروض إذا لم يكن عصبة إلى ذوي الأرحام ، وذلك عن فتيا أبي حازم القاضي ، وقد قال في فتياه : إن هذا اتفاق من الصحابة إلا زيدَ بن ثابت ، فإنَّه تفرَّد بردِّ ما فضل والحالة هذه إلى بيت المال . ووافق علي بن محمد بن أبي الشوارب لأبي حازم ، وأفتى القاضي يوسف بن يعقوب بقول زيدٍ ، فلم يلتفت إليه المعتضد ، وأمضى فتيا أبي حازم[2] . ومع هذا ولَّى القاضي يوسف بن يعقوب قضاء الجانب الشرقيّ ، وخلع عليه خلعة سنية أيضاً ، وقلَّد أبا حازم قضاء أماكن كثيرة ، وكذلك لابن أبي الشوارب ، وخلع عليهما خلعاً سنية أيضاً .

وفيها : كان الفداء بين المسلمين والروم ، فاستنقذ من أيديهم من المسلمين ألفان وخمسمئة وأربعة أنفس ، ولله الحمد والمنة .

وفيها : حاصرت الصّقالبة الروم ، فاستنقذ من أيديهم من المسلمين ألفان وخمسمئة وأربعة أنفس ، ولله الحمد والمنة .

وفيها : حاصرت الصّقالبة الروم في القسطنطينية ، فاستعان ملك الروم بمن عنده من أسارى المسلمين ، وأعطاهم سلاحاً كثيراً ، فخرجوا معهم فهزموا الصقالبة ، ثم خاف ملك الروم من غائلة المسلمين ، ففرَّقهم في البلاد .

وفيها : خرج عمرو بن الليث من نيسابور لبعض أشغاله ، فخلفه فيها رافع بن هَرْثَمة ، ودعا على منابرها لمحمد بن زيد المطَّلبي ولولده[3] من بعده ، فرجع إليه عمرو وحاصره فيها ، ولم يزل به حتى أخرجه منها وقتله على بابها .

---

(١) « الصُّفْرية » : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال لهم الزيادية أيضاً .

(٢) المنتظم (٥/ ١٦١) .

(٣) في الطبري والمنتظم : لمحمد بن زيد الطالبي وأبيه .

وفيها: بعث الخليفة المعتضد وزيره عبد الله بن سليمان بن وَهْب، لقتال عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، فلما وصل إليه طلب منه عمر الأمان فأمَّنه، وأخذه معه إلى الخليفة، فتلقاه الأمراء عن أمر الخليفة، وخلع عليه وأحسن إليه.

وممن توفي فيها من الأعيان:

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران(١): أبو إسحاق الثقفي السرّاج النيسابوري. كان الإمام أحمد بن حنبل يدخل إلى منزله، وكان بقطيعة الربيع في الجانب الغربي من بغداد، وينبسط فيه ويفطر عنده. وكان من الثقات العلماء العبَّاد، توفي في صفر منها.

إسحاق بن إبراهيم بن محمد(٢): ابن خازم بن سُنَيْن، أبو القاسم الختلي، وليس هو بالذي تقدَّم ذكره في السنين المتقدمة. سمع داود بن عمرو، وعليَّ بن الجَعْد، وخلقاً كثيراً.

وقد ليَّنه الدَّارَقطني، فقال: ليس بالقوي. توفي في هذه السنة عن نحو ثمانين سنة.

سهل بن عبد الله بن يونس التُّسْتَري(٣): أبو محمد، أحد أئمة الصوفية، لقي ذا النون المصري. ومن كلام سهل الحسن قوله: أمسِ قد مات، واليوم في النَّزْع، وغداً(٤) لم يولد؛ وهكذا كما قال بعض الشعراء:

ما مَضَى فاتَ والمؤمَّلُ غيبٌ ولكَ السَّاعةُ التي أنتَ فيها

قال القاضي ابن خلكان(٥): وكان سلوكه على يدي خاله محمد بن سوّار، وقيل: إنَّه توفي سنة ثلاث وسبعين [ومئتين]، فالله أعلم.

عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خِراش(٦): أبو محمد الحافظ المروزي، أحد الجوَّالين الرحَّالين حفاظِ الحديث، والمتكلمين في الجرح والتعديل، وقد كان يُنْبَز(٧) بشيء من التشيع، فالله أعلم.

---

(١) المنتظم (٥/ ١٦٢)، وتاريخ بغداد (٦/ ٢٦).
(٢) المنتظم (٥/ ١٦٣)، الوافي بالوفيات (٨/ ٣٨٦)، لسان الميزان (١/ ٣٤٨)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٤٢).
(٣) طبقات الصوفية (٢٠٦)، حلية الأولياء (١٠/ ١٨٩)، المنتظم (٥/ ١٦٣)، صفة الصفوة (٤/ ٦٤)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠)، شذرات الذهب (٢/ ١٨٢).
(٤) في ط: «وغد»، وما أثبتناه من ظا، والمنتظم (٥/ ١٦٣)، الذي ينقل منه المصنف.
(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩)، والعبارة فيه: وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سوَّار.
(٦) ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٨٠)، المنتظم (٥/ ١٦٤)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٠٨).
(٧) «يُنْبَز»: يعاب ويلقَّب من التنابز.

روى الخطيب[١] عنه أنه قال : شربت بَوْلي في هذا الشأن خمس مرات ، يعني أنه اضطر إلى ذلك في الأسفار في طلب الحديث .

علي بن محمد بن أبي الشَّوارب[٢] : عبد الملك الأموي البصري ، قاضي سامُرّا . وقد ولي في بعض الأحيان قضاء القضاة ، كان من الثِّقات .

سمع أبا الوليد وأبا عمر الحَوْضي . وعنه : النَّجّاد ، وابنُ صاعد ، وابن قانِع . وحمل الناس عنه علماً كثيراً .

ابن الرّومي الشاعر[٣] : صاحب الديوان في الشعر عليّ بن العبَّاس بن جريج ، أبو الحسن ، المعروف بابن الرُّومي ، وهو مولى عبيد الله بن جعفر ، وكان شاعراً مشهوراً مطيفاً ؛ فمن ذلك قولُه[٤] :

إذا ما مدحتَ الباخلينَ فإنَّما ... تُذكِّرهم ما في سِواهُمْ مِنَ الفضلِ
وتهدي لهم غمّاً طويلاً وحسرةً ... فإن منعوا منكَ النَّوالَ فبالعدلِ

ومن ذلك قوله[٥] :

إذا ما كساكَ الدَّهْرُ سربالَ صحةٍ ... ولم تخلُ من قوتٍ يلذُّ ويَعذبُ
فلا تَغْبِطنَّ المترفينَ فإنَّه[٦] ... على قدرِ ما يكوسهُمُ الدَّهرُ يَسْلُبُ

وقوله[٧] :

عدوُّك من صديقكَ مستفادٌ ... فلا تستكثرنَّ مِنَ الصِّحابِ
فإنَّ الدَّاءَ أكثر ما تراهُ ... يكونُ من الطَّعامِ أو الشَّرابِ
إذا انقلبَ الصَّديقُ غداً عدوّاً ... مُبيناً والأمورُ إلى انقلابِ
ولو كانَ الكثيرُ يطيبُ كانَتْ ... مُصَاحَبةُ الكثيرِ من الصَّوابِ
ولكن قلَّما استكثرتَ إلا ... وقفْتَ على ذئابٍ في ثيابِ

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٨٠) .
(٢) اسم أبي الشوارب عبد الملك . وترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ٥٩) ، المنتظم (٥/ ١٦٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٢) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٥) .
(٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٣) ، المنتظم (٥/ ١٦٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٥) ، معاهد التنصيص (١/ ١٠٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٨) .
(٤) الديوان (ج٥/ ٢٠٢٢) .
(٥) الديوان (ج١/ ١٨٧) .
(٦) الديوان ، فإنهم ، وما هنا كما في المنتظم (٥/ ١٦٦) .
(٧) الديوان (ج١/ ٢٣١) .

فـدَعْ عنـكَ الكثيـرَ فكـمْ كثيـرٍ يُعـافُ وكـم قليـلٍ مستطـابِ
ومـا اللُّجَـجُ المِـلاحُ بمُـرويـاتٍ وتلقـى الـرَّيَّ فـي النُّطـفِ العِـذابِ

وقوله[١] :

ومـا الحسـبُ المـوروثُ لا دَرَّ دَرُّهُ بمحتَسَـبٍ إلا بـآخَـرَ مُكتسَـبْ
فـلا تَتَّكِـلْ إلا علـى مـا فعلْتَـهُ ولا تحسَبنَّ المجْدَ يُورثُ كالنَّسَبْ
فليـسَ يسُـودُ المـرءُ إلا بنفسِـهِ وإنْ عَـدَّ آبـاءً كِـراماً ذوي حسَبْ
إذا العُـودُ لـم يُثمِرْ وإن كـان شُعبةً من المثمراتِ اعتدَّهُ النَّاسُ في الحَطَبْ
وللمِجْـدِ قـومٌ سـاوَرُوه بـأنفُـسٍ كِـرامٍ ولـم يُعْنَـوْا[٢] بـأمٍّ ولا بـأبْ

ومن لطيف شعره قوله[٣] :

قلبـي مـن الطَّـرفِ السَّقيـمِ سقيـمُ لـو أنَّ مـنْ أشكـو إليـهِ رَحيـمُ
مِـنْ وجههـا أبـداً نهـارٌ واضِـحٌ مـن فَـرْعِهـا ليـلٌ عليـه بَهيـمُ
إنْ أقبلَـتْ فـالبَـدْرُ لاحَ وإن فَشَـتْ فـالغُصْـنُ راحَ وإنْ رَنَـتْ فـالـرِّيـمُ
نَعِمَـت بهـا عينـي فطَـالَ عـذابُهـا ولَكَـمْ عَـذابٌ قـد جَنـاهُ نعيـمُ
نظـرَتْ فـأقصـدَتِ الفـؤادَ بسَهْمِهـا ثـم انْثَنَـت نَحْـوي فكِـدْتُ أهيـمُ
وَيْلاهُ إنْ نَظَرَتْ وإنْ هي أعْرَضَتْ وَقْـعُ السِّهـامِ ونَـزْعُهُـنَّ أليـمُ
يـا مستحِـلَّ دَمـي مُحـرِّمَ رحمتـي مـا أنصَـفَ التحليـلُ والتحـريـمُ

وذكر له ابنُ خلكان أشياء كثيرة غير ما أوردناه ، من ذلك قوله[٤] ـ وكان يزعم أنَّه لم يسبقْ إليه ـ :

آراؤُكـمْ ووجُـوهُكُـمْ وسُيُـوفُكُـمْ فـي الحـادثـاتِ إذا دَجَـوْنَ نُجُـومُ
منهـا مَعَـالِـمُ لِلهُـدَى ومَصَـابـحٌ تجلـو الـدُّجَـى والأخْـرَيـاتُ رُجـومُ

وذكر[٥] أنه ولد سنة إحدى وعشرين ومئتين ، وأنه مات في هذه السنة ، [وقيل : في التي بعدها][٦] ، وقيل : في سنة ست وسبعين .

---

(١) الديوان (ج١/ ١٥٠) .
(٢) في الديوان : ولم يرضَوْا .
(٣) الديوان (ج٦/ ٢٣٩٧) .
(٤) الديوان (ج٦/ ٢٣٤٥) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٩) .
(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦٠) .
(٦) ما بين قوسين لم يرد في آ ، والخبر في وفيات الأعيان (٣/ ٣٦١) .

وذكر[١] أن سبب وفاته أنَّ وزير المعتضد القاسم بن عُبَيد الله كان يخاف من هَجْوه [وفلَتات] لسانه ، فدسَّ إليه مَنْ أطعمه وهو بحضرته خَشكُنانةً[٢] مسمومةً ، فلما أحسّ بالسمِّ قام ، فقال له الوزير : إلى أين ؟ قال : إلى المكان الذي بعثتني [إليه][٣] . قال : سلِّم على والدي . فقال : لست أجتاز على النَّار .

محمد بن سليمان بن الحارث : أبو بكر البَاغَنْدي الواسطيّ[٤] ، كان من الحفَّاظ ، وقد ذكر أنَّ أبا داود كان يسأله عن الحديث ، مع هذا تكلَّموا فيه وضعَّفوه .

محمد بن غالب بن حَرْب : أبو جعفر الضَّبِّي ، المعروف بتَمْتَام[٥] . سمع عَفَّان ، وَقَبيصة ، والقَعْنَبيّ ، وكان من الثقات .

قال الدَّارَقُطْني : وربما أخطأ . توفي في رمضان عن تسعين سنة .

البُحْتُريّ الشاعر[٦] : صاحب الديوان المشهور ، الوليد بن عُبادة ، ويقال : ابن عُبَيد الله بن يحيى ، أبو عُبَادة[٧] الطائيّ البحتريّ ، الشاعر ، أصله من مَنْبج ، وقدم بغداد ومدح المتوكِّل والرؤساء ، وكان شعره في المديح خيراً منه في المراثي ، فقيل له في ذلك ، فقال : المديحُ للرَّجاء ، والمراثي للوفاء ، وبينهما بُعْدٌ .

وقد روى شعرَه المبرّد ، وابنُ دُرُسْتُوَيْه ، وابن المَرْزُبان . وقيل له : إنهم يقولون : أنت أشعر من أبي تمام . فقال : لولا أبو تمام ما أكلت الخبز ، كان أبو تمام أستاذنا .

وقد كان البحتري شاعراً مطيقاً فصيحاً بليغاً ، رجع إلى بلده فمات به في هذه السنة ، وقيل : في التي بعدها ، عن ثمانين سنة .

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦١) ، وما بين قوسين زيادة منه .

(٢) « الخَشْكنان » : خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة ، وتملأ بالسكّر واللوز ، أو الفستق ، وتُقْلى . وهو فارسي : المعجم الوسيط .

(٣) من ط .

(٤) المنتظم (٥/ ١٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٦) .

(٥) تاريخ بغداد (٣/ ١٤٣) ، المنتظم (٥/ ١٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٠) .

(٦) الأغاني (٢١/ ٣٩) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٤٧٦) ، المنتظم (٦/ ١١) ، معجم الأدباء (٩/ ٢٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٨٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٦) .

(٧) في الأصول : أبو عباد ، وأثبت ما جاء في المصادر .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومئتين

في المحرّم منها دخل رأس رافع بن هَرْثَمة إلى بغداد ، فأمر الخليفة بنصبه في الجانب الشرقي إلى الظهر ، ثم بالجانب الغربي إلى الليل .

وفي ربيع الأول منها خُلع على محمد بن يوسف بن يعقوب بالقضاء بمدينة [أبي جعفر](١) المنصور عوضاً عن ابن أبي الشَّوارب ، بعد موته بخمسة أشهر وأيام ، وهي(٢) شاغرة .

وفي ربيع الآخر ظهرت بمصرَ ظلمة شديدة ، وحُمرة في الأفُق ، حتَّى صار الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمرَ اللون جداً ، وكذلك الجدران . فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل ؛ فخرجوا إلى الصحراء يدعون الله ويتضرَّعون إليه ، حتى كشف عنهم .

وفي هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، فحذَّره وزيرُه عبيد الله بن سليمان بن وَهْب من ذلك ؛ فإنَّ العامة تنكر قلوبهم ، وهم يترحَّمون عليه [ويترضّون عنه](٣) في أسواقهم ومجامعهم ، فلم يلتفت إليه ، وأمر بذلك وأمضاه ، وكتبت(٤) نسخ بلعن معاوية ، وذكر فيها ذمّه وذمّ ابنه يزيد ، وجماعة من بني أمية ، وأورد فيها أحاديث باطلة في ذمِّ معاوية ، وقرئت في الجانبين من بغداد ، ونهيت العامة عن الترحُّم عليه والترضِّي عنه .

فلم يزل به الوزير حتَّى قال له فيما قال : يا أميرَ المؤمنين ! إنَّ هذا الصنيع ممَّا يرغِّب العامّة في الطالبيين وقبول الدعوة إليهم . فوَجَم لذلك المعتضد وترك ما كان عزم عليه من ذلك ؛ لخوفه على الملك ، وقدَّر الله أنَّ هذا الوزير كان ناصِبيّاً يبغض عليّاً ؛ فكان هذا من هفوات المعتضد ؛ سامحه الله .

ونودي في البلدان : لا تجتمع العامّة على قاصٍّ ، ولا كاهنٍ ، ولا منجِّمٍ ، ولا جَدليٍّ ، ولا غير ذلك ، وأن لا يهتمُّوا لأمر النوروز . ثم أطلق لهم أمر النوروز ؛ وكانوا يصبّون المياه على المارة ، فتوسعت العامّة في ذلك ، وغلوا فيه ، حتى جعلوا يصبُّون الماء على الجند وعلى الشُّرَط وغيرهم ، وهذا أيضاً من هفواته .

قال ابن الجوزي(٥) :

---

(١) زيادة من ط .
(٢) في ط : وهي شاغرة تلك المدة .
(٣) زيادة من ط .
(٤) في ط : وكتب به نسخاً إلى الخطباء بلعن معاوية . كتاب المعتضد في الطبري (١٠/ ٥٤ ـ ٦٢) .
(٥) المنتظم (٥/ ١٧٢) .

وفي هذه السنة وعد المنجمون النَّاس : أنَّ أكثر الأقاليم ستغرق في زمن الشتاء من كثرة الأمطار والسيول وزيادة الأنهار ، فأكذبهم الله في قولهم هذا ، فلم تكن سنة أقلَّ مطراً منها ، وقلَّت العيون جدّاً ، وقحط الناس في كلِّ بقعة ، حتى استسقى الناس ببغداد وغيرها من البلاد مراراً كثيرة ، فلله الأمر من قبلُ ومن بعدُ .

قال[١] : وفي هذه السنة كان يتبدَّى بالليل في دار الخلافة شخص بيده سيف ، فإذا أرادوا أخذه انهزم منهم ، فدخل في بعض الأماكن ، أو الزروع والأشجار ، أو العطفات التي بدار الخلافة ، فلا يطلع له على خبر ؛ فقلق من ذلك المعتضد قلقاً شديداً ، وأمر بتجديد سور دار الخلافة والاحتفاظ به ، وأمر الحرس من كُلِّ جانب بشدة الاحتراس ، فلم يفد ذاك شيئاً ؛ واستدعى بالمعزِّمين ومن يعاني علم السحر وأمر المجانين ، فعزَّموا واجتهدوا فلم يفد ذلك شيئاً ، فأعياهم أمره .

ثم كان بعد مدة اطلع على جلية خبره وحقيقة أمره ؛ أنَّه كان خادماً خصيّاً يتعشَّق بعض الجواري من خواص الحظايا اللائي لا يصل النظر إليها مثله ، فكان قد اتخذ لِحىً مختلفة الألوان ، فيلبَسُ الواحدة ، ويتبدَّى في الليل في شكلٍ مزعجٍ ، فينزعج الجواري والخدم ، ويثورون من كُلِّ جانبٍ ، ويقصدون فيدخل في بعض العطفات ، ويخلعها ويجعلها في كمه ، ثم يظهر أنه من جملة الخدم المتطلبين لكشف هذا الأمر ، ويسأل هذا وهذا ما الخبر ؟ والسيف في يده صفة أنه من جملة من رهب من هذا الأمر ، وإذا اجتمع الجواري يتمكن من النظر إلى تلك المعشوقة ، وملاحظتها والإشارة إليها بما يريده منها ، فلم يزل هذا دأبه إلى زمن المقتدر ، فبُعث في سرية إلى طرسوس[٢] ، فنمَّت عليه تلك الجارية ، وانكشف زيفه ومحاله ، وأهلكه الله عزَّ وجلَّ .

وفي هذه السنة اضطرب الجيش على هارون بن خُمَارَوَيْه بمصر ، فأقاموا له بعض أمراء أبيه يدبّر الأمور ويصلح الأحوال ، وهو أبو جعفر بن أبان ، فبعث إلى دمشق ، وكانت قد منعت بيعة جيش بن خُمَارَوَيْه في مدة ولايته تسعة أشهر بعد أبيه ، واضطربت أحوالها ، فبعث إليهم جيشاً كثيفاً مع بدر الحمّامي والحسين بن المادَرائي[٣] ، فأصلحا أمرها ، واستعملا على نيابتها طُغْج[٤] بن جفّ ، ورجعا إلى الدِّيار المصرية والأمور مختلّة جداً .

---

(١) المنتظم (٥/ ١٧١ ـ ١٧٢) .
(٢) في المنتظم : طوس .
(٣) تنظر ترجمته في تاريخ دمشق (١٤/ ١٥) ، و« المادرائي » من أنساب السمعاني .
(٤) في ط : « طفج » : بالفاء ، خطأ . تنظر ترجمته في تاريخ دمشق (٢٥/ ٤) .

وهكذا يكون انقضاء الدول في أواخرها ، ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن المبارك أبو عمرو المُسْتملي(١) : الزاهد النَّيسابوريّ ، يلقَّب بحكمويه ، العابد . سمع قُتَيبة ، وأحمد ، وإسحاق ، وغيرَهم . واستملى الزاهد النَّيسابوريّ على المشايخ ستاً وخمسين سنة .

وكان فقيراً رثَّ الهيئة زاهداً ؛ دخل يوماً على أبي عثمان سعيد بن إسماعيل ، وهو في مجلس التذكير ، فبكى أبو عثمان ، وقال للناس : إنَّما أبكاني رثاثة ثياب رجلٍ كبيرٍ من أهل العلم ، أنا أجِلُّه عن أن أسمّيه في هذا المجلس ، فجعل الناس يُلقون الخواتم والدَّراهم والثِّياب ، حتَّى اجتمع من ذلك شيء كثير بين يدي الشيخ أبي عثمان ، فنهض عند ذلك أبو عَمرو المُسْتَملي ، فقال : أيُّها النَّاس ، أنا الذي قَصَدني الشيخُ بكلامه ، ولولا أنِّي كرِهْتُ أن يُتَّهم بإثم لسترْتُ ما ستره . فتعجَّب أبو عثمان من إخلاصه ، ثم أخذ أبو عمرو ذلك المجتمعَ بين يدي الشيخ ، فما خرج من باب المسجد حتَّى تصدَّق بجميعه على الفقراء والمحاويج(٢) ، رحمه الله .

كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة .

إسحاق بن الحسن(٣) : **ابن ميمون بن سعد ، أبو يعقوب الحَرْبي** . سمع عفَّان ، وأبا نُعَيْم ، وغيرهما .

وكان أسنَّ من إبراهيم الحَرْبي بثلاث سنين(٤) .

ولما توفي إسحاق الحَرْبي نودي عليه بالبلد فقصد الناس داره للصلاة عليه ، واعتقد بعض العامة أنه إبراهيم الحَرْبي ، فجعلوا يقصدون داره فيقول له إبراهيم : ليس إلى هذا الموضع قصدتم ، وغداً تأتونه أيضاً ، فما عمّر بعده إلا دون السنة ، رحمهما الله .

إسحاق بن محمد ، أبو يعقوب الزّهري ، عمّر تسعين سنة ، وكان ثقة صالحاً(٥) .

---

(١) المنتظم (٥/ ١٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧٣) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٤٤) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٠٢) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٦) .

(٢) المنتظم (٥/ ١٧٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧٤) .

(٣) المنتظم (٥/ ١٧٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٠) ، العبر (٢/ ٧٣) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٦) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١١) .

(٥) المنتظم (٥/ ١٧٤) .

إسحاق بن موسى بن عمران ، الفقيه ، أبو يعقوب الإسفراييني ، الشافعي[١] .

عبيد الله بن عليّ بن الحسن بن إسماعيل ، أبو العبَّاس الهاشميّ[٢] ؛ كانت إليه الحسبة ببغداد ، وإمامة جامع الرصافة .

عبد العزيز بن معاوية العَتَّابي ، من ولد عَتَّاب بن أَسِيد[٣] ، بصري ، قدم بغداد ، وحدَّث عن أزهر السَّمَّان ، وأبي عاصم النَّبيل .

يزيد بن الهيثم بن طهمان ، أبو خالد الدقَّاق ، ويعرف بالباد .

قال ابن الجوزي[٤] : والصواب أن يقال : البادِي ، لأنه ولد توأماً ، وكان هو الأول في الميلاد . روى عن يحيى بن مَعين ، وغيره . وكان ثقةً صالحاً .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومئتين

فيها خرج صالح بن مُدرك الطائيّ على الحاجّ بالأجفُر ، فأخذ أموالهم ونساءهم وخدمهم ، يقال : إنه أخذ منهم ما قيمته ألفا ألف دينار .

وفي ربيع الأول منها يوم الأحد لعشر بَقِين منه ، ارتفعت بنواحي الكُوفة ظلمة شديدة جدّاً ، ثم سقطت أمطار بِرُعودٍ وبرُوقٍ لم يُرَ مثلُها ، وسقط في بعض القرى مع المطر حجارةٌ بيضٌ ، وسودٌ ، وسقط بَرَدٌ كِبار ، وزن البردة مئة وخمسون درهماً ، واقتلعت الرياحُ شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار مما حولَ دجلة ، وزادت دِجْلَة زيادة عظيمة ، حتى خيف على بغداد من الغرق .

وغزا راغبٌ الخادم ، مولى الموفَّق ، بلادَ الرُّوم ، ففتح حصوناً كثيرة ، وأسر ذراري كثيرة جداً ، وقتل من أسارى الرجال الذين تحصَّلوا معه ثلاثة آلاف رقبة ، وعاد سالماً مؤيّداً منصوراً .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن عبد الله بن داود الهاشميّ .

وفيها : توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ ، صاحب آمِد ، فقام بأمرها من بعده ولدُه محمّد ، فقصده المعتضدُ ومعه ابنُه أبو محمّد المكتفي ، فحاصره بها ، فخرج إليه سامعاً مطيعاً ، فتسلَّمها منه ، وخلَع عليه ، وأكرم أهله ، وأحسن إليه ، واستخلف عليها ولده المكتفي .

---

(١) شيخ خراسان، أحد أئمة الشافعية والرحّالة في طلب الحديث، وله مصنفات كثيرة . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٥٦).
(٢) المنتظم (٥/ ١٧٤) .
(٣) أمير مكة ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٢) .
(٤) المنتظم (٥/ ١٧٥) .

ثم سار إلى قِنَّسرين والعواصم ، فتسلَّمها عن كتاب هارون بن خُمَارَوَيْه ، وإذنه له في ذلك ، ومصالحته له على ذلك[(١)] .

وفيها : غزا ابن الإخشيد بأهل طَرَسُوس بلادَ الروم ، ففتح الله على يديه ، ولله الحمد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن إسحاق[(٢)] : ابن بشير بن عبد الله بن دَيْسَم ، أبو إسحاق الحَرْبي ، أحد الأئمة في الفقه والحديث وغير ذلك ، [وكان][(٣)] زاهداً عابداً ، تخرّج بأحمد بن حنبل ، وروى عنه كثيراً .

قال الدَّارَقُطني : إبراهيم الحَرْبي إمام ، مصنِّف ، عالم بكلِّ شيء ، بارع في كلِّ علم ، صدوق ، كان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه .

وقال إبراهيم الحَرْبي : أَجْمَعَ عقلاءُ كُلِّ أمةٍ أَنَّ مَنْ لم يجرِ مَعَ القَدَرِ لم يتهنَّأ بعيشه[(٤)] .

وكان يقول : الرجل [هو][(٥)] الذي يدخل غمَّه على نفسه ولا يدخله على عياله ؛ وقد كان بي شقيقة منذ خمس وأربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط ؛ ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ، ما أخبرت بها أحداً . وذكر أنه مكث نيفاً وسبعين سنة من عمره ما يسأل أهله غداءً ولا عشاءً ، بل إن جاؤوه بشيء أكله ، وإلا طَوَى إلى الليلة القابلة .

وذكر أنه أنفق في بعض الرمضانات على نفسه وعياله درهماً واحداً وأربعة دوانيق ونصف ؛ وما كنَّا نعرف من هذه الطبائخ شيئاً ، إنَّما هو باذنجان مشوي ، أو باقة فجل ، أو نحو هذا .

وقد بعث إليه أمير المؤمنين المعتضد في بعض الأحيان بعشرة آلاف درهم ، فأَبَى أن يقبلَها وردَّها ؛ فرجع الرسول ، وقال : يقول لك الخليفة : فرّقها على مَنْ تعرف من فقراء جيرانك ، فقال : هذا شيء لم نجمعه ولا نُسألُ عن جمعه ، فلا نُسألُ عن تفريقه ، قلْ لأمير المؤمنين : إمَّا يتركنا وإلا نتحوَّل من بلده .

ولما حضرته الوفاة ، دخل عليه بعضُ أصحابه يعوده ، فقامت ابنته تشكو إليه ما هم فيه من الجهد ،

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٩١) ، وجاء فيه : وفيها وجَّه هارون بن خمارويه إلى المعتضد ليسأله أن يقاطعه على ما في يده ويد نوّابه من مصر والشام ، وسلم أعمال قِنّسرين إلى المعتضد ، ويحمل كل سنة أربع مئة ألف وخمسين ألف دينار ، فأجابه إلى ذلك . .

(٢) تاريخ بغداد (٦/ ٢٨) ، طبقات الحنابلة (١/ ٨٦) ، المنتظم (٦/ ٣) ، معجم الأدباء (١/ ١١٢) ، إنباه الرواة (١/ ١٥٥) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٠) .

(٣) زيادة من ط .

(٤) المنتظم (٦/ ٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦٧) .

(٥) من المنتظم ، وفي ط : الرجل كل الرجل الذي . . .

وأنه لا طعام لهم إلا الخبز اليابس بالملح ، وربما عدموا الملحَ في بعض الأحيان . فقال لها إبراهيم : يا بُنية ، تخافين الفقر ؟ انظري إلى تلك الزاوية ففيها اثنا عشر ألف جزء قد كتبتها في العلم ، ففي كل يوم بيعي منها جزءاً بدرهم ، فَمَن عنده اثنا عشر ألفَ درهمٍ فليس بفقير .

ثم كانت وفاته لسبع بقين من ذي الحجّة ، وصلّى عليه يوسف بن يعقوب القاضي عند باب الأنبار ، وكان الجمع كثيراً جداً .

المبرّد النَّحويّ[١] : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العبَّاس الأزْدِيُّ الثُّماليُّ ، المعروف بالمُبرّد ، النَّحويّ ، البصريّ ، إمام في اللغة والعربية ، أخذ ذلك عن المازنيّ ، وأبي حاتم السِّجِسْتاني . وكان ثقة ثبتاً فيما ينقله ، وكان مناوئاً لثعلب ، وله كتاب « الكامل » في الأدب . وإنَّما سمِّي بالمبرّد ؛ لأنَّه اختبأ من الوالي عند أبي حاتم تحت المُزَمَّلة[٢] . قال المبرّد[٣] : دخلنا يوماً على المجانين نزورهم أنا وأصحابٌ معي بالرَّقَّة ، فإذا فيهم شاب قريب عهد بالمكان ، عليه ثياب ناعمة ، فلمَّا بَصُر بنا ، قال : حيَّاكم الله ، ممن أنتم ؟ قلنا : من أهل العراق . فقال : بأبي العراق وأهلها ! أنشدوني أو أنشدكم ؟ قال المبرّد : فقلت : بل أنشدنا أنت ، فأنشأ يقول :

اللهُ يعلَمُ أنَّني كمِدُ ... لا أستطيعُ بثَّ ما أجِدُ
روحانِ لي روحٌ تضمَّنها ... بلدٌ وأخرى حَازَهَا بلَدُ
وأرى المقيمةَ ليس ينفعها ... صبرٌ ولا يَقْوَى لها جلدُ
وأظنُّ غائبتي كشاهدتي[٤] ... بمكانها تجدُ الذي أجِدُ

قال المبرّد : فقلتُ : والله إن هذا لظريف ، فزِدْنا منه ، فأنشأ يقول :

لمَّا أناخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عِيرَهُمُ ... ورحَّلُوها[٥] فثارَت[٦] بالهوى الإبلُ
وأبرزَتْ من خِلالِ السَّجْفِ ناظِرَها ... تَرنُو إليَّ وَدَمْعُ العَيْنِ يَنْهَمِلُ
وودَّعَتْ ببَنَانٍ عَقْدُها عَنَمٌ ... نادَيْتُ : لا حَمَلَتْ رِجلاكَ يا جَمَلُ

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (١٠١) ، تاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠) ، المنتظم (٦/ ٩) ، معجم الأدباء (١٩/ ١١١) ، إنباه الرواة (٣/ ٢٤١) ، وفيات الأعيان (٤/ ٣١٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٧٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٠) .

(٢) المنتظم (٦/ ٩) . والمزملة : التي يبرّد فيها الماء ، لفظه عراقية ، كما في القاموس المحيط (زمل) . ويلاحظ أن هنالك أقوالاً أخرى في سبب تلقيبه بهذا اللقب ، منها أن شيخه أبا عثمان المازني هو الذي لقبه به ، وقيل غير ذلك .

(٣) المنتظم (٦/ ١١) .

(٤) في ط : كحاضرتي ، وما هنا كما في المنتظم (٦/ ١١) الذي ينقل منه المصنف .

(٥) في ط : وحمَّلوها ، وما هنا كما في المنتظم .

(٦) في بهجة المجالس : وسارت بالدُّمى الإبل ، وما هنا كما في المنتظم .

وَيْلي مـن البَيْـنِ مـاذا حَـلَّ بـي وبِهِـمْ ... مِـنْ نـازِلِ البَيْـنِ حـانَ البَيْـنُ وارْتَحَلُـوا
يـا راحِـلَ العِيـسِ عَجِّـلْ كـي أودِّعَهُـمْ ... يا راحِلَ العِيسِ في تَرْحَالِكَ الأَجَلُ
إنِّـي علـى العهـدِ لـم أنقُـضْ مـودَّتكـم ... فليْتَ شِعْري ! أطال[١] العهد ما فَعَلُوا[٢]

فقال رجل من البغضاء الذين معي : ماتوا . فقال الشاب : إذاً أموتُ ، فقال : إن شئتَ . فتمطّى ، واستند إلى سارية عنده ، ومات ، وما برحنا حتى دفنّاه ، رحمه الله .

ومات المبرّد وقد جاوز السبعين .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومئتين

فيها : وقع تسلم آمِد من ابن الشيخ في ربيع الآخر ، ووصل كتاب هارون بن [خُمَارَوَيْه بن][٣] أحمد بن طولون من مصر إلى المعتضد وهو مخيم بآمِد ؛ أن يسلم إليه قِنَّسرين والعواصم ، على أن يقرَّه على إمارة الدِّيار المصرية ، فأجابه إلى ذلك ، ثم ترحَّل عن آمِد قاصِداً العراق ، وأمر بهدْمِ سور آمِد فهُدِم[٤] البعض ولم يقدر على ذلك ، فقال ابن المعتز يهنئه بفتح آمِد[٥] :

اِسْلَـمْ أميـرَ المـؤمنيـنَ ودُمْ ... فـي غِبطَـةٍ وَلْيَهْنِـكَ النَّصْـرُ
فلـربَّ حـادثـةٍ نهضْـتَ لهـا ... متقـدِّمـاً فتـأخَّـرَ الـدَّهْـرُ
ليـثٌ فـرائسُـهُ الليـوثُ فَمَـا ... يبيـضُّ مِـنْ دمِهـا لـه ظفْـرُ

ولمَّا رجع الخليفة إلى بغداد جاءته هدية عمرو بن الليث من نيسابور ، فكان وصولها بغداد يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة ، وكان مبلغها ما قيمته أربعة آلاف ألف درهم ، خارجاً عن دوابّ وسروجٍ وغير ذلك[٦] .

وفيها[٧] : تحارب إسماعيل بن أحمد السَّامانيّ وعمرو بن الليث ، وذلك أن عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هَرْثَمة ، وبعث برأسه إلى الخليفة ، سأل منه أن يعطيه ما وراء النهر ، [مضافاً إلى ما بيده من

(١) في ط : لطول العهد ، وفي بهجة المجالس : لطول البين ، وما هنا كما في المنتظم .
(٢) المنتظم (٦/ ١١) ، العقد الفريد (٦/ ١٦٨) ، بهجة المجالس (١/ ٢٤٩) ، المستطرف (٢/ ٤٩) ، نهاية الأرب (٢/ ١٩١) .
(٣) زيادة من ب ، ظا .
(٤) في المنتظم : فهدم بعضهم ، ولم يقدر على هدم الباقي .
(٥) المنتظم (٦/ ١٥) .
(٦) الطبري (١٠/ ٧١) .
(٧) ذكر ذلك الطبري وابن الأثير في حوادث السنة التالية ، بينما تابع المؤلف رحمه الله ابن الجوزي في المنتظم .

ولاية خراسان ، فأجابه إلى ذلك ، فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد السَّامانيّ نائب ما وراء النهر][١] ، وكتب إليه : إنَّك قد ولّيتَ دنيا عريضة ، فاقتنع بها عمَّا في يدي من هذه البلاد . فلم يقبل ، فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمةٍ جداً ، فالتقيا عند بَلْخ ، فهُزم أصحاب عمرو ، وأسِر عمرو . فلمَّا جيء به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه ، وقبّل بين عينيه ، وغسل وجهه ، وخلع عليه وأمَّنه ، وكتب إلى الخليفة في أمره ، يذكر أن أهل تلك البلاد قد ملّوه ، وضجروا من ولايته عليهم . فجاء كتابُ الخليفة بأن يتسلّم حواصله وأمواله ، فسلبه إياها ، فآل به الحالُ بعد أن كان مطبخُه يحمل على ستمئة جمل إلى القيد والسجن[٢] . [ومن العجائب أن عَمْراً كان معه خمسون ألفاً ، فلم يصبْ أحد منهم ولا أسِرَ سواه وحده][٣] .

ظهور أبي سعيد الجنَّابيّ رأس القرامطة ، قبَّحهم الله ولعنهم وهو[٤] أخبث من الزّنج وأشدّ فساداً

كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة ، فالتفَّ عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير ، وقويت شوكته جداً ، وقتل مَن حوله من أهل القرى ، ثم صار إلى القَطِيف قريباً من البصرة ، ورام دخولها ، فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها ، فعمروه وجدَّدوا معالمه بنحوٍ من أربعة[٥] آلاف دينار ، فامتنعت البصرة من القرامطة بسبب ذلك .

وتغلَّب أبو سعيد الجنَّابيُّ ومَن معه من القرامطة على هَجَر وما حولها من البلاد ، وأكثروا في الأرض الفساد .

وكان أصل أبي سعيد الجنَّابيّ هذا أنه كان سمساراً في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان ، فقدم رجل يقال له : يحيى بن المهدي في سنة إحدى وثمانين ومئتين ، فدعا أهل القَطيف إلى بيعة المهديّ ، فاستجاب له رجلٌ يقال له : عليّ[٦] بن العلاء بن حمدان الزياديّ ، وساعده في الدعوة إلى المهديّ ، وجمع الشيعة الذين كانوا بالقَطِيف ، فاستجابوا له ، فكان في جملة من استجابوا أبو سعيد الجنَّابي هذا

(١) ما بين قوسين لم يرد في آ .
(٢) المنتظم (٦/ ١٧ ـ ١٨) .
(٣) ما بين قوسين لم يرد في آ . وبعده في المطبوع : وهذا جزاء من غلب عليه الطمع ، وقاده الحرص ، حتى أوقعه في ذل الفقر ، وهذه سنة الله في كل طامع فيما ليس له ، وفي كل طالب للزيادة في الدنيا .
(٤) في آ : وهذا ، وفي ط : وهم .
(٥) في الطبري والمنتظم وابن الأثير : أربعة عشر ألف دينار .
(٦) في الكامل لابن الأثير : عليّ بن المعلّى بن حمدان ، مولى الزياديين .

قبَّحه الله . ثم تغلَّب على [أمرهم وأظهر فيهم القرامطة ، فاستجابوا له والتفُّوا عليه ، فتأمَّر عليهم ، وصار هو][١] المشار إليه فيهم . وأصله من بلدة هناك يقال لها : جَنَّابة ، وسيأتي ما يكون من أمره وأمر أصحابه .

قال ابن الجوزي في « المنتظم »[٢] : ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة ، ثم روى بسنده أنَّ امرأةً جاءت إلى قاضي الرَّيّ ، فادَّعَتْ على زوجها بصَداقها خمسمئة دينار ، فأنكره ، فجاءت ببيِّنةٍ تشهد لها به ، فقالوا : نريد أن تسفرَ لنا عن وجهها حتَّى يعلم أنها الزوجة أم لا ، فلمَّا صمَّموا على ذلك ، قال الزوج : لا تفعلوا ، هي صادقة فيما تدَّعيه ؛ فأقرَّ بما ادَّعت ؛ ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها . فقالت المرأة : وإذ قد أراد ذلك ، فهو في حلٍّ من صداقي عليه في الدنيا والآخرة .

وممن توفي فيها من الأعيان والمشاهير :

أحمد بن عيسى ، أبو سعيد الخَرَّاز ، فيما ذكره شيخنا الذَّهبيّ[٣] .

وقد أرَّخه ابنُ الجوزي[٤] في سنة سبع وسبعين ومئتين ، فالله أعلم .

إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان[٥] : أبو يعقوب النّخعي الأحمر ، وإليه تنسب الطائفة « الإسحاقية » من الشيعة . وقد ذكر ابنُ النّوبَخْتِيّ[٦] والخطيبُ وابنُ الجوزي : أنَّ هذا الرجل كان يعتقد إلَهية عليّ بن أبي طالب ، وأنه انتقل إلى الحسن ثم إلى الحسين ، وأنه كان يظهر في كلِّ وقت ، وقد اتبعه على هذا الكفر خلْقٌ من الحمير ، قبَّحه الله وقبَّحهم .

وإنَّما قيل له : الأحمر لأنه كان أبرص ، فكان يطلي برصه بما يغيِّر لونه ، وقد أورد له النوبَخْتي أقوالاً عظيمة في الكفر ؛ لعنه الله . وقد روى شيئاً من الحكايات والملح عن المازني وطبقته ، ومثل هذا أقلُّ وأذلُّ أن يُروى عنه .

---

(١) ما بين قوسين لم يرد في آ .

(٢) المنتظم (٦/ ١٨) .

(٣) تاريخ الإسلام (وفيات ٢٨٦هـ) وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٩) ، والعبر (٢/ ٧٧) ، وتاريخ بغداد (٤/ ٢٧٦) ، وحلية الأولياء (١٠/ ٢٤٦) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٠٤) .
وأبو سعيد هذا كان شيخ الصوفية ، وهو أول من تكلم في علم الفناء والبقاء . صحب سرياً السقطي ، وذا النون المصري وغيرهما .

(٤) المنتظم (٥/ ١٠٥) .

(٥) تاريخ بغداد (٦/ ٣٧٨) ، المنتظم (٦/ ١٩) ، ميزان الاعتدال (١/ ٩٢ و٩٣) ، ولسان الميزان (١/ ٣٧٠) .

(٦) هو الحسن بن موسى ، كانت تدعيه المعتزلة والشيعة . له : فرق الشيعة ، والآراء والديانة . توفي سنة ٣١٠هـ .

بقيّ بن مَخْلَد[١] بن يزيد : أبو عبد الرحمن الأندلسي ، الحافظ ، أحد علماء الغرب ، له « التفسير » و« المسند » ، و« السّنن » ، والآثار التي فضّلها ابن حزم على تفسير ابن جرير ومسند أحمد ومصنف ابن أبي شيبة ، وفيما زعم ابنُ حزم نظر . وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[٢] فأثنى عليه خيراً[٣] ، ووصفه بالحفظ والإتقان ، وذكر أنه كان مجاب الدعوة رحمه الله ، وأرَّخ وفاته بهذه السنة عن خمس وسبعين سنة[٤] .

والحسين بن بشار بن موسى[٥] : أبو علي الخيَّاط ، روى عن أبي بلال الأشعري ، وعنه أبو بكر الشافعيّ ، وكان ثقة .

رأى في منامه ـ وكان به علّة ـ قائلاً يقول له : كُلْ لا واشرب لا ، ففسره بقوله تعالى : ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور : ٣٥] ، فأكل زيتوناً وشرب زيتاً فبرأ من علته تلك[٦] .

محمد بن إبراهيم[٧] ، أبو جعفر الأنماطيّ ، المعروف بمربّع ، تلميذ يحيى بن مَعين ، كان ثقة حافظاً .

عبد الرَّحيم بن البَرْقي[٨] .

وعليّ بن عبد العزيز البَغَويّ[٩] ، صاحب « المسند » .

ومحمد بن وضَّاح[١٠] ، المصنف .

---

(١) صوابه أنه توفي سنة ٢٧٦هـ ، وقد ترجم له المؤلف هناك .
(٢) تاريخ ابن عساكر (١٠/ ٣٥٤) .
(٣) في ب ، ظا : جدًّا .
(٤) هكذا قال المصنف ، وهو وهم منه رحمه الله ، فإن الذي أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق : أنه توفي سنة ٢٧٦هـ ، وقيل سنة ٢٧٣هـ ، ولم يقل أنه توفي في هذه السنة كما زعم المصنف ، وقد تقدمت ترجمته له في وفيات سنة ٢٧٦هـ .
(٥) في الأصول : الحسن بن بشار والتصحيح من المنتظم (٦/ ٢١) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٢٤) .
(٦) روى ذلك ابن الجوزي مفصلاً ، وذكر أن الذي اعتلَّ ورأى الرؤيا ، إنما هو والد أبي عمر محمد بن يوسف القاضي ، ثم إن أبا علي الخياط أوّلها له ، تاريخ بغداد (٨/ ٢٥) .
(٧) تاريخ بغداد (١/ ٣٨٨) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٤٩٦) .
(٨) أبو سعيد ، راوي السيرة عن عبد الملك بن هشام ، وكان صدوقاً ، مسنًّا ، من أهل العلم . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٨) .
(٩) أبو الحسن البغوي ، نزيل مكّة ، الحافظ الصدوق . صنف المسند الكبير ، وأخذ القراءات عن أبي عُبَيد وغيره . وكان حسن الحديث ، وثّقه الدّارقطني .
سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٤٨) .
(١٠) في آ : محمد بن موسى بن وضّاح وأثبت ما جاء في (ط) ، ولم ترد الترجمة في ب ، ظا . =

محمد بن يونس[١] : ابن موسى بن سُليمان بن عُبَيد بن رَبيعة بن كُدَيم ، أبو العبَّاس القرشيّ ، البصريّ الكُدَيْمي ، وهو ابنُ امرأة رَوْح بن عُبَادة ، ولد سنة ثلاث وثمانين ومئة .

وسمع عبد الله بن داود الخُرَيْبي ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، وأبا داود الطَّيَالسيّ ، والأصْمعيّ ، وخلقاً .

وعنه ابن السمَّاك ، والنَّجَّاد . وآخر من حدَّث عنه أبو بكر بن مالك القَطِيعي . وقد كان حافظاً مكثراً مغرباً ، وقد تكلم فيه الناس لإغرابه في الروايات .

وقد سقنا ترجمته في كتابنا « التكميل » بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة .

ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وقد جاوز المئة سنة ، وصلى عليه [يوسف بن][٢] يعقوب القاضي ؛ رحمه الله .

يعقوب بن إسحاق بن تحيّة[٣] : أبو يوسف الواسطيّ . سمع من يزيد بن هارون ، وقدِمَ بغداد ، وحدَّث بها بأربعة أحاديث ، ووعد الناس أن يحدِّثهم من الغد ، فمات من ليلته عن مئة واثنتي[٤] عشرة سنة ، رحمه الله .

والوليد أبو عُبَادة البُحْتُريّ ، فيما ذكره شيخنا الذهبيّ[٥] ، وقد تقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين ، كما ذكره ابنُ الجوزي[٦] .

= وهو محمد بن وضَّاح بن بَزيع المرواني ، أبو عبد الله ، مولى صاحب الأندلس عبد الرحمن بن معاوية الدّاخل . ارتحل إلى العراق والشام ومصر ، وجمع فأوعى . وكان عالماً بالحديث ، بصيراً بطرقه وعلله ، كثير الحكاية عن العبّاد ، ورِعاً . زاهداً ، صبوراً على نشر العلم . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤٥) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٤٦) .

(١) كتاب المجروحين والضعفاء (٢/ ٣١٢) ، تاريخ بغداد (٣/ ٤٣٥) ، المنتظم (٦/ ٢٢) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦١٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٠٢) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٤) .

(٢) زيادة من ط .

(٣) المنتظم (٦/ ٢٤) .

(٤) في الأصول : واثني عشر .

(٥) في تاريخ الإسلام (وفيات ٢٨٦هـ) ، وأورده أيضاً في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٨٧) ، لكن قال فيه : مات بمنبج ، وقيل : بحلب ، سنة ثلاث ، أو أربع وثمانين ومئتين ، وفي العبر (٢/ ٧٣) ، سنة أربع وثمانين ، بينما ذكر الذهبي وفاته في آخر ترجمة محمد بن عبد السلام بن بشار . السير (١٣/ ٤٦١) سنة ٢٨٦هـ .

(٦) المنتظم (٦/ ١١) .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومئتين

في ربيع الأول منها تفاقم أمْر القَرامطة صحبَةَ أبي سعيد الجنَّابي ، فقتلوا وسَبَوْا وأفسدوا في بلاد هَجَر ، فجهَّز الخليفة إليهم جيشاً كثيفاً ، وأمَّر عليهم العباس بن عمرو الغَنَوي ، وأمَّره على اليمامة والبحرين ليحارب أبا سعيد ، فالتقوا هنالك والعبَّاسُ في عشرة آلاف مقاتل ، فأسرهم أبو سعيد كلَّهم[١] ، فنجا من بينهم كلّهم الأمير وحده ، وقتل الباقون عن آخرهم صبراً بين يدي أبي سعيد ، قبَّحه الله ، وهذا عجيب جداً ، وهو عكس واقعة عمرو بن الليث ؛ فإنَّه أسِرَ من بين أصحابه وحدَه ، ونجوا كلُّهم ، وكانوا خمسين ألفاً .

ويقال : إن العبَّاس لمَّا قَتَل أبو سعيد أصحابَه صبراً بين يديه والعباس ينظر ، أقام العبّاس عند أبي سعيد أياماً ، ثم أطلقه ، وحمله على رواحل ، وقال : ارجعْ إلى صاحبك فأخبره بما رأيت . وقد كانت هذه الواقعة في أواخر شعبان من هذه السنة .

ولما وقع هذا انزعج الناس لذلك انزعاجاً عظيماً جداً ؛ وهمَّ أهلُ البصرة بالجلاء منها ، فمنعهم من ذلك نائبها أحمد الواثقي ؛ فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : أغارت الرُّوم على بلاد طَرَسُوس ، وكان نائبها ابن الإخشاد[٢] قد توفي في العام الماضي ، واستخلف على الثغر أبا ثابت ، فطمعت الرُّوم في تلك الناحية ، وحشدوا في عساكرهم إلى هنالك ، فالتقاهم أبو ثابت ، فلم يقدر على مقاومتهم ، فقتلوا من أصحابه جماعة وأسروه فيمن أسروا ، فاجتمع أهلُ الثغر على ابن الأعرابيّ ، فولّوه أمرهم ، وذلك في ربيع الآخر .

وفيها : قتل :

محمد بن زيد العلويّ[٣] : أمير طَبَرِستان والدَّيلم . وكان سبب ذلك أنَّه لما ظفر إسماعيل بن أحمد السَّامانيّ بعمرو بن الليث نائب خراسان ، ظن أنَّ إسماعيل لا يجاوز عمله ، وأن خراسان قد حلت له ، فارتحل من بلده يريدها ، وسبقه إلى خراسان إسماعيل بن أحمد ، وكتب إليه : أن الزم عملك ولا تجاوزه إلى غيره ، فلم يقبل ، فبعث إليه جيشاً مع محمد بن هارون الذي كان ينوب عن رافع بن هَرْثمة ، فلمَّا التقيا هرب منه محمد بن هارون خديعةً ، فسار الجيش وراءه للطلب[٤] ، فكرَّ عليهم راجعاً ،

---

(١) في الطبري (١٠/ ٧٨) ، وأسر من أصحاب العباس زهاء سبعمئة رجل .
(٢) في ب ، ظا ، ط : ابن الإخشيد .
(٣) تاريخ الطبري (١٠/ ٨١) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٥٠٤) .
(٤) في ط : في الطلب .

فانهزموا منه ، واجتاز ما في معسكرهم ، وجرح محمد بن زيد جراحات شديدة ، مات بسببها بعد أيام ، وأسر ولده زيد فبعث به إلى إسماعيل بن أحمد ، فأكرمه وأنزله بخارى .

وقد كان محمد بن زيد هذا فاضلاً ، أديباً ، حسن السيرة فيما وليه من تلك البلاد ، وكان فيه تشيع ، فتقدم إليه يوماً خصمان ، اسم أحدهما معاوية ، واسم الآخر عليٌّ ، فقال محمد بن زيد : إن الحكم بينكما ظاهر ، فقال معاوية : أيُّها الأمير ، لا تغترن بنا ؛ فإنَّ أبي كان من كبار الشيعة ، وإنما سمَّاني معاوية مداراة لمن ببلدنا من السنة ، وهذا كان أبوه من كبار النواصِب فسمَّاه عليّاً تُقاةً لكم ، فتبسَّم محمّد بن زيد وأحسن إليه[1] ؛ رحمه الله .

قال ابن الأثير في « كامله »[2] : **ومن توفي في هذه السنة** :

إسحاق بن أيّوب بن عمر بن الخطّاب العدويّ ، عديّ ربيعة . وكان أميراً على ديار ربيعة من الجزيرة ، فوُلِّيَ مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر .

وعليّ بن عبد العزيز البَغَويّ ، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام .

وفهد بن أحمد بن فهد الأزديّ الموصليّ ، وكان من الأعيان .

وذكر هو وأبو الفرج بن الجوزي[3] أن قطر النَّدى بنت خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، امرأة المعتضد بالله ، توفيت في هذه السنة . قال ابن الجوزي : لسبع خلون من رجب منها ، ودفنت داخل قصر الرصافة .

يعقوب بن يوسف بن أيّوب ، أبو بكر المطوِّعي[4] . سمع أحمد بن حنبل ، وعليّ بن المديني . وعنه النَّجَّاد ، والخلدي ، وكان وِرْدُه في كلِّ يومٍ قراءة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إحدى وثلاثون ألف مرة ، أو إحدى وأربعون ألف مرة .

قلت : ومن توفي فيها : **أبو بكر**[5] **بن أبي عاصم** ، صاحب السنة ، والمصنفات ، وهو :

أحمد بن عَمْرو بن أبي عاصم الضَّحَّاك[6] : ابن مَخْلَد النَّبيل . له مصنَّفات في الحديث كثيرة ، منها

---

(١) في ط : إليهما .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥٠٨) .
(٣) المنتظم (٦/ ٢٦) .
(٤) المنتظم (٦/ ٢٦) .
(٥) حتى قوله : وهو لم يرد في ب ، ظا .
(٦) الجرح والتعديل (٢/ ٦٧) ، ذكر أخبار أصبهان (١/ ١٠٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٣٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٤٠) ، العبر (٢/ ٧٩) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٩٧) ، وتهذيبه (١/ ٤١٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٥) .

كتاب « السُّنَّة » في أحاديث الصفات على طريقة السلف ، وكان حافظاً كبيراً جليلاً ، وقد ولي قضاء أصبهان بعد صالح بن الإمام أحمد ، وكان قد طاف البلاد في طلب الحديث ، وصحب أبا تراب النَّخْشَبي ، وغيرَه من مشايخ الصوفية .

وقد اتفق له مرة كرامة هائلة ، وهو أنه كان هو واثنان من كبار الصالحين في سفر فنزلوا يوماً على رمل أبيض ، فجعل أبو بكر هذا يقلبه بيده ، ويقول : اللهم ارزقنا خبيصاً[١] يكون بلون هذا . فلم يكن بأسرع من أن أقبل أعرابي وبيده قصعة فيها خَبيص بلون ذلك الرمل في بياضه ، فأكلوا منه[٢] ؛ رحمه الله .

وكان يقول : لا أحبُّ أن يحضر مجلسي مُبتدع ولا طعَّان ولا لعَّان ولا فاحش ولا بذيء ، ولا منحرف عن الشافعيّ وأصحاب الحديث[٣] .

وكانت وفاته في هذه السنة بأصبهان . وقد رآه بعضهم [في المنام][٤] بعد وفاته وهو يصلِّي ، فلما انصرف قال له : ما فعل بك ربُّك ؟ قال : يؤنسني ربِّي عزّ وجلّ .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومئتين

اتفق في هذه السنة مصائب عديدة .

منها : أنَّ الروم قصدوا بلاد الرَّقَّة في جحافلَ من البر والبحر ، فقتلوا خلقاً ، وأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً من الذرية .

ومنها : أن بلاد أذْرَبيجان أصاب أهلَها وباءٌ شديد ، حتَّى لم يبقَ أحدٌ يقدر على دفن الموتى ، فتركوا بالطرقات لا يوارَون .

ومنها : أنَّ بلاد أردبيل أصابتها ريح شديدة من بعد العصر إلى ثلث الليل ، ثم زُلزلوا زِلزالاً شديداً ، واستمرَّ ذلك عليهم أياماً ، فتهدَّمت الدور والمنازل ، وخسف بآخرين منهم ، فكان جملة من مات تحت الهدم مئة ألف وخمسين ألفاً[٥] ؛ فإنا لله وإنّا إليه راجعون .

---

(١) « الخَبيص » : الحلواء المخبوصة من التّمر والسّمن ، جمع أخبصة .

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٩٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٣٢) ، وأضاف الذهبي : كان الثلاثة : عثمان بن صخر الزَّاهد . وأبو تراب . وابن أبي عاصم ، وكان هو الذي دعا .

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٩٨) .

(٤) من ب ، ظا .

(٥) ذكر الخبر في المنتظم (٦/ ٢٧) ، ولم يرد عند الطبري وابن الأثير .

وفيها : اقترب القرامطة من البصرة ، فخاف أهلها منهم خوفاً شديداً ، وهمُّوا بالرحيل منها فمنعهم واليها .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

بِشْر بن موسى بن صالح أبو علي الأَسَديّ[١] : ولد سنة تسعين ومئة . وسمع من رَوْح بن عُبَادة حديثاً واحداً ، وسمع الكثير من هَوْذَةَ بن خَليفة ، والحسن بن موسى الأشْيَب ، وأبي نُعَيم ، وعليّ بن الجَعْد ، والأصمعيّ ، وغيرهم .

وعنه ابن المنادي ، وابن مَخْلد ، وابن صاعد ، والنَّجَّاد ، وأبو عمرو الزَّاهد ، والخلدي ، والسلمي ، وأبو بكر الشافعي ، وابن الصَّوَّاف ، وغيرهم .

وكان ثقة أميناً نبيلاً حافظاً ، وهو من أهل البيوتات ، وكان أحمد يُكْرِمه . ومن شعره[٢] :

ضعفتُ ومن جازَ الثمانينَ يضعُفُ وينكـرُ منـه كـلُّ مـا كـانَ يعـرفُ
ويمشـي رويـداً كـالأسيـر مقيَّـداً يداني خطاهُ في الحديدِ ويرسِفُ[٣]

ثابت بن قُرَّة[٤] : ابن هارون ، ويقال : ابن زهرون بن ثابت بن كرايا[٥] بن إبراهيم الصابىء ، الفيلسوف ، الحرَّاني ، صاحب التصانيف ؛ ومنها : أنَّه حرَّر كتاب إقليدس الذي عرَّبه حنين بن إسحاق العبادي . وكان أصله صيرفياً بحرّان ، فترك ذلك واشتغل بعلم الأوائل ، فنال منه رتبة سامية عند أهله ، ثم صار إلى بغداد فعظم شأنه بها ، وكان يدخل مع المنجّمين على الخليفة وهو باقٍ على دين الصابئة .

وحفيده ثابت بن سنان له تاريخ أجاد فيه وأحسن ، وكان بليغاً ماهراً حاذقاً بالغاً .

وعمه إبراهيم بن ثابت بن قُرَّة ، كان طبيباً عارفاً أيضاً .

سردهم كلَّهم في هذه الترجمة القاضي ابن خلكان ، رحمه الله .

الحسن بن عمرو بن الجهم[٦] ، أبو الحُسين الشيعيّ ، من شيعة المنصور لا من الروافض .

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٨٦) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٢١) ، المنتظم (٦/ ٢٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٢) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦١١) ، العبر (٢/ ٨٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٦) .

(٢) المنتظم (٦/ ٢٨) .

(٣) « رَسَف في القيد » : مشى فيه رويداً .

(٤) المنتظم (٦/ ٢٩) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢٩٥) ، وفيات الأعيان (١/ ٣١٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٨٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٦) .

(٥) في ط : « كدام » ، محرف .

(٦) تاريخ بغداد (٧/ ٣٩٦) ، والمنتظم (٦/ ٢٩) ، ووقع في ط : « أبو الحسن » ، محرف .

حدَّث عن عليّ بن المديني ، وحكى عن بشر الحافي . وعنه أبو عمرو بن السماك .

عُبَيْد الله بن سليمان بن وَهْب[١] ، وزير المعتضد ، كان حظيّاً عنده ، وقد عزَّ عليه وفاته ، وتألَّم لفقده ، وأهمَّه من يجعله من بعده ، فعقد لولده القاسم بن عُبَيد الله الوزارة من بعد أبيه ؛ جبراً لمصابه به .

وأبو القاسم ، عثمان بن سعيد بن بشَّار ، المعروف بالأنْماطي ، أحد كبار الشَّافعيَّة ؛ وقد ذكرناه في طبقاتهم[٢] .

هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى ، أبو موسى الهاشمي ، إمام الناس في الحجّ . سمع وحدَّث ، وتوفي بمصر في رمضان من هذه السنة[٣] .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومئتين

فيها عاثت القرامطة بسَواد الكوفة ، فظفر بعض العمّال بطائفة منهم ، فبعث برئيسهم إلى المعتضد ، وكان يقال له : أبو الفوارس[٤] ، فنال من العبّاس بين يدي الخليفة ، فأمر به ، فقُلِعَتْ أضراسُه ، وخُلِعَتْ يداه ، ثم قُطعتا مع رجليه ، ثم قتل وصلب ببغداد ، واشتهر أمره .

وفيها : قصدت القرامطة دمشقَ في جحفل عظيم ، فقاتلهم نائبها طغج بن جُفّ من جهة هارون بن خُمَارَوَيْه ، فهزموه مراتٍ متعددة ، وتفاقم الحال بهم ، وكان ذلك بسفارة يحيى بن زَكرويْه بن مَهروَيْه ، الذي ادَّعى عند القرامطة أنَّه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وقد كذب في ذلك . وزعم لهم أنَّه قد اتبعه على أمره مئة ألف ، وأنَّ ناقته مأمورة ، حيثما توجَّهَتْ به نُصِرَ على أهل تلك الناحية . فراج ذلك عندهم ، ولقَّبوه الشيخ ، واتبعه طائفة من بني الأصبغ ، وسُمُّوا بالفاطميين .

وقد بعث الخليفة إليهم جيشاً كثيفاً فهزموه ، ثم اجتازوا بالرُّصافة ، فأحرقوا جامعها ، لم يجتازوا بقرية إلَّا انتهبوها ، ولم يزل ذلك دأبهم حتى وصلوا إلى دمشقَ ، فقاتلهم نائبها فهزموه مراتٍ ، وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً ، وانتهبوا من أموالها شيئاً كثيراً[٥] ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥١٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٧) .

(٢) وذكر الذهبي في السير عن أبي إسحاق قوله : إنه كان السبب في نشاط الناس ببغداد لكتب فقه الشافعي وتحفُّظه . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٩) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٣٠١) .

(٣) المنتظم (٦/ ٣٠) ، وأضاف : وكان ثقة عدلاً ، رحمه الله .

(٤) في الطبري : ابن أبي الفوارس .

(٥) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥١١-٥١٢) .

وفي هذه الحال الشديدة اتفق موت الخليفة المعتضد بالله ، في ربيع الأول من هذه السنة ، أحسن الله خاتمتها .

وهذه ترجمة المعتضِد بالله[(١)] : أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفَّق الملقب بناصر دين الله ، واسم أبي أحمد محمد ، وقيل : طلحة بن جعفر المتوكّل بن محمد المعتصم بن هارون الرَّشيد ، أبو العباس ، أمير المؤمنين ، الخليفة ، المعتضد بالله .

ولد في سنة اثنتين ، وقيل : ثلاث وأربعين ومئتين ، وأمه أم ولد .

وكان أسمر ، نحيفَ الجسم ، معتدل القامة ، قد وخَطه[(٢)] الشيب ، في مقدم لحيته طول ، وفي رأسه شامة بيضاء . وبويع له بالخلافة صبيحة يوم الإثنين لإحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ، فاستوزر عبيد الله بن سليمان بن وَهْب ، وولَّى القضاء إسماعيل بن إسحاق ، ويوسف بن يعقوب ، وابن أبي الشَّوارب .

وكان أمر الخلافة قد ضعف في أيام عمِّه المعتمد على الله ، فحين وليها المعتضد أقام شعارها ، ورفع منارها ، وشيَّد دعائمها ، وحيطانها ، وأطّر أركانها . وكان شجاعاً فاضلاً ، من رجالات قريش حزماً وجرأة وغزواً وعزّاً ، وإقداماً وحرمة ؛ وكذلك كان أبوه من قبله .

وقد أورد ابن الجوزي[(٣)] بإسناده أن المعتضد اجتاز في بعض أسفاره بقرية فيها مَقْثَأة ، فوقف صاحبُها صائحاً مستصرخاً بالخليفة ، فاستدعى به فسأله عن أمره ، فقال : إنَّ بعض الجيش أخذوا لي شيئاً من القِثَّاء وهم من غلمانك . فقال : أتعرفهم ؟ قال : نعم ، فعرضهم عليه ، فعرف منهم ثلاثة ، فأمر الخليفة بتقييدهم وحبسهم ، فلمَّا كان الصباح نظر الناس إلى ثلاثة أنفس مصلّبين على جادة الطريق[(٤)] ، فاستعظم الناس ذلك وأنكروه ، وعاب كثير من الناس ذلك على الخليفة ، وقالوا : قتل ثلاثةً بسبب قِثّاء أخذوه ؟ فلما كان بعد قليل أمر الخواص من مسامره أن ينكر عليه ذلك وليتلطف في مخاطبته بذلك ، فدخل عليه ذات ليلة وهو عازم على المفاوضة معه في ذلك ، ففهم الخليفة ما في نفسه من كلام يريد أن يبديه ، فقال له : إني أفهم أنَّ في نفسك كلاماً، فما هو ؟ قال: يا أميرَ المؤمنين ، وأنا آمن ؟ قال : نعم . قلت له : فإن

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٤٦٢) ، تاريخ بغداد (٤/ ٤٠٣) ، المنتظم (٥/ ١٢٣ ـ ١٣٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٦٣) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٤٢٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٩) .
(٢) في الأصول : وخط الشيب ، والمثبت من المطبوع والمنتظم .
(٣) المنتظم (٥/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .
(٤) « جادة الطريق » : وسطه .

الناس ينكرون عليك تسرّعك في سفك الدماء . فقال : والله ما سفكْتُ دماً حراماً منذ وُلِّيت إلا بحقِّه . فقلت له : فعلام قتلْتَ أحمد بن الطَّيِّب[١] ، وقد كان خادمك ولم يظهر لك[٢] جناية ؟ فقال : ويحك ! إنه دعاني إلى الإلحاد والكفر بالله فيما بيني وبينه ، فقلت له : يا هذا ! أنا ابن عم صاحب الشريعة ، وأنا منتصب في منصبه ، فأكفر حتى أكون مَن[٣] ؟ فقتلته[٤] .

فقلت له : فما بال الثلاثة الذين قتلتهم على القِثّاء ؟ فقال : والله ما كان أولئك الذين أخذوا القِثّاء ، وإنَّما كانوا لصوصاً قد[٥] وجب قتلهم ؛ بعثت فجئت بهم من السجون فقتلتهم أنهم الذين أخذوا القِثّاء ، وأردت أن أهول على الجيش لئلا يُفسِدوا في الأرض .

ثم أمر بإخراج أولئك الذين كان حبسهم بسبب القِثّاء ، فأطلقهم بعدما استتابهم ، وخلع عليهم ، وردَّهم إلى أرزاقهم التي كانت لهم .

قال ابن الجوزي[٦] : وخرج المعتضد يوماً فعسكرَ بباب الشماسية ، ونهى أن يأخذ أحدٌ من بستان أحدٍ شيئاً ، فأتى بأسود قد أخذ عِذْقاً من بُسْرٍ[٧] ، فتأمَّله طويلاً ، ثم أمر بضرْب عنقه ، ثم التفت إلى أصحابه وقال : إنَّ العامة ينكرون هذا ، ويقولون : إنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا قَطْعَ في ثَمَرٍ ولا كَثَرٍ »[٨] .

ولم يكفه أن يقطع يده حتى قتله ، وإني لم أقتل هذا على سرقته ، وإنَّما هذا الأسود له خبر عجيب ؛ هذا رجلٌ من الزّنج كان قد استأمن في حياة أبي ، وإنه تقاول هو ورجل من المسلمين ، فضرب المسلمَ فقطع يده ، فمات الرجل ، فأهدر أبي دمَ الرجل تأليفاً للزّنج ، فآليت على نفسي إن أنا قدرت عليه لأقتلنَّه ، فما وقعت عيني عليه إلا هذه الساعة ، فقتلته بذلك الرجل[٩] .

---

(١) هو الفيلسوف أحمد بن الطَّيِّب السَّرَخْسي ، من بحور العلم الذي لا ينفد ، وكان مؤدِّب المعتضد ، ثم صار نديمه وصاحب سرّه ومشورته ، وقتله المعتضد لفلسفته وخبث معتقده سنة ٢٨٦هـ . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤٨) .

(٢) في ب ، ظا ، ط : له .

(٣) في آ : من قوم وفي ط : من غير قبيلته ، والمثبت من ب ، ظا والمنتظم .

(٤) بعدها في ط : على الكفر والزندقة .

(٥) في ط : قد قتلوا وأخذوا المال فوجب قتلهم .

(٦) المنتظم (٥/ ١٣٦) .

(٧) « العِذْق » : كل غصن له شُعَب ، وقنو النخلة . والبُسْر : ثمر النخل قبل أن يُرْطِب .

(٨) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٦٣) ، وأبو داود في الحدود رقم (٤٣٨٨) ، والترمذي رقم (١٤٤٩) ، في الحدود ، والنسائي (٨/ ٨٧) ، وابن ماجه رقم (٢٥٩٣) ، ومالك في الموطأ (٢/ ٨٣٩) ، والدارمي (٢/ ١٧٤) . وهو حديث صحيح ، ويروى هذا الحديث موصولاً ومنقطعاً كما بينه الإمام الترمذي ، وقد قال الطحاوي : هذا الحديث تلقت العلماء متنه بالقبول .
و « الكَثَرُ » : جُمَّر النَّخل ، وهو شحمه الذي وسط النَّخْلة . النهاية .

(٩) هذه القصة وردت في ب ، ظا بعد الفقرة التالية .

وقال أبو بكر الخطيب[١] : أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن نعيم الضَّبِّي ، سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه ، يقول : سمعت أبا العبَّاس بن سُرَيج ، يقول : سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضي ، يقول : دخلتُ على المعتضد وعلى رأسه أحداثٌ رُومٌ ، صباحُ الوجوه ، فنظرت إليهم ، فرآني المعتضد وأنا أتأملهم ، فلمَّا أردت القيام أشار إليَّ ، فمكثت ساعة ، فلمَّا خلا ، قال لي : أيُّها القاضي ! والله ما حَلَلْتُ سَراويلي على حرامٍ قَطُّ .

وروى البيهقيُّ ، عن الحاكم ، عن حسّان بن محمد ، عن ابن سُرَيْج القاضي ، عن إسماعيل بن إسحاق ، قال : دخلت يوماً على المعتضد ، فدفَعَ إليَّ كتاباً ، فقرأته ، فإذا قد جمع له الرُّخص من زَلل العلماء ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين إنَّما جمع هذا زِنْديق . فقال : فكيف ؟ فقلت : إنَّ من أباح النبيذ لم يبح المتعة ، ومن أباح المتعة لم يبح النبيذ[٢] ، ومن جمع زَلَل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه ؛ فأمر بتحريق ذلك الكتاب[٣] .

وروى الخطيب[٤] بسنده عن صافي الحرمي الخادم ، قال : انتهى المعتضد وأنا بين يديه إلى منزل شغَب[٥] وابنُه المقتدر جعفر جالس فيه[٦] ، وحوله نحو من عشر من الوصائف ، والصبيان من أصحابه في سنِّه ، وبين يديه طبقٌ من فضة ، فيه عنقود عِنب ، وكان العِنبُ إذ ذاك عزيزاً جداً ، وهو يأكل عِنَبةً واحدة ، ثم يفرِّق على كلِّ واحدٍ من جلسائه عِنَبة عِنَبة ، فتركه المعتضد وجلس في بيت مهموماً . فقلت له : ما لكَ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : ويحك ! والله لولا النار والعار لأقتلَنَّ هذا الغلام ، فإنَّ في قتله صلاحاً للأمة . فقلت : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ! العن الشيطان ، فقال : ويحك يا صافي ! إنَّ هذا الغلام في غاية السَّخاء ، فإنَّ طباع الصبيان تأبى الكرم ، وهذا في غاية الكرم ، وإن الناس من بعدي لا يولون عليهم إلَّا مَن هو من ولدي ، فَسَيلي عليهم المكتفي ، ثم لا تطول أيامه للعلة التي به ، وهي داء الخنازير ، ثم يموت فيولّى على الناس جعفر هذا ، فيصرف جميع أموال بيت المال إلى الحظايا ؛ لشغفه بهنَّ ، وقرب عهده من بيتهن ، فتضيع أمور المسلمين ، وتعطل الثغور ، وتكثر الفتن والخوارج والشرور .

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٤٠٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٦٥) .

(٢) في آ : العلماء ، وفي السير : الغناء ، والمثبت من ب ، ظا . وأضاف في السير : وما من عالم إلا وله زَلَّة . وعبارة ط : إن من أباح المتعة لم يبح الغناء ، ومن أباح الغناء لم يبح إضافته إلى آلات اللهو .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٦٥) .

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٢١٦) .

(٥) في ط : شعث وهو تحريف . وهي شغب زوجه وأم المقتدر .

(٦) في تاريخ بغداد : وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها .

قال صافي : فوالله لقد شاهدت ما قاله سواء سواء .

وروى ابن الجوزي[١] عن بعض خدم المعتضد ، قال : كان الخليفة يوماً نائماً وقت القيلولة ، ونحن حول سريره ، فاستيقظ مذعوراً ، فصرخ بنا ، فجئنا فقال : ويحكم ! اذهبوا إلى دجلة ، فأول سفينة تجدونها فارغةً منحدرةً فأتوني بملاحها واحتفظوا بها . فذهبنا سراعاً ، فوجدنا ملاحاً في سُمَيْرِيَّة[٢] فارغة منحدراً ، فأتينا به الخليفة ، فلما رأى الخليفةَ كاد يتلَفُ ، فصاح به الخليفة صيحةً عظيمة ، فكادت روح الملاح تخرج ، فقال له الخليفة : ويحك يا ملعون ! اصدقني عن قصتك مع المرأة التي قتلتها اليوم وإلا ضربْتُ عنقك . قال : فتلعثم ، ثم قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، كنت اليوم سَحَراً في مشرعتي الفلانية ، فنزلت امرأة لم أرَ مثلها ، وعليها ثياب فاخرة وحُليّ كثير وجوهر ، فطمِعْتُ فيها ، واحتَلتُ عليها حتى سددت فاها ، وغرّقتها ، وأخذْتُ جميع ما كان عليها من الحلي والثياب ، وخشيت أن أرجع به إلى منزلي فيشتهر خبرها ، فأردت الذهاب إلى واسطَ ، فلقيني هؤلاء الخدم . فقال له : وأين حليُّها ؟ قال : في صدر السفينة تحت البواري[٣] .

فأمر الخليفة بإحضار الحُليِّ ، فجيء به ، فأمر عند ذلك بتغريق الملاح في المكان الذي غرَّق فيه المرأة ، وأمر أن ينادَى على أهل المرأة ليحضروا حتى يتسلَّموا مال وليَّتهم ، فحضروا بعد ثلاثة أيام ، فسلّم إليهم ما كان مع تلك المرأة من الحليِّ والثياب . فقال له خدمه : يا أميرَ المؤمنين ! من أين علمت هذا ؟ قال : رأيت في نومي ذلك كأنَّ شيخاً أبيضَ الرأس واللحية والثياب وهو ينادي : يا أحمد ! يا أحمد ! خذ أوّل ملاح ينحدِرُ السَّاعةَ فاقبض عليه ، وقرِّره عن خبر المرأة التي قتلها اليوم وسلبها ، فأقم عليه الحد ، فكان ما شاهدتم .

وعن خفيف[٤] السَّمَرْقَنْديّ الحاجب ، قال : كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيِّداته ، وقد انقطع عن العسكر وليس معه غيري ، إذ خرج علينا أسد فقصدنا ، فقال لي المعتضد : يا خفيف ، أفيك خير ؟ قلت : لا والله يا مولاي ! فقال : ولا حتى تمسك فرسي وأنزل أنا ؟ فقلت : بلى . قال : فنزل عن فرسه ، فأمسكتُها ، وغرز أطراف ثيابه في منطقته ، واستلَّ سيفه ، ورمى بقُرابه إليّ ، ثم تقدَّم إلى الأسد ، فوثب الأسدُ عليه ، فضربه المعتضد بالسيف فأطار يده ، فاشتغل الأسد بيده ، فضربه ثانية على هامته ففلقها ، فخرَّ الأسد صريعاً ، فدنا منه فمسح سيفه في صوفه ، ثم أقبل إليَّ فأغمد سيفه ، وركب فرسه ، ثم عدنا إلى العسكر . قال : وصحبته إلى أن مات ، فوالله ما سمعته ذكر ذلك لأحدٍ ، فما أدري

---

(١) المنتظم (٥/١٢٧) .
(٢) « السُّمَيْرِيَّة » : ضرب من السفن .
(٣) « البُوري » : الحصير المنسوج من القصب ، فارسي معرب .
(٤) في آ : حنيف وفي ط : جعيف .

من أي شيء أعجب ؟ أمن شجاعته أم من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لأحد ؟ أم من عدم عَتْبه عليَّ حيث ضننت بنفسي عنه ؟ والله ما عاتبني في ذلك قطُّ[١] .

وروى الحافظ ابن عساكر[٢] عن أبي الحسين النوري أنه اجتاز بزورق فيه خمر مع ملاح ، فقال : ما هذه ؟ ولمن هذه ؟ فقال له : هذه خمر للمعتضد . فصعد أبو الحسين إليها ، فجعل يضرب الدِّنان بعمود في يده حتى كسرها كلَّها سوى واحدٍ تركه ، واستغاث الملاح ، فجاءت الشُّرَط فأخذوه ، فأوقفوه بين يدي المعتضد ، فقال له : ما أنت[٣] ؟ فقال : أنا محتسب . فقال : ومن ولَّاك الحِسْبة ؟ فقال : الذي ولَّاك الإمامة ولَّاني الحِسبة يا أمير المؤمنين . فأطرق رأسه ثم رفعه ، فقال : ما الذي حملك على ما فعلتَ ؟ قال : شفقةً عليك ؛ لدفع الضرر عنك . فأطرق رأسه ثم رفعه فقال : ولم تركت من الدِّنان واحداً ؟ فقال : إني أقدمت عليها فكسرتها إجلالاً لعظمة الله ، ولم أبال أحداً من الناس حتى انتهيت إلى هذا الدَّنِّ ، دخل نفسي إعجاب من قبيل أني أقدمت[٤] على مثلك ، فتركته ، فقال له المعتضد : اذهب ، فقد أطلقت يدك ، فغيِّر ما أحببت أن تغيِّرَه من المنكر . فقال له النوري : الآن نقص[٥] التغيير ، فقال : ولمَ ؟ قال : لأني كنت أغيِّر عن الله ، وأنا الآن أغيِّر عن شرطي . فقال : سَل حاجتك . فقال : أحبُّ أن تخرجني من بين يديك سالماً . فأمر به فأخرج ، فصار إلى البصرة ، فأقام بها مختفياً خشية أن يشقَّ عليه أحدٌ في حاجةٍ عند المعتضد . فلمَّا توفي المعتضد رجع إلى بغداد .

وذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي ، عن شيخ من التجار ، قال : كان لي على بعض الأمراء مال كثير ، فماطلني ومنعني حقّي ، وجعل كلَّما جاء ليطالبه حجبه عنه ويأمر غلمانه يؤذونه ، فاستعدى عليه إلى الوزير ، فلم يفد فيه شيئاً ، وإلى أولياء الأمر ، فلم يقطع عنده ، وما زاده ذلك إلا منعاً وجحوداً ، فدلَّ[٦] ذلك الرجل على رجلٍ خياط أمام مسجدٍ هناك ، فقصده ، فقام معه ، فحين عاينه

---

(١) المنتظم (٥/ ١٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٦٦) .
(٢) سقطت ترجمته من المخطوط .
(٣) في آ : من أنت .
(٤) في ب : فحزنت على نفسي كثيراً أني قد أقدمت .
(٥) في ط : انتقض عزمي عن التغيير .
(٦) في ط : فأيست من المال الذي عليه ، ودخلني هم من جهته ، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكي ، إذ قال لي رجل : ألا تأتي فلاناً الخياط ، إمام مسجد هناك ؟ فقلت : وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم ، وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه ؟ فقال لي : هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه ، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً . قال : فقصدته غير محتفل في أمره ، فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت من هذا الظالم ، فقام معي ، فحين عاينه الأمير ، قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه ، فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر ، غير أنه قال له : ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذّنت ، فتغيّر لون الأمير ودفع إليَّ حقي . قال التاجر : فعجبت من ذلك الخياط . .

الأمير أكرمه واحترمه ، وبادر إلى إعطائه حقّه والخلاص من أمره ، فتعجب ذلك التاجر من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعفه كيف انطاع ذلك الأمير له ، فعرض عليه شيئاً من المال الذي قبضه من الأمير ، فلم يقبل منه شيئاً . فسأله عن خبره ، وذكر له تعجبه من ذلك وألحَّ عليه ، فقال : إن سبب ذلك أنه كان عندنا هاهنا رجل تركي ، شاب حسن ، أمير ، فلما كان ذات يوم ، أقبلت امرأة حسناء قد خرجت من حمامٍ ، وعليها ثياب مرتفعة ، فعلق بها وهو سكران يريدها على نفسها ليدخلها منزله ، وهي تأبى عليه وتصرخ بأعلى صوتها : يا معشر المسلمين ! أنا امرأة ذات زوج ، وهذا يريدني على نفسي ليدخلني منزله ، وقد حلف زوجي بالطلاق ألا أبيتَ في غير منزله ، ومتى بتُّ هاهنا طلقت من زوجي ، ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام .

قال : فقمت إليه فأنكرت عليه ، فضربني بدبوس في يده فشجَّ رأسي ، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً ، فرجعت أنا ، فغسلت الدَّم عنِّي ، وعصبت رأسي ، وصلَّيت بالناس العشاء وقلت لهم : إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا بنا إليه لننكر عليه ، فقام الناس معي ، فهجمنا عليه داره ، فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيديهم العصي والدبابيس يضربون الناس ، وقصدني هو من بين الناس ، فضربني ضرباً شديداً مبرِّحاً ، وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة ، فرجعت إلى منزلي وأنا لا أهتدي من الوجع ، فنمت على فراشي وأنا لا يأخذني نوم ، وحرت ماذا أصنع حتى أنقذ هذه المرأة من يده في هذه الليلة ، حتَّى لا يقع على زوجها الطلاق ، فتروَّيت أن أؤذن للصبح في أثناء الليل ؛ لكي يخرجها من منزله . فقمت إلى المنارة ، فأذنت ، وجعلت أنظر إلى باب داره لكي يخرج المرأة ، وصمَّمت إن لم تخرج أن أقيم للصلاة حتى يتحقق الصباح .

فبينا أنا أنظر ، إذ امتلأ الطريق فرساناً ، ورجَّالة ، وهم يقولون : أين الذي أذن [هذه الساعة][١] ؟ فقلت : ها أنا ذا ، وأنا أريد أن يعينوني عليه ، فقالوا : انزل ، فنزلت ، فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئاً ، وما زالوا بي حتى أدخلوني على الخليفة المعتضد بالله ، فلما رأيته جالساً في مقام الخلافة أرعدت[٢] من الفرق ، فقال لي : ليسكن جأشك ، ثم قال : أنت الذي أذّنت ؟ قلت : نعم ، يا أميرَ المؤمنين ، فقال : ما حملكَ على أن أذّنت ، وقد بقي من الليل كثير ، فيغترّ بذلك الصوَّام [والمسافرون][٣] ؟ فقلت : يؤمّنني أمير المؤمنين حتى أقصَّ عليه[٤] خبري ؟ فقال : أنت آمن . فذكرت

---

(١) زيادة من ط .

(٢) في ط : ارتعدت من الخوف ، وفزعت فزعاً شديداً ، فقال : ادن ، فدنوت ، فقال لي : ليسكن روعك ، وليهدأ قلبك . وما زال يلاطفني حتى اطمأننت وذهب خوفي ، فقال : أنت الذي . . .

(٣) زيادة من ب ، ظا ، وهي فيهما والمسافرين .

(٤) في آ : عليك .

له سبب أذاني في هذه الساعة ، فغضب غضباً شديداً ، وأمر بإحضار ذلك الرجل والمرأة التي في منزله ، فأحضرا سريعاً ، فبعث المرأة إلى زوجها مع ثقة من جهته ، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو عنها ، والصفح والإحسان إليها ؛ فإنها مكرهة ومعذورة . ثم أقبل على ذلك الشاب ، فقال : ما رزقُك ؟ وكم لك من المال ؟ وكم عندك من الجواري والزوجات ؟ فذكر له شيئاً كثيراً . فقال له : ويحك ! ما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله ، وتجرأت على السلطان ، وتعدَّيْتَ حدود الله ، وما كفاك ذلك حتى عمدت إلى رجلٍ أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته ؟ فلم يكن له جواب . فأمر به فجعل في قيدٍ ، وفي عنقه غِلّ ، وأدخل في جُوالق[١] ، وضُرب ضرباً شديداً حتى خَفَتَ صوته ، ثم ألقاه في دجلة ، وأمر بدراً صاحبَ الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال بغير حلّها ، ثم قال لذلك الرجل الصالح : كلّما شاهدت منكراً صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا ، وأشار إلى صاحب الشرطة ، فأعلمني به ؛ فإن اتفق اجتماعك بي ، وإلا فعلامة ما بيني وبينك أن تؤذن في مثل وقت أذانك هذا .

قال : فبهذا السبب لا آمر أحداً من هؤلاء الدولة بشيء من الخير أو أنهى عن الشر ، إلا بادر إلى امتثاله وقبوله ؛ خوفاً من المعتمد ، وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك السَّاعة إلى الآن .

وذكر الوزير عُبَيد الله بن سليمان بن وَهْب ، قال : كنتُ يوماً عند المعتضد وخادم واقف على رأسه يذبُّ عنه بمذبَّة في يده ، إذ حرَّكها فجاءت في قَلَنْسُوة الخليفة ، فسقطت ، فأعظمتُ ذلك جدّاً ، وخفت من هول ما وقع ، ولم يكترث الخليفة بذلك ، بل أخذ قَلَنْسُوَته فلبسها ، ثم قال لبعض الخدم : مُرْ هذا فليذهب لراحته ؛ فإنَّه قد نعس ، وزيدوا في عدَّة من يذبُّ بالنوبة[٢] .

قال الوزير : فأخذت في الشكر للخليفة على حلمه ، فقال : إنَّ هذا البائس لم يتعمَّدْ هذا ، وإنَّما نعس ، وليس العقاب والمعاتبة إلا على المتعمِّد لا على المخطئ والسَّاهي .

وقال خفيف السَّمَرْقَنْدي الحاجب : لمَّا جاء الخبر إلى المعتضد بموت وزيره عُبَيد الله بن سليمان وتحقَّق ذلك ، خَرَّ ساجداً طويلاً ، فقيل له : يا أميرَ المؤمنين ! لقد كان يخدمك وينصحك[٣] ، فقال : إنَّما سجدت شكراً لله أني لم أعزله ولم أؤذه . ثم استشار الحاضرين فيمن يستوزره من بعده ، وذكر هو رجلين ، أحدهما : جرادة ، وكان حازم الرأي قويًا ، والآخر : أحمد بن محمد بن الفرات ، فعدل به بدر صاحب الشرطة عنهما ، وأشار عليه بالقاسم بن عبيد الله ، فسفَّه رأيه في ذلك ، فألحَّ عليه ، فولاه

---

(١) « الجُوالِق » : وعاء من الأوعية ، معروف ، معرّب .
(٢) في آ : بالمذَّبة .
(٣) في ب ، ظا : لقد كان تكفل بخدمتك وبنصحك . وفي ط : لقد كان عبيد الله يخدمك وينصح لك .

وبعث إليه يعزِّيه في أبيه ، ويهنِّيه بالوزارة . فما لبث القاسم بن عبيد الله حتَّى ولي المكتفي الخلافة من بعد أبيه المعتضد ، حتى قتل بدراً . وكان المعتضد ينظر إلى ما بينهما من العداوة من وراء ستر رقيق ، وهذه فراسة عظيمة وتوسّم قوي[١] .

وقد رفع إلى المعتضد أنَّ أقواماً يجتمعون على معصية[٢] فاستشار وزيره في أمرهم ، فقال : ينبغي أن يصلب بعضُهم ويحرَّقَ بعضهم . فقال : ويحك ! لقد برَّدتَ لهب غضبي عليهم بقسوتك هذه ، أما علمت أنَّ الرعيَّة وديعة الله عند سلطانها ، وأنه سائله عنها ؟ ولم يقابلهم بما قال الوزير فيهم[٣] .

وبهذه النيَّة لمَّا ولي الخلافة كان بيتُ المال صفراً من المال ، والأحوال فاسدة ، والأعراب تعيث في الأرض فساداً في كل جهةٍ ، فلم يزل برأيه وتدبيره حتى كثرت الأموال في بيت المال ، وصلحت الأحوال في سائر الأقاليم والآفاق والمحال .

ومن شعره في جارية له توفيت فوجد عليها وجداً عظيماً ، فقال[٤] :

يـا حَبيبـاً لـم يَكُـنْ يَعْـ ـــدِلُـهُ عنـدي حبيـبُ
أنـتَ عَـنْ عينـي بَعيـدٌ ومِـنَ القلـبِ قـريـبُ
ليـسَ لـي بعـدك فـي شـ ـيءٍ مِـنَ اللَّهـوِ نصيـبُ
لكَ مِنْ قلبي على قلبي وإنْ بِنْـتَ رَقيـبُ
وخيـالـي منـكَ مُـذْ غِبْـ ـتَ خيـالٌ مـا يَغيـبُ
لـو تَـرَانـي كيـفَ لـي بَعْـ ـدَكَ عَـوْلٌ ونَحِيـبُ
وفـؤادي حَشْـوُهُ مِـنْ حَـرَقِ الحـزنِ لَهيـبُ
لتَيَقَّنْـتَ بـأنِّـي بـكَ محـزون كئيـبُ
مـا أرى نَفْسـي وإن طيِّـ ـبْتُهـا عنـكَ تَطيـبُ[٥]
ليـسَ دمـعٌ لـيَ يَعصيـ ـنـي وصَبـري مـا يُجيـبُ

وقال فيها أيضاً[٦] :

لـم أبْـكِ للـدَّارِ ولكـن لِمَـنْ قَـدْ كـانَ فيهـا مـرَّةً سـاكنـا

---

(١) المنتظم (٥/ ١٣٤ ـ ١٣٥) .
(٢) في آ : عصبية .
(٣) المنتظم (٥/ ١٣٦ ـ ١٣٧) .
(٤) المنتظم (٥/ ١٣٧) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٨٢) .
(٥) في آ : تغيب .
(٦) المنتظم (٥/ ١٣٧) .

فخـانـنـي الـدَّهْـرُ بفقـدانِـهِ وكنـتُ مِـنْ قبـلُ لَـهُ آمنـا
وَدَّعـتُ صبـري عند تـوديعه وبـانَ[١] قلبـي معـهُ ظـاعنـا

وقد بعث إليه ابن المعتز يعزِّيه ويسلِّيه عن مصيبته[٢] فيها[٣] :

يـا إمـامَ الهُـدَى بنـا لا بـكَ الغـ ـمُّ وأفنيتنـا وعِشْـتَ سليمـا
أنـتَ علَّمتنـا علـى النِّعَـمِ الشُّكْـ ـرَ وعنـدَ المصـائـبِ التَّسليمـا
فاسل عمَّا مَضَى فإنَّ التي كا نتْ سُروراً صَارَتْ ثواباً عظيما
قـدْ رَضينـا بـأن نمـوتَ وتحيـى إنَّ عنـدي فـي ذاكَ حظّاً جسيما
مَـنْ يمُـت طـائعـاً لـديـك فقـدْ أعطي فوزاً وماتَ موتاً كريما

وقد اجتمع ليلة عند المعتضد ندماؤه ، فلمَّا انقضى السَّمَرُ وصار إلى حظاياه ، ونام القوم ، أهبهم خادم من عند الخليفة ، وقال : يقول لكم : إنه قد أصابه أرق بعدكم ، وقد عمل بيتاً أعياه ثانيه ، فمن أجازه فله جائزة ، وهو هذا البيت :

ولمَّا انتبَهْنَا[٤] لِلخيالِ الَّذِي سَرَى إذا الـدَّارُ قَفْـرَى والمَـزَارُ بَعِيـدُ

فجلس القوم من فرشهم يفكِّرون في ثانيه ، فبدر واحدٌ منهم ، فقال :

فقلتُ لِعَيْني عاوِدي النَّوْمَ واهْجَعي لَعَـلَّ خَيَـالاً طـارقـاً سَيَعُـودُ

فلمَّا رجع به الخادم إلى الخليفة وَقَعَ منه موقعاً جيداً وأمر له بجائزة سنية .

واستعظم[٥] المعتضد يوماً من بعض الشعراء قول الحسن بن منير المازنيّ البصريّ :

لَهْفي عَلَى مَنْ أطارَ النَّوْمَ فامْتَنَعا وَزَادَ قَلْبـي علـى أوْجَـاعِـهِ وَجَعـا
كأنَّما الشَّمْسُ من أعطافِهِ لَمَعَتْ حُسْناً أو البَدْرُ مِن أردانِه[٦] طَلَعا
مستقبلٌ بالذي يَهوى وإن عظُمت منـه الإسـاءةُ معـذورٌ بمـا صَنَعـا
فـي وَجْهِـهِ شـافـعٌ يمحـو إسـاءتَـهُ مـن القلـوب وجيـه حيثمـا شفعـا

ولما كان ربيع الأول من هذه السنة ـ أعني سنة تسع وثمانين ومئتين ـ اشتد وجع الخليفة المعتضد

(١) في المنتظم : وسار .
(٢) في ب ، ظا : مصابه .
(٣) المنتظم (٥/ ١٣٨) .
(٤) في آ ، ظا : انتهينا .
(٥) في ب ، ظا : واستطعم .
(٦) في ب ، ظا : أزراره .

بالله ، فاجتمع رؤساء القوّاد ، منهم مؤنس[(١)] الخادم ، إلى الوزير القاسم بن عبيد الله ، وأشاروا بأن يجتمع الناس لتجديد البيعة للمكتفي بالله عليّ بن المعتضد بالله ، ففعل ذلك ، وتأكد العهد ، وكان في ذلك خيرٌ كثير .

وحين حضرت المعتضد الوفاة أنشد لنفسه[(٢)] :

تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنيا فإنَّكَ لا تَبْقَى ... وَخُذْ صَفْوَها ما إن صَفَتْ وَدَعِ الرَّنقا[(٣)]
ولا تأمَنَنَّ الدَّهْرَ إنِّي أمِنْتُهُ ... فلم يُبْقِ لي حالاً ولم يَرْعَ لي حقًّا
قَتَلْتُ صَنادِيدَ الرِّجالِ فلَمْ أدَعْ ... عَدُوّاً ولم أُمْهِلْ على خُلُقٍ[(٤)] خَلْقا
وأخْلَيْتُ دارَ الملكِ من كلِّ نازعٍ[(٥)] ... فشرَّدْتُهُمْ غَرْباً وَمَزَّقْتُهُمْ شَرْقا
فلمّا بَلَغْتُ النَّجْمَ[(٦)] عِزّاً وَرِفعةً ... وصارَتْ رقابُ الخَلْقِ أجمع لي رِقّا
رَمَاني الرَّدَى سَهْماً فأخمَدَ جَمْرَتي ... فها أنا ذا في حُفْرَتي عاجلاً أُلْقَى
ولم يغنِ عنِّي ما جمعْتُ ولم أجدْ ... لدى ملك الأحياء في حُبّها رِفقا[(٧)]
وأفسَدْتُ دُنْيايَ وَدِيني سَفَاهةً ... فَمَنْ ذا الذي مِنِّي بمصْرَعِهِ أشْقَى ؟
فيا لَيْتَ شِعْرِي بعدَ مَوْتي ما ألقى ... إلَى نعمةٍ للهِ أمْ نارِهِ ألْقَى ؟

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الإثنين لثمان بَقِين من ربيع الأول من هذه السنة ، ولم يبلغ الخمسين . فكانت خلافته تسعَ سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً .

وخلَّف من الأولاد الذكور : عليّاً المكتفي ، وجعفر المقتدر ، وهارون . ومن البنات إحدى عشرة بنتاً ، ويقال : سبعَ عشرة بنتاً . وترك في بيت المال سبعة عشر ألف ألف دينار . وكان ماسكاً[(٨)] عن صرف الأموال في غير وجهها ، فلهذا كان بعض الناس يبخِّله . ومن الناس من يجعله من الخلفاء الراشدين المذكورين في الحديث الاثني عشر المنصوص عليهم في حديث جابر بن سمرة[(٩)] ، فالله أعلم .

---

(١) في آ ، ط : يونس .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧٧) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٥٩٥) .
(٣) « الرّنق » : الكدر .
(٤) في السير وتاريخ الخلفاء : على ظِنَّة .
(٥) في السير : وأخليت دور الملك من كل بازل .
(٦) في ب ، ظا : المجد .
(٧) لم يرد هذا البيت في الكامل والسير وتاريخ الخلفاء .
(٨) في ب ، ظا : ماسك اليد ، وفي ط : يمسك .
(٩) حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه ، رواه أحمد في المسند (٥/ ٨٧) ، والبخاري (١٣/ ١٨١) ، في الأحكام ، باب في الاستخلاف ، ومسلم رقم (١٨٢١) في الإمارة ، باب الناس تبع لقريش ، والترمذي رقم (٢٢٢٣) في =

وقد عمل أبو العبَّاس عبد الله بن المعتزّ العبّاسيّ في ابن عمه المعتضد مرثاةً حسنةً ، يقول فيها[١] :

يا دَهْرُ وَيْحَكَ ما أبقيتَ لي أحَدا ... وأنـتَ والـدُ سـوءٍ تـأكـلُ الـوَلَـدا
أستغفِـرُ اللهَ بَـلْ ذا كُلُّـهُ قَـدَرٌ ... رَضِيـتُ بـالله ربّـاً واحـداً صَمَـدا
يـا سَـاكـنَ القَبْـرِ فـي غَبْـرَاءَ مُظْلِمَـةٍ ... بـالطَّـاهـريَّـةِ[٢] مُقْصَـى الـدَّارِ منفـردا
أينَ الجُيوشُ الَّتي قد كُنْتَ تشحنها[٣] ... أيـنَ الكُنُـوزُ التـي أحْصَيْتَهـا عَـدَدا
أينَ السَّريرُ الَّذي قد كُنْتَ تَمْلَؤُهُ ... مَهـابـةً مَـنْ رأتـهُ عَيْنُـهُ ارْتَعَـدا
أيـنَ القُصُـورُ التي شيَّـدْتَهـا فعلَـتْ ... وَلاحَ فيهـا سَنَـا الإبـريـزِ فـاتَّقَـدَا
قـدْ أتعبـوا كـلَّ مـرقـالٍ مـذكِّـرةٍ ... وجنـاءَ تنثـرُ مـنْ أشـداقهـا الـزَّبـدا
أينَ الأعادي الألى ذَلَّلْتَ صعبهمُ[٤] ... أيـنَ اللُّيُـوثُ التـي صَيَّـرْتَهـا نُقَـدا[٥]
أيـنَ الـوفـودُ على الأبـواب عـاكفـةً ... وردَ القطـا صفـراً مـا جـالَ واطَّـردا
أيـنَ الـرِّجـالُ قِيـامـاً فـي مـراتبهـمْ ... مَنْ رَاحَ منهمْ ولم يقتل فقدْ سعدا
أيـنَ الجيـادُ التـي حَجَّلْتَهـا بـدَم ... وَكُـنَّ يحمِلْـنَ منكَ الضَّيْغَـمَ الأسَـدَا
أيـنَ الـرِّمـاحُ التـي غَـذَّيْتَهـا مُهَجـاً ... مُـذْ مِـتَّ مـا وَرَدَتْ قَلْبـاً ولا كَبِـدا
أيـن السيـوفُ وأيـنَ النَّبْـلُ مـرسلـةً ... يصبْنَ ما شئتَ مِن قَرْنٍ وإن بعدا
أيـنَ المجـانيـقُ أمثـالُ الفيـولِ إذا ... رميـنَ حـائـط حصـنٍ قـائـم قعـدا
أينَ الفعالُ التي قدْ كنتَ تبدعها ... ولا تـرى أنَّ عفـواً نـافعـاً أبـدا
أينَ الجِنانُ التي تجري جَدَاوِلُها ... وتَسْتَجِـبُّ إليهـا الطـائـرَ الغـردا

= الفتن ، باب ما جاء في الخلفاء ، من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه ، ولفظه عند مسلم : لا يزال الإسلام عزيزاً ما وليهم اثنا عشر رجلاً » ، وله ألفاظ أخر بمعناه ، وكلهم من قريش .
قال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٨٥) : فإن جميع من ولي الخلافة من الصدّيق إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفساً ، منهم اثنان لم تصح ولايتهما ، ولم تطل مدتهما ، وهما : معاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم ، والباقون اثنا عشر نفساً على الولاء ، كما أخبر ﷺ ، وكانت وفاة عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومئة ، وتغيرت الأحوال بعده . وانقضى القرن الأول الذي هو خير القرون . تاريخ الخلفاء للسيوطي صفحة (١٠ـ١٢) .

(١) لم ترد الأبيات في ديوانه (ط . صادر) ، وورد أكثرها في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧٨) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٥٩٧) .
(٢) في ظا ، ط : بالظاهرية . والطاهرية : قرية ببغداد . (ياقوت) .
(٣) في ب والسير : تسحبها .
(٤) في السير والتاريخ : مصعبهم .
(٥) في ب ، ظا والسير : بُعَدا ، وفي تاريخ الخلفاء بددا . و« النقد » : بضم النون وكسرها : القليل اللحم ، وأراد أنها أصبحت ضعيفة هزيلة .

أيـنَ الـوصَـائـفُ كـالغِـزلانِ رائحـةً يَسْحَبْـنَ مِـنْ حُلَـلٍ مـوشِيَّـةٍ جُـدُدَا
أين الملاهي وأينَ الرَّاحُ تَحسَبُها يـاقُـوتـةً كُسِيَـتْ مِـنْ فِضَّـةٍ زَرَدا
أينَ الوثوبُ إلى الأعداءِ متَّبعاً[(١)] صـلاحَ مُلـكِ بَنـي العبَّـاسِ إذْ فسَـدا
مـا زِلْـتَ تقسِرُ مِنْهُـمْ كـلَّ قَسْـوَرةٍ وتَخْبِـطُ العـاتـيَ[(٢)] الجَبَّـارَ مُعْتَمِـدا
ثـم انقضَيْـتَ فـلا عَيْـنٌ ولا أثَـرٌ حتَّـى كـأنَّـك يـومـاً لَـمْ تكُـنْ أحـدا
لا شـيءَ يبقـى سـوى خيرٍ تُقدِّمُهُ مـا دامَ مُلـكٌ لإنسـانٍ ولا خَلَـدا

ورواها ابن عساكر في « تاريخه » الكبير[(٣)] .

خلافة المكتفي بالله أبي محمد[(٤)]

عليّ بن المعتضد بالله أمير المؤمنين . بويع له بالخلافة بعد موت أبيه في ربيع الأول من هذه السَّنة ، وليس في الخلفاء من اسمه عليّ سوى هذا ، وعليّ بن أبي طالب ، وليس فيهم من يُكنى بأبي محمّد إلا هذا ، والحسن بن عليّ بن أبي طالب ، والهادي ، والمستضيء بأمر الله .

وحين ولِّي المكتفي بالله بعد أبيه ، كثرت الفتن وانتشرت في البلاد .

وفي رجب زُلزلت الأرض زلزلةً عظيمة جدًّا .

وفي رمضان تساقط وقتَ السَّحر من السَّماء نجومٌ كثيرةٌ ، ولم يزل الأمر كذلك حتى طلعت الشمس .

ولما أفضت الخلافة إليه كان بالرَّقَّة ، فكتب إليه الوزيرُ وأعيانُ الأمراء ، فركب ودخل بغداد في يومٍ مشهود ، وذلك يوم الاثنين لثمانٍ خلون من جمادى الأولى من هذه السنة .

وفيها في هذا اليوم أمر بقتل عمرو بن الليث الصَّفَّار ، وكان معتَقلاً في سجن أبيه ، وأمر بتخريب المَطَامير التي كان اتخذها أبوه للسجن ، وأمر ببناء جامع مكانها .

وخلع في هذا اليوم على الوزير القاسم بن عُبَيد الله بن سليمان بن وَهْب ست خِلَع ، وقلَّده سيفاً . وكان عمره يومئذٍ خمساً وعشرين سنة ، وبضع أشهرٍ .

---

(١) في ط والسير وتاريخ الخلفاء : مبتغياً .
(٢) في ظا : العاند ، وفي السير وتاريخ الخلفاء : العالي .
(٣) سقطت مع ترجمة المعتضد من مخطوطة تاريخ ابن عساكر .
(٤) تاريخ بغداد (٦٦/٣١٦) ، المنتظم (٦/ ٣١ ـ ٣٣) ، و(٧٩ ـ ٨٠) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٥١٦) و(٨/٨) ، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧٩) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٦٠٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٩) .
وسيترجم له المؤلف في حوادث سنة (٢٩٥) .

وفي هذه السنة : انتشرت القرامطة بعد موت المعتضد في الآفاق ، وقطعوا الطريق على الحجيج ، وتسمَّى بعضُهم بأمير المؤمنين . فبعث المكتفي إليهم جيوشاً كثيرة ، وأنفق أموالاً غزيرة ، حتَّى أطفأ الله بعض شرِّهم ؛ قبَّحهم الله .

وفي هذه السنة : خرج محمد بن هارون عن طاعة إسماعيل بن أحمد السَّاماني ، وكاتبه أهل الرَّيّ بعد قتله محمد بن زيد الطالبيّ ، فصار إليهم ، فسلَّموا إليه البلد ، فاستحوذ عليها ، فقصده إسماعيل بن أحمد بالجيوش ، فقهره وأخرجه منها مذموماً مدحوراً .

قال ابن الجوزي في « المنتظم »[١] : وفي يوم التاسع من ذي الحجّة صلَّى الناس العصر في زمن الصيف ، وعليهم ثياب الصيف ، فهبَّت ريح باردة جدّاً ، حتى احتاج الناس مع ذلك إلى الاصطلاء بالنار ، ولبسوا الفراء والمحشوات ، وجمد الماء كفصل الشتاء .

قال ابن الأثير[٢] : وكذا وقع بمدينة حمص .

قال[٣] : وهبت ريح عاصف بالبصرة ، فاقتلعت شيئاً كثيراً من نخيلها ، وخسف بموضع منها ، فمات تحته ستة آلاف نسمة .

قال ابن الأثير[٤] وابن الجوزي[٥] : وزلزلت بغداد في رجب من هذه السنة مرّات متعددة ، ثم سكنت .

وحجَّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشميّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، أحد الصُّوفية الكبار . قال ابن الأثير[٦] : وهو من أقران السَّرِيّ السَّقَطيّ . [قال : لأن ترد إلى الله ذرة من همك خير لك مما طلعت عليه الشمس][٧] .

أحمد بن محمّد المعتضد بالله ، غلب عليه سوء المزاج والجفاف لكثرة الجماع ، وكان الأدباء

(١) المنتظم (٦/ ٣٣) .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥٢٢) .
(٣) المصدر السابق (٧/ ٥٢٢) .
(٤) المنتظم (٦/ ٣٣) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٥٢٢) .
(٥) المنتظم (٦/ ٣٣) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٥٢٢) .
(٦) الكامل (٧/ ٥٢٢) وفيه : أبو حمزة بن محمد بن إبراهيم الصوفيّ ، وقد اختلف في سنة وفاته فقيل : سنة ٢٦٩ ، وقيل سنة ٢٨٩ ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦٥ ـ ١٦٨) ، ومصادر ترجمته .
(٧) ما بين قوسين زيادة من (ط) فقط .

يصفون له ما يرطّب بدنه ، فيستعمل ضدَّ ذلك حتى سقطت قوته ، وقد ذكرنا كيفية وفاته في ترجمته آنفاً .

بدر غلام المعتضد ورأس الجيش[١] : كان القاسم بن عبيد الله الوزير قد عزم في حياة المعتضد على أن يصرف الخلافة عن أولاد المعتضد ، وفاوض في ذلك بدراً هذا ، فامتنع عليه وأبى إلا البيعة لأولاد مولاه . فلمَّا ولي المكتفي خاف الوزير من غائلة ما كان أسرَّ به إلى بدر ، فعمل عليه في الباطن عند المكتفي ، ولم يزل حتى احتاط الخليفة على حواصله وأمواله وهو بواسط ، ثم بعث إليه بالأمان ، فقدم ، فأمر الوزير مَنْ قتله ، فقتل يوم الجمعة لستٍّ خلون من رمضان من هذه السنة ، وحمل رأسه ، وبقيت جثته فأخذها أهله ، ثم بعثوها في تابوت إلى مكة ، فدفن بها ، وذلك أنَّه أوصى بذلك ، وكان قد أعتق كلَّ مملوك له قبل وفاته . وحين أريد قتله صلَّى ركعتين لله عزَّ وجلَّ ، ثم قتلوه .

الحسين بن محمد[٢] : ابن عبد الرحمن بن الفَهْم بن مُحْرز بن إبراهيم ، أبو علي ، الحافظ البغدادي .

سمع خَلَف بن هشام ، ويحيى بن مَعين ، ومحمد بن سَعد ، وغيرهم .

وعنه : الخُطَبيّ ، والطُّوماري . وكان عَسِرًا في التحديث إلا لمن لازمه ، وكانت له معرفة جيدة بالأخبار والنسب والشعر وأسماء الرجال ، يميل إلى مذهب العراقيين في الفقه . مات عن ثمان وسبعين سنة . وقد قال الدَّارقُطني[٣] : ليس بالقوي .

عمارة بن وثيمة بن موسى ، أبو رفاعة الفارسيّ[٤] ، صاحب « التاريخ » على السنين ، وقد ولد بمصر ، وحدث عن أبي صالح كاتب الليث ؛ وغيره .

عمرو بن الليث الصَّفَّار[٥] ، أحد الأمراء الكبار ، قُتِلَ في السّجن أوّل ما قدِمَ المكتفي بغداد .

[ثمّ دخلت] سنة تسعين ومئتين من الهجرة النبوية

فيها : أقبل يحيى بن زَكْرَوَيْه بن مهرويه ، أبو القاسم القرمطيّ ، المعروف بالشيخ ، في جحافل من القرامطة ، فعاث بناحية الرَّقَّة فساداً ، فجهز إليه الخليفة جيشاً كثيفاً في نحو عشرة آلاف فارس .

---

(١) تاريخ الطبري (١٠/ ٨٩) ، والمنتظم (٦/ ٣٤) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٥١٧) .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٩٢) ، المنتظم (٦/ ٣٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٧) ، طبقات الحفاظ (٢٩٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٠١) .

(٣) سؤالات الحاكم للدارقطني (٨٥) ، وتاريخ بغداد (٨/ ٩٢) .

(٤) المنتظم (٦/ ٣٧) .

(٥) تاريخ الطبري (١٠/ ٨٨) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٥١٦) .

وفيها : ركب الخليفة المكتفي بالله من بغداد إلى سامُرّا يريد الإقامة بها ، فثنى رأيه عن ذلك الوزير القاسم بن عبيد الله ، ورجع به إلى بغداد .

وفيها : قتل يحيى بن زَكْرَوَيْه بن مهرويه على باب دمشق ، قتله جيش المصريين ، زرقه رجل من المغاربة بمزراق من نار فحرقه ، وذلك بعدما كان قتل خلقاً كثيراً من جيشها ، من أصحاب طغج بن جفّ ، نائبها ، ثم مَنَّ الله على الناس بقتله ، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، فقام بأمر القرامطة من بعده أخوه الحسين ، وتسمَّى بأحمد ، وتكنَّى بأبي العبَّاس ، تلقَّب بأمير المؤمنين ، وأطاعته القرامطة ، فحاصر دمشق ، فصالحه أهلها على مالٍ ، ثم سار إلى حمص فافتتحها ، وخُطِبَ له على منابرها ، ثم سار إلى حَماة ومعرَّة النعمان ، فقهر أهلَ تلك النواحي واستباح أموالهم وحريمهم ، فكان يقتل الدَّوابَّ والصبيان في المكاتب ، ويبيح لمن معه وطء النساء ، فربما وطىء الواحدةَ الجماعةُ الكثيرة من الرجال ، فإذا ولدت هنِّئ به كلُّ واحدٍ منهم ، فكتب أهل الشام إلى الخليفة يشكون إليه ما يلقون من هذا اللعين ، فجهز المكتفي جيوشاً كثيفة ، وأنفق أموالاً جزيلة لحربه ، وركب في رمضان ، فنزل الرَّقَّة ، وبثَّ الجيوش في كلِّ جانبٍ لقتال القُرْمُطيّ ، وكان القُرْمُطيُّ يكتب إلى أصحابه : من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله ، الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الحاكم بحكم الله ، الدَّاعي إلى كتاب الله ، الذابّ عن حريم الله ، المختار من ولد رسول الله . وكان يدَّعي أنه من سلالة عليّ بن أبي طالب من فاطمة ، وهو كاذب أفك [في ذلك][(١)] ؛ قبَّحه الله ، فإنه كان من أشدّ الناس عداوةً لقريش ، ثم لبني هاشم ؛ دخل سَلَمِيّة[(٢)] فلم يَدَعْ بها أحداً من بني هاشم حتى قتله ، وقتل أولاده ، واستباح نساءه .

وفيه : ولي ثغر طَرَسُوس أبو العشائر أحمد بن نصر ، عوضاً عن مظفّر بن حاج ؛ لشكوى أهل الثغر منه .

وحجَّ بالناس الفضل بن محمد العباسي[(٣)] .

ومن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل[(٤)] : أبو عبد الرَّحمن الشَّيْبانيّ . كان إماماً حافظاً ثقة ثبتاً ، مكثراً عن أبيه وغيره .

---

(١) من ب ، ظا .

(٢) « سَلمية » : بليدة تعدّ من أعمال حمص .

(٣) في الطبري وابن الأثير والمنتظم : « الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد » .

(٤) تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٥) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٨٠) ، المنتظم (٦/ ٣٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦) ، تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨٥) ، تهذيب التهذيب (٥/ ١٤١) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٠٣) .

قال ابن المنادي[١] : لم يكن أحد أروى عن أبيه منه ؛ سمع منه « المُسْنَد » ثلاثين ألفاً ، و« التفسير » مئة ألف حديث وعشرون ألفاً ؛ من ذلك سماع ، ومن ذلك وِجَادة[٢] ؛ ومن ذلك « النَّاسخ والمنسوخ » ، و« المقدَّم والمؤخَّر في كتاب الله » و« التاريخ » ، و« حديث شعبة » و« جوابات القرآن » ، و« المناسك الكبير » ، و« الصّغير » ، وغير ذلك من التَّصانيف ، وحديث الشُّيوخ .

قال[٣] : وما زلنا نرى أكابرَ شيوخنا يَشهدون له بمعرفة الرِّجال ، وعلل الحديث ، والأسماء والكُنى ، والمواظَبة على طلب الحديث في العراق وغيرها ، ويذكرون عن أسلافهم الإقرار له بذلك ، حتَّى إنَّ بعضَهم أسرَفَ في تقريظه إيَّاه بالمعرفة ، وزيادة السَّماع للحديث على أبيه .

ولمَّا مرض ، قيل له : أين تُدفن ؟ فقال : صحَّ عندي أنَّ بالقطيعة[٤] نبيّاً مدفوناً ، ولأنْ أكونَ في جوار نبيٍّ أحبُّ إليَّ من أن أكون في جوار أبي[٥] .

فمات في جمادى الآخرة في هذه السنة عن سبع وسبعين سنة ، كما مات لها أبوه ، وكان الجمع كثيراً جدّاً ، وصلَّى عليه زهير ابن أخيه ، ودفن في مقابر التِّبن ، رحمه الله .

عبد الله بن أحمد بن سعيد ، أبو بحر الرباطي المروزي ، صحب أبا تراب النَّخشبي ، وكان الجنيد يمدحه ويثني عليه[٦] .

عمر بن إبراهيم ، أبو بكر ، الحافظ ، المعروف بأبي الآذان ، وكان ثقة ثبتاً[٧] .

محمد بن الحسين بن الفرج ، أبو ميسرة الهمداني ، صاحب « المسند » ، وكان أحد الثقات المشهورين ، والمصنفين المنصفين[٨] .

محمد بن عبد الله أبو بكر الزَّقَّاق[٩] : أحد أئمة الصوفية وعبَّادهم . رُوي عن الجنيد أنه قال : رأيتُ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٢١) ، وابن المنادي هو : أبو الحسين ، أحمد بن جعفر بن المنادي .
(٢) في ب ، ظا ، ط : إجازة ، ويوافق ما أثبته ما جاء في السير ، الحاشية رقم (٢) منه . وقد ردَّ الحافظ الذهبي هذه الحكاية التي قالها ابن المنادي ، وبين عدم وجود مثل هذا التفسير الكبير للإمام أحمد (السير ١٣/ ٥٢٢) .
(٣) أي ابن المنادي ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٢١) .
(٤) هي قطيعة أم جعفر ، وبإزائها باب التبن حيث دفن عبد الله بن أحمد بن حنبل .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٢٣) .
(٦) المنتظم (٦/ ٤٠) ، وزاد بعدها : ويقول : هو رأس فتيان خراسان ، وكان كريماً حسن الخلق .
(٧) المنتظم (٦/ ٤١) وفيه : سكن سُرَّ من رأى ، وتوفي بها في هذه السنة ، وله ثلاث وستون سنة .
(٨) المنتظم (٦/ ٤٢) .
(٩) في آ ، ب ، ط : الدقاق وأثبت ما جاء في ظا ، وهو يوافق ما في المنتظم (٦/ ٤٢) ، نقلاً عن السمعاني في الأنساب . وفي صفة الصفوة (٢/ ٤١٥) : الرقاق .

إبليس في المنام وكأنه[١] عريان ، فقلت : ألا تستحي من الناس ؟ فقال : وهؤلاء أناس ؛ وأنا ألعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة ! إنَّما الناس جماعة في مسجد الشُّونِيزيّ قد أضنوا قلبي ، و[وأتعبوا جسدي][٢] ، كلَّما هممت بهم أشاروا إلى الله عزَّ وجلَّ ، فأكاد أحترق ! [قال][٣] : فلمَّا انتبهت لبست ثيابي وقصدت مسجد الشُّونيزي ، فإذا فيه ثلاثة جُلوسٌ ورؤوسهم في مرقَّعاتهم ، فرفع أحدهم رأسه من جيبه ، فقال : يا أبا القاسم ! أنت كلَّما قيل لك شيء تقبل ؟ فإذا هم : أبو بكر الزَّقَّاق[٤] ، وأبو الحسين النّوري ، وأبو حمزة[٥] .

محمد بن عليّ بن علَّويه بن عبد الله الجرجانيّ ، الفقيه الشافعيّ ، تلميذ المُزنيّ ، ذكره ابن الأثير[٦] .

ثمَّ دخلت سنة إحدى وتسعين ومئتين

فيها : جرت وقعة عظيمة هائلة بين القرامطة وجند الخليفة ، فهُزمت القرامطة هزيمة عظيمة ، وأسر رئيسهم الحسين بن زَكْرَوَيْه ، الملقب بأمير المؤمنين ، الذي يقال له : ذو الشامة ، وقد تسمَّى كما ذكرنا بأحمد ، وتكنّى بأبي العباس ، والتف عليه خلائق من الأعراب وغيرهم ، واستفحل أمره جدًّا . فلما أُسِرَ حُمِلَ إلى الخليفة في جماعة كثيرة من رؤوس أصحابه ، وأدخل بغداد على فيل مشهور للناس ، فأمر الخليفة بعمل دكَّةٍ مرتفعةٍ ، فأجلس عليها القُرمطيّ ، وجيء بأصحابه ، فجعل يضرب أعناقهم بين يديه وهو ينظر ، وقد جعل في فمه خشبة معترضة مشدودة إلى قفاه ، ثم أنزل فضرب مئتي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكوي ، ثم أحرق ، وحُمِلَ رأسه على خشبة وطيف به في أرجاء بغداد ، وذلك في شهر ربيع الأول[٧] .

وفيها : قصدت الأتراك بلاد ما وراء النهر في جحافلَ عظيمة ، فبيَّتهم المسلمون فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجمّاً غفيراً [لا يحصون][٨] ، وسبَوا منهم ما لا يحصون كثرة ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

---

(١) في آ ، ظا : وكان عرياناً ، وما أثبته من ب والمنتظم وصفة الصفوة .
(٢) زيادة من ط .
(٣) زيادة من ط .
(٤) في آ ، ب ، ط : الدقاق .
(٥) المنتظم (٦/ ٤٢) ، وصفة الصفوة (٢/ ٤١٥) .
(٦) الكامل (٧/ ٥٢٩) .
(٧) المنتظم (٦/ ٤٣) .
(٨) من ب ، ظا .

وفيها : بعث ملك الروم عشرة صلبان ، مع كلِّ صليب عشرة آلاف ، فأغاروا على أطراف البلاد ، وقتلوا خَلْقاً ، وسبَوا ناساً من الذرية .

وفيها : دخل نائب طَرَسُوس بلاد الروم ، ففتح مدينة أنطاكية ، وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر تعادل عندهم القسطنطينية ، وخلص[(١)] من المسلمين خمسة آلاف أسير ، وأخذ للروم ستين مركباً ، وغنم شيئاً عظيماً جدًّا ، وبلغ نصيب كل من الغزاة ألف دينار .

وحجَّ بالناس في هذه السنة : الفضلُ بن عبد الملك .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن يحيى بن زيد بن سيَّار[(٢)] : **أبو العباس الشيباني مولاهم ، الملقَّب بثعلب** ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، مولده سنة مئتين .

سمع محمد بن زياد بن الأعرابي ، والزُّبير بن بكَّار ، والقَواريري ، وغيرهم .

وعنه : ابنُ الأنباري ، وابن عرفة ، وأبو عمر[(٣)] الزاهد .

وكان ثقة حجَّةً ، ديناً صالحاً ، مشهوراً بالصدق والحفظ ، وذكر أنه سمع من القواريري مئة ألف حديث .

وكانت وفاته يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن إحدى وتسعين سنة .

قال ابن خلكان[(٤)] : وكان سبب موته أنه خرج من الجامع وفي يده كتاب ينظر فيه ، وكان قد أصابه صممٌ شديدٌ ، فصدمته فرس فألقته في هُوَّةٍ فاضطرب دماغه ، فمات من اليوم الثاني .

قال[(٥)] : وهو مصنّف كتاب « الفصيح » ، وهو صغير الحجم ، كبير الفائدة ، وله كتاب

---

(١) في آ : وظفر .

(٢) طبقات اللغويين والنحويين (١٤١) ، تاريخ بغداد (٥/ ٢٠٤) ، نزهة الألباء (٢٢٨) ، المنتظم (٦/ ٤٤) ، معجم الأدباء (٥/ ١٠٢) ، إنباه الرواة (١/ ١٣٨) ، وفيات الأعيان (١/ ١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥) ، بغية الوعاة (١/ ٣٩٦) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٠٧) .

(٣) في آ ، ب ، ط : أبو عمرو ، وأثبت ما جاء في ظا . وهو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمر الزاهد ، المعروف بغلام ثعلب ، توفي سنة ٣٤٥ هـ .

(٤) وفيات الأعيان (١/ ١٠٤) .

(٥) وفيات الأعيان (١/ ١٠٣ ، ١٠٤) .

« المصون » ، و« اختلاف النحويين » ، و« معاني القرآن » ، وكتاب « القراءات » ، و« معاني الشعر » و« ما يلحن فيه العامّة » ، وذكر أشياء كثيرة أيضاً .

وممّا نسب إليه من الشعر [قوله][1] :

إذا كنْتَ قُوتَ النَّفْسِ ثمَّ هَجَرْتَها فكم تَلبَثُ النَّفْسُ التي أنتَ قُوتُها
ستبقَى بقاءَ الضَّبِّ في الماءِ أوْ كما أقامَ لدى دَيْمُومَةٍ[2] النبت حُوتُها
أغَـرَّكَ أنِّـي قـدْ تَصبَّـرْتُ جـاهـداً وفـي النَّفْسِ مِنِّـي منكَ مـا سَيُمِيتُهـا
فلوْ كانَ ما بي بالصُّخُورِ لَهَدَّها وبـالـرِّيـحِ مـا هَبَّـتْ وطـالَ خُفُـوتُهـا
فَصَبْـــراً لعـــلَّ اللهَ يجمَـــعُ بيننـــا فأشكُو هُموماً مِنْكَ فيكَ[3] لَقِيتُها

القاسم بن عُبَيد الله[4] : ابن سليمان بن وَهْب الوزير ، تولَّى بعد أبيه الوِزارة في آخر أيام المعتضد ، ثم وزر لولده المكتفي من بعده ، فلمَّا كان رمضان من هذه السنة مرض فبعث إلى السجون فأطلق من فيها من المظلَّمين ، ثم كانت وفاته في ذي القعدة منها ، وقد قارب ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقد كان حظيًّا عند الخليفة جدًّا ، وخلَّف من الأملاك ما يعدل سبعمئة ألف دينار .

محمد بن محمد بن إسماعيل بن شدَّاد[5] : أبو عبد الله البصري ، القاضي بواسط ، المعروف بالجذوعي .

حدَّث عن مسدَّد ، وعن عليّ بن المَديني ، وابن نمير ، وغيرهم ، وكان من الثقات والقضاة الأجواد العدول الأمناء .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن إبراهيم البُوشَنجيّ[6] .

---

(١) من (ط) . الشعر في معجم الأدباء (٥/ ١٤٥) ، ووفيات الأعيان (١/ ١٠٣) .

(٢) في معجم الأدباء : ديمومة البيد حوتها ، وفي المطبوع : ديمومة الماء صوتها ، وفي الوفيات : يعيش ببيداء المهامه حوتُها ، و« الديمومة » : الفلاة الواسعة .

(٣) في معجم الأدباء : كنتُ لقيتُها . في ب ، ظا : فيك منك .

(٤) مروج الذهب (٢/ ٤٩٤) ، المنتظم (٦/ ٤٦) ، إعتاب الكتاب (١٨٢) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٦١) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨) .

(٥) المنتظم (٦/ ٤٨) .

(٦) أبو عبد الله العبدي البوشنجي ، شيخ أهل الحديث في عصره ، سمع بمصر وبالحجاز والكوفة والبصرة وبغداد والشام ، روى عنه البخاري ومحمد بن إسحاق الصغاني . توفي في هذه السنة ودفن في نيسابور . المنتظم (٦/ ٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٨١) .

ومحمد بن علي الصَّائغ[(١)] .

وقُنْبُل[(٢)] ، **أحد مشاهير القرَّاء ، وأئمة العلماء .**

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومئتين

فيها : دخل محمد بن سليمان في نحو من عشرة آلاف مقاتل من جهة الخليفة المكتفي إلى الدِّيار المصرية لقتال هارون بن خُمَارَوَيْه ، فبرز إليه هارون فاقتتلا ، فقهره محمد بن سليمان ؛ وجمع آلَ طولون فكانوا سبعة[(٣)] عشر رجلاً ، فقتلهم[(٤)] ، واستحوذ على أموالهم وأملاكهم . وانقضت دولة الطولونية عن الدِّيار المصرية ؛ وكتب بالفتح إلى المكتفي .

وحجَّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك الهاشمي ، أمير الحجاج في السنين المتقدِّمة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن عبد الله بن مُسْلم ، أبو مسلم الكَجِّيّ[(٥)] : أحد المشايخ المعمّرين ، كان يحضر مجلسه خمسون[(٦)] ألفاً ممن معه مِحْبَرة ، سوى النَّظَّارة ، ويستملي عليه سبعة مُسْتَملين ؛ كلٌّ يبلِّغ صاحبه ، ويكتب بعضُ الناس وهم قيام . وكان كلما حدَّث بعشرة آلاف حديث تصدَّق بصدقة .

ولمَّا فرغ من قراءة السُّنن عليه عَمِلَ مأْدُبةً غرم عليها ألف دينار ، وقال : شهدت اليومَ على رسول الله ﷺ فقبلت شهادتي وحدي ، أفلا أعمل شكراً لله عز وجل ؟ .

وروى ابن الجوزي[(٧)] والخطيب[(٨)] عن أبي مسلم الكَجِّيّ ، قال : خرجت ذات ليلة من المنزل بليل ، فمررت بحمَّام وعليَّ جنابة ، فدخلته ، فقلت للحمَّامي : أَدَخَلَ حمَّامَكَ أحدٌ بعدُ ؟ فقال : لا ، فدخلْتُ ، فلمَّا فتحت باب الحمام الداخل إذ قائل يقولُ : أبا مسلم ! أسلم تسلم . ثم أنشأ يقولُ :

---

(١) هو محمد بن علي بن زيد المكي ، الصَّائغ ، أبو عبد الله ، المحدّث الثقة . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٨) .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي ، مولاهم ، المكي ، الملقب بِقُنْبل ، شيخ القراء بالحجاز . مات عن ست وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١٤/ ٨٤) ، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ١٦٥) .

(٣) في الطبري وغيره : بضعة عشر رجلاً .

(٤) في الطبري وابن الأثير : فقيَّدهم ، وفي المنتظم : فقتلهم .

(٥) في آ : البلخي ، وهو تحريف . وترجمته في تاريخ بغداد (٦/ ١٢٠) ، المنتظم (٢/ ٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٣) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٩) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٠) .

(٦) في آ : خمسين ، وفي ب ، ظا : نحواً من خمسين ، وأثبت ما جاء في ط .

(٧) المنتظم (٦/ ٥١) .

(٨) تاريخ بغداد (٦/ ١٢٢) .

لَـكَ الحمـدُ إمَّـا على نِعْمَـةٍ وإمَّـا علـى نقمـةٍ تُـدْفَـعُ[١]
تشـاءُ فتفعَـلُ مـا شِئْتَـهُ وتسمَـعُ مِـنْ حَيْـثُ لا تسمَـعُ

قال : فبادرت فخرجت فقلت للحمَّامي : أنتَ زعمْتَ أنَّه لم يدخل حمامك أحدٌ ؟ فقال : نعم ! وما ذاك ؟ فقلت : إنِّي سمعْتُ قائلاً يقول كذا . فقال : أو سمعته ؟ قلت : نعم . فقال : يا سيدي ! هذا رجل من الجان يتبدَّى لنا في بعض الأحيان ، فينشد أشعاراً ، ويتكلَّم بكلام حسن فيه مواعظ . فقلت : هل حفظت من شعره شيئاً ؟ فقال : نعم . ثم أنشدني من شعره ، فقال :

أيُّهـا المـذنـبُ المفـرِّطُ مَهْـلاً كم تَمادى وتركب الذَّنْبَ جَهْلا
كَـمْ وكَـمْ تُسْخِـط الجليـلَ بفِعْلٍ سَمِـجٍ وهـو يُحْسِـنُ الصُّنْعَ فِعـلا
كيف تَهْدَى جُفونُ مَنْ ليسَ يدري أَرَضي عنهُ مَنْ على العرشِ أَمْ لا

عبد الحميد بن عبد العزيز : أبو خازم[٢] ، القاضي الحنفي ، كان من خيار القضاة وأعيان الفقهاء ومن أئمة العلماء ، ورِعاً نزهاً ، كثيرَ الصيانة والديانة والأمانة . وقد ذكر له ابن الجوزي في « المنتظم »[٣] آثاراً حسنة وأفعالاً جميلة ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

ثمَّ دخلت سنة ثلاث وتسعين ومئتين

فيها : التفَّ على أخي الحسين القُرمطيّ ، المعروف بذي الشامة ، الذي قدَّمنا ذكر مقتله في السنة الماضية ، خلائقُ من القرامطة والأعراب واللصوص وأهل البوادي بطريق الفرات ، فعاث بهم في الأرض فساداً ، ثم قصد طبريَّة ، فامتنعوا من إيوائه ، فدخلها قَهْراً ، فقتل بها خلْقاً كثيراً من الرجال ، وأخذ شيئاً كثيراً من الأموال ، ثم كرَّ راجعاً إلى البادية .

ودخلت فرقة أخرى من القرامطة إلى هِيت[٤] ، فقتلوا أهلها إلا القليل ، وأخذوا منها أموالاً جزيلة حملوها على ثلاثة آلاف بعير معهم ، فبعث إليهم الخليفة المكتفي جيشاً فقاتلوهم وأخذوا رئيسهم فضُربت عنقه .

ونبغ رجل من القرامطة يقال له : الداعية باليمن ، فحاصر صنعاء ، فدخلها قَهْراً ، وقتل خلْقا من

---

(١) في آ : نقفل .
(٢) في الأصول : أبو حازم ، وترجمت في المنتظم (٦/ ٥٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٣٩) .
(٣) المنتظم (٦/ ٥٣) .
(٤) « هيت » : بلدة على الفرات من نواحي بغداد ، وبها قبر عبد الله بن المبارك (ياقوت) ، ولا تزال تعرف بهذه التسمية في بلاد العراق .

أهلها ، ثم سار إلى بقية مدن اليمن ، فأكثر فيها الفساد ، وقتل خلْقاً من العباد ، ثم قاتله أهلُ صنعاء فظفروا به وهزموه ، فانحاز إلى بعض مدنها ، وبعث الخليفة إليها المظفّر بن حاج نائباً ، وخلع عليه ، فسار إليها فلم يزل بها(١) حتى مات .

وفي يوم عيد الأضحى دخلت طائفة من القرامطة نحو من ثمانمئة إلى الكوفة ، والناس في عيدهم ، فنادوا : يا ثارات الحسين ، يعنون المصلوب ببغداد ، [وهو ابن زكروَيْه ، وشعارهم يومئذ : يا أحمد ، يا محمّد ، يعنون(٢) اللَّذين قتلا معه ببغداد](٣) ، فبادر الناس الدخول إلى الكوفة ، فوَلَجَ خلفهم القرامطة ، فرمتهم العامة بالحجارة وغير ذلك ، فقتلوا منهم نحواً من عشرين ، ورجع الباقون خاسئين ، ولله الحمد والمنة .

وفي هذه السنة : ظهر رجل بمصر يقال له : الخلنجيّ ، فخلع الطاعة ، واجتمع إليه طائفة من الجند ، فأمر الخليفة أحمد بن كَيْغَلَغ نائبَ دمشق وأعمالها ، فركب إليه ، فاقتتلا بظاهر مصر فهزمه الخلنجيّ هزيمة منكرة ، فبعث الخليفة إليه جيشاً آخر ، فهزموا الخلنجيَّ وهرب ، فاستتر بمصر ، فأحضر وسلِّم إلى الأمير الخليفة ، وانطفأ خبره ، ولله الحمد .

ولمَّا اشتغل الجيش بأمر الدِّيار المصرية ، بعث زكروَيْه بن مهروَيْه . بعد مقتل أبيه الحسين ببغداد ، جيشاً صحبة رجلٍ كان يعلّم الصبيان ، يقال له : عبد الله بن سعيد ، فقصد بُصرى وأذرِعاتَ والبثنية ، فحاربه(٤) أهلها ، ثم أمَّنهم ، فلمَّا أن تمكن منهم قتل المقاتلة [وسبَى الذرية](٥) .

ورام الدخول إلى دمشق ، فقاتله نائب أحمد بن كَيْغَلغ ، وهو صالح بن الفضل ، فهزمه القُرمطيُّ ، وقتل صالح فيمن قتل ، وحاصر دمشق ، فلم يمكنه فتحها ، فانصرف إلى طَبَريَّة ، فقتلوا أكثر أهلها كما ذكرنا ، ونهبوا منها شيئاً كثيراً .

ثم صاروا إلى هيت ففعلوا كذلك ، ثم جَهز الخليفة إليهم جيشاً ، فأخذ رئيسهم من بينهم ، ونجا بقيَّتُهم . ثم صاروا إلى الكوفة في يوم عيد الأضحى كما ذكرنا ، فلم ينتج لهم أمر ، ولله الحمد والمنة . وكُلُّ ذلك بإشارة زكروَيْه بن مهروَيْه وهو مختفٍ في بلده بين ظهراني قومٍ من القرامطة ، إذا ألَحَّ في طلبه نزل إلى بئر قد اتخذه ، وعلى بابه تنُّور ، فتقوم امرأة تسجره وتخبز فيه ، فلا يشعر أحد بأمره أصلاً ، فبعث الخليفة إليه جيشاً كثيفاً ، فقاتلهم زكروَيْه بنفسه ومَن أطاعه ، فهزم جيش الخليفة ، وغنم من

---

(١) في آ ، ب : به .
(٢) في الكامل : يعنون : ابني زكرويه المقتولين .
(٣) ما بين قوسين لم يرد في آ ، وأثبته من ب ، ظا .
(٤) في الكامل لابن الأثير : فحارب .
(٥) زيادة من ط .

أموالهم شيئاً كثيراً جدًّا ، فتقوى به ، واشتدَّ أمره ، فندب الخليفة إليهم جيشاً كثيفاً آخر ، فكان من أمره وأمرهم ما نذكره .

وفيها : افتتح إسماعيل بن أحمد السامانيُّ نائبُ خراسان وما وراء النهر طائفةً من بلاد الأتراك .

وفيها : أغارت الروم على بعض أعمال حلب ، [فقتلوا ونهبوا وسبَوا][(١)] .

وفيها : حجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن محمد أبو العبَّاس النَّاشِئ[(٢)] : الشاعر ، المعتزلي ، أصله من الأنبار ، وأقام ببغداد مدَّة ، ثم انتقل إلى مصر فماتَ فيها .

وكان [جيِّد الذّهن][(٣)] يعاكس الشعراء ، ويردُّ على المنطقيين والعَرُوضيين[(٤)] ، وكان شاعراً مطبقاً ، إلا أنه كان فيه هَوَسٌ[(٥)] . وله قصيدة حسنة في نسب رسول الله ﷺ قد ذكرناها في السيرة[(٦)] .

قال القاضي ابن خلكان[(٧)] : كان متبحّراً في عدَّة علومٍ ؛ من جملتها علم المنطق ، كان ذكيًّا فطناً ، وله قصيدة في فنون من العلوم على رويٍّ واحدٍ تبلغ أربعة آلاف بيت ، وله عدة تصانيف جميلة ، وأشعار كثيرة .

قال[(٨)] : وأمَّا النَّاشئ الأصغر فسيأتي .

عبيد الله بن محمد بن خلف : أبو محمد البزَّار[(٩)] ، أحد الفقهاء من أصحاب أبي ثَوْر ، وكان عنده فقه[(١٠)] ، وكان من الثقات النبلاء .

---

(١) زيادة من ط .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٩٢) ، المنتظم (٦/ ٥٧) ، وفيات الأعيان (٣/ ٩١) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٤) .

(٣) زيادة من ط .

(٤) قال الذهبي في السير : كان قويّ العربيّة والعروض ، أدخل على قواعد الخليل شُبَهاً ومثَّلَها بغير أمثلة الخليل .

(٥) بعدها في آ : وقد ارتحل إلى مصر ، فمات بها في هذه السنة . وهي عبارة مكررة لم ترد في ب ، ظا ، ط .

(٦) السيرة النبوية للمؤلف (١/ ٧٧ ـ ٨١) ، والبداية والنهاية (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٨) ، وهي قصيدة طويلة مطلعها :

مدحتُ رسول الله أبغي بمدحه وُفُور حُظُوظي من كريمِ المآرب

(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٩١) .

(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٩١ ، ٣٦٩ ـ ٣٧١) .

(٩) المنتظم (٦/ ٥٨) .

(١٠) في ط والمنتظم : فقه أبي ثور .

نصر بن أحمد بن عبد العزيز[١] : أبو محمد الكِنْديّ ، الحافظ ، المعروف بنَصْرَك ، كان أحد حفَّاظ الحديث المشهورين ، وكان الأمير خالد بن أحمد الذُّهْليّ نائبُ بُخارى قد أخذه إليه ، وصنف له « المسند » ، وكانت وفاته ببخارى في هذه السنة .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومئتين

في المحرم من هذه السنة اعترض زكروَيْه ـ لعنه الله ـ وأصحابه الحجَّاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة ، فقتلهم عن آخرهم ، وأخذ أموالهم ، وسبَى نساءهم ؛ وكان قيمة ما أخذه منهم ألفَيّ ألف دينار ، وعدَّة من قتل عشرين ألف إنسان ، وكانت نساء القرامطة يَطُفْنَ بين القتلى من الحجَّاج بالماء ، صفة أنهنَّ يسقين الجرحى ، فمن كلَّمهن من الجرحى قتلْنَه وأجهزْنَ عليه ، لعنهن الله وقبَّح أزواجهن .

ذكر مقتل زَكروَيْه ، لعنه الله

لمَّا بلغ الخليفةَ خبرُ الحجيج وما أوقع بهم الخبيثُ زَكروَيْه ، جهز إليه جيشاً كثيفاً ، فالتقوا معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً جداً ؛ قُتل من القرامطة[٢] خلْقٌ كثير ، ولم يبقَ منهم إلا القليل ، وذلك في أول ربيع الأول منها .

وضُرب زكرَوْيه ـ لعنه الله ـ بالسيف في رأسه ، فوصلت الضربة إلى دماغه ، وأخذ أسيراً فمات بعد خمسة أيام ، ففتحوا عن بطنه وصبروه ، وحمل وجماعة من رؤوس أصحابه إلى بغداد ، واحتوى العسكر على ما كان بأيدي القرامطة من الأموال والحواصل ، ولله الحمد والمنة .

وأمر الخليفة بقتل أصحاب القرمُطيّ ، وأن يطاف برأس القرمطي في سائر بلاد خراسان ، لئلا يمتنعَ الناس عن الحجِّ ؛ وأطلق من كان بأيدي القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم .

وفيها : غزا أحمد بن كَيْغَلَغ نائبُ دمشق بلاد الروم من ناحية طَرَسُوس ، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، وأسر من ذراريهم نحواً من خمسين ألفاً .

وأسلَم بعضُ البطارقة من الروم ، وجاء معه بنحوٍ من مئتي أسير[٣] كانوا في حصنه ، فأرسل ملك الروم جيشاً في طلبه ، فركب هو في جماعة من المسلمين ، فكبس الروم فقتلهم ، وغنم منهم غنيمة كثيرة جدًّا . ولمَّا قدم على الخليفة أكرمه وأحسن إليه وأعطاه ما تمنَّاه عليه .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٩٣) ، والمنتظم (٦/ ٥٩) ، وهو نصر بن أحمد بن نصر بن عبد العزيز .
(٢) في آ : فقتل من الفريقين .
(٣) في الكامل لابن الأثير : فخرج ومعه مئتي أسير من المسلمين كانوا في حصته .

وفيها : ظهر بالشام رجل ، فادَّعى أنَّه السّفيانيُّ ، فأخِذَ وبُعث به إلى بغداد ، فادعى أنه مُوَسْوِسٌ . وحجَّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك الهاشميّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن محمد بن حاتم : ابن يزيد بن عليّ بن مروان ، أبو عليّ ، المعروف بعُبَيْد العِجْل[١] . كان حافظاً مكثراً ، متقِناً ، ثقةً ، مقدّماً في حفظ المسندات[٢] ، توفي في صفر منها .

صالح بن محمَّد بن عمرو بن حَبيب[٣] : أبو علي الأسدي ، أسد خُزَيْمة ، المعروف بجَزَرة ؛ لأنه قرأ على بعض المشايخ أنَّ أبا أُمامة كانت له خَرزةٌ يرقي بها المريض ، فقرأها جَزَرة ، تصحيفاً منه ، فلقِّب بذلك . وقد كان حافظاً مكثراً جوَّالًا رحَّالًا ، طاف الشام ومصر وخراسان ، وانتقل من بغداد فسكن بخارى ، وكان ثقةً صدوقاً أميناً ، وله رواية كثيرة عن يحيى بن معين ، وسؤالات كثيرة . كان مولده بالكوفة[٤] سنة عشر ومئتين .

وتوفي في هذه السنة :

محمّد بن عيسى بن محمّد[٥] : ابن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العبَّاس ، المعروف بالبياضي ، لأنه[٦] حضر مجلس الخليفة وعليه ثيابُ البياض ، فقال الخليفة : من ذاك البياضي ؟ فعرف به . وكان ثقة ، روى عن ابن الأنباري ، وابن مقسم . قتلته القرامطة في هذه السنة .

محمد بن الإمام إسحاق بن راهَوَيْه[٧] : سمع أباه ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهما . وكان عالماً بالفقه والحديث ، جميل الطريقة . وقدم بغداد ، فحدَّث بها ، وقتلته القرامطة فيمن قتلوا من الحجيج في هذه السنة .

محمَّد بن نَصْر المَروزيّ[٨] : أحد أئمة الفقهاء ، أبو عبد الله المروزي ، الفقيه . ولد ببغداد ، ونشأ

---

(١) في الأصول : العجلي . وترجمته في المنتظم (٦/ ٦١) ، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٩٠) .
(٢) في السير وغيره : في حفظ المسند خاصة ؛ قاله أحمد بن المنادي .
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ٣٢٢) ، المنتظم(٦/ ٦٢) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٦) .
(٤) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٤) وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٤٢) ، أنه ولد ببغداد سنة خمس ومئتين .
(٥) المنتظم (٦/ ٦٢) ، اللباب (١/ ١٩٥) .
(٦) في اللباب : لأن جدَّه حضر مجلس بعض الخلفاء . . وهو وهم من مؤلفه . .
(٧) المنتظم (٦/ ٦٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٤٤) ، لسان الميزان (٥/ ٦٥) .
(٨) تاريخ بغداد (٣/ ٣١٥) ، المنتظم (٦/ ٦٣) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٤٦) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٦) .

بنيسابور ، واستوطن سَمَرْقَنْد . وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين ، فمن بعدهم من أئمة الإسلام بالأحكام . وقد رحل إلى الآفاق وسمع من المشايخ الكثير النافع ، وصنَّف الكتب المفيدة الحافلة النافعة ، وكان من أحسن الناس صلاة وأكثرهم فيها خشوعاً ، وقد صنَّف كتاباً عظيماً في الصلاة .

روى الخطيب البغدادي[١] عنه أنه قال : خرجت من مصر قاصداً إلى مكَّة ، فركبت البحر ، ومعي جارية لي ، فغرقَت السفينة ، فذَهَبَ لي في الماء ألفا جزءٍ ، وسلمْتُ أنا والجارية ، فلجأنا إلى جزيرة ، فطلبنا بها ماءً فلم نجد ، فوضعت رأسي على فخذ الجارية ، ويئست من الحياة ، فبينا أنا كذلك إذا رجل قد أقبل وفي يده كُوز ، فقال : هاه! فأخذته ، فشربت منه وسقيت الجارية ، ثم ذهب فلم أدرِ من أين أقبَلَ ولا إلى أين ذهب[٢] .

وقد كان من أكرم الناس وأسخاهم نفساً . وكان إسماعيل بن أحمد[٣] يصله في كل سنة بأربعة آلاف ، [ويصلُه أخوه إسحاق بن أحمد بأربعة آلاف ، ويصله أهلُ سَمَرْقَند بأربعة آلاف][٤] ، فينفق ذلك كلَّه ، فقيل له : لو ادَّخَرْتَ منها شيئاً لنائبةٍ ؟ فقال : يا سبحانَ الله ! أنا مكثت في مصر مدّة أنفق فيها في كلِّ سنةٍ عشرين درهماً ، أفرأيت إذا لم يحصل لي شيء من هذا لا يتهيَّأ لي في السنة عشرون درهماً[٥] ! .

وكان محمد بن نَصْر المَرْوَزيّ إذا دخل على إسماعيل بن أحمد السَّامانيّ ينهض له ويكرمه ، فعاتبه يوماً أخوه إسحاق بن أحمد ، فقال له : تقوم لرجلٍ في مجلس حكمك وأنت ملك خراسان ؟ قال إسماعيل : فبتُّ تلك الليلة وأنا متقسِّم[٦] القلب[٧] ، فرأيْتُ رسولَ الله ﷺ في المنام ، وهو يقول : يا إسماعيل ! ثبتَ ملكُكَ وملكُ بنيك بتعظيمك محمّد بن نَصْر ، وذَهَبَ ملكُ أخيك باستخفافه بمحمّد بن نَصْر[٨] .

وقد روي أنه اجتمع بالدِّيار المصرية محمّد بن نَصْر ، ومحمد بن جرير الطبري ، ومحمد بن المنذر ، فجلسوا في بيتٍ يكتبون الحديث ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شيء يقتاتونه ، فاقترعوا فيما بينهم مَن يسعى لهم في شيء يأكلونه ؛ ليدفعوا عنهم ضرورتهم ، فجاءت[٩] القُرعة على أحدهم ، فنهض

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣١٧) ، المنتظم (٦/ ٦٤) .
(٢) بعدها في ط : ثم إن الله سبحانه أغاثنا فنجانا من ذلك الغم .
(٣) هو إسماعيل بن أحمد السَّاماني ، صاحب خراسان ، وسيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٩٥هـ .
(٤) ما بين قوسين ساقط في آ .
(٥) المنتظم (٦/ ٦٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧) .
(٦) في ب ، ظا : منزعج ، وفي ط : مشتت ، وأثبت ما جاء في آ والمنتظم والسير .
(٧) بعدها في ط : من قول أخي ، وكانوا هم ملوك خراسان وما وراء النهر ، قال .
(٨) المنتظم (٦/ ٦٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨ ـ ٣٩) .
(٩) في ط : فوقعت القرعة على محمد بن نصر هذا ، فقام إلى الصلاة . .

إلى الصلاة ، فجعل يصلِّي ويدعو الله عزَّ وجلَّ ، وذلك وقت القيلولة ، فرأى نائبُ مصرَ ، وأظنه أحمدَ بن طولون ، وهو نائم وقت القيلولة ، رسولَ الله ﷺ وهو يقول له : أنت هاهنا والمحمَّدون ليس عندهم شيء يقتاتونه ! فانتبه الأمير من منامه ، فسأل : من هاهنا من المحدّثين ؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة ، فأرسل إليهم في الساعة الراهنة بألف دينار ، فدخل بها عليهم ، وأزال الله ضرورتهم ، ويسَّر عليهم(١) .

وقد بلغ محمّد بن نَصْر سناً عالياً ، وكان يسألُ اللهَ ولداً ، فأتاه يوماً إنسان فبشَّره بولد ذكر قد وُلِدَ له ، فرفع يديه فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ [إبراهيم : ٣٩] ، فاستفاد الحاضرون من ذلك فوائدَ : منها أنه قد وُلِدَ له على كبر السن ولدٌ ذكرٌ بعدَما كان يسأل الله في ذلك ؛ ومنها أنه سمَّاه في يوم مولده كما سمَّى رسولُ الله ﷺ ولدَه إبراهيم قبلَ السابع ؛ ومن ذلك اقتداؤه بالخليل في تسميته أول ولدٍ له إسماعيل .

موسى بن هارون بن عبد الله(٢) أبو عمران : المعروف والده بالجمَّال ، ولد سنة أربع عشرة ومئتين ، وسمع أحمد بن حنبل ، ويحيى بن مَعين ، وغيرهما .

وكان إمام أهل عصره في حفظ الحديث ومعرفة الرجال والإتقان . وكان ثقة ، شديد الورع ، عظيم الهيبة .

قال عبد الغني بن سعيد الحافظ المصري : كان أحسن الناس كلاماً على الحديث عليّ بن المَديني ، ثم موسى بن هارون ، ثم الدَّارَقطنيّ(٣) .

ثمَّ دخلت سنة خمس وتسعين ومئتين

فيها : كانت المفاداة بين المسلمين والروم ، فكان من جملة من استنقذ من المسلمين من رجال ونساء نحواً من ثلاثة آلاف نسمة ، ولله الحمد .

وفي المنتصف من صفر منها كانت وفاة إسماعيل بن أحمد السّامانيّ ، أمير خراسان [وما وراء النهر](٤) ، وقد كان عاقلاً عادلاً ، حسن السيرة في رعيته ، حليماً حكيماً ، جواداً ، ممدَّحاً ، وهو الذي كان يحسن إلى محمّد بن نَصْر المَرْوزي ويعظِّمه ويكرمه ويحترمه ، ويقوم له في مجلس ملكه .

---

(١) بعدها في ط : واشترى طولون تلك الدار وبناها مسجداً ، وجعلها على أهل الحديث ، وأوقف عليها أوقافاً جزيلة .
(٢) المنتظم (٦/ ٦٦) ، تاريخ بغداد (١/ ٥٠) .
(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٥١) .
(٤) زيادة من ط . وانظر ترجمته في المنتظم (٦/ ٧٧) ، ووفيات الأعيان (٥/ ١٦١) ، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٤) . وشذرات الذهب (٢/ ٢١٩) .

وقد ولي بعدَه ولده أحمد بن إسماعيل ، وبعث إليه الخليفة المكتفي بالله بالولاية والتشريف .

وقد تذاكر الناس عند إسماعيل بن أحمد ذات ليلة الفخر بالأنساب ، فقال : ينبغي أن يكون الإنسان عصاميًّا لا عظاميًّا . يعني: ينبغي أن يفتخر بنفسه لا بنسبه ، وبكدِّه وجِدِّه لا بأبيه وجَدِّه . كما قال بعضهم :

وبجِدِّي سَمَوْتُ لا بجدودي

وقال آخر :

حسبي فخاراً وشيمتي[1] أدبي ولسْتُ مِن هاشمٍ ولا العَرَبِ
إنَّ الفتى مَن يقولُ ها أنا ذا ليسَ الفتى مَنْ يقولُ كانَ أبي

وفي ذي القعدة من هذه السنة كانت :

وفاة الخليفة المُكتفي بالله أبو محمّد عليّ بن المعتضد . وهذه ترجمته وذكر وفاته[2] :

هو [الخليفة أمير المؤمنين المكتفي بالله][3] ، أبو محمّد ، عليّ بن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العبَّاس أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفّق بن المتوكِّل بن المعتصم بن الرشيد هارون بن المهدي بن منصور ، رحمهم الله . وقد ذكرنا[4] أنه ليس من الخلفاء من اسمه سواه بعد عليّ بن أبي طالب ؛ رضي الله عنه ، ولم يكن في الخلفاء من يكنى بأبي محمد سوى الحسن بن عليّ ، وموسى الهادي ، وهو ، والمستضيء بأمر الله .

وكان مولده في رجب من سنة أربع وستين ومئتين ، وبُويع له بالخلافة بعد أبيه في حياته يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر من سنة تسعٍ وثمانين ومئتين ، وعمره نحو من خمس وعشرين سنة ، وكان رَبْعَة من الرجال جميلاً ، رقيق اللون ، حسن الشعر ، وافر اللحية عريضها .

ولما مات أبوه المعتضد ، وباشر هو منصب الخلافة ، دخل عليه بعضُ الشعراء فأنشده[5] :

أجَلُّ الرَّزايا أن يموتَ إمامُ وأسْنَى العطايا أن يقومَ إمامُ
فأسقى الذي ماتَ الغمامُ وجادهُ ودامت تحياتٌ لهُ وسلامُ

---

(١) في بعض النسخ : وشيمة .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٣١٦) ، المنتظم (٦/ ٣١ ـ ٣٣ و٧٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧٩) ، تاريخ الخلفاء (٦٠٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٩) .

(٣) زيادة من ب .

(٤) حوادث سنة ٢٨٩هـ .

(٥) المنتظم (٦/ ٣٢) .

وأبقى الذي قام الإلَـهُ وزادَهُ   مواهب لا يفنى لهنَّ دوامُ
وتمَّتْ له الآمالُ واتصلتْ بها   فوائدُ موصولٌ بهنَّ تمامُ
هو المكتفي بالله يكفيه كلَّما   عناهُ بركنٍ منهُ ليسَ يُرامُ

وقد كان يقول الشعر ، فمن ذلك قولُه[١] :

مَنْ لي بأنْ يعلمَ ما ألقى   فيعرف الصَّبوة والعشقا
ما زالَ لي عبداً وحبِّي لهُ   صيَّرني عَبْداً لهُ رِقَّا
العتقُ مِن شأني ولكنَّني   مِن حبِّهِ لا أملكُ العِتقا

وكان نقش خاتمه : « علي يتوكَّل[٢] على ربه » .

وكان له من الولد محمّد ، وجعفر ، وعبد الصَّمد ، وموسى ، عبد الله ، وهارون ، والفضل ، وعيسى ، والعبَّاس ، وعبد الملك[٣] .

وفي أيَّامه فتحت أنطاكية ، واستُنقذت من أيدي الروم ، وكان فيها من أسارى المسلمين بشرٌ كثيرٌ وجمٌّ غفير ، وأخذ المسلمون من غنائمهم شيئاً كثيراً جداً ، كما تقدَّم .

ولما حضرته الوفاة سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر بن المعتضد ، فصحَّ عنده أنه بالغ ، فأحضره في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة ، وأحضر القضاة ، وأشهدهم على نفسه بأنه قد جعل الخلافة إليه من بعده ، ولقَّبه بالمقتدر بالله .

وتوفي المكتفي بالله بعد ثلاثة أيامٍ ، رحمه الله . وقيل : في آخر يوم السبت بين الظهر والعصر . وقيل : بعد المغرب ، ليلة الأحد ، لاثنتي عشرة ليلة خلَتْ من ذي القعدة ، ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، عن ثنتين ، وقيل : ثلاث وثلاثين سنة ، وكانت خلافته ستَّ سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً . وكان قد أوصى بصدقةٍ من خالص ماله ، ستمئة ألف دينار ؛ كان جمعها وهو صغير . وكان مرضه بداء الخنازير[٤] ، رحمه الله تعالى .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) في ب ، ظا : متوكل ، وفي ط : المتوكل .
(٣) المنتظم (٦/ ٣٣) ، جمهرة الأنساب (ص٢٩) ، ولم يذكر هارون .
(٤) داء الخنازير : علة معروفة ، وهي قروح صلبة تحدث في الرقبة .

خلافة المُقتدر بالله أمير المؤمنين ،
[أبي الفَضْل جَعْفر بن المعتضِد][١]

جُدِّدت له البيعة بعد موت أخيه وقت السحر ، لأربع عشرة ليلة خلَتْ من ذي القعدة من هذه السنة ، أعني سنة خمس وتسعين ومئتين ، وعمره إذ ذاك ثلاثَ عشرةَ سنةً وشهر وأحد عشرَ[٢] يوماً ، ولم يل الخلافة أحدٌ قبلَه أصغر سناً منه .

ولمَّا جلس في منصب الخلافة صلَّى أربع رَكعات ، ثم سلَّم ، ورفع صوته بالدُّعاء والاستخارة ، ثم بايعه الناس بيعة العامّة ، وكُتب اسمه على الرُّقوم ، وغيرها : « المقتدر بالله » .

وكان في بيت مال الخاصة خمسة عشر ألف ألف دينار ، وفي بيت مال العامة ستمئة ألف دينار ونيف . وكانت الجواهر الثمينة من الحواصل من لدن بني أمية وأيام بني العبَّاس قد تَنَاهى جمعها ، فما زال يفرِّقها في حظاياه وأصحابه حتى أنفذها[٣] .

وقد استوزر جماعة من الكتَّاب يكثر تعدادهم ، منهم أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، ولاه ثم عزله بغيره ، ثم أعاده ثم عزله بغيره ، ثم أعاده ، ثم عزله ، ثم قتله ؛ وقد تقصّى ذكرهم أبو الفرج بن الجوزيّ[٤] .

وكان له من الخدم والحجّاب والحشمة التامة شيء كثير جداً .

وكان كريماً جداً ، وفيه عبادة مع هذا كلِّه ، وكثرة صلاة ، وصيام تطوّع .

وفي يوم عرفة أول ولايته فرَّق من الأغنام والأبقار ثلاثين ألف رأس ، ومن الإبل ألفي بعير . وردَّ الرسوم والكلف والأرزاق إلى ما كانت عليه في أوائل[٥] العباسيين ، وأطلق أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم ، ووكَّل أمر ذلك إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف .

وكان قد بنيت أبنية في الرحبة ، دخلُها[٦] كلّ شهر ألف دينار ، فأمر بهدمها ليوسِّع على المسلمين

---

(١) زيادة من ب ، ظا . وسيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٣٢٠هـ .
(٢) في المنتظم : وعشرين يوماً .
(٣) بعدها في ط : وهذا حال الصبيان وسفهاء الولاة .
(٤) المنتظم (٦/ ٦٧ ـ ٦٨) .
(٥) في ب ، ظا ، ط : زمن .
(٦) كذا في آ ، وفي ب ، ظا : وعليها في كل شهر ، وفي ط : صرف عليها في كل شهر .

الطرقات . وسيأتي[١] ذكر شيء من أيامه وترجمته إن شاء الله تعالى .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[أبو إسحاق المُزَكّي][٢] : إبراهيم بن محمد بن نوح بن عبد الله ، أبو إسحاق المزكي ، الحافظ ، الزاهد ، إمام أهل عصره بنيسابور في معرفة الحديث والرجال والعلل ، وقد سمع خلْقاً من المشايخ الكبار ، ودخل على الإمام أحمد وذاكره ، وكان مجلسه مهيباً ، ويقال : إنه كان مجاب الدعوة ، وكان لا يملك إلا داره التي يسكنها ، وحانوتاً يستغلّه كلَّ شهر سبعة عشر درهما ينفقها على نفسه وعياله ، وكان لا يقبل من أحدٍ شيئاً ، وكان يطبخ له الجزر بالخل فيتأدَّم به طول الشتاء . وقال أبو علي الحسين بن علي الحافظ النيسابوري : لم تر عيناي مثله .

أبو الحسين النُّوري أحد أئمة الصوفية[٣] : أحمد بن محمد ، ويقال : محمّد بن محمّد ، والأوّل أصحُ ، أبو الحسين النُّوري . ويعرف بابن البَغَويّ ، وأصله من خراسان ، وحدَّث عن سَرِيّ السَّقَطيّ ، ثم صار هو من أكابر أئمة القوم .

قال أبو أحمد المَغَازلي : ما رأيت أحداً قطُّ أعبدَ من أبي الحسين النّوري . قيل له : ولا الجُنَيد ؟ قال : ولا الجنيد .

وقال غيره[٤] : صام عشرين سنة لا يعلم به أحدٌ لا من أهله ولا من غيرهم .

وكانت وفاته في مسجدٍ وهو مقنّع ، فلم يعلم به أحد إلا بعد أربعة أيام .

إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سَامان السّاماني[٥] : أحد ملوك خراسان للخلفاء ، وهو الذي قتل عمرو بن الليث الصفَّار الخارجيّ ، وكتب بذلك إلى الخليفة المعتضِد ، فولاه خراسان ، ثم ولاه المكتفي الرَّيَّ وما وراء النهر ، وبلادَ الترك ، فأوقع بهم بأساً شديداً . وبنى الرُّبط في الطرقات يسَعُ الرِّباطُ منها ألفَ فارس ، وأوقف عليها أوقافاً جزيلة .

وقد أهدى إليه طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث هدايا عظيمة ؛ منها ثلاث عشرة جوهرة ، زنة كلِّ واحدةٍ منها ما بين السبعة مثاقيل إلى العشرة ، وبعضها أحمر ، وبعضها أزرق ، قيمتها مئة ألف دينار ، فبعث بها إلى الخليفة المعتضد ، وشفع في طاهر فشفَّعَه فيه .

---

(١) سيأتي ذلك كما ذكرنا في حوادث سنة ٣٢٠هـ .

(٢) زيادة من ط ، وترجمته في المنتظم (٦/ ٧٦) .

(٣) حلية الأولياء (١٠/ ٢٤٩) ، تاريخ بغداد (٥/ ١٣٠) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٣٩) ، المنتظم (٦/ ٧٧) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٧٠) ، طبقات الأولياء (٦٢) .

(٤) هو أبو جعفر الفرغاني ، كما في المنتظم (٦/ ٧٧) ، وصفة الصفوة (٢/ ٤٣٩) .

(٥) المنتظم (٦/ ٧٧) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٦١) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٤) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٩) .

ولما مات إسماعيل بن أحمد ، وبلغ المكتفيَ موتُه تمثَّل بقول أبي نواس[(١)] :

لـنْ يُخلـفَ الـدَّهـرُ مثلهـمْ أبـداً هَيهَـاتَ هَيهـاتَ شـأنهُـمْ عَجَـبُ

المَعْمَريّ الحافظ[(٢)] : صاحب « عمل اليوم والليلة » . الحسن بن عليّ بن شَبيب ، أبو علي المَعْمَريّ ، الحافظ . رحل وسمع من الشيوخ وأدرك خلْقاً ، منهم : عليّ بن المديني ، ويحيى بن مَعين . وعنه : ابنُ صاعد ، والنَّجّاد ، والخلدي . وكان من بحور العلم وحفاظ الحديث ، صدوقاً ، ثبتاً ، يشبِّك أسنانه بالذهب من الكبر ؛ لأنه جاوز الثمانين ، وكان يكنى أولاً بأبي القاسم ، ثم بأبي عليّ . وقد ولي القضاء للبِرْتي على القصر[(٣)] وأعمالها .

وإنما قيل له المَعْمَريّ بأُمِّه ؛ أمِّ الحسن بنت سفيان بن أبي سفيان صاحب مَعْمَر بن راشد . وكانت وفاته ليلة الجمعة لإحدى عشرة بقيت من محرم هذه السنة .

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شُعَيب[(٤)] : [واسم أبي شُعَيْب][(٥)] عبد الله بن الحسن ، أبو شعيب الأموي الحَرَّاني المؤدّب ، المحدّث ابن المحدّث . ولد سنة ست ومئتين ، وسمع أباه ، وجدَّه ، وعفَّان بن مُسلم ، وأبا خيثمة . وكان صدوقاً ثقة مأموناً . توفي في ذي الحجة من هذه السنة .

عليّ بن أحمد المكتفي بالله بن المعتضد ، تقدم ذكر ترجمته قريباً من هذه السنة .

أبو جَعْفر التِّرْمذيّ[(٦)] : محمّد بن أحمد بن نَصْر أبو جعفر التِّرمِذيّ ، الفقيه الشافعي . وكان من أهل العلم والزُّهد .

قال الدَّارَقُطني[(٧)] : هو ثقةٌ مأمونٌ ناسكٌ .

وقال القاضي أحمد بن كامل[(٨)] : لم يكن لأصحاب الشافعيّ بالعراق أرأس منه ، ولا أوْرَع .

---

(١) المنتظم (٦/ ٧٨) .
(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٣٦٩) ، المنتظم (٦/ ٧٨) ، اللباب (٣/ ٢٣٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٨) .
(٣) في المنتظم : على البصرة ، وما هنا كما في تاريخ بغداد والسير .
(٤) تاريخ بغداد (٩/ ٤٣٥) ، المنتظم (٦/ ٧٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٣٦) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٨) .
(٥) زيادة من ط .
(٦) تاريخ بغداد (١/ ٣٦٥) ، المنتظم (٦/ ٨٠) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٤٥) ، طبقات السبكي (٢/ ١٨٧) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٠) .
(٧) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٤٦) .
(٨) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٤٧) .

كان متقلّلاً في المطعم على حال[١] عظيمة فقراً وورعاً وصبراً ، وكان ينفق عليه في كلِّ شهر أربعة دراهم ، وكان لا يسأل أحداً شيئاً ، وكان قد اختُلط في آخر عمره . وتوفي في المحرم من هذه السنة .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومئتين

في ربيع الأول منها اجتمع جماعة من القوّاد والجند على خلْع المقتدر بالله وتولية عبد الله بن المعتز الخلافة عوضاً عنه ، فأجابهم على أنه لا يُسفك بسببه دم . وكان المقتدر قد خرج للعب بالصوالجة ، فقصد إليه الحسين بن حمدان [يريد أن][٢] يفتك به ، فلمَّا سمع المقتدر الضّجَّة بادر إلى دار الخلافة فأغلقها دون الجيش . واجتمع القوّاد والأعيان والقضاة في دار المخرم[٣] ، فبايعوا عبد الله بن المعتز ، وخوطب بالخلافة ، ولُقِّب بالمرتضي بالله . وقال الصولي : إنما لقبوه : المنتصف بالله . واستوزر أبا عبد الله محمد بن داود ، وبعث إلى المقتدر يأمره بالتحوّل من دار الخلافة إلى دار ابن طاهر لينتقل هو إليها ، فأجيب بالسمع والطاعة ، فركب الحسين بن حمدان من الغد إلى دار الخلافة ليتسلَّمها ، فقاتله الخدم ومَن فيها ، ولم يسلموها إليه ، فلم يقدر على تخليص أهله وبعض ماله إلا بالجهد الجهيد . فلما قدر عليهم ارتحل من فوره إلى الموصل ، فتفرَّق نظام الجماعة .

وأراد ابن المعتزّ أن يتحوَّل إلى سامُرَّا لينزلها ، فلم يتبعه أحد من الأمراء ، فدخل إلى دار ابن الجصاص فاستجار به . ووقع النهب بالبلد ، واختبط الناس ، وبعث المقتدر إلى أصحاب ابن المعتز فقبض عليهم ، وقتل أكثرهم ، وأعاد ابنَ الفرات إلى الوزارة ، فجددت البيعة للمقتدر ، وأرسل إلى دار ابن الجصاص فكبسها ، وأحضر ابن المعتز وابن الجصّاص ، فصادر ابنَ الجصَّاص بمالٍ جزيلٍ جداً ، يقال : إنه وزن ستة عشر ألف ألف درهم مصادرة ، ثم أطلقه واعتقل ابن المعتز ، فلمَّا دخل في ربيع اخر ليلتان ظهر للناس موتُه ، وأخرجت جثته فسلِّمت إلى أهله فدفن ، وصفح المقتدر عن بقية من سعى في هذه الفتنة حتى لا تفسد نيات الناس .

قال ابن الجوزي[٤] : ولا يُعرف خليفة خُلع ثم أعيد سوى الأمين والمقتدر .

وفي يوم السبت لأربع بقين من ربيع الأول سقط ببغداد ثلج عظيم حتى اجتمع على الأسطحة منه نحو من أربع أصابع ، وهذا مستغرب في بغداد جداً .

---

(١) في آ ، ظا ، ط : حالة ، وأثبت ما جاء في ب ، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد .
(٢) زيادة من ط .
(٣) في آ : في دارة الخلافة .
(٤) المنتظم (٦/ ٨٢) .

ولم تخرج السنة حتى خرج الناس للاستسقاء من تأخُّر المطر عن أيَّامه[١] .

وفي شعبان خُلع على مؤنس الخادم ، وأمر بالمصير إلى طَرَسُوس لغزو الروم .

وفي هذه السنة أمر المقتدر بألَّا يُستخدم أحد من اليهود ولا النصارى في الدواوين ، وألزموا بيوتهم ، وأمروا[٢] بلبس العسلي وجعل الرّقاع بين أظهرهم ليعرفوا بها .

وحجَّ بالناس في هذه السنة الفضلُ بن عبد الملك الهاشميّ ، ورجع كثير من الناس من قلة الماء بالطريق ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن زكريا بن أبي عتَّاب[٣] : أبو بكر البغدادي الحافظ ، ويعرف بأخي ميمون . روى عن نَصْر بن عليّ الجهضمي وغيره ، وروى عنه الطَّبَرانيّ ، وكان يمتنع أن يحدِّثَ ، وإنَّما[٤] يسمع منه في المذاكرات . توفي[٥] في شوَّال منها .

أبو بكر الأثْرَم[٦] : **أحمد بن محمد بن هانىء** ، أبو بكر الطائي الأثرم ، تلميذ الإمام أحمد . وقد سمع عفَّان ، وأبا الوليد القَعْنبيّ ، وأبا نُعيم ، وخلْقاً كثيراً . وكان حافظاً صادقاً قويّ المذاكرة . كان ابن مَعين يقول : كان أحد أبويه جنيّاً ؛ لسرعة فهمه وحفظه وحذقه . وله كتب مصنفة في العلل والناسخ والمنسوخ ، وكان من بحور العلم .

خلف بن عمرو بن عبد الرحمن بن عيسى[٧] : أبو محمد العُكْبَري[٨] . سمع الحديث ، وكان ظريفاً ، له ثلاثون خاتماً وثلاثون عكَّازاً ، يَلْبَسُ في كُلِّ يومٍ من الشهر خاتماً ، ويأخذ في يده عكَّازاً ، ثم يستأنف ذلك في الشهر الثاني ، وكان له سوط معلَّق في منزله ، فإذا سئل عن ذلك يقول : ليرهب العيال منه .

ابن المعتزّ الشاعر الذي بُويع له بالخلافة[٩] : عبد الله بن المعتزّ بالله محمد بن المتوكِّل على الله

---

(١) في ط : عن إبَّانه .
(٢) في ب ، ظا : وأخذوا .
(٣) المنتظم (٦/ ٨٢) .
(٤) في ب ، ظا : وأنا أسمع .
(٥) في المنتظم : توفي بمصر .
(٦) لم يرد العنوان في آ . وترجمته في المنتظم (٦/ ٨٣) ، وتهذيب الكمال (١/ ٤٧٦) .
(٧) تاريخ بغداد (٨/ ٣٣١) ، والمنتظم (٦/ ٨٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٧٧) .
(٨) في آ : العسكري ، وهو تحريف .
(٩) تاريخ الطبري (١٠/ ١٤٠) ، أشعار أولاد الخلفاء (١٠٧) ، الأغاني (١٠/ ٢٨٦) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٩٥) ، المنتظم (٦/ ٨٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ٧٦) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٢) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢١) .

جعفر بن المعتصم محمّد بن الرشيد هارون ، ويكنى ابن المعتز ، الشاعر أبو العبَّاس الهاشميّ العباسيّ ، الفصيح[١] البليغ المطبق . وقريش قادة الناس في الخير والشر . وقد سمع المبرِّدَ ، وثعلباً .

وقد رُوي عنه من الحكم والآداب شيء كثير ؛ فمن ذلك قوله :

أنفاس الحيِّ خطاه [إلى أجله][٢] . أهلُ الدُّنيا ركْبٌ يُسار بهم وهم نيام . ربَّما أوردَ الطَّمَعُ ولم يصدُرْ . ربَّما شرِقَ شاربُ الماء قبلَ ريِّه . مَنْ تجاوز الكفَافَ لم يغنِه الإكثارُ . كلَّما عظم قدر المنافَسِ فيه عظُمتِ الفَجيعةُ به . من ارْتَحَله[٣] الحِرصُ أضناه[٤] الطَّلَبُ . الحرصُ يُنقص من قدر الإنسان ولا يزيد في حظِّه . أشقى النَّاس أقربُهُم من السُّلطان ، كما أنَّ أقربَ الأشياء إلى النار أسرعُها احتِراقاً . مَن شارك السُّلطان في عزِّ الدُّنيا شاركه في ذُلِّ الآخرة . يكفيك[٥] من الحاسد أنه يغتمُّ وقتَ سرورك . الفرصة سريعة الفَوْتِ بعيدةُ العَوْد . الأسرار إذا كثُر خُزَّانُها ازدادت ضياعاً . [ذلُّ][٦] العَزْل يضحك من تيه الولاية . الجَزَعُ أتعبُ من الصَّبر . لا تشِنْ وَجْهَ العَفْو بالتَّقريع . تَرِكةُ الميت عِزٌّ[٧] للورثة .

ومن شعره في الحكم مما يناسب المعنى الأخير قوله :

سـابِـقْ إلـى مـالِـكَ وُرَّاثَـهُ ... مـا المـرءُ فـي الـدُّنيـا بِلَبَّـاثِ
كَـمْ صـامِـتٍ[٨] تُخنَـقُ أكياسُـهُ ... قـدْ صـاح فـي ميـزانِ مِيـراثِ[٩]

وله[١٠] :

يـا ذا الغنَـى والسَّطْـوةِ القاهِـرَهْ ... والـدَّولـةِ النَّـاهيـةِ الآمِـرَه
ويـا شيـاطيـنَ بنـي آدمٍ ... ويـا عَبيـدَ الشَّهـوةِ الفـاجِـرَهْ

(١) في ط : كان شاعراً مطيقاً فصيحاً بليغاً مطبقاً .
(٢) تكملة من المنتظم . وفي آ : خطاياه ، وفي ظا : خطا .
(٣) المنتظم : أرحله . و : ارتحل الحرص : جعله راحلة يركبها ، كوسيلة إلى غرضه .
(٤) في ب ، ظا : أقصاه الطلب ، وفي المنتظم : أنضاه الطلب . وبعدها في ط : وروي : أنضاه الطلب ، أي أضعفه ، والأول معناه أمرضه .
(٥) في المنتظم : يشفيك .
(٦) زيادة من المنتظم .
(٧) في ب والمنتظم : عزاء . والمنتظم (٦/ ٨٤ ـ ٨٥) .
(٨) في ط : جامع يخنق ، وليس بشيء . وفي آ : يخنق . و« الصامِت » : الذهب والفضة .
(٩) البيتان في المنتظم (٦/ ٨٧) ، ومعاهد التنصيص (٢/ ٤٦) .
(١٠) في آ ، ظا : قوله . والأبيات في المنتظم (٦/ ٨٧) .

انْتَظِروا الدُّنيا فقد[١] اقتربَتْ وعــن قَليــلٍ تَلِــدُ الآخِــرَهْ

وله أيضاً[٢] :

أعــط يــا نفْسُ وهــاتــي تــوبــةً قَبْــلَ المَمَــات
قَبْـلَ أن يفجَعَنــا الــدَّهْـ ـــرُ ببيـــنٍ وشَتَـــات
لا تخــونينــي إذا مــتُّ وقــامَــتْ بــي نُعــاتــي[٣]
إنَّمــا الــوافــي بعَهْــدي مَــنْ وَفَــى بَعْــدَ وَفَــاتــي[٤]

وقال الصُّوليّ : نظر ابن المعتزّ في حياة أبيه الخليفة إلى جاريةٍ فأعجبته ، فمرض من حبِّها ، فدخل أبوه عليه عائداً ، فقال له : كيف تجدُك؟ فأنشأ يقول :

أيُّهــا العــاذِلـون لا تعــذُلـونــي وانظروا حُسْنَ وَجْهِها تعذروني
وانظروا هل تَرَوْنَ أحسَنَ منها إنْ رأيْتُـم شبيهَهـا فـاعـذُلُـونـي

ففحص أبوه عن القضية ، واستعمل خبرَ الجارية ، ثم بعث إلى سيّدها فاشتراها بسبعة آلاف دينار ، وبعثها إليه[٥] .

وقد ذكرنا أنَّ في ربيع الأول من هذه السنة اجتمع القوّاد والأعيان والقضاة على خلْعِ المقتدر وتولية عبد الله بن المعتزّ هذا ، ولقّب بالمرتضى ، أو المنتصف بالله . فما مكث في الخلافة إلا يوماً أو بعض يوم ، ثم غلب المقتدر ، وقتل عامَّةَ مَن خرج معه ، واعتقله في دار السلطان عند مؤنس الخادم ، فقُتِلَ في أوائل ربيع الآخر لليلتين خلتا منه .

ويقال : إنه أنشد في آخر يوم من حياته [وهو معتقل][٦] :

يــا نفْــسُ صَبْــراً لعــلَّ الخيــرَ عُقْبَــاكِ خــانتــكِ مِــنْ بَعْــدِ طُــولِ الأمْــنِ دنيــاكِ
مَــرَّتْ بنــا سَحَــراً طيــرٌ فقلْــتُ لهــا : طُــوبَــاكِ يــا ليتنــي إيَّــاكِ طُــوبــاكِ
إنْ كــان قَصْــدُكِ شَــرْقــاً فــالسَّــلامُ على شاطِي الصَّراةِ[٧] ابلغي إنْ كانَ مسراكِ

(١) في ط : وقد أدبرت ، وفي المنتظم : فقد أقربت ، وهما أصح في الوزن .
(٢) المنتظم (٦/ ٨٦) .
(٣) في ب ، ظا : نعياتي .
(٤) في آ : مماتي .
(٥) المنتظم (٦/ ٨٥) وفيه البيتان .
(٦) زيادة من ب ، ظا . والأبيات في المنتظم (٦/ ٨٨) ، ومعاهد التنصيص (٢/ ٤٥) .
(٧) في معاهد التنصيص : الفرات . . مثواك .

مِـن مُـوثَـقٍ بـالمنـايـا لا فَكَـاكَ لَـهُ ... يبكـي الـدِّمـاءَ على إلـفٍ لـهُ بـاكـي
فـــرُبَّ آمنـــةٍ جـــاءتْ منيَّتُهـــا ... وَرُبَّ مُفْلتـــةٍ مِـــنْ بيـــن أشـــراكِ
أظنُّـــهُ آخـــرَ الأيّـــام مـــن عُمُـــرِي ... وأوشَكَ اليوم أن يبكي لِيَ الباكي

ولما قُدِّم ليقتل أنشأ يقول[١] :

فَقُـــلْ للشَّـــامِتيـــنَ بنـــا رُوَيْـــداً ... أمَـــامَكـــمُ المصَـــائـــبُ والخُطُـــوبُ
هُـــوَ الـــدَّهْـــرُ الـــذي لا بُـــدَّ مِـــنْ أنْ ... يَكُـــونَ إليكُـــمُ منـــهُ ذُنـــوبُ

ثم كان ظهور قتله لليلتين خلتا من ربيع الأول من هذه السنة .

وقد ذكر له القاضي ابن خلكان[٢] مصنفات كثيرة ؛ منها : « طبقات الشعراء » وكتاب « أشعار الملوك » ، وكتاب « الآداب » وكتاب « البديع » ، وكتاب « في[٣] الغناء » وغير ذلك .

وذكر[٤] أن طائفة من الأمراء خلعوا المقتدر وبايعوه يوماً وليلة ، ثم تمزّق[٥] شمله ، واختفى في بيت ابن الجصَّاص الجوهري ، ثم ظهر عليه فقُتِلَ ، وصُودر ابن الجصَّاص بألفي ألف دينار ، وبقي معه سبعمئة ألف دينار .

وكان [ابن المعتز] أسمَرَ اللون ، مدوَّر الوجه ، يخضِبُ بالسَّواد ، عاش خمسين سنة . وذكر[٦] شيئاً من كلامه وأشعاره ، رحمه الله .

محمد بن الحسين بن حبيب[٧] : أبو حَصين الوادِعي القاضي ، صاحب المسند ، من أهالي الكوفة ، وقدم بغداد ، وحدَّث بها عن أحمد بن يونس [اليربوعيّ][٨] ، ويحيى بن عبد الحميد ، وجندل بن والق . وعنه : ابنُ صاعد ، والنَّجّاد ، والمحاملي .

قال الدَّارَقُطْني : كان ثقة . توفي بالكوفة في هذه السنة .

محمّد بن داود بن الجراح[٩] : أبو عبد الله الكاتب ، عم الوزير عليّ بن عيسى . كان من أعلم الناس

---

(١) المنتظم (٦/ ٨٨) .
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٧٧) .
(٣) هو الجامع في الغناء كما في وفيات الأعيان ، وشذرات الذهب .
(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٧٦) مع اختلاف في اللفظ .
(٥) في ب ، ظا : تفرَّق .
(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٧٧ ـ ٨٠) .
(٧) المنتظم (٦/ ٨٨) ، واللباب (٣/ ٣٤٤) ، وشذرات الذهب (٢/ ٢٢٥) .
(٨) زيادة من ط والمنتظم .
(٩) المنتظم (٦/ ٨٩) ، العبر (٢/ ١١٤) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٥) .

بالأخبار وأيام الخلفاء ، له مصنفات في ذلك . روى عن عمر بن شَبَّة وغيره ، وكانت وفاته في ربيع الأول منها ، عن ثلاث وخمسين سنة .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومئتين

فيها : غزا القاسم بن سيما الصائفة ، وفادى مؤنس الخادم الأسارى الذين بأيدي الروم .

وحكى ابن الجوزي(١) عن ثابت بن سنان : أنه رأى في أيام المقتدر ببغداد امرأةً بلا ذراعين ولا عضدين ، وإنما كفَّاها ملصقان بكتفيها ، لكن لا تعمل بهما شيئاً ، وكانت تعمل برجليها(٢) ما تعمله النساء بأيديهن ؛ من الغزل ومشط الرأس وغير ذلك .

وتأخرت الأمطار عن بغداد في هذه السنة ، وارتفعت الأسعار بها ، وجاءت الأخبار بأن مكَّة ـ شرَّفها الله ـ جاءها سيل عظيم بحيث إنَّ أركان البيت غرقت من السيول وإنَّ زمزم فاضت ، ولم ير ذلك قبل هذه السنة .

وحجَّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك الهاشميّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمّد بن داود بن عليّ(٣) : أبو بكر الفقيه ابن الفقيه الظَّاهري ، ابن الظَّاهري . كان عالماً بارعاً أديباً شاعراً فقيهاً ماهراً ، وهو مصنف كتاب « الزّهرة » .

اشتغل على أبيه ، وتبعه في مذهبه ، وما كان يسلكه ويختاره من الطريق ويرتضيه . وكان أبوه يحبُّه ويقرِّبه ويدنيه .

قال رويم بن محمد(٤) : كنا يوماً عند داود إذ دخل عليه ابنه محمد باكياً ، فقال : ما لك ؟ قال : إنَّ الصّبيان يلقِّبونني عصفورَ الشوك . فضحك أبوه ، فاشتدَّ غضبُ ولده ، وقال لأبيه : أنت أضرُّ عليَّ منهم ، فضمَّه أبوه إليه ، وقال : لا إلّه إلَّا الله ! ما الألقاب إلَّا من السَّماء ، ما أنت يا بنيَّ إلَّا عصفور الشوك .

ولما توفي أبوه جلس ابنه محمد هذا مكانه في الحلقة ، فاستصغره الناس عن ذلك ، فسأله سائل يوماً

---

(١) المنتظم (٦/ ٨٩) .
(٢) في المنتظم : برجليها ورأسها .
(٣) تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٦) ، المنتظم (٦/ ٩٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٥٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٩) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٦) .
(٤) المنتظم (٦/ ٩٣) .

عن حدِّ السُّكْر ، فقال : إذا عَزَبَتْ عنه الهموم ، وباح بسِرِّه المكتوم . فاستُحسن ذلك منه ، وعظم في أعين الناس[١] .

قال ابنُ الجوزي في « المنتظم »[٢] : وقد ابتُلِيَ بحبِّ صبيٍّ اسمه محمّد بن جامع ، ويقال : محمد بن زخرف ، فاستعمل العفافَ والدِّين ، ولم يزل ذلك دأبه فيه حتى كان سبب وفاته من ذلك .

قلت : فدخل في الحديث المرويِّ عن ابن عباس موقوفاً عليه ، ومرفوعاً عنه : « مَنْ عَشِقَ فكتَمَ فعَفَّ فماتَ ماتَ شهيداً »[٣] .

وقد قيل عنه : إنَّه كان يبيح العِشقَ ، يعني : بشرط العفاف .

وحكى هو عن نفسه أنه لم يزل يتعشَّق منذ كان في الكتَّاب ، وأنه صنف كتاب « الزّهرة » في ذلك من صغره ، وربَّما وقف أبوه داود على بعض ذلك .

وكان يتناظر هو وأبو العبَّاس بن سُرَيج كثيراً بحضرة القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، فيتعجّب الناس من مناظرتهما وحسنهما . وقد قال له ابن سُرَيج يوماً في مناظرته : أنت بكتاب « الزّهرة » أشهر[٤] منك بهذا . فقال له : تعيِّرني بكتاب « الزّهرة » وأنتَ لا تحسن تستتمُّ قراءته ؛ وهو كتاب جمعناه هزلاً ، فاجمع أنتَ مثلَه جدّاً .

وقال القاضي أبو عمر محمد بن يوسف : كنت يوماً أنا وأبو بكر بن داود راكبين فإذا جارية تغنِّي بشيء من شعره[٥] :

أشْكُو غَلِيلَ فؤادٍ أنتَ مُتْلِفُهُ ... شَكْوَى عَليلٍ إلى إلْفٍ يُعلِّلُهُ
سُقْمي تَزيدُ على الأيَّامِ كَثْرَتُهُ ... وأنتَ في عُظْمِ ما ألْقَى تُقلِّلُهُ

(١) المنتظم (٦/ ٩٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٩) .
(٢) المنتظم (٦/ ٩٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١١٢) .
(٣) هذا الحديث أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٥/ ١٥٦ و٢٦٢ و٦/ ٥٠ و٥١ و١٣/ ١٨٤) ، وابن عساكر وغيرهما ، من طريق عن سويد بن سعيد الحدثاني ، حدَّثنا عليُّ بن مسهر ، عن أبي يحيى القتات ، واتفق الأئمة المتقدمون من أهل الحديث على تضعيف هذا الحديث ، وأعلوه بسويد بن سعيد .
وله طريق آخر عن الخرائطي في اعتلال القلوب ، وهي من رواية يعقوب بن عيسى ، وهو ضعيف أيضاً ، ضعفه أهل الحديث ونسبوه إلى الكذب .
قال السخاوي في المقاصد الحسنة صفحة (٤٣٠) : ورواه ابن المرزبان عن أبي بكر الأزرق ، حدثنا سويد به موقوفاً . وقال ابن المرزبان : إن شيخه كان حديثه مرفوعاً فعاتبه فيه ، فأسقط الرفع ، ثم صار بعد يرويه موقوفاً ، وهو مما أنكره ابن معين وغيره على سويد . أقول : لم يصح مرفوعاً ، ولا موقوفاً (ع) .
(٤) في سير أعلام النبلاء : أَمْهَرُ منك بهذه الطريقة .
(٥) الأبيات في المنتظم (٦/ ٩٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١١٢) ، والوافي بالوفيات (٣/ ٥٨) .

اللهُ حَـرَّمَ قتلي فـي الهَـوَى أسَفـاً ... وأنْـتَ يـا قـاتِلـي ظُلْمـاً تُحلِّلـهُ

فقال أبو بكر محمد بن داود: كيفَ السَّبيل إلى استرجاع هذا؟ فقلت: هيهات! سارت به الركبان[١].

كانت وفاة محمد بن داود رحمه الله تعالى في رمضان من هذه السنة. وجلس ابن سُرَيج لعزاه، وقال: ما آسى إلا على التراب الذي أكل لسان محمد بن داود، رحمه الله تعالى[٢].

محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَة[٣]: أبو جعفر، حدَّث عن يحيى بن مَعين، وعليّ بن المَديني، وخَلْقٍ. وعنه: ابنُ صاعد، والخُلْدي، والبَاغَنْدِيّ، وغيرهم. وله كتاب في التاريخ وغيره من المصنفات، وقد وثَّقَه صالح بن محمد جَزَرة وغيره. وكذَّبه عبد الله بن الإمام أحمد، فقال: هو كذَّاب بيِّن[٤] الأمر، وتعجَّب ممن يروي عنه. كانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة.

محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسين بن مُصْعَب[٥]: من بيت الإمارة والحشمة، باشَرَ نيابة العراق مدة [ثم خراسان][٦]، ثم ظفر به يعقوب بن الليث في سنة ثمان وخمسين، فأسره وبقي معه يطوف به في الآفاق أربع سنين، ثم نجا في بعض الوقَعات[٧] بنفسه، ولم يزل مقيماً ببغداد إلى أن توفي في هذه السنة.

موسى بن إسحاق[٨]: ابن موسى بن عبد الله أبو بكر الأنصاري الخَطْمِيّ، مولده سنة عشر ومئتين، سمع أباه، وأحمد بن حنبل، وعليّ بن الجَعْد، وغيرهم. وحدَّث عنه النَّاس وهو شاب وقرؤوا عليه القرآن. وكان ينتحِلُ مَذهَب الشافعي، وولي قضاء الرّيّ والأهواز. وكان ثقة فاضلاً نبيلاً عفيفاً فصيحاً، كثير الحديث. وتوفي في المحرم من هذه السنة.

يوسف بن يعقوب[٩]: ابن إسماعيل بن حمّاد بن زيد، والد القاضي أبي عمرو محمد بن يوسف،

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٨).
(٢) تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٩)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١١٢).
(٣) تاريخ بغداد (٣/ ٤٢)، المنتظم (٦/ ٩٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٦١)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢١)، الوافي بالوفيات (٤/ ٨٢)، طبقات الحفاظ (٢٨٧)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٦).
(٤) قوله: بيِّن الأمر لم يرد في آ، وأثبته من ط والمنتظم. وهو في ب، ظا: سيء الأمر.
(٥) تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٧)، المنتظم (٦/ ٩٦)، الوافي بالوفيات (٣/ ١٦٥).
(٦) زيادة من ط.
(٧) في آ: الأوقات.
(٨) تاريخ بغداد (١٣/ ٥٢)، المنتظم (٦/ ٩٦)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٦٨)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٧٩)، طبقات الحفاظ (٢٩١)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٦).
(٩) تاريخ بغداد (١٤/ ٣١٠)، المنتظم (٦/ ٩٦)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٨٥)، طبقات الحفاظ (٢٨٧)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٧).

قاتل الحلاج ، وكان يوسف بن يعقوب هذا أيضاً من أكابر القضاة وأعيان العلماء . ولد سنة ثمان ومئتين . وسمع سليمان بن حَرْب ، وعمرو بن مَرزوق ، وهُدْبَة ، ومُسَدّداً ، وغيرهم .

وكان ثقة ، قد ولي قضاء البصرة وواسط والجانب الشرقي من بغداد ، وكان ثقة ، نزهاً ، عفيفاً ، شديد الحرمة ، جاءه يوماً بعضُ خدم الخليفة المعتضد فترفَّع[١] في المجلس [على خصمه][٢] ، فأمره حاجب القاضي أن يساويَ خصمَه ، فامتنع إدلالاً بجاهه عند الخليفة ، فنهره[٣] القاضي ، وقال : ائتوني بدلال النخس حتى أبيعَ هذا العبدَ وأبعثَ بثمنه إلى الخليفة ، وجاء حاجب القاضي فأخذه بيده وأجلسه مع خصمه ، فلمَّا انقضت الحكومة رجع الخادم إلى المعتضد فبكى بين يديه ، وأخبره بما قال القاضي .

فقال : واللهِ لو باعك لأجزْتُ بيعه ، ولما استرجعتك أبداً ، فليس خصوصيتك عندي تزيل مرتبة الحكم ؛ فإنَّه عمود السُّلطان وقوام الأديان[٤] . كانت وفاته في رمضان من هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومئتين

فيها : قدم القاسم بن سيما من بلاد الروم ، فدخل بغداد ومعه الأسارى والعُلُوج[٥] بأيديهم أعلام عليها صلبان من ذهب ، وخلق من الأسارى .

وفيها : قدمت [على الخليفة المقتدر بالله][٦] هدايا من نائب خراسان أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني ؛ من ذلك : مئة وعشرون غلاماً بمراكبهم وأسلحتهم وما يحتاجون إليه ، وخمسون بازياً ، وخمسون جملاً تحمل مرتفع الثياب ، وخمسون رطلاً من مسك .

وفيها : فلج القاضي عبد الله بن عليّ بن محمّد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، فقُلّد مكانه على الجانب الشرقي والكَرْخ ابنه محمد .

وفي شعبان منها أخذ رجلان يقال لأحدهما : أبو كبيرة[٧] والآخر يعرف بالشمري . فذكرا أنهما من أصحاب رجل يقال له : محمد بن بشر ، وأنه يدَّعي الربوبية ، لعنهم الله تعالى .

---

(١) في آ : فرفع ، وفي المنتظم : فارتفع .
(٢) زيادة من ط .
(٣) في آ : فزبره .
(٤) المنتظم (٦/ ٩٦ ـ ٩٧) .
(٥) « العُلوج » : جمع عِلْج ، وهو الواحد من الكفار .
(٦) زيادة من ب ، ظا .
(٧) في الأصول غير معجمة ، وفي المنتظم : أبو كثيرة ، والمثبت من ط .

وفيها : وردت الأخبار أنَّ الروم قصدت اللاذقية .

وفيها : وردت الأخبار بأن ريحاً صفراء هبَّت بحديثة الموصل ، فمات من حرِّها خَلْق كثير .

وحجَّ بالناس الفضل الهاشميّ .

وممن توفي فيها من الأعيان المشاهير :

ابن الرَّاوَنْديّ[١] : **أحمد بن يحيى بن إسحاق** ، أبو الحسين ، المعروف بابن الرَّاوندي ، أحد مشاهير الزَّنادقة الملحدين ، عليه اللعنة من رب العالمين . كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام ، فيقال : إنه حرَّف في التوارة ، كما عادَى ابنُه القرآن وألحَدَ فيه ، وصنَّف كتاباً في الرَّدِّ على القرآن سمَّاه « الدامغ » ، وكتاباً في الرَّدِّ على الشريعة والاعتراض عليها سمَّاه « الزُّمرّد »[٢] ، وله كتاب « التاج » في معنى ذلك ، وكتاب « الفريد » ، وكتاب « إمامة المفضول » .

وقد انتصب للردِّ عليه في كتبه هذه جماعة ؛ منهم : الشيخ أبو علي محمّد بن عبد الوهاب الجُبَّائي ، شيخ المعتزلة في زمانه ، وقد أجاد[٣] في ذلك . وكذلك ولده أبو هاشم عبد السَّلام بن أبي علي .

قال الشيخ أبو علي الجُبَّائي : قرأت كتاب الملحد الجاهل السفيه ابن الرَّاونديّ ، فلم أجد فيه إلا السفَهَ والكذبَ والافتراءَ ، قال : وقد وضع كتاباً في قِدَم العالَم ونفي الصانع ، وتصحيح مذهب الدَّهر ، والرَّدِّ على أهل التوحيد . ووضع كتاباً في الرَّدِّ على محمد ﷺ في سبعة عشر موضعاً من كتابه ، ونسبه إلى الكذب ، وطعن على القرآن ، ووضع كتاباً لليهود والنصارى على المسلمين ، يحتجُّ لهم فيها على إبطال نبوَّة محمدٍ ﷺ ، إلى غير ذلك من الكتب التي يتبين بها خروجه عن الإسلام ؛ نقله ابنُ الجوزيّ[٤] .

وقد أورد الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في « منتظمه »[٥] طرفاً من كلامه الملعون في الطعن على الآيات والشريعة ؛ وردَّ عليه في ذلك ، وهو أقلُّ وأخسُّ من أن يلتفت إلى شيء من جهله وهذيانه وسفهه وخذلانه وتمويهه وترويجه وطغيانه . وقد أسند إليه حكايات من المسخرة[٦] والاستهتار والكفريات الكبار ؛ منها ما هو صحيح عنه ، ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله ، وعلى مسلكه في الكفر والتستر

---

(١) المنتظم (٦/ ٩٩) ، وفيات الأعيان (١/ ٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٩) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٢٣٢) ، النجوم الزاهرة (٣/ ١٧٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٣٥) .

(٢) في ط والسير : الزُّمرُّدَة .

(٣) في آ : صنف .

(٤) المنتظم (٦/ ١٠١) .

(٥) المنتظم (٦/ ١٠١ ـ ١٠٥) .

(٦) تقرأ في الأصول : المرعزة ، وأثبت ما جاء في ط .

بالمسخرة[١] ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة : ٦٥ ـ ٦٦] . الآية .

وقد كان أبو عيسى الورَّاق مصاحباً لابن الرَّاوندي هذا ، قبَّحهما الله ، فلمَّا علم الناس بأمرهما طلب السُّلطانُ أبا عيسى فأودِعَ السجن إلى أن مات . وأمَّا ابنُ الرَّاوندي فهرب ولجأ إلى ابن لاوي اليهودي ، وصنَّف له كتابه الذي سماه « الدامغ للقرآن » ، فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى مات ، لعنه الله . ويقال : إنه أخذ وصُلب .

قال أبو الوفاء بن عَقيل[٢] : ورأيت في كتاب محقَّق أنه عاش ستاً وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوغّل في المخازي ، لعنه الله وقبَّحه ، ولا رحم عظامه .

وقد ذكره القاضي ابن خلكان في « الوفيات »[٣] ودلّس عليه[٤] ، ولم يخرجه بشيء[٥] ، وأرَّخ وفاته في سنة خمس وأربعين ومئتين .

الجُنَيْد شيخ الصوفية ، رحمه الله[٦] : الجُنَيْد بن محمد بن الجُنَيْد ، أبو القاسم الخزَّاز ، ويقال : القَوارِيري ، أصله من نَهاوَنْد ، ولد ببغداد ونشأ بها . وسمع الحديث من الحسن[٧] بن عَرَفَة . وتفقه بأبي ثَور إبراهيم بن خالد الكلبي ، وكان يفتي بحضرته وعمره عشرون سنة ، وقد ذكرناه في « طبقات الشافعية » ، واشتهر بصحبة الحارث بن أسد المُحاسبي ، وخاله سَرِيّ السَّقطي ، ولازم التعبُّد[٨] ، وتكلم على طريقة التصوف .

---

(١) بعدها في ط : يخرجونها في قوالب مسخرة وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقة ، وهذا كثير موجود فيمن يدعي الإسلام وهو منافق ، يتمسخرون بالرسول ودينه وكتابه ، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم . . .

(٢) المنتظم (٦/ ١٠٥) .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ٩٤ ـ ٩٥) .

(٤) في ب ، ظا ، ط : قلس . و« التدليس » : كتمان العيب .

(٥) بعدها في ط : ولا كأن الكلب أكل له عجيناً ، على عادته في العلماء والشعراء ؛ فالشعراء يطيل تراجمهم ، والعلماء يذكر بهم ترجمة يسيرة ، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم . وأرخ ابن خلكان تاريخ وفاته سنة خمس وأربعين ومئتين ، وقد وهم وهماً فاحشاً ، والصحيح أنه توفي في هذه السنة ، كما أرخه ابن الجوزي وغيره .

(٦) حلية الأولياء (١٠/ ٢٥٥) ، تاريخ بغداد (٧/ ٢٤١) ، المنتظم (٦/ ١٠٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٤١٦) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٦٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٨) .

(٧) في ط : « الحسين » محرف ، وهو من رجال التهذيب ، وصاحب الجزء المشهور .

(٨) بعدها في ط : ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة .

وكان ورده في كلِّ يوم ثلاثمئة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة[١]. ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش، وكان مع ذلك يعرف سائر فنون العلم[٢]، رحمه الله.

ولما حضرته الوفاة جعل يتلو القرآن، فقيل له: لو رفقت بنفسك؟ فقال: ما أحدٌ أحوج إلى ذلك منّي الآن، وهذا أوان طيّ صحيفتي.

قال القاضي ابن خلكان[٣]: أخذ الفقه عن أبي ثَور، صاحب الشافعي، ويقال: كان يتفقه على مذهب الثوري، وكان ابن سُرَيج يصحبه ويلازمه، [وربما استفاد منه أشياء في الفقه لم تخطر له ببال، ويقال: إنه سأله مرة عن مسألة، فأجابه فيها بجوابات كثيرة، فقال: يا أبا القاسم! لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت، فأعِدْها عليَّ، فأعادها بجوابات أخرى كثيرة. فقال: والله ما سمعت هذا قبل اليوم، فأعده. فأعاده بجوابات أخرى غير ذلك، فقال له: لم أسمع بمثل هذا فأمْلِهِ عليَّ حتى أكتبه. فقال الجُنَيْد: لئن كنت أجريه فأنا أمليه، أي إن الله هو الذي يجري ذلك على قلبي وينطق به لساني، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلُّم، وإنما هذا من فضل الله عزَّ وجلَّ يلهمنيه ويجريه على لساني. فقال: فمن أين استفدت هذا العلم؟ قال: من جلوسي بين يدي الله أربعين سنة. والصحيح أنه كان على مذهب سفيان الثوري وطريقه، والله أعلم][٤].

قال[٥]: وسئل الجُنَيْد عن العارف؟ فقال: مَنْ نطق بسرّك وأنت ساكت. كان يقول: مذهبنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنة، [فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يُقْتَدَى به في مذهبنا وطريقتنا][٦].

ورأى بعضهم معه مِسْبَحَة، فقيل له: أتتخذ مِسْبَحَة مع شرفك؟ فقال: طريقٌ وصلت به إلى الله لا أفارقه.

وقال له خاله سَرِيُّ السَّقَطي: تكلم على الناس، فلم ير نفسه لذلك أهلاً[٧]. فرأى في النوم رسولَ الله ﷺ، وهو يقول: تكلم على الناس. فغدا على خاله، فقال له خاله[٨]: لم تصدقنا حتى قيل

---

(١) المنتظم (٦/ ١٠٦).

(٢) بعدها في ط، وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كبوة، حتى كان يقول في المسألة الواحدة وجوهاً كثيرة لم تخطر للعلماء ببال، وكذلك التصوف وغيره.

(٣) وفيات الأعيان (١/ ٣٧٣).

(٤) ما بين قوسين لم يرد في الأصول ولا في الوفيات، وهي من زيادات المطبوع.

(٥) وفيات الأعيان (١/ ٣٧٣).

(٦) زيادة من ط.

(٧) في ب، ظا، ط: موضعاً.

(٨) لفظة خاله لم ترد في ب، ظا، ط.

لك . قال : فتكلم على الناس ، فجاءه يوماً شاب نصراني في صورة مسلم ، فقال له : ما معنى قول النبي ﷺ : « اتَّقُوا فَرَاسَةَ المُؤْمِنِ فإنَّه يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ »(١) ؟ قال : فأطرقت ، ثم رفعت رأسي إليه ، فقلت له : أسلِمْ ، فقد آن وقت إسلامك . قال : فأسلَمَ الغلام(٢) .

وقال الجُنَيْد : ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها من جاريةٍ تغنِّي بها في غرفة ، وهي تقول(٣) :

إذا قُلْتُ أهْدَى الهَجْرُ لي حُلَلَ البِلى ... تَقُولينَ لولا الهَجْرُ لم يَطِبِ الحُبُّ
وإن قلْتُ هذا القلبُ أحرَقَهُ الجَوَى ... تقولي بنيرانِ الجَوَى شَرُفَ القَلْبُ
وإن قلْتُ ما أذنبْتُ ، قالَتْ مُجيبةً ... حياتُـكَ ذَنْبٌ لا يُقاسُ بـه ذَنْـبُ

قال : فصعقْتُ وصحْتُ ، فخرَجَ صاحبُ الدَّار ، فقال : يا سيدي ، ما لَكَ ؟ قلت : مما سمعت . قال : هي هبة منّي إليك . فقلت : قد قبلْتُها ، وهي حُرّة لوجه الله . ثم زوَّجتُها لرجلٍ ، فأولدها ولداً صالحاً ، حجَّ على قدميه ثلاثين حجة .

سعيد بن إسماعيل(٤) : ابن سعيد بن منصور ، أبو عثمان الواعظ . ولد بالرَّيِّ ، ونشأ بها ، ثم انتقل إلى نَيْسَابور فسكنها إلى أن مات ، وقد دخل بغداد . وكان يقال : إنه مجاب الدعوة .

قال الخطيب(٥) : أخبرنا عبد الكريم بن هوازن ، قال : سمعت أبا عثمان يقول : منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حالٍ كرهته ، ولا نقلني إلى غيره فسخطته .

وكان أبو عثمان ينشد(٦) :

أسأتُ ولم أحسِنْ ، وجئتُكَ هارباً ... وأيـنَ لِعَبْـدٍ مـن مَـوَالِيـهِ مَهـربُ ؟
يـؤمِّـلُ غُفـرانـاً ، فـإنْ خَـابَ ظنُّـه ... فمـا أحَـدٌ منـهُ علـى الأرضِ أخْيَـبُ

---

(١) رواه الترمذي في سننه رقم (٣١٢٧) في التفسير ، تفسير سورة الحجر ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفي سنده عطية بن سعد العوفي ، وهو ضعيف ، ورواه أيضاً البخاري في تاريخه عن عطية أيضاً ، ورواه الطبراني وابن عدي عن أبي أمامة ، وابن جرير عن ابن عمر ، وكلها ضعيفة ، وهو في المقاصد الحسنة صفحة(١٩) .

(٢) شذرات الذهب (٣/ ٤١٦ ـ ٤١٧) .

(٣) شذرات الذهب (٣/ ٤١٧ ـ ٤١٨) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٧٤) .

(٤) طبقات الصوفية (١٧٠) ، حلية الأولياء (١٠/ ٢٤٤) ، تاريخ بغداد (٩/ ٩٩) ، المنتظم (٦/ ١٠٦) ، صفة الصفوة (٤/ ١٠٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٢) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٣٠) .

(٥) تاريخ بغداد (٩/ ١٠١) ، المنتظم (٦/ ١٠٧) .

(٦) المنتظم (٦/ ١٠٧) .

وروى الخطيب[(١)] عنه أنه سئل : أي أعمالك أرجى عندك ؟ فقال : إنِّي لمَّا ترعرعْتُ وأنا بالرَّيِّ وكانوا يريدونني على التزويج فأمتنع ، فجاءتني امرأة فقالت : يا أبا عثمان قد أحببتك حبّاً أذهب نومي وقراري ، وأنا أسألك بمقلِّب القلوب [وأتوسَّل به إليك][(٢)] لما تزوجتني . فقلت : ألكِ والد ؟ قالت : نعم . فأحضرته ، فاستدعى بالشهود فتزوجتها ، فلما خلوْتُ بها إذا هي عوراء عَرْجاء ، مشوَّهة الخَلْق ، فقلت : اللهم لك الحمدُ على ما قدَّرته لي ، وكان أهلي[(٣)] يلومونني على تزويجي بها ، فكنت أزيدها [بِرّاً و][(٤)] إكراماً ، وربما احتبستني عندها ومنعتني من الحضور في بعض المجالس ، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر ، وأنا لا أبدي لها من ذلك شيئاً . فمكثتُ كذلك خمس عشرة سنة ، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي .

سَمْنُون بن حَمزة[(٥)] : ويقال : ابن عبد الله ، أحد مشايخ الصوفية ، كان وِرْدُه في كلِّ يومٍ وليلة خمسمئة ركعة ، وسمَّى نفسه الكذَّاب ، لدعواه في قوله[(٦)] :

فليس لي في سِوَاك حَظٌّ فكيفما شئتَ فامتَحِنِّي

فابتلي بحصار[(٧)] البول ، فكان يدور على المكاتب ويقول للصبيان : ادعوا لعمّكم الكذَّاب ، وكان له كلام متين في المحبّة ، وقد وُسوِسَ في آخر عمره ، وكلامه في المحبة مستقيم كما كان .

صافي الحرمي[(٨)] : من أكابر أمراء الدولة العباسية ورؤوس الدولة المقتدرية . أوصى في مرضه أن ليس له عند غلامه القاسم شيء ، فلمَّا توفي حَمَلَ غلامُه القاسمُ إلى الوزير مئة ألف دينار وسبعمئة وعشرين منطقة من ذهب مكلَّلة ، فاستمرَّ غلامُه على إمرته ومنزلته .

إسحاق بن حُنَيْن بن إسحاق[(٩)] : **أبو يعقوب العِبَادي** ، نسبة إلى قبائل الجزيرة . الطبيب بن الطبيب ، له ولأبيه مصنَّفات كثيرة في هذا الشأن ، وكان أبوه يعرب كلام أرسطاطاليس وغيره من حكماء اليونان . توفي في هذه السنة .

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ١٠١) ، والمنتظم (٦/ ١٠٧) .
(٢) زيادة من ط .
(٣) في ط : أهل بيتي .
(٤) زيادة من ط .
(٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٠٩) ، تاريخ بغداد (٩/ ٢٣٤) ، المنتظم (٦/ ١٠٨) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٢٦) .
(٦) المنتظم (٦/ ١٠٨) ، حلية الأولياء (١٠/ ٣١٠) ، تاريخ بغداد (٩/ ٢٣٥) .
(٧) في ب ، ط : بعسر البول .
(٨) المنتظم (٦/ ١٠٨) .
(٩) طبقات الأطباء (١/ ٢٠١) ، والفهرست (١/ ٢٩٨) ، ووفيات الأعيان (١/ ٢٠٥) .

الحسين بن أحمد بن محمّد بن زكريّا[١] : أبو عبد الله الشِّيعي ، الذي أقام الدعوة للمهديّ ، عُبَيْد الله ابن مَيْمون الذي يزعم أنه فاطميّ ، وقد زعم غيرُ واحد من أهل التاريخ أنه كان يهودياً صبّاغاً بسلمية .

والمقصود الآن : أن أبا عبد الله الشيعيّ هذا دخل بلاد إفريقية وحدَه لا مال معه ولا رجال ، فلم يزل يعمل الحيلة حتى انتزع الملك من يدي أبي نَصْر زيادة الله ، آخر ملوك بني الأغلب على بلاد إفريقية ، واستدعى حينئذ مخدومَه المهديَّ من بلاد الشرق ، فقدِمَ ، فلم يخلص إليه إلا بعد شدائدَ طوال ، وحُبس في أثناء الطريق ، فاستنقذه الشِّيعي وسلَّمه المملكة ، فندّمه أخوه أحمد ، وقال له : ماذا صنعتَ ؟ وهلا[٢] كنت أنا استبددت بالأمر دون هذا ؟ فندم ، وشَرَعَ يعمل الحيلة على المهديّ ، فاستشعر المهديُّ بذلك ، فدسَّ إليهما مَنْ قتلهما في هذه السنة . وكان قَتْلُهما بمدينة رَقَّادة من بلاد القَيْروان ، من إقليم إفريقية . هذا ملخص من كلام ابن خلكان[٣] .

ثمّ دخلت سنة تسع وتسعين ومئتين

قال ابن الجوزي[٤] : فيها ظهرت ثلاثة كواكب مذنّبة ؛ أحدها في رمضان ، واثنان[٥] في ذي القعدة ، تبقى أياماً ثم تضمحل .

ووقع طاعون بأرض فارس مات بسببه سبعة آلاف إنسان .

وغضب الخليفة على الوزير عليّ بن محمّد بن الفرات ، وعزله عن الوزارة ، وأمر بنهب دوره[٦] ، فنهبت أقبح نهب . واستُوزر أبو علي محمّد بن عُبيد الله[٧] بن يحيى بن خاقان ، وكان قد التزم لأم المقتدر[٨] بمئة ألف دينار ، حتى سعت في ولايته .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ١٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٨) ، العبر (٢/ ١١٠) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٢٨) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٧) .

(٢) في آ : وهلا كنت ذلك ، فدس . . .

(٣) وفيات الأعيان (٢/ ١٩٢ ـ ١٩٤) . و« رقَّاده » : مدينة من أعمال القيروان .

(٤) المنتظم (٦/ ١٠٩) .

(٥) في آ : والثاني .

(٦) في آ ، ط : داره ، والمثبت من ب ، ظا ، والمنتظم .

(٧) في ط : « عبد الله » محرف . وينظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٧٤) .

(٨) في آ ، ط والمنتظم : لأم ولد المعتضد ، وهو تحريف ، وصححت من ب ، ظا . وهي : شغب ، أم جعفر ، المقتدر بالله ، كانت من جواري المعتضد بالله ، وأعتقها وتزوجها ، ولما آلت الخلافة إلى ابنها المقتدر سنة ٢٩٥هـ ، وعمره ثلاث عشرة سنة ، قامت بتوجيهه ، واستولت على أمور الخلافة .

وفيها : وردت هدايا كثيرة من الأقاليم من ديار مصر وخراسان وغيرها ؛ من ذلك خمسمئة ألف دينار من الديار المصرية استخرجت من كنز وجد هنالك من غير موانع ، كما يدَّعيه كثير من جهلة بني آدم ، حيلة ومكراً وخديعة ؛ ليأكلوا أموال العوام[(١)] والجهلة الطغام من قليلي العقول والأحلام ، وقد وجد في هذا الكنز ضلع إنسان طوله أربعة[(٢)] عشر شبراً ، وعرضه شبر ، وذكر أنه من قوم عاد ، فالله أعلم .

وكان من جملة هدية مصر تيس له ضرع يحلب لبناً . ومن ذلك بساط أرسله ابن أبي السَّاج [في جملة هداياه][(٣)] ، طوله سبعون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً ، عُمِل في عشر سنين لا قيمة له . وهدايا فاخرة أرسلها أحمد بن إسماعيل بن أحمد السَّاماني من بلاد خراسان كثيرة جداً .

وحجَّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي العباسي ، أمير الحجيج من مدة سنين متطاولة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن نَصْر بن إبراهيم أبو عمرو الخَفَّاف[(٤)] : الحافظ . كان يذاكر بمئة ألف حديث ، سمع إسحاق بن رَاهَوَيْه وطبقته ، وكان كثير الصّيام ، سرده نيفاً وثلاثين سنة ، وكثير الصدقة ، سأله سائل فأعطاه درهمين ، فحمد الله فجعلها خمسةً ، فحمد الله فجعلها عشرة ، ثم ما زال يزيده حتى بلغ مئة . فقال : جَعَلَ الله عليك واقيةً باقية ! فقال للسائل : والله لو لزمت الحمدَ لأزيدنَّك ، ولو إلى عشرة آلاف درهم .

بُهْلُول بن إسحاق بن بُهْلُول[(٥)] : ابن حسَّان بن سنان ، أبو محمّد التَّنُوخيّ . سمع إسماعيل بن أبي أُوَيْس ، وسعيد بن منصور ، ومصعباً الزبيري وغيرهم . وعنه جماعة آخرهم أبو بكر [الإسماعيلي][(٦)] الجرجاني الحافظ ، وكان ثقة ، ضابطاً ، بليغاً ، فصيحاً في خطبته . توفي في هذه السنة عن خمس وتسعين سنة ، رحمه الله ، آمين .

الحسين[(٧)] **بن عبد الله بن أحمد أبو علي الخِرَقيّ**[(٨)] : صاحب المختصر في الفقه على مذهب الإمام

(١) في آ : الأغشام .
(٢) في ط : أربعة أشبار .
(٣) ما بين قوسين لم يرد في آ .
(٤) المنتظم (٦/ ١١٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٥٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٦٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٣١) .
(٥) تاريخ بغداد (٧/ ١٠٩) ، المنتظم (٦/ ١١٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٣٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٨) .
(٦) زيادة من ط والمنتظم .
(٧) من هنا وحتى بداية ترجمة الصنوبري بعد أربع صفحات ساقط من نسخة آ ، وهو موجود في ب ، ظا ، ط .
(٨) المنتظم (٦/ ١١١) ، اللباب (١/ ٤٣٥) ، وفيهما : أبو علي الخرقي ، والد عمر صاحب المختصر .

أحمد بن حنبل . وكان خليفة المروذيّ . توفي يوم عيد الفطر ، ودفن عند قبر [الإمام][1] أحمد [بن حنبل][2] .

محمد بن إسماعيل أبو عبد الله المغربيّ[3] : تلميذ علي بن رزين ، وهو أستاذ إبراهيم الخوّاص ، كانت له أحوال صالحة جداً ، وقد عمّر هو وشيخه كل واحد منهما عشرين ومئة سنة .

وحجّ أبو عبد الله المغربيّ على قدميه سبعاً وتسعين حجّة ، وكان يمشي في الليل المظلم حافياً كما يمشي الرجل في ضوء النهار ، وكان المشاة يأتمُّون به فيرشدهم إلى الطريق ، وقال : ما رأيت ظلمةً منذ سنين كثيرة ، وكانت قدماه مع كثرة مشيه كأنهما قدما عروس مترفة ، وله كلامٌ مليحٌ نافع . ولما مات أوصى أن يُدفن إلى جانب شيخه عليّ بن رزين ، [فهما][4] على جبل الطور .

[قال أبو نعيم[5] : كان أبو عبد الله المغربيّ من المعمّرين ، توفي عن مئة وعشرين سنة ، وقبره بجبل طور سيناء ، عند قبر أستاذه عليّ بن رزين . قال أبو عبد الله : أفضلُ الأعمال عمارة الأوقات [بالموافقات] . وقال : الفقيرُ هو الذي لا يرجع إلى مستند في الكون غير الالتجاء إلى من إليه فقرُه ؛ ليعينه بالاستعانة[6] ، كما عزّره بالافتقار إليه . وقال : أعظمُ النَّاس ذلّاً فقيرٌ داهَنَ غنيّاً وتواضع له ، وأعظمُ النَّاس عزّاً غنيٌّ تذلَّلَ لفقيرٍ أو حفظ حرمته][7] .

محمد بن أبي بكر بن أبي خَيْثَمة[8] : أبو عبد الله الحافظ ، ابن الحافظ . كان أبوه يستعين به في جمع التاريخ ، وكان فهماً حاذقاً عارفاً حافظاً ، توفي في ذي القعدة من هذه السنة .

ابن كَيْسان النَّحويّ[9] : **محمد بن أحمد بن كَيْسان النّحويّ** . أحد حفاظه والمكثرين فيه ، كان يحفظ طريقة البصريين والكوفيين معاً . قال ابن مجاهد المقرئ : كان ابن كَيْسان أنحى من الشيخين ؛ المبرّد وثعلب .

---

(١) زيادة من ط ، وفي المنتظم : دفن بباب حرب عند قبر الإمام أحمد بن حنبل .
(٢) زيادة من (ط)
(٣) المنتظم (٦/ ١١٣) ، وطبقات الصوفية (٢٣٨) ، وحلية الأولياء (١٠/ ٣٣٥) .
(٤) زيادة من ط .
(٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٣٥) والزيادة منه . وطبقات الصوفية للسلمي (٢٤٠ـ٢٤١) .
(٦) في الحلية : بالاستغناء به .
(٧) ما بين قوسين زيد في المطبوع نقلاً عن النسخة المصرية .
(٨) المنتظم (٦/ ١١٣) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٤٢) .
(٩) المنتظم (٦/ ١١٤) ، معجم الأدباء (١٧/ ١٣٧) ، العبر (٢/ ١١٣) .

محمد بن يحيى(١) : أبو سعيد ، سكن دمشق ، روى عن إبراهيم بن سعيد الجَوهريّ ، وأحمد بن منيع ، وابن أبي شيبة وغيرهم . روى عنه أبو بكرة النقَّاش وغيره . وكان يُعرف محمد بن يحيى هذا بحامل كفنه ، وسبب ذلك ما ذكره الخطيب(٢) البغدادي ، قال :

بلغني : أنَّه تُوفِّي فغسِّل وكُفِّن وصُلِّيَ عليه ودُفن ، فلمَّا كان الليل جاءه نبَّاش ، ففتح عليه قبره . فلمَّا حلَّ عنه كفنه استوى جالساً ، وفرَّ النبَّاش [هارباً من الفزع](٣) ، ونهض محمد بن يحيى هذا ، وأخذ معه كفنه وخرج من القبر ، وقصد منزله ، فوجد أهله وهم يبكون عليه ، فدقَّ عليهم الباب ، فقالوا : من هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقالوا : يا هذا ، لا يحلُّ لك أن تزيدنا حزناً إلى حزننا . فقال : افتحوا ، فوالله أنا فلان ، فعرفوا صوته ، وفتحوا له ، فلما رأوه فرحوا به فرحاً شديداً [وأبدل الله حزنهم سروراً](٤) ، وذكر لهم ما كان من أمره . وكأنه كان قد أصابته سكتة ، ولم يكن قد مات حقيقة ، فقدَّر الله بحوله وقدرته وقوَّته له هذا النبَّاش ، ففتح عليه قبره ، فكان ذلك سبب حياته بعد ذلك مدة ، ثم كانت وفاته في هذه السنة .

فاطمة القهرمانة(٥) : غضب عليها المقتدِرُ مرَّة فصادرها ، فكان في جملة ما أخذ منها مئتا ألف دينار ، ثم غرقت في طيارة(٦) لها في هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثلاث مئة من الهجرة النبوية

فيها : كثر ماء دجلة وتراكمت الأمطار ببغداد ، وتناثرت نجومٌ كثيرة في ليلة الأربعاء لسبعٍ بقين من جمادى الآخرة .

وفيه : كثرت الأمراض ببغداد والأسقام والآلام ، وكلِبَت الكلاب ، حتى الذّئاب بالبادية ، وكانت تقصد الناس والبهائم ، فمن عضَّته أهلكته .

وفيها : انحسر جبلٌ بالدِّينَور يعرف بالتل ، فخرج من تحته ماء عظيم غرّق عِدَّةً من القرى .

وفيها : سقطت شِرْذِمة من جبل لبنان إلى البحر .

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٤٢٣) ، والمنتظم (٦/ ١١٤) .
(٢) تاريخ بغداد (٣/ ٤٢٤) .
(٣) زيادة من ط ، وفي تاريخ بغداد هارباً منه وعاد حزنهم فرحاً .
(٤) زيادة من ط .
(٥) هذه الترجمة سقطت من ظا ، وهي ساقطة من نسخة (آ) ، وهي في ب ، ط . المنتظم (٦/ ١١٢) .
(٦) في المنتظم : ركبت في طيارها في آخر شعبان ، فغرقت تحت الجسر في يوم ريح عاصف ، وأخرجت بعد يومين .

وفيها : حملت بَغْلَةٌ ووضعَتْ مُهْرَة .

وفيها : صُلب الحسين بن منصور الحلاج[١] وهو حي أربعة أيام ؛ يومين في الجانب الشرقي ، ويومين في الجانب الغربي ، وذلك في ربيع الأول منها .

وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميّ العباسيّ ، أثابه الله وتقبّل منه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الأحوص بن المفضّل[٢] : ابن غسان بن المفضّل بن معاوية بن خالد بن غلاب ، أبو أميّة الغلابي ، القاضي بالبصرة وغيرها ، روى عن أبيه « التاريخ » . استتر عنده مرّة ابنُ الفرات ، فلمَّا أعيد إلى الوزارة ولاه قضاءَ البصرة والأهواز وواسط .

وكان عفيفاً نزهاً ، فلمّا نُكب ابنُ الفرات قبض عليه نائبُ البصرة فأودعه السجن ، فلم يزل به حتى مات فيه .

قال ابن الجوزي[٣] : ولا نعلم قاضياً مات في السجن سواه .

عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر[٤] : ابن الحسين بن مصعب ، أبو أحمد الخُزَاعي ، ولي إمرة بغداد . وحدَّث عن الزُّبير بن بكَّار . وعنه : الصّولي ، والطَّبرانيّ ، وكان أديباً فاضلاً ، شاعراً ، ومن شعره[٥] :

حـقُّ التنـائـي بيـنَ أهـلِ الهـوى ... تكَـاتُـبٌ يُسْخِـنُ عَيْـنَ النَّـوَى
وفـي التَّـدَانـي ـ لا انقضَـى عُمْـرُهُ ـ ... تَـزَاورٌ يَشْفِـي غَليـلَ الجَـوَى

وقد اتفق أنَّ جارية له كانت حظية عنده جداً ، مرضت فاشتهت ثلجاً ، فلم يوجد إلا عند رجلٍ ، فساومه الوكيل على رطلٍ منه ، فامتنع من بيعه إلا كُلّ رطلٍ بخمسة آلاف درهم ، وذلك لعلم صاحب البضاعة بالحال . فرجع الوكيل ليشاوره ، فقال : ويلك ! اشتره[٦] ولو بما كان ، فرجع ، فقال له صاحبُ الثلج : لا أبيعه إلا بعشرة آلاف ، فاشتراه بعشرة آلاف . ثم اشتهت الجارية ثلجاً أيضاً ، وذلك

---

(١) قتل الحلاج سنة ٣٠٩هـ ، وترجمته في حوادث تلك السنة .
(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٥٠) ، المنتظم (٦/ ١١٦) .
(٣) المنتظم (٦/ ١١٦) .
(٤) الأغاني (٩/ ٤٠) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٤٠) ، المنتظم (٦/ ١١٧) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٢٠) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٢) .
(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٤٢) ، المنتظم (٦/ ١١٧) .
(٦) في المنتظم : اشتره بأي ثمن كان .

لموافقته لها ، فرجع فاشترى منه رطلاً آخر بعشرة آلاف . ثمّ رطلاً آخر بعشرة أخرى[١] . وبقي عند صاحب الثلج رطلان ، فنطَفَت نفسُه إلى أكل رطل منه ؛ ليقول : أكلتُ الرطل من الثلج بعشرة آلاف ، فأكله . وبقي عنده آخر ، فجاءه الوكيل ، فامتنع أن يبيعه الرطلَ إلا بثلاثين[٢] ألفاً ، فاشتراه منه ، فشفيت الجارية ، وتصدَّقت[٣] بمال جزيل . فاستُدعي الرجل فأعطي من تلك الصدقة مالاً جزيلاً جداً ، وصار من أغنى الناس بعد ذلك وأكثرهم مالاً ، واستخدمه[٤] ابنُ طاهر عنده .

[ظهورُ[٥] أمر العبيديين الذين يزعمون أنهم فاطميون

كان أول ظهور أمرهم وشأنهم ـ بتقدير الله تعالى ـ قبيل سنة ثلاثمئة بقليل على يدي أبي عبد الله الشِّيعي ، واسمه الحسين بن أحمد بن زكريا المغربي البربري المتشيِّع[٦] .

وملخص خبره أنه كان فقيراً لا مال له ولا شيء ، فأقام رجلاً شريفاً من بيت النبوَّة ، وسمَّاه المهديَّ ، ولفَّ عليه خلقاً من البربر ببلاد المغرب ، وحارب له صاحب سجلماسة ، وهو أبو نصر زيادة الله ، وكان آخر ملوك بني الأغلب ببلاد إفريقية ، فكان بينهما حروب يطول بسطها ، لكن ظفر صاحب سجلماسة به في بعضها ، فأسر منه الشريف ، وسجنه عنده في قلعة ، فرجع الشِّيعي فحشد وجمع ، وجاء فحاصر البلد فظفر بها ، ثم حاصر القلعة ، فعمد الملك إلى الشريف فقتله في السجن وافتتح الشِّيعي القلعة قهراً ، وجاء إلى السجن فوجد الشريفَ قد قضى نحبه ووجد معه في السجن رجلاً يهودياً اسمه عبد الله بن ميمون من أهل سلمية الشام ، كان صبَّاغاً بها ، فأقامه مكان الشريف ، وقال : قل لهم : أنا المهدي ، فراج ذلك على أولئك العوام ، واستبدَّ بالمملكة ، وبنَى المهديَّة ، وانتشرت أعلامه ، وطالت أيامه .

ثم إن أبا عبد الله الشِّيعي ندم حيث لا ينفعه الندم ، وأحاطت به خطيئته ، وعمل على إزالة المملكة عن المهدي ، وصرفها إلى أخيه أحمد ، ففهم ذلك المهدي ، وبعث من قتلهما برَقَّا في سنة ثمان وتسعين ومئتين .

هذا ما وقفت عليه من تواريخهم ، وهو أولى ما يذكر هاهنا ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

---

(١) في ط : ثم آخر بعشرة آلاف .
(٢) بعدها في المنتظم : فقال : خذ ، فاستحييت من الله أن أبيع رطل ثلج بثلاثين ألفاً ، فقلت : هات عشرين .
(٣) في المنتظم : وتصدق عبيد الله بمال عظيم .
(٤) في المنتظم : فاستخدمني في شرابه وثلجه وكثير من أمر داره ، فكانت تلك الدراهم أصل نعمتي .
(٥) ما بين قوسين زيادة من نسختي ب ، ظا ولم ترد في النسخة الأحمدية المعتمدة والمطبوع .
(٦) ترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٩٨هـ .

وسنبيِّنه مستقصًى في حدود سنة أربعمئة[١] حين وضعت كبار أئمة العلماء خطوطهم بأنهم أدعياء كذبة في قولهم : إنهم فاطميون ، وغالب ملوكهم كانوا زنادقة ، ومنهم « الحاكم » لعنه الله ؛ رام أن يدّعي الإلٰهية كفرعون ، فما تجاسر على إظهار ذلك صريحاً ، ومازال حتى قتل ـ لعنه الله ـ شرَّ قتلة تحت أديم السماء[٢] . وكانت عوامهم يظهرون الرفض تبعاً لهم وخيفة منهم ، ويؤذّن في نحو مئة سنة أو أزيد بدمشق بـ « حيَّ على خير العمل » ، وأما بديار مصر فإلى آخر تاريخ . وأما أخذاتهم وما يطلع على جلية أمرهم ، فكما قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه الذي صنفه في الرَّدِّ على بعض قضاتهم في كتابه الذي سماه « الناموس الأعظم والبلاغ الأكبر » ، وقد كفر فيه كفراً لم يصل إلى شم رائحته إبليس ، بل ربما استفاد منه ما لم يخطر بباله ، فردَّ عليه القاضي أبو بكر رحمه الله في كتاب الذي سمَّاه : « كشف الأسرار وهتك الأستار » مجلدان كبيران مفيدان عظيمان ؛ قال فيه : فهؤلاء قوم يظهرون الرفض ، ويبطنون الكفر المحض] .

وممن توفي في حدود الثلاث مئة تقريباً .

الصَّنَوْبَريّ الشاعر[٣] : وهو أحمد بن محمّد بن مرَّار ، أبو بكر الضَّبِّي الصَّنَوْبَري الحلبي .

قال الحافظ ابن عساكر : كان شاعراً محسناً . وقد حكى عن عليّ بن سليمان الأخفش ، ثم ذكر أشياء من لطائف شعره ؛ فمن ذلك قوله[٤] :

لا النَّـــومُ أدري بـــهِ ولا الأرَقُ   يـدري بهـذيـنِ مَـنْ بـهِ رَمَـقُ
إنَّ دُموعي من طولِ ما استبقَتْ   كلَّـت فمـا تستطيـعُ تَسْتَبِـقُ
ولـي مَلِـكٌ لـم تبـدُ صـورتُـهُ   مُـذ كـانَ إلا صَلَّـتْ لـه الحَـدقُ
نـويْـتُ تقبيـلَ نَـارِ وَجْنَتِـهِ   وخِفْـتُ أدنُـو منهـا فـأَحْتَـرِقُ

وله أيضاً[٥] :

---

(١) حوادث سنة ٤٠٢هـ .
(٢) مات الحاكم بأمر الله سنة ٤١١هـ . وترجمته وصفة مقتله في حوادث تلك السنة .
(٣) هذه الترجمة لم ترد في ب ، ظا ، وهي من زيادات آ والنسخة المصرية في المطبوع .
وتوفي الصنوبري سنة ٣٣٤هـ ، تاريخ ابن عساكر (٥/ ٢٤١) ، وفوات الوفيات (١/ ٦١) ، والعبر (٢/ ٢٣٧) ، واللباب (٢/ ٢٤٨) ، وأعيان الشيعة (٩/ ٣٥٦) ، وشذرات الذهب (٢/ ٣٣٥) .
(٤) الديوان (٤٣٦) ، وتاريخ ابن عساكر (٥/ ٢٤١) ، والنجوم الزاهرة (٣/ ٢٨٨) .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٥/ ٢٤٢) ، وفوات الوفيات (١/ ١١٢) ، وملحقات الديوان (٤٧٥) .

شمسٌ[١] غدا يشبه شمساً غَدَتْ ... وخدُّها في النورِ[٢] مِنْ خدِّهِ
تغيبُ في فيهِ ولكنَّها ... مِن بَعْدِ ذا تطلعُ في خدِّهِ

وقد روى الحافظ البيهقي ، عن شيخه الحاكم ، عن أبي الفضل نَصْر بن محمد الطوسيّ ، قال أنشدنا أبو بكر الصَّنَوْبَري ، فقال[٣] :

هدَمَ الشيبُ ما بناهُ الشَّبابُ ... والغَوَاني ما عصيْنَ غِضابُ
قلب الآبنوسُ عاجاً فللأعـ ... ـينِ منه وللقلوبِ انقلابُ
وضلالٌ في الرأي أن يُشنأ البا ... زي ، على حسنهِ ، ويُهْوَى الغرابُ[٤]

وله أيضاً ، وقد أورده ابنُ عساكر في ابنٍ له فُطم فجعل يبكي على ثديه[٥] :

منعوهُ أحبَّ شيءٍ إليهِ ... من جميعِ الوَرَى ومِنْ والديهِ
منعُوهُ غِذاهُ وقَدْ كانَ ... مباحاً لَهُ وبينَ يديهِ
عَجباً له على صغرِ السِّـ ... ـنِّ هوى فاهتدى الفراقُ إليهِ

ومِمن توفي بهذا العصر أيضاً :

إبراهيم بن أحمد بن محمّد[٦] : **ابن المُوَلَّد** ، أبو إسحاق الصُّوفي الواعظ الرَّقِّيّ ، أحد مشايخها ، روى الحديث ، وصحب أبا عبد الله بن الجلاد الدِّمشقي ، والجُنَيد ، وغير واحدٍ . وروى عنه : تمَّام بن محمد ، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي . وقد أورد ابن عساكر من شعره قوله[٧] :

لكَ منِّي على البعادِ نَصيبُ ... لم يَنلْهُ على الدُّنُوِّ حَبيبُ
وعلى الطَّرْفِ مِن سواكَ حجابٌ ... وعلى القلبِ من هَواكَ رقيبُ
زِينَ في ناظري هواكَ وقلبي ... والهَوَى فيهِ زائِغٌ ومَشُوبُ
كيفَ يُغني قرْبُ الطَّبيبِ عليلاً ... أنتَ أسقمتَهُ وأنتَ الطَّبيبُ

---

(١) في المصادر : بدر غدا يشرب . وفي ط : شمس غدا يشبه .
(٢) في المصادر : في الوصف .
(٣) الأبيات الثلاثة في تاريخ ابن عساكر (٥/ ٢٤٣) ، وملحقات الديوان (٤٥٩) .
(٤) « يشنأ » : يبغض .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٥/ ٢٤٦) ، وديوانه (٥١٢) .
(٦) توفي ابن المولَّد هذا سنة ٣٤٢هـ ، وليس موضعه هنا . وترجمته في حلية الأولياء (١٠/ ٣٦٤) ، وتاريخ ابن عساكر (٤/ ١٣) ، وطبقات الصوفية (ص٤١٢) ، وشذرات الذهب (٢/ ٣٦٢) .
(٧) تاريخ ابن عساكر (المجلد ٥/ الورقة ١٨٤) . ومختصره لابن منظور (٤/ ١٤) .

وقوله[١] :

الصَّمْتُ أمْنٌ مِنْ كُلِّ نازلةٍ   مَنْ نالَهُ نالَ أفْضَلَ القِسَمِ
ما نزلَتْ بالرِّجالِ نازِلةٌ   أعظمُ ضُرّاً من لَفْظةٍ بِفَمِ
عثرةُ هذا اللِّسانِ مُهلكةٌ   ليسَتْ لدينا كَعَثْرةِ القَدَمِ
احفظ لساناً يُلقيك في تَلَفٍ   فَرُبَّ قولٍ أذَلَّ ذا كَرَمِ

فصل[٢]

اختلف النَّاس أيُّما أفضل : الغنيُّ الشاكر ، أو الفقير الصَّابر ؟ على قولين مشهورين . وقيل : هما سواء . وقيل : أفضلهما أتقاهما لله فيما هو فيه ، فإن استويا فهما سواء . وقد سئل أبو علي الدَّقَّاق عن هذه المسألة ؟ فقال : الغنيُّ أفضلُ ؛ لأنَّ الغنيَّ من صفات الله تعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿ ۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] . قال : ولكن الغنيَّ الذي يكون واثقاً بما عند الله لا بما في يديه ، يعني : ما قاله رسولُ الله ﷺ في الحديث المتَّفق عليه : « ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض ، إنَّما الغِنى غنَى النَّفسِ »[٣] . وما أحسن ما قال بعضهم :

غنيتُ بلا مالٍ عن النَّاسِ كلِّهم   وإنَّ الغنَى العالي عن الشيء لا بهِ

وقال الآخر :

وإذا تذلَّلَتِ الرِّقابُ تواضُعاً   منَّا إليك فعزُّها في ذُلِّها

وقال الآخر :

تقنَّعْ بما يكفيكَ واستعمل الرِّضا   فإنَّك لا تَدري أتصبحُ أمْ تمسي
فليس الغنَى عن كثرةِ المالِ إنَّما   يكون الغِنَى والفقرُ مِن قبل النَّفْسِ

•••

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (المجلد ٢/ الورقة ١٨٤) . ومختصره لابن منظور (٤/ ١٤) .
(٢) هذا الفصل من زيادات النسخة الأحمدية ، ولعلها من الناسخ ، وأثبتها حفاظاً على الأصل المعتمد .
(٣) رواه البخاري (١١/ ٢٣١ و٢٣٢) في الرقاق ، باب الغنى عن النفس؛ ومسلم رقم (١٠٥١) في الزكاة ، باب ليس الغنى عن كثرة العرض . ورواه أيضاً الترمذي رقم (٢٣٧٣) في الزهد ، باب ما جاء أن الغنى غنى النفس .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمئة من الهجرة النبوية

فيها غزا الحسينُ بن حَمْدان[١] الصَّائفة ، ففتح حصوناً كثيرة من بلاد الرُّوم ، وقَتَلَ [منها][٢] أمماً لا يُحْصون كثرة .

وفيها عزل المقتدر محمدَ بنَ عبيد الله[٣] عن وزارته ، وقلَّدها عيسى[بنَ علي][٤] ، فكان من خيار الوزراء ، وأقصدِهم للعَدْل والإحسان ، واتِّباع الحقِّ .

وفيها كَثُرَتِ الأمراض الدَّمويَّة ببغداد في تموز وآب ؛ فمات من ذلك خَلْق كثير وجمٌّ غفير من أهلها .

وفيها وصلتْ هدايا صاحب عُمَان ، وفيها ببغة[٥] بيضاء وغزالٌ أسود .

وفي شعبان منها ركب المقتدر إلى باب الشَّمَّاسِيَّة[٦] على الخيل ، ثم انحدر إلى داره في دِجْلَة ، فكانت أول رَكْبَةٍ رَكِبَهَا جَهْرَةً للعامة .

وفيها استأْذَنَ الوزير عليُّ بن عيسى المقتدر بالله في مكاتبة رأس القرامطة أبي سعيد الحسن بن بَهْرام الجَنَّابي فأذِنَ له ، فكتب إليه كتاباً طويلاً يدعوه فيه إلى السمع والطاعة ، ويوبِّخُه على ما يتعاطاه أصحابه من ترك الصَّلوات والزكوات ، وارتكاب المنكرات ، وإنكارهم على منْ يذكر الله ويسبِّحه ويحمَدُه ، واستهزائهم بالدِّين ، واسترقاقهم الحرائر ، ثم توعَّده بالحَرْب وتهدَّده ، فلما سار الكتاب نحوه قُتِلَ أبو سعيد قبل أن يصِلَه ؛ قتله بعضُ خَدَمه ، وعَهِدَ بالأمر من بعده لولده سعيد ، فَغَلَبَهُ على ذلك أخوه أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد[٧] ، فلما قرؤوا كتابَ الوزير إليهم أجابوه بما حاصله : إن هذا الذي نُسِبَ إلينا مما ذكرتم لم يثبت عندكم إلا من طريق من يشنِّع علينا ، وإذا كان الخليفة يَنْسُبنا إلى الكفر بالله ، فكيف يدعونا إلى السَّمْع والطاعة له ؟

---

(١) أحد الأمراء الحمدانيين الشجعان ، وهو عم سيف الدولة ، كان من أنصار ابن المعتز في فتنة خلع المقتدر ، قتل سنة (٣٠٦هـ) ، وأخباره مبثوثة في كتب التاريخ ، انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٩٢ ـ ٩٤)

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ب) و (ط) عبد الله ، وهو تصحيف ، وأخباره في تحفة الوزراء (٢٦١ ـ ٢٨٠) ، الفخري في الآداب السلطانية (١٩٦ ـ ١٩٧) .

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٣٥هـ) من هذا الجزء ، وما بين حاصرتين من (ب) و (ط) .

(٥) في (ط) بغلة ، وهو تحريف .

(٦) محلة كانت في أعلى الجانب الشرقي من بغداد . معجم البلدان (٣/ ٣٦١) .

(٧) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٣٢هـ) .

وفيها جيء بالحسين بن منصور الحلَّاج إلى بغداد ، وهو مشهورٌ على جَمَل ، وغلام له راكب جملاً آخر ، يُنادي عليه : هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه ، ثم حبس ، ثم أُحضر إلى مجلس الوزير ، فناظره ، فإذا هو لا يقرأ القرآن ، ولا يعرف من الحديث ولا الفِقْه ولا اللغة ولا الأخبار ولا الشِّعْر شيئاً ، وكان الذي نُقِمَ عليه أنه وجدت له رِقاع يدعو فيها الناس إلى الضَّلالة والجهاد بأنواع من الرموز ، يقول في مكاتباته كثيراً : تبارك ذو النور الشَّعْشَعاني . فقال له الوزير علي بن عيسى رحمه الله : تعلُّمك الطهور والفروض أجْدَى عليك من رسائلَ لا تدري ما تقول فيها ، وما أحوجك إلى الأدب . ثم أمَرَ به فَصُلِبَ حياً صَلْبَ الاشتهار لا القتل ، ثم أُنزل فحبس في دار الخلافة ، فجعل يُظْهر لهم أنه على السُّنَّة ، وأنه زاهد ، حتى اغترَّ به كثير من الخُدَّام وغيرهم من أهل دار الخلافة من الجهلة الطَّغَام ، حتى صاروا يتبركون به ويتمسَّحون بثيابه . وسيأتي ما صار إليه أمرُه حتى قُتِلَ بإجماع الفقهاء وأكثر الصوفية[(١)] .

ووقع في آخر هذه السنة ببغداد وباءٌ شديد جداً حتى مات بشر كثير ، ولا سيما بالحربيَّة ؛ غُلِّقت عامَّة دورها .

وحجَّ بالناس الفَضْلُ بنُ عبد الملك الهاشمي[(٢)] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن خالد الشَّافعي[(٣)] ، جمع العِلْم والزُّهْد ، من تلاميذه[(٤)] أبو بكر الإسماعيلي .

جعفر بن محمَّد[(٥)] **بن الحسن**[(٦)] **بن المستفاض** ، أبو بكر ، الفِرْيابي ، قاضي الدِّيْنَور ، طاف البلاد في طلب العِلْم ، وسَمِعَ الكثير من المشايخ الكثيرين ، مثل قتيبة ، وأبي كُرَيْب ، وعلي بن المديني ، وبُنْدَار ، وعنه : أبو الحسين بن المنادي ، والنَّجَّاد ، وأبو بكر الشَّافعي ، وخَلْقٌ . واستوطن بغداد ، وكان ثِقَةً حافظاً حُجَّةً ، وكان عِدَّة من يحضر مجلسه نحواً من ثلاثين ألفاً ، والمستملون عنه منهم فوق الثلاثمئة ، وأصحاب المحابر نحو من عشرة آلاف . وكانت وفاته في المحرَّم من هذه السنة عن أربع

---

(١) سترد أخباره مفصلة في أحداث سنة ٣٠٩هـ من هذا الجزء .

(٢) أمير ، من أعيان العباسيين ، كان صاحب الصلاة بمكة والمدينة ، توفي سنة (٣٠٧هـ) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٧٥) .

(٣) المنتظم (٦/ ١٢٣) .

(٤) في (ح) و(ط) من تلاميذ أبي بكر الإسماعيلي ، وهو تحريف ، والمثبت من (ب) و(ظا) ، وسترد ترجمة أبي بكر في وفيات سنة (٣٧١هـ) .

(٥) تاريخ بغداد (٧/ ١٩٩ ـ ٢٠٢) ترتيب المدارك (٣/ ١٨٧ ـ ١٨٨) الأنساب (٩/ ٢٩١) المنتظم (٦/ ١٢٤ ـ ١٢٥) معجم البلدان (٤/ ٢٥٩) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٩٢ ـ ٦٩٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٩٦ ـ ١١١) .

(٦) في النسخ الخطية و(ط) : الحسين ، وهو تصحيف ، والمثبت ما أجمعت عليه مصادر ترجمته .

وتسعين سنة ، وكان قد حفر لنفسه قبراً قبل وفاته بخمس سنين ، فكان يمرُّ نحوه فيقف عنده ، ثم لم يقيض له أنه دفن فيه ، بل [دفن][١] في مكانٍ آخر ، رحمه الله حيثُ كان .

أبو سعيد الجَنَّابي[٢] **القِرْمِطي**[٣] وهو الحسن[٤] بن بَهْرام ـ قبَّحه الله ـ وهو رأس القرامطة ، والذي يعوِّلون عليه في بلاد البحرين وما والاها[٥] .

علي بن أحمد الرَّاسبي[٦] كان يلي بلاد واسط إلى شَهْرَزُور[٧] وغيرها ، وقد خَلَّف من الأموال شيئاً كثيراً ؛ من ذلك ألف ألف دينار ، ومن آنية الذهب والفِضَّة ونحو ذلك ما يعادل مئة ألف دينار ، ومن الخَزِّ ألف ثوب[٨] ، ومن الخيل والبغال والجمال ألف رأس .

محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب[٩] يعرف بالأحنف ، كان قد ولي قضاء مدينة المنصور نيابةً عن أبيه حين فُلِج ؛ فمات في جمادى الأولى من هذه السنة . وتوفي أبوه بعده في رجب[١٠] ، وبينهما ثلاثة وسبعون يوماً ، ودفنا في موضعٍ واحد ، رحمهما الله تعالى .

وممن توفي فيها :

أبو بكر أحمد[١١] **بن هارون البَرْدَعي**[١٢] **الحافظ** .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) نسبة إلى جنابة ، وهي بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيراف ، وقد وَهَمَ السمعاني في قوله : إنها بلدة بالبحرين ، وضبطها بضم الجيم ، وتابعه في وهمه ابن الأثير في اللباب . معجم البلدان (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦) ووفيات الأعيان (٢/ ١٥٠) .
(٣) الأنساب (٣/ ٣٠٨) معجم البلدان (٢/ ١٦٦) اللباب (١/ ٢٣٨) الكامل (٧/ ٤٩٣ ـ ٤٩٥) وما بعدها و(٨/ ٨٣ ـ ٨٤) وفيات الأعيان (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨) العبر (٢/ ١١٧) مرآة الجنان (٢/ ٢٣٨) شذرات الذهب (٢/ ٢٣٧) .
(٤) في (ح) الحسين ، وهو تصحيف .
(٥) على هامش (ح) : قتل في الحمام .
(٦) المنتظم (٦/ ١٢٥ ـ ١٢٦) العبر (٢/ ١٢٠ ـ ١٢١) دول الإسلام (١/ ١٤٤) النجوم الزاهرة (٣/ ١٨٣) شذرات الذهب (٢/ ٢٣٧) .
(٧) كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان . معجم البلدان (٣/ ٣٧٥) .
(٨) في (ط) ومن البقر ألف ثور ، وهو تحريف .
(٩) المنتظم (٦/ ١٢٧) .
(١٠) في رواية أنه توفي سنة (٢٩٨هـ) ، انظر ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ١٠) .
(١١) في النسخ الخطية و(ط) : محمد ، وهو تحريف .
(١٢) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٢ ـ ١٢٤) .

وابن ناجية[١] .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثمئة

فيها وَرَدَ كتابُ بِشْر[٢] الخادم بأنه قد أوقع بالرُّوم بأساً شديداً ، وأنه قد أسر منهم مئة وخمسين بطريقاً[٣] ؛ ففرح المسلمون بذلك .

وفيها خَتَنَ الخليفة المقتدر خمسةً من أولاده ، فَغَرِمَ على هذا الخِتَان ستمئة ألف دينار ، من ذلك خمسة آلاف نثارا ، ومئة ألف دِرْهم ، وقد ختن معهم بل قبلهم خَلْقاً من الأولاد اليتامى ، وأحسن إليهم[٤] ، وهذا صنيع حسنٌ ، رحمه الله .

وفيها صادر الخليفة أبا عبد الله بن الجَصَّاص[٥] بستة عشر ألف ألف دينار غير الآنية والثياب الثمينة .

وفيها أرسل الخليفة المقتدر أولاده إلى المكتب فكان يوماً مشهوداً .

وفيها بنى الوزير[٦] المارَسْتان بالحربية من بغداد ، وأنفق عليه أموالاً جزيلة جداً ، جزاه الله خيراً .

وحجَّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك[٧] .

وقطعت الأعراب وطائفة من القرامطة الطريق على الراجعين من الحجيج[٨] ، فقتلوا منهم خَلْقاً ، وأسروا أكثر من مئتي امرأةٍ حُرَّة ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بِشْر بن نَصْر بن منصور[٩] ، أبو القاسم ، الفقيه ، الشَّافعي ، من أهل مصر[١٠] ، يُعرف بغلام

---

(١) في (ط) الحافظ ابن ناجية ، بإسقاط الواو العاطفة ، وهو وهم . وترجمة ابن ناجية في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦٤ ـ ١٦٥) .

(٢) في النسخ الخطية و(ط) : مؤنس ، وهو تحريف ، وكان بشر والي طَرَسوس ؛ وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . تاريخ الطبري (١٠/ ١٥٠) المنتظم (٦/ ١٢٧) ومعجم البلدان (٤/ ٢٨) والكامل (٨/ ٩٠).

(٣) في (ط) أي أميراً .

(٤) في (ط) بالمال والكساوي .

(٥) في النسخ الخطية و(ط) أبا علي ، وهو تحريف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣١٥هـ) .

(٦) هو علي بن عيسى ، سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٣٥هـ) .

(٧) انظر أحداث سنة ٣٠١هـ من هذا الجزء .

(٨) في (ط) : وأخذوا منهم أموالاً كثيرة .

(٩) تاريخ بغداد (٧/ ٨٨) . المنتظم (٦/ ١٢٨ ـ ١٢٩) رفع الإصر (٣٩٤) .

(١٠) الأصح أن يقال إنه سكن مصر ، كما في تاريخ بغداد (٧/ ٨٨) .

عِرْق ، وعِرْق خادم من خُدَّام السُّلْطان ، كان يلي البريد ، فَقَدِمَ معه بهذا الرجل [مصر][١] ، فأقام بها حتى كانت وفاته فيها ، رحمه الله .

بِدْعة جارية عُرَيب[٢] المغنِّية ، بُذِلَ لسيدتها فيها مئة ألف دينار وعشرون ألف دينار من بعض من رَغِبَ فيها ، فعَرَضتْ ذلك عليها ، فكرهت مُفَارقة سيدَتِها ، فأعتقتها سيدَتُها في يومها[٣] ذاك ، وتأَخَّرَتْ وفاتها إلى هذه السنة[٤] ، وقد تركتْ من المال العين والأملاك ما لم يملكه رجل .

القاضي أبو زُرْعة محمد بن عثمان الشَّافعي[٥] ، قاضي مِصْر ثم دمشق ، وهو أول من حكم بمذهب الشَّافعي بالشَّام وأشاعه به[٦] ، وكان ثِقَةً عَدْلًا من سادات القضاة ، وكان أصله من أهل الكِتاب اليهود[٧] ، وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشَّافعية » .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمئة

فيها وقف المقتدر بالله أموالًا جزيلة وضياعاً على الحرمين الشَّريفين ، واستدعى القضاة والأعيان وأشهدهم على نفسه بما وقفه من ذلك .

وفيها قُدِمَ إلى بغداد بجماعة من الأسارى من الأعراب الذين كانوا عدوا على الحجيج في تلك السنة ، فلم تتمالك العامة أن عَدَتْ عليهم فقتلوهم ، فأُخِذ بعضهم فعوقب لكونه افتأت على السُّلطان .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) ، والعبارة ملبسة المعنى ، أوضح منها ما ورد في تاريخ بغداد (٧/ ٨٨) والمنتظم (٦/ ١٢٩) . فقدم في جملة من قدم من بغداد .

(٢) المنتظم (٦/ ١٢٩) الكامل (٨/ ٩٠ ، ٥٠٦) جهات الأئمة الخلفاء (٦٣ ـ ٦٦) المستظرف من أخبار الجواري (١٣ ـ ١٥) الأغاني (٢٢/ ١٨١ ـ ١٨٣) .
وفي (ح) و(ظا) غريبة ، وفي (ط) غريب ، وكلاهما خطأ ، والمثبت من (ب) ، وقد ضبط في المشتبه (٢/ ٤٥٥) بضم العين ، وأخبارها في الأغاني (٢١/ ٥٤ ـ ٩١) .

(٣) في (ط) موتها ، وهو تصحيف .

(٤) أورد ابن الأثير خبر وفاتها في هذه السنة ، وفي سنة (٣٤٢هـ) ، وذكر أنها توفيت عن اثنتين وتسعين سنة ، الكامل (٨/ ٩٠ ، ٥٠٦) .

(٥) تاريخ ابن عساكر (خ) (س) (١٥/ ٣٢٩/أ) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٣) العبر (٢/ ١٢٣) الوافي بالوفيات (٤/ ٨٢ ـ ٨٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٩٦ ـ ١٩٨) النجوم الزاهرة (٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤) قضاة دمشق (٢٢/ ٢٣) شذرات الذهب (٢/ ٢٣٩) .

(٦) في (ط) : وقد كان أهل الشام على مذهب الأوزاعي من حين مات إلى هذه السنة ، وثبت على مذهب الأوزاعي بقايا كثيرة لم يفارقوه .

(٧) في (ط) : ثم أسلم ، وصار إلى ما صار إليه .

وفيها وقع حريق شديد في سوق النجارين في بغداد فاحترق السوق بكماله .

وفي ذي الحِجَّة من هذه السنة مرض المقتدر بالله ثلاثة عشر يوماً ، ولم يمرض في مدة خلافته ـ مع طولها ـ سوى هذه المرضة .

وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك .

ولما خاف الوزير على الحُجَّاج من شأن القرامطة في رجعتهم كتب إليهم رسالة لِيَشْغَلَهُمْ بها عن أمر الحجيج ، فاتهمه بعض الكبار بمراسلة القرامطة ، فلما انكشف أمره وما قصده حظي عند النَّاس بذلك جداً .

وممن توفي في هذه السَّنة من الأعيان :

النَّسَائي رحمه الله[(١)] ، أحمد بن علي[(٢)] بن شُعيب بن علي بن سِنَان بن بَحْر بن دِينار ، أبو عبد الرحمن ، النَّسائي ، صاحب « السنن » ، الإمام في عصره ، والمقدَّم على أضرابه وأشكاله وفُضلاء دهره ، رحل إلى الآفاق ، واشتغل بسماع الحديث والاجتماع بالأئمة الحُذَّاق ، ومشايخه الذين روى عنهم مشافهة قد ذكرناهم في كتابنا « التكميل » ولله الحمد والمنة ، وترجمناه أيضاً هناك ، وروى عنه خَلْق كثير وجم غفير ، وقد جمع « السنن الكبير » ، وانتخَبَ منه[(٣)] ما هو أقل حجماً منه بمرَّات ، وقد وقع لنا سماع كلٍّ منهما . وقد أبان في تصنيفه عن حفظٍ وإتقان وصِدْق وإيمان وعِلْم وعِرْفان .

قال الحاكم عن الدَّارَقُطْني : أبو عبد الرحمن النَّسائي مقدَّمٌ على كلِّ منْ يُذْكر بهذا العِلْم من أهل عَصْره ، وكان يسمَّىٰ كتابه الصحيح .

وقال أبو علي الحافظ : للنسائي شرط في الرِّجال أشدُّ من شرط مسلم بن الحجَّاج ، وكان من أئمة المسلمين .

وقال أيضاً : هو الإمام في الحديث بلا مدافعة .

وقال أبو الحسين محمد بن المُظَفَّر الحافظ : سمعت مشايخَنا بمصر يعترفون له بالتقدُّم

(١) المنتظم (٦/ ١٣١ ـ ١٣٢) وفيات الأعيان (١/ ٧٧ ـ ٧٨) تهذيب الكمال (١/ ٢٣ ـ ٢٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٥ ـ ١٣٥) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٩٨ ـ ٧٠١) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٤ ـ ١٦) .

(٢) كذا في الأصول ، ومثله في وفيات الأعيان (١/ ٧٧) وأجمعت بقية المصادر على أنه أحمد بن شعيب ، وهو المشهور .

(٣) المختصر هو المجتبى أو المجتنى ، وكلاهما بمعنى ، وهو المطبوع والمتداول بين الناس ، وفي نسبة اختصاره إلى النسائي خلاف بين العلماء ، إذ إن بعضهم يقول إنه من اختصار تلميذه ابن السني المتوفى سنة (٣٦٤هـ) .

والإمامة ، ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والاجتهاد(١) .

وقال غيره : كان يصوم يوماً ويُفْطِرُ يوماً ، وكان له أربع زوجات وسَرِيَّتان ، وكان كثير الجِمَاع ، حسنَ الوجه ، مشرق اللَّوْن . قالوا : وكان يَقْسِم للإماء كما يقسم للحرائر .

وقال الدَّارَقُطْني : كان أبو بكر بن الحدَّاد كثير الحديث ولم يحدِّثْ عن أحدٍ سوى النَّسائي . وقال رضيتُ به حُجَّةً بيني وبين الله عزَّ وجلَّ .

وقال ابن يونس : كان إماماً في الحديث ثِقَةً ثَبْتاً حافظاً ، وكان خروجه من مِصْر في سنة ثنتين وثلاثمئة .

وقال ابن عدي : سمعت منصوراً الفقيه وأحمد بن محمد بن سلامة الطَّحَاوي يقولان : أبو عبد الرحمن النَّسائي إمامٌ من أئمة المسلمين ، وكذلك أثنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة ، وشهدوا له بالفَضْل والتقدُّم في هذا الشأن والحِفْظ والمعرفة .

وقد ولي الحكم بمدينة حِمْص ، سمعته من شيخنا الحافظ أبي الحجَّاج المزيِّ رحمة الله عليه عن رواية الطبراني في « معجمه الأوسط » حيث قال : حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بحِمْص ، وذكروا أنه كان له من النِّساء أربع نسوة ، وكان في غاية الحسن ، وجهه كأنه قِنْديل ، وكان يأكل في كل يوم ديكاً ، ويشرب عليه من نقيع الزَّبيب الحلال .

وقد قيل : إنه كان يُنْسَبُ إليه شيء من التشيُّع .

قالوا : دخل إلى دمشق ، فسأله أهلُها أن يحدِّثهم بشيء من فضائل معاوية فقال : أما يكفي معاوية أن يذهب رأساً برأس حتى تُرْوىٰ له فضائل ! فجعلوا يطعنون(٢) في خُصْيَتَيْه حتى أُخرج من المسجد الجامع ، فسار من عندهم فَقَصَد مكة ، فمات بها في هذه السَّنة ، وقبره بها ، هكذا حكاه الحاكم عن محمد بن إسحاق الأصبهاني عن مشايخه .

وقال الدَّارَقُطْني : كان أفقه مشايخ مِصْر في عَصْره ، وأعرفهم بالصَّحيح والسَّقيم من الآثار ، وأعرفهم بالرِّجال ، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه ، فخرج إلى الرَّمْلة ، فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه ، فضربوه في الجامع ، فقال : أخرجوني إلى مكة ، فأخرجوه وهو عليل ، فتوفِّي بمكة مقتولاً شهيداً .

وقال الحاكم : مع ما رزق النَّسائي من الفضائل رُزِقَ الشَّهادة في آخر عمره ، مات بمكة سنة ثلاث وثلاثمئة .

---

(١) في (ط) الجهاد ، وهو تحريف .

(٢) في المنتظم (٦/ ١٣١) : يدفعون ؛ وهو الأشبه .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغني بن نُقْطة في « تقييده » : ونقلت من خَطِّ أبي عامر محمد بن سعدون العَبْدَري الحافظ : مات أبو عبد الرحمن النَّسائي بالرَّملة[١] مدينة فِلَسْطين يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من صفر سنة ثلاث وثلاثمئة ، ودفن ببيت المقدس .

وحكى ابن خَلِّكان في « الوفيات » أنه توفِّي في شعبان من هذه السنة ، وأنه إنما صنَّف « الخصائص » في فضل علي وأهل البيت ؛ لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها في سنة ثنتين وثلاثمئة عندهم نُفْرة من علي ، وسألوه عن معاوية فقال ما قال ، فدفعوا في خُصْيتيه فمات[٢] .

وهكذا ذكر ابن يونس وأبو جعفر الطَّحاوي : أنه توفي بفلسطين في صفر من هذه السنة .

وكان مولد النَّسائي في سنة خمس عشرة أو أربع عشرة ومئتين تقريباً عن قوله رحمه الله ، فكان عمره ثمانياً وثمانين سنة[٣] .

الحسن بن سُفْيان[٤] **بن عامر بن عبد العزيز بن النُّعمان بن عطاء** ، أبو العبَّاس ، الشَّيْباني النَّسَوي ، محدِّث خُراسان ، والذي كان يضرب آباط الإبل إليه في معرفة الحديث والفِقْه . رَحَلَ إلى الآفاق ، وتفقَّه على أبي ثَوْر[٥] ، وكان يُفْتي بمذهبه ، وأخذ الأدبَ عن أصحاب النَّضْر بن شُمَيْل[٦] ، وكانت إليه الرِّحْلة بخراسان .

ومن غريب ما اتَّفَقَ له : أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصْر في رحلتهم لطلب الحديث ؛ فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئاً ، ولا يجدون ما يبيعونه للقوت ، واضطرَّهُمُ الحال إلى تجشُّمِ السؤال ، وأنِفَتْ أنفسُهم من ذلك ، وعزَّتْ عليهم ، وامتنعت كلَّ الامتناع ، والحاجة تضطرهم إلى تعاطي ذلك ، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يقوم بأعباء هذا الأمر ، فوقعت القُرْعة على الحسن بن سُفْيان ،

---

(١) وهو ما صححه الذهبي ، انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣٢ ـ ١٣٣) .
(٢) وفيات الأعيان (١ ـ ٧٧ ـ ٧٨) .
(٣) انفرد الخزرجي في خلاصة تذهيب الكمال (٦) أنه توفي سنة (٣٠٤هـ) ، وليس بشيء .
(٤) الجرح والتعديل (مج١/ ق٢/ ١٦) الأنساب (٢/ ٥٨ ـ ٥٩) المنتظم (٦/ ١٣٢ ـ ١٣٦) معجم البلدان (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٦/ ٣٣٧ ـ ٣٤١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٧ ـ ١٦٢) ميزان الاعتدال (١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥) تهذيب ابن عساكر (٤/ ١٧٨ ـ ١٨٢) .
(٥) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان البغدادي ، أحد الأئمة فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً ، وعلى الرغم من أنه كان صاحب مذهب في الفقه إلا أنه أكثر ميلاً للشافعي ، توفي سنة (٢٤٠هـ) وقد مر ذكره عرضاً في وفياتها في هذا الكتاب . وترجمته مفصلة في طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٧٤ ـ ٨٠) .
(٦) من أصحاب الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وكان أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة ، توفي سنة (٢٠٤هـ) وترجمته في وفيات الأعيان (٥/ ٣٩٧ ـ ٤٠٥) .

فقام عنهم ، فاختلى في زاوية المسجد الذي هُمْ فيه ، فصلَّى رَكْعَتين أطال فيهما ، واستغاث بالله ، وسأله بأسمائه العِظام ، فما انصرف من الصَّلاة حتى دخل المسجد شابٌّ حسن الهيئة ، مليح الوجه فقال : أين الحسن بن سفيان ؟ فقلت : أنا . فقال : الأمير طولون[1] يقرأ عليكم السَّلام ، ويعتذر إليكم في تقصيره ، وهذه مئة دينار لكلِّ واحدٍ منكم . فقلنا له : ما الحامل له على هذا ؟ فقال : إنه أحبَّ أن يختلي اليوم بنفسه ، فبينا هو الآن نائم إذ جاءه فارس في الهواء بيده رمح ، فدخل عليه المنزل ووضع عَقِبَ الرُّمح في خاصرته ، فوكزه به وقال : قُمْ فأَدْرِكِ الحسنَ بنَ سفيان وأصحابه ، قُمْ فأَدْرِكْهُمْ ، قُمْ فأدْرِكْهُمْ ؛ فإنهم منذ ثلاثة أيام جياعٌ في المسجد الفلاني . فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا رِضْوان خازن الجنَّة . فاستيقظ الأمير وخاصرته تؤلمه ألماً شديداً ، فبعثَ بالنفقة في الحال إليهم ، ثم جاء لزيارتهم ، واشترى ما حول ذلك المسجد[2] ، ووقفه على الواردين إليه من أهل الحديث ، جزاه الله خيراً .

وقد كان الحسن بن سفيان رحمه الله من أئمة هذا الشَّأْن وفرسانه وحُفَّاظه ، وقد اجتمع عنده جماعة من الحفاظ منهم ابن خُزَيمة[3] وغيره ، فقرؤوا عليه شيئاً من الحديث ، وجعلوا يقلبون الأسانيد ليستعلموا[4] ما عند الشيخ ، فما قلبوا شيئاً إلا ردَّهم فيه إلى الصواب ، وعمره إذ ذاك تسعون[5] سنة ، وهو في هذا السِّن حافظٌ ضابط ، لا يَشِذُّ عنه شيء من حديثه ، ومن فوائده : العَبْسي كوفي ، والعَيْشي بَصْري ، والعَنْسي مِصْري[6] .

---

(١) كذا ورد الاسم في أكثر المصادر التي ساقت الخبر ، ومن المعروف أن طولون لم يل مصر ، مما دعا الإمام الذهبي إلى أن يشكك في صحة الحكاية ، وفي مختصر ابن منظور و تهذيب ابن عساكر ورد باسم ابن طولون ، وهو أحمد الذي ولي مصر سنة (٢٥٤هـ) ، وكان عمر الحسن بن سفيان وقتئذٍ قد جاوز سن الطلب ، ومن ثم قال الإمام الذهبي : وأما ابنه أحمد بن طولون فيصغر عن الحكاية . سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦٢) ومختصر ابن منظور (٦/ ٣٤٠) وسيرد خبر قريب من هذا الخبر في ترجمة محمد بن جرير الطبري في وفيات سنة (٣١٠هـ) .

(٢) في (ط) المجلس ، وهو تحريف .

(٣) في (ط) ابن جرير الطبري ، وهو تحريف ، وابن خزيمة ستَرِد ترجمته في وفيات سنة (٣١١هـ) .

(٤) في (ح) و(ب) و(ط) ليستعملوا ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ظا) .

(٥) في (ط) سبعون ، وهو تصحيف ، ولم تذكر المصادر سنة ولادته خلا الذهبي الذي قال : ولد سنة بضع وثمانين ومئة . تحرفت في المطبوع إلى مئتين . وعلى ذلك يكون عمره حين توفي قد جاوز المئة بكثير . سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٧) .

(٦) قال ابن حجر في (تبصير المنتبه) ٣/ ٩٨٨ : « ومن ضوابط هذا الفن أن من كان من أهل الكوفة فهو بالموحدة ، ومن كان من أهل الشام فهو بالنون ، ومن كان من أهل البصرة فهو بالشين المعجمة » .

رُوَيْم بن أحمد[١] ، ويقال ابن محمد بن رُوَيْم بن يزيد[٢] ، أبو الحسن ، ويقال : أبو الحسين ، ويقال أبو محمد ، أحد أئمة الصُّوفية ، كان عالماً بالقرآن ومعانيه ، وكان يتفقَّه على مذهب داود بن علي الظَّاهري[٣] .

قال بعضهم : كان رويم يكتم حُبَّ الدنيا أربعين سنة ، وذلك أنه تصوَّف أربعين سنة ، ثم لما وَلِيَ إسماعيل بن إسحاق[٤] القضاء ببغداد جعله وكيلاً في بابه ، فترك التصوُّف ، ولبس الخَزَّ والقَصَب[٥] والدَّبيقي[٦] ، وركب الخيل وأكل الطيبات وبنى الدُّور .

زهير بن صالح بن الإمام أحمد بن حَنْبل[٧] . روى عن أبيه . وعنه أبو بكر أحمد بن سَلْمان[٨] النَّجَّاد ، كان ثقةً ، مات وهو شابٌّ ، قاله الدَّارَقُطني .

أبو علي الجُبَّائي[٩] ، شيخ المعتزلة ، هو محمد بن عبد الوهَّاب ، أبو علي الجُبَّائي ، شيخ طائفة المعتزلة في زمانه ، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشْعري[١٠] ، ثم رجع عنه ، وللجُبَّائي تفسير حافل مطوَّل ، له فيه اختيارات غريبة في التفسير ، وقد ردَّ عليه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيه وقال : كأن القرآن نزل بلغة أهل جُبَّاء[١١] .

كان مولد الشيخ أبي علي في سنة خمس وثلاثين ومئتين .

---

(١) طبقات الصوفية (١٨٠ ـ ١٨٤) حلية الأولياء (١٠/ ٢٩٦ ـ ٣٠٢) تاريخ بغداد (٨/ ٤٣٠ ـ ٤٣٢) الرسالة القشيرية (٢٠ ـ ٢١) المنتظم (٦/ ١٣٦ ـ ١٣٧) صفة الصفوة (٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) طبقات الأولياء (٢٢٨ ـ ٢٣١) طبقات الشعراني (١/ ١١٦) .

(٢) في تاريخ بغداد (٨/ ٤٣٠) ابن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد ، ومثله في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣٥) .

(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٧٠هـ) من هذا الكتاب .

(٤) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٨٢هـ) من هذا الكتاب .

(٥) القصب : ثياب تتخذ من كتان ، رقاق ناعمة . اللسان (قصب) (١/ ٦٧٧) .

(٦) في (ط) الديبقي ، وهو تصحيف . والدبيقي نسبة إلى دبيق ، بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر ، تنسب إليها الثياب الدبيقية . معجم البلدان (٢/ ٤٣٨) .

(٧) المنتظم (٦/ ١٣٧) .

(٨) في (ط) سليمان ، وهو تصحيف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣٤٨هـ) .

(٩) مقالات الإسلاميِّين (٥٢٢) وما بعدها ، الفَرْق بين الفِرَقْ (١٦٧ ـ ١٦٩) الملل والنحل (١/ ٧٨ ـ ٨٥) الأنساب (٣/ ١٧٦) المنتظم (٦/ ١٣٧) وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣ ـ ١٨٤) طبقات المعتزلة (٨٠ ـ ٨٥) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .

(١٠) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٣٠هـ) .

(١١) كذا في الأصول ، وفي معجم البلدان (٢/ ٩٧) « جُبَّى » بالضم ثم التشديد والقصر . . . بلد في طرف من البصرة والأهواز . . . وجبى في الأصل أعجمي ، وكان القياس أن ينسب إليها جُبَوي ، فنسبوا إليها جُبَّائي على غير قياس .

ومات في هذه السنة :

ابن بسَّام الشَّاعر[١] ، أبو الحسن[٢] ، علي بن أحمد[٣] بن منصور بن نصر[٤] بن بسَّام ، البَسَّامي ، الشَّاعر المطَبِّق الهَجَّاء ، لم يترك أحداً حتى هجاه ، حتى أباه ، وأُمُّه أُمامة بنت حَمْدون النَّديم[٥] .

وقد أورد له ابنُ خَلِّكان أشياءَ كثيرة من شعره ؛ من ذلك قوله في تخريب المتوكل قَبْرَ الحسينِ بن علي ، وأمْرِهِ بأن يُزْرَعَ ويُمْحىٰ رَسْمُه ، وكان شديدَ التحامل على عليٍّ وولدِه ، فلما وقع ما ذكرناه وكان ذلك سنة ست وثلاثين ومئتين[٦] . قال ابن بَسَّام هذا :

تـاللهِ إنْ كـانَـتْ أُميَّـةُ قـد أتَـتْ ... قَتْـلَ ابـنِ بنـتِ نبيِّهـا مَظْلُـومـا
فَلَقَـدْ أتـاهُ بنُـو أبيـهِ بمثلِـهِ ... هـذا لَعَمْـرُكَ قَبْـرُهُ مَهْـدُومـا
أسِفُوا على أنْ لا يكونوا شاركوا ... فـي قَتْلِـهِ فَتَتَبَّعُـوهُ رَمِيْمـا[٧]

ثم دخلت سنة أربع وثلاثمئة

فيها عزل الخليفة المقتدر بالله وزيره أبا الحسن عليَّ بنَ عيسى بن الجَرَّاح ؛ وذلك لأنه وقعت بينه وبين أم موسى القَهْرَمانة نُفْرةٌ شديدة ، فسأل الوزير أن يُعْفى من الوِزَارة فعُزِلَ ، ولم يتعرَّض لشيءٍ منْ أملاكه .

وطُلِب أبو الحسن علي بن محمد بن الفُرَات[٨] فأعيد إلى الوزارة بعد عزله عنها خمس سنين ، وخَلَعَ عليه الخليفة يوم التَّرْوية سَبْعَ خِلَع ، وأطلق له ثلاثمئة ألف دِرْهم ، وعشرة تخوت ثياب ، ومن الخيل

---

(١) مروج الذهب (٤/ ٢٩٧ ـ ٣٠٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٦٣) معجم الأدباء (١٤/ ١٣٩ ـ ١٥٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٦) فوات الوفيات (٣/ ٩٢ ـ ٩٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١١٢ ـ ١١٣) النجوم الزاهرة (٣/ ١٨٩ ـ ١٩٠) مفتاح السعادة (١/ ١٩١) وقد نسب إليه فيه تأليفه « الذخيرة » ، وهو وهم منه .

(٢) في النجوم الزاهرة (٣/ ١٨٩) : أبو جعفر ، وهو خلاف المشهور .

(٣) في المصادر : بن محمد ، وهو المشهور .

(٤) اضطربت مصادر ترجمته في تقديم أحدهما على الآخر ، والأشبه بالصواب أنه علي بن محمد بن نصر بن منصور .

(٥) كان نديم المتوكل ، وتوفي سنة (٢٥٤هـ) ، ترجمته في مختصر ابن منظور (٧/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

(٦) انظر حوادث تلك السنه في هذا الكتاب .

(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦٥) وقد أوردت أغلب المصادر وفاته سنة (٣٠٢هـ) وذكره اليافعي في مرآة الجنان (٢/ ٢٣٩) في وفيات سنة (٣٠١هـ) .

(٨) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣١٢هـ) .

والبغال والجمال شيء كثير ، وأُقطع الدّار التي بالمُخَرّم[١] فسكنها ، فعمل فيها ضيافة تلك الليلة ، فسقى فيها أربعين ألف رطل من الثَّلْج .

وفي الصيف[٢] من هذه السنة اشتُهِرَ ببغداد أن حيواناً يقال له الزبزب يطوف باللَّيل يأكل الأطفالَ من الأسِرَّة ، ويعدو على النيام فربما قطع يد الرَّجُل وثَدْي المرأة وهو نائم ، فجعل الناس يضربون على أسطحتهم بالنُّحاس من الهواوين والطُّوس[٣] وغير ذلك ؛ ينفِّرونه عنهم ، حتى كانت بغداد بالليل ترتجُّ من شرقيّها وغربيّها ، واصطنع الناس لأولادهم مكبَّات من السَّعَف وغير ذلك ، واغتنمت اللصوص هذه الشوشة ؛ فكَثُرَتِ النُّقوب وأُخذت الأموال ، فأمر الخليفة بأن يؤخذ حيوان من كلاب الماء فيصلبَ على الجسر لِيَسْكُنَ الناس بذلك ، فَفُعِلَ ، فسكن أمر الناس ورجعوا إلى أنفسهم ، واستراح الناس من ذلك .

وقُلِّدَ ثابتُ بنُ سِنَان الطَّبيب المؤرخ[٤] أمر المارَسْتانات ببغداد في هذه السنة ، وكانت خمسةً .

وورد الخبر من خُراسان بأنهم وجدوا قبورَ شهداء قتلوا في سنة سبعين من الهجرة مكتوبةً أسماؤهم في رقاع مربوطة بآذانهم ، وأجسادُهُمْ طريَّة كما هي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن أحمد بن الهيثم بن صالح[٥] بن عبد الله بن الحُصَين بن عَلْقمة بن لبيد بن نعيم بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة ، أبو الحسن التميمي ، الملقب فَرُّوجة[٦] .

قَدِمَ بغداد ، وحدَّث بها ، وكان ثِقَةً حافظاً .

يوسف بن الحسين بن علي[٧] أبو يعقوب الرَّازي .

سمع أحمدَ بنَ حنبل ، وصحب ذا النُّون المصري[٨] ، وروى عنه أبو بكر النَّجَّاد .

---

(١) في (ط) بالحريم ، وهو تحريف . والمخرَّم : محلة كانت ببغداد منسوبة إلى مخرم بن يزيد . معجم البلدان (٥/ ٧١) .
(٢) في (ط) نصف ، وهو تصحيف .
(٣) مفردها طاس ، وهو إناء من نحاس ونحوه يشرب فيه ، والعامة يقولون طاسة . المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٦) .
(٤) سيرد ذكره في وفيات سنة (٣٣١هـ) من هذا الجزء .
(٥) تاريخ بغداد (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) والمنتظم (٦/ ١٤١) .
(٦) في النسخ الخطية : فورجة ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ط) وتبصير المنتبه (٣/ ١٠٨٧) .
(٧) طبقات الصوفية (١٨٥/ ١٩١) حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٨ ـ ٢٤٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣١٤ ـ ٣١٩) الرسالة القشيرية (٢٢) طبقات الحنابلة (١/ ٤١٨ ـ ٤٢٠) صفة الصفوة (٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣) المنتظم (٦/ ١٤١ ـ ١٤٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥١) طبقات الأولياء (٣٧٩ ـ ٣٨٤) طبقات الشعراني (١/ ١١٩ ـ ١٢٠) .
(٨) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٤٥هـ) من هذا الكتاب .

روى الخطيب بسنده إليه أنه بلغه أن ذا النون يحفظ اسم الله الأعظم ، فقصده ليعلّمه إياه قال : فلما وردتُ عليه استهان بي ، وكانت لي لحية طويلة ، ومعي رِكْوَة[١] طويلة[٢] ، فجاءه يوماً رجل فناظر ذا النون ، فأسْكَتَ ذا النُّون ، فناظرت أنا الرَّجُلَ فأسْكَتُّهُ ، فقام ذو النون فجلس بين يديَّ ، وهو شيخ وأنا شابٌّ ، واعتذر إلي ، فخدمْتُه سنة ، ثم سألته أن يعلِّمَني الاسم الأعظم ، فلم يبعد مني ووعدني ، فمكثت بعد ذلك ستةَ أشهر ، ثم أخرج إلي طبقاً عليه مَكَبَّةٌ مشدوداً[٣] بمنديل ، وقال لي : اذهب بهذا إلى صاحبنا فلان . قال : فجعلت أفكر في الطريق : ما هذا الذي قد أرسلني به ؟ فلما وصلتُ الجسر فتحته فإذا فيه فأرة ، فقفزتْ وذهبت ، فاغتظتُ غيظاً شديداً ، وقلت : ذو النُّون يسخر بي ؟! فرجعت إليه وأنا حَنِقٌ فقال لي : ويحك ، إنما اختبرتك ، فإذا لم تكن أميناً على فأرة فأَنْ لا تكون أميناً على الاسم الأعظم بطريق الأَوْلى ، اذهب عني ، فلا أراك بعدها[٤] .

وقد رؤي ابن[٥] الحسين الرَّازي هذا في المنام بعد موته فقيل له : ما فَعَل الله بك ؟ فقال : غفر لي بقولي عند الموت : اللهم ، إني نصحت للنَّاس قولاً وخُنْتُ نفسي فِعْلاً ، فَهَبْ لي خيانة فِعْلي لنصح قولي .

يموت بن المُزَرِّع بن يموت[٦] ، أبو بكر العَبْدي من عبد القَيْس ، وهو بَصْري[٧] ، وكان ابنَ أُخت الجاحظ .

قَدِمَ بغداد ، وحدَّث بها عن أبي عُثْمان المازني ، وأبي حاتِم السِّجِسْتاني ، وأبي الفضل الرِّياشي ، وكان صاحب أخبار وآدابٍ ومُلَحٍ ، وقد كان غَيَّر اسمه بمحمد ، فلم يَغْلِبْ عليه إلا الأول ، وكان إذا ذهب يعود مريضاً فدقّ الباب فقيل : من ؟ فيقول : ابن المُزَرِّع ، ولا يذكر اسمه لئلا يتطيَّروا[٨] به .

***

(١) إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء . اللسان (ركا) .
(٢) كأنه استشنع منظره ، فلم يلتفت إليه .
(٣) في (ط) مستوراً .
(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٣١٦ ـ ٣١٧) وقد بسط الخبر ثمة .
(٥) في النسخ الخطية و(ط) أبو الحسين ، وهو وهم .
(٦) طبقات النحويين واللغويين (٢٣٥ ـ ٢٣٦) معجم الشعراء للمرزباني (٥١٠) جمهرة أنساب العرب (٢/ ٢٩٨) تاريخ بغداد (٣/ ٣٠٨ ، ١٤/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠) نزهة الألباء (١٦٣ ـ ١٦٤) المنتظم (٦/ ١٤٣) معجم الأدباء (٢٠/ ٥٧ ـ ٥٨) إنباه الرواة (٤/ ٧٤) وفيات الأعيان (٧/ ٥٣ ـ ٥٩) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) غاية النهاية (٢/ ٣٩٢) .
(٧) في النسخ الخطية و(ط) ثوري ، ولم أر لها وجهاً ، والمثبت مما ذكرته مصادر ترجمته .
(٨) في النسخ الخطية و(ط) يتفاءلوا ، ولا وجه لها ، والمثبت من وفيات الأعيان (٧/ ٥٤) .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثمئة

فيها قَدِمَ رسول ملك الرُّوم في طلب المفاداة والهُدْنة ، وهو شابٌّ حَدَث السن ، ومعه شيخ منهم وعشرون غلاماً ، فلما وَرَد بغداد شاهد أمراً هائلاً جداً ، وذلك أن الخليفة المقتدر بالله أمر بالاحتفال بذلك ليشاهد ما فيه إرهاب الأعداء ؛ ركب الجيش بكماله يومئذٍ وكان مئة ألف وستين ألفاً ، ما بين فارس وراجل[١] ، في الأسلحة التَّامة ، وغِلْمان الخليفة سبعة آلاف ؛ أربعة آلاف أبيض ، وثلاثة آلاف أسود ، في غاية الملابس والعُدَد والحِلْية ، والحَجَبَة يومئذٍ سبعمئة حاجب ، وأما الطَّيَّارات التي بدِجْلة والزَّبازب والسُّمَيْرِيَّات[٢] فشيء كثير ، مزينة ، وحين دخل الرَّسول دارَ الخلافة شاهد أمراً أدهشه ، ورأى من الحِشْمة والزِّينة والحُرْمة ما يُبْهر الأبصار ، وحين اجتاز بالحاجب ظَنَّ أنه الخليفة فقيل له : هذا الحاجب الكبير ، فَمَرَّ بالوزير في أُبهته فظنَّه الخليفة فقيل : هذا الوزير . وقد زينت دار الخلافة بزينة لم يُسمع بمثلها ، كان فيها يومئذ من الستور ثمانية وثلاثون ألف سِتر ؛ منها اثنا عشر ألف سترٍ وخمسمئة مُذْهَبة ، وقد بُسط فيها اثنان وعشرون ألف بساط ، وفيها من الوحوش قُطعان متآنسة بالنَّاس ، بحيث تأكل من أيديهم ومئة سَبُعٍ من السِّباع ، ثم أدخل إلى دار الشجرة ، وهي عبارة عن بِرْكة فيها ماء صافٍ ، وفي وسط ذلك الماء شجرة من ذهب وفِضَّة لها ثمانية عشر غُصْناً أكثرها من ذهب ، وفيها الشماريخ[٣] والأوراق الملونة ، عليها طيور مصنوعة من الذهب والفِضَّة واللآلىء تصوِّتُ بأنواع الأصوات من الماء المسلَّط عليها ، والشجرة بكمالها تتمايل كما تتمايل الأشجار بحركاتٍ عجيبة تُدْهش من يراها وينظر إليها ، ثم أُدخل إلى مكان يسمونه الفِرْدَوْس ، فيه أنواع المفارش والآلات ما لا يحدُّ ولا يوصف كثرة وحُسْناً ، وفي دَهاليزه ثمانية عشر ألف جَوْشَن[٤] مُذْهَب ، وما زال كلَّما مَرَّ على مكان أدْهَشَه وأَخَذَ ببصره حتى انتهى إلى الخليفة المقتدر بالله ، وهو جالس على سريرٍ من آبَنُوس ، قد فُرش بالدَّبيقي المطرَّز[٥] ، وعن يمين السرير تسعة عقود[٦] معلَّقة ، وعن يساره تسعة أخرى من أفخر الجواهر ، يعلو ضوؤها على ضوء

---

(١) في (ط) : غير العساكر الخارجة في سائر البلاد مع نوابها ، فركبوا .

(٢) الطيارات والزبازب والسميريات ؛ أنواع من السفن .

(٣) مفرد شمراخ وشمروخ : وهو غصن دقيق رَخْصٌ ينبت في أعلى الغصن الغليظ خرج في سَنَتِه رَخْصاً . اللسان (شمروخ) .

(٤) الدرع . اللسان (جشن) .

(٥) في (ط) : بالذهب وانظر عن الدبيقي حاشيتنا وفيات سنة (٣٠٣هـ) من هذا الجزء .

(٦) في (ط) سبعة عشر عنقود معلقة ، وهي تحريف .

النَّهار[١] ، فأُوقف الرسول والذي معه بين يدي الخليفة على نحو مئة ذراع ، والوزير عليُّ بن محمَّد بن الفُرَات واقفٌ بين يدي الخليفة والتُّرْجُمان دون الوزير ، فجعل الخليفة يخاطب الوزير والوزير يخاطب التُّرْجُمان ، والتُّرْجمان يخاطبهما ، ثم خَلَع عليهما[٢] ، وأطلق لهما خمسين سقرقاً ، في كل سقرق خمسة آلاف دِرْهم ، وأُخرجا من بين يديه ، وطيف بهما في بقية دار الخلافة ، وعلى حافَات دِجْلة الفيلة والزَّرَافة والسِّبَاع والفُهود وغير ذلك ، وهذا من أغرب ما وقع من الحوادث في هذه السَّنة .

وحجَّ بالنَّاس فيها الفَضْل الهاشمي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سليمان بن محمد بن أحمد أبو موسى[٣] ، النَّحْوي الكوفي ، المعروف بالحامض[٤] .

صَحِبَ ثَعْلباً[٥] أربعين سنة ، وخَلَفَه في حَلْقَته .

وصنَّف « غريب الحديث » ، و « خَلْق الإنسان » ، و « الوحوش » و « النَّبات » ، وكان دَيِّناً صالحاً .

روى عنه أبو عمر الزَّاهد[٦] .

توفي ببغداد في ذي الحِجَّة منها ، ودُفِنَ بباب التِّبْن[٧] .

وعبد الله بن شِيْرَوَيْه الحافظ[٨] ، **وعِمْران بن مُجَاشِع**[٩] ، **وأبو خليفة الفَضْل بن الحُباب**[١٠] .

---

(١) في (ط) : ليس لواحدة منها قيمة ولا يستطاع ثمنها .
(٢) في ط : فلما فرغ منهما خلع عليهما .
(٣) طبقات النحويين واللغويين (١٧٠) وفيه محمد بن سليمان ، وهو خلاف المشهور . تاريخ بغداد (٩/ ٦١) الأنساب (٤/ ٣٠) نزهة الألباء (١٦٥ ـ ١٦٦) المنتظم (٦/ ١٤٥) معجم الأدباء (١١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥) اللباب (١/ ٢٧١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٦) النجوم الزاهرة (٣/ ١٩٣) .
(٤) في (ط) الجاحظ ، وهو تحريف . وإنما قيل له الحامض لأن أخلاقه كانت شرسة . وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٦) .
(٥) سلفت ترجمة ثعلب في وفيات سنة (٢٩١هـ) من هذا الكتاب .
(٦) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٤٥هـ) .
(٧) في (ط) التين ، وهو تصحيف . والتبن ـ بالموحدة التحتية ـ اسم محلة كبيرة كانت ببغداد ، معجم البلدان (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) .
(٨) في (ط) عبد الله بشرويه ، وهو تحريف ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦٦ ـ ١٦٨) .
(٩) عمران بن موسى بن مجاشع ، محدث جرجان في زمانه ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧) .
(١٠) إمام ، علامة ، محدث ، أديب ، إخباري ، عاش مئة عام سوى أشهر . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٧ ـ ١١) .

وقاسم بن زكريا بن يحيى المُطَرِّز المقرىء[١] .

أحد الثِّقات الأثبات .

سَمِعَ أبا كُرَيْب ، وسُوَيْد بن سعيد .

وعنه : الخُلْدي ، وابن الجِعَابي[٢] .

توفي ببغداد في هذه السَّنة .

ثم دخلت سنة ستٍّ وثلاثمئة

في أوَّل يوم من المُحرَّم وهو مستهل هذه السنة فُتح المارَسْتان الذي بنته السَّيِّدة أمُّ المقتدر ، وجلس فيه سِنَان بن ثابت الطبيب ، ورُتِّبت فيه الأطباء والخَدَم والقوَمة ، وكانت نفقَتُه في كل شهر ستمئة دينار ، وأشار سنان بن ثابت على الخليفة ببناء مارَسْتان ، فقبل منه وبني ، وسُمِّيَ المُقْتدري .

وفيها وردت الأخبار عن أمراء الصَّوائف بما فتح الله عليهم من الحصون في بلاد الرُّوم .

وفيها شَغَبَ العامة وأرجفوا بموت المقتدر بالله ، فركب في الجحافل حتى بلغ الثُّريا ، ورجع من باب العامة ، ووقف طويلاً ليراه الناس ، ثم ركب إلى الشَّمَّاسية ، وانحدر إلى دار الخلافة في دِجْلة ، فَسَكَنتِ الفِتَن .

وفيها قلَّد المقتدر حامدَ بنَ العبَّاس الوِزارة ، وخَلَعَ عليه ، وخرج من عنده وخَلْفَه أربعمئة غلام لنفسه ، [فمكث أياماً][٣] ثم تبين عجزُه [عن القيام بالأمور][٣] فأخرج علي بن عيسى وجُعل معه لينفذ الأمور ، وينظر معه في الأعمال ، وكان أبو علي بن مُقْلة ممن يكتب أيضاً بحضرة حامد بن العباس الوزير ، ثم صارت المنزلة كلها لعلي بن عيسى ، واستقلَّ بالوزارة في السنة الآتية .

وفيها أمرت السيدة أم المقتدر قَهْرمانةً لها تعرف بمثل أن تجلس في التُّرْبة التي بنتها بالرُّصافة في كل يوم جمُعة ، وأن تنظرَ في المظالم التي ترفع إليها في القِصَص ، وحَضَرَ في مجلسها القُضاة والفقهاء .

وحجَّ بالنَّاس فيها الفَضْل بن عبد الملك الهاشمي .

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٤١) المنتظم (٦/ ١٤٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٤٩ ـ ١٥٠) معرفة القراء (١/ ٢٤٠) .

(٢) في (ط) أبو الجعابي ، وهو تحريف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣٥٥هـ) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن أحمد بن الحارث[١] ، **أبو القاسم الكِلابي ، الشَّافعي .**

سمع الحارث بن مسكين[٢] ، وغيره ، وكان رجلاً صالحاً ، تفقَّه[٣] على مذهب الشَّافعي ، [وكان][٤] يحبُّ الخَلْوة والانقباض ، توفِّيَ في شعبان منها .

أحمد بن الحسن الصوفي[٥] .

أحد مشايخ الحديث المكثرين المعمَّرين .

أحمد بن عمر بن سُرَيج[٦] **أبو العبَّاس ، القاضي بشيراز** ، وله[٧] نحو أربعمئة مصنَّف .

[وكان][٨] أحد أئمة الشَّافعية ، ويلقب بالباز الأشْهب ، وكان قد أخذ الفِقْه عن أبي القاسم الأنْماطيِّ[٩] ، وعن أصحاب الشَّافعي : كالمُزني[١٠] وغيره ، وعنه انتشر مذهب الشَّافعي في الآفاق ، وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشافعية » بما فيه مقنع .

توفي في جُمادى الأولى منها عن سَبْعٍ وخمسين سنة وستة أشهر ، رحمه الله .

وقال ابن خَلِّكان : توفي يوم الإثنين الخامس والعشرين من ربيع الأوَّل ، وعمره سبع وخمسون سنة وستة أشهر[١١] ، وقبره يزار ، رحمه الله[١٢] .

---

(١) المنتظم (٦/ ١٤٨) .
(٢) قاضي مصر ، ثقة فقيه ، توفي سنة (٢٥٠هـ) ملحق قضاة مصر (٥٠٢ ـ ٥٠٥) .
(٣) في النسخ الخطية : ثقة ، والمثبت من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٨٢ ـ ٨٦) طبقات الحنابلة (١/ ٣٦ ـ ٣٧) والمنتظم (٦/ ١٤٩) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٢ ـ ١٥٣) ميزان الاعتدال (١/ ٩١) الوافي بالوفيات (٦/ ٣٠٥) لسان الميزان (١/ ١٥١ ـ ١٥٣) شذرات الذهب (٢/ ٢٤٧) .
(٦) تاريخ بغداد (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٩٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٨ ـ ١٠٩) المنتظم (٦/ ١٤٩ ـ ١٥٠) وفيات الأعيان (١/ ٦٦ ـ ٦٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨١١ ـ ٨١٣) . طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢١ ـ ٣٩) .
(٧) في (ط) : وصنف .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٨٨هـ) من هذا الكتاب .
(١٠) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٦٤هـ) من هذا الكتاب .
(١١) في (ط) ثلاثة أشهر ، وهو تحريف .
(١٢) وفيات الأعيان (١/ ٦٧) .

أحمد بن يحيى[١] **أبو عبد الله الجَلَّاء**[٢] .

بغدادي ، سكن الشَّام ، وصَحبَ أبا تراب النَّخْشَبي[٣] ، وذا النُّون المِصْري .

روى أبو نُعَيْم بسنده عنه قال : قلت لأبويَّ وأنا شاب : إني أحبُّ أن تَهباني لله عزَّ وجلَّ . [فقالا : قد وهبناك لله][٤] ، فغِبْتُ عنهما مُدَّة طويلة ، ثم رَجَعْتُ إلى بلدنا عِشاءً في ليلة مطيرة ، فانتهيت إلى الباب فدققته[٥] فقالا : منْ هذا ؟ فقلت : أنا فلان ولدكما ، فقالا : إنه قد كان لنا ولد وَوَهَبْناه لله عزَّ وجلَّ ، إنَّا من العرب[٦] ، لا نَرْجِعُ فيما وهبنا . ولم يفتحا لي الباب[٧] .

الحسن بن يوسف بن [يعقوب بن][٨] **إسماعيل بن حمَّاد بن زيد**[٩] : القاضي أبو يعلىٰ ، وهو أخو القاضي أبي عمر محمد بن يوسف[١٠] ، وكان إليه ولاية القَضاء بالأُرْدُنّ .

عبد الله بنُ أحمد بن موسى بن زياد[١١] : أبو محمد ، الجَوَاليقي ، القاضي ، المعروف بعَبْدان ، الأهْوازي .

ولد سنة ست عشرة ومئتين .

وكان أحدَ الحُفَّاظ الأثبات ، يحفظ مئةَ ألفِ حديث ، جَمَعَ المشايخ والأبواب .

روى عن هُدْبة ، وكامل بن طلحة ، وغيرهما .

وعنه : ابن صاعد ، والمحاملي ، وغيرهما .

---

(١) طبقات الصوفية (١٧٦ ـ ١٧٩) حلية الأولياء (١٠/ ٣١٤ ـ ٣١٥) تاريخ بغداد (٥/ ٢١٣ ـ ٢١٥) الرسالة القشيرية (٢٠) الأنساب (٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) المنتظم (٦/ ١٤٨ ـ ١٤٩) صفوة الصفوة (٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) مختصر ابن منظور (٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٥) طبقات الأولياء (٨١ ـ ٨٣) طبقات الشعراني (١/ ١١٦) .

(٢) في (ط) الجلاد ، وهو تصحيف .

(٣) هو عسكر بن حصين ، مشهور بكنيته ، شيخ عصره في الزهد والتصوف ، توفي سنة (٢٤٥هـ) . ترجمته في طبقات الصوفية (١٤٦ ـ ١٥١) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) في (ط) فدفعته .

(٦) في (ط) ونحن من العرب .

(٧) حلية الأولياء (١٠/ ٣١٥) .

(٨) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد (٨/ ١٤٧) .

(٩) تاريخ بغداد (٨/ ١٤٧) وفيه الحسين . والمنتظم (٦/ ١٥٠) .

(١٠) سترد ترجمته في وفيات عام (٣٢٠هـ) .

(١١) تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) الأنساب (٣/ ٣٣٥) المنتظم (٦/ ١٥٠ ـ ١٥١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦٨ ـ ١٧٣) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٨٨ ـ ٦٨٩) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

محمد بن بابشاذ أبو عبيد الله البَصْري[١] : سكن بغداد ، وحدَّث بها عن عبيد الله بن معاذ العَنْبري[٢] ، وبِشْر بن معاذ العَقَدي ، وغيرهما .

وفي حديثه غرائب ومناكير[٣] .

توفي في شوَّال من هذه السنة .

محمد بن الحسين بن شهريار[٤] : أبو بكر ، القَطَّان ، بَلْخي الأصل .

روى عن الفَلَّاس ، وبشر بن معاذ .

وعنه أبو بكر الشَّافعي ، وابن الجِعابي .

كذَّبه ابن ناجية ، وقال الدَّارقُطْني : ليس به بأس .

محمد بن خَلَف بن حَيَّان[٥] **بن صَدَقة بن زياد**[٦] : أبو بكر الضَّبي ، القاضي المعروف بوكيع .

كان عالماً فاضلاً عارفاً بأيام النَّاس ، فقيهاً قارئاً نَحْوياً ، له مصنَّفات ؛ منها : كتاب « العَدَد »[٧] ، وولي القضاء بالأهْواز .

وحدَّث عن الحسن بن عَرَفة ، والزبير بن بَكَّار وغيرهما .

وعنه : أحمد بن كامل ، وأبو علي الصَّوَّاف ، وغيرهما .

ومن شعره قوله :

إذا ما غَدتْ طلَّابةُ العِلْم تَبْتَغي ... مِنَ العِلْم يوماً ما يخلَّدُ في الكُتُبِ
غَدَوْتُ بِتَشْمِيرٍ وجِدٍّ عليهمُ ... وَمِحْبَرَتِي أُذْني[٨] ودَفْتَرُها قَلْبي

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٧) المنتظم (٦/ ١٥١) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٤٨ ـ ٤٨٩) .
(٢) في النسخ الخطية : معاذ العنبري ، وهو تحريف والمثبت من (ط) ، وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٨ ـ ٤٩) .
(٣) هذه عبارة الخطيب في تاريخه ، وقد ساق له من غرائبه ومناكيره .
(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) المنتظم (٦/ ١٥١) .
(٥) انفرد السمعاني (٨/ ١٤٦) بأنه جيان ـ بالجيم والياء آخر الحروف ـ ووهم المعلق على تاريخ بغداد في نسبة هذا الرسم إلى المشتبه ، فالمذكور فيه غير هذا ، انظر المشتبه (١/ ١٣١) .
(٦) تاريخ بغداد (٥/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) الأنساب (٨/ ١٤٦ ـ ١٤٧) المنتظم (٦/ ١٥٢) وفيات الأعيان (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣٧) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٨) الوافي بالوفيات (٣/ ٤٣ ـ ٤٤) .
(٧) في (ط) عدد آي القرآن .
(٨) في (ح) نطقي .

منصور بن إسماعيل بن عمر[١] : أبو الحسن الفقيه[٢] ، أحد أئمة الشَّافعية ، وله مصنَّفات في المذهب ، وله الشعر الحسن .

قال ابن الجَوْزي : ويظهرُ في شِعْره التشيع ، وكان جُنْدياً ، ثم كُفَّ بصره ، وسكن الرَّمْلة ، ثم قَدِم مصر حتى كانت وفاته بها[٣] .

أبو نصر المحبّ[٤] : أحد مشايخ الصُّوفية ، كان له كرمٌ وسخاء ومروءة[٥] .

ثُمَّ دخلت سنة سبع وثلاثمئة

في صفر منها وقع حريق بالكَرْخ في الباقلائيين ، هلك فيه خَلْقٌ كثير من النَّاس .

وفي ربيع الآخر منها دخل بأسارى من الكُرْج[٦] نحو من مئة وخمسين أسيراً أنقذهم الأمير بدر الحَمَامي[٧] .

وفي ذي القَعْدة [منها][٨] انقضَّ كوكب عظيم غالب الضوء ، وتقطع ثلاث قِطَع ، وسُمِعَ بعد انقضاضه صوت رعد شديد هائل من غير غَيْم ؛ ذكره ابن الجَوْزي[٩] .

وفيها دخلتِ القرامطة إلى البَصْرة ؛ فأكثروا فيها الفساد .

وفيها عُزِلَ حامد بن العَبَّاس عن الوزارة ، وأُعيد إليها أبو الحسن علي بن عيسى[١٠] .

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٧ ـ ١٠٨) المنتظم (٦/ ١٥٢) معجم الأدباء (١٩/ ١٨٥ ـ ١٩٠) وفيات الأعيان (٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٢) نكت الهميان (٢٩٧ ـ ٢٩٨) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٧٨ ـ ٤٨٣) .

(٢) في (ط) الفقير ، وهو تصحيف .

(٣) المنتظم (٦/ ١٥٢) ولوفاته قصة ذكرها السبكي في طبقاته (٣/ ٤٧٩ ـ ٤٨١) .

(٤) المنتظم (٦/ ١٥٢ ـ ١٥٣) .

(٥) في (ط) : ومر بسائل سأل ، وهو يقول : شفيعي إليكم رسول الله ﷺ فشق أبو نصر إزاره وأعطاه نصفه ، ثم مشى خطوتين ، ثم رجع إليه ، فأعطاه النصف الآخر ، وقال : هذا نذالة .

(٦) في (ب) و(ظا) و(ط) الكرخ ، وهو تصحيف . والكرج : جيل من الناس نصارى استولوا من بعد على تفليس . معجم البلدان (٤/ ٤٤٦) .

(٧) في (ط) الحماني ، وهو تصحيف ، وستردُ ترجمته في وفيات سنة (٣١١هـ) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٩) المنتظم (٦/ ١٥٣) .

(١٠) في الأصول الخطية و(ط) أبو الحسن بن الفرات المرة الثالثة وهو وهم تابع فيه المؤلف ابن الجوزي في المنتظم (٦/ ١٥٣) فابن الفرات كان مسجوناً في هذا الوقت انظر تاريخ الأمراء للصابي (٣٣) والكامل لابن الأثير (٨/ ١١٧) .

وفيها كسرتِ العامَّة أبوابَ السُّجون ؛ فأخرجوا من كان بها : فأدركتِ الشُّرَط الذين أُخرجوا من السِّجن ، فلم يفتهم أحدٌ منهم ، بل ردُّوا كلهم إلى السجون .

وحجَّ بالنَّاس في هذه السنة أحمد بن العبَّاس أخو أُم موسى القَهْرمانة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن علي بن المثنَّى[١] أبو يعلىٰ المَوْصلي : صاحب « المسند » المشهور .

سَمِعَ الإمام أحمد بن حنبل وطبقته ، وكان حافظاً كثيراً[٢] ، حسن التصنيف ، عَدْلًا فيما يرويه ، ضابطاً لما يحدِّث به .

إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن سَلَمة[٣] : أبو يعقوب ، البزَّاز ، الكُوفي .

رحل إلى الشَّام ومصر ، وكتب الكثير ، وصنَّف « المسند » ، واستوطن بغداد ، وكان من الثِّقات .

وروى عنه : ابن المُظَفَّر الحافظ .

وكانت وفاته في شوال منها .

جعفر بن محمد بن موسى[٤] **أبو محمد الأعرج** : النَّيسابوري الحافظ .

قدم بغداد ، وروى عنه : الطبراني ، والأَزْدي ، وغيرهما من الحُفَّاظ ، وكان ثقة ، حافظاً ، عارفاً .

توفي بحلب في هذه السَّنة .

زكريا بن يحيى السَّاجي[٥] : الفقيه المحدِّث ، شيخ أبي الحسن الأشْعري[٦] في السُّنَّة والحديث .

علي بن سهل بن الأَزْهر[٧] **أبو الحسن** : الأصْبهاني .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٧٤ ـ ١٨٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٠٧ ـ ٧٠٨) الوافي بالوفيات (٧/ ٢٤١) .

(٢) في (ط) خيراً .

(٣) المنتظم (٦/ ١٥٤) .

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) المنتظم (٦/ ١٥٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٥) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٥٠ ـ ٧٥١) . وهذه الترجمة سقط بعضها من (ط) ، مما جعلها تدرج في الترجمة السالفة .

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٩٧ ـ ٢٠٠) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٠٩ ـ ٧١٠) ميزان الاعتدال (٢/ ٧٩) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠١) .

(٦) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٢٤هـ) .

(٧) طبقات الصوفية (٢٣٣ ـ ٢٣٦) حلية الأولياء (١٠/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) تاريخ أصبهان (٢/ ١٤) الرسالة القشيرية (٢٣) المنتظم (٦/ ١٥٥) طبقات الشعراني (١/ ١٢٤) .

كان أولاً مترفاً ، ثم صار[١] زاهداً عابداً ، يبقى الأيام لا يأكل [فيها][٢] شيئاً ، وكان يقول : ألهاني الشوق [إلى الله][٣] عن الطَّعام والشَّراب ، وكان يقول : أنا لا أموت كما يموتون بالأعلال والأسقام ، إنما هو دعاء وإجابة ، أُدعىٰ فأُجيب . فكان كما قال ؛ بينما هو جالسٌ في جماعة إذ قال : لبيك ، ووقع مَيْتاً .

محمد بن هارون الرُّوياني : صاحب « المسند »[٤] . وابن ذَرِيح[٥] العُكْبَري . والهيثم بن خَلَف[٦] .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثمئة

غلتِ الأسعار في هذه السنة ببغداد ، فاضطربتِ العامة ، وقصدوا دار حامد بن العَبَّاس الذي ضمن قرايا[٧] من الخليفة ، فغلت الأسعار بسبب ذلك ، وعَدَوا في ذلك اليوم ـ وكان يوم الجمعة ـ على الخطيب ، فمنعُوه الخُطْبة ، وكسروا المنابر ودكك[٨] الشُّرَط ، وحرقوا جسوراً كثيرة ، وأمر الخليفة بقتال العامة ، ثم نَقَضَ الضَّمان الذي كان حامد بن العَبَّاس ضَمِنَه ؛ فانحطتِ الأسعار ، وأبيع الكُر[٩] بناقص خمسة دنانير ؛ فطابت أنفس العامة بذلك وسكنوا .

وفي تموز من هذه السنة وقع برد شديد جداً بحيث إن الناس نزلوا من الأسطحة ، وتدثَّروا باللُّحُف والأكسية ، ووقع في شتاء هذه السنة ثلج[١٠] عظيم ، وكان فيها برد شديد جداً بحيث أضرَّ ذلك ببعض النخيل .

وحجَّ بالنَّاس في هذه السنة أحمد بن العَبَّاس أخو القَهْرمانة .

---

(١) في النسخ الخطية : كان ، والمثبت من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٠٧ ـ ٥١٠) .
(٥) في (ط) دريج ، وهو تصحيف ، وهو محمد بن صالح بن ذريح ، أبو جعفر ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) .
(٦) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) .
(٧) كذا في (ب) و(ظا) ، وهو جمع قرية ، ولكن لا يصح . وفي (ح) سرايا وفي (ط) برائى ، وفي المنتظم (٦/ ١٥٦) بلداناً ، وهو الأشبه ، وفي تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ١٥) أنه ضمن السواد .
(٨) في (ط) وقتلوا ، وهو تحريف .
(٩) مكيال لأهل العراق . اللسان (كرر) .
(١٠) في (ط) بلغم ، وهو تحريف .

وتوفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن سفيان الفقيه(١) : راوي « صحيح مسلم » عنه .

أحمد بن الصَّلْت(٢) **بن المُغَلِّس ، أبو العباس الحِمَّاني** : أحد الوضّاعين للأحاديث .

روى عن عمِّه(٣) جُبَارة بن المُغَلِّس ، وأبي نُعَيْم ، ومسلم بن إبراهيم ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وأبي عُبيد القاسم بن سلَّام ، وغيرِهم أحاديث كلها وضعها هو في مناقب أبي حنيفة وغير ذلك .

وحكى عن يحيى بن مَعين ، وعلي بن المديني ، وبشر بن الحارث أخباراً كلها كذب .

قال أبو الفرج بن الجَوْزي : قال لي محمد بن أبي الفَوارس : كان أحمد بن الصَّلْت يضع الحديث(٤) .

إسحاق بن أحمد الخُزاعي(٥) . **والمُفَضَّل الجَنَدي**(٦) . **وعبد الله بن محمد بن وَهْب الدِّينوري**(٧) .

وعبد الله بن ثابت بن يعقوب(٨) **أبو محمد** : المقرىء النَّحْوي ، التَّوَّزِي .

سكن بغداد ، وروى عن عمر(٩) بن شَبَّة . وعنه أبو عمرو السَّمَّاك .

ومن شِعْره(١٠) :

إذا لم تكنْ حافظاً واعياً ... فعِلْمُكَ في البيتِ لا ينفَعُ
وتحضُرُ بالجَهْلِ في مَجْلسٍ ... وعِلْمُكَ في الكُتْبِ مُسْتَوْدَعُ
ومَنْ يكُ في دَهْره هكذا ... يكنْ دَهرهُ القَهْقَرَىٰ يَرْجِعُ

***

(١) الكامل (٨/ ١٢٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١١ ـ ٣١٣) .
(٢) تاريخ بغداد (٤/ ٢٠٧ ـ ٢١٠) المنتظم (٦/ ١٥٦ ـ ١٥٧) ميزان الاعتدال (١/ ١٠٥) .
(٣) في النسخ الخطية و(ط) خاله ، وهو وهم ، انظر تاريخ بغداد (٤/ ٢٠٧) .
(٤) المنتظم (٦/ ١٥٧) .
(٥) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٩) .
(٦) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .
(٧) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠٠ ـ ٤٠٢) .
(٨) تاريخ بغداد (٩/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) المنتظم (٦/ ١٥٨) .
(٩) في (ط) عمرو ، وهو تحريف .
(١٠) في (ط) : الجيد .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثمئة

فيها وقع حريقٌ كثير في نواحي بغداد ؛ وذلك بسبب زِنْديق قُتِلَ ؛ فألقىٰ منْ كان منْ جهته الحريق في أماكن كثيرة ، فهلك بسب ذلك خَلْقٌ كثير من النَّاس .

وفيها في جمادى الأولى قلَّد المقتدر بالله مؤنساً الخادمَ بلاد مِصْر والشَّام ، ولقَّبه المُظَفَّر ، وكتب بذلك[١] في المراسلات إلى الآفاق .

وفي ذي القَعْدة [منها][٢] أُحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبري رحمه الله إلى دار الوزير عيسى بن علي لمناظرة الحنابلة في أشياءَ نقموها عليه ، فلم يحضروا ولا واحدٌ منهم .

وقدَّم الوزير حامد بن العَبَّاس للخليفة بستاناً بناه وسمَّاه النَّاعورة قيمتُهُ مئة ألف دينار ، وفَرَشَ مساكنه بأنواع المفارش المفتخرة .

وفي هذه السنة كان مقتل الحسين بن منصور الحَلَّاج ، ولنذكر شيئاً منْ ترجمته وسيرته ، وكيفية مقتله على وجه الإيجاز وبيان المقصود[٣] ، وهذه نُبْذة من سيرته وأحواله ، وكشف سريرته وأقواله[٤] .

الحسين بن منصور[٥] **بن مَحْمِي ، الحَلَّاج** ، أبو مغيث : ويقال : أبو عبد الله ، كان جده مجوسياً اسمه مَحْمِي من أهل فارس[٦] ، نشأ بواسط ، ويقال بتُسْتر ، ودخل بغداد ، وتردد إلى مكة مراراً للحج وجاور بها[٧] سنوات متفرقة ، وكان يُصابر نفسَه ويجاهدُها ، فلا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد في البرد والحرِّ ، ولا يأكل إلا بعض قرص ، ويشرب قليلاً من الماء معه ، وذلك وقت الفُطور مدة سنة كاملة ، ويجلس على صخرة في قتَّالة[٨] الحَرِّ في جبل أبي قُبَيْس .

---

(١) في (ط) وأمر بكتب ذلك .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ط) : بطريق الإنصاف والعدل من غير تحمل ولا هوى ولا جور .

(٤) في (ط) : ترجمة الحلاج ، ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله ، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله ، فنقول هو !

(٥) طبقات الصوفية (٣٠٧ ـ ٣١١) تاريخ بغداد (٨/ ١١٢ ـ ١٤١) المنتظم (٦/ ١٦٠ ـ ١٦٤) وفيات الأعيان (٢/ ١٤٠ ـ ١٤٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣ ـ ٣٥٤) .

(٦) في (ط) : من بلدة يقال لها البيضاء .

(٧) في (ط) تقديم وتأخير في العبارة ، والفحوى واحد .

(٨) في (ب) و(ظا) قبالة الحرم ، وفي (ط) شدة الحر ، وفي تاريخ بغداد (٨/ ١١٩) : جالس على صخرة من أبي قبيس في الشمس والعرق يسيل منه . والمثبت من (ح) وهو الأشبه .

وقد صحب جماعة من سادات مشايخ الصُّوفية ، كالجُنيد بن محمد ، وعمرو بن عُثمان المكِّي ، وأبي الحسين النُّوري .

قال الخطيب البغدادي : والصُّوفية مختلفون فيه ، فأكثرهم نفى أن يكون الحلَّاج منهم ، وأبى أن يعدَّه فيهم ، وقَبِلَهُ من متقدِّميهم : أبو العَبَّاس بن عطاء البغدادي ، ومحمد بن خفيف الشِّيْرازي ، وإبراهيم بن محمد النَّصْرَأباذي النَّيسابوري ، وصحَّحُوا له حاله ، ودوَّنوا كلامه ، حتى قال ابن خفيف : الحسين بن منصور عالمٌ ربَّاني[١] .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي ـ واسمه محمد بن الحسين ـ سَمِعْتُ إبراهيم بن محمد النَّصْرَ أباذي وعُوتب في شيء حُكي عن الحلاج في الرُّوح فقال لمن[٢] عاتبه : إن كان بعد النَّبيين والصدِّيقين موحِّدٌ فهو الحلَّاج .

قال أبو عبد الرحمن : وسمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الشِّبلي يقول : كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمتُ . وقد رُوي عن الشِّبْلي من وجه آخر أنه قال ، وقد رأى الحلاج مصلوباً : ألم ننهك عن العالمين[٣] ؟

قال الخطيب : والذين نفوه من الصُّوفية نسبوه إلى الشَّعبذة في فعله ، وإلى الزَّندقة في عقده[٤] . قال : وله إلى الآن أصحابٌ ينسبون إليه ويَغْلُون فيه[٥] ، وقد كان الحلاج حسن العبارة ، حلو المنطق[٦] ، وله شِعْر على طريقة التصوف[٧] .

قلت : لم يزل النَّاس منذ قُتل الحلاج مختلفين في أمره ، فأما الفقهاء فقد حُكي عن غيرواحد من الأئمة[٨] اجتماعهم على قتله ، وأنه[٩] كان كافراً ممخرقاً ، مموِّهاً مشعبذاً ، وكذلك قول أكثر الصُّوفية فيه ، ومنهم طائفة ـ كما تقدَّم ـ أجملوا القول فيه ، وغرَّهم ظاهرُه ، ولم يطَّلعوا على باطنه ، وكأنه قد

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ١١٢) .

(٢) في (ط) للذي .

(٣) ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (١٩) وفي كلمة الشبلي إشارة إلى الآية الكريمة (٧٠) من سورة الحجر : ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

(٤) في (ط) في عقيدته وعقده .

(٥) في (ط) ويغالون فيه ويغلون .

(٦) في (ط) وقد كان الحلاج في عبارته حلو المنطق .

(٧) في (ط) الصوفية . وانظر تاريخ بغداد٨/ ١١٢ ، وما في نسخنا المخطوطة يوافق عبارة الخطيب .

(٨) في (ط) : من العلماء والأئمة .

(٩) في (ط) : وأنه قتل كافراً ، وكان كافراً .

كان في ابتداء أمره فيه تعبُّد وتألُّه وسلوكٌ ، ولكن لم يكن له عِلْم يَسْلُك به في عبادته ، فدخل عليه الداخل بسبب ذلك كما قال بعض السَّلف : منْ عَبَد الله بغير عِلْم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه[١] وعن سُفْيان بن عُيينة أنه قال : مَنْ فسد من علمائنا كان فيه شَبَه من اليهود ، ومن فسد من عُبَّادنا كان فيه شبهٌ من النَّصارى . ولهذا دخل على الحلَّاج باب الحلول والاتحاد ، فصار من أهل الانحلال والإلحاد[٢] .

وقد ورد من غير وجه أنه تقلَّبت به الأحوال وتردَّد إلى البُلْدان ، وأقام ببلدان شتى ، وهو في ذلك كلِّه يُظهر للناس أنه من الدُّعاة إلى الله عزَّ وجلَّ . وصحَّ أنه دخل الهند ليتعلَّم السِّحْر وقال : أدعو به إلى الله . وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث[٣] ، ويكاتبه أهل تُرْكِسْتَان[٤] بالمقيت ، ويكاتبه أهل خُرَاسان بالمميز ، وأهل فارس بأبي عبد الله الزَّاهد ، وأهل خُوزستان بأبي عبد الله الزَّاهد حلَّاج الأسرار . وكان بعض البغاددة حين كان عندهم يقولون له : المصطلم . وأهل البصرة يقولون له : المحبر[٥] .

ويقال : إنما سمَّاه الحلاج أهلُ الأهواز لأنه كان يكاشفهم عمَّا في ضمائرهم ، وقيل : إنه قال لحلاج : اذهبْ لي في حاجة كذا وكذا ، فقال : إني مشغول [بالحلج][٦] ، فقال : اذهَبْ ، أنا أسُدُّ عنك[٧] ، فَذَهبَ ورجع سريعاً فإذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه ، يقال إنه أشار بالمرود . فانماز الحبُّ عن القُطْن ، وفي صحَّة هذا[٨] نظر[٩] . وقيل : لأن أباه كان حَلَّاجاً . ومما يدُلُّ على أنه قد كان ذا حلول[١٠] في بَدْءِ أمره أشياءُ كثيرة ، منها شِعْرُه[١١] ، فمن ذلك قوله :

جُبلَتْ رُوحكَ في روحي كما   يُجْبلُ العَنْبَرُ بالمِسْكِ الفَتِقْ[١٢]

---

(١) في (ط) فإنه كان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك ، ولكن لم يكن له علم . ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان . فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه .

(٢) في (ط) والانحراف .

(٣) في (ط) : أي أنه من رجال الغيث .

(٤) في (ط) سركسان ، وهو تحريف .

(٥) في (ط) المحير ، وكذلك في تاريخ بغداد (٨/ ١١٤) وفي المنتظم (٦/ ١٦١) : المخير ، وفي إحدى نسخه في الهامش : المجير ، وهي الأشبه .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٧) في (ط) أنا أحلج عنك .

(٨) في (ط) : ونسبته إليه .

(٩) في (ط) : وإن كان قد جرى مثل هذا ، فالشياطين تعين أصحابها ويستخدمونهم .

(١٠) في النسخ الخطية : سلوك ، والمثبت من (ط) .

(١١) في (ط) : منها شعر في ذلك .

(١٢) في (ط) الفنق ـ بالنون ـ وهو تصحيف . وفَتقُ المسك بغيره : استخراج رائحته بشيء تدخله عليه ، ومنه أن تفتق المسك بالعنبر . اللسان (فتق) .

فـإذا مَسَّـكَ شـيءٌ مسَّني ... فـإذا أنـتَ أنـا لا نفتـرقْ(١)

وقوله أيضاً :

مُزِجَتْ رُوحُكَ في روحي كما ... تُمزجُ الخَمْرةُ بالماءِ الزُّلالْ
فـإذا مَسَّـكَ شـيءٌ مَسَّني ... فإذا أنتَ أنا في كُلِّ حالْ(٢)

وله أيضاً :

قـد تحقَّقْتُـكَ فـي سِـرِّ (م) ي فنـاجـاك(٣) لسـانـي
فـاجْتَمَعْنـا لمعـانٍ(٤) ... وافْتَـرَقْنـا لمعـانِ
إن يكـن غَيَّبَـكَ التَّعْـ ... ـظيمُ عـن لحـظِ العِيَانِ
فلقـد صَيَّـرَكَ الـوَجْـ ... ـدُ مـنَ الأَحْشَـاءِ دانِ

وقد أُنشد لابنِ عطاء قولُ الحلاَّج .

أُريـدكَ لا أُريـدكَ للثَّـوابِ ... ولكنِّـي أُريـدكَ للعِقـابِ
وكـل مـآربي قـد نِلْـتُ منهـا ... سوى ملذوذِ وَجْدي بالعَذَابِ(٥)

فقال ابن عطاء : هذا مما يتزايد به عذاب الشَّغَف ، وهيام الكَلَف ، واحتراق الأسف ، فإذا صفا ووفى علا إلى مشرب عَذْب ، وهَطْلٍ من الحَقِّ دائمٍ سَكْبِ .

وقد أُنشد أبو عبد الله بن خفيف قولَ الحلاَّج :

سُبْحـانَ مـنْ أظهـر نـاسـوتَـه ... سِـرُّ سَنـا لاهـوتِـهِ الثَّـاقـبِ
ثُـمَّ بـدا فـي خَلْقـه ظـاهـراً ... فـي صـورةِ الآكـلِ والشَّـارِبِ
حتَّـى لقـدْ عـايَنَـهُ خَلْقُـهُ ... كلَحْظةِ الحاجبِ بالحاجبِ(٦)

فقال ابن خفيف : على من يقول هذا لعنة الله . فقيل له : إن هذا من شِعْر الحسين بن منصور . فقال : ربما يكون مقولاً عليه(٧) .

---

(١) ديوان الحلاج (٧٧) .
(٢) ديوانه (٨٢) .
(٣) في (ب) و(ح) و(ظا) يخاطبك ، وفي الديوان (١١٦) فتناجاك . وفي (ط) وتاريخ بغداد (٨/ ١١٥) فخاطبك ، وما أثبتناه هو الأشبه .
(٤) في الديوان (١١٦) بمعان .
(٥) ديوان الحلاج (٤٣) .
(٦) ديوان الحلاج (٤١) .
(٧) انظر بداية الحلاج لابن باكويه في الأصول الأربعة (٤٤) وتاريخ بغداد (٨/ ١٢٩) .

ومما ينسب إليه من الشعر قوله :

أَرْسَلْتَ[١] تسألُ عنّي كيفَ كنتُ وما لاقيتُ بَعْدَك منْ هَمٍّ ومن[٢] حَزَنِ
لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف كنتُ ولا لا كنتُ إن كنت[٣] أدري كيف لم أكنِ[٤]

قال القاضي ابن خَلِّكان : ويُروىٰ لسَمْنُون لا للحَلَّاج[٥] .

ومن شعره أيضاً قوله :

متى سَهِرتْ عيني لغيركَ أو بَكَتْ فلا أُعْطيتْ ما مُنِّيَتْ وَتَمنَّتِ[٦]
وإن أضْمَرَتْ نفسي سِواكَ فلا رَعَتْ رياضَ المُنى منْ وَجْنَتيكَ وجُنَّتِ[٧]

ومن شِعْره أيضاً :

دُنيا تُغَالِطُني كأنِّـ ـي لستُ أعرفُ حالَها
حَظَرَ المليكُ حَرَامها وأنا احتميتُ حلالَها
وَوَجَدْتُها محتاجةً فوهَبْتُ لذَّتها لها[٨]

وقد كان [الحلاج][٩] يتلوّن في ملابسه ، فتارةً يَلْبَسُ لباسَ الصُّوفيَّة ، وتارةً يتجرَّد في ملابس مُزْرية ، وتارة يلبس لباس الأجناد ، ويعاشر أبناء الدُّنْيا[١٠] ، وقد رآه بعضُهم[١١] في لباس رثٍّ وبيده رَكْوة وعُكَّاز ، وهو سائحٌ ، فقال له : ما هذه الحال[١٢] ؟ فأنشأ يقول :

لئن أمسيتُ في ثَوْبي عديم لقد بَلِيا على حُرٍّ كريمِ
فلا يَغْرُرْكَ إن أبْصَرْتَ حالاً مغيَّرةً عن الحالِ القديمِ

(١) في (ط) : أوشكت ، وهو تحريف .
(٢) ساقطة من (ط) .
(٣) ساقطة من (ط) .
(٤) ديوانه (١١٨) .
(٥) وفيات الأعيان (٢/ ١٤٤) .
(٦) على هامش (ح) و(ب) : فلا بلغت ما أملت وتمنت . وفي (ط) : فلا أعطيت ما أملت .
(٧) ديوانه (١١٧) .
(٨) ديوانه (٨٠) مع اختلاف في اللفظ .
(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٠) في (ط) ويعاشر أبناء الأغنياء والملوك والأجناد .
(١١) في (ط) بعض أصحابه .
(١٢) في (ط) : يا حلاج .

فلـي نَفْـسٌ ستتلـفُ أو سترقـىٰ ـ لَعَمْرُكَ[١] ـ بي إلى أمرٍ جسيمِ[٢]

ومن مستجاد كلامه قوله وقَدْ سأَله رجلٌ أن يوصيه بشيء ينفعُه[٣] . فقال : عليك بنفسك ، إن لم تَشْغَلْها بالحقِّ شغلتك[٤] عن الحقِّ .

وقال له رجلٌ : عظني . فقال : كُن مع الحقِّ بحكم ما أوجب .

وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال : عِلْم الأوَّلين والآخرين مرجعُه إلى أربع كلمات : حُب الجليل وبُغْض القليل ، واتباع التنزيل ، وخوف التحويل[٥] .

قلت : وقد أُصيب[٦] الحلاَّج في المقامين الأخيرين ، فلم يتبعِ التنزيل ، ولم يبق على الاستقامة ، بل تحوَّل عنها إلى الاعوجاج والبِدْعة [والضلالة][٧] ، نسأل الله العافية .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي : حُكي[٨] عن عمرو بن عُثْمان المكِّي أنه قال : كنتُ أُماشي الحَلاَّج في بعض أزِقَّة مكَّة وكنت أقرأُ القرآن ، فسمع قراءتي فقال : يُمكنني أن أقول مثل هذا . ففارقته[٩] .

وقال الخطيب : حدثني مسعود بن ناصر ، أنبأنا ابن باكُوية الشِّيْرازي [قال] : سمعت أبا زُرْعة الطَّبري يقول : الناس فيه ـ يعني الحسين بن منصور ـ بين قَبُولٍ وردٍّ ، ولكن سمعت محمد بنَ يحيى الرازي يقول : سمعت عمرو بن عثمان يلعنه ويقول : لو قَدَرْتُ عليه لقتلته بيدي . فقلت : أيش الذي وجد الشَّيْخ عليه ؟ قال : قرأت آيةً من كتاب الله ، فقال : يُمكنني أن أؤلِّفَ مِثْلَه وأتكلَّم به[١٠] .

قال أبو زُرْعة الطَّبري : وسَمِعْتُ أبا يعقوب الأقْطع ، يقول : زوَّجت ابنتي من الحسين بن منصور لمَا رأيتُ من حُسْن طريقته واجتهاده ، فبان لي [منه][١١] بعد مُدَّة يسيرة أنه ساحر محتال ، خبيثٌ كافر[١٢] .

---

(١) في الديوان (١١٨) لعمر أبي ، وهو تحريف .
(٢) الأبيات في ديوانه (١١٧ ـ ١١٨) مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٣) في (ط) : ينفعه الله به .
(٤) في (ط) وإلا شغلتك .
(٥) تاريخ بغداد (٨/ ١١٤ ـ ١١٥) .
(٦) في (ط) أخطأ .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ساقطة من (ط) .
(٩) ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (١٩) .
(١٠) تاريخ بغداد (٨/ ١٢١) وما بين حاصرتين منه ، وانظر بداية الحلاج لابن باكويه في الأصول الأربعة (٣٦) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٢) تاريخ بغداد (٨/ ١٢١) وانظر بداية الحلاج (٣٦) .

قلت : كان تزويجه بها بمكة ، وهي أُم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع ، فأولدَها ولده حَمْد[١] بن الحسين بن منصور ، وقد ذكر سيرة أبيه كما ساقها من طريقه الخطيب[٢] .

وقد ذكر أبو القاسم القُشَيْري في كتاب « الرسالة » في باب حِفْظ قلوب المشايخ : أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئاً في أوراق ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض القُرْآن . قال : فدعا عليه فلم يفلح بعدها[٣] . وأنكر على أبي يعقوب الأقطع تزويجه إياه ابنته . وكتبَ[٤] إلى الآفاق كتباً كثيرة يلعنه فيها ويحذر النَّاس منه ، فَشَرَدَ الحلاَّج في البلاد ، فعاث يميناً وعاث شمالاً ، وجعل يُظهر للناس أنه يدعو إلى الله عزَّ وجلَّ ، ويستعين بأنواع من الحيل والمحال ، ولم يزل ذلك دأبُه وشأنه حتى أحلَّ الله به بأسه الذي لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين ، فقتله بسيف الشَّرْع الذي لا يقع إلا بين كتفي زنديق ، والله أكرم[٥] من أن يسلِّطه على صدِّيق ، كيف وقد تهجَّم[٦] على القرآن العظيم ، وأراد معارضته في البلد الحرام الكريم[٧] ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] ، ولا إلحاد أعظم من هذا . وقد أشبه في حاله هذا كفار قريش ومعانديهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣١] .

ذكر أشياء من حيل الحلاَّج

روى الخطيب البغدادي أن الحلاج أنفذ رجلاً بين يديه إلى بعض بلاد الجبل ، فأقام بتلك البلدة يُظهر لهم الصَّلاح والنُّسُك ، ويقرىء القرآن ، فأقام مدة على ذلك ، ثم أظهر لهم أنه قد عَمِيَ ، فمكث حيناً على ذلك ، ثم أظهر أنه قد زَمِنَ ، فكان أولاً يقاد إلى المسجد ، ثم صار يُحمل ، فمكث سنة كذلك ، ثم قال لهم : إني رأيت رسولَ الله ﷺ في المنام ، وهو يقول لي : سيرد إلى هذه البلدة رجل صالح يكون شفاؤك على يديه . فما كان عن قريب حتى حان الوقت الذي واعده فيه الحلاج ، ودخل الحلاَّج البلدة مختفياً وعليه ثياب صوف بيض ، فلزم ساريةً من المسجد يتعبد فيها لا يلتفت إلى أحد ، فابتدر النَّاس إلى

(١) في (ط) وبعض المصادر : أحمد ، وهو تحريف .
(٢) تاريخ بغداد (٨/ ١١٢ ـ ١١٤) .
(٣) الرسالة القشيرية (١٥١) .
(٤) في (ط) : وكتب عمرو بن عثمان .
(٥) في (ط) أعدل .
(٦) في (ب) و(ح) و(ظا) تجهرم ، وهو تحريف ، والمثبت من (ط) .
(٧) في (ط) : حيث نزل به جبريل .

ذلك المتعافي المتزامن ، فقيل له : قدم رجل صالح ، فهلمَّ إليه . فحملوه حتى وضعوه بين يديه ، فكلَّمه فعرفه ، فقال له : يا عبد الله ، إني رأيت رسولَ الله ﷺ في المنام ، وهو يقول لي كذا وكذا ، فعسى أن تكون أنت إياه . فرفع يديه ودعا الله عزَّ وجلَّ له ، والناس حضور متكاثرون ينظرون ماذا يكون من أمره ، ففتح الرجل عينيه ، وقام قائماً على قدميه ، فضجَّ الناس ، وعظَّموا الحلاج تعظيماً زائداً ـ وليس ذلك بحقٍّ ـ فأقام عندهم مُدَّة ، ثم خرج من بين أظهرهم ، وبقي ذلك الرجل عندهم مدة شهور ، ثم قال : إن من نعمة الله عليَّ أن ردَّ عليَّ بصري ، وينبغي أن أجاهد في سبيله بثغر طَرَسُوس . فعزم على ذلك ، فجمعوا له من بينهم مالاً جزيلاً ، ألوفاً من الذهب ، والفضة ، ثم ودَّعهم وودَّعوه ، فذهب إلى الحلاَّج ، فاقتسما ذلك المال(١) .

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣) وما في نسختنا المخطوطة أقرب إلى عبارة الخطيب . ووردت القصة في (ط) بأطول من هذا ، ومن المعروف أن ابن كثير لا ينقل نقلاً حرفياً ، وإنما يصوغ ما ينقله بأسلوبه ، وهانحن ننقل القصة كما وردت في (ط) : روى الخطيب البغدادي أن الحلاج بعث رجلاً من خاصة أصحابه ، وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل ، وأن يظهر لهم العبادة والصلاح والزهد ، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمي ، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسح ، فإذا سعوا في مداواته ، قال لهم : ياجماعة الخير : إنه لا ينفعني شيء مما تفعلون . ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رأى رسول الله ﷺ في المنام ، وهو يقول له : إن شفاءك لا يكون إلا على يدي القطب ، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني ، وصفته كذا وكذا . وقال له الحلاج : إني سأقدم عليك في ذلك الوقت . فذهب ذلك الرجل إلى تلك البلاد ، فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن ، فأقام مدة على ذلك ، فاعتقدوه وأحبوه ، ثم أظهر لهم أنه قد عمي ، فمكث حيناً على ذلك ، ثم أظهر لهم أنه قد زَمِنَ ، فسعوا بمداواته بكل ممكن ، فلم ينتج فيه شيء ، فقال لهم : ياجماعة الخير ، هذا الذي تفعلونه معي لا ينتج شيئاً ، وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، وهو يقول لي : إن عافيتك وشفاءك إنما هو على يدي القطب ، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني . وكانوا أولاً يقودونه إلى المسجد ، ثم صاروا يحملونه ويكرمونه كان (كذا) في الوقت الذي ذكر لهم ، واتفق هو والحلاج عليه ، أقبل الحلاج حتى دخل البلد مختفياً ، وعليه ثياب صوف بيض ، فدخل المسجد ، ولزم سارية يتعبد فيه ، لايلتفت إلى أحد ، فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل ، فابتدروا إليه يسلمون عليه ويتمسحون به ، ثم جاؤوا إلى ذلك الزمن المتعافي (كذا ولعلها المتعامي) فأخبروه بخبره ، فقال : صفوه لي . فوصفوه له ، فقال : هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام ، وأن شفائي على يديه ، اذهبوا بي إليه ، فحملوه حتى وضعوه بين يديه ، فكلمه فعرفه ، فقال : يا أبا عبد الله ، إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام . ثم ذكر له رؤياه . فرفع الحلاج يديه ، فدعا له ، ثم تفل من ريقه في كفه ، ثم مسح بهما على عينيه ، ففتحهما كأن لم يكن بهما داء قط فأبصر ، ثم أخذ من ريقه ، فمسح على رجليه ، فقام من ساعته ، فمشى كأنه لم يكن به شيء والناس حضور ، وأمراء تلك البلاد وكبراؤهم عنده ، فضج الناس ضجة عظيمة ، وكبروا الله وسبحوه ، وعظموا الحلاج تعظيماً زائداً على ما أظهر لهم من الباطل والزور . ثم أقام عندهم مدة يكرمونه ويعظمونه ، ويودون لو طلب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم ، فلما أراد الخروج عنهم أرادوا أن يجمعوا له مالاً كثيراً ، فقال : أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا ، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بترك الدنيا ، ولعل صاحبكم هذا أن يكون له إخوان وأصحاب من الأبدال الذين يجاهدون بثغر طرسوس ، ويحجون ويتصدقون ، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك . فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافي : صدق الشيخ ، قد رَدَّ الله =

وروي عن بعضهم قال : كنت أسمع أن الحلاّج له أحوال [وكرامات][١] ، فأحببتُ أن أختبره فجئت ، فسلَّمت عليه فقال لي : تَشَهَّ عليَّ السَّاعة[٢] . فقلت : أشتهي سمكاً طرياً . فدخل منزله ، فغاب ساعة ، ثم خرج [عليَّ][٣] ومعه سمكة تضطرب ورِجلاه عليهما الطِّين فقال : دعوتُ الله فأمرني أن آتي البطائح لآتيك بهذه [السمكة][٤] ، فخضتُ الأهواز وهذا الطِّين منها . فقلت : إن شئتَ أدخلتني منزلك لأكشف أمرك[٥] ، فإن ظهرتُ على شيء وإلا آمنتُ بك . فقال : ادخل . فدخلت[٦] ، فلم أجد في البيت منفذاً إلى غيره ، فتحيَّرْتُ في أمره ، ثم نظرتُ فإذا تأزير[٧] ، فكشفته ، فإذا من ورائه باب ، فدخلتُ ، فخرجت منه إلى بُسْتان هائل[٨] ، فيه من سائر الثِّمار الجديدة والمعتقة[٩] ، قد أُحسن إبقاؤها . وإذا أشياء كثيرة مُعَدَّة للأكل ، وإذا هناك بِرْكة كبيرة فيها سمك كثير [صغار و][١٠] كبار ، فدخَلْتُها ، فأخرجت منها واحدةً ، فنال رجليَّ من الطِّين كما نال رجليه ، وجئتُ إلى الباب ، فقلت له : افتح فقد آمنت بك . فلما خرجت ورآني على مثل حاله جرى ورائي ليقتلني ، فضربته بالسمكة في وجهه وقلت : يا عدو الله ، أتعبتني في هذا اليوم . ولما خَلَصْتُ منه لقيني بعد ذلك[١١] فضاحكني وقال : لا تُفْشِ هذا لأحدٍ ، أبعث[١٢] إليك من يقتلك وأنت على فراشك . قال[١٣] : فلم أحدِّث به [أحداً][١٤] حتى صُلِبَ[١٥] .

= عليَّ بصري ، ومَنَّ الله عليَّ بالعافية ، لأجعلنَّ بقية عمري في الجهاد في سبيل الله ، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال والصالحين الذين نعرفهم ، ثم حثهم على إعطائه من المال ما طابت به أنفسهم . ثم إن الحلاج خرج عنهم ، ومكث ذلك الرجل مدة إلى أن جمعوا له مالاً كثيراً ، ألوفاً من الذهب والفضة ، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم ، وخرج عنهم ، فذهب إلى الحلاج ، فاقتسما ذلك المال .

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) تشتهي علي الساعة شيئاً ؟ .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) في (ط) إن شئت أدخلتني منزلك حتى أنظر ليقوى يقيني بذلك .

(٦) في (ط) فدخلت فأغلق علي الباب وجلس يراني ، فدرت البيت فلم أجد .

(٧) التأزيرة : ما يلصق بالحائط من أسفله لتقويته ، فيكون له كالإزار .

(٨) في (ط) : ثم نظرت ، فإذا أنا بتأزيرة ـ وكان مؤزراً بإزار ساج ـ فحركتها ، فانغلقت ، فإذا هي باب منفذ ، فدخلته ، فأفضى بي إلى بستان هائل .

(٩) في (ط) العتيقة .

(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١١) في (ط) بعد أيام .

(١٢) في (ط) : لا تغش ما رأيت لأحد وإلا بعثت .

(١٣) في (ط) : قال : فعرفت أنه يفعل إن أفشيت عليه ، فلم أحدث . .

(١٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١٥) نشوار المحاضرة (١/ ١٦٥ ـ ١٦٨) وتاريخ بغداد (٨/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .

وقد قال [الحلاج][١] يوماً لرجلٍ : آمن بي حتى أبعث إليك بعصفورة تأخذ من ذَرْقها[٢] وزن حبة فتضعه على كذا وكذا رطلاً من نحاسٍ فيصير ذهباً . فقال له الرجل : آمن بي أنت حتى أبعث إليك بفيلٍ إذا استلقى على قفاه بلغت قوائمُه إلى السماء ، وإذا أردت أن تخفيه وضعته في إحدى عينيك . قال : فَبُهتَ وسكت[٣] .

ولما ورد بغداد جعل يدعو إلى نفسه ، ويُظهر أشياء من المخاريق[٤] وغيرها من الأحوال الشَّيْطانية ، وأكثر ما كان يَرُوج على الرافضة لقلَّة عقولهم [وضعف][٥] تمييزهم بين الحقِّ والباطل . فاستدعى يوماً برئيس من الرَّافضة ، فدعاه إلى الإيمان به ، فقال له الرجل : إني رجل أحبُّ النِّساء وإني أصلع الرَّأس ، وقد شِبْتُ ، فإن أنت أذهبت عني هذا وهذا آمنت[٦] أنك الإمام المعصوم ، وإن شئتَ قلتُ إنك نبيٌّ ، وإن شئت قلتُ إنك أنت الله . قال : فبُهتَ الحلاج ، ولم يحر إليه جواباً[٧] .

قال الشَّيْخ أبو الفرج بن الجَوْزي : كان [الحلاج][٨] متلوناً كثير التلون ، وتارة يَلْبس المُسوح[٩] ، وتارة يلبس الدُّرَّاعة[١٠] ، وتارة يلبس القَبَاء[١١] ، وهو مع كل قوم على مَذْهبهم : إن كانوا سُنَّة أو رافضة أو معتزلة[١٢] أو غير ذلك ، ولما أقام بالأهواز وجعل يُنفق من دراهم يخرجها يسميها دراهم القُدْرة ، فسئل الشيخ أبو علي الجُبَّائي عن ذلك فقال : إن هذا كله مما يُنال بالحيلة ، ولكن أدخلوه بيتاً لا منفذ له ، ثم سلوه أن يُخرج لكم جُرْزتين[١٣] منْ شوك . فلما بلغ الحلاج كلام أبي علي الجُبَّائي فيه تحول من الأهواز[١٤] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ذرق الطائر : خرؤه . اللسان (ذرق) .
(٣) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٦) .
(٤) في (ط) : من المخاريق والشعوذة .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ط) : آمنت بك وأنك الإمام .
(٧) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٤ ـ ١٢٥) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) ثياب تنسج من شعر الماعز . المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب لدوزي (٣٢٧ ـ ٣٢٩) .
(١٠) الدراعة : لباس كان يعمل من الصوف ، مفتوح من الجهة الأمامية بأعلى القلب ، ومزررة بأزرار وعرى ، ويبدو أنه كان لباس عامة الشعب . المرجع السابق (١٤٦ ـ ١٤٨) .
(١١) لباس ذوي السلطان من أمراء أو قواد ، وليس ثمة وصف دقيق له . رسوم دار الخلافة (٩١ ـ ٩٢) والعجم المفصل (٢٨٤ ـ ٢٩١) .
(١٢) في (ط) : أومعتزلة أو صوفية أو فساقاً أو غيرهم .
(١٣) الجرزة : الحزمة . « اللسان » (جرز) .
(١٤) المنتظم (٦/ ١٦١) لابن الجوزي كتاب جمع فيه أخبار الحلاج سماه : القاطع لمجال اللجاج القاطع بمحال الحلاج ، لم يصل إلينا بعد ، ولعل ابن كثير نقل هذا الخبر منه .

وقال الخطيب : أنبأنا إبراهيم بن مَخْلَد ، أنبأنا إسماعيل بن علي الخُطَبي[(١)] في « تاريخه » قال : وظهر أمر رجل يُعرف بالحلاَّج يقال له الحسين بن منصور ، وكان في حَبْس السُّلْطان بسعاية فيه ، في وزارة علي بن عيسى الأولى ، وذُكر عنه ضروبٌ من الزَّنْدقة ووضع الحيل على تضليل النَّاس ، من جهات تشبه الشعوذة والسِّحر ، وادّعاء النُّبوة ، فكشفه عليُّ بنُ عيسى عند قبضه عليه ، وأنهى خبره إلى السلطان ـ يعني[(٢)] المقتدر بالله ـ فلم يقرَّ بما رُمي به من ذلك ، فعاقبه وصلبه حياً أياماً متوالية في رحبة الجسر ، في كل يوم غُدْوة ، ويُنادى عليه بما ذُكر عنه ، ثم يُنزل ، ثم يُحبس ، فأقام في الحَبْس سنين كثيرة ، يُنقل من حبس إلى حبس[(٣)] ، حتى حُبس بأَخَرَةٍ في دار السُّلْطان ، فاستغوى جماعةً من غِلْمان السلطان ، وموَّه عليهم ، واستمالهم بضروبٍ من حِيلِهِ ، حتى صاروا يحمونه ويَدْفعون عنه ويرفِّهونه[(٤)] ، ثم راسل جماعةً من الكُتَّاب وغيرهم ببغداد وغيرها ، فاستجابوا له ، وتراقى به الأمر حتى ذُكر أنه ادَّعى الرّبوبية ، وسُعي بجماعةٍ من أصحابه إلى السُّلْطان ، فقبض عليهم ، ووجد عند بعضهم كتباً له تدل على تصديق ما ذُكر عنه ، وأقرَّ بعضهم بلسانه بذلك ، وانتشر خبره ، وتكلَّم النَّاس في قتله ، فأمر أمير المؤمنين بتسليمه إلى حامد بن العبَّاس ، وأمر أن يكشفَه بحضرة القُضَاة[(٥)] ، ويجمع بينه وبين أصحابه ، فجرى في ذلك خطوب طوال ، ثم استيقن السلطانُ أمره ، ووقف على ما ذكر له عنه[(٦)] ، فأمر بقتله وإحراقه بالنَّار ، فأُحضر مجلس الشُّرطة بالجانب الغربي في يوم الثّلاثاء لسبع[(٧)] بقين من ذي القَعْدة سنةَ تسعٍ وثلاثمئة ، فضرب بالسِّياط نحواً من ألف سَوْط ، وقُطعت يداه ورجلاه ، وضُربت عنقه ، وأُحرقت جثته بالنار ، ونُصب رأسه للنَّاس على سور الجسر الجديد ، وعلِّقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه[(٨)] .

وقال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلمي : سمعت إبراهيم بن محمد الواعظ يقول : قال أبو القاسم الرَّازي : قال أبو بكر بن مُمْشاذ[(٩)] : حَضَر عندنا بالدِّينور رجلٌ ومعه مخلاة فما كان يفارقها

(١) في (ح) الحلبي ، وفي (ط) الخطيب ، وكلاهما تحريف .
(٢) بعد هذا في ط : الخليفة ، وليست في النسخ ولا في تاريخ الخطيب الذي ينقل منه المصنف .
(٣) في (ط) : « خوفاً من إضلاله أهل كل حبس إذا طالت مدته عندهم » . وليست في تاريخ الخطيب .
(٤) في (ط) : يرفهونه بالمآكل المطيبة ، والزيادة ليست في تاريخ الخطيب .
(٥) في (ط) : القضاة والعلماء .
(٦) في (ط) : وثبت ذلك على يد القضاة ، وأفتى به العلماء ، فأمر . .
(٧) في (ط) لتسع ، وهو تصحيف .
(٨) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٦ ـ ١٢٧) وما في نسخنا المخطوطة أقرب إلى عبارة الخطيب مما في (ط) .
(٩) في تاريخ بغداد (٨/ ١٢٧) حمشاذ ـ بالحاء المهملة ـ وهو تصحيف ، وترجمته في حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣ وتاريخ الإسلام (٦/ ١٠٥٨ ط . الدكتور بشار) ، وقيل : إنه توفي سنة ٢٩٩هـ .

بالليل ولا بالنهار(١) ، ففتشوا المخلاة ، فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه : « من الرَّحمن الرحيم إلى فلان بن فلان »(٢) ، فبُعِثَ به(٣) إلى بغداد ، فسئل الحلاج عن ذلك فأقَرَّ أنه كتبه ، فقالوا : كنت تَدَّعي النبوة فصرت تدعي(٤) الربوبية ؟! فقال : لا ، ولكن هذا عين الجمع عندنا ، هل الكاتب إلا الله ، وأنا واليد آلة ؟ فقيل له : معك على هذا أحد ؟ قال : نعم ، ابن عطاء ، وأبو محمد الجريري(٥) ، وأبو بكر الشِّبْلي . فسئل الجَريري عن ذلك فقال : منْ يقول بهذا كافر . وسُئِلَ الشِّبْلي عن ذلك فقال : من يقول بهذا يمنع . وسئل ابن عطاء عن ذلك فقال بقَوْل الحلاج في ذلك ، فعوقب حتى كان سبب هلاكه(٦) .

ثم روى أبو عبد الرحمن السُّلَمي عن محمد بن عبد الله(٧) الرَّازي أن الوزير حامد بن العبَّاس لما حضر الحلاج سأله عن اعتقاده فكتبه ، فسأل عن ذلك فقهاء بغداد ، فأنكروا ذلك(٨) فقيل للوزير : إنَّ أبا العباس بن عطاء يقول بهذا . فطلبه إلى منزله(٩) ، فجاء فجلس في صَدْر المجلس ، وسأله عن ذلك فقال : منْ لا يقول بهذا(١٠) فهو بلا اعتقاد . فقال له الوزير : ويحك ، تصوِّبُ مثل هذا الاعتقاد ؟! فقال [ابن عطاء](١١) : مالك ولهذا ، عليك بما نُصبت له من أخذ أموال النَّاس وظُلْمهم وقَتْلهم ، مالك ولكلام هؤلاء السَّادة(١٢) ، فأمر الوزير [عند ذلك](١٣) بضرب شِدْقيه ، ونَزْع خُفَّيه ، وأن يضرب بهما رأسه(١٤) ، فما زال يُفْعل ذلك به حتى سال الدَّمُ من مَنْخِريْه ، وأمر بسجنه . فقيل له : أيها الوزير ، إن العامة تشوَّش بهذا(١٥) . فحُمل إلى منزله ، فقال ابنُ عطاء : اللهم ، اقتله أخبث قتلة ، واقطع يديه

---

(١) في (ط) : فأنكروا ذلك من حاله ، ففتشوا . .
(٢) في (ط) : يدعوه إلى الضلالة والإيمان به ، فبعث . .
(٣) في (ط) بالكتاب .
(٤) في (ط) الألوهية والربوبية .
(٥) في (ح) و(ظا) وتاريخ بغداد : الحريري ـ بالحاء المهملة ـ وهو تصحيف .
(٦) انظر ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (١٩ ـ ٢٠) وتاريخ بغداد (٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨) وسترد ترجمة ابن عطاء في وفيات سنة (٣٠٩هـ) .
(٧) في (ط) عبد الرحمن ، وهو تحريف ، ترجمته في تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥) .
(٨) في (ط) : فأنكروا ذلك ، وكفَّروا من اعتقده ، فكتبه ، فقيل للوزير . .
(٩) قي (ط) فقال الوزير : إن أبا العباس بن عطاء يقول بهذا ، فقالوا : من قال بهذا فهو كافر ، ثم طلب الوزير ابن عطاء إلى منزله . . وما في نسخنا المخطوطة أقرب إلى عبارة الخطيب .
(١٠) في (ط) : بهذا القول .
(١١) ما بين حاصرتين من(ط) .
(١٢) في (ط) : السادة من الأولياء .
(١٣) ما بين حاصرتين من(ط) .
(١٤) في (ط) : على رأسه .
(١٥) في (ط) تستوحش من هذا ولا يعجبها .

ورجليه . فمات ابن عطاء بعد سبعة أيام ، وقتل الوزير بعد ذلك شر قتلة ، وقطعت يداه ورجلاه ، وأُحرقت داره[١] .

وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحَلاَّج وزندقته ، وأجمعوا على قتله وصَلْبه[٢] .

قال أبو بكر محمد بن داود الظَّاهري : حين أُحضر الحلاج في المرة الأولى قبل وفاة أبي بكر ، وسُئِلَ عنه فقال : إن كان ما أنزل الله على نبيه ﷺ حقاً ، وما جاء به حق ، فما يقوله الحلاَّج باطل . وكان شديداً عليه[٣] .

وقال أبو بكر الصُّولي : قد رأيتُ الحلاج وخاطبته ، فرأيتُه جاهلاً يتعاقل ، وغبياً يتبالغ ، وفاجراً يتزهد[٤] .

ولما صُلبَ في أوَّل مرة ، ونودي عليه أربعة أيام سَمِعَه بعضُهم وقد جيء به ليصلب وهو راكب على بقرة [يقول][٥] : ما أنا بالحلاج ، ألقِىَ عليَّ شَبَهه وغاب . فلما أُدني إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته يقول : يا معين الفَنَا عليَّ أعنِّي على الفنا[٦] .

وقال بعضهم : سمعته وهو مصلوب يقول : إلهي ، أصبحتُ في دار الرَّغائب ، أنظر إلى العجائب ، إلهي ، إنك تتودَّد إلى من يؤذيك ، فكيف بمن يُؤْذى فيك[٧] .

ذكر صفة مقتل الحلاَّج

قال الخطيب البغدادي وغيره : كان الحلاج قد قَدِمَ آخر قَدْمةٍ إلى بغداد ، فصحب الصُّوفية وانتسب إليهم ، وكان الوزير إذ ذاك حامد بن العبَّاس ، فبلغه أن الحلاج قد أضلَّ خَلْقاً من الحشم والحُجَّاب في

---

(١) انظر ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٠ ـ ٢١) وتاريخ بغداد (٨/ ١٢٨) وما في نسخنا الخطية أقرب إلى عبارتيهما ، وسترد ترجمة حامد بن العباس في وفيات سنة (٣١١هـ) ، والثابت عند المؤرخين أنه مات مسموماً . وبعد هذا في (ط) : وكان العوام يرون ذلك بدعوة ابن عطاء ، على عادتهم في مرائيهم فيمن أوذي ممن لهم معه هوى ، بل قد قال ذلك جماعة ممن ينسب إلى العلم فيمن يؤذي ابن عربي ، أو يحط على حسين الحلاج أو غيره : هذا بخطيئة فلان .

(٢) في (ط) : وكان علماء بغداد إذ ذاك هم الدنيا .

(٣) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٩) .

(٤) في (ط) : وخبيثاً مدعياً . . وفاجراً يتعبد .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) في (ح) الضنا ، ومثلها في ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٣) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤٨) ، والمثبت من (ط) وتاريخ بغداد (٨/ ١٣٠) ولعله الأشبه ، والخبر ليس في (ب) و(ظا) .

(٧) تاريخ بغداد (٨/ ١٣١) .

دار السُّلْطان ، ومن غِلْمان نَصْر القشوري الحاجب ، وزعم لهم أنه يحيي الموتى ، وأن الجنَّ يخدمونه ، ويحضرون له ما يختاره ويشتهيه[١] . وقال : إنه قد أحيا عِدَّة من الطَّير . وذُكِرَ لعلي بن عيسى أن رجلاً يقال له محمد بن علي القُنَّائي[٢] الكاتب يعبُدُ الحلَّاج ، ويدعو النَّاس إلى ذلك ، فطلبه وكَبَسَ منزله ، [فأخذه][٣] فأقرَّ أنه من أصحاب الحلاج ، ووجد في منزله أشياء بخطِّ الحلاج مكتتبة بماء الذهب في ورق الحرير مجلدة بأفخر الجلود . ووجد عنده سَفَطاً[٤] فيه من رجيع[٥] الحلاج وبوله ، وأشياء من آثاره ، وبقية الخبز من زاده ، فطلب الوزير من الخليفة المقتدر أن يتكلَّم في أمر الحلاج ، ففوَّض أمره إليه ، فاستدعى بجماعة من أصحاب الحلَّاج ، فتهدَّدهم ، فاعترفوا له أنه قد صحَّ عندهم أنه إله[٦] ، وأنه يحيي الموتى ، وكاشفوا الحلاج بذلك[٧] ، فجحده[٨] وكذَّبهم وقال : أعوذ بالله أن أدعي الربوبية أو النُّبوة ، وإنما أنا رجل أعبد الله ، وأُكثر[٩] الصَّوْم والصلاة وفعل الخير ، ولا أعرف غير ذلك . وجعل لا يزيد على الشَّهادتين والتوحيد ، ويكثر أن يقول : سبحانك لا إلّه إلا أنت ، عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذُّنوب إلا أنت . وكانت عليه مِدْرعة[١٠] سوداء ، وفي رجليه ثلاثة عشر قيداً ، وهي واصلة إلى ركبتيه . قالوا : وكان مع ذلك يصلِّي في كل يوم وليلة ألف ركعة[١١] .

وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العبَّاس عليه في حُجْرة من دار نصر القشوري الحاجب ، مأذوناً لمن يدخل إليه ، وكان يسمِّي نفسه تارة بالحسين بن منصور ، وتارة محمد بن أحمد الفارسي ، وكان نَصْر الحاجب قد افتتن به ، وظنَّ أنه رجل صالح ، وكان قد أدخله على المقتدر بالله فَرَقاه من وجعٍ حَصَلَ له ، فاتفق زواله [عنه][١٢] وكذلك وقع لوالدته السيدة أم المقتدر ، فزالت عِلَّتها ، فَنَفَقَ سوقه ، وحظي في دار السلطان ، فلما انتشر الكلام فيه سُلِّم إلى الوزير حامد بن العباس ، فحبسه في قيود كثيرةٍ في رجليه ،

---

(١) في (ط) : وجعل لهم في جملة ما أدعاه أنه يحيي الموتى ، وأن الجن يخدمونه ، ويحضرون له ما شاء ويختار ويشتهيه .
(٢) في (ب) و(ظ) : القباني ، وهو تصحيف .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) وعاء كان يوضع فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . المعجم الوسيط (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) .
(٥) هو النجو ، ،هو ما يخرج من البطن من غائط . اللسان (رجع) و(نجا) .
(٦) في (ط) : أنه إله مع الله .
(٧) في (ط) : ورموه في وجهه .
(٨) في (ط) : فجحد ذلك .
(٩) في (ط) : له .
(١٠) لباس من الصوف الغليظ كان يرتديه العبيد وفقراء العامة . المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب (١٤٩) .
(١١) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٢ ـ ١٣٣) .
(١٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

وجمع له الفقهاء ، فأجمعوا على كفره وزندقته ، وأنه ساحر ممخرق . ورجع [عنه][١] رجلان صالحان ممن كان اتبعه ، أحدهما : أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوارجي[٢] ، والآخر يقال له الدَّبَّاس ، فذكرا من فضائحه ، وما كان يدعو النَّاسَ إليه من الكذب والفجور والمخرقة والسحر شيئاً كثيراً ، وكذلك أُحضرت زوجة ابنه سليمان ، فذكرت عنه فضائح كثيرة ؛ من ذلك أنه أراد أن يغشاها وهي نائمة فانتبهت فقال : قومي إلى الصَّلاة ، وإنما كان يريد أن يطأها . وأمر ابنتها[٣] بالسُّجود له ، فقالت : أو يسجد بشر لبشر ؟! فقال : نعم ، إله في السَّماء وإله في الأرض . ثم أمرها أن تأخذ من تحت باريَّة[٤] هنالك ما أحبت[٥] ، فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبذورة[٦] .

ولما كان معتقلاً في دار حامد بن العباس دخل عليه بعض الغِلْمان ، ومعه طبق فيه طعام ليأكل منه ، فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه ، فذعر ذلك الغلام[٧] ، وألقى ما كان في يده من ذلك الطَّبق والطعام ، ورجع محموماً ، فمرض عِدَّة أيام[٨] .

ولما كان آخر مجلس[٩] أُحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف ، وجيء بالحلاج ، وقد أُحضر له كتاب من دور بعض أصحابه وفيه : من أراد الحجَّ ولم يتيسر له ، فليبن في داره بيتاً لا يناله شيء من النجاسات ، ولا يمكِّن أحداً من دخوله ، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام ، وليطف به كما يُطاف بالكعبة ، ثم يفعل في داره ما يفعله الحجيج بمكة ، ثم يستدعي بثلاثين يتيماً ؛ فيطعمهم من طعامه ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) كان الأوارجي هذا كاتباً ، توفي سنة (٣٤٤هـ) ، وهو ممدوح المتنبي بقصيدته التي مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء

وهذه النسبة إلى الأوارجة : من كُتُب أصحاب الدواوين في الخراج ونحوه ، ويقال هذا كتاب التأريج وهو معرب أواره أي الناقل . يعني بما نعرفه اليوم بدفتر الحساب الذي يسجل فيه الداخل والمصروف . تاريخ بغداد (٨/ ١٣٤) . ووفيات الأعيان (٢/ ١٧٢) وديوان المتنبي (١/ ١٢ ـ ١٣) وتاج العروس (أرج) وقاموس الفارسية (أوار) .

(٣) في (ح) و(ظا) وأمرتها ابنتها ، وفي (ب) وأمرها ابنها ، وفي تاريخ بغداد (٨/ ١٣٥) : وأمرتها ابنته ، والمثبت من (ط) وهو الأشبه .

(٤) البارية : الحصير المنسوج ، فارسي معرب . اللسان (بور) .

(٥) في (ط) : ما أرادت .

(٦) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٤ ـ ١٣٥) .

(٧) في (ط) : وفزع فزعاً شديداً .

(٨) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٧ ـ ١٣٨) .

(٩) في (ط) : من مجالسه .

ويتولَّى خدمتهم بنفسه ، ثم يكسوهم قميصاً قميصاً ، ويعطي كلَّ واحدٍ [منهم][(١)] سبعة دراهم ـ أو قال : ثلاثة دراهم ـ فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج[(٢)] .

وأن من صام ثلاثة أيام لا يُفْطر إلا في اليوم الرَّابع على ورقات هِنْدَبا[(٣)] أجزأه ذلك عن صيام رمضان .

ومن صلَّى في ليلةٍ ركعتين من أوَّل الليل إلى آخره أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك .

وأن من جاور بمقابر الشُّهداء وبمقابر قريش عشرة أيام يصلِّي ويدعو ويصوم ، ثم لا يُفْطر إلا على شيء من خُبْز الشعير والملح الجريش[(٤)] أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره . فقال له القاضي أبو عمر : من أين لك هذا ؟ فقال : من « كتاب الإخلاص » للحسن البَصْري . فقال له : كذبت يا حلالَ الدَّم ، قد سمعنا « كتاب الإخلاص » للحسن بمكة ، وليس فيه شيء من هذا . فأقبل الوزير حامد بن العباس على القاضي أبي عمر فقال له : قد قلتَ يا حلالَ الدم ، فاكتبْ ذلك في هذه الورقة . وألحَّ عليه ، وقدَّم إليه الدَّواة ، فكتب ذلك في تلك الورقة ، وكتب منْ حضر خطوطهم فيها ، وأنفذها الوزير إلى المقتدر ، وجعل الحلاج يقول لهم : ظهري حِمَىٰ ، ودمي حَرَام ، وما يحلُّ لكم أن تتأولوا عليَّ [ما يبيحه][(٥)] واعتقادي الإسلام ، ومذهبي السُّنَّة ، وتفضيل أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزُّبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي عبيدة بن الجرَّاح ، ولي كتب في السُّنَّة موجودة في الورَّاقين ، فاللهَ اللهَ في دمي . فلا يلتفتون[(٦)] إلى شيءٍ مما يقول . وهو يكرره وهم يكتبون خُطوطهم بما كان من الأمر ، ورُدَّ الحلاج إلى محبسه ، وتأخر جواب المقتدر ثلاثة أيام حتى ساء ظنُّ الوزير حامد بن العباس ، فكتب إلى الخليفة يقول : إن الحلاج قد اشتهر أمره ، ولم يختلف فيه اثنان ، وقد افتتن كثير من الناس به . فجاء الجواب بأن يُسلَّم إلى محمد بن عبد الصَّمد ؛ صاحب الشُّرْطة ، فليضربه ألف سَوْط ، فإن مات وإلا ضُربَتْ عنقه . فَفَرِحَ الوزير بذلك ، وطلب صاحب الشُّرْطة ، فسلَّمه إليه ، وبعث معه طائفةً من غِلْمانه يوصلونه معه إلى محل الشُّرْطة من الجانب الغربي خوفاً من أن يُستنقذ من أيديهم ، وذلك بعد عِشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء لستٍّ بقين من ذي القَعْدة من هذه السَّنة . وركب على بغل عليه إكاف[(٧)] ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٨) .

(٣) يمد ويقصر ، وهو نبات بقلي ، وله أنواع عديدة ، وهو معروف عندنا بالشام اللسان (هندب) والموسوعة في علوم الطبيعة (٢/ ٦١٧) .

(٤) أي لم يتطيب . اللسان (جرش) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) في (ط) : فلا يلتفتون إليه ولا إلى شيء مما يقول .

(٧) برذعة : المعجم الوسيط (٢/ ١٠٦٧) .

وحوله جماعة من السَّاسة[١] على مثل شَكْله ، فاستقر منزله بدار الشُّرْطة في هذه الليلة ، فَذُكر أنه بات يصلِّي في هذه الليلة ، ويدعو دعاء كثيراً[٢] .

فقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي : سمعت أبا بكر الشَّاشي يقول : قال أبو الحديد ـ يعني المصري[٣] ـ : لما كانتِ الليلة التي قُتل في صبيحتها الحسين بن منصور قام من الليل فصلَّى ما شاء الله ، فلما كان آخر الليل قام قائماً فتغطى بكسائه ، ومدَّ يديه نحو القِبْلة ، فتكلَّم بكلام جاز[٤] الحِفْظ ، فكان مما حفظت أن قال : نحن شواهدك ، نلوذ بسنا عزك لتبدي[٥] ما شئت من شأنك ومشيئتك ، وأنت الذي في السَّماء إله وفي الأرض إله ، تتجلَّى لما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصُّورة ، والصورة فيها الرُّوح الناطقة بالعِلْم والبيان والقُدْرة ، ثم أوعزت إلى شاهدك الآنيِّ في ذاتك الهُوي كيف أنت إذا مثَّلْتَ بذاتي عند عقيب كرَّاتي[٦] ، ودَعَوتَ إلى ذاتي بذاتي ، وأبديتَ حقائق علومي ومعجزاتي ، صاعداً في معارجي إلى عروش أزلياتي عند القول من بريَّاتي[٧] ، إني احتُضرتُ وقُتِلْتُ وصُلبت وأُحرقت واحتملت سافياتي الذَّاريات ، ولججت في الجاريات ، وأن ذرة من ينجوج مكان هاكول[٨] متجلياتي لأعظم من الرَّاسيات ، ثم أنشأ يقول :

أنْعَىٰ إليك نفوساً طاحَ شاهِدُها ... فيما ورا الحيث أوْفَىٰ شاهد القِدَم[٩]
أنعىٰ إليك قلوباً طالما هَطَلَتْ ... سحائبُ الوَحْي فيها أبْحُرَ الحِكَمِ
أنعى إليك لسانَ الحقِّ منكَ ومَنْ ... أوْدَى وتَذْكارُهُ في الوَهْمِ كالعَدَمِ
أنعىٰ إليك بَيَاناً تستكينُ لهُ ... أقوالُ كلِّ فصيحٍ مِقْولٍ فَهِمِ

---

(١) في (ط) أعوان السياسة . وهي تصحيف . وكان المقصود بهذه الخطة إخفاء الحلاج عن أعين أنصاره أثناء نقله من بيت الوزير إلى دار الشرطة خوفاً من محاولة تخليصه .
(٢) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٨ ـ ١٤٠) .
(٣) كذا في النسخ الخطية و(ط) ، ومثله في ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٢) وفي أخبار الحلاج (١١) ذكر الخبر عن قاضي القضاة أبي بكر بن الحداد المصري ، وهو الأشبه .
(٤) في (ط) جائز ، وهو تصحيف .
(٥) في (ط) نحن شواهدك فلو دلتنا عزتك لتبدي ما شئت . . وهي تحريف . . وفي أخبار الحلاج (١١) : نحن بشواهدك نلوذ ، وبسنا عزتك نستضيء ، لتبدي . . وهي قراءة مستقيمة أيضاً .
(٦) في (ط) عند حلول لذاتي ، وهو تحريف .
(٧) في (ط) عند التولي عن برياني .
(٨) في (ب) و(ظا) : هاكرك ، وفي سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤٩) : هيكل ، وفي (ط) هالوك ، والمثبت من (ح) وترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٢) وأخبار الحلاج (١١) .
(٩) في (ب) و(ظا) العدم ، وفي (ح) : فيما درى الحب أو في شاهد العدم ، والمثبت من ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة : ٢٢ . ورواية الديوان (٢٤) فيما وراء الحيث يلقى شاهد القدم .

أنعىٰ إليكَ إشاراتِ العقولِ معاً ... لم يبقَ منهنَّ إلّا دارسُ العَلَمِ[(١)]
أنعىٰ وحُبِّكَ أخلاقاً لطائفةٍ ... كانتْ مطاياهمُ من مُكْمِدِ الكظمِ
مضَى الجميعُ فلا عَيْنٌ ولا أثرٌ ... مضيَّ عادٍ وفُقْدانَ الأُلَى إرَمِ
وخَلَّفوا معشراً يحذونَ لبستهمْ ... أعْمَى من البُهْم بلْ أعمى من النَّعَمِ[(٢)]

قالوا : ولما أُخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد :

طَلَبْتُ المُسْتقرَّ بكلِّ أرضٍ ... فَلَمْ أرَ لي بأَرْضٍ مستقرَّا
أطَعْتُ مطامعي فَاسْتَعْبَدتني ... وَلَوْ أنِّي قَنِعْتُ لعشتُ حُرَّا[(٣)]

وقيل : إنه قالها حين قُدّم إلى الجذع ليصلب عليه ، والمشهور ما ذكرناه .

ثم مشى[(٤)] وهو يتبختر في مشيته ، وفي رجليه ثلاثة عشَرَ قيداً ، وجعل ينشد :

نديمي غيْرُ مَنْسوبٍ ... إلى شيءٍ من الحَيْفِ
سَقَاني مِثْلَ ما يَشْرَ ... بُ فِعْلَ الضَّيْفِ بالضَّيْفِ
فلَمَّا دارتِ الخمرُ ... دَعا بالنِّطْعِ والسَّيْفِ
كذا مَنْ يشربُ الرَّاحَ ... مَعَ التِّنين في الصَّيْفِ[(٥)]

ثم قال : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ [الشورى : ١٨] ، ثم ما نطق بعد ذلك حتى فُعِلَ به ما فعل[(٦)] .

قالوا : ثم قُدِّمَ فَضُرِبَ ألفَ سَوْط ، ثم قُطعت يداه ورِجلاه وهو في ذلك [كله][(٧)] ساكت لا ينطق بكلمة ، ولم يتغيَّر لونه ، ويقال : إنه جعل يقول مع كل سَوْط : أَحَدٌ أحد[(٨)] .

---

(١) في ترجمة الحلاج للسلمي (٢٢) العدم ، وفي الديوان (٢٥) : الرحم .
(٢) الأبيات في الديوان (٢٤ ـ ٢٥) مع اختلاف في بعض الألفاظ . وأيضاً في ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٢ ـ ٢٣) وأخبار الحلاج (١١ ـ ١٢) وبداية الحلاج لابن باكويه في الأصول الأربعة (٣٤) مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٣) البيتان في ديوان أبي العتاهية (١٤١) وفي (ط) زيادة بيت بينهما ، وهو :
وذقتُ من الزمان وذاق مني ... وجدت مذاقه حلواً ومُرَّا
وهو ليس في الديوان المذكور .
(٤) في (ط) : فلما أخرجوه للصلب مشى إليه وهو يتبختر .
(٥) الأبيات في ديوان الحلاج (٧٣) وأخبار الحلاج (٣٥) مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٦) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٢) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) تاريخ بغداد (٨/ ١٣١) .

قال أبو عبد الرحمن : سَمِعْتُ عبدَ الله بن علي يقول : سمعت عيسى القَصَّار يقول : آخر كلمة تكلَّم بها الحلاّج حين قُتلَ أن قال : حَسْبُ الواجد(١) إفراد الواحد . فما سَمِعَ بهذه الكلمة أحدٌ من المشايخ إلا رَقَّ له ، واستحسن هذا الكلام منه(٢) .

وقال السُّلمي : سمعت أبا بكر البَجَلي(٣) يقول : سمعت أبا الفاتك البَغْدادي ـ وكان صاحبَ الحلاج ـ قال : رأيتُ في النَّوْم بعد ثلاثٍ من قَتْلِ الحلاج كأني واقفٌ بين يدي ربي عزَّ وجلَّ وأقول : يا ربّ ، ما فَعَلَ الحسين بن منصور ؟ فقال : كاشَفْتُه بمعنى فدعا الخَلْقَ إلى نفسه ، فأنزلت به ما رأيت(٤) .

ومنهم منْ قال : بل جَزِعَ عند ذلك(٥) جزعاً شديداً ، وبكى بكاءً كثيراً ، فالله أعلم .

وقال الخطيب : حدثنا عبيد الله(٦) بن أحمد بن عثمان الصَّيْرفي قال : قال لنا أبو عمر بن حيُّوية : لما أخرج الحسين(٧) الحلاج ليقتل مضيت في جُملة النَّاس ، ولم أزل أُزاحم حتى رأيته(٨) ، فقال لأصحابه : لا يَهُولَنَّكُمْ هذا(٩) ، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً . ثم قتل(١٠) .

وذكر الخطيب أنه قال وهو يُضرب لمحمد بن عبد الصَّمَد والي الشُّرْطة : أدع بي إليك ، فإن عندي نصيحة تعدِلُ فتحَ القُسْطَنْطينيَّة . فقال له : قد قيل لي إنك ستقول مثل هذا ، وليس إلى رَفْع الضَّرْب عنك سبيل . ثم قُطِعتْ يداه ورِجْلاه ، وحُزَّ راسه ، وأُحرقت جثته ، وأُلْقي برمادها في دِجلة ، ونُصبَ الرأس يومين ببغداد على الجسر ، ثم حُملَ إلى خُراسان ، وطيف به في [تلك](١١) النَّواحي ، وجَعَلَ أصحابه يَعِدُون أنفسهم برجوعه إليهم بعد أربعين(١٢) يوماً . وزَعَمَ بعضُهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم وهو

---

(١) في (ط) الواحد ـ بالحاء المهملة .
(٢) ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٥) .
(٣) في (ط) المحاملي ، وهو تحريف .
(٤) المصدر السابق .
(٥) في (ط) القتل .
(٦) في (ب) و(ظا) و(ط) عبد الله ، وهو تصحيف ، وترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٥) .
(٧) في (ط) : الحسين بن منصور الحلاج .
(٨) في (ط) : فدنوت منه .
(٩) في (ط) : هذا الأمر .
(١٠) في (ط) : فما عاد . والخبر في تاريخ بغداد (٨/ ١٣١) وما في نسخنا المخطوطة أقرب إلى عبارة الخطيب .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٢) في (ط) ثلاثين ، وهو تحريف .

راكبٌ على حمار في طريق النّهروان ، فقال : لعلكم مثل هؤلاء النفر[١] الذين ظنوا أني أنا هو المضروب المقتول[٢] . فكانوا بجهلهم يقولون : إنما قَتَلَ عدواً من أعداء الحلاج[٣] .

وقال بعض علماء ذلك الزمان : إن كان هذا الرأي صادقاً ، فلعل دابة ؛ يعني من الشياطين تبدَّىٰ على صورته ، ليضِلَّ به الناس[٤] ، كما ضَلَّت فرقة النَّصارى بالمصلوب .

قال الخطيب : واتفق أنَّ دِجْلَة زادت في هذا العام زيادةً كبيرة ، فقالوا : إنما زادت لأن رماد الحلاج[٥] خالطَها[٦] . ونُوديَ ببغداد ألا يشتري أحدٌ من كتب الحلاج شيئاً ولا يبيعه[٧] .

وكان قتل الحلاج في يوم الثلاثاء لستٍّ بقين من ذي القَعْدة من سنة تسعٍ وثلاثمئة ببغداد .

وذكره القاضي ابن خلِّكان في « الوفيات » ، وحكى اختلاف النَّاس فيه ، ونقل عن الغزالي في « مشكاة الأنوار » أنه كان يتأول كلامه ويحمله على ما يليق[٨] . ثم نقل[٩] عن إمام الحَرَمين أنه كان يذمُّه ، ويقول : إنه اتفق هو والجنَّابي وابن المُقَفَّع على إفساد عقائد النَّاس ، وتفرَّقوا في البلاد ، فكان الجَنَّابي في هَجَر والبحرين ، وابن المُقَفَّع ببلاد التُّرْك ، ودخل الحلاج العِراق[١٠] .

قال القاضي ابن خَلِّكان : وهذا لا ينتظم ؛ فإن ابن المُقَفَّع كان قبل الحلاج بدهر ؛ فإنه كان في أيام السَّفَّاح والمنصور ، ومات سنة خمس وأربعين ومئة[١١] أو قبلها . ولعل إمامَ الحرمين أراد المقنَّع[١٢] الخُرَاساني الذي ادَّعىٰ الرُّبوبية ، وأوتي القمر[١٣] ، واسمُه عطاء ، وقد قتل نفسه بالسُّمِّ في سنة ثلاث وستين ومئة ، ولا يمكن اجتماعه مع الحلاج أيضاً ، وإذا أردنا أن نصحِّحَ كلام إمام الحرمين ، ونذكر

---

(١) في تاريخ بغداد : البقر .
(٢) في (ط) : إني لست به ، وإنما ألقي شبهي على رجل ، ففعل به ما رأيتم .
(٣) تاريخ بغداد (٨/ ١٤٠ ـ ١٤١) .
(٤) في (ط) فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان ، فقال : إن كان هذا الرأي صادقاً فقد تبدى له شيطان على صورة الحلاج ليضل به الناس .
(٥) في (ط) : جثة الحلاج .
(٦) في (ط) : وللعوام في مثل هذا وأشباهه ضروب من الهذيانات قديماً وحديثاً .
(٧) تاريخ بغداد (٨/ ١٤١) وما في نسخنا المخطوطة أقرب إلى عبارة الخطيب .
(٨) مشكاة الأنوار (٥٧ ـ ٥٨) .
(٩) في (ط) : ثم نقل ابن خلكان .
(١٠) في (ط) : فحكم صاحباه عليه بالهلكة لعدم انخداع أهل العراق بالباطل .
(١١) في (ط) ومئتين ، وهو تحريف ، ووفاته في أكثر المصادر سنة (١٤٢هـ) .
(١٢) في (ط) ابن المقفع ، وهو تصحيف .
(١٣) في (ط) العمر ، وهو تصحيف . وكان المقنع قد أظهر لهم من جملة تمويهاته صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ، ثم يغيب . وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٤) .

ثلاثة قد اجتمعوا في وقتٍ على ما ذكر[(١)] ، فيكون أراد بذلك الحلاج ، وابن الشَّلْمَغَاني[(٢)] ؛ يعني أبا جعفر محمدَ بن علي ، والقرمطي الجَنَّابي وهو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بَهْرام ؛ الذي قتل الحُجَّاج ، وأخذ الحجر الأسود ، وردم زمزم بالقتلىٰ ، ونهب أستار الكعبة . كما سيأتي ذلك مبسوطاً[(٣)] . ذكره ملخصاً القاضي هاهنا[(٤)] .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أبـو العبَّاس بن عَطَاء أحد أئمة الصُّوفية[(٥)] : وهو أحمد بن محمد [بن سهل][(٦)] بن عطاء الأدَمي[(٧)] .

حدث عن يوسف بن موسى القَطَّان ، والفَضْل[(٨)] بن زياد وغيرهما[(٩)] .

وكان[(١٠)] يقرأ في كل يوم وليلة ختمة ، وفي شهر رمضان يقرأ في كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وكانت له ختمة يتدَبَّر فيها معاني القرآن ، يتلوها من سَبْع عشرة سنة ، ومات ولم يختِمْها .

وهذا الرجل ممن كان قد اشتبه عليه أمْرُ الحلاَّج ، وأظهر موافقته ، فعاقبه الوزير حامد بن العَبَّاس بالضَّرْبِ البليغ على شِدْقيه ، وأمر بنَزْع خُفَّيه وضَرْبه بهما على رأسه حتى سال الدَّمُ من مَنْخِرَيْه ، ومات بعد سبعة أيام من ذلك ، وكان قد دعا على الوزير بأن تُقْطع يداه ورِجْلاه ويقتل شَرَّ قِتْلة . فما مات الوزير إلا كذلك[(١١)] .

---

(١) في (ط) فذكر ثلاثة قد اجتمعوا في وقت واحد على اضلال الناس وإفساد العقائد كما ذكر ، فيكون المراد بذلك الحلاج . .

(٢) في (ط) : السمعاني ، وهو تحريف ، وسيرد ذكره في أحداث سنة (٣٢٢هـ) .

(٣) في أحداث سنة (٣١٧هـ) .

(٤) وفيات الأعيان (٢/ ١٤٦ ـ ١٥٧) .

(٥) طبقات الصوفية (٢٦٥ ـ ٢٧٢) حلية الأولياء (١٠/ ٣٠٢ ـ ٣٠٥) تاريخ بغداد (٥/ ٢٦ ـ ٣٠) الرسالة القشيرية (٢٣ ـ ٢٤) المنتظم (٦/ ١٦٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) طبقات الأولياء (٥٩ ـ ٦١) طبقات الشعراني (١/ ١٢٥ ـ ١٢٨) .

(٦) ما بين حاصرتين من طبقات الصوفية (٢٦٥) .

(٧) هذه النسبة إلى من يبيع الأدم . الأنساب (١/ ١٦١) .

(٨) في (ط) المفضل ، وهو تصحيف ، وترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٦٣) .

(٩) في (ط) : وقد كان موافقاً للحلاج في بعض اعتقاده على ضلاله .

(١٠) في (ط) : وكان أبو العباس هذا . .

(١١) انظر صفة مقتل الحلاج من هذا الجزء .

وفيها توفي :

أبو إسحاق إبراهيم بن هارون الطَّبيب الحَرَّاني . وأبو محمد عبد الله بن حمدون النَّديم(١)

(١) على هامش (ح) : بلغ مقابلة بالأصل المنقول منه . وقد انفردت (ب) في إيراد مسألة في الحلاج ، نسوقها فيما يلي :

مسألة في الحلاج

سئل شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ـ تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته ـ قال (الفتاوى ٢/ ٤٨٠) : أنا [كذا في الأصل ولعل الصواب من] اعتقد ما يعتقده الحلاج ، ماذا يجب عليه ، ويقول : إنما قتل ظلماً كما قتل بعض الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، ويقول الحلاج من أولياء الله تعالى ، فماذا يجب عليه بهذا الكلام ، وهل قتل بسيف الشرع الشريف أم لا ، أفتونا مأجورين .

الحمد لله ، من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها ، فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين ، فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والاتحاد كقوله أنا الله ، وقوله : إله في السماء وإله في الأرض . وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا إله إلا الله ، وأن الله خالق كل شيء ، فكل ما سواه مخلوق ، و ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٩٣ ـ ٩٥] وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ الآية [النساء : ١٧١ ـ ١٧٢] . وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة : ٧٣ ـ ٧٥] .

فالنصارى الذين كفَّرهم الله ورسوله ، واتفق المسلمون على كفرهم ، كان من أعظم كفرهم دعواهم الحلول والاتحاد بالمسيح بن مريم ، فمن قال بالحلول والاتحاد في غير عيسى كما يقول الغالية في عليّ ، وكما يقوله الحلاجية في الحلاج ، والحاكمية في الحاكم ، وأمثال هؤلاء ، فقوله شرٌّ من قول النصارى ، لأن المسيح أفضل من هؤلاء كلهم ، وهؤلاء من جنس أتباع الدجال الذي يدعي الإلهية فيتبع ، مع أن الدجال يقول للسماء امطري فتمطر ، وللأرض أنبتي فتنبت ، وللخربة أخرجي كنوزك ، فيخرج معه كنوز الذهب والفضة ، ويقتل رجلاً مؤمناً ، ثم يأمر به فيقوم ، ومع هذا فهو الأعور الدجال الكذاب ، فمن ادَّعى الإلهية بدون مثل هذه الخوارق كان دون هذا الدجال . والحلاج كانت له مخاريق وأنواع من السحر ، وله كتب منسوبة إليه في السحر ، وبالجملة فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر أو اتحاده به ، أو أن البشر يكون إلاهاً وجزءاً من الإله ، فهو كافر ، مباح الدم ، وعلى هذا قتل الحلاج . ومن قال : إن الله نطق على لسان الحلاج ، وأن الكلام المسموع من الحلاج كان كلام الله ، وأن الله هو القائل على لسانه فهو أيضاً كافر باتفاق المسلمين ، لأن الله لا يحل في بشر ، ولا يتكلم على لسان بشر . . ولكن يرسل الرسل بكلامه ، فيقولون عليه ما أمرهم ببلاغه ، فيقول على ألسنة الرسل ما أمرهم بقوله ؛ كما قال النبي ﷺ أن الله قال على لسان نبيه : سمع الله لمن حمده . فإن المعروف في خطاب الناس أن كل واحد من الرسل والرسول يقول على لسان الآمر كما قال أحمد بن حنبل للمروذي : قل على لساني ، وكما يقال : هذا يقول على=

. . . .

= لسان السلطان كيت وكيت . فمثل هذا معناه مفهوم ، وأما أن الله هو المتكلم على لسان البشر كما يتكلم الجني على لسان المصروع ، فهذا كفر صريح . وأما إذا ظهر مثل هذا القول عن غائب العقل قد رفع عنه القلم لكونه مصطلماً في حال من أحوال الفناء والسكر ، فهذا تكلَّمَ به في حال رُفِعَ عنه فيها القلمُ ، فالقول وإن كان باطلاً لكن القائل غير مؤاخذ ، ومثل هذا يعرض لمن استولى عليه سلطان الحب مع ضعف القلب ، كما يقال : إن محبوباً ألقى نفسه في اليم ، فألقى المحب نفسه خلفه ، فقال : أنا وقعت ، فلم وقعت خلفي؟ قال : غبت بك عني ، فظننت أنك أني .
وقد ينتهي بعض الناس إلى مقام يغيب بمعبوده عن عبادته ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، فإذا ذهب تمييز هذا ، وصار غائب العقل بحيث يرفع عنه القلم لم يكن معاقباً على ما تكلم به في هذه الحال ، مع العلم بأنه خطأ وضلال ، وآفة حال لا يكون لألباء الرجال .
وما يحكى عن الحلاج من ظهور كرامات له عند قتله ، مثل كتابة دمه أربعين كلمة ، أو إظهار الفرح بالقتل ، أو نحو ذلك ، كله كذب . وقد جمع المسلمون أخبار الحلاج في مواضع كثيرة ، كما ذكر ثابت بن سنان في « أخبار الخلفاء » وقد شهد مقتله ، وكما ذكر المحسن التنوخي ، وكما ذكر إسماعيل بن علي الخطبي في « تاريخ بغداد » ، وقد شهد قتله ، وكما ذكر الحافظ أبو بكر الخطيب في « تاريخه » ، وكما ذكر القاضي أبو يعلى في « المعتمد » ، وكما ذكر القاضي أبو بكر بن الطيب وأبو محمد بن حزم وغيرهما ، وكما ذكر أبو يوسف القزويني وأبو الفرج بن الجوزي فيما جمعا من أخباره . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في « طبقات الصوفية » أن أكثر المشايخ أخرجوه عن الطريق . ولم يذكره أبو القاسم القشيري في « رسالته » في المشايخ الذين عدَّهم من مشايخ الطريق ، وما يعلم أحد من أئمة الإسلام ذكر الحلاج بخير لا من العلماء ولا من المشايخ ، ولكن بعض الناس يقف فيه ، لأنه لم يعرف أمره ، فأبلغ من يحسن الظن به يقول : إنه وجب قتله في الظاهر ، والقاتل مجاهد ، والمقتول شهيد . وهذا أيضاً خطأ . وقول القائل : إنه قتل مظلوماً ظلماً باطل ، فإن وجوب قتله على ما أظهره من الإلحاد أمر واجب باتفاق المسلمين ، لكن لما كان يظهر الإسلام ويبطن الإلحاد إلى أصحابه صار زنديقاً ، فلما أخذ وحبس أظهر التوبة ، والفقهاء متنازعون في قبول توبة المرتدين ، وأكثرهم لا يقبلها ، وهو مذهب مالك وأهل الحديث ، ومذهب أحمد في أشهر الروايتين عنه ، وهو أحد القولين في مذهب أبي حنيفة ، ووجه في مذهب الشافعي ، والقول الآخر يقبل توبته . وقد اتفقوا على أنه إذا قتل قبل هذا لا يقال إنه قتل ظلماً .
وأما قول القائل إن الحلاج من أولياء الله [كذا والعبارة فيها سقط] فإن ولي الله من مات على ولاية الله ، والله يحبه ويرضى عنه ، والشهادة بهذا لغير من شهد له النبي ﷺ بالجنة لا يجوز عند كثير من العلماء أو أكثرهم ، وذهبت طائفة من السلف كأبي حنيفة وعلي المديني إلى أنه لا يشهد بذلك لغير النبي ﷺ ، وقال طائفة : بل من استفاض في المسلمين الثناء عليه شهد له بذلك ، لأن النبي ﷺ مر عليه بجنازة ، فأثنوا عليها خيراً . فقال : وجبت وجبت . ومر عليه بجنازة ، فأثنوا عليها شراًفقال : وجبت وجبت . قال : يا رسول الله ، ما قولك وجبت وجبت؟ قال : هذه الجنازة أثنيتم عليها خيراً ، فقلت : وجبت لها الجنة . وهذه الجنازة أثنيتم عليها شراً ، فقلت : وجبت لها النار ، أنتم شهداء الله في الأرض . [صحيح البخاري (١٣٠١) في الجنائز ، وصحيح مسلم (٩٤٩) في الجنائز] .
وإذاً جوز أن يشهد لبعض الناس أنه من أولياء الله في الباطن ، إما بنصٍّ ، وإما بشهادة الأمة ، فالحلاج ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء ، فجمهور الأمة يطعن عليه ، ويجعله من أهل الإلحاد ، وإن قدر أنه يطلع على بعض الناس أنه ولي الله بكشف ونحو ذلك مما يختص به بعض أهل الصلاح ، فهذا الذي أثنى على الحلاج ، ووافقه على اعتقاده ضالٌّ من وجوه ، أحدها أنه لا يعرف فيمن قتل بسيف الشرع على الزندقة أحد قتل ظلماً وكان ولياً لله ، فقد قتل الجهم بن صفوان والجعد بن درهم وغيلان القدري ومحمد بن سعيد المصلوب وبشار بن برد الأعمى ، وأمثال =

. . . .

= هؤلاء كثير ، ولم يقل أهل العلم واللب في هؤلاء (كذا وكان ثمة سقط) وأما الأنبياء فقتلهم الكفار ، وكذلك الصحابة الذين استشهدوا قتلهم الكفار ، وعثمان وعلي والحسين ونحوهم قتلهم الخوارج البغاة ، لم يقتلوا بحكم الشرع على مذاهب فقهاء أئمة الدين كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم ، فإن أئمة الدين متفقون على تحريم دماء هؤلاء ، وهم متفقون على حل دم الحلاج وأمثاله .

الوجه الثاني : إن الاطلاع على أولياء الله لا يكون إلا ممن يعرف طريق الولاية ، وهو الإيمان والتقوى ، ومن أعظم الإيمان والتقوى أن يجتنب مقالة أهل الإلحاد ، كأهل الحلول والاتحاد ، فمن وافق الحلاج على مثل هذه المقالة لم يكن عارفاً بالإيمان والتقوى ، فلا يكون عارفاً بطريق أولياء الله ، فلا يجوز أن يميز بين أولياء الله وغيرهم .

الثالث : أن هذا القائل قد أخبر أنه يوافقه على مقالته ، فيكون من جنسه ، فشهادته له بالولاية شهادة لنفسه ، كشهادة اليهودي والنصراني والرافضي لنفسه أنه على الحق ، وشهادة المرء نفسه فيما لا يعلم فيه كذبه ولا صدقه مردودة ، فكيف تكون شهادته لنفسه ولطائفته الذين ثبت بالكتاب والسُّنة والإجماع أنهم أهل ضلال .

الرابع : إن ما يقال إما كون الحلاج عند الموت تاب فيما بينه وبين الله ، أو لم يتب ، فهذا غيب يعلمه الله . وأما كونه إنما كان يتكلم بهذا عند الاصطلام ، فليس كذلك ، بل كان يصنف الكتب ، ويقوله وهو حاضر يقظان ، وقد تقدم أن غيبة العقل تكون عذراً في الباطن وإن لم تكن عذراً في الظاهر ، فهذا لو فرض لم يجز أن يقال قتل ظلماً ، ولا يقال إنه موافق له على اعتقاده ، ولا يشهد بما لا يعلم ، فكيف إذا كان الأمر بخلاف ذلك؟ وغاية المسلم المؤمن إذا عذر الحلاج أو يدعي فيه الاصطلام أو الشبهة ، فإما أن يوافقه على ما قيل عليه ، فهذا حال أهل الزندقة والإلحاد ، وكذلك من لم يجوِّز قتل مثله فهو مارق من دين الإسلام ، ونحن إنما علينا أن نعرف التوحيد الذي أمرنا به ، ونعرف طريق الله [الذي] أمرنا به ، وقد علمنا بكلاهما أن ما قاله الحلاج باطل ، وأنه يجب قتل مثله ، وأما نفس الشخص المعين ، هل كان في الباطن له أمر يغفر الله له به ، من توبةٍ أو غيرها؟ فهذا أمره إلى الله ، ولا حاجة إلى العلم بحقيقة ذلك ، والله أعلم .

وسئل أيضاً رضي الله عنه عمن يعتقد أن كرامات الأولياء حق ، وأن منهم من يكاشف ماضي ومستقبل ، فهل هذا الاعتقاد صحيح أو لا ؟ .

أجاب : كرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة ، وقد دلَّ عليها القرآن في غير موضع ، والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم . وأما أئمة الإسلام وشيوخه المقبولون عند الله فلم ينكروها ، لكن كثير ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذاباً ، أو ملبوساً عليه ، وأيضاً فإنها لا تدلُّ على عصمة صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقول ، بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن بعض الكفار من المشركين وأهل الكتاب ، ومن هو شر منه ، كما بينت في الصحيح أن الدَّجَّال يقول للسماء : أمطري ، فتمطر . ويقول للأرض : أنبتي ، فتنبت ، وأنه يقتل واحداً ، ثم يحيا ، وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة ، ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يغترَّ به حتى ننظر وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، وهذه جملة مختصرة مفصلة مبسوطة في غير هذا الموضع ، والله أعلم .

مسألة أيضاً

سئل عنها شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله في الحلاج ، هل كان صدِّيقاً أو زنديقاً ؟ وهل كان من أولياء الله المتقين ، وله حال رحماني ، أو من إخوان الشياطين ، وله حال شيطاني ؟ وهل قتل على الزندقة بمحضر من علماء المسلمين ، أو قتل ظلماً ؟ وماذا قالت العلماء في ذلك ؟ =

. . . .

= أجاب : الحمد لله ، الحلاج قتل على الزندقة ، والزندقة هي النفاق بعينه التي ثبت عليه بإقراره وبغير إقراره ، وبغير الأمر الذي ثبت عليه مما يوجب القتل باتفاق المسلمين ، ومن قال إنه قتل بغير حق فهو منافق ملحد ، وإما جاهل ضال . وكان قد استفاض عنه من أنواع الكفر ما يوجب بعضه القتل فضلاً عن جميعه .

ولم يكن من أولياء الله المتقين ، بل كان له عبادات ورياضات ومجاهدات ، بعضها شيطاني ، وبعضها نفساني ، وبعضها كان موافقاً للشريعة ، فلبس الحق بالباطل ، وكان قد ذهب إلى أرض الهند ، وتعلم أنواعاً من السحر ، وصنف كتاباً في السحر معروفاً ، وهو موجود إلى اليوم ، وكانت له أحوال شيطانية ، ومخاريق بهتانية ، وقد جمع العلماء أخباره في كتب كثيرة ، أخبر بها الذين كانوا في زمانه ، والذين نقلوا عن أولئك ، مثل أحمد بن علي الخطيب ، ذكره في « تاريخ بغداد » ، وأبو يوسف القزويني صنف كتاباً مجلداً في أخباره ، وأبو الفرج ابن الجوزي ، له فيه مصنف سماه « رفع اللجاج في أخبار الحلاج » وسبطه ذكره في « تاريخه » ، وذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب « طبقات الصوفية » أن أكثر المشايخ ذموه ، وأنكروا عليه ، ولم يعدوه من مشايخ الطريقة ، وممن ذمه أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه ، ولم يقتل في حياة الجنيد ، بل قتل بعد موت الجنيد ، فإن الجنيد توفي سنة ثمان وتسعين ومئتين ، والحلاج قتل سنة بضع وثلاثمئة ، أظنه سنة تسع وثلاثمئة ، وكان قد قُدم به إلى بغداد راكباً على جمل ينادى عليه : هذا داعي القرامطة . وأقام في الحبس مدة حتى وجد من كلامه من الكفر والزندقة ما اعترف به ، مثل أنه ذكر في كتابٍ له أنه من فاته الحج ، فإنه يبني في داره بيتاً ، ويطوف به كما يطوف بالبيت ، ويتصدق على ثلاثين يتيماً بصدقة ذكرها ، وقد أجزأه ذلك عن الحج . فقالوا له : أنت قلت هذا . قال : نعم . قالوا له : من أين لك هذا ؟ قال : ذكره الحسن البصري في « كتاب الصلاة » ، فقال له القاضي أبو عمر : تكذب يا زنديق ، أنا قرأت هذا الكتاب ، وليس هذا فيه . فطلب منهم الوزير أن يشهدوا بما سمعوا منه ، ويفتوا بما يجب عليه ، فأفتوا واتفقوا على وجوب قتله .

لكن العلماء لهم قولان في الزنديق إذا أظهر التوبة ، هل تقبل منه توبته فلا يقتل ، أم يقتل لأنه لا يعلم صدقه ، فإنه ما زال يظهر ذلك ؟ فأفتى طائفة بأنه يستتاب ولا يقتل ، وأفتى الأكثرون بأنه يقتل وإن أظهر التوبة ، فإن كان صادقاً في توبته نفعه ذلك عند الله في الآخرة ، وقتل في الدنيا ، وكان الحد تطهيراً له ، كما لو تاب السارق والزاني والشارب بعد أن رفعوا إلى ولي الأمر ، فإنه لابد من إقامة الحد عليهم ، وإذا كانوا صادقين في التوبة نفعهم ذلك في الآخرة ، وقبل الله توبتهم ، وكان قتلهم كفارة لهم ، ومن كان كاذباً في التوبة كان قتله عقوبة لهم . فإن كان الحلاج تاب وقت القتل ، صادقاً في التوبة ، فإن الله ينفعه بتلك التوبة ، وإن كان كاذباً في التوبة ، فإنه قتل كافراً .

ولم يظهر له وقت القتل شيء من الكرامات ، وكل من ذكر أن دمه كتب على الأرض اسم الله ، وأن دجلة انقطع ماؤها ، أو غير ذلك من الأكاذيب التي تشبه هذا ، فإنه كاذب ، وهذه الأمور لا يحكيها إلا جاهل أو منافق ، وإنما وضعها الزنادقة أعداء الإسلام ، حتى يقول القائل : إن شرع محمد بن عبد الله يقتل أولياء الله ، وإلا فقد قتل أنبياء كثيرون ، وقتل من الصحابة والتابعين وغيرهم من الصالحين ما لا يحصي عدده إلا الله ، قتلوا بسيوف الكفار والفجار ، ولم يكتب دم أحدهم اسم الله ، فهل الحلاج خير من هؤلاء كلهم ؟ ولقد جزع وقت القتل ، وأظهر التوبة ، فلم يقبل ذلك منه ، لأنه لو عاش افتتن به كثير من الجهال ، لأنه كان صاحب خزعبلات بهتانية وأحوال شيطانية ؛ ولهذا إنما يعظمه من يعظم الأحوال الشيطانية والنفسانية والبهتانية ، وأما أولياء الله المتقون العالمون بحال الحلاج فليس فيهم أحد يعظمه ، ولهذا لم يذكره القشيري في مشايخ « رسالته » ، وإن كان قد ذكر من كلامه كلمات استحسنها ، وكان الشيخ أبو يعقوب النهرجوري قد زوجه بابنته ، فلما اطلع على زندقته نزعها منه ، وكان عمرو بن عثمان المكي يذكر أنه كافر ، ويقول : كنت معه ، فسمع قارئاً يقرأ القرآن ، فقال : أقدر أن أصنف مثل هذا =

. . . .

= القرآن . أو نحو هذا الكلام ، وكان يظهر عند كل قوم ما يستجلبهم به إلى تعظيمه ؛ فيظهر عند أهل السنة أنه سني ، وعند الشيعة أنه شيعي ، ويلبس لباس الزهاد ، وتارة لباس الأجناد ، وكان من مخاريقه أن يبعث بعض أصحابه إلى مكان من البرية يخبئ فيه شيئاً من الفاكهة والحلواء ، ثم يخرج بجماعة إلى قرب ذلك المكان ، فيشتهي عليه أحدهم فاكهة أو حلاوة ، فيذهب إلى ذلك ، فيأخذ ما خبأ هنالك ويجيبه ، فيظن الحاضرون أن هذه كرامة له ، وكان صاحب سيميا وشياطين ، وكانت الشياطين تخدمه أحياناً ، كانوا مرة على جبل أبي قبيس ، فطلبوا منه حلاوة ، فذهب إلى مكان قريب منهم ، ثم جاء معه بصحن حلاوة ، فكشفوا الأمر ، فوجدوا ذلك قد أحضر من حانوت حلاوي في اليمن ، حمله الشيطان من الحانوت إليه . ومثل هذا يجري كثيراً لغير الحلاج ممن له حال شيطاني ، ونحن نعرف كثيراً من هؤلاء في زماننا ، وفي غير زماننا ، مثل شيخ أخبر عن نفسه بأنه كان يزني بالنساء ، ويتلوط بالجواري ولا يصلي ، وكان يقوله ، قال : وكان يأتيني كلب أسود بين عينيه نكتتان بيضاوان ، فيقول لي : فلان بن فلان ، قد نذر لك نذراً ، وغداً يأتيك به ، وأنا قضيت حاجته لأجلك ، فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر ، ويكاشفه هذا الشيخ الكافر بذلك . قال : وكنت إذا طلب مني تغيير مثل اللاذن أقوله حتى أغيب عن عقلي ، فإذا باللاذن في يدي أو فمي ، وأنا لا أدري من وضعه . قال : وكنت أمشي وبين يدي عمود أسود عليه نور ، فلما تاب ، وصار يصلي ويصوم ، ويجتنب الفواحش ذهب الكلب الأسود ، وذهب النور ، وذهب التغيير من اللاذن وغيره .

وشيخ آخر كان له شياطين يرسلهم يصرعون بعض الناس ، فيأتي أصحاب الصروع إلى الشيخ يطلبون منه إبراء ذلك المصروع ، وهم لا يعلمون أن شياطين الشيخ صرعته ، فيرسل إلى أتباعه من الجن ، فيفارقونه ، ويعطون الشيخ دراهم .

وآخر كان مشتغلاً بالعلم ، فجاءته الشياطين أغوته ، وقالوا له : نحن نسقط عنك الصلاة ، ونحضر لك كل ما تريد . فكانوا يأتونه بالحلاوة والفاكهة حتى حضر عند بعض الشيوخ العارفين ، فاستتابه ، وأعطى أهل الحلاوة عن حلاوتهم التي أحضرها ذلك المفتون بالشيطان .

فكل من خرج عن الكتاب والسنة ، وكان له حال من مكاشفة أو تأثير ، فإنه صاحب حال شيطاني أو نفساني وإن لم يكن له حال ، بل هو متشبه بأصحاب الأحوال ، فهو صاحب محال بهتاني .

وعامة أرباب الأحوال الشيطانية يجمعون بين الحال الشيطاني والمحال البهتاني ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢] والحلاج كان من أئمة هؤلاء أهل الحال الشيطاني والمحال البهتاني ، وهؤلاء طوائف كثيرة ، وأئمة هؤلاء هم شيوخ المشركين الذين يعبدون الأصنام ، مثل الكهان والسحرة الذين كانوا للعرب والمشركين بأرض الهند والغرب وغير ذلك ، ومن هؤلاء من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يحيا بعد الموت ، فيكلمهم ، ويقضي ديونه ، ويرد ودائعه ، ويوصيهم بوصايا ، فإنه يأتيهم ما يعتقدون أنه تلك الصورة التي كانت في الحياة ، وهو شيطان يتمثل في صورته ، فيظنونه إياه . وكثير ممن يستغيث بالمشايخ الموتى والأحياء ، فيقول : يا سيدي فلان ، أو يا شيخ فلان ، اقض لي حاجة كذا وكذا . فيرى صورة ذلك الشيخ ، فيخاطبه ، ويقول له : أنا أقضي حاجتك ، أوْ طيب قلبك ، أو يدفع عنه عدوه ، أو يحضر له بعض ما يطلبه ، ويكون ذلك شيطاناً قد تمثل له في صورة الشيخ لما أشرك الداعي بالله ، فدعا غير الله . وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة ، ويقولون : ما في الوجود غيره ولا سواه ؛ بمعنى أن المخلوق هو الخالق ، والمصنوع هو الصانع ، حتى إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم ، أحدهم كان خائفاً من الأرمن ، والآخر كان خائفاً من التتر ، فذكر كل منهم أنه لما استغاث رآني في الهواء ، وقد دفعت عنه عدوه ، فأخبرتهم أني لا أعلم بهذا ،=

ثم دخلت سنة عشر وثلاثمئة

فيها أُطْلقَ يوسفُ بن أبي السَّاج من الضِّيق ، وكان معتقلاً ، وردَّتْ إليه أمواله ، وأُعيد إلى عمله ، وأضيف إليه بُلْدان أخرى ، ووظِّف عليه في كل سنة خمسمئة ألف دينار يحملُها إلى الحَضْرة ، فبعث

= ولا دفعت عنهم شيئاً ، وإنما هذا شيطان تمثل لأحدهم ، فأغواهم لما أشركوا بالله . وهكذا جرى لغير واحد من أصحابنا من المشايخ مع أصحابهم ؛ يستغيث أحدهم بالشيخ في أمرٍ فيرى الشيخ وقد جاء وقضى حاجته ، ويقول لي ذلك الشيخ : إني لم أعلم بهذا . ويتبين أن ذلك كان شيطاناً ، وشيخ كان يقال له السياخ توبناه ، وجدَّد إسلامه ، كان له قرين من الجن يقال له عنتر ، يخبره بأشياء ، فيصدق تارة ويكذب أخرى ، ولما ذكرت له أنك تعبد شيطاناً من دون الله اعترف بأنه يقول له : يا عنتر ، لا سبحانك ، إنك إله قذر . وتاب من ذلك في قصة مشهورة . وقد قتل بسيف الشرع من قتل من هؤلاء ، مثل الشخص الذي قتلناه سنة خمس عشرة وسبعمئة ، وكان له قرين يأتيه ويكاشفه بأشياء ، فيصدق تارة ، ويكذب أمره أن ذلك القرين صار يقول : أنا رسول الله . ويذكر له أشياء في حال الرسول ﷺ ، فشهد عليه بأنه قال : إن النبي يأتيني ، ويقول لي كذا وكذا من الأمور التي يكفر من أضافها إلى الرسول ﷺ ، فذكرت لولاة الأمور أن هذا من جنس الكهان ، وأن هذا الذي يأتيه شيطان ، ولهذا لا يأتيه في الصورة المعروفة للنبي ﷺ ، بل في صورة منكرة . ويذكر عنه أنه يخضع له ، ويبيح له أن يتناول المسكر وأموراً أُخر ، وكان كثير من الناس يظنون أنه كاذب فيما يقول ويخبر به من الرؤية ، ولم يكن كاذباً أنه رأى تلك الصورة ، لكن كافراً في اعتقاده أن ذلك رسول الله ، ومثل هذا كثير ، فمن لم ينور الله قلبه بحقائق الإيمان واتباع القرآن ، التبس عليه الحق بالباطل ، كما التبس على كثير من الناس حال مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة وغيره من الكذابين ، فاعتقدوا فيهم أنهم أنبياء ، وإنما كانوا كذابين ، وقد قال النبي ﷺ لا تقوم الساعة حتى يخرج فيكم أقوام دجالون كذابون ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وأعظم الدجاجلة فتنة الدجال الكبير الذي يقتله عيسى بن مريم ، فإن النبي ﷺ قال : ما من خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال . وأمر المسلمين أن يقول أحدهم في الصلاة : اللهم ، إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المسيح الدجال ، ومن فتنة المحيا والممات [صحيح البخاري (١٣١١) في الجنائز ، صحيح مسلم (٥٨٨) في المساجد ومواضع الصلاة] .

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه يقول للسماء : أمطري ، فتمطر ، ويقول للأرض : أنبتي ، فتنبت ، وأنه يقتل رجلاً مؤمناً ثم يقول له : قم ، فيقوم ، فيقول : أنا ربك . فيقول : كذبت ، بل أنت الأعور الكذاب الذي أخبرنا عنه رسول الله ﷺ ، والله ما ازددت فيك إلا بصيرة ، فيقتله مرتين ، ثم يريد أن يقتله في المرة الثالثة ، فلا يسلط عليه . وهو يدعي الإلهية . وقد بين النبي ﷺ فيه ثلاث علامات تنافي ذلك ؛ أحدها : أنه أعور ، وقال : إن ربكم ليس بأعور . [صحيح البخاري (٤١٤١) في المغازي والسير] . والثاني : أنه مكتوب بين عينيه : كافر ك ف ر ، ويقرأه كل مؤمن من قارئ وغير قارئ . والثالث قوله ﷺ : واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت .

فهذا هو الدجال الكبير ، ودون هذا دجاجلة ، منهم من يدعي النبوة ، ومنهم من يكذب بغير دعوى النبوة كقول النبي ﷺ « يكون في آخر الزمان أقوام دجالون كذابون ، فإياكم وإياهم » [صحيح مسلم (٧/٧) في المقدمة .

فالحلاج كان من الكذابين الدجاجلة بلا ريب ، وقد قتل بحق بلا ريب ، ولكن إذا قيل للرجل : هل تاب قبل الموت أو لم يتب قال : الله أعلم . والله أعلم .

حينئذٍ إلى مؤنس الخادم يطلُب منه أبا بكر بن الأَدَمي القارئ(١) ، وكان قد قرأ بين يديه حين اعتُقِلَ وأُشهر في سنة إحدى وسبعين(٢) ومئتين ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] . فخاف القارئُ من سَطْوته واستعفى من مُؤْنس الخادم فقال له مؤنس : اذهب وأنا شريكك في الجائزة . فلما دَخلَ عليه قرأ بين يديه ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف : ٥٤] . فقال : بل أُحبُّ أن تقرأ ذلك العَشْر الذي قرأْته عند إشهاري(٣) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ [هود : ١٠٢] فإنَّ ذلك كان سببَ تَوْبتي(٤) إلى الله عزَّ وجلَّ ، وكان ذلك على يديك . ثم أمَرَ له بمالٍ جزيلٍ وأَحْسَنَ إليه .

وفيها مَرِضَ عليُّ بنُ عيسى الوزير فجاءه هارون بن المقتدر ليعودَه(٥) ، فَبَسَطَ له الطريق ، فلما اقتربَ من دارِه تحاملَ وخرج إليه ، وبلَّغه سلامَ الخليفة ، وجاء مُؤْنس الخادم معه ، ثم جاء الخبر بأن الخليفة قد عَزَمَ على عيادته ، فاستعفى من مؤنس الخادم ، وركب على جَهْدٍ عظيم حتى سلَّم على الخليفة لئلا يكلفه الرُّكوب إليه .

وفي هذه السنة قُبِضَ على القَهْرمانة أُمِّ موسى ومن ينتسب إليها ، فكان حاصل ما حُمِلَ إلى بيت المال من جهتها ألف ألف دينار .

وفي يوم الخميس لعشر بقين من ربيع الآخر ولَّى المقتدر منصبَ القضاء أبا الحسين عمر بن الحسن(٦) بن علي الشَّيْباني المعروف بابن الأُشْناني ـ وكان من حُفَّاظ الحديث وفقهاء الناس ـ ولكنه عُزِلَ بعد ثلاثة أيام ، وكان قبل ذلك محتسباً ببغداد .

وفيها عُزِلَ محمد بن عبد الصَّمد عن شُرْطَة بغداد ، ووليها نازُوك ، وخُلع عليه .

وفي جُمادَىٰ الآخرة ظهر كوكبٌ له ذنب طوله ذِرَاعان وذلك في برج السُّنْبُلَة .

وفي هذه السنة في شعبان منها وَصَلَت هدايا نائب مصر وهو الحسين بن الماذَرَائي(٧) ، وفيها بغلة معها فَلُوُّها(٨) ، وغلام يصل لسانُه إلى طرف أنفه .

---

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٤٨هـ) .

(٢) في (ح) و(ط) : وستين ، وهو تحريف ، والمثبت من (ظا) و(ب) . المنتظم (٥/ ٨٠ ـ ٨١) .

(٣) في (ط) : عند سجني وإشهاري .

(٤) في (ط) : توبتي ورجوعي .

(٥) في (ط) : ويبلغه سلام أبيه عليه .

(٦) في (ح) و(ب) و(ط) الحسين ، وهو تصحيف . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) .

(٧) في النسخ الخطية و(ط) : الماردانى ، وهو تحريف ، وكان على خراج مصر ، توفي سنة (٣١٤هـ) ، وقيل سنة (٣١٧هـ) ، ترجمته في معجم البلدان (٥/ ٣٤) .

(٨) أي ولدها . اللسان (فلا) .

وفي [هذا][١] الشهر قُرِئَتِ الكتب على المنابر بما كان من الفتوح على المسلمين ببلاد الرُّوم .

وفي هذه السنة وَرَدَ الخبر بأنه انشقَّ بأَرْض واسطَ فُلُوع[٢] في الأرض [في][٣] سبعة عشر موضعاً أكبرها طوله ألف ذِراع ، وأقلها مئتا ذراع ، وأنه غَرِقَ من أمهات القرى ألف وثلاثمئة قرية .

وحجَّ بالناس إسحاق بن عبد الملك الهاشمي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن أحمد[٤] بن حمَّاد بن سَعْد[٥] ، أبو بِشْر الدَّولابي[٦] ، مولى الأنصار ، ويعرف بالورَّاق .

أحد أئمة حُفَّاظ الحديث ، وله تصانيف حسنة في التاريخ ، وغير ذلك[٧] .

وروى عن جماعةٍ كثيرة .

قال ابن يونس : وكان يُضَعَّف[٨] ، وتوفِّي وهو قاصد إلى الحج بين مكَّة والمدينة بالعَرْج في ذي القَعْدة[٩] .

أبو جَعْفر بن جرير الطَّبري[١٠] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، الإمام أبو جعفر الطَّبري .

---

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم (٦/ ١٦٧) .

(٢) أي شقوق . اللسان (فلع) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) الأنساب (٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) اللباب (١/ ٤٣١) المنتظم (٦/ ١٦٩) وفيات الأعيان (٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٥٩ ـ ٧٦٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٠٩ ـ ٣١١) المغني في الضعفاء (٢/ ٥٥٠) .

(٥) في (ط) أبو سعيد ، وهو تحريف .

(٦) قال السمعاني : الصحيح في هذه النسبة فتح الدال ، ولكن الناس يضمونها . . وظني أنه نسب بعض أجداده إلى عمل الدولاب ، وأصله من الري ، فيمكن أن يكون من قرية الدولاب . الأنساب (٥/ ٣٦٩ ـ ٣٧١) .

(٧) طبع له في جزأين كتابه « الكنى والأسماء » بمطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد سنة (١٣٢٢هـ) ، وهو كتاب مشهور ، متداول .

(٨) في (ط) يصعق ، وفي الأنساب (٥/ ٣٧١) يصنف ، وكلاهما تحريف . والمثبت من (ح) و(ب) .

(٩) في الأنساب واللباب ووفيات الأعيان توفي سنة (٣٢٠هـ) وهو وهم .

(١٠) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٩) طبقات الفقهاء للشيرازي (٩٣) الأنساب (٨/ ٢٠٥ ـ ٢٠٧) اللباب (٢/ ٨١) المنتظم (٦/ ١٧٠ ـ ١٧٢) معجم الأدباء (١٨ ـ ٤٠ ـ ٩٤) إنباه الرواة (٣/ ٨٩ ـ ٩٠) وفيات الأعيان (٤/ ١٩١ ـ ١٩٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧ ـ ٢٨٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١٠ ـ ٧١٦) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٢٠ ـ ١٢٨) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٠٦ ـ ١١٤) .

كان مولده في سنة أربع وعشرين ومئتين[١] ، وكان أسمر ، أعْيَنَ ، مليح الجسم[٢] ، مديد القامة ، فصيح اللِّسان .

روى الكثير عن الجمِّ الغفير ، ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث ، وله التاريخ الحافل ، والتفسير الكامل[٣] ، وغيرهما من المصنَّفَات النافعة في الأصول والفروع . ومن أحسن ذلك « تهذيب الآثار »[٤] ، لكن لم يتمَّه . وقد روي عنه أنه مكث أربعين سنة يكتب في كلِّ يوم أربعين ورقة .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب : استوطن ابن جرير بغداد[٥] ، وكان أحد أئمة العلماء ، يُحْكم بقوله ويُرجع إليه لمعرفته وفَضله ، وكان قَدْ جمع من العلوم ما لم يشارِكْه فيه أحدٌ من أهل عَصْره ، وكان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءات ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في الأحكام ، عالماً بالسُّننِ وطُرُقها ، وصحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصَّحابة والتَّابعين ومنْ بَعْدهم ، عارفاً بأيام النَّاس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك ، وكتاب في التفسير لم يُصنِّف أحدٌ مِثْلهُ ، وكتاب سَمَّاه « تهذيب الآثار » لم أرَ سواه في معناه ، إلا أنه لم يتمَّه ، وله في أُصول الفِقْه وفروعه كتبٌ كثيرة واختيارات ، وتفرَّد بمسائل حُفِظتْ عنه[٦] .

قال الخطيب : وبَلَغني عن الشَّيْخ أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الإسْفَرَاييني أنه قال : لو سافر رجلٌ إلى الصِّين حتى يُحصِّلَ له[٧] كتاب تفسير محمد بن جرير الطَّبَري لم يكن ذلك كثيراً ، أو كلاماً هذا معناه[٨] .

وروى الخطيب عن إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خُزيمة أنه طالع كتاب التفسير لابن جرير في سنين منْ أوَّله إلى آخره ، ثم قال : ما أعْلَمُ على أَدِيم[٩] الأرض أعلم من ابن جرير ، ولقد ظَلَمَتْه

---

(١) انظر الخلاف حول سنة ولادته في معجم الأدباء (١٨/ ٤٧ ـ ٤٨) .
(٢) في (ط) مليح الوجه ، وفي تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦) نحيف الجسم .
(٣) في (ط) الذي لا يوجد له نظير .
(٤) في (ط) : ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء ، ولكان فيه الكفاية ، قلت : وقد طبعت منه بعض المسانيد بتحقيق العلامة محمود محمد شاكر .
(٥) في (ط) : وأقام بها إلى حين وفاته .
(٦) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣) .
(٧) في (ط) حتى ينظر في كتاب تفسير ابن جرير ، وما في نسخنا الخطية يوافق ما في « تاريخ بغداد » .
(٨) المصدر السابق .
(٩) في (ح) وجه .

الحنابلة[١] . وقال[٢] لرجلٍ رَحَلَ إلى بغداد يكتب[٣] عن المشايخ ـ ولم يتفق له سماع من ابن جرير ؛ لأن الحنابلة كانوا يمنعون أن يجتمع به أحد ـ فقال[٤] : لو كتبتَ عنه لكان خيراً لك من كل منْ كتبتَ عنه[٥] .

قلت : وكان من العبادة والزَّهادة والوَرَع والقيام في الحَقِّ لا تأخذُه في ذلك لومةُ لائمٍ ، وحُسْنِ القراءة[٦] على أحسن[٧] الصفات ، وكان من كبار الصَّالحين ، وهو أحد المحمَّدين[٨] الذين اجتمعوا بمصر في أيام الأمير [ابن][٩] طولون ، وهم : محمد بن إسحاق بن خُزَيْمة إمام الأئمة ، ومحمد بن نصر المَرْوزي ، ومحمد بن هارون الرُّوْياني ، ومحمد بن جرير الطَّبَري هذا ـ وقد ذكرنا ذلك في ترجمة محمد بن نَصْر المَرْوَزِي[١٠] ـ وكان الذي قام يصلِّي محمد بن إسحاق بن خُزَيمة ، وقيل محمد بن نصر ، فرزَقَهم الله ببركة صلاته[١١] .

وقد أراد الخليفة المقتدر بالله[١٢] في بعض الأحيان أن يكتب كتابَ وَقْف تكون شروطه متفقاً عليها بين الفقهاء ، فقيل له : لا يَقْدِرُ على استحضار هذا إلا محمد بن جرير[١٣] ، فَطَلَبَ منه ذلك فكتبها ، فاستدعاه الخليفة إليه[١٤] ، وقال له : سَلْ حاجتك ، فقال : لا حاجة لي . فقال : لا بُدَّ أن تسألني شيئاً[١٥] . فقال : أسأل من أمير المؤمنين أن يتقدَّم أمره إلى الشُّرْطة حتى يمنعوا السُّؤَّال يوم الجُمُعة أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع . فأمر الخليفة بذلك .

وكان ينفق على نفسه من مغل قرية تركَها له أبوه بطبرِسْتان .

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤) .
(٢) في (ط) : وقال محمد . قلت : يعني ابن خزيمة .
(٣) في (ط) : يكتب الحديث .
(٤) في (ط) : فقال ابن خزيمة .
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤) وتعليق السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ١٢٥) .
(٦) في (ط) وكان حسن الصوت بالقراءة .
(٧) في (ط) : مع المعرفة التامة بالقراءات على أحسن .
(٨) في (ط) المحدثين ، وهو تحريف .
(٩) ما بين حاصرتين من (ط) ، وانظر تعليقنا في وفيات سنة (٣٠٣هـ) من هذا الجزء .
(١٠) انظر ترجمة محمد بن نصر في وفيات سنة (٢٩٤هـ) من هذا الكتاب .
(١١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥) .
(١٢) في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٠) وطبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٢٤) : المكتفي .
(١٣) في (ط) الطبري .
(١٤) في (ط) : وقرب منزلته عنده .
(١٥) في (ط) : أن تسألني حاجة أو شيئاً .

ومن شِعْره :

إذا أعْسَرْتُ لم يَعلمْ رفيقي ... وأستَغْني فيَسْتغني صديقي
حَيائي حافِظٌ لي ماءَ وجهي ... وَرِفْقي في مُطالبتي رَفِيقي
ولو أني سَمَحْتُ بِبَذْلِ وَجْهي ... لكنتُ إلى الغِنى سَهْلَ الطَّريقِ[١]

ومن شِعره أيضاً :

خُلُقان لا أرْضَى طريقَهُما ... بَطَرُ الغِنى ومَذَلَّةُ الفَقْر
فإذا غنيتَ فلا تكُنْ بَطِراً ... وإذا افْتَقَرْتَ فَتِهْ على الدَّهْرِ[٢]

وقد كانت وفاتُه وَقْتَ المَغْرب من عَشِيَّة يوم الأحد ليومين بقيا من شوَّال من سنة عشر وثلاثمئة ، وقد جاوز الثمانين سنة بخمس سنين أو ست سنين ، وفي شَعْر رأسه ولحيته سوادٌ كثير ، ودفن في داره لأن بعض الرَّعاع من عوام الحنابلة منعوا من دفنه نهاراً ، ونسبوه إلى الرَّفْض ، ومن الجهلة منْ رماه بالإلحاد ، وحاشاه من هذا ومن ذاك ، بل كان أحدَ أئمة الإسلام في العلم[٣] بكتاب الله وسُنَّة رسوله ، وإنما تقلَّدوا ذلك عن أبي بكرٍ محمد بن داود[٤] ، حيث كان يتكلَّم فيه ويرميه بالعَظَائم وبالرَّفْض .

ولما توفي اجتمع النَّاس من سائر البلد ، وصلَّوا عليه بداره ، ودُفِنَ بها ، ومكث الناس يترددون إلى قَبْره شهوراً يصلُّون عليه ، رحمه الله .

قلت : وقد رأيتُ له كتاباً جَمَعَ فيه أحاديث غدير خُمٍّ[٥] في مجلَّدين ضخمين ، وكتاباً جمع فيه طُرُقَ حديث الطير[٦] . ونُسِبَ إليه أنه كان يقول بجواز مَسْح القَدَمين في الوضوء ، وأنه لا يوجب الغَسْلَ ، وقد اشْتُهِرَ عنه هذا . فمن العلماء منْ يزعمُ أن ابنَ جريرٍ اثنان : أحدهما شيعي وإليه ينسب ذلك ، ويبرؤون أبا جعفر هذا من هذه الصِّفَات . والذي عُوِّلَ عليه كلامُه في « التفسير » أنه يوجب غَسْلَ القدمين ، ويوجب مع الغَسْل دَلْكَهُما ، ولكنه عَبَّر عن الدَّلْكِ بالمَسْح ، فلم يَفْهم كثير من

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٥) .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦) .
(٣) في (ط) علماً وعملاً بكتاب الله .
(٤) في (ط) : الفقيه الظاهري .
(٥) هو قول النبي ﷺ لعلي في غدير خم ـ وهو وادٍ بالجحفة ـ « من كنت مولاه فعلي مولاه » وهو حديث صحيح ، ومتنه متواتر ، أخرجه أحمد في مسنده برقم (٩٥٠) .
(٦) هو الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كنت أخدم رسول الله ﷺ ، فقدم له فرخ مشوي ، فقال : اللهم ، ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي رضي الله عنه فأكل معه . وقد أخرجه الترمذي (٣٧٢١) . وضعفه .

النَّاس مرادَه جيداً ، فنقلوا عنه أنه يوجب الجَمْع بين الغَسْل والمَسْح[١] والله أعلم[٢] .

وقد رثاه جماعةٌ من أهل العلم ، منهم ابن الأعْرَابي[٣] حيث يقول :

حَـدَثٌ مُفْظِعٌ[٤] وخَطْبٌ جَليـلُ ... دقَّ عـن مِثْلِـه اصْطِبَـارُ الصَّبُـورِ
قـام نـاعـي العُلـومِ أجمـعَ لمَّـا ... قـامَ نـاعـي محمـد بـنِ جـريـر
فَهَـوتْ أنْجُـمٌ لهـا زَاهـراتٌ ... مُـؤْذِنـاتٌ رُسُـومُهـا بـالـدُّثُـورِ
وتَغَشَّـى ضيـاءهـا النيِّـرَ الإشـ ... ـراقِ ثـوبُ الـدُّجُنَّـةِ الـدَّيْجُـورِ
وغـدا روضُهـا الأنيـقُ هَشِيمـاً ... ثـم عـادتْ سهـولُهـا كـالـوُعُـورِ
يـا أبـا جَعْفَـرٍ مضيـتَ حَميـداً ... غيـرَ وانٍ فـي الجـدِّ والتَّشميـر
بيـنَ أجْـرٍ على اجتهـادِكَ مَـوْفُـو ... رٍ وسَعْـيٍ إلـى التُّقَـى مَشْكُـورِ
مستحقـاً بـه الخلـودَ لـدى جنَّـ (م) ... ـةِ عَـدْنٍ فـي غِبْطـةٍ وسُـرورِ[٥]

ولأبي بكر بن دُرَيد ـ رحمه الله ـ فيه مَرْثاة طويلة طَنَّانة أوردهاالخطيب[٦] بتمامها ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمئة

فيها دخل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي أمير القَرَامطة في ألف وسبعمئة فارسٍ إلى البَصْرة ليلاً ، نصب السلالم الشَّعْر في سُورِها ، فدخلها قومه[٧] ، وفتحوا أبوابها ، وقتلوا من لقوه من أهلها ، وهرب أكثر النَّاس ، فألقوا أنفسهم في الماء ، فغَرِقَ كثيرٌ منهم ، ومكَثَ بها سبعة عشر يوماً يقتل ويأسر من نسائها وذراريها ، ويغنم[٨] ما يختاره من أموال أهلها ، ثم عاد إلى بلده هَجَر ،

---

(١) في (ط) ، ومن فهم مراده نقلوا عنه أنه يوجب الغسل والمسح ـ وهو الدلك ـ والله أعلم .
(٢) مدار الخلاف حول المسح أو الغسل هو وجه قراءة الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ [المائدة : ٦] فمن قرأ « وأرجلكم » بالنصب أوجب الغسل ، ومن قرأها بالخفض أوجب المسح . وانظر « تفسير الطبري » طبعة دار المعارف (١٠/ ٦٣ ـ ٦٤) .
(٣) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٤١هـ) .
(٤) مفظع : شديد ، شنيع ، مبرّح . اللسان (فظع) .
(٥) الأبيات في تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧) .
(٦) في (ط) البغدادي وقصيدة ابن دريد في تاريخ بغداد (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٩) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢) .
(٧) في (ط) قهراً ، واخاله تحريفاً .
(٨) في (ط) ويأخذ .

وذلك لما بعث إليه الخليفة جُنداً من قِبَلِه فرَّ[١] وترك البلد يباباً[٢] ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

وفي هذه السنة عَزَلَ المقتدر عن الوزارة حامدَ بنَ العَبَّاس وعليَّ بنَ عيسى ، ورَدَّ إلى الوزارة أبا الحسن بن الفُرَات الولاية الثالثة ، وسَلَّمَ إليه حامداً وعليَّ بن عيسى ، فأما حامدٌ فإن المُحَسِّن بن الوزير ضَمِنه من المقتدر بخمسمئة ألف ألف دينار ، وتسلَّمه ، فعاقبه بأنواع العقوبات ، وأخذ منه أموالاً جزيلة لا تحصى كثرةً[٣] ، ثم أرسل به مع موكلين عليه إلى واسط ؛ ليحتاطوا على أمواله هناك وحواصله ، وأمرهم أن يسقوه سمّاً في الطريق ، فسقوه ذلك في بَيْضٍ مشويّ كان قد طلبه منهم ، فمات في رمضان من هذه السَّنة . وأما عليُّ بنُ عيسى فإنه صودر بثلاثمئة ألف دينار ، وصودر قَوْمٌ آخرون من الكُتَّاب ، فكان جُمْلة ما أُخذ من هؤلاء مع ما كان صودرت به القَهْرَمانة من الذَّهب شيئاً كثيراً جداً آلاف ألف من الدنَّانير ، وغير ذلك[٤] .

وأشار الوزير ابنُ الفُرَات على الخليفة المقتدر بالله أن يُبْعدَ عنه مُؤْنس الخادم ، ويأمره بالذهاب إلى الشَّام ـ وكان قد قَدِمَ من بلاد الرُّوم[٥] ، وقد فتح شيئاً كثيراً من[٦] بُلْدانهم ، وغَنِمَ مغانمَ كثيرة جداً ـ فسأل أن يُنْظَر[٧] إلى سَلْخ رمضان ، وكان[٨] قد أعْلَمَ الخليفة بما يعتمده ابنُ الوزير من تعذيبِ الناس ومصادرتهم الأموال ، فأجاب الخليفةُ الوزير إلى إبعاد مؤنس الخادم ، فأخرجه إلى الشام .

وفيها كَثُرَ الجَرَاد ، وأفسد كثيراً من الغَلاَّت .

وفيها في رمضانها أمر[٩] بِرَدِّ بقية المواريث إلى ذوي الأرحام .

وفيها في النصف من رمضانها أُحْرِقَ على باب العامَّة صورة ماني[١٠] ، وأربعة أعدال من كُتُب الزَّنادقة[١١] ، فسقطَ منها ذهبٌ كثير كانت محلاةً به .

---

(١) في (ط) : فر هارباً .
(٢) في (ط) خاوياً .
(٣) في (ط) : لا تحصى ولا تعد كثرة .
(٤) في (ط) : وغير ذلك من الأثاث والأملاك والدواب والآنية من الذهب والفضة .
(٥) في (ط) : من الجهاد .
(٦) في (ط) : حصون الروم وبلدانهم .
(٧) في (ط) : فأجابه إلى ذلك فسأل مؤنس الخليفة أن ينظر . . .
(٨) في (ط) : وكان مؤنس .
(٩) في (ط) : الخليفة .
(١٠) انظر عن المانوية كتاب الملل والنحل (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩) .
(١١) في (ط) : فيها ما كان صنفه الحلاج وغيره .

وفيها اتخذ أبو الحسن بنُ الفُرَات الوزير مارسْتاناً في دَرْب المُفَضَّل[١] ، [وكان][٢] يُنْفِق عليه من ماله في كلِّ شهر مئتي دينار .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخلّال أحمد بن محمد بن هارون[٣] ، **أبو بكر الخلَّال** : صاحب كتاب « الجامع لعلوم الإمام أحمد »[٤] ، ولم يُصنَّفْ في مذهب الإمام أحمد مثل هذا الكتاب .

وقد سمع الحديث من الحسن بن عَرَفة ، وسَعْدان بن نَصْر ، وغيرهما .

وكانت وفاته في يوم الجمعة قبل الصَّلاة ليومين مضيا من ربيع الأول منها .

أبو محمد الجَرِيْري[٥] : أحد أئمة الصُّوفية . أحمد بن محمد بن الحسين ، **أبو محمد الجَرِيْري**[٦] ، أحد كبار الصُّوفية .

صحب سَرِياً السَّقَطي ، وكان الجُنَيْد يُكْرِمُه ويحترمه . ولما حضرت الجنيدَ الوفاة أوصى أن يجالس الجريري .

وقد اشتبه على الجريري هذا شأن الحلاج فكان ممن أجْمَلَ القَوْلَ فيه ، على أن الجريري هذا مذكور بالصَّلاح والدِّيانة وحُسْنِ الأدب مع الله عزَّ وجلَّ .

الزَّجَّاج صاحب معاني القُرْآن[٧] إبراهيم بن السَّريّ[٨] بن سهل ، **أبو إسحاق الزَّجَّاج** .

---

(١) في الأصول الخطية و(ط) الفضل ، وهو تحريف ، انظر معجم البلدان (٢/ ٤٤٨) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) تاريخ بغداد (٥/ ١١٢ ـ ١١٣) طبقات الشيرازي (١٧١) طبقات الحنابلة (٢/ ١٢ ـ ١٥) المنتظم (٦/ ١٧٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) .

(٤) انظر تاريخ التراث العربي لسزكين (مج١/ ج٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) .

(٥) طبقات الصوفية (٢٥٩ ـ ٢٦٤) حلية الأولياء (١٠/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) تاريخ بغداد (٤/ ٤٣٠ ـ ٤٣٤) الرسالة القشيرية(٢٣) المنتظم (٦/ ١٧٤ ـ ١٧٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٦٧) الوافي بالوفيات (٧/ ٣٧٨) طبقات الأولياء (٧٠ ـ ٧٥) .

(٦) في الأصول الخطية : الحريري ـ بالحاء المهملة ـ وهو تصحيف . وقد ضبط في المشتبه (١/ ١٥٠) بفتح الجيم ، وفي الكامل لابن الأثير (٨/ ١٤٥) وطبقات الأولياء (٧١) بضمها ، نسبة إلى جرير بن عباد .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (١/ ٢٧) طبقات النحويين واللغويين (١٢١ ـ ١٢٢) تاريخ بغداد (٦/ ٨٩ ـ ٩٣) الأنساب (٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) نزهة الألباء (١٦٧ ـ ١٦٩) المنتظم (١٧٦ ـ ١٨٠) معجم الأدباء (١/ ١٣٠ ـ ١٥١) إنباه الرواة (١/ ١٥٩ ـ ١٦٦) وفيات الأعيان (١/ ٤٩ ـ ٥٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠)

(٨) في وفيات الأعيان والسير : إبراهيم بن محمد بن السري .

كان فاضلاً ديِّناً ، حَسَنَ الاعتقاد ، وله المصنَّفات الحسنة ، منها : كتاب « معاني القرآن » ، وغيره من المصنفات العديدة المفيدة ، وقد كان أول أمره يخرِطُ الزُّجاج ، فأحبَّ عِلْمَ النَّحْو ،فذهب إلى المُبَرِّد ، فكان يُعْطي المبرد كلَّ يوم دِرْهماً ، ثم استغنى الزَّجَّاج وكَثُرَ ماله ، ولم يقطع عن المبرد ذلك الدِّرْهم حتى مات المبرِّد .

وقد كان الزجَّاج مؤدِّباً للقاسم بن عُبيد الله(١) ، فلما ولي الوِزارة كان الناس يأتونه بالرِّقاع ليقدِّمها إلى الوزير ، فَحَصَلَ له بسبب ذلك ما يزيد على أربعين ألف دينار .

وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة .

وعنه أخذ أبو علي الفارسي النَّحْوي ، وأبو القاسم(٢) عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجي [نُسب إليه](٣) لأخذه عنه ، وهو صاحب كتاب « الجُمل » في النحو .

بدر مولى المُعْتَضِد(٤) ، وهو **بدر الحَمَامِي**(٥) : ويقال له بدر الكبير ، كان في آخر وقتٍ على نيابة فارس ، وولي منْ بَعْدِهِ ولده محمد .

حامد بن العَبَّاس(٦) : استوزره(٧) المقتدر(٨) في سنة ست(٩) وثلاثمئة ، وكان كثير المال والغِلْمان ، كثير النفقات ، كريماً سخياً ، كثير المروءة . له حكايات تدُلُّ على بَذْله وإعطائه الأموال الجزيلة ، ومع هذا كان يجمع شيئاً كثيراً ، وجد له في مِطْهَرَةٍ(١٠) ألوف من الذهب ، كان في كلِّ يوم إذا دخل إليها ألقى فيها ألف دينار ، فلما امتلأت طمَّها ، فلما صودر دَلَّ عليها ، فاسْتُخْرِج منها مال جزيل جداً .

ومن أكبر مناقبه أنه كان من أكبر السُّعاة في الحسين بن منصور الحلاج حتى قتل كما ذكرنا قبل هذا(١١) .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٩١هـ) من هذا الكتاب .

(٢) في (ط) ابن القاسم ، وهو تحريف .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٧) الأنساب (٤/ ٢٠٨) المنتظم (٦/ ١٨٠) اللباب (١/ ٣١٥) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٠٥) .

(٥) بالتخفيف ، نسبة إلى الحمام ، تقال لمن يطيره ويرسله إلى البلاد ، وكان بدر هذا منهم . الأنساب (٤/ ٢٠٨) .

(٦) ذيول تاريخ الطبري (٢١٣ ـ ٢١٥) نشوار المحاضرة (١/ ٢٢ ـ ٢٤) وغيرها ، المنتظم (٦/ ١٨٠ ـ ١٨٤) الكامل لابن الأثير (٨/ ١٠ ـ ١٢ ، و١٣٩ ـ ١٤١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩) .

(٧) في (ط) : الوزير ، استوزره . .

(٨) في (ح) المعتضد ، وهو تحريف .

(٩) في (ظا) و(ب) تسع ، وهو تحريف .

(١٠) في (ط) مطمورة .

(١١) سلفت ترجمة الحلاج في وفيات سنة (٣٠٩هـ) .

ثم كانت وفاة الوزير حامد بن العَبَّاس في رمضان من هذه السنة مسموماً .

عمر بن محمد بن بُجَيْر البُجَيْرِي[١] ، صاحب « الصَّحيح »[٢] .

ابن خُزَيْمة[٣] محمد بن إسحاق بن خُزَيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السُّلَمي ؛ مولى مجشر[٤] بن مُزَاحم ، الإمام أبو بكر بن خُزَيمة ، الملقَّب بإمام الأئمة .

كان من أوعية العلم وبحوره ، وممن طاف البُلْدان ، ورَحَلَ إلى الآفاق في طلب العلم وسماع الحديث ، وكتب الكثير وصنَّف وجمع ، وله كتاب « الصَّحيح » من أنفع الكتب وأجلِّها ، وهو من المجتهدين في دين الإسلام ، حكى الشيخ أبو إسحاق الشِّيْرَازي في « طبقات الشافعية » عنه أنه قال : ما قلَّدْتُ أحداً [في مسألة] منذ بلغت ست عشرة سنة[٥] .

وقد ذكرنا له ترجمة مطوَّلة في كتابنا « طبقات الشافعية » . بما فيه كفاية ، والله أعلم .

وهو الذي قام يصلي حين وقعت القرعة عليه ، ليسترزق الله في صلاته ، حين أرمل[٦] هو ومحمد بن نصر ، ومحمد بن جرير ، ومحمد بن هارون الرُّوياني ، وقد أوردها ابن الجوزي من طريقين في ترجمته[٧] ، وذلك ببلد مصر في دولة أحمد بن طولون ، فرزقهم الله على يديه[٨] . وقد ذكرنا [ذلك][٩] في ترجمة الحسن بن سُفيان[١٠] ، فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة :

محمد بن زكريا الطبيب[١١] ؛ صاحب المصنَّف الكبير[١٢] في هذا الشأن .

---

(١) في (ط) بحتر البحتري ، وهو تصحيف .

(٢) الأنساب (٢/ ٨٩ ـ ٩٠) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١٩ ـ ٧٢٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠٢ ـ ٤٠٤) .

(٣) تاريخ جرجان (٤١٣) طبقات الشيرازي (١٠٥ ـ ١٠٦) المنتظم (٦/ ١٨٤ ـ ١٨٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥ ـ ٣٨٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٠ ـ ٧٣١) .

(٤) في (ط) محسن ، وهو تحريف ، وكذلك في باقي النسخ الخطية .

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٦) وما بين حاصرتين منه .

(٦) على هامش (ح) يقال : أرمل : إذا فني زاده ، ومنه « ابن سبيل مرمل » ، وانظر اللسان (رمل) .

(٧) المنتظم (٦/ ١٨٥ ـ ١٨٦) .

(٨) انظر سنة (٣١٠هـ) .

(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١٠) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٠٣هـ) .

(١١) ترجمته في تاريخ الحكماء للقفطي (٢٧١ ـ ٢٧٧) عيون الأنباء (٤١٤ ـ ٤٢٧) وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧ ـ ١٦١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) .

(١٢) هو الحاوي وهو مشهور .

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وثلاثمئة

في المحرَّم من هذه السنة اعترض القِرْمِطِي أبو طاهر سليمان[١] بن أبي سعيد الجَنَّابي ـ لعنه الله ، ولعن أباه ـ الحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام ، قد أدَّوا فَرْضَ الله عليهم ، فقطع عليهم الطريق ، فقاتلوه دفعاً عن أموالهم وأنفسهم وحريمهم ، فَقَتَلَ منهم خلقاً كثيراً لا يعلمهم إلا الله عزَّ وجلَّ ، وأسر من نسائهم وأبنائهم ما اختاره ، واصْطَفَى من أموالهم ما أراد ، فكان مبلغ ما أخذه من الأموال ما يقاوم ألف ألف دينار ، ومن الأمتعة والمتاجر نحو ذلك ، وترك بقية الناس بعدما أخذ جِمَالهم وزادهم وأموالهم ونساءهم ، وتركهم على بعد الديار في البرية بلا زادٍ ولا ماء ولا محمل . وقد حاجف[٢] عن الناس نائبُ الكوفة أبو الهيجاء عبد الله بن حَمْدان فقهره وأسره ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، وكان عِدَّة مِنْ مع القِرْمِطِي ثمانمئة مقاتل ، وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة ، قصفه[٣] الله .

ولما انتهى خبرُهم إلى بغداد قام نساؤهم وأهاليهم في النِّياحة ، ونَشَرْنَ شعورهن ، ولَطَمْنَ خدودَهُنَّ[٤] في الأزِقَّة ، وانضاف إليهن نساء الذين نُكبوا على يدي الوزير ابن الفرات ، فكان ببغداد يوم مشهود بسبب ذلك في غاية الفظاعة والشَّنَاعة ، ولما سأل الخليفة عن الخبر ذُكِرَ له أن هذه نسوة الحجيج ومعهن نساء الذين صادرهم ابنُ الفُرَات ، وجاءت يد[٥] الحاجب نصر القشوري على الوزير فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما استوى هذا للقِرْمِطِي[٦] بسبب إبعادك المظفر مؤنس الخادم ، فَطَمِعَ هؤلاء في الأطراف ، وما أشار عليك بإبعاده إلا ابنُ الفُرَات ، وبعث الخليفة المقتدر إلى الوزير ابن الفرات يقول له : إن الناس يتكلمون فيك لِنُصْحكَ إياي . وأرسل يطيِّب قلبه ، فركب هو وولده إلى الخليفة فدخلا عليه ، فأكرمهما ، وطيَّب قلوبهما ، وخرجا مِنْ عنده ، فنالهما أذىً كثير مِنْ نصر الحاجب وغيره من كبار الأمراء ، وجلس الوزير في دَسْته ، فحكم بين النَّاس على عادته ، وبات ليلته تلك مفكِّراً في أمره ، وأصبح كذلك وهو ينشد :

فأصْبَحَ لا يَدْري وإنْ كان حازِماً   أقُدَّامُهُ خيرٌ لهُ أم وراؤه

---

(١) في (ح) و(ظا) و(ب) و(ط) ، الحسين ، وهو تحريف .
(٢) في (ط) جاحف ، وهو تصحيف ، وحاجف : أي دافع . اللسان (حجف) .
(٣) في (ط) قصمه .
(٤) في (ح) و(ظا) : وجوههن .
(٥) في (ط) : على يد .
(٦) في (ط) : إنما استولى هذا القرمطي على ما استولى عليه . .

ثم جاءه في ذلك اليوم أميران من جهة الخليفة المقتدر ، فدخلا عليه داره إلى بين حُرَمِه ، وأخرجوه مكشوفاً رَأْسُه في غاية الذِّلَّة والإهانة[١] ، فأركبوه في حَرَّاقة[٢] إلى الجانب الآخر ، وفَهِمَ النَّاس ذلك ، فرجموا ابنَ الفُرَات بالآجُرِّ ، وتعطلتِ الجوامع ، وسخمتِ[٣] العامَّةُ المحاريب ، ولم يُصَلِّ الجمعةَ النَّاسُ فيها ، وأُخذ خطُّه بألفي ألف دينار ، وأخذ خط ابنه بثلاثة آلاف ألف دينار ، وسلِّما إلى نازُوكٍ ؛ أمير الشُّرْطة ، فاعتقلا حيناً ، وخلَّص منهما الأموال ، فلما قَدِمَ مؤنس الخادم سُلِّم إليه الوزير ابن الفرات ، فأهانه غاية الإهانة بالضَّرْب والتقريع له ولولده المحسن المجرم الذي ليس بمحسن ، ثم قتلا بعد ذلك ، فكانت وزارته هذه الثالثة عشرة أشهر وأياماً .

واستُوزرَ أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله[٤] بن يحيى بن خاقان ، وذلك في تاسع ربيعٍ الأول من هذه السنة .

وكان الخليفة قد أرسل إلى مؤنس الخادم ليحضر ، فدخل بغداد في تجمُّلٍ عظيم ، وسُلِّم إليه ابن الفرات كما ذكرنا ، فعاقبه ، وَشَفَعَ[٥] إلى الخاقاني في أن يُرْسِلَ إلى علي بن عيسى ـ وكان قد صار إلى صنعاء من اليمن مطروداً ـ فعاد إلى مكة ، وبَعَثَ إليه الوزير أن ينظر في أمر الشَّام ومِصْر .

وأمر الخليفة مؤنساً الخادم بالمسير إلى ناحية الكوفة لأجل القرامطة ، وأنفق على خروجه إلى هنالك ألف ألف دينار .

وأطلق القِرْمطي منْ كان في أسْرِهِ من الحجيج ، وكانوا ألفي رجل وخمسمئة امرأة ، وأطلق أبا الهيجاء نائبَ الكوفة معهم أيضاً ، وكتب إلى الخليفة يطلب منه البَصْرة والأهواز ، فلم يجب إلى ذلك .

وركب المُظَفَّر مؤنس الخادم في جحافل إلى بلاد الكوفة ، فسكن أمْرُها ، ثم انحدر إلى واسط خوفاً عليها من القرامطة ، واستناب على الكوفة ياقوت الخادم ، فتمهدت الأمور ، وانصلحت .

وفي هذه السنة ظهر رجلٌ بين الكوفة وبغداد فادَّعىٰ أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر[٦] بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وصدَّقه على ذلك طائفة من الأعراب والطَّغام ، والتفُّوا عليه ،

---

(١) في (ط) : وهو في غاية الذل والصغار ، والإهانة والعار ، فأركبوه .
(٢) نوع من السفن .
(٣) في (ط) وخربت .
(٤) في النسخ الخطية و(ط) عبد الله بن محمد بن يحيى ، وهو وهم .
(٥) أي طلب . اللسان (شفع) .
(٦) في (ط) محمد ، وهو تحريف .

وقويت شوكته في شوال ، فأرسل إليه الوزير جيشاً ، فقاتلوه فهزموه ، وقتلوا خَلْقاً من أصحابه ، وتفرَّق بقيتهم . وهذا المدَّعي المذكور هو رئيس الإسْماعيلية وأولهم .

وظفر نازُوك نائب[١] الشُّرْطة بثلاثة من أصحاب الحلاج ، وهم : حَيْدَرة ، والشَّعْراني ، وابن منصور ، فطالبهم بالرجوع [عن اعتقادهم فيه][٢] فلم يرجعوا ، فضرب أعناقهم ، وصلبهم في الجانب الشَّرْقي .

ولم يحجَّ أحد في هذه السنة من أهل العراق لكثرة خوف الناس من القرامطة ، لعنهم الله .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

إبراهيم بن خَمْش[٣] أبو إسحاق الزَّاهد النيسابوري .

كان يعِظُ النَّاس ، فكان منْ جُمْلة كلامه الحَسَن قوله : يضحك القَضاء منَ الحَذَر ، ويضحك الأَجَل من الأَمَلَ ، ويضحك التَّقْدير من التَّدْبير ، وتضحك القِسْمة من الجَهْد والعَنَاء .

علي بن محمد بن الفُرَات[٤] أبو الحسن الوزير : ولاه المقتدر الوزَارة ، ثم عزله ، ثم ولَّاه ، ثم عزله ، ثم ولَّاه ، ثم قتله في هذه السَّنة [وقتل ولده][٥] ، وكان ذا مالٍ جزيل جداً : ملك عشرة آلاف ألف دينار ، وكان يدخله من ضياعه كل سنة ألف ألف دينار ، وكان ينفق على خمسة آلاف من العلماء والعُبَّاد ، يجري عليهم الأرزاق في كلِّ شهر - أثابه الله - وكان فيه كفاية ونهضة ومعرفة بالوزارة والحساب ، يقال : إنه نظر يوماً في ألف كتاب ، ووقَّع على ألف رُقْعة ، فتعجَّب منْ حَضَرَه منْ ذلك ، وكانت فيه مروءة وكرم ، وحُسْن سيرة في ولاياته ، غير المرة الثالثة ، فإنه ظلم وغَشَم وصادر النَّاس عن أموالهم[٦] ، فأخذه الله أخْذَ عزيزٍ مُقْتدر[٧] . وقد كان فيه كَرَمٌ وسَعَة في النَّفَقة ؛ ذُكِرَ عنده ذات ليلة أهلُ الحديث والصُّوفية وأهل الأدب والشعراء والفقراء ، فأَطْلَقَ من ماله لكلِّ طائفة عشرين ألفاً .

وكتب رجلٌ على لسانه إلى نائب مِصْر كتاباً فيه الوصية به إليه ، فلما وقف عليه المكتوب إليه استراب به وقال : ما هذا خطه . وأرسل به إلى الوزير ، فلما وقف عليه الوزير عرف أنه كذب وزور ، فاستشار

---

(١) في (ط) صاحب .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ط) خميس ، وهو تصحيف . وترجمته في المنتظم (٦/ ١٩٠) وتبصير المنتبه (٢/ ٥٣٨) .
(٤) تحفة الأمراء للصابي (٨ ، ٢٦٥) . المنتظم (٦/ ١٩٠ - ١٩٢) إعتاب الكتاب (١٨٠) وفيات الأعيان (٣/ ٤٢١ - ٤٢٩) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) كذا ، وفي (ط) : وأخذ أموالهم .
(٧) في (ط) فأخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة ، أخذ عزيز مقتدر .

الحاضرين عنده في الذي زوَّر عليه ، فقال بعضهم : ينبغي أن تقطعَ يده . وقال غيره : تقطع إبهامه . وقال الآخر : يُضْرب ضرباً عنيفاً . فقال الوزير : أو خير من ذلك ؟ فأخذ الكتاب ، وكتب عليه : نعم ، هذا خَطِّي ، وهو من أخَصِّ أصحابي ، فلا تترك شيئاً مما تقدِرُ عليه في الإحسان إلا وَصَلْتَه به . فلما عاد الكتاب أحسنَ نائبُ مصر إلى ذلك الرجل[١] ، ووصله بنحو من عشرين ألف دينار[٢] .

واستدعى ابنُ الفُرات يوماً ببعض الكُتَّاب فقال له : ويحك ، إن نيتي فيك سيئة ، وإني في كل وقت أريد أن أقبضَ عليك وأصادِرَ مالك ، فرأيت في المنام من ليالٍ أني قد أمرت بالقبض عليك ، فجعلتَ تمتنع مني ، فأمَرْتُ أن تُقاتل ، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سِهام أو غيرها من السلاح تتقي الضَّرْب برغيف في يدك ، فلا يصل إليك بسببه شيء ، فأعْلِمْني ما قصة هذا الرَّغيف ؟ فقال : أيها الوزير ، إن أمي ـ منذ كنت صغيراً ـ كانت تضع في كلِّ ليلة تحت وسادتي رغيفاً ، ثم تصبح فتتصدَّق به عني ، ولم يزل ذلك دَأْبُها حتى ماتت ، ففعلته بعدها ، فأنا أبيِّت في كلِّ ليلةٍ تحت وسادتي رغيفاً ، ثم أصبح فأتصدَّق به . فَعَجِبَ الوزير منْ ذلك ، وقال : والله لا ينالك مني سوء أبداً ، ولقد حَسُنَتْ نيتي فيك ، وأحببتك[٣] .

وقد أطال ابن خَلِّكان ترجمته ، وذكر بعض ما أوردناه[٤] .

محمد بن محمد بن سليمان[٥] بن الحارث بن عبد الرحمن : أبو بكر ، الأزْدِي ، الوَاسطي ، المعروف بالباغَنْدي .

سَمِعَ محمدَ بن عبد الله بن نُمَيْر ، وابن أبي شَيْبة ، وشَيْبان بن فَرُّوخ ، وعليَّ بن المَدِيني ، وخَلْقاً من أهل الشَّام ومصر والكوفة والبَصْرة وبغداد .

ورحل إلى الأمصار البعيدة ، وعُنِيَ بهذا الشأن ، واشتغل فيه فأَفْرَط ، حتى قيل : إنه كان ربما يَسْرُدُ بعضَ الأحاديث بأسانيدها في الصَّلاة[٦] وهو لا يشعر ، فَيُسَبَّحُ به حتى يتذكر أنه في الصَّلاة ، وكان يقول : أنا أُجيب في ثلاثمئة ألف مسألةٍ من الحديث[٧] .

---

(١) في (ط) : إحساناً بالغاً .
(٢) نشوار المحاضرة (١/ ٥٧ ـ ٥٩) .
(٣) نشوار المحاضرة (٣/ ٢٧٣) .
(٤) ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٤٢١ ـ ٤٢٩) .
(٥) تاريخ بغداد (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٣) الأنساب (٢/ ٤٥) المنتظم (٦/ ١٩٣ ـ ١٩٤) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٣٦ ـ ٧٣٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨٣ ـ ٣٨٨) .
(٦) في (ط) في الصلاة والنوم .
(٧) تاريخ بغداد (٣/ ٢١٠) المنتظم (٦/ ١٩٣) .

وقد رأى رسولَ الله ﷺ في المنام فقال له : يا رسول الله ، أيما أثْبَتُ في الحديث منصور أو الأعْمش ؟ فقال له : منصور[١] .

وقد كان يعاب بالتَّدْليس حتى قال الدَّارَقُطْني : هو كثير التدليس ، يحدِّث بما لم يسمع ، وربما سرق بعضَ الأحاديث .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة

قال ابن الجَوْزي : لليلة بقيت من المُحَرَّم انقضَّ كوكبٌ من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس ، فأضاءتِ الدُّنيا منه ، وسُمِعَ له صوت كصوت الرَّعد الشَّديد[٢] .

وفي صفر [منها][٣] بلغ الخليفة المقتدر بالله أن جماعةً من الرَّافضة يجتمعون في مسجد براثىٰ فينالون من الصَّحَابة ولا يصلُّون الجمعة ، ويكاتبون القَرَامطة ، ويَدْعُون إلى محمد بن إسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد ، ويدَّعون أنه المهدي ، ويتبرؤون من المقتدر وممن يتبعه . فأمر بالاحتياط عليهم ، واستفتى العلماء في المَسْجد المذكور ، فأفتوا بأنه مسجد ضِرَار ، يهدم كما هدم مسجد الضِّرَار[٤] ، فضرب منْ قَدَرَ عليه منهم الضَّرْب المُبَـرِّح ، ونودي عليهم ، وأمر الخليفة بهدم المسجد المذكور كما أفتى بذلك العلماء ، فهدمه نازوك ، وأمر الوزير الخاقاني فجعل مكانه مقبرة ، فدفِنَ فيه جماعةٌ من الموتىٰ .

وخرج النَّاس للحجِّ في ذي القَعْدة ، فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي القِرْمِطي لعنهما الله ، فرجع أكثر الناس إلى بُلْدانهم ، ولم يمكنهم الحج عامهم هذا ، ويقال : إن بعضهم سأل منه الأمان ليذهبوا فأمنهم ، وقد قاتله جُنْدُ الخليفة ، فلم يفد ذلك فيه شيئاً لتمرده وشدَّة بأس من معه ، وانزعج أهل بغداد من ذلك ، وترحَّل أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشَّرقي خوفاً من القرامطة ، ودخل القِرْمِطي إلى الكوفة ، فأقام بها ستة [أيام][٥] يأخذ من أموالها[٦] ما يختاره .

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٢١١) .
(٢) المنتظم (٦/ ١٩٥) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) مسجد الضرار بناه قوم من المنافقين ، وفيه نزلت الآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٧] . وسيرد خبر عن مسجد براثى في أحداث سنة (٣٢٩هـ) .
(٥) في النسخ الخطية : سنة ، وهي تصحيف . وفي (ط) شهراً ، والمثبت وما بين حاصرتين من الكامل (٨/ ١٥٦) .
(٦) في (ط) : ونسائها .

قال ابن الجوزي : وكثر الرُّطب في هذه السنة ببغداد حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبَّة ، وعمل منه تمر وحُملَ إلى البَصْرة[١] .

وعزل المقتدر وزيرَه الخاقانيَّ بعد[٢] سنة وستة أشهر ويومين ، وولَّى مكانه أبا العبَّاس[٣] أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخَصِيب[٤] الخَصِيبي ؛ لأجل مالٍ بذله من جهة زوجة المحسن[٥] بن الفُرَات ، وكان ذلك المال سبعمئة ألف دينار ، فأقرَّ[٦] الخصيبيُّ عليَّ بنَ عيسى على الإشراف على ديار مِصْر وبلاد الشَّام ، وهو مقيم بمكة يسير إليهما في بعض الأوقات ، فيعمل ما ينبغي عمله من ذلك ، ثم يرجع إلى مكة شرفها الله .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

علي بن عبد الحميد[٧] **بن عبد الله بن سليمان : أبو الحسن ، الغَضَائري .**

سمع القَواريري ، وعباساً العَنْبَري ، وكان من العُبَّاد الثقات .

قال : جئت يوماً إلى سَرِيٍّ السَّقَطي ، فدققت عليه بابه ، فخرج إليَّ ، ووضع يده على عِضَادتيِّ الباب[٨] وهو يقول : اللهم اشغل منْ شَغَلَني عنك بك . قال : فنالتني بركة هذه الدَّعْوة ، فحججتُ على قدميَّ من حلب إلى مكة أربعين سنة ذاهباً وآيباً[٩] .

أبو العبَّاس السَّرَّاج الحافظ[١٠] **محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مِهرَان بن عبد الله : الثَّقفي مولاهم ، أبو العبَّاس السَّرَّاج ؛ أحد الأئمة الثِّقات الحُفَّاظ .**

مولده سنة ثمان عشرة ومئتين .

---

(١) المنتظم (٦/ ١٩٦) .
(٢) في (ط) : بعد أن ولاه .
(٣) في النسخ الخطية و(ط) أبا القاسم ، وهو تحريف ، وستأتي كنيته على الصحيح ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .
(٤) في (ط) الخطيب ، وهو تحريف .
(٥) في (ط) الحسين ، وهو تحريف .
(٦) في (ط) فأمر ، وهو تصحيف .
(٧) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٩ ـ ٣٠) الأنساب (٩/ ١٥٥) المنتظم (٦/ ١٩٨) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) .
(٨) هما الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله . اللسان (عضد) .
(٩) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٠) .
(١٠) تاريخ بغداد (١/ ٢٤٨ ـ ٢٥٢) الأنساب (٧/ ٦٥ ـ ٦٦ ، ٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥) المنتظم (٦/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٣١ ـ ٧٣٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨٨ ـ ٣٩٨) .

وسمع قتيبة ، وإسحاق بن رَاهُويه ، وخلقاً كثيراً من أهل خُرَاسان وبغداد والكوفة والبصرة والحجاز .

وقد حدث عنه البخاري ومُسْلم ـ وهما أكبر منه ، وأقدم ميلاداً ووفاة ـ وله مصنَّفات كثيرة نافعة جداً ، وكان يُعدُّ من مجابي الدَّعوة .

وقد رأى في منامه كأنه يَرْقَى في سُلَّم ، فَصَعدَ فيه تسعاً وتسعين درجةً ، فما أوَّلها على أحد إلا قال له : تعيش تسعاً وتسعين سنة ، فكان كذلك . وقد ولد له ابنه أبو عمرو وعمره ثلاث وثمانون سنة . قال الحاكم : فَسَمِعْتُ أبا عمرو يقول : فكنت إذا دخلت المسجد على أبي والناس عنده يقول لهم : هذا عملته في ليلة ، ولي من العمر ثلاث وثمانون سنة .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمئة

[فيها][1] كتب ملك الرُّوم ـ وهو الدُّمُسْتُق ، لعنه الله ـ إلى أهل السَّوَاحل أن يحملوا إليه الخَرَاج وإلا قاتلهم ، فأَبَوْا عليه ، فركب إليهم[2] في أول هذه السَّنة ، فعاث في الأرض فساداً ، ودخل مَلَطْيَة ، فَقَتَلَ منْ أهلها كثيراً ، وأسر ، وأقام بها ستة عشر يوماً ، وجاء أهلها إلى بغداد يستنجدون الخليفة عليه .

ووقع ببغداد حريقٌ في مكانين ، مات بسببهما خَلْقٌ كثير ، واحترق في أحدهما ألف دار ودُكَّان .

وجاءتِ الكُتُب بموت الدُّمُسْتُق ملك النَّصَارى لعنه الله فقرئت الكتب على المنابر بذلك .

وجاءت الكتب من مكة أن أهلها في غاية الانزعاج بسبب اقتراب القِرْمِطي إليهم ، وقصده إياهم ، فرحلوا منها إلى الطائف وتلك النواحي .

وهبَّت ريح عظيمة بنَصِيبين اقتلعت الأشجار وهدمت البيوت .

قال ابن الجَوْزِي : وفي يوم الأحد لثمانٍ مضين من شَوَّال منها ـ وهو سابع كانون الأوَّل ـ سقط ببغداد ثَلْجٌ عظيم جداً ، وحصل بسببه بردٌ شديد ، بحيث أتلف كثيراً من النخيل والأشجار ، وجَمَدتِ الأدهان حتى الأشربة ، وماء الوَرْد والخَلّ ، والخُلْجان الكبار ، ودِجْلة ، وعقد بعضُ مشايخ الحديث مجلس التحديث على متن دِجْلة من فوق الجَمْد ، وكتب عنه الحديث هنالك ، ثم انكسر البرد بمطرٍ وَقَعَ فأزال ذلك كلَّه ، ولله الحمد[3] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في (ط) : في جنوده .
(٣) المنتظم (٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) .

وقدم الحُجَّاج من خراسان إلى بغداد ، فاعتذر إليهم مؤنس الخادم بأن القرامطة قد قصدوا حجاج مكة ، فرجعوا ، ولم يتهيأ الحَجُّ تلك السنة من ناحية العِراق بالكلِّية .

وفي ذي القَعْدَة عَزَلَ الخليفة وزيرَه أبا العَبَّاس الخَصِيبي بعد سنة وشهرين ، وأمر بالقَبْض عليه وحَبْسه ؛ وذلك لإهماله أمر الوِزارة ، والنظر في المصالح ؛ وذلك لاشتغاله بالخَمْر في كلِّ ليلة ، فيصبح مخموراً لا عقل له ، وقد وكل الأمور إلى نوابه ، فخانوه وعملوا مصالحهم ، وولَّى مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكَلْوَذاني نيابةً عن عليِّ بن عيسى ، حتى يَقْدَمَ ، ثم أرسل في طلب عليِّ بن عيسى وهو في دمشق ، فقدم بغداد في أُبهة عظيمة ، فنظر في المصالح العامة والخاصة ، وَرَدَّ الأمورَ إلى السَّداد ، وتمهدت القواعد ، واستدعى بالخَصيبي فتهدَّده ولامَه وناقَشَه على ما كان يعتمده ويفعله في خاصَّة نفسه[١] وفي الأمور العامة ، وذلك بحَضْرَة القُضَاة والأعيان ، ثم رَدَّه إلى السجن .

وفيها أخذ نَصْر بن أحمد السَّاماني الملقَّب بالسَّعيد[٢] بلاد الرَّي وسكنها إلى سنة ست عشرة [وثلاثمئة][٣] .

وفيها غزتِ الصَّائفة من بلاد طَرَسُوس بلاد الرُّوم ، فغنموا وسَلِموا .

ولم يحجَّ ركب العراق خوفاً من القرامطة لعنهم الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سَعْد النُّوبي[٤] صاحب باب النُّوبي[٥] من دار الخلافة ببغداد .

توفي في صفر من هذه السنة ، وأقيم أخوه مقامه في حِفْظ هذا الباب الذي صار يُنْسب بعده إليه .

ومحمد بن محمد الباهلي[٦] .

ومحمد بن عمر بن لُبَابة القُرْطُبي[٧] .

---

(١) في (ط) : من معاصي الله عز وجل .
(٢) في النسخ الخطية : السعد ، وهو تصحيف . وسترد ترجمته في أحداث سنة (٣٣١هـ) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) المنتظم (٦/ ٢٠٣) .
(٥) كان على الجانب الشرقي من بغداد ، وفيه العتبة التي كانت تقَبِّلُها الملوك والرسل . صبح الأعشى (٤/ ٣٣١) .
(٦) كان محدثاً ثقة زاهداً . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٥) .
(٧) في (ط) القرمطي ، وهو تحريف شنيع ، وكان ابن لبابة شيخ المالكية في عصره ، انتهت إليه الإمامة في المذهب . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٩٥) .

ونَصْر بن القاسم ، الفَرَائضي الحَنَفي ، أبو الليث[١] .

سمع القَوَاريري ، وكان ثِقَةً ، عالماً بالفرائض على مذهب أبي حنيفة ، مُقْرِئاً[٢] جليلاً .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمئة

في صفر منها كان قدوم عليٍّ بن عيسى الوزير من دمشق إلى بغداد ، وقد تلقاه الناس إلى أثناء الطريق ؛ فمنهم من كان قد لقيه إلى الأنبار ، ومنهم دون ذلك . وحين دخل إلى الخليفة المقتدر خاطبه[٣] المقتدر فأحسن مخاطبته ، وانصرف إلى منزله ، فبعث[٤] وراءه بالفُرُش والقُماش وعشرين ألف دينار ، واستدعاه من الغد ، فخلع عليه ، فأنشد وهو في الخِلْعة :

ما النَّاس إلا مع الدُّنيا وصاحبها ... فكيفما انقَلَبَتْ يوماً به انقلبوا

يُعَظِّمون أخا الدُّنيا فإن وَثَبَتْ ... يوماً عليه بما لا يشتهي وَثَبُوا

وجاءتِ الكتب بأن الرُّوم قد دخلوا سُمَيْسَاط[٥] ، وأخذوا جميع ما فيها ، ونصبوا فيها خيمة الملك وضربوا النَّاقوس في الجامع بها ، فأمر الخليفة مؤنساً الخادم بالتجهيز للمسير إليهم ، وخلع عليه خِلْعة سنية ، ثم جاءتِ الكتب بأن المسلمين وثبوا على الرُّوم ، فقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً ، وغنموا غنائم كثيرة جداً ، ولله الحمد .

ولما تجهَّز مُؤْنس للمسير جاءه بعضُ الخدم ، فأعلمه أن الخليفة يريد أن يقبض عليه إذا دخل لوداعه ، وقد حُضِرَت [له][٦] زُبْيَةٌ في[٧] دار الخلافة مغطاة ليتردىٰ فيها ، فأحجم عن الذهاب . وجاءت الأمراء إليه من كل جانب ، ليكونوا معه على الخليفة ، فبعث إليه المقتدر برقعة بخطِّه يحلف له فيها أن هذا الأمر الذي بلغه ليس بصحيح ؛ فطابت نفسه ، وركب إلى دار الخلافة في غِلْمانٍ قلائل ، فلما دخل على الخليفة خاطبه مخاطبةً عظيمة ، وحلف له أنه طيِّبُ القلب عليه ، وله عنده الصفاء الذي يعرفه .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٩٥) الأنساب (٩/ ٢٥٩) اللباب (٢/ ٢٠٢) المنتظم (٦/ ٢٠٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) .

(٢) في (ط) مقرباً ، وهو تصحيف .

(٣) في (ط) : الخليفة .

(٤) في (ط) : الخليفة .

(٥) قلعة في بر الشام على الفرات في ناحية بلاد الروم ، بين قلعة الروم وملطية . وفيات الأعيان (٣/ ٤٢١) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٧) في (ط) وقد حضرت له ريبة ، وهو تحريف . والزُّبْية : حفرة تغطى فوهتها ، إذا وطئها الأسد وقع فيها . المعجم الوسيط (١/ ٣٩٠) .

وخرج من بين يديه معظَّماً مكرماً ، وركب العَبَّاس بن المقتدر ، والوزير علي بن عيسى ونصر الحاجب في خدمته لتوديعه ، وكبراء الأمراء بين يديه مثل الحجبة ، وكان خروجه يوماً مشهوداً ، قاصداً بلاد الثغور لقتال الرُّوم ظفَّره الله بهم ، وأيده ونصره .

وفي جمادى الأولى [منها][١] قُبضَ على رجل خنَّاق قد قتل خَلْقاً من النساء ، لأنه ادَّعى أنه يعرف العطف والتنجيم ، فقصده النساء لذلك ، فإذا انفرد بالمرأة قام إليها[٢] فخنقها بِوَتَر ـ وأعانته امرأته على ذلك ـ ثم حفر لها في داره فدفنها ، فإذا امتلأت تلك الدَّار[٣] انتقل عنها إلى غيرها ، ولما ظهر عليه وجد في داره[٤] سبع عشرة امرأة قد خنقهن ، ثم تتبعت الدور التي سكنها ، فوجدوا قد قتل شيئاً كثيراً من النساء ، فَضُربَ ألف سَوْطٍ ، ثم صلب حياً حتى مات ، قبحه الله .

ظهور الدَّيْلَم

وفي هذه السنة كان ظهور الدَّيْلم ببلاد الرَّي ، فكان فيهم ملك غَلَبَ على أمرهم يقال له مَرداوِيج[٥] ، يجلس على سريرٍ من ذهب ، وبين يديه سرير من فضَّة ، ويقول : أنا سليمان بن داود ، وقد سار في أهل الرَّي وقزوين وأصبهان سيرة قبيحة جداً ؛ كان يقتل النساء والصِّبيان في المهود ، ويأخذ أموال النَّاس ، وهو في غاية الجبروت والشدة والجرأة على محارم الله عزَّ وجلَّ ، فقتلته الأتراك ، وأراح الله المسلمين من شَرِّه ، ولله الحمد والمنة .

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين يوسف بن أبي السَّاج وبين أبي طاهر القِرْمطي عند الكوفة ؛ سبقه إليها أبو طاهر فحال بينه وبينها ، فكتب إليه يوسف بن أبي الساج : اسمع وأطع وإلا فاستعد للقتال يوم السبت تاسع شوَّال من هذه السنة فقال : هلم . [فسار إليه][٦] ، فلما تراءى الجمعان استقلَّ يوسف بن أبي السَّاج ـ وكان معه عشرون ألفاً ـ جيشَ القرامطة ، وكان معه ألف فارس[٧] وخمسمئة راجلٍ . فقال [يوسف][٨] : وما قيمة هؤلاء الكلاب ؟ وأمَرَ الكاتبَ أن يكتب بالفتح قبل اللقاء إلى الخليفة ، فلما اقتتلوا ثبت القرامطة ثباتاً عظيماً ، ونزل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي لعنه الله ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في (ط) : قام إليها ففعل معها الفاحشة ، وخنقها .
(٣) في (ط) : من القتلى .
(٤) في (ط) : التي هو فيها . أخيراً .
(٥) انظر خبره في أحداث سنة (٣٢٣هـ) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) في (ب) و(ظ) ألفا فارس ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الإسلام (٧/ ٢١٢) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

فحرَّض أصحابه ، وحمل بهم حملة صادقةً ، فهزموا جُنْدَ الخليفة ، وأسروا يوسفَ بن أبي السَّاج [أمير الجيش][١] ، وقتلوا خَلْقاً كثيراً من جند الخليفة ، واستحوذوا على الكوفة ، وجاءتِ الأخبار بذلك إلى بغداد ، وشاع بين الناس بأن القِرْمِطِي يريد أن يقصد بغداد ليأخذها ، فانزعج المسلمون لذلك ، وظنوا صدقه ، فاجتمع الوزير بالخليفة وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الأموال إنما تدَّخر لتكون عوناً على قتال أعداء الله ، وإن هذا الأمر لم يقع بعد زمن الصحابة أفظع منه ، قد قطع هذا الكافر طريق الحج على الناس ، وفتك في المسلمين مرة بعد مرة ، وإن بيت المال ليس فيه شيء ، فاتقِ الله يا أمير المؤمنين وخاطبِ السيدة ـ يعني أُمَّه ـ فإن كان عندها مالٌ قد ادخرته لشدَّة ، فهذا وقته . فدخل على أُمِّه ، فكانت هي التي ابتدأته بذلك ، وبذلت له خمسمئة ألف دينار ، وكان في بيت المال مثلها ، فسلَّمها الخليفة إلى الوزير ليصرفها في تنفيذ الجيوش نحو القرامطة ، فَجَّهَزَ الوزير جيشاً أربعين ألفاً مع أميرٍ يقال له بُلَيق[٢] ، [فسار نحوهم ، فلما سمعوا به][٣] أخذوا عليه الطرقات ، وكان يريد دخول بغداد ، ثم التقوا معه ، فلم يلبث جيش الخليفة أن انهزم ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . وكان يوسف بن أبي السَّاج [معهم][٤] مقيَّداً في خيمة ، فجعل ينظر إلى محل الوقعة ، فلما رجع القِرْمِطي قال : أردت أن تهرب ؟ ثم أمر به فضربت عنقه . ورجع القرمطي من ناحية بغداد إلى الأنبار . ثم انصرف إلى هِيت ، فأكثر أهل بغداد الصَّدقة ، وكذلك الخليفة وأمه والوزير شكراً له عزَّ وجلَّ على صرفه عنهم هذا الخبيث ، ولله الحمد والمنة .

وفي هذه السنة بعث المهديُّ ـ المُدَّعي أنه فاطمي الذي ظهر ببلاد المغرب ـ ولدَه أبا القاسم في جيشٍ[٥] ، فانهزم جيشه ، وقُتِلَ من أصحابه خَلْقٌ كثير . وفيها اختطَّ المهدي المذكور مدينته المُحمَّدية[٦] .

وفيها حاصر عبد الرحمن بن الدَّاخل الأموي[٧] مدينة طُلَيْطُلة ، وكانوا مسلمين ، لكنهم نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه ، ففتحها قهراً ، وقتل خَلْقاً من أهلها .

ومن توفي فيها من الأعيان :

ابن الجصَّاص الجَوْهَري[٨] الحسين بن عبد الله بن الجَصَّاص ، الجَوْهَري : أبو عبد الله البَغْدادي .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) سيرد خبر مقتله على يد القاهر بالله في أحداث سنة (٣٢١هـ) . وقد رسم اسمه في بعض كتب التاريخ : « يلبق » .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) في (ط) : إلى بلاد منها .

(٦) معجم البلدان (٥/ ٦٤ ـ ٦٥) وفيه : أن ابنه القاسم هو الذي اختطها ، وسماها المحمدية باسمه .

(٧) في (ط) : ابن الداخل إلى بلاد المغرب الأموي . . . وسترد ترجمة عبد الرحمن في وفيات سنة (٣٥٠هـ) .

(٨) نشوار المحاضرة (١/ ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٢/ ٣١٢) الأنساب : (٣/ ٢٦٠) المنتظم (٦/ ٢١١ ـ ٢١٤) اللباب =

كان ذا مالٍ عظيم وثروة متسعة جداً ، وكان أصل نعمته من بيت أحمد بن طولون ؛ كان قد جعله جوهرياً له يتسوق له ما يقع من نفائس الجواهر بمصر ، فاكتسب بسبب ذلك أموالاً جزيلة جداً .

قال ابن الجَصَّاص : كنت يوماً بباب ابن طولون إذ خرجت القَهْرمانة وبيدها عِقْدٌ فيه مئة حبة من الجَوْهر ، تساوي كلُّ واحدةٍ ألفي دينار . فقالت : أريد أن تأخذ هذا فتخرطه حتى يكون أصغر من هذا الحجم ؛ فإن هذا نافر على ما يريدونه(١) . فأخذته منها ، وذهبت به إلى المنزل ، وحصلت جواهر أصغر منها تساوي عُشْر(٢) قيمة تلك الجواهر بكثير ، فدفعتها إليها ، وفزت أنا بذلك الذي جاءت به ، فكانت قيمته مئتي ألف دينار(٣) .

وقد اتفق أنه صُودرَ في زمان المقتدر مصادرةً عظيمة ، أُخذ منه [فيها] ما يقاوم ستة عشر ألف ألف دينار ، وبقي معه من الأموال شيء كثير جداً . قال بعضهم : دخلت عليه وهو يتردَّد في منزله كأنَّه مجنون ، فقلت : ما لك(٤) ؟ فقال : ويحك ، أُخذ مني كذا وكذا ، فأنا أحس أن روحي ستخرج . فعذرته ، ثم أخذت في تسليته فقلت له : إن دارك وبساتينك وضياعك الباقية لك تساوي سبعمئة ألف دينار ، واصدقني ، كم بقي عندك من الجواهر والمتاع ؟ فإذا هو شيء يساوي ثلاثمئة ألف دينار فقلت(٥) : إنَّ هذا أمر لا يشاركك فيه أحدٌ من التجار ببغداد مع مالك من الوجاهة عند الدَّولة والنَّاس . قال : فسرِّيَ عنه ، وتسلَّى عما فات عليه ، وأكل ، وكان له ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً(٦) .

ولما خلص من مصادرة المقتدر بشفاعة أمه السيِّدة فيه حكى عن نفسه قال : نظرت في دار الخلافة إلى مئة خيشة(٧) ، فيه متاع رَثٌّ مما حمل إليَّ من مصر ، وهو عندهم بدار مَضِيعة ، وكان لي في حِمْلٍ منها ألف دينار موضوعة فيه من مصر لا يشعر بها أحد ، فاستوهبت ذلك من أُمِّ المقتدر ، فكلَّمَتْ في ذلك ولدَها ، فأطلقه لي ، فتسلمته ، فإذا الذَّهب لم يَنْقُصْ منه شيء(٨) .

= (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) وفيات الأعيان (٣/ ٧٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٦٩ ـ ٤٧٣) فوات الوفيات (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٦) الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٨٦ ـ ٣٩١) .

(١) في (ط) : وأرادت خرطه وإتلافه .
(٢) في (ط) : تساوي أقل من عشر .
(٣) نشوار المحاضرة (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣) .
(٤) في (ط) : فقلت له : مالك هكذا . .
(٥) في (ط) : غير ما بقي عنده من الذهب والفضة المصكوكة ، فقلت له .
(٦) الخبر في المنتظم (٦/ ٢١٣ ـ ٢١٤) .
(٧) أي مئة عدل من الأعدال الخيش ، وهو ما يدعى بعامية أهل دمشق بالجنفاص .
(٨) الفرج بعد الشدة (٢/ ١١٢ ـ ١١٣) .

وقد كان [ابن الجصاص][(١)] مع ذلك مغفلاً شديدَ التغفيل في كلامه وأفعاله ، وقد ذكر عنه أشياء تدُلُّ على ذلك ، وقيل : إنه إنما كان يفعل ذلك ليظهر أنه مُغَفَّل ، وقيل : إنه كان يقول ذلك على سبيل البسط والدُّعابة ، والله تعالى أعلم .

وفيها توفي :

عبد الله بن محمد القَزْويني .

وعلي بن سليمان بن الفَضْل[(٢)] أبو الحسن ، الأَخْفَش .

روى عن المبرِّد ، وثعلب ، واليزيدي ، وغيرهم .

وعنه : المَرْزُباني[(٣)] والمعافى وغيرهما .

وكان ثِقَةً في نقله ، فقيراً في ذات يده ، توصَّل إلى أبي علي بن مُقْلة حتى كلَّم فيه الوزير عليَّ بن عيسى في أن يُرَتِّب له شيئاً ، فلم يجبه إلى ذلك ، وضاق به الحال حتى كان يأكل اللِّفْت النِّيء ، فمات فجأةً من كثرة أكله ، وذلك في شعبان من هذه السنة ، والله أعلم ، وهذا هو الأخفش الصَّغير .

والأوسط هو سعيد بن مَسْعدة[(٤)] ؛ تلميذ سيبويه .

وأما الأكبر فهو أبو الخَطَّاب عبد الحميد بن عبد المجيد[(٥)] ، من أهل هَجَر ؛ وهو شيخ سيبويه ، وأبي عُبَيْدة[(٦)] وغيرهما .

وأبو بكر محمد بن السَّرِي السَّرَّاج النَّحْوي[(٧)] ، صاحب « الأصول » في النحو ، قاله ابن الأثير[(٨)] .

ومحمد بن المسيَّب الأرْغِياني[(٩)] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في (ط) المفضل ، وهو تحريف وترجمته في طبقات النحويين واللغويين (١٢٥ ـ ١٢٧) الأنساب (١/ ١٥٤) نزهة الألباء (١٦٩) المنتظم (٦/ ٢١٤/ ٢١٥) معجم الأدباء (١٣/ ٢٤٦ ـ ٢٥٧) إنباه الرواة (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٨) وفيات الأعيان (٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٠ ـ ٤٨٢) .
(٣) في النسخ الخطية و(ط) الروياني ، وهو تحريف ، وسترد ترجمة المرزباني في وفيات سنة (٣٨٤هـ) .
(٤) توفي سنة (٢١٥هـ) ، ترجمته في إنباه الرواة (٢/ ٣٦ ـ ٤٣) .
(٥) ترجمته في إنباه الرواة (٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨) .
(٦) في (ط) أبي عبيد ، وهو تصحيف .
(٧) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) .
(٨) الكامل لابن الأثير (٨/ ١٨٠) وفيه : وقيل : توفي سنة ست عشرة وثلاثمئة .
(٩) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٢٢ ـ ٤٢٦) .

ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمئة

فيها عاث أبو طاهر القِرْمطي وهو سليمان بن أبي سعيد الجنَّابي ـ لعنه الله ـ في الأرض فساداً ، حاصر الرَّحْبة(١) ، فدخلها قهراً ، وقتل من أهلها خَلْقاً ، وطلب منه أهل قَرْقِيسيا الأمان فأمَّنهم ، وبعث سرايا إلى ما حَوْلها من الأعراب فقتل منهم خَلْقاً أيضاً ، حتى صاروا إذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه ، وقرَّر على الأعراب إتاوة(٢) يحملونها إلى هَجَر في كل سنة ، عن كل رأس ديناران . وعاث في نواحي المَوْصل وسِنْجار وتلك الدِّيار(٣) ، وقتل وسبى(٤) ونهب ، فقصده مؤنس الخادم ، فلم يتواجها ، ثم رجع إلى بلده [هَجَر](٥) فابتنى بها داراً سَمَّاها دار الهجرة ، ودعا إلى المهدي الذي ببلاد المغرب باني(٦) المَهْديَّة ، وتفاقم أمره ، وكَثُرَ أتباعه ، وصاروا يَكْبِسُون القرية من أرض السواد ، فيقتلون أهلها وينهبون أموالها ، ورام في نفسه دخول الكوفة وأَخْذَها فلم يقدر على ذلك ، وعصمها الله منه . ولما رأى الوزير عليُّ بن عيسى ما يفعل هذا الهَجَري القِرْمِطي ببلاد الإسلام ، والخليفة وجيشه ضعفاء عن مقاومته ، استعفى من الوزارة ، وعزل نفسه عنها ، فسعى فيها أبو عليّ بن مُقْلة ؛ الكاتب المشهور(٧) ، فوليها بسفارة نَصْر الحاجب وأبي عبد الله البَريدي ـ بالباء الموحدة ، من البريد ، ويقال : اليزيدي ؛ لخدمة جدِّه يزيد بن منصور الحِمْيَري(٨) ـ ثم جهَّز الخليفة جيشاً كثيفاً مع مؤنس الخادم ، فاقتتلوا مع القرامطة ، فقتلوا من القرامطة خَلْقاً كثيراً ، وأسروا منهم طائفةً كثيرةً من أشرافهم ، ودخلوا مع مؤنس الخادم إلى بغداد ، والأسارى بين يديه ، وأعلام من أعلامهم بيض منكَّسة مكتوب عليها ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] . ففَرِحَ المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، وطابت أنْفُس أهل بغداد ، وانكسر شر القرامطة الذين كانوا قد نشؤوا وكثروا وأظهروا رؤوسهم بأرض العراق ، ونهبوا كثيراً من القرايا ، وفوضوا أمرهم إلى رجلٍ يقال له حريث بن مسعود ـ لا أسعده الله ـ ودعوا إلى المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب وبنى المهدية جد الخلفاء الفاطميين ، وهم أدعياء فيما ذكروا

---

(١) رحبة مالك بن طوق ، وهي بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات أسفل من قرقيسيا . معجم البلدان (٣/ ٣٤) .
(٢) في (ط) إمارة ، وهو تحريف .
(٣) في (ط) وعاث في نواحي الموصل فساداً ، وفي سنجار ونواحيها ، وخرب تلك الديار .
(٤) في (ط) وسلب .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ط) بمدينة ، وهو تحريف .
(٧) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٢٨هـ) .
(٨) في (ط) الجهيري ، وهو تحريف . ويزيد هذا هو خال المهدي العباسي ، كان مقدماً في دولة بني العباس ، ولي للمنصور البصرة واليمن ، ومات سنة (١٦٥هـ) . الأعلام للزركلي (٨/ ١٨٩) .

لهم من النسب كما قد نص على ذلك غير واحد من أئمة العلماء كما سيأتي تفصيله وبيانه في موضعه إن شاء الله[١] .

وفي هذه السنة وقعت وحشة بين مؤنس الخادم وبين المقتدر ؛ وسبب ذلك أن نازوك أمير الشرطة وقع بينه وبين هارون بن غريب ـ وهو ابن خال المقتدر ـ فانتصر هارون على نازوك ، وشاع بين العامة أن هارون سيصير أمير الأمراء ، فبلغ ذلك مؤنس الخادم وهو بالرَّقَّة ، فأسرع الأوبة إلى بغداد ، واجتمع بالخليفة فتصالحا ، ثم إن الخليفة نقل هارون إلى دار الخلافة ، فقويت الوحشة بينهما ، وانضمَّ إلى مؤنس جماعةٌ من الأمراء ، وترددت الرسل بينهما ، وانقضت هذه السنة والأمر كذلك . وهذا كلُّه من ضعف الأمور واضطرابها ، وكثرة الفتن وانتشارها .

وفيها كان مقتل الحسن[٢] بن القاسم الدَّاعي العلوي ؛ صاحب الرَّي على يد صاحب الدَّيْلَم وسُلْطانهم يومئذٍ مَرداويج المجرم ، قبحه الله[٣] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

بُنان بن محمد بن حَمْدَان بن سعيد[٤] أبو الحسن : الزَّاهد ، ويعرف بالحَمَّال .

روى الحديث عن الحسن بن عرفة ، وكان يضرب بزهده المثل ، وكانت له كرامات كثيرة . وله منزلة كبيرة عند النَّاس ، وكان لا يقبل من السُّلْطان شيئاً ، وقد أنكر يوماً على ابن طولون شيئاً من المنكرات ، وأمره بالمعروف ، فأَمَر به فألقي بين يدي الأسد ، فكان يشمّه ويحجم عنه ، فرفع من بين يديه ، وعظَّمه النَّاس جداً أكثر ما كانوا يعظمونه ، وقد سأله بعضُ النَّاس : كيف كان حالك وأنت بين يدي الأسد ، فقال : لم يكن عليَّ بأس ، وقد كنت أفكر في سُؤر السِّبَاع[٥] ، أهو طاهر أم نجس ؟

قالوا : وجاءه رجل فقال له : إن لي على رجلٍ مئة دينار ، وقد ذهبت الوثيقة ، وأنا أخشى أن ينكر ذلك الرجل ، فأسألك الدعاء[٦] فقال له : إني رجل قد كبرت[٧] . وأنا أحبُّ الحلواء ، فاذهب فاشترِ لي

---

(١) انظر ص (١١٣) من هذا الجزء .

(٢) في (ط) الحسين ، وهو تصحيف .

(٣) في (ح) ورد خبر مقتل الحسن في وفيات السنة السالفة ، والمثبت من (ب) و(ظا) و(ط) ، وعلى هذا أغلب كتب التاريخ .

(٤) طبقات الصوفية (٢٩١ ـ ٢٩٤) حلية الأولياء (١٠/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥) تاريخ بغداد (٧/ ١٠٠ ـ ١٠٢) المنتظم (٦/ ٢١٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٨ ـ ٤٩٠) .

(٥) في (ط) : واختلاف العلماء فيه .

(٦) في (ط) بأن يرد الله عليَّ الوثيقة .

(٧) في (ط) كبرت سني ورق عظمي .

منها رطلاً ، وأْتني به حتى أدعو لك . فذهب الرجل ، فاشترى ، ثم جاء ، ففتح الورقة ، فإذا حُجَّته بالمئة دينار . فقال له الشيخ : أهذه حُجَّتك؟ قال : نعم . قال : خذها وخذ الحلواء فأطعِمْها صبيانك[١] .

ولما توفي خرج أهل مصر في جنازته تعظيماً لشأنه ، وإكراماً له .

ومحمد بن خُرَيم[٢] ، ومحمد بن عقيل البَلْخي[٣] ، وأبو بكر بن أبي داود السِّجِسْتاني الحافظ بن الحافظ[٤] . وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق[٥] بن إبراهيم ، الإسْفَرَاييني[٦] ، صاحب « الصَّحيح »[٧] المخرَّج على مُسْلم .

وقد كان من الحُفَّاظ المكثرين ، والأئمة المشهورين .

ونَصْر الحاجب للخليفة المقتدر بالله[٨] ، وكان من خيار الأمراء ، دَيِّناً عاقلاً ، أنفق من ماله في حرب القرامطة مئة ألف دينار ، وخرج بنفسه مُحْتسباً ، فمات في أثناء الطَّريق في هذه السنة .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمئة

فيها كان خلع المقتدر وتولية القاهر محمد بن المعتضد بالله أخي المقتدر بالله .

في المحرم من هذه السنة اشتدت الوحشة بين مؤنس الخادم والخليفة ، فالتف الأمراء على مؤنس الخادم وتفاقم الحال ، وآل إلى أن اجتمعوا على خلع المقتدر بالله وتولية محمد بن المعتضد ، فبايعوه بالخلافة ، وسلَّموا عليه بها ، ولقبوه القاهر بالله ، وذلك ليلة السبت للنصف من المُحَرَّم من هذه السنة ، وقُلِّد أبو علي بن مُقْلة[٩] وزارته ، ونُهبت دار المقتدر بالله وأُخذَ منها شيء كثير ، ووجدَ

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ١٠٢) .
(٢) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) .
(٣) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤١٥ ـ ٤١٦) .
(٤) ترجمته في المنتظم (٦/ ٢١٨ ـ ٢١٩) .
(٥) تاريخ جرجان (٤٤٨) الأنساب (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤١٧ ـ ٤٢١) .
(٦) ضبطت في معجم البلدان (١/ ١٧٧) بالفتح .
(٧) طبع منه الجزء الأول والثاني والرابع والخامس بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن في الهند .
(٨) المنتظم (٦/ ٢٢٠) وأخباره مبثوثة في كتب تاريخ تلك الفترة .
(٩) في (ط) علي بن مقلة ، وهو خطأ .

لأمِّ المقتدر بالله ستمئة ألف دينار ، [وكانت][١] قد دفنتها في قبر بتربتها ، فحُمِلَتْ إلى بيت المال .

وأُخرج المقتدر وأمه وخالته وخواصُّ جواريه من دار الخلافة ، وذلك بعد محاصرة دار الخلافة ، وهَرَب منْ كان بها من الحجبة والخدم منها ، وولي نازوك الحجوبة مضافاً إلى ما بيده من الشرطة ، وأُلزم المقتدر بأن كتب على نفسه كتاباً بالخلع من الخلافة ، وأشهد على نفسه بذلك جماعةً من الأمراء [والأعيان][٢] ، وسلَّم الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، فقال لولده أبي الحسين[٣] : احتفظ بهذا الكتاب ، فلا تريَنَّه أحداً من خلق الله . ولما أُعيد المقتدر إلى الخلافة بعد يومين ردَّه إليه ، فشكره على ذلك جداً ، وولَّاه قضاء القُضَاة .

ولما كان يوم الأحد السادس عشر من المُحرَّم جلس القاهر بالله في منصب الخلافة ، وجلس بين يديه الوزير أبو علي بن مُقْلة ، وكتب إلى العمال بالآفاق يخبرهم بولاية القاهر بالله الخلافة عوضاً عن المقتدر ، وأطلق عليَّ بن عيسى من السجن ، وزاد في إقطاع جماعةٍ من الأمراء الذين قاموا بنصره ، منهم أبو الهيجاء بن حَمْدان .

ولما كان يوم الإثنين جاء الجند ، وطلبوا أرزاقهم وشغبوا ، وسارعوا إلى نازوك فقتلوه ، وكان مخموراً ، ثم صلبوه . وهرب الوزير والحَجَبة ، ونادوا : يا مقتدر يا منصور . ولم يكن مؤنس يومئذٍ هناك ، وجاءت الجنود إلى بابه يطالبونه بالمقتدر ، فأغلق بابه ، وحاجف[٤] دونه خَدَمه . فلما رأى مؤنس أنه لابد من تسليم المقتدر إليهم أمره بالخروج ، فخاف[٥] أن يكون حيلة عليه ، ثم تجاسر فخرج ، فحمله الرجال على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخلافة ، فسأل عن أخيه القاهر وأبي الهيجاء بن حمدان ليكتب لهما أماناً ، فما كان عن قريبٍ حتى جاءه خادم ومعه رأس أبي الهيجاء قد احتَّزه وأخرجه من بين كتفيه ، وجاء المقتدر بالله فجلس في الدست ، واستدعىٰ بالقاهر ، فأجلسه بين يديه واستدناه إليه ، وقبَّل بين عينيه ، وقال : يا أخي أنت لا ذنب لك ، وقد عَلِمْتُ أنك قهرت . والقاهر يقول : الله الله ! نفسي نفسي يا أمير المؤمنين . فقال : وحَقِّ رسول الله لا جرى عليك مني سوء أبداً . وعاد ابن مقلة فكتب إلى الآفاق يعلمهم بعود المقتدر [إلى الخلافة][٦] .

وتراجعت الأمور إلى حالها الأوَّل ببغداد ، واستقر المقتدر في الخلافة ، وحُمِلَ رأس نازوك

(١) ما بين حاصرتين من (ط) . وفيها : وأخذوا لأم المقتدر خمسمئة ألف دينار .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ط) الحسين ، وهو خطأ .
(٤) أي دافع . اللسان (حجف) .
(٥) في (ط) : فخاف المقتدر .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

وأبي الهيجاء بن حمدان فنودي عليهما : هذا رأس من عصى مولاه ، وهَرَبَ أبو السَّرايا بن حَمْدان إلى المَوْصل ، وكان ابن نفيس من أَشَدِّ النَّاس على المقتدر ، فلما عاد إلى الخلافة خرج من بغداد متنكراً فدخل المَوْصل ، ثم صار إلى إرْمينيَة ، ثم لحق بمدينة القُسْطَنْطينيَّة ، فتنصَّرَ [بها][1] مع أهلها لعنه الله وإياهم . وأما مُؤْنس فإنه لم يكن في الباطن على المقتدر ، وإنما وافق جماعة الأمراء مكرهاً ، ولهذا لما أودع المقتدر في داره لم ينله منه سوء ، بل كان يطيِّبُ قلبه ، ولو شاء لقتله لما طُلب من داره . فلهذا لما عاد [المقتدر][2] إلى الخلافة رجع إلى دار مؤنس فبات [بها][3] عنده لثقته به . وقرَّر أبا علي بن مقلة على الوزارة ، وولَّى محمد بن يوسف أبا عمر قضاءالقضاة ، وجعل محمداً أخاه ـ وهو القاهر بالله ـ عند والدته بصفة محبوس[4] عندها ، فكانت تحسن إليه غاية الإحسان ، وتشتري له السَّراري ، وتكرمه غاية الإكرام .

ذِكْرُ أَخْذِ القرامطة الحجر الأَسْود إلى بلادهم
وما كان منهم إلى الحجيج ، لعن الله القرامطة

خرج ركب العراق وأميرهم مَنْصور الدَّيْلَمي ، فوصلوا إلى مكة سالمين ، وتوافت الركوب من كلِّ جانب[5] ، فما شعروا إلا بالقِرْمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية ، فانتهب أموالهم ، واستباح قتالهم ، فقتل النَّاس في رحاب مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام ، وفي جَوْف الكعبة ، وجلس أميرهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي لعنه الله على باب الكعبة ، والرجال تصرع حوله ، [والسيوف تعمل في الناس][6] في المسجد الحرام في الشهر الحرام ثم في يوم التروية ، الذي هو من أشرف الأيام ، وهو يقول :

أنـــا بـــالله وبـــالله أنـــا   يخلـق الخَلْـق وأُفنيهـم أنـا

فكان النَّاس يفرون [منهم][7] فيتعلَّقون بأستار الكعبة ، فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً ، [بل][8]

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في النسخ الخطية : بصفته محتبس عندها ، والمثبت من (ط) .
(٥) في (ط) : وتوافت الركوب هناك من كل مكان وجانب وفج .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

يقتلون وهم كذلك ، ويطوفون فيقتلوه في الطَّواف ، وقد كان بعض أهل الحديث يومئذٍ يطوف ، فلما قضى طوافه أخذته السُّيوف ، فلمّا وَجَبَ[١] إلى الأرض أنشد وهو كذلك :

ترى المحبّينَ صَرعى في ديارِهِمُ كِفِتْيـة الكهـفِ لا يـدرُونَ كـم لبثـوا

ثم أمر[٢] القِرْمِطِي أن يُدْفن القتلى في بئر زمزم ، ودُفن كثير منهم في أماكنهم من الحرم حتى في المسجد الحرام ، ويا حَبَّذا تلك القتلة وتلك الضجعة[٣] . ولم يُغسلوا ولم يكفنوا ، ولم يُصَلَّ عليهم ، لأنهم [مُحْرِمون][٤] شهداء في نفس الأمر ومن خيار الشهداء . وهَدَمَ قبة زمزم ، وأمر بِقَلْعِ باب الكعبة ، ونَزَعَ كسوتها عنها ، وشققها بين أصحابه ، وأمر رجلاً أن يصعد على ميزاب الكعبة ، فأراد ذلك الرجل أن يقتلعه من موضعه ، فسقط على أُمِّ رأسه ، فمات لعنه الله ، وصار إلى أمه الهاوية ، فانكفَّ اللعين عند ذلك عن الميزاب ، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود ، وجاءه رجل فضرب الحجر بمثقَّل في يده وقال : أين الطير الأبابيل ؟ أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود ـ شرفه الله وكرمه وعظمه ـ وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم ، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة حتى ردّوه كما سنذكره في موضعه في سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثمئة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما رجع إلى بلاده تبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده ، وسأله وتشفع إليه في أن يرد الحجر [الأسود][٥] ليوضع في مكانه ، وبذل له جميع ما عنده من الأموال ، فلم يفعل ، فقاتله أمير مكة ، فقتله القِرْمِطِي ، وقتل أكثر أهله وجُنْده ، واستمر ذاهباً إلى بلاده لعنه الله ومعه الحجر وأموال الحجيج . وقد ألحد [هذا اللعين][٦] في المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ، ولا يلحقه فيه أحد ، وسيجازيه على ذلك الذي ﴿ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [الفجر : ٢٥ ـ ٢٦] .

وإنما حمل هؤلاء على هذا الصَّنيع لأنهم كانوا كفاراً زنادقة ، وقد كانوا ممالئين للفاطميين الذين نبغوا في هذه السنين ببلاد إفريقية من أرض المغرب ، ويلقب أميرهم بالمهدي ، وهو أبو محمد عُبَيد الله بن ميمون القَدَّاح ، وقد كان صباغاً بسَلَمْيَة[٧] ، [وكان][٨] يهودياً ، فادعى أنه أسلم ، ثم سار منها فصار

---

(١) أي سقط . اللسان (وجب) .
(٢) في (ط) : فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره ، وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة أمر . .
(٣) في (ط) وذلك المدفن والمكان .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) قال ياقوت : وأهل الشام يقولون : سَلَمِيَّة ، وهي بلد من أعمال حمص معجم البلدان (٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) وفي (ط) : صباغاً .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

إلى بلاد إفريقية ، فادعى أنه شريف فاطميٌّ ، فصدَّقه على ذلك طائفةٌ كثيرة من البربر وغيرهم من الجهلة ، وصارت له دولة ، فملك مدينة سِجِلْمَاسة[١] ، ثم ابتنى مدينةً وسماها المَهْدية ، فكان قرار ملكه بها ، وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدعون إليه ، ويترامون عليه ، ويقال : إنهم إنما كانوا يفعلون ذلك سياسة ودولة لا حقيقة له[٢] .

وذكر ابنُ الأثير أن المهديَّ كتب إلى أبي طاهر القِرْمطي يلومه على فعله بمكة ، حيث سلَّط النَّاس على الكلام في عرضهم ، وانكشفت أسرارهم التي كانوا يبطنونها بما ظهر من صنيعهم هذا القبيح ، وأمره بردِّ ما أخذ منها ، وعَوْده إليها . فكتب إليه بالسَّمْعِ والطاعة ، وأنه قد قبل ما أشار به من ذلك[٣] .

وقد أُسر بعض أهل الحديث في أيدي هؤلاء القرامطة لعنهم الله[٤] ؛ ثم فرَّج الله عنه ، فكان يحكي[٥] أن الذي أسره كان يستخدمه [في][٦] أشق الخدمة وأشدها ، وأنه كان يعربد عليه إذا سكر . فقال لي ذات ليلة وهو سكران : ما تقول في محمدكم ؟ فقلت : لا أدري . فقال : كان رجلاً سائساً . ثم قال : ما تقول في أبي بكر؟ فقلت : لا أدري . فقال : كان ضعيفاً مهيناً . وكان عمر فظاً غليظاً . وكان عثمان جاهلاً أحمق . وكان عليٌّ ممخرقاً ، أليس[٧] كان عنده أحد يعلمه ما ادَّعى أن في صدره من العِلْم ؟ أما كان يمكنه أن يعلِّم هذا كلمة وهذا كلمة ؟ ثم قال : هذا كله مخرقة . فلما كان الغد قال لي : لا تخبر بهذا الذي قلت لك أحداً . رواه ابن الجَوْزي في « منتظمه »[٨] .

وروي عن بعضهم [أنه][٩] قال : كنت في المسجد الحرام يوم اقتلع الحجر الأسود[١٠] ، إذ دخل رجل وهو سكران ، راكب على فرس ، فصفر لها حتى بالت في المسجد الحرام في مكان الطواف ، ثم حمل على رجلٍ كان إلى جانبي فقتله ، ثم نادىٰ بأعلى صوته : يا حمير[١١] ، أليس قلتم في بيتكم هذا ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ ﴾ [آل عمران : ٩٧] فأين الأمن ؟ فقلت له : أتسمع

---

(١) مدينة في جنوب المغرب ، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب . معجم البلدان (٣/ ١٩٢) .
(٢) ستترد ترجمة المهدي في وفيات سنة (٣٢٢هـ) .
(٣) الكامل (٨/ ٢٠٨) .
(٤) في (ط) : فمكث في أيديهم مدة .
(٥) في (ط) : يحكى عنهم عجائب من قلة عقولهم وعدم دينهم ، وأن . . .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) في (ط) ليس ، وهو خطأ .
(٨) المنتظم (٦/ ٢٢٤) .
(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٠) في (ط) كنت في المسجد الحرام يوم التروية في مكان الطواف ، فحمل على رجل كان إلى جانبي فقتله القرمطي .
(١١) في (ط) : ورفع صوته بذلك .

جواباً ؟ قال : نعم . قلت : إنما أراد الله : فأمِّنوه . قال : فثنى رأس فرسه ، وانصرف[١] .

وقد سأل بعضهم هاهنا سؤالاً ، فقال : قد أحلَّ الله عزَّ وجلَّ بأصحاب الفيل ـ وكانوا نصارى وهؤلاء شرٌّ منهم ـ ما ذكره في كتابه العزيز حيث يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾[٢] [الفيل : ١ ـ ٥] ومعلوم أن القرامطة شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس ، بل ومن عَبَدَةِ الأصنام[٣] ، فهلا عوجلوا بالعقوبة كما عوجل أصحاب الفيل ؟

وقد أجيب عن ذلك بأن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت الحرام ، لما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم من البلد الذي كان هذا البيت فيه ، ليُعْلَم شرف هذا الرسول الكريم الذي هو خاتم الأنبياء ، فلما أراد إهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها عما قريب أهلكهم الله ، سريعاً عاجلاً غير آجل كما ذكر في كتابه[٤] . وأما هؤلاء فكان من أمرهم ما كان بعد تقرر الشَّرائع وتمهيد القواعد ، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة ، وكل مؤمنٍ يعلم أن هؤلاء[٥] من أكبر الملحدين الكافرين ، بما تبين من كتاب الله وسنَّة رسوله ، فلهذا لم يحتج الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة ، بل أخَّرهُمُ الرَّبُّ جل جلاله ليومٍ تشخص فيه الأبصار ، والله سبحانه وتعالى يمهل ويملي ويستدرج ، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ، كما قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليملي للظَّالم حتى إذا أخذه لم يفلته »[٦] ، ثم قرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] وقال رسول الله ﷺ : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم »[٧] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] وقال تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٩٦ ـ ١٩٧] وقال تعالى : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان : ٢٤] . وقال : ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس : ٧٠] .

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المَرُّوذي الحَنْبلي[٨] ، وبين طائفة من العامة ، اختلفوا

---

(١) المنتظم (٦/ ٢٢٣) .
(٢) في (ط) : ولم يفعلوا بمكة شيئاً مما فعله هؤلاء .
(٣) في (ط) : وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحد .
(٤) في (ط) : ولم يكن شرائع مقررة تدل على فضله ، فلو دخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله .
(٥) في (ط) : قد ألحدوا في الحرم إلحاداً بالغاً عظيماً ، وأنهم من أكبر .
(٦) هو في صحيح البخاري (٤٤٠٩) في التفسير ، وصحيح مسلم (٢٥٨٣) في البر والصلة .
(٧) صحيح مسلم (٢٨٠٤/ ٥٠) في صفة الجنة .
(٨) سلفت ترجمة أبي بكر في وفيات سنة (٢٧٥هـ) من هذا الكتاب .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] . فقال الحنابلة : يجلسه معه على العرش . وقال الآخرون : المراد بذلك الشَّفاعة العُظْمى ، فاقتتلوا بسبب ذلك ، وقتل بينهم قتلى ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . وقد ثبت في « صحيح » البخاري(١) أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى ، يشفع عند الله عزَّ وجلَّ في أن يأتي لفصل القضاء بين عباده ، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم ، حتى إبراهيم الخليل ، ويغبطه به الأوَّلون والآخرون .

وفيها وقعت فتنة بالمَوْصل بين العامة فيما يتعلق بأمر المعاش ، وانتشرت ، وكثر أهل الشر [فيها](٢) واستظهروا ، وجرت بينهم شرور ثم سكنت(٣) .

وفيها وقعت فتنة ببلاد خُراسان بين بني سامان(٤) وأخيهم(٥) نصر بن أحمد الملقب السَّعيد(٦) .

وخرج في شعبان خارجيٌّ بالمَوْصِل ، وخرج آخر بالبوازيج(٧) ، فقاتلهم أهل تلك الناحية حتى سكن شَرُّهم وتفرق أصحابهم(٨) .

وفيها التقى مفلح السَّاجي وملك الرُّوم الدُّمُسْتق ، فهزمه مفلح ، وطرد وراءه إلى أرض الروم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، ولله الحمد .

وفيها هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رماداً أحمر يشبه رمل أرض الحجاز ، فامتلأت منه البيوت .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسن(٩) [بن العباس](١٠) بن الفرج(١١) بن شُقَيْر(١٢) ، أبو بكر النَّحْوي .

---

(١) حديث الشفاعة في صحيح البخاري (٤٤٣٥) في التفسير ، وصحيح مسلم (١٩٤) في الإيمان .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٨/ ٢١٢ ـ ٢١٣) .

(٤) في (ط) ساسان ، وهو تصحيف .

(٥) من (ط) وأميرهم ، وهو تحريف .

(٦) الكامل (٨/ ٢٠٨ ـ ٢١٢) .

(٧) البواريج ـ بالراء المهملة ـ وهو تصحيف . والبوازيج : بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل ، حيث يصب في دجلة . معجم البلدان (١/ ٥٠٣) .

(٨) الكامل (٨/ ٢١٤) وسيأتي خبره في أحداث سنة (٣١٨هـ) .

(٩) في معجم الأدباء (٣/ ١١) الحسين ، وهو تحريف .

(١٠) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد (٤/ ٨٩) .

(١١) تاريخ بغداد (٤/ ٨٩) نزهة الألباء (١٧١ ـ ١٧٢) معجم الأدباء (٣/ ١١) إنباه الرواة (١/ ٣٤ ـ ٣٥) تاج العروس (شقر) .

(١٢) في (ط) و(ح) سفيان ، وهو تحريف .

كان عالماً بمذهب الكوفيين ، وله فيه تصانيف .

أحمد بن مهدي بن رستم(١) : العابد الزَّاهد ، أنفق في طلب العِلْم ثلاثمئة ألف دِرْهم ، ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش ، وقد روى الحافظ أبو نُعَيْم بسنده عنه أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له : إني قد امتحنت بمحنة ؛ أكرهت على الزِّنا وأنا حُبْلى منه ، وقد تسترتُ بك ، وزعمت أنك زَوْجي ، وأن هذا الحَمْل منك ، فاسترني سَتَرَكَ الله ولا تفضحني . فسكت عنها ، فلما وضعت جاءني أهل المحلَّة وإمام مسجدهم يهنئونني بالولد ، فأظهرت البِشْر ، وبعثت فاشتريت بدينارين شيئاً حلواً [وأطعمتهم](٢) ، وجَعلت أرسل إليها مع إمام المسجد كل شهر دينارين صفة نفقة الولد ، [وأقول : اقرئها مني السَّلام ، فإنه قد سبق مني ما فَرَّق بيني وبينها](٣) . فمكثت كذلك سنتين ، ثم مات المولود ، فجاؤوني يعزونني فيه ، فأظهرت التغمم والحزن عليه ، فجاءتني المرأة بالدَّنانير التي كنت أرسل بها إليها [نفقة الولد](٤) ، قد جمعتها [في صرة](٥) عندها [فقالت لي : سترك الله وجزاك خيراً ، وهذه الدنانير التي كنت ترسل بها](٦) فقلت : يا هذه إني إنما كنت أرسل بها صِلَةً للولد [وقد مات وأنت ترثينه](٧) ، فخذيها ، فافعلي بها ما شئت . [فدعت ، وانصرفت](٨) .

بَدْر بن الهَيْثم(٩) بن خَلَف بن خالد بن راشد بن الضَّحَّاك بن النُّعْمان [بن محرق بن النعمان بن المنذر](١٠) أبو القاسم ، اللَّخْمي(١١) ، القاضي ، الكوفي .

نزل بغداد ، وحدَّث بها عن أبي كُرَيب وغيره . وكان سماعُه للحديث بعدما جاوز أربعين سنة ، وكان ثِقَةً نبيلاً ، عاش مئة سنة وسبع عشرة سنة .

وكانت وفاته في شوال من هذه السنة بالكوفة .

---

(١) في (ط) رميم ، وهو تحريف وترجمته في حلية الأولياء (١٠/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧) المنتظم (٦/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٢٦) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) تاريخ بغداد (٧/ ١٠٧ ـ ١٠٨) المنتظم (٦/ ٢٢٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٠ ـ ٥٣١) .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١١) في (ط) البلخي ، وهو تحريف .

عبد الله بن محمَّد بن عبد العزيز[١] بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهِنْشاه ، أبو القاسم ، البَغَوي[٢] ، ويعرف بابن بنت مَنيع .

ولد سنة ثلاث عشرة ، وقيل أربع عشرة ومئتين .

ورأى أبا عبيد [القاسم بن سلام][٣] ولم يسمع منه ، وسمع من أحمد [بن حنبل][٤] ، وعليٍّ بن المَديني ، ويحيى بن معين ، وعلي بن الجَعْد ، وخَلَف بن هشام البَزَّار ، وخَلْق .

وكان معه جُزْءٌ فيه سماعه من ابن معين ، فأخذه منه موسى بن هارون الحافظ ، فرماه في دِجلة ، وقال : تريد أن تجمع بين الثلاثة ؟ وقد تفرَّد عن سبعة وثمانين شيخاً ، وكان ثِقَةً حافظاً ضابطاً ، روى عنه الحُفَّاظ ، وله مصنَّفات .

قال موسى بن هارون الحافظ : كان ابن بنت منيع ثقة صدوقاً ، فقيل له : إن هاهنا ناساً يتكلَّمون فيه . فقال : يحسدونه ، ابن بنت منيع لا يقول إلا الحق .

وقال ابن أبي حاتم وغيره : [أحاديثه][٥] تدخل في الصَّحيح .

وقال الدَّارقطني : كان البغوي قلَّما يتكلَّم على الحديث ، فإذا تكلَّم كان كلامه كالمِسْمار في السَّاج .

وقد ذكره ابن عديٍّ في « كامله » ، فتكلَّم فيه ، وقال : حَدَّث بأشياء أُنكرت عليه ، وكان معه طرف من معرفة الحديث والتَّصانيف .

وقد انتدب ابن الجَوْزي للردِّ على ابن عَدِيٍّ في هذا الكلام ، وذَكَرَ أنَّه توفِّي ليلة عيد الفِطْر من هذه السنة ، وقد استكمل مئة سنة وثلاث سنين وشهوراً ، وهو مع ذلك صحيح السَّمْع والبَصَر والأسنان ، يطأ الإماء[٦] .

وكانت وفاته ببغداد ، ودُفِن بمقبرة باب التِّبْن ، رحمه الله وأكرمَ مثواه .

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١١١ ـ ١١٧) طبقات الحنابلة (١/ ١٩٠ ـ ١٩٢) الأنساب (٢/ ٢٥٥) المنتظم (٦/ ٢٢٧ ـ ٢٣٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٤٠ ـ ٤٥٦) .

(٢) قيل له البغوي لأن جده أحمد بن منيع أصله من بغ ، أما هو فقد ولد ببغداد ، وبها نشأ . الأنساب (٢/ ٢٥٥) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) المنتظم (٦/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

محمد بن أبي الحسين [أحمد][(١)] **بن محمد بن عمَّار**[(٢)] : الشَّهيد الحافظ ، أبو الفَضْل الهَرَوي ، ويُعْرَف بابن أبي سَعْد[(٣)] .

قَدِمَ بغداد ، وحدَّث بها عن محمد بن عبد الله الأنْصاري .

وحدَّث عنه ابنُ المُظَفَّر الحافظ .

وكان من الثِّقات الأثبات الحُفَّاظ المتقنين ، له مناقشاتٌ على بضعة عشر حديثاً من « صحيح مُسْلم » .

قتلته القرامطة يوم التَّرْوية بمكة في هذه السَّنة في جُمْلة منْ قَتلوا ، رحمه الله وأكرم مثواه ، وجعل جنات الفِرْدوس منقلبه ومثواه .

الكَعْبيُّ المُتَكَلِّم[(٤)] : هو أبو القاسم ، عبد الله بنُ أحمدَ بن محمود ، البَلْخي ، الكَعْبي ، المتكلِّم[(٥)] ، نسبةً إلى بني كعب ؛ أحد مشايخ المُعْتزلة ، وهو الذي تنسب إليه الطائفة الكَعْبية منهم .

قال القاضي ابن خَلِّكان : وكان من كبار المتكلِّمين ، وله اختياراتٌ في عِلْم الكلام ؛ من ذلك أنه كان يزعم أن أفعال الله تعالى تقع بلا اختيار ولا مشيئة[(٦)] .

هكذا أورده عنه .

قلت : وقد خالف الكَعْبيُّ نَصَّ القرآن في غير ما موضع منه . قال الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] . وقال : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : ١١٢] وقال : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة : ١٣] وقال : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] إلى غير ذلك مما هو معلوم بالضرورة بصريح العقل وصحيح الشرع .

---

(١) في النسخ الخطية محمد بن الحسين ، وهو وهم ، وما بين حاصرتين من سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٩) .

(٢) في (ط) عثمان ، وهو تحريف . وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٨/ ٥٤٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٣٤ ـ ٨٣٥) العبر (٢/ ١٦٩) طبقات الحفاظ (٣٤٧) .

(٣) هو جده لأمه يحيى بن منصور الزاهد الهروي ، المتوفى سنة (٢٨٧هـ) وقيل سنة (٢٩٢هـ) ترجمته في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) والعبر (٢/ ٨٠ ، ٩٤) وفيه أبو سعيد ، وهو تصحيف .

(٤) الفرق بين الفرق (١٦٥ ـ ١٦٧) تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٤) الملل والنحل (١/ ٧٦ ـ ٧٨) الأنساب (١٠/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥) المنتظم (٦/ ٢٣٨) وفيات الأعيان (٣/ ٤٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣ ، ١٥/ ٢٥٥) طبقات المعتزلة (٨٨ ـ ٨٩) .

(٥) ثمة اختلاف بين المؤرخين في سنة وفاته ، أغلب المصادر على أنها سنة (٣١٩هـ) ، وصححها الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣) على أنها سنة (٣٢٩هـ) ، وذكر ابن خلكان وفاته سنة (٣١٧هـ) ، وتابعه على ذلك ابن كثير هنا .

(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٤٥) .

ثم دخلت سنة ثماني عشرة وثلاثمئة

فيها عزل الخليفة المقتدر بالله وزيره أبا علي بن مُقْلة ، فكانت مُدَّة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، واستوزر مكانه سليمان بن الحسن بن مَخْلَد ، وجعل عليَّ بن عيسى ناظراً معه .

وفي جُمادى الأولى منها أُحرقت دار أبي علي بن مقلة ، وكان قد أنفقَ عليها مئةَ ألفِ دينار ، فانتهبَ النَّاس أخشابها وما وجدوا فيها منْ حديدٍ ورصاصٍ وغير ذلك ، وصادره الخليفة بمئتي ألف دينار .

وفيها طرد الخليفة الرَّجَّالة الذين كانوا بدار الخلافة عن بغداد ؛ وذلك أنهم لما ردُّوا المقتدر إلى الخلافة شرعوا يَنْفِسُون بكلامٍ كثير عليهم[١] ، يقولون : منْ أعان ظالماً سُلِّط عليه . ومن أصعد الحمار إلى السطح [لم][٢] يقدر ينزله . فأمر بإخراجهم عن بغداد ، ومن أقام منهم عوقب . فأُحرقت دورٌ كثيرة من أقربائهم ، واحترق بعض نسائهم وأولادهم ، فخرجوا منها في غاية الإهانة ، فنزلوا واسط ، وتغلَّبوا عليها ، وأخرجوا عامِلَها [منها][٣] ، فركب إليهم مؤنسٌ الخادم ، فأوقع بهم بأساً شديداً ، وقتل منهم خَلْقاً كثيراً ، فلم يقم لهم بعد ذلك راية[٤] .

وفي ربيع الأول منها عَزَلَ الخليفة ناصرَ الدَّوْلة بنَ حمدان عن المَوْصل ، وولَّى عليها عمَّيْه سعيداً ونصراً ابني حمدان ، وولَّاه ديار ربيعة : نَصِيبين وسِنْجار والخابور ورأس العين ، ومعه مَيَّافارقين وأرْزَن ، ضمن ذلك من الخليفة بمالٍ يحمله [إليه][٥] في كل سنة .

وفي جمادى الأولى خرج رجل ببلاد البوازيج يقال له صالح بن محمود ، فاجتمع عليه جماعةٌ من بني مالك ، ثم سار إلى سِنْجار فحاصرها ، فدخلها ، وأخذ شيئاً كثيراً من أموالها ، وخطب بها خطبة ، وعظ وذكر وحذر ، فقال في جملة ما قال : نتولَّى الشَّيْخين ، ونبرأ من الخبيثين[٦] ، ولا نرى المسحَ على الخُفَّين . ثم سار فعاث في الأرض فساداً ، فانتُدبَ له نصر بن حمدان فقاتله ، فَأُسر صالح بن محمود هذا ومعه ابنان له ، فحمل إلى بغداد ، فدخلها وقد أُشهر شهرة فظيعة[٧] .

---

(١) في (ط) عليه ، وهو تصحيف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ط) قائمة .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في النسخ الخطية و(ط) الحسين ، وهو تحريف ، والمثبت من الكامل لابن الأثير (٨/ ٢٢٠) .
(٧) سلفت نتف من أخباره في أحداث سنة (٣١٧هـ) .

وخرج آخر ببلاد المَوْصل ، فاتَّبعه ألف رجل ، فحاصر أهل نَصِيبين ، فخرجوا إليه ، فاقتتلوا معه ، فَقَتَلَ منهم مئة وأسر ألفاً ، ثم باعهم من نفوسهم ، وصادر أهلها بأربعمئة ألف دِرْهم ، فانْتُدبَ له ناصر الدولة بن حمدان فقاتله ، فظفر به ، فأسره وسيره إلى بغداد أيضاً ، ولله الحمد .

وفيها خلع الخليفة على ابنه هارون ، وركب معه الوزير والجيش ، وأعطاه نيابة فارس وكَرْمان وسِجِسْتان ومُكْرَان[١] ، وخلع على ابنه أبي العَبَّاس الرَّاضي ، وجَعَله نائب بلاد المغرب ومِصْر والشَّام ، ويكون مؤنس الخادم يَسُدُّ عنه أمورها .

وحجَّ بالنَّاس في هذه السنة عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمي ، وخرج الحجيج بخُفَارة وبَذْرَقةٍ[٢] حتى سلموا في الذهاب والإياب من القرامطة ، ولله الحمد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن إسحاق[٣] بن البُهْلول بن حَسَّان بن سِنَان[٤] : أبو جعفر ، التَّنُوخي ، القاضي ، الحَنَفي ، العَدْل الثِّقة ، الرِّضى .

وكان فقيهاً ثقة نبيلاً ، سمع الحديث الكثير ، وورى عن أبي كُرَيب حديثاً واحداً ، وكان عالماً بالنَّحو ، فصيحَ العِبارة ، جَيِّدَ الشِّعْر ، محموداً في الأحكام .

اتفق أن السيدة أُمَّ المقتدر وقفت وقفاً ، وجعل الحاكم هذا عنده نسخة في سلة الحكم ، ثم أرادتْ أن تنقض ذلك الوقف ، فطلبت الحاكم وأن يُحْضِرَ معه كتاب الوقف لتأخذه منه فتعدمه ، فلما حَضَرَ من وراء الستارة فَهِمَ المقصود فقال لها : لا يمكن هذا ، لأني خازن المسلمين ، فإما أن تعزلوني عن القضاء وتولّوا على هذا غيري ، وإما أن تتركوا هذا الذي تريدونه ، فلا سبيل إليه . فشكته إلى ولدها المقتدر ، فشفع عنده المقتدر بذلك ، فذكر له صورة الحال . فرجع إلى أُمه فقال : إن هذا الرجل ممن يُرغب فيه ، ولا سبيل إلى عزله والتلاعب به . فرضيت السيدة عنه ، وبعثت تشكره على ما صنع من ذلك . فقال : من قَدَّم أمر الله على أمر العباد كفاه الله شرَّهم[٥] ، [ورزقه خيرهم][٦] .

---

(١) في (ط) ومكرمات ، وهو تحريف .
(٢) البذرقة تعني أيضاً الخفارة ، فارسي معرب . اللسان (بذرق) .
(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٣٠ ـ ٣٤) نزهة الألباء (١٧٢ ـ ١٧٥) المنتظم (٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٤) معجم الأدباء (٢/ ١٣٨ ـ ١٦١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٩٧ ـ ٥٠٠) .
(٤) في (ط) ابن أبي سنان ، وهو خطأ .
(٥) المنتظم (٦/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

كانت وفاته في هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين .

يحيى بن محمد بن صاعد(١) : أبو محمد ، مولى أبي جعفر المنصور .

رحل في طلب الحديث ، وكتب وَسَمِعَ وحفظ ، وكان من كبار الحُفَّاظ ، وشيوخ الرُّواة ، وكتب عنه جماعة من الأكابر ، وله تصانيف تَدُلُّ على حفظه وفقهه وفهمه .

وكانت وفاته ببغداد ، ودُفن بباب الكوفة في هذه السنة ، وله تسعون(٢) سنة .

الحسن بن علي بن أحمد(٣) **بن بشَّار بن زياد** : المعروف بابن العلاف ، الضَّرير ، النَّهْرواني ، الشَّاعر المشهور .

كان أحد سُمَّار الخليفة المعتضد بالله ، وله مَرْثَاة طَنَّانة في هِرٍّ له ، قتله جيرانه لأنه أكل فراخ الحمام من أبراجهم ، وفيها آداب ورِقَّة ، ويقال : إنه أراد بها رثاء ابن المعتز(٤) ، لكنه لم يتجاسر أن ينسبها إليه من الخليفة المقتدر بالله حين قتله . وأولها :

يا هِرُّ فارقْتَنَا ولم تَعُدِ   وكُنْتَ عِنْدي بِمَنْزِلِ الوَلَدِ

وهي خمسة وستون بيتاً .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمئة

في المحرم من السنة دخل الحجيج إلى بغداد ، وقد خرج مؤنس الخادم للحج في هذه السنة في جيشٍ كثيف ، خوفاً من القرامطة ، ففرح المسلمون بذلك ، وزينت بغداد يومئذٍ ، وضربت الخيام والقباب لمؤنس الخادم ، وقد بلغ مؤنس الخادم في أثناء الطريق أن القرامطة أمامه ، فعدل بالناس عن جادة

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٤) المنتظم (٦/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٧٦ ـ ٧٧٨) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٠١ ـ ٥٠٦) .

(٢) في (ط) سبعون ، وهو تصحيف .

(٣) تاريخ بغداد (٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) الأنساب (٩/ ٩٥ ـ ٩٦) المنتظم (٦/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) وفيات الأعيان (٢/ ١٠٧ ـ ١١١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥١٤ ـ ٥١٨) .

(٤) وقيل : إنما كنى بالهر عن المحسن بن الفرات أيام محنته ، وذُكر أيضاً أنها في غلام أبي بكر الذي قتل لأنه هوي جارية لعلي بن عيسى . وفيات الأعيان (٢/ ١٠٨ ـ ١٠٩) وفيه مقاطع من القصيدة ، وأيضاً سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥١٥ ـ ٥١٨) وقال الصفدي في نكت الهميان (١٤٢) : وأنا شديد التعجب ممن يزعم أن هذه القصيدة رثا بها غير هر .

الطريق ، فأخذ بهم في شعاب وأودية ، فتاهوا هنالك أياماً ، فشاهد النَّاس هنالك عجائب ، وغرائب ورأَوْا عظاماً في غاية الضخامة ، وشاهدوا أناساً قد مُسخوا حجارة ، ورأى بعضهم امرأةً واقفة على تَنُّور [تَخبز فيه][١] قد مُسِخت حجراً ، والتَّنُّور قد صار حجراً . وحمل مؤنسٌ من ذلك شيئاً كثيراً إلى الحضرة ليصدق ما يخبر به من ذلك . ذكره ابنُ الجَوْزي في « منتظمه » . فيقال : إنهم مِنْ قَوْمِ عاد أو ثمود[٢] .

وفيها عزل المقتدر سليمان بن الحسن الوزير بعد سنة وشهرين وتسعة أيام ، واستوزر مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكَلْوَذاني ، ثم عزله بعد شهرين وثلاثة أيام ، واستوزر الحسين بن القاسم ، ثم عزله أيضاً .

وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم ؛ بسبب أن الخليفة ولّى الحِسْبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت ، وكان أميراً على الشرطة أيضاً . فقال مؤنس : إن الحسبة لا يتولَّاها إلا القضاة والعدول ، وهذا لا يصلح لها . ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة أيضاً ، وانصلح الحال بينهما . ثم تجدَّدتِ الوحشة بينهما في ذي الحِجَّة من هذه السنة ، وما زالت تتزايد حتى آل الحال إلى قتل المقتدر بالله كما سنذكره[٣] .

وفي هذه السنة أوقع ثَمَل متولي طَرَسُوس بالرُّوم وقعةً عظيمة جداً ، قتل منهم خَلْقاً كثيراً ، وأسر نحواً من ثلاثة آلاف ، وغنم من الذهب والفضة والدِّيباح شيئاً كثيراً جداً ، ثم أوقع بهم مَرَّة ثانية كذلك .

وكتب ابن الدَّيْراني الأرْمني إلى الرُّوم يحضُّهم على الدُّخول إلى بلاد الإسلام ، ووعَدَهُمْ منه النَّصْر والإعانة ، فدخلوا في جحافلَ كثيرة جداً ، وانضاف إليهم الأرْمني ، فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي السَّاج وهو يومئذ نائب أذْرَبيجَان ، واتبعه خَلْقٌ كثير من المطَّوِّعة ، فقصد أولاً بلاد ابن الدَّيْراني ، فقتل من الأرْمَن نحواً من مئة ألف ، وأسر خَلْقاً كثيراً ، وغنم أموالاً جزيلة جداً ، وتحصَّن ابن الدَّيْراني بقلعة له هنالك ، وكاتَب[٤] الرُّومَ ، فوصلوا إلى سُمَيْساط فحاصروها ، فبعثوا يستصرخون بسعيد بن حمدان ؛ نائب المَوْصل ، فسار إليهم مسرعاً ، فوجدَ الرُّوم قد كادوا يفتحونها ، فلما عَلِموا بقدومه أجلوا عنها ، واجتازوا بمَلَطْية فانتهبوها ، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم ، ومعهم ابن نفيس الذي كان قد تنصر

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) المنتظم (٦/ ٢٣٦) وفي (ط) : من قوم عاد أو من قوم شعيب أو من ثمود ، فالله أعلم .
(٣) انظر أحداث سنة (٣٢٠هـ) .
(٤) في (ح) : وجاءت .

معهم ، وقد كان من أَهْلِ بغداد قبل ذلك كما ذكرناه قبل . وركب ابن حمدان في آثار الرُّوم ، فدخل بلادهم ، فقتل خلقاً كثيراً منهم [وأسر][١] وغَنِمَ أشياء كثيرة أيضاً .

قال ابنُ الأثير : وفي هذه السنة في شوال منها جاء سَيْلٌ [عظيم][٢] إلى تكريت ارتفع في أسواقها أربعة عشر شبراً ، وغرق بسببه أربعمئة دار ، وخَلْقٌ لا يعلمهم إلا الله ، حتى كان المسلمون والنصارى يُدْفنون جميعاً ، لا يعرف هذا من هذا[٣] .

قال : وفيها هاجت بالمَوْصل ريحٌ فيها حمرة ، ثم اسْوَدَّت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه [نهاراً][٤] ، وظَنَّ النَّاس أن القيامة قد قامت ، ثم انجلى ذلك بمطرٍ أرسله الله عليهم[٥] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن الحسين بن عبد الرحمن[٦] : أبو عبد الله الأنْطاكي ، قاضي ثغور الشَّام ، ويُعْرف بابن الصَّابوني ، وكان ثِقَةً نبيلاً ، قَدِمَ بغداد ، وحدَّث بها .

علي بن الحسين بن حَرْب بن عيسى[٧] : أبو عبيد بن حَرْبَوَيْه القاضي بمصر مُدَّة طويلة جداً .

وكان ثِقَةً عالماً جليلاً ، من خيار القُضَاة وأعدلهم ، وكان يتفقه على مذهب أبي ثور[٨] ، وقد ذكرناه في « طبقات الشافعية » بما فيه مقنع وكفاية ، وقد استعفى عن القضاء ، فعزل عنه في سنة إحدى عشرة وثلاثمئة ، ورجع إلى بغداد ، فأقام بها حتى مات بها في هذه السنة في صفر ، وصلَّى عليه أبو سعيد الإِصْطَخْري ، ودفن بداره .

قال الدَّارَقُطْني : حدَّث عنه أبو عبد الرحمن النَّسائي في « الصحيح » ، ولعله مات قبله بعشرين سنة . وذَكَرَ من جلالته وفضله[٩] ، رحمه الله .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) الكامل (٨/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) الكامل (٨/ ٢٣٦) .
(٦) تاريخ بغداد (٨/ ٣٩ ـ ٤٠) المنتظم (٦/ ٢٣٨) .
(٧) الولاة والقضاة (٥٢٣ ـ ٥٣١) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٥ ـ ٣٩٨) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٠) الأنساب (٤/ ٩٨ ـ ٩٩) المنتظم (٦/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٦ ـ ٥٣٨) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٤٦ ـ ٤٥٥) رفع الإصر (٢/ ٣٨٩) .
(٨) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٤٠هـ) من هذا الكتاب .
(٩) انظر تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٧) .

محمد بن الفَضْل بن العباس(١) : أبو عبد الله ، البَلْخِي ، الزَّاهد .

حُكي عنه أنه مكث أربعين سنةً لم يخط فيها خُطوة لغير الله ، ولا نظر إلى شيء ، فاستحسنه حياءً من الله عزَّ وجلَّ ، وأنه مكث ثلاثين سنة لم يُمْلِ على مَلَكَيْه قبيحاً(٢) .

محمد بن سَعْدٍ(٣) **أبو الحسين الوَرَّاق** : صاحب أبي عثمان النَّيْسابوري .

وكان فقيهاً يتكلَّم على المعاملات ، ومن جَيِّد كلامه قوله : مَنْ غَضَّ بصره عن مُحرَّم أَوْرَثَه الله بذلك حكمةً على لسانه يهتدي بها سامعوه ، ومن غَضَّ بَصَره عن شُبْهةٍ نوَّر الله قلبه بنورٍ يهتدي به إلى طُرُقِ مرضاته .

يحيى بن عبد الله بن موسى(٤) . أبو زكريا الفارسي . كتب بِمِصْر عن الرَّبيع بن سليمان ، وكان ثِقَةً صدوقاً ، حسن الصلاة ، عدلاً عند الحكام(٥) .

---

(١) طبقات الصوفية (٢١٢/ ٢١٦) حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) الرسالة القشيرية (٢١) المنتظم (٦/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٢٣ ـ ٥٢٦) .

(٢) انفرد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) نقلاً عن السُّلَمي وابن مندة أنه توفي (٣١٧هـ) ، وقد وهَمَ من قال : سنة تسع عشرة . والذي في مطبوع « طبقات الصوفية » يوافق ما عندنا ، وكذلك كل مصادر ترجمته .

(٣) طبقات الصوفية (٢٩٩ ـ ٣٠١) المنتظم (٦/ ٢٤٠) طبقات الشعراني (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥) وفيه : أبو الحسن محمد بن سعيد ؛ وهو تحريف .

(٤) المنتظم (٦/ ٢٤٠) .

(٥) انفردت نسخة (ب) و(ظا) في هذه الترجمة ، وهي مخالفة لأسلوب ابن كثير في إيراد تراجمه ، ولمنحاه الفكري .

ابن مَسَرَّة المغربي

محمد بن عبد الله بن مسرة ، أبو عبد الله ، مولى قريش ، أحد أفراد زمانه ، وبلغاء أهل عصره وأوانه ، له المصنفات العديدة ، والفوائد في الأصول والفروع والتصوف ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والكلام على أحوال القلوب والمعاملات ، وقد أطراه ابن عبد الرؤوف ؛ أحد أولياء العهد بالأندلس في « طبقاته » ، وذكر عنه أعاجيب ، قال : وجملة القول فيه أنه عالم الدهر ، وحبر العصر ، وبديع البشر ، ورباني الأمة ، وعلم الهدى ، وكهف التقى ، وبحر العلم ، ومعدن الحلم ، والسراج المنير ، والطور المنيف ، ومن جعل القرآن عصمته ، والسُّنَّة قِبْلَته ، والآخرة همته ، والزهد ذخيرته . كان كثير العلم بالأخبار والرواية للآثار ، وفيلسوفاً عظيماً ، طبيباً حكيماً ، منطقياً جدلياً ، منجماً فلكياً ، شاعراً مفلقاً ، خطيباً مطبقاً .

ثم أطنب فيما ذكره إلى أن قال : وقد أولع به قوم غيره جهلة من أهل مصرنا وعصرنا ، فيقولون ويسبون ، وينسبون إليه ما لا يعلمون . إلى أن قال : وصاحب أين كان هو الجماعة والإجماع .

وذكره محمد بن الحارث بن أسد القيرواني الفقيه ، أحد أهل الشُّورى بقرطبة في « تاريخ الأندلس » ، فقال : الناس فيه فرقتان : فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة في العلم والزهد ، لما ظهر من براعته في العلم ، وصدقه في الزهد . وفرقة=

ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمئة[١]

فيها كان مقتل الخليفة المقتدر بالله ، وكان سبب ذلك أن مؤنساً الخادمَ خرج من بغداد في المُحرَّم من هذه السنة مغاضباً للخليفة في مماليكه وحشمه ، متوجِّهاً نحو المَوْصِل ، وَرَدَّ من أثناء الطريق مولاه بشرىٰ إلى المقتدر ليستعلم له [أمره][٢] ، وبعث معه رسالة يخاطب بها أمير المؤمنين ، [ويعاتبه في أشياء][٣] فلما وصل أمَـرَه الوزير الحسين بن القاسم ـ وكان من أكبر أعداء مؤنس ـ بأن يؤديها إليه ، فامتنع من أدائها إلا إلى الخليفة ، فأحضره بين يديه ، فأمره أن يقولها للوزير فامتنع ، وقال : ما أمرني صاحبي بهذا . فشتمه الوزير ، وشتم صاحبه [مؤنساً][٤] وأمر بضَرْبِـهِ ومصادرته بثلاثمئة ألف دينار ، وأخذ خطَّه بها ، وأمر بنهب داره ، ثم أمر الوزير بالقَبْض على إقطاع مؤنس وأملاكه وأملاك من معه ، فحصل من ذلك مالٌ عظيم ، وارتفع أمر الوزير عند المقتدر ، ولقبه عميد الدَّوْلة ، وضرب اسمه على الدَّرَاهم والدَّنانير ، وتمكَّن من الأمور جداً ، فَعَزل وولَّى ، وقطعَ ووصل ، وفرح بنفسه حيناً قليلاً . وأرسل إلى هارون بن غريب الخال[٥] ، وإلى محمد بن ياقوت يستحضرهما إلى الحَضْرة عِوَضاً عن مؤنس ، فصمَّم المُظفَّر مؤنس في مسيره إلى الموصل ، وجعل يقول لأمراء الأعراب : إن الخليفة قد ولَّاني المَوْصل وديار ربيعة . فالتفَّ عليه [منهم][٦] خَلْقٌ كثير ، وجعل ينفق فيهم الأموال الجزيلة ، وله إليهم قبل ذلك أيادٍ سابغة . وقد كتب الوزير إلى آل حَمْدان ـ وهم ولاة المَوْصل وتلك النواحي ـ يأمرهم بمحاربة مؤنس الخادم ، فركبوا إليه في ثلاثين ألفاً ، وواجههم مؤنس في ثمان من مماليكه وخدمه ، فهزمهم ، ولم يُقتل منهم سوى رجلٍ واحد ، يقال له داود ، وكان من أشجعهم ، وقد كان مؤنس رَبَّاه وهو صغير .

= تطعن عليه في البدع لما ظهر لها من كلامه في الوعد والوعيد ، ولتأويلات يذكرها في الكتاب والسُّنَّة ، ومخالفته العلوم المشهورة بالأندلس ، الجارية على مذهب التقليد والتسليم .

قال : وكان محمد بن مَسَرَّة قد رحل عن حاضرة قرطبة إلى مكان من جبلها ، وانقبض عن أكثر الناس ، وكانت وفاته في شوال سنة تسع عشرة وثلاثمئة .

قلت : انظر ترجمته في جذوة المقتبس (٥٨ ـ ٥٩) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي (٧٨) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ق ٢/ ٣٩ ـ ٤٠) تاريخ السلكة الأندلسي (٣٢٦ ـ ٣٣٢) .

(١) في (ظا) من الهجرة النبوية .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) في (ط) الحال . . . بالحاء المهملة . وهو تصحيف .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

ودخل مؤنس المَوْصل فقصدته العساكر من كلِّ جانب يدخلون في طاعته ؛ لإحسانه إليهم قبل ذلك من أهل بغداد والشَّام ومصر ومن الأعراب ، حتى صار في جحافل من الجنود .

وأما الوزير الحسين بن القاسم ، فإنه ظهرت خيانته وعجزه ، فعزله المقتدر في ربيع الآخر [منها][(١)] وولّى مكانه الفَضْل بن جعفر بن محمد بن الفُرَات ، فكان آخر وزراء المقتدر .

وأقام مؤنس بالمَوْصل تسعة أشهر ، ثم ركب في الجيوش في شوَّال قاصداً بغداد ليطالب المقتدر بأرزاق الأجناد وإنصافهم ، فسار ـ وقد بَعَثَ بين يديه الطلائع ـ حتى جاء فنزل بباب الشَّمَّاسيَّة من بغداد ، وقابله عنده ابنُ ياقوت وهارون بن غريب عن كره منه ، وأُشير على الخليفة بأن يستدين منْ والدته ما ينفق في الأجناد ، فقال : لم يبق عندها شيء . وعزم الخليفة على الهرب إلى واسط ، وأن يترك بغداد لمؤنس حتى يتراجع أمْرُ النَّاس ، ثم يعود إليها ، فردَّه عن ذلك ابنُ ياقوت ، وأشار عليه بمواجهة مؤنس وأصحابه ، فإنهم متى رَأَوْه كرُّوا كلُّهم إليه ، وتركوا مؤنساً . فَرَكبَ وهو كارهٌ ، وبين يديه الفقهاء ، ومعهم المصاحف منشرةً ، وعليه البُرْدة والنَّاس حَوْله ، فوقف على تلٍّ عالٍ بعيدٍ من المعركة ، ونُودِيَ في جيشه : منْ جاء برأسٍ فله خمسة دنانيرٍ ، ومن جاء بأسيرٍ فله عشرة دنانير . ثم بعث إليه أمراؤه يعزمون عليه أن يتقدَّم ، فامتنع من التقدُّم إلى محلَّة المعركة ، ثم ألَحّوا عليه ، فجاء بعد تمنُّع شديد ، فما وصل إليهم حتى انهزموا وفرُّوا راجعين ، ولم يلتفتوا إليه ولا عطفوا عليه ، فكان أول من لقيه من أمراء مؤنس علي بن بُلَيق ، فلما رآه ترجَّل ، وقبَّل الأرض بين يديه وقال : لعن الله منْ أشار عليك بالخروج في هذا اليوم . ثم وكَّل به قوماً من المغاربة البربر ، فلما تركهم وإياه شهروا عليه السلاح ، فقال لهم : ويلكم ، أنا الخليفة . فقالوا : قد عرفناك يا سِفْلَة ، إنما أنت خليفةُ إبليس ، تنادي في جيشك من جاء برأسٍ فله خمسة دنانير ؟ وضربه أحدُهم بسيفه على عاتقه[(٢)] ، فسقط إلى الأرض ، وذبحه آخر ، وتركوا جثته ، وقد سلبوه كلَّ شيء كان عليه ، حتى سراويله ، وبقي مكشوف العورة ، مجدَّلًا على وجه الأرض ، حتى جاء رجلٌ فغطَّى عورته بحشيشٍ ، ثم دفنه في موضعه وعفَّى أثره .

وأخذت المغاربة رأسَ المقتدر على خشبةٍ قد رفعوها وهم يلعنونه ، فلما انتهوا به إلى مؤنس ـ ولم يكن حاضراً الوقعة ـ فحين نظر إلى رأس المقتدر لطم رأسه ووجهه وقال : ويلكم ، لم آمركم بهذا ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) العاتق : ما بين المنكب والعنق . اللسان (عتق) .

لعنكم الله ، قتلتموه والله لنقتلن كلّنا . ثم ركب ووقف عند دار الخلافة حتى لا تنهب ، وهرب عبد الواحد بن المقتدر وهارون بن غريب ، وابنا رائق إلى المدائن ، وكان صنيع مؤنس هذا سبباً لطمع أصحاب الأطراف في الخلفاء ، وضَعْفِ أمْرِ الخلافة جداً ، مع ما كان المقتدر يعتمده من التبذير والتفريط في الأموال ، وطاعة النساء ، وعَزْلِ الوزراء ؛ حتى قيل : إن جُمْلَةَ ما صرفه في الوجوه الفاسدة والتبذير ما يقارب ثمانين ألف ألف دينار .

وهذه ترجمة المقتدر بالله أمير المؤمنين(١)

هو جعفر أمير المؤمنين المقتدر بالله بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد المُوَفَّق بن جعفر المتوكل [على الله](٢) بن محمد المعتصم بن هارون الرَّشيد بن محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، يكنَّى أبا الفضل العَبَّاسي .

مولده في ليلة الجمعة لثمانٍ بقين من رمضان سنة ثنتين وثمانين ومئتين ، وأمه أمُّ ولدٍ اسمها شَغَب ، ولقِّبَتْ في خِلافة ولدها بالسيدة .

وبويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي ، يوم الأحد لأربع عشرة مَضَتْ من ذي القَعْدة من سنة خمس وتسعين ومئتين ، وهو يومئذٍ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وأيام . ولهذا أراد الجُنْدُ خَلْعَه في ربيع الأول من سنة ست وتسعين محتجين بصغره وعدم بُلُوغه ، وتولية عبد الله بن المعتز ، فلم يتمَّ ذلك ، وانتقض الأمر في ثاني يوم كما ذكرنا(٣) . ثم لما كان شهر المحرم من سنة سبع عشرة وثلاثمئة أحضره مؤنس واجتمع الأمراء والقواد ، وألزموه بخلع نفسه ، وأحضروا أخاه محمد بن المعتضد ، فبايعوه بالخلافة ، ولقبوه القاهر ، فلم يتمَّ ذلك سوى يومين ، ثم رجع المقتدر إلى الخلافة كما ذكرنا(٤) .

وقد كان المقتدر بالله رَبْعةً من الرجال ، حسن الوجه والعينين ، بعيد ما بين المنكبين ، حسن الشَّعْر ، مدوَّر الوجه ، مُشْرب اللون ، حَسَن الخَلْق ، قد شاب رأسه وعارضاه ، وقد كان كريماً جواداً ممدَّحاً ، له عقل جيد ، وفهم وافر ، وذِهْنٌ صحيح ، وقد كان كثيرَ التحجب والتوسُّع في النَّفقات ، وزاد في رُسوم الخلافة وأمور الرِّياسة ، وما زاد شيءٌ إلا نَقَصَ . كان في داره أحدَ عشر

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٥٠١) تاريخ بغداد (٧/ ٢١٣ ـ ٢١٩) المنتظم (٦/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) الكامل (٨/ ٨) وما بعدها ، النبراس (٩٥ ـ ١٨٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٣ ـ ٥٦) العبر (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢) تاريخ الخلفاء (٣٧٨ ـ ٣٨٦) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) انظر حوادث سنة (٢٩٦هـ) من هذا الكتاب .

(٤) انظر أحداث سنة (٣١٧هـ) .

ألف خادمٍ خصي ، غير الصَّقَالبة [وأبناء فارس][١] والروم والسودان ، وكان له دار يقال لها دار الشجرة ، فيها من الأثاث والأمتعة شيء كثير جداً ، كما ذكرنا ذلك في سنة خمس وثلاثمئة حين قَدِمَ رسول ملك الروم[٢] . وقد ركب المقتدر يوماً في حرَّاقة وجعل يستعجل الطَّعام ، فأبطؤوا به فقال لملاح حراقته : ويلك ، أعندك شيء نأكله ؟ قال : نعم . فأتاه بشيءٍ من لحم الجداية وخبز خشن وملوحات وغير ذلك . فأعجبه ، ثم استدعاه فقال : هل عندك شيء من الحَلْواء ، فإني لا أحسُّ بالشبع حتى آكل شيئاً من الحلواء . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن حلاوتنا التمر والكسب . فقال : هذا شيء لا أُطيقه . ثُمَّ جيء بطعامه ، فأكل منه وأتي بالحلاوات ، فأكل وأطعَمَ الملاحين ، وأمر بترتيب حلاوة تعمل في كل يوم بنحو مئتي درهم تكون في الحراقة إن اتفق ركوبه فيها يأكل منها ، [وإن لم يتفق ركوبه كانت للملاح][٣] . فكان الملاح يأخذ ذلك في كل يوم مدة سنين متعددة ، ولم يتفق ركوب المقتدر فيها مرة أخرى .

وقد أراد بعض خواصِّه أن يطهر ولده ، فعمل أشياء هائلة ، ثم طلب من أم الخليفة أن يعار القرية التي عُمِلَتْ في طهور المقتدر من فِضَّة ليراها الناس في هذا المهم ، فتلطَّفَتْ أم المقتدر عنده حتى أطلقها له بالكلية ، وكانت صِفَة قريةٍ من القرى ، كلُّها من فضة ؛ بيوتها وأهاليها وأبقارها وأغنامها وجمالها وخيولها ، وأشجارها وزروعها وثِمارها وأنهارها ، وما يتبع ذلك مما يكون في القرى ، الجميع من فِضَّة مصوَّر ، وأمر بنقل سِمَاطه[٤] إلى دار هذا الرَّجل ، وأن لا يتكلَّف شيئاً من المطاعم سوى سمك طري . فاشترى الرجل بثلاثمئة دينار سمكاً ، وكان جملة ما أنفق المقتدر على سماطه يومئذٍ ألفاً وخمسمئة دينار[٥] .

وكان كثير الصَّدقة والإحسان إلى أهل الحرمين وأرباب الوظائف ، وكان كثير التنفل بالصلاة والصَّوْم والعِبَادة ، ولكنه كان مؤثراً لشهواته ، مطيعاً لحظياته[٦] ، كثير التلون والولاية والعزل ، وما زال ذلك دَأبه حتى كان هلاكه على يدي مؤنس الخادم كما ذكرنا ، فقتل عند باب الشَّمَّاسية لليلتين بقيتا من شوّال من هذه السنة ـ أعني سنة عشرين وثلاثمئة ـ وله من العمر ثمانٍ وثلاثون سنة وشهر

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) انظر أحداث سنة (٣٠٥هـ) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) السماط : ما يمد ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها . المعجم الوسيط (١/ ٤٥١) .
(٥) في (ط) : والجميع من عند المقتدر .
(٦) في (ط) لخصاياه .

وخمسة أيام ، وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وأَحَدَ عشر شهراً وأربعة عشر يوماً ، فكان أكثر مدَّة من كل من تقدَّمه .

خِلافة القاهر

لما قُتِلَ المقتدر بالله ـ كما ذكرنا ـ عزم مؤنس الخادم على تولية أبي العبَّاس بن المقتدر(١) بعد أبيه ليطيب قلب أُم المقتدر ، فعدل عن ذلك جمهور منْ حضر من الأمراء ، فقال أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النُّوْبختي : بعد التعب والكد نبايع لخليفةٍ له أم وخالات يطيعهن ويشاورهن ؟ ثم أحضر(٢) محمدَ بنَ المعتضد ـ وهو أخو المقتدر ـ وبايعه القضاة والأمراء والوزراء ، ولقبوه القاهر بالله ، وذلك في سَحَر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال من سنة عشرين وثلاثمئة ، واستُوزر له أبو علي بن مُقْلة ، ثم أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله(٣) ، ثم أبو العباس بن الخَصيب(٤) .

وشرع القاهر في مصادرة أصحاب المقتدر وتتبُّع أولاده ، واستدعى بأم المقتدر وهي مريضة بالاستسقاء ، وقد تزايد بها [الوجع](٥) من شدة جزعها على ولدها حين بلغها قتلُه ، وكيف بقي مكشوفَ العورة ، فبقيت أياماً لا تأكل شيئاً ، ثم وعظها النساء حتى أكلت شيئاً يسيراً من الخبز والمِلْح ، ومع هذا كله استدعى بها القاهر ، فقرَّرها على أموالها ، فذكرت له ما يكون للنساء من الحُلِيِّ والمصاغ والثياب ، ولم تقرَّ بشيء من الأموال والجواهر ، وقالت : لو كان عندي من هذا شيء ما سلَّمْتُ ولدي ، فأمر بضربها ، وعلقت برجلها ، ومسّها بعذاب شديد من العقوبة ، وأشهدت على نفسها ببيع أملاكها ، فأخذه الجند مما يحاسبون به من أرزاقهم . وأرادها على بيع أوقافها ، فامتنعت من ذلك ، وأبت أشدَّ الإباء .

واستدعى القاهر بجماعةٍ من أولاد المقتدر ، منهم : أبو العبَّاس الراضي وهارون والعبَّاس وعلي والفَضْل وإبراهيم ، فأمر بمصادرَتِهم وحَبْسهم ، وسلَّمهم إلى حاجبه علي بن بُلَيق ، وتمكَّن الوزير أبو علي بن مُقْلة فعزَلَ وولّى ، وأخذ وأعطى ، ومنع بني البَريدي من أعمالهم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عُمَيْر بن جَوْصَا(٦) : أبو الحسن الدِّمَشْقي ، أحد المحدِّثين الحُفَّاظ ، والرواة الأيقاظ .

---

(١) هو الراضي بالله ، وقد ولي الخلافة بعد القاهر ، انظر أحداث سنة (٣٢٢هـ) .
(٢) في (ط) أحضروا ، وهو تصحيف .
(٣) في (ط) عبد الله ، وهو تصحيف .
(٤) ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) تاريخ ابن عساكر س (خ) (٢/ ٢٦ب ـ ٢٨ب) المنتظم (٦/ ٢٤٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٥ ـ ٢١) تذكرة الحفاظ=

إبراهيم بن محمد بن علي(١) بن بطحاء بن علي بن مقلة(٢) ، أبو إسحاق التميمي ، المحتسب ببغداد .

روى عن عباس الدُّوري ، وعليٍّ بن حرب وغيرهما ، وكان ثِقَةً فاضلاً .

مَرَّ يوماً على باب القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، والخصوم عكوفٌ على بابه ، والشمس قد ارتفعت عليهم ، فبعث حاجبه إليه يقول له : إما أن تخرج فتفصلَ بينهم ، وإما أن تبعث إليهم فتعتذر إليهم إن كان لك عذر حتى يعودوا إليك بعد هذا الوقت(٣) .

أبو علي بن خَيْرَان(٤) : الفقيه الشَّافعي ، أحد أئمة المذهب .

هو الحسين بن صالح بن خَيْران ، أبو علي ، الفقيه الكبير الورع البارع ، عُرِضَ عليه منصبُ القضاء فلم يفعل ، فخَتم الوزير عليُّ بنُ عيسى على بابه ستة عشر يوماً ، ولم يجد له أهله ماء إلا منْ بيوت الجيران ، ومع هذا كله يمتنع عليه وعليهم ، ولم يل لهم شيئاً . فقال الوزير : إنما أردنا أن نُعْلِمَ النَّاس أنْ ببلدنا وفي مملكتنا من عُرِضَ عليه قضاء القضاة شرقاً وغرباً فلم يقبل .

وقد كانت وفاتُهُ في ذي الحجَّة من هذه السنة ، وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشَّافعية » بما فيه كفاية ، رحمه الله(٥) .

عبد الملك بن محمد بن عَدِي(٦) : الفقيه ، الإسْتِرَاباذِي ، أَحدُ أئمة المسلمين والحُفَّاظ المحدِّثين ، وقد ذكرناه أيضاً في « طبقات الشَّافعية »(٧) .

= (٣/ ٧٩٥ ـ ٧٩٨) .

(١) تاريخ بغداد (٦/ ١٦٤) المنتظم (٦/ ٢٤٢) .

(٢) في تاريخ بغداد (٦/ ١٦٤) : مستقلة ؛ وإخالها تصحيفاً .

(٣) في تاريخ بغداد (٦/ ١٦٤) توفي في صفر سنة (٣٣٢هـ) ، وفيها ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام (٧/ ٦٥٩) ، وهو الصواب .

(٤) تاريخ بغداد (٨/ ٥٣ ـ ٥٤) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٠) المنتظم . (٦/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) وفيات الأعيان (٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٨ ـ ٦٠) الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) وفي (ط) خيزان ، وهو تصحيف .

(٥) ثمة خلاف حول سنة وفاته بين عشر وثلاثمئة ، أو عشرين وثلاثمئة . وقد ناقش المسألة السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) .

(٦) تاريخ جرجان (٢٣٥) وتاريخ بغداد (١٠/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) الأنساب (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥) المنتظم (٦/ ٢٤٥ ، ٢٨٠) معجم البلدان (١/ ١٧٥) اللباب (١/ ٤٠) .

(٧) في تاريخ جرجان والأنساب : توفي سنة (٣٢٣هـ) .

القاضي أبو عمر المالكي[١] محمد بن يوسف [بن يعقوب][٢] بن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد ، أبو عمر ، القاضي ببغداد ومعاملاتها من سائر البلاد .

وكان من أئمة الإسلام عِلْماً ومعرفة ، وفصاحةً وبلاغةً ، وعقلاً ورياسة ، بحيث كان يُضْربُ بعقله وحِلْمِهِ[٣] المثل . وقد روى الكثير عن المشايخ ، وحدَّث عنه الدَّارَقُطْني وغيره من الحُفَّاظ ، وحمل النَّاس عنه عِلْماً كثيراً من الفِقْه والحديث ، وقد جُمِعَ له قضاء القضاة في سنة سبع عشرة وثلاثمئة وله مُصنَّفات كثيرة . وجَمَعَ مُسْنداً حافلاً ، وكان إذا جلس للتحديث جلس أبو القاسم البَغوي عن يمينه وهو قريبٌ من سنِّ أبيه ، وعن يساره ابنُ صاعد ، وبين يديه أبو بكر النَّيْسَابوري ، وسائر الحُفَّاظ حول سريره من كلِّ جانب .

قالوا : ولم يُنتقد عليه حُكْمٌ من أحكامه أخطأ فيه .

قلت : وكان من أعظم صواب أحكامه قَتْلُه الحسين بن منصور الحلاج[٤] ـ قبحه الله وأخزاه ـ وذلك في سنة تسع وثلاثمئة كما تقدم[٥] .

وقد كان جميلَ الأخلاق ، حسنَ المعاشرة ، اجتمع يوماً عنده أصحابُهُ فجيء بثوبٍ فاخرٍ ليشتريه بنحوٍ من خمسين ديناراً ، فاستحسنه الحاضرون ، فاستدعى بالقَلانسي وأمَرَه أنْ يقطعَ ذلك الثوبَ قلانسَ بعددِ الحاضرين . وله مناقبُ ومحاسن ، رحمه الله تعالى .

وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة عن ثمانٍ وسبعين سنة ، وقد رآه بعضُهم في المنام فقيل له : ما فعل بكَ رَبُّك ؟ فقال : غَفَرَ لي بدعوة الرجل الصالح إبراهيم الحَرْبي[٦] ، رحمهما الله .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة

في صفر منها أحضر الخليفة رجلاً كان يقطع الطريق بدِجْلَة ، فَضُرِبَ بين يديه ألف سوط ، ثم ضربت عنقه ، وقُطِّعَتْ أيدي أصحابه وأرجُلُهم .

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٥) المنتظم (٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨) الكامل في التاريخ (٨/ ٢١٣ و٢٤٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٥٥ ـ ٥٥٧) الوافي بالوفيات (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦) .

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد (٣/ ٤٠١) .

(٣) في (ح) : وحكمه .

(٤) قال بشار : الذي يفهم من النص الذي ذكره الخطيب في محاكمة الحلاج بحضور القاضي أبي عمر أنه لم يكن راغباً في الحكم بقتله ، وأن ذلك إنما كان بإلحاح من الوزير حامد ، قال الخطيب : « وألح عليه حامد بالمطالبة بالكتاب إلحاحاً لم يمكنه معه المخالفة ، فكتب بإحلال دمه » (٨/ ٧١٨ بتحقيقنا) .

(٥) انظر أحداث سنة (٣٠٩هـ) .

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٤٠٤) .

وفيها أمر القاهر بالله بإبطال الخمور والمغاني والقِيَان ، وأمر ببيع الجواري المغنيات في سوق النَّخْس على أنهن سواذج .

قال ابن الأثير : وإنما فعل القاهر ذلك لأنه كان محباً للغناء ، فأراد أن يشتري الجواري المغنيات بأرخص الأثمان ، نعوذ بالله من هذه الأخلاق(١) .

وفيها أشاعت العامة بينهم بأن الحاجب عليَّ بن بُلَيق(٢) يريد أن يلعنَ معاويةَ على المنابر ، فلما بلغَ ذلك الحاجبَ بعث إلى رئيس الحنابلةِ أبي محمد البَرْبَهاري(٣) الواعظ ليقابلَه على ذلك ، فهرب واختفى ، فأمر بجماعةٍ من أصحابه ، فَحَدَروا بهم إلى البصرة .

وفيها عَظَّمَ الخليفة وزيرَه أبا علي بن مُقْلة وخاطبه بالاحترام والإكرام ، ثم إن الوزير ومؤنساً الخادم وعليَّ بن بليق وجماعةً من الأمراء اشتوروا فيما بينهم على خَلْعِ القاهر بالله ، وتولية أبي أحمد بن المكتفي ، وبايعوه فيما بينهم سِرّاً ، وضيَّقوا على القاهر بالله في رِزْقه ، و[على](٤) من يجتمع به وأرادوا القبضَ عليه سريعاً ، فبلغ ذلك الخليفة على يدي طريف السبكري(٥) ، فسعى في القبض عليهم ، فوقع في مخاليبه الأمير الكبير المظفَّر مُؤْنس الخادم ، وأمر بحبسه قبل أن يراه والاحتياط على دوره وأملاكه ـ وكانت فيه عَجَلَة وجُرْأة وهَوَج وخَرَقٌ شديد ـ وجعل في منزلته ـ إمرة الأمراء ورياسة الجيش ـ طريفاً السبكري ، وقد كان أحدَ الأمراء(٦) عند مؤنس الخادم قبل ذلك . وقَبَضَ على بُلَيْق ، واختفى ولده علي بن بُلَيق ، وكذا هرب الوزير أبو علي بن مُقْلَة ، فاستوزر مكانه أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله في مستهل شعبان ، وخلع عليه ، وأمر بتحريق دار أبي علي بن مُقْلة ، ووقع النَّهْبُ ببغداد ، وهاجتِ الفتنة ، وأمر القاهر بأن يجعل أبو أحمد بن المكتفي بين حائطين ويُسَدَّ عليه بالآجُرِّ والكلس ، وهو حيٌّ ، فمات . وأرسل إلى المختفين فنادى : إن منْ أخفاهم [قتل و](٧) خربت داره . فوقَعَ بعلي بن بليق فقتله ؛ ذُبِحَ بين يديه كما تُذْبحُ الشاة ، فأخذ رأسه في طَسْتٍ ، ودخل القاهر بنفسه على أبيه بُلَيْق ، فوضع الرأس بين يديه ، فلما رآه بكى ، وأخذ يقبله ويترشفه ، فأمر بذبحه أيضاً فَذُبِحَ ، ثم أخذ الرأسين في

---

(١) الكامل (٨/ ٢٧٣) .
(٢) في بعض المصادر : يلبق ، وما أثبتناه هو الصواب .
(٣) سترد ترجمته وفيات سنة (٣٢٩هـ) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) في (ط) و(ظا) : اليشكري .
(٦) في (ط) : الأعداء ؛ وهو تحريف .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

طَسْتين ، فدخل بهما على مُؤْنس الخادم ، فلما رآهما تشهّد ولعن قاتلهما ، فقال القاهر عند ذلك : جروا برجل الكلب ، فأُخِذَ فَذُبِحَ أيضاً ، وأُخِذَ رأسه فوضِعَ في طَسْتٍ ، وطيف بالرؤوس في بغداد [ونودي عليهم][1] : هذا جزاء منْ يخون الإمام ، ويسعى في الدولة فساداً . ثم أُعيدت الرؤوس إلى خزائن السِّلاح .

وفي ذي القَعْدة قَبَضَ القاهر على الوزير أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله وسجنه ، وكان مريضاً بالقُولَنْج ، فبقي ثمانية عشر يوماً ومات ، فكانت وِزَارَتُه ثلاثةَ أشهر واثني عشر يوماً . واستوزر مكانه أبا العَبَّاس أحمد بن عبيد الله بن أحمد[2] الخَصِيبي ، ثم قبض على طريف السبكري [الذي تعاون على مؤنس وابن بليق][3] وسَجَنه ، [ولهذا قيل : من أعان ظالماً سلطه الله عليه][4] فلم يَزَلْ فيه حتى خُلِعَ القاهر .

وفيها جاء الخبر بموتِ تكين الخاصَّة[5] بديار مصر ، وأن ابنه محمداً قد قام بالأمر بعده ، وسارت الخِلَع إليه من القاهر بالله تنفيذاً لولايته واستقرارها .

ذِكْرُ ابتداءِ أمر بني بُوَيْه وظهور دَوْلتهم في هذه السنة

وهم ثلاثة إخوة : عمادُ الدَّوْلة أبو الحسن علي ، وركن الدَّوْلة أبو علي الحسن ، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أولاد أبي شجاع بُوَيْه بن فنَّاخُسْرُو بن تَمَام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر بن شيركنده[6] بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرفنَّه بن سَسْتان[7] شاه بن سَسَن[8] فَرُو بن شَرْوزيل بن سنساذَر[9] بن بَهْرَام جُور الملك بن يَزْدَ جِرْد الملك [بن هُرْمُز الملك][10] بن سابور

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في النسخ الخطية و(ط) : سليمان ، وهو تحريف . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٥ ـ ٩٦) .
(٦) في وفيات الأعيان (١/ ١٧٥) : شيركوه ، وفي الإكمال لابن ماكولا (١/ ٣٧٢) شيركذه .
(٧) في النسخ الخطية : سنان ، وهو تحريف . والمثبت من الإكمال ، وفي وفيات الأعيان : شستان .
(٨) في النسخ الخطية : سيس فيروز ، والمثبت من الإكمال ووفيات الأعيان .
(٩) في النسخ الخطية : سنسا ، والمثبت من الإكمال .
(١٠) ما بين حاصرتين من الإكمال .

الملك بن سابور ذي الأكتاف الفارسي . كذا نسبهم الأمير أبو نصر بن ماكُولا في كتابه(١) .

وإنما قيل لهم الديالمة ؛ لأنهم جاوروا الدَّيْلَم ، وكانوا بين أظهرهم مُدَّة ، وقد كان أبوهم أبو شجاع بُوَيْه فقيراً مُدْقَعاً ، يصطاد السَّمَك ، ويحتطب بنوه الحطب على رؤوسهم ، فماتت امرأته ، وخلَّفت له هؤلاء الأولاد الثلاثة ، فَحَزِنَ عليها ، فبينما هو ذات يوم عند بعض أصحابه وهو شهريار بن رستم الدَّيْلمي ، إذ مَرَّ منجم فاستدعاه فقال له : إني رأيتُ مناماً غريباً [أحب أن تفسره لي](٢) رأيت كأني أبول ، فخرج من ذَكَري نارٌ عظيمة حتى كادت تبلغ عَنَان السماء ، ثم انفرقت ثلاث شُعَب ، ثم انتشرت كلُّ شعبة إلى شُعَبٍ كثيرة ، فأضاءت الدنيا بتلك النَّار ، ورأيت البلاد والعِبَاد قد خضعت لهذه النار . فقال له المنجِّم : هذا منامٌ عظيم لا أفسِّره لك إلا بمالٍ جزيل . فقال : والله لا شيء عندي أعطيك ، ولا أملك غير فرسي هذه . فقال : هذا يدُلُّ على أنه يملك من صلبك ثلاثة ملوك ، ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عِدَّة . فقال له : ويحك ، أتسخر بي ؟ وأمر بنيه فصفعوه ، وأعطاه عشرة دراهم . فقال لهم المنجم : اذكروا هذا إذا قَدِمْتُ عليكم وأنتم ملوك . وخرج وتركهم .

وهذا من أعجب الأشياء ، وذلك أن هؤلاء الإخوة الثلاثة كانوا عند ملك يقال له ما كان بن كالي في بلاد طَبَرْستان ، فتسلَّط عليه مَرْدَاويج ، فَضَعُفَ ما كان ، فشاوروه في مفارقته حتى يكون من أمره خير ، فخرجوا عنه ومعهم جماعةٌ من الأمراء ، فصاروا إلى مَرْدَاويج ، فأكرمهم واستعملهم على الأعمال في البلدان ، فأعطى عماد الدولة علي بن بُوَيه نيابة الكَرَج(٣) ، فأحسن فيها السِّيرة ، والتفَّ عليه الناس وأحبوه ، فحسده مرداويج ، وبعث إليه يعزله عنها ، ويستدعيه إليه ، فامتنع من القدوم عليه ، وصار إلى أصبهان ، فحاربه نائبها فقهره عماد الدولة واستولى عليها . وإنما كان معه سبعمئة فارس ، فَرَدَّ بها عشرة آلاف ، وعَظُمَ في أعين الناس ، فلما بلغ ذلك مرداويج قَلِق منه ، وأرسل إليه جيشاً ، فأخرجوه من أصبهان ، وقَصَدَ أرَّجان(٤) ، فأخذها من نائبها ، وحصل له من الأموال شيءٌ كثير جداً ، ثم أخذ بلداناً كثيرة ، واشتهرَ أمره وبَعُدَ صيته ، وحَسُنَتْ سيرته ، [فقصده الناس محبة وتعظيماً](٥) واجتمع إليه من الجند خَلْقٌ كثير وجمٌّ غفير ، وقد آل بهم الحال إلى أن ملكوا بغداد من أيدي الخلفاء العباسيين ، وصار لهم [فيها] القَطْع والوصل ، والولاية والعَزْل ، وإليهم تجبى الأموال ، ويرجع إليهم في سائر الأمور والأحوال ، على ما سنذكر ذلك مبسوطاً ، والله المستعان المحمود على كل حال .

---

(١) انظر الإكمال (١/ ٣٧٢) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ط) : الكرخ ؛ وهو تصحيف .
(٤) في (ط) : أذربيجان ؛ وهو تحريف .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أحمد بن محمد بن سَلامة[١] بن سَلمة بنِ عبد الملك : أبو جعفر ، الطَّحَاوي ، نسبةً إلى طَحَا ، وهي قرية بصعيد مصر[٢] .

الفقيه الحَنَفي ، صاحب المصنفات المفيدة والفوائد [الغزيرة][٣] ، وهو أحد الثقات الأثبات ، والحُفَّاظ الجهابذة ، وطَحَا : بَلْدةٌ بديار مِصْر . وهو ابن أخت المُزَني[٤] رحمهما الله . وكانت وفاته في مستهل ذي القَعْدة من هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة ، وذكر أبو سَعْدٍ السَّمْعاني أنه ولد سنة تسع وعشرين ومئتين[٥] ، فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين ، والله أعلم .

وذكر ابن خَلِّكان في « الوَفَيات » أن سبب انتقاله إلى مَذْهب أبي حنيفة ، ورجوعه عن مذهب خاله المُزَني ، أنَّ خاله قال له يوماً : والله لا يجيء منك شيءٌ . فغَضِبَ ، واشتغل على أبي جعفر بن أبي عِمْران الحنفي ، حتى برع وفاق أهل زمانه ، وصنَّف كتباً كثيرة . منها « أحكام القرآن » . و « اختلاف العلماء » . و « معاني الآثار » ، و « التاريخ الكبير » ، وله في الشُّروط كتاب ، وكان بارعاً فيها[٦] .

وقد كتب للقاضي أبي عبيد الله محمد بن عَبْدَة[٧] ، وعدَّله القاضي أبو عُبيد بن حَرْبَويه[٨] ، وكان يقول : رحم الله المُزَني ، لو كان حياً لكفَّر عن يمينه .

وكانت وفاته في مستهل ذي القَعْدَة ، ودفن بالقَرَافة ، وقبره هنالك مشهور بها ، رحمه الله تعالى .

وترجمه ابنُ عساكر ، وذكر أنه قَدِمَ دمشق سنة ثمانٍ وستين ومئتين ، وأخذ الفِقْه عن قاضيها أبي خازم .

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٤٢) الأنساب (٨/ ٢١٨) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٨٩أ ـ ٩٠أ) المنتظم (٦/ ٢٥٠) وفيات الأعيان (١/ ٧١ ـ ٧٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧ ـ ٣٢) الوافي بالوفيات (٨/ ٩ ـ ١٠) .

(٢) في معجم البلدان (٤/ ٢٢) : وليس [أي الطحاوي] من نفس طحا ، وإنما هو من قرية قريبة منها يقال لها طحطوط .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٦٤هـ) .

(٥) في أصول الأنساب (٨/ ٢١٨) ولد سنة (٢٣٩هـ) ، ولعله في غير النسخ التي اعتمد عليها المحقق يوافق ما نقله ابن كثير وغيره عن السمعاني ، أو ربما الذي ذكره السمعاني هنا كتبه في غير كتابه الأنساب .

(٦) انظر وفيات الأعيان (١/ ٧١) وانظر مظان بعض نسخ كتبه المذكورة في تاريخ التراث العربي لسزكين (مج١/ ح٣/ ص٩٤) وما بعدها .

(٧) في (ط) : أبي عبيد الله محمد بن عبد الله ، وهو تصحيف وتحريف .

(٨) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣١٩هـ) .

أحمد بن محمد بن موسى بن النَّضْر[١] : بن حكيم بن علي بن زربى ، أبو بكر بن أبي حامد ، صاحب بيت المال .

سمع عَبَّاساً الدُّوري وخلقاً ، وعنه : الدَّارَقُطْني وغيره . وكان ثِقَةً صدوقاً ، جَواداً ممدَّحاً ، اتفق في أيامه أن رجلاً من أهل العلم كانت له جارية يحبها حُبّاً شديداً ، فَرَكِبَتْهُ ديونٌ كثيرة اقتضى الحال أن باع تلك الجارية في الدَّيْن ، فلما قَبَضَ ثمنها نَدِمَ ندامةً عظيمةً جداً [على فراقها][٢] ، وبقي متحيراً في أمْرِه ، وأباعها الذي كانت عنده ، فبلغ سيِّدَها أن الجارية قد اشتراها ابن أبي حامد صاحب بيت المال ، فتشفَّع إليه ببعض أصحابه في أنْ يردَّها إليه بثمنها . [وذكر له أنه يحبها ، وأنه من أهل العلم ، وإنما باعها في دين ركبه لم يجد له وفاء][٣] فلما قال له ذلك لم يكن عند [ابن أبي حامد][٤] شعور بها ، وذلك أن امرأته اشترتها له ولم تعلمه بَعْدُ بأمرها حتى تحل من استبرائها ، وكان ذلك اليوم آخره فألبسوها الحُليَّ والمَصَاغ ، وصنعوها له ، وحين شفع عنده في أمرها بُهِتَ لعدم علمه بها . ثم دخل يستكشف خبرها من منزله ، فإذا بها قد هُيِّئَتْ له وزخرفت ، ففرح فرحاً شديداً إذ وجدها [كذلك][٥] من أجل ذلك الرجل . فأخرجها معه وهو يُظْهر السرور ، [وامرأته تظن أنه إنما أخذها ليطأها ، فأتى بها إلى ذلك الرجل بحليها وزينتها][٦] فقال لسيدها : هذه جاريتك ؟ فلما رآها [على تلك الصفة في ذلك الحلي والزينة مع الحسن الباهر][٧] اضطرب كلامه ، واختلط في عقله مما رأى من حُسْن منظرها وهيئتها . قال: نعم . قال : خذها بارك الله لكَ فيها . فَفَرِحَ الفتى [بها][٨] فرحاً شديداً . وقال : يا سيدي ، تأمر منْ يحمل معي المال ؟ فقال : ولا حاجة لي به ، وأنت في حِلٍّ منه ، فإني أخشى - إن لم يبق معك شيء - أن تبيعها ثانية ممن لا يردُّها عليك. فقال : يا سيدي ، فهذا الحُليُّ والمَصَاغ الذي عليهـا ؟ قال : هذا شيء وهبناه لها لا نعود فيه أبداً . فاشتدَّ فرح الفتى ، وأخذها معه . فلما وَدَّعَ ابنُ أبي حامد قال للجارية : أيما كان أحبُّ إليك نحن أو سيِّدُك هذا ؟ فقالت : أما أَنْتم فأغنيتموني ، فجزاكم الله خيراً ، وأما سيدي هذا فلو أني مَلَكْتُ منه ما ملك مني لم أبِعْهُ بالأموال الجزيلة . فاسْتَحْسَنَ الحاضرون ذلك منْ قولها ، مع صغر سنِّها[٩] .

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٩١ - ٩٣) المنتظم (٦/ ٢٥٠ - ٢٥٢) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) انظر الخبر في تاريخ بغداد والمنتظم بغير هذا السياق . وكذلك في مطبوع البداية والنهاية .

شَغَبَ أُمّ أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقَّبة بالسَّيِّدة[١] : كان دخل أملاكها في كلِّ سنة ألف ألف دينار ، وكانت تتصدَّق بأكثر من ذلك على الحجيج في أشْرِبَةٍ وأزواد وأطباء يكونون معهم ، و[في][٢] تسهيل الطُّرقات والموارد . وكانت في غاية الحِشْمَةِ والرِّياسة ونفوذ الكلمة أيام خلافة ولدها ، فلما قُتلَ كانت مريضةً فزادها [قتله][٣] مرضاً إلى مرضها ، ولما استقر أمْرُ القاهر في الخِلافة وهو ابنُ زَوْجها المُعْتضِد ، أخو ابنها [المقتدر][٤] ـ وقد كانت حضنته حين توفيت أُمُّه ، وخلَّصَتْهُ من ابنها لما كان مؤنس قد بايعه ، ولم يتمَّ ذلك ـ فعاقبها[٥] القاهر عقوبة عظيمة جداً ، حتى كان يعلِّقها برِجْلها وَرأسُها منكوس ، فربما بالت ، فينحدر على وجهها ، ليقررها على الأموال التي في يدها ، فلم يجد لها شيئاً سوى ثيابها ومَصَاغها وحُلِيِّها في صناديق لها ، قيمتها مئة ألف وثلاثون ألف دينار ، وجميع ما كان يدخلها تتصدَّق به ، ووقفت شيئاً كثيراً ، ولكن كان لها أملاك أمر ببيعها وأتى بالشهود ليشهدوا عليها بالتوكيل في بيعها ، فامتنع الشُّهود من أداء الشهادة حتى يجلوها ، فَرُفِعَ السِّتْر بإذن الخليفة . فقالوا لها : أنت شَغَبَ جارية المعتضد أم جعفر المقتدر ؟ فبكت بكاءً طويلاً ثم قالت : نعم . وكتبوا حِلْيَتَها ؛ عجوز ، سمراء اللون ، دقيقة الجبين . وبكى الشهود وتفكروا في تقلُّبِ الزمان وتنقل الحَدَثان ، [وأن الدنيا دار بلاء لا يفي مرجوها بمخوفها ، ولا يسلم طلوعها من كسوفها ، من ركن إليها أحرقته بنارها][٦] .

وكانت وفاتها في جُمَادىٰ الأولى من هذه السنة ، ودُفِنتْ بالرُّصَافة .

عبد السَّلام بن محمد[٧] **بن عبد الوهَّاب بن سَلام بن خالد بن حُمران بن أبَان** : مولى عثمان بن عَفَّان ، وهو أبو هاشم بن أبي علي الجُبَّائي المتكلِّم ابن المتكلِّم ، المعتزلي ابن المعتزلي ، وإليه تنسب البَهْشَمِيَّة[٨] من المعتزلة ، وله مصنفات في الاعتزال كما لأبيه منْ قَبْلِهِ .

مولده سنة سبع وأربعين ومئتين ، وتوفي في شعبان من هذه السنة .

قال القاضي ابن خَلِّكان : وكان له ابن يقال له أبو علي ، فدخل يوماً على الصَّاحب بن

(١) المنتظم (٦/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) في (ط) : ثم رجع ابنها إلى الخلافة ، فشفعت في القاهر ، وأخذته إلى عندها ، فكانت تكرمه وتشتري له الجواري ، فلما قتل ابنها ، وتولى مكانه ، طلبها وهي مريضة فعاقبها . .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) تاريخ بغداد (١١/ ٥٥ ـ ٥٦) الملل والنحل (١/ ٧٨ ـ ٨٤) الأنساب (٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧) المنتظم (٦/ ٢٦١) وفيات الأعيان (٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٣ ـ ٦٤) طبقات المعتزلة لابن المرتضى (٩٤ ـ ٩٦) .
(٨) في (ط) الهاشمية ، وهو تحريف .

عَبَّاد[١] ، فأكرمه واحترمه وسأله عن شيءٍ [من المسائل][٢] فقال : لا أعرف نصفُ العلم . فقال : صدقتَ ، وسبقك أبوك إلى النصف الآخر[٣] .

محمد بن الحسن بن دريد بن عَتَاهية[٤] : أبو بكر بن دُرَيد ، الأزْدِي ، اللُّغوي النَّحْوي ، الشَّاعر ، صاحب « المقصورة »[٥] .

ولد بالبَصْرة في سنة ثلاثٍ وعشرين ومئتين ، وتنقَّلَ في البلاد لطلب العِلْم والأدب ، وكان أبوه من ذوي اليَسَار ، وقَدِمَ بغداد وقد أسَنَّ ، فأقام بها إلى أن توفي .

روى عن عبد الرحمن ابن أخي الأصْمَعي ، وأبي حاتم ، والرِّياشي . وعنه أبو سعيد السِّيْرافي ، وأبو بكر بن شَاذَان ، وأبو عبيد الله المَرْزُباني ، وغيرهم .

ويقال : كان أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء . وقد كان متهتِّكاً[٦] في الشراب .

قال أبو منصور الأزْهري : دَخَلْتُ عليه فوجدْتُه سكران ، فلم أعد إليه[٧] .

وسُئِلَ عنه الدَّارَقُطْني فقال : تكلَّموا فيه .

وقال ابنُ شاهين : كنا ندخل عليه فنستحيي مما نرىٰ من العِيْدان المعلَّقة [وآلات اللهو][٨] والشَّراب المصفَّى ، وقد جاوز التسعين وقارب المئة[٩] .

وكانت وفاته في يوم الأربعاء لثنتي عشرة بقيت من شعبان . وفي هذا اليوم كانت وفاة أبي هاشم بن أبي علي [الجبائي المعتزلي][١٠] فصُلِّيَ عليهما معاً ، ودُفِنا في مقبرة الخيزرانية وقال النَّاس : مات اليوم علم اللغة ، وعلم الكلام . وكان ذلك يوماً مطيراً .

---

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨٥هـ) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ط) : وسبقك أبوك إلى الجهل بالنصف الآخر . وهي زيادة مقحمة على النص لا تتفق واحترام ابن عباد لأبي هاشم . والخبر في وفيات الأعيان (٣/ ١٨٣) وفيه : إلا أن أباك تقدَّم بالنصف الآخر .

(٤) في (ح) ابن عبد الله ، وهو تحريف . وترجمته في مروج الذهب (٢/ ٥١٨) طبقات الزبيدي (٢٠١) معجم الشعراء (٤٢٥) الفهرست (٩١ ـ ٩٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٧) الأنساب (٥/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) نزهة الألباء (١٧٥ ـ ١٧٨) معجم الأدباء (١٨/ ١٢٧ ـ ١٤٣) إنباه الرواة (٣/ ٩٢ ـ ١٠٠) المنتظم (٦/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) وفيات الأعيان (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٦ ـ ٩٨) .

(٥) طبعت غير مرة .

(٦) في (ظا) و(ب) منهمكاً .

(٧) مقدمة التهذيب (١/ ٣١) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٩) نزهة الألباء (١٧٦) .

(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .

ومن مصنَّفات ابن دريد « الجمهرة في اللغة »[١] نحو عشر مجلدات . وكتاب « المطر » و« المقصورة » ، والقصيدة الأخرى في « المقصور والممدود » ، وغير ذلك ، سامحه الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلاثمئة

فيها قصد[٢] ملك الرُّوم مَلَطْية في خمسين ألفاً ، فحاصرهم ، ثم أعطاهم الأمان حتى يتمكَّنَ منهم ، فقتل خلقاً كثيراً ، وأسر ما لا يحصون كثرةً ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها وردت الأخبار بأن مَرْدَاويج قد تسلَّم أَصْبَهَان وانتزعها من عليِّ بن بُوَيْه ، وأنَّ عليَّ بنَ بُوَيْه توجه إلى أرَّجان فأخذها ، وقد أرسل ابن بويه إلى الحضرة الخليفية بالطَّاعة والمعونة ، وإن أمكن أن يقبِّل العَتَبَة الشريفة ، ويحضُر بين يدي الخليفة إن رسم ، أو يذهب إلى شِيْراز ، فيكون مع ابنِ ياقوت . ثم اتفق الحال بعد ذلك أن صار إلى شيراز ، وأخذها من نائبها ابن ياقوت بعد قتالٍ عظيم ، ظفر فيه ابنُ بويه بابن ياقوت وأصحابه ، فقتل منهم خلقاً وأسر جماعة ، فلما تمكن أطلقهم وأحسنَ إليهم وخَلَعَ عليهم ، وعَدَلَ في النَّاس ، وكانت معه أموالٌ كثيرة قد استفادها من أصبهان ، وقبلها[٣] من الكَرَج ومن هَمَذان وغيرها ، إلا أنه كان كريماً جواداً مِعْطاءً للجيوش الذين قد التفوا عليه ، ثم إنه أملق في بعض الأحيان وهو بشيراز ، وطالبه الجُنْدُ بأرزاقهم ، وخاف أن ينحلَّ نظامُ أمره ، فاستلقى يوماً على قفاه مفكراً في أمره ، وإذا حَيَّةٌ قد خرجت من شِقٍّ في سقف المكان الذي هو فيه ، ودخلت في آخر ، فأمر بنَزْعِ تلك السُّقوف ، فوجد هنالك مكاناً فيه من الذهب شيءٌ كثير جداً ؛ نحو من خمسمئة ألف دينار ، فأنفق في جيشه ما أراد ، وبقي عنده شيء كثير .

وركب ذات يوم يتفرَّج في جوانب البلد ، وينظر إلى أبنية الأوائل ، ويتعظ بمن كان قبله ، فانخسفت الأرض من تحت قائمة جواده ، فأمر بحفر ما هنالك ، فوجد من الأموال شيئاً كثيراً أيضاً .

واستعمل عند رجلٍ خياط قماشاً ليلبسه ، فاستبطأه في صنعتها ، فأمر بإحضاره ، فلما أُوقف بين يديه تهدَّده ـ وكان الرجل أصمَّ لا يسمع جيداً فقال : والله أيها الملك ما لابن ياقوت عندي سوى اثني عشر صندوقاً لا أدري ما فيها . فأمر بإحضارها ، فإذا فيها أموال عظيمة تقارب ثلاثمئة ألف دينار ، واطلع على

---

(١) الكتاب مشهور متداول مطبوع في حيدر آباد (١٣٤٤ ـ ١٣٥٢) في ثلاثة مجلدات مع مجلد خاص بالفهارس ، بتحقيق وعناية الشيخ محمد السورتي ، والمستشرق الألماني سالم كرنكو .

(٢) في النسخ الخطية : (حضر) ، والمثبت من (ط) .

(٣) في (ظا) و(ب) : نقلها ، والمثبت من (ح) .

ودائع كانت ليعقوب وعمرو ابني اللَّيْث ، فيها من الأموال ما لا يُحَدُّ ولا يوصف كثرةً ، فقوي أمره ، وعَظُمَ سلطانه جداً . وهذا كلُّه من الأمور المُقَدَّرة لما يريده الله بهم من السَّعادة الدنيوية [بعد الجوع والقلة][1] ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

وكتب إلى الرَّاضي[2] ووزيره أبي علي بن مُقْلة يطلب أن يُقاطعَ على ما قبَله من البلاد على ألف ألفٍ في كلِّ سنة ، فأجاب الرَّاضي إلى ذلك ، وبعث إليه بالخِلع واللِّواء وأبهة الملْك .

وفيها قتل القاهر بالله أميرين كبيرين ، وهما إسحاق بن إسماعيل النُّوبَخْتي ، وهو الذي كان قد أشار على الدولة[3] بخلافة القاهر . وأبو السَّرايا بن حَمْدان أصغرُ ولد أبيه ، وكان في نفس القاهر منهما بسبب أنهما زايداه من قبل أن يلي الخلافة في جاريتين مغنِّيتين ، فاستدعاهما إلى المسامرة ، فتطيَّبا وحضرا ، فأمر بإلقائهما في جُبٍّ هنالك ، فتضرَّعا إليه ، فلم يرحمهما ، فألقيا فيها وطينها عليهما .

ذِكْرُ خَلْع القاهر وسَمْلِ عينيه

وكان سبب ذلك أن الوزير أبا علي بن مُقْلة كان قد هرب من القاهر حين قَبَضَ على مؤنس الخادم ، واختفى في داره ، وكان يراسل الجند ويغريهم بالقاهر ، ويخوِّفهم سطوته وإقدامه وسُرْعةَ بطشه ، وأخبرهم أن القاهر قد أعدَّ لأكابر الأمراء أماكن يسجنهم فيها ، ومهالك يلقيهم فيها ، كما فعل بفلان وفلان . فَهَيَّجَهُمْ ذلك وأسهم في القبض على القاهر ، فاجتمعوا وأجمعوا رأيهم على مناجزته في هذه السَّاعة ، وركبوا مع الأمير المعروف بسيما ، وقصدوا دارَ الخِلافة ، فأحاطوا بها ، ثم هَجَمُوا على القاهر من سائر أبوابها ، فخرج الوزير الخصيبي مستتراً في زي امرأة ، وانهزم القاهر وهو مخمور ، فاختفى في سَطْحِ حمام ، فظهروا عليه ، فقبضوا عليه ، وحبسوه في مكان طريف السبكري ، وأخرجوا طريفاً من السجن ، واضطربت بغداد ونُهِبَتْ ، وذلك يوم السبت لثلاثٍ خَلَوْن من جُمَادى الأولى من هذه السنة [في الشهر الذي ماتت فيه شغب ، فلم يكن بين موتها والقبض عليه وسمل عينيه وعذابه بأنواع العقوبات إلا مقدار سنة واحدة ، وانتقم الله منه][4] ، ثم أحضروه ، فسملوا عينيه على خديه ، وارتكب منه أمر عظيم لم يسمع بمثله في الإسلام ، ثم أرسلوه ، فكان تارةً يحبس ، وتارة يخلى سبيله . وقد تأخر موته إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة[5] ، وافتقر حتى قام يوماً بجامع المنصور فسأل ، فأعطاه رجل خمسمئة درهم ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) وكانت الخلافة قد أفضت إليه كما سيأتي .
(٣) في (ط) : الأمراء .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) في (ط) والنسخ الخطية : ثلاث وثلاثين وثلاثمئة ، وهو وهم ، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٣٣٩هـ) .

ويقال : إنه إنما أراد بهذا الصنيع التشنيع على المستكفي بالله ، فالله أعلم . وستأتي ترجمته إذا ذكرنا وفاته .

خلافة الرَّاضي بالله أبي العَبَّاس محمد[١] بن المقتدر بالله

لما خلعتِ الجندُ القاهر ، وسملوه ، أحضروا أبا العبَّاس محمد بن المقتدر بالله ، فبايعوه على الخلافة ولقبوه الرَّاضي بالله . وكان أبو بكر الصُّولي قد أشار بأن يلقب بالمرتضي بالله[٢] فلم يقبل ، وعدل إلى هذا اللقب ، وذلك يوم الأربعاء لستٍّ خلون من جمادى الأولى من هذه السنة ـ أعني سنة ثنتين وعشرين وثلاثمئة ـ وجاؤوا بالقاهر وهو أعمى قد سُمِلَتْ عيناه ، فأوقف بين يديه ، فَسَلَّم عليه بالخلافة وسلَّمها إليه ، فقام الراضي بأعبائها ، وكان من خيار الخلفاء على ما سنذكره . وأمر بإحضار أبي علي بن مُقْلة فولَّاه الوزارة ، وجعل عليَّ بن عيسى ناظراً عليه ، وأطلق كلَّ منْ كان في حبس القاهر ، واستدعى عيسى طبيب القاهر فصادره بمئتي ألف دينار ، وتسلَّم منه الوديعة التي كان القاهر أودعها عنده ، وكانت جملة مستكثرة من الذهب والفِضَّة والنفائس .

وفي هذه السنة عَظُمَ أمر مَرْدَاويج بأصبهان ، وتحدث الناس أنه يريد قَصْدَ بغداد ، وأنه ممالىء لصَاحب البحرين[٣] [أمير القرامطة][٤] وقد اتفقا على رَدّ الدَّوْلة من العرب إلى العَجَم ، وأساء السيرة في رعيته ، لاسيما في خواصه من الأتراك ؛ فتمالؤوا على قتله فقتلوه ، وكان القائم بأعباء ذلك أخص مماليكه وأحظاهم عنده ، وهو بُجْكُمْ بيَّض الله وجهه ، وهذا الأمير هو الذي استنقذ الحجر الأسود من أيدي القرامطة ، وافتداه منهم بخمسين ألف دينار ، بذلها لهم حتى ردُّوه إلى مكة ، كما سيأتي[٥] .

ولما قُتِلَ مَرْدَاويج بن زيَّار الدَّيْلَمي عَظُمَ أمر علي بن بُوَيْه ، وارتفع قدرُه بين النَّاس ، وعلا شأنه في الملوك ، وسيأتي ما آل إليه حاله .

ولما خُلِعَ القاهر وولي الراضي طَمِعَ هارون بن غريب في الخلافة[٦] ، لكونه ابن خال المقتدر ،

---

(١) في بعض المصادر : أحمد .
(٢) في (ط) والنسخ الخطية : المرضي بالله ، والمثبت من أخبار الراضي والمتقي للصولي (ص٢ ـ ٤) .
(٣) يعني أبا طاهر القرمطي .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) من المعروف أن القرامطة أبوا أن يردوا الحجر الأسود لقاء ما دفعه لهم بجكم ، وقالوا : أخذناه بأمر وما نرده إلا بأمر ، ويعنون بذلك أنهم أخذوه بأمر صاحب مصر العبيدي ، وقد ردوه سنة (٣٣٩هـ) كما سيأتي في أحداث ذلك العام .
(٦) لا يمكن أن يطمع بالخلافة لأنه ليس من نسل العباسيين ، والأصح أنه طمع بإمرة الأمراء ، وهي ما عبر عنه ابن الأثير بالدولة ، الكامل (٨/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) .

وكان نائباً على ماه والكوفة والدِّينور وماسَبَذَان فدعا إلى ذلك ، واتبعه خَلْقٌ منَ الجُند والأُمراء ، وجبى الأموال ، واستفحل أمره ، وقويت شوكته ، وقصد بغداد ، فخرج إليه محمد بن ياقوت رأس الحجبة في جميع جيش بغداد ، فاقتتلوا هنالك ، فخرج في بعض الأيام هارون بن غريب يتقصد لعله يعمل حيلة في أسر محمد بن ياقوت ، فتقنطر به فرسه ، فسقط في نهرٍ ، فضربه غلامٌ له حتى قتله ، وأخذ رأسه وجاء به إلى محمد بن ياقوت ، فانهزم أصحاب هارون ، ورجع محمد بن ياقوت فدخل بغداد ورأس هارون بن غريب يحمل بين يديه على رمح ، ففرح الناس بذلك ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها ظَهَرَ رجل ببغداد يعرف بأبي جعفر محمد بن علي الشَّلْمغاني ، ويقال له ابن أبي العَزَاقر(١) ، فذُكر عنه أنه كان يدَّعي ما كان يدَّعيه الحلاج من الإلهية ، وكان قد مسك في دولة المقتدر عند حامد بن العَبَّاس ، واتهم بأنه يقول بالتَّناسخ ، فأنكر ذلك ، ولما كانت هذه المرة أحضره الرَّاضي ، وادعى عليه بما ذُكرَ عنه ، فأنكر ثم أقر بأشياء ، فأفتى قوم أن دَمَه حلال إلا أن يتوب من هذه المقالة ، [فأبى أن يتوب](٢) فضرب ثمانين سوطاً ، ثم ضربت عنقه ، وصلب وألحق بالحلاج ، قبحهما الله .

وقتل معه صاحبه ابن أبي عَوْن(٣) لعنه الله . وكان هذا اللعين من جملة طائفة ممن اتبعوه وصدَّقوه فيما يزعمه من الكفر .

وقد بسط ابن الأثير في « كامله »(٤) مذهب هؤلاء الكفرة بسطاً جيداً .

وادعى رجل آخر ببلاد الشَّاش النبوة ، وأظهر مخاريق وأشياء كثيرة من الحيل ، فجاءته الجيوش فقاتلوه فقتلوه ، وانطفأ خبره ، واضمحل أمره .

وفاة المَهْدي صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين فيما زعموا

وفيها مات أبو محمد بن عبيد الله ـ المدَّعي أنه علوي ، الملقب بالمهدي ، باني المهدية ـ بمدينته المهدية عن ثلاثٍ وستين سنة ، وكانت ولايته ـ منذ دخل رَقَّادة(٥) وادَّعى الإمامة ـ أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً وهو أول الخلفاء الفاطميين . وقد كان شهماً شجاعاً ، ظَفِرَ بجماعةٍ ممن خالفه وناوأه وقاتله وعاداه ، وقد قام بأمر الخلافة من بعده ولدُه أبو القاسم الملقب بالخليفة القائم بأمر الله .

---

(١) في (ط) : ابن العرافة ، وهو تحريف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) انظر ترجمته في معجم الأدباء (١/ ٢٣٤ ـ ٢٥٣) .
(٤) انظر الكامل (٨/ ٢٩٠ ـ ٢٩٤) .
(٥) بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام . معجم البلدان (٣/ ٥٥) .

وحين توفي أبوه كَتَمَ موته سنةً حتى دبَّر ما أراده من الأمور ، ثم أظهر ذلك ، وعزَّاه الناس فيه . وقد كان شهماً شجاعاً كأبيه : فَتَحَ البلاد ، وأرسل السرايا إلى بلاد الرُّوم ، ورام أخذ الديار المِصرية فلم يتفق له ذلك ، وإنما جرى ذلك على يدي ابن ابنه المُعِزّ الفاطمي الذي بنى القاهرة المعزية كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

قال القاضي ابن خَلِّكان في « الوفيات » : وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافاً كثيراً جداً ، فقال صاحب « تاريخ القيروان » : هو عبيد الله بن الحسن بن علي[١] [بن محمد بن علي][٢] بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وقال غيره : هو عبيد الله بن التقي وهو الحسين بن الوفي أحمد بن الرضي عبد الله ، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون ، لخوفهم من خلفاء بني العباس . والرضي عبد الله هذا هو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق . وقيل غير ذلك في نسبه . قال القاضي ابن خَلِّكان : والمحققون ينكرون دعواه في النسب[٣] .

قلت : قد كتب غيرُ واحدٍ من الأئمة ، منهم الشيخ أبو حامد الإسفراييني ، والقاضي الباقلاني ، والقُدُوري ، أن هؤلاء أدعياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمونه ، وأن والد عبيد الله هذا كان يهودياً صباغاً بَسَلِميَّة ، وقيل كان اسمه سعد[٤] ، وإنما لقب بعبيد الله . وكان زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القَدَّاح ، وسمِّي القَدَّاح لأنه كان كحَّالاً يقدح العيون[٥] .

وكان الذي وطأ له الأمر بتلك البلاد أبو عبد الله الشِّيعي ـ كما قدمنا ـ ثم استدعاه ، فلما قَدِمَ [عليه][٦] من بلاد المشرق وقع في يد صاحب سِجِلْماسة فسجنه ، فلم يزل الشيعي [يحتال به][٧] حتى استنقذه [من يده][٨] وسلَّم إليه الأمر ، ثم ندم الشيعي [على تسليمه الأمر][٩] وهمَّ بقتله ، ففطن عبيد الله له ، فقتله وقتل معه أخاه .

---

(١) في (ط) و(ح) : ابن محمد بن علي .

(٢) ما بين حاصرتين من وفيات الأعيان (٣/ ١١٧) .

(٣) انظر وفيات الأعيان (٣/ ١١٧ ـ ١١٨) .

(٤) في أغلب المصادر سعيد .

(٥) انظر الدراسة حول نسبهم كتاب « أصول الإسماعيلية » لبرنارد لويس . وممن ثبت نسبهم ابن خلدون في تاريخه (٤/ ٣١) قال : « ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب » . وعلق السخاوي عليه في الإعلان بالتوبيخ (٩٤) : وابن خلدون كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسبة الفاطميين إليهم لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين . . . ، وانظر أيضاً الكامل (٨/ ٢٤ ـ ٣١) ومقدمة ابن خلدون (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٤) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .

ويقال : إن الشِّيعي لما دخل السجن [الذي قد حبس فيه عبيد الله هذا][(١)] وجد صاحب سِجِلْمَاسة قد قتله ، ووجد في السجن رجلاً مجهولاً فأخرجه للناس ، وقال : هذا هو المهدي . ورَوَّج به الأمر ، فهؤلاء من سلالته ، حكاه القاضي ابن خلكان[(٢)] .

وكان مولد المهدي هذا في سنة ستين ومئتين ، وقيل قبلها ، وقيل بعدها ، بَسَلَمِيَّة ، وقيل بالكوفة . وأول ما دُعي له على منابر رقَّادة والقيروان يوم الجُمُعة لتسع بقين من ربيع الآخر سنة سَبْعٍ وتسعين ومئتين ، بعد رجوعه من سِجِلْماسة ، وكان ظهوره بها في ذي الحِجَّة من السنة الماضية ـ سنة ست وتسعين ـ وزالت دولة بني العبَّاس عن تلك الناحية من هذا الحين إلى أن هلك[(٣)] العاضد في سنة سَبْعٍ وستين وخمسمئة .

وكانت وفاته بالمهدية ـ التي بناها في أيامه ـ ليلة الثلاثاء النصف من ربيع الأول من هذه السنة ، وقد جاوز الستين على المشهور ، وإلى الله عاقبة الأمور ، وسيفصل بين الآمر والمأمور يوم البعث والنشور .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عبد الله بن مُسْلم[(٤)] بن قتيبة : الدِّيْنَوَرِي ، قاضي مصر .

حدَّث عن أبيه[(٥)] بكتبه المشهورة ، وتوفي وهو على قضاء الديار المصرية[(٦)] في ربيع الأول من هذه السنة .

محمد بن أحمد بن القاسم أبو علي الرُّوْذْبَاري[(٧)] : وقيل : اسمه أحمد بن محمد ، ويقال :

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ١١٨) .
(٣) في (ط) : ملك ، وهو تحريف .
(٤) الولاة والقضاة (٤٨٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٨) تاريخ بغداد (٤/ ٢٢٩) المنتظم (٦/ ٢٧٢) معجم الأدباء (٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤) إنباه الرواة (١/ ٤٥ ـ ٤٦) وفيات الأعيان : (٣/ ٤٣) ، العبر للذهبي (٢/ ١٩٣) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٢٤٦) ، حسن المحاضرة (١/ ١٥٦) ، الديباج المذهب : (٣٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٠) .
(٥) انظر ترجمة أبيه في وفيات سنة (٢٧٠هـ) و(٢٧٦هـ) من هذا الكتاب .
(٦) في « الولاة والقضاة » : ثم صرف [عن القضاء] يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة . قلت : وهذا يعني أنه مات معزولاً من القضاء ، ويبدو أن ابن كثير تابع ابن يونس كما تابعه أكثر المؤرخين في ذكره أنه مات وهو قاضٍ . انظر « الولاة والقضاة » (٥٤٧ ـ ٥٤٨) .
(٧) طبقات الصوفية (٣٥٤ ـ ٣٦٠) حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) تاريخ بغداد (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٣) الرسالة القشيرية (٢٦) الأنساب : (٦/ ١٨٠ ـ ١٨١) المنتظم (٦/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) معجم البلدان (٣/ ٧٧) العبر للذهبي (٢/ ١٩٥) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٨ ـ ٥٤) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨) حسن المحاضرة (١/ ٢٢٥) طبقات الأولياء (٥٠ ـ ٥٨) شذرات الذهب (٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .

الحسن بن هَمَّام ، والصحيح الأول[١] .

أصله من بغداد ، وسكن مصر ، وكان من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة ، وصحب الجُنَيْد ، وسمع الحديث ، وحفظ منه كثيراً ، وتفقَّه بإبراهيم الحَرْبي[٢] ، وأخذ النَّحْوَ عن ثعلب ، وكان كثير الصَّدَقة والبر للفقراء ، وكان إذا أعطى الفقيرَ شيئاً جعله في كفِّه ، ثم يتناوله الفقير ؛ يريد ألا تكون يد الفقير تحت يده[٣] .

ومن شعره :

ولو مضَى الكلُّ منّي لم يكُنْ عَجَباً وإنما عَجَبي في البَعْضِ كيفَ بَقِي
أدرِكْ بقيَّـة روحٍ فيـكَ[٤] قـد تَلِفَـتْ قَبْـلَ الفِـراقِ فهـذا آخِـرُ الـرَّمَـقِ[٥]

محمد بن إسماعيل : المعروف بخير النَّسَّاج[٦] أبو الحسن الصُّوفي ، من كبار المشايخ ذوي الأحوال الصالحة ، والكرامات المشهورة . أدرك سَرياً السَّقَطي وغيره من مشايخ القَوْم ، وعاش مئة وعشرين سنة .

ولما حضرته الوفاة نظر إلى زاوية البيت فقال : قِفْ ، رحمك الله ، فإنك عَبْدٌ مأمور وأنا عبد مأمور ، وما أُمِرْتَ به لا يفوت ، وما أمرتُ به يفوت . ثم قام فتوضأ ، وصلَّى وتمدد ، فمات رحمه الله .

وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : استرحنا من دنياكم الوَضِرة[٧] .

---

(١) انظر الاختلاف حول اسمه في تاريخ بغداد (١/ ٣٣٠) وقد رجح السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٤٨) أنه أحمد بن محمد .

(٢) كذا في النسخ الخطية و(ط) ، والذي في مصادر ترجمته أنه تفقه بأبي العباس بن سريج ، وأخذ الحديث عن إبراهيم الحربي ، انظر طبقات الصوفية (٣٦٠) وفي تاريخ بغداد (١/ ٣٣١) ذكر أن أستاذه في الحديث والفقه إبراهيم الحربي .

(٣) في (ط) أقوال للروذباري منقولة عن أبي نعيم في « الحلية » ليست في النسخ الخطية . وليست هي أيضاً في النسخة المصرية ، وهي بلا ريب من إضافات النساخ ، لأنها لا تتفق ومنهج ابن كثير في اختصار أخبار الصوفية حين إيراد تراجمهم .

(٤) في النسخ الخطية و(ط) : منك ؛ والمثبت من تاريخ بغداد (١/ ٣٣٢) .

(٥) في تاريخ بغداد (١/ ٣٣٣) عن أبي زرعة الطبري أنه توفي سنة (٣٢٣هـ) ، وهذا ما اعتمده ابن الأثير في « اللباب » .

(٦) طبقات الصوفية (٣٢٢ ـ ٣٢٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) تاريخ بغداد (٢/ ٤٨ ـ ٥٠ ، ٨/ ٣٤٥ ـ ٣٤٧) الرسالة القشيرية (٢٥) المنتظم (٦/ ٢٧٤) وفيات الأعيان (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) العبر (٢/ ١٩٣) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٥) شذرات الذهب (٢/ ٢٩٤) .

(٧) أي الوسخة . وفي (ط) الوخيمة .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة

فيها أحضر ابنُ شَنَبُوذ المقرىء ، فأنكر جماعةٌ من الفقهاء والقُرَّاء عليه حروفاً انفرد بها ، فاعترف ببعضها وأنكر بعضها ، فاستتيب من ذلك ، واستكتب بخطِّه الرجوع عما نُقِمَ عليه ، وضُرِبَ سبع درر بإشارة الوزير أبي علي بن مُقْلة ، ونفي إلى البصرة أو غيرها ، فدعا على الوزير أن تُقْطع يده ويشتَّت شملُه ، فكان ذلك عما قريب .

وفيها في جمادى الآخرة منها نادى بدر الخَرْشَني[١] صاحبُ الشُّرْطة في الجانبين من بغداد أن لا يجتمع اثنان من أصحاب أبي محمد البَرْبَهاري الواعظ الحَنْبلي . وحبس منهم جماعة ، واستتر البَرْبَهاري فلم يظهر مدة .

قال ابن الجَوْزي في « المنتظم » : وفي شهر أيار تكاثفتِ الغيوم واشتد الحر جداً ، فلما كان آخر يوم منه ـ وهو الخامس والعشرين من جُمادى الآخرة من هذه السنة ـ هَبَّتْ ريح شديدة جداً ، وأظلمت ، واسودَّتْ إلى بعد العصر ، ثم خَفَّتْ[٢] ، ثم عادت إلى بعد عشاء الآخرة[٣] .

و[فيها][٤] استبطأ الأجناد أرزاقهم ، فقصدوا دار الوزير أبي علي بنِ مُقْلة ، فنقبوها وأخذوا ما فيها .

ووقع حريقٌ عظيم في طريق البزَّازين ، فاحترق بسببه للنَّاس شيء كثير ، فعوَّض عليهم الراضي بالله بعضَ ما كان ذهبَ لهم . وفي رمضان اجتمع جماعةٌ من الأمراء على بيعة جعفر بن المكتفي ، وظهر الوزير على أمرهم ، فحبس جعفراً ، ونهب داره ، وحبس جماعةً ممن كان بايعه ، وانطفأت ناره .

وخرج الحُجَّاج في خَفَارة الأمير لؤلؤ ، فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي لعنه الله ، فقتل أكثرهم ، ورجع من انهزم منهم إلى بغداد ، وبَطَلَ الحجُّ في هذه السنة من طريق العراق ، وكان قتله لهم في ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة .

---

(١) في (ط) الحرسي ، وهو تصحيف . وبدر هذا كان من أكابر القواد ، وكان صاحب الشرطة كما هو مذكور ، ثم صرف عنها ، ثم تولى الحجابة للخليفة المتقي لله سنة (٣٢٩هـ) ، ثم قلده طريق الفرات ، فهرب إلى الإخشيد مستأمناً ، فقلده إمرة دمشق ، فوليها شهرين ، ومات سنة (٣٣١هـ) . انظر أمراء دمشق للصفدي (١٧) والنجوم الزاهرة (٣/ ٢٧٩) وأخباره مبثوثة في « الكامل » لابن الأثير ، وانظر حوادث سنة (٣٣٠هـ) من هذا الكتاب .

(٢) في (ح) : صفت .

(٣) المنتظم (٦/ ٢٧٦) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

قال ابن الجَوْزي : وفي هذه الليلة بعينها تساقطت كواكب كثيرة ببغداد والكوفة على صفة لم يُر مثلها، ولا ما يقاربها ، قال : وغلا السعر في هذه السنة حتى أبيع الكُرّ من الحِنْطة بمئة وعشرين ديناراً(١) .

وفيها ـ على الصحيح ـ كان مقتل مَرْدَاويج بن زَيَّار الدَّيْلَمي ، وكان ـ قبحه الله ـ سيِّىء السيرة والسريرة ، يزعم أن روح سليمان بن داود حلّت فيه ـ وله سرير من ذهب يجلس عليه ـ وأنَّ الأتراك بين يديه هم الجن الذين سُخِّروا لسليمان بن داود ، فكان يسيء المعاملة لهم ، ويحتقرهم غاية الاحتقار ، فما زال ذلك دَأْبَه حتى أمكنهم الله منه ، فقتلوه شرقتلة في حَمَّام ، وكان الذي مالأ على قتله غلامه بُجْكُم التُّركي ـ جزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً ـ وكان رُكْنُ الدَّولة بن بُوَيْه رهينةً عنده ، فلما قتل أُطلق من القيد والسجن ، فذهب إلى أخيه عماد الدولة ، وذهبت طائفة من الأتراك معه إلى أخيه ، والتفت طائفة أخرى من الأتراك على بُجْكم ، فسار بهم إلى بغداد بإذن الخليفة ، ثم صُرفوا إلى البصرة فكانوا بها . وأما الدَّيْلم فإنهم بعثوا إلى أخي مَرْدَاويج وهو وشمكير ، فلما قدم عليهم تلقوه إلى أثناء الطريق حفاة مشاة ، فملكوه عليهم لئلا يذهب ملكهم ، فانْتُدبَ لمحاربته السَّعيد نصر بن أحمد السَّاماني ، صاحب خراسان وما والاها من تلك البلاد والأقاليم ، فانتزع منه بلداناً هائلة .

وفيها بعث القائم بأمر الله الفاطمي جيشاً من إفريقية في البحر إلى ناحية الفرنج ، فافتتحوا مدينة جَنوه ، وغنموا غنائم كثيرة وثروة ، ورجعوا سالمين غانمين .

وفيها بعث عماد الدولة بن بُوَيْه أخاه ركن الدولة إلى أصبهان ، فاستولى عليها وعلى بلاد الجبل ، واتسعت مملكة عماد الدولة ، وقويت شوكته ، وعظمت منزلته .

وفيها كان غلاءٌ شديد بخراسان وفناء كثير ، بحيث كان يهمهم أمر دفن الموتى .

وفيها قتلَ ناصرُ الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حَمْدان نائب المَوْصل عمَّه أبا العلاء سعيد بن حمدان ؛ لأنه أراد أن ينتزعها منه ، فبعث إليه الخليفة وزيره أبا علي بن مُقْلة في جيوشٍ ، فهرب منه ناصر الدولة ، فلما طال مقَام ابن مُقْلة بالمَوْصل [ولم يقدر على ناصر الدولة](٢) رجع إلى بغداد ، فاستقرت يد ناصر الدولة على المَوْصل ، وبعث إلى الخليفة يسأل أن يضمن تلك الناحية ، فأُجيب إلى ذلك ، واستمرَّ الحال على ما كان .

وخرج الحجيج فلقيهم القِرْمطي في القادسية ، فقاتلوه فظفر بهم ، فسألوه الأمان ، فأمّنهم على أن يرجعوا إلى بغداد ، فرجعوا ، وتعطل الحج عامهم ذاك(٣) .

---

(١) انظر المنتظم (٦/ ٢٧٧) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) سبق أن مر خبر خروج القرامطة على الحجيج في حوادث هذه السنة ، ويبدو أن إعادته هنا سهو من المصنف ، رحمه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

نِفْطَوَيْه النَّحْوي(١) **إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة** بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرة الأَزْدِي ، أبو عبد الله العَتَكِيّ ، المعروف بنِفْطويه النَّحْوي .

له مصنفات فيه ، وقد سمع الحديث ، وروى عن المشايخ ، وحدَّث عنه الثقات من الناس ، وكان صدوقاً ، وله أشعار حسنة .

وروى الخطيب عن نِفْطَوَيْه أنه مَرَّ يوماً على بقالٍ ، فقال له : أيها الشيخ ، كيف الطريق إلى درب الرأَّاسين ـ يعني درب الروَّاسين ـ فالتفت البقال إلى جاره فقال له : قبح الله غلامي ، أبطأ علي بالسِّلْق ، فلو كان عندي لصفعت هذا بِجُرْزةٍ منه . فانصرف عنه نفطويه ، ولم يردَّ عليه(٢) .

توفي نِفْطَوَيْه عن ثلاثٍ وثمانين سنة في صفر من هذه السنة ، وصلَّى عليه البَرْبَهَاري رئيس الحنابلة ، ودفن بمقابر باب الكوفة .

ومما أنشده له أبو علي القالي في « الأمالي » :

قلبي عليك أرَقُّ(٣) مِنْ خَدَّيْكا ... وقُوَاي(٤) أوْهَى مِن قُوَى جَفْنَيْكا
لِمَ لا تَرِقُّ لمنْ تُعَذِّب(٥) نفسَهُ ... ظُلْماً ويَعْطِفُهُ هواهُ عليكا(٦)

قال ابن خَلِّكان : وفي نِفْطَوَيْه يقول أبو عبد الله محمد(٧) بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي المتكلم المشهور صاحب « الإمامة » و« إعجاز القرآن » ، وغير ذلك :

مَنْ سَرَّه أن لا يرى فاسقاً ... فليجتهدْ أن لا يرى نفطويهْ
أحرقه الله بنصف اسمه ... وصيَّرَ الباقي صُراخاً عليهْ(٨)

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (١٧٢) تاريخ بغداد (٦/ ١٥٩ ـ ١٦٢) نزهة الألباء (١٧٨ ـ ١٨٠) المنتظم (٦/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) معجم الأدباء (١/ ٢٥٤ ـ ٢٧٢) إنباه الرواة (١/ ١٧٦ ـ ١٨٢) وفيات الأعيان (١/ ٤٧ ـ ٤٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٧٥ ـ ٧٧) .
(٢) انظر تاريخ بغداد (٦/ ١٦١) .
(٣) في النسخ الخطية : قلبي أرق عليك . . . والمثبت من « الأمالي » .
(٤) في (ط) : وفؤادي ، وهو تحريف .
(٥) في النسخ الخطية و(ط) : يعذب ، والمثبت من « الأمالي » .
(٦) انظر الأمالي (١/ ٢٠٩) .
(٧) في (ط) أبو محمد عبد الله بن زيد ، وهو خطأ ، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات (٣/ ٨٢) .
(٨) وفيات الأعيان (١/ ٤٨) .

قال الثعالبي : إنما سمي نِفْطَوَيْه لدمامته وأُدْمَتِهِ[١] .

وقال ابن خَالَوَيْه : لا نعرف مَن اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سواه .

عبيد الله[٢] بن عبد الصَّمَد بن المهتدي بالله[٣] أبو عبد الله الهاشمي العَبَّاسي : حدَّث عن سَيَّار بن نصر الحلبي وغيره . وعنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان ثِقَةً فاضلاً فقيهاً شافعياً .

عبد الملك بن محمد بن عدي[٤] ، أبو نُعَيْم الإسْتِراباذي .

المحدِّث الفقيه الشافعي أيضاً ، توفي عن ثلاثٍ وثمانين سنة .

علي بن الفَضْل بن طاهر[٥] بن نصر بن محمد : أبو الحسن البَلْخي ، كان من الجوَّالين في طلب الحديث ، وكان ثِقَةً حافظاً ، سمع أبا حاتم[٦] الرَّازي وغيره . وعنه الدَّارَقُطْني وغيره .

محمد بن أحمد بن أسد[٧] : أبو بكر الحافظ ، ويعرف بابن البُسْتَنبان ، سمع الزبير بن بكَّار وغيره ، وعنه الدَّارَقُطْني وغيره . جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمئة

فيها جاءت الجند ، فأحدقوا بدار الخلافة وقالوا : ليخرج إلينا الخليفة الراضي بنفسه فيصلّي بالناس . فخرج إليهم ، فصلَّى بهم وخطبهم .

وقبض الغِلْمان على الوزير أبي علي بن مقلة ، وسألوا من الخليفة أن يستوزر غيره ، فَرَدَّ الخِيَرَةَ إليهم ، فاختاروا عليَّ بن عيسى فلم يقبل ، وأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى فاستوزره . وأحرقت دار أبي علي بن مقلة ، وسُلِّم هو إلى عبد الرحمن بن عيسى ، فَضُربَ ضرباً عنيفاً ، وأُخذ خَطُّه بألف ألف دينار .

---

(١) لطائف المعارف (٤٨) .
(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٥١ ـ ٣٥٢) المنتظم (٦/ ٢٧٩) .
(٣) في النسخ الخطية و(ط) : عبد الله ، وهو تصحيف .
(٤) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٢٠هـ) .
(٥) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٧ ـ ٤٨) المنتظم (٦/ ٢٨٠) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٩ ـ ٧٠) تذكرة الحفاظ (١٣/ ٨٧١) طبقات الحفاظ (٣٥٦ ـ ٣٥٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) .
(٦) في (ط) : هاشم ، وهو تحريف .
(٧) تاريخ بغداد (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) الإكمال (٧/ ١٧٢) المنتظم : (٦/ ٢٨٠) .

ثم عَجَزَ عبد الرحمن بن عيسى فعزل بعد خمسين يوماً ، وقُلِّد الوزارة أبو جعفر محمد بن القاسم الكَرْخي ، فصادر عليَّ بن عيسى بمئة ألف دينار ، وصادر أخاه عبد الرحمن بن عيسى بسبعين ألف دينار ، ثم عُزِلَ بعد ثلاثة أشهر ونصف ، وقُلِّدَ سليمان بن الحسن ، ثم عُزِلَ بأبي الفتح الفَضْل بن جعفر بن الفُرَات ، ولكن في السنة الآتية . وأُحرقت داره[١] كما أحرقت دار ابن مقلة في اليوم الذي أحرقت تلك فيه ، بينهما سنة واحدة . وهذا كله من تخبيط الأتراك والغِلْمان . ولمّا أُحرقت دار ابن مُقْلة في هذه السنة كتب بعض الناس على جُدْرانها :

أَحْسَنْتَ ظنَّكَ بالأيّامِ إذ حَسُنَتْ ... ولمْ تَخَفْ سُوْءَ ما يأتي به القَدَرُ
وسالَمَتْكَ اللَّيالي فاغْتَرَرْتَ بها ... وعندَ صفو اللَّيالي يحدُثُ الكَدَرُ

وضَعُفَ أمر الخلافة جداً ، وبعث الرَّاضي إلى محمد بن رائق ـ وكان بواسط ـ يستدعيه إليه ليوليه إمرة الأمراء ببغداد ، وأمْرَ الخَرَاج والمَعاون[٢] في جميع البلاد والدواوين ، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر ، وأنفذ إليه بالخِلع . فَقَدِمَ ابنُ رائق إلى بغداد على ذلك كلِّه ، ومعه الأمير بُجْكم التُّرْكي غلام مَرْدَاويج ـ وهو الذي ساعد على قتله وأراح المسلمين منه ـ واستحوذ على أمرالعراق بكماله ، ونقل أموال بيت المال إلى داره ، ولم يبقَ للوزير تصرُّفٌ في شيء بالكلية ، ووهىٰ أمر الخلافة جداً ، واستقل نواب الأطراف بالتصرُّفِ فيها ، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها . ومع هذا ليس له مع ابن رائق نفوذ في شيء ، [ولا تفرَّد بشيء][٣] ، ولا كلمة تطاع ، وإنما يحمل إليه ابنُ رائق ما يحتاج إليه من الأموال والنفقات وغيرها .

وهكذا صار أمر منْ جاء بعده من أمراء الأمراء [وكانوا لا يرفعون رأساً بالخليفة][٤] ، وأما بقية الأطراف ، فالبصرة مع ابنِ رائق هذا ، وأمر خُوْزِسْتان في يد أبي عبد الله البَرِيْدي ، وقد غلب ياقوتَ في هذه السنة على ما كان بيده من مملكة تُسْتَر وغيرها ، واستحوذ على حواصله وأمواله . وأمر فارس إلى عماد الدولة أبي الحسن علي بن بُوَيْه ، والري وأصبهان والجبل بيد أخيه ركن الدولة بن بويه ، وينازعه في ذلك وشمكير أخو مَرْدَاويج ، وكرمان بيد أبي علي محمد بن إلياس بن اليسع . وبلاد الموصل والجزيرة

---

(١) أي دار سليمان بن الحسن .
(٢) في (ط) : المغل ، وفي (ب) و(ظا) : المعادن ، وكلاهما تحريف ، والمثبت من (ح) ، وهي إحدى الوظائف ، انظر عنها صبح الأعشى (١٠/٣٨ ـ ٣٩) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حَمْدان . ومِصْر والشَّام في يد محمد بن طُغْج . وبلاد إفريقية والمغرب بيد القائم بأمر الله بن المهدي المدَّعي بأنه فاطمي ، وقد تلقب بأمير المؤمنين . والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد ، الملقب بالنَّاصر الأموي . وخُرَاسان وما وراء النهر في يد السَّعيد نَصْر بن أحمد السَّاماني . وطَبَرستان وجُرْجَان في يد الدَّيْلَم . والبحرين واليمامة وهَجَر في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي القِرْمِطي ، لعنه الله .

وفيها وقع ببغداد غلاء عظيمٌ وفناء كثير بحيث عُدِمَ الخبز منها خمسة أيام ، ومات من أهل البلد خلق كثير ، وأكثر ذلك كان في الضعفاء ، وكان الموتى يلقون في الطرقات ليس لهم من يقوم بأمرهم ، ويُحْمل على الجنازة الواحدة الاثنان من الموتى ، وربما يوضع بينهما صبيٌّ ، وربما حُفِرَت الحفرة الواحدة ، فتوسَّع حتى يوضعَ فيها جماعة . ومات من أهل أصبَهان نحوٌ من مئتي ألف إنسان .

وفيها وقع حريق بعُمَان احترق فيه من السودان ألف ، ومن البيضان خَلْقٌ كثير ، وكان من جملة ما احترق فيه أربعمئة حِمْل كافور .

وعزل الخليفة أحمدَ بنَ كَيْغَلَغ عن نيابة الشَّام ، وأضاف ذلك إلى ابن طُغْج نائب الدِّيار المصرية .

وفيها ولد عضد الدولة أبو شجاع فَنَّاخُسْرُو بن ركن الدولة بن بُوَيْه بأصبهان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

ابن مجاهد المقرىء[١] **أبو بكر ، أحمد بن موسى بن العَبَّاس بن مجاهد :** المقرىء ، أحد الأئمة في هذا الشَّان .

حدَّث عن خَلْقٍ كثير ، وروى عنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان ثِقَةً مأموناً ، يسكن الجانب الشَّرقي من بغداد ، وكان ثعلب يقول : ما بقي في عَصْرنا أحد أعلم بكتاب الله منه .

وكانت وفاته يوم الأربعاء ، وأخرج يوم الخميس لعشرٍ بقين من شعبان من هذه السنة . وقد رآه بعضهم في المنام وهو يقرأ فقال له : أما متَّ ؟ فقال : بلى ، ولكن كنت أدعو الله عَقِبَ كلِّ ختمة أن أكون ممن يقرأ في قبره ، فأنا ممن يقرأ في قبره . رحمه الله .

جَحْظَة الشَّاعر البَرْمَكي[٢] **أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك :** البَرْمكي ،

---

(١) الفهرست (٤٧) تاريخ بغداد (٥/ ١٤٤ ـ ١٤٨) المنتظم (٦/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) معجم الأدباء (٥/ ٦٥ ـ ٧٣) معرفة القراء (١/ ٢١٦ ـ ٢١٨) العبر (٢/ ٢٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤) الوافي بالوفيات (٨/ ٢٠٠) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٨) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٥٧ ـ ٥٨) طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٣٩٤) غاية النهاية (١/ ١٣٩ ـ ١٤٢) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٥٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٢) .

(٢) الفهرست (٢٠٨) تاريخ بغداد (٤/ ٦٥ ـ ٦٩) الأنساب : (٢/ ١٧٠ ـ ١٧١) المنتظم (٦/ ٢٨٣ ـ ٢٨٦) معجم الأدباء=

أبو الحسن ، النَّديم المعروف بجَحْظة ، الشَّاعر الماهر ، الأديب الأخباري ، ذو الفنون في العلوم والنَّوادر الحاضرة ، وكان جَيِّد الغناء .

ومن شعره :

قد نادَتِ الدُّنيا على نَفْسِها ... لو كانَ في العالم مَنْ يَسْمعُ
كم واثقٍ في العمر وارَيْتُه ... وجامعٍ بدَّدْتُ ما يَجْمَعُ[1]

وكتب له بعض الملوك رُقْعَةً على صيرفي بمالٍ أطلقه له ، فلم يتحصل منها على شيء ، فكتب إلى الملك يذكر له صورة الحال :

إذا كانتْ صِلاتُكُمُ رِقاعاً ... تُخَطَّطُ بالأنامِلِ والأكُفِّ
ولم تُجْدِ الرِّقَاعُ عليَّ نَفْعاً ... فها خَطِّي خُذُوه بألفِ ألفِ[2]

ومن شعره يهجو صديقاً له ويذمه على شدَّة بخله وحِرْصه :

لنا صاحبٌ من أبرعِ النَّاسِ في البُخل ... وأفضلهم فيه وليسَ بذي فَضْلِ[3]
دعاني كما يدعو الصَّديقُ صديقَهُ ... فَجِئتُ كما يأتي إلى مِثْلِه مِثْلي
فلمَّا جَلَسْنا للغَداءِ رأيتُهُ ... يرى أنَّما مِنْ بعضِ أعضائِهِ أكلي
ويغتاظُ أحياناً ويشتُمُ عَبْدَهُ ... وأعلمُ أنَّ الغيظَ والشَّتْمَ مِنْ أجلي
أمُدُّ يدي سِراً لآكلَ لُقْمةً ... فيلحظني شَزْراً فأعْبَثُ بالبَقْلِ
إلى أنْ جَنَتْ كفِّي لحَيْني جِنايَةً ... وذلكَ أنَّ الجوعَ أعدَمَني عَقْلي
فأهوتْ يميني نحوَ رِجْلِ دَجاجَةٍ ... فَجُرَّتْ ـ كما جَرَّتْ يدي رِجْلَها ـ رِجْلي[4]

ومن قوي شِعْره وجيده قوله :

رَحَلْتُمْ فكمْ مِنْ أنَّةٍ بَعْدَ حنَّةٍ ... مبيِّنَةٍ للنَّاسِ حُزْني عليكُمُ

= (٢/ ٢٤١ ـ ٢٨٢) وفيات الأعيان (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤) العبر (٢/ ٢٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٩) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٨) لسان الميزان (١/ ١٤٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) وللدكتور مزهر السوداني كتاب « جحظة البرمكي » طبع في النجف سنة (١٩٧٧م) .

(١) في (ط) : كم آمل خيبت آماله ، والبيتان في تاريخ بغداد (٤/ ٦٦) والمنتظم (٦/ ٢٨٤) ومعجم الأدباء (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) .

(٢) البيتان في تاريخ بغداد (٤/ ٦٨) ومحاضرات الأدباء (١/ ٢٧٠) والمنتظم (٦/ ٢٨٤) ومعجم الأدباء (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) وفيه تقديم وتأخير في صدر البيت الثاني وعجزه ، مع اختلاف في اللفظ .

(٣) في (ط) : يسمى بفضل وهو ليس بذي فضل .

(٤) تنسب هذه الأبيات أيضاً لأبي كشاجم ، انظر جحظة البرمكي (٢٥٧ ـ ٢٥٨) وانظر المنتظم (٦/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) .

وقد كنتُ أعتقتُ الجُفُونَ منَ البُكا ... فقد رَدَّها في الرِّقِّ شَوْقي إليكُم[(١)]

ومما أورده القاضي ابن خَلِّكان من الشِّعْر الرَّائق قوله :

فقلتُ لها : بَخِلْتِ عليَّ يَقْظى ... فجُودي في المنامِ لمُسْتهامِ
فقالتْ لي : وصِرْتَ تَنام أيضاً ... وَتَطْمَعُ أنْ أزوركَ في المَنامِ[(٢)] ؟!

قال : وإنما لقبه بجحظة عبد الله بنُ المعتز ؛ وذلك لسوء منظره . كما قال فيه بعض منْ هجاه :

نُبِّئتُ جَحْظةَ يستعير جُحوظَهُ ... منْ فيلِ شِطْرَنْجٍ ومنْ سَرَطانِ
وارحمتا لمُنادمِيْه تحمَّلوا ... ألَمَ العُيونِ للَذَّةِ الآذانِ[(٣)]

قال ابن خَلِّكان : وكانت وفاته في سنة ست وعشرين ، وقيل : سنة أربع وعشرين وثلاثمئة بواسط ، وحمل إلى بغداد[(٤)] .

قال الخطيب : ومولده في سنة أربع وعشرين ومئتين[(٥)] .

ابن المُغَلِّس الفقيه الظَّاهري[(٦)] : عبد الله بن أحمد بن محمد ، المُغَلِّس ، أبو الحسن ، الفقيه الظاهري المشهور .

له المصنفات المفيدة في مذهبه . أخذ الفِقْه عن أبي بكر بن داود . وروى عن عبد الله بن أحمد بن حَنْبل ، وعليِّ بن داود القَنْطَري ، وأبي قِلابة الرَّقَّاشي[(٧)] ، وآخرين .

وكان فقيهاً ثقة فاضلاً ، وهو الذي نشر عِلْمَ داود في تلك البلاد . توفي بالسَّكْتة .

أبو بكر بن زياد النَّيسابوري[(٨)] **عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون** ، أبو بكر ، الفقيه الشَّافعي النَّيسابوري ، مولى أَبان بن عثمان .

---

(١) ينسب البيتان كذلك لأبي الهيثم خالد بن يزيد الكاتب ، انظر « الديارات » للشابشتي (١٤) مع اختلاف في ترتيب عجز البيتين ، وانظر المنتظم (٦/ ٢٨٦) .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ١٣٣) .
(٣) المصدر السالف (١/ ١٣٤) .
(٤) المصدر السالف .
(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٦٩) .
(٦) أخبار الراضي للصولي (٨٣) الفهرست (٣٠٦) تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٧٧) المنتظم (٦/ ٢٨٦) العبر (٢/ ٢٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٧٧ ـ ٧٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٥٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٢) .
(٧) في (ط) : الرياشي ، وهو تحريف .
(٨) تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٠ ـ ١٢٢) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٤ ـ ١٣٣) المنتظم (٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٥ ـ ٦٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨١٩ ـ ٨٢٠) العبر (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) طبقات =

رحل إلى العِرَاق والشَّام ومِصْر ، وسكن بغداد ، وحدَّث عن محمد بن يحيى الذُّهْلي ، وعَبَّاس الدُّوري ، وخَلْق . وعنه الدَّارَقُطْني ، وغير واحد من الحُفَّاظ .

قال الدَّارَقُطْني : لم نَرَ في مشايخنا أحفظ منه للأسانيد والمتون ، وكان أفقَه المشايخ ، جالس المُزني والرَّبيع .

وقال أبو عبد الله بن بَطَّة[1] : كنا نحضر مجلس ابنِ زياد ، فكان يحزر من يحضر المجلس من أصحاب المحابر بثلاثين ألفاً[2] .

وقال الخطيب : أخبرنا أبو سَعْدٍ الماليني ، أخبرنا يوسف بن عمر بن مسرور [قال] : سمِعْتُ أبا بكر بن زياد النَّيسابوري يقول : أعرف من قام الليل أربعين سنة لم ينم إلا جاثياً ، ويتقوَّت كلَّ يومٍ خمس حَبَّات ، ويصلِّي صلاة الغد بطهارة العِشَاء ، ثم يقول : أنا هو ، هذا كلُّه قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ، أيش أقول لمن زوجني ! ثم قال في إثر هذا : ما أراد إلا الخير[3] .

توفي في هذه السنة عن ستٍّ وثمانين سنة .

عَفَّان بن سُليمان[4] بن أيوب : أبو الحسن التَّاجر .

أقام بمصر ، وأوقف بها أوقافاً دارَّةً على أهل الحديث ، وعلى سلالة العشرة رضي الله عنهم . وكان تاجراً موسَّعاً عليه ، مقبول الشَّهادة عند الحُكَّام ، توفي في شعبان[5] من هذه السنة .

أبو الحسن الأشْعري[6] علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بُرْدة بن أبي موسى عبد الله بن قيس ، الأشْعَري .

= الشافعية للسبكي (٣/ ٣١٠ ـ ٣١٤) طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٤٨١) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٥٩) طبقات الحفاظ (٣٤١ ـ ٣٤٢) شذرات الذهب (٣/ ٣٠٢) .

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨٧هـ) .

(٢) انظر المنتظم (٦/ ٢٨٧) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٢) .

(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٧٨) المنتظم (٦/ ٢٨٨) .

(٥) في (ح) : رمضان ، وهو وهم .

(٦) الفهرست (٢٥٧) تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) الملل والنحل (١/ ٩٤ ـ ١٠٣) الأنساب (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) تبيين كذب المفتري لابن عساكر في الدفاع عنه ، المنتظم (٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦) العبر (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥ ـ ٩٠) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٨ ـ ٣٠٩) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٤٧ ـ ٤٤٤) الجواهر المضية (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) الديباج المذهب (١٩٣ ـ ١٩٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٥٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥) .

قَدِمَ بغداد ، وأخذ السُّنَّة عن زكريا بن يحيى السَّاجي ، وتفقه بابن سُرَيْج . وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشَّافعية » .

وقد ذكره القاضي ابن خلِّكان في « الوَفَيات » ، وأنه كان يجلس في حَلْقة الشيخ أبي إسحاق المَرْوزي ، وقد كان مُعْتزلياً قبل ذلك ، فتاب منه بالبَصْرَة فوق المِنْبَر ، ثم أظهر فضائحهم وقبائحهم ، وذكر له من التصانيف « الموجز » وغيره[١] .

وحُكيَ عن ابن حَزْمَ أنه صنَّف خمسة وخمسين تصنيفاً .

وذُكِرَ أن مغله كان في كلِّ سنة سبعة عشر ألف درهم[٢] ، وأنَّه كان من أكثر الناس دُعابةً ، وأنه ولد سنة سبعين ومئتين ، وقيل سنة ستين ومئين ، ومات في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاثين[٣] ، وقيل في سنة بِضْعٍ وثلاثين ، فالله أعلم .

محمد بنُ الفَضْل بنِ عبد الله[٤] أبو ذرّ ، التَّمِيمي .

كان رئيسَ جُرْجان .

سَمِعَ الكثير وتفقَّه بمذهب الشَّافعي ، وكانت دارُه مجمعَ العلماء ، وله إفضالٌ كثير على طلبة العلم من أهل زمانه[٥] .

هارون بن المُقْتَدر[٦] : أخو الخليفة الرَّاضي ، توفي في ربيعِ الأول منها ، فَحَزنَ عليه أخوه ، وأمر بنفي بَخْتَيْشُوع بن يحيى[٧] المتطبِّب إلى الأنبار ، لأنه اتُّهِمَ في علاجه ، ثم شَفَعَتْ فيه أُمُّ الرَّاضي .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمئة

في المحرَّم منها خرَجَ الخليفة الرَّاضي وأمير الأمراء محمد بن رائق من بغداد قاصدين واسطَ لقتال أبي عبد الله البَرِيْدي ؛ نائب الأهواز ، الذي قد تجبَّر بها ومنع الخَرَاج ، فلما صار ابنُ رائق إلى واسط خرج عليه الحجرية وقاتلوه ، فسلَّطَ عليهم بُجْكُم ، فطحنهم ، ورجع فلُّهم إلى بغداد ، فتلقَّاهم لؤلؤ أمير

(١) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) .
(٢) في النسخ الخطية : سبعة عشر درهماً ، والمثبت من (ط) .
(٣) انظر وفيات سنة (٣٣٠هـ) .
(٤) تاريخ جرجان (٣٧٦) المنتظم (٦/ ٢٨٨) .
(٥) انظر تاريخ جرجان (٣٧٦) .
(٦) المنتظم (٦/ ٢٨٨) .
(٧) ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢٧٧) .

الشُّرْطة ، فاحتاط على أكثرهم ، ونُهِبَتْ دورُهم ، ولم يبق لهم رأس يرتفع ، وقُطِعَتْ أرزاقهم من بيت المال بالكلِّية .

وبعث الخليفة وابنُ رائق إلى أبي عبد الله البَرِيْدي يتهدَّدانه ، فأجاب إلى حمل كلّ سنةٍ ثلاثمئة ألف وستين ألف دينار يقوم بحمل كل شهر[1] على حدته ، وإلى أنه يجهز جيشاً إلى قتال عماد الدولة بن بُوَيْه[2] . فلما رجع الخليفة وابن رائق إلى بغداد لم يحمل شيئاً ، ولم يبعث أحداً . ثم بعث ابنُ رائق بجكم وبدراً الخَرْشني لقتال أبي عبد الله البريدي ، فجرت بينهم حروبٌ وخطوب ، وأمور يطول ذِكْرها . ثم لجأ البريدي إلى عماد الدولة ، واستجار به ، واستحوذ بُجْكم على بلاد الأهواز ، وجعل إليه ابنُ رائق خَرَاجها ، وكان بُجْكم هذا شجاعاً فاتكاً .

وفي ربيع الأول خَلَعَ الخليفة على بُجْكُم ، وعقد له الإمارة ببغداد ، وولّاه نيابة المشرق إلى خُرَاسان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو حامد بن الشَّرْقي[3] أحمد بن محمد بن الحسن : أبو حامد بن الشَّرْقي .

مولده سنة أربعين ومئتين .

وكان حافظاً كبير القَدْر ، كثير الحِفْظِ ، كثير الحجِّ . رحل إلى الأمصار وجاب الأقطار ، وسمع من الكبار ، نظر إليه ابنُ خُزَيْمة يوماً فقال : حياة أبي حامد تحْجُزُ بين النَّاس وبين الكذب على رسول الله ﷺ .

عبد الله بن محمد بن سُفْيان[4] أبو الحسن[5] ، الخزَّاز[6] ، النَّحْوي .

---

(١) في (ط) : سنة ، وهو وهم .

(٢) في النسخ الخطية و(ط) : عضد الدولة ، وهو وهم ، إذ أن عضد الدولة ولد في السة الفائتة ، وعماد الدولة هو رأس بني بويه في هذا الوقت .

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) الأنساب (٧/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) المنتظم (٦/ ٢٨٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٢١ ـ ٨٢٣) العبر (٢/ ٢٠٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٧ ـ ٤٠) ميزان الاعتدال (١/ ١٥٦) الوافي بالوفيات (٧/ ٣٧٩) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤١ ـ ٤٢) طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٩٠) لسان الميزان (١/ ٣٠٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦١) طبقات الحفاظ (٣٤٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٦) .

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٣) نزهة الألباء (١٨٠) إنباه الرواة (٢/ ١٣٠ ـ ١٣١ ، ١٣٥) بغية الوعاة (٢٨٧ ـ ٢٨٨) كشف الظنون (١٤٥٨ ، ١٤٤١ ، ١٧٣٠) .

(٥) في إنباه الرواة : أبو الحسين .

(٦) في مطبوع نزهة الألباء : الجزار ، وإخالها تصحيفاً .

حدَّث عن المبرِّد وثعلب ، وكان ثِقَةً ، له مصنفات في علوم القرآن غزيرة الفوائد .

محمد بن إسحاق بن يحيى[١] أبو الطَّيِّب النَّحْوي ، ابن الوَشَّاء ، له مصنَّفات مليحة في الأخبار[٢] ، وقد حدَّث عن الحارث بن أبي أُسامة ، والمبرِّد ، وثعلب ، وغيرهم .

محمد بن أحمد بن هارون[٣] أبو بكر العَسْكري ، الفقيه على مذهب أبي ثور ، روى عن الحسن بن عَرَفَة ، وعبَّاس الدُّوري ، وعنه : الدَّارَقُطني ، والآجُرِّي ، وغيرهما .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمئة

فيها ورد كتابٌ من ملك الرُّوم إلى الخليفة الرَّاضي مكتوبٌ بالرُّومية والتفسير بالعربية ، فأما الرُّومي فبالذَّهب والعربي بالفِضَّة ، وحاصله طلب الهُدْنة بينه وبينه ، ووجَّه مع الكتاب بهدايا وألطافٍ كثيرة فاخرة ، فأجابه الخليفةُ إلى ذلك ، وفُوديَ من المسلمين ستة آلاف ما بين ذكر وأنثى على نهر البَذَنْدون[٤] .

وفيها ارتحل الوزير أبو الفتح بن الفُرَات من بغداد إلى الشَّام ، وتركَ الوزارة ، فوليها أبو علي بن مُقْلَة ، ولكن كانت ولايتُهُ ضعيفةً جداً ، ليس له من الأمر شيء مع ابنِ رائق ، وطلب من ابن رائق أن يفرغ له عن أملاكه ، فجعل يماطله ، فكتب إلى بُجْكم يطمعه في بغداد ، وأن يكون عِوَضاً عن ابنِ رائق . وكتبَ ابنُ مُقْلَة إلى الخليفة يطلب منه أن يسلِّمَ إليه محمد بن رائق ، وابن مقاتل ، ويضمنهم بألفي ألف دينار ، فبلغ ذلك ابنَ رائق ، فأخذه فقطع يدَه ، وقال : هذا أفسد في الأرض . ثم جعل يُحَسِّنُ للخليفة أن يستوزره ، وأنَّ قطعَ يده لا يمنعه من الكتابة ، وأنه يشدُّ القلم على يده اليمنى المقطوعة فيكتب بها ، [ثم بلغ ابنَ رائق أنه قد كتب إلى بُجْكُم بما تقدَّم ، وأنه يدعو عليه][٥] ، فأخذه ابن رائق أيضاً فقطع لسانه ، وسجنه في مكان ضيِّقٍ ، وليس عنده من يخدمه ، فكان يستقي الماءَ بنفسه ؛ يتناول الحبل من البئر بيده

(١) تاريخ بغداد (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) نزهة الألباء (٢٠٧) المنتظم (٦/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) معجم الأدباء (١٧/ ١٣٢ ـ ١٣٤) إنباه الرواة (٣/ ٦١ ـ ٦٢) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٢ ـ ٣٣) بغية الوعاة (٧) كشف الظنون (٧٢٣ ، ٥٧٦ ، ١٤٦١) ولأحمد أمين مقالة عنه في مجلة « الثقافة » السنة الأولى ، العدد٤ ص(٥ ـ ٧) وقد ورد اسمه في بعض المصادر : محمد بن أحمد بن إسحاق .

(٢) مما طبع من مصنفاته كتاب « الموشى » ، وقد طبع غير مرة ، آخرها في مصر (١٩٥٣م) بتحقيق كمال مصطفى .

(٣) تاريخ بغداد (١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) الأنساب (٨/ ٤٥٦) المنتظم (٦/ ٢٩١) .

(٤) قرية بينها وبين طرسوس يوم ، من بلاد الثغر ، معجم البلدان (١/ ٣٦٢) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

اليسرى ، ثم يمسكه بفيه ، [ثم يجذب باليسرى ، ثم يمسك بفيه إلى أن يستقي][١] ، ولقي شدَّة وعناءً ، ومات[٢] في محبسه هذا وحيداً ، فدفن هناك ، ثم سأل أهلُه نقلَه ، فدفن في داره ، ثم نقل منها إلى غيرها ، فاتفقَ له أشياء غريبة : منها أنه وزر ثلاث مرات ، وعُزِلَ ثلاث مرَّات ، وولي لثلاثةٍ من الخلفاء ، ودفن ثلاث مرات ، وسافر ثلاث سفرات ، مرتين منفياً ، ومرة في وزارته إلى الموصل كما تقدَّم[٣] .

وفي هذه السنة دخل بُجْكُم إلى بغداد ، فقلَّده الرَّاضي إمرة الأمراء مكان ابن رائق ـ وقد كان بُجْكُم هذا من غِلْمان أبي علي العارض[٤] وزير ماكان بن كالي الدَّيْلمي ، فاستوهبه ما كان من الوزير ، فوهبه له ، ثم فارق ماكان ولحق بمرداويج ، وكان في جُمْلة منْ قتلَه في الحمَّام كما تقدَّم[٥] ـ وسكن بُجْكُم في دار مُؤْنس الخادم ، وعَظُمَ أمره جداً . وانفصل ابن رائق ، وكانت أيامه سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً .

وفيها بعث عماد الدولة بن بُوَيْه أخاه معز الدولة فأخذ بلاد الأهواز لأبي عبد الله البَرِيْدي ، وانتزعها من يد بُجْكُم ، وأعادها إليه .

وفيها استولى لشكري ؛ أحد أمراء وشمكير الدَّيْلمي على بلاد أَذْرَبيجان ، وانتزعها من رستم بن إبراهيم الكُرْدي ؛ أحد أصحاب ابن أبي السَّاج ، بعد قتالٍ شديد طويل .

وفي هذه السنة اضطرب أمرُ القرامطة جداً ، وقتلَ بعضُهم بعضاً ، وانكفُّوا بسبب قتلهم عن التعرُّضِ للفساد في الأرض ، ولزموا بلدَهُمْ هَجَر لا يرومون منه انتقالاً إلى غيره ، ولله الحمد والمنَّة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن زياد[٦] بن عبد الرحمن اللَّخْمي الأندلسي .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) سيأتي ذكره في وفيات سنة (٣٢٨هـ) .

(٣) انظر وفيات سنة (٣٢٣هـ) .

(٤) العارض رئيس ديوان الجند ، يوكل إليه نفقات الجيش وأرزاق جنده ، وله الحل والعقد ، والإثبات والإسقاط ، تاريخ البيهقي (٥٣٦) .

(٥) انظر أحداث سنة (٣٢٣هـ) .

(٦) الديباج المذهب (٣٣) شجرة النور الذكية (٨٦) وفيهما : أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن ووفاته سنة (٣١٢هـ) ، وفي المنتظم (٦/ ٢٩٤) : أحمد بن زياد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن ، وهو الصواب ، فقد ترجمه ابن الفرضي في تاريخه (١٠١) وذكر وفاته في هذه السنة (٣٢٦) ، وتابعه الذهبي في تاريخ الإسلام (٧/ ٥١٨) .

كان أبوه[١] من أصحاب مالك ، وهذا الرجل هو أولُ منْ أدخل فقه مالك إلى الأندلس ، وقد عُرِضَ عليه القضاء بها ، فلم يقبل .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمئة

في المحرَّم منها خَرَجَ الرَّاضي بالله أمير المؤمنين من بغداد إلى المَوْصل لمحاربة ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حَمْدان نائبها ، وبين يديه بُجْكُم أمير الأمراء ، وقاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف ، وقد استخلف ببغداد ولدَه القاضي أبا نصر يوسف بن عمر عن أمر الخليفة له بذلك ، وكان عالماً فاضلاً . ولما انتهى بُجْكُم إلى الموصل والجزيرة واقع الحسن بن عبد الله بن حمدان فَهَزَمَ بُجْكُم الحسن بن حمدان ، وقرَّر الخليفة أمر الموصل والجزيرة .

وأما محمد بن رائق فإنه اغتنم غيبة الخليفة عن بغداد ، واستجاش[٢] بألفٍ من القرامطة ، وجاء فدخل بهم بغداد ، فأكثر فيها الفساد ، غير أنه لم يتعرَّض لدار الخلافة ، ثم بعث إلى الخليفة يطلب منه المصالحة والعفو عما جنى ، فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه قاضي القضاة أبا الحسين عمر بن محمد بن يوسف ، وترحَّل ابنُ رائق عن بغداد ، ودخلها الخليفة في جمادى الأولى من هذه السنة ، ففرح المسلمون بذلك .

ونزل عند غروب الشمس أول ليلة من شهر أذار في جُمادى الأولى مَطرٌ عظيم ، وبَرَدٌ كبار ، كل واحدة نحو الأوقيتين ، واستمرَّ ، فسقط بسببه دور كثيرة من بغداد .

وظهر جَرَاد كثيرٌ في هذه السنة ، وكان الحجُّ من جهة درب العراق قد تعطَّلَ من سنة سبع عشرة وثلاثمئة إلى هذه السنة ، فشفع الشريف أبو علي عمر بن يحيى العَلَوي عند القرامطة ، وكانوا يحبُّونه لشجاعته وكرمه ، في أن يمكنوا الحجيج من الحج ، وأن يكون لهم على كل جَمَلٍ خمسة دنانير ، وعلى المحمل سبعة دنانير ، [فاتفقوا معه على ذلك][٣] ، فخرج النَّاس للحجِّ هذه السنة على هذا الشَّرْط ، وكان في جملة من خرج الشيخ أبو علي بن أبي هُرَيْرة[٤] ؛ أحد أئمة الشَّافعية ، فلما اجتاز بهم طالبوه بالخِفارة ، فثنى رأس راحلته ورجع وقال : ما رجعت شُحّاً ، ولكن سقط عني وجوب الحج بطلب هذه الخِفارة .

---

(١) أي زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون ، ترجمته في الديباج المذهب (١١٨) .
(٢) أي طلب جيشاً . اللسان (جيش) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) توفي سنة (٣٤٥هـ) ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٣٠) .

وفي هذه السنة وقعت فتنةٌ بالأندلس ؛ وذلك أن عبد الرحمن الأموي ؛ صاحب الأندلس الملقب بالنَّاصر لدين الله ، قتل وزيره أحمد ، فغضب له أخوه أُمية بن إسحاق ـ وكان نائباً على مدينة شَنْتَرِين[١] ـ فارتدَّ ، ودخل بلاد النَّصارى ، واجتمع بملكهم ردمير ، ودلَّهم على عورات المسلمين ، فسار إليهم في جيشٍ كثيف من الجلالقة ، فخرج إليه الأموي ، فأوقع بهم بأساً شديداً ، وقتل من الجلالقة خلقاً كثيراً ، ثم كرَّ الفرنج على المسلمين ، فقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً قريباً ممن قتلوا منهم ، ثم والى المسلمون الغارات على بلاد الجلالقة ، فقتلوا منهم أمماً لا يحصون كثرةً ، ثم نَدِمَ أمية بن إسحاق على ما صنع ، وطلب الأمان من عبد الرحمن ، فبعث إليه بالأمان ، فلما قَدِمَ عليه قَبَّله واحترمه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن القاسم بن جعفر[٢] بن دُحَيْم[٣] : أبو علي ، الدِّمَشْقي .

من أبناء المحدِّثين ، وكان أخبارياً له في ذلك مصنفات ، وقد حدَّث عن العبَّاس بنِ الوليد البَيْروتي وغيره .

وكانت وفاته بمصر في محرَّم هذه السنة ، وقد أناف على الثمانين سنة .

الحسين بن القاسم[٤] بن جعفر بن محمد بن خالد بن بِشْر : أبو علي ، الكَوْكبي الكاتب ، صاحب الأخبار والآداب .

روى عن أحمد بن أبي خَيْثمة ، وأبي العَيْناء ، وابن أبي الدُّنيا . روى عنه الدَّارَقُطني ، وغيره .

عُثْمان بن الخَطَّاب[٥] بن عبد الله : أبو عمرو ، البَلَويُّ ، المَغْربي الأشَجّ ، ويعرف بأبي الدُّنْيا[٦] .

قدم هذا الرجل بغداد بعد الثلاثمئة ، وزعم أنه ولد أول خلافة أبي بكر ببلاد المغرب ، وأنه وَفَدَ هو وأبوه على عليِّ بن أبي طالب ، فأصابهم في الطَّريق عَطَشٌ شديد ، فذهب يرتاد لأبيه ماءً ، فرأى

---

(١) مدينة غربي الأندلس ، متصلة بباجه . معجم البلدان (٣/ ٣٦٧) .

(٢) هكذا في النسخ ، وعندي أن هذا الاسم مقحم فهو : الحسن بن القاسم بن دحيم ، واسم دحيم عبد الرحمن بن إبراهيم ، كما في تاريخ الإسلام ٧/ ٥٣١ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٠٩ ، ولعل هذا الاسم قفز من الترجمة الآتية (بشار) .

(٣) في (ط) : رحيم ، وهو تحريف . وترجمته في تاريخ ابن عساكر (٤/ ٢٩٠أ ـ ٢٩١أ) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) الوافي بالوفيات (١٢/ ٢٠٣) .

(٤) تاريخ بغداد (٨/ ٨٦ ـ ٨٧) الأنساب (١٠/ ٥٠٠) المنتظم (٦/ ٢٩٧) اللباب (٣/ ٥٩) .

(٥) تاريخ بغداد (١١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩) المنتظم (٦/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٣) لسان الميزان (٤/ ١٣٤ ـ ١٤٠) .

(٦) زعم أن علياً كناه بأبي الدنيا لعلمه أنه يطول عمره . لسان الميزان (٤/ ١٣٥) .

عيناً ، فشرب منها واغتسل ، ثم جاء إلى أبيه ليسقيه ، فمات أبوه ، وقَدِمَ هو على عليٍّ بن أبي طالب ، فأراد أن يقبِّلَ رُكبته ، فصدمه الرِّكاب ، فشجَّ رأسه ، فكان يعرف بالأشَجِّ .

وصدَّقه في هذا الزَّعم طائفةٌ من الناس ، ورووا عنه نسخة فيها أحاديث من روايته عن علي ، وممن صدَّقه في ذلك الحافظ محمد بن أحمد المفيد[١] ، ورواها عنه ، ولكن كان المفيد متهماً بالتشيُّع ، فسمح له في ذلك لانتسابه إلى عليٍّ ، وأما جمهور المحدِّثين قديماً وحديثاً فكذَّبوه في ذلك ، وردُّوا عليه كذبه ، ونصُّوا على أن النسخة التي رواها موضوعة ؛ منهم أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي ، وأشياخُنا الذين أدركناهم ، شيخ الإسلام [أبو العباس][٢] ابن تيميَّة ، والجِهْبذُ أبو الحَجَّاج المِزِّي ، والحافظ مؤرِّخ الإسلام أبو عبد الله الذَّهبي[٣] ، وقد حرَّرْتُ ذلك في كتابي « التكميل » ، ولله الحمد والمنَّة .

قال المفيد : بلغني أن الأشجَّ مات سنةَ سَبْعٍ وعشرين وثلاثمئة ، وهو راجعٌ إلى بلده .

محمد بن جعفر بن محمد بن سَهْل[٤] : أبو بكر ، الخرائطي ؛ صاحب المصنَّفات .

أصله من أهل سُرَّ منْ رأى ، وسكن الشَّام ، وحدَّث بها عن الحسنِ بن عَرَفة ، وغيره .

وممن توفي فيها :

الحافظ الكبير ابن الحافظ الكبير أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم[٥] **محمد بن إدريس : الرَّازي .**

صاحب كتاب « الجَرْح والتَّعْديل »[٦] ، وهو من أجلِّ الكتب المصنَّفة في هذا الشَّأْن ، وله « التفسير » الحافل الذي اشتمل على النقل الكامل ، الذي يربو فيه على تفسير ابن جرير ، وغيره من المفسرين [إلى

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٨) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٦٩ ـ ٢٧١) وذكر الخطيب أن موسى بن هارون سماه المفيد ، وقد علق الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٧٩) على هذا بقوله : فهذه العبارة أول ما استعملت لقباً في هذا الوقت قبل الثلاثمئة ، والحافظ أعلى من المفيد في العرف ، كما أن الحجة فوق الثقة .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) ينظر تاريخ الإسلام ٧/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧ .

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٣٩ ـ ١٤٠) الأنساب (٥/ ٧١ ـ ٧٢) معجم الأدباء (١٨/ ٩٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) العبر (٢/ ٢٠٩) الوافي بالوفيات (٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٩) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٥) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٩) .

(٥) طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥) الأنساب (٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) معجم البلدان (٢/ ٣١١ ، ٣/ ١٢٠ ـ ١٢١) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٢٩ ـ ٨٣٢) العبر (٢/ ٢٠٨) ميزان الاعتدال (٢/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨) فوات الوفيات (٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٢٤ ـ ٣٢٨) طبقات الشافعية للإسنوي (٣/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) لسان الميزان (٣/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) طبقات الحفاظ (٣٤٥ ـ ٣٤٦) طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨١) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) .

(٦) كتاب مشهور متداول ، طبع في حيدر آباد سنة (١٩٥٣م) .

زمانا][(١)] ، وله كتاب « العِلل »[(٢)] المصنَّفة المرتبة على أبواب الفِقْه ، وغير ذلك من المصنَّفات النافعة .

وكان من العبادة والزهادة والورع والحِفْظ والكرامات الكثيرة المشهورة على جانبٍ كبير ، رحمه الله وأكرم مثواه .

صلَّى مرَّة ، فلما سلَّم قال له بعض منْ صلَّى معه : لقد أطلت علينا ، ولقد سبَّحتُ في سجودي سبعين مرَّة . فقال عبد الرحمن : لكني والله ما سبَّحْتُ إلا ثلاث مرَّات .

وتهدَّم سور [بلدفي][(٣)] بعضِ بلاد الثُّغور ، فتكلَّم عبد الرحمن بن أبي حاتم على الناس ، وحثَّهُمْ على عِمارته ، وقال : من يعمره وأضمن له على الله الجنة ؟ فقام رجل من التُّجَّار فقال : اكتب في خَطِّكَ هذا الضَّمان ، وهذه ألف دينار لِعمارته . فكتب له رُقْعةً بذلك ، وعمَّرَ ذلك السُّور ، ثم اتفق موتُ الرجل عما قريب ، فلما حضر الناسُ جِنازته طارت من كفنه رُقْعة ، وهي التي كان كتبها له ابنُ أبي حاتم ، ثم عادت وقد كتب في ظهرها : قد أمضينا لك هذا الضَّمان ، ولا تعد إلى ذلك .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمئة

قال ابنُ الجوزي في « منتظمه » : في غُرَّة المُحرَّم منها ظهرت في الجو حُمْرةٌ شديدة من ناحية الشمال والمغرب ، وفيه أعمدة بيضٌ عظيمة كثيرة العدد[(٤)] .

وفيها وصل الخبر بأن ركنَ الدولة أبا علي الحسن بن بُوَيْه الدَّيْلمي وصل إلى واسط ، فركب الخليفة ، وبُجْكُم لقتاله ، فانصرفَ راجعاً [إلى الأهواز][(٥)] ، ورجعا إلى بغداد .

وفي هذه السنة ملك ركنُ الدولة بنُ بُوَيْه مدينة أصبهان ، أخذها من وشمكير أخي مَرْدَاويج ؛ لقلَّةِ جيشه في ذلك الحين .

وفي شعبان زادت دِجْلَة زيادةً عظيمة ، وانتشرت في الجانب الغربي ، وسقطت دورٌ كثيرة ، وانبثق بثقٌ من نواحي الأنبار ، فغرَّق قرى كثيرة ، وهلك بسببه حيوانات وسباع كثيرة في البرية .

وفيها تزوج بُجْكُم بسارة بنت أبي عبد الله البريدي ؛ وهو محمد بن أحمد بن يعقوب الوَزير يومئذٍ

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) طبع في القاهرة سنة (١٩٢٦م) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) المنتظم (٦/ ٢٩٩) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

ببغداد ، ثم صرف عن الوزارة بسليمان بن الحسن ، وضَمِنَ البريديُّ بلادَ واسط وأعمالها بستمئة ألف دينار .

وفيها توفي قاضي القضاة أبو الحسين(١) عمر بن محمد بن يوسف ، وتولّى مكانه وَلَدُهُ أبو نَصْر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف ، وخلع عليه الخليفة الرَّاضي يوم الخميس لخمس بقين من شعبان .

ولما خرج أبو عبد الله البريدي إلى واسط كتب إلى بُجْكُم يحثُّه على الخروج إلى الجبل ليفتحها ، ويساعده على أخذ الأهواز من يد معز الدولة(٢) بن بُوَيْه ، وإنّما كان مقصوده أن يستغيبه عن بغداد ليأخذها منه . فلما انفصل بجُكم بالجنود بلغه ما يؤمله أبو عبد الله البَريدي من المكيدة ، فرجع سريعاً إلى بغداد ، وركب في جيشٍ كثيف إليه ، وأخذ الطُّرُقَ من كلِّ جانب ، لئلا يشعر به إلا وهو عنده . فاتَّفَقَ أنه كان راكباً في زورق ، وعنده كاتبٌ له ، إذ سَقَطتْ حمامةٌ في ذَنَبها كتابٌ ، فأخذه بُجْكم ، فقرأه ، فإذا فيه كتاب من هذا الكاتب إلى بعض أصحاب البريدي ، يعلمه بخبر بُجْكُم ، فقال له : ويحك ، أهذا خَطُّك ؟ قال : نعم! ولم يقدر على الإنكار ، فأمر بقتله ، فَقُتلَ وألقي في دِجْلة . وحين شعر البَرِيْديُّ بقدوم بُجْكُم هرب إلى البَصْرة ، ولم يقم بها أيضاً ، [بل هرب منها إلى غيرها](٣) فاستولى بُجْكُم على واسط ، وتسلَّط الدَّيْلم على جيشه الذين خلَّفهم بالجبل ، ففروا سراعاً إلى بغداد .

وفي هذه السنة استولى محمد بن رائق على بلاد الشَّام ، فدخل حِمْصَ أولاً فأخذها ، ثم جاء إلى دمشق وعليها بدر بن عبد الله الإخْشِيذي المعروف ببُدَيْر من جهة الإخشيذ محمد بن طُغْج ، فأخرجه ابنُ رائق منها قهراً ، واستولى عليها . ثم ركب [ابن رائق](٤) في جيشٍ إلى الرَّمْلة فأخذها ، ثم قصد عريش مصر ليدخلها ، فلقيه محمد بن طُغْج ، فاقتتلا هناك فهزمه ابنُ رائق ، واشتغل أصحابُه بالنَّهْبِ ، ونزلوا في خيام المِصْريين ، فكَرَّت عليهم المِصْريون ، فقتلوهم قتلاً عظيماً ، وهرب محمد بن رائق في سبعين رجلاً من أصحابه ، فدخل دمشق في أسوأ حالٍ وشَرِّها ، وسيَّر إليه محمد بنُ طُغْج أخاه نَصْرَ بنَ طُغْج في جيش ، فاقتتلوا عند اللَّجُون(٥) في رابع ذي الحجَّة ، فهُزِمَ المصريون ، وقُتِلَ أخو الإخشيذ فيمن قُتِلَ ، فغسله محمد بن رائق ، وكفَّنه ، وبعث به إلى أخيه بمصر ، وأرسل معه ولده ، وكتب إليه يحلف له أنه ما أراد قتله ، وهذا ولدي فاقْتَدْ منه . فأكرم الإخشيذ ولدَ محمدِ بنِ رائق ، واصطلحا على أن تكون الرَّمْلَة

---

(١) في النسخ الخطية و(ط) : أبو الحسن ، وهو تحريف .
(٢) في النسخ الخطية و(ط) : عماد الدولة ، وهو وهم ، إذ إن معز الدولة هو الذي استولى على الأهواز سنة (٣٢٦هـ) ، وبقيت في يده ، انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٣٤٠ـ٣٤٣) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) بلد بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلاً ، معجم البلدان (٥/ ١٣) .

وما بعدها [إلى ديار مصر][1] للإخشيذ ، ويحمل إليه الإخشيذ في كلِّ سنة مئة ألفِ دينار وأربعين ألف دينار ، وما بعد الرَّملة [إلى دمشق][2] يكون لمحمد بن رائق .

وممن توفي في هذه السنة :

جَعْفَر المُرْتَعِش[3] : أبو محمد ، أحد مشايخ الصُّوفية ، كذا ذكره الخطيب[4] .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلمي : اسمه عبد الله بن محمد ، أبو محمد النَّيْسابوري[5] . كان من ذوي الأموال فتخلَّى منها ، وصَحِبَ الجُنَيْد ، وأبا حفص ، وأبا عثمان ، وأقام ببغداد حتى صار شيخَ الصُّوفية ، فكان يقال : عجائبُ بغداد ثلاث : إشارات الشِّبْلي ، ونُكَتُ المُرْتعش ، وحكايات جعفر الخَوَّاص . سَمِعْتُ أبا الفَرَج[6] الصَّائغ يقول : قال المرتعش : منْ ظَنَّ أن أفعاله تُنْجيه من النَّار أو تُبلغه الرِّضْوان فقد جعل لنفسه ولفِعْله خَطَراً ، ومنِ اعتمدَ على فَضْل الله بلَّغه الله أقصى منازلِ الرِّضْوَان[7] .

وقيل للمُرْتعش : إن فلاناً يمشي على الماء ! فقال : إن مخالفةَ الهوى أعظمُ من المشي على الماء[8] .

ولما حَضَرَتْهُ الوفاةُ وهو بمسجد الشُّونِيْزية[9] حسبوا ما عليه من الدَّيْن ، فإذا عليه سبعة عشر دِرْهماً ، فقال : بيعوا خُرَيْقاتي هذه فيها ، وأرجو أن يرزقني الله كفناً . وقد سألتُ الله ثلاثاً أن يميتني وأنا فقير ، وأن يجعلَ وفاتي في هذا المسجد ، فإني صَحِبْتُ فيه أقواماً ، وأن يجعل عندي منْ آنس به وأحبُّه . ثم غَمَّضَ عينيه ، ومات[10] .

أبو سعيد الإصْطَخْرِيُّ[11] **الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفَضْل بن يَسَار** ، أبو سعيد الإصْطَخْري ، أحد أئمة الشَّافعية .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) طبقات الصوفية (٣٤٩ ـ ٣٥٣) حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٥) تاريخ بغداد (٧/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) الرسالة القشيرية (٢٦) المنتظم (٦/ ٣٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) العبر (٢/ ٢١٥) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٥) طبقات الأولياء (١٤١ ـ ١٤٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) شذرات الذهب (٢/ ٣١٧) .
(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٢٢١) .
(٥) طبقات الصوفية (٣٤٩) .
(٦) في (ط) و(ظا) و(ب) : أبا جعفر ، وهو تحريف .
(٧) طبقات الصوفية (٣٥٢ ـ ٣٥٣) .
(٨) طبقات الصوفية (٣٥١ ـ ٣٥٢) .
(٩) مقبرة ببغداد كانت بالجانب الغربي ، وفيها خانقاه للصوفية . معجم البلدان (٣/ ٣٧٤) .
(١٠) انظر تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٢) .
(١١) الفهرست (٣٠٠) تاريخ بغداد (٧/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١١) الأنساب (١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢) المنتظم (٦/ ٣٠٢) وفيات الأعيان (٢/ ٧٤ ـ ٧٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢) العبر (٢/ ٢١٢) مرآة الجنان=

وكان زاهداً ورعاً ناسكاً عابداً ، ولي القضاء بقُمّ ، ثم حِسْبَةَ بغداد ، فكان يدور بها ويصلّي على بغلته ، وهو سائر بين الأزقَّة ، وكان متقلّلاً جداً . وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشَّافعية » بما فيه كفاية وله « كتاب القَضَاء » لم يصنَّف مثله في بابه ، توفي وقد قارب التِّسْعين ، رحمه الله .

عليُّ بنُ محمد أبو الحسن[1] : المُزَيِّن الصَّغير ، أحد مشايخ الصُّوفية .

أصله من بغداد ، صحِبَ الجنيد وسهلاً التُّسْتري ، وجاور بمكة حتى توفي بها في هذه السنة .

وكان يحكي عن نفسه قال : وردتُ بئراً في أرضِ تبوك ، فلما دنوت منها زَلِقْتُ ، فَسَقْطتُ في البئر ، وليس أحدٌ يراني ، فلما كنتُ في أسْفَلِهِ إذا فيه مصطبة ، فَعَلَوْتُها وقلت : إن متُّ لا أفسد على النَّاس الماء ، وسكَنَت نفسي وطابت للموت ، فبينا أنا كذلك إذا أفعى قد تدلَّتْ عليَّ ، فلَفَّتْ عليَّ ذنبها ، ثم رفعتني حتى أخرجتني إلى وجه الأرض ، وانسابت فلم أدر أين ذهبت ، ولا من أين جاءت .

وفي مشايخ الصُّوفية آخر يقال له أبو جعفر المُزَيِّن الكبير[2] ؛ جاور بمكَّة ، ومات بها أيضاً ، وكان من العُبَّاد .

روى الخطيب عن علي بنِ أبي علي ، عن إبراهيم بن محمد الطَّبري ، عن جعفر الخُلْدي قال : ودَّعْتُ في بعض حجاتي المُزيِّن الكبير فقلتُ له : زوِّدني . فقال لي : إذا فقدتَ شيئاً فقل : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، اجمع بيني وبين كذا ، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء . قال : وجئت إلى الكتَّاني فودَّعْتُه وسألته أن يزوِّدَني ، فأعطاني خاتماً على فصِّه نقش فقال : إذا اغتممت فانظر إلى هذا الفَصِّ يَزُلْ همُّك . قال : فكنتُ لا أدعو بذلك الدُّعاء إلا استجيبَ لي ، ولا أنظر إلى ذلك الفَصِّ إلا زال عني ما أجده من همٍّ ، فبينا أنا ذات يوم في السُّمَيْرية إذ هبَّتْ ريحٌ شديدة ، فأخرجت الخاتم لأنظر إليه ، فلم أدرِ كيف ذَهَبَ ، فجعلت أدعو بذلك الدُّعاء يومي كله [أن يجمع عليَّ

= (٢/ ٢٩٠) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٥٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٧) طبقات ابن هداية الله (٦٢) شذرات الذهب (٢/ ٣١٢) .

(١) طبقات الصوفية (٣٨٢ ـ ٣٨٥) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٣) الرسالة القشيرية (٢٧) المنتظم (٦/ ٣٠٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٣٢) العبر (٢/ ٢١٥) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٥) طبقات الأولياء (١٤٠ ـ ١٤١) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٩) شذرات الذهب (٢/ ٣١٦) .

(٢) لم أقف على ترجمة المزين الكبير فيما لدي من مصادر ، وسماه الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٣٢) أبا الحسن المزين الكبير البغدادي ، وقلت : فرقهما أبو عبد الرحمن السلمي ، ولم يظهر لي إلا أنهما واحد . ولم أجد في النسخة المطبوعة من « طبقات الصوفية » أي تفريق بينهما ، ولعل السلمي ذكرهما في غير كتاب « الطبقات » ، والله أعلم .

الخاتم](١) ، فلما رجعتُ إلى المنزل ، فتشتُ المتاع الذي في المنزل ، فإذا الخاتم في بعض ثيابي التي كانت بالمنزل .

صاحب كتاب العِقْد(٢) أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدَير بن سالم ، أبو عمر ، القُرْطُبي ؛ مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم الأموي .

كان من الفضلاء المكثرين ، والعلماء بأخبار الأولين والمتأخّرين ، وكتابه « العِقْد » يدل على فضائلَ جمّة ، وعلوم كثيرة مهمة ، ولكنه يدل كثير من كلامه على تشيُّعٍ وميلٍ إلى الحطِّ على بني أُمية ، وهذا عجيبٌ منه ؛ لأنه أحد مواليهم ، وكان الأوْلى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم .

قال القاضي ابن خلِّكان : وله « ديوان شعر » حسن . ثم أورد منه أشعاراً في التغزُّلِ في المردان والنِّسوان(٣) أيضاً .

وكان مولده في رمضان سنة ست وأربعين ومئتين ، وتوفي بقُرْطبة يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى من هذه السنة .

عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب(٤) بن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد بن دِرْهم ، أبو الحسين ، الأزْدي الفقيه المالكي القاضي ابن القاضي .

ناب عن أبيه(٥) وعمره عشرون سنة ، وكان حافظاً للقرآن والحديث والفِقْه على مذهب مالك ، والفرائض ، والحِسَاب واللُّغة والنحو والشِّعر . وصنَّف مسنداً ، ورُزِقَ قوة الفهم وجودة القريحة ، وشرف الأخلاق ، وله الشِّعْر الرائق الحسن ، وكان مشكورَ السيرة في القضاء ، عَدْلاً ثقة إماماً .

قال الخطيب : أخبرنا أبو الطَّيِّب الطَّبري ، سَمِعْتُ المعافى بن زكريا الجَرِيري يقول : كنا نجلس في

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) : العقد الفريد ، وإخالها مقحمة من الناسخ ، إذ لم ترد في نسخنا المخطوطة ، ولفظ « الفريد » نعت متأخراستلحق بعنوان العقد بعد عصر ابن كثير ، انظر ما كتبه الدكتور جبرائيل جبور حول تسمية الكتاب في « ابن عبد ربه وعقده » (ص٤٧ ـ ٥٠) دار الآفاق الجديدة ـ بيروت . وترجمة ابن عبد ربه في تاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٨) يتيمة الدهر (٢/ ٦٥ ـ ٨٨) جذوة المقتبس (٩٤ ـ ٩٦) بغية الملتمس (١٤٨/ ١٥١) معجم الأدباء (٤/ ٢١١ ـ ٢٢٤) وفيات الأعيان (١/ ١١٠ ـ ١١٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٨٣) العبر (٢/ ٢١١ ـ ٢١٢) الوافي بالوفيات (٨/ ١٠ ـ ١٤) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) بغية الوعاة (١٦١) شذرات الذهب (٢/ ٣١٢) .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ١١٠) .

(٤) أخبار الراضي للصولي (١٤١/ ١٤٢) تاريخ بغداد (١١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٢) المنتظم (٦/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧) .

(٥) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٢٠هـ) .

حضرة القاضي أبي الحسين ، فجئنا يوماً ننتظره على العادة ، فجلسنا عند بابه ، وإذا أعرابيٌّ جالس كأنَّ له حاجةً ، إذ وقع غُرَابٌ على نخلة في الدَّار ، فصرخ ثم طار . فقال الأعرابي : هذا الغراب يقول : إن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام . قال : فزبرناه ، فقام وانصرف ، ثم خرج الإذْن من القاضي إلينا أن هَلُمَّ فادخلوا ، فدخلنا ، فإذا به متغير اللون مغتماً ، فقلنا : ما الخبر ؟ فقال : إني رأيت البارحة في المنام شخصاً يقول :

منــازلَ آلِ حَمَّــادِ بــنِ زيــدٍ ... علـى أهليـكِ والنِّعَـمِ السَّـلامُ

وقد ضاق لذلك صَدْري . قال : فدعونا له ، وانصرفنا . فلما كان اليوم السَّابع من ذلك اليوم دُفِنَ[1] .

وقد كانت وفاته يوم الخميس لسبع عشرة مَضَتْ من شعبان من هذه السَّنة ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وصلَّى عليه ابنه أبو نَصْر ، وولي بعده القضاء .

قال الصُّولي : بلغ القاضي أبو الحسين من العِلْم مبلغاً عظيماً مع حداثة سنه ، وحين توفي كان الراضي يبكي عليه بحضرتنا ويقول : كنت أضيق بالشيء ذَرْعاً فيوسعه عليَّ ، ثم يقول : والله لا بقيتُ بعدَه[2] .

ابنُ شَنَبُوذ المُقْرِىء[3] محمد بن أحمد بن أيوب بن الصَّلْت : أبو الحسن ، المقرىء ، المعروف بابن شَنَبُوذ .

روى عن أبي مسلم الكجِّي ، وبِشْر بن موسى ، وخَلْقٍ .

وكان يختار حروفاً أنكرها أهل زمانه عليه ، وصنَّف أبو بكر بن الأنباري كتاباً في الرَّدِّ عليه[4] .

وقد ذكرنا ـ فيما تقدَّم[5] ـ كيف عُقِدَ له مجلسٌ في دار الوزير أبي علي محمد بن علي بن مُقْلة ، وأنه ضُرِبَ حتى رجع عن كثيرٍ من القراءات الشَّاذَّة التي أنكرها القراء من أهل عصره عليه .

وكانت وفاته في صفر منها .

---

(١) انظر تاريخ بغداد (١١/ ٢٣٢) .
(٢) انظر أخبار الراضي (١٣١ ـ ١٤٢) .
(٣) الفهرست (٤٧ ـ ٤٨) تاريخ بغداد (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) الأنساب (٧/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) المنتظم (٦/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) معجم الأدباء (١٧/ ١٦٧ ـ ١٧٣) وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٩ ـ ٣٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦) العبر (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) معرفة القراء (٦/ ٢٢١ ـ ٢٢٥) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩٠) غاية النهاية (٢/ ٥٢ ـ ٥٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٧) شذرات الذهب (٢/ ٣١٣ ـ ٣١٤) .
(٤) هو « الرد على من خالف مصحف عثمان بن عفان » انظر مظانه في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٢/ ٢١٦) .
(٥) انظر أحداث سنة (٣٢٣هـ) .

وقد دعا ابن شنبوذ على ابن مقلة حين أمر بضربه ، فلم يُفْلح ابن مقلة بعدها .

ابنُ مُقْلَة الوزير(١) : أحد الكُتَّاب المشاهير ، محمد بن علي بن الحسن(٢) بن عبد الله : أبو علي ، المعروف بابن مُقْلَة الوزير .

وقد كان في أول عمره ضعيفَ الحال ، [قليل المال](٣) ثم آل به الحال إلى أنْ ولي الوِزارة لثلاثةٍ من الخلفاء ، وهم : المقتدر ، والقاهر ، والرَّاضي . وعزل ثلاث مرات ، وقُطِعتْ يده ولسانه في آخر أمره ، وحُبِسَ ، فكان يستقي الماء بيده اليُسْرى وأسنانه ، وكان مع ذلك يكتُبُ بيده اليُمْنى مع قَطْعها كما كان يكتب بها وهي صحيحة . وقد كان خَطُّه من أقوى الخطوط ، كما هو مشهور(٤) عنه .

وقد بنى له داراً في زمن وزارته ، فجمع عند بنائها خَلْقاً من المنجمين ، فاتفقوا على أن تبنى في الوقت الفلاني ، فأسَّسَ جدارها بين العِشَاءين كما أشاروا ، فما لبث بعد استتمامها إلا يسيراً حتى خَرِبَتْ ، وصارت كوماً . وقد كان له بُسْتان كبير جداً ، عدة أجْرِبَة ـ أي فدادين ـ وعليه جميعه شبكةٌ من إبْرَيْسَم(٥) ، وفيه من الطيور من القَمَارِي(٦) والهَزَار والببغ والبلابل والطَّواويس والقَبَج(٧) شيء كثير ، وفيه من الغِزْلان وبقر الوحش وحميره والنعام والإبل شيء كثير أيضاً . ثم صار هذا كله عما قريب بعد النضرة والبهاء إلى الهلاك والفَنَاء .

وقد أنشد فيه بعضُ الشعراء حين بنى داره وما حولها من الفِنَاء :

قُلْ لابن مُقْلَة [مهلاً](٨) لا تكُنْ عَجِلاً ... واصْبِرْ ، فإنَّكَ في أضْغَاثِ أحْلامِ

تبني بأنقاضِ دُورِ النَّاسِ مجتهداً ... داراً ستُنْقَضُ أيضاً بعدَ أيامِ

---

(١) ثمار القلوب (٢١٠ ـ ٢١٢) المنتظم (٦/ ٣٠٩ ـ ٣١١) الكامل لابن الأثير (٨/ ١٨٣) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٥/ ١١٣ ـ ١١٨) الفخري (٢٣٨ ـ ٢٤١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٩) العبر (٢/ ٢١١) الوافي بالوفيات (٤/ ١٠٩ ـ ١١١) مرآة الجنان (٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٨) شذرات الذهب (٢/ ٣١٠ ـ ٣١٢) .

(٢) في أغلب المصادر : الحسين .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ثمة اختلاف فيمن صاحب الخط المنسوب ، هو أو أخوه الحسن ، وقد رجح ابن خلكان أن أخاه هو صاحب الخط المليح ، وقال الذهبي : وكانا بديعي الكتابة ، والظاهر أن الحسن هو صاحب الخط . أما القلقشندي فرجح أن الوزير هو صاحب الخط ، وإن كان أخوه أيضاً ممن أجاد الخط وأحسنه . انظر وفيات الأعيان (٥/ ١١٧) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٢٩) وصبح الأعشى (٣/ ١٧) .

(٥) هو الحرير ، فارسي معرب .

(٦) هو ضرب من الحمام ، مطوق ، حسن الصوت ، مفردها قمري . المعجم الوسيط (٢/ ٧٦٤) .

(٧) هو الحجل . المعجم الوسيط (٢/ ٧١٦) .

(٨) ما بين حاصرتين ليست في النسخ الخطية و(ط) ، والمثبت من المنتظم (٦/ ٣١٠) .

ما زلت تختارُ سَعْدَ المُشْتريِّ لها فلم توقَّ به من نَحْسِ بَهْرام[1]
إنَّ القِرَان وبطليموس ما اجتمعا في حالِ نَقْضٍ ولا في حالِ إبرامِ

فَعُزِلَ ابنُ مُقْلَة عن وزارته ، وخُرِّبَتْ داره ، وأُتلفت أشجاره ، وقُطِعَتْ يده ، ثم قطع لسانه ، وأغرم ألف ألف دينار ، ثم سُجِنَ وحدَه [ليس معه من يخدمه][2] مع الكبر والضَّعْفِ والضرورة ، [وانعدام بعض أعضائه][3] فكان يستقي الماء بنفسه من بئرٍ عميق ؛ يمدُّ الحبل بيده اليُسْرى ويمسكه بفِيْه ، وقاسى جهداً جهيداً ، بعدما ذاق عيشاً رغيداً .

ومنْ شعره حين قطعت يده :

ما سَئِمْتُ الحياةَ لكنْ توثَّقْـ ـتُ بأيمانهم فبانَتْ يميني
بعْتُ ديني لهم بدنيايَ حتى حَرَمُوني دُنياهُمُ بعدَ دِيْني
ولقدْ حُطْتُ ما استطعتُ بجهدي حِفظَ أرْوَاحِهِمْ فما حَفَظُوني
ليسَ بعدَ اليمينِ لذَّةُ عَيْشٍ يا حياتي بانَتْ يميني فَبِيْني

وكان يبكي على يده كثيراً ويقول : بعدما خدمت بها ثلاثة من الخلفاء ، وكتبتُ بها القرآن مرتين ، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص .

ثم ينشد :

إذا ما ماتَ بَعْضُكَ فابكِ بعضاً فإنَّ البَعْضَ من بَعْضٍ قَرِيْبُ

وقد مات رحمه الله في حَبْسِهِ هذا ، ودُفِنَ في دار السُّلْطان ، ثم سأل ولده أبو الحسين أن يحوَّلَ ، فأجيب ، فنبشوه ، ودفنه ولدُه عنده في داره . ثم سألت زوجته المعروفة بالدِّينارية أن يدفنَ في دارها [فأجيبت إلى ذلك] ، فنبش ودفن عندها . فهذه ثلاث مراتٍ .

مات رحمه الله وله من العمر ستٌّ وخمسون سنة .

أبو بكر بن الأنْباري[4] **محمد بن القاسم بن محمد بن بشَّار بن الحسن بن بَيَان بن سَماعة بن فَرْوة بن**

(١) في (ط) : فكم نحوس به من نحس بهرام .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) انظر المنتظم (٦/ ٣١١) ووفيات الأعيان (٥/ ١١٦) .
(٤) طبقات النحويين واللغويين (١٧١) الفهرست (١١٢) تاريخ بغداد (٣/ ١٨١ ـ ١٨٦) طبقات الحنابلة (٢/ ٦٩ ـ ٧٣) الأنساب (١/ ٣٥٥) نزهة الألباء (١٨١ ـ ١٨٨) المنتظم (٦/ ٣١١ ـ ٣١٥) معجم الأدباء (١٨/ ٣٠٦ ـ ٣١٣) إنباه الرواة (٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٨) وفيات الأعيان (٤/ ٣٤١ ـ ٣٤٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٤٢ ـ ٨٤٤) معرفة القراء (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧) العبر (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٥) الوافي بالوفيات (٤/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٤) غاية النهاية (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٩) بغية الوعاة (٩١ ـ ٩٢) شذرات الذهب (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .

قَطَن بن دِعَامة ، أبو بكر الأنْباري ، صاحب « كتاب الوَقْف والابتداء »[١] وغير ذلك من المُصنَّفات .

وكان من بحور العِلْم في اللغة والعربية ، [والتفسير والحديث][٢] وغير ذلك .

سمع الكُدَيْميَّ ، وإسماعيل القاضي ، وثَعْلباً وغيرهم ، وكان ثِقَةً صدوقاً أديباً ، دَيِّناً فاضلاً من أهل السُّنَّة ، من أعلم النَّاس بالنَّحْو والأدب ، وأكثرهم حِفْظاً له ، كانت له من المحافيظ مجلدات عظيمة كثيرة ؛ أحمال جمال ، وكان لا يأكل إلا النقالى ، ولا يشربُ ماءً إلى قريب العصر ، مراعاةً لحفظه .

ويقال : إنه كان يحفظ مئة وعشرين تفسيراً ، وحفظَ « تعبير الرؤيا » في ليلةٍ ، وكان يحفظ في كلِّ جمعة عشرة آلاف ورقة ، وكانت وفاته ليلة عيد النَّحْر من هذه السنة .

أم عيسى بنت إبراهيم الحَرْبي[٣] .

كانت عالمةً فاضلة ، تفتي في الفِقْه ، توفيت في رجب منها ، ودُفِنَتْ إلى جانب أبيها ، رحمهما الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمئة

في المنتصف من ربيع الأول منها كانت وفاة الخليفة الرَّاضي بالله[٤] أمير المؤمنين أبي العَبَّاس أحمد[٥] بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق أبي أحمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرَّشيد بن المهدي بن المنصور ، العَبَّاسي .

استُخْلِفَ بعد عَمِّه القاهر لستٍّ خَلَوْنَ من جُمادى الأُولى سنة ثنتين وعشرين وثلاثمئة ، وأمه أم ولد روميَّة تسمى ظَلُوم .

كان مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومئتين ، فكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ،

---

(١) هو كتاب « إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل » طبع في دمشق سنة (١٩٧١م) في جزأين بتحقق محيي الدين رمضان ، وقد صدر ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٣) المنتظم (٦/ ٣١٥) .

(٤) أخبار الراضي والمتقي للصولي (١/ ١٨٥) مروج الذهب (٢/ ٥١٩) وما بعدها ، معجم الشعراء للمرزباني (٤٣٠) تاريخ بغداد (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٥) المنتظم (٦/ ٢٦٥ ـ ٢٧١ ، ٣٢٤ ـ ٣٢٥) الكامل لابن الأثير (٨/ ٢٨٢) وما بعدها ، النبراس (١١٤ ـ ١١٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٠٣ ـ ١٠٤) العبر (٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٧١) تاريخ الخلفاء (٣٩٠ ـ ٣٩٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٤) .

(٥) في تاريخ بغداد (٢/ ١٤٢) محمد ، وفي سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٠٣) محمد ، وقيل : أحمد .

وعمره يوم مات إحدى وثلاثون سنة وعشرة أشهر . وكان أَسْمَرَ رقيقَ السُّمْرة ، دُرِّيَّ اللَّوْن ، أسودَ الشعر سَبْطَه ، قصيرَ القامة ، نحيفَ الجسم ، في وجهه طُول ، وفي مقدَّم لحيته تمام ، وفي شَعْرِها رِقَّة . هكذا وصفه من شاهده .

قال الخطيب البغدادي : كان للرَّاضي فضائل كثيرة ، وختم الخلفاء في أمور عِدَّة ، منها : أنه آخر خليفة له شِعْر ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة خَطَبَ على منبرٍ يومَ الجمعة ، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء ، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجَّابه وأموره ، كل ذلك يجري على ترتيب المتقدِّمين من الخلفاء(١) .

وقال غيره : كان فصيحاً بليغاً كريماً جَوَاداً ممدَّحاً ، ومن جيد كلامه الذي سمعه منه محمدُ بنُ يحيى الصُّولي : لله أقوامٌ هم مفاتيح الخير ، وأقوام هم مفاتيح الشر ، فمن أراد الله به خيراً قصد به أهل الخير ، وجعله الوسيلة إلينا فنقضي حاجته ، فهو الشَّريك في الثَّواب والشكر . ومن أرادَ الله به شَرّاً عَدَلَ به إلى غيرنا ، فهو الشَّريك في الوِزْر والإثم ، والله المستعانُ على كلِّ حال(٢) .

ومن ألطف الاعتذارات ما كتب به الرَّاضي إلى أخيه المتقي وهما في المكتب ـ وكان المتقي قد اعتدى على الرَّاضي والراضي هو الكبير منهما ـ فكتب إليه الراضي : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنا معترف لك بالعبودية فرضاً ، وأنت معترفٌ لي بالأخوة فَضْلاً ، والعَبْدُ يذنب والمَوْلى يعفو ، وقد قال الشَّاعر :

يـا ذا الـذي يغضبُ مـن غير شـيّ ... اعتـبْ فَعَتْبَـاك حبيـبٌ إلـيّ
أنـتَ ـ علـى أنَّـكَ لـي ظَـالـمٌ ـ ... أعـزُّ خَلْـقِ الله طُـرّاً علـيّ

قال : فجاء إليه أخوه المتقي ، فأكبَّ عليه يقبِّل يديه ، وتعانقا واصطلحا(٣) .

ومن لطيف شعره قوله فيما ذكره ابنُ الأثير في « الكامل » :

يَصْفـرُّ وَجْهـي إذا تـأمَّلَـهُ ... طَـرْفـي ويحمَـرُّ وجهُـهُ خَجَـلا
حتـى كـأنَّ الـذي بِـوَجْنتـهِ ... مِـنْ دَمِ جِسْمـي إليـه قـد نُقِـلا(٤)

قال : ومما رثى به أباه المقتدرَ قوله :

ولـو أنَّ حَيّـاً كـان قَبْـراً لميِّـتٍ ... لَصَيَّـرتُ أحشـائـي لأعْظُمـهِ قبْـرا

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٤٣) .
(٢) المصدر السالف ، والمصباح المضيء لابن الجوزي ١/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩ .
(٣) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٤٤) .
(٤) الكامل (٨/ ٣٦٦) .

ولــو أنَّ عُمْـري كــان طَـوْعَ مشيئتـي   وسـاعَـدَنـي المِقْـدارُ قـاسَمْتُـهُ العُمْـرا
بنفسي ثرىً ضَاجَعْتَ في تُربِهِ البلى   لقد ضمَّ منكَ الغَيْثَ واللَّيْثَ والبَدْرا(١)

ومن شعره الذي رواه الخطيب من طريق أبي بكر محمدِ بنِ يحيى الصُّولي النَّديم عنه قوله :

كـلُّ صفْـوٍ إلـى كَـدَرْ   كـل أمْـنٍ إلـى حَـذَرْ
ومصيـرُ الشَّبـابِ لِلْـ   ـمَـوْتِ فيـه أو الكِبَـرْ
دَرَّ دَرُّ المشيـبِ مـنْ   واعِـظٍ يُنْـذرُ البَشَـرْ
أيُّهــا الآمِـلُ الــذي   تـاهَ فـي لُجَّـةِ الغَـرَرْ
أينَ منْ كانَ قبْلَنَا ؟   دَرَسَ العَيْــنُ والأثَــرْ
سيَـرُدُّ المُعـارَ مـنْ   عُمْـرُهُ كلُّـهُ خَطَـرْ
رَبِّ إنـي ذَخَـرْتُ عِنْـ   ـدَكَ أرجـوكَ مُـدَّخَـرْ
إنـي مُـؤْمـنٌ بمـا(٢)   بَيَّنَ الوَحْيُ في السُّوَرْ
واعتـرافـي بتَـرْكِ نَفْـ   ـعي وإيثـاريَ الضَّـرَرْ
ربِّ فاغْفِرْ ليَ الخَطِيْـ   ـئَةَ يا خَيْرَ منْ غَفَرْ(٣)

ومما أنشده له ابنُ الجوزي في « منتظمه » :

لا تعذلي كرمي(٤) على الإسرافِ   ربـحُ المحـامـدِ متجـرُ الأشْـرَافِ
أجري كآبائي الخلائفِ(٥) سابقاً   وأشيـدُ مـا قـد أسَّسَـتْ أَسْـلافـي
إنـي مـن القـوم الـذيـنَ أكفُّهـم   معتـادةُ الإخـلافِ والإتْـلافِ(٦)

وقد كانت وفاته بعِلَّة الاستسقاء في ليلة السادس عشر من ربيعٍ الأوَّل من هذه السنة . وكان قد أرسل إلى بجكم وهو بواسطَ ليعهد إلى ولده الأصغر أبي الفَضْل ، فلم يتفق له ذلك ، وبايع النَّاس أخاه المُتَّقي لله إبراهيم بن المقتدر ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

---

(١) المصدر السالف .
(٢) في (ط) : ربِّ إني مؤمن بما ، ووزنه غير مستقيم .
(٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥) وانظر أخبار الراضي (١٨٥) .
(٤) في (ط) : لا تكثرن لومي .
(٥) في (ط) أحوي لما يأتي المكارم سابقاً .
(٦) المنتظم (٦/ ٢٦٧) .

خلافة المتقي لله أبي إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله

لما مات أخوه الرَّاضي اجتمع القضاة والأعيان بدار بُجْكُم ، واشتوروا فيمن يولُّون عليهم ، فاتَّفقَ رأيهم كلهم على المتقي لله إبراهيم هذا ، فأحضروه إلى دار الخلافة ، وأرادوا بيعته ، فصلَّى ركعتين صلاة الاستخارة وهو على الأرض . لم يصعد إلى الكرسي بَعْدُ ، ثم صَعِدَ إلى السَّرير وبايعه الناس ، وكان ذلك يوم الأربعاء لعشرٍ بقين من ربيع الأول من هذه السنة ـ أعني سنة تسع وعشرين وثلاثمئة ـ فلم يغيِّرْ على أحدٍ شيئاً ، ولا غدر بأحد حتى ولا على سَرِيَّتِهِ لم يغيرها ، ولم يتسرَّ عليها . وكان كما سمِّيَ المتقي لله ، كثيرَ الصَّلاة والصِّيام والتعبُّد . وقال : لا أريد أحداً من الجلساء ، حسبي المصحف نديمي ، لا أريد نديماً غيره . فقعد عنه الجلساءُ والندماء ، والتفوا على بُجكم ، فكان يجالسهم فيحادثونه ويتناشدون عنده الأشعار ، فكان لا يفهم كثيرَ شيءٍ مما يقولون لعجمته ، وكان في جُمْلتهم سنان بن ثابت الصَّابىء المتطبب ، فكان بُجْكُم يشكو إليه قوة النفس الغضبية فيه ، فكان سِنَان يهذِّب من أخلاقه ويسكن جَأْشَه[1] ، ويروضها حتى سكن عن بعض ما كان يتعاطاه من سَفْكِ الدِّماء .

وكان المتقي بالله حسنَ الوجه ، معتدل الخَلْق ، قصيرَ الأنف ، أبيضَ مُشْرباً حمرةً ، في شعره شُقْرة وجُعودة ، كثَّ اللحية ، أشهل العينين[2] ، أبيَّ النفس ، لم يَشْرَبِ النَّبيذ قط ، فالتقى فيه الاسم والفعل ، ولله الحمد . ولما استقر المتقي لله في الخلافة أنفذ الرُّسل والخِلَع إلى بُجْكُم وهوبواسط ، ونفذت المكاتبات إلى الآفاق بولاية المتقي لله .

وفي هذه السنة تحارب أبو عبد الله البَريدي وبُجْكم بناحية الأهواز ، فَقُتِلَ بُجْكم في الحرب[3] ، واستظهر البريديُّ عليه وقوي أمره ، فاحتاط الخليفةُ على حواصل بُجْكم ، فكان في جملة ما أخذ من أمواله ألف ألف دينار ومئتي ألفِ دينار . وكانت أيام بُجْكم على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام .

ثم إن البريدي حدَّثته نفسه ببغداد ، فأنفق المتقي أموالاً جزيلة في الجند ليمنعوه من ذلك ، فركب بنفسه ، فخرج إلى أثناء الطَّريق ليمنعه من ذلك ، فخالفه البريدي ، ودخل بغداد في ثاني رمضان ، ونزل بالشَّفيعي ، فلما تحقق المتقي ذلك بعث إليه يهنئه ، وأرسل إليه بالأطعمة ، وخوطب بالوزير ولم يخاطبه بإمرة الأمراء . فأرسل البريدي يطلب من الخليفة خمسمئة ألف دينار ، فامتنع الخليفة من ذلك ، فبعث

---

(١) الجأش : النفس . اللسان (جأش) .

(٢) الشهلة في العين : أن يشوب سوادَها زرقة . اللسان (شهل) .

(٣) انفرد ابن كثير بهذا الخبر ، والمشهور أنه قتل وهو يتصيد عقب هذه المعركة التي لم يشترك بها ، انظر الكامل (٨/ ٣٧١) وانظر وفيات هذه السنة .

[إليه][(١)] يتهدَّده ويتوعَّده ويذكره ما حَلَّ بالمعز والمستعين والمهتدي والقاهر . واختلفت الرُّسل بينهما ، ثم كان آخر ذلك أن بعث الخليفة إليه بذلك قهراً ، ولم يتفق اجتماع الخليفة والبريدي ببغداد حتى خرج منها البريدي إلى واسط ؛ وذلك أنه ثارت عليه الدَّيالمة ، والتفوا على كبيرهم كورتكين ، وراموا حريق دار البريدي حين قبضَ المال من الخليفة ، ولم يعطهم شيئاً ، وكانت البجكمية طائفة أخرى قد اختلفت معه أيضاً وهم والديالمة قد صاروا حزبين ، فانهزم البريدي من بغداد[(٢)] يوم سَلْخ رمضان ، فاستولى كورتكين على الأمور ببغداد ، ودخل [إلى][(٣)] المتقي ، فقلَّده إمارة الأمراء ، وخلع عليه ، واستدعى المتقي عليَّ بنَ عيسى وأخاه عبد الرحمن ، ففوَّض إلى عبد الرحمن تدبير الأمور من غير تسمية بوزارة ، ثم قبض كورتكين على رئيس الأتراك تكينك غلام بُجْكُم وغرَّقه . ثم تظلَّمتِ العامة من الدَّيْلم ؛ أنهم يأخذون منهم دُورهم ، فشكوا ذلك إلى كورتكين فلم يشكهم ، فمنعتِ العامة الخطباء أن يصلُّوا في الجوامع ، واقتتل الدَّيْلَم والعامة ، فَقُتلَ من الفريقين خَلْقٌ كثير ، وجمٌّ غفير .

وكان الخليفة قد كتب إلى أبي بكر محمد بن رائق ؛ صاحب الشام يستدعيه إليه ليخلصه من الديلم والبريدي ، فركب إلى بغداد في العشرين من رمضان ومعه جيشٌ عظيم ، وقد صار إليه من الأتراك البجكمية خَلْقٌ كثير ، وحين وصل إلى المَوْصل حاد عن طريقه ناصرُ الدَّوْلة بن حَمْدان ، فتراسلا ثم اصطلحا ، وحمل ابنُ حَمْدان مئة ألف دينار ، فلما اقترب ابنُ رائق من بغداد خرج كورتكين في جيشه ليقاتله ، فدخل ابن رائق بغداد من غربها ، ورجع كورتكين بجيشه فدخل من شَرْقها ، ثم تصافُّوا ببغداد للقتال ، فساعدت العامةُ ابنَ رائق على كورتكين ، فانهزم الدَّيْلم ، وقُتل منهم خلْقٌ كثير ، وهرب كورتكين فاختفى ، واستقرَّ أمر ابن رائق على بغداد ، وخلع عليه الخليفة ، وركب هو وإياه في دِجْلة ، وظفر ابنُ رائق بكورتكين ، فأودعه السِّجْن الذي في دار الخِلافة .

قال ابن الجَوْزي : وفي يوم الجمعة الثَّاني عشر من جمادى الأولى حضر النَّاس لصلاة الجمعة بجامع براثىٰ ، وقد كان المقتدر أحرق هذا المسجد[(٤)] لأنه كبس ، فوجد فيه جماعةً من الشيعة يجتمعون فيه للسبِّ والشتم ، فلم يزل خراباً حتى عمَّره بُجْكم في أيام الرَّاضي ، ثم أمر المتقي بوضع منبر فيه كان عليه اسم الرَّشيد ، وصلَّى الناس فيه هذه الجمعة . قال : فلم تزل تقام فيه إلى بعد سنة خمسين وأربعمئة[(٥)] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) : ورامو حريق دار البريدي ، ونفرت عن البريدي طائفة من جيشه ، يقال لهم البجكمية ، لأنه لما قبض من الخليفة لم يعطهم منه شيئاً ، وكانت من البجكمية طائفة أخرى قد أخلفت معه أيضاً وهم والديالمة قد صاروا حزبين ، والتفوا مع الديالمة فانهزم البريدي من بغداد .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) انظر أحداث سنة (٣١٣هـ) .

(٥) انظر المنتظم (٦/ ٣١٧) .

قال ابن الجوزي : وفي جمادى الآخرة في ليلةِ سابعه كانت ليلةَ بردٍ ورعد وبرق ، فسقطت القُبَّة الخضراء من قصر المنصور ، وقد كانت هذه القبة تاجَ بغداد وعلم البلد ، ومأثرةً من مآثر بني العَبَّاس عظيمةً ، بُنِيت أوَّلَ مُلْكهم ، فكان بين بنائها وسُقُوطها مئة وسبع وثمانون سنة[١] .

قال : وخرجَ التشرينان والكانونان من هذه السنة ولم تمطر بغداد فيها شيئاً سوى مطرة واحدة لم ينبلَّ منها التراب ، فَغَلَتِ الأسعار ببغداد حتى بيع الكر بمئة وثلاثين ديناراً ، ووقع الفَنَاء في الناس حتى كان الجماعة يُدْفنون في القبر الواحد من غير غُسْل ولا صلاة ، وأبيع العقار والأثاث بأرخص الأسعار ؛ اشْتُري بالدِّرْهم ما يساوي الدينار[٢] .

ورأتِ امرأةٌ رسولَ الله ﷺ في منامها وهو يأمرها بخروج النَّاس إلى الصحراء لصلاة الاستسقاء ، فأمر الخليفةُ بامتثال ذلك ، فصلَّى الناس واستسقوا ، فجاءتِ الأمطارُ فزادتِ الفُرَات شيئاً لم يُرَ مثله ، وغرقت العباسية ، ودخل الماءُ شوارع بغداد ، فسقطتِ القنطرة العتيقة والجديدة[٣] .

وقطعتِ الأكراد على قافلةٍ من خراسان الطريق ، فأخذوا منهم ما قيمته ثلاثة آلاف ألف دينار[٤] ، وكان أكثر ذلك من أموال بُجْكم التركي .

وخرج الناس للحجِّ في هذه السنة ، ثم رجعوا من أثناء الطريق بسبب رجلٍ من العلويين قد ظهر بالمدينة النبوية ، ودعا إلى نفسه ، وخرج عن الطاعة[٥] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن إبراهيم[٦] بن نَوْمَرْد[٧] : الفَقيه ، أحد أصحاب ابن سُرَيج .

خرج من الحَمَّام ، [إلى خارجه][٨] فسقط عليه [الحِمام][٨] ، فمات من فوره ، رحمه الله .

---

(١) المنتظم (٦/ ٣١٧ ـ ٣١٨) .
(٢) المنتظم(٦/ ٣١٩) .
(٣) انظر المنتظم (٦/ ٣١٨ ـ ٣١٩) .
(٤) في مطبوع المنتظم (٦/ ٣١٨) : ثلاثة آلاف دينار ؛ والمثبت من (ح) و(ب) وانظر أخبار الراضي والمتقي للصولي (١٩٢) .
(٥) انظر المنتظم (٦/ ٣١٩) .
(٦) تاريخ جرجان (٤٩ ـ ٥٠) الأنساب (١٢/ نومرد) اللباب : (٣/ ٢٤٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٩) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٣٤٦) .
(٧) في (ب) و(ح) : مرد ، وفي (ظا) : برمود ، وفي (ط) : تزمرد ، وكله تصحيف ، والمثبت من الأنساب (١٢/ نومرد) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

بُجْكُم التُّركي(١) الذي تولى إمرة الأُمراء ببغداد قبل بني بُوَيْه ، وكان عاقلاً يفهم بالعربية ولا يتكلَّم بها ، يقول : إني أخاف أن أخطىء والخطأ من الرئيس قبيح . وكان مع ذلك يحبُّ العِلْم وأهله ، وكان كثير الأموال والصَّدَقات ، ابتدأ بعمل البيمارَسْتان ببغداد فلم يتمَّ ، فجدَّده عضد الدولة بن بُوَيْه ، وكان [بُجْكُم](٢) يقول : العدل أربح للسُّلْطان في الدُّنيا والآخرة .

وكان يَدْفِنُ أموالاً كثيرة بالصحارى ، فلما مات لم يُدْرَ أين هي ، وكان ندماء الراضي قد انحدروا إلى بُجْكُم وهو بواسط ، قد ضمنها بثمانمئة ألف دينار ، فكانوا يسامرونه كالخليفة ، وكان لا يفهم أكثر ما يقولون ، وراض له مزاجه الطبيب سنان بن ثابت الصَّابىء حتى لان خلقُهُ وحَسُنَتْ سيرته ، وقلَّتْ سطوته ، ولكن لم يعمّر إلا قليلاً بعد ذلك .

وقد دخل عليه رجلٌ فوعظه فأبكاه ، فأمر له بألف دِرْهم ، فلحقه بها الغلام ، فقال بُجْكُم لجلسائه : ما أظنه يقبلها ، هذا رجل متخرق بالعبادة ، ماذا يصنع بالدَّراهم ؟ فرجع الغلام وليس معه شيء ، فقال : قبلها ؟ قال : نعم ! قال بجكم : كلُّنا صيادون ولكن الشباك تختلف .

وكانت وفاته لتسع بقين من رجب هذه السنة . وسببها أنه خرج يتصيد ، فلقي طائفةً من الأكراد ، فاستهان بهم ، فقاتلوه ، فضربه رجلٌ منهم فقتله . وكانت إمرته على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام ، وخلَّف من الأموال والحواصل ما ينيف على ألفي ألف دينار ، أخذها كلها المتقي لله .

أبو محمد البَرْبَهاري الواعظ(٣) : الحسن بن علي بن خَلَف ، أبو محمد ، البَرْبَهاري العالم الزَّاهد ، الفقيه الحنبلي الواعظ .

صَحِبَ المَرُّوذي ، وسهلاً التُّسْتَري ، وتنزَّه عن ميراث أبيه ـ وكان سبعين ألفاً ـ لأمرٍ كرهه . وكان شديداً على أهل البِدَع والمعاصي ، وكان كبيرَ القَدْرِ عند الخاصَّة والعامة ، وقد عَطَسَ يوماً وهو يعظ النَّاس فشمَّته(٤) الحاضرون ، ثم شمَّته منْ سمعهم حتى شمته أهلُ بغداد ، فانتهت الضَّجة إلى دار الخلافة ، فغار الخليفة من ذلك ، وتكلم فيه جماعةٌ من أرباب الدولة ، فَطُلِبَ ، فاستتر عند أُخت

---

(١) أخبار الراضي للصولي (١٩٣ ـ ١٩٧) المنتظم (٦/ ٣٢٠ ـ ٣٢٣) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) طبقات الحنابلة (٢/ ١٨ ـ ٤٥) المنتظم (٦/ ٣٢٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠ ـ ٩٣) العبر (٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧) الوافي بالوفيات (١٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧) شذرات الذهب (٢/ ٣١٩) .

(٤) شمت العاطس ، وسمت عليه : دعا له أن لايكون في حال يشمت به فيها ، والسين لغة . « لسان العرب » (شمت) .

توزون[١] شهراً ، ثم أخذه القيام[٢] ، فمات عندها ، فأمرت خادمها أن يصلِّي عليه ، فصلَّى ، فامتلأتِ الدار رجالاً عليهم ثياب بيض ، فدفنته عندها ، ثم أَوْصَتْ أن تُدْفنَ عنده . وكان عمره يوم مات ستاً وتسعين سنة ، رحمه الله[٣] .

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البُهْلول[٤] : أبو بكر الأَزْرَق ـ لأنه كان أزرق العينين ـ التَّنوخي ، الكاتب .

سمع جدَّه ، والزبير بن بَكَّار ، والحسن[٥] بن عَرَفة ، وغيرهم ، وكان خَشِنَ العيش كثير الصَّدقة ؛ يقال : إنه تصدَّقَ بمئة ألف دينار ، وكان أمَّاراً بالمعروف ، نهاءً عن المنكر ، روى عنه الدَّارقطني وغيرُه من الحُفَّاظ ، وكان ثِقَةً عَدْلاً .

توفي في ذي الحجَّة من هذه السنة عن اثنتين وتسعين سنة .

[ثم دخلت][٦] سنة ثلاثين وثلاثمئة

قال ابن الجَوْزي : في المحرَّم منها ظهر كوكب بذنبٍ ، رأسُه إلى المغرب وذنبه إلى المشرق ، وكان عظيماً جداً ، وذنبه منتشرٌ ، وبقي ثلاثة عشر يوماً إلى أن اضمحل[٧] .

قال : وفي نصف ربيع الأول بلغ الكُرُّ من الحِنْطة مئتي دينار وعشرة دنانير ، ومن الشعير مئة وعشرين ديناراً ، ثم بلغ الكر الحنطة ثلاثمئة وستة عشر ديناراً ، وأكل الضُّعفاء المَيْتة ، ودام الغلاء وكَثُرَ الموت ،

---

(١) في النسخ الخطية و(ط) : بوران ، وهو تحريف ، والمثبت من المنتظم (٦/ ٣٢٣) وهو أحد القواد الأتراك ، خلع عليه المتقي لله ، وجعله أميراً للأمراء ، ودامت إمارته حتى وفاته سنة (٣٣٤هـ) ، وهو الذي سمل المتقي وخلعه ، وبايع المستكفي ، وأخباره مبثوثة في حوادث هذه السنين .

(٢) في المنتظم (٦/ ٣٢٣) : قيام الدم .

(٣) هذه هي رواية ابن الجوزي في المنتظم ، أما الذهبي فذكر في تاريخ الإسلام (٧/ ٥٧٣) والسير (١٥/ ٩٣) أنه عاش سبعاً وسبعين سنة .

(٤) أخبار الراضي والمتقي (٢١٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) الأنساب (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) المنتظم (٦/ ٣٢٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) العبر (٢/ ٢١٩) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٦) الجواهر المضية (٢/ ٢٣٤) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٤) .

(٥) في (ط) : الحسين ، وهو تحريف .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٧) المنتظم (٦/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) .

وتقطعتِ السُّبُل ، وشُغِلَ الناسُ بالمرض والفَقْر ، وترك دفن الموتى ، وشغل الناس عن الملاهي واللعب[١] .

قال : ثم جاء مطرٌ كأفواه القُرَب ، وبلغتْ زيادة دِجْلة عشرين ذراعاً وثلثاً[٢] .

وذكر ابن الأثير في « كامله » أن محمد بنَ رائق ـ الذي هو أمير الأمراء ببغداد حينئذٍ ـ وقعت بينه وبين أبي عبد الله البريدي الذي بواسط وحشة بسبب منع البريدي الخراج الذي عنده ، فركب إليه ابنُ رائق ليتسلم ما عنده من المال ، فوقعت مصالحة ، ورجع ابن رائق [إلى بغداد][٣] ، فطالبه الجند بأرزاقهم ، وضاق عليه حالُه ، وتحيَّز جماعةٌ من الأتراك إلى البريدي ، فَضَعُفَ جانب ابن رائق ، فكاتب البريدي بالوزارة ببغداد ، ثم قَطَعَ اسم الوزارة عنه ، فاشتدَّ حَنَقُ البريدي[٤] [عليه][٥] ، وعزم على أَخْذِ بغداد ، فبعث أخاه أبا الحسين في جيشٍ [إلى بغداد][٥] ، فتحصَّن ابنُ رائق مع الخليفة بدار الخلافة ، ونُصِبَتْ فيه المجانيق والعرَّادات[٦] ، وعلى دجلة أيضاً ، فاضطربت بغداد ، ونهب النَّاسُ بعضَهم بعضاً ليلاً ونهاراً ، وجاء أبو الحسين أخو أبي عبد الله البريدي بمن معه ، فقاتلهم الناس في البر وفي دِجْلة ، وتفاقم الحال ، واشتدَّ الخطب جداً مع الغلاء والوباء والفَناء ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . ثم إن الخليفة وابنَ رائق انهزما في جُمادى الآخرة ، ومع الخليفة ابنه أبو منصور في عشرين فارساً ، فقصدوا نحو الموصل ، واستحوذ أبو الحسين على دار الخلافة ، فَقَتَلَ أصحابُ البريدي منْ وجدوا بدار الخلافة من الحاشية ، ونهبوها حتى وصل النَّهْبُ إلى الحريم ، ولم يتعرَّضوا للقاهر وهو إذ ذاك أعمى مكفوفاً ، وأخرجوا كورتكين من الحبس ، فبعثه أبو الحسين إلى أخيه عبد الله البريدي ، فكان آخر العهد به ، ونهبوا بغدادَ جِهاراً علانية ، ونزل أبو الحسين بدار مُؤْنس التي كان يسكنها ابن رائق ، وكانوا يَكْبسون الدُّور ، ويأخذون ما فيها من الأموال والجواري ، وغلتِ الأسعار ، وضرب أبو الحسين المَكْس على الحِنْطة والشَّعير ، وذاق أهلُ بغداد لباسَ الجوع والخوف ، وكان مع أبي الحسين في الجيش طائفة كبيرة من القرامطة ، فأفسدوا في البلد فساداً عظيماً ، فوقعت بينهم وبين الأتراك حروبٌ طويلة شديدة ، فغلبهم الأتراك وأخرجوهم من بغداد ، ووقعت الحرب بين العامَّة والدَّيْلم أيضاً[٧] .

---

(١) المصدر السالف .
(٢) المصدر السالف .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) انظر الكامل (٨/ ٣٧٩) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ط) بين معترضين : العرادة شيء أصغر من المنجنيق .
(٧) انظر الكامل (٨/ ٣٧٩ ـ ٣٨١) .

وفي شعبان من هذه السنة اشتدَّ الحال أيضاً ، ونُهبتِ المساكنُ ، وكُبِسَ أهلُها ليلاً ونهاراً ، وخرج الجُنْدُ من أصحاب البريدي ، فنهبوا الغلات من القرى والحيوانات ، وجرى ظُلْمٌ لم يسمعْ بمثله ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون[١] .

قال ابن الأثير : وإنما ذكرنا هذا لِيَعْلَمَ الظَّلَمَةُ أنَّ أخبارَهُمْ تنقل وتبقى على وجه الدَّهر[٢] ، فربما تركوا الظُّلْمَ لهذا إن لم يتركوه لله عزَّ وجلَّ[٣] .

وقد كان الخليفة أرسل وهو ببغداد إلى ناصر الدولة بنِ حَمْدان ؛ نائب الموصل والجزيرة يستمدُّه ويستجيش[٤] به على البريدي ، فأرسل ناصر الدولة أخاه سيف الدولة علياً في جيش كثيف ، فلما كان بتكريت إذِ الخليفة وابنُ رائق قد هربا ، فرجع معهما سيفُ الدَّولة إلى أخيه ، وقدَّمَ[٥] سيف الدولة للخليفة المتقي لله خدمةً عظيمة في مسيره هذا ، ولما وصلوا إلى المَوْصل خرج عنها ناصرُ الدولة ، فنزل شرقيها ، وأرسل التُّحف والضِّيافات ، ولم يجيء [إلى الخليفة][٦] خوفاً من الغائلة من جهة ابن رائق ؛ نائب العراق وصاحب الشام ، فأرسل الخليفة ولدَه أبا منصور ومعه ابن رائق للسَّلام على ناصر الدولة ، فصارا إليه ، فأمر [ناصر الدولة][٦] أن يُنْثَرَ الذَّهب والفِضَّة على رأس ولد الخليفة ، وجلسا عنده ساعة ، ثم قاما ليرجعا ، فركب ابنُ الخليفة ، وأراد ابنُ رائق أن يركب معه ، فقال له ناصر الدولة : اجلس اليوم عندي حتى نفكر فيما نصنع في أمرنا هذا . فاعتذر إليه بابن الخليفة ، واستراب بالأمر ، فقبض ابنُ حمدان بكمه ، فَجَبَذه ابنُ رائق منه جَبْذةً شديدة ، فانقطع كُمُّه ، وركب سريعاً ، فسقط عن فرسه ، فأمر ناصر الدولة بقتله فَقُتِلَ ، وذلك يوم الإثنين لسبعٍ بقين من رجب من هذه السنة ، فأرسل الخليفةُ إلى ابنِ حمدان فاستحضره ، وخلع عليه ، ولقبه ناصرَ الدولة يومئذٍ ، وجعله أميرَ الأُمراء ، وخلع على أخيه أبي الحسن علي ولقبه سيفَ الدولة يومئذٍ أيضاً .

ولما قُتِلَ ابنُ رائق ، وبلغ خبرُ قتله إلى صاحب مصر وهو الإخشيذ محمد بن طُغْج ركب إلى دمشق فتسلَّمها من محمد بن يزداد ؛ نائب ابن رائق ، ولم ينتطح فيها عنزان . ولما بلغ خبر مقتله إلى بغداد فارق أكثر الأتراك أبا الحسين البريدي لسوء سيرته وخبث سريرته ، قبحه الله ، وقصدوا الخليفة وابنَ حمدان في

---

(١) المصدر السالف .

(٢) في (ط) و(ظا) و(ب) : الأرض ، والمثبت من (ح) .

(٣) في (ط) : وإنما ذكرنا هذا ليعلم الظلمة أن أخبارهم الشنيعة تنقل وتبقى بعدهم على وجه الأرض ، وفي الكتب ، ليذكروا بها ويذموا ويعابوا ، وذلك لهم خزي في الدنيا ، وأمرهم إلى الله ، لعلهم أن يتركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله . وانظر الكامل (٨/ ٣٨٢) .

(٤) وفي (ط) يستحثه ، وهو تحريف .

(٥) في (ح) و(ط) : وخدم ، وهو تحريف .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

المَوْصل فتقوَّى بهم ناصر الدولة ، وركب هو والخليفة المتقي لله إلى بغداد ، [فلما اقتربوا منها هرب عنها أبو الحسين البريدي ، ودخل الخليفة المتقي لله إلى بغداد][١] ومعه بنو حمدان في جيوش كثيرة ، وذلك في شوال من هذه السنة ، ففرح به المسلمون فرحاً شديداً ، وبعث [الخليفة][٢] إلى أهله ـ وقد كان أخرجهم إلى سامرَّاء ـ فردَّهم ، وتراجع أعيان الناس إلى بغداد بعدما كانوا قد ترحَّلوا عنها .

وردَّ الخليفة أبا إسحاق القراريطي[٣] إلى الوزارة ، وولَّى توزون شرطة جانبيْ بغداد ، وبعث ناصرُ الدولة أخاه سيف الدولة في جيشٍ وراء أبي الحسين البريدي ، فلحقه عند المدائن ، فاقتتلوا قتالاً شديداً في أيام نحسات ، ثم كان آخر الأمر أن انهزم أبو الحسين إلى أخيه بواسط ، وقد ركب ناصر الدولة بنفسه ، فنزل المدائن قوةً لأخيه ، وقد انهزم سيفُ الدولة مَرَّة من أبي الحسين فردَّه أخوه ، وزاده جيشاً آخر حتى كسر البريدي ، وأسر جماعةً من أعيان أصحابه ، وقُتِلَ منهم خلق كثير وجمٌّ غفير . ثم أرسل أخاه سيفَ الدولة إلى واسط لقتال أبي عبد الله البريدي ، فانهزم منه البريدي وأخوه إلى البصرة ، وتسلَّم سيف الدولة واسط ، وسيأتي ما كان من خبره مع البريدي في السنة الآتية ، إن شاء الله تعالى .

وأما ناصر الدولة فإنه عاد إلى بغداد ، فدخلها في ثالث عشر ذي الحِجَّة ، وبين يديه الأسارى على الجمال ، ففرح النَّاس واطمأنوا ، ونظر في المصالح العامة ، وأصلح معيار الدينار ؛ وذلك أنه وجده قد غُيِّرَ عما كان عليه ، فضرب دنانيرَ سماها الإبريزية ، فكانت تباع كل دينار بثلاثة عشر دِرْهماً ، وإنما كان يباع التي قبلها بعشرة .

وعزل الخليفة بدراً الخَرْشني عن الحجابة ، وولاها سلامة الطُّولوني ، وجعل بدراً على طريق الفُرَات ، فسار إلى الإخشيد ، فأكرمه واستنابه على دمشق ، فمات بها .

وفيها وصلتِ الرومُ إلى قريب حلب ، فقتلوا خلقاً ، وأسروا نحواً من خمسة عشر ألف إنسان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها دخل الثملي من طَرَسوس إلى بلاد الرُّوم ، فقتل وسبى وغَنِم وسَلِم وأَسَرَ من بطارقتهم المشهورين منهم خلقاً كثيراً ، ولله الحمد والمنَّة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسحاق بن محمد أبو يعقوب[٤] النَّهْرَجُوري[٥] : أحد مشايخ الصُّوفية .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ط) : الفزاري ، وهو تحريف .
(٤) في (ط) : ابن يعقوب ، وهو وهم .
(٥) طبقات الصوفية (٣٧٨ ـ ٣٨١) حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٦) الرسالة القشيرية (٢٧) المنتظم (٦/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) العبر =

صَحِبَ الجُنَيْد بن محمد ، وغيره من أئمة الصُّوفية ، وجاور بمكَّة حتى مات بها في هذه السنة . ومن كلامه الحسن قوله : مفاوزُ الدُّنيا تُقْطَعُ بالأقدام ، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب[١] .

الحسين بن [إسماعيل بن محمد بن][٢] إسماعيل بن سعيد بن أبَان[٣] : أبو عبد الله ، الضَّبِّي ، القاضي ، المَحاملي ، الفقيه الشَّافعي ، المحدِّث .

سمع الكثير ، وأدرك خَلْقاً من أصحاب ابن عُيينة نحواً من سبعين رجلاً .

وروى عن جماعةٍ من الأئمة ، وعنه الدَّارَقُطني وخلْق .

وكان يحضُرُ مجلسه نحوٌ من عشرة آلاف ، وكان صدوقاً ديِّناً فقيهاً محدِّثاً ، ولي قضاء الكوفة ستين سنة ، وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها ، ثم استعفى من ذلك كلِّه ، ولزم منزله ، واقتصر على إسماع الحديث .

وكانت وفاته في ربيع الآخر من هذه السنة عن خمسٍ وتسعين سنة ، رحمه الله .

وقد تناظر هو وبعض الشِّيعة بحضرة بعض الأكابر ، فجعل الشِّيعي يذكر مواقف عليٍّ يوم بدر وأُحُد والخندق وخيبر وحُنَيْن وشجاعته . ثم قال للمَحَاملي : أتعرفها ؟ قال : نعَمْ ، ولكن أتعرف أين كان الصدِّيق يوم بدر ؟ كان مع رسول الله ﷺ في العريش بمنزلة الرئيس الذي يُحامىٰ عنه كما يُحامى عن رسول الله ﷺ ، وعلي في مقام المبارزة ، ولو فرض أنه انهزم أو قتل لم يخذل الجيش بسببه . فأُفحم الشيعي . وقال له المحاملي : وقد قدَّمه الذين رووا لنا الصَّلاة والزكاة والوضوء بعد رسول الله ﷺ حيثُ لا مال له ولا عبيد ولا عشيرة تمنعه وتجاحف عنه ، وإنما قدَّموه لعلمهم أنَّه خَيْرُهم . فأُفحم أيضاً[٤] .

عليُّ بن محمد بن سَهْل[٥] : أبو الحسن الصَّائغ ؛ أحد الزُّهاد العُبَّاد ، أصحاب الكرامات .

= (٢/ ٢٢١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) الوافي بالوفيات (٨/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٧٥) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٥) .

(١) انظر طبقات الصوفية (٣٧٩) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) أخبار الراضي والمتقي للصولي (٢٣٠) الفهرست (٢٨٨) تاريخ بغداد (٨/ ١٩ ـ ٢٣) المنتظم (٦/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) اللباب : (٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٨ ـ ٢٦٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٢٤ ـ ٨٢٦) العبر (٢/ ٢٢٢) الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٧) طبقات الحفاظ (٣٤٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٦) .

(٤) انظر تاريخ بغداد (٨/ ٢١ ـ ٢٢) .

(٥) طبقات الصوفية (٣١٢ ـ ٣١٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٣ ـ ٤٠٨) الرسالة القشيرية (٣٢) المنتظم (٦/ ٣٢٨) صفة الصفوة (٤/ ٦٠) حسن المحاضرة (١/ ٢٩٤) طبقات الشعراني (١/ ١٩) .

رويَ عن مُمْشاذ[١] أنه شاهد أبا الحسن الصَّائغ يصلِّي في الصحراء في شدَّة الحر ، ونسرٌ قد نشر جناحه يظلُّه من الحرِّ .

قال ابن الأثير : وفي هذه السنة توفي [أبو الحسن][٢] عليُّ بن إسماعيل ، الأشْعريُّ المتكلِّم ، صاحب المذهب المشهور ، وكان مولده سنة ستين ومئتين ، وهو من ولدِ أبي موسى الأشعري .

قلت : الصَّحيح أن الأشعريَّ توفي سنةَ أربع وعشرين كما تقدَّم[٣] .

قال : وفيها توفي محمد بن يوسف بن النَّضْر ، الهَرَوي ، الفقيه الشَّافعي[٤] ، وكان مولده سنة تسعٍ وعشرين ومئتين ، أخذَ عن الربيع بن سليمان ؛ صاحب الشَّافعي .

قلت : وقد توفي فيها أبو حامد بن بلال[٥] . وزكريا بن أحمد البَلْخي[٦] . وعبد الغافر بن سلامة الحافظ[٧] . ومحمد بن رائق الأمير[٨] . والشيخ أبو صالح مفلح الحنبلي واقف مسجد أبي صالح ظاهر باب شرقي من دمشق ، وكانت له كرامات وأحوال ومقامات .

ترجمة أبي صالح الدِّمَشْقي[٩]

الذي ينسب إليه المسجد ظاهر باب شرقي بدمشق .

مفلح بن عبد الله ، أبو صالح المتعبد ، صَحِبَ الشيخ أبا بكر محمد بن سيد حَمْدويه الدِّمَشْقي ، وتأدَّب به ، وروى عنه الموحِّد بن إسحاق بن البَرِّي ، وأبو الحسن علي بن القُجَّة ؛ قيم المسجد ، وأبو بكر محمد بن داود الدِّينوري الدُّقِّي .

روى الحافظ ابنُ عساكر من طريق الدُّقِّي عن الشيخ أبي صالح ، قال : كنت أطوف بجبل اللُّكام أطلب الزُّهَّاد ، فمررت برجلٍ جالسٍ على صخرةٍ مطرقاً ، فقلت له : ما تصنع هاهنا ؟ فقال : أنظر

(١) ترجمته في طبقات الصوفية (٢١٦) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) انظر وفيات سنة (٣٢٤هـ) ، وانظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٣٩٣) .
(٤) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤) .
(٥) هو المعروف بالخَشَّاب ، ترجمته في السير (١٥/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) .
(٦) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) .
(٧) ترجمته في السير (١٥/ ٢٩٤) .
(٨) سلفت أخباره في حوادث السنة الفائتة ، وله ترجمة في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) .
(٩) تاريخ ابن عساكر (س) (خ) (١٩/ ٤١أ ـ ٤١ب) وترجمته في المطبوع من تاريخ ابن عساكر (٦٠/ ٩٩) مختصرة لا تتجاوز سطراً ونصف . سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٤ ـ ٨٥) العبر (٢/ ٢٢٤) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٧٥) الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣) القلائد الجوهرية (١/ ١٦٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٨) .

وأرعى . فقلت : لا أرى بين يديك شيئاً إلا الحجارة ، فقال : أنظر خواطر قلبي ، وأرعى أوامر ربي ، وبحقِّ الذي أظهرك عليَّ إلا جزتَ عني[(١)] . فقلت : كلِّمني بشيءٍ أنتفع به حتى أمضي . فقال لي : من لَزِمَ البابَ أُثبت في الخدم ، ومن أكثر ذكر الذنوب[(٢)] أكثر الندم ، ومن استغنى بالله أَمِنَ العدم . ثم تركني ومضى[(٣)] .

وعن الشيخ أبي صالح : مكثتُ ستة أو سبعة أيام لم آكل ولم أشرب ، ولحقني عطشٌ عظيم ، فجئت النهرَ الذي وراء المسجد ، فجلست أنظر إلى الماء ، فتذكَّرْتُ قوله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود : ٧] فذهب عني العطش ، فمكثت تمام العشرة أيام[(٤)] .

وعنه قال : مكثت أربعين يوماً لم أشرب ماءً ، فلقيني الشيخ أبو بكر محمد بن سيد حمدويه ، فأخذ بيدي فأدخلني منزله وجاء بماء ، وقال لي : اشرب . فشربت ، فأخذ فضلتي ، وذهب إلى امرأته فقال لها : اشربي فَضْلَ رجلٍ قد مكث أربعين يوماً لم يشرب الماء . قال أبو صالح : ولم يكن اطلع على ذلك مني أحدٌ إلا الله عزَّ وجلَّ[(٥)] .

ومن كلام أبي صالح : الدُّنيا حرامٌ على القلوب حلال على النفوس ؛ لأن كلَّ شيء يحل لك أن تنظر [إليه] بعين رأسك ، فيحرم عليك أن تنظر [إليه] بعين قلبك[(٦)] .

وكان يقول : البدن لباس القلب ، والقلب لباسُ الفؤاد ، والفؤاد لباس الضَّمير ، والضمير لباس السِّرِّ ، والسِّرُّ لباسُ المعرفة .

ولأبي صالح مناقبُ كثيرةٌ رحمه الله وأكرم مثواه ، وقد كانت وفاته في جُمادى الأولى من هذه السنة .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمئة

في هذه السنة دخل سيف الدولة إلى واسط ، وقد انهزم عنها أبو عبد الله البريدي وأخوه أبو الحسين ، فاختلف التُّرْك على سيف الدولة ، ومالوا إلى توزون ، وهمَّ بالقبض على سيف الدولة ، فهرب منهم

---

(١) في (ط) : وبالذي أطلعك علي إلا صرفت بصرك عني .
(٢) في (ط) : الموت .
(٣) « تاريخ ابن عساكر » (س) (خ) : ٤١أ . بل هو ثابت في « تاريخ دمشق » المطبوع (٦٦/ ٣٠١) .
(٤) « تاريخ ابن عساكر » (خ) : ٤١أ . بل هو ثابت في « تاريخ دمشق » المطبوع (٦٦/ ٣٠٢) .
(٥) تاريخ ابن عساكر « خ » ٤١أ ـ ٤١ب . الخبر ساقط من ترجمته في تاريخ ابن عساكر المطبوع .
(٦) المصدر السالف ، وما بين حاصرتين منه .

قاصداً إلى بغداد ، وبلغ أخاه ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان[١] الملقب بأمير الأمراء ببغداد الخبر ، فخرج من بغداد إلى المَوْصل ، فنهبت داره ببغداد . فكانت إمارة ناصر الدولة على بغداد ثلاثة عشر شهراً وخمسة أيام . وجاء أخوه سيف الدولة بعد خروجه منها ، فنزل بباب حَرْب ، وطلب من الخليفة أن يمدَّه بمالٍ يتقوَّى به على حرب توزون ، فبعث إليه بأربعمئة ألف دِرْهم ، ففرَّقها في أصحابه . وحين سمع بقدوم توزون خرج من بغداد ، ودخلها توزون في الخامس والعشرين من رمضان ، فخلع عليه المتقي ، وجعله أمير الأمراء ، واستقر أمره ببغداد .

وعند ذلك رجع أبو عبد الله البريدي إلى واسط ، وأخرج منْ كان بها من أصحاب توزون ، وكان في أسر توزون غلامٌ لسيف الدولة يقال له ثمال ، فأرسله إلى مولاه ، فَحَسُنَ موقع ذلك عند آل حمدان .

وفي هذه السنة كانت زَلْزلةٌ عظيمة ببلاد نسا ، سقط منها عِماراتٌ كثيرة ، وهَلَك بسببها خَلْقٌ كثير .

قال ابن الجوزي : وكان ببغداد في أيلول وتشرين حرٌّ شديد يأخذ بالأنفاس . وفي صفر ورد الخبر بورود الرُّوم إلى أرْزَن ومَيَّافارِقين ، وأنهم سَبَوْا وحرقُوا[٢] .

وفي ربيع الآخر من هذه السنة عُقِدَ عقد أبي منصور إسحاق بن الخليفة المتقي لله على علوية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان[٣] ، على صَداق مئة ألف دينار وألف ألف دِرْهم ، وولي العقد على الجارية أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي ، ولم يحضر ناصر الدولة ، وضَرَبَ ناصر الدولة سكَّة زاد في الكتابة عليها : عبد آل محمد[٤] .

قال ابنُ الجوزي : وفي آذار من هذه السنة غَلَتِ الأسعار حتى أكلَ الناس الكلاب ، ووقع الوباء في الناس ،ووافى من الجراد شيءٌ كثير جداً ، حتى أبيع منه كل خمسين رطلاً بدرهم ، فارتفق النَّاسُ به في الغلاء[٥] .

وفيها ورد كتابُ ملكِ الرُّوم إلى الخليفة يطلب فيه منديلاً بكنيسة الرُّها ، كان المسيح قد مسحَ وجهه به فصارت صورة وجهه فيه ، ويعد المسلمين أنه إذا أرسل إليه يبعث من أسارى المسلمين خلقاً كثيراً ، فأحضر الخليفة العلماء ، فاستشارهم في ذلك ، فمن قائلٍ نحن أحق بعيسى منهم ، وفي بعثه إليهم غضاضة[٦] على المسلمين وَوَهْنٌ ، فقال عليُّ بنُ عيسى الوزير : يا أمير المؤمنين ، إنقاذ أسارى

---

(١) في (ح) و (ظا) : أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان ، وهو وهم .
(٢) المنتظم (٦/ ٣٣٠).
(٣) في النسخ الخطية : ناصر الدولة بن محمد بن حمدان ، وهو وهم .
(٤) انظر أخبار الراضي والمتقي (٢٣١) .
(٥) المنتظم (٦/ ٣٣١) .
(٦) أي ذل . اللسان (غضض) .

المسلمين من أيدي الكُفَّار أنفعُ للنَّاس من بقاء ذلك المنديل بتلك الكنيسة . فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم ، وتخليص الأسارى من أيديهم[١] .

قال الصُّولي : ووصل الخبر بأن القِرْمِطي ولد له مولود ، فأهدى إليه أبو عبد الله البريدي هدايا عظيمة ، منها مهدٌ من ذهب مرصَّع بالجوهر[٢] .

وكثر الرَّفض ببغداد ، فنودي بها : منْ ذكر أحداً من الصحابة بسوء فقد بَرِئَتْ منه الذِّمَّة .

وبعث الخليفة إلى عماد الدولة بن بُوَيْه خِلَعاً ، فقبلها ولبسها بحضرة القضاة والأعيان .

وفيها كانت وفاة السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل السَّاماني ، صاحب خُرَاسان وما وراء النهر ، وقد مَرِضَ قبل موته بالسل سنة وشهراً ، فاتخذ في داره بيتاً سماه بيت العِبَادة ، فكان يَلْبَس ثياباً نظافاً ويمشي [إليه] حافياً ويصلِّي فيه ، ويتضرع ، وأكثر الصيام ، وتجنب المنكرات والآثام إلى أن مات ، رحمه الله ، فقام بالأمر من بعده ولدُه نوح بن نصر السَّاماني في شعبان من هذه السنة ، ولقب بالأمير الحميد ، وقتَلَ محمد بن أحمد النَّسفي البردهي ـ وكان قدطعن فيه عنده ـ وصلبه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سنان بن ثابت بن قُرَّة[٣] الصَّابىء[٤] : أبو سعيد المتطبب .

أسلم على يد القاهر بالله ولم يُسْلم ولده ولا أحدٌ من أهل بيته ، وكان مقدَّماً في الطب ، وفي علوم أخر كثيرة . وكانت وفاته في ذي القَعْدة من هذه السنة بعلة الذَّرَبِ[٥] ، فلم تُغنِ عنه صناعته شيئاً حين جاءه الموت .

وما أحسن ما قال بعض الشعراء في هذا المعنى :

قُـلْ للـذي صَنَـعَ الشَّـرابَ بكفِّـهِ   أتَرُدُّ مَقْدوراً [عليكَ إذا] جَرَىٰ[٦]
مـاتَ المُـدَاوي والمُـدَاوىٰ والـذي   صنَـعَ الشَّـرابَ بكفِّـهِ ومَـنِ اشْتَـرىٰ

(١) المنتظم (٦/ ٣٣١) .
(٢) أخبار الراضي والمتقي (٢٣٣) .
(٣) في النسخ الخطية و (م) : ثابت بن سنان بن قرة ، وهو وهم .
(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٣٠٠ ـ ٣٠٤) .
(٥) داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ، ويفسد فيها ولا تمسكه . اللسان (ذرب) .
(٦) في (ح) : أترد مقدوراً جرى مقتدراً ، وفي (ظا) و (ب) : أترد مقدوراً جرى ، وأضيف ما بين حاصرتين في (ط) : أترد مقدوراً [عليك قد] جرى ، وقد أثبتنا ما رأيناه أتمَّ للمعنى وأوفق للوزن .

أبو الحسن الأشعري(١) : وذكر ابنُ الجوزي في « المنتظم » وفاة الأشعري في هذه السنة وتكلَّم فيه ، وحطَّ عليه كما جرت عادة الحنابلة ؛ يتكلَّمون في الأشعرية قديماً وحديثاً . وذكر أنه ولد سنة ستين ومئتين ، وأنه توفي في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمئة ، وأنه صَحِبَ الجُبَّائي أربعين سنة ، ثم رجع عنه ، وأنه توفي ببغداد ، ودفن بمشرعة الرَّوايا(٢) .

محمد بن أحمد بن يعقوب بن شَيْبَة(٣) بن الصَّلْت : السَّدُوسي مولاهم ، أبو بكر .

سمع جدَّه ، وعباساً الدُّوري ، وغيرهما ، وعنه أبو عمر(٤) بن مهدي .

وكان ثقةً .

روى الخطيب أن والد محمد هذا حين ولد أخذ طالعَ مولده المنجمون ، فحسبوا عمره [وقالوا : إنه يعيش كذا وكذا](٥) ، فأرصد له أبوه حُبًّا(٦) [فكان يلقي](٧) فيه عن كلِّ يومٍ ديناراً ، ثم أرصد له حُبّاً آخر لذلك ، ثم آخر لذلك ، فكان يعدل كل يوم بثلاثة دنانير ، ومع هذا ما أفاده شيئاً ، بل افتقر حتى صار يستعطي من الناس ، ويحضر مجلس السماع عليه بلا إزار ، ويتصدَّق عليه أهل المجلس بشيءٍ يقوم بأَوَدِهِ(٨) . والسَّعيد من أسعدَه الله .

محمد بن مَخْلَد بن حَفْص(٩) : أبو عمر(١٠) ، الدُّوري(١١) ، العَطَّار .

كان يسكن الدُّور ؛ وهي محلة بطرف بغداد .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات (٣٢٤هـ) .
(٢) انظر المنتظم (٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) .
(٣) تاريخ بغداد (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥) الأنساب (٧/ ٥٩ ـ ٦٠) المنتظم (٦/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣١٢ ـ ٣١٣) العبر : (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٩) .
(٤) في (ط) أبو بكر ، وهو تحريف .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ح) و (ب) و (ط) : جباً ، وهو تصحيف ، والحُبُّ : الجرة ، أو الضخمة منها .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) انظر تاريخ بغداد (١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) .
(٩) في (ط) : جعفر وهو تحريف .
(١٠) في مصادر ترجمته : « أبو عبد الله » . وهو الصواب ، فكأنه اشتبه عليه بأبي عمر الدوري .
(١١) الفهرست (٣٢٥) تاريخ بغداد (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١) طبقات الحنابلة (٢/ ٧٣ ـ ٧٤) المنتظم (٦/ ٣٣٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٢٨ ـ ٨٢٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧) العبر (٢/ ٢٢٧) طبقات الحفاظ (٣٣٤ ـ ٣٤٥) شذرات الذهب (٢/ ٣٣١) .

سمع الحسن بنَ عرفة ، والزُّبير بن بكَّار ، ومُسْلم بن الحَجَّاج ، وغيرهم . وعنه الدَّارَقُطني ، وجماعةٌ من الحفاظ .

وكان ثِقَةً ، فَهِماً ، واسعَ الرِّواية ، مشكورَ الدِّيانة ، مشهوراً بالعبادة .

وكانت وفاته في جُمادى الآخرة من هذه السنة ، وقد استكمل سبعاً وتسعين[١] سنة وثمانية أشهر وواحداً وعشرين يوماً .

المجنون البغدادي[٢] : روى ابنُ الجَوْزي من طريق أبي بكر الشِّبْلي قال : رأيت مجنوناً عند جامع الرُّصَافة وهو عُرْيان وهو يقول : أنا مجنون الله ، أنا مجنون الله . فقلت له : ما لك ، ألا تستتر وتدخل الجامع وتصلّي ؟ فأنشأ يقول :

يقولونَ زُرْنا واقْضِ واجِبَ حَقِّنا ... وقد أَسْقَطَتْ حالي حُقُوقَهُمُ عنِّي
إذا هُمْ رَأَوْا حالي ولم يأنفوا لها ... ولم يأنفوا منها أنفتُ لهم منِّي[٣]

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة

فيها خرج المتقي من بغداد إلى المَوْصل مغاضباً لتوزون أمير الأمراء ، وكان إذ ذاك بواسط ، وقد زوَّج ابنته من أبي عبد الله البريدي ، وصارا يداً واحدةً على الخليفة . وأرسل ابنَ شيرزاد في ثلاثمئة غلام إلى بغداد ، فأفسد فيها ، وقَطَعَ وَوَصَل ، واستقلَّ بالأمور من غير مراجعةِ المتقي لله ، فغضب المتقي ، وخرج منها مغاضباً [له][٤] بأهله وأولاده ووزيره ، ومن اتَّبعه من الأمراء وأعيان أهل بغداد ، قاصداً ابنَيْ حمدان ، فتلقاه سيفُ الدولة إلى تكريت ، ثم جاءه ناصرُ الدولة وهو بتكريت أيضاً ، وحين خرج المتقي أكثر ابنُ شيرزاد الفساد ببغداد ، وظلَمَ أهلها وصادَرَهم ، وأرسل يعلم توزون ، فأقبل مسرعاً نحو تكريت فتقاتل هو وسيف الدولة بن حمدان ، فَهَزَمَ سيفُ الدولة ، وأُخذ معسكره ومعسكر أخيه ناصر الدولة ، ثم كَرَّ إليه سيفُ الدولة ، فهزَمَه توزون أيضاً ، وانهزم الخليفة المتقي وناصر الدولة وسيف الدولة من المَوْصل إلى نَصيبين ، وجاء توزون فدخل إلى الموصل ، وأرسل إلى الخليفة يطلب رضاه ، فأرسل الخليفة يقول : لا سبيل إلى ذلك إلا أن تصالح بني حمدان ، فاصطلحوا ، وضَمِنَ ناصرُ الدولة بلادَ الموصل بثلاثة آلاف ألف وستمئة ألف ، ورجع توزون إلى بغداد ، وأقام الخليفة عند بني حَمْدان .

---

(١) في (ط) : وسبعين ، وهو تصحيف .
(٢) المنتظم (٦/ ٣٣٥) .
(٣) المنتظم (٦/ ٣٣٥) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

وفي غيبة توزون عن واسط أقبل إليها معزُّ الدولة بن بُوَيْه في خَلْقٍ من الدَّيْلم كثيرين ، فانحدر توزون مسرعاً إلى واسط ، فاقتتل مع معز الدولة بضعة عشر يوماً ، وكان آخرَ الأمر أن انهزم معزُّ الدولة ، ونُهِبَتْ حواصله ، وقُتِلَ من جيشه خَلْقٌ كثير ، وأُسر جماعة من أشراف أصحابه .

ثم عاود توزون ما كان يعتريه من مرض الصَّرْع ، فشغل بنفسه ، فرجع إلى بغداد .

وفي هذه السنة قَتَلَ أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف ، وكان سبب ذلك أن أبا عبد الله قَلَّ ما كان عنده من الأموال ، فكان يستقرض من أخيه أبي يوسف ، فيقرضه القليل ، ثم يشنِّع عليه ، ويذُمُّ تصرُّفه ، فمال الجُنْدُ إلى أبي يوسف ، وأعرضوا عن أبي عبد الله ، فخشيَ أبو عبد الله أن يبايعوه ويتركوه ، فأرسل إليه طائفةً من غِلْمانه ، فقتلوه غِيْلَةً ، ثم انتقل إلى داره ، وأخذ جميعَ حَوَاصله وأمواله ، فكان قيمة ما استحوذ عليه من الأموال يقارب ثلاث آلاف ألف[1] دينار . ولم يمتَّعْ بعده إلا ثمانية أشهر ، مرض فيها مرضاً شديداً بالحمَّى الحادة ، حتى كانت وفاته في شوَّال من هذه السنة ، فقام بالأمر بعده أخوه أبو الحسين ـ قبحه الله ـ فأساء السيرة في أصحابه ، فثاروا به ، فلجأ إلى القرامطة ، فاستجار بهم ، وقام بالأمر من بعده أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي في بلاد واسط والبصرة وتلك النواحي من الأهواز وغيرها .

وأما الخليفة المتقي لله فإنه لما أقام عند آل حَمْدان بالمَوْصل ظهر له منهم تضجُّر ، وأنهم يرغبون في مفارقته ، فكتب إلى توزون في الصُّلْح ، فاجتمع توزون مع القضاة والأعيان ببغداد ، وقرؤوا كتاب الخليفة ، وقابله بالسمع والطاعة ، وحلف له ، ووضع خطَّة بالإقرار له ، ولمن معه بالإكرام والاحترام والخضوع ، فكان من الخليفة ودخوله إلى بغداد ما سيأتي في السنة الآتية .

وفي هذه السنة أقبلت طائفةٌ من الرُّوس في البحر إلى نواحي أَذْرَبيجان ، فقصدوا برذعة ، فحاصروها ، فلما ظفروا بأهلها قتلوهم عن آخرهم ، وغنموا أموالهم ، وسَبَوْا مِن استحسنوه من نسائهم ، ثم مالوا إلى مَرَاغة ، فوجدوا فيها ثماراً كثيرة ، فأكلوا منها ؛ فأصابهم وباءٌ شديد ، فمات أكثرهم ، فكان إذا مات أحدهم دفنوا معه سلاحه وماله ، فيأخذه المسلمون ، وأقبل إليهم المَرْزُبان بن محمد ، فقاتلهم فقتل منهم خلقاً كثيراً أيضاً مع ما أصابهم من الوباء الشديد ، وطَهَّرَ الله تلك البلاد منهم .

وفي ربيع الأول من هذه السنة جاء الدمستق ؛ ملك الرُّوم إلى رأس العين[2] في ثمانين ألفاً ، فدخلَها ، ونَهَبَ ما فيها ، وقتلَ أهلها وسبى منهم نحواً من خمسة عشر ألفاً ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وقصدته الأعراب من كل وجه ، فقاتلوه قتالاً عظيماً حتى انجلى عنها .

وفي جُمَادى الأولى غلتِ الأسعار ببغداد جداً ، وكَثُرتِ الأمطار جداً حتى تهدَّم البناء ، ومات كثير

---

(١) في (ح) و(ط) : ثلاثمئة ألف ألف .

(٢) من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر « معجم البلدان » : (٣/ ١٤) .

منَ الناس تحت الهَدْم ، وتعطلت كثير من الحمَّامات والمساجد من قِلَّة الناس ، ونقصت قيمة العقار حتى كان يباع بالدِّرْهم ما كان يساوي الدِّينار ، وخَلَت أكثر الدور ؛ فكان المُلاك يعطون من يسكنها أُجرة ليحفظها عليهم من الدَّاخلين إليها لتخريبها . وكَثُرَتْ الكبسات من اللصوص بالليل ، حتى كان الناس يتحارسون بالبوقات والطُّبول ، وكثرت الفِتنُ من كل جهة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وفي رمضان من هذه السنة كانت وفاة(١) :

أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجَنَّابي(٢) الهَجَري(٣) القِرْمِطِي : رئيس القرامطة ، لعنه الله ، وهذا هو الذي قَتَلَ الحجيج حولَ الكعبة وفيها ، وسلبها كُسْوتها(٤) وبابها وحليتها ، واقتلع الحجر الأسود من ركنها ، وحمله إلى بلده هَجَر ، وهو في هذه المدة كلها عنده من سنة سبع عشرة كما ذكرنا(٥) ، ولم يردَّه الأخابث إلى سنة تسع وثلاثين كما سيأتي(٦) .

ولما مات أبو طاهر هذا قام بالأمر بعده في القرامطة إخوته الثلاثة ، وهم : أبو العباس الفَضْل ، وأبو القاسم سعيد ، وأبو يعقوب يوسف بنو أبي سعيد الجَنَّابي لعنهم الله ، وكان أبو العَبَّاس ضعيفَ البدن ، مقبلاً على قراءة الكتب ، وكان أبو يعقوب مقبلاً على اللهو واللعب ، ومع هذا [كانت](٧) كلمة الثلاثة واحدة لا يختلفون في شيء ، وكان لهم سبعة من الوزراء متفقون أيضاً ، قبحهم الله أجمعين .

وفي شوال منها توفي أبو عبد الله البَرِيْدي كما ذكرنا ، فاستراح المسلمون من هذا وهذا .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو العبَّاس بن عُقْدة الحافظ(٨) أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن ، أبو العَبَّاس ، الكوفي ،

---

(١) ذكر ابن خلكان في « وفياته » : (٢/ ١٥٠) أنه قتل ، والصحيح أنه مات بالجدري كما ذكر كل من ترجم له .

(٢) أنظر حاشيتنا على وفيات سنة (٣٠١هـ) .

(٣) تاريخ أخبار القرامطة (٣٦) وما بعدها ، المنتظم (٦/ ٣٣٦) الكامل لابن الأثير (٨/ ١٤٣) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٢/ ١٤٨ ـ ١٥٠) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٢٠ ـ ٣٢٥) العبر (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨) الوافي بالوفيات (١٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٦) مرآة الجنان : (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٣) تاريخ ابن خلدون (٣/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٢٤ ـ ٢٨١) شذرات الذهب (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢) .

(٤) في (ح) : وسلبها ستورها وحليتها .

(٥) انظر أحداث سنة (٣١٧هـ) .

(٦) انظر أحداث سنة (٣٣٩هـ) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٨) الفهرست للطوسي (٢٨ ـ ٢٩) تاريخ بغداد (٥/ ١٤ ـ ٢٢) المنتظم (٦/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٣٩ ـ ٨٤٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٤٠ ـ ٣٥٥) العبر (٢/ ٢٣٠) ميزان الاعتدال (١/ ١٣٦ ـ ١٣٨) الوافي بالوفيات =

المعروف بابن عُقْدة ؛ لقِّب أبوه بذلك من أجل تعقيده في التصريف والنحو ، وكان عقدةُ ورعاً ناسكاً ، وكان أبو العباس بن عقدة من الحفاظ الكبار .

سمع الحديث الكثير ، ورحل فسمع من خلائق من المشايخ .

وسمع منه الطبراني ، والدَّارَقُطْني ، وابنُ الجِعابي ، وابن عَدِي ، وابن المظفَّر ، وابن شاهين .

قال الدَّارَقُطْني : أجمعَ أهلُ الكوفة أنه لم يُرَ من زمنِ ابنِ مسعود إلى زمان ابنِ عُقْدة أحفظُ منه .

ويقال إنه كان يحفظُ نحواً من ستمئة ألف حديث ؛ منها ثلاثمئة ألف في فضائل أهل البيت ، بما فيها من الصِّحاح والضِّعاف ، وكانت كُتُبه ستمئة حِمْل جمل ، وكان يُنسبُ مع هذا كلِّه إلى التشيع . فقال الدَّارَقُطني : كان رجلَ سوء ، ونسبه ابنُ عدي إلى أنه كان يسوِّي النسخ لأشياخٍ ويأمرهم بروايتها .

وقال الخطيب : حدَّثني عليُّ بنُ محمد بن نَصْر ، قال : سمعت حمزة بن يوسف [يقول] : سمعت أبا عمر بن حيويه يقول : كان ابنُ عُقْدَةَ يجلس في جامع براثى[(١)] يملي مثالب الصَّحابة ـ أو قال : الشيخين ـ فتركتُ حديثه ، لا أحدث عنه بشيء[(٢)] .

قلتُ : وقد حَرَّرْتُ الكلامَ فيه بما فيه كفاية في كتابي « التكميل » ، ولله الحمد والمنة . وكانت وفاته في ذي القَعْدة منها .

أحمد بن عامر[(٣)] بن بِشْر بن حامد المَرَوْرُّوذِي[(٤)] : نسبةً إلى مَرْو الرُّوذ ، والرُّوذ : النهر .

الفقيه الشافعي تلميذ الشيخ أبي إسحاق المروزي ـ نسبةً إلى مرو الشَّاهِجان ؛ وهي أعظم من تلك ـ شرح مختصر المُزني ، وله كتاب « الجامع في المذهب » ، وصنَّف في أُصول الفِقْه ، وكان إماماً لا يُشقُّ غبارُه .

= (٧/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) مرآة الجنان (٢/ ٣١١) لسان الميزان (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٨١) طبقات الحفاظ (٣٤٨ ـ ٣٤٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٢) .

(١) انظر أحداث سنة (٣١٣هـ) .

(٢) تاريخ بغداد (٥/ ٢٢) .

(٣) في أغلب المصادر : أحمد بن بشر بن عامر ، وهو الصواب ، فقد نص على ذلك تلميذه أبو حيان في البصائر والذخائر (مج٣/ ٢١٧) وقال السبكي في طبقاته : وعكس الشيخ أبو إسحق ، فقال : ابن عامر بن بشر .

(٤) الفهرست (٣٠١) طبقات العبادي (٧٦) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٤) معجم البلدان (٥/ ١١٢) وفيات الأعيان (١/ ٦٩ ـ ٧٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٦ ـ ١٦٧) العبر (٢/ ٣٢٦) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٦٥) ومرآة الجنان (٢/ ٣٧٥) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٢ ـ ١٣) طبقات ابن هداية الله (٨٦ ـ ٨٧) شذرات الذهب (٣/ ٤٠) وقد ذكره أبو حيان في كتابه البصائر والذخائر (مج١/ ١٧٤ ، ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، ٥٥١ ، ومج٢/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ، مج٣/ ٢١٧ ، ٦٦٦) .

توفي في هذه السنة[١] رحمه الله ، والله تعالى أعلم بالصَّواب ، وإليه المرجع والمآب .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة

فيها رجع الخليفة المتقي إلى بغداد ، وخُلع من الخِلافة وسُمِلَت عيناه . كان المتقي ـ وهو مقيم بالمَوْصل ـ قد أرسل إلى الإخشيذ محمد بن طُغْج ؛ صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية [أن يأتيه][٢] ، فأقبل إليه وقدم عليه في المنتصف من المحرَّم من هذه السنة ، وخضع للخليفة غايةَ الخضوع ، وكان يقوم بين يديه كما يقوم الغِلْمان ، ويمشي والخليفةُ راكب ، ثم عَرَضَ عليه أن يصيرَ معه إلى الدِّيار المصرية أو يقيم ببلاد الشام ، فأبى عليه ذلك ، فأشار عليه بالمقام بمكانه الذي هو فيه ، ولا يذهب إلى توزون ببغداد ، وحذَّره من توزون ومكره وخديعته ، فلم يقبل ، وكذلك أشار على وزيره[٣] أبي الحسين بن مُقْلة فلم يسمع . فأهدى إلى الخليفة هدايا كثيرة فاخرة ، وكذلك إلى الأمراء والكبراء والوزير ، ثم كرّ راجعاً إلى بلاده ، وقد اجتاز بحلب ، فانحاز عنها صاحبها أبو عبد الله بن سعيد بن حمدان . وكان ابن مقاتل بها ، فأرسله إلى الديار المصرية نائباً عنه حتى يعود إليها .

وأما الخليفة فإنه ركب من الرَّقة في دِجْلة إلى بغداد ، وأرسل إلى توزون ، فاستوثق منه ما كان حلف من الأيمان ، فأكَّدها وقرَّرها ، فلما اقترب منها خرج إليه توزون ومعه العساكر ، فلما رأى الخليفة قبَّل الأرض بين يديه ، وأظهر له أنه قد وَفَىٰ له بما كان حلف عليه ، وأنزله في مضربه ، ثم جاء ، فاحتاط على من معه من الكبراء ، وأمر بسَمْلِ عيني الخليفة ، فَسُملتْ عيناه ، فصاح صيحةً عظيمة سمعها الحُرَم ، فضجَّتِ الأصواتُ بالبكاء ، فأمر توزون بضرب الدَّبادب حتى لا تسمع أصوات الحُرَم ، ثم انحدر من فوره إلى بغداد ، فبايع المستكفي بالله ، فكانت خلافة المتقي لله ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً ، وقيل : وأحد عشر شهراً . وستأتي ترجمته عندذكر وفاته[٤] .

---

(١) هكذا قال ، متابعاً شيخه الذهبي في تاريخ الإسلام ، فقد ذكره في وفيات هذه السنة وسماه : « أحمد بن عامر بن بشر » أيضاً (٧/ ٦٥٤) ، وهو وهم في اسمه وفي سنة وفاته ، فاسمه الصحيح هو « أحمد بن بشر بن عامر » ، ووفاته في سنة ٣٦٢ ، وقد ذكره الذهبي على الصواب في وفيات السنة المذكورة من تاريخه (٨/ ١٩٩) ، وكتبه في « السير » على الصواب أيضاً ، وإنما يحدث مثل هذا بسبب اختلاف الموارد .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ط) : وكذلك أشار عليه وزيره ، وهو تحريف ، وأبو الحسين بن مقلة ، وهو ابن أبي علي بن مقلة الوزير المشهور .

(٤) انظر حوادث سنة (٣٥٧هـ) .

خلافةُ المستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن المكتفي بن المعتضد

لما رجع توزون إلى بغداد وقد خلع المتقي لله وسمله ، استدعى بعبد الله بن المكتفي ، فبايعه على الخلافة ، ولقب بالمستكفي بالله ، وذلك في العَشْر الأواخر من صفر من هذه السنة ، وجلس توزون بين يديه ، وخلع عليه المستكفي خِلْعة سنية ، وكان المستكفي مليحَ الشكل ، رَبْعَةً ، حسنَ الجِسْم والوجه ، أبيضَ اللون مشرباً ، أكحل ، أقنى الأنف ، خفيفَ العارضين ، وعمره يوم بويع بالخلافة إحدى وأربعون سنة . وأُحضر المتقي بين يديه ، وبايعه ، وأخذ منه البُرْدة والقضيب ، واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السَّامري ، ولم يكن إليه من الأمر شيء ، وإنما الذي يتولى الأمور ابن شيرزاد ، وحُبس المتقي بالسجن . وطلب المستكفي أبا القاسم الفَضْل بن المقتدر ، وهو الذي ولي الخلافة بعد ذلك ، ولقِّب المطيع لله[١] ؛ فاختفى منه ولم يظهر مدة خلافة المستكفي ، فأمر المستكفي بهدم داره التي عند دِجْلة .

موت القائم الفاطمي وولاية ولده المنصور

وفي رمضان من هذه السنة ـ والصحيح في شوال من التي بعدها[٢] ـ توفي القائم بأمر الله أبو القاسم بن المهدي ، وقد عهد بالأمر من بعده لولده المنصور إسماعيل ، فكتم موت أبيه مُدَّة حتى أتقن[٣] أمره ثم أظهره .

وقد كان أبو يزيد الخارجي قد حاربهم في هذه السنة ، وأخذ منهم مُدُناً كباراً ، وكسروه مراراً متعددة ، ثم يثور عليهم ، ويجمع الرِّجال ويقاتلهم بمن قدر عليه ، فانتدب المنصور لقتال أبي يزيد بنفسه ، وركب في الجيوش ، وجرت بينهما حروبٌ يطول ذكرُها ، وقد بسطها ابن الأثير في « كامله »[٤] . وقد انهزم في بعض الأحيان جيش المنصور عنه ولم يبق إلا في عشرين نفساً ، فقاتل بنفسه قتالاً عظيماً ، فهزم أبا يزيد بعدما كاد يقتله ، وثبت المنصور ثباتاً عظيماً ، فعظُم في أعين الناس ، وزادت حرمته وهيبتُه ، واستنقذ بلاد القيروان منه ، وما زال يحاربه المنصور حتى ظفر به وقتله ، ولما جيء برأسه سَجدَ شكراً لله عزَّ وجلَّ .

وكان أبو يزيد هذا قبيحَ الشكل ، أعرجَ ، قصيراً ، خارجياً شديداً ، يرى تكفير أهل المِلَّة ، قبحه الله في الدنيا والآخرة .

---

(١) سيأتي ذلك في حوادث سنة (٣٣٤هـ) .
(٢) انظر حوادث سنة (٣٣٤هـ) .
(٣) في (ب) و (ظا) : استقر ، وفي (ط) : اتفق .
(٤) انظر الكامل (٨/ ٤٢٢ ـ ٤٤١) .

وفي ذي الحجَّة من هذه السنة قُتِلَ أبو الحسين البريدي ، وصُلِبَ ، ثم أحرق ؛ وذلك لأنه قَدِمَ بغداد ، يستنجد بتوزون وأبي جعفر بن شيرزاد على ابن أخيه ، فوعده النَّصْر ، ثم شرع يفسد ما بين توزون وابن شيرزاد ، فعلم بذلك ابنُ شيرزاد ، فأمر بسجنه وضربه ، وأحضر له بعض الفقهاء فُتيا عليها خطوط الفقهاء بإباحة دمه ، فاستظهر عليه بذلك ، وأمر بقتله وصلبه ، ثم أحرقه ، وانقضت أيام البريديِّين ، وزالت دولتهم ، لا جمع الله بهم شملاً .

وفي هذه السنة أخرج المستكفي بالله القاهر من دار الخلافة ـ الذي كان خليفة ثم سملت عيناه ـ وأنزله بدار ابن طاهر ، وقد افتقر ، ولم يبق له من اللِّباس سوى بطن جُبَّة[١] يلتفُّ بها ، وفي رِجْله قبقابٌ من خشب .

وفي هذه السنة ركب معزُّ الدولة في رجب منها إلى واسط ليحاصرها فبلغ خبره إلى توزون ، فركب هو والمستكفي بالله ، فلما سمع بهم معز الدولة رجع عنها إلى بلاده ، وتسلمها الخليفة ، وضمنها أبو القاسم بن أبي عبد الله ، فضمَّنه توزون ، ثم رجع هو والخليفة إلى بغداد في شوال من هذه السنة .

وفي هذه السنة ركب سيفُ الدولة عليُّ بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى حلب ، فتسلمها من يأنس المؤنسي ، ثم سار إلى حمص ليأخذها ، فجاءته جيوش الإخشيذ محمد بن طُغْج مع مولاه كافور ، (فاقتتلوا[٢] ، فانهزم كافور الإخشيذي ، واستولى سيف الدولة على حمص ، ثم ركب إلى دمشق فحاصرها فلم يفتحها أهلها له ، فرجع عنها ، وقصده الإخشيذ بجيوش كثيفة ، فالتقيا)[٢] بقنَّسرين ، فلم يظفر أحد منهما بالآخر ، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة ، ثم عاد إلى حلب ، فاستقر ملكُه بها ، فقصدته الروم في جحافل عظيمة ، فالتقى[٣] معهم ، فظفر بهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة

في المحرم منها زاد الخليفة في لقبه إمام الحق ، وكتب ذلك على سكَّة المعاملة ، وقاله الخطباء على المنابر أيام الجُمَع .

وفي المحرم من هذه السنة مات توزون التُّرْكي في داره ببغداد ، وكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وعشرة أيام . وكان ابن شيرزاد كاتبه ، وكان بهيت لتخليص المال ، فلما بلغه الخبر أراد أن يعقد البيعة

---

(١) أي بطانة ، وفي الكامل (٨/ ٤٤٢) بقطن جبة .
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ط) .
(٣) في النسخ الخطية : فالتقيا ، والمثبت من (ط) .

لناصر الدولة بن حمدان ، فاضطربت الأجناد ، وعقدت الرياسة لنفسه ، ودخل بغداد في مستهل صفر ، وخرج إليه الأجناد كلُّهم ، وحلفوا له ، وحلف له الخليفة والقضاة والأعيان ، ودخل على الخليفة فخاطبه بأمير الأمراء . وزاد في أرزاق الأجناد ، وبعث إلى ناصر الدولة يطالبه بالخَرَاج ، فبعث إليه بخمسمئة ألف دِرْهم ، وبطعام ففرَّقه في الناس ، وأمَرَ ونهى ، وولَّى وعزل ، وقطع ووصل ، وفرح بنفسه ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . ثم جاءت الأخبار بأن معزَّ الدولة بن بُوَيه قد أقبل في الجيوش قاصداً بغداد ، فاختفى ابن شيرزاد والخليفة أيضاً ، وخرج أكثر الأتراك قاصدين إلى الموصل ليكونوا مع ناصر الدولة بن حمدان .

ذكر أول دولة بني بُوَيْه وحكمهم ببغداد

أقبل معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه في جحافل [عظيمة من الجيوش قاصداً بغداد][(١)] ، فلما اقترب من بغداد بعث إليه الخليفة المستكفي بالله الهدايا والإنزالات ، وقال للرسول : أخبره أنّي مسرورٌ به ، وأني إنما اختفيت من شرِّ الأتراك الذين انصرفوا إلى الموصل . وبعث إليه بالخِلَع والتحف .

ودخل معز الدولة بن بويه بغداد في حادي عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، فنزل بباب الشمَّاسية ، ودخل من الغد إلى الخليفة فبايعه ، وخلع عليه المستكفي ولقبه بمعز الدولة ، ولقب أخاه أبا الحسن علياً بعماد الدولة ، وأخاه أبا علي الحسن بركن الدولة ، وكتب ألقابهم على الدراهم والدنانير . ونزل معز الدولة بدار مُؤْنس الخادم ، ونزل أصحابه من الدَّيْلم بدور الناس ، فلقي الناس من ذلك كلفةً شديدة ، وأمَّن معز الدولة ابنَ شيرزاد ، فلما ظهر استكتبه على الخَرَاج ، ورتب للخليفة بسبب نفقاته خمسة آلاف [درهم][(١)] في كل يوم ، واستقرت الأمورُ على هذا النظام .

ذكر القَبْض على الخليفة المُستكفي وخَلْعِهِ

لما كان اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة حضر معز الدولة إلى الحضرة ، فجلس على سرير بين يدي الخليفة ، وجاء رجلان من الدَّيْلَم ، فمدا أيديهما إلى الخليفة ، فأنزلاه عن كرسيه ، وسحباه ، فتحزَّبت[(٢)] عِمَامتهُ في حَلْقه ، ونهض معز الدولة ، واضطربت دار الخلافة حتى خلص إلى الحريم ، وتفاقم الحال ، وسيق الخليفة ماشياً إلى دار معز الدولة ، فاعتقل بها ، وأحضر أبو القاسم بن المقتدر فبويع بالخلافة ، وسُمِلَتْ عينا المستكفي ، وأودع السِّجْنَ ، فلم يزل به

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) أي اشتدت عليه أو ضغطته . القاموس المحيط (حزب) .

مسجوناً حتى كانت وفاته في سنة ثمانٍ وثلاثين كما سيأتي بيانه ، وذكر ترجمته هناك[١] .

خِلافة المطيع لله

لما قدم معزُّ الدولة بغداد ، وقبض على المستكفي ، وسُمِلَتْ عيناه ، استدعي بأبي القاسم الفَضْل ابن المقتدر بالله ، وقد كان مختفياً من المستكفي وهو يحثُّ على طلبه ويجتهد ، فلم يقدر عليه ، ويقال : إنه اجتمع بمعز الدولة سراً ، فحرَّضه على المستكفي حتى كان من أمره ما كان ، فأحضر أبو القاسم بن المقتدر فبويع بالخلافة ، ولقب بالمطيع لله ، وبايعه الأمراء والأعيان ومعز الدولة والعامة ، وضعف أمر الخلافة جداً حتى لم يبق للخليفة أمرٌ ولا نهيٌ ولا وزير أيضاً ، وإنما يكون له كاتب على إقطاعه فقط ، وإنما مورد أمور المملكة ومصدرها راجعٌ إلى معز الدولة ، وإنما كان ذلك لأن بني بويه ومن معهم من الدَّيْلم فيهم تشيُّعٌ[٢] شديد ، وكانوا يَرَوْن أن بني العباس قد غصبوا الأمر من العلويين ، حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة عنهم إلى العلويين ، واستشار أصحابه في ذلك ، فكلُّهم أشار عليه بذلك ، إلا رجلاً من أصحابه ، كان سديد الرأي فيهم ، فإنه قال له : لا أرى لك هذا . قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنَّ هذا خليفة ترى أنت وأصحابك أنه غير صحيح الإمارة ، فمتى أمرت بقتله قتلَه أصحابك ، ولو ولّيت رجلاً من العلويين لكنت أنت وأصحابك تعتقدون صحة ولايته فلو أمر بقتلك لقتلك أصحابك . فلما فهم ذلك صرَفَه عن رأيه الأول ، [وترك ما كان عزم عليه][٣] للدُّنيا لا لله عزَّ وجلَّ .

ثم نشِبت الحربُ بين ناصر الدولة بن حمدان وبين معز الدولة بن بُوَيْه ، فركب ناصر الدولة بعدما خرج معزُّ الدولة والخليفة المطيع إلى عُكْبرا ، فدخل بغداد ، فأخذ الجانب الشَّرْقي ، ثم الغربي ، وضَعُفَ أمر معز الدولة والديالمة الذين معه ، ثم مكر به معز الدولة وخدعه حتى استظهر عليه وانتصر أصحابه ، فنهبوا بغداد وما قدروا عليه من أموال التجار وغيرهم ، فكان قيمة ما أخذ أصحابُ معز الدولة من الناس عشرة آلاف ألف دينار ، ثم وقع الصُلْح بين ناصر الدولة ومعز الدولة ، ورجع ابن حمدان إلى بلده المَوْصل ، واستقر معزُّ الدولة بمدينة السلام بغداد .

ثم شرع في استعمال السُّعاة ليبلِّغوا أخاه ركنَ الدولة أخبارَه ، فغوي العامة في ذلك ، وعلَّموا أبناءهم ذلك ، حتى كان من الناس من يقطع نيفاً وثلاثين فرسخاً في يوم .

وأعجبه المصارعون والملاكمون ، وغير ذلك من أرباب هذه الصِّناعات التي لا يُنْتفع بها إلا قليلاً[٤]

(١) انظر وفيات سنة (٣٣٨هـ) .
(٢) في (ط) : تعسف ، وهو تحريف .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ط) : التي لا ينتفع بها إلا كل قليل العقل ، فاسد المروة ، وتعلموا السباحة ونحوها .

كالسِّباحة ونحوها ، وكان يضرب الطبول بين يديه ، ويصارع بين الرجال ، والكوسات[(١)] تدق حول سور[(٢)] المكان الذي هو فيه ، وهذه رعونة شديدة ، وسخافة عقل منه وممن يوافقه على ذلك ، ثم احتاج معز الدولة إلى صرف أموال في أرزاق الأجناد ، فأقطعهم البلاد عِوَضاً عن أرزاقهم ، فأدَّى ذلك إلى تخريبها ، وتَرْك عمارتها إلا الأراضي التي بأيدي أصحاب الجاهات .

وفي هذه السنة وقع غلاءٌ شديد ببغداد حتى أكلوا الميتة والكلاب والسَّنانير ، وكان من النَّاس من يسرق الأولاد فيشويهم ويأكلهم ، وكثر الموت في الناس حتى كان لا يدفن أحدٌ أحداً ، بل يتركون على الطُّرُقات فتأكل كثيراً منهم الكلاب ، وأبيعت الدُّور والعقار بالخبز ، وانتجع الناس البصرة ، فكان منهم منْ يموت في الطريق ، ومن وصل منهم مات بعد مدَّة .

وفيها كانت وفاة القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي[(٣)] ، وولي الأمر من بعده ولده المنصور إسماعيل ، وكان حازمَ الرأي شديداً شجاعاً كما ذكرنا ذلك في السنة الماضية[(٤)] ، وكانت وفاتُه في شوال من هذه السنة على الصَّحيح .

وفيها توفي الإخشيذ محمد بن طُغْج : صاحب الدِّيار المِصْرية والبلاد الشَّامية ، كانت وفاته بدمشق ، وله من العمر بضع وستون سنة ، وأُقيم ولده أنُوجُور[(٥)] ـ وكان صغيراً ـ وأقيم كافور الإخشيدي أتابك[(٦)] ، وكان يدبِّر الممالك بالبلاد كلِّها ، واستحوذ على الأمور كلها ، وسار إلى مِصْر ، فقصدَ سيف الدولة بنُ حمدان دمشق ، فأخذها من أصحاب الإخشيذ ، ففرح بها فرحاً شديداً ، واجتمع بمحمد بن محمد [أبي][(٧)] نصر الفارابي التُّركي الفيلسوف بها . وركب سيف الدولة يوماً مع الشَّريف العقيقي[(٨)] في بعض نواحي دمشق ، فنظر سيف الدولة إلى الغوطة فأعجبته وقال : ينبغي أن تكون هذه كلها لديوان السُّلْطان ـ كأنَّه يعرِّض بأخذها من مُلاَّكها ـ فأوعز ذلك العقيقي[(٨)] إلى أهل دمشق ، فكتبوا إلى كافور

---

(١) هي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص . صبح الأعشى (٤/ ٩) .

(٢) انظر المنتظم (٦/ ٣٤١) .

(٣) الحلة السيراء (١/ ٢٨٥ ـ ٢٩١) الكامل لابن الأثير (٨/ ٢٨٤) وما بعدها ، البيان المغرب (١/ ٢٠٨) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٥/ ١٩ ـ ٢٠) المختصر في أخبار البشر (٢/ ٨٠ ، ٩٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٥٢ ـ ١٥٦) العبر (٢/ ٢٤٠) الوافي بالوفيات (٤/ ٤) مرآة الجنان (٢/ ٣١٧) تاريخ ابن خلدون (٤/ ٤٠ ـ ٤٣) اتعاظ الحنفا (١٠٧ ـ ١٢٠) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٨٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) .

(٤) انظر حوادث سنة (٣٣٣هـ) .

(٥) ذكر ابن خلكان في وفياته (٤/ ٩٩) أن معناه بالعربي محمود .

(٦) يعني مربي أولاد الملوك ، وهي مركبة من كلمتين : أتا : الأب ، وبك : الأمير . انظر وفيات الأعيان (١/ ٣٦٥) .

(٧) في النسخ الخطية و(ط) ابن ، وهو تحريف ، وفيات سنة (٣٣٩هـ) .

(٨) في (ط) العقيلي ، وهو تحريف ، في وفيات سنة (٣٦٧هـ) .

الإخشيذي يستنجدونه ، فأقبل إليهم في جيوش كثيفة ، فأجلى عنهم سيفَ الدولة ، وطرده عن حلب أيضاً ، واستناب عليها ، ثم كرَّ راجعاً ، فاستناب على دمشق بدراً الإخشيذي ـ ويعرف ببُدَيْر ـ فلما صار كافور إلى الدِّيار المصرية رجع سيفُ الدولة إلى حلب ، فأخذها كما كانت أولًا له ، ولم يبقَ له في دمشق شيء . وكافور(١) هذا هو الذي هجاه المتنبي ومدحه أيضاً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخِرَقي(٢) : صاحب المختصر المشهور في الفقه .

عمر بن الحسين بن عبد الله ، أبو القاسم ، الخِرَقي ، صاحب المختصر في الفقه ، على مذهب الإمام أحمد . وقد شَرَحه القاضي أبو يعلى بن الفَرَّاء ، والشيخ موفق الدين بن قُدامة المَقْدِسِي(٣) .

وقد كان الخرقي هذا من سادات الفقهاء والعُبَّاد ، كثيرَ الفضائل والعبادة ، خرج من بغداد لما كثر السبُّ بها [للصحابة](٤) ، وأودع كتبه ببغداد ، فاحترقت الدار التي هي فيها ، وعَدِمت مصنفاته ، وقصد دمشق ، فأقام بها حتى مات في هذه السنة ، وقبره بباب الصغير يزار ، قريباً من قبور الشُّهداء ، وفي مصنفه هذا المختصر في كتاب الحج : ويأتي الحجرَ الأسودَ فيقبّله إن كان هناك . وإنما قال ذلك لأن تصنيفه لهذا الكتاب كان حال [كون](٥) الحجر الأسود بأيدي القرامطة حين أخذوه من مكانه في سنة سبع عشرة وثلاثمئة كما ذكرنا(٦) ، ولم يردوه إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة كما سيأتي بيانه في موضعه(٧) .

قال الخطيب : قال لي القاضي أبو يعلى : كانت له مصنفاتٌ كثيرة ، وتخريجات على المذهب لم تظهر ، لأنه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سبُّ الصحابة وأودع كتبه ، فاحترقت الدار التي هي فيها ، واحترقت الكتب فيها ، ولم تكن قد انتشرت لبُعْده عن البلد(٨) .

ثم روى الخطيب من طريقه(٩) عن أبي الفضل عبد السميع الهاشمي عن الفتح بن شخرف ، قال :

---

(١) انظر ترجمته في وفيات سنة (٣٥٧هـ) .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٧٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٧٥ ـ ١١٨) الأنساب (٥/ ٩٢) تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٣٥٢آ) المنتظم (٦/ ٣٤٦) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤) العبر (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) .

(٣) هو كتاب « المغني » ، وهو مطبوع ، مشهور ، متداول .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ظا) .

(٦) انظر حوادث سنة (٣١٧هـ) .

(٧) انظر حوادث سنة (٣٣٩هـ) .

(٨) تاريخ بغداد (١١/ ٢٣٤) وانظر طبقات الحنابلة (٢/ ٧٥) .

(٩) أي من طريق الخرقي .

رأيتُ أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب في المنام ، فقال لي : ما أحسنَ تواضعَ الأغنياء للفقراء ، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء . قال : ورفع لي كفَّه ، فإذا فيها مكتوب :

قد كنتَ مَيْتاً فَصِرْتَ حيّاً وعــن قليــلٍ تصيــرُ مَيْتــا
فــابــنِ بــدارِ البَقــاءِ بَيْتــاً وَدَعْ بــدارِ الفَنــاءِ بيتــا[١]

قال ابن بطَّة : مات الخِرَقي بدمشق سنة أربعٍ وثلاثين وثلاثمئة ، وزرتُ قبره[٢] .

محمد بن عيسى[٣] : أبو عبد الله بن أبي موسى ، الفقيه الحنفي ، أحد أئمة العراقيِّين في زمانه .

وولي القضاء ببغداد للمتقي ثم للمستكفي ، وكان ثقةً فاضلاً ، كبست اللصوص داره يظنون أنه ذو مالٍ ، فضربه بعضُهم ضربةً أثخنته ، فهرب منهم إلى السطوح ، فألقى نفسه من شِدَّة الفزع إلى الأرض ، فمات رحمه الله ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة .

محمد بن محمد بن عبد الله[٤] : أبو الفَضْل السلمي الوزير الفقيه المحدث الشاعر .

سمع الكثير ، وجمع وصنف ، وكان يصوم الإثنين والخميس ، ولا يدع صلاة الليل والتصنيف ، وكان يسأل الله الشهادة كثيراً . فولي الوزارة للسُّلْطان ، فقصده الأجناد يطالبونه بأرزاقهم ، واجتمع منهم ببابه خَلْق كثير ، فاستدعى بحلاق ، فحلق رأسه ، وتنوَّر ، وتطيب ، ولبس كفنه ، وقام يصلِّي ، فدخلوا عليه فقتلوه ـ رحمه الله ـ وهو ساجد ، في ربيع الآخر من هذه السنة ، والله تعالى أعلم .

الإخشِيذ محمد بن طُغْج[٥] **بن جُفّ** : أبو بكر ، الملقب بالإخشيذ ، ومعناه ملك الملوك ؛ لقبه بذلك الرَّاضي ، لأنه كان ملك فَرْغانة[٦] ، وكل من ملكها كان يسمى الإخشيذ ، كما أن من ملك أُشْرُوسَنَة يسمى الأفشين ، ومن ملك خُوارزم يسمى خُوارزم شاه ، ومن ملك جُرْجان يسمى صُول ، ومن ملك

---

(١) انظر تاريخ بغداد (١١/ ٢٣٤) .
(٢) المصدر السالف (١١/ ٢٣٥) .
(٣) المنتظم (٦/ ٣٤٦) .
(٤) المنتظم (٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) .
(٥) في النسخ الخطية و(ط) ، والمنتظم (٦/ ٣٤٧) : محمد بن عبد الله بن طغج ، وهو وهم ، وطغج يعني عبد الرحمن ، انظر وفيات الأعيان ، (٥/ ٥٦) وترجمة الإخشيذ في ولاة مصر (٢٩٩) تاريخ ابن عساكر (س) (١٥/ ٢٤٣ب ـ ٢٤٤آ) المنتظم (٦/ ٣٤٧) وفيات الأعيان (٥/ ٥٦ ـ ٦٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) العبر (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) الوافي بالوفيات (٣/ ١٧١ ـ ١٧٢) مرآة الجنان (٢/ ٣١٤ ـ ٣١٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧) شذرات الذهب (٢/ ٢٣٧) .
(٦) العبارة غير مستقيمة ، والأصح منها عبارة ابن خلكان (٥/ ٥٦) : أصله من أولاد ملوك فرغانة . وفي المنتظم (٦/ ٣٤٧) : لأنه فرغاني .

أَذْربيجان يسمى أصبهبذ ، ومن ملك طَبَرِسْتان يسمى رسلان[١] . قاله ابن الجوزي في « منتظمه »[٢] .

قال السُّهَيْلي : وكانت العرب تسمي من ملك الشَّام مع الجزيرة كافراً قيصر ، ومن ملك الفُرس يسمى كسرى ، ومن ملك اليَمن يسمَّى تُبَّع ، ومن ملك الحبشة يسمَّى النَّجاشي ، ومن ملك الهند يسمى بطليموس ، ومن ملك مصر كافراً فِرْعون ، ومن ملك الإسكندرية المقوقس[٣] . وذكر غير ذلك . وكانت وفاته بدمشق ، ونقل إلى بيت المقدس ، فدفن هناك ، رحمه الله .

أبو بكر الشِّبْلي[٤] : أحد مشايخ الصُّوفية ، اختلفوا في اسمه على أقوالٍ ، فقيل : دُلَف بن جَحْدر ، وقيل : ابن جعفر بن يونس[٥] .

أصله من قريةٍ يقال لها شِبْلية من بلاد أُشْرُوسَنَة من خراسان ، وولد بسامرَّا ، وكان أبوه حاجب الحُجَّاب للموفَّق[٦] ، وكان خاله نائب إسكندرية ، وكانت توبة الشِّبْلي على يدي خير النَّسَّاج[٧] ، سمعه يعظ ، فوقع كلامه في قلبه ، فتاب من فوره [وقد كان مالكي المذهب ، وكتب الحديث الكثير ، ثم أقبل على العبادة والمجاهدة ، وترك ذلك كله ، وغسل كتبه ، وقد ترك له أبوه شيئاً كثيراً من الذهب والضياع ، فأنفقها كلها على الصوفية والمحتاجين . قال الشبلي : رأيت باليمن دار الإمارة ، والناس عكوف على بابها ، فأشرف لهم الملك من طاقة ، وأومأ إليهم بيده للسلام ، فسجدوا له ، ثم رأيته بعد بالشام قد اشترى لحماً بدرهم ، وأمسكه بيده . فقلت : أنت ذلك الرجل ؟ فقال : نعم . ومن رأى ذلك ورأى هذا فلا يحقرن الدنيا ؟!

ورأى الشبلي حجاماً يحجم بعض الصوفية ، فلما فرغ ناوله الشبلي أربعين ديناراً في صرة ، فردَّها عليه ، وقال : إني إنما عملت ما عملت مع الله ، لا أنقض عهدي مع الله من أجل هذه الدنانير ، فصك الشبلي وجهه ، وقال : كل إنسان خير من الشبلي حتى الحجام .

---

(١) في المنتظم (٦/ ٣٤٧) « سالار » .
(٢) انظر المصدر السالف .
(٣) انظر الروض الأُنُف (١/ ١١٤) .
(٤) طبقات الصوفية (٣٣٧ـ ٣٤٨) حلية الأولياء (١٠/ ٣٦٦ ـ ٣٧٥) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٨٩ ـ ٣٩٧) الرسالة القشيرية (٢٥ ـ ٢٦) الأنساب (٧/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤) المنتظم (٦/ ٣٤٧ ـ ٣٤٩) وفيات الأعيان (٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩) العبر (٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) مرآة الجنان (٢/ ٣١٧ ـ ٣١٩) الديباج المذهب : (١١٦ ـ ١١٧) طبقات الأولياء (٢٠٤ ـ ٢١٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٨) .
(٥) انظر طبقات الصوفية (٣٣٧) .
(٦) في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦٧) : كان أبوه من كبار حجاب الخلافة ، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق . قلت : ترجمة الموفق سلفت في وفيات سنة (٢٧٨هـ) .
(٧) انظر وفيات سنة (٣٢٢هـ) .

ورأى الشبلي رجلاً راكباً ، فقال الناس : هذا مسخرة الأمير . فتقدم الشبلي إليه فقبل فخذه ، فترجل الرجل من دابته وقال : يا سيدي ، لعلك لم تعرفني ! فقال : بلى ، أنت الذي يأكل الدنيا بما يساويها ، وأنت خير ممن يأكل الدنيا بالدين][1] .

ثم صحب الفقراء والمشايخ ، ثم كان بعد ذلك من أئمة القوم .

قال الجُنَيْد : الشِّبْلي تاج هؤلاء .

وقال الخطيب : أخبرنا عليُّ بن محمود الزَّوْزني قال : سمعت عليَّ بن المثنى التَّميمي يقول : دخلت على الشِّبْلي في داره وهو يهيج ويقول :

على بُعْدِكَ لا يَصْبِـ ـرُ مَنْ عادتُهُ القُرْبُ
ولا يقوىٰ على حَجْبِـ ـكَ مَنْ تيَّمَهُ الحُبُّ
فإنْ لم تَرَكَ العينُ فقد يُبْصِرُكَ القَلْبُ

وقد ذكر له أحوال وكرامات ، [فذكر الحافظ ابن عساكر قال : قلت لراهب : لمن احتبست نفسك ؟ قال : للمسيح . فقلت : لِمَ أفردته بالعبادة دون الله ؟ فقال : لأنه مكث أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب . فقلت : عدَّها علي . فمكثت تحت صومعته أربعين يوماً لا آكل ولا أشرب ، فنزل إليَّ فقال : ما دينك ؟ فقلت : محمدي . فأسلم ، فجئت به إلى دمشق ، فجمعوا له مالاً ، وتركته مع الصوفية .

قال : وأُخذنا مرة ، فجعل القطاع يعرضون على أميرهم تلك الأموال ، ويأكلون بما فيها من السكر واللوز وهو لا يأكل ، فقلت : لم لا تأكل مع أصحابك ؟ فقال : إني صائم . فقلت : تقتل الرجال ، وتأخذ الأموال وأنت صائم ! فقال : يا شيخ ، اجعل للصلح موضعاً . فلما كان بعد مدة رأيته متعلقاً بأستار الكعبة ، وهو كالشن[2] البالي من العبادة ، فقلت : أنت ذاك الرجل ؟! فقال : ذاك الصوم هو الذي بلغ بي إلى هنا][3] .

وقد ذكرنا[4] أنه ممن اشتبه عليه أمر الحلاج ، نُسب إليه من الأقوال من غير تأمل لما تحتها ، مما كان الحلاج يحاوله من الإلحاد والاتحاد .

ولما حضرته الوفاة قال لخادمه : قد كان عليَّ دِرْهم من مظلمةٍ ، فتصدقت عن صاحبه بألوف ، ومع هذا ما على قلبي شغل أعظم منه ، ثم أمر بأن يوضئه فوضأه ، وترك تخليل لحيته ، [فرفع

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في (ح) و(ط) ، والمثبت من (ب) و(ظا) .
(٢) الشن : القِرْبة الخَلَق الصغيرة ، جمعها : شنان . القاموس المحيط (شنن) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ح) و(ط) ، والمثبت من (ب) و(ظا) .
(٤) انظر حوادث سنة (٣٠٩هـ) .

يده ـ وكان قد اعتقل لسانه ـ][1] فجعل يخلل لحية نفسه ، ثم مات ، رحمه الله .

وذكره القاضي ابن خلكان في « الوفيات » ، وحكى عنه أنه دخل يوماً على الجنيد ، فوقف بين يديه ، وصفَّق بيديه وأنشد :

عَوَّدوني الوصالَ والوصلُ عَذْبُ ... وَرَموني بالصَّدِّ والصَّدُّ صَعْبُ
زَعَمُوا حينَ أزمعوا أنَّ ذنبي ... فَرْطُ حبِّي لهم وما ذاكَ ذنبُ
لا وحَقّ الخضوعِ عندَ التَّلاقي ... ما جزا مَنْ يُحِبُّ إلا يُحَبُّ[2]

وذَكَرَ عنه أنه قال : رأيتُ مجنوناً على باب جامع الرّصافة يوم جمعة عُريانَ وهو يقول : أنا مجنون الله أنا مجنون الله ، فقلت : ألا تستتر وتدخل ، فتصلي مع الناس ؟ فأنشأ يقول :

يقولونَ زُرْنا واقْضِ واجِبَ حَقّنا ... وقدْ أسْقَطتْ حالي حُقُوقَهُمُ عنِّي
إذا أبصَرُوا حالي ولم يأنفُوا لها ... ولم يأنفُوا منها أنِفْتُ لهم منِّي[3]

وذكر الخطيب في « تاريخه » عنه أنه أنشد لنفسه :

مَضَتِ الشَّبيبةُ والحبيبةُ فانبرىٰ ... دَمْعانِ في الأجفانِ يَزْدحمانِ
ما أنصفتني الحادثاتُ رَمَيْنني ... بمُوَدَّعينِ وليسَ لي قَلْبانِ[4]

وكانت وفاته رحمه الله ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من هذه السنة ، وله سبع وثمانون سنة ، ودفن في مقبرة الخيزران ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة

في هذه السَّنة استقرَّ أمر الخليفة المطيع لله في دار الخِلافة ، واصطلح معز الدولة بن بُوَيْه وناصر الدولة بن حمدان على ذلك ، ثم حاربَ ناصرُ الدولة تكِين التُّرْكي ، فاقتتلا مَرَّاتٍ متعدِّدة ، ثم ظَفِرَ ناصر الدولة بتكين ، فسمله بين يديه ، واستقر أمره بالمَوْصل والجزيرة .

وفيها استحوذ ركن الدولة بن بويه على الرَّي ، وانتزعها من الخُرَاسانية ، فاتسعت مملكة بني بويه

(١) ما بين حاصرتين من (ظا) و(ط) .
(٢) انظر وفيات الأعيان (٢/ ٢٧٣) .
(٣) المصدر السالف (٢/ ٢٧٦) وقد ترجم المصنف لهذا المجنون في وفيات سنة (٥٣١هـ) ، وساق له هذين البيتين .
(٤) تاريخ بغداد (٦/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .

جداً ، فإنه صار بأيديهم أعمال الرَّي والجبل وأصْبَهان وفارس والأهواز والعراق ، ويُحمل إليهم ضمان المَوْصل وديار مُضَر وربيعة من الجزيرة .

ثم اقتتل جيش مُعزِّ الدولة وجيش أبي القاسم بن البريدي ، فهزم أصحابَ البريدي ، وأسر من أعيانهم جماعةً كثيرة .

وفيها وقع الفداء بين الرُّوم والمسلمين على يد نَصْر الثَّملي أمير الثغور لسيفِ الدولة بن حَمْدان ، فكان عِدَّة الأسارى نحواً من ألفين وخمسمئة مسلم ، ولله الحمد والمنَّة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن حَمُّويه بن الحسين(١) : القاضي الإسْتِرَاباذي .

روى الكثير وحدَّث ، وكان له مجلسٌ للإملاء ، وحكم ببلده مُدَّةً طويلة ، وكان من المتهجدين بالأسحار ، ويُضرب به المثل في مروءته ووجاهته ، وقد مات فجأة على صَدْر جاريته عند إنزاله ، رحمه الله .

عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله(٢) : أبو عبد الله الخُتُّلِي ، سمع ابنَ أبي الدُّنيا وغيره .

وحدث عنه : الدَّارَقُطْني وخَلْقٌ .

وكان ثقة ثَبْتاً حافظاً ، حدَّث من حفظه بخمسين ألف حديث(٣) .

عبد السَّلام بن رَغْبان بن عبد السلام(٤) **بن حبيب بن عبد الله بن رَغْبَان بن زيد بن تميم** ، أبو محمد الكَلْبي ، الملقَّب ديك الجن ، الماجن الشيعي .

ويقال : إنه من موالي بني تميم ، وكانت له أشعار قوية ؛ خمارية وغير خمارية ، وقد استجاد أبو نواسٍ شِعْرَه في الخمارِيات(٥) .

علي بن عيسى بن داود بن الجَرَّاح(٦) : أبو الحسن ، الوزير للمقتدر والقاهر .

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٥٠) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) الإكمال (٣/ ٢٢٠) الأنساب : (٥/ ٤٥) المنتظم (٦/ ٣٥١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٧٠ ـ ٨٧١) طبقات الحفاظ (٣٥٦) .

(٣) انظر تاريخ بغداد (١٠ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩١) .

(٤) الأغاني (١٤ ـ ٥١ ـ ٦٧) وفيات الأعيان (٣/ ١٨٤ ـ ١٨٨) . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٣ ـ ١٦٤) .

(٥) وهم ابن كثير في إيراد ترجمة ديك الجن في وفيات هذه السنة ، والصواب أنه توفي سنة (٢٣٥هـ) أو سنة (٢٣٦هـ) انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٨٥) .

(٦) إعتاب الكتاب (١٨٦ ـ ١٨٩) الفهرست (١٨٦) تحفة الأمراء (٢٨١ ـ ٣٦٤) تاريخ بغداد (١٢/ ١٤ ـ ١٦) تاريخ ابن=

ولد سنة خمسٍ وأربعين ومئتين ، وسمع الكثير ، وعنه : الطَّبراني وغيره ، وكان ثقة ثَبْتاً فاضلاً عفيفاً ، كثير التِّلاوة والصلاة والصيام ، يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم ، وكان أصله من الفُرْس ، وكان من أكابر القائمين على الحلاَّج . وقد روي عنه أنه قال : ملكت سبعمئة ألف دينار أنفقت منها على وجوه الخير ستمئة ألف وثمانين ألفاً .

ولما دخل مكة حين نُفِيَ من بغداد طاف بالبيت وبالصَّفَا والمَرْوة ، وكان حرٌّ شديد ، فجاء المنزل ، فألقى نفسه كالميت وقال : أشتهي على الله شربة ثلج . فقال له بعض أصحابه : إن هذا مما لا يتهيأ هاهنا . فقال : أعرف ، ولكني استروحت إلى المُنى ، فلما كان في أثناء النهار جاءت سحابةٌ فأمطرت ، ثم سقط بَرَدٌ شديد كثير ، فجمع له صاحبه ذاك من البَرَد شيئاً كثيراً ، وخبأه له ، وكان الوزير صائماً ، فلما أمسى جاء المسجد ، فأقبل إليه صاحبه بأنواع من الأشربة كلها بثلج ، فجعل يسقيه منْ حوله من الصُّوفية والمجاورين ، ولم يشرب هو شيئاً من ذلك . فلما رجع إلى منزله جئته بشيءٍ من ذلك الشراب كنّا قد خبأناه له ، وأقسمت عليه ليشربَنَّه ، فشربه بعد جهدٍ ، وقال : كنت أشتهي لو كنت تمنيت المغفرة[1] . رحمه الله وغفر له .

ومن شعر الوزير أبي الحسن علي بن عيسى قوله :

فَمَنْ كان عنِّي سائِلاً بشَمَاتةٍ ... لما نَابني أو شَامِتاً غيرَ سائلِ
فقدْ أبْرَزَتْ منّي الخُطُوبُ ابنَ حُرَّةٍ ... صَبُوراً على أهوال تلكَ الزَّلازِلِ[2]

وقد روى أبو القاسم علي بن المُحَسِّن التَّنوخي[3] عن أبيه عن جماعةٍ أنَّ عطاراً من أهل الكَرْخ كان مشهوراً بالسُّنَّة ، ركبه ستمئة دينار ديناً ، فغلق دكَّانه ، وانكسر عن كسبه ، ولزم منزله ، وأقبل على الدُّعاء والتضرع والصلاة ليالي كثيرة ، فلما كان في بعض تلك الليالي رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له : اقصد عليَّ بن عيسى الوزير ، فقد أمرته لك بأربعمئة دينار . فلما أصبح الرجل قَصَدَ باب الوزير ، فلم يَعْرِفْه أحدٌ ، فجلس لعل أحداً يستأذن له عليه حتى طال عليه المجلس وهمَّ بالانصراف ، ثم إنه قال لبعض الحَجبة : قل للوزير إني رجلٌ رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام ، وأنا أريد أنْ أَقُصَّه على الوزير . فقال له الحاجب : وأنت الرائي ؟! إن الوزير قد أنفذ في طلبك رُسُلاً متعددة . ثم دخل ، فما كان بأسرع

= عساكر (س) (١٢/ ٢٤٤آ ـ ٢٤٦آ) المنتظم (٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٥) معجم الأدباء (١٤/ ٦٨ ـ ٧٣) الكامل لابن الأثير (٨/ ١٧٤ ، ١٨٣ و١٨٥ و٤٠٥ و٤٦٥) وما بعدها ، الفخري (٢٣٦) العبر (٢/ ٢٣٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٩٨ ـ ٣٠١) مرآة الجنان (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٦) .

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ١٤ ـ ١٥) .

(٢) انظر معجم الأدباء (١٤/ ٣٠٠) .

(٣) سترد ترجمته في وفيات سنة (٤٤٧هـ) من هذا الكتاب .

من أن أدخلني عليه ، فأقبل عليه الوزير يستعلمه عن اسمه وصنعته ومنزله . فذكر ذلك له ، فقال له الوزير : إني رأيت رسولَ الله وهو يأمرني بإعطائك أربعمئة دينار ، فأصبحتُ لا أدري لمن أسأل عنك وقد أرسلت في طلبك إلى الآن عِدَّة من الرُّسُل ، فجزاك الله خيراً في قصدك إياي . ثم أمر بإحضار ألف دينار فقال له : هذه أربعمئة لأمر رسول الله ، وستمئة هِبَةٌ من عندي . فقال الرجل : لا والله لا أزيد على ما أمرني به رسول الله ﷺ ، فإني أرجو الخير والبركة فيه . ثم أخذ منها أربعمئة دينار . فقال الوزير : هذا هو الصدق واليقين . فخرج الرجل ، فعرض على أرباب الديون أموالهم فقالوا : نحن نصبر عليك ثلاث سنين ، وافتح بهذا الذهب دكانك ودُمْ على كسبك . فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم الثلث ، فدفع إليهم مئتي دينار ، وفتح الدكان بالمئتين الأخرى ، فما حال الحول حتى كسب ألف دينار(١) .

ولعلي بن عيسى الوزير أخبار كثيرة صالحة . وكانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة . ويقال : في التي قبلها ، والله أعلم .

محمد بن إسماعيل(٢) بن إسحاق بن بحر : أبو عبد الله الفارسي ، الفقيه الشَّافعي .

كان ثقة ثَبْتاً فاضلاً ، سمع أبا زُرْعة الدِّمَشْقي وغيره ، وعنه : الدَّارَقُطْني وغيره ، وآخر منْ حدث عنه أبو عمر بن مهدي ، وكانت وفاته في شوَّال من هذه السنة .

هارون بن محمد(٣) بن هارون بن علي بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن عامر بن أسيد بن تَيم بن صُبْح بن ذُهْل بن مالك [بن بكر](٤) بن سَعْد بن ضَبَّة أبو جعفر ؛ والد القاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون(٥) .

كان أسلافه ملوك عُمان في قديم الزمان ، ويزيد بن جابر أدركه الإسلام ، فأسلم وَحَسُنَ إسلامه ، وكان هارون هذا أول من انتقل من أهله من عُمان ، فنزل بغداد(٦) وحدَّث بها ، وروى عنه ابنه .

وكان فاضلاً متضلعاً من كل فن ، وكانت داره مجمع العلماء في سائر الفنون ، ونفقاته دارَّة عليهم ، وكان له منزلة عالية ، ومهابة وافرة ببغداد ، وقد أثنى عليه الدَّارَقُطْني ثناء كثيراً ، وقال : كان مبرِّزاً في النَّحْو واللغة والشعر ، ومعاني القرآن ، والكلام .

---

(١) انظر نشوار المحاضرة (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥) والمنتظم (٦/ ٣٥٣ ـ ٣٥٥) .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٥٠) المنتظم (٦/ ٣٥٥) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٢٠) .
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٣) المنتظم (٦/ ٣٥٦) .
(٤) ما بين حاصرتين من المنتظم (٦/ ٣٥٦) وانظر نسبه في تاريخ بغداد (٨/ ١٤٦) .
(٥) كان قد ولي قضاء الكرخ ، ثم أضيف إليه قضاء مدينة المنصور وقضاء الكوفة ، توفي سنة (٣٩٨هـ) ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٩٦ ـ ٩٧) .
(٦) وذلك سنة (٣٠٥هـ) ، انظر تاريخ بغداد (١٤/ ٣٣) .

قال ابن الأثير : وممن توفي فيها :

أبو بكر محمد بن [يحيى بن] بن عبد الله بن العبَّاس بن [محمد بن] صُول الصُّولي : وكان عالماً بفنون الآداب والأخبار(١) .

وإنما ذكره ابنُ الجوزي في التي بعدها كما سيأتي(٢) .

أبو العبَّاس ابن القاص(٣) أحمد بن أبي أحمد الطَّبري : الفقيه الشافعي ، تلميذ ابن سُرَيج ، له « كتاب التَّلْخيص » و « كتاب المِفْتاح » ، وهو مُخْتَصَرٌ(٤) ، شَرَحه أبو عبد الله الخَتَن(٥) ، وأبو علي السِّنْجي(٦) أيضاً .

وكان أبوه يقصُّ على الناس الأخبار والآثار ، وأما هو فتولى قضاء طَرَسُوس ، وكان يعظ الناس أيضاً ، فحصل له خشوع ، فسقط مغشياً عليه ، فمات في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة .

ثم دخلت سنة ستٍّ وثلاثين وثلاثمئة

فيها خرج معز الدولة والمطيع لله من بغداد إلى البَصْرة ، فاستنقذاها من يد أبي القاسم بن البَريدي ، وهرب هو وأكثر أصحابه ، واستولى معز الدولة على البصرة ، وبعث يتهدَّد القرامطة ويتوعدهم بأخذ بلادهم . وزاد في إقطاع الخليفة ضياعاً تعمل في السنة مئتي ألف دينار ، ثم سار معز الدولة لتلقي أخيه عماد الدولة بالأهواز ، فقبَّل الأرض بين يدي أخيه ، وقام ماثلاً أيضاً ، ويأمره بالجلوس فلا يفعل . ثم عاد إلى بغداد ، ورجع الخليفة إليها أيضاً ، وقد تمهدت أمور جيدة .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٨/ ٤٦٨) وما بين حاصرتين منه .

(٢) الذي ذكر وفاته في هذه السنة هو طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد (كما في تاريخ الخطيب) ، وترجمه الذهبي في وفيات هذه السنة من تاريخ الإسلام (٧/ ٦٩٧) ، وفي « سير أعلام النبلاء » وغيرهما . أما الذي ذكر وفاته في سنة ست فهو التنوخي والمرزباني (كما في تاريخ الخطيب) وفي تابعهما (بشار) .

(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١) الأنساب (١٠/ ٢٤ ـ ٢٥) وفيات الأعيان (١/ ٦٨ ـ ٦٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) العبر (٢/ ٢٤١) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٢٧) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٥٩ ـ ٦٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٤) طبقات ابن هداية الله (٦٥ ـ ٦٦) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٩) .

(٤) أي « كتاب التلخيص » .

(٥) في النسخ الخطية و(ط) : الحسين ، وهو تحريف ، وأبو عبد الله الختن هو محمد بن الحسن بن إبراهيم ؛ ختن الإمام أبي بكر الإسماعيلي ، والختن في اللغة الصهر ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٣٦ ـ ١٣٨) .

(٦) هو الحسن بن محمد بن شعيب ، ويقال : الحسين بن شعيب ، توفي سنة (٤٣٢هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧) وانظر وفيات الأعيان (١/ ٦٨) .

وفي هذه السنة استحوذ ركن الدولة على بلاد طَبَرِسْتان وجُرْجان ، وانتزعها من يد وَشْمَكير أخي مَرْدَاويج ملك الدَّيْلم ، فذهب وَشْمَكير إلى خُرَاسان يستنجد بصاحبها .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أبو الحسين بن المُنادي(١) أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد : أبو الحسين بن المُنَادي ، سمع جدَّه ، وعباساً الدُّوري ، ومحمد بن إسحاق الصَّاغاني . وكان ثقة أميناً حُجَّة صادقاً ، صنَّف كثيراً وجمع علوماً جمة ، ولم يسمع الناس منها إلا اليسير ؛ وذلك لشراسة أخلاقه . وآخر من روى عنه محمد بن فارس الغُوري(٢) .

ونقل ابنُ الجوزي عن أبي يوسف القَزويني أنه قال : صنَّف أبو الحسين بن المُنَادي في علوم القرآن أربعمئة كتاب ، ونيفاً وأربعين كتاباً ، ولا يوجد في كلامه حشو ، بل هو نقيُّ الكلام ، جمع بين الرِّواية والدِّراية(٣) .

وقال ابن الجَوْزي : ومن وَقَف على مصنَّفاته عَلِم فضيلته واطلاعه ، ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه(٤) .

كانت وفاته في محرَّم هذه السنة عن ثمانين سنة .

الصُّولي(٥) محمد بن يحيى بن عبد الله بن العَبَّاس بن محمد بن صُولٍ : أبو بكر الصُّولي .

كان أحد العلماء بفنون الأدب ، حَسَنَ المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ، ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء .

---

(١) الفهرست (٥٨) تاريخ بغداد (٤/ ٦٩ ـ ٧٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٧٣) طبقات الحنابلة (٢/ ٣ ـ ٦) المنتظم (٦/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦١ ـ ٣٦٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٤٩ ـ ٨٥٠) العبر (٢/ ٢٤٢) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٩٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٥) غاية النهاية (١/ ٤٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٥) طبقات الحفاظ (٣٥١ ـ ٣٥٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٣) .

(٢) في النسخ الخطية و(ط) : اللغوي ، وهو تحريف ، انظر الأنساب (٩/ ١٩٠) .

(٣) المنتظم (٦/ ٣٥٨) .

(٤) المصدر السالف .

(٥) معجم الشعراء (٤٣١) الفهرست (٢١٥ ـ ٢١٦) تاريخ بغداد (٣/ ٤٢٧ ـ ٤٣٢) الأنساب (٨/ ١١٠ ـ ١١١) نزهة الألباء (١٨٨ ـ ١٩٠) المنتظم (٦/ ٣٥٩ ـ ٣٦١) معجم الأدباء (١٩/ ١٠٩ ـ ١١١) إنباه الرواة (٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦) وفيات الأعيان (٤/ ٣٥٦ ـ ٣٦١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) العبر (٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) الوافي بالوفيات (٥/ ١٩٠ ـ ١٩٢) مرآة الجنان ، (٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٥) لسان الميزان (٥/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٦) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٢) .

روى عن أبي داودٍ السِّجِسْتاني ، والمبرِّد ، وثعلب ، وأبي العَيْناء ، وغيرهم ، وكان واسع الرواية ، جيد الحفظ ، حاذقاً ، بتصنيف الكتب . وله كتب كثيرة هائلة ، ونادمَ جماعةً من الخلفاء ، وحظي عندهم ، وكان جدُّه صُول وأهله ملوكاً بجُرْجان ، ثم كان أولاده من أكابر الكُتَّاب ، وكان الصُّولي هذا جَيِّد الاعتقاد حسنَ الطريقة ، وله شِعْرٌ حسن ، وقد روى عنه الدَّارَقُطْني وغيره من الحُفَّاظ .

ومن شعره قولُه :

أَحْبَبْتُ مِنْ أجلِهِ مَنْ كان يشْبِهُهُ ... وكلُّ شيءٍ مِنَ المعشوقِ مَعْشُوقُ

حتَّى حكيتُ بجسمي ما بمُقْلتهِ ... كأنَّ سُقْمي مِن عينيهِ مَسْرُوقُ

خرج الصُّولي من بغداد إلى البَصْرة لحاجةٍ لحقته ، فمات بها في هذه السنة .

[**ابنة أبي الحسن المكي**][1] : وفيها كانت وفاة ابنة الشيخ أبي الحسن الزَّاهد المكي .

وكانت من العابدات النَّاسكات المقيمات بمكة ، وإنما كانت تقتات من كَسْب أبيها مما يكتسبه من عمل الخُوص في كلِّ سنة بثلاثين دِرْهماً يرسلها إليها ، فاتفق أن أرسلها مَرَّة مع بعض أصحابه ، فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهماً ـ يريد بذلك بِرَّها وزيادةً في نفقتها ـ فلما اختبرتها قالت : هل وضعت على هذه شيئاً ؟ اصدقني بحقِّ الذي حججت له . فقال : نعم . فقالت : ارجع بها ، فلا حاجة لي فيها ، ولولا أنك قصدتَ الخير لدعوت عليك ، فإنك أجعتني عامي هذا ، ولم يبق لي رِزْقٌ إلا من المزابل إلى قابل . فقلت : ألا تأخذي منها الثلاثين درهماً ؟ فقالت : إنها قد اختلطت بمالك ، ولا أدري ما هو . قال الرجل : فرجعت بها إلى أبيها ، فأبى أن يقبلها وقال : شققت يا هذا علي ، وضَيَّقْتَ عليها ، ولكن اذهب ، فتصدَّق بها[2] .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة

فيها ركب معز الدولة من بغداد إلى المَوْصل ، فانهزم منه ناصر الدولة إلى نَصيبين ، فتملَّك معز الدولة بن بُوَيه المَوْصِل في رمضان من هذه السنة ، فعسف أهلها ، وأخذ أموالهم ، وكَثُرَ الدُّعاء عليه . ثم عزم على أخذ البلاد كلِّها من يد ناصر الدولة بن حَمْدان ، فجاءه خبر من أخيه ركن الدولة يستنجده على من قبله من الخراسانية ، فاحتاج إلى مصالحة ناصر الدولة على أن يحمل عما تحت يده من بلاد الجزيرة

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح . وترجمتها في المنتظم (٦/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) .

(٢) إلى هنا تنتهي مقابلتنا على نسخة (ظا) ، وهو ما استطعنا العثور عليه من هذه النسخة .

والشَّام في كل سنة ثمانية آلاف [ألف][(١)] دِرْهم ، وأن يخطب له ولأخويه عماد الدولة وركن الدولة على منابر بلاده كلها ، ففعل . وعاد معز الدولة إلى بغداد ، وبعث إلى أخيه ركن الدولة بجيشٍ هائل ، وأخذ له عهد الخليفة بولاية خُرَاسان .

وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان ؛ صاحب حلب إلى بلاد الرُّوم ، فلقيه جمع كثيف من الرُّوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم سيف الدولة ، وأخذت الرُّوم مَرْعش ، وأوقعوا بأهل طَرَسُوس بأساً شديداً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال ابن الجوزي : وفي رمضان [من هذه السنة][(٢)] انتهت زيادة دِجْلة إلى أحد وعشرين ذراعاً وثلث ، فغرقت الضياع والدُّور التي عليها ، وأشرف الجانب الشرقي على الغرق ، وهمَّ الناس بالهرب منه[(٣)] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن محمد بن حَمْدُويه[(٤)] : ابن نُعيم بن الحَكم ، أبو محمد البَيِّع ؛ وهو والد الحاكم أبي عبد الله النَّيسابوري[(٥)] .

أذَّن ثلاثاً وثلاثين سنة ، وغزا اثنتين وعشرين غزوة ، وأنفق على العلماء مئة ألف ، وكان يقوم الليل ، كثيرَ الصَّدقة ، أدرك عبد الله بن أحمد ، ومسلم بن الحَجَّاج ، وروى عن ابن خُزَيْمة وغيره ، وتوفي عن ثلاثٍ وتسعين سنة .

قُدَامة الكاتب المشهور[(٦)] : هو قدامة بن جعفر بن قدامة ، أبو الفرج الكاتب .

له مصنَّف في « الخَراج وصناعة الكتابة »[(٧)] ، وبه يقتدي علماء هذا الشأن ، وقد سأل ثعلباً عن أشياء .

محمد بن علي بن عمر[(٨)] : أبو علي المذكِّر الواعظ بِنَيْسابور .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في (ح) و(ب) ، والمثبت من الكامل (٨/ ٤٧٧) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) انظر المنتظم (٦/ ٣٦٢) .
(٤) المنتظم (٦/ ٣٦٢) ، وترجمه الذهبي في وفيات سنة تسع وثلاثين من تاريخ الإسلام نقلاً من تاريخ ولده الحاكم (٧/ ٧٢٦) .
(٥) ستر ترجمته في وفيات سنة (٤٠٥هـ) من هذا الكتاب .
(٦) المنتظم (٦/ ٣٦٣) معجم الأدباء (٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٧) .
(٧) وهو من الكتب النفيسة المطبوعة .
(٨) المنتظم (٦/ ٣٦٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٥١ ـ ٦٥٢) لسان الميزان (٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .

كان كثير التدليس عن المشايخ الذين لم يلقهم ، وتوفي في هذه السنة عن مئة وسبع سنين ، سامحه الله .

محمد بن مظفر بن عبيد[١] : أبو النَّجا الفرضي الضرير ، الفقيه المالكي .

له كتاب في الفِقْه على مذهب مالك ، وله مصنَّفاتٌ في الفرائض قليلة النظير ، وكان أديباً فَهِماً فاضلاً حاذقاً ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمئة

في ربيع الأول منها وقعت [فتنة][٢] بين الشِّيعة وأهل السُّنَّة ، ونُهبت الكَرْخ .

وفي جمادى الآخرة تقلَّد القاضي أبو السَّائب عُتْبة بن عبيد الله الهَمَذاني قضاء القضاة .

وفيها خرج رجلٌ يقال له عِمْران بن شاهين كان قد استوجب بعض العقوبات ، فهرب من السُّلْطان إلى ناحية البطائح ، فكان يقتات ما يصيده من السمك والطُّيور ، والتفَّ عليه خَلْقٌ من الصَّيادين وقُطَّاع الطريق ، فقويت شوكته ، واستعمله أبو القاسم بن البَرِيدي على جباية بعض تلك النواحي ، وأرسل إليه معز الدولة بن بويه جيشاً مع وزيره أبي جعفر الصَّيْمري ، فَهَزِمَ الوزيرُ ، لكنه دهمه أمر اشتغل به عنه ، وذلك وفاة :

عماد الدولة بن بُوَيْه[٣] وهو أبو الحسن عليُّ بن بويه أكبر أولاد بويه ، وأول من تملَّك منهم ، وكان عاقلاً حازماً ، جيِّد السيرة ، رئيساً في نفسه . كان أول ظهوره في سنة ثنتين وعشرين وثلاثمئة كما ذكرنا[٤] . فلما كان في هذا العام قويت عليه الأسقام ، وتواترت لديه الآلام ، فأحسَّ من نفسه بالهلاك ، ولم يعادل ما هو فيه من الملك ، وكثرة الأموال والرجال ، من الدَّيالم والأتراك ، ولم يحصلوا له الفكاك . ولم يكن له ولد ذكر[٥] ، فأرسل إلى أخيه ركن الدولة يستدعي إليه ولدَه عَضُدَ الدولة ، ليجعله

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٦٣) .
(٢) ما بين حاصرتين ليس في (ح) ، والمثبت من (ب) .
(٣) المنتظم (٦/ ٣٦٥) الكامل (٨/ ٢٦٤) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠) العبر (٢/ ٢٤٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) .
(٤) انظر حوادث سنة (٣٢١هـ) .
(٥) في (ط) : ولم يفاده ولا دفع عنه أمر الله ما هو فيه من الأموال والملك وكثرة الرجال والأموال ، ولا رد عنه جيشه من الديالم والأتراك والأعجام ، مع كثرة العَدَد والعُدَد ، بل تخلوا عنه أحوج ما كان إليهم ، فسبحان الله الملك القادر القاهر العلام ، ولم يكن له ولد ذكر . .

وليَّ عهده من بعده ، فلما قَدِم عليه فرح به فرحاً شديداً ، وخرج بنفسه في جميع جيشه لتلقيه ، فلما دخل به دار المملكة ، أجلسه على السَّرير ، وقام بين يديه كأحد الأمراء ، ليرفع من شأنه عند أمرائه ووزرائه وأعوانه . ثم عقد له البيعة على ما يملكه من البُلْدان والأموال ، وتدبير الملك والرجال . وفَهِمَ من بعض رؤوس الأمراء كراهية لذلك ، فشرع في القبض عليهم ، وقَتَلَ من شاء منهم وسجنَ آخرين ، حتى تمهَّدتِ الأمور لعَضُدِ الدولة . ثم كانت وفاة عماد الدولة بشِيراز في هذه السنة عن سبعٍ وخمسين سنة ، وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة ، وكان هو من خيار الملوك في زمانه ، وممن حاز قصب السبق دون أقرانه ، وكان هو في الحقيقة أمير الأمراء ، وبذلك كان يكاتبه الخلفاء ، ولكن أخوه معز الدولة كان ينوب عنه ببغداد والعراق والسَّواد .

ولما مات عماد الدولة اشتغل الوزير أبو جعفر الصَّيْمَري عن محاربة عمران بن شاهين ، وكتب إليه معز الدولة أن يسير إلى شِيراز ويضبط أمورها ، فقوي أمر عمران بعد ضعفه ، وكان من أمره ما سيأتي بيانه في موضعه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو جعفر النحاس النَّحْوي[١] **أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس** : أبو جعفر المُرَادي المِصْري النَّحْوي ، المعروف بالنَّحَّاس ، اللُّغوي المفسر الأديب ، له مصنَّفات كثيرة في التفسير وغيره .

وقد سمع الحديث ، ولقي أصحاب المبرِّد ، وكانت وفاته في ذي الحجَّة من هذه السنة .

قال ابن خَلِّكان : لخمسٍ خلون منها يوم السبت[٢] .

وكان سبب وفاته أنه جلس عند المقياس[٣] يقطِّع شيئاً من العَروض ، فظنَّه بعض العامة يَسْحرُ النيل لئلا يوفي ، فرفسه برجله ، فسقط فغرق ، ولم يُدْرَ أين ذهب ، رحمه الله .

وكان قد أخذ النحو عن علي بن سليمان الأخفش ، وأبي بكر [بن] الأنباري ، وأبي إسحاق الزَّجَّاج ، ونِفْطَوَيْه وغيرهم ، وله مصنَّفات كثيرة مفيدة ، منها : تفسير « القرآن » و « النَّاسخ

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (٢٣٩) نزهة الألباء (٢٠١ ـ ٢٠٢) المنتظم (٦/ ٣٦٤) معجم الأدباء (٤/ ٢٢٤ ـ ٢٣٠) إنباه الرواة (١/ ١٠١ ـ ١٠٤) وفيات الأعيان (١/ ٩٩ ـ ١٠٠) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠١ ـ ٤٠٢) العبر (٢/ ٢٤٦) الوافي بالوفيات (٧/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٣٠) بغية الوعاة (١٥٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٦) .

(٢) وفيات الأعيان (١/ ١٠٠) .

(٣) المقياس : هو عمود من رخام ، قائم في وسط بركة على شاطىء النيل بمصر ، له طريق إلى النيل ، يدخل الماء إذا زاد عليه ، وفي ذلك العمود خطوط معروفة عندهم ، يعرفون بوصول الماء إليها مقدار زيادته . معجم البلدان (٥/ ١٧٨) .

والمنسوخ » ، و « شرح أبيات سيبويه » ، ولم يُصنَّف مثله ، وشرح المعلقات والدواوين العشرة ، وغير ذلك . وروى الحديث عن أبي عبد الرحمن النَّسائي ، وكان بخيلاً جداً ، وانتفع الناس به ، رحمه الله .

وفيها كانت وفاة الخليفة :

المُسْتكفي بالله[١] **عبد الله بن علي المكتفي بالله** : وقد ولي الخلافة سنةً وأربعة أشهر ويومين ، ثم خلع وسُمِلَتْ عيناه كما تقدَّم ذكره[٢] . وكانت وفاته في هذه السنة وهو معتقلٌ في داره ، وله من العمر ستٌّ وأربعون سنةً وشهران .

علي بن حَمْشاذ[٣] **بن سَخْتويه**[٤] **بن نَصْر** : أبو الحسن المعدَّل .

محدِّث عصره بنيسابور ، رحل إلى البُلْدان ، وسمع الكثير ، وحدَّث ، وصنَّف « مسنداً » في أربعمئة جُزْء ، وله غير ذلك مع شدَّة الإتقان والحفظ ، وكثرة العبادة والصِّيانة والخشية لله عزَّ وجلَّ .

قال بعضهم[٥] : صحبته في السَّفَر والحضر فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة[٦] .

وله تفسير في مئتي جُزْء ونيِّف ، دخل الحمَّام من غير مرض ، فتوفي فيه فجأة ، وذلك يوم الجمعة الرابع عشر من شوَّال من هذه السنة ، رحمه الله .

علي بن محمد بن أحمد[٧] **بن الحسن** : أبو الحسن ، الواعظ البغدادي .

ثم ارتحل إلى مصر ، فأقام بها حتى عُرف بالمِصْري ، ثم رجع إلى بغداد وقد سمع الكثير ، وروى عنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان له مجلس وعظ يحضره فيه الرجال والنساء ، وكان يتكلم وهو متبرقع لئلا يرى النِّساء حسنه وجماله ، وقد حضر وعظه أبو بكر النَّقَّاش[٨] مستخفياً ، فلما سمع كلامه قام قائماً وشهَرَ نفسه وقال له : القصص بعدك حرام .

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٥٤٠) تاريخ بغداد (١٠/ ١٠ ـ ١١) المنتظم (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٦٤) الكامل لابن الأثير (٨/ ٤٢٠) وما بعدها ، النبراس (١٢٠ ـ ١٢١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١١١ ـ ١١٣) العبر (٢/ ٢٤٥) نكت الهميان (١٨٢ ـ ١٨٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٩) تاريخ الخلفاء (٣٩٧ ـ ٣٩٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٥) .

(٢) انظر حوادث سنة (٣٣٤هـ) .

(٣) هكذا ضبط في الأنساب (٤/ ٢٢١) وفي مرآة الجنان لليافعي (٢/ ٢٣٧) بحاء مهملة مكسورة ، وميم مكسورة مشدَّدة .

(٤) المنتظم (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٥٥ ـ ٨٥٦) العبر (٢/ ٢٤٨) مرآة الجنان (٢/ ٢٣٧) طبقات الحفاظ (٣٥٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٨) .

(٥) هو أبو بكر أحمد بن إسحاق ، كما نص عليه الذهبي في تاريخ الإسلام (٧/ ٧٢٠) .

(٦) المنتظم (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) .

(٧) الفهرست (٢٦٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٥ ـ ٧٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) .

(٨) سترد ترجمته في وفيات (٣٥١هـ) .

قال الخطيب : وكان ثِقَةً أميناً عرافاً ، جمع حديث اللَّيث ، وابن لَهيعة ، وله كُتُبٌ كثيرة في الزُّهْد[١] .

وكانت وفاته في ذي القَعْدة من هذه السنة ، وله سبع وثمانون سنة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة

في هذه السنة المباركة في ذي القعدة منها رُدَّ الحجر الأسود المكي إلى مكانه ، وكانت القرامطة قد أخذوه في سنة سبع عشرة وثلاثمئة كما ذكرنا[٢] ، وقتلوا من وجدوه من الحجيج ذلك العام حول الكعبة المطهرة ، وكان ملكهم إذ ذاك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنَّابي لعنه الله ، ولما وقع ذلك أعظم المسلمون ذلك جداً ، وقد بذَلَ لهم الأمير بجكم التركي خمسين ألف دينار ليردُّوه إلى موضعه فلم يقبلوا ، وقالوا : نحن أخذناه بأمرٍ ولا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره . فلما كان في هذا العام حملوه إلى الكوفة ، وعلَّقوه على الأسطوانة السابعة من جامعها ليراه النَّاس ، وكتب أخو أبي طاهر كتاباً فيه : إنَّا أخذنا هذا الحجر بأمر ، وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه ليتمَّ حج الناس ومناسكهم . ثم أرسلوه إلى مكة بغير شيء على قَعُودٍ[٣] ، فوصل في ذي القعدة من هذه السنة ، ولله الحمد والمنَّة ، وكان مُدَّة مقامه عندهم ثنتين وعشرين سنة ، ففَرِحَ المسلمون بذلك فرحاً شديداً . وقد ذكر غير واحد أن القرامطة حين أخذوه وحملوه على عِدَّة جمالٍ فَعَطِبَتْ تحته ، ويعتري أسنمتها العَقْر[٤] ، ولما ردوه حمله قَعُود واحد ولم يصبه بأس ، ولله الحمد والمنَّة .

وفي هذه السنة دخل سيفُ الدولة بن حَمْدان بجيشٍ كثيف نحو من ثلاثين ألفاً إلى بلاد الرُّوم ، فَوَغَلَ فيها ، وفتح حصوناً ، وقتل خلقاً وأسر أمماً ، وغَنمَ شيئاً كثيراً ، ثم رجع ، فأخذت الروم عليه الدَّرب الذي يخرج منه ، فقتلوا عامة من معه ، وأسروا بقيتهم ، واستردُّوا ما كان أخذه لهم ، ونجا سيف الدولة في نفرٍ يسير من أصحابه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها مات الوزير أبو جعفر الصَّيْمري ، فاستوزر معز الدولة مكانه أبا محمد الحسن بن محمد المُهَلَّبي[٥] في جمادى الأولى ، فاستفحل أمر عمران بن شاهين أيضاً ، وتفاقم الحال به ، وبعث إليه

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٦) .

(٢) انظر حوادث سنة (٣١٧هـ) .

(٣) القعود من الإبل : هو البكر حين يركب اللسان (قعد) .

(٤) أي أثر الحزِّ من الرحل . اللسان (عقر) ومعجم متن اللغة (٤/ ١٦٠) .

(٥) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٥١هـ) .

معز الدولة جيشاً بعد جيش ، فيهزمهم مرة بعد مرة ، ثم عدل معز الدولة إلى مصالحته واستعماله على بعض تلك النواحي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن داود بن بابشاذ(١) : أبو الحسن(٢) المِصْري .

قدم بغداد ، وكان من أفاضل الناس وعلمائهم بمذهب أبي حنيفة ، مفرط الذكاء قوي الفهم ، كتب الحديث ، وكان ثِقَةً . مات ببغداد في هذه السنة ، ودفن بمقبرة الشُّونِيزِيَّة(٣) ولم يبلغ من العمر أربعين سنة .

محمد القاهر بالله أمير المؤمنين(٤) ، بن المعتضد بالله .

ولي الخِلافة سنةً وستةَ أشْهُر وسبعةَ أيام ، وكان بطَّاشاً سريعَ الانتقام ، فخاف منه وزيره أبو علي بن مُقْلة ، فاستتر وشَرَعَ في العمل عليه عند الأتراك ، فخلعوه وسملوه وأودع دارَ الخلافة بُرْهةً من الدَّهر ، ثم أُخرج في سنةِ ثلاثٍ وثلاثين إلى دار ابنِ طاهر ، وقد نالَتْهُ فاقةٌ وحاجةٌ شديدة ، وسألَ في بعض الأيام .

ثم كانت وفاته في هذا العام ، وله ثنتان وخمسون سنة ، ودُفِنَ إلى جانب أبيه المعتضد .

محمد بن عبد الله بن أحمد(٥) : أبو عبد الله الصَّفَّار الأصْبَهاني .

محدِّثُ عَصْرِه بخُرَاسان ، سَمِعَ الكثير ، وحدَّث عن [ابن](٦) أبي الدُّنيا ببعضِ كُتُبه ، وكان مجابَ الدَّعْوة ، ومكَثَ لا يرفعُ رأسَه إلى السَّماء نيفاً وأربعين سنة ، وكان يقول : اسمي محمد بن عبد الله ، واسم أمي آمنة . يفرح بهذه الموافقة في الاسم واسم الأب والأم .

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٦٧) الجواهر المضية (١/ ١٩٢) .
(٢) في المنتظم : أبو سعيد .
(٣) مقبرة ببغداد ، بالجانب الغربي منها معجم البلدان (٣/ ٣٧٤) .
(٤) مروج الذهب (٢/ ٥١٣) تاريخ بغداد (١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) المنتظم (٦/ ٢٤١ ، ٣٦٨) الكامل (٨/ ٢٤٤) وما بعدها ، النبراس (١١٣) العبر (٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٨ ـ ١٠٢) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٤ ـ ٣٥) نكت الهميان (٢٣٦ ـ ٢٣٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) تاريخ الخلفاء (٣٨٦ ـ ٣٩٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠) .
(٥) ذكر أخبار أصبهان (٢/ ٢٧١) الأنساب (٨/ ٧٤ ـ ٧٥) المنتظم (٦/ ٣٦٨) العبر (٢/ ٢٥٠) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) الوافي بالوفيات (٣/ ٣١٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٧٨ ـ ١٧٩) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٤) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٩) .
(٦) ما بين حاصرتين ليس في (ح) ، والمثبت من (ب) .

أبو نَصْر الفارابي[١] **محمد بن محمد** : أبو نصر الفارابي ، التركي الفيلسوف .

وكان من أعلمِ الناس بالموسيقى ، بحيث كان يتوسل بصناعته إلى النَّاس في الحاضرين من مستمعيه ، إن شاء حَرَّكَ ما يُبكي أو ما يُضْحك أو ما ينوِّم . وكان حاذقاً في الفلسفة ، ومن كتبه تفقه ابنُ سينا فيها ، وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني ، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة ، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين . وقد كانت وفاته بدمشق فيما قاله ابن الأثير في « كامله »[٢] ، ولم أر الحافظ ابن عساكر ترجمه في « تاريخه » ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة أربعين وثلاثمئة

فيها قَصَدَ صاحب عُمان البصرةَ ليأخذها في مراكب كثيرة ، وجاء لنصره أبو يعقوب الهَجَري ، فمانعه عنها الوزير أبو محمد المُهَلبي فصدَّه عنها ، وأسر جماعةً من أصحابه وسبى كثيراً من مراكبه ، فساقها معه في دِجْلة ، ودخل بها إلى بغداد في أُبَّهة عظيمةٍ ، ولله الحمد .

وفيها رُفع إلى الوزير أبي محمد المُهلَّبي أمر رجلٍ من أتباع أبي جعفر محمد بن علي بن أبي العَزَاقر الذي كان قُتِل على الزندقة كما قتل الحلاج[٣] ، وأن هذا يدَّعي ما كان يدعي ابن أبي العَزَاقر ، وقد اتبعه جماعةٌ من الجهلة من بغداد ، وصدَّقوه في دعواه الربُّوبية ، وأن أرواح الأنبياء والصدِّيقين انتقلت إليهم ، وَوُجدَ في منزله كُتُبٌ تدلُّ على ذلك . فلما تحقَّق أنه هالك ادعى أنه شيعي ليحظى عند معز الدولة بن بُوَيه . وقد كان يحبُّ الرَّافضة ، قبَّحه الله . فلما اشتهر [عنه][٤] ذلك لم يتمكَّن الوزير منه خوفاً على نفسه [من معز الدولة] وأن تقوم عليه الشِّيعة[٥] ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، غير أنه احتاط على شيء من أموالهم ، فكان يسميها أموال الزنادقة .

قال ابن الجوزي . وفي رمضان وقعت فِتْنةٌ عظيمة بسبب المذهب .

---

(١) الفهرست (٣٦٧) طبقات الأمم (٥٣ ـ ٥٤) تاريخ الحكماء (٢٧٧ ـ ٢٨٠) طبقات الأطباء (٦٠٣ ـ ٦٠٩) وفيات الأعيان (٥/ ١٥٣ ـ ١٥٧) العبر (٢/ ٢٥١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤١٦ ـ ٤١٨) الوافي بالوفيات (١/ ١٠٦ ـ ١١٣) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٨ ـ ٣٣١) شذرات الذهب (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٤) .

(٢) الكامل (٨/ ٤٩١) .

(٣) انظر أحداث سنة (٣٢٢هـ)

(٤) ما بين حاصرتين ليس في (ح) ، والمثبت من (ب) .

(٥) في (ح) : خوفاً على نفسه أن يقوم على الشيعة ، والمثبت من (ط) . وما بين حاصرتين منها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أشهب بن عبد العزيز[١] **بن داود بن إبراهيم** : أبو عمرو العامري ؛ نسبةً إلى عامر بن لؤي[٢] .

وكان أحد الفقهاء المشهورين من المالكية ، وكانت وفاته في شعبان منها .

أبو الحسن الكَرْخي[٣] **عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دَلهم** : أبو الحسن الكرخي .

أحد أئمة الحنفية المشهورين ، ولد سنة ستين ومئتين ، وسكن بغداد ، ودَرَسَ بها فِقْه أبي حنيفة ، وانتهت إليه رياسة أصحابه ، وانتشر أصحابه في البلاد[٤] ، وكان متعبِّداً ، كثيرَ الصَّوم والصَّلاة ، صبوراً على الفقر ، عَزُوفاً عمَّا في أيدي النَّاس ، وكان مع ذلك رأساً في الاعتزال .

وقد سَمِعَ الحديثَ من إسماعيل بن إسحاق القاضي ، وروى عنه ابن حَيُّويه ، وابن شاهين .

وأصابه الفالج في آخر عمره ، فاجتمعَ عنده بعضُ أصحابه ، واشتوروا فيما بينهم أن يكتبوا إلى سيف الدولة بن حَمْدان ليساعِده بشيء يستعين به في مرضه ، فلما عَلِمَ بذلك رَفَعَ رأسه إلى السَّماء وقال : اللهم لا تجعلْ رِزْقي إلا من حيثُ عَوَّدتني . فمات عقب ذلك قبل أن يصلَ إليه ما أرسلَ به سيفُ الدولة ، وهو عشرة آلاف دِرْهم . فتُصِدِّق بها بعد وفاته .

وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة عن ثمانين سنة ، وصلَّى عليه أبو تمام الحسن بن محمد الزَّينبي ؛ وكان صاحبه ، ودُفِنَ في دَرْب أبي زيد على نهر الواسطيين .

محمد بن صالح بن زيد[٥] : أبو جعفر الوَرَّاق .

سَمِعَ الكثيرَ ، وكان يَفْهمُ ويحفظ ، وكان ثِقَةً زاهداً لا يأكل إلا من كَسْب يده ، ولا يقطع صلاةَ الليل .

قال بعضُهم : صحبته سنين كثيرة ، فما رأيته فعل ما لا يرضي الله عزَّ وجلَّ ، ولا قال ما يسأل عنه ، وكان يقوم أكثر الليل[٦] .

---

(١) كذا ذكر في المنتظم (٦/ ٣٦٩) وفي الأنساب (٨/ ٣١٩) في وفيات هذه السنة ، وهو خطأ ، والصواب أنه توفي سنة (٢٠٤هـ) كما سلف في وفياتها من هذا الكتاب .

(٢) في الأنساب : منسوب إلى عامر بن صعصعة ؛ وهو الصواب .

(٣) الفهرست (٢٩٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٥٣ ـ ٣٥٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٤٢) الأنساب (٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) المنتظم (٦/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) العبر (٢/ ٢٥٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) الجواهر المضية (١/ ٣٣٧) طبقات المعتزلة (١٣٠) لسان الميزان (٤/ ٩٨ ـ ٩٩) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٦) شذرات الذهب (٢/ ٢٥٨) .

(٤) في (ح) : واشتهر أصحابه ببغداد ، والمثبت من (ب) .

(٥) المنتظم (٦/ ٣٧٠) .

(٦) المنتظم (٦/ ٣٧٠) .

وفيها كانت وفاة منصور بن قراتِكين صاحب الجيوش الخُرَاسانية من جهة الأمير نوح السَّاماني ولمرضٍ حصل له ، وقيل : لأنه أدمن شرب الخمر أياماً متتابعة ، فهلك بسبب ذلك ، فأقيم بعده في الجيوش أبو علي بن المحتاج .

الزجَّاجي مصنِّف « الجُمَل »[(١)] : هو أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسحاق ، النَّحْوي ، البغدادي الأصل ، ثم الدِّمَشقي ، مصنِّف « الجُمَل »[(٢)] في النحو ، وهو كتابٌ نافع ، كثير الفائدة ، صنَّفه بمكة ، وكان يطوف بعد كل بابٍ منه ، ويدعو الله أن ينفع به .

وأخذ النحو أولاً عن محمد بن العَبَّاس اليزيدي ، وأبي بكر بن دُرَيد ، وابن الأنباري .

وكانت وفاته في رجب سنةَ سبعٍ ،وقيل : تسع وثلاثين ، وقيل سنة أربعين وثلاثمئة هذه بدمشق ، وقيل : بطبرية[(٣)] . وقد شُرحت « الجمل » بشروح كثيرةٍ من أحسنها وأجمعها ما وضعه ابنُ عصفور .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثلاثمئة

فيها ملكت الرُّوم سَرُوج[(٤)] ، وقتلوا أهلها ، وخرَّبوا مساجدها .

قال ابن الأثير : فيها قصد يوسف بن وجيه صاحب عُمان البصرة ، فمنعه منها المُهَلَّبي كما تقدَّم[(٥)] .

قال : وفيها نقم معز الدولة على وزيره ، فضربه مئةً وخمسين مقرعة ، ولم يعزله بل رسم عليه[(٦)] .

وفيها اختصم المصريون والعراقيون بمكة فَخُطبَ لصاحب مِصْر ، ثم غلبهم العراقيون فخطبوا لركن الدولة بن بُوَيه[(٧)] .

وفيها كانت وفاة :

المنصور الفاطمي[(٨)] : وهو أبو طاهر ، إسماعيل بن القائم بأمر الله [أبي] القاسم [محمد] بن

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (١٢٩) نزهة الألباء (٢١١) الأنساب (٦/ ٢٥٦) تاريخ ابن عساكر (خ (٩/ ٤٣٢آ ـ ٤٣٢ب) إنباه الرواة (٢/ ١٦٠ ـ ١٦١) وفيات الأعيان (٣/ ١٣٦) العبر (٢/ ٢٥٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦) .

(٢) كتاب مطبوع مشهور ، متداول .

(٣) انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٣٦) وفيه أن الأصح في وفاته سنة (٣٣٧هـ) .

(٤) بلدة قريبة من حران . معجم البلدان (٣/ ٢١٦) .

(٥) انظر حوادث سنة (٣٤٠هـ) .

(٦) الكامل (٨/ ٤٩٩) .

(٧) انظر المنتظم (٦/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) .

(٨) الكامل (٨/ ٤٥٥) وما بعدها ، البيان المغرب (١/ ٢١٨) وما بعدها ، وفيات الأعيان (١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦) العبر =

المهدي عبيد الله[١] ؛ صاحب المغرب ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وكانت خلافته سبعَ سنينٍ وستةَ عَشَرَ يوماً .

وكان عاقلاً شجاعاً فاتكاً ، قهر أبا يزيد الخارجي الذي كان لا يطاق شجاعةً وإقداماً وصبراً ، وكان فصيحاً بليغاً ، يرتجل الخطبة على البديهة في السَّاعة الراهنة . وكان سبب موته ضعف الحرارة الغريزية بسببٍ أوْرَده ابنُ الأثير في « كامله »[٢] ، فاختلف عليه الأطباء .

وقد عَهِدَ بالأمر من بعده لولده المعز الفاطمي ؛ وهو باني القاهرة المُعِزِّية كما سيأتي بيان ذلك[٣] واسمه مَعَدّ ، وعمره إذ ذاك أربعٌ وعشرون سنة[٤] ، وكان شُجَاعاً ، عاقلاً أيضاً ، حازم الرأي ، أطاعه من البَرْبَر وأهل تلك الناحية خَلْقٌ كثير ، وبَعَثَ مولاه جَوْهر القائد ، فبنىٰ له القاهرة المتاخمة لِمِصْر ، واتخذ له فيها دار الملك ، وهما القَصْران اللذان هناك[٥] ، وذلك في سنة أربع وستين وثلاثمئة[٦] .

قال أبو جعفر المَرْوَرُّذي : خرجت معه[٧] لما كَسَرَ أبا يزيد الخارجي ، فبينما أنا وهو نسير إذ سقط رمحه ، فنزلت ، فأخذته ، وناولته إياه وذهبتُ أفاكهه[٨] بقول الشاعر :

فألْقَتْ عصاها واستقرَّ بها النَّوى كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافِرُ

فقال : هلا قلت كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا

= (٢/٢٥٧) سير أعلام النبلاء (١٥/١٥٦ ـ ١٥٩) مرآة الجنان (٤/٣٣٣ ـ ٣٣٤) تاريخ ابن خلدون (٤/٤٣ ـ ٤٥) ايقاظ الحنفا : (١٢٩ ـ ١٣٣) خطط المقريزي (١/٣٥١) النجوم الزاهرة (٣/٣٠٨) شذرات الذهب (٢/٣٥٩ ـ ٣٦٠) .

(١) في (ح) و(ب) : هو أبو طاهر ، إسماعيل بن القائم بأمر الله القاسم بن المهدي محمد بن عبيد الله ، وهو وهم ، والمثبت من (ط) .

(٢) انظر الكامل (٨/٤٩٨) .

(٣) انظر حوادث سنة (٣٥٨هـ) .

(٤) أي حين ولايته الخلافة ، والأصح أن عمره إذ ذاك ثنتان وعشرون سنة ، وذلك لأن ولادته سنة (٣١٩هـ) ، كما سيرد في ترجمته في وفيات سنة (٣٦٦هـ) .

(٥) في (ط) زيادة : اللذان يقال لهما بين القصرين اليوم .

(٦) كان بعث جوهر إلى مصر سنة (٣٥٨هـ) ، ودخول المعز إليها سنة (٣٦٢هـ) ، كما سيرد في حوادث سنة (٣٥٨هـ) و(٣٦٢هـ) .

في (ح) يأتي عقب هذا ترجمة ابن الأعرابي والصفار ، وفي (ط) ترجمة الصفار ثم ابن الأعرابي ، ثم تعودان إلى تكملة ترجمة المنصور ، وفي (ب) ترد الترجمة كاملة دون هذا الانقطاع ، وهو ما أثبتناه .

(٧) أي مع المنصور .

(٨) في (ح) و(ب) : أذهبت بفأله بقول الشاعر ، والمثبت من (ط) .

يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١١٧ ـ ١١٩] قال : فقلت له : أنت ابن رسول الله ﷺ ، قلت كما علمت ، وأنا قلت بما بلغ إليه علمي .

قال ابن خلِّكان : وهذه كما جرى لعبد الملك بن مروان حين أمر الحجَّاج أن يبنيَ باباً ببيت المقدس ، ويكتب عليه اسمه ، فبنى له باباً آخر ، فوقعت صاعقة على باب عبد الملك ، فأحرقته ، فكتب إليه الحجَّاجُ من العراق يسليه عما أهمَّه من ذلك يقول : يا أمير المؤمنين ، أنا وأنت كما قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ﴾ [المائدة : ٢٧] الآية .

وكانت وفاة المنصور هذا في هذه السنة ، أصابه بَرْدٌ شديد ، فمات به .

وممن توفي فيها أيضاً من الأعيان :

أحمد بن محمد بن زياد[١] **بن بِشْر بن دِرْهم :** أبو سعيد [بن][٢] الأعرابي ، البصري .

سكن مكة ، وصار شيخ الحرم ، وصحب الجُنَيد بن محمد ، والنُّوري وغيرهما ، وأسند الحديث ، وصنف كتباً للصُّوفية .

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل[٣] **بن صالح :** أبو علي ، الصَّفَّار ، النَّحْوي .

لقي المبرِّد ، واشتهر بصحبته ، وكان مولده في سنة سبع وأربعين ومئتين .

سمع الحسن بن عَرَفَة ، وعباساً الدُّوري ، وغيرهما . وروى عنه جماعة منهم الدَّارَقُطْني ، وقال : صام أربعة وثمانين رمضاناً[٤] .

وقد كانت وفاته في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، رحمه الله .

---

(١) طبقات الصوفية (٤٢٧ ـ ٤٣٠) حلية الأولياء (١٠/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) الرسالة القشيرية (٢٨) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٨٦آ ـ ٨٦ب) المنتظم (٦/ ٣٧١) ، تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٥٢ ـ ٨٥٣) العبر (٢/ ٢٥٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠٧ ـ ٤١١) طبقات الأولياء (٧٧ ـ ٧٨) لسان الميزان (١/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤) نزهة الألباء (١٩٥ ـ ١٩٦) المنتظم (٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) معجم الأدباء (٧/ ٣٣ ـ ٣٦) إنباه الرواة (١/ ٢١١ ـ ٢١٣) العبر (٢/ ٢٥٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) لسان الميزان (١/ ٤٣٢) بغية الوعاة (١٨٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٥٨) .

(٤) المنتظم (٦/ ٣٧١) .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وثلاثمئة

فيها دخل سيف الدولة بن حَمْدان ؛ صاحبُ حلب إلى بلادِ الرُّوم ، فقتل منهم خَلْقاً ، وأسر آخرين ، وغَنِمَ أموالاً جزيلة ، ورجع سالماً غانماً .

وفيها اختلف الحجيج بمكة ، ووقعت حَرْبٌ بين أصحاب ابن طُغْج وأصحاب معز الدولة ، فغلبهم العراقيون ، ثم بعد انقضاء الحج اختلفوا[١] ، فغلبهم العراقيون أيضاً .

وجرت حروبٌ كثيرة وخطوبٌ كبيرة بين ركن الدولة والخراسانية والسَّامانية ، تقصَّى ذكرها ابنُ الأثير في « كامله »[٢] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

علي بن محمد بن أبي الفَهْم[٣] : أبو القاسم ، التَّنُوخي ، جدُّ القاضي أبي القاسم التَّنُوخي ، شيخِ الخطيب .

ولد بأنطاكية ، وقَدِمَ بغداد ، فتفقَّه بها على مذهب أبي حنيفة ، وكان يعرف[٤] الكلام على طريقة المعتزلة ، ويعرف النجوم ، ويقول الشِّعْر ، وولي القضاء بالأهوازِ وغيرها ، وقد سَمِعَ الحديثَ من البَغَوي وغيره .

وكان فَهِماً ذكياً ، حفظ وهو ابن خمس عشرة سنة قصيدةً لدِعْبلِ الشَّاعر في ليلة واحدة ؛ وهي ستمئة بيت ، وعَرَضَها على أبيه صبيحتها ، فقام إليه وضمَّه ، وقبَّل بين عينيه وقال : يا بني لا تخبر بهذا أحداً لئلا تصيبك العين[٥] .

---

(١) في (ح) : اتفقوا ، وهو وهم ، والعبارة ساقطة من (ب) ، والمثبت من (ط) .

(٢) انظر الكامل (٨/ ٥٠٠ ـ ٥٠٥) .

(٣) يتيمة الدهر (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٨) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٧ ـ ٧٩) الأنساب (٣/ ٩٣) المنتظم (٦/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) معجم الأدباء (١٤/ ١٦٢ ـ ١٩١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦٦ ـ ٣٦٩) العبر (٢/ ٢٦٠) ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) الجواهر المضية (١/ ٣٧٨) لسان الميزان (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٣١٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤) .

(٤) في (ح) : لا يعرف ، وهو خطأ ، والمثبت من (ب) .

(٥) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٨ ـ ٧٩) وقصيدة دعبل التي حفظها مطلعها :

أفيقي من ملامك يا ظعينا كفاكِ اللَّوْمَ مَرُّ الأربعينا

ولم يصلنا منها سوى خمسة وعشرين بيتاً ، انظر « شعر دعبل » (١٩٣ ـ ١٩٧) .

وذكر ابنُ خَلِّكان أنه كان نديماً للوزير المُهلَّبي ، ووفدَ على سيف الدولة بن حَمْدان ، فأكرمه وأحسن إليه . وأورد له من شِعْره أشياءَ حسنةً ، فمن ذلك قوله في الخمر :

وراحٍ مـن الشَّمْـسِ مخلوقـةٌ   بَدَتْ لك في قَدَحٍ منْ نهارِ
هـــواءٌ ولكنَّـــهُ جـــامِـــدٌ   ومـــاءٌ ولكنَّـــهُ غيـــرُ جـــارِ
كـأنَّ المُـدِيْرَ لهـا بـاليميـن   إذا مـالَ للسَّقْـي أو بـاليسـار
تـدرَّعَ ثـوبـاً مـنَ اليـاسميـنِ   لـهُ فـردُ كُـمٍّ مـنَ الجُلَّنـارِ[١]

محمد بن إبراهيم[٢] **بن الحسين بن الحسن بن عبد الخلاق** : أبو الفَرَج ، البغدادي ، الفقيه الشَّافعي يعرف بابن سُكَّرة .

سكن مِصْر ، وحدَّث بها ، وسَمِعَ منه أبو الفتح بن مسرور[٣] ، وذكر أن فيه لِيناً[٤] .

محمد بن موسى بن يعقوب[٥] **بن المأمون بن الرَّشيد هارون** : أبو بكر ، ولي إمرة مكة في سنة ثمانٍ وستين ومئتين ، وقَدِمَ مصر ، فحدَّث بها عن علي بن عبد العزيز البَغَوي بموطأ مالك ، وكان ثقة مأموناً ، توفي بمصر في ذي الحجة من هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمئة

فيهـا كانت وقعة بين سيف الدولة بن حمدان وبين الدُّمَسْتَق[٦] ، فَقُتل خَلْقٌ من أصحاب الدُّمَسْتق وأُسر جماعةٌ من رؤساء بطارقته ولله الحمد ، وكان في جملة من قتل قسطنطين بن الدُّمَسْتق ، وسبى خلقاً وأسـر آخرين ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة ، ثم جمع الدُّمَسْتَق خلقاً كثيراً ، فالتقوا مع سيف الدولة في شعبان ، فَجَرَتْ بينهم حروب عظيمة وقتال شديد ، فكانت الدائرة للمسلمين ، وخذل الله

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٧) .
(٢) تاريخ بغداد (١/ ٤١٢) المنتظم (٦/ ٣٧٤) حسن المحاضرة (١/ ١٨٧) .
(٣) في (ح) و (ب) : سرور ، والمثبت من (ط) وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ، ٥١٦ ـ ٥١٧) .
(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٤١٢) : أن أبا الفتح سمع منه سنة (٣٥٥هـ) ، فإذا صحَّ تاريخ هذا السماع تكون وفاة محمد بن ابراهيم بعد هذه السنة أو فيها ، والله أعلم .
قال بشار : ذِكْره في وفيات هذه السنة متابعة منه لابن الجوزي في المنتظم ؛ وابن الجوزي نقل الترجمة من الخطيب ، فلا أدري من أين جاء بهذا التاريخ ، وننظر بلابد تعليقي على تاريخ الخطيب (٢/ ٣١٠ بتحقيقي) .
(٥) المنتظم (٦/ ٣٧٥) .
(٦) الضبط من صبح الأعشى (٥/ ٣٥٨) .

الكافرين ، فقُتِلَ منهم خَلْقٌ كثير ، وأُسر جماعة من الرُّوس ، فكان منهم صهر الدُّمُسْتق وابن ابنته أيضاً .

وفيها حصل للنَّاس أمراض كثيرة وحميات وأوجاع في الحلق .

وفيها ماتَ الأمير الحميد نوح بن نَصْر السَّاماني ؛ صاحب خراسان وما وراء النهر ، وقام بالأمر من بعده ولده عبد الملك .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن أحمد(١) : أبو علي ، الكاتب ، المِصْري .

صَحِبَ أبا علي الرُّوذباري وغيره ، وكان أبو عثمان المَغْربي يعظِّم أمره ويقول : أبو علي الكاتب من السَّالكين .

ومن كلامه الذي حكاه عنه أبو عبد الرحمن السُّلَمي قوله : روائح نسيم المحبة تفوحُ من المُحبِّين وإن كتموها ، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها ، وتبدو عليهم وإن ستروها . وأنشد :

إذا ما استسرَّتْ أنفسُ النَّاسِ ذِكْرَهُ تَبَيَّنْتُهُ فيهم ولم يتكلَّموا
تُطَيِّبُهُمْ أنفاسُهُمْ فتذيعها وهل سِرُّ مسكٍ أُودعَ الرِّيحَ يُكْتَمُ(٢)

علي بن محمد [بن محمد](٣) **بن عُقْبَة بن هَمَّام**(٤) : أبو الحسن ، الشَّيْباني الكُوفي .

قدم بغداد ، فحدَّث بها عن جماعة ، وروى عنه الدَّارَقُطْني . وكان ثِقَةً عَدْلاً ، كثيرَ التِّلاوة ، فقيهاً ، مكَثَ يشهد على الحُكَّام ثلاثاً وسبعين سنة ، [مقبولاً عندهم ، وأذَّن في مسجد حمزة الزَّيَّات نيفاً وسبعين سنة](٥) ، وكذلك أبوه من قبله .

محمد بن علي بن أحمد بن العباس(٦) : الكَرْخي ، الأديب .

كان عالماً زاهداً ورعاً ، يختمُ القرآن كل يوم ، ويديم الصَّوم ، وسمع الحديث من عَبْدان وأقرانِهِ .

---

(١) ترجمته في طبقات الصوفية (٣٨٦ ـ ٣٨٨) المنتظم (٦/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) طبقات الأولياء (٥٧ ـ ٥٨) .
(٢) انظر طبقات الصوفية (٣٨٧ ـ ٣٨٨) والبيتان فيه مع اختلاف في اللفظ .
(٣) ما بين حاصرتين من سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٣) .
(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٩ ـ ٨١) المنتظم (٦/ ٣٧٦) العبر (٢/ ٢٦٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) مرآة الجنان (٢/ ٣٣٥) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) .
(٥) ما بين حاصرتين ساقط من (ح) ، والمثبت من (ب) .
(٦) المنتظم (٦/ ٣٧٦) وفيه : محمد بن علي بن حماد ، أبو العباس الكرخي .

أبو الخير التِّيْنَاتي[١] : العابد الزَّاهد[٢] .

أصله من المَغْرب ، وكان مقيماً بقرية يقال لها تِينات من عمل أنطاكية ، ويعرف بالأقْطع ؛ لأنَّه كان مقطوعَ اليد ، كان قد عاهد الله عهداً ثم نكثه ، فاتفق أن مُسِك في جماعةٍ من اللصوص من الصَّحراء وهو هناك [سائح يتعبد][٣] ، فأُخذ معهم ، فقطعت يده معهم ، وكانت له أحوال وكرامات ، وكان يَنْسُجُ الخُوصَ بيده الواحدة . ودخل عليه بعضهم فشاهد منه ذلك ، فأخذ عليه العهد أن لا يخبر به أحداً ما دام حيّاً ، فوفىٰ له بذلك[٤] .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمئة

قال ابن الجَوْزي : فيها شَمِلَ الناسَ ببغداد وواسط وأصْبَهان والأهواز داءٌ مركَّب من دمٍ وصفراء ووباء ، مات بذلك خَلْقٌ كثير ، بحيث كان يموت في كلِّ يوم قريبٌ من ألف نفس[٥] .

وجاء فيها جَرَادٌ عظيم أكل الخضروات والأشجار والثمار[٦] .

وفي المُحرَّم عقد مُعزُّ الدولة لابنه أبي منصور بختيار الأمر من بعده بأمرة الأمراء[٧] .

وفيها خرج رجل بأذْرَبيجان ادَّعى أنه يعلم الغيب ، وكان يحرِّم اللحم وما يخرج من الحيوانات ، فأضافَه مرَّةً رجلٌ ، فجاءه بطعام كشكية بشحم فأكله ، فقال له الرجل بحضرة منْ معه : إنك تدَّعي أنك تعلم الغيب ، وهذا الطعام فيه شَحْمٌ وأنت تحرِّمُه ، فلم لا علمته ؟ قال : فتفرَّق النَّاس عنه[٨] .

وفيها جَرَتْ حروب كثيرة بين المُعِزِّ الفاطمي وبين صاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموي ، استقصاها ابنُ الأثير[٩] .

---

(١) طبقات الصوفية (٣٧٠ ـ ٣٧٢) حلية الأولياء (١٠/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨) الرسالة القشيرية (٢٦) الأنساب (٣/ ١٢١) المنتظم (٦/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) صفة الصفوة (٤/ ٢٠٦) معجم البلدان (٢/ ٦٨) اللباب (١/ ٢٣٤) سير اعلام النبلاء (١٦/ ٢٢ ـ ٢٣) طبقات الأولياء (١٩٠ ـ ١٩٥) طبقات الشعراني (١/ ١٢٨) نتائج الأفكار القدسية (١/ ١٩٣) .

(٢) في معجم البلدان (٢/ ٦٨) واسمه عباد بن عبد الله ، وفي السير (١٦/ ٢٢) ويقال اسمه حماد .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) في السير (١٦/ ٢٣) : توفي سنة سبع وأربعين وثلاثمئة ، وقيل : سنة تسع وأربعين .

(٥) المنتظم (٦/ ٣٧٧) .

(٦) المصدر السالف .

(٧) المصدر السالف .

(٨) انظر الكامل (٨/ ٥١٢) .

(٩) الكامل (٨/ ٥١٢ ـ ٥١٣) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عثمان بن أحمد[١] بن عبد الله بن يزيد : أبو عمرو الدَّقَّاق ، ويُعرف بابن السَّمَّاك .

روى عن حنبل بن إسحاق وغيره ، وعنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان ثِقَةً ثَبْتاً ، كَتَبَ المصنَّفات الكثيرة بخطِّه . توفي في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بمقبرة باب التِّبْن ، وحَضَرَ جنَازَتَه خمسون ألفاً .

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد[٢] : أبو جعفر القاضي ، السِّمْناني .

ولد سنة إحدى وستين ومئتين[٣] ، وسكن بغداد ، وحدث بها ، وكان ثِقَةً عالماً سخياً ، حسن الكلام ، عراقي المذهب ، وكانت داره مجمعاً للعلماء ، ثم ولي قضاء المَوْصل ، وكانت وفاته بها في هذه السنة في ربيع الأول منها .

محمد بن أحمد بن بُطَّة بن إسحاق الأصْفهاني[٤] : أبو عبد الله .

سكن نَيْسابور ، ثم عاد إلى أصبهان .

وليس هذا بأبي عبد الله بن بَطَّة العُكْبَري[٥] ، هذا متقدِّمٌ على الآخر ، هذا شيخ الطَّبراني ، وابن بَطَّة يروي عن الطَّبراني ، وهذا بضم الباء من بُطَّة ، والفقيه الحَنْبلي بفتحها .

وقد كان جدُّ هذا ، وهو بُطَّة بن إسحاق ، أبو سعيد من المحدِّثين أيضاً . ذكره ابنُ الجَوْزي في « منتظمه »[٦] .

محمد بن محمد بن يوسف بن الحَجَّاج[٧] : أبو النَّضْر ، الفقيه ، الطُّوسي .

كان فقيهاً عالماً ثِقَةً عابداً ، يصومُ النَّهار ويقوم الليل ، ويتصدَّق بالفاضل من قوته ، ويأمر بالمعروف

---

(١) تاريخ بغداد(١١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) الأنساب (٧/ ١٢٧) المنتظم (٦/ ٣٨٧) العبر (٢/ ٢٦٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٣١) غاية النهاية (١/ ٥٠١) لسان الميزان (٤/ ١٣١ ـ ١٣٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) .

(٢) تابع ابنُ كثير ابنَ الجوزي في المنتظم (٦/ ٣٧٨) إذ ذكره في وفيات هذه السنة ، والصواب أن وفاته سنة (٤٤٤هـ) ، وسيترجم له ابن كثير في وفياته متابعاً كذلك ابن الجوزي .

(٣) الصحيح أنه ولد سنة إحدى وستين وثلاثمئة ، انظر تاريخ بغداد (١/ ٣٥٥) .

(٤) المنتظم (٦/ ٣٨٧ ـ ٣٧٩) .

(٥) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨٧هـ) .

(٦) انظر المنتظم (٦/ ٣٧٩) .

(٧) الأنساب (٨/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) المنتظم (٦/ ٣٧٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٩٣ ـ ٨٩٤) العبر (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٩٠ ـ ٤٩٢) الوافي بالوفيات (١/ ٢١٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٣٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٣١٣ ـ ٣١٤) طبقات الحفاظ (٣٦٥) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٨) .

وينهى عن المنكر ، وقد رحل في طلب الحديث إلى الأقاليم النائية والبلدان المتباينة ، وكان قد جَزَّأ الليل ثلاثة أجزاء : فثلث للنَّوْم ، وثلث للتَّصْنيف ، وثلث للقراءة .

وقد رآه بعضُهم [في النوم][١] بعد وفاته فقال له : وصلت إلى ما طلبتَ ؟ فقال : إي والله ، نحن عند رسول الله ﷺ ، وقد عَرَضْتُ مصنَّفاتي في الحديث عليه ، فقبلها .

أبو بكر بن **الحدَّاد**[٢] : الفقيه الشَّافعي ، هو محمد بن أحمد بن محمد ، أبو بكر بن الحدَّاد ، أحد أئمة الشَّافعية .

روى عنه النَّسائي ، وقال : رضيتُ به حُجَّة بيني وبين الله عزَّ وجلَّ .

وقد كان ابنُ الحدَّاد فقيهاً فروعياً ، ومحدِّثاً ونحوياً وفصيحاً في العبارة ، دقيقَ النظر في الفروع ، له كتاب في ذلك غريب الشكل ، وقد ولي القضاء بمصر نيابةً عن أبي عبيد بن حَرْبَويه[٣] ، وذكرناه في « طبقات الشَّافعية » .

أبو يعقوب الأذْرَعي[٤] **إسحاق بن إبراهيم بن هاشم بن يعقوب بن إبراهيم النَّهْدي** .

قال ابنُ عساكر : من أهل أذْرِعات ؛ مدينة بالبلقاء ، أحد الثقات من عُبَّاد الله الصالحين ، رحل وحدَّث عن جماعةٍ ، وعنه آخرون . وقال غيره : كان من أجلَّة أهل دمشق وعُبَّادها وعلمائها[٥] .

وقد روى عنه ابن عساكر أشياء تدل على صلاحه وخرق العادة له ، فمن ذلك أنه قال : سألتُ الله أن يقبض بصري فعميت ، فلما استضررت بالطهارة سألت الله عوده فردَّه علي[٦] . توفي بدمشق في هذه السنة ؛ سنة أربع وأربعين وثلاثمئة ، وصحَّحهُ ابنُ عساكر ، وقد نَيَّفَ على التسعين .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٤) الأنساب (٤/ ٧١ ـ ٧٢) المنتظم (٦/ ٣٧٩) وفيات الأعيان (٤/ ١٩٧ ـ ١٩٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٩٩ ـ ٩٠٠) العبر (٢/ ٢٦٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٦ ـ ٤٥١) الوافي بالوفيات (٢/ ٦٩) مرآة الجنان (٢/ ٣٣٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٧٩ ـ ٩٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٣١٣) طبقات الحفاظ (٣٦٧) طبقات ابن هداية الله (٧٠ ـ ٧٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) .

(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣١٩هـ) من هذا الجزء .

(٤) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٣٦٩آ ـ ٣٧٠ب) العبر (٢/ ٢٦٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩) الوافي بالوفيات (٨/ ٣٩٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٦) .

(٥) تاريخ ابن عساكر (خ) : (٢/ ٣٧٠آ) .

(٦) المصدر السالف .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمئة

فيها عصى الروزبهان على مُعِزِّ الدَّولة ، وانحاز إلى الأهواز ، ولحق به عامَّةُ منْ كان مع المُهلَّبي الذي كان يحاربه ، فلما بلغ ذلك معز الدولة لم يصدِّق ؛ لأنه كان قد أحسن إليه ورفع من قدره بعد الضَّعَة والخمول ، [ثم تبيَّن له أن ذلك حق](١) ، ثم ركب إليه لقتاله فاتَّبعه الخليفة المطيع لله خوفاً من ناصر الدَّولة بن حَمْدان ، فإنه قد بلغه أنه قد جهَّز جيشاً مع ولده أبي المرجَّى إلى بغداد ليأخذها حين بلغه أن معز الدولة قد خرج منها . فأرسل معز الدولة حاجبه سُبُكْتكين إلى بغداد ليحفظها ، وصمد معز الدولة إلى روزبهان ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، فهزمه معز الدولة وفرَّق أصحابه ، وأخذه أسيراً ، ودخل به أسيراً معه إلى بغداد في أبهةٍ عظيمةٍ فسجنه ، ثم أخرجه ليلاً وغرَّقه ؛ لأن الدَّيلم أرادوا إخراجه من السِّجْن قهراً . وانطوى ذكر روزبهان وإخوته ، وكان قد اشتعل اشتعال النَّار ، وحظيت الأتراك عند معز الدولة ، وانحطت رتبة الديلم عنده ، لأنه ظهر له خيانتهم في أمر الروزبهان وإخوته .

وفيها دخل سيف الدولة إلى بلاد الرُّوم ، فقتل وسبى ورجع إلى أذنة ، ثم عاد إلى حلب ، فحميت الرُّوم ، فجمعوا وأقبلوا إلى مَيَّافارقين ، فقتلوا [وسبَوْا وحرقوا ورجعوا لعنهم الله ، وركبوا في البحر إلى طَرَسُوس ، فقتلوا من أهلها ألفاً وثمانمئة](٢) ، وسبوا وحرقوا قرى كثيرة .

وفيها زلزلت هَمَذَان زلزالاً عظيماً ؛ انهدمت البيوت ، وانشقَّ قصر شيرين بصاعقة ، ومات تحت الهدم خَلْقٌ كثير لا يحصون كثرةً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ووقعت فِتْنةٌ عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قُمّ بسبب سَبِّ الصَّحابة من أهل قُمّ ، فثار عليهم أهلُ أصبهان ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ونهبوا أموال التجار ، فغضب ركنُ الدولة لأهل قُمّ ؛ لأنه كان شيعياً ، فصادر أهلَ أصْبهان بأموالٍ كثيرة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

غلامُ ثَعْلَب(٣) محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمر ، الزَّاهد ، غُلام ثعلب .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في (ح) ، والمثبت من (ب) .

(٣) طبقات النحويين واللغويين (٢٣٩) الفهرست (١١٣ ـ ١١٤) تاريخ بغداد (٢/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩) طبقات الحنابلة (٢/ ٦٧ ـ ٦٩) نزهة الألباء (١٩٠ ـ ١٩٥) المنتظم (٦/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) معجم الأدباء (١٨ ـ ٢٢٦ ـ ٢٣٤) إنباه الرواة (٣/ ١٧١ ـ ١٧٧) وفيات الأعيان (٤/ ٣٢٩ ـ ٣٣٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٧٣ ـ ٨٧٦) العبر (٢/ ٢٦٨) سير اعلام النبلاء (١٥/ ٥٠٨ ـ ٥١٣) الوافي بالوفيات (٤/ ٧٢ ـ ٧٣) مرآة الجنان (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩) لسان الميزان (٥/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩)=

روى عن الكُدَيْمي ، وموسى بن سَهْل الوَشَّاء ، وغيرهما ، وروى عنه جماعة ، وآخر من حدَّث عنه أبو علي بن شَاذَان .

وكان كثيرَ العِلْم والزُّهد ، حافظاً مطيقاً ، يملي من حِفْظه شيئاً كثيراً ، ضابطاً لما يحفظه ، ولكثرة إغرابه اتهمه بعضهم ورماه بالكذب ، وقد اتفق له مع القاضي أبي عمر[١] ـ وكان يؤدِّب ولدَه ـ أنه أملى من حفظه ثلاثين مسألة بشواهدها وأدلتها من لغة العرب ، واستشهد على بعضها ببيتين غريبين جداً ، فعرضها القاضي أبو عمر على ابن دُرَيد وابن الأنباري وابن مِقْسم ، فلم يعرفوا منها شيئاً . حتى قال ابن دُرَيد : هذا ما وضعه أبو عمر من عنده . فلما جاء أبو عمر ذكر له القاضي ما قال ابن دريد عنه ، فطلب أبو عمر من القاضي أن يحضر له من كتبه دواوين العرب . فلم يزل [أبو عمر يعمد إلى كل مسألة و][٢] يأتيه بشاهد لما ذكره بعد شاهدٍ حتى خرج من الثلاثين مسألة ثم قال : وأما البيتان ، فإنَّ ثعلباً أنشدناهما وأنت حاضر ، فكتبتهما في دفترك . فطلب القاضي دفتره . فإذا هما فيه ، فلما بلغ ذلك ابنَ دُرَيد كفَّ لسانه عن أبي عمر الزَّاهد ، فلم يذكره حتى مات .

وتوفي أبو عمر هذا يوم الأحد ،ودفن يوم الإثنين الثالث عشر من ذي القَعْدة ، ودفن في الصُّفَّة المقابلة لقبر معروف الكَرْخي ببغداد .

محمد بن علي بن [أحمد][٣] بن رُسْتم[٤] : أبو بكر المادَرَائي ، الكاتب .

كان مولده في سنة سبع وخمسين ومئتين[٥] بالعراق ، ثم صار إلى مصر هو وأخوه أحمد مع أبيهما ، وكان على الخَرَاج لِخُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، ثم صار هذا الرجل من رؤساء النَّاس وأكابرهم .

وقد سمع الحديث من أحمد بن عبد الجبَّار وطبقته . وقد روى الخطيب عنه أنه قال : كان ببابي شيخٌ كبير من الكُتَّاب قد بَطَلَ عن وظيفته ، فرأيتُ والدي في المنام وهو يقول : يا بني ، أما تتقي الله ؟! أنت مشغولٌ بلذَّاتك ، والنَّاسُ ببابك يهلكون من العُري والجوع ، هذا فلان قد تقطَّع سراويله ولا يقدر على إبداله ، فلا تهمل أمره . فاستيقظتُ مذعوراً وأنا ناوٍ له الإحسان ، فنمت ثم استيقظت وقد أُنسيت المنام ،

= بغية الوعاة (٦٩ ـ ٧٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) .

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٢٠هـ) من هذا الجزء .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) تاريخ بغداد (٣/ ٧٩ ـ ٨١) الأنساب (٤٩٩) تاريخ ابن عساكر (١٥/ ٣٤١ب ـ ٣٤٢ب) المنتظم (٦/ ٣٨٣) العبر (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) الوافي بالوفيات (٤/ ١١٥) خطط المقريزي (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٧١) .

(٥) في (ط) : سنة خمس وخمسين ومئتين ، وهو تحريف .

فبينا أنا أسير إلى دار الملك ، إذا بذلك الشيخ على دابة ضعيفة ، فلما رآني أراد أن يترجَّل ، فبدا لي فخذه ، وليس عليه سراويل وقد لبس الخُفَّ بلا سراويل ، فلما رأيته ذكرتُ المنام ، فاستدعى به عند ذلك وأطلق له ألف دينار وثياباً ، ورتَّب له على وظيفته مئتي دينار كل شهر ، ووعده بخيرٍ في الآجل أيضاً[١] .

أحمد بن محمد بن إسماعيل[٢] **بن إبراهيم طَبَاطَبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن** [علي][٣] بن أبي طالب ، الشَّريف الحَسَني الرَّسِّي ؛ قبيلة من الأشراف ، أبو القاسم ، المِصْري ، الشَّاعر ، كان نقيب الطالبيين بمصر ، ومن شعره قوله :

قالتْ لطَيْفِ خيالٍ زارني ومضىٰ ... بـالله صِفْـهُ ولا تَنْقُـصْ ولا تَـزِدِ
فقـال أبصـرتُـهُ لـو مـاتَ مـن ظمـأٍ ... وقلـتِ قـفْ لا تـردْ للمـاءِ لـم يـردِ
قالتْ صدقتَ وفاءُ الحبِّ عادَتُهُ ... يا بردَ ذاكَ الذي قالتْ على كَبِدِي

قال ابن خَلِّكان : توفي ليلة الثلاثاء لخمسٍ بقين من شعبان من هذه السنة[٤] .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمئة

فيها كانت فتنة بين أهل الكَرْخ وأهل السُّنَّة في المذهب بسبب السبِّ ، فقتل من الفريقين خَلْقٌ كثير .

وفيها نقص البحر ثمانين ذراعاً ، ويقال باعاً ، فبدت به جبال وجزائر لم تكن تُرَى قبل ذلك .

وفيها كان بالعراق وبلاد الرَّي والجبل وقُمّ ونحوها زلازل كثيرة مستمرة نحواً من أربعين يوماً ، تسكن ثم تعود ، فتهدَّمت بسبب ذلك أبنية كثيرة وغارت مياه كثيرة ، ومات خلق كثير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها تجهَّز مُعزُّ الدولة بن بُوَيه لقتال ناصر الدولة بن حمدان الذي بالمَوْصل ، فراسله ناصر الدولة ، والتزم له بأموالٍ يحملها إليه في كلِّ سنة ، [فسكت عنه][٥] ثم إنه منع حمل ما اشترط على نفسه ، فقصده معز الدولة في السَّنة الآتية كما سيأتي .

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٨٠ ـ ٨١) .
(٢) يتيمة الدهر (١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) وفيات الأعيان (١/ ١٢٩ ـ ١٣١) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) انظر وفيات الأعيان (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠) والأبيات فيه مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

وفيها وفي تشرين منها كَثُرَتْ في النَّاس أوجاع في الحلق والماشرىٰ ، وكثر موت الفُجَاءة ، حتى إن لصاً نقَّب داراً ليدخلها فمات وهو في النقب ، ولبس القاضي خِلْعة القضاء ليخرج للحكم بين الناس فلبس أحد خُفَّيه ، فمات قبل أن يلبس الأخرى .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عبد الله بن الحسن(١) : أبو هريرة ، العَدَوي(٢) .

المُسْتملي على المشايخ ، كتب عن أبي مسلم الكَجِّي وغيره ، وكان ثقة ، توفي في ربيع الأول(٣) منها .

الحسن بن خَلَف بن شَاذَان(٤) : أبو علي الواسِطِي .

روى عن إسحاق الأزرق ، ويزيد بن هارون ، وغيرهما ، وروى عنه البخاري في « صحيحه » ، وتوفي في هذه السنة .

هكذا رأيت هذه الترجمة في هذه السَّنة من « المنتظم » لأبي الفرج بن الجَوْزي(٥) .

أبو العَبَّاس الأَصَم(٦) **محمد بن يعقوب بن يوسف** بن مَعْقِل بن سِنان بن عبد الله ، الأُموي مولاهم ، أبو العباس الأصم .

مولده في سنة سبع وأربعين ومئتين .

رأى الذُّهلي ولم يسمع منه ، ورحل به أبوه إلى أصبهان ومكة ومِصر والشَّام والجزيرة وبغداد وغيرها من البلاد ، فسمع الكثير عن الجَمِّ الغفير ، ثم رجع إلى خُرَاسان وهو ابن ثلاثين سنة ، وقد صار محدِّثاً كبيراً ، ثم طرأ عليه الصَّمم واستحكم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار ، وكان مؤذناً في مسجده سبعين سنة ، وحدَّث ستاً وسبعين سنة ، فألحق الأحفاد بالأجداد ، وكان ثقةً صادقاً ضابطاً لما سمعه ويسمعه ، كُفَّ بصرُه قبل موته بشهر ، وكان يحدِّث من حفظه بأربعة عشر حديثاً ، وسبع حكايات ، ومات وقد بقي له سنة من المئة .

---

(١) الأنساب (٨/ ٤١٢) المنتظم (٦/ ٣٨٤) .

(٢) في (ط) العذري ، وهو تحريف .

(٣) في « الأنساب » و « المنتظم » : ربيع الآخر .

(٤) تابع ابنُ كثير ابنَ الجوزي في إيراد ترجمة الحسن بن خلف في هذه السنة ، ولكن ابن كثير توقف فقال : هكذا رأيت هذه الترجمة في هذه السنة من « المنتظم » . قلت : والصحيح في وفاته أنها كانت سنة (٢٤٦هـ) .

(٥) المنتظم (٦/ ٣٨٥) .

(٦) الأنساب (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٦٧آ ـ ٦٩ب) المنتظم (٦/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) تذكرة الحفاظ (٣ ـ ٨٦٠ ـ ٨٦٤) العبر (٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٥٢ ـ ٤٦٠) الوافي بالوفيات (٥/ ٢٢٣) نكت الهميان (٢٧٩) غاية النهاية (٢/ ٢٨٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٣١٧) طبقات الحفاظ (٣٥٤) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمئة

فيها كانت زلزلة ببغداد في شهر نيسان وفي غيرها من البلاد الشَّرقية ، فمات بسببها خَلْقٌ كثير ، وخَرِبَتْ دور كثيرة ، وظهر في آخر نيسان وشهر أيار جَرَاد عظيم أتلف الغَلَّات الصَّيفية والثمار .

ودخلت الرُّومُ آمِد ، ومَيَّافارِقِين ، فقتلوا ألفاً وخمسمئة إنسان ، وأخذوا مدينة سُمَيْساط وأخربوها فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي المحرَّم منها ركب معزُّ الدولة إلى المَوْصل ، فأخذها من يد ناصر الدولة ، وهرب منها ناصر الدولة إلى نَصِيبين ، ثم إلى مَيَّافارِقِين ، ثم لحقه معزُّ الدولة ، فصار إلى أخيه سيف الدولة بحلب ، ثم راسل سيفُ الدولة معزَّ الدولة في المصالحة بينه وبين أخيه ناصر الدولة ، فوقع الصُّلح على حمل كل سنة ألفي ألف وتسعمئة ألف [درهم][١] ، ورجع معز الدولة إلى بغداد بعد انعقاد الصلح[٢] .

وفيها بعث المُعِزُّ الفاطمي مولاهم أبا الحسن جوهر القائد في جيوشٍ ، ومعه زيري بن مناد الصِّنْهاجي ، ففتحوا بلاداً كثيرة في أقصى المغرب ، حتى انتهوا إلى البحر المحيط ، فأمر جوهر بأن يُصْطاد له منه سمك ، فأرسل به في قلال الماء إلى المعز الفاطمي ، وحظي جوهر عنده ، وعظم شأنه حتى صار بمنزلة الوزير .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الزُّبير بن عبد الواحد[٣] بن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم : أبو عبد الله ، الأسَدَاباذي[٤] .

رحل وسَمِعَ وطوَّف الأقاليم ، سمع الحسنَ بن سفيان وابن خُزَيمة ، وأبا يعلىٰ ، وخَلْقاً ، وكان حافظاً مُتْقناً صدوقاً ، وصنَّف الشيوخ[٥] والأبواب .

---

(١) مابين حاصرتين من الكامل (٨/ ٥٢٣) .

(٢) في (ط) : زيادة ، وهي : وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين ، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخراسان ، وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً ، وكذلك الحجاز وغيره ، وغالب بلاد المغرب ، فكثر السب والتكفير منهم للصحابة .

(٣) في (ط) : عبد الرحمن ، وهو تحريف . وترجمته في تاريخ بغداد (٨/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣) الأنساب (١/ ٢٢٤) تاريخ ابن عساكر (٦/ ١٧١آ ـ ١٧٢آ) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٠٠ ـ ٩٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٠ ـ ٥٧١) طبقات الحفاظ (٣٦٨) .

(٤) في (ط) : الإستراباذي ، وهو تحريف .

(٥) في (ط) : الشروح ! وهو تحريف .

أبو سعيد بن يونس[١] : صاحب « تاريخ مِصْر » ، هو عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى ، الصَّدَفي[٢] المِصْري المؤرِّخ .

كان حافظاً مكثراً ، خبيراً بأيام النَّاس وتواريخهم ، له تاريخ مفيد [جيد][٣] لأهل مصر ومَنْ وَرَدَ إليها ، وله ولد يقال له أبو الحسن علي[٤] ، كان منجِّماً له زِيجٌ مفيد يرجع إليه أصحاب هذا الفن ، كما يرجع المحدِّثون إلى أقوال أبيه وما يؤرِّخه وينقله ويحكيه ، وُلِدَ [الصَّدَفي][٥] سنة إحدى وثمانين ومئتين ، وتوفي في هذه السَّنة يوم الإثنين السَّادس والعشرين من جُمَادى الآخرة في القاهرة ، رحمه الله .

ابنُ دَرَسْتَوَيه[٦] **النَّحْوي**[٧] عبد الله بن جعفر بن دَرَسْتَوَيه بن المَرْزُبان : أبو محمد ، الفارسي ، النَّحْوي .

سكن بغداد ، وسمع عَبَّاساً الدُّوري ، وابن قتيبة ، والمُبَرِّد ، وسمع منه الدَّارَقُطني وغيره من الحُفَّاظ ، وأثنى عليه غيرُ واحد ، منهم أبو عبد الله بن مَنْده ، وكانت وفاته في صفر من هذه السنة .

وذكر له القاضي ابن خَلِّكان مصنفاتٍ كثيرةً مفيدة فيما يتعلَّق باللغة والنحو وغير ذلك[٨] .

محمد بن الحسن[٩] **بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب** ، أبو الحسن ، القُرَشي الأموي ، قاضي بغداد .

وكان حسن الأخلاق ، طلَّابةً للحديث ، ومع هذا كان ينسب إلى أخذ الرِّشوة في الأحكام والولايات ، فالله أعلم .

---

(١) الأنساب (٨/ ٤٥ ـ ٤٦) وفيات الأعيان (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٩٨ ـ ٨٩٩) العبر (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) حسن المحاضرة (١/ ١٩٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٥).

(٢) هذه النسبة إلى الصدف ـ بكسر الدال ، وفيه لغة بفتحها ـ وتفتح بالنسب ، وهي قبيلة من حمير نزلت مصر ، انظر الأنساب : (٨/ ٤٣) ، ووفيات الأعيان : (٣/ ١٣٨) .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في (ح) : والمثبت من (ب) .

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٩٩هـ) من هذا الجزء .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) ويضبط أيضاً بضم الدال والراء والتاء وسكون الواو وفتح الياء ، انظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٤) .

(٧) طبقات النحويين واللغويين (١٢٧) الفهرست (٩٣ ـ ٩٥) تاريخ بغداد (٩/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) نزهة الألباء (١٩٧ ـ ١٩٨) المنتظم (٧/ ٣٨٨) إنباه الرواة (٢/ ١١٣ ـ ١١٤) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤ ـ ٤٥) العبر (٢/ ٢٧٦) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٣١ ـ ٥٣٢) لسان الميزان (٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) بغية الوعاة (٢٧٩ ـ ٢٨٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٥) .

(٨) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٤ ـ ٤٥) .

(٩) تاريخ بغداد (٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) المنتظم (٦/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) .

محمد بن علي(١) : أبو عبد الله ، الهاشمي ، الخاطب ؛ [الدمشقي . وأظنه الذي تنسب إليه حارة الخاطب من نواحي باب الصغير ، كان](٢) خطيب دمشق في أيام الإخشيذية .

وكان شاباً حسن الوجه ، مليح الشكل ، كامل الخلق ، توفي فجأة في يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وحضر جنازته نائب السلطنة ، وخلق كثير لا يحصون كثرة ، رحمه الله [هكذا أرخه](٢) ابنُ عساكر ، ودفن بباب الصَّغير .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمئة

فيها كانت فتنة بين الرَّافضة وأهل السنة قتل فيها خَلْقٌ كثير ، ووقع حريق بباب الطَّاق ، وغرق بدِجْلة خلق كثير من الحُجَّاج من أهل المَوْصل ؛ نحو من ستِّمئة نفس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها دخلت الرُّوم طَرسُوس والرُّها فقتلوا وسبوا وغنموا . ورجعوا سالمين ، لعنهم الله .

وفيها قلَّت الأمطار وغَلَت الأسعار ، واستسقى النَّاس فلم يسقوا ، وظهر جَرَاد عظيم في آذار ، فأكل ما نبت من الخضراوات ، فاشتدَّ الأمر جدًّا [على الخلق](٢) ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وفيها عاد مُعِزُّ الدولة إلى بغداد من المَوْصل وزوَّج ابنته من ابن أخيه مُؤَيَّد الدولة بن ركن الدولة(٣) ، وسيَّرها معه إلى الرَّي(٤) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن شَيْبَان(٥) : أبو إسحاق ، القِرْمِيْسِيني ، شيخ الصُّوفية بالجَبَل .

صَحِبَ أبا عبد الله المَغْربيَّ . ومن جيد كلامه قوله : إذا سكَنَ الخَوْفُ القَلْبَ أحرقَ مواضِعَ الشَّهوات منه ، وطرد عنه الرَّغْبَةَ في الدُّنيا .

---

(١) هذه الترجمة ليست في (ح) ، ومثبتة من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) . وهو في تاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٤٠٤) .
(٣) في (ح) و(ط) : معز الدولة ، والخبر كله ساقط من (ب) ، والمثبت من الكامل (٨/ ٥٢٧) .
(٤) في (ط) بغداد ، وهو تحريف .
(٥) طبقات الصوفية (٤٠٢ ـ ٤٠٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٦١) الرسالة القشيرية (٢٧) الأنساب (١٠/ ١١٠) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٢٢٥آ ـ ٢٢٥ب) المنتظم (٦/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) العبر (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٩٢ ـ ٣٩٤) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٥) طبقات الأولياء (٢١ ـ ٢٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٤) .

أبو بكر النَّجَّاد الفقيه[١] : أحمد بن سَلْمان[٢] بن الحسن بن إسرائيل بن يونس ، أبو بكر ، النَّجَّاد ، الفقيه ؛ أحد أئمة الحنابلة .

ولد سنة ثلاث وخمسين ومئتين .

سمع عبد الله بن أحمد ، وأبا داود ، والباغَنْدي ، وابن أبي الدُّنيا ، وخلقاً كثيراً ، وإنما كان يطلب الحديث ماشياً حافياً ، وقد جمع المُسْند ، وصنَّف في السُّنَن كتاباً كبيراً ، وكانت له بجامع المنصور حلقتان ؛ واحدة للفقه ، وأخرى لإملاء الحديث .

وحدث عنه الدَّارَقُطْني وابن رزقويه ، وابنُ شاهين ، وأبو بكر بن مالك القَطِيعي وغيرهم . وكان يصوم الدهر ويُفْطر كل ليلة على رغيف ، ويعزل منه لقمةً ، فإذا كانت ليلة الجمعة أكل تلك اللُّقَم ، وتصدَّق برغيف ليلة الجمعة ، وكانت وفاته ليلة الجمعة لعشرٍ بقين من ذي الحجَّة عن خمس وتسعين سنة ، ودفن قريباً من قبر بشر بن الحارث الحافي .

جعفر بن محمد بن نُصير بن القاسم[٣] : أبو محمد الخواص المعروف بالخُلْدي .

سمع الكثير ، وحدث كثيراً ، وحج ستين حجة ، وكان ثِقَةً صدوقاً ديِّناً .

محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد[٤] : أبو عمرو ، الزُّجَاجي ، النَّيْسَابوري .

صحب أبا عثمان ، والجُنَيد ، والنُّوري ، والخوَّاص ، وغيرهم ، وأقام بمكة ، وكان شيخ الصُّوفية بها ، وحجَّ ستين حجةً ، ويقال : إنه مكث أربعين سنة لم يتغوَّط ولم يَبُل إلا خارج الحرم بالكلية .

محمد بن جعفر بن محمد بن فَضَالة[٥] بن يزيد بن عبد الملك : أبو بكر الأَدَمي ؛ صاحب الألحان .

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ١٨٩ ـ ١٩٢) طبقات الشيرازي (١٧٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٧ ـ ١٢) الأنساب (٥٥٣آ) المنتظم (٦/ ٣٩٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٦٨ ـ ٨٦٩) العبر (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٠٢ ـ ٥٠٥) ميزان الاعتدال (١/ ١٠١) الوافي بالوفيات (٦/ ٤٠٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٢) لسان الميزان (١/ ١٨٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٦) .

(٢) في (ب) و(ط) : سليمان ، وهو تحريف .

(٣) طبقات الصوفية (٤٣٤ ـ ٤٣٩) حلية الأولياء (١٠/ ٣٨١) تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٦ ـ ٢٣١) الرسالة القشيرية (٢٨) الأنساب (٥/ ١٦١ ـ ١٦٢) المنتظم (٦/ ٣٩١) معجم البلدان (٢/ ٣٨٢) العبر (٢/ ٢٧٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٥٨ ـ ٥٦٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٢) طبقات الأولياء (١٧٠ ـ ١٧٤) غاية النهاية (١/ ١٩٧ ـ ١٩٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٨) .

(٤) طبقات الصوفية (٤٣١ ـ ٤٣٣) حلية الأولياء (١٠/ ٣٧٦) الرسالة القشيرية (٣٦) المنتظم (٦/ ٣٩١ ـ ٣٩٢) الوافي بالوفيات (١/ ٣٤٦) طبقات الأولياء (١٥٦ ـ ١٥٧) طبقات الشعراني (١٣٨) .

(٥) تاريخ بغداد (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٩) الأنساب (١/ ١٦٢ ـ ١٦٣) المنتظم (٦/ ٣٩٢ ـ ٣٩٤) .

وكان من أحسن الناس صوتاً بتلاوة القرآن ، وربما سمع أهل كَلْوَاذى[١] صوته من بغداد في الليل ، وحجَّ مرة مع أبي القاسم البَغَوي ، فلما كانوا بالمدينة رأوا شيخاً أعمى يقُصُّ على الناس أخباراً موضوعة فقال البغوي : ينبغي الإنكار عليه . فقال له بعض الجماعة : إنك لست ببغداد يعرفك الناس والجمع كثير هاهنا ، ولكن أرى لك أن تأمر أبا بكر الأَدَمي فيقرأ لنا [هاهنا][٢] ، فاستفتح فقرأ ، فانجفل الناس إليه ، وتركوا الأعمى ، فلم يبق عنده أحد ، فأخذ الأعمى بيد قائده وقال : اذهب بي ، فهكذا تزول النعم[٣] . وكانت وفاته يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثمانٍ وثمانين سنة .

وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته بمدة فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : أوقفني بين يديه ، وقاسيتُ شدائد . فقلت له : فتلك الليالي والمواقف والقراءة ؟ فقال : ما كان شيء أضرَّ عليَّ منها ؛ لأنها كانت للدُّنيا . فقلت : فإلى أي شيء انتهى أمرك ؟ فقال : قال لي الله عزَّ وجلَّ : آليتُ على نفسي أن لا أعذب أبناء الثَّمانين .

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي[٤] بن الحسن بن إبراهيم طَبَاطَبا[٥] بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي ، المِصْري ، كان من ساداتها وكرمائها وأجوادها لا تزال الحلواء تُعقد بداره ، ولا يزال رجل يكسِّر اللوز بسببها كل يوم ببابه ، وللنَّاس عليه رواتب الحلواء ، فمنهم من يهدي إليه كل يوم ، ومنهم في الجمعة ، [ومنهم][٦] في الشهر . وكان لكافور الإخشيذي كل يوم عليه جامان ورغيف من الحواري[٧] .

ولما قدم المِعزُّ الفاطمي إلى القاهرة تلقاه وسأله : إلى من ينتسب من أهل البيت ؟ فقال : الجواب إلى [أهل][٨] البلد . فلما دخل القصر جمع الأشراف وسلَّ نصف سيفه وقال : هذا نسبي ، ثم نثر عليهم الذهب فقال : وهذا حسبي . فقالوا : سمعنا وأطعنا .

والصحيح أن القائل للمعز هذا الكلام ابن هذا أو شريف آخر ، والله أعلم ؛ فإن وفاة هذا كانت في

---

(١) ناحية قرب بغداد ، معجم البلدان (٤/ ٤٧٧) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) القصة في تاريخ بغداد (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨) وفي (ط) زيادات يضطرب بها سياق القصة ، ولا تفيد معنى جديداً .
(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٨١ ـ ٨٣) .
(٥) في (ح) و(ب) و(ط) : إبراهيم بن طباطبا ، وهو وهم ، إذ إن طباطبا لقب إبراهيم ، انظر لقب وفيات الأعيان (١/ ١٣٠) .
(٦) ما بين حاصرتين ليس في (ح) ، والمثبت من (ب) .
(٧) هو الدقيق الأبيض المنقى .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

هذا العام عن ثنتين وستين سنة ، وكان قدوم المعز إلى القاهرة سنة اثنتين وستين وثلاثمئة كما سيأتي .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمئة

فيها ظهر رجل بأَذْرَبيجان من أولاد عيسى بن المكتفي بالله ، فتلقب بالمستجير بالله ، ودعا إلى الرِّضا من آل محمد ، وذلك لفساد دولة المَرْزُبان في ذلك الزمان ، فاقتتلوا قتالاً كثيراً ، ثم انهزم أصحابُ المستجير ، وأُخذ أسيراً فمات ، واضمحلَّ أمره ، ولله الحمد .

وفيه دخل سيف الدولة بن حمدان بلادَ الرُّوم ، فقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وفتح حصوناً وأحرق بلاداً كثيرة ، وسبى وغنم وكرَّ راجعاً ، فأخذت الرُّوم عليه الدَّرب ، فمنعوه من الرجوع ، ووضعوا السيف في أصحابه ، فما نجا في ثلاثمئة فارسٍ إلا بعد جهد جهيد .

وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرَّافضة والسُّنَّة قُتل فيها خلق كثير .

وفي آخرها توفي أنوجور[١] بن الإخشيذ صاحب مصر ، وقام بالأمر بعده أخوه [علي][٢] .

وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي الذي كان صاحب الأهواز وواسط .

وفيها رجع حجيج مصر من مكة ، فنزلوا وادياً فجاءهم سَيْلٌ فأخذهم كلّهم ، فألقاهم في البحر عن آخرهم .

وفيها أسلم من الترك مئتا ألف خَرْكاة[٣] ، فسموا تُرْك إيمان ، ثم خفِّف اللفظ بذلك فقيل تركمان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جعفر بن حَرْب الكاتب[٤] : كانت له نعمة وثروة عظيمة تقارب أبهة الوزراء ، فاجتاز يوماً وهو راكب في موكب له عظيم ، فسمع رجلاً يقرأ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] . فصاح : اللهم بلى ، فكرَّرها دفعات ، ثم بكى ، ثم نزل عن دابّته ونزع ثيابه ، ودخل إلى دِجْلة فاستتر بالماء ، ولم يخرج منه حتى فرَّق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه ، وردَّها إلى أهلها ،

---

(١) ولد أنوجور في دمشق سنة (٣١٩هـ) ، ودفن في بيت المقدس عن أبيه ، وأنوجور معناها محمود . وفيات الأعيان (٩٩/٤) .

(٢) ما بين حاصرتين من الكامل (٥٣٣/٨) .

(٣) خركاة : كلمة فارسية معربة ، تطلق على الخيمة الكبيرة التي يتخذها أمراء الأكراد والأعراب والتركمان سكناً لهم . انظر الألفاظ الفارسية المعربة (٥٣ ـ ٥٤) .

(٤) المنتظم (٣٩٥/٦ ـ ٣٩٦) .

وتصدَّق بالباقي ولم يبق له شيء بالكلية ، فاجتاز به رجل ، فتصدَّق عليه بثوبين ، فلبسهما وخرج ، فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات ، رحمه الله .

أبو علي الحافظ(١) الحسين بن علي بن يزيد بن داود : أبو علي ، الحافظ ، النَّيسابوري .

أحد الأئمة الحُفَّاظ المتقنين المكثرين المصنِّفين ، قال الدَّارَقُطْني : كان إماماً مهذَّباً ، وكان ابنُ عقدة لا يتواضع لأحدٍ كتواضعه له ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثنتين وسبعين(٢) سنة ، رحمه الله .

حَسَّان بن محمد بن أحمد(٣) : ابن هارون(٤) ، أبو الوليد ، القُرَشي .

الفقيه الشَّافعي ، إمام أهل الحديث بخراسان في زمانه ، وأزهدهم وأعبدهم ، أخذ الفقه عن ابن سُرَيج ، وسمع الحديث من الحسن بن سُفْيان وغيره ، وله التَّصانيف المفيدة ، وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشافعيين » ، وكانت وفاته ليلة الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثنتين وسبعين سنة .

حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم بن الخَطَّاب(٥) : أبو سليمان ، الخَطَّابي .

سمع الكثير ، وصنَّف التصانيف ، منها « المعالم » شرح فيها « سُنَن أبي داود » ، و « الإعلام » شرح فيه البخاري ، و « غريب الحديث » ، وله فهم مليح ، وعلم غزير ، ومعرفة باللغة والمعاني والفقه ، ومن أشعاره قوله :

ما دُمْتَ حيّاً فَدَارِ النَّاسَ كلَّهُمُ ... فإنَّما أنتَ في دارِ المُدَاراةِ
منْ يدرِ دارىٰ ومن لم يدرِ سوف يُرى ... عمَّا قليلٍ نديماً للنَّداماتِ

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٧١ ـ ٧٢) المنتظم (٦/ ٣٩٦) معجم البلدان (٥/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٠٢ ـ ٩٠٥) العبر (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥١ ـ ٥٩) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٧٦ ـ ٢٨٠) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٤) طبقات الحفاظ (٣٦٨ ـ ٣٦٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٨٠) تهذيب تاريخ ابن عساكر (٤/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : عن اثنين وخمسين سنة ، وهو وهم ، والصواب ما أثبتناه ، فولادته كانت سنة (٢٧٧هـ) ، انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥١) .

(٣) المنتظم (٦/ ٣٩٦) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٩٥ ـ ٨٩٧) العبر (٢/ ٢٨١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٩٢ ـ ٤٩٦) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٢٦ ـ ٢٢٩) طبقات الحفاظ (٣٦٦) شذرات الذهب (٢/ ٣٨٠) .

(٤) في (ط) : مروان ، وهو تحريف .

(٥) هكذا ترجمه ابن الجوزي في « منتظمه » في وفيات هذه السنة ، والصحيح أنه توفي سنة (٣٨٨هـ) ، وسيورد ابن كثير ترجمته في وفياتها .

هكذا ترجمه أبو الفرج بن الجوزي في « منتظمه »[(١)] حرفاً بحرف .

عبد الواحد بن عمر بن محمد[(٢)] **بن أبي هاشم** .

كان من أعلم النَّاس بحروف القرآن ، ووجوه القراءات ، وله في ذلك مصنَّفات ، وكان من الأتقياء[(٣)] الثِّقات ، روى عن ابن مجاهد ، وأبي بكر بن أبي داود ، وعنه أبو الحسن بن الحَمَّامي ، توفي في شوال منها ، ودفن بمقبرة الخيزران .

أبو أحمد العَسَّال الحافظ[(٤)] محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد ، أبو أحمد ، العَسَّال ، الأصْبهاني .

أحد أئمة الحفاظ وأكابر العلماء .

سمع الحديث وحدَّث به ، قال ابنُ مَنْده : كتبت عن ألف شيخٍ لم أر فيهم أتقنَ من أبي أحمد العَسَّال ، توفي في رمضانها .

ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمئة

في المحرَّم منها مرض معزُّ الدولة بن بويه بانحصار البول ، فقلق من ذلك ، وجمع بين حاجبه سُبُكْتِكين ووزيره المُهَلَّبي ، وأصلح بينهما ، ووصاهما بولده بختيار خيراً ، وثم عوفي من ذلك ، فعزم على الرحيل إلى الأهواز ، واعتقد أن ما أصابه من [هذه العِلَّة بسبب][(٥)] هواء بغداد ومائها ، فأُشير عليه بالمقام بها ، وأن يبتني بها داراً في أعلاها حيث الهواء أرق والماء أصفى ، فبنى له داراً غَرِمَ عليها ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، فاحتاج لذلك أن يصادر بعضَ أصحابه ، ويقال : أنفق على هذه الدار ألفي ألف دينار ، ومات وهو يبني فيها ، وقد خَرَّبَ أشياء كثيرة من معالم بغداد في بنائها ، وكان مما خرب فيها

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٩٧) .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٧ ـ ٨) إنباه الرواة (٢/ ٢١٥) طبقات القراء للذهبي (١/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) العبر (٢/ ٢٨٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٧٥ ـ ٤٧٧) النشر في القراءات العشر (١/ ١٢٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٥) بغية الوعاة (٢/ ١٢١) شذرات الذهب (٢/ ٣٨٠) .

(٣) في (ب) : الأمناء .

(٤) ذكر أخبار أصبهان (٢/ ٢٨٣) تاريخ بغداد (١/ ٢٧٠) الأنساب (٨/ ٤٤٧) المنتظم (٦/ ٣٩٨) اللباب (٢/ ١٣٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٦ ـ ١٥) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٨٦ ـ ٨٨٨) العبر (٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) الوافي بالوفيات (٢/ ٤١) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٥) طبقات الحفاظ (٣٦١ ـ ٣٦٢) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٥١ ـ ٥٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

المعشوق من سرَّ من رأى ، وقلع الأبواب الحديد على مدينة المنصور والرُّصافة وقَصرها ، وحوَّلها إلى داره هذه ، لا تمت فرحته بها .

وفيها مات القاضي أبو السَّائب عتبة بن عبد الله(١) ، وقبضت أملاكه ، وولي بعده القضاء أبو [العباس](٢) عبد الله [بن](١) الحسن بن أبي الشَّوارب ، وضمن أن يؤدي في كل سنة إلى معز الدولة مئتي ألف درهم ، وخلع عليه معز الدولة ، وسار ومعه الدبادب والبوقات إلى منزله ، وهو أول من ضمن القضاء . ولم يأذن له الخليفة المطيع لله في الحضور عنده ، ولا في حضور الموكب لأجل ذلك ، ثم ضمَّن معز الدولة الشرطة وضمَّن الحِسْبة أيضاً .

وفيها سار قَفَلٌ من أنطاكية يريدون طَرَسُوس ، وفيهم نائب أنطاكية ، فثار عليهم الروم [فأخذوهم](٣) عَن بَكْرة أبيهم ، فلم يفلت منهم سوى النائب جريحاً في أماكن من بدنه .

وفيها دخل نجا غلام سيف الدولة بلاد الرُّوم فقتل وسبى وغنم ، ورجع سالماً .

وفيها توفي :

الأمير عبد الملك بن نوح السَّاماني صاحب خراسان ، سقط عن فرسه ، فمات ، فقام بالأمر من بعده أخوه منصور بن نوح السَّاماني .

وفيها توفي :

النَّاصر لدين الله عبد الرحمن الأُمَوي(٤) : صاحب الأندلس من بلاد المغرب ، وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر ، وله من العمر يوم مات ثلاث وسبعون سنة ، وترك أَحدَ عشر ولداً ، كان أبيضَ حسن الوجه عظيمَ الجسم طويل الظهر قصير الساقين ، وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من أولاد الأمويين الدَّاخلين إلى المغرب ، وذلك حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق ، وتغلُّب الفاطميين ببلاد المغرب ، فتلقب بأمير المؤمنين قبل موته بثلاث وعشرين سنة . ولما توفي قام بالأمر من بعده ولده الحكم وتلقب بالمستنصر ، ومن جملة أولاد الناصر عبد الله ، وكان شافعيَّ المذهب ، ناسكاً شاعراً ، ولا يعرف في

---

(١) في بعض مصادر ترجمته : عبيد الله ، وهو الأشبه .

(٢) ما بين حاصرتين من « المنتظم » (٧/ ٢) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) ، وهو ساقط في (ح) .

(٤) العقد (٤/ ٤٩٨) جذوة المقتبس (١٣) بغية الملتمس (٢١٧) الكامل (٨/ ٧٣ ـ ٧٤) الحلة السيراء (١/ ١٩٧ ـ ٢٠٠) المغرب في حلى المغرب (١/ ١٧٦ ـ ١٨١) البيان المغرب (٢/ ١٥٦) وما بعدها ، العبر (٢/ ٢٨٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٦٢ ـ ٥٦٤) نفح الطيب (١/ ٣٥٣ ـ ٣٧١) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٣٠) .

الخلفاء أطول مُدَّة من الناصر الأموي ، فإنه مكث خمسين سنة ، سوى المستنصر بن [الظاهر بن][١] الحاكم الفاطمي صاحب مصر ، فإنه مكث ستين سنة ، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو سَهْل بن زياد القَطَّان[٢] **أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد : أبو سهل ، القَطَّان .**

كان ثقة حافظاً ، كثير التلاوة للقرآن ، حسن الانتزاع للمعاني منه ، فمن ذلك أنه استدل على تكفير المعتزلة بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران : ١٥٦] .

إسماعيل بن علي بن إسماعيل[٣] **بن بَيَان : [أبو محمد]**[٤] **، الخُطَبي .**

سمع الحارث بن أبي أسامة ، وعبد الله بن أحمد ، والكُدَيمي ، وغيرهم ، وعنه الدَّارَقُطْني وغيره من الحُفَّاظ ، وكان ثقةً حافظاً فاضلاً نبيلاً ، عارفاً بأيام الناس والخلفاء ، وله تاريخ مرتب على السنين ، وكان أديباً لبيباً عاقلاً صدوقاً ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة ، رحمه الله .

أحمد بن محمد بن سعيد[٥] **بن عُبيد الله**[٦] **بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، أبو بكر ، القُرَشي ، الوَرَّاق ، ويعرف بابن فُطيس .**

وكان حسن الكتابة مشهوراً بها ، وكان يكتب الحديث لابن جَوْصا[٧] ، ترجمه ابنُ عساكر ، وأرخ وفاته بثاني شوال من هذه السنة[٨] .

---

(١) ما بين حاصرتين من سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٨٦) .

(٢) تاريخ بغداد (٥/ ٤٥ ـ ٤٦) المنتظم (٧/ ٣) العبر (٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) الوافي بالوفيات (٨/ ٣٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٨) شذرات الذهب (٣/ ٢ ـ ٣) .

(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦) طبقات الحنابلة (٢/ ١١٨ ـ ١١٩) الأنساب (٥/ ١٤٧ ـ ١٤٨) المنتظم (٧/ ٣ ـ ٤) معجم الأدباء (٧/ ١٩ ـ ٢٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) شذرات الذهب (٣/ ٣) .

(٤) ما بين حاصرتين ساقط من (ح) ، والمثبت من (ب) .

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧/ ٣١٠ ـ ٣١١) (مطبوع) ، مختصره لابن منظور (٣/ ٢٦٢) .

(٦) في (ح) عبد الله ، والمثبت من (ب) .

(٧) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٢٠هـ) .

(٨) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٧/ ٣١٠ ـ ٣١١) .

تمام بن محمد[١] **بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن [علي]**[٢] **بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب** ، أبو بكر ، الهاشمي ، العَبَّاسي .

حدث عن عبد الله بن أحمد ، وعنه ابن رزقويه ، وتوفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة أيضاً ، رحمه الله .

الحسين[٣] **بن القاسم**[٤] : أبو علي ، الطَّبري ، الفقيه الشَّافعي .

أحد الأئمة ، له « المحرَّر » في الخلاف ، وهو أول مصنَّف فيه ، وله « الإفصاح »[٥] في المذهب ، وكتاب في الجدل ، وفي أصول الفقه ، وغير ذلك من المُصنَّفات ، وقد ذكرنا ترجمته في « الطبقات » .

عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم[٦] **بن عيسى بن أبي جعفر**[٧] **المنصور** : أبو جعفر ، الهاشمي ، الإمام ، ويعرف بابن بُرَيْه[٨] .

ولد سنة ثلاث وستين ومئتين ، روى عن ابن أبي الدُّنيا وغيره ، وعنه ابن رزقويه ، وكان خطيباً بجامع المنصور مُدَّة طويلة ، وقد خطب فيه سنة ثلاثين وثلاثمئة ، وقبلها بمئة سنة خطب فيه الواثق في سنة ثلاثين ومئتين ، وهما في النسب إلى المنصور سواء ، توفي في صفر منها .

عُتْبة بن عبد الله[٩] **بن موسى بن عبيد الله** : أبو السَّائب ، الهَمَذاني ، القاضي الشَّافعي .

كان فاضلاً بارعاً ، وولي القضاء ، وكان فيه تخليط في الأمور ، وقد رآه بعضهم في المنام [بعد

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ١٣٩ ـ ١٤٠) المنتظم (٧/ ٤) .
(٢) ما بين حاصرتين من المنتظم (٧/ ٤) .
(٣) في بعض المصادر : الحسن انظر وفيات الأعيان (٢/ ٧٦) .
(٤) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٥) تاريخ بغداد (٨/ ٨٧) المنتظم (٧/ ٥) وفيات الأعيان (٢/ ٧٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) العبر (٢/ ٢٨٦) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٥) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٨) شذرات الذهب (٣/ ٣) .
(٥) في (ح) و(ب) و(ط) : الإيضاح ، وإخاله وهماً ، والمثبت من « طبقات الفقهاء » للشيرازي (١١٥) وعليه كل المصادر .
(٦) تاريخ بغداد (٩/ ٤١٠ ـ ٤١١) المنتظم (٧/ ٥) العبر (٢/ ٢٨٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٥١ ـ ٥٥٢) شذرات الذهب (٣/ ٣) .
(٧) في (ح) و(ب) و(ط) : ابن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، والمثبت من تاريخ بغداد (٩/ ٤١٠) وهو الصواب ، وعليه كل المصادر .
(٨) في (ح) و(ب) و(ط) : بويه ، وهو تحريف ، والمثبت من توضيح المشتبه (١/ ٤٨١) .
(٩) في بعض المصادر : عبيد الله ، وهو الأشبه . وترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢) المنتظم (٧/ ٥ ـ ٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٧) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٩) شذرات الذهب (٣/ ٥) .

موته][1] فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، وأمر بي إلى الجنَّة على ما كان مني من التخليط ، وقال لي : آليتُ ألا أعذِّب أبناء الثمانين .

وهذا الرجل هو أول من ولي قضاء القضاة ببغداد من الشَّافعية .

محمد بن أحمد بن خَنْب[2] **بن أحمد بن راجيان**[3] : أبو بكر الدِّهْقان ، بغداديٌّ ، سكن بُخَارى .

وحدَّث بها عن يحيى بن أبي طالب ، والحسن بن مُكْرم ، وغيرهما ، وتوفي عن سبعٍ وثمانين سنة[4] .

أبو علي الخازن[5] : توفي في شعبان من هذه السنة ، فوجد في داره من الدفائن ، وعند الناس من الودائع ما يقارب أربعمئة ألف دينار .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمئة

دخول الروم إلى حلب .

فيها دخل الدُّمَسْتَقُ ملك الرُّوم لعنه الله إلى حلب ، في مئتي ألف مقاتل ، وكان سبب ذلك أنه ورد إليها بغتةً ، فنهض إليه سيف الدولة بنُ حمدان بمن حضر من أصحابه ، فقاتله فلم يقو به لكثرة جنوده ، وقَتَلَ من أصحاب سيف الدولة خلقاً كثيراً ، وكان سيف الدولة قليلَ الصَّبْر ، ففر منهزماً في نفرٍ يسير من أصحابه ، فكان أول ما استفتح به [الدُّمَسْتَق قبَّحه الله][6] أن استحوذ على دار سيف الدولة ظاهر البلد ، فأخذ منها أموالاً عظيمة وحواصل ، وعُدداً للحرب لا تحصى كثرة ، ثم تدنى ، فحاصر السور ، فقاتل أهل البلد دونه قتالاً عظيماً ، وقتلوا خلقاً كثيراً من الرُّوم ، وثلمت الروم في السور ثلمةً عظيمة ، فوقف فيه الروم ، فحمل المسلمون عليهم ، فأزاحوهم عنها ، فلما جنَّ الليل جدَّ المسلمون في عمارتها ، فما أصبح الصباح إلا وهي كما كانت ، وحفظوا السور حفظاً عظيماً ، ثم بلغ المسلمين أن رجَّالة الشرط قد عاثوا في البلد ينهبون الدُّور ، فرجع الناس إلى منازلهم يمنعونها منهم ، فغلبت الروم على السور فَعَلَوْه ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) ، وانظر « المنتظم » : (٧/ ٦) .
(٢) تاريخ بغداد (١/ ٢٩٦) الإكمال (١/ ١٦٩ ـ ١٧٠) الأنساب (٥/ ١٨٧ ـ ١٨٨) المنتظم (٧/ ٧) العبر (٢/ ٢٨٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤) شذرات الذهب (٣/ ٧) .
(٣) في (ح) حيان ، وفي (ب) حبان ، والمثبت من تاريخ بغداد والأنساب .
(٤) الصواب : عن أربع وثمانين سنة ، إذ ولد سنة (٢٦٦هـ) كما في مصادر ترجمته .
(٥) لم أقف على مصادر ترجمته .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

ودخلوا البلد يقتلون من لقوه ، فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً ، وانتهبوا الأموال والأولاد والنِّساء ، وخلَّصوا من كان بأيدي المسلمين من أسارى الروم ، وكانوا ألفاً وأربعمئة ، فأخذوا السيوف فقاتلوا مع قومهم ، وكانو أضرى على المسلمين [من قومهم](١) ، وأسروا نحواً من بضعة عشر ألفاً ما بين صبي وصبيَّة ، ومن النساء شيئاً كثيراً ، ومن الرجال ألفين ، وخربوا المساجد وأحرقوها ، وصبُّوا في حِباب الزيت الماء حتى فاض الزيت على وجه الأرض وهلك ، وكل شيء لا يقدرون على حمله أحرقوه ، وأقاموا في البلد تسعة أيام يفعلون هذه المفاسد العظيمة ، ثم عزم الدُّمَسْتَق على الانصراف خوفاً من رجوع سيف الدولة ، فقال له ابنُ أخيه : أتذهب وتترك القلعة وراءك ؟! فقال له : إنا قد بلغنا فوق ما كُنَّا نؤمله ، وإن بها مقاتلة ورجالاً غُزاةً . فقال : لابد لنا منها . فقال له : اذهب إليها . فَصَمَدَ إليها(٢) ليحاصرها ، فرموه بحجر ، فقتلوه في السَّاعة الراهنة من بين الجيش كله ، فغضب الدُّمَسْتَق عند ذلك ، وأمر بإحضار من كان بأيديهم من أسارى المسلمين ، وكانوا قريباً من ألفين ، فَضُربت أعناقهم بين يديه لعنه الله ، ثم كر راجعاً قبحه الله .

وقد دخلوا عين زَرْبة(٣) قبل ذلك في المحرَّم من هذه السنة أيضاً ، فاستأمنهم أهلُها ، فأمنهم الملك ، وأمر بأن يدخلوا كلهم إلى المسجد ، ومن بقي في منزله قتل ، فصار أهلها كلهم في المسجد ، ومن تأخر منهم قتل ، ثم قال : لا يبقين أحد منكم اليوم إلا ذهب حيث شاء ، ومن تأخر قتل . فازدحموا في خروجهم من المسجد ، فمات كثيرٌ منهم ، وخرجوا على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ، فمات في الطُّرقات منهم خَلْقٌ كثير . ثم هَدَمَ الجامع وكسر المِنْبر ، وقطع من حول البلد أربعين ألف نخلة ، وهدم سور البلد والمنازل المشار إليها منها ، وأقام بها مدة ، وفتح حولها أربعةً وخمسين حِصْناً ، بعضها بالسيف وبعضها بالأمان ، وقتل خلقاً كثيراً ، وأسرتِ الرُّوم أبا فراس بن سعيد بن حمدان نائب مَنْبِج من جهة سيف الدولة ، وكان شاعراً مطبقاً ، له ديوان حسن ، وكان مدة مقامه بعين زَرْبة أحداً وعشرين يوماً ، ثم سار إلى قَيْسارِيَّة ، فلقيه أربعة آلاف من أهل طَرَسُوس مع نائبها ابن الزَّيَّات ، فَقَتَلَ أكثرهم ، وأدركه صوم النَّصارى ، فاشتغل به حتى فرغ منه ، ثم هجم على حلب بغتة ، فكان من أمره ما ذكرناه آنفاً .

وفي هذه السنة كتبت العامة من الرَّوافض(٤) على أبواب المساجد ببغداد لعن معاوية بن أبي سُفْيان رضي الله عنه ، ولعن من غَصَبَ فاطمة فَدَكاً ؛ ـ يعنون أبا بكر رضي الله عنه ـ ومن أخرج العباس من الشُّورى ـ يعنون عمر رضي الله عنه ـ ومن نفى أبا ذرٍّ ـ يعنون عثمان رضي الله عنه ـ ومن منع دفن الحسن

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) أي قصدها . اللسان (صمد) .
(٣) في معجم البلدان (٤/ ١٧٧) : عين زربى ـ بألف مقصورة ـ بلد من نواحي المصيصة .
(٤) في هامش (ح) : كثر الروافض في بغداد بهذه السنة ، وأعلنوا اللعن قاتلهم الله .

عند جده ـ يعنون مروان بن الحكم ـ ولما بلغ ذلك معز الدولة لم ينكره ولم يغيره ، ثم بلغه أن أهل السنة مَحَوْا ذلك ، فأمر أن يكتب : لعن الله الظّالمين لآل محمد من الأولين والآخرين ، والتصريح باسم معاوية في اللعن . فكتب ذلك . قبح الله معز الدولة وشيعته من الروافض ، وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب ، فيه تشيع وميل إلى الروافض ، ولا جَرَم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء ، ويديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم ، وتقليدهم سادتهم وكبراءهم ، وآباءهم ، وترك متابعتهم أنبياءهم وعلماءهم ، ولهذا لما ملكت الفاطمية بلاد الشام ، استحوذ على سواحلها كلها حتى بيت المقدس الفرنج ، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض أعمالها ، وجميع السواحل مع الفرنج ، والنواقيس النصرانية والقسوس الإنجيلية تَنْعِرُ في الشّواهق من الحصون والقلاع ، وتكفوا في أماكن المساجد وشريف البقاع[١] .

وفيها وقعت فتنة بين أهل البَصْرة بسبب السبِّ ، فقتل فيها خَلْقٌ كثير وجمٌّ غفير .

وفيها أعاد سيف الدولة بناء عين زَرْبة ، وبعث مولاه نجا ، فدخل بلاد الروم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وسبى جَمّاً غفيراً ، وغَنِمَ وسَلِمَ . وبعث حاجبه مع جيش طرَسُوس ، فدخلوا بلاد الروم ، فغنموا وسبوا ورجعوا سالمين ، ولله الحمد والمنة .

وفيها فتح المُعزُّ الفاطمي حِصْن طَبَرْمين[٢] من بلاد المغرب ـ وكان من أحصن بلاد الفرنج ـ افتتحه قَسْراً بعد محاصرة سبعة أشهر ونصف شهر ، وقصدت الفرنج جزيرة أقْرِيطش ، فاستنجد أهلها بالمعز ، فَسَيَّر إليهم جيشاً ، فانتصروا على الفرنج ، ولله الحمد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن محمد بن هارون[٣] : أبو محمد ، المُهلَّبي ، الوزير لمعز الدولة بن بُوَيْه .

مكث في وزارته ثلاث عشرة سنة ، وكان فيه حلم وكرم وأناة ، حكى أبو إسحاق الصَّابي قال : كنت يوماً عنده وقد جيء بدواة قد صُنعتْ له ومرفع قد حليا بحليةٍ كثيرة ، فقال لي أبو محمد الفضل بن

---

(١) في (ط) : زيادة : والناس معهم في حصر عظيم ، وضيق من الدين ، وأهل هذه المدن التي في يد المسلمين في خوفٍ شديد في ليلهم ونهارهم من الفرنج ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب ، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء .

(٢) هي قلعة بصقِلِّية ، « معجم البلدان » ٤/ ١٧ .

(٣) تجارب الأمم (١٢٣) يتيمة الدهر (٢/ ٢٠٢ ـ ٢١٨) الفهرست (١٩٤) المنتظم (٧/ ٩ ـ ١٠) معجم الأدباء (٩/ ١١٨ ـ ١٥٢) وفيات الأعيان (٢/ ١٢٤ ـ ١٢٧) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٠٤) العبر (٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٩٧ ـ ١٩٨) دول الإسلام (١/ ٢١٩) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (١٠٣ ـ ١٠٦) الوافي بالوفيات (١٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧) فوات الوفيات (١/ ٣٥٣ ـ ٣٥٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٣٣) شذرات الذهب (٣/ ٩ ـ ١١) .

عبد الرحمن الشِّيرازي سراً بيني وبينه : ما كان أحوجني إليها لأبيعها ، وأنتفع بها . قلت : وأي شيء يفعل الوزير ؟ فقال : يدخل في حِرِ أمه . فسمعها الوزير ـ وكان مصغٍ إلينا ولا نشعر ـ فلما أمسى بعث بالدواة إلى أبي محمد الشِّيرازي ومرفعها ، وعشرة ثياب وخمسة آلاف درهم . واصطنع له غيرها ، فاجتمعنا يوماً آخر عنده وهو يوقع من تلك الدواة الجديدة ، فنظر إلينا فقال : هي لمن منكما يريدها مع العفاء من الدخول ، قال : فاستحيينا وعلمنا أنه كان سمع كلامنا يومئذٍ ، وقلنا : بل يمتع الله الوزير بها ، ويبقيه ليهب ألفاً مثلها .

توفي أبو محمد المُهَلَّبي في هذه السنة[1] عن أربع وستين سنة .

دَعْلج بن أحمد بن دَعْلَج بن عبد الرحمن[2] : أبو محمد ، السِّجستاني ، المعدَّل .

سمع بخراسان وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة ، وكان من ذوي اليسار ، والمشهورين بالبر والأفضال ، وله صدقات جارية ، وأوقاف دارَّة على أهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان ، وكانت له دار عظيمة ببغداد ، فكان يقول : ليس في الدُّنيا مثلها ، لأنه ليس في الدنيا مثل بغداد ، ولا في بغداد مثل القطيعة ، ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف ، وليس في درب أبي خلف مثل داري .

وصنف الدَّارَقُطني له مسنداً . وكان إذا شك في حديثٍ تركه .

فكان الدَّارَقُطْنيُّ يقول : لم أر في مشايخنا أثبتَ منه .

وقد أنفق في أهل العلم وذوي الحاجات أموالاً جزيلة كثيرة جداً . اقترض منه بعضُ التُّجَّار عشرة آلاف دينار ، فضمن بها ضياعاً ، فربح في مُدَّة ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار ، فعزل منها عشرة آلاف دينار ، وجاءه بها ، فأضافه دَعْلَج ضيافة حسنة ، فلما فرغ من شأنها قال : ما شأنك ؟ قال له : هذه الدنانير التي تفضلت بها قد حضرت . فقال : يا سبحان الله ، إني لم أعطك لتردَّها ، فَحلِّ بها الأهل . فقال : إني قد ربحت بها ثلاثين ألف دينار ، فهذه منها . فقال له دَعْلَج : اذهب بها ، بارك الله لك ، فقال له : كيف يتسع مالك لهذا ؟ ومن أين أفدت هذا المال ؟ فقال : إني كنت في حداثة سني أطلب الحديث ، فجاءني رجل تاجر من أهل البحر ، فدفع إليَّ ألف ألف درهم ، وقال : اتجر في هذه ، فما كان من ربح فبيني وبينك ، وما كان من خسارة فعليَّ دونك ، وعليك عهد الله وميثاقه إن وجدت حاجة أو

(١) في بعض المصادر أنه توفي سنة (٣٥٢هـ) وفيات الأعيان (٢/ ١٢٧) .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٣٨٧ ـ ٣٩٢) المنتظم (٧/ ١٠ ـ ١٤) وفيات الأعيان (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) سير أعلام النبلاء (١٦ ـ ٣٠/ ٣٥) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٨١ ـ ٨٨٢) العبر (٢/ ٢٩١) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٧) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٣٣) طبقات الحفاظ (٣٦٠) شذرات الذهب (٣/ ٨) الرسالة المستطرفة (٧٣) .

خلة فسدَّها من مالي هذا . ثم جاءني فقال : إني سأركب في البحر ، فإن هلكتُ فالمال في يدك على ما شرطت عليك . فهو في يدي على ما قال . ثم قال لي : لا تخبر بهذا أحداً مدة حياتي . فلم أخبر به أحداً حتى مات . وقد كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن أربع أو خمس وتسعين سنة ، رحمه الله .

عبد الباقي بن قانع(١) **بن مرزوق** : أبو الحسن(٢) ، الأُمَوي مولاهم .

سمع الحارث بن أبي أسامة ، وعنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان من أهل الثقة والأمانة والحفظ ، ولكنه تغيَّر في آخر عمره . قال الدَّارَقُطْني(٣) : كان يخطئ ويُصرُّ على الخطأ ، توفي في شوالٍ منها(٤) .

أبو بكر النَّقَّاش المُفَسِّر(٥) **محمد بن الحسن** بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر ، أبو بكر ، النَّقَّاش ، المفسِّر ، المقرئ .

مولى أبي دُجانة سِمَاك بن خَرَشة ، وأصله من المَوْصل ، وكان عالماً بالتفسير والقراءات ، وسمع الكثير في بلدانٍ شتى عن خلق من المشايخ ، وحدث عنه أبو بكر بن مجاهد ، والخُلْدي ، وابن شاهين ، وابن رزقويه ، وخلق ، وآخر من حدَّث عنه أبو علي بن شاذان ، وتفرَّد بأشياء منكرة ، وقد وقفه الدَّارَقُطني على كثيرٍ من أخطَائه ، فرجع عن ذلك ، وصرَّح بعضهم بتكذيبه ، فالله أعلم .

وله كتاب التفسير الذي سماه « شفاء الصدور » فقال بعضهم : بل هو إشفى(٦) الصُّدور(٧) .

---

(١) سؤالات السهمي (٢٣٦) الفهرست للطوسي (١٢٢) تاريخ بغداد (١١/ ٨٨ ـ ٨٩) الإكمال (٧/ ٩١) المنتظم (٧/ ١٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٨٣ ـ ٨٨٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣) العبر (٢/ ٢٩٢) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٧) الجواهر المضية (١/ ٢٩٣) لسان الميزان (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٣٣) طبقات الحفاظ (٣٦١) شذرات الذهب (٣/ ٨) الرسالة المستطرفة (١٢٧) .

(٢) في مصادر ترجمته ما عدا المنتظم والمرآة : أبو الحسين .

(٣) سؤالات السهمي للدارقطني ، رقم (٣٣٤) .

(٤) في الإكمال (٧/ ٩١) : أن وفاته سنة (٣٥٤هـ) .

(٥) الفهرست (٣٦) تاريخ بغداد (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٥) الأنساب (٥٦٦ب) تاريخ ابن عساكر (خ) (١٥/ ١٢١ب ـ ١٢٤آ) المنتظم (٧/ ١٤ ـ ١٥) معجم الأدباء (١٨/ ١٤٦ ـ ١٤٩) اللباب (٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٣ ـ ٥٧٦) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٠٨ ـ ٩٠٩) العبر (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٢٠) المغني في الضعفاء (٢/ ٥٧٠) معرفة القراء (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٨) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٧) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٤٨٣) غاية النهاية (٢/ ١١٩ ـ ١٢١) لسان الميزان (٥/ ١٣٢) طبقات الحفاظ (٣٧٠ ـ ٣٧١) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٣١ ـ ١٣٣) شذرات الذهب (٣/ ٨ ـ ٩) الرسالة المستطرفة (٧٧ ـ ٧٨) .

(٦) الإشفى : المثقب يخرز به ، يستعمله الإسكاف . اللسان (شفي) . وفي نسخة « سقام الصدور » .

(٧) قال الذهبي : الذي وضح لي أن هذا الرجل مع جلالته ونقله متروك ليس بثقة (تاريخ الإسلام ٨/ ٣٧) .

وقد كان رجلاً صالحاً في نفسه ، عابداً ناسكاً ، حكى من حضره أنه يجود بنفسه وهو يدعو بدعاء ثم رفع صوته يقول : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات : ٦١] يردِّدها ثلاث مرات ، ثم خرجت روحه ، رحمه الله . وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء الثاني من شوال من هذه السنة ، ودفن في داره بدار القُطْن .

محمد بن سعيد(١) : أبو بكر الحَرْبي ، الزاهد ، ويعرف بابن الضَّرير .

وكان ثِقَةً عابداً ، ومن كلامه قوله : دافعتُ الشهواتِ حتى صارت شهوتي المُدَافعة .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وثلاثمئة(٢)

في عاشر المُحرَّم من هذه السنة أمر معز الدولة بن بويه أن تغلق الأسواق ، وأن يَلْبسَ الناسُ المسوحَ من الشعر ، وأن يخرج النساء حاسرات عن وجوههن ، ناشرات شعورهن في الأسواق ، يلطمن وجوههن ، ينحن على الحسين بن عليّ ، ففعل ذلك ، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة وكون السلطان معهم .

وفي ثامن عشر ذي الحجة منها أمر معز الدولة بإظهار الزينة ببغداد ، وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد ، وأن تضرب الدبادب والبُوقات ، وأن تشعل النيران بأبواب الأمراء وعند الشرط ، فرحاً بعيد الغدير ، فكان وقتاً عجباً ، ويوماً مشهوداً ، وبدعة ظاهرة منكرة .

وفيها أغارت الروم على الرُّها ، فقتلوا وأسروا ، ورجعوا موفورين لعنهم الله ، وثارت الروم بملكهم فقتلوه ، وولَّوْا غيره .

ومات الدُّمَسْتَق ، ملك الأرمن ، واسمه النقفور ، وهو الذي أخذ حلب ، [وولوا غيره](٣) ، ولتكتب ترجمته في آخر الجزء(٤) .

وفيها عُزِلَ ابنُ أبي الشوارب عن القضاء ، ونقضت سجلاته ، وأبطلت أحكامه مُدَّة أيامه ، وولي

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٣١٠) المنتظم (٧/ ١٥) .
(٢) في هامش (ح) : بلغ مقابلة بأصله المنقول منه .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) وردت ترجمة نقفور في المطبوع عقب هذه الجملة ، وجاءت في (ح) و(ب) في آخر حوادث سنة (٣٥٥هـ) ، وهو ما أراده ابن كثير ، وقد زاد هذا الأمر تأكيداً ما ذكره ص٢٦١ من أن القصيدة التي بعث بها نقفور إلى المطيع قد أوردها في آخر الجزء الذي قبل هذا في سنة خمس وخمسين وثلاثمئة ، لذا آثرنا إثباتها كما في نسخنا الخطية ، فلتنظر هناك .

القضاء بدله أبو بِشْر عمر بن أكثم بلا رزق ، ورفع عنه ما كان يحمله ابن أبي الشوارب في كل سنة ، ولله الحمد .

وفي ذي الحجة استسقى الناس لتأخر المطر ، وذلك في كانون الثاني .

وحكى ابن الجوزي في « المنتظم » عن ثابت بن سِنَان المؤرِّخ ، قال : حدَّثني جماعة من أهل المَوْصل ممن أثق به أن بعض بطارق الأرمن أنفذ في سنة ثنتين وخمسين وثلاثمئة إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين من الأرمن ملتصقَيْن ، سِنُّهما خمس وعشرون سنة ، ملتحيين ومعهما أبوهما ، ولهما سُرَّتان وبطنان ومعدتان ، وجوعهما يختلف ، وكان أحدهما يميل إلى النِّساء والآخر يميل إلى الغِلْمان ، وكان يقع بينهما خصومةٌ وتشاجر ، وربما حلف أحدهما لا يكلِّم الآخر ، فيمكث كذلك أياماً ، ثم يصطلحان ، فوهبهما ناصرُ الدولة ألفي درهم ، وخلع عليهما ودعاهما إلى الإسلام ، فيقال إنهما أسلما . وأراد أن يبعثهما إلى بغداد ليراهما الناس ، ثم إنه رجع عن ذلك ، ثم إنهما رجعا إلى بلدهما مع أبيهما ، فاعتلَّ أحدهما ومات ، وأنتنَ ريحه ، وبقي الآخر لا يمكنه التخلُّص منه ، وكان اتصال ما بينهما من الخاصرتين ، وقد كان ناصر الدولة أراد فصل أحدهما من الآخر ، وجمع الأطباء لذلك فلم يمكن ، فلما مات أحدهما حار أبوهما في ذلك ، فاتفق اعتلال الآخر من غمه بنتن رائحة أخيه ، فمات غماً ، فدفنا جميعاً في قبرٍ واحد[(١)] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عمر بن أكثم[(٢)] بن أحمد بن حَيَّان[(٣)] بن بِشْر : أبو بشر ، الأسَدي ، الفقيه الشافعي .

ولد سنة أربع وثمانين [ومئتين][(٤)] ، وولي القضاء في زمن المطيع نيابةً عن أبي السَّائب عتبة بن عبيد الله ، ثم ولي قضاء القضاة ، وهو أول من ولي قضاء القضاة من الشَّافعية سوى أبي السائب ، وكان محمود السيرة في القضاء ، وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة[(٥)] .

---

(١) انظر المنتظم (٧/ ١٦ ـ ١٧) .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) المنتظم (٧/ ١٧ ـ ١٨) تاريخ الإسلام (٨/ ١١٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١١) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٧٠) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٧٨ ـ ٧٩) .

(٣) في تاريخ بغداد (١١/ ٢٤٩) : حبان ، وهو تصحيف ، وترجمة جد أبيه حيان بن بشر في ذكر أخبار أصبهان (١/ ٣٠١) وتاريخ بغداد (٨/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) تابع ابنُ كثير ابنَ الجوزي في منتظمه (٧/ ١٧ ـ ١٨) في ذكر وفاته في هذه السنة ، والذي في مصادر ترجمته أنه توفي سنة (٣٥٧هـ) ، وهو الصحيح ، وانظر تاريخ بغداد (١١/ ٢٥٠) .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة

في عاشر المُحَرَّم عملت الرَّافضة عن الحسين كما تقدَّم في السنة الماضية ، فاقتتل الروافض وأهل السنة في هذا اليوم قتالاً شديداً ، ونُهبت الأموال .

وفيها عصى نجا غلام سيف الدولة عليه ، وذلك أنه كان في العام الماضي قد صادر أهل حَرَّان ، وأخذ منهم أموالاً كثيرة . فتمرَّد بها ، وذهب إلى بلاد أذربيجان[١] ، فأخذ طائفة منها من يد رجل من الأعراب يقال [له][٢] أبـو الورد ، فقتله ، وأخذ من أمواله شيئاً كثيراً ، وقويت شوكته بسبب ذلك ، فسار إليه سيف الدولة ، فأخذه وأمر بقتله ، فقتل بين يديه ، وألقيت جثته[٣] في الأقذار ومحل الجيف والنتن .

وفيها جاء الدُّمَسْتَق إلى المَصِّيْصة في جيش كثيف ، فحاصرها ، ونقب سورها ، فدافعه أهلها ، فأحرق رستاقها وقتل ممن حولها خمسة عشر ألف إنسان ، وعاثوا [في الأرض][٤] فساداً في بلاد أذنه وطَرَسُوس ، وكرُّوا راجعين إلى بلادهم ، قبحهم الله .

وفيها قصد معز الدولة المَوْصِل وجزيرة ابن عمر ، فأخذها من يد ناصر الدولة بن حمدان ، ثم سار في طلب ناصر الدولة ، فكرَّ ناصر الدولة في جيش قد هيأه ، فاسترجع الملك من يد معز الدولة ، فعاد معز الدولة ، فأخذ الموصل وأقام بها ، فراسله في الصُّلْح ، فاصطلحا على أن يكون الحمل في كل سنة ، وأن يكون أبو تغلب بن ناصر الدولة وليَّ عهد أبيه من بعده ، فأجاب معز الدولة إلى ذلك ، وكرَّ راجعاً إلى بغداد بعدما جرت له خُطُوب طويلة قد استقصاها ابن الأثير في « كامله »[٥] وبسطها .

وفيها ظهر رجلٌ ببلاد الدَّيْلم ، وهو أبو عبد الله[٦] محمد بن الحسين من أولاد الحسن بن علي ، ويعرف بابن الدَّاعي ، فالتفَّ عليه خلق كثير ، ودعا إلى نفسه وتسمَّى بالمَهْدي ، وكان أصله من بغداد ، وانتظم له شأن بتلك البلاد ، وهرب منه ابن النَّاصر العلوي .

وفيها قصد ملك الرُّوم وفي صحبته الدُّمَسْتَق ملك الأرمن بلاد طَرَسُوس فحاصرها مُدَّة ، ثم غلت

---

(١) في الكامل (٨/ ٥٥١) بلاد أرمينية ، وهو الصواب .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) في (ح) : جيفته ، والمثبت من (ب) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) انظر الكامل (٨/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤) .
(٦) في (ح) و(ب) أبو عبيد الله ، والمثبت من (ط) ، والكامل (٨/ ٥٥٥) .

عليهم الأسعار ، وأخذ فيهم الوباء ، فمات كثير منهم ، فكرُّوا راجعين كما قال الله تعالى : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] وكان من عزمهم أنهم يستحوذون على البلاد كلها ، فرجعوا خاسئين .

وفيها كانت وقعة المجاز ببلاد صِقِلّيّة ؛ وذلك أنه أقبل من الروم خلق كثير ، ومن الفرنج ما يقارب المئة ألف ، فبعث أهل صقلية إلى المعز الفاطمي يستنجدونه ، فبعث إليهم بجيوشٍ كثيرة في الأسطول ، فكانت بين المسلمين والمشركين وقعة عظيمة صبر فيها الفريقان من أول النهار إلى العصر ، ثم قُتل أمير الرُّوم منويل ، وفرَّت الروم ، وانهزموا هزيمة قبيحة ، فقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً ، وسقط الفرنج في وادٍ عميق ، فهلك أكثرهم ، وركب الباقون في المراكب ، فبعث الأمير أحمد صاحب صِقليَّة في آثارهم مراكب أخر ، فقتلوا أكثر المشركين في البحر أيضاً ، وغنم المسلمون في هذه الغزوة شيئاً كثيراً من الأموال والحيوانات والأمتعة والأسلحة ، فكان في جملة ذلك سيف مكتوب عليه : هذا سيف هندي ، زنته مئة وسبعون مثقالاً ، طالما قوتل به بين يدي رسول الله ﷺ ، فبُعث في جملة تحف عظيمة إلى المعز الفاطمي إلى إفريقية .

وفيها قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد ابن الإخشيذ صاحب مصر والشّام ، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحاً ، فقلع لهم أبواب الرَّقَّة ـ وكانت من حديد ـ [صامت][1] [وأخذ لهم من حديد الناس][2] حتى أخذ أواقي الباعة ، وأرسل بذلك كله إليهم ، حتى قالوا : اكتفينا .

وفيها طلب معز الدولة من الخليفة المطيع لله أن يأذن له في دخول دار الخلافة ليتفرج فيها ، فبعث خادمه وحاجبه معه ، فطافوا معه فيها وهو يسرع ، وخرج وقد خاف من غائلة ذلك ، وخشي أن يقتل في بعض الدهاليز ، فتصدَّق بعشرة آلاف شكراً لله عزَّ وجلَّ على السلامة ، وازداد حباً للخليفة المطيع لله من يومئذٍ ، وكان في جملة ما رأى من العجائب بها صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جداً ، وحولها أصنام صغار ، وكان قد أُتي به في زمن المقتدر ، فأقيم هناك ليتفرج عليه الجواري والنِّساء ، فهمَّ المعز أن يطلبه من الخليفة ، ثم ارتأى ، فترك ذلك[3] .

وفي ذي الحجَّة من سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة خرج رجل بالكوفة ، فادَّعى أنه علوي ، وكان يتبرقع ، فسمي المبرقع ، وغلظت قضيته وبَعُدَ صيته ، وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد ، واشتغاله

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) انظر الخبر بتفصيل في المنتظم (٧/ ٢٠ ـ ٢١) .

بأمر المَوْصِل وناصر الدولة بن حمدان ، فلما توطأت الأمور وعاد إلى بغداد ، اختفى المبرقع ، وذهب في البلاد فلم يفتح له أمر بعد ذلك .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بكّار بن أحمد[١] **بن بكّار بن بُنان بن بَكّار بن زياد بن درستويه : أبو عيسى**[٢] ، المقرىء .

روى الحديث عن عبد الله بن أحمد ، وعنه أبو الحسن الحمّامي ، وكان ثقة ، أقرأ القرآن أكثر من ستين سنة رحمه الله ، وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين[٣] ، ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر أبي حنيفة ، رحمه الله .

أبو إسحاق الهُجَيمي[٤] : ولد في سنة خمسين ومئتين ، وسمع الحديث ، فكان إذا سئل أن يحدِّث يقسم لا يحدث حتى يجاوز المئة . فأبَرَّ الله قسمه ، وجاوزها ، فأسمع . وكانت وفاته في هذه السنة عن مئة وثلاث سنين ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمئة

في عاشر المُحَرَّم عملت الشيعة المأتم على ما تقدم في السنتين الأولتين ؛ غلقت الأسواق وعلِّقت المسوح ، وخرجت النساء سافرات ناشرات ، ينحن ويلطمن وجوههن في الأزقة والأسواق ، وهذا تكلُّفٌ لا حاجة إليه في الدين ولا في الدنيا ، ولو كان هذا أثراً محموداً لكان صَدْرُ هذه الأمة وخيرتها أولى به ، إذ لو كان خيراً لسبقونا إليه ، وأهل السنة يقتدون ولا يبتدون .

وتسلطت السُّنَّة على الروافض ، فكبسوا مسجد براثا الذي هو عش الرَّوافض ، وقتلوا بعض من كان فيه من القومة .

وفيها في رجب منها جاء ملك الرُّوم بجيوشٍ كثيفة إلى المَصِّيصة ، ففتحها قَسْراً ، وقَتَلَ من أهلها خَلْقاً ، واستاق بقيتهم معه أسارى ، وكانوا قريباً من مئتي ألف إنسان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وجاء إلى طَرَسُوس ، فسأل أهلها منه الأمان فأمنهم ، وأمرهم بالجلاء عنها والانتقال منها ، فاتخذ الجامع اصطبلاً لخيوله ، وحرّق المنبر ونقل قناديله إلى كنائس بلده ، وتنصّر بعض أهلها معه لعنه الله ، وكان أهل

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ١٣٤ ـ ١٣٥) معرفة القراء (١/ ٣٠٦) غاية النهاية (١/ ١٧٧) .
(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : ابن عيسى ، والمثبت من تاريخ بغداد (٧/ ١٣٤) وهو ما عليه المصادر كلها .
(٣) ولد سنة (٢٧٥هـ) ، انظر تاريخ بغداد (٧/ ١٣٤) .
(٤) المنتظم (٧/ ٢٣) .

طرسوس والمَصِّيصة قد أصابهم قبل هذا البلاءِ غلاءٌ عظيم ، ووباء شديد ، بحيث كان يموت في اليوم منهم ثلاثمئة نفس ، ثم دهمهم هذا الأمر الشديد ، فانتقلوا من شهادة إلى شهادة أعظم منها . وعزم ملك الروم على المقام بطرسوس ليكون أقرب إلى بلاد المسلمين ، ثم عنّ له ، فسار إلى القُسْطنطينية وفي خدمته الدُّمَسْتَق ملك الأرمن ، لعنهما الله .

وجعل أمر تسفير الحجيج إلى نقيب الطالبيين ، وكتب له منشور بالنقابة والحجيج وهو أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي[١] ، وهو والد الرضي والمرتضى .

وفيها توفيت أخت معز الدولة ، فركب الخليفة في طيَّارة[٢] ، وجاءإليه فعزَّاه ، فقبَّل معز الدولة الأرض بين يديه ، وشكر له سعيه إليه ، وصدقاته عليه .

وفي ثامن عشر ذي الحجة منها عملت الروافض عيد غدير خم على العادة الجارية التي ذكرناها[٣] .

وفيها تغلب على أنطاكية رجلٌ يقال له رشيق النسيمي بمساعدةِ رجلٍ يقال له ابن الأهوازي : كان يضمن الطَّواحين ، فأعطاه أموالاً وأطمعه في أخذ أنطاكية ، وأخبره أن سيف الدولة قد اشتغل بمَيَّافارِقين ، وعجز عن الرجوع إلى حلب ، فتمَّ لهما ما راماه من أخذ أنطاكية ، ثم ركبا في جيوش منها إلى حلب ، فجرت بينهما وبين نائب سيف الدولة حروبٌ عظيمة ، ثم أخذ البلد ، وتحصَّن النائب بالقلعة ، فجاءت النجدة من سيف الدولة إلى حلب مع غلامٍ له اسمه بشارة ، فانهزم رشيق ، فسقط عن فرسه ، فابتدره بعضُ الأعـراب ، فقتله وأخذ رأسه ، فجـاء به إلى حلب ، واستقلَّ ابنُ الأهوازي سائراً إلى أنطاكية ، فأقام رجلاً من الرُّوم[٤] اسمه وزير فسماه الأمير ، وأقام آخر من العلويين ليجعله خليفه وسماه الأستاذ . فقصده نائب حلب وهو قرغويه ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، فهزمه ابنُ الأهوازي واستقر بأنطاكية ، فلما عاد سيف الدولة إلى حلب لم يبت بها إلا ليلة واحدة حتى سار إلى أنطاكية [فالتقاه ابن الأهوازي][٥] فاقتتلوا قتالاً عظيماً ثم انهزم الوزير وابنُ الأهوازي وأُسرا ، فقتلهما سيف الدولة بن حمدان[٦] .

وفيها ثار رجل من القرامطة اسمه مروان ـ كان يحفظ الطُّرقات لسيف الدولة ـ بحمص ، فملكها وما حولها ، فقصده جيش من حلب مع الأمير بدر ، فاقتتلوا معه ، فرماه بدر بسهم مسموم فأصابه ،

---

(١) في (ح) : الدينوري ، وهو وهم والمثبت من (ب) .
(٢) ضرب من السفن .
(٣) انظر حوادث سنة (٣٥٢هـ) .
(٤) في « الكامل » : (٨/ ٥٦٢) من الديلم .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) انظر الكامل (٨/ ٥٦١ ـ ٥٦٢) .

واتفق أن أسر أصحابُ مروان بدراً ، فقتله مروان بين يديه صبراً ، ومات مروان بعد أيام ، وتفرقت أصحابه ، قبحهم الله .

وفيها عصى أهل سِجِسْتان أميرَهم خلف بن أحمد ، وذلك أنه حجَّ في سنة ثلاث وخمسين ، واستخلف عليهم طاهر بن الحسين ، فطمع في الملك بعده ، واستمال أهل البلد ، فلما رجع من الحجِّ لم يسلمه البلد وعصى عليه ، فذهب إلى بخارى إلى الأمير منصور بن نوح السَّاماني فاستنجده ، فبعث معه جيشاً فاستنقذ البلد من طاهر ، وسلَّمها إلى الأمير خلف بن أحمد ـ وقد كان خلف عالماً محباً للعلماء ـ فذهب طاهر ، فجمع جموعاً ، ثم جاء فحاصر خلفاً وأخذ منه البلد ، فرجع خلف إلى الأمير منصور السَّاماني ، فبعث معه من استرجع له البلد ثانية وسلَّمها إليه ، فلما استقرَّ خلف بها ، وتمكَّن فيها ؛ منع ما كان يحمله من التحف والهدايا والحمل إلى الأمير منصور ببخارى ، فبعث إليه جيشاً ، فتحصَّن خَلَف في حصنٍ يقال له حصن أرك ، فنازله الجيش فيه تسع سنين[١] لم يقدروا عليه ، وذلك لمناعة هذا الحصن وصعوبته وعمق خندقه وارتفاعه هو في نفسه ، وسيأتي ما آل إليه أمره من بعد ذلك .

وفيها قصدت طائفة من الترك بلاد الخَزَر ، فاستنجد الخَزَر بأهل خوارزم فقالوا : لو أسلمتم لنصرناكم . فأسلموا إلا ملكهم ، فقاتلوا معهم الترك ، فأجلوهم عنهم ، ثم أسلم الملك بعد ذلك ، ولله الحمد والمنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

المُتَنبِّي الشَّاعر المشهور[٢] ، **أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصَّمد : أبو الطيب ، الجُعْفي ، الشَّاعر المعروف بالمتنبي .**

وكان أبوه يعرف بعِيْدان السَّقَّاء ـ كان يستقي الماء لأهل الكوفة على بعيرٍ له ، وهو شيخٌ كبير . وعِيْدان [هذا][٣] قال ابن ماكُولا والخطيب : هو بكسر العين وبعدها ياء مثناة من تحت ، وقيل بفتح العين لا كسرها[٤] ، فالله أعلم .

كان مولد المتنبي بالكوفة سنة ستٍّ وثلاثمئة[٥] ، ونشأ بالشَّام بالبادية ، وطلب الأدب ، ففاق أهل

---

(١) في الكامل (٨/ ٥٦٤) : سبع سنين .
(٢) مصادر ترجمته أكثر من أن تحصى ، ومن أمتع الدراسات عنه ما خطَّه يراع شيخ العربية محمود محمد شاكر في كتابه « المتنبي » .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) انظر الإكمال (٦/ ٩٩) وترجمة المتنبي لابن العديم المنشورة ضمن كتاب « المتنبي » للعلامة محمود محمد شاكر (٦٠٩) وفي بعض المصادر : عبدان ، وهو تصحيف .
(٥) المشهور أنه ولد سنة (٣٠٣هـ) .

زمانه فيه ، ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان ، وامتدحه وحظي عنده ، ثم صار إلى مصر ، فامتدح كافور الإخشيذي ثم هجاه وهرب منه ، وورد بغداد ، فامتدح بعض أهلها ، وسمع عليه ديوانه ، وقدم الكوفة ، وامتدح بعض الأكابر وهو ابن العميد ، فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار ، ثم سار إلى فارس فامتدح عضد الدولة بن بُوَيه ، فأطلق له أموالاً جزيلة تقارب مئتي ألف دِرْهم ، وقيل : بل حصل له نحو من ثلاثين ألف دينار ، ثم دَسَّ إليه من يسأله : أيما أحسن ، عطايا عضد الدولة بن بويه أو سيف الدولة بن حمدان ؟ فقال : هذه أجزل ولكن فيها تكلُّف ، وتلك أقل ولكن عن طيب نفس من معطيها ؛ لأنها عن طبيعة وهذه [عن][1] تكلف ، فذكر ذلك لعضد الدولة فتغيظ عليه ، ودسَّ إليه طائفة من الأعراب ، فوقفوا له في أثناء الطريق وهو راجع إلى بغداد ، ويقال : إنه كان قد هجا مقدَّمهم ضَبَّة الأسدي ـ وقد كانوا يقطعون الطريق ـ فلهذا أوعز إليهم عضد الدولة أن يتعرَّضوا له ، فيقتلوه ويأخذوا لهم ما معه من الأموال ، فانتهوا إليه وهم ستون راكباً في يوم الأربعاء وقد بقي من رمضان ثلاثة أيام ، وقيل : بل قتل في يوم الإثنين لخمسٍ بقين من رمضان ، ويقال : بل كان ذلك في شعبان ، وقد نزل عند عينٍ تحت شجرة إنجاص ، وقد وضعت سفرته ليتغدَّى ، ومعه ولده مُحَسَّد[2] وخمسة عشر غلاماً له ، فلما رآهم قال : هلموا يا وجوه العرب . فلما لم يكلِّموه أحسَّ بالشر ، فنهض إلى سلاحه وخيله ، فتواقفوا ساعة ، فقتل ابنه مُحسَّد وبعض غلمانه ، وأراد هو أن ينهزم ، فقال له مولى له : أين تذهب وأنت القائل :

فـاللَّيْـلُ والخَيْـلُ والبَيْـداءُ تَعْـرِفُنـي ... والحَرْبُ والضَّرْبُ والقِرْطاسُ والقَلَمُ[3]

فقال : ويحك قتلتني . ثم كرَّ راجعاً ، فطعن[4] زعيمَ القوم برمح في عنقه فقتله ، فاجتمعوا عليه فسجروه بالرِّماح حتى قتلوه ، وأخذوا جميع ما كان معه من الأموال ، وذلك بالقرب من النُّعْمانية ، وهو آيب إلى بغداد ، ودفن هناك وله من العمر ثمانٍ وأربعون سنة .

وذكر ابنُ عساكر أنه لما نزل في المنزلة التي كانت قبل منزلته هذه ، سأله بعضُ الأعراب أن يعطيهم خمسين دِرْهماً ويخفرونه ، فمنعه الشحُّ والكِبْر ودعوى الشجاعة من ذلك . وقد كان المتنبي جُعْفيَّ النسب صليبة منهم ، وقد ادَّعى حين كان مع بني كلب بأرض السَّماوة ؛ قريباً من حمص أنه علوي حسني ، ثم ادَّعى أنه نبيٌّ ، فاتبعه جماعةٌ من جهلتهم وسفلتهم ، وزعم أنه أنزل عليه قرآن فمن ذلك : والنَّجم

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) في (ح) و(ب) و(ط) محسن أينما ورد ، وهو تحريف ، والمثبت من وفيات الأعيان (١/ ١٢٥) .
(٣) كذا ورد البيت في (ح) و(ب) ، وفي « ديوانه » بشرح العكبري (٣/ ٣٦٩) .
فـالخيـل والليـل والبيـداء تعـرفنـي ... والضرب والطعن والقرطاس والقلمُ
(٤) في (ب) : فطعنه .

السَّيَّار ، والفلك الدَّوَّار ، والليل والنهار ، إنَّ الكافر لفي أخطار ، امض على سَنَنك[١] ، واقْفُ أثَرَ من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامعٌ بك من ألحد في دينه ، وضلَّ عن سبيله .

وهذا من خِذْلانه وكثرة هَذَيانه في قرآنه ، ولو لزم قافية مدحه والهجاء لكان من أشعر الشعراء ، وأفصح الفصحاء ، ولكن أراد بجهله وقلة عقله أن يتقول ما يشبه كلامَ رَبِّ الأرض والسماء الذي لا يشبهه شيء من الأشياء لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله وأقواله ، تعالى الله خالق الأشياء .

ولما اشتُهر خبره بأرض السَّماوة ، وأنه قد التفَّ عليه جماعةٌ من أهل الغباوة ، خرج إليه نائب حمص من جهة بني الإخشيذ وهو الأمير لؤلؤ ـ بَيَّض الله وجهه ـ فقاتله وشرَّد شمله ، [وأسره][٢] وسجنه دهراً طويلاً ، فَمَرِضَ في السِّجْن ، وأشرف على التَّلف ، فاستحضره واستتابه ، وكتب عليه كتاباً اعترف فيه ببطلان ما ادَّعاه ، وأنه قد تاب من ذلك ورجع إلى دين الإسلام ، وأطلق سراحه ، فكان بعد ذلك إذا ذكر بهذا يجحده إن أمكنه جحده ، وإلا اعتذر منه واستحيا من ذلك ، وقد شهره بلفظة[٣] تدلُّ على كذبه فيما كان ادَّعاه من الإفك والبهتان ، وهي لفظة المتنبي ، الدَّالة على الكذب ، ولله الحمد .

وقد قال بعضهم يهجوه :

أيُّ فَضْلٍ لشاعرٍ يطلبُ الفَضْـ ـلَ من النَّاسِ بُكْرةً وعَشِيَّا
عاشَ حيناً يبيعُ في الكوفةِ الما ءَ وحيناً يبيعُ ماءَ المُحَيَّا

وللمتنبي ديوان مشهور في الشعر ، فيه أشعار رائقة ومعانٍ ليست بمسبوقة ، بل مبتكرة سابقة ، وهو في الشعراء المحدثين كامرىء القيس في الشعراء المتقدمين ، وهو عندي بخط يده فيما ذكر من له خبرة بهذه الأشياء مع تقدُّم أمره .

وقد ذكر أبو الفرج بن الجَوْزي في « منتظمه » قطعاً رائقة استحسنها من ديوانه ، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر شيخ إقليمه وحافظ زمانه ، فما استملحه أستاذ الوعاظ الشيخ أبو الفرج بن الجوزي قول المتنبي :

عزيزُ أسىً منْ داؤُه الحَدَقُ النُّجْلُ عياءٌ بهِ ماتَ المُحبُّونَ منْ قَبْلُ
فَمَنْ شاء فَلْيَنْظُرْ إليَّ فَمَنْظري نذيرٌ إلى من ظنَّ أنَّ الهوى سَهْلُ
جَرَى حبُّها مَجْرَى دمي في مفاصِلي فأصبحَ لي عن كُلِّ شُغْلٍ بها شُغْلُ
ومنْ جسدي لم يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرَةً فما فَوْقَها إلا وفيه لهُ فِعْلُ

---

(١) في (ب) : سبيلك . وامض على سننك : أي وجهك وقصدك . اللسان (سنن) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) في (ح) و(ب) بصفة ، والمثبت من (ط) .

كـأنَّ رَقيبـاً منـكِ سَـدَّ مسـامعـي عن العَذْلِ حتى ليس يَدْخُلُها العَذْلُ
كـأنَّ سُهـادَ الليـل يَعْشَـقُ مُقْلتـي فبينهمـا فـي كـلِّ هَجْرٍ لنـا وَصْلُ[1]

ومن ذلك قوله :

كَشفَتْ ثلاثَ ذوائبٍ من شَعْرِها فـي ليلـةٍ فَـأَرَتْ ليـالـيَ أربعـا
واسْتَقْبَلَـتْ قَمَـرَ السَّمـاءِ بـوجهها فـأَرَتْني القَمَـرَيْـنِ فـي وَقْـتٍ معـا[2]

ومن ذلك قوله :

مـا نـالَ أهْـلُ الجـاهليَّـة كُلُّهُـمْ شِعْـرِي ولا سَمِعَـتْ بِسِحْـري بـابـلُ
وإذا أتَتْـكَ مَـذَمَّتـي مـن نـاقِـصٍ فَهِـيَ الشَّهـادةُ لـي بـأنّـي كـامـلُ[3]
مـنْ لـي بفَهْـمِ أُهَيْـلِ عَصْـرٍ يَـدَّعـي أن يَحْسُـبَ الهِنْـديَّ منهـم بـاقِـلُ[4]

وله :

ومنْ نَكَدِ الدُّنيا على الحُرِّ أن يرى عَـدُوّاً لَـهُ مـا مـنْ صَـداقتـهِ بُـدُّ[5]

وقوله :

وإذا كـانَـتِ النُّفُـوسُ كِبـاراً تَعِبَـتْ فـي مُـرَادهـا الأجْسَـامُ[6]

وقوله :

ومنْ صَحِبَ الدُّنْيا طويلاً تَقَلَّبَتْ على عَيْنِهِ حتى يَرَى صِدْقَها كِذْبا[7]

وله :

خُـذْ مـا تـراهُ وَدَعْ شيئـاً سَمِعْـتَ بـهِ في طَلْعَةِ الشَّمْسِ ما يُغنيكَ عن زُحَلِ[8]

وله في مدح بعض الملوك الذين كان يستمنح منهم العطاء :

---

(١) انظر القصيدة بتمامها في ديوانه بشرح العكبري (٣/ ١٨٠ ـ ١٩١) والأبيات ليست في مطبوع المنتظم .
(٢) البيتان في « ديوانه » بشرح العكبري (٢/ ٢٦٠) .
(٣) في (ح) و(ب) : فاضل ، والمثبت من (ط) ، و« الديوان » .
(٤) ديوانه (٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) .
(٥) الديوان (١/ ٣٧٥) .
(٦) الديوان (٣/ ٣٤٥) .
(٧) الديوان (١/ ٥٧) .
(٨) الديوان (٣/ ٨١) .

تَمْضي المواكبُ[١] والأبصارُ شَاخِصَةٌ منهـا إلـى الملـكِ المَيْمُـونِ طَـائِـرُهُ
قـد حِـزْنَ فـي بَشَـرٍ فـي تـاجـه قمرٌ فـي دِرْعِـهِ أَسَـدٌ تَـدْمَـى أظَـافِـرُهُ
حُلْـوٌ خـلائِقُـهُ شُـوْسٌ حَقَـائِقُـهُ تُحْصَى الحَصَى قَبْلَ أنْ تُحْصَى مآثِرُهُ[٢]

ومنها قوله :

يـا مَـنْ أَلُـوذُ بـه فيمـا أُؤَمِّلُـهُ ومَـنْ أعـوذُ بـهِ ممَّـا أُحـاذِرُهُ
لا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْماً أنتَ كاسِرُهُ ولا يَهِيْضُونَ عَظْماً أنـتَ جـابِرُهُ[٣]

وقد بلغني عن شيخنا العلامة أبي العباس ابن تيمية رحمه الله أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة ويقول : إنما يصلح هذا لجناب الله عزَّ وجلَّ .

وأخبرني العلامة شمس الدين بن القَيِّم أنه سمع الشيخ يقول : ربما قلت هذين البيتين في السجود .

ومما أورده الحافظ أبو القاسم ابن عساكر من شعر المتنبي في ترجمته قوله :

أبعيـنِ مُفْتَقِـرٍ إليـكَ رأيتنـي فهجـرتـني وقَـذَفْتني مـن حَـالـقِ
لسـتَ الملـومَ أنـا الملـومُ لأنَّني أنْـزَلْـتُ حـاجـاتي بغيرِ الخَالِقِ[٤]

قال القاضي ابن خَلِّكان : وهذان البيتان ليسا في ديوانه ، وقد رواهما الحافظ الكِنْدي إليه بسندٍ صحيح .

ومن ذلك قوله :

إذا غـامَـرْتَ فـي شَـرَفٍ مَـرُوم فـلا تَقْنَـعْ بمـا دونَ النُّجـوم
فَطَعْـمُ المَـوْتِ فـي أمـرٍ حقيـرٍ[٥] كَطَعْـمِ المـوتِ فـي أمـرٍ عَظِيْـمِ[٦]

قوله :

وما أنا بالبَاغي على الحُبِّ رِشْوةً قبيحٌ[٧] هَوًى يُرجى[٨] عليه ثَوَابُ

---

(١) في (ح) و(ب) و(ط) : الكواكب ، والمثبت من « الديوان » .
(٢) الديوان (٢/ ١١٩ ـ ١٢٠) .
(٣) الديوان (٢/ ١٢٢) .
(٤) انظر البيتين في وفيات الأعيان (١/ ١٢١) مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٥) في الديوان : صغير .
(٦) الديوان (٤/ ١١٩) .
(٧) في الديوان : ضعيف .
(٨) في الديوان : يبغى .

إذا نِلْتُ منْكَ الوُدَّ فالمالُ هَيِّنٌ وكُلُّ الذي فوقَ التُّراب تُرَابُ[١]

وقد تقدَّم أنه ولد بالكوفة سنة ست وثلاثمئة ، وأنه قتل في رمضان سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمئة .

قال ابن خَلِّكان : وقد فارق سيفَ الدولة بن حمدان سنة ستٍّ وأربعين لما كان من ابن خالويه [إليه][٢] ما كان من ضربه إياه بمفتاح في وجهه فأدماه ، فصار إلى مصر ، فامتدح كافوراً الإخشيذي ، وأقام عنده أربع سنين ، وكان المتنبي يركب في جماعةٍ من مماليكه فتوهَّم منه كافور ، فجفاه ، فخاف منه المتنبي فهرب منه ، فأرسل في أثره فأعجزه ، فقيل لكافور : ما قيمة هذا حتى تتوهَّم منه ؟ فقال : هذا رجل أراد أن يكون نبياً بعد محمد ﷺ ، أفلا يروم أن يكون ملكاً بديار مصر ؟ ثم سار المتنبي إلى عضد الدولة ، فامتدحه ، فأعطاه كثيراً ، ثم عاد من عنده ، فعرض له فاتك بن أبي الجهل الأسدي ، فقتله وابنه مُحسَّد وغلامه مفلح يوم الأربعاء لستٍّ بقين وقيل : لليلتين بقيتا من رمضان ، وقيل : يوم الإثنين لثمان ، وقيل : لخمس بقين منه ، وذلك بسواد بغداد ، وقد رثاه الشعراء ، وقد شرح ديوانهُ العلماء بالشعر نحواً من ستين شرحاً بين وجيزٍ وبسيط[٣] .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان أيضاً :

أبو حاتم البُسْتي[٤] **ابن حِبَّان** : صاحب « الصحيح » .

محمد بن حبَّان بن أحمد بن حِبَّان بن مُعاذ بن مَعْبَد ، أبو حاتم ، البُسْتي صاحب « الأنواع والتَّقاسيم » ، وأحد الحفاظ الكبار المصنِّفين المجتهدين .

رحل إلى البُلْدان ، وسمع الكثير من المشايخ ، ثم ولي قضاء بلده ، ومات بها في هذه السنة . وقد حاول بعضهم الكلام [عليه][٥] من جهة معتقده ونسبه إلى القول بأنَّ النبوة مكتسبة ، وهي نزعة فلسفية ، والله أعلم بصحتها عنه ، وقد ذكرته في « طبقات الشافعية » .

---

(١) الديوان (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .

(٣) انظر وفيات الأعيان (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣) .

(٤) الأنساب (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) معجم البلدان (١/ ٤١٥ ـ ٤١٩) اللباب (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣) إنباه الرواة (٣/ ١٢٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢ ـ ١٠٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٢٠ ـ ٩٢٤) العبر (٢/ ٣٠٠) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠٦ ـ ٥٠٨) الوافي بالوفيات (٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨) مرآة الجنان (٢/ ٣٥٧) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٣١ ـ ١٣٥) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٤١٨ ـ ٤١٩) لسان الميزان (٥/ ١١٢ ـ ١١٥) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣) طبقات الحفاظ (٣٧٤ ـ ٣٧٥) شذرات الذهب (٣/ ١٦) الرسالة المستطرفة (٣٠ ـ ٣١) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .

محمد بن الحسن(١) **بن يعقوب**(٢) **بن الحسن بن الحسين بن مِقْسم** : أبو بكر بن مِقْسم العطَّار المقرئ .

ولد سنة خمس وستين ومئتين ، وسمع الكثير ، وروى عنه الدَّارقُطْني وغيره ، وكان من أعرف النَّاس بالقراءات ، وله كتاب في النحو على طريقة الكوفيين ، سماه « كتاب الأنوار » .

قال ابن الجوزي : ما رأيتُ مثله ، وله تصانيف أُخَر ، ولكن تكلَّم الناسُ فيه بسبب تفرُّده بقراءاتٍ لا تجوز عند الجميع ، وكان يذهب إلى أن كل ما لا يخالف الرَّسْم ويسوغ من حيث المعنى واللفظ يصح القراءة بها كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ [يوسف : ٨] أي يتناجون . قال : لو قرىء « نُجَباء » من النَّجابة لكان قوياً . وقد ادُّعِيَ عليه ، وكُتِبَ عليه مكتوب أنه قد رجع عن مثل ذلك ، ومع هذا لم ينته عما كان يذهب إليه حتى مات ، قاله ابن الجَوْزي(٣) .

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عَبْدَويه(٤) **بن موسى** : أبو بكر ، الشَّافعي .

ولد بِجَبُّل(٥) سنة ستين ومئتين ، وسمع الكثير ، وسكن بغداد ، وكان ثِقَةً ثَبْتاً كثير الرواية ، سمع منه الدَّارَقُطْني وغيره من الحُفَّاظ ، وكان يحدِّث بفضائل الصحابة ـ حين منعت الدَّيْلم من ذلك ـ جهرةً في الجامع بمدينة المنصور مخالفةً لهم ، وكذلك في مسجده بباب الشَّام ، وتوفي في هذه السنة عن أربعٍ وتسعين سنة ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمئة

في عاشر المحرَّم عملت الروافض ببغداد بدعتهم الشَّنْعاء ، وفتنتهم الصَّلْعاء .

وفيه أخذت القرامطة الهجريون عُمان .

وفيها قصدت الرُّوم آمِد ، فحاصروها فلم يقدروا عليها ، ولكن قتلوا من أهلها ثلاثمئة ، وأسروا منهم أربعمئة ، ثم ساروا إلى نَصيبين وفيها سيف الدولة ، فهمَّ بالهرب مع العرب ، ثم تأخر مجيء الرُّوم ، فثبت مكانه وقد كادوا يزيلون أركانه .

---

(١) في (ح) الحسين ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) .
(٢) المنتظم (٧/ ٣١) .
(٣) المنتظم (٧/ ٣١) وانظر معجم البلدان (١٨/ ١٥٠) .
(٤) تاريخ بغداد (٥/ ٤٥٦ ـ ٤٥٨) الأنساب (٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) المنتظم (٧/ ٣٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٩ ـ ٤٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٨٠ ـ ٨٨١) العبر (٢/ ٣٠١) الوافي بالوفيات (٣/ ٣٤٧) مرآة الجنان (٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٤٣) طبقات الحفاظ (٣٦٠) شذرات الذهب (٣/ ١٦) .
(٥) بليدة قرب واسط على الجانب الشرقي من دجلة ، انظر معجم البلدان (٢/ ١٠٣) .

وفيها وردت طائفة من جيشِ خُرَاسان ـ في بضعة عشر ألفاً ـ يُظْهرون أنهم يريدون غزو الروم ، فأكرمهم ركنُ الدَّولة بن بُوَيه وأمنوا إليهم ، فنهضوا إليهم ليأخذوا الدَّيْلَم على غِرَّة ، فقاتلهم ركن الدولة فظفر بهم ، لأن البغي مصرعة ، وهرب أكثرهم .

وفيها خرج معز الدولة من بغداد إلى واسط لقتال عمران بن شاهين حتى تفاقم الحال بأمره ، واشتُهر في تلك النواحي صيت ذكره ، فقوي المرض بمعز الدولة ، فاستناب على الحرب ، ورجع إلى بغداد ، فكانت وفاته في السنة الآتية كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها قوي أمر أبي عبد الله الدَّاعي ببلاد الدَّيْلم وأظهر النُّسُك والعبادة ، ولبس الصوف ، وكتب إلى الآفاق حتى إلى بغداد يدعو إلى الجهاد .

وفيها تمَّ الفداء بين سيف الدولة وبين الروم ، فاستنقذ منهم أسارى كثيرة ، منهم ابن عمه أبو فراس بن سعيد بن حمدان ، وأبو الهيثم بن حصن القاضي ، وذلك في رجب منها .

وفي جُمادى الآخرة نودي برفع المواريث الحَشْرية(١) وأن تردَّ إلى ذوي الأرحام .

وفيها ابتدأ معز الدولة بن بُوَيه في بناء مارَسْتَان ، وأرصد له أوقافاً جزيلة .

وفيها قطعت بنو سُلَيم السَّابلة(٢) على الحجيج من أهل الشَّام ومصر والمغرب ، وأخذوا منهم عشرين ألف بعير بأحمالها ، وكان عليها من الأموال والأمتعة ما لا يقوَّم كثرةً ، وكان لرجلٍ يقال له ابن الخواتيمي قاضي طَرَسُوس مئة ألف دينار وعشرون ألف دينار عيناً ، وذلك أنه أراد التحول من بلاد الشَّام إلى العراق بعد الحج ، وكذلك وقع لكثير من النَّاس ، وحين أخذت الجمال تركوهم على برد الدِّيار لا شيء لهم ، فَقَلَّ منهم من سَلِمَ وما أكثر من عطب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وحجَّ بالناس في هذه السنة الشريف أبو أحمد نقيب الطالبيِّين من ناحية العراق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسين(٣) بن داود(٤) بن علي [بن عيسى](٥) بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو عبد الله ، العلوي الحسني .

---

(١) الحشري هو الميت الذي خلف مالاً ، وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء أو له وارث ذو فرض ، ولكنه لا يستغرق جميع ماله الذي خلفه ولا عاصب فهذا كان ماله يعود لبيت المال على ما هو مقرر في المذهب الشافعي ، أما الحنابلة فكانوا يورثون ذوي الأرحام . انظر « صبح الأعشى » : ٣/ ٤٦٠ .

(٢) السابلة : الطريق المسلوكة . معجم متن اللغة (٣/ ١٠٠) .

(٣) في (ح) و(ب) و(ط) : الحسن ، والمثبت من تاريخ بغداد (٨/ ٤٥) والمنتظم (٧/ ٣٤) ، وتاريخ الإسلام (٨/ ٨١) .

(٤) تاريخ بغداد (٨/ ٤٥) المنتظم (٧/ ٣٤) . تاريخ الإسلام (٨/ ٨١) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .

قال الحاكم أبو عبد الله النَّيسابوري : كان شيخ آل رسول الله ﷺ في عصره بخُرَاسان ، وسيد العلوية في زمانه ، وكان [من] أكثر الناس صلاة وصدقة ومحبةً للصحابة ، صحبته مدة فما سمعته ذكر عثمان إلا قال : الشهيد ، وبكى ، وما سمعته ذكر عائشة إلا قال : الصدِّيقة بنت الصِّدِّيق ، حبيبة حبيب الله . وبكى . وقد سمع الحديث من ابن خُزيمة وطبقته ، وكان آباؤه بخراسان وفي سائر بلدانهم [سادات][١] نجباء حيث كانوا :

مِنَ البيتِ الرَّسُول[٢] الله منْهمْ[٣] لَهُمْ دانتْ رِقَابُ بني مَعَدِّ

محمد بن الحسين بن علي بن الحسن[٤] بن يحيى بن حَسَّان بن الوضَّاح ، أبو عبد الله ، الأنْباري ، الشَّاعر المعروف بالوضَّاحي .

كان يذكر أنه سمع الحديث من المَحَاملي ، [وابن مَخْلَد][٥] وأبي روق . روى عنه الحاكم أبو عبد الله شيئاً من شعره ، وكان أشعر منْ في وقته ، ومن شعره[٦] :

سَقَى الله بابَ الكَرْخِ رَبْعاً ومنزلاً ومنْ حَلَّهُ صَوْبَ السَّحَابِ المُجَلْجِل[٧]
فلو أنَّ باكي دِمْنةِ الدَّار باللِّوى وجارتها أمِّ الرَّبابِ بمأْسَلِ
رأى عَرَصَاتِ الكَرْخِ أو حلَّ أرضَهَا لأمسكَ عن ذِكْرِ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

أبو بكر بن الجِعابي[٨] **محمد** بن عمر بن محمد بن سَالم بن البراء بن سبرة بن سَيَّار ، أبو بكر بن الجِعابي ، قاضي المَوْصِل .

ولد في صفر سنة أربع وثمانين ومئتين . سمع الكثير ، وتخرَّج بأبي العبَّاس بن عُقْدة ، وأخذ عنه

---

(١) ما بين حاصرتين من « المنتظم » ٧/ ٣٤ .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) في (ط) : من آل بيت رسول الله منهم ، ولا يستقيم الوزن به . و« أل » من « الرسول » اسم موصول بمعنى الذي .
(٤) يتيمة الدهر (٤/ ٣٨٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) المنتظم (٧/ ٣٥ ـ ٣٦) الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٧٤) اللباب (٣/ ٣٦٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٧١) الوافي بالوفيات (٣/ ٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .
(٦) يعارض الوضاحي في هذه القصيدة معلقة امرىء القيس .
(٧) المجلجل من السحاب الذي فيه صوت الرعد . اللسان (جلل) .
(٨) ذكر أخبار الأصبهان (٢/ ٢٨٧) رجال النجاشي (٢٨١) الفهرست للطوسي (١٥١) تاريخ بغداد (٣/ ٢٦ ـ ٣١) الأنساب (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥) المنتظم (٧/ ٣٦ ـ ٣٨) اللباب (١/ ٢٣٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٨٨ ـ ٩٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٢٥ ـ ٩٢٩) العبر (٢/ ٣٠٢) المغني في الضعفاء (٢/ ٦٢٠) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٧٠ ـ ٦٧١) الوافي بالوفيات (٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) لسان الميزان (٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢) طبقات الحفاظ (٣٧٥ ـ ٣٧٦) شذرات الذهب (٣/ ١٧) أعيان الشيعة (١٠/ ٢٨ ـ ٣٠) .

علم الحديث وشيئاً من التشيع أيضاً ، وكان حافظاً مكثراً مطيقاً ، يقال : إنه كان يحفظ أربعمئة ألف حديث بأسانيدها ومتونها ، ويذاكر بستمئة ألف حديث ، ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والحكايات قريباً من ذلك ، ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم ، وأوقات وَفَياتهم ومذاهبهم ، حتى تقدَّم على أهل زمانه ، وفاق على سائر أقرانه . وكان يجلس للإملاء فيزدحم الناس عند منزله ، وإنما كان يملي من حفظه إسناد الحديث ومتنه محرَّراً جيداً صحيحاً ، وقد نُسبَ إلى التشيع كأستاذه ابن عُقْدة ، وكان يسكن بباب البصرة عندهم ، وقد سئل الدارقطني عنه ، فقال : خلَّط . وقال أبو بكر البَرْقاني : كان صاحب غرائب ، ومذهبه معروف في التشيع ، وقد حكي عنه قلة دين وشرب خمر ، فالله أعلم . ولما احتُضر أوصى أن تحرق كتبه فحرقت ، وحرق معها كتبُ كثيرٍ من الناس كانت عنده ، فبئس ما عمل ، وحين أخرج بجنازته كانت سُكينة ـ نائحة الرافضة ـ تنوح عليه في جنازته .

ترجمة الدُّمَسْتَق[١] ملك الأرمن ، واسمه النقفور

الذي توفي سنة ثنتين [وقيل : خمس][٢] ، وقيل : ست وخمسين وثلاثمئة .

كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلباً ، وأشدهم كفراً ، وأقواهم بأساً ، وأحدِّهم شوكةً ، وأكثرهم قتالاً للمسلمين في زمانه ، استحوذ في أيامه ـ لعنه الله ـ على كثيرٍ من السواحل أو أكثرها ، وانتزعها من أيدي المسلمين قسراً ، واستمرت في يده قهراً ، وأضيفت إلى مملكة الروم قدراً ؛ وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان .

وقد ورد حلب في مئتي ألف مقاتل بغتة في سنة إحدى وخمسين ، وجال فيه جولة ، ففرَّ من بين يديه صاحبها سيف الدولة ، ففتحها اللعين عَنْوةً ، وقتل من أهلها من الرجال والنساء ما لا يعلمه إلا الله ، وخرَّب دار سيف الدولة التي كانت ظاهر حلب ، وأخذ أموالها وحواصلها وعُدَدها ، وبدَّد شملها[٣] ، وفرَّق عددها ، واستفحل جداً أمر الملعون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وبالغ في الاجتهاد في قتال الإسلام وأهله ، وجدَّ في التشمير ، فالحكم لله العلي الكبير .

وقد كان ـ لعنه الله ـ لا يدخل بلدة إلا قتل المقاتلة وبقية الرِّجال ، وسبى النِّساء والأطفال ، وجعل جامعها اصطبلاً لخيوله ، وكسر منبرها ، وأسكتَ مؤذنيها بخيله ورَجْله وطبوله ، ولم يزل ذلك من دأبه وديدنه حتى سلَّط الله عليه زوجته ، فقتلته بجواريها في وسط مسكنه ، وأراح الله منه الإسلام وأهله ،

(١) الضبط من صبح الأعشى (٥/ ٣٥٨) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ح) : وفرَّق ، والمثبت من (ب) .

وأزاح عنهم قَتَام ذلك الغمام ، ومزّق شمله ، فلله النعمة والإفضال ، والحمد لله على كلِّ حال .

واتفق في سنة وفاته موتُ صاحب القُسْطنطينية ، فتكاملت المسرّات وحصلت الأمنيَّة ، فالحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات وتذهب السيئات ، وبرحمته تغفر الزَّلَّات .

والمقصود أن هذا اللعين ـ أعني النقفور الملقب بالدُّمَسْتَق ملك الأرمن ـ كان قد أرسل قصيدة إلى الخليفة المطيع لله ، نظمها له بعض كُتَّابه ممن كان الله قد خذله وأذلَّه ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غِشاوة ، وصرفه عن الإسلام وأصله . يفتخر فيها لهذا اللعين ، ويتعرَّض لسبِّ الإسلام والمسلمين ، ويتوعَّد فيها أهل حوزة الإسلام بأنه سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين ، عما قريبٍ من الأعوام ، وهو أقل وأذل وأخسُّ وأضلُّ من الأنعام ، ويزعم أنه ينتصر لدين المسيح عليه السلام ابن البتول . وربما تعرَّض فيها بجناب الرسول عليه من ربه التحية والإكرام ، ودوام الصَّلاة مدى الأيام .

ولم يبلغني عن أحدٍ من أهل ذلك العصر أنه ردَّ عليه جوابه[١] ، وربما أنها لم تشتهر ، أو أنهم رأوا أنه أقل من أن يردُّوا خطابه ، لأنه كالمعاند الجاحد ، ونفس ناظمها تدلُّ على أنه شيطان مارد ، وقد انتخى للجواب عنها فيما بعد ذلك أبو محمد بن حَزْم الظَّاهري ، فأفاد وأجاد ، وأجاب عن كل فصل باطلٍ بالصواب والسَّداد ، فبلَّ الله بالرحمة ثراه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه[٢] .

وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية الملعونة المخذولة ، وأتبعها بالفريدة الإسلامية المنصورة الميمونة .

قال المرتد الكافر الأرمني على لسان ملكه لعنهما الله وأهل مِلَّتهم أجمعين أكْتَعين أبصعين ، آمين يا ربَّ العالمين . ومن خطِّ ابنِ عساكر نقلتها ، وقد كتبوها من كتاب « صِلة الصِّلة » للفَرْغاني[٣] :

مِنَ المَلِكِ الطُّهْرِ المسيحيِّ مَألُكٌ[٤] إلـى خَلَـفِ الأمْـلاكِ مـن آلِ هـاشـمِ
إلى الملكِ الفَضْلِ المُطيعِ أخي العُلا ومَـنْ يُـرْتجـى للمُعْضـلاتِ العَظـائـمِ
أمَـا سَمِعَـتْ أُذنـاك مـا أنـاصـانـع بلى فعداك الوَهْنُ عنْ فعلِ حازمِ
فـإنْ تـكُ عمَّـا قـد تقلَّـدتَ نـائمـاً فـإنِّـي عمَّـا هَمَّنـي غيـرُ نـائـمِ

(١) رد عليه الإمام محمد بن علي بن إسماعيل القفال المتوفى سنة (٣٦٥هـ) ، وقد أورد قصيدته السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٣) كما أورد السبكي قصيدة ابن حزم . وقد نشر الدكتور صلاح الدين المنجد القصائد الثلاثة في كتيب صغير نشره سنة (١٩٨٢م) في بيروت .
(٢) القصيدتان ليستا في (ب) .
(٣) لعبد الله بن أحمد الفرغاني ، المتوفى سنة (٣١٢هـ) كتاب في التاريخ هو ذيل لتاريخ الطبري ، ثم ألف بعده ابنه أحمد المتوفى سنة (٣٩٨هـ) تاريخاً وصل به تاريخ أبيه ، انظر معجم الأدباء (٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦ ، ١٨/ ٤٤) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٢ ـ ١٣٣) .
(٤) المألك والمألكة : الرسالة ، انظر اللسان (ألك) .

ثغـورُكـمُ لـم يبـقَ فيهـا لـوَهْنكـمْ ... وضَعْفِكُـمُ إلاَّ رُسُـومُ المَعـالِـمِ
فَتَحْنـا الثُّغُـورَ الأرمَنيَّـةَ كُلَّهـا ... بفتيانِ صِدْقٍ كـاللُّيـوثِ الضَّـرَاغِـمِ
ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ تَعْلُكُ لُجْمَها ... ويبلـغُ منهـا قَضْمُهـا بـالشَّكـائـمِ
إلـى كـلِّ ثَغْـر بـالجـزيـرةِ آهـلٍ ... إلـى جُنْـدِ قِنَّسْـرِيْنِكُـمْ فـالعَـوَاصـمِ
مَلَطيَةْ مَعَ سُمَيْساطَ من بَعْدِ كَرْكَرٍ ... وفي البَحْرِ أضعافُ الفتوحِ النَّواجمِ
وبالحَدَث الحمراءِ جالتْ عساكري ... وكَيْسوم بعد الجَعْفري[1] المعالـمِ
وكـمْ قـد أذَلْنـا مـن أعـزَّة أهْلِهـا ... فصـاروا لنـا مـنْ بيـنِ عَبْـدٍ وخـادِمِ
وسـدّ سَـرُوجٍ إذ خَـرَبْنـا بجمعنـا ... لمئـذنـةٍ تعلـو علـى كـلِّ قـائـمِ[2]
وأهـلُ الـرُّهـا لاذوا بنـا وتحـزَّمـوا ... بمنديلِ مولىً جلَّ عن وَصْفِ آدمي
وصَبَّـحَ رأسَ العينِ منَّا بطارقٌ[3] ... ببيضٍ غدَوْناها بضَرْبِ الجماجمِ
ودارا ومَيَّـافـارِقيـن وأرْزَنـاً[4] ... صَبَحْناهُمُ بالخيلِ مِثْلِ الملاغمِ[5]
وإقْـريطـشٍ جُـرَّتْ إليهـا مـراكبـي ... علـى ظَهْـرِ بَحْـر مُـزْبـدٍ مُتَـلاطـمِ
فحـزْتُهُـمُ أسرىً وسيْقَتْ نساؤهـم ... ذواتِ الشُّعـورِ المسْبَلاتِ الفـواحـمِ
هنـاكَ فَتَحْنـا عيـنَ زَرْبَـةَ عَنْـوةً ... نَعَـمْ وأبَـدْنـا كـلَّ طـاغٍ وظـالـمِ
إلى حلبٍ حتى استَبْحنا حريمها ... وهـدَّمَ منهـا سـورَهـا كـلُّ هـادمِ
أخـذنـا النِّسـا ثُـمَّ البناتِ نسوقُهُـمْ ... وصبيانهمْ مِثْلُ المماليكِ خادمِ[6]
وقـد فَـرَّ عنهـا سيفُ دَوْلَـةِ دينكُـمْ ... ونـاصِـرُهـا منَّـا علـى رَغْـمِ راغِـمِ
ومِلْنـا علـى طَـرْسوسَ ميلة هـائلٍ ... أذَقْنـا لمـنْ فيهـا كحـزِّ الحـلاقِـمِ
فكـمْ ذاتِ عـزٍّ حُـرَّةٍ عَلَـويَّـةٍ ... منعَّمَـةِ الأطْـرافِ رَيَّـا المَعـاصـمِ
سَبَيْنـا فسُقْنـا خـاضعـاتٍ حَـواسـراً ... بغيـرِ مُهـورٍ لا ولا حُكْـمِ حـاكـمِ

---

(١) الجعفري قصر بناه المتوكل قرب سامراء، بموضع يسمى الماحوزة. انظر معجم البلدان(٢/ ١٤٣).
(٢) هكذا ورد البيت في (ح)، وفي (ط):
وسـد سـروج إذ خـربنـا بجمعنـا ... لنـا رتبـة تعلـو علـى كـل قـائـم
(٣) بطارق جمع، مفردها بطريق: وهو القائد من قواد الروم، تحت يده عشرة آلاف رجل. « القاموس » (بطرق).
(٤) أرزن مدينة نواحي أرمينية قرب خلاط. انظر معجم البلدان (١/ ١٥٠) وقد تحرفت في مطبوع طبقات الشافعية إلى « وأردناً » وعلق عليها محققاه، فقالا: والأردن كورة واسعة منها الغور وطبرية وصدر. فأبعدا، لأن الأماكن التي تذكر في هذه الأبيات هي في شمالي بلاد الشام، وهذه في جنوبيها.
(٥) كذا في (ح)، وفي « طبقات الشافعية »: الضراغم.
(٦) هذا البيت ليس في (ح) وطبقات الشافعية، والمثبت من (ط).

وكَمْ من قتيلٍ قد تَرَكْنا مُجَنْدلاً ... يَصُبُّ دماً بين اللَّها واللَّهازِمِ[(١)]
وكَمْ وَقْعةٍ في الدَّرْبِ أفْنَتْ كُماتَكُمْ ... وسُقْناهُمُ قَسْراً كَسَوْقِ البَهائمِ
ومِلْنا على أرتاحِكُمْ وحريمُها ... مُدوَّخةٌ تحتَ العَجَاجِ السَّواهمِ
فَأَهْوتْ أعاليها وبُدِّلَ رَسمُها ... من الأُنْسِ وَحْشاً بعد بيضٍ نواعِمِ
إذا صاحَ فيها البُومُ جاوبَهُ الصَّدى ... وأتبَعَهُ في الرَّبْعِ نَوْحُ الحمائمِ
وأنْطَاكُ لم تَبْعُدْ عليَّ وإنني ... سأَفْتَحُها يوماً بِهَتْكِ المَحَارِمِ
وَمَسْكَنُ آبائي دِمَشْقُ فإنني ... سأُرْجِعُ فيها مُلْكَنا تحتَ خاتمي
ومِصْرٌ سَأَفْتَحها[(٢)] بسيفيَ عَنْوةً ... وآخذُ أموالاً بها لبهائمي
وأجْزيَ كافوراً بما يَسْتَحِقُّهُ ... بِمُشْطٍ ومِقْراضٍ وقصٍّ مَحاجِمِ
ألا شَمِّروا يا أهلَ حَرَّان شمِّروا ... أتَتْكُمْ جيوشُ الرُّومِ مِثْلَ الغَمَائمِ
فإنْ تهربُوا تَنْجُوا كِراماً وتسلموا ... من المَلِكِ الصَّادي بقتلِ المسالمِ
هناك نصيبينَ ومَوْصِلها إلى ... جزيرة آبائي ومُلْكِ الأقادمِ
سأَفْتحُ سامَرَّا وكُوثَى وعُكْبَرا ... وتكريتها مَعْ ماردين العواصِمِ[(٣)]
وأقتلُ أهليها الرِّجالَ بأسرهم ... وأغنمُ أموالاً بها لكتائمِ[(٤)]
ألا شَمِّروا يا أهلَ بغدادَ وَيْلَكُمْ ... فكلُّكُمُ مُسْتَضْعَفٌ غيرُ رائمِ
رَضِيْتُمْ بِحُكْمِ الدَّيْلمي خليفةً ... فَصِرْتُمْ عبيداً للعبيدِ الدَّيالمِ
ويا قاطني الرَّملاتِ وَيْلَكُمُ ارجعوا ... إلى أرضِ صنعاءِ وأرضِ التهائمِ
وعُودوا إلى أرضِ الحجازِ أذِلَّةً ... وخلُّوا بلادَ الرُّومِ أهلِ المكارمِ
سأُلْقي جيوشي نحو بغدادَ سائراً ... إلى بابِ طاقٍ حيثُ دارُ القُمَاقمِ
وأُحْرِقُ أعلاها وأَهْدمُ سُورها ... وأسْبي ذراريها على رَغْمِ راغِمِ
وأُحرزُ أموالاً بها وأسِرّةً ... وأقتلُ مَنْ فيها بسيفِ النَّقَائمِ
وأَسْري بجيشي نحو أهوازَ مُسْرِعاً ... لإحرازِ دِيْباجٍ وخَزِّ السواسمِ
وأُشْعِلُها نَهْباً وأخربُ[(٥)] قصورَها ... وأسبي ذراريها كفِعْلِ الأقادِمِ

---

(١) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق ، واللهازم : جمع لهزمة وهي لهزمتان ناتئتان تحت الأذنين . القاموس (لهو ، ولهزم) .
(٢) ضبطناها هكذا ليتزن البيت .
(٣) في (ح) : مع جبل والنظائم ! والمثبت من (ط) .
(٤) في (ط) : وحرائم .
(٥) في (ط) : وأهدم ، وضبطناها هكذا ليتزن البيت .

ومنها إلى شِيْرازَ والرَّيِّ فاعْلَموا خُـرَاسـانُ قَصْري والجيوشُ بحـارمِ
إلـى شـاسِ بَلْـخٍ بعـدهـا وخَـواتِهـا وفَـرْغـانـةٍ مـعْ مَـرْوهـا والمخـارِمِ
فسابورَ أخْرِبْها[1] وأهدمُ حِصْنها وأُوردهـا يـومـاً كيـومِ السَّمـائـم
وكَـرْمـانَ لا أنسـى سِجِسْتـانَ كلّهـا وكـابُلَهـا النَّـائي ومَلْـكِ الأعـاجـم
من المشرق الأقصى إلى الغرب أنثني إلى قيروان الأرض عُرْب الكتائم[2]
أسيـرُ بجُنْـدي نحـو بَصْـرتهـا التي لهـا بَحْـرُ عـاجٍ رائـعٍ متـلاومِ
إلـى واسـطٍ وَسْـطَ العـراقِ وكـوفـةٍ بمـا كـان يـومـاً جـدّنـا ذو العَـزَائـمِ
وأُسـرعُ منهـا نحـوَ مكّـةَ سـائـراً أجرُّ جيـوشـاً كـاللَّيـالـي السَّـواجـمِ
فـأملِكُهـا دهـراً غـريـداً مُسَلَّمـاً أقيـمُ بهـا للحـقِّ كـرسـيَّ عـالـمِ
وأحـويَ نَجْـداً كلَّهـا وتِهـامهـا وسَـرْواتهـا مـن مَـذْحـجٍ وقحـاطـمِ
وأغْـزُو يَمـانـاً كلَّهـا وزَبيـدَهـا وصَنْعـاءهـا مَـعْ صَعْـدَةٍ واللعـائـم
إلـى حَضْـرَمـوتٍ سَهْلهـا وجبـالهـا إلـى هُجَـرٍ أحسـائهـا والتَّهـائـم[3]
فـأتـركهـا أيضـاً يبـابـاً بـلاقِعـاً خـلاءً مـن الأهْليـنَ أرضَ نعـائـمِ
وأحـويَ أمـوالَ اليمـانيـنَ كلّهـا ومـا جمـعَ القِـرْمـاطُ يـوم محـارمِ
أعودُ إلى القُدْسِ التي شَرُفَتْ لنا بعـزٍّ مكيـنٍ ثـابـتِ الأصـلِ قـائـمِ
وأعلـو سـريـري للسُّجـودِ فتنثني ملـوكُ بني حوّا بحمـل الـدَّراهـم[4]
هنالكَ تخلو الأرضُ من كلِّ مُسْلمٍ لكـلِّ نقـيِّ الـدِّيـنِ أغلـفَ نـاعـمِ
نُصِـرْنـا عليكـم حيـن جـارَ وُلاتكُـمْ وأعْلَنْتُـمُ بـالمُنْكَـرَاتِ العَظَـائـمِ
قضـاتُكُـمْ بـاعـوا القَضَـاء بـدينهـمْ كبيـعِ ابـن يعقـوبٍ ببَخْـسِ الـدَّرَاهـمِ
عَـدُوٌّ لكـمْ بـالـزُّورِ يَشْهـدُ كلهـم وبـالبَـزِّ والبَـرْطيـلِ مَـعْ كـلِّ قـائـمِ
سَـأَفْتَـحُ أرْض اللهِ شَـرْقـاً ومَغْـربـاً وأنشُـرُ ديـن الصَّلْـب نشـر الغمـائـمِ
فعيسى علا فوقَ السَّمواتِ عَرْشُهُ ففـاز الـذي والاهُ يـومَ الخصـائـمِ
وصاحبكمْ بالتُّرب أوْدَى بهِ الثَّرى فصـارَ رُفـاتـاً بيـنَ تلـكَ الـرَّمـائـمِ

---

(١) ضبطناها هكذا ليتزن البيت .
(٢) هذا البيت ليس في (ط) .
(٣) هذا البيت ليس في (ط) .
(٤) في (ط) :
وأعلـو سـريـري للسجـود معظمـاً وتبقـى ملـوك الأرض مثـل الخـوادِمِ

تنـاوَلْتُـمْ أصحـابَـهُ بعـدَ مَـوْتِـهِ   بسـبٍّ وقَـذْفٍ وانتهـاكِ محـارِمِ[١]

هذا آخرها لعن الله ناظمها وأسكنه النار ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [غافر : ٥٢] يوم يدعو ناظمها ثبوراً ويصلى سعيراً ويباشر ذلاًّ طويلاً ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩] .

وهذا جوابها لأبي محمد ابن حَزْم الظَّاهري الأندلسي ، قالها ارتجالاً حين بلغته غضباً لله ولرسوله كما شاهدَه من رآه ، فرحمه الله وأكرم مثواه ، وغفر له زلله وخطاياه .

مِـنَ المُحْتمـي لله رَبِّ العَـوَالـمِ   وديـنِ رسـولِ الله مـن آل هـاشـمِ
محمـدٍ الهـادي إلـى الله بـالتُّقـى   وبـالـرُّشْـدِ والإسـلام أفضـلِ قـائـمِ
عليـه مـن الله السَّـلامُ مـرَدَّداً   إلى أن يُوافي البعثَ كلُّ العوالِمِ
إلـى قـائـلٍ بـالإفـكِ جَهـلاً وضِلَّـةً   عنِ النِّقفُورِ المنتزي[٢] في الأعاجمِ
دَعَـوْتَ إمـامـاً ليسَ من أمـر آلـه   بكفَّيْـهِ إلا كـالـرُّسـوم الطَّـوَاسِـمِ
دَهَتْـهُ الـدَّوَاهـي في خِـلافتِـهِ كما   دَهَـتْ قَبْلَـهُ الأمـلاكَ دُهْـمُ الـدَّوَاهِـمِ
ولا عَجَـبٌ مـن نَكْبَـةٍ أو مُلِمَّـةٍ   تُصيبُ الكريمَ الحرَّ وابنَ الأكارمِ
ولـو أنَّـهُ فـي حـال مـاضـي جُدودِهِ   لَجُـرِّعْتُـمُ منـهُ سِمَـامَ الأراقـمِ
عسـى عَطْفَـةٌ لله فـي أهـلِ دينـهِ   تُجـدِّدُ منهـم دارسـاتِ المعـالـمِ
فَخَـرْتُـمْ بمـا لـو أنَّ فيكم يُـريكمُ   حقـائـقَ حكـمِ الله أحكـمِ حـاكـمِ
إذن لَعَـرَتْكُـمْ خَجلَـةٌ عنـدَ ذكـرهِ   وأُخْـرِسَ منكـم كـلُّ فـاهٍ مُخَـاصـمِ
سَلَبْنـاكُـمُ كَـرّاً ففُـزْتُـمْ ببـرَّةٍ   مـن الكرِّ أفعـالِ الضِّعـافِ العزائـمِ
فَطِـرْتُـمْ سُـروراً عنـد ذاك ونَخْـوةً   كفِعْـلِ المَهيـنِ النَّـاقـصِ المتعـاظـمِ
ومـا ذاك إلاَّ فـي تضـاعيـفِ غَفْلَـةٍ   عَـرَتْنا وصَـرْفُ الدَّهْر جمُّ الملاحِمِ
ولمَّـا تَنَـازَعْنـا الأُمـورَ تخـاذُلاً   ودانَـتْ لأهـلِ الجهـلِ دولـةُ ظـالـمِ
وقـد شَعَلَـتْ فينـا الخـلائـفُ فِتْنـةً   لعُبْـدانهـم مَـعْ تُـرْكهـمْ والـدَّيـالـمِ
بكُفْـرِ أيـاديهـم وجَحْـدِ حُقُـوقهـم   بمـن رفَعُـوهُ مـن حضِيْـضِ البَهـائـمِ

---

(١) القصيدة في طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٩) مع اختلاف في بعض ألفاظها ، وعدد أبياتها ، وثمة كلمات لم أقف على معناها ، أرجو من الله أن يكشف لي سترها ذات يوم .

(٢) في (ط) : المفتري ، وما في (ح) أشبه .

وَثَبْتُمْ علـى أطـرافنـا عنـدَ ذاكُـمُ وثُـوبَ لُصـوصٍ عنـدَ غَفْلَـةِ نـائـمِ
ألم تنتصر منكم على ضَعْفِ حالها صِقِلِّيَـةٌ فـي بَحْـرِهـا المُتَـلاطِـمِ
ألـم تَنْتَـزِعْ منكـم بـأَيْـدٍ وقُـوَّةٍ جميـعَ بـلادِ الشَّـامِ ضَـرْبـةَ لازمِ
ومِصْـرَ وأرض القَيْـرَوانِ بـأسـرهـا وأنْـدَلُسـاً قَسْـراً بضَـرْبِ الجمـاجِـمِ
أحلَّـتْ بقسْطنطينـة كـلَّ نكبـةٍ وسـامتكـم سـوء العـذاب المـلازِمِ
مشـاهـدُ تَقْـدِيسـاتِكُـمْ وبيـوتُهـا لنـا وبـأيـدينـا علـى رَغْـمِ راغِـمِ
أمـا بيـتُ لَحْـمٍ والقُمـامةُ بعـدَهـا بـأيـدي رجـالِ المسلمينَ الأعـاظِـمِ
وكُـرْسيُّكـم فـي أرضِ إسْكَنْـدريَّـةٍ وكُرسيُّكُمْ في القُدْسِ في أورشالِمِ
ضَمَمْنـاهُـمُ قَسْـراً بِـرَغْـمِ أنـوفكـم كما ضَمَّت السَّاقَيْن سُودُ الأداهِمِ
وكُـرْسـيُّ أنطـاكيـةٍ كـان بُـرْهـةً ودهـراً بـأيـدينـا وبـذل المـلاغـمِ
فليـس سـوى كـرسيِّ رومـةَ فيكُـمُ وكـرسـيِّ قُسْطنطينـةٍ فـي المقـادمِ
ولا بُـدَّ مـن عَـوْدِ الجميـعِ بـأسْـرِهِ إلينـــا بعـــزٍّ قـاهـــرٍ مُتعـــاظِـــمِ
أليـسَ يَـزيـدٌ حَـلَّ وَسْـطَ ديـارِكُـمْ علـى بـابِ قُسْطنطينـةٍ بـالصَّـوارمِ
ومَسْلمـةٌ قـد داسَهـا بعـد ذاكُـمُ بجيـشٍ لَهـامٍ كـاللُّيـوث الضَّـرَاغـمِ
وأخْـدَمكُـمْ بـالـذُّلِّ مَسْجدنـا الـذي بُنـي فيكُـمُ فـي عَصْـرِهِ المُتَقـادِمِ
إلى جَنْبِ قَصْرِ المُلْك من دارِ مُلْككُمْ ألا هــذه حقّـاً صَـريْمـةُ صـارِمِ
وأدَّى لهـارونَ الـرَّشِيْـدِ مَلِيْكُكُـمْ إتـاوةَ مَغْلـوبٍ وجِـزْيَـةَ غـارِمِ
سَلَبْنـاكُـمُ مَسْـرَى شُهُـورٍ بقـوَّةٍ حَبَـانـا بهـا الـرَّحمـنُ أرحـمُ راحـمِ
إلى سبت[1] يعقوبٍ وأريافِ دُومةٍ إلـى لُجَّـةِ البَحْـرِ البعيـدِ المَحَـارمِ
فَهَلْ سِرْتُمُ في أرضنا قطُّ جُمْعَةً أبـى اللهُ ذاكُـمْ يـا بقـايـا الهَـزَائِـمِ
فمـا لكُـمُ إلا الأمـانـيُّ وحـدَهـا بضـائـعُ نَـوْكـى تلـكَ أحـلامُ نـائـمِ
رُويـداً يَعُـدْ نحـوَ الخـلافـةِ نـورُهـا ويُسْفَـرُ مُغَبَّـرُ الـوجـوهِ السَّـواهـمِ
وحينئـذٍ تَـدْرُونَ كيـفَ فـرارُكُـمْ إذا صَـدَمَتْكُـمْ خَيْـلُ جَيْـشٍ مُصـادِمِ
على سَالِفِ العاداتِ منَّا ومنكُمُ ليـالـيَ أنتـمْ فـي عِـدادِ الغَنـائـمِ
سَبَيْتُـمْ سبـايـا يَحصُـرُ العَـدُّ دونَهـا وسَبْيُكُـمُ فينـا كقَطْـرِ الغَمـائِـمِ
فلـو رامَ خَلْـقٌ عـدَّهـا رامَ مُعْجِـزاً وأنَّـى بتَعْـدادٍ لـريـشِ الحمـائـمِ
بـأبنـاءِ حمـدانٍ وكـافـورَ صُلْتُـمُ أراذلَ أنجـاسٍ قِصـارِ المعـاصـمِ

---

(١) في (ط) : بيت ، وفي طبقات الشافعية للسبكي : أرض .

دعـيٌّ وحَجّـامٌ سَطَـوْتُـمْ عليهمـا ... ومـا قَـدْرُ مَصّـاصٍ دمـاءَ المَحاجِـمِ
فهـلا علـى دميـانـةٍ قبـلَ ذاك أو ... علـى ثمـلٍ أو يـا زمـان الضـراغـمِ[١]
ليـالـيَ قـادوكُـمْ كمـا اقتـادَ جـازرٌ ... حـلائـبَ أتْيـاسٍ لحَـزِّ الحـلاقِـمِ
وساقوا على رِسْلٍ بناتِ مُلُوككم ... سبـايـا كمـا سِيْقَـتْ ظِبـاءُ الصَّـرَائـمِ
ولكنْ سَلُوا عنا هِرَقْلاً ومنْ خلا ... لَكُـمْ مـن ملـوكٍ مُكْـرَميـنَ قُمـاقِـمِ
يُخَبِّـرْكُـمُ عنَّـا المُتَـوَّجُ منكُـمُ ... وَقَيْصـرُكُـم عـن سَبْينـا للكـرائـمِ
وعَمَّـا فَتَحْنـا مـن مَنِيْـع بـلادِكُـمْ ... وعَمَّـا أقَمْنـا فيكُـمُ مـن مـآتـمِ
وَدَعْ كُـلَّ نـذلٍ مُنْتَـزٍ لا تَعُـدُّهُ ... إمـامـاً ولا مـن مُحْكمـاتِ الـدعـائـمِ
فَهَيْهـاتَ سـامَرَّا وَتَكْـريـتَ منْكُـمُ ... إلـى جبـلٍ تِلْكُـمْ أمـانـيُّ هـائـمِ
مُنـىً يَتَمنَّـاهـا الضَّعيـفُ ودونَهـا ... تطـايـرُ هـامـاتٍ وحـزُّ الغَـلاصِـمِ
ومـن دون بغـدادٍ سيـوفٌ حَـدِيـدَةٌ ... مسيـرةَ شَهْـرٍ للفَنيـق القَـوَاصِـمِ
مَحَلَّـةُ أهْـلِ الـزُّهْـدِ والخيرِ والتُّقى ... ومَنْـزلـةٌ يَحْتَلُّهـا كـلُّ عـالِـمِ
دَعُوا الرَّمْلة المنياء عنكمْ فَدُونها ... من المسلمين الصِّيْدِ كلُّ ضبارمٍ[٢]
ودونَ دمشـقٍ جَمْـعُ جيـشٍ كـأنَّـه ... سحـائـبُ طَيْـرٍ تَنْتَحـي بـالقَـوَادِمِ
وضَـرْبٌ يُلَقِّـي الكُفْـرَ كـلَّ مَـذَلَّـةٍ ... كمـا ضَـرَبَ السِّكِّـيُّ بيـضَ الـدَّرَاهـمِ
ومنْ دونِ أكنافِ الحِجازِ جَحَافلٌ ... كقَطْرِ الغُيوثِ الهاملاتِ السَّواجمِ
بهـا مـن بنـي عَـدْنـانَ كـلُّ سَمَيْـدعٍ ... ومـن حـيِّ قَحْطـانٍ كـرامُ العمـائـمِ
[ولو قد لقيتمْ من قُضاعَةَ عُصْبةً ... لقيتم ضَراماً في يَبيسِ الهشائمِ][٣]
إذا صَبَّحُـوكُـمْ ذكَّـرُوكُـمْ بمـا خـلا ... لهـم معكـم مـن مـأزقٍ مُتَـلاحـمِ
زمـانَ يقـودُونَ الصَّـوائـف نحـوكـمْ ... فجئتـمْ ضمـانـاً أنَّكُـم فـي الغنـائـمِ
ستـأتيكـم منهـمْ قـريبـاً عصـائـبٌ ... تُنَسِّيكـم تَـذْكـارَ أخـذ العَـواصِـمِ
وأمـوالُكُـمْ نُحْـلٌ لهـم ودِمـاؤُكـم ... بهـا يَشْتفـي حَـرُّ النُّفـوس الحـوائـمِ
وأَرْضُكُـمُ حقّـاً سَيَقْتسمُـونهـا ... كمـا فَعَلُـوا دَهْـراً بِعَـدْلِ المُقَـاسـمِ
ولو طَرَقَتْكُمْ من خُرَاسانَ عُصْبةٌ ... وشيـراز والـرَّيِّ القـلاع القـوائـمِ
لمـا كـان منْكُـمْ عنـدَ ذلك غيرُ مـا ... عَهِـدْنـا لكـم ذلٌّ وعَـضُّ الأبـاهـمِ

(١) كذا في (ح) وفي (ط) : على محل أرباض رماة الضراغم ، ولا يتزن البيت .
(٢) الضبارم : الأسد ، والرجل الجريء على الأعداء .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

فقد طالما زارُوكُمُ في ديارِكُمْ مسيرةَ عامٍ بالخيولِ الصَّلادمِ
وأما سِجِسْتانٌ وكَرْمانُ والأُلى بكابُلَ حَلُّوا في بلاد البَراهمِ
إلى فارسٍ والسُّوس جيشٌ عَرَمْرَمٌ وفي أصبهانٍ كلُّ أروعَ عازمِ
فلو قد أتاكم جَمْعُهُمْ لغَدَوْتُمُ فرائسَ كالآسادِ فوقَ البهائمِ
وبالبَصْرة الزَّهْراء والكُوفةِ التي مثهت ونادي واسطٍ فالكظائم[1]
جموعٌ تُسامي الرَّمْلَ جمٌّ عديدُها فما أحدٌ تنويه منها بسالمِ
ومن دونِ بيتِ الله في مكَّةَ التي حَبَاها بمجدٍ للثُّريَّا مُزاحمِ
مَحَلُّ جميعِ الأرْضِ منها تيقناً مَحَلَّةُ سُفْلِ الخُفِّ من فَصِّ خاتمِ
دِفاعٌ من الرحمنِ عنها بحقِّها فما هوَ عنها كَرَّ طَرْفٍ برائمِ
بها وقعَ الأُحْبُوشُ فيها وقَبْلَهُمْ بِحَصْباءِ طَيْرٍ في ذُرَى الجوِّ حائمِ
وجَمْعٍ كَجَمْعِ البَحْرِ ماضٍ عَرَمْرَمٍ حَمَى سُرَّةَ البَطْحاءِ ذاتِ المحارمِ
ومن دونَ قَبْرِ المُصْطفى وَسْطَ طِيْبَةٍ جموعٌ كمُسْودٍّ من اللَّيْلِ فاحمِ
يقودُهُمُ جَيْشُ الملائكةِ العُلا كِفاحاً ودفعاً عن مُصَلٍّ وصائمِ
فلو قد لقيناكُمْ لعُذْتم رمائماً بمن في أعالي نَجْدنا والتَّهائمِ
وباليَمَنِ المَمْنوعِ فِتْيانُ غارةٍ إذا ما لَقُوكُمْ كُنْتُمُ كالمطاعِمِ
وفي جهلتي أرْضِ اليمامةِ عُصْبةٌ مغاورُ أنجادٍ طِوالُ البَراجمِ
سَتُفْنيكُمُ والقِرْمطِيِّينَ دولةٌ تعودُ لميمونِ النَّقِيبةِ حازمِ
خليفةِ حقٍّ يَنْصُرُ الدِّينَ حُكْمُهُ ولا يَتَّقي في الله لومةَ لائمِ
إلى وَلَدِ العَبَّاسِ تُنْمى جُدُودُهُ بِفَخْرٍ عميمٍ أو لِزُهْرِ العباشمِ
مُلُوكٌ جَرَى بالنَّصْرِ طائرُ سَعْدِهِمْ فأهلاً بماضٍ منهُمُ وبقادمِ
مَحَلَّتُهُمْ في مَسْجدِ القُدْسِ أو لدى منازِلِ بغدادٍ مَحلُّ المكارِمِ
وإنْ كانَ من عُلْيا عَدِيٍّ وَتَيْمِها ومن أسَدٍ أهْلِ الصَّلاحِ الحضَارِمِ
فأهْلاً وسَهْلاً ثم نُعْمى ومَرْحباً بهم من خِيارٍ سالفينَ أقادِمِ
هُمُ نَصَرُوا الإسلامَ نَصْراً مؤزَّراً وهُمْ فَتَحُوا البُلْدانَ فتحَ المُراغِمِ
رُوَيْداً فوَعدُ اللهِ بالصِّدْقِ واردٌ بتَجْريعِ أهْلِ الكُفْرِ طَعْمَ العَلاقِمِ
وصِدْق رسالاتِ الذي جاء بالهُدى محمدٍ الآتي بِرَفْعِ المَظالمِ

---

(١) كذا في (ح)، وفي طبقات الشافعية: سمت وبأدنى واسطٍ فالكظائم.

سَنَفْتَــحُ قُسْطَنْطينَــةً وذَواتِهــا وَنَجْعلكُـمْ قُـوتَ النُّسـورِ القَشَـاعِـمِ
ونملـكُ أقْصَـى أرْضِكُـمْ وبـلادِكُـمْ ونُلْـزِمكُـمْ ذُلَّ الجِـزَى والمغـارمِ
ونَفْتَـحُ أرْضَ الصِّيـنِ والهِنْـدِ عَنْـوةً بجَيْشٍ لأرْضِ التُّرْكِ والخَزْرِ حاطِمِ
مـواعيـدُ للـرَّحمـنِ فينـا صَحِيْحَـةٌ وليسـت كـأمثـال العقـولِ السَّقـائـمِ
إلى أنْ تَرَى الإسلامَ قد عَمَّ حُكْمُهُ جميـعَ البـلادِ بـالجيـوشِ الصَّـوارمِ
أتَقْـرِنُ يـا مُخْـذولُ ديـنَ مثلَّـثٍ بعيـدٍ عـن المعقـولِ بـادي المـآثـمِ
تَـدِيْـنُ لمخلـوقٍ يَـدِيْـنُ عبـادَهُ فيـا لـكَ سُحْقـاً ليسَ يَخفـى لكـاتـمِ
أنـاجِيْلُكُـمْ مَصْنـوعَـةٌ بتكـاذبٍ كـلامُ الألـى فيهـا أتَـوْا بـالعَظـائـمِ
وعُـودُ صَليـبٍ مـا تـزالـونَ سُجَّـداً لـهُ يـا عُقـولَ الهـامـلاتِ السَّـوائـمِ
تـدينـونَ تَضْـلالاً بِصَلْـبِ إلهكـم بــأيْــدي يهــودٍ أرْذليــنَ ألائــمِ
إلـى مِلَّـةِ الإسـلامِ تـوحيـدِ رَبِّنـا فمــا ديــنُ ذي ديـنٍ لهـا بِمُقـاومِ
وأذْعنـتِ الأمـلاكُ طَـوْعـاً لـدِيْنِـهِ بِبُرْهانِ صِدْقٍ ظاهرٍ في المواسمِ
كمـا دانَ فـي صَنْعـاءَ مـالـكُ دَوْلـةٍ وأهْلُ عُمَانٍ حيثُ رَهْطُ الجهاضِمِ
وسـائـرُ أمـلاكِ اليمـانِيْـنَ أسْلَمُـوا ومـن بَلَـدِ البَحْـريـنِ قَـوْمُ اللّهـازِمِ
أجـابُـوا لِـدِيْـنِ الله دونَ مخـافـةٍ ولا رَغْبَـةٍ تَحْظَـى بـه كـفُّ عـادِمِ
فحَلُّوا عُرَى التِّيجان طَوْعاً ورَغْبَةً بحـقٍّ يقيـنٍ بـالبـراهيـنِ نـاجـمِ
وحـابـاهُ بـالنَّصْـرِ المكيـنِ إلهُـهُ وصَيَّـرَ مـنْ عـاداهُ تحـتَ المنـاسِـمِ
فَقِيـرٌ وَحِيْـدٌ لـم تُعِنْـهُ عَشِيـرةٌ ولا دَفَعُـوا عنـهُ شَتِيْمَـةَ شـاتِـمِ
ولا عِنْــده مــالٌ عَتيــدٌ لنــاصِـرٍ ولا دَفْـعِ مَـرْهُـوبٍ ولا لِمُسَـالـمِ
ولا وَعَـدَ الأنْصـارَ مـالاً يخصُّهُـمْ بلـى كـان معصومـاً لأقْـدَرِ عـاصـمِ
فلــم تَمْتَهِنْــهُ قــطُّ قُــوَّةُ آســرٍ ولا مُكِّنَـتْ مـن جِسْمِـهِ يـدُ لاطِـمِ
كمــا يَفْتــري إفكــاً وزُوراً وضِلَّــةً على وَجْهِ عيسى منكُمُ كلُّ آثمِ(١)
علـى أنَّـه قـد قلتُـمُ هـو رَبُّكـمْ فيـا لضَـلالٍ فـي الحمـاقـة غـائـمِ
أبى اللهُ أن يُدْعى له ابنٌ وصاحبٌ سَتَلْقَـى دُعـاةُ الكُفْـرِ حـالـةَ نـادمِ
ولكنَّــهُ عَبْــدٌ نبــيٌّ مُكَــرَّمٌ مـنَ النَّـاسِ مَخْلُـوقٌ ولا قـول زاعـمِ
أيُلْطَـمُ وَجْـهُ الـرَّبِّ تَبّـاً لنَـوْككُـمْ لقـد فُقْتُـمُ فـي ظُلْمكُـمْ كـلَّ ظـالـمِ

(١) هذا البيت جاء في (ط) بعد البيت الآتي :

إلـى ملـة الإسـلام تـوحيـدِ ربنـا فمـا ديـنُ ذي ديـنٍ لهـا بمقـاومِ

وكَـمْ آيـةٍ أبْـدى النَّبـيُّ محمـدٌ ... وكَـمْ عَلَـمٍ أبـداهُ للشِّـرْكِ حـاطِـمِ
تساوَى جميعُ النَّاسِ في نَصْرِ حَقِّهِ ... فَلِلْكُـلِّ فـي إعظـامـهِ حـالُ خـادمِ
فَعُـرْبٌ وأحْبُـوشٌ وفُـرْسٌ وبَـرْبـرٌ ... وكُـرْديُّهـم قـد فـازَ قِـدْحُ المُـرَاحِـمِ
وقِبْـطٌ وأنبـاطٌ وخَـزْرٌ ودَيْلَـمٌ ... ورُومٌ رَمَـوْكُـمْ دونَـهُ بـالقَـواصـمِ
أبَـوْا كُفْـرَ أسْلافٍ لهـمْ فتحنَّفـوا ... فـآبـوا بحـظٍّ فـي السَّعـادةِ جـاثـمِ
بـه دَخَلُـوا فـي مِلَّـةِ الحـقِّ كُلُّهـمْ ... ودانُـــوا لأحكـامِ الإلـــه اللَّـــوازمِ
بـه صَـحَّ تفسيرُ المنامِ الـذي أتـى ... بـــه دانيـــالُ قَبْلَـــهُ حتـم حـــاتـمِ
وسِنْـدٌ وهِنْـدٌ أسْلَمُـوا وتـدَيَّنـوا ... بدينِ الهُدى في رَفْضِ دِيْنِ الأعاجم
وشَـقَّ لنـا بَـدْرَ السَّمـواتِ آيـةً ... وأشْبَـعَ مـنْ صـاعٍ لـه كـلَّ طـاعِـمِ
وسالَتْ عيونُ الماءِ في وَسْطِ كَفِّه ... فَـأرْوى بـه جيشـاً كثيـرَ الهمـاهـمِ
وجـاء بمـا تَقْضـي العُقُـولُ بصِـدْقِـهِ ... ولا كَـــدَعـــاوٍ غيـــرِ ذاتِ قـــوائـمِ
عليـــه ســـلامُ اللهِ مـــا ذرَّ شـارِقٌ ... تعـــاقبَـــهُ ظلمـــاءُ أسْحـم قـــاتـمِ
بَـرَاهِيْنُـهُ كـالشَّمْـسِ لا مِثْـلُ قَـوْلِكُـمْ ... وتَخْلِيْطكُـمْ فـي جَـوْهـرٍ وأقـانـمِ
لنـا كـلُّ عِلْـمٍ مـن قـديمٍ ومُحْـدثٍ ... وأنتـم حميـرٌ داميـاتُ المحـازمِ
أتيتـــم بشِعْـــرٍ بـــاردٍ متخـــاذلٍ ... ضعيف معاني النَّظْمِ جَمِّ البلاغمِ
فـدونكهـا كـالعِقْـد فيـهِ زمـرُّدٌ ... ودُرٌّ ويـاقـوتٌ بـإحكـام حـاكـمِ[1]

ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمئة

استهلت والخليفة المطيع لله ، والسلطان معز الدولة بن بويه الديلمي ، وعملت الروافض في يوم عاشوراء عزاء الحسين [بن علي] على ما ابتدعوه من النوح .

(١) انظر القصيدة بتمامها في طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢١٤ ـ ٢٢٢) وقد غمضت عليَّ بعض كلماتها ، أرجو أن تسفر لي يوماً عن نفسها .

[وفاة معز الدولة][(١)]

ولما كان ثالث عشر ربيع الأول[(٢)] من هذه السنة توفي معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه الديلمي بعلة الذرب ، وصار لا يثبت في مَعِدته شيءٌ بالكلية ، ولما أحس بالموت أظهر التوبة ، وأناب إلى الله عزَّ وجلَّ ، ورَدَّ كثيراً من المظالم ، وتصدق بكثير من أمواله ، وأعتق خلقاً كثيراً من مماليكه ، وعَهِدَ إلى ابنه بختيار عز الدولة بن معز الدولة ، وقد اجتمع ببعض العلماء ، فكلمه في السُّنَّة ، وأخبره أنَّ علياً زوَّج ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب ، فقال : ما سمعت والله بهذا قط . ورجع إلى السنة ومتابعتها ، ولما حضر وقتُ الصلاة خرج ذلك الرجل إلى الصلاة فقال له : أما تصلي هاهنا ؟ قال : لا . قال : ولِمَ ؟ قال : لأن دارك مغصوبة . فاستحسن منه ذلك .

وكان معز الدولة حليماً كريماً عاقلاً ، وكانت إحدى يديه مقطوعة ، وهو أول من أحدث السُّعاة بين يدي الملوك ليبعث بأخباره إلى أخيه ركن الدولة إلى شيراز سريعاً ، وحظي عنده أهل هذه الصناعة ، وتعلم أهل بغداد ذلك حتى كان بعضهم يجري في اليوم الواحد نيفاً وأربعين فرسخاً ، وكان في البلد ساعيان ماهران ، وهما فَضل ومرعوش ، يتعصَّب لهذا عوام أهل السنة ، ولهذا عوام الشيعة ، وجرت لهما مناصف ومواقف .

ولما مات معز الدولة ، ودفن بباب التبن ، في مقابر قريش ، وجلس ابنه للعزاء ، وأصاب الناسَ مطر ثلاثة أيام متتابعاً ، فبعث عزُّ الدولة إلى رؤوس الدولة في هذه الأيام بمالٍ جزيل لئلا تجتمع أمراء الدولة على مخالفته قبل استحكام مبايعته ، وهذا من عقله ودهائه .

وكان عمره[(٣)] ثلاثاً وخمسين سنة ، ومدَّة ولايته إحدى وعشرين سنة وأحدَ عشر شهراً ويومين ، وقد كان نادى في أيامه برد المواريث إلى ذوي الأرحام قبل بيت المال ، وقد سمع بعض الناس ليلة توفي معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بُوَيه هاتفاً يقول :

لمَّـا بَلَغْـتَ أبـا الحسيـ ـنِ مُراد نَفْسِكَ في الطَّلبْ
وأمِنْـتَ مـن حَـدَثِ اللَّيـا لي واحْتَجَبْتَ عن النُّوَبْ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) وترجمة معز الدولة في تجارب الأمم (٦/ ١٤٦) ٢٣١ وغيرها ، المنتظم (٧/ ٣٨ ـ ٣٩) الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٧٣ ـ ٥٨٠) وفيات الأعيان (١/ ١٧٤ ـ ١٧٧) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٠٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٨٩ ـ ١٩٠) العبر (٢/ ٣٠٣) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤ ـ ١٥) شذرات الذهب (٣/ ١٨) .

(٢) في الكامل (٨/ ٥٧٥) : ربيع الآخر ، وهو الصحيح .

(٣) أي معز الدولة .

مُـدَّت إليـكَ يـدُ الـرَّدَى وأُخِذْتَ من بيتِ الذَّهَبْ

ولما مات معز الدولة قام بالأمر بعدَه ولده عز الدولة ، فأقبل على اللعب واللهو والاشتغال بأمر النِّساء ، فتفرَّق شمله واختلفت الكلمة عليه ، وطمع الأمير منصور بن نوح السَّاماني صاحب بلاد خراسان في ملك بني بُوَيه ، وأرسل الجيوش الكثيفة صحبة الملك وشمكير ، فلما علم بذلك ركن الدولة بن بويه أرسل إلى ابنه عضد الدولة وابن أخيه عز الدولة يستنجدهما ، فأرسل[١] إليه بجنود كثيرة ، فركب فيها ركن الدولة ، وبعث إليه وشمكير يتهدده ويتوعده ، ويقول : لئن قدرت عليك لأفعلن بك ولأفعلن .

فكتب إليه ركن الدولة : لكني إن قدرت عليك لأحسنن إليك ولأصفحن عنك . فكانت العاقبة لهذا ، فدفع الله عنه شرَّه ؛ وذلك أن وشمكير ركب فرساً صعباً فتصيَّدَ عليها ، فحمل عليه خنزير ، فنفرتِ الفرس ، فألقته على الأرض ، فخرج الدم من أذنيه ، فمات من ساعته وتفرَّقت العساكر . وبعث ابن وشمكير يطلب الأمان من ركن الدولة فأمَّنه ، وأرسل إليه بالمال والرِّجال ، ووفى بما قال ، وصرف الله عنه كيد السَّامانية ، وذلك بصدق النية وحُسن الطوية .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو الفرج[٢] [الأصبهاني صاحب الأغاني][٣] ، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحَكم ، الأموي ، الأصْبهاني ، صاحب كتاب « الأغاني » وكتاب « أيام العرب » ذكر فيه ألفاً وسبعمئة يومٍ من أيامهم ووقائعهم .

وقد كان شاعراً أديباً كاتباً ، عالماً بالأخبار وأيام الناس إلا أنه كان يتشيع .

قال ابن الجَوْزي : ومثله لا يوثَقُ به ، فإنه يصرِّح في كتبه بما يوجب تفسيقه ويهوِّن شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمَّل كتاب « الأغاني » رأى كلَّ منكر وقبيح[٤] .

وقد روى الحديث عن محمد بن عبد الله مُطَيَّن وخَلْق ، وروى عنه الدَّارَقُطني وغيره . توفي في ذي الحِجَّة من هذه السنة .

---

(١) أي عضد الدولة ، انظر الكامل (٨/ ٥٧٨) .

(٢) يتيمة الدهر (٣/ ١٠٩ ـ ١١٣) ذكر أخبار أصبهان (٢/ ٢٢) الفهرست (١٦٦ ـ ١٦٧) فهرست الطوسي (١٩٢) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠) المنتظم (٧/ ٤٠ ـ ٤١) معجم الأدباء (١٣/ ٩٤ ـ ١٣٦) إنباه الرواة (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٣) الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٨١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٣) العبر (٢/ ٣٠٥) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١٥ ـ ١٦) شذرات الذهب (٣/ ١٩ ـ ٢٠) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٤) المنتظم (٧/ ٤٠ ـ ٤١) .

وقال ابن خَلِّكان : وقيل في التي بعدها ، وكان مولده في سنة أربع وثمانين ومئتين ، التي توفي فيها البُحْتري الشَّاعر . وقد ذَكَرَ له مصنَّفاتٍ عديدةً ، منها « الأغاني » و « الديارات » و « أيام العرب » وغير ذلك[١] .

سَيْفُ الدَّولة[٢] [بن حمدان صاحب حلب][٣] ، **أبو الحسن ، علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان**[٤] بن حمدون ، التَّغْلبي ، الرَّبَعي ، الملقَّب بسيف الدولة .

أحد الأمراء الشجعان ، والملوك الكثيري الإحسان ، على ما كان فيه من تشيُّع ، وقد ملك دمشق في بعض الأوقات ، واتَّفقَ له أشياء غريبة ، منها أن خطيبه كان مصنِّف الخُطب النباتية أحد الفصحاء البلغاء ، وشاعره المتنبي ، ومطربه أبو نَصْر الفارابي ، وكان [كريماً][٥] جواداً ممدَّحاً ، مِعْطاءً للجزيل .

ومن شعره في أخيه ناصر الدولة صاحب المَوْصل :

رَضِيتُ لكَ العَلْيَا[٦] وقدْ كُنْتُ أهْلَها ... وقُلْتُ لهم بيني وبين أخي فَرْقُ ؟
وما كان لي عنها نُكُولٌ وإنَّما ... تجاوزْتُ عن حَقِّي فَتمَّ لكَ الحقُّ
أما كُنْتَ تَرْضَى[٧] أنْ أكونَ مُصَلِّياً ... إذا كنتُ أرْضَى أن يكون لك السَّبْقُ[٨]

وله أيضاً :

قدْ جَرَى في دَمْعِهِ دمُهُ ... فإلى كَمْ أنتَ تَظْلِمُهُ
رُدَّ عنهُ الطَّرْفَ منكَ فقد ... جَرَحتْهُ[٩] منكَ أسْهُمُهُ
كيفَ يَسْطيعُ التَّجلُّدَ مَنْ ... خَطَراتُ الوَهْمِ تُؤْلِمُهُ[١٠]

وكان سببُ موته الفالج ، وقيل : عُسْرَ البول ، وتوفي بحلب ، وحمل تابوته إلى مَيَّافارِقين فدفن

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩) .
(٢) يتيمة الدهر (١/ ١٥ ـ ٣٤) المنتظم (٧/ ٤١) الكامل لابن الأثير (٨/ ٣٩٦ ـ ٣٩٩ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٥٤٤ ـ ٥٥٢) وغيرها ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٦) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٨٧ ـ ١٨٩) النجوم الزاهرة (٦/ ١٦ ـ ١٨) شذرات الذهب (٣/ ٢٠ ـ ٢١) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) في (ح) : عبيد الله بن أحمد حمدون ، وهو وهم ، والمثبت من وفيات الأعيان (٣/ ٤٠١ ، ٢/ ١١٤) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) في (ب) : الدنيا .
(٧) في (ب) : أرضى .
(٨) الأبيات في يتيمة الدهر (١/ ٢٦) والكامل (٨/ ٥٨٠ ـ ٥٨١) ووفيات الأعيان (٢/ ١١٦) مع اختلاف في اللفظ .
(٩) في وفيات الأعيان : خرقته .
(١٠) الأبيات في يتيمة الدهر (١/ ٢٦) والكامل (٨/ ٥٨١) ووفيات الأعيان (٢/ ١١٦) .

بها ، وعمره ثلاث وخمسون سنة ، وقام بملك حلب من بعده ولده سعد الدولة أبو المعالي شريف ، ثم تغلَّب عليه مولى أبيه قرغويه ، فأخرجه من حلب إلى أمه[(١)] بميَّافارِقين ، ثم عاد إليها كما سيأتي بيانه[(٢)] .

وذكر القاضي ابن خَلِّكان شيئاً كثيراً مما قاله سيفُ الدولة ، وقيل فيه ، قال : ولم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشُّعراء ، وقد أجاز لجماعةٍ من الكبار كالمتنبي والخالديَّيْن والسَّري الرَّفاء ، والنامي والببغاء وغيرهم ، وذكر [القاضي][(٣)] ابن خلِّكان أنه ولد سنة ثلاث ، وقيل : إحدى وثلاثمئة ، وأنه ملك حلب بعد الثلاثين والثلاثمئة ، وكان قبل ذلك يملك واسط ، ثم تنقلت به الأحوال حتى ملك حلب ، انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكِلابي صاحب الأخشيذ[(٤)] وملك دمشق في وقت .

وقد قال يوماً لندمائه : أيكم يجيز قولي ، وما أظن أحداً يجيزه :

لَـكَ جسمـي تُعِلُّـهْ ... فَـدَمـي لِـمْ تُحِلُّـهْ ؟

فقال ابن عمه[(٥)] أبو فراس بديهةً :

قـال إن كنـتُ مـالكـاً ... فلـيَ الأمـرُ كلُّـه[(٦)]

وفيها توفي[(٧)] :

كافُور الإخْشيذي[(٨)] مولى محمد بن طُغْج الإخشيذ : وقد قام بالأمر من بعد مولاه لصغر أولاده ، فملك مِصْر ودمشق ، وناوى[(٩)] سيفَ الدولة وغيره ، وقد كُتبَ على قبره :

انظـر إلـى غِيَـرِ الأيَّـام مـا صَنَعَـتْ ... أفْنَـتْ أُنـاسـاً بهـا كـانـوا ومـا فَنِيَـتْ

---

(١) في (ح) : أبيه ، والمثبت من (ب) .
(٢) انظر حوادث سنة (٣٦٧هـ) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) تملك حلب سنة (٣٣٣هـ) ، حوادث سنة (٣٣٣هـ) .
(٥) في (ح) و(ب) : أخوه ، وهو وهم .
(٦) انظر يتيمة الدهر (١/ ١٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٠٣) .
(٧) في بعض المصادر توفي سنة (٣٥٧هـ) ، وسترد ترجمته فيها . وصحح ابن خلكان وفاته في هذه السنة ، انظر وفيات الأعيان (٤/ ١٠٥) وذكر ابن الجوزي وفاته سنة (٣٥٨هـ) فأغرب ، انظر المنتظم (٧/ ٥٠) وأحداث سنة (٣٥٨هـ) .
(٨) المنتظم (٧/ ٥٠ ـ ٥١) الكامل لابن الأثير (٨/ ٤٤٥ ، ٤٥٧ ، ٥٨٠ ـ ٥٨٤) وفيات الأعيان (٤/ ٩٩ ـ ١٠٥) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٠٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٩٠ ـ ١٩٣) العبر (٢/ ٣٠٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١ ـ ١٠) شذرات الذهب (٣/ ٢١ ـ ٢٢) .
(٩) أي ناوأ ، غير مهموز . انظر اللسان (نوأ) .

دُنْيـاهُـمُ ضَحِكَـتْ أَيَّـامَ دَوْلَتِهِـمْ حتـى إذا فَنِيَـتْ نـاحَـتْ لهـمْ وبَكَـتْ

أبو علي القالي[١] : [صاحب الأمالي][٢] إسماعيل بن القاسم بن عَيْذُون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سَلْمان[٣] ، أبو علي ، القالي اللُّغوي ، الأُموي مولاهم ؛ لأن سَلْمان هذا كان مولى لعبد الملك بن مروان ، والقالي نسبة إلى قالي قَلا ، ويقال إنها أرْزن الرُّوم ، فالله أعلم .

وكان مولده بمَنازْجِرْد من أرضِ الجزيرة من ديار بكر ، وسمع الحديث من أبي يعلى المَوْصلي وغيره ، وأخذ النَّحْو واللُّغة من ابن دُرَيد وأبي بكر بن الأنباري ونِفْطَويه وغيرهم ، وصنَّف « الأمالي » وهو مشهور[٤] ، وله كتاب « البارع »[٥] على حروف المعجم في خمسة آلاف ورقة ، وغير ذلك من المُصَنَّفات في اللغة ، ودخل بغداد ، وسمع بها ، ثم ارتحل إلى قُرْطبة ، فدخلها في سنة ثلاثين وثلاثمئة واستوطنها ، وصنَّف كتباً كثيرة فيها إلى أن توفي بها في هذه السنة عن ثمانٍ وستين سنة ، قاله القاضي ابن خلِّكان[٦] .

وفيها توفي أبو علي محمد بن إلياس صاحب بلاد كَرْمان وأرضها ومعاملاتها ، فأخذ عضد الدولة بن ركن الدولة بلاد كرمان من أولاد محمد بن إلياس وهم ثلاثة : اليسع ، [وإلياس][٧] وسليمان .

والملك الكبير وشمكير ، كما قدَّمنا ذكره في هذه السنة .

وممن توفي فيها من الملوك الحسن بن الفيرزان ، ومعز الدولة بن بويه الدَّيْلمي ، وسيف الدولة صاحب حلب كما قدمنا ذكر ذلك[٨] .

قال ابن الأثير : وفيها هلك النقفور ملك الروم[٩] . يعني الدمستق صاحب بلاد الأرمن ، وقد ذكرنا

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (١٣٢ و٢٠٢ ـ ٢٠٥) تاريخ علماء الأندلس (١/ ٦٩) جذوة المقتبس (١٦٤ ـ ١٦٧) الأنساب (١٠/ ٣٣) فهرست ابن خير (ص٣٩٥) بغية الملتمس (٢٣١ ـ ٢٣٤) معجم الأدباء (٧/ ٢٥ ـ ٣٣) معجم البلدان (٤/ ٣٠٠) إنباه الرواة (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٩) اللباب (٣/ ٩) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥ ـ ٤٧) العبر (٢/ ٣٠٤) مرآة الجنان (٢/ ٣٥٩) المزهر (٢/ ٤٢٠) بغية الوعاة (١/ ٤٥٣) نفح الطيب (١/ ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩) وغيرها ، شذرات الذهب (٣/ ١٨) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) في (ح) : سليمان ، والمثبت من (ب) ، وهو ما عليه أغلب المصادر .

(٤) طبع في دار الكتب المصرية ـ القاهرة سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م .

(٥) في (ح) و(ب) و(ط) : التاريخ ، وهو تحريف ، والمثبت من وفيات الأعيان (١/ ٢٢٦) .

(٦) انظر وفيات الأعيان (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٨) انظر الصفحة السابقة .

(٩) الكامل (٨/ ٥٨٠) .

ترجمته وما ورد عنه من الشعر ، وأوردنا جوابها للإمام العلامة أبي محمد بن حزم الفقيه الظاهري[١] رحمه الله تعالى .

وممن توفي بها كافور الإخشيذي في قول ابن خلكان[٢] .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمئة

فيها شاع الخبر ببغداد وغيرها من البلاد أن رجلاً قد ظهر يقال له محمد بن عبد الله ، ويلقب بالمهدي وزعم أنه الموعود به في الحديث الوارد في المهدي ، وأنه يدعو إلى الخير وينهى عن الشر ، ودعا إليه أُناسٌ ببغداد ، فإن دعوا سنياً قالوا : هو من سلالة العباس ، وإن كان المدعو شيعياً ، قالوا له : هو علوي ، وكان الرجل إذ ذاك مقيماً بمصر عند كافور الإخشيذي قبل أن يموت ، وكان يكرمه ، فكان من جملة المستجيبين له سُبُكْتكين الحاجب ، وكان شيعياً فظنَّه علوياً ، وكتب إليه أن يقدم إلى بغداد ليأخذ له البلاد ، فترحل من مصر ، فلقيه سُبُكْتِكين إلى قريب الأنبار ، فلما رآه عرفه ، وإذا هو محمد بن المُسْتكفي بالله العَبَّاسي ، فلما تحقق أنه عباسيٌّ وليس بعلوي انثنى رأيه عنه ، وتفرَّق شمله وتمزَّق أصحابه كل ممزَّق ، وحمل إلى عز الدولة بن معز الدولة ، فأمنه ، وتسلَّمه المطيع لله ، فجدع أنفه واختفى أمره ، فلم يعرف له خبر بالكلية بعد ذلك .

وفيها وردت طائفة من الرُّوم ـ لعنهم الله ـ إلى بلاد أنطاكية ، فقتلوا خلقاً من حواضرها ، وسبوا اثني عشر ألفاً من أهلها ، ورجعوا إلى بلادهم ، ولم يعرض لهم أحد .

وعملت الرَّوافض في عاشورها المأتم ، وفي يوم غدير خُمّ الهناء والسرور .

وفيها عرض للناس في تشرين داء الماشرى ، فمات به خَلْقٌ كثير فجأة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها مات أكثر جمال الحجيج في الطَّريق من العطش ، ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل ، وفات أكثر منْ وصل منهم الحج عامه ذلك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها اقتتل أبو المعالي شريف بن سيف الدولة هو وخاله وابنُ عم أبيه أبو فراس بن سعيد بن حمدان الشاعر عند قرية يقال لها صَدَد ، فقتل أبو فراس في المعركة . قال ابنُ الأثير : ولقد صدق من قال : إن المُلْك عقيم[٣] .

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٥٥هـ) .
(٢) انظر وفيات الأعيان (٤/ ١٠٥) .
(٣) الكامل (٨/ ٥٨٨) .

وفيها أظهرت الشيعة الحزن الشديد يوم عاشوراء من المحرم ، وعملوا عيد غدير خم في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة ، وأظهروا الفرح والسرور .

وممن توفي فيها أيضاً :

إبراهيم المتقي لله بن جعفر المقتدر ، وكان قد ولي الخلافة ، ثم ألجىء إلى أن خُلع عنها سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة كما ذكرنا[١] ، وألزم بيته ، فمات في هذه السنة ، ودفن بداره عن ستين سنة ، [رحمه الله][٢] .

عمر بن جعفر بن عبد الله[٣] بن أبي السَّري : أبو حفص ، البَصْري الحافظ .

ولد سنة ثمانين ومئتين ، وكان انتخب على المشايخ ، وحدَّث عن أبي خليفة الفَضْل بن الحُباب وغيره ، وقد انتقد عليه مئة موضع ، قال الدَّارَقُطني : فنظرت فيها ، فإذا الصَّواب مع عمر بن جعفر[٤] .

ومحمد بن أحمد بن علي بن مَخْلَد[٥] : أبو عبد الله ، الجَوْهري ، المُحْتَسِب ، ويعرف بابن المُحْرِم[٦] .

وكان أحد أصحاب ابن جرير ، وقد روى عن الكُدَيمي وغيره ، وقد اتفق أنه تزوَّج امرأةً ، فلما أُدخلت[٧] عليه جلس يكتب الحديث ، فجاءت أمها ، فأخذت الدَّواة فرمت بها ، وقالت : هذه أضرُّ على ابنتي من ثلاثمئة ضرَّة . وقد توفي في هذه السنة عن ثلاثٍ وتسعين سنة ، وكان يضعَّف في الحديث .

وكافُور بن عبد الله الإخْشِيْدِي : كان مولى للسُّلطان محمد بن طُغْج الإخشيد . اشتراه من بعض أهل مِصر بثمانية عشر ديناراً ، وقرَّبه وأدناه ، واختصَّه من بين الموالي واصطفاه ، ثم جعله أتابكاً حين ملك ولداه ، ثم استقلَّ بالأمور بعد موتهما في سنة خمسٍ وخمسين ، واستقرَّت المملكة باسمه ، فدعي له على المنابر بالدِّيار المِصْرية والشَّامية وبلاد الحجاز جميعاً ، وكان شَهْماً ذكياً فاتكاً جيد السِّيرة ، مدحه

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٣٣هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩) المنتظم (٧/ ٤٤ ـ ٤٥) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٣٤ ـ ٩٣٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٧٢ ـ ١٧٣) العبر (٢/ ٣٠٩) ميزان الاعتدال (٣/ ١٨٤) لسان الميزان (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩) طبقات الحفاظ (٣٧٨) شذرات الذهب (٣/ ٢٦) .
(٤) انظر تاريخ بغداد (١١/ ٢٤٤) .
(٥) تاريخ بغداد (١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) المنتظم (٧/ ٤٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٦٠ ـ ٦١) العبر (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٦٢) مشتبه النسبة (٢/ ٥٧٩) لسان الميزان (٥/ ٥١ ـ ٥٢) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠) شذرات الذهب (٣/ ٢٦) .
(٦) انظر تبصير المنتبه (٤/ ١٢٦٨) .
(٧) في (ح) : دخلت ، والمثبت من (ب) .

الشعراء ، ووفد إليه المتنبي حين ذهب مغاضباً لسيف الدولة بن حمدان ، فآوى إلى كافور ، وحصل له منه رِفْد ، ثم تغيَّر عليه ، فأبعده كافور فهجاه ، ورحل عنه إلى عضد الدولة بن بويه ، وكان هناك حتفه كما تقدم بيانه . وأما كافور فإنه لما توفي دفن بتربته المشهورة به ، وقام بالملك بعده أبو الحسن علي بن الإخشيد(١) ، ومنه أخذ الفاطميون الأدعياء بلادَ مِصْر كما سيأتي . وكانت مملكة كافور سنتين وثلاثة أشهر ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمئة

في عاشوراء عملت الرَّوافض بدعتهم ، وفي يوم غدير خُمّ عملوا الفرح المبتدع .

وحصل بالعراق غلاء عظيم حتى كاد يعدم الخبز بالكلية .

وعاثت الروم في البلاد فساداً ، وحرقوا حمص ، وأفسدوا فيها فساداً عظيماً ، وسَبَوْا من المسلمين نحواً من مئة ألف إنسان ، [فإنا لله وإنا إليه راجعون](٢) .

دخول جوهر القائد إلى الديار المصرية

وفيها دخل أبو الحسن جوهر القائد الرُّومي في جيشٍ كثيف من جهة المعز الفاطمي إلى ديار مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان ، فلما كان يوم الجمعة خطب للمعزِّ الفاطمي على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها ، وأمر جوهر المؤذنين بالجامع العتيق وبجامع ابن طولون أن يؤذنوا بحي على خير العمل ، وأن يجهر الأئمة بالبسملة ، وذلك لأنه لما توفي كافور الإخشيدي لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه ، وأصابهم غلاءٌ شديد أضعفهم ، فلما بلغ ذلك المُعزّ وهو ببلاد إفريقية بعث جوهر القائد الرومي ، مولى أبيه المنصور ـ في جيش كبير إلى الديار المصرية ، فلما بلغ ذلك أصحابَ كافور هربوا منها قبل وصول جوهر القائد إليها ، فدخلها آخذاً لها بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة ، ففعل ما ذكرنا من الأمور ، واستقرَّت أيديهم على تلك البلاد بعد كافور الإخشيدي .

وفي هذه السنة شرع جوهرالقائد في بناء القاهرة المُعزِّية ، وبناء القَصْرين عندها على ما سنذكره ، وهيأ الإقامات لمولاه المعز الفاطمي .

---

(١) كذا في (ح) و(ب) ، والصواب أنهم أقاموا ابنه أبا الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد ، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وقد قرَّ في صدر الترجمة هذه أن كافوراً استقل بالأمر سنة (٣٥٥هـ) ، وهي سنة وفاة علي بن الإخشيد ، انظر الولاة والقضاة للكندي (٢٩٧) ووفيات الأعيان (٤/ ١٠٥ و٥/ ٥٩) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

وأرسل جوهر [القائد][١] جعفرَ بنَ فلاح في جيش كثيف إلى الشام ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الهاشمي ، وكان مطاعاً فيهم ، فحاجف[٢] عن العباسيين مُدَّة طويلة ، ثم آل الأمر إلى أن خطب للمعز بدمشق ، وحمل الشريف أبو القاسم إلى الديار المصرية ، وأسر الحسن بن عبد الله بن طُغْج وجماعة من الأمراء ، [فحملوا إلى الديار المصرية][٣] فحملهم جوهر إلى المعز بإفريقية ، واستقرَّت يد الفاطميين على دمشق في سنة ستين كما سيأتي[٤] ، وأذن حي على خير العمل أكثر من مئة سنة ، وكتبت لعنة الشيخين رضي الله عنهما على أبواب الجوامع ، وأبواب المساجد بدمشق ، [فإنا لله وإنا إليه راجعون][٥] . ولم يزل ذلك كذلك حتى أزالت ذلك دولة الأتراك على ما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها دخلت الرُّوم إلى حمص فوجدوا أكثر أهلها قد جلوا عنها وانتقلوا منها ، فحرقوها ، وأسروا من بقي بها ومن حولها نحواً من ألف إنسان ، [فإنا لله وإنا إليه راجعون][٥] .

وفي ذي الحجَّة نَقَلَ عِزُّ الدولة والدَه معز الدولة بن بُوَيْه من داره إلى تربته بمقابر قريش .

وممن توفي فيها من الأعيان وذكره ابن الجوزي في « منتظمه »[٦] كافور الإخشيدي [وقد تقدم]. قال ابن الجوزي : وقد رأيت مدح المتنبي لكافور يحتمل الذم والمدح ، وكأنه تلعب به ، والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة تسعٍ وخمسين وثلاثمئة

في عاشر المحَرَّم منها عملت الرَّوافض بدعتهم الشَّنعاء ، فغلقت الأسواق ، وتعطَّلت المعايش ودارت النِّساء سافرات عن وجوههن ينحن على الحسين بن علي ، ويلطمن وجوههن ، والمسوح معلَّقة في الأسواق والتبن مذرور فيها .

وفيها دخلتِ الروم الملاعين أنطاكية ، فنفوا أهلها الشيوخ والعجائز ، وسبوا من النِّساء والأطفال نحواً من عشرين ألفاً ، وذلك كلُّه بتدبير ملك الأرمن النقفور ، لعنه الله .

قال ابن الجَوْزي : وكان قد تجبر وطغا وتمرد ، وقد تزوج مع ذلك بامرأة الملك الذي كان قبله ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) أي دافع عنهم ، انظر اللسان (حجف) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) انظر أحداث سنة (٣٥٩هـ) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) انظر المنتظم (٧/ ٥٠ ـ ٥١) .

ولها منه ابنان ، فأراد أن يخصيهما ويجعلهما في الكنيسة لئلا يصلحا بعد ذلك للملك ، فلما فهمت أمهما ذلك عملت عليه وسلَّلت[١] عليه الأمراء ، فقتلوه وهو نائم ، وملَّكوا عليهم أكبر ولديها .

وفي ربيع [الأول][٢] صُرف عن القضاء أبو بكر أحمد بن سيار ، وأعيد إليه أبو محمد بن معروف .

قال ابنُ الجوزي : وفي هذه السنة نقصت دجلة حتى غارت الآبار . وحجَّ بالناس الشريف أبو أحمد النقيب[٣] .

قال : وانقضَّ كوكبٌ في ذي الحجَّة فأضاءت منه الدنيا حتى بقي له شعاعٌ كالشمس ، ثم سُمِع له صوت كالرَّعد[٤] .

قال ابنُ الأثير : وفي المحرَّم من هذه السنة خطب للمعز الفاطمي بدمشق عن أمر جعفر بن فلاح الذي سيَّره جوهر القائد من مصر إلى الشام ، فقاتله أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طُغْج بالرَّمْلة ، فغلبه ابنُ فلاح ، وأسر ابن طُغْج وسيَّره إلى جوهر ، فأرسله جوهر إلى المعز وهو بإفريقية واستقرَّت يد الفاطميين على دمشق أيضاً بعد حروب يطول ذكرها ، تطاول أمرها إلى آخر هذه السنة[٥] .

وفي هذه السنة وقع بين ناصر الدولة بن حمدان وبين ابنه أبي تغلب ، وسببه أنه لما مات معز الدولة بن بويه عزم أبو تغلب ومنْ وافقه من أهل بيته على الدخول إلى بغداد وأخذ مملكة العراق ، فقال لهم أبوهم : إن معز الدولة[٦] قد ترك لابنه أموالاً جزيلة لا تقدرون عليه ما دامت في يده ، ولكن اصبروا حتى ينفقها ، فإنه مبذِّر ، فإذا أفلس فثوروا عليه فإنكم تغلبونه لا محالة ، فحقد عليه ولده أبو تغلب بسبب ذلك ، ولم يزل بأبيه حتى سجنه في القلعة ، فاختلف أولاده بينهم وصاروا أحزاباً ، وضعفوا عن حفظ ما بأيديهم ، حتى بعث أبو تغلب إلى عز الدولة ، فضمن منه بلاد المَوْصل بألف ألف درهم كل سنة يحملها إليه ، واتفق موت أبيه ناصر الدولة في هذه السنة ، واستقرَّ أبو تغلب بالمَوْصِل ملكها ، إلا أنهم فيما بينهم مختلفين متحاربين ، فهلكوا ، ولو اتفقوا لملكوا[٧] .

وفي هذه السنة دخل ملك الرُّوم إلى طرابلس ، فأحرق كثيراً منها ، وملك قلعة عرقة ونهبها وسبى أهلها ، وكان في قلعتها صاحب طرابلس كان لجأ إليها حين أخرجه أهل طرابلس لأجل شدَّة ظلمه ،

---

(١) في (ب) و(ط) : وسلطت .
(٢) ما بين حاصرتين من المنتظم (٧/ ٥١) .
(٣) المنتظم (٧/ ٥١ ـ ٥٢) .
(٤) المنتظم (٧/ ٥٢) .
(٥) انظر الكامل (٨/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) .
(٦) في (ح) : عز الدولة ، وهو وهم ، والخبر ساقط من (ب) ، والمثبت من (ط) .
(٧) انظر الكامل (٨/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠ ، ٥٩٣ ـ ٥٩٦) .

فأسرته الروم ، واستحوذوا على جميع حواصله وأمواله ، وكانت كثيرة جداً ، ثم مالوا على السواحل ، فملكوا ثمانية عشر منبراً[١] سوى القرى ، وتنصَّر خَلْق كثير على أيديهم [لعنهم الله][٢] ، وجاؤوا حمص فحرقوا ونهبوا ، ومكث ملك الرُّوم شهرين ، فأخذ ما شاء من البلاد ، وأسر من قدر عليه من العباد ، وصارت له مهابة عظيمة في قلوب النَّاس ، ثم عاد إلى بلاده ومعه من السَّبي نحو من مئة ألف صبيٍّ وصبية ، وكان سبب عوده إلى بلاده كثرة الأمراض في جيشه ، واشتياقهم إلى أولادهم وأهليهم وأوطانهم ، وبعث سريةً إلى الجزيرة ، فنهبوا وسبوا ، وكان قرغويه غلام سيف الدولة قد استحوذ على حلب ، وأخرج منها ابنَ أستاذه أبا المعالي شريف بن سيف الدولة ، فسار إلى حَرَّان وهي تحت حكمه ، فأبوا أن يدخلوه إليهم ، فذهب إلى أمه بميَّافارِقين ، وهي ابنة سعيد بن حَمْدان ، فمكث عندها حيناً ، ثم سار إلى حماة فملكها ، ثم عاد إلى حلب بعد سنتين كما سنذكره فيما بعد ، ولما عاثتِ الروم في هذه السنة بالشَّام صانعهم قرغويه عن حلب ، وبعث إليهم بأموالٍ وتحف ، ثم عادوا إلى أنطاكية فملكوها وقتلوا خلقاً كثيراً بها ، وسبوا عامة أهلها ، وركبوا إلى حلب وأبو المعالي محاصر غلامه قرغويه ، فخافهم أبو المعالي ، فهرب عنها وحاصرها الرُّوم فأخذوا البلد ، وامتنعت القلعة عليهم ، ثم اصطلحوا مع قرغويه على هدنة مؤبدة ومال يحمله كل سنة ، وسلَّموا إليه البلد ، ورجعوا عنه .

وفي هذه السنة خرج على المعز الفاطمي وهو بإفريقية رجلٌ يقال له أبو خزر ، فنهض إليه المعز بنفسه وجنوده فهرب منه ، فأرسل في طلبه يوسف بُلُكين[٣] بن زيري ، فردَّه وطرده ، ثم عاد فاستأمن ، فقبل منه المعز ذلك ، وصفح عنه .

وجاء الرسول من جوهر القائد إلى المعز في هذه السنة يبشِّره بفتح الديار المصرية وإقامة الدعوة لهم فيها ، وطلبه إليه ، ففرح بذلك المعز الفاطمي فرحاً شديداً وامتدحه الشعراء ، فكان ممن امتدحه شاعره محمد بن هانىء في قصيدةٍ أولها :

يقول بنو العَبَّاس هل فُتِحتْ مِصْرُ   فَقُـلْ لبنـي العَبَّـاس قـد قُضِـيَ الأَمْـرُ

وذكر ابنُ الأثير أن في هذه السنة توفي النقفور الذي كان دُمَستقاً ثم صار ملك الروم ، وأراد قتل ابني الملك الذي كان قبله ، فغارت أمهما له ، فقتلته غيلة . قال : وقد كان هذا اللعين من أبناء المسلمين ، كان أبوه من أهل طَرَسُوس من خيار المسلمين يعرف بابن الفقَّاس ، فتنصَّر هذا الكلب ، وحظي عند النصارى حتى صار من أمره ما صار ، وكان من أشدِّ الناس على المسلمين ، وقد أخذ بلاداً كثيراً عَنْوةً ؛

(١) أي بلداً ، لأن المنبر لا يقام إلا في مسجد تقام به صلاة الجمعة .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) في (ح) : يوسف بن بلكين بن زيري ، وهو وهم ، والمثبت من (ب) ، وانظر وفيات الأعيان (١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) .

من ذلك طرسوس وأَذَنة وعين زَرْبة والمَصِّيصة وغير ذلك من البلاد ، وقتل خلقاً كثيراً لا يعلمهم إلا الله ، وسبى من المسلمين والمسلمات ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم ، وهذا اللعين هو الذي بعث تلك القصيدة إلى المطيع لله . وقد أوردناها في آخر الجزء الذي قبل هذا في سنة خمس وخمسين وثلاثمئة ، ثم انتدب لها بعدئذ الفقيه الإمام ، أبو محمد بن حزم الظاهري ، فأجاب عنها جواباً شافياً كافياً ، فجزاه الله عن الإسلام خيراً[١] .

وفيها رام عِزُّ الدولة صاحب بغداد محاصرة عمران بن شاهين فلم يقدر عليه ، فصالحه ورجع إلى بغداد .

وفيها اصطلح قرغويه وأبو المعالي ، فخطب له قرغويه بحلب ، وخطبا جميعاً في معاملتيها للمعز الفاطمي ، بحلب وحمص ، وخطب بمكة للمطيع لله والقرامطة أيضاً ، وبالمدينة للمعز الفاطمي . وخطب أبو أحمد الموسوي بظاهرها للمطيع ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن أحمد بن الحسن[٢] بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله ، أبو علي ، ابن الصَّوَّاف .

روى عن عبد الله بن أحمد وطبقته ، وعنه خَلْقٌ منهم الدَّارَقُطْني ، وقال : ما رأت عيناي مثله في تحرُّزه ودينه ، وقد بلغ تسعاً وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

محارب بن محمد بن محارب[٣] : أبو العلاء القاضي الفقيه الشَّافعي من ذُرِّية محارب بن دِثار[٤] .

وكان ثقة عالماً فاضلاً ، روى عن جعفر الفِرْيابي ، وغيره .

أبو الحسين أحمد بن محمد[٥] : المعروف بابن القَطَّان ، أحد أئمة الشافعية .

تفقه بابن سُرَيج ، ثم بالشيخ أبي إسحاق المَرْوزي ، وتفرَّد برياسة المذهب بعد موت أبي القاسم

---

(١) انظر وفيات سنة (٣٥٥هـ) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : الحسين ، وهو تحريف ، والمثبت من تاريخ بغداد (١/ ٢٨٩) ومثله في مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (١/ ٢٨٩) الأنساب (٨/ ٩٩) المنتظم (٧/ ٥٢ ـ ٥٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٨٤ ـ ١٨٦) الوافي بالوفيات (٢/ ٤٤) شذرات الذهب (٣/ ٢٨) .

(٣) المنتظم (٧/ ٥٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٧٧) .

(٤) قاضي الكوفة لخالد بن عبد الله القسري ، المتوفى سنة (١١٦هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٧ ـ ٢١٩) .

(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٣) وفيات الأعيان (١/ ٧٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٥٩) الوافي بالوفيات (٧/ ٣٢١) طبقات ابن هداية الله (٨٥) شذرات الذهب (٣/ ٢٨) .

الدَّارَكي[١] ، وصنَّف في أُصول الفِقْه وفروعه ، وكانت الرحلة إليه ببغداد ، ودرَّس به ، وكتب شيئاً كثيراً ، وكانت وفاته رحمه الله تعالى ورضي عنه في جمادى الأولى من هذه السنة .

ثم دخلت سنة ستين وثلاثمئة

في عاشر محرَّمها عَمِلَتِ الرَّوافض بِدْعتهم المحرَّمة على عادتهم المتقدِّمة .

وفي ذي القَعْدة منها أخذت القرامطة دمشق ، وقتلوا نائبها جَعْفر بن فَلاح[٢] من جهة المعز الفاطمي ، وكان رئيس القرامطة وأميرهم الحسن[٣] بن أحمد بن بَهْرام ، وقد أمدَّه عِزُّ الدولة من بغداد بسلاحٍ وعُدَدٍ كثيرة ، ثم ساروا إلى الرَّمْلة فأخذوها ، وتحصَّن منْ كان فيها من المغاربة بيافا ، فتركوا عليها من يحصرها ، وساروا نحو الديار المصرية في جَمْعٍ كثير من الأعراب والإخشيدية والكافُورية ، فوصلوا عين شمس ، فاقتتلوا هم وجنود جوهر قتالاً شديداً ، والظفر كان للقرامطة ، وحصروا المغاربة حَصْراً عظيماً . ثم حملت المغاربة في بعض الأيام على ميمنة القرامطة فهزمتها ، ورجعت القرامطة إلى الشَّام ، فجدُّوا في حصار يافا ، فأرسل جوهر إلى أصحابه خمسة عشر مركباً ميرةً لأصحابه ، فأخذتها مراكب القرامطة سوى مركبين أخذتهما الفرنج ، وجَرَتْ خطوبٌ كثيرة .

ومن شعر الحسن بن أحمد بن بَهْرام أمير القرامطة :

زَعَمَتْ رجالُ الغَرْبِ أنّي هِبْتُها[٤] ... فَـدَمـي إذاً مـا بَيْنَهُـمْ مَطْلُـولُ

يا مِصْرُ إن لم أسْقِ أرْضَكِ من دمٍ ... يَـرْوي ثَـراكِ فـلا سَقـانـي النِّيْـلُ

وفيها تزوَّج أبو تغلب بن حمدان ابنة بَخْتيار عز الدولة وعمرها ثلاث سنين على صَدَاق مئة ألف دينار ، ووقع العَقْد في صفرٍ .

وفيها استوزر مؤيَّد الدولة بن ركن الدولة الصَّاحب أبا القاسم بن عَبَّاد ، فأصلح أموره كلها وساس دولته جيداً .

وفيها أُذِّن بدمشق وسائر الشَّام بحيَّ على خير العمل .

---

(١) ما أدري كيف يصح هذا إذا كانت وفاة أبي القاسم الداركي سنة (٣٧٥هـ) كما سيأتي في ترجمته في وفيات سنة (٣٧٥هـ) .

(٢) مَرَّ أنه دخل دمشق سنة (٣٥٨هـ) ، وانظر ترجمته في وفيات الأعيان (١/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) .

(٣) في (ح) و (ب) و (ط) : الحسين ، وهو تحريف ، والمثبت من مصادر ترجمته التي سترد في وفيات سنة (٣٦٦هـ) .

(٤) في (ح) : هبتهم ، والمثبت من (ب) .

قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة جعفر بن فَلاح نائب دمشق : أول من تأمر بها عن الفاطميين وهو الذي أمر بذلك نيابة عن المعز الفاطمي صاحب القاهرة ، أخبرنا أبو محمد بن الأكْفاني[(١)] قال : قال أبو بكر أحمد بن محمد بن شرام : وفي يوم الخميس لخمسٍ خَلَون من صفر من سنة ستين وثلاثمئة أعلن المؤذنون في الجامع بدمشق وسائر منائر البلد ، ومآذن المساجد بحي على خير العمل بعد حي على الفلاح ، أمرهم بذلك جعفر بن فلاح ، ولم يقدروا على مخالفته ، ولا وجدوا من المسارعة إلى طاعته بداً . وفي يوم الجمعة الثامن من جُمادى الآخرة منه أُمر المؤذنون أن يثنوا الأذان والتكبير في الإقامة مثنى مثنى ، وأن يقولوا في الإقامة حي على خير العمل ، فاستعظمَ النَّاس ذلك ، وصبروا على حكم الله تعالى .

وممن توفي فيها من الأعيان :

السَّري بن أحمد بن السَّري[(٢)] : أبو الحسن ، الكِنْدي ، الرَّفَّاء ، الشَّاعر المَوْصلي ، أرَّخ وفاته ابنُ الأثير في هذه السنة أعني سنة ستين وثلاثمئة ، وكانت وفاته ببغداد[(٣)] .

وذكر ابنُ الجوزي أنه توفي سنة ثنتين وستين وثلاثمئة كما سيأتي[(٤)] .

محمد بن جعفر[(٥)] **بن محمد بن الهيثم بن عمران بن يزيد** : أبو بكر البُنْدار[(٦)] ، أصله أنباري .

سمع من أحمد بن الخليل البُرْجُلاني ، ومحمد بن [أبي][(٧)] العَوَّام الرِّياحي ، وجعفر بن محمد الصَّائغ ، وأبي إسماعيل التِّرْمذي .

قال ابنُ الجوزي : وهو آخر من روى عنهم[(٨)] .

---

(١) هو هبة الله بن أحمد بن محمد ، مفيد الشام ، وأحد أئمة الحديث ، ولد سنة (٤٤٤هـ) ، وتوفي سنة (٥٢٤هـ) ، وهو من شيوخ الحافظ ابن عساكر ، سمع منه الكثير ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨) .

(٢) يتيمة الدهر (٢/ ١١٧ ـ ١٨٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٩٤) الأنساب (٦/ ١٤١) المنتظم (٧/ ٦٢ ـ ٦٣) معجم الأدباء (١١/ ١٨٢ ـ ١٨٩) الكامل لابن الأثير (٨/ ٦١٧) وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢١٨) العبر (٢/ ٣٥٧) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٧) شذرات الذهب (٣/ ٧٣ ـ ٧٤) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٨/ ٦١٧) .

(٤) المنتظم (٧/ ٦٢ ـ ٦٣) وانظر وفيات سنة (٣٦٢هـ) .

(٥) تاريخ بغداد (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١) المنتظم (٧/ ٥٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٦٣ ـ ٦٤) العبر (٢/ ٣١٦) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٢) شذرات الذهب (٣/ ٣١) .

(٦) البندار : لفظ فارسي معناه التاجر ، ومنه البندر : وهو المرسىٰ ومقر التجار ، ومنه أيضاً الشاهبندر ، انظر الألفاظ الفارسية المعربة (٢٧ ـ ٢٨) .

(٧) ما بين حاصرتين من السير (١٣/ ٤) .

(٨) انظر المنتظم (٧/ ٥٥) .

قالوا : وكانت أصوله جياداً بخط أبيه ، وسماعه صحيحاً ، وقد انتقى عليه عمر البَصْري ، وكانت وفاته فجأة يوم عاشوراء وقد جاوز التسعين ، رحمه الله[١] .

محمد بن الحسين بن عبد الله[٢] : أبو بكر الآجُرِّي .

سمع جعفر الفِرْيابي ، وأبا شُعيب الحَرَّاني ، وأبا مسلم الكَجِّي ، وخلقاً .

وكان ثِقَةً صدوقاً دَيِّناً ، وله تصانيف كثيرة مفيدة ، منها « الأربعون الآجُرِّية » ، وقد حدَّث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمئة ، ثم انتقل إلى مكة ، فأقام بها حتى مات بعد إقامته بها ثلاثين سنة ، رحمه الله تعالى .

محمد بن جعفر بن محمد بن مَطَر[٣] : أبو عمرو الزَّاهد .

سمع الكثير ، ورحل إلى الآفاق المتنائية ، وسمع منه الحُفَّاظ الكبار ، وكان فقيراً متقلِّلاً ، يضرب اللَّبنَ لقبور الفقراء ، ويتقوَّت برغيف ، بجزرة أو بصلة ، ويقوم اللَّيل كله ، وكانت وفاته في جُمادى الآخرة من هذه السنة عن خمسٍ وتسعين سنة[٤] .

محمد بن داود ، أبو بكر الصُّوفي[٥] : ويعرف بالدُّقِّي ، أصله من دِينور ، وأقام ببغداد ، ثم انتقل إلى دمشق ، وقد قرأ على ابن مجاهد ، وسمع الحديث من محمد بن جعفر الخرائطي ، وصَحِبَ ابنَ الجَلاَّء ، والدَّقَّاق ، وكانت وفاته في هذه السنة ، وقد جاوز المئة ، رحمه الله تعالى .

محمد بن الفَرُّخان[٦] بن روزبة[٧] : [أبو][٨] الطَّيِّب الدروي[٩] ، دخل بغداد ، وحدَّث بها

---

(١) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٥١) .

(٢) الفهرست (٣٠١ ـ ٣٠٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٢) الأنساب (١/ ٩٤) المنتظم (٧/ ٥٥) معجم البلدان (١/ ٥١) وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ـ ١٣٦) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٣٦) العبر (٢/ ٣١٨) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) مرآة الجنان (٢/ ٣٧٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٤٩) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٧٩ ـ ٨٠) العقد الثمين (٢/ ٣ ـ ٥) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٠) طبقات الحفاظ (٣٧٨) شذرات الذهب (٣/ ٣٥) .

(٣) في (ح) و (ب) : مظفر ، وهو تحريف ، ومثله في المنتظم (٧/ ٥٦) والمثبت من اللباب لابن الأثير (٣/ ١٥٠) وترجمته في : المنتظم (٧/ ٥٦) اللباب (٣/ ١٥٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٢ ـ ١٦٣) العبر (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٢) شذرات الذهب (٣/ ٣١) .

(٤) انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٣) .

(٥) طبقات الصوفية (٤٤٨ ـ ٤٥٠) تاريخ بغداد : (٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) الرسالة القشيرية (٢٨) الأنساب (٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) المنتظم (٧/ ٥٦) اللباب (١/ ٥٠٥) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١١١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٨ ـ ١٣٩) الوافي بالوفيات (٣/ ٦٣) طبقات الأولياء (٣٠٦ ـ ٣١٠) طبقات الشعراني (١/ ١٤٠) نتائج الأفكار القدسية (٢/ ٣) .

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ١٦٧) الأنساب (٥/ ٣٥٨و ٩/ ٢٦٤) المنتظم (٧/ ٥٦) ميزان الاعتدال (٤/ ٤ ـ ٥) .

(٧) انظر ترجمة أبيه الفرخان بن روزبة مولى المتوكل على الله في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٩٩) .

(٨) ما بين حاصرتين مثبت من الأنساب (٩/ ٢٦٤) .

(٩) نسبة إلى دور سُرَّ من رأى ، انظر الأنساب (٥/ ٣٥٨) .

عن أبيه بأحاديث منكرة ، روى عن الجُنيد وابن مسروق[١] .

قال ابن الجوزي : وقد كان فيه ظَرْفٌ ولباقة ، غير أنهم كانوا يتهمونه بوضع الحديث[٢] .

الطَّبَراني سليمان بن أحمد بن أيوب[٣] : أبو القاسم ، الطبراني ، اللَّخْمي ، الحافظ الكبير ، صاحب المعجم الكبير ، والأوسط ، والصغير ، و « كتاب السُّنَّة » وكتاب « مسند الشَّاميين » ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة .

عَمَّر مئة سنة ، وكانت وفاته في هذه السنة بأصبهان ، ودفن على بابها عند قبر حُمَمَة الدَّوسي الصَّحابي رضي الله عنه[٤] ، قاله أبو الفَرَج بن الجَوزي في « المنتظم »[٥] .

وقال ابنُ خَلِّكان : سمع من ألف شيخ ، قال : وكانت وفاته يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القَعْدة في هذه السنة ، وقيل : في شوَّال منها .

أحمد بن محمد بن الفتح[٦] : ويقال : ابن أبي الفتح ، الخاقان ، أبو العباس النَّجَّاد ؛ إمام جامع دمشق .

قال ابن عساكر : كان عابداً صالحاً ، وذكر أن جماعةً جاؤوا لزيارته ، فسمعوه يتأوَّه من وجعٍ كان به ، فأنكروا عليه [ذلك][٧] ، فلما خرج إليهم ، قال لهم : إن آه اسمٌ من أسماء الله يستروح إليه الأعِلاء . قال : فزاد في أعينهم وعَظَّموه[٨] .

قلت : لكن هذا الذي قاله لا يُؤخذ عنه مُسَلَّماً بلا دليل ، بل يحتاج إلى نقل صحيحٍ عن المعصوم ، فإن أسماء الله تعالى توقيفية على الصَّحيح ، والله تعالى أعلم بالصَّواب .

---

(١) في (ح) : ابن مرزوق ، والمثبت من (ب) ، وانظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥) .
(٢) المنتظم (٧/ ٥٦) .
(٣) ذكر أخبار أصبهان (١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٩ ـ ٥١) الأنساب (٨/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) المنتظم (٧/ ٥٤) معجم البلدان (٤/ ١٨ ـ ١٩) اللباب (٢/ ٨٠) وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩ ـ ١٣٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩١٢ ـ ٩١٧) ميزان الاعتدال (٢/ ١٩٥) العبر (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) مرآة الجنان (٢/ ٣٧٢) غاية النهاية (١/ ٣١١) لسان الميزان (٣/ ٧٣ ـ ٧٥) النجوم الزاهرة (٤/ ٥٩ ـ ٦٠) طبقات الحفاظ (٣٧٢ ـ ٣٧٣) طبقات المفسرين للداودي (١/ ١٩٨ ـ ٢٠١) شذرات الذهب (٣/ ٣٠) .
(٤) انظر ترجمته في أسد الغابة (٢/ ٥٣) والإصابة (٢/ ٣٩) .
(٥) المنتظم (٧/ ٥٤) .
(٦) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣/ ٢٨٠) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٨) انظر تاريخ ابن عساكر مختصره (٣/ ٢٨٠) .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمئة

في عاشرها عَمِلَتِ الرَّوافض ببغداد البدعة التي تقررت من النوح على الحسين بن علي .

وفي المحرَّم منها أغارتِ الرُّوم على الجزيرة وبلاد بكر ، فقتلوا خَلْقاً كثيراً من أهل الرُّها ، وساروا [في البلاد][١] كذلك يقتلون ويأسرون ويغنمون إلى [أن وصلوا][٢] نَصِيبين ، وفعلوا كذلك ببلاد بكر ، ولم يُغْنِ عن تلك النواحي [أبو تغلب][٣] بن حمدان متوليها شيئاً ، ولم يكن عنده دفاع ولا قوة ، فعند ذلك ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد يستنصرون ويستصرخون ، فرثى لهم أهلُ بغداد ، وأرادوا إدخالهم على الخليفة المطيع لله فلم يمكنهم ذلك[٤] ، وكان بَخْتيار بن معزّ الدولة مشغولاً بالصَّيد ، فذهبت الرُّسُل وراءه ، فبعث الحاجب سُبُكْتِكين يستنفر الناس ، فتجهَّز خَلْقٌ كثير من العامة ، وكتب إلى أبي تغلب أن يُعدَّ الميرة والإقامات ، فأظهر السُّرور بذلك والفرح والابتهاج ، ولما تجهَّزت العامة للغَزاة وقعت بينهم فتنة شديدة بين الرَّوافض [وأهل][٥] السُّنَّة ، فأحرقتِ السُّنَّة دورَ الرَّوافض في الكَرْخ ، وثار[٦] العيارون ببغداد يأخذون أموال الناس ، وتنافس النقيب أبو أحمد الموسوي والوزير أبو الفَضْل الشِّيرازي ، وأرسل بَخْتيار بن معز الدولة إلى الخليفة يطلب منه أموالاً يستعين بها في هذه الغَزاة ، فبعث إليه يقول : لو كان الخَراج يجبى إليَّ لدفعت منه ما يحتاج المسلمون إليه ، ولكن أنتَ تصرف منه ما للمسلمين إليه[٧] ضرورة ، وأنا فليس عندي شيء أبعث به إليك . فترددت البُرُد[٨] بينهما ، وأغلظ بختيار للخليفة في ذلك وتهدَّده ، فاحتاجَ الخليفةُ أن يحصِّلَ له شيئاً ، فباع بعض ثياب بدنه ، وشيئاً من أثاثه ، ونقض بعض سقوف دوره ، وحصَّل أربعمئة ألف دِرْهم ، فَصَرَفها بختيار في مصالح نفسه وأبطل تلك الغَزاة ، فتغمَّم[٩] الناس للخليفة ، وساءهم ما فعل ابن بويه من أخذه مال الخليفة وتركه الجهاد في سبيل الله ، فلا جزاه الله خيراً عن المسلمين ولا عن إمامهم .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ح) و(ب) : لم يمكن ذلك ، والمثبت من (ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ح) : وصارت ، وفي (ب) : سارت ، والمثبت من (ط) .
(٧) في (ح) : به ، والمثبت من (ب) .
(٨) البرد ، مفردها بريد : الرسل ، انظر اللسان (برد) .
(٩) كذا في (ح) و (ب) : فتغم ، وفي (ط) : فنقم ، ولعلها : فاغتمَّ .

وفيها تسلَّم أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين ، فنقل حواصلها وما فيها إلى المَوْصل .

وفيها اصطلح الأمير منصور بن نوح السَّاماني صاحب خراسان هو وركن الدولة بن بُوَيه وابنه عضد الدولة على أن يحملا إليه في كل سنة مئة ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وتزوَّج بابنة ركن الدولة[١] ، فحمل إليه من الهدايا والتُّحَف ما لا يحدُّ ولا يوصف .

وفي شوَّال منها خرج المعزُّ الفاطمي بأهله وحاشيته وجنوده من مدينة المنصورة من بلاد المغرب قاصداً الدِّيار المِصْرية ، بعد ما مهَّد له مولاه جوهر القائد أمرها وبنى له بها القصرين ، واستخلف المعز الفاطمي على بلاد المغرب ونواحيها وصِقِلِّية وأعمالها نواباً من حزبه وأنصاره من أهل تلك البلاد ، واستصحب معه شاعره محمد بن هانىء الأندلسي ، فتوفي في أثناء الطَّريق ، على ما سنذكره[٢] ، وكان قدوم المُعزِّ إلى القاهرة في رمضان من السنة الآتية ، [على ما سيأتي إن شاء الله تعالى][٣] .

وفيها حجَّ بالناس الشريف أبو أحمد الموسوي النقيب على الطَّالبيين كلِّهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصَّواب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سعيد بن أبي سعيد الجَنَّابي[٤] : أبو القاسم ، القِرْمطي الهَجَري ، وقام بالأمر من بعده أخوه أبو يعقوب يوسف[٥] ، ولم يبق من سلالة أبي سعيد سواه .

عثمان بن عمر بن خفيف[٦] : أبو عمرو ، المقرىء ، المعروف بالدَّرَّاج .

روى عن أبي بكر بن [أبي][٧] داود ، وعنه ابن رِزْقويه ، وكان من أهل القرآن والفِقْه [والدِّراية][٨] والديانة والسِّتر ، جميل المذهب ، وكان يُعدُّ من الأبدال .

توفي يوم الجمعة من رمضان هذه السنة ، رحمه الله .

---

(١) في الكامل (٨/ ٦٢٦) : وتزوَّج نوح بابنة عضد الدولة . وما عندنا أشبه بالصَّواب .

(٢) انظر وفيات سنة (٣٦٢هـ) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٤) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٣) .

(٥) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٦٦هـ) .

(٦) تاريخ مدينة السلام ١٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦ (بتحقيق الدكتور بشار) تاريخ الإسلام ٨/ ١٩٥ ، وذكرا وفاته في سنة ٣٦١ هذه .

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) ، وهو ابن المحدث أبي داود صاحب السنن ؛ انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٣ ـ ٢٣٧) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ب) .

وأبو الحسين[١] علي بن إسحاق بن خَلَف[٢] القَطَّان ، الشَّاعر المعروف بالزَّاهي .

ومن شِعْره :

قُـمْ نهنـئْ عـاشقيـنِ ... أصبحـا مُصْطَبحيـن[٣]
جُمعـا بَعْـدَ فِـراقٍ ... فُجِعـا منـهُ وبَيْـن
ثُـمَّ عـادا فـي سُـرورٍ ... مـن صُـدودٍ آمِنيـن
فهمـا رُوحٌ ولكـنْ ... رُكِّبَـتْ فـي بَـدَنيـن[٤]

[محمد بن][٥] حُمَيد بن سَهْل[٦] بن شَدَّاد : أبو بكر المُخَرِّمي[٧] .

سمع أبا خليفة ، وجعفر الفِرْيابي ، وابن جرير وغيرهم ، وعنه الدَّارَقُطْني وابن رزْقويه وأبو نُعيم ، وقد ضعَّفه البَرْقاني وابن أبي الفوارس ، [وغيرهما ، والله أعلم][٨] .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثلاثمئة

عملت الرَّوافض بدعتهم في عاشوراء من النِّياحة وتعليق المسوح وغَلْق الأسواق .

وفيها اجتمع الفقيه أبو بكر الرَّازي الحنفي ، وأبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني ، وابن الدقاق الحنبلي بعز الدولة بَخْتيار بن معز الدولة بن بُوَيه ، وحرَّضوه على غزو الرُّوم ، فبعث جيشاً لقتالهم ، فأظفرهم[٩] الله بهم ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وبعثوا برؤوسهم إلى بغداد ، فسكنَتْ أنفسُ النَّاس .

---

(١) يتيمة الدهر (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥) تاريخ بغداد (١١/ ٣٥٠) الأنساب (٦/ ٢٣١) المنتظم (٧/ ٥٩) اللباب (٢/ ٥٥ ـ ٥٦) وفيات الأعيان (٣/ ٣٧١ ـ ٣٧٣) تاريخ الإسلام (٨/ ٤٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١١) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٣ ـ ٦٤) .

(٢) في تاريخ بغداد والمنتظم : أبو الحسن ، وفي يتيمة الدهر ووفيات الأعيان : أبو القاسم ، وفيه توفي سنة ١٥٢هـ ، وتابعه على ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام والسير .

(٣) في تاريخ بغداد والمنتظم : مصطلحين ، وفي (ب) : مصطحبين .

(٤) في تاريخ بغداد : في جسدين .

(٥) ما بين حاصرتين من مصادر ترجمته وفي (ب) : أحمد بن سهل ، وهو وهم .

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٦٧ ـ ٨٦) (ط ـ الدكتور بشار) ، السمعاني في « المخرمي » من الأنساب ، المنتظم (٧/ ٥٩) تاريخ الإسلام (٨/ ١٩٧) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣١) .

(٧) في (ح) : المخزومي ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٩) في (ح) : فأظفر الله بهم ، والمثبت من (ب) .

وفيها سارتِ الرُّوم مع الدُّمَسْتق ـ لعنه الله ـ إلى حصار آمد ، وعليها مرد غلام أبي الهيجاء بن حَمْدان ، فكتب إلى أبي تغلب يستصرخه ، فبعث إليه أخاه أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، فاجتمعا لقتاله ، ولقياه في [يوم من][١] رمضان في مكانٍ ضيق لا مجال للخيل فيه ، فاقتتلوا مع الرُّوم قتالاً شديداً ، وعزمت الرُّوم على الفِرار فلم يقدروا ، فاستحرَّ فيهم القتل ، وأُخذ الدُّمَسْتق أسيراً ، فأودع في السجن ، فلم يزل فيه حتى مَرِضَ ، ومات في السنة القابلة ، وقد جمع له أبو تغلب الأطباء فلم ينفعه شيء .

وفيه احترق الكرخ ببغداد ، وكان سببه أن صاحب المعونة ضرب رجلاً من العامة فمات ، فثار به العامة وجماعة من الأتراك ، فهرب منهم ، فدخل داراً ، فأخرجوه مسحوباً وقتلوه وحرقوه ، فركب الوزير أبو الفَضْل الشِّيرازي ـ وكان شديد التعصب للسُّنَّة ـ وبعث حاجبه إلى أهل الكرخ ، فألقى في دورهم النار ، فاحترقت طائفة كثيرة من الدور والأموال ، من ذلك ثلاثمئة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً ، وسبعة عشر ألف إنسان ، فعند ذلك عَزَلَ عز الدولة بختيار بن معز الدولة وزيره هذا عن الوزارة ، وولاَّها محمد بن بقية ، فتعجب النَّاس من ذلك ؛ وذلك أن هذا الرجل كان وضيعاً عند الناس ، لا حرمة له ، كان أبوه فلاحاً بقرية أوَانا ، وكان هو ممن يخدم عز الدولة ، يقدِّم له الطعام ويحمل منديل الزفر على كتفه ، إلى أن ولي الوزارة ، ومع هذا كان أشد ظلماً للرعية من الذي قبله ، وكَثُرَ في زمانه العيّارون ببغداد ، وفسدت الأمور . ووقع [الخلاف][٢] بين عز الدولة وبين حاجبه سُبُكْتِكين ، ثم اصطلحا على دَخَن .

وفيها كان دخول المعز الفاطمي إلى الديار المصرية وصحبته توابيت آبائه ، فوصل إلى الإسكندرية في شعبان منها ، وقد تلقاه أعيان مصر إليها ، فخطب الناسَ هنالك خطبةً بليغة ارتجالاً ، ذكر فيها فضلهم وشرفهم ، وقد كذب ، وقال فيها : إن الله أغاث الرعايا بهم وبدولتهم . حكى ذلك عنه قاضي مصر ، وكان جالساً إلى جَنْبه فسأله : هل رأيتَ خليفةً أفضلَ مني ؟ فقال : لم أرَ أحداً من الخلائف سوى أمير المؤمنين . فقال له : أحججت ؟ قال : نعم . قال : وزرت قبر رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : وقبر أبي بكر وعمر ؟ قال : فتحيرت ماذا أقول ، ثم نظرت فإذا ابنه [العزيز قائم][٣] مع كبار الأمراء فقلت : شغلني عنهما رسول الله ﷺ كما شغلني أمير المؤمنين عن السلام على ولي العهد . ونهضت إليه ، فسلَّمت عليه ورجعت ، فانفسح المجلس إلى غيري .

ثم سار من الإسكندرية إلى مصر ، فدخلها في الخامس من رمضان هذه السنة ، فنزل بالقصرين ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .

فيقال : إنه أول ما دخل إلى مَحَلِّ ملكه خَرَّ ساجداً [شكراً][١] لله عزَّ وجلَّ ، ثم كان أول حكومةٍ أنهيت إليه أن امرأة كافور الإخشيدي تقدمت إليه ، فذكرت له أنها كانت أودعت رجلاً من اليهود الصواغ قَبَاء من لؤلؤ منسوجٍ بالذهب ، وأنه جَحَد ذلك . فاستحضره وقرره ، فجحد اليهودي ذلك وأنكره ، فأمر عند ذلك المعز بأن تحفر داره ويستخرج ما فيها ، فوجد القَبَاء قد جعله في جَرَّة ودفنها فيها ، فَسَلَّمه المعز إليها [ووفره عليها][٢] ، فقدَّمته إليه ، وعرضته عليه ، فأبى أن يقبله منها ، وردَّه عليها ، فاستحسن منه ذلك الحاضرون . وقد ثبت في الحديث : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »[٣] .

وفيها توفي من الأعيان :

السَّري الرَّفَّاء الشَّاعر بن أحمد بن السَّري[٤] : أبو الحسن ، الكِنْدي ، المَوْصلي ، الشاعر المطبق ، في جملة مُدَّاح سيف الدولة بن حمدان وغيره ، وقد قدم بغداد ، فاتفق موته بها في هذه السنة ، قال ابن خلِّكان : وقيل : في سنةِ أربع وقيل خمس ، وقيل : أربعٍ وأربعين ، قال : وقد كانت بينه وبين محمد وسعيد ابنَيْ هاشم الخالديين الموصليين معاداة ، وادَّعى عليهما سرقة شعره[٥] ، وكان معتنياً بنسخ ديوان كُشَاجم ، وربما زاد فيه من شعر الخالديين ليكثر حجمه ويزينهما بالكذب ، وكان قد امتدح سيف الدولة ، فأحبى له رزقاً ، فلم يزل به الخالديان حتى قطعا رسمه من عنده ، فدخل بغداد ، وامتدح الوزير المهلبي فدخلا وراءه ، فلم يزالا في ثلبه عنده حتى هجره وقلاه ، فركبه الدين ، ومات في هذه السنة ، وله ديوان شعر كبير جيد ، فمن شعره قوله :

يَلْقى النَّدى برقيقِ وجهٍ مُسْفرٍ … فإذا التقى الجمعانِ عادَ صفيقا
رَحْبُ المَنَازِلِ ما أقام فإنْ سرَى … في جَحْفلٍ تركَ الفَضاءَ مَضِيْقا[٦]

وله :

ألبستني نعماً رأيتُ بها الدُّجى … صُبْحاً وكنتُ أرى الصَّباحَ بهيما
فغدوتُ يحسدني الصديقُ وقبلها … قد كان يَلْقَاني العدو رحيما[٧]

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) الحديث في صحيح البخاري (٢٨٩٧) في الجهاد والسير ، وصحيح مسلم (١١١) في الإيمان .
(٤) سلفت ترجمته ، وذكرت مظانها في وفيات سنة (٣٦٠هـ) .
(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٣٦٢) .
(٦) ديوانه (١٨٥) .
(٧) ديوانه (٢٥١) .

وله :

بنفسي مَنْ أجودُ له بنفسي ويَبْخلُ بالتحيَّةِ والسَّلامِ
وحتفي كامنٌ في مُقْلتيه كمُونَ الموتِ في حد الحُسام[١]

محمد بن هانيء[٢] : الأندلسي ، الشَّاعر ، كان قد استصحبه المعزُّ الفاطمي من بلاد القيروان حين توجَّه إلى مصر ، فلما كان ببعض الطَّريق ، وجد محمد بن هانيء مقتولاً مجدلاً على حافة البحر ، وذلك في رجب من هذه السنة ، وقد كان شاعراً مطبقاً ، قوي النظم إلا أنه قد كفَّره غير واحد من العلماء في مبالغاته في مدائحه ، فمن ذلك قوله يمدح المعز ، قبحهما الله تعالى :

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحْكُمْ فأنتَ الواحدُ القَهَّارُ

وهذا خطأ كبير ، وكفر كثير .

وقال أيضاً :

ولطالما زاحمت تحـ ـت ركابه جبريلا

ومن ذلك قوله : ـ قال ابن الأثير : ولم أجد ذلك في « ديوانه » :

حَلَّ بِرَقَّادة[٣] المَسِيحُ حَلَّ بها آدمٌ ونُوحُ
حلَّ بها الله ذو المعالي فكلُّ شيءٍ سواهُ ريحُ

قال ابن الأثير : وقد شرع بعض المتعصبين له في الاعتذار عنه ، فالله أعلم[٤] .

قلت : وهذا الشعر إن صح عنه ، فليس عنه اعتذار ، لا في الدار الآخرة ولا في هذه الدار .

وممن توفي بها :

إبراهيم بن محمد[٥] **بن سختويه بن عبد الله المُزَكِّي** : أحد الحفاظ المبرِّزين ، أنفق على الحديث

---

(١) ديوانه (٢٦٠) ، وقد طبع له كذلك كتاب « المحب والمحبوب والمشروب والمشموم » وصدر ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الأستاذين مصباح غلاونجي ، وماجد الذهبي .

(٢) جذوة المقبس (٩٦) بغية الملتمس (١٤٠ ـ ١٤١) معجم الأدباء (١٩/ ٩٢ ـ ١٠٥) المطرب من أشعار أهل المغرب (١٩٢) التكملة لابن الأبار (١/ ١٠٣) وفيات الأعيان (٤/ ٤٢١ ـ ٤٢٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣١ ـ ١٣٢) الإحاطة في أخبار غرناطة (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٩٣) شذرات الذهب (٣/ ٤١ ـ ٤٤) .

(٣) رقادة : بلدة كانت بإفريقية ، بينها وبين القيروان أربعة أيام ، انظر معجم البلدان (٣/ ٥٥ ـ ٥٦) .

(٤) انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٦٢١ ـ ٦٢٢) .

(٥) تاريخ بغداد (٦/ ١٦٨ ـ ١٦٩) المنتظم (٧/ ٦١ ـ ٦٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٣) العبر (٢/ ٣٢٧) الوافي بالوفيات (٦/ ١٢٣) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٩) شذرات الذهب (٣/ ٤٠ ـ ٤١) .

وأهله أموالاً جزيلة ، وسمع النَّاس بتخريجه ، وعقد له مجلس الإملاء بنيسابور ، ورحل وسمع من المشايخ شرقاً وغرباً ، ومن مشايخه ابن جرير(١) وابن أبي حاتم ، وكان يحضر مجلِسَه خَلْقٌ كثير من كبار المحدِّثين ، منهم أبو العباس الأصَم وأضرابه ، وكانت وفاته في هذه السنة عن سبعٍ وستين سنة .

سعيد(٢) بن القاسم بن العلاء بن خالد(٣) : أبو عمرو(٤) ، البَرْذعي(٥) ، أحد الحُفَّاظ ، روى عنه الدَّارَقُطني وغيره .

محمد(٦) بن الحسن(٧) بن كَوْثَر(٨) بن علي(٩) : أبو بَحْر ، البَرْبهاري(١٠) .

روى عن إبراهيم الحَرْبي ، [وتمتام](١١) والباغَنْدي والكُدَيمي [وغيرهم](١٢) .

وعنه ابن رِزْقويه وأبو نُعيم ، وانتخب عليه الدَّارَقُطْني ، وقال : اقتصروا على [ما] خرَّجته له ، فقد اختلط صحيح سماعه بفاسده .

وقد تكلَّم فيه غيرُ واحدٍ من حُفَّاظ زمانه بسبب تخليطه وغفلته ، واتهمه بعضُهم بالكذب أيضاً(١٣) .

---

(١) لم أر أحداً ذكر سماعه من ابن جرير غير ابن كثير ، فإن صَحَّ يكون قد سمع منه وهو في الخامسة من عمره ، إذ ولد المزكي سنة (٣٠٥هـ) ، وتوفي ابن جرير سنة (٣١٠هـ) .

(٢) في (ح) سعد ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) .

(٣) ذكر أخبار أصبهان (١/ ٣٣٠) تاريخ بغداد (٩/ ١١٠ ـ ١١١) الأنساب (٢/ ١٤٣) المنتظم (٧/ ٦٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٧٢ ـ ٧٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٣٦ ـ ٩٣٧) طبقات الحفاظ (٣٧٨) شذرات الذهب (٣/ ٤١) .

(٤) في المنتظم : أبو عمر ، وهو تصحيف .

(٥) نسبة إلى برذعة ، بلدة أقصى أذربيجان ، ويصحُ فيها إهمال الدال ، انظر الأنساب (٢/ ١٤٣) .

(٦) ترجمة محمد بن الحسن ساقطة من (ب) .

(٧) في المنتظم (٧/ ٦٣) : بن أبي الحسن ، بزيادة : ابي ، وهو وهم .

(٨) في (ح) : كريز ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ بغداد (٢/ ٢٠٩) وباقي المصادر .

(٩) تاريخ بغداد (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١١) الأنساب (٢/ ١٢٥ ـ ١٢٧) المنتظم (٧/ ٦٣ ـ ٦٤) اللباب (١/ ١٣٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤١ ـ ١٤٣) العبر (٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) ميزان الاعتدال (٣/ ٥١٩) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٣٨) لسان الميزان (٥/ ١٣١ ـ ١٣٢) شذرات الذهب (٣/ ٤١) .

(١٠) هذه النسبة إلى بربهار ، وهي الأدوية التي تجلب من الهند ، ومن يجلبها يقال له البربهاري ، انظر الأنساب (٢/ ١٢٥) واللباب (١/ ١٠٧) .

(١١) ما بين حاصرتين من (ط) ، وفيه : تمام ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ بغداد (٢/ ٢٠٩) والمنتظم (٧/ ٦٣) وانظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٠/ ٣٩١) .

(١٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١٣) في (ح) : أقحمت ترجمة القاضي أبي علي المروزي في وفيات هذه السنة ، فقد جاء فيها : القاضي الحسين بن محمد بن أحمد ، أبو علي المَرْوَرُّذي ، أحد مشايخ المذهب في زمانه ، وله « التعليقة » المشهورة .
تفقه بأبي بكر القفال المروزي ، وأخذ عنه جماعة منهم البغوي صاحب « التهذيب » و« التفسير » و« شرح السنة »=

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمئة

فيها [في عاشوراء][١] عُملت البِدْعة الشَّنْعاء على عادة الرَّوافض ، ووقعت فتنةٌ عظيمة ببغداد بين السُّنَّة والرَّوافض ، وكلا الفريقين قليل عقل [أو عديمه][٢] بعيد عن السَّداد ؛ وذلك أن جماعةً من السنة أركبوا امرأةً جملاً وسموها عائشة ، وتسمى بعضهم بطلحة ، وبعضهم الزبير ، وقالوا : نقاتل أصحابَ علي بن أبي طالب ، فقتل [بسبب ذلك][٣] من الفريقين خَلْقٌ كثير ، وعاث العَيَّارون في البلد بالفساد ، ونهبت الأموال وقتل الرجال ، ثم أُخذ جماعة منهم ، فقتلوا وصلبوا ، فلذلك سكنت الفتنة[٤] .

وفيها أخذ عز الدولة بَخْتِيار [بن معز الدولة][٥] الموصل ، وزوَّج ابنته[٦] من أبي تغلب بن حمدان .

وفيها وقعت الفتنة بالبَصْرة ، بين الدَّيالم والأتراك ، فقويتِ الديلمُ على التُّرك بسبب أن الملك فيهم ، فقتلوا [منهم][٧] خلقاً كثيراً ، وحبسوا رؤوسهم ، ونهبوا كثيراً من أموالهم ، وكتب عزُّ الدولة إلى أهله : إني سأكتب إليكم أني قد مُتُّ ، فإذا جاءكم الكتاب ، فأظهروا النوح واجلسوا للعزاء ، فإذا جاء سُبُكْتِكين للتعزية فاقبضوا عليه ، فإنه ركن الأتراك ورأسهم . فلما جاء البريد إلى بغداد بذلك أظهروا [النَّوح والصراخ][٨] وجلسوا للعزاء ففهم سُبُكْتكين أن هذه مكيدة ، فلم يقربهم ، وتحقق العداوة بينه وبين عز الدولة ، وركب من فوره في الأتراك ، فحاصروا دار عز الدولة ببغداد يومين ، ثم أنزل أهله منها ، ونهب ما فيها ، وأحدرهم في دِجْلة إلى واسط منفيين ، وكان قد عزم على بعث الخليفة المطيع معهم ، فتوسل الخليفة إليه ، فعفا عنه وأقرَّه بداره ، وقويت شوكة سُبُكتكين والأتراك ببغداد ، ونهبت

= و« المصابيح » ، وغير ذلك .
وقد ذكرته في « الطبقات » بما فيه الكفاية قال ابن خلكان : وإذا قال الإمام الغزالي : قال القاضي ، فهو هذا ، والله أعلم .
قلت : وليس مكان هذه الترجمة في وفيات هذه السنة ، بل صوابها في وفيات سنة (٤٦٢هـ) ، وهي سنة وفاة المترجم .

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ب) : فسكنت النفوس .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) في (ح) : بابن أبي تغلب ، وهو وهم ، والمثبت من (ب) ، وانظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ب) .

الأتراك دورَ الدَّيْلَم ، وخَلَع سُبُكْتكين على رؤساء العامة ، لأنهم كانوا معهم على الدَّيْلم ، وقويت السنة على الشيعة ، وأحرق الكَرْخ[1] حريقاً ثانياً ، وظهرت السُّنَّة على يدي الأتراك ، وخلع المطيع ، وولي ولده الطائع لله ، على ما سنذكره إن شاء الله سبحانه وتعالى .

خلافة الطَّائع وخلع أبيه المطيع لله

ذكر ابنُ الأثير أنه لما كان [اليوم] الثالث عشر [من] ذي القعدة[2] ، وقال ابن الجوزي في « منتظمه » : كان ذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة[3] من هذه السَّنة ، خُلِع المطيع لله ، وذلك لفالجٍ أصابه فَثَقُلَ لسانه ، فسأله سُبُكْتِكين أن يخلع نفسه ، ويولي [من][4] بعده ولدَه الطَّائع ، فأجاب[5] ، فعقدت البيعة للطَّائع بدار الخلافة على يدي الحاجب سُبُكْتكين ، وخُلع أبوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة ، ولكن تعوَّض عنها[6] بولاية ولده . واسم الطائع أبو بكر عبد الكريم[7] بن المطيع لله أبي القاسم الفضل بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد أبي العباس أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفق المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، ولم يَلِ الخلافة من اسمه عبد الكريم سواه ، ولا من أبوه حي سواه[8] ، وسوى أبي بكر الصِّدِّيق[9] . ولم يل الخلافة من بني العبَّاس أسن منه حال الولاية ، كان عمره ثمانياً وأربعين سنة يوم بويع ، وكانت أمه أم ولد اسمها عُتب ، كانت تعيش أيضاً يوم بويع بالخلافة ، ولما بويع الطائع ركب وعليه البُرْدة ، وبين يديه سُبُكْتكين والجيش ، ثم خَلَعَ من الغد على سُبُكْتِكين خِلَع الملوك ولقَّبه ناصر الدولة ، وعقد له لواء الإمارة . ولما حضر الأضحى ركب الطَّائع وعليه السواد ، فخطب بالناس بعد الصَّلاة خطبة خفيفة حسنة ، وحكى ابن الجوزي في « المنتظم »[10] أن المطيع لله كان يُسمَّى بعد خلعه بالشيخ الفاضل ، والله أعلم .

---

(١) في (ط) : لأنه محل الرافضة .
(٢) انظر الكامل (٨/ ٦٣٧) وما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) في مطبوع المنتظم (٧/ ٦٦) : وعقد له الأمر ـ أي للطائع ـ في يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٥) في (ط) : فأجاب إلى ذلك .
(٦) في (ح) : منها ، والمثبت من (ب) .
(٧) في (ح) : أبو بكر بن عبد الكريم ، وهو وهم ، والمثبت من (ب) .
(٨) في (ط) زيادة ولا من كنيته أبو بكر سواه .
(٩) في (ط) : رضي الله عنه .
(١٠) انظر المنتظم (٧/ ٦٦ ـ ٦٧) .

ذكر الحرب بين المُعِز الفاطمي وبين الحسن[١] بن أحمد القِرْمِطِي

لما استقرَّ المعز الفاطمي بالدِّيار المصرية ، وابتنى فيها القاهرة والقَصْرين وتأكَّد ملكه ، سار إليه الحسن بن أحمد القِرْمطي من الأحساء في جمعٍ كثيف من أصحابه ، والتفَّ معه أميرُ العرب ببلاد الشام وهو حَسَّان بن الجَرَّاح الطَّائي في عرب الشَّام بكمالهم ، فلما سمع بهم المعز الفاطمي أُسقط في يديه لكثرتهم ، وكتب إلى القِرْمطي يستميله ويقول له : إنما دعوة آبائك إنما كانت إلى آبائي قديماً ، فدعوتنا واحدة . ويذكر فيه فَضْله وفضل آبائه ، فَرَدَّ [عليه][٢] الجواب : وصل كتابك الذي كَثُرَ تفضيله وقلَّ تحصيله ، ونحن سائرون[٣] على إثره والسَّلام . فلما انتهوا إلى ديار مصر عاثوا فيها قتلاً ونهباً وإفساداً ، وحار المعز ماذا يصنع لكثرة من مع القرمطي ، وضعف جيشه عن مقاومتهم ، فعدل إلى المكيدة والخديعة ، فراسل حَسَّان بن الجَرَّاح أمير العرب ، ووعده بمئة ألف دينار إن هو خذل بين النَّاس ، فأرسل إليه[٤] أن ابعث إليَّ بما التزمت وتعال بمن معك ، فإذا التقينا انهزمتُ بمن معي [فلا يبقى للقِرْمطي قوة ؛ فتأخذه كيف شئتَ][٥] . فأرسل إليه المعز بمئة ألف دينار في أكياسٍ ، ولكن زَغَل[٦] أكثرها ؛ ضَرَبَ النُّحاسَ ولبَّسه الذهب ، وجعله في أسفل الأكياس ، ووضع في رؤوس الأكياس الدَّنانير الخالصة ، ولما بعثها إليه ركب في إثرها بجيشه ، فالتقى الناس ، ولما تواجه الفريقان ونشبت الحرب بينهم ، انهزم حسَّان بن جراح بالعرب ، فَضَعُفَ جانب القِرْمطي ، وقوي عليه المعز الفاطمي فكسره ، وانهزمت القرامطة بين يديه فرجعوا إلى أذْرِعات في أذلِّ حالٍ[٧] ، وأرسل المعز في آثارهم القائد أبا المحمود بن إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف فارس ، ليحسم مادَّتهم[٨] .

ملك المعز الفاطمي دمشق وانتزاعه إياها من يد القرامطة

لما انهزم القِرْمطي وأصحابه بعث المعز سريَّة عليهم ظالم بن مرهوب العُقيلي أميراً على دمشق ،

---

(١) انظر أول حوادث سنة (٣٦٠هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ط) : إليك ، وانظر تاريخ أخبار القرامطة (١٠٦) .
(٤) في (ط) : فبعث إليه حسان يقول .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) الزَّغَل ـ محركة ـ الغش . تاج العروس (زغل) .
(٧) في (ط) : في أذل حالٍ وأرذله .
(٨) في (ط) : ويطفىء نارهم عنه .

فتسلَّمها من القرامطة بعد حصارٍ شديد ، واعتقل متوليها أبا الهيجاء[١] القِرْمِطي وابنه ، واعتقل رجلاً يقال له أبو بكر من أهل نابلس[٢] ، كان يتكلَّم في الفاطميين ويقول : لو كان معي عشرة أسهم لرميتُ الرُّوم بسهم ، ورميت المغاربة ـ يعني الفاطميين ـ بما بقي . فسلخ[٣] بين يدي [الخليفة][٤] المعز ، وحشي جلده تبناً ، وصُلبَ بعد ذلك .

ولما تفرَّغ أبو محمود القائد من قتال القرامطة أقبل نحو دمشق ، فخرج إليهم ظالم بن مرهوب ، فتلقَّاه إلى ظاهر البلد وأكرمه ، وأنزله ظاهر دمشق ، فأفسد أصحابه في الغوطة والمرج ، ونهبوا الفلاحين ، وقطعوا الطرقات على الناس ، وتحول أهل الغوطة إلى البلد من كثرة النهب ، وجيء بجماعةٍ من القتلى فألقوا في الجامع ، فكثر الضجيج ، وغلقت الأسواق ، واجتمعت العامة للقتال ، والتقوا مع المغاربة ، فقتل من الفريقين جماعةٌ ، وانهزمت العامة غير مَرَّة ، وأحرقت المغاربة ناحية باب الفراديس ، فاحترق شيء كثير من الأموال والدُّور ، ولبثت الحرب بينهم إلى سنة أربع وستين ، وأحرق البلد مرَّة أخرى بعد عزل ظالم بن مرهوب ، وتولية جيش بن صمصامة ابن أخت أبي المحمود ، قبَّحه الله ، وقطعت القنوات وسائر المياه عن البلد ، ومات كثيرٌ من الفقراء في الطُّرقات من كثرة الجوع والعطش ، ولم يزل الحال كذلك حتى ولي عليهم الطَّواشي رَيَّان الخادم من جهة المعز[٥] ، فسكنت الأمور[٦] ، [ولله الحمد][٧] .

[فصل][٨]

ولما قويت الأتراك ببغداد تحَيَّر عز الدولة بختيار [بن معز الدولة][٩] في أمره وما يصنع ، وهو مقيم بالأهواز[١٠] ، فأرسل إلى عمه ركن الدولة يستنجده ، فأرسل إليه بعسكرٍ مع وزيره أبي الفتح بن

(١) في إحدى نسخ الكامل (٨/ ٦٤٠) وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي . (٤) أبا المنجا .
(٢) هو محمد بن أحمد بن سهل الرملي ، ويعرف بابن النابلسي ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٨ ـ ١٥٠) واتعاظ الحنفا (٢١٠ ـ ٢١١) .
(٣) في (ط) : فأمر به فسلخ .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٥) في (ط) : المعز الفاطمي .
(٦) في (ط) : النفوس .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) ما بين حاصرتين من (ب) .
(١٠) في (ط) زيادة : لا يستطيع الدخول إلى بغداد .

العميد[(١)] ، وأرسل إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة ، فتباطأ عليه ، وأرسل إلى عمران بن شاهين فلم يجبه ، وأرسل إلى أبي تغلب بن حمدان ، فأظهر نصره ، وإنما يريد في الباطن أَخْذَ بغداد ، وخرجت الأتراك من بغداد في جَحْفلٍ كثير ، ومعهم الخليفة الطائع وأبوه المطيع ، فلما انتهوا إلى واسط توفي المطيع لله ، وبعد أيام توفي سُبُكْتِكين أيضاً ، فحملا إلى بغداد ، والتفَّ الأتراك على أميرٍ يقال له أفتكين ، واجتمع شملهم والتقوا مع بختيار ، فَضَعُفَ أمره جداً ، وقوي عليه ابنُ عمه عضد الدولة ، فأخذ منه ملك العراق وتمزَّق شمله ، وتفرَّق أمره .

وفيها خطب للمعز الفاطمي بالحرمين مكة والمدينة [النبوية][(٢)] .

وفيها خرج جمعٌ من بني هلال وطائفة من العرب على الحُجَّاج ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وعَطَّلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام ، فلا جزاهم الله خيراً .

وفي هذا العام انتهى تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرَّة ، وأوله من أول دولة المقتدر سنة خمس وتسعين ومئتين .

وفيها كانت زلزلة شديدة بواسط .

وحجّ بالناس في هذه السنة الشريف أبو أحمد الموسوي ، ولم يحصل لأحدٍ حَجٌّ في هذه السنة سوى من كان معه على درب العراق ، وقد أخذ بالناس على طريق المدينة ، فتمَّ حَجُّهم . ولله الحمد والمنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

العَبَّاس بن الحسين[(٣)] : أبو الفَضْل ، الشيرازي ، الوزير لعِزِّ الدولة بَخْتِيار بن معز الدولة بن بُوَيه ، وكان من المتعصبين للسنة[(٤)] ، عاكس مخدومَه ، فعزله ، وولى محمد بن بقيَّة البابا[(٥)] كما تقدَّم[(٦)] ، وحُبس هذا ، فقتل في محبسه في ربيع الآخر منها عن تسع وخمسين سنة ، وكان فيه ظُلْمٌ وحَيْف ، والله أعلم .

---

(١) هو ابن أبي الفضل بن العميد ، الوزير المشهور ، الذي أدار التوحيدي كتابه « مثالب الوزيرين » عليه ، وقد توفي سنة (٣٦٠هـ) ، فرتب ركن الدين بن بويه ولده أبا الفتح هذا مكانه ، فبقي في الوزارة حتى قتل سنة (٣٦٦هـ) ، انظر معجم الأدباء (١٩١ ـ ٢٤٠) ووفيات الأعيان (٥/ ١١٠ ـ ١١١) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) تجارب الأمم (٦/ ٢٦٩ و٣١٣) المنتظم (٧/ ٧٣ ـ ٧٤) الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٤٨ ، ٥٧٣) وغيرها ، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢٢ ، ٣٠٩) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٨ ـ ٦٩) .

(٤) في (ط) : وكان من الناصرين للسنة ، المتعصبين لها .

(٥) لم أهتد إلى وجه تلقيبه بالبابا فيما بين يدي من المصادر .

(٦) انظر حوادث سنة (٣٦٢هـ) ، وسيرد خبر مقتله في حوادث سنة (٣٦٧هـ) .

أبو بكر عبد العزيز بن أحمد[١] بن جعفر : الفقيه الحنبلي ، المعروف بغلام الخلاَّل[٢] ، أحد مشاهير الحنابلة الأعيان ، ممن صنف وجمع وناظر ، وسمع الحديث من أبي القاسم البغوي وطبقته ، وكان عمره يوم توفي فوق الثمانين[٣] .

قال ابن الجَوْزي : وله « المقنع » في مئة جزء[٤] ، و « الشَّافي » في ثمانين جزءاً ، و « زاد المسافر » و « الخلاف مع الشَّافعي » و « كتاب القولين » و « مختصر السُّنَّة » ، وغير ذلك في التفسير والأصول[٥] ، رحمه الله .

علي بن محمد[٦] : أبو الفتح البُسْتي ، الشَّاعر المشهور ، له ديوان شعر جيد [قوي][٧] ، وله في المطابقة والمجانسة يد طولى ، ومبتكرات أولى .

وقد ذكر ابن الجوزي له في « المنتظم » من ذلك قطعة كبيرة مرتبة على حروف المعجم ، فمن ذلك قوله :

إذا رضيتُ[٨] بميسورٍ من القُوتِ ... بقيتُ في النَّاسِ حُرّاً غيرَ ممقوتِ
ياقوتَ يومي إذا ما درَّ خِلْفُك[٩] لي ... فلستُ آسى على دُرٍّ وياقوتِ[١٠]

وله :

يا أيها السَّائلُ عن مذهبي ... ليقتدي فيهِ بمنهاجي
مِنْهاجي العَدْلُ وقمعُ الهوى ... فهل لمنهاجيَ من هَاجي

(١) كذا في (ح) و(ب) ، ومثله في المنتظم (٧/ ٧١) والذي في مصادر ترجمته : عبد العزيز بن جعفر بن أحمد ، وهو الصواب وترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٧٢) طبقات الحنابلة (٢/ ١١٩ ـ ١٢٧) المنتظم (٧/ ٧١ ـ ٧٢) تاريخ الإسلام (٨/ ٢١٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٣ ـ ١٤٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٠٥ ـ ١٠٦) طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٨) شذرات الذهب (٣/ ٤٥ ـ ٤٦) .
(٢) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣١١هـ) .
(٣) توفي وله من العمر ثمان وسبعون سنة ، فقد ولد سنة (٢٨٥هـ) كما في مصادر ترجمته .
(٤) في (ح) : ثمانية أجزاء ، والمثبت من (ب) .
(٥) المنتظم (٧/ ٧٢) .
(٦) توفي البستي سنة (٤٠١هـ) ، وسترد ترجمته في وفياتها ، ويتابع ابن كثير في ذكر ترجمته في وفيات هذه السنة ابن الجوزي في المنتظم .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٨) في (ط) : قنعت .
(٩) الخِلْف : بكسر الخاء : الضرع . اللسان (خلف) .
(١٠) المنتظم (٧/ ٧٢) .

وله :

أَفِدْ طبعكَ المكدودَ بالجدِّ راحةً يجمُّ وعلِّلْهُ بشيءٍ من المَزْحِ
ولكن إذا أعطيتَ ذلكَ فليكنْ بمقدارِ ما تعطي الطَّعامَ منَ المِلْحِ

وله :

إذا خدمتَ الملوكَ فالبسْ من التوقِّي أعزَّ ملبسْ
وادخُلْ عليهم وأنت أعمى واخرجْ إذا ما خرجت أخرسْ

وله :

إذا شئتَ أن تلقى عدوَّك راغماً وتقتلَه هَمّاً وتحرِقَهُ غَمَّا
فسَامِ العُلا وازدَدْ من الفَضْلِ إنه من ازداد فضلاً زاد حاسِدَه غما

وله :

إن أسيافَنا القِصار الدَّوامي صيَّرَتْ مُلْكنا طويل الدَّوام
لم نزل نحن في سدَاد ثُغُورٍ واصطلام الأعداء من وسْطِ لام
واقتحام الأهوال[1] من وقت حامٍ واقتسام الأموال من وقت سام

وله :

يا خادِمَ الجسم كم[2] تشقى بخدمته أتطلب الرِّبح مما فيه خُسرانُ
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنَّفسِ لا بالجسم إنسانُ

أبو فراس بن حمدان[3] الشَّاعر : له ديوان مشهور[4] .

استنابه أخوه[5] سيف الدولة على حَرَّان ومنبج ، فقاتل مرة الرُّوم فأُسِرَ ، ثم استنقذه سيفُ الدولة ، واتفق موته في هذه السَّنة عن ثمان وأربعين سنة[6] ، وله شعر رائق ومعانٍ حسنة .

---

(١) في (ب) الأعداء .
(٢) في (ح) و(ب) : كي ، والمثبت من المنتظم (٧/ ٧٣) .
(٣) هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان ، انظر وفيات الأعيان (٢/ ٥٨) وترجمته في يتيمة الدهر (١/ ٣٥ ـ ٨٨) المنتظم (٧/ ٦٨ ـ ٧١) زبدة الحلب (١/ ١٥٧) وفيات الأعيان (٢/ ٥٨ ـ ٦٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٩٦ ـ ١٩٧) الوافي بالوفيات (١١/ ٢٦١ ـ ٢٦٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٩ ـ ٢٠) شذرات الذهب (٣/ ٢٤ ـ ٢٥) .
(٤) طبع غير مرة ، إحداها صدرت عن دار صادر ، وعليها أحلت في تخريج الأبيات .
(٥) كذا في (ح) و(ب) و(ط) ، والصواب : ابن عمه ، ويتابع ابن كثير في ذلك ابن الساعي كما سيأتي .
(٦) مرَّ في أحداث سنة (٣٥٧هـ) أنه قتل فيها ، وهو الصحيح ، وقد تابع ابنُ كثير هنا ابنَ الجوزي فيما ذهب إليه في المنتظم (٧/ ٦٨ ـ ٧١) ومن ثمَّ يكون عمره يوم قتل سبعاً وثلاثين سنة ، انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٩٧) .

وقد رثاه أخوه سيف الدولة[١] فقال :

المَرْءُ نَصْبُ[٢] مَصَائبٍ لا تنقضي ... حتى يُوارى جِسْمُه في رَمْسِه
فَمُؤجَّلٌ يَلْقى الرَّدى في غيره[٣] ... ومُعَجَّلٌ يَلْقى الرَّدى في نَفْسِه

واتفق أن كان عند سيف الدولة رجلٌ من العرب ، فقال له : قل في معناهما . فقال :

من يتمنى العُمْرَ فَلْيَتَّخِذْ ... صَبْراً على فَقْدِ أحِبَّائه
ومن يُعَمَّرْ يَلْقَ في نَفْسِهِ ... ما يتمنَّاه لأعدائه

كذا ذكر ابن السَّاعي[٤] هذين البيتين من شعر سيف الدولة في أخيه أبي فراس ، وإنما ذكرها ابن الجوزي في « المنتظم » من شعر أبي فراس نفسه ، وأن الأعرابي أجازهما بالبيتين المذكورين بعدهما[٥] .

وذكر من شعر أبي فراس أشياء حسنة ، فمن ذلك قوله في قصيدة :

سيفقدني[٦] قومي إذا جَدَّ جدُّهم ... وفي اللَّيلةِ الظَّلْماءِ يُفْتقدُ البَدْرُ
ولو سَدَّ غيري ما سَدَدْتُ اكتفوا به ... وما [كان] يغلو التِّبْرُ لو نَفَقَ الصُّفْرُ[٧]

ومن ذلك قوله من قصيدةٍ :

إلى الله أشكو أننا في منازلٍ ... تحكَّم في آسادِهِنَّ كلابُ
فليتكَ تحلو والحياةُ مَرِيْرةٌ ... وليتكَ ترضى والأنامُ غِضَابُ
وليتَ الذي بيني وبينكَ عامرٌ ... وبيني وبين العالمينَ خَرَابُ[٨]

---

(١) هذه رواية ابن الساعي كما سيمر ، وفي المنتظم (٧/ ٦٨) ورثاه سيف الدولة . قلت : والمعروف أن سيف الدولة توفي قبله بعام ، يعني سنة (٣٥٦هـ) كما سلف في وفيات ذلك العام ، والعبارة على الصواب : ورثى ابنَ عمه سيف الدولة فقال . . . والبيتان في ديوان أبي فراس (١٧٥) .

(٢) في « الديوان » : رهن .

(٣) في « الديوان » : في أهله .

(٤) تاريخه « الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير » ، كان يقع في خمسة وعشرين مجلداً ، لم يصل إلينا منه سوى المجلد التاسع الذي طبع في بغداد سنة ١٩٣٤ بتحقيق العلامة مصطفى جواد ، وتاريخه من موارد ابن كثير الرئيسة ، ووصفه بأنه لم يكن بالحافظ ولا الضابط المتقن ، انظر ترجمة ابن الساعي في هذا الكتاب في وفيات سنة (٦٧٤هـ) .

(٥) المنتظم (٧/ ٦٨ ـ ٦٩) .

(٦) في الديوان (١٦١) والمنتظم (٧/ ٧٠) : سيذكرني .

(٧) في (ط) : وما فعل النسر الرفيق مع الصقر ، وهو تحريف ، وما بين حاصرتين من « الديوان » و « المنتظم » .

(٨) المنتظم (٧/ ٧١) وديوان (٢٥) .

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمئة

فيها جاء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيه إلى واسط ، ومعه وزير أبيه أبو الفتح بن العميد ، فهرب منه أفتكين في جماعة الأتراك إلى بغداد ، فسار وراءه إليها ، فنزل في الجانب الشَّرْقي [منها](١) ، وأمر بَخْتيار أن ينزل على الجانب الغَرْبي ، وحصر الترك حصراً شديداً ، وأمر أمراء الأعراب أن يغيروا على الأطراف ، ويقطعوا الميرة الواصلة إلى بغداد ، فَغَلَتِ الأسعار ، وامتنع الناس من المعاش من كثرة العَيَّارين والنهب ، وكبس أفتكين البيوت لطلب الطعام ، واشتدَّ الحال جداً ، ثم التقت الأتراك وعضد الدولة فكسرهم وهربوا إلى تكريت ، واستحوذ عضد الدولة على بغداد وما والاها من البلاد . وكانت الترك قد أخرجوا معهم الخليفة ، فردَّه عضد الدولة وأعاده إلى دار الخلافة مكرماً ، ونزل هو بدار الملك ، وضَعُفَ أمر بختيار عز الدولة جداً ، ولم يبق معه شيء بالكلية ، فأغلق بابه ، وطرد الحَجَبة والكتبة عن بابه ، واستعفى من الإمارة ، [وكان](٢) ذلك بمشورة عضد الدولة ، فاستعطفه عضد الدولة في الظَّاهر ، وقد أشار عليه في الباطن أن لا يقبل ، فلم يقبل . وتردّدت الرسائل(٣) بينهما ، فصمّم بختيار على الامتناع ظاهراً ، فألزمه عضد الدولة بذلك ، وأظهر للنَّاس أنه إنما يفعل هذا عجزاً منه(٤) عن القيام بأعباء الملك ، فأمر بالقبض على بَخْتيار وعلى أهله وإخوته ، ففرح بذلك الخليفة الطائع لله وسرَّ به ، وأظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان دارساً ، وجدَّد دار الخلافة حتى صار كل محل منها آنساً ، وأرسل إلى الخليفة بالأموال الكثيرة والأمتعة الحسنة [العزيزة](٥) ، وقتل جماعةً من المفسدين من مردة الترك وشُطَّار العَيَّارين .

قال ابن الجوزي : وفي هذه السنة عَظُمَ البلاء بالعَيارين ببغداد ، وأحرقوا سوق باب الشعير ، وأخذوا أموالاً كثيرة ، وركبوا الخيول وتلقبوا بالقواد ، وأخذوا الخُفَرَ(٦) من الأسواق والدُّروب ، وعظمت المحنة بهم جداً ، واستفحل أمرهم كثيراً ، حتى إن رجلاً منهم أسود كان مستضعفاً [نَجَمَ فيهم](٧) فكثر ماله

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) في (ط) : الرسل .
(٤) في (ح) : فصمم بختيار على هذا عجزاً منه ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٦) مفردها : الخفرة ، وهي الذمة والأمانة . معجم متن اللغة (٢/ ٣٠٥) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

حتى اشترى جاريةً بألف دينار ، فلما حصلت عنده حاولها عن نفسها ، فأبت عليه فقال [لها][١] : ماذا تكرهين [مني ؟][٢] قالت : [أكرهك][٣] كلك . فقال : فما تحبين ؟ قالت : تبيعني . فقال : أو خير من ذلك ؟ فحملها إلى القاضي ، فأعتقها ، وأعطاها ألف دينار ، وأطلقها ، فتعجَّب الناس من حلمه وكرمه مع فسقه وتمرده[٤] .

قال : وورد الخبر في المحرَّم بأنه خطب للمعز الفاطمي بمكة والمدينة في الموسم ، ولم يخطب للطائع[٥] .

قال : وفي رجب منها غلت الأسعار ببغداد جداً حتى أبيع [الكر][٦] الدقيق الحواري بمئة ونيف وسبعين ديناراً[٧] .

قال : وفيها اضمحلَّ أمرُ عضد الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيه ، وتفرَّق جُنْدُه عنه ، ولم يبق معه سوى بغداد وحدها ، فبعث إلى أبيه يشكو [له][٨] ذلك ، فأرسل يلومه على الغدر بابن عمه عز الدولة ، فلما بلغه ذلك خرج من بغداد إلى فارس بعدما أخرج ابن عمه بختيار من السجن ، وخلع عليه ، وأعاده إلى ما كان عليه ، وشرط عليه أن يكون نائباً له بالعراق يخطب له بها ، وجعل معه أخاه أبا إسحاق أمير الجيوش لاستضعافه عز الدولة عن تدبير الأمور ، واستمرَّ ذاهباً إلى بلاد فارس ، وذلك كله عن أمر أبيه له بذلك ، وغضبه عليه بسبب غدره بابن عمه ، وتكرار مكاتباته له في ذلك[٩] .

ولما سار عضد الدولة ترك بعده وزير أبيه أبا الفتح بن العميد ليلحقه بعد ثلاث ، فتشاغل بالقصف مع عز الدولة واللعب واللهو ، فأوجب ذلك وحشة بين عضد الدولة وبين ابن العميد ، فكان ذلك سبب هلاك ابن العميد .

ولما استقرَّ أمر عز الدولة ببغداد ، ومَلَكَ العراق لم يف لابن عمه عضد الدولة بشيء مما كان عاهده عليه ولا ما كان التزم له به بين يديه ، بل تمادى على ضلاله القديم ، واستمر على سَننه[١٠]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) في (ب) و(ط) : قوته ، وانظر المنتظم (٧/ ٧٤ ـ ٧٥) .
(٥) المنتظم (٧/ ٧٥) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) ، وفي (ط) السكر ، وهو تحريف .
(٧) المنتظم (٧/ ٧٥) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) المنتظم (٧/ ٧٥ ـ ٧٦) .
(١٠) في (ب و(ط) : مشيه ، وهو تحريف .

الذي هو غير مستقيم [من الرفض وغيره][١] .

قال : وفي يوم الخميس لعشر خلون من ذي القعدة تزوَّج الخليفة الطائع لله شاه ناز بنت عز الدولة على صَدَاق مئة ألف دينار[٢] .

وفي سَلْخ ذي القعدة عُزل القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن أُم شيبان ، وقلده أبا محمد بن معروف[٣] .

وأقام[٤] الحج في هذه السنة أصحاب المعز الفاطمي ، وخُطب له بالحرمين الشريفين دون الخليفة الطائع[٥] . [والله سبحانه أعلم][٦] .

ذكر أَخْذِ دمشق من أيدي الفاطميين

ذكر ابنُ الأثير في « كامله » أن أفتِكين غلام معز الدولة الذي كان قد خرج عن طاعته كما تقدَّم[٧] ، والتفَّ عليه عساكر وجيوش من الدَّيْلم والتُّرْك والأعراب ، نزل في هذه السنة على دمشق ليأخذها من أيدي الفاطميين ، وكان عليها ريان الخادم من جهة المعز الفاطمي ، فلما نزل بظاهرها خرج إليه كبراؤها وشيوخها وذكروا [له][٨] ما هم فيه من الظُّلم والغَشْم ، ومخالفة الاعتقاد بسبب ملك الفاطميين عليهم ، وسألوه أن يصمِّم على أخذها ليستنقذها منهم ، فعند ذلك صمَّم على البلد ، ولم يزل حتى أخذها وأخرج ريان الخادم منها ، واستقلَّ بأمرها ، وكسر أهل الشر [بها][٩] ورفع أهل الخير ، ووضع العدل فيهم ، وقمع أهل اللعب واللهو ، وكفَّ أيدي الأعراب الذين قد عاثوا في الأرض فساداً ، وأخذوا عامة المرج والغوطة ، ونهبوا أهلها . ولما استقامت الأمور على يديه ، وصَلُحَ أمر أهل الشَّام عليه ، كتب إليه المعز الفاطمي من مصر يشكر سعيه ، ويطلبه إليه ليخلع عليه ،ويجعله نائباً من جهته . فلم يجبه إلى ذلك ، وخاف غائلته ، وقطع خطبته من الشَّام ، وخطب للطائع العباسي ، وقصد صيدا وبها خَلْقٌ من المغاربة عليهم ابن الشيخ ، وفيهم ظالم بن مرهوب العُقَيلي ـ الذي كان نائباً على دمشق للمعز الفاطمي كما

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) المنتظم (٧/ ٧٦) .
(٣) المنتظم (٧/ ٧٦) .
(٤) في (ط) : وأمام ، وهو تصحيف .
(٥) المنتظم (٧/ ٧٦) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) انظر حوادث سنة (٣٦٣هـ) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .

تقدَّم[١] ، فأساء بها السيرة ـ فحاصرهم ، ولم يزل حتى أخذ البلد منهم ، وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف [من سراتهم][٢] ، ثم قصد طبرية ، ففعل كذلك ، فعند ذلك عَزَمَ المعز الفاطمي على المسير إليه ، فبينما هو يجمع له ويرتب الجيوش إذ توفي المعز بمصر في سنة خمسٍ وستين كما سيأتي[٣] ، وقام بعده ولده العزيز ، فاطمأن عند ذلك أفتكين بالشام ، واستفحل أمره ، وقويت شوكته ، فتشاور المصريون في أمره ، فاتفق رأيهم على أن يبعثوا القائد جوهراً إليه ، وذلك عن رأي الوزير يعقوب بن كِلِّس[٤] ، فلما تجهَّز جوهر القائد لقصد الشام ، حلَّف أفتكين أهل دمشق على مناصرته ومناصحته ، فحلفوا له بذلك[٥] . وجاء جوهر فحصر دمشق سبعة أشهر حصراً شديداً ، ورأى من شجاعة أفتكين أمراً هائلاً ، وحين طال الحال أشار من أشار من الدماشقة على أفتكين بأن يكتب إلى الحسن[٦] بن أحمد القِرْمِطِي وهو بالأحساء ليجيء إليه ، فلما كتب إليه أقبل لنصره ، فحين سمع جوهر بقدومه لم يمكنه أن يبقى بين عدوين من داخل البلد ومن خارجها ، فانقشع عن دمشق وقصد الرملة ، فتبعه أفتكين والقِرْمطي في نحوٍ من خمسين ألفاً ، فتواقعوا[٧] عند نهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من الرَّمْلة ، وحصروا جوهراً بالرملة ، فضاق حاله جداً من [قلة][٨] الطعام والشراب ، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك [سريعاً][٩] ، فسأل أن يجتمع هو وأفتكين على ظهور الخيل ، [فأجابه إلى ذلك][١٠] ، فلم يزل يترقق[١١] له أن يطلقه ليرجع بمن معه من أصحابه إلى أستاذه شاكراً له ، مثنياً عليه الخير ، ولا يسمع من القِرْمِطِي رأيه فيه ـ وكان جوهر داهية ـ فأجابه إلى ذلك ، فندَّمه القِرْمطي وقال : الرأي أنا كنا نحصرهم حتى يموتوا عن آخرهم ، فإنه الآن يذهب إلى سيده ، فيخبره ، ثم يخرجه إلينا ، ولا طاقة لنا به . فكان الأمر كما قال لما أطلقه ، لم يكن له دأبٌ إلا أنه حثَّ العزيز على الخروج بنفسه وجيوشه ، فأقبل في جحافل أمثال الجبال ، وكثرة من الرِّجال والعُدَد والأثقال والأموال ، وعلى مقدِّمته جوهر القائد . وجمع أفتكين والقِرْمطي

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٦٣هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) انظر وفيات سنة (٣٦٥هـ) .
(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨١هـ) .
(٥) في (ط) : ثم اتفق أمر المصريين على أن يبعثوا جوهراً القائد لقتاله ، وأخذ الشام من يده ، فعند ذلك حلف أهل الشام لأفتكين أنهم معه على الفاطميين ، وأنهم ناصحون له غير تاركيه .
(٦) انظر حوادث سنة (٣٦٠هـ) .
(٧) في (ح) : فتواقفوا ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) ما بين حاصرتين من (ب) .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١١) في (ط) : يترفق .

الجيوش والأعراب وسارا إلى الرَّمْلة ، فالتقوا[(١)] في محرَّم سنة سبع وستين ، ولما تواجهوا رأى العزيز من شجاعة أفتكِين أمراً عظيماً[(٢)] ، فأرسل إليه يعرض عليه إن أطاعه ورجع إليه أن يجعله مقدَّم عساكره ، وأن يحسن إليه غاية الإحسان . فترجَّل أفتكين عن فرسه بين الصفين ، وقبَّل الأرض نحو العزيز ، وأرسل [إليه][(٣)] يقول : لو كان هذا [القول سبق][(٤)] قبل هذا [الحال][(٥)] لأمكنني[(٦)] [وسارعت وأطعت][(٧)] ، وأما الآن فلا . ثم ركب فرسه ، وحمل على الميسرة ، ففرَّق شَمْلَها وبدَّد خيلها ورَجْلها ، فبرز عند ذلك [العزيز][(٨)] من القلب ، وأمر الميمنة فحملت حملة صادقة ، فانهزم القِرْمطي ، وتبعه بقية الشَّاميين ، وركبت المغاربة أقفاءهم يقتلون ويأسرون من شاؤوا ، وتحوَّل العزيز ، فنزل خيام الشاميين بمن معه من الجيوش ، وأرسل السرايا وراءهم ، وجعل العزيز لا يؤتى بأسيرٍ إلا خَلَعَ على من جاءه به ، وجعل لمن جاءه بأفتكين مئة ألف دينار ، فاتفق أن أفتكين عَطِش وهو منهزم عطشاً شديداً ، فاجتاز بمفرج بن دغفل ـ وكان صاحبه ـ فاستسقاه ، فسقاه ماء ، وأنزله عنده في بيوته ، وأرسل إلى العزيز يخبره بأن الذي يطلب عنده ، فليحمل إليه الذهب . فأرسل إليه بمئة ألف دينار ، وجاء من يسلمه إليه ، فلما أحيط بأفتكين لم يشك أنه مقتول ، فما هو إلا أن حضر عبد العزيز [حتى][(٩)] أكرمه غاية الإكرام واحترمه غاية الاحترام ، وَرَدَّ إليه حواصله وأمواله فلم يفقد [منها][(١٠)] شيئاً ، وجعله من أخَصِّ أصحابه وأمرائه ، وأنزله إلى جانب منزله ، ورجع به إلى الديار المصرية مكرماً معظماً ، وأقطعه هنالك إقطاعات جزيلة .

وأرسل إلى القِرْمطي يعرض عليه أن يقدم عليه ، ويكرمه كما أكرم أفتكين . فامتنع ، وخاف على نفسه ، فأرسل إليه بعشرين ألف دينار ، وجعلها له في كلِّ سنة ، يكف بها شَرَّه بذلك . ولم يزل أفتكين مكرَّماً [عند العزيز][(١١)] حتى وقع بينه وبين الوزير يعقوب بن كِلِّس ، فعمل عليه حتى سقاه سُماً فمات ، وحين علم الخليفة بذلك غضب على الوزير وحبسه بضعاً وأربعين ليلة ، وأخذ منه خمسمئة ألف دينار ، ثم

---

(١) في (ط) : فاقتتلوا .
(٢) في (ط) : مابهره .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ح) و(ب) : أمكنني والمثبت من (ط) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٩) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .

إنه رأى أنه لا غنى به عن الوزير ، فأخرجه من السجن ، وأعاده إلى الوزارة ، وذهب أفتكين في حال سبيله . وهذا ملخص ما ذكره ابن الأثير[١] .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

سُبُكْتِكِين الحاجب التُّرْكي : مولى المعز الدَّيْلمي وحاجبه ، وقد ترقَّى في المراتب حتى آل به الحال أن قلَّده الطَّائع الإمارة ، وخلع عليه وأعطاه اللِّواء ، ولقَّبه بنور الدولة[٢] ، فكانت مدة دولته في هذا المقام شهرين وثلاثة عشر يوماً ، ودفن ببغداد ، وداره هي دار الملك ببغداد ، وهي دارٌ عظيمة جداً . وقد اتفق له أنه سقط يوماً عن فرسه ، فانكسر ضلعه[٣] ، فداواه الطبيب حتى استقام ظهره ، وقدر على الصَّلاة إلا أنه لم يستطع الركوع ، فأعطاه شيئاً كثيراً من الأموال ، وكان يقول له : إذا ذكرتُ مرضي ومداواتك لي لا أقدر على مجازاتك ، ولكن إذا تذكرتُ وَضْعَ قدميك على ظهري اشتد[٤] غيظي منك .

وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لسبعٍ بقين من المحرَّم [منها][٥] ، وقد ترك من الأموال شيئاً كثيراً [جداً][٦] ؛ من ذلك ألف ألف دينار وعشرة آلاف ألف دِرْهم ، وصندوقان من جوهر ، وخمسة عشر صندوقاً من البلور ، وخمسة وأربعون صندوقاً من آنية الذهب ، ومئة وثلاثون مركباً من ذهب ، فيها خمسون درجاً في كل واحدٍ ألف دينار ، وستمئة مركب فِضَّة ، وأربعة آلاف ثوب دِيباج ، وعشرة آلاف دبيقي[٧] وَعتَّابي[٨] ، وثلاثمئة عِدْل معكومة من الفُرُش ، وثلاثة آلاف فرس وبغل وألف جمل وثلاثمئة غلام ، وأربعون خادماً ، وذلك غير ما أودع عند أبي بكر البزاز صاحبه . والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمئة

فيها قسم ركن الدولة بن بُوَيه ممالكه بين أولاده عندما كَبِرَتْ سنُّه ، فجعل لولده عضد الدولة بلاد فارس وكرمان وأرْجان ، ولولده مُؤَيَّد الدولة الري وأصبهان ، ولفخر الدولة هَمذان ودِيْنَور ، وجعل ولده أبا العبَّاس في كنف عضد الدولة وأوصاه به .

---

(١) انظر الكامل (٨/ ٦٥٦ ـ ٦٦١) .
(٢) في المنتظم (٧/ ٧٦) : نصر الدولة .
(٣) في (ط) : صلبه .
(٤) في (ح) : يشتد ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٧) نسبة إلى دبيق، بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، وتنسب إليها الثياب الدبيقية. معجم البلدان (٢/ ٤٧٨).
(٨) العتابي : نسيج مخطط اشتهر في بغداد . انظر وفيات الأعيان (٤/ ٣٨٩) .

وفيها جلس قاضي قضاة بغداد أبو محمد بن معروف في دار عز الدولة عن أمره له بذلك ، لفصل الحكومات ، وحكم بين الناس بين يديه .

وفيها حجَّ بالناس أمير المصريين من جهة العزيز بن المعز الفاطمي بعدما حُوْصر أهل مكة ، ولقوا شِدَّة عظيمة ، وغَلَت الأسعار عندهم جداً .

وذكر ابن الأثير أن في هذه السنة ذهب يوسف بلِّكين نائب المعز الفاطمي على [بلاد][(١)] إفريقية إلى سَبْتة ، فأشرف عليها من جبل مطل عليها ، فجعل يتأمل من أين يحاصرها نصف يوم ، فخافه أهلها خوفاً شديداً ، ثم انصرف عنها إلى مدينة هنالك يقال لها بصرة المغرب ، فأمر بهدمها ونهبها ، ثم سار إلى مدينة برغواطة ، وبها رجل يقال له عيسى بن أم الأنصار ، هو ملكها ، وقد اشتدَّت المحنة به لسحره وشعبذته وادَّعى أنه نبيٌّ ، فأطاعوه ، ووضع لهم شريعةً يقتدون به فيها ، فقاتلهم بلِّكين ، فهزمهم وقتل هذا الفاجر ، ونهب أموالهم ، وسبى ذراريهم ، فلم يُرَ سبيٌ أحسن أشكالاً منهم فيما ذكره أهل تلك البلاد في ذلك الزمان[(٢)] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن جعفر بن [محمد بن][(٣)] سَلْم : أبو بكر الخُتُّلي .

[له][(٤)] مسند كبير ، روى عن عبد الله بن أحمد [بن حنبل][(٥)] وأبي مسلم[(٦)] الكجِّي وخَلْق . [وروى][(٧)] عنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان ثِقَةً [وقد][(٨)] قارب التسعين .

وثابت بن سنان بن ثابت بن قُرَّة الصَّابىء المؤرِّخ ، فيما ذكره ابن الأثير في « الكامل »[(٩)] .

الحسين بن محمد بن أحمد[(١٠)] : أبو علي ، الماسَرْجسي ، الحافظ .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) انظر الكامل (٨/ ٦٦٥ ـ ٦٦٦) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) . وترجمة الخُتُّلي في تاريخ بغداد (٤/ ٧١ ـ ٧٢) المنتظم (٧/ ٨١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٨٢ ـ ٨٣) العبر (٢/ ٣٣٥) غاية النهاية (١/ ٤٤) شذرات الذهب (٣/ ٥٠) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من(ط) .
(٦) في (ط) : أبي محمد ، وهو تحريف .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) الكامل (٨/ ٦٦٨) .
(١٠) المنتظم (٧/ ٨١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩) العبر (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٥٥ ـ ٩٥٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١١١) طبقات الحفاظ (٣٨٣) شذرات الذهب (٣/ ٥٠) الرسالة المستطرفة (٢٩) .

رحل وسمع الكثير ، وصنَّف مسنداً في ألف وثلاثمئة جزء[١] ، بعِلَلِهِ وطُرُقه ، وله « المغازي والقبائل » ، وخَرَّج على « الصحيحين » وغيرهما .

قال ابن الجَوْزي : وفي بيته وسَلَفه تسعة عشر[٢] محدِّثاً ، توفي في رجب من هذه السنة ، رحمه الله[٣] .

الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي[٤] بن عبد الله بن محمد بن أبي أحمد ، الجُرْجاني [الحافظ][٥] الكبير ، المفيد الإمام ، العَلَم ، الجَوَّال ، النَّقَّال ، الرَّحَّال ، وله كتاب « الكامل » في الجرح والتعديل ، لم يسبق إلى مثله ، ولا يلحق في شكله .

قال حمزة عن الدَّارَقُطْني : فيه كفاية ، لا يزاد عليه[٦] .

ولد ابنُ عَدِيّ هذا في سنة سبعٍ وسبعين ومئتين ، وهي السنة التي توفي فيها أبو حاتم الرَّازي ، وتوفي [ابن عَدِي][٧] في جمادى الآخرة من هذه السنة .

المُعِزُّ الفاطمي[٨] : باني القاهرة المعزية مَعَدُّ بن إسماعيل بن سعيد بن عبد[٩] الله ، أبو تميم المدَّعي أنه فاطمي ، صاحب الدِّيار المصرية ، وهو أول من ملكها منهم يعني من الفاطميين ، كان ملكه ببلاد

---

(١) الذي بخط الذهبي : « أكثر من ثلاثة آلاف جزء » تاريخ الإسلام (٨/ ٢٤٠) .
(٢) في المنتظم : بضع عشر محدثاً .
(٣) المنتظم (٧/ ٨١) .
(٤) تاريخ جرجان (٢٢٥ ـ ٢٢٧) الأنساب (٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) اللباب (١/ ٢٧٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٠ ـ ٩٤٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٥٤ ـ ١٥٦) العبر (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) مرآة الجنان (٢/ ٣٨١) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣١٥ ـ ٣١٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١١١) طبقات الحفاظ (٣٨٠) شذرات الذهب (٣/ ٥١) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٦) تاريخ جرجان (٢٢٦) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٨) المنتظم (٧/ ٨٢ ـ ٨٣) الكامل (٨/ ٤٩٨) وما بعدها ، البيان المغرب (١/ ٢٢١) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٥٩ ـ ١٦٧) العبر (٢/ ٣٣٩) تاريخ ابن خلدون (٤/ ٤٥ ـ ٥١) اتعاظ الحنفا (١/ ١٣٤ ـ ٢٦٥) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٩ ـ ١٠٤) شذرات الذهب (٣/ ٥٢ ـ ٥٤) .
(٩) كذا في الأصل و(ب) و(ط) ، والصحيح : معد بن إسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي ، وقد ورد عند من لا يقر بصحة نسبهم أن اسم المهدي هو سعيد بن أحمد ، وقيل سعيد بن الحسين ، وأن اسم القائم نزار ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل حسن . فكأن المصنف سمى القائم سعيداً ، وسمى أباه عبيد الله المهدي بعبد الله ، ولعله تصحيف له وفي هذا دليل على أن المصنف لا يذهب إلى صحة نسبه كذلك . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٤١ ، ١٥٤) .

إفريقية وما والاها من بلاد المغرب ، فلما كان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمئة ، بعث بين يديه جوهراً القائد ، فأخذ له البلاد المصرية من كافور الإخشيدي بعد حروب تقدَّم ذكرها[١] ، واستقرَّت يد جوهر القائد عليها ، فبنى القاهرة المُعِزِّية وبنى منزل الملك وهما القصران[٢] ، ثم أقيمت الخطبة للمعز في سنة ثنتين وستين وثلاثمئة ، وقدم المعز ـ كما ذكرنا[٣] ـ في جحافل عظيمة ، ومعه الأمراء من المغاربة والأكابر والقواد ، وحين نـزل الإسكندرية تلقَّاه وجوه الناس ، فخطبهم فيها خطبة بليغة ، افتخر فيها بنسبه وملكه ، وادَّعى أنه يعدل وينصف المظلوم من ظالمه وأن الله قد رَحِمَ الأمة بهم ، واستنقذهم من أيدي الظلمة إلى عدلهم وإنصافهم ، وهو مع ذلك يدَّعي ظاهر الرَّفْض ، ويبطن ـ كما قال القاضي الباقِلَّاني[٤] ـ الكفر المحض ، وكذلك أهل طاعته ومن نصره ووالاه ، واتبعه في مذهبهم ، قبحهم الله تعالى وإياه .

أحضر إلى بين يديه الزاهد العابد [الورع النَّاسك][٥] التقي أبا بكر النَّابُلُسي[٦] ، فأوقف بين يديه فقال له المعز : بلغني أنك قلت : لو كان معي عشرة أسهم لرميت الرُّوم بسهم ورميت المصريين بتسعة . فقال : ما قلتُ هذا . فَظَنَّ أنه قد رجع [عن قوله][٧] فقال : كيف قلت ؟ قال : قلتُ ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر . قال : ولم ؟ قال : لأنكم غيَّرْتم [دين][٨] الأمة ، وقتلتم الصَّالحين ، وادَّعيتم[٩] نور الإلَهية ، [وادعيتم ما ليس لكم][١٠] فأمر بإشهاره في أول يوم ، ثم ضرب بالسياط في اليوم الثاني ضرباً شديداً مبرحاً ، ثم أمر به فسلخ في اليوم الثَّالث ، فجيء بيهودي ، فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن . قال اليهودي : فأخذتني رِقَّة عليه ، فلما بلغتُ تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات ، رحمه الله تعالى ، فقيل له الشهيد ، وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى اليوم ، [ولم تزل فيهم بقايا خير][١١] .

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٥٨هـ) .
(٢) في (ح) : ونزل الملك المكان المسمَّىٰ بالقصرين ، وفي (ب) وبنى منزل الملك المكان الذي المسمى بالقصرين ، والمثبت من (ط) .
(٣) انظر حوادث سنة (٣٦٢هـ) .
(٤) وذلك في كتابه « كشف الأسرار الباطنية » وهو من الكتب التي لما تصلنا بعد .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) انظر حاشيتنا على حوادث سنة (٣٦٣هـ) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) في (ط) : وأطفأتم .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .

وقد كان المعز الفاطمي ذا شهامةٍ وقوَّة [حزم][(١)] وشدَّة عزم ، وله سياسة ، ويظهر أنه يعدل وينصر الحق ، ولكنه مع ذلك كان منجماً يعتمد [على][(٢)] ما يرصد من حركات النجوم ، قال له منجمه : إن عليك قطعاً[(٣)] في هذه السنة ، فتوارَ عن وجه الأرض حتى تنقضي هذه المُدَّة . فَعَمِلَ له سِرْداباً ، وأحضر الأُمراء وأوصاهم بولده نزار ولقبه العزيز ، وفوّض إليه الأمر حتى يعود إليهم ، فبايعوه على ذلك ، ودخل ذلك السِّرْداب ، فتوارى فيه سنة ، فكانت المغاربة إذا رأى الفارس منهم سحاباً ترجّل عن فرسه وأومأ إليه بالسَّلام ظانين أن المُعزَّ في ذلك الغَمام ، ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾[(٤)] [الزخرف : ٥٤] ، ثم برز إلى الناس بعد مضي سنة ، وجلس في مقام الملك ، وحكم على عادته ، ولكنه لم تطل مدته بعد ذلك بل عاجله القضاءالمحتوم والحَين المقسوم ، فكانت وفاته في هذه السنة [ولله الحمد والمنة][(٥)] ، وكانت مدة أيامه في الملك[(٦)] ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، منها بمصر سنتان وتسعة أشهر[(٧)] ، وجملة عمره كله خمس وأربعون سنة وستة أشهر ، لأنه ولد بإفريقية حادي عاشر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمئة ، وكانت وفاته بمصر في اليوم السَّابع عشر[(٨)] من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمئة ، وهي هذه السنة المباركة .

ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمئة

فيها توفي ركن الدولة أبو علي بن بُوَيه[(٩)] وقد جاوز السبعين[(١٠)] [سنة][(١١)] ، وكانت أيامه نيفاً وأربعين سنة ، وقبل موته في السنة الماضية قَسَّم ممالكه [بين أولاده][(١٢)] كما

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) القطع : هو تأثير الكواكب أو النجوم على الأشخاص . انظر « تكملة المعاجم العربية » لدوزي (٢/ ٣٧٥) .
(٤) في (ط) : زيادة ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٤] .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) في (ط) : زيادة : قبل أن يملك مصر وبعدما ملكها .
(٧) في (ط) زيادة : والباقي ببلاد المغرب .
(٨) في (ح) : في سابع عشرين ، والمثبت من (ب) و(ط) ، وهو يوافق ما في الكامل (٨/ ٦٦٣) .
(٩) واسمه الحسين بن بويه .
(١٠) في (ب) و(ط) التسعين ، وكانت ولادة ركن الدولة تقديراً في سنة (٢٨٤هـ) ، فيكون عمره حين توفي نحو ثمانين سنة ، انظر المنتظم (٧/ ٨٥) ووفيات الأعيان (٢/ ١١٩) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٠٣) وانظر ترجمته في وفيات سنة (٣٦٥هـ) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

ذكرنا[١] ، وقد عملت ضيافة في دار ابن العميد بأصفهان حافلة حضرها ركن الدولة وبنوه وأعيان دولته ، فعهد [ركن الدولة][٢] في هذا اليوم إلى ابنه عضد الدولة ، وخلع عضد الدولة على أخويه[٣] وسائر الأمراء الأقبية والأكسية على عادة الدَّيْلم ، وحيوه[٤] بالرَّيحان على عادتهم أيضاً ، وكان يوماً مشهوداً . ثم توفي ركن الدولة بعده[٥] بقليل في هذه السنة ، وقد كان سائساً حليماً ، وقوراً كثير الصَّدَقات ، محباً للعلماء فيه إيثار وكرمٌ[٦] ، وحُسْنُ عشرة ورياسة ، وحنو على أقاربه ودولته ورعيته . وحين تمكَّن ابن عضد الدولة قَصَدَ العراق ليأخذها من ابن عمه عز الدولة بختيار لسوء سيرته ورداءة سريرته ، فالتقوا في هذه السنة بأرض الأهواز ، فهزمه عضد الدولة وأخذ أثقاله وأمواله ، وبعث إلى البصرة فأخذها وأصلح بين أهلها حَيَّيْ ربيعة ومُضْر ، وقد كان بينهم خُلْف متقادم من نحو مئة وعشرين سنة ، وكانت مُضَر تميل إليه وربيعة عليه ، ثم اتفق الحَيَّان واجتمع عليه الفريقان ، وقويت شوكة عضد الدولة وعزل عز الدولة ، وقبض على وزيره ابن بقيَّة لأنه استحوذ على الأمور دونه ، وجبى الأموال إلى خزائنه ، فاستظهر عضد الدولة[٧] بما وجده من الحواصل[٨] لابن بقية ولم يبق له منها بقية . وكذلك أمر عضد الدولة[٩] بالقبض على وزير أبيه أبي الفتح بن العميد لموجدة تقدَّمت منه إليه ـ أسلفنا ذكرها[١٠] ـ ولم يبق لبني العميد أيضاً في الأرض بقية ، وقد كان الأكابر تتقي منهم التقية ، وقد كان [ابن العميد][١١] من الفسوق والعصيان بأوفر مكان ، فخانته المقادير ، وعاجله[١٢] غضب السلطان ، ونعوذ بالله من غضب الرحمن .

وفي منتصف شوَّال من هذه السنة توفي الأمير منصور بن نوح السَّاماني ، صاحب بلاد خُرَاسان ببخارى ، وكانت ولايته خمس عشرة سنة ، وقام بالأمر [من][١٣] بعده ولده أبو القاسم نوح ، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، ولقب بالمنصور[١٤] .

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٦٥هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ب) و(ط) : إخوته ، وانظر الكامل (٨/ ٦٦٩ ـ ٦٧٠) .
(٤) في (ط) : وحفوه .
(٥) في (ط) : وقد كان ركن الدين قد أسن وكبر ، وتوفي بعد هذه الوليمة .
(٦) في (ط) زيادة : وبر .
(٧) في (ح) و(ب) : عز الدولة ، وهو تحريف ، والمثبت من (ط) .
(٨) في (ط) : بما وجده في الخزائن والحواصل .
(٩) في (ح) و(ب) و(ط) : ركن الدولة ، وهو تحريف ، وانظر الكامل (٨/ ٦٧٥) .
(١٠) انظر حوادث سنة (٣٦٦هـ) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٢) في (ط) : نزل به .
(١٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(١٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨٧هـ) .

وفيها توفي الحكم ، ولقبه المستنصر بالله بن النَّاصر لدين الله عبد الرحمن الأُموي ، وقد كان هذا من خيار الملوك وعلمائهم ، [وكان][١] عالماً بالفِقْه والخلاف والتَّواريخ ، محباً للعلماء محسناً إليهم . وكانت وفاته وله من العمر ثلاثٌ وستون سنة وسبعة أشهر ، ومدة خلافته منها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ، وقام بالأمر من بعده ولده هشام وله عشر سنين ولقب بالمؤَيَّد بالله ، وقد اختلف عليه في أيامه واضطربت الرعايا ، وحبس مُدَّة ، ثم أُخرج وأعيد إلى الخلافة ، وأقام بأعباء أمره حاجبه[٢] المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المَعَافِري[٣] ، وابناه المُظَفَّر والنَّاصر ، فساس الرعايا جيداً ، وعدل فيهم وغزا الأعداء ، واستمرَّ لهم الحال كذلك نحواً من ستٍّ وعشرين سنة . وقد ساق ابنُ الأثير هنا قطعة من أخبارهم ، وأطال شرحها[٤] .

وفيها رجع مُلْكُ حلب إلى أبي المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان ؛ وذلك أنه لما مات أبوه ، وقام من بعده تغلَّب مولاهم قرغويه عليهم ، وأخرجه منها خائفاً يترقَّب ، فسار إلى أمه بميافارقين في سنة سبع وخمسين ، ثم جاء فنزل حماة ، وكانت الروم قد خربت حمص ، فسعى في عمارتها وترميمها وسكنها ، ثم إن قرغويه استخلف على حلب مولى يقال له بكجور ، فتغلب عليه وسجن مولاه قرغويه بقلعتها نحواً من ست سنين ، فكتب أهل حلب إلى أبي المعالي وهو بحمص يسألونه أن يأتي إليهم ، فسار ، فحاصر حلب أربعة أشهر ، ففتحها ، وامتنعت القلعة عليه ، وقد تحصَّن بها بكجور ، ثم اصطلح مع أبي المعالي على أن يؤمنه على نفسه ويستنيبه بحمص ، ففعل ، فتاب له بكجور بحمص ، ثم انتقل في وقت[٥] إلى نيابة دمشق ، وإليه تنسب هذه المزرعة ظاهر دمشق من غربيها التي تعرف بالقصر البكجوري والله تعالى أعلم .

إبتداء ملك سُبُكْتِكِين

والد محمود صاحب غَزْنة .

وقد كان سُبُكْتِكِين هذا مولى الأمير أبي إسحاق بن ألبتكين[٦] صاحب جيش غَزْنة وأعمالها

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في (ح) : وصاحبه ، وهو تحريف ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٣) في (ح) : العامري ، وهو تحريف ، والمثبت من (ب) و(ط) . وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٧ ـ ١٦) .
(٤) انظر الكامل (٨/ ٦٧٧ ـ ٦٨٢) .
(٥) انظر أخباره في الكامل (٩/ ٥٨ ، ٨٥ ـ ٨٨) والوافي بالوفيات (١٠/ ٢٠٢) .
(٦) في الأصل و(ب) : السكين ، والمثبت من (ط) ، ومثله في الكامل (٨/ ٦٨٣) ووفيات الأعيان (٥/ ١٧٥) وفي طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٣١٦) وانظر حاشية المحقق .

للسَّامانية ، وليس هذا بحاجب معز الدولة ، ذاك توفي قبل هذه السنة كما قدَّمناه[(١)] . وأما هذا فإنه لما مات مولاه لم يترك أحداً يصلح للملك [من][(٢)] بعده [لا][(٣)] من ولده ولا من قومه ، فاصطلح الجيش على مبايعة سُبُكْتِكِين هذا خيره[(٤)] وحُسْنِ سيرته ، وكمال عقله وشجاعته وديانته . فاستقرَّ الملك بيده ، واستمر من بعده في ولده السعيد محمود بن سُبُكتِكِين .

وقد غزا سُبُكْتِكين هذا بلاد الهند ، ففتح شيئاً كثيراً من حُصُونهم ، وغَنمَ أشياء كثيرة من أموالهم ، وكسر من أصنامهم وبدودهم[(٥)] أمراً هائلاً ، وباشر بمن معه من الجيوش حروباً تشيب الولدان [والمَفارق ، وتسر الصديق وتغم المُفَارق][(٦)] وقد قصده جيبال[(٧)] ملك الهند [الأعظم][(٨)] بنفسه وجنوده التي تعمُّ السهول والجبال ، فكسرهم مرتين ، وَرَدَّهم إلى بلادهم في أسوأ حال وأردأ بال .

وذكر ابن الأثير في « كامله » أن سبكتكين لما التقى مع جيبال ملك الهند في بعض الغَزَوات كان بالقُرْب منهم عين في عقبة غورك ، وكان من عاداتهم أنه إذا وضعت فيها نجاسة أو قذَر اكفهرَّت السماء وأرعدت وأبرقت وأمطرت ، ولا تزال كذلك حتى تطهر تلك العين من ذلك الشيء الذي أُلقي فيها ، وأن سُبُكْتِكِين أمر بإلقاء نجاسة في تلك العين عند ذلك ـ وكانت قريباً من العدو ـ فلم يزالوا في رعود وبروقٍ وأمطار وصواعق حتى ألجأهم ذلك الحال إلى الهرب والرجوع إلى بلادهم خائبين هاربين ، وأرسل ملك الهند يطلب من سُبُكتكين الصُّلْح ، فأجابه بعد امتناعٍ من ولده محمود على مالٍ جزيل يحمله[(٩)] إليه ، وبلاد كثيرة يسلمها [إليه][(١٠)] ، وخمسين فيلاً ورهائن من رؤوس قومه يتركها عنده حتى يقوم بما التزم[(١١)] له من ذلك .

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٦٤هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ط) زيادة : لصلاحه فيهم وخيره .
(٥) في (ط) : ونذورهم ، وهو تحريف ، والبُدُّ : بيت فيه أصنام وتصاوير، وهي كلمة فارسية معربة . انظر اللسان (بدد) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٧) في (ح) : خيبال ، والمثبت من (ب) و(ط) ، ومثلهما في « الكامل » لابن الأثير .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) في (ح) : فحمله ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١١) في (ح) : التزمه ، والمثبت من (ب) .

وفيها توفي :

أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجَنَّابي : صاحب هَجَر ومقدَّم القرامطة ، فقام [بالأمر][١] من بعده ستة من قومه ، وكانوا يسمون بالسَّادة ، وقد اتفقوا على تدبير الأمر من بعده [ولم يختلفوا][٢] ، فمشى حالهم[٣] .

وفيها كانت وفاة :

الحسن[٤] بن أحمد[٥] بن أبي سعيد الجَنَّابي : أبو محمد القِرْمطي .

قال ابن عساكر : واسم أبي سعيد الحسن[٦] بن بَهْرَام[٧] ، ويقال الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كودزكار ، يقال : أصلهم من الفرس . قال : ويعرف أبو محمد هذا بالأعصم . قال : وولد بالأحساء في سنة ثمان وسبعين ومئتين .

وقد تغلَّب على دمشق والشَّام في سنة سبع وخمسين وثلاثمئة ، ثم عاد إلى الأحساء بعد سنة ، ثم عاد إلى دمشق في سنة ستين ، وكسر جيش جعفر بن فلاح ، أول من ناب بالشَّام عن المعز الفاطمي وقتله ، ثم توجَّه إلى مِصْر فحصرها في مستهل ربيع الأول سنة إحدى وستين ، واستمر محاصرها شهوراً ، وقد كان استخلف على دمشق ظالم بن مرهوب العُقيلي[٨] ثم عاد إلى الأحساء ، ثم رجع إلى الرَّملة ، فتوفي بها في هذه السنة ، وقد قارب التسعين ، وهو يظهر طاعة عبد الكريم الطَّائع بن المطيع الخليفة .

وقد أورد له الحافظ [ابن عساكر][٩] أشعاراً حسنة رائقة فائقة ؛ فمن ذلك ما كتب به إلى جعفر بن فلاح قبل الحرب بينهما[١٠] :

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) في (ح) : الحال ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٤) في (ط) : الحسين ، وانظر حوادث سنة (٣٦٠هـ) .

(٥) تاريخ أخبار القرامطة (٩٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦) العبر (٢/ ٣٤٠) فوات الوفيات (١/ ٣١٨ ـ ٣١٩) الوافي بالوفيات (١١/ ٣٧٣) مرآة الجنان (٢/ ٣٨٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢٨) شذرات الذهب (٣/ ٥٥) .

(٦) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٠١هـ) .

(٧) انظر حوادث سنة (٣٦٠هـ) .

(٨) مَرَّ في حوادث سنة (٣٦٣هـ) أن المُعزَّ أرسله أميراً إلى دمشق سنة (٣٦٣هـ) : وفي سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٢) : أن ظالماً كان نائباً عن القرمطي في دمشق ، ثم استماله المعز .

(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١٠) في (ط) زيادة : وهي من أفحل الشعر .

الكُتْبُ مُعْذرةٌ والرُّسْلُ مُخْبرةٌ ... والحقُّ مُتَّبعٌ والخَيْرُ موجودُ[١]
والحَرْبُ سَاكِنةٌ والخَيْلُ صافِنةٌ[٢] ... والسِّلْمُ مُبْتذلٌ والظِّلُّ مَمْدودُ
فإنْ أنبتمْ فَمَقْبولٌ إنابَتُكُمْ ... وإن أَبَيْتُمْ فهذا الكُورُ[٣] مشدودُ
على ظُهور المطايا[٤] أو تَرِدْنَ بنا ... دمشقَ والبابُ مهدومٌ[٥] ومَرْدودُ
إني امرؤٌ ليس من شأني ولا أَرَبي ... طَبْلٌ يَرِنُّ ولا نايٌ ولا عُودُ
ولا اعتكافٌ على خمرٍ ومجمرةٍ ... وذاتِ دَلٍّ لها غُنْجٌ[٦] وتَفْنيدُ
ولا أبيتُ بطينَ البَطْنِ من شِبَعٍ ... ولي رفيقٌ خميصُ البطنِ[٧] مجهودُ
ولا تسامت بي الدُّنيا إلى طَمَعٍ ... يوماً ولا غَرَّني فيها المواعِيْدُ[٨]

ومن شعره أيضاً :

يا ساكنَ البَلَدِ المُنيفِ تَعَزُّزاً ... بقلاعِه وحُصُونِهِ وكُهُوفِهِ
لا عِزَّ إلا للعزيزِ بنفسهِ ... وبِخَيْلِهِ وبِرَجْلِهِ وسُيُوفِهِ
وبقُبَّة بيضاء قد ضُربتْ على ... شَرَفِ الخيامِ لجاره وحليفه[٩]
قومٌ إذا اشتدَّ الوغى أردَى العِدَى ... وشَفَى النُّفُوسَ بِضَرْبِهِ ووقوفه[١٠]
لم يَرْضَ[١١] بالشَّرَفِ التليدِ لنفسهِ ... حتى أشاد[١٢] تلِيْدُهُ بطريفِهِ[١٣]

وفيها تملك قابوس بن وشمكير بلاد جُرْجان وطَبَرِسْتان وتلك النَّواحي .

وفيها دخل الخليفة الطائع لله بشاه ناز بنت عز الدولة بن بُوَيْه ، وكان عرساً حافلاً .

---

(١) في (ط) : محمود ، وإخاله تصحيفاً .
(٢) الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر ، انظر « اللسان » (صفن) .
(٣) الكور : رحل الناقة بأداته ، وهو كالسرج وآلته للفرس ، اللسان (كور) .
(٤) في (ط) : المنايا ، وهو تحريف .
(٥) في (ط) : مسدود .
(٦) في (ح) : دَلٌّ ، والأبيات ليست في (ب) ، والمثبت من (ط) .
(٧) خميص البطن : جائع ، انظر اللسان (خمص) .
(٨) انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٦) .
(٩) في (ط) : وضيوفه .
(١٠) في (ط) : وزحوفه .
(١١) في (ط) : يجعل الشرف .
(١٢) في (ط) : أفاد .
(١٣) انظر مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٦/ ٣١٢) .

وفي هذه السنة حَجَّت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان في تجمُّلٍ عظيم ، [حتى][(١)] كان يُضْرِبُ المثل بحَجِّها ؛ وذلك أنها عَمِلَتْ أربعمئة محمل فلا يُدْرى في أيها هي ، ولما وصلت إلى الكعبة المكرَّمة نَثَرتْ عليها عشرة آلاف دينار[(٢)] ، وكَسَتِ المجاورين بالحرمين كلَّهم ، وأنفقت أموالاً جزيلة في ذهابها وإيابها .

وحجَّ بالناس من العراق الشريف أبو عبد الله أحمد بن أبي الحسين محمد[(٣)] بن عبد الله[(٤)] العلوي ، وكذلك حج بالناس إلى سنة ثمانين وثلاثمئة ، وكانت الخطبة بالحَرَمين في هذه السَّنة للفاطميين أصحاب مصر دون العباسيين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل[(٥)] بن نُجَيْد[(٦)] بن أحمد بن يوسف بن سالم : أبو عمرو السُّلَمي .

صحب الجُنيد وغيره ، وروى الحديث ، وكان ثِقَةً ، ومن جيد كلامه قوله : من لم تهذبك رؤيته فليس بمهذَّب .

وقد احتاج شيخه أبو عثمان[(٧)] مرَّةً إلى شيء ، فسأل أصحابه فيه ، فجاءه ابن نُجَيد بكيسٍ فيه ألفا دِرْهم ، فقبضه منه ، وجعل يشكره إلى أصحابه ، فقال له ابن نُجيد[(٨)] : يا سيدي ، إن المال الذي دفعتُه إليك كان من مال أُمي وهي كارهة ، فأحبُّ أن تردَّه إليها . فأعطاه تلك الدَّراهم ، فلما كان الليل جاءه بها ، وقال : أحب أن تصرفها في أمرك من غير أن يعلم بذلك أحد . فكان أبو عثمان يقول : أنا أخشى[(٩)] من هِمَّة أبي عمرو بن نُجيد ، رحمهم الله تعالى .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) : ولما وصلت إلى الكعبة نثرت عشرة آلاف دينار على الفقراء والمجاورين .

(٣) في (ح) و(ب) : أحمد بن أبي الحسين بن محمد ، والمثبت من المنتظم (٧/ ٨٤) .

(٤) في المنتظم (٧/ ٨٤) : عبيد الله ، وفي الكامل (٩/ ٧٨) : عبد الله .

(٥) هكذا ذكر وفاته في هذه السنة ، والمحفوظ أنه توفي في السنة الفائتة سنة ٣٦٥هـ ، كما في تاريخ الإسلام (٨/ ٢٣٩) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٨) .

(٦) طبقات الصوفية (٤٥٤ ـ ٤٥٧) الرسالة القشيرية (٢٨) المنتظم (٧/ ٨٤ ـ ٨٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٦ ـ ١٤٨) العبر (٢/ ٣٣٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٢٢ ـ ٢٢٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢٧) شذرات الذهب (٣/ ٥٠) .

(٧) هو أبو عثمان الحيري سعيد بن إسماعيل ، وسلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٩٨هـ) من هذا الكتاب .

(٨) في (ط) زيادة بين أصحابه .

(٩) في (ط) : أجتني ، وهو تصحيف .

الحسن بن بُوَيْه[(١)] : أبو علي ، ركن الدولة بن بويه عَرَضَ له قُولنج ، فمات ليلةَ السبت الثَّامن والعشرين من المحرَّم [منها][(٢)] ، فكانت مُدَّة إمارته أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام ؛ ومدَّة عمره ثمانٍ وسبعون سنة[(٣)] ، وكان حليماً كريماً .

محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أفلح بن رافع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرحمن بن عبيد بن رفاعة بن رافع ، أبو الحسن ، الأنْصاري الزُّرَقي[(٤)] ، كان نقيب الأنصار ببغداد ، وقد سمع الحديث من أبي القاسم البغوي وغيره ، وكان ثِقَةً يعرف أيام الأنصار ومناقبهم وأمورهم ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة .

محمد بن الحسن[(٥)] **بن أحمد بن إسماعيل** : أبو الحسن السَّرَّاج .

سمع يوسف بن يعقوب القاضي وغيره ، وكان شديد الاجتهاد في العبادة . صلى حتى أُقعد ، وبكى حتى عَمِيَ ، وكانت وفاته يوم عاشوراء من هذه السنة .

القاضي منذر بن سعيد ، أبو الحكم البَلُّوطي[(٦)] : الظاهري مذهباً ، قاضي قضاة الأندلس ، وكان إماماً فقيهاً عالماً فصيحاً خطيباً شاعراً ديناً ، كثير الفَضْل ، [جامعاً لصنوف من الخير والتقوى والزُّهد][(٧)] ، وله مصنفات واختيارات ، منها أن الجنة التي أُدخلها آدم وأخرج منها كانت في الأرض ، [وليست بالجنة التي أعدَّها الله لعباده في الآخرة][(٧)] ، وله في ذلك مصنَّفٌ مفرد ، له وَقْعٌ في النُّفوس [وعليه حلاوة وطلاوة][(٧)] . وله تفسير القرآن ، وغير ذلك .

دخل يوماً على النَّاصر لدين الله عبد الرحمن الأموي وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها ، وقد

---

(١) المنتظم (٧/ ٨٥) وفيات الأعيان (٢/ ١١٨ ـ ١١٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) الوافي بالوفيات (١١/ ٤١١ ـ ٤١٢) مرآة الجنان (٣/ ٩٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢٧) شذرات الذهب (٣/ ٥٥) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) انظر حاشيتنا على حوادث سنة (٣٦٦هـ) .

(٤) هذه النسبة إلى بني زُرَيق ، بطن من الأنصار من الخزرج ، اللباب (٢/ ٦٥) .

(٥) المنتظم (٧/ ٨٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦١) العبر (٢/ ٣٤٢) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢٨) شذرات الذهب (٣/ ٥٧) .

(٦) طبقات النحويين واللغويين (٣١٩ ـ ٣٢٠) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥) جذوة المقتبس (٣٤٨ ـ ٣٤٩) بغية الملتمس (٤٦٥ ـ ٤٦٦) معجم الأدباء (١٩/ ١٧٤ ـ ١٨٥) معجم البلدان (١/ ٤٩٢) إنباه الرواة (٣/ ٣٢٥) الكامل لابن الأثير (٨/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥) اللباب (١/ ١٧٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٧٣ ـ ١٧٨) تاريخ قضاة الأندلس (٦٦ ـ ٧٥) بغية الوعاة (٢/ ٣٠١) نفح الطيب (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٦) شذرات الذهب (٣/ ١٧) وقد تابع ابنُ كثير ابنَ الأثير في ذكره في وفيات هذه السنة ، وقد ذكر الذهبي وفاته سنة (٣٥٥هـ) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

بُني له فيها قصر عظيم منيف ، وزخرف بأنواع الدهانات والستور ، وجلس عنده رؤوس دولته وأمراؤه ، وجاء القاضي ، فجلس إلى جانبه ، وجعل الحاضرون يثنون على هذا البناء [ويمدحونه][1] ، والقاضي ساكتٌ لا يتكلم ، فالتفت إليه الملك وقال : ما تقول [أنت][1] يا أبا الحَكم ؟ فبكى القاضي ، [وانحدرت دموعه على لحيته][1] وقال : ما كنتُ أظن أن الشيطان أخزاه الله تعالى يبلغ منك[2] هذا المبلغ [المفضح المهتك المهلك لصاحبه في الدنيا والآخرة][3] ولا أنك تمكنه من قيادك[4] هذا التمكين مع ما آثرك الله به وفضَّلك [به على كثير من الناس][5] حين أنزلك منازل الكُفَّار ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٣٣ ـ ٣٥] قال : فَوَجمَ الملك عند ذلك وبكى وقال : جَزَاك الله خيراً ، وأكثر في المسلمين مثلك[6] .

وقد قُحِطَ النَّاسُ في بعض السِّنين ، فأمر الملك القاضي منذر بن سعيد البلُّوطي أن يستسقي بالنَّاس ، فلما جاءته الرِّسالة بذلك ليخرج من الغد قال للرَّسول : كيف تركت الملك ؟ وما حاله ؟ فقال : رأيته أخشع ما يكون وأكثره دعاءً [وتضرُّعاً][7] فقال القاضي : رُحمتم وسُقيتم والله إذا خَشَعَ جَبَّار الأرض رَحِمَ جَبَّارُ السَّماء . ثم قال لغلامه : اخرج بالمِمْطَر معك[8] . فلما خرج النَّاس وجاء القاضي[9] صَعِدَ المنبر والنَّاسُ ينظرون إليه يستمعون لما يقول ، فلما أقبل عليهم كان أول ما خاطبهم به أن قال : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤] ثم أعادها [مراراً][10] فأخذ النَّاسُ في النحيب والبكاء [والتوبة][11] والإنابة ، ولم يزالوا كذلك حتى سُقوا ، ورجعوا يخوضون الماءَ[12] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) في (ح) و(ب) : بك ، والمثبت من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ب) فؤادك .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٦٧٤) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) في (ح) : بالمنبر ، وفي (ب) بالمنظر ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الكامل لابن الأثير (٨/ ٦٧٥) والممطر والممطرة : ثوب من الصوف يلبس في المطر يتوقى به منه . اللسان (مطر) .
(٩) في (ط) : ثم قال لغلامه : ناد في الناس الصلاة ، فجاء الناس إلى محل الاستسقاء ، وجاء القاضي .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(١٢) الكامل (٨/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥) .

وقد صنَّف الحافظ أبو عمر بن عبد البَرّ مصنَّفاً في مناقبه ، رحمه الله تعالى .

أبو الحسن علي بن أحمد[١] **بن المَرْزُبان البغدادي الفقيه الشَّافعي** : تفقه بأبي الحسين بن القَطَّان ، وأخذ عنه الشيخ أبو حامد الإسْفراييني .

قال ابن خلِّكان : وكان ورعاً زاهداً ليس لأحدٍ عنده مَظْلمة ، وله وجه في المذهب ، وكان له دَرْسٌ ببغداد ، وتوفي في رجب من هذه السنة[٢] .

ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمئة

في هذه السنة دخل عضد الدولة إلى بغداد ، وخرج منها عِزُّ الدولة بَخْتيار بن معز الدولة ، واتبعه عضد الدولة ليقاتله ، وأخذ معه الخليفة الطائع ، فاستعفاه الخليفة من الخروج فأعفاه ، وسار عضد الدولة وراءه ، فأخذه أسيراً ، ثم قتل سريعاً وتصرَّمت دولته . واستقرَّ أمر عضد الدولة ببغداد ، وخلع عليه الخليفة الخِلَع السَّنية والأسْوِرَة في يديه والطوق في عنقه ، وأعطاه لواءين أحدهما فضَّة والآخر من ذهب ، ولم يكن هذا الثاني يصنعه إلا لأولياء العهد ، وأرسل إليه الخليفة بتُحَفٍ سنية ، وبعث عضد الدولة [إلى الخليفة][٣]بأموالٍ جزيلة من الذَّهب والفِضَّة ، واستقرت يده على بغداد وما والاها من البلاد .

وزلزلت الأرض[٤] مراراً في هذه السنة .

وزادت دِجْلة زيادةً كثيرة وانتقضت بيوت كثيرة في البلد ، وغرق خَلْقٌ كثير وجمٌّ غفير .

وقيل لعضد الدولة : إن أهل بغداد قد قَلُّوا كثيراً بسبب الطَّاعون ، وما وقع بينهم من الفِتَن بسبب الرَّفْض والسُّنَّة ، وأصابهم حَريق [عظيم][٥] وغَرَقٌ ، فقال : إنما يهيج [الشر][٥] بين النَّاس في السُّنَّة والرَّفض هؤلاء القُصَّاص والوعاظ . ثم رسم أن أحداً لا يقصُّ ولا يعظ في سائر بغداد ، ولا يسأل سائل باسم أحد من الصَّحابة ، وإنما يقرأ السَّائل القرآن ، فمن أعطاه أخذ منه . فعمل بذلك في البلد ، ثم بلغه

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٣٢٥) وفيات الأعيان (٣/ ٢٨١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٤٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٤٦) شذرات الذهب (٣/ ٥٦) .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٢٨١) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) في (ط) : بغداد ، وهو تحريف ، وقد ذكر ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ٨٧) زلزلة بسيراف ، وذكر ابن الأثير في الكامل (٨/ ٦٩٣ ـ ٦٩٤) زلزلة في إفريقية .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .

أن أبا الحسين بن سمعون الواعظ(١) ـ وكان من الصَّالحين ـ قد استمرَّ يعظ الناس على عادته ، فأرسل إليه من جاءه به ، فأخذ من مجلسه وقيل له : إذا دخلت على الملك فقبِّل التراب وتواضع في الخطاب والجواب . فلما دخل دارالملك وجد السُّلْطان قد جلس في حجرة وحده لئلا يبدر من ابن سمعون في حَقِّه كلامٌ بحضرة الناس يؤثر عنه(٢) . فدخل الحاجب بين يديه ليستأذن له عليه ، فوجده قد دخل وراءه ، فإذا الملك جالس وحده ، فتنحا ابن سمعون بوجهه نحو دار عز الدولة ثم استفتح القراءة [بسم الله الرحمن الرحيم] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] ثم استدار نحو الملك ، فقال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٤] ثم أخذ في مخاطبة الملك وَوَعْظِهِ ، فبكى عضد الدولة بكاء كثيراً ، وجَزَّاه خيراً . فلما خرج من عنده قال للحاجب : اذهب فَخذْ ثلاثة آلاف دِرْهم وعشرة أثواب وادفعها إليه أو لفقراء أهله ، فإن قبلها جِئْني برأسه ، قال الحاجب : فجئته فقلتُ : هذه أثوابٌ أرسل بها إليك الملك لتلبسها . فقال : لا حاجة لي بها ، هذه ثيابي(٣) من عهد أبي منذ أربعين سنة كلما خرجتُ إلى النَّاس لَبِسْتُها ، فإذا رجعت طَوِيْتُها . قلت : وهذه نفقة . فقال : لا حاجة لي فيها ، لي دارٌ آكل من أجرتها تَرَكها لي أبي ، فأنا في غُنْية عنها(٤) . فقلت : لفقراء أهلك . فقال : أهله أحق بها من أهلي ، وأفقر إليها منهم . فرجعتُ إلى الملك لأشاوره ، وأخبر بما قال : فسكتَ ساعةً ثم قال : الحمد لله الذي سلَّمنا منه وسلّمه منا .

[ثم إن عضد الدولة أخذ ابن بَقِيَّة الوزير لعز الدولة ، فأمر به ، فوضع بين قوائم الفِيَلة ، فتخبطته بأرجلها حتى هَلَك ، ثم صُلِب على رأس الجسر في شَوَّال منها ، فرثاه أبو الحسين(٥) بن الأنباري بأبياتٍ يقول فيها :

عُلُـوٌّ فـي الحَيَـاةِ وفـي الممـاتِ ... لحـقٌ أنـتَ إحـدى المُعْجـزاتِ
كـأنَّ النَّـاسَ حَـوْلَـكَ حيـنَ قـامـوا ... وفـودُ نَـدَاكَ أيـامَ الصِّـلاتِ
كـأنَّـك واقـفٌ فيهـم خَطيْبـاً ... وكلُّهـمُ وقـوفٌ للصَّـلاةِ
مـددتَ يـديـكَ نحـوهُـمُ احتفـاءً ... كمـدهمـا إليهـم بـالهِبـاتِ

---

(١) ستَرِد ترجمته في وفيات سنة (٣٨٧هـ) .

(٢) في (ط) زيادة : وتحول عضد الدولة من مجلسه وجلس وحده لئلا يبدر من ابن سمعون إليه بين الدولة كلام يكرهه .

(٣) في (ح) : هذه ثياب أبي ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٤) في (ط) : زيادة ، فأنا في غنية عما أرسل به الملك .

(٥) في وفيات الأعيان (٥/ ١٢٠) : أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري .

وهي قصيدة طويلة أورد كثيراً منها ابن الأثير في « كامله »[(١)]] .

صفة مقتل عز الدولة بَخْتيار بن معز الدولة وأخذ عضد الدولة الموصل وأعمالها

لما دخل عضد الدولة بغداد وتسلَّمها من عز الدولة وأخرجه منها ذليلاً طريداً في قُلٍّ من النَّاس ، ومن عزم بختيار أن يمضي إلى الشَّام فيأخذها ، وقد حلفه عضد الدولة أن لا يتعرض لأبي تغلب صاحب الموصل وذلك لمودَّةٍ كانت بينهما ومراسلات منهما ، فحلف له على ذلك ، وحين خرج من بغداد كان معه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان ، فحسَّن لعز الدولة أخذ بلاد الموْصل [من أبي تغلب][(٢)] ، لأنها أطيبُ وأكثر مالاً [من الشام][(٢)] وأقرب إليه [الآن][(٢)] . وكان عِزُّ الدولة ضعيفَ العقل قليلَ الدِّين ، فلما بلغ ذلك أبا تغلب أرسل إلى عز الدولة يقول له : لئن بعثت إليَّ بأخي[(٣)] حمدان بن ناصر الدولة أعنتك بجيشي وبنفسي حتى أردَّك إلى ملك بغداد وأقاتل معك عضد الدولة . فأمسك حمدانَ وأرسله إلى أخيه[(٤)] أبي تغلب ، فسجنه في بعض القلاع ، وبلغ ذلك عضد الدولة وأنهما قد اجتمعا على حربه ، فركب إليهما بجيشه ، وأراد إخراج الخليفة الطائع معه ، فاستعفاه فأعفاه ، واستمرَّ هو ذاهباً إليهما ، فالتقى معهما ، فكسرهما وهزمهما ، وأخذ عز الدولة أسيراً ، فلما جيء به لم يأذن له بل أرسل إليه من قتله في الحال ، ثم سار من فوره ، فأخذ المَوْصل ومعاملتها ، وكان قد حمل معه ميرة كثيرة ، وتشرَّد أبو تغلب في البلاد ، وبعث وراءه السَّرايا في كلِّ جهة ، وأقام عضد الدولة بالموصل ، وضيَّق على أبي تغلب تلك البلاد ، واستحوذ على أكثر تلك الناحية لصرامته وشجاعته وهمته وعزيمته ، وأقام بالموصل إلى أواخر سنة ثمانٍ [وستين][(٥)] ، وفتح مَيَّافارقين وآمِد وغيرهما من بلاد بكر وربيعة ، وتسلَّم بلاد مُضَر من أيدي نواب أبي تغلب ، فأخذ منها الرَّحبة ، ورَدَّ بقيتها على صاحب حلب[(٦)] سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، وتسلَّط سعد الدولة على بلاد عمه أبي تغلب يتسلمها بلداً ، بلداً ، وحين رجع

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وأثبتنا ما في (ط) لحُسْنِ إيرادها ، انظر الكامل (٨/ ٦٨٩ ـ ٦٩٠) وانظر القصيدة بتمامها في وفيات الأعيان (٥/ ١٢٠ ـ ١٢١) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ط) : ابن أخي ، وهو وهم .

(٤) في (ح) و(ط) : عمه ، وهو تحريف ، انظر صدر الخبر ، والكامل (٨/ ٦٩١) ومعجم الأنساب لزامباور (١/ ٥٠٢) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٦) في (ح) : الموصل ، والمثبت من (ب) و(ط) .

عضد الدولة من الموصل استناب عليها أبا الوفا ، وعاد إلى بغداد ، فتلقّاه الخليفة الطائع لله ورؤوس الناس في ظاهر البلد ، وكان يوماً مشهوداً .

ومما وقع من الحوادث في هذه السنة الوقعة التي كانت بين العزيز بن المعز الفاطمي وبين أفتكين غلام معز الدولة صاحب دمشق ، فهزمه العزيز وأخذه معه إلى الدِّيار المصرية مكرَّماً [معظماً][1] كما تقدم[2] ، وتسلَّم العزيز الفاطمي دمشق وأعمالها ، وقد تقدَّم في [سنة][3] أربع وستين بسط هذه الكائنة بما أغنى عن إعادته[4] .

وفيها خُلع على القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي بقضاء قضاة الرَّي وما تحت حكم مُؤَيَّد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وله مصنَّفات حسنة ، منها « دلائل النبوة »[5] و « عُمُد الأدِلَّة » وغيرها[6] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة نائب المِصْريين وهو الأمير باديس بن زيري أخو يوسف بلِّكين ، ولما دخل مكة اجتمع إليه اللصوص ، وسألوا منه أن يُضمِّنهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال . فأظهر لهم الإجابة [إلى ما سألوا][7] وقال [لهم][7] : اجتمعوا كلكم حتى أضمِّنكم كلكم . فاجتمع عنده بضع وثلاثون حرامياً ، فقال : هل بقي منكم أحد ؟ فحلفوا له إنه لم يبق منهم أحد . فعند ذلك أمر بقطع أيديهم كلهم ، ونعم ما فعل . وكانت الخطبة في هذه السنة للفاطميين بمكة والمدينة دون العباسيين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الملك عز الدولة بختيار بن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن[8] بويه الدَّيْلَمي[9] : ملك بعد أبيه

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) انظر وفيات سنة (٣٦٤هـ) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) انظر حوادث سنة (٣٦٤هـ) .
(٥) طبع باسم « تثبيت دلائل النبوة » وقد حققه الدكتور عبد الكريم عثمان .
(٦) توفي سنة (٤١٥هـ) ، وكان من أبناء التسعين ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) وللدكتور عبد الكريم عثمان كتاب فيه عنوانه « قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد » طبع في بيروت سنة ١٩٦٧ .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) في (ح) : بن معز الدولة والحسن بن أحمد بن بويه ، وهو تحريف ، والصواب ما هو مثبت ، انظر المنتظم (٧/ ٨٩) .
(٩) يتيمة الدهر (٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩) المنتظم (٧/ ٨١ ـ ٨٢) الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٧٥ ـ ٥٨٠) وغيرها ، وفيات الأعيان (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) الوافي بالوفيات (١٠/ ٨٤ ـ ٨٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢٩) تاريخ الخلفاء (٦٤٩) شذرات الذهب (٣/ ٥٩) .

وعمره فوق العشرين[١] سنة بقليل ، وكان حَسَن الجسم ، شديد البطش ، قوي القَلْب جداً ، يقال : إنه كان يأخذ بقوائم الثور[٢] الشديد فيلقيه إلى الأرض من غير أعوان ، ويتقصد الأسود في أماكنها في متصيداته . ولكنه كان كثير اللهو واللَّعب والإقبال على اللَّذات ، ولما كسره ابنُ عَمِّه ببلاد الأهواز كان فيما أُخذ من أمواله غلام له كان يحبه حباً شديداً [لا يهنأ بالعيش إلا معه][٣] ، فبعث يترفق لابن عمه فيه حتى يردَّه ، وأرسل إليه بتُحَفٍ عظيمة وأموالٍ جزيلة وجاريتين عوَّادتين لا قيمة لهما[٤] . وبعث نقيب الأشراف في ذلك ، فرُدَّ عليه الغلام المذكور ، فكثُرَ تعنيف الناس لعز الدولة ، وسقط من أعين الملوك ، لأنه كان يقول : ذَهابُ هذا الغلام أشدُّ عليَّ مما جرى من أخذ بغداد وأرض العراق . ثم آل من أمره أنه أسره ابن عمه عضد الدولة كما ذكرنا[٥] ، وأمر بقتله سريعاً ، فكانت مدّة حياته ستاً وثلاثين سنة ، ومدة دولته منها إحدى عشرة[٦] سنة وشهور[٧] .

محمد بن عبد الرحمن[٨] : أبو بكر ، القاضي المعروف بابن قُرَيعة ، ولي قضاءَ السِّنْدية[٩] ، وكان فصيحاً يأتي بالكلام المسجوع من غير تكلُّف ولا تردُّد ، وكان جميلَ المعاشرة ظريف المحاضرة ، ومن شعره :

لـي حِيْلَـةٌ فيمـن يَنُـمُّ (م) وليـسَ فـي الكـذَّابِ حِيْلَـهْ
مَـنْ كـان يَخْلُـقُ مـا يقـو   لُ فَحِيْلتـي فيـه قَلِيْلـهْ

وكان يقول للرجل من أصحابه إذا تماشيا[١٠] : إن تقدَّمْتُ [بين يديك][١١] فحاجب ، وإن تأخرتُ فواجب . وكانت وفاته يوم السبت لعشر بقين من جُمادى الآخرة منها ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

---

(١) في (ح) و(ب) : العشر ، والمثبت من (ط) ، وكان عمره نحو الخامسة والعشرين .
(٢) في (ح) : بالفرس ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) أي لا تقدر قيمتها .
(٥) انظر حوادث سنة (٣٦٧هـ) .
(٦) في (ح) و(ط) و(ب) : إحدى وعشرين ، وهو تحريف ، والصواب ما هو مثبت ، إذ ولي بعد وفاة أبيه سنة(٣٥٦هـ) ، وانظر المنتظم (٧/ ٩٠) .
(٧) في (ط) زيادة : وهو الذي أظهر الرفض في بغداد ، وجرى بسبب ذلك شرور كما تقدم .
(٨) تاريخ بغداد (٢/ ٣١٧ ـ ٣٢٠) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١١٧) المنتظم (٧/ ٩١ ـ ٩٢) وفيات الأعيان (٤/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤) العبر (٢/ ٣٤٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٢٦) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩) شذرات الذهب (٣/ ٦٠ ـ ٦٢) .
(٩) السندية : قرية من قرى بغداد ، على نهر عيسى ، بين بغداد وبين الأنبار . معجم البلدان (٣/ ٢٦٨) .
(١٠) في (ح) : وكان يقول لمماشيه ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وستين وثلاثمئة

في شعبان منها أمر الخليفة الطائع لله أن يُدْعى لعضد الدولة بعد الخليفة على المنابر ببغداد ، وأن تضرب الدبادب على بابه وقت الفجر وبعد المغرب والعِشاء .

قال ابنُ الجَوْزي : وهذا شيء لم يتفق لغيره من بني بُوَيْه ، وقد كان مُعِزُّ الدولة سأل من المطيع لله أن تضرب الدَّبادب على بابه ببغداد ، فلم يأذن له في ذلك[١] .

وقد افتتح عضد الدولة[٢] في هذه السنة وهو مقيم بالمَوْصل أكثر ما كان لأبي تغلب بن حمدان ، كآمِد وميافارقين والرَّحبة وغير ذلك من المدن الكبار والصغار . وحين عزم على العود إلى بغداد استناب على الموصل أبا الوفا الحاجب ، ورجع إلى بغداد ، فدخلها في سَلْخ ذي القعدة من هذه السنة ، وتلقَّاه الخليفة والأعيان في أثناء الطريق ، وكان يوماً مشهوداً ، والله أعلم بالصواب .

ذكر ملك قَسَّام التَّرَّاب لدمشق في هذه السنة

لما اتَّقع[٣] أفتِكين مع العزيز بأرض الرملة ، وانهزم أفتكين والحسن القرمطي معه ، وأسر أفتكين ، فذهب العزيز إلى ديار مصر ، نهض رجلٌ من أهل دمشق يقال له قَسَّام التَّرَّاب ، كان أفتكين يقربه ويدنيه ، ويأتمنه على أسراره ، فاستحوذ على دمشق ، وطاوعه أهلُها ، وقصدته عساكر العزيز من مصر ، فحاصروه بها ، فلم يتمكنوا منه بشيء ، وجاء أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان فحاصره ، فلم يمكنه أن يدخل دمشق ، فانصرف عنه خائباً إلى طبرية ، فوقع بينه وبين بني عقيل وغيرهم من العرب حروبٌ طويلة ، آل به الحال إلى أن قُتل أبو تغلب ، وكانت معه أُخته جميلة وامرأته بنت عمه سيف الدولة ، فَرُدَّتا إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بحلب ، فأخذ أخته ، وبعث بجميلة إلى بغداد ، فَحُبِسَتْ في دارٍ ، وأخذ منها أموالٌ جزيلة .

وأما قسَّام وهو الحارثي ، وأصله من بني الحارث بن كعب من اليمن ـ فأقام بالشَّام ، يسُدُّ خللها ، ويقوم بمصالحها مُدَّة سنين عديدة ، وكان مجلِسُه بالجامع ، ويجتمع النَّاس عنده ، فيأمرهم وينهاهم فيمتثلون ما يرسم به .

---

(١) المنتظم (٧/ ٩٢) .

(٢) في (ط) : عز الدولة ، وهو تحريف .

(٣) في (ط) . ذهب .

قال ابنُ عساكر : إن أصله من قرية تَلْفِيتا[١] ، وكان تَرَّاباً .

قلت : والعامة يقولون اسمه قسيم الزبال ، وإنما هو قَسَّام ، ولم يكن زبالاً بل تَرَّاباً من قرية تلفيتا بالقُرْب من قرية مَنِين ، وكان بدوُّ أمره أنه انتمى إلى رجلٍ من أحداث دمشق يقال له أحمد بن الجسطارة[٢] ، فكان من حِزْبه ، ثم استحوذ على الأمور ، وغلب الولاة والأمراء وصارت إليه أَزِمَّة الأحكام إلى أن قدم يَلْتِكين[٣] التُّرْكي من مِصْر في يوم الخميس السَّابع عشر من المحرَّم سنة ستٍّ وسبعين وثلاثمئة ، فأخذها منه ودخلها ، فاختفى قَسَّام مدة ، ثم ظهر ، فأخذه أسيراً ، ثم أرسله [مقيداً][٤] إلى الديار المِصْرية ، فأطلق وأحسن إليه ، وأقام بها أيضاً مكرماً ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن جعفر بن حمدان[٥] بن مالك بن شبيب بن عبد الله : أبو بكر بن مالك القَطِيعي ـ من قطيعة الدَّقيق ببغداد ـ راوي « مسْند » أحمد عن ابنه عبد الله ، وقد روى عنه غير ذلك من مصنَّفات أحمد ، وحدَّث عن غيره من المشايخ أيضاً ، وكان ثِقَةً كثير الحديث .

وقد حدّث عنه الدَّارَقُطْني وابن شاهين والبَرْقاني وأبو نُعيم والحاكم ، ولم يمتنع أحدٌ من الرواية عنه ولا التفتوا إلى ما شغب به بعضهم من الكلام فيه ، بسبب غرق بعض كتبه حين غرقت القطيعة بالماء الأسود ، فاستحدث بعضها من نسخ أُخَر ، وهذا ليس بشيء ، لأنها قد تكون معارضة على كتبه التي غرقت ، والله أعلم . ويقال : إنه تَغَيَّر في آخر عمره فكان لا يدري ما يقرأ عليه ، وقد جاوز التسعين ، رحمه الله .

تميم بن المعز الفاطمي[٦] : وبه كان يكنى ، وقد كان من أكابر أمراء دولة أبيه وأخيه العزيز ، وفيه

---

(١) من قرى جبال القلمون ، انظر معجم البلدان (٢/ ٤٢ ـ ٤٣) .

(٢) لم تضبط المصادر اسمه : ففي معجم البلدان (٢/ ٤٢) الحطار ، وفي (ط) المسطان ، وفي « سير أعلام النبلاء » : الجصطر ، وفي تاريخ الإسلام : « الجِصطار » مجود بخط الذهبي ، كما بينه الدكتور بشار في التعليق عليه (٨/ ٤٣٠) .

(٣) أوله ياء آخر الحروف ؛ ترجمه الذهبي في حرف الياء من وفيات سنة (٣٧٣هـ) من تاريخ الإسلام (٨/ ٣٩٦) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٧٣ ـ ٧٤) الأنساب (١٠/ ٢٠٣) طبقات الحنابلة (٢/ ٦ ـ ٧) المنتظم (٧/ ٩٢ ـ ٩٣) اللباب (٣/ ٤٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢١٠ ـ ٢١٣) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٢) شذرات الذهب (٣/ ٦٥) .

(٦) الحلة السيراء (١/ ٢٩١) وفيات الأعيان (١/ ٣٠١ ـ ٣٠٣) وقد ذكره ابن كثير في وفيات هذه السنة متابعة لابن الجوزي في « منتظمه » ، وفي وفيات الأعيان (١/ ٣٠٣) : وتاريخ الإسلام (٨/ ٣٩٨) وكانت وفاته سنة (٣٧٤هـ) ، ونقل ابن خلكان عن محمد بن عبد الملك الهمذاني أنه توفي سنة (٣٧٥هـ) .

كرم وله فضيلة ، وقد اتفقت له كائنة غريبة ، وهي أنه أرسل إلى بغداد ، فاشتريت له جارية مغنية بمبلغٍ جزيل ، فلما حضرت عنده أضاف أصحابه ثم أمرها فغنت ـ وكانت تحبُّ شخصاً ببغداد ـ :

وبدا له من بعدِ ما اندمل الهَوى بَـرْقٌ تـألَّـقَ مُـوهِنـاً لمعـانُـهُ
يبـدو كحـاشيـةِ الـرِّداء ودونـه صَعْـبُ الـذُّرى مُتَمنِّـعٌ أرْكـانُـهُ
فبـدا لينظـر كيـفَ لاح فلـم يُطِـقْ نظـراً إليـه وصـدَّه أشجـانُـهُ
فـالنـارُ مـا اشْتَمَلَـت عليـهِ ضلُـوعـهُ والمـاء مـا سَمَحـتْ بـهِ أجفـانُـهُ

ثم غنته بأبيات أُخَر ، فاشتدَّ طرب تميم وقال لها : لابد أن تسأليني حاجةً ، فقالت : عافيتك . فقال : ومع هذا . وألحَّ عليها فقالت : تردُّني إلى بغداد حتى أغني بهذه الأبيات . فوجم [لذلك][١] ، ثم لم يجدُ بُداً من الوفاء [لها بما سألتْ][٢] ، فأرسلها مع بعض أصحابه ، فأحَجَّها ، ثم سار بها إلى بغداد على طريق العراق ، فلما أمسوا الليلة التي يدخلون من صبيحتها بغداد ذهبت في الليل فلم يدرِ أين ذهبت ، فلما راح الخبر إلى مولاها تألم ألماً شديداً ، وندِمَ ندماً [شديداً][٣] حيث لا ينفعه النَّدم .

[وقد ذكر ابن خلكان أنه لما توفي أدرج في ثمانين ثوباً من ديباج ، وأن قاضيهم هو الذي تولى ذلك منه . قلت : وهذا من الإسراف الذي سببه الجهل بالشرع][٤] .

العقيقي[٥] : صاحب الحَمَّام والدَّار المنسوبتين إليه بمحلة باب البريد بدمشق أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العقيقي بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الشريف أبو القاسم الحسيني .

قال ابن عساكر : كان من وجوه أشراف دمشق ، وإليه تنسب الدَّار والحَمَّام [بمحلة باب البريد][٦] . وذكر أنه توفي يوم الثلاثاء لأربع خلون من جُمادى الأولى من هذه السنة[٧] ، وأنه دفن من الغد ، وأغلق البلد بسبب جنازته ، وحضرها بكجور وأصحابه ـ يعني نائب البلد ـ ودفن خارج باب الصغير .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) وفي (ب) : كثيراً .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٥) تاريخ ابن عساكر (خ) س ، ومختصره لابن منظور (٣/ ٤٦) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٧) توفي على الصحيح سنة (٣٧٨هـ) انظر مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٤٦) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٤٤٧) .

قلت : وقد اشترى الملك الظَّاهر بيبرس داره وبناها مدرسة ودار حديث وتربة وبها قبره[١] ، وذلك في حدود سنة سبعين وستمئة كما سيأتي بيانه .

أبو سعيد السِّيْرَافي[٢] : النحوي ، الحسن بن عبد الله بن المَرْزُبان أبو سعيد القاضي .

سكن بغداد ، وولي القضاء بها نيابةً ، وله « شرح كتاب سيبويه » ، و« طبقات النحاة » .

وروى عن أبي بكر بن دُرَيد وغيره ، وكان أبوه مجوسياً[٣] ، وكان أبو سعيد هذا عالماً باللغة والقراءات والنحو والعَروض والفرائض والحساب وغير ذلك من فنون العلم ، وكان زاهداً لا يأكل إلا من عمل يده ، كان ينسخ كل يوم عشر ورقات بعشرة دراهم ، تكون منها نفقته ، وكان من أعلم النَّاس بنحو البصريين ، وينتحل مذهب أهل العراق في الفقه[٤] ، وقرأ على ابن مجاهد القراءات ، واللغة على ابن دريد ، والنحو على ابن السَّرَّاج والمَبْرَمان[٥] ، ونسبه بعضهم إلى الاعتزال ، وأنكره آخرون ، وكانت وفاته في رجب من هذه السنة عن أربعٍ وثمانين سنة ، ودفن بمقبرة الخيزران .

عبد الله بن إبراهيم بن يوسف[٦] : أبو القاسم الجُرْجاني[٧] ، ويعرف بالآبندُوني[٨] .

رحل في طلب العلم والحديث إلى الآفاق ، ورافق ابن عدي في بعض ذلك ، ثم سكن بغداد ، وحدَّث بها عن أبي يعلى ، والحسن بن سفيان وابن خُزَيمة وغيرهم ، وكان ثِقَةً ثبتاً مصنفاً زاهداً .

روى عنه البَرْقاني وأثنى عليه خيراً ، وذكر أن أكثر أكله الخبز المأدوم بمرق الباقِلاء ، وذكر

---

(١) هي المدرسة الظاهرية ، وهي مقر دار الكتب الظاهرية بدمشق .

(٢) طبقات النحويين واللغويين (١٢٩ ـ ١٣٠) تاريخ بغداد (٧/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) الأنساب (٧/ ٢١٨ ـ ٢١٩) نزهة الألباء (٣٠٧ ـ ٣٠٨) المنتظم (٧/ ٩٥) معجم الأدباء (٨/ ١٤٥ ـ ٢٣٢) إنباه الرواة (١/ ٣١٣ ـ ٣١٥) اللباب (٢/ ١٦٥) وفيات الأعيان (٢/ ٧٨ ـ ٧٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٤٧ ـ ٢٤٩) الوافي بالوفيات (٢/ ٧٤) بغية الوعاة (١/ ٥٠٧ ـ ٥٠٩) شذرات الذهب (٢/ ٦٥ ـ ٦٦) .

(٣) في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٤٨) : وكان أبوه مجوسياً فأسلم .

(٤) في (ح) : وقراءاتهم ، وكأنها مقحمة ، انظر تاريخ بغداد (٧/ ٣٤١) والمراد بمذهب أهل العراق مذهب أبي حنيفة النعمان ، رحمه الله .

(٥) في (ح) و(ط) و(ب) ابن المرزبان ، وهو تحريف ، والمثبت من تاريخ بغداد (٧/ ٣٤٢) والمنتظم (٧/ ٩٥) والمبرمان هو لقب أبي بكر محمد بن علي بن اسماعيل النحوي العسكري ، أخذ النحو عن المبرد ، وهو الذي لقبه به ، لكثرة ملازمته له وسؤاله إياه ، توفي سنة (٣٢٦هـ) ، انظر ترجمته في إنباه الرواة (٣/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .

(٦) تاريخ بغداد (٩/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) الأنساب (١/ ٩١ ـ ٩٢) المنتظم (٧/ ٩٥ ـ ٩٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٦١ ـ ٢٦٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٣) طبقات الحفاظ (٣٨٠ ـ ٣٨١) شذرات الذهب (٣/ ٦٦) .

(٧) في (ح) و(ب) و(ط) : الزنجاني ، وفي (ط) الريحاني ، وكلاهما تحريف ، وفيه متابعة لابن الجوزي في المنتظم (٧/ ٩٥) والمثبت من سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٦١) .

(٨) في (ح) و(ب) و(ط) : الابندري ، وهو تصحيف ، والمثبت من سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٦١) .

أشياء من تقلُّله وزهده وورعه ، توفي عن خمسٍ وتسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

عبد الله بن محمد بن وَرْقاء : الأمير أبو أحمد الشَّيباني ، من أهل البيوتات والحشمة ، بلغ التسعين [سنة][(١)] روى عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه أنشد في صفة النِّساء :

هي الضِّلَعُ العَوْجاء لستَ تقيمها ... ألا إنَّ تَقْويمَ الضُّلوعِ انكسارُها

أيجمعنَ ضعفاً واقتداراً على الفتى ... أليس عجيباً ضَعْفُها واقتدارُها

قلت : وهذا الشاعر أخذ المعنى من الحديث الصَّحيح : « إن المرأة خلقت من ضِلَع أعوج وإن أعوج شيء في الضِّلع أعلاه ، فإنْ ذَهَبْتَ تقيمه كَسَرْتَهُ ، وإن استمتعتَ بها استمتعت وفيها عِوَج » .

محمد بن عيسى[(٢)] **بن عمرويه ، الجُلُودي**[(٣)] : راوي « صحيح مسلم » عن إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه[(٤)] عن مسلم بن الحَجَّاج ، وكان من الزُّهَّاد ، يأكل من كَسْب يده من النَّسْخ ، وبلغ ثمانين سنة ، رحمه الله تعالى بمنه وكرمه .

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمئة

في المحرَّم منها توفي الأمير عمر بن شاهين ، صاحب بلاد البطيحة منذ أربعين سنة ، تغلَّب عليها ، وعَجَزَ عنه الأمراء والملوك والخلفاء ، وبعثت إليه الجنود والسَّرايا والجيوش غَيْرَ مرة ، فكل ذلك يغلبها[(٥)] ويكسرها ، وكل ما له في تمكُّنٍ وقُوَّة ، ومكث كذلك هذه المدة كلها ، ومع هذا كله مات على فراشه [حتف أنفه][(٦)] ، فلا نامت أعْيُنُ الجبناء . وقام بالأمر من بعده ولده الحسن ، فرام عضد الدولة أن ينتزع الملك من يده ، فأرسل إليه سريةً فيها خلق من الجنود ، فكسرهم الحسن بن عمر بن شاهين ، وردَّهم خائبين ، وكاد أن يتلفَهُمْ بالكلِّية ، حتى أرسل إليه عضد الدولة ، فصالحه على مالٍ يرسله إليه كل سنة وأخذ رهائن من عضد الدولة على ذلك ، وهذا من العجائب الغريبة .

وفي صَفَر منها قبض على الشَّريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي ؛ نقيب الطَّالبيين ، [وقد

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) الأنساب (٣/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥) المنتظم (٧/ ٩٧) اللباب (١/ ٢٨٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠١ ـ ٣٠٣) الوافي بالوفيات (٤/ ٢٩٧) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٣) شذرات الذهب (٣/ ٨٧) .

(٣) بضم الجيم ، وهو الأصح ، ووهم ابن الأثير في « اللباب » حين قال : إنه بفتح الجيم لا بضمها ، انظر حاشية الأنساب (٣/ ٢٨٣) وتبصير المنتبه (١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) .

(٤) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٠٨هـ) .

(٥) في (ب) و(ط) ، يغلها .

(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

كان أمير الحج مدة سنين][1] ، واتهم بأنه يفشي الأسرار ، وأن عِزَّ الدولة أودع عنده عقداً ثميناً ، وأُتي بكتاب أنه خطُّه في إفشاء الأسرار ، فأنكر أنه خَطُّه ، وكان مزوراً عليه ، واعترف بالعقد ، فأخذ منه ، وعزل عن النَّقابة وولي غيره ، وكان مظلوماً في ذلك .

وفي هذا الشهر أيضاً عَزَلَ عضدُ الدولة قاضي القضاة أبا محمد بن معروف ، وولَّى غيره .

وفي شعبان ورد البريد من مصر إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة ، فَرَدَّ الجواب بما مضمونه صدق النية وحُسْن الطَّوية .

ثم سأل عضد الدولة من الطَّائع أن يجدد عليه الخِلَع والجوهر ، وأن يزيد في ألقابه تاج الدولة ، فأجابه إلى ذلك كله ، فخلع عليه من أنواع الملابس ما لم يتمكن من تقبيل الأرض من كثرتها[2] ، وفوَّض إليه ما وراء بابه من الأُمور ومصالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وحضر ذلك الرؤساء والأمراء وأعيان الناس ، وكان يوماً مشهوداً هائلاً .

وأرسل في رمضان إلى الذُّعَّار من الأعراب من بني شيبان وغيرهم ، فعقرهم وكسرهم وقهرهم ، وكان أميرهم ضبَّة[3] بن محمد الأسدي متحصِّناً بعين التمر مدة نيف وثلاثين سنة ، فأخذت ديارهم وأخذت أموالهم ، وحالت أحوالهم .

وفي يوم الثلاثاء لتسع[4] بقين من ذي القعدة تزوَّج الخليفة الطائع لله بنت عضد الدولة الكبرى ، وعقد العقد بحضرة الأعيان والرؤساء ، وكان عقداً هائلاً حافلاً على صَدَاق مبلغه مئة ألف دينار ، ويقال مئتا ألف دينار ، وكان وكيل عضد الدولة الشيخ أبا علي [الحسن بن أحمد] الفارسي النحوي ، صاحب « الإيضاح » و « التكملة »[5] ، وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي أبو علي المُحَسِّن[6] بن علي التَّنوخي ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها كان مقتل أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بالشام قريباً من نوى[7] وأعمالها ، وكانت معه

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في (ط) : ما لم يتمكن معه من تقبيل الأرض بين يدي الخليفة .
(٣) في (ط) منية ، وهو تحريف .
(٤) في (ط) : لسبع ، وهو تصحيف ، انظر المنتظم (٧/ ١٠١) .
(٥) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٩٧هـ) ، وما بين حاصرتين من (ب) ، وفي (ط) : الحسين ، وهو تصحيف .
(٦) في (ح) و(ب) و(ط) : الحسن ، وهو تصحيف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١٠١) وهو صاحب كتاب « الفرج بعد الشدة » و « نشوار المحاضرة » والمستجاد من فعلات الأجواد ، وكلها كتب مشهورة متداولة ، توفي سنة (٣٨٤هـ) ، انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » (٤/ ١٥٩ ـ ١٦٢) .
(٧) قتله كان في الرملة ، انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٧٠٠) .

أخته جميلة وزوجته بنت عمه سيف الدولة، فردتا إلى ابن عمه سعد الدولة بن سيف الدولة صاحب حلب.

قال ابنُ الأثير: وفي هذه السنة جدَّد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها، وجدَّد المساجد والمشاهد، وأجرى على الفقهاء والأئمة الأرزاق والجرايات من الفقهاء والمحدِّثين والأطباء والحُسَّاب وغيرهم، وأطلق الصِّلات لأرباب البيوتات والشرف، وألزم أصحاب الأملاك ببغداد بعمارة بيوتهم ودورهم، ومهَّد الطُّرُقات، وأطلق المكوس، وأصلح طريق الحُجَّاج من بغداد إلى مكَّة، وأرسل الصَّدقات والصِّلات للمجاورين بالحَرَمين. قال: وأَذِنَ لوزيره نَصْر بن هارون ـ وكان نصرانياً ـ بعمارة البِيَع والدِّيَرة، وإطلاق الأموال لفقرائهم[١].

وفيها توفي حسنويه بن حسين الكردي، وكان قد استحوذ على نواحي بلاد الدِّيْنور وهَمَذَان ونهاوند مدة خمسين سنة، وكان حَسَنَ السِّيرة، كثير الصدقة بالحرمين وغيرهما، فلما توفي اختلف أولاده من بعده وتمزَّق شملهم، وتمكَّن عضد الدولة من أكثر بلاده، وقويت شوكته في الأرض.

وفي هذه السنة ركب عضد الدولة في جيوش[٢] كثيفة إلى بلاد أخيه فخر الدولة، وذلك لما كان بلغه من ممالأة عز الدولة واتفاقهما عليه، فلما تفرغ من أعدائه ركب فتسلَّم بلاد أخيه فخر الدولة هَمَذان والرَّي وما بينهما من البلاد، وسلَّم ذلك إلى أخيه مؤيد الدولة بُوَيه بن ركن الدولة[٣] ليكون نائبه عليها، ثم سار إلى بلاد حسنويه الكردي، فتسلم بلاده وأخذ حواصله وذخائره، وكانت جليلة كثيرة، وحبس بعض أولاده، وأمَّر بعضهم، وأرسل إلى الأكراد الهكَّارية، فأخذ منهم بعض بلادهم، وعَظُمَ شأن عضد الدولة في البلاد وارتفع صيته وذِكْره، إلا أنه أصابه في هذه السفرة داء الصَّرْع، وقد كان تقدَّم له في الموصل [مثله][٤] فكان يكتمه، ولكنه غلب عليه كثرة النسيان فلا يذكر الشيء إلا بعد جهد جهيد، والدنيا لا تسر بقدر ما تضر.

دارٌ متى[٥] ما أضْحَكَتْ في يَوْمِها ... أبْكَتْ غداً بُعْداً لها مِنْ دَارِ

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن عطاء بن أحمد[٦]: أبو عبد الله الرُّوذْبارِي ـ ابن أُخت أبي علي

(١) انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٧٠٤ ـ ٧٠٥).
(٢) في (ب) و(ط): جنود.
(٣) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٧٣هـ).
(٤) ما بين حاصرتين من (ط).
(٥) في (ط): دار إذا ما أضحكت.
(٦) طبقات الصوفية (٤٩٧ ـ ٥٠٠) حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) تاريخ بغداد (٤/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) الرسالة القشيرية (٣٠) المنتظم: (٧/ ١٠١) معجم البلدان (٣/ ٧٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٥) شذرات الذهب (٣/ ٦٨).

الرُّوذباري[١] ـ أسندَ الحديث ، وكان يتكلَّم على مذهب الصُّوفية ، وكان قد انتقل من بغداد فأقام بصُور ، وتوفي بها في هذه السنة[٢] .

أحمد بن زكريا[٣] **أبو الحسين اللُّغوي** : صاحب كتاب « المجمل » في اللُّغة وغيره ، ومن شِعْره قبل موته بيومين :

يـا ربِّ إنَّ ذنـوبـي قـد أَحَطْـتَ بهـا … عِلْمـاً وبـي وبـإعـلانـي وإسـراري
أنـا المـوحِّـدُ لكنّـي المُقِـرُّ بهـا … فَهَـبْ ذنـوبـي لِتَـوْحيـدي وإقْـرَاري

ذكر ذلك ابنُ الأثير .

الحسين[٤] **بن علي**[٥] : أبو عبد الله ، البَصْري ، أحد مشايخ المعتزلة ؛ ويعرف بالجُعَل ، سكن بغداد وانتحل مذهب العراقيين ، وصنَّف للمعتزلة ، وكان اشتغاله في الفروع على أبي الحسن الكَرْخي[٦] ، وعنده دُفِنَ ، وقد قارب الثمانين .

حَسْنويه بن الحسن الكردي : أمير تلك البلاد ، وكان كثير الصَّدَقات كما قدمنا[٧] ، رحمه الله تعالى .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٢٢هـ) .
(٢) في (ط) زيادة : قال : رأيت في المنام كأن قائلاً يقول : أي شيء أصح في الصلاة ؟ فقلت : صحة القصد . فسمعت قائلاً يقول : رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم ، وقال : مجالسة الأضداد ذوبان الروح ، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول ، وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة ، ولا كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار ، ولا يؤمن على الأسرار إلا الأمناء فقط .
وقال : الخشوع في الصلاة علامة الفلاح ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ وترك الخشوع في الصلاة علامة النفاق وخراب القلب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ .
(٣) انظر الكامل (٨/ ٧١١) وقد ذكره ابن كثير كذلك في وفيات هذه السنة متابعة منه لابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٠٣) ووفاته على الصحيح سنة (٣٩٥هـ) ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣٩٥هـ) .
(٤) سقطت ترجمته من (ط) ، وفي (ح) و(ب) : الحسن ، وهو تصحيف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١٠١) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .
(٥) الإمتاع والمؤانسة (١/ ١٤٠) تاريخ بغداد (٨/ ٧٣ ـ ٧٤) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٤٣) المنتظم (٧/ ١٠١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) لسان الميزان (٢/ ٣٠٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٥) شذرات الذهب (٣/ ٦٨) .
(٦) في (ح) أبي الحسين ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) ، وقد سلفت ترجمته وفيات سنة (٣٤٠هـ) .
(٧) انظر حوادث هذه السنة .

عبد الله بن إبراهيم[١] بن أيوب بن ماسي : أبو محمد البزاز ، أسند الكثير ، وبلغ خمساً وتسعين سنة ، وكان ثِقَةً ثَبْتاً ، توفي في رجب من هذه السنة .

محمد بن صالح[٢] بن علي بن يحيى : أبو الحسن ، الهاشمي ، قاضي بغداد ويعرف بابن أُمِّ شيبان .

وكان عالماً فاضلاً ، له تصانيف ، وقد ولي الحكم ببغداد قديماً ، وكان جيِّد السيرة ، توفي في هذه السنة وقد جاوز السبعين ، وقارب الثمانين ، رحمه الله وإيانا بمنِّه .

ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمئة

فيها ورد الصَّاحب بن عَبَّاد من جهة مُؤَيِّد الدولة إلى أخيه عضد الدولة ، فتلقَّاه عضد الدولة إلى ظاهر البلد ، وأكرمه ، وأمر الدولة باحترامه ، وخلع عليه ، زاد في إقطاعه ، ورَدَّ معه هدايا كثيرة جداً .

وفي جمادى الآخرة منها رجع عضد الدولة إلى بغداد ، فتلقاه الخليفة الطائع ، وضُربت له القباب وزينت الأسواق .

وفي هذا الشهر دخل الخليفة بزوجته بنت عضد الدولة ، وحمل معها من الجهاز شيء عظيم .

وفي هذا الشهر [أيضاً][٣] وصلت هدايا من صاحب اليمن إلى عضد الدولة ، وفيها أشياء حسنة وكانت الخطبة بالحرمين في هذه السنة لصاحب مصر ، وهو العزيز بن المعز الفاطمي .

وممن توفي هذه السنة من الأعيان :

أحمد بن علي[٤] : أبو بكر ، الفقيه الحنفي ، الرَّازي ، أحد أئمة أصحاب الرَّأي ، ومن له المصنَّفات المفيدة ، وله كتاب « أحكام القرآن » .

وهو تلميذ أبي الحَسَن الكَرْخي ، وكان عابداً زاهداً ورعاً ، انتهت إليه رياسة الحنفية في وقته ،

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩) المنتظم (٧/ ١٠٢) العبر (٢/ ٣٥١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٧) شذرات الذهب (٣/ ٦٨ ـ ٦٩) .

(٢) الولاة والقضاة (٥٧٤) تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥) المنتظم (٧/ ١٠٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) الوافي بالوفيات (٣/ ١٥٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٧) شذرات الذهب (٣/ ٧٠) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و (ط) .

(٤) تاريخ بغداد (٤/ ٣١٤ ـ ٣١٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٤٤) المنتظم (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) الوافي بالوفيات (٧/ ٢٤١) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٨) الجواهر المضية (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٤) شذرات الذهب (٣/ ٧١) الفوائد البهية (٢٧ ـ ٢٨) .

ورحل إليه الطلبة من الآفاق ، وقد سمع الحديث من أبي العباس الأصَم وأبي القاسم الطَّبراني وغيرهما وقد أراده الطَّائع لله[١] على أن يوليه القضاء فلم يقبل .

كانت وفاته في ذي الحجة من هذا العام ، وصلّى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي[٢] .

محمد بن جعفر بن الحسين[٣] بن محمد بن زكريا : أبو بكر الوَرَّاق[٤] ، ويلقب بغُنْدَر أيضاً[٥] .

وكان جَوَّالاً رحَّالاً ، سمع الحديث الكثير ببلاد فارس وخُرَاسان ، وسمع الباغَنْدي ، وابن صاعد ، وابن دُريد ، وغيرهم ، وعنه الحافظ أبو نُعيم الأصْبهاني ، وكان ثِقَةً حافظاً ، رحمه الله تعالى .

ابن خَالَوَيْه[٦] ، الحسين بن أحمد بن خالويه : أبو عبد الله ، النَّحْوي ، اللُّغوي ، صاحب المصنفات ، أصله من هَمَذَان ، ثم دخل بغداد ، فأدرك [بها][٧] مشايخ هذا الشأن : كأبي بكر بن الأنباري ، وابن دريد وابن مجاهد ، وأبي عمر[٨] الزَّاهد ، واشتغل على أبي سعيد السِّيرافي ، ثم صار إلى حلب ، فكانت له مكانة عند آل حمدان ، وكان سيف الدولة يكرمه وهو أحد جلسائه ، وله مع المتنبي مناظرات . وقد سَرَدَ له ابن خَلِّكان مصنفات كثيرة ، منها كتاب « ليس »[٩] ، لأنه كان يكثر أن يقول فيه ليس في كلام العرب كذا ، وكتاب « الآل » تكلَّم فيه على أقسامه[١٠] ، وترجم الأئمة الاثني عشر ، وأعرب ثلاثين سورة من القرآن ، وشرح « الدُّرَيْدية » وغير ذلك ، وله شِعْرٌ حسن[١١] ، وكان فَرْداً في زمانه ، رحمه الله تعالى .

---

(١) كذا في (ح) و(ب) و(ط) ، وفي تاريخ بغداد (٤/ ٣١٤) أن الخليفة المطيع لله هو الذي أراده على القضاء .

(٢) سترد ترجمته في وفيات سنة (٤٠٣هـ) من هذا الكتاب .

(٣) في (ح) و(ب) : الحسن ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ بغداد (٢/ ١٥٢) وثمة ترجمته وأيضاً في المنتظم (٧/ ١٠٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٠ ـ ٩٦١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢١٤ ـ ٢١٥) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٩) طبقات الحفاظ (٣٨٤ ـ ٣٨٥) شذرات الذهب (٣/ ٧٣) .

(٤) في (ح) : الدقاق ، وهو تحريف ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٥) أشهر من أطلق عليه هذا اللقب هو المحدّث الكبير محمد بن جعفر صاحب شعبة ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (١٩٣هـ) من هذا الكتاب .

(٦) يتيمة الدهر (١/ ١٢٣) نزهة الألباء (٣٨٣) معجم الأدباء (٩/ ٢٠٠) إنباه الرواة (١/ ٣٢٤) وفيات الأعيان (٢/ ١٧٨) العبر (٢/ ٣٥٦) لسان الميزان (٢/ ٢٦٧) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٩) شذرات الذهب (٣/ ٧١) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٨) في (ح) : أبي عمرو ، وهو تصحيف ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٤٥هـ) .

(٩) في (ط) : كتاب « ليس في كلام العرب » بزيادة : في كلام العرب ، وهي زيادة لم ترد في وفيات الأعيان (٢/ ١٧٩) ولا في نسخنا الخطية .

(١٠) في (ح) و(ب) : أنسابه ، والمثبت من (ط) .

(١١) انظر وفيات الأعيان (٢/ ١٧٩) .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة

في ربيع الأول منها وَقَعَ حريقٌ عظيم بالكَرْخ من بغداد .

وفيها سُرِقَ شيءٌ نفيس لعضد الدولة ، فعَجبَ النَّاس من ذلك مع شِدَّة هيبة عضد الدولةِ ، ثم مع هذا اجتهدوا كل الاجتهاد فلم يُعرف من أخذه ، ويقال : إن صاحب مِصْر بعث من فعل هذا ، [والله أعلم][(١)] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[**الإسماعيلي**][(٢)] ، **أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العبَّاس** : أبو بكر ، الإسماعيلي الجُرْجاني ، الحافظُ الكبير الرَّحَّال الجَوَّال .

سمع الكثير وحدَّث وخرَّج وصنَّف ، فأفاد وأجاد ، وأحسن الانتقاد والاعتقاد ، صنف كتاباً على « صحيح البخاري » فيه فوائد كثيرة ، وعلوم غزيرة .

قال الدَّارَقُطْني : كنت عزمت غير مرة على الرِّحْلَة إليه فلم أُرْزَق .

وكانت وفاته يوم السبت عاشر[(٣)] رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة ، وهو ابنُ أربعٍ وتسعين[(٤)] سنة ، رحمه الله .

الحسن بن أحمد بن صالح[(٥)] : أبو محمد السَّبيعي .

سمع ابنَ جرير وقاسماً المُطرِّز وغيرهما ، وعنه الدَّارَقُطْني والبَرْقاني ، وكان ثِقَةً حافظاً مكثراً ، وكان عَسِرَ الرِّواية ، رحمه الله .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) . وترجمة الإسماعيلي في تاريخ جرجان (٦٩ ـ ٧٧) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٦) الأنساب (١/ ٢٤٩) المنتظم (٧/ ١٠٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٧ ـ ٩٥١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٢ ـ ٢٩٦) الوافي بالوفيات (٦/ ٢١٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٧ ـ ٨) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٠) شذرات الذهب (٣/ ٧٢ و٧٥) .

(٣) كذا في (ح) و(ب) و(ط) ، وفي تاريخ جرجان للسهمي (ص٦٩) ـ وهو تلميذه . غرة رجب ، ومثله في مصادر ترجمته .

(٤) في (ح) و(ب) و(ط) : وسبعين ، وهو تصحيف ، وكانت ولادة الإسماعيلي سنة (٢٧٧هـ) ، انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٣) .

(٥) تاريخ بغداد (٧/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٥٢ ـ ٩٥٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٦ ـ ٢٩٩) الوافي بالوفيات (١١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٩) طبقات الحفاظ (٣٨٢) شذرات الذهب (٣/ ٧١ و٧٦) .

الحسن بن علي بن الحسن بن الهيثم بن طَهْمان : أبو عبد الله الشَّاهد ، المعروف بالبادا .

سمع الحديث وكان ثِقَةً ، عُمِّر سبعاً وتسعين سنة ، منها خمس عشرة سنة مقعداً[١] أعمى ، رحمه الله .

عبد الله بن الحسين[٢] بن إسماعيل بن محمد : أبو بكر الضَّبِّي القاضي ، ولي الحكم بعدَّة بلاد كثيرة[٣] ، وكان عفيفاً نَزِهاً صيِّناً ديِّناً ، رحمه الله تعالى .

عبد العزيز بن الحارث[٤] بن أسد بن اللَّيث : أبو الحسن التميمي ، الفقيه الحَنْبلي .

له كلام ومصنَّف في الخلاف ، وسمع الحديث ، وروى عن غير واحد ، وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه وضع حديثاً[٥] . وردَّ ذلك أبو الفرج بن الجَوْزي وقال : ما زال هذا دأب الخطيب في أصحاب أحمد بن حنبل . قال : وشيخ الخطيب الذي حكى عنه هذا وهو أبو القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي العُكْبَرِي[٦] لا يُعْتمدُ على قوله ، فإنه كان معتزلياً وليس من أهل الحديث ، وكان يقول بأنَّ الكُفَّار لا يخلَّدون في النار .

قلت : وهذا غريبٌ ، فإنهم[٧] يقولون بوجوب تخليد أصحاب الكبائر ، فكيف لا يقول هذا بتخليد الكفَّار !

قال : وعنه حكى الكلام في ابنِ بَطَّة أيضاً[٨] .

علي بن إبراهيم[٩] : أبو الحسن الحُصْرِي ، الصُّوفي ، الواعظ ، شيخ الصُّوفية ببغداد ، وأصله من البَصْرة .

---

(١) في (ط) : مقيداً ، وهو تصحيف .
(٢) المنتظم (٧/ ١٠٩) وفيه عبد الله بن الحسن ، وهو تصحيف ، وقد سلفت ترجمة أبيه الحسين بن اسماعيل في وفيات سنة (٣٣٠هـ) .
(٣) في (ط) : ببغداد ، وهو تحريف ، وفي تاريخ بغداد (٩/ ٤٤١) ذكر البلدان التي تولى قضاءها .
(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) المنتظم (٧/ ١١٠) .
(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) .
(٦) في (ح) و(ط) و(ب) : عبد الواحد العكبري من أسد ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١١٠) والعكبري هو عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي ، اللغوي النحوي ، توفي سنة (٤٥٦هـ) ، وسترد ترجمة في وفياتها ، وانظر (ص٢١٧ ـ ٢١٨) من هذا الجزء .
(٧) أي المعتزلة .
(٨) انظر وفيات سنة (٣٨٧هـ) .
(٩) المنتظم (٧/ ١١١) .

وكان قد صَحِبَ الشِّبْلي[١] وغيره ، وكان يعظ النَّاس بالجامع ، ثم لما كَبِرَتْ سنُّه بني له الرِّباط المقابل لجامع المنصور ، ثم عُرِفَ بصاحبه الزَّوْزَني[٢] ، وكان لا يخرج إلا من الجمعة إلى الجمعة ، وله كلامٌ جيد في التصوف على طريقتهم .

ومما نقله ابنُ الجوزي عنه أنه قال : ما عليَّ منّي ؟ وأي شيء لي فيَّ حتى أخاف وأرجو ، إنْ رَحمَ رحم ماله ، وإنْ عَذَّب عذب ماله[٣] .

توفي في ذي الحجَّة وقد نيَّف على الثمانين ، ودفن بمقبرة باب حَرْب من بغداد .

علي بن محمد الأحدب المزوِّر[٤] : كان قوي الخطِّ ، له مَلَكة على التزوير لا يشاء يكتب على كتابة أحدٍ إلا فعله ، فلا يَشُكُّ ذلك المزور عليه أنه خَطَّه ، وبُلي النَّاس ببلاءٍ عظيم ، وختم السلطان على يده مراراً فلم يفد ، ثم كانت وفاته في هذه السَّنة[٥] .

الشيخ أبو زيد [المَرْوزي الشَّافعي][٦] : محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي ، شيخ الشَّافعية في زمانه ، وإمام أهل عَصْره في الفِقْه والزُّهْد والعبادة والورع .

سمع الحديث ، ودخل بغداد ، وحدَّث بها ، فسمع منه الدَّارَقُطْني وغيره .

قال أبو بكر البَزَّار : عادَلْتُ[٧] الشيخ أبا زيد في طريق الحج فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة .

وقد ذكرتُ ترجمته بتمامها في « طبقات الشَّافعية » .

قال الشيخ ابن نُعيم[٨] : توفي بمرو يوم الجمعة الثالث عشر من رجب من هذه السنة ، رحمه الله .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٣٤هـ) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : المروزي ، وهو تحريف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١١١) وهو أبو الحسن الزوزني ، تلميذ أبي الحسن الحصري ، وإليه نسب الرباط ، فعرف برباط الزوزني ، انظر الأنساب للسمعاني (٤/ ١٥٢) ودليل خارطة بغداد (٢٥١) .

(٣) المنتظم (٧/ ١١١) .

(٤) المنتظم (٧/ ١١١) الكامل لابن الأثير (٩/ ٨ ـ ٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٢) .

(٥) في الكامل (٩/ ٨) ذكر وفاته في حوادث سنة ٣٧٠هـ ، ومثله في السير (١٦/ ٣٠٢) وقال ابن الأثير : وكان عضد الدولة إذا أراد الإيقاع بين الملوك أمره أن يكتب على خط بعضهم إليه في الموافقة على من يريد إفساد الحال بينهما ، ثم يتوصل المكتوب إليه ، فينفسد الحال .

(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) . وترجمة أبي زيد في تاريخ بغداد (١/ ٣١٤) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٥) المنتظم (٧/ ١١٢) وفيات الأعيان (٤/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٣ ـ ٣١٥) الوافي بالوفيات (٢/ ٧١ ـ ٧٢) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٧١ ـ ٧٧) طبقات الإسنوي (٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) العقد الثمين (١/ ٢٩٧) شذرات الذهب (٣/ ٧٦) .

(٧) أي ركب معه . اللسان (عدل) .

(٨) في (ح) و(ب) و(ط) والمنتظم : أبو نعيم ، والمثبت من تاريخ بغداد (١/ ٣١٤) وهو المشهور بالحاكم بن=

محمد بن خفيف[١] : أبو عبد الله الشِّيْرازي ، أحد مشاهير الصُّوفية ، صحب الجَريري وابن عَطَاء وغيرهما .

قال ابن الجوزي : وقد ذكرتُ في كتابي المسمى « تلبيس إبليس » عنه حكايات تدلُّ على أنه كان يذهب مذهب الإباحية[٢] ، والله تعالى أعلم بالصَّواب[٣] .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وثلاثمئة

قال ابن الجوزي : في المحرَّم [منها][٤] جرى الماء الذي ساقه عضدُ الدولة إلى داره وبستانه .

وفي صفر فُتح المارَسْتان الذي أنشأه عضد الدولة في الجانب الغربي من بغداد ، وقد رتَّب فيه الأطباء والخدم ، ونُقل إليه من [الأدوية][٥] والأشربة والعقاقير شيء كثير[٦] .

قال : وفيها توفي عضد الدولة ، فكتم أصحابه موته حتى أحضروا ولده صمصام الدولة ، فولوه الأمر ، وراسلوا الخليفة ، فبعث إليه بالخِلَع والولاية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر شيء من أخبار عضد الدولة

أبو شجاع بن ركن الدولة[٧] أبي علي الحسن[٨] بن بُوَيْه الدَّيْلَمي . صاحبُ العراق وملك بغداد [وغيرها][٩] .

= البيع ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم ، انظر ترجمته في السير (١٧/ ١٦٢ ـ ١٧٧) ومن المعروف أنَّ الخطيب البغدادي كان كثير التدليس .

(١) طبقات الصوفية (٤٦٢ ـ ٤٦٦) حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٥ ـ ٣٨٩) الرسالة القشيرية (٢٩) الأنساب (٧/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) المنتظم (٧/ ١١٢) معجم البلدان (٣/ ٣٨١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٧) الوافي بالوفيات (٣/ ٤٢ ـ ٤٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٤٩ ـ ١٦٣) شذرات الذهب (٣/ ٧٦ ـ ٧٧) .

(٢) المنتظم (٧/ ١١٢) وتلبيس إبليس (٣٦٩ ـ ٣٧٠) ط المنيرية .

(٣) ما أورده ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » ربما كان قصة مختلقة ، فقد وصفه الإمام الذهبي بقوله : قد كان هذا الشيخ قد جمع بين العلم والعمل وعلو السند ، والتمسك بالسنن ، ومتع بطول العمر في الطاعة . انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٦) المنتظم (٧/ ١١٢ ـ ١١٣) .

(٧) في (ح) بويه عضد الدولة بن شجاع بن ركن الدولة ، وهو خطأ ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٨) في (ط) : الحسين ، وهو تصحيف .

(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .

وهو أول من تسمَّى شاهنشاه، ومعناه ملك الملوك. وقد ثبتَ في الصَّحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوضع اسم - وفي روايةٍ أخنع اسم - عند الله عزَّ وجلَّ رجل تسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله عزَّ وجلَّ».

وهو أول من ضُرِبَتْ له الدَّبادب ببغداد، وأول من خطب له بها مع الخليفة، وذكر [القاضي][1] ابن خَلِّكان أنه امتدحه الشعراء بمدائح هائلة كالمتنبي وغيره، فمن ذلك قول أبي الحسن محمد بن عبد الله السَّلامي من قصيدة [له][2]:

إليكَ طَوَى عرضَ البسيطةِ جاعلٌ ... قُصارى المطايا أن يلوحَ لها القَصْرُ
فَكُنْتَ وعَزْمي في الظَّلامِ وصارِمي ... ثلاثةَ أشياء[3] كما أجْمَعَ النَّسْرُ
وَبَشَّرْتُ آمالي بِمَلْكٍ هو الوَرَى ... ودارٍ هي الدُّنيا ويومٍ هو الدَّهْرُ

ثم قال ابن خلكان: وهذا هو السحر الحلال، وقد قال المتنبي:

هي الغَرَضُ الأقصى ورُؤْيَتُكَ المُنى ... ومَنْزِلُك الدُّنيا وأنْتَ الخلائقُ

قال ابن خلكان: وليس في الطلاوة كقول السلامي، ولا استوفى المعنى كله، فإنه لم يذكر الدهر.

وقال أبو بكر أحمد الأَرَّجاني القاضي ناصح الدين في قصيدةٍ له بيتاً، ولم يلحق السَّلامي [أيضاً وهو قوله][4]:

لقيتُه فرأيتُ النَّاسَ في رَجُلٍ ... والدَّهْرَ في ساعةٍ والأرضَ في دارِ[5]

قال ابن خلكان: وكتب إليه أفتكين مولى أخيه صاحب دمشق[6]، يستمدُّه بجيشٍ يقاتل به الفاطميين، فكتب إليه عضد الدولة: غَرَّكَ عِزُّك فصار قُصار ذلك ذُلُّك، فاخْشَ فاحشَ فِعْلك، فلعلَّك تُهدا بهذا، والسَّلام. وقد أبدع [فيها][7] كلَّ الإبداع[8].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط)، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣٩٢هـ).
(٣) في وفيات الأعيان (٤/ ٥٢ - ٤٠٧) أشباه.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط).
(٥) انظر وفيات الأعيان (٤/ ٥٢ - ٥٣) والأرجاني شاعر متأخر، له شعر رائق في نهاية الحسن، وله ديوان مطبوع، سترد ترجمته في وفيات سنة (٥٤٤هـ) من هذا الكتاب.
(٦) انظر حوادث سنة (٣٦٤هـ).
(٧) ما بين حاصرتين من (ط).
(٨) انظر وفيات الأعيان (٤/ ٥٣ - ٥٤).

وقد جرى له من التعظيم من الخليفة ما لم يقع لأحدٍ ممن كان قبله ، وقد ذكرنا[١] أنه كان ذا همة وصرامة وعزمٍ ، اجتهد في عمارة بغداد والطُّرقات ، وأجرى النفقات والصدقات على المجاورين بالحرمين ، وأهل البيوتات ، وحفر الأنهار ، وبنى المارَسْتان العَضُدي ، وأدار السُّور على مدينة الرَّسول ﷺ ، وهذا كله في مدة ملكه على العراق ، وكان خمس سنين .

وقد كان عاقلاً فاضلاً ، حَسَنَ السياسة ، شديدَ الهيبة ، بعيد الهِمَّة ، إلا أنه كان يتجاوز في سياسته الأمور الشَّرْعية ، كان يحب جاريةً فألهته عن تدبير المملكة ، فأمر بتغريقها . وبلغه أن غلاماً له أخذ لرجلٍ بطيخة ، فضربه بسيف فقطعه نصفين ، وهذه مبالغة .

كان سبب موته داء الصَّرْع . وحين أخذته عِلَّة موته لم يكن له كلام سوى تلاوة قوله تعالى : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٨ ـ ٢٩] . [فكان هذا هِجِّيراه حتى مات][٢] .

وحكى ابنُ الجوزي في « منتظمه » أنه كان يحبُّ العِلْم والفضيلة ، وكان يقرأ عنده كتاب إقليدس ، وكتاب النحو لأبي علي الفارسي[٣] ، وهو « الإيضاح والتكملة » الذي صنَّفه له ، وغير ذلك ، وذكر أن له شعراً فمنه قوله وقد خرج إلى بستان فَودَّ لو قد جاء المطر ، فنزل المطر ، فأنشأ يقول :

ليس شُرْبُ الرَّاحِ إلا في المَطَرْ … وغِناءٌ مِنْ جَوارٍ في السَّحَرْ
غانياتٍ سالباتٍ للنُّهى … ناغماتٍ في تضاعيفِ الوَتَرْ
راقصاتٍ زاهراتٍ نُجُلٍ … رافلاتٍ في أفانين الحِبَرْ
مطرباتٍ محسناتٍ مُجُنٍ … رافضاتِ الهمِّ إبانَ الفِكَرْ
مبرزاتِ الكأسِ من معدنها[٤] … مسقياتِ الخمرِ مَنْ فاقَ[٥] البَشَرْ
عَضُدَ الدولة وابنَ رُكْنِها … مالكَ الأملاكِ غلابَ القَدَرْ
سَهَّلَ الله له بُغْيتَه[٦] … في ملوكِ الأرضِ ما دارَ[٧] القَمَرْ

(١) انظر حوادث سنة (٣٦٩هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) انظر وفيات سنة (٣٧٧هـ) .
(٤) في المنتظم (٧/ ١١٦) : مخزنها ، وفي وفيات الأعيان (٤/ ٥٤) : مطلعها .
(٥) في (ح) و(ب) : نار ، والمثبت من (ط) .
(٦) في (ط) : نصره ، وهو تصحيف .
(٧) في (ط) : ما دام ، وهو تصحيف .

وأراهُ الخيـــــرَ فــــــي أولادِه ليسـاس[١] الملـك فيهـم بـالغُـرَزْ[٢]

قال[٣] : فيقال : إنه منذ قال : غلاّب القدر ، لم يُفْلِحْ بعدها[٤] .

وذكر غيره أن هذه الأبيات آخر ما أنشدت فيه بين يديه ، ثم كانت وفاته عقب ذلك ، وكانت وفاته في شَوَّال من هذه السنة عن سبعٍ أو ثمانٍ وأربعين سنة ، وحمل إلى مشهد عليٍّ فَدُفِنَ فيه ، [وكان فيه تشيُّع][٥] ، وقد كتب على قبره في التُّرْبة التي بنيت له عند مشهد علي : هذا قبر عضد الدولة ، وتاج المِلَّة[٦] ، أبي شجاع بن ركن الدولة ، أحبَّ مجاورة هذا الإمام المتقي ؛ لطمعه في الخلاص ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل : ١١١] والحمد لله وصلواته على محمد وعِتْرته الطَّاهرة .

وقد تمثَّل عند موته بهذه الأبيات وهي للقاسم بن عبيد الله[٧] .

قَتَلْـتُ صنـاديـدَ الـرِّجـال فَلَـمْ أدَعْ عَـدُوّاً ولـم أُمْهِـلْ علـى ظِنَّـةٍ خَلْقـا
وأخليتُ دار المُلْكِ من كل نازلٍ فَشَـرَّدْتُهُـمْ غَـرْبـاً وشَـرَّدْتُهُـمْ شَـرْقـا
فلمَّـا بَلَغْـتُ النَّجْـمَ[٨] عِـزّاً وَرِفْعَـةً وصارتْ رِقابُ الخَلْقِ أجمع لي رِقّا
رماني الرَّدى سَهْماً فأخمدَ جَمْرَتي[٩] فها أنا ذا في حُفْرتي عاجلاً[١٠] مُلْقىٰ
فـأَذْهَبْـتُ دنيـاي وديـنـي سَفَـاهَـةً فمنْ ذا الذي منّي بمَصْرَعِهِ أشقى ؟

ثم جعل يكرِّر هذه الآية ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٨ ـ ٢٩] إلى أن مات كما

---

(١) في (ط) : ولباس الملك ، وهو تصحيف .
(٢) انظر الأبيات في المنتظم (٧/ ١١٥ ـ ١١٦) ويتيمة الدهر (٢/ ١٩٧) (ط الصاوي) ، وفيات الأعيان (٤/ ٥٤) والكامل لابن الأثير (٩/ ٢٠) .
(٣) في (ط) زيادة : قبحه الله وقبح شعره ، وقبح أولاده ، فإنه قد اجترأ في أبياته هذه ، فلم يفلح بعدها .
(٤) المنتظم (٧/ ١١٦) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) في (ط) : المملكة ، وهو تصحيف .
(٧) القاسم بن عبيد الله ، وزير من الكتاب الشعراء ، استوزره المعتضد العباسي بعد أبيه عبيد الله سنة (٢٨٨هـ) . ولما مات المعتضد سنة (٢٨٩هـ) قام القاسم بأعباء الوزارة ، وعقد البيعة للمكتفي ، وهو غائب بالرقة ، وهو الذي دس السم للشاعر ابن الرومي خوفاً من هجوه وفلتات لسانه ، وكان القاسم سفاكاً للدماء . سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٩١هـ) من هذا الكتاب ، وانظر ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨ ـ ٢٠) .
(٨) في (ح) و(ب) البحر ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ط) ، والمنتظم (٧/ ١١٧) .
(٩) في (ب) و(ط) و « المنتظم » : عاطلاً .
(١٠) في (ح) فأخلق جدتي ، والمثبت من (ب) و(ط) والمنتظم .

ذكرنا[١] ، وجلس ابنه صمصام الدولة على الأرض وعليه ثياب السَّواد ، وجاءه الخليفة الطائع معزياً ، وناح النساء عليه في الأسواق [حاسرات عن وجوههن][٢] أياماً كثيرة ، ولما انقضى العزاء ركب صمصامة إلى دار الخلافة ، فخلع عليه الخليفة سَبْعَ خِلَعٍ ، وطوَّقه وسوَّره وألبسه التاج ، ولقبه شمس الدولة ، وولاَّه ما كان يتولاه أبوه ، وكان يوماً مشهوداً .

محمد بن جعفر[٣] بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وَهْب : أبو بكر الحريري[٤] المعروف بزوج الحُرَّة[٥] .

سمع ابن جرير ، والبَغَوي ، وابن أبي داود ، وغيرهم ، وعنه ابن رِزْقويه ، وابنُ شاهين ، والبَرْقاني ، وقال : كان جليلاً ، أحد العدول الثقات[٦] .

قال الخطيب البغدادي وابن الجوزي : سبب تسميته بزوج الحُرَّة أنه كان يدخل إلى مطبخ ابنة بَدْر مولى المعتضد[٧] التي كانت زوجة المقتدر بالله ، فلما توفي المقتدر بقيت هذه المرأة سالمة من النكبات[٨] والمصادرات كثيرة الأموال ، وكان هذا وهو غلامٌ شابٌّ حَدث يحمل شيئاً من حوائج الطعام على رأسه ، فيدخل به إلى المطبخ الذي لها مع جملة الخدم ، وكان شاباً رشيقاً حَرِكاً ، فنفق على القهرمانة ، فقدَّمته حتى جعلته كاتباً على المطبخ ، ثم ترقت به الحال إلى أن صار وكيلاً للست ينظر في الضياع والعقار ، ثم آل به الحال حتى صارت الست تحدِّثه من وراء حجاب ، فَعَلِقَتْ به وأَحَبَّته ، وسألته أن يتزوَّج بها ، فاستصغر نفسه وخاف من غائلة ذلك ، فَشَجَّعته وأعطته مالاً جزيلاً ؛ ليظهر عليه الحشمة والسعادة ما يناسبه ليتأهَّل لذلك ، ثم شرعت تهادي القُضاة والأكابر ، ثم عزمت على تزويجه ، ورضيت به عند حضور القُضاة ، واعترض أولياؤها عليها ، فغلبتهم بالمكارمات والهدايا . ودخلت عليه ، فمكثت معه دهراً طويلاً ، ثم توفيت قبله ، فورث منها نحواً من ثلاثمئة ألف

---

(١) انظر المنتظم (٧/ ١١٦ ـ ١١٧) وسنة (٣٧٢هـ) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) الأنساب (٤/ ١٢١) المنتظم (٧/ ١١٩) .

(٤) نسبة إلى الحرير ، وهو نوع من الثياب ، انظر الأنساب (٤/ ١٢١) .

(٥) إنما سميت بالحرة لأجل تزويج المقتدر بها ، وكذا عادة الخلفاء لغلبة المماليك عليهم إذا كانت لهم زوجة ، قيل : الحرة . تاريخ بغداد (٢/ ١٥٤) .

(٦) تاريخ بغداد (٢/ ١٥٣) .

(٧) في (ط) يدخل إلى مطبخ أبيه بدار مولاته . . وهي جملة محرفة ، وقد سلفت أخبار بدر ، وانظر خبر مقتله في حوادث سنة (٢٨٩هـ) من هذا الكتاب .

(٨) في (ط) : الكتاب ، وهو تحريف .

دينار ، وطال عمره بعدها حتى كانت وفاته في هذه السنة ، رحمه الله تعالى وإيانا بمنه وكرمه[(١)] .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمئة

فيها غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكُرُّ من الطَّعام إلى أربعة آلاف وثمانمئة ، ومات كثيرٌ من النَّاس من الضعف في الطرقات جوعاً[(٢)] ، ثم تساهل الحال في ذي الحجة منها .

وجاء الخبر بموت مُؤَيَّد الدولة بن ركن الدولة ، وأن أبا القاسم بن عَبَّاد الوزير بعث إلى أخيه فخر الدولة ، فولَّاه الملك مكان أخيه ، فاستوزر ابنَ عباد أيضاً على ما كان عليه ، وخلع عليه وأحسن إليه ، ولما بلغ القرامطة موتُ عضد الدولة قصدوا البصرة ليأخذوها مع الكوفة ، فلم يتمَّ لهم ذلك ، ولكن صولحوا على مالٍ كثير ، فأخذوه وانصرفوا .

وممن توفِّي فيها من الأعيان :

بويه مُؤَيَّد الدَّولة بن ركن الدولة .

كان ملكاً على بعض ما كان أبوه يملكه كما تقدَّم[(٣)] ، وكان الصَّاحب أبو القاسم بن عباد وزيره ، وقد تزوَّج مؤيد الدولة هذا بزبيدة بنت عمه معز الدولة ، فَغَرِمَ على عُرْسه بها سبعمئة ألف دينار ، وهذا سَرَفٌ عظيم .

بُلُكِّين بن زِيْري بن مَناد : الحِمْيَري الصُّنهاجي ، ويسمى أيضاً يوسفَ .

وكان من [أكابر][(٤)] أمراء المعز [الفاطمي][(٥)] ، وقد استخلفه على بلاد إفريقية حين سار إلى القاهرة ، وكان حَسَنَ السِّيرة ، له أربعمئة حَظِيَّة ، وقد بُشِّر في ليلةٍ واحدة بسبعةَ عَشَرَ ولداً ، وهذا غريب ، وهو جدُّ باديس المَغْربي[(٦)] .

سعيد بن سَلَّام[(٧)] : أبو عثمان المَغْربي ، أصله من بلاد القَيْروان ، ودخل الشَّام ، وصَحِبَ أبا الخير

---

(١) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) والمنتظم (٧/ ١١٩) .
(٢) في (ط) زيادة : وجافت الطرقات من الموتى من الجوع .
(٣) انظر حوادث سنة (٣٦٥هـ) ووفيات سنة (٣٦٨هـ) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ح) و(ب) : جد المعز بن باديس ، والصواب ما هو مثبت من (ط) وسترد ترجمة باديس في وفيات سنة (٤٠٦هـ) من هذا الكتاب .
(٧) طبقات الصوفية (٤٧٩ ـ ٤٨٣) تاريخ بغداد (٩/ ١١٢ ـ ١١٣) الرسالة القشيرية (٢٩ ـ ٣٠) المنتظم (٧/ ١٢٢ ـ ١٢٣) العبر (٢/ ٣٦٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) طبقات الأولياء (٢٣٧ ـ ٢٣٨) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٤) شذرات الذهب (٣/ ٨١) .

الأقطع[١] ، وجاور بمكة مدة سنين ، وكان لا يظهر في المواسم ، وكانت له كراماتٌ ، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطَّابي وغيره ، وله أحوال[٢] صالحة ، رحمه الله تعالى .

عبد الله بن محمد[٣] بن عبد الله بن عُثْمان بن المختار : أبو محمد المُزَني ، الواسطي ، يعرف بابن السَّقَّاء .

سمع عبدان ، وأبا يعلى المَوْصلي ، وابن أبي داود ، والبَغَوي ، وكان فَهِماً حافظاً ، دخل بغداد ، فحدَّث بها مجالس كثيرة من حفظه ، وكان يحضره الدَّارَقُطْني وغيره من الحُفَّاظ ، فلم ينكروا عليه شيئاً ، غير أنه حَدَّث مرة عن أبي يعلى بحديثٍ أنكروه عليه ، ثم وجدوه في أصله بخطِّ الصِّبا[٤] كما حدَّث به سواء ، فَبَرِىءَ من عُهدته ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم بالصَّواب .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمئة

فيها جرى الصُلْح بين صمصامة الملقب بشمس الدولة وبين عمه فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وأرسل الخليفة لفخر الدولة خِلَعاً سنية وتحفاً .

قال ابن الجوزي : وفي رجب منها عمل عرس في درب رباح ، فسقطت الدار على من فيها ، فهلك أكثر النساء ، ونبشن من تحت الهدم ، فكانت المصيبة عامة[٥] .

وفيها كانت وفاة :

الحافظ أبي الفتح محمد بن الحسين[٦] بن أحمد بن الحسين : الأزْدي المَوْصلي ، المصنِّف في الجرح والتعديل .

---

(١) كان أصله من المغرب ، وسكن تينات من أعمال حلب ، وكان كبير الشأن في التصوف ، مات سنة نيف وأربعين وثلاثمئة ، انظر طبقات الصوفية (٣٧٠ ـ ٣٧٢) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢ ـ ٢٣) .

(٢) في (ب) و(ط) : ورؤي له أحوال .

(٣) تاريخ بغداد (١٠ ـ ١٣٠ ـ ١٣٢) سؤالات السِّلفي لخميس الحوزي : (ص٨٧ ـ ٨٩) الأنساب (٧/ ٩٠) المنتظم (٧/ ١٢٣) العبر (٢/ ٣٦٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٥ ـ ٩٦٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٤ ـ ١٤٥) طبقات الحفاظ (٣٨٥) شذرات الذهب (٣/ ٨١) .

(٤) انظر تاريخ بغداد (١٠/ ١٣١) .

(٥) المنتظم (٧/ ١٢٤) .

(٦) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) الأنساب (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩) المنتظم (٧/ ١٢٥ ـ ١٢٦) الكامل لابن الأثير (٩/ ٤٠) العبر (٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٧ ـ ٩٦٨) ميزان الأعتدال (٣/ ٥٢٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) طبقات الحفاظ (٣٨٦) شذرات الذهب (٣/ ٨٤) .

وقد سمع الحديث من أبي يعلى وطبقته ، وضعَّفه كثير من حُفَّاظ زمانه ، واتهمه بعضهم بوضع حديث رواه لابن بُوَيه ، حين قدم عليه بغداد ، فساقه بإسناده إلى النبي ﷺ : أن جبريل كان ينزل عليه في مثل صورة ذلك الأمير . فأجازه وأعطاه دراهم كثيرة . والعَجَبُ إن كان هذا صحيحاً كيف راج هذا على أحدٍ ممن له أدنى فهم وعقل .

وقد أرَّخ ابنُ الجَوْزي وفاته في هذه السنة(١) ، وقيل : إنه توفي سنة تسع وستين(٢) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخطيب أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد(٣) **بن إسماعيل بن نُباتة الحُذاقي** ـ بطن من قُضاعة ، وقيل من إياد ـ الفارقي ؛ خطيب حلب في أيام سيف الدولة بن حمدان ، ولهذا أكثر ديوانه الخُطَب الجهادية ، ولم يُسبق إلى مثل ديوانه هذا ، ولا يلحق فيه إلا أن يشاء الله .

كان فصيحاً بليغاً ذكياً دَيِّناً وَرِعاً ، روى الشيخ تاج الدين الكِنْدي عنه أنه خطب يوم جمعةٍ بخطبة المنام ، ثم رأى في ليلة السبت رسول الله ﷺ في جماعةٍ من أصحابه بين المقابر ، فلما أقبل عليه قال له : مَرْحباً بخطيب الخُطَباء ، ثم أومأ إلى القبور فقال لابن نُباتة : كأنَّهم لم يكونوا للعيون قرة ، ولم يعدُّوا في الأحياء مَرَّة ، [أبادهم الذي خلقهم ، وأسكتهم الذي أنطقهم ، وسيجدُّهم كما أخلقهم ، ويجمعهم كما فرَّقهم](٤) ، فتمم الكلامَ ابنُ نباتة حتى انتهى إلى قوله يومَ تكونون شُهداء على النَّاس ـ وأشار إلى الصحابة ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣] وأشار إلى رسول الله ﷺ فقال : أحسنتَ أحسنتَ ادْنُه ادْنُه ، فقبَّل رسول الله ﷺ وجهه وتفل في فِيه ـ وقال : وفقك الله . فاستيقظ وبه من السُّرور أمرٌ كبير ، وعلى وجهه نورٌ وبهاء ، ولم يعش بعد ذلك إلا ثمانية عشر يوماً لم يستطعم فيها بطعام ، ويوجد من فيه مثل رائحة المسك حتى مات ، رحمه الله .

قال ابن الأَزْرق الفارِقي : ولد ابن نُباتة في سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمئة ، وتوفي سنة أربعٍ وسبعين وثلاثمئة . حكاه ابنُ خَلِّكان(٥) .

---

(١) المنتظم (٧/ ١٢٥) .

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٤) .

(٣) وفيات الأعيان (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٨) سير أعلام النبلاء : (١٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) العبر (٢/ ٣٦٢) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٦) شذرات الذهب (٣/ ٨٣ ـ ٨) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٥٧) ، وقال الذهبي : فعمره تسع وثلاثون سنة ، وتوفي بميافارقين ، وفي ولايته خطابة حلب أيام سيف الدولة نظر ؛ أو قد غلطوا في مولده ، نعم غلطوا في مولده ، فإنه ابتدأ سالف خطبه في سنة إحدى وخمسين وثلاثمئة وهو خطيب . (تاريخ الإسلام ٨/ ٤٠٣) .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمئة

فيها خلع الخليفة على صمصامة الدَّوْلة ، وسَوَّره وطوَّقه وأركبه على فرسٍ بسرج ذهب ، وبين يديه جنيب [مثله][1] .

وفيها ورد الخبر بأن اثنين من سادة القرامطة وهما إسحاق وجعفر ، دخلا الكوفة في جحفلٍ كثير ، فانزعجت النفوس بسبب ذلك ، وذلك لصرامتهم وشهامتهم ؛ ولأن عضد الدولة مع شجاعته كان يصانعهم ، وأقطعهم أراضي من واسط ، وكذلك عز الدولة من قبله أيضاً . فَجُهِّز إليهم جيشٌ من بغداد ، فطردهم عن تلك النَّواحي التي قد أكثروا فيها الفساد ، وبطل ما كان في نفوس الناس منهم ، ولله الحمد .

وفيها عزم صمصامة الدولة على أن يضع مكساً على الثِّياب الإبْرَيْسَمِيَّات[2] ، فاجتمع النَّاس بجامع المنصور ، وهموا بتبطيل الجمعة ، وانزعج الناس ، وكادت الفتنة تقع بينهم ، فأُعفوا من ذلك .

وفي ذي الحِجَّة ورد الخبر بموت ابن مُؤَيَّد الدَّوْلة[3] ، فجلس صمصامة للعزاء ، وجاء إليه الخليفة الطائع في ثياب السواد ، والقراء والأولياء بين يديه ، فقام إليه صمصامة الدولة ، وقبَّل الأرض بين يديه ، وتخاطبا في العزاء بألفاظٍ حسنة ، وانصرف الخليفة راجعاً إلى داره ، وكان وقتاً مشهوداً .

وفيها توفي الشيخ :

أبو علي بن أبي هريرة[4] : واسمه الحسن بن الحسين ، وهو أحد مشايخ الشَّافعية ، وله اختيارات كثيرة غريبة [في المذهب][5] ، وقد ترجمناه في « الطبقات »[6] بما فيه كفاية .

الحسين بن علي بن محمد بن يحيى[7] : أبو أحمد النَّيسابوري المعروف بحُسَيْنَك[8] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) الإبْرَيْسَم : الحرير . القاموس المحيط (برسم) .

(٣) في (ط) : بموت مؤيد الدولة ، وهو خطأ ، وقد سلفت وفاته في وفيات سنة (٣٧٣هـ) .

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) طبقات الشيرازي (١١٢ ـ ١١٣) وفيات الأعيان (٢/ ٧٥) العبر (٢/ ٢٦٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٣٠) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٥٦ ـ ٢٦٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٠) . وقد ذكر ابن كثير وفاته في هذه السنة متابعاً ابن الجوزي في منتظمه ، والصواب أن وفاته سنة (٣٤٥هـ) كما في مصادر ترجمته المعتمدة .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) أي طبقات الشافعية للمصنف .

(٧) تاريخ بغداد (٨/ ٧٤ ـ ٧٥) المنتظم (٧/ ١٢٧ ـ ١٢٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٨ ـ ٩٦٩) العبر (٢/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٠٧ ـ ٤٠٩) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٧) طبقات الحفاظ (٣٨٦) شذرات الذهب (٣/ ٨٤) .

(٨) الكاف في الفارسية للتصغير ، فيكون حسينك بمعنى : حسين الصغير .

كانت تربيته عند ابن خُزيمة وتلميذاً له ، وكان يقدِّمه على أولاده ويقرأ له وحده ما لا يقرأه لغيره ، وإذا تخلَّف ابن خزيمة عن مجالس السلطان بعث حسينك مكانه . ولما توفي ابنُ خزيمة كان عمر حُسَيْنَك ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم عمَّر بعده دهراً طويلاً ، فكان من أكثر النَّاس عبادةً وقراءةً [للقرآن][1] ، لا يترك قيام الليل في حضر ولا سفر ، ولا صيف ولا شتاء ، كثير الصدقات والبر والصِّلات ، وكان يحكي وضوء ابن خزيمة وصَلاته، ولم يُرَ في الأغنياء أحسن صلاة منه، رحمه الله ، وصلَّى عليه الحافظ أبو أحمد النَّيْسَابوري .

أبو القاسم الدَّارَكي[2] ، عبد العزيز بن عبد الله بن محمد : أبو القاسم الدَّاركي[3] ، أحد أئمة الشافعية في زمانه .

نزل نيسابور ، ثم سكن بغداد إلى أن مات .

قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني : ما رأيت أفقه منه .

وحكى الخطيب البغدادي عنه أنه كان يُسأل عن الفتوى ، فيجيب بعد تفكُّرٍ طويل ، فربما كانت فتواه مخالفةً لمذهب الشَّافعي وأبي حنيفة ، فيقال له في ذلك فيقول : ويلكم ، روى فلانٌ عن فلان عن رسول الله ﷺ [كذا وكذا][4] ، فالأَخْذُ به أولى من القول بمذهب الشَّافعي وأبي حنيفة ، ومخالفتهما أسهل من مخالفة الحديث ، رضي الله عنه[5] .

وقال ابن خلِّكان : وله في المذْهب وجوه جَيِّدة دالَّةٌ على متانة عِلْمه ، وكان متهماً بالاعتزال ، وقد أخذ الفقه عن الشيخ أبي إسحاق المَرْوزي ، والحديث عن جدِّه لأمه الحسن بن محمد الدَّارَكي ، وهو أحد مشايخ الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد وغيره من أهل الآفاق[6] .

كانت وفاته في شوَّال ، وقيل في ذي القَعْدة من هذه السنة ، وقد نيَّف على السبعين[7] ، رحمه الله تعالى .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) تاريخ بغداد(١٠/ ٤٦٣ ـ ٤٦٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٧ ـ ١١٨) الأنساب (٥/ ٢٤٩) المنتظم (٧/ ١٢٩ ـ ١٣٠) اللباب (١/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) وفيات الأعيان (٣/ ١٨٨ ـ ١٨٩) العبر (٢/ ٣٧٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٠٤ ـ ٤٠٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣) طبقات الشافعية للإسنوي (٥٠٨) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٨) شذرات الذهب (٣/ ٨٥) .

(٣) نسبة إلى دارَك ، قال السمعاني : وظني أنها قرية من قرى أصبهان . الأنساب (٥/ ٢٩٨) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) انظر تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦٤) وللإمام الذهبي تعليق على هذا الخبر يحسن الرجوع إليه ، انظر السير (١٦/ ٤٠٥) .

(٦) وفيات الأعيان (٣/ ١٨٩) .

(٧) قال ابن أبي الفوارس : « وله بضع وسبعون سنة » ، كما في تاريخ الخطيب وتاريخ الإسلام .

محمد بن أحمد بن محمد بن حَسْنَوَيْه : أبو سَهْل النيْسابوري ، ويعرف بالحَسْنوي ، كان فقيهاً شافعياً أديباً محدِّثاً ، مشتغلاً بنفسه عما لا يعنيه ، رحمه الله تعالى .

محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح[١] : أبو بكر ، الفقيه ، المالكي .

سمع من أبي عَرُوبة[٢] ، والبَاغَنْدي ، وأبي بكر بن أبي داود وغيرهم . وعنه البرقاني .

وله تصانيف في شرح مذهب مالك ، وانتهت إليه رياسة مذهبه ، وعرض عليه القضاء ، فأباه ، وأشار بأبي بكر الرَّازي الحنفي[٣] ، فلم يقبل الآخر أيضاً .

وكانت وفاته في شوَّال منها عن ست وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمئة

قال ابن الجوزي : في المحرم منها كَثُرَتْ الحيات[٤] ببغداد ، فهلك خَلْقٌ كثير .

ولسبع[٥] خلون من ربيع الأول[٦] ـ وكان اليوم العشرون من تموز ـ وَقَعَ مطر كثيرٌ ببرق .

وفي رجب غَلَتِ الأسعار جداً ببغداد وورد الخبر فيه بأنه كانت بالمَوْصل زلزلة عظيمة سقط[٧] منها عمران كثير ، ومات من أهلها أمة عظيمة .

وفيها وقع بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة ، فاقتتلا ، فغلبه شرف الدولة وأسره ، ودخل بغداد ، فتلقاه الخليفة وهنأه بالسلامة ، ثم استدعى شرف الدولة ، بفراش ليكحل صمصام الدولة فاتفق موته[٨] ، فكحل بعد موته ، وهذا من غريب ما وقع .

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٦٧) ترتيب المدارك (٤/ ٤٦٦ ـ ٤٧٣) الأنساب (١/ ١٢٥) المنتظم : (٧/ ١٣١) العبر (٢/ ٣٧١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) الوافي بالوفيات (٣/ ١٠٨) شذرات الذهب (٣/ ٨٥ ـ ٨٦) شجرة النور الزكية (١/ ٩١) .

(٢) في (ح) و(ط) : ابن أبي عروبة ، وهو وهم ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥١٠ ـ ٥١٢) .

(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٧٠هـ) .

(٤) في (ط) و(ب) : الحياث ، وهو تصحيف .

(٥) في المنتظم (٧/ ١٣١) : لتسع .

(٦) في (ب) : الآخر ، وقد سقطت في (ح) ، والمثبت من المنتظم .

(٧) في (ح) سقطت ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٨) أي موت صمصام الدولة ، وذلك سنة (٣٧٩هـ) .

وفي ذي الحِجَّة منها قبل قاضي القضاة أبو محمد بن معروف شهادة الحافظ أبي الحسن الدَّارَقُطْني ، وأبي محمد بن عقبة ، فذكر أنَّ الدارقطني نَدِمَ على ذلك وقال : كان يقبل قولي على رسول الله ﷺ وَحْدي ، فصار لا يقبل قولي على بَقْلي إلا مع غيري . فلا حول ولا قوة[١] إلا بالله العلي العظيم .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمئة

في صفر منها عقد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدَّوْلة ، وجُدِّدت البيعة بين الطائع لله وبين شرف الدولة بن عضد الدولة ، وكان يوماً مشهوداً .

ثم في ربيع الأول منها ركب شرف الدولة من داره في طيَّار إلى دار الخليفة ، وزينت البلد ، وضربت [البوقات و][٢] الطُّبول والدَّبادب ، فخلع عليه الخليفة وطوَّقه وسوَّره ، وأعطاه لواءين ، وعقد له على ما وراء داره ، واستخلفه على ذلك ، وكان في جملة من قَدِمَ مع شرف الدولة القاضي أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف ، فلما رآه الخليفة قال :

مَـرْحَـبـاً بـالأحِبَّـةِ القَـادِمِيْنـا أوْ حَشُـونـا وطـال مـا آنسُـونـا

فقبَّل الأرض بين يدي الخليفة . ولما قُضِيَت البيعة دخل شرف الدولة إلى عند أخته امرأة الخليفة ، فمكث عندها إلى العصر ، والنَّاس ينتظرونه ، ثم خرج ، وسار إلى داره للتهنئة ، وجاءه الخاصة والعامة يهنونه .

وفي هذه السنة اشتدَّ الغلاء جداً ، ثم لحقه فناء كثير .

وفيها توفيت أم شرف الدولة ـ وكانت تركية أم ولد ـ فجاءه الخليفة فعزَّاه .

وفيها ولد لشرف الدولة ابنان توأمان ، فهني بهما معاً[٣] ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسين بن علي : أبو حامد المَرْوزي ، ويعرف بابن الطَّبري .

كان حافظاً للحديث ، مجتهداً في العبادة ، متقناً بصيراً بالأثر ، متفنناً فقيهاً حنفياً ، دَرَس على أبي الحسن الكَرْخِي[٤] ، وصنَّف كتباً في الفِقْه والتَّاريخ ، ووُلِّي قضاء القضاة بخراسان ، ثم دخل بغداد وقد عَلَتْ سِنُّه ، فحدَّث بها ، وكتب النَّاس عنه بانتخاب الدَّارَقُطْني .

---

(١) انظر المنتظم (٧/ ١٣١ ـ ١٣٢) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) انظر المنتظم (٧/ ١٣٥ ـ ١٣٦) .

(٤) في (ط) : أبي الحسين ، وهو تصحيف ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٤٠هـ) .

إسحاق بن المقتدر بالله : كانت وفاته ليلةَ الجمعة لسبع عشرة من ذي الحجَّة عن ستين سنة ، وصلى عليه ابنه القادر بالله وهو إذ ذاك أمير ، ودفن في تربة جَدَّته شَغَبَ أُمِّ المقتدر ، وحضر جنازته الأُمراء والأعيان من جهة الخليفة ومن جهة شرف الدولة ، وأرسل شرف الدولة من عَزَّى الخليفة فيه ، واعتذر إليه من عدم الحضور لوجعٍ حصل له .

جعفر بن المكتفي بالله : وكان فاضلاً ، توفي في هذه السنة أيضاً رحمه الله تعالى .

أبو علي الفارسي(١) ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان : أبو علي النحوي ، صاحب المصنفات ، منها « الإيضاح » و« التكملة » .

ولد ببلده ، ثم دخل بغداد وخدم الملوك ، وحظي عند عضد الدولة ، بحيث كان يقول : أنا غلام أبي علي في النَّحْو . وحصلت له الأموال ، وقد اتهمه قومٌ بالاعتزال ، وفضَّله قومٌ من أصحابه على المبرِّد ، وممن أخذ عنه عثمان(٢) بن جنّي وغيره .

وكانت وفاته في هذه السنة عن بضع وتسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

سُتَيْتَة بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المَحَاملي(٣) : وتكنى أَمَة الواحد .

قرأت القراءات ، وحفظت الفِقْه والفرائض والحساب والدَّوْر والنحو وغير ذلك ، وكانت من أعلم النَّاس في وقتها بمذهب الشَّافعي ، وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هُريرة ، وكانت فاضلةً في نفسها ، كثيرة الصَّدَقة ، مسارعةً إلى فعل الخيرات ، وقد سمعت الحديث وحدَّثت أيضاً .

وكانت وفاتها في رمضان(٤) عن بضع وتسعين سنة ، رحمها الله تعالى .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (١٣٠) تاريخ بغداد (٧/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) نزهة الألباء (٣١٥ ـ ٣١٧) المنتظم (٧/ ١٣٨) معجم الأدباء (٧/ ٢٣٢ ـ ٢٦١) معجم البلدان (٤/ ٢٦١) إنباه الرواة (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥) وفيات الأعيان (٢/ ٨٠ ـ ٨٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) العبر (٣/ ٤) ميزان الاعتدال (١/ ٤٨٠ ـ ٤٨٦) الوافي بالوفيات (١١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٩) مرآة الجنان (٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) غاية النهاية (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) النجوم الزاهرة (٤/ ١٥١) لسان الميزان (٢/ ١٩٥) بغية الوعاة (١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٨) شذرات الذهب (٣/ ٨٨ ـ ٨٩) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : أبو عثمان ، وهو خطأ ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣٩٢هـ) .

(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٣٠هـ) .

(٤) في (ط) : رجب ، وهو تحريف .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وسبعين وثلاثمئة

في المحرم منها كَثُرَ الغلاء والفناء ببغداد .

وفي شعبان كَثُرَت الرِّياح والعواصف ؛ بحيث هدمت شيئاً كثيراً من الأبنية ، وغَرَّقت سُفُناً كثيرة ، واحتملت بعض الزَّوارق ، فألقته بالأرض من ناحية جُوخى ، وهذا أمر هائل [بل وخَطْبٌ شامل][١] .

وفي ذلك الوقت لَحِقَ أهْلَ البَصْرةِ حَرٌّ شديد ، بحيث سقط كثير من النَّاس في الطُّرقات ، وماتوا من شدة الحر .

وفيها توفي من الأعيان :

الحسين[٢] **بن علي بن ثابت** : أبو عبد الله المقرىء الحافظ .

ولد أعمى ، كان يحضر مجلس ابن الأنباري فيحفظ ما يمليه كله ،وكان ظريفاً حسن الزّي ، وقد سبق الشَّاطبيّ إلى قصيدةٍ عملها في القراءات السَّبْع ، وذلك في حياة النَّقَّاش المفسِّر[٣] ، وكانت تعجبه وتعجب شيوخ زمانه .

الخليل بن أحمد القاضي[٤] : شيخ الحنفية في زمانه ، كان مقدَّماً في الفِقْه والحديث ، سمع ابن خُزيمة والبَغَوي وابن صاعد وغيرهم ، وهذا سَميُّ النَّحْوي المتقدم ، رحمهما الله .

زياد بن محمد بن زياد بن الهيثم[٥] : أبو العَبَّاس ، الخَرْخاني[٦] ـ بخاءين معجمتين فوق ـ نسبةً إلى قرية من قرى قومس ، ولهم الجُرْجاني بجيمين ، وهم جماعة ، ولهم الخَرْجاني أيضاً بخاء ثم جيم . وقد حرَّر هذه المواضع الشيخ أبو الفَرَج ابن الجوزي في « منتظمه » ، رحمه الله تعالى .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و (ط) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : الحسن ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ بغداد (٨/ ٧٥) والمنتظم (٧/ ١٤٢) .

(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٥١هـ) .

(٤) يتيمة الدهر (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) الأنساب (٧/ ٤٥) معجم الأدباء (١١/ ٧٧ ـ ٨٠) العبر (٣/ ٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩) النجوم الزاهرة (٤/ ١٥٣) تاج التراجم (٢٧) الجواهر المضية (١/ ١٧٨ ـ ١٨٠) شذرات الذهب (٣/ ٩١) .

(٥) المنتظم (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣) .

(٦) كذا ضبط هنا ، وضبطه ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٤٢) الخرجاني وهو مجود بالجيم بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٨/ ٤٥٠) ، وهو الصحيح ، وانظر الأنساب (٥/ ٧٦) وهي نسبة إلى محلة كبيرة بأصبهان .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمئة

فيها كانت وفاة شرف الدولة بن عضد الدولة بن بُوَيْه الدَّيْلمي ، وكان قد انتقل إلى قصر معز الدولة بإشارة الأطباء لصحة الهواء ؛ وذلك [لشدة][١] ما كان يجده من الدَّاء ، فلما كان في جمادى الأولى تزايد به المرض ، ومات في هذا الشهر ، وقد عهد إلى ابنه[٢] أبي نصر ، وجاء الخليفة في طيار لتعزية أبي نصر في والده شرف الدولة ، فتلقاه أبو نصر والتُّرْك والدَّيْلَم بين يديه ، فقبّل الأرض بين يدي الخليفة وكذلك بقية العسكر ، والخليفة في الطيار ، هم يقبّلون الأرض إلى ناحيته . وجاء الرئيس أبو الحسن علي بن عبد العزيز من عند الخليفة إلى أبي نصر ، فبلغه تعزية الخليفة له ، فقبَّل الأرض ثانية ، وعاد الرسول إلى الخليفة ، فبلَّغه شكر أبي نصر ، ثم عاد الرسول من جهة الخليفة لتوديع أبي نصر ، فقبَّل الأرض ثالثاً ، ورجع الخليفة في طيارة إلى داره . فلما كان يوم السبت عاشر هذا الشهر ركب الأمير أبو نصر إلى حضرة الخليفة الطائع لله ومعه الأشراف والأعيان والقضاة والأمراء ، وجلس الخليفة في الرِّواق ، فلما وصل الأمير أبو نصر بن شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه خلع عليه الخليفة سبع خِلَعٍ أعلاهن السواد ، وعمامة سوداء ، وفي عنقه طوقٌ ، وفي يده سواران ، ومشى الحُجَّاب بين يديه بالسيوف والمناطق ، فلما حصل بين يدي الخليفة قبَّل الأرض ثانية ، ووُضِعَ له كرسيٌّ ، فجلس عليه وقرأ الرئيس أبو الحسن علي بن عبد العزيز عهده ، وقدم إلى الطائع لواءه ، فعقده بيده ، ولقبه بهاء الدولة وضياء المِلَّة ، ثم خرج من بين يديه والعسكر معه حتى عاد إلى دار المملكة ، وأقرَّ الوزير أبا منصور بن صالحان[٣] على الوزارة ، وخلع عليه .

وفي هذه السنة بني جامع القطيعة ـ قطيعة أم جعفر ـ بالجانب الغربي من بغداد ، وكان أصل بنائه مسجداً أنَّ امرأةً رأت في المنام رسول الله ﷺ في ذلك المكان يصلي ، ووضع يده في جدار هناك ، فلما أصبحت تذكرت ذلك المنام ، فوجدوا أثر الكف في ذلك الموضع ، فبني مسجداً ، ثم توفيت تلك المرأة في ذلك اليوم ، ثم إن الشريف أبا أحمد الموسوي جدَّد هذا المسجد ، فوسعه وجعله جامعاً ، واستأذن الخليفة الطائع لله في عقد جمعه فيه ، فأذن له ، فصلى الناس فيه في هذه السَّنة ، رحمه الله تعالى .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) كذا في الأصول الخطية و(ط) ، والمنتظم (٧/ ١٤٨) والصحيح أنه أخوه ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٤٠٣ من هذا الكتاب .

(٣) في (ط) : منصور بن صالح ، وفي (ح) : صلحان ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١٤٩) وسترد ترجمته في وفيات سنة (٤١٦هـ) من هذا الكتاب .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيْه الدَّيْلمي .

تملَّك بغداد بعد أبيه ، وكان يحبُّ الخير ويبغض الشر ، وأمر بترك المصادرات . وكان مرضه بالاستسقاء [فتزايد به حتى][١] كانت وفاته ليلة الجمعة الثاني من جُمادى الآخرة عن ثمانٍ وعشرين سنة وخمسة أشهر ، وكانت مدَّة ملكه سنتين وثمانية أشهر ، وحُمل تابوته إلى تربة أبيه بمشهد علي ، وكلهم فيهم تشيُّع .

محمد بن جعفر بن العَبَّاس[٢] : أبو بكر ، النَّجَّار ، ويلقب غُنْدَر أيضاً ، روى عن أبي بكر النَّيْسابوري وطبقته ، وعنه الناس ، وكان فَهِماً ، يحفظ القرآن [حفظاً حسناً][٣] ومن ثِقَات النَّاس .

محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الكريم[٤] **بن بُدَيل** : أبو الفَضْل ، الخُزاعي الجُرْجاني ، قَدِمَ بغداد وحدَّث بها .

قال الخطيب : كانت له عناية بالقراءات ، وصنَّف أسانيدها ، ثم ذُكر لي أنه كان يخلط ولم يكن مأموناً على ما يرويه ، وأنه وضع كتاباً في الحروف ونسبه إلى أبي حنيفة ، فكتب الدَّارَقُطني وجماعةٌ أن هذا الكتاب موضوع لا أَصْلَ له ، فافتضح ، خرج من بغداد إلى الجبل ، فاشتهر أمره هناك وهبطت منزلته ، وقد كان يسمِّي نَفْسَه أولاً كميلاً[٥] ، ثم غيَّره إلى محمد[٦] .

محمد بن المُظَفَّر[٧] **بن موسى**[٨] **بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمة بن إياس ، أبو الحسين**[٩] البزَّاز الحافظ ، ولد في محرَّم [سنة ست وثمانين ومئتين ، وأول سماعه للحديث في محرَّم][١٠] سنة

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٥٧) شذرات الذهب (٢/ ١٥٠) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) ، وانظر تاريخ بغداد(٢/ ١٥٧) .
(٤) في (ط) عبد الكريم بن عبد الكريم بن بديل ، وهو تحريف .
(٥) في (ط) : جميلاً ، وهو تحريف .
(٦) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٥٨) وقد أورده ابن كثير في وفيات هذه السنة متابعاً في ذلك ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٥١ ـ ١٥٢) ووفاته على الصحيح سنة (٤٠٨هـ) ، انظر معرفة القراء (١/ ٣٨٠) .
(٧) في (ط) : المطرف ، وهو تحريف .
(٨) تاريخ بغداد (٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤) المنتظم (٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٨٠ ـ ٩٨٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤١٨ ـ ٤٢٠) ميزان الاعتدال (٤/ ٤٣) شذرات الذهب (٣/ ٩٦) .
(٩) في (ح) أبو الحسن ، وهو تحريف .
(١٠) ما بين حاصرتين من المنتظم (٧/ ١٥٢) وانظر تاريخ بغداد (٣/ ٢٦٢) .

ثلاثمئة ، ورحل إلى بلاد شتَّى ، وروى عن ابن جرير والبَغَوي وخلْق ، وروى عنه جماعة من الحُفَّاظ ـ منهم الدَّارَقُطْني ـ شيئاً كثيراً ، وكان يعظِّمه ويجلُّه ولا يستند بحضرته ، وكان ابن المظفر ثقة ثبتاً ، وكان قديماً ينتقي[١] على المشايخ ، ثم كانت وفاته يوم الجمعة ، ودفن يوم السبت لثلاثٍ خلون من جُمادى الأولى أو الآخرة من هذه السنة .

ثم استهلَّت سنة ثمانين وثلاثمئة

فيها قُلِّد الشريف أبو أحمد الحسين[٢] بن موسى الموسوي نقابة الأشراف الطالبيين والنظر في المظالم وإمرة الحجيج ، [وكتب عهده بذلك][٣] واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم[٤] والرَّضي أبو الحسن[٥] على النقابة وخلع عليهما من دار الخلافة .

وفيها تفاقم أمر العيَّارين ببغداد ، وصار الناس أحزاباً ، في كل محلةٍ أمير مقدم ، واقتتل الناس ، وأخذت الأموال واتصلت الكبسات وأحرقت دور الكبار ، ووقع حريق بالنهار في نهر الدجاج ، فاحترق بسببه شيءٌ كثير للناس .

وفيها توفي فيها من الأعيان :

يعقوب بن يوسف[٦] : أبو الفتوح بن كِلِّس ، وزير صاحب مصر العزيز بن المعز الفاطمي .

كان شهماً فَهِماً ذا هِمَّة عالية وتدبير جيد وكلمة نافذة عند مخدومه ، وقد فوَّض إليه أموره في سائر مملكته ، ولما مرض عاده العزيز ، فوصَّاه الوزير فيما يتعلق بمملكته ، ولما مات دفنه في قصره ، وتولى دفنه بيده ، وحزن عليه كثيراً ، وأُغلق الدِّيوان أياماً من حزن الملك عليه .

---

(١) في (ط) ينتقد ، وهو تحريف .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) الحسن ، وهو تحريف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١٥٣) وسيرد خبر عزله في حوادث سنة (٣٨٤هـ) . وسترد ترجمته في وفيات سنة (٤٠٠هـ) من هذا الكتاب .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٤٣٦هـ) من هذا الكتاب .

(٥) في (ح) و(ب) و(ط) أبو الحسين ، وهو تحريف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١٥٣) وسترد ترجمته في وفيات سنة (٤٠٦هـ) من هذا الكتاب .

(٦) المنتظم (٧/ ١٥٥ ـ ١٥٦) وفيات الأعيان (٧/ ٢٧ ـ ٣٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٢ ـ ٤٤٤) مرآة الجنان (٢/ ٢٥٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٥٨) حسن المحاضرة (٢/ ٢٠١) شذرات الذهب (٣/ ٩٧) .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين[١] وثلاثمئة

فيها كان القبض على الخليفة الطائع لله ، وخلافة القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله ، وكان ذلك في يوم السبت التاسع عشر من شعبان من هذه السنة ، [وذلك أنه][٢] جلس الخليفة على عادته في الرِّواق ، وقعد الملك بهاء الدولة على السرير ، ثم أرسل من اجتذب الخليفة بحمائل سيفه عن السرير ، ولفُّوه في كساء ، وحملوه إلى الخزانة من دار المملكة ، وتشاغل النَّاس بالنهب ، ولم يدر [أكثر][٣] النَّاس ما الخطبُ ولا ما الخبر ، حتى إن كثيراً منهم يظن أن الملك بهاء الدولة هو الذي مسك[٤] ، فنهبت الخزائن والحواصل وشيء كثير من أثاث دار الخلافة ، حتى أخذت ثياب الأعيان من القضاة[٥] والشهود ممن كان بدار الخلافة ، وجرت كائنة عظيمة جداً ، ورجع بهاء الدولة إلى داره ، وكتب على الطائع كتاباً بالخَلْع[٦] ، وشهد عليه الأشراف والقضاة[٧] أنه قد خلع نفسه عن الخلافة ، وسلَّمها إلى القادر بالله ، ونودي بذلك في الأسواق ، وتشغبت الدَّيْلم والأتراك وطالبوا برسم البيعة ، وراسلوا بهاء الدولة في ذلك ، وتطاول الأمر إلى يوم الجمعة ، فلم يمكنوا من الدُّعاء له على المنبر بصريح اسمه ، بل قيل : اللهم أَصْلِحْ عبدك وخليفتك القادر بالله ، ولم يُسَمَّ ، ثم أُرْضِيَ وجوههم وأكابرهم ، وأخذت البيعة له واتفقت الكلمة ، وأَمَرَ بهاء الدولة بتحويل جميع ما في دار الخلافة من الأواني والفُرُش والأثاث وغير ذلك إلى داره ، وأبيحت للعامة والخاصة ، فقلعوا أبوابها وشبابيكها ، وشعثوا أبنيتها ، ثم بيعوا بعد ذلك ، هذا كله والخليفة القادر بالله في أرض البطيحة قد هرب من الطائع لله حين كان يطلبه .

ولما ركب إلى بغداد منعته الدَّيْلَم من الدخول إليها حتى يعطيهم رسم البيعة ، وجَرَتْ بينهم خطوب كثيرة طويلة ، ثم رضوا [عنه][٨] ودخل بغداد ، وكان يوماً مشهوداً ، وكانت مدة هربه بأرض البطيحة

---

(١) في (ط) : وسبعين ، وهو تحريف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .
(٤) في (ط) : حتى أن كبير المملكة بهاء الدولة ظن الناس أنه هو الذي مسك . والعبارة مضطربة محرفة كما ترى .
(٥) في (ط) والقضاة .
(٦) في (ط) زيادة : من الخلافة .
(٧) في (ط) زيادة : وغيرهم .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

[قريباً من][1] ثلاث سنين . وجلس في اليوم الثاني من مقدمه جلوساً عامّاً للتهنئة وسماع المدائح والقصائد فيه ، وذلك في العشر الأخير من رمضان .

وفي العشر الأواخر من شوال اجتمع الناس لبيعة بهاء الدولة وتفويض الخليفة إليه ما وراء بابه ، وكان يوماً مشهوداً .

وقد كان الخليفة القادر بالله من الخلفاء الأخيار ، ومن سادات العلماء في أهل زمانه ، كثير الصدقة ، حسن الاعتقاد ، صنَّف عقيدة[2] فيها فضائل الصحابة وغير ذلك ، وكانت تقرأ بحلق أصحاب الحديث في كل جمعة في جامع المهدي ، وتجتمع الناس لسماعها مدَّةَ خلافته ، وكان ينشد هذه الأبيات يترنَّم بها وهي لسابق البَرْبَري[3] .

سَبَقَ القضاءُ بكلِّ ما هو كائنٌ ... والله يا هذا لرزْقِكَ ضامِنُ
تَعْنى بما تُكْفى وتتركُ ما بهِ ... تُعنى كأنَّك للحَوَادِثِ آمِنُ
أو ما ترى الدُّنيا ومَصْرَعَ أهلِها ... فاعْمَلْ ليوم فِرَاقها يا خائنُ
واعلمْ بأنَّكَ لا أبا لك في الذي ... أصْبَحْتَ تَجْمَعُهُ لغيرِكَ خازنُ
يا عامِرَ الدُّنيا أتعْمَرُ مَنْزلاً ... لم يبقَ فيه مع المنيّةِ ساكِنُ
الموتُ شيءٌ أنتَ تَعْلَمُ أنهُ ... حقٌّ وأنتَ بذكرهِ متهاونُ
إنَّ المنيَّةَ لا تؤامرُ[4] من أتتْ ... في نفسِه يَوْماً ولا تستأذنُ

وفي اليوم الثَّامن عشر[5] من ذي الحِجة من هذه السنة ـ وهو يوم غدير خُمّ ـ جَرَت فتنة بين الرَّوافض والسُّنَّة واقتتلوا ، فقتل منهم خَلْقٌ كثير ، واستظهر أهل [باب][6] البصرة وحرَّقوا أعلام السلطان ، فقتل جماعة اتهموا بفعل ذلك ، وصلبوا على القنطرة ليرتدع أمثالهم .

وفي هذه السنة ظهر أبو الفتوح الحسن بن جعفر العَلَوي أمير مكة بها ، وادَّعى أنه خليفة ، وسمى

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) ، وفي « المنتظم » ٧/ ١٥٧ : كان مقامه بالبطيحة منذ حصل فيها إلى أن أخرج عنها سنتين وأحد عشر شهراً ، وقيل سنتين وأربعة أشهر وأحد عشر يوماً .

(٢) في (ط) قصيدة ، وهو تحريف .

(٣) هو أبو سعيد ، سابق بن عبد الله البربري ، ليس نسبة إلى البربر ، وإنما هو لقب له ، كان شاعراً من الزهاد ، وهو من موالي بني أمية ، سكن الرقة ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وله معه حكايات لطيفة ، توفي نحو (١٠٠هـ) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران (٦/ ٣٨ ـ ٤٢) وخزانة الأدب للبغدادي (٩/ ٥١٢ ـ ٥٣٣) .

(٤) أي لا تشاور . انظر القاموس المحيط (أمر) .

(٥) في (ب) : الثاني عشر ، وفي (ط) : الثالث عشر ، وكلاهما خطأ ، والمثبت من (ح) .

(٦) ما بين حاصرتين من(ب) و(ط) .

نفسه الرَّاشد بالله ، فمالأه أهلُ مكة ، وحصل له أموال من رجلٍ أوصىٰ له بها ، فانتظم أمره بسببها ، وتقلَّد سيفاً زعم أنه ذو الفقار ، وأخذ في يده قضيباً زعم أنه كان لرسول الله ﷺ ، ثم قصد بلادَ الرَّملة ليستعين بعرب الشَّام ، فتلقوه بالرحب ، وقبَّلوا له الأرض ، وسلَّموا عليه بإمرة المؤمنين ، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود . ثم إن [الحاكم][١] صاحب مصر ـ وكان قد قام بالأمر من بعد أبيه العزيز في هذه السَّنة[٢] ـ بعث إلى عَرَب الشَّام بملطفات ، ووعَدَهم من الذهب بألوف وثياب[٣] ، وكذلك إلى عرب الحجاز ، واستناب على مكة أميراً ، وبعث إليه بجارية وخمسين ألف دينار ، فانتظم أمرالحاكم[٤] ، وتمزَّق أمر الرَّاشد بالله ، وتسحَّب إلى بلاده كما بدأ منها ، وعاد إليها وكان عوده إليها كما رَحَلَ عنها ، واضمحلَّ حاله وانتقضت حباله ، وتفرَّق عنه رجاله ، والله يفعل ما يشاء ويختار .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسين[٥] بن مهران[٦] : أبو بكر المقرىء ، كانت وفاته في شوال منها عن ستٍّ وثمانين سنة ، واتفق أن مات يوم موته أبو الحسن العامري الفيلسوف ، فرأى بعضُ الصَّالحين أحمد بن الحسين في المنام فقال له : يا أستاذ أي شيء فعل الله بك ؟ فقال : أقام أبا الحسن العامري إلى جانبي ، وقال : هذا فداؤك من النار .

عبيد الله[٧] بن أحمد بن معروف[٨] : أبو محمد ، قاضي القضاة ببغداد .

روى عن ابن صاعد ، وعنه الخَلَّال والأزهري وغيرهما ، وكان من العلماء الثقات الألباء العقلاء الفُطَناء ، حسنَ الشكل ، جميل المَلْبس ، عفيفاً عن الأموال ، [وكان][٩] عمره يوم توفي خمساً وسبعين سنة ، وصلَّى عليه أبو أحمد الموسوي ، فكبَّر خمساً ، ثم صلى عليه ابنه بجامع المنصور فكبَّر أربعاً ، ثم دفن في داره ، رحمه الله تعالى .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) في (ح) و(ب) من بعده ابنه العزيز ، والمثبت من (ط) .
(٣) في (ب) و(ط) : ومئات ، والمثبت من (ح) .
(٤) في هامش (ح) حاشية : لم يتقدم ما يدل على هذا الحاكم الفاطمي و كيف وصلت إليه مصر .
(٥) في (ط) : الحسن ، وهو تحريف .
(٦) معجم الأدباء (٣/ ١٢ ـ ١٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) غاية النهاية (١/ ٤٩ ـ ٥٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٠) شذرات الذهب (٣/ ٩٨) .
(٧) في (ط) : عبد الله ، وهو تحريف .
(٨) يتيمة الدهر (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٩) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨) المنتظم (٧/ ١٦٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) ميزان الاعتدال (٣/ ٣) لسان الميزان (٤/ ٩٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦) شذرات الذهب (٣/ ١٠١) .
(٩) ما بين حاصرتين من (ب) .

جوهر بن عبد الله[١] : القائد باني القاهرة المعزية ، وأصله رومي[٢] ويعرف بالكاتب ، أرسله مولاه المعز[٣] بن المنصور بن القائم بن المهدي المدَّعي أنه فاطمي من إفريقية لأخذ مصر عند اضطراب جيشها بعد موت كافور الإخشيدي ، فأقاموا عليهم أحمد بن علي الإخشيدي ، فلم يجتمعوا عليه ، فأرسل بعضهم إلى المعز يستنجد به ، فأرسل مولاه جوهر هذا في ربيع الأول من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمئة فوصل إلى القاهرة في شعبان منها في مئة ألف مقاتل ، ومعه من الأموال ألف ومئتا صندوق لينفقه في ذلك ، فانزعج الناس ، وأرسلوا يطلبون منه الأمان ، فآمنهم فلم يرض الجيش بذلك ، وبرزوا لقتاله فكسرهم ، وجدَّد الأمان لأهلها ، ودخلها يوم الثلاثاء لثمان عشرة خَلَت من شعبان ، فشق مصر ، ونَزل في مكان القاهرة اليوم ، وأسس من ليلته القصرين ، وخطب يوم الجمعة الآتية ، فقطع خطبة بني العباس ، وعوَّض بمولاه ، وذكر الأئمة الإثني عشر ، وأذن بحي على خير العمل ، وكان يُظْهر الإحسان إلى الناس ، ويجلس كل [يوم][٤] سبت مع الوزير جعفر بن الفرات والقاضي ، واجتهد في تكميل القاهرة ، وفرغ من جامعها سريعاً ، وخطب به في سنة إحدى وستين ، وهو جامع الأزهر .

وأرسل جعفر بن فلاح إلى الشَّام فأخذها للمعز ، ثم قدم مولاه المعز في سنة ثنتين وستين كما تقدَّم[٥] ، ونزل بالقصرين . ولم تزل منزلته عالية عنده ، ثم كانت وفاته في هذه السنة ، وقام في منصبه وعظمته ابنه الحسين الذي كان يقال له قائد القواد ، وهو أكبر أمراء الحاكم بن العزيز بن المعز ، ثم كان قتله على يديه في سنة إحدى وأربعمئة ، وقتل معه صهره زوج أخته القاضي عبد العزيز بن النعمان ، وأظن هذا القاضي هو مصنف البلاغ الأكبر والناموس الأعظم ، الذي فيه من الكفر ما لم يصل إبليس إلى مثله ، وقد ردَّ على هذا الكتاب أبو بكر الباقلاَّني ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلاثمئة

في عاشر المحرم منها رسم الوزير أبو الحسن علي بن محمد بن الكوكبي ـ ويعرف بابن المعلم ، وكان قد استحوذ على أمور السلطان ـ لأهل الكرخ وباب الطاق من الرَّافضة بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع التي كانوا يتعاطونها في عاشوراء ؛ من تعليق المسوح وتغليق الأسواق ، والنِّياحة على الحسين ،

---

(١) معجم البلدان (٤/ ٣٠١) وفيات الأعيان (١/ ٣٧٥ ـ ٣٨٠) العبر (٣/ ١٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٨) حسن المحاضرة (١/ ٥٩٩ و٢/ ٢٠١) شذرات الذهب (٣/ ٩٨ ـ ١٠٠) .

(٢) في (ط) أرمني ، وهو تحريف .

(٣) في (ط) العزيز ، وهو تحريف .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٥) انظر حوادث سنة (٣٦١هـ) .

فلم يفعلوا شيئاً من ذلك [ولله الحمد والمِنَّة][(١)] وكان هذا الرجل من أهل السُّنَّة إلا أنه كان طماعاً ، رسم بأن لا يُقبل أحد من الشهود ممن استحدث عدالته بعد ابن معروف ، وكان كثير منهم قد بذل أموالاً جزيلة في ذلك ، فاحتاجوا إلى أن جمعوا له شيئاً ، فوقّع لهم بالاستمرار .

ولما كان في جُمادى الآخرة سَعَتِ الدَّيْلَم والترك على ابن المعلم هذا ، وخرجوا بخيامهم إلى باب الشَّمَّاسية ، وراسلوا بهاء الدولة ليسلمه إليهم ، لسوء معاملته لهم ، فدافع عنه السُّلْطان مدافعة عظيمة مرَّاتٍ متعدِّدة ، ولم يزالوا يراسلونه في أمره حتى خنق أبا الحسن بن المعلم في حبل ، ومات ، ودفن بالمُخرِّم .

وفي رجب [من هذه السنة][(٢)] سُلِّم الخليفة الطائع لله الذي خُلِعَ إلى أمير المؤمنين خليفة الوقت أبي العباس القادر بالله ، فأمر بوضعه في حجرة من دار الخلافة ، وأن تجري عليه الأرزاق والتُّحَف والألطاف ، مما يستعمله الخليفة القادر من مأكل وملبس وطيب ، ويوكل به من يحفظه ويخدمه ، وكان يتعنّت على القادر في تقلُّله من المأكل والملبس ، فرَتَّب له من يخدمه ويحضر له ما يشتهيه من سائر الأنواع ، ولم يزل كذلك حتى توفي وهو في السجن .

وفي شوال منها ولد للخليفة القادر بالله ولد ذكر ، وهو أبو الفضل [محمد بن][(٣)] القادر بالله ، وقد ولاَّه العهد من بعده ، وسماه الغالب بالله ، فلم يتمَّ له الأمر .

وفيها غَلَتِ الأسعار ببغداد حتى أبيع رطل الخبز بأربعين درهماً ، والجزرة بدرهم .

وفي ذي القعدة قدم صاحب الأُصيفر الأعرابي ، والتزم بحراسة الحُجَّاج في ذهابهم وإيابهم ، وبشرط أن يخطب للقادر من اليمامة والبحرين إلى الكوفة ، فأجيب إلى ذلك ، وأطلقت له الخِلَع والأموال والألوية[(٤)] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن العَبَّاس[(٥)] بن محمد بن[(٦)] زكريا بن يحيى بن معاذ : أبو عمر القَزَّاز[(٧)] المعروف بابن حيوية .

---

(١) ما بين حاصرين من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) في (ط) : والأواني ، وهو تحريف .
(٥) تاريخ بغداد (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢) المنتظم (٧/ ١٧٠ ـ ١٧١) العبر (٣/ ٢١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) الوافي بالوفيات (٣/ ١٩٩) لسان الميزان (٥/ ٢١٤ ـ ٢١٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٣) شذرات الذهب (٣/ ١٠٤) .
(٦) في (ح) و(ط) و(ب) : ابن .
(٧) في مصادر ترجمته : الخزَّاز .

سمع البغوي والباغَنْدِي وابن صاعد وخَلْقاً كثيراً ، وانتقى[١] عليه الدَّارَقُطْني ، وسمع منه الأعيان ، وكان ثِقَةً دَيِّناً متيقظاً ذا مروءة ، وكتب من الكتب الكبار كثيراً بيده ، توفي في ربيع الآخر وقد قارب التسعين ، رحمه الله .

[أبو أحمد العَسْكري][٢] : الحسن بن عبد الله بن سعيد ، أبو أحمد العسكري ، أحد الأئمة في اللغة والأدبِ والنحو والنَّوادر ، وله في ذلك تصانيف مفيدة ، منها « التصحيف »[٣] وغيره ، وكان الصاحب بن عَبَّاد يودُّ الاجتماع به ، فسافر إلى عسكر مكرم خلفه حتى اجتمع به ، [فأكرمه وراسله بالأشعار][٤] . توفي فيها وله تسعون سنة . كذا أرَّخه ابن خَلِّكان[٥] . وذكره ابن الجوزي فيمن توفي سنةَ سبعٍ وثمانين كما سيأتي ، إن شاء الله تعالى[٦] .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة

فيها أمر القادر بالله بعمارة مسجد الحربية وكسوته ، وأن يجري مجرى الجوامع في الخطبة وغيرها ، وذلك بعد أن استفتى العلماء في جواز ذلك ، فأفتوه بالجواز .

قال الخطيب البغدادي : أدركت الجمعة تقام ببغداد في مسجد المدينة ، ومسجد الرصافة ، ومسجد دارالخلافة ، ومسجد براثا ، ومسجد قطيعة أم جعفر ، ومسجد الحربية . قال : ولم يزل الأمر على هذا إلى سنة إحدى وخمسين وأربعمئة ، فتعطلت في مسجد بَرَاثا[٧] .

وفي جُمادى الأولى فرغ من الجسر الذي بناه بهاء الدولة في مشرعة القطانين ، واجتاز عليه هو بنفسه ، وقد زيَّنوه واحتفلوا به .

---

(١) في (ط) : وانتقد ، وهو تحريف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) . وترجمة العسكري في ذكر أخبار أصبهان (١/ ٢٧٢) والأنساب (٨/ ٤٥٢) المنتظم (٧/ ١٩١) معجم الأدباء (٨/ ٢٣٣ ـ ٢٥٨) معجم البلدان (٤/ ١٢٤) إنباه الرواة (١/ ٣١٠ ـ ٣١٢) وفيات الأعيان (٢/ ٨٣ ـ ٨٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤١٣ ـ ٤١٥) الوافي بالوفيات (١٢/ ٧٦ ـ ٧٧) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٣و١٩٦) بغية الوعاة (١/ ٥٠٦) شذرات الذهب (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣) .
(٣) طبع في مجمع اللغة العربية بدمشق .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) انظر وفيات الأعيان (٢/ ٨٤) .
(٦) انظر وفيات سنة (٣٨٧هـ) .
(٧) تاريخ بغداد (١/ ١١١) وفيه : ولم تزل على هذا إلى أن خرجت من بغداد سنة إحدى وخمسين وأربعمئة ، ثم تعطلت في مسجد براثا ، فلم تكن تصلّى فيه .

وفي جمادى الآخرة ، شغب الدَّيالم والأتراك لتأخُّرِ العطاء عنهم ، وغلاء الأسعار ، وراسلوا بهاء الدولة ، فأزيحت أعذارهم وعللهم .

وفي يوم الخميس الثاني من ذي القَعْدة من هذه السنة تزوَّج الخليفة سكينة بنت بهاء الدولة على صَداق مئة ألف دينار ، وكان وكيلَ أبيها الشريفُ أبو أحمد الموسوي ، وقد توفيت هذه المرأة قبل دخول الخليفة عليها .

وفي هذه السنة ابتاع الوزير أبو نصر سابور بن أزدشير داراً بالكَرْخ وجدَّد عمارتها ، وبيَّضها ، ونقل إليها كتباً كثيرة ، ووقفها على الفقهاء ، وسماها دار العلم . وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء[١] ، والله أعلم .

وارتفعت الأسعار في أواخر هذه السنة ، وضاق الحال [وجاع العيال ، فلله الحمد والمنَّة على كل حال][٢] .

وفيها توفي من الأعيان :

أحمد بن إبراهيم[٣] بن الحسن بن شاذان بن حَرْب بن مِهْران : أبو بكر البَزَّاز .

سمع الكثير من البَغَوي وابن صاعد وابن دريد وابن أبي داود .

وعنه الدَّارَقُطْني والبَرْقاني والأزهَري وغيرهم ، وكان ثِقَةً ثبتاً صحيحَ السَّماع ، كثير الحديث ، متحرِّياً ورعاً . توفي عن خمسٍ وثمانين سنة [رحمه الله تعالى][٤] .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمئة

فيها عَظُمَ الخَطْبُ بأمر العَيَّارين ، وعاثوا ببغداد للفساد وأخذوا [الأموال و][٤] العملات الثقال ليلاً ونهاراً ، وحرقوا[٥] أماكن كثيرة ، وأخذوا من الأسواق الجبايات ، وتطلبهم الشُّرَط فلم يُفْد ذلك شيئاً ولا فكروا فيهم ، بل استمرُّوا على ما هُمْ عليه من أخذ الأموال ، وقَتْلِ الرجال ، وإرعاب النِّساء

---

(١) في (ط) زيادة : وكانت قبل النظامية بمدة طويلة .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ١٨ ـ ٢٠) المنتظم (٧/ ١٧٢ ـ ١٧٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٤) شذرات الذهب (٣/ ١٠٤) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) في (ح) : وخربوا ، والمثبت من (ب) و(ط) .

والأطفال ، في سائر المحال . فلما تفاقم الحال بهم طلبهم السُّلْطانُ بهاء الدولة ، وألحَّ في طلبهم ، فهربوا من بين يديه ، واستراح الناس من شرِّهم[١] .

وفي ذي القَعْدة عُزل الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي[٢] ، وولداه اللذان كانا وليي عهده من بعده عن نقابة الطَّالبيين .

ورجع ركب العراق في هذه السنة من أثناء الطَّريق بعدما فاتهم وقت الحج ، وذلك أنَّ الأُصيفر الأعرابي الذي كان قد تكفَّل بحراستهم اعترض لهم في أثناء الطريق ، وذكر لهم أن الدَّنانير التي أطلقت له من دار الخلافة كانت دراهم مطلية ، وأنه يريد بدلها من الحجيج وإلا لم يتركهم يجاوزوا هذا الموضع ، فمانعوه وراجعوه ، فحبسهم عن المسير حتى ضاق الوقت ، ولم يبق منه ما يلحقوا الحجَّ فيه ، فرجعوا إلى بلادهم ، ولم يحجَّ منهم أحد ، وكذلك لم يحجَّ من الركب الشَّامي ولا أهل اليمن أحد ، وإنما حجَّ أهل مصر والمغرب خاصةً .

وفي يوم عرفة قُلِّد الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن أبي تمام الزَّينبي نقابة العَبَّاسيين ، وقرىء عهده بين يدي الخليفة بحضرة القُضاة والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال[٣] بن زَهْرُون بن حَبُّون : الحَرَّاني الكاتب الصابىء صاحب التصانيف والرَّسائل للخليفة ولمعِزِّ الدولة[٤] بن بُويْه ، كان على دين الصَّابئة إلى مماته ، وكان مع هذا يصوم رمضان ويقرأ القرآن [من حفظه ، وكان يحفظه][٥] حفظاً حسناً ، ويستعمل منه في رسائله ، وكانوا يحرصون على أن يُسْلم فلم يفعل ، وله شعر جيد قوي .

كانت وفاته في شوال من هذه السنة وقد جاوز السبعين ، وقد رثاه الشَّريف الرَّضي[٦] وقال : إنما رثيتُ فضائله[٧] .

---

(١) في (ط) زيادة : وأظن هذه الحكايات التي يذكرها بعض الناس عن أحمد الدنف عنهم ، أو كان منهم ، والله أعلم .

(٢) قلد نقابة الأشراف سنة (٣٨٠هـ) ، حوادث سنة (٣٨٠هـ) .

(٣) يتيمة الدهر (٢/ ٢٤١ _ ٣١١) الفهرست (١٩٣ _ ١٩٤) معجم الأدباء (٢/ ٢٠ _ ٩٤) وفيات الأعيان (١/ ٥٢ _ ٥٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٣ _ ٥٢٤) الوافي بالوفيات (٦/ ١٥٨ _ ١٦٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٧) شذرات الذهب (٣/ ١٠٦ _ ١٠٩) .

(٤) في (ط) : لمعز الدولة ، وهو تحريف .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) بقصيدة مطلعها :

أعلمت من حملوا على الأعواد   أرأيت كيف خبا ضياء النادي

انظر ديوانه (١/ ٢٩٤ _ ٢٩٨) .

(٧) في (ط) زيادة : وليس له فضائل ولا هو أهل لها ولا كرامة .

عبيد الله[١] بن محمد بن نافع بن مكرم : أبو العَبَّاس البُسْتي الزَّاهد ، ورث من آبائه أموالاً كثيرة ، فأنفقها كلها في وجوه الخير والقُرُبات ، وكان كثير العبادة ، يقال : إنه مكث سبعين سنة لا يستند إلى حائطٍ ولا إلى شيءٍ ، ولا يتكىء على وسادة ، وحجَّ من نيسابور ماشياً حافياً ، ودخل الشام ، وأقام ببيت المقدس شهوراً ، ثم دخل مِصْر وبلاد المغرب ، وحجَّ من هناك ، ثم رجع إلى بلاده بُسْت ، وكانت له بها بقية [أموال][٢] وأملاك فتصدَّق ببقيتها ، ولما حضرته الوفاة جعل يتألم ويتوجَّع ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : أرى بين يدي أموراً هائلة ، ولا أدري كيف أنجو منها .

وكانت وفاته في المحرَّم من هذه السنة عن خمسٍ وثمانين سنة ، وليلة موته رأت امرأةٌ أمها بعد وفاتها وعليها ثياب حسان وزينة فقالت : يا أمه ، ما هذا ؟ فقالت : نحن في عيد من قدوم عبيد الله الزاهد علينا ، رحمه الله تعالى .

علي بن عيسى بن علي بن عبد الله[٣] : أبو الحسن[٤] ، النَّحْوي ، المعروف بالرُّمَّاني .

روى عن ابن دُريد ، وكانت له يد طُولى في النَّحْو واللُّغة والمنطق والكلام ، وله تفسيرٌ كبير ، وشهد عند ابن معروف فَقَبِله ، وروى عنه التَّنوخي والجَوْهري .

وتوفي عن ثمانٍ وثمانين سنة ، ودفن في الشُّونيزية عند قبر أبي علي [الفارسي][٥] .

قال ابن خلِّكان : والرُّمَّاني نسبة إلى بيع الرُّمَّان أو إلى قصر الرمان بواسط[٦] .

محمد بن العَبَّاس بن أحمد بن محمد بن الفُرَات[٧] : أبو الحسن ، الكاتب ، المحدِّث ، الثِّقة المأمون .

قال الخطيب البغدادي : كان ثِقَةً ، كتب الكثير ، وجمع ما لم يجمعه أحدٌ في وقته ، بلغني أنه كتب

---

(١) في (ب) و(ط) : عبد الله ، وإخالها تصحيفاً .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) في (ط) : عبيد الله ، وهو تصحيف . وترجمته في طبقات النحويين واللغويين (٨٦) الإمتاع والمؤانسة (١/ ١٣٣) تاريخ بغداد (١٢/ ١٦ ـ ١٧) الأنساب (٦/ ١٦٠) نزهة الألباء (٣١٨ ـ ٣١٩) المنتظم (٧/ ١٧٦) معجم الأدباء (١٤/ ٧٣ ـ ٧٨) إنباه الرواة (٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦) وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٨) بغية الوعاة (٢/ ١٨٠ ـ ١٨١) شذرات الذهب (٣/ ١٠٩) .
(٤) في (ح) و(ب) : أبو الحسين ، وهو تحريف .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٦) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٩) .
(٧) في (ط) القراز ، وهو تحريف . وترجمته في تاريخ بغداد (٣/ ١٢٢ ـ ١٢٣) اللباب (٢/ ٤١٤ ـ ٤١٥) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦) الوافي بالوفيات (٣/ ١٩٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٨) طبقات الحفاظ (٤٠٢) شذرات الذهب (٣/ ١١٠) .

مئة تفسير ومئة تاريخ ، وخلَّف ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً ، أكثرها بخطه سوى ما سُرِقَ منه ، وكان خطُّه[١] في غاية الصِّحة ، ومع هذا كانت له جارية تعارض معه[٢] ما يكتبه[٣] ، رحمه الله تعالى .

محمد بن عمران بن موسى بن عبيد[٤] : أبو عبيد الله[٥] الكاتب المعروف بابن المَرْزُبان .

روى عن البَغَوي وابن دُريد وغيرهما ، وكان صاحب أخبار[٦] وآداب ، وصنَّف كتباً كثيرة في فنون مستحسنة[٧] ، وكان مشايخه وغيرهم يحضُرون عنده ، ويبيتون في داره في فُرُش وأطعمة وغير ذلك .

وكان عضد الدولة إذا مرَّ بداره لا يجتاز حتى يرسل إليه ليخرج ، فيسلم عليه .

وكان أبو علي الفارسي يقول : هو من محاسن الدُّنيا .

وقال العتيقي[٨] : كان ثِقَةً . وقال الأزهري : ما كان ثقة .

وقال ابنُ الجَوْزي : لم يكن من الكذابين ، وإنما كان فيه تشيع واعتزال ، ويخلط السماع بالإجازة[٩] . بلغ ثمانياً وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمئة

فيها استوزر فخر الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيْه أبا العَبَّاس أحمد بن إبراهيم الضَّبِّي ، الملقب بالكافي ، وذلك بعد وفاة الصَّاحب إسماعيل بن عبَّاد ، وكان من مشاهير الوزراء .

---

(١) في (ط) حفظه ، وهو تحريف .
(٢) في (ط) زيادة : أي تقابل .
(٣) تاريخ بغداد (٣/ ١٢٢ ـ ١٢٣) .
(٤) في (ح) و(ب) و(ط) عبيد الله ، وكذلك في المنتظم (٧/ ١٧٧) والمثبت من تاريخ بغداد (٣/ ١٣٥) وهي ما عليه أغلب المصادر . ومظان ترجمته في الفهرست (١٩٠ ـ ١٩٣) تاريخ بغداد (٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦) المنتظم (٧/ ١٧٧) معجم الأدباء (١٨/ ٢٦٨ ـ ٢٧٢) إنباه الرواة (٣/ ١٨٠ـ١٨٤) اللباب (٣/ ١٩٥) وفيات الأعيان (٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٧ ـ ٤٤٩) العبر (٣/ ٢٧) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٧٢ـ ٦٧) الوافي بالوفيات (٤/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧) لسان الميزان (٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٨) شذرات الذهب (٣/ ١١ ـ ١١٢) .
(٥) في (ح) و(ب) و(ط) : أبو عبد الله ، والمثبت من المصدر السابق .
(٦) في (ط) اختيار ، وهو تحريف .
(٧) في (ط) زيادة : وهو مصنف كتاب « تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » .
قلت : المعروف أن مصنفه هو محمد بن خلف بن المرزبان ، المتوفى سنة (٣٠٩هـ) ، وقد نشر الكتاب بمصر سنة (١٣٤١هـ) بمصر ، وانظر الوافي بالوفيات (٣/ ٤٤ ـ ٤٥) .
(٨) في (ط) العقيقي ، وهو تحريف ، وستَرِد ترجمته في وفيات سنة (٤٤١هـ) من هذا الكتاب .
(٩) المنتظم (٧/ ١٧٧) .

وفيها قبض بهاء الدولة على القاضي عبد الجبار وصادره بأموالٍ جزيلة ، فكان من جملة ما بيع في المصادرة ألف طَيْلسان وألف ثوب مغربي[١] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة وما قبلها وما بعدها المصريون ، والخطبة في الحَرَمين لهم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الصَّاحب بن عَبَّاد[٢] : وهو إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطَّالقَاني ، أبو القاسم ، الوزير الشهير بكافي الكُفاة .

وزر لمؤيَّد الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيه ، وقد كان من العِلْم والفضيلة والبراعة والكرم والإحسان إلى العلماء[٣] على جانبٍ عظيمٍ ، كان يبعث في كلِّ سنة إلى بغداد بخمسة آلاف دينار لتفرَّق على أهل العِلْم ، وله اليد الطُّولى في الأدب ، وله مصنفات في فنون من العلم ، واقتنى كتباً كثيرة كانت تحمل على أربعمئة بعير ، ولم يكن في وزراء بني بويه مثله ولا قريب منه في مجموع فضائله ، وقد كانت دولة بني بويه مئة وعشرين سنة ، وكانت وزارته ثمانية عشر سنة وأشهراً ، وفتح خمسين قلعة لمخدومه مُؤَيَّد الدولة ، وابنه فخر الدولة ، بصرامته وشهامته وحسن تدبيره وجودة آرائه .

وكان يحبُّ العلوم الشَّرْعية ، ويبغض الفلسفة وما يشبهها من[٤] الآراء البدعية ، وقد مرض مَرَّةً بالإسهال ، فكان كلما قام عن المطهرة وضع عندها عشرة دنانير لئلا يتبرَّم به الفرَّاشون ، فكانوا يودُّون لو طالت عِلَّته ، ولما عُوفي أنهب داره الفقراء والمساكين ، وكان قيمة ما تحتوي عليه نحواً من خمسين ألف دينار .

وقد سمع الحديث من المشايخ [الجياد][٥] العوالي الإسناد ، وعقد له [في وقت][٥] مجلس للإملاء ، فاحتفل النَّاس بحضوره ، [وحضره وجوه الأمراء][٥] فلما خرج [إليه][٦] لبس زِيَّ الفقهاء ،

---

(١) في (ط) معدني ، وهو تحريف .

(٢) الإمتاع والمؤانسة (١/ ٥٣) يتيمة الدهر (٣/ ١٨٨ ـ ٢٨٦) الفهرست (١٩٤) نزهة الألباء (٣٢٥ ـ ٣٢٧) المنتظم (٧/ ١٧٩ ـ ١٨١) معجم الأدباء (٦/ ١٦٨ ـ ٣١٧) إنباه الرواة (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٣) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٨ ـ ٢٣٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥١١ ـ ٥١٤) العبر (٣/ ٢٨) ابن الوردي (١/ ٣١٢) مرآة الجنان (٢/ ٤٢١) لسان الميزان (١/ ٤١٣ ـ ٤١٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٩ ـ ١٧١) بغية الوعاة (١/ ٤٤٩ ـ ٤٥١) شذرات الذهب (٣/ ١١٣ ـ ١١٦) .

(٣) في (ط) زيادة : والفقراء .

(٤) في (ط) زيادة : من علم الكلام والآراء .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

وأشهد على نفسه بالتوبة والإنابة مما يعانيه من أمور السُّلْطان ، وذكر للنَّاس أنه إنما يأكل من حين نشأ وإلى يومه هذا من أموال أبيه وجدِّه[١] ، ولكن كان يخالط السُّلْطان ، وهو تائب مما مارسه من شؤونه . واتخذ بيتاً في داره سمَّاه دار التوبة ، ووضع العلماء خطوطهم بصحة توبته . وحين حدَّث استملى عليه جماعة لكثرة مجلسه ، فكان من جملة من يكتب ذلك اليوم من الطلبة القاضي عبد الجبار الهَمَذاني[٢] وأضرابه ومن شابهه من رؤوس الفضلاء ، وسادات المحدثين والفقهاء .

وقد بعث إليه قاضي قَزْوين بهدية كتبٍ سَنيَّة ، وكتب معها :

العَمِيْـريُّ[٣] عبـدُ كـافـي الكُفَـاةِ   وإن اعْتُـدَّ[٤] فـي وُجُـوهِ القُضـاةِ

خَـدَمَ المجلسَ الـرفيـعَ ، بكُتْـبٍ   مُفْعَمَـاتٍ مِـن حُسْنهـا مُتْـرَعـاتِ

فلما وصلتْ إليه أخذ منها كتاباً واحداً ، ورَدَّ باقيها ، وكَتَبَ تحت البيتين :

قـد قَبِلْنـا مـن الجميـعِ كتـابـاً   وَرَدَدْنـا لِـوَقْتِهـا البـاقيـاتِ

لسـتُ أستغنـمُ الكثيـر وطبْعـي   قولُ خذْ ، ليس مذهبي قَوْلُ هاتِ

وجلس الوزير ابن عباد مرَّة في مجلس شَرَاب ، فناوله الساقي كأساً ، فلما أراد شربها قال له بعض خُدَّامه : يا سيدي ، إن هذا الذي في يدك مسموم . قال : وما الشاهد على صحة قولك ؟ قال تجرِّبه . قال : فيمن ؟ قال في السَّاقي . قال ويحك لا أستحل ذلك ، قال ففي دجاجةٍ ، قال : إنَّ التمثيل بالحيوان لا يجوز . ثم أمر بصبِّ ما في [ذلك][٥] القدح وقال للسَّاقي : لا تدخل داري بعد هذا . ولم يقطع عنه معلومه .

وقد عَمِلَ عليه الوزير أبو الفتح بن ذي الكفايتين حتى عَزَله عن وزارة مُؤَيَّد الدولة [في وقتٍ][٦] وباشرها عوضه ، واستمرَّ مُدَّة ، فبينا هو ليلة في بعض أيامه قد اجتمع عنده أصحابه وندماؤه وهو في أتمِّ السُّرور ، قد هيىء له مجلسٌ حافل بأنواع اللَّذَّات من المآكل والمشارب والملابس والتحف ، وقد نَظَمَ أبياتاً والمغنون يلحنونها ، وهو في غاية الطَّرب والسُّرور ، وهي هذه الأبيات :

دعـوتُ الهنـا ودعـوتُ العُـلا[٧]   فلمـا أجـابـا دَعَـوْتُ القَـدَحْ

---

(١) في (ط) زيادة : مما ورثه منهم .

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (١١/ ١١٣ ـ ١١٥) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) .

(٣) هو قاضي قزوين ، انظر المنتظم (٧/ ١٨٠) ومعجم الأدباء (٦/ ٢٥٢) .

(٤) في (ح) و(ب) : اعتل ، وفي (ط) : أعقل ، والمثبت من المنتظم ومعجم الأدباء .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٧) في إحدى نسخ المنتظم (٧/ ١٧٩) : الظلا .

وقُلْتُ لأيَّامِ شَرْخِ الشَّبابِ إلـيَّ فهـذا أوانُ الفَـرَحْ
إذا بَلَغَ المَرْءُ آمالَهُ فليسَ لهُ بعدها مُنْتَزحْ

ثم قال لندمائه : باكروني غداً إلى الصَّبُوح ، ونهض إلى بيت منامه ، فما أصبح حتى قبض عليه مُؤَيَّد الدولة ، وأخذ جميع ما في داره من الحواصل والأموال ، وجعله مُثْلَةً في العباد ، وأعاد إلى وزارته ابنَ عَبَّاد .

وقد ذكر ابنُ الجوزي أن ابن عباد [لما][(١)] حَضَرَتْه الوفاة جاءه الملك فخرُ الدولة بن مؤيد الدولة يعوده ليوصيه في أموره فقال له : إني موصيك أن تستمرَّ بالأمور على ما تركتها عليه ، ولا تغيرها ، فإنك إن استمريت بها نُسبت إليك من أول الأمر إلى آخره ، وإن غيَّرْتها ، وسلكت غيرَها نسبت هي والخير المتقدِّم إليَّ لا إليك ، وأنا أحبُّ أن تكون نسبةُ الخير إليك ، وإن كنتُ أنا المشير بها عليك . فأعجبه منه ذلك ، واستمرَّ بما أوصاه به من الخير ، وكانت وفاته في عشية يوم الجمعة لستٍّ بقين من صفر[(٢)] .

قال ابنُ خلِّكان : وهو أول من سُمِّيَ من الوزراء بالصَّاحب ، ثم استعمل بعده فيهم ، وإنما سُمي بذلك لكثرة صحبته الوزير أبي الفَضْل بن العميد ، فكان يقال له صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه أيام وزارته . وقال الصَّابىء في كتابه « التاجي » : إنما سمَّاه الصَّاحب مؤيدُ الدولة بن بويه لأنه كان صاحبه من الصِّغر ، فكان يسميه الصَّاحب ، فلما ملك واستوزره سمَّاه الصاحب فاستمر به ، وتسمى به الوزراء بعده[(٣)] .

ثم ذكر ابنُ خلِّكان قطعةً صالحة من مكارمه وفضائله وثناء الناس عليه ، وعدَّد له مصنفات كثيرة ، منها كتابه « المحيط » في اللغة في سبعة مجلدات ، يحتوي على أكثر اللغة ، وأورد من شعره أشياء منها قوله ـ وهو صنيع لطيف ـ :

رَقَّ الزُّجاجُ ورَقَّتِ الخَمْرُ وتشابها فَتَشاكَلَ الأمْرُ
فكأنَّما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ وكأنَّما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) انظر المنتظم (٧/ ١٨١) .
قلت : وحين توفي الصاحب أنفذ فخر الدولة من احتاط على ماله وداره ، ونقل جميع ما فيها إليه ، ثم قبض على أصحاب ابن عباد ، ذكر ذلك كله ابن الأثير في كامله (٩/ ١١٠ ـ ١١١) وقال : فقبح الله خدمة الملوك ، هذا فعلهم مع من نصح لهم ، فكيف مع غيره !
(٣) انظر وفيات الأعيان (١/ ٢٢٩) .

قال ابنُ خلّكان : وكانت وفاته بالرَّي في هذه السَّنة ، وله نحو ستين سنة ، ونُقِلَ إلى أصبهان ، رحمه الله تعالى[١] .

الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد[٢] : أبو محمد الأديب .

كان شاعراً متمولاً[٣] كثير المكارم ، [روى عن علي بن محمد بن سعيد المَوْصلي ، وعنه الصُّوري وكان صدوقاً][٤] . وهو الذي أنزل المتنبي في داره حين قدم بغداد ، وأحسن إليه ، وأجرى عليه النفقات حتى قال له المتنبي : لو كنتُ مادحاً تاجراً لمدحتك .

وقد كان أبو محمد هذا شاعراً ماهراً ، فمن جيد شعره قوله :

شريتُ المعالي غير مُنْتَظر بها كساداً ولا سوقاً تقام لها أُخرى
وما أنا منْ أهْلِ المكاسبِ[٥] كلَّما تَوفَّرَتِ الأثمانُ كُنْتُ لها أشْرَى

ابن شاهين الواعظ[٦] ، **عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن أيوب بن زذان**[٧] : أبو حَفْص بن شاهين المشهور .

سمع الكثير ، وحدَّث عن الباغَنْدي ، وأبي بكر بن أبي داود ، والبَغَوي ، وابن صاعد ، وخَلْق . وكان ثِقَةً أميناً ، يسكن الجانب الشَّرْقي من بغداد ، وكانت له المصنَّفات العديدة المفيدة . ذُكر عنه أنه صنف ثلاثمئة وثلاثين مصنفاً ، منها « التفسير » في ألف جُزْء ، و « المُسْند » في ألف وخمسمئة جُزْء ، و « التاريخ » في مئة وخمسين جُزءاً ، و « الزهد » في مئة جُزْء . وكانت وفاته في ذي الحجَّة وقد قارب التسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

الحافظ الدَّارَقُطْني[٨] : أبو الحسن ، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله

---

(١) المصدر السابق .

(٢) تاريخ بغداد (٣/ ٣٠٤) المنتظم (٧/ ١٨١ ـ ١٨٢) .

(٣) في (ط) متجولاً ، وهو تحريف .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) ، وانظر المنتظم (٧/ ١٨١) .

(٥) في تاريخ بغداد والمنتظم : المكاس ، لا يتزن البيت به .

(٦) تاريخ بغداد (١١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨) المنتظم (٧/ ١٨٢ ـ ١٨٣) وتاريخ الإسلام (٨/ ٥٧٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٨٧ ـ ٩٩٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٣١ ـ ٤٣٤) العبر (٣/ ٢٩ ـ ٣٠) مرآة الجنان (٢/ ٤٢٦) غاية النهاية (١/ ٥٨٨) لسان الميزان (٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٧٢) طبقات الحفاظ (٣٩٢) طبقات المفسرين للداودي (٣/ ٢) شذرات الذهب (٣/ ١١٧) .

(٧) في تاريخ بغداد والمنتظم والسير وخط الذهبي في تاريخ الإسلام : « أزداذ » .

(٨) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤ ـ ٢٤٧) المنتظم (٧/ ١٨٣ ـ ١٨٤) معجم البلدان (٢/ ٤٢٢) الأنساب (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧) اللباب (١/ ٤٨٣) وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٩١ ـ ٩٩٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٩ ـ ٤٦١)=

الدارقطني الحافظ الكبير ، أستاذ هذه الصِّناعة في زمانه ، وقبلها بمدَّة وبعدها إلى زماننا هذا .

سمع الكثير ، وجمع وصنَّف وألَّف وأجاد وأفاد ، وأحسن النظر والتعليل والانتقاء والانتقاد ، وكان فريد عصره ، ونسيج وَحْدِه ، وإمام أهل دهره في أسماء الرجال ، وصناعة التعليل ، والجرح والتعديل ، وحسن التصنيف والتأليف ، واتِّساع الرِّواية ، والاطلاع التام في الدِّراية ، له كتاب « السنن » الكبير المشهور ، من أحسن المصنفات في بابه ، لم يسبق إلى مثله ولا يلحق في شكله إلا من استمدَّ من بحره وعمل كعمله ، وله كتاب « العلل » بيَّن فيه الصَّواب من الزلل ، والمتصل من المُرْسل والمنقطع والمُعْضل ، وكتاب « الأفراد » الذي لا يفهمه ، فضلاً عن أن ينظمه ، إلا من هو من الحفَّاظ الأفراد ، والأئمة النُّقَّاد ، [والجهابذة الجياد][١] ، وله غير ذلك من المُصنَّفات التي هي كالعقود في الأجياد ، وقد كان الدارقطني من صغره موصوفاً بالحفظ الباهر ، [والذهن الثَّاقب الماهر][٢] ، جلس مَرَّة في مجلس إسماعيل الصَّفَّار وهو يملي على النَّاس الأحاديث ، والدَّارقُطني ينسخ في جزء حديث ، فقال له بعض المحدِّثين في أثناء المجلس : إن سماعك لا يصح وأنت تنسخ . فقال الدَّارقُطني : فهمي للإملاء خلاف فهمك ، أتحفظ كم أملى حديثاً ؟ قال : لا . فقال : إنه أملى ثمانية عشر حديثاً إلى الآن ، فالحديث الأول منها عن فلان عن فلان ، ثم ساقها كلها بأسانيدها ، فتعجَّب الناس من ذلك .

وقد قال الحاكم أبو عبد الله النَّيسابوري : لم ير الدَّارَقُطْني مثل نفسه .

وقال ابنُ الجَوزي : وقد اجتمع له مع معرفة الحديث والعلم بالقراءات والنحو والفقه والشِّعْر مع الإمامة والعدالة ، وصحَّة العقيدة ، وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء سابع ذي القَعْدة من هذه السنة ، وله من العمر تسع وسبعون سنة ويومان ، ودفن من الغد بمقبرة معروف الكرخي[٣] .

قال ابن خلِّكان : وقد رحل إلى الدِّيار المصرية ، فأكرمه الوزير أبو الفَضْل جعفر بن الفضل بن حِنْزَابة[٤] وزير كافور الإخشيدي ، وساعده هو والحافظ عبد الغني على إكمال مسنده ، فحصل للدارقطني منه مالٌ جزيل .

قال : والدَّارَقُطْني نسبة إلى دار القُطْن ، وهي مَحلَّة كبيرة ببغداد ، وقال عبد الغني بن سعيد[٥] : لم

= طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٦٢ ـ ٤٦٦) طبقات الإسنوي (١/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩) غاية النهاية (١/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) النجوم الزاهرة (٤/ ١٧٢) طبقات الحفاظ (٣٩٣ ـ ٣٩٤) شذرات الذهب (٣/ ١١٦ ـ ١١٧) .

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) وفي (ط) : والفهم الثاقب والبحر الزاخر .

(٣) انظر المنتظم (٧/ ١٨٤) .

(٤) سترد ترجمته في حوادث سنة (٣٩١هـ) .

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) وعبد الغني بن سعيد الأزدي المصري ، حافظ مصر في عصره ، سترد ترجمته في وفيات سنة (٤٠٩هـ) من هذا الجزء .

يتكلَّم على الأحاديث مثل علي بن المَديني في زمانه ، وموسى بن هارون في زمانه ، والدَّارَقُطْني في زمانه . وسُئِلَ الدَّارَقُطني : هل رأى مثل نفسه ؟ قال : أما في فنٍ واحدٍ فربما رأيتُ من هو أفضل مني ، وأما فيما اجتمع فيَّ من الفنون[١] فلا .

وقد روى الخطيب البغدادي عن الأمير أبي نصر هبة الله بن ماكُولا قال : رأيتُ في المنام كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدَّارَقُطْني ، وما آل إليه أمره في الآخرة ، فقيل لي : ذاك يُدْعى في الجنَّة الإمام[٢] .

عبَّاد بن عباس بن عباد : أبو الحسن الطَّالقَاني ، والد الوزير [إسماعيل][٣] بن عباد [المتقدم ذكره][٤] .

سمع أبا خليفة الفَضْل بن الحُباب[٥] وغيره من البغداديين والأصفهانيين والرَّازيين [وغيرهم][٦] ، وحدَّث عنه ابنه الوزير أبو القاسم[٧] ، وأبو بكر بن مَرْدُويه . ولعبَّاد هذا كتابٌ في « أحكام القرآن » ، وقد اتفق موته وموت ابنه في هذه السنة ، رحمهما الله .

عقيل بن محمد بن عبد الواحد[٨] : أبو الحسن ، الأحنف العُكْبَري ، الشَّاعر المشهور ، له ديوان مفرد ، ومن مستجاد شعره ما ذكره الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في « المنتظم » :

أَقْضَى عليَّ من الأَجَلْ ... عَذْلُ العَذُول إذا عَذَلْ
وأشدُّ من عَذْلِ العَذُو ... لِ صُدُودُ إلفٍ قد وَصَلْ
وأشدُّ منْ هذا وذا ... طَلَبُ النَّوَّالِ من السَّفَلْ

ومن شعره الجيد قوله أيضاً :

من أرادَ المُلْك[٩] والرَّا ... حَةَ منْ هَمٍّ طويلِ
فَلْيَكُنْ فَرْداً من النَّا ... سِ وَيَرْضَى بالقَلِيْلِ

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٨) .
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) . وانظر وفيات سنة (٣٨٣هـ) .
(٥) انظر حاشيتنا على وفيات سنة (٣٠٥هـ) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٧) في (ط) : أبو الفضل قاسم ، وهو وهم .
(٨) المنتظم (٧/ ١٨٥ ـ ١٨٦) .
(٩) في (ط) العز ، وهو تحريف .د

ويـــرى أنَّ قليـــلاً نـــافعـــاً غيـــرُ قليـــلِ[١]
ويـــرى بـــالحَـــزْمِ أنَّ الـ ـحـزمَ فـي تَـرْكِ الفُضُـولِ
ويـــداوي مَـــرَضَ الـــوَحْـ ـــدةِ بـــالصَّبْـــرِ الجَمِيْـــلِ
لا يمـــاري أحـــداً مـــا عـــاشَ فـــي قـــالٍ وقيـــلِ
يلـــزمُ الصَّمْـــتَ فـــإنَّ الصَّـ ـمـــتَ تَهْـــذيْـــبُ العُقُـــولِ
يَـــذَرُ الكِبْـــرَ لأهليـ ـــه وَيَـــرْضَـــىٰ بـــالخُمـــولِ[٢]
أيُّ عَيْـــشٍ لامـــرىءٍ يُصْـ ـبـــحُ فـــي حـــالٍ ذليـــلِ
بيـــنَ قَصْـــدٍ مـــنْ عـــدُوٍ ومـــــداراةِ جَهُـــــولِ
واعتـــلالٍ مـــنْ صـــديـــقٍ وتَجَـــنٍّ مـــن مَلُـــولِ
واحْتِـــراسٍ مـــنْ ظُنـــونِ السُّـ ـــوءِ مَـــعْ عَـــذْلِ العَـــذُولِ
ومـمـــاشـــاةِ بغيـــضٍ ومقـــاســـاةِ ثقيـــلِ[٣]
أُفٍّ مـــن مَعْـــرِفَـــةِ النَّـــا سِ علـــى كـــلِّ سبيـــلِ
وتمـــامُ الأمـــرِ لا تَعْـ ـــرفُ سَمْحـــاً مـــن بخيـــلِ
فـــإذا أكْمَلْـــتَ هـــذا عِشْـــتَ فـــي مُلْـــك جليـــلِ[٤]

محمد بن عبد الله بن سُكَّرة[٥] ، أبو الحسن[٦] الهاشمي : من ولد علي بن المهدي .

---

(١) في (ط) :

ويـــرى أَنْ سيـــرى كـــافيـــاً عمـــا قليـــلِ

(٢) في (ط) :

يـــذر الكبـــر لأهـــل الـ ـكبر ويرضى بالخمولِ

وهو غير متزن .

(٣) في (ط)

ومقـــاســـاة بغيـــضٍ ومـــــداراة ثقيـــــل

(٤) في (ط) :

فـــإذا أكمـــل هـــذا كـــان فـــي ظـــلٍّ ظليـــلِ

وفي « المنتظم » :

وإذا أكمـــل هـــذا كـــان فـــي مُلْـــكٍ جليـــل

وانظر المنتظم (٧/ ١٨٥ ـ ١٨٦) .

(٥) تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٥) المنتظم (٧/ ١٨٦) وفيات الأعيان (٤/ ٤١٠ ـ ٤١٣) الوافي بالوفيات (٣/ ٣٠٨) العبر للذهبي (٣/ ٣٠) شذرات الذهب (٣/ ١١٧) .

(٦) في (ح) و (ب) و (ط) : أبو الحسين ، وما أثبتناه من مصادر ترجمته .

وكان شاعراً أديباً خليعاً ظريفاً ، وكان ينوب في نقابة الهاشميين ، فترافع إليه رجل اسمه علي وامرأة اسمها عائشة يتحاكمان في جَمَلٍ ، فقال : هذه قضية لا أحكم فيها بشيء لئلا تعود الحال جذعة .

ومن مستجاد شعره ولطيف قوله :

فـي وجـهِ إنسـانـةٍ كَلِفْـتُ بهـا ... أربعــةٌ مــا اجْتَمَعْــنَ فــي أَحَــدِ
الـوجـهُ بَـدْرٌ والصُّـدْغُ غـاليـةٌ[١] ... والـرِّيـق خمـرٌ والثَّغْـرُ مـن بَـرَدِ

ومن مجون شعره وقد دخل حماماً ، فسرق نعلاه ، [فعاد إلى منزله وهو حافٍ][٢] فقال :

إليـكَ أذمُّ حمَّـامَ ابـنِ مُـوسـى ... وإن فـاقَ المُنَـى طِيْبـاً وحَـرّا
تكـاثَـرَتِ اللُّصُوصُ عليـهِ حتـى ... لَيَحْفَـى مـن يطيـفُ بـه ويَعْـرَى
ولـم أفْقِـدْ بـه ثَـوْبـاً ولكـنْ ... دَخَلْتُ محمداً[٣] وخَرَجْتُ بِشْرا[٤]

يوسف بن عمر بن مسرور[٥] : أبو الفتح ، القَوَّاس .

سمع البغوي وابن أبي داود وابن صاعد وغيرهم ، وعنه الخلال [والعُشاري][٦] والتَّنوخي [وغيرهم][٧] ، وكان ثقةً نبيلاً ، يُعدُّ من الأبدال . قال الدَّارَقُطني : كنا نتبرك به وهو صغير . وكانت وفاته لثلاثٍ بقين من ربيع الآخر عن خمسٍ وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله تعالى .

يوسف بن أبي سعيد[٨] السِّيْرَافي : أبو محمد ، النَّحْوي بن النحوي .

وهو الذي تمَّم شرح أبيه لكتاب سيبويه[٩] ، وكان يرجع إلى علْمٍ ودين ، كانت وفاته في

---

(١) الغالية : نوع من الطيب .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) يعني نفسه .
(٤) هو بشر الحافي الزاهد المشهور . وقوله : من مجون شعره ، ربما يعني في غير هذه الأبيات من القصيدة .
(٥) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧) الأنساب (١٠/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٧٤ ـ ٤٧٦) العبر (٣/ ٣١) شذرات الذهب (٣/ ١١٩) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وسترد ترجمة العشاري في وفيات سنة (٤٥١هـ) من هذا الكتاب ، انظر الأنساب (٨/ ٤٥٩) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٨) سلفت ترجمة أبيه أبي سعيد في وفيات سنة (٣٦٨هـ) وترجمة أبي محمد في المنتظم (٧/ ١٨٧) معجم الأدباء (٢٠/ ٦٠) .
(٩) في معجم الأدباء (٢٠/ ٦٠) أنه تمَّم لأبيه غير كتاب من كتبه ، وقد طبع كتاب « شرح أبيات سيبويه » في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٦م بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني معزواً إلى يوسف هذا ، وقد استفاد ابن كثير هذه الترجمة من ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٨٧) ومن ثم لم ينفرد ابن كثير في هذه التتمة كما ذهب إلى ذلك الدكتور سلطاني في مقدمته (ص٢٢) .

ربيع الأول منها عن خمسٍ وخمسين سنة . رحمه الله تعالى وإيانا بمنِّه وكرمه .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمئة

في المحرم من هذه السنة كشف أهلُ البَصْرة عن قبرٍ عتيق ، إذ هُمْ بميت طَرِي عليه سيفه وثيابه ، فظنُّوه الزُّبير بن العَوَّام ، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه ، واتخذوا عند قبره مسجداً ، ووُقِفَتْ عليه أوقافٌ كثيرة ، وجعل عنده خدام وقُوَّام وفُرُش وتنوير .

وفيها ملك الحاكم العُبيدي بلاد مِصْر بعد أن هلك أبوه العزيز بن المعز الفاطمي ، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة وستة أشهر ، وقام بتدبير المملكة أرجوان الخادم ، وأمين الدولة الحسن بن عمار شيخ كتامة ، فلما تمكن الحاكم [قتلهما][(١)] وأقام غيرهما ، وقتل خلقاً حتى استقام له الأمر على ما سنذكره .

[وحجَّ بالنَّاس في هذه السنة المصريون والخطبة لهم][(٢)] .

توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن إبراهيم[(٣)] **بن محمد بن يحيى بن سختويه : أبو حامد بن أبي إسحاق المُزكِّي النَّيسابوري .**

سمع الأصم وطبقته ، وكان كثير العبادة من صغره إلى كبره ، وصام من دَهْره سَرْداً تسعاً وعشرين سنة .

قال الحاكم : وعندي أن الملك لم يكتب عليه خطيئة . توفي في شعبان من هذه السنة عن ثلاثٍ وستين سنة .

أبو طالب المَكِّي[(٤)] **: صاحب « قوت القلوب »**[(٥)] **. محمد بن علي بن عطية ، الواعظ المذكِّر ، الزَّاهد المتعبد ، الرَّجل الصَّالح .** سمع الحديث وروى عن غير واحد .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٢٠ ـ ٢١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧) .
(٤) تاريخ بغداد (٣/ ٨٩) المنتظم (٧/ ١٨٩ ـ ١٩٠) وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧) العبر (٣/ ٣٣ ـ ٣٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٥٥) الوافي بالوفيات (٤/ ١١٦) مرآة الجنان (٢/ ٤٣٠) العقد الثمين (٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩) لسان الميزان (٥/ ٣٠٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٧٥) شذرات الذهب (٣/ ١٢٠ ـ ١٢١) .
(٥) الكتاب مشهور متداول ، طبع غير مرة ، وقد كانت طبعته الأولى بمصر سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م .

قال العتيقي : كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة ، وصنَّف كتاباً سماه « قوت القلوب » ، ذكر فيه أحاديث لا أصل لها ، وكان يعظ النَّاس في الجامع ببغداد .

وحكى ابنُ الجوزي أن أصله من الجبل ، وأنه نشأ بمكة ، وأنه دخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم ، فانتمى إلى مقالته ، ودخل بغداد فاجتمع عليه النَّاس ، وعقد له مجلسُ الوعظ ، فغلط في كلامه ، وحُفِظَ عنه أنه قال : ليس على المخلوقين أَضَرَّ من الخالق . فبدَّعه الناس وهجروه ، وامتنع من الكلام على الناس[١] .

وقد كان أبو طالب ممن يبيح السَّماع ، فدخل عليه عبد الصَّمد بن علي ، فعاتبه في ذلك ، فأنشد أبو طالب :

فيا ليلُ كم فيكَ من مُتْعةٍ[٢] ويا صُبْحُ لَيْتَكَ لم تَقْرُبِ

فخرج عبد الصمد مُغْضَباً .

وقال أبو القاسم بن بشران : دخلت على شيخنا أبي طالب المكي وهو يموت ، فقلتُ : أوص . فقال : إذا ختم لي بخيرٍ ، فانثر على جنازتي لَوْزاً وسُكَّراً . فقلت : كيف أعلم ذلك ؟ فقال : اجلس عندي ويدك في يدي ، فإن قبضتُ على يدك فاعلم أنه قد خُتِمَ لي بخير . قال : فجلست عنده ويدي في يده ، فلما حان فراقه ، قبض على يدي قبضاً شديداً ، فلما رفع على جنازته نثرت اللوز والسُّكَّر على نعشه .

قال ابنُ الجوزي : توفي في جُمادى الآخرة من هذه السنة ، وقبره ظاهر بالقرب من جامع الرّصافة .

العزيز بن المعز الفاطمي صاحب مِصْر[٣] : نزار بن المعز مَعَد أبي تميم ، ويكنى نزار هذا بأبي منصور ، ويلقب بالعزيز ، توفي عن ثنتين وأربعين سنة ، منها ولايته بعد أبيه إحدى وعشرون سنة ، وخمسة أشهر وعشرة أيام ، وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم ـ قبحه الله ـ والحاكم هو الذي تنسب إليه الفرقة الضَّالَّة المضلة الزنادقة الحاكمية .

أما العزيز هذا فإنه كان قد استوزر رجلاً نَصْرانياً يقال له عيسى بن نسطورس ، وآخر يهودياً اسمه ميشا ، فَعَزَّ بسببهما أهل هاتين المِلَّتين في ذلك الزَّمان على المسلمين ، حتى كتبت إليه امرأةٌ في قصة وقد

---

(١) المنتظم (٧/ ١٨٩) .
(٢) في (ط) : متعب ، وهو تصحيف .
(٣) المنتظم (٧/ ١٩٠) الكامل (٨/ ٣٦٣) وما بعدها ، البيان المغرب (١/ ٢٢٩) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٦٧ ـ ١٧٣) العبر (٣/ ٣٤) خطط المقريزي (١/ ٣٥٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١١٢ ، ١٢٥) تاريخ ابن إياس (١/ ٤٨ ـ ٥٠) شذرات الذهب (٣/ ١٢١) .

أحيجت في بعض الأمر تقول له(١) : بالذي أَعزَّ النصارى بعيسى بن نسطورس ، واليهود بميشا وأذَلَّ المسلمين بك إلا ما كشفت عن ظُلامتي . فعند ذلك أمر بالقبض على هذين الوزيرين ، وأخذ من النَّصْراني(٢) ثلاث مئة ألف دينار(٣) .

وفيها توفيت بنت عضد الدولة التي كانت زوجة الطائع ، فَحُمِلَتْ تركتها إلى ابن أخيها بهاء الدولة ، وكان فيها جواهر كثيرة وتحف ولطائف ، وغير ذلك .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمئة

فممن توفي فيها من الأعيان :

فخر الدولة أبو الحسن ، علي بن ركن الدولة بن بُوَيه ، ورتِّبَ ولده رُسْتم في الملك بعده وعمره أربع سنين ، وقام خواصُّ أبيه بتدبير الممالك والرعايا .

[وممن توفي فيها](٤) :

أبو أحمد العَسْكري اللُّغوي(٥) : وهو الحسن بن عبد الله بن سعيد .

العلامة في فَنِّه وتصانيفه المفيدة في اللُّغة وغيرها ، يقال إنه كان يميل إلى الاعتزال ، ولما قَدِمَ الصَّاحب بن عَبَّاد هو وفخر الدولة البلدة التي كان فيها أبو أحمد العسكري ـ وكان قد كبر وأسن ـ بعث إليه الصاحب بن عباد برقعة فيها هذه الأبيات :

ولمـــا أَبَيْتُـــمْ أنْ تَـــزُوروا وقُلْتُـــمُ ضَعُفْنا فما نقوى على الوَخَدَانِ(٦)
أتينـاكُـم مـنْ بُعْـدِ أرضٍ نَـزُوْرُكُـمْ فكـــم مَنْـــزِلٍ بِكْـــرٍ لنـــا وَعَـــوانِ
نناشِـدُكُـمْ هـلْ مـن قِـرىً لِنَـزِيْلِكُـمْ بطـــولِ جـــوارٍ لا بمِـــلءِ جِفَـــانِ

(١) في (ب) و (ط) ، : في حاجة لها تقول له .
(٢) في (ط) النصارى ، وهو تحريف .
(٣) انظر المنتظم (٧/ ١٩٠) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و (ط) .
(٥) ذكر أخبار أصبهان (١/ ٢٧٢) الأنساب (٨/ ٤٥٢) المنتظم (٧/ ١٩١) معجم ادباء (٨/ ٢٣٣ ـ ٢٥٨) معجم البلدان (٤/ ١٢٤) إنباه الرواة (١/ ٣١٠ ـ ٣١٢) اللباب (٢/ ٣٤٠) وفيات الأعيان (٢/ ٨٣ ـ ٨٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤١٣ ـ ٤١٥) العبر (٣/ ٢٠) الوافي بالوفيات (١٢/ ٧٦ ـ ٧٧) مرآة الجنان (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٣و١٩٦) بغية الوعاة (١/ ٥٠٦) شذرات الذهب (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣) .
(٦) الوخدان : الإسراع أو سعة الخطو . القاموس (وخد) .

فكتب العسكري الجواب في ظهرها :

أروم نهوضاً ثم يثني عزيمتي … تعوُّد أعضائي من الرجفان
فضمَّنْتُ بيتَ ابنِ الشَّريد[١] كأنَّما … تعمَّدَ تشبيهي[٢] به وعَناني
أهُمُّ بأمْرِ الحَزْمِ لا أستطيعهُ … وقد حِيْلَ بين العَيْرِ والنَّزَوانِ

ثم تحامل وركب بغلته وسار إلى الصَّاحب ، فوجده مشغولاً في خيمته بأمر الوِزارة ، فصَعِدَ أكمةً ، ثم نادى بأعلى صوته متمثلاً بقول أبي تمام :

ما لي أرى القُبَّةَ الفَيْحاءَ مُقْفَلَةً … دوني وقد طالما استفتحتُ مُقْفَلَها
كأنَّها جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مُعْرِضَةً … وليسَ لي عَمَلٌ زاكٍ فأدْخُلَها[٣]

فلما سمع الصاحبُ صوته ناداه : ادخلها يا أبا أحمد ، فلك السابقة الأُولى . فلما صار إليه وقدم عليه أكرمه وعظَّمه وأحسن إليه .

توفي العسكري في يوم التروية من هذه السنة[٤] .

وقال ابن خَلِّكان : ولد سنة ثنتين وتسعين ومئتين ، وتوفي سنة ثنتين وثمانين [وثلاثمئة][٥] .

عبد الله بن محمد بن عبد الله[٦] بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن مهران : أبو القاسم الشَّاهد[٧] ، المعروف بابن الثَّلاَّج ، لأن جدَّه أهدى لبعض الخلفاء ثلجاً ، فوقع منه موقعاً ، فَعُرِف عند الخليفة بالثَّلاَّج .

وقد سمع أبو القاسم هذا من البغوي وابن صاعد وابن أبي داود[٨] ، وحدَّث عنه التنوخي والأزهري والعتيقي[٩] وغيرهم من الحُفَّاظ .

---

(١) في (ح) و(ب) و(ط) والمنتظم : الرشيد ، وهو تحريف ، وابن الشريد هو صخر أخو الخنساء ، والبيت له ، انظر الأغاني (١٥/ ٧٨ ـ ٧٩) .
(٢) في (ح) : تضمن ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٣) انظر ديوان أبي تمام بشرح التبريزي (٣/ ٤٨) .
(٤) انظر المنتظم (٧/ ١٩١ ـ ١٩٢) .
(٥) وفيات الأعيان (٥/ ٨٤) وفيه أنه ولد سنة (٢٩٣هـ) ، وما بين حاصرتين من (ب) ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٨٢هـ) .
(٦) تاريخ بغداد (١٠/ ١٣٥ ـ ١٣٨) المنتظم (٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) العبر (٣/ ٣٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٩٧) لسان الميزان (٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) شذرات الذهب (٣/ ١٢٢) .
(٧) في (ط) الشاعر ، وهو تحريف .
(٨) في (ط) : أبي داود ، وهو خطأ .
(٩) في (ط) العقيقي ، وهو تصحيف .

قال ابن الجَوْزي : وقد اتهمه المحدِّثون ، منهم الدَّارَقُطْني ونسبوه إلى أنه كان يركب الإسناد ويضع الحديث على الرجال ، فالله أعلم ، كانت وفاته في ربيع الأول فجأة .

ابن زُولاق[١] ، **الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خالد**[٢] بن راشد بن عبد الله[٣] بن سليمان بن زولاق ، أبو محمد المِصْري الحافظ .

صنف كتاباً في قضاة مصر ذيَّل به على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكِنْدي ، انتهى الكندي إلى سنة ست وأربعين ومئتين ، وذيل ابن زولاق من القاضي بكار إلى سنة ستٍّ وثمانين وثلاثمئة ، وهي أيام محمد بن النعمان قاضي العبيديين ، وأظنُّه مصنف كتاب البلاغ الذي انتصر للرد عليه القاضي الباقلاني[٤] ، أو هو أخو مصنفه عبد العزيز بن النعمان ، والله أعلم . كانت وفاة ابن زُولاق في أواخر ذي القعدة من هذه السَّنة[٥] عن إحدى وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

ابن بطَّة **عبيد الله بن محمد [بن محمد]**[٦] **بن حمدان**[٧] : أبو عبد الله العُكْبَرِي ، المعروف بابن بَطَّة ، أحدُ علماء الحنابلة ، ومن له الكتب والتصانيف الحافلة في فنون من العلوم .

سمع الحديث من البغوي وأبي بكر النَّيْسابوري وابن صاعد وخلق في أقاليم متعدِّدة ، وعنه جماعة من الحُفَّاظ ، منهم أبو الفتح بن أبي الفوارس ، والأَزَجي والبَرْمكي ، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة ، وكان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد رأى بعضُهم في المنام رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه قد اختلفت علينا المذاهب . فقال : عليك بأبي عبد الله بن بَطَّة . فلما أصبح ذهب إليه ليبشره بالمنام ، فحين رآه ابنُ بطة تبسَّم إليه وقال له ـ قبل أن يخاطبه ـ : صدق رسول الله ﷺ ، ثلاث مرات .

وقد تصدَّى الخطيب البغدادي للكلام في ابن بطة والطعن فيه بسبب ادعائه سماع السنن لرجاء بن

---

(١) معجم الأدباء (٧/ ٢٢٥ ـ ٢٣٠) وفيات الأعيان (٢/ ٩١ ـ ٩٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) الوافي بالوفيات (١١/ ٣٧٠) لسان الميزان (٢/ ١٩١) حسن المحاضرة (١/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤) .

(٢) في معجم الأدباء (٧/ ٢٢٥) : خلف .

(٣) في (ط) : عبد الله ، وهو تحريف .

(٤) في (ط) : الذي صنف البلاغ الذي انتصب فيه للرد على القاضي الباقلاني ، وهي عبارة محرَّفة .

(٥) ترجمه الذهبي في تاريخه مرتين ، الأولى في وفيات سنة ٣٨٦هـ (٨/ ٥٩١) ، والثانية في وفيات سنة سبع وثمانين هذه (٨/ ٦٠٧) ، وذكر في الترجمتين أنه توفي في ذي القعدة (بشار) .

(٦) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١) ومظان ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١ ـ ٣٧٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٧٣) طبقات الحنابلة (٢/ ١١٤ ـ ١٥٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩ ـ ٥٣٣) العبر (٣/ ٣٥) ميزان الاعتدال (٣/ ١٥) لسان الميزان (٤/ ١١٢ ـ ١١٥) شذرات الذهب (٣/ ١٢٢ ـ ١٢٤) .

(٧) في (ط) حمران ، وهو تصحيف .

مرجًى ومعجم البغوي ، وأسند بعضَ الجرح إلى شيخه عبد الواحد بن علي الأسدي المعروف بابن برهان اللُّغوي[١] ، فانتدب ابنُ الجوزي للرَّدِّ على الخطيب ، والانتصار لابن بطَّة ، فحكى عن أبي الوفا بن عقيل أن ابن برهان كان يرى مذهب مرجئة المعتزلة ، في أنَّ الكُفَّار لا يخلدون في النار ، وإنما قالوا هذا لأن دوام ذلك ممن لا يتشفى لا معنى له ، هذا وقد وصف نفسه بأنه أرحم الراحمين . ثم شرع ابن عقيل فردَّ عليه .

قال ابن الجوزي : فكيف يُقبل الجَرْح من مثل هذا ؟ . ثم روى ابن الجوزي بسنده عن ابن بطة أنه سمع المعجم من البغوي ، قال : والمثبتُ مقدَّم على النافي[٢] .

قال الخطيب : وحدَّثني عبد الواحد بن برهان قال : قال محمد بن أبي الفوارس : روى ابنُ بطة عن البغوي عن مصعب عن مالك عن الزُّهْري عن أنس . قال : قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم » . قال الخطيب : وهذا باطلٌ من حديث مالك ، والحمل فيه على ابن بطة[٣] .

قال ابن الجوزي : والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أنه وجد بخط ابن برهان أن ما حكاه عنه الخطيب من القدح في ابن بطة باطل ، وهو شيخي أخذت عنه العلم في البداية ، الثَّاني أن ابن برهان قد تقدَّم القدح فيه بما خالف فيه الإجماع ، فكيف قبلت منه القول في رجلٍ قد حكيت عن المشايخ العلماء أنه مجاب الدعوة رجل صالح ، نعوذ بالله من الهوى[٤] .

علي بن عبد العزيز بن مَرْدَك[٥] : أبو الحسن البَرْذعي ، روى عن ابن أبي حاتم وغيره ، وكان كثير المال ، فترك الدُّنيا وأقبل على الاعتكاف في المسجد ، وكثرة الصَّلاة والعبادة .

فخر الدولة علي بن ركن الدولة بن بُوَيْه الدَّيْلمي .

ملك بلاد الرَّي ونواحيها ، وحين مات أخوه مُؤَيِّد الدولة كتب إليه الصاحب ابن عبَّاد بالإسراع إليه ، فولَّاه الملك بعد أخيه ، واستوزر ابن عَبَّاد على ما كان عليه في أيام أخيه مؤيد الدولة ، وتوفي عن ستٍّ وأربعين سنة ، منها مدة ملكه ثلاثة عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً ، وترك من الأموال شيئاً كثيراً ، من ذلك من الذهب ما يقارب ثلاثة آلاف ألف دينار ، ومن الجواهر نحواً من خمسة عشر ألف قطعة ، تقارب قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ، ومن أواني الذهب زنة ألف ألف دينار ، ومن الفِضَّة زِنَة ثلاثة

(١) انظر وفيات سنة (٣٧١هـ) .
(٢) المنتظم (٧/ ١٩٥ و٨/ ٢٣٧) .
(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٥) .
(٤) المنتظم (٧/ ١٩٦ ـ ١٩٧) . قال بشار : لكن الحافظ الذهبي ، وهو الذي ينتصر للحنابلة ويذب عنهم ، يضعف ابن بطة ، كما صرح به تاريخ الإسلام (٨/ ٦١٤ و٦١٧) .
(٥) في (ط) مدرك ، وهو تحريف .

آلاف ألف دِرْهم ، ومن الثياب ثلاثة آلاف حمل ، وخزانة السِّلاح ألفا حمل ، ومن الفُرُش ألف وخمسمئة حمل ، ومن الأمتعة ما يليق بالملوك ، ومع هذا ليلة توفي لم يكن لهم وصول إلى شيء من المال ، ولم يحصل له كفنٌ إلا ثوب رجل من المجاورين في المسجد ، واشتغلوا عنه بالملك ، حتى تَمَّ لولده رُسْتُم من بعده ، فأنتن الملك ، ولم يتمكن أحدٌ من الوصول إليه ، فربطوه في حبال ، وجرُّوه على درج القلعة ، فتقطَّع(١) .

ابن سَمْعُون الواعظ(٢) : محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عَنْبس(٣) بن إسماعيل ، أبو الحسين بن سمعون الواعظ ، أحد الصُّلحاء والعلماء ، وكان يقال له النَّاطق بالحكمة .

روى عن أبي بكر بن أبي داود وطبقته ، وكان له يد طُولى في الوعظ والتدقيق في المعاملات ، وكانت له كرامات ومكاشفات ، كان يوماً وهو يعظ على المنبر وتحته أبو الفتح بن القَوَّاس ، وكان من الصَّالحين المشهورين ، فنعس ابن القَوَّاس ، فأمسك ابنُ سمعون عن الوعظ حتى استيقظ ، فحين استيقظ قال ابن سمعون : رأيتَ رسولَ الله ﷺ في منامك هذا ؟ قال نعم! قال : فلهذا أمسكت عن الوعظ حتى لا أزعجك عما كنتَ فيه .

وكان لرجلٍ بنت مريضةٌ مُدْنفة ، فرأى أبوها رسولَ الله ﷺ في المنام وهو يقول له : اذهب إلى ابن سمعون ليأتي منزلك فيدعو لابنتك وهي تبرأ بإذن الله . فلما أصبح ذهب إلى ابن سمعون ليأتي ، فلما رآه نهض ولبس ثيابه وخرج معه ، فظنَّ الرجل أنه يذهب إلى مجلس وعظه ، فقال : أقول له في أثناء الطريق ، فلما مرَّ بدار الرجل دخل إليها الشيخُ فأحضر إليه ابنته ، فدعا لها وانصرف ، فبرأت من ساعتها .

وبعث إليه الخليفة الطائع لله من أحضره إليه وهو مُغْضب ، فخيف على ابن سمعون منه ، فلما جلس بين يدي الخليفة أخذ في الوعظ ، كان أكثر ما أورده من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فبكى الخليفة حتى سُمعَ شهيقه ، ثم خرج من بين يديه وهو مكرم ، فقيل للخليفة : رأيناك طلبته وأنت غضبان ، فقال : بلغني أنه ينتقص علياً ، فأردتُ أن أعاقبه ، فلما حضر لم يكن أكثر من ذكره علياً ، فَعَلِمْتُ أنه موفق ؛ قد كُوشفَ بما كان في خاطري عليه .

---

(١) في (ط) زيادة : جروه على درج القلعة من نتن ريحه فتقطع جزاءً وفاقاً .

(٢) تاريخ بغداد (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧) الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٣٦٢) طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٥ ـ ١٦٢) تبيين كذب المفتري (٢٠٠ ـ ٢٠٦) المنتظم (٧/ ١٩٨ ـ ٢٠٠) صفة الصفوة (٢/ ٢٦٦) اللباب (٢/ ١٤٠) وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٠٥ ـ ٥١١) الوافي بالوفيات (٢/ ٥١ ـ ٥٢) النجوم الزاهرة (٤/ ١٩٨) شذرات الذهب (٣/ ١٢٤ ـ ١٢٦) .

(٣) في (ح) و(ب) : عثمان ، وهو ساقط من (ط) ، والمثبت من « تاريخ بغداد » و« المنتظم » و« وفيات الأعيان » ، وهو الصحيح ، وفي « طبقات الحنابلة » ٢/ ١٥٥ تصحيف إلى عيسى .

ورأى بعضُهم في المنام رسول الله ﷺ وإلى جانبه عيسى ابن مريم عليه السَّلام ، وهو يقول : أليس من أمتي الأحبار ؟ أليس من أمتي الرهبان ؟ أليس من أمتي أصحاب الصوامع ؟ فبينما هما كذلك إذ دخل ابن سمعون ، فقال له رسول الله ﷺ : أفي أمتك مثل هذا ؟ فسكت عيسى عليه الصَّلاة والسلام .

كان مولد ابن سمعون في سنة ثلاثمئة ، وتوفي يوم الخميس الرابع عشر من ذي القَعْدَة من هذه السنة ، ودفن بداره .

قال ابنُ الجوزي : ثم أخرج بعد سنين(١) إلى مقبرة أحمد ، وأكفانه لم تَبْلَ ، رحمه الله تعالى .

آخر ملوك السَّامانية نوح بن منصور(٢) بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل ، أبو القاسم ، السَّاماني ، ملك خُرَاسان وغَزْنَة وما وراء النهر ، ولي الملك وله ثلاث عشرة سنة(٣) ، واستمرَّ في الملك إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر [وتوفي في رجب هذه السنة ، فولي بعده ابنه أبو الحارث منصور ، فبقي سنة وتسعة أشهر](٤) ، ثم قبض عليه خواصه ، وأجلسوا أخاه عبد الملك مكانه ، فقصدهم محمود بن سُبُكْتكين ، فانتزع الملك من أيديهم ، وقد كان لهم في الملك مئة سنة وسنتين وشهوراً ، فباد ملكهم في هذا العام ، ولله النقض والإبرام .

أبو الطَّيِّب سهل بن محمد(٥) بن سليمان بن محمد بن سليمان : الصُّعْلُوكي ، الفقيه الشَّافعي .

إمام أهل نيسابور ، وشيخ أهل تلك الناحية ، كان يحضر في مجلسه خمسمئة محبرة ، وكانت وفاته في هذه السنة على المشهور(٦) .

---

(١) في (ح) و(ب) سنة ، وفي (ط) سنتين ، والمثبت من المنتظم (٧/ ٢٠٠) وكان نقله سنة (٤٢٦هـ) أي بعد وفاته بتسع وثلاثين سنة .

(٢) الأنساب (٧/ ١٤) المنتظم (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) اللباب (٢/ ٩٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٩٨) شذرات الذهب (٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧) .

(٣) انظر حوادث سنة (٣٦٦هـ) .

(٤) ما بين حاصرتين من المنتظم (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) وانظر الكامل لابن الأثير : (٩/ ١٢٩ ـ ١٣٠ و١٤٥ ، ١٤٨ ـ ١٤٩) .

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٠) الأنساب (٨/ ٦٤) تبيين كذب المفتري (٢١١ ـ ٢١٤) وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩) العبر (٣/ ٨٨) طبقات الشافعية للسبكي : ٤/ ٣٩٣ ـ ٤٠٤ ، طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ١٢٦ ـ ١٢٧) شذرات الذهب (٣/ ١٧٢) .

(٦) أكثر المصادر على أنه توفي سنة (٤٠٤هـ) ماعدا ابن خلكان في « وفياته » وهو الأشبه ، وسيورده ابن كثير في وفيات سنة (٤٠٢هـ) ، ونقل الإسنوي في طبقاته (٢/ ١٢٧) عن الحاكم أنه وضع في مجلسه أكثر من خمسمئة محبرة وقت إملائه عشية الجمعة في ٢٣ محرم سنة ٣٨٧هـ ، وعقب على الخبر بقوله : وكأنه اشتبه عليه (يعني ابن خلكان) تاريخ الإملاء بتاريخ الموت .

وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي في « الإرشاد » : مات في سنة ثنتين[(١)] وأربعمئة ، فالله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمئة

قال ابنُ الجوزي : في ذي الحجَّة من هذه السنة سقط في بغداد بَرَدٌ شديد ، بحيث جَمَدَ الماءُ في الحمامات ، وبول الدواب في الطرقات .

وفيها جاءت رسل أبي طالب رستم بن فخر الدولة ، فبايعه الخليفة وأقرَّه على معاملته ببلاد الرَّي ، ولقبه مجد الدولة كهف الأمة ، وبعث إليه بالخِلَع والألوية ، وكذلك [فعل][(٢)] لبدر بن حَسْنويه ، ولقبه ناصر الدين والدولة ، وكان كثير الصَّدقات .

وفيها هرب عبيد الله[(٣)] بن جعفر المعروف بابن الوَثَّاب ، المنتسب إلى خدمة الطائع[(٤)] ، من السِّجْن بدار الخلافة إلى البطيحة ، فآواه صاحبها مهذَّب الدولة ، ثم أرسل القادر بالله ، فجيء به مضيَّقاً عليه ، فاعتقله ، ثم هرب من الاعتقال أيضاً فذهب إلى بلاد كيلان ، فادَّعى أنه الطائع ، فصدَّقوه وبايعوه ، وأدوا إليه العشر ، وغير ذلك من الحقوق ، ثم اتفق مجيء بعضهم إلى بغداد فسألوا عن الأمر ، فإذا ليس له صحة ولا حقيقة ، فرجعوا عنه ، واضمحلَّ أمره وفسد حاله ، فانهزم عنهم[(٥)] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أمير المصريين ، والخطبة فيها للحاكم العبيدي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[الخَطَّابي][(٦)] : هو أبو سليمان حَمْدُ ، ويقال : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخَطَّاب الخَطَّابي ، البُسْتي ، أحد المشاهير الأعيان ، والفقهاء المحدثين المكثرين ، له من المصنَّفات « معالم السنن » و « شرح البخاري » ، وغير ذلك من التصانيف النافعة المفيدة . وله شعر حسن ، فمنه قوله :

---

(١) في (ح) ثلاثين ، وفي (ط) ستين ، وكلاهما تحريف ، والمثبت من (ب) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) كذا في (ح) و(ب) ، وفي المنتظم (٧/ ٢٠٢) : عبد الله ، وفي الكامل لابن الأثير (٩/ ١٤٣) : أبو عبد الله ، وهو الموافق لما في (ط) .
(٤) في (ط) جده ، وفي المنتظم (٧/ ٢٠٢) وكان منتسباً إلى الطائع ، وفي الكامل (٩/ ١٤٣) : وكان هذا الرجل يقرب بالنسب من الطائع .
(٥) انظر المنتظم (٧/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٤٩هـ) .

مـا دُمْـتَ حيـاً فَـدارِ النَّـاسَ كلَّهُـمُ   فـإنّمـا أنـتَ فـي دارِ المُـدَاراةِ
من يدرِ دارَىٰ ومن لم يدرِ سوف يُرى   عمَّـا قليـلٍ نـديمـاً للنَّـدَامـاتِ

كانت وفاته بمدينة بُسْت في ربيع الأول من هذه السنة ، قاله ابن خَلِّكان(١) .

الحسين بن أحمد بن عبد الله(٢) **بن عبد الرحمن بن بُكير**(٣) : أبو عبد الله الصَّيرفي ، الحافظ المُطبِّق .

سمع إسماعيل الصَّفَّار ، وابن السَّمَّاك ، والنَّجَّاد ، والخُلْدي ، وأبا بكر الشَّافعي(٤) .

وعنه ابن شاهين والأزْهري والتَّنوخي ، وحكى الأزهري أنه دخل عليه وبين يديه أجزاء كبار ، فجعل إذا ساق إسناداً أورد متنه من حفظه ، وإذا سرد متناً ساق إسناده [من حفظه](٥) قال : وفعلتُ هذا معه مراراً ، كل ذلك يورد الحديث إسناداً ومتناً كما في كتابه .

قال : وكان ثِقَةً ، فحسدوه وتكلَّموا فيه .

وحكى الخطيب أن ابن أبي الفوارس اتهمه بأنه يزيد في سماع الشُّيوخ ، ويلحق رجالاً في الأسانيد ويصل المقاطيع .

توفي في ربيع الأول من هذه السنة عن إحدى وستين(٦) سنة .

صمصام الدَّولة بن عضد الدولة : صاحب بلاد فارس ، خرج عليه ابنُ عمه أبو نصر بن بَخْتيار ، فهرب منه ، ولجأ إلى جماعةٍ من الأكراد ، فلما وغَلوا به في بلادهم نهبوا ما في خزائنه وحواصله ، ولحقه أصحابُ ابن بختيار فقتلوه ، وحملوا رأسه في طست ، فلما وضع بين يدي ابن بختيار قال : هذه سنةٌ سنَّها أبوك(٧) . وكان ذلك في ذي الحجَّة من هذه السنة ، فكان عمره يوم قُتل خمساً وثلاثين سنة ، ومدة ملكه منها تسع سنين وأشهر .

عبد العزيز بن يوسف الحكار(٨) : أبو القاسم ، كاتب الإنشاء لعضد الدولة ، ثم وزر لابنه

---

(١) انظر وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٦) .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ١٣ ـ ١٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨ ـ ٩) العبر (٣/ ٣٨ ـ ٣٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠١٧) طبقات الحفاظ (٤٠٣) شذرات الذهب (٣/ ١٢٨) .

(٣) في (ح) و(ب) و(ط) : بكر ، وهو تصحيف .

(٤) في (ط) الشاشي ، وهو تحريف .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) في (ح) و(ب) و(ط) : إحدى وسبعين ، وهو تحريف ، وكانت ولادته سنة (٣٢٧هـ) ، وقيل : إنه توفي سنة (٣٨٣هـ) ، وانظر تاريخ بغداد (٨/ ١٤) .

(٧) قال ابن الأثير (٩/ ١٤٣) : يعني ما كان من قتل عضد الدولة بختيار .

(٨) في (ط) : الحطان ، وهو تحريف .

بهاء الدولة خمسة أشهر ، وكان يقول شعراً ، توفي في شعبان من هذه السنة .

محمد بن أحمد بن إبراهيم : أبو الفرج[١] المعروف بغلام الشَّنَبُوذي ، كان عالماً بالقراءات وتفسيرها ، يقال : إنه كان حفظ خمسين ألف بيت [من الشعر][٢] شواهد للقرآن ، ومع هذا تكلَّموا فيه وفي روايته عن أبي الحسن بن شَنَبُوذ[٣] ، وأساء الدَّارَقُطْني القول فيه .

توفي في صفر من هذه السنة ، وكان مولده سنة إحدى وثلاثمئة[٤] .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمئة

في هذه السنة قصد محمود بن سُبُكْتِكين بلادَ خُراسان ، فاستلب ملكها من أيدي السَّامانية ، وواقعهم مرات متعددة في هذه السنة وما قبلها ، حتى أزال اسمهم ورسمهم عن البلاد بالكلِّية ، وانقرضت دولتهم على يديه ، ثم صمد لقتال إيلك ملك الترك بما وراء النَّهر ، وذلك بعد موت الخان الكبير الذي يقال له فائق ، وجَرَت له معهم حروبٌ وخطوب .

وفيها استولى بهاء الدولة على بلاد فارس وخوزستان .

وفيها أرادت الشيعة أن تعمل ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدير خُم ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجَّة فيما يزعمون ، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين إلى السُّنَّة ، فادَّعوا أن في مثل هذا اليوم حُصِرَ النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في الغار ، فامتنعوا من ذلك ، وهذا أيضاً جهلٌ من هؤلاء ، فإن هذا إنما كان في أوائل شهر ربيع الأول من أول سني الهجرة ، فإنهما أقاما فيه ثلاثاً ، وحين خرجا منه قصدا المدينة فدخلاها بعد ثمانية أيام أو نحوها ، وكان دخوله عليه السلام المدينةَ في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ، وهذا أمرٌ معلوم مقرر .

ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء مأتماً يُظْهِرون فيه الحزنَ على الحسين ، قابلتهم طائفةٌ أخرى من جهلة أهل السُّنَّة ، فادعوا أن في اليوم الثامن عشر من المحرَّم قتل مصعب بن الزُّبير ، فعملوا له مأتما كما تعمل الشيعة للحسين ، وزاروا قبره كما يزار قبر الحسين ، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعةٍ مثلها ، ولا يرفع البدعة إلا السُّنَّةُ الصحيحة ، وبالله التوفيق .

---

(١) في (ب) و(ط) : أبو الفتح ، وهو تحريف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) سلفت ترجمة ابن شنبوذ في وفيات سنة (٣٢٨هـ) ، وإليه نسب لكثرة ملازمته له . غاية النهاية (٢/ ٥٠) .
(٤) في (ط) : إحدى وثلاثين وثلاثمئة ، وهو تحريف . وقيل : إنه توفي سنة (٣٨٧هـ) وولادته سنة (٣٠٠هـ) ، انظر تاريخ بغداد (١/ ٢٧٢) .

وفيها وقع برد شديد مع غيم مطبق ، وريحٍ قوية ، بحيث أتلفت شيئاً كثيراً من النخيل ببغداد ، فلم يتراجع حملها إلى عادتها إلا بعد سنين(١) .

وحجَّ بركب العراق الشَّريفان الرضي والمرتضى ، فاعتقلهما أمير الأعراب ابن الجرَّاح ، فافتديا منه بتسعة آلاف دينار من أموالهما حتى أطلقهما .

وممن توفي فيها من الأعيان :

زاهر بن أحمد(٢) **بن محمد بن عيسى** : السَّرْخسي [المقرىء](٣) الفقيه المحدِّث ، شيخ عصره بخُراسان .

قرأ على ابن مجاهد ، وتفقَّه بأبي إسحاق المَرْوزي إمام الشَّافعية ، وأخذ علم اللغة والأدب والنحو عن أبي بكر بن الأنباري .

وكانت وفاته في ربيع الآخر عن ستٍّ وتسعين سنة .

عبيد الله(٤) **بن محمد بن إسحاق**(٥) : بن سليمان بن مَخْلَد بن إبراهيم بن مروان(٦) ، أبو القاسم المعروف بابن حَبَابة .

روى عن أبي القاسم البَغَوي ، وأبي بكر بن أبي داود وطبقتهما ، وكان ثِقَةً مأموناً مسنداً ، ولد ببغداد سنة تسع وتسعين ومئتين ، وكانت وفاته في جُمادى الأولى(٧) من هذه السنة عن تسعين سنة ، وصلَّى عليه [الشيخ](٨) أبو حامد الإسْفَراييني شيخ الشَّافعية ، ودفن في مقابر جامع المنصور ، رحمه الله تعالى .

---

(١) في (ط) : سنتين ، وهو تصحيف .

(٢) في (ط) : زاهد بن عبد الله بن أحمد ، وهو تحريف . ومظان ترجمته في تبيين كذب المفتري (٢٠٦ ـ ٢٠٧) المنتظم (٧/ ٢٠٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٧٦ ـ ٤٧٨) العبر (٣/ ٤٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) غاية النهاية (١/ ٢٨٨) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٠) شذرات الذهب (٣/ ١٣١) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٤) في (ط) عبد الله ، وهو تحريف .

(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٧) الإكمال لابن ماكولا (٢/ ٣٧٢) المنتظم (٧/ ٢٠٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩) العبر (٣/ ٤٤) شذرات الذهب (٣/ ١٣٢) .

(٦) في (ط) : مروز ، وهو تحريف .

(٧) في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٧) : لست بقين من شهر ربيع الآخر .

(٨) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمئة

في هذه السنة ظهر بأرض سِجِسْتان معدنٌ من ذهب ، كانوا يحفرون فيه مثل الآبار ، ويخرجون منه ذهباً أحمر .

وفيها قُتل الأمير أبو نصر بن بَخْتيار صاحب بلاد فارس ، واستولى عليها بهاء الدولة .

وفيها قلد القادرُ بالله القضاء بواسط وأعمالها لأبي حازم محمد بن الحسن الوَاسطي ، وقرىء عهده بدار الخلافة ، وكتب له القادر وصيةً حسنةً طويلة ، أوردها بحروفها ابنُ الجوزي في « منتظمه »[١] ، وفيها مواعظ وأوامر ونواهٍ حسنة [جيدة][٢] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد[٣] **بن أبي موسى** : أبو بكر الهاشمي ، الفقيه المالكي ، القاضي بالمدائن وغيرها . وخطب بجامع المنصور ، وسمع الكثير ، وروى عنه الجَمُّ الغفير بانتخاب الدَّارَقُطْني ، وكان عفيفاً نَزِهاً ثِقَةً ديّناً .

توفي في محرم هذه السنة عن خمسٍ وسبعين سنة .

عبيد الله بن عثمان بن يحيى : أبو القاسم الدَّقَّاق ، ويعرف بابن جنيقا[٤] .

قال العلامة القاضي أبو يعلى بن الفَرَّاء ـ وهذا جده[٥] ـ : والصواب جليقا باللام لا بالنون .

وقد سمع الحديث سماعاً صحيحاً ، وروى عنه الأزْهري والعتيقي . قال [محمد بن أبي الفوارس][٦] : وكان ثقة مأموناً ، حسنَ الخُلُق ، ما رأينا مِثْلَه في معناه ، رحمه الله تعالى .

الحسين بن محمد بن خلف[٧] **بن الفَرَّاء** : والد القاضي أبي يعلى ، وكان صالحاً فقيهاً على مذهب أبي حنيفة ، أسند الحديث ، وروى عنه ابنه أبو خازم[٨] محمد بن الحسين .

---

(١) انظر المنتظم (٧/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) المنتظم (٧/ ٢٠٩) .
(٤) انظر تبصير المنتبه (٢/ ٥٢١) وفيه : عبد الله ، وهو تحريف .
(٥) أي جد القاضي أبي يعلى بن الفراء لأمه ، انظر المنتظم (٧/ ٢٠٠) .
(٦) في (ح) و(ب) قال الأزهري ، وهو تحريف ، والمثبت ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٨) .
(٧) هذه الترجمة ساقطة من (ب) .
(٨) في (ح) ابنه وهو أبو حازم، وفي (ط) أبو حازم ـ بالحاء المهملة ـ وهو تصحيف، انظر تبصير المنتبه (١/ ٣٨٦).

عبد الله[(١)] **بن أحمد بن علي بن طالب**[(٢)] **البغدادي** : نزل مصر وحدَّث بها ، فسمع منه الحافظ عبد الغني بن سعيد المِصْري .

عمر بن إبراهيم[(٣)] **بن أحمد** : أبو حفص[(٤)] ، المعروف بالكتَّاني المقرىء .

ولد سنة ثلاثمئة ، روى عن البغوي وابن مجاهد وابن صاعد ، وعنه الأزهري وغيره ، وكان ثِقَةً صالحاً .

محمد بن عبد الله بن الحسين[(٥)] **بن عبد الله بن هارون** : أبو الحسين الدَّقَّاق ، المعروف بابن أخي ميمي .

سمع البغوي وغيره ، وعنه جماعة ، ولم يزل على كبر سنه يكتب الحديث إلى أن توفي وله تسعون سنة[(٦)] ، وكان ثِقَةً مأموناً ديِّناً فاضلاً حسن الأخلاق .

وكانت وفاته ليلة الجمعة لثمانٍ وعشرين من شعبان من هذه السنة .

محمد بن عمر بن يحيى[(٧)] : أحمد بن [**عمر بن**][(٨)] يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الشريف ، أبو الحسن العلوي ، الكوفي .

ولد سنة خمس عشرة ، وسمع من أبي العبَّاس بن عُقْدة وغيره ، وسكن بغداد ، وكانت له أموالٌ كثيرة وضياع ، [ودخل عظيم][(٩)] وحشمة وافرة ، وهِمَّةٌ عالية ، وكان مقدَّماً على الطالبيين في وقته ، وقد صادره عضد الدولة في وقتٍ ، واستحوذ على جمهور أمواله وسَجَنه ، ثم أطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة ، ثم صادره بهاء الدولة بألف ألف دينار وأكثر ، ثم سجنه ، ثم أطلقه واستنابه على بغداد . ويقال : إن غلاله كانت تساوي في كل سنة بألفي ألف دينار ، وله وجاهة كبيرة [جداً][(٩)] ، ورياسة باذخة .

---

(١) تاريخ مدينة السلام (١١/ ٤١ بتحقيق د . بشار) ، تاريخ دمشق (٢٧/ ٣٧ ـ ٣٩) ، تاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٦٦٢) .

(٢) في (ط) : بن أبي طالب ، وهو تحريف ، وما أثبتناه من مصادر ترجمته .

(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٢٦٩) الأنساب : ١٠/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، المنتظم : ٧/ ٢١١ ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٨٢ ـ ٤٨٤) ، العبر ٣/ ٤٦ ، غاية النهاية ١/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨ ، شذرات الذهب ٣/ ١٣٤ .

(٤) في (ط) : أبو نصر ، وهو تحريف .

(٥) تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥) العبر (٣/ ٤٧) شذرات الذهب (٣/ ١٣٤) .

(٦) ولد أبو الحسين الدقاق سنة (٣٠٤هـ) ، انظر تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٩) .

(٧) تاريخ بغداد (٥/ ٤٧١) المنتظم (٧/ ٢٠٩) .

(٨) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد والمنتظم .

(٩) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

الأُستاذ أبو الفتوح بَرْجوان[١] : الناظر في الأمور بالدِّيار المصرية في الدَّولة الحاكمية ، وإليه تنسب حارة بَرْجوان بالقاهرة المعزية .

كان أولاً من غِلْمان العزيز بن المعز ، ثم صار عند الحاكم نافذ الأمر ، مطاعاً كبيراً في الدولة ، ثم أمر بقتله في القصر ، فضربه الأمير رَيْدان ـ الذي تنسب إليه الرَّيْدانية خارج باب الفتوح ـ بسكينٍ في بطنه فقتله . وقد ترك شيئاً كثيراً من الأثاث والثياب ، فمن ذلك ألف سراويل [دبيقي] لها ألف تكة من حرير ، قاله ابن خَلِّكان[٢] . وولَّى الحاكم [بعده][٣] في منصبه الأمير حسين بن القائد جوهر .

الجَريري المعروف بابن طَرارا[٤] : اسمه المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود ، أبو الفرج النَّهْرواني القاضي ـ لأنه ناب في الحكم ـ المعروف بابن طَرَارا[٥] الجريري ، لاشتغاله على ابن جرير الطَّبري ، وسلوكه وراءه [في][٦] مذهبه ، [فنسب إليه][٧] .

وسمع [الحديث][٨] من البغوي وابن صاعد وخلق ، وروى عنه جماعةٌ ، وكان ثِقَةً عالماً فاضلاً كثير الآداب ، والتفنُّن في أصناف العلوم ، وله المصنفات الكثيرة ، منها كتابه المسمى « بالجليس والأنيس » ، فيه فوائد جمة كثيرة ، وكان الشيخ أبو محمد البافي[٩] أحد أئمة الشَّافعية يقول : إذا حضر المعافى فقد حضرت العلوم كلُّها ، ولو أوصى رجلٌ بثلث ماله لأعلم النَّاس لوجب أن يصرف إليه .

وقال غيره : اجتمع جماعة من الفضلاء في دار بعض الرؤساء وفيهم المعافى فقالوا : هلمَّ نتذاكر في فنٍ من العلوم ، فقال المعافى لصاحب المنزل ـ وكانت عنده كتبٌ كثيرة في خزانة عظيمة ـ مُرْ غلامك [هذا][١٠] يأتي بكتابٍ من هذه الكتب ، أي كتاب كان ، فنتذاكر فيه . فتعجَّب الحاضرون من هذا التمكن والتبحُّر .

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) .
(٢) انظر وفيات الأعيان (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) وما بين حاصرتين منه .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) الفهرست (٣٢٨ ـ ٣٢٩) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) طبقات الفقهاء للشيرازي (٩٣) المنتظم (٧/ ٢١٣ ـ ٢١٤) معجم الأدباء (١٩/ ١٥١ ـ ١٥٤) إنباه الرواة (٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) وفيات الأعيان (٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠١٠ ـ ١٠١٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٤٤ ـ ٥٤٦) العبر (٣/ ٤٧ ـ ٤٨) غاية النهاية (٢/ ٣٠٢) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) طبقات الحفاظ (٤٠٠ ـ ٤٠١) بغية الوعاة (٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) شذرات الذهب (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥) .
(٥) في (ط) : طرار ، وهو تصحيف .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٩) في (ط) : الباقلاني ، وهو تحريف ، وسترد ترجمة البافي في وفيات سنة (٣٩٨هـ) .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ب) .

وقال الخطيب البغدادي : أنشدنا الشيخ أبو الطَّيِّب الطَّبَري قال : أنشدنا المعافى بن زكريا لنفسه :

ألا قُلْ لمَنْ كان لي حَاسِداً   أتدْري على مَنْ أَسَأْتَ الأدَبْ
أَسَأْتَ على الله في فِعْلِهِ[1]   لأنَّكَ لم ترضَ[2] لي ما وَهَبْ
فجازاكَ عنِّي بأَنْ زادني   وسدَّ عليكَ وجوهَ الطَّلَبْ[3]

كانت وفاته رحمه الله تعالى في ذي الحجَّة [من هذه السنة][4] عن خمسٍ وثمانين سنة .

ابن فارس : صاحب « المجمل » ، وقيل إنه توفي سنة خمس وتسعين كما سيأتي[5] .

أَمَة السَّلام[6] : بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خَلَف بن شَجَرة[7] ، أم الفتح .

سمعت من محمد بن إسماعيل البَصْلاني وغيره ، وعنها الأزهري والتَّنُوخي وأبو يَعْلى بن الفَرَّاء وغيرهم ، وأثنى عليها غير واحد في دينها وفضلها وسيادتها ، وكان مولدها في رجب من سنة ثمان وتسعين ، وتوفيت في رجب من هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة ، رحمها الله تعالى وإيانا بكرمه .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلاثمئة

فيها بايع الخليفة القادر بالله لولده أبي الفضل بولاية العهد من بعده ، وخطب له [على المنابر بعد أبيه][8] ، ولقِّب الغالب بالله ، وكان عمره حينئذٍ ثماني سنين وشهوراً ، ولم يتمَّ له ذلك ، وكان سبب هذه العجلة أن رجلاً يقال له عبد الله بن عثمان الواثقي[9] ذهب إلى بعض الأطراف من بلاد التُّرْك ، وادَّعى أن القادر بالله جعله ولي عهد من بعده ، فخطبوا له هناك ، فلما بلغ القادر أمره بعث يتطلَّبه ، فهرب في

(١) في (ط) : سبحانه ، وهو خلاف ما في تاريخ بغداد .
(٢) في (ط) : لا ترضى ، وهو خلاف ما في تاريخ بغداد .
(٣) انظر تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٠) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) انظر وفيات سنة (٣٩٥هـ) ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٦٩هـ) ، وهذه الترجمة ليست في (ب) في هذا الموضع .
(٦) في (ط) : أم السلامة ، وهو تحريف . وترجمتها في تاريخ بغداد (١٦/ ٦٣٣ ط . د . بشار) ، وتاريخ الإسلام (٨/ ٦٥٨) .
(٧) في (ط) شنخرة ، وهو تصحيف ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٩) في (ط) الواقفي ، وهو تصحيف ، وهو من ولد الواثق ، انظر المنتظم (٧/ ٢١٥) والكامل (٩/ ١٦٥) .

البلاد وتمزَّق شمله ، ثم أخذه بعضُ الملوك فسجنه في قلعةٍ إلى أن مات ، فلهذا بادر القادر إلى هذه البيعة .

وفي يوم الخميس الثامن عشر من ذي القَعْدة ولد الأمير أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ، وهذا هو الذي صارت إليه الخلافة ، وهو القائم بأمر الله .

وفيها قتل الأمير حسام الدولة المقلَّد بن المسيَّب العُقيلي غِيْلَةً ببلاد الأنبار ، وكان قد عَظُمَ شأنه بتلك البلاد ، ورام المملكة ، فجاءه القدر المحتوم ، فقتله بعض غِلْمانه الأتراك ، وقام بالأمر من بعده ولده قِرْوَاش[١] .

وحجَّ بالنَّاس المِصْريون .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جعفر بن الفَضْل بن جعفر[٢] بن محمد بن الفُرَات : أبو الفَضْل ، المعروف بابن حِنْزابة الوزير .

ولد سنة ثمانٍ وثلاثمئة ببغداد ، ونزل الدِّيار المصرية ، ووزر بها لأميرها كافور الإخشيدي ، وكان أبوه وزيراً للمقتدر وقد سمع الحديث من محمد بن هارون الحَضْرمي وطبقته من البغداديين ، وكان قد سمع مجلساً من البَغَوي ، ولم يكن عنده ، فكان يقول : من جاءني به أغنيتُه ، وكان له مجلس لإملاء الحديث بديار مصر ، وبسببه رحل الدَّارَقُطْني إلى هناك ، فنزل عنده وخرَّج له مسنداً ، وحصل له منه مالٌ جزيل ، وحدث عنه الدارقطني . وغيره من الأكابر .

ومن مستجاد شعره قوله :

مَنْ أَخْمَلَ النَّفْسَ أحياها ورَوَّحها ... ولـم يَبِـتْ طـاويـاً منهـا علـى ضَجَـرِ
إنَّ الـرِّيـاحَ إذا اشتـدَّتْ عـواصِفُهـا ... فليس ترمي سوى العالي من الشَّجَرِ

قال ابن خَلِّكان : كانت وفاته في صَفَر ، وقيل في ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثنتين وثمانين سنة ودفن بالقَرَافة ، وقيل بداره ، وقيل : إنه كان اشترى داراً بالمدينة النبوية فجعلها تربة له ، فلما نقل إليها

---

(١) انظر أخبار هؤلاء العقيليين مجتمعة في وفيات الأعيان (٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦٩) .

(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) معجم الأدباء (٧/ ١٦٣ ـ ١٧٧) وفيات الأعيان (١/ ٣٤٦ ـ ٣٥٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٢٢ ـ ١٠٢٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٨٤ ـ ٤٨٨) العبر (٣/ ٤٩ ـ ٥٠) فوات الوفيات (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤) الوافي بالوفيات (١١/ ١١٨ ـ ١٢٢) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٣) حسن المحاضرة (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) طبقات الحفاظ (٤٠٥) شذرات الذهب (٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦) .

تلقته الأشراف لإحسانه إليهم ، فحملوه وحجوا به وأوقفوه بعرفات ، ثم أعادوه إلى المدينة ، فدفنوه بتربته[١] .

ابن الحجَّاج الشَّاعر[٢] **الحسين بن أحمد بن الحجاج** : أبو عبد الله الشَّاعر الماجن ، المقذع في نظمه بألفاظٍ يستنكف اللِّسان عن التلفُّظ بها ، والآذان عن الاستماع لها .

وقد كان أبوه من كبار العُمَّال ، وولي هو حسبة بغداد في أيام عز الدولة بن معز الدولة بن بويه ، فاستخلف عليها نواباً ستة ، وتشاغل هو بالشِّعْر السخيف والرأي الضعيف ، إلا أن شعره جيدٌ من حيث اللفظ ، وفيه قوة جيدة تدلُّ على تمكُّنٍ واقتدار على سبك المعاني القبيحة التي هي في غاية الفضيحة في الألفاظ الفصيحة ، وله غير ذلك من الأشعار المستجادة ، وقد امتدح [مرة][٣] صاحب مصر ، فبعث إليه بألف دينار .

وقول القاضي ابن خلكان : ويقال إنه عزل عن حِسْبَة بغداد بأبي سعيد الإصْطَخْرِي[٤] قولٌ ضعيف لا يسامح بمثله القاضي ، فإن أبا سعيد توفي سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمئة ، فكيف يعزل به ابن الحجَّاج عن حِسْبَة بغداد ؟ وهو لا يمكن عادة أن يلي الحسبة بعد أبي سعيد الإصطخري ، ولكبر قدر ابن خلِّكان في هذه الصناعة ناقشناه ، فإنه أرخ وفاة هذا بهذه السنة ، والإصْطَخري بما تقدَّم[٥] .

وقد جمع الشريف الرضي ، أشعاره الجيدة على حِدةٍ في ديوان مفرد ، ورثاه حين توفي هو وغيره من الشُّعراء .

عبد العزيز بن أحمد[٦] **بن الحسن الخَرَزي**[٧] : القاضي بالمُخَرِّم[٨] وحريم دار الخلافة وغير ذلك من الجهات ، وكان ظاهرياً على مذهب داود ، وكان لطيفاً ظريفاً ، تحاكم إليه وكيلان ، فبكى أحدهما في أثناء الخصومة ، فقال له القاضي : أرني وكالتك ، فناوله فقرأها ، ثم قال له : لم

---

(١) انظر وفيات الأعيان (١/ ٣٤٩) .
(٢) الإمتاع والمؤانسة (١/ ١٣٧ ـ ١٣٩) يتيمة الدهر (٣/ ٣٠ ـ ٩٩) تاريخ بغداد (٨/ ١٤) المنتظم (٧/ ٢١٦ ـ ٢١٨) معجم الأدباء (٩/ ٢٠٦) وفيات الأعيان (٢/ ١٦٨ ـ ١٧٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٩ ـ ٦١) العبر (٣/ ٥٠) الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٣١) مرآة الجنان (٢/ ٤٤٤) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) شذرات الذهب (٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) (ط) .
(٤) انظر وفيات الأعيان (٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩) .
(٥) انظر ترجمة الاصطخري في وفيات سنة (٣٢٨هـ) .
(٦) تاريخ الخطيب (١٢/ ٢٤٠ ط . د . بشار) ، الخرزي من الأنساب ، تاريخ الإسلام (٨/ ٧٠٤) ، التوضيح لابن ناصر الدين (٢/ ٣٢٣) .
(٧) في (ط) الجزري ، وهو تصحيف .
(٨) المخرِّم : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى . معجم البلدان (٥/ ٧١) .

يجعل إليك أن تبكي عنه . فاستضحك الناس ، ونهض الوكيل خَجِلاً . رحمه الله تعالى .

عيسى بن الوزير علي بن عيسى[١] بن داود بن الجَرَّاح : أبو القاسم البغدادي .

وكان أبوه من كبار الوزراء[٢] ، وكتب هو للطَّائع أيضاً ، وسمع الحديث الكثير ، وكان صحيح السَّماع كثير العلوم ، عارفاً بالمنطق وعلم الأوائل ، فرموه بشيءٍ من مذهب الفلاسفة .

ومن جيد شِعْره قوله :

رُبَّ مَيْتٍ قد صارَ بالعِلْم حياً ... ومُبْقًّى قد ماتَ جَهْلاً وغيّا
فاقْتنوا العِلْمَ كي تنالوا خُلُوداً ... لا تعدُّوا الحياةَ في الجَهْلِ شيّا

كان مولده في سنة ثنتين وثلاثمئة ، وتوفي في هذه السنة عن تسعٍ وثمانين سنة ، ودفن في داره ببغداد .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وثلاثمئة

في المحرم منها غزا يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين بلادَ الهند ، فصمد له ملكها جيبال في جيشٍ عظيم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ففتح الله للمسلمين ، وانهزمت الهنود ، وأُسر ملكهم جيبال ، وأخذ من عُنُقه قِلادة قيمتها ثمانون ألف دينار[٣] ، وغنم المسلمون منهم أموالاً عظيمة ، وفتحوا بلاداً كثيرة ، ثم أطلق محمود ملكَ الهند احتقاراً له واستهانةً به ، ليراه أهل ملكه في لباس المذلة ، فحين وصل جيبال ـ لعنه الله ـ إلى بلاده ألقى نفسه في النار التي يعبدونها من دون الله فاحترق ، لعنه الله تعالى .

وفي ربيع الآخر[٤] منها ثارت العوام على النَّصارى ببغداد ، فنهبوا كنيستهم التي بقطيعة الدَّقيق وأحرقوها ، فسقطت على خَلْقٍ ، فماتوا ، وفيهم جماعة من المسلمين رجال ونساء وصبيان .

وفي رمضان قوي أمر العيَّارين وكثرت العملات والنَّهب ببغداد ، وانتشرت الفِتْنة .

قال ابن الجَوْزي : وفي ليلة الإثنين ثالث ذي القعدة انقضَّ كوكبٌ أضاء كضوء القمر ليلة التمام ، ومضى الضِّياء وبقي جُرْمه يتموَّج نحو ذراعين في ذراع برأي العين وتشقق بعد ساعة[٥] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة (١/ ٣٦) الفهرست (١٨٦) تاريخ بغداد (١١/ ١٧٩ ـ ١٨٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٤٩ ـ ٥٥١) العبر (٣/ ٥٠ ـ ٥١) ميزان الاعتدال (٣/ ٣١٩) لسان الميزان (٤/ ٤٠٢) شذرات الذهب (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨) .

(٢) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٣٥هـ) .

(٣) في الكامل لابن الأثير (٩/ ١٦٩) : قومت بمئتي ألف دينار .

(٤) في (ب) : وفي ربيع الأول أو الآخر .

(٥) المنتظم (٧/ ٢١٩) .

وفي هذا الشهر قدم الحُجَّاج من خراسان إلى بغداد ليسيروا إلى الحج ، فبلغهم عيث الأعراب [في الأرض][١] بالفساد ، وأنه لا قاهر[٢] لهم ولا ناظر ينظر في أمورهم ، فرجعوا إلى بلادهم ، ولم يحجَّ من بلاد المشرق أحدٌ في هذه السنة .

وفي يوم عرفة ولد لبهاء الدولة ابنان توأمان ، فمات أحدهما بعد سبع سنين ، وبقي الآخر حتى قام بالأمر من بعد أبيه ، ولقب شرف الدولة .

وحجَّ المصريون أيضاً في هذه السنة بالناس .

وممن توفي فيها من الأعيان :

ابن جنّي[٣] : أبو الفتح ، عثمان بن جنّي المَوْصلي ، النَّحوي اللُّغوي ، صاحب التصانيف الفائقة المتداولة في النحو واللغة ، وكان أبوه جني عبداً رومياً مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي المَوْصلي ، ومن شعره في ذلك قوله :

فـإنْ أُصْبِـحْ بـلا نَسَـبِ ... فَعِلْمـي فـي الـوَرَى نسبـي
علـى أنِّـي أؤول إلـى ... قُـرُوم سـادةٍ نُجُـبِ
قيـاصِـرَةٍ إذا نطقُـوا ... أرمَّ الـدَّهْـر فـي الخُطَـبِ[٤]
أولاكَ دعـا النبـيُّ لهـم ... كفـى شَـرَفـاً دعـاءُ نبـي

وقد أقام ببغداد ، ودرَّس بها العلم إلى أن توفي ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها .

قال القاضي ابن خلِّكان : ويقال إنه كان أعور ، وله في ذلك :

صـدودُكَ عنِّـي ولا ذَنْبَ لـي ... يَـدُلُّ علـى نيَّـةٍ فـاسِـدَه
فقد ـ وحياتِك ـ ممَّا بكيتُ ... خشيتُ على عينيَ الـواحدَة
ولـولا مخـافـةُ أن لا أراك ... لمـا كـان فـي تَـرْكها فـائِـدَة

ويقال : إن هذه الأبيات لغيره .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في (ط) : ولا ناصر .
(٣) يتيمة الدهر (١/ ١٠٨) الفهرست (٩٥) تاريخ بغداد (١١/ ٣١١ ـ ٣١٢) دمية القصر (٣/ ١٤٨١ ـ ١٤٨٥) نزهة الألباء (٣٣٢ ـ ٣٣٤) المنتظم (٧/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) معجم الأدباء (١٢/ ٨١ ـ ١١٥) إنباه الرواة (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٤٠) اللباب (١/ ٢٩٩) وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧ ـ ١٩) مرآة الجنان (٢/ ٤٤٥) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٥) بغية الوعاة (٢/ ١٣٢) شذرات الذهب (٣/ ١٤٠ ـ ١٤١) .
(٤) يعني سكت ، وفي تاريخ بغداد ووفيات الأعيان : ذو الخطب .

وله في مملوك حسن [الصورة] أعور :

لـه عيـنٌ أصـابـت كـلَّ عيـنٍ   وأخـرى قـد أصـابَتْهـا العيـونُ[١]

أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجُرْجاني[٢] : القاضي بالرَّي .

الشاعر الماهر[٣] . سمع الحديث ، وترقّى في العلوم حتى أقرَّ له الناس بالتفرد فيها ، وله أشعار حِسان ، من ذلك قوله :

يقـولـونَ لـي فيـكَ انقبـاضٌ وإنّمـا   رَأَوْا رَجُلاً عن مَوْقِفِ الذُّلِّ أحْجَما
أرى النَّاسَ من داناهُمُ هانَ عندهمْ   ومـنْ أكـرمتـهُ عِـزَّةُ النَّفْسِ أُكـرمـا
ولم أقضِ حَقَّ العِلْمِ إن كانَ كلَّما   بـدا طَمَـعٌ صَيَّـرْتُـهُ لـي سُلَّمـا
إذا قيـلَ هـذا مَنهـلٌ قُلـتُ قـد أرى   ولكـنَّ نَفْـسَ الحُـرِّ تحتمـلُ الظَّمـا
ولم أبتذلْ في خِدْمةِ العِلْمِ مُهْجتي   لأَخْـدُمَ مـن لاقيـتُ لكـنْ لأخْـدَمـا
أأشقـى بـه غَـرْسـاً وأجنيـهِ ذِلَّـةً   إذاً فابتياعُ[٤] الجَهْلِ قد كانَ أحْزما
ولو أنَّ أهْلَ العِلْمِ صانوهُ صانَهُمْ   ولـو عَظَّمـوهُ فـي النُّفـوس لعَظُمـا
ولكـن أذلُّـوه فهـان ودَنَّسـوا   مُحيَّـاه بـالأطمـاعِ حتـى تَجَهَّمـا

ومن مستجاد شعره أيضاً قوله :

مـا تَطَعَّمْـتُ لـذَّةَ العَيْـشِ حتـى   صِـرْتُ للبيـتِ والكتـاب جليسـا
ليس شيء عندي ألذُّ[٥] من العِلْـ   ـمِ فمـا أبتغـي سـواهُ أنيسـا
إنمـا الـذلُّ فـي مخـالطـة النـا   سِ فَـدَعْهُـمْ وعِـشْ عَـزيـزاً رئيسـا

ومن شعره أيضاً رحمه الله :

إذا شِئْـتَ أن تستقـرضَ المـالَ مُنْفقـاً   على شَهَـواتِ النَّفسِ في زَمـنِ العُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الإقراض من كيس صَبْرها   عليـك وإنظـاراً إلـى زمـنِ اليُسْـرِ

(١) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) .
(٢) يتيمة الدهر (٤/ ٣ ـ ٢٦) تاريخ جرجان (٢٧٧) المنتظم (٧/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) معجم الأدباء (١٤/ ١٤) وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٨ ـ ٢٨١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩ ـ ٢١) مرآة الجنان (٢/ ٣٨٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٥٩) طبقات الإسنوي (١/ ٣٤٨ ـ ٣٥١) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٥) شذرات الذهب (٣/ ٥٦ ـ ٥٧) .
(٣) هو صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » وهو مشهور متداول .
(٤) في بعض المصادر : فاتباع .
(٥) في المنتظم ومعجم الأدباء ووفيات الأعيان : ليس شيء أعزُّ عندي . .

فـإنْ فَعَلَـتْ كنـتَ الغنـيَّ وإنْ أبَـتْ   فكـلُّ مَنـوعٍ بعـدَهـا واسـعُ العُـذْرِ

[كانت وفاته رحمه الله بالرَّي في هذه السنة ، وحمل تابوته إلى جُرْجان ، فدفن هناك](١) .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة

وفيها كانت وفاة الطائع لله على ما سنذكره .

وفيها منع عميد الجيوش الشيعة من النوح على الحسين في يوم عاشوراء ، ومنع جهلة السُّنَّة بباب البصرة وباب الشعير من النِّياحة على مصعب بن الزُّبير بعد ذلك بثمانية أيام ، فامتنع الفريقان ، [ولله الحمد والمنَّة](٢) .

وفي أواخر المحرَّم خلع بهاء الدولة وزيره أبا غالب محمد بن خلف عن الوزارة ، وصادره بمئة ألف دينار قاسانية(٣) .

وفي أوائل صفر غَلَتِ الأسعار ببغداد جداً ، وعدمت الحنطة حتى أبيع الكُرُّ منها بمئة وعشرين ديناراً .

وفيها برز عميد الجيوش إلى سُورا(٤) ، واستدعى سند الدولة(٥) أبا الحسين علي بن مَزْيَد ، وقرر عليه في كل سنة أربعين ألف دينار ، فالتزم بذلك وقرَّره على بلاده .

وفيها هرب أبو العبَّاس الضَّبِّي وزير مجد الدولة بن فخر الدولة من الري إلى بدر بن حسنويه ، فأكرمه ، وولي بعد ذلك وزارة مجد الدولة أبو علي الخطير .

وفيها استناب الحاكم العُبيدي على دمشق وجيوش الشام أبا محمد الأسود ، ثم بلغه أنه عزَّر رجلاً مغربياً على حبه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وطاف به في البلد ، فخاف من معرَّة ذلك ، فبعث [إليه](٦) فعزله عن دمشق مكراً وخديعة .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وأرخ الحاكم وفاته فيما نقل عنه ابن خلكان في وفياته (٣/ ٢٨١) في سنة (٣٦٦هـ) بنيسابور ، وقال : ونَقْلُ الحاكم أثبت وأصح .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) في (ب) : السَّامانية ، ولعلها أشبه .

(٤) في (ط) : سر من رأى ، وهو تحريف ، وسورا : موضع بالعراق قريب من الحلة المزيدية ، انظر معجم البلدان (٣/ ٢٧٨) .

(٥) في (ح) و(ب) و(ط) : سيد الدولة ، وهو تصحيف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ٢٢٣) وسترد الإشارة إلى وفاته في حوادث سنة (٤٠٨هـ) من هذا الكتاب ، وانظر وفيات الأعيان (٢/ ٤٩١) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

وانقطع الحجُّ في هذه السنة من العراق بسبب الأعراب .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن أحمد بن محمد : أبو إسحاق ، الطَّبري الفقيه ، المالكي ، مقدَّم المعدلين ببغداد ، وشيخ القراءات ، وسمع الكثير من الحديث ، وخرَّج له الدَّارَقُطْني خمسمئة جُزْء حديث ، وكان كريماً مفضلاً على أهل العلم . رحمه الله تعالى .

الطَّائع لله عبد الكريم بن المطيع[١] : تقدم كيف خلعه[٢] بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة ، وأنه أُودع في غرفة بدار الخلافة ، وأُجري عليه أرزاق كثيرة ، وألطاف غزيرة إلى أن توفي ليلة عيد الفطر من هذه السنة عن ست وسبعين سنة ، وقد باشر الخلافة سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام ، وصلَّى عليه القادر بالله ، فكبَّر عليه خمساً ، وشهد جنازَتَه الأكابر والأعيان ، ودفن بالرُّصافة .

محمد بن عبد الرحمن بن العبَّاس بن زكريا[٣] : أبو طاهر المُخَلِّص ، شيخ كبير كثير الرِّواية ، سمع البغوي وابن صاعد وخلقاً ، وعنه البَرْقاني والأزهري والخلال والتَّنوخي ، وكان ثِقَةً من الصَّالحين . توفي في رمضان من هذه السنة عن ثمانٍ وثمانين سنة ، رحمه الله .

محمد بن عبد الله[٤] : أبو الحسن السَّلامي ، الشَّاعر المجيد ، له شِعْر مشهور ، ومدائح في عضد الدولة [وغيره][٥] .

ميمونة بنت ساقولة الواعظة : التي هي للقرآن حافظة ، ذَكَرَتْ يوماً في وعظها أنَّ ثوبها الذي عليها ـ وأشارت إليه ـ له في صحبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة وما تغيَّر ، وأنه كان من غزل أمها . ثم قالت : والثوب إذا لم يعص الله فيه لا يتخرَّق سريعاً .

وقال ابنها عبد الصمد : كان في دارنا حائط يريد أن ينقضَّ ، فقلت لها : ألا نَدعُو البَنَّاء ليصلح هذا الجدار ؟ فأخذَتْ رقعةً فكتبت فيها شيئاً ، ثم أمرتني أن أضعَها في موضعٍ من الجدار ، فوَضعْتُها ، فمكث كذلك عشرين سنة ، فلما توفيت أردتُ أن أستعلم ما كتبت في الرقعة ، فحين أخذتها من الجدار سقَطَ ،

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٧٩) المنتظم (٧/ ٦٦ ـ ٦٨ ، ٢٢٤) النبراس (١٢٤ ـ ١٢٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١١٨ ـ ١٢٧) العبر (٣/ ٥٥ ـ ٥٦) نكت الهميان (١٩٦ ـ ١٩٧) تاريخ الخلفاء (٤٠٥ ـ ٤١١) شذرات الذهب (٣/ ١٤٣) .

(٢) انظر حوادث سنة (٣٨١هـ) .

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) المنتظم (٧/ ٢٢٥) اللباب (٣/ ١٨١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٧٨ ـ ٤٨٠) العبر (٣/ ٥٦) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٨) شذرات الذهب (٣/ ١٤٤) .

(٤) في تاريخ بغداد (٢/ ٣٣٥) : عبيد الله .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وانظر منتخبات من شعره في يتيمة الدهر (٢/ ٣٦٤ ـ ٣٩٨) . وقد مرت بعض أبياته في عضد الدولة ص١٩٣ ـ ١٩٤ .

وإذا في الرقعة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر : ٤١] بسم الله ممسك السموات والأرض أمسكه .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمئة

وفيها ولَّى بهاء الدولة الشَّريف أبا أحمد الحسين بن أحمد بن موسى الموسوي ، قضاء القُضاة والحج والمظالم ، ونقابة الطالبيين ، ولقب بالطاهر الأوحد ، ذي المناقب ، وكان التقليد له بشيراز[١] ، فلما وصل الكتاب إلى بغداد لم يأذن له الخليفة القادر بالله في قضاء القضاة ، فتوقف حاله بسبب ذلك .

وفيها ملك أبو العباس بن واصل بلاد البطيحة ، وأخرج منها مهذب الدولة ، فقصده زعيم الجيوش ليأخذها منه ، فهزمه ابن واصل ، ونهب أمواله وحواصله ، فكان في جملة ما أصاب في خيمةِ الخزانة ثلاثون ألف دينار ، وخمسون ألف درهم .

وفيها خرج الركب العراقي [إلى الحجاز][٢] في جَحْفلٍ كبير وتجمُّل كثير ، فاعترضهم الأصيفر أمير الأعراب ، لينهبهم ، فبعثوا إليه بشابين قارئين مجيدين كانا معهم ، يقال لهما أبو الحسين الرَّفَّاء ، وأبو عبد الله بن الدَّحاجي ، وكانا من أحسن الناس قراءةً ، ليكلماه في شيء يأخذه من الحجيج ، ويطلق سراحهم ليدركوا الحج ، فلما جلسا بين يديه قرأ عليه جميعاً عَشْراً بأصواتٍ هائلة [مطربة][٢] مطبوعة ، فأدهشه ذلك وأعجبه جداً ، فقال لهما : كيف عيشكما ببغداد ؟ فقالا : بخيرٍ لا يزال النَّاس يكرموننا ، ويبعثون إلينا الذهب والدراهم والتُّحف . فقال : هل أطلق لكما أحدٌ منهم ألف[٣] ألف دينار في يوم [واحد][٤] ؟ فقالا : لا ، ولا ألف دينار في يومٍ واحد . قال : فإني أطلق لكما ألف ألف دينار [في هذه اللحظة ، أطلق لكما الحجيج كله ، ولولاكما لما قنعت منهم بألف ألف دينار][٤] فأطلق بسببهما الحجيج ، فلم يعرض لأحدٍ منهم ، وذهب النَّاس وهم سالمون شاكرون لذينك الرجلين المقرئين .

ولما وقف النَّاس بعرفات قرأ هذان الرجلان بأصوات عظيمة على جبل الرحمة ، فضجَّ النَّاس [بالبكاء][٤] من سائر الركوب لقراءتهما ، وقالوا لأهل العراق : ما كان ينبغي لكم أن تخرجوا بهذين الرجلين في سفرة واحدة ، لاحتمال أن يصابا جميعاً ، بل كان ينبغي أن تخرجوا بأحدهما ، فإن أصيب سَلِمَ الآخر .

---

(١) في (ط) : بسيراج ، وهو تصحيف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) في (ح) : مئة ألف ألف دينار ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

وكانت الحجة والخطبة في هذه السنة أيضاً للمصريين كما هي لهم من سنين متقدِّمة .

وقد كان أمير العراقيين عزم على العود سريعاً إلى بغداد على طريقهم التي جاؤوا منها ، وأن لا يسيروا إلى المدينة النبوية خوفاً من الأعراب ، وكثرة الخفارات ، فشقَّ ذلك على النَّاس ، فوقف هذان القارئان على جادة الطَّريق التي منها يعدل إلى المدينة النبوية ، وقرآ ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [التوبة : ١٢٠] الآيات ـ فضَجَّ النَّاس بالبكاء وأمالت النوقُ أعناقها نحوهما ، فمال الناسُ [بأجمعهم][(١)] والأمير ميلةً واحدة إلى المدينة النبوية ، فزاروا ، وعادوا سالمين إلى بلادهم ، [ولله الحمد والمِنَّة][(٢)] .

ولما رجع هذان القارئان رتبهما وليُّ الأمر مع أبي بكر بن البهلول ـ وكان مقرئاً مجيداً أيضاً ـ ليصلُّوا بالناس صلاة التراويح في رمضان ، فكثُرَ الجمع وراءهم لِحُسْن تلاوتهم ، [وكانوا يطيلون الصَّلاة جداً ، ويتناوبون في الإمامة ، يقرؤون في كلِّ ركعة بقدر ثلاثين آية ، والنَّاس لا ينصرفون من التراويح إلا في الثلث الأول من الليل ، أو قريب النصف منه][(٣)] . وقد قرأ ابن البهلول يوماً في جامع المنصور قوله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] . فنهض إليه رجلٌ صوفي وهو يتمايل فقال : كيف قلت ؟ فأعاد الآية ، فقال الصُّوفي : بلى والله ، وسقط مَيْتاً ، [رحمه الله][(٤)] .

قال ابن الجوزي : وكذلك وقع لأبي الحسين بن الخَشَّاب شيخ ابن الرَّفَّاء ، وكان تلميذاً لأبي بكر بن الأدمي المتقدِّم ذكره[(٥)] ، وكان جيد القراءة ، حسنَ الصَّوتِ أيضاً ، قرأ ابنُ الخَشَّاب هذا في جامع الرُّصافة في الإحياء هذه الآية ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] فتواجد رجلٌ صوفي وقال : بلى ، قد آن . وجلس فبكى بكاء طويلاً ، ثم سكت سكتةً ، فحرَّكوه ، فإذا هو مَيْتٌ ، رحمه الله تعالى[(٦)] .

وممن توفي فيها :

الحسن بن محمد بن إسماعيل : أبو علي الإسكافي ، ويلقب بالموفَّق ، وكان مقدَّماً عند بهاء

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) انظر وفيات سنة (٣٤٨هـ) .
(٦) انظر المنتظم (٧/ ٢٢٨) .

الدولة ، فولّاه بغداد ، فأخذ أموالاً كثيرة من اليهود ، ثم هرب إلى البطيحة ، فأقام بها سنتين ، ثم قدم بغداد ، فولّاه بهاء الدولة الوِزارة ، وكان شهماً منصوراً في الحروب ، ثم عاقبه بعد ذلك ، وقتله في هذه السنة ، عن تسعٍ وأربعين سنة .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمئة

فيها عاد مهذب الدولة إلى البطيحة ولم يمانعه ابن واصل ، وتقرّر عليه في كل سنةٍ لبهاء الدولة خمسين ألف دينار .

وفيها كان غلاء وفناء عظيم ببلاد إفريقية ، بحيث تعطّلت المخابز والحمامات ، وذهب خَلْق كثير من الفناء ، وهلك آخرون من شِدَّة الغلاء ، فلله الأمر من قَبْلُ ومن بَعْدُ ، [وهو المسؤول المأمول أن يحسن العاقبة](١) .

وفيها أصاب الحجيج في الطَّريق عَطَشٌ شديد بحيث هلك كثير منهم .

وكانت الخطبة للمصريين كما تقدَّم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن أحمد بن محمد بن موسى بن جعفر(٢) : أبو نصر البُخاري ، المعروف بالمَلاحِمي ، أحد الحُفَّاظ .

قدم بغداد ، وحدَّث بها عن محمود بن إسحاق عن البخاري ، وروى عن الهيثم بن كُليب وغيره ، وحدَّث عنه الدَّارَقُطْني ، وكان من أعيان أصحاب الحديث ، كانت وفاته ببخارى في شعبان من هذه السنة ، وقد جاوز الثَّمانين .

محمد بن أبي إسماعيل(٣) علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم : أبو الحسن العَلَوي ، ولد بهَمذان ونشأ ببغداد ، وكتب الحديث عن جعفر الخُلْدي وغيره ، وسمع بنيسابور من الأصمِّ وغيره ، ودرس فقه الشَّافعي على [أبي](٤) عليّ بن أبي هريرة ، ثم دخل الشَّام فصحب الصُّوفية حتى صار من ساداتهم وكبارهم ، وحجَّ مرات على الوحدة ، وكانت وفاته في محرم هذه السنة(٥) .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٢) المنتظم (٧/ ٢٣٠) اللباب (٣/ ٢٧٧) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٦ ـ ٨٧) العبر (٣/ ٥٩) شذرات الذهب (٣/ ١٤٥) .

(٣) تاريخ بغداد (٣/ ٩٠ ـ ٩١) المنتظم (٧/ ٢٣٠) اللباب (٣/ ٣٦٨) .

(٤) ما بين حاصرتين من المنتظم (٧/ ٢٣٠) وقد سلفت ترجمة أبي علي بن أبي هريرة في وفيات سنة (٣٧٥هـ) .

(٥) ذكر الخطيب تاريخين لوفاته غير هذا التاريخ ، سنة (٣٩٣هـ) وسنة (٣٩٤هـ) ، انظر تاريخ بغداد (٣/ ٩١) .

ابن فارس(١) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب : اللُّغوي ، الرَّازي ، صاحب « المجمل » في اللُّغة ، وكان مقيماً بهمَذَان ، وله رسائل حسان ، أخذ عنه البديع صاحب المقامات . ومن رائق شِعْره قوله :

مَـرَّت بنـا هَيْفَـاءُ مَجْـدُولـةٌ ... تُـرْكيَّـةٌ تُنْمـى لِتُـرْكـيِّ
تـرنـو بطَـرْفٍ فـاتـرٍ فـاتـنٍ ... أضْعَـفَ مـن حُجَّـةِ نَحْـوِيِّ

ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

إذا كُنْتَ في حاجةٍ مُرْسلاً ... وأنـتَ بهـا كَلِـفٌ مُغْـرمُ
فـأرْسِـلْ حكيمـاً ولا تـوصِـه ... وذاكَ الحكيـمُ هـو الـدِّرْهَـمُ

قال ابنُ خَلِّكان : توفي سنة تسعين وثلاثمئة ، وقيل سنة خمس وتسعين(٢) . والأول أشهر(٣) .

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمئة

قال ابن الجوزي : في ليلة الجمعة مستهل شعبان طلع نَجْمٌ يشبه الزُّهْرة في كبره وضوئه عن يَسْرة القِبْلة يتموَّج ، وله شعاع على الأرض كشعاع القمر ، وثبت إلى النصف من ذي القَعْدة ، ثم غاب .

وفيها ولي أبو محمد بن الأكفاني(٤) قضاء جميع بغداد .

وفيها جلس القادر للأمير قِرْواش بن أبي حسَّان ، وأفرده(٥) في إمارة الكوفة(٦) ، ولقبه معتمد الدولة .

وفيها قُلِّد الشَّريف الرضي نقابة الطالبيين ببغداد ، ولقب بالرضى ذي الحسبين(٧) ، ولُقِّب أخوه المرتضى ذا المجدين .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٩٠هـ) .

(٢) قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٤/ ٨٠) بعد أن نقل ما ذكره ابن الجوزي من أن وفاته سنة (٣٦٩هـ) وما ذكره الحميدي من أنه توفي في حدود سنة (٣٦٠هـ) : وكل منهما لا اعتبار به ، لأني وجدت خط كفه على كتاب « الفصيح » تصنيفه ، وقد كتبه في سنة (٣٩١هـ) ، ثم ذكر (٤/ ٩٣) من أن وفاته سنة (٣٩٥هـ) ، ونقل الذهبي في تاريخ الإسلام (٨/ ٧٤٧) عن سعد بن علي الزنجاني أنه توفي في صفر سنة (٣٩٥هـ) ، قال : وكذا أرَّخه عبد الرحمن بن منده وغيره . وقال السيوطي في بغية الوعاة (١/ ١٥٣) : وهو أصح ما قيل في وفاته .

(٣) انظر وفيات الأعيان (١/ ١١٩) وقد تصحف فيه إلى خمس وسبعين .

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٤٠٥هـ) من هذا الكتاب .

(٥) في (ط) : وأقره ، وهو تحريف .

(٦) انظر المنتظم (٧/ ٢٣٠) .

(٧) في (ط) : الحسنين ، وهو تصحيف .

وفيها غزا يمين الدولة محمود بن سُبُكْتكين بلاد الهند ، فافتتح مدناً كباراً ، وأخذ أموالاً جزيلة ، وأسر بعض ملوكهم وهو ملك كراشي حين هرب منه لما افتتحها ، وكسر أصنامها ، فألبسه منطقةً وشدَّها على وسطه بعد تَمَنُّعٍ شديد ، وقطع خِنْصره ثم أطلقه إهانةً له ، وإظهاراً لعظمة الإسلام وأهله(١) .

وفيها كانت الخطبة بالحرمين للحاكم العبيدي ، وتجدَّد في حال الخطبة أنه إذا ذكر الخطيبُ الحاكمَ يقوم الناس كلُّهم [إجلالاً له](٢) ، وكذلك [فعلوا](٢) بديار مصر مع زيادة السُّجود [له](٢) ، فكانوا يسجدون عند ذكره ؛ منْ هو في الصَّلاة ومن هو في الأسواق يسجدون لسجودهم ، لعنهم الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو سَعْد [الإسماعيلي](٣) : إسماعيل بن أحمد بن(٤) إبراهيم بن إسماعيل ، الجُرْجاني ، المعروف بالإسماعيلي .

ورد بغداد والدَّارَقُطْني حيٌّ ، فحدَّث عن أبيه أبي بكر الإسماعيلي(٥) والأصَمّ وابن عدي ، وحدَّث عنه الخلال والتنوخي ؛ وكان ثِقَةً فاضلاً فقيهاً ، على مذهب الشَّافعي ، عارفاً بالعربية ، سخياً جواداً على أهل العِلْم ، وله ورع ورياسة إلى اليوم في بلده في أولاده .

قال الخطيب البغدادي : سمعت الشيخ أبا الطيب الطبري يقول : ورد أبو سعد الإسماعيلي بغداد ، فعقد له الفقهاء مجلسين تولى أحدهما الشيخ أبو حامد الإسفراييني ، وتولى الثاني أبو محمد البافي ، فبعث البافي إلى القاضي المعافى بن زكريا الجَرِيري يستدعيه إلى حضور المجلس ليتجمَّل بحضوره ، وكانت الرِّسالة مع ولده أبي الفضل ، وكتب فيها هذين البيتين :

إذا أكرمَ القاضي الجليلُ وَلِيَّهُ ... وصاحبَهُ ألفاهُ للشُّكْرِ مَوْضِعا
ولي حاجةٌ يأتي بُنَيِّي بِذِكْرِها ... ويسألُه فيها التَّطُولَ أجْمعا

فأجابه الجَرِيْري مع ولد الشيخ :

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير (٩/ ١٨٦ ـ ١٨٧) على خلافٍ في سياق الخبر .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وفي (ط) أبو سعيد ، وهو تصحيف . ومظان ترجمة أبي سعد في تاريخ جرجان (١٠٦ ـ ١٠٩) تاريخ بغداد (٦/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٠) المنتظم (٧/ ٢٣١) تبيين كذب المفتري (٢٠٧ ـ ٢١١) سير أعلام النبلاء (١٧ ـ ٨٧ ـ ٨٨) العبر (٣/ ٦٠) مرآة الجنان (٢/ ٤٤٨) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٥١ ـ ٥٢) شذرات الذهب (٣/ ١٤٧) .
(٤) اسمه واسم أبيه ساقط من (ط) .
(٥) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٧١هـ) .

دعا الشَّيْخُ مُطْواعاً سميعاً لأمرِه يـواتيـهِ بـاعـاً حيـثُ يَـرْسُـمُ إصبعـا
وهـاأنـا غـادٍ فـي غـدٍ نحـوَ دارهِ أبـادرُ مـا قـد حـدَّهُ لـيَ مُسْـرِعـا

وكانت وفاة أبي سعيد الإسماعيلي فجأة بجُرْجان في ربيع الآخر وهو قائم يصلي في المحراب ، في صلاة المغـرب ، فلمـا قـرأ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فـاضـت نفسـه ، فمـات رحمـه الله تعالى[١] .

محمد بن أحمد[٢] بن محمد بن جعفر بن محمد بن بَجِير[٣] : أبو عمرو المُزَكِّي ، الحافظ النَّيسابوري . ويعرف بالبحيري[٤] ، رحل إلى الآفاق في طلب العلم ، وكان حافظاً جيد المذاكرة ، ثِقَةً ثبتاً ، حدَّث ببغداد وغيرها من البلاد ، وتوفي في شعبان هذه السنة عن ثلاثٍ وستين[٥] سنة .

أبو عبد الله بن مَنْدَه[٦] : الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْده ، أبو عبد الله الأصْفَهاني الحافظ ، من بيت الحديث والحِفْظ ، رحل إلى البلاد الشاسعة ، وسَمِعَ الكثير وصنَّف التاريخ والشيوخ .

قال أبو العباس جعفر بن محمد الحافظ : ما رأيت أحفظ من أبي عبد الله بن منده ، توفي بأصفهان في صفر من هذه السنة ، رحمه الله تعالى وإيانا برحمته .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمئة

فيها كان خروج أبي ركوة على الحاكم العُبيدي صاحب مصر .

وملخَّص أمر هذا الرجل أنه كان من سلالة هشام بن عبد الملك بن مروان الأُموي ، واسمه الوليد ، وإنما لقب بأبي ركوة لركوةٍ كان يستصحبها في أسفاره على طريقة الصُّوفية ، وقد كان سمع الحديث بالدِّيار المِصرية ، ثم أقام بمكة ثم باليمن ثم دخل الشَّام ، وهو في غضون هذا كله يبايع من انقاد له ، ممن

---

(١) انظر تاريخ بغداد (٦/ ٣١٠) .
(٢) تاريخ جرجان (٥٠٢) الأنساب (٢/ ٩٨) المنتظم (٧/ ٢٣٢) اللباب (١/ ١٢٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٩٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٨٢) طبقات الحفاظ (٤٢٠) .
(٣) في (ح) و(ط) : بن محمد بن محمد بن بحير ، والمثبت من (ب) ، وهو يوافق ما في بقية المصادر .
(٤) في (ح) و(ب) و(ط) الحيري ، وهو تصحيف .
(٥) في (ط) : وسبعين ، وهو تحريف .
(٦) أخبار أصبهان (٢/ ٣٠٦) طبقات الحنابلة (٢/ ١٦٧) المنتظم (٧/ ٢٣٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨ ـ ٤٣) العبر (٣/ ٥٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣١) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٧٩) الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٠) غاية النهاية (٢/ ٩٨) لسان الميزان (٥/ ٧٠) النجوم الزاهرة (٤/ ٢١٣) طبقات الحفاظ (٤٠٨) شذرات الذهب (٣/ ١٤٦) .

يرى عنده همة ونهضة للقائم من ولد هشام بن عبد الملك الأموي ، ثم إنه أقام ببعض بلاد مِصر في حِلَّة من حِلال العرب ، يعلِّم الصبيان ويظهر النُّسك والتقشُّفَ والعبادة والورع ، ويخبر بشيء من المغيبات ، حتى خضعوا له وعظَّموه جداً ، ثم دعا إلى نفسه ، وذكر لهم أنه الذي يدعو إليه من الأمويين ، فاستجابوا له وخضعوا وخاطبوه بأمير المؤمنين ، ولقب نفسه بالثائر بأمر الله المنتصر من أعداء الله ، ودخل بَرْقة في جَحْفلٍ [عظيم][(١)] ، فجمعَ له أهلها نحواً من مئتي ألف دينار ، وأخذ رجلاً من اليهود اتهم بشيء من الودائع ، فأخذ منه مئتي ألف دينار أيضاً ، ونقش الدَّراهم والدَّنانير بألقابه ، وخطب بالناس يوم الجمعة ، ولعن الحاكم في الخطبة ـ ونعما فعل ـ فالتفَّ على أبي ركوة من الجنود نحو من ستة عشر ألفاً ، فلما بلغ الحاكم أمره وما آل إليه حاله بعث بخمسمئة ألف دينار وخمسة آلاف ثَوْبٍ من الحرير إلى مقدَّم جيوش أبي ركوة وهو الفَضْل بن عبد الله[(٢)] يستميله إليه ويثنيه عن أبي ركوة ، فحين وصلته الأموال من الحاكم رجع عن أبي ركوة وقال له : إنا لا طاقة لنا بالحاكم ، وما دمت بين أظهرنا فنحن مطلوبون بسببك ، فاختر لنفسك بلداً تكون فيها . قال : أسأل أن تبعثوا معي فارسين يوصِّلاني إلى النوبة ، فإن بيني وبين ملكها مودة وصحبة ، فأرسله ، ثم بعث وراءه منْ ردَّه إلى الحاكم بمصر ، فلما وصل إليه أركبه جملاً وشَهَّره ، ثم قتله في اليوم الثاني ، وأكرم الحاكمُ الفَضْلَ ، وأقطعه إقطاعات كثيرة ، واتفق مرض الفضل ، فعاده الحاكم مرتين ، فلما عوفي قتله وألحقه بصاحبه أيضاً ، وكافأه مكافأة التمساح .

وفي رمضان عُزل قِرْواش عما كان بيده ، ووليه أبو الحسن علي بن مَزْيَد ، ولقب سند الدَّوْلة .

وفيها هَزَمَ يمينُ الدولة محمود بن سُبُكْتِكين أتلك خان ملك الترك عن بلاد خُرَاسان ، وقَتَلَ من الأتراك خَلْقاً كثيراً .

وفيها قتل أبو العباس بن واصل وحمل رأسه إلى بهاء الدولة ، فطيف برأسه بخراسان وفارس .

وفيها ثارت بالحجيج وهم بالطَّريق ريحٌ سوداء مظلمة جداً ، واعترضهم ابن الجَرَّاح أمير الأعراب ، فاعتاقهم عن الذهاب ، ففاتهم الحج في هذا العام ورجعوا إلى بغداد ، فدخلوها في يوم التَّرْوية .

وكانت الخطبة [بالحرمين][(٣)] للمصريين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق : أبو القاسم الدِّينوري الواعظ الزَّاهد .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في المنتظم (٧/ ٢٣٣) والكامل (٩/ ٢٠٠) أن الفضل بن عبد الله هو القائد الذي بعثه الحاكم لمقاتلة أبي ركوة .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

قرأ القرآن ، ودرس مذهب الشَّافعي على أبي سعيد الإصْطخري ، وسمع الحديث من أبي بكر أحمد بن سلمان النَّجَّاد ، وروى عنه الأزجي والصَّيْمري ، وكان ثِقَةً صالحاً يضرب به المثل في مجاهدة النَّفْس ، والصِّدْق المحض[١] ، والتعفُّف والتقشُّف ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحُسْنِ وَعْظه ونفعه في القلوب .

جاءه يوماً رجل بمئة دينار فقال : أنا غنيٌّ عنها . قال : خُذْها ، فَفَرِّقْها على أصحابك هؤلاء . فقال : ضَعْها على الأرض ، [فوضعها][٢] ، ثم قال للجماعة : ليأخذ كلُّ واحدٍ منكم حاجته [منها][٣] . فجعلوا يأخذون بقدر حاجتهم حتى أنفدوها ، وجاءه ولده بعد ذلك فشكا [إليه][٤] حاجتهم فقال : اذهب إلى البَقَّال ، فخذ عليَّ ربع رطل تمر .

ورآه رجلٌ وقد اشترى دجاجة وحلواء ، فتعجَّب من ذلك فاتبعه ، فانتهى إلى دارٍ فيه أيتام وأرامل فدفعها إليهم .

وقد كان يدقُّ السُّعْد[٥] للعطَّارين بالأُجرة ، ويقتات منه ، ولما حَضَرَتْهُ الوفاة جعل يقول : [سيدي][٦] لهذه السَّاعة خَبَّأْتك .

كانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجَّة من هذه السنة ، وصُلِّي عليه بجامع المنصور ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد .

أبو العَبَّاس بن واصل : صاحب سِيراف والبَصْرة وغيرهما من البلاد ، كان أولاً يخدُم بالكَرْخ ، وكان مَبْصُوراً[٧] له أنه سيملك ، فكان أصحابه يهزؤون به ويمجنون عليه ، فيقول أحدهم : إذا ملكتَ فاستخدمني ، ويقول الآخر : اخلع عليَّ ، ويقول الآخر : عاقبني . فقدر له أنه تنقلت به الأحوال إلى أن ملك سيراف ثم البصرة ، وأخذ بلاد البطيحة من مهذَّب الدولة ، وأخرجه منها طريداً ، بحيث احتاج في بعض الطريق إلى أن ركب بقرةً . واستحوذ ابن واصل على ما هناك من الأموال والحواصل ، وقصد الأهواز وهزم بهاء الدولة ، ثم ظفر به بهاءُ الدولة ، فقتله في شعبان من هذه السنة ، وطيف برأسه في البلاد . والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) في المنتظم (٧/ ٢٣٥) : واستعمال الجد المحض .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) السُّعْد : طيب ، وفيه منفعة عجيبة في القروح التي عَسُرَ اندمالها . القاموس (سعد) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٧) في (ط) : منصوراً . وهو تصحيف .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمئة

فيها غزا يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين بلادَ الهند ، ففتح حصوناً كثيرة ، وأخذ أموالاً جزيلة وجواهر نفيسة ، فكان في جملة ما أخذ وهو أن وجد بيتاً طوله ثلاثون ذراعاً ، وعرضه خمسة عشر ذراعاً مملوءاً فضَّة ، ولما رجع إلى غَزْنة بسط هذه الحواصل كلها في صحن داره ، وأذِنَ لرسل الملوك ، فدخلوا عليه ، فرأوا ما بهرهم وهالهم .

وفي يوم الأربعاء الحادي عشر[١] من ربيع الآخر وقع ببغداد ثَلْجٌ عظيم ، بحيث بقي على وجه الأرض ذراعاً ونصفاً ، ومكث أسبوعاً لم يَذُبْ ، وبلغ سقوطه إلى تكريت والكوفة وعَبَّادان والنهروانات[٢] .

وفي هذا الشهر كثرت العملات خفيه وجهرة ، حتى من المساجد والمشاهد ، ثم ظفر أصحاب الشرطة بكثيرٍ منهم ، فقطعوا أيديهم وسمَّروهم[٣] ، فخمدت الفتنة ، ولله الحمد والمنة[٤] .

قصة مُصْحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وتحريقه

عن فُتْيا الشَّيْخ أبي حامد الإسْفَراييني مما ذكره ابنُ الجَوْزي في المنتظم .

وفي عاشر رجب جَرَتْ فتنةٌ بين الرافضة والسنة ، سببُها أنَّ بعض الهاشميين قصد أبا عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلِّم ـ وكان فقيه الشيعة ـ في مسجده بدرب رباح ، فعرض له بالسَّبِّ ، فثار أصحابه له ، واستنفر أصحاب الكَرْخ ، وصاروا إلى دار القاضي أبي محمد بن الأكفاني والشيخ أبي حامد الإسْفَراييني ، فَجَرت فتنةٌ عظيمة طويلة ، وأحضرت الشيعة مُصْحفاً ذكروا أنه مصحف عبد الله بن مسعود ، وهو يخالف المصاحف كلها ، فَجُمعَ الأشرافُ والقضاة والفقهاء في يوم جمعةٍ لليلة بقيت من رجب ، وعُرِضَ المصحف عليهم ، فأشار الشيخ أبو حامد الإسْفَراييني والفقهاء بتحريقه ، ففعل ذلك بمحضرٍ منهم ، فغضبت الشيعة من ذلك غضباً شديداً ، وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبُّونه ، وقصد جماعةٌ من أحداثهم دارَ الشيخ أبي حامد ليؤذوه ، فانتقل منها إلى دار

---

(١) في (ح) و(ب) : الحادي والعشرين ، والمثبت من (ط) ، وهو يوافق ما في المنتظم لابن الجوزي (٧/ ٣٣٧) .

(٢) في المنتظم (٧/ ٣٣٧) : ومهرو بان . مكنا : وهي بلدة صغيرة تقع على ساحل البحر بين عبادان وسيراف . معجم البلدان (٥/ ٢٣٣) والنهروانات ، ثلاثة : الأعلى و الأوسط والأسفل ، وهو كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، وفيها عدة بلاد ، انظر معجم البلدان (٥/ ٣٢٤) وما بعدها .

(٣) في (ب) : وشهروهم ، وفي (ط) : وكحلوهم .

(٤) انظر المنتظم (٧/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) .

القُطْن ، وصاحوا : يا حاكم يا منصور ، وبلغ ذلك الخليفة ، فغضب ، وبعث أعوان لنصرة أهل السُّنَّة ، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة ، وجَرَت خطوبٌ شديدة ، وبعث عميد الجيوش إلى بغداد لينفي عنها ابنَ المعلِّم ، فأخرج ، ثم شفع فيه ، ومنعت القُصَّاص من التعرُّض للفتن والسؤال باسم أحدٍ من الصحابة ، وعاد الشيخ أبو حامد إلى داره على عادته(١) .

وفي شعبان زلزلت الدِّينور زلزالاً شديداً ، سقطت منها دور كثيرة وهلك تحت الهدم ستة عشر ألفاً غير من ساخت به الأرض ، وهلك للنَّاس شيء كثيرٌ من الأثاث والأمتعة ، وهَبَّتْ ريح سوداء شديدة بدقوقاء وتكريت وشيراز ، فقلعت كثيراً من المنازل والنخيل والزيتون ، وقتلت خلقاً كثيراً ، وسقط بعض شيراز ، ووقعت رجفة بشيراز غرق بسببها مراكب كثيرة في البحر . ووقع بواسط بَرَدٌ زِنةُ الواحدة مئة دِرْهم وستة دراهم .

ووقع ببغداد في رمضان ـ [وذلك](٢) في أيّار ـ مَطَرٌ عظيم سالت منه المزاريب .

تخريب قمامة [في هذه السنة](٣)

وفيها أمر الحاكم العُبيدي بتخريب قُمامة كنيسة البيت المقدَّس ، وأباح للعامة ما كان فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك ؛ وكان سبب ذلك ما أنهي من البهتان الذي يتعاطاه النَّصارى في يوم الفصح من النَّار التي يحتالون لها ، بحيث يتوهم الأغمار من جهلتهم أنها نزلت من السماء ، وإنما هي مصنوعة بدهن البلسان في خيوط رفاع مدهونة بالكبريت وغيره ، بالصنعة اللطيفة التي تروج على الطَّغَام منهم والعوام ، وهم إلى الآن يستعملونها في ذلك المكان بعينه . وكذلك أمر بهدم عِدَّة كنائس في هذه السنة ببلاد مصر ، ونودي في النَّصارى [بمصر](٤) : من أحبَّ الدُّخول في دين الإسلام دخل(٥) ، ومن لا يدخل فليرجع

---

(١) لما رأى عثمان رضي الله عنه حَرْقَ المصاحف ما عدا المصحف الذي بعث بنسخه إلى الآفاق ، ووافقه على ذلك الصحابة امتنع ابن مسعود من تسليم مصحفه ، وقال لأصحابه : غُلوا مصاحفكم . ثم قال على سبيل الإنكار : من هو الذي تأمرونني أن آخذ بقراءته وأترك مصحفي الذي أخذته من في رسول الله ﷺ ؟ وكان هذا رأياً منه انفرد به عن الصحابة ، وخفي عليه الوجه الذي ظهر لهم من المصلحة التي هي أعظم ما حفظ الله به القرآن الكريم من الاختلاف المخل به والتغيير بالزيادة والنقص .
ويبدو أن حادثة الحرق وقعت غير مرة ، فقد ذكر القرطبي في المفهم(خ) ٤/ ٣٩/ ٢) أن مصحف ابن مسعود وجد في خزائن بني عبيد بمصر عند انقراض دولتهم ، فأمر صدر الدين قاضي الجماعة بإحراقه ، وهذا يفسر تعدد النسخ التي أخفيت منه . وانظر شرح مسلم للنووي (٥/ ٣٢٥) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٥) في (ح) : ونادى أنه من أحب الدخول في بلاد الإسلام ، فليدخل في دين الإسلام ، والمثبت من (ب) و(ط) .

إلى بلاد الرُّوم آمنا ، ومن أقام منهم على دينه ، فليلتزم بما شرط عليهم من الشُّروط التي زاد فيها على العُمَرية ، من تعليق الصُّلْبان على صدورهم من خشب زِنة الصليب منهم أربعة أرطال ، وعلى اليهود تعليق رأس العِجْل زنة ستة أرطال . وفي الحمام يكون في عنقه قرمية زنة خمسة أرطال ، أجراس ، وأن لا يركبوا خيلاً . ثم بعد هذا كلِّه أمر بإعادة بناء الكنائس التي هدمها ، وأذن لمن أسلم منهم في الارتداد إلى دينه . وقال : ننزه مساجدَنا أن يدخلها من لا نيّةَ له ، [ولا يعرف باطنه][١] ، قبحه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[أبو محمد البافي][٢] : [سبق ذكره[٣] ، اسمه][٤] عبد الله بن محمد البافي البخاري الخوارزمي ، أحد أئمة الشَّافعية في وقته ، تفقَّه على أبي القاسم الدَّاركي ودرَّس مكانه ، وله معرفة جيدة بالأدب والفصاحة والشِّعْر ، جاء مرةً ليزور بعض أصحابه فلم يجده [في المنزل][٥] ، فكتب :

قد حَضَرْنا وليسَ يُقْضى التلاقي نســألُ اللهَ خيــرَ هــذا الفِــرَاق
إن نَغِبْ لم تَغِبْ وإنْ لَمْ نَغِبْ غِبْـ ـتَ كــأنَّ افتــراقَنــا بــاتِّفــاقِ[٦]

وقد كانت وفاته في محرَّم هذه السنة ، وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشَّافعية » .

عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسين : أبو القاسم المقرىء المعروف بالصَّيْدلاني ، وهو آخر من حدَّث عن ابن صاعد من الثِّقات ، وروى عنه الأزهري ، وكان ثِقَةً مأموناً صالحاً .

توفي في رجب من هذه السنة وقد جاوز التسعين[٧] ، رحمه الله تعالى .

البَبَّغاء [الشَّاعر][٨] عبد الواحد بن نصر بن محمد : أبو الفَرَج المخزومي ، الشاعر ، الملقب بالبَبَّغاء .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في (ط) الباجي : أينما مَرَّ ، وهو تصحيف ، وما بين حاصرتين من (ب) . وترجمته في يتيمة الدهر (٣/ ١٢٢ ـ ١٢٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٣٩ ـ ١٤٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٢) الأنساب (٢/ ٤٧) المنتظم (٧/ ٢٤٠) معجم البلدان (١/ ٣٢٦) اللباب (١/ ١١٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٨ ـ ٦٩) العبر (٣/ ٦٨) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣١٧) النجوم الزاهرة (٤/ ٢١٩) شذرات الذهب (٣/ ١٥٢) .
(٣) انظر وفيات سنة (٣٩٠هـ) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) في (ب) و(ط) :
إن تغب لم أغب وإن لم تغب غبـ ـتُ كــأنَّ افتــراقنــا بــاتفــاقِ
(٧) في المنتظم (٧/ ٢٤١) ولد سنة (٣٠٩هـ) ، فيكون عمره يوم توفي تسعاً وثمانين سنة .
(٨) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وترجمة الببغاء في يتيمة الدهر (١/ ٢٣٦ ـ ٢٧٠) تاريخ بغداد (١١/ ١١) الأنساب (٢/ ٧٠) المنتظم (٧/ ٢٤١) اللباب (١/ ١١٧) وفيات الأعيان (٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٢) سير أعلام النبلاء =

توفي في شعبان من هذه السنة ، وكان أديباً فاضلاً مترسلاً شاعراً مجيداً ، فمن شعره قوله :

يا من تشابه منه الخَلْقُ والخُلُقُ فما تسافرُ إلا نحوهُ الحَدَقُ
توريد دمعيَ من خدَّيك مُخْتَلسٌ وسُقْمُ جسميَ من جَفْنيكَ مُسْتَرَقُ
لم يبقَ لي رَمَقٌ أشكو هواكَ بهِ وإنَّما يَتَشكَّى مَنْ بهِ رَمَقُ

محمد بن يحيى : أبو عبد الله الجُرْجاني ، أحد العلماء الزُّهَّاد العُبَّاد ، المناظرين لأبي بكر الرَّازي ، وكان يدرِّس في قطيعة الربيع ، وقد فُلِج في آخر عُمره ، وحين مات دفن مع أبي حنيفة ، رحمه الله تعالى .

[بديع الزَّمان][(١)] أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد : أبو الفَضْل ، الهَمَذَاني ، الحافظ المعروف ببديع الزَّمان ، صاحب الرَّسائل الرائقة ، والمقامات الفائقة ، وعلى منواله نسج الحَريري ، واقتفى أثره وشكر تقدُّمه ، واعترف بفضله ، وكان قد أخذ عن ابن فارس في اللغة ثم برز ، وكان أحد الفصحاء الفضلاء ، ويذكر أنه سُمَّ وأخذته سكتة ، فدفن سريعاً ، ثم عاش في قبره ، وسُمِعَ صراخه ، فنبشوا عنه ، فإذا هو قد مات وهو آخذٌ على لحيته من هَوْل القبر ، وذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، رحمه الله تعالى ، وعفا عنه ، وسامحه وإيانا بمنِّه .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمئة

فيها قُتل أبو علي بن ثمال نائب الرحبة من جهة الحاكم العُبيدي ، قتله عيسى بن خلاط العُقيلي ، وملكها ، فأخرجه منها عَبَّاس بن مِرْداس صاحب حلب وملكها .

وفيها صرف أبو عمر[(٢)] بن عبد الواحد عن قضاء البصرة ووليه أبو الحسن بن أبي الشوارب ، فذهب الناس يهنون هذا ويعزُّون هذا ، فقال في ذلك العُصْفُري :

عِنْدي حَديثٌ ظَريفٌ بمثْلِهِ يُتَغنَّى

= (١٧/ ٩١) العبر (٣/ ٦٨ ـ ٦٩) النجوم الزاهرة (٤/ ٢١٩) شذرات الذهب (٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣) نزهة الجليس (٢/ ٣١٩) .

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) . وترجمة الهمذاني في يتيمة الدهر (٤/ ٢٥٦ ـ ٣٠١) معجم الأدباء (٢/ ١٦١ ـ ٢٠٢) اللباب (٣/ ٣٩٢) وفيات الأعيان (١/ ١٢٧ ـ ١٢٩) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٧ ـ ٦٨) العبر (٣/ ٦٧) الوافي بالوفيات (٦/ ٣٥٥ ـ ٣٥٨) النجوم الزاهرة (٤/ ٢١٨ ـ ٢١٩) شذرات الذهب (٣/ ١٥٠ ـ ١٥١) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : عمرو بن عبد الواحد ، وهو تحريف ، وسيرد اسمه على الصواب في ترجمة وفيات سنة (٤١٤هـ) من هذا الكتاب .

مِـنْ قـاضِيَيْــنِ يُعَـزَّى ... هـــذا وهـــذا يُهنَّـــا
فـذا يقـولُ اكـرهـونـا ... وذا يقــولُ اسْتَــرَحْنــا
ويكــذبــانِ جميعــاً[١] ... ومـــن يُصَـــدِّقُ مِنَّـــا

وفي شعبان من هذه السنة عصَفَتْ ريحٌ شديدة ، فألقت رملاً أحمر في طرقات بغداد .

وفيها هَبَّتْ على الحُجَّاج ريحٌ سوداء مظلمة ، واعترضهم الأعراب ، فصدُّوهم عن السبيل ، واعتاقوهم حتى فاتهم الحج في هذه السنة أيضاً ، فرجعوا ، وأخذت بنو هلال طائفةً من حجيج البَصْرة نحواً من ستمئة ، وأخذوا منهم نحواً من ألف ألف دينار .

والخطبة بالحرمين للمِصْريين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن بكر[٢] بن محمد بن الحسين[٣] : أبو أحمد الطَّبَراني .

سمع ببغداد ومكة وغيرهما من البلاد ، وكان مكثراً ، سمع منه الدَّارَقُطني وعبد الغني بن سعيد ، ثم أقام بالشَّام بالقرب من جبلٍ عند بانياس يعبد الله تعالى هناك إلى أن مات في ربيع الأول من هذه السنة .

محمد بن [أحمد بن] علي بن الحسين[٤] : أبو مسلم ، كاتب الوزير ابن حِنْزَابة[٥] .

روى عن البغوي ، وابن صاعد ، وابن دُريد ، وابن أبي داود ، وابن عَرَفة ، وابن مجاهد ، وغيرهم ، وكان آخر من بقي من أصحاب البغوي ، وكان من أهل العلم والحديث والمعرفة والفهم ، وقد تكلَّم بعضهم في روايته عن البغوي ؛ لأن أصوله كان غالبها مفسوداً . وذكر الصُّوري أنه خلَّط في آخر عمره .

أبو الحسن علي بن أبي سعيد[٦] : عبد الرحمن[٧] بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفي

---

(١) في المنتظم (٧/ ٢٤٤) والكامل (٩/ ٢١١) : ونهذي .
(٢) في تاريخ بغداد (٩/ ١٠٦) ومعجم البلدان (١/ ٢٤١) : ابن أبي بكر . وما هنا موافق لما في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ١٦٩) وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٨/ ٨٠٠) فالظاهر أن المؤلف نقله من تاريخ دمشق .
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤) معجم البلدان (١/ ٢٤١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٦ ـ ١٠٧) .
(٤) تاريخ بغداد (١/ ٣٢٣) والمنتظم (٤/ ٤٥) وما بين حاصرتين منهما .
(٥) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٩١هـ) .
(٦) تاريخ الحكماء (٢٣٠ ـ ٢٣١) الأنساب (٨/ ٤٦) وفيات الأعيان (٣/ ٤٢٩ ـ ٤٣١) سير أعلام النبلاء (١٧// ١٠٩ ـ ١١٠) ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٢) الوافي بالوفيات (١٢/ ٩٥) مرآة الجنان (٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) لسان الميزان (٤/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) حسن المحاضرة (١/ ٥٣٩) شذرات الذهب (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧) .
(٧) في (ط) : عبد الواحد ، وهو تحريف .

المصْري ، صاحب كتاب « الزِّيج الحاكمي » في أربع مجلَّدات ، كان أبوه من كبار المحدِّثين الحُفَّاظ[١] ، أرخ لمصر تاريخاً نافعاً يرجع إليه العلماء .

وأما هذا فإنه اشتغل بعلم النُّجوم ، فنال [من شأوه][٢] منالاً جيداً ، وكان شديد الاعتناء بعلم الرصد ، وكان مع هذا مغفلاً سيئ الحال ، رَثَّ الثياب ، طويلاً يتعمم على طرطور طويل ، ويتطيلس فوقه ، ويركب حماراً ، فمن رآه ضحك منه ، وكان يدخل على الحاكم صاحب مصر فيكرمه ، ويذكر من تغفله ما يدلُّ على عدم اعتنائه بأمر نفسه ، وكان شاهداً معدلاً ، وله شعر جيد ، فمنه قوله فيما ذكره ابن خَلِّكان في « الوفيات » :

أُحمِّلُ نَشْرَ الرِّيح عند هبوبه رسالة مشتاقٍ لوجه حبيبه
بنفسيَ من تحيا القلوبُ بقُرْبه ومن طابت الدنيا به وبطيبه
وجدَّد وَجْدي طائفٌ منه في الكَرَى سَرَى مَوْهناً في خُفْيةٍ من رقيبهِ
لَعَمْري لقد عَطَّلْتُ كأسيَ بَعدَهُ وغيَّبْتُها عنِّي لطولِ مغيبهِ[٣]

تَمَنِّي أم أمير المؤمنين القادر بالله : مولاة عبد الواحد بن المقتدر .

كانت من العابدات الصَّالحات ، ومن أهل الفَضْل والدِّين ، توفيت ليلة الخميس الثاني والعشرين من شعبان من هذه السنة ، وصلَّى عليها ابنها القادر ، وحُملت بعد العِشاء إلى الرُّصافة .

ثم دخلت سنة أربعمئة من الهجرة النَّبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

في ربيع الآخر [منها][٤] نقصت دِجْلة نقصاً كثيراً ، حتى ظهرت جزائر لم تكن تعرف ، وامتنع سير السفن في أماكنها من أوَانا والرَّاشدية ، فأمر بكري تلك الأماكن ولم تكر قبل ذلك .

وفيها كمل السُّور على المشهد بالحائر[٥] ، وكان الذي بناه أبو محمد بن الفضل بن سهلان عن نذر نذره[٦] .

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٤٧هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٣٠) مع اختلاف في ترتيب البيتين الأخيرين .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) الحائر : اسم موضع قبر الحسين بن علي رضي الله عنه ، معجم البلدان (٢/ ٢٠٨) .
(٦) في (ط) : وفيها كمل السور على مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي بناه أبو إسحاق الأرجاني ، وذلك أن أبا محمد بن سهلان مرض ، فنذر إن عوفي ليبنينَّه ، فعوفي ، والذي في (ح) و(ب) يوافق ما في المنتظم .

وفي رمضان أرجف النَّاس بالخليفة القادر بالله [بأنه مات][١] ، فجلس للنَّاس يوم جمعة بعد الصَّلاة ، وعليه البُرْدَة وبيده القضيب ، وجاء الشيخ أبو حامد الإسْفَرَاييني ، فَقَبَّل الأرض بين يديه وقرأ ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠ ـ ٦١] فتباكى الناس ودعوا وانصرفوا [وهم فراحا][٢] .

وفي هذه السنة ورد الخبر بأن الحاكم أنفذ إلى دار جعفر بن محمد الصَّادق بالمدينة ، فأخذ منها مُصْحفاً وآلات كانت بها ، وهذه الدار لم تفتح بعد موت صاحبها إلى هذه المدَّة ، وكان مع المُصْحف قَعْبٌ خشب مطوَّق بحديد ودرقة خيزران وحربة وسرير ، حمل ذلك كلَّه جماعةٌ من العلويين إلى الديار المصرية ، فأطلق لهم [الحاكم][٣] أنعاماً كثيرة ونفقات زائدة ، ورد السرير وأخذ الباقي ، وقال : أنا أحق به . فردوا وهم ذامُّون له [داعون عليه][٤] .

وبنى الحاكم في هذه السنة داراً للعلم وأجلس فيها الفقهاء ، ثم بعد ثلاث سنين هدمها ، وقتل خلقاً كثيراً ممن كان بها من الفقهاء والمحدِّثين وأهل الخير والدِّيانة .

وعمَّر الجامع المنسوب إليه بالديار المصرية وهو جامع الحاكم ، وتأنق في بنائه .

وفي هذه السنة وفي ذي الحجَّة منها أعيد المُؤَيَّد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الأموي إلى ملكه بعد خلعه وحبسه مدة طويلة .

وكانت الخطبة بالحرمين هذه السنة للحاكم العُبيدي صاحب مصر والشَّام .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[أبو أحمد الموسوي النقيب][٥] **الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر** : أبو أحمد الموسوي النقيب ، والد الرَّضي والمرتضى .

ولي نقابة الطالبيين مرَّات ببغداد نحواً من خمس مرات ، يعزل ويعاد ، ثم أقرَّ في آخر عمره ، وتوفي عن سبعٍ وتسعين سنة[٦] ، وصلى عليه ابنه المرتضى ، ودفن في مشهد الحسين .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) ذكر ابن خلكان في وفياته (٤/ ٤٢٠) : أنه ولد سنة (٣٠٧هـ) وعلى هذا تكون سِنُّهُ يوم توفي ثلاثاً وتسعين سنة . قال بشار : لكن الذهبي ذكر أنه ولد سنة (٣٠٤هـ) كما هو بخطه في تاريخ الإسلام (٨/ ٨١٤) .

وقد رثاه ابنه المرتضى بقصيدةٍ حسنةٍ قوية المنزع والمطلع ، منها قوله :

سـلامُ اللهِ تنقلُـه الليـالـي ... ويهـديـهِ الغُـدُوُّ إلـى الـرَّوَاحِ
عَلَـى جَـدَثٍ تَشَبَّـث[١] مـن لُـؤَيٍّ ... بِيَنْبـوعِ العِبـادةِ والصَّـلاحِ
فتـىً لـم يَـرْوَ إلا مـنْ حـلالٍ ... ولـمْ يـكُ زادُهُ غَيْـرَ[٢] المُبـاحِ
ولا دَنِسَـتْ لـه أُزُرٌ بـوزْرٍ ... ولا عَلِقَـتْ لـه راحٌ بـراحِ
خَفيـفُ الظَّهْـرِ مـن ثِقْـل الخطـايـا ... وعُـرْيـانُ الجـوارح مـن جُنـاحِ
مسـوقٌ[٣] فـي الأمـورِ إلـى عُـلاهـا ... ومَـدْلُـولٌ علـى بـابِ النَّجَـاحِ
مـنَ القـومِ الـذيـنَ لهـم قُلُـوبٌ ... بـذكـرِ اللهِ عـامـرةُ النَّـواحـي
بـأجسـامٍ مـن التَّقـوى مِـرَاضٍ ... لمبصـرهـا[٤] وأديـانٍ صِحَـاحِ[٥]

الحَجَّاج بن هرمز ، أبو جعفر : نائب بهاء الدولة على العراق ، وكان ينتدبه لقتال الأعراب والأكراد ، وكان من المقدَّمين على عهد عضد الدولة ، وكانت له خِبْرة تامة بالحرب ، وحرمة شديدة ، وشجاعة وافرة ، وهِمَّة عالية وآراء سديدة .

ولما خرج من بغداد في سنة ثنتين وتسعين[٦] وثلاثمئة كَثُرَتْ بها الفتن والشرور ، وكانت وفاته بالأهواز في هذه السنة ، وله من العمر مئة سنة وخمس سنين .

أبو عبد الله القُمِّي المِصْري التَّاجر : كان ذا مال جزيل جداً ، اشتملت تركته على أزيد من ألف ألف دينار من سائر أنواع الأموال ، وكانت وفاته بأرض الحجاز ، ودفن بالمدينة النبوية عند قبر الحسن بن علي ، رضي الله عنه .

أبو الحسين ابن الرَّفَّاء المقرىء : المتقدم ذكره[٧] ، كان من أحسن الناس صوتاً وأحلاهم أداءً ،

---

(١) في (ط) : حسيب ، وهو تصحيف .
(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : إلا ، والمثبت من المنتظم (٧/ ٢٤٧) وديوانه (١/ ٢٠٢) .
(٣) في (ط) : مشوق وهو تصحيف .
(٤) في (ط) : نصرتها ، وهو تصحيف .
(٥) انظر القصيدة بتمامها مع اختلاف في بعض ألفاظها في ديوانه (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣) طبعة عيسى البابي الحلبي سنة (١٩٥٨) تحقيق رشيد الصفار .
(٦) في (ط) : وسبعين ، وهو تصحيف .
(٧) انظر حوادث سنة (٣٩٤هـ) .

رحمه الله تعالى ، وقد تقدم ذكره في سنة أربع وتسعين بما أغنى عن إعادته هنا ، والله تعالى أعلم بالصواب[١] .

●●●

(١) وقد كان الفراغ من تحقيقه والتعليق عليه في ظهيرة يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الأولى من عام ألف وأربعمئة وثمانية من هجرة المصطفى ﷺ الموافق للتاسع عشر من شهر كانون الأول من عام ألف وتسعمئة وسبع وثمانين للميلاد ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعمئة[١]

في يوم الجمعة الرابع من محرّم فيها خُطِبَ بالمَوصل للحاكم العُبيدي عن أمر صاحبها قِرواش بن مُقلَّد، أبي مَنيع[٢]، وقهر رعيته على ذلك. وقد سرد ابن الجَوْزِي[٣] صيغة الخطبة يومئذ بحروفها، وفي آخرها: صلّوا على آبائه من الخلفاء، المهديّ، ثمّ ابنه القائم، ثمّ ابنه المنصور، ثمّ ابنه المعزّ، ثمّ ابنه العزيز، ثمّ على ابنه الحاكم صاحب الوقت، وبالغوا في الدّعاء لهم، ولا سيّما للحاكم المذكور. وكذلك ببقيّة أعماله[٤] من الأنبار والمدائن وغيرهما.

وكان سبب ذلك أنّ الحاكم تردّدت مكاتباته ورسله وهداياه إلى قِرواش، يستميله إليه ليُقبل بوجههِ إليه، حتى فعل ما فعل مما ذكرنا [من الخطبة وغيرها] فلمّا بلغَ الخبر إلى القادر العبّاسي، كتب يعاتب قِرواش بن مُقلَّد على ما صنع، ونفَّذ بَهاء الدَّولة إلى عميد الجيوش بمئة ألف دينار لمحاربة قِرواش. فلمّا بلغ ذلك قرواشاً رجع عن رأيه وندم على ما كان منه، وأمر بقطع الخطبة للحاكم من بلاده، وأعادها إلى القادر العباسي على عادته.

قال ابن الجوزي[٥]: ولخمس بقين من رجب، زادت دِجْلة زيادةً كثيرةً، واستمرت الزِّيادة إلى رمضان، وبلغت أحداً وعشرين ذراعاً وثلثاً. ودخل الماء إلى أكثر دور بغداد.

وفيها: رجع الوزير أبو غالب بن خَلَف إلى بغداد، ولُقِّبَ فَخْر المُلْكِ بِعَميد الجيوش.

---

(١) في نسخة برلين (ب) : ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمئة، وهذا خطأ واضح في هذه النسخة مستمر حتى سنة تسع وسبعين وأربعمئة حيث يتم التصحيح على أصل النسخة بعد شطب العنوان الخاطئ، أما ما في كل سنة من الأحداث والوفيات؛ فإنه موافق تماماً لنسخة الأحمدية والمطبوع سوى بعض الفروق التي أشرنا إليها في مواضعها.

(٢) قرواش بن مقلّد بن المسيَّب العقيلي، صاحب الكوفة والموصل والمدائن توفي سنة ٤٤٢هـ، ترجمته في وفيات هذه السنة من هذا الجزء.

(٣) المنتظم (٧/ ٢٤٨)، وأكثر اعتماد المصنف رحمه الله في هذا الجزء في الحوادث على المنتظم.

(٤) في ط: تبعته أعمالها.

(٥) المنتظم (٧/ ٢٥٠).

وفيها : عصا أبو الفتح الحسنُ بن جعفر العلويّ ، ودعا إلى نفسه ، وتلقَّب بالراشد بالله[١] .

ولم يحجّ في هذه السنة أحد من أهل ركب العراق أيضاً [والخطبة للحاكم] ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو مسعود الدمشقيّ[٢] إبراهيمُ بن محمّد بن عُبَيْد ، الحافظ الكبير ، مُصنّف كتاب « الأطراف على الصحيحين »[٣] رحل إلى بلاد شتّى ، كبغداد ، والبصرة ، والكوفة ، وواسط ، والأهواز ، وأصْفهان ، وخُراسان ، وكان من الحفّاظ الصادقين الأمناء [الضابطين] الفاهمين ، ولم يروِ إلا اليسير . روى عنه أبو القَاسم الطَبَرِيّ ، وأبو ذَرٍّ الهَرَوِيّ ، وحمزة السَّهْميّ وغيرهم .

وكانت وفاته ببَغدادَ في رجب[٤] . وأوصى إلى الشيخ أبي حَامِدٍ الإسْفَرايينيّ ، فصلّى عليه ، ودفن في مقبرة جامع المنصور ، قريباً من السكك ، رحمه الله ، وقد ترجمه ابنُ عساكر وأثنى عليه[٥] .

خَلَفُ بن محمّد بن عَلي بن حَمْدُون[٦] أبو مُحمد[٧] الوَاسِطيّ ، رحل إلى البلاد وسمع الكثير ، ثمَّ عاد إلى بغداد ، ثمّ رحل إلى الشام ومصر ، وكتب الناس بانتخابه فصنّف « أطرافاً على الصحيحين » . وكانت له معرفةٌ تامّة ، وحِفْظ جيّد ، ثمّ عاد إلى بغداد ، واشتغل بالتجارة ، وترك النظر في العلم ، حتى توفي في هذه السّنة[٨] . وممن روى عنه الأزْهَرِيّ[٩] .

---

(١) وذلك في مكة إذ كان واليها للحاكم العبيدي .

(٢) تاريخ بغداد (٦/ ١٧٢) ، المنتظم (٧/ ٢٥٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٢٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٢٧) ، شذرات الذهب (٣/ ١٥٨) .

(٣) كتاب الأطراف هذا : يذكر أحاديث كلِّ صحابي على حدة ، كما هو عند أصحاب المسانيد ، ولكنه يقتصر على ذكر طرف منه ، وهو بمثابة فهرس للأحاديث ، تسهِّل على الباحث معرفة مكان وجود الحديث الذي يبحث عنه في الكتب والدواوين .

(٤) ورجح الذهبي وفاته في سنة (٤٠٠هـ) المتقدمة (تاريخ الإسلام ٨/ ٨١٢ ـ ٨١٣) (بشار) .

(٥) تاريخ دمشق لابن منظور (٧/ ١٩٩) .

(٦) تاريخ بغداد (٨/ ٣٣٤) ، المنتظم (٧/ ٢٥٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٢٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٦٠) .

(٧) في السير : أبو علي .

(٨) هذا صنيع ابن الجوزي في المنتظم ، أما الذهبي فلم يظفر له بتاريخ وفاة لذلك ترجمه فيمن توفي بعد الأربعمئة من تاريخ الإسلام (٩/ ١٦٥) ، وصرح في السير بأنه لم يظفر له بتاريخ وفاة (بشار) .

(٩) هو أبو القاسم ، عبيد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري البغدادي ، سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٣٥هـ من هذا الجزء .

عَمِيْدُ الجيوشِ [الوزير](١) الحُسين(٢) بنُ أبي جعفر أستاذ هُرْمُز ، أبو علي ، وزير بَهَاء الدَّوْلةِ . ولد سنة خمسين وثلاثمئة ، وكان أبوه من حُجّاب عَضُدِ الدَّوْلةِ ، وولاه بهاءُ الدّولة النظر في وزارته سنة ثنتين وتسعين . والشُّرورُ عامّة كثيرة [منتشرة] ، فمهّد البلاد ، وأخاف العيّارين ، واستقامت على يديه الأمور ، وأمر بعض غلمانه أن يحمل صينيّة فيها فضّة(٣) مكشوفةٌ من أول بغداد إلى آخرها ، [وأن يدخل] في [جميع] أزقَّتها . فإن اعترضه أحد فليدفعها إليه ، وليعرف ذلك المكان ، فذهب الغلام فلم يعترضه أحدٌ [فحمد الله وأثنى عليه] . ومنع الروافض مما كانوا يتعاطونه من النياحة في [يوم] عاشوراء ، وإقامة العِيد المبتدع [وما يتعاطونه من الفرح] في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة ، الذي يقال له : عيد غَدِيْرِ خُمّ(٤) ، وكان عادلاً منصفاً .

أبُو عُبَيْدٍ الهَرَوِيّ(٥) ، « صاحب الغريبين »(٦) أحْمَد بنُ مُحمّد بن محمد بن أبي عبيد العَبْدي اللّغويّ البارع ، كان من علماء النّاس في الأدب واللغة . وكتابه « الغريبين » في معرفة غريب القرآن والحديث ، يدلّ على اطّلاعه وتبحّره في هذا الشأن ، وكان من تلامذة أبي منصور الأَزْهَرِيّ(٧) .

قال ابن خلّكان(٨) : وقيل : إنّه كان يحب البِذْلَة(٩) : ويتناول في الخلوة ، ويعاشر أهل الأدب

---

(١) المنتظم (٧/ ٢٥٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ١٧٤ ـ ٢٢٥) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣٠) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٢٨) ، شذرات الذهب (٣/ ١٦٠) . وفي ط : وردت هذه الترجمة قبل سابقتها دون زيادة أو نقص يذكر .

(٢) في ط : « الحسن » محرف ، وما أثبتناه من مصادر ترجمته (بشار) .

(٣) في ط والسير : دراهم .

(٤) غدير خم : واد بين مكة والمدينة ، وفيه قال رسول الله ﷺ في جمع من الصحابة : « ألستم تعلمون أني أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » . قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « من كنت مولاه فإن هذا مولاه ، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه » . هذا الحديث رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٧٠) رقم (١٩٣٠٢) بسنده إلى فطر عن أبي الطفيل ، قال : جمع علي رضي الله عنه الناس في الرحبة ، ثم قال لهم : أنشد الله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم . . وذكر الحديث وابن حبان رقم (٦٩٣١) من حديث علي ، وهو حديث صحيح . ورواه أحمد رقم (١٩٢٧٩) والترمذي رقم (٣٧١٣) من حديث زيد بن أرقم وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده (ع) .

(٥) وفيات الأعيان (١/ ٩٠) ، طبقات السبكي (٤/ ٨٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٤٦) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٢٨) ، الوافي بالوفيات (٨/ ١١٤) شذرات الذهب (٣/ ١٦١) .
قال ابن خلّكان : والهروي ، بفتح الهاء والراء ، نسبة إلى هراة ، وهي إحدى مدن خراسان الكبار ، فتحها الأحنف بن قيس صلحاً من قِبل عبد الله بن عامر .

(٦) كتاب الغريبين : جمع فيه مصنفه رحمه الله بين غريبي القرآن والحديث ورتبه على حروف المعجم ، وجمع ما في كتب من تقدّمه ، فجاء جامعاً في الحسن . كشف الظنون (٢/ ١٢٠٦) .

(٧) محمد بن أحمد بن الأزهر ، عالم لغوي ، توفي سنة ٣٧٠هـ . وفيات الأعيان (٤/ ٣٣٤) .

(٨) وفيات الأعيان (١/ ٩٥) .

(٩) أي : ما يُمتهن من الثياب (ع) .

في مجالس أهل اللذّة والطَّرب ، سامحه الله تعالى . قال : وكانت وفاته في رجب .

وذكر ابن خلّكان في هذه السنة أو التي قبلها ، وفاة أبي الفتح[١] البُسْتي الشاعر ، وهو :

عليُّ بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز الكاتب صاحب [الطريقة الأنيقة] في التجنيس [الأنيس ، البديع التأسيس ، والحذاقة] ، والنظم والنثر وقد أسلفنا ذكره[٢] . ومما أورد له ابن خلّكان قوله : من أصلح فاسده ، أرغم حاسده . ومن أطاع غضبه ، أضاع أدبه . من سعادة جدِّك وقوفك عند حدِّك . المنيَّة تضحك من الأمنيّة . الرِّشوة رشاء الحاجات . حدّ العفاف ، الرضى بالكَفَاف . ومن شعره :

إنْ هَـزَّ أقْـلامَـهُ يَـوْمـاً لِيُعْمِلَهَـا   أنْسَـاكَ كُـلَّ كُمِـيٍّ هَـزَّ ذَابِلَـهُ[٣]
وإنْ أمَـرَّ علـى رِقٍّ أنـامِلَـهُ[٤]   أقَـرَّ بـالـرِّقِّ كُتّـابُ الأنَـامِ لَـهُ

وله أيضاً ، سامحه الله تعالى ، وغفر له :

إذا تَحـدَّثْـتَ فـي قـومٍ لِتُـؤنِسَهُـمْ   بمـا تُحـدِّثُ مِـن مَـاضٍ ومِـنْ آتِ
فَـلا تعُـد لحـديْـثٍ إنَّ طَبعَهُـمُ   مُـــوَكَّـــل بِمُعـــادَاةِ المُعَـــادَاتِ

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعمئة

في المحرم [منها] : أذن فخرُ الملك الوزير للروافض في عمل البدعة الشنعاء ، والفضيحة الصَّلعاء[٥] من الانتحاب ، والنَّوح والبكاء ، وتعليق المسوح[٦] ، وتغليق الأسواق من الصّباح إلى المساء ، ودوران النساء حاسرات عن وجوهنّ ورؤوسهنّ ، يلطمن خدودهن كفعل الجاهلية الجهلاء [على الحسين بن علي] . فلا جزاه الله عن السنّة خيراً ، [وسوّد الله وجهه يوم الجزاء ، إنه سميع الدعاء] .

وفي ربيع الآخر : أمر القادر بالله بعمارة مسجد الكفّ بقطيعة الدّقيق ، وأن يُعاد إلى أحسن مما كان ، ففُعِل ذلك ، وزُخْرِف زَخرفةً عظيمة جدًّا . [فإنّا لله وإنا إليه راجعون] .

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٧٦) ، تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي (٤٩) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٤٧) .
(٢) مع وفيات سنة ٤٠٠هـ .
(٣) في الوفيات : عامله .
(٤) في الوفيات : وإن أقرَّ على رقٍّ أنامله .
(٥) الصلعاء : الداهية الشديدة .
(٦) المسوح : جمع مسح ، وهو الكساء من الشعر .

ذكر الطَّعن في نسب الفاطميين ، من أئمة بغداد وغيرها من البلاد

وفي ربيع الآخر من هذه السنة ، كُتبت ببغداد محاضر تتضمّن الطَّعن والقدح في نسب الخلفاء[١] وهم ملوك مصر ، يزعمون أنّهم فاطميّون ، وليسوا ذلك . ونسبُهم إلى ديصان بن سعيد الخُرَّميّ[٢] . وكتب في ذلك جماعة من العلماء ، والقضاة ، والفقهاء ، والأشراف والأماثل والمحدّثين والمعدَّلين والصالحين . شهدوا جميعاً أن الناجم بمصر ، هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم ـ حكم الله عليه بالبوار ، والدّمار ، والخزي ، والنّكال ، والاستئصال ـ ابن معدّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ـ لا أسعده الله ـ فإنّه لمّا صار إلى بلاد المغرب تسمّى بعُبيد الله ، وتلقّب بالمهدي ، [وأنّ] من تقدّم من سلفه أدعياء خوارج ، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا يتعلّقون منه بسبب ، وأنّه منزّه عن باطلهم ، وأنّ الذي ادّعوه من الانتساب إليه باطل وزور ، وأنّهم لا يعلمون أن أحداً من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج : إنهم أدعياء [كذبة] .

وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين ، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً يمنع من أن يدلّس على أحد كذبهم ، أو يذهب وهمٌ إلى تصديقهم [فيما ادعوه] . وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفّار ، وفسّاق فجّار ، ملحدون ، زنادقة ، معطّلون ، وللإسلام جاحدون ، ولمذهب الثنويّة[٣] والمجوسيّة[٤] معتقدون ، قد عطّلوا الحدود ، وأباحوا الفروج ، وأحلّوا الخمور ، وسفكوا الدماء ، وسبّوا الأنبياء ، ولعنوا السَّلف ، وادَّعَوا الربوبية .

وكتب في ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمئة ، وقد كتب خطّه في المحضر خلق كثير . فمن العلويين : المرتضى[٥] والرضيّ[٦] ، وابن الأزرق الموسوي ، وأبو طاهر بن أبي الطيّب ، ومحمد بن محمد بن

---

(١) في ط : الفاطميين .

(٢) في ط : عبيد بن سعد الجرمي . وما أثبت موافق لنص الوثيقة في المنتظم (٧/ ٢٥٥) ولم أقف على ترجمة لديصان هذا ، إنما نسبته إلى الخُرّمية ، وهم أصحاب التناسخ والإباحة . توضيح المشتبه (٢/ ٣٣٦) .

(٣) الثنوية : هم أصحاب الاثنين الأزليين ، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوسية ؛ فإنهم قالوا بحدوث الظلام ، وذكروا سبب حدوثه . وهؤلاء ـ أي الثنوية ـ قالوا بتساويهما في القِدم ، واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والخير والمكان والأجناس والأبدان والأرواح . الملل والنحل (١/ ٢٤٤) .

(٤) المجوسية : يقال لها : الدين الأكبر ، والملة العظمى ، وقد أثبتوا أصلين اثنين ، مدبِّرين قديمين ، يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضرر ، والصلاح والفساد ، يسمون أحدهما : النور والآخر الظلمة . الملل والنحل (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٣) .

(٥) المرتضى ، هو علي بن الحسين بن موسى ، الشريف الموسوي ، سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٣٦ .

(٦) الرضي ، هو محمد : أخو الشريف المرتضى ، سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٠٦ .

عمر[١] ، وابن أبي يعلى .

ومن القضاة : أبو محمد بن الأكفاني[٢] ، وأبو القاسم الحريري[٣] ، وأبو العباس بن الأبيوردي[٤] .

ومن الفقهاء : أبو حامد الإسفراييني[٥] ، وأبو محمد[٦] بن الكَشْفَلي[٧] ، وأبو الحسين القدوري[٨] ، وأبو عبد الله الصيمري[٩] ، وأبو عبد الله البيضاوي ، وأبو عليّ بن حمكان[١٠] . ومن الشهود : أبو القاسم التنوخي[١١] في خلق كثير ، وقرىء بالبصرة ، وكتب فيه خلق كثير[١٢] . هذه عبارة الشيخ أبي الفرج بن الجوزي[١٣] .

قلت : ومما يدلّ على أن هؤلاء أدعياء [كذبة] ، كما ذكر هؤلاء السادة العلماء ، والأئمة الفضلاء ، وأنهم لا نسبة لهم إلى عليّ [بن أبي طالب] ولا إلى فاطمة ، كما يزعمون . قول عبد الله بن عمر للحسين بن علي حين أراد الدخول إلى العراق ، عن كتب عوام أهل الكوفة إليه بالبيعة له ، فقال له ابن عمر : لا تذهب إليهم ، فإنِّي أخاف عليك أن تُقْتل ، وإنَّ جدَّك قد خُيِّر بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة على الدنيا . وأنت بَضعة منه ، وأنت ـ والله ـ لا تنالها ، ولا أحد من أهل بيتك .

فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجِّه المعقول ، من هذا الصحابيّ الجليل ، يقتضي أنَّه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمّد بن عبد الله المهديّ ، الذي يكون في آخر الزمان ، في وقت نزول

---

(١) محمد بن محمد بن عمر ، أبو الحارث العلوي ، توفي سنة ٤٠٣ ، ترجمته في المنتظم (٧/ ٢٦٥) .
(٢) ابن الأكفاني ، عبد الله بن محمد بن عبد الله ، أبو محمد الأسدي ، سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٠٥ .
(٣) في المنتظم (٧/ ٢٥٦) : أبو القاسم الخرزي .
(٤) تحرف في المنتظم إلى السوري ، في الأصل إلى : السيوري . وأبو العباس الأبيوردي هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٢٥ .
(٥) أحمد بن محمد بن أحمد ، سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٠٦ .
(٦) هكذا كنّاه ابن الجوزي في هذا الموضع من المنتظم (٧/ ٢٥٦) ومنه نقل الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ١١) وابن كثير هنا . وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٤١٤) من هذا الكتاب وسيكنيه هناك « أبا عبد الله » وهو الصواب الذي قاله الخطيب في تاريخه (٨/ ٦٧٨ بتحقيقنا) ، وابن الجوزي نفسه في المنتظم (٨/ ١٣) (بشار) .
(٧) في ط : « الكسفلي » بالسين المهملة . وهو تصحيف صوابه بالمعجمة ، وهو منسوب إلى « كشفل » من قرى آمل طبرستان على ما قرره أبو سعد السمعاني في « الأنساب » وتابعه ابن الأثير في « اللباب » (بشار) .
(٨) أحمد بن محمد بن أحمد ، سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٢٨ .
(٩) الحسين بن علي بن محمد ، سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٣٦ .
(١٠) الحسن بن الحسين بن حمكان ، سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٠٥ .
(١١) علي بن المحسِّن بن علي ، سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٤٧ .
(١٢) وقد أعيدت كتابة هذه الوثيقة سنة ٤٤٤ لتأكيد الطعن في نسب الفاطميين .
(١٣) المنتظم (٧/ ٢٥٥) .

عيسى ابن مريم من السماء إلى الأرض [رغبة بهم عن الدنيا وأن لا يدنَّسوا بها] ـ كما سيأتي بيان ذلك مفصّلاً في أحاديث الملاحم ، ومعلوم أنّ هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدّة طويلة ، فدلّ ذلك دلالة قوية ظاهرة أنّهم ليسوا من أهل بيت النبوة . كما نصّ عليه سادة القضاة والشهود والفقهاء والكبراء وقد صنّف القاضي الباقلاني كتاباً في الردّ على هؤلاء القوم المنتسبين إلى الفاطميين وسمّاه « كشف الأسرار ، وهتك الأستار » نثر فيه فضائحهم وقبائحهم ، ووضّح أمرهم لكلّ أحدٍ يفهم شيئاً من مطاوي أفعالهم وأقوالهم . وقد كان يقول في عبارته : هؤلاء قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض .

وفي رجب ، وشعبان ، ورمضان أخرج الوزير فخر الملك صدقات كثيرة على الفقراء والمساكين والمقيمين بالمشاهد والمقابر [والمساجد] ، وزار بنفسه المساجد والمشاهد ، وغير ذلك ، وأخرج خلقاً من المسجونين بالحبوس ، وأظهر نسكاً كبيراً ، وعَمر داراً عظيمة عند سوق الدقيق هائلة .

وفي شوال عصفت ريح شديدة سوداء فقَصفت شيئاً كثيراً من النخيل ، أكثر من عشرة آلاف [نخلة] .

وورد كتاب من يمين الدولة أبي القاسم محمود بن سُبُكْتِكين صاحب غزنة ، أيّده الله تعالى : بأنّه ركب بجيشه إلى دار العدوّ ، فاجتاز بهم في مفازة ، فأعوزهم فيها الماء ، حتى كادوا أن يهلكوا [عن آخرهم] عطشاً ، فبعث الله لهم سحابةً ، فأمطرت عليهم حتى شربوا ورَووا ، ثمّ توافقوا هم وعدوُّهم ، ومع الأعداء نحو من ستمئة فيل ، فهزموهم وغنموا منهم شيئاً كثيراً من الأموال .

وفيها عملت الشيعة [بدعتهم التي كانوا يعملونها] يوم غدير خُمٍّ ، وهو [اليوم] الثامن عشر من ذي الحجّة ، البدعة التي ابتدعوها ، لا لابتغاء وجه الله . وزيّنت الحوانيت ، وتمكّنوا بسبب الوزير ، وكثير من الأتراك تمكّناً كثيراً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن الحسين بن علي بن العبّاس بن إسماعيل بن أبي سهل نُوْبَخْت[١] أبو محمد النُّوْبَخْتي ، الكاتب . ولد سنة عشرين وثلاثمئة ، وروى عن المحاملي وغيره . وعنه البرقاني . وقال : كان شيعيًّا معتزلياً ، إلا أنه تبيَّن لي أنّه كان صدوقاً .

[ورَوَى عنه] الأزهري وقال : كان رافضيّاً رديء المذهب .

وقال العتيقيّ : كان ثقة في الحديث ، ويذهب إلى الاعتزال .

عُثمان بن عيسى[٢] أبو عمرو البَاقِلاني أحد الزّهاد الكبار المشهورين ، كانت له نخَلات يأكل منهن ،

---

(١) المنتظم (٧/ ٢٥٨) وتاريخ الإسلام (٩/ ٤٢) .

(٢) تاريخ مدينة السلام ١٣/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، والمنتظم (٧/ ٢٥٨) ، تاريخ الإسلام (٩/ ٤٥) .

ويعمل بيده في البواري ، ويأكل من ذلك ، وكان في غاية الزهادة والعبادة الكثيرة ، وكان لا يخرج من مسجده إلا من الجمعة إلى الجمعة ، يصلّي في الجامع ثمّ يعود إلى مسجده وكان مسجده لا يحصل له شيء يشعله فيه ، فطلب منه بعض الأمراء أن يقبل منه شيئاً ولو زيتاً يشعله في قناديله ، فأبى الشيخ ذلك ، ولمّا مات رأى بعضهم بعض الأموات من جيران قبره ، فسأله عن جواره ، فقال : وأين هو ، لما [مات و] وضع في قبره سمعنا قائلاً يقول : إلى الفردوس الأعلى ، [إلى الفردوس الأعلى] ، أو كما قال . وكانت وفاته في رجب من هذه السنة عن نيف(١) وثمانين سنة .

محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فَروة بن ناجية(٢) : أبو الحسن النَّحوي ، المعروف بابن النَّجار ، التميمي الكوفي ، قدم بغداد ، وروى عن ابن دريد والصولي ونِفْطَويه وغيرهم . وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة عن تسع وتسعين(٣) سنة .

أبو الطيب(٤) **سهل بن محمد الصُّعْلوكي النَّيْسابوري** ، قال أبو يعلى الخليلي : توفي في هذه السنة ، وقد قدّمناه في سنة سبع وثمانين وثلاثمئة(٥) .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمئة

في سادس عشر المحرم قُلِّدَ الشريف الرضي أبو الحسن الموسوي ، نقابة الطالبيين في سائر الممالك ، وقُرِئَ تقليده في دار الوزير فخر المُلْك بمحضر القضاة والأعيان ، وخلع عليه السواد ، وهو أول طالبيّ خُلِع عليه السواد .

وفيها : جيء بأمير بني خفاجة أبي فُليتة(٦) ، قبّحه الله ، وجماعة من رؤوس قومه أسارى ، وكانوا قد اعترضوا الحجيج في السنة الماضية ، وهم راجعون ، وغوروا المناهل التي يردها الحجاج ، ووضعوا

---

(١) في (ط) : ست .

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٥٨) ، المنتظم (٧/ ٢٦٠) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٢٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٠) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٣٠٥) ، شذرات الذهب (٣/ ١٦٤) .

(٣) في (ط) : سبع وسبعين . وما أثبت موافق لما في السير ، إذ قال : وعاش مئة عام .

(٤) وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٥) ، طبقات السبكي (٤/ ٣٩٣) ، طبقات الإسنوي (٢/ ١٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٠٧) ، شذرات الذهب (٣/ ١٧٢) .
قال ابن خلِّكان : والصعلوكي : بضم الصاد المهملة ، وسكون العين المهملة ، وضم اللام ، وسكون الواو ، وفي آخرها كاف ، هذه النسبة إلى صعلوك ، هكذا ذكره السمعاني وما زاد عليه .

(٥) الصواب أن وفاته كانت في سنة ٤٠٤هـ كما تقدم في التعليق على ترجمته في سنة (٣٨٧) ، وفي سنة (٤٠٤هـ) ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٧٥) (بشار) .

(٦) في (ط) : قلنبه . وما أثبت موافق لما في المنتظم (٧/ ٢٦١) ، والعبر (٣/ ٨٢) .

فيها الحنظل بحيث إنه مات [من الحجاج] من العطش نحو من خمسة عشر ألفاً ، وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لمواشيهم في أسوإ حال ، وأخذوا جميع ما كان معهم من الأحمال والأجمال . فحين أحضرهم الوزير فخر الملك سجنهم ومنعهم الماء ، ثمّ صلبهم تِلقاء دجلة ، يرون صفاء الماء ، ولا يقدرون على شيء منه حتى ماتوا عطشاً جزاءً وِفاقاً ، ولقد أحسن فخر الملك في هذا الصنيع ، واقتدى بحديث أنسٍ في الرُّعاة الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ، والحديث في « الصحيحين »[١] ثمّ بعث إلى أولئك الذين اعتُقِلوا في [بلاد] بني خفاجة من الحجاج فجيء بهم ، وقد تزوجت نساؤهم ، وقسّمت أموالهم ، فردّوا إلى أهاليهم وأموالهم .

قال ابن الجوزي[٢] : وفي رمضان انقضّ كوكب من المشرق إلى المغرب غلب ضوؤه على ضوء القمر ، وتقطّع قطعاً وبقي ساعة طويلة .

قال : وفي شوال توفيت زوجة بعض رؤساء النصارى[٣] ، فخرجت النوائح والصلب معها جَهْرَةً ، فأنكر ذلك بعض الهاشميين ، فضربه بعض غلمان [ذلك الرئيس النصراني] بدبوس في رأسه فشجَّه ، فثار المسلمون بهم فانهزموا ولجؤوا إلى كنيسة لهم هنالك ، فدخلت العامة إليها فنهبوا ما فيها ، وما قرب منها من دور النصارى ، وتتبّعوا النصارى في البلد ، وقصدوا دار الناصح وابن أبي إسرائيل فقاتلهم غلمانهم ، وانتشرت الفتنة ببغداد ، ورفع المسلمون المصاحف في الأسواق وعطلت الجمعة في بعض الأيام ، واستعانوا بالخليفة ، فأمر بإحضار ابن أبي إسرائيل فامتنع ، فعزم الخليفة على الخروج من بغداد ، وقويت الفتنة جداً ، ونهبت دور كثير من النصارى ، ثمّ أحضر ابن أبي إسرائيل ، وبذل أموالاً جزيلة ، فعفا عنه ، وسكنت الفتنة .

وفي ذي القعدة : ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين إلى الخليفة ، يذكر أنّه ورد إليه رسول من الحاكم صاحب مصر [ومعه كتاب] ، يدعوه إلى طاعته ، فبصق فيه ، وأمر بتخريقه ، وأسمع رسوله أغلظ ما يقال .

وفيها : قُلِّد أبو نصر بن مروان الكردي إمرة آمد[٤] وميّافارقين[٥] ، وديار بكر[٦] ، وخُلع عليه بطوق وسواران ، ولُقب نصير الدولة .

---

(١) حديث أنس في الرعاة الذين سمَل رسول الله ﷺ أعينهم . رواه البخاري (٦٨٠٢) في الحدود ، ومسلم (١٦٧١) في القسامة .

(٢) المنتظم (٧/ ٢٦١) .

(٣) في المنتظم (٧/ ٢٦٢) : أن المتوفاة بنت أبي نوح الأحوازي الطبيب زوجة أبي نصر بن إسرائيل كاتب الناصح ، أبي الهيجا .

(٤) آمد : بلد قديم حصين تحيط دجلة بأكثره مستديرة كالهلال . معجم البلدان (١/ ٥٦) .

(٥) ميّافارقين : أشهر مدينة بديار بكر . معجم البلدان (٥/ ٢٣٥) .

(٦) ديار بكر : هي بلاد كبير واسعة ، حدّها ما غرّب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين . معجم البلدان (٢/ ٤٩٤) .

ولم يتمكن ركب العراق وخراسان في هذه السنة من الحجّ [لفساد الطريق وغيبة فخر الملك في إصلاح الأراضي] .

وفي هذه السنة عادت مملكة الأمويين بالأندلس ، فتولى فيها سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، ولُقِّبَ بالمستعين بالله ، وبايعه الناس بقرطبة[١] .

وفيها : مات بهاءُ الدولة أبو نصر فيروز بن عضد الدولة بن بويه الديلمي [صاحب بغداد وغيرها وقام بالأمر من بعده ولده] سلطان الدولة أبو شجاع[٢] .

وفيها : مات ملك الترك الأعظم إيلك خان[٣] فتولى أمرهم من بعده أخوه طغان خان .

وفيها : هلك شمس المعالي قابوس بن وشمكير[٤] ؛ أُدْخل بيتاً بارداً في الشتاء وليس عليه شيء من اللباس ، حتى مات كذلك ، وولي الأمر من بعده ، ولده منوجهر ، ولُقِّب فلك المعالي ، وخطب لمحمود بن سُبُكْتِكِين ، وقد كان شمس المعالي قابوس عالماً فاضلاً أديباً شاعراً ، فمن شعره قوله :

قلْ للّذي بصرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنا ... هلْ عانَدَ الدّهْرَ إلا مَنْ لَهُ خَطَرُ
أمَا تَرَى البَحْر تَطْفُو فَوَقَهُ جِيفٌ ... وَيَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ
فَإنْ تكُنْ نَشِبَتْ أيْدِي الخُطُوبِ بِنا ... ومَسَّنَا مِنْ توالي صَرْفها ضَرَرُ
فَفِي السّماءِ نُجومٌ غَيْرُ ذي عَدَدٍ ... فَلَيْسَ يُكْسَفُ إلا الشّمسُ والقَمَرُ

ومِنْ شِعره المستجاد الحسن قولُه :

خَطَراتُ ذِكْرِكَ تَسْتَبِين مودّتي ... فَأُحِسُّ فيها في الفُؤادِ دَبِيْبَا
لا عُضْوَ لي إلا وَفِيْهِ صَبَابَةٌ ... فَكَأَنَّ أعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد[٥] بن علي : أبو الحسن البَتّي[٦] ، كان يكتب للقادر وهو بالبطيحة ، ثمّ كتب له على ديوان

(١) الكامل في التاريخ (٩/ ٢٤١ـ ٢٤٢) .
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٤١) .
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٤٠) .
(٤) قابوس بن وشمكير بن زياد بن وردان شاه . الكامل في التاريخ (٩/ ٢٣٨) ، وفيات الأعيان (١/ ٤٢٥) .
(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٣٢٠) ، المنتظم (٧/ ٢٦٣) ، معجم الأدباء (٣/ ٢٥٤) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٢٣١) . وقد ذكر الخطيب ومن تابعه أنه توفي سنة خمس وأربعمئة .
(٦) في (ط) : الليثي ، خطأ ، والصحيح ما أثبت بالباء الموحدة وفي آخرها التاء المنقوطة باثنتين من فوقها ، نسبة إلى البت : موضع بنواحي البصرة . الأنساب (٢/ ٧٧) .

الخبر[١] والبريد ، وكان يحفظ القرآن [حفظاً] حسناً ، مليح الصوت والتلاوة ، حسن المجالسة ، ظريف النادرة والمجالسة ، [ظريف المعاني ، كثير الضحك والمجانة] ، خرج في بعض الأيام ، والشريفان الرضي والمرتضى ، وجماعة من رؤوس الأكابر لتلقّي بعض الملوك ، فخرج عليهم بعض اللصوص فجعلوا يرمونهم بالحرّاقات ويقولون : يا أزواج القِحَاب . فقال البتّي : ما خرج هؤلاء علينا إلا بعين ، فقالوا : ومن أين علمت هذا ؟ فقال : وإلا من أين علموا أننا أزواج قحاب .

الحسنُ بن حامد بن علي بن مروان[٢] : أبو عبد الله الورّاق الحنبليّ . كان مدرِّس أصحاب أحمد وفقيههم في زمانه ، وله المصنَّفات المشهورة منها : « كتاب الجامع في اختلاف العلماء » في أربعمئة جزء . وله : « أصول الفقه والدين » ، وعليه اشتغل القاضي أبو يعلى بن الفرّاء ، وكان معظّماً في النفوس ، مقرّباً عند السلطان ، ولا يأكل إلا من كسب يده من النسخ ، وروى الحديث عن أبي بكر الشافعي ، وابن مالك القطيعي وغيرهما ، خرج في هذه السنة إلى الحجّ ، فلمّا عطش الناس في الطريق استند هو إلى حجر هنالك في الحرّ الشديد ، فجاءه رجل بقليل من ماء ، فقال له ابن حامد : من أين لك هذا؟ فقال : ما هذا وقته ، اشرب . فقال : بلى هذا وقته عند لقاء الله تعالى ، فلم يشرب ومات من فوره [رحمه الله] .

الحسين بن الحسن بن محمد بن حَلِيم[٣] : أبو عبد الله الحَلِيْمي ، صاحب « المنهاج في أصول الديانة » ، وكان أحد مشايخ الشافعية ، ولد بجرجان ، وحُمل إلى بخارى ، وسمع الحديث الكثير حتى انتهت إليه رياسة المحدثين في عصره . وولي القضاء ببخارى .

قال ابن خلِّكان[٤] : انتهت إليه الرياسة إلى ما وراء النهر ، وله وجوه حسنة في المذهب ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله ، رحمه الله تعالى .

فَيْروز[٥] : أبو نصر ، الملقب بهاءُ الدولة بن عضُد الدولة الديْلَميّ ، صاحب بغداد والعراق ، وهو الذي قبض على الطائع ، وولّى القادر ، وكان يُحبّ المصادرات ، فجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد

---

(١) في (ط) : الخراج .

(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٣٠٣) ، المنتظم (٧/ ٢٦٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٨٣) ، طبقات الحنابلة (٢/ ١٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٠٣) ، الوافي بالوفيات (١١/ ٤١٥) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٣٢) ، شذرات الذهب (٣/ ١٦٦) .

(٣) المنتظم (٧/ ٢٦٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٣٧) ، طبقات السبكي (٤/ ٣٣٣) ، طبقات الإسنوي (١/ ٤٠٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣١) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٥١) ، شذرات الذهب (٣/ ١٦٧) .

(٤) وفيات الأعيان (٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨) .

(٥) المنتظم (٧/ ٢٦٤) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٢٤١) .

ممن كان قبله من بني بُوَيْه ، وكان بخيلاً جدّاً ، توفي بأَرَّجان[١] في جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً . وكانت مدة ملكه أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، وكان مرضه الصرع ، ودفن بمشهد علي إلى جانب أبيه .

قَابوسُ بن وَشْمَكِير[٢] : كان أهل دولته قد تغيروا عليه ، فبايعوا ولده منوجهر فقتَلوا أباه كما ذكرنا في الحوادث ، وكان قد نظر في النجوم فرأى أنّ ولده يقتله ، فكان يتوهم أنّه ولده دَارَا لما يرى من مخالفته له ، ولا يخطر بباله منوجهر لما يرى من طاعته له ، فكان هلاكه على يديه ، وقد قدمنا شيئاً من شعره الحسن الجيد في الحوادث .

القاضي أبو بكر البَاقلاني[٣] محمد بن الطيّب ، رأس المتكلّمين على مذهب الشيخ[٤] أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، ومن أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام ، يقال : إنّه كان لا ينام كلّ ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره ، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة ، من جيدها كتاب « التبصرة » و« دقائق الحقائق » و« التمهيد في أصول الفقه » و« شرح الإبانة » وغير ذلك . من المجاميع الكبار والصغار ، ومن أحسن تصانيفه ، كتابه في الردّ على الباطنية الذي سمّاه « كشف الأسرار وهتك الأستار » . وقد اختلفوا في مذهبه في الفروع ، فقيل : شافعيّ ، وقيل : مالكيّ . حكى ذلك عنه أبو ذرّ الهَرويّ ، وقد قيل : إنّه كان يكتب على الفتاوى : كتبه محمد بن الطيب الحنبلي ، وهذا غريب جداً . وقد كان في غاية الذكاء والفطنة .

ذكر الخطيب البغدادي[٥] وغيره ، أنّ عضد الدولة بعثه في رسالة إلى ملك الروم ، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل [عليه أحد إلا] من باب قصير ؛ ففهم [الباقلاني] أن مراده بذلك أن ينحني [الداخل عليه]

---

(١) أرّجان : مدينة كبيرة كثيرة الخير ، بها نخيل كثير وزيتون وفواكه ، وهي برية سهلية جبلية ، بينها وبين شيراز ستون فرسخاً ، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً .

(٢) المنتظم (٧/ ٢٦٤) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٢٣٨) ، وفيات الأعيان (٤/ ٧٩) .

(٣) تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩) ، المنتظم (٧/ ٢٦٥) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠) ، الوافي بالوفيات (٣/ ١٧٧) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٣٤) ، شذرات الذهب (٣/ ١٦٨) .
قال ابن خلِّكان : الباقلاني : نسبة إلى الباقلى وبيعه ، وفيه لغتان : من شدد اللام قصر الألف ، ومن خففها مد الألف فقال : باقلاء ، وهذه النسبة شاذة لأجل زيادة النون فيها ، وهو نظير قولهم في النسبة إلى صنعاء : صنعاني ، وإلى بهراء : بهراني .

(٤) في ط : « على مذهب الشافعي » ولا يصح ، لأنَّ الباقلاني كان مالكي المذهب أشعري العقيدة على الصحيح (بشار) .

(٥) تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩) .

كهيئة الراكع للملك[١] ؛ فدخل البابَ بظهره وجعل يمشي القهقرى إلى نحو الملك ، [فلما وصل إليه] انفتل فسلَّم عليه ، فعرف الملك [ذكاءه و] مكانه من العلم والفهم فعظّمه ، ويذكر أن الملك أحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل[٢] ليستفزّ عقله [بها] ؛ فلما سمعها القاضي [الباقلاني] خاف أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك فجعل لا يألوا جُهْداً أن جرح رجله حتى خرج منها دمٌ كثير ، فاشتغل بالألم عن الطرب ، ولم يظهر عليه شيء من النقص والخفّة ، فعجب الملك من كمال عقله ، ثمّ [إن الملك] استكشف عن أمره ، فإذا هو قد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب ، فتحقق [الملك] وُفورَ علمه[٣] ، وعُلوَّ فهمه[٤] ، [فإن هذه الآلة لا يسمعها أحد إلا طرب شاء أم أبى] ، وقد سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم فقال : ما فعلت زوجة نبيكم ، وما كان من أمرها فيما رميت به من الإفك ، فقال [الباقلاني] مجيباً له على البديهة : هما امرأتان ذكرتا بسوء : مريم وعائشة ، فبرأهما الله تعالى ، وكانت هذه[٥] ذات زوج ولم تأت بولد ، وأتت تلك[٦] بولد ولم يكن لها زوج . يعني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم عليهما السلام . [وكلاهما بريئة مما قيل فيها] . فإن تطرّق في الذهن الفاسد احتمال [ريبة] إلى هذه ، فهو إلى تلك أسرع ، وهما [بحمد الله منزَّهتان] مبرأتان من السماء بوحي الله عز وجل رضي الله عنهما .

وقد سمع الباقلاني الحديث من أبي بكر بن مالك القَطيعي ، وأبي محمد بن ماسي وغيرهما .

وقد قبّله الدارقطني يوماً بين عينيه ، وقال : هذا يردُّ على أهل الأهواء باطلهم ، ودعا له .

وكانت وفاة الباقلاَّني يوم السبت لسبعٍ[٧] بقين من ذي القعدة ودفن بداره ، ثمّ نقل إلى مقبرة باب حرب .

محمد[٨] **بن موسى بن محمد أبو بكر الخُوارزميّ** ، شيخ الحنفية وفقيههم . وقد أخذ العلم عن أبي بكر أحمد بن علي الرازي ، وانتهت إليه رئاسة الحنفية ببغداد ، وكان معظّماً عند الملوك ، ومن

---

(١) في (ط) : لله عز وجل .
(٢) الأرغل : آلة موسيقية نفخية ، بها منافيخ جلدية ، وأنابيب لتنغيم الصوت وهي يونانية .
(٣) في (ط) : همته .
(٤) في (ط) : عزيمته .
(٥) في (ط) : عائشة :
(٦) في (ط) : مريم .
(٧) في بعض النسخ : « لتسع » وهو خطأ ، وما أثبتناه موافق لما في مصادر ترجمته ومنها تاريخ الخطيب وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٦٥) (بشار) .
(٨) تاريخ بغداد (٣/ ٢٤٧) ، المنتظم (٧/ ٢٦٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣٥) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٣٤) ، الوافي بالوفيات (٥/ ٩٣) ، شذرات الذهب (٣/ ١٧٠) .

تلاميذه الرضيّ ، والصَّيْمَري ، وقد سمع الحديث من أبي بكر الشافعي وغيره ، وكان ثقة ديّناً [حسن الصلاة] على طريقة السّلف .

يقول [في الاعتقاد] : دِينُنا دين العجائز لسنا من الكلام في شيء .

وكان فصيحاً حسن التدريس ، دُعي إلى ولاية القضاء غير مرّة فلم يقبل ، كانت وفاته ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمئة ، ودفن بداره من درب عبدة .

الحافظ أبو الحسن(١) : عليّ بن محمد بن خَلَف المعافري القابِسيّ ، مصنف « الملخَّص »(٢) أصله قَزْويني ، وإنما غلب عليه القابسيّ لأن عمّه كان يتعمم قابسية ، فقيل لهم ذلك(٣) .

وقد كان حافظاً بارعاً في علم الحديث ، رجلاً صالحاً جليل القدر . ولمّا توفي في ربيع الآخر من هذه السّنة ، عكف الناس على قبره ليالي يقرؤون [القرآن] ، ويدعون له . وجاء الشعراء من كلّ أوب يرثون ، ويترحّمون ، ولما أجلس للمناظرة أنشد لغيره :

لعَمْرُ أبيْكَ مَا نَسَبُ العُلا ... إلى كَرَمٍ وَفِي الدّنْيَا كَرِيْمُ
وَلَكِنَّ البِلادَ إذَا اقشعرَّتْ ... وَصَوَّحَ نَبْتُها رُعِيَ الهَشِيمُ

ثمّ بكى وأبكى وجعل يقول : أنا الهشيم ، أنا الهشيم ، رحمه الله تعالى .

الحافظ [ابن الفرضي](٤) : أبو الوليد ، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزْديّ الفَرَضي ، قاضي بَلَنْسِية(٥) ، سمع الكثير ، وجمع وحصّل ، وصنف التاريخ ، وفي « المؤتلف والمختلف » و« مشتبه النسبة » وغير ذلك ، وكان علامة زمانه قُتِل شهيداً على يدي البربر ، فَسُمِعَ وهو جريح طريح

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٠) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٥٨) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٣٣) ، شذرات الذهب (٣/ ١٦٨) .

(٢) في الأصل : التلخيص ، وما أثبت من مصادر الترجمة ، وقال ابن خلّكان في كتاب الملخَّص : جمع فيه ما اتصل إسناده من حديث مالك بن أنس رضي الله عنه في كتاب الموطأ رواية أبي عبد الله ، عبد الرحمن بن القاسم المصري ، وهو على صغر حجمه جيد في بابه . وقال أبو عمرو الداني : كان شيخنا أبو الحسن القابسي يقرأ الملخِّص بكسر الخاء يجعله فاعلاً ، يريد أنه يلخص المتصل من حديث مالك بن أنس رحمه الله تعالى . وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٠) .

(٣) كلام المصنف هذا يخالف ما ذكره ابن خلّكان وغيره من أصل المترجم من قابس ، وهي مدينة بإفريقية بالقرب من المهدية ، وإليها نسبته .

(٤) جذوة المقتبس (٢٥٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٠٥) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧٧) ، نفح الطيب (٢/ ١٢٩) ، شذرات الذهب (٣/ ١٦٨) .

(٥) بلنسية : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس ، وهي شرقي قرطبة ، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار . معجم البلدان (١/ ٤٩٠) .

يقرأ على نفسه الحديث في الصحيح : « مَا يُكْلَمُ أَحَدٌ في سَبِيْلِ اللهِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سَبِيْلهِ . إلا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى ، اللَّوْنُ لونُ الدَّمِ وَالرِّيحُ ريحُ المِسْكِ »[١] .

وقد كان سأل الله تعالى عند أستار الكعبة الشهادة فأعطاه الله ذلك . ومن شعره قوله :

أَسِيْرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ ... عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخافُ ذُنُوباً لم يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُها ... وَيَرْجُوكَ فِيْهَا فَهوَ رَاجٍ وخَائِفُ
ومَنْ ذَا الذي يُرجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى ... وَمَا لَكَ في فَصْلِ القَضَاءِ مُخَالِفُ
فَيَا سَيِّدِي لا تُخْزِني في صَحِيْفَتي ... إذا نُشِرَتْ يومَ الحِسَابِ الصّحائِفُ
وَكُنْ مُؤْنِسي في ظُلْمةِ القَبْرِ عِنْدَما ... يَصُدّ ذوو القُرْبَى ويَجْفُو المُوَالِفُ
لَئِنْ ضَاقَ عنّي عَفْوُكَ الوَاسِعُ الذي ... أُرَجِّي لإسْرَافِي فإنِّي تَالِفُ

ثم دخلت سنة أربع وأربعمئة

في يوم الخميس غرّة ربيع الأول منها ، جلس الخليفة القادر بالله في أُبَّهة الخلافة وأُحضر إلى بين يديه سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ، والحجبة بين يديه ، فخلع عليه سبع خلع على العادة [وعمّمه] بعمامة سوداء ، و[قلّد] سيفاً وتاجاً مرصّعاً ، وسواراً وطوقاً ، ولواءين عقدهما الخليفة بيده ، ثمّ أعطاه سيفاً ، وقال لخادم : قلّده به فهو شرف له ولعقبه يفتح به شرق الأرض وغربها ، وكان ذلك يوماً مشهوداً بمحضر من القضاة والأمراء ، والوزراء ، والأماثل ، والأعيان ، والكبراء بدار الخلافة .

وفيها : غزا محمود بن سُبُكْتِكِين بلاد الهند ففتح وقتل ، وسبى ، وغنم ، وسَلِمَ . وكتب إلى الخليفة القادر بالله أنْ يوليه ما بيده من مملكة خراسان وغيرها من البلاد ، فأجابه إلى ذلك .

وفيها : عاثت بنو خفاجة ببلاد الكوفة ، فبرز إليهم نائبها أبو الحسن بن مَزْيَد[٢] فواقعهم ، فقتل منهم خلقاً ، وأسر محمد بن ثمال[٣] ، وجماعة من رؤوسهم ، وانهزم الباقون ، فأرسل الله عليهم ريحاً حارّة ، فأهلكت منهم خمسمئة إنسان ، وحجّ بالناس في هذه السنة ، أبو الحسن محمد بن الحسن الأقساسي .

---

(١) الحديث ، رواه البخاري (٤/ ٢٢) ومسلم (١٠٣) في الإمارة . وغيرهما من حديث الأعرج عن أبي هريرة .
(٢) في الأصل : يزيد ، خطأ ، والتصحيح من الكامل في التاريخ (٩/ ٢٤٥) .
(٣) في الأصل : يمان ، خطأ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن أحمد بن جعفر بن عبد الله[(١)] : المعروف بابن البغدادي ، سمع الحديث ، وكان زاهداً عابداً كثير المجاهدة لا ينام إلا عن غَلَبةٍ ، وكان لا يدخل الحمّام ، ولا يغسل ثيابه إلا بالماء وحده ، رحمه الله .

الحسين بن عثمان بن علي[(٢)] أبو عبد الله ، المقرىء الضرير المُجَاهِدِي ، قرأ على ابن مجاهد القرآن وهو صغير ، وكان آخر من بقي من أصحابه ، كانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة وقد جاوز المئة ، ودفن في مقابر الرزازين[(٣)] .

علي بن سعيد الإِصْطَخْرِيّ[(٤)] أحد شيوخ المعتزلة ، صنف للقادر بالله « الردّ على الباطنية » فأجرى عليه جراية سنيّة ، وكان يسكن درب رباح . كانت وفاته في شوال وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة خمس وأربعمئة

فيها : منع الحاكم صاحب مصر النِّساء من الخروج من المنازل ، أو أن يطَّلعن من الأسطحة أو من الطاقات ، ومنع الخفّافين من عمل الأخفاف لهن ، ومن الخروج إلى الحمامات ، وقتل خلقاً من النساء على مخالفته في ذلك . وهدم بعض الحمامات عليهنّ ، وجهز عجائزَ كثيراتٍ يطفْن في البيوت ، يستَعْلِمْن أحوال النساء ، مَنْ منهنّ تعشق أو تُعشق ، بأسمائهن ، وأسماء من يتعرّض لهن [فمن وجد منهن كذلك أطفأها وأهلكها] ، وأكثر من الدوران بنفسه في الليل والنهار بالبلد [في طلب ذلك] ، وغرّق خلقاً ممن يطّلع على فسقهم من الرجال والنساء [والصبيان] ، فضاق النطاق على النساء والفسّاق ، ولم يتمكن أحد أن يصل إلى أحد إلا نادراً ، حتى إنّ امرأة [كانت عاشقة لرجل عشقاً قوياً ، كادت أن تهلك بسببه لمّا حيل بينها وبينه] نادت قاضي القضاة بالديار المصرية وهو مالك بن سعيد الفارقي ، وحلّفته بحق الحاكم لما وقف لها ، فاستمع كلامها [فرحمها] فوقف لها ، فبكت بكاءً شديداً [مكراً وحيلة وخداعاً] وقالت [له : أيها القاضي] إنَّ لي أخاً ليس لي غيره وهو في السياق ، وأنا أسألك [بحقّ الحاكم عليك] لما أوصلتني إليه لأنظره قبل الموت [وأجرك على الله] ، فرقَّ لها القاضي رقّةً

---

(١) المنتظم (٧/ ٢٦٧) .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٨٤) ، المنتظم (٧/ ٢٦٨) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٦٠) .

(٣) في (ط) : الزرادين ، وفي تاريخ بغداد والمنتظم : دفن في مقابر باب الفراديس . قال بشار : الذي ذكر وفاته في هذه السنة هو أبو علي الأهوازي المقرىء المشهور المتوفى سنة ٤٤٦ أما الكتاني فقد ذكر وفاته في سنة ٤٠٠ ، لذلك ترجمه الذهبي في تاريخه مرتين (٨/ ٨١٣ و٩/ ٧٣) وينظر تاريخ دمشق ١٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٤) المنتظم (٧/ ٢٦٨) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٢٤٦) .

شديدةً . وأمر رجلين [كانا] معه أن يكونا معها حتى يبلّغاها إلى المنزل الذي تريده ، فأغلقت بابها ، وأعطت المفتاح جارتها ، وذهبت [معهما] حتى صارت إلى منزل [معشوقها] فطرقت [الباب] ودخلت ، وقالت لهما : اذهبا راشدينِ [هذا منزله] . فإذا هو منزل رجل تهواه ويهواها [وتحبّه ويحبّها ، فقال لها : كيف قدرت على الوصول إليّ] فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضي فأعجبه ذلك [من مَكْرها وحيلتها] . وجاء زوجها من آخر النهار فوجد بابه مغلقاً [وليس في بيته أحد] ، فسأل [الجيران] عن أمرها ، فذكرت له [جارتها] ما صنعت ، فاستغاث على القاضي وذهب إليه وقال له : ما أريد امرأتي إلا منك [الساعة ، وإلا عرّفت الحاكم] ، فإنها ليس لها أخ بالكليّة ، وإنما ذهبت إلى عشيقها ، فخاف القاضي من معرّة هذا الأمر فركب إلى الحاكم وبكى لديه ، فسأله عن شأنه فأخبره بما اتفق له من الأمر [مع المرأة] ، فأرسل الحاكم مع [ذينك] الرجلين اللذين سارا بها من جهة القاضي من يحضر الرجل والمرأة جميعاً ، على أيّ حال كانا عليه . فوجدوهما متعانقين سُكارى ، فسألهما الحاكم فأخذا يعتذران بما لا يجدي شيئاً ، فأمر بتحريق المرأة في بادية ، وضرب الرجل بالسياط ضرباً مبرّحاً [حتى أتلفه] وازداد احتياط الحاكم على النساء [حتى جعلهن في أضيق من جحر ضب ، ولا زال هذا دأبه] حتى مات . ذكره ابن الجوزي(١) .

وفي رجب منها ولي أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي الشوارب قضاء الحضرة بعد موت أبي محمد بن الأكفاني .

وفيها : عمر فخر الملك(٢) مسجداً بالشرقيّة ، ونصب عليه الشبابيك من الحديد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بَكْرُ بن شَاذَان بن بكر(٣) : أبو القاسم المقرئ الواعظ ، سمع أبا بكر الشافعي وجعفر الخُلْدِيّ(٤) . وعنه الأزهري والخلال ، وكان ثقةً ، أميناً [صالحاً] ، عابداً ، زاهداً ، له قيام ليلٍ ، وكرمُ أخلاقٍ . مات في هذه السنة ، وقد نيّف على الثمانين ، ودفن بباب حرب .

بَدْرُ بن حَسْنُويه بن الحسين(٥) أبو النَّجم الكردي ، كان من خيار الملوك بناحية الدِّينور وهمَذان ، له سياسةٌ وصدقةٌ كثيرةٌ . كنّاه القادر بالله : أبا النجم ، ولقّبه ناصر الدولة ، وعقد له لواءً وأنفذه إليه ،

---

(١) المنتظم (٧/ ٢٦٨) .
(٢) في (ط) : الدولة ، وهو تحريف ، وستأتي ترجمته في سنة سبع وأربع مئة .
(٣) تاريخ بغداد (٧/ ٩٦) ، المنتظم (٧/ ٢٦٨) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٧١) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٣٧) ، شذرات الذهب (٣/ ١٧٤) .
(٤) تحرفت في تاريخ بغداد إلى : الخالدي .
(٥) المنتظم (٧/ ٢٧١) .

وكانت أعماله [وبلاده] في غاية الأمن [والطيبة] بحيث إذا أعيى جملُ أحدٍ من المسافرين أو دابته عن حمله يتركها بما عليها في البريّة ، فَتُرَدُّ عليه ولو بعد حين لا ينقص منها شيء . ولمّا عاثت أمراؤه في البلاد فساداً ، عمل لهم ضيافةً حسنةً فقدّمها إليهم ولم يأتهم بخبز ، فجلسوا ينتظرون الخبز ، فلمّا طال ذلك سألوا عنه فقال : إذا كنتم تهلكون الحرث [وتظلمون الزرَّاع] فمن أين تؤتون بالخبز ؟ ثم قال : لا أسمع بأحد أفسد في الأرض [بعد اليوم] إلا أرقت دمه . واجتاز مرّة في بعض أسفاره برجل قد حزم حطباً وهو يبكي ، فقال له : ما لك [تبكي] ؟ فقال : إني كان معي رغيفان أريد أن أتقوَّت بهما ، فأخذهما مني بعض الجند ، فقال له : أتعرفه إذا رأيته ؟ قال : نعم . فوقف به في مضيق حتى مرّ عليه الجند ، فلما اجتاز به ذلك الرجل الذي أخذ منه الرغيفين ، قال : هذا هو ، فأمر به أن ينزل عن فرسه ، وأن يحمل هذه الحزمة عن الحطّاب حتى يبلغ بها إلى المدينة ، فأراد أن يفتدي من ذلك بمال جزيل ، فلم يقبل منه حتى تأدّب به الجيش كلّهم . وكان يصرف في كلِّ جمعة عشرة آلاف(١) درهم على الفقراء والأرامل والأيتام ، وفي كلّ شهر عشرين ألف درهم في تكفين الموتى ، ويصرف في كلِّ سنة ألف دينار إلى عشرين نفساً يحجّون عن والديه ، وعن عضد الدولة ، لأنّه كان السبب في تمليكه ، وثلاثة آلاف دينار في كلّ سنة إلى الحدَّادين والحذَّائين للمنقطعين بين هَمذان وبغداد يصلحون لهم الأحذية ونعال دوابهم ، ويصرف في كلّ سنة مئة ألف دينار إلى الحرمين صدقة على المجاورين وعمارة المصانع ، وإصلاح المياه في طريق الحجاز ، وإطلاقاً لأهل المنازل ، وحفر الآبار وإصلاحها ، وما اجتاز في طريقه [وأسفاره] بماءٍ جارٍ إلاَّ بنى عنده قرية ، وعمر في أيامه من المساجد والخانات ما ينيف عن ألفي مسجد وخان . هذا كلّه خارجاً عما يصرف من ديوانه من الجرايات والنفقات والصدقات والبرّ والصلات على أصناف الناس من الفقهاء والقضاة ، والمؤذّنين ، والأشراف ، والشهود [والفقراء والمساكين] والأيتام ، والضعفاء [والأرامل] . وكان [مع هذا] كثير الصلاة والذكر ، وكان له من الدواب المرتبطة في سبيل الله ما ينيف عن عشرين ألفاً ، وكانت وفاته في هذه السنة [عن نيِّف وثمانين سنة] ، ومدة أمارته اثنتان وثلاثون سنة ، ودفن بمشهد علي ، وترك من الأموال أربعة عشر ألف بدرة ، ونيفاً وأربعين بدرة ، ـ البدرة عشرة آلاف ـ رحمه الله تعالى .

الحسن بن الحسين بن حَمَكان(٢) أبو علي الهَمَذاني ، أحد الفقهاء الشافعيين ببغداد ، عُني أولاً بالحديث ، فسمع شيئاً كثيراً حتى قيل : إنّه كتب بالبصرة عن نحو من خمسمئة شيخ ، ثمّ اشتغل بالفقه على أبي حامد المروزي ، وروى عنه الأزهري ، وقال : كان ضعيفاً ، ليس بشيء في الحديث .

---

(١) في (ط) : عشرين ألف .
(٢) المنتظم (٧/ ٢٧٢) ، وفيات الأعيان (٢/ ٧٥) ، طبقات السبكي (٣/ ١٣٣) .

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم[١] أبو محمد الأسديّ ، المعروف بابن الأكْفَاني ، قاضي قضاة بغداد .

ولد سنة ست عشرة وثلاثمئة .

روى عن القاضي المحاملي ، ومحمد بن مَخْلَد ، وابن عُقدة وغيرهم ، وعنه البَرْقاني والتنوخي . يقال : إنه أنفق [على طلبة العلم] مئة ألف دينار ، وكان عفيفاً نزيهاً ، صيِّن العرض ، وكانت وفاته في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ، وولي الحكم فيها أربعين سنة نيابة واستقلالاً . رحمه الله تعالى .

عبد الرحمن بن محمد[٢] بن محمد بن عبد الله بن إدريس أبو[٣] سعد الحافظ ، الإستراباذي ، المعروف بالإدريسي .

رحل في طلب الحديث ، وعُني به ، وسمع الأصَمّ وغيرَهُ ، وسكن سمرقند ، وصنّف بها تاريخاً[٤] ، وعرضه على الدارقطني فاستحسنه ، وحدّث ببغداد فسمع منه الأزهري ، والتنوخي ، وكان ثقة حافظاً . رحمه الله تعالى .

أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن أحمد بن نُباته السَّعْدي[٥] ، الشاعر المشهور .

امتدح سيف الدولة بن حمدان وغيره من الأكابر والوزراء ، وشِعره الموصوف بالجودة والإحسان ، وهو القائل [البيت المطروق المشهور] :

ومَنْ لم يَمُتْ بالسيفِ ماتَ بغيرهِ ... تعدَّدت[٦] الأسبابُ والدّاءُ[٧] واحد

ومن شعره أيضاً قوله :

وإذا عجزتَ عن العدوِّ فدارِهِ ... وامزخْ له إنَّ المُزَاحَ وِفاقُ

فالنّار بالماء[٨] الذي هو ضِدُّها ... تعطي النِّضاجَ وطَبْعُها الإحراقُ

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٤١)، المنتظم (٧/ ٣٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٥١) ، شذرات الذهب (٣/ ١٧٤) .

(٢) المنتظم (٧/ ٢٧٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٢٥٢) وفيه اسمه عبد الله .

(٣) في ط : « بن » خطأ ، وما أثبتناه من مصادر ترجمته (بشار) .

(٤) صنف تاريخاً لسمرقند ، وآخر لإستراباذ .

(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦٦) ، المنتظم (٧/ ٢٧٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٩٠) ، شذرات الذهب (٣/ ١٧٥) .

(٦) في (ط) والوفيات : تنوعت .

(٧) في (ط) : والموت .

(٨) في (ط) : كالماء بالنار .

وكانت وفاته في شوال من هذه السنة . رحمه الله تعالى .

عبد الغفار بن عبد الرحمن(١) أبو بكر الدِّيْنَوَري الفقيه السُفيانيّ ، وهو آخر من كان يفتي على مذهب سفيان الثوري ببغداد في جامع المنصور ، وكان إليه النَّظرُ في الجامع ، والقيام بأمره ، وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ، ودفن خلف الجامع . رحمه الله تعالى .

الحاكم [النيسابوري](٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن حَمْدُويه بن نعيم بن الحكم ، أبو عبد الله ، الحاكم ، الضَّبِّي ، الحافظ ، ويعرف بابن البَيِّع(٣) ، من أهل نيسابور .

وكان من أهل العلم والحفظ للحديث ، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة ، وأول سماعه في سنة ثلاثين وثلاثمئة ، فسمع الكثير وطوّف في الآفاق ، وصنّف الكتب الكبار والصغار : فمن ذلك « المستدرك على الصحيحين » ، و« علوم الحديث » ، و« الإكليل » و« تاريخ نيسابور » . وقد روى عن [خلق] . ومن مشايخه : الدّارقطني ، وابن أبي الفوارس ، وغيرهما . وكان من أهل العلم ، والحفظ ، والأمانة ، والديانة ، والصيانة ، والضبط ، والثقة ، والتحرّز ، والورع . رحمه الله تعالى .

لكن قال الخطيب البغدادي(٤) : كان ابن البيّع يميل إلى التشيّع ، فحدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأرْمَويّ قال : جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنّها صحاح على شرط البخاري ومسلم ، يلزمهما إخراجها في صحيحيهما . منها حديث الطير(٥) ، و« من كنت مولاه فعليّ مولاه »(٦)

---

(١) المنتظم (٧/ ٢٧٤) .

(٢) تاريخ بغداد (٥/ ٤٧٣) ، المنتظم (٦/ ٢٧٤) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٢٥٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٢) ، الوافي بالوفيات (٣/ ٣٢٠) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٣٨) ، شذرات الذهب (٣/ ١٧٦) .

(٣) قال السمعاني في الأنساب (٢/ ٢٧٠) : البَيِّع : هذه اللفظة لمن يتولى البياعة والتوسط في الخانات بين البائع والمشتري من التجار للأمتعة .

(٤) تاريخ بغداد (٥/ ٤٧٣) .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٣٠ ـ ١٣٢) من حديث أنس ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . أقول : وإسناده ضعيف ، ورواه الترمذي رقم (٣٧٢١) من حديث أنس مختصراً بلفظ « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير ، فجاء عليٌّ فأكل معه » وقال الترمذي : هذا حديث غريب أي ضعيف ، وكل هذه الروايات فيها كلام ، وقد ذكر حديث الطير هذا المؤلف ابن كثير رحمه الله بطرقه وشواهده في « البداية والنهاية » المطبوع (١١/ ٧٥ ـ ٨٣) وقال : وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه (ع) .

(٦) حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) .
رواه أحمد في المسند رقم (١٨٤٧٩) من حديث البراء بن عازب ، ورواه أيضاً أحمد (٤/ ٣٦٨) رقم (١٩٢٧٩) والترمذي رقم (٣٧١٣) والحاكم (٣/ ١٠٩ و١١٠) من حديث زيد بن أرقم ، وابن ماجه رقم (١٢١) من حديث سعد بن أبي وقاص ، وقد ورد الحديث أيضاً من حديث علي ، وعبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبي سعيد =

فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا إلى قوله ، ولا صوّبوه[١] في فعله .

وقال محمد بن طاهر المقدسي : قال الحاكم : حديث الطير لم يخرّج في الصحيح وهو صحيح . قال ابن طاهر : بل هو موضوع لا يروى إلا عن سُقّاط أهل الكوفة من المجاهيل عن أنس ، فإن كان الحاكم لا يعرف هذا فهو جاهل ، وإلا فهو معاند كذّاب .

وقال أبو عبد الرحمن السّلمي[٢] : دخلت على الحاكم وهو مختف من الكراميّة لا يستطيع أن يخرج منهم ، فقلت : لو خرجت فأمليت حديثاً في فضائل معاوية لاسترحت مما أنت فيه ، فقال : لا يجيء من قلبي ، لايجيء من قلبي . توفي في صفر من هذه السنة عن أربع وثمانين سنة . رحمه الله تعالى .

يوسف بن أحمد بن كجٍّ[٣] **أبو القاسم القاضي** ، أحد أئمَّة الشافعية ، وله وجوه غريبة يحكيها في المذهب ، وكانت له نعمة عظيمة جداً ، وولي القضاء بالدِّينور لبدر بن حسنويه ، فلما تغيرت البلاد بعد موت بدر ، وثبت عليه جماعة من العَيّارين فقتلوه ليلة سبع وعشرين من رمضان هذه السنة . رحمه الله تعالى[٤] .

ثم دخلت سنة ست وأربعمئة

في يوم الثلاثاء مستهلّ المحرم من هذه السنة وقعت فتنة بين أهل السّنة والروافض ، فسكّن الفتنة الوزير فخر المُلْك على أن تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشوراء من تعليق المسوح والنَّوح .

وفي هذا الشهر ورد الخبر بوقوع وباءٍ شديد بالبصرة أعجز الحفَّارين والناس عن دفن موتاهم ، وإنّه أظلّت [البلد] سحابة في حزيران فأمطرتهم مطراً شديداً كثيراً .

وفي يوم السبت ثالث صفر قُلِّد الشريف المُرْتَضَى أبو القاسم نقابة الطالبيين والمظالم والحج ، وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضيّ ، وقرئ تقليده بمحضر من الوزير فخر المُلْك والقضاة والأعيان وكان يوماً مشهوداً .

= الخدري ، وابي هريرة ، وغيرهم ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
وانظر « مجمع الزوائد » (٩/١٠٣ ـ ١٦٨) (ع) .

(١) في (ط) : لاموه .

(٢) في الأصل : أبو عبد الله ، وما أثبت من (ب) و(ط) والسير .

(٣) المنتظم (٧/ ٢٧٥) ، وفيات الأعيان (٧/ ٦٥) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٣) ، طبقات السبكي (٥/ ٣٥٩) ، شذرات الذهب (٣/ ١٧٧) .

(٤) إلى هنا ينتهي الجزء الحادي عشر من طبعة مكتبة المعارف البيروتية .

وفيها : ورد الخبر عن الحجيج بأنَّه هلك بسبب العطش أربعة عشر ألفاً ، وسلم ستة آلاف ، وأنهم شربوا أبوال الجمال من العطش .

وفي هذه السنة غزا محمود بن سُبُكْتِكِين بلاد الهند ، فسَلك به الأدِلاء على بلاد غريبة ، فانتهوا إلى أرض قد غمرها الماء من البحر فخاض بنفسه الماء أياماً حتى خلصوا ، وغرق كثير من جيشه ، وعاد إلى خراسان بعد جهد جهيد ، ولم يذهب الركب في هذه السنة من العراق لفساد البلاد من الأعراب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[الشيخ] أبو حامد الإسفراييني[١] أحمد بن محمد بن أحمد ، إمام الشافعية في زمانه ، ومولده في سنة أربع وأربعين وثلاثمئة .

قدم بغداد وهو صغير سنة ثلاث أو أربع وستين وثلاثمئة ، فدرس الفقه على أبي الحسن بن المرزبان ، ثمّ على أبي القاسم الدارَكي ، ولم يزل يترقّى به الحال حتى صارت إليه رياسة الشافعيّة ، وعظم [جاهه] عند السلطان والعوام ، وكان ثقةً ، إماماً ، فقيهاً ، جليلاً ، نبيلاً ، شرح « المزني » في تعليقة حافلة نحواً من خمسين مجلداً ، وله تعليقة أخرى في أصول الفقه . روى عن أبي بكر الإسماعيلي وغيره .

قال الخطيب البغدادي[٢] : ورأيته غير مرّة ، وحضرت تدريسه بمسجد عبد الله بن المبارك في قطيعة الربيع ، وحدّثنا عنه الأزجي والخلال ، وسمعت من يذكر أنّه كان يحضر تدريسه سبعمئة فقيه أو متفقّه ، وكان الناس يقولون : لو رآه الشافعي لفرح به .

وقال أبو الحسين القدوري : ما رأيت في الشافعيين أفْقه من أبي حامد .

وقد ذكرت ترجمته مستقصاة في طبقات الشافعية[٣] .

وذكر ابن خلّكان في « الوفيات »[٤] : أن القدوري كان يقول : هو أفقه من الشافعي وأنظر .

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٨) ، المنتظم (٧/ ٢٧٧) ، وفيات الأعيان (١/ ٧٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٣) ، طبقات السبكي (٤/ ٦١) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٣٩) ، شذرات الذهب (٣/ ١٧٨) .
والإسفراييني ، بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء وكسر الياء المثناة التحتية : نسبة إلى إسفرايين البلد المشهور المعروف من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان . كذا في الوفيات .

(٢) تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٩) .

(٣) طبقات الشافعية لابن كثير (٣٠أ) .

(٤) وفيات الأعيان (١/ ٧٣) .

قال الشيخ أبو إسحاق[١] : وليس هذا بمسلَّم ، فإن أبا حامد وأمثاله بالنسبة إلى الشافعي كما قال الشاعر :

نَـزَلُـوا بِمكَّـةَ فـي قبـائـلِ نَـوْفَـلِ وَنَـزَلْـتُ بـالبيـداءِ[٢] أبعـد مَنْـزِلِ

قال ابن خلّكان[٣] ، وله من المصنفات : « التعليقة الكبرى » ، وله كتاب « البستان » وهو صغير فيه غرائب . قال : وقد اعتذر إليه بعض الفقهاء في بعض المناظرات ، فأنشأ الشيخ [أبو حامد] يقول :

جَفَاءٌ جَرى جَهْراً لَدَى النَّاسِ وَانْبَسَطْ وَعُـذْرٌ أتـى سِـرّاً فـأكَّـدَ مـا فَـرَطْ

وَمَـنْ ظَـنَّ أنْ يَمْحُـو جَلِـيَّ جَفَـائِـهِ خَفِيُّ اعتذارٍ فَهُوَ في أعْظَمِ الغَلَطْ

وكانت وفاته ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال من هذه السنة ، ودفن بداره بعدما صلّي عليه بالصحراء ، وكان الجمعُ كثيراً ، والبكاء غزيراً ، ثمّ نقل إلى مقبرة باب حرب في سنة عشر وأربعمئة .

قال ابن الجوزي : وبلغ من العمر إحدى وستين سنة وأشهراً . رحمه الله تعالى .

عُبَيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن مِهْران[٤] أبو أحمد بن أبي مسلم الفرضي المقرئ .

سمع المَحاملي ، ويوسف بن يعقوب ، وحضر مجلس أبي بكر بن الأنباري ، وكان إماماً ثقة ، ورعاً وقوراً ، كثير الخير ، يقرأ القرآن [كثيراً] ، ثمّ يسمع الحديث ، وكان معظّماً جليلاً . إذا قدم على أبي حامد الإسفراييني نهض إليه حافياً فتلقّاه إلى باب المسجد [توفي وقد] جاوز الثمانين .

الشريف الرضي[٥] محمد بن [الطاهر أبو أحمد] الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن العلوي ، لقّبه بهاءُ الدولة بالرضيّ ذي الحَسَبَيْن ، ولقّب أخاه المرتضى ذي المجدين ، وكان نقيب الطالبيين ببغداد بعد أبيه ، وكان فاضلاً ديّناً ، قرأ القرآن بعد ثلاثين سنة من عمره ، وحفظ طرفاً جيداً من الفقه وفنون العلم ، وكان

---

(١) طبقات الفقهاء (١٠٣) .
(٢) في (ب) : في البيداء .
(٣) وفيات الأعيان (١/ ٧٣) .
(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٠) ، المنتظم (٧/ ٢٧٨) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٢٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٢) ، شذرات الذهب (٣/ ١٨١) .
وقد ورد اسمه في الأصلين و(ط) : عبد الرحمن ، وهذا خطأ تابع به المؤلف رحمه الله ابن الجوزي في المنتظم . وما أثبت من مصادر الترجمة .
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٦) ، المنتظم (٧/ ٢٧٩) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٢٦١) ، وفيات الأعيان (٤/ ٤١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨٥) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٤) ، شذرات الذهب (٣/ ١٨٢) .

شاعراً مطبقاً ، سخيّاً جواداً ورعاً ، قال بعضهم : كان الشريف الرضي أشعر قريش ، فمن شعره المستجاد قوله :

اشْتَـرِ العـزَّ بمـا شِئْـ ـتَ فمـا العِـزُّ بغـالِ
بـالقِصَـارِ الصُّفْـرِ إن شئْـ ـتَ وبـالسُّمـرِ الطِّـوالِ(١)
ليـسَ بـالمَغْبُـونِ عَقْـلاً مَـنْ شَـرَى العـزَّ بمـالِ(٢)
إنّمـا يُـدّخَـرُ المـا لُ لحـاجـاتِ الـرِّجـالِ
والفتـى مَـنْ جَعَـلَ الأمـوا لَ أثْمَـانَ المَعَـالـي

ومن شعره رحمه الله :

يـا طـائِـرَ البـانِ غِـرّيـداً على فَنَـنٍ مَا هَاجَ نَوْحكَ لي يا طَائِرَ البانِ
هلْ أنتَ مُبلغُ من هامَ الفؤادُ بِهِ إنَّ الطليـقَ يُـؤدِّي حَـاجَـة العَـانـي
جِنَـايـةً مـا جَنَـاهَـا غيـرُ مُقْلَتِـه(٣) يومَ الوداعِ فَوا شوقي إلى الجاني
لَـوْلا تَـذكّـرُ أيّـام بـذِي سَلَـمٍ وعِنْـدَ رَامـةَ أوْطـارِي وَأوطَـانـي
لَمَا قَدَحْتُ بِنَارِ الشَّوْقِ(٤) في كبدي وَلا بَلَلْـتُ بِمـاءِ الـدَّمْـعِ أجْفَـانِـي

وقد نسب إلى الرضي قصيدة ترامى فيها على الحاكم العُبيدي ، ويودّ أن لو كان ببلده وفي حوزته ، وياليت أن ذلك كان حتى يرى كيف كان منزلته عنده ، ولو أنّ الخليفة العباسيّ أجاد السياسة لسيّره إليه ليقضي مراده ، ويعلم الناس كيف حاله ، ولكن حلم العباسيين غزير(٥) ، يقول في هذه القصيدة :

ألْبِـسُ الـذُّلّ فـي بِـلاد الأعـادِي وَبمصْـرَ الخَلِيْفَـةُ العَلَـويّ
مَـنْ أبـوهُ أبـي ومـولاه مَـوْلا يَ ، إذَا ضَـامَنِـي البَعِيـدُ القَصِـيّ
إنَّ عِـرْقـي بِعِـرقـةِ سيِّـد النّـا سِ جَمِيعـاً محمَّـد وَعَلِـيّ
إنَّ خَـوْفِـي بِـذَلِـكَ الـرّبْـع أمـنٌ وأوامـي بِـذَلِـكَ الـوِرْد رِيّ

فلما سمع الخليفة [القادر] بأمر هذه القصيدة انزعج وبعث إلى أبيه الشريف الطاهر أبي أحمد

---

(١) في (ط) :

بـالقصـار إن شئـ ت أو بـالسمـر الطـوال

(٢) في (ط) :

ليـس بـالمغبـون عقـلاً مـن شـرى عـزاً بمـال

(٣) في (ط) : متلفنا .
(٤) في (ط) : الوجد .
(٥) ثمة اختلاف بسيط في العبارة بين (أ) و(ب) و(ط) ، لكن مؤدّاها واحد .

الموسوي يعاتبه ، فأرسل إلى ابنِه الرضيّ ، فأنكر أن يكون قال ذلك بالمرَّة ، والروافض من شأنهم التقيّة[١] . فقال له أبوه : فإذا لم تكن قلتها فقل أبياتاً تذكر فيها أنّ الحاكم العبيدي دعيّ لا نسب له . فقال : إني أخاف من غائلة ذلك ، وأصرّ على ألا يقول ما أمره به أبوه ، وتردَّدت الرسل من الخليفة إليهم في ذلك ، وهم ينكرون ، حتى بعث الشيخ أبا حامد الإسفراييني والقاضي أبا بكر إليه فأحلفاه بالله وبالأيمان المؤكّدة أنّه ما قالها . والله أعلم بحقيقة الحال .

وكانت وفاته في خامس المحرم هذه السنة عن سبع وأربعين سنة ، وحضر جنازته الوزير والقضاة والأعيان ، وصلّى عليه الوزير فخر المُلْك ، ودفن بداره بمسجد الأنباري ، وولي أخوه الشريف المرتضى ما كان يليه ، وزيد على ذلك [أشياء] ومناصب أخرى كما ذكرنا ، وقد رثاه أخوه [بمرثاة قوية الوقع ، حسنة المطلع][٢] . رحمه الله تعالى .

باديس بن منصور بن بُلُكِّين[٣] بن زِيْري بن منادِ الحِمْيري[٤] ، أبو المعزّ ـ مَناد بن بادِيس ـ نائب الحاكم على بلاد إفريقية وابن نائبها ، ولقَّبه الحاكم نصير الدَّولة ، وكان ذا هيبةٍ وسطوةٍ وحرمةٍ وافرةٍ ، وشجاعةٍ وشهامةٍ وافرةٍ ، وكان إذا هزّ رمحاً كسره .

وكانت وفاته بغتة فجأة ليلة الأربعاء سلخ ذي القعدة من هذه السنة ، ويقال : إنّ بعض الصالحين دعا عليه تلك اللّيلة ، وقام بالأمر من بعده ولده المعزّ مَناد . والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وأربعمئة

في ربيع الأول منها : احترق مشهد الحسين بن عليّ [بكربلاء] وأروقته ، وكان سببه أنّ القومة أشعلوا شمعتين كبيرتين فمالتا في اللّيل على التأزير فاحترق ، ونفذت النار منه إلى غيره حتى كان منه ما كان .

وفي هذا الشهر أيضاً احترقت دار القطن ببغداد وأماكن كثيرة بباب البصرة ، واحترق جامع سامراء .

---

(١) في (ط) : التزوير .

(٢) زيادة من (ب) . يقول الشريف المرتضى في رثاء أخيه :

يا للرجال لفجعة جذمَت يدي ... ووددتها ذهبتْ عليَّ براسي
لا تنكروا من فيض دمعي عَبرةً ... فالدمع خير مساعدٍ ومؤاسِ

في قصيدة طويلة .

(٣) قيده ابن خلكان في وفيات الأعيان (١/ ٢٨٧) فقال : بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون . وجوّد الذهبي تقييده كذلك بخطه في تاريخ الإسلام (٩/ ١٠٤) (بشار) .

(٤) وفيات الأعيان (١/ ٢٦٥) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٢٥٦) . وورد اسم جدّه في (ب) والوفيات : بلتكين .

وفي هذا الشهر ورد الخبر بتشعيث الركن اليمانيّ من المسجد الحرام ، وبسقوط جدار بين يدي قبر النبي ﷺ ، وأنَّه سقطت القبّة الكبيرة على صخرة بيت المقدس ، وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها .

وفي هذه السنة قُتلت الشيعة الذين ببلاد إفريقية ونُهبت أموالهم ، ولم يُترك منهم إلا من لا يُعرف .

وفيها : كان ابتداء دولة العلويين بالأندلس ، وليها عليّ بن حمود بن أبي العيش[1] العلوي ، فدخل قرطبة في المحرم من هذه السنة ، وقتل سليمان بن الحكم الأموي ، وقتل أباه أيضاً ، وكان شيخاً صالحاً . وبايعه النَّاس ، وتلقَّب بالمتوكل على الله . ثمّ قُتِل في الحمّام في ثامن عشر ذي القعدة من هذه السنة عن ثمان وأربعين سنة . وقام بالأمر من بعده أخوه القاسم بن حمود ، وتلقّب بالمأمون ، فأقام في الملك ست سنين ، ثمّ كان ابن أخيه يحيى ، ثمّ إدريس أخو يحيى ، ثمّ ملك الأمويون ، ثمّ أجانب ، حتى ملك أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين .

وفي هذه السنة : ملك محمود بن سُبُكْتِكين يمين الدولة بلاد خوارزم ، بعد مَلِكها خوارزم شاه [مأمون بن مأمون] .

وفيها : استوزر سلطان الدولة ابن شجاع أبا الحسن علي بن الفضل الرّامَهرمُزي عوضاً عن فخر المُلْك ، وخلع عليه خِلَعَ الوزارة .

ولم يحجّ أحد هذه السنة من بلاد العراق لفساد البلاد والطرقات ، وعبث الأعراب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن يوسف بن دُوست[2] أبو عبد الله البزّازُ ، أحد حفاظ الحديث ، و[أحد] الفقهاء على مذهب مالك ، وكان يذاكر بحضرة الدارقطني ، ويتكلّم في علم الحديث ، فيقال : إنّ الدارقطني تكلَّم فيه لذلك السبب ، وقد تكلّم فيه غيره ، بما لا يقدح فيه كبير شيء .

قال الأزهري : رأيت كتبه كلَّها طريّة ، وكان يذكر أن أصوله العتُق غرقت ، وقد أملى الحديث من حفظه ، والمخلِّص وابن شاهين حيّان موجودان .

وكانت وفاته في رمضان عن أربع وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى

الوزير فخر المُلْك[3] محمد بن علي بن خَلَف ، أبو غالب ، الوزير ، كان من أهل واسط ، وكان أبوه

---

(١) كذا في (أ) و(ط) وهو موافق للكامل في التاريخ (٩/ ٢٦٩) ، وفي (ب) : أبي العباس .

(٢) تاريخ بغداد (٥/ ١٢٤) ، المنتظم (٧/ ٢٨٤) ، المغني في الضعفاء (١/ ٥٨) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٢٢) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٤١) .

(٣) المنتظم (٧/ ٢٨٦) ، الكامل (٩/ ٢٦٠) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٢٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨٢) ، =

صيرفيّاً ، فتقلّبت به الأحوال إلى أن وزر لبهاء الدولة بن عضد الدولة ، واقتنى أموالاً جزيلة ، وبنى داراً عظيمة تعرف بالفخريّة ، وكانت أولاً للخليفة المتّقي لله . فأنفق عليها أموالاً كثيرةً ونفقاتٍ غزيرةً ، وكان كريماً جواداً بذّالاً ، كثير الصدقات ، كسا في يوم ألف فقير ، وكان كثير الصلاة أيضاً ، وهو أول من فرّق الحلاوة ليلة النصف من شعبان ، وكان فيه ميل إلى التشيّع ، وقد قتله سلطان الدولة في هذه السنة بالأهواز ، وأخذ من أمواله شيئاً كثيراً ، من ذلك : أزيد من ستمئة ألف دينار ، خارجاً عن الأملاك [والجواهر] والأثاث والمتاع ، وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة وأشهراً .

وقيل : إنّ سبب هلاكه ؛ أنّ رجلاً قتله بعض غلمانه فاستعدت امرأة الرجل عليه إلى الوزير . ورفعت إليه قصصاً ، فكلّ ذلك لا يلتفت إليها ، فقالت له ذات يوم : [أيها الوزير] ، أرأيت القصص التي رفعتها إليك ، ولا تلتفت إليها قد رفعتها إلى الله عز وجل ، وأنا أنتظر التوقيع عليها ، فلمّا مُسِكَ الوزير قال : قد والله خرج توقيع المرأة . فكان من أمره ما كان .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعمئة

وفيها : وقعت فتنة عظيمة بين [أهل] السنّة والروافض ببغداد ، وقتل [فيها] خلق كثير من الفريقين .

وفيها : ملك أبو المظفر بن أرسلان خاقان بلاد ما وراء النهر وغيرها ، وتلقب بشرف الدولة ، وذلك بعد وفاة أخيه طَغَان خان ، وقد كان طَغَان خان هذا أديباً فاضلاً يحبّ أهل العلم والدين ، وقد غزا الترك مرّة ، فقتل منهم مئتي ألف مقاتل ، وأسر منهم مئة ألف ، وغنم من أواني الذهب والفضة وأواني الصيني شيئاً لم يعهد لأحد مثله ، فلما مات ظهرت ملوك الترك على البلاد الشرقيّة .

وفي جمادى الأولى منها ولي أبو الحسين أحمد بن مهذّب الدولة أبي الحسن علي بن نصر بلاد البطائح بعد أبيه ، فقاتله ابن عمه فغلبه عليها ، وضربه حتى قتله ، ثمّ لم تطل مدته فيها حتى قُتل ، ثم آلت بعد ذلك إلى سلطان الدولة صاحب بغداد .

وفي هذه السنة : ضعف أمر الدَّيلم ببغداد ، وطمع فيهم العامة ، فنزلوا إلى واسط ، فقاتلهم أهلها مع الترك أيضاً .

وفيها : ولي نور الدولة ، أبو الأعز دُبَيْس بن أبي الحسن علي بن مَزْيَد بعد وفاة أبيه .

= الوافي بالوفيات (٤/ ١١٨) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٤٢) ، شذرات الذهب (٣/ ١٨٥) .

وفيها : قدم سلطان الدولة بغداد وضرب الطبل أوقات الصلوات ، ولم تجر بذلك عادة ، وعقد عقده على بنت قرواش على صداق مبلغه خمسون ألف دينار .

وقال أبو الفرج بن الجوزي ، في كتابه « المنتظم »(١) : أخبرنا سعد الله بن علي البزّاز ، أخبرنا أبو بكر الطُّرَيثيثي ، أخبرنا هبة الله بن الحسن الطبري قال : وفي سنة ثمان وأربع مئة ، استتاب القادر بالله أمير المؤمنين فقهاء المعتزلة الحنفية ، فأظهروا الرجوع ، وتبرَّؤوا من الاعتزال والرفض ، والمقالات المخالفة للإسلام ، وأخذ خطوطهم بذلك ، وأنَّهم متى خالفوه أحلَّ بهم من النكال والعقوبة ما يتَّعظ به أمثالهم ، وامتثل يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سُبُكْتِكين أمر أمير المؤمنين ، واستنّ بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من خراسان وغيرها ، في قتل المعتزلة ، والرافضة ، والإسماعيلية ، والقرامطة ، والجهميّة ، والمشبّهة ، وصلبهم ، وحبسهم ، ونفاهم ، وأمر بلعنتهم على المنابر ، وإبعاد كلّ طائفة من أهل البدع ، وطردهم عن ديارهم ، وصار ذلك سُنّة في الإسلام .

ولم يحجّ في هذه السنّة أحدٌ من أهل العراق لفساد البلاد ، وعبث الأعراب ، وضعف الدولة عنهم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحاجب الكبير شباشي(٢) أبو نصر ، مولى شرف الدولة ، ولقّبه بهاء الدولة : بالسعيد ، وكان كثير الصدقات ، والأوقاف على وجوه القربات ، فمن ذلك أنه وقف دباها(٣) على المارستان ، وكانت تغلّ شيئاً كثيراً من الزروع والثمار والخراج ، وبنى قنطرة الخندق [والمارستان] والياسريّة(٤) وغير ذلك ، ولما مات دفن بمقبرة الإمام أحمد ، وأوصى أن لا يُبنى على قبره ، فخالفوه فعقدوا على قبره قبّة فسقطت ، وبعد موته بنحو من سبعين سنة ، اجتمع نسوة عند قبره ينحن ويبكين فلما رجعن رأت عجوز منهن [كانت] هي المقدمة في تلك النياحة في المنام ، كأن تركياً خرج إليها من قبره ، ومعه دبوس فحمل عليها وزجرها ، فإذا هو الحاجب السعيد فانتبهت مذعورة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعمئة

في يوم الخميس السابع عشر من المحرم قرئ كتاب في مذاهب أهل السنة بدار الخلافة في الموكب ، وفيه : أنَّ من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، حلال الدَّم .

---

(١) المنتظم (٧/ ٢٨٧) .
(٢) المنتظم (٧/ ٢٨٧) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٠٤) .
(٣) قرية من نواحي بغداد . معجم البلدان (٢/ ٦٤) .
(٤) قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى ، بينها وبين بغداد ميلان . معجم البلدان (٥/ ٤٢٥) .

وفي النصف من جمادى الأولى من هذه السنة فاض ماء البحر المالح ووافى الأبلّة ، ودخل البصرة بعد يومين .

وفيها : غزا محمود بن سُبُكْتِكين بلاد الهند أيضاً ، وتواقع هو وملك ملوك الهند ، فاقتتل الناس قتالاً عظيماً ، ثمّ انجلت عن هزيمة [عظيمة على] الهند ، [وأخذ المسلمون يقتلون فيها كيف شاؤوا] وأخذوا منهم أموالاً عظيمةً من الجواهر والذهب والفضّة ، ومئتي فيل ، واقتصّوا آثار المنهزمين ، وهدموا معاقلَ كثيرةً جدّاً ، ثمَّ عاد إلى غزنة مؤيّداً منصوراً .

وفيها : استوزر سلطان الدولة ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور .

ولم يحجّ في هذه السنة أحد من أهل العراق لفساد البلاد وعبث الأعراب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

رَجاء بن عيسى بن محمد[1] أبو العباس [الأنصناويُّ] ، نسبة إلى قرية من قرى مصر يقال لها أنْصِنا[2] ، قدم بغداد فحدّث بها وسمع منه الحفاظ ، وكان ثقة ، فقيهاً ، مالكياً ، عدلاً ، مقبولاً عند الحكام ، مرضياً ، فَرَضيّاً ، ثمّ عاد إلى بلده ، وتوفي بها في هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين . رحمه الله تعالى .

عبد الله بن محمد بن أبي علان[3] أبو أحمد ، قاضي الأهواز ، كان ذا يسرة كثيرة ، وله مصنفات منها كتاب « في معجزات النبي ﷺ » جمع فيه ألف معجزة ، وكان من كبار شيوخ المعتزلة . توفي في هذه السنة عن تسع وثمانين سنة .

علي بن نصر بن أبي الحسن[4] مهذب الدَّولة ، صاحب بلاد البطيحة[5] ، كانت له مكارم كثيرة ، وكان الناس يلجؤون إليه في الشدائد فيُؤويهم ، ويحسن إليهم ، ومن أكبر مناقبه في ذلك إحسانه إلى أمير المؤمنين القادر بالله حين استجار به ، ونزل عنده بالبطايح فارّاً من الطائع لله ، فآواه ، وأحسن إليه ، وكان في خدمته حين ولي إمرة المؤمنين ، فكانت له بها عنده اليد البيضاء ، وقد ولي البطايح ثنتين وثلاثين سنة

---

(١) المنتظم (٧/ ٢٩٠) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣١١) .

(٢) أنْصِنا ، بالفتح ثم السكون ، وكسر الصاد المهملة والنون مقصور : مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل . معجم البلدان (١/ ٢٦٥) ، وقد تحرفت في (أ) و(ب) إلى أنصار . وقد ينسب إليها « أنصناني » كما بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ١٣٩) ، لكن ما هنا هو المشهور ، وهو الذي في تاريخ الخطيب (٩/ ٤٠٢ ط .د . بشار) وغيره .

(٣) المنتظم (٧/ ٢٩٠) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣١١) .

(٤) المنتظم (٧/ ٢٩٠) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٠٢) .

(٥) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .

وشهوراً ، وتوفي في هذا العام عن ثنتين وسبعين سنة ، وكان سبب موته أنه افتصد فانتفخ ذراعه حتى مات ، رحمه الله تعالى .

الحافظ عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز[1] أبو محمد الأزْدي ، المصري ، الحافظ ، كان عالماً بالحديث وفنونه ، وله فيه المصنفات الكثيرة الشهيرة .

قال أبو عبد الله الصوريّ الحافظ : ما رأت عيناي مثله في معناه ! .

وقال الدّارقطني : ما رأيت بمصر مثل شاب يقال له : عبد الغني ، كأنه شعلة نار ، وجعل يفخّم أمره ، ويرفع ذكره .

وقد صنّف الحافظ عبد الغني هذا كتاباً فيه أوهام الحاكم[2] ، فلما وقف عليه الحاكم جعل يقرؤه على الناس ويعترف لعبد الغني بالفضل ، ويشكره على ذلك ، ويرجع إلى ما أصاب فيه من الردّ عليه . رحمهما الله .

ولد الحافظ عبد الغني لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمئة ، وتوفي في صفر من هذه السنة . رحمه الله تعالى .

محمد بن أمير المؤمنين القادر بالله[3] ويكنى بأبي الفضل ، كان أبوه قد جعله ولي عهده من بعده ، وضُربت السكّة باسمه ، وخَطب له الخطباء على المنابر ، ولُقِّب بالغالب بالله ، فلم يُقدّر ذلك ، وتوفي في هذه السنة عن سبع وعشرين سنة .

محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد[4] أبو الفتح البزّاز الطرسوسي ، ويعرف بابن البصري ، سمع الكثير من المشايخ ، وسمع منه الصّوري ببيت المقدس حين أقام به ، وكان ثقة مأموناً . رحمه الله تعالى ورحمنا أجمعين .

---

(١) المنتظم (٧/ ٢٩١) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣١١) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٢٣) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٦٨) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٤٤) ، شذرات الذهب (٣/ ١٨٨) .

(٢) وذلك في كتابه « المدخل على الصحيح » وسمّاه « كشف الأوهام التي في كتاب المدخل » وقال عبد الغني : لما رددت على أبي عبد الله الحاكم الأوهام التي في المدخل بعث إليّ يشكرني ، ويدعو لي ، فعلمت أنّه رجل عاقل . السير (١٧/ ٢٧٠) .

(٣) المنتظم (٧/ ٢٩٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣١١) .

(٤) المنتظم (٧/ ٢٩٢) .

ثم دخلت سنة عشر وأربعمئة

فيها : ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند في السنة الخالية ، وفيه : أنَّه دخل مدينة وجد بها زهاء ألف قصر مشيّد وألف بيت للأصنام ، [وفيها من الأصنام شيء كثير] ، ومبلغ ما في الصنم من الذهب يقارب مئة ألف دينار ، وبلغ من الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم ، وفيهم صنم معظَّم يؤرّخون مدّته لجهلهم بثلاثمئة ألف عام ، [وقد سلبنا ذلك كلّه وغيره مما لا يحصى ولا يعدّ ، وقد غنم المجاهدون في هذه الغزوة شيئاً كثيراً] وقد عمّ المجاهدون هذه المدينة بالإحراق ، فلم يبق منها إلا الرسوم ، وبلغ عدد الهالكين من الهند خمسين ألفاً ، وأسلم منهم نحو عشرين ألفاً ، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثةً وخمسين ألفاً ، واستعرض من الأفيال ثلاثمئة وستة وخمسين فيلاً ، وحُصِّل من الأموال عشرون ألف ألف درهم [ومن الذهب شيء كثير] .

وفي ربيع الآخر جلس القادر بالله ، وقُرِىء عهد الملك أبي الفوارس ، ولُقِّب قوام الدولة ، وخلع عليه بخلع حُمِلت إليه بولاية كرمان[١] .

ولم يحجّ أحد في هذه السنة من العراق لفساد الأعراب في الطرقات .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الأصيفر المنتفقيّ[٢] الذي كان يخفر الحجّاج .

أحمد بن موسى بن مَرْدويه بن فُوْرَك[٣] أبو بكر الحافظ الأصبهاني ، توفي في رمضان هذه السنة .

هبة الله بن سلامة[٤] أبو القاسم ، الضرير ، المقرىء ، المفسّر ، كان من أعلم الناس ، وأحفظهم للتفسير ، وكانت له حلقة في جامع المنصور .

روى ابن الجوزيّ بسنده إليه قال : كان لنا شيخ نقرأ عليه ، فمات بعض أصحابه فرآه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قال : فما حالك مع منكر ونكير؟ فقال : لما أجلساني وسألاني

---

(١) انظر معجم البلدان (٤/ ٤٥٤) .
(٢) المنتظم (٧/ ٢٩٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣١٣) وذكر أنه كان يؤذي الحاجّ في طريقهم .
(٣) المنتظم (٧/ ٢٩٤) ، تاريخ أصبهان (١/ ١٦٨) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣١٣) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠٨) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٢٠١) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٤٥) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٩٣) ، شذرات الذهب (٣/ ١٩٠) .
(٤) المنتظم (٧/ ٢٩٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣١١) عرضاً .

ألهمني الله تعالى ، أن قلت : بحقّ أبي بكر وعمر[١] ، دعاني ، فقال أحدهما للآخر : وقد أقسم علينا بعظيمين فدعه ، فتركاني وذهبا عني ، فرضي الله عن أبي بكر وعمر وعن أصحاب رسول الله أجمعين .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمئة

فيها عُدم الحاكم العُبيدي[٢] صاحب مصر ، وذلك أنّه لما كان ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال ، فقد الحاكم بن العزيز بن المعزّ صاحب مصر ، فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك ، وذلك لأنه كان جبّاراً عنيداً وشيطاناً مريداً . ولنذكر شيئاً من صفاته القبيحة وسيرته الملعونة . كان قبّحه الله كثير التلوّن في أفعاله[وأحكامه] وأقواله ، جائراً في كيفيّة بلوغه ما يؤمله من ضميره الملعون ، لأنّه كان يوم أنْ يَدّعي الإلّهيّة كما ادّعاها فرعون في زمان موسى عليه السلام ، وكان قد أمر الرعيّة إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوم الناس على أقدامهم صفوفاً ، إعظاماً لذكره ، واحتراماً لاسمه ، فكان يفعل هذا في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين ، وكان [قد أمر] أهل مصر على الخصوص إذا قاموا [عند ذكره] خرّوا سجوداً له ، حتى إنّه ليسجد بسجودهم مَنْ في الأسواق من العامة من الرعاع[٣] وغيرهم [ممن كان لا يصلّي الجمعة ، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره ويسجدون للحاكم] ، وأمر في وقت أهل الكتابين بالدخول في دين الإسلام كُرْهاً ، ثمّ أذن لهم في العودة إلى أديانهم ، وخَرَّب كنائسهم ثمّ عمّرها ، وخرَّب القمامة ثمّ أعادها ، وابتنى المدارس ، وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ، ثمّ قتلهم وخرّبها ، وألزم الناس بإغلاق الأسواق نهاراً وفتحها ليلاً ، فامتثلوا ذلك دهراً طويلاً ، حتى اجتاز مرّة بشيخ يعمل النجارة في أثناء النهار فوقف عليه فقال : ألم ننهكم عن هذا؟ فقال : يا سيّدي ، لما كان الناس يسهرون [بالليل] كانوا يتعيشون بالنهار ، [ولما كانوا يتعيشون بالليل يسهرون بالنهار] ، فهذا من جملة السهر ، فتبسّم وتركه ، وأعاد الناس إلى أمرهم الأول ، وكلّ هذا تغيير للرسوم ، واختبار لطاعة العامّة له ، ليترقّى إلى ما هو أهم [وأمرّ وأعظم] من ذلك ، لعنه الله .

وقد كان يعمل الحسبة بنفسه ، [فكان] يدور في الأسواق على حمارٍ له ، وكان لا يركب إلا حماراً ، فمن وجده قد غشّ في معيشته أمر عبداً أسود معه يقال له : مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى جهاراً ، وهذا أمر منكر ملعون لم يُسبق إليه .

---

(١) لم يكن من عادة السلف الصالح ، الدعاء بحق أحد سوى الله تعالى ، وإنما يكون الدعاء بأسماء الله تعالى وصفاته ، كما قال الله تعالى في كتابه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (ع) .

(٢) المنتظم (٧/٢٩٧) ، الكامل في التاريخ (٩/٣١٤) ، وفيات الأعيان (٥/٢٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٥/١٧٣) ، النجوم الزاهرة (٤/١٧٦) ، شذرات الذهب (٣/١٩٢) .

(٣) قوله : من الرعاع ، زيادة من (ب) .

وكان قد منع النساء من الخروج من منازلهن ، وقطع الأعناب حتى لا يتخذ الناس منها خمراً ، ومنعهم من طبخ الملوخيّة ، وأشياء من الرعونات التي لا تنضبط ولا تنحصر [التي من أحسنها منع النساء من الخروج ، وكراهة الخمر] وكانت العامة موتورين منه ، يبغضونه كثيراً ، ويكتبون له الأوراق التي فيها الشتيمة البليغة له ولأسلافه وحريمه في صورة قصص ، فإذا قرأها ازداد غيظاً وحنقاً عليهم ، حتى إنّ أهل مصر عملوا صورة امرأة من ورق بخفّيها وإزارها وفي يدها قصّة ، فيها من الشتم [واللعن والمخالفة] له شيء كثير ، فلما رآها ظنّها امرأة فذهب من ناحيتها ، وأخذ القصّة من يدها ، فقرأها ورأى ما فيها فأغضبه ذلك ، وأمر بقتل تلك المرأة ، فلمّا تحققها من ورق ، ازداد أيضاً غضباً على غضبه ، ثمّ لمّا وصل إلى القاهرة ، أمر العبيد من السودان أنْ يذهبوا إلى مصر فيحرقوها ، وينهبوا ما فيها من الأموال [والمتاع] والحريم ، فذهبت العبيد فامتثلوا ما أمرهم به ، فقاتلهم أهل مصر قتالاً عظيماً ثلاثة أيام ، والنار تعمل في الدور والحريم ، وفي كلِّ يوم يخرج هو بنفسه ـ قبّحه الله ـ فيقف من بعيد ويبكي ويقول : من أمر هؤلاء العبيد بهذا ؟ ثمّ اجتمع الناس في الجوامع ورفعوا المصاحف ، وجأروا إلى الله تعالى ، واستغاثوا به ، فرقّ لهم الترك والمشارقة ، وانحازوا إليهم ، فقاتلوا معهم عن حريمهم ودورهم ، وتفاقم الحال جداً ، ثمّ ركب الحاكم يفصل بين الفريقين ، فكفّ العبيد عنهم ، وقد كان يظهر التنصّل من القصّة ، وأن العبيد ارتكبوا ذلك من غير علمه ، وإذنه ، وكان ينفذ لهم السلاح ، ويحثّهم على ذلك في الباطن ، لعنه الله تعالى ، فما انجلى الحال حتى أحرق من مصر نحواً من ثلثها ، ونهب قريباً من نصفها ، وسُبيت حريمُ خلقٍ كثير [وبنات كثيرة] . ففعل بهن الفواحش والمنكرات ، حتى أن منهن من قتلت نفسها خوفاً من العار والفضيحة ، واشترى الرجال من سُبي لهم من النساء والحريم من أيدي العبيد .

قال ابن الجوزي(١) : ثم زاد ظلم الحاكم ، وعنّ له أن يدّعي الربوبيّة ، فصار قوم من الجهّال إذا رأوه يقولون : يا واحد ، يا أحد ، يا محيي ، يا مميت [قبحهم الله جميعاً] .

صفة مقتله لعنه الله

كان قد تعدّى شره إلى الناس حتّى إلى أخته ، [وكان] يتّهمها بالفاحشة ، ويُسمعها أغلظ الكلام ، فتبرّمت منه ، وعملت على قتله، فراسلت فيه أكبر الأمراء [أميراً] يقال له : ابن دواس، فتوافقت هي وهو على قتله [ودماره] وتواطآ على ذلك ، وجهّز من عنده عبدين أسودين من عبيده شهمين ، فقالت لهما : إذا كان في الليلة الفلانيّة فكونا بجبل المقطّم . ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر في النجوم وليس معه إلا ركابي وصبيّ ، فاقتلاه واقتلاهما معه ، واتفق الحال على ذلك وتقدّر ، فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمّه : إنّ في هذه الليلة عليّ قطعاً عظيماً ، فإن نجوت منه عُمّرت نحواً من ثمانين

---

(١) المنتظم (٧/ ٢٩٨) .

سنة ، ومع هذا فانقلي حواصلي إليكِ ، فإني أخوف ما أخاف عليك من أختي ، [وأخوف ما أخاف على نفسي منها] ، فنقل حواصله إلى أمّه ، وكان له في صناديق قريب من ثلاثمئة ألف دينار وجواهر ، فقالت له أمّه : يا مولانا ، فإذا كان الأمر كما تقول : فارحمني ولا تركب في ليلتك هذه إلى موضع ، وكان من عادته أن يدور حول القصر كلّ ليلة ، فدار ثمّ عاد إلى القصر فنام إلى قريب من ثلث اللّيل الأخير ، فاستيقظ ، وقال : إن لم أركب الليلة فاضت نفسي ، فركب فرساً ، وصحبه صبيّ [وركابي] ، وصعِد جبل المقطَّم ، فاستقبله ذانك العبدان فأنزلاه عن مركوبه ، وقطعا يديه ورجليه ، وبقرا جوفه ، وحملاه فأتيا به مولاهما ابن دواس ، فحمله إلى أخته فدفنته في مجلس دارها ، واستدعت الأمراء والكبار والوزير وقد أطلعته على الجليّة ، فبايعوا لولد الحاكم أبي الحسن علي ، ولقّب بالظاهر لإعزاز دين الله ، وكان بدمشق ، فاستدعت به وجعلت تقول للناس : إن الحاكم قال لي : إنه سيغيب سبعة أيام ثمّ يعود ، فاطمأن الناس بذلك ، وجعلت [ترسل] ركابيين يصعدون الجبل ويجيئون ويقولون : تركناه بالموضع الفلاني ، ويقول الذين من بعدهم [لأمّه] : تركناه في موضع كذا حتى اطمأن الناس ، وقدم ابن أخيها وقد استصحب من دمشق ألف ألف دينار ، وألفي ألف درهم . فحين وصل ألبسته تاج المعزّ جدّ أبيه ، وحلّة عظيمة ، وأجلسته على السرير ، وبايعه الأمراء والرؤساء ، وأطلق لهم الأموال الجزيلة ، وخلعت على ابن دواس خلعة سنيّة هائلة ، وعملت عزاء أخيها الحاكم ثلاثة أيام ، ثمّ أرسلت إلى ابن دواس طائفة من الجند ليكونوا بين يديه بسيوفهم ، وقوفاً في خدمته ، ثمّ أمرتهم في بعض الأيام أن يقولوا له : أنت قاتل مولانا ، ثمّ يهبرونه بسيوفهم ، ففعلوا ذلك ، وقتلت كلّ من اطّلع على سرّها في قتل أخيها فَعَظُمتْ هيبتها ، وقَويت حرمتها ، وثَبتت دولتها . وقد كان عمر الحاكم حين قُتل سبعاً وثلاثين سنة ، وكانت مدة ملكه من ذلك خمساً وعشرين سنة [لعنه الله][(١)] .

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وأربعمئة

فيها : تولى القاضي أبو جعفر [أحمد بن محمد] السمنانيّ الحسبة والمواريث ببغداد ، وخُلِعَ عليه بالسواد .

وفيها : قال جماعة من [العلماء و] المسلمين للملك الكبير يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين : أنت [أكبر] ملوك الأرض ، وفي كلّ سنة تفتح طائفة من بلاد الكفر والعدوّ ، وهذه طريق الحجّ قد تعطلت من مدة سنين ، وفتحك لها أوجب من غيرها ، فتقدّم إلى قاضي القضاة بعمله أبي محمد الناصحي أن يكون أمير الحجّ في هذه السنة ، وبعث معه بثلاثين ألف دينار للأعراب ، غير ما جهّز معه من الصدقات

(١) زيادة من ب .

إلى الحرمين ، فسار الناس صحبته فلما كانوا بفَيد[(١)] اعترضهم الأعراب ، فصالحهم القاضي أبو محمد الناصحي بخمسة آلاف دينار فامتنعوا ، وصمّم كبير الأعراب وهو جماز[(٢)] بن عُدَيّ على أخذ الحجيج ، وركب فرسه وجال جولة ، واستنهض من معه من شياطين العرب ، فتقدّم إليه غلام من أهل سمرقند [يقال له : ابن عفان] فرماه بسهم فوصل إلى قلبه ، فسقط ميتاً ، وانهزمت الأعراب ، وسلك الحجيج الطريق ، فحجّوا ، ورجعوا سالمين آمنين ، ولله الحمد .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله[(٣)] بن حفص[(٤)] أبو سَعْد المالِيْني الصُّوفي ، ومالين قرية من قرى هَراة .

كان من الحفّاظ المكثرين الرّحالين في طلب الحديث إلى الآفاق ، وكتب كثيراً ، وكان ثقةً صدوقاً صالحاً ، وكانت وفاته بمصر في شوال هذه السنة .

الحسن بن الحسين بن محمد[(٥)] بن الحسين [بن رامين] القاضي ، أبو محمد الإستراباذي .

نزل بغداد ، وحدّث بها عن الإسماعيلي وغيره ، وكان من كبار الشافعيّة فاضلاً صالحاً ، رحمه الله تعالى .

الحسن بن منصور بن غالب[(٦)] الوزير ، الملقب ذا السعادتين .

ولد بسيراف سنة ثنتين[(٧)] وخمسين وثلاثمئة ، وتنقلت به الأحوال حتى وَزَرَ ببغداد ، ثمّ قتل وصودر أبوه على ثمانين ألف دينار .

الحسين بن عُمر[(٨)] أبو عبد الله الغَزَّال . سمع النّجاد والخُلْدي وابن السمّاك وغيرهم .

قال الخطيب : كتبت عنه ، وكان شيخاً ثقة ، صالحاً ، كثير البكاء عند الذكر . رحمه الله تعالى .

---

(١) فيد : منزل بطريق مكة . معجم البلدان (٤/ ٢٨٢) .
(٢) كذا في (ط) ، وفي (أ) و(ب) : حماد . خطأ . وينظر تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ١٧٩) .
(٣) في (ط) : « إسماعيل » وهو تحريف ظاهر ، وما أثبتناه موافق لما في مصادر ترجمته ، ومنها خط الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٢٠٠) (بشار) .
(٤) تاريخ بغداد (٤/ ٣٧١) ، المنتظم (٨/ ٣) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠١) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٣٠) ، طبقات السبكي (٤/ ٥٩) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٥٦) ، شذرات الذهب (٣/ ١٩٥) .
(٥) المنتظم (٨/ ٣) ، تاريخ بغداد (٧/ ٣٠٠) .
(٦) المنتظم (٨/ ٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٢٣) .
(٧) في (ب) و(ط) : ثلاث . خطأ ، وما هنا من (ح) ويعضده ما في مصادر ترجمته .
(٨) في (ط) : « عمرو » خطأ ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الخطيب (٨/ ٨٢) وتاريخ الإسلام (٩/ ٢٠٣) .

محمد بن عمر[١] أبو بكر العَنْبَري . كان أديباً ظريفاً حسن الشعر ، فمن ذلك قوله :

إنِّي نَظَرْتُ إلى الزَّمَا نِ وَأَهْلِهِ نَظَراً كَفَاني
فَعَرَفْتُهُ وَعَرَفْتُهُمْ وعرفتُ عِزِّي من هَوَانِي
فَلِذاكَ أَطَّرِحُ الصَّديقَ فَلا أراهُ ولا يَراني
فزهدْتُ فيما في يَدَيْهِ ودونَهُ نيلُ الأماني
فَتَعجّبُوا لمُغَالِبٍ[٢] وَهَبَ الأقَاصِي للأدَاني
وانسلَّ مِن بينِ الزِّحامِ فَمَا له في الكون[٣] ثاني

قال ابن الجوزيّ : وكان متصوّفاً ، ثم خرج عنهم ، وذمّهم بقصائد ذكرتها في « تلبيس إبليس » وكانت وفاته يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى من هذه السنة .

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق بن عبد الله بن يزيد بن خالد[٤] أبو الحسن البزّاز ، المعروف ابن رِزْقويه .

قال الخطيب : وهو أول شيخ كتبت عنه في سنة ثلاث وأربعمئة ، وكان يذكر أنَّه درس الفقه على مذهب الشافعيّ ، وكان ثقة ، صدوقاً ، كثير السماع والكتابة ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، مديماً لتلاوة القرآن ، شديداً على أهل البدع ، ومكث دهراً على الحديث ، وكان يقول : لا أحب الدنيا إلا لذكر الله وتلاوة القرآن ، وقراءتي عليكم الحديث ، وقد بعث بعض الأمراء إلى العلماء بذهب ، فقبلوا كلُّهم غيره ، فإنَّه لم يقبل منه شيئاً . وكانت وفاته في يوم الإثنين السادس عشر من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن سبع وثمانين سنة ، ودفن بالقرب من مقبرة معروف الكرخي ، رحمه الله تعالى .

أبو عبد الرحمن السُّلَمي[٥] محمد بن الحسين بن محمد بن موسى النَّيْسابوري .

روى عن الأَصَمّ وغيره ، وعنه مشايخ البغداديين كالأزهري والعُشَاري وغيرهما ، وروى عنه البيهقي وغيره .

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣٦) ، المنتظم (٨/ ٤) الكامل في التاريخ (٩/ ١١١) .
(٢) في المنتظم : لمقالة .
(٣) في (ب) و(ط) : القلب ، وفي تاريخ الخطيب : الخَلْق .
(٤) تاريخ بغداد (١/ ٣٥١) ، المنتظم (٨/ ٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥٨) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٦٠) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٥٦) ، شذرات الذهب (٣/ ١١٦) . ورزق قد تحرفت في (ط) إلى : روق .
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٨) ، المنتظم (٨/ ٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٧) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٨٠) ، طبقات السبكي (٤/ ١٤٣) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٥٦) ، شذرات الذهب (٣/ ١٩٦) .

قال ابن الجوزي : كانت له عناية بأخبار الصوفيّة ، فصنّف لهم تفسيراً [على طريقتهم] وسنناً ، وتاريخاً ، وجمع شيوخاً وتراجم وأبواباً ، وله بنيسابور دار معروفة به ، وفيها صوفيّة ، وبها قبره . ثم ذكر كلام الناس في تضعيفه في الرواية ، فحكى عن الخطيب ، عن محمد بن يوسف القطّان : أنّه لم يكن بثقة ، ولم يكن سمع من الأصمّ [شيئاً] كثيراً ، فلمّا مات الحاكم روى عنه أشياء كثيرة ، وكان يضع للصوفية الأحاديث .

[قال ابن الجوزي : وكانت وفاته في ثالث شعبان منها][(١)] .

أبو علي الحسن بن علي الدقّاق النيسابوري[(٢)] ، كان يعظ الناس ويتكلّم على الأحوال والمعرفة فمن كلامه : من تواضع لأحد لأجل دنياه ، ذهب ثلثا دينه ، لأنّه خضع له بلسانه وأركانه ، فلو خضع له بقلبه ذهب دينه كلُّه . وقال في قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] اذكروني وأنتم أحياء ، أذكركم وأنتم تحت التراب ، وقال : البلاء الأكبر أن تريد ولا تُراد ، وتدنو فتردّ إلى [الطرد و] الإبعاد . وأنشد عند قوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٤] .

جُنِنَّا بِلَيْلَى وَهِيَ جُنَّتْ بِغَيْرِنا   وَأُخْرَى بِنَا مَجْنُونَةٌ لا نُرِيدُها

وقال في قوله ﷺ : « حُفَّتِ الجنَّةَ بِالمَكَارِهِ »[(٣)] إذا كان المخلوق لا يُوصل إليه إلا بتحمّل المشاق ، فما ظنّك بالخلاق . رحمه الله تعالى .

صريع الدِّلاء[(٤)] [**الشاعر**] قتيل الغواشي[(٥)] ذو الرقاعتين [أبو الحسن] ، علي[(٦)] بن عبد الواحد[(٧)] الفقيه البغدادي ، الشاعر الماجن ، له قصيدة مقصورة في الهزل ، عارض بها قصيدة أبي بكر بن دريد ، منها :

وَأَلْفُ حَمْلٍ مِنْ مَتَاعٍ تَسْتُرُ   أَنْفَعُ لِلمسْكِينِ مِن لَقْطِ النَّوَى

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .

(٢) المنتظم ٨/ ٧ ، الكامل (٩/ ٣٢٦) ، الشذرات (٣/ ١٨٠) .

(٣) الحديث أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣) ، ومسلم (٢٨٢٢) في الجنة وصفة نعيمها .

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٣٨٣) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٢٤) ، الوافي بالوفيات (٤/ ٦١) ، شذرات الذهب (٣/ ١٩٧) . ووقع في (ط) : « صريع الدلال » وهو تحريف .

(٥) في (ط) : « الغواني » ولا يصح ، فذلك لقب عرف به مسلم بن الوليد الشاعر ، قال الصفدي بعد ذكر صريع الغواني ، قتيل الغواشي : « والثاني عندي أحسن لأمرين : لأنه في الغواشي ما في الدلاء من المعنى المراد ، ولأن الغواشي أكثر شبهاً في اللفظ بالغواني من الدلاء . لأنهم قابلوا به صريع الغواني وهو مسلم بن الوليد الشاعر الفحل » (بشار) .

(٦) سماه الذهبي محمداً ، كما وجدته بخطه في تاريخ الإسلام (٩/ ٢١١) ، وهو كذلك في السير . (بشار) .

(٧) في (ط) : عبيد الواحد .

مـنْ طَبـخَ الـدِّيـكَ وَلا يَـذْبَحُـه ... طـارَ مِـنَ القِـدْرِ إلـى حيْـثُ انْتَهـى
مـنْ أُدْخلَـتْ(١) فـي عَيْنِـهِ مِسَلَّـةٌ ... فَسَلْـهُ مِـنْ سَـاعَتِـهِ كَيْـفَ العَمَـى
والذَّقْنُ شَعْرٌ في الوُجُوهِ طَالِعٌ(٢) ... وإنما(٣) العَقْصَةُ(٤) مِنْ خَلْفِ القَفَا(٥)
مَـنْ أكَـلَ الكِـرْشَ ولمَّـا يَغْسِلْـهُ ... سَـالَ علـى لِحْيَتِـهِ شِبْـهُ الخَـرَا(٦)

إلى أن قال فيها البيت الذي حُسِدَ عليه ، وهو قوله :

مَـنْ فَـاتَـهُ العِلْـمُ وأخْطـاهُ الغِنَـى ... فَـذَاكَ والكَلْـبُ عَلَـى حَـدٍّ سَـوَا

قدم مصر في سنة ثنتي عشرة وأربعمئة ، وامتدح فيها خليفتها الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم ، واتفقت وفاته بها في رجب هذه السنة ، سامحه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمئة

فيها جرت كائنةٌ غريبةٌ ، ومصيبةٌ عظيمةٌ [عامة] ، وهي أن رجلاً من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر فظيع ، [وذلك أنّه] لمّا كان يوم الجمعة ، وهو يوم النَّفْر الأول ، طاف هذا الرجل بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر الأسود ، جاء ليقبّله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات ، وقال : إلى متى يُعْبَدُ هذا الحجر ؟ ولا محمد ولا علي يمنعني عما أفعله ، فإني أهدم اليوم هذا البيت وجعل يرتعد ، فاتّقاه أكثر الحاضرين ، وتأخَّروا عنه ، وذلك أنَّه كان رجلاً طِوالاً جسيماً أحمر اللَّون ، أشقر الشعر ، وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليَمنعوه [ممن يريد منعه من هذا الفعل] وممن أراده بسوءٍ ، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه خنجر فوجأه بها ، وتكاثر عليه الناس فقتلوه وقطَّعوه قطعاً وحرّقوه [بالنار] ، وتتبّعوا أصحابه ، فقتلوا منهم جماعة ، ونهبت أهل مكة ركب المصريين ، وتعدّى النهب إلى غيرهم أيضاً ، وجرت خبطة عظيمة ، وفتنة كبيرة جداً ، ثمّ سكن الحال بعد أن تتبّع أولئك النفر الذين تمالؤوا على الإلحاد في أشرف البلاد ، غير أنّه سقط من الحجر ثلاث

---

(١) في (ط) والسير : دخلت .
(٢) في السير : نابت .
(٣) في (ط) : كذلك .
(٤) في (ب) : الصفعة .
(٥) في السير : وإنما الدُّبْرُ الذي تحت الخُصَى .
(٦) سقط هذا البيت من (ط) .

فلق مثل الأظفار ، وبدا ما تحتها أسمر[١] يضرب إلى صفرة محبَّباً[٢] مثل الخشخاش ، فأخذ بنو شيبةَ تلك الفلق فعجنوها بالمسك واللَّكِّ ، وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت ، فاستمسك الحجر واستمرّ على ما هو عليه الآن ، وهو ظاهر لمن تأمّله[٣] .

وفي هذه السنة فتح المارستان[٤] الذي بناه الوزير مؤيَّد المُلْك ، أبو علي الحسن الرُّخَجِي وزير شرف الملك بواسط ، ورتب له الخُزّان ، والأشربة ، [والأدوية] ، والعقاقير وغير ذلك مما يحتاج إليه ، والله تعالى أعلم . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومَمن توفي فيها من الأعيان :

علي بن هلال[٥] أبو الحسن بن البوَّاب ، الكاتب ، صاحب الخطِّ المنسوب .

صحب أبا الحسين ابن سَمْعُون الواعظ ، وكان يقصّ بجامع المدينة . وقد أثنى على ابن البواب غير واحد في دينه وأمانته ، وأمّا خطه وطريقته [فيه] فأشهر من أن يُنبَّه عليها ، وخطّه أوْضح تقريباً من أبي علي بن مُقْلة[٦] ، ولم يكن بعده أكتب منه ، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل .

قال ابن الجوزي : وكانت وفاته يوم السبت ثاني جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بمقبرة باب حرب ، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها :

فَلِلْقُلُوبِ الَّتي أبْهَجْتَهَا حَزَنٌ[٧] وَلِلْعُيُونِ الَّتي أقْرَرْتَها سَهَرُ
فَما لِعَيْشٍ وَقَدْ وَدَّعْتَه أرَجٌ وَما لِلَيْلٍ وَقَدْ فَارَقْتَهُ سَحَرُ

قال ابن خلّكان : ويقال له : ابن الستري لأن أباه كان ملازماً لستر الباب ، ويقال له : ابن البوّاب ، وقد كان أخذ الخطّ عن أبي عبد الله محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزاز ، وقد سمع ابن أسد هذا على النجّاد وغيره ، وتوفي سنة عشر وأربعمئة ، وأما ابن البوّاب ، فإنّه توفي في جمادى الأولى من هذه السنة ، وقيل : في سنة ثلاث وعشرين وأربعمئة ، وقد رثاه بعضهم فقال :

---

(١) في (ب) : أضيفر .
(٢) في (ب) : متجنباً .
(٣) ذكر ابن الأثير هذه الحادثة في أحداث سنة أربع عشرة وأربعمئة .
(٤) المارستان أو البيمارستان : لفظة فارسية تعني : بيت المرضى .
(٥) المنتظم (٨/ ١٠) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٤٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣١٥) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٥٧) ، شذرات الذهب (٣/ ١٩٩) .
(٦) هو محمد بن علي بن حسن بن مقلة الكاتب ، توفي سنة ٣٢٨هـ .
(٧) في (ط) : حُرُق .

اسْتَشْعَرَ[١] الكُتَّابُ فَقْدَكَ سَالِفاً وَقَضَتْ بِصِحَّةِ ذلك الأَيَّامُ
فَلِذَاكَ سُوِّدَت الدّويّ كَآبَةً أسفاً عَلَيْكَ وشُقَّتِ الأقْلامُ

ثمّ ذكر ابن خلِّكان أول من كتب بالعربيّة ، فقيل : إسماعيل عليه السلام ، وقيل : أول من كتب العربيّة من قريش حَرْبُ بن أميّة بن عبدِ شَمْس ، أخذها من بلاد الحيرة عن رجل يقال له : أسلم بن سِدْرة ، وسأله عمن اقتبسها فقال من واضعها ، رجل يقال له : مرامر بن مُرّة ، وهو رجل من أهل الأنبار ، فأصل الكتابة في العرب من أهل الأنبار .

قال الهيثم بن عديّ : وقد كانت لحمير كتابة يسمُّونها المُسْنَد ، وهي متّصلة غير منفصلة ، وكانوا يمنعون العامة من تعلُّمها ، وجميع كتابات الناس تنتهي إلى اثني عشر صنفاً وهي : العربيّة ، والحميّرية ، واليونانيّة ، والفارسيّة ، والسريانيّة ، والعبرانيّة ، والروميّة ، والقبطيّة ، والبربريّة ، والهنديّة ، والأندلسيّة ، والصينيّة . وقد اندرس كثير منها . فقلّ من يعرف كثيراً منها .

علي بن عيسى بن سليمان بن محمد بن أبّان[٢] أبو الحَسَن[٣] الفارسيّ ، المعروف بالسكريّ الشاعر .

كان يحفظ القرآن ، ويعرف القراءات ، وصحب القاضي أبا بكر الباقلاني ، وأكثر شعره في مديح الصّحابة وذمّ الرّافضة[٤] . كانت وفاته في شعبان[٥] من هذه السنة ، ودفن بالقرب من قبر معروف الكرخي ، وقد أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات [التي عملها وهي قوله] :

نَفْسُ يا نَفْسُ كَمْ تمادَينَ في ألَفي[٦] وَتأْتِينَ[٧] في الفِعالِ[٨] المعيّبِ
راقبي اللهَ واحْذَري موقِفَ العَرْ ضِ وخَافِيْ يَومَ الحِسابِ العَصِيْبِ
لا تَغرّنَّكِ السَّلامَةُ في العَيْـ ـشِ فإنّ السَّليمَ رَهْنُ الخُطوبِ
كلُّ حَيٍّ فَلِلْمَنُونِ ولا يَدْ فَعُ كأسَ المنونِ كيدُ الأريبِ[٩]
واعْلَمِي أنَّ للمنيَّةِ وَقْتاً سوفَ يَأْتِي عجلانَ غيرَ هَيُوبِ

---

(١) في (ط) : استشعرت .
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ١٧) ، المنتظم (٨/ ١٠) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٢٩) .
(٣) في بعض النسخ : « الحسين » ، وما هنا من (ط) ، وهو الصواب الموافق لما في مصادر ترجمته ومنها تاريخ الخطيب وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٢٢٢) (بشار) .
(٤) قال ابن الأثير : وإنما سمي شاعر السنّة لأنّه أكثر مدح الصحابة .
(٥) في (ط) : شوال .
(٦) في (ط) : تلغي .
(٧) في (ط) : تمشين .
(٨) في المنتظم : وبالفعال .
(٩) في (ب) و(ط) : الأديب .

إنَّ حُبَّ الصِّدِّيْقِ فيْ موقِفِ الـ ـحشْرِ أمَانٌ للخَائِفِ المَطْلُوبِ

محمد بن أحمد بن محمد بن منصور[١] أبو جعفر البَيِّع ، ويعرف بالعتيقي ، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمئة ، وأقام بطرَسوس مدّة وسمع بها وبغيرها ، وحدّث بشيء يسير ، رحمه الله تعالى .

محمد بن محمد بن النُّعمان[٢] أبو عبد الله المعروف بابن المُعلِّم ، شيخ [الإمامية] الرافضة ، والمصنِّف لهم ، والحامي عن حوزتهم ، سمع ، وكانت له وجاهة عند ملوك الأطراف ، لميل كثير [من أهل ذلك الزمان] إلى التشيّع ، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، وكان من جملة تلاميذه الشريف [الرضي] والمرتضى ، وقد رثاه بقصيدة بعد وفاته في رمضان من هذه السنة[٣] منها :

مِنْ لفضلٍ أخْرجتُ مِنه حُسَاما[٤] وَمَعَانٍ فَضَضْتُ عنها خِتاما

مَن يُثيرُ العُقُولَ مِنْ بَعْدِمَا كُنَّ هُمُوداً ويَفْتَح الأفْهَاما

مَنْ يُعِيرُ الصَّدِيقَ رَأْياً إذَا مَا سَلَّهُ[٥] في الخُطُوب [ ] حُسَامَا[٦]

ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمئة

فيها : قدم الملك شرف الدولة إلى بغداد ، فخرج الخليفة في الطيار[٧] لتلقّيه ، وصحبته الأمراء ، والقضاة والفقهاء ، والوزراء ، والرؤساء ، فلما واجهه شرف الدولة قبّل الأرض من بين يدي الخليفة مرات ، والجيش واقف برمّته ، والعامة من الجانبين ، والخليفة يبعث الرسل إليه بالسلام عليه ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها : ورد كتاب من يمين الدولة محمود [بن سُبكْتِكين] إلى الخليفة يذكر فيه أنَّه دخل بلاد الهند أيضاً ، وأنَّه فتح بلاداً ، وقتل خلقاً منهم ، وأنَّه صالحه بعض ملوكهم ، وبعث إليه بهدايا سنيّة ، وتحف

---

(١) تاريخ بغداد (١/ ٣٥٣) ، المنتظم (٨/ ١١) .

(٢) تاريخ بغداد (٣/ ٢٣١) ، المنتظم (٨/ ١١) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٢٩) ، وهو المعروف بالشيخ المفيد .

(٣) هكذا ذكر وفاته في هذه السنة ، وذكر الخطيب أنه مات يوم الخميس ثاني شهر رمضان من سنة ٤١٣هـ ، وهو الذي بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٢٢٧ـ٢٢٨) ، ونقل ترجمته من تاريخ الخطيب ومن تاريخ ابن أبي طي الشيعي المعروف . (بشار) .

(٤) في (ط) : خبيئاً .

(٥) في (ط) : إذا ما سلّ .

(٦) في المنتظم : سلَّ في الخطوب حساماً .

(٧) الطيّار : نوع من السفن السريعة .

كثيرة ، فيها فيول عديدة ، منها طائر على هيئة القُمري ، إذا وضع عند الخوان وفيه سُمّ دمعت عيناه وجرى منها ماءٌ ، ومنها حجر يحكّ ويؤخذ ما يحصل منه فيطلى به الجراحات ذوات الأفواه الواسعة فيلحمها ، وغير ذلك . وحجّ أهل العراق في هذه السنة ، ولكن رجعوا على طريق الشام لاحتياجهم إلى ذلك .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الحَسَن بن الفضل بن سهلان[١] أبو محمد الرّامَهرمُزي ، وزير سلطان الدولة ، وهو الذي بنى سور الحائر عند مشهد الحسين ، قُتِلَ في شعبان من هذه السنة .

الحسن بن محمد [بن عبد الله] أبو عبد الله الكَشْفَلي الطبري[٢] ، الفقيه الشافعي .

تفقّه على أبي القاسم الداركي ، وكان فهماً ، فاضلاً ، صالحاً زاهداً ، وهو الذي درّس بعد الشيخ أبي حامد الإسفراييني في مسجده ، مسجد عبد الله بن المبارك في قطيعة الربيع ، وكانت الطَّلبة عنده مكرَّمين ، اشتكى بعضهم إليه حاجة ، وأنّه قد تأخرت عنه نفقته التي ترد عليه من أبيه ، فأخذ بيده وذهب إلى بعض التجار بقطيعة الربيع ، فاستقرض له منه خمسين ديناراً ، فقال [التاجر] : حتى تأكل شيئاً ، ومدَّ سماطاً فأكلوا ، ثمّ قال : يا جارية هاتي المال ، فأحضرت شيئاً من المال ، فوزن منه خمسين ديناراً ، ودفعها إلى الشيخ ، فلمّا قاما إذا بوجه الفقيه قد تغيّر ، فقال له الكَشفَلي : ما لك ؟ فقال : يا سيدي قد سكن في قلبي حبّ هذه الجارية ، فرجع به التاجر فقال : وقد وقعنا في فتنة أخرى ، قال : وما هي ؟ قال : إنّ الفقيه قد هوي الجارية . فأمر التاجر أن تخرج ، فسلّمها إليه وقال : ربّما يكون قد وقع في قلبها منه مثل الذي وقع في قلبه منها ، فلمّا كان من قريب قدمت على الفقيه نفقة من أبيه ستمئة دينار فوفّى التاجر ما كان له عليه من ثمن الجارية والقرض ، وذلك بسفارة الشيخ أبي محمد الكَشْفَلي .

وكانت وفاته في ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بمقبرة باب حرب ، رحمه الله تعالى .

علي بن عبد الله بن الحَسَن بن جَهْضَم[٣] أبو الحسن الصوفيّ المكّي صاحب « بهجة الأسرار »[٤] .

وكان شيخ الصوفيّة بمكّة ، وبها توفي في هذه السنة .

قال ابن الجوزي :

---

(١) في (ب) : « الحسين » ، وهو تحريف ، وما أثبتناه من (ط) ، والمنتظم (٨/ ١٣) ، وتاريخ الإسلام بخط الذهبي (٩/ ٢٣٣) (بشار) .

(٢) المنتظم (٨/ ١٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٣٤) .

(٣) المنتظم (٨/ ١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٧٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٠٠) .

(٤) كتاب بهجة الأسرار ذكر فيه المؤلف أخبار الصوفية ، وقد ذكر أنه أتى بعجائب وقصص لا يشك في بطلانها .

وقد ذكروا أنّه كان كذّاباً ، ويقال : إنَّه الذي وضع حديث صلاة الرغائب[(١)] .

القاسم بن جعفر بن عبد الواحد[(٢)] أبو عمر الهاشمي البصري ، قاضي البصرة .

سمع الكثير ، وكان ثقة أميناً ، وهو راوي « سنن » أبي داود عن أبي علي اللؤلؤي ، توفي في هذه السنة [وقد جاوز التسعين] .

محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبّار[(٣)] أبو الفرج ، القاضي الشافعيّ ، ويعرف بابن سُميكة .

وروى عن النجّاد وغيره ، وكان ثقة . توفي في ربيع الأول منها ، ودفن بمقبرة باب حرب .

محمد بن أحمد أبو جعفر النَّسفيّ[(٤)] .

عالم الحنفية في زمانه ، وله طريقة في الخلاف والجدل ، وكان فقيراً متزهّداً ، بات ليلة قلقاً لما عنده من الفقر والحاجة ، فعرض له فكر في فرع من الفروع كان يشكل عليه ، فاتّضح له ، فقام يرقص ويقول : أين الملوك وأبناء الملوك ، فسألته امرأته عن خبره ، فأعلمها بما حصل له ، فتعجّبت من عقله . وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة .

هِلال بن محمد بن جعفر بن سَعْدان[(٥)] أبو الفتح الحفّار .

سمع إسماعيل الصفّار ، والنجّاد ، وابن السمّاك ، وابن الصواف ، وكان ثقة ، توفي في صفر من هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة ، رحمه الله وإيّانا بمنّه .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمئة

فيها : ألزم الوزير المغربي جماعة من الأتراك ، والمولَّدين ، والشريف المرتضى ، ونظام الحضرتين[(٦)] أبا الحسن الزَّيْنبي ، وقاضي القضاة أبا الحسن بن أبي الشوارب ، والشهود بالحضور

---

(١) صلاة الرغائب ، هي صلاة في أول ليلة جمعة من شهر رجب ، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « لطائف المعارف » وهي كذب وباطل لا تصح ، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء ، وإنما لم يذكرها المتقدمون ، لأنها أحدثت بعدهم ، وأول ما ظهرت بعد الأربعمئة (ع) .
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٥١) ، المنتظم (٨/ ١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٢٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٠١) .
(٣) المنتظم (٨/ ١٥) .
(٤) المنتظم (٨/ ١٥) .
(٥) تاريخ بغداد (١٤/ ٧٥) ، المنتظم (٨/ ١٥) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٩٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٠١) .
(٦) في (ط) : الحضرة .

لتجديد البيعة لشرف الدَّولة ، فلما بلغ ذلك الخليفة توهّم أن تكون هذه البيعة لنيّة فاسدة من أجله ، فبعث إلى القاضي والرؤساء ينهاهم عن الحضور إليهم ، فاختلفت الكلمة بين الخليفة وشرف الدَّولة ، ثمّ اصطلحا وتصافيا ، وجُدِّدت البيعة لكلّ منهما من الآخر .

ولم يحجّ في هذه السنة من ركب [العراق ولا] خراسان أحد .

واتفق أن بعض الأمراء من جهة محمود بن سُبُكْتِكين شهد الموسم في هذه السنة ، فبعث إليه صاحب مصر بخلعٍ عظيمةٍ ليحملها إلى محمود بن سُبُكْتِكين ، فلما رجع بها إلى أستاذه الملك محمود ، أرسل بها إلى بغداد ، فحرّقت على باب النوبي خدمة للخليفة القادر بالله العبّاسي ، رحمه الله تعالى ، وجزاه الله خيراً عن قصده وسيرته الحسنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمود بن عمر[١] **بن الحسن بن عُبيد بن عمرو بن خالد**[٢] أبو الفرج المُعَدَّل ، المعروف بابن المُسْلِمة .

ولد سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، وسمع أباه ، وأحمد بن كامل ، والنجّاد ، والخُطَبي[٣] ، ودَعْلَج بن أحمد ، وغيرهم ، وكان ثقة ، يسكن الجانب الشرقي من بغداد ، ويملي في أول كلّ سنة مجلساً في المحرّم ، وكان عاقلاً فاضلاً كثير المعروف ، داره مألف لأهل العلم ، وكان قد تفقّه بأبي بكر الرازي ، وكان يصوم الدَّهر ، ويقرأ في كلِّ يوم سبعاً[٤] ، ويعيده بعينه في تهجّده . كانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة . رحمه الله تعالى .

أحمد بن محمد[٥] **بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان الضَّبِّيُّ** أبو الحسن المَحَامليّ ، نسبة إلى بيع المحامل [التي يحمل عليها الناس في السفر] .

---

(١) وقع في بعض النسخ : « أحمد بن محمد بن محمد بن عمر » ، ولا يصح ، وما أثبتناه من (ط) ويعضده ما في مصادر ترجمته ، منها تاريخ الإسلام بخط الذهبي (٩/ ٢٥٠) (بشار) .

(٢) تاريخ بغداد (٥/ ٦٧) ، المنتظم (٨/ ١٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٤١) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٤١) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٦٠) .

(٣) في (ط) : « الجهضمي » محرف ، وهو إسماعيل بن علي الخطبي المؤرخ المحدث المعروف (بشار) .

(٤) أي : سبع القرآن .

(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٣٧٢) ، المنتظم (٨/ ١٧) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٤١) ، وفيات الأعيان (١/ ٧٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٠٣) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٢١) ، طبقات السبكي (٤/ ٤٨) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٦٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٠٢) .
قال ابن خلِّكان : والضَّبّي ، بفتح الضاد المعجمة ، وتشديد الباء الموحدة : نسبة إلى قبيلة كبيرة مشهورة .

تفقه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وبرع في الفقه ، حتى كان الشيخ أبو حامد يقول : هو أحفظ للفقه منّي . وله المصنّفات المشهورة منها : « اللباب الأوسط » و« المُقْنع » وله : « الخِلاف » وعلّق على الشيخ أبي حامد تعليقة كبيرة .

قال ابن خلِّكان : ولد سنة ثمان وستين وثلاثمئة ، وتوفي يوم الأربعاء ، لتسع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة وقد شاب . رحمه الله تعالى .

سلطان الدولة(١) بن بهاء الدولة توفي بشِيراز عن ثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر .

عبيد الله بن عبد الله بن الحسين(٢) أبو القاسم الخَفّاف ، المعروف بابن النَّقيب .

وكان من أئمة السّنة ، وحين بلغه موت ابن المعلّم [فقيه الشيعة سجد لله شكراً] ، وجلس ابن النقيب للتهنئة وقال : ما أبالي أيّ وقتٍ متّ بعد أن شاهدت موت ابن المعلِّم ، ومكث دهراً طويلاً يصلّي الفجر بوضوء العشاء .

قال الخطيب البغدادي : وسألته عن مولده فقال : في خمس وثلاثمئة ، وأذكر من الخلفاء المقتدر ، والقاهر ، والراضي ، والمتّقي ، والمستكفي ، والمطيع ، والطائِع ، والقادر ، والغالب بالله خُطب له بولاية العهد . وكانت وفاته في سلخ شعبان من هذه السنة عن مئة وعشر سنين ، رحمه الله تعالى .

عمر بن عبد الله بن عمر بن تَعْوِيذ(٣) أبو حفص الدَّلّال ، قال : سمعت الشبليّ ينشد :

وَقَدْ كَانَ شَيْءٌ يُسمَّى السُّرورْ قَـدِيْمـاً سَمِعْنـا بِـهِ مـا فَعَـلْ
خَلِيْلـي إنْ دَامَ هَـمُّ النُّفُـوسْ قَلِيْـلاً عَلَـى مـا نَـرَاهُ قَتَـلْ
يُـؤَمِّـلُ(٤) دُنْيـا لتَبْقَـى لَـهُ فَمَـاتَ المُـؤَمِّـلُ قَبْـلَ الأمَـلْ

محمد بن الحسن(٥) أبو الحسن الأقْسَاسي العَلَوي ، نائب الشريف المرتضى في إمرة الحجّ ، حجّ بالناس في سنين متعدّدة ، وله فصاحةٌ وشعرٌ جيّدٌ ، وهو من سلالة زيد بن علي بن الحسين .

---

(١) المنتظم (١٧/٨) ، الكامل في التاريخ (٣٣٧/٩) ، سير أعلام النبلاء (٣٤٥/١٧) ، النجوم الزاهرة (٢٦١/٤) . وهذه الترجمة ساقطة من (ط) .

(٢) تاريخ بغداد (٣٨٢/١٠) ، المنتظم (١٨/٨) .

(٣) المنتظم (١٨/٨) .

(٤) في المنتظم : مؤمل .

(٥) المنتظم (١٩/٨) .

ثم دخلت سنة ستّ عشرة وأربعمئة

فيها : قوي أمر العيّارين ببغداد ، ونهبوا الدور جهرةً ، واستهانوا بأمر السلطان .

وفي ربيع الأول منها : توفي شَرَفُ الدَّولةِ بن بُوَيْه الدَّيْلَمي ، صاحب بغداد والعراق وغير ذلك ، فكثُرت الشرور ببغداد ، ونُهبت الخزائن ، واستقرّ الأمر على تولية جلال الدولة أبي الطاهر ، وخُطب له على المنابر ، وهو [إذ ذاك] على البصرة ، وخلع على شرف الملك أبي سعيد بن ماكولا وزيره ، ولقَّبه علم الدّين ، سعد الدَّولة ، أمين الملّة ، شرف المُلْك ، وهو أوّل من لُقِّب بالألقاب الكثيرة ، ثمّ طلب من الخليفة أن يبايع لأبي كاليجار ، إذ كان وليّ عهد أبيه سلطان الدولة الذي استخلفه بهاء الدولة عليهم ، فتوقّف في الجواب ، ثمّ وافقهم على ما أرادوا من ذلك ، وأقيمت الخطبة للملك أبي كاليجار يوم الجمعة سادس عشر شوال من هذه السنة .

ثمّ تفاقم أمر العيّارين ببغداد وكبسوا الدور ليلاً ونهاراً ، وضربوا أهلها كما يُضرب المصادَرون ، ويستغيث أحدهم فلا يُغاث ، واشتدّ الحال ، وهربت الشُّرَط من بغداد ، ولم تُغن الأتراك شيئاً ، وعُملت السرايج على أفواه السكك فلم يفد شيئاً(١) ، وأحرقت دار الشريف المرتضى ، فانتقل منها إلى غيرها ، وغلت الأسعار ببغداد أيضاً جداً ، ولم يحجّ أحد من أهل [العراق] وخراسان في هذه السنة ، والله أعلم بالصواب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سَابور بن أَرْدَشِير(٢)

وزر لبهاء الدولة أبي نصر بن عَضُدِ الدولة ثلاث مرات ، ووزر لشرف الدولة أيضاً ، وكان كاتباً سديداً ، عفيفاً عن الأموال ، كثير الخير ، سليم الباطن ، فكان إذا سمع المؤذِّن لا يشغله شيءٌ عن الصلاة ، وقد وقف داراً للعلم في سنة إحدى وثمانين وثلاثمئة ، وجعل فيها كتباً كثيرةً جدًّا ، ووقف

---

(١) في المنتظم (٨/ ٢٢) : وعملت الأبواب ، وأوثقت على الدروب ولم يغن ذلك شيئاً .

(٢) المنتظم (٨/ ٢٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٥٠) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٨٧) .

قال ابن خلِّكان : وسابور : بفتح السين المهملة وضم الباء الموحدة وبعد الواو راء ، والأصل فيه : شاه بور فعرب لأن الشاه بالعجمي : الملك ، وبور : ابن ؛ فكأنه قال : ابن الملك ، وعادة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف . وأول من سمي بهذا الاسم سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الفرس .

وأردشير : بفتح الهمزة ، وسكون الراء ، وفتح الدال المهملة ، وكسر الشين المعجمة ، وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، قاله الدارقطني الحافظ ، وقال غيره : معناه دقيق حليب .

عليها غلّةً كثيرةً فبقيت سبعين سنة ، ثمَّ أحرقت عند مجيء الملك طُغْرُلْبَك في سنة خمسين وأربعمئة وكانت محلتها بين السورين . وقد كان جيد المباشرة [حسن المعاشرة] إلا أنَّه كان يعزل عماله سريعاً [خوفاً عليهم من الأشر والبطر] .

توفي في هذه السنة عن قرب تسعين سنة .

عثمان النيسابوري[١] الخَرْكوشي[٢] الواعظ .

قال ابن الجوزي : صنَّف كتاباً في الوعظ من أبرز الأشياء ، وفيه أحاديث كثيرة موضوعة ، وكلمات مَرْذُولة ، إلا أنَّه كان خيِّراً صالحاً ، وكانت له وَجاهةٌ عند الخلفاء والملوك ، وكان الملك محمود بن سُبُكْتكين إذا رآه قام له ، وكانت محلّته حِمَى يُحتمى بها من الظَّلَمَةِ ، وقد وقع في بلده نيسابور موت ، فكان يغسل الموتى مؤتجراً ، فغسّل نحواً من عشرة آلاف ميت ، رحمه الله تعالى .

محمد بن الحسن بن صَالْحَان[٣] أبو منصور ، الوزير لشرف الدولة ، ولبهاء الدولة أيضاً .

وكان وزير [صدق] جيّد المباشرة ، حسن الصّلاة ، محافظاً على أوقاتها ، وكان محسناً للشعراء والعلماء ، توفي ببغداد في هذه السنة عن ستّ وسبعين سنة .

الملك شرف الدولة[٤] أبو علي بن بهاء الدولة أبي نصر بن عَضُدِ الدولة بن بُويه الدَّيلمي ، صاحب بغداد وغيرها من البلاد . أصابه مرض حادٌّ فتوفي منه لثمان بقين من ربيع الآخر عن ثلاث وعشرين سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوماً .

علي بن محمد التِّهامي[٥] أبو الحسن الشاعر ، له ديوان مشهور ، وله مرثاةٌ في ولدٍ له [قد مات] صغيراً ، أولها :

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٣) .
(٢) في بعض النسخ : « الخركوي » وهو تحريف ، وخركوش محلة بنيسابور ، كما في أنساب السمعاني (بشار) ، وجاءت نسبته على هذا الوجه في المنتظم .
(٣) المنتظم (٨/ ٢٣) .
(٤) المنتظم (٨/ ٢٤) وفيه اسمه : مشرف الدولة .
(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٣٧٨) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٨١) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٦٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٠٤) .
قال ابن خلِّكان : والتِّهامي : بكسر التاء المثناة من فوقها وفتح الهاء وبعد الألف ميم ، هذه النسبة إلى تهامة ، وهي تنطلق على مكة ، حرسها الله تعالى ، ولذلك قيل للنبي ﷺ : تهامي لأنه منها ، وتنطلق أيضاً على جبال تهامة وبلادها ، وهي خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن ، ولا أعلم هل نسبة هذا الشاعر إلى مكة أم إليها ، والله أعلم .

حكمُ المنيَّةِ في البريَّةِ جَارِي ما هـذهِ الدُّنيا بدارِ قَرَارِ
إنِّي لأرْحَمُ حَاسِديَّ لحرِّ ما ضمَّتْ صُدُورُهُم مِنَ الأوْغَارِ
نظروا صَنِيعَ اللهِ بِي فعيونُهم في جَنَّةٍ ، وقُلُوبُهم في نَارِ

ومنها في ذمّ الدنيا ، وكلّ هذه القصيدة مليح مختار :

طبعتْ(١) على كدرٍ وأنتَ تريدُها(٢) صَفْواً من الأقذار(٣) والأكْدَارِ
ومكلّف الأيام ضدَّ طباعِها متطلِّبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ
وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنَّما تَبني الرجاءَ على شفيرٍ هارِ

ومنها قوله في ولده [بعد موته] :

جاورتُ أعدائي وجاورَ رَبَّهُ شَتَّان بينَ جِوارِهِ وجِوَارِي

وقد ذكر ابن خلِّكان(٤) : أن بعضهم رآه في النوم بأبّهةٍ حسنةٍ فقال [له بعض أصحابه] : بِمَ نلت ذلك ؟ فقال : بهذا البيت ، توفي بحبس خزانة البنود من القاهرة في هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمئة

في العشرين من المحرّم ، وقعت فتنة عظيمة بين الأسفهسلاريّة(٥) وبين العيَّارين ، وركبت إليهم الأتراك بالدَّبادب كما يُفعل في الحرب ، وأحرقت أبواب كثيرة من الدور التي احتمى فيها العيَّارون ، وأحرق من الكرخ جانب كبير ، ونُهب أهله ، وتعدَّى النهب إلى غيره أيضاً ، وكانت فتنةً هائلةً شنيعةً ، ثمّ خمدت في اليوم الثاني ، وقُرّر على أهل الكرخ مئة ألف دينار [مصادرة] لإثارتهم الفتن والشرور .

وفي شهر ربيع الآخر منها شهد أبو عبد الله الحسين بن علي الصيمري عند قاضي القضاة ابن أبي الشوارب بعدما كان استتابه عمّا ذُكر عنه من الاعتزال .

وفي رمضان انقضَّ كوكب سُمع له دويّ كدويّ الرَّعد ، ووقع في سلخ شوال بَرَدٌ لم يُعهد مثله ، واستمر ذلك إلى العشرين من ذي الحجّة ، وجمد الماء طول هذه المدّة ، حتى حافات دجلة والأنهار الكبار ، وقاسى الناس شدّة عظيمة ، وتأخّر المطر ، وزيادة دجلة ، وقلّة الزراعة ، وامتنع كثير من

---

(١) في (ط) : جبلت .
(٢) في (ط) : ترومها .
(٣) في الوفيات : الأقذاء .
(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٣٨١) .
(٥) في المنتظم (٨/ ٢٤) : الإصفهسلارية .

الناس عن التصرّف . ولم يحجّ أحد من العراق وخراسان لفساد البلاد والطرقات .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

قاضي القضاة ، ابن أبي الشوارب[١] أحمد بن محمد بن عبد الله بن العبّاس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، أبو الحسن القرشيُّ الأمويُّ .

قاضي قضاة بغداد بعد ابن الأكفاني بثنتي عشرة سنة ، وكان عفيفاً نَزِهاً ، وقد سمع الحديث من أبي عمرو الزاهد ، وعبد الباقي بن قانع ، إلا أنّه لم يحدّث . قاله ابن الجوزي .

وحكى الخطيب البغدادي عن شيخه أبي العلاء الواسطي : إنّ أبا الحسن هذا كان آخر من ولي الحكم ببغداد من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، وقد ولي الحكم من سلالته أربعة وعشرُون ، منهم ثمانية قضاء القضاة ببغداد .

قال أبو العلاء : وما رأينا مثل أبي الحسن هذا جلالةً ونزاهةً ، وصيانةً وشرفاً .

وقد ذكر القاضي الماوردي : أنّه كان له صديقاً وصاحباً ، وأن رجلاً من خيار الناس أوصى له بمئتي دينار ، فحملها إليه الماورديّ فأبى أن يقبلها ، فجهد عليه كلّ الجهد فلم يفعل ، وقال : أسألك الله لا تذكر هذا لأحد ما دمتُ حيّاً ، ففعل [الماوردي] فلم يخبر عنه إلا بعد موته [وكان ابن أبي الشوارب فقيراً إليها وإلى ما هو دونها فلم يقبلها] ، وتوفي في شوال من هذه السَّنة .

جعفر بن باي[٢] أبو مسلم الجيلي ، سمع ابن بطّة ، ودرس فقه الشافعي على الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وكان ثقة ديّناً فاضلاً ، توفي في رمضان من هذه السنة .

عمر بن أحمد بن عَبْدويه[٣] أبو حازم الهُذَليّ النيسابوري .

سمع ابن نجيد والإسماعيلي وخلقاً ، وسمع منه الخطيب وغيره ، وكان الناس ينتفعون بإفادته وانتخابه ، توفي يوم عيد الفطر منها .

علي بن أحمد بن [عمر بن] حفص[٤] أبو الحسن [المقرئ] ، المعروف بالحَمَّامي .

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٤٧) ، المنتظم (٨/ ٢٥) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٩) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٣٥) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٦٤) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٠٦) .

(٢) المنتظم (٨/ ٢٧) ، وقد تحرف اسم أبيه إلى بابي . وتحرف في الأصل و(ط) إلى : أبان . توضيح المشتبه (١/ ٢٩٩) . وكذلك تحرفت نسبته في المنتظم إلى : الختلي ، وفي الأصل إلى : الحليّ .

(٣) المنتظم (٨/ ٢٧) .

(٤) تاريخ بغداد (١١/ ٣٢٩) ، المنتظم (٨/ ٢٨) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٥٦) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٠٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٠٨) ، توضيح المشتبه (٣/ ٢٩٧) .

سمع النجّاد ، والخُلْدي ، وابن السمَّاك ، وغيرهم ، وكان صدوقاً فاضلاً ، حسن الاعتقاد ، وتفرّد بأسانيد القِراءات وعلوِّها . توفي في شعبان من هذه السنة عن تسع وثمانين سنة .

صاعد بن الحسن بن عيسى الرَّبَعي البغدادي اللُّغوي[١] .

صاحب كتاب « الفصوص في اللغة » على طريقة القالي في الأمالي ، صنّفه للمنصور بن أبي عامر ، فأجازه عليه خمسة آلاف دينار ، ثمّ قيل له : إنّه كذابٌ متَّهم فيما ينقله ، فأمر بإلقاء الكتاب في نهرٍ ؛ فقال له في ذلك بعض الشعراء :

قَدْ غَاصَ في البَحْرِ كِتَابُ الفُصُوص وَهَكَـــذا كُـــلُّ ثَقيـــلٍ يَغُـــوص

فلمّا بلغ صاعداً هذا البيت قال :

عـــادَ إلـــى عنصـــرِهِ ولهمـــا يخرُجُ مـن قعرِ البحـورِ الفصـوص

قلتُ : كأنه سمى هذا الكتاب بهذا الاسم ليشاكل به « الصحاح » للجوهري ، لكنه كان مع فضيلته وبلاغته ، وعلمه ، متَّهماً بالكذب فيما يرويه وينقله ، فلهذا رفض الناس كتابه ولم يشتهر بينهم ، وقد كان ظريفاً ، ماجناً ، سريع الجواب ، سأله رجل أعمى على سبيل التهكُّم بحضرة جماعة فقال له : ما الجرنفل ؟ فأطرق ساعة ، وعرف أنّه افتعل هذه اللَّفظة ، ثمّ رفع رأسه فقال : هو الذي يأتي نساء العميان لا يتعداهنّ إلى غيرهنّ ؛ فاستحيا ذلك الأعمى ، وضحك الحاضرون ، وقد كانت وفاته في هذه السنة .

القَفَّال المَرْوَزي[٢] هو أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله القفّال .

أحد أئمّة الشافعيّة الكبار علماً ، وزهداً ، وحفظاً ، وتصنيفاً ، وورعاً ، وإليه تُنْسَبُ الطريقة الخُراسانيّة ، ومن أصحابه الشيخ أبو محمد الجويني ، والقاضي حسين ، وأبو علي السِّنْجيّ .

قال ابن خلِّكان : وأخذ عنه إمام الحرمين ، وفيما قاله نظر ، لأنّ سِنّ إمام الحرمين لا يحتمل ذلك ، فإن هذا القفّال توفي في هذه السنة وله تسعون سنة ، ودفن بسجستان ، وإمامُ الحـرمين وُلِدَ سـنة تسع عشرة وأربعمئة ، بعد وفاة القفال بسنتين ، ومات سنة ثمان وسبعين كما سيأتي ، وإنما قيل له : القفّال لأنَّه كان يعمل الأقفال ، ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة ، ثمّ أقبل على الاشتغال بعد ذلك ، رحمه الله تعالى .

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٨) ، جذوة المقتبس (٢٢٣) ، نفح الطيب (٣/ ٧٥) .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٠٥) ، طبقات السبكي (٥/ ٥٣) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٦٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٠٧) .

ثم دخلت سنة ثماني عشرة وأربعمئة

في ربيع الأوّل وقع بَرَدٌ أهلك شيئاً كثيراً من الزروع والثمار ، وقتل خلقاً كثيراً من الغَنم والوحوش .

قال ابن الجوزي(١) : وقد قيل : إنَّه كان في كلّ بردة رطلان وأكثر ، وفي واسط بلغت البردة أرطالاً ، وفي بغداد [بلغت] بقدر البيض .

وفي ربيع الآخر سألت الإسفهسلارية والغلمان من الخليفة أن يعزل عنهم أبا كاليجار لتهاونه بأمرهم [وفساده] ، وفساد الأمور في أيامه ، ويولي عليهم جلال الدَّولة الذي كانوا قد عدلوا عنه أوّل مرة ، فماطلهم الخليفة في ذلك ، وكتب إلى أبي كاليجار أن يتدارك أمره ، وأن يسرع الأوبة إلى بغداد ، قبل أن يفوت الأمر ، وألحّ أولئك على الخليفة في جلال الدولة ، وأقاموا له الخطبة ببغداد ، وتفاقم الحال ، وفسد النظام .

وفي هذه السنة ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين ، أنَّه دخل بلاد الهند أيضاً ، وأنَّه كسر الصنم الأعظم الذي لهم ، المسمّى بسومنات ، وقد كانوا يفدون إليه من كلِّ فجٍّ عميق ، ويُنْفِقُون عنده من الأموال شيئاً كثيراً جداً ، وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية مشهورة ، وقد امتلأت خزائنه أموالاً ، وعنده ألف رجل يخدمونه وثلاثمئة يحلقون [رؤوس] حجيجه ، وثلاثمئة وخمسون يغنُّون ويرقصون على باب الصنم ، [كما يُضرب على بابه الطبولُ والبوقات ، وكان عنده من المجاورين ألوف يأكلون من أوقافه ، وكان البعيد من الهنود يتمنى لو بلغ هذا الصَّنم] ، وقد كان العبد ، يعني الملك محمود بن سُبُكْتكين ، يتمنى قلع هذا الصنم ، وكان يعوقه عنه طول المفاوز ، وكثرة الموانع ، ثمّ استخار الله تعالى ، وتجشّم بجيشه تلك الأهوال إليه في ثلاثين ألفاً ممن اختارهم سوى المُطَّوِّعة ، فسلّم الله تعالى ، حتى انتهينا إلى بلد هذا الوثن ، [ونزلنا بساحة عباده فإذا هو مكان قدر المدينة العظيمة ، فما كان أسرع أن] ملكناه ، وقتلنا من أهله خمسين ألفاً ، وقلعنا هذا الوثن ، وأوقدنا تحته النّار ، ولله الحمد .

وقد ذكر غير واحد أنَّ الهنود بذلوا أموالاً جزيلة للملك محمود بن سُبُكْتِكين ليترك لهم هذا الصَّنم الأعظم ، فأشار من أشار من الأمراء بقبول تلك الأموال الجزيلة ، فقال : حتى أستخير الله تعالى ، فلمّا أصبح قال : إني فكرت في هذا الأمر ، فرأيت أنّه إذا نوديت يوم القيامة فيقال : أين محمود الذي كسر الصَّنم ، أحبُّ إليَّ من أن يقال : أين محمود الذي ترك الصنم [لأجل ما يناله من الدنيا؟] ثمّ عزم فكسره

(١) المنتظم (٨/ ٢٩) .

فوجد عليه وفيه من الذهب واللآلئ والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه بأضعافٍ مضاعفةٍ ، مع ما ادَّخر الله تعالى له من الأجر الجزيل في الآخرة ، والثناء الجميل في الأولى ، فرحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة إلى بغداد ، فتلقّاه الخليفة في الطيّار[1] ، ومعه الأكابر والأعيان ، فلمّا واجهه جلال الدولة قبّل الأرض دفعاتٍ ، ثمّ سار إلى دار المُلْك ، وعاد الخليفة إلى داره ، وأمر جلال الدولة أن يُضْرَبَ له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث ، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة وصمصامها وشرفها وبهائها ، فكان الخليفة يُضْرَبُ له في أوقات الصلوات الخمس ، فأراد جلال الدولة ذلك ، فقيل : لا يحسن مساواة الخليفة ، ثمّ صمم على ذلك في الأوقات الخمس .

قال ابن الجوزي[2] : وفيها : وقع بَرْد شديد حتى أجمد الخَلَّ ، والنبيذ ، وأبوال الدواب ، والمياه الكبار ، وحافات دجلة ، ولم يحجّ في هذه السنة أحد من أهل المشرق .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله[3] أبو عبد الله الشاهد .

خطب في جامع المنصور من سنة ست وثمانين وثلاثمئة ، ولم يكن يخطب إلا بخطبة واحدة في كلِّ جمعة ، وإذا سمعها الناس منه ضجّوا بالبكاء ، وخشعوا لصوته .

الحسين بن علي بن الحسين[4] أبو القاسم المغربي [الوزير] .

ولد بمصر في ذي الحجّة سنة سبعين وثلاثمئة ، وهرب منها حين قَتَل صاحبُها [الحاكم] أباه وعمَّه [محمداً] ، وقصد مكّة ، ثمَّ الشام ، ووزر في عدَّة أماكن ، وقد وزر لشرف الدولة بعد الرخجي ، وكان يقول الشعر الحسن ، وقد تذاكر هو وبعض الصالحين فأنشده ذلك الرجل الصالح :

إذا شِئْتَ أنْ تَحيا سعيداً[5] فلا تكنْ عَلَـى حَـالَـةٍ إلا رَضِيْـتَ بِـدُونِهـا

فاعتزل المناصب والسلطان ، فقال له بعض أصحابه : تركت المناصب في عنفوان شبابك ، فأنشأ يقول :

---

(١) الطيار : نوع من السفن السريعة .
(٢) المنتظم (٨/ ٣١) .
(٣) المنتظم (٨/ ٣١) .
(٤) المنتظم (٨/ ٣٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٢١) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٧٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٩٤) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٦٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٢١٠) .
(٥) في (ط) : غنياً .

كنتُ في سفرةِ البَطَالةِ والجهلِ زمـانـاً فحـانَ منِّـي القُـدومُ[١]
تبتُ مـن كُـلِّ مَـأْثَـمٍ فَعَسَـى يُمْـ ـحى بهَذَا الحَدِيْثِ ذَاكَ القَدِيْمُ
بعـد خمـسٍ وأربعيـنَ تعـدَّتْ ألا إن الإلٰـه القَـدِيـمَ كـريـمُ[٢]

وقد كانت وفاته بميّافارقين في رمضان هذه السنة عن خمس وأربعين سنة ، ودفن بمشهد علي بحيلة احتالها قبل وفاته ، رحمه الله تعالى .

محمد بن الحسين بن إبراهيم[٣] أبو بكر الورّاق ، المعروف بابن الخَفّاف .

روى عن القَطِيعي وغيره ، وقد اتّهموه بوضع الأسانيد والأحاديث ، قاله الخطيب وغيره .

أبو القاسم اللالِكائي[٤] هِبة الله بن الحسن بن منصور الرازي ، وهو طبريّ الأصل .

أحد تلامذة الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وكان يفهم ، ويحفظ ، وعني بالحديث ، فصنَّف فيه أشياء كثيرة ، ولكن عاجلته المنيّة قبل أن تنتشر أكثر كتبه ، وله كتاب في السنّة وشرفها ، وذكر طريقة السَّلف الصالح في ذلك ، وقع لنا سماعه على الحجّار عالياً عنه ، وقد كانت وفاته بالدِّينَوَر في رمضان من هذه السنة ، ورآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل بك ربّك ؟ قال : غفر لي . قال : بماذا ؟ قال [بشيء قليل من] السنة [أحييته] ، رحمه الله .

أبو القاسم بن أمير المؤمنين القادر بالله[٥] توفي ليلة الأحد الثاني من جمادى الآخرة ، وصلي عليه غير مرّة ، ومشى الناس في جنازته ، وحزن عليه أبوه حزناً شديداً ، وقطع الطبل أياماً .

---

(١) في (ط) :
كنـت فـي سفـر الجهـل والبطـ ـالـة حينـاً فحـان منـي القـدوم
وفي الوفيات :
كنت في سفرة الغواية والجهـ ـل مقيمـاً فحـان منـي القـدوم
(٢) في الوفيات :
بعد خمسٍ وأربعين ، لقد ما طلـتُ ، إلا أن الغـريـم كـريـم
(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٠) ، المنتظم (٨/ ٣٣) ، الشذرات (٣/ ٢١٠) . وقد ورد اسمه في (ط) : محمد بن الحسن .
(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠) ، المنتظم (٨/ ٣٤) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٦٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٢١١) .
واللالكائي : نسبة إلى بيع اللوالك التي تلبس في الأرجل ، أي : صانع النعال . اللباب (٣/ ٤٠١) .
(٥) المنتظم (٨/ ٣٤) .

أبو الحُسين(١) بن طَبَاطِبَا الشريف(٢)

كان شاعراً مجيداً ، له شعر حسن .

الأستاذ أبو إسحاق الإسْفراييني(٣) : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مِهران ، الشيخ الإمام العلامة ركن الدين الفقيه الشافعي ، المتكلِّم الأصولي .

صاحب التصانيف في الأصلين منها : « جامع الحلي »(٤) في خمسة مجلدات ، و« التعليقة النافعة في أصول الفقه » وغير ذلك ، وقد سمع الحديث الكثير من أبي بكر الإسماعيلي ، ودعلج ، وغيرهما .

وأخذ عنه البيهقي ، والشيخ أبو الطيّب الطبري ، والحاكم النيسابوري ، وأثنى عليه ، وكانت وفاته يوم عاشوراء من هذه السنة بنيسابور ، ثمّ نُقِل إلى بلده فدفن في مشهده ، رحمه الله تعالى .

[القدوري صاحب الكتاب المشهور في مذهب أبي حنيفة](٥) أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان ، أبو الحسن القُدُوريّ الفقيه الحنفي ، صاحب « المصنف المختصر »(٦) الذي يُحفظ .

كان إماماً بارعاً ، عالماً ديّناً ، مناظراً ، وكان هوالذي يلي مناظرة الشيخ أبي حامد الإسفراييني [من الخليفة] ، وكان القدوري يطريه ويقول : هو أعلم وأنظرمن الشافعي ، وكانت وفاته يوم الأحد الخامس من رجب هذه السنة عن ست وخمسين سنة ، ودفن إلى جانب الفقيه أبي بكر الخُوارزمي الحنفي .

---

(١) في بعض النسخ : « الحسن » ، وما أثبتناه يعضده ما وجدناه بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٣٠٤) .

(٢) المنتظم (٨/ ٣٤) .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ٢٨) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٣) ، الوافي بالوفيات (٦/ ١٠٤) ، طبقات السبكي (٤/ ٢٥٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٩) .

(٤) كذا الأصل بالحاء المهملة ، وكذلك في الوفيات ، وفي السير : الخلي ، بالخاء المعجمة .

(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٣٧٧) ، المنتظم (٨/ ٩١) ، وفيات الأعيان (١/ ٧٨) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٤) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٢٠) ، الجواهر المضيئة (١/ ٣٤٧) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٢٤) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٣٣) .

قال ابن خلّكان : ونسبته ، القدوري بضم القاف والدال المهملة وسكون الواو وبعدها راء مهملة ، إلى القدور التي هي جمع قِدْرٍ ، ولا أعلم سبب نسبته إليها ، بل هكذا ذكره السمعاني في كتاب الأنساب .

قال بشار : وذكر وفاته في هذه السنة غلط بيّن من المؤلف رحمه الله ، فقد ذكر الخطيب ـ وهو ممن كتب عنه ـ أنه توفي في التاريخ المذكور من سنة ثمان وعشرين وأربعمئة ، وبه أخذ الذهبي وغيره ، بل سيذكره المؤلف نفسه في حوادث سنة (٤٢٧هـ) حيث كان مشارفاً في الانفاق على سنة قنطرة عيسى . ثم ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٤٢٨هـ .

(٦) المختصر في فروع الحنفية : من الكتب المعتمدة في فقه الحنفية ، اشتهر باسم الكتاب ، له عدة طبعات ، وفي تاريخ التراث العربي لسزكين (٢/ ١٠٩) ذكر لشروحه وأماكن وجود نسخها الخطية .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمئة

فيها : وقع بين الجيش وبين جلال الدولة ، ونهبوا دار وزيره ، وجرت أمورٌ طويلة ، آل الحال فيها إلى أنَّهم اتفقوا على إخراجه من البلد ، فهيئ له زبزب[١] رثّ فخرج وفي يده طَبَرٌ[٢] نهاراً ، فجعلوا لا يلتفتون إليه ، ولا يُفكِّرون فيه ، فلما عزم على الركوب في ذلك الزبزب الرثّ ، رثوا له ، ورقّوا عليه [ولهيبته] ، فجاؤوا إليه وقبّلوا الأرض بين يديه ، وانصلحت قضيته بعد فسادها .

وفي هذه السنة قلَّ الرطب جدّاً بسبب هلاك النخل في هذه السنة الماضية بالبَرَد : فبيع الرطب كلُّ ثلاثة أرطال بدينار جلالي ، ووقع بَرَدٌ شديد أيضاً ، فأهلك شيئاً كثيراً من النخيل أيضاً .

ولم يحجّ أحد من أهل المشرق ولا من الديار المصريّة في هذه السنة ، إلا أن قوماً من خراسان ركبوا في البحر من مدينة مُكْرَان[٣] فانتهوا إلى جدّة فحجّوا ، رضي الله عنهم ، ورحمهم بمنِّه وكرمه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

حمزة بن إبراهيم [بن عبد الله] أبو الخطاب المنجّم[٤] .

حظي عند بهاء الدولة ، وعلّمه النجوم ، وكان ذا وجاهة عنده ، حتى إنّ الوزير والأمراء كانوا [يخافونه] ويكارمونه ، ويراسلونه ، ويتوسّلون به إليه في أمورهم ثمّ صار أمره [طريداً بعيداً] حتى مات يوم مات بالكرخ من سامراء غريباً فقيراً مفلوجاً ، قد ذهب ماله وجاهه [وعقله] ، لا إلّه إلا الله وحده .

محمد بن محمد بن محمد[٥] بن إبراهيم بن مَخْلَد أبو الحسن التاجر[٦] .

سمع الكثير على المشايخ المتقدِّمين وتفرّد بعلوّ الإسناد ، وكان ذا مالٍ جزيلٍ ، فخاف من المصادرة ببغداد فانتقل إلى مصر فأقام بها سنة ثمّ عاد إلى بغداد ، فاتفق مصادرة أهل محلته . فقسّط عليه ما أفقره ، ومات حين مات لم يوجد له كفن [ولم يترك شيئاً ، فأرسل له القادر بالله ما كُفِّن به] .

---

(١) الزبزب : ضرب من السفن .
(٢) الطَّبَر : الفأس .
(٣) مكران : ولاية بين كرمان من غربيها وسجستان شماليها ، والبحر جنوبيها ، والهند في شرقيها . معجم البلدان (٥/ ١٧٩) .
(٤) المنتظم (٨/ ٣٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٦٣) .
(٥) سقط هذا الاسم من (ط) .
(٦) المنتظم (٨/ ٣٧) ، تاريخ بغداد (٣/ ٢٣١) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٧٠) .

مبارك الأنْماطي[١] كان ذا مالٍ جزيلٍ ، خلّف يوم توفي ثلاثمئة ألف دينار ولم يترك وارثاً سوى ابنةٍ واحدةٍ ببغداد ، وكانت وفاته بمصر .

أبو الفوارس بن بهاء الدولة[٢] كان ظالماً مارداً ، إذا سكر يضرب الرجل من أصحابه أو وزيره مئتي مقرعة ، بعدما يحلّفه بالطلاق أنّه لا يتأوّه ، ولا يخبر بذلك أحداً ، فيقال : إنّ حواشيه سمُّوه ، فلما مات نادوا بشعار أخيه كاليجار .

أبو محمد بن بابشاذ ، وزير كاليجار[٣] لقَّبَهُ معزّ الدولة ، فلك الدولة ، سيد الأمّة ، وزير الوزراء ، عماد الملك ، ثمّ سُلّم [بعد ذلك] إلى جلال الدولة ، فاعتقله ، ومات في هذه السنة .

أبو عبد الله المتكلِّم[٤] توفي في هذه السنة ، هكذا رأيت ابن الجوزي ، ترجمه مختصراً .

ابن غَلْبُون[٥] أبو محمد ، عبدُ المُحسن بن محمد بن أحمد بن غالب[٦] ، الشّاميُّ ثمّ الصّوريُّ ، الشاعر المطبق ، له ديوان شعر مليح بليغ كان قد نظم قصيدة بليغة في بعض الرؤساء ثمّ أنشدها لرئيس آخر اسمه : ذو المنقبتين ، وزاد فيها بيتاً واحداً فقال فيها :

ولـــكَ المنـاقِـبُ كُلُّهـا فَلِمَ اقتصرْتَ على اثْنَتَينِ

فأجازه جائزة حسنة[٧] ، فقيل له : إنّها ليست فيك ، فقال : إن هذا البيت وحده بقصيدة ، وله ـ رحمه الله تعالى ـ في بخيلٍ نَزَلَ عنده :

وَأخ مَسَّـــهُ نُــزُولِـــي بِقَـــرْحٍ مثل ما مسّني من[٨] الجوع قَرْحُ

---

(١) المنتظم (٨/ ٣٧) .
(٢) المنتظم (٨/ ٣٧) ، الكامل في التاريخ (٨/ ٣٦٨) .
(٣) المنتظم (٨/ ٣٧) وفيه اسمه : أبو محمد بابشاذ .
(٤) المنتظم (٨/ ٣٨) .
(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٢٣٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٠٠) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٦٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٢١١) .
(٦) وقع في بعض النسخ : « بن غالب بن غلبون » ، ولا يصح بهذه الصيغة إذا كتب في الأول عنوان الترجمة لأن غالباً هو غلبون ، ولذلك كتب الإمام الذهبي في حاشية نسخته بعد أن كتب اسم غالب « خ غلبون » أي هو كذلك في نسخة أخرى . والظاهر أن المصنف نقل هذه الترجمة من تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٦/ ٤٨٢ ـ ٤٨٥) وأن النسخة التي اعتمدها كتب فيها نسبه : . . . غالب بن غلبون » وفي مثل هذه الحالة يتعين وضع فاصلة بين « غالب » و« ابن غلبون » ليعرف أن المراد : المعروف بابن غلبون وينظر تاريخ الإسلام (٩/ ٣٠٨) (بشار) .
(٧) في (ب) : سنية .
(٨) في (ط) : منه .

بِـتُّ ضَيْفـاً لَـهُ كَمَـا حَكَـمَ الـدَّهْـ ـرُ وفـي حُكْمِـهِ علـى الحـرِّ قُبـح[١]
فـابْتَـدَانِـي يَقُـولُ وهُـوَ مِـن الـ ـسكْـرِ بـالهَـمِّ طـافِـحٌ لَيْـسَ يَصْحُـو
لِـمْ تَغَـرَّبْـتَ قُلْـتُ قَـال رسـول اللَّـ ـهِ والقـولُ مِنْـهُ نُصْـحٌ ونُجْـحُ
« سـافـروا تَغْنمـوا » فقـال وقـدْ قالَ تَمامُ الحديثِ : « صُوموا تصحّوا »[٢]

ثم دخلت سنة عشرين وأربعمئة

فيها : سقط بناحية المشرق مطر شديد ، معه بَرَدٌ كبار . قال ابن الجوزي[٣] : حزرت البَرَدة الواحدة منه بمئةٍ وخمسين رطلاً ، وغاصت في الأرض نحواً من ذراع .

وفيها : ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين أنّه أحلّ بطائفة من أهل الريّ الباطنية والروافض قتلاً ذريعاً ، وصَلْباً شنيعاً ، وأنّه انتهت إليه أموال رئيسهم رستم بن علي الدَّيلمي ، فحصّل منها ما يقارب ألف ألف دينار ، وقد كان في حيازته نحو من خمسين امرأة حُرّة ، قد ولدنَ له ثلاثاً وثلاثين ولداً من ذكر وأنثى ، وكانوا يرون الإباحة [في ذلك] .

وفي رجب من هذه السنة انقضت كواكبُ كثيرةٌ شديدةُ الصوت قويةُ الضَّوء .

وفي شعبان كَثُرَت العملات[٤] ، وضعف رجال المعونة عن مقاومة العيّارين ، وفي يوم الإثنين الثاني[٥] والعشرين منه ، غار ماء دجلة[٦] حتى لم يبق منه إلا القليل ، ووقفت الأرحاء ، وتعذَّر الطحن .

وفي هذا اليوم جُمِعَ القضاة والعلماء في دار الخلافة ، وقُرِىء عليهم كتاب جمعه أمير المؤمنين القادر بالله ، فيه مواعظ وتفاصيل مذاهب أهل السنّة ، والردّ على أهل البدع ، وتفسيق من قال بخلق القرآن ، وصفة ما وقع بين بِشْرٍ المَرِيسي[٧] وعبد العزيز بن يحيى الكِناني[٨] من المناظرة ، ثمّ خَتَمَ

---

(١) في (ط) : فتح .
(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٨٣١٢) من حديث أبي هريرة بلفظ « اغزوا تغنموا » وصوموا تصحوا ، وسافروا « تستغنوا » وإسناده ضعيف (ع) .
(٣) المنتظم (٨/ ٣٨) .
(٤) العملات : السطو على المنازل .
(٥) في (ط) : الثامن عشر من رجب .
(٦) في المنتظم (٨/ ٤٠) وتاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ١٨٨) : الفرات .
(٧) بشر المريسي هو ابن غياث بن أبي كريمة العدوي ، كان من كبار الفقهاء ، أخذ عن القاضي أبي يوسف ، وناظر الشافعي ، ثم نظر في الكلام فغلب عليه ، ودعا إلى القول بخلق القرآن . توفي في سنة ٢١٨ . ترجمته في تاريخ بغداد (٧/ ٥٦) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٧٧) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩) .
(٨) عبد العزيز بن يحيى الكناني ، تفقه بالشافعي واشتهر بصحبته ، وكان من أهل العلم والفضل ، وله مصنفات عدة =

القول بالوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخذ خطوط الحاضرين بالموافقة لما سمعوه .

وفي يوم الاثنين غرة ذي القعدة جُمعوا أيضاً كلّهم وقرئ عليهم كتاب آخر طويل يتضمن بيان السنّة والردّ على أهل البدعة ، ومناظرة بِشْر المريسي والكناني ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفضل الصحابة ، وذكر فضائل أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة ، وأخذ خطوطهم بموافقة ما سمعوا ، وعُزِلَ خُطباء الشيعة ، ووُلّي خطباءٌ غيرهم من أهل السّنَّة ، وجرت فتنة عظيمة بمسجد براثا ، وضربوا الخطيب السنيّ بالآجر ، حتى كسروا أنفه ، وخلعوا كتفه ، وانتصر له الخليفة فأهان الشيعة ، وأذلَّهم ، حتى جاؤوا يعتذرون مما وقع ، وإنَّه ما تعاطاه إلا سفهاؤهم ، وسقطهم ، ولم يتمكن أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة من الحجّ ، والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن أبي العِيس[(١)] أبو علي الزاهد .

أحد العبّاد أصحاب الأحوال ، دخل على بعض الوزراء فقبّل يده ، فعوتب الوزير في ذلك فقال : كيف لا أقبّل يداً ما امتدت قطّ إلا إلى الله تعالى .

علي بن عيسى بن الفَرَج بن صالح[(٢)] أبو الحسن الرَّبَعي .

أخذ العربيّة عن أبي سعيد السِّيرافي ، ثمَّ عن أبي علي الفارسي ، ولازمه عشرين سنة ، حتى كان يقول : قولوا له : لو سار من المشرق إلى المغرب لم يجد أحداً أنحى منه ، وكان يوماً يتمشى على شاطئ دجلة إذ نظر إلى الشريفين : الرضي والمرتضى في سفينة ، ومعهما عثمان بن جنّي فقال لهما مداعباً : من أعجب الأشياء أن عثمان معكما ، وعلي بعيد منكما يمشي على شاطئ دجلة [فضحكا ، وقالا : باسم الله] .

وكانت وفاته في المحرّم من هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة ، ودفن بباب الدير ، ويقال : إنه لم يشيع جنازته سوى ثلاثة أنفس .

= تظهر فيها آثار الشافعي عند ذكر الخصوص والعموم . توفي سنة ٢٤٠هـ . ترجمته في : تاريخ بغداد (١٠/ ٤٤٩) ، طبقات السبكي (٢/ ١٤٤) ، شذرات الذهب (٢/ ٩٥) .

(١) المنتظم (٨/ ٤٥) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٩٤) والعيس كذا وردت في (أ) و(ب) وفي (ط) : القين ، وفي المنتظم والكامل : الهبيش .

(٢) المنتظم (٨/ ٤٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٩٢) ، الوفيات (٣/ ٣٣٦) وقال في نسبته الرَّبَعي : بفتح الراء والباء الموحدة وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى ربيعة ، ولا أعلم أهو ربيعة بن نزار أم غيره ، فقد جاءت هذه النسبة إلى جماعة اسم كل واحد منهم ربيعة ، والله أعلم .

أسد الدولة(١) أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس الكِلابيّ .

أول ملوك بني مِرداس بحلب ، انتزعها من يد نائب الظاهر بن الحاكم العبيدي ، في ذي الحجّة سنة سبع عشرة وأربعمئة ، ثم جاءه جيش كثيف من مصر ، فاقتتلوا فقُتِل أسد الدولة هذا في سنة تسع عشرة ، وقام حفيده نصر .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمئة

فيها : توفي الملك الكبير [المجاهد الغازي فاتح بلاد الهند] محمود بن سُبُكْتِكين ، رحمه الله تعالى . لما كان في ربيع الأول من هذه السنة توفي الملك العادل المجاهد [الثاغر المرابط ، المؤيَّد ، المنصور] يمين الدولة ، أبو القاسم محمود بن سُبُكْتِكين صاحب بلاد غَزْنة ، ومالك تلك الممالك الكبار ، وفاتح أكثر بلاد الهند قهراً ، وكاسرُ أصنامهم وبدودهم وأوثانهم(٢) كسراً ، وقاهر جنودهم وسلطانهم الأعظم قسراً ، وقد تمرّض نحواً من سنتين ، لم يضطجع فيها على فراش ، ولاتوسّد وساداً ، بل كان ينام قاعداً حتى مات وهو كذلك ، وذلك لشهامته ، وصرامته ، وقوّة عزمه ، وله من العمر ستون سنة ، وقد عهد بالأمر من بعده لولده محمد ، فلم يتمّ أمره حتى غافصه(٣) أخوه مسعود بن محمود فاستحوذ على ممالك أبيه ، مع ما كان إليه ممايليه ، وفتحه هو بنفسه من بلاد الكفّار من الرساتيق الكبار والصغار ، فاستقرَّت له الممالك شرقاً وغرباً في تلك النواحي في أواخر هذا العام ، وجاءته الرسل من كلّ ناحية ، ومن كلّ ملك همام بالتحية والإكرام ، [وبالخضوع التام] وستأتي ترجمة محمود في الوفيات .

وفيها : استحوذت السريّة التي كان بعثها الملك محمود إلى بلاد الهند على أكبر مدائنهم ، وهي المسمّاة نَرْسَى ، دخلوها في نحو من مئة ألف مقاتل ما بين فارس وراجل ، فنهبوا سوق العطر والجوهر بها نهاراً كاملاً ، [ولم يستطيعوا أن يحولوا ما فيه من أنواع الطيب والمسك والجواهر واللآلئ واليواقيت] ولم يدر أكثر أهلها بشيء لاتساعها ، وذلك أنها كانت في غاية الكبر ، طولها مسيرة منزلة من منازل الهند ، وعرضها كذلك ، وأخذوا منها من الأموال والتحف [والأثاث] ما لا يحدّ ولا يوصف ، حتى قيل : إنهم اقتسموا الذهب والفضة بالكيل ، ولم يصل إلى هذه المدينة جيش من جيوش المسلمين ، لا قبل هذه السنة ولا بعدها [وهذه المدينة من أكثر بلاد الهند خيراً ومالاً ، بل قيل : إنه لا توجد مدينة أكثر منها مالاً ورزقاً مع كفر أهلها ، وعبادتهم الأصنام ، فليسلم المؤمن على الدنيا

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٨٧) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٩٢) .

(٢) البدود جمع بُدّ : بيت فيه أصنام وتصاوير .

(٣) غافصه : فاجأه ، وأخذه على غرة .

سلام ، وقد كانت محل الملك ، وأخذوا منها من الرقيق : من الصبيان والبنات ما لايحصى كثرة][١] .

وفي هذه السنة : عملت الروافض بالكرخ بدعتهم الشنعاء [وحادثتهم الصلعاء][٢] في يوم عاشوراء من تعليق المسوح[٣] ، وتغليق الأسواق ، والنواح والبكاء في الأزقة والأرجاء ، فأقبل أهل السُنّة إليهم في الحديد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتِلَ من الفريقين طوائف كثيرة ، وجرت بينهم فتن كبيرة [وشرور مستطيرة] .

وفي هذه السنة : مرض أمير المؤمنين القادر بالله ، وعهد بولاية العهد من بعده إلى ولده أبي جعفر القائم بأمر الله ، بمحضر من القضاة والوزراء والكبراء ، وخطب له بذلك على المنابر ، وضرب اسمه على السكّة المتعامل بها .

وفيها : أقبل ملك الروم من قسطنطينية في ثلاثمئة ألف مقاتل ، فسار حتى بلغ بلاد حلب وعليها شِبْلُ الدولة نصر بن صالح بن مِرْداس ، فنزلوا على [مسيرة] يوم منها ، ومن عزم ملك الروم قبّحه الله ، أن يستحوذ على بلاد الشام بكمالها ، وأن يستردّها إلى ما كانت عليه في أيديهم قبل الإسلام ، وقد قال رسول الله ﷺ : « [إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده و] إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده »[٤] ، وقيصر هو من ملك الشام مع بلاد الروم ، فلا سبيل لملك الروم إلى هذا الرَّوْم الذي أراده هذا المذموم ، فلما حصل بجيشه قريباً من حلب كما ذكر ، أرسل الله عليهم عطشاً شديداً ، وخالف بين كلمتهم ، وذلك أنّه كان معه الدمستق ، فعامل طائفة من الجيش على قتله ليستقلّ بالأمر من بعده ، ففهم ذلك ملك الروم ، فكرّ من فوره راجعاً [﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾] [الأحزاب : ٢٥] ولمّا كروا راجعين إلى بلادهم اتبعهم الأعراب ينهبونهم ليلاً ونهاراً ، وكان في جملة ما أخذوا أربعمئة بغلٍ محمّلةٍ مالاً وثياباً للملك ، وهلك أكثر الروم جوعاً وعطشاً ونهبتهم الأعراب من كلِّ جانب .

وفيها : ملك جلال الدولة واسطاً ، واستناب ولده عليها ، وبعث وزيره أبا علي بن ماكولا إلى البطائح والبصرة ، ففتح البطائح ، وسار في الماء إلى البصرة ، وعليها نائب لأبي كاليجار ، فهزمهم البصريون ، فسار إليهم جلال الدين والدولة بنفسه ، فدخلها في شعبان هذه السّنة ، ودقت البشائر فرحاً ببغداد .

---

(١) الخبر في الكامل في التاريخ (٩/ ٣٩٥ـ٣٩٦) .

(٢) الصلعاء : الداهية الشديدة والشنيعة .

(٣) المسوح : جمع مسح ، وهو الكساء من الشعر .

(٤) الحديث أخرجه البخاري (٣٦١٨) في المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ومسلم (٢٩١٨/ ٧٥) في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل .

وفيها : جاء سيل عظيم بغزنة ، فأهلك شيئاً كثيراً من الزروع والأشجار .

وفي رمضان منها تصدّق مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين بألف ألف درهم ، وأجرى أرزاقاً [كثيرة] للفقهاء والعلماء ببلاده على عادة أبيه من قبله ، وفتح بلداناً كثيرة ، واتسعت ممالكه جداً ، وعَظُمَ شأنه ، وقَوِيَتْ أركانه ، وكَثُرَتْ جُنْدُه ، وأعوانه .

وفيها : دخل خلق كثير من الأكراد إلى بغداد ، يسرقون خيلَ الأتراك ليلاً ، فتحصّن الناس ، وحصّنوا أنفسهم [فأخذوا] خيولهم حتّى خيل السلطان .

وفيها : سقط جسر بغداد ، وهو الذي عند الدبّاس على نهر عيسى .

وفيها : وقعت فتنة بين الأتراك النازلين بباب البصرة وبين الهاشميين ، فرفعوا المصاحف ، ورمتهم الأتراك بالنشاب ، وجرت خبطة عظيمة ، ثمّ اصطلحت الحال بين الفريقين .

وفيها : كثرت العملات ببغداد ، وأُخِذَتِ الدور جهرةً ؛ وكثُر العيّارون ، ولصوص الأكراد .

وفيها : تعطّل الحجّ أيضاً ، من بلاد العراق وخراسان ، لفساد البلاد ، ولم يحجّ سوى سرية من أهل العراق ركبوا من جِمَال البادية مع الأعراب مخاطرة ، ففازوا بالحجّ ، والله أعلم .

ذكر من توفي هذه السنة من الأعيان :

أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو الحسن الواعظ ، المعروف بابن الرَّان(١) ، صاحب كرامات ومعاملات ، كان من أهل الجزيرة ، فسكن دمشق ، وكان يعظ الناس بالزيادة(٢) القبليّة حيث كان يجلس القصّاص ، قال ذلك الحافظ ابن عساكر ، قال : وصنّفَ كتباً في الوعظ ، وحكى حكايات كثيرة قال : سمعت أبا القاسم بن السمرقندي يقول : سمعت أبا طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر يقول : سمعت أبا الحسن أحمد بن عبد الله الرَّاني ينشد أبياتاً :

أنا ما أصنَعُ باللذْ ... ذاتِ شُغْلِي بِالذنُوبِ
إنَّما العيدُ لمنْ فا ... زَ بحَظٍّ من حَبِيْبِ
أصْبحَ الناسُ على رَوْ ... حٍ ورَيْحانٍ وطِيْبِ
ثمَّ أصْبَحتُ على نَوْ ... حٍ وحُزْنٍ وَنَحِيْبِ
فَرِحُوا حِيْنَ أهَلُّوا ... شَهْرَهُمْ بَعْدَ المَغِيْبِ
وَهِلالي مُتَوارٍ ... مِنْ وَرَا حُجْبِ الغُيُوبِ

(١) في (ط) : أكرات . خطأ . والران نسبة إلى مدينة بين مراغة وزنجان .
(٢) في (ط) : الرفادة . خطأ .

فَلِهَــذَا يَــا خَلِيْلِــي ... قُلْــتُ لِلَّـذَّاتِ غِيْبِـي[١]
وَجَعَلْـتُ الهَـمَّ والحُـزْ ... نَ مـن الـدنيـا نصيبـي
يَـاحَيَـاتـي ومَمَـاتـي ... وسَقَـامـي[٢] وطَبِيبـي
جُـد لِصَـبٍّ[٣] يتلظّـى ... مِنْكَ بالرَّحْبِ الرَّحِيْبِ

ثم أرّخ وفاته لعشر بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، ودفن بمسجد القدم .

الحسين بن محمد الخَلِيع الشاعر[٤] له ديوان شعر حسن مليح [عمّر طويلاً] ، ووفاته في هذه السنة عن سنٍّ عالية .

الملك الكبير[٥] ، الشهيد العادل ، محمود بن سُبُكْتِكين أبو القاسم الملقّب بيمين الدولة ، وأمين الملّة ، صاحب بلاد غَزْنة وماوالاها ، وجيشه يقال لهم : السّامانيّة ، وكان أبوه قد تملّك عليهم ، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمئة ، فتملك بعده ولده [محمود] هذا ، فسار فيهم وفي سائر الرعايا سيرة عادلة ، وقام بأعباء الإسلام قياماً تاماً ، وفتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند وغيرها ، وعظم شأنه في العالمين ، واتسعت مملكته ، وامتدت رعاياه ، وطالت أيامه [لعدله وجهاده وما أعطاه الله إيّاه] ، وكان يخطب في سائر ممالكه للخليفة العباسيّ القادر بالله . وكانت رسل الفاطميين من الديار المصريّة تَفِد عليه بالكتب والهدايا والتحف ، [لأجل أن يكون من جهتهم] فيخرِّق بهم ، ويقطِّع كتبهم [وهداياهم] ، ويحرّق حُلَلَهم ، وقد اتفق له في الهند فتوحات [هائلة] لم تتفق لغيره من الملوك ، لا قبله ولا بعده ، وغَنِم مغانم كثيرة لا تنحصر ولا تنضبط كثرة من الذهب واللآلئ والسبي ، وكسّر من أصنامهم وأبدادهم وأوثانهم شيئاً كثيراً جداً [وأخذ من حليِّها] بيّض الله وجهه ، وقد ذكرنا ذلك مفصّلاً فيما سلف مُفَرَّقاً في السنين [المتقدمة من أيامه] ، كان [من جملة] ما كسر من الأصنام بدٌّ عظيم للهنود يقال له : سومنات ، بلغ ما تحصّل منه من الذهب عشرين ألف ألف دينار ، وكسر ملك الهند الكبير الذي يقال له : جبيال[٦] وقهر ملك الترك الأعظم الذي يقال له : إيلك خان ، وأباد ملك السامانيّة ، وقد ملكوا بخراسان مئة سنة

---

(١) في (ط) :

فلهــذا قلــت للـــذا ... ت غيبــي ثــم غيبــي

(٢) في (ط) : شقائي .
(٣) في (ط) : لنفس .
(٤) المنتظم (٨/ ٥١) .
(٥) المنتظم (٨/ ٥٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ١٣٩) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٧٥) ، طبقات السبكي (٥/ ٣١٤) ، الجواهر المضية (٢/ ١٥٧) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٣٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٨٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٢٠) .
(٦) في (ط) : صينال .

بلاد سمرقند وماحولها ، ثم هلكوا ، وبنى على جيحون جسراً [تعجز الملوك والخلفاء عنه] غرم عليه ألفي ألف دينار ، وهذا شيء لم يتفق لغيره من الملوك ، وكان معه في جيشه أربع مئة خيل تقاتل ، وهذه مرتبة هائلة ، ومرتبة طائلة ، وجرت له فصول ، ذكر تفصيلها يطول ، وكان [مع هذا] في غاية الديانة والصيانة ، [وكراهة المعاصي وأهلها ، لا يحب منها شيئاً ولا يألفه ، ولا أن يسمع بها ، ولا يجسر أحد أن يظهر معصية ولا خمراً في مملكته ولا غير ذلك ، ولا يحب الملاهي ولا أهلها] ، وكان يُحب العلماء والمحدثين ، ويُكرمهم ويُجالِسهم ويحسن إليهم ، [ويحب أهل الخير والدين والصلاح] وكان حنفي المذهب ، ثمّ صار شافعيّاً على يدي أبي بكر القفال الصغير ، على ما ذكره إمام الحرمين وغيره ، وكان كرّامياً على اعتقادهم ، وكان من [جملة] من يجالسه منهم محمد بن الهيضم ، تناظر هو وأبو بكر بن فُورك بين يدي محمود بن سُبُكْتكين في مسألة العرش ، مناظرة طويلة ، ذكرها ابن الهيضم في مصنّف له ، فمال [السلطان] محمود بن سُبُكْتِكين إلى قول ابن الهيضم [ونقم على ابن فورك كلامه ، وأمر بطرده وإخراجه ، لموافقته لرأي الجهميّة ، وكان عادلاً جيداً] .

اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه وعلى أهله في كلِّ وقت ، فيخرجه من البيت ، ويختلي بامرأته ، وقد حار في أمره ، وكلّما اشتكاه إلى أحد من أولي الأمر ، لا يتجاسر على إقامة الحدِّ عليه ، يهابون الملك [فلما سمع الملك ذلك غضب غضباً شديداً] ، وقال له : ويحك ! متى جاءك فأتني فأعلمني ، ولا تسمعنّ من أحد منعك من الوصول إليّ ، ولو كان في الليل ، [ثم إن الملك] تقدَّم إلى الحَجَبَةِ ، أنّ هذا لا يمنعه أحد متى جاء من ليلٍ أو نهارٍ ، [فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختلى بأهله] فذهب باكياً إلى دار الملك ، فقيل له : إن الملك نائم ، فقال : وقد تقدّم إليكم بما سمعتم ، فنبّهوا الملك ، فخرج معه بنفسه وحده ، وجاء منزل ذلك الرجل ، فنظر إلى الغلام وهو نائم مع المرأة في فراش الرجل ، وعندهما شمعة تقد ، فتقدّم الملك فأطفأ الضوء ، ثم جثا فاحتز رأس الغلام ، وقال للرجل : ويحكَ الحقني بشربة من ماء ، فسقاه ثم انطلق الملك ليذهب فقال له الرجل : سألتك بالله لم أطفأت الشمعة ؟ فقال : ويحك ! إنه ابن أختي كرهت أن أشاهده حالة الذبح ، فقال : ولم طلبت الماء سريعاً ؟ فقال : إني كنت آليت [على نفسي] منذ أخبرتني أن لا أطعم طعاماً ، ولا أشرب شراباً ، حتى [أنصرك و] أقوم بحقّك ، فكنت عطشاناً هذه الأيام [كلّها] ، حتى كان ما رأيت ، فدعا له ، وانصرف [الملك راجعاً إلى منزله ، ولم يشعر بذلك أحد] رحمه الله تعالى .

وكان مرضه سوءَ مزاجٍ اعتراه ، وانطلاق البطن سنتين ، فكان فيهما لا يضطجع على فراشٍ ، ولا يتّكيء على شيء لقوّة بأسه [وسوء مزاجه] ، بل يستند إلى مخادَّ توضع له ، ويحضر مجلس ملكه ، ويفصل بين الناس على عادته ، حتى مات وهو كذلك ، في يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة ، عن ثلاث وستين سنة ، ملك منها ثلاثاً وثلاثين سنة ، وخلف من الأموال شيئاً كثيراً ، من ذلك :

سبعون رطلاً من جوهر [الجوهرة منه لها قيمة عظيمة] ، وقام بالأمر من بعده ولده محمّد ، ثمّ صار الملك إلى ابنه الآخر مسعود بن محمود ، فأشبه أباه ، وقد صنّف بعض العلماء مجلّداً في سيرته ، وأيامه ، وأحكامه ، وفتوحاته ، وممالكه ، فأفاد .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وأربعمئة

فيها : كانت وفاة القادر بالله ، وخلافة ابنه القائم بالله ، على ما سيأتي تفصيله . وفيها : وقعت فتنة عظيمة بين السنّة والروافض ، فقويت عليهم السُّنّة ، وقتلوا خلقاً منهم ، ونهبوا الكرخ ، ودار الشريف المرتضى ، ونهبت العامة دور اليهود لأنهم نُسبوا إلى معاونة أهل الكرخ من الروافض ، وتعدّى النهب إلى دور كثيرة [وانتشرت الفتنة جداً ثمّ سكنت بعد ذلك ، وفيها كثرت العملات] ، وانتشرت المحنة بأمر العيّارين في أرجاء البلد ، وتجاسروا على أمور كثيرة ، ونهبوا دوراً وأماكن سِرّاً وجهراً ، ليلاً ونهاراً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

خلافة القائم بالله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله

بويع له بالخلافة لمّا توفي أبوه القادر بالله ، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد ابن الأمير أبي أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور في ليلة الإثنين الحادي عشر من ذي الحجة من هذه السنة عن ستّ وثمانين سنة ، وعشرة أشهر ، وواحد وعشرين يوماً ، ولم يعمّر أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ولا بعده ، من ذلك في الخلافة إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر ، وهذا أيضاً شيء لم يسبقه أحد في ذلك ، وأمّه أم ولد اسمها تمنِّي مولاة عبد الواحد بن المقتدر ، وقد كان رحمه الله حليماً كريماً ، محبّاً لأهل العلم والدين والصلاح ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان على طريقة السَّلف في الاعتقاد ، وله في ذلك مصنّفات كانت تقرأ على الناس ، وكان أبيض ، حسن الجسم ، طويل اللِّحية ، عريضها ، يخضّبها ، وكان يقوم اللَّيل ، كثير الصَّدقة ، محبًّا للسّنة وأهلها ، يُبغض البِدعة والقائمين بها ، وكان يُكثر الصَّوم ويبرّ الفقراء من إفطاره ، يبعث منه إلى المجاورين [بالحرمين] وبجامع المنصور ، وجامع الرصافة ، وكان يخرج من داره في زيّ العامَّة ، فيزور قبور الصالحين ، وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من سيرته عند ذكر ولايته ، في سنة إحدى وثمانين وثلاثمئة ، وجلسوا في عزائه سبعة أيام ، لعظم المصيبة فيه ، ولتوطيد البيعة لولده القائم بالله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله ، وأمّه قطر النَّدى ، أرمنيّة أدركت خلافته ، وكان مولده في يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمئة ، وكانت بيعته بحضرة القضاة ، والأمراء ، والكبراء ، والأعيان ، فكان أول من بايعه الشريف المرتضى ، وأنشده قصيدة هائلة منها :

فـإمّـا مضـى جَبَـلٌ وانْقَضـى فمنـكَ لَنـا جَبَـلٌ قَـدْ رَسَـا
وإنّـا فُجِعنـا ببـدرِ التَّمـام فَقَـدْ بَقِيَـتْ منه شَمْس الضُّحَى
لَنـا حـزَنٌ فـي مَحَـلِّ السُّـرورِ فَكَم ضحكٍ في خِلال[١] البكا[٢]
فَيَـا صـارِمـاً أغْمَـدتْـه يَـدٌ لَنَـا بَعـدَكَ الصَّـارِمُ المنْتَضـى
ولَمّـا حَضَـرْنـا لِعَقْـدِ البيـاعِ عَـرَفْنـا بِهَـدْيِكَ طُـرُقَ الهُـدَى
فقـابَلْتَنـا بِـوقـارِ المَشيْـبِ كَمَـالاً وسِنُّـكَ سِـنُّ الفَتَـى

وطالَبتِ الأتراكُ برسم البيعة فلم يكن مع الخليفة شيء [يعطيهم] لأن أباه لم يترك مالاً ، فكادت الفتنة تقع بين الناس بسبب ذلك ، حتى دفع عنه الملك جلال الدَّولة ، مالاً جزيلاً ، نحواً من ثلاثة آلاف دينار ، واستوزر الخليفة أبا طالب محمد بن أيوب ، واستقضى ابن ماكولا .

ولم يحجّ أحد من أهل المشرق سوى شرذمة خرجوا من الكوفة مع العرب [فحجّوا] .

وممن توفي فيها من الأعيان والكبراء [غير الخليفة] :

الحسن بن جعفر[٣] أبو علي بن مَاكُوْلا ، الوزير لجلال الدولة ، وقد تقدّم أنّه بُعث إلى البطيحة ففتحها ، ورام أخْذَ البصرة فلم يمكنه ذلك ، وقاتلوه دونها ، فأسروه ، فسأل أن يُذْهب به إلى الملك أبي كاليجار فعفا عنه ، وأطلقه ، فلمّا صار إلى الأهواز ، تعامل عليه غلام له وجارية ، فقتلاه في ذي الحجة من هذه السنة عن ست وخمسين سنة .

عبد الوهّاب بن علي[٤] بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك بن طَوْق صاحب الرَّحْبَة ، التَّغْلبيّ ، البغداديّ ، أبو محمد ، أحد أئمّة المالكيّة ، ومصنِّفهم ، ومنصفهم ، له كتاب « التلقين » يحفظه الطلبة ، وله غيره في الفروع والأصول ، وقد أقام ببغداد دهراً ، وولي قضاء بادرايا ، وباكسايا[٥] ، ثم خرج من بغداد لضيق حاله بها ، فلما دخل مصر أكرمه المغاربة ، وأعطوه ذهباً كثيراً ، وتموّل وسعد جداً ، فأنشأ يقول متشوّقاً إلى بغداد ومعالمها :

سَلامٌ على بَغْدادَ في كُلِّ مَوْقِفٍ وَحُـقَّ لَهـا مِنِّـي سَـلامٌ مضَـاعَـفُ

---

(١) في (ط) : محل .
(٢) في المنتظم : الرجا .
(٣) في المنتظم : (٨/ ٦١) .
(٤) تاريخ بغداد (١١/ ٣١) ، المنتظم (٨/ ٦١) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٢٢) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢١٩) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٢٩) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٧٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٢٣) .
(٥) بادرايا وباكسايا : بليدتان من أعمال العراق . معجم البلدان (١/ ٣١٦ و٣٢٧ و٤٩٩) .

فَـوالله ِمـا فـارقْتُهـا عَـنْ قِـلاً[١] لهـا   وَإنِّـي بِشَطَّـي جَـانِبَيْهـا لَعَـارِفُ
وَلَكنَّهَـا ضَـاقَـت عَلـيَّ بِـأَسْـرِهَـا   وَلَـمْ تَكُـنِ الأرزَاقُ فيهـا تُسـاعِـفُ
فَكَـانَـتْ كَخِـلٍّ كُنْـتُ أهْـوَى دُنُـوَّهُ   وَأخْـلاقُـهُ تَنْـأى بِـهِ وَتُخَـالِـفُ

قال الخطيب البغدادي[٢] : سمع القاضي عبد الوهّاب من ابن السّماك وكتب عنه ، وكان ثقة ، ولم نرَ في المالكيّة أحداً أفقه منه .

وقال القاضي ابن خلِّكان[٣] في الوفيات عنه : عندما وصل إلى الديار المصريّة ، حصل له شيء من المال وحسن حاله ، مرض من أكلة اشتهاها ، فذُكر عنه أنّه كان يتقلّب ويقول : لا إلّه إلا الله ، عندما عشنا متنا ، قال : وله أشعار رائقة ظريفة ، فمن ذلك قوله :

وَنَـــائِمَـــةٍ قَبَّلْتُهَـــا فتنبَّهَـــتْ   وَقالَتْ تَعَالوا فاطلبُوا اللصَّ بالحَدِّ
فَقُلْـتُ لهـا إنّـي لَثَمْتُـكِ[٤] غـاصِـبٌ   وَمَـا حَكَمُـوا فـي غـاصِـبٍ بسوى الـرّدِّ
خُـذِيْهـا وَفُكِّـي[٥] عـن أثيـمٍ ظُـلامـةً   وإنْ أنتِ لم تَرضيْ فألفاً من[٦] العدِّ
فَقَـالَـتْ قِصَـاصٌ يَشْهـدُ العقـلُ أنَّـهُ   علـى كَبِـدِ الجَـانِـي ألَـذُّ مِـنَ الشَّـهْـدِ
فبـاتـت يمينـي وهـي هِمْيـانُ خصْـرِهَـا   وبَـاتَـتْ يسَـاريْ وهْـيَ وَاسِطَـةُ العِقْـدِ
فقَـالَـتْ : ألَـمْ أخبـرْ[٧] بـأنَّـكَ زاهـدٌ   فَقُلْتُ : بَلَى ، ما زِلْتُ أزْهَدُ في الزُّهْدِ

ومما أنشده ابن خلِّكان[٨] للقاضي عبد الوهّاب المالكي ـ رحمه الله ـ :

بَغْــدادُ دارٌ لأهْــلِ المــالِ طَيِّبَــةٌ   وَللمَفــاليــسِ دَارُ الضَّنْـكِ والضِّيْـقِ
ظَلَلْـتُ حيـرانَ أمشـي فـي أزِقَّتهـا   كأنَّني مُصْحَفٌ في بَيْتِ زِنْدِيْقِ[٩]

(١) في (ط) : ملالة .
(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٣١ـ٣٢) .
(٣) وفيات الأعيان (٣/ ٢٢١) .
(٤) في (ط) والسير : فديتك .
(٥) في (ط) والسير : كفي .
(٦) في (ط) والسير : والوفيات : على .
(٧) في (ط) تخبر .
(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٢٢١) .
(٩) في الوفيات : دار زنديق .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمئة

في سادس المحرم [منها] استسقى أهل بغداد لتأخّر الأمطار عن أوانها ، فلم يسقوا ، وكثر الموت في الناس .

ولما كان يوم عاشوراء عملت [الروافض] البدعة الشنعاء ، وكثر النوح والبكاء ، وامتلأت بذلك الطرقات والأسواق والأرجاء .

ثم في صفر أمر الناس بالخروج إلى الاستسقاء لقحوط البلاد ، فلم يخرج من أهل بغداد باتساعها [وكثرة أهلها] مئة إنسان في الجوامع كلّها .

وفيها : وقع بين الجيش وبين جلال الدولة ، فاتفق الحال على خروجه إلى البصرة ، فردّ كثيراً من جواريه إلى أساتيذهنّ قبله ، واستبقى بعضهن ، وخرج من بغداد ، ليلة الإثنين سادس ربيع الأول من هذه السنة ، وكتب الغلمان والإسفهسلارية إلى الملك أبي كاليجار ليقدم عليهم ، فقد تمهّدت له البلاد ، ولم يبق أحد من أهل العناد ، ولا الحسّاد ، ونهبوا دار جلال الدولة وغيرها ، وتأخّر مجيء أبي كاليجار ، وذلك أنّ وزيره العادِل بن صافنة ، أشار عليه بعدم القدوم إلى بغداد [فأطاعه في ذلك] ، فكثرت العيارون ببغداد ، وتفاقم الحال بهم ، وفسد البلد ، وافتقر جلال الدولة بحيث احتاج إلى أن باع بعض ثيابه في الأسوق ، وجعل أبو كاليجار يتوهم من الأتراك ، ويطلب منهم رهائن ، فلم يتفق ذلك ، وطال الفصل ، فرجعوا إلى مكاتبة جلال الدولة أن يرجع إلى بلده ، وشرعوا في الاعتذار إليه ، وخطبوا له في البلد على عادته ، ثمّ رجع بعد ثلاث وأربعين ليلة إلى بغداد ، وأرسل الخليفة الرسل إلى الملك أبي كاليجار ، وممن بعث إليه : القاضي أبو الحسن الماوردي ، يسلّم عليه ويستوحش منه ، فدخلوا عليه وقد تجمّل تجمّلاً عظيماً ، فسأل أن يلقّب بالسلطان المعظّم مالك الأمم [فقال الماوردي : هذا ما لا سبيل إليه ، لأن السلطان المعظم هو الخليفة ، وكذلك مالك الأمم] ثم اتفقوا على تلقيبه بملك الدولة . فأرسل مع الماوردي بتحفٍ عظيمةٍ منها ألف ألف دينار سابورية وغير ذلك ، ومن الدراهم آلاف [مؤلّفة] ، وتحف وألطاف ، واجتمع الجند على طلب أرزاقهم من الخليفة فتعذّر ذلك ، فراموا أن يقطعوا خطبته ، فلم يصلّ الجمعة في هذا الوقت ، ثمّ خطب له من الجمعة القابلة ، وتخبّط البلد جداً ، وكثر العيارون . ثم في ربيع الآخر من هذه السنة حلف الخليفة لجلال الدولة بخلوص النيّة وصفائها ، وأنه على ما يحب من الصدق ، وصلاح النيّة والسريرة[١] . ثم وقع بينهما بسبب لعب جلال الدولة ، وشربه النبيذ وتهتّكه به ، ثم اعتذر إلى الخليفة واصطلحا على فساد .

---

(١) أورد ابن الجوزي نص القسم في المنتظم (٨/ ٨٦) .

وفي رجب غلت الأسعار جداً ببغداد ، وغيرها من أراضي العراق ، ولم يحجّ أحد منها .

وفي هذه السنة : وقع مُوتان عظيم ببلاد الهند وغزنة ، وخراسان وجرجان والريّ وأصبهان ، خرج منها في أدنى مدة ، أربعون ألف جنازة ، وفي نواحي الجبل والموصل وبغداد طرف قوي من ذلك بالجدري ، بحيث لم تخل دار من مصاب به ، واستمرّ ذلك في حزيران ، وتموز ، وآب ، وأيلول ، وتشرين الأول ، والثاني ، وكان في الصيف أكثر منه في الخريف ، قاله ابن الجوزي في المنتظم[١] .

وقد رأى رجل من أهل السنّة من أصبهان ، في منامه منادياً [ينادي] بصوت جَهْوَري : يا أهل أصبهان ، سكت ، نطق ، سكت ، نطق . فانتبه الرجل مذعوراً ، فلم يدر أحد تأويلها ، حتى قيل ذلك لرجل لبيب فقال : احذروا يا أهل أصبهان فإني قرأت في شعر أبي العتاهية :

سَكَتَ الدَّهرُ زَماناً عَنهُمُ ثُمَّ أبْكَاهُمْ دَماً حين نطق

فما كان غير قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، حتى قتل أناساً في الجوامع والصوامع معتكفين ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

وفي هذه السنة : ظفر الملك أبو كاليجار بالخادم صندل فقتله ، وكان قد استحوذ على مملكته ، ولم يبق له معه سوى الاسم ، فاستراح منه .

وفيها : مات ملك الترك الكبير صاحب بلاد ما وراء النهر ، واسمه بَدْرخان ، والله تعالى أعلم بالصواب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

رَوْح بن محمد بن أحمد أبو زُرْعة الرازي[٢] .

قال الخطيب[٣] : سمع جماعة وقدم علينا حاجًا ، فكتبت عنه ، وكان صدوقاً فهماً ، أديباً ، يتفقّه على مذهب الشافعي، وولي قضاء أصبهان ، قال : وبلغني أنّه مات بالكرخ سنة ثلاث وعشرين وأربعمئة .

علي بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نُعيم بن الحسن البصري المعروف بالنُّعيمي[٤] الحافظ ، الشاعر ، المتكلّم ، الفقيه الشافعي .

---

(١) المنتظم (٨/ ٦٨) .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٤١٠) ، المنتظم (٨/ ٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥١) ، طبقات السبكي (٤/ ٤٧٩) .

(٣) تاريخ بغداد (٨/ ٤١٠) .

(٤) تاريخ بغداد (١١/ ٣٣١) ، المنتظم (٨/ ٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٤٥) ، طبقات السبكي (٥/ ٢٣٧) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٧٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٢٦) .

قال البَرْقاني : هو كامل في كلِّ شيء لولا بادرة فيه، وقد سمع على جماعة ، ومن شعره الحسن قوله :

إذا أظْمَـأتْـكَ أكُـفُّ اللِّئَـامِ كَفَتْـكَ القَنَـاعـةُ شِبْعـاً وَريَّـا
فَكُنْ رَجُلاً رِجْلُهُ في الثَّرَى وهَـامـةُ هِمَّتِـهِ[١] فـي الثُّـرَيَّـا
أبيّـاً لتـأمِيـلِ[٢] ذي ثَـرْوَةٍ[٣] تَـرَاهُ بمـا فـي يَـدَيْـهِ أبِيَّـا
فَـإنَّ إرَاقَـةَ مَـاءِ الحَيَـا ةِ دُونَ إرَاقَـةِ مَـاءِ المُحَيَّـا[٤]

محمّد بن الطيّب بن سعد بن موسى أبو بكر الصّبّاغ[٥] .

حدّث عن النّجاد وأبي بكر الشافعي ، وكان صدوقاً ، وقد حكى الخطيب البغدادي[٦] : أنّه تزوّج بتسعمئة[٧] امرأة ، وذكر أنّه توفي عن خمس وتسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

علي بن هلال الكاتب المشهور[٨] .

ذكر ابن خلّكان[٩] : أنّه توفي في هذه السنة ، وقيل : في سنة ثلاث عشرة كما قدمنا .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمئة

فيها : تفاقم الحال بأمر العيّارين ، وتزايد أمرهم ، وأخذهم العملات [الكثيرة] ، وقوي أمر مقدّمهم البُرجُمي ، وقُتل صاحب الشرطة غيلة ، وتواترت النهبات في اللّيل والنهار ، واحتفظ الناس بدورهم وحرسوها ، حتى دار الخليفة ، وسور البلد ، وعظم الخطب بهم جدًّا . وكان من شأن هذا البرجمي أنّه لا يؤذي امرأة ، ولا يأخذ مما عليهن شيئاً ، وهذه مروءة في الظلم . فيقال له[١٠] :

« حنانيك بعض الشرّ أهون من بعض »

---

(١) في (ط) : همه .

(٢) في السير : لنائل .

(٣) في (ط) : أبياً لنائل ذي نعمة .

(٤) الأبيات في تاريخ بغداد (١١/ ٣٣٢) .

(٥) تاريخ بغداد (٥/ ٣٨٣) ، المنتظم (٨/ ٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٢٤) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٧٧) .

(٦) تاريخ بغداد (٥/ ٣٨٣) .

(٧) في بعض النسخ : بسبعمئة . وما هنا هو الذي في (ط) ومصادر ترجمته ، وهو الذي جوده الذهبي بخطه في تاريخ الإسلام (٩/ ٣٩٢) (بشار) .

(٨) تقدمت ترجمته .

(٩) وفيات الأعيان (٣/ ٣٤٣) .

(١٠) في (ط) : وهذا كما قيل .

وفيها : أخذ جلال الدولة البصرة ، وأرسل إليها ولده العزيز ، فأقام بها الخطبة لأبيه ، وقطعت منها خطبة أبي كاليجار هذه السنة والتي بعدها ، ثمّ استُرجعت من يد جلال الدولة ، وأخرج منها ولده ، ورجعت الخطبة لأبي كاليجار .

وفي هذه السنة : ثارت الأتراك بالملك جلال الدولة لتأخر أرزاقهم . وأخرجوه من داره ، ورسموا عليه في مسجده ، وأخرجت حريمه ، فذهب في الليل إلى دار الشريف المرتضى فنزلها ، ثم اصطلحت الأتراك معه ، وحَلَفوا له على السمع والطاعة ، ورجع إلى داره ، وكثر العيارون ببغداد ، واستطالوا على الناس ليلاً ونهاراً ، وإسراراً وإجهاراً .

ولم يحجّ أحد من أهل العراق وخراسان لفساد الطرقات .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسين بن أحمد[1] أبو الحسين الواعظ ، المعروف بابن السمّاك .

ولد سنة ثلاثين وثلاثمئة ، وسمع جعفر الخُلْدي وغيره ، وكان يعظ بجامع المنصور ، وجامع المهديّ ، ويتكلّم على طريقة التصوّف ، وقد تكلّم بعض الأئمة فيه ، ونُسِبَ إلى الكذب ، توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، ودفن بباب حرب ، والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمئة

فيها : غزا السلطان مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين بلاد الهند ، وفتح حصوناً كثيرة ، فكان من جملتها أنَّه حاصر قلعة حصينة ، فخرجت من السور عجوز كبيرة ساحرة ، وأخذت مكنسة فبلّتها ، ورشّتها على ناحية جيش المسلمين ، فمرض السلطان مسعود تلك الليلة مرضاً شديداً ، فارتحل عن تلك القلعة ، فلمّا استقلّ ذاهباً عنها ، عوفي عافية كاملة ورجع إلى غزنة سالماً .

وفيها : تولّى البساسيري حماية الجانب الغربي من بغداد لما تفاقم أمر العيّارين ، وكثر شرّهم وفسادهم .

وفيها : ولي سنان بن سيف الدولة عريب بن محمد بن معان بعد وفاة أبيه ، فقصد عمّه قرواشاً ، فأقرّه وساعده على استقامة أموره .

وفيها : هلك ملك الروم أرمانوس ، فملكهم من بعده رجل ليس من بيت ملكهم ، وقد كان

---

(١) المنتظم (٨/ ٧٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٣٢) ، تاريخ الإسلام (٩/ ٣٩٦) .

صيرفيًّا في بعض الأحيان ، إلا أنه من سلالة الملك قسطنطين ، باني المدينة التي لهم .

وفيها : كثرت الزلازل بمصر والشام فهدّمت شيئاً كثيراً ، ومات تحت الردم خلق كثير ، وانهدم من الرَّملة ثلثها ، وتقطّع جامعها تقطعاً ، وخرج أهلها منها [هاربين] ، فأقاموا ظاهرها ثمانية أيام ، ثم سكن الحال ، فعادوا إليها ، وسقط حائط بيت المقدس ، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ، ومن مسجد إبراهيم قطعة ، وسلمت الحجرة ، وسقطت منارة عسقلان ، ورأس منارة غزّة ، وسقط نصف بنيان نابلس ، وخسف بقرية بإزائها بأهلها ، وبقرها ، وغنمها ، وساخت في الأرض ، وكذلك قرى كثيرة هنالك ، ذكره ابن الجوزي(١) .

وكان غلاء شديد ببلاد إفريقية .

وعصفت ريح سوداء بنصيبين فأتلفت شيئاً كثيراً من الأشجار ، حتى من التوت والجوز والعنَّاب ، واقتلعت قصراً مشيداً بحجارة وآجر وكلس [فألقته وأهله فهلكوا] ، ثم سقط مطر معه بَرَد ، أمثال الأكفّ والزنود والأصابع ، وجَزَرَ البحر من تلك الناحية ثلاثة فراسخ ، فذهب الناس خلف السمك فرجع الماء عليهم ، فهلك منهم خلق كثير .

وفيها : كثر الموت بالخوانيق ، حتى كان يُغلق الباب على من في الدار كلّهم قد مات . وكان أكثر ذلك ببغداد ، فمات من أهلها في شهر ذي الحجة تسعون ألفاً .

وفيها : وقعت الفتنة بين السّنة والروافض ، حتى بين العيّارين من الفريقين ، ومنع ابنا الأصبهاني وهما مقدما عيّاري أهل السنة ، منعا أهل الكرخ من ورود ماء دجلة ، فضاق عليهم النطاق ، وقُتِل ابن البُرجُمي وأخوه في هذه السنة .

ولم يحجّ أحد من أهل العراق في هذه السنة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن أحمد(٢) بن غالب(٣) الحافظ ، أبو بكر ، المعروف بالبَرْقاني .

---

(١) المنتظم (٨/ ٧٧) .

(٢) سقطت من بعض النسخ ، وهي ثابتة في (ط) ومصادر ترجمته .

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٣٧٣) ، المنتظم (٨/ ٧٩) ، تاريخ دمشق (٧/ ١٦٨) ، مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٢٢٥) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٦٤) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٣١) ، طبقات السبكي (٤/ ٤٧) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٨٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٢٨) .

قال السمعاني في الأنساب (٢/ ١٥٦) البرقاني : نسبة إلى قرية من قرى كاث بنواحي خوارزم ، خرب أكثرها ، وصارت مزرعة ، وهي بفتح الباء . وقال ياقوت : وبعضهم يقول بكسرها .

ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمئة ، وسمع الكثير ، وجمع كتباً كثيرة جدًّا ، وكان عالماً بالقرآن والفقه والحديث ، والنحو ، وله مصنفات في الحديث حسنة نافعة .

قال الأزهري : إذا مات البَرقاني ذهب هذا الشأن ، وما رأيت أنفس منه[١] .

وقال غيره : ما رأيت أعبد منه في أهل الحديث .

توفي يوم الخميس مستهلّ رجب ، وصلّى عليه أبو علي بن أبي موسى الهاشمي ، ودفن في مقبرة الجامع ببغداد ، وقد أورد له الحافظ ابن عساكر من شعره قوله :

أعَلِّلُ نَفْسِي بِكَتْبِ الحَدِيثِ ... وَأحملُ فيهِ لها الموْعِدا
وَأشْغلُ نَفْسي بتَصْنِيفِهِ ... وَتَخْريجِهِ دَائماً سَرْمَدَا
فَطَوْراً أُصَنِّفُه في الشُّيوخ ... وَطَوْراً أُصَنِّفُه مُسْنَدا
وَأقْفُو البُخاري فيما نَحَاه ... وَصَنَّفَهُ جَاهِداً مُجهِدَا
وَمُسْلِم إذْ كَانَ زَيْنَ الأنَام ... بِتَصْنِيفِهِ مُسْلِماً مُرشِدا
وَمَا لي فِيْهِ سِوَى أنَّني ... أرَاهُ هَوىً صَادفَ المَقصِدَا
وَأرْجُو الثوابَ بكَتْبِ الصَّلاةِ ... عَلَى السيِّد المُصْطَفَى أحْمَدا

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد أبو العباس الأبِيوَرْدي[٢] .

أحد أئمة الشافعيّة من تلاميذ الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وكانت له حلقة في جامع المنصور للفتيا ، ويدرس في قطيعة الربيع ، وولي الحكم ببغداد نيابة عن ابن الأكفاني ، وقد سمع الحديث ، وكان حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، فصيح اللسان ، صبوراً على الفقر ، كاتماً له ، وكان يقول الشعر الجيد ، كان كما قال الله عز وجل : ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[البقرة : ٢٧٣] .

توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة ، ودفن بمقبرة باب حرب .

الحسن بن عبيد الله بن يحيى[٣] الشيخ أبو علي البَنْدَنِيجي .

أحد أئمة الشافعيّة ، وتلاميذ أبي حامد الإسفراييني ، ولم يكن في أصحابه مثله [تفقه و] درّس وأفتى وحكم ببغداد ، وكان ديّناً ورعاً . توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة أيضاً ، رحمه الله تعالى .

---

(١) في (ط) وتاريخ بغداد : أتقن منه .
(٢) المنتظم (٨/ ٨٠) ، الأنساب (١/ ١٢٨) ، وذكر أن نسبته إلى أبيورد من بلاد خراسان .
(٣) تاريخ بغداد (٧/ ٣٤٣) ، المنتظم (٨/ ٨١) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٣٩) .

عبد الوهّاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد[١] أبو الفرج التميمي الفقيه الحنبلي الواعظ .

سمع من أبيه أثراً مسلسلاً عن علي « الحنَّان : الذي يُقْبِل على من أعرض عنه ، والمنّان : الذي يبدأ بالنَّوال قبل السؤال » .

توفي في ربيع الأول ودفن في مقبرة أحمد بن حنبل .

غريب بن محمد بن معن بن سيف الدَّولة[٢] أبو سِنان ، كان قد ضرب السكّة باسمه ، وكان ملكاً متمكِّناً في الدَّولة ، وخلَّف خمسمئة ألف دينار ، وقام ابنه سنان بعده ، وتقوَّى بعمّه قرواش ، فاستقامت أموره به ، وكانت وفاته بكرخ سامرّاء عن سبعين سنة ، رحمه الله وإيّانا بمنِّهِ وكرمِهِ .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمئة

في المحرّم كثر تردد الأعراب في قطع الطريق إلى حواشي بغداد وما حولها ، بحيث كانوا يستلبون ما على النِّساء ، ومن أسروه أخذوا ما معه ، وطالبوه بفداء نفسه ، واستفحل أمر العيَّارين ببغداد ، وكثرت شرورهم وإفسادهم .

وفي مستهلّ صفر زادت دجلة بحيث ارتفع [الماء] على الضياع ذراعين ، وسقط من البصرة في مدّة ثلاثة أيام [نحو] ألفي دار .

وفي شعبان ورد كتاب من مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين بأنّه قد فتح فتحاً عظيماً في الهند ، وقتل منهم خمسين ألفاً ، وأسر تسعين ألفاً ، وغنم شيئاً كثيراً .

ووقع فتنة بين البغاددة والعيّارين ، ووقع حريق كثير في أماكن متعددة منها ، واتّسع الخرق على الراقع ، ولم يحجّ أحد من أهل العراق وخراسان في هذا العام .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن كُلَيب الشاعر[٣] وهو أحد من هلك بالعشق ، روى ابن الجوزي في « المنتظم » بسنده من طريق أبي عبد الله الحُميدي بسنده ، أن أحمد بن كليب هذا المُعَثَّر[٤] ، تعشّق شابًّا يقال له : أسلم بن أبي الجعد من بني خالد ، وكان فيهم وزارة وحجابة ، فأنشد فيه أشعاراً تحدّث الناس بها ، وهذا

---

(١) المنتظم (٨/ ٨١) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٣٩) .
(٢) الكامل في التاريخ (٩/ ٤٣٩) واسمه فيه غريب بن محمد بن مقن .
(٣) المنتظم (٨/ ٨٣) .
(٤) في (ط) : « المغتر » ، وما هنا أصوب .

[الشاب] كان يطلب العلم في مجالس المشايخ [فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه] استحيا من الناس ، وانقطع في داره فلا يجتمع بأحد من الناس ، فازداد غرام ابن كُلَيب به حتى مرض من ذلك مرضاً شديداً ، عاده الناس منه ، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ [من العلماء] فسأله عن مرضه فقال : أنتم تعلمون دائي ودوائي ، لو زارني أسلم ونظر إليّ نظرة [ونظرته نظرة] واحدة برئت ، وإلا فأنا هالك ، فرأى ذلك الشيخ من المصلحة أن لو دخل على [أسلم] وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مختفياً ، فلم يزل به حتى [أجابه إلى زيارته] فانطلقا إليه ، فلمّا دخلا دربه [ومحلّته] تغيّر الغلام واستحيا من الدخول [عليه ، وقال للرجل العالم : لا أدخل عليه وقد ذكرني ونوّه باسمي ، هذا مكان ريبة وتهمة ، وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم] فحرص به الرجل كلّ الحرص ليدخل عليه فأبى [عليه فقال له : إنّه ميّت لا محالة ، فإذا دخلت عليه أحييته ، فقال : يموت ، وأنا لا أدخل مدخلاً يسخط الله عليّ ويغضبه ، وأبى أن يدخل] وانصرف راجعاً إلى دارهم ، فدخل الرجل فذكر له ما كان من أمره ، وقد كان غلام ابن كُلَيب قد دخل إليه [قبل ذلك] فبشّره بقدوم أسلم عليه ، ففرح بذلك جدًّا ، فلما تحقّق رجوعه [عنه] اختلط كلامه ، واضطرب في نفسه ، ثمّ قال لذلك الرجل : اسمع يا عبد الله مني ، واحفظ عنّي ، ثمّ أنشأ يقول :

أسلـمُ يـا رَاحـةَ العَليـلِ رِفْقاً على الهـائِـمِ النَّحِيـلِ
وَصْلُكَ أشْهَى إلى فُؤادي مِنْ رحمةِ الخالقِ الجَليلِ

فقال له الرجل : [ويحك] اتقِ الله تعالى ! ما هذه العظيمة . فقال : قد كان [ما سمعت] ، فخرج الرجل من عنده ، فما توسط الدَّرب حتى سمع الصراخ عليه [وسمع صيحة الموت] وقد فارق الدنيا ، وهذه مذلّةٌ شنعاء ، وعظيمةٌ صلعاء ، وداهية دهياء ، ولولا أنّ هؤلاء الأئمة ذكروها لما ذكرتها ، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب ، وتنبيه لذوي [البصائر و] العقول ، أن يسألوا الله رحمته ولطفه بهم ، [وأن يستعيذوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يرزقهم حسن الخاتمة] ، وأن يثبّتهم على الخير والإسلام والسنّة عند الممات ، إنّه كريم جواد .

قال الحميدي : وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال : أنشدني محمد بن عبد الرحمن التميمي لأحمد بن كُليب ، وقد أهدى إلى أسلم كتاب « الفصيح » لثعلب وكتب عليه :

هذا كِتابُ الفَصِيح بِكـلِّ لَفْـظٍ مَليـحِ
وَهَبْتُـه لَـكَ طَـوْعـاً كَمـا وَهَبْتُكَ رُوحي

الحسن بن أحمد[١] بن إبراهيم بن الحسن بن شَاذَان بن حرب بن مهران أبو علي بن شاذان البزّاز ،

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٢٧٩) ، المنتظم (٨/ ٨٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٤٥) ، الجواهر المضية (٢/ ٣٨) ، =

أحد مشايخ الحديث ، سمع الكثير ، كان ثقة صدوقاً ، جاءه يوماً شاب غريب فقال له : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي : اذهب إلى أبي علي بن شاذان ، فسل عنه وأقْرِه مني السَّلام ، ثمّ انصرف الشاب ، فبكى الشيخ وقال : ما أعلم لي عملاً أستحقُّ به هذا غير صبري على إسماع الحديث ، وصلاتي على رسول الله ﷺ ، كلَّما ذُكِر . توفي بعد شهرين أو ثلاثة [من هذه الرؤيا] في محرَّم هذه السّنة[١] عن سبع وثمانين سنة ، ودفن بباب الدّير . رحمه الله تعالى .

الحسن[٢] بن عثمان بن أحمد بن الحسين بن صورة[٣] أبو عمر الواعظ ، المعروف بابن الفلو ، سمع الحديث من جماعة ، قال ابن الجوزي : وكان يعظ وله بلاغة ، وفيه كرم ، وكان ثقة ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ومن شعره :

دخلتُ على السلطانِ في دارِ عزِّهِ ... بِفَقْرٍ ، ولم أجْلِب بخيلٍ ولا رَجِلِ
وَقُلتُ انظرُوا ما بينَ فَقْري وَمُلكِكُمْ ... بمقدارِ ما بَيْنَ الولايةِ والعَزْلِ

توفي في صفر ، وقد قارب الثمانين ، ودفن في مقبرة باب حرب إلى جانب ابن السّماك ، [رحمهما الله] .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمئة

في المحرّم تكاملت عمارة قنطرة عيسى التي كانت قد سقطت ، وكان الذي يلي مشارفة الإنفاق عليها الشيخ أبو الحسن القدوري الحنفي .

وفيه ، وفيما بعده تفاقم أمر العيّارين ، وكبسوا الدور ، وتزايد شرّهم وعملاتهم .

وفيها : توفي صاحب مصر الظاهر لإعزاز دين الله ، أبو الحسن علي بن الحاكم بن العزيز بن المعزّ الفاطمي ، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وأشهر ، وكان مدة ولايته ست عشرة سنة وتسعة أشهر ، وكانت سيرته جيّدة ، وقام بالأمر من بعده ولده المستنصر ، وعمره سبع سنين ، واسمه معدّ ، وكنيته أبو تميم ، وتكفّل بأعباء المملكة بين يديه الأفضل أمير الجيوش ، واسمه بدر بن عبد الله الجمالي ، وكان الظاهر ، المذكور ، قد استوزر الصاحب أبا القاسم الجرجرائي ، وكان مقطوع اليدين من المرفقين في

= سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٥) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٨٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٢٨) .

(١) هكذا قال ، والصواب أنه توفي في آخر يوم من سنة خمس وعشرين ، ودفن في أول يوم من سنة ست وعشرين هذه ، كما في تاريخ الخطيب وتاريخ الإسلام (٩/ ٤٠٧) (بشار) .

(٢) المنتظم (٨/ ٨٧) .

(٣) في (ط) والمنتظم : سورة .

سنة ثماني عشرة ، فاستمر في الوزارة مدة ولاية الظاهر ثمّ لولده المستنصر حتى توفي الوزير الجرجرائي المذكور في سنة ست وثلاثين ، وكان قد سلك في وزارته العفّة العظيمة ، وكان الذي يعلم عنه القاضي أبو عبد الله القضاعي صاحب كتاب « الشهاب » وكانت علامته عنه : الحمد لله شكراً لنعمته . وكان الذي قطع يديه من المرفقين الحاكم ، لخيانة ظهرت عليه في سنة أربع وأربعمئة ، ثمّ استعمله في بعض الأعمال سنة تسع ، فلمّا فُقد الحاكم لعنه الله في التاسع والعشرين من شوّال سنة إحدى عشرة ، ثم تملّك من بعده ولده الظاهر المذكور ، تنقّلت بالجرجرائي المذكور الأحوال ، حتى استوزر سنة ثماني عشرة كما ذكرنا ، وقد هجاه بعض الشعراء فقال :

يــا أحمقــاً إسمــعْ وقــلْ وَدَعِ الـرقــاعــةَ والتحــامُــق
أأقَمْــتَ نفسَــك فــي الثِقَــا تِ وَهبْك فيما قلْتَ صادقْ
فمــنَ الأمــانــةِ والتُّقــى قُطِعتْ يداكَ من المرافِقِ

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثَّعالبي[1] ويقال : الثّعْلبيّ أيضاً ، وهو لقب وليس بنسبة ، النيسابوري المفسّر [المشهور] .

له : « التفسير الكبير » ، وله كتاب « العرائس »[2] في قصص الأنبياء ، وغير ذلك ، وكان كثير الحديث ، واسع السماع ، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب الشيء الكثير .

وذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في « تاريخ نيسابور »[3] وأثنى عليه ، وقال : هو صحيح النقل ، موثوق به ، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمئة .

وقال غيره : توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرّم منها ، ورُئيت له منامات صالحة .

قال السمعاني[4] : ونيسابور كانت مقصبةً ، فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة ، و« ني » هو القصب بالفارسية ، والله أعلم .

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٧٩) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٣٥) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٠٧) ، طبقات السبكي (٤/ ٥٨) ، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٨٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٣٠) .

(٢) واسمه : عرائس المجالس في قصص الأنبياء . طبع أكثر من مرة ، وفيه كثير من الإسرائيليات والغرائب .

(٣) منتخب السياق ، الترجمة رقم ١٩٧ .

(٤) لم ترد ترجمة الثعلبي في الأنساب ، وقداستدرك هذه الترجمة ابن الأثير في اللباب .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمئة

وفيها : خلع الخليفة على أبي تمام محمد بن محمد بن علي الزَّينبي ، وقلّده ما كان إلى أبيه من نقابة العباسيين ، والصلاة .

وفيها : وقعت الفرقة بين الجند وبين جلال الدولة ، وقطعوا خطبته ، وخطبة الملك أبي كاليجار ، ثمّ أعادوا الخطبة لهما ، وصلحت حال جلال الدولة ، وحلف الخليفة له ، وعزل وزيره ابن ماكولا ، واستوزر أبا المعالي بن عبد الرحيم ، وكان جلال الدولة قد جمع خلقاً كثيراً معه ، منهم البساسيري ، ودبيس بن علي بن مَزيَد ، وقرواش بن مقلّد العقيلي ، ونازل بغداد من جانبها الغربي حتى أخذها قهراً ، واصطلح هو وأبو كاليجار على يدي قاضي القضاة الماوردي ، وتزوّج أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة جلال الدولة على صداق خمسين ألف دينار ، واتفقت كلمتهما ، وحسن حال الدولة والرعية .

وفيها : وقع مطر ببلاد فم الصلح(١) ، معه سَمَك وزن السمكة رطل أو رطلان(٢) .

وفيها : بعث صاحب مصر بمال لينفق على نهر بالكوفة ، إن أذن الخليفة العباسي في ذلك ، فجمع القائم بالله الفقهاء ، وسألهم عن هذا المال ، فأفتوا بأنّ هذا فيء للمسلمين يصرف في مصالحهم ، فأذن في صرفه في مصالح المسلمين .

وفيها : ثار العيّارون بالبلد ، وفتحوا السجن بالجانب الشرقيّ ، وأخذوا منه رجالاً ، وقتلوا من رجال الشرطة سبعة عشر رجلاً ، وانتشرت الفتن والشرور في البلد جداً .

وفيها : ولي عبد الله بن الحسين بن سلامة إمارة تهامة بعد أبيه .

وفيها : ولي عمان ، القاسم بن علي بن الحسين بن مكرم بعد وفاة أبيه أيضاً .

ولم يحجّ أحد من أهل العراق [وخراسان] في هذه السنة لفساد البلاد واختلاف الكلمة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

القُدُوري الحنفي(٣) أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر ، أبو الحسن القُدُوري [البغدادي] .

---

(١) فم الصلح : اسم نهر كبير بين واسط وجَبُّل ، عليه عدّة قرى . معجم البلدان (٤/ ٢٧٦) .

(٢) هذا كلام لا يسوى سماعه ، فالسماء لا تمطر سمكاً ، فلعل النهر فاض بسبب كثرة المطر ، فخرج السمك (بشار) .

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٣٧٧) ، المنتظم (٨/ ٩١) ، وفيات الأعيان (١/ ٧٨) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٤) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٢٠) ، الجواهر المضية (١/ ٢٤٧) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٢٤) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٣٣) ، وقد تقدمت ترجمت في وفيات سنة ٤١٨ .

قال الخطيب[١] : سمع الحديث من عبيد الله بن محمد الحَوْشبي ، ولم يحدّث إلا بشيء يسير ، كتبت عنه ، وكان صدوقاً ، وكان ممن أنجب في الفقه لذكائه ، وانتهت إليه في العراق رئاسة أصحاب أبي حنيفة لذكائه وارتفاع جاهه ، وكان برز في القراءات ، توفي يوم الأحد الخامس عشر من رجب من هذه السنة عن ست وستين سنة ، ودفن بداره في درب خلف ، رحمه الله تعالى .

الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب[٢] أبو علي العُكْبَري ، الفقيه ، الحنبليّ ، الشاعر .

ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة ، وسمع من أبي بكر بن مالك وغيره ، وكان ثقة أميناً كما قال البرقاني ، وكان يسترزق من الوراقة ـ وهو النسخ ـ يقال : إنّه كان يكتب ديوان المتنبي في ثلاثة ليال فيبيعه بمئتي درهم ، ولمّا توفي أخذ السلطان من تركته ألف دينار ، سوى الأملاك ، وكان قد أوصى بثلث ماله في متفقِّهة[٣] الحنابلة ، فلم يصرف ذلك .

لطف الله بن أحمد بن عيسى[٤] أبو الفضل الهاشميّ .

ولي القضاء والخطابة بدرزيجان[٥] وكان ذا لسان ، وقد أضرّ في آخر عمره ، فكان يروي حكايات وأناشيد من حفظه . وتوفي في صفر منها .

محمد بن أحمد بن علي بن أبي موسى عيسى[٦] بن أحمد بن موسى بن محمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب أبو علي الهاشمي القاضي . أحد أئمة الحنابلة وفضلائهم .

محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد[٧] بن موسى[٨] أبو الحُسين[٩] الأهْوازي ، ويعرف بابن أبي علي الأصْبهاني .

= قال ابن خلِّكان : ونسبته بضم القاف والدال المهملة وسكون الواو وبعدها راء مهملة إلى القدور التي هي جمع قدرٍ ، ولا أعلم سبب نسبته إليها ، بل هكذا ذكره السمعاني في الأنساب (١٠/ ٧٦) .

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٣٧٧) .

(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٣٢٩) ، طبقات الحنابلة (٢/ ١٨٦) ، المنتظم (٨/ ٩٢) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ٥٥) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٤٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٤١) .

(٣) كذا في (ط) : وفي بعض النسخ : نفقة .

(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٥٤٧ ط . د . بشار) . المنتظم (٨/ ٩٢) ، وفي (ط) : لطف الله أحمد .

(٥) في (ط) : « بدرب ريحان » وهو تحريف ، ودرزيجان قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي (معجم البلدان ٢/ ٥٦٧) (بشار) .

(٦) تاريخ مدينة السلام (٢/ ٢١٥ ط . د . بشار) ، المنتظم (٨/ ٩٣) .

(٧) في (ط) : « محمد بن الحسن بن أحمد بن علي » وما هنا من النسخ ، وهو الذي في تاريخ الخطيب (٢/ ٦٢٥ ط . د . بشار) وتاريخ الإسلام (٩/ ٤٥٢) (بشار) .

(٨) المنتظم (٨/ ٩٣) .

(٩) في (ط) : « الحسن » وهو تحريف ، وما أثبتناه يوافق ما في تاريخ الخطيب وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (بشار) .

ولد سنة خمس وأربعين وثلاثمئة ، وقدم بغداد ، وخرّج له أبو الحسن النعيمي أجزاء من حديثه ، فسمع منه البَرْقاني إلا أنَّه بان كذبه حتى كان بعضهم يسميه : جراب الكذب ، أقام ببغداد سبع سنين ، ثمّ عاد إلى الأهواز ، فمات بها في هذه السنة .

[مِهْيار الديلمي الشاعر] مهيار بن مَرْزَوَيْه(١) ، أبو الحسن الفارسي [الكاتب] ، ويقال له : الدَّيْلميّ .

كان مجوسيّاً فأسلم ، إلا أنه سلك سبيل الرافضة ، فكان ينظم الشعر القويّ الفحل في شيء من مذاهبهم من سبِّ الصحابة ، وغير ذلك ، حتى قال له أبو القاسم بن برهان(٢) : يا مهيار ! انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى ، كنت مجوسيّاً فأسلمت ، وصرت تسبُّ الصحابة ، وقد كان منزله بدرب رباح من الكرخ ، وله ديوان شعر كبير مشهور ، فمن مستجاد شعره قوله :

أَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ فيكُمْ وَهُوَ مُغْلُوبُ ... وأَسْأَلُ النّومَ عَنْكُمْ وَهُوَ مَسْلُوبُ(٣)
وَأَبْتَغِيْ عِنْدَكُمْ قَلْباً سَمَحْتُ(٤) بِهِ ... وَكَيْفَ يَرجِعُ شَيءٌ وَهُوَ مَوْهُوبُ
ما كُنْتُ أَعْرِفُ مَا مِقْدارُ وَصْلِكُمُ(٥) ... حَتّى هَجَرْتُمْ(٦) وَبَعْضُ الهَجْرِ تَأْدِيبُ

وله أيضاً ـ رحمه الله وسامحه بمنّه وكرمه ـ :

أَجَارَتَنا(٧) بالغَوْرِ والرّكبُ مِنْهُمُ ... أَيَعْلَمُ خَالٍ كَيْفَ بَاتَ المُتيَّمُ
رَحَلْتُمْ وَعُمْر اللَّيلِ(٨) فينا وَفيكُمُ ... سَواءٌ وَلكِنْ سَاهِرُونَ وَنُوَّمُ

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٧٦) ، المنتظم (٨/ ٩٤) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٥٦) ، وفيات الأعيان (٥/ ٣٥٩) .
قال ابن خلِّكان : ومهيار : بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء .
ومرزويه : بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي والواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة ، وهما اسمان فارسيان لا أعرف معناهما .
(٢) هو الشيخ الثقة الصالح الحسين بن عمرو بن برهان توفي سنة ٤١٢ ترجمته في : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٦٥) .
(٣) كذا في (ط) : وفي بعض النسخ : مغلوب .
(٤) في المنتظم : سمعت .
(٥) في (ط) : حبكم .
(٦) في (ط) : هجرت .
(٧) في المنتظم : أجيراننا .
(٨) في (ط) : وجمر القلب .

فَبِنْتُم [عَلينا][١] طَاعِنين وَخَلّفُوا قُلُوباً أَبَتْ أَنْ تَعْرِفَ الصَّبْرَ عَنْهُمُ
ولمّا جلا[٢] التّوْدِيعَ عمّا حَذِرْتُهُ وَلَمْ يَبْقَ إلا نَظْرَةٌ تَتَغَنَّمُ[٣]
بَكَيْتُ عَلى الوَادِيْ فَحرَّمْتُ[٤] مَاءَهُ وكَيْفَ يَحِلُّ الماءُ أَكْثَرُهُ دَمُ[٥]

قال ابن الجوزي : ولما كان شعره كلّه جيداً اقتصرت منه على هذا القدر . وكانت وفاته في جمادى الآخرة .

هبة الله بن الحسن[٦] أبو الحسين ، المعروف بالحاجب .

كان من أهل الفضل والأدب ، والتديّن ، وله شعر حسن ، فمنه قوله :

يا لَيْلَةً سَلَكَ الزَّمَا نُ بطِيْبِهَا[٧] في كُلِّ مَسْلَكْ
إذْ نَرْتَقِي رَوْضَ المَسَرَّ[٨] ة مُدْرِكاً ما لَيْسَ يُدْرَك
والبَدْرُ قَدْ فَضَحَ الظَّلا[٩] مَ وَسِتْرُهُ[١٠] فيهِ مُهتّك
وكأنَّمَا زَهْرُ النُّجُوْ م بِلَمْعِهَا شُعَلٌ تَحَرَّكْ
وَالغَيْم[١١] أحْياناً يلو حُ كَأنَّه ثَوبٌ مُمسَّكْ
وكأنّ تَجْعِيدَ الريّا حِ لِدِجْلةٍ ثَوبٌ مُفَرَّك
وَكأنَّ نَشْرَ المِسْكِ أثْـ ـثَرَ في النسيم إذا تَحَرّك[١٢]
وَكأنَّما المنثورُ مُصْفَرٌّ الذُرَا ذَهَبٌ مَشَبَّك[١٣]
والنورُ يبسِمُ في الريا ضِ فإنْ نَظَرتَ إليْهِ سرّك

---

(١) في (ط) : فبنتم عنا ، وفي المنتظم : وتناءيتم من .
(٢) في (ط) : خلى .
(٣) في (ط) : نظرة لي تغنم .
(٤) في (ط) : وحرمت .
(٥) في (ط) : وكيف به ماء وأكثره دم .
(٦) المنتظم (٨/ ٩٥) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٥٦) .
(٧) في (ط) : في طيبها .
(٨) في (ط) : إذ ترتقي روحي المسرة .
(٩) في (ط) : الزمان .
(١٠) في (ط) : وسره ، وفي المنتظم : فستره .
(١١) في (ط) : والغيب .
(١٢) في (ط) :
وكأن نسر المسك ينفـ ـخ في النسيم إذا تحرّك
(١٣) في (ط) : مسبّك .

شَـارَطْـتُ نفسِـي أنْ أقـوْ مَ بِحَقِّهـا والشَّـرْطُ أمْلَـك
حتّـى تَـولَّـى اللَّيْـلُ مُنْـ ـهزِماً وجَاءَ الصّبْحُ يَضْحَكْ
واه الفتـــى لــو أنــه في ظلِّ طِيبِ العيش يُترك[1]
والـدهـر[2] يُحسَبُ عُمْـرُهُ فـإذا أتـاهُ الشَّيْـبُ فـذْلـك

وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

أبو علي بن سينا[3] الطبيب الفيلسوف ، الحسين[4] بن عبد الله بن سينا ، الشيخ الرئيس الذي كان نادرة [وبارعاً في الطب] في زمانه .

كان أبوه من أهل بلخ ، وانتقل إلى بخارى ، واشتغل بها ابن سينا فقرأ القرآن ، وأتقن علومه ، وهو ابن عشر سنين ، وأتقن الحساب ، والجبر ، والمقابلة ، وإقليدس[5] ، والمَجِسطِي[6] ، ثمّ اشتغل على أبي عبد الله الناتِلي الحكيم ، فبرع فيه وفاق أهل زمانه ، وتردّد الناس إليه ، واشتغلوا عليه وهو ابن ست عشرة سنة ، وقد عالج بعض ملوك السّامانيّة وهو الأمير نوح بن نصر ، فأعطاه جائزة سنيّة ، وَحكّمه في خزانة كتبه ، فرأى فيها من العجائب ، [والمحاسن ما لا يوجد في غيرها] ، ويقال : إنّه عزا بعضها إلى نفسه ، وله في الإلهيات ، والطبيعيات كتبٌ كثيرةٌ .

قال ابن خلِّكان[7] : له نحو من مئة مصنّف صغار وكبار ، منها : « القانون » و« الشفاء » و« النجاة » و« الإشارات » ، و« سلامان » و« أبسال » و« حيّ بن يقظان » وغير ذلك ، قال : وكان من فلاسفة الإسلام ، ثمّ أورد له من الأشعار قصيدته التي يقول فيها[8] :

---

(١) في (ط) :
وذا الفتـــى لــو أنــه فــي طيــب العيــش يتــرك
(٢) في المنتظم : والمرء .
(٣) تاريخ حكماء الإسلام (٥٢ ـ ٧٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٥٦) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧) ، تاريخ الإسلام (٩/ ٤٣٨ ـ ٤٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣١) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٩١) ، الجواهر المضية (٢/ ٦٣) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٢٥) شذرات الذهب (٣/ ٢٣٤) .
(٤) في (ط) : الحسن ، وهو تحريف .
(٥) إقليدس : رياضي يوناني ، علّم الهندسة في الإسكندرية أيام بطليموس ملكها ، ووضع مبادئ الهندسة المسطحة ، (القرن الثالث ق .م) .
(٦) المَجسطي : كتاب قديم في الفلك ، ألفه بطليموس اليوناني (١٤٨ق .م) ومعناه الأكبر ، دعي كذلك لأهميته ، عَرّبه عن اليونانية حنين بن إسحاق .
(٧) وفيات الأعيان (٢/ ١٦٠) .
(٨) وهي التي تعرف بالقصيدة العينية .

هَبطَتْ إلَيْكَ مِنَ المَحلِّ[١] الأرْفَعِ وَرْقَــاءُ ذَاتُ تَعَــزُّزٍ وَتَمنُّــعِ
مَحجُوبــةٌ عَـنْ كُـلِّ مُقْلَـةِ عَـارِفٍ وَهِـيَ الّتـي سَفَـرَتْ فَلَـمْ تَتَبـرْقَـعِ
وَصَلَـتْ عَلـى كُـرْهٍ إلَيْـكَ ورُبّمـا كَـرِهَـتْ فِـرَاقَـكَ وَهِـيَ ذَاتُ تَفَجُّـعِ

وهي قصيدة طويلة ، وقوله أيضاً :

اجعــلْ غِــذاءكَ كُــلَّ يــومٍ مــرَّةً وَاحْـذَرْ طَعَـامـاً قَبْـلَ هَضْـمِ طَعَـامِ
وَاحْفَـظْ مَنِيَّـكَ مـا اسْتَطَعْـتَ فـإنَّـهُ مَـاءُ الحَيـاةِ يُصَـبُّ فـي الأرْحَـامِ

وذكر أنّه توفي بالقولنج في همذان ، وقيل : بأصبهان ـ والأول أصح ـ يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمئة عن ثمان وخمسين سنة ، وقد خصّ[٢] الغزالي كلامه في مقاصد الفلاسفة ، ثمّ ردّ عليه في « تهافت الفلاسفة » في عشرين مسألة[٣] وكفّره في ثلاث مسائل منهنّ ، وهي قوله : بقدم العالم ، وعدم المعاد الجثماني ، وأنّ الله لا يعلم الجزئيات ، وبدّعه في البواقي ، ويقال : إنّه تاب عند الموت ، فالله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمئة

فيها : كان بدء ملك السلاجقة[٤] :

وفيها : استولى ركن الدولة أبو طالب طُغْرُلْبَك محمد بن ميكائيل بن سُلجوق على نيسابور ، وجلس على سرير ملكها ، وبعث أخاه داود إلى سائر بلاد خراسان ، فملكها ، وانتزعها من نواب الملك مسعود بن محمود بن سُبُكْتكين .

وفيها : قتل جيش المصريين لصاحب حلب ، وهو شِبْل الدَّولة ، نصر بن صالح بن مِرْداس ، واستولوا على حلب وأعمالها .

وفيها : سأل جلال الدولة من الخليفة أن يلقّب بملك الدولة[٥] ، فأجابه إلى ذلك بعد تمنّع .

وفيها : استدعى الخليفة القائم بأمر الله القضاة والفقهاء ، وأحضر جاثليق النصارى ،

(١) في (ط) : المقام .
(٢) في (ط) : حصر .
(٣) في (ط) : مجلساً .
(٤) ساقطة من (أ) .
(٥) كذا في (أ) و(ب) وفي الكامل في التاريخ (٩/ ٤٥٩) ، والمنتظم (٨/ ٩٧) : ملك الملوك .

ورأس جالوت اليهود ، وألزموا بالغيار[١] .

وفي رمضان لقّب جلال الدولة بشاهنشاه الأعظم ملك الملوك ، بأمر الخليفة ، وخطب بذلك على المنابر ، فنفرت العامة من ذلك، ورموا الخطباء بالآجر ، ووقعت فتنة عظيمة ، واستُفْتِيَ الفقهاء في ذلك، فأفتى أبو عبد الله الصَّيمري : إن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنيّة وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة : ٢٤٧] وقال: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [الكهف : ٧٩]. وإذا كان في الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهم فوق بعض لتفاضلهم في القوّة والإمكان ، وجاز أن يكون بعضهم [فوق بعض و] أعظم[٢] من بعض ، وليس في ذلك ما يوجب النكير ولا المماثلة بين الخالق والمخلوق ، وكتب القاضي أبو الطيّب الطبري : إنَّ إطلاق ملك الملوك جائز ويكون معناه : ملك ملوك الأرض ، وإذا جاز أن يقال : كافي الكفاة ، وقاضي القضاة ، جاز ملك الملوك ، وإذا كان في اللّفظ ما يدلّ على أنَّ المراد به ملوك الأرض ، زالت الشبهة ، ومنه قولهم : اللهمّ أصلح الملك ، فينصرف الكلام إلى المخلوقين . وكتب التميمي الحنبلي نحو ذلك أيضاً ، وأمّا القاضي الماوردي صاحب « الحاوي الكبير » فنقل عنه أنّه أجاز ذلك أيضاً ، والمشهور عنه كما نقله ابن الجوزي[٣] ، والشيخ أبو عمرو بن الصّلاح ، في « أدب المفتي » أنّه منع من ذلك ، وأصرّ على المنع مع صحبته للملك جلال الدولة ، وكثرة تردداه إليه ، ووجاهته عنده ، وأنَّه امتنع من الحضور في مجلسه حتى استدعاه الملك جلال الدولة في يوم عيد ، فلمّا دخل عليه دخل وهو وَجِلٌ خائِفٌ أن يوقع به مكروهاً ، فلمّا واجهه قال له : قد علمت أنَّه إنّما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياي ، ووجاهتك عندي ، دينك ، واتباع الحقّ ، [وإن الحقّ آثر عندك من كلِّ أحد] ، ولو حابيت أحداً من الناس لحابيتني ، وقد زادك ذلك عندي محبّةً ومكانةً .

قلت : والذي صار إليه القاضي الماوردي من المنع من ذلك هو السنّة التي وردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجهٍ . قال الإمام أحمد بن حنبل في « مسنده »[٤] : حدّثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أخنع اسم عند الله يوم القيامة ، رجلٌ تسمَّى بملك الأملاك » . قال أحمد : سألت أبا عمرو الشيباني عن أخنع اسم قال : أوضع .

وقد رواه البخاري[٥] عن علي بن المديني ، عن سفيان بن عيينة .

---

(١) إلزامهم بلباس يخالفون فيه لباس المسلمين .
(٢) في (ب) : أمكن .
(٣) المنتظم (٨/ ٩٧) .
(٤) مسند أحمد (٢/ ٢٤٢) رقم (٧٣٢٥) من حديث أبي هريرة .
(٥) صحيح البخاري (٦٢٠٥) كتاب الآداب ، باب أبغض الأسماء إلى الله ومسلم رقم (٢١٤٣) وأبو داود رقم (٤٩٦١) والترمذي رقم (٢٨٣٩) من حديث أبي هريرة (ع) .

وأخرجه مسلم[١] من طريق همام ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ أنه قال : « أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل تسمّى ملك الأملاك ، لا ملك إلا لله عز وجل » . وقال [الإمام] أحمد[٢] : حدّثني محمد بن جعفر ، ثنا عوف عن خلاس ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتدّ غضب الله على من قتله نبيّ ، واشتدّ غضب الله على رجلٍ تسمّى بملك الأملاك ، لا ملك إلا الله عزّ وجلّ » . والله تعالى أعلم بالصواب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو منصور[٣] عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري .

كان إماماً في اللغة والأخبار وأيام الناس ، بارعاً مفيداً ، له التصانيف الكبار في النظم ، والنثر ، والبلاغة ، والفصاحة ، وأكبر كتبه : « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر »[٤] وفيها يقول بعضهم :

أبيـاتُ أشْعـارِ اليَتيمَـهْ   أبكـارُ أفْكـارٍ قَـدِيمَـهْ
ماتُوا وعَاشَتْ بَعْدَهم   فَلِـذَاكَ سُمّيـت اليَتِيْمَـهْ

وإنما سُمي الثعالبي لأنّه كان فرّاءً يخيط جلود الثعالب ، وله أشعار كثيرة مليحة ، ولد سنة خمسين وثلاثمئة ، ومات في هذه السّنة[٥] .

الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي[٦] ، الفقيه الشافعي .

أحد الأئمة في الأصول والفروع ، وكان ماهراً في فنون كثيرة [من العلوم] منها : علم الحساب والفرائض ، وكان ذا مال وثروة ، أنفقه كلّه على أهل العلم ، وصنّف في العلوم ، ودرّس في سبعة عشر علماً ، وكان اشتغاله على الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني ، وأخذ عنه ناصر المروزي ، وغيره ، رحمه الله تعالى وإيانا بمنّه وكرمه ، وهو حسبي ونعم الوكيل[٧] .

---

(١) صحيح مسلم (٣/٢١٤٣/ ٢١) كتاب الآداب ، تحريم التسمي بملك الأملاك .
(٢) مسند أحمد (٢/ ٤٩٢) رقم (١٠٣٣٣) وهو حديث صحيح (ع) .
(٣) وفيات الأعيان (٣/ ١٧٨) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٣٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٤٦) .
(٤) طبع في دمشق عام ١٣٠٤هـ ، وفي القاهرة ١٩٤٣م ، وفي بيروت ١٩٤٧م ، ثم أعيد طبعه عام ١٩٧٣م .
(٥) صحح الذهبي وفاته في سنة (٤٣٠هـ) كما في تاريخ الإسلام (٩/ ٤٧٨) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٣٨) (بشار) .
(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٣) ، طبقات السبكي (٣/ ٢٣٨) .
(٧) ورّخه الذهبي في وفيات سنة (٤٢٧هـ) مختصراً (٩/ ٤٢٥) نقلاً من إنباه الرواة للقفطي (٢/ ١٨٥ـ١٨٦) ثم أعاده في هذه السنة (٩/ ٤٦٤) نقلاً من السياق لعبد الغافر (كما في المنتخب منه رقم ١١٩٠) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٢٠٣) (بشار) .
=

ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمئة

فيها التقى الملك مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين ، والملك طُغْرُلْبَك السلجوقي ومعه أخوه داود في شعبان ، فهزمهما مسعود وقتل من أصحابهما خلقاً كثيراً .

وفي هذه السنة : خطب شبيب بن وَثّاب(١) للقائم بأمر الله بحرّان والرقّة(٢) ، وقطع خطبة المستنصر العبيدي .

وفيها : خوطب أبو منصور بن جلال الدولة بالملك العزيز ، وهو مقيم بواسط ، وهذا العزيز هو الذي كان آخر من تملّك من بني بويه ببغداد ، لما طغوا وبغوا وتمرّدوا وتسمّوا بملك الأملاك ـ وهو اسم يبغضه الله تعالى ـ سلبهم ما كان أنعم به عليهم ، وجعل الملك إلى غيرهم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

وفيها : خلع الخليفة على قاضي القضاة [أبي] عبد الله بن ماكولا خلعة تشريف .

وفيها : وقع ثلج عظيم ببغداد ، مقدار شبر على الأسطحة حتى جرفه الناس عنها .

قال ابن الجوزي(٣) : وفي جمادى الآخرة تملّك بنو سلجوق بلاد خراسان والجبل ، وتقسّموا الأطراف ، وهو أول ملك السّلجوقيّة .

ولم يحجّ أحد في هذه السنة من أهل العراق ، وخراسان ، ولا من [أهل] الشام ، ولا مصر ، إلا قليلاً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحافظ أبو نعيم الأصبهاني(٤) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مِهْران ، الحافظ الكبير ، ذو التصانيف الكثيرة الشهيرة ، من ذلك : « حلية الأولياء » في مجلدات كثيرة دلّت على اتساع روايته ، وكثرة مشايخه ، وقوّة اطّلاعه على مخارج الأحاديث ، وتشعّب طرقها . وله : « معجم

---

(١) تحرفت في (ط) إلى : شبيب بن ريان .
(٢) في (ط) : والرحبة ، وفي (ب) : الرقعة ، وكلاهما خطأ .
(٣) المنتظم (٨/ ٩٢) .
(٤) المنتظم (٨/ ١٠٠) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٦٦) ، وفيات الأعيان (١/ ٩١) ، تاريخ الإسلام (٩/ ٤٦٨) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٥٣) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٨١) ، طبقات السبكي (٤/ ١٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٣٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٤٥) .

الصحابة » وهو عندي بخطّه ، وله : « صفة الجنة » [و« دلائل النبوة »] ، وكتاب في الطبّ [النبوي] وغير ذلك من المصنّفات المفيدة .

وقد قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي[١] : كان أبو نعيم يخلط المسموع له بالمجاز ، ولا يوضِّح أحدهما من الآخر[٢] .

وقال عبد العزيز النخشبي : لم يسمع أبو نعيم مسند الحارث بن أبي أسامة من أبي بكر بن خلاد بتمامه ، فحدّث به كلّه[٣] .

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي : سمع الكثير ، وصنّف الكثير ، وكان يميل إلى مذهب الأشعري [في الاعتقاد] ميلاً كثيراً .

وكانت وفاته في الثامن عشر من المحرّم من هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، لأنّه ولد فيما ذكره ابن خلِّكان في سنة ست وثلاثين وثلاثمئة . قال : وله : « تاريخ أصبهان » .

وذكر [أبو نعيم] في ترجمة والده : أن مهران أسلم ، وأن ولاءهم لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وذكر أن معنى أصبهان ، وأصله بالفارسيّة ـ سباهان[٤] ـ أي مجمع العساكر ، وأن الإسكندر بناها ، قاله السمعاني .

الحسن بن الحسين[٥] أبو علي البُرُجمي[٦] .

وزر لشرف الدولة أبي علي بن بهاء الدولة سنتين ثمّ عزل ، وكان عظيم الجاه في زمان عطلته ، وهو الذي بنى المارستان بواسط ، ورتّب فيه الأشربة والأطباء والأدوية وغير ذلك مما يحتاج إليه ، ووقف عليه كفايته ، كانت وفاته في هذه السنة وقد قارب الثمانين ، رحمه الله تعالى .

الحسن بن جعفر[٧] أبو الفتوح العلوي ، أمير مكّة شرّفها الله تعالى .

---

(١) رواه أبو الفضل بن طاهر المقدسي ، عن عبد الوهاب الأنماطي ، عن الخطيب ، كما في تاريخ الإسلام (بشار) .

(٢) تعقب الذهبي قول الخطيب فقال : « هذا يفعله نادراً ، فإنه كثيراً ما يقول : كتب إليَّ جعفر الخلدي ، كتب إليَّ أبو جعفر الأصم ، أخبرنا ميمون بن راشد في كتابه » (تاريخ الإسلام ٩/ ٤٧١) (بشار) .

(٣) تعقب الحافظ ابن النجار قول عبد العزيز النخشبي هذا فقال : « وهم في هذا ، فأنا رأيت نسخة الكتاب عتيقة ، وعليها خط أبي نعيم يقول : سمع مني فلان إلى آخر سماعي من هذا المسند من ابن خلاد ، فلعله روى الباقي بالإجازة ، والله أعلم » (تاريخ الإسلام ٩/ ٤٧١) (بشار) .

(٤) تحرفت في (ط) : إلى : شاهان ، أنساب السمعاني (١/ ٢٨٩) .

(٥) المنتظم (٨/ ١٠٠) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٦٦) .

(٦) كذا الأصل و(ط) : البرجمي ، وفي الكامل في التاريخ (٩/ ٤٦٦) : الرَّخجي .

(٧) المنتظم (٨/ ١٠٠)، الكامل في التاريخ (٥/ ٤٦٦)، ووقع في بعض النسخ : « الحسن بن حفص » وهو تحريف .

الحسين بن محمد بن الحسن بن علي بن عبد الله المؤدب[١] وهو أبو محمد الخلال .

سمع « صحيح البخاري » من إسماعيل بن محمد الكُشْميهني ، وسمع غيره . كانت وفاته في جمادى الأولى ودفن بباب حرب .

عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن (بشران بن)[٢] محمد بن بشر بن مهران[٣] أبو القاسم الواعظ .

سمع النَّجّاد ودَعْلَج بن أحمد والآجري وغيرهم ، وكان ثقة صدوقاً ، وكان يشهد عند الحكّام ، فترك ذلك رغبة عنها[٤] ورهبة من الله ، ومات في ربيع الآخر من هذه السنة ، وقد جاوز التسعين ، وصلّي عليه في جامع الرّصافة ، وكان الجمع حافلاً ، ودفن إلى جانب أبي طالب المكّي ، وكان أوصى بذلك .

محمد بن الحسين بن خلف بن الفَرّاء[٥] أبو خازم ، أخو القاضي أبي يعلى الحنبلي .

سمع الدارقطني ، وابن شاهين .

قال الخطيب : كان لا بأس به . ورأيت له أصولاً بسماعه فيها ، ثمّ بلغنا أنّه خلّط في الحديث بمصر ، واشترى من الورّاقين صحفاً فروى منها ، وكان يذهب إلى الاعتزال .

وكانت وفاته في المحرّم من هذه السنة بتِنِّيس من بلاد مصر .

محمد بن عبيد الله[٦] أبو بكر الدِّيْنَوري الزاهد .

وكان خشن العيش ، وكان ابن القَزْويني يُثني عليه ، وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره ، وقد سأله مرة أن يطلق الناس مكس الملح ، وكان [مبلغه] في السنة ألفي دينار ، فتركه من أجله ، ولمّا توفي اجتمع أهل البلد لجنازته ، وصُلِّي عليه مرات ، ودفن بباب حرب .

الفضل بن منصور[٧] أبو الرِّضا ، ويعرف بابن الظريف ، وكان شاعراً ظريفاً ، ومن شعره الفائق ، ونظمه الرائع قوله :

---

(١) تاريخ بغداد (٨/١٠٨) ، المنتظم (٨/١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/٥٩٧) .
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من مصادر ترجمته لا يستقيم النص من غيرها (بشار) .
(٣) تاريخ بغداد (١٠/٤٣٢) ، المنتظم (٨/١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٥٠) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٣٠) ، شذرات الذهب (٣/٢٤٦) .
(٤) في (ط) : « عنه » ولا يصح ، إذ المقصود الشهادة ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الخطيب (بشار) .
(٥) تاريخ بغداد (٢/٢٥٢) ، المنتظم (٨/١٠٢) .
(٦) المنتظم (٨/١٠٢) .
(٧) المنتظم (٨/١٠٣) ، الكامل في التاريخ (٩/٤٦٦) .

يـا قَـالَـةَ الشِّعْـرِ نَصَحْـتُ لَكُـمْ وَلَسْـتُ أدْهـى إلا مـن النُّصْـحِ
قَـدْ ذَهَـبَ الـدَّهْـرُ بـالكِـرَامِ وَفـي ذَاكَ أُمُـورٌ طَـوِيلَـةُ الشَّـرْحِ
وَتَطْلُبُـونَ(١) النَّـوالَ مـن رَجُـلٍ قَـدْ طُبِعَـتْ نَفْسُـهُ علـى الشُّـحِّ
وأَنْتُـم(٢) تَمْـدَحُـونَ بِـالحُسْـنِ والـ ـظـرف وُجُـوهـاً فـي غَـايَـةِ القُبْـحِ
مـن أجْـلِ ذا تُحـرَمُـونَ رِزْقَكُـم لأنَّكُـم تَكْـذِبُـونَ فـي المَـدْحِ
صُـونُـوا القـوافـي فَمَـا أرَى أحَـداً يَعْثُـرُ فيـهِ الـرَّجَـاءُ بـالنُّجْـحِ(٣)
فَـإنْ شَكَكْتُـمْ فيمـا أقـولُ لَكُـمْ فَكَـذِّبُـونـي بـواحـدٍ سَمْـحِ

هِبَةُ الله بن علي بن جَعْفَر(٤) أبو القاسم بن ماكولا ، وزر لجلال الدولة مراراً ، وكان حافظاً للقرآن ، عارفاً بالشّعر والأخبار ، خُنِق بهيت في جمادى الأخرى من هذه السنة .

أبو زيد الدَّبُوسيّ(٥) عَبْدُ الله بن عُمر بن عيسى ، الفقيه الحنفي .

أول من وضع علم الخلاف ، وأبرزه إلى الوجود ، قاله ابن خلِّكان(٦) . قال : وكان يُضرب به المثل . والدبوسيّ نسبة إلى قرية من أعمال بخارى ، قال : وله كتاب « الأسرار » و« التقويم للأدلة » وغير ذلك من التصانيف والتعاليق . قال : ورُوي أنّه ناظر الفقهاء فبقي بعضهم ، كلّما ألزمه أبو زيد إلزاماً تبسّم أو ضحك ، فأنشد أبو زيد :

مـا لـي إذا ألْـزَمْتُـه حُجَّـةً قـابَلَنِـي بـالضّحْـكِ وَالقَهْقَهَـه
إنْ كانَ ضِحْكُ المرْءِ مِنْ فِقهِهِ(٧) فَـالـدُّبُّ فـي الصَّحْـرَاءِ مـا أفْقَهَـه

الحَوْفي صاحب « إعراب القرآن » أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف [الحَوْفي] النَّحْوي(٨) .

---

(١) في (ط) : أتطلبون .
(٢) في المنتظم : وأنتم تمدحون بالجود والعدل .
(٣) في (ط) : أحداً يغترُّ فيه بالنجح .
(٤) المنتظم (٨/ ١٠٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤٦٦) .
(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٢١) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٧٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٤٥). قال ابن خلِّكان : والدَّبُوسي : بفتح الدال المهملة ، وضم الباء الموحدة ، وبعدها واو ساكنة وسين مهملة ، هذه النسبة إلى دَبُوسة ، وهي بليدة بين بخارى وسمرقند نسب إليها جماعة من العلماء .
(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٤٨) .
(٧) في (ط) : إن ضحك المرء من فقهه .
(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٠) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٢١) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٨١) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٤٧) .

له كتاب في النحو كبير ، و« إعراب القرآن » في عشر مجلدات ، وله « تفسير القرآن » أيضاً ، وكان إماماً في العربيّة [والنحو] والآداب ، وله تصانيف كثيرة ، انتفع الناس بها .

قال ابن خلِّكان[١] : والحوفي نسبة إلى ناحية بمصر يقال لها : الشرقيّة ، وقصبتها مدينة بَلْبيس ، فجمع ريفها يسمون [حَوْف واحدهم حَوْفي] ، وهو من قرية يقال لها : شبرا اللنجة[٢] من أعمال الشرقيّة المذكورة .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمئة

فيها : زادت دجلة زيادةً عظيمة بحيث حملت الجسر ومَن عليها فألقتهم بأسفل البلد وسلموا .

وفيها : وقع بين الجند وجلال الدولة شَغَبٌ ، وقُتِلَ من الفريقين خلق كثير ، وجرت شرور طويلة ، و[وقع] فساد عريض ، واتّسع الخرق على الراقع ، ونهبت الأتراك دور الناس ، ولم يبق للملك عندهم حرمة ولا كلمة ، وغلت الأسعار ببغداد جدّاً .

وفيها : بعث الملك أبو كاليجار وزيره العادل ابن مافنّة إلى البصرة فملكها له .

وفيها : زار الملك أبو طاهر مشهد عليّ ، ومشهد الحسين ، ومشى حافياً في بعض تلك الزيارات ، ولم يحجّ أحد من أهل العراق في هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن أحمد بن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير الحِيري[٣] ، من أهل نيسابور .

وكان من أعيان الفضلاء الأذكياء، والثقات الأمناء، قدم بغداد حاجّاً في سنة ثلاثة وعشرين وأربعمئة، فقرأ عليه الخطيب البغدادي جميع صحيح البخاري في ثلاثة مجالس بروايته له عن أبي الهيثم الكُشْمِيهني عن الفربري عن البخاري ، وكانت وفاته في هذه السنة[٤] وقد قاربَ السبعين سنة . رحمه الله تعالى .

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٠) .
(٢) تحرفت في (أ) وبعض النسخ إلى : الخيمة ، وفي (ط) : « النخلة » وما أثبتناه هو الذي في وفيات الأعيان لابن خلكان الذي ينقل منه المصنف ، وكذلك سماها القفطي في إنباه الرواة (٢/ ٢١٩) ، وينظر الاقتصار لابن دقماق (٥/ ٦٢) (بشار) .
(٣) المنتظم (٨/ ١٠٥) .
(٤) إنما ذكر المصنف وفاته في هذه السنة متابعة لابن الجوزي في المنتظم الذي استنتج هذا التاريخ من قول الخطيب في ترجمته : « وحدثني مسعود بن ناصر السجزي أنه مات بعد سنة ثلاثين وأربعمئة بيسير » (٧/ ٣١٩ بتحقيقنا) ، =

بُشْرَى الفَاتِنِي[١] وهو بُشْرَى بن مَسِيْس ، من سبي الروم .

أهداه بعض أمراء بني حمدان لفاتن غلام المطيع فأدَّبه ، وسمع الحديث على جماعة من المشايخ ، وروى عنه الخطيب ، وقال[٢] : كان صدوقاً ، صالحاً ، ديِّناً ، وكانت وفاته في يوم عيد الفطر ، رحمه الله تعالى .

محمّد بن عليّ بن أحمد بن يعقوب بن مروان[٣] أبو العلاء الواسطي .

وأصله من فم الصّلح . سمع الحديث ، وقرأ القراءات ، ورواها ، وقد تكلّموا في روايته في القراءات والحديث ، فالله أعلم ، توفي في جمادى الآخرة وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وأربعمئة

فيها : عظم شأن السّلجوقيّة ، وارتفع شأن ملكهم طُغْرُلْبَك محمد ، وأخيه جفري بك داود ، وهما ابنا ميكائيل بنِ سلجوق بن تُقاق[٤] . وقد كان جدّهم تُقاق هذا من مشايخ الترك القدماء ، الذين لهم الرأي والمكيدة والمكانة عند ملكهم الأعظم ، ونشأ ولده سلجوق نجيباً شهماً ، فقدّمه الملك ولقبه شَبَاشِي[٥] ، فأطاعته الجيوش ، وانقادت له الناس بحيث تخوَّف منه الملك ، وأراد قتله ، فهرب منه إلى بلاد المسلمين فأسلم ، فازداد عزّاً وعلوّاً ، ثمَّ توفي عن مئة وسبع سنين ، وخلّف أرسلان ، وميكائيل ، وموسى ، فأما ميكائيل فإنّه اعتنى بقتال الكفار من الأتراك ، حتى قُتل شهيداً وخلّف ولديه طُغْرُلْبَك محمداً ، وجفري بك داود ، فعظم شأنهما في بني عمهما ، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين ، وهم ترك الإيمان الذين يقال لهم اليوم : تُرْكمان ، وهم السلاجقة بنو سلجوق جدّهم هذا ؛ ففتحوا بلاد خراسان بكمالها بعد موت محمود بن سُبُكْتكِين ، وقد كان يتخوّف منهم الملك محمود بعض التخوّف ، فلمّا توفي وقام ولده مسعود من بعده قاتلهم وقاتلوه مراراً ، [فكانوا] يهزمونه في أكثر المواقف ، واستكمل لهم ملك خراسان بأسرها ، ثمّ قصدهم مسعود في جنود يضيق بها الفضاء ، فكسروه فيها ،

= وهي رواية لا تفيد القطع . لكن الذهبي ترجمه في وفيات سنة (٤٣٠هـ) من تاريخ الإسلام ، وقال : ذكر ابن خيرون وفاته في سنة ثلاثين » (٩/ ٤٧٤ بتحقيقنا) وهذا بلا شك أثبت وأدق (بشار) .

(١) المنتظم (٨/ ١٠٦) وقد ورد اسمه في (ب) : « بشر » وهو تحريف .

(٢) تاريخه ٧/ ٦٤٥ (ط . د . بشار) .

(٣) المنتظم (٨/ ١٠٧) .

(٤) كذا في الأصل والكامل في التاريخ (٩/ ٤٧٣) وذكر معناه : القوس الجديد .
وفي وفيات الأعيان (٥/ ٦٣) : دقاق ، وقد ضبطها كذلك ، وفي (ط) : يناق .

(٥) كذا الأصل ، وفي (ط) : شباسي ، وفي الكامل : (سباشي) ، وذكر أن معناه : قائد الجيش .

وكبسه مرّة داود فانهزم منه مسعود ، فاستحوذ على حواصله وخيامه ، وجلس على سريره ، وفرّق الغنائم ، ومكث جيشه على خيولهم لا ينزلون عنها ثلاثة أيام ، خوفاً من دهمة العدوّ ، وبمثل هذا الاحتراس تمّ لهم ما راموه ، وكمل جميع ما أمّلوه ، ثم كان من سعادتهم أنّ الملك مسعود توجّه نحو بلاد الهند ليشتي بها ، وترك مع ولده مودود جيشاً كثيفاً بسبب قتال السّلاجقة ، فلمّا عبر الجسر الذي على سيحون ، نهبت جنوده حواصله ، واجتمعوا على أخيه محمّد ، وخلعوا مسعوداً ، فرجع إليهم مسعود فقاتلهم ، فهزموه ، وأسروه ، فقال له أخوه : والله لا أقابلنّك على سوء صنيعك إليّ ، ولكن اختر لنفسك أيّ بلد تكون فيه أنت وعيالك ، فاختار قلعة كبرى ، فكان بها . ثمّ إن الملك محمداً [أخا مسعود] جعل لولده أحمد الأمر من بعده ، وبايع الجيش له ، وقد كان في أحمد هوج وقلّة عقل ، فاتفق هو وعمهم يوسف بن سُبُكْتِكين على قتل مسعود ليصفو لهم الأمر ، ويتمّ لهم المُلْك ، فسار إليه أحمد عن غير علم أبيه فقتله ، فلمّا علم أبوه غاظه ذلك ، وعتب على ابنه عتباً شديداً ، وبعث إلى ابن أخيه يعتذر إليه ويقسم أنّه لم يعلم بذلك ، حتى كان يكتب إليه مودود بن مسعود يقول : رزق الله ولدك المعتوه عقلاً يعيش به ، فقد ارتكب أمراً عظيماً ، وأقدم على إراقة دم ملك مثل والدي ، لقّبه أمير المؤمنين بسيد الملوك والسلاطين ، وستعلمون أيّ حيف تورطتم ، وأيّ شرّ تأبطتم ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] . ثم سار إليهم في جنود عظيمة ، فقاتلهم فقهرهم ، وأسرهم ، فقتل عمّه محمداً وابنه أحمد ، وبني عمّه كلّهم إلا عبد الرحيم ، وخلقاً من رؤوس أمرائهم ، وابتنى قرية هنالك سمّاها : فتح آباذ ، ثمّ سار إلى غزنة فدخلها في شعبان ، وأظهر العدل ، وسلك سيرة جدّه محمود ؛ فأطاعه الناس ، وكتب إليه أصحاب الأطراف بالانقياد والاتّباع ، غير أنّه أهلك قومه بيده ، وكان هذا من جملة سعادة السّلاجقة .

وفيها : خالف[(١)] أولاد حمّاد على العزيز باديس صاحب إفريقية ، فسار إليهم فحاصرهم قريباً من سنتين ، ووقع بإفريقية في هذه السنة غلاء شديد ، بسبب تأخر الأمطار عنهم .

ووقع ببغداد فتنة عظيمة بين الروافض والسنّة من أهل الكرخ ، وأهل باب البصرة ، فقتل خلق كثير من الفريقين .

ولم يحجّ في هذه السنة أحد من أهل العراق وضواحيها ، وخراسان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن الحسين بن الفضل بن العباس[(٢)] أبو يعلى البصري الصوفي .

---

(١) في (ط) : اختلف .

(٢) المنتظم (٨/١٠٨) .

أذهب عمره في السفر والتغرّب ، وقدم بغداد في سنة ثنتين وثلاثين[١] ، فحدّث بها عن أبي بكر بن أبي الحديد الدمشقيّ ، وأبي الحسين بن جُميع الغسّاني ، وكان ثقة ، صدوقاً ، أديباً ، حسن الشعر .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة

فيها : ملك طُغْرُلْبَك جرجان ، وطبرستان ، ثمّ عاد إلى نيسابور مؤيَّداً منصوراً .

وفيها : ولي ظهير الدولة ، أبو منصور بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه بعد وفاة أبيه ، فوقع الخلف بينه وبين أخويه أبي كاليجار وكرشاسف[٢] .

وفيها : دخل أبو كاليجار همذان ودفع الغزو عنها .

وفيها : شغبت الأتراك ببغداد بسبب تأخّر العطاء عنهم ، وسقطت قنطرة زريق على نهر عيسى ، وكذا القنطرة العتيقة التي تقاربها .

وفيها : دخل بغداد رجل من البلغار يريد الحج ، وذكر أنّه من كبارهم فأنزل بدار الخلافة ، وأجري عليه الأرزاق ، وذكر أنّهم مولَّدون من الترك والصقالبة ، وأنهم في أقصى بلاد الترك ، وأن النهار يقصر عندهم حتى يكون ست ساعات وكذلك الليل ، وعندهم عيون وزروع ، وثمار على المطر والسقي .

وفي هذه السنة : قرئ الاعتقاد [القادري] الذي كان جمعه القادر بالله أمير المؤمنين ، وأخذت خطوط العلماء والزهّاد [عليه] بأنه اعتقاد المسلمين ، ومَنْ خالفه فقد كفر وفسق ، فكان أول من كتب عليه الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني ، ثمّ كتب بعده العلماء ، وقد سرده أبو الفرج بن الجوزي في « منتظمه »[٣] بتمامه ، وفيه جملة جيدة من اعتقاد السَّلف[٤] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بَهْرام بن مَافنّة[٥] أبو منصور ، الوزير لأبي كاليجار ، وكان عفيفاً ، نزهاً ، صيناً ، عادلاً في سيرته ، وقد وقف خزانة كتب بمدينة فيروز أباذ ، وتشتمل على سبعة آلاف مجلّد ، من ذلك أربعة آلاف ورقة بخطّ أبي علي وأبي عبد الله ابني مقلة .

---

(١) وانقطع خبره فيها (تاريخ مدينة السلام ٢/ ٦٣٠) وتاريخ الإسلام (٩/ ٥٢٠) (بشار) .

(٢) في ط : « كرسانيف » محرفة ، والمثبت من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٥٢٩) (بشار) .

(٣) المنتظم (٨/ ١٠٩) .

(٤) لكن قال الذهبي بعد أن ساق بعضه : « وفي ذلك كما ترى بعض ما يُنكر وليس من السنة » (تاريخ الإسلام ٩/ ٤٩٥) (بشار) .

(٥) المنتظم (٨/ ١١١) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٠٢) وقد تحرف اسم أبيه في (ط) إلى : منافيه .

محمد بن جعفر أبو الحَسَن[١] المعروف بالجهرميّ[٢] .

قال الخطيب البغدادي : هو أحد الشعراء الذين لقيناهم ، وسمعنا منهم ، وكان يجيد القول ، فمن شعره :

يـا ويـحَ قَلْبِـي مِـنْ تَقَلُّبِـهِ أبـداً يَحِـنُّ إلـى مُعَـذِّبِـه
قَالُوا : كَتَمْتَ هَوَاهُ عَنْ جَلَدٍ لَـوْ أنَّ لِـي جَلَـداً[٣] لَبُحْـتُ بِـهِ
بـأبِـي حَبِيـبٌ غَيْـرُ مُكْتَـرِثٍ عَنِّـي وَيُكْثِـر مـن تعتُّبِـهِ[٤]
حَسْبِي رِضَـاهُ مِـنَ الحياةِ وَيَا قَلَقِـيْ[٥] وَمَـوْتـي مِـنْ تَغَضُّبِـه

مسعود الملك[٦] بن الملك محمود بن الملك سُبُكْتِكِين صاحب غزنة ، وابن صاحبها .

قتله ابن عمّه أحمد بن محمّد بن محمود ، فانتقم له ابنه مودود بن مسعود ، وقتل عمّه وابن عمّه ، وأهل بيته من أجل أبيه ، واستتبَّ له الأمر وحده من غير منازع من قومه ، كما تقدم .

بنت أمير المؤمنين المتّقي لله[٧] تأخّرتْ مدّتها حتى كانت وفاتها في رجب من هذه السنة عن إحدى وتسعين سنة بالحرم الطاهري ، ودفنت بالرّصافة ، رحمها الله تعالى وإيّانا بمنّه وكرمه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمئة

فيها : أمر الملك جلال الدولة أبو طاهر بجباية أموال الجوالي ، ومنع أصحاب الخليفة من قبضها ، فانزعج القائم بأمر الله ، وعزم على الخروج من بغداد ، وأرسل إلى الفقهاء والقضاة والأعيان في التأهّب للخروج صحبته ، وارتجت بغداد بسبب ذلك .

---

(١) في بعض النسخ : « أبو الحسين » وفي (ط) : « محمد بن جعفر بن الحسين » ، وكله تحريف ، وما أثبتناه هو الذي في تاريخ الخطيب والكامل لابن الأثير وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (بشار) .

(٢) تاريخ مدينة السلام (٢/ ٥٤٥) ، المنتظم (٨/ ١١٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٠٢) ، تاريخ الإسلام (٩/ ٥٣٣) .

(٣) في الكامل : رمقاً .

(٤) في (ط) :

مـا بيـن جننت غيـر مكتـرث عنـي ولكـن مـن نعيبـه

(٥) في (ط) : وما يلقى .

(٦) المنتظم (٨/ ١١٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٩٥ ـ ٤٨٨) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٨١) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٩٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٣) .

(٧) المنتظم (٨/ ١١٣) .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز ، هُدّمت قلعتها وسورها وأسواقها ودورها حتى من دار الإمارة عامّة قصورها ، ومات تحت الهدم خمسون ألفاً ، ولبس أهلها المسوح لشدّة مصابهم .

وفيها : استولى السلطان طُغْرُلْبَك على أكثر البلاد الشرقيّة فمن ذلك : مدينة خوارزم ، ودهستان[1] ، وطَبَس ، والريّ ، وبلاد الجبل ، وكرمان وأعمالها ، وقزوين . وخُطِبَ له في تلك النواحي كلّها ، وعظم شأنه جدّاً واتّسع صيته .

وفيها : ملك ثِمال بن صالح بن مِرْداس حلب ، وأخذها من أيدي جيش الفاطميين ، فبعث إليه المصريون من حاربه .

ولم يحجّ أحد [من أهل العراق وغيرها] من هذه السنة ولا فيما قبلها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو ذر الهَرَوِيّ[2] عبد[3] بن أحمد بن محمد الحافظ ، الفقيه المالكي .

سمع الكثير ورحل إلى الأقاليم ، وخرج إلى مكّة فسكنها ، ثمّ تزوج في العرب ، وأقام بالسروات ، فكان يحجّ في كلّ سنة ، ويقيم بمكّة أيام الموسم ، ويسمع الناس عليه ، وأخذ عنه المغاربة مذهب مالك ، ومذهب الشيخ أبي الحسن الأشعريّ ، عن القاضي أبي بكر الباقلاني ، وكان يقول : إنّه أخذ مذهب مالك عن الباقلاني ، وقد كان ثقة حافظاً ضابِطاً ، توفي في ذي القعدة من هذه السنة .

محمد بن الحسين بن محمد بن جعفر[4] أبو الفتح الشَّيْباني ، العطّار ، ويُعرف بقُطيط .

سافر إلى البلاد الشاسعة ، وسمع الكثير ، وكان شيخاً ظريفاً يسلك طريق التصوّف ، وكان يقول : لمّا وُلِدتُ سُمِّيت قُطيط ، على أسماء البادية ، ثم سمّاني بعض أهلي محمداً .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمئة

فيها : رُدَّت الجوالي إلى نوّاب الخليفة .

---

(١) في الأصل : دهشتان ، خطأ .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ١٤١) ، المنتظم (٨/ ١١٥) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٤) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٣٦) ، نفح الطيب (٢/ ٧٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٤) ، شجرة النور الزكية (١٠٤) .

(٣) وقع اسمه في (ط) : « عبد الله » ، وهو خطأ .

(٤) المنتظم (٨/ ١١٦) .

وفيها : ورد كتاب من الملك طغرلبك إلى جلال الدولة يأمره بالإحسان إلى الرعايا والوصاة بهم . [قبل أن يحلّ به ما يسوؤه] .

ذكر مُلك أبي كاليجار بغداد بعد وفاة أخيه جلال الدولة بن بهاء الدولة

وفيها : توفي جلال الدولة ، أبو طاهر بن بهاء الدولة ، فملك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كاليجار بن بهاء الدولة ، وخُطِبَ له بها عن ممالأة أُمرائها ، وأخرجوا الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة ، فتنقل في البلاد ، وتشرّد من مملكته إلى غيرها ، حتى توفي في سنة إحدى وأربعين ، وحُمِل ودُفن عند أبيه بمقابر قريش .

وفيها : أرسل الملك مودود بن مسعود عسكراً كثيراً إلى خراسان ، فبرز إليهم [ألْب] أرْسَلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق في عسكر آخر فاقتتلا قتالاً عظيماً .

وفيها : في صفر منها أسلم من الترك الذين كانوا يؤذون المسلمين ، نحو من عشرة آلاف خركاه ، وضحوا في يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس من الغنم ، وتفرّقوا في البلاد ، ولم يُسْلِم من الخَطا والتَّـتَر أحد ، وهم في نواحي الصين .

وفيها : نفى ملك الروم من قسطنطينية كلَّ غريب له دون العشرين سنة فيها .

وفيها : خطب المعزّ أبو تميم بن باديس ، صاحب إفريقيّة ببلاده للخليفة العباسي ، وقطع خطبة الفاطميين ، وأحرق أعلامهم ، وأرسل إليه الخليفة القائم بأمر الله الخلع واللواء والمنشور ، وفيه تعظيم له ، وثناء عليه .

وفيها : أرسل الخليفة القائم بأمر الله أقضى القضاة أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، قبل وفاة جلال الدولة إلى الملك المظفّر طغرلبك ليصلح بينه وبين جلال الدولة ، وأبي كاليجار ، فسار إليه فالتقاه بجرجان فتلقّاه الملك على أربعة فراسخ إكراماً له ولمن أرسله ، وأقام عنده إلى السنة القابلة ، فلمّا قدم [على الخليفة] أخبر بطاعته وإكرامه له ، واحترامه من أجل الخليفة .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن عثمان بن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف العِجْلي[(١)] أبو سعد .

أحد الرحالين في طلب الحديث إلى البلاد المتنائية ، ثمّ أقام ببغداد مدّة وحدّث بها ، روى عنه

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٨٤) ، المنتظم (٨/ ١١٧) .

الخطيب وقال : كان صدوقاً منتبهاً ، ثمّ انتقل في آخر عمره إلى مكّة فسكنها حتى مات بها في شوال من هذه السنة .

عبيد الله بن أبي الفتح[١] أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر ، أبو القاسم الأزْهَري ، الحافظ المحدّث الشهير ، ويعرف بابن السَّوادي[٢] .

سمع من أبي بكر بن مالك ، وخلق يطول ذكرهم ، وكان ثقةً صدوقاً ، ديّناً صحيح الاعتقاد ، حسن السّيرة ، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء التاسع عشر من صفر من هذه السنة عن ثمانين سنة وعشرة أيام .

الملك جلال الدولة[٣] أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عَضُدِ الدولة بن بُويه الدَّيْلمي ، صاحب بغداد وغيرها من البلاد .

كانت فيه محبة عظيمة للعبّاد يزورهم ، ويلتمس دعاءهم ، وقد نكب مرات عديدة ، وخالفه الأتراك غير مرّة ، وأخرجوه من داره ، و[تارة أخرج] من بغداد بالكليّة ، ثمّ يعود إليهم ويرضون عنه ، حتى اعتراه وجع في كبده هذه السنة ، فمات من ذلك في ليلة الجمعة الخامس من شعبان هذه السنة وله من العمر إحدى وخمسون سنة وأشهر ، وولي بغداد من ذلك ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً[٤] .

ثم دخلت سنة ستٍّ وثلاثين وأربعمئة

فيها : دخل الملك أبو كاليجار بغداد ، وأمر بضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس ، ولم تكن الملوك قبله تفعله ، إنما كان يضرب لعضد الدولة ثلاثة أوقات ، وما كان يضرب في الأوقات الخمسة إلا للخليفة ، وكان دخوله في رمضان ، وقد فرّق على الجند أموالاً جزيلة ، وبعث إلى الخليفة بعشرة آلاف دينار ، وخلع على مقدَّمي الجيوش ، وهم : البساسيري ، والنشاوري ، والهُمام أبو اللقاء ، ولقّبه الخليفة محيي الدولة ، وخُطب له في بلاد كثيرة بأمر ملوكها ، وخُطب له بهمذان ، ولم يبق لنواب طغرلبك فيها أمر .

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٥) ، المنتظم (٨/ ١١٧) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٣٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٥) ، وقد تحرف اسمه في(ط) إلى : عبد .

(٢) تحرف في (ط) : إلى : السواري ، والسوادي : نسبة إلى سواد العراق .

(٣) المنتظم (٨/ ١١٨) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٣٦١ و٥١٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٧) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٣٧) ، شذرات الذهب (٢/ ٥٥) .

(٤) قال الذهبي : « وقد ذكرنا من أخبار جلال الدولة . . ما يدل على ضعف دولته ووهن سلطنته . وكان شيعياً جباناً ، عاش نيفاً وخمسين سنة ، وكان عسكره قليلاً ، وحده كليلاً ، وأيامه نكدة » (تاريخ الإسلام (٩/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠) (بشار) .

وفيها : استوزر طغرلبك أبا القاسم علي بن عبد الله الجوينيّ ، وهو أول وزير وزر له .

وفيها : وزر أبو نصر أحمد بن يوسف لصاحب مصر ، وكان يهوديًا فأسلم بعد موت الجرجرائي .

وفيها : ولي نقابة العلويين[1] الشريف أبو أحمد عدنان بن الشريف الرَّضي ، وذلك بعد وفاة عمّه المرتضى أبي القاسم علي ـ وستأتي ترجمته ـ .

وفيها : ولي القاضي أبو الطيِّب الطبري ، قضاء الكرخ ، مضافاً إلى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطّاق ، وذلك بعد موت القاضي أبي عبد الله الصّيمري .

وفيها : نظر رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المُسْلمة[2] في كتابه ديوان الخلافة ، وكان عنده بمنزلة عالية .

ولم يحجّ في هذه السنة أحد من أهل العراق لفساد الطريق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن علي بن محمد بن جعفر[3] أبو عبد الله الصَّيْمَري ، نسبة إلى نهرٍ بالبصرة يقال له : الصَّيْمَر ، عليه عدة قنى .

أحد أئمّة الحنفيّة ، وولي قضاء المدائن ، ثمّ قضاء ربع الكرخ ، وحدّث عن أبي بكر المفيد وابن شاهين وغيرهما ، وكان صدوقاً وافر العقل ، جميل المعاشرة ، حسن العبارة ، عارفاً بحقوق العلماء ، توفي في شوّال عن خمس وثمانين سنة .

عبد الوهّاب بن منصور[4] بن أحمد أبو الحَسَن[5] ، المعروف بابن المشتري ، الأهوازي .

كان على قضاء الأهواز ونواحيها ، شافعيّ المذهب ، وكان له مكانة كبيرةٌ عند السلطان ، [وكان] صدوقاً كثير المال ، حسن السيرة ، رحمه الله تعالى .

الشريف المُرْتَضى[6] علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن

---

(١) في (ط) : الطالبيين .
(٢) في (ط) : « المسلم » وهو تحريف ، وهو معروف مشهور (بشار) .
(٣) تاريخ بغداد (٨/ ٩٨) ، المنتظم (٨/ ١١٩) ، الجواهر المضية (٢/ ١١٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦١٥) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٣٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٦) ، تهذيب ابن عساكر (٤/ ٣٤٧) .
(٤) المنتظم (٨/ ١٢٠) ، الجواهر المضية (١/ ٢١٤) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٢٧) .
(٥) في بعض النسخ : « أبو الحسين » ، خطأ ، وما أثبتناه من (ط) : ويعضده ما في تاريخ الخطيب (١٢/ ٩٤ ، بتحقيقنا) ، وتاريخ الإسلام بخط الذهبي (٩/ ٥٥٥) (بشار) .
(٦) تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٢) ، المنتظم (٨/ ١٢٠) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٢٦) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣١٣) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٣٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٥٦) ، أعيان الشيعة (٤١/ ١٨٨) .

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، الشريف الموسوي الملقّب بالمرتضى ذي المجدين .

وكان أكبر من أخيه الرضي ذي الحسبين ، نقيب الطالبيين ، وكان جيّد الشعر ، إماماً في مذهب الإماميّة والاعتزال يُناظر على ذلك ، وكان يُنَاظَرُ عنده في كلّ المذاهب ، وله تصانيف في التشيّع أصولاً وفروعاً .

وقد نقل ابن الجوزي في ترجمته أشياء من مفردات الشيعة ، فمن ذلك أنّه لا يصحّ السجود إلا على الأرض ، أو ما كان من جنسها ، وأنَّ الاستجمار إنَّما يجزئ من الغائط لا من البول ، وأنّ الكتابيات حرام ، وذبائح أهل الكتاب حرام ، وكذا ما ولوه هم وسائر الكفّار من الأطعمة ، وأنّ الطلاق لا يقع إلا بحضرة شاهدين ، والمعلّق منه لا يقع ، وإن وجد شرطه ، ومن نام عن صلاة العشاء حتى انتصف اللّيل وجب قضاؤها ، ويجب عليه أن يصبح صائماً كَفّارة لما وقع ، ومن ذلك أنّ المرأة إذا جزّت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ ، ومن شقّ ثوبه في مصيبة وجب عليه كفارة يمين ، ومن تزوّج بامرأة لها زوج لا يعلمه يجب عليه أن يتصدّق بخمسة دراهم ، وأنّ قطع السارق من أصول الأصابع ، قال ابن الجوزي[١] : نقلتها من خطّ أبي الوفاء بن عقيل ، قال : وهذه مذاهب عجيبة تخرق الإجماع ، وأعجب منها ذمّ الصحابة رضي الله عنهم .

ثمّ سرد من كلامه شيئاً قبيحاً في تكفير عمر [بن الخطاب] وعثمان ، وعائشة ، وحفصة ، رضي الله عنهم ، وأخزاه الله وأمثاله [من الأرجاس الأنجاس ، أهل الرفض والارتكاس] إن لم يكن قد تاب . فقد روى ابن الجوزي ، قال :

أخبرنا ابن ناصر ، عن أبي الحسين بن الطيّوري ، قال : سمعت أبا القاسم بن بَرْهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى أبي القاسم العلوي في مرضه ، فإذا به قد حوّل وجهه إلى الجدار فسمعته يقول : أبو بكر وعمر وَلِيا فعدلا ، واستُرحما فرحما . فأنا أقول ارتدَّا بعدما أسلما ، قال : فقمتُ فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه ، وكانت وفاته في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة .

فقد ذكره ابن خلكان[٢] فملس[٣] عليه [على عادته مع الشعراء في الثناء عليهم] ، وأورد شيئاً من أشعاره الرائقة ، قال : ويقال : إنّه هو الذي وضع « نهج البلاغة » تجاوز الله عنه ورحمه .

---

(١) المنتظم (٨/ ١٢١) .
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣١٣) .
(٣) « ملس عليه » : أثنى وتغاضى عن سيئاته .

محمد بن أحمد بن شُعَيب بن عبد الله بن الفضل[١] أبو منصور الرُّوياني ، صاحب الشيخ أبي حامد الإسفراييني .

قال الخطيب : سكن بغداد وحدّث بها ، وكتبنا عنه ، وكان صدوقاً ، يسكن بِقَطِيْعَة الربيع ، ومات في ربيع الأول من هذه السّنة ودفن بباب حرب .

أبو الحسين البَصْري المعتزلي[٢] محمد بن علي بن الطيِّب ، أبو الحُسين البصري ، المتكلِّم .

شيخ المعتزلة ، والمنتصر لهم ، والحامي عن ذِمارهم[٣] بالتصانيف الكثيرة ، فكانت وفاته في ربيع الآخر من هذه السنة ، وصلّى عليه القاضي أبو عبد الله الصَّيْمريُّ ، ودفن في الشونيزيّة ، وليس له من رواية الحديث سوى حديث واحد رواه عنه الخطيب البغدادي في « تاريخه » .

حدّثنا محمد بن علي بن الطّيب : قُرِئَ على هلال بن محمد بن أخي هلال الرأي بالبصرة وأنا أسمع ، قيل له : حدّثكم أبو مسلم الكجّي ، وأبو خليفة الفضل بن الحُبَاب الجُمَحي ، والغَلابي ، والمازني ، والزُّرَيقي ، قالوا : حدّثنا القعنبي ، عن شعبة ، عن منصور ، عن ربعي ، عن أبي مسعود البدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ مِمَّا أدْرَكَ النَّاسُ من كَلامِ النُّبُوَّةِ الأولى ، إذا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ ما شِئْتَ »[٤] .

والغلابي ، اسمه محمد ، والمازني ، اسمه محمد بن حيان ، والزريقي : أبو علي محمد بن أحمد بن خالد البصري .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمئة

فيها : بعث السلطان طُغْرُلبَك السّلجوقي أخاه إبراهيم يَنّال إلى بلاد الجبل فملكها ، وأخرج عنها صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة ، فالتحق بالأكراد ، ثمّ سار إبراهيم يَنّال إلى الدِّيْنَوَر فملكها . وأخرج منها صاحبها وهو أبو الشوك . فسار أبو الشوك إلى حُلْوان فتبعه إبراهيم فملكها عليه قهراً ، وأحرق داره

---

(١) تاريخ بغداد (١/ ٣٠٧) ، المنتظم (٨/ ١٢٦) .
(٢) تاريخ بغداد (٣/ ١٠٠) ، المنتظم (٨/ ١٢٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٢٧) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٧) ، الوافي بالوفيات (٤/ ١٤٥) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٣٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٩) .
(٣) في (ط) : ذمّهم .
(٤) رواه البخاري (٣٤٨٣) و(٣٤٨٤) في أحاديث الأنبياء ، ورقم (٦١٢٠) في الأدب ، باب الحياء وأبو داود (٤٧٩٧) في الأدب من حديث أبي مسعود البدري (ع) .

وغنم أمواله ، فتجهز الملك أبو كاليجار صاحب بغداد لقتال السّلاجقة الذين غزوا[1] أنصاره [وتعدَّوا على أتباعه] ، فلم يمكنه ذلك لقلّة الظهر ، وذلك أن الآفة اعترت في هذه السنة الخيل فمات له فيها نحو من اثني عشر ألف فرس بحيث جافت بغداد من نتن الخيل .

وفيها : وقع ببغداد بين الروافض والسنّة ثمّ اتفق الفريقان على نهب دور اليهود ، وإحراق الكنيسة العتيقة التي لهم .

واتفق في هذه السنة موت رجل من أكابر النصارى بواسط ، فجلس أهله لعزائه على باب مسجد هناك ، وأخرجوا جنازته جهرة ، ومعها طائفة من الأتراك يحرسونها ، فحملت عليهم العامة ، فأخذوا الميت منهم واستخرجوه من أكفانه فأحرقوه ورموه في دجلة ومضوا إلى الدير فنهبوه ، وعجز الأتراك عن دفعهم .

ولم يحجّ أهل العراق في هذا العام .

وممن توفي فيها من الأعيان :

فارس بن محمد[2] بن عنان[3] صاحب الدِّيْنَوَر وحُلْوان ، كانت وفاته في هذا الأوان .

خديجة بنت موسى بن عبد الله الواعظة[4] وتعرف ببنت البقّال ، وتُكْنَى أم سَلَمة .

قال الخطيب : كتبت عنها ، وكانت فقيرة[5] صالحة فاضلة .

أحمد بن يوسف[6] [السليكي] المَنَازي[7] ، الشاعر ، الكاتب ، وزير أحمد بن مروان الكردي ، صاحب ميّافارقين [وديار بكر] .

كان فاضلاً بارعاً لطيفاً تردَّد في الرسلية إلى القُسْطَنْطينيّة غير مرة ، وحصّل كتباً كثيرة أوقفها على جامعي آمد وميّافارقين ، ودخل يوماً على أبي العلاء المعرّي ، فقال له : إنّي معتزل الناس وهم يؤذونني [وتركت لهم الدنيا] ، فقال : ولِمَ ؟ وأنت تركت لهم الدنيا والآخرة أيضاً . [فقال : والآخرة

(١) في (ب) : عدوا .
(٢) المنتظم (٨/ ١٢٩) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٣١) .
(٣) كذا في الأصل والمنتظم ، وفي (ط) : والكامل في التاريخ : عنّاز .
(٤) المنتظم (٨/ ١٢٨) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٦) .
(٥) في تاريخ بغداد : ثقة .
(٦) وفيات الأعيان (١/ ١٤٣) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٣) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٢٨٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٩) .
(٧) تحرفت في (ب) : إلى : المازني .

يا قاضي ؟ قال : نعم] . وله ديوان شعر قليل النظير ، عزيز الوجود ، حرص عليه القاضي الفاضل فلم يقدر عليه ، وكانت وفاته في هذه السنة ، ومن شعره في وادي بُزَاعَة[١] :

وقَانا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ وَقَاهُ مُضَاعَفُ النَّبْتِ العَمِيم
نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَا عَلَيْنَا حُنُوَّ المُرْضِعَاتِ عَلَى الفَطِيْم
وَأرْشَفَنا عَلَى ظَمَأٍ زُلالاً أَلَذَّ مِنَ المُدَامَةِ للنَّدِيْم
يُراعي الشَّمْسَ أنَّى قابَلَتْه فَيَحْجِبُها وَيَأذَنُ للنَّسِيْم
تَرُوْعُ حَصَاهُ حاليَةَ العَذَارَى فتَلْمَسُ جَانِبَ العِقْدِ النَّظِيْم

قال ابن خلّكان[٢] رحمه الله تعالى : وهذه الأبيات بديعة في معناها وبابها .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمئة

استهلت [هذه السنة] والمُوتان في الدواب كثير جدًّا ، حتى جافت بغداد . قال ابن الجوزي[٣] : وربّما أحضر بعض الناس الأطباء إلى دوابهم ، فيسقونها ماء الشعير ويطيبونها .

وفيها : حاصر السلطان طُغْرُلْبَك أصبهان ، فصالحه أهلها على مال يحملونه إليه ، وأن يُخطَب له في بلدهم ، فأجابوه إلى ذلك .

وفيها : ملك مهلهل قَرميسين والدِّيْنَوَر .

وفيها : تأمَّر على بني خفاجة [رجل يقال له] : رجب بن أبي منيع بن ثِمال بعد وفاة بدران بن سلطان بن ثمال ، وهؤلاء الأعراب أكثر من يصدّ الحجيج عن البيت الحرام ، فلا جزاهم الله خيراً ، وقبّحهم يوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللّعنة ولهم سوء الدار .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ أبو محمد[٤] عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حَيَّويه ، الشيخ أبو محمد الجُوَيْنيُّ ، إمام الشافعيّة في زمانه .

---

(١) « وادي بُزَاعة » : كثمامة بين منبج وحلب .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ١٤٣) .
(٣) المنتظم (٨/ ١٢٩) .
(٤) المنتظم (٨/ ١٣٠) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٣٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٧) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦١٧) ، طبقات السبكي (٥/ ٧٣) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٤٢) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٥٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٦١) .
قال ابن خلّكان : والجويني ، بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى =

وهو والد إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن أبي محمد ، وأصله من قبيلة يقال لها : سِنْبس ، وجُوَين من نواحي نيسابور ، سمع الحديث في بلاد شتّى على جماعة ، وقرأ الأدب على أبيه ، وتفقّه بأبي الطيّب سهل بن محمد الصُّعلوكي ، ثمّ خرج إلى مرو ، إلى أبي بكر عبد الله بن أحمد القفّال ، ثمّ عاد إلى نيسابور ، وعقد مجلس المناظرة ، وكان مهيباً لا يجري بين يديه إلا الجدّ ، وصنّف التصانيف الكثيرة في أنواع من العلوم ، وكان ورعاً زاهداً ، شديد الاحتياط [لدينه حتى] ربّما أخرج الزكاة مرّتين ، وقد ذكرته في « طبقات الشافعيّة » ، و[ذكرت] ما قاله الأئمة في مدحه . كانت وفاته في ذي القعدة .

وقال ابن خلّكان[١] : صنّف « التفسير الكبير » المشتمل على أنواع العلوم ، وله في الفقه « التبصرة » و« التذكرة » ، و« مختصر المختصر » ، و« الفرق والجمع » ، و« السلسلة » وغير ذلك . وكان إماماً في الفقه ، والأصول ، والعربيّة ، والأدب . توفي في هذه السنة ، وقيل : في سنة أربع وثلاثين ، قاله السّمعاني في كتابه « الأنساب »[٢] ، ومات وهو في سن الكهولة ، رحمه الله وإيانا بفضله ورحمته .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمئة

فيها : اصطلح الملك طُغْرُلْبك السَّلْجُوقيّ وأبو كاليجار صاحب بغداد ، وتزوّج طغرلبك بابنة أبي كاليجار ، وتزوّج أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرلبك .

وفيها : أسرت الأكراد سُرْخاب أخا أبي الشوك ، وأحضروه بين يدي إبراهيم يَنّال ، فأمر بقلع إحدى عينيه .

وفيها : استولى أبو كاليجار على بلاد البطيحة ، ونجا صاحبها أبو نصر بنفسه .

وفيها : ظهر شخص يقال له الأصْفَر التغلبيُّ ، وادّعى أنه من المذكورين في الكتب ، فاستغوى خلقاً من الناس ، وقصد بلاد الروم ، فغنم منها أموالاً فقوي بها وعظم أمره ، فاتفق أنّه أُسِرَ وحُمِل إلى نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر ، فاعتقله ، وسدّ عليه باب السجن[٣] .

وفيها : كان وباء شديد بالعراق والجزيرة وبغداد [بسبب جيف الدواب التي ماتت] ، فمات خلق كثير حتى خلت الأسواق ، وغلت الأسعار [وقلّت الأشياء] التي يحتاج إليها المرضى ، وورد كتاب من

= جُوَين ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور تشتمل على قرى كثيرة مجتمعة .
(١) وفيات الأعيان (٣/ ٤٧) .
(٢) الأنساب (٣/ ٣٨٥) .
(٣) الكامل في التاريخ (٩/ ٥٤٠ـ٥٤١) .

الموصل بأنّه لا يصلّي الجمعة من أهلها إلا نحو أربعمئة ، وأنّ أهل الذمّة لم يبق منهم إلا نحو من مئة وعشرين نفساً .

[وفيها : وقع غلاء شديد أيضاً] وجرت فتنة بين الروافض والسنّة ببغداد ، قُتل فيها خلق كثير .

ولم يحجّ أحد من ركب العراق في هذا العام ، فلا قوّة إلا بالله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد(١) أبو الفضل ، القاضي الهاشمي الرَّشيديّ .

ولي القضاء بِسِجِسْتان ، وسمع الحديث من الغِطْريفي ، وعنه الخطيب ، فقال : أنشدني لنفسه :

قَالُوا اقْتَصِدْ في الجُودِ إنَّكَ مُنْصِفٌ ... عَـدْلٌ وَذو الإنْصـافِ لَيْـسَ يَجُـورُ
فَـأَجَبْتُهُـمْ إنِّـي سُـلالَـةُ مَعْشَـرٍ ... لَهُـمُ لِـواءٌ فـي النَّـدَى مَنْشُـورُ
تَـاللهِ إنِّـي شَـائِـدٌ مـا قَـدْ بنـى ... جَـدِّي الـرَّشِيْـدُ وَجَـدِّيَ المَنْصُورُ(٢)

عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب(٣) أبو القاسم ، الشاعر المعروف بالمطرِّز ، ومن شعره :

يا عَبْدُ كَمْ لَكَ مِنْ ذَنْبٍ وَمَعْصِيةٍ ... إنْ كُنْـتَ نَـاسِيْهـا فـالله أحْصَـاهَـا
لابُـدَّ يـا عَبْـدُ مِـنْ يَـوْمٍ تَقُـومُ لَـهُ ... بِوَقْفَةٍ لَكَ يُدْمِي القَلْبَ ذِكْرَاهَا(٤)
إذا عَـرَضْـتُ عَلـى قَلْبِـي تَـذَكّـرَهـا ... وَسَـاءَ ظَنِّـي أقُـولُ : اسْتَغْفِـر اللهَ(٥)

محمد بن الحسين بن علي بن عبد الرحيم(٦) أبو سَعْد الوزير .

وَزَر للملك أبي طاهر ستّ مرات ، ثم كان موته بجزيرة ابن عمر في هذه السنة ، عن ست وخمسين سنة .

محمد بن أحمد بن موسى(٧) أبو عبد الله الواعظ الشيرازي .

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٥٠) ، المنتظم (٨/ ١٣٢) .
(٢) في (ط) : والمنتظم :
تـالله إنـي شـائـد مـا قـدمـوا ... جـدّي الـرشيـد وقبلـه المنصـور
(٣) المنتظم (٨/ ١٣٤) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٤٣) .
(٤) في (ط) والمنتظم :
لابـد يـا عبـد مـن يـوم تقـوم بـه ... ووقفـة لـك يـدمـي القلـب ذكـراهـا
(٥) في (ط) والمنتظم : قد ساء ظني فقلت أستغفر الله .
(٦) المنتظم (٨/ ١٣٤) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٤٢) .
(٧) تاريخ بغداد (١/ ٣٥٩) ، المنتظم (٨/ ١٣٤) .

قال الخطيب : قدم بغداد وأظهر الزهد ، والتقشّف ، والورع ، وعزوف النفس عن الدنيا ، فافتتن الناس به ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير ، ثم إنّه قبل ما كان يُعرض عليه فيأبى قبوله[١] ، فكثرت أمواله ، ولبس الثِّياب الناعمة ، وجرت له أمور كثيرة ، وكثرت أتباعه ، وأظهر أنّه يريد الغزو فاتبعه خلق كثير ، فبرز ظاهر البلد ناحيةً منها ، وكان يضرب له الطبل في أوقات الصلوات ، وسار إلى ناحية بلاد أذربيجان ، فالتفّ عليه خلق كثير ، وضاهى أمير تلك الناحية ، فكانت وفاته هناك في هذه السنة .

قال الخطيب : وقد حدّث ببغداد ، وكتبت عنه أحاديث يسيرة ، وحدثني بعض أصحابنا بشيء يدلّ على ضعفه في الحديث ، وأنشدني هو لبعضهم :

إذَا ما أطَعْتَ النَّفْسَ في كُلِّ لَذَّةٍ ... نُسبْتَ إلى غَيْرِ الحِجَى وَالتَّكَرُّمِ
إذَا ما أجَبْتَ النَّفْسَ في كُلِّ دَعْوَةٍ ... دَعَتْكَ إلى الأمْرِ القَبِيحِ المُحَرَّمِ

محمد بن الحسن بن عمر بن بَرْهان[٢] **أبو الحسن الغزال** ، سمع [محمّد] بن المظفّر وغيره ، وكان صدوقاً ، رحمه الله تعالى .

محمد بن علي بن إبراهيم أبو الخطّاب[٣] **الجَبُّلي**[٤] الشاعر ، فمن شعره قوله :

مَا حَكَمَ الحُبُّ فَهُوَ مُمْتَثَلٌ ... وَمَا جَنَاهُ الحَبِيبُ مُحْتَمَلُ
يَهْوَى وَيَشْكُو الضّنى[٥] وَكُلُّ هَوًى ... لا يُنْحِلُ الجِسْمَ فَهْوَ مُنْتَحَلُ

وقد سافر إلى الشام فاجتاز بمعرّة النعمان ، فامتدحه أبو العلاء المعري بن سليمان بأبيات فأجابه مرتجلاً عنها ، وقد كان حسن العينين حين سافر ، فما عاد إلا وهو أعمى ، وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة ، ويقال : إنّه كان شديد الرفض ، والله أعلم .

الشيخ أبو علي السِّنْجِيّ[٦] **الحسين بن شُعَيب بن محمد** شيخ الشافعيّة في زمانه .

---

(١) في ط : « ثم إنه بعد حين كان يعرض عليه الشيء فيقبله » ، وما أثبتناه من النسخ ، وهو الموافق لما في تاريخ الخطيب الذي ينقل منه (بشار) .

(٢) المنتظم (٨/ ١٣٥) .

(٣) تاريخ بغداد (٣/ ١٠١) ، المنتظم (٨/ ١٣٥) .

(٤) في (ط) : « الحنبلي » محرف ، وما أثبتناه مجود في نسخ تاريخ الخطيب (٤/ ١٧٠ بتحقيقنا) ، وبخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٥٨٥) ، وهو رافضي جلد فكيف يكون حنبليًا ؟ (بشار) .

(٥) في المنتظم : الصبا .

(٦) وفيات الأعيان (٢/ ١٣٥) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٢٦) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٧٨) ، طبقات السبكي (٤/ ٣٤٤) .

قال ابن خلكان : والسِّنجي ، بكسر السين المهملة وسكون النون بعدها جيم نسبة إلى سنج ، وهي قرية كبيرة من قرى مرو .

أخذ عن أبي بكر القفّال ، وشرح « الفروع » لابن الحدّاد ، وقد شرحها قبله شيخه ، وبعده القاضي أبو الطيّب الطبري[(١)] ، وشرح أبو علي السِّنْجي كتاب « التلخيص » لابن القاصّ شرحاً كبيراً وله كتاب « المجموع » وأخذ منه الغزالي في « الوسيط » ، قال ابن خلِّكان[(٢)] : وهو أوّل من جمع بين طريقتي العراق وخراسان ، وكانت وفاته سنة بضع وثلاثين وأربعمئة ، رحمه الله تعالى[(٣)] .

ثم دخلت سنة أربعين وأربعمئة

في جمادى الأولى منها ، مرض الملك أبو كاليجار صاحب بغداد ، وهو في بريّة ، ففصد في يوم ثلاث مرات ، وحمل في محفّةٍ فمات في ليلة الخميس ، وانتهبت الغلمان الخزائن ، وأحرق الجواري الخيام ، سوى الخيمة التي هو فيها ، والخركاه[(٤)] التي كان بها ، وولي بعده ابنه أبو نصر وسمّوه الملك الرحيم[(٥)] ، ودخل دار الخلافة في يوم مشهود ، وخلع عليه الخليفة سبع خِلَع ، وسوّره ، وطوّقه ، وعلى رأسه التاج والعمامة السوداء الرُّصافيّة ، ووصّاه الخليفة ، وسار إلى داره ، وذهب الناس لتهنئته .

وفيها : دار السور[(٦)] على شيراز ، وكان دوره اثني عشر ألف ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، وعرضه ستة أذرع ، وفيه أحد عشر باباً .

وفيها : غزا إبراهيم يَنّال بلاد الروم فغنم مئة ألف رأس ، وأربعة آلاف درع ، وقيل : تسعة عشر ألف درع ، ولم يبق بينه وبين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوماً ، وحمل ما حصل له من الغنائم على عشرة آلاف عجلة .

وفيها : خُطِب لذخيرة الدين أبي العباس أحمد بن الخليفة القائم بأمر الله على المنابر بولاية العهد ، من بعد أبيه ، وحُيي بذلك .

---

(١) في (أ) و(ب) : السكري ، خطأ . والقاضي أبو الطيب ، شيخ الإسلام ، فقيه بغداد . سترد ترجمته في وفيات سنة (٤٥٠هـ) .

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ١٣٥) .

(٣) هكذا ذكر وفاته في هذه السنة استناداً إلى تقدير ابن خَلِّكان ، وترجمه الذهبي في وفيات سنة (٥٣٢) من تاريخه وسماه الحسن بدلاً من الحسين ، وقال : توفي بمرو في ربيع الأول ، كذا سماه وورخه أبو علي محمد بن الفضل بن جهاندار ، وسماه ابن خلكان : الحسين . . إلخ » (٩/ ٥١٧) فهذا أدق وأثبت . والله أعلم (بشار) .

(٤) « الخركاه » : الخيمة الكبيرة بالفارسية .

(٥) ذكر ابن الأثير في الكامل (٩/ ٥٤٨) : أن الخليفة امتنع من تلقيبه بهذا الاسم ، قال : لا يجوز أن يلقّب بأخص صفات الله تعالى .

(٦) « دار السور » : أي انتهى من بنائه حول المدينة .

وفيها : اقتتل الروافض والسنّة وجرت ببغداد فتن طويلة منكرة .

ولم يحجّ أحد من أهل العراق في هذا العام أيضاً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

السيد الكبير ، الحسنُ بن عيسى بن المقتدر بالله[١] أبو محمد العبّاسيّ .

ولد في المحرّم من سنة ثلاث وأربعين وثلاثمئة ، وسمع من مؤدّبه أحمد بن منصور اليَشْكري ، وأبي الأزهر عبد الوهّاب بن عبد الرحمن الكاتب ، وكان فاضلاً ديّناً ، حافظاً لأخبار الخلفاء ، عالماً بأيام الناس ، صالحاً ، أعرض عن ولاية الخلافة عن قدرةٍ وآثر بها القادر بالله .

وكانت وفاته في هذه السنة عن سبع وتسعين سنة ، وأوصى أن يدفن بباب حرب بغير تابوت ، فدفن قريباً من قبر الإمام أحمد ، وكان يوم جنازته مشهوداً ، مشى الأمراء والوزراء والبساسيري إلى المقبرة ، وجلس رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة للعزاء من الغد .

عُبيد الله[٢] بن عمر بن أحمد بن عثمان[٣] أبو القاسم[٤] الواعظ ، المعروف بابن شاهين .

سمع من أبي بكر بن مالك ، وابن ماسي ، وأبا بحر[٥] البَرْبهاري ، وابن المظفر .

قال الخطيب[٦] : كتبت عنه وكان صدوقاً ، ومولده في سنة إحدى وخمسين وثلاثمئة ، وتوفي في ربيع الأول[٧] من هذه السنة ودفن بباب حرب ، رحمه الله تعالى .

علي بن الحسن بن محمد بن المنتاب[٨] أبو القاسم ، المعروف بابن أبي عثمان الدقّاق .

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٣٥٤) ، المنتظم (٨/ ١٣٧) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٥٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٢١) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ١٩٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٦٤) .

(٢) في (ط) : « هبة الله » ، وهو تحريف .

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٦) ، المنتظم (٨/ ١٣٨) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٠١) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٦٤) .

(٤) في السير : أبو الفتح

(٥) في (ب) : يحيى ، وفي (ط) : « البرقاني » ، وكله تحريف ، والصواب ما أثبتنا ، وهو أبو بحر محمد بن الحسن البربهاري .

(٦) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٦) .

(٧) في (ط) : « ربيع الآخر » خطأ ، فالذي في تاريخ الخطيب : « مات في يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول من سنة أربعين وأربع مئة » (١٢/ ١٢٢ بتحقيقنا) ، وكذلك نقله الذهبي عن الخطيب في تاريخ الإسلام ، وهذا القسم وصل إلينا بخطه (٩/ ٥٩٠) (بشار) .

(٨) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٠) ، المنتظم (٨/ ١٣٨) .

قال الخطيب : سمع القطيعي وغيره ، وكان شيخاً صالحاً ، صدوقاً ، ديّناً ، حسن المذهب .

محمد بن جعفر بن أبي الفرج بن فَسَانْجس(١) الوزير ، أبو الفرج المُلقَّب بذي السعادات .

وزر لأبي كاليجار بفارس وبغداد ، وكان ذا مروءةٍ غزيرةٍ ، مليح الشعر والترسّل ، ومن محاسنه أنّه كُتِبَ إليه في رجل مات عن ولد له ثمانية أشهر ، وله ما يقارب مئة ألف دينار ، فإن رأى الوزير أن يقترض من العين إلى [حين] بلوغ الطفل ، فكتب [الوزير] على ظهر الورقة : المتوفّى رحمه الله ، والطفل [اليتيم] جبره الله ، والمال ثمّره الله ، والسّاعي لعنه الله ، ولا حاجة لنا إلى مال الأيتام . اعتُقِل ثمَّ قُتِل في رمضان من هذه السنة عن إحدى وخمسين سنة .

محمد بن محمد بن إبراهيم(٢) بن غَيْلان بن عبد الله بن غَيْلان بن حكيم بن غَيْلان أبو طالب البزّاز .

روى عن جماعة ، وهو آخر من حدَّث عن أبي بكر الشافعي ، وكان ثقةً ، صدوقاً ، ديِّناً ، صالحاً ، قويّ النفس على كبر السنّ ، كان يملك ألف دينار ، فيصبّها كلَّ يومٍ في حجْره فيقلِّبها ثمّ يردّها إلى موضعها ، وقد خرّج له الدّارقطني « الأجزاء الغيلانيات »(٣) وهي سماعنا ، وكانت وفاته يوم الإثنين سادس شوّال من هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، ويقال : إنّه بلغ مئة سنة وخمس سنين ، فالله أعلم .

الملك أبو كاليجار(٤) واسمه المَرْزُبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عَضُدِ الدولة ، كانت وفاته في هذه السنة عن أربعين سنة وأشهرٍ ، وقد وَلي العراق نحواً من أربع سنينٍ ، ونُهبت له قلعة كان فيها ما يزيد على ألف ألف دينار ، وقام بالأمر من بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر كما تقدّم ذكره في الحوادث .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمئة

في عاشر المحرم تقدّم إلى أهل الكرخ ألا يعملوا بدعة النَّوح ، فجرت بينهم وبين أهل باب البصرة ما يزيد على الحدّ من الجراح والقتل .

---

(١) المنتظم (٨/ ١٣٨) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٤٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٢٠) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٣٠٤) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٤٥) .

(٢) المنتظم (٨/ ١٣٩) ، وفيه اسمه : محمد بن أحمد . تاريخ بغداد (٣/ ٢٣٤) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٥٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٩٨) ، الوافي بالوفيات (١/ ١١٩) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٤٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٦٥) .

(٣) حققها في مجلدين تحقيقاً علميًّا حلمي كامل أسعد ، ونشرتها دار ابن الجوزي بالرياض سنة ١٤١٧هـ (بشار) .

(٤) المنتظم (٨/ ١٣٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٤٧) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٣١) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٤٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٦٣) .

وفيها : بنى أهل الكرخ سوراً عليه ، وبنى أهل السنّة سوراً على سوق القلائين ، ونقض كلّ من الفريقين أبنية الآخرين ، وحملوا الآجر إلى مواضعه بالطبول والمزامير ، وجرت بينهم مفاخرات في ذلك ، وسخف لا ينحصر ولا ينضبط [وإنشاد أشعار في فضل الصحابة وثلبهم ، ثم وقعت بينهم فتن يطول أمرها[١] ، وأحرقوا دوراً كثيرة جداً .

وفيها : وقعت وحشة بين الملك طُغْرُلْبَك وأخيه إبراهيم يَنّال ، فأمر طُغْرُلْبَك بضربه وسمل إحدى عينيه ، وقطع شفتيه ، فسار إبراهيم فجمع جموعاً كثيرة ، واقتتل هو وأخوه فهزمه طُغْرُلْبَك ، ثمّ أسره من قلعة قد تحصّن بها بعد محاصرة أربعة أيام فاستنزله منها مقهوراً ، فأحسن إليه وأكرمه ، وأقام عند أخيه مكرّماً .

وكتب ملك الروم إلى طُغْرُلْبك في فداء بعض ملوكهم ممن كان أسره إبراهيم يَنّال ، ويبذل له فيه قطعة كبيرة من المال ، فبعثه إليه مجّاناً من غير عوض اشترطه عليه ، فأرسل ملك الروم هدايا كثيرة وتحفاً غزيرة ، وأمر بعمارة المسجد الذي بالقُسْطَنْطينيّة ، وأقيمت فيه الصلاة ، والجمعة ، وخُطِبَ فيه للملك طُغْرُلْبَك ، فبلغ هذا الأمر العجيب سائر الملوك ، فعظّموا الملك طُغْرُلْبَك تعظيماً زائداً ، وخطب له نصر الدولة بن مروان بالجزيرة .

وفيها : ولي مسعود بن مودود بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتكين الملك بعد وفاة أبيه ، وكان صغيراً فمكث أياماً ثمّ عدل عنه إلى عمّه علي بن مسعود ، ثمّ نازعه عمّه عبد الرشيد بن محمود فاستقرّ الملك بيده ، وانعزل علي بن مسعود ، وهذا أمر غريب جداً .

وفيها : ملك المصريون مدينة حلب ، وأجلوا عنها صاحبها ثِمال بن صالح بن مرداس .

وفيها : كان بين البساسيري وبين بني عقيل حرب .

وفيها : ملك البساسيري الأنبار من يد قرواش فأصلح أمورها .

وفي شعبان : سار البساسيري إلى طريق خراسان ، وقصد ناحية الدزّدار وملكها ، فغنم مالاً كثيراً كان فيها ، وكان سعْدي بن أبي الشوك قد حصّنها .

قال ابن الجوزي[٢] : وفي ذي الحجّة ارتفعت سحابة سوداء ليلاً فزادت على ظلمة اللّيل ، وظهر من جوانب السماء كالنار المضيئة ، فانزعج الناس لذلك ، وخافوا ، وأخذوا في الدّعاء والتضرّع ، فانكشف في باقي اللّيل بعد ساعة جيدة، وكانت قد هبّت ريح شديدة جدًّا قبل ذلك ، فأتلَفَتْ شيئاً كثيراً من الأشجار

---

(١) في (ط) : ذكرها .
(٢) المنتظم (٨/١٤٢) .

وهدمت رواشن كثيرة ، من دار الخلافة ، ودار المملكة ، ولم يحجّ أحد من أهل العراق في هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمد بن منصور[١] أبو الحسن ، المعروف بالعَتِيقي نسبة إلى جدٍّ له كان يسمّى عتيقاً .

سمع من ابن شاهين وغيره ، وكان صدوقاً ، توفي في صفر وقد جاوز السبعين[٢] .

علي بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم العلوي[٣] ، ويعرف بابن الشَّبيه[٤] .

قال الخطيب : سمع من ابن المظفر ، وكتبت عنه ، وكان صدوقاً ديِّناً ، حسن الاعتقاد ، يورِّق بالأجرة ، ويأكل منه ، ويتصدّق ، توفي في رجب منها وقد جاوز الثمانين .

عبد الوهّاب بن أقضى القضاة أبي الحسن الماوردي[٥] يكنّى بأبي الفائز ، شهد عند ابن ماكولا في سنة إحدى وثلاثين ، فأجاز شهادته احتراماً لأبيه ، وكانت وفاته في المحرَّم من هذه السنة .

الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد الصُّوري[٦] الحافظ .

طلب الحديث بنفسه بعدما كبر وأسنّ ، فرحل في طلب الحديث إلى الآفاق ، وكتب الكثير ، وصنَّف واستفاد على الحافظ عبد الغني بن سعيد المصريّ ، وكتب عنه شيخه عبد الغني شيئاً من تصانيفه ، وكان من أعظم أهل الحديث همَّة في الطلب وهو شابٌّ ، ثمّ كان من أقوى الناس عزيمةً على العمل الصالح ، كان يسرد الصوم كلَّ يوم[٧] إلا يومي العيدين و[أيام] التشريق ، وكان مع ذلك حَسَن الخُلق ، جميل المعاشرة ، وقد ذهبت إحدى عينيه فكان يكتب بالأخرى المجلّد في جزء .

قال أبو الحسن بن الطُّيُوري : يقال : إنّ عامّة كتب الخطيب سوى التاريخ مستفادة من كتب عبد الله

---

(١) تاريخ بغداد (٤/٣٧٩) ، المنتظم (٨/١٤٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٦١) ، سير أعلام النبلاء (١٧/٦٠٢) ، الوافي بالوفيات (٧/٣٥٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٦٥) .

(٢) في (ط) : التسعين ، وهذا خطأ إذ ذكر الخطيب وابن الجوزي والذهبي أنه ولد سنة سبع وستين وثلاثمئة .

(٣) المنتظم (٨/ ١٤٢) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٩) .

(٤) تحرفت في (ط) إلى : محيي السنة .

(٥) المنتظم (٨/ ١٤٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٦١) .

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ١٠٣) ، المنتظم (٨/ ١٤٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٦١) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٢٧) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٤٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٦٧) .

(٧) سرد الصوم كل يوم مخالف للسنة ، وفيه نهي ، وأفضل الصيام ، صيام داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً (ع) .

الصُّوري(١) ، وترك كتبه اثني عشر عدلاً عند أخيه ، فلمّا صار الخطيب إلى الشام أعطى أخاه شيئاً وأخذ بعض تلك الكتب فحوّلها في كتبه ، ومن شعر أبي عبد الله الصُّوريّ :

تَـولَّـى الشَّبـابُ بِـرَيْعَـانِـهِ ... وَجَـاءَ المَشِيْـبُ بِـأحْـزَانِـهِ
فَقَلْبِـي لِفِقْـدَانِ ذَا مُـؤْلِـمٌ ... كَئِيـبٌ بِهَـذَا وَوِجْـدَانِـه
وَإنْ كَـانَ مَـا جَـارَ فـي سَيْـرِه(٢) ... وَلا جَـاءَ فـي غَيْـرِ إبّـانِـهِ
وَلَكِـنْ أتَـى مُـؤْذِنـاً بِـالـرّحِيـ ... ـلِ فَـوَيْلِـي مِـنْ قُـرْبِ إيْـذَانِـه
ولَـوْلا ذُنُـوبٌ تَحَمَّلْتُهَـا ... لَمَـا رَاعَنِـي حَـالَ إتْيَـانِـهِ(٣)
وَلَكِـنَّ ظَهْـري ثَقِيْـلٌ بِمَـا ... جَنَـاهُ شَبَـابِـي بِطُغْيَـانِـهِ
فَمَـنْ كَـان يَبْكـي شَبَـابـاً مَضَـى ... وَيَنْـدُبُ طِيْـبَ أزْمَـانِـهِ(٤)
فَلَيْـسَ بُكَـائِـيْ وَمَـا قَـدْ تَـرَو ... نَ مِنِّـي لِـوَحْشَـةِ فُقْـدَانِـهِ
وَلَكِـنْ لِمـا كَـان قَـدْ جَـرَّه ... عَلَـيَّ بِـوَثْبَـاتِ شَيْطَـانِـه(٥)
فَـوَيْلـي(٦) وَوَيْحِـي إنْ لَـمْ يَجُـدْ ... عَلَـيَّ مَلِيْكِـي بِـرِضْـوَانِـهِ
وَلَـمْ يَتغمّـد ذُنُـوبـي وَمَـا ... جَنَيْـتُ بِـواسِـعِ غُفْـرَانِـهِ(٧)
ويَجْعَـلْ مَصِيْـري إلـى جَنَّـةٍ ... يَحُـلُّ بِهَـا أهْـلُ قُـرْبَـانِـه(٨)
وَإنْ كُنْـتُ مَـا لـي مـن قُـرْبَـة(٩) ... سِـوَى حُسْـنِ ظَنِّـي بِـإحْسَـانِـهِ
وأنّـي مُقِـرٌّ بِتَـوْحِيْـدِهِ ... عَلِيـمٌ بِعِـزَّةِ سُلْطَـانِـهِ
أخالِفُ في ذَاكَ أَهْلَ الجُحودِ(١٠) ... وأهْـلَ الفُسُـوق وعُـدْوَانِـه

(١) هذا كلام لا يصح البتة ، وقد فندناه بتفصيل في مقدمتنا لتاريخ الخطيب ، فراجعها إن شئت (٣/ ٤٣-٤٥) (بشار) .
(٢) في (ط) : حكمه .
(٣) في (ط) : لما راعني إتيانه .
(٤) في (ط) : زمانه .
(٥) لم يرد هذا البيت في (أ) و(ب) ، وفي المنتظم (٨/ ١٤٤) :
فـولـى وأبقـى علـيّ الهمـوم ... ممـا قـد تحملـت فـي شـانـه
(٦) في المنتظم : فويلي وعوني لئن .
(٧) في (ط) : حنيت برحمته وغفرانه .
(٨) في (ط) : يحلّ بها أهل رضوانه وغفرانه .
(٩) في (ط) : فإن كنت مالي من طاعة .
(١٠) في (ط) : الهوى .

وأرْجُو بِهِ الفَوْزَ في مَنْزِلٍ مُقِرٌّ لأعْيُنِ سُكّانِهِ[١]
وَلَنْ يَجْمَعَ اللهُ أَهْلَ الجُحُو دِ وَمَنْ أَقَرَّ بإيمَانِهِ
فَهَذَا يُنَجِّيهِ إيمَانُهُ وَهَذَا يَبُوءُ بِخُسْرَانِهِ
وَهَذَا يَنعمُ في جَنَّةٍ وَذَلك في قَعْرِ نِيْرَانِه[٢]

ومن شعر أبي عبد الله الصُّوريّ أيضاً ، رحمه الله تعالى :

قلْ لِمنْ عَاندَ الحَديثَ وأضْحَى عَائباً أهْلَهُ ومَنْ يَدَّعِيْهِ
أبِعلْمٍ تَقُولُ هَذَا أبِنْ لي أمْ بِجَهْلٍ فَالجَهْلُ خُلُقُ السَّفيهِ
أيُعَابُ الذينَ هُم حَفِظُوا الدِّيْـ ـنَ مِن التُّرَّهَاتِ وَالتَّمْوِيْهِ
وَإلى قَوْلِهِمْ وَمَا قَدْ رَوَوْهُ رَاجِعٌ كُلُّ عَالمٍ وفقيهِ

وكان سبب وفاته رحمه الله أنّه افتصد فورمت يده ، لأنّه على ما ذكر ، كانت ريشة الحاجم مسمومة لغيره ، فغلط ففصده بها ، فكانت فيها منيته بإذن الله وقَدَرِه ، فحُمل إلى المارستان فمات به في يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة من هذه السَّنة ، ودفن بمقبرة جامع المدينة ، وقد نيّف على الستين سنة ، أسأل الله تعالى أن يرحمنا وإيّاه بمنّه وكرمه .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وأربعمئة

فيها : فتح السلطان طُغْرُلْبَك أصبهان بعد حصار سنة ، فنقل إليها حواصله من الريّ ، وجعلها دار إقامته . وخرّب قطعة من السور ، وقال : إنّما يحتاج إلى السور من تضعف قوته ، وأنا حصني عساكري وسيفي ، وقد كان فيها أبو منصور قرامرز[٣] بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه ، فأخرجه منها ، وأقطعه بعض بلادها .

وفيها : سار الملك الرحيم إلى الأهواز ، وأطاعه عسكر فارس ، وملك عسكر مَكْرَم[٤] .

وفيها : استولت الخوارج على عُمان ، وأخربوا دار الإمارة منها ، وأسروا أبا المظفَّر بن أبي كاليجار .

وفيها : دخلت العرب بإذن المستنصر الفاطمي بلاد إفريقيّة ، وجرت بينهم وبين المعزّ بن باديس حروب طويلة ، وعاثوا في الأرض فساداً عدّة سنين .

(١) في (ط) : معدٌّ مهيأ لسكانه .
(٢) في (ط) : وذاك قرين لشيطانه .
(٣) في (ط) : قرامز .
(٤) بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مَكْرَم بن مغراء . معجم البلدان (٤/ ١٢٣) .

وفيها : اصطلح الروافض والسنّة ببغداد وذهبوا كلُّهم لزيارة المشهدين ، مشهد عليّ ، ومشهد الحسين ، وترضّوا في الكرخ عن الصحابة وترحّموا عليهم ، وهذا عجيب جدًّا ، إلا أن يكون من باب التقيّة ، ورخصت الأسعار ببغداد جدًّا .

ولم يحجّ أحد من أهل العراق في هذه السنة أيضاً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

علي بن عمر بن الحسن أبو الحسن الحَرْبي ، المعروف بالقَزْويني[١] .

وُلد في مستهلّ المحرّم من سنة ستين وثلاثمئة ، وهي اللّيلة التي توفي فيها أبو بكر الآجريّ ، وسمع أبا بكر بن شاذان ، وأبا حفص الزيّات ، وابن حَيُّويه . وكان وافر العقل من كبار عباد الله الصالحين ، له كراماتٌ كثيرة ، يقرأ القرآن بالقراءات . ويروي الحديث ، ولا يخرج إلا للصّلاة ، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة ، فغلقت بغداد يومئذ لموته ، وحضر الناس جنازته ، وكان يوماً مشهوداً رحمه الله .

عمر بن ثابت الثَّمانيني ، النَّحوي ، الضرير[٢] ، شارح « اللُّمع » .

وكان في غاية العلم بالنحو ، وكان يأْتَجِرُ عليه[٣] .

ذكر ابن خلِّكان : أنّه اشتغل على ابن جنيّ وشرح كلامه ، وكان ماهراً في صناعة النحو ، قال : وهذه النسبة إلى قرية بالجزيرة ، يقال لها : ثمانين ، باسم الثمانين الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السَّفينة ، والله أعلم .

قِرواش بن مُقلَّد[٤] أبو المَنيع ، صاحب الموصل والكوفة وغيرهما ، كان من الجبَّارين ، وقد كاتبه الحاكم صاحب مصر في بعض الأحايين ، فاستماله إليه ، فخطب له ببلاده ، ثمّ تركه واعتذر إلى القادر فعذَرَهُ ، وقد جمع هذا الجبّار بين أختين في النكاح فلامته العرب ، فقال : وأيّ شيء نعمله هو مباح في الشريعة . وقد نكب في أيام المعزِّ الفاطمي ، ونهبت حواصله ، وحين توفي قام بالأمر من بعده ابن أخيه قريش بن بدران بن مقلَّد .

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٣) ، المنتظم (٨/ ١٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٠٩) ، طبقات السبكي (٥/ ٢٦٠) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٤٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٦٨) .

(٢) المنتظم (٨/ ١٤٦) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٦٩) .

(٣) يعلمه بالأجرة .

(٤) المنتظم (٨/ ١٤٧) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٥٣) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٣٣) ، ووفاته فيه سنة أربع وأربعين وأربعمئة . النجوم الزاهرة (٥/ ٤٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٦٦) .

مَوْدود بن مَسْعود بن محمود بن سُبُكْتِكين[١] صاحب غَزْنَة ، توفي في هذه السنة ، وقام بالأمر من بعده عمّه عبد الرّشيد بن محمود بن سُبُكْتِكين ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمئة

في صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنّة ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، وذلك أنّ الروافض نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب ، محمّد وعليّ خير البشر ، فمن رضي شكر ، ومن أبى فقد كفر . فأنكرت السنّة اقتران عليّ مع النبيّ ﷺ في هذا ، فنشبت الحرب بينهم واستمرّ القتال بينهم إلى ربيع الأول ، فقُتل رجلٌ هاشميّ فدفن عند الإمام أحمد ، ورجع السنّة من دفنه فنهبوا مشهد موسى بن جعفر ، وأحرقوه ، وأحرق ضريح موسى ومحمّد الجواد ، وقبور ملوك بني بويه ، ومَنْ هناك من الوزراء ، واحترق قبر جعفر بن المنصور ، ومحمّد الأمين ، وأمّه زبيدة وقبور كثيرة [جدًّا] ، وانتشرت الفتنة ، وتجاوزت الحدّ ، وقد قابلهم أولئك [الرافضة] أيضاً بمفاسد كثيرة ، وأحرقوا محالّ كبيرة ، وبعثروا قبوراً قديمة ، وأحرقوا من فيها من الصالحين ، حتى همّوا بقبر الإمام أحمد فمنعهم النَّقيب ، وخاف من غائلة ذلك ، وتسلّط على الرافضة عيّار يقال له : القطيعي[٢] تتبّع رؤوسهم وكبارهم فقتلهم جهاراً وغيلةً ، وعظمت المحنة بسببه جدًّا ، ولم يقدر عليه أحد ، وكان في غاية الشجاعة والبأس والمكر ، ولما بلغ ذلك دُبَيس بن علي بن مَزْيَد ، وكان رافضياً قطع خطبة الخليفة القائم بأمر الله ، ثمّ روسل فأعادها .

وفي رمضان جاءت الهدايا من الملك طُغْرُلْبَك إلى الخليفة ، شكراً له على إنعامه عليه ، وإحسانه إليه بما كان بعثه له من الخلع والتقليد ، وأرسل إلى الخليفة بعشرين ألف دينار ، وإلى الحاشية بخمسة آلاف ، وإلى رئيس الرؤساء بألفي دينار ، وقد كان طُغْرُلْبَك حين عمَّر الريَّ وخرَّب فيها أماكن ليصلحها ، وجد فيها دفائن كثيرة من الذهب والجوهر ، فعظم شأنه بذلك ، وقوي ملكه بسببه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن محمد بن أحمد[٣] أبو الحسن الشاعر البُصْرويّ نسبة إلى قرية دون عُكْبَرا يقال لها بُصْرَى[٤] ، باسم المدينة التي هي أمّ حَوران .

---

(١) المنتظم (٨/١٤٨) ، الكامل في التاريخ (٩/٥٥٨) ، سير أعلام النبلاء (١٧/٦٣٤) ، شذرات الذهب (٣/٦٣٤) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ب) : القطيطقي ، وفي المنتظم (٨/ ١٥٠) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٦١٠) : الطقطقي .

(٣) تاريخ بغداد (٣/ ٢٣٦) ، المنتظم (٨/ ١٥٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٨٠) ، معجم البلدان (١/ ١٤١) .

(٤) وهي من قرى بغداد .

وقد سكن بغداد ، وكان متكلماً مطبوعاً ، له نوادر ، ومن شعره الذي رواه عنه الخطيب قوله :

نَرَى الدُّنْيَا وَزَهْرَتَها[١] فَنَصْبُو وَمَا يَخْلُو من الشهوات[٢] قَلْبُ
فَضُولُ العَيْشِ أكْثَرُها هُمُومٌ وَأَكْثَرُ مَا يَضُرُّكَ مَا تُحِبُّ
فَلا يَغْرُرْكَ زُخْرُفُ مَا تَرَاهُ وَعَيْشٌ لَيِّنُ الأَعْطَافِ رَطْبُ
إذَا مَا بُلْغَةٌ جَاءَتْكَ عَفْواً فَخُذْها فَالغِنَى مَرْعًى وشُرْبُ
إذا اتّفَقَ القَلِيْلُ وفيه سِلْمٌ فَلا تُرِدِ الكَثِير وَفِيْهِ حَرْبُ

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمئة

فيها : كتبت محاضر بذكر الخلفاء المصريين ، وأنّهم أدعياء [كذبة] لا نسب لهم صحيحاً إلى رسول الله ﷺ ، وكتب فيها القضاة والفقهاء والأشراف .

وفيها : كانت زلازل عظيمة بنواحي أرَّجان ، والأهواز ، وتلك البلاد ، فهدم بسببها شيء كثير من العمران والدور ، وشُرُفات القصور ، وحكى بعض من يعتمد قوله ، إنّه انفرج إيوانه حتى رأى السماء منه ، وشاهد ذلك ثمّ عاد إلى حاله كأن لم يتغيّر .

وفي ذي القعدة منها تجددت الحرب بين الروافض وأهل السنّة ، وأحرقوا أماكن كثيرة ، وقتل من الفريقين خلائق وكتبوا على مساجدهم : محمد وعليّ خير البشر ، وأذّنوا بحيّ على خير العمل ، واستمرّت الحروب بينهم ، وتسلّط القطيعي العيّار على الروافض بحيث إنّه لم يقرّ لهم معه قرار ، وهذا من جملة ما جرت به الأقدار .

وممن توفي فيها من الأعيان :

ابن المُذْهِب راوي « المسند »[٣] الحسنُ بنُ عليّ بن محمّد بن عليّ بن أحمد بن وهب بن سنبل[٤] بن قرّة بن واقد ، أبو علي التميميُّ الواعظ .

---

(١) كذا الأصل ، وفي (ط) والمنتظم ، ومعجم البلدان : شهوتها ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الخطيب الذي ينقل منه المؤلف .

(٢) في الأصل : « الشبهات » ، وما أثبتناه من (ط) ، وهو الموافق لما في تاريخ الخطيب الذي ينقل منه المؤلف ، وهو كذلك في المنتظم ومعجم البلدان .

(٣) تاريخ بغداد (٧/ ٣٩٠) ، المنتظم (٨/ ١٥٥) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٤٠) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٥٣) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ١٢١) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٧١) .

(٤) في المنتظم : شبل .

ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمئة ، وسمع مسند الإمام أحمد من أبي بكر بن مالك القطيعي ، عند عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه ، وقد سمع الحديث من أبي محمد بن ماسي ، وابن شاهين ، والدّارقطني ، وخلق ، وكان ديّناً خيّراً .

وقد ذكر الخطيب[١] : أنّه كان صحيح السماع لمسند أحمد من القطيعي ، غير أنّه ألْحَق اسمَه في أجزاء .

قال ابن الجوزي : وليس هذا بقدح [في سماعه] ، لأنّه إذا تحقّق سماعه ، جاز أن يلحق اسمه الذي غَفَل عنه الكاتب ، والعجب أن يجاز قول الشيخ : أخبرني فلان ولا يسمع منه ، ولا يجيز إلحاقه اسمه فيما تحقّق سماعه له ، وقد تعنّت عليه الخطيب أشياء لا حاجة إليها ، رحمه الله تعالى[٢] .

علي بن الحسين بن محمد أبو الحسن ، المعروف بالشاشي[٣] البغدادي ، وقد أقام بالبصرة ، فاستحوذ هو وعمّه عليها ، وعلى أهلها ، وعمل أشياء من الحيل يوهم بها أنّه من ذوي الأحوال والمكاشفات ، وهو في ذلك كاذب فاجر ، قبّحه الله ، وقبّح عمّه ، وقد كان مع هذا رافضيّاً خبيثاً ، قرمطيّاً ـ لا كثّر الله أمثاله في العالمين ـ كانت وفاته في هذا العام ، ولله الحمد .

القاضي أبو جعفر السِّمْناني[٤] محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القاضي .

أحد المتكلّمين على طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وقد سمع الحديث من الدّارقطني وغيره ، وكان عالماً ، فاضلاً ، سخيّاً ، وتولّى القضاء بالموصل ، وكان له في داره مجلس للمناظرة ، وتوفي بعدما كفّ بصره بالموصل وهو قاضيها في هذه السنة ، في ربيع الأول ، وقد بلغ خمساً وثمانين سنة .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمئة

فيها : تجدد الشرّ والقتال والحريق بين الروافض والسنّة ، وقوي وتفاقم الحال .

ووردت الأخبار بأنّ المعزّ الفاطمي عازم على قصد العراق .

وفيها : نقل إلى الملك طُغْرُلْبَك : أن الشيخ أبا الحسن الأشعريّ يقول : بكذا وكذا ، وذكر أشياء من الأمور التي أنكر الملك [والتي لا تليق بالدين والسّنة] ، فأمر بلعنه ، وصرّح أهل نَيسابور بتكفير من يقول

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٣٩٠) .

(٢) كلام ابن الجوزي في الرد على الخطيب غير مُسَلَّم له ، وقد أجاد الحافظ الذهبي في تقصي ترجمته وما قيل فيه ، في تاريخ الإسلام (٩/ ٦٥٢ ـ ٦٥٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٤٠ ـ ٦٤٣) (بشار) .

(٣) كذا في (ط) : الشاشي وفي بعض النسخ : الشباشي .

(٤) تاريخ بغداد (٤/ ٣٨٢) ، المنتظم (٨/ ١٥٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٢) .

ذلك . فضجّ الشيخ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشَيري[١] ، وصنّف رسالة سمّاها « شكاية أهل السّنة لما نالهم من المحنة » واستدعى السلطان جماعة من رؤوس الأشعريين ، منهم القشيري فسألهم عمّا أنهي إليه من ذلك ، فأنكروا أن يكون الأشعري قال ذلك ، فقال : نحن إنّما لعنّا من يقول بذلك ، وجرت فتن عظيمة طويلة .

وفيها : استولى الملك فولاسون[٢] أبو منصور ابن الملك أبي كاليجار على شيراز ، وخرج منها أخوه أبو سعيد[٣] .

وفي شعبان أو شوّال سار البساسيري إلى أكراد وأعراب أفسدوا بالبَوَازِيج[٤] فهزمهم وأخذ أموالهم .

ولم يحجّ أحد من أهل العراق فيها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عمر بن رَوْح[٥] أبو الحُسين[٦] النَّهْرَوانيُّ .

كان ينظر في العيار بدار الضرب ، وله شعر حسن ، قال : كنت يوماً على شطّ النَّهروان فسَمعت رجلاً يتغنّى في سفينة منحدرة يقول :

وما طلبوا سوى قتلي ... فهان عليّ ما طلبوا

فاستوقفته وقلت : أضف إليه غيره أيضاً :

عَلَى قَتْلِيْ الأحِبّةُ بالتـ ... تمادِي في الجَفَا غَلَبُوا[٧]

---

(١) الإمام القدوة أبو القاسم القشيري المفسّر ، توفي سنة خمس وستين وأربعمئة ، ورسالته المذكورة طبعت عدة مرّات ، وللشيخ زكريا الأنصاري شرح لها .

(٢) كذا الأصل وفي (ط) : فولابسور ، وفي الكامل (٩/ ٥٩٥) : فولاستون . وفي تاريخ الإسلام (٩/ ٦١١) : فولاذ .

(٣) كذا الأصل وفي (ط) : والكامل : أبو سعد .

(٤) في (ط) : قد أفسدوا في الأرض . والبوازيج : بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة . معجم البلدان (١/ ٥٠٣) .

(٥) المنتظم (٨/ ١٥٨) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦٠٤) وفيه وفاته سنة ست وأربعين وستمئة . وما هنا أصح ، فقد ورخه الخطيب في هذه السنة ، وقد سمع منه ، وتابعه الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٦٦٦) .

(٦) في (ط) : « الحسن » ، وما أثبتناه يعضده ما في تاريخ الخطيب وقد كتب عنه ، فكان به عارفاً ، وكذلك هو في تاريخ الإسلام وهو بخط المؤلف (٩/ ٦٦٦) (بشار) .

(٧) في الكامل :

على قلبي الأحبةُ با ... لتمادي في الهوى غلبوا

وَبِـالهِجْـرَانِ طِيـبَ النَّـوْ م مِـنْ عَيْنـيَّ قَـدْ سَلَبُـوا[١]
وَمَـاطَلَبُـوا سِـوى قَتْلِـي فَهَـانَ عَلَـيَّ مَـا طَلَبُـوا

إسماعيل بن علي بن الحسين بن محمد بن زَنْجُوَيه[٢] أبو سعد[٣] الرازي ، المعروف بالسَّمَّان ، شيخ المعتزلة .

سمع الحديث الكثير ، وكتب عن أربعة آلاف شيخ[٤] ، وكان عالماً بارعاً فاضلاً مع اعتزاله . ومن كلامه : من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الإسلام ، وكان حنفيّ المذهب عالماً بالخلاف والفرائض ، والحساب ، وأسماء الرجال ، وقد ترجمه ابن عساكر في « تاريخه »[٥] فأطنب في شكره والثّناء عليه .

عمر ابن الشيخ أبي طالب المكّي محمد بن عليّ بن عطيّة[٦] .

سمع أباه وابن شاهين ، وكان صدوقاً يُكْنَى بأبي حفص[٧] .

محمد بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر[٨] أبو طالب ، المعروف بالسَّواديّ ، وهو أخو أبي القاسم الأزْهري .

توفي عن نيّف وثمانين سنة .

محمد بن محمد بن أبي تمّام[٩] أبو تمام الزَّيْنيّ ، نقيب النُّقباء .

[قام ببغداد بعد أبيه] مكانه في النّقابة .

---

(١) في (ط) والكامل :
وبـالهجـران مـن عينـي طيـب النـوم قـد سلبـوا
(٢) الجواهر المضية (١/ ٤٢٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٥) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٥١) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٠٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٧٣) ، تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٨) .
(٣) تحرفت في (ط) إلى : سعيد .
(٤) الذي في تاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبي : ثلاثة آلاف وستمئة شيخ ، وفي رواية : ثلاثة آلاف شيخ ، فلم يقل أحد أنه كتب عن أربعة آلاف شيخ (بشار) .
(٥) تاريخ دمشق (٩/ ٢٢ ـ ٢٣) .
(٦) المنتظم (٨/ ١٥٩) .
(٧) في (ط) : « جعفر » خطأ ، وما أثبتناه يعضده ما في تاريخ الخطيب (١٣/ ١٤٨ بتحقيقنا) ، والمنتظم ، وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٦٧١) (بشار) .
(٨) تاريخ الخطيب (٢/ ١٦٢ ط. د. بشار) ، سؤالات السلفي لخميس الحوزي ، رقم (٥) ، المنتظم (٨/ ١٥٩) ، تاريخ الإسلام (٩/ ٦٧١) .
(٩) المنتظم (٨/ ١٥٩) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٩٦) .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمئة

فيها : غزا الملك طُغْرُلبك بلاد الروم بعد أخذه بلاد أذربيجان ، فغنم من بلاد الروم ، وسبى ، وعمل أشياء حسنة ، ثمّ عاد سالماً إلى أذربيجان فأقام بها سنة .

وفيها : أخذ قريش بن بدران الأنبار ، وخطب بها وبالموصل للسلطان طُغْرُلْبَك ، وأخرج منها نواب البساسيري .

وفيها : دخل أبو الحارث المظفّر البساسيري إلى بغداد مع بني خفاجة منصرفه من الوقعة ، وظهرت منه آثار النفرة للخلافة ، فراسله الخليفة ليطيّب[1] نفسه ، وخرج في ذي الحجّة إلى الأنبار فأخذها ، وكان معه دُبَيس بن علي بن مَزْيَد ، وخرب أماكن ، وحرّق غيرها ، ثمّ أذن له [الخليفة] في الدخول إلى بيت النَّوبة ليخلع عليه ، فجاء إلى أن حاذى بيت النوبة [فقبّل الأرض] فخدم وانصرف ، ولم يعبر فقويت الوحشة .

ولم يحجّ أحد من العراق في هذه السّنة أيضاً ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن جعفر بن محمّد بن داود[2] أبو عبد الله السَّلَماسي .

سمع ابن شاهين وابن حَيّويه والدارقطني ، وكان ثقة أميناً مشهوراً باصطناع المعروف ، وفعل الخير ، وافتقاد الفقراء ، وكثرة الصدقة ، وكان قد أريد على الشهادة فأبى ذلك ، وكان له في كلّ شهرٍ عشرة دنانير نفقة لأهله .

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأصْبَهَاني[3] ، المعروف بابن اللبّان .

أحد تلاميذ الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وولي قضاء إيْذَج[4] ، وكان يصلّي بالنّاس التراويح ، ثمّ يقوم بعدهم [فيصلي] إلى [أن يطلع] الفجر ، فربّما انقضى الشهر عنه ، ولم يضطجع إلى الأرض ، رحمه الله تعالى .

---

(١) في (ب) و(ط) : لتطيب .

(٢) المنتظم (٨/ ١٦١) والسَّلماسي : نسبةً إلى سلماس ، وهي من بلاد أذربيجان . الأنساب (٧/ ١٠٧) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٤٤) ، المنتظم (٨/ ١٦٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦٠٤) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٣) ، طبقات السبكي (٥/ ٧٢) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٣٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٧٤) .

(٤) كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان ، وهي من أجلّ مدن هذه الكورة . معجم البلدان (١/ ٢٨٨) .

[ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمئة][١]

فيها : ملك طُغْرُلْبَك السّلجوقي بغداد ، وهو أول ملوك السلجوقية لبلاد العراق ، وآخر مُلْكِ بني بويه .

وفيها : تأكّدت الوحشة بين البساسيري وبين الخليفة ، واشتكت الأتراك منه ، وأطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه ، وذكر قبيح أفعاله ، وأنّه كاتب المصريين بالطّاعة ، وخلع ما كان عليه من بيعة العباسيين ، وقال الخليفة : ليس إلّا إهلاكه .

ملكُ طُغْرُلْبَك السّلجوقي في بغداد ودخوله إليها في رمضان[٢]

قال الخطيب[٣] : كان أرسلان التركي المعروف بالبساسيري ، قد عظم أمره ، واستفحل ، لعدم أقرانه من متقدمي الأتراك ، واستولى على البلاد ، وطار اسمه ، وتهيّبته أمراء العرب والعجم ، ودُعي له على كثير من المنابر العراقيّة والأهواز ونواحيها ، وجبى الأموال ، ولم يكن الخليفة القائم بأمر الله يقطع أمراً دونَه ، ثمّ صحّ عند الخليفة سوء عقيدته ، وشهد عنده جماعة من الأتراك ، عرّفهم وهو بواسط عزمه على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة ، فكاتب الخليفة أبا طالب محمد بن ميكائيل بن سُلْجوق بن نعاق الملقب طُغْرُلْبَك ، يستنهضه على المسير إلى العراق ، فانفضّ أكثر من كان مع البساسيري ، وعادوا إلى بغداد ، ثمّ أجمع رأيهم على قصد دار البساسيري وهي في الجانب الغربي[٤] فأحرقوها ، وهدموا أبنيتها . ووصل طُغْرُلْبَك إلى بغداد في رمضان سنة سبعٍ وأربعين ، وقد تلقّاه إلى أثناء الطريق الأمراء والوزراء والحجّاب ، فدخل بغداد في أُبّهةٍ عظيمةٍ جدّاً ، وخُطِبَ له بها ، ثمّ بعده للملك الرحيم ، ثم قُطِعَت خطبة الملك الرحيم في أواخر شهر رمضان، ورفع إلى قلعة السِّيروان معتقلاً ، فكان آخر ملوك بني بُويه ، وكانت مدة [ولايتهم قريب المئة وعشر سنين ، وكان مدة] ولايته لبغداد ستّ سنين وعشرة أيّام .

وطُغْرُلْبَك أوّل ملوك السّلجوقيّة ، ونزل طُغْرُلْبَك دار المملكة بعد الفراغ من عمارتها ، ونزل أصحابه على دور الأتراك ، وكان معه ثمانية أفيلة ، ووقعت فتنة بين الأتراك والعامة ، ونُهب الجانب الشرقي بكماله ، وجرت خطوب ، وخبطة عظيمة .

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) ، وفي (أ) تقديم وتأخير مخلّ بتسلسل الأحداث دون نقص فيها .

(٢) العنوان ساقط من (ب) و(ط) .

(٣) تاريخه ٤٨/١١ فما بعدها (ط . د . بشار) .

(٤) في (أ) : الشرقي ، وما أثبت موافق لما في تاريخ الخطيب الذي ينقل منه المصنف وهي كذلك في المنتظم والكامل .

وأمّا البساسيري فإنه فرَّ من الخليفة إلى ناحية بلاد الرَّحبة(١) ، وكتب إلى صاحب مصر بأنه على إقامة الدعوة له بالعراق ، فأرسل إليه بولاية الرَّحبة ، ونيابته بها ، ليكون على أهبة التمكّن من الأمر الذي يحاوله ، قبَّحهما الله تعالى .

وفي يوم الثلاثاء عاشر(٢) ذي القعدة قُلِّد أبو عبد الله محمد بن علي الدَّامَغَاني(٣) قضاء القضاة وخُلِع عليه ، وذلك بعد موت أبي عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا ، ثمّ خلع [الخليفة] على الملك طُغْرُلْبك بعد [دخوله بغداد] بيوم ، ورجع إلى داره وبين يديه الدّبادب(٤) والبوقات(٥) .

وفي هذا الشهر توفي ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، وهو ولي عهد أبيه ، فعظمت الرزيّة به ، وجلس رئيس الرؤساء للعزاء ، وجاء النّاس وقد أمروا بتخريق ثيابهم ، ونشر عمائمهم ، والتحفّي ، وقُطعت الدبادب أيام العزاء به بدار الخلافة ، ودار الملك ، حزناً على وليّ عهد الخلافة .

وفي هذه السنة : استولى أبو كامل علي بن محمد الصُّلَيحي(٦) الهمذاني على أكثر أعمال اليمن ، وخطب فيها للفاطميين ، وقطع خطبة العباسيين .

وفيها : كثر فساد الغز ونهبهم [دواب الناس] فساورهم العوام ، واقتتلوا ، ونهبتهم العامة حتى بيع الثور بخمسة قراريط ، والحمار بقيراطين إلى خمسة قراريط .

وفيها : اشتدّ الغلاء بمكّة ، وعدمت الأقوات ؛ فأرسل الله عليهم جراداً ملأ الأرض ، فتعوضوا به عن الطعام ، ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة .

وفيها : غلت الأسعار بنواحي الأهواز حتى بيع الكُرّ(٧) في مدينة شيراز بألف دينار ، ووقعت الفتنة بين الروافض والسنّة على العادة ، واقتتلوا قتالاً شديداً مستمراً . ولا يمكن للدولة أن تحجز بين الفريقين ؛ فإنا لله وإنّا إليه راجعون .

---

(١) « الرحبة » : مدينة أحدثها مالك بن طوق التغلبي في خلافة المأمون ، بينها وبين دمشق ثمانية أيام ، وإلى بغداد مئة فرسخ ، وإلى الرقة نيف وعشرون فرسخاً ، وهي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات . معجم البلدان (٣/ ٣٤) .

(٢) في (ب) : اليوم الثاني عشر ، خطأ ، فهو لا يوافق الحساب .

(٣) سترد ترجمته في وفيات سنة ثمان وسبعين وأربعمئة .

(٤) جمع دبداب : وهو الطبل .

(٥) جمع بوق : وهو أداة مجوفة ينفخ فيها ويزمر .

(٦) سترد ترجمته وافية مع وفيات سنة ثلاث وسبعين وأربعمئة .

(٧) « الكُرّ » : مكيال العراق ، وهو ستون قفيزاً ، أو أربعون أردبًا . وفي المنتظم (٨/ ١٦٣) : الكرّ من الحنطة .

وفيها : وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة . وكان جانب الحنابلة قويّاً بحيث لم يمكّن كثيراً من الأشاعرة شهود [الجمعة و] الجماعات ، قاله ابن الجوزي في « المنتظم »(١) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسين(٢) بن علي بن جعفر بن علّكان(٣) بن محمد بن دُلف بن أبي دُلف العجلي(٤) قاضي القضاة ، أبو عبد الله ، المعروف بابن ماكولا ، الشّافعي .

أصله جَرْباذَقان(٥) ، وولي القضاء بالبصرة ، ثم ولاه القادر بالله قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين وأربعمئة ، وأقرّه ابنه القائم بأمر الله إلى أن مات في هذه السنة عن تسع وسبعين سنة ، وله في القضاء سبع وعشرون سنة ، وكان صيّناً ، ديّناً ، لا يقبل من أحد هديّة ، ولا من الخليفة ، وكان يذكر أنّه سمع من أبي عبد الله بن مَنْده ، وله شعر حسن فمنه :

تَصَابَى بُرْهَةً مِنْ بَعْدِ شَيْبٍ … فَمَا أَغْنَى المَشِيْبُ مَعَ التَّصَابِي(٦)
وَسَوَّدَ عَارِضَيْهِ بِلَوْنِ خَضْبٍ(٧) … فلمْ ينفعْهُ تَسْوِيْدُ الخِضَابِ
وَأَبْدَى لِلأحبَّةِ كُلَّ لُطْفٍ … فَمَا زَادُوا سِوَى فَرْطِ اجتِنَابِ
سَلامُ اللهِ عَوْداً بَعْدَ بَدْءٍ … على أيَّامِ رَيْعَانِ الشَّبَابِ
تَوَلَّى غَيْرَ مَذْمُومٍ وَأبْقَى … بِقَلْبِي حَسْرَةً تَحْتَ الحِجَابِ(٨)

علي بن المُحَسِّن بن علي بن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التَّنُوخي(٩) .

قال ابن الجوزي : وتَنُوْخُ هذه اسم لعدّة قبائل اجتمعوا بالبحرين ، وتحالفوا على التناصر والتآزر

(١) المنتظم (٨/ ١٦٣) ، ومن قوله : وفيها غلت الأسعار . . . إلى هنا ساقط من (ب) .
(٢) في (ط) : « الحسن » ، محرف .
(٣) في (ط) : « علي » ، وهو جائز أيضاً ، لكن سيأتي في ترجمة ابن أخيه علي أنه سماه هناك « علكان » (وفيات سنة ٤٧٥) (بشار) .
(٤) تاريخ بغداد (٨/ ٨٠) ، المنتظم (٨/ ١٦٧) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦١٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٧٥) .
(٥) بلدة قريبة من همذان بينها وبين الكرخ وأصبهان . معجم البلدان (١/ ١١٨) .
(٦) في المنتظم (٨/ ١٦٧) : فما أغنى مع الشيب التصابي .
(٧) في المنتظم (٨/ ١٦٧) : خضر .
(٨) في (ط) :
تولى عزمه يوماً وأبقى … بقلبي حسرة ثمّ اكتئاب
(٩) تاريخ بغداد (١٢/ ١١٥) ، المنتظم (٨/ ١٦٨) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦١٥) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٦٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٤٩) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٥٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٧٦) .

فسموا تنوخاً . ولد بالبصرة سنة خمس وستين[١] وثلاثمئة ، وسمع الحديث سنة سبعين ، وقبلت شهادته عند الحكام في حداثته ، وتولّى القضاء بالمدائن وغيرها ، وكان صدوقاً محتاطاً ، إلا أنّه كان يميل إلى الاعتزال والرفض .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمئة

في يوم الخميس لثمان بقين من المحرم ، عُقد عقد الخليفة على خديجة بنت أخي السلطان طُغْرُلْبَك ، وقيل : امرأة أخيه داود ، وتُلَقَّب أرسلان خاتون على صداق مئة ألف دينار ، وحضر هذا العقد عميد الملك الكندريّ وزير طُغْرُلْبَك ، ونقيب العلويين ، ونقيب الهاشميين ، وقاضي القضاة الدامغاني ، وأقضى القضاة الماوردي ، ورئيس الرؤساء ابن المسلمة ، وهو الذي خطب الخطبة ، وقبل الخليفة العقد بنفسه ، فلمّا كان شعبان ذهب رئيس الرؤساء إلى الملك طُغْرُلْبَك وقال : أمير المؤمنين يقول ذلك : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] . وقد أذن في نقل الوديعة الكريمة إلى داره العزيزة ، فقال : السمع والطاعة ، فذهبت أمّ الخليفة إلى دار المملكة لاستدعاء العروس فجاءت معها ، وفي خدمتها الوزير عميد الملك ، فدخلوا دار الخلافة ، وشافه [الوزير] الخليفةَ عن عَمِّها يسأل معاملتها باللطف والإحسان . فلما دخلت عليه قبّلت الأرض بين يديه مراراً ، فأدناها إليه وأجلسها إلى جانبه ، وأفاض عليها خلعة سنيّة وتاجاً من جوهر ، وأعطاها من الغد مئة ثوب ديباج ، وقضباناً من ذهب ، وطاسة ذهب قد رُصّع فيها الجوهر ، والياقوت ، والفيروزج ، وأقطعها في كلِّ سنة [من ضياعه] من عمل الفرات [ما يغلّ] اثني عشر ألف دينار .

وفي هذه السنة : أمر السلطان طُغْرُلْبَك ببناء دار الملك العضديّة ، فخربت محال كثيرة في عمارتها ، ونهبت العامة أخشاباً كثيرة بسببها من دور الأتراك ، والجانب الغربي ، وباعوه على الخبازين [والطباخين] وغيرهم .

وفيها : وقع غلاء شديد [على الناس] ، وخوف ، ونهب كثير ببغداد ، ثمّ عقب ذلك فناء عظيم بحيث دفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين ، وغلت الأشربة ، وما يحتاج إليه المرضى كثيراً ، [واعترى الناس موت كثير] واغبرَّ الجوّ ، وفسد الهواء ، وكثر الذباب . قال ابن الجوزي في « منتظمه »[٢] : وعمّ هذا الوباء والغلاء مكّة ، والحجاز ، وديار بكر ، والموصل ، وبلاد الروم ، وخراسان ، والجبال ، والدنيا كلّها ، هذا لفظه .

---

(١) في (ط) : خمس وخمسين ، خطأ .
(٢) « المنتظم (٨/ ١٧١) .

قال : وورد كتاب من مصر : أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجُدوا عند الصّباح موتى ، أحدهم على باب النقب ، والثاني على رأس الدرجة ، والثالث على الثياب المكوَّرة [ليأخذها فلم يمهل] .

وفيها أمر رئيس الرؤساء بأن تنصب أعلام سود في الكرخ ، فانزعج أهله لذلك ، وكان كثير الأذيّة للرافضة ، وإنما كان يدافع عنهم عميد الملك الكُنْدَريّ وزير الملك طُغْرُلْبَك .

وفيها : هبّت ريح شديدة ، وارتفعت سحابة ترابيّة فأظلمت الدنيا ، واحتاج الناس في الأسواق إلى السُّرُج في النهار .

قال ابن الجوزي في « المنتظم »(١) : وفيها : في العشر الثاني من جمادى الآخرة ، ظهر وقت السحر نجم له ذؤابة بيضاء ، طولها في رأي العين نحو من عشرة أذرع ، في عرض نحو الذراع ، ولبث على هذه الحال إلى النصف من رجب ثم اضمحلّ ، وكانوا يقولون : إنه طلع مثل هذا بمصر فملكت ، وكذلك بغداد ، لما طلع فيها هذا ملكت ، وخطب بها للمصريين .

وفيها : أُلزم الروافض بترك الأذان بحيّ على خير العمل ، وأمروا أن ينادِيَ المؤذن في الصبح بعد الحيعلتين الصلاة خير من النوم مرّتين ، وأزيل ما كان على أبواب مساجدهم ومشاهدهم من كتابة : محمّد وعليّ خير البشر ، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى الكرخ ، فأنشدوا [القصائد] بفضائل الصحابة في مدائح لهم ، وذلك أن النَّوء الأوّل [للرافضة] اضمحلّ ، حيث كانت بنو بويه تقوّيهم(٢) وتنصرهم ، فزالوا وبادوا ، وأذهب الله دولتهم ، وجاء الله بقوم آخرين من الأتراك السّلجوقيّة يحبّون السنّة ، ويوالون أهلها ، ويعترفون برِفعة قدرها ، ويرفعون محلّها [والله المحمود أبداً على طول المدى](٣) ، وأمر رئيس الرؤساء وزير الخلافة الوالي بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ البزازين(٤) بباب الطاق ، لما كان يتظاهر به من الغلوّ في الرفض ، فقتل ، وصلب على باب دكانه . وهرب أبو جعفر الطوسي ، ونهبت داره [ولله الحمد والمنة](٥) .

وفيها : جاء البساسيري قبّحه الله تعالى إلى الموصل ، ومعه نور الدولة دُبَيْس في جيش كثيف ، فاقتتل مع صاحبها قريش ، ونصره قتلمش ابن عم طُغْرُلْبَك ، وهو جد ملوك الروم ، فهزمهما البساسيري ، وأخذ البلد قهراً ، فخطب بها للمصريين الفاطميين ، وأخرج كاتبه من السجن . وكان قد أظهر الإسلام ، ظنّاً منه أن ذلك ينفعه ، فقتل .

---

(١) المنتظم (٨/ ١٧١) .

(٢) في (ب) : تقربهم .

(٣) زيادة من (ب) و(ط) .

(٤) في (ط) : الروافض .

(٥) زيادة من (ب) .

وكذلك خُطب للمصريين في هذه السنة بالكوفة وواسط وغيرهما من البلاد . وعزم الملك طُغْرُلْبَك على المسير إلى الموصل لمناجزة البساسيري ، فنهاه الخليفة عن الخروج ، وذلك لضيق الحال ، وغلاء الأسعار ، فلم يقبل ، وخرج بجيشه قاصداً الموصل في جحفل عظيم ، ومعه الفيلة والمنجنيقات ، وكان جيشه لكثرتهم ينهبون القرى ، وربّما سطَوا على بعض الحريم ، فكتب الخليفة إلى السلطان ينهاه عن ذلك ، فبعث يعتذر لكثرة من معه ، واتفق أنّه رأى رسول الله ﷺ في المنام ، فسلّم عليه ، فأعرض عنه [فقال : يا رسول الله ، لأيّ شيء تعرض عني] فقال له : يحكّمك الله في البلاد فلم لا ترفق بخلقه ، ولا تخاف من جلال الله عزّ وجلّ ، فاستيقظ مذعوراً ، وأمر وزيره أن ينادي في الجيش بالعدل ، وأن لا يظلم أحدٌ أحداً ، ولما اقترب من الموصل فتح دونها بلاداً ، ثمّ فتحها وسلّمها إلى أخيه داود ، ثمّ سار منها إلى بلاد بكر[١] ففتح أماكن كثيرة هنالك .

وفيها : ظهرت دولة الملثّمين ببلاد المغرب ، وأظهروا إعزاز الدين ، وكلمة الحقّ ، واستولوا على بلاد كثيرة بالمغرب ، منها : سِجِلْماسة ، وأعمالها ، والسوس ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأول ملوك الملثمين رجل يقال له : أبو بكر بن عمر وقد أقام بِسِجِلْماسة إلى أن توفي سنة ثنتين وستين كما سيأتي بيانه ، وولي بعده أبو نصر يوسف بن تاشفين ، وتلقّب بأمير المؤمنين ، وقوي أمره ، وعلا قدره ببلاد المغرب .

وفيها : أُلْزم الذمّة بلبس الغيار ببغداد عن أمر السلطان طُغْرُلْبَك .

وفيها : ولد لذخيرة الدين بعد موته من جارية له ولد ذكر ، وهو أبو القاسم عبد الله المقتدي بأمر الله .

وفيها : كان الغلاء والفناء مستمرّين [على الناس] ببغداد ، وغيرها من البلاد ، على ما كان عليه الأمر في السنة الماضية [فإنا لله وإنا إليه راجعون][٢] ، ولم يحجّ أحد من أهل العراق في هذه السّنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

علي بن أحمد[٣] بن علي بن سَلَّك[٤] أبو الحسن المؤدب ، المعروف

---

(١) في الكامل في التاريخ (٩/ ٦٣٠) : ديار بكر .

(٢) زيادة من (ب) .

(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٣٣٤) ، المنتظم (٨/ ١٧٤) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦٣٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٤) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٣٧٨) .

(٤) في بعض النسخ « بلبل » ، وهو تحريف ، وما أثبتناه من (ط) ، وهو الموافق لما في مصادر ترجمته ، وسَلَّك ضبطه ابن خلكان بفتح السين المهملة وتشديد اللام (وفيات ٣/ ٣١٦) ، وبه أخذ الذهبي في كتبه (تاريخ الإسلام ٩/ ٧١١) ووقع فيه من غلط الطبع بتشديد اللام وكسرها فيصحح والسير) وذكر ابن خلكان أنه وجده في موضع آخر بكسر السين وسكون اللام . وضبطه ابن حجر في التبصير بفتح السين وسكون اللام ، فلعله وهم (بشار) .

بالفالي[(١)] ، صاحب « الأمالي »[(٢)] ، وفالة : قرية قريبة من أيْذَج[(٣)] .

أقام بالبصرة مدّة ، وسمع بها من أبي عُمر[(٤)] بن عبد الواحد الهاشمي وغيره ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وكان ثقة في نفسه ، كثير الفضائل ، ومن شعره [الحسن][(٥)] .

لما تبدّلت المحاسن[(٦)] أوجهاً غيرَ الّذينَ عَهدتُ مِن علمائِها
وَرأيتُها محفوفةً بسوى الأُلى كانوا وُلاةَ صُدُورِهَا وفنائِها
أنْشَدْتُ بَيْتاً سائِراً مُتَقدِّماً والعينُ قد شَرِقَتْ بجاري مائِها
أمّا الخيامُ فإنّها كخيامِهِمْ وأرى نساءَ الحيّ غيرَ نسائِها

ومن شعره أيضاً قوله :

تصدّرَ للتدريسِ كلُّ مهوَّسٍ بليدٍ تَسمَّى بالفقيهِ المدرِّسِ
فحقَّ لأهلِ العلمِ أنْ يتمثّلوا ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كلِّ مَجْلِسِ
لقدْ هزَلَتْ حتى بدَا من هُزَالِها كُلاهَا ، وحتى سامَها كلُّ مُفْلِسِ

محمد بن عبد الواحد ، ابن الصبّاغ الفقيه الشافعي .

وليس هذا بصاحب « الشامل »[(٧)] . ذاك متأخر ، وكان هذا من تلاميذ الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وكانت له حلقة للفتوى بجامع المدينة ، وشهد عند قاضي القضاة ابن الدَّامغاني الحنفي فقبله ، وقد سمع الحديث من ابن شاهين وغيره ، وكان ثقة جليل المقدار ، رحمه الله تعالى .

هلال بن المحسّن بن إبراهيم بن هلال[(٨)] أبو الحُسين[(٩)] الكاتب الصابىء ، صاحب التاريخ ، وجدّه أبو إسحاق الصابىء ، صاحب الرسائل ، وأبوه كان صابئياً أيضاً ، وأسلم هلال هذا وحسن إسلامه ، وقد

---

(١) « الفالي » : نسبة إلى فالة ، بلدة قريبة من أيذج من بلاد خوزستان . معجم البلدان (٤/ ٢٣٢) .
(٢) لم تذكر المصادر أن للفالي كتاب « الأمالي » إنما هو لأبي علي ، إسماعيل بن القاسم المتوفى سنة ٣٥٦هـ ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥) ، ومصادر ترجمته ثمّة .
(٣) معجم البلدان (٤/ ٢٣٢) .
(٤) في (ط) : « من عمر » خطأ .
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٣٦٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٢) ، الوافي بالوفيات (٤/ ٦٣) ، طبقات السبكي (٤/ ١٨٨) .
(٦) في المنتظم وفي (ط) : المجالس .
(٧) صاحب كتاب الشامل : أبو نصر ابن الصباغ .
(٨) تاريخ بغداد (١٤/ ٧٦) ، المنتظم (٨/ ١٧٦) ، وفيات الأعيان (٦/ ١٠١) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٧٨) .
(٩) في (ط) : « أبو الخير » وهو تحريف ، وما أثبتناه من مصادر ترجمته وهو بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٩/ ٧١٩) (بشار) .

كان سمع في حال كفره من جماعة المشايخ ، وذلك أنَّه كان يتردد إليهم يطلب العلم والأدب ، فلمّا أسلم نفعه ذلك ، وكان [ذلك] سبب إسلامه على ما ذكره ابن الجوزي في « منتظمه »[١] ، بسنده [مطولاً] أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام مراراً يدعوه إلى الله عزّ وجلّ ، ويأمره بالدخول في الإسلام ، ويقول له : أنت رجل عاقل ، فَلِمَ تدَع دين الإسلام الذي قامت عليه الدلائل ؟ وأراه آيات في المنام شاهدها في اليقظة ، فمن ذلك أنه قال له : إنّ امرأتك حامل [بولد] ذكر ، فسمّه محمّداً ، [فولدت ذكراً ، فسماه محمداً] ، وكنّاه أبا الحسن ، في أشياء كثيرة سردها ابن الجوزي مطوّلة ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان صدوقاً ، رحمه الله تعالى . توفي في هذه السنة وله تسعون سنة ، منها في الإسلام نيّف وأربعون سنة ، تغمّده الله برحمته .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمئة

فيها : كان الغلاء والفناء مستمرَّين ببغداد وغيرها من البلاد ، بحيث خلت [أكثر] الدور ، وسُدّت على أهلها [أبوابها بما فيها وأهلها] فيها موتى ، وصار المارّ في الطريق لا يلقى إلَّا الواحد بعد الواحد ، وأكل الناس الجِيف والميتات من قلّة الطعام ، ووجد مع امرأة فخذ كلب قد اخضرّ ، وأروح . وشوى رجل صَبِيَّة في الأتُّون[٢] وأكلها ، فقتل ، و[قيل] سقط طائر ميت من سطح ، فاحتوشه خمسة أنفس فاقتسموه ، وأكلوه .

وورد كتاب من بخارى أنّه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ، ثمانية عشر ألف إنسان ، وأحصي من مات في هذا الوباء إلى يوم كتابة هذا الكتاب ـ يعني الوارد من بخارى ـ بألف ألف وستمئة ألف وخمسون ألفاً ، والناس يمرّون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقاً فارغة وطرقات خالية ، وأبواباً مغلقة ، حكاه ابن الجوزي[٣] قال : وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم ، وأنّه لم يسلم إلا العدد القليل ، قال : ووقع وباء بالأهواز وأعمالها ، وبواسط ، والنيل ، والكوفة ، وطبق الأرض ، وكان أكثر سبب ذلك الجوع حتى كان الفقراء يشوون الكلاب ، وينبشون القبور ، ويشوون الموتى ويأكلونهم ، وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم ، وقد كانت تحفر الحفيرة فيدفن فيها العشرون ، والثلاثون ، وكان الإنسان يكون قاعداً فينشقّ قلبه عن دم المهجة فيخرج إلى الفم[٤] منه قطرة فيموت ، وتاب الناس ، وتصدّقوا بأكثر أموالهم [فلم يجدوا أحداً يقبل منهم ، وكان الفقير تعرض

(١) المنتظم (٨/ ١٧٧) .
(٢) « الأتُّون » : الموقد الكبير ، كموقد الحمّام .
(٣) المنتظم (٨/ ١٧٧) .
(٤) في (أ) : القلب .

عليه الدنانير الكثيرة ، والدراهم والثياب فيقول : أنا أريد كسوة ! أريد ما يسد جوعي فلا يجد ذلك] ، وأراقوا الخمور ، وكسروا المعازف ، وتصالحوا ، ولزموا المساجد لقراءة القرآن والعبادة ، وقلّ دار يكون فيها خمر إلا ومات أهلُها كلّهم ، ودُخل على مريض له سبعة أيام في النزع ، فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر ، فأراقوها ، فمات من فوره بسهولة ، ومات رجل في مسجد فوجد معه خمسون ألف درهم [فعرضت على الناس] ، فلم يقبلها أحد ، فتركت في المسجد تسعة أيام لا يريدها أحد [فلما كان بعد ذلك] ، دخل أربعة فأخذوها فماتوا عليها [فلم يخرج من المسجد منهم أحد حيّ ، بل ماتوا جميعاً] .

وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبّار بن محمد يشتغل عليه سبعمئة متفقّه ، فمات ، وماتوا كلّهم إلا اثني عشر نفراً منهم .

ولمّا اصطلح دُبَيْس بن علي مع الملك طُغْرُلْبَك ، رجع إلى بلاده فوجدها خراباً لقلّة أهلها [من الطاعون] ، فأرسل رسولاً منه إلى بعض النواحي فتلقّاه طائفة فقتلوه وشووه ، وأكلوه .

قال ابن الجوزي(١) : وفي يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة احترقت قطيعة عيسى [وسوق الطعام ، والكنيس ، وأصحاب السقط ، وباب الشعير ، وسوق العطارين] ، وسوق العروس ، والأنماط ، والخشابين ، والجزّارين ، والتمّارين ، والقطيعة ، وسوق محول ، ونهر الدجاج ، وسويقة غالب ، والصفّارين ، والصبّاغين وغير ذلك من المواضع ، وهذه مصيبة أخرى إلى ما بالناس من [الجوع و] الغلاء والفناء ، [ضعف الناس ، حتى طغت النار فعملت عملها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون] .

وفيها : كثر العيّارون ببغداد ، وأخذوا الأموال جهاراً ، وكبسوا الدور ليلاً ونهاراً ، وكبست دار أبي جعفر الطّوسي متكلّم الشيعة ، وأحرقت كتبه ودفاتره التي كان يستعملها في بدعته ، ويدعو إليها أهل نحلته .

وفيها : دخل الملك طُغْرُلْبَك بغداد عائداً إليها من الموصل ، وقد تسلّمها واستعادها من البساسيري ، وسلّمها إلى أخيه إبراهيم ينّال ، فأحسن فيهم السِّيرة ، وحسنت منه العلانية والسريرة ، فتلقّاه الأمراء والوزراء وكبار الدولة إلى أثناء الطريق ، وأحضر له رئيس الرؤساء خلعة من الخليفة فرجيّة(٢) مجوهرة ، فلبسها ، وقبّل الأرض ، ثمّ بعد ذلك دخل دار الخلافة ، وقد ركب إليها فرساً من مراكب الخليفة ، فلمّا دخل على الخليفة إذ هو على سرير طوله سبعة أذرع ، وعلى كتفه البردة [النبويّة] ، وبيده القضيب ، فقبّل الأرض ، ثمّ أجلس الملك على سرير دون سرير الخليفة ، ثمّ قال الخليفة لرئيس

---

(١) المنتظم (٨/ ١٨١) .

(٢) « فرجيّة » : ثوب له فتحة من الأمام .

الرؤساء ، قل له : أمير المؤمنين حامد لسعيك ، شاكر لفعلك ، آنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ، فاتق الله فيما ولاك ، واجتهد في عمارة البلاد ، وصلاح العباد ، ونشر العدل ، وكفّ الظلم .

ففسّر له وزيره عميد الدولة ما قاله ، فقام ، وقبّل الأرض ، وقال : أنا خادم أمير المؤمنين وعبده ، ومتصرّف عن أمره ونهيه ، ومتشرّف بما [أهّلني له و] استخدمني فيه ، ومن الله أستمدّ المعونة والتوفيق .

ثمّ أذن له الخليفة في أن ينهض للبس الخلع ، فقام إلى بيت في ذلك البهو ، فأفيض عليه سبع خلع ، وتاج . ثمّ عاد فجلس على السرير ، بعدما قبّل يد الخليفة ، ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن من التاج ، فأخرج الخليفة سيفاً وقلّده إياه ، وخاطبه بملك الشرق والغرب ، وأحضر ثلاثة ألوية ، فعقد منها الخليفة بيده لواءً يُقال له : لواء الحمد ، وأحضر العهد ، فسلّم إلى الملك ، ووصّاه الخليفة بتقوى الله تعالى والقيام بالحقّ في ذلك العهد [والعدل في الرعية] ، وقرىء بين يدي الخليفة بحضرة الملك ، ثمّ نهض فقبّل يد الخليفة ، ووضعها على عينيه ، ثمّ خرج في أُبّهة عظيمة [إلى داره] ، وبين يديه الحجّاب والجيش بكماله ، وجاء الناس للسلام عليه ، والتهنئة له ، وأرسل إلى الخليفة بتحف عظيمة ، منها خمسون ألف دينار ، وخمسون غلاماً أتراكاً بمراكبهم وأسلحتهم ، ومناطقهم ، وخمسمئة ثوب أنواعاً ، وأعطى رئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار ، وخمسين قطعة قماش [وغير ذلك] .

وفيها : قبض صاحب مصر على وزيره أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن البازوري[١] ، وأخذ خطّه بثلاثة آلاف ألف دينار ، وأحيط على ثمانين من أصحابه ، وقد كان هذا الوزير حنفيّاً يحسن إلى أهل العلم وأهل الحرمين ، وقد كان الشيخ أبو يوسف القَزْويني يثني عليه ، ويمدحه .

وممن توفي في هذه السنة :

أحمد بن عبد الله بن سليمان[٢] بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعةَ بنِ الحارثِ بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عديّ بن غطفان بن عمرو بن بَريح بن جَذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن علوان[٣] بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ،

---

(١) في (ط) : البازري .

(٢) تاريخ بغداد (٤/ ٢٤٠) ، المنتظم (٨/ ١٨٤) ، معجم البلدان (٥/ ١٥٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦٣٦) ، وفيات الأعيان (١/ ١١٣) ، تاريخ الإسلام (٩/ ٧٢١ ـ ٧٣٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٩٤) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٦١) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٨٠) وثمة اختلاف يسير في نسبته بين المصادر .

(٣) في(ط) : تغلب بن حلوان .

أبو العلاء المعرّي التَّنُوخي ، الشاعر المشهور بالزَّندقة ، اللُّغوي ، صاحب الدواوين والمصنّفات في الشّعر واللغة .

ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمئة .

وأصابه جدريٌّ ، وله أربع أو ستّ أو سبع ، فذهب بصره ، وقال الشعر ، وله إحدى عشرة أو اثنتا عشرة سنة ، ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمئة ، فأقام بها [ستة أو] سبعة أشهر ، ثمّ خرج منها طريداً منهزماً ، لأنّه قال شعراً يدلّ على قلّة دينه ، وعلمه ، وعقله ، وهو قوله :

يدٌ بخَمس مِئين عسْجدٍ وُديَتْ ما بالُها قُطِعَتْ في رُبْعِ دينار[1]
تناقُضٌ ما لنا إلا السُّكوتُ لَهُ وأن نَعُوذَ بمَولانا مِن النّارِ

[وهذا من إفكه] .

يقول : اليد ديتها خمسمئة دينار ، فمالكم تقطعونها إذا سَرَقت ربع دينار ، وهذا من قلّة عقله وعَمى بصيرته ، وذلك أنه إذا جُني عليها يناسب أن تكون ديتها كثيرة لينزجر الناس عن العدوان ، وأمّا إذا جنت هي بالسرقة فيناسب أن تقلّ قيمتها [وديتها] لتنزجر عن أخذ الأموال ، وتُصان أموال الناس ، ولهذا قال بعضهم : كانت ثمينة لمّا كانت أمينة ، فلما خانت هانت . ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا الكلام هرب ورجع إلى بلده ، ولزم منزله ، فكان لا يخرج منه .

[وكان يوماً عند الخليفة ، وكان الخليفة يكره المتنبّي ويضع منه ، وكان أبو العلاء يحب المتنبي ويرفع من قدره ، ويمدحه ، فجرى ذكر المتنبي في ذلك المجلس ، فذمه الخليفة ، فقال أبو العلاء : لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته التي أولها :

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه ذلك . فغضب الخليفة ، وأمر به فسحب برجله على وجهه ، وقال : أخرجوا عني هذا الكلب . وقال الخليفة : أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة ؟ وذِكره لها ؟ أراد قول المتنبي فيها :

وإذا أتَتْكَ مذمتي من ناقص فهي الدليل عليّ أني كامل

وإلا فالمتنبي له قصائد أحسن من هذه ، وإنما أراد هذا ، وهذا من فرط ذكاء الخليفة حيث تنبّه لهذا] . ومكث خمساً وأربعين سنة من عمره ، لا يأكل لحماً ، ولا لبناً ، ولا بيضاً ، ولا شيئاً من حيوان على طريقة البراهمة من الفلاسفة ، ويقال : إن راهباً اجتمع به في بعض الصوامع آواه اللّيل إليه ، فشكّكه في دينه ، وكان يتقوّت بالنبات وغيره ، وأكثر ما كان أكله العدس ، ويتحلّى بالدبس والتين ، ولا يأكل

(١) تقدم البيت الثاني على الأول في (ب) وكذلك في اللزوم (١/ ٥٤٤) .

بحضرة أحد ، يقول : أكْلُ الأعمى عورة . وكان في غاية الذكاء المفرط على ما ذكر ، وأمّا ما ينقل عنه من الأشياء المكذوبة ، والخرافات المختلقة ، من أنّه وضع تحت سريره درهم فقال : إمّا أن تكون السماء قد انخفضت مقدار درهم ، أو ارتفعت الأرض مثل ذلك [أي أنه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم][(١)] . فهذا ما لا أصل له ، وهو كذب عليه ، وكذلك يذكرون أنّه مرّ في بعض أسفاره بمكان فطأطأ رأسه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أما هاهنا شجرة ؟ [قالوا : لا] فلم يوجد ، ثمّ نظروا فإذا أصل شجرة كانت هناك قديماً قد اجتاز بها مرّة [في الموضع الذي طأطأ رأسه فيه ، وقد قطعت] ، فأمره من كان معه بمطأطأة رأسه هناك [لما جازوا تحتها ، فلمّا مرّ بها المرة الثانية طأطأ رأسه خوفاً من أن يصيبه شيء منها] ، فاستحضره في هذه المرة ، فهذا أيضاً لا يصحّ ، وهو كذب ، وكذلك ما شاكل هذا من الكذب البحت ، ولكن كان ذكيّاً ولم يكن زكيّاً ، وله مصنفات كثيرة أكثرها في الشعر ، وفي بعض أشعاره ما يدلّ على زندقةٍ وانحلالٍ [من الدِّين] ، ومن الناس من يعتذر عنه ، ويقول : [إنّه إنما كان يقول ذلك مُجوناً ولعباً] ، كان في الباطن مسلماً ، وإنما يقول ذلك بلسانه . قال ابن عقيل : وما الذي كان يلجئه إلى أن يقول في دار الإسلام ما يكفّره به الناس ؟ والمنافقون مع قلّة علمهم ، وعقلهم ، ودينهم ، أجود سياسة منه ، حافظوا على ستر قبائحهم في الدنيا ، وهو أظهر الكفر الذي تسلّط به عليه الناس [وزندقوه] ، والله تعالى يعلم أنّ باطنه كظاهره .

قال ابن الجوزي[(٢)] : وقد رأيت لأبي العلاء كتاباً سمّاه « الفصول والغايات في معارضة السور والآيات »[(٣)] على حروف المعجم في آخر كلماته ، وهو في غاية الرِّكّة والبرودة ، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته .

قال : وقد نظرتُ في كتابه المسمّى « لزوم ما لا يلزم » . ثمّ أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على استهتاره أشياء كثيرة ، فمن ذلك قوله :

إذا كانَ لا يحظَى برزقِكَ عاقِلٌ ... وتَرزقُ مَجنوناً وترزقُ أحمَقَا
فلا ذنْبَ يا ربَّ السماءِ على امرئٍ ... رَأى مِنْكَ ما لا يَشْتهي فَتزنْدَقا

ومن ذلك أيضاً ، قوله :

وهيهات البريّة[(٤)] في ضلالٍ ... وقد نظَر اللبيبُ لما اعتراها

(١) زيادة من (ب) .
(٢) المنتظم (٨/ ١٨٥) .
(٣) في حاشية (أ) : رأيته بخط كاتبه في ثلاث مجلدات بمصر ، وهو موجود حال كتابة هذا المكان .
(٤) في (ط) : ألا إن البريّة .

تقـدَّمَ صـاحـبُ التـوراةِ مـوسـى ... وأوقَـع فـي الخَسـارِ مـن افتـراهـا
فقـالَ رجـالُـه : وَحـيٌ أتـاهُ ... وقـالَ النـاظِـرونَ : بـل افتـرَاهَـا
ومـا حجِّـي إلـى أحجـارِ بيْـتٍ ... كؤوسُ الخمْر تُشربُ في ذُرَاهَا(١)
إذا رجـعَ الحليـمُ إلـى حِجَـاهُ ... تهَـاونَ بـالمـذاهـبِ وازْدَراهَـا

ومن ذلك أيضاً قوله :

هذت(٢) الحنيفةُ والنصارَى ما اهتدَتْ(٣) ... ويهـودُ جَـارتْ والمَجُـوسُ مُضَلَّلَـهْ
اثْنـانِ أهـلُ الأرضِ : ذُو عقْـل بِـلا ... ديـنٍ ، وآخـرُ دَيِّـن(٤) لا عَقْـل لَـهْ

ومن ذلك أيضاً قوله :

فـلا تَحْسَـبْ مَقَـال الـرُّسْـلِ حَقّـاً ... ولكـنْ قـولُ زُورٍ سطَّـروهُ
وكـان النَّـاسُ فـي عَيْـشٍ رغيـدٍ ... فَجـاؤُوا بـالمُحـال فكَـدَّرُوهُ

وقلت أنا في معارضة هذا :

فلا تَحسَبْ مقال الرُّسْلِ كِذْباً(٥) ... ولكـنْ قـولُ حـقٍّ بلَّغُـوه
وكـانَ النـاسُ فـي جهـلٍ عظيـمٍ ... فجـاؤُوا بـالبيـانِ فَـأذهبـوه(٦)

ومن ذلك أيضاً قوله :

إنَّ الشـرائـعَ ألقَـتْ بَيْننـا إحَنـاً ... وَأوْرَثْتنـا أفـانيـنَ العَـدَاواتِ
وهلْ أبيحَ نِساءُ الرومِ عن عُرُضٍ(٧) ... للعُـربِ إلا بـأحكـامِ النُّبـوَّاتِ

[من ذلك قوله :

ومـا حمـدي لآدمَ أو بنيـهِ ... وأشهـدُ أنَّ كلَّهـمُ خسيـس]

ومن ذلك أيضاً قوله :

---

(١) في (ط) : كروس الحمر تشرف في ذراها .
(٢) في (ب) واللزوم (٢/ ٣٠١) : هفت .
(٣) في (ط) : عفت الحنيفة والنصارى اهتدت .
(٤) في (ط) : ذو دين .
(٥) في (ط) : زوراً .
(٦) في (ط) : فأوضحوه .
(٧) في اللزوم (١/ ٢٢٨) : وهل أبيحت نساء الروم عن عُرُض . وفي القاموس : ويضربون الناس عن عرض : لا يبالون من ضربوا .

أفيقُوا ، أفيقُوا يا غُواةُ فإنَّما ... دياناتُكُم مَكرٌ من القدماءِ[١]

ومن ذلك أيضاً قوله :

صرفُ الزَّمانِ مُفرِّقِ الإلفَينِ ... فاحْكُمْ إلَهي بينَ ذاكَ وبَيْني
أنهيْتَ[٢] عَنْ قَتْلِ النُّفوسِ تعمُّداً ... وبَعَثْتَ أنتَ لِقَبضِها[٣] مَلَكينِ
وزَعمْتَ أنَّ لها مَعاداً ثانياً ... ما كانَ أغناهَا عن الحالَيْنِ

ومن ذلك أيضاً قوله :

ضَحِكْنا وكانَ الضَّحكُ منّا سَفاهةً ... وحَقَّ لسكّانِ البسيطةَ أنْ يَبكُوا
تُحطِّمنَا الأيّامُ حتى كأنَّنا ... زُجاجٌ ولكنْ لا يُعاد[٤] لنا سَبْكُ

ومن ذلك أيضاً قوله :

أمورٌ تَستخِفُّ بها حُلومٌ ... وما يَدْري الفَتى لِمنِ الثُّبورُ
كتابُ محمّدٍ وكتابُ موسى ... وإنجيلُ ابنِ مريمَ والزّبورُ

وقال :

قالتْ معاشرُ لم يبعثْ إلَهكُمُ ... إلى البريّةِ عِيسَاهَا ولا مُوسى
وإنّما جَعلوا الرحمنَ مأكلةً ... وصيّرُوا دينَهُمْ في الناسِ نَامُوسا

وذكر [ابن الجوزي وغيره] أشياء غير ذلك ، [من شعره] وكل قطعة من هذه تدلّ على كفره ، وانحلاله ، وزندقته ، وضلاله ، [ويقال : إنه أوصى أن يكتب على قبره :

هذا جَناهُ أبي عَليَّ ... وما جَنَيْتُ على أحَد

معناه : أن أباه بتزوجه لأمِّه أوقعه في هذه الدّار ، حتى صار بسبب ذلك إلى ما إليه صار ، وهو لم يجن على أحد بهذه الجناية ، وهذا كلّه كفر وإلحاد ، قبّحه الله] .

وقد زعم بعضهم أنه أقلع عن هذا كلِّه ، وتاب منه ، وأنّه قال قصيدة يعتذر من هذا كلّه ، ويتنصّل فيه ، وهي التي يقول فيها :

يا مَنْ يَرى مَدَّ البعوض جَناحَهَا ... في ظلمةِ اللَّيلِ البهيمِ الأليَلِ

---

(١) في (ط) : مكراً من القدماء .
(٢) في (ط) : نهبت .
(٣) في (ط) : تقبضها مع .
(٤) في (ط) : لا يعود له ، وفي المنتظم (٨/ ١٨٧) : زجاج لا يعاد لنا السبك .

وتَرى منَاطَ عروقِها في نَحْرِهَا ... والمـخُّ فـي تلـك العِظـامِ النُّحَّـلِ
امنُـنْ علـيَّ بتـوبَـةٍ تمحُـو بهـا ... مـا كـان منـي فـي الـزّمـان الأوّل

وقد كانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة بمعرّة النعمان عن ستّ وثمانين سنة إلا أربعة عشر يوماً ، وقد رثاه جماعة من أصحابه وتلامذته ، وأُنْشِدَتْ عند قبره ثمانون مرثاة حتى قال بعضهم في رثائه :

إنْ كُنْـتَ لـم تُـرقِ الـدِّمـاءَ زهـادةً ... فَلَقَـدْ أرَقْـتَ اليـومَ مـن جَفنـي دَمـا

قال ابن الجوزي[١] : وهؤلاء [الذين رثوه والذين اعتقدوه] إمّا جهال بأمره ، أو ضلال على مذهبه وطريقته ، وقد رأى بعضهم في المنام رجلاً ضريراً على عاتقيه حيّتان مدلَّيتان إلى صدره رافعتان رؤوسهما ، وهما ينهشان من لحمه وهو يستغيث ، وقائل يقول : هذا المعرّي الملحد .

وقد ذكره القاضي ابن خلِّكان في « الوفيات »[٢] ، فرفع من نسبه [على عادته في الشعراء] كما ذكرنا ، وذكر له من المصنفات كتباً كثيرة ، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد المئة من كتابه المسمى « بالأيك والغصون » وهو المعروف : بالهمز والردف . وأنه أخذ العربيّة عن أبيه ، واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سعد النَّحوي ، وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسِّن التَّنوخي ، والخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التِّبريزي ، وذكر أنَّه مكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللّحم على طريقة الحكماء ، وأنَّه أوصى أن يكتب على قبره :

هـذا جنـاهُ أبـي علـيَّ ... ومـا جَنَيْـتُ علـى أحـد

قال ابن خلِّكان : وهذا أيضاً يتعلّق باعتقاد الحكماء ، فإنَّهم يقولون : إيجاد الولد ، وإخراجه إلى هذا الوجود جِناية عليه ، لأنّه يتعرَّض للحوادث والآفات .

قلت : وهذا يدلّ على أنّه لم يتغيّر عن اعتقاد الحكماء إلى آخر وقت ، وأنّه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم [بظواهر الأمور وبواطنها] .

وذكر ابن خلِّكان ، أنَّه كانت عينه اليمنى ناتئة وعليها بياض ، واليسرى غائرة ، وكان نحيفاً . ثمّ أورد من أشعاره الجيدة أبياتاً منها قوله :

لا تطلُبـنَّ بـآلـةٍ لـكَ رُتبـةً ... قلـمُ البليـغِ بغيْـرِ جـدٍّ مِغْـزَلُ
سكَن السماكانِ السماءَ كلاهُما ... هـذا لَـهُ رُمـحٌ وهـذا أعْـزَلُ

---

(١) المنتظم (٨/ ١٨٨) .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ١١٣ـ١١٦) .

الأستاذ أبو عثمان الصّابوني[(١)] إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد[(٢)] النَّيسابوري الحافظ ، الواعظ ، المفسِّر .

قَدِم دمشق وهو ذاهب إلى الحجِّ فسمع بها ، وذكّر الناس . وقد ترجمه ابن عساكر ترجمةً مطوّلةً [عظيمة] ، وأورد له أشياء حسنة من أقواله وشعره ، فمن ذلك قوله :

إذا لم أصبْ أموَالَكُم ونوالَكُم ... ولم آمُلِ المعروفَ منكُم ولا البِرَّا
وكنتُم عَبيداً للَّذي أنا عبدُهُ ... فمن أجلِ مَاذا أتعِبُ البدنَ الحُرَّا

وروى ابن عساكر[(٣)] عن إمام الحرمين أنَّه قال : كنتُ أتردَّدُ وأنا بمكّة في المذاهب ، فرأيت النبيَّ ﷺ وهو يقول : « عليكَ باعتماد أبي عثمان الصَّابوني » .

ثم دخلت سنة خمسين وأربعمئة من الهجرة النبويّة

فيها : كانت فتنة الخبيث البساسيري ، وهو أرسلان التركي ، قبّحه الله تعالى . وذلك أن إبراهيم يَنَّال أخا الملك طُغْرُلْبَك ترك الموصل الذي كان استعمله أخوه عليها ، وعدل إلى ناحية بلاد الجبل ، فاستدعاه أخوه ، وخلع عليه ، وأصلح أمره ، ففي غبون ذلك ركب البساسيري ومعه قُريش بن بَدران أمير العرب إلى الموصل ، فأخذها ، وأخرب قلعتها . فسار [إليه] الملك طُغْرُلْبَك سريعاً من بغداد إلى الموصل فاستردَّها ، وهرب منه البساسيري [وقريش] خوفاً منه ، فتبعهما إلى نصيبين ، وفارقه أخوه إبراهيم وعصا عليه وهرب إلى هَمَذان ، وذلك بإشارة البساسيري عليه ، فسار الملك طُغْرُلْبَك وراء أخيه وترك عساكر وراءه فتفرّقوا وقلّ من لحقه منهم ، ورجعت زوجته الخاتون ووزيره الكندريّ إلى بغداد . ثمّ جاء الخبر بأن أخاه قد استظهر عليه ، وأنّ طُغرُلْبَك محصور بهَمذان فانزعج الناس لذلك ، واضطربت بغداد ، وأرجف الناس بأن البساسيري عازم على قصد بغداد ، وأنّه قد اقترب من الأنبار ، فقوي عزم الكندريّ الوزير على المقام ببغداد ، فأرادت الخاتون أن تقبض عليه فتحوّل إلى الجانب الغربي ، فنهبت داره ، وقطع الجسر الذي بين الجانبين ، وركبت الخاتون في جمهور الجيش وذهبت إلى هَمَذان لتنصر زوجها ، وسار الكندريّ ومعه أنوشروان بن تومان وأمّه الخاتون المذكورة ، ومعهما بقية الجيش إلى بلاد

---

(١) الكامل في التاريخ (٩/ ٦٣٨) ، تاريخ الإسلام (٩/ ٧٣٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٠) ، الوافي بالوفيات (٩/ ١٤٣) ، طبقات السبكي (٤/ ٢٧١) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٦٢) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٠٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٨٢) .

(٢) تحرف في (أ) إلى : عايذ ، وقد ضبطه في توضيح المشتبه (٦/ ٦٢) : بموحدة مكسورة بعد الألف ، ثم دال مهملة .

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ١٢ .

الأهواز ، وبقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة . فعزم الخليفة على الترحّل عن بغداد إلى غيرها ـ وليته فعل ـ ثمّ أحب داره والمقام مع أهله . فمكث اغتراراً ودَعةً فيها فلمّا خلا البلد من المقاتلة قيل للناس : من أراد الخروج فليذهب حيث شاء ، فانزعج الناس ، وبكى الرجال والنساء والأطفال ، وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربي وبلغت المعبرة ديناراً ودينارين لعدم الجسر .

قال ابن الجوزي(١) : وطار في تلك الليلة على دار الخليفة نحو عشر بومات مجتمعات يصحن صياحاً مزعجاً ، وقيل لرئيس الرؤساء : من المصلحة أن الخليفة يرتحل من بغداد لعدم المقاتلة بها فلم يقبل ، وشرعوا في استخدام طائفة من العوام ، ودُفِعَ إليهم السلاح [الكثير] من دار المملكة ، فلمّا كان يوم الأحد الثامن من ذي القعدة من هذه السنة دخل البساسيري بغداد ومعه الرايات البيض المصريّة وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها [اسم] الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين ، فتلقّاه أهل الكرخ الرافضة ، فتضرّعوا إليه ، وسألوه أن يختار عندهم ، فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزوايا فخيّم بها . والناس في ضرٍّ ومجاعةٍ شديدة ، ونزل قُريش بن بَدران في نحو مئتي فارس على مشرعة باب البصرة . وكان البساسيري قد جمع العيّارين وأطمعهم في نهب دار الخلافة . ونهب أهل الكرخ دور السنّة بباب البصرة ، ونهبت دار قاضي القضاة الدّامغاني ، وهلك أكثر السجلات والكتب الحكمية وبيعت للعطارين ، ونهبت دور المتعلقين [بخدمة] الخليفة ، وأعادت الروافض الأذان بحيّ على خير العمل ، وأُذّن به في سائر جوامع بغداد في الجمُعات والجماعات ، وخُطب للمستنصر العبيدي الذي يقال له : الفاطمي ، على منابر بغداد وغيرها . وضربت له السكّة على الذهب والفضة ، وحوصرت دار الخلافة ، فجاحف الوزير أبو القاسم بن المَسْلمة الملقب برئيس الرؤساء بمن معه من المستخدمين دونها ، فلم يفد ذاك شيئاً ، فركب الخليفة بالسواد والبردة على كتفيه ، وعلى رأسه اللواء ، وبيده السيف مصلتاً ، وحوله زمرة من الهاشميين(٢) ، والجواري حاسرات وجوههن ، ناشرات شعورهن ، معهن المصاحف على رؤوس الرِّماح ، وبين يديه الخدم بالسيوف المسلّلة .

ثمّ إن الخليفة أخذ ذماماً من أمير العرب قُريش بن بَدران لنفسه وأهله ووزيره ابن المَسْلَمة فآمنه على ذلك كلّه ، وأنزله في خيمته ، فلامه البساسيري على ذلك وقال : قد علمت ما كان وقع الاتفاق بيني وبينك من أنّك لا تستبد برأي دوني ولا أنا دونك ، ومهما ملكنا فبيني وبينك . واستحضر البساسيري أبا القاسم بن المسلمة فوبّخه [توبيخاً مفضحاً] ولامه لوماً شديداً ، ثمَّ ضربه ضرباً مبرّحاً ، واعتقله مُهاناً عنده ، ونهبت العامة دار الخلافة ، فلا يحصى ما أخذوا منها من الجواهر والنفائس والديباج [والذهب

---

(١) المنتظم (٨/ ١٩١) .

(٢) في (ط) : العباسيين .

والفضة] والثياب والأثاث [والدواب] وغير ذلك مما لا يحدّ ولا يوصف . ثمّ اتفق رأي البساسيري وقريش بن بدران على تسيير الخليفة من بغداد وتسليمه إلى أمير حديثة عانة[١] ، وهو مُهارش بن مجلّي البدوي ، وهو من بني عم قريش بن بدران . وكان رجلاً صالحاً [فيه دين ومروءة] ، فلمّا بلغ ذلك الخليفة دخل على قريش أن لا يخرج من بغداد ، فلم يفد ذلك شيئاً ، وسيّروه مع أصحابهما في هودج إلى حديثة عانة ، فكان عند مهارش أميرها حولاً كاملاً وليس معه أحد من أهله . فحكي عن الخليفة القائم بأمر الله أنّه قال : لما كنت بحديثة عانة قمت ليلة إلى الصلاة فوجدت في قلبي حلاوة المناجاة ، ثمّ دعوت الله تعالى ، بما سنح لي ، ثمّ قلت : اللهمّ أعدني إلى وطني ، واجمع بيني وبين أهلي وولدي ، ويسّر اجتماعنا ، وأعدْ رَوض الأنس زاهراً ، وربع القرب عامراً ، فقد قلّ العزاء ، وبرح الخفاء . قال : فسمعت قائلاً على شاطىء الفرات يقول : نعم ، نعم . فقلت : هذا رجل يخاطب آخر ، ثمّ أخذت في السؤال والابتهال ، فسمعت ذلك الصائح يقول : إلى الحول ، إلى الحول . فعلمت أنّه هاتف أنطقه الله بما جرى الأمر عليه ، وكان كذلك . خرج من دار الخلافة في ذي القعدة من هذه السنة ورجع إليها في ذي القعدة من السنة المقبلة . وقد قال الخليفة في مقامه بالحديثة شعراً يذكر فيه حاله ، فمنه قوله :

خَابتْ[٢] ظنُوني فيمنْ كنتُ آملُهُ ... ولم يجلْ[٣] ذِكرُ من واليتُ في خَلَدِي
تَعلّموا من صروفِ الدهرِ كلّهمُ ... فما أرى أحداً يحنو على أحد

ومن ذلك أيضاً قوله :

ما لي مِنَ الأيامِ إلا موعدٌ ... فمتى أرى ظَفَراً بذاكَ الموعدِ
يومي يمرُّ وكلّما قضّيته ... علّلت نفسي بالحديثِ إلى غدِ
أحيا[٤] بنفسٍ تستريحُ إلى المُنى ... وعلى مطامِعِها تروحُ وتغتَدِي

وأمّا البساسيري ، وما اعتمده في بغداد ؛ فإنّه ركب يوم الأضحى ، وألبس الخطباء والمؤذّنين البياض ، وعليه هو وأصحابه كذلك ، وعلى رأسه الألوية المستنصرية والمطارد المصريّة ، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر . والروافض في غاية السرور ، والأذان في سائر بلاد العراق بحيّ على خير العمل ، وانتقم البساسيري من أعيان أهل بغداد انتقاماً عظيماً ، وغرّق خلقاً ممن كان يعاديه ، وبسط على آخرين الأرزاق والعطايا [ممن كان يحبّه ويواليه] وأظهر العدل .

---

(١) مدينة في أعلى حديثة على الفرات ، عامرة إلى اليوم .
(٢) في (ط) : ساءت .
(٣) في المنتظم (٨/ ١٩٦) : يخب .
(٤) في (ط) : أقبح .

ولمّا كان يوم الإثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجّة أحضر إلى بين يديه الوزير أبو القاسم بن المَسْلَمة الملقّب برئيس الرؤساء ، وعليه جبّة صوف ، وطرطور من لبد أحمر ، وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ ، فأركب حماراً[١] ، وطيف به في البلد ، وخلفه من يصفعه بقطعة من جلد ، حتى اجتاز بالكرخ ، فنثروا عليه خُلْقان المداسات ، وبصقوا في وجهه ولعنوه وسبّوه ، وأوقف بإزاء دار الخلافة وهو في ذلك كلّه يتلو قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

ثمّ لما فُرغ من التطواف به في محالّ البلد ، وأعيد إلى المعسكر ، ألبس جلد ثور بقرنيه وعلّق بكلوب في شدقيه ، ورفع إلى الخشبة حيّاً ، فجعل يضطرب إلى آخر النهار ، فمات رحمه الله تعالى ، وكان آخر كلامه أن قال : الحمد لله الذي أحياني سعيداً وأماتني شهيداً[٢] .

وفي هذه السنة : وقع بَرد بأرض العراق ، أهلك كثيراً من الغلات ، وقتل بعض الفلاحين ، وزادت دجلة زيادة عظيمة ، وزلزلت [بغداد في هذه السنة] في شوال قبل الفتنة بشهر ، زلزالاً شديداً ، فتهدّمت دور كثيرة ، ووردت الأخبار أنّها اتصلت من بغداد إلى هَمَذان ، وواسط ، وعانة ، وتكريت ، وذكر أن الطواحين وقفت من شدّة الزلزال .

وفي هذه السنة : كثر النهب ببغداد حتى كانت العمائم تخطف [عن الرؤوس] جهرة ، حتّى إن الشيخ أبا نصر بن الصبّاغ خُطفت عمامته وطيلسانه وهو ذاهب إلى الصلاة يوم الجمعة .

وفي أواخر السنة خرج السلطان طُغْرُلْبَك من هَمَذان فقاتل أخاه وانتصر عليه ، فتباشر الناس بذلك ، وكثر سرورهم وفرحهم ، ولم يُظهروا ذلك خوفاً من البساسيري ، واستنجد طُغْرُلْبَك بأولاد أخيه داود ـ وكان قد مات ـ ومن معهم من الجنود على أخيه إبراهيم ، فغلبوه له ، وأسروه ، وذلك في أوائل سنة إحدى وخمسين واجتمعوا على عمّهم طُغْرُلْبَك فسار بهم نحو العراق فكان من أمرهم ما سيأتي ذكره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

وممن مات في هذه السنة من الأعيان :

الحسين بن محمد أبو عبد الله الفرضي [الوَنّي][٣] .

---

(١) في (ط) : جملاً أحمر .

(٢) خير من كتب في هذه الحوادث هو الخطيب البغدادي في ترجمة القائم من تاريخه (١١/ ٤٨ ـ ٥٢) إذ كان شاهد عيان ، وكان ابن المسلمة صديقاً له ، ولذلك هاجر إثر هذه الحوادث إلى بلاد الشام فما عاد منها إلا قبل وفاته بعام (بشار) .

(٣) المنتظم (٨/ ١٩٧) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦٥١) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٣٨) ، سير أعلام النبلاء =

وهو شيخ الحربي ، وكان شافعيّ المذهب قُتل ببغداد في فتنة البساسيري ، ودُفن يوم الجمعة يوم عرفة من هذه السنة ، رحمه الله .

داود أخو طُغْرُلْبَك الأكبر(١) كان مقيماً ببلخ بإزاء أولاد محمود بن سُبُكْتِكِين توفي في هذه السنة ، وقام أولاده مقامه في الملك .

طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر أبو الطيِّب الطبري(٢) ، الفقيه ، شيخ الشافعيّة .

ولد بآمُل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاثمئة ، وسمع الحديث بجرجان من أبي أحمد الغِطْريفي ، وبنيسابور من أبي الحسن الماسَرْجِسِي ، وعليه درس الفقه ، وتفقّه أيضاً على أبي على الزَّجّاجي ، وأبي القاسم بن كَجّ ، ثمَّ اشتغل ببغداد على الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وشرح « المختصر » و« فروع »ابن الحداد ، وصنف في الأصولِ والجدلِ وغير ذلك من العلوم الكثيرة النافعة ، وسمع ببغداد من الدّارقطني وغيره ، وولي القضاء برُبع الكَرخ بعد موت أبي عبد الله الصَّيْمَري ، وكان ثقة ديناً عالماً بأصول الفقه وفروعه ، وله المصنَّفات الباهرة في ذلك ، [حسن الخلق] ، سليم الصدر ، مواظباً على تعليم العلم ليلاً ونهاراً ، وقد ذكرت ترجمته في « الطبقات »(٣) بما فيه الكفاية .

وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي(٤) عنه وكان شيخه ، وقد أجلسه بعده في الحلقة : أنّ [أبا الطيب] أسلم خفّاً له [وكان متقللاً من الدنيا فقيراً] عند خفّاف ليصلحه له فأبطأ عليه ، وكان كلّما مرّ عليه غمسه في الماء وقال : [أيها الشيخ] الساعة ، الساعة ، أصلحه ، فقال له الشيخ : إنّما أسلمته لك لتصلحه ، ولم أسلمه لتعلِّمه السباحة .

وحكى ابن خلِّكان(٥) : أنّه كان له ولأخيه عمامة واحدة وقميص واحد ، إذا لبسهما هذا جلس الآخر في البيت ، [وإذا غسلاهما جلسا في البيت إلى أن يجفا] وقد قال في ذلك القاضي أبو الطيّب :

= (١٨/ ٩٩) ، طبقات السبكي (٤/ ٣٧٤) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٨٣) ، وقد ورد اسمه في (أ) و(ط) والمنتظم : الحسن ، وأعاد المصنف ترجمته في السنة التالية .
قال ابن خلّكان : « والونّي » : بفتح الواو وتشديد النون ، هذه النسبة إلى وَنّ ، وهي قرية من أعمال قهستان أظنه منها .

(١) المنتظم (٨/ ١٩٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٠٦) .

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٣٥٨) ، المنتظم (٨/ ١٩٨) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦٥١) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٦٨) ، وفيات الأعيان (٢/ ٥١٢) ، طبقات السبكي (٥/ ١٢) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٦٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٨٤) .

(٣) طبقات الشافعية للمصنف (٩٥أ) .

(٤) طبقات الشيرازي (١٢٧) .

(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٥١٤) .

قومٌ إذا غسلوا الثيابَ رأيتَهم[١] لبسوا البيوتَ إلى فراغ الغاسل

وكان قد بلغ من العمر مئة سنة وسنتين ، وهو صحيح العقل والفهم والأعضاء يفتي ويشتغل إلى أن مات في هذه السنة ، رحمه الله تعالى . [وقد ركب مرّة سفينة فلما خرج منها قفز قفزة لا يستطيعها الشباب ، فقيل له : ما هذا يا أبا الطيّب ، فقال : هذه أعضاء حفظناها في الشبيبة تنفعنا في الكِبَر] .

[القاضي الماوردي صاحب « الحاوي الكبير »][٢] علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن المَاوَرْدي البصريّ .

شيخ الشافعيين ، صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول ، والفروع ، والتفسير ، والأحكام السلطانية ، وأدب الدين والدنيا . قال : بسّطت الفقه في أربعة آلاف ورقة ، يعني : « الحاوي الكبير » ، واختصرته في أربعين ورقة ، يعني : « الإقناع » . وقد ولي الحكم في بلادٍ كثيرة ، وكان حليماً وقوراً أديباً ، لم ير أصحابه ذراعه يوماً من الدهر من شدّة تحرّزه وأدبه ، وقد استقصيت ترجمته في « الطبقات » . كانت وفاته في هذه السنة عن ست وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب . وقد أنشد له ابن خلِّكان أشعاراً منها قوله :

جـرَى قلـمُ القضـاءِ بمـا يكـونُ فَسِيَّـان التَّحـرّكُ والسُّكـونُ[٣]
جنـونٌ منـكَ أنْ تسعَـى لـرزقٍ ويُـرزقُ فـي غِشـاوتِـهِ الجنيـنُ

رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المُسلمة[٤] ، عليّ بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر أبو القاسم وزير القائم بأمر الله .

كان أولاً قد سمع الحديث من أبي أحمد الفَرَضي وغيره ، ثمّ كان أحد المعدَّلين ، ثم استكتبه الخليفة القائم بأمر الله ، واستوزره ، ولقَّبه رئيس الرؤساء ، شرف الوزراء ، جمال الورى . وكان متضلِّعاً بعلوم شتّى ، مع سداد رأي ، ووفور عقل ، وقد مكث في الوزارة ثنتي عشرة سنة وشهراً ، حتى قتله البساسيري

---

(١) في (ط) : قوم إذا غسلوا ثياب جمالهم .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) . وترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٢) ، المنتظم (٨/ ١٩٩) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦٥١) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٦٤) ، طبقات السبكي (٥/ ٢٦٧) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٦٤) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٢٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٨٥) .
قال ابن خلِّكان : الماوردي ، نسبة إلى بيع الماورد ، هكذا قاله الحافظ ابن السمعاني .
(٣) سقطت هذه الأبيات من (ط) .
(٤) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩١) ، المنتظم (٨/ ١٩٦) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٣٠) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢١٦) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٦) .

بعدما شهره ، ثمّ صلبه معلّقاً بشدقيه كما قدّمنا ذلك . [وله من العمر ثنتان وخمسون سنة وخمسة أشهر][١] .

عبد الله بن أحمد بن شيطا[٢] المسند للحديث .

وكان ثقة بصيراً بالعربية ووجوه القراءات ومذاهب القراء ، بلغ الثمانين . وله كتاب في التجويد ، رحمه الله تعالى .

منصور بن الحسين أبو الفوارس الأسدي[٣] ، صاحب الجزيرة .

كانت وفاته في هذه السنة فاجتمعت العشيرة على إقامة ولده صدقة من بعده ، والله أعلم بالصواب .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمئة

استهلت [هذه السنة] وبغداد في قبضة البساسيري يخطب فيها للمستنصر الفاطمي [صاحب مصر] والقائم [الخليفة العباسي] قاعد بحديثة عانة . ثمّ لما كان يوم الإثنين ثاني عشر صفر أحضر البساسيري قاضي القضاة أبا عبد الله الدّامغاني وجماعة من الوجوه والأعيان من العلويين والعباسيين وأخذ عليهم البيعة للمستنصر الفاطمي [صاحب مصر] ، ثمّ دخل دار الخلافة وهؤلاء المذكورون معه ، وأمر بنقض تاج دار الخلافة ؛ فنقضت بعض الشراريف ، ثم قيل له : إن القبح في هذا أكثر من المصلحة فتركه ، ثمّ ركب إلى زيارة المشهد بالكوفة[٤] ، وعزم على حفر نهر يساق إلى الحائر[٥] لوفاء نذر ما كان عليه . وأمر بأن تنقل جثة ابن المُسلمة إلى ما يقارب الحريم الطاهري وأن ينصب على دجلة ، وكتبت أمّ الخليفة ـ وكانت عجوزاً كبيرة قد بلغت السبعين[٦] ـ وهي مختفية في مكان إلى البساسيري ، تشكو إليه الحاجة والفقر وضيق الحال ؛ فأرسل إليها ونقلها إلى الحريم ، وأخدمها جاريتين ، ورتب لها كلّ يوم اثني عشر رطلاً من الخبز وأربعة أرطال لحم ، ولا يفي هذا قيراطاً مما فعله بولدها وبأهل السنّة .

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .
(٢) الكامل في التاريخ (٩/ ٦٥١) وسقطت هذه الترجمة من (ب) و(ط) .
(٣) المنتظم (٨/ ٢٠١) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦٥٠) ، تاريخ الإسلام (٩/ ٧٥٥) .
(٤) يعني مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو المعروف بالنجف .
(٥) « الحائر » : هي المعروفة اليوم بكربلاء ، محافظة من محافظات العراق تبعد عن بغداد ٩٠ كيلومتراً ، وبها قبر الحسين بن علي رضي الله عنه .
(٦) في (ط) : التسعين .

فصــــل

ولما تخلّص السلطان طُغْرُلْبَك أيده الله من حِصاره بهَمَذان ، وقاتل أخاه إبراهيم وأسره وقتله ، وتمكّن من أمره ، وطابت نفسه ، واستقرّ حاله ، ولم يبق له في تلك البلاد منازع ، كتب إلى قريش بن بدران أمير الأعراب يأمره بأن يعاد الخليفة إلى [وطنه و] داره على ما كان عليه ، وتوعّده على ترك ذلك ببأس شديد ؛ فكتب إليه قريش يتلطّف به ويسالمه ويقول : أنا معك على البساسيري بكلِّ ما أقدر عليه حتى يمكِّن الله منه ، ولكن أخشى أن أتسرع في أمر يكون فيه على الخليفة مفسدة ، أو يبادر إليه أحد بأذيّة [يكون عليّ عارها] ولكنّي سأعمل لما أمرتني بكلّ ما يمكنني ، وأمر بردّ امرأة الخليفة الخاتون المعظَّمة أرسلان خاتون إلى دارها وقرارها . ثم إنَّه راسل البساسيري ، وأشار عليه بعود الخليفة إلى داره ، وخوّفه من جهة الملك طُغْرُلْبك ، وقال له فيما قال : إنّك دعوتنا إلى طاعة المستنصر صاحب مصر ، وبيننا وبينه ستمئة فرسخ ، ولم يأتنا من جهته رسول ولا أحد [من عنده] ، ولم يفكر في شيء مما أرسلنا إليه ، وهذا الملك من ورائنا بالمرصاد [قريب منا] .

وقد جاءني كتاب من الملك طُغْرُلْبَك عنوانه : إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران ، مولى أمير المؤمنين ، من شاهنشاه المعظَّم ملك المشرق والمغرب طُغْرُلْبَك أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سُلجوق . وعلى رأس الكتاب العلامة السلطانية بخط السلطان حسبي الله [ونعم الوكيل] . وكان في الكتاب : والآن فقد شرقت بنا المقادير إلى قتال كلّ عدوّ للدين والملك ، ولم يبق علينا من المهمات إلا خِدمة سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، واطلاع أبّهة إمامته على سرير عزّه ، فإنّ الذي يلزمنا ذلك ، ولا فسحة في التضييع[١] فيه ساعة من الزمان ، وقد أقبلنا بخيول وجنود المشرق إلى هذا المهم العظيم ، ونريد من الأمير الجليل علم الدين إتمام السعي في ذلك ، إذ هو السعي النجيح الذي وفق له ، وتفرّد به ، وهو أن يتمم وفاءه من أمانته وخدمته في باب سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين من أحد الوجهين : إمّا أن يُقْبِل به إلى وكر عزِّه ، ومثوى إمامته ، وموقف خلافته من مدينة السلام ، وينتدب بين يديه متولياً أمره ، ومنفِّذاً حكمه ، وشاهراً سيفه وقلمه ، وذلك المراد ، وهو خليفتنا في تلك الخدمة المفروضة [وتلك الخدمة بعض ما يجب له] ، وتوليه العراق بأسرها ، وتصفو له مشارع برّها وبحرها ، لا تطأ حوافر خيل من خيول العجم والعرب شبراً من أراضي تلك المملكة إلا بالتماسه لمعاونته ومظاهرته ، وإمّا أن يحافظ على شخصه الغالي بتحويله من القلعة إلى حلّته ، أو في القلعة إلى حين لحاقنا بخدمته ؛ فتتكفّل بإعادته ، ويكون الأمير الجليل مخيّراً بين أن يكتفي بنا أو يقيم

---

(١) في (ط) : التقصير .

حيث شاء . فنولِّيه العراق ونستخلفه في الخدمة الإماميّة ، ونصرف أعنّتنا إلى الممالك الشرقيّة ، فهمتنا لا تقتضي إلا هذا الغرض المفترض ، ولا تشفّ إلى مملكة من تلك الممالك . بل الهمّة دينيّة ، وهو أدام الله تمكينه يتيقّن ما ذكرنا ، ويعلم أن توجّهنا إثر هذا الكتاب لهذا الغرض المعلوم ، ولا غرض سواه ، فلا تستشعرن قلوب عشائره رهبته ، فإنّهم كلّهم إخواننا ، وفي ذمّتنا وعهدنا ، وعلينا به عهد الله وميثاقه ما داموا موافقين للأمير الأجل في موالاتنا ، ومن اتصل به من سائر العرب والعجم والأكراد ، فإنّهم آمنون في جملته ، وداخلون في عهدنا وذمتنا ، وعهده وذمته ، ولكل مجترم في العراق عفونا وأمننا مما بدر منه ، إلّا البساسيري ، فإنّه لا عهد له ولا أمان منا ، وهو موكول إلى الشيطان وتساويله ، فقد ارتكب في دين الله عظيماً ، وهو إن شاء الله مأخوذ حيث وجد ، ومعذّب على ما عمل ، فقد سعى في دماء خلق كثير بسوء دخيلته ، ودلّت أفعاله على سوء عقيدته .

وكتب في رمضان سنة إحدى وخمسين وأربعمئة ، وبعث بهذا الكتاب مع رسولين من أهل العلم ، وبعث معهما بتحفٍ عظيمةٍ للخليفة وأمرهما أن يخدما الخليفة نيابة عنه . جزاه الله عن الإسلام خيراً .

ولما وصل الكتاب إلى قريش بن بدران ، استعلم أخبار الملك طُغْرُلْبَك من الرسل وغيرهم ، فإذا معه جنود عظيمة ، فخاف من ذلك خوفاً شديداً ، وبعث إلى البريّة فأمر بحفر أماكن الماء ، وتجهيز علوفات كثيرة إلى هناك . ونفّذ الكتاب والأخبار إلى البَسَاسيري ، فانزعج لذلك البساسيري ، قبحه الله ، وخارت قوّته ، وضعف أمره ، وبعث إلى أهله فنقلهم عن بغداد ، وأرصد له إقامات عظيمة بواسط ، وجعلها دار مقرَّته ، ووافق على عود الخليفة إلى بغداد ، ولكن اشترط شروطاً كثيرةً ليذهب خجله ، ولما انتقل أهل البساسيري من بغداد ، وصحبتهم أهل الكرخ والروافض ، قبحهم الله تعالى ، وانحدروا في دجلة إلى واسط ، كان خروجهم عن بغداد في سادس ذي القعدة من هذه السنة ، وفي مثله من العام الماضي دخلوا بغداد ، وعند ذلك ثار الهاشميون وأهل السّنة من باب البصرة إلى الكرخ ، فنهبوه ، وأحرقوا منه محال كثيرة جداً ، واحترق من جملة ذلك دار العلم التي كان وقفها الوزير أزدشير من مدة سبعين سنة ، وفيها من الكتب شيء كثير ، وكان في جملة ما احترق درب الزعفران وفيه ألف ومئتا دار ، لكلّ منها قيمة جليلة عظيمة ، وترحّل قريش بن بدران إلى أرض الموصل[١] ، وبعث إلى حديثة عانة يقول لأميرها مهارش بن مجلّي الذي سلّم إليه الخليفة : المصلحة تقتضي أن الخليفة تحوّله إليّ حتى نستأمن لأنفسنا بسببه ولا تسلّمه حتى تستأمن لنا ، وتأخذ أماناً في يدك دون يدي فامتنع عليه مهارش وقال : قد غرّر بي البساسيري ، ووعدني بأشياء فلم أرها ، ولست بمرسله إليك أبداً ، وله في عنقي أيمان أكيدة لا أغدرها . وكان مهارش رجلاً صالحاً ثقة أميناً رحمه الله .

---

(١) من قوله : فهمتنا لا تقتضي إلا هذا الغرض . . إلى هنا ، ساقط من (ط) .

وقال الأمير محيي الدين أبو الحارث مهارش بن مجلّي العقيلي صاحب عانة والحديثة للخليفة : من المصلحة أن نسير إلى بلد بدر بن مهلهل ، وننظر ما يكون من أمر السلطان طُغْرُلْبَك ، فإن ظهر دخلنا بغداد ، وإن كانت الأخرى نظرنا لأنفسنا ، فإنّا نخشى من البَسَاسيري أن يعود فيحصرنا في بغداد . فقال له الخليفة : افعل ما فيه المصلحة ، فسارا في الحادي والعشرين من ذي القعدة إلى أن حصلا بقلعة تل عُكْبَرا[١] ، فلقيته رسل الملك طُغْرُلْبَك بالهدايا والتحف التي كان أنفذها إليه ، وهو متشوق إليه كثيراً ، وجاءت الأخبار بأن السلطان طُغْرُلْبَك دخل بغداد ، وكان يوماً مشهوداً ، غير أن الجيش نهبوا البلد سوى دار الخلافة ، وصودر خلق كثير من التجار ، وأُخِذت منهم أموال كثيرة وشرعوا في عمارة دار الملك ، وأرسل السلطان إلى الخليفة مراكب كثيرة من أنواع الخيول وغيرها ، وسرادق عظيمة وملابس سنيّة ، ومايليق بالخليفة في السفر ، وأرسل ذلك مع [الوزير] عميد الملك الكُنْدري ، ولما انتهوا إليه أرسلوا بتلك الآلات قبل أن يصلوا إليه وقال لمن حوله : اضربوا السرادق ، وليلبس الخليفة ما يليق به ، ثم نجيء نحن فنستأذن عليه . فلا يأذن لنا إلا بعد ساعة طويلة ، فلما دخل الوزير ومن معه قبّلوا الأرض ، وأخبروه بسرور السلطان بما حصل من العود إلى بغداد ، واشتياقه إليه جداً ، وأخبروا مهارشاً بشكر السلطان له ، ونيته له بماينبغي لمثله من الإكرام[٢] . وكتب عميد الملك كتاباً إلى الملك يعلمه بصفة ما جرى الأمر عليه ، وأحبّ أن يأخذ خطّ الخليفة في أعلى الكتاب ليكون أقرّ لعين الملك ، فلم تكن عند الخليفة دواة ، فأحضر الوزير دواته ومعها سيف ، وقال : هذه خدمة السيف والقلم ، فأُعجب الخليفة بذلك ، وترحّلوا من منزلهم ذلك بعد يومين . فلمّا وصلوا إلى النّهروان خرج السلطان طُغْرُلْبَك من بغداد لتلقّيه ، فلما انتهى إلى السرادق قبّل الأرض بين يدي الخليفة سبع مرات ، فأخذ الخليفة مخدّة فوضعها بين يديه ، فأخذها الملك فقبّلها ، ثمّ جلس عليها كما أشار أمير المؤمنين ، وقدّم إلى الخليفة الحبل الياقوت الأحمر الذي كان لبني بُويه ، فوضعه بين يدي الخليفة ، وأخرج اثنتي عشرة حبّة من لؤلؤ كبار جداً . وقال : أرسلان خاتون ـ يعني زوجة الملك ـ تخدم الخليفة ، وتسأله أن يُسبّح بهذه السبحة ، وجعل يعتذر من تأخره عن الحضرة بسبب عصيان أخيه إبـراهيم ، فقتلته ، واتفق موت أخي الأكبر داود ، فاشتغلت بترتيب أولاده من بعده ، وكنت عزمت على أن أصعد إلى الحديثة لأصون المهجة الشريفة ، ولكن لمّا بلغني بحمد الله أمر مولاي أمير المؤمنين الخليفة فرحت بذلك ، وأنا شاكر لمهارش بما كان منه من خدمة أمير المؤمنين ، وأنا إن شـاء الله تعالى أمضي وراء هـذا الكلب البساسيري ، وأقتنصه ، وأعود إلى الشـام ، وأفعل بصـاحب مصر ما ينبغي أن يجازى به من سوء المقابلة ، بما كان من فعل البساسيري هاهنا ؛ فدعا له الخليفة ، وشكره على ذلك . كلّ ذلك بترجمة عميد المُلك بين الخليفة والملك طُغْرُلْبَك .

---

(١) « عكبرا » : بليدة نواحي دجيل ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .

(٢) من قوله : واشتياقه . . إلى هنا ، ساقط من (ط) .

وأعطى الخليفة للملك سيفاً كان معه ، لم يبق معه من أمور الخلافة سواه ، واستأذن الملك لبقيّة الجيش أن يخدموا الخليفة ، فرُفعت الأستار عن جوانب الخركاه[١] فلما شاهد الأتراك الخليفة قبّلوا الأرض .

ودخل الخليفة بغداد يوم الإثنين لخمس بقين من ذي القعدة ، وكان ذلك يوماً مشهوداً ، الجيش كلّه معه ، والقضاة والأعيان بين يديه ، والملك طُغْرُلْبَك آخذٌ بلجام بغلته حتى وصل إلى باب الحجرة ، ولما وصل الخليفة إلى دار ملكه ، ومقرّ خلافته ، استأذنه السلطان طُغْرُلْبَك في الخروج وراء البساسيري ، فأذن له ، وكان قد عزم على أن يمضي معه ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا أكفيك ذلك إن شاء الله ، وأطلق الملك لمهارش عشرة آلاف دينار فلم يرض ، وشرع السلطان في ترتيب الجيوش للمسير وراء البساسيري . فأرسل جيشاً من ناحية الكوفة ليمنعوه من الدخول إلى الشام ، وخرج هو في التاسع والعشرين من الشهر في بقيّة الجيش ، وأمّا البساسيري فإنَّه مقيم بواسط في جمع غلات وتمور يهيئها لقتال أهل بغداد ومن فيها من الغز[٢] ، وعنده أن الملك طُغْرُلْبَك ومن معه ليسوا بشيء يُخاف منهم ، وذلك لما يريده الله تعالى من إهلاكه على يدي الملك طُغْرُلْبَك ، جزاه الله عن الإسلام خيراً ، آمين .

صفة أخذ البساسيري قبّحه الله تعالى[٣]

لما سار السلطان نحوه ، وصلت إليه السريّة الأولى ، فلقوه بأرض واسط ومعه ابن مَزْيَد ، فاقتتلوا هنالك ، فانهزم أصحابه ، ونجا البساسيري بنفسه على فرس ، فتبعه بعض الغلمان فرمى فرسه بنشّابة فألقته إلى الأرض ، وجاء [الغلام] فضربه على وجهه ولم يعرفه ، وأسره واحد منهم يقال له : كمشتكين[٤] فحزّ رأسه وحمله إلى السلطان ، وأخذت الأتراك من جيش البساسيري من الأموال ما عجزوا عن حمله ، ولما وصل الرأي إلى السلطان أمر أن يُذهب به إلى بغداد ، وأن يُرفع على قناة ، وأن يُطاف به في المحالّ و[أن يطوف معه] الدبادب ، والبوقات ، والنفّاطون . وأن يخرج الناس والنساء للفرجة عليه ، ففُعل ذلك ، ثمّ نُصب على الطيّار تجاه دار الخلافة ، ولله الحمد والمنّة .

وقد كان مع البساسيري خلق من البَغاددة خرجوا معه ظانّين أنَّه سيعود إليها محبّة فيه ، فهلكوا ، ونهبت أموالهم كلّها ، ولم ينج من أصحابه إلا القليل ، وفرَّ ابن مَزْيَد في ناس قليل إلى البطيحة ، وفيمن

---

(١) كذا في (أ) و(ب) ، وفي (ط) : الحركات ، والخركاه : الخيمة الكبيرة المنصوبة بالفارسية .
(٢) في (ط) : وأمور يهيئها لقتال السلطان .
(٣) كذا العنوان في (أ) و(ب) وفي (ط) : مقتل البساسيري على يدي السلطان طغرلبك .
(٤) في (ب) : لمشكين ، وفي (ط) : كمسكين .

معه أولاد البساسيري وأُمُّهم ، وقد سلبتهم الأعراب ، فلم يتركوا لهم شيئاً ؛ فوردوا البطيحة مسلوبين محزونين ، ثمّ استُؤمن لابن مَزْيَد من السلطان ، ودخل معه بغداد ، وقد نهبت العساكر السلطانية مابين واسط والبصرة والأهواز ، وذلك لكثرة الجيش ، وانتشاره وكثافته .

وأمّا الخليفة فإنّه لما عاد إلى دار الخلافة جعل لله عليه عهداً أن لا ينام على وطأ ، ولا يأتيه أحد بطعامه إذا كان صائماً ، ولا يخدمه في وضوئه وغسله [أحد] ، بل يتولّى ذلك بنفسه لنفسه ، وعاهد الله أن لا يؤذي أحداً ممن آذاه ، وأن يصفح عمن ظلمه ، وكان يقول : ما عاقبت من عصى الله فيك بأكثر من أن تطيع الله فيه .

وفيها : ولي الملك ألب أرْسَلان بن داود جَغْريبَك بن ميكائيل بن سُلجوق بلاد خراسان[١] بعد وفاة أبيه بتقرير عمه الملك طُغْرُلْبَك ، وكان له من الإخوة ثلاثة : سليمان ، وقارون ، وياقوت[٢] ، فتزوّج طُغْرُلْبَك بأم سليمان هذا ، وأوصى له بالملك من بعده .

وكان في هذه السنّة بمكة رخص لم يسمع بمثله ، إذ بيع البرّ والتمر كلّ مئتي رطل بدينار .

ولم يحجّ أحد من أهل العراق في هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان والمشاهير :

أرْسلان ، أبو الحارث البَسَاسِيريّ التركي[٣] كان من مماليك بهاء الدولة بن عَضُدِ الدولة ، وكان أولاً مملوكاً لرجل من أهل مدينة بسا فنسب إليه ، فقيل له البساسيري ويلقب بالمظفَّر ، ثمّ كان مقدّماً كبيراً عند الخليفة القائم بأمر الله ، لا يقطع أمراً دونه ، وخطب له على منابر العراق كلّها ، ثمّ طغى وبغى وتمرّد وعتا ، وخرج على الخليفة بل وعلى المسلمين ، ودعا إلى خلافة الفاطميين ، فتمّ له ما رامه من الأمل الفاسد ، واستدرج[٤] ، ثمَّ كان أجله في هذه السنة ، على ما ذكرنا ، ولله الحمد . كان دخوله بأهله إلى بغداد في سادس ذي القعدة من سنة خمسين وأربعمئة ، ثمّ اتفق خروجهم منها في سادس ذي القعدة من سنة إحدى وخمسين بعد سنة هلالية كاملة . ثمّ كان خروج الخليفة من بغداد في يوم الثلاثاء الثامن عشر من

---

(١) في (ط) : حران . خطأ .

(٢) في (ط) : قاروت وياقوتي .

(٣) المنتظم (٨/ ٢١٢) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٥٥٥) وما بعدها ، وفيات الأعيان (١/ ١٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٣٢) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٣٤٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٨٧) .
قال الذهبي : البساسيري : نسبة إلى تاجر باعه من أهل فَسَا ، والصواب : فسوي ، فقيلت على غير قياس كعادة العجم .

(٤) من قوله : بل وعلى المسلمين . . إلى هنا ساقط من (ط) .

كانون الأول . واتفق قتل البساسيري في يوم الثلاثاء الثامن عشر من كانون الأول بعد سنة شمسيّة ، وذلك في ذي الحجة من هذه السنة .

الحسن بن أبي الفضل(١) أبو علي الشَّرْمَقَاني ، المؤدِّب ، المقرىء ، الحافظ [للقرآن] والقراءات واختلافها .

كان ضيّق الحال فرآه شيخه ابن العلاف ذات يوم وهو يأخذ أوراق الخسّ من دجلة فيأكلها ؛ فأعلم ابن المُسلمة [بحاله] فأمر غلاماً له أن يذهب إلى الخزانة التي بمسجده ليتخذ لها مفتاحاً غير مفتاحه ، ثمّ كان يضع فيها كلّ يوم ثلاثة أرطال من خبز السميد ، ودجاجة ، وحلاوة سكر ؛ فظنّ أبو علي الشَّرْمَقَاني أنَّ ذلك كرامة [أكرمه الله بها] ، وأنَّ هذا الطعام [الذي يجده في خزانته] من الجنَّة ؛ فكتمه زماناً ، وجعل ينشد في غالب أوقاته :

مَنْ أَطْلَعُوهُ عَلى سِرٍّ فباحَ بهِ ... لمْ يَأْمَنُوهُ على الأسرارِ ما عَاشَا
[وأبْعَدُوهُ فلم يَظْفَرْ بِقُرْبِهِمُ ... وأبْدَلُوهُ فكانَ الأنسُ إيحاشا]

فلما كان في بعض الأيام ، ذاكره ابن العلاف في أمره ، وقال [فيما قال] له : أراك قد سمنت ، فما هذا الأمر وأنت رجل فقير ! فجعل يلوّح ولا يصرّح ، ويُكنّي ولا يُفصح ، ثم [ألحّ عليه] فأخبره بأنّه يجد كلّ يوم في خزانته من طعام الجنّة ما يكفيه [وأن هذا كرامة أكرمه الله بها] ، فقال له : ادعُ لابن المُسلمة ، فإنَّه الذي يفعل معك ذلك . وشرح له صورة الحال ، فانكسر ، ولم يعجبه ذلك .

علي بن محمود بن إبراهيم(٢) بن ماخُرَّة(٣) أبو الحسن الرَّوْزَني .

شيخ الصوفية ، وإليه ينسب رباط الروزني ، وقد كان بُني لأبي الحسن الحُصْريّ شيخه ، وقد صحب أبا عبد الرحمن السُّلَميّ ، وقال : صحبت ألف شيخ ، وأحفظ عن كلِّ شيخ حكاية . توفي في رمضان عن خمس وثمانين سنة .

محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي(٤) أبو طالب الحَرْبيّ ، المعروف بالعُشَاري ، وإنَّما قيل له ذلك لطول جدّه(٥) .

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٤٠٢) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٤١٢) .
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ١١٥) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢١) .
(٣) تحرفت في (ط) إلى ما جود . وقال الخطيب : كان يقول لنا : كان جدي ماخرة مجوسياً .
(٤) تاريخ بغداد (٣/ ١٠٧) ، المنتظم (٨/ ٢١٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٨) ، الوافي بالوفيات (٤/ ١٣٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٨٩) .
(٥) تحرفت في (ط) والمنتظم إلى : جسد .

وقد سمع الدَّارقطنيّ وغيره ، وكان ثقة ديّناً صالحاً ، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة وقد نيف على الثمانين .

الوَنّي الفرضي(١) الحسين بن محمد ، أبو عبد الله الوَنّي ، نسبة إلى وَنّ ، قرية من أعمال قهستان(٢) ، الفَرَضي ، شيخ الخبري ـ وهو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم ـ كان الونّي إماماً في الحساب والفرائض ، وانتفع الناس به ، توفي في هذه السنة ببغداد شهيداً في فتنة البساسيري .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وأربعمئة

في يوم الخميس السابع عشر من صفر ، دخل السلطان إلى بغداد ، مرجعه من واسط بعد قتل البَسَاسيري .

وفي يوم الحادي والعشرين منه جلس الخليفة بدار الخلافة وحضر الملك طُغْرُلْبَك ، ومدَّ سِماطاً عظيماً بين يديه فأكل الأمراء منه والعامّة .

ثمّ في يوم الخميس ثاني ربيع الأول ، عمل الملك طُغْرُلْبَك سماطاً عظيماً [للناس] أيضاً .

وفي يوم الثلاثاء تاسع جمادى الآخرة ؛ ورد الأمير عدّة الدين أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدّين بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، وجدّته وعمته وله من العمر يومئذ أربع سنين صحبة أبي الغنائم بن المحلبان ؛ فتلقّاه الناس إجلالاً لجدِّه ، وقد ولي هو الخلافة بعد ذلك ، وهو المقتدي بأمر الله .

وفي رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال العتّابي دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام ، ونقل إليها ألف كتاب عوضاً عن دار كتب أزدشير التي احترقت بالكرخ .

وفي شعبان ملك محمود بن نصر حلب وقلعتها ، فامتدحه الشعراء .

وملك عطيّة بن صالح بن مرداس الرحبة ، وذلك كلّه يُنْتَزَعُ من أيدي الفاطميين .

وفيها : عاد الملك طُغْرُلْبَك إلى الجبل ، وعقد بغداد على العميد بمئة ألف دينار في السنة ، ولسنتين بعدها بثلاثمئة ألف دينار ، فشرع العميد في عمارة الكرخ وأسواقه .

---

(١) المنتظم (٨/١٩٧) ، الكامل في التاريخ (٩/٦٥١) ، وفيات الأعيان (٢/١٣٨) ، طبقات السبكي (٤/٣٧٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/٩٩) ، شذرات الذهب (٣/٢٨٣) . وقد ذكره المصنف رحمه الله مع وفيات السنة السابقة .

(٢) في معجم البلدان : قرية من قرى قوهستان .

ولم يحجّ أحد من أهل العراق في هذه السنة ، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة وذهبوا مع طائفة من الخفر .

وممن توفي فيها من الأعيان :

باي بن جعفر بن باي أبو منصور الجيْلي[(١)] .

من تلامذة الشيخ أبي حامد ، وولي القضاء بباب الطاق ، وبحريم دار الخلافة ، وسمع الحديث من جماعة .

قال الخطيب[(٢)] : وكتبنا عنه ، وكان ثقة رحمه الله تعالى .

الحسن بن محمد بن أبي الفضل[(٣)] أبو محمد النَّسَوي[(٤)] الوالي .

سمع الحديث ، وكان ذكيًا في صناعة الولاية[(٥)] ومعرفة التُّهَم [والمتهومين] من بين الغرماء بلطف من الصنيع ، كما نُقل عنه أنّه وقف بين يدي جماعة اتهموا بسرقة ، فأتي بكوز ليشرب منه فرمى به ، فانزعج الواقفون إلا واحداً ، فأمر به أن يقرر ، وقال : السارق يكون جريئاً قويًا فوجد الأمر كذلك . وقد قتل مرةً واحداً ، وضرب بين يديه ، فادُّعي عليه عند القاضي أبي الطيِّب الطبري فحكم عليه بالقصاص ، ثمّ فادى عن نفسه بمال جزيل حتى خلص من القتل .

محمد بن عُبيد الله بن أحمد بن محمد بن عُمْروس[(٦)] أبو الفضل البزار .

انتهت إليه رئاسة الفقهاء المالكيين ببغداد ، وكان من القرّاء المجوّدين ، وأهل الحديث المُسندين ، سمع ابن حَبابة ، والمُخَلِّص ، وابن شاهين . وقد قبل شهادته أبو عبد الله الدّامغاني ، فكان أحد المعدَّلين .

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ١٣٦) ، المنتظم (٨/ ٢١٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٣) ، طبقات الإسنوي (١/ ٣٥٧) ، توضيح المشتبه (١/ ٢٩٩) . وقد تحرف اسمه في (أ) إلى : بالي ، وفي (ب) إلى : بابي .

(٢) تاريخ بغداد (٧/ ١٣٦) .

(٣) المنتظم (٨/ ٢١٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٢) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٣٣) .

(٤) نسبة إلى نَسَا .

(٥) يعني الشرطة ، كما صَرَّح الذهبي في تاريخ الإسلام .

(٦) تاريخ بغداد (٢/ ٣٣٩) ، الأنساب (٩/ ٥٤) ، المنتظم (٨/ ٢١٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٣) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٧٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٩٠) .
« وعمروس » : ضبطه السمعاني بفتح العين ، وضبطه الفيروزآبادي بضمها ، وقال : وفتحه من لحن المحدثين . وقد تحرف في (ط) إلى : عروس . وفي المنتظم إلى : ابن عمرو بن أبي الفضل .

قَطْرُ النَّدَى[١] ويقال : بَدْرُ الدُّجى ، ويقال : علم ، أمُّ الخليفة القائم بأمر الله ، كانت عجوزاً كبيرة ، وقد بلغت التسعين سنة ، وكانت أرمنية ، وقد احتاجت في زمان البساسيري ، وألجأتها الحاجة ، حتى كتبت إليه رقعة تشكو فقرها وحاجتها ، فأجرى عليها رزقاً ، وأخدمها جاريتين ، وهذا كان من أحسن ما صنع ، ثمّ لم تمت حتى أقرّ الله عينها بولدها ، وأهله ، ورجوعهم إلى دار الخلافة على ما كانوا عليه ، ثمّ توفّيت في رجب من هذه السنة ، فحضر الخليفة جنازتها ، وكانت حافلة جداً . رحمها الله تعالى وأكرم مثواها .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة

فيها : خطب الملك طُغْرُلْبَك ابنة الخليفة ، فانزعج من ذلك ، وقال : هذا شيءٌ لم تجر العادة بمثله . ثمّ طلب أشياء كثيرة ، كهيئة المُبْعِدِ له من ذلك . وهو ما كان لزوجته التي توفيت من الإقطاعات بأرض واسط ،و صداق ثلاثمئة ألف دينار ، وأن يقيم الملك ببغداد لا يترحّل عنها ، ولا يحيد عنها يوماً أبداً ، فوقع الاتفاق على بعض ذلك ، وأرسل إليها بمئة ألف دينار مع ابنة أخيه داود ، زوجة الخليفة أرسلان خاتون ، وأشياء كثيرة من آلات الذهب والفضة ، والنثار ، والجواري ، والكراع ، ومن الجواهر ألفان ومئتا قطعة ، من ذلك سبعمئة وعشرون قطعة من جوهر ، وزن كلّ واحدة ما بين الثلاثة مثاقيل إلى المثقال ، وأشياء كثيرة ، فتمنّع الخليفة لفوات بعض الشروط ، فغضب عميد الملك [الوزير] الكُنْدري لمخدومه [السلطان] ، وجرت شرور طويلة اقتضت أن أرسل السلطان كتاباً يأمر فيه بانتزاع ابنة أخيه السيدة أرسلان خاتون ، ونقلها من دار الخلافة إلى دار الملك حتى تنفصل هذه القضيّة ، وعزم الخليفة على النقلة من بغداد ، وأصلح الطيّار ، فانزعج الناس لذلك ، وجاء كتاب السلطان إلى [رئيس] شحنة بغداد برشق[٢] يأمره بعدم المراقبة ، وكثرة العسف في مقابلة ردّ أصحابنا بالحرمان ، وعزم على نقلة الخاتون إلى دار المملكة ليرسل من يحملها إلى البلدة التي هو فيها ، وكلّ ذلك غضب على الخليفة ؛ فإنّا لله وإنا إليه راجعون .

قال ابن الجوزي[٣] : وفي رمضان رأى إنسان من الزّمنى رسول الله ﷺ في المنام وهو قائم ، ومعه ثلاثة أنفس ، فجاء إليه أحدهم فقال له : ألا تقوم . فقال : لا أستطيع ، أنا رجل مقعد . فأخذ بيده وقال : قم ، فقام ، وانتبه ؛ فإذا هو بريء ، وأصبح يمشي في حوائجه .

---

(١) المنتظم (٨/ ٢١٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٣) .
(٢) في (ط) : برشتق ، وفي (ب) : برسق .
(٣) المنتظم (٨/ ٢٢٢) .

وفي ربيع الآخر استوزر الخليفة أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست الأهوازي ، وخلع عليه ، وجلس في مجلس الوزارة .

وفي جمادى الآخرة لليلتين بقيتا منه ، كسفت الشمس كسوفاً عظيماً ، جميع القرص غاب فمكثت أربع ساعات ، حتى بدت النجوم ، وآوت الطيور إلى أوكارها وتركت الطيران وذلك لشدة الظّلمة .

وفيها : وَلِيَ [أبو تميم] إبراهيم بن معزّ(١) بن باديس بلاد إفريقية بعد وفاة أبيه صاحبها .

وفيها : ولي نصر بن نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي ديار بكر بعد أبيه أيضاً .

وفيها : ولي سيف الدولة بن قريش بن بدران بلاد الموصل ونصيبين بعد أبيه .

وفيها : خُلع على طِراد بن محمد الزَّيْنَبي الملقَّب بالكامل ، وولي نقابة العباسيين ، وخُلع على أسامة بن أبي عبد الله بن علي ، وقلّد نقابة(٢) الطالبيين ، ولقّب بالمرتضى .

وفيها : ضمن أبو إسحاق إبراهيم بن علان اليهودي ضياع الخليفة من صرصر إلى أوانا ، كلّ سنة بستة وثمانين ألف دينار ، وسبعة عشر ألف كُرٍّ من غلّة .

ولم يحجّ أحدٌ من أهل العراق في هذه السنة .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أحمد بن مروان(٣) أبو نصر الكردي ، صاحب بلاد بكر ، وميّافارِقين ، لقبه القادر بالله نصر الدولة .

ملك هذه البلاد ثنتين وخمسين سنة ، وتنعّم تنعّماً لم يقع لأحد من أهل زمانه ولا أدركه فيه أحد من بعده [من أقرانه] . كان عنده خمسمئة سرِّيّة ، سوى من يخدمهن ، وعنده خمسمئة خادم . وعنده من المغنّيات شيءٌ كثير ، كلّ واحدة مشتراها خمسة آلاف دينار وأكثر ، وكان يحضر في مجلسه من الآلات والأواني ما يساوي مئتي ألف دينار ، وتزوّج بعدة من بنات الملوك .

وكان كثير المهادنة للملوك ، إذا قصده عدوّ أرسل إليه بمقدار ما يغرمه على حربه ، ويصالحه بذلك ، فيرجع عنه .

وقد أرسل إلى الملك طُغْرُلْبَك بهديّة عظيمة حين ملك العراق ، من ذلك جَبَل(٤) من ياقوت كان يكون

(١) في (ط) : « معز الدولة » ، وهو خطأ بيّن (بشار) .
(٢) من قوله : وولي نقابة العباسيين . إلى هنا ساقط من (ط) .
(٣) المنتظم (٨/ ٢٢٢) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٧) ، وفيات الأعيان (١/ ١٧٧) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١١٧) ، دول الإسلام (١/ ٢٦٦) ، الوافي بالوفيات (٨/ ١٧٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٩٠) .
(٤) في (ط) : « حبل » بالحاء المهملة ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الذي في كامل ابن الأثير وتاريخ الإسلام =

لبني بويه ، اشتراه بمقدار عظيم ، وبعث إليه بمئة ألف دينار عيناً ، وغير ذلك . وزر له أبو القاسم المغربي مرتين ، ووزر له أيضاً أبو نصر محمد بن محمد بن جَهِيْر فخر الملك ، وكانت بلاده من آمن البلاد وأطيبها ، وأكثرها عدلاً . وقد بلغه أن الطيور تتنجع في الشتاء [فتخرج] من الجبال إلى القرى فيصطادها الناس ، فأمر بفتح الأهراء(١) وإلقاء ما يكفيها من الغلات مدّة الشتاء . فكانت تكون في ضيافته طول [الشتاء مدة] عمره ، وكانت وفاته في هذه السّنة وقد قارب الثمانين أو جاوزها .

وقال ابن خلِّكان(٢) : قال ابن الأزرق في « تاريخه » : إنّه لم يصادر أحداً من رعيته سوى رجل واحد ، ولم تفته صلاة مع كثرة مباشرة اللّذات ، كانت له ثلاثمئة وستون حظيّة يبيت عند كلِّ واحدة ليلة من السّنة ، وخلّف أولاداً كثيرة ، ولم يزل على ذلك الحال إلى أن توفي في التاسع والعشرين من شوال هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمئة

فيها : وردت الكتب الكثيرة من الملك طُغْرُلْبَك تشكو قلّة إنصاف الخليفة ، وعدم موافاته بما أسداه إليه من الخدم والنّعم إلى الملوك بالأطراف ، وقاضي القضاة ابن الدّامغاني ؛ فلمّا رأى الخليفة ذلك ، وأن الملك قد أرسل إلى نوّابه بالحوطة على أملاك الخليفة ، وقد انزعج لذلك ، كتب إلى الملك طُغْرُلْبَك يجيبه إلى ما سأل ، فلما وصل ذلك إلى طُغْرُلْبَك فرح بذلك فرحاً شديداً ، وأرسل إلى نوّابه أن يطلقوا الأملاك الخليفيّة ، فلما انتهت الركابية بذلك إلى بغداد ، دقت البشائر بدار الخلافة ، وطيف بالركابيّة بين أيديهم الدبادب والبوقات ، وفرح الناس بإجابة الخليفة إلى ذلك(٣) ، واتفقت الكلمة [بعد أن كادت تتفرق] ، فوكل الخليفة في العقد ، وكتب بذلك وكالة ، ثمّ وقع العقد بمدينة تبريز بحضرة الملك طُغْرُلْبَك ، وعمل سماطاً عظيماً ، ولما جيء بالوكالة قام لها الملك ، وقبّل الأرض عند رؤيتها [ودعا للخليفة دعاءً كثيراً] ، ثمّ أوجب العقد على صداق أربعمئة ألف دينار ، وكثر دعاء الناس للخليفة ، وذلك في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان من هذه السنة . ثم بعثت ابنة أخيه الخاتون أرسلان زوجة الخليفة في شوال بتحف عظيمة ، وذهب كثير ، وجواهر عديدة ثمينة ، وهدايا عظيمة ، لأمّ العروس وأهلها كلِّهم ، وقال الملك للناس جهرة : أنا عبدٌ قِنّ للخليفة ما بقيت ، لا أملك شيئاً سوى ما عليّ من الثياب .

= (١٠/ ٣٦) والسير .

(١) « الأهراء » : جمع هُرْي بالضم : بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان .

(٢) وفيات الأعيان (١/ ١٧٧) .

(٣) من قوله : فلما انتهت الركابية . . إلى هنا ساقط من (ط) .

وفيها : عزل الخليفة وزيره ، واستوزر أبا نصر محمد بن محمد بن جَهِير ، استقدمه من ميَّافارقين .

وفيها : عمَّ الرخص جميع الأرض ، حتى بيع بالبصرة كل ألف رطل تمر بثمان قراريط [ولم يحجّ فيها أحد] . والله أعلم .

ومِمن توفي في هذه السنة من الأعيان :

ثِمال بن صالح[(١)] معزّ الدولة صاحب حلب .

كان كريماً حليماً وقوراً . ذكر ابن الجوزي : أنّ الفرّاش تقدّم إليه ليغسل يده فصدمت بلبلة الإبريق ثنيته فسقطت في الطست ، فعفا عنه ، رحمه الله تعالى .

الحسن بن علي بن محمد[(٢)] [أبو محمد] ، الجوهري .

ولد في شعبان سنة ثلاث وستين وثلاثمئة ، وسمع الحديث على جماعة ، وتفرّد بمشايخ كثيرة منهم : أبو بكر بن مالك القطيعي ، وكان آخر من حدّث عنه ، توفي في ذي القعدَة منها .

الحسين بن أبي زيد[(٣)] أبو علي الدَّباغ قال : رأيت النبيّ ﷺ في المنام فقلت : يا رسول الله : ادعُ الله أن يحييني على الإسلام ، فقال : وعلى السنّة ، وعلى السنّة ، وعلى السنّة ، رحمه الله تعالى .

سعد بن محمد بن منصور[(٤)] أبو المحاسن الجُولَكي[(٥)] ، كان من الرؤساء القدماء ، وجّه رسولاً إلى الملك محمود بن سُبُكْتكين في حدود سنة عشر ، وكان من الفقهاء العلماء تخرّج به جماعة ، وروى عن جماعة الحديث . وعقد له مجلس النظر ببلدان كثيرة ، وقُتل ظلماً بإستراباذ في رجب من هذه السنة ، رحمه الله تعالى وإيّانا بمنّه وكرمه .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمئة

فيها : دخل السلطان طُغْرُلْبَك بغداد ، وعزم الخليفة على تلقّيه ، ثمّ ترك ذلك ، وأرسل وزيره أبا نصر عوضاً عنه ، وكان من جيش الملك أذيّة كثيرة للناس في الطريق ، وتعرّض للحريم ،

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٢٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٤) ، الوافي بالوفيات (١١/ ١٦) .

(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٣٩٣) ، المنتظم (٨/ ٢٢٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٦٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٩٢) .

(٣) تاريخ بغداد (٨/ ١١٠) ، المنتظم (٨/ ٢٢٨) .

(٤) المنتظم (٨/ ٢٢٨) .

(٥) في (ط) : « الجرجاني » محرفة ، وهو منسوب إلى جولك الغازي ، على ما ظن أبو سعد السمعاني في « الجولكي » من الأنساب . وينظر تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٦) (بشار) .

حتى أنّهم هجموا على النساء في الحمامات ، فخلصهنّ منهم العامّة بعد جهد جهيد .

دخول الملك طُغْرُلْبَك على بنت الخليفة

لما استقرّ الملك طُغْرُلْبَك ببغداد ، أرسل وزيره عميد الملك إلى الخليفة يطالبه بنقل السيدة من الدار العزيزة النبويّة إلى دار المملكة ، فتمنّع الخليفة من ذلك وقال : إنّكم إنّما سألتم أن يعقد العقد فقط لحصول التشريف ، والتزمتم لنا بعدم المطالبة بها ، فتردد [الناس] في ذلك ، بين الخليفة والملك ، وأرسل الملك زيادة على النقد مئة ألف دينار ، وخمسين ألف درهم(١) ، وتحفاً أخر ، وأشياء لطيفة ، فلما كان ليلة الإثنين الخامس عشر من صفر من هذه السنة زُفّت السيدة ابنة الخليفة إلى دار المملكة ، فضربت لها السرادقات من دجلة إلى دار المملكة ، وضربت الدبادب والبوقات عند دخولها دار المملكة ، وكانت ساعة عظيمة ، [فلما دخلت] جلست على سرير مكلّل بالذهب ، وعلى وجهها برقع ، ودخل الملك طُغْرُلْبَك فوقف بين يديها ، وقبّل الأرض ولم تقم له [ولم تره] ولم يجلس حتى انصرف إلى صحن الدار ، والحجّاب والأتراك يرقصون هناك فرحاً وسروراً ، وبعث لها مع الخاتون أرسلان ابنة أخيه زوجة الخليفة عقدين فاخرين ، وقطعة ياقوت حمراء كبيرة هائلة ، ودخل من الغد فقبّل الأرض ، وجلس على سرير مكلّل بالفضة بإزائها ساعة ثمّ خرج ، وأرسل إليها جواهر كثيرة ثمينة ، وفرجيّة(٢) نسيج مكلّلة باللؤلؤ ، وما زال كذلك كلّ يوم يدخل ، ويقبّل الأرض ، ويجلس على السرير بإزائها ، ثمّ يخرج فيبعث التحف والهدايا ، ولم يكن منه إليها شيء ، ويمدّ في كلّ يوم من هذه الأيام السبعة سماطاً عظيماً ، وخلع يوم السابع على جميع الأمراء . ثمّ عرض له سفر ، واعتراه مرض ، فاستأذن الخليفة في الانصراف بالسيدة معه إلى تلك البلاد مدّة قريبة ، ثمّ يعود بها ، فأذن بها الخليفة بعد تمنّع شديد ، وحزن عظيم ، فخرج بها معه ، وليس معها من دار الخلافة سوى ثلاث نسوة برسم خدمتها ، وتألّمت والدتها لفقدها ألماً عظيماً جدًّا لا يُعبّر عنه ، وخرج السلطان وهو مريض مدنف مأيوس منه ، مثقل لا ترجى منه العافية .

فلمّا كانت ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان جاء الخبر بأن الملك طُغْرُلْبَك توفي في ثامن الشهر رحمه الله تعالى . فثارت العيّارون بهمَذان ، فقتلوا العميد والشحنة وسبعمئة من أصحابه ، ونهبوا الأموال ، وجعلوا يأكلون ويشربون على القتلى نهاراً حتى انسلخ الشهر لعنهم الله وقبّحهم . وأخذت البيعة بعده لولد أخيه سليمان بن داود ، وكان طُغْرُلْبَك قد نصّ عليه ، وأوصى إليه ، لأنّه كان تزوّج بأمّه بعد أبيه ، واتفقت الكلمة [عليه] وأنفقت في الأمراء والأتراك الأموال والخلع ، ولم يبق عليهم خوف إلا من

---

(١) في (أ) : وخمسة آلاف درهم ، وفي (ط) : مئة وخمسين ألف درهم ، وما أثبت من (ب) والمنتظم (٢٢٩/٨) .

(٢) « الفرجية » : ثوب له فتحة من الأمام أو الخلف .

جهة أخي سليمان وهو الملك عضد الدولة ألب آرسلان محمد بن داود ، فإن الجيش كانوا يميلون إليه ، ويقبلون عليه ، وقد خطب له أهل الجبل ومعه لنظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق وزيره ، ولما رأى الكُنْدري قوة أمره خطب له بالريّ ، ثمّ من بعده لأخيه سليمان بن داود . وقد كان الملك طُغْرُلْبَك عاقلاً حليماً ، كثير الاحتمال ، شديد الكتمان للسرّ ، محافظاً على الصلوات ، وعلى صوم الاثنين والخميس ، مواظباً على لبس البياض ، وكان عمره يوم مات سبعين سنة ، ولم يترك ولداً ، وكان مدة ملكه بحضرة القائم بأمر الله سبع سنين وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً ، ولما مات اضطربت الأحوال وانتفضت الأمور بعده جدًّا ، وعاثت الأعراب في سواد بغداد وأرض العراق ينهبون الأموال ويشلّحون الرجال ، وتعذّرت الزراعة إلا على المخاطرة ، فانزعج لذلك الناس .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة بواسط وأرض الشام ، فهدمت قطعة من سور طرابلس .

وفيها : وقع مُوتان بالجدريّ والفجأة ، ووقع بمصر وباءٌ شديد ، كان يخرج منها في كلّ يوم ألف جنازة .

وفيها : ملك الصُّلَيحي صاحب اليمن مكّة ، وجلب الأقوات إليها ، وأحسن إلى أهلها .

وفي أوائل هذه السنة طلبت الست أرسلان خاتون زوجة الخليفة النقلة من عنده إلى عمّها ، وذلك لمّا هجرها بالكليّة وبارت عنده ، فبعثها الخليفة مع الوزير الكُنْدَري ، فلمّا وصلت إلى عمّها كان مريضاً مدنفاً مثقلاً ، فأرسل إلى الخليفة يعتب عليه في تهاونه بها ، فكتب إليه الخليفة يقول ارتجالاً :

ذهبتْ شِدَّتي وولّى الغرامُ ... وارتجاعُ الشّبابِ مَا لا يُرامُ
أذهبَتْ مني اللّيالي جَديداً ... واللّيالي يَضعُفْن والأيامُ
فَعَلى ما عَهدتُهُ من شبابي ... وعلى الغَانياتِ منّي السلامُ

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

زهير بن الحسن بن علي(١) بن خدام أبو نصر الخِدامي(٢) .

ورد بغداد ، فتفقّه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وسمع بالبصرة « سنن أبي داود » على القاضي أبي عمر ، وحدّث بالكثير ، وكان يُرجع إليه في الفتاوى وحلّ المشكلات . كانت وفاته بسرخس في هذه السنة .

---

(١) في (ط) : « زهير بن علي بن الحسن » مقلوب ، وما أثبتناه هو الصواب ، وترجمه الذهبي في وفيات السنة الماضية من تاريخه ، وقال : وقيل إنه توفي سنة خمس وخمسين (تاريخ الإسلام ١٠/ ٤٦) (بشار) .

(٢) الأنساب (٥/ ٥٦ الخدامي) ، المنتظم (٨/ ٢٣٢) وسقط منه « زهير » اسم المترجم ، وتحرفت نسبته فيه إلى : الجذامي ، طبقات السبكي (٤/ ٣٧٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٣٤) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٩٢) .

سعيد بن مروان صاحب آمد[١] .

يقال : إنّه سُمّ ، فانتقم سعيد صاحب ميّافارقين ممن سمّه ، فقطّعه قطعاً .

الملك الكبير أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سُلْجوق بن تقاق[٢] ، الملقب طُغْرُلْبَك[٣] .

وكان أول ملوك السَّلاجقة ، وكان خيِّراً مُصلِّياً محافظاً على الصلوات في أوقاتها يديم صيام الإثنين والخميس ، حليماً عمن أساء إليه ، كتوماً للأسرار ، سعيداً في حركاته وتقلّباته ، ملك في أيام محمود بن سُبُكْتِكين عامة بلاد خراسان ، واستناب أخاه داود ، وأخاه لأمّه إبراهيم ينّال ، وأولاد إخوته على كثير من البلاد ، ثمّ استدعاه الخليفة لملك العراق حين فسد الحال ببغداد من البساسيري ، وضعف الملك الرحيم ؛ فقدمها ، وجلس له الخليفة ، وخَلَعَ عليه سبع خلع ، ولقّبه بملك المشرق والمغرب ، ثمّ اشتغل بقتال أخيه إبراهيم حين كان من أمر البساسيري ما ذكرناه ، ثمّ ظفر بأخيه إبراهيم فقتله ، ثمّ عاد إلى بغداد فاستعادها وأعاد الخليفة من حديثة عانة إلى دار خلافته ، ومقرّ سعادته ، ثمّ سعى في التزويج ببنت الخليفة فتزوجها بعد تمنّع من الخليفة ، ودخل بها في هذه السنة ، ففرح كما ذكرنا ، ولكنه لم يمتّع بها ، فإنّه عرض له مرض متلف ، واستمر به حتى كانت وفاته في ثامن شهر رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبعون سنة ، وكان له في الملك مدة ثلاثين سنة ، منها في مملكة العراق ثماني سنين إلا ثمانية عشر يوماً .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمئة

فيها : قبض السلطان ألْب آرسلان على وزير عمّه عميد الملك الكُنْدري ، وسجنه في بعض القلاع سنة ، ثمّ أرسل إليه من قتله ، واعتمد في الوزارة على نظام الملك ، وكان وزير صدق ، يكرم العلماء والفقراء . ولما عصى الملك شهاب الدولة قتلمش ، وخرج عن الطاعة ، وطمع في أخذ الملك من ألب

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٣٢) .

(٢) في بعض النسخ : « نعاق » ، محرف ، وما أثبتناه هو الموافق لمصادر ترجمته ، ويقال فيه « دقاق » بالدال المهملة بدل التاء ثالث الحروف (بشار) .

(٣) المنتظم (٨/ ١٩٠ ـ ٢٣٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٢ ـ ٢٨) ، وفيات الأعيان (٥/ ٦٣) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٠٧) ، الوافي بالوفيات (٥/ ١٠٢) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٧٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٩٤) ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة (١٢ ، ٣٢٢ ـ ٣٣٣) .
قال ابن خلّكان : طغرلبك ، بضم الطاء المهملة ، وسكون الغين المعجمة ، وضم الراء ، وسكون اللام ، وفتح الباء الموحدة ، وبعدها كاف ، وهو اسم علم تركي ، مركب من طغرل : وهو اسم علم بلغة الترك لطائر معروف عندهم ، وبه سمي الرجل ، وبك : معناه الأمير ، وضبطه ابن تغري بردي بكسر الراء .

أرسلان ، وكان من بني عم طُغْرُلْبَك ، فجمع وحشد واحتفل له ، وخاف منه ألب أرسلان ؛ قال له الوزير : أيها الملك لا تخف ، فإني قد استخدمت لك جنداً ليليّاً [ما بارزوا عسكراً إلا كسروه كائناً ما كان . فقال له الملك : من هم ؟ قال : جند] يدعون لك وينصرونك بالتوجّه في صلواتهم وخلواتهم ، وهم العلماء [والفقراء] والصلحاء ، فطابت نفسه بذلك ، وحين التقى مع قتلمش لم ينتظره أن كسره ، وقتل خلقاً من جنوده ، وقتل قتلمش في المعركة ، واجتمعت الكلمة على ألب أرْسلان .

وفيها : أرسل ولده ملك شاه ، ووزيره نظام الملك هذا في جنود عظيمة إلى بلاد الكَرَج[١] ففتحوا حصوناً كثيرة ، وغنموا أموالاً جزيلة جدًّا ، وفرح المسلمون بنصرهم ، وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم صاحب ما وراء النهر ، وزفّت إليه ، وزوج ولده بابنة صاحب غزنة ، واجتمع شمل البيتين السلجوقيّ والمحمودي .

وفيها : أذن ألْب أرْسلان للسيدة ابنة الخليفة في الرجوع إلى بغداد ، وأرسل معها بعض القضاة والأمراء ، فدخلت بغداد في تجمّل عظيم ، وخرج الناس للنظر إليها ، فدخلت ليلاً في أُبّهة عظيمة ، ففرح الخليفة وأهلها بذلك ، وأمر الخليفة بالدعاء للملك ألبْ أرْسلان على المنابر في الخطب . فقيل في الدعاء : اللهمّ وأصلح السلطان المعظّم عَضُد الدولة ، وتاج الملّة أرْسَلان أبا شجاع محمد بن داود . وجلس الخليفة للناس جلوساً عاماً ، وبايعهم للملك ألْب أرْسَلان ، وأرسل إليه بالخلع والتقليد مع الشريف نقيب العباسيين طِراد بن محمد الزَّيْنَبي ، وأبي محمد التميمي ، وموفق الخادم ، ولقب الوزير نظام المُلْك : قِوامُ الدين والدولة رضيّ أمير المؤمنين ، وإنّما كان يقال له قبل ذلك : خواجه بُزُرك . وأرسل الملك ألْب أرْسَلان بالهدايا العظيمة ، والتحف النفيسة المفتخرة ، واستقرّ أمره على بغداد وجميع بلاد العراق .

قال ابن الجوزي[٢] : وفي ربيع الأول شاع ببغداد أن قوماً من الأكراد خرجوا يتصيّدون ، فرأوا في البريّة خيماً سوداً ، وسمعوا فيها لطماً شديداً ، وعويلاً كثيراً ، وقائلاً يقول : قد مات سيدوك[٣] ملك الجنّ ، وأيّ بلد لم يلطم به عليه ، ولم يقم له مأتم فيه ، قلع أصله ، وأهلك أهله . قال : فخرج النساء العواهر من حريم بغداد إلى المقابر يلطمن ثلاثة أيام ، ويخرّقن ثيابهن ، وينشرن شعورهن ، وخرج رجال من السّفهاء يفعلون ذلك . وفُعل هذا في واسط وخوزستان وغيرها من البلاد ، قال : وكان هذا من الحمق لم ينقل مثله .

---

(١) في (ط) : « الكرخ » ، وهو تصحيف ظاهر .
(٢) المنتظم (٨/ ٢٣٥) .
(٣) في (ب) : « سندرك » ، وهو تحريف ، وما أثبتناه من (ط) والمنتظم (٨/ ٢٣٥) ، والكامل في التاريخ (١٠/ ٤٢) ، وتاريخ الإسلام (١٠/ ١٢) (بشار) .

قال ابن الجوزي[١] : في يوم الجمعة ثاني عشر شعبان هجم قوم من أصحاب عبد الصمد على أبي علي [بن الوليد] المدرّس للمعتزلة ، فسبّوه ، وشتموه لامتناعه من الصلاة في الجامع ، وتدريسه لهذا المذهب ، وأهانوه ، وجرّوه ، ولُعنت المعتزلة بجامع المنصور ، وجلس أبو سعد بن أبي عمامة[٢] فلعن المعتزلة قبّحهم الله تعالى .

وفي شوال ورد الخبر بأن السلطان غزا بلداً عظيماً فيه سبعمئة ألف دار ، وألف بيعة [ودير] وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر خمسمئة [ألف] إنسان .

وفي ذي القعدة حدث وباء عظيم ببغداد وغيرها من بلاد العراق ، وغلت أسعار الأدوية التي يُتداوى بها ، وعدم الشيرخشك[٣] ، وقلّ التمرهندي ، وزاد الحرّ في تشارين ، وفسد الهواء .

وفي هذا الشهر خلع على أبي الغنائم المعمّر بن محمد بن عبيد الله العلوي في بيت النوبة بنقابة الطالبيين و[ولاية] الحجّ والمظالم ، ولقّب بالطاهر ذي المناقب ، وقرئ تقليده بالموكب ، وحجّ بالناس في هذه السنة .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

الإمام الحافظ العلامة أبو محمّد[٤] علي بن أحمد بن سعيد بن حَزْم بن غالب بن صالح بن خلف بن مَعْدان[٥] بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي .

أصل جدّه يزيد هذا فارسيّ أسلم . وخلفٌ المذكور أول من دخل منهم بلاد المغرب ، وكانت بلدتهم قرطبة ، فولد ابن حَزْم هذا بها في سلخ رمضان من سنة أربع وثمانين وثلاثمئة ، فقرأ القرآن ، واشتغل بالعلوم [النافعة] الشرعيّة ، فبرّز فيها ، وفاق أهل زمانه ، وصنّف الكتب المفيدة الشهيرة ، فيقال : إنّه صنّف أربعمئة مجلّد من تصنيفه في قريب من ثمانين ألف ورقة .

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) .

(٢) في (أ) و(ب) : « عماية » محرف ، وما هنا من (ط) والمنتظم وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٨٣) ، وأبو سعد من أبي عمامة هذا هو الذي صلى على الخطيب البغدادي ثانية بأهل النصرية والحربية ، وستأتي ترجمته في وفيات سنة ٥٠٧ من هذا الكتاب واسمه : المعمر بن علي بن المعمر (بشار) .

(٣) الشيرخشك : لعلّه نوع من الطعام أو الشراب .

(٤) جذوة المقتبس (٣٠٨) ، الصلة لابن بشكوال (٤٠٨) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٥) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٧٤ ـ ٨٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤) ، نفح الطيب (٢/ ٧٧) . وللشيخ محمد أبو زهرة : ابن حزم وآراؤه وفقهه . وللدكتور عبد الحليم عويس دراسة قيمة بعنوان : ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري . نشر دار الاعتصام القاهرة .

(٥) في (ط) : معد . خطأ .

وكان أديباً ، طبيباً ، شاعراً ، فصيحاً ، له في الطب والمنطق اليد العالية . وكان من بيت وزارة ورياسة ، ووجاهة ومال وثروة ، وكان مصاحباً للشيخ أبي عمرو بن عبد البرّ النمري ، ومناوئاً للشيخ أبي الوليد سُليمان بن خَلَف الباجي ، وقد جرت بينهما مناظرات يطول شرحها . وكان أبو محمد بن حزم كثير الوقيعة في العلماء الذين يخالفون الأحاديث الصحيحة بلسانه وقلمه أيضاً ، فأورثه ذلك حقداً في قلوب أهل زمانه ، فما زالوا به حتى بغّضوه إلى ملوكهم ، فطردوه عن بلاده ، حتى كانت وفاته في قرية له في ثاني شعبان من هذه السنة ، وقد جاوز السبعين[1] ، والعجب كلّ العجب أنّه كان ظاهرياً [حائراً] في الفروع ، لا يقول بشيء من الأقيسة لا الجليّة ولا غيرها ، [وهذا الذي وضعه عند العلماء ، وأدخل عليه خطأً كبيراً في نظره وتصرّفه] ، وكان مع هذا من أشدّ الناس تأويلاً في باب الأصول [وآيات الصفات ، وأحاديث الصفات] ، لأنّه كان قد تضلّع أولاً من علم المنطق ، أخذه عن محمد بن الحسن المَذْحِجي الكتاني القرطبي ، ذكره ابن ماكولا وابن خلّكان [ففسد بذلك حاله في باب الصفات] ، رحمه الله تعالى .

عبد الواحد بن علي بن بَرْهان [بن] علي بن هانئ أبو القاسم النحويّ[2] .

كان شرس الأخلاق جدًّا ، ولم يلبس سراويل قط ، ولا غطّى رأسه ، ولم يقبل عطاءً لأحد ، وذُكر عنه : أنّه كان يقبّل المرد في غير ريبة .

قال ابن عقيل : وكان يختار مذهب مرجئة المعتزلة ، وينفي خلود الكفار [في النار] ويقول : دوام العقاب في حقّ من لا يجوز عليه التشفي لا وجه له مع ما وصف الله به نفسه من الرحمة ، ويتأوّل قوله تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ﴾ [النساء : ١٦٩] أيّ أبداً من الآباد .

قال ابن الجوزي[3] : وقد كان ابن بَرْهان يقدح في أصحاب أحمد ، ويخالف اعتقاده اعتقاد المسلمين ، لأنّه قد خالف الإجماع في عدم خلود الكفار ، فكيف يُقبل كلامه ، توفي هذا العام وقد نيف على الثمانين .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمئة

فيها : سار جماعة [من العراق] للحج بخفارة ، فلم يمكنهم المسير ، فعدلوا إلى الكوفة ، ورجعوا .

---

(١) في (ط) : التسعين . خطأ .
(٢) تاريخ بغداد (١١/ ١٧) ، المنتظم (٨/ ٢٣٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٤٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٤) ، الجواهر المضية (٢/ ٤٨١) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٧٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٩٧) .
(٣) المنتظم (٨/ ٢٣٧) .

وفي ذي الحجة فيها : شرع في بناء المدرسة النظامية ببغداد ، ونقض لأجلها دور كثيرة بين مشرعة الزوايا وباب البصرة .

وفيها : كانت حروب كثيرة بين تميم بن المعز بن باديس وأولاد حمّاد ، والعرب ، والمغاربة ، بصنهاجة وزناتة .

وحجّ بالناس من بغداد النقيب أبو الغنائم .

وفيها : كان مقتل عميد الملك الكُنْدري[١] ، وهو منصور بن محمد[٢] أبو نصر وزير طُغْرُلْبَك ، وقد كان مسجوناً سنة تامة ، ولمّا قُتِل حُمِل فدفن عند أبيه بقرية كُنْدُر من عمل طُرَيْثيث ، وليست بكندر التي بالقرب من قزوين[٣] ، واستحوذ السلطان على أمواله وحواصله ، وقد كان ذكيّاً فصيحاً شاعراً ، لديه فضائل جمّة ، حاضر الجواب ، سريعه ، ولما أرسل الملك طُغْرُلْبَك إلى الخليفة يخطب إليه ابنته ، امتنع الخليفة من ذلك أشدّ الامتناع ، وأنشد متمثلاً بقول المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرءُ يُدْركه

فتمّمه الوزير :

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فسكت الخليفة وأطرق . وكان عمر الكُنْدُري حين قُتل نيّفاً وأربعين سنة . ومن شعره الجيّد قوله :

إنْ كان بالناس ضِيقٌ عن مُنَافَستي ... فالموتُ قد وسَّعَ الدُّنيا على النَّاسِ
مضيتُ والشَّامتُ المغبونُ يَتْبَعُني ... كُـلٌّ لكـاسِ المنَـايا شـاربٌ حـاسِـي

وقد كان الملك طُغْرُلْبَك بعثه مرة ليخطب له امرأة خوارزم شاه ، فتزوّجها هو ؛ فخصاه وأقرّه على عمله ، فدفن ذكره بخوارزم ، وتسفّح دمه حين قتل بمرو الرّوذ ، ودفن جسده بكُنْدُر ، وحمل رأسه فدفن بنيسابور ، ونقل قحف رأسه إلى كرمان . [وأنا أشهد أن الله جامع الخلائق إلى ميقات يوم معلوم ، أين كانوا وحيث كانوا ، وعلى أيّ صفة كانوا ، سبحانه وتعالى] .

---

(١) قصة قتله وترجمته في المنتظم (٨/ ٢٣٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣١) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٣٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١١٣) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٧٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٠١) .

(٢) هكذا سماه أبو الحسن محمد بن الصابىء في تاريخه والباخرزي في دمية القصر (٢/ ٧٩٦) . أما المصادر الأخرى ، ومنها المنتظم وكتب الذهبي ففيها : « محمد بن منصور بن محمد » وذكر الذهبي في تاريخ الإسلام والسير (١٨/ ١١٣) أن محمد بن عبد الملك الهمذاني سماه : محمد بن محمد بن منصور (بشار) .

(٣) معجم البلدان (٤/ ٤٨٢) .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمئة

في يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ دكاكينهم ، وأحضروا نساءً فَنُحنَ على الحسين كما جرت به سالف عادات بدعهم المتقدمة [المخالفة] ، فحين وقع ذلك أنكرته العامة ، وطلب الخليفة أبا الغنائم نقيب الطالبيين ، وأنكر ذلك عليه ، فاعتذر بأنّه لم يعلم بذلك ، وأنّه حين علم به أزاله ، وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك ، ويتنصّلون منه ، وخرج التوقيع بكفر من يسبّ الصحابة ، ويظهر البدع .

قال ابن الجوزي[١] : وفي ربيع الأول ولد بباب الأزَجّ صبيّة لها رأسان ووجهان ورقبتان وأربع أيدي على بدن كامل ثمّ ماتت .

قال : وفي جمادى الآخرة كانت زلزلة بخراسان لبثت أياماً ثم تصدّعت منها الجبال ، وأهلكت جماعة ، وخسفت بِعدَّة قرى ، وخرج الناس إلى الصحراء ، وأقاموا هنالك .

ووقع حريق بنهر مُعَلّى من بغداد ، فأحرق مئة دكان وثلاث دور ، وذهب للنّاس شيء كثير ، ونهب الناس بعضهم بعضاً .

قال ابن الجوزي : وفي شعبان وقع قتال في دمشق ، فضربوا داراً كانت مجاورة للجامع بالنار ، فاحترق جامع دمشق . كذا قال ابن الجوزي . والمشهور أنّ حريق جامع دمشق ، إنّما كان [في ليلة النصف من شعبان] في سنة إحدى وستين وأربعمئة بعد ثلاث سنين . وأن غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقيت نار بدار الإمارة ـ وهي الخضراء ـ فاحترقت وتعدّى حريقها إلى أن وصل إلى الجامع فسقطت سقوفه و[بادت] زخرفته و[تلف] رخامه ، وبقي كأنّه خرابة ، وبادت الخضراء فصارت كوماً من تراب بعدما كانت في غاية الإحكام والإتقان ، وطيب الغناء و[نزهة المجالس] وحسن البناء [والمنظر] ، فهي إلى يومنا هذا لا يسكنها لرداءة مكانها إلا سفلة الناس وسُقّاطهم بعدما كانت دار [الخلافة و] الملك والإمارة منذ أسسها معاوية بن أبي سفيان رحمه الله تعالى ، وأمّا الجامع [الأموي] فإنّه لم يكن على وجه الأرض بناءٌ أحسن منه إلى أن احترق فبقي خراباً مدة طويلة ، ثمّ شرع الملوك في تجديده وترميمه ، حتى بُلِّط في زمان العادل أبي بكر [بن أيوب] ، ولم يزالوا في تحسين معالمه إلى زماننا هذا ، فتماثل حاله وهو بالنسبة إلى حاله الأول [كلا شيء] ولا زال التحسين فيه إلى هذه الأيام التي وليها الأمير سيف الدين تنكُز عبد الله النّاصري ، في حدود سنة ثلاثين وسبعمئة وما قبلها وما بعدها بيسير ، رحمه الله .

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٤٠) .

وفيها : رخصت الأسعار ببغداد رخصاً بيِّناً ، ونقصت دجلة نقصاناً ظاهراً .

وفيها : أخذ الملك ألْب آرْسلان العهد من بعده لولده ، ومشى بين يديه بالغاشية ، والأمراء بين يديه يتماشون بالخلع ، وكان يوماً مشهوداً . وحجّ بالناس في هذه السنة نور الهدى أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين أبي الحسن محمد بن الزَّيْنَبي ، وجاور بمكة هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البَيْهقيّ(١) .

أحد الحفاظ الكبار ، ومن له التصانيف التي سارت بها الركبان في سائر الأمصار والأقطار . ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمئة . وكان واحد زمانه في الإتقان والحفظ والتصنيف ، فقيهاً ، محدِّثاً ، أصولياً ، أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، وسمع على غيره شيئاً كثيراً ، وجمع أشياء كثيرة نافعة جدًّا ، لم يُسبَق إلى مثلها ، ولا يدرك فيها ، من ذلك كتاب « السنن الكبير » ، و« نصوص الشافعي » كلٌّ في عشرة مجلدات . و« السنن والآثار » و« المدخل » و« الآداب » ، و« شعب الإيمان » و« الخلافيات » ، و« دلائل النبوة » [و« البعث والنشور »] وغير ذلك من المصنَّفات الكبار والصغار المفيدة التي لا تسامى ولا تدانى ، وكان زاهداً متقللاً ، كثير العبادة والورع ، رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته بنيسابور ، ونقل تابوته إلى بَيْهق في جمادى الأولى من هذه السنة .

الحسن بن غالب(٢) **بن علي بن غالب بن منصور بن صعلوك أبو علي التميمي ، ويعرف بابن المبارك المقرئ .**

صحب ابن سمعون ، وأقرأ القرآن على حروف أنكرت عليه ، وجُرّب عليه الكذب إمّا عمداً أو خطأً ، واتّهم في روايات كثيرة ، وكان أبو الحسن(٣) القزويني ممن ينكر عليه ، وكتب عليه محضر ، وألزم بعدم الإقراء بالحروف المنكرة .

قال أبو محمد بن السمرقندي : كان كذاباً ، وكانت وفاته في هذه السنة عن اثنتين وثمانين سنة ، ودفن عند إبراهيم الحربي .

---

(١) الأنساب (٢/ ٣٨١) ، المنتظم (٨/ ٢٤٢) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٥٢) ، وفيات الأعيان (١/ ٧٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٣٥٤) ، طبقات السبكي (٤/ ٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٧٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٤) .
والبيهقي : نسبة إلى بَيْهق ، وهي ناحية كبيرة وكورة واسعة من نواحي نيسابور . معجم البلدان (١/ ٥٣٧) .

(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٤٠٠) ، والمنتظم (٨/ ٢٤٢) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٩٧) .

(٣) في (ط) : أبو بكر .

قال ابن خلكان : وأخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر[١] بن محمد العمري المروزي ، ثمّ غلب عليه الحديث ، واشتهر به ، ورحل في طلبه .

محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفرّاء[٢] القاضي أبو يعلى ، شيخ الحنابلة ، ومُمهّد مذهبهم في الفروع .

ولد في محرم سنة ثمانين وثلاثمئة ، وسمع الحديث الكثير ، وحدّث عن ابن حَبَابة .

قال ابن الجوزي : وكان من سادات [العلماء] الثقات ، وشهد عند ابن ماكولا وابن الدّامغاني فقبلاه ، وتولّى النظر في الحكم بحريم دار الخلافة ، وكان إماماً في الفقه ، له التصانيف الحسان الكثيرة في مذهب أحمد ، ودرّس وأفتى سنين ، وانتهى إليه المذهب ، وانتشرت تصانيفه وأصحابه ، وجمع الأمانة ، والصدق ، والعفّة ، وحسن الخلق ، والتعبّد ، والتقشف ، والخشوع ، وحسن السّمت ، والصّمت عمّا لا يعنيه ، وكانت وفاته في العشرين من رمضان هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، واجتمع في جنازته القضاة والأعيان من الفقهاء والشهود ، وكان يوماً حارًّا ، فأفطر بعض من اتّبع جنازته ذلك اليوم ، وترك من البنين عبيد الله أبا القاسم ، وأبا حازم ، وأبا الحسين .

ورآه بعضهم في المنام ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : رحمني ، وعزّني ، ورفع منزلتي ، وأكرمني . وجعل يعدّد ذلك بأصابعه فقال : أَبِالعلم ؟ قال : بالصدق ، رحمه الله تعالى .

ابن سِيْدَه اللُّغوي[٣] هو أبو الحسن ، علي بن إسماعيل المُرسي .

كان إماماً حافظاً للّغة ، وكان ضرير البصر ، أخذ علم اللغة والعربيّة عن أبيه ، وكان ضريراً أيضاً ، ثمّ اشتغل على أبي العلاء صاعد البغدادي ، وله : « المحكم » في مجلدات عديدة ، وله « شرح الحماسة » في ست مجلدات ، وغير ذلك . وقرأ على الشيخ أبي عمر المالكي [الطَّلَمَنْكي] كتاب « الغريب المصنّف » لأبي عُبَيد سرداً من حفظه ، والشيخ يقابل نسخته بما يقرأ ، فسمع الناس قراءته من حفظه ، وتعجّبوا لذلك ، وكانت وفاته في ربيع الآخر من هذه السنة وله ستون سنة ، وقيل : إنّه توفي في سنة ثمان وأربعين ، والأوّل أصحّ ، والله أعلم .

---

(١) في (ط) : نصر .

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٦) ، المنتظم (٨/ ٢٤٣) ، طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٥٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٩) ، الوافي بالوفيات (٣/ ٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٦) .

(٣) جذوة المقتبس (٣١١) ، الصلة لابن بشكوال (٢/ ٤١٧) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٠) ، المغرب في حلي المغرب (٢/ ٣٥٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٤٤) ، نفح الطيب (٤/ ٢٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٥) .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمئة

فيها : بنى أبو سعد المستوفي الملقب بشرف الملك مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان ببغداد ، وعقد عليه قبَّةً ، وعمل بإزائها مدرسة ، وأنزلها المدرسين والفقهاء ، فدخل أبو جعفر بن البياضي زائراً [لأبي حنيفة] فأنشد ارتجالاً :

ألَمْ تَرَ أنّ العلمَ كان مُضيَّعاً فجمّعَهُ هذا المُغَيَّبُ في اللَّحدِ
كذلكَ كانتْ هذه الأرضُ ميْتَةً فأنشرَها جودُ العميدِ أبي السَّعدِ

وفي شعبان هبّت ريح حارّة فمات بسببها خلق كثير ، ودواب ببغداد ، وأتلفت شجراً من الليمون والأترجّ ببغداد .

وفيها : احترق قبر معروف الكرخي ، وكان سبب ذلك : أنّ القيّم طبخ له ماء الشعير لمرضه ، فتعدّت النار إلى الأخشاب ، فاحترق المشهد بكماله .

وفيها : وقع غلاءٌ وفناءٌ كثير بدمشق ، وحلب ، وحرّان ، و[أعمال] خراسان بكمالها ، ووقع الفناء في الدوابّ تنتفخ رؤوسها وأعينها ، حتى كانوا يأخذون حمر الوحش بالأيدي ولكن يأنفون من أكلها .

قال ابن الجوزي في « المنتظم »(١) : وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة جمع العميد أبو سَعْد(٢) القاضي الناس لحضور الدرس بالنظاميّة ببغداد ، وعُيِّن [لتدريسها و] لمشيختها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، فلما تكامل اجتماع الناس ، وذهب [أبو إسحاق] إليهم ليدرِّس ، فلقيه فقيه شاب ، فقال : يا سيدي تدرّس في مكان مغصوب ، فامتنع [أبو إسحاق] من المسير(٣) ورجع إلى بيته ، فأقيم الشيخ أبو نصر بن الصبّاغ فدرّس ، فلما بلغ نظام الملك ذلك تغيّظ على العميد ، وأرسل إلى الشيخ أبي إسحاق فردّه إلى التدريس بالنظامية في ذي الحجة من هذه السنة ، وكان لا يصلّي فيها مكتوبة بل يخرج إلى بعض المساجد فيؤدي المكتوبة ، لما ذكر من كونها في بعض أرضها غصب ، وكانت مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوماً ، ثمّ عاد الشيخ أبو إسحاق إليها .

وفي ذي القعدة من هذه السنة قُتل الصُّلَيحي أمير اليمن وصاحب مكة ، قتله بعض أمراء اليمن ، وخطب بها للقائم بأمر الله العباسي(٤) ، وحجّ بالناس في هذه السنة أبو الغنائم النقيب .

---

(١) المنتظم (٨/٢٤٦) .
(٢) في بعض النسخ : « أبو سعيد » محرف ، وماهنا من (ط) ويعضده ما في المنتظم وتاريخ الإسلام (١٠/١٣) .
(٣) في (ب) و(ط) : الحضور .
(٤) هذا وهم من المصنف رحمه الله وتابع فيه ابن الأثير في الكامل (١٠/٥٥-٥٦) ، والصحيح أن وفاة الصليحي كانت=

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن إسماعيل بن محمد أبو علي الطَّرَسُوسيّ[١] ، ويقال له : العراقي لظرفه وطول مقامه بها .

سمع الحديث من أبي طاهر المخلّص ، وتفقّه على أبي محمد الباقي ، ثمّ على الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وولي قضاء بلدة طَرَسُوس ، وكان من الفقهاء الفضلاء المبرِّزين ، رحمه الله تعالى .

ثم استهلّت سنة ستين وأربعمئة من الهجرة النبويّة

قال ابن الجوزي[٢] : وفي جمادى الأولى كانت زلزلة شديدة بأرض فلسطين أهلكت بلد الرّملة ، ورمت شُرافتين من مسجد رسول الله ﷺ ، ولحقت وادي الصفر وخيبر ، وانشقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال ، وبلغ حسّها الرحبة والكوفة ، وجاء كتاب بعض التجار في ذكر هذه الزلزلة ويقول : إنّها خسفت الرّملة جميعاً حتى لم يسلم منها إلا داران فقط ، وهلك منها خمسة عشر ألف نسمة ، وانشقت الصخرة التي ببيت المقدس ، ثمّ عادت فالتأمت بقدرة الله تعالى . وغار البحر مسيرة يوم وساح في البرّ ، وخرّب الدنيا [وظهر في مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها] ، ودخل الناس إلى أرضه يلتقطون ، فرجع فأهلك خلقاً كثيراً منهم [أو أكثرهم] . هذا لفظه[٣] .

وفي يوم السبت النصف من جمادى الآخرة قرىء الاعتقاد القادري الذي فيه مذاهب أهل السنّة والجماعة ، والإنكار على أهل البدعة ، وقرأ أبو مسلم الليثي البخاري المحدّث كتاب « التوحيد » لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين ، وذلك بمحضر الوزير ابن جَهِير ، وجماعة الأعيان من الفقهاء وأهل الكلام ، واعترفوا بالموافقة ، ثمّ قرئ الاعتقاد القادري على الشريف أبي جعفر بن المقتدي بالله بباب البصرة ، وذلك بسماعه له من الخليفة القادر بالله مصنّفه .

وفيها : عزل الخليفة وزيره أبا نصر محمد بن محمد بن جَهِير الملقب فخر الدولة ، وبعث إليه يعاتبه في أشياء كثيرة ، فاعتذر منها ، وأخذ في الترقق والتذلّل ، فأجيب بأن يترحّل إلى أيّ الجهات شاء ، فاختار حلّة ابن مَزْيَد ، فباع أصحابه أموالهم وأملاكهم ، وطلّقوا نساءهم ، وأخذ أولاده وأهله ، وجاء ليركب في سميريّة[٤] لينحدر منها إلى الحلّة ، والناس حوله يتباكون لبكائه ، فلما اجتاز بدار الخلافة قبّل

= سنة ثلاث وسبعين وأربعمئة ، وسترد ترجمته فيها .

(١) المنتظم (٨/ ٢٤٧) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ١١٤) .

(٢) المنتظم (٧/ ٢٤٧) .

(٣) في هذه القصة التي ذكرها بعض التجار مبالغات لا دليل عليها (ع) .

(٤) في (ط) : سفينة ، وهما بمعنى .

الأرض دفعات ، والخليفة في الشبّاك ، والوزير يقول : يا أمير المؤمنينّ ارحم شيبتي ، وغربتي ، وأولادي ، وعيالي ، فأعيد إلى الوزارة بشفاعة دُبَيْس بن مَزْيَد في السنة الآتية ، وامتدحه الشعراء ، وفرح الناس برجوعه إلى الوزارة ، كان يوم دخوله بغداد يوماً مشهوداً بكثرة الناس وتباكيهم فرحاً بقدومه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الملك بن محمد بن يوسف(١) أبو منصور الملقب بالشيخ [الأجلّ] .

كان أوحد زمانه في القيام بالمعروف [والنهي عن المنكر] ، والمبادرة إلى فعل الخيرات ، واصطناع الأيادي عند أهلها من أهل السنّة ، وفي شدّة القيام على أهل البدع وقمعهم ، وافتقاد المستورين بالبرّ ، والصدقة على المحاويج ، وإخفاء ذلك جهده وطاقته ، ومن غريب ما وقع له أنّه كان يبرّ إنساناً في كلّ سنة بعشرة دنانير ، يكتب له بها على رجل يقال له : ابن رضوان ، فلمّا توفي الشيخ جاء الرجل إلى ابن رضوان يطلب منه ما كان يصرفه إليه ، فقال له ابن رضوان : إنّ الذي كان يكتب لك عليّ قد مات ، ولا أقدر أن أصرف لك شيئاً ، فذهب الرجل إلى قبرِ الشيخ الأجلّ فقرأ شيئاً من القرآن ، وترحَّم عليه ، ثمّ التفت فإذا هو بكاغد فيه عشرة دنانير(٢) ، فأخذَها وجاء بها إلى ابن رضوان ، فذكر له ذلك ، فقال له ابن رضوان : هذه يا أخي سقطت مني اليوم فخذها ، ولك عليّ مثلها في كلّ عام ، وكانت وفاته في المنتصف من محرم هذه السنة عن خمس وستين سنة ، وكان يوماً مشهوداً حضره خلق من الناس لا يعلم عددهم إلا الله عزّ وجلّ ، فرحمه الله وأكرم مثواه .

أبو جعفر ، محمد بن الحسن الطوسيّ(٣) فقيه الشيعة .

توفي في هذه السنة ، ودفن بمشهد علي ، وقد كان مجاوراً به من حين احترقت داره بالكرخ ، وكتبه في سنة ثمان وأربعين إلى المحرم من هذه السنة ، فتوفي ، ودفن هناك .

خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله(٤) الواعظة ، المعروف بالشَّاهجَانيّة .

ولدت سنة أربع وسبعين [وثلاثمئة] ، ودفنت إلى جانب ابن سمعون(٥) .

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٣٤) ، المنتظم (٨/ ٢٥٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٥٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٣) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٨٢) .

(٢) هذا أيضاً من المبالغات التي لا دليل عليها (ع) .

(٣) المنتظم (٨/ ٢٥٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٥٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٤) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٣٤٩) ، أعيان الشيعة (٤٤/ ٣٣) ، طبقات السبكي (٤/ ١٢٦) ، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٢٦) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٨٢) .

(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٢٥٨) ، المنتظم (٨/ ٢٥٠) .

(٥) تأتي بعد هذا في (أ) ترجمة أبي القاسم عمر بن محمد بن أحمد البزري الجزري ، ووفاته سنة ٥٦٠ ، ولم ترد في =

ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمئة

في ليلة النصف من شعبان كان حريق جامع دمشق ، وكان سببه : أنّ غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فيما بينهم ، فألقيت نار بدار الملك ، وهي الخضراء المتاخمة للجامع من جهة القبلة ، فاحترقت ، وسرى حريقها إلى الجامع فسقطت سقوفه ، وتناثرت فصوصه المذهَّبة التي على جدرانه ، وتقلّعت الفسيفساء التي كانت في أرضه [وعلى جدرانه] ، وتغيّرت معالمه ومحاسنه ، وتبدّلت بهجته بضدّها ، وقد كانت سقوفه مذهّبة مبطّنة كلّها ، والجملونات من فوقها ، وجدرانه بالفصوص المذهبة والملوّنة ، مصوّر فيه جميع بلاد الدنيا [بحيث إن الإنسان إذا أراد أن يتفرج في إقليم أو بلد وجده في الجامع مصوّراً كهيئته ، فلا يسافر إليه ، ولا يُعنَّى في طلبه] ، الكعبة ومكّة في المحراب ، والبلاد كلها شرقاً وغرباً ، كلّ [إقليم] في مكانه اللائق به ، و[مصوّر] فيه كلّ شجرة مثمرة وغير مثمرة ، مشكّل مصوّر في بلدانه وأوطانه ، والستور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن ، وعلى أصول الحيطان إلى مقدار الثلث منها ستور ، وباقي الجدران بالفصوص الملوّنة ، وأرضه كلّها بالفصوص والرُّخام والفسيفساء [ليس فيها بلاط] ، ولم يكن في الدنيا بناءٌ أحسن منه ، لا قصور الملك ، ولا دور الخلفاء ، فضلاً عن غيرهم ، ثمّ لما وقع [الحريق فيه] تبدّل الحال الكامل بضده ، وصارت أرضه طيناً في زمن الشتاء ، وغباراً في زمن الصيف ، محفّر ، مجوّر ، ولم يزل كذلك حتى بلط أرضه في زمن العادل أبي بكر بن أيوب بعد الستمئة [من الهجرة] ، وكان جميع ما سقط من الرخام وغيره من الأخشاب [والفصوص] مودعة في المشاهد الأربعة شرقيّة وغربيّة ، حتى فرغها من ذلك القاضي كمال الدين بن الشهرزوري في زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي حين ولاه نظره مع القضاء ، ونظر الأوقاف كلّها ، ونظر دار الضرب وغير ذلك ، ولم تزل الملوك تجدّد في محاسنه وإلى زماننا هذا ؛ فتقارب حاله في زمن الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري نائب الشام ، أثابه الله تعالى .

وقد أرّخ الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في « المنتظم »(١) هذا الحريق في سنة ثمان وخمسين ، وتبعه ابن السّاعي في « تاريخه »(٢) ، والصواب أنّه في هذه السنة كما ذكره ابن الساعي أيضاً في هذه السنة ، وشيخنا الحافظ أبو عبد الله الذّهبي مؤرخ الإسلام في « تاريخه »(٣) ، وغير واحد ، والله أعلم .

= (ب) و(ط) فوجودها هنا خطأ بيّن .

(١) المنتظم (٨/ ٢٤١) .

(٢) علي بن أنجب بن عثمان ، تاج الدين ابن الساعي ، من كبار المصنفين في التاريخ ، مولده ووفاته ببغداد ت (٦٧٤هـ) وكتابه : « الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير » يقع في خمسة وعشرين مجلداً .

(٣) تاريخ الإسلام (١٠/ ١٣٩) تحقيق الدكتور بشار عواد معروف .

وفيها : نقمت الحنابلة على الشيخ أبي الوفاء بن عَقيل ، وهو من كبرائهم بتردده على أبي علي بن الوليد المتكلّم المعتزليّ ، واتّهموه بالاعتزال ، ولا شكّ أنّه لم يكن يتردد إليه إلا ليحيط علماً بمذهبه ، ولكن شرقه الهوى [شرقة كادت روحه تخرج معها] ، وصارت فيه نزعة منه ، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة ، وتأذّى بسببها جماعة منهم ، وما سكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين ، ثمّ اصطلحوا فيما بينهم بعد اختصام كبير .

وفيها : زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعاً ، حتى دخل [الماء] مشهد أبي حنيفة ، ومشهد النذور(١) .

وفيها : ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى انتهى إلى عمّورية(٢) ، فقتل خلقاً وغنم أموالاً كثيرة .

وفيها : كان رخص عظيم بالكوفة ، حتى بيع السمك كلّ أربعين رطلاً بحبّة . وحجّ بالناس في هذه السنة أبو الغنائم العلوي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو القاسم ، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فُوران ، الفُوراني(٣) ، المروزيّ .

أحد أئمة الشّافعيّة ، مصنّف « الإبانة » التي فيها من النقول الغريبة والأقوال والأوجه التي لا توجد إلّا فيها ، وكان بصيراً بالأصول والفروع ، أخذ الفقه عن أبي بكر القفّال ، وحضر إمام الحرمين عنده وهو صغير فلم يلتفت إليه ، فصار في نفسه منه ، فهو يخطئه كثيراً في « النهاية » .

قال القاضي ابن خلّكان : فمتى قال في « النهاية » : وقال بعض المصنفين : كذا ، وشرع في تخطئته ، فمراده الفُوراني .

وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة بمرو ، عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد كتب تلميذه أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن المأمون المقرىء ، مدرّس النظاميّة بعد الشيخ أبي إسحاق ، وقبل ابن الصبّاغ وبعده أيضاً كتاباً على « الإبانة » سمّاه « تتمة الإبانة » انتهى إلى كتاب الحدود ، ومات قبل إتمامه ، فتمم عليه أسعد العِجْلي وغيره ، فلم يلحقوا شأوه ، وسمّوه : « تتمة التتمة » رحمهم الله تعالى .

---

(١) كلاهما في الأعظمية اليوم ، وهي أرض مرتفعة قلما يصيبها الغرق ، وإنما دخل الماء إلى المشهدين المذكورين من شدة ارتفاعه (بشار) .

(٢) تحرفت في (ط) إلى : غورية .

(٣) الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٨) ، ووفاته فيه سنة ٤٦٣هـ . وفيات الأعيان (٣/ ١٣٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٦٢) ، طبقات السبكي (٥/ ١٠٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٩) .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وأربعمئة

قال ابن الجوزي(١) : فمن الحوادث فيها : أنّه كان على ثلاث ساعات من يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الأولى ، وهو الثامن عشر من آذار ، كانت زلزلة عظيمة بالرّملة وأعمالها ، فذهب أكثرها ، وانهدم سورها ، وعمّ ذلك بيت المقدس ، ونابلس ، وانخسفت إيلياء ، وانجفل البحر حتى انكشفت أرضه ، ومشى ناس فيه ، ثمّ عاد ، وتغيّرت إحدى زوايا جامع مصر ، وتبعت هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريان .

وفيها : توجّه ملك الروم من قسطنطينيّة إلى الشام ، في ثلاثمئة ألف ، فنزل على منبج ، وأحرق القرى ما بين منبج إلى أرض الروم ، وقتل رجالهم ، وسبى نساءهم ، وفزع المسلمون في حلب وغيرها فزعاً عظيماً ، فأقام ستة عشر يوماً ، ثمّ ردّه الله خاسئاً وهو حسير ، ذلك لقلّة ما معهم من الميرة ، وهلاك أكثر جيشه بالجوع ، ولله الحمد والمنّة .

وفيها : ضاقت يد أمير مكة ، فأخذ الذهب من أستار الكعبة ، والميزاب ، وباب الكعبة ، فضرب كلّ ذلك دراهم ودنانير ، وكذلك فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي ، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام .

وفي هذه السنة : كان غلاءٌ شديد وقحط عظيم بديار مصر ، بحيث إنَّهم أكلوا الجيف والميتات ، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير ، وماتت الفيلة فأكلت [ميتاتها] ، وأفنيت الدواب ، فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس بعد [أن كان له العدد] الكثير منها . ونزل الوزير يوماً عن بغلته فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع ، فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها ، فأخذوا ، فصُلبوا ، فأصبحوا وإذا عظامهم بادية قد أكل الناس لحومهم ، فقُتل [وأكل لحمه] . وكانت الأعراب يقدمون بالطعام فيبيعونه ظاهر البلد ، لا يتجاسرون يدخلون لئلا يختطف [وينهب] من بين أيديهم ، [وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميته نهاراً ، وإنما يدفنه ليلاً خفية ، لئلا يُنبش فيؤكل] ، واحتاج صاحب مصر ، حتى باع أشياء كثيرة من نفائس ما عنده ، من ذلك أحد عشر درعاً . وعشرون ألف سيف محلّى ، وثمانون ألف قطعة بلّور كبار ، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القيّم ، وبيعت ثياب النساء والرجال ، وسجف المهود بأرخص الأثمان ، وكذلك الأملاك وغيرها . وكان بعض هذه النفائس للخليفة مما نهب من بغداد أيام البساسيري .

وفيها : وردت الخلع والتحف والهدايا من الملك ألْب آرسلان إلى الخليفة القائم بأمر الله .

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٥٦) .

وفيها : ضُرب اسم وليّ العهد على الدنانير ، وسُمي [المضروب عليه] الأميري ، ومنع التعامل بغيرها .

وفيها : ورد كتاب صاحب مكّة إلى الملك ألب آرسلان ، وهو بخراسان يخبره بإقامة الخطبة للقائم بأمر الله ، وللسلطان بمكّة ، وقُطعت الخطبة للمصريين ، فأرسل إليه بثلاثين ألف دينار ، وخلع سنيّة ، وأجرى له في كلِّ سنة عشرة آلاف دينار .

وفيها : تزوج عميد الدولة بن جَهِير بابنة نظام المُلْك بالريّ ثم عاد إلى بغداد ، وحجّ بالناس أبو الغنائم العلوي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن علي بن محمد بن باري[١] أبو الجوائز الواسطي .

سكن بغداد دهراً طويلاً ، وكان أديباً شاعراً ظريفاً ، ولد سنة ثنتين وخمسين وثلاثمئة ، وتوفي في هذه السنة عن مئة وعشر سنين ، ومن مستجاد شعره قوله :

وَاحَسْرتي مِن قولِها ... قد خَانَ عَهْدِي ولَهَا
وحَقِّ مَنْ صيَّرني ... وَقْفاً عَلَيها ولَهَا
ما خَطَرتْ بخاطري ... إلا كَسْتني وَلَها

محمد بن أحمد بن سهل[٢] المعروف بابن بِشْران النَّحوي الواسِطيّ .

ولد سنة ثمانين وثلاثمئة ، وكان عالماً بالأدب ، وانتهت إليه الرحلة في اللّغة ، وله شعر حسن ، فمنه قوله :

يا شَائِداً للقصورِ مَهلاً[٣] ... أقصِرْ فَقَصْرُ الفتَى المماتُ
لم يجتمعْ شَملُ أهلِ قَصْرٍ ... إلا وقصراهم[٤] الشّتاتُ
وإنّما العيشُ مِثْلُ ظلٍّ ... مُنتقلٍ مالَهُ ثَبَاتُ

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٥٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٢) وباري ، بالراء ، كذا ضبطه ابن ناصر في توضيح المشتبه (١/ ٣٢١) ويقال : بازي ، بالزاي كما في تبصير المنتبه (١/ ٥٧) .

(٢) المنتظم (٨/ ٢٥٩) ، معجم الأدباء (١٧/ ٢١٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٥) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٨٢) ، الجواهر المضية (٢/ ١١) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٨٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٣١٠) .

(٣) في المنتظم والكامل : كهلاً .

(٤) في (ط) : قصاراهم .

ومن ذلك أيضاً قوله :

ودّعْتُهم ولي الدُّنيا مُودِّعةٌ ... ورحتُ مالي سوى ذِكراهُم وطرُ[١]
وقلتُ يا لذّتي بيني لبينهمُ ... فإنَّ[٢] صفو حياتي بعدهُم كدَرُ
لولا تعلّلُ قلبي بالرجاءِ لهمْ ... ألفيتُه إذْ[٣] حدَوا بالعيسِ ينفطرُ
يا ليتَ عيسَهُمُ يومَ النَّوى نُحرتْ ... أوليتَها للضواري بالفَلا جزرُ
يا ساعةَ البينِ أنتِ السّاعةُ اقتربتْ ... يا لوعةَ البيْنِ أنتِ النّارُ تستعرُ

ومن ذلك قوله أيضاً :

طلبتُ صديقاً في البريّةِ كلِّها ... فأعيا طلابي أن أصيبَ صديقا
بلى من تسمّى بالصديق مجازة ... ولم يكُ في معنى الودادِ صَدُوقا
فطلّقتُ ودَّ العالمينَ صريمةً[٤] ... وأصبحتُ من أسرِ الحفاظِ طليقا

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمئة

فيها : أقبل ملك الروم أرمانوس في جحافل أمثال الجبال من الروم ، والكرج ، والفرنج ، وعُدد عظيمة ، وتجمُّل هائل ، معه خمسة وثلاثون ألفاً من البطارقة مع كلّ بطريق ما بين ألفي[٥] فارس إلى خمسمئة فارس ، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفاً ، ومن الغز الذين يسكنون[٦] وراء القسطنطينية خمسة عشر ألفاً ، ومعه مئة ألف نقّاب وحفّار ، وألف روزجاري[٧] ، ومعه أربعمئة عجلة تحمل النعال والمسامير ، وألفا عجلة تحمل السلاح والسروج والعرّادات[٨] والمجانيق ، منها منجنيق يمدّه ألف ومئتا رجل ، ومن عزمه قبّحه الله تعالى أن يجتثّ الإسلام وأهله ، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد .

---

(١) الوطر : الحاجة .
(٢) في (ط) : كأن . « بان » : فارق .
(٣) في (ط) : إن . « حدوا » ساروا . « ينفطر » : يتشقق .
(٤) في (ط) : ثلاثة . « صريمةً » : قطيعة .
(٥) في (ط) : مئتي ألف . وعدد في الأصل مبالغة في عدد عظيم غير معقول . انظر المنتظم (٨/ ٢٦١) والكامل في التاريخ (١٠/ ٦٥) . وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٤١٥) ، ولعل الصواب ما ذكره ابن الأثير أن جيشه كان من مئتي ألف مقاتل (١٠/ ٦٥) ، وهو الذي نقله الذهبي في تاريخ الإسلام (١٠/ ١٤١) .
(٦) في (أ) : يكونون .
(٧) روز جاري : لعله يريد : بنّاءً (ع) .
(٨) جمع عرادة : آلة حربية أصغر من المنجنيق ترمي الحجارة المرمى البعيد .

واستوصى نائبها بالخليفة خيراً ، قال له : ارفق بذاك الشيخ فإنّه صاحبنا ، ثمّ إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام [وأهله] ميلة واحدة ، فاستعادوه من أيدي المسلمين ، واستنقذوه فيما يزعمون ، والقدر يقول : لعمرك إنَّهم لفي سكرتهم يعمهون . فالتقاه السلطان ألب آرْسلان في جيشه ، وهم قريب من عشرين ألفاً بمكان يقال له : الرَّهوة[1] ، في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة ، وخاف [السلطان] من كثرة [جند] المشركين ، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال ، حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين ، فلمّا [كان ذلك الوقت وتواقف الفريقان و] تواجه الفتيان ، نزل السلطان عن فرسه ، وسجد [لله عز وجل] ، ومرّغ وجهه في التراب ، ودعا الله تعالى واستنصره ، فأنزل الله نصره على المسلمين ، ومنحهم أكتاف المشركين ، فقتلوا منهم خلقاً لا يُحصون كثرة ، وأسر ملكهم أرمانوس ، أسره غلام روميّ ، فأمّره السلطان وأعطاه شيئاً كثيراً ، وقد كان هذا الغلام عُرض على نظام الملك الوزير في جملة تقدمة فلم يقبله ، فقال له سيّده : إنّه وإنّه . . . يثني عليه ـ فردّه وقال كهيئة المستهزئ به : لعلّه يجيئنا بملك الروم أرمانوس أسيراً ؛ فوقع الأمر كما قال ، ولله الحمد والمنّة ، فلمّا وقف أرمانوس بين يدي الملك ألب آرْسَلان ضربه بيده ثلاث مقارع ، وقال : لو كنت أنا الأسير بين يديك ، ماذا كنت تفعل ؟ قال : كلَّ قبيحٍ . قال : فما ظنّك بي ؟ قال : [إمّا أن] تقتلني ، أو تشهرني في بلادك ، وإمّا العفو وأخذ الفداء فتعيدني . فقال : ما عزمت على غير العفو والفداء ، فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمئة دينار ، وأن يطلق كلّ أسير في بلاد الروم وعلى هدنة خمسين سنة ، يحمل فيها عن كلّ يوم ألف دينار ، وقام بين يدي الملك فسقاه شربة ، وقبّل الأرض بين يديه ، وإلى نحو جهة الخليفة إجلالاً وإكراماً ، فأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهّز بها ، وأطلق معه جماعة من البطارقة من أصحابه وشيّعه فرسخاً ، وأرسل معه جيشاً يخدمونه ويحوطونه ويحفظونه إلى بلاده ، ومعهم راية مكتوب عليها : لا إلَه إلا الله محمد رسول الله . فلمّا انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملَّكوا عليهم غيره ، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه وبعث من الذهب والجوهر ما يقارب ثلاثمئة ألف دينار ، وتزهّد ولبس الصوف ، ثمّ استضاف ملك الأرمن فأخذه فكحله ، وأرسل إلى السلطان فأعلمه بذلك ، يتقرّب إليه به .

وفيها : خطب صاحب حلب محمود بن صالح بن مِرداس للقائم بأمر الله وللسلطان ألب آرْسَلان معه ، فبعث إليه الخليفة بالخلع [والهدايا والتحف] والعهد مع الشريف طِرادٍ الزّينبي .

وفيها : حجّ بالناس نور الهدى أبو الغنائم العلوي ، وخُطِبَ بمكّة للخليفة القائم بأمر الله ، وقطعت

(١) في (ط) : الزهوة . خطأ . و« رَهْوَة » : صحراء قرب خلاط ، وقد ذكر معظم المؤرخين : أن الوقعة كانت في منازجرد ، وهي بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم ، يعد في أرمينية ، وأهله يقولون منازكرد ، بالكاف . معجم البلدان (٥/٢٠٢) ، وقد تحرفت في الكامل (١٠/٥٦) إلى : ملازكرد .

خطبة المصريين منها ، وقد كان يخطب لهم فيها مئة سنة ، فانقطع ذلك في هذه السنة ، ولله الحمد والمنّة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحافظ أبو بكر ، الخطيب البغدادي[١] **أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي .**

أحد مشاهير الحفّاظ ، وصاحب « تاريخ بغداد » وغيره من المصنّفات العديدة المفيدة ، نحو من ستين مصنّفاً ، ويقال : مئة مصنّف ، فالله أعلم .

ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمئة ، وقيل : سنة ثنتين وتسعين[٢] ، وأول سماعه سنة ثلاث وأربعمئة ، ونشأ ببغداد ، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري[٣] وغيره من أصحاب الشيخ أبي حامد [الإسفراييني] ، وسمع الحديث الكثير ، ورحل إلى البَصرة ، ونَيسابور ، وأصبهان ، وهمَذان ، والشام ، والحجاز ، وسُمي الخطيب لأنَّه كان يخطب بدَرْزيجان[٤] ، وسمع بمكّة على القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القُضاعي ، وقرأ « صحيح البخاري » على كريمة بنت أحمد في خمسة أيام ، ورجع إلى بغداد فحظي عند الوزير أبي القاسم بن المَسْلَمة ، ولمّا ادّعى اليهود الخيابرة : أنّ معهم كتاباً نبويّاً فيه إسقاط الجزية عنهم ، أوقف [ابن مَسْلَمة] الخطيب [على هذا الكتاب] فقال : هذا كذب . فقيل : ما الدليل على ذلك ؟ فقال : لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر ، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة ، وإسلام معاوية يوم الفتح ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان توفي عام الخندق سنة خمس ، فأعجب الناس ذلك ، وقد سُبِق الخطيب إلى هذا النقد [سبقه محمد بن جرير] كما ذكرت في مصنّف مفرد .

ولمّا وقعت فتنة البساسيري ببغداد سنة خمسين خرج منها إلى الشام ، فأقام بدمشق في المئذنة الشرقية من جامعها ، يقرأ على الناس الحديث النبوي ، وكان جهوري الصوت يُسمع صوته من أرجاء الجامع

---

(١) الأنساب (٥/ ١٥١) ، تاريخ دمشق (٧/ ٢٢) ، المنتظم (٨/ ٢٦٥) ، معجم الأدباء (٤/ ١٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٨) ، وفيات الأعيان (١/ ٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٠) الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ليوسف العش .

(٢) هذا هو الصواب الذي ليس فيه ارتياب ، فقد ذكر الخطيب في ترجمة أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين أنه ولد في يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٩٢ (تاريخ مدينة السلام ١٣/ ١٣٥ بتحقيقنا) ، وكذلك أجاب حين سأله غيث بن علي الصوري (معجم الأدباء ١/ ٣٨٥ بتحقيق العلامة إحسان عباس) . أما ما جاء في المنتظم من أنه ولد في سنة ٣٩١ فغلط محض (بشار) .

(٣) تحرفت في (ط) إلى : أبي طالب الطبري ، وقد تقدمت ترجمة أبي الطيب في وفيات سنة ٤٥٠ .

(٤) في الأصل و(ط) : درب ريحان ، وهو تحريف ، فقد ذكر ياقوت في معجمه (٢/ ٤٥٠) أن درزيجان قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي ، منها كان والد الخطيب البغدادي وكان يخطب بها .

كلّها ، فاتفق أنّه قرأ يوماً فضائل العبّاس فثار عليه الروافض ، وأتباع الفاطميين ، وأرادوا قتله ، فتشفَّع بالشريف الزَّينبي(١) فأجاره ، وكان مسكنه بدار العقيقي .

ثم خرج من دمشق فأقام بمدينة صور فكتب شيئاً كثيراً من مصنّفات أبي عبد الله الصوريّ بخطّه ، كان يستعيرها من زوجته ، فلما يزل مقيماً بالشام إلى سنة ثنتين وستين ، ثمّ عاد إلى بغداد ، فحدّث بأشياء من مسموعاته ، وقد كان سأل الله تعالى بمكّة أن يملك ألف دينار ، وأن يحدّث بالتاريخ بجامع المنصور ، وأن يموت ببغداد فيدفن إلى جانب بشر الحافي ، فيقال : إنه حدَّث بالتاريخ بجامع المنصور ، وإنه ملك ذهباً يقارب ألف دينار ، وحين احتضر كان عنده قريب من مئتي دينار ، فأوصى بها لأهل الحديث ، وسأل السلطان أن يمضي له ذلك ، فإنّه لم يترك وارثاً ، فأجيب إلى ذلك .

وله مصنفات كثيرة مفيدة منها : « التاريخ » وكتاب « الكفاية » ، و« الجامع » ، و« شرف أصحاب الحديث » ، و« المتفق والمفترق » ، و« السابق واللاحق » ، و« تلخيص المتشابه في الرسم » ، و« فصل الوصل » ، و« رواية الآباء عن الأبناء » ، و« رواية الصّحابة عن التابعين » ، و« اقتضاء العلم العمل » ، وغير ذلك . وقد سردها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في « المنتظم »(٢) قال : ويقال : إنَّ هذه المصنفات أكثرها [لأبي عبد الله الصُّوري أو] ابتدأها أبو عبد الله الصُّوري فتمّمها الخطيب [وجعلها لنفسه](٣) .

وقد كان حسن القراءة ، فصيح اللَّفظ ، عارفاً بالأدب ، يقول الشعر ، وقد كان أولاً على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، فانتقل إلى مذهب الشافعي ، ثمّ صار يتكلّم في أصحاب أحمد ، ويقدح فيهم ما أمكنه ، وله دسائس عجيبة في ذمّهم ، ثمّ شرع ابن الجوزي ينتصر لأصحابه [ويذكر مثالب الخطيب ، ودسائسه ، وما كان عليه من محبّة الدنيا والميل إلى أهلها] ، بما يطول ذكره ، وقد أورد من شعر الخطيب قصيدة نقلها من خطّه ، جيّدة المطلع ، حسنة المنزع ، أولها :

---

(١) هذا غلط محض من المؤلف إن صح عنه ، فآل الزينبي بغداديون ، وإنما تشفع بصديقه الحميم الشريف أبي القاسم علي بن إبراهيم بن أبي الجن العلوي وكان ابن أبي الجن هذا يتظاهر بالتشيع مداراةً للدولة العبيدية لكنه كان سنياً ، قال الذهبي : « كان صدراً نبيلاً مرضياً ثقة محدثاً مهيباً سنياً ممدوحاً بكل لسان » (تاريخه ١١/ ١١٥) ، وقد حذّر ابن أبي الجن الوالي من قتله بأن قال له : هذا الرجل مشهور بالعراق وإن قتلته قُتل به جماعة من الشيعة بالعراق وخُربت المشاهد (معجم الأدباء ١/ ٣٩٣) وتنظر مقدمتي لتاريخ الخطيب (١/ ٣٤ ـ ٣٥) (بشار) .

(٢) المنتظم (٨/ ٢٦٦) ، وذكر ابن خلّكان في الوفيات (١/ ٩٢) : أنه صنف قريباً من مئة مصنف ، قد أحصى المرحوم يوسف العش مؤلفاته ، فبلغت واحداً وسبعين مؤلفاً وذكر أماكن وجودها ، وأشار إلى المطبوع منها والمخطوط ، وذلك في كتابه : الخطيب البغدادي ص(١٢٠ ـ ١٣٤) وللدكتور أكرم العمري كتاب قيم سماه : موارد الخطيب ، وقد أحصى فيه ستة وثمانين مصنفاً للخطيب ، رحمه الله .

(٣) قال الذهبي في السير (١٨/ ٢٨٣) : ما الخطيب بمفتقر إلى الصوري ، هو أحفظ ، وأوسع رحلة ، وحديثاً ، ومعرفة .

لعمركَ ما شجاني رسمُ دارٍ وقفتُ بهِ ولا ذِكر[١] المغاني
ولا أثَرُ الخيامِ أراقَ دمْعي لأجلِ تَذكّري عهدَ الغواني
ولا مَلَكَ الهوى يوماً قِيادي ولا عاصيتُهُ فثَنى عِناني
عرفتُ فعالَهُ بذوي التّصابي وما يلقونَ من ذلّ الهوانِ
فلم أطمعْهُ فيّ وكمْ قتيلٍ لهُ في النّاسِ ما يحصى دعاني
طلبتُ أخاً صحيحَ الودِّ مخضاً[٢] سليمَ الغيبِ محفوظ[٣] اللّسانِ
فلم أعرفْ منَ الإخوانِ إلا نِفاقاً في التَّباعدِ والتداني
وعالَمُ دهرِنا لا خير فيهِ ترى صُوراً تروقُ بلا مَعاني
ووصفُ جميعهمْ هذا فما أن أقولَ سوى فلانٍ أو فلانِ
ولمّا لم أجدْ حرّاً يواتي على ما نابَ من صرفِ الزمانِ
صبرتُ تكرّماً لقراعِ دهري ولم أجزعْ لما منه دهاني
ولم أكُ في الشدائدِ مُستكيناً أقولُ له ألا كُفّي كَفاني
ولكنّي صليبُ العُودِ عودٌ ربيطُ الجأش مجتمعُ الجنان
أبيّ النّفسِ لا أختار رِزقاً يجيء بغير سيفي أو لساني[٤]
فعزٌّ في لظى باغيه يشوي[٥] ألذُّ من المذلّةِ في الجِنانِ

وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » ترجمة حسنة كعادته ، وأورد من شعره قوله :

لا تغبطنَّ أخا الدنيا لعيشته[٦] ولا لِلذّةِ وقتٍ عَجّلتْ فَرَحا
فالدّهرُ أسرعُ شيءٍ في تقلُّبهِ وفِعْلُهُ بيّنٌ للخَلق قد وَضَحا
كمْ شاربٍ عَسلاً فيه منيّتُه وكم تقلّد سيفاً مَنْ به ذُبحا[٧]

وقد كانت وفاته يوم الإثنين ضحى السابع من ذي الحجة من هذه السنة ، وله ثنتان وسبعون سنة في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة ، جوار المدرسة النظاميّة ، واحتفل الناس بجنازته ، وحمل [نعشه]

(١) في (ط) : رسم .
(٢) في (ط) : محظى .
(٣) في المنتظم : مأمون .
(٤) في (ب) و(ط) والمنتظم : سنأتي .
(٥) في (ط) : يهوى ، وفي المنتظم : يشوى .
(٦) في (ب) وتاريخ دمشق : لزخرفها .
(٧) تحرف الشطر الثاني في (ط) إلى : وكم مقلّد سيفاً من قربه ذبحا .

فيمن حمل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، ودفن إلى جانب بشر الحافي ، في قبر رجل كان قد أعدَّه لنفسه ، فسئل أن يتركه للخطيب ، فشحّت به نفسه ، حتى قال له بعض الناس : بالله عليك لو قُدّمت أنت والخطيب إلى بشر ، أيُّكما كان يجلس إلى جانبه ؟ فقال : الخطيب ، فقيل : فاسمح له به . فوهبه له ، فدفن فيه رحمه الله وأكرم مثواه ، وهو ممن ينشد له قول الشاعر :

ما زلتَ تدأبُ في التاريخ مجتهداً حتى رأيتُك في التاريخِ مكتُوبا

وحكى ابن خلّكان عن السّمعاني : أنّه توفّي في شوال[١] ، وأنّه تصدّق بجميع ماله ، وأوقف كتبه ، رحمه الله[٢] .

حسّان بن سعيد بن حسّان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن مَنِيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي المَنِيعي[٣] .

كان في شبابه يجمع بين الزهد والتجارة ، حتى ساد أهلَ زمانه ، ثمّ ترك ذلك ، وأقبل على العبادة ، والزهد ، والبرّ ، والصّلة ، والصدقة ، والإحسان إلى الخلق ، وبناء المساجد والرباطات ، وكان السلطان يأتي إليه ، ويتبرّك به ، ولما وقع الغلاء كان يعمل كل يوم شيئاً كثيراً من الخبز والطعام فيتصدّق به ، وكان يكسو في كلِّ سنة قريباً من ألف نفس ثياباً وجباباً وفِراءً ، وكذلك [كان يكسو الأرامل وغيرهن من] النساء ، ويجهّز بنات الفقراء الأيتام ، وأسقط أشياء كثيرة من المكوس والوظائف السلطانيّة عن نيسابور وقراها ، وهو في غاية التبذّل والثياب الأطمار[٤] ، ولم يزل كذلك حتى كانت وفاته ببلدة مَرو الرُّوذ في هذه السنة ، تغمّده الله برحمته ، آمين .

محمد بن الحسن بن حمزة[٥] أبو علي الجعفري ، فقيه الشّيعة في زمانه .

محمد بن وِشاح بن عبد الله[٦] أبو علي ، مولى أبي تمّام محمد بن علي بن الحسن الزَّيْنَبي .

سمع الحديث ، وكان أديباً شاعراً ، وكتب لنقيب النقباء الكامل ، وكان ينسب إلى الاعتزال والرَّفض ، ومن شعره :

---

(١) لا يصح هذا .
(٢) من قوله : وحكى ابن خلكان . . إلى هنا ساقط من (ط) .
(٣) الأنساب (المنيعي) ، المنتظم (٨/ ٢٧٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٦٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٣١٣) .
(٤) « الثوب الطِّمر » : الخَلَق البالي .
(٥) المنتظم (٨/ ٢٧١) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٨) واسمه فيهما : محمد بن الحسين .
(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٣٣٦) ، المنتظم (٨/ ٢٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٩٦) عرضاً .

حملتُ العصا ، لا الضعفُ أوجبَ حملَها علـيّ ولا أنـي تحنَّيـت[١] مـن كِبَـر
ولكننـي ألـزمـتُ نفسـي بحملهـا لأعْلِمَهـا أنَّ المقيـمَ علـى سفـرِ

ومن توفي في هذه السنة :

الشيخ أبو عمر بن عبد البرِّ النَّمَريّ[٢] الحافظ .

صاحب التَّصانيف [المليحة الهائلة] ، منها : « التمهيد » و« الاستذكار » و« الاستيعاب » وغيرها رضي الله عنه ، ورحمه بمنّه وكرمه .

ابن زَيْدُون الشاعر[٣] أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون ، أبو الوليد الشاعر الماهر ، الأندلسيّ ، القرطبي .

اتصل بالأمير المعتمد بن عبّاد صاحب إشبيليّة ، فحظي عنده ، وصار عنده مشاوراً في منزلة الوزير ، ووزر له ولده أبو بكر بن أبي وليد ، وهو صاحب القصيدة الفراقيّة المشهورة التي يقول فيها[٤] :

بِنْتُم وَبِنّا فما ابتلّتْ جَوانِحُنا شَـوْقـاً إليكُـم ولا جَفَّـتْ مَـآقِينـا
نَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضمائِرُنا يَقْضِـي عَلَيْنـا الأسَـى لَـوْلا تَـأَسِّينـا
حَالَتْ لبعدِكُمُ أيامُنا فَغَدَتْ سُـوداً ، وكـانـتْ بِكُـم بيضـاً لَيـالينـا
بالأمسِ كنّا ولا يُخشى تفرُّقنا واليـومَ نحـنُ ولا يُـرجـى تـلاقينـا

وهي قصيدة طويلة ، فيها صنعة قويّة ، مهيِّجة للبكاء لكلّ من قرأها أو سمعها ، لأنّه ما من أحد من أبناء الدنيا إلا وقد فقد خِلاً ، أو حبيباً ، أو قريباً ، أو نسيباً .

ومن شعره[٥] :

---

(١) في (ط) : نهلت ، وفي المنتظم : وانحنيت .
(٢) جذوة المقتبس (٣٦٧) ، مطمح الأنفس (٦١) ، الصلة لابن بشكوال (٢/ ٦٧٧) ، وفيات الأعيان (٧/ ٦٦) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٣١٤) وتمام اسمه : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النّمري .
قال ابن خلّكان : النّمري ، بفتح النون والميم وبعدها راء ، هذه النسبة إلى النَّمر بن قاسط ، بفتح النون وكسر الميم ، وإنما تفتح الميم في النسبة خاصة ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة .
(٣) جذوة المقتبس (١٣٠) ، وفيات الأعيان (١/ ١٣٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٤٠) ، نفح الطيب (١/ ٦٢٧ وغيرها) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٨٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٣١٢) .
(٤) ديوانه (٢٩٨ ـ ٢٩٩) .
(٥) ديوانه (١٦٣) .

بيني وبينَكَ ما لو شئتَ لم يضِعِ ... سرٌّ إذا ذاعتِ الأسرارُ لم يُذَعِ
يا بائعاً حظَّه مني ولو بُذِلتْ ... ليَ الحياةُ بحظِّي منه لم أبِعِ
تِهْ أحتملْ ، واستطلْ أصبرْ ، وعِزَّ أهُنْ ... وولِّ أقبلْ ، وقُلْ أسمعْ ، ومُر أطِعِ

توفي في رجب من هذه السنة ، واستمرّ ولده أبو بكر وزيراً للمعتمد بن عبّاد ، حتى أخذ ابن تاشفين قرطبة من يده في سنة أربع وثمانين فقتل يومئذ ، قاله ابن خلّكان في « الوفيات »[١] .

كريمة بنت أحمد بن محمد بن أبي حاتم المَرْوَزِيَّة[٢]

كانت عالمة صالحة ، سمعت « صحيح البخاري » على الكُشْمِيهَني ، وقرأ عليها الأئمة : كالخطيب ، وأبي المظفّر السَّمعاني وغيرهما .

ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمئة

فيها : قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مع الحنابلة في الإنكار على المفسدين ، والذين يبيعون الخمور ، وفي إبطال المواخير[٣] [وفي إبطال المؤَاجرات] ، وهنّ البغايا ، وكوتب السلطان في ذلك فجاءت كتبه بالإنكار .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة ببغداد ، ارتجّت لها الأرض ستّ مرات .

وفيها : كان غلاء شديد ، ومُوتان ذريع [في الحيوانات] ، بحيث إن بعض الرعاة بخراسان قام وقت الصباح ليسرح بغنمه فإذا هنّ قد متن كلّهنّ ، وجاء سيل عظيم ، وبَرَد كبار . فأتلف شيئاً كثيراً من الزروع والثمار بخراسان .

وفيها : تزوج الأمير عُدَّة الدين ، ولي العهد المقتدي بالله ، حفيد القائم بأمر الله بابنة السلطان ألْب آرْسلان سفري خاتون ، وذلك بنيسابور وكان وكيل السلطان نظام الملك ، ووكيل الزوج عميد الدولة ابن جَهير ، وحين عقد العقد نثر على الناس جواهر نفيسة ، وكان يوماً مشهوداً ، زُيِّنت الأفيلة والخيول ، وضُربت الدبادب ، والبوقات .

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ١٣٩) .
(٢) المنتظم (٨/ ٢٧٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٣١٤) ونسبتها إلى مرو الشاهجان ، وهي مرو العظمى ، أشهر مدن خراسان ، والنسبة إليها مروزي على غير قياس . معجم البلدان (٥/ ١١٢) .
(٣) « المواخير » : جمع ماخور : بيت الريبة والخمر ، ومجمع أهل الفسق والفساد .

ومن توفي فيها من الأعيان :

بكرُ بن محمد بن حِيْد(١) أبو منصور النيسابوري .

كان يزعم أنَّه من سلالة عثمان بن عفان ، وروى الحديث عن أبي بكر بن المُذْهب ، وكان ثقة ، توفي في المحرّم(٢) من هذه السنة [وقد قارب الثمانين] .

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله أبو الحسن الهاشمي(٣) خطيب جامع المنصور .

وكان ممن يلبس القلانس الطوال ، حدّث عن ابن زرقويه وغيره ، وروى عنه الخطيب . وكان عدلاً ثقة ، شهد عند ابن ماكولا . وابن الدامغاني فقبلاه ، وتوفي في هذه السنة عن ثمانين سنة ، ودفن بقرب قبر بشر الحافي ، رحمه الله تعالى .

محمد بن أحمد بن شَاده بن جعفر(٤) أبو عبد الله الأصفهاني ، القاضي بدُجيل .

كان شافعيّ المذهب ، وروى المذهب عن أبي عمر(٥) بن مهدي ، وكانت وفاته ببغداد ، ونقل إلى دُجيل [من عمل واسط] .

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمئة

في يوم الخميس حادي عشر المحرّم ، حضر إلى الديوان أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل [العقيلي] الحنبلي ، وقد كتب على نفسه كتاباً يتضمّن توبته من الاعتزال ، ومخالطة أهله ، وأنّه رجع عن اعتقاد كون الحلاج من أهل [الحق و] الخير ، وقد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك ، وأنَّه قد قتل بإجماع علماء عصره [على زندقته] ، وقد كانوا مصيبين [في قتله وما رمَوه به] وهو مخطئ ، وشهد عليه جماعة من الكُتَّاب ، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر ، فسلّم عليه ، وصالحه ، واعتذر إليه وعظّمه ، ولله الحمد والمنّة .

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٩٧) ، والمنتظم (٨/ ٢٧٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٥٢) وحيد ، تحرف في المنتظم إلى : حيدر ، وفي (ط) إلى : حيده .

(٢) في السير : في صفر .

(٣) تاريخ بغداد (٧/ ٣٥٦) ، المنتظم (٨/ ٢٧٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٧٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٨) ، وكنيته في الكامل : أبو الحسين .

(٤) المنتظم (٨/ ٢٧٥) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢١٠) ، وقد تحرفت كلمة شاذة في (ط) إلى شارة ، بالراء .

(٥) في (ط) : عمرو ، خطأ .

وفاة السلطان ألْب آرْسَلان وملك ولده ملك شاه من بعده

كان السلطان قد سار في أول هذه السنة في مئتي ألف مقاتل يريد غزاة بلاد ما وراء النهر ، فاتفق في بعض المنازل أنّه تغضَّب على رجل يقال له : يوسف الخُوارزمي ، فأوقف بين يديه ، فشرع يعاتبه في أشياء صدرت منه ، ثمّ أمر بأن يضرب له أربعة أوتاد ، ويُصْلب بينها ، فقال للسطان : يا مخنّث أمثلي يقتل هكذا ؟ فاحتدّ السلطان ، وأمر بإرساله ، وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطأه ، وأقبل يوسف نحو السلطان ، فنهض عن السرير [خوفاً منه] ، فنزل فعثر فوقع ، وأدركه يوسف فضربه بخنجر كان في يده في خاصرة الملك ، وأدركه الجيش فقتلوه ، وقد جرح السلطان جرحاً منكراً ، فتوفي يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة .

ويقال : إن أهل بخاري لما اجتاز بهم ، ونهب عامةُ عسكره أشياء كثيرة لهم ، دعَوا عليه فهلك .

ولما توفي أجلس ولده ملكشاه على سرير الملك ، وقام الأمراء بين يديه ، فقال له الوزير نظام الملك : تكلَّم أيّها السلطان ، فقال : الأكبر منكم أبي ، والأوسط أخي ، والأصغر ابني ، وسأفعل معكم ما لم أسبق إليه . فأمسكوا ، فأعاد القول ، فأجابوه بالسمع والطاعة ، وقام بأعباء أمره الوزير لأبيه نظام الملك ، فزاد في أرزاق الجند سبعمئة ألف دينار ، وساروا إلى مرو فدفنوا بها السلطان ألب آرْسَلان ، وسيأتي ذكر شيء من ترجمته في الوفيات .

ولمّا بلغ خبر وفاته بغداد ، أقام الناس له العزاء ، وغُلِّقت الأسواق ، وأظهر الخليفة الجزع عليه ، وتسلّبت ابنته الخاتون زوجة الخليفة[١] ، وجلست على التراب .

وجاءت الكتب من السلطان ملك شاه في رجب إلى الخليفة ، يتأسّف فيها على والده ، ويسأل أن تقام له الخطبة [بالعراق] ففعل ذلك ، وخلع ملك شاه على الوزير نظام الملك خلعاً سنيّة وأعطاه تحفاً كثيرة ، من جملة ذلك عشرون ألف دينار ، ولقّبه أتابك [الجيوش] ، ومعناه : الأمير الكبير الوالد ، فسار سيرة حسنة ، ولمّا بلغ قاورن[٢] بيك موت أخيه ألب آرْسلان ، ركب في جيوش كثيرة قاصداً قتال ابن أخيه ملك شاه ، فالتقيا فاقتتلا ، فانهزم أصحاب قاورن ، وأسر هوَ ، فأنّبه ابن أخيه ، ثمّ اعتقله [ثمَّ أرسل إليه من قتله] .

وفيها : جرت فتنةٌ عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلائين ، فاقتتلوا ، فقتل منهم خلق كثير

---

(١) في (ب) و(ط) : وخلعت ابنة السلطان زوجة الخليفة ثيابها . والصحيح أنها أخت السلطان وليست ابنته .

(٢) كذا الأصل ، وفي (ط) والوفيات (٥/ ٢٨٤) : قاروت ، وفي الكامل (١٠/ ٧٨) والمنتظم (٨/ ٢٧٧) : قاورت بتقديم الواو على الراء .

واحترق جانب كبير من الكرخ ، فانتقم المتولّي لأهل الكرخ من أهل باب البصرة والآخرين ، فأخذ من أموالهم شيئاً كثيراً جناية لهم على ما صنعوا .

وفيها : أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس .

وفيها : ملك صاحب سمرقند وهو [محمد] ألتكين مدينة ترمذ ، وفيها : حجّ بالناس أبو الغنائم العلوي ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

السلطان ألب آرْسَلان[١] الملقب بسلطان العالم ، ابن جغْري بك[٢] داود بن مِيكائيل بن سُلْجوق بن تُقاق[٣] التركيّ ، صاحب الممالك المتَّسعة .

وقد ملك بعد عمّه طُغْرُلْبَك سبع سنين وستة أشهر وأياماً . وكان عادلاً يسير في الناس سيرة حسنة ، كريماً رحيماً ، شفوقاً على الرعيّة ، رفيقاً على الفقراء ، بارّاً بأهله وأصحابه ومماليكه ، كثير الدعاء بدوام ما أُنعم به عليه ، كثير الصدقات ، يتصدّق في كلّ رمضان بخمسة عشر ألف دينار ، ولا يُعرف في زمانه جناية ، ولا مصادرة ، بل يقنع من الرعايا بالخراج في قسطين ، رفقاً بهم ، كتب إليه بعض السُّعاة في نظام الملك [وزيره ، وذكر ما له في ممالكه] ، فاستدعاه ، وقال له : إنْ كان هذا صحيحاً ؛ فهذّب أخلاقك ، وأصلح أحوالك ، وإن لم يكن صحيحاً ؛ فاغفر لهم زلّتهم بمهمٍّ يَشغلهم عن السعايات بالناس . وكان شديد الحرص على حفظ مال الرعايا ، بلغه أن غلاماً من غلمانه أخذ إزاراً لبعض التجار فصلبه ، فارتدع سائر المماليك به خوفاً من سطوته . وترك من الأولاد : ملك شاه الذي قام بالأمر من بعده ، وإياز ، وتكش[٤] ، وبوري برس ، وآرْسلان ، وآرغو ، وسارة ، وعائشة ، وبنتاً أخرى . وكانت وفاته في هذه السنة عن إحدى وأربعين سنة ، ودفن عند والده بالريّ ، رحمه الله تعالى .

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٧٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٣ ـ ٧٥) ، وفيات الأعيان (٥/ ٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤١٤) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٣٠٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٩٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٣١٨) .
قال ابن خلّكان : وألب آرسلان ، بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة وبقية الاسم معروفة ، وهو اسم تركي معناه شجاع أسد ، فألب : شجاع ، وآرسلان : أسد .

(٢) في (أ) : ابن جفري بك بن داود . خطأ .

(٣) قال الذهبي في السير (١٨/ ٢٤٣) : وجدهم تقاق ، تفسيره : قوس حديد ، فكان أول من أسلم من الترك من السلجوقية .

(٤) في (ط) : تكشر .

أبو القاسم القُشَيريّ(١) [**صاحب « الرسالة »**] عبد الكريم بن هَوازِن بن عبد الملك(٢) بن طلحة .

وأمّه من بني سليم ، توفي أبوه ، وهو طفل ، فقرأ الأدب والعربيّة ، وصحب الشيخ أبا علي الدّقاق ، وأخذ الفقه عن أبي بكر بن محمد الطُّوسي ، والكلام عن أبي بكر بن فُورَك ، وصنّف الكثير ، فله : « التفسير الكبير » ، و« الرسالة » التي ترجم فيها جماعة من المشايخ والصالحين ، وحجّ صحبة إمام الحرمين وأبي بكر البَيْهَقي الحافظ ، وكان يعظ النّاس ، وتوفي بنيسابور في هذه السنة عن سبعين سنة ، ودفن إلى جانب شيخه أبي علي الدّقاق ، ولم يدخل أحد من أهل بيته بيت كتبه ، إلا بعد سنين احتراماً له ، وكانت له فرس يركبها ، وقد أهديت إليه ، فلمّا توفي لم تأكل علفاً حتى نفقت بعده بيسير ، فماتت ، ذكره ابن الجوزي .

وقد أثنى عليه القاضي ابن خلّكان في « الوفيات » [ثناءً] كثيراً ، وذكر شيئاً من شعره الرّائق ، فمن ذلك قوله :

سَقَى اللهُ وقتاً كنتُ أخلُو بِوَجْهِكُمْ ... وثَغْرُ الهوى في رَوضَةِ الأنْسِ ضاحِكُ
أقمنَا(٣) زَمانـاً والعيـونُ قـريـرةٌ ... وأصْبَحْتُ يوماً والجُفُونُ سَوافِكُ

وقوله أيضاً ، رحمه الله تعالى :

لـو كنـتَ سـاعـةَ بيننـا مـا بيّنَـا ... وشهـدتَ حيـنَ فِـراقنـا(٤) التـوديعـا
أيقنـتَ أنَّ مـن الـدمـوع محـدِّثـاً ... وعلمـتَ أنَّ مـن الحـديـثِ دُمُـوعـا

ومن ذلك قوله أيضاً :

ومنْ كانَ في طولِ الهوى ذاقَ سَلْوةً ... فـإنّـيَ مـن ليلـى بهـا(٥) غيـر ذائـقِ
وأكبـرُ(٦) شـيءٍ نلتُـه مـن وِصـالِهـا ... أمـانـيَ لـم تصـدق كخطفـةِ بـارِقِ

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٨٣) ، الأنساب (١٠/ ١٥٦) ، المنتظم (٨/ ٢٨٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٨٨) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٢٧) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٩١) ، طبقات السبكي (٥/ ١٥٣) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٣٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٣١٩) .
والقشيري ، بضم القاف وفتح الشين وسكون الياء وفي آخرها راء ، هذه النسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، قبيلة كبيرة .

(٢) في بعض النسخ : « عبد المطلب » وهو خطأ بيّن .

(٣) في الوفيات والسير : أقمت .

(٤) في بعض النسخ : تكرر .

(٥) في (ط) : لها .

(٦) في (ط) : وأكثر .

ابن صُرّبَعْر الشاعر[١] اسمه عليّ بن الحسن[٢] بن علي بن الفضل ، أبو منصور الكاتب المعروف : بابن صُرّبَعْر .

وكان نظام الملك يقول له : أنت صُرَّدُرّ ، لا صُرّبَعْر . وهجاه بعضهم فقال :

لئن نَبَذ الناسُ قِدماً أباكَ فسمّوهُ من شحّه صُرَّبَعْرا[٣]
فإنّك تنثر[٤] ما صَرَّهُ عُقوقاً له ، وتسمّيه شِعرا

قال ابن الجوزي : وهذا ظلم فاحش ، فإن شعره في غاية الحسن ، ثمّ أورد له قِطَعاً حساناً من شعره فمن ذلك قوله :

إيهِ أحاديثَ نُعمانَ وسَاكنَهُ إنَّ الحديثَ عن الأحبابِ مختارُ[٥]
أفتِّش الريحَ[٦] عنكم كلّما نَغَمت من نحو أرضكمُ مِسْكٌ[٧] ومعطار[٨]

قال : وقد حفظ القرآن ، وسمع الحديث من ابن بشران[٩] وغيرهما ، وحدّث كثيراً ، وركب يوماً دابة فتردّى عنها هو ووالدته [فسقطا بالشُّونيزيّة][١٠] في بئر فماتا ، ودفنا في باب أبرز[١١] ، وذلك في صفر من هذه السنة .

[قال ابن الجوزي[١٢] : قرأت بخط ابن عقيل ، صُرَّبَعْر : جارنا[١٣] بالرصافة ، وكان ينبذ الإلحاد .

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٨٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٨٨) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٨٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠٣) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٩٤) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٢٢) .
(٢) في بعض النسخ : « الحسين » ، محرف .
(٣) في الكامل : فسمّوه من شعر صرّبعرا .
(٤) في المنتظم : تنبذ بالصبر بعرا . وفي الكامل : تنظم اصره .
(٥) في (ط) والمنتظم : أسمار .
(٦) في المنتظم : الركب .
(٧) في الأصل : مسكاً .
(٨) في (ط) مسكاً فأرضكم مسك أو إعطار .
(٩) تحرفت في (ط) إلى : شيران .
(١٠) الشونيزية : مقبرة ببغداد بالجانب الغربي دفن فيها جماعة من الصالحين ، وهناك خانقاه للصوفية . وفي السير : وقع به الفرس في زُبية للأسد ، فهلكا معاً .
(١١) في (ط) : « بيرر » وفي (ب) : « تبريز » وكله تحريف ، وما أثبتناه هو الصواب ، ومقبرة باب أبرز من مقابر الجانب الشرقي من بغداد ، وطبيعي أن يدفن فيها ، فهو من أهل الرصافة التي تقع في الجانب الشرقي (بشار) .
(١٢) المنتظم (٨/ ٢٨٢) .
(١٣) كذا الأصل ، وفي المنتظم : خازناً .

وقد أورد له ابن خلِّكان(١) شيئاً من أشعاره ، وأثنى عليه في فنّه ، والله أعلم بحاله] .

محمد بن علي بن محمد بن عُبيد الله(٢) بن عبد الصمد بن المهتدي بالله(٣) أبو الحسين ، ويعرف بابن الغريق(٤) .

ولد سنة سبعين وثلاثمئة ، وسمع الدّارقطني ، وهو آخر من حدّث عنه في الدنيا ، وابن شاهين ، وتفرّد عنه وسمع خلقاً آخرين .

وكان ثقة ديِّناً كثير الصلاة والصيام ، فكان يقال له : راهب بني هاشم . وكان غزير العلم والعقل ، كثير التِّلاوة ، رقيق القلب ، رحل إليه الطلبة من الآفاق ، ثمّ ثَقُل سمعه ، فكان يقرأ على الناس ، وذهبت إحدى عينيه ، خطب وله ست عشرة سنة ، وشهد عند الحكام [سنة ست وأربعمئة ، وولي الحكم سنة تسع وأربعمئة ، وأقام خطيباً بجامع المنصور وجامع الرصافة ستاً وسبعين سنة وحكم] ستاً وخمسين سنة ، وتوفي سلخ ذي القعدة من هذه السنة ، وقد جاوز تسعين سنة ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، ورؤيت له منامات صالحة .

ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمئة

في صفر ، جلس الخليفة جلوساً عاماً [وعلى رأسه حفيده الأمير عدة الدّين ، أبو القاسم عبد الله(٥)] وعمره يومئذ ثماني عشرة سنة [وهو في غاية الحسن ، وحضر الأمراء والكبراء] ، فعقد الخليفة بيده لواء السلطان ملك شاه [وكثر الزحام يومها ، وهنّأ الناس بعضهم بعضاً بالسلامة] ، وكان يوماً مشهوداً .

صفة غرق بغداد في هذه السنة

وفي جمادى الآخرة ، جاء مطر عظيم ، وسيلٌ قوي كثير ، وزادت دجلة حتى غرّقت جانباً كبيراً من بغداد ، وحتى خلص ذلك إلى دار الخلافة ، فخرجت الجواري حاسرات [عن وجوههن] حتى صرن إلى الجانب الغربي ، وهرب الخليفة من مجلسه ، فلم يجد طريقاً يسلكه ، فحمله بعض الخدم إلى التاج ،

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) .

(٢) في (ط) : « عبد الله » خطأ بيّن ، وما أثبتناه هو الموافق لما في مصادر ترجمته (بشار) .

(٣) تاريخ بغداد (٣/ ١٠٨) ، المنتظم (٨/ ٢٨٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٨٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٤١) ، الوافي بالوفيات (٤/ ١٣٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٢٤) .

(٤) تصحفت في (ط) إلى : العريف .

(٥) في (ط) بعد هذا : « ابن المهتدي بالله » وهو غلط محض فهو عبد الله بن محمد ابن الخليفة القائم ، وهو المقتدي بأمر الله فيما بعد (بشار) .

وكان ذلك يوماً عظيماً ، [وأمراً هائلاً] ، وهلك للناس أموال عظيمة جدًّا ، ومات خلق كثير تحت الردم ، من أهل بغداد والقرايا ، وجاء على وجه السيل من الأخشاب والوحوش والحيّات شيء كثير جدًّا ، وسقطت دور كثيرة من الجانبين ، وغرقت قبور كثيرة ، من ذلك مقبرة الخيزران ، ومقبرة الإمام أحمد بن حنبل ، ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العَضُدي ، وأتلف السيل من الموصل شيئاً كثيراً ، وصدم سور سنجار ، فهدمه وأخذ بابه من موضعه إلى مسيرة أربعة فراسخ[١] .

وفي ذي الحجَّة جاءت ريح شديدة بالبصرة ، فاجْتُثَّ منها نحو من خمسة[٢] آلاف نخلة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن أحمد[٣] **أبو الحسين السِّمْنانيّ ، الأشعري الحنفي** ، قال ابن الجوزي : وهذا من الغريب .

تزوّج قاضي القضاة ، أبو عبد الله الدامغاني ابنته ، وولاه نيابة القضاء ، وكان ثقة نبيلاً ، من ذوي الهيئات ، جاوز الثمانين .

عبد العزيز بن أحمد بن علي بن سليمان أبو محمد الكتَّاني[٤] **الحافظ الدمشقي** .

سمع الكثير ، وكتب كثيراً ، وصنّف ، فأجاد وأفاد ، وله في الفضائل أشياء كثيرة غريبة ، وبعض ما يرويه موضوع ، ولا ينبّه عليه ، مع أنّه كان ثقة ضابطاً ، حافظاً ، صدوقاً ، مستقيم الطريقة والاعتقاد ، سلفي المذهب [وقد كان يملي من حفظه] ، وقد كتب عنه الحافظ أبو بكر الخطيب .

محمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن جعفر[٥] **أبو بكر العطّار ، الأصبهاني الحافظ** ، مستملي أبي نعيم .

سمع الكثير ، وكان يملي من حفظه ، كتب عنه الخطيب حديثاً واحداً ، وكان عظيماً في بلده ثقة نبيلاً جليلاً ، وكانت وفاته في هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٨٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٩٠) .
(٢) في (ط) : عشرة .
(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٣٨٢) ، المنتظم (٨/ ٢٨٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٩٣) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠٤) ، الجواهر المضية (١/ ٢٥٤) .
والسمناني : بكسر السين أو فتحها ، نسبة إلى سمنان ، قرية بالعراق . معجم البلدان (٣/ ٢٥١) .
(٤) الإكمال (٧/ ١٨٧) ، المنتظم (٨/ ٢٨٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٩٣) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٣٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٤٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٢٥) .
(٥) تاريخ بغداد (١/ ٤١٧) ، المنتظم (٨/ ٢٨٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٨٨) ، الوافي بالوفيات (١/ ٣٥٥) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٩٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٢٥) ولم ترد هذه الترجمة في (ط) .

الماوردية : ذكر ابن الجوزي[١] أنّها كانت عجوزاً صالحة ، من أهل البصرة ، تعظ النساء بها ، وكانت تكتب وتقرأ ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لا تفطر نهاراً ، ولا تنام ليلاً ، وتقتات بخبز الباقلاء ، وتأكل التين اليابس لا الرطب ، وشيئاً يسيراً من العنب والزبيب ، وربّما أكلت من اللحم اليسير ، وحين توفيت تبع كلّ البلد جنازتها ، ودفنت في مقابر الصالحين .

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمئة

في صفر منها مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضاً شديداً [انتفخ منها حلقه ، وامتنع من الفصد ، فلم يزل الوزير فخر الدولة عليه حتى] افتصد ، فصلح الحال [وكان الناس قد انزعجوا] ، وفرح الناس بعافيته .

وجاء في هذا الشهر سيل عظيم ، [قاسى الناس منه شدة عظيمة ، ولم تكن أكثر أبنية بغداد تكاملت من الغرق الأول ، فخرج الناس إلى الصحراء ، فجلسوا على رؤوس التلال تحت المطر .

ووقع وباءٌ عظيم بالرحبة] ، فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف ، وكذلك وقع بواسط ، والبصرة ، وخوزستان ، وأرض خراسان ، وغيرها .

صفة موت الخليفة القائم بأمر الله

افتصد في آخر يوم من رجب من بواسير كانت تعتاده من عام الغرق ، ثمّ نام بعد ذلك فانفجر فصاده فاستيقظ ، وقد سقطت قوّته ، وحصل الإياس منه ، فاستدعى بحفيده ، ووليّ عهده من بعده عدّة الدين أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم ، وأحضر إليه القاضي والنقباء ، وأشهدهم عليه ثانياً بولاية العهد له من بعده فشهدوا . ثمّ كانت وفاته في منتصف شعبان عن أربع وسبعين[٢] سنة ونصف ، وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة ونصف[٣] ، فلم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة ، وقد جاوزت خلافة أبيه قبله أربعين سنة ، فكان مجموع أيامهما خمساً وثمانين سنة ونصف ، وذلك مقارباً لدولة بني أميّة كلّها .

وقد كان القائم بأمر الله جميلاً مليح الوجه ، أبيض ، مشرباً [بحمرة] فصيحاً ، ورعاً ، زاهداً ، أديباً ، كاتباً ، بليغاً ، كما تقدّم [شيء من] شعره بحديثةِ عانة سنة خمسين ، وكان عادلاً كثير الإحسان إلى الناس ، رحمه الله تعالى .

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٨٩) .
(٢) كذا الأصل ، والكامل في التاريخ (١٠/ ٩٤) وفي (ط) : وتسعين .
(٣) كذا الأصل ، وفي (ط) : وثمانية أشهر . وفي الكامل : وثمانية أشهر وأياماً .

وغسّله الشريف أبو جعفر بن موسى الحنبلي ، عن وصيّة الخليفة بذلك . فعُرض على الشريف أبي جعفر ما هنالك من الأثاث والأموال فلم يقبل منه شيئاً ، وصُلِّي على الخليفة ، ودفن عند أجداده ، ثمّ نقل إلى الرَّصافة ، فقبره يزار إلى الآن . [وغُلِّقت الأسواق لموته ، وعلِّقت المسوح ، وناحت عليه نساء الهاشميين وغيرهم ، وجلس الوزير ابن جَهِير وابنه للعزاء على الأرض وخرق الناس ثيابهم ، وكان يوماً عصيباً ، واستمرّ الحال كذلك ثلاثة أيام] .

وقد كان من خيار بني العبّاس ، ديناً ، واعتقاداً ، ودَولةً ، وقد امتحن من بينهم بفتنة البساسيري التي اقتضت إخراجه من داره ، ومفارقة أهله وأولاده ، فأقام بحديثة عانة سنة كاملة ، ثمَّ أعاد الله نعمته عليه ، وخلافته إليه ، كما قال الشاعر :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتَهم إذ هم قريش ، وإذْ ما مثلهم بشر

[وقد تقدم له في ذلك سلف صالح كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص : ٣٤] وقد ذكرنا ملخّص ما ذكره المفسّرون في سورة « صٓ » ، وبسطنا الكلام عليه في هذه القصّة العباسيّة ، والفتنة البساسيرية ، في سنة خمسين ، وإحدى وخمسين وأربعمئة] .

خلافة المقتدي بأمر الله

وهو أبو القاسم عدّة الدين عبد الله ابن الأمير ذخيرة الدّين محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله بن القادر العباسي ، وأمّه أرمنيّة ، واسمها أرجوان ، وتدعى قرّة العين ، أدركت خلافة ولدها هذا ، وخلافة ولديه من بعده ، المستظهر ، والمسترشد ، [وقد كان أبوه توفي وهو في الحمل ، فحين ولد ذكراً ، فرح به جدُّه والمسلمون فرحاً شديداً ، إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القادري ، لأن من عداهم كانوا يتبذّلون في الأسواق ، ويختلطون مع العوام ، وكانت القلوب تنفر من تولية أولئك الخلافة على الناس ، ونشأ هذا في حجر جدّه القائم بأمر الله ، يربِّيه بما يليق بأمثاله ، ويدرّبه على أحسن السجايا ، ولله الحمد] .

وكان عمر المقتدي حين ولي الخلافة عشرين سنة ، وهو في غاية الجمال خَلقاً وخُلُقاً ، وكانت بيعته يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، جلس في دار الشجرة بقميص أبيض ، وعمامة بيضاء [لطيفة ، وطرحة قصب أدرية] وجاء الوزراء والأمراء ، والأشراف ووجوه الناس ، فبايعوه ، فكان أول من بايعه الشريف(١) أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي ، وأنشده قول الشاعر :

(١) في بعض النسخ : « بعد الشريف » ، ولا يصح ، ومن هنا من (ط) .

إذا سَيِّدٌ مِنَّا مضَى قَامَ سَيِّدٌ

ثم أرتِجَ عليه ، فلم يدر ما بعده ؛ فقال الخليفة :

قَؤُول بما قالَ الكِرَامُ فَعُولُ

وبايعه من شيوخ العلم : الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، والشيخ أبو نصر الصبّاغ الشافعيان ، والشيخ أبو محمد التميمي الحنبلي ، وبرز فصلّى بالناس العصر ، ثمّ بعد ساعة أخرج تابوت جده ، بسكون ووقار ، من غير صراخ ، ولا نوح ، فصلّى عليه ، وحُمل إلى المقبرة .

وقد كان المقتدي بالله شهماً ، شجاعاً ، أيامُه كلُّها مباركة ، والرزق دارٌّ ، والخلافة معظَّمة جدًّا ، وتصاغرت الملوك له [وتضاءلوا بين يديه] ، وخُطِبَ له بالحرمين ، وبيت المقدس ، والشاميّات كلّها ، واسترجع المسلمون الرُّها ، وأنطاكية [من أيدي العدوّ] ، وعمّرت بغداد ، وغيرها من البلاد ، واستوزر ابن جَهير [ثمّ أبا شجاع ، ثم أعاد ابن جَهير] ، وقاضيه ابن الدامغاني ، ثمّ أبو بكر الشاشيّ ، وهؤلاء [مِنْ] خيار القضاة والوزراء ، ولله الحمد .

وفي شعبان أخرج المفسدات من الخواطىء وغيرها من بغداد على حُمُراتٍ [وأمرهن أن] ، ينادين على أنفسهنّ بالعار والفضيحة ، وخرّب [الخمَّارات ، ودور الزواني ، والمغاني ، وأسكنهن الجانب الغربي مع الذلّ والصغار] ، وخرّب أبرجة الحمام [ومنع اللعب بها ، وأمر الناس باحتراز عوراتهم في الحمّامات ، ومنع أصحاب الحمامات] أن يصرفوا فضلاتها إلى دِجلة ، وألزمهم بحفر آبار لتلك المياه القذرة ، صيانة لماء الشرب .

وفي شوّال ، وقعت نار في أماكن متعدّدة ببغداد حتى في دار الخلافة ، فأحرقت شيئاً كثيراً من الدور والدكاكين ، ووقع في واسط حريق في تسعة أماكن ، واحترق فيها أربعة وثمانون داراً ، وستة خانات [وأشياء كثيرة] .

وفيها : عمل الرصد للسلطان ملك شاه ، اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجّمين ، وأنفق عليه أموالٌ كثيرة ، وبقي الرّصد دائراً حتى مات السلطان ، فبطل(١) .

وفي ذي الحجّة أعيدت الخطبة بمكة للمصريين ، وقُطعت خطبة العباسيين ، وذلك لمّا قوي أمر صاحب مصر بعدما كان ضعيفاً بسبب غلاء بلده ، فلما رخصت تراجع الناس إليها ، وطاب العيش بها ، وقد كانت الخطبة العباسيّة بمكّة أربع(٢) سنين وخمسة أشهر ، وستعود على ما كانت على ما سيأتي بيانه في موضعه .

---

(١) الكامل في التاريخ (١٠/٩٨) .

(٢) في (ط) : أربعين سنة ، وهذا خطأ . الكامل في التاريخ (١٠/٩٨) .

وفي هذا الشهر انجفل أهل السواد من شدّة الوباء ، وقلّة ماء دجلة ونقصها .

وحجّ بالناس الشريف أبو طالب الحسين بن محمد الزَّينبي ، وأخذ البيعة للخليفة المقتدي [بالحرمين] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخليفة القائم بأمر الله(١) وقد ذكرنا شيئاً من ترجمته عند وفاته .

الدَّاوودي(٢) راوي « صحيح البخاري » ، **عبد الرحمن بن محمد بن المظفَّر بن محمد بن داود ، أبو الحَسَن**(٣) **بن أبي طلحة الدّاوودي** .

ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمئة ، سمع الكثير ، وتفقّه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني وأبي بكر القفّال ، وصحب أبا علي الدّقاق ، وأبا عبد الرحمن السُّلَمي ، وكتب الكثير ، ودرّس وأفتى وصنّف ، ووعظ الناس ، وكانت له يد طولى في النظم والنثر ، وكان مع ذلك كثير الذِّكر ، لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى ، دخل عليه الوزير نظام الملك وجلس بين يديه ، فقال له الشيخ : إنّ الله قد سلّطك على عباده ، فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم ، وكانت وفاته ببوشنج(٤) من هذه السنة ، وقد جاوز التسعين ، ومن شعره الجيد قوله :

كانَ في الاجتماعِ بالناسِ نورٌ ... ذهبَ النّور وادْلَهَمَّ الظّلامُ
فَسَدَ الناسُ والزمانُ جميعاً ... فعَلى النّاسِ والزّمانِ السّلامُ

أبو الحسن ، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيّب البَاخَرْزِي(٥) الشاعر المشهور .

اشتغل بالعلم أولاً على أبي محمد الجُويني ، ثمّ عدل إلى الكتابة والشعر ففاق أقرانه ، وله ديوان شعر في غاية الجودة والصنعة ، فمن شعره قوله :

---

(١) وللاستزادة فترجمته في : تاريخ بغداد (٩/ ٢٩٩) ، المنتظم (٨/ ٥٧ و٢٩٥) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٤١٧) و(١٠/ ٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠٧) ، فوات الوفيات (٢/ ١٥٧) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٤ ـ ١١ و٩٧ ـ ٩٨) ، تاريخ الخلفاء (٤١٧) ، معجم الأسرات الحاكمة (٤) .

(٢) المنتظم (٨/ ٢٩٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٠١) وقد جعل وفاته سنة ثمان وستين وأربعمئة ، فوات الوفيات (٢/ ٢٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٢٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٢٧) .

(٣) في بعض النسخ : « الحسين » خطأ ، وما هنا يعضده ما في مصادر ترجمته .

(٤) « بوشنج » ، بالشين المعجمة ، بليدة نزهة خصبة في واد مشجر من نواحي هراة . معجم البلدان (١/ ٥٠٨) وقد ذكر ياقوت المترجم وأورد له شعراً يخاطب فيه أبا حامد الإسفراييني ببغداد .

(٥) معجم البلدان ١/ ٣١٦ ، معجم الأدباء (١٣/ ٣٣ ـ ٤٨ ، وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٧ ـ ٣٨٩ ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٥٢) ، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٦٣ ، وهو صاحب « دمية القصر » المطبوع عدة طبعات .

وإني لأشكو لَسْعَ أصداغك التي عقـاربُهـا فـي وَجْنَتيـك نجـومُ
وأبكـي لـدرِّ الثّغرِ منكَ ولـي أبٌ فكيـف يُـديـمُ الضحـكَ وهـو يتيـمُ

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمئة

قال ابن الجوزي[١] : جاء جراد في شعبان بعدد الرّمل والحصا ، فأكل الغلات ، وآذى أكثر الناس ، وجاعوا فطحن الناس الخرّوب[٢] بدقيق الدخن فأكلوه ، فوقع الوَباء ، ثمّ منع الله تعالى الجراد من الفساد ، فكان يمرّ ولا يضرّ ، فرخصت الأسعار .

قال : ووقع غلاء شديد بدمشق ، واستمرّ ثلاث سنين .

وفيها : ملك نصر بن محمود بن صالح بن مرداس مدينة منبج ، وأجلى عنها الروم .

وفي هذه السنة : ملك الأقسيس مدينة دمشق ، وهزم عنها المعلَّى بن حيدرة نائب المستنصر العُبيدي إلى مدينة نابلس ، وخطب فيها للمقتدي ، وقطعت خطبة المصريين عنها إلى الآن ، وذلك في ذي القعدة في هذه السنة ، فاستدعى المستنصر نائبه فحبسه عنده إلى أن مات في السجن ، ولله الحمد .

قلت : الإقسيس هذا هو أتسز بن أوف الخوارزمي ، ويلقّب بالملك المعظم ، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين ، وأزال الأذان منها بحيّ على خير العمل ، بعد أن كان يؤذَّن به على منابر دمشق ، وسائر الشام مئة وست سنين ، كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي الله عنهم ، فأمر المؤذِّنين والخطباء أن يترضَّوا عن الصحابة أجمعين ، ونشر العدل وأظهر السنة وهو أول من أسس القلعة بدمشق ، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدوّ ، فبناها في محلتها هذه التي هي فيها اليوم ، وكان موضعها بباب البلد ، يقال له : باب الحديد ، وهو تجاه دار رضوان منها ، وكان ابتداء ذلك في السنة الآتية ، وإنّما أكملها بعده الملك المظفر تتش بن ألْب آرْسلان السلجوقي كما سيأتي بيانه[٣] .

وحجّ بالناس في هذه السنة مُقْطَع الكوفة ، وهو الأمير السكيني ختلغ[٤] التفكين التركي ، ويعرف بالطويل ، وكان قد شرّد خفاجة في البلاد وقهرهم ، ولم يصحب معه سوى ستة عشر تركيّاً ، فوصل سالماً إلى مكّة ، ولمّا نزل ببعض دورها كبسه بعض العبيد ، فقتل فيهم مقتلة عظيمة ، وهزمهم هزيمة شنيعة ،

---

(١) المنتظم (٨/ ٢٩٧) .
(٢) « الخَرّوب » : شجر مثمر من الفصيلة القرنية ، ثماره قرون سكرية تؤكل وتعلفها الماشية ، ويتخذ منها دبس .
(٣) من قوله : قلت الإقسيس هذا . . إلى هنا ساقط من (أ) .
(٤) تحرف في (ط) إلى : جنفل . وسترد ترجمته في هذا الجزء .

ثمّ أعيدت الخطبة في ذي الحجّة هذه بمكّة للعباسيين ، وقُطعت خطبة المصريين ، ولله الحمد . وكان ختلغ بعد الوقعة المتقدمة لا ينزل إلا بالزاهر . قاله ابن الساعي في « تاريخه » .

ومن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن علي [بن أحمد بن محمد][١] بن عيسى بن أحمد بن أبي موسى[٢] أبو تمام[٣] بن أبي القاسم ابن القاضي أبي علي الهاشمي نقيب الهاشميين .

وهو ابن عم الشريف أبي جعفر بن أبي موسى الفقيه الحنبلي ، وروى الحديث ، وسمع منه أبو بكر بن عبد الباقي ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله تعالى .

محمد بن القاسم بن حبيب بن عَبدوس[٤] أبو بكر الصفّار من أهل نيسابور .

سمع الحاكم ، وأبا عبد الرحمن السُّلَمي وخلقاً ، وتفقَّه على الشيخ أبي محمد الجُويني ، وكان يخلفه في حلقته .

محمد بن محمد بن عبد الله[٥] أبو الحَسن[٦] البيضاوي الشافعي ، ختن أبي الطيب الطبري على ابنته .

سمع الحديث ، وكان ثقة خيّراً ، توفي في شعبان ، وتقدّم للصلاة عليه الشيخ أبو نصر بن الصبّاغ ، وحضر جنازته أبو عبد الله الدامغاني مأموماً ، ودفن بداره في قطيعة الكرخ .

محمد بن نصر بن صالح أمير حلب[٧] وكان قد ملكها في سنة تسع وخمسين ، وكان من أحسن الناس شكلاً وفعلاً .

مسعود بن المُحَسِّن[٨] بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البَياضي الشاعر .

---

(١) في (ب) : « محمد بن علي بن عيسى » . وفي (ط) : « محمد بن علي بن أحمد بن عيسى » وكله لا يصح به النسب ، والصواب ما أثبتناه ، وينظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/ ٢٦٩) (بشار) .
(٢) في (ط) : « أبي موسى » خطأ ، فهو عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب .
(٣) المنتظم (٨/ ٢٩٩) .
(٤) المنتظم (٨/ ٢٩٩) وفيه : الصفاري ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٠١) ، طبقات السبكي (٤/ ١٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٣٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٣١) .
(٥) المنتظم (٨/ ٣٠٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٠١) .
(٦) في (ط) : « الحسين » ، محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في مصادر ترجمته ومنها تاريخ الخطيب (٤/ ٣٩٠ بتحقيقنا) ، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٢٦٩) (بشار) .
(٧) في (ط) : (١/ ١٠١) .
(٨) المنتظم (٨/ ٣٠٠) .

ومن شعره قوله :

لَيسَ لي صاحبٌ مُعِينٌ سوى اللـ ـيْـلِ إذا تـمّ[١] بـالصـدودِ عَلَيّـا
أنـا أشكُـو بُعْـدَ الحبيـبِ إليـه وهـوَ يشكُـو بُعْـدَ الصبـاحِ إليّـا

ومن شعره الجيد قوله :

يـا مـن لبسـتُ لهجرِهِ ثـوبَ الضّنـا حتـى خفيـت بهـا[٢] عـن العُـوّادِ
وأنِستُ بالسَّهَرِ[٣] الطويل فأنسيتْ أجفـانُ عينـي كيـفَ كـانَ رُقـادي
إنْ كانَ يوسُف بالجمالِ مُقطِّع الـ أيـدي ، فـأنـتَ مفتِّـتُ الأكبـادِ

الواحدي المفسّر[٤] أبو الحسن ، علي بن أحمد بن متّويه الواحِدي .

قال ابن خلِّكان : لا أدري هذه النسبة إلى ماذا[٥] ، وهو صاحب التفاسير الثلاثة : « البسيط » ، و« الوسيط » ، و« الوجيز » . قال : ومنه أخذ الغزالي أسماء كتبه ، قال : وله : « أسباب النزول » ، و« التحبير في شرح أسماء الله الحسنى » ، وقد شرح « ديوان » المتنبي ، وليس في شروحه مع كثرتها مثله . قال : وقد رُزق السَّعادة في تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها ، وذكرها المدرّسون في دروسهم ، وقد أخذ التفسير عن الثَّعالبي[٦] ، وقد مرض الواحدي مدَّة ، ثمّ كانت وفاته بنيسابور في جمادى الآخرة من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

ناصر بن محمّد بن عليّ[٧] أبو منصور التركيّ المضافريّ[٨] ، وهو والد الحافظ محمد بن ناصر ، قرأ القراءات ، وسمع الكثير ، وهو الذي تولّى قراءة التاريخ على الخطيب بجامع المنصور ، وكان ظريفاً ، صبيحاً ، مات شابًا دون الثلاثين سنة ، في ذي القعدة من هذه السنة ، وقد رثاه بعضهم بقصيدة طويلة أوردها كلّها ابن الجوزي في « المنتظم » .

---

(١) في (ط) : طال .
(٢) في (ط) : إذاً ، وفي المنتظم : به .
(٣) في المنتظم : بالسحر .
(٤) الكامل في التاريخ (١٠/ ١٠١) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٣) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩) ، طبقات السبكي (٥/ ٢٤٠) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٠٤) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٨٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٣٠) .
(٥) وتمام قول ابن خلّكان : لم أعرف هذه النسبة إلى أي شيء هي ، ولا ذكرها السمعاني ، ثم وجدت هذه النسبة إلى الواحد بن الدين بن مهرة ، ذكره أبو أحمد العسكري .
(٦) هو المفسر أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري البغدادي الثعالبي ، أو الثعلبي ، توفي سنة ٤٢٧هـ ، وقد مرت ترجمته في هذا الجزء .
(٧) المنتظم (٣/ ٣٣٠) .
(٨) هكذا في النسخ ، ولم أقف على هذه النسبة ، ولا أعرفها وهو في موارد ترجمته بغدادي سلامي (بشار) .

يوسف بن محمد بن يوسف بن الحسن[(١)] أبو القاسم الهَمَذاني ، سمع وجمع وصنّف ، وانتشرت عنه الرواية وكان موته في هذه السنة ، وقد قارب التسعين ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمئة

فيها : كان ابتداء عمارة قلعة دمشق ، وذلك أن الملك المعظم أتسِز بن أوق[(٢)] الخُوارزمي ، لما انتزع دمشق من أيدي العُبَيديين في السنة الماضية ، شرع في بناء هذا الحصن المنيع بدمشق في هذه السنة ، وكان مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلد ، باب يعرف بباب الحديد ، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم ، داخل البركة البرانيّة منها ، وقد أسسها وارتفع بعض أبرجتها فلم تتكامل حتى انتزع مُلْك البلد منه الملك المظفّر تاج الملوك تتش بن ألْب آرْسلان السلجوقي فأكملها وأحسن عمارتها ، وابتنى بها دار رضوان للملك ، واستمرت على ذلك البناء في أيام نور الدين محمود بن زنكي ، فلما كان الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب جدّد فيها شيئاً ، وابتنى له نائبه ابن مقدم فيها داراً هائلة للمملكة ، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين ، اقتسم هو وأولاده أبرجتها ، فبنى كل ملك منهم برجاً منها جدده وعلّاه ، ووطده ، وأكده . ثمّ جدّد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربيّ القبلي ، ثمّ ابتنى بعده في دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور ، نائبه الشجاعي ، الطارقة الشمالية الغربية ، والقبّة الزرقاء وما حولها[(٣)] .

وفي المحرم ، مرض الخليفة مرضاً شديداً ، فأرجف الناس بموته ، فركب حتى رآه الناس جهرة فسكنوا .

وفي جمادى الآخرة زادت دجلة زيادة كثيرة جدّاً ، إحدى وعشرين ذراعاً ونصفاً ، فنقل الناس أموالهم ، وخيف على دار الخلافة ، فنُقل تابوت القائم بأمر الله ، ليلاً إلى التربة بالرُّصافة .

وفي شوّال وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعريّة ، وذلك أنَّ ابن القشيري[(٤)] قدم بغداد ، فجلس يتكلّم

---

(١) المنتظم (٨/ ٣٠٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٤٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٣١) . وتصحفت في (ط) الهمذاني إلى الهمداني ، بالدال المهملة .

(٢) في (ط) : « أوف » وهو تحريف ، وما هنا من (ب) وتاريخ ابن الأثير وتاريخ الإسلام ، والوافي وغيرها ويقال فيه : « أبق » أيضاً (بشار) .

(٣) من قوله : فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق . . إلى هنا زيادة من (ب) و(ط) .

(٤) هو الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن الإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري ، النحوي ، المتكلّم ، وهو الولد الرابع من أولاد الشيخ ، مبالغ في التعصب للأشاعرة ، وقد أورد له السبكي في طبقاته (٧/ ١٦٣) شعراً يقول فيه :

شيئان مَن يعذُلُني فيهما ... فهو على التحقيق منّي بري
حبُّ أبي بكر إمام التقى ... ثمّ اعتقادي مذهب الأشعري

توفي سنة ٥١٤هـ وستأتي ترجمته في وفيات السنة المذكورة من هذا الكتاب .

في المدرسة النظاميّة وأخذ يذمُّ الحنابلة ، وينسبهم إلى التجسيم ، وساعده أبو سعد الصّوفي ، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة ، ويسأله المعونة ، وذهب جماعة إلى الشريف أبي جعفر بن أبي موسى شيخ الحنابلة وهو في مسجده ، فدافع عنه آخرون ، وثارت الفتنة ، [واقتتل الناس بسبب ذلك وقُتِل رجلٌ خياط من سوق التبن وجُرح آخرون] ، وكتب الشيخ أبو إسحاق وأبو بكر الشاشي إلى نظام الملك ، فجاء كتابه إلى فخر الدولة ، به يُنكر ما وقع ، ويكره [أن ينسب] إلى المدرسة التي بناها شيءٌ من ذلك ، وعزم الشيخ أبو إسحاق على الرحلة من بغداد غضباً مما وقع من الشرّ ، فأرسل إليه الخليفة [يُسَكِّنه] ثمّ جمع بينه وبين الشريف أبي جعفر ، وأبي سعد الصوفي ، وأبي نصر ابن القشيري عند الوزير ، فأقبل الوزير على أبي جعفر يعظّمه في الفِعال والمقال ، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق وقال : أنا ذلك الذي كنت تعرفه وأنا شاب ، وهذه كتبي في الأصول ، أقول فيها خلافاً للأشعريّة ، ثم قبّل رأسه ، فقال له : صدقت ، إلا أنك لما كنت فقيراً لم يظهر لنا ما في نفسك ، فلما جاء الأعوان والسلطان ، وخواجا بُزْرك ، يعني نظام المُلك ، [وشبعت] ، أبديت ما كان مخفيّاً [في نفسك] ، وقام الشيخ أبو سعد الصوفي فقبّل رأس الشريف أبي جعفر ، وتلطّف به ، فالتفت إليه مغضباً وقال : أيّها الشيخ ! أمّا الفقهاء إذا تكلموا في [مسائل] الأصول فلهم فيها مدخل ، أمّا أنت فصاحب لهو وسماع ، وتعبير ، فمن زاحمك [منا] على [باطلك] ؟ ثم قال : أيّها الوزير ! أنّى تُصلح بيننا [وكيف يقع بيننا صلح] ، ونحن نوجب ما نعتقده ، وهم يُحرّمون ، [و يكفّرون] وهذا جَدُّ الخليفة القائم بالله ، والقادر قد أظهرا اعتقادهما للناس [على رؤوس الأشهاد] على مذهب أهل السنّة والجماعة ، والسَّلف ، ونحن على ذلك ، كما وافق عليه الخراسانيّون ، والعراقيّون ، وقرئ على الناس في الدواوين كلّها ، فأرسل الوزير إلى الخليفة يعلمه بما جرى ، فجاء الجواب بشكر الجماعة ، وخصوصاً الشريف أبي جعفر ثمّ استدعى [الخليفةُ أبا جعفر] إلى دار الخلافة للسلام عليه ، والتبرّك بدعائه .

قال ابن الجوزي : وفي ذي القعدة [منها] كثرت الأمراض في الناس ببغداد ، وواسط [والسواد] ، وورد الخبر بأن الشام كذلك .

وفي هذا الشهر ، أزيلت المنكرات والبغايا ببغداد ، وهرب الفساق منها .

وفيها : ملك حلب نصر بن محمود بن مرداس بعد وفاة أبيه .

وفيها : تزوج الأمير علي بن أبي منصور بن فرامرز[1] بن علاء الدولة بن كاكويْة الست أرسلان خاتون بنت داود عمّة السلطان ألب آرْسلان ، وكانت زوجة القائم بأمر الله .

---

(١) في (ط) : قرامز .

وفيها : حاصر الأقسيس صاحب دمشق مصر ، وضيّق على صاحبها المستنصر بالله ثمّ كرّ راجعاً إلى دمشق ، وحجّ بالناس في هذه السنة ختلغ التركي مقطع الكوفة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

اسبهدوست بن محمد بن الحسن[١] أبو منصور الدّيلميّ الشاعر .

لقي أبا عبد الله بن الحجاج ، وعبد العزيز بن نُباتة وغيرَهما من الشعراء . وكان شيعيّاً فتاب ، وقال قصيدة في ذلك ، منها :

وإذا سئلتُ عن اعتقادي قلتُ ما ... كانتْ عليه مذاهبُ الأبرارِ
وأقولُ خيرُ النّاسِ بعدَ محمّدٍ ... صدِّيقُهُ وأنيسُهُ في الغارِ
ثمَّ الثلاثةُ بعدَهُ خيرُ الورَى ... أكرمْ بهمْ من سادةٍ أطْهارِ
هذا اعتقادي والذي أرجُو بِهِ ... فوزي وعتقِي من عذابِ النّارِ

طاهر بن أحمد بن بابِشاذ[٢] أبو الحسن البَصرِي النَّحوي ، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص ، الذي بمصر ، فمات من ساعته ، وذلك في رجب من هذه السنة .

قال القاضي ابن خلِّكان : لم يوجد مثله ، كان بمصر إمام عصره في النحو ، وله المصنفات المفيدة من ذلك « مقدمته » وشرحها و« شرح الجمل »[للزجاجي] .

قال : وكانت وظيفته بمصر أنّه لا تكتب الرسائل في ديوان الإنشاء إلا عُرضت عليه ، فيُصْلح منها ما فيه خلل ، ثمّ تنفَّذ إلى الجهة التي عيِّنت لها ، وكان له على ذلك معلوم ، وراتب جيّد ، قال : فاتفق أنّه كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً ، فجاءه قطّ ، فرموا له شيئاً ، فأخذه وذهب سريعاً ، ثمّ أقبل فرموا له شيئاً أيضاً ، فانطلق به سريعاً ، ثمّ جاء ، فرموا له شيئاً أيضاً ، فعلموا أنّه لا يأكل هذا كلّه ، فتتبعوه ، فإذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى في سطح هناك ، فتعجّبوا من ذلك ، فقال الشيخ : يا سبحان الله ! هذا حيوان بَهيم ، قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره ، أفلا يرزقني وأنا عبده وأعبده ، ثمّ ترك ما كان له من الراتب ، وجمع حواشيه [وأقبل على العبادة] والاشتغال

---

(١) المنتظم (٨/٣٠٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/١٠٦) ، وفي (ط) اسفهدوست .
(٢) المنتظم (٨/٣٠٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/١٠٦) ، وفيات الأعيان (٢/٥١٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/٤٣٩) ، الوافي بالوفيات (١٦/٣٩٠) ، النجوم الزاهرة (٥/١٠٥) ، شذرات الذهب (٣/٣٣٣) .
قال ابن خلّكان : وبابشاذ ، ببائين موحدتين بينهما ألف ثم شين معجمة ، وبعد الألف الثانية ذال معجمة ، وهي كلمة عجمية تتضمن الفرح والسرور .

والملازمة في غرفة في جامع عمرو بن العاص ، إلى أن مات كما ذكرنا[١] .

وقد جمع « تعليقه » في النحو قريباً من خمسة [عشر] مجلداً ، [فأصحابه : كابن برّي[٢] وغيره ، ينقلون منها ، وينتفعون بها] ويسمونها « تعليقة الغرفة » .

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن المُجمِّع بن محمد بن بحر بن معبد بن هَزَارْمرد[٣] .

أبو محمد الصَّرِيفيني ، ويعرف بابن المعلّم .

أحد مشايخ الحديث المسندين المشهورين ، تفرّد عن جماعة من المشايخ لطول عمره ، وهو آخر من حدث « بالجعديّات » عن ابن حَبَابة عن أبي القاسم البَغوي ، عن علي بن الجَعْد ، وهو سماعنا .

ورحل إليه الناس بسببه ، وسمع عليه جماعة من الحفاظ منهم : الحافظ أبو بكر الخطيب .

وكان ثقة محمود الطريقة ، توفي بصريفين[٤] في جمادى الأولى من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان بن وهب بن حيّان[٥] أبو مروان القُرْطبي [مولى بني أميّة] ، صاحب « تاريخ المغرب »[٦] في ستين مجلّداً .

أثنى عليه الحافظ أبو علي الغسّاني في فصاحته ، وصدقه ، وبلاغته ، وقال : [وسمعته يقول] : التهنئة بعد ثلاث ، استخفاف بالمودّة ، والتعزية بعدها إغراء بالمصيبة .

قال ابن خلِّكان : توفي في ربيع الأول منها ، ورآه بعضهم في النوم [فسأله عن حاله] ، فقال : غفر الله لي ، وأمّا التاريخ فندمت عليه ، لكنّ الله بلطفه أقالني وعفا عني .

---

(١) من قوله : قال : وكانت وظيفته . . إلى هنا زيادة من (ب) و(ط) وفي القصة مبالغة ، والتوكل ينبغي أن يكون مع العمل بالأسباب (ع) .

(٢) من قوله : وقد جمع تعليقة . . إلى هنا ساقط من (ب) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠/١٤٦) ، المنتظم (٨/٣٠٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/١٠٦) ، معجم البلدان (٣/ ٤٠٣) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٧٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٣٤) وثمة خلاف بسيط في نسبه في مصادر ترجمته .

(٤) قال ياقوت في معجم (٣/٤٠٣) : وصريفون بلدة في سواد العراق في موضعين ، إحداهما قرية كبيرة غناء شجراء قرب عكبرا وأوانا على ضفة نهر دجيل ، إذا أُذِّن فيها سمعوه في أوانا وعكبرا ، وإليها ينسب أبو محمد الخطيب الصريفيني المترجم . وصريفون الأخرى من قرى واسط ، ومواضع أخرى تسمى : صريفين .

(٥) جذوة المقتبس (٢٠٠) ، الصلة لابن بشكوال (١/١٥٣) ، بغية الملتمس ، (٢٧٥) ، وفيات الأعيان (٢/٢١٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٣٣) ، نفح الطيب (مواضع متعددة) .

(٦) ذكر في الوفيات والسير : أن من تصانيفه : المبين في تاريخ الأندلس ، في ستين مجلداً ، وأظنه الذي عناه المصنف .

أبو نصر السِّجزِي[١] عُبَيْد الله بن سعيد بن حاتم ، أبو نصر السِّجْزي الوائلي ، نسبة إلى قرية يقال لها : وائل من قرى سجستان[٢] .

سمع الكثير ، وجَمَع وصنّف [وخرّج] ، وأقام بالحرم ، وله كتاب « الإبانة في الأصول » وله في الفروع أيضاً ، ومن النّاس من كان يفضّله في الحفظ على الصوريّ ، رحمه الله .

محمد بن علي بن الحسين أبو عبد الله الأنْماطي[٣] ، المعروف بابن سِكِّيتة ، ولد سنة تسعين وثلاثمئة ، وكان كثير السماع ، وكانت وفاته في هذه السنة عن تسع وسبعين سنة .

ثم استهلّت سنة سبعين وأربعمئة

قال ابن الجوزي[٤] : في ربيع الأول وقعت صاعقة بمحلّة التوثة[٥] من الجانب الغربي على نخلتين في مسجد فأحرقت أعاليهما ، وصعد الناس فأطفؤوا النار ، ونزلوا بالسعف وهو يشتعل ناراً .

قال : وورد كتاب من نظام الملك إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في جوانب كتابه إليه في شأن الحنابلة ، ثمّ سرده ابن الجوزي ، ومضمونه : أنّه لا يمكن تغيير المذاهب ، ولا نقلة أهله عنها ، والغالب على أهل تلك [الناحية] هو مذهب الإمام أحمد ، ومحلّه معروف عند الأئمة ، وقدره معلوم في السنّة ، في كلام طويل .

قال : وفي شوال وقعت فتنة بين الحنابلة وبين بعض فقهاء النظاميّة ، وحمي لكل من الفريقين طائفة من العوام ، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً [وجرح آخرون] ، ثمّ سكنت الفتنة .

وفي تاسع عشر من شوال ولد للخليفة المقتدي ولده المستظهر بأمر الله ، أبو العباس أحمد ، وزيّن

---

(١) المنتظم (٨/ ٣١٠) ، الأنساب (الوائلي) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤) ، توضيح المشتبة (٩/ ١٦٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٧١) وثمة اختلاف في نسبه وسنة وفاته ، ففي الأصل : عبد الله بن سعد ، وفي المنتظم : عبد الله بن سعيد ، وما أثبتناه من مصادر ترجمته الأخرى . وقد ذكر الذهبي سنة وفاته وقال : توفي أبو نصر بمكة ، في المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمئة .

(٢) في معجم البلدان (٥/ ٣٥٦) : قرية على ثلاثة فراسخ من سجستان ، وذكر نسبة المترجم إليها .

(٣) المنتظم (٨/ ٣١١) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٤٦) والأنماطي : نسبة إلى بيع الأنماط ، وهي الفرش التي تُبسط .

(٤) المنتظم (٨/ ٣١١) .

(٥) في (ب) و(ط) : النوبة ، مصحف ، ومحلة التوثة معروفة ببغداد ، فانظر تاريخ الخطيب (٤/ ٣٧٣ و٨/ ٦٢٩ و١١/ ٢٢٨ بتحقيق الدكتور بشار) .

البلد ، وجلس الوزير للهناء ، ثمّ في يوم الأحد السادس والعشرين من[(١)] هذا الشهر ولد للخليفة ولد آخر أبو محمد هارون .

قال ابن الجوزي[(٢)] : وفيها : وَلِيَ تاج الدولة آرْسَلان الشام ، وحاصر حلب ، وحجّ بالناس في هذه السنة الأمير مقطع الكوفة ختلغ ، وذكر ابن الجوزي : أن ابن جَهير كان عمل منبراً هائلاً لتقام عليه الخطبة بمكّة ، فحين وصل إليها إذ الخطبة قد أعيدت للمصريين ، فكُسر ذلك المنبر وحُرق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب بن أحمد أبو بكر [اليَربُوعي] الرزاز المقرئ[(٣)] .

آخر من حدَّث عن أبي الحسين بن سمعون ، وقد كان ثقة ، متعبّداً حسن الطريقة ، كتب عنه الخطيب ، وقال : كان صدوقاً . توفي في هذه السنة عن تسع وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله[(٤)] **أبو الحسين بن النَّقُّور البزاز** .

أحد المسندين المُعَمَّرين ، تفرّد بنسخ كثيرة عن ابن حَبَابة ، عن البغوي ، عن أشياخه ، كنسخة هُدبة ، وكامل بن طلحة ، وعمر بن زُرارة ، وأبي محمد البكري[(٥)] ، وكان مكثراً متحرِّياً ، وكان يأخذ على إسماع حديث طالوت [بن عَبّاد][(٦)] ديناراً ، وقد أفتاه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بجواز أخذ الأجرة على إسماع الحديث ، لاشتغاله به عن الكسب ، توفي عن تسع وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

أحمد بن عبد الملك [بن علي] بن أحمد بن صالح المؤذِّن النيسابوري الحافظ[(٧)] .

---

(١) من قوله : يوم الأحد . . إلى هنا زيادة من (ب) و(ط) .

(٢) المنتظم (٨/ ٣١٢) .

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٣٨١) ، المنتظم (٨/ ٣١٣) .

(٤) تاريخ بغداد (٤/ ٣٨١) ، المنتظم (٨/ ٣١٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٠٧) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٧٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٣٥) .

(٥) في (ط) : السكن البكري ، وفي (ب) : السكين البكري ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وهو أبو محمد عبد الله بن مطيع المتوفى سنة ٢٣٧هـ (تاريخ الإسلام ٥/ ٨٥٨) ، فهو من شيوخ البغوي وذكر الذهبي أن حديثه يقع عالياً . على أن الذهبي ذكر في ترجمة ابن النقور هذا النص وذكر إضافة لنسخة هدبة وكامل وعمر : نسخة طالوت ونسخة مصعب الزبيري (تاريخ الإسلام ١٠/ ٢٨٨) وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢) (بشار) .

(٦) في (ط) : « عبادة » محرف ، والصواب ما أثبتنا ، وترجمته في تاريخ الإسلام (٥/ ٨٤٢) وهو أبو عثمان الصيرفي البصري (بشار) .

(٧) تاريخ بغداد (٤/ ٢٦٧) ، المنتظم (٨/ ٣١٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٠٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤١٩) ، وفيه اسمه : أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد بن بكر . الشذرات (٣/ ٣٣٥) .

كتب الكثير ، وجَمع ، وصنّف ، وكتب عن ألف شيخ ألف حديث ، كان يعظ ويؤذِّن [مات وقد جاوز الثمانين .

عبد الله بن الحسن بن علي بن القاسم بن أبي محمد الخَلال[١] آخر من حدّث عن أبي حفص الكتّاني[٢] ، وقد سمع الكثير ، وروى عنه الخطيب ووثّقه .

توفي عن خمس وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله .

عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم[٣] أبو القاسم بن أبي عبد الله بن مندة الإمام ابن الإمام .

سمع أباه وابن مَردوَيه ، وخلقاً في أقاليم شتّى سافر إليها ، وجمع شيئاً كثيراً ، وكان ذا وقار وسمت حسن ، واتّباع للسنّة ، وفهمٍ جيّد ، كثير الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لا يخاف في الله لومة لائم .

وكان سعد بن محمد الزَّنْجَاني يقول : حفظ الله الإسلام به وبعبد الله الأنصاري الهروي[٤] .

توفي ابن مَنْده هذا بأصبهان عن سبع وثمانين سنة ، وحضر جنازته خلق لا يعلمه إلا الله عز وجل ، رحمه الله تعالى .

عبد الملك بن عبد الغفار[٥] بن محمد بن المظفّر بن علي[٦] أبو القاسم الهَمَذاني .

أحد الحفاظ الأولياء الفقهاء وكان يلقب بُنْجِير[٧] ، وقد سمع الكثير [وكان يكثر للطلبة ويقرأ لهم] ، وكانت وفاته بالريّ في هذه السنة ، ودفن إلى جانب إبراهيم الخوّاص .

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٤٣٩) ، المنتظم (٨/ ٣١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٦٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٣٦) وقد تصحفت فيه نسبته الخلال : إلى : الحلال ، وفي (ط) إلى : الحلالي .

(٢) تصحفت في (ط) إلى : الكناني .

(٣) المنتظم (٨/ ٣١٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٠٨) ، طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٤٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٣٧) .

(٤) هو شيخ الإسلام ، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن علي الهروي ، المتوفى سنة ٤٨١هـ ، وسترد ترجمته في هذا الجزء .

(٥) في (ط) : « عبد الملك بن محمد بن عبد الغفار » ، ولا يصح ، وما هنا من النسخ الخطية ، وهو الموافق لما في مصادر ترجمته ، وينظر تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٩٧) (بشار) .

(٦) المنتظم (٨/ ٣٦٥) ، واسمه فيه : عبد الملك بن محمد بن عبد العزيز .

(٧) قيّده الحافظ ابن حجر في الألقاب (١/ ١٣٣) فقال : بضم أوله وسكون النون وكسر الجيم وسكون التحتانية ثم راء » ، وتصحف في (ط) إلى : « بجير » (بشار) .

الشريف أبو جعفر الحنبلي[١] : عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم[٢] بن عبد الله بن مَعْبَد بن العبّاس بن عبد المطلب الهاشمي ، [ابن أبي موسى الحنبلي العباسي][٣] .

كان أحد الفقهاء العبّاد العلماء [الزهّاد] المشهورين بالدّيانة والفضل ، والعبادة ، والقيام في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر [لاتأخذه في الله لومة لائم] .

ولد سنة إحدى عشرة وأربعمئة ، واشتغل على القاضي أبي يعلى بن الفَرَّاء ، وزكّاه شيخه عند ابن الدامغاني فقبله ثمّ ترك الشهادة بعد ذلك . وكان مشهوراً بالصلاح والديانة ، وحين احتضر الخليفة القائم بأمر الله ، أوصى أن يغسِّله الشريف أبو جعفر ، وأوصى له بشيء [كثير ومال] جزيل فلم يقبل من ذلك شيئاً ، [وحين وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية بسبب ابن القشيري اعتقل هو في دار الخلافة مكرَّماً معظَّماً يدخل عليه الفقهاء وغيرهم ، ويقبّلون يده ورأسه ، ولم يزل هناك حتى اشتكى فأذن له في المسير إلى أهله][٤] .

توفي في [النصف من] صفر[٥] هذه السنة ، ودفن إلى جانب الإمام أحمد ، وقرئ عنده عشرة آلاف ختمة من كثرة القراءة عليه ، رحمه الله تعالى .

محمد بن محمد[٦] بن عبد الله أبو الحسن البَيضاوي .

أحد الفقهاء الشافعيين ، وتولى القضاء بربع الكرخ ، ودفن عند والده ، رحمه الله تعالى .

---

(١) المنتظم (٨/ ٣١٥) ، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٤٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٣٦) .

(٢) اضطرب النسب في (ط) والنسخ ، ففي (ط) : « عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم » ، وفي النسخ « عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن إبراهيم » وكله غلط ، والصواب ما أثبتناه من تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٩٢) وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٤٦) وغيرهما (بشار) .

(٣) زيادة من (ب) و(ط) .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

(٥) في (ب) : فتوفي عندهم ليلة الخميس النصف من صفر من هذه السنة ، ودفن . . ، وثمة اختلاف يسير في العبارة بين الأصل و(ب) و(ط) .

(٦) في بعض النسخ : « محمد بن محمد بن محمد » ، وهو خطأ . وقد تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٤٦٨ من هذا الكتاب بأوسع مما هنا . وانظر تاريخ الخطيب (٤/ ٣٩٠ بتحقيقنا) والكامل في التاريخ (١٠/ ١٠٧) ، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٢٦٩) (بشار) .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمئة

فيها : ملك السلطان [الملك المظفر تاج الملوك][١] تتش بن ألْب آرْسَلان [السلجوقي][٢] دمشق ، وقتل ملكها إقسيس [وذلك أن إقسيس بعث إليه يستنجده على المصريين ، فلما وصل إليه لم يركب لتلقّيه ، فأمر بقتله ، فقتل لساعته ، ووجد في خزائنه حجر ياقوت أحمر وزنه سبعة عشر مثقالاً ، وستين حبة لؤلؤ ، كلّ حبة منها أزيد من مثقال ، وعشرة آلاف دينار ، ومئتي سرج ذهب وغير ذلك ، وقد كان إقسيس هذا هو أتسز بن أوق[٣] الخُوارزمي ، وكان يلقب بالملك المعظّم ، وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، وأصحِّهم سريرة ، أزال الرفض عن أهل الشام ، وأبطل الأذان بحيّ على خير العمل ، وأمر بالترضّي عن الصحابة أجمعين . وعمر بدمشق القلعة التي هي معقل الإسلام بالشام المحروس ، فرحمه الله ، وبلّ بالرحمة ثراه ، وجعل جنة الفردوس مأواه .

وفيها : عزل الوزير ابن جَهير بإشارة نظام الملك بسبب ممالأته على الشافعيّة ، ثمّ كاتب المقتدي نظام الملك في إعادته ، [فأعيد ولده ، وأطلق هو][٤] .

وفيها : قَدِمَ سعد الدولة [جوهر[٥] أميراً إلى بغداد ، وضرب الطبول على بابه في أوقات الصلوات ، وأساء الأدب على الخليفة ، وضرب طوالات الخيل على باب الفردوس ؛ فكوتب السلطان بأمره ، فجاء الكتاب من السلطان بالإنكار عليه] . وحجّ بالناس في هذه السنة ختلغ التركي مقطع الكوفة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سعد بن علي بن محمد بن عليّ بن الحسين أبو القاسم الزَّنْجاني[٦] .

رحل إلى الآفاق ، وسمع الكثير ، وكان إماماً حافظاً ، متعبّداً ، ورعاً ، انقطع آخر عمره بمكّة ، فكان الناس يتبرّكون بتقبيل يده . [قال ابن الجوزي : ويقبّلون يده أكثر مما يقبّلون الحجر الأسود][٧] .

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) . وفي نسخة « تاج الدولة » .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) .
(٣) في (ط) : « أوف » ، محرف ، وتكلمنا عليه فيما مضى (بشار) .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .
(٥) في (ط) : « جوهراً » ولا يستقيم .
(٦) أنساب السمعاني في « الزنجاني » ، المنتظم (٨/ ٣٢٠) ، تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٧٣) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٣٢٧) (بشار) .
(٧) زيادة من (ب) و(ط) .

سليم الحَوْري[١][نسبة إلى قرية] ، من قرى دجيل .

كان عابداً ، زاهداً ، يقال : مكث مدّة يتقوّت كلّ يوم بزبيبة ، وقد سمع الحديث ، وقُرئ عليه ، رحمه الله تعالى .

عبد الله بن سَبْعون[٢] أبو محمد[٣] الفقيه المالكي القيرواني ، توفي ببغداد ، ودفن بباب حرب .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمئة

فيها : ملك إبراهيم بن محمود بن مسعود بن [محمود بن] سُبُكْتِكين صاحب غزنة قلاعاً كثيرة حصينة ، ثم عاد إلى بلاده سالماً غانماً .

وفيها : ولد الأمير أبو جعفر بن المقتدي بأمر الله ، وزُيِّنت له بغداد .

وفيها : ملك الموصل سيف الدولة مسلم بن قريش بن بدران [العقيلي] بعد وفاة أبيه .

وفيها : ملك منصور بن مروان بلاد ديار بكر بعد أبيه .

وفيها : أمر السلطان بتغريق ابن علان اليهودي ضامن البصرة ، وأخذ من ذخائره أربعمئة ألف دينار ، وضمن خمارتكين البصرة بمئة ألف دينار ومئة فرس في كلّ سنة ، وقطعت خطبة المصريين بمكّة ، وخطب فيها للمقتدي ، والسلطان ملك شاه السلجوقي .

[وفيها : فتح عبيد الله بن نظام الملك تكريت .

وحجّ بالناس ختلغ التركي][٤] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الملك بن الحسين[٥] بن أحمد بن خيران[٦] أبو نصر ، سمع الكثير ، وكان زاهداً عابداً يسرد الصوم ، ويختم في كلّ ليلة ختمة ، رحمه الله .

---

(١) المنتظم (٨/ ٣٢٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١١٢) ، معجم البلدان (٢/ ٣١٨) ، توضيح المشتبه (٢/ ٥٣٣) ونسبته إلى حَوري : من قرى دُجيل ببغداد .

(٢) المنتظم (٨/ ٣٢١) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٣٣٠) ، وفي (ط) : ابن شمعون : بالشين .

(٣) في (ط) : « أبو أحمد » خطأ ، وما هنا يعضده ما في المنتظم وتاريخ الإسلام (بشار) .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

(٥) في (ط) : « الحسن » ، محرف ، وفي المنتظم : « أحمد » محرف أيضاً ، وما أثبتناه يعضده ما في تاريخ الإسلام (بشار) .

(٦) في (ط) والمنتظم : « خيرون » وهو تحريف ، وهو مجود في تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/ ٣٤٢) . وقد اشتبه عليهم بأبي القاسم عبد الملك بن الحسن بن خيرون الدباس أخي الحافظ أبي الفضل أحمد ، وأبو القاسم توفي في=

محمّد بن محمّد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز بن مهران العُكْبَري[١] .

سمع هلالًا الحفار ، وابن رزقويه ، والحمامي[٢] وغيرهم ، وكان فاضلًا جيّد الشعر ، فمن شعره قوله :

أطيل تفكّري في أيّ ناسٍ مضوا قُدُماً[٣] وفيمن خلّفونا
همُ الأحياءُ بعد الموت ذِكراً[٤] ونحنُ من الخمولِ الميّتُونا

توفي في رمضان من هذه السنة ، وله تسعون[٥] سنة ، رحمه الله تعالى .

هَيَّاج بن عُبيد[٦] الحِطِّيني الشامي[٧] .

سمع الحديث ، وكان أوحد زمانه زهداً وفقهاً واجتهاداً في العبادة ، أقام بمكّة مدّة يفتي أهلها ، ويعتمر في كلّ يوم ثلاث مرات على قدميه ، ولم يلبس نعلًا مذ أقام بمكّة ، ويزور قبر رسول الله ﷺ مع أهل مكّة ماشياً حافياً ، وكذلك يزور قبر ابن عباس بالطائف وكان لا يدّخر شيئاً ، ولا يلبس إلا قميصاً واحداً ، ضربه بعض أمراء مكّة في بعض فتن الروافض ، فتشكّى أياماً ، ومات رحمه الله تعالى ، وقد نيّف على الثمانين سنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمئة

وفيها : استولى تكش أخو السلطان ملك شاه على بعض خراسان .

وفيها : أذن للوعاظ في الجلوس ، وكانوا قد منعوا من وقت فتنة ابن القشيري .

= ذي الحجة من سنة ٤٨٠ ، وترجمته في المنتظم (٩/ ٣٩ ـ ٤٠) ، وإكمال ابن نقطة (٢/ ٤٥٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (١٠/ ٤٥٥) ، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٣/ ٤٨٧) وغيرها . (بشار) .

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٢٣٩) ، المنتظم (٨/ ٣٢٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١١٧) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٩٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٤٢) .
« والعكبري » : نسبة إلى عكبرا ، بضم العين المهملة ، وفتح الباء الموحدة ، وقيل : بضمها ، وهي بلدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ من الجانب الشرقي ، والنسبة إليها : عكبري ، عكبراوي . معجم البلدان (٤/ ١٤٢) .

(٢) « الحمامي » : ساقط من (أ) .

(٣) في المنتظم : عنا .

(٤) في المنتظم : حقًّا .

(٥) في (ب) و(ط) : سبعون .

(٦) في (ط) : « عبد الله » ، محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في مصادر ترجمته .

(٧) المنتظم (٨/ ٣٢٦) ، معجم البلدان (٢/ ٢٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٩٣) ، الشذرات (٣/ ٣٤٢) .

وفيها : قبض على جماعة من الفتيان كانوا قد جعلوا عليهم رئيساً يقال له : عبد القادر الهاشمي ، وقد كاتبوه من الأقطار ، كان الساعي له رجلاً يقال له : ابن رسول ، وكانوا يجتمعون عند جامع براثا ؛ فخيف من أمرهم أن يكونوا ممالئين للمصريين ، فأمر بالقبض عليهم(١) .

وحجّ بالناس ختلغ في هذه السنة أيضاً .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إسماعيل(٢) أبو عبد الله بن الأخضر ، المحدّث .

سمع [أبا] علي بن شاذان ، وكان على مذهب الظاهريّة ، وكان كثير التلاوة حسن السيرة ، متقللاً من الدنيا ، قنوعاً ، رحمه الله .

الصُّلَيْحيّ(٣) المتغلّب على اليمن ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن علي الملقّب بالصُّلَيْحيّ ، كان أبوه قاضياً باليمن ، وكان سنيّاً ، فنشأ هذا ، فتعلّم العلم ، وبرع في أشياء كثيرة ، وكان شيعيّاً على مذهب القرامطة ، ثمّ كان يُدِلّ بالحجيج مدّة خمس عشرة سنة ، وكان قد اشتهر أمره وذِكره بين الناس أنّه سيملك اليمن ، فنجم ببلاد اليمن بعد قتله نجاحاً صاحب تهامة ، واستحوذ على بلاد اليمن بكمالها في أقصر مُدّة ، واستوثق له الملك بها في سنة خمس وخمسين ، وخطب للمستنصر العُبَيدي صاحب مصر ، فلما كان في هذا العام خرج للحجّ في ألفي فارس ، فاعترضه سعيد بن نجاح بالمهجم في نفر يسير ، فقاتلهم فقتل هو وأخوه ، واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله ، ومن شعر الصُّلَيْحي هذا قوله :

أنْكَحتُ بيضَ الهندِ سُمْرَ رماحِهِمْ ... فَرؤوسُهُمْ عِوَض النِّثَارِ نِثَارُ
وكذا العُلا لا يُستباح نِكاحُها ... إلا بحيثُ تُطلَّقُ الأعمارُ

محمد بن الحسين(٤) بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبل(٥) أبو علي الشاعر البغدادي .

أسند الحديث ، وله الشعر الرائق ، فمن ذلك قوله :

---

(١) من قوله : وفيها قبض . . إلى هنا ساقط من (أ) .
(٢) المنتظم (٨/ ٣٢٧) .
(٣) المنتظم (٨/ ١٦٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٠ و٥٥ ـ ٥٦) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤١١) ، تاريخ اليمن (٤٧) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٥٩) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٥٨ ، ٧٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٤٦) .
قال ابن خلكان : الصليحي : بضم الصاد المهملة ، وفتح اللام ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها حاء مهملة ، لا أعرف هذه النسبة إلى أي شيء هي ، والظاهر أنه رجل ، فقد جاء في الأسماء والأعلام : صُليح ، ونسبوا إليه أيضاً .
(٤) المنتظم (٨/ ٣٢٨) ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (٥) ، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٣٥٧) .
(٥) في (ط) : الشبلي .

لا تُظْهِـرنّ لعَـاذِلٍ أو عـاذِرٍ حَـالَيْـكَ فـي السَّـرَّاءِ والضّـراءِ
فَلـرحْمـةِ المتَـوجّعيـنَ مـرارةٌ في القلبِ مثلُ شماتَةِ الأعداءِ

وله أيضاً :

يَفْنَى البخيلُ بِجَمْعِ المالِ مُدّتَه وَلِلحـوادِثِ والأيّـامِ مـا يـدعُ
كَدُودةِ القَزِّ ما تبنيه يهدمها[١] وغيـرهـا بـالـذي تبنيـه ينتفـع

يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن[٢] أبو القاسم التَّفكّريّ[٣] ، من أهل زِنجان .

ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمئة ، وتفقّه على مذهب الشافعيّ ، ودرس الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكان من أكبر تلامذته ، وكان عابداً ورعاً ، خاشعاً كثير البكاء عند الذِّكر ، مقبلاً على العبادة ، وكانت وفاته في هذه السنة وقد قارب الثمانين .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمئة

فيها : ولي أبو كامل منصور بن نور الدولة دُبيس ما كان يليه أبوه من الأعمال ، وخلع عليه السلطان والخليفة .

وفيها : ملك شرف الدولة مسلم بن قريش حرّان ، وصالح صاحب الرُّها .

وفيها : فتح تتش بن ألب آرْسَلان صاحب دمشق مدينة أنطرطوس .

[وفيها : أرسل الخليفة ابن جَهير إلى السلطان ملك شاه يتزوج ابنته فأجابت أمها بذلك ، بشرط أن لا يكون له زوجة ، ولا سرية سواها ، وأن يكون سبعة أيام عندها ، فوقع الشرط على ذلك][٤] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

داود بن السلطان ملك شاه[٥] .

وجد عليه أبوه وجداً عظيماً بحيث إنّه كاد أوْ هَمّ أن يقتل نفسه فمنعه الأمراء من ذلك ، وانتقل إلى غير ذلك البلد ، وأمر النساء بالنوح عليه [ولما وصل الخبر إلى بغداد ، جلس وزير الخليفة للعزاء] .

---

(١) في (ط) : يخنقها .
(٢) المنتظم (٨/ ٣٢٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١١٩) ، توضيح المشتبه (٤/ ٢٢٩) وفيه سنة وفاته خمسمئة .
(٣) تصحفت في (ط) إلى : العسكري .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) ، والخبر في الكامل في التاريخ (١٠/ ١٢٠) .
(٥) المنتظم (٨/ ٣٣٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٢٢) .

القاضي أبو الوليد الباجي[١] سليمان بن خلف بن سَعد بن أيوب التُّجيبيّ ، الأندلسي ، الباجي ، الفقيه المالكي .

أحد الحفاظ المكثرين في الفقه والحديث . سمع الحديث ، ورحل إلى بلاد الشرق سنة ست وعشرين وأربعمئة ، فسمع هناك كثيراً ، واجتمع بأئمة ذلك الوقت ، كالقاضي أبي الطيّب الطبري ، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وجاور بمكّة ثلاث سنين مع الشيخ أبي ذرّ الهرويّ ، وأقام ببغداد ثلاث سنين أيضاً ، وبالموصل سنة عند أبي جعفر السِّمناني قاضيها يأخذ عنه الفقه والأصول ، وسمع الخطيب البغدادي ، وسمع منه الخطيب أيضاً ، وروى عنه هذين البيتين الحسنين :

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقيناً بأنّ جميعَ حياتي كساعهْ[٢]
فَلِمْ لا أكونُ ضَنِيْناً[٣] بِهَا وأجعلها في صلاحٍ وطاعَهْ

ثمّ عاد إلى بلدهِ بعد ثلاث عشرة سنة ، وتولّى القضاء هناك ، ويقال : إنّه تولّى قضاء حلب أيضاً . قاله ابن خلّكان . قال : وله مصنفات عديدة ، منها : « المنتقى في شرح الموطأ » ، و« إحكام الفصول في أحكام الأصول » و« الجرح والتعديل » وغير ذلك . وكان مولده في سنة ثلاث وأربعمئة ، وتوفي بالمَرِيّة[٤] [ليلة الخميس بين العشاءين] التاسع والعشرين من رجب من هذه السنة .

أبو الأغرّ دُبَيْس بن علي بن مَزْيد[٥] ، الملقب نور الدين ، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة مكث فيها أميراً نيّفاً وستين سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده أبو كامل : ولقّب : بهاء الدولة .

عبد الله بن أحمد بن رضوان[٦] أبو القاسم البغدادي ، كان من الرؤساء ، ومرض بالشقيقة ثلاث سنين ، فمكث في بيت مظلم لا يرى ضوءاً ، ولا يسمع صوتاً .

---

(١) ترتيب المدارك (٤/ ٨٠٢) ، الصلة لابن بشكوال (١/ ٢٠٠) ، المغرب (١/ ٤٠٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٥) ، الوافي بالوفيات (١٣/ ١٢٩) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١١٤) ، نفح الطيب (٦/ ١٧٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٤٤) .
(٢) في (أ) : ساعة .
(٣) في (ط) : كضيف .
(٤) سقط اسم المدينة من (ط) ، وفي (ب) : الرقة . خطأ ، و« المرية » : مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس . معجم البلدان (٥/ ١١٩) .
(٥) المنتظم (٨/ ٣٣٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٢١) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٩١) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٥٧) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١١٤) .
(٦) المنتظم (٨/ ٣٣٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٢٢) .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمئة

فيها : قدم مؤيد الملك بن نظام الملك ، فنزل في مدرسة أبيه ، وضربت الطبول على بابه في أوقات الصلوات الثلاث .

وفيها : نُفِّذَ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رسولاً إلى السلطان ملك شاه ، والوزير نظام الملك ، فكان [أبو إسحاق] كلّما مرّ على بلدة خرج إليه أهلها يتلقّونه بأولادهم ونسائهم ، يتبرّكون به ، ويتمسَّحون بركابه ، وربّما أخذوا من تراب حافر بغلته ، ولما وصل إلى ساوَة[1] خرج إليه أهلها ، ومامرّ بسوق فيها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم ، حتى اجتاز بسوق الأساقفة ، فلم يكن عندهم إلا مداسات الصغار فنثروها عليه ، فجعل الشيخ يتعجّب من ذلك .

وفيها : جددت الخطبة [من جهة الخليفة][2] لبنت السلطان ملك شاه ، فطلبت أمها أربعمئة ألف دينار ، ثمّ اتفق الحال على أن يكون خمسين ألف دينار للرضاع ، وأن يكون الصداق مئة ألف دينار .

[وفيه : حارب السلطان أخاه تتش فأسره ، ثمّ أطلقه ، واستقرت يده على دمشق وأعمالها][3] وحج بالناس ختلغ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الوهّاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه[4] أبو عمرو[5] الحافظ .

من بيت الحديث ، رحل إلى الآفاق ، وسمع الحديث الكثير ، وتوفي بأصبهان في هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

ابن ماكولا[6] الأمير أبو نصر ، علي ابن الوزير أبي القاسم هِبَة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن

---

(١) مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط ، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً . معجم البلدان (٣/١٧٩) .

(٢) زيادة من (ب) و(ط) .

(٣) مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط ، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً . معجم البلدان (٣/١٧٩) .

(٤) المنتظم (٨/٣٠٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/١٢٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٤٠) ، شذرات الذهب (٣/٣٤٨) . وقد ورد اسمه في الأصل : عبد الوهاب بن محمد بن الحسين . ولم يتوافق ذلك مع مصادر ترجمته .

(٥) تحرفت في (ط) : إلى : عمر .

(٦) المنتظم (٩/٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/١٢٨) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٦٩) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١١٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٨١) ، مقدمة كتاب الإكمال (١/ ٧ـ٨) .

محمد بن دُلف بن أبي دلف التميمي الأمير ، سعد الملك ، أبو نصر ، ابن ماكولا .

أحد أئمة الحديث وسادة الأمراء ، رحل وطوّف ، وسمع الكثير ، وصَنّف . له : « الإكمال في المشتبه من أسماء الرجال » وهو كتاب جليل لم يُسبق إليه ، ولم يلحق فيه إلا ما استدركه عليه ابن نقطة في كتاب سماه « الاستدراك » .

قتله مماليكه بكرمان في هذه السنة ، وكان مولده في سنة عشرين وأربعمئة ، فعاش خمساً وخمسين سنة .

قال ابن خلِّكان : وقيل : إنّه قتل في سنة تسع وسبعين ، وقيل : سنة خمس وثمانين ، وقيل : سنة ستّ وثمانين[١] قال : وقد كان أبوه وزيراً للقادر بالله[٢] ، وعمّه عبد الله بن الحسين ولي قضاء بغداد ، قال : ولا أدري لم سمي الأمير؟ إلا أن يكون منسوباً إلى جدّه الأمير أبي دلف ، وأصله من جرباذقان[٣] ، وولد في عَكْبُرا في شعبان سنة إحدى وعشرين وأربعمئة ، قال : وقد كان الخطيب البغدادي صنّف كتاب « المؤتنف » جمع فيه بين كتابي الدارقطني وعبد الغني بن سعيد في المؤتلف والمختلف ، فجاء ابن ماكولا وزاد على كتاب الخطيب وسمّاه « الإكمال » ، وهو في غاية الإفادة [ورفع الالتباس والضبط] ، ولم يوضع مثله ، ولا يحتاج بعده إلى ذِكر فضيلة أخرى ، ففيه دلالةٌ على كَثْرةِ اطّلاعه ، وضبطه وتحريره ، وإتقانه . ومن شعره قوله :

قَوِّضْ خِيامَكَ عن أرضٍ تُهانُ بها ... وجانبِ الذُّلَّ إن الذُّلَّ يُجتنَبُ
وارحلْ إذا كانَ في الأوطانِ منقصةٌ ... فالمَنْدلُ[٤] الرَّطْبُ في أوطانِه حَطَبُ[٥]

ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمئة

فيها : عزل عميد الدولة بن جَهير عن وزارة الخلافة ، فسار بأهله وأولاده إلى السلطان ، وقصدوا نظام الملك الوزير ، فعقد لولده فخر الدولة على بلاد ديار بكر ، فسار إليها بالخلع

---

(١) وترجمه الذهبي في وفيات سنة ٤٨٧ من تاريخه (١٠/ ٥٨١) .
(٢) في (ط) : للقائم بأمر الله ، وكذلك في الوفيات .
(٣) في (أ) : باذقان . وجرباذقان ، بالفتح ، والعجم يقولون : كرباذكان : بلدة قريبة من همذان بينها وبين الكرج وأصبهان ، كبيرة ومشهورة .
وجرباذقان أيضاً : بلدة بين استراباذ ، وجرجان من نواحي طبرستان . معجم البلدان (٢/ ١١٨) .
(٤) « المندل » : كمقعد : العود الرطب يتبخَّر به . أو أجوده .
(٥) البيتان في وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٦) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٧٧) مع خلاف يسير .

والكوسات[١] والعساكر ، وأمر أن ينتزعها من يزيد بن مروان ، وأن يخطب لنفسه ، وأن يكتب اسمه على السكّة ، فما زال حتى انتزعها من أيديهم ، وباد ملكهم على يديه كما سيأتي بيانه ، وسدّ وزارة الخلافة أبو الفتح المظفّر ابن رئيس الرؤساء ، ثمّ عزل في شعبان ، واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين ، ولقب : ظهير الدين .

وفي جمادى الأولى[٢] وَلّى مؤيد الملك أبا سعيد عبد الرحمن بن المأمون المتولّي تدريس النظامية ، بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، رحمه الله .

وفيها : عصا أهل حرّان[٣] على شرف الدولة مسلم بن قريش ، فحاصرها ففتحها وهدم سورها ، وصلب قاضيها ابن جَلَبة[٤] ، وأثبته على السور .

وفي شوال قُتل أبو المحاسن بن أبي الرضا ، وذلك لأنّه وشى إلى السلطان في نظام الملك ، وقال : سلّمهم إليّ حتى أخلّص لك منهم ألف ألف دينار ، فعمل نظام الملك سماطاً هائلاً ، واستحضر غلمانه ، وكانوا ألوفاً وشرع يقول للسلطان : هذا كلّه من أموالك ، وما أوقفته من المدارس والربط فكلُّه شكره لك في الدنيا ، وأجره لك في الآخرة [وأموالي وجميع ما أملكه بين يديك ، وأنا أقنع بمرقّعة وزاوية] ، فعند ذلك أمر السلطان بقتل أبي المحاسن ، وكان حضيّاً عنده ، وخصّيصاً به ، وجيهاً لديه[٥] . وعزل أباه عن كتابة الطغراء ، وولاها مؤيد الملك بن نظام الملك .

وحجّ بالناس في هذه السنة الأمير ختلغ التركي ، مُقطع الكوفة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ أبو إسحاق الشيرازي[٦] إبراهيم بن علي الشيرازي الفيروزآباذي ، وهي قرية من قرى فارس ، وقيل : هي مدينة جور[٧] .

---

(١) « الكوسات » : قطعتان من المعدن تمسك كل واحدة بيد وتضرب الواحدة بالأخرى .

(٢) في (ط) : الآخرة .

(٣) في الأصل : خراسان . خطأ .

(٤) مفتي حران وقاضيها ، أبو الفتح ، عبد الوهاب بن أحمد بن جَلَبة الحراني . ترجمته في الكامل في التاريخ (١٠/ ١٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٦٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٥٢) .

(٥) الخبر في المنتظم (٩/ ٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٣١) .

(٦) المنتظم (٩/ ٧) ، معجم البلدان (٣/ ٣٨١) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٣٢) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٩) ، طبقات السبكي (٤/ ٢١٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٥٣) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١١٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٤٩) .

(٧) في (ط) : خوارزم . خطأ . قال ياقوت في معجمه (٤/ ٢٨٣) : فيروزآباذ : بالكسر ثم السكون وبعد الراء واو ساكنة ثم زاي وألف وباء موحدة وآخره ذال معجمة ، بلدة بفارس قرب شيراز ، كان اسمها جور فغيّرها عضد =

شيخ الشافعيّة ، ومدرّس النظامية ، ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة وتفقّه بفارس على أبي عبد الله البيضاوي ، ثمّ قدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمئة ، فتفقّه على القاضي أبي الطيّب الطبري ، وسمع الحديث من ابن شاذان ، والبَرْقاني . وكان زاهداً ، عابداً ، ورعاً ، كبير القدر ، معظّماً ، محترماً ، إماماً في الفقه ، والأصول والحديث ، وفنون كثيرة ، وله المصنّفات الكثيرة النافعة . كـ« المهذّب » [في المذهب] ، و« التنبيه » ، و« النكت » ، و« الخلاف » ، و« اللمع في أصول الفقه » ، و« التبصرة » ، و« المعونة » ، و« طبقات الفقهاء » وغير ذلك .

قلت : وقد ذكرت ترجمته مستقصاة في أول « شرح التنبيه » ، وقد كانت وفاته في جمادى الآخرة في دار أبي المظفّر ابن رئيس الرؤساء ، وغسّله أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي ، وصُلِّيَ عليه بباب الفردوس من دار الخلافة ، وشهد الصلاة عليه المقتدي بأمر الله ، وتقدّم للصلاة عليه أبو الفتح المظفّر بن رئيس الرؤساء ـ وكان نائب الوزارة ـ ثم صُلّي عليه مرة ثانية بجامع القصر ، ودفن بباب أبرز ، في تربة مجاورة للتاجيّة ، رحمه الله . وقد امتدحه الشعراء في حياته وبعد وفاته ، وكان هو في نفسه له شعر رائق ، فمما أنشده ابن خلِّكان من شعره قوله :

سألتُ الناسَ عن خِلٍّ وفيٍّ   فَقالُوا : ما إلى هذا سبيلُ
تمسَّكْ إنْ ظَفِرتَ بودِّ[1] حرٍّ   فإنّ الحرَّ في الدنيا قليلُ

قال ابن خلِّكان : ولمّا مات عمل الفقهاء عزاءه بالمدرسة النظاميّة ، وعين مؤيد الملك أبا سعد المتولّي مكانه ، فلمّا بلغ الخبر إلى نظام الملك كتب يقول : كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله ، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر بن الصبّاغ .

طاهر بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القَوّاس[2] .

قرأ القرآن وسمع الحديث ، وتفقّه على القاضي أبي الطيّب الطبري ، وأفتى ودرّس ، وكانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة والفتوى ، وكان ثقة ، ورعاً ، زاهداً ، لازم مسجده خمسين سنة ، وكانت وفاته في هذه السنة عن ستّ وثمانين سنة ، ودُفن قريباً من الإمام أحمد ، رحمه الله .

محمّد بن أحمد بن محمّد بن إسماعيل[3] أبو طاهر الأنْبَاري ، الخطيب ، وكان يعرف بابن أبي الصقر .

= الدولة ، وسمى مواضع أخرى بفيروزآباد .

(١) في (ط) والوفيات : بذيل .

(٢) المنتظم (٩/ ٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٥٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٥١) .

(٣) المنتظم (٩/ ٩) وذكر اسمه : ابن أبي السقر ، والصحيح بالصاد . سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٧٨) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٨٦) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١١٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٤٥٣) .

طاف البلاد ، وسمع الكثير ، وكان ثقةً ، صالحاً ، فاضلاً ، عابداً ، وقد سمع منه الخطيب البغدادي ، وروى عنه مصنّفاته ، وتوفي بالأنبار في جمادى الآخرة عن نحو من مئة سنة .

محمد بن أحمد بن الحسين بن جَرْدة[١] أحد كبار الرؤساء ببغداد من ذوي الثروة والمروءة ، وكان ماله يحزر بثلاثمئة ألف دينار ، وكان أصله من عكبرا ، فسكن بغداد [وكانت له بها] دار عظيمة [تشتمل على ثلاثين مسكناً مستقلاً][٢] فيها حمام وبستان ، ولها بابان ، وفي كلّ باب مسجد ، إذا أذن في أحدهما لا يسمع من في الآخر لاتساعها [وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين وقعت فتنة البساسيري في سنة خمسين وأربعمئة ، نزلت عنده في جواره ، فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار ، ليحمي له داره جزاه الله خيراً ، وهو الذي بنى المسجد المعروف به ببغداد] وقد ختم فيه القرآن ألوف من الناس ، وكان لا يفارق زي التجّار ، وكانت وفاته في عاشر ذي القعدة من هذه السنة ودفن في التربة المجاورة لتربة القزويني ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمئة

فيها : كانت الحرب بين فخر الدولة بن جَهير وبين ابن مروان صاحب ديار بكر ، فاستولى ابن جَهير على ملك العرب ، وسبى حريمهم ، وأخذ البلاد ومعه سيف الدولة صَدقة بن منصور بن دُبَيْس بن علي بن مَزْيَد الأسدي ، فافتدى خلقاً من العرب ، فشكره الناس على ذلك ، وامتدحه الشعراء عليه .

وفيها : بعث السلطان عميد الدولة بن جَهير في جيش كثيف ، معه قسيم الدولة آقسنقر جدّ بني أتابك ملوك الشام والموصل ، [فسارا] إلى الموصل فملكوها .

وفي شعبان ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية ، فأراد شرف الدولة مسلم بن قريش أن يستنقذها منه فهزمه سليمان وقتله ، وكان مسلم هذا من خيار الملوك ، له سيرة حسنة ، وله في كلِّ قرية والٍ وقاض وصاحب خبر [وكان يملك من السِّنْدِيّة[٣] إلى منبج ، وولي بعده أخوه إبراهيم بن قريش ، وكان مسجوناً من سنين فأطلق ، ومَلَك][٤] .

وفيها : ولد السلطان سَنْجَر بن ملكشاه في العشرين من رجب بسنجار .

---

(١) وقع في بعض النسخ : « جزرة » ، وفي (ط) : « جرادة » وكله تحريف ؛ والصواب ما أثبتناه ، وترجمته في المنتظم (٩/٩) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٠/ ٣٩٨) (بشار) .

(٢) زيادة من (ب) و(ط) .

(٣) « السِّنْدية » : قرية من قرى بغداد على نهر عيسى بين بغداد والأنبار . معجم البلدان (٣/ ٢٦٨) .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

[وفيها : عصا تكش أخو السلطان فأخذه السلطان فسمله وسجنه][1] .

وحجّ بالناس في هذه السنة الأمير خمارتكين الجستاني[2] وذلك لشكوى الناس من شدّة سير ختلغ التركي بهم ، وأخذ المكوسات منهم ، سار مرة من الكوفة إلى مكة في تسعة عشر يوماً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن دُوست[3] أبو سعد النيسابوري شيخ الصوفية .

له رباط بمدينة نيسابور يدخل من بابه الجمل براكبه ، وحجّ مرات على التجريد ، وحين انقطعت طريق مكّة كان يأخذ جماعة من الفقراء ، ويتوصّل من قبائل العرب حتى يصل إلى مكة ، [توفي في هذه السنة وقد جاوز التسعين] رحمه الله [وأوصى أن يخلفه ولده إسماعيل ، فأجلس في مشيخة الرباط][4] .

ابن الصَّبَّاغ[5] صاحب « الشامل » ، عبد السيّد بن محمّد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر ، الإمام أبو نصر بن الصَّبَّاغ .

ولد سنة أربعمئة وتفقّه ببغداد على أبي الطيّب الطبري ، حتى فاق الشافعية بالعراق ، وصنّف المصنفات المفيدة ، منها كتابه « الشامل في المذهب » [وهو أول من درّس بالنظامية] ، وكانت وفاته في هذه السنة ، ودفن بداره في الكرخ ، ثمّ نقل إلى باب حرب .

قال ابن خلّكان : كان فقيه العراقيين ، وكان يقاس بالشيخ أبي إسحاق ، وكان ابن الصَّبَّاغ أعلم منه بالمذهب ، وإليه الرحلة ، وقد صنّف « الشامل في الفقه » ، و« العدة في أصول الفقه » ، وتولّى تدريس النظامية أولاً ، ثمّ عزل بعد عشرين يوماً ، [واستبدل] بالشيخ أبي إسحاق ، فلما مات الشيخ أبو إسحاق تولاها أبو سعد المتولّي ، ثم عزل بابن الصبّاغ ، وكان ثقةً حجةً صالحاً ، وأضرّ في آخر عمره رحمه الله .

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .

(٢) في (ط) : « جماز بكر الحسنائي » وفي (ب) : « الحذائي » وكله تحريف ، وما أثبتناه يعضده ما في معجم السفر للحافظ السلفي ، فقد ذكر أنه قرأ عليه بالمدينة النبوية (الترجمة ١٢٢) ، ونقل الترجمة عنه الذهبي في تاريخ الإسلام حيث ذكره في وفيات سنة ٤٩٩ منه (١/ ٨١٣) (بشار) .

(٣) المنتظم (٩/ ١١) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٥٩) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٣٧) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٩١) ، النجوم الزاهرة(٥/ ١٢٤) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٦٣) ، وقد تحرفت دوست في (ط) إلى : دوبست . وقد ترجمه الذهبي ومن نقل منه في وفيات سنة ٤٧٩هـ .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

(٥) المنتظم (٩/ ١٢) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٤١) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢١٧) ، طبقات السبكي (٥/ ١٢٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٦٤) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٩٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٥٥) .

مسعود بن ناصر بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل(١) أبو سعد السِّجْزِي(٢) ، الحافظ .

رحل في الحديث ، وسمع الكثير ، وجمع الكتب النفيسة ، وكان حسن الخطّ صحيح النقل ، حافظاً ، ضابطاً ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمئة

في المحرم منها زلزلت أرَّجان ؛ فهلك خلق كثير من الناس ومواشيهم .

وفيها : كَثُرت الأمراض بالحمّى والطاعون بالعراق والحجاز والشام ، وتعقّب ذلك موت الفجأة ، ثمّ ماتت الوحوش في البريّة ، ثمّ تلاهاموت البهائم ، حتّى عزّت الألبان واللّحمان ، ومع هذا كلّه وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنّة ، فقتل خلق كثير .

وفي ربيع الأول هاجت ريح سوداء ، وسفت رملاً ، وتساقطت أشجار كثيرة من النخيل وغيرها ، ووقعت صواعق في البلاد حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت ، ثمّ انجلى ذلك ، ولله الحمد .

وفيها : ولد للخليفة ولده أبو عبد الله الحسين ، وزُيِّنت بغداد ، وضُربت الطبول والبوقات وكثرت الصدقات .

وفيها : استولى فخر الدولة بن جَهير على بلاد كثيرة منها : آمد وميَّافارقين ، وجزيرة ابن عمر ، وانقرضت دولة بني مروان على يده في هذه السنة .

[وفي ثاني عشر] رمضان منها : قلّد أبو بكر محمد بن المظفّر الشامي(٣) قضاء القضاة ببغداد بعد وفاة أبي عبد الله الدامغاني [وخلع عليه في الديوان] .

وحجّ بالناس الأمير ختلغ التركي [وزار النبي ﷺ ذاهباً وآيباً ، قال : أظن أنّها آخر حجّتي ، وكان كذلك .

وفيها : خرج توقيع الخليفة المقتدي بأمر الله بتجديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كلّ محلّة ، وإلزام أهل الذمّة بلبس الغيار ، وكسر آلات الملاهي ، وإراقة الخمور ، وإخراج أهل الفساد من البلاد .

---

(١) المنتظم (٩/ ١٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٥٧) .

(٢) « السجزي » : بكسر السين المهملة وسكون الجيم وفي آخرها زاي ، هذه النسبة إلى سجستان ـ إحدى بلاد كابل ـ على غير قياس ، والقياس : السجستاني . الأنساب (٧/ ٤٧) وقد تصحفت هذه النسبة في المنتظم إلى : الشجري ، وفي (ط) إلى : السجري .

(٣) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٤٨٨هـ) من هذا الكتاب . (بشار) .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم[(١)] **[بن أبي أيوب] ، أبو بكر الفَوْرَكي ، سبط [الأستاذ] أبي بكر بن فُورَك .**

استوطن بغداد ، وكان متكلِّماً يعظ الناس في النظامية ، فوقعت بسببه فتنة بين أهل المذاهب .

قال ابن الجوزي : وكان مؤثراً للدنيا على الآخرة ، لا يتحاشى من لبس الحرير ، وذكر أنّه كان يأخذ مكس الفحم [ويوقع العداوة بين الحنابلة والأشاعرة] وكانت وفاته في هذه السنة ، وله نيّف وستون سنة ، ودفن إلى جانب قبر الأشعري بمشرعة الروايا[(٢)] .

الحُسين[(٣)] **بن علي**[(٤)] **أبو عبد الله المَرْدُوسي .**

كان رئيس أهل زمانه ، وأكملهم مروءة ، وكان قد خدم في أيام بني بُوَيه ، وتأخّر إلى هذا الحين ، وكانت الملوك تكاتبه وتعظّمه بعبده وخادمه[(٥)] وكان كثير الصدقة والصِّلات والبِرّ ، وبلغ من العمر خمساً وتسعين سنة [وأعد لنفسه قبراً وكَفَناً قبل موته بخمس سنين] ، رحمه الله .

أبو سعد المتولِّي[(٦)] **عبد الرحمن بن المأمون بن علي ، أبو سعد المتولِّي .**

مصنّف « التتمة »[(٧)] ، ومدرّس النظاميّة ، بعد الشيخ أبي إسحاق الشِّيرازي . وكان فصيحاً بليغاً ، ماهراً بعلوم كثيرة . كانت وفاته في شوال من هذه السنة عن ثنتين وخمسين سنة ، رحمه الله ، وصلّى عليه القاضي أبو بكر الشاشي ودفن بباب أبرز .

[إمام الحرمين][(٨)] **عبد الملك ابن [الشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن**

---

(١) المنتظم (٩/ ١٧) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٤١٩) .
(٢) في (ط) : « الزوايا » بالزاي ، خطأ (بشار) .
(٣) في (ط) : « الحسن » ، محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في المنتظم وتاريخ الإسلام (بشار) .
(٤) المنتظم (٩/ ١٧) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٢٠) .
(٥) أي تكتب إليه : عبده وخادمه ، كما في المنتظم .
(٦) المنتظم (٩/ ١٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٤٦) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٣٣) ، طبقات السبكي (٥/ ١٠٦) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٨٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٥٨) .
(٧) بهذا الكتاب تمم الإبانة لشيخه أبي القاسم الفوراني ، وقد تقدمت ترجمته مع وفيات سنة ٤٦١ من هذا الجزء .
(٨) المنتظم (٩/ ١٨) ، معجم البلدان (٢/ ٩٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٤٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٦٧) ، طبقات السبكي (٥/ ١٦٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٦٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٢١) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٥٨) .
« والجويني » : بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء وفي آخرها النون ، نسبة إلى جوين ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور تشتمل على قرى كثيرة .

محمد] بن حَيّويه ، أبو المعالي الجُويْني ، وجُوين : من قرى نَيْسابور ، الملقّب بإمام الحرمين لمجاورته مكّة أربع سنين .

كان مولده في سنة تسع عشرة وأربعمئة . سمع الحديث وتفقّه على والده الشيخ أبي محمد الجويني ، ودرّس بعده في حلقته ، وتفقّه على القاضي حسين ، ودخل [بغداد وتفقّه] بها ، وروى بها الحديث ، وخرج إلى مكّة فجاور فيها [أربع سنين] ، ثمّ عاد إلى نَيسابور فسُلِّم إليه التدريس والخطابة والوعظ ، وصنّف « نهاية المطلب في دراية المذهب » ، و« البرهان في أصول الفقه » وغير ذلك في علوم شتّى ، واشتغل عليه الطَّلبة ، ورحلوا إليه في الأمصار ، وكان يحضر مجلسه ثلاثمئة متفقّه ، وقد استقصيت ترجمته في « الطبقات » .

وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة عن سبع وخمسين سنة ، ودفن بداره ثمّ نقل إلى جانب والده ، رحمه الله تعالى .

قال ابن خلِّكان : كانت أمُّه جارية اشتراها أبوه من كسب يده من النسخ وأمرها أن [لا تدع أحداً] يرضعه غيرها ، واتفق أن امرأة دخلت عليهم فأرضعته مرة ، فأخذه الشيخ أبو محمّد [فنكسه] فوضع يده على بطنه ، [ووضع أصبعه في حلقه] ولم يزل به حتى استقاء كلّ ما كان في بطنه من لبنها . قال : ربّما حصل لإمام الحرمين في بعض مجالس المناظرة فتور [ووقفة] فيقول : هذا من آثار تلك الرضعة . قال : ولما عاد من الحجاز إلى بلده نيسابور سلّم إليه المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ، ومجلس التذكير يوم الجمعة ، وبقي ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، وصنّف في كلّ فن ، من ذلك « النهاية » التي ما صنّف في الإسلام مثلها .

قال أبو جعفر الحافظ[1] : سمعت الشيخ أبا إسحاق الفيروزآبادي يقول لإمام الحرمين : يا مفيد [أهل] المشرق والمغرب ، أنت اليوم إمام الأئِمّةِ . ومن تصانيفه : « الشامل في أصول الدين » ، و« تلخيص التقريب » ، و« الإرشاد » و« العقيدة النظامية » ، و« غياث الأمم » ، و« غياث الخلق » وغير ذلك مما أتمّه ، ومما سمّاه ولم يتمّه ، قال : ولما مات في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمئة صلّى عليه ولده أبو القاسم ، وغلقت الأسواق ؛ وكسّر تلاميذه أقلامهم ومحابرهم ـ وكانوا أربعمئة ـ ومكثوا كذلك سنة . وقد رثي بمراثٍ كثيرة ، فمن ذلك قول بعضهم :

قلوبُ العالمينَ على المقَالي　　وأيامُ الورى مثلُ[2] الليالي

(١) هو أبو جعفر محمد بن أبي علي الهمذاني .
(٢) في (ط) : شبه .

أيثمر غصنُ أهلِ العلمِ يوماً   وقد ماتَ الإمامُ أبو المعالي

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد(١) [أبو علي] ابن الوليد .

شيخ المعتزلة ، كان يدرِّس لهم ، فأنكر ذلك أهل السنَّة عليهم ، فلزم بيته خمسين سنة ، إلى أن توفي في ذي الحجة من هذه السنة ، ودفن في مقبرة الشونيزية ، وهذا هو الذي تناظر هو والشيخ أبو يوسف القزويني المعتزلي المفسّر في إباحة الولدان في الجنّة ، [وأن يباح لأهل الجنة وطء الولدان في أدبارهم] ، كما حكى ذلك ابن عقيل عنهما ، وكان حاضرهما . فمال هذا إلى إباحة ذلك لكونه مأمون المفسدة هنالك ، وقال أبو يوسف : إن هذا لا يكون لهم [لا في الدنيا ولا في الآخرة] ومن أين لك أن يكون لهم أدبار ؟ وهذا العضو إنما خلق في الدنيا مخرجاً للأذى [لحاجة العباد إليه] وليس في الجنة شيء من ذلك [وإنما فضلات أكلهم عرق يفيض من جلودهم ، فإذا هم ضمر فلا يحتاجون أن يكون لهم أدبار] فلا يكون لهذه المسألة صورة بالكلّية ، وقد روى هذا الرجل حديثاً واحداً عن شيخه أبي الحسين البصري بسنده المتقدم ، من طريق شعبة ، عن منصور ، عن رِبْعي بن حِراش ، عن أبي مسعود البدري : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت »(٢) . وقدرواه القَعْنبي ، عن شعبة ، ولم يرو عنه سواه . فقيل : لأنّه لما رحل إليه دخل عليه ، وهو يبول على البالوعة ، فسأله أن يحدِّثه ، فروى له هذا الحديث كالواعظ له ، والتزم أن [لا] يحدثه بغيره ، وقيل : لأن شعبة مرّ على القَعْنبي قبل أن يشتغل بعلم الحديث ، وكان إذ ذاك يعاني الشراب ، فسأله أن يحدثه فامتنع ، فسلّ سكِّينا ، وقال : إن لم تحدثني ، وإلا قتلتك ، فحدّثه ، فتاب وأناب ولزم مالكاً ، ثم فاته السماع من شعبة ، فلم يتفق له غير هذا الحديث .

أبو عبد الله الدّامَغَانيّ(٣) [القاضي] ، محمد بن علي (بن محمد)(٤) بن الحسين بن عبد الملك بن

---

(١) المنتظم (٩/ ٢٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٤٥) ، المغني في الضعفاء (٢/ ٥٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٨٩) ، الوافي بالوفيات (٢٠/ ٨٤) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٢١) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٦٢) .

(٢) في سند هذا الحديث ثلاثة ضعفاء : أبو علي ابن الوليد المترجم ، وشيخه أبو الحسين البصري ، وشيخ شيخه هلال الرأي ، أما متن الحديث فصحيح من طريق آخر ، فهو عند البخاري (٦١٢٠) ، وأبي داود (٤٧٩٧) وابن ماجه (٤١٨٣) .

(٣) تاريخ بغداد (٣/ ١٠٩) ، المنتظم (٩/ ٢٢) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٨٥) ، الفوائد البهية (١٨٢) ، الوافي بالوفيات (٤/ ٣٩) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٢١) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٦٢) .
ونسبته إلى دامغان : بفتح الدال وسكون الألف ، وفتح الميم والغين المعجمة وسكون الألف وبعدها نون ، وهي بلدة كبيرة بين الري ونيسابور . معجم البلدان (٢/ ٤٣٣) .

(٤) ما بين الحاصرتين لابد منه اتفقت عليه جميع المصادر (بشار) .

عبد الوهاب بن حموية[1] الدّامغاني ، الحنفي ، قاضي القضاة ببغداد .

مولده في سنة ثمان وتسعين وثلاثمئة ، وتفقّه ببلده ، ثمّ قدم بغداد في سنة ثماني عشرة وأربعمئة ، فتفقّه بها على أبي عبد الله الصَّيمَري ، وأبي الحسن القُدوري ، وسمع الحديث منهما ومن ابن النقور والخطيب وغيرهم . وبرع في الفقه ، وكان له عقل وافر ، وتواضع زائد ، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء ، وكان فَصيح العبارة ، وكان فقيراً في ابتداء طلبه [عليه أطمار رثَّة] ثمّ صارت إليه الرئاسة والقضاء بعد ابن ماكولا في سنة تسع وأربعين ، وكان القائم بأمر الله يكرمه ، والسلطان طُغْرُلْبَك يعظِّمه ، وباشر الحكم ثلاثين سنة في غاية السيرة الحسنة ، والأمانة والديانة ومرض أياماً يسيرة ، ثمّ توفي في الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة وقد ناهز الثمانين ، ودفن بداره بدرب القلايين[2] ، ثمّ نقل إلى مشهد أبي حنيفة ، رحمه الله تعالى .

محمد بن علي بن المطَّلب[3] أبو سعد الأديب .

كان قد قرأ النحو واللّغة والأدب والسير وأخبار النّاس ، ثمّ أقلع عن ذلك كلِّه ، وأقبل على كثرة الصَّلاة والصَّدقة والصوم إلى أن توفي في هذه السنة عن ست وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

محمد بن أبي طاهر العبّاسي[4] يعرف بابن الرجيجي[5] ، تفقه على ابن الصبّاغ ، وناب في الحكم ، وكان محمود الطريقة ، شهد أولاً عند ابن الدامغاني فقبله .

مَنْصور بن دُبَيْس بن علي بن مَزْيَد[6] أبو كامل ، الأمير بعد سيف الدولة صدقة .

[كان كثير الصلاة والصدقة] ، توفي في رجب هذه السنة ، وقد كان له شعر وأدب وفضيلة ، فمن شعره قوله :

إذا[7] أنا لم أحْمل عظيماً ولم أقُدْ لُهاماً ولم أصبر على كلِّ معظَمِ

---

(١) في السير : حَسّوية ، وفي الوافي : حسنوية ، وثمة اختلاف يسير في أسماء آبائه في المصادر ، وما هنا موافق لما في النجوم الزاهرة .
(٢) في (ط) : العلايين ، خطأ .
(٣) المنتظم (٩/ ٢٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٩٠) .
(٤) المنتظم (٩/ ٢٤) .
(٥) هكذا في النسخ ، وفي المنتظم : « المرجي » ، ولعل الصواب : « الرخجي » .
(٦) المنتظم (٩/ ٢٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٥٠) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٥٠) . وقد ذكره المؤلف في وفيات هذه السنة متابعة منه لابن الجوزي في المنتظم . أما ابن الأثير والذهبي فذكرا وفاته في التي بعدها (بشار) .
(٧) في (ط) والكامل : فإن .

ولم أحجزِ الجاني وأمنعْ جَورَهُ[١] غــداةَ أنــادي للفخــارِ وأنتمــي
فــلا نهضــت بــي همّــةٌ عــربيــةٌ إلى المجدِ ترقى بي ذرا كلِّ مخدم[٢]

هِبةُ الله بن أحمد بن السِّيْبي[٣] مؤدّب الخليفة المقتدي بأمر الله ، سمع الحديث ، وتوفي في محرم هذه السنة وقد جاوز الثمانين ، وله شعر جيد ، فمنه قوله :

رجوتُ الثمانينَ من خالقي لِما جاءَ فيها عنِ المصطفى
فَبلَّغَنيهــا فشكــراً لَــهُ وزادَ ثــلاثــاً بهــا أرْدَفــا
وإنــي[٤] لمنتظــرٌ وَعْــدَهُ لينجــزَهُ فهــو أهــلُ الــوَفــا

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمئة[٥]

وفيها : كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية ، فانهزم أصحاب سليمان ، وقتل هو نفسه بخنجر كانت معه ، فسار السلطان ملك شاه من أصبهان إلى حلب فملكها ، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مرّ بها ، هي حرّان ، والرُّها ، وقلعة جعبر ، وكان جعبر شيخاً كبيراً قد عمي ، وله ولدان ، وكان قطّاع الطريق يلجؤون إليها فيتحصّنون بها ، [فراسل السلطان سابق بن جعبر في تسليمها ، فامتنع عليه ، فنصب عليه المجانيق والعرّادات ففتحها ، وأمر بقتل سابق ، فقالت زوجته : لا تقتله حتى تقتلني معه ، فألقاه من رأسها فتكسر ، ثمّ أمر بتوسيطه بعد ذلك][٦] . فألقت زوجته نفسها وراءه فسَلِمت ، فلامها بعض الناس في ذلك ، فقالت : كرهت أن يصل إليّ التركي ، فيبقى ذلك عاراً عليّ ، فاستحسن منها ذلك . واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة آقسنقر التركي ، وهو جد نور الدين الشهيد ، واستناب على الرحبة ، وحرّان ، والرقّة ، وسروج ، والخابور محمد بن شرف الدولة مسلم ، وزوجه بأخته زليخا خاتون ، وعزل فخر الدولة بن جَهير عن ديار

---

(١) في (ب) والكامل : ولم أجر الجاني وأمنع حوزه .
(٢) في (ب) و(ط) : محرم .
(٣) الإكمال (٤/ ٥١٤) ، الأنساب (٧/ ٢١٦) ، المنتظم (٩/ ٢٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٤٦) ، توضيح المشتبه (٥/ ٢٣) .
والسِّيبي بكسر المهملة ، وسكون المثناة تحت ، تليها موحدة . نسبة إلى بلد السِّيب ، وهو على الفرات بقرب الحلّة .
(٤) في المنتظم : وهاأنا .
(٥) في (ب) تصحيح للعنوان السابق وهو سنة إحدى وسبعين . وهذا الخطأ في العنوان بدأ من أول هذا الجزء مع مسايرة الأحداث والتراجم لنسخة (أ) و(ط) .
(٦) زيادة من (ب) و(ط) .

بَكَر ، وسلّمها إلى العميد أبي علي البلخي ، وخلع على سيف الدولة صَدقة بن دبيس الأسدي ، وأقرّه على عمل أبيه ، ودخل بغداد في ذي القعدة من هذه السنة ، وهي أول دخلة دخلها ، فزار المشاهد والقبور ، ودخل على الخليفة فقبّل يده ، ووضعها على عينيه ، وخلع عليه الخليفة خلعَة سنيّة ، وفوّض إليه أمور الناس ، واستعرض الخليفة أمراءه ، ونظام الملك واقف بين يدي الخليفة يعرّفه بالأمراء واحداً [بعد واحد] باسمه ، وكمِّ جيشه وإقطاعه ، ثم خرج السلطان فنزل بمدرسة النظامية [ولم يكن رآها قبل ذلك] فاستحسنها ، إلا أنّه استصغرها ، واستحسن أهلها [ومن بها ، وحمد الله ، وسأل الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم][1] ، ونزل بخزانة كتبها ، وأملى جزءاً من مسموعاته ، فسمعه المحدثون منه ، وورد الشيخ أبو القاسم علي بن أبي الحسين الحسيني الدَّبوسي[2] إلى بغداد في تجمّل عظيم ، فرتّبه مدرساً بالنظامية بعد أبي سَعْد[3] المتولّي .

[وفي ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر وأذِّن فيها[4]] .

وفي هذه السنة : كانت زلازل [هائلة] بالعراق والجزيرة والشام فهدمت شيئاً كثيراً من العمران [وخرج أكثر الناس إلى الصحراء ثمّ عادوا] .

وحجّ بالناس الأمير خمارتكين الجستاني[5] ، وقطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة ، وقلعت الصفائح التي على باب الكعبة التي عليها ذكر [الخليفة] المصري وجدّد غيرها عليها [وكتب عليها] اسم المقتدي .

قال ابن الجوزي[6] : وظهر رجل بين السندية وواسط . يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى ، يسرع بفتح الأقفال في أسرع مدّة ، ويغوص دجلة في غوصتين ، ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعاً ، ويتسلّق الحيطان الملس ولا يقدر عليه أحد ، وخرج من العراق سالماً .

قال : وفيها توفي فقير يسأل الناس في جامع المنصور ، فوجد في مرقعته ستمئة دينار مغربيّة .

قال : وفيها : عمل سيف الدولة صدقة ، سماطاً للسلطان [جلال الدولة أبي الفتح] ملكشاه ،

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .

(٢) هو الشيخ أبو القاسم ، علي بن المظفر بن حمزة بن زيد الدَّبوسي . سترد ترجمته مع وفيات سنة ٤٨٢ من هذا الجزء .

(٣) في بعض النسخ : « سعيد » ، خطأ ، وما هنا من (ط) ، وتقدمت ترجمته قبل قليل (بشار) .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

(٥) في (ط) : « الحسناني » ، وقد تقدم قبل قليل التعليق على هذه النسبة (بشار) .

(٦) بعد هذا في (ط) : « أي صحاحاً كباراً من أحسن الذهب » ، وهي من إضافة بعض النساخ أو القراء ، وإنما ينقل المؤلف من المنتظم وليس فيه ذلك (بشار) .

اشتمل على ألف رأس من الغنم ، ومئة من الجمال والخيل ، وعشرين ألف دجاجة ، ودخله [عشرون] ألف منٍّ من السكر [وجعل عليه] من أصناف الطيور والوحوش من السكر شيء كثير ، فتناول السلطان [بيده منه] شيئاً يسيراً ، ثمَّ أشار فانتهب عن آخره ، ثمّ انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم له لم ير مثله من الحرير ، وفيه خمسمئة قطعة من فضة وذهب وألوان من تماثيل الندّ والمسك والعنبر وغير ذلك ، فمدّ فيه سماطاً خاصاً ، فأكل السلطان حينئذ ، وحمل إليه عشرين ألف دينار ، وقدم له ذلك السرادق بكماله فانصرف .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الأمير جَعْبَر بن سابق القُشيريّ[١] الملقب بسابق الدين .

كان قد تملك قلعة جعبر مدة طويلة فنسبت إليه [وإنما كان يقال لها قبل ذلك الدُّوسرية ، نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر ، ثمّ إن هذا الأمير كبر وعمي][٢] . وكان له ولدان يقطعان الطريق فاجتاز السلطان ملكشاه بن ألْب آرْسَلان السلجوقي وهو ذاهب إلى حلب فاستنزله منها ، وقتله ، وأخذها منهم .

الأمير ختلغ[٣] أمير الحاج .

[كان مُقْطَعاً للكوفة] ، وله وقَعات مع العرب ، أعربت عن شجاعته ، وأرعبت قلوبهم وشرّدتهم في البلاد شذر مذر ، وقد كان حسن السيرة ، محافظاً على الصلوات ، كثير التلاوة ، وله آثار حسنة في طريق مكّة ، في إصلاح المصانع والأماكن التي يحتاج إليها [الحجاج وغيرهم [وله] مدرسة على الحنفية بمشهد يونس بالكوفة ، وبنى مسجداً بالجانب الغربي من بغداد على دجلة بمشرعة الكرخ ، وكانت وفاته [في جمادى الأولى] من هذه السنة ، رحمه الله تعالى . ولما بلغ نظام الملك وفاته قال : مات ألف رجل .

علي بن فَضَّالٍ المُجَاشعيّ[٤] أبو علي[٥] النحوي المغربي .

---

(١) المنتظم (٩/ ٣١) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٤٩) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٦٣) ، معجم البلدان (٢/ ١٤٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٥٢) .

(٢) زيادة من (ب) و(ط) .

(٣) المنتظم (٩/ ٣٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٦٣) ، وفيه اسمه : قتلغ : ووفاته في سنة ٤٨٠ .

(٤) المنتظم (٩/ ٣٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٥٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٢٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٢٤) .
والمجاشعي : بضم الميم وفتح الجيم وسكون الألف وكسر الشين المعجمة والعين المهملة ، نسبة إلى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة من تميم . وقد تحرفت في (ط) إلى : المشاجعي .

(٥) كذا كنيته في الأصل و(ط) ، وفي المنتظم والكامل وغيرهما : « أبو الحسن » ، وهو الصواب .

له المصنّفات الدالّة على علمه وغزارة فهمه ، [وأسند الحديث ، توفي في ربيع الأول من هذه السنة ودفن بباب أبرز][١] ، رحمه الله .

علي بن أحمد التُّستَري[٢] كان مقدّم أهل البصرة في المال [والجاه] وله مراكب تعمل في البحر ، قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفرّد برواية « سنن » أبي داود ، وكانت وفاته في رجب من هذه السنة .

يحيى بن (الحسين)[٣] إسماعيل الحسيني[٤] .

كان فقيهاً على مذهب زيد بن علي بن الحسين ، وعنده معرفة بالأصول والحديث .

ثم استهلّت سنة ثمانين وأربعمئة

في المحرم منها نقل جهاز [ابنة] السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة المكرمة على مئة وثلاثين جملاً مجلّلة بالديباج الرومي عليها أواني الذهب والفضّة ، وعلى أربع وسبعين بغلاً مجلّلة بأنواع الديباج الملكي [وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضّة] وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقاً من فضة فيها [أنواع من] الجواهر والحليّ ، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرساً عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ، ومَهْد عظيم مجلّل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجواهر ، [وبعث الخليفة لتلقِّيهم الوزير أبا شجاع ، وبين يديه نحو من ثلاثمئة موكبيّة غير المشاعل لخدمة الست خاتون امرأة السلطان ، تركان خاتون[٥] حماة الخليفة ، وسألها أن تحمل الوديعة الشريفة إلى دار الخلافة ، فأجابت إلى ذلك ، فحضر الوزير نظام الملك وأعيان الأمراء][٦] وبين أيديهم من الشموع والمشاعل ما لا يحصى [وجاءت نساء الأمراء ، كل واحدة في جماعتها وجواريها] ثمّ جاءت الخاتون ابنة السلطان زوجة الخليفة بعد الجميع في محفّة مجلّلة ، وعليها من الذَّهب والجواهر ما لا يُحصى قيمته[٧] ، [وقد أحاط بالمحفّة مئتا جارية تركية

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .

(٢) المنتظم (٩/ ٣٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٥٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٨١) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٦٣) .

والتُّسْتَري : بضم التاء وسكون السين وفتح التاء وكسر الراء ، نسبة إلى تستر : أعظم مدينة بخوزستان ، وهي تعريب شوشتر . معجم البلدان (٢/ ٢٩) . وقد تحرفت هذه النسبة في (أ) إلى : القشيري ، وفي الكامل إلى : الشيري .

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من المنتظم وتاريخ الإسلام لابد منها .

(٤) المنتظم (٩/ ٣٥) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٥١) .

(٥) في (ب) : تركان شاه .

(٦) زيادة من (ب) و(ط) .

(٧) من قوله : وجاءت نساء الأمراء . . إلى هنا ساقط من (ب) وما بعدها زيادة من (ب) و(ط) .

بالمراكب المزيَّنة العجيبة مما يبهرن الأبصار] ، فدخلت دار الخلافة على هذه الصفة ، وكانت ليلة مشهودة هائلة جداً . [وقد زُيِّن الحريم الطاهري وأشعلت فيه الشموع][١] فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان ، ومدّ سماطاً لم يُرَ مثله عمَّ الحاضرين والغائبين ، وخلع على الخاتون زوجة السلطان [أم العروس] وكان يوماً مشهوداً . [وكان السلطان متغيباً في الصيد ثمّ قدم بعد أيام ، وكان الدخول بها في أول السنة][٢] ، فولدت من الخليفة [في ذي القعدة] ولداً ذكراً زيِّنت له بغداد[٣] .

وفي هذه السنة : ولد للسلطان ملكشاه ولد سماه : محموداً ، وهو الذي ملك بعده .

وفيها : جعل السلطان ولده أبا شجاع أحمد وليّاً للعهد من بعده ، ولقّبه ملك الملوك ، عضد الدولة ، تاج الملّة ، عدة أمير المؤمنين ، وخطب له بذلك على منابر بغداد وغيرها ، ونثر الذهب على الخطباء عند ذكر اسمه .

وفيها : شرع في بناء التاجية بباب أبرز [وعملت بستان وغرست النخيل والفواكه هنالك] وعمل سور بأمر السلطان ملكشاه .

وحجّ بالناس في هذه السنة نجم الدولة خمارتكين .

وممن توفي في هذه السنة :

إسماعيل بن عبد الله[٤] بن موسى بن سعيد[٥] أبو القاسم النيسابوري ، رحل في طلب الحديث إلى الآفاق حتى جاوز ما وراء النهر ، وكان له حظ وافر في علم الأدب ومعرفة العربيّة ، توفي بنيسابور في [جمادى الأولى] من هذه السنة .

طاهر بن الحسين البَنْدَنِيْجي[٦] أبو الوفاء ، الشاعر المبرّز ، له قصيدتان في مدح نظام الملك إحداهما معجمة ، والأخرى غير منقوطة أولها :

لامُوا ولو علمُوا ما اللّومُ ما لامُوا ... ورَدّ لومهُمُ هَمٌّ وآلامُ

وكانت وفاته ببلده في رمضان عن نيف وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى .

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) .
(٣) ذكر ابن الأثير (١٠/ ١٦٢) : أن الخليفة سماه جعفراً ، وكناه أبا الفضل .
(٤) في (ط) : « إبراهيم » غلط محض ، والتصويب من بعض النسخ ومصادر ترجمته كافة (بشار) .
(٥) المنتظم (٩/ ٣٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٦٣) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٤٥٣) .
(٦) المنتظم (٩/ ٣٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٦٣) .

محمد بن أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله[١] عَرَض له جدري فمات وله تسع سنين ، فحزن والده والناس ، [وجلسوا للعزاء فأرسل إليهم] يقول : إنّ لنا في رسول الله أسوة حسنة حين توفي ابنه إبراهيم . وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] ثم [عزم] على الناس فانصرفوا إلى منازلهم .

محمد بن محمد بن زيد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٢] ، أبو الحسن الحسيني ، الملقب بالمرتضى ذي الشرفين .

ولد سنة خمس وأربعمئة ببغداد ونشأ بها ، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ بنفسه على الشيوخ ، وصحب الحافظ أبا بكر الخطيب ، فصارت له معرفة جيدة بالحديث ، وسمع عليه الخطيب شيئاً من مرويّاته ، ثمّ انتقل إلى سمرقند ، وأملى الحديث بأصبهان [وغيرها] ، وكان يرجع إلى عقلٍ كاملٍ ، وفضلٍ ومروءةٍ ، وكانت له أموالٌ جزيلةٌ ، وأملاك متَّسعةٌ ، ونعمةٌ وافرةٌ . يقال : إنَّه ملك أربعين قرية ، وكان كثير الصدقات [والبرّ والصلة] للعلماء والفقراء ، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار غير زكاة العشور ، وكان له بستان ليس لملك مثله ، فطلبه منه ملك ما وراء النهر واسمه الخضر بن إبراهيم ، عارية ليتنزّه فيه ، فأبى عليه وقال : أعيره إيّاه ليشرب فيه الخمر بعدما كان مأوى أهل العلم والدين والحديث ، فأعرض عنه [السلطان] وحقد عليه ، ثمّ استدعاه إليه ليستشيره في بعض الأمور على العادة ، فلما حصل عنده ، قبض عليه ، وسجنه في قلعته ، واستحوذ على جميع أملاكه وأمواله وحواصله ، فكان يقول : ما تحققت صحّة نسبي إلا بهذه المصادرة ، فإنّي رُبِّيتُ في النَّعيم ، فكنت أقول : إن مثلي لا بُدَّ أن يُبتلى . ثم منعوه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله في القلعة ، فأخرجوه فدفنوه هناك ، فقبره يزار ، أكرم الله مثواه .

محمد بن هلال بن المُحَسِّن[٣] بن إبراهيم[٤] أبو الحسن الصابئ ، الملقب بغَرْسِ النعمة .

سمع أباه وأبا علي بن شاذان ، وكانت له صدقة [كثيرة] ومعروف ، وقد ذيّل على تاريخ أبيه الذي ذيّله على تاريخ ثابت بن سنان الذي ذيّله على تاريخ ابن جرير الطبري . وقد أنشأ داراً ببغداد ، وقف فيها أربعة آلاف مجلّد في فنون من العلم ، وترك حين مات سبعين ألف دينار ، ودفن بمشهد علي رضي الله عنه ورحمه .

---

(١) المنتظم (٩/ ٤٠) .

(٢) المنتظم (٩/ ٤٠) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٢٠) ، الوافي بالوفيات (١/ ١٤٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٦٥) .

(٣) في (ط) : « الحسن » ، وهو تحريف جد ظاهر ، فهم معروفون مشهورون (بشار) .

(٤) المنتظم (٩/ ٤٢) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٦٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٦٧) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٨١) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٧٩) .

هبة الله بن علي بن محمد بن أحمد بن المُجْلي[١] أبو نصر .

جمع خطباً ووعظاً ، وسمع الحديث على خلق من المشايخ ، وتوفي شابًّا قبل أوان الرواية ، رحمه الله .

أبو بكر بن عمر أمير الملثّمين[٢] .

كان في أرض غانة[٣] اتفق له من الناموس ما لم يتفق لغيره من الملوك ، وكان يركب معه إذا سار لقتال العدوّ خمسمئة ألف مقاتل ، كلّ يعتقد طاعته ، وكان يقيم الحدود ، ويحفظ محارم الإسلام [ويحوط الدين] ويسير في الناس سيرة شرعية مع صحّة معتقده [ودينه] وموالاة الدولة العباسية ، أصابته نشّابة في بعض حروبه ، فجاءته في حلقه فقتلته في هذه السنة .

فاطمة بنت علي المؤدِّبة الكاتبة[٤] وتُعرف ببنت الأقرع .

سمعت الحديث من أبي عمر بن مَهدي وغيره ، وكانت تكتب الخطّ المنسوب على طريقة ابن البواب[٥] ، ويكتب الناس عليها ، وبخطّها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم ، وكتبت مرة إلى عميد الملك الكُنْدُري رقعة فأعطاها ألف دينار ، توفيت في [المحرم] ببغداد في هذه السنة ودفنت بباب أبرز .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمئة

فيها : كانت فتن عظيمة ببغداد بين الروافض والسنّة ، وجرت خطوب كثيرة .

وفي [ربيع الأول] أخرجت الأتراك من حريم الخلافة ، وهذا فيه قوة للخلافة .

وفيها : ملك مسعود بن الملك المؤيد بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين بلاد غزنة بعد أبيه .

---

(١) المنتظم (٩/ ٤٣) ، توضيح المشتبه (٨/ ٥٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٩٢) ، مع من توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمئة .

(٢) المنتظم (٩/ ٤٣) ، الكامل في التاريخ (٩/ ٦١٨ ـ ٦٢٢) ، وفيات الأعيان (٧/ ١١٣) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٢٥) وفيه وفاته سنة اثنتين وستين وأربعمئة ، وإنما تابع المؤلف ابن الجوزي في المنتظم .

(٣) في (ط) : « فرغانة » وهو غلط فاحش ، والصواب ما أثبتناه ، وهي بلد معروف بإفريقية . (بشار) .

(٤) المنتظم (٩/ ٤٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٦٣) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٨٠) وفيها اسمها : بنت الحسن بن علي البغدادي ، وإنما تابع المؤلف ابن الجوزي ، وهو كثير الأوهام .

(٥) هو علي بن هلال ابن البواب ، تعانى الكتابة ، ففاق الأولين والآخرين فيها . وردت ترجمته مع وفيات سنة ٤١٣ .

وفيها : فتح ملكشاه مدينة سمرقند ، وحج بالناس الأمير خمارتكين ، وممن حجّ فيها الوزير أبو شجاع واستناب ولده أبا منصور وطِراد بن محمد [الزَّيْنبي] .

ومـمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن السلطان ملكشاه(١) كان ولي عهد أبيه ، توفي وعمره إحدى عشرة سنة ، فمكث الناس في العزاء سبعة أيام [لم يركب أحد فرساً] ، والنساء ينحن في الأسواق عليه ، [وسوّد أهل البلاد التي لأبيه أبوابهم] .

عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن جعفر(٢) [أبو إسماعيل] ، الأنصاري الهرويّ ، روى الحديث وصنّف ، وكان كثير السّهر باللّيل ، وكانت وفاته بهراة في ذي الحجة عن ست وثمانين سنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمئة

في المحرم درّس أبو بكر الشاشي في المدرسة التاجيّة بباب أبرز ، وكان قد أنشأها الصاحب تاج الملك(٣) أبو الغنائم على الشافعيّة .

وفيها : كانت فتنة عظيمة بين الروافض والسنّة ، ورفعوا المصاحف وجرت حروب طويلة وقتل خلق كثير . نقل ابن الجوزي في « المنتظم »(٤) من خطّ ابن عقيل : أنّه قتل في هذه الفتنة قريب من مئتي رجل ، قال : وسبّ أهل الكرخ الصحابة وأزواج رسول الله ﷺ ، وارتفعوا إلى سبِّ رسول الله ﷺ ـ فلعنة الله على أهل الكرخ الذين فعلوا ذلك ـ وإنما حكيت هذا ليعلم الواقف عليه ما في طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الإسلام وأهله والعداوة الكافية في قلوبهم لله ولرسوله ولشريعته .

وفيها : ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وطائفة كثيرة من تلك الناحية بعد حروب عظيمة ووقعات هائلة .

وفيها : استولى جيش المصريين على عدة من بلاد الشام .

[وفيها : عمرت منارة جامع حلب .

---

(١) الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٩) .
(٢) المنتظم (٩/ ٤٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٦٨) . قال بشار : قصَّر في ترجمته لمتابعته ابن الجوزي ، وسقط عند ابن الجوزي من نسبه قبل جعفر : « أحمد » ، وله في تاريخ الإسلام ترجمة رائقة (١٠/ ٤٨٩ ـ ٤٩٥) .
(٣) في (ب) و(ط) : الدين .
(٤) (٩/ ٤٨) .

وفيها : أرسلت الخاتون بنت السلطان امرأة الخليفة تشكو إلى أبيها إعراض الخليفة عنها ، فبعث إليها أبوها الطواشي صواب والأمير مران ليرجعاها إليه ، فأجاب الخليفة إلى ذلك ، وبعث معها بالنقيب وجماعة من أعيان الأمراء ، وخرج ابن الخليفة أبوالفضل والوزير فشيّعاها إلى النهروان ، وذلك في ربيع الأول ، فلما وصلت إلى أبيها توفيت في شوال من هذه السنة بأصبهان ، فعمل عزاؤها ببغداد سبعة أيام ، وأرسل الخليفة إلى السلطان أميرين لتعزيته فيها][1] .

وحجّ بالناس في هذه السنة خمارتكين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الصمد بن أحمد بن علي المعروف بظاهر[2] النيسابوري الحافظ .

رحل وسمع الكثير ، وخرّج ، عاجله الموت في هذه السنة بهمَذان وهو شاب ، رحمه الله تعالى .

علي بن أبي يعلى بن زيد[3] أبو القاسم الدبوسيّ ، مدرس النظامية بعد المتولي .

وقد سمع شيئاً من الحديث ، وكان فقيهاً ماهراً ، وجدليًّا باهراً .

عاصم بن الحَسَن[4] بن محمد بن علي بن عاصم بن مهران[5] أبو الحسين العاصِميّ .

وهو من أهل الكَرْخ ، سكن باب الشعير . [ولد] سنة سبع وتسعين [وثلاثمئة] وكان من أهل الفضل والأدب ، وسمع الحديث من الخطيب وغيره ، وكان ثقة حافظاً ، ومن شعره الجيد قوله :

لَهفي على قومٍ بكاظمةٍ ... ودّعتُهم والركبُ مُعتَرِضُ
لم تترك العبراتُ مذ بعدوا ... لي مقلةً ترنُو وتغتمضُ
رحلوا فدمعي واكفٌ هطلٌ[6] ... جارٍ وقلبي حشوهُ مَرضُ
وتعوّضوا لاذقتُ فقدهمُ ... عنّي ومالي عنهم عِوَضُ

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .

(٢) المنتظم (٩/ ٥٠) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٥٠٨ـ٥٠٩) ، ووقع في (ط) : « طاهر » بالطاء ، المهملة وهو تصحيف .

(٣) المنتظم (٩/ ٥٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٨١) ، طبقات السبكي (٥/ ٢٩٦) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٩١) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٢٩) .

(٤) في بعض النسخ : « الحسين » ، وما هنا من (ط) ويعضده ما جاء في مصادر ترجمته كافة . وقد ترجمه الذهبي ومن تابعه في وفيات سنة (٥٨٣) كما في السير وتاريخ الإسلام (١٠/ ٥٢١) .

(٥) المنتظم (٩/ ٥١) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٨٠) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٩٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٢٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٦٨) .

(٦) في (ب) و(ط) والمنتظم : رحلوا فطرفي دمعه هطل .

أقـرضتُهـم قلبـي علـى ثقـةٍ منهم فما ردُّوا الذي اقترضوا

محمد بن أحمد بن حامد بن عُبيد[١] أبو جعفر البخاري ، المتكلّم ، المعتزلي ، أقام ببغداد ، ويعرف بقاضي حلب .

وكان حنفي المذهب في الفروع ، معتزليًّا في الأصول ، مات ببغداد في هذه السنة ، ودفن بباب حرب .

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأصفهاني[٢] المعروف [بابن] سَمْكُوية[٣] .

أحد الحفّاظ الجوّالين الرحّالين ، سمع الكثير ، وجمع الكتب ، وأقام بهراة ، وكان رجلاً صالحاً ، كثير العبادة ، توفي رحمه الله بنيسابور في ذي الحجّة من هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمئة

في المحرم ورد [إلى] الفقيه أبي عبد الله الطبري منشور نظام المُلْك بتدريس النظاميّة ببغداد ، فدرّس بها ، ثمّ في ربيع الأول ورد الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي بمنشور آخر منه بتدريسها ، فاتفق الحال على أن يدرِّس هذا يوماً وهذا يوماً .

وفي جمادى الأولى دهم أهلَ البصرة رجل اسمه تِلْيا[٤] كان ينظر في النجوم ، فاستغوى خلقاً من أهلها ، وزعم أنّه المهدي ، وأحرق من البصرة شيئاً كثيراً ، من ذلك دار كانت أول دار كتبٍ وقفت في الإسلام [لم يُرَ في الإسلام مثلها] وأتلف شيئاً كثيراً من الدواليب والمصانع وغير ذلك .

وفيها : خلع على أبي القاسم علي بن طِراد الزَّينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه .

وفيها : استفتي على معلمي الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها [فأفتوا بمنعهم] ولم يستثن منهم سوى رجل كان فقيهاً شافعيًّا ، يدري كيف تصان المساجد ، واستدلّ المفتي بقوله عليه السلام : « سدّوا كلّ خوخة إلا خوخة أبي بكر »[٥] .

---

(١) المنتظم (٩/ ٥٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٨٦) .

(٢) المنتظم (٩/ ٥٢) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٦) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٨٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٦٧) .

(٣) في (ط) إلى : مسلرفة .

(٤) في (ط) : « بليا » مصحف ، وما هنا يعضده ما في الكامل لابن الأثير (١٠/ ١٨٣ و١٨٤) ، وسيأتي على الصواب في حوادث السنة الآتية (بشار) .

(٥) الحديث رواه البخاري (٤٦٧) في الصلاة : باب الخوخة والممر في المسجد ، وأحمد في المسند (١/ ٢٧٠) ، كلاهما بسندهما عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والخوخة : الفتحة والمنفذ .

وحجّ بالناس فيها خمارتكين على العادة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الوزير أبو نصر بن جَهِير بن محمد بن محمد بن جهير[(١)] عميد الملك[(٢)] .

أحد مشاهير الوزراء ، وزر للقائم ، ثمّ لولده المقتدي ، ثمّ عزله السلطان ملكشاه ، وولاه ولده فخر الدولة ديار بكر وغيرها ، مات بالموصل في هذه السنة وهي البلدة التي ولد بها .

[وفيها : كان مقتل صاحب اليمن الصُّلَيحي وقد تقدم ذكره][(٣)] .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمئة

في المحرم منها كتب المنجّم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته ، ويذكر في كتابه : أنّه المهديّ ، صاحب الزمان ، الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويهدي الخلق إلى الحقّ ، فإن أطعتم أمنتم من العذاب ، وإن عدلتم عن الحقّ خُسِفَ بكم ، فآمنوا بالله وبالإمام المهدي .

وفيها : أُلْزِم أهل الذمّة [بلبس] الغيار وشدّ الزنّار ، وكذلك نساؤهم في الحمّامات وغيرها .

وفي جمادى الأولى قدم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظاميّة بها ، ولقّبه نظام الملك : زين الدين ، شرف الأئمة .

قال ابن الجوزي[(٤)] : كان كلامه معسولاً ، وذكاؤه شديداً .

وفي رمضان منها عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة فأنشد عند عزله متمثلاً :

تـولاهـا وليـسَ لـه عـدوٌّ وفارقَها وليسَ له صديقُ

ثم جاء كتاب نظام المُلْك بأن يخرج من بغداد ، فخرج [منها إلى عدة أماكن ، فلم تطب له] فعزم على الحجّ [ثم طابت نفس النظام عليه فبعث عليه يسأله أن يكون عديله في ذلك][(٥)] وناب ابن

---

(١) أورد المصنف هذه الترجمة تبعاً لابن الجوزي في المنتظم ولابن الأثير في الكامل دون تحقيق في سنة الوفاة ، والصحيح أن ابن جهير قد توفي في سنة ثلاث وتسعين وأربعمئة ، وسترد ترجمته ثمة .

(٢) في (ط) : عميد الدولة .

(٣) زيادة من (ب) و(ط) وهي خطأ ؛ إذ وردت ترجمة الصليحي مع وفيات سنة ثلاث وسبعين وأربعمئة من هذا الجزء .

(٤) المنتظم (٩/ ٥٥) .

(٥) زيادة من (ب) و(ط) .

الموصلايا في الوزارة[١] ، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة ، في أول هذه السنة .

وفي رمضان منها دخل السلطان ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام المُلْك ، وقد خرج لتلقّيه قاضي القضاة أبو بكر الشاشي وابن الموصلايا المسلماني ، وجاءت ملوك الأطراف للسلام عليه ، منهم أخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق ، وأتابكه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب .

وفي ذي القعدة خرج ملك شاه وابنه وابن ابنته من الخليفة في خلق كثير إلى الكوفة .

وفيها : استُوزر أبو منصور بن جَهير ، وهي النوبة الثانية لوزارته للمقتدي ، وخلع عليه ، وركب إليه نظام المُلْك ، فهنّأه في داره [بباب العامة] .

وفي ذي الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة . وأشعلت نيران عظيمة ، وأوقدت شموع كثيرة [وجمعت المطربات في السميريات] وكانت ليلة مشهودة [عجيبة] جدًّا ، وقد نظم الشعراء فيها شعراً ، فلما أصبح النهار من هذه الليلة ، جيء [بالخبيث المنجم الذي حرق البصرة] الداعية المدّعي أنّه المهدي تِلْيا المنجم محمولاً على جمل ببغداد [وجعل] يسبّ الناس والناس يلعنونه ، وعلى رأسه طُرطُورٌ بودع ، والدرّة تأخذه من كلّ جانب [فطافوا به بغداد] ، ثمّ صُلِب بعد ذلك .

وفيها : أمر السلطان ملك شاه جلال الدولة بعمارة جامعه المنسوب إليه بظاهر السور .

وفي هذه السنة : ملك أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب كثيراً من الأندلس[٢] ، وأسر صاحبها المعتمد بن عباد وسجنه وأهله بأغمات[٣] ، وقد كان المعتمد هذا موصوفاً بالكرم ، والأدب والعلم ، والحلم وحسن السيرة والعشرة ، والإحسان إلى الرعيّة والرفق بهم ، فحزن الناس عليه ، [وقال في مصابه الشعراء فأكثروا][٤] .

وفيها : ملكت الفرنج [مدينة] ، صِقلّية من بلاد المغرب ، ومات[٥] ملكهم ، فقام من بعده ولده ، فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين وأحسن إليهم وكأنه منهم [لما ظهر منه من الإحسان إلى المسلمين] .

---

(١) ابن الموصلايا ، وهو أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب ، أسلم في هذه السنة حيث ألزم الخليفة أهل الذمة بلبس الغيار ، ولبس ما شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . الكامل في التاريخ (١٠/١٨٦) .

(٢) الخبر بتمامه في الكامل لابن الأثير (١٠/ ١٨٧ ـ ١٩٣) .

(٣) « أغمات » : ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش . معجم البلدان (١/ ٢٢٥) .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

(٥) خبر امتلاك الفرنج جزيرة صقلّية في الكامل لابن الأثير (١٠/١٩٣ ـ ١٩٨) .

وفيها : كانت زلازل كثيرة بالشام وغيرها ، فهدَّمت بنياناً كثيراً ، وكان من جملة ذلك تسعون برجاً من سور أنطاكية ، وهلك تحت الهدم خلق كثير . وحجّ بالناس فيها خمارتكين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الرحمن بن أحمد بن عَلَّك(١) **أبو طاهر .**

ولد بأصبهان ، وتفقّه بسمرقند ، وهو الذي كان سبب فتحها على يدي السلطان ملك شاه ، وكان من رؤساء الشافعيّة ، وقد سمع الحديث الكثير .

قال عبد الوهّاب بن مَنْده : لم نرَ فقيهاً في وقتنا أنصف منه ولا أعلم ، وكان فصيح اللَّهجة ، كثير المروءة ، غزير النعمة ، وكانت وفاته ببغداد ، فمشى الرؤساء والوزراء في جنازته ، غير أن نظام المُلْك ركب واعتذر بكبر السنّ ، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكان يوماً مشهوداً ، وجاء السلطان ملك شاه إلى التربة . [قال ابن عقيل : جلست بكرة العزاء إلى جانب نظام المُلْك ، والملوك قيام بين يديه ، اجترأت على ذلك بالعلم ، حكاه ابن الجوزي](٢) .

محمد بن أحمد بن علي(٣) **أبو نصر المَرْوزيّ .**

كان إماماً في القراءات ، وله فيها المصنّفات ، وسافر في ذلك كثيراً ، واتفق أنّه غرق في البحر في بعض أسفاره ، فبينما الموج يرفعه ويضعه ، إذ نظر إلى الشمس قد زالت ، فنوى الوضوء وانغمس في الماء ثمّ صعد ، فإذا خشبة ، فركبها وصلّى عليها ، ورزقه الله السلامة ببركة الصلاة . [وامتثاله للأمر ، واجتهاده على العمل] وعاش بعد ذلك دهراً ، وتوفي في هذه السنة ، وله نيّف وتسعون سنة ، رحمه الله .

محمد بن عبد الله بن الحسين(٤) **أبو بكر الناصحي ، الفقيه الحنفي المناظر ، المتكلّم ، المعتزلي .**

وقد ولي القضاء بنيسابور ، ثمّ عزل عنها لجنايته ، وكلامه ، وأخذه الرشا ، وولي قضاء الريّ ، وقد سمع الحديث ، وكان من أكابر العلماء ، توفي في رجب .

---

(١) المنتظم (٩/ ٥٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٠) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٥٣٢) .
(٢) المنتظم (٩/ ٥٩) .
(٣) المنتظم (٩/ ٦٠) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٥٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٦٠٠) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٨٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٣٣) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٧٢) .
(٤) المنتظم (٩/ ٦٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٣٠) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٩) ، الوافي بالوفيات (٣/ ٣٣٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٧٢) .

أرتق بن أكسب[١] التُركماني[٢] جدّ الملوك الأرتقيّة الذين هم اليوم ملوك ماردين ، كان شهماً شجاعاً ، عالي الهمّة ، تغلّب على بلاد كثيرة ، وقد ترجمه ابن خلّكان ، وأرّخ وفاته في هذه السنة .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمئة

فيها : أمر السلطان ملك شاه ببناء [سور] سوق المدينة المعروفة بطُغْرُلْبَك ، إلى جانب دار الملك ، وجدّد خاناتها وأسواقها ، ودورها ، وأمر بتجديد الجامع الذي تمّ على يد هارون الخادم في سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، ووقف على نصب قبلته بنفسه ، ومنجّمه إبراهيم حاضر ، ونقلت إليه أخشاب جامع سامرّاء ، وشرع نظام المُلْك في بناء دار هائلة له أيضاً [وكذلك تاج الملوك أبو الغنائم ، شرع في بناء دار هائلة أيضاً][٣] ، واستوطنوا البلد فطابت لهم بغداد .

وفي جمادى الأولى وقع حريق عظيم ببغداد في أماكن شتّى ، فما أطفئ حتى هلك للناس شيء كثير ، فما عمروا بقدر ما حرق وما غرموا .

وفي ربيع الأول خرج السلطان إلى أصبهان ، ومعه ولد الخليفة أبو الفضل جعفر ، [فبينما هو في الطريق يوم عاشوراء عدا صبيّ من الدّيلم على الوزير نظام الملك بعد أن أفطر ، فضربه بسكين فقضى عليه بعد ساعة ، وأخذ الصبيّ الدّيلمي فقتل ، وكان من كبار الوزراء وخيار الأمراء ، وسنذكر شيئاً من سيرته عند ذكر ترجمته][٤] .

ثمّ عاد إلى بغداد في رمضان بنيّة غير صالحة ، فلقاه الله في نفسه ما يتمناه لأعدائه ، وذلك أنّه لما استقرّ ركابه ببغداد وجاء الناس للسلام عليه والتهنئة بقدومه [وأرسل إليه الخليفة يهنئه][٥] فبعث إلى الخليفة يقول له : لا بدّ أن تترك لي بغداد ، وتتحول إلى أيّ بلاد شئت ؛ فأرسل إليه الخليفة يستنظره شهراً ، فقال : ولا ساعة واحدة ، فأرسل يتوسّل إليه في إنظاره عشرة أيام ، فأجاب إلى ذلك بعد تمنّع شديد [فما استتم الأجل حتى][٦] خرج السلطان يوم عيد الفطر إلى الصيد ، فأصابته حمّى شديدة ، فافتصد ، فما قام منها حتى مات قبل العشرة أيام ، ولله الحمد ، فاستحوذت زوجته زبيدة خاتون على

---

(١) في (ط) : « ألب » محرف ، وما أثبتناه يعضده ما في مصادر ترجمته وتراجم الأراتقة (بشار) .
(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٩١ ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٥٣٠) ، العبر (٥/ ١٤٨) ، النجوم الزاهرة (٦/ ٣١٤) .
(٣) زيادة من (ب) و(ط) .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .
(٥) زيادة من (ب) و(ط) .
(٦) زيادة من (ب) و(ط) .

الجيش ، وضبطت [الأموال] والأحوال جيداً ، وأرسلت إلى الخليفة تسأل منه أن يكون ولدها محمود ملكاً بعد أبيه ، وأن يخطب له على المنابر ، فأجابها إلى ذلك .

[وأرسل إليه بالخلع ، وبعث يعزِّيها ويهنئها مع وزيره عميد الدولة ابن جَهير](١) وكان عمر الملك محمود [يومئذ] خمس سنين ، ثمّ سارت به نحو أصبهان لتوطّد له الملك ، فدخلوها فتمّ لهم مرادهم ، وخُطِبَ له في جميع البلدان حتى في الحرمين ، واستُوزر له تاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن [خسرو] ، وأرسلت أم الملك محمود تسأل له من الخليفة أن يجعل ولايات العمال إليه [فامتنع الخليفة ، ووافقه الغزالي] وقال : هذا لا يسيغه الشرع [وأفتى العلماء بجواز ذلك منهم المتطيب بن محمد الحنفي ، فلم يعمل إلا بقول الغزالي .

وانحاز أكثر جيش السلطان إلى ابنه الآخر بركياروق فبايعوه وخطبوا له بالريّ [وانفردت الخاتون وولدها ومعهم شرذمة قليلة من الجيش والخاصكية](٢) فأنفقت الخاتون ثلاثين ألف ألف دينار لقتال بركياروق بن ملك شاه فالتقوا في ذي الحجة ، فكانت الخاتون هي المنهزمة ، ومعها ولدها ، وقد ثبت في « صحيح البخاري »(٣) : « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » .

وفيها : جاء بَرَدٌ شديد بالبصرة وزن البرَدة الواحدة منه خمسة أرطال إلى ثلاثة عشر رطلاً ، فأتلفت شيئاً كثيراً من الأشجار ، وجاء ريح عاصف قاصف فألقى عشرات الألوف من النخيل أيضاً ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

[وفي ذي القعدة اعترضت بنو خفاجة للحجيج ، فقاتلهم من في الحجيج من الجند مع الأمير خمارتكين فهزموهم ، ونهبت أموال الأعراب ، فلِلَّه الحمد والمنّة] .

وفي هذه السنة : ملك تاج الدولة تتش صاحب دمشق مدينة حمص ، وقلعة عَرْقَة ، وقلعة أفامية ، معه قسيم الدولة آقسنقر ، [وكان السلطان قد جهز سريّة إلى اليمن صحبة سعد الدولة كوهرائين ، وأمير آخر من التركمان ، فدخلاها وأساءا فيها السيرة ، فتوفي سعد الدولة كوهرائين يوم دخوله إليها في مدينة عدن ، ولله الحمد والمنّة](٤) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جعفر بن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن(٥) أبو الفضل التميمي المعروف

(١) زيادة من (ب) و(ط) .

(٢) زيادة من (ب) و(ط) .

(٣) برقم (٤٤٢٥) في المغازي ، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

(٥) المنتظم (٩/ ٦٤) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٣١) ، الوافي بالوفيات (١١/ ١٦٧) ، شذرات الذهب

بالحَكَّاك[(١)] المكّي .

رحل في طلب الحديث إلى الشام والعراق وأصبهان ، وغير ذلك من البلاد ، وسمع الكثير [وخرّج الأجزاء] ، وكان حافظاً ، متقناً ، ثقة ، ضابطاً ، صدوقاً ، [أديباً] ، خيّراً ، وكان يراسل صاحب مكة ، وكان من ذوي الهيئات والمروءات ، قارب الثمانين ، رحمه الله .

نظام المُلْك الوزير[(٢)] هو الحسن بن علي بن إسحاق بن العبّاس ، أبو علي الوزير .

وزير الملك ألب آرْسلان ، وولده ملك شاه ثلاثين سنة . وكان من خيار الوزراء ، ولد بطوس سنة ثمان وأربعمئة ، وكان أبوه ممن يخدم أصحاب محمود بن سُبُكْتِكين [وكان من الدَّهاقين][(٣)] فاشتغل ولده هذا فقرأ القرآن [وله إحدى عشرة سنة] وأشغله بعلم القراءات ، والتفقّه على مذهب الشافعي ، وسماع الحديث واللّغة والنحو ، وكان عالي الهمّة [فحصّل من ذلك طرفاً صالحاً] ثمّ ترقى في المراتب حتى وزر [للسلطان ألب آرْسَلان بن داود بن ميكائيل بن سُلجوق ، ثمّ من بعده لملك شاه تسعاً وعشرين سنة ، لم ينكب في شيءٍ منها][(٤)] . وبنى المدارس النظاميات[(٥)] في بغداد ونيسابور وغيرهما ، وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والعلماء ، بحيث يقضي معهم عامة أوقاته ، فقيل له : هؤلاء قد شغلوك عن كثير من المصالح ، فقال : هؤلاء جمال الدنيا والآخرة ، ولو أجلستهم على رأسي ما استكثرت ذلك ، وكان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري ، وأبو المعالي الجُويني ، قام لهما وأجلسهما في المسند ، فإذا دخل عليه أبو علي الفَارمَذيّ[(٦)] قام وأجلسه مكانه ، وجلس بين يديه ، فعوتب في ذلك ، فقال : إنهما إذا دخلا عليّ فقالا : أنت وأنت [يطروني ويعظّموني ويقولون فيّ ما ليس فيّ ، فازداد بهما ما هو مركوز في نفس البشر] وإذا دخل أبو علي الفارمَذيّ ذكّرني عيوبي وظلمي فأنكسر وأرجع عن كثير من الذي أنا فيه . وكان

= (٣/ ٣٧٣) وثمة خلاف في أسماء آبائه .

(١) تحرفت في (أ) إلى : الكمال .

(٢) المنتظم (٩/ ٦٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٠٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٢٨) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٥٤١) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٩٤) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ١٢٣) ، طبقات السبكي (٤/ ٣٠٩) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٣٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٧٣) .

(٣) زيادة من (ب) و(ط) . و« الدهاقين » ج . دهقان : رئيس الإقليم ، وزعيم فلاحي العجم . وأيضاً : من له مال وعقار ، وأصلها بالفارسية دهكان ، بالكاف .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

(٥) ذكر السبكي في طبقاته تسع مدارس غير المدرسة الكبرى في بغداد ، والتي شرع في عمارتها سنة سبع وخمسين وأربعمئة ، ودرّس فيها كبار العلماء .

(٦) هو الإمام الكبير شيخ الصوفية الفضل بن محمد الفارمذي الخراساني ، الواعظ ، توفي سنة سبع وسبعين وأربعمئة ، ترجمته في السير (١٨/ ٥٦٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٥٥) .

محافظاً على الصلوات في أول الوقت [لا يشغله بعد الأذان شغل عنها][١] ويواظب على صوم الإثنين والخميس ، وله [الأوقاف الدارّة] والصدقات البارّة .

وكان يعظّم الصوفيّة تعظيماً زائداً ، فعوتب في ذلك فقال : إني كنت أخدم بعض الأمراء فجاء بي يوماً إنسان فقال : اخدم من ينفعك خدمته ، إلى متى تخدم من تأكله الكلاب غداً ، فلم أفهم ما يقول . فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة ، وخرج في أثناء الليل وهو ثمل ، وكانت له كلاب تفترس الغرباء باللّيل ، فلم تعرفه فمزّقته ، فأصبح وقد أكلته الكلاب ، قال : فأنا أطلب مثل ذلك الشيخ .

وقد سمع الحديث في أماكن شتى ببغداد وغيرها ، وكان يقول : [إني لأعلم] أني لست بأهلٍ للرواية ، ولكن أحب أن أربط في قطار نَقَلَةِ حديث رسول الله ﷺ .

وقال أيضاً : رأيت [ليلة] في المنام إبليس فقلت له : ويحك ! خلقك الله وأمرك بالسجود له مشافهةً ، فأبيت ، وأنا لم يأمرني بالسجود له مشافهة ، وأنا أسجد له في كلِّ يوم مرات ، وأنشأ يقول :

مَنْ لمْ يكُنْ للوِصَالِ أهْلاً ... فكُـلُّ إحسـانِـه ذُنُـوبُ

[وقد أجلسه المقتدي مرة بين يديه وقال له : يا حسن ، رضي الله عنك برضا أمير المؤمنين عنك .

وقد ملك ألوفاً من الترك][٢] ، وكان له بنون كثيرة ، وَزَرَ منهم خمسة ، وزر ابنه أحمد للسلطان محمد بن ملك شاه ، ولأمير المؤمنين المسترشد بالله . وخرج نظام المُلْك مع السلطان من أصبهان قاصداً بغداد ، في مستهلّ رمضان من هذه السنة ، فلما كان اليوم العاشر اجتاز في بعض طريقه بقرية بالقرب من نَهاوند ، [وهو يسايره في محفّة] فقال : قد قتل هاهنا خلق من الصحابة زمن عمر رضي الله عنه ، فطوبى لمن يكون عندهم ، فاتفق أنّه لما أفطر جاءه صبيّ في هيئة مستغيث ومعه قصّة ، فلما انتهى إليه ضربة بسكِّين في فؤاده وهرب ، فعثر بطنب الخيمة ، فأُخذ فقتل ، ومكث نظام المُلْك ساعة ، وجاءه السلطان يعوده ، فمات وهو عنده رحمه الله [وقد اتُّهم السلطان في أمره أنّه هو الذي مالأ عليه ، فلم تطل مدته بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً فكان في ذلك عبرةٌ لأولي الألباب . [وكان قد عزم على إخراج الخليفة أيضاً من بغداد ، فما تمّ له ما عزم عليه ، ولما بلغ أهل بغداد موت النظام حزنوا عليه ، وجلس الوزير والرؤساء للعزاء ثلاثة أيام] ورثاه الشعراء بقصائد ، منهم مقاتل بن عطيّة :

كانَ الوزيرُ نظامُ المُلْكِ لؤلؤةً ... يتيمةً صاغَها الرحمنُ من شَرَفِ
عزَّتْ فلم تعرفِ الأيامُ قيمتَها ... فـردَّهـا غَيْـرةً منـهُ إلـى الصَّـدَفِ

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) . والعبارة في الوفيات (٤/ ١٢٨) .

وأثنى عليه غير واحد ، حتى ابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما[١] ، رحمه الله .

عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا[٢] أبو القاسم الشاعر ، من أهل الحريم الطاهريّ .

ولد سنة عشر وأربعمئة ، وكان أديباً ، شاعراً ، ماهراً ، غير أنّه رماه بعضهم برأي الأوائل ، وأنكر أن يكون في السماء نهر من ماءٍ ، أو نهر من لبن ، أو نهر من خمر ، أو نهر من عسل ، يعني في الجنة ، وما يسقط من ذلك قطرة إلا هذا الذي يخرّب ويهدّم السقوف ، وهذا الكلام كفر من قائله لعنه الله ، نقله ابن الجوزي في « المنتظم » ، وحكى بعضهم أنّه وجد في كفّه مكتوباً حين مات هذين البيتين :

نـزلـت بجـارٍ لا يُخيِّـبُ ضَيْفَـهُ ... أرَجِّي نجاتي من عذابِ جَهَنَّمِ
وإنّي على خوفي من اللهِ واثقٌ ... بـإنعـامِـه والله أكـرمُ مُنْعـمِ

مالك بن أحمد بن علي بن إبراهيم[٣] أبو عبد الله البانياسيّ الشاميّ .

[وقد كان له اسم آخر سمّته به أمّه : علي ، أبو الحسن ، فغلب عليه ما سمّاه به أبوه به] ، وسمع الحديث على مشايخ كثيرة ، وكان آخر من حدّث عن أبي الحسن بن الصَّلْت ، هلك في سوق الرَّيحانيين[٤] ، وله ثمانون سنة ، وكان ثقة عند المحدِّثين .

السلطان ملك شاه[٥] جلال الدين والدولة ، أبو الفتح ملك شاه بن أبي شجاع أَلْب آرْسَلان بن داود بن ميكائيل بن سُلجوق بن تُقَاق التركي .

ملك من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن ، وراسله الملوك من سائر الأقاليم والأقطار ، حتى ملك الروم ، والخزر ، واللان . وكانت دولته صارمة ، والطرقات في أيامه آمنة ، وكان مع عظمته يقف للمسكين والمرأة والضعيف [فيقضي حوائجهم] وعمّر العمارات الهائلة ، وبنى القناطر ، وأسقط

---

(١) نقل ابن الجوزي في المنتظم (٩/ ٦٧) نص كلام ابن عقيل من خطه : وأما النظام ، فإن سيرته بهرت العقول جوداً وكرماً وحشمة وإحياءً لمعالم الدين ، فبنى المدارس ، ووقف عليها الوقوف ، ونعش العلم وأهله ، وعمر الحرمين ، وعمر دور الكتب ، وابتاع الكتب ، فكانت سوق العلم في أيامه قائمة . . . ، وما ظنك برجل كان الدهر في خفارته ؛ لأنه قد أفاض من الإنعام ما أرضى الناس .

(٢) المنتظم (٩/ ٦٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢١٨) ، الوافي بالوفيات (١٨/ ١٦) ، وضبط ناقيا ، بالنون وبعد الألف الأولى قاف وياء آخر الحروف . وقد تحرفت في الأصل و(ط) إلى : باقيا ، بالباء .

(٣) المنتظم (٩/ ٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٢٦) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٣٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٧٦) .

(٤) يعني حين احتراق هذا السوق في تاسع جمادى الآخرة ، كما ذكر تلميذه أبو علي بن سكرة (تاريخ الإسلام ١٠/ ٥٥٢) (بشار) .

(٥) المنتظم (٩/ ٦٩) ، أخبار الدولة السلجوقية (٥٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢١٠ ـ ٢١٤) ، الوفيات (٥/ ٢٨٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٤) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٣٤) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٧٦) .

المكوس والضرائب ، وحفر الأنهار الكبار ، وبنى مدرسة أبي حنيفة [والسوق ، وبنى الجامع الذي يقال له : جامع السلطان ببغداد][١] وبنى الجوامع ، وبنى منارة القرون من صيوده بالكوفة ، ومثلها فيما وراء النهر ، وضبط ما صاده بنفسه في صيوده ، فكان نحواً من عشرة آلاف صيد ، فتصدّق بعشرة آلاف درهم وقال : إني خائف من الله تعالى أن أكون أزهقت نفسَ حيوان لغير مأكلة .

وقد كانت له أفعال حسنة ، وسيرة صالحة ، من ذلك : أن فلاحاً أنهى إليه أن غلماناً أخذوا له حمل بطيخ ، وهو رأس ماله ، فقال : اليوم أردّ عليك حملك ، ثمّ قال لقيّمه : أريد أن تأتوني اليوم ببطيخ ، ففتشوا فإذا في خيمة الحاجب بطيخ ، فحملوه إليه ، فاستدعى الحاجب فقال : من أين لك هذا البطيخ؟ قال : جاء به الغلمان ، فقال : أحضرهم ، فذهب فهزمهم ، فأرسل إليه فأحضره ، وسلّمه للفلاح ، وقال : خذ بيده فإنّه مملوكي ومملوك أبي ، وإياك أن تفارقه ، فردّ عليه حمله ، فخرج الفلاح بحمله ، وفي يده الحاجب فاستنقذ [الحاجب] نفسه [من الفلاح] بثلاثمئة دينار . ولما توجّه لقتال أخيه تتش اجتاز بطوس ، فدخل لزيارة قبر علي بن موسى الرِّضا ، ومعه نظام المُلْك ، فلما خرجا قال للنظام : بم دعوت الله ؟ قال : دعوت الله أن يُظْفِرَكَ على أخيك ، فقال : لكني قلت : اللهمّ إن كان أخي أَصْلَحَ مني للمسلمين فظفِّره بي ، وإن كنتُ أَصْلَحَ لهم فظفّرني به . وقد سار ملك شاه هذا بعسكره من أصبهان إلى أنطاكية ، فما عرف أن أحداً من جيشه ظلم أحداً من رعيته ، [وكانوا مئين ألوف] .

واستعدى إليه تركماني : أنَّ رجلاً افتضّ بكارة ابنته ، وهو يريد أن يمكّنه من قتله ، فقال : يا هذا ، إن ابنتك لو شاءت ما مكّنته من نفسها ، فإن كنت لابدّ فاعلاً فاقتلها معه ، فسكت الرجل . ثمّ قال الملك : أو خير من ذلك؟ قال : وما هو ؟ قال : أن تزوجها منه ، فزوّجها من ذلك الرجل ، وأنا أَمْهرهما من بيت [المال] كفايتهما ، [ففعل] .

وحكى له بعض الوعاظ أن كسرى اجتاز يوماً في بعض أسفاره بقرية منفرداً من جيشه فوقف على باب دار فاستسقى ، فأخرجت إليه جارية إناءً فيه ماءُ قصب السكر بالثلج ، فشرب منه فأعجبه ، فقال : كيف تصنعون هذا ؟ فقالت : إنّه سهل علينا ، اعتصاره على أيدينا ، فطلب منها شربة أخرى ، فذهبت لتأتيه بها ، فوقع في نفسه أن يأخذ هذا المكان منهم ويعوّضهم عنه غيره . فأبطأت عليه ، ثمّ خرجت وليس معها شيء ، فقال : ما لكِ ؟ فقالت : كأن نيّة سلطاننا تغيّرت علينا ، فتعسّر عليّ اعتصاره ، وهي لا تعرف أنّه السلطان . فقال اذهبي فإنّك الآن تقدرين ، وغيّر نيّته إلى غيرها ، فذهبت ، وجاءته بشربة أخرى سريعاً ، فشربها وانصرف . فقال له السلطان ملك شاه : هذه تصلح لي ، ولكن قصّ على الرعيّة حكاية كسرى الأخرى حين اجتاز ببستان فطلب من ناطوره عنقوداً من حصرم ، فإنّه قد أصابته صفراء [في رأسه]

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .

وعطش ، فقال الناطور : إنّ السلطان لم يأخذ حقّه منه ، فلا أقدر أن أعطيك منه شيئاً ، قال : فعجب الناس من ذكاء الملك ، وحسن استحضاره هذه في مقابلة تلك .

واستعداه رجلان من الفلاحين على الأمير خمارتكين : أنّه أخذ منهما مالاً كثيراً ، وكسر ثنيتهما ، وقالا : سمعنا بعدلك في العالم ، فإن أنقذتنا منه كما أمرك الله ، وإلا استعدينا عليك الله يوم القيامة ، وأخذا بركابه ، فنزل عن فرسه ، وقال : خذا بكمّي فاسحباني إلى دار نظام المُلْك ، فهابا ذلك ، فعزم عليهما ، ففعلا ما أمرهما به ، فلما بلغ النظام [مجيء السلطان] إليه خرج مسرعاً من خيمته ، فقال له الملك : إني قلّدتك الأمر لتنصف المظلوم ممن ظلمه ، فكتب من فوره بعزل خمارتكين ، وحلّ إقطاعه . وأن يرد إليهما أموالهما ، وأن يقلعا ثنيتيه إن قامت عليه البيّنة ، وأمر لهما الملك من عنده بمئة دينار .

وأسقط مرّة بعض المكوس ، فقال له رجل من المستوفين : يا سلطان العالم : إن هذا [الذي أسقطته] يعدل ستمئة ألف دينار وأكثر ، فقال : ويحكّ ! إنّ المال مال الله ، والعباد عبيده ، والبلاد بلاده ، وإنّما [أردت أن] يبقى هذا لي [عند الله] ومن نازعني هذا ضربت عنقه .

وغنّته امرأة حسناء ، فطرب ، وتاقت نفسه إليها ، فهمّ بها ، فقالت : أيها الملك إني أغار على هذا الوجه الجميل من النار ، وبين الحلال والحرام كلمة واحدة ، فاستدعى القاضي فزوّجه بها .

وقد ذكر ابن الجوزي[١] ، عن ابن عقيل : أنّ السلطان ملك شاه ، كان قد فسدت عقيدته بسبب معاشرته لبعض الباطنيّة ، ثمّ تنصّل من ذلك وراجع الحقّ .

وذكر ابن عقيل : أنّه كتب له شيئاً في إثبات الصانع .

[وقد ذكرنا أنّه لما رجع آخر مرة إلى بغداد فعزم على الخليفة أن يخرج منها ، فاستنظره عشرة أيام ، فمرض السلطان : ومات قبل انقضاء العشرة أيام][٢] .

وكانت وفاة السلطان في ليلة الجمعة النصف من شوال عن سبع وثلاثين سنة ونصف ، وكانت مدة ملكه من ذلك تسع عشرة سنة ونصف ، ودفن بالشونيزية[٣] ، ولم يصلّ عليه أحد لكتمان الأمر ، وكان مرضه بالحمّى ، وقيل : إنّه سُمّ ، والله أعلم .

المَرْزُبان بن خُسرو[٤] تاج المُلْك ، الوزير أبو الغنائم ، باني التاجية التي درّس بها أبو بكر الشّاشي ،

---

(١) المنتظم (٩/ ٧٣) .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) .
(٣) في (ط) : الشونيزي ، وكلاهما صحيح ، وهي مقبرة سري السقطي الزاهد المشهور .
(٤) المنتظم (٩/ ٧٤) ، أخبار الدولة السلجوقية (٦٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢١٦) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٣١) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٠٠) ، ووفاته فيه سنة ست وثمانين وأربعمئة .

وبنى تربة الشيخ أبي إسحاق ، وقد كان السلطان ملك شاه أراد أن يستوزره بعد نظام المُلْك فمات سريعاً ، فاستوزر لولده محمود ، فلما قهره أخوه بركياروق ، قتله غلمان نظام المُلْك ، وقطّعوه إرباً إرباً في ذي الحجّة من هذه السنة .

هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن أحمد بن برزة(١) أبو القاسم الشيرازي .

أحد الرحّالين الجوّالين في الآفاق ، وكان حافظاً ، ثقة ، ديناً ، ورعاً ، حسن الاعتقاد ، والسيرة ، له تاريخ حسن(٢) ، رحل إليه الطلبة من بغداد وغيرها ، والله أعلم ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمئة

وفيها : قدم إلى بغداد رجل يقال له : أردشير(٣) بن منصور ، أبو الحسين العَبّادي ، مرجعه من الحجّ ، فنزل النظاميّة ، فوعظ الناس ، وحضر مجلسه الغزالي ، وازدحم النّاس في مجلس وعظه [وكثروا في المجالس بعد ذلك ، وترك كثير من الناس من معايشهم](٤) وكان يحضر المجلس في بعض الأحيان قريب من ثلاثين ألف من الرجال والنساء ، وتاب كثير من الناس ، ولزموا المساجد ، وأريقت الخمور ، وكُسِّرت الملاهي ، [وكان الرجل في نفسه صالحاً] له عبادات ، وفيه زهد وافرٌ [وله أحوال صالحة] وكان [الناس] يزدحمون على فضل وضوئه ، وربما أخذوا من البِرْكةِ التي يتوضأ بها للبركة . ونقل ابن الجوزي(٥) : أنّه اشتهى على بعض أصحابه توتاً شاميّاً وثلجاً ، فطاف البلد [بكماله] فلم يجده ، فرجع فوجد الشيخ في خلوته ؛ فسأل : هل جاء اليوم [إلى الشيخ] أحد ؟ فقيل له : جاءت امرأة ، فقالت : إني قد غزلت بيدي غزلاً وبعته ، وأنا أحبّ أن أشتري للشيخ به طرفة ، فامتنع من ذلك ، فبكت ، فرحمها ، وقال : اذهبي فاشتري ، فقالت : ماذا أشتري ؟ فقال : ما شئت ، [فذهبت] فأتته بتوت شامي وثلج ، فأكله .

[وقال بعضهم : دخلتُ عليه وهو يشرب مرقاً ، فقلت في نفسي : ليته أعطاني فضله لأشربه لحفظ

---

(١) المنتظم (٩/ ٧٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢١٨) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٧٩) .
(٢) يريد : تاريخ شيراز .
(٣) في (ب) و(ط) : أردشير ، وفي الكامل (١٠/ ٢٢٥) أردشيرين .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .
(٥) المنتظم (٩/ ٧٦) .

القرآن ، فناولني فضله فقال : اشربها على تلك النيّة ، قال : فرزقني الله حفظ القرآن][(١)] . وكانت له عبادات ومجاهدات . ثمّ اتفق أنّه تكلّم في بيع القراضة بالصحيح فمنع من الجلوس وأخرج من البلد .

وفي هذه السنة : خطب تتش بن ألْب آرْسَلان صاحب دمشق لنفسه بالسلطنة ، وطلب من الخليفة أن يخطب له بالعراق ، فحصل التوقّف في ذلك بسبب ابن أخيه بركياروق بن ملك شاه ، فسار إلى الرحبة وفي صحبته وطاعته آقسنقر صاحب حلب ، وبوران صاحب الرُّها ، ففتح الرحبة [ثم سار إلى الموصل ، فأخذها من يد صاحبها إبراهيم بن قريش بن بدران ، وهزم جيوشه من بني عقيل][(٢)] وقتل خلقاً من الأمراء [صبراً] وكذلك أخذ ديار بكر [واستوزر الكافي بن فخر الدولة بن جَهير][(٣)] وكذلك أخذ هَمذان وخِلاط ، وفتح أذربيجان واستفحل أمره ، ثمّ فارقه الأميران آقسنقر وبوران فسار إلى الملك بركياروق [وبقي تتش وحده فطمع فيه أخوه بركياروق ، فرجع تتش فلحقه قسيم الدولة آقسنقر وبوران بباب حلب فكسرهما][(٤)] وأسر بوران وآقسنقر فصلبهما [وبعث برأس بوران فطيف به في حران والرُّها ، وملكها من بعده][(٥)] .

وفيها : وقعت الفتنة بين الروافض والسنّة وانتشرت بينهما شرور كثيرة .

وفي [ثاني] شعبان ولد للخليفة ولده المسترشد بالله ، أبو منصور ، الفضل بن أبي العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدي ، ففرح الخليفة وولي عهده بالولد السعيد .

وفي ذي القعدة دخل السلطان بركياروق بغداد [وخرج إليه الوزير أبو منصور بن جَهير ، وهنأه عن الخليفة بالقدوم][(٦)] .

وفيها : أخذ المستنصر العبيدي مدينة صور من أرض الشام ، ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جعفر بن المقتدي بالله[(٧)] من الخاتون بنت السلطان ، ملك شاه [في جمادى الأولى] وجلس الوزير للعزاء ثلاثة أيام .

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) .
(٣) زيادة من (ب) و(ط) .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .
(٥) زيادة من (ب) و(ط) .
(٦) زيادة من (ب) و(ط) .
(٧) المنتظم (٩/ ٧٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٢٧) .

سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان[١] أبو مسعود الأصبهاني .

سمع الكثير ، وصنّف [وخرّج على الصحيحين ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث][٢] ، وسمع ابن مردويه وأبا نعيم ، والبَرْقاني ، وكتب عنه الخطيب[٣] وغيره ، وكانت وفاته في ذي القعدة عن تسع وثمانين سنة .

عبد الواحد بن أحمد بن المُحَسِّن[٤] الدَّسْكري[٥] أبو سعد الفقيه الشافعي .

صحب أبا إسحاق الشيرازي ، وروى الحديث [وكان مألفاً[٦] لأهل العلم] ، وكان يقول : ما عصا بدني هذا في لذة قط ، توفي في رجب من هذه السنة ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله .

علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر[٧] أبو الحسن الهَكَّاري[٨] .

قدم بغداد ونزل برباط الزَّوزني[٩] وكانت له أربطة قد ابتناها ، سمع الحديث ، وروى عنه غير [واحد] من الحفّاظ ، وكان يقول : رأيت رسول الله ﷺ في المنام في الروضة ، فقلت : يا رسول الله ! أوصني ، فقال : عليك باعتقاد أحمد بن حنبل ، ومذهب الشافعي ، وإياك ومجالسة أهل البدع .

وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة .

علي بن محمد بن محمد[١٠] أبو الحسن الخطيب الأنْباري ، المعروف بابن الأخضر .

سمع أبا أحمد الفرضي[١١] ، وهو آخر من حدّث عنه ، وكانت وفاته في شوال عن خمس وتسعين سنة ، رحمه الله .

---

(١) المنتظم (٩/٧٨) ، المغني في الضعفاء (١/٢٧٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/٢١) ، شذرات الذهب (٣/٣٧٧) .

(٢) زيادة من (ب) و(ط) .

(٣) ينظر تاريخ مدينة السلام (٦/ ٥٦٠) (بشار) .

(٤) في بعض النسخ والمنتظم : « الحُصين » ، وما أثبتناه من (ط) والكامل لابن الأثير . (بشار) .

(٥) في (ط) : « الدشكري » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبتناه ، وهو من دسكرة نهر الملك ، أو دسكرة الملك (بشار) .

(٦) في (ط) : « مؤلِّفاً » ولا معنى لها ، والصواب ما أثبتناه (بشار) .

(٧) المنتظم (٩/٧٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/٢٢٦) ، وفيات الأعيان (٣/٣٤٥) ، سير أعلام النبلاء (١٩/٦٧) ، النجوم الزاهرة (٥/١٣٨) ، شذرات الذهب (٣/٣٧٨) .

(٨) هذه النسبة إلى : الهكارية ، بلدة وناحية وقرى فوق الموصل . معجم البلدان (٥/٤٠٨) .

(٩) في (ط) : الدوري . خطأ .

(١٠) المنتظم (٩/٧٩) .

(١١) في (ط) : أبا محمد الرضي . خطأ .

أبو نصر بن ماكُولا[(١)] علي بن هبة الله بن علي[(٢)] بن جعفر بن علي[(٣)] بن محمد بن دُلف بن أبي دلف الأمير .

ولد سنة ثنتين وأربعمئة ، وسمع الكثير ، وكان من الحفّاظ ، وله كتاب « الإكمال في المؤتلف والمختلف »[(٤)] ، جمع بين كتاب عبد الغني بن سعيد ، وكتاب الدارقطني وغيرهما ، وزاد عليهما أشياء كثيرة مهمّة حسنة ، نافعة ، وكان نحويّاً مبرّزاً ، فصيح العبارة ، حسن الشعر ، قال ابن الجوزي[(٥)] : وسمعت شيخنا عبد الوهّاب يطعن في دينه ويقول : العلم يحتاج إلى دين[(٦)] .

وقُتل في خوزستان في هذه السنة [أو التي بعدها] ، وقد جاوز الثمانين ، كذا ذكر ابن الجوزي .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمئة

فيها : كانت وفاة الخليفة المقتدي ، وخلافة ولده المستظهر بالله .

[صفة موته : لما قدم السلطان بركياروق بغداد ، سأل من الخليفة أن يكتب له بالسلطنة كتاباً فيه العهد إليه ، فكتب ذلك ، وهيئت الخلع ، وعرضت على الخليفة ، وكان الكتاب يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم ثم قُدِّم إليه الطعام ، فتناول منه على العادة ، وهو في غاية الصحّة ، ثمّ غسل يديه ، وجلس ينظر في العهد بعدما وقّع عليه ، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار ، قالت : فنظر إليّ وقال : من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن ؟ قالت : فالتفتُّ فلم أر أحداً ، ورأيته قد تغيّرت حالته ، واسترخت يداه ورجلاه ، وانحلَّت قواه ، وسقط إلى الأرض ، قالت : فظننت أنّه غُشي عليه ، فحللت

---

(١) المنتظم (٩/ ٧٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٢٨) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٦٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٨١) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١١٥) .

(٢) سقط هذا الاسم من بعض النسخ ، ولا يصح إلا به . (بشار) .

(٣) ويقال فيه « عَلَّكان » بدلاً من « علي » . (بشار) .

(٤) كتاب الإكمال في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب ، جمع فيه ما في المؤتلف والمختلف للدارقطني وتكملته للخطيب البغدادي والمؤتلف والمختلف ومشتبه النسبة لعبد الغني الأزدي ، مع ما شذ عنها ، وأسقط ما لايقع الإشكال فيه مما ذكروه ، وذكر ما وهم فيه أحدهم على الصحة ، وقد حقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله ستة أجزاء منه وطبعت بحيدر آباد الدكن في الهند ، ثم أكمل المجلد السابع في بيروت بتحقيق الشيخ نايف العباس رحمه الله ، ونشره السيد محمد أمين دمج .

(٥) المنتظم (٩/ ٧٩) .

(٦) هذا كلام يحتاج إلى دليل ، تفرد به ابن الجوزي ، وقد أثنى كبار العلماء على ابن ماكولا ووثقوه منهم : الحميدي ، ومحمد بن طاهر ، وشيرويه ، وابن عساكر ، وأبو سعد السمعاني ، وشجاع الذهلي ، وابن النجار وغيرهم . (بشار) .

أزرار ثيابه ، فإذا هو لا يجيب داعياً ، فأغْلقتُ عليه الباب ، وخرجتُ فأعلمت ولي العهد بذلك ، وجاء الأمراء ورؤوس الدولة يعزّونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة ، فبايعوه .

ذكر ترجمة المقتدي بأمر الله ، رحمه الله

هو أمير المؤمنين ، المقتدي بأمر الله ، أبو القاسم عبد الله بن[١] الذخيرة ، الأمير ولي العهد ، أبو العباس محمد[٢] بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله بن القادر بالله العباسي ، أمّه أم ولد ، اسمها أرجوان ، أرمنيّة أدركت خلافة ولدها ، وخلافة ولده المستظهر ، وولد ولده المسترشد أيضاً][٣] .

وكان المقتدي أبيض حلو الشمائل ، تامّ القامة ؛ عمرت في أيامه محال كثيرة ببغداد ، ونفى عنها المغنّيات وأرباب الملاهي [والمعاصي] ، وكان غيوراً على حريم الناس ، أمّاراً بالمعروف ، نهّاءً عن المنكر ، حسن السيرة والسريرة ، تغمده الله برحمته .

وكانت وفاته يوم الجمعة منتصف المحرم من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة [وثماني شهور وتسعة أيام][٤] ، وخلافته من ذلك تسع عشرة سنة [وثمان شهور إلا يومين ، وأخفي موته ثلاثة أيام[٥] ، حتى توطّدت البيعة لابنه المستظهر ، ثمّ صلي عليه ودفن في تربتهم .

خلافة المستظهر بأمر الله أبي العباس أحمد

ولما توفي أبوه [يوم الجمعة] أحضروه وله من العمر ست عشرة سنة وشهران ، فبويع له بالخلافة ، وكان أول من بايعه الوزير أبو منصور بن جَهير ، ثمّ أخذت البيعة له من الملك ركن الدولة بركياروق بن السلطان ملك شاه ، ثمّ من الأمراء والرؤساء ، [وتمت البيعة تؤخذ له إلى ثلاثة أيام ، ثمّ أظهر التابوت يوم الثلاثاء الثامن عشر من المحرم ، وصلّى عليه ولده الخليفة ، وحضر الناس ، ولم يحضر السلطان بل كبراء أمرائه][٦] وصلى عليه الأمراء والوزراء ، ومن العلماء : الغزالي ، والشاشي ، وابن عقيل [وبايعوه يوم ذلك] .

---

(١) في الأصل : أبو عبد الله . خطأ . فاسم الخليفة عبد الله ، وكنيته أبو القاسم كما في مصادر ترجمته . المنتظم (٩/ ٨٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٣١ وما قبلها) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣١٨) .

(٢) في الأصل : أحمد . خطأ ، فذخيرة الدين اسمه : محمد بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله الأمير ولي العهد ، توفي في خلافة أبيه سنة ٤٤٧هـ .

(٣) من قوله : صفة موته . . إلى هنا ، زيادة من (ب) و(ط) .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) وفي (أ) : ثمان وثلاثون سنة ونصف .

(٥) من قوله : وخلافته . . إلى هنا ساقط من (ب) .

(٦) زيادة من (ب) و(ط) .

وقد كان المستظهر بالله كريم الأخلاق ، حافظاً للقرآن الكريم ، فصيحاً ، بليغاً ، شاعراً [منطقياً] ، ومن لطيف شعره قوله :

أذابَ حرُّ الجوى في القلبِ ما جَمَدا يوماً مددتُ على رسمِ الوداعِ يدَا[١]
فكيفَ أسلكُ نهجَ الاصطبارِ وقدْ أرى طرائقَ من يهوى الهوى قِددَا[٢]
قد أخلفَ الوعدَ بدرٌ قد شُغِفتُ بِهِ من بعدِما قد وَفَى دهراً بما وعَدا[٣]
إن كنتُ أنقضُ عَهْدَ الحبِّ في خَلَدي من بعدِ هذا فلا عاينتُهُ أبَدَا

وفوّض المستظهر أمور الخلافة إلى الوزير أبي منصور عميد الدولة بن جَهير ، فدبّرها له أحسن تدبير ، ومهّد له الأمور أتمّ تمهيد [وساس الرعايا ، وكان من خيار الوزراء .

وفي ثالث عشر][٤] شعبان عزل الخليفة أبا بكر الشاشي[٥] عن القضاء ، وفوّضه إلى أبي الحسن بن الدّامغاني .

وفيها : وقعت فتنة بين السنّة والروافض ، فأحرقت محال كثيرة ، وقُتل ناس كثيرون ، ولم يحج أحد في هذه السنة لاختلاف السلاطين .

وكانت الخطبة للسلطان بركياروق [ركن الدولة يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم ، وهو اليوم الذي توفي فيه الخليفة المقتدي بعدما علّم على توقيعه][٦] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

آقسنقر الأتابك الملقب قَسِيْم الدولة السلجوقي[٧] ، ويعرف بالحاجب ، صاحب حلب وديار بكر والجزيرة .

وهو جدّ الملك نور الدين الشهيد محمود بن زنكي بن آقسنقر .

---

(١) في الكامل لابن الأثير (١٠/ ٥٣٥) : لما مددت إلى رسم الوداع يدا .
(٢) في الكامل : أرى طرائق في مهوى الهوى قِدَدا .
(٣) في الكامل : من بعدما قد وفى دهري بما وَعَدا .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .
(٥) في (أ) : الشافعي ، وما أثبته من (ب) و(ط) وقد اشتهر أبو بكر رحمه الله بهذه النسبة ، وهو أيضاً شيخ الشافعية في زمانه .
(٦) زيادة من (ب) و(ط) .
(٧) الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٣٢) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٤١) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٢٩) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٤١) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٨٠) .

وكان أولاً من أخصّ أصحاب السلطان ملك شاه [بن ألب آرْسَلان السلجوقي ، ثمّ ترقّت منزلته عنده حتى أعطاه حلب وأعمالها بإشارة الوزير نظام الملك ، وكان من أحسن الملوك سيرة وأجودهم سريرة ، وكانت الرعيّة معه في أمن ورخص وعدل ، ثمّ كان موته على يد السلطان تاج الدولة تتش صاحب دمشق ، وذلك : أنّه استعان به ، وبصاحب حرّان والرّها على قتال ابن أخيه بركياروق بن ملكشاه ، ففرّا عنه وتركاه ، فهرب إلى دمشق ، فلما تمكن قاتلهما بباب حلب ، فقتلهما ، وأخذ بلادهما إلا حلب فإنها استقرت لولد آقسنقر زنكي فيما بعد ، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وخمسمئة كما سيأتي بيانه .

وذكر ابن خلّكان أنّه كان مملوكاً للسلطان ملك شاه هو وبوزان[١] صاحب الرّها ، فلما ملك تتش حلب استنابه بها ، فعصا عليه ، فقصده ، وكان قد ملك دمشق أيضاً ، فقاتله ، فقتله في هذه السنة في جمادى الأولى منها][٢] فلما قتل دفنه ولده عماد الدين زنكي بحلب ، أدخله إليها من فوق السور بالمدرسة الزجاجيّة .

بدر الجمَالي[٣] صاحب الجيوش بمصر ، ومدبّر الممالك الفاطميّة .

كان عاقلاً ، كريماً ، محبّاً للعلماء ، ولهم عليه رسوم دارّة ، تمكّنَ في أيام المستنصر تمكناً عظيماً [ودارت أزِمَّةُ الأمور على آرائه] وفتح بلاداً كثيرة ، وامتدت حياته وأيامه [وبعد صيته] وامتدحه الشعراء ، ثمّ كان موته [في ذي القعدة منها] وقام بالأمور من بعده ولده الأفضل .

الخليفة المقتدي بأمر الله[٤] عبد الله ابن ولي العهد ، ذخيرة الدِّين أبي العباس ، أحمد ابن أمير المؤمنين الخليفة القائم بأمر الله بن القادر ، وقد ذكرنا شيئاً من ترجمته عند موت الخليفة[٥] .

الخليفة المستنصر الفاطمي[٦] ، معدّ أبو تميم بن أبي الحسن علي بن الحاكم .

استمرت أيامه ستين سنة ، ولم يتفق هذا لخليفة قبله ولا بعده ، وكان قد عهد [بالأمر] لولده نزار ، فخلعه الأفضل بن بدر الجمالي بعد موت أبيه [وأمر الناس] فبايعوا أبا القاسم أحمد بن المستنصر

---

(١) ويقال فيه : « بُزاف » .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) .
(٣) الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٣٥) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٤٨) في ترجمة ولده . سير أعلام النبلاء (١٩/ ٨١) ، الوافي بالوفيات (١٠/ ٩٥) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٤١) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٨٣) .
(٤) المنتظم (٨/ ٢٩١ ، و٩/ ٨٤) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٩٤ و٢٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣١٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٣٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٨٠) .
(٥) هذه الترجمة بعضها زيادة من (ط) ، وجميعها زيادة من (ب) . وقد تقدم الكلام على الخليفة في أحداث سنة ٤٦٧هـ .
(٦) الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٣٧) .

[أخاه] ولقّبه بالمستعلي ، فهرب نزار إلى الإسكندرية ، فجمع الناس عليه فبايعوه ، وتولّى جلال الدين ابن عمار ، فقصده الأفضل [فحاصره] فقاتله نزار فهزمهم الأفضل ، وأسر القاضي ونزاراً ، فقتل القاضي ، وحبس نزاراً [بين حيطين] حتى مات واستقرّ المستعلي في الخلافة وعمره إحدى وعشرون سنة .

محمد بن أبي هاشم أمير مكّة(١) .

كانت وفاته في هذه السنة عن نيّف وتسعين سنة .

محمود بن السلطان ملك شاه(٢) .

[كانت أمه قد عقدت له الملك ، وأنفقت بسببه الأموال الجزيلة](٣) فنازعه أخوه بركياروق فقهره وكسره ، ولزم بلدة أصبهان ، فمات بها في هذه السنة ، وحمل إلى بغداد ، فدفن بالتربة النظاميّة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأظرفهم شكلاً [توفي في شوال منها] .

وقد توفيت أمّه الخاتون تركان شاه في رمضان هذه السنة [فانحلّ نظامه ، وكانت قد جمعت عليه العساكر ، وأسندت أزِمّة أمور المملكة إليه ، وملكت عشرة آلاف مملوك تركي ، وأنفقت في ذلك قريباً من ثلاثة آلاف ألف دينار ، فانحلّ النظام ، ولم تحصل على طائل ، والله سبحانه أعلم](٤) .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمئة

فيها : ورد يوسف بن أبق(٥) التركماني من جهة تاج الدولة أبي سعيد تتش بن ألب آرْسَلان صاحب دمشق ، لإقامة الدعوة له ببغداد ، وكان تتش قد توجه لقتال ابن أخيه بناحية الريّ ، فلما دخل رسوله إلى بغداد هابوه ، وخافوه ، واستدعاه الخليفة فقرّبه ، وقبّل الأرض بين يدي الخليفة ، وتأهب أهل بغداد له ، وخافوا أن ينهبهم ، فبينما هو كذلك إذ قدم عليه [رسول ابن] أخيه فأخبره أن تتش [قتل في أول من قتل في الوقعة ، وكانت وفاته في سابع عشر صفر من هذه السنة](٦) فاستفحل أمر بَرْكياروق ، واستقلّ

(١) الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٣٩) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٠٠) .
(٢) الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٣٤) .
(٣) زيادة من (ب) و(ط) .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) ، ونهاية الفقرة في (ب) : فانحل النظام ولم يحصل لها ولا لولدها التئام .
(٥) في بعض النسخ : « أرتق » خطأ ، وما أثبتناه من (ط) ، والكامل لابن الأثير (١٠/ ٢٤٤) ، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٤٨٢) (بشار) .
(٦) زيادة من (ب) و(ط) .

بالأمور ، وكان دقاق بن تتش مع أبيه حين قتل ، فسار إلى دمشق فتسلّمها من الأمير ساوتكين[١] الذي استنابه أبوه ، واستوزر أبا القاسم الخوارزمي ، وملك عبد الله بن تتش مدينة حلب ، ودبّر أمر مملكته جناح الدولة الحسين بن إيتكين ، ورضوان بن تتش صاحب مدينة حماة ، وإليه تنسب بنو رضوان بها .

[وفي يوم الجمعة التاسع عشر] من ربيع الأول خطب لولي العهد أبي منصور الفضل بن المستظهر ، ولقّب بذخيرة الدين .

وفي ربيع الآخر خرج الوزير عميد المُلك بن جَهير ، فاختطّ سوراً على الحريم ، وأذن للعوام في العمل والتفرّج ، فأظهروا منكرات كثيرة ، وسخافات عقول ضعيفة ، وعملوا أشياء منكرة سخيفة ، وبعث إليه ابن عقيل رقعة فيها كلام غليظ ، وإنكار بغيض[٢] .

[وفي رمضان خرج السلطان بَرْكياروق فعدا عليه فداويّ[٣] ، فلم يتمكن منه ، فمسك فعوقب فأقرّ على آخرين ، فلم يقرّا ، فقتل الثلاثة ، وجاء الطواشي من جهة الخليفة مُهنئاً له بالسلامة][٤] .

وفي ذي القعدة خرج أبو حامد الغزالي [من بغداد] متوجهاً إلى بيت المقدس تاركاً التدريس في النظاميّة ، زاهداً [في الدنيا] ، لابساً خشن الثياب [بعد ناعمها] ، وناب عنه أخوه في التدريس ، وعاد في السنة الثانية إلى الحج ، ثمّ رجع إلى بلده ، وقد صنّف كتاب « الإحياء » في هذه المدة ، وكان يجتمع إليه الخلق الكثير كلّ يوم في الرباط فيسمعونه .

وفي يوم عرفة خُلع على القاضي أبي الفرج عبد الوهاب بن هبة الله السِّيبي[٥] ولقّب بشرف القضاة ، وردّ إلى ولاية القضاء بالحريم وغيره .

وفي هذه السنة اصطلح أهل الكرخ[٦] مع بقيّة المحال ، وتزاوروا [وتواصلوا] وتواكلوا ، وتشاربوا ، وكان هذا من العجائب .

---

(١) في (ب) : سارتكين ، وماهنا من (ط) والكامل (١٠/ ٢٤٨) ، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٤٨٣) .
(٢) نقل ابن الجوزي في المنتظم (٩/ ٨٥) نص هذه الرقعة بكاملها .
(٣) الفداوي : هو الفدائي ، وهم غالباً ما يكونون من الباطنية . على أن ابن الجوزي وابن الأثير ذكرا أن الذي جرح السلطان كان من أهل سجستان يعمل سترياً عن السلطان (بشار) .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .
(٥) في (ط) : « عبد الرحمن بن هبة الله البستي » ، وهو تحريف عجيب ، وما أثبتناه من المنتظم (٩/ ٨٧) ، وقد عاش عبد الوهاب السيبي هذا إلى سنة (٥٠٤) وترجمه ابن النجار في التاريخ المجدد (١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٩ من طبعة الهند) والذهبي في وفيات سنة (٥٠٤) من تاريخ الإسلام (١١/ ٥١) .
(٦) في (ط) بعد هذا : « من الرافضة والسنة » ولا تصح ، لأن أهل الكرخ كلهم شيعة في ذلك الوقت . والمراد أن أهل الكرخ الشيعة تصالحوا مع بقية المحال السنية (بشار) .

وفيها : قتل أحمد بن خاقان صاحب سمرقند ، وسببه أنّه شُهد عليه بالزندقة فخنق وولّي مكانه ابن عمّه مسعود .

وفيها : دخل الأتراك إفريقية وغدروا بيحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس ، وقبضوا عليه ، وملكوا بلاده ، وقتلوا خلقاً ، بعدما جرت بينهم وبينه حروب شديدة ، وكان مقدمهم رجل يقال له : شاه ملك[١] ، وكان من أولاد بعض أمراء المشرق ، فقدم مصر ، وخدم بها ، ثمّ هرب إلى المغرب [ومعه جماعة] ففعل ما ذكر .

ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسن بن أحمد بن خَيرون[٢] أبو الفضل المعروف بابن الباقِلاني .

سمع الكثير ، وكتب عنه الخطيب [وكانت له معرفة جيدة] وهو من الثقات ، وشهد عند أبي عبد الله الدامغاني ، ثمّ صار أميناً له ، ثمّ ولّي بعده إشراف خزانة الغلّات ، توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة .

تتش أبو المظفر[٣] تاج الدولة بن ألْب آرْسَلان ، بن داود بن ميكال بن سُلجوق ، صاحب دمشق وغيرها من البلاد .

وقد تزوّج امرأة علي بن أخيه بَرْكياروق بن ملكشاه بن ألْب آرْسَلان ولكن قدّر الله وما شاء فعل ، وقال المتنبي :

وللهِ سِرٌّ في علاكَ وإنَّما ... كلامُ العِدا ضربٌ من الهذَيانِ

قال ابن خلِّكان : كان صاحب البلاد [الشرقية] فاستنجده أتسز[٤] في محاربة أمير الجيوش[٥] [من

---

(١) في الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٤١) : شاهملك .

(٢) المنتظم (٩/ ٨٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٥٣) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٠٥) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٣٢٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٨٣) ، قال بشار : ووقع في (ط) : « الحسن بن أحمد بن خيرون » وهو خطأ .

(٣) المنتظم (٩/ ٨٧) ، تاريخ الدولة السلجوقية (٧٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٤٤) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٨٣) ، الوافي بالوفيات (١٠/ ٣٧٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٥٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٨٤) ، تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٤٣) .

(٤) في الأصل : آقسنقر ، وما أثبت من (ط) والوفيات .

(٥) في الوفيات : أمير الجيوش بدر الجمالي .

جهة] صاحب مصر فلما قدم دمشق لنجدته ، وخرج إليه أتسز ، أمر بمسكه وقتله ، واستحوذ هو على دمشق وأعمالها في سنة إحدى وسبعين ، ثم تحارب هو وأخوه بَرْكياروق ببلاد الري ، فكسره أخوه وقتل هو في المعركة ، وتملك ابنه رضوان حلب ، [وإليه تنسب بنو رضوان بها ، وكان ملكه عليها] إلى سنة سبع وخمسمئة[١] ، سمّته أمّه في عنقود عنب ، فقام بالأمر من بعده مملوك أبيه وزوج أمّه ، إلى سنة ثنتين وعشرين وخمسمئة ، فقام من بعده ولده تاج الملوك بوري أربع سنين ، ثم ابنه الآخر شمس الملوك إسماعيل ثلاث سنين فقتلته أمه أيضاً ، وهي زمرّد خاتون بنت جاولي[٢] ، ثم أجلست أخاه شهاب الدين محمود بن بوري ، فملك أربع سنين ، ثم ملك أخوه الآخر [محمد بن بوري بن طغتكين[٣]] سنة ، ثم ملك مجير الدين[٤] بن أبق[٥] من سنة أربع وثلاثين إلى أن انتزع الملك منه نور الدين محمود بن زنكي ـ كما سيأتي ـ وكان أتابك العسكر بدمشق أيام أبق[٦] معين الدين[٧] الذي تنسب إليه [المعينية] بالغور ، والمدرسة المعينيّة بدمشق .

رزق الله بن عبد الوهّاب بن عبد العزيز[٨] أبو محمد التميمي

أحد أئمة القراء والفقهاء ، على مذهب أحمد [وأئمة] الحديث ، وكان له مجلس للوعظ ، وحلقة للفتوى بجامع المنصور ، ثمّ بجامع القصر . وكان حسن الشكل محبّباً إلى العامة ، له شعر حسن[٩] ، وكان كثير العبادة [فصيح العبارة] ، حسن المناظرة ، وقد روى عن آبائه حديثاً مسلسلاً إلى علي بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه ، أنّه قال : هتف العلم بالعمل ، فإن أجابه وإلا رحل .

وقد كان ذا وجاهة عند الخليفة ، بعثه في مهام الرسل إلى السلطان ، وكانت وفاته في يوم الثلاثاء

---

(١) في (ط) : « سنة سبع وخمسين وخمسمئة » ولا تصح البتة ، وقد توفي رضوان هذا في سنة (٥٠٧) فعُلم أن لفظة « خمسين » مقحمة لا معنى لها ، وسيأتي في السنة المذكورة من هذا الكتاب ذكر وفاة رضوان (بشار) .

(٢) في الوفيات (١/ ٢٩٦) : خاتون زمرد بنت جاولي .

(٣) في (ط) : « طغركين » محرف (بشار) .

(٤) في (ط) : « مخير الدين » ، مصحف (بشار) .

(٥) في (ط) : « أتق » وفي بعض النسخ : « أرتق » وكله تحريف (بشار) .

(٦) في (ط) : « أتق » وفي بعض النسخ : « أرتق » وكله تحريف (بشار) .

(٧) في بعض النسخ : « عز الدين » ، وهو تحريف ظاهر (بشار) .

(٨) الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٥٣) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٥٦) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٦٠٩) ، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٨٤) .

(٩) نقل الذهبي في السير (١٨/ ٦١٤) من شعره قوله :

لا تسألاني عن الحيّ الذي بانا ... فإنني كنت يوم البين سكرانا
يا صاحبيَّ على وجدي بنعمانا ... هل راجعٌ وصل ليلى كالذي كانا
ما ضرّهم لو أقاموا يوم بينهمُ ... بقدر ما يلبس المحزون أكفانا

النصف من جمادى الأولى من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بداره بباب المراتب بإذن الخليفة ، وصلّى عليه ابنه أبو الفضل ، رحمه الله .

أبو يوسف القَزويني[١] عبد السّلام بن محمد بن يوسف بن بُنْدار ، شيخ المعتزلة .

قرأ على عبد الجبّار بن أحمد الهَمَذاني ، ورحل إلى مصر ، فأقام بها أربعين سنة ، وحصّل كتباً كثيرة ، وصنّف تفسيراً في سبعمئة مجلّد .

قال ابن الجوزي[٢] : جمع فيه العجب ، وتكلّم فيه على قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾[البقرة : ١٠٢] في مجلد كامل .

وقال ابن عقيل : كان طويل اللّسان بالعلم تارة ، وبالشعر أخرى ، وقد سمع الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره ، ومات ببغداد عن ست وتسعين سنة ، وما تزوج إلّا في آخر عمره .

أبو شجاع الوَزير[٣] محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم ، أبو شجاع ، الملقب ظَهير الدّين [الرُّوذْرَاوَريّ[٤] الأصل ، الأهوازي المولد] .

كان من خيار الوزراء ، كثير الصدقة والإحسان إلى العلماء والفقهاء ، وسمع الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره ، وصنف كتباً ، منها كتابه الذي ذيّله على « تجارب الأمم » ، ووزر للخليفة المقتدي بأمر الله ، وكان يملك ستمئة ألف دينار ، فأنفقها في سبيل الخيرات والصدقات ، ووقف الوقوف الحسنة ، وبنى المشاهد ، وأكثر الإنعام على الأرامل والأيتام .

قال له رجل : إلى جانبنا امرأة لَها أربعة أيتام ، وهم عراة جياع ، فبعث إليهم مع واحد من خاصته نفقة ، وكسوة ، وطعاماً ، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد وقال : والله لا ألبسها حتى ترجع إليّ بخبرهم ، فذهب الرجل مسرعاً ، فقضى حاجته ، وأوصل لهم ذلك الإحسان ، ثمّ عاد ـ والوزير يرتعش من البرد ـ [إليه فأخبره أنّهم فرحوا بذلك ، ودعوا للوزير] فلما أخبره بما سرَّه لبس ثيابه .

وجيء إليه مرة بقطائف سكرية فلما وضعت بين يديه تنغَّص عليه ذِكر من لا يقدر عليها ، فأرسلها كلّها إلى المساجد [وكانت كثيرة جداً] فأطعمها الفقراء والعميان ، ففرّقت عليهم .

---

(١) المنتظم (٩/ ٨٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٥٣) ، طبقات السبكي (٥/ ١٢١) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٠١) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٦١٦) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٥٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٨٥) .

(٢) المنتظم (٩/ ٩٠) .

(٣) المنتظم (٩/ ٩٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٥٠) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٣٤) ، طبقات السبكي (٤/ ١٣٦) ، الوافي بالوفيات (٣/ ٣) .

(٤) الروذراوري : بضم الراء وسكون الواو والذال المعجمة وفتح الراء والواو بينهما ألف في آخرها راء أخرى ، نسبة إلى روذراور : كورة قرب نهاوند من أعمال الجبال . معجم البلدان (٣/ ٧٨) .

وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء ، فإذا وقع له أمر مشكل يسألهم فيه ، فحكم بما يفتونه به ، وكان كثير التواضع مع الناس ، خاصَّتِهم وعامَّتِهم .

ثمّ إنّه عزل عن الوزارة فسار إلى الحج ، وجاور بالمدينة النبويّة [ثمّ مرض] فلما ثقل في المرض جاء إلى الحجرة النبويّة فقال : يا رسول الله ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤]وها أنا [قد جئتك] أستغفر الله من ذنوبي ، وأرجو شفاعتك فيها يوم القيامة . ثمّ مات من يومه ذلك ، فدفن بالبقيع ، رحمه الله تعالى .

القاضي أبو بكر الشاميُّ[١] محمد بن المظفر بن بكران الحَمَوي ، أبو بكر الشامي .

ولد سنة أربعمئة ، وتفقّه ببلده[٢] ، ثم حجّ في سنة سبع عشرة ، وقدم بغداد فَتَفقه على الشيخ أبي الطيّب الطَّبري ، وسمع بها الحديث ، وشهد عند ابن الدّامغاني فقبله ، ولازم مسجده خمساً وخمسين سنة ، يُقرئ الناس ويُفقّهم ، ولما مات أبو عبد الله الدّامغاني ، أشار به أبو شجاع الوزير ، فولاه الخليفة المقتدي القضاء ، وكان من أنزه الناس وأعفّهم ، فلم يقبل من سلطان عطيّة ، ولا من صاحب هديّة ، ولم يغيّر ملبسه ، ولا مأكله ، ولم يأخذ على القضاء أجراً ، ولم يستنب أحداً ، بل كان يباشر القضاء بنفسه ، ولم يحاب مخلوقاً ، وقد كان يضرب بعض المنكرين حيث لا بيّنة ، إذا قامت عنده قرائن التهمة ، حتى يقرّوا ، ويذكر أنّ في كلام الشافعي ما يدلّ على هذا ، وقد صنّف أبو بكر الشاشي كتاباً في الردّ عليه في ذلك[٣] ، ونصره ابن عقيل فيما كان يتعاطاه من الحكم بالقرائن ، واستشهد له بقوله تعالى : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾ [يوسف : ٢٦] .

وشهد عنده رجل من كبار الفقهاء والمناظرين ، يقال له : [المشطب][٤] بن محمد بن أسامة الفَرَغاني ، فلم يقبله ، لما [رأى] عليه من الحرير ، وخاتم الذَّهب ، فقال له المدَّعي : إنّ السلطان ووزيره نظام المُلْك ، يلبسان الحرير والذهب ! فقال القاضي الشامي : [والله] لو شهدا عندي على باقة بقل ما قبلت شهادتهما ، [ولرددت شهادتهما .

وشهد عنده مرّةً فقيه فاضل ، من أهل مذهبه فلم يقبله ، فقال : لأي شيءٍ تردّ شهادتي ، وهي جائزة

(١) في (ط) : « الشاشي » وهو تحريف قبيح ، فهو حموي شامي (بشار) .
(٢) يعني : حماة .
(٣) سماه : « الرد على من حكم بالفراسة وحققها بالضرب والعقوبة » (المنتظم ٩/ ٩٥) ، وكان الشاشي هذا عدوًّا للشامي (بشار) .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

عند كلّ حاكم إلا أنت ؟ فقال له : لا أقبل لك شهادة ، فإني رأيتك تغتسل في الحمام عُريانا غير مستور العورة فلا أقبلك] .

توفي رحمه الله [يوم الثلاثاء][١] عاشر شعبان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة ودفن بالقرب من ابن سُرَيْج[٢] .

أبو عبد الله الحُمَيْدي[٣] محمد بن أبي نصر [فتوح] بن عبد الله بن فتوح بن حُميد ، الحُميدي ، الأندلسي ، من جزيرة يقال لها : مَيُورقة[٤] ، قريبة من الأندلس .

قدم بغداد فسمع بها الحديث ، وكان حافظاً مُكثراً ، ديِّناً ، ماهراً ، عفيفاً نَزهاً ، وهو صاحب « الجمع بين الصحيحين » وغير ذلك من المصنّفات ، [وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب][٥] وكانت وفاته [ليلة الثلاثاء] منتصف ذي الحجّة ، وقد جاوز السّبعين ، وقبره قريب من قبر بشر الحافي .

هبة الله ابن الشيخ أبي الوفاء بن عقيل .

كان قد حفظ القرآن ، وتفقّه ، وظهرت نجابته ، ثم مرض فأنفق عليه أبوه أموالًا جزيلة فلم يفد شيئاً ، فقال له ابنه ذات يوم : يا أبه ! إنّك قد أكثرت الأدوية والأدعية ، ولله فيَّ اختيار ، فدعني واختيار الله فيّ . [فعلمت أنّه لم يوفق لهذا الكلام ، إلا وقد اختير للحظوة][٦] ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمئة

قال ابن الجوزي في « المنتظم »[٧] : في هذه السّنة حكم جهلة المنجّمين ، بأنه سيكون فيها طوفان [قريب من طوفان نوح ، وشاع الكلام بذلك بين العوام وخافوا ، فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عيشون[٨] المنجم فسأله عن هذا الكلام][٩] فقال : إن طوفان نوح اجتمع في برج الحوت الطوالع

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .
(٢) في (ط) : « شريح » وهو تصحيف ، وهو أبو العباس ابن سريج الفقيه المعروف (بشار) .
(٣) المنتظم (٩/٩٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/٢٥٤) ، سير أعلام النبلاء (١٩/١٢٠) ، الوافي بالوفيات (٤/٣١٧) ، النجوم الزاهرة (٥/١٥٦) ، شذرات الذهب (٣/٣٩٢) .
(٤) في (ب) و(ط) تحرفت إلى : برقة .
(٥) المنتظم (٩/٩٧) .
(٦) زيادة من (ب) و(ط) .
(٧) المنتظم (٩/٩٧) .
(٨) تحرفت في (ط) إلى : عشبون ، والتصويب من (ب) ، والمنتظم (٩/٩٧) ، وتوضيح المشتبه (٤/٤٠١) .
(٩) زيادة من (ب) و(ط) .

السبعة ، والآن فقد اجتمع فيه ستة ، ولم يجتمع معها زحل ، فلابدّ من وقوع طوفان في بعض البلاد ، والأقرب أنها بغداد ، [فتقدم الخليفة إلى وزيره بإصلاح المسيلات والمواضع التي يخشى انفجار الماء منها](١) وجعل النّاس ينتظرون ذلك ، فجاء الخبر بأن الحُجّاج حُصِروا في وادي المناقب بعد نخلة ، فأتاهم سيل عظيم فنجا منهم من تعلّق برؤوس الجبال ، وأذهب الماء الرِّجال ، والرِّحال(٢) ، فخلع الخليفة على ذلك المنجم ، وأجرى له جراية .

وفيها : ملك الأمير قوام الدولة أبو سعد كربوقا مدينة الموصل ، وقتل شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش ، وغرَّقه بعد حصار سبعة أشهر .

وفيها : ملك تميم بن المعزّ بن باديس مدينة قابس ، وأخرج منها أخاه عمراً ، فقال خطيب سوسة في ذلك :

ضَحِكَ الزّمانُ وكَان يُلْفَى عَابِساً(٣) لمّا فَتَحْتَ بِحَدِّ سَيْفِكَ قَابِسَا
وَأَتَيْتَهَا بِكراً وَمَا أَمْهَرْتَهَا إلا قَنَاً وَصَوارِماً وفَوَارِسَا
الله يَعْلَمُ ما جَنَيْتَ ثِمَارَهَا(٤) إلا وَكَان أبوكَ قَبْلكَ غَارِسَا(٥)
مَنْ كان مِن زُرْقِ الأسنَّة حَاطِباً كانتْ لهُ قُلَلُ البِلادِ عَرائِسَا

وفي صفر درّس الشيخ أبو عبد الله الطبري بالنّظاميّة ، ولاه إياها فخر المُلْك بن نظام المُلْك ، وزير بَركياروق بن ملك شاه .

وفيها : أغارت خفاجة على بلاد سيف الدَّولة صَدَقة بن مَزْيَد بن منصور بن دُبَيْس ، وقصدوا مشهد الحسين بالحائر ، وتظاهروا فيه بالمنكرات والفساد ، فكبسهم الأمير صدقة المذكور ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، حتى عند الضريح [ومن العجائب ، أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور فسلم وسلمت فرسه](٦) . وحجّ بالناس في هذه السنة الأمير خمارتكين الجَسْتاني .

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .
(٢) في (ط) : « الجمال والرجال والرحال » ، وما هنا موافق لما في (ب) والمنتظم الذي ينقل منه المؤلف .
(٣) في (ب) و(ط) : يلقى عابساً .
(٤) في الكامل : ما هويت ثمارها .
(٥) في (ب) و(ط) والكامل : إلا وكان أبوك قبل الفارسا .
(٦) زيادة من (ب) و(ط) .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله[١] أبو حكيم الخَبْري[٢] ، وخَبْر : إحدى بلاد فارس .

سمع الحديث ، وتفقّه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكانت له معرفة بالفرائض ، وله معرفة بالأدب واللّغة ، وكانت له مصنّفات ، وكان مرضيَّ الطَّريقة ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، فبينما هو يوماً يكتب ، وضع القلم من يده ، واستند وقال : والله لئن كان هذا موتاً إنَّه لطيّب ، ثمّ مات ، رحمه الله .

عبد المحسن بن علي بن أحمد الشِّيْحي التاجر[٣] ويُعرف بابن شُهْدانْكة[٤] .

بغدادي ، سمع الحديث الكثير ، ورحل ، وأكثر عن الخطيب وهو بصور ، وهو الذي حمله إلى العراق ، فلهذا أهدى إليه « تاريخ بغداد » بخطّه ، وقد روى عنه في مصنّفاته ، وكان يسميه عبد الله ، وكان ثقة .

عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد[٥] أبو الفضل الهَمَذَاني .

تفقّه على الماورديّ ، وكانت له يد طولى في العلوم الشرعيّة ، وفي الحساب ، وغير ذلك ، وكان يحفظ « غريب الحديث » لأبي عُبَيد ، و« المجمل » لابن فارس ، وكان عفيفاً زاهداً ، طَلَبه المقتدي ليولّيه قضاء القُضاة ، فأبى أشدّ الإباء ، واعتذر له بالعجز وعلوِّ السنِّ ، وكان ظريفاً ، لطيفاً . قال[٦] : كان أبي إذا أراد أن يؤدِّبني أخذ العَصَا بيده ثمَّ يقول : نويت أن أضرب ولدي تأديباً ، كما أمر الله ، ثمّ

---

(١) المنتظم (٩/ ٩٩) ، طبقات السبكي (٦٢٥) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٣٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٥٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٥٩) ، توضيح المشتبه (٢/ ٤٨٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٥٣) .

(٢) « الخبري » ، بالباء ، هذه النسبة إلى خبر كما أشار المصنف رحمه الله ، وقال ياقوت في معجم البلدان (٢/ ٣٤٤) : خبر ، بليدة قرب شيراز من أرض فارس . وذكر نسبة المترجم إليها . وفي الأصل و(ط) : أخو أبي حكيم . وهذا خطأ فالمترجم نفسه هو نفسه هو أبو حكيم الخبري . وثمة خلاف بين المصادر في سنة وفاته ، ففي كتب الذهبي أنه توفي سنة ست وسبعين ، وفي استدراك ابن نقطة أنه توفي في سنة ست وتسعين . وماهنا موافق لما في المنتظم والنجوم الزاهرة .

(٣) المنتظم (٩/ ١٠٠) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٥٢) ، توضيح المشتبه (١/ ٥٥٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٩٢) . ونسبته : الشيحي إلى الشيحة من قرى حلب . معجم البلدان (٣/ ٣٧٩) وقد تحرفت في (ط) إلى الشنجي .

(٤) في (ط) : « شهداء مكة » ، وهو تحريف بيِّن (بشار) .

(٥) المنتظم (٩/ ١٠٠) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٦١) ، طبقات السبكي (٥/ ١٦٢) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣١) .

(٦) الكلام لولده المؤرخ محمد بن عبد الملك ، كما نص عليه ابن الجوزي في المنتظم .

يضربني . قال : وإلى أن ينوي ويتمّ النيّة ، كنت أهرب ، توفي في رجب من هذه السنة ، ودفن عند قبر ابن سُرَيج[١] .

محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن مَنْصور[٢] أبو بكر الدَّقَّاق ، ويعرف بابن الخاضِبَة[٣] .

كان معروفاً بالإفادة ، وجودة القراءة ، وحسن الخطّ ، وصحّة النقل ، وجمع بين علم القرآن والحديث ، وأكثر عن أبي بكر الخطيب ، وأصحاب المخلِّص . قال : لمّا غرقت بغداد غرقت داري وكتبي ، فلم يبق لي شيء ، فاحتجت إلى النسخ ، فكتبت « صحيح مسلم » في تلك السّنة سبع مرّات ، فنمت ذات ليلة فرأيت كأن القيامة قد قامت ، وقائل يقول لي : أين ابن الخاضِبَة ؟ فجئت ، فأدخلت الجنّة ، فلما دخلتها استلقيت على قَفاي ، ووضعت إحدى رجلي على الأخرى ، وقلت : استرحت من النسخ ، ثمّ استيقظت والقلم في يدي والنسخ بين يدي ، رحمه الله تعالى .

أبو المظفر السَّمعاني[٤] منصور بن محمد بن عبد الجَبّار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفّر السَّمعاني الحافظ ، من أهل مرو .

تفقّه أولًا على أبيه في مذهب أبي حنيفة ، ثمّ انتقل إلى مذهب الشافعي ، وقد أخذ عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وابن الصّباغ ، [وكانت له يد طولى في فنون كثيرة][٥] وصنّف « التفسير » وكتابه « الانتصار في الحديث » ، و« البرهان » ، و« القواطع في أصول الفقه » ، و« الاصطلام »[٦] وغير ذلك . ووعظ في مدينة نيسابور ، وكان يقول : ما حفظتُ شيئاً فنسيته ، وسُئِل عن أخبار الصفات فقال : عليكم بدين العجائز ، [وصبيان الكتاتيب] ، وسُئِلَ عن الاستواء فقال :

جِئْتُمـا لتعلَمـا سِـرَّ سُعـدى ... تجداني بسرِّ سُعدى شَحيحَا
إنَّ سُعـدى لَمُنيَـة المتمنّـي ... جمعـتْ عِفّـةً وَوَجهـاً صَبيحـا

توفي رحمه الله في هذه السنة ، ودفن في مقبرة باب حرب .

---

(١) في (ط) : « شريح » ، وهو تصحيف .
(٢) المنتظم (٩/ ١٠١) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٦٠) ، دول الإسلام (٢/ ١٨) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٠٩) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٨٩) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٩٣) .
(٣) تحرفت في (ط) إلى : الحاضنة .
(٤) المنتظم (٩/ ١٠٢) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢١١) ، طبقات السبكي (٥/ ٣٣٥) ، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣٣٩) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٦٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٩٣) .
قال ابن خلّكان : والسمعاني : بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتح العين المهملة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى سمعان ، وهو بطن من تميم .
(٥) زيادة من (ب) و(ط) .
(٦) كتاب الاصطلام في الرد على أبي زيد الدّبوسي الحنفي . الأنساب (٧/ ١٣٩) .

ثم استهلّت سنة تسعين وأربعمئة

فيها : كان ابتداء ملك الخُوارزميّة ، وذلك أنّ السلطان بركياروق ملك فيها بلاد خراسان بعد مقتل عمه آرْسلان أرغون بن ألْب آرْسلان ، وسلّمها إلى أخيه أحمد المعروف بالملك سنجر ، وجعل أتابكه الأمير قماج ، ووزيره [أبو الفتح] علي بن الحسين الطغرائي ، واستعمل على خراسان الأمير حبشي بن التونتاق[١] ، فولّى مدينة خُوارزم شابًّا يقال له : محمد بن أنوشتكين وكان أبوه من مماليك أمراء السّلاجقة ، ونشأ هو في أدب وفضيلة ، وحسن سيرة ، ولمّا وُلّي خُوارزم ، لقِّب خُوارزم شاه ، فكان أوّل ملوكهم ، فأحسن السيرة وعامل النّاس بالجميل وحين مات قام من بعده على خوارزم ولده [أتسزجرى] على سنن أبيه ، وأظهر العدل ، فحظي عند السلطان سنجر ، وأحبّه الناس ، وارتفعت منزلته .

وفيها : خطب الملك رضوان بن تاج الدولة تتش للخليفة المستعلي الفاطمي .

[وفي شوال قُتل رجل باطني عند باب النوبي كان قد شهد عليه عدلان أحدهما ابن عقيل : أنّه دعاهما إلى مذهبه ، فجعل يقول : أتقتلونني ؟ وأنا أقول : لا إلّه إلا الله ، فقال ابن عقيل : قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾ [غافر : ٨٤ الآية وما بعدها] .

وفي رمضان قتل بُرْسُق أحد أكابر الأمراء ، وكان أوّل من تولّى شحنة بغداد .

وحج بالناس في هذه السنة خمارتكين الجَسْتاني .

وفي يوم عاشوراء كبست دار بهاء الدولة أبو نصر بن جلال الدولة أبي طاهر بن بُوَيْه لأمور ثبتَت عليه عند القاضي ، فأُريق دَمُهُ ، ونُقِضَتْ داره ، وعُمِلَ مكانها مسجدان للحنفيّة والشافعيّة . وكان [السلطان] ملك شاه قد أقطعه المدائن ودير عاقول وغيرهما .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن زكريا بن دينار[٢] أبو يَعلى العَبْدي البصري ، ويعرف بابن الصوّاف .

ولد سنة أربعمئة ، سمع الحديث ، وكان زاهداً متصوّفاً ، وفقيهاً مدرّساً ، ذا سمت ، ووقار ، وسكينة ، [ودين] ، وكان علاّمة في عشرة علوم ، توفي في رمضان من هذه السّنة عن تسعين [سنة] ، رحمه الله تعالى .

---

(١) في (ط) : « البرشاق » ، وهو تحريف ، وما أثبتناه يعضده ما في الكامل لابن الأثير (١٠/ ٢٦٦_٢٦٧) .
(٢) المنتظم(٩/ ١٠٣) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٥٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٩٤) .

المعمّر بن محمد بن المعمّر بن أحمد بن محمد[١] **أبو الغنائم الحُسيني** ، النقيب للطالبيين .

سمع الحديث وكان حسن الصورة ، كريم الأخلاق ، كثير التعبّد ، لا يُعرف أنّه آذى مسلماً ، ولا شتم صاحباً ، توفي عن نيّف وستين سنة ، كان منها نقيباً ثنتين وثلاثين سنة ، وكان من سادات قريش ، وتولّى بعده ولده أبو الفتوح حيدرة ، ولُقِّب بالرضيّ ذي الفخرين ، وقد رثاه الشعراء بأبيات ذكرها ابن الجوزي[٢] .

يحيى بن أحمد بن محمد بن علي السِّيبي[٣] .

سمع الحديث ، ورحل إليه الطَّلبة ، وكان ثقةً ، صالحاً ، [صدوقاً أديباً] عُمِّر مئة سنة وثنتي عشرة سنة ونصف ، وهو مع ذلك صحيح الحواس يُقْرأ عليه القرآن والحديث ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمئة

في جمادى الأولى [منها] ملك الفرنج مدينة أنطاكية بعد حصار شديد ، بمواطأة من بعض المستحفظين على بعض الأبراج ، وهرب صاحبها ياغي سِيان[٤] في نفر يسير وترك [بها] أهله وماله ، ثمّ أخذه في أثناء الطريق نَدَمٌ شديد على ما فعل ، بحيث إنّه غُشي عليه ، وسقط عن فرسه ، فتركه أصحابه وذهبوا ، فجاء راعي غنم فقطع رأسه ، وذهب به إلى ملك الفرنج ، ولما بلغ الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل ، جمع عساكر كثيرة ، واجتمع إليه دُقاق بن تتش صاحب دمشق [وجناح الدولة] صاحب حمص وغيرهما ، وساروا إلى الفرنج ، فالتقوا معهم بأرض أنطاكية فهزمهم الفرنج ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأخذوا منهم أموالاً كثيرة ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون . ثمّ سارت الفرنج إلى معرّة النعمان فحاصروها وأخذوها أيضاً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . ولما بلغ هذا [الأمر الفظيع إلى الملك بركياروق ، شقّ عليه ذلك ، وكتب إلى الأمراء ببغداد أن يتجهزوا صحبة الوزير ابن جَهير لقتال الفرنج ،

---

(١) المنتظم (٩/ ١٠٤) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٦٥٤) .
(٢) المنتظم (٩/ ١٠٤ ـ ١٠٥) .
(٣) المنتظم (٩/ ١٠٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٧١) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٥٧) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٩٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٦١) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٩٦) .
و« السِّيبي » : بكسر المهملة ، وسكون المثناة تحت ، تليها موحدة ، نسبة إلى بلد السِّيب ، وهو على الفرات بقرب الحلّة . توضيح المشتبه (٥/ ٢١ ـ ٢٢) .
(٤) في (أ) و(ب) : « باغي سنان » وهو تحريف ، وما أثبتناه من ط والكامل (١٠/ ٢٧٤) ، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٦٦٦) .

فبرز بعض الجيش إلى ظاهر البلد بالجانب الغربي][1] ثمّ انفسخت هذه العزيمة لأنّه بلغهم : أن الفرنج في ألف ألف مقاتل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وحجّ بالناس فيها خمارتكين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

طِرَاد بن محمد بن علي[2] بن الحسن بن محمد بن عبد الوهّاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أبو الفوارس بن أبي الحسن بن أبي تمام .

من ولد زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، [وهي أم ولده عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن عبد الله بن عباس][3] . سمع الحديث الكثير والكتب الكبار ، وتفرّد [بالرواية] عن جماعة من المشايخ ، ورُحِل إليه في الآفاق ، وأملى الحديث في بلدان شتّى ، وكان يحضر مجلسه العلماء والسادات ، وحضر أبو عبد الله الدامغاني مجلسه ، وباشر نقابة العباسيين مدة طويلة ، توفي عن نيّف وتسعين سنة في هذه السنة ودفن في مقابر الشهداء[4] ، رحمه الله تعالى .

المظفّر بن رئيس الرُّؤساء[5] أبي القاسم بن المُسْلِمة ، أبو الفتح .

كانت داره مجمعاً لأهل العلم والدين والأدب ، وبها توفي الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، ولما توفي أبو الفتح دفن عند الشيخ أبي إسحاق في تربته ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمئة

فيها : أخذت الفرنج خذلهم الله تعالى بيت المقدس ، لما كان ضحى يوم الجمعة [لسبع بقين] من آخر شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمئة ، استحوذ الفرنج لعنهم الله وهم في نحو ألف ألف مقاتل على بيت المقدس شرفه الله تعالى ، فقتلوا في وسطه أزيد من سبعين[6] ألف قتيل [من المسلمين] ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾ [الإسراء : ٥] ، ﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧] . قال ابن الجوزي[7] :

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .

(٢) المنتظم (٩/١٠٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/٢٨٠) ، سير أعلام النبلاء (٩/٣٧) ، النجوم الزاهرة (٥/١٦٢) ، شذرات الذهب (٣/٣٩٦) .

(٣) زيادة من (ب) و(ط) .

(٤) دفن أولاً بداره ، ثم نقل في السنة التي تليها إلى مقابر الشهداء بباب حرب (تاريخ الإسلام ١٠/٧٠٦) (بشار) .

(٥) المنتظم (٩/١٠٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/٢٨٠) .

(٦) كذا الأصل والكامل (١٠/٢٨٣) ، وفي (ط) : ستين .

(٧) المنتظم (٩/١٠٨) .

وأخذوا من حول الصخرة اثنين وأربعين قنديلاً من فضة ، زنة كلِّ قنديل ثلاثة آلاف وستمئة [درهم] . [وأخذوا] تنُّوراً من فضة زنته أربعون رِطلاً بالشامي ، وثلاثة وعشرين قنديلاً من ذهب ، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان ، ومنهم القاضي بدمشق أبو سعد الهَرَوي ، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك ، وتباكَوا ، وقد نظم أبو سعد الهروي كلاماً قرئ في الديوان وعلى المنابر ، فجهش الناس بالبكاء ، وقد ندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج ، ليحرِّضوا الملوك على الجهاد ، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس فلم يفد ذلك شيئاً ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فقال في ذلك أبو المظفَّر الأبِيوَرْدي :

مزجنا دماءً[١] بالدُّموع السواجمِ ... فلم يَبْقَ منا[٢] عُرضةٌ للمراجِم
وشرُّ سلاحِ المرءِ دمعٌ يُفيضه[٣] ... إذا الحربُ شبَّتْ نارُها بالصوارِم
فإيهاً بَني الإسلامِ إنَّ وراءَكُم ... وقائعَ يُلْحِقْنَ الذُّرا بالمناسم
وكيفَ تنامُ العينُ ملءَ جفونِها ... على هَفَواتٍ أيْقَظَتْ كلَّ نائم
وإخوانُكمْ بالشّام يُضْحي مَقيلُهم ... ظهورَ المذاكي أو بطونَ القَشاعم
تسومُهُمُ الرُّومُ الهوانَ وأنتُمُ ... تجرُّونَ ذيلَ الخفضِ فعلَ المُسالِم
وبينَ اختلاسِ الضربِ والطعن وقعةٌ ... يظلُّ لها الولدانُ شيبَ القَوادم
وتلكَ حروبٌ من يَغِبْ عن غِمارِها ... ليسلَمَ يقرَعْ بعدها سنَّ نادم
سللنَ بأيدي المشركينَ قواضباً ... سَتُغْمَدُ منهمْ في الكِلَى والجماجم
يكادُ لهنَّ المستجيرُ بِطَيبةٍ ... يُنادي بأعلى الصوتِ يا آل هاشم
أرى أُمَّتي لا يُشرِعونَ إلى العِدا ... رماحَهُمُ والدينُ واهي الدّعائم
ويجتنبونَ النارَ خوفاً من الرَّدى ... ولا يحسبونَ العارَ ضربةَ لازمِ
أيرضى صَناديدُ الأعارِبِ[٤] بالأذَى ... ويُغضي على ذلٍّ حماةُ[٥] الأعاجم
فَلَيْتَهُمُ إذْ لم يذودُوا حَميَّةً ... عنِ الدِّينِ ذادوا غيرةً للمحارمِ
وإنْ زَهِدوا في الأجر إذ هَمَس الوغى ... فهلا أتوهُ رغبةً في المغانم[٦]

(١) في (ط) : دمانا .
(٢) في (ب) : منها .
(٣) في (ط) : بريقه .
(٤) في (ط) : الأعاريب .
(٥) في (ط) : كماة .
(٦) القصيدة في ديوان الأبيوردي (٢/١٥٦) .

وفيها : كان ابتداء أمر السلطان محمد بن ملك شاه ، وهو أخو السلطان سنجر لأبيه وأمّه ، واستفحل أمره إلى أن صار من أمره أن خطب له ببغداد في ذي الحجّة من هذه السّنة .

وفيها : سار إلى الريّ فوجد زُبيدة خاتون أم أخيه بركياروق فأمر بخنقها ، وكان عمرها إذ ذاك ثنتين وأربعين سنة .

وفي ذي الحجّة من هذه السنة كانت له مع بركياروق خمس وقَعات هائلة .

وفي هذه السنة غلت الأسعار ببغداد ، حتى مات كثير من الناس جوعاً ، وأصابهم وباءٌ شديد حتى عجزوا عن دفن الموتى لكثرتهم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

السلطان إبراهيم بن السلطان مسعود[١] **ابن السلطان محمود بن سُبُكْتِكين**[٢] ، صاحب غزنة ، وأطراف الهند ، وغير ذلك .

كانت له حرمة تامة ، وأُبَّهةٌ عظيمة جدًّا ، حكى إلْكيا الهرَّاسيّ حين بعثه السلطان بركياروق إليه في رسالته عمّا شاهده عنده من أمور السلطنة ، في ملبسه ومجلسه ، وما عنده [من الأموال] من السعادة الدنيويّة [قال : رأيت] شيئاً عجيباً ، وقد وعظه بحديث : « لَمناديل سعد بن معاذ في الجنّة أحسن من هذا »[٣] فبكى . قال : وكان لا يبني لنفسه منزلاً حتى يبني قبله مسجداً ، أو مدرسةً ، أو رباطاً ، توفي رحمه الله تعالى في رجب من هذه السنة ، وقد جاوز التسعين ، ومدّة ملكه ثنتان وأربعون سنة .

عبد الباقي بن يُوسف بن علي بن صالح[٤] **أبو تراب المَرَاغي**[٥] .

---

(١) في (ط) : « إبراهيم ابن السلطان محمود بن مسعود » ، وهو خطأ جد ظاهر (بشار) .

(٢) المنتظم (٩/ ١٠٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ١٦٧) ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٨٠) ، ووفاته في سنة إحدى وثمانين ، حيث تابع فيه ابن الأثير ، لكنه ذكره في وفيات هذه السنة من تاريخ الإسلام (١٠/ ٧١٧) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٦٤) .

(٣) الحديث ، أخرجه البخاري رقم (٣٢٤٩) في بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، ورقم (٣٨٠٢) في مناقب الأنصار ، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه وفي اللباس رقم (٥٨٣٦) وفي الأيمان والنذور رقم (٦٦٤٠) ، ومسلم (٢٤٦٨) في فضائل الصحابة ، باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه (ع) .

(٤) المنتظم (٩/ ١١٠) ، طبقات السبكي (٥/ ٩٦) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٧٠) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٦٤) .

(٥) في الأصل : الداعي ، وفي (ط) : البراعي . وما أثبته من مصادر ترجمته ، وتوضيح المشتبه (١/ ٤٢٥) ونسبة إلى : مراغة : بلدة مشهورة عظيمة ، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان . معجم البلدان (٥/ ٩٣) .

ولد سنة إحدى وأربعمئة وتفقّه على القاضي أبي الطيّب الطبري ، وسمع الحديث عليه وعلى غيره من المشايخ ببلدان شتّى ، ثمّ أقام بنيسابور ، وكان يحفظ شيئاً كثيراً من مسائل الخلاف نحواً من أربعة آلاف مسألة بأدلّتها والمناظرة عليها ، وغير ذلك من الحكايات والملح والآداب . وكان صبوراً متقلّلاً [من الدنيا] على طريقة السّلف ، جاءه منشور بقضاء همذان فقال : أنا منتظر منشوراً من الله [عزّ وجلّ] على يدي ملك الموت بالقدوم عليه ، والله لجلوس ساعة في هذا المسجد على راحة القلب أحب إليّ من ملك العراقين ، وتعليم مسألة لطالب أحبّ إليّ من الثقلين[١] . حكاه ابن الجوزي في « المنتظم »[٢] ، توفي في ذي القعدة من هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة .

أبو القاسم بن إمام الحرمين[٣] قتله بعض الباطنية بنيسابور ، رحمه الله ورحم أباه بمنّه وكرمه .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمئة

في صفر منها دخل السلطان بركياروق إلى بغداد [ونزل بدار الملك] وأعيدت له الخطبة ببغداد ، وقطعت خطبة أخيه محمد بن ملكشاه ، وبعث إليه الخليفة الهدية الهائلة ، وفرح به العوام والنساء ، ولكنه في ضيق من أمر أخيه محمد ، لإقبال الدولة عليه ، واجتماعهم إليه ، وقلّة ما معه من الأموال ، ومطالبة الجند له بأرزاقهم [فعزم على مصادرة الوزير ابن جَهير ، فالتجأ إلى الخليفة فمنعه من ذلك ، ثمّ اتفق الحال على المصالحة عنه][٤] وأخذ من الوزير ابن جَهير مئة ألف دينار وستين ألف دينار ، ثمّ التقى هو وأخوه السلطان محمد بمكان قريب من همذان فهزمه أخوه محمد ، ونجا بنفسه في خمسين فارساً ، وقُتل في هذه الوقعة سعد الدولة كوهرائين الخادم . وكان قديم الهجرة في الدولة ، وقد ولي شحنة بغداد ، وكان حليماً حسن السيرة ، ولم يتعمد ظلماً ، [ولم ير خادم ما رأى من الحشمة ، والحرمة ، وكثرة الخدم][٥] وقد كان يكثر الصلاة باللّيل ، ولا يجلس إلا على وضوء ، ولم يمرض مدة حياته ولم يصدع قطّ . ولما جرى ما جرى من هذه الوقعة ضعف أمر السلطان بركياروق ، ثمّ تراجع إليه جيشه ، وانضاف إليه الأمير داذحبشي[٦] في عشرين ألفاً ، فالتقى مع أخيه سنجر فهزمه سنجر أيضاً [وهرب في

---

(١) جاء بعد هذا في (ط) تتمة لهذا الكلام ، وليس من النص ، بدليل أن المؤلف نص على أن هذا النص حكاه ابن الجوزي في المنتظم ، وليس من ذلك شيء في المنتظم (بشار) .

(٢) المنتظم (٩/١١١) .

(٣) الكامل في التاريخ (١٠/٢٩١) .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

(٥) زيادة من (ب) و(ط) .

(٦) في (ط) : « داود بن حبش » ، محرف ، وما هنا يعضده ما في الكامل لابن الأثير (٩/٢٩٦) (بشار) .

شرذمة قليلة] وأسر [الأمير] داذ المذكور في هذه الوقعة فقتله الأمير بزغش ، أحد أمراء سنجر فتقهقر حاله ، وتفرّقت عنه رجاله ، وقطعت خطبته من بغداد في [رابع عشر من] رجب وأعيدت خطبة السلطان محمد .

وفي رمضان قبض على الوزير عميد الدولة بن جَهير ، وعلى أخويه : زعيم الرؤساء أبي القاسم ، وأبي البركات الملقّب بالكافي ، وأخذت منه أموال كثيرة ، وحُبس بدار الخلافة حتى مات في شوال من هذه السنة ، وفي اللّيلة السابعة والعشرين منه قتل [الأمير بلكابك سرمز] شحنة أصبهان ، ضربه باطني بسكّين في خاصرته [وقد كان يتحرّز منهم كثيراً ، وكان يدَّرع تحت ثيابه سوى هذه اللّيلة][١] ومات من أولاده في هذه اللّيلة جماعة ، فخرج من داره خمس جنائز من صبيحتها .

وفي هذه السنة أقبل ملك الفرنج في ثلاثمئة ألف مقاتل فالتقى مع كمشتكين الملقَّب بالدانشمند[٢] طايلو ، أتابك الجيوش بدمشق [الذي يقال له أمين الدولة ، وواقف الأمينيّة][٣] بدمشق وببصرى ، لا التي ببعلبَكَّ ، فهزم الإفرنج وقتل منهم خلقاً كثيراً ، بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف وأكثرهم جرحى ، وذلك في ذي القعدة من هذه السنة ، ولحقهم إلى ملطية ، فملكها ، وأسر ملكها [ولله الحمد] .

وحجّ بالناس الأمير التونتاش التركي ، وكان شافعيّ المذهب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الرزاق الصّوفي الغَزْنوي[٤] .

شيخ رباط عَتّاب ، حجّ مرات على التجريد ، ومات في هذه السنة وله نحو مئة سنة ، ولم يترك كفناً ، وقد قالت له امرأته وهو في الاحتضار : إنّك ستفضح اليوم [قال : لم ؟ قالت له : لأنه] لا يوجد لك كفن ، فقال لها : لو تركتُ كفناً لافتضحت . رحمه الله تعالى ، وعكسه أبو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن المحلبان ، كان لا يلبس إلا صوفاً شتاءً وصيفاً ، ويظهر الزهد ، وحين توفي وجد له أربعة آلاف دينار مدفونة ، فتعجب الناس من تفاوت حاليهما ، واتفاق موتهما في هذه السنة رحم الله الأول ، وسامح الثاني .

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .
(٢) في (ط) : أنشمندا .
(٣) زيادة من (ب) و(ط) .
(٤) المنتظم (٩/ ١١٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٠٢) .

الوزير عميد الدولة ابن جَهْير[١] **محمد بن أبي نصر محمد بن محمد بن جَهير** ، الوزير الكبير ، أبو منصور ، الملقب عميد الدولة .

أحد رؤساء الوزراء ، وسادات الكبراء ، خدم ثلاثة من الخلفاء ، ووزر لاثنين منهم ، وكان حليماً قليل العَجَلة ، إلا أنَّه كان يُتكلَّم فيه بسبب الكِبْر ، وقد ولي الوزارة مرات ، يُعزل ثمّ يُعاد ، ثمّ كان آخرها هذه المرّة ، حُبِس بدار الخلافة فلم يخرج من السجن ، إلا ميتاً في شوال من هذه السنة .

ابن جَزْلَة[٢] **يحيى بن عيسى بن جزلة** ، الطبيب ، صاحب « المنهاج »[٣] في الطب .

كان نصرانياً ، وكان يتردّد إلى الشيخ أبي علي بن الوليد المعتزلي[٤] يشتغل عليه في المنطق ، فكان يدعوه إلى الإسلام ، ويوضِّح له الدّلالات ، حتى أسلم وحسن إسلامه ، حتى استخلفه أبو عبد الله الدامغاني قاضي القضاة في كتب السجلات ، ثمّ كان يطبِّب الناس بعد ذلك بلا أجر ، وربّما ركّب لهم الأدوية من ماله تبرّعاً ، وقد أوصى بكتبه أن تكون وقفاً في مشهد الإمام أبي حنيفة ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمئة

فيها : عَظُم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنيّة ، فقتل السلطان منهم خلقاً كثيراً ، وأبيحت دِماؤهم وأموالهم للعامّة [ونودي فيهم : إن كلّ من قدرتم عليه منهم فاقتلوه وخذوا ماله][٥] وكانوا قد استحوذوا على قِلاعٍ كثيرة ، وأوّل قلعةٍ ملكوها في سنة ثلاث وثمانين ، وكان الذي ملكها الحسن بن الصبّاح أحد دعاتهم ، وكان قد دخل مصر وتعلّم من الزنادقة الذين كانوا بها ، ثمّ صار إلى تلك النواحي ببلاد أصبهان ، فكان لا يدعو إلا غبيّاً [جاهلاً] لا يعرف يمينه من شماله ، ثمّ يطعمه العسل بالجوز والشونيز ، حتى يحترق مزاجه ، ويفسد دماغه ، ثمّ يذكر له شيئاً من أخبار أهل البيت ، ويكذب له من كذبات الرَّوافض الضُّلال ، أنَّهم ظُلِموا ، ومُنِعوا حقَّهم [الذي أوجبه لهم الله ورسوله] ثم يقول له : فإذا كانت الخوارج تقاتل مع بني أميّة لعلي ، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إمامك علي بن أبي طالب ، ولا

---

(١) المنتظم (٩/ ١١٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٩٨) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٧٥) ، الوافي بالوفيات (١/ ١٢٢) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٦٥) .

(٢) المنتظم (٩/ ١١٩) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٠٢) ، عيون الأنباء (٣٤٣) ، وفيات الأعيان (٦/ ٢٦٧) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٨٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٦٦) .

(٣) قال ابن خلّكان في هذا الكتاب : رتبه على الحروف ، وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية وغير ذلك شيئاً كثيراً .

(٤) في (ط) : « المغربي » ، وهو تحريف .

(٥) زيادة من (ب) و(ط) .

يزال يسقيه من [العسل] وأمثاله حتى يستجيب له ، ويصير أطوع له من أبيه وأمّه . ويُظهر له أشياء كثيرة من المخرقة والنيرنجيات والحيل التي لا تروج إلا على الجهّال ، حتى التفّ عليه بشر كثير وجمّ غفير ، وقد بعث إليه الملك ملك شاه يتهدَّده ويتوعّده وينهاه (عن بعثة الفداويّة إلى العلماء) [وبعث إليه بفتاوى العلماء] فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حضره من الشباب : إني أريد أن أرسل منكم رسولاً إلى مولاه ، فاشرأبّت وجوه الحاضرين منهم ، ثمّ قال لشاب منهم : اقتل نفسك ، فأخرج سكّيناً فضرب بها غلصمته ، فسقط ميتاً ، وقال لآخر منهم : ألْقِ نفسك من هذا الموضع ، فرمى بنفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها فتقطّعه ، فقال لرسول [السلطان] : هذا الجواب ، فمنها امتنع السلطان من مراسلته ، هكذا أورده ابن الجوزي[١] ، وسيأتي : أن الملك صلاح الدين [يوسف بن أيوب] فاتح بيت المقدس جرى له مع سنان[٢] صاحب قلاع الألموت[٣] مثل هذا .

وفي شهر رمضان أمر الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر ، وأن يُبيَّضَ ، وأن يُصلّى فيه التراويح ، وأن يُجهر بالبسملة ، وأن يُمنع النِّساء من الخروج ليلاً للفرجة .

وفي أول هذه السَّنة دخل السلطان بركياروق إلى بغداد ، ثمّ لحقه أخواه محمد وسنجر ، فدخلاها وهو مريض ، فعبرا إلى الجانب الغربي ، فقطعت خطبته ، وخُطبَ لهما بها ، وهرب بركياروق إلى واسط ، ونهب جيشه ما اجتازوا من البلاد والأراضي ، فنهاه بعض العلماء عن ذلك ووعظه فلم يُفد شيئاً .

وفي هذه السنة ملكت الفرنج قلاعاً كثيرة منها : قيساريّة[٤] ، وسَرُوج[٥] ، وسار ملك الفرنج ـ وهو الذي أخذ بيت المقدس ـ كندبري[٦] إلى عكا فحاصرها ، فجاءه سهم في عنقه فمات من فوره . ألا لعنة الله عليه وعلى أجناده .

---

(١) المنتظم (٩/ ١٢١) .

(٢) من هنا حتى قوله : ثم دخلت سنة خمس وتسعين . ساقط من (ب) ، وسنان هذا هو مقدم الإسماعيلية ، كان بينه وبين صلاح الدين حروب ومراسلات منذ سنة سبعين وخمسمئة وما بعدها .

(٣) في الأصل : الأكوب ، وفي (ط) : الإيوان . وكلاهما خطأ ، وما أثبته من الكامل في التاريخ .

(٤) قيسارية : مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم ، وهي كرسي مُلْك بني سلجوق ملوك الروم أولاد قليج أرسلان . معجم البلدان (٤/ ٤٢١) .

(٥) « سَرُوج » : بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر ، تم فتحها صلحاً سنة ١٧ في أيام عمر رضي الله عنه . معجم البلدان (٣/ ٢١٦) .

(٦) هكذا في النسخ ، ويكتب : « كندفري » و« كندهري » وهو كودفري دي بويون (بشار) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن الصبَّاغ[١] أبو منصور .

سمع الحديث وتفقّه على أبي الطيب الطَّبري ، ثمّ على ابن عمه أبي نصر الصبّاغ ، وكان فقيهاً ، فاضلاً ، كثير الصلاة ، يصوم الدهر ، وقد ولي القضاء بربع الكرخ ، والحسبة بالجانب الغربي ، رحمه الله تعالى .

عبد الله بن الحسن بن أبي منصور[٢] أبو محمد الطَّبَسي .

رحل إليه العلماء ، وجمع ، وصنّف ، وكان أحد الحفاظ المكثرين ، ثقة ، صدوقاً ، عارفاً بالحديث ، ورعاً ، حسن الخلق ، رحمه الله .

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد[٣] أبو محمد الرَّزَّاز[٤] السرخسي .

نزل مرو ، وسمع الحديث ، وأملى ، ورحل إليه العلماء ، وكان حافظاً لمذهب الشافعي متديّناً ورعاً ، رحمه الله .

عُزَيزي بن عبد الملك بن منصور[٥] أبو المعالي الجِيْلي ، القاضي ، الملقّب : شَيْذَلَة[٦] .

كان شافعيًّا في الفروع ، أشعريًّا في الأصول . وكان حاكماً بباب الأزج ، وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شنآن كبير ، سمع رجلاً ينادي على حمار له ضائع ، فقال : يدخل باب الأزج ويأخذ بيده من شاء ، وقال يوماً للنقيب طِراد الزَّيْنَبي : لو حلف إنسان أنّه لا يرى إنساناً ، فرأى أهل باب الأزج لم يحنث ، فقال له الشريف : من عاشر قوماً أربعين يوماً فهو منهم ، لهذا لمّا مات فرحوا

---

(١) المنتظم (٩/ ١٢٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٢٦) ، طبقات السبكي (٣/ ٣٤) .

(٢) المنظم(٩/ ١٢٥) ، منتخب السياق (الترجمة ٩٦٠) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٧٥٣) .

(٣) المنتظم (٩/ ١٢٥) ، معجم البلدان (٣/ ٢٠٩) ، طبقات السبكي (٥/ ١٠١) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٥٤) وكنيته فيه : أبو الفرج ، شذرات الذهب (٣/ ٤٠٠) .

(٤) في الأصل : البزار ، وفي (ط) : الرّزاز ، وما أثبت من مصادر الترجمة ، والأنساب (٦/ ٢١٩) وفيه : الزاز ، بالألف بين الزايين المنقوطين ، هو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه .

(٥) المنتظم (٩/ ١٢٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٢٦) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٩) ، طبقات السبكي (٥/ ٢٣٥) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٧٤) ، نزهة الألباب في الألقاب (١/ ٤١١) ، شذرات الذهب (٣/ ٤٠١) .

(٦) قال ابن خلّكان (٣/ ٢٦٠) : وشيذلة ، بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة واللام وبعدها هاء ساكنة ، وهو لقب عليه ، ولا أعرف معناه مع كثرة كشفي عنه .

بموته كثيراً ، رحمه الله تعالى .

محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طَوْق[١] أبو الفضائل الرَّبَعي الموصلي .

تفقَّه على الشيخ أبي إسحاق الشِّيرازي ، وسمع الحديث من القاضي أبي الطيِّب الطَّبري ، وكان ثقةً صالحاً ، كتب الكثير .

محمد بن الحسن[٢] أبو عبد الله الرّاذاني[٣] .

نزل أوانا ، وكان مقرئاً ، فقيهاً ، صالحاً ، له أحوال ، وكرامات ، ومكاشفات ، أخذ عن القاضي أبي يعلى بن الفرّاء الحديث وغيره .

قال ابن الجوزي : بلغني أنَّ ابناً صغيراً له طلب منه غزالاً وألحّ عليه ، فقال : يا بنيّ غداً تأتيك غزال ، فلمّا كان الغد ، أتت غزال ، فجعلت تنطح الباب بقرنيها حتى يفتحه ، فقال له أبوه : يا بنيّ ! أتتك الغزال ، رحمه الله تعالى .

محمد بن علي بن عُبيد الله بن [أحمد] بن صالح بن سُلَيمان بن وَدْعان[٤] أبو نصر الموصلي القاضي .

قدم بغداد سنة ثلاث وتسعين ، وحدّث عن عمّه بالأربعين الوَدْعانيّة ، وقد سرقها عمه أبو الفتح بن ودعان من زيد بن رِفاعة الهاشمي ، فركّب لها أسانيد إلى من بعد زيد بن رِفاعة وهي موضوعة كلُّها ، وإن كان في بعضها معانٍ صحيحة[٥] ، والله أعلم .

محمد بن منصور[٦] أبو سعد المُستوفي ، شرف المُلْك الخُوارزمي .

جليل القدر ، وكان متعصّباً لأصحاب أبي حنيفة ، ووقف لهم مدرسة بمرو ، ووقف فيها كتباً

---

(١) المنتظم (٩/ ١٢٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٢٦) ، الوافي بالوفيات (٢/ ١٠٥) ، توضيح المشتبه (٢/ ٥٧١) .

(٢) المنتظم (٩/ ١٢٧) ، معجم البلدان (٣/ ١٢) ، أنساب السمعاني (٦/ ٣٦) ، وتوضيح المشتبه (٤/ ٨٨) .

(٣) نسبة إلى راذان : كورة بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة . معجم البلدان (٣/ ١٢) .

(٤) المنتظم (٩/ ١٢٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٢٧) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٦٤) ، الوافي بالوفيات (٤/ ١٤١) .

(٥) قال ابن حجر في لسان الميزان : (٥/ ٣٠٦) : وقد سئل المزي عن الأربعين الودعانية ، فقال : لا يصح منها على هذا النسق بهذه الأسانيد شيء ، وإنما يصح منها ألفاظ يسيرة بأسانيد معروفة يحتاج في تتبعها إلى فراغ ، وهي مع ذلك مسروقة .

(٦) المنتظم (٩/ ١٢٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٨٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٦٧) .

كثيرة ، وبنى مدرسة ببغداد عند باب الطاق ، وبنى القبّة على قبر أبي حنيفة ، وبنى أربطة في المفاوز ، وعمل خيراً كثيراً ، وكان من أطيب الناس مأكلاً ومشرباً ، وأحسنهم ملبساً ، وأكثرهم مالاً ، ثمّ ترك العمالة بعد هذا كلّه ، وأقبل على العبادة والاشتغال بنفسه إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

محمد بن منصور القشيري[1] المعروف بعميد خراسان .

قدم بغداد أيام طُغْرُلْبَك ، وحدّث عن أبي حفص عمر بن أحمد بن مسرور ، كان كثير الرغبة في الخير ، وقف بمرو مدرسة على أبي بكر بن أبي المظفّر السمعاني وذرّيته [قال ابن الجوزي] : وهم يتولّونها إلى الآن ، وبنى بنيسابور مدرسة وفيها تربته ، وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ، رحمه الله .

نصر بن أحمد بن عبد الله بن البَطِر[2] أبو الخطّاب [الخطّابي] البزّاز القارئ .

ولد سنة ثمان وتسعين وثلاثمئة ، وسمع الكثير ، وتفرّد عن ابن زِرقويه وغيره ، وطال عمره ، ورُحل إليه من الآفاق ، وكان رحمه الله تعالى صحيح السماع .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمئة

في ثالث المحرم [منها] قُبض على أبي الحسن علي بن محمد المعروف بـ : إِلكيا الهَرَّاسي ، وعُزل عن تدريس النظاميّة ، وذلك لأنّه رماه بعضهم عند السلطان بأنَّه باطني ، فشهد له جماعة من العلماء ـ منهم ابن عقيل ـ ببراءته من ذلك ، وجاءت الرسالة من دار الخلافة [يوم الثلاثاء] بخلاصه .

[وفي يوم الثلاثاء الحادي عشر من المحرم][3] جلس الخليفة المستظهر بالله بدار الخلافة ، وجاء الملكان الأخوان محمد وسنجر ابنا السلطان ملك شاه فقبّلا الأرض ، فخلع عليهما الخلع السلطانيّة : على محمد سيفاً وطوقاً وسواراً ولواءً وأفراساً من مراكبه ، ولسنجر دون ذلك ، وولّى الخليفة السلطان محمد المُلْكَ ، واستنابه في جميع ما يتعلّق بأمر الخلافة [دون ما أغلق عليه الخليفة بابه][4] ثم خرج السلطان محمد [في تاسع عشر من الشهر] فأرجف الناس بقدوم بركياروق ، ثمّ اصطلحوا على أمور ، فركب السلطان محمد ، فالتقوا ، وجرت حروب كثيرة ، وانهزم محمّد ، وجرى عليه مكروه شديد ، كما سيأتي بيانه .

---

(١) المنتظم (٩/١٢٨) .
(٢) الأنساب (٩/١٣٣) ، المنتظم (٩/١٢٩) ، معجم البلدان (٤/١٩٢) ، الكامل في التاريخ (١٠/٣٢٧) ، سير أعلام النبلاء (١٩/٤٦) ، شذرات الذهب (٣/٤٠٢) .
(٣) زيادة من (ب) و(ط) .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

وفي رجب قبل القاضي أبو الحسن بن الدامغاني شهادة أبي الحسين ، وأبي حازم ابني القاضي أبي يعلى بن الفرّاء .

وفيها : قدم عيسى بن عبد الله الغزنوي [القونوي] فوعظ الناس وكان شافعيًّا ، أشعريًّا ، فوقعت فتنة بين الحنابلة والأشعريّة [ببغداد] .

وفيها : وقع حريق عظيم ببغداد ، وحجّ بالناس حُميد العُمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور بن دُبيس صاحب الحلّة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو القاسم صاحب مصر[1] الملَّقب بالمستعلي ، كانت وفاته في ذي الحجّة من هذه السنة ، وقام بالأمر من بعده ابنه أبو علي ، وله تسع سنين[2] ، ولقِّب : الآمر بأحكام الله .

محمد بن هبة الله[3] أبو نصر الضرير [القاضي البَنْدَنيجي] ، الفقيه الشافعي .

أخذ عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ثمّ جاوز بمكة أربعين سنة يفتي ويدرِّس ، ويروي الحديث ، كان من نوادر الزَّمان ، ومن شعره :

عدمتُكِ نفسي ما تملِّي تطالبي[4] وقد مرَّ إخواني[5] وأهْلُ مودَّتي
أعاهدُ ربِّي ثمَّ أنقضُ عَهْدَهُ وأتركُ عزمي حينَ تَعرِضُ شهوتي
وزادي قليلٌ ما أراه مُبلِّغي من الزَّاد أبكي أمْ لطول مسافتي[6]

ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمئة

فيها حاصر السلطان بركياروق أخاه محمداً بأصبهان ، فضاقت على أهلها الأرزاق ، واشتدّ الغلاء عندهم جدّاً ، وأخذ السلطان محمد أهلها بالمصادرة ، والحصار حولهم من خارج البلد ، فاجتمع عليهم

---

(١) المنتظم (٩/ ١٣٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٣٧) ، وما بعدها ، وفيات الأعيان (١/ ١٧٨) تاريخ الإسلام (١٠/ ٦٨١ و٧٦٥) ، سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٩٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٤٠٢) .
(٢) تاريخ الإسلام والسير والوفيات : خمس سنين .
(٣) الأنساب (٢/ ٣١٤) ، المنتظم (٩/ ١٣٣) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٥٢) ، طبقات السبكي (٤/ ٢٠٧) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٩٦) ، الوافي بالوفيات (٥/ ١٥٦) .
(٤) في (ط) والمنتظم : بطالتي .
(٥) في (ط) : أصحابي .
(٦) في (ط) : لبعد مسافتي .

الخوف والجوع ، والنقص من الأموال ، والأنفس ، والثمرات ، ثمّ خرج السلطان محمد من أصبهان هارباً فأرسل أخوه في إثره مملوكه إياز ، فلم يتمكن من القبض عليه ، ونجا بنفسه سالماً .

[قال ابن الجوزي(١) : وفي صفر منها : زِيد في ألقاب قاضي القضاة أبي الحسن بن الدَّامغاني : تاج الإسلام](٢) .

وفي ربيع الأول قُطِعت الخطبة للسلاطين ببغداد ، واقتصر على [ذكر الخليفة فيها] والدُّعاء له [ثم التقى الأخوان بركياروق ومحمد ، فانهزم محمد أيضاً ثمّ اصطلحا](٣) .

وفيها : ملك الملك دقاق بن تتش بن ملك شاه صاحب دمشق مدينة الرحبة .

وفيها : قتل أبو المظفّر الخُجَنْدي(٤) ، الواعظ بالريّ ، وكان من كبار العلماء في المذهب الشافعي ، كان محدِّثاً فقيهاً ، مدرِّساً ، قتله رافضيٌّ علَوي في الفتنة ، [وكان عالماً فاضلاً](٥) كان نظام المُلْكِ يزوره ويعظِّمه .

وحجّ بالناس خمارتكين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن علي [بن عبيد الله] بن سِوَار(٦) أبو طاهر المقرئ ، صاحب المصنَّفات في علوم القراءات .

كان ثقةً ثبتاً مأموناً ، عالماً بهذا الشأن ، وقد جاوز الثمانين ، رحمه الله تعالى .

أبو المعالي(٧) أحدُ الصُّلحاء الزهّاد ذوي الكرامات والمكاشفات ، وكان كثير العبادات متقلّلاً من الدنيا ، لا يلبس صيفاً ولا شتاءً إلا قميصاً واحداً ، فإذا اشتدّ البرد وضع على كتفه مئزراً ، وذكر أنّه أصابه

---

(١) المنتظم (٩/ ١٣٤) .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) .
(٣) زيادة من (ب) و(ط) .
(٤) المنتظم (٩/ ١٣٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٦٦) .
و« الخجندي » : نسبة إلى خجندة ، بضم أوله وفتح ثانيه ونون ثم دال مهملة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون . معجم البلدان (٢/ ٣٤٧) .
(٥) زيادة من (ب) و(ط) .
(٦) المنتظم (٩/ ١٣٥) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٦٢) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٢٥) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٢٠٤) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٨٧) ، شذرات الذهب (٣/ ٤٠٣) .
و« سوار » ، بكسر أوله وفتح الواو المخففة وبعد الألف راء وكذا ضبطه في توضيح المشتبه (٥/ ٢٠٤) .
(٧) المنتظم (٩/ ١٣٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٦٧) .

فاقة شديدة في شهر رمضان ، فعزم على الذهاب إلى أحد الأصحاب ليستقرض منه شيئاً ، قال : فبينما أنا أريده إذا بطائر قد سقط على كتفي وقال : يا أبا المعالي ! أنا الملك الفلاني ، لا تمض إليه ، نحن نأتيك به . [قال : فبكّر إليَّ الرجل](١) رواه ابن الجوزي في منتظمه [من طرق عدة] . كانت وفاته في هذه السنة ، ودفن قريباً من قبر أحمد .

السيدة بنت القائم بأمر الله أمير المؤمنين(٢) التي تزوجها طُغْرُلْبَك ، توفيت في هذه السنة ودفنت بالرصافة ، وكانت كثيرة الصدقة والإيثار ، [وجلس لعزائها في بيت النوبة الوزير](٣) .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمئة

فيها : قصد الفرنج لعنهم الله الشام ، فقابلهم المسلمون فقتلوا [من الفرنج] اثني عشر ألفاً ، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم ، لم ينالوا خيراً ، وقد أسر في هذه الوقعة بردويل صاحب الرها .

وفي هذه السنة : سقطت منارة واسط [وقد كانت من أحسن المنائر وكان أهل](٤) البلد يفتخرون بها وبقبّة الحجّاج ، [فلما سقطت سُمع لأهل البلد بكاءٌ وعويل لم يُسمع بمثله ، ومع هذا لم يهلك بسببها أحد](٥) ، وكان بناؤها في سنة أربع وثلاثمئة في زمن المقتدر .

وفي هذه السنة : تأكّد الصلح بين السلطانين الأخوين محمد وبركياروق ، واقتسما البلاد فقطعت الخطبة ببغداد لمحمد ، واستمرت للملك بركياروق [وبعث إليه بالخلع وإلى الأمير إياز] .

وفي هذه السنة : أخذت الفرنج مدينة عكا وغيرها من السواحل .

[وفيها : استولى الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلّة على مدينة واسط](٦) .

وفيها : توفي الملك دُقاق بن تتش صاحب دمشق ، فأقام مملوكه طغتكين ، ولداً له صغيراً مكانه ، وأخذ البيعة له ، وصار هو أتابكه ، فدبّر الملك بدمشق مدّة .

وفيها : عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطُّغْرائي ، ونفاه إلى غزنة .

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .
(٢) المنتظم (٩/ ٣٧) .
(٣) زيادة من (ب) و(ط) .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .
(٥) زيادة من (ب) .
(٦) زيادة من (ب) و(ط) .

وفيها : ولي أبو نصر نظام الحضريين ديوان الإنشاء ، بعد وفاة خاله أبي سعيد العلاء بن الحسن ابن المُوصِلايا .

وفيها : قُتِل الطبيب الماهر الحاذق أبو نعيم[١] ، وكانت له إصابات عجيبة جدًّا .

وحجّ بالناس في هذه السنة الأمير خمارتكين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أردشير بن منصور[٢] أبو الحسن العبّادي[٣] الواعظ ، قدم بغداد [فوعظ بها] فأحبته العامة في سنة ست وثمانين ، [وكانت له أحوال جيدة فيما يظهر ، والله أعلم][٤] .

إسماعيل بن محمد بن عثمان بن أحمد[٥] أبو الفرج القومساني[٦] ، من أهل همذان .

سمع من أبيه وجدّه وجماعة ، وكان حافظاً ، حسن المعرفة بالرِّجال والمتون [وأنواع الفنون] ثقة مأموناً ، رحمه الله تعالى .

العلاء بن الحسين بن وهب بن المُوصلايا[٧] سعد الدولة ، كاتب الإنشاء ببغداد .

كان نصرانيًا فأسلم في سنة أربع وثمانين ، ومكث في الرئاسة مدّة طويلة ، نحواً من خمس وستين سنة ، وكان فصيح العبارة ، كثير الصدقة توفي في هذه السنة عن عمر طويل ، رحمه الله تعالى .

محمد بن أحمد بن عمر[٨] أبو عمر النّهاوندي ، قاضي البصرة مدة طويلة ، وكان فقيهاً عالماً ، سمع الحديث من أبي الحسن الماوردي وغيره ، مولده في سنة [سبع وقيل : تسع] وأربعمئة .

---

(١) الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٧٨) .
(٢) في تاريخ الإسلام (١٠/ ٧٨٧) : « أردشير بن أبي منصور » .
(٣) المنتظم (٩/ ١٤٠) ، توضيح المشتبه (١/ ١٩٤) .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .
(٥) في (ط) : « إسماعيل بن محمد بن أحمد بن عثمان » ، والصواب ما أثبتناه موافق لما في المنتظم . وفي كتب الذهبي : « إسماعيل بن محمد بن عثمان » فتأكد أن « أحمد بن عثمان » مقلوب (بشار) .
(٦) المنتظم (٩/ ١٤٠) ، معجم البلدان (٤/ ٤١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٥٥) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٧٨٨) .
(٧) المنتظم (٩/ ١٤١) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٧٧) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٠) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٩٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٨٩) .
(٨) المنتظم (٩/ ١٤١) .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمئة

فيها : توفي السلطان بركياروق ، وعهد إلى ولده الصغير ملك شاه ، وعمره أربع سنين ونصف ، وخُطب له ببغداد ، ولُقِّب جلال الدولة [ونُثر عند ذكره الدنانير والدراهم][١] وجعل أتابكه الأمير إياز ، ثم جاء السلطان محمد بن ملك شاه إلى بغداد فخرج إليه [أهل] الدولة لتلقّيه وصالحوه ، وكان الذي [أخذ البيعة] في الصلح إلكيا الهرّاسي ، مدرِّس النِّظامية ، وخُطب له بالجانب الغربي ولابن أخيه بالجانب الشرقي ، ثم قُتل الأمير إياز . [ومضى ابن جهير في الموكب فخلع على السلطان محمد وقصد دار وزيره سعد الملك وحمل إليه من دار الخليفة الدست والدواة والخلع][٢] . [وحضر الوزير سعد المُلك[٣] عند إلكيا الهرَّاسي في درس النِّظامية ليرغِّب الناس في العلم .

وفي ثامن رجب منها أزيل الغيار عن أهل الذمّة الذين كانوا ألزموه في سنة أربع وثمانين وأربعمئة ولا يعرف ما سبب ذلك][٤] .

وفيها : كانت حروب كثيرة بين المصريين والفرنج ، فقتلوا من الفرنج خلقاً كثيراً ، [ثم أديل عليهم الفرنج فقتلوا منهم خلقاً أيضاً][٥] .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

السلطان بركياروق[٦] [ابن مَلِك شاه ، ركن الدين[٧] السَّلجوقي .

جرت له خطوب طويلة وحروب هائلة][٨] خُطب له ببغداد ست مرات ، وعُزل عنها ستَّ مرات ،

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .

(٢) في (ب) و(ط) : « ثم قتل الأمير إياز وحملت إليه الخلع والدولة (كذا) والدست » . وهو نص مضطرب لابد أنه سقط منه شيء ، ولما كان المؤلف ينقل من المنتظم فقد نقلنا ما بين الحاصرتين منه لأن هذا هو المقصود ، إذ بعد قتل إياز خلع على السلطان وحملت إلى وزيره سعد الملك الخلع والدواة والدست ، وهي آلات الوزارة (المنتظم ٩/ ١٤٣) (بشار) .

(٣) في (ط) : « سعد الدولة » وما أثبتناه يعضده ما في المنتظم وغيره (بشار) .

(٤) زيادة من (ب) و(ط) .

(٥) زيادة من (ب) و(ط) .

(٦) المنتظم (٩/ ١٤٤) ، أخبار الدولة السلجوقية (٧٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٨٠) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٦٨) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٩٥) ، الوافي بالوفيات (١٠/ ١٢١) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٩١) ، شذرات الذهب (٣/ ٤٠٧) .

(٧) في (ط) : « ركن الدولة » خطأ ، وما أثبتناه يتفق مع ما في مصادر ترجمته (بشار) .

(٨) زيادة من (ب) و(ط) .

[ثمّ تنقطع الخطبة له ثمّ تُعاد] وكان عمره يوم مات أربعاً وعشرين سنة [وشهوراً] وقام بعده ولده ملك شاه ، فلم يتمّ أمره بسبب منازعة عمّه محمد له .

عيسى بن عبد الله بن القاسم[١] أبو المؤيد[٢] الغَزْنَوي[٣] ، وكان واعظاً كاتباً شاعراً ، ورد بغداد فوعظ بها ، فنفق على أهلها ، وكان أشعريّ المذهب ، متعصّباً له ، خرج من بغداد قاصداً بلده ، فتوفي بأسفرايين .

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سِلفَة الأصبهاني[٤] أبو أحمد ، كان شيخاً عفيفاً ثقة ، سمع الكثير وهو والد الحافظ أبي طاهر السِّلَفي ، رحمه الله تعالى .

الحافظ أبو علي الجيّاني[٥] الحسين بن محمد بن أحمد الغسّاني الأندلسي .

مصنّف « تقييد المهمَل على ألفاظ الصحيحين »[٦] ، وهو كتاب مفيد كثير النّفع . وكان حسن الخط ، عالماً باللّغة ، والشعر ، والأدب ، وكان يُسمع في جامع قرطبة ، توفي ليلة الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان هذه السنة عن إحدى وسبعين سنة ، رحمه الله .

محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصَّقْر[٧] أبو الحسن الواسطيّ .

سمع الحديث ، وتفقّه بالشيخ أبي إسحاق الشِّيرازي ، وقرأ الأدب ، وقال الشعر [من ذلك قوله] :

مَنْ قالَ لي جاهٌ ولي حِشمةٌ   ولـي قَبـولٌ عنـدَ مـولانـا

---

(١) المنتظم (٩/ ١٤٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٩٧) ، تاريخ الإسلام (١٠/ ٨٠٧) .
(٢) في (ط) : « أبو الوليد » وهو تحريف ، وما أثبتناه هو الذي في مصادر ترجمته كافة (بشار) .
(٣) في (أ) : الغزي ، وما أثبتناه من مصادر الترجمة .
(٤) المنتظم (٩/ ١٤٥) ، توضيح المشتبه (٥/ ١٣١) .
(٥) الصلة لابن بشكوال (١/ ١٤٢) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٨٠) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٤٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٩٢) ، شذرات الذهب (٣/ ٤٠٨) .
قال ابن خلّكان : والجَيّاني ، بفتح الجيم وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى جيّان ، وهي مدينة كبيرة بالأندلس .
وقال ابن بشكوال : ويعرف بالجيّاني ، وليس منها ، إنما نزلها أبوه في الفتنة البربرية حوالي سنة ٤٠٠ ، وأصلهم من الزهراء .
(٦) قيد الجيّاني رحمه الله في هذا الكتاب المهمل ، وميّز المشكل بين الأسماء والكنى والأنساب لمن ذكر اسمه في صحيحي البخاري ومسلم ، وقد طبع .
(٧) المنتظم (٩/ ١٤٥) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٩٦) ، وفيات الأعيان (٤/ ٤٥٠) ، طبقات السبكي (٤/ ١٩١) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٣٨) ، الوافي بالوفيات (٤/ ١٤٢) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٩١) .

ولـم يَعُـدْ ذاك بنفـعٍ علـى صـديقِـهِ لا كـانَ مَـنْ كـانـا

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمئة

في المحرّم منها ادّعى رجل النبوّة بنواحي نَهاوند ، وسمّى أربعة من أصحابه [بأسماء الخلفاء الأربعة] : أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليًّا ، فاتَّبعه على ضلالته هذه خلق من الجهلة الرّعاع ، وباعوا أملاكهم ، ورفعوا أثمانها إليه ، وكان كريماً يعطي مَنْ قَصَدَه ما عنده ، ثمّ إنَّه قُتل بتلك الناحية لعنه الله ، ورام رجل من ولد ألْب آرْسَلان بتلك الناحية الملك ، فلم يتمّ له أمره ، فقبض عليه في أقلّ من شهرين ، فكانوا يقولون : ادّعى رجل النبوّة ، وآخر الملك ، فما كان بأسرع من زوال [دولتهما][١] .

[وفي رجب منها زادت دجلة زيادة عظيمة فأتلفت شيئاً كثيراً من الغلات ، وغرقت دور كثيرة ببغداد][٢] .

وفيها : كسر طغتكين أتابك العساكر بدمشق الفرنج ، [وعاد مؤيَّداً منصوراً إلى دمشق ، وزيِّنت البلد زينةً عجيبةً مليحة ، سروراً بكسره الفرنج][٣] .

وفي رمضان منها حاصر الملك رضوان بن تتش صاحب حلب مدينة نصيبين .

وفيها : وَرَدَ بغدادَ ملكٌ من ملوك الملثَّمين ، وصحبته رجل يقال له : الفقيه ، فوعظ النّاس وهو في جامع القصر ، وهو ملثّم ، ثمّ عاد إلى مصر ، وله حروب كثيرة مع الفرنج استُشهد في بعضها .

وحجّ بالناس من العراق رجل من أقرباء سيف الدولة صدقة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سهل بن أحمد بن علي الأرْغِياني[٤] أبو الفتح الحاكم .

سمع الحديث من البَيْهقي وغيره ، وعلَّق عن القاضي حسين طريقته ، وشكره في ذلك ، وكان قد

---

(١) زيادة من (ب) .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) .
(٣) زيادة من (ب) و(ط) .
(٤) المنتظم (٩/١٤٦) ، الكامل في التاريخ (١٠/٤١٥) ، طبقات السبكي (٣/١٦٩) ، وفيات الأعيان (٢/٤٣٣) ، توضيح المشتبه (١/٣٠٣) .
قال ابن خلكان : الأرغياني ، بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الغين المعجمة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى : أرْغيان ، وهي اسم ناحية من نواحي نيسابور بها عدّة قرى .
وقد ذكره ابن ناصر الدين في التوضيح في نسبة : الباني ، وقال : نسبة إلى قرية من قرى أرغيان .

تفقه أولاً على الشيخ أبي علي السِّنْجِي ، وعلَّق عن إمام الحرمين في الأصول ، وناظر بحضرته فاستجاده ، ووَلّي قضاء بلدة مدة طويلة ، ثم ترك ذلك كلّه ، وأقبل على التعبّد [وتلاوة القرآن] .

قال ابن خلِّكان(١) : وبنى للصوفية رباطاً من ماله ، ولزم التعبّد إلى أن مات [في مستهل المحرم من هذه السنة](٢) .

محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزّاق(٣) أبو منصور الخيّاط(٤) .

أحد القرّاء والصُّلحاء ، ختم ألوفاً من الختَمات ، وختم عليه ألوف من الناس ، وسمع الحديث الكثير ، وحين توفي اجتمع العالم في جنازته اجتماعاً لم يعهد مثله في جنازة [ولم يعهد له نظير] بتلك الأزمان ، وكان عمره يوم توفي سبعاً وتسعين سنة ، رحمه الله [وقد رثاه الشعراء] وقد رآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل بك ربّك ؟ فقال : غفر لي بتعليمي الصّبيان الفاتحة .

محمد بن عُبيد الله بن الحسن بن الحسين(٥) أبو الفرج البَصْري ، قاضيها .

سمع أبا الطَّيب الطَّبري والماوردي وغيرهما ، ورحل في طلب الحديث ، وكان عابداً خاشعاً عند الذِّكر ، رحمه الله تعالى .

مُهارِش بن مُجلِّي(٦) أمير العرب بحديثة عانة .

وهو الذي أودع عنده الخليفة القائم بأمر الله حين كانت فتنة البساسيري(٧) ببغداد [فأكرم الخليفة حين ورد عليه ، ثم جازاه الخليفة الجزاء الأوفى](٨) وكان الأمير مُهارش كثير الصلاة والصَّدقة ، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٤) .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) .
(٣) الكامل في التاريخ (١٠/ ٤١٥) ، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٢٢) .
(٤) تحرفت في (ط) إلى : الحناط .
(٥) المنتظم (٩/ ١٤٧) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٤١٥) .
(٦) المنتظم (٩/ ١٤٨) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٤١٦) ، وفيات الأعيان (٥/ ٢٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٢٤) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٩٣) .
(٧) تقدم الكلام على فتنة البساسيري ، وإخراجه الخليفة القائم بأمر الله من بغداد ، ثم رجوعه وقتل رأس الفتنة ، وذلك في أحداث سنة خمسين وإحدى وخمسين وأربعمئة من هذا الجزء .
(٨) زيادة من (ب) و(ط) .

ثم استهلّت سنة خمسمئة من الهجرة النبويـة

قال أبو داود في « سننه » : [حدثنا موسى بن سهل](١) حدّثنا حجّاج بن إبراهيم ، حدّثنا [ابن] وهب ، حدّثني معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه ، عن أبي ثعلبة الخشني قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يَعجزَ اللهُ هذه الأمة من نصف يوم » . حدّثنا عمرو بن عثمان(٢) ، حدّثنا أبو المغيرة ، حدَّثني صفوان ، عن شُريح بن عُبَيد ، عن سعد بن أبي وقاص ، عن النبي ﷺ : أنه قال(٣) : « إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربِّها أن يؤخّرها نصف يوم » . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمئة سنة(٤) . وهذا من دلائل النبوّة ، وذكر هذه المدة لا ينفي زيادة عليها ، كما هو الواقع ، لأنّه ﷺ ذكر شيئاً من أشراط الساعة لا بدّ من وقوعها ، كما أخبر سواءً بسواءٍ ، وسيأتي ذِكرها فيما بعد زماننا ، وبالله التوفيق [وبالله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله] .

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث :

أنّ السلطان محمد بن ملك شاه حاصر في هذه السنة قلاعاً كثيرة من حصون الباطنية ، فافتتح منها أماكن كثيرة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وجمعاً كبيراً ، وجمّاً غفيراً ، وكان من جملة ما افتتح من ذلك قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان ، في رأس جبل منيع [هناك ، وكان سبب بنائه أنّه كان مرّة في بعض صيوده فهرب منه كلب ، فاتبعه إلى رأس الجبل فوجده ، وكان معه رجل من رسل الروم ، فقال الرومي : لو كان هذا الجبل ببلادنا لاتّخذنا عليه قلعة ، فحدا هذا الكلام السلطان إلى أن ابتنى في رأسه قلعة](٥) . وكان قد صرف بالبناء ألف ألف دينار ومئتي ألف دينار ، فاستحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له : أحمد بن عبد الله بن عَطَاش(٦) ، فتعب المسلمون بسببها ، وحاصرها السلطان محمد سنة حتى افتتحها ، وسلخ هذا الرجل ، وحشا جلده تِبناً ، وقطع رأسه فطيف به في الأقاليم ، ثمّ نقض هذه القلعة حجراً حجراً ، [وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلِفت ، وهلك ما كان معها من الجواهر

---

(١) في (ط) : « قال أبو داود في سننه : حدثنا حجاج بن إبراهيم . . إلخ » وهذا لا يصح لأن حجاجاً ليس من شيوخ أبي داود ، والصواب ما أثبتناه بين حاصرتين من سنن أبي داود (٤٣٤٩) ، وهو موسى بن سهل بن قادم ، أبو عمران الرملي المتوفى سنة ٢٦٢ على الصحيح (بشار) .

(٢) سنن أبي داود (٤٣٥٠) (بشار) .

(٣) في سنن أبي داود : أن النبي ﷺ قال :

(٤) مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (بشار) .

(٥) زيادة من (ب) و(ط) .

(٦) في (ط) : عطاء . خطأ .

النفيسة ، وكان الناس يتشاءمون بهذه القلعة . ويقولون : كان دليلها كلباً ، والمشير بها كافراً ، والمتحصّن بها زِنديقاً][(١)] .

وفيها : كانت حروب كثيرة بين بني خفاجة وبين بني عُبادة ، فقهرت عُبادة خفاجة ، وأخذت بثأرها [المتقدّم منها] .

وفيها : استحوذ سيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي على مدينة تكريت بعد قتال كثير .

[وفيها : أرسل السلطان محمد الأمير جاولي سقاوو إلى الموصل وأقطعه إيّاها ، فذهب فانتزعها من الأمير جكرمش بعدما قاتله وهزم أصحابه وأسره ، ثمّ قتله بعد ذلك ، وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلاً وإحساناً ، ثمّ أقبل قلج أرسلان بن قتلمش فحاصر الموصل ، فانتزعها من جاولي ، فصار جاولي إلى الرّحبة ، فأخذها ، ثمّ أقبل إلى قتال قلج فكسره ، وألقى قلج نفسه في نهر الخابور فهلك][(٢)] .

وفيها : نشأت حروب كثيرة بين الروم والفرنج فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، وقتل من الفريقين ألوف ، ثمّ كانت الهزيمة بعد كلِّ حساب على الفرنج . [والحمد لله ربِّ العالمين][(٣)] .

وفي يوم عاشوراء قتل فخر الملك بن نظام الملك ، وكان أكبر أولاده ، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور ، وكان صائماً ، قتله باطني ، وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهو يقول له : عجّل إلينا ، وأفطِر عندنا اللّيلة ، فأصبح متعجّباً ، فنوى الصوم ذلك النهار ، وأشار عليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من منزله ، فما خرج إلا في آخر النهار ، فرأى شابًّا يتظلّم وبيده رقعة فقال : ما شأنك ؟ فناوله الرقعة ، فبينما هو يقرؤها إذ ضربه بخنجر في يده فقتله ، [فأخذ الباطني فرُفِعَ إلى السلطان فقرّره ، فأقرّ على جماعة من أصحاب الوزير أنّهم أمروه بذلك ، وكان كاذباً ، فقتل ، وقتلوا أيضاً][(٤)] .

[وفي رابع عشر] من صفر عزل الخليفة الوزير [أبا القاسم علي] بن جَهير ، وخرّب داره التي كان قد بناها أبوه ، [من خراب] بيوت الناس ، وكان في ذلك عبرة وموعظة لذوي البصائر [والنُّهى] واستنيب في الوزارة القاضي أبو الحسن بن الدّامغاني [ومعه آخر][(٥)] .

---

(١) زيادة من (ب) و(ط) .
(٢) زيادة من (ب) و(ط) .
(٣) زيادة من (ب) و(ط) .
(٤) زيادة من (ب) و(ط) .
(٥) زيادة من (ب) و(ط) .

وحج بالناس في هذه السنة أمير تركماني [واسمه أليرن] من جهة السلطان محمد بن ملك شاه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن المظفَّر(١) أبو المظفَّر الخَوَافي الفقيه الشافعي .

قال ابن خلِّكان : كان أنظر أهل زمانه ، تفقّه على إمام الحرمين ، وصار أوجه تلامذته ، ولي القضاء بطوس ونواحيها ، فكان مشهوراً بين العلماء بحسن المناظرة وإفحام الخصوم . قال : والخَوَافي ، بفتح الخاء والواو ، نسبة إلى خَوَاف ، ناحية من نواحي نيسابور ، رحمه الله تعالى .

جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد السَّرَّاج(٢) أبو محمد القارئ [البغدادي] .

ولد سنة ست عشرة وأربعمئة(٣) ، وقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الكثير من الأحاديث النبويات من المشايخ والشَّيخات ، في بلدان متباينات ، وقد خرّج له الحافظ أبو بكر الخطيب أجزاء من مسموعاته ، وكان صحيح الثبت ، جيد الذهن ، أديباً ، شاعراً ، حسن النظم ، نظم كتاب « المبتدأ »(٤) وكتاب « التنبيه »(٥) والخِرَقي(٦) ، وغير ذلك » وله كتاب « مصارع العشّاق » وغير ذلك ، وكان حافظاً مبرِّزاً على أقرانه من نُجباء أبناء زمانه ، سمع منه الحافظ السِّلَفي ، وكان يفتخر برؤيته ، ومن شعره قوله :

قـلْ لِلَّـذيـنَ بجهلهـمْ ... أضْحَـوا يعيبـونَ المحـابـرْ
والحـامليـنَ لَهـا مـن الـ ... أيْـدي بمجتمـعِ الأسـاورْ
لـولا المحـابـرُ والمقـا ... لمُ والصحائفُ والدفاترْ
والحـافظـونُ شـريعـةَ الـ ... ـمبعوثِ من خيرِ العشائرْ
والنـاقلـونَ حـديثَـه ... عـن كـابـرٍ ثَبْـتٍ فكَـابِـرْ
لـرأيـتَ مِـن بَشـعِ الضّـلا ... لِ عسـاكـراً تتلـو عسـاكـرْ
كـلٌّ يقـولُ بجهلـهِ ... واللهُ للمظلـومِ نـاصـرْ

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٩٦) . سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٥١) .

(٢) المنتظم (٩/ ١٥١) ، الكامل في التاريخ (١٠/ ٤٣٩) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٥٧) ، طبقات الإسنوي (٢/ ٤٥) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٢٨) ، النجوم الزاهرة (٥/ ١٩٤) ، شذرات الذهب (٣/ ٤١١) .

(٣) هذا ما ذكره ابن الجوزي في المنتظم ، وأصح منه ما نقله الذهبي في تاريخ الإسلام (١٠/ ٨٢٥) ، قال : « وقال السلفي : سألته عن مولده فقال : إما في آخر سنة سبع عشرة ، وإما في أول سنة ثمان عشرة وأربعمئة ببغداد » (بشار) .

(٤) كتاب المبتدأ لوهب بن منبه .

(٥) كتاب التنبيه في فروع الفقه الشافعي لإبراهيم بن علي الشيرازي ، ت ٤٧٤هـ .

(٦) « الخرقي » : هو عمر بن الحسين البغدادي ت ٣٣٤هـ صاحب المختصر في الفقه الذي نظمه المترجم .

سمّيتَهُــم أهــلَ الحــديـ ـث أولي النُّهي وأولي البَصائرْ
حَشَــوِيّــةً أفٍّ لكــمْ وَلِمَـنْ بنقصهـمْ يُجـاهـرْ[١]
هــم حَشــوُ جَنَّــاتِ النَّعيـ ـمِ على الأسـرَّةِ والمنابـرْ
رفقــاءُ أحمَــد كلُّهــمْ عـن حـوضـهِ ريَّـانُ صـادرْ

ومن شعره :

ومُـدَّعٍ شـرخَ الشَّبـاب وقـدْ عمَّمَـهُ الشَّيـبُ علـى وَفْـرَتـهْ
يخضـبُ بـالـوشمـةِ عُثنـونَـهُ يكفيـهِ أنْ يكـذبَ فـي لحيتـهْ

ذكر القاضي ابن خلّكان[٢] قطعة من أشعاره المستحسنة ، وأرّخ وفاته في هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، رحمه الله .

عبد الوهَّاب بن محمد بن عبد الوهَّاب بن عبد الواحد أبو محمد[٣] الشيرازي الفارسي[٤] .

سمع الحديث الكثير ، وتفقّه ، وولاه نظام الملك تدريس النظاميّة ببغداد ، في سنة ثلاث وثمانين ، فدرّس بها مدّة ، وكان يملي الأحاديث ، وكان كثير التصحيف ، روى مرة حديث : « صلاةٌ في إثر صلاة كتاب في عليين »[٥] ، فقال : كَنَارٍ في غَلَس ، ثمّ فسّر ذلك بأنّه أكثر لإضاءتها .

محمد بن إبراهيم بن عبد الله الأسدي الشاعر[٦] .

لقي أبا الحسن التّهامي ، وكان مغرماً بما يعارض شعره ، وقد أقام باليمن وبالعراق ، ثم بالحجاز ، ثم خراسان ، ومن شعره :

قلـتُ : ثَقَّلـتُ إذ أتيـتُ مِـراراً قَـالَ ثَقَّلْـتَ غـاربـي[٧] بـالأيـادي
قلتُ طوَّلْتُ قال بل تطوّلتَ[٨] قلتُ مزَّقْتُ قالَ : حبلَ الوِدادِ

---

(١) هذا البيت ساقط من (ب) و(ط) .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٣٥٨) .
(٣) في (ط) : « بن محمد » وهو تحريف ظاهر (بشار) .
(٤) المنتظم (٩/ ١٥٢) ، الكامل في التاريخ (١/ ٤٣٩) ، طبقات السبكي (٥/ ٢٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٤٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٤١٣) .
(٥) هو قطعة من حديث أخرجه أبو داود (٥٥٨) في الصلاة ، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة ، وأحمد في المسند (٥/ ٢٦٨) رقم (٢٢٢٠٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .
(٦) المنتظم (٩/ ١٥٣) .
(٧) في (ب) و(ط) : كاهلي .
(٨) في (أ) : قلت طولت أو ليت طولاً .

يوسف بن علي[١] أبو القاسم الزَّنْجاني الفقيه .

كان من أهل الدِّيانة ، حكى عن الشيخ أبي إسحاق [الشيرازي] ، عن القاضي أبي الطيّب ، قال : كنّا يوماً بجامع المنصور في حلْقة ، فجاء شاب خراساني ، فذكر حديث أبي هريرة في المُصَرَّاة[٢] ، فقال الشاب : هذا الحديث غير مقبول ، فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حيّة ، فنهض الناس هاربين ، فتبعتْ ذلك الشابّ من بينهم ، فقيل له : تبْ ، تبْ ، فقال : تُبْتُ ، فذهبتْ تلك الحيّة ، فلا يُدرى أين ذهبت ، رواها ابن الجوزي عن شيخه أبي معمر الأنصاري عن أبي القاسم هذا .

•••

(١) المنتظم (٩/ ١٥٤) ، توضيح المشتبه (٤/ ٢٢٩) .

(٢) في (ط) : « المطر » ولا معنى لها ، وما أثبتناه موافق لما في المنتظم الذي ينقل منه المؤلف ، والمصراة : الناقة أو البقرة أو الشاة التي تترك من الحلب اليومين والثلاثة حتى يجتمع لها لبن ، فيراه مشتريها كثيراً ، وهذا غرور للمشتري . وحديث أبي هريرة هذا في الصحيحين : البخاري (٢١٤٨) و(٢١٥٠) ، ومسلم (١٥١٥) (١١) ، ولفظ البخاري من حديث الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « لا تصرُّوا الإبل والغنم فمن ابتاعها بعد فإنه بخير النظرين بعد أن يحتلبها : إن شاء أمسك وإن شاء ردها وصاع تمر » (بشار) .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسمئة

● وفيها : جدَّد الخليفة الخلعَ على وزيره الجديد أبي المعالي ، هبة [الله بن محمد بن المطلب][١] وأكرمه وعظّمه .

وفي ربيع الآخر منها دخل السلطان محمد إلى بغداد ، فتلقاه الوزير والأعيان ، وأحسن إلى أهلها ، ولم يتعرّض أحد من جيشه إلى شيء .

● وغضب[٢] السلطان غياث الدِّين محمد[٣] بن السلطان عَلَى صدقةَ بن منصور الأسدي صاحب الحلة وتكريت ، بسبب أنه آوى[٤] رجلاً من أعدائه ، يقال له : أبو دلف سَرْخاب الديلمي[٥] ، صاحب ساوة ، وبعث إليه ليرسله ، فلم يفعل ، فأرسل إليه جيشاً ، فهزموا جيشه ، وقد كان جيشه عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل ، وقُتل صدقة في المعركة ، وأُسرت جماعة من رؤوس أصحابه ، وأُخذ من زوجته خمسمئة ألف دينار وجواهر نفيسة .

قال ابن الجوزي : وظهر في هذه السنة صبيّة عمياء تتكلم على أسرار الناس ، وبالغ[٦] الناس في الحيل ليعلموا حالها فلم يعلموا .

قال ابن عقيل[٧] : وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام ، حتَّى إنها كانت تُسأل عن نقوش الخواتيم وألوان الفصوص وصفات الأشخاص ، وما في داخل البيادق من الشمع والطين والحَبّ المختلف والخرز . وبالغ أحدهم حتَّى ترك يده على ذكَره ، فقيل : ما الذي في يده ؟ فقالت : يحمله إلى أهله وعياله[٨] .

● وفيها : قدم القاضي فخر الملك أبو علي بن عمَّار[٩] صاحب طرابلس إلى بغداد ، يستنفر المسلمين

---

(١) زيادة من ب ، ط . والخبر في الكامل لابن الأثير (١٠/٤٣٨) .
(٢) في آ : وتغضب .
(٣) هو محمد بن ملكشاه سترد وفاته في سنة ٥١١ من هذا الجزء .
(٤) في آ : آذى ، ولا يستقيم به المعنى .
(٥) في آ ، ط : « سرحان » وهو تصحيف ، وما هنا يعضده ما في المنتظم (٨/١٥٦) وابن الأثير (٨/٢٤٦ ، ٢٤٨) ، وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٧) (بشار) .
(٦) في آ : وبالغوا .
(٧) ابن عقيل هو أبو الوفاء علي بن عقيل سترد ترجمته مع وفيات سنة (٥١٣) من هذا الجزء (ع) .
(٨) أقول : ولا يدل ذلك على أنها كانت تعلم الغيب ، ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى (ع) .
(٩) في ط ، ب : أبو عبيد علي ، وهو تصحيف لأن صاحب طرابلس اسمه أبو علي عمار بن محمد بن عمار ، وقد ذكره ابن الأثير في أكثر من موضع في الجزء الثامن يراجع فهرسه وبخاصة (ص١٩٩) حيث ورد اسمه كاملاً .

على الفرنج ، فأكرمه السلطان غياث الدِّين محمد ، وخلع عليه ، وبعث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج(١) .

ومن توفي فيها من الأعيان :

تميم بن المعز بن باديس(٢) ، صاحب إفريقية .

كان من خيار الملوك خُلُقاً وكرماً وإحساناً ، ملك ستاً وأربعين سنة ، وعُمِّر تسعاً وسبعين سنة ، وترك من البنين أزيد من مئة ، ومن البنات ستين بنتاً ، وملك من بعده ولدُه يحيى . ومن أحسن ما مُدح به الأميرُ تميم قول الشاعر : [من الطويل](٣) :

[أَصَحُّ وَأَعْلَى ما سَمِعْنَاهُ في النَّدَى مِـنَ الخَبَـرِ المَـرْوِيِّ مُنْـذُ قَـدِيـمِ
أَحَادِيثُ تَرْوِيها السُّيُول عَنِ الحيا عَنِ البَحْرِ عن كَفِّ الأَمِيرِ تَمِيمِ](٤)

صدقة(٥) بن منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد الأسدي الأمير سيف الدولة صاحب الحِلَّة وتكريت وواسط وغيرها من البلاد .

كان كريماً عفيفاً ذا ذِمام ، ملجأً لكل خائف ، يأمن في بلاده ، وكان يقرأ(٦) الكتب المُشَكَّلة ولا يحسن الكتابة ، وقد اقتنى كتباً كثيرة جدًّا نفيسة ، وكان لا يتزوج على امرأة قط ، ولا يتسرّى على سريَّة حفظاً للذمم ، لئلا يكسر قلب أحد ، وقد مُدح بأوصاف جميلة كثيرة جدًّا ، قتل في بعض الحروب(٧) ، قتله غلام اسمه بزغش(٨) ، وكان له من العمر تسع وخمسون(٩) سنة ، ولي منها الإمارة إحدى وعشرين سنة ، رحمه الله .

---

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٩) : « وجَرَّد السلطان معه عسكراً لم يغن شيئاً »! (بشار) .
(٢) ترجمته في ابن الأثير (٨/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) ووفيات الأعيان (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦) والمختصر (٢/ ٢٢٣) والعبر (٤/ ١) ومرآة الجنان (٣/ ١٦٩) .
(٣) البيتان في وفيات الأعيان (١/ ٣٠٤) ومرآة الجنان (٣/ ١٦٩) .
(٤) زيادة من ب وفي ب : أعز . مصادر الترجمة .
(٥) ترجمته وأخباره في المنتظم (٩/ ١٥٩) وابن الأثير (٨/ ٢٤٥ ـ ٢٤٩) ومرآة الزمان (٨/ ٢٥) ووفيات الأعيان (١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٢) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (٣/ ١٨٥) والمختصر لأبي الفداء (٢/ ٢٢٢) والعبر (٤/ ١ ـ ٢) ومرآة الجنان (٣/ ١٧٠) .
(٦) في آ : وكان يحسن يقرأ .
(٧) في آ : المعركة .
(٨) في آ ، ط : « برغش » بالراء المهملة وهو تصحيف ، والصواب ما أثبتنا ، وهو الذي في الكامل لابن الأثير (٨/ ٢٤٨) وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٨) (بشار) .
(٩) في آ : تسعاً وخمسين .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمئة

• في شعبان تزوّج الخليفة المستظهر بالله بالخاتون بنت ملك شاه أخت السلطان محمد ؛ على صَداق مئة ألف دينار ، ونثر الذهبَ ، وكُتِب[١] العقد بأصبهان .

• وفيها : كانت حروب كثيرة بين الأتابك طُغْتُكين صاحب دمشق وبين الفرنج ، لعنهم الله .

• [وفيها : ملك سعيد بن حُمَيد العمري الحِلَّة السيفية][٢] .

• وفيها : زادت دجلة ، فغرقت الغلاّت ، وزاد غلاء الأسعار .

• وحجّ بالناس الأمير قيماز .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن العلوي[٣] أبو هاشم ، ابن رئيس هَمَذَان .

وكان ذا مال جزيل ، صادره السلطان بتسعمئة[٤] ألف دينار ، فلم يبع فيها عقاراً ولا غيره .

الحسين بن علي[٥] ، أبو الفوارس ، ابن الخازن الكاتب المشهور بالخط المنسوب .

كانت وفاته في ذي الحجة منها .

قال ابن خلكان : كتب بيده خمسمئة ختمة[٦] ، وكانت وفاته فجأةً ، رحمه الله تعالى .

عبد الواحد بن إسماعيل[٧] بن أحمد بن محمد ، أبو المحاسن الرُّوياني[٨] :

---

(١) في آ : وقت .

(٢) عن ط وحدها .

(٣) هكذا سماه المؤلف متابعاً في ذلك ابن الجوزي في المنتظم (٩/ ١٦٠) وهو غلط بيّن ، فالرجل اسمه زيد بن الحسين ، كما في كامل ابن الأثير (٨/ ٢٥٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ٣٣) (بشار) .

(٤) في كامل ابن الأثير وتاريخ الذهبي : « بسبع مئة » (بشار) .

(٥) ترجمته في ابن الأثير (٨/ ٢٥٨) والروضتين (١/ ٢٩) ووفيات الأعيان (٢/ ١٩١) والمختصر (٢/ ٢٢٤) .

(٦) أقول في وفيات الأعيان : « نسخة . . ما بين ربعة وجامع » .

(٧) ترجمته في الأنساب (٦/ ١٩٨) والمنتظم (٩/ ١٦٠) ومعجم البلدان (رويان) ، وابن الأثير (٨/ ٢٥٨) ومرآة الزمان (٨/ ٢٩) ووفيات الأعيان (٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩) والعبر (٤/ ٤ ـ ٥) ومرآة الجنان (٣/ ١٧٠) .

(٨) رويان وآمل بلدتان في إقليم طبرستان الذي يقع على الساحل الجنوبي لبحر الخزر وهو سهل وجبل ، وأكبر مدن السهل آمل ، وأكبر مدن الجبل رويان . معجم البلدان (رويان) .

من أهل طبرستان ، أحد أئمة الشافعية . ولد سنة خمس عشرة وأربعمئة ، ورحل إلى الآفاق ، حتَّى بلغ ما وراء النهر ، وحصّل علوماً جَمَّة ، وسمع الحديث الكثير ، وصنّف كتباً في المذهب ، من ذلك : « البحر » في الفروع ، وهو كتاب حافل شامل للغرائب ، وغيرها ، وفي المثل : حدِّث عن البحر ولا حرج[١] ، وكان يقول : لو احترقت كتب الشافعي أمليتُها من حفظي . قتل ظلماً يوم الجمعة[٢] ، وهو يوم عاشوراء في الجامع من آمل طبرستان .

قال ابن خلِّكان[٣] : وقد أخذ الفقه عن ناصر المروزي ، وعلّق عنه ، وكان للرُّوياني الجاه العظيم والحرمة الوافرة في تلك الديار ، وكان نظام الملك كثير التعظيم له ، وقد صنَّف في أصول الفقه والفروع ، منها : « بحر المذهب » ، وكتاب « مَنَاصيص[٤] الإمام الشافعي » ، وكتاب « الكافي » ، و« حلية المؤمن »[٥] ، وله في الخلاف أيضاً رحمه الله تعالى .

يحيى بن علي[٦] بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي ، أبو زكريا :

أحد أئمة اللغة والنحو[٧] . قرأ على أبي العلاء المعري وغيره ، وتخرّج به جماعة ، منهم أبو منصور ابن الجواليقي .

قال ابن ناصر : وكان ثقة في النقل ، وله المصنفات الكثيرة .

وقال ابن خيرون : لم يكن مرضيَّ الطريقة . توفي في جمادى الآخرة ، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي[٨] بباب أبرز[٩] ، والله أعلم .

---

(١) وتمامه : حدِّث عن البحر ولا حرج ، وعن الفضل ولا حرج ، وعن معن ولا حرج . تمثال الأمثال للعبدري (٢/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤) . (ع) .
(٢) في آ : جمعة .
(٣) وفيات الأعيان (٣/ ١٩٨) .
(٤) في آ : « تناصيص » ، وما هنا من ط ، ب وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٣٦) (بشار) .
(٥) في ب أ : « الموقن » ، وما هنا من ط وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٣٦) (بشار) .
(٦) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٦١) ومعجم الأدباء (٢٠/ ٢٥) ومعجم البلدان (تبريز) ، وابن الأثير (٨/ ٢٥٨) والروضتين (١/ ٢٩) والمختصر (٢/ ٢٢٤) والعبر (٤/ ٥) ومرآة الجنان (٣/ ١٧٢) .
(٧) جاءت الكنية في آ بعد هذه اللفظة .
(٨) هو إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق . مرت ترجمته مع وفيات سنة ٤٧٦ من الجزء السابق .
(٩) بِيَبْرَز ، ومنهم من يسميها باب أَبْرَز ، محلة ببغداد ، وهي اليوم ـ زمن ياقوت ـ مقبرة بين عمارات البلد وأبنيته من جهة محلة الظفرية والمقتدرية ، بها قبور جماعة من الأئمة منهم أبو إسحاق الشيرازي . معجم البلدان (بيبرز) .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمئة

● فيها : أخذت الفرنج ، [لعنهم الله][١] ، مدينة طرابلس ، وقتلوا مَنْ فيها من الرجال ، وسَبَوْا الحريم والأطفال ، وغنموا الأمتعة والأموال ، ثم أخذوا مدينة جبيل[٢] بعدها بعشر ليالٍ ، [فلا حول ولا قوة إلَّا بالله الكبير المتعال][٣] .

وقد هرب منهم فخر الملك بن عمار[٤] ، فقصد صاحب دمشق طُغْتكين ، فأكرمه ، وأقطعه بلاداً كثيرة .

● وفيها : وثب[٥] بعض الباطنية على الوزير أبي نصر أحمد[٦] بن نظام الملك [فجرحوه ، فأُخذ الجارح فسُقي الخمر ، فاعترف][٧] على جماعة من الباطنية فأُخذوا فقُتلوا .

● وحجَّ بالناس الأمير قيماز .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن علي[٨] بن أحمد ، أبو بكر العُلْبي[٩] .

كان يعمل في تجصيص الحيطان ، ولا ينقش صورة ، ولا يأخذ من أحد شيئاً ، وكانت له أملاك يبيع منها ويتقوّت . وقد سمع الحديث من القاضي أبي يعلى ، وتفقه عليه بشيء[١٠] من الفقه . وكان إذا حج يزور القبور بمكة ، فإذا وصل إلى قبر الشيخ الفُضَيْل[١١] بن عياض يخطّ إلى جانبه خطّاً بعصاه ، ويقول :

---

(١) عن آ وحدها .
(٢) في ط : جبلة . وهو تصحيف ، والخبر في ابن الأثير (٨/ ٢٥٩) والعبر (٤/ ٦) .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) تقدمت الإشارة إليه في حوادث سنة ٥٠١ .
(٥) في آ : وثبت .
(٦) سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٤٤ من هذا الجزء .
(٧) العبارة في ط : فجرحه ثم أخذ الباطني فسقي الخمر فأقر .
(٨) ترجمته في طبقات ابن أبي يعلى (٢/ ٢٥٥) والمنتظم (٩/ ١٦٣) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ١٠٤) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٢٢) .
(٩) في آ ، ط : العلوي ، وفي طبقات ابن أبي يعلى والمنتظم (٩/ ١٦٣) : العلثي . وما هنا من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٤٣) ، والشذرات (٤/ ٦) (بشار) .
(١٠) في آ : شيئاً .
(١١) الفُضَيْل بن عياض بن مسعود التميمي الطالقاني الزاهد المشهور . كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق ثم تاب . قدم الكوفة وسمع الحديث بها ، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات بها سنة ١٨٧هـ . ترجمته في : وفيات الأعيان (٤/ ٤٧ ـ ٥٠) والعبر (١/ ٢٩٨) وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٩) .

يا ربّ هاهنا ، فقُدّر أنه حجّ في هذه السنة ، فوقف بعرفات محرِماً ، فتوفي بها في آخر ذلك اليوم ، فغُسّل وكُفّن وطيف به حول الكعبة(١) ، ثم دفن إلى جانب الفُضَيْل بن عياض ، في ذلك المكان الذي كان يخطّه بعصاه .

وبلغ الناسَ وفاتُه ببغداد ، فاجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب ، حتّى لو مات بين أظهرهم لم يكن عندهم مزيد على ذلك الجمع(٢) ، رحمه الله تعالى .

عمر بن عبد الكريم(٣) بن سعدويه ، أبو الفتيان الدِّهِسْتَاني(٤) :

رحل في طلب الحديث ، ودار الدُّنيا ، وخرّج وانتخب ، وكان له فهم بهذا الشأن(٥) ، وكان ثقة ، وقد صحّح عليه أبو حامد الغزالي(٦) « الصحيحين »(٧) . وكانت وفاته بسرخس(٨) في هذه السنة .

محمد(٩) ويعرف بأخي حماد(١٠) .

أحد(١١) الصلحاء الكبار . كان به مرض مزمن فرأى النبيَّ ﷺ [في المنام](١٢) فعوفي ، فلزم مسجداً له أربعين سنة ، لا يخرج إلّا إلى الجمعة ، وانقطع عن مخالطة الناس . وكانت وفاته في هذه السنة ، ودفن في زاوية بالقرب من مشهد(١٣) أبي حنيفة .

---

(١) في ط : البيت .
(٢) من قوله : بعصاه إلى هنا ساقط من أ .
(٣) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٦٤) ومعجم البلدان (دهستان) وهي بلد عند مازندران قرب خوارزم وجرجان وفيه : أبو الفتيان ويقال أبو حفص بن أبي الحسن الرؤاسي الدهستاني ، وابن الأثير (٨/ ٢٦٠) واللباب (الدهستاني) والعبر (٤/ ٦) ومرآة الجنان (٣/ ١٧٣) .
(٤) أقول : في ط : الداهقاني ، وهو خطأ . (ع) .
(٥) يريد علوم الحديث النبوي .
(٦) هو أحد تراجم هذا الكتاب ، وفيات سنة ٥٠٥ من هذا الجزء .
(٧) في (ط) « كتاب الصحيحين » ولا تستقيم ، والصواب حذفها كما جاءت في المنتظم وتاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ٥٤) إذ المراد صحيح البخاري وصحيح مسلم (بشار) .
(٨) سَرْخَس ـ ويقال سَرَخَس بالتحريك ـ والأول أكثر ، وهي مدينة من نواحي خراسان بين نيسابور ومرو . معجم البلدان . . وفي القاموس المحيط : سَرَخْس ، بفتح السين والراء (ع) .
(٩) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٦٤ ـ ١٦٥) .
(١٠) في آ : محمد ويعرف حمادي .
(١١) ط : كان أحد .
(١٢) عن ط وحدها .
(١٣) في ط : قبر وهو في الأعظمية البلدة المعروفة المتصلة ببغداد في هذه الأيام .

ثم دخلت سنة أربع وخمسمئة

• في أوائل هذه السنة[١] تجهَّز جماعة [من البغاددة][٢] من الفقهاء وغيرهم ، وفيهم[٣] ابن الزاغوني[٤] للخروج إلى الشام لأجل الجهاد ليقاتلوا[٥] الفرنج ، وذلك حين بلغهم أنهم فتحوا مدائن عديدة ، من ذلك مدينة صيدا في ربيع الأول ، وكذا غيرها من المدائن ، ثم رجع[٦] كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج .

• وفيها : قدمت الخاتون بنت ملك شاه زوجة الخليفة إلى بغداد ، [مع تجمّل عظيم][٧] ، فنزلت في دار أخيها السلطان محمد ، ثم حمل جَهَازها على مئة واثنين وستين جملاً ، وسبعة وعشرين بغلاً ، وزينت بغداد لقدومها ، وكان دخولها على الخليفة في الليلة العاشرة من رمضان ، وكانت ليلة مشهودة .

• وفي شعبان درّس أبو بكر الشاشي[٨] بالنظامية مع التاجية ، وحضر في مجلسه الوزراء والأعيان من الدولة وغيرهم .

• وحجّ بالناس الأمير قيماز ، ولم يتمكن الخراسانيون من الحج من كثرة العطش وقلة الماء .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إدريس بن حمزة[٩] ، أبو الحسن الشافعي الرملي العثماني :

أحد فحول المناظرين عن مذهب الشافعي ، تفقَّه أولاً على نصر بن إبراهيم[١٠] ، ثم على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي[١١] . ودخل خراسان حتى وصل إلى ما وراء النهر ، وأقام بسمرقند ، ودرّس بمدرستها إلى أن توفي بها في هذه السنة رحمه الله تعالى .

---

(١) في ط : في أوّلها .
(٢) عن ط وب .
(٣) في ط : ومنهم .
(٤) هو علي بن عبد الله بن نصر ، ستردّ ترجمته في وفيات سنة ٥٢٧ من هذا الجزء .
(٥) في ط : وقتال .
(٦) في آ : ثم رجعوا حين .
(٧) عن آ وحدها .
(٨) هو محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المستظهري ، ستردّ ترجمته في وفيات سنة ٥٠٧ من هذا الجزء .
(٩) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٦٦) .
(١٠) هو نصر بن إبراهيم بن نصر ، تقدمت ترجمته مع وفيات سنة ٤٩٠ من الجزء السابق .
(١١) تقدمت الإشارة إليه في حوادث سنة ٥٠٢هـ .

علي بن محمد[(١)] بن علي ، عماد الدين[(٢)] ، أبو الحسن الطبري ، ويعرف بإلْكِيا الهَرَّاسي :

أحد الفقهاء الكبار من رؤوس الشافعية . ولد سنة خمسين وأربعمئة . واشتغل على إمام الحرمين[(٣)] ، وكان هو والغزالي أكبر التلامذة ، وقد ولي كل منهما تدريس النظامية ببغداد .

وكان [أبو الحسن هذا فصيحاً جَهْوَرِيَّ الصوت][(٤)] جميلاً . وكان يكرِّر الدرس[(٥)] على كل مرقاة من مراقي النظامية بنيسابور سبع مرات ، وكانت المراقي سبعين مرقاةً .

وقد سمع الحديث الكثير ، وناظر وأفتى ودرّس ، وكان من أكابر العلماء[(٦)] وسادات الفقهاء .

وله كتاب يردّ فيه على ما انفرد به الإمام أحمد بن حنبل في مجلد ، وله غيره من المصنفات .

ولقد اتُّهِم في وقت بأنه يمالئ الباطنية ، فنزع منه التدريس ، ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك ، منهم ابن عقيل ، فأُعيد إليه .

وكانت وفاته[(٧)] مستهلّ المحرم من هذه السنة عن أربع وخمسين سنة ، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، رحمهما الله .

وذكر القاضي ابن خلكان[(٨)] أنه كان يحفظ الحديث ، ويناظر به ، وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح طارت رؤوس المقاييس في مهابِّ الرياح .

وحكى السِّلفي[(٩)] عنه أنه استُفتي في كَتَبَةِ الحديث هل يدخلون في الوصية للفقهاء ؟ فأجاب : نعم ، لقوله ﷺ : « مَنْ حفظَ على أُمّتي أربعين حديثاً بعثَهُ اللهُ فقيهاً عالماً »[(١٠)] .

---

(١) ترجمته في تبيين كذب المفتري (٢٨٨) والمنتظم (٩/ ١٦٧) وابن الأثير (٨/ ٢٦٢) ومرآة الزمان (٨/ ٣٧) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٦ ـ ٢٩٠) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٢/ ٧٩١) والمختصر (٢/ ٢٢٥) والعبر (٤/ ٨) ومرآة الجنان (٣/ ١٧٣) .

(٢) في (ط) : « بن عماد الدين » وهو تحريف ، والصواب ما أثبتنا فلقبه عماد الدين ، كما في تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي وتاريخ الإسلام للذهبي ، وهذا القسم بخطه (١١/ ٥٢) (بشار) .

(٣) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، تقدمت ترجمته مع وفيات سنة ٤٧٨ من الجزء السابق .

(٤) عن ط وب .

(٥) في آ : يكرر على الدرس ، في ط : يكرر لعن إبليس .

(٦) في ب وط : الفضلاء .

(٧) في ط : توفي مستهل .

(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٧) .

(٩) من وفيات سنة ٥٧٦ في هذا الجزء .

(١٠) أقول : للحافظ السخاوي قول عن هذا الحديث في كتابه المقاصد الحسنة صفحة ٤١١ قال النووي : طرقه كلها ضعيفة وليس بثابت (ع) .

وأنّه استُفتيَ في يزيد بن معاوية ، فذكر عنه ثلباً[١] وفسقاً وسوّغ[٢] شتمه . وأما الغزالي[٣] فإنه خالف في ذلك ، ومنع من شَتْمه ولَعْنِهِ لأنه مسلم ، ولم يثبت أنه رضي بقتل الحسين ، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوّغاً للعنه ، لأن القاتل لا يلعن ، ولا سيما وباب التوبة مفتوح ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى : ٢٥] . قال : وأما الترحُّم عليه فجائز ، بل مستحب ، بل نحن نترحم عليه في جملة المؤمنين والمسلمين عموماً في الصلوات[٤] ؛ ذكره ابن خلّكان مبسوطاً بلفظه في ترجمة إلكيا الهرّاسي هذا .

قال : وإلكيا معناه كبير القدر والمقدّم المعظّم ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة خمس وخمسمئة

● فيها : بعث السلطان غياث الدين محمد جيشاً كثيفاً صحبةَ الأمير مودود بن زنكي[٥] صاحب الموصل ، [في جملة أمراء ونواب ، منهم][٦] سكمان[٧] القطبي صاحب تبريز ، وأحمديل[٨] صاحب مراغة ، والأمير إيلغازي صاحب ماردين ، والمُقَدَّم على الجميع الأمير مودود صاحب الموصل ، لقتال الفرنج بالشام ، فانتزعوا من أيدي الفرنج حصوناً كثيرة ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ولله الحمد .

ولما دخلوا إلى دمشق دخل الأمير مودود إلى جامع بني أمية ليصلي فيه ، فجاءه باطني في زي سائل يطلب[٩] منه شيئاً فأعطاه ، فلما اقترب منه ضربه في فؤاده ، فمات من ساعته ، فلعنة الله على هذا الباطني .

وَوُجد رجلٌ أعمى في سطح الجامع ببغداد ، ومعه سكِّين مسمومة ، فقيل : إنه كان يريد قتل الخليفة .

● وفي هذه السنة ولد للخليفة من بنت السلطان ولد ذَكَر فضربت الدبادب والبوقات ، وجلس الوزير بباب الفردوس للهناء[١٠] .

---

(١) في ط : تلاعباً .
(٢) في آ : وجوّز . ورجحت رواية ط لأن مصدرها سيرد بعد ذلك .
(٣) من وفيات سنة ٥٠٥ في هذا الجزء .
(٤) أقول : قال الحافظ الذهبي في : سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٦) : ويزيد ممن لا نسبُّه ولا نحبُّه .
(٥) اللفظة مصحفة في آ . وهو أحد وفيات سنة ٦٥٦ من هذا الجزء .
(٦) عن ط وب .
(٧) في آ : سمكان ، وما أثبت من ط وابن الأثير (٨/ ٢٦٢) .
(٨) الاسم مصحف في آ ، وما أثبت من ط وابن الأثير (٨/ ٢٦٢) .
(٩) في ط : فطلب .
(١٠) من قوله : السلطان . . . إلى هنا ساقط من آ .

● وفيها : توفي أخو[١] الخليفة ، فقطع الطبل أياماً ، وجلس الوزير بباب الفردوس للعزاء ، وهكذا الدنيا قرض بوفاء[٢] ، هناء بعزاء ، وعزاء بهناء .

● وفي رمضان عزل الوزير أحمد بن النظام[٣] ، وكانت مدة وزارته أربع سنين ، وأحد عشر شهراً[٤] .

● وفيها : حاصرت الفرنج مدينة صور ، وكانت بأيدي المصريين ، عليها الأعز بن جهضم[٥] ، فقاتلهم قتالاً عظيماً ، ومنعها منعاً جيداً حتى فني ما عنده من النشَّاب والعُدَد ، فأمدّه صاحب دمشق طغتكين وأرسل إليه[٦] العُدَد والآلات ، وترحلت عنه الفرنج في شوال من هذه السنة .

● وحجّ بالناس أمير الجيوش نظر[٧] الخادم .

وكانت سنة مخصبة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو حامد الغَزَالي[٨] : محمد بن محمد بن محمد ، أبو حامد الغزالي . ولد سنة خمسين وأربعمئة . وتفقه على إمام الحرمين[٩] ، وبرع في علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة ، وكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلّم فيه ، وساد في شبيبته ، حتى إنّه درّس بالنظامية ببغداد في سنة أربع وثمانين ، وله أربع وثلاثون سنة ، فحضر عنده رؤوس العلماء [في ذلك الوقت][١٠] ، فكان ممن حضر عنده :

---

(١) في ط : ومات له ولد .
(٢) في ط : فرضي بوفاته ، وهو تصحيف .
(٣) سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٤٤ من هذا الجزء .
(٤) في ط : وإحدى عشر . وهو خطأ .
(٥) ليست العبارة في آ ، وفي ط : عليها عز الملك الأعز من جهتهم .
(٦) من قوله : ومنها . . . إلى هنا ، ساقط من آ .
(٧) في ط : قطز . وهو تصحيف .
(٨) ترجمته في تبيين كذب المفتري (٢٩١) والمنتظم (٩/١٦٩) وابن الأثير (٨/ ٢٩٤) والروضتين (١/ ٢٩) ووفيات الأعيان (٤/ ٢١٦ ـ ٢١٩) والمختصر (٢/ ٢٢٥) وتاريخ الإسلام (١١/ ٦٢ ـ ٧١) والعبر (٤/ ١٠) والأمصار ذوات الآثار (ص٧٩) ومرآة الجنان (٣/ ١٧٧ ـ ١٩٢) والغزالي في لفظه وجهان أحدهما بالتشديد نسبة إلى الغَزَّال والثاني بالتخفيف نسبة إلى غَزَالة وهي قرية من قرى طوس . وفيات الأعيان (١/ ٩٨) .
(٩) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٤٧٨ من الجزء السابق .
(١٠) ليس ما بين الحاصرتين في ط .

ابن عقيل[١] وأبو الخطاب[٢] ، من رؤوس الحنابلة ، فتعجّبوا من فصاحته واطّلاعه[٣] .

قال ابن الجوزي : وكتبوا كلامه في مصنفاتهم ، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكليّة ، وأقبل على العبادة[٤] وأعمال الآخرة ، فكان يرتزق من النسخ ، ورحل إلى الشام ، فأقام[٥] بدمشق وبيت المقدس مدة ثم إنه صنَّف في هذه المدة كتابه « إحياء علوم الدِّين » وهو كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة [من الشرعيات وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب ، ولكن فيه أحاديث][٦] كثيرة غرائب ومنكرات ، ومنها ما هو موضوع ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يُستدل بها على الحرام والحلال . فالكتاب الموضوع للرقائق والترهيب والترغيب أسهل أمراً من غيره في هذا .

وقد شنّع عليه أبو الفرج بن الجوزي ، ثم ابن الصلاح في ذلك تشنيعاً كثيراً .

وأراد المازِري[٧] أن يحرق كتابه « إحياء علوم الدِّين » وكذلك غيره من المغاربة . وقالوا : هذا كتاب إحياء علوم دينه ، وأما ديننا فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله . كما قد حكيت كلامه في ترجمته من « طبقات الشافعية » .

وقد زيّف ابنُ شُكْرٍ مواضع [في][٨] إحياء علوم الدين ، وبيّن زيفها في مصنف مفيد[٩] .

وقد كان الغزالي يقول : أنا مُزْجى البضاعة في الحديث .

ويقال : إنه مال في آخر عمره إلى سماع الأحاديث والتحفظ للصحيحين .

وقد صنَّف ابن الجوزي كتاباً على الإحياء وسماه : « إعلام[١٠] الأحياء بأغاليط الإحياء » .

---

(١) أحد تراجم هذا الكتاب في وفيات سنة ٥١٠ .
(٢) هو محفوظ بن أحمد . سترد ترجمته في وفيات سنة ٥١٠ .
(٣) في آ : وأتباعه .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) بعدها في ب : ببغداد . وفي ط : بها .
(٦) ليس ما بين الحاصرتين في ب .
(٧) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري الفقيه المالكي المحدِّث ، أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه ، وشرح صحيح مسلم شرحاً جيداً سماه : كتاب المعلم بفوائد كتاب مسلم . وعليه بنى القاضي عياض كتابه الإكمال وهو تكملة له . وله في الأدب كتب متعددة . توفي سنة ٥٣٦ ونسبته إلى مازر ـ بزاي مفتوحة وقد تكسر ـ هي بليدة بجزيرة صقلية . ترجمته في وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٥) والعبر (٤/ ١٠٠) والوافي (٤/ ١٥١) .
(٨) زيدت للسياق .
(٩) من قوله : وقد زيَّف إلى هنا زيادة من ط .
(١٠) في ط : علوم .

قال ابن الجوزي[١] : ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور ، فدرّس بنظاميتها ، ثم عاد إلى بلده طوس ، فأقام بها ، وابتنى بها رباطاً ، واتخذ داراً حسنة ، وغرس فيها بستاناً أنيقاً . وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح .

وكانت وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بطوس رحمه الله تعالى .

وقد كان سأله بعض أصحابه ، وهو في السياق[٢] ، فقال : أوصني !! فقال : عليك بالإخلاص . ولم يزل يكررها حتى مات ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وخمسمئة

- في جماى الآخرة[٣] جلس ابن الطبري مدرّساً بالنظامية ، وعزل عنها الشاشي[٤] .
- وفيها : دخل الشيخ الصالح أحد العُبَّاد يوسف بن أيوب[٥] إلى بغداد ، فوعظ الناس ، وكان له القبول التام[٦] ، وكان فقيهاً[٧] شافعيًّا ، تفقّه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي[٨] ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة ، وكانت له أحوال صالحة .

ماراه مرةً رجلٌ[٩] يقال له : ابنُ السَّقّاء في مسألة . فقال له : اسكت ، فإني أجد في كلامك رائحة الكفر ، ولعلك أن تموت على غير دين الإسلام ، فاتفق بعد مدة[١٠] أن خرج ابنُ السَّقَّاء إلى بلاد الروم في حاجة ، فتنصّر هنالك[١١] . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا .

---

(١) المنتظم (٩/ ١٦٩) .
(٢) في المنتظم (٩/ ١٧٠) : وسأله قبيل الموت بعض أصحابه : أوصني .
(٣) بعدها في ط : منها .
(٤) هو أبو بكر الشاشي من وفيات سنة ٥٠٧ في هذا الجزء .
(٥) سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٣٥ من هذا الجزء .
(٦) في ب : العام .
(٧) ليست اللفظة في ط .
(٨) تقدمت ترجمته مع وفيات سنة ٤٧١ .
(٩) في ط : جاراه رجل مرة .
(١٠) في ط : بعد حين .
(١١) في ط : هناك .

وقام إليه مرةً ، وهو[1] يعِظ الناس ابنا أبي بكر الشاشي ، [فقالا له : إن كنتَ تتكلم على مذهب الأشعري ، وإلا فاسكت ، فقال : لامُتِّعتُما بشبابكما ، فماتا شابين][2] ولم يبلغا سنَّ الكهولة .

● وحجّ بالناس ، [في هذه السنة][3] ، أمير الجيوش نظر[4] الخادم ، ونالهم عطش شديد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد ، أبو العلاء الخطيب النيسابوري[5] :

سمع الحديث الكثير ، وولي الخطابة بعد أبيه والتدريس والتذكير . وكان أبو[6] المعالي الجويني[7] يثني عليه ، وقد ولي قضاء خوارزم .

محمد بن موسى بن عبد الله ، أبو عبد الله البَلَاسَاغُوني[8] **التركي**[9] **الحنفي ، ويعرف باللامشي**[10] :

أورد عنه ابن عساكر حديثاً ، وذكر أنه ولي قضاء بيت المقدس ، فشكوا منه ، فعزل عنه . ثم ولي قضاء دمشق . وكان غالياً في مذهب أبي حنيفة ، وهو الذي رتّب الإمامة مثنى . قال : إلى أن أزال الله ذلك بدولة الملك صلاح الدين . قال : وكان قد عزم على نصب إمام حنفي بالجامع ، فامتنع أهل دمشق من ذلك ، وامتنعوا من الصلاة خلفه ، وصلّوا بأجمعهم في دار الخيل ، وهي التي قبلي الجامع ، مكان المدرسة الأمينية وما يجاورها ، وحدّها الطرقات الأربعة .

وكان يقول : لو كانت لي ولاية لأخذت من الشافعية[11] الجزية ، وكان مبغضاً لأصحاب مالك أيضاً . قال : ولم تكن سيرته في القضاء محمودة .

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش ب .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ما بين الحاصرتين في ط : فيها .
(٤) في ط : بظر ، وهو تصحيف .
(٥) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٧٢) وابن الأثير (٨/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٧٨) .
(٦) ليست اللفظة في ب .
(٧) تقدمت ترجمته مع وفيات سنة ٤٧٨ من الجزء السابق .
(٨) أقول : في ط : البلاساعوني بالعين المهملة . وفي تاريخ الإسلام و« دول الإسلام » للذهبي : البلاشاغوني بالشين والغين المعجمتين ، وانظر تعليق الدكتور بشار على تاريخ الإسلام .
(٩) في معجم البلدان : يعرف بالترك .
(١٠) ترجمته في معجم البلدان (بلا ساغون) ، وتاريخ دمشق (٥٦/ ٧٦) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٢ ـ ٨٣) وبلاساغون : بلد عظيم في ثغور الترك ، وراء نهر سيحون ، قريب من كاشغر . واللامشي نسبة إلى لامش وهي من قرى فرغانة المتاخمة لبلاد الترك .
(١١) في (ط) : أصحاب الشافعي . وما هنا من (ب) وتاريخ دمشق وتاريخ الإسلام للذهبي .

وكانت وفاته يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ست وخمسمئة ، وقد شهدتُ جنازته وأنا صغير في الجامع[١] .

المعمَّر [بن عليّ][٢] بن المعمَّر ، أبو سعد بن أبي عمامة[٣] الواعظ[٤] :

كان فصيحاً بليغاً ماجناً ظريفاً ذكيًّا . له كلمات في الوعظ حسنة ، ورسائل مسموعة مستحسنة . توفي في ربيع الأول [من هذه السنة][٥] ، ودفن بباب حرب[٦] .

أبو علي المغربي[٧] :

كان زاهداً عابداً ، وربما[٨] يتقوّت بأدنى شيء ، ثم عنّ له أن يشتغل بعلم الكيمياء ، فأُخذ إلى دار الخلافة ، فلم يظهر له خبر بعد ذلك .

نزهة ، أم ولد الخليفة المستظهر بالله[٩] :

وكانت سوداء محتشمة كريمة النفس . توفيت يوم الجمعة ثاني شوال من هذه السنة[١٠] .

---

(١) هذه الترجمة ساقطة من آ .

(٢) ما بين الحاصرتين لا بد منه ، وهو في مصادر ترجمته (بشار) .

(٣) في آ : أبو سعيد بن أبي عناية ، وهو تصحيف . أقول : وفي المطبوع : أبو سعد بن أبي عمار . (ع) .

(٤) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٧٣) وابن الأثير (٨/ ٢٦٥) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٣) ، والعبر (٤/ ١١) وفي ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١٠٧ ـ ١١٠) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٢٤) .

(٥) مكان ما بين الحاصرتين في ط : منها .

(٦) باب حرب إحدى مقابر بغداد بجانب محلة الحربية . دفن فيها كبار العلماء من مثل ، أحمد بن حنبل ، والخطيب البغدادي ، وغيرهما . معجم البلدان (باب حرب ـ الحربية) .

(٧) خبره في المنتظم (٩/ ١٧١) ، والكامل لابن الأثير (٨/ ٢٦٥) .

(٨) ليست اللفظة في ب ، ط .

(٩) بعدها في آ ، ب : المتقي لأمر الله .

(١٠) تأتي بعد هذا في (ط) وبعض النسخ التي نقلت من أصل واحد على ما يبدو ترجمة أبي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني صاحب « الأنساب » وغيره ، ولا محل لمثل هذه الترجمة في هذا الموضع ، فأبو سعد توفي سنة ٥٦٢ وذكره بعضهم في سنة ٥٦٣ ، وفيها سيترجمه المؤلف . ولا يشك عاقل بأن هذه الترجمة مقحمة هنا من النساخ ، فرجل مثل ابن كثير لا يخفى عليه مثل ذلك ، ولو كان يعتقد بوفاته هنا لما ترجمه هناك ، ثم يلاحظ أن ابن كثير غالباً ما يرتب المترجمين في السنة الواحدة على حروف المعجم ، وقد أنهى السنة بترجمة نزهة أم ولد الخليفة ، كما ترى . كما يلاحظ أن هذه السنة هي سنة مولد أبي سعد السمعاني لا وفاته ، لذلك حذفنا الترجمة من هذا الموضع (بشار) .

ثم دخلت سنة سبع وخمسمئة

• فيها : كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج في أرض طبرية ، كان فيها ملك دمشق الأتابك طُغْتِكين[١] ، وفي خدمته[٢] صاحب سنجار ، وصاحب ماردين ، وصاحب الموصل ، فهزموا الفرنج هزيمة فاضحة ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وغنموا منهم أموالاً جزيلة ، وملكوا تلك النواحي [كلها ، ولله الحمد والمنة][٣] ثم رجعوا إلى دمشق .

فذكر ابن الساعي في « تاريخه » مقتل الملك مودود صاحب الموصل في هذه السنة ؛ قال : صلّى هو والأتابك[٤] طغتكين يوم الجمعة بالجامع ، ثم خرجا إلى الصحن ، ويد كل واحد منهما في يد الآخر ، فطفر[٥] باطني على مودود فقتله ، رحمه الله ، ويقال : إن طغتكين هو الذي كان قد مالأ[٦] عليه ، فالله أعلم . وجاء في كتاب من الفرنج إلى المسلمين وفيه : إنَّ أمةً قتلت عميدها[٧] في يوم عيدها في بيت معبودها ، فحقيق على الله أن يبيدها .

• وفيها : ملك حلب ألب أرسلان بن رضوان بن تُتُش بعد أبيه وقام بأمر السلطنة[٨] بين يديه[٩] لؤلؤ الخادم ، فلم يبق معه سوى الرسم .

• وفيها : فُتح المارستان الذي ابتناه[١٠] كمشتكين الخادم ببغداد .

• وحج بالناس زنكي بن برسق[١١] .

---

(١) له ترجمة في هذا الجزء في وفيات سنة ٥٢٢ .
(٢) في ط : ومعه .
(٣) ليس ما بين الحاصرتين في آ .
(٤) في ط : والملك .
(٥) في آ : فظفر .
(٦) اللفظة مصحفة في آ .
(٧) اللفظة مصحفة في آ .
(٨) في ط : سلطنته .
(٩) عبارة : بين يديه . لم ترد في ط .
(١٠) في ط : أنشأه .
(١١) في آ : زنكي بن يوسف .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن الحافظ أبي بكر أحمد[١] بن الحسين البيهقي[٢] :

سمع الكثير وتنقّل في البلاد ، ودرّس بمدينة خوارزم . وكان فاضلاً من أهل الحديث ، مرضيَّ الطريقة . وكانت وفاته ببلدة بيهق في هذه السنة .

شجاع بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن فارس ، أبو غالب الذهلي الحافظ[٣] :

سمع الحديث[٤] الكثير ، وكان فاضلاً في هذا الشأن ، شرع في تتميم التاريخ للخطيب ، ثم غسله . وكان يكثر من الاستغفار والتوبة ، لأنه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرّات . توفي في هذا العام عن سبع وسبعين سنة .

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسين بن منصور بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عُتْبَة بن عَنْبَسَة بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأُموي ، أبو المظفر بن أبي العباس الأَبِيوَرْدِي[٥] الشاعر :

وكان عالماً باللغة والأنساب . وسمع الكثير .

وصنف « تاريخ أبيورد » ، و « أنساب العرب » . وله كتاب في المؤتلف والمختلف ، وغير ذلك .

وكان ينسب إلى الكِبْر والتِّيه الزائد ، حتى إنه[٦] كان يدعو في صلاته فيقول[٧] : اللَّهُمَّ ملِّكْني مشارق الأرض ومغاربها . وكتب مرة إلى الخليفة : « الخادم المعاوي » فكشط الخليفة الميم فبقيت : « العاوي » .

ومن شعره[٨] [من الطويل] :

---

(١) ليست اللفظة في ب ، ط .

(٢) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٧٥) وابن الأثير (٨/ ٢٦٧) والمختصر في أخبار البشر (١/ ٢٢٧) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٧) .

(٣) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٧٦) وابن الأثير (٨/ ٢٦٧) والعبر (٤/ ١٣) ومرآة الجنان (٣/ ١٩٤) .

(٤) ليست اللفظة في ب ، ط .

(٥) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٧٦ ـ ١٧٧) ومعجم الأدباء (١٧/ ٢٢٤) وابن الأثير (٩/ ٢٦٧) والمحمدون (٤١/ ٤٦) وإنباه الرواة (٣/ ٤٩) ومرآة الزمان (٨/ ٢٩) وفيات الأعيان (٤/ ٤٤٤ ـ ٤٤٩) والمختصر (١/ ٢٢٧) والعبر (٤ :/ ١٤) والوافي (٢/ ١٩) ومرآة الجنان (٣/ ١٩٦) .

(٦) ليست اللفظة في ط .

(٧) ليست اللفظة في ط .

(٨) البيتان في : المحمدون من الشعراء ، ووفيات الأعيان والمختصر ، والشذرات (٤/ ١٩) .

تنكَّـرَ لـي دَهْـري وَلَـمْ يَـدْرِ أَنَّنـي ... أَعِــزُّ وَأَحْــداثُ الــزَّمــانِ تَهُــونُ
وَظَلَّ يُريني الدَّهْرُ كَيْفَ اعْتِداؤُهُ[١] ... وَبِــتُّ أُريــهِ الصَّبْــرَ كَيْــفَ يَكُــونُ

محمد بن طاهر[٢] بن علي بن أحمد ، أبو الفضل المقدسي[٣] الحافظ :

ولد سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمئة . وأول سماعه سنة ستين . وسافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة ، وسمع كثيراً . وكانت[٤] له معرفة جيدة بهذه الصناعة .

وصنّف كتباً مفيدة ، غير أنه صنف كتاباً في إباحة السماع ، وفي التصوف ، وساق[٥] فيه أحاديث منكرة جدًّا ، وأورد أحاديث صحيحة في غيره[٦] .

وقد أثنى على حفظه غير واحد من الأئمة .

وذكر ابن الجوزي[٧] هذا الذي سمّاه (صفة التصوّف) وقال : يضحك منه مَنْ رآه . قال : وكان داووديَّ المذهب ، فمن أثنى عليه فلأجل[٨] حفظه للحديث ، وإلاَّ فما يُجَرَّح[٩] به أولى .

قال : وذكره أبو سعد السمعاني ، وانتصر له بغير حجة ، بعد أن قال : سألت عنه شيخنا إسماعيل ابن أحمد الطلحي[١٠] فأساء[١١] الثناء عليه ، وكان يسيء[١٢] الرأي فيه .

قال : وسمعنا أبا الفضل بن ناصر[١٣] يقول : محمد بن طاهر لا يحتج به ، صنف في جواز

---

(١) في ط : اعتداده . وما هنا عن آ ، وهو يوافق ما في مصادره .
(٢) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٧٧ ـ ١٧٩) ومعجم البلدان (مقدس) ، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٨٧) وميزان الاعتدال (٣/ ٥٨٧) وتذكرة الحفاظ (١٢٤٢) والعبر (٤/ ١٤) والوافي (٣/ ١٦٦) ومرآة الجنان (٣/ ١٩٥) . وتضيف بعض هذه المصادر إلى اسمه (المعروف بابن القَيْسَراني) .
(٣) في آ : القرشي . تصحيف .
(٤) في ط : وكان .
(٥) في آ : واستعمل .
(٦) في آ : في غير كتبهما .
(٧) في ط : في كتابه .
(٨) في ط : فمن أثنى عليه أثنى لأجل حفظه للحديث .
(٩) في آ : فما يخرج .
(١٠) سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٣٥ من هذا الجزء .
(١١) في ط : فأكثر .
(١٢) في ط : وكان سيء الرأي .
(١٣) سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٥٠ من هذا الجزء .

النظر للأمرد . وكان يذهب مذهب الإباحية[(١)] . ثم أورد له من شعره قوله : [من البسيط]

دَعِ التَّصَوُّفَ والزُّهْدَ الذي اشْتَغَلَتْ ... بـه جَـوارِحُ[(٢)] أَقْـوَامٍ مِـنَ النَّـاسِ
وَعُـجْ عَلَـى دَيْـرِ دَارَيّـا فـإِنَّ بـهِ ... الـرُّهْبَـانَ مـا بيـن قِسِّيـسٍ وشَمّـاسِ
وَٱشْـرَبْ مُعَتَّقَـةً مِـنْ كَـفِّ كـافِـرَةٍ ... تَسْقِيكَ خَمْرَيْنِ من لَحْظٍ ومن كاسِ
ثُـمَّ اسْتَمِـعْ رَنَّـةَ الأَوْتَـارِ مِـنْ رَشَـأٍ ... مُهَفْهَـفٍ طَـرْفُـهُ أَمْضَـى مِـنَ المـاسِ
غَنَّى بشعر امرئٍ في النَّاسِ مُشْتَهِرٍ ... مُـدَوَّنٍ عِنْـدَهُـم فِـي صَـدْرِ قِـرْطـاسِ
(لَـوْلاَ نَسِيـمٌ بَـدَا مِنْكُـمْ يُـرَوِّحُنِـي ... لكُنْتُ مُحْتَرِقاً[(٣)] مِنْ حَرِّ أَنْفَاسي)

ثم قال السمعاني : لعله قد تاب عن هذا كله .

قال ابن الجوزي : وهذا غير مرضي أن يذكر جرح الأئمة فيه ثم يعتذر عن ذلك باحتمال توبته[(٤)] .

وذكر ابن الجوزي : أنه لما احتُضِر جعل يردّد هذا البيت ويقول[(٥)] : [من المتقارب]

وَمَـا كُنْتُـمُ تَعْـرِفُـونَ الجَفَـا ... فَمِمَّـنْ تُـرى قَـدْ تَعَلَّمْتُـمُ

ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد [في ربيع الأول][(٦)] من هذه السنة .

أبو بكر الشاشي[(٧)] صاحب المستظهري محمد بن أحمد بن الحسين بن [عمر ، أبو بكر][(٨)] الشاشي :

أحد أئمة الشافعية في زمانه . ولد في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمئة . وسمع الحديث على أبي يعلى بن الفراء ، وأبي بكر الخطيب ، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وتفقه عليه وعلى غيره ، وقرأ « الشامل » على مصنفه ابن الصباغ[(٩)] ، واختصره في كتابه الذي جمعه للمستظهر بالله ، وسماه (حلية

---

(١) قال الذهبي معتذراً : « يعني في النظر إلى الملاح ، وإلا فلو كان يذهب إلى إباحة مطلقة لكان كافراً ، والرجل مسلم متبع للأثر سني ، وإن كان قد خالف في أمور مثل جواز السماع ، وقد صنف فيه مصنفاً ليته لا صنفه » (تاريخ الإسلام : ١١/ ٩٥) (بشار) .
(٢) في ط : خوارج .
(٣) في آ : محترق .
(٤) هذا جزء من حملة ابن الجوزي على أبي سعد السمعاني ، وأين ابن الجوزي من أبي سعد وعلمه (بشار) .
(٥) ليست اللفظة في ب ، ط .
(٦) ليس ما بين الحاصرتين في آ .
(٧) ترجمته في تبيين كذب المفتري (٣٠٦) والمنتظم (٩/ ١٧٩) وابن الأثير (٨/ ٢٦٨) والروضتين (١/ ٢٩) ووفيات الأعيان (٤/ ٢١٩ ـ ٢٢١) والعبر (٤/ ١٣) والوافي ٢٠/ ٧٣) ومرآة الجنان (٣/ ١٩٤) .
(٨) ليس ما بين الحاصرتين في ط .
(٩) هو أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر المعروف بابن الصباغ . تقدمت ترجمته مع وفيات سنة ٤٧٧ من الجزء السابق .

العلماء بمعرفة مذاهب الفقهاء) ويعرف بالمستظهري . وقد درّس بالنظامية[١] ببغداد ، ثم عزل عنها .

وكان ينشد : [من الوافر]

تَعَلَّمْ يا فَتَى والعُودُ غَضٌّ ... وطِينُكَ لَيِّنٌ والطَّبْعُ قابِلْ
فَحَسْبُكَ يا فَتىً شَرَفاً وَفَخْراً ... سُكُوتُ الحَاضِرينَ وأَنْتَ قَائِلْ

توفي سَحَرَ يوم السبت الحادي عشر من شوال من هذه السنة ، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق بباب أبرز .

المؤتمن بن أحمد بن علي بن الحسين بن عُبيد الله ، أبو نصر الساجي المقدسي[٢] :

سمع الحديث الكثير ، وخرّج ، وكان ثقة[٣] صحيح النقل ، حسن الخطّ ، مشكور السيرة ، لطيف[٤] النفس . اشتغل في الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي مدة ، ورحل إلى أصبهان وغيره [من البلاد][٥] ، وهو معدود من جملة الحفّاظ ، ولا سيما المتون .

وقد تكلّم فيه محمد بن طاهر .

قال ابن الجوزي[٦] : وهو أحق منه بذلك ، وأين الثُّريَّا من الثَّرى .

وكانت وفاة[٧] المؤتمن يوم السبت ثامن[٨] عشر صفر [من هذه السنة][٩] ، ودفن بباب حرب .

---

(١) ذكر ابن خلكان نقلاً عن أبي هلال الصابي في تاريخه : أن نظام الملك لما فتح مدرسته ببغداد سنة تسع وخمسين وأربعمئة أمر أن يكون المدرس بها أبا إسحاق الشيرازي ، ولكنه لم يحضر ، فأرسل إلى أبي نصر بن الصباغ فأحضر ورتب بها مدرساً ، وظهر أبو إسحاق في مسجده ، فراسله أصحابه : إن لم يدرس بها مضوا إلى ابن الصباغ وتركوه . فأجاب إلى ذلك ، وعزل ابن الصباغ بعد عشرين يوماً ، ولما مات أبو إسحاق تولّى أبو سعد المتولي ثم صرف في سنة ٧٦ وأعيد ابن الصباغ ، ثم صرف في سنة ٧٧ وأعيد أبو سعد إلى أن مات .

(٢) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٧٩ ـ ١٨٠) وعند ابن الأثير (٨/ ٢٦٨) وتاريخ دمشق (٦٠/ ٣٨٤) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ١٠٤) وفي العبر (٤/ ١٥) ومرآة الجنان (٣/ ١٩٧) .

(٣) ليست اللفظة في ط .

(٤) في ط : لطيفاً .

(٥) ليس ما بين الحاصرتين في ط .

(٦) المنتظم (٩/ ١٨٠) .

(٧) في ط : توفي .

(٨) في ط : ثاني .

(٩) مكان ما بين الحاصرتين في ط : منها .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وخمسمئة

فيها : وقع حريق عظيم ببغداد .

وفيها[١] : كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة ، سقط[٢] منها ثلاثة عشر برجاً من الرُّها[٣] ، وبعض سور حرّان[٤] ، ودور كثيرة في بلاد شتى ، فهلك من أهلها نحوٌ من مئة ألف ، ومن بالس[٥] نحوٌ من مئة دار ، وقلب بنصف قلعتها ، وسلم نصفها . وخسف بمدينة سُمَيْساط[٦] ، وهلك تحت الردم خلق كثير ، [فإنّا لله وإنّا إليه راجعون][٧] .

وفيها : قتل[٨] صاحب حلب تاج الدولة أَلْب أَرْسلان[٩] بن رضوان بن تُتُش ، قتله غلمانه ، وقام من بعده أخوه سلطان شاه بن رضوان .

وفيها : ملك السلطان سنجر بن ملكشاه بلاد غَزْنَة[١٠] ، وخطب له فيها بعد مقاتلة عظيمة وأخذ منها أموالاً كثيرة ، لم يُرَ مثلُها ، من ذلك : خمسة تيجان ، قيمة كلّ تاج منها ألف ألفِ دينار ، وسبعة عشر سريراً من ذهب وفضة ، وألف وثلاثمئة قطعة مصاغ مرصعة . فأقام بها أربعين يوماً ، وقُرِّر في ملكها بَهْرام شاه رجل من بيت بني سُبُكْتِكين ، ولم يُخْطَب بغزنة قبل السلطان سنجر من السلجوقية لأحد ، [وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وسنة ، لا يجسر أحد من الملوك عليهم ، ولا يطيق أحد مقاومتهم ، وهم بنو سُبُكْتِكين][١١] .

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) في ط : هدّمت . وسترد في هذا الخبر خلافات كثيرة بين ط والنسختين المخطوطتين . وقد أعرضت عنها لكثرتها ، واكتفيت بذكر خلافات النسختين فقط .

(٣) الرُّها : بضم أوله ، والمد ، والقصر : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ كما في معجم البلدان (الرهاء) .

(٤) في ط : خراسان ، وهو تصحيف لأن خراسان بعيدة جدًّا عن الجزيرة ، وأما حَرَّان فكما يقول ياقوت هي من مدن الجزيرة ، بينها وبين الرقة يومان على طريق الموصل والشام والروم .

(٥) ليست عبارة : من بالس . في ب ، وبالس : بلدة بين حلب والرقة كما في معجم البلدان (بالس) .

(٦) سُمَيْساط : مدينة على شاطئ الفرات الغربي من طرف بلاد الروم . معجم البلدان .

(٧) ليس ما بين الحاصرتين في ط .

(٨) ليست اللفظة في ب .

(٩) ترجمته في مختصر ابن عساكر (٥/ ٢٢) وعند ابن الأثير (٨/ ٢٧١) ومختصر أبي الفداء (٢/ ٣٢٨) وفي العبر (ط الكويت ٤/ ١٦) وبيروت (٢/ ٣٩٢) والشذرات (٤/ ٢٢) .

(١٠) « غزنة » : مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي الحد بين خراسان والهند . قال ياقوت : وهي كانت منزل بني محمد بن سبكتكين إلى أن انقرضوا . معجم البلدان : غزنة .

(١١) ما بين الحاصرتين زيادة من ط .

وفيها : ولي السلطان محمد للأمير آقسُنْقُر البُرْسُقي[(١)] الموصل وأعمالَها ، وأمره بمقاتلة الفرنج ، فقاتلهم في أواخر هذه السنة ، فأخذ منهم الرُّها وخرّبها[(٢)] وسَرُوج[(٣)] وسُمَيْسَاط ونهب مَارِدِين[(٤)] ، وأسر ابن ملكها إياز إيلغازي . فأرسل السلطان محمد إليه [مَنْ يتهدّده ، ففرّ منه إلى طُغْتِكين صاحب دمشق ، واتفقا على عصيان السلطان محمد][(٥)] ، فجرت بينهما وبين نائب حمص قراخان[(٦)] بن قراجة حروب[(٧)] كثيرة ثم اصطلحوا .

وفيها : ملكت زوجة [صاحب][(٨)] مَرْعَش[(٩)] الإفرنجية بعد وفاة زوجها ، لعنهما الله .

وحجَّ بالناس فيها أمير الجيوش أبو الخير يُمْن الخادم ، وشكر الناس حجَّهم معه .

ثم دخلت سنة تسع وخمسمئة

فيها : جهَّز السلطان غياث الدين محمد [بن ملكشاه][(١٠)] صاحب العراق جيشاً كثيفاً مع الأمير بُرْسُق [بن بُرْسُق][(١١)] إلى إيلغازي صاحب ماردين ، وإلى طُغْتِكِين صاحب دمشق[(١٢)] ، ليقاتلهما على عصيان[(١٣)] السلطان وقطع خُطبته ، وإذا فرغ من ذلك صمد[(١٤)] لقتال الفرنج . فلما اقترب الجيش من بلاد الشام هرب صاحب ماردين وصاحب دمشق وتحيزا إلى الفرنج ، وجاء الأمير بُرْسُق إلى كَفَرْطاب ففتحها عَنوة ، وأخذ ما كان فيها من النساء والذرية .

---

(١) ترجمته عند ابن الأثير في مواضع مختلفة في الجزء التاسع ، وفي وفيات الأعيان (١/ ٢٤٢) ومعجم الألقاب (٤/ ٣/ ٥٨٨) .

(٢) في آ : ومر بها وفي ط : حريمها . وكلاهما تصحيف وما أثبته من ب .

(٣) في ط : بروج . و هو تصحيف . وسَروج بفتح أوله : بلدة قريبة من حرّان من دار مضر ، وهي التي يعيد الحريري في ذكرها ويبدي في مقاماته . معجم البلدان (سروج) .

(٤) مارِدين : قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرف على دُنَيْسِر ودارا ونصيبين . معجم البلدان .

(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك في هامش آ .

(٦) اللفظة مصحفة في آ . وهي في ط : قرجان بن قراجة ، وفي مختصر أبي الفداء (٢/ ٢٢٧) : قيرخان بن قراجا .

(٧) في آ : حرب ، وليست اللفظة في ب .

(٨) ليست اللفظة في الأصلين ولا في ط ، وقد استدركتها عن ابن الأثير (٨/ ٢٦٩) .

(٩) « مَرْعَشُ » : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم . معجم البلدان .

(١٠) عن ط وحدها .

(١١) ليس في ط ، ولا بد منها .

(١٢) ط : إلى صاحب دمشق طغتكين وإلى أقسنقر البرشقي ليقاتلهما لأجل عصيانهما عليه .

(١٣) آ : على تماليهما على عصيان السلطان .

(١٤) ط : عمد .

وجاء صاحب أنْطاكية[١] في خمسمئة فارس وألفي راجل، فكبس المسلمين، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وأخذ أموالاً كثيرة[٢] جزيلة. وهرب بُرْسُق في طائفة قليلة[٣] من الناس، وتمزّق الجيش الذي كان معه شذَر مذَر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي ذي القَعدة منها قدم [الملك غياث الدين][٤] محمد إلى بغداد، وجاء إليه طُغْتكين صاحب دمشق معتذراً إليه، فخلع عليه[٥]، ورضي عنه، ورده إلى عمله.

ومِمن توفي فيها من الأعيان:

إسماعيل بن محمد بن أحمد بن مَلَّة[٦]، أبو عثمان الأصبهاني[٧]:

أحد الرَّحَّالين في طلب الحديث. وقد وعظ في جامع المنصور ثلاثين مجلساً. واستملى عليه محمد بن ناصر. توفي بأصبهان.

مُنْجِب بن عبد الله المستظهري[٨]، أبو الحسن الخادم: كان كثير الصلاح والعبادة. وقد أثنى عليه محمد بن ناصر، وقال: وقف على أصحاب الحديث [كتباً منها مسند الإمام أحمد بن حنبل][٩].

هبة[١٠] الله بن المبارك بن موسى، أبو البركات السَّقَطي[١١]:

سمع الكثير، ورحل فيه[١٢]، وكان فاضلاً عارفاً باللغة. ودفن بباب حرب.

---

(١) ط: صاحب أنطاكيه رويجل.
(٢) عن ب وحدها.
(٣) ب: كثيرة. واستدركت الرواية الثانية في هامشها.
(٤) ط: السلطان.
(٥) آ: إليه.
(٦) ط: بن علي.
(٧) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٨٣) وابن الأثير (٨/ ٢٧٣) والعبر (٤/ ١٨) ومرآة الجنان (٣/ ١٩٨) وذيل ابن رجب (١/ ١١١ ـ ١١٢).
(٨) ترجم له ابن الجوزي في المنتظم (٩/ ١٨٣) وفيه: منتخب بن عبد الله أبو الحسن الدوامي المستظهري.
(٩) ما بين المعقوفتين مستدرك عن المنتظم، ومكانها في ط: وقفاً.
(١٠) ط: عبد.
(١١) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٨٣) وابن الأثير (٨/ ٢٧٣) والعبر (٤/ ١٩) ومرآة الجنان (٣/ ١٩٨) وذيل ابن رجب (١/ ١١٤).
(١٢) قال ابن الجوزي: ادعى سماعاً ممن لم يره، منهم أبو محمد الجوهري، فإنه لا يحتمل سنه السماع منه. وسئل شيخنا ابن ناصر عنه فقالوا: أثقة هو؟ فقال: لا والله، حدث بواسط عن شيوخ لم يرهم، فظهر كذبه عندهم.

يحيى بن تميم[١] **بن المَعِزّ بن باديس ، صاحب إفريقية :**

كان من خيار الملوك ، عارفاً ، حسن السيرة ، محبّاً للفقراء والعلماء ، له عليهم[٢] أرزاق . وكان عمره ثنتين وخمسين سنة[٣] . وترك ثلاثين ولداً . وقام بالأمر من بعده ولده علي رحمه الله تعالى آمين .

ثم دخلت سنة عشر وخمسمئة

فيها : وقع حريق عظيم[٤] ببغداد ، احترقت فيه دور كثيرة ، منها دار نور الهدى الزَّينبي[٥] ورباط بِهْروز[٦] ودار الكتب النظامية ، وسلمت الكتب لأن الفقهاء نقلوها .

وفيها : قتل صاحب مَراغة في مجلس السلطان محمد ، قتلته الباطنية .

وفي يوم عاشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة بمشهد علي بن موسى الرضا بمدينة طوس ، فقتل فيها خلق كثير .

وفيها : سار السلطان إلى فارس بعد موت نائبها ، خوفاً عليها من صاحب كَرْمان .

وحج بالناس أمير الجيوش أبو الحسن نظر الخادم ، وكانت سنةً مخصبة آمنة ، ولله الحمد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

البغوي[٧] **المفسّر**[٨] **المحدّث الفقيه** : وقيل : في سنة ست عشرة ، كما سيأتي ، والله أعلم .

---

(١) ترجمته عند ابن الأثير (٨/ ٢٧٣) ووفيات الأعيان (٦/ ٢١١ ـ ٢١٩) والعبر (٤/ ١٩) ومرآة الجنان (٣/ ١٩٨) .

(٢) في آ : ولهم عليه .

(٣) ط : مات وله اثنتان وخمسون سنة .

(٤) ليس في ط .

(٥) في المنتظم (٩/ ١٨٤) : دار نور الهدى أبي طالب الحسين بن محمد الزينبي . قلت : سترد ترجمته في حوادث سنة ٥١٢ من هذا الجزء .

(٦) ط : نهر زور . تصحيف .

(٧) ليست هذه الترجمة في غير آ .

(٨) هو الحسين بن مسعود بن محمد البغوي . اختلفت المصادر في سنة وفاته بين سنة ٥١٠ في وفيات الأعيان (٢/ ١٣٦) وسنة ٥١٦ في العبر (٤/ ٣٧) ومرآة الجنان (٣/ ٢١٣) وقد ذكره ابن كثير في السنتين .

علي بن أحمد بن محمد[(١)] بن بَيَان[(٢)] الرَّزاز[(٣)] :

آخر من حدث عن ابن مَخْلد بجزء[(٤)] الحسن بن عرفة ، وتفرّد بأشياء غيره أيضاً . وتوفي في هذه السنة عن سبع وتسعين سنة .

عقيل بن الإمام أبي الوفاء علي[(٥)] بن عقيل الحنبلي[(٦)] : كان شابًّا قد برع وحفظ القرآن، وكتب مليحاً، وفهم المعاني جيداً، ولما توفي تصبَّر أبوه[(٧)] عليه وتشكَّر، وأظهر التجلد ، فقرأ قارئ في العزاء : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾ [يوسف : ٧٨] الآية ، فبكى ابن عقيل بكاءً شديداً .

محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار ، أبو بكر السمعاني[(٨)] :

سمع الحديث[(٩)] ، وحدّث ، ووعظ بالنظامية ببغداد ، وأملى بمرو مئة وأربعين مجلساً . وكانت له معرفة تامة بالحديث . وكان أديباً شاعراً فاضلاً ، له قبول عظيم . توفي بمرو عن ثلاث وأربعين سنة .

محمد بن علي بن محمد ، أبو بكر النَّسوي الفقيه الشافعي[(١٠)] :

سمع الحديث ، وكانت إليه تزكية الشهود ببغداد . وكان فاضلاً ديناً ورعاً .

محمد بن أحمد بن طاهر بن حَمْد[(١١)] أبو منصور[(١٢)] الخازن[(١٣)] : فقيه الإمامية ومفتيهم بالكرخ ، وقد سمع الحديث من التنوخي وابن غيلان . وكانت وفاته في رمضان .

---

(١) جاءت هذه الترجمة في ب ، ط بعد ترجمة (عقيل) . وترجمته في المنتظم (٩/ ١٨٦) وابن الأثير (٨/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) وذيل تاريخ بغداد (٣/ ١٤٤) والعبر (٤/ ٢١) .

(٢) اللفظة مستدركة في هامش آ .

(٣) ط : ابن الرزاز وفي المنتظم : الوزان .

(٤) ليس في آ .

(٥) ليس في آ .

(٦) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٨٦ ـ ١٨٨) وذيل تاريخ بغداد (١/ ٢٨٨) .

(٧) عن ط وحدها .

(٨) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٨٨) وابن الأثير (٨/ ٢٧٧) والعبر (٤/ ٢٢ ـ ٢٣) ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٠) ، وهو والد أبي سعد .

(٩) ط : الكثير .

(١٠) ترجمته في التحبير للسمعاني (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١) والمنتظم (٩/ ١٨٨ ـ ١٨٩) وتاريخ الإسلام (١١/ ١٤٤) وقد تأخرت هذه الترجمة في آ إلى ما بعد ترجمة الخازن .

(١١) في (ط) : « أحمد » ، محرف ، وما هنا من آ ، ب وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ١٤١) .

(١٢) ترجمته في معجم الأدباء (١٧/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩) والمنتظم (٩/ ١٨٩) . قال بشار : ووقع في ط : « بن منصور » وهو تحريف ، والصواب ما أثبتنا (بشار) .

(١٣) « المنتظم » : يعرف بخازن دار الكتب القديمة .

محفوظ بن أحمد بن الحسن ، أبو الخطاب الكَلْوَذاني(١) :

أحد أئمة الحنابلة ومصنفيهم . سمع الكثير . وتفقه بالقاضي أبي يعلى . وقرأ الفرائض على الوَنّي(٢) . ودرّس وأفتى وناظر ، وصنف في الأصول والفروع . وله شعر حسن . وجمع قصيدة(٣) يذكر فيها اعتقاده ومذهبه يقول فيها : [من الكامل]

دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ الخَلِيطِ المُنْجِدِ وَالشَّوْقَ نَحْوَ الآنِسَاتِ الخُرَّدِ
وَالنَّوْحَ في تَذْكارِ(٤) سُعْدَى إنَّما تَذْكارُ سُعْدَى شُغْلُ مَنْ لَمْ يَسْعَدِ
وَاسمَعْ مَقَالي إنْ أَرَدْتَ تَخَلُّصاً يَوْمَ الحِسابِ وَخُذْ بَهَدْيِي(٥) تَهْتَدِ

وذكر تمامها(٦) ، وهي طويلة . وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، وصُلي عليه بجامع القصر وجامع المنصور ودفن بالقرب من الإمام أحمد(٧) .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمئة

وفي رابع عشر(٨) صفر منها انكسف القمر كسوفاً كليًّا .

وفي تلك الليلة هجم الفرنج على أرض(٩) حماة ، فقتلوا خلقاً كثيراً ، ورجعوا ـ لعنهم الله ـ إلى بلادهم(١٠) .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة ببغداد سقطت منها دور كثيرة بالجانب الغربي ، وغلت الغلاّت ببغداد في هذه السنة جدًّا .

---

(١) ترجمته في طبقات أبي يعلى (٢/ ٢٥٨) والمنتظم (٩/ ١٩٠) ومعجم البلدان (كلوا ذي) وابن الأثير (٨/ ٢٧٧) ومرآة الزمان (٨/ ٦٦) والعبر (٤/ ٢١) ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٠) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٣٣) وذيل ابن رجب (١/ ١١٦ ـ ١٢٦) .

(٢) هو الحسين بن محمد أبو عبد الله الوني . تقدمت ترجمته مع وفيات سنة ٤٥١ من الجزء السابق .

(٣) هذه الأبيات من قصيدة مؤلفة من اثنين وخمسين بيتاً في المنتظم (٩/ ١٩١ ـ ١٩٣) .

(٤) في المنتظم : أطلال .

(٥) ط : بقولي .

(٦) يعني : ابن الجوزي في المنتظم ، فهو ينقل منه .

(٧) آخر الورقة ٣٤٢/ب وفي زاويتها التعليقة التالية : الصفحة المواجهة مقابل هذا بياض صحيح . . . ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمئة .

(٨) ليس في ط ، والخبر في ابن الأثير (٨/ ٢٧٩) .

(٩) ب ، ط : ربض .

(١٠) ليس في ب .

وفيها : قُتل لؤلؤ[١] الخادم الذي كان قد استحوذ على مملكة حلب ، بعد موت أستاذه رضوان بن تُتُش ، قتله جماعة من الأتراك ، وكان قد خرج من حلب متوجهاً إلى جَعْبَر ، فتنادى جماعة من مماليكه وغيرهم في أثناء الطريق : أرنب أرنب ، فرموه بالسهام[٢] ، موهمين أنهم يصيدون أرنباً[٣] ، فقتلوه .

وفيها : كانت وفاة السلطان غياث الدين[٤] محمد بن ملكشاه بن أَلْب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ملك بلاد العراق وخراسان وغير ذلك من البلاد الشاسعة والأقاليم الواسعة ، وكان من خيار الملوك ، وأحسنهم سيرة ، عادلاً رحيم القلب ، سهل الأخلاق ، محمود العشرة ، رحمه الله .

لما حضرته الوفاة استدعى ولده محموداً ، وضمّه إليه ، وبكى كل منهما ، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة ، وعمره [إذ ذاك][٥] أربع عشرة سنة ، فجلس وعليه التاج والسواران ، وحكم . ولما توفي أبوه صرف الخزائن إلى العساكر ، وكان فيها أحد عشر[٦] ألف ألف دينار . واستقر المُلْكُ له[٧] ، وخُطب له ببغداد وغيرها من البلاد ، [وقد كان عمر أبيه السلطان محمد تسعاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياماً ، وقد كان يُخطب له ببغداد عدة مرات ، ونازعه أخوه بَرْكَيَارُوق ثم استقر المُلْك له إلى هذه السنة رحمه الله وأكرم مثواه][٨] .

وفيها : ولد[٩] الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقْسنقر ، صاحب حلب ودمشق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

القاضي المرتضى[١٠] : أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشَّهْرزوري والد القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضي دمشق ، إمام نور الدين .

اشتغل ببغداد ، وتفقّه بها . وكان شافعيَّ المذهب بارعاً ديّناً أديباً ، حسن النظم . ثم عاد إلى بلده ،

---

(١) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٩٤) وابن الأثير (٨/ ٢٧٩) .
(٢) ط : بالنشاب .
(٣) آ ، ب : يصيدونه صيداً .
(٤) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٩٦) وابن الأثير (/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ١٨٠) .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ط : إحدى عشر ألف . خطأ .
(٧) ليس في آ .
(٨) بدل ما بين الحاصرتين في ط : ومات السلطان محمد عن تسع وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياماً .
(٩) ترجمته في الكواكب الدرية في السيرة النورية (١٥) .
(١٠) ترجمته في الخريدة ـ شعراء الشام (٢/ ٣٠٨ ـ ٣٢١) وفيات الأعيان (٣/ ٤٩ ـ ٥٣) .

فكان يعظ ، ويتكلم على القلوب . وله قصيدة بارعة في علم التصوف ، أوردها[١] القاضي ابن خلكان بتمامها لحسنها وفصاحتها ، وأولها[٢] : [من الخفيف]

لمعت نارهم وقد عسعس الليـ ـل وملَّ[٣] الحادي وحار الدليل
فتأمَّلتها وفكري من البيـ ـن عليل ولحظ عيني كليل
وفؤادي ذاك الفؤاد المعنّى وغرامي ذاك الغرام الدَّخيل

ومن شعره[٤] : [من السريع]

يا ليل ما إن جئتكم زائراً إلا وجدت الأرض تُطوى لي
ولا ثنيت[٥] العزم عن بابكم إلا تعثَّرت[٦] بأذيالي

ومن شعره [دو بيت] :

يا قلب إلام لا يفيد النصح دع مزحك كم جنى عليك المزح
ما جارحة منك غذاها جرح ما تشعر بالخمار حتى تصحو

كانت وفاته في هذه السنة . قال ابن خلكان[٧] : وزعم العماد في الخريدة[٨] أنه توفي بعد العشرين ، فالله أعلم[٩] .

محمد بن سعيد بن نبهان ، أبو علي الكاتب[١٠] :

سمع الحديث ، وروى . وعُمِّر مئة سنة ، وتغيّر قبل موته . وله شعر حسن ، فمن ذلك قوله في قصيدة[١١] : [من السريع]

---

(١) تختلف العبارة بين الأصلين وط مما يصعب إثباته .
(٢) ليس في آ .
(٣) آ : ومد .
(٤) ط ، ب : وله .
(٥) آ : نفيت .
(٦) آ : تفترت .
(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٥٣) .
(٨) الخريدة ـ قسم الشام (٢/ ٣١٢) .
(٩) ذكره الذهبي في المتوفين سنة (٥٢١) من تاريخه (١١/ ٣٦٧ـ٣٦٨) (بشار) .
(١٠) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٩٥) وابن الأثير (٨/ ٢٨٠) والمحمدون من الشعراء (٤٨٥) والعبر (٤/ ٢٥) والوافي (٣/ ١٠٤) ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٣) وفي بعض هذه المصادر وفي ط : محمد بن سعد ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الذي بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ١٧٩) .
(١١) الأبيات في المنتظم (٩/ ١٩٥) وهي الأبيات الأخيرة من قصيدة مؤلفة من ٢٦ بيتاً في : المحمدون (٤٨٥ ـ ٤٨٧) .

لـــي أجـــل قـــدّره الله   نِعَـــم ورزقٌ أتـــوقّـــاه
حتى إذا استوفيت منه الذي   قـــد تـــم لـــي لا أتعـــدّاه
قـال كـرام كنـت أغشـاهـم   في مجلس قد[١] كنت أغشاه
صـار ابـن نبهـان إلـى ربـه   يـــرحمنـــا الله وإيـــاه

أمير الحاج يُمْن بن عبد الله ، أبو الخير المستظهري[٢] : كان جواداً كريماً مُمَدَّحاً ذا رأي وفطنة[٣] ثاقبة ، وقد سمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن طلحة النعالي بإفادة أبي نصر الأصبهاني . وكان يؤمُّ به في الصلوات . ولما قدم رسولاً إلى أصبهان حدث بها . واتفقت[٤] وفاته في ربيع الآخر من هذه السنة . ودفن هناك رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وخمسمئة

فيها : خُطب للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بأمر الخليفة المستظهر بالله .

وفيها : سأل دُبَيْس بن صدقة بن منصور الأسدي من السلطان محمود أن يردّه إلى الحِلَّة وغيرها مما كان أبوه يتولاه من[٥] الأعمال ، فأجابه إلى ذلك ، [وولاَّه ما كان أبوه يتولاه من ذلك][٦] ، فعظم وارتفع شأنه .

وفاة الخليفة المستظهر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن [أمير المؤمنين][٧] المقتدي بأمر الله . وكان خيّراً فاضلاً ذكيًا بارعاً ، كتب الخط المنسوب . وكانت أيامه ببغداد كأنها الأعياد ، وكان راغباً في البر والخيرات ، مسارعاً إلى ذلك ، لا يردّ سائلاً . وكان جميل المعاشرة[٨] ، لا يصغي إلى أقوال الوشاة في الناس ، ولا يثق بالمباشرين .

---

(١) ليس في ط .
(٢) ترجمته في المنتظم (٩/ ١٩٦) وتلخيص مجمع الآداب (٤/ ٢/ ١١٧٢) وتاريخ الإسلام (١١/ ١٨٤) : غرس الدين أبو الفضل يمن بن عبد الله العزيزي الأمير .
(٣) آ : وفتنة . خطأ .
(٤) آ : واتفق .
(٥) ليس في آ .
(٦) ليس في ط .
(٧) ليس في ط .
(٨) ط : العشرة .

قد ضبط أمور الخلافة جيداً وأحكمها وعرفها وعلمها ، ولديه علم كثير وفضل كبير . وله شعر حسن ، قد ذكرناه أولاً عند ذكر خلافته[١] بعد والده . وقد ولي غسله الإمام ابن عقيل[٢] وابن السَّيبي[٣] ، وصلى عليه ولده أبو منصور الفضل ، وكبَّر أربعاً ، ودفن في حجرة كان يسكنها . ومن العجب أنه لما مات السلطان ألب أرسلان مات بعده الخليفة القائم بأمر الله . ثم لما مات السلطان ملكشاه توفي بعده الخليفة المقتدي بأمر الله . ولما مات السلطان محمد مات بعده الخليفة المستظهر [بالله ، رحمهم الله . وكانت وفاة المستظهر بالله][٤] في سادسَ عشر ربيع الآخر[٥] من هذه السنة ، وله من العمر إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً .

خلافة المسترشد[٦] بالله

أمير المؤمنين ، أبو منصور الفضل بن المستظهر . لما توفي أبوه ، كما ذكرنا ، بويع له بالخلافة ، وخُطب له على المنابر . وقد كان ولي العهد من مدة ثلاث وعشرين سنة . وكان الذي أخذ البيعة له قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني[٧] .

ولما استقرّت البيعة للمسترشد[٨] هرب أخوه أبو الحسن في سفينة ، ومعه ثلاثة أنفار ، وقصد دُبَيْس ابن صدقة بن منصور بن دُبَيس بن علي بن مَزْيَد الأسدي بالحلّة ، فأكرمه وأحسن إليه ، فقلق أخوه الخليفة المسترشد بالله[٩] [من ذلك ، فراسل دُبَيْساً في][١٠] ذلك مع نقيب النقباء الزَّينبي ، فهرب أخو الخليفة من دُبَيْس ، فأرسل إليه جيشاً فألجؤوه إلى البرِّيّة فلحقه عطش شديد ، فلقيه بدويّان ، فسقياه ماءً ، وحملاه إلى بغداد ، فأحضره أخوه إليه ، فاعتنقا وتباكيا ، وأنزله الخليفة داراً كان يسكنها قبل الخلافة ،

---

(١) في سنة ٤٨٧ من الجزء السابق من هذا الكتاب .

(٢) هو أبو الوفاء علي بن عقيل ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥١٣ من هذا الجزء .

(٣) هو أحمد بن عبد الوهاب وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥١٤ من هذا الجزء .

(٤) مكان الحاصرتين في ب ، ط : هذا .

(٥) هذا خطأ بيّن تابع فيه المؤلف ابن الأثير في الكامل ، والصواب أنه توفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر ، كما ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ١٨٦) وغيره . ويقوي ذلك ويؤكده قول ابن الجوزي في المنتظم عند كلامه على بيعة ابنه المسترشد ، قال : « وكانت بيعته بكرة الخميس الرابع والعشرين من ربيع الآخر . . . » (المنتظم ٩/ ١٩٧) (بشار) .

(٦) ترجمته وأخباره في الكامل لابن الأثير (٨/ ٢٨١ ـ ٣٤٩) والعبر (٤/ ٧٧) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٥) .

(٧) آ : ابن الدامغاني .

(٨) ط : له .

(٩) عن آ وحدها .

(١٠) ب : إلى .

وأحسن إليه ، وطيّب نفسه . وكانت مدة غيبته عن بغداد أحد[١] عشر شهراً . واستقرّت الخلافة بلا منازعة للمسترشد .

[وفي هذه السنة][٢] كان غلاءٌ شديد ببغداد ، وانقطع الغيث ، وعدمت الأقوات ، وتفاقم أمر العيّارين ببغداد ، ونهبوا الدور[٣] نهاراً جهاراً . ولم يستطع الشرط[٤] لذلك تغييراً ولا إنكاراً[٥] .

وحج بالناس في هذه السنة نَظَر الخادم .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الإمام[٦] الخليفة المستظهر[٧] بالله [أبو العباس أحمد][٨] : كما تقدم ذكر ذلك آنفاً في هذا العام .

[أُرْجوان الأرمنية][٩] : وتوفيت بعده جدته أم أبيه المقتدي بأمر الله أُرْجُوان الأرمنية ، وتدعى قرة العين . وكان لها بِرٌّ كثير ، ومعروف ، وصدقات . وقد حجت ثلاث حجات ، أدركت خلافة ابنها المقتدي بأمر الله ، وخلافة ابنها المستظهر ، وخلافة ابنه المسترشد ، ورأت للمسترشد ولداً . وكانت وفاتها في هذه السنة ، رحمها الله تعالى .

بكر بن محمد بن علي بن الفضل ، أبو الفضل الأنصاري[١٠] :

روى الحديث . وكان يضرب به المثل في حفظ مذهب أبي حنيفة . وكان قد تفقّه على عبد العزيز بن أحمد[١١] الحَلْوائي[١٢] ، وكان يذكر الدرس[١٣] في أي موضع سُئل من غير مطالعة ولا مراجعة ، وربما

---

(١) ط : إحدى .
(٢) ط : وفيها .
(٣) آ ، ب : الديارات .
(٤) آ ، ب : الشرطة .
(٥) ط : الشرط دفع ذلك .
(٦) ليس في ط .
(٧) أخباره وترجمته في المنتظم (٩/ ١٩٧ ـ ١٩٩) وابن الأثير (٨/ ٢٨١) ومرآة الزمان (٨/ ٢٧٣) والروضتين (١/ ٢٨) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ١٨٥) ، والعبر (٤/ ٢٦) ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٣) .
(٨) عن ب وحدها .
(٩) ترجمتها في المنتظم (٩/ ٢٠٠) وابن الأثير (٨/ ٢٨٥) والعبر (٤/ ٢٦) وتاريخ الإسلام (١١/ ١٨٨) .
(١٠) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٠٠) وابن الأثير (٨/ ٢٨٥) والعبر (٤/ ٢٦ ـ ٢٧) ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٣) .
(١١) ط : محمد ، المنتظم (٩/ ٢٠٠) .
(١٢) في (ط) والمنتظم : « الحلواني » ، والحَلْوائي : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام هذه النسبة إلى عمل الحلواء وبيعها ، وقد نسب أبو سعد السمعاني عبد العزيز هذا هذه النسبة ، وهو مجود بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ١٨٩) ، وترجمةُ في وفيات سنة ٤٥٦ من تاريخه هذا (١٠/ ٧١) نقلاً من خط شيخه الفرضي (بشار) .
(١٣) ط : الدروس .

كان في ابتداء طلبه يكرر على المسألة أربعمئة مرة . [وكانت وفاته][١] في شعبان من هذه السنة .

الحسين بن محمد بن علي بن الحَسَن[٢] بن محمد بن عبد الوهاب الزَّينبي[٣] :

قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفقّه على أبي عبد الله بن الدامغاني ، فبرع وأفتى ودرّس بمشهد أبي حنيفة ، ونظر في أوقافها ، وانتهت إليه رئاسة مذهب أبي حنيفة ، ولقبه نور الهدى ، وسار في الرَّسِيلة إلى الملوك . وولي نقابة [الطالبيين والعباسيين ، ثم استعفى بعد شهور ، فولي أخوه طِرَادٌ نقابة][٤] العباسيين . وكانت وفاته في يوم الإثنين الحادي عشر من صفر ، وله من العمر ثنتان وتسعون سنة ، وصلّى عليه ابنُه أبو القاسم علي . وحضرت جنازته[٥] الأعيانُ والعلماءُ ، ودفن عند قبر أبي حنيفة ، داخل القبة ، رحمه الله .

يوسف بن أحمد[٦] ، أبو طاهر ، ويعرف بابن الخرزي[٧] : صاحب المخزن في أيام المستظهر ، وكان لا يوفّي المسترشد حقّه من التعظيم ، وهو ولي عهد ، فلما صارت إليه الخلافة صادره بمئة ألف دينار ، ثم استقرَّ[٨] غلاماً له فأومأ إلى بيت ، فوجد فيه أربعمئة ألف دينار ، فأخذها الخليفة ثم كانت وفاته بعد هذا بقليل في هذا العام .

أبو الفضل بن الخازن[٩] : كان أديباً لطيفاً ، شاعراً فاضلاً ، فمن شعره[١٠] قوله :

وافَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أَرَ حَاجِباً[١١] إلا تَلَقَّـانـي بـوَجْـهٍ ضـاحِـكِ
والبِشْـرُ فِـي وَجْـهِ الغُـلام نَتيجةٌ لمُقَدِّماتِ ضِياءِ[١٢] وَجْهِ المالِكِ
ودَخَلْتُ جَنَّتَه ، وزُرْتُ جحيمَه فَشَكَرْتُ رِضْواناً ، ورَأْفَةَ مالكِ

---

(١) ط : (توفي) .
(٢) في ط : « الحسين » ، خطأ ، وما هنا من المنتظم (٩/ ٢٠١) والكامل لابن الأثير ، وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ١٩٠) وغيرها . (بشار) .
(٣) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٠١) وابن الأثير (٨/ ٢٨٥) والعبر (٤/ ٢٧) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٤٩) ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٣) والجواهر المضية (٢/ ١٣٣) .
(٤) ليس في ب .
(٥) آ ، ب : وحضره .
(٦) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٠٣) .
(٧) آ : الحريري ، ط : الجزري ، وماهنا عن المنتظم وب .
(٨) بمعنى حمله على الإقرار والاعتراف .
(٩) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٠٤) وابن الأثير (٨/ ٢٨٥) واسمه فيه : أحمد بن الخازن .
(١٠) الأبيات في المنتظم ، وابن الأثير .
(١١) ط ، والمنتظم وابن الأثير : صاحباً .
(١٢) آ ، ب : حياء .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمئة

فيها : كانت الحروب[١] الشديدة بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وبين عمه السلطان سَنْجَر ابن ملكشاه . وكان النصر فيها لسَنْجَر ، فخُطب له ببغداد في سادس عشر جمادى الأولى من هذه السنة . وقُطعت خبطة [السلطان محمود ثم وقع الصلح بينهما ، ورسم السلطان سَنْجَر أن يُخطب[٢] لابن أخيه محمود[٣] في سائر أعماله بعده[٤] .

وفيها : سارت الفرنج إلى مدينة حلب ففتحوها عنوة وملكوها ، [وقتلوا من أهلها خلقاً][٥] ، فسار إليهم صاحب ماردين إيلغازي بن أُرْتُق في جيش كثيف[٦] ، فهزمهم عنها ، ولحقهم إلى جبل قد تحصّنوا فيه فقتلهم هنالك[٧] مقتلة عظيمة ، ولله الحمد والمنة ، ولم[٨] يفلت منهم إلا اليسير ، وأسر من مُقدَّميهم نيّفاً[٩] وسبعين[١٠] رجلاً . وقتل فيمن قتل سرجال صاحب[١١] أنطاكية ، وحمل رأسه ، لعنه الله ، فقال بعض الشعراء في ذلك ، وقد بالغ مبالغة فاحشة : [من الكامل]

قُلْ ما تشاءُ فَقَوْلُكَ المَقْبولُ وَعَلَيْكَ بَعْدَ الخَالِقِ التَّعْوِيلُ
وَاسْتَبْشَرَ القُرْآنُ حِينَ نَصَرْتَهُ وَبَكَى لِفَقْدِ رِجالِهِ الإِنْجِيلُ[١٢]

وفيها : قتل الأمير منكوبرس شحنة بغداد ، وكان ظالماً غاشماً ، سيّء السيرة ، قتله الملك محمود ابن محمد بن ملكشاه صبراً بين يديه لأمور[١٣] ؛ منها : أنه تزوج سرية لأبيه قبل انقضاء عدتها ، ونعم

---

(١) آ : الحرب .
(٢) ليس في ط .
(٣) ليس في ط .
(٤) ليس في ط .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ب : كبير .
(٧) آ : هناك .
(٨) ب : فلم .
(٩) آ ، ب : تسعاً ، وكذلك عند ابن الأثير (٨/٢٨٨) .
(١٠) ط : وتسعين ، وكذلك ابن الأثير (٨/٢٨٨) .
(١١) ليس في ب .
(١٢) البيتان في ابن الأثير (٨/٢٨٩) .
(١٣) ابن الأثير (٨/٢٩٨) ؛ منها : أنه تزوج سرية لأبيه قبل انقضاء عِدَّتها . ونعم ما فعل ، وقد أراح الله المسلمين منه قبّحه الله ، فما كان أظلمه وأغشمه .

ما فعل ، وقد أراح الله المسلمين منه قبحه الله ، فما كان أظلمه وأغشمه .

وفيها : تولّى قضاء قضاة بغداد الأكمل أبو القاسم علي بن أبي طالب الحسين بن محمد الزَّينبي وخلع عليه بعد موت أبي الحسن الدامغاني وستأتي ترجمته[١] .

[وفيها : ظهر قبر الخليل إبراهيم ، وقبر إسحاق ويعقوب ، عليهم السلام ، وشاهد ذلك الناس][٢] ، ولم تَبْلَ أجسادهم ، وعندهم قناديلُ من ذهب وفضة . ذكر ذلك ابن الخازن في « تاريخه » وأظنه نقله من « المنتظم »[٣] لابن الجوزي ، والله أعلم بالصواب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

ابن عَقِيل[٤] : علي بن عَقِيل بن محمد بن عَقِيل ، أبو الوفاء ، شيخ الحنابلة ببغداد ، صاحب « الفنون »[٥] وغيره من التصانيف المفيدة .

ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمئة . وقرأ القراءات[٦] على ابن شيطا . سمع الحديث الكثير . وتفقه بالقاضي أبي يعلى بن الفراء . وقرأ الأدب على ابن برهان[٧] ، والفرائض على عبد الملك الهمذاني ، والوعظ على أبي طاهر بن العلاف ، صاحب ابن سمعون ، والأصول على أبي الوليد المعتزلي . وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب ، وربما لامه بعض أصحابه ، فلا يلوي عليهم ، فلهذا برز على أقرانه ، وبذّ أهل زمانه في فنون كثيرة ، مع صيانة وديانة وحسن مروءة ، وكثرة اشتغال . وقد وعظ في بعض الأحيان ، فوقعت فتنة فترك ذلك ، [وقد متعه الله][٨] بجميع حواسه ، إلى حين موته . [وكانت

---

(١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٤٣ من هذا الجزء .

(٢) العبارة مختلفة في ط .

(٣) لم أجده فيما طبع من المنتظم وفي تاريخ الإسلام (١١/ ١٥٣) : قاله حمزة بن أسد التميمي في تاريخه على ما حكاه ابن الأثير ، وهو في كامل ابن الأثير كما قال الذهبي .

(٤) ترجمته في طبقات ابن أبي يعلى (٢/ ٢٥٩) والمنتظم (٩/ ٢١٢) وابن الأثير (٨/ ٢٩١) ومرآة الزمان (٨/ ٨٣) والعبر (٤/ ٢٩) ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٤) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٥٢) وذيل ابن رجب (١/ ١٤٢ـ١٦٣) .

(٥) قال الذهبي : « له كتاب الفنون لم يصنف في الدنيا أكبر منه ؛ حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربع مئة يحكي فيه بحوثاً شريفة ومناظرات وتواريخ ونوادر ، وما قد وقع له » (تاريخ الإسلام ١١/ ٢٠٤) وقد طبع منه مجلد في بيروت (دار المشرق ١٩٦٩م) طبعة رديئة التحقيق ورأيت في إحدى رحلاتي إلى تونس مجلداً مخطوطاً محفوظاً في الزيتونية مخروم الأول أظنه من هذا الكتاب (بشار) .

(٦) ب ، ط : قرأ القرآن ، آ : قرأ القرآن وقرأ على ابن شيطان . وهو تصحيف . والخبر في المنتظم .

(٧) هو أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان العكبري ، العلامة شيخ العربية ذو الفنون حتى قال ابن ماكولا : ذهب بموته علم العربية ، من يعرف الأنساب ، ولم أر مثله . توفي سنة (٤٥٦) وترجمه فيها المؤلف ترجمة قصيرة نقلاً من ابن الجوزي الذي غضَّ من محاسنه وأساء إليه بسبب المخالفة في المذهب ، نسأل الله العافية . (بشار) .

(٨) مكانهما في آ ، ب : ومتع .

وفاته][1] في بكرة الجمعة ثاني جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين . وكانت جنازته حافلة ، ودفن قريباً من قبر الإمام أحمد إلى جانب الخادم مخلص ، رحمه الله .

أبو الحسن [بن الدامغاني][2] رحمه الله تعالى[3] : علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمّويه ، أبو الحسن الدامغاني ، قاضي القضاة ابن قاضي القضاة . ولد في رجب سنة تسع وأربعين وأربعمئة[4] ، واشتغل وبرع ، وتولى قضاء القضاة بعد أبيه ، ثم عزل بأبي بكر الشامي ، ثم أُعيد إلى الحكم . [وولي القضاء بباب الطاق من بغداد وله من العمر ست عشرة سنة][5] .

قال ابن الجوزي : ولا يعرف حاكم ولي الحكم أصغر سنًّا منه ـ يعني ببغداد ـ من قضاة القضاء .

قال : ولا يعرف حاكم [ولي الحكم][6] لأربعة من الخلفاء غيره وغير[7] شريح [إلا أبا طاهر محمد ابن أحمد بن الكرخي قد رأيناه ولي القضاء لخمسة خلفاء وإن كان مستناباً ـ المستظهر ، والمسترشد ، والراشد ، والمقتفي ، والمستنجد][8] .

ثم ذكر من أمانته وديانته وصيانته[9] ما يدل على تحرّيه وتوقّيه[10] وقوته ، رحمه الله .

[وقد ولي][11] الحكم أربعاً وعشرين سنة كذلك وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة وستة أشهر ، وقبره عند مشهد أبي حنيفة ، رحمه الله .

المبارك بن علي بن الحسين ، أبو سعد المُخرِّمي[12] :

---

(١) ط : توفي .

(٢) ترجمته في المنتظم (٩/٢٠٨ ـ ٢١٢) وابن الأثير (٨/٢٩١) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٢/ ٧٨٩ ـ ٧٩٠) والعبر (٤/ ٣٠) ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٤) .

(٣) ليس في ط .

(٤) في آ ، ب : ست وأربعمئة ، وفي ط وطبقات ابن أبي يعلى : ست وأربعين وأربعمئة ، وما هنا هو المرجح لأنه ورد عند ابن الجوزي وابن الأثير ، ولأنه يوافق ما في العبر من قوله : توفي عن أربع وستين سنة .

(٥) عن ط وحدها والخبر في المنتظم (٩/ ٢٠٨) ، وفي تاريخ الإسلام (١١/ ٢٠٨) : سبع عشرة سنة .

(٦) ب ، ط : قضى . والخبر في المنتظم .

(٧) في الأصلين وط : إلا . وهو تصحيف .

(٨) ما بين المعقوفتين عن المنتظم (٩/ ٢٠٨) .

(٩) ليس في آ .

(١٠) ط : (وتفوقه) وعبارة ابن الجوزي : وكان فقيهاً متديّناً ذا مروءة وصدقات وعفاف . وكان له بصر جيد بالشروط والسجلات .

(١١) ط : تولى .

(١٢) ترجمته عند أبي يعلى (٢/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩) والمنتظم (٩/ ٢١٥) والعبر (٤/ ٣١) ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٥) وذيل ابن رجب (١/ ١٦٦ ـ ١٧١) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٥٠) .

سمع الحديث ، وتفقَّه على مذهب الإمام أحمد ، وناظر وأفتى ، ودرّس وجمع كتباً كثيرة ، لم يُسبق إلى مثلها ، وناب في القضاء . وكان حسنَ السيرة ، جميل الطريقة ، سديد الأقضية . وقد بنى مدرسة بباب الأَزجِ ، وهي المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلي[١] ، ثم عُزل عن القضاء وصُودر بأموال جزيلة ، وذلك في سنة إحدى عشرة . وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة . ودفن إلى جانب أبي بكر الخلّال عند قبر أحمد .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمئة

في المنتصف من ربيع الأول كانت وقعة عظيمة بين الأخوين السلطانين محمود ومسعود ابني محمد بن ملكشاه عند عقبة أَسْدَاباذ. فانهزم عسكر مسعود، وأُسر وزيره الأستاذ أبو إسماعيل[٢] وجماعة من أمرائه. فأمر السلطان محمود بقتل الوزير أبي إسماعيل فقتل وله نيف [وستون سنة ، وله تصانيف][٣] في صناعة الكيمياء. ثم أرسل[٤] إلى أخيه مسعود الأمان، واستقدمه عليه، فلما اجتمعا[٥] اعتنقا[٦] وبكيا واصطلحا.

وفيها : نهب دُبَيْس [بن صدقة][٧] صاحب الحِلَّة البلاد ، وركب بنفسه إلى بغداد ، ونصب خيمة بإزاء دار الخلافة ، وأظهر ما في نفسه من الضغائن ، وذكر كيف طيف برأس أبيه في البلاد ، وتهدّد المسترشد . فأرسل إليه الخليفة يسكّن جأشه ، ويعده أن سيصلح بينه وبين السلطان محمود . فلما قدم السلطان بغداد أرسل دبيس يستأمن ، فأمّنه ، وأجراه على عادته ، ثم إنه نهب جيش[٨] السلطان ، فركب السلطان محمود بنفسه لقتاله ، واستصحب معه ألف سفينة [ليعبر بها إلى الحِلّة][٩] . [فهرب دبيس من بين يديه ، والتجأ إلى إيلغازي ، فأقام عنده سنة ، ثم عاد إلى الحِلّة][١٠] ، وأرسل إلى الخليفة والسلطان

(١) هذه المدرسة قائمة إلى اليوم عامرة بالطلبة والمدرسين ، وقد جددت في السنيات الأخيرة ضمن تعمير روضة الشيخ عبد القادر ، ومحلة باب الأزج هي المعروفة اليوم بمحلة باب الشيخ من بغداد حررها الله تعالى (بشار) .

(٢) هو الشاعر الطغرائي ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥١٥ من هذا الجزء ، والتفاصيل في تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ١٥٤ ـ ١٥٥) .

(٣) ليس في ب .

(٤) آ ، ب : نفذ .

(٥) ط : التقيا .

(٦) ب : التقيا .

(٧) ليس في ط .

(٨) ط : جسر .

(٩) ط : ليعبر فيها .

(١٠) ليس في آ .

يعتذر إليهما [مما كان منه](١) . فلم يقبلا منه ، وجهز السلطان إليه(٢) جيشاً فحاصروه وضيّقوا عليه قريباً من سنة ، [وهو في منيع بلاده ، لا يتمكن الجيش من الوصول إليه في تلك الأماكن](٣) .

وفيها : كانت الوقعة العظيمة بين الكرج والمسلمين بالقرب من تفليس ، [ومع الكرج كفار القَفْجاق(٤) فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً ، وغنموا أموالاً جزيلة ، وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون](٥) . ونهب الكرج تلك النواحي ، وفعلوا أشياء منكرة ، وحاصروا تفليس مدة ثم ملكوها عنوة ، بعدما أحرقوا القاضي والخطيب حين جاءا لهم(٦) من أهل البلد يطلبون منهم الأمان ، وقتلوا عامة أهلها ، وسَبَوْا الذرية ، واستحوذوا على الأموال فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم .

وفيها : أغار جوسكين(٧) الفرنجي صاحب الرُّها على خلق من العرب والتركمان فقتلهم وغنم(٨) أموالهم .

وفيها : تمرّد العيّارون(٩) ببغداد ، وأخذوا الدور جهاراً ليلاً ونهاراً ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

[وفي هذه السنة](١٠) كان ابتداء ملك محمد بن التومرت ببلاد المغرب

كان ابتداء أمر هذا الرجل أنه قدم في حداثة سنِّه من بلاد المغرب إلى بغداد ، فسكن النظامية ببغداد(١١) ، واشتغل بالعلم ، فحصَّل منه جانباً جيداً من الفروع والأصول على الغزالي وغيره . وكان يظهر التعبُّد والزهد والورع ، [وربما كان ينكر](١٢) على الغزالي حسن ملابسه ، ولا سيما حين

(١) عن ط وحدها .
(٢) ط : وجهز إليه السلطان .
(٣) ط : وهو ممتنع في بلاده لا يقدر الجيش على الوصول إليه .
(٤) القَفْجاق صحراء واسعة تقع إلى الشمال من بحر قزوين . تقويم البلدان (٢١٦) والأمصار ذوات الآثار (١١٢) - طبعة دار ابن كثير - وصبح الأعشى (٤/ ٤٦٢) .
(٥) ما بين الحاصرتين مكرر في آ .
(٦) ط : خرجوا إليهم . آ : أوفق . وفي ابن الأثير (٢٩٣٨) : فأخرقوا بهما .
(٧) كذا في الأصلين وط ، وعند ابن الأثير (٨/ ٣٠٢) والكواكب الدرية (١٣٦) : جوسلين .
(٨) ط : وأخذ .
(٩) يوجد تفصيلات أكثر عن العيارين في المنتظم (٩/ ٢١٦) .
(١٠) ط : وفيها .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) آ ، ب : وربما أنكر .

لبس خلعة التدريس[(١)] بالنظامية ، أظهر عليه الإنكار جدًّا ، وكذلك على غيره .

ثم حجَّ وعاد[(٢)] إلى بلاده فكان يأمر بالمعروف وينهى على المنكر ، ويقرئ الناس القرآن ، ويشغلهم في الفقه ، فطار ذِكره في الناس .

واجتمع به يحيى بن تميم بن المعز بن[(٣)] باديس صاحب بلاد إفريقية ، فعظمه وأكرمه ، وسأله الدعاء ، فاشتهر أيضاً [بذلك وبعُدَ صيته][(٤)] ، وليس معه إلا ركوة وعصا ، ولا يسكن إلا المساجد .

ثم كان[(٥)] ينتقل من بلد إلى بلد حتى دخل مراكش ، ومعه تلميذه عبد المؤمن بن علي ، وقد كان توسّم فيه النجابة والشهامة[(٦)] ، فرأى [في مراكش][(٧)] من المنكرات أضعاف ما رأى في غيرها .

من ذلك أن الرجال يتلثّمون ، والنساء يمشين حاسرات عن وجوههن ، فأخذ في إنكار ذلك . حتى إنه اجتازت[(٨)] به في بعض الأيام أخت أمير المسلمين علي بن يوسف [بن تاشفين][(٩)] ملك مراكش وما حولها ، ومعها نساء[(١٠)] راكبات حاسرات وجههن مثلها ، فشرع هو وأصحابه ينكرون[(١١)] عليهن ، وجعلوا يضربون وجوه الدواب ، فسقطت أخت الملك عن دابتها ، فأحضره الملك ، وأحضر الفقهاء ، فظهر عليهم بالحجة ، وأخذ يعظ الملك في خاصة نفسه ، حتى أبكاه ، ومع هذا نفاه الملك ابن تاشفين[(١٢)] عن بلده ، فشرع يشنِّع عليه ، ويدعو الناس إلى قتاله ، فاتبعه على ذلك خلق كثير ، فجهز إليه [ابن تاشفين][(١٣)] جيشاً كثيفاً فهزمهم ابن التومرت ، فعظم شأنه ، وارتفع أمره ، وقويت شوكته[(١٤)] ، وتَسَمَّى بالمهدي ، وسمَّى جيشه جيش الموحّدين . وألف كتاباً في التوحيد ، وعقيدة تسمى المرشدة .

---

(١) ط : ولا سيما لما لبس خلع التدريس .
(٢) ليس في ب .
(٣) ليس في آ .
(٤) مكانهما في آ ، ب : هذا .
(٥) ط : ثم جعل .
(٦) ط : والشهامة فيه .
(٧) آ ، ب : فيها .
(٨) في ب : اجتازته .
(٩) ليس في ب .
(١٠) ط : نساء مثلها .
(١١) ط : في الإنكار .
(١٢) عن آ وحدها .
(١٣) ب ، ط : الملك .
(١٤) آ ، ب : أركانه .

ثم كانت له وقعات(١) مع جيوش [ابن تاشفين](٢) صاحب مراكش ، فقتل منهم في بعض الأيام نحواً من سبعين ألفاً ، وذلك بإشارة أبي عبد الله الونشريشي(٣) .

وكان ذكر أنه نزل إليه مَلَكٌ ، وعلَّمه القرآن و« الموطَّأ » ، وله بذلك ملائكة يشهدون به ، في بئر سماه ، فلما اجتاز به ، وكان قد أرصد فيه رجالاً ، فلما سألهم عن ذلك والناس يسمعون شهدوا له بذلك ، فأمر حينئذ بطمّ(٤) البئر عليهم ، فهلكوا(٥) عن آخرهم ، ولهذا يقال : مَنْ أعان ظالماً سُلِّط عليه(٦) .

ثم جهز ابن التومرت ، الذي لقَّب نفسه بالمهدي ، جيشاً عليهم أبو عبد الله الونشريشي وعبد المؤمن ، لمحاصرة مراكش ، فخرج إليهم أهلها ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً(٧) ، فكان ممن قتل أبو عبد الله الونشريشي ، هذا الذي زعم أن الملائكة تخاطبه ، فلما افتقدوه في القتلى فلم يجدوه قالوا : رفعته الملائكة ، وقد كان عبد المؤمن دفنه ، والناس في المعركة . وقتل(٨) من أصحاب المهدي خلق كثير .

وقد كان حين جهز الجيش مريضاً مدنفاً ، فلما جاء به الخبر ازداد مرضاً إلى مرضه ، وساءه قتل أبي عبد الله الونشريشي ، وجعل الأمر من بعده لعبد المؤمن [بن علي](٩) ، ولقَّبَهُ أمير المؤمنين . وقد كان شابًّا حسناً حازماً عاقلاً .

[ثم مات ابن التومرت ، وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة ، ومدة ملكه](١٠) عشر سنين(١١) .

---

(١) آ : واقعات .

(٢) ب : الملك .

(٣) اللفظة مصحفة في آ ، ب ، ط ، وما هنا عن ابن الأثير (٨/ ٢٩٧) ويقال في هذه النسبة أيضاً : الونشريسي بالسين ولعل في ذلك اختلاف في ضبط النسبة عند المغاربة . البيان المغرب لابن عذاري (٤/ ٧٥) .

(٤) في ب : فَطُمَّ .

(٥) ط : فماتوا .

(٦) هو دائر على الألسنة ، ولم يثبت في المرفوع . وقد رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخه في الجزء التاسع والثلاثون صفحة (٤١٠) في ترجمة عبد الباقي بن أحمد الطرسوسي الفقيه ، من طريق الحسن بن علي بن زكريا عن سعيد بن عبد الجبار الكرابيسي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ : « من أعان ظالماً سلطه الله عليه » وآفته الحسن بن علي بن زكريا ، ولذلك قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٧٦) وهذا حديث غريب أي : ضعيف ، أقول : ومعناه صحيح ، قال الله تعالى في سورة الأنعام ١٢٩ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا . . . ﴾ .

(٧) ط : شديداً .

(٨) ط : وقتل ممن معه من أصحابه .

(٩) ليس في ب .

(١٠) آ ، ب : وقد كان ابن التومرت حين مات ابن إحدى وخمسين سنة .

(١١) لم يتملك ابن تومرت شيئاً من البلاد ، وإنما قرر القواعد ومهّدها ، وبغته الموت ، وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن (تاريخ الإسلام للذهبي ١١/ ٤٢٠) .

وحين صار الأمر[١] إلى عبد المؤمن بن علي أَحسن إلى الرعايا ، وظهرت منه[٢] سيرة جيدة ، فأحبه الناس ، واتسعت ممالكه ، وكثرت جيوشه ورعيته ، ونصب العداوة لابن[٣] تاشفين صاحب مراكش ولم تزل الحرب بينهما إلى سنة خمس وثلاثين ، فمات ابن[٤] تاشفين ، فقام ولده تاشفين من بعده ، فمات في سنة تسع وثلاثين ليلة سبع وعشرين من رمضان .

فولي[٥] أخوه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فسار إليه عبد المؤمن ، فملك تلك النواحي وفتح مدينة مراكش ، فقتل هنالك أُمماً لا يعلم عددَهم إلا اللهُ عز وجل ، وقَتل ملكها إسحاق ، وكان صغير السن ، في سنة ثنتين وأربعين .

وكان[٦] إسحاق هذا آخر ملوك المرابطين ، وكان مدة ملكهم سبعين سنة ، والذين ملكوا منهم أربعة : علي ، وولده يوسف ، وولداه : تاشِفين[٧] وإسحاق ، ابنا علي المذكور .

فاستوطن عبد المؤمن مدينة مراكش ، واستقرّ ملكه بتلك النواحي[٨] ، وظفر في سنة ثلاث وأربعين بدَكّالة[٩] ، وهي قبيلة عظيمة في[١٠] مئتي ألف راجل وعشرين ألف فارس[١١] مقاتل من الشجعان الأبطال ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وجمًّا غفيراً ، وسبى ذراريهم ، وغنم أموالهم ، حتى إنه بيعت[١٢] الجارية الحسناء بدراهم معدودة .

وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن التومرت هذا مجلداً في أحكامه [وإمامته وما كان في][١٣] أيامه وكيف

---

(١) ليس في ط .
(٢) ط : له .
(٣) ط : إلى تاشفين .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : فتولى .
(٦) آ : فكان .
(٧) ط : أبو سفيان .
(٨) ط : الناحية .
(٩) ضبطها ياقوت والصاغاني بفتح الدال ، أما الفيروز أبادي فبالضم .
(١٠) ط : نحو .
(١١) آ : راجل .
(١٢) كذا في ط : بيعت ، وفي بعض النسخ : أبيعت (ع) .
(١٣) ليس في آ .

تملّك بلاد المغرب ، وما كان يتعاطاه من الأشياء التي توهم أنها أحوال برّة ، وهي محال لا تصدر إلا عن فجرة ، وما قتل من الناس وأُزهق من الأنفس[١] .

ومِمن توفي فيها ـ [أعني سنة أربع عشرة وخمسمئة][٢] ـ من الأعيان :

أحمد بن عبد الوهاب بن السِّيْبي[٣] ، أبو البركات :

أسند الحديث . وكان يعلّم أولاد الخليفة المستظهر ، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد ولاه المخزن. وكان كثير الأموال والصدقات يتعهّد[٤] أهل العلم . وخلّف مالاً كثيراً ، حزر بمئة[٥] ألف دينار ، أوصى من ذلك[٦] بثلاثين ألف دينار لمكة والمدينة . وكانت وفاته في هذه السنة عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر ، وصلّى عليه الوزير أبو علي بن صدقة[٧] و[أرباب][٨] الدولة . ودفن بباب حرب .

عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن ، أبو نصر القُشيري[٩] :

قرأ على أبيه وإمام الحرمين . وروى الحديث عن جماعة ، وكان ذا ذكاء وفطنة ، وله خاطر حاضر جريء ، ولسان ماهر[١٠] فصيح . وقد دخل بغداد ، فوعظ بها ، فوقع بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية ، فحبس بسببها الشريف أبو جعفر بن أبي موسى ، [وأُمر ابن القُشيري بالخروج][١١] من بغداد لإطفاء الفتنة ، فعاد إلى بلده ، [وكانت وفاته][١٢] في هذه السنة .

عبد العزيز بن علي بن عمر[١٣] ، أبو حامد الدِّينَوري[١٤] :

---

(١) آ ، ب : الأنفاس .
(٢) عن ب وحدها .
(٣) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢١٩) ومعجم الأدباء (٣/ ٢٢٧) وتاريخ ابن الأثير (٨/ ٣٠٢) .
(٤) ط : يتعاهد .
(٥) ط : بمئتي . والخبر في المنتظم .
(٦) ط : منه .
(٧) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٢٢ من هذا الجزء .
(٨) مستدرك عن المنتظم (٩/ ٢١٩) .
(٩) ترجمته في تبيين كذب المفتري (٣٠٨) والمنتظم (٩/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) وابن الأثير (٨/ ٣٠٢) والعبر (٤/ ٣٣) وفوات الوفيات (٢/ ٣١٠) ومرآة الجنان (٣/ ٢١٠) .
(١٠) آ : باهر .
(١١) ط : وأخرج ابن القشيري .
(١٢) ط : توفي .
(١٣) ط : حامد ، وفي بعض النسخ : محمد . وما هنا من المنتظم وتاريخ الإسلام وهو بخط المؤلف الذهبي .
(١٤) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٢١) وتاريخ الإسلام (١١/ ٢٢٣) .

كان كثير المال والصدقات ، ذا حِشمة ومروءة ووجاهة عند الخليفة ، وقد روى الحديث ، ووعظ . وكان مليح الإيراد ، حلو المنطق . وكانت وفاته بالرَّيِّ [في هذه السنة][١] ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمئة

فيها : أقطعَ السلطانُ الأميرَ محمود إيلغازي مدينة مَيَّافارقين فبقيت في يد أولاده إلى أن أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ثمانين [وخمسمئة][٢] .

وفيها : أقطع أيضاً[٣] آقْسُنقُر البُرْسُقي مدينة الموصل ، وأمر[٤] بقتال[٥] الفرنج .

وفيها : حاصر ملك بن بهرام ، وهو ابن أخي إيلغازي مدينة الرُّها ، فأسر ملكها جوسكين[٦] الفرنجي وجماعة من رؤوس أصحابه وسجنهم بقلعة خرتبرت .

وفيها : هبّت ريح سوداء بمصر [فاستمرت ثلاثة أيام ، فأهلكت خلقاً كثيراً من الناس والدواب والأنعام][٧] .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة بالحجاز فتضعضع[٨] بسببها الركن اليماني ، زاده الله شرفاً ، وتهدم بعضه ، وتهدّم شيء من حرم رسول الله ﷺ ، [بأبي هو وأمي][٩] ، بالمدينة المنورة .

وفيها : ظهر رجل علوي بمكة كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاتّبعه ناس كثير[١٠] ، فنفاه صاحبها ابن أبي هاشم إلى[١١] البحرين .

وفيها : احترقت دار السلطان بأصبهان ، فلم يبق فيها شيء من [الأثاث والفراش][١٢] والجواهر والذهب والفضة سوى الياقوت الأحمر ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) ليس في ط .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ليس في ط .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : لقتال .
(٦) كذا في الأصلين وعند ابن الأثير : جوسلين .
(٧) ليس في ط .
(٨) آ : تضعضع ، وليست اللفظة في ب .
(٩) عن ب وحدها .
(١٠) ب : كثيرة .
(١١) ليس في ب .
(١٢) ط : الآثار والقماش .

وقبل ذلك بأسبوع[١] احترق الجامع بأصبهان أيضاً ، وكان جامعاً عظيماً ، فيه أخشاب تساوي ألف ألف دينار[٢] . وفي جملة ما احترق فيه خمسمئة مصحف[٣] ، منها مصحف بخط أُبَيّ بن كعب ، رضي الله عنه ، وإنا[٤] لله وإنا إليه راجعون .

وفي شعبان جلس الخليفة المسترشد بالله في دار الخلافة في أُبَّهة الخلافة ، البُردة على كتفيه ، والقضيب بين يديه ، وجاء الأخوان الملكان[٥] محمود ومسعود ، فوقفا[٦] بين يديه ، وقبَّلا الأرض . فخلع على محمود سبع خلع وطوقاً وسوارين وتاجاً ، وأُجلس على كرسي ، ووعظه الخليفة ، وتلا عليه قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] وأمره بالإحسان إلى الرعايا ، وعقد له الخليفة اللواء بين يديه[٧] . وقلّده المُلْك ، وخرجا من بين يديه مُطَاعَيْن مُعَظَّمَيْن ، والجيش بين أيديهما إلى دارهما في أُبَّهة عظيمة جداً .

وحج بالناس نظر الخادم .

وقد توفي فيها :

ابن القَطَّاع اللغوي[٨] ، **أبو القاسم علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السَّعْدي**[٩] **الصِّقِلّي ثم المصري اللغوي** :

مصنف كتاب الأفعال الذي برّز فيه على ابن القوطيّة . وله مصنفات كثيرة . وقد قدم مصر في حدود سنة خمسمئة ، لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية ، فأكرمه المصريون ، وبالغوا في أمره[١٠] . وكان

---

(١) آ ؛ ب : بليلة . والأصح ما في ط لأن حريق جامع أصبهان وقع في ٢٧ ربيع الآخر بينما وقع حريق القصر في ٤ جمادى الآخرة والخبر في المنتظم (٩/ ٢٢٣) .

(٢) ط : فيه من الأخشاب ما يساوي ألف دينار .

(٣) بعدها في آ : ثمنية .

(٤) آ ، ط : فإنا .

(٥) ط : السلطان .

(٦) ط : فقبلا الأرض ووقفا بين يديه ، وفي آ : وتوقفا .

(٧) ط : لواءين بيده .

(٨) ترجمته في معجم الأدباء (١٢/ ٢٧٩) وإنباه الرواة (٢/ ٢٣٦) ووفيات الأعيان (٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٤) وتاريخ الإسلام (١١/ ٢٤١) ، والعبر (٤/ ٣٢) ومرآة الجنان (٣/ ٢١٢) .

(٩) آ : الصفدي .

(١٠) ط : إكرامه .

ينسب إلى التساهل [في الدين][١] . وله شعر جيد قوي ، أورد له القاضي ابن خلكان منه قطعة جيدة . مات[٢] وقد جاوز الثمانين .

ومـمن توفي فيها من الأعيان :

أبو القاسم شاهِنْشاه الأفضل بن أمير[٣] الجيوش بدر الجمالي[٤] : مدبّر دولة الفاطميين بمصر . [وإلى أبيه][٥] تنسب قيسارية أمير الجيوش ، والعامة يقولون[٦] : مرجوش[٧] . وأبوه باني الجامع الذي بثغر الإسكندرية بسوق العطارين ، ومشهد الرأس بعسقلان أيضاً . وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور ، وقيل : عكا . ثم استدعاه إليه في فصل الشتاء ، فركب في البحر ، فاستنابه على ديار مصر ، فسدَّد الأمور بعد فسادها . ومات في سنة ثمان وثمانين وأربعمئة . وقام في الوزارة بعده ولده الأفضل هذا ، وكان كأبيه في الشهامة والصرامة .

ولما مات المستنصر أقام المستعلي ، واستمرت الأمور على يديه ، وكان عادلاً ، حسن السيرة ، موصوفاً بجودة السريرة ، فالله أعلم . ضربه فداويٌّ وهو راكب ، فقتله في رمضان ، من هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة . وكانت إمارته من ذلك بعد أبيه ثماني[٨] وعشرين سنة . وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر ، وقد وجد[٩] له أموال عظيمة[١٠] جداً تفوق العدّ[١١] والإحصاء من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث والجواهر النفائس ، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمي [إلى حواصله وخزائنه][١٢] . واعتاض عنه الخليفة بأبي عبد الله البطائحي ولقبه المأمون .

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ط : أمير الجيوش بمصر .
(٤) ترجمته وأخباره في ابن الأثير (٨/ ٣٠٣) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٤٨ ـ ٤٥١) والعبر (٣٤ ـ ٣٥) ومرآة الجنان (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢) .
(٥) ط : إليه .
(٦) ط : تقول .
(٧) ب : مرجيوش .
(٨) آ : ثنتان . والخبر في ابن الأثير (٨/ ٣٠٣) .
(٩) ب : وجدت .
(١٠) ط : عديدة .
(١١) ب : العدد .
(١٢) مكانهما في ط : فجعل في خزانته وذهب جامعه إلى سواء الحساب على الفتيل من ذلك والنقير والقطمير .

قال القاضي ابن خلكان[١] : ترك الأفضل من الذهب العين ستمئة ألف ألف دينار مكررة[٢] ، ومن الدراهم مئتين وخمسين إردبّاً[٣] ، وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي ، ودواة ذهب فيها جوهر باثني عشر ألف دينار ، ومئة مسمار ذهب ، زنة كل مسمار[٤] مئة مثقال ، في عشرة مجالس كان يجلس فيها ، على كل مسمار منديل مشدود بذهب ، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه ، وخمسمئة صندوق كسوة للبس بدنه .

قال : وخلّف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والمسك والطيب والحليّ ما لا يعلم قدره إلا الله عز وجل . وخلّف من البقر والجواميس والغنم ما يُستحيى من ذِكر عدِّه[٥] ، وبلغ ضمان ألبانها في السنة[٦] ثلاثين ألف دينار . وترك صندوقين كبيرين فيهما إبر ذهب برسم النساء .

عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي[٧] ، ابن أخي نظام الملك :

تفقّه بإمام الحرمين ، وأفتى ودرّس وناظر ، ووزَر للملك سَنْجَر ، وتوفي في هذه السنة .

خاتون السّفرية[٨] ، **حظيّة السلطان ملكشاه** : وهي أم السلطانين محمد وسَنْجر .

وكانت كثيرة الصدقة والإحسان إلى الناس ، لها في كل سنة سبيل يخرج مع الحجاج ، وفيها دين وخير ، ولم تزل تبحث حتى عرفت مكان أمها وأهلها ، فبعثت الأموال الجزيلة حتى استحضرتهم ، ولما قدمت عليها أمّها كان لها عنها أربعين سنة لم ترها ، فأحبت أن تستعلم فهمها ، فجلست بين جواريها ، فلما سمعت أمها كلامها عرفتها ، فقامت إليها ، فاعتنقتا وبكتا ، ثم أسلمت أُمها على يديها ، جزاها الله خيراً ، وأحسن إليها ، وقد تفرّدت بولادة ملكين [من ملوك][٩] المسلمين ، في دولة الأتراك والعجم ، ولا يعرف لهذا[١٠] نظير في ذلك إلا اليسير ؛ من ذلك ولّادة[١١] بنت العباس ، وَلَدت لعبد الملك الوليدَ

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٥١) .

(٢) نقل ابن خلكان ذلك من كتاب « الدول المنقطعة » لابن ظافر الأزدي وعقب على ذلك : « كذا قال هذا الناقل ست مئة ألف ألف دينار ، والعهدة عليه » (تاريخ الإسلام ١١/ ٢٣٨) (بشار) .

(٣) آ ، ب : أردب وهو مكيال ضخم بمصر (القاموس) .

(٤) آ : كل واحدة .

(٥) ب ، ط : ذكره .

(٦) ط : سنة وفاته .

(٧) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٢٩) وابن الأثير (٨/ ٣٠٤) وتاريخ الإسلام (١١/ ٢٤٠) .

(٨) ترجمتها في المنتظم (٩/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) وابن الأثير (٨/ ٣٠٤) .

(٩) عن ط وحدها .

(١٠) ط : لها .

(١١) قبلها في ط : وهي .

وسُليمان . وشاهوند[١] قد ولدت للوليد يزيد وإبراهيم ، وقد وليا الخلافة أيضاً ، والخَيْزُران ولَدت للمهدي : الهادي والرشيد ، رحمهم الله .

الطُّغْرَائي[٢] ناظم لامية العجم الحسين بن علي بن عبد الصمد ، مؤيد الدين الأصبهاني ، العميد ، فخر الكتاب المنشيء[٣] الشاعر المعروف بالطُّغرائي : وقد ولي الوزارة بإرْبِل مدة .

أورد له القاضي ابن خَلّكان قصيدته اللامية التي ألّفها في سنة خمس وخمسمئة ببغداد يشرح فيها أحواله وأموره ، وتعرف بلامية العجم ، أوّلها : [من البسيط]

أَصالَـةُ الـرَّأْيِ صَـانَتْني عَـنِ الخَطَـلِ   وَحِلْيَـةُ الفَضْـلِ زَانَتْنـي لَـدَى العَطَـلِ
مَجْـدي أَخِيـراً وَمَجْـدي[٤] أَوَّلاً شَـرَعٌ   والشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كالشَّمْسِ في الطَّفَلِ
فِيـم الإِقَـامَـةُ بـالـزَّوْرَاءِ لا سَكَنِـي   بِهَـا وَلاَ نَـاقَتِـي فِيهـا وَلاَ جَمَلـي

وقد سردها القاضي ابن خَلكان بكمالها[٥] ، وأورد له غير ذلك من الشعر أيضاً .

[ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمئة][٦]

في المحرم منها رجع السلطان طُغْرُلْبَك إلى طاعة أخيه محمود ، بعدما كان قد[٧] خرج عنها ، وأخذ بلاد أَذْرَبيجان[٨] .

وفيها : أقطع السلطان محمود مدينة واسط وأعمالها[٩] لآقْسُنْقُر ، مضافاً إلى الموصل ، فسيَّر إليها عماد الدين زنكي بن آقْسُنْقُر ، فوليها وأحسن السيرة[١٠] بها ، وأبان عن حزم وكفاية .

---

(١) كذا في الأصول ، وفي الطبري (٧/ ٢٩٨) : شاه آفريد . وفي أمهات الخلفاء لابن حزم (ص١٧) : شاه فريد . وفي الكامل لابن الأثير (٥/ ٣١٠) : شاه فرند .
(٢) ترجمته في الأنساب (الطغرائي) ومعجم الأدباء (١٠/ ٥٦) ووفيات الأعيان (٢/ ١٨٥ ـ ١٩٠) والعبر (٤/ ٢٣) ومرآة الجنان (٣/ ٢١٠) .
(٣) في ب : الليثي .
(٤) ليس في آ .
(٥) وفيات الأعيان (٢/ ١٨٥ ـ ١٨٨) .
(٦) ليس في ب .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) هي الآن في الشمالي الغربي لإيران قرب بحر قزوين .
(٩) ليس في ط .
(١٠) ليس في آ .

وفي صفر منها قُتل وزير السلطان محمود أبو طالب السُّمَيْرمي ، قتله باطني ، وكان قد برز للمسير إلى هَمَذان ، وكانت قد خرجت زوجته في مئة جارية بمراكب الذهب ، فلما بلغهن قتله رجعن حافيات حاسرات[١] عن وجوههن ، قد هُنّ بعد العز . واستوزر السلطان بعد شمس الملك[٢] عثمان بن نظام الملك .

وفيها : التقى آقسنقر البُرْسُقي ودُبَيس بن صدقة ، فهزمه دُبيس ، وقتل خلقاً من جيشه ، فأوثق السلطان منصور بن صدقة أخا دُبَيس[٣] وولده ، ورفعهما إلى القلعة ، فعند ذلك آذى دبيس تلك الناحية ، ونهب البلاد ، وجزَّ شعره ، ولبس السواد ، ونهب أموال الخليفة أيضاً من البلاد ، فنودي في بغداد للخروج لقتاله ، وبرز الخليفة في الجيش وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وطرحة ، وعلى كتفيه البردة ، وبيده القضيب ، وفي وسطه مِنْطَقة حرير صيني[٤] ، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ، ونقيب النقباء علي بن طِراد[٥] الزينبي ، وشيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل . وتلقّاه آقْسُنقر البُرْسقي ، ومعه الجيش ، فقبَّلوا الأرض ، ورتَّب البُرْسقيّ الجيش ، ووقف القُراء بين يدي الخليفة ، وأقبل دُبيس ، وبين يديه الإماء يضربن بالدفوف والمخانيث بالملاهي .

والتقى الفريقان ، وقد شهر الخليفة سيفَه وكبّر واقترب من المعركة ، فحمل عُنيز بن أبي العسكر[٦] على ميمنة الخليفة ، فكسرها ، وقتل أميرها ، ثم حمل مرة ثانية ، فكشفهم كالأولى ، فحمل عليه عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، فأسر عُنيزاً وأسر معه بريك[٧] بن زائدة ، فانهزم عسكر دُبيس ، وألقوا أنفسهم في الماء ، فغرق كثير منهم ، فأمر الخليفة بضرب أعناق الأَسارى ، صبراً بين يديه ، وحصلت نساء دُبيس وسراريه [في السبي][٨] . وعاد الخليفة إلى بغداد ، فدخلها في يوم عاشوراء من السنة الآتية ، وكان يوماً مشهوداً ، وكانت غيبته عن بغداد ستة عشر يوماً .

---

(١) آ : خاسرات .
(٢) ط : شمس الدين الملك .
(٣) آ ، ب : فاستوثق السلطان من منصور بن صدقة أخي دبيس .
(٤) ب : صوف .
(٥) قيده السيد الزبيدي في تاج العروس فذكر أنه على وزن كتاب (بشار) .
(٦) ط : عنبر بن أبي العسكر . وفي المنتظم (٢/٢٤٢) وابن الأثير (١٠/٦٠٨) : عنتر بن أبي العسكر ، وما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/١٦٢) .
(٧) ط : بديل ، وما هنا من الكامل لابن الأثير (١٠/٦٠٩ ط . صادر) .
(٨) ط : تحت الأسر .

فأما دُبيس فإنه نجا بنفسه ، وقصد غَزِيَّة[١] ، ثم إلى المُنْتفِق ، فصحبهم[٢] إلى البصرة ، فدخلها ونهبها[٣] ، وقتل أميرها ، ثم خاف من البُرسقي ، فخرج منها ، وسار إلى البرِّية ، والتحق بالفرنج ، وحضر معهم حصار حلب[٤] ، ثم فارقهم والتحق بالملك طُغْرُل أخي السلطان محمود .

وفيها : ملك السلطان حسام الدين تمرتاش[٥] بن إيلغازي بن أرتق قلعة ماردين بعد وفاة أبيه وملك أخوه سليمان ميَّافارقين .

وفيها : ظهر معدن نحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذي القرنين .

وفيها : دخل جماعة من الوعَّاظ إلى بغداد فوعظوا بها ، وحصل لهم قبول تام من العوام .

وحجَّ بالناس في هذه السنة نظر الخادم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث ، أبو محمد السمرقندي[٦] ، أخو أبي القاسم :
وكان [أبو محمد هذا أحد][٧] حفاظ[٨] الحديث . وقد زعم أنّ عنده ما ليس عند أبي زرعة الرازي[٩] وقد[١٠] صحب الخطيب مدة ، وجمع وألّف وصنّف ورحل[١١] إلى الآفاق . وكانت وفاته يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول [من هذه السنة][١٢] عن ثمانين[١٣] سنة .

علي بن أحمد ، أبو طالب السُّمَيْرمي[١٤] ، نسبة إلى قرية بأصبهان .

---

(١) غزية قبيلة من عرب نجد (بشار) .
(٢) آ : فصبحهم .
(٣) آ ، ب : فنهبها ودخلها .
(٤) قال بشار : تأمل هذا الخذلان والخيانة وضعة النفس ، وفي عصرنا من قام بمثل هذا ، نسأل الله السلامة .
(٥) آ : تمرتشاه ، ط : تمراش ، والخبر في ابن الأثير (٨/ ٣١١) .
(٦) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) وابن الأثير (٨/ ٣١٠) والعبر (٤/ ٣٧) وتذكرة الحفاظ (٤/ ٥٧) ومرآة الجنان (٣/ ٢١٣) .
(٧) ليس في ط .
(٨) ط : وكان من حفاظ .
(٩) الخبر في المنتظم (٩/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) آ : ودخل .
(١٢) مكانهما في ط : بها .
(١٣) في ب : ستين . والأصحّ من الروايتين ما ورد في الشذرات (٤/ ٤٩) : وعاش اثنتين وسبعين سنة .
(١٤) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٣٩ ـ ٢٤١) وابن الأثير (٨/ ٣٠٨) ومرآة الزمان (٨/ ١٠٧) ووفيات الأعيان (٢/ ١٩٠) والعبر (٤/ ٣٨) ومرآة الجنان (٣/ ٢٩٨) .

كان وزير السلطان محمود ، وكان مجاهراً بالظلم والفسق ، وأحدث على الناس مكوساً[(١)] ، وجددها بعدما كانت قد أُزيلت من مدة متطاولة ، وكان يقول : قد استحييتُ من كثرة الظلم لمن لا ناصر له ، وكثرة[(٢)] ما أحدثتُ من السنن السيئة ، ولما عزم على الخروج إلى همذان أحضر المنجمين ، فضربوا له تخت رمل لساعة خروجه [لتكون أسرع لعوده][(٣)] ، فخرج في تلك الساعة وبين يديه السيوف المسلولة[(٤)] ، والمماليك بالعدد الباهرة . [فما أغنى عنه ذلك شيئاً ، بل جاءه باطني][(٥)] ، فضربه فقتله [في الساعة الراهنة بعدما ضربه غير ما مرة في مقاتله ، ثم ذبحه كما تذبح الشاة ، والمماليك يضربونه بالسيوف والنبال في ظهره ، ولا يبالي بشيء من ذلك حتى قتله ، ثم مات بعده][(٦)] .

ورجع نساؤه حاسرات عن وجوههن ، وقد أبدلهنّ الله [الذِّلة بعد العِزة][(٧)] ، والخوف بعد الأمن ، والحزن بعد السرور والفرح ، جزاءً وفاقاً ، وكان ذلك يوم الثلاثاء سلخ صفر ، وما أشبه حالهن بقول أبي العتاهية في الخيزران وجواريها حين مات المهدي : [من مجزوء الرمل]

رُحْنَ في الوَشْيِ وأَصْبَحْـ ـنَ عَلَيْهِنَّ المُسُوحُ
[كُلُّ نَطّاحٍ مِنَ الدَّهْـ ـرِ لَهُ يَوْمٌ يطوحْ][(٨)]
لَتَمُوتَنَّ ولو عُمِّـ ـرْتَ ما عُمِّرَ نُوحْ
فَعَلَى نَفْسِكَ نُحْ إنْ كُنْتَ لا بُدَّ تَنُوحْ

الحريري[(٩)] **صاحب المقامات القاسم بن علي بن محمد**[(١٠)] **بن عثمان ، فخر الدين ، أبو محمد الحريري البصري :**

مؤلف « المقامات » التي سارت بفصاحتها الركبان ، وكاد يربو فيها على سَحبان ، [ولم يسبق إلى

(١) ليس في آ .
(٢) ب : ولكثرة . وليست اللفظة في آ .
(٣) ط : ليكون أسرع لعودته .
(٤) ب : المسللة .
(٥) ب : ومع هذا جاء باطني .
(٦) مكانهما في ط : ثم مات الباطني بعده .
(٧) ط : الذل بعد العز .
(٨) البيت الثاني ساقط من آ والأبيات كل بيتين ببيت واحد ، وهو نموذج من أخطاء ط وهما في المنتظم (٩/ ٢٤١) .
(٩) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٤١) ومعجم الأدباء (١٦/ ٢٦١ ـ ٢٩٢) وابن الأثير (٨/ ٣٠٥) وإنباه الرواة (٣/ ٢٣) ومرآة الزمان (٨/ ١٠٩) ووفيات الأعيان (٤/ ٦٣ ـ ٦٨) والعبر (٤/ ٣٨) ومرآة الجنان (٣/ ٢١٣ ـ ٢٢٢) .
(١٠) ط : القاسم بن علي بن محمد بن محمد ، خطأ ، وما أثبتناه يعضده ما في مصادر ترجمته .

مثلها ولا يلحق][(١)] . ولد سنة ست وأربعين وأربعمئة . وسمع الحديث ، واشتغل باللغة والنحو ، وصنّف في ذلك كله ، وفاق أهل زمانه ، وبرّز على أقرانه[(٢)] . وأقام ببغداد ، وعمل صناعة الإنشاء مع الكتّاب في باب الخليفة ، ولم يكن ممن تُنكر بديهته ولا تتعكَّر فكرته .

قال ابن الجوزي[(٣)] : سمع الحديث ، وقرأ الأدب[(٤)] واللغة ، وفاق أهل زمانه بالذكاء والفطنة ، والفصاحة وحسن العبارة ، وصنف[(٥)] المقامات المعروفة التي من تأملها عرف قدر منشئها[(٦)] . توفي في هذه السنة بالبصرة .

وقد قيل : إن أبا زيد والحارث بن همام[(٧)] لا وجود لهما ، وإنما جعل هذه المقامات من باب الأمثال . ومنهم من يقول : أبو زيد المطهر[(٨)] بن سلام السروجي كان له وجود ، وكان فاضلاً ، له علم ومعرفة باللغة ، فالله أعلم .

وذكر القاضي ابن خَلِّكان أن أبا زيد كان اسمه المطهر بن سلام[(٩)] ، وكان بصرياً فاضلاً في النحو واللغة ، وكان يشتغل على[(١٠)] الحريري بالبصرة ، وأما الحارث بن همام فإنه غني بنفسه[(١١)] لما جاء في الحديث : « كلكم حارث وكلكم همام »[(١٢)] .

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) آ ، ب : إخوانه .
(٣) المنتظم (٩/ ٢٤١) .
(٤) آ ، ب : وسمع الحديث وحدث وقرأ ، وفي ط : صنف وقرأ الأدب .
(٥) في المنتظم : وأنشأ .
(٦) بعدها في ط : وقدره وفصاحته وعلمه . وليست هذه العبارة في المنتظم .
(٧) بعده في ط : المطهر .
(٨) ليس في ط .
(٩) في الوفيات : سلار .
(١٠) ط : عليه .
(١١) آ : فإنما غني به نفسه .
(١٢) قال الشيخ محمد درويش الحوت في كتابه « أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب » : ليس بحديث . وقال الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » صفحة (٣١٩) : ذكره الحريري في صدر مقاماته ، وجعله من مقوله ، أقول : والحديث الوارد في هذا المعنى وهو اللفظ المحفوظ كما قال المؤلف رحمه الله بعده حديث أبي وهب الجشمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة » رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٤٥) والبخاري في الأدب المفرد (٢/ ٢٧٧) وأبو داود في سننه (٤٩٥٠) وفي سنده عقيل بن شبيب وهو مجهول وباقي رجاله ثقات ، أقول : وإسناده ضعيف (ع) .

كذا قال القاضي[(١)] وإنما اللفظ المحفوظ (أصدق الأسماء حارث وهمام)[(٢)] لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل ، أو همام من الهمة[(٣)] وهو العزم والخاطر[(٤)] .

وذكر أن أول مقامة عملها الثامنة والأربعون ، وهي الحرامية ، وكان سببها أنه دخل عليهم مسجد البصرة رجل ذو طمرين ، فصيح اللسان ، فاستسموه ، فقال : أبو زيد السروجي ، فعمل فيه هذه المقامة . فأشار عليه وزير الخليفة[(٥)] المسترشد وهو جلال الدين عميد الدولة أبو علي الحسن بن أبي العز[(٦)] علي بن صدقة أن يكمل عليها تمام خمسين مقامة .

قال ابن خَلكان[(٧)] : كذا رأيته في نسخة بخط المصنف[(٨)] ، على حاشيتها : وهذا أصح من قول من قال : هو الوزير شرف الدين أبو نصر أنوشروان بن خالد بن محمد[(٩)] القاشاني ، وهو وزير المسترشد أيضاً ، ويقال : إن الحريري كان قد عملها أربعين مقامة ، فلما قدم بغداد لم يصدَّق في ذلك [لعجز الناس عن مثلها][(١٠)] ، فامتحنه[(١١)] بعض الوزراء أن يعمل مقامة فجلس ناحية ، وأخذ دواة[(١٢)] وقرطاساً فلم يتيسّر له شيء . فلما عاد إلى بلده عمل عشراً أخرى فأتمها [خمسين مقامة][(١٣)] .

وقد قال فيه أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر ، وكان من جملة المكذِّبين له[(١٤)] : [من المنسرح]

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رَبيعةِ الفَرَسِ   يَنْتِفُ عُثْنُونَهُ مِن الهَوَسِ
أَنْطَقَهُ اللهُ بالمَشَان وَقَدْ   رَمَاهُ وَسْطَ العِراقِ بالخَرَسِ[(١٥)]

---

(١) ط : ابن خلكان .
(٢) وهو بمعنى الذي قبله ، وهو ضعيف (ع) .
(٣) آ ، ب : الهم .
(٤) آ : أو الخطرة .
(٥) آ ، ب : الوزير الذي للخليفة .
(٦) ط : المعز ، وفي ب : الحسن بن عبد العزيز ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٢٢ من هذا الجزء .
(٧) وفيات الأعيان (٤/ ٦٤) .
(٨) آ : المص ، اختصاراً للفظة : المصنف .
(٩) ط : أنوشروان بن محمد بن خالد بن محمد .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) آ ، ب : وامتحنه .
(١٢) ط : فأخذ الدواة والقرطاس وجلس ناحية .
(١٣) مكانهما في آ ، ب : بها .
(١٤) بعدها في ط : بها .
(١٥) ط : كما رماه وسط الديوان بالخرس .

ومعنى قوله : (بالمشان) هو مكان بالبصرة . [ويذكر أنه كان صدر][١] ديوان المشان ، ويقال : إنه كان دميم الخَلْق ، فاتفق أن رجلاً رحل إليه ، فلما رآه ازدراه ، ففهم الحريريّ ذلك ، فأنشأ يقول :

[من البسيط]

مـــا أَنْـــتَ أَوَّلُ سَـــارٍ غَـــرَّهُ قَمَـــرٌ   أَوْ رائـدٌ[٢] أَعْجَبَتْـهُ خُضْـرَةُ الـدِّمَـنِ
فَـاخْتَـرْ لِنَفْسِـكَ غَيْـرِي إِنَّنـي رَجُـلٌ   مِثْلُ المُعَيْدِيِّ فَاسْمَعْ بي ولا تَرَني[٣]

يقال : إن المعيدي اسم حصان جواد كان في العرب دميم الخلق[٤] . والله أعلم .

البغوي[٥] المفسر الحسين بن مسعود بن محمد ، [أبو محمد] البغوي :

صاحب « التفسير » ، و« شرح السنة » ، و« التهذيب في الفقه »[٦] ، و« الجمع بين الصحيحين » ، و« المصابيح في الصحاح والحسان » وغير ذلك .

اشتغل على القاضي حسين[٧] ، وبرع في هذه العلوم ، وكان علاّمة زمانه فيها . وكان ديّناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً . توفي في شوال [من هذه السنة][٨] ، وقيل : في سنة عشر ، فالله أعلم . ودفن مع شيخه القاضي حسين بالطالَقَان . والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمئة

في يوم عاشوراء منها[٩] عاد الخليفة من الحِلة [بعد كسر جيش][١٠] دُبيس ، ومزّق شمله ، وقطع وصله ، في أول هذا الشهر ، ثم عاد][١١] إلى بلده ببغداد مؤيّداً منصوراً ، [ورجع إلى أهله مسروراً][١٢] .

---

(١) ط : وكان الحريري صدر .
(٢) ط : ورائداً .
(٣) المثل : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . في مجمع الأمثال (١/١٢٩) والفاخر (٦٥) وجمهرة الأمثال (١/٢٦٦) والمستقصى في الأمثال (١/ ٣٧٠) وأمثال القاسم بن سلام (٩٧ و٩٨) وفصل المقال (١٣٥ و١٣٦) وأمثال الضبي (٥٥) والأمثال لمجهول (٢٧) واللسان . (معد) .
(٤) آ : الخلقة .
(٥) تقدمت ترجمته ومظانها في حوادث سنة ٥١٠ من هذا الجزء .
(٦) آ : اللفة . وهو تصحيف .
(٧) هو القاضي حسين بن محمد المروروذي .
(٨) ط : فيها .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ب : جيوش .
(١١) ليس في ط .
(١٢) مكانهما في ط : من قتال دبيس .

وفيها : عزم الخليفة على طهور أولاده وأولاد أخيه ، وكانوا اثني عشر ذكراً ، فزيّنت بغداد سبعة أيام بزينة لم يُر مثلها ، [وأظهر الناس من الحليّ والمصاغ والثياب ما لم يُر مثلها][١] .

وفي شعبان منها قدم أسعد المِيْهَني مدرساً للنظامية ببغداد ، وناظراً عليها ، وصرف الباقرحي[٢] عنها ، فوقع[٣] بينه وبين بعض الفقهاء فتنة بسبب أنه قطع منهم جماعة ، واكتفى بثمانين طالباً منهم ، فلم يهن ذلك على كثير منهم .

وفيها : سار السلطان محمود إلى بلاد الكرج ، وقد وقع بينهم وبين القفجاق خلف فقتلهم فهزمهم ، ولله الحمد . ثم عاد إلى همذان مؤيداً منصوراً .

وفيها : ملك طُغْتِكين صاحبُ دمشق مدينة حماة بعد وفاة صاحبها محمود بن قراجا ، [وقد كان ظالماً غاشماً .

وفيها عُزل نقيب العلويين ، وهدمت دار علي][٤] بن أفلح لأنهما كانا عيناً لدُبيس[٥] وأضيف إلى علي بن طراد الزينبي نقابة العلويين مع نقابة العباسيين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي المعروف بابن الخياط[٦] الشاعر الدمشقي الكاتب الماهر :

له ديوان[٧] مشهور ؛ قال الحافظ ابن عساكر[٨] : ختم به ديوان الشعراء بدمشق ، وكان شاعراً ماهراً محسناً مجيداً مكثراً حفظة لأشعار المتقدمين وأخبارهم .

---

(١) عن آ وحدها .

(٢) في (ط) : « الباقرجي » ، وفي بعض النسخ : « الباقرمي » وكله تصحيف . (بشار) .

(٣) ط : ووقع .

(٤) ليس في آ .

(٥) العبارة في ط : وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت داره وهو علي بن أفلح لأنه كان عيناً لدبيس . وهذا تصحيف لأنهما شخصان لا واحد . والخبر في ابن الأثير (٨/ ٣١٤) .

(٦) ترجمته في تهذيب ابن عساكر (٢/ ١٠١ و١٠٢) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣/ ٢٧٦) وخريدة القصر ـ بداية قسم شعراء الشام (٢٤٣) ووفيات الأعيان (١/ ١٤٥) والعبر (٤/ ٣٩) ومرآة الجنان (٣/ ٢٢١) .

(٧) طبع ديوان ابن الخياط في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٨م ، بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك رحمه الله .

(٨) الخبر بخلاف في الرواية في تاريخ ابن عساكر (٧/ ٣٦١) وفي مختصر ابن منظور (٣/ ٢٧٦) ووفيات الأعيان (١/ ١٤٦) .

وأورد له القاضي ابن خلكان[١] من شعره الرائق قطعاً ، من ذلك[٢] قصيدته التي لو لم يكن له سواها لكفته ، وهي التي يقول في أولها : [من الطويل]

خُـذا مِـنْ صَبَـا نَجْـدٍ أمـانـاً لِقَلْبـه ... فَقَـدْ كـادَ ريّـاهـا يَطيـرُ بِلُبِّـهِ
وَإيّـاكُمـا ذاك النَّسيـمَ فـإنَّـهُ ... مَتَـى هَـبَّ كـانَ الـوَجْـدُ أيْسَرَ خَطْبِـهِ
خَليلـيَّ لَـوْ أَحْبَبْتُمـا لَعَلِمْتُمـا ... مَحَلَّ الهَوَى من مُغْرَمِ القَلْبِ صبِّهِ[٣]
أَتَـذْكُرُ والـذِّكْرى تَشُوقُ وذُو الهَـوَى ... يَتُـوقُ وَمَـنْ يَعْلَـقْ بـه الحُـبُّ يُصْبِـهِ
غَـرامٌ علـى يَـأْسِ الهَـوَى وَرَجَـائِـهِ ... وَشَـوْقٌ علـى بُعْـدِ المَـزَارِ وقُـرْبِـهِ
وفي الرَّكْبِ مَطْوِيُّ الضُّلُوعِ على جَوَى ... مَتَـى يَـدْعُـهُ دَاعِـي الغَـرامِ يُلَبِّـهِ
إذا خَطَرتْ مِنْ جَانِبِ الـرَّمْلِ نَفْحَةٌ ... تَضَمَّـنَ منهـا دَاؤُهُ دُونَ صَحْبِـهِ
ومُحْتَجِـبٍ بَيْـنَ الأَسِنَّـةِ مُعْـرِضٌ ... وَفي القَلْبِ من إعْراضِهِ[٤] مِثْلُ حَجْبِهِ
أَغَـارُ إذا آنَسْـتُ فـي الحَـيِّ أَنَّـةً ... حـذاراً وَخَـوْفـاً أنْ تكـون لحبِّـهِ

وقد كانت وفاته في رمضان عن سبع وستين[٥] سنة بدمشق .

ثم دخلت سنة ثماني عشرة وخمسمئة

فيها : ظهرت الباطنية بآمِد ، فقاتلهم أهلها ، فقتلوا منهم سبعمئة ، [ولله الحمد][٦] .

وفيها : رُدَّت الشحنكية ببغداد إلى سعد الدولة يرنقش الزكوي ، وسلم إليه منصور بن صدقة ، أخو دُبَيْس ، ليسلمه إلى دار الخلافة .

وورد الخبر بأن دُبيساً قد التجأ إلى طُغْرُلْبَك ، وقد اتفقا على أخذ بغداد ، فأخذ الناس بالتأهُّب[٧] لقتالهما[٨] . وأمر آقْسُنْقُر التركي بالعود إلى الموصل ، فاستناب على البصرة عماد الدين زنكي بن آقسنقر .

---

(١) ط : قطعة جيدة من شعره من قصيدة .
(٢) آ ، ب : التي قال فيها لو لم يكن . . . .
(٣) الأبيات مطلع قصيدة مؤلفة من ٧٨ بيتاً في ديوانه (١٧٠ ـ ١٧٧) وهي كما هنا في وفيات الأعيان (١/ ١٤٦) والشذرات (٤/ ٥٤) .
(٤) آ ، ب : إعراضها .
(٥) ب : عن سبعين سنة ، وفي ط : عن سبع وتسعين سنة . وكلاهما تصحيف لأن ابن الخياط ولد سنة ٤٥٠ .
(٦) ليس في ط .
(٧) آ ، ب : للتأهب .
(٨) ط : إلى قتالهما .

وفي ربيع الأول دخل الملك حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق مدينة[(١)] حلب ، وقد ملكها بعد ملكها بلك بن بهرام بن أُرْتُق ، وكان قد حاصر قلعة منبج ، فجاءه سهم في حلقه فمات . فاستناب تمرتاش بحلب ، ثم عاد إلى ماردين ، ، فأُخذت منه بعد ذلك ، أخذها آقسنقر البُرْسُقي مضافة إلى الموصل .

وفيها : أرسل الخليفة القاضي أبا سعد الهروي ليخطب له ابنة السلطان سَنْجَر ، وشرع الخليفة في بناء دار على حافة دجلة لأجل العروس ، وكمل بناء المثمَّنة في هذه السنة .

وحج بالناس في هذه السنة جمال الدولة إقبال المسترشدي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن علي بن بَرْهان[(٢)] ، أبو الفتح ، ويعرف بابن الحَمَّامي :

تفقّه على أبي الوفاء بن عقيل ، وبرع في مذهب الإمام أحمد [بن حنبل][(٣)] . ثم نقم عليه أصحابه أشياء ، فحمله ذلك على الانتقال إلى المذهب الشافعي[(٤)] ، فاشتغل على الغزالي والشاشي ، وبرع وساد وشهد عند القاضي الزينبي[(٥)] ودرّس في النظامية شهراً . وتوفي في جمادى الأولى ، ودفن بباب أبرز .

[عبد الله بن محمد بن علي بن محمد ، أبو جعفر][(٦)] الدامغاني :[(٧)]

سمع الحديث وشهد عند أبيه ، وناب في ربع الكرخ عن أخيه ، ثم ترك ذلك كله ، وولي حجابة باب النوبي ، ثم عزل ، ثم أعيد ، [وكان دمث الأخلاق ، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة][(٨)] .

أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الفضل الميداني[(٩)] :

صاحب كتاب الأمثال ، ولم يُعلم مثله في بابه . وله شعر جيد .

قال ابن خلكان : وتوفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان من هذه السنة .

---

(١) ط : صاحب .
(٢) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) وابن الأثير (٨/ ٣١٧) ووفيات الأعيان (١/ ٩٩) والوافي (٧/ ١٠١) .
(٣) عن ب وحدها .
(٤) ليس في آ .
(٥) بعدها في ط : فقتله . وليست في المنتظم .
(٦) ط : عبد الله بن محمد بن جعفر ، أبو علي الدامغاني . والخبر في المنتظم .
(٧) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٥١) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٢٩١) .
(٨) مكانهما في ط : توفي في جمادى .
(٩) ترجمته في الأنساب (١١/ ٥٦٣) ومعجم الأدباء (٥/ ٤٥) واللباب (٣/ ٢٨١) وإنباه الرواة (١/ ١٢١) ووفيات الأعيان (١/ ١٤٨) ومرآة الجنان (٣/ ٢٢٣) .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمئة

فيها : قصد دُبَيْس والسلطان طُغْرُل بغداد ليأخذاها من يد الخليفة ، فلما اقتربا منها برز إليهما الخليفة في جحفل عظيم ، والناس مشاة بين يديه [وعليه السواد والبرد وبيده القضيب][١] إلى أول منزلة . ثم ركب الناس بعد ذلك ، فلما أمست الليلة التي يقتتلون في صبيحتها ، ومن عزمهم أن ينهبوا بغداد ، أرسل الله مطراً عظيماً ، ومرض السلطان طُغْرُل في تلك الليلة ، فتفرقت تلك الجموع ، ورجعوا على أعقابهم خائفين خائبين[٢] .

والتجأ دبيس ، قبّحه الله ، وطُغْرُل إلى الملك سَنْجَر ، وسألاه الأمان من الخليفة ، والسلطان محمود ، فحبس دُبَيْساً في قلعة ، ووشى واشٍ إلى الملك سنجر أن الخليفة يريد أن يستأثر بالملك ، وقد خرج من بغداد إلى[٣] اللان لقتال[٤] الأعداء ، فوقع في نفس السلطان سنجر من ذلك شيء ، وأضمر سوءاً[٥] ، مع أنه قد زوج ابنته من الخليفة .

وفيها : قُتل القاضي أبو سعد محمد[٦] بن نصر بن منصور[٧] الهروي بهمذان ، قتله[٨] [الباطنية ، وكان قد أرسله الخليفة إلى السلطان سنجر يخطب[٩] ابنة السلطان][١٠] .

وحج بالناس نظر الخادم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

آقسُنْقُر البُرْسُقي[١١] : صاحب حلب[١٢] .

---

(١) ليس في ط .
(٢) ط : خائبين خائفين .
(٣) ليس في آ .
(٤) ط : لمحاربة .
(٥) ب : شراً .
(٦) عن آ وحدها .
(٧) ب ، ط : مسعود ، وكذلك عند ابن الأثير (٨/ ٣١٩) ، وما هنا يعضده ما في تاريخ الإسلام للذهبي وهو بخطه (١١/ ٢٩٧) لكنه جعل مقتله في سنة ٥١٨ .
(٨) ط : قتلته .
(٩) آ : يخطب عليه .
(١٠) ط : وهو الذي أرسله الخليفة إلى سنجر ليخطب ابنته .
(١١) ترجمته في ابن الأثير (٨/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) والعبر (٤/ ٤٦) والروضتين (١/ ٢٤ ـ ٢٥) ووفيات الأعيان (١/ ٢٤٢) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٣/ ٥٨٨) وتاريخ الإسلام (١١/ ٣١٣) .
(١٢) آ : الموصل . قتله .

قتلته الباطنية ، [وهم الفداوية][(١)] ، في مقصورة جامعهايوم الجمعة[(٢)] . وقد كان ، رحمه الله ، تركياً جيد السيرة ، صحيح السريرة ، محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، كثير البِرِّ والصدقات إلى الفقراء والإحسان[(٣)] إلى الرعايا . ولما توفي قام في الملك بعده ولده السلطان عز الدين مسعود ، وأقره السلطان محمود على عمله .

هلال[(٤)] بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ[(٥)] :

رحل وجال في البلاد . وكان شيخاً جهوري الصوت ، حسن القراءة ، طيب النغمة ، توفي في هذه السنة بسمرقند ، رحمه الله تعالى .

القاضي أبو سعد الهروي[(٦)] ، **محمد**[(٧)] بن نصر بن منصور ، أبو سعد الهروي[(٨)] : أحد مشاهير الفقهاء ، والسادة الكبراء ، قتلته الباطنية بهمذان[(٩)] ، حين ذهب في الرسِيلة عن الخليفة إلى السلطان سَنْجَر في خطبة ابنته .

[ثم دخلت سنة][(١٠)] عشرين وخمسمئة من الهجرة

فيها : تراسل السلطان محمود والخليفة على السلطان سَنْجَر أن[(١١)] يكونا عليه ، فلما علم بذلك السلطان[(١٢)] سنجر ، كتب إلى ابن أخيه محمود ينهاه عن ذلك ، ويستميله إليه ، ويحذّره من الخليفة ، [وأنه لا تُؤمَن غائلته][(١٣)] ، وأنه متى فرغ منه تفرَّغ له ، ووثب عليه[(١٤)] . فأصغى إلى قول عمه ، ورجع

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) آ : جمعة .
(٣) ط : كثير الصدقات .
(٤) آ ، ط : بلال .
(٥) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٥٤) وابن الأثير (٨/ ٣١٩) .
(٦) تقدم قبل قليل في الحوادث بمثل هذه الترجمة فلا معنى لإعادته .
(٧) في (ط) : « أحمد » وهو تحريف . (بشار) .
(٨) ترجمته في ابن الأثير (٨/ ٣١٩) وتاريخ الإسلام (١١/ ٢٩٧) .
(٩) ط : بهمذان بها .
(١٠) ليس في آ .
(١١) ط : وأن .
(١٢) ليس في آ .
(١٣) عن ط وحدها .
(١٤) ط : وإنه متى فرغ مني دار إليك فأخذه .

عن عزمه ، وأقبل يقصد بغداد ليدخلها[١] عامه ذلك[٢] . فكتب إليه الخليفة ينهاه عن ذلك لقلة الأقوات بها ، فلم يقبل منه ، وأقبل إليه ، فلما أزف قدومه خرج الخليفة من داره وتجهز إلى الجانب الغربي ، فشقّ ذلك عليه وعلى الناس[٣] .

ودخل عيد الأضحى فخطب الخليفة الناس بنفسه خطبة عظيمة بليغة فصيحة جداً ، وكبّر وراءه خطباء الجوامع ، وكان يوماً مشهوداً . وقد سردها ابن الجوزي [في المنتظم][٤] بطولها . ورواها عمن حضرها عن الخليفة ، مع قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي وجماعة من العدول .

ولما[٥] أراد الخليفة أن ينزل عن المنبر ابتدره أبو المظفر محمد بن أحمد بن عبد العزيز[٦] الهاشمي فأنشده : [من الطويل]

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يا خَيْرَ مَنْ عَلا ... عَلَى[٧] مِنْبَرٍ قَدْ حَفَّ أَعْلامَهُ النَّصْرُ
وَأَفْضَلُ مَنْ أَمَّ الأَنَامَ وَعَمَّهُمْ ... بِسِيرتِهِ الحُسْنَى وَكَانَ لَهُ الأَمْرُ
لَقَدْ شَنَّفَتْ[٨] أَسْمَاعَنَا مِنْكَ خُطْبَةٌ ... وَمَوْعِظَةٌ فَصْلٌ[٩] يَلِينُ لَها الصَّخْرُ
مَلأتَ بها كُلَّ القُلوبِ مَهَابَةً ... فَقَدْ رَجَفَتْ مِنْ خَوْفِ تَخْوِيفِها مِصْرُ
سَمَا لَفْظُها فَضْلاً عَلَى كُلِّ قَائِلٍ ... وَجَلَّ عُلاها أَنْ يلمَّ بها حَصْرُ[١٠]
أَشَدْتَ بها شَأْنَ المَنَابِرِ رِفْعَةً ... تَقَاصَرَ عن إدْراكِها الأَنْجُمُ الزُّهر
وزِدْتَ بها عَدْنانَ مَجْداً مُؤَثَّلاً ... فَأَضْحَى لَهَا بَيْنَ الأَنامِ[١١] بِكَ الفَخْرُ[١٢]

---

(١) ط : وأقبل ليدخل بغداد .
(٢) ط : عليه ذلك .
(٣) ب : وعلى ذلك .
(٤) ليس ما بينهما في ط ، والخبر في المنتظم (٩/٢٥٦ ـ ٢٥٨) .
(٥) من هنا إلى آخر الأبيات لم يرد في غير آ . والخبر في المنتظم (٩/٢٥٨ ـ ٢٥٩) .
(٦) في المنتظم : أحمد بن علي بن عبد العزيز ، وما هنا يعضده ما في تاريخ الإسلام للذهبي ، وهو بخطه (١١/١٦٩) .
(٧) ليست في الأصل واستدركت عن المنتظم وتاريخ الإسلام .
(٨) المنتظم وتاريخ الإسلام : شرفت .
(٩) المنتظم وتاريخ الإسلام : فصل .
(١٠) آ : وحلت علاها آل سلم بها حصر .
(١١) آ : فأضحى بها من للأنام بك الفخر .
(١٢) بعده في المنتظم وتاريخ الإسلام :

وسدت بني العباس حتى لقد غدا ... يباهي بك السجاد والعالم الحبر

فَلِلَّـهِ عَصْـرٌ أَنْـتَ فيـه إمـامُـهُ وللهِ ديـنٌ أَنْـتَ فيـه لنـا الصَّـدْرُ
بَقِيـتَ علـى الأيّـامِ والمُلْـكِ كُلَّمـا تَقَـادَمَ عَصْـرٌ أَنْـتَ فيـه أَتَـى عَصْـرُ
وأَصْبَحْـتَ بـالعِيـدِ السَّعِيـدِ مُهَنَّـأً يُشَـرِّفُنـا فيـه صـلاتُـكَ والنَّحْـرُ

ولما نزل الخليفة عن المنبر ذبح البدنة بيده ، ودخل السرادق ، وتباكى الناس ، ودعَوا للخليفة بالتوفيق والنصر .

ثم دخل السلطان محمود إلى بغداد يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي الحجة ، فنزلوا في بيوت الناس وحصل للناس منهم أذى كثير في حريمهم ، [ثم إن السلطان راسل الخليفة][١] في الصلح ، فأبى ذلك الخليفة . وركب في جيشه ، وقاتل الأتراك ، ومعه شرذمة قليلة من المقاتلة ، ولكنَّ العامة كلهم معه . فقتل من الأتراك خلق كثير .

ثم جاء عماد الدين زنكي في جيش كثيف من واسط في السفن[٢] إلى السلطان نجدةً . فلما استشعر الخليفة ذلك دعا إلى الصلح . فوَقَعَ[٣] الصلحُ بين الملك[٤] والخليفة ، وأخذ الملك يستبشر بذلك جداً ، ويعتذر إلى الخليفة مما وقع ، ثم خرج في أول السنة[٥] الآتية إلى همذان لمرض حصل له .

وفيها ـ [أي هذه السنة][٦] ـ كان أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر يعظ الناس ، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، حضره الشيخ أبو القاسم علي بن يعلى العلوي البلخي ، وكان سُنِّياً[٧] ، علّمه كلماتٍ ثم أصعده المنبر فقالها ، وكان يوماً مشهوداً .

قال ابن الجوزي[٨] : وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفاً . [والله أعلم][٩] .

وفيها : اقتتل طُغْتِكين صاحب دمشق وأعداؤه من الفرنج ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وغنم منهم أموالاً جزيلة ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) آ ، ب : فراسل .
(٢) ط : سفن .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : السلطان .
(٥) ليس في آ .
(٦) ليس في ط .
(٧) ط : نسيباً .
(٨) المنتظم (٩/٢٥٩ ـ ٢٦٠) .
(٩) ليس في ب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن محمد ، أبو الفتوح[(١)] الطُّوسي الغزالي[(٢)] الواعظ أخو أبي حامد الغزالي :

كان واعظاً مفوّهاً ذا حظ من الكلام والزهد وحسن التأتي[(٣)] ، وله نكت جيدة . ووعظ مرة في دار الملك محمود ، فأطلق له ألف دينار ، وخرج فإذا على الباب فرس الوزير بسرجها المذهّب ، وسلاسلها ، وما عليها من الحلي ، فركبها . فبلغ ذلك الوزير ، فقال : دعوه ، ولا تُرَدُّ عليَّ الفرس . فأخذها الغزالي .

وسمع مرة ناعورة تئنّ ، فألقى عليها رداءه ، فتمزق قطعاً قطعاً .

قال ابن الجوزي[(٤)] : وقد كانت له نكت ، إلا أن الغالب على كلامه التخليط ، ورواية الأحاديث المصنوعة ، والحكايات الفارغة ، والمعاني الفاسدة .

ثم أورد ابن الجوزي أشياء منكرة من كلامه ، والله أعلم ؛ من ذلك : أنه كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله ﷺ في اليقظة فسأله عن ذلك فدلَّه على الصواب .

قال : وكان يتعصّب لإبليس ويعتذر له .

وتكلّم فيه ابن الجوزي بكلام طويل كثير .

قال : ونسب إلى محبة المردان ، والقول بالمشاهدة ، فالله أعلم بصحة ذلك .

قال ابن خَلِّكان[(٥)] : كان واعظاً مليح الوعظ ، حسن المنظر ، صاحب كرامات وإشارات . وكان من الفقهاء ، غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه . ودرّس بالنظامية نيابة عن أخيه لما تزهّد وتركها . واختصر « إحياء علوم الدين » في مجلد سماه « لباب الإحياء » وله « الذخيرة في علم البصيرة » . وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه . وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة .

أحمد بن علي بن محمد الوكيل[(٦)] ، المعروف بابن بَرْهان ، أبو الفتح الفقيه الشافعي :

---

(١) ط : أبو الفتح .

(٢) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٦٠) وابن الأثير (٨/ ٣٢٣) واللباب (الغزالي) ، ووفيات الأعيان (١/ ٩٧ ـ ٩٨) والعبر (٤/ ٤٥ ـ ٤٦) والوافي (٧/ ٦٢) ومرآة الجنان (٣/ ٢٢٤) .

(٣) في (د) : « التأني » .

(٤) المنتظم (٩/ ٢٦٠ ـ ٢٦١) .

(٥) وفيات الأعيان (١/ ٩٧) .

(٦) تقدمت ترجمته في وفيات سنة (٥١٨) بترجمة مختلفة قليلاً بسبب تنوع النقل من المورد ، فقد نقلها هناك من المنتظم ونقلها هنا من وفيات الأعيان (١/ ٩٩) ، وترجمة الذهبي في وفيات سنة (٥١٨) من تاريخ الإسلام (١١/ ٢٨٥) نقلاً من تاريخ ابن النجار (بشار) .

تفقّه على الغزالي وإلْكيا الهرّاسي[١] وأبي بكر[٢] الشاشي . وكان بارعاً في الأصول ، له فيه كتاب « الوجيز[٣] في أصول الفقه » . وكانت له فنون جيدة يتقنها جيداً[٤] ، وولي تدريس النظامية ببغداد دون شهر . [وكانت وفاته في هذه السنة كما ذكره ابن خلكان ، رحمه الله][٥] .

بَهْرام بن بَهْرام ، أبو شجاع البيِّع[٦] :

سمع الحديث ، وبنى مدرسة لأصحاب الإمام أحمد بكَلْواذَى[٧] ، ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء .

صاعد بن سَيّار[٨] بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، أبو العلاء[٩] الإسحاقي الهروي الحافظ ، أحد المتقنين ، سمع الكثير وحدَّث . وتوفي بغورج قرية على باب هراة[١٠] في هذه السنة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمئة

استُهلّت هذه السنة والخليفة والسلطان محمود يتحاربان ، والخليفة في السرادق في الجانب الغربي ، فلما كان يوم الأربعاء رابع المحرم توصل جماعة من جند السلطان إلى دار الخلافة ، فحصل فيها ألف مقاتل عليهم السلاح ، فنهبوا الأموال ، وخرج الجواري وهن حاسرات يستغثن حتى دخلن[١١] دار خاتون .

قال ابن الجوزي[١٢] : وأنا رأيتهن كذلك .

---

(١) ليس في آ .
(٢) ط : وعلي الشاشي .
(٣) ط : وله كتاب الذخيرة .
(٤) ط : وكان يعرف فنوناً جيدة بعينها .
(٥) ليس في ط .
(٦) ترجمته في المنتظم (٩/ ٢٦٢) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٣١٥-٣١٦) .
(٧) كذا في الأصلين وط وتاريخ الإسلام ، والذي في المنتظم أن المدرسة بناها بباب الأزج عند باب كلواذى ، وكَلْواذَى : ناحية قرب مدينة بغداد . معجم البلدان .
(٨) ترجمته في « الإسحاقي » من الأنساب والمنتظم (٩/ ٢٦٢) والعبر (٤/ ٤٦) .
(٩) ط : أبو الأعلى .
(١٠) ليست عبارة : في هذه السنة . في ط .
(١١) آ ، ب : دخل .
(١٢) المنتظم (١٠/ ٢) وعبارته : فرأيتهن وأنا صبي .

فلما وقع ذلك ركب الخليفة في جيشه ، وجيء بالسفن [فركب فيها الجيش][١] ، وانقلبت بغداد بالصراخ حتى كأنّ الدنيا قد زلزلت ، وثارت العامة مع جيش الخليفة ، فكسروا جيش السلطان وقتلوا خلقاً من الأمراء ، وأسروا آخرين ، ونهبوا دار السلطان ودار وزيره ودار طبيبه أبي البركات ، وأخذوا ما كان في داره من الودائع ، وجرت[٢] خبطة[٣] عظيمة جداً ، حتى أنّهم[٤] نهبوا الصوفية برباط بِهْرُوز[٥] . وجرت أمور طويلة ، وخطوب جليلة ، ونالت العامة من السلطان ، وجعلوا يقولون له : يا باطني ، تترك قتال الفرنج والروم ، وتقاتل الخليفة .

ثم إن الخليفة انتقل إلى داره في سابع المحرم ، فلما كان يوم[٦] عاشوراء تماثل الحال ، وطلب السلطان من الخليفة الأمان والصلح ، فلان الخليفة إلى ذلك ، وتباشر الناس بالصلح ، فأرسل الخليفة إليه[٧] نقيب النقباء وقاضي القضاة وشيخ الشيوخ وبضعاً وثلاثين شاهداً ، فاحتبسهم السلطان عنده ستة[٨] أيام ، فساء ذلك الناس ، وخافوا من فتنة أخرى[٩] أشدّ من الأولى ، وكان يرنقش الزكوي شحنة بغداد يغري السلطان بأهل بغداد لينهب أموالهم ، فلم يقبل منه ، ثم أذن لأولئك الجماعة ، فدخلوا[١٠] عليه وقت المغرب فصلى به[١١] القاضي ، وقرؤوا عليه كتاب الخليفة ، فقام قائماً ، فأجاب الخليفة إلى جميع ما اقترح عليه ، ووقع الصلح والتحليف ، ودخل جيش السلطان [إلى بغداد][١٢] ، وهم في غاية الجهد من قلة الطعام عندهم في العسكر . وقالوا : لو لم نصالح[١٣] لمتنا جوعاً[١٤] ، وظهر من السلطان حلم كثير عن العوام ، ولله الحمد .

[وأمر الخليفة بردّ ما نهب من دور الجند ، وأن من كتم منه شيئاً أبيح دمه][١٥] .

---

(١) عن آ وحدها .
(٢) ط : ومرت .
(٣) آ : جماعة .
(٤) ليس في ب .
(٥) ط : نهر جور ، وهو تصحيف والخبر في المنتظم (١٠/٣) .
(٦) ط : في يوم .
(٧) ط : إليه الخليفة .
(٨) آ : سبعة . والخبر في المنتظم (١٠/٣) .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ط : فأدخلوا .
(١١) ط : بهم .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) آ : تصالح . ط : يصالح .
(١٤) ب : خوفاً .
(١٥) ليس في آ .

وبعث الخليفة عليّ بن طراد الزينبي النقيب إلى السلطان سَنْجَر ليُبعد عن بابه دُبيساً ، وأرسل معه الخِلع والألوية[١] ، فأكرم السلطان سَنجر الرسول ، وأمر[٢] بضرب الطبول على بابه في ثلاثة أوقات ، وظهرت منه طاعة كبيرة[٣] .

ثم مرض السلطان محمود ببغداد ، فأمره الطبيب بالانتقال عنها إلى همذان ، فسار في ربيع الآخر ، وفوّض شحنكية بغداد إلى عماد الدين زنكي ، فلما وصل السلطان همذان بعث على شحنكية بغداد مجاهد الدين بِهْرُوز ، [وجعل إليه الحِلَّة][٤] ، وبعث عماد الدين زنكي إلى الموصل وأعمالها .

وفيها : درَّس الحسن[٥] بن سلمان[٦] بالنظامية ببغداد .

وفيها : ورد أبو الفتوح الإسفراييني ، فوعظ ببغداد ، فأورد أحاديث كثيرة منكرة جداً فاستتيب منها ، وأمر بالانتقال عنها إلى غيرها ، فشدّ معه جماعة من الأكابر ، وردّوه إلى ما كان عليه ، فوقع بسببه فتن كثيرة بين الناس ، حتى رجمه بعض العامة [في الأسواق ، وذلك لأنه كان يطلق عبارات لا يحتاج إلى إيرادها ، فنفرت منه قلوب العامة][٧] ، وأبغضوه .

وجلس الشيخ عبد القادر الجيلي ، فتكلم على الناس فأعجبهم[٨] ، وأحبوه ، وتركوا ذاك .

وفيها : قَتل السلطان سَنْجر من الباطنية [نحواً من اثني][٩] عشر ألفاً .

وحج بالناس نظر الخادم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد ، أبو الحسن[١٠] بن أبي الفضل الهمذاني[١١] الفرضي ، صاحب التاريخ .

---

(١) ط : والأكرام .
(٢) آ ، ب : وأذن في .
(٣) ب : كثيرة .
(٤) مكانهما في آ ، ب : على بغداد والحلة .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ط : (سليمان) وهو تصحيف ، وانظر المنتظم (١٠/ ٥) وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٢٥ من هذا الجزء .
(٧) ليس في ب .
(٨) آ : فأعجبوه .
(٩) ط : إثنا .
(١٠) ب : أبو الحسين .
(١١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٨) وابن الأثير (٨/ ٣٢٥) والوافي (٤/ ٣٧) .

من بيت الحديث والأئمة[١] . وذكر ابن الجوزي[٢] عن شيخه عبد الوهاب : أنه طُعِن فيه . توفي فجأة في شوال من هذه السنة . ودفن إلى جانب ابن سريج[٣] .

فاطمة[٤] بنت الحسن بن الحسن بن فضلويه[٥] :

سمعت الخطيب وابن المُسلمة وغيرهما . وكانت واعظة ، لها رباط تجتمع فيه الزاهدات . وقد سمع عليها ابن الجوزي[٦] مسند الشافعي وغيره .

أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيْد البَطَلْيَوْسيّ[٧] ثم البَلَنْسِي[٨] : صاحب المصنفات في اللغة وغيرها . جمع « المُثَلَّث » في مجلدين ، وزاد فيه على قُطْرب شيئاً كثيراً . وله شرح « سقط الزند » لأبي العلاء ، أحسن من شرح المصنف ، وله شرح « أدب الكاتب » لابن قتيبة . ومن شعره الذي أورده القاضي ابن خلكان[٩] : [من الطويل]

أَخُو العِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرابِ رَمِيمُ
وَذُو الجَهْلِ مَيْتٌ وَهوَ مَاشٍ على الثَّرى يُظَنُّ مِنَ الأَحْيَاءِ وَهْوَ عَدِيمُ

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وخمسمئة

في أولها قدم رسول من[١٠] سَنْجر إلى الخليفة يسأل منه أن يُخْطَب له على المنابر ببغداد[١١] . فكان يُخطب له كل جمعة في جامع[١٢] .

---

(١) ليس في ط .
(٢) المنتظم (١٠/٨) .
(٣) ط : (شريح) ، خطأ ، وانظر المنتظم .
(٤) ترجمتها في المنتظم (١٠/٧ـ٨) ، وتاريخ الإسلام (١١/٣٧٣) .
(٥) بعدها في المنتظم : (الرازي) .
(٦) في المنتظم (١٠/٨) : (وسمعت منها بقراءة شيخنا أبي الفضل بن ناصر كتاب ذم الغيبة لإبراهيم الحربي ومن مجالس ابن سمعون روايتها عن ابن النقور عنه ومسند الشافعي وغير ذلك .
(٧) ترجمته في إنباه الرواة (٢/١٤١) ووفيات الأعيان (٣/٩٦ ـ ٩٧) ومرآة الجنان (٣/٢٢٨) .
(٨) في (ط) : « التنيسي » وهو تحريف ، فابن السيد أصله من بطليوس ، ثم نزل بلنسية وبها توفي ، وهكذا هو في الصلة لابن بشكوال (الترجمة ٦٤٣) ، وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/٣٦٨) (بشار) .
(٩) وفيات الأعيان (٣/٩٦) .
(١٠) ليس في ط .
(١١) ط : منابر بغداد .
(١٢) آ : يخطب له في كل جامعه في كل جمعة ، وفي ط : يخطب له في كل جمعة بجامع المنصور .

وفيها[١] : مات ابن صدقة وزير الخليفة [واستنيب في الوزارة][٢] نقيب النقباء .

وفيها : اجتمع السلطان[٣] محمود بعمه سَنْجر ، واصطلحا بعد خشونة . وسلّم سَنْجر دُبيساً إلى السلطان محمود ، على أن يسترضي عنه الخليفة ، ويعزل زنكي عن الموصل وبلادها ، ويسلم ذلك[٤] إلى دُبيس . واشتهر في ربيع الأول ببغداد أن دُبيساً أقبل إلى بغداد في جيش كثيف ، فكتب الخليفة إلى السلطان محمود : لئن لم تكفَّ دُبَيْساً عن القدوم إلى بغداد[٥] وإلا خرجنا إليه ، ونقضنا ما بيننا وبينك من العهود والصلح .

وفيها : ملك الأتابك زنكي بن آقسنْقر مدينة حلب وما حولها من البلاد .

وفيها : ملك تاج الملوك بوري بن طغتكين مدينة دمشق بعد وفاة أبيه ، وقد كان أبوه من مماليك تتش ابن ألب أرسلان . وكان عاقلاً حازماً عادلاً خيِّراً كثير الجهاد في الفرنج ، رحمه الله .

وفيها : عُمل ببغداد مُصَلًّى للعيد ظاهر باب الحلبة ، وحُوّط عليه ، وجُعِل فيه قبلة .

وحج بالناس في هذه السنة الأمير نظر الخادم المتقدم ذِكره ، جزاه الله خيراً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن علي بن صدقة[٦] ، **أبو علي ، وزير المسترشد** : توفي في رجب منها . ومن شعره الذي أورده له ابن الجوزي[٧] مما بالغ فيه[٨] قوله : [من الطويل]

وَجَدْتُ الوَرَى كَالماءِ طَعْماً وَرِقَّةً ... وأَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنينَ زُلالُهُ
وَصَوَّرْتُ مَعْنَى العَقْلِ شخصاً مُصَوَّراً ... وأَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنينَ مِثالُهُ
فَلَوْلاَ مَكَانُ[٩] الدِّينِ وَالشَّرْعِ[١٠] وَالتُّقَى ... لَقُلْتُ مِنَ الإعْظامِ جَلَّ جَلاَلُهُ[١١]

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) ط : وجعل مكانه .
(٣) آ ، ب : الملك .
(٤) آ : ذاك .
(٥) آ ، ب : لئن لم يكفه عن قدوم بغداد .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٩-١٠) وابن الأثير (٨/ ٣٣٤) والعبر (٤/ ٥١) ومرآة الجنان (٣/ ٢٢٩) .
(٧) في المنتظم (١٠/ ١٠) البيتان الأول والأخير .
(٨) ط : وقد بالغ في مدح الخليفة فيه وأخطأ .
(٩) المنتظم : طريق .
(١٠) ط : مكان الشرع والدين .
(١١) هذا البيت من المبالغات التي لا يجوز إطلاق القول فيها على إنسان بالغاً ما بلغ ، وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله=

الحسين بن علي بن أبي القاسم اللَّامِشِي[١] :

من أهل سمرقند ، روى الحديث ، وتفقه . وكان يضرب به المثل في المناظرة ، وكان خيّراً ديّناً على طريقة السلف ، مطّرحاً للتكلف ، أمّاراً بالمعروف . قدم من عند الخاقان ملك ما وراء النهر في رسالة إلى دار الخلافة ، فقيل له : ألا تحجُّ عامك هذا ؟ فقال : لا أجعل الحج تبعاً لرسالتهم . فعاد إلى بلده ، فمات في رمضان من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة ، رحمه الله .

طُغْتِكِين الأتابك[٢] ، صاحب دمشق التركي :

أحد غلمان تاج الدولة تُتُش بن أَلْب أَرْسَلان السُّلْجُوقي . كان من خيار الملوك وأعدلهم وأكثرهم جهاداً للأعداء ، وكانت وفاته في هذا العام ، وقام في الملك من بعده ولده تاج الملوك بُورِي .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمئة

في المحرم منها[٣] ، دخل السلطان محمود إلى بغداد ، واجتهد في أن يُرْضيَ[٤] الخليفة عن دُبَيْس وأن يُسَلّم إليه بلادَ الموصل ، فامتنع الخليفة من ذلك ، وأبى أشدّ الإباء ، [ولم يمكن][٥] ذلك[٦] .

هذا وقد تأخر دُبَيْس عن الدخول إلى بغداد ، ثم دخلها ، وركب بين الناس ، فلعنوه وشتموه في وجهه .

وقدم عماد الدين زَنْكي [بن آقسنقر][٧] فبذل للسلطان في كل سنة مئة ألف دينار ، وهدايا وتُحفاً ، والتزم للخليفة[٨] بمثلها على ألا يولّي دُبيساً شيئاً ، وعلى أن يستمر زَنْكي على عمله بالموصل ، فأقرّه

= أنه مما أورده له ابن الجوزي مما بالغ فيه . ولكن كان الأولى بابن كثير أن لا يذكر هذا البيت طالما هو من المبالغات التي لا تجوز إلا لله عزّ وجل .

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٠) ومعجم البلدان : لامش . وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٤١٤ ـ ٤١٨) و(١٩/ ٨٣ ـ ٨٥) .

(٢) ترجمته في ابن الأثير (٨/ ٣٣٧) والعبر (٤/ ٥١) .

(٣) عن ط وحدها .

(٤) ط : في إرضاء .

(٥) عن آ وحدها .

(٦) عن ب وحدها .

(٧) ليس في ط .

(٨) آ ، ب : والتزم الخليفة للسلطان .

على ذلك ، وخلع عليه ، فرجع إلى عمله . وملك في هذه السنة مدينة حلب وحماة ، وأسر ملكها سونج[١] ابن تاج الملوك ، فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار .

وفي يوم الإثنين سلخ ربيع الآخر خلع الخليفة على نقيب النقباء بالوزارة استقلالاً ، ولا يُعرف أحد من العباسيين باشر الوزارة غيره .

وفي رمضان منها جاء دُبيس في جيش إلى الحِلة فملكها ، ودخل إليها في أصحابه ، وكانوا ثلاثمئة فارس ، ثم إنه شرع في جمع الأموال ، وأخذ الغلاّت من القرى حتى حصّل نحواً من خمسمئة ألف دينار ، واستخدم قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وتفاقم الحال بأمره وبسببه . وبعث إلى الخليفة يسترضيه ، فلم يرض عنه ، وعرض عليه أموالاً كثيرة جداً ، فلم يقبلها الخليفة ، وكتب الخليفة إلى السلطان[٢] ، فبعث إليه جيشاً فانهزم منهم ، وذهب إلى البرِّية ، لا جمع الله به شملاً ، وأغار على البصرة فأخذ منها حواصل السلطان والخليفة . ثم دخل البرِّية فانقطع خبره .

وفي هذه السنة قتل صاحب دمشق من الباطنية ستة آلاف وعلّق رأس كبيرهم[٣] على باب القلعة ، وأراح الله أهل الشام منهم .

وفيها : حاصرت الفرنج مدينة دمشق ، فخرج إليهم أهلها ، فقاتلوهم قتالاً عظيماً . وبعث أهل دمشق عبد الوهاب[٤] الواعظ ، ومعه جماعة من التجار إلى بغداد يستغيثون بالخليفة ، فهمُّوا[٥] بكسر منبر الجامع حتى وعدهم بأنه سيكتب إلى السلطان[٦] ليبعث لهم جيشاً كثيفاً ، [نصرةً لأهل الشام][٧] ، فسكنت الأمور ، فلم يبعث إليهم جيشاً ، حتى نصرهم الله من عنده ، [فهزمهم المسلمون][٨] ، وقتلوا منهم عشرة آلاف ولم يفلت منهم سوى أربعين نفساً ، ولله الحمد والمنة .

وفيها : قتل بيمند الفرنجي صاحب أنطاكية .

وفي هذه السنة تخبَّط الناس في الحج ، حتى ضاق الوقت بسبب فتنة دُبيس ، قبحه الله ، حتى حجّ بهم أحد مماليك يرنقش الزكوي ، وكان اسمه بغاجق .

---

(١) اللفظة مصحفة في آ ، والخبر في ابن الأثير (٨/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) .
(٢) ثمة خلافات طفيفة بين النسخ .
(٣) ط : رؤوس كبارهم .
(٤) ط : عبد الله ، والخبر في المنتظم (١٠/ ١٣) .
(٥) ط : وهموا .
(٦) آ ، ب : حتى وعدوا سيكتبون إلى السلطان ، والخبر في المنتظم (١٠/ ١٣) .
(٧) ط : يقاتلون الفرنج .
(٨) ط : فإنَّ المسلمين هزموهم .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أسعد بن أبي نصر المِيْهَني[١] ، أبو الفتح :

أحد أئمة الشافعية في زمانه ، تفقّه على أبي المظفر السمعاني . وساد أهل زمانه وبرع وتفرد من بين أقرانه . وولي تدريس النظامية ببغداد ، وحصل له وجاهة عند الخاص والعام ، وعلق عنه « تعليقة في الخلاف » ثم عزل عن النظامية فسار إلى همذان . فمات بها في هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمئة

فيها : كانت زلزلة عظيمة بالعراق ، تهدمت[٢] بسببها دور كثيرة ببغداد .

ووقع بأرض الموصل مطر عظيم ، فسقط بعضه ناراً تأجج ، فاحترقت[٣] دور كثيرة من ذلك وتهارب الناس .

وفيها : وجد ببغداد عقارب طيّارة لها شوكتان ، فخاف الناس منها خوفاً شديداً .

وفيها : ملك السلطان سَنْجر مدينة سمرقند وكان بها محمد خان[٤] .

وفيها : ملك عماد الدين زنكي بلاداً كثيرة من الجزيرة [ومن بلاد][٥] الفرنج . وجرت له معهم حروب طويلة وخطوب جليلة ، ونُصر عليهم في تلك المواقف كلها ، ولله الحمد والمنة ، وقتل خلقاً من جيش الروم حين قدموا إلى الشام ، ومدحه الشعراء على ذلك .

قتل خليفة مصر الفاطمي

وفي ثاني ذي القعدة قتل الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله بن المستعلي ، صاحب مصر ، قتله[٦] الباطنية ، وله من العمر أربع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً .

---

(١) ترجمته في تبيين كذب المفتري (٣٢٠) والمنتظم (١٠/ ١٣) ووفيات الأعيان (١/ ٢٠٧) وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٨٨) والعبر (٤/ ٧١) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٢) وسترد ترجمته مرة أخرى في حوادث سنة ٥٢٧ من هذا الجزء ، وهو الأصوب في وفاته .

(٢) ط : تهدم .

(٣) ط : فأحرقت دوراً كثيرة وخلقاً من ذلك المطر .

(٤) ط : محمد خاقان .

(٥) ط : وهما مع .

(٦) ط : قتلته .

وكان هذا الرجل هو العاشر من الفاطميين والعاشر من ولد عبيد الله المهدي ، ولما قتل الأمير تغلّب على الديار المصرية غلام[١] من غلمان الخليفة أرمني ، فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام حتى حضر أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي ، فأقام الخليفة الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر بالله ، وله من العمر ثمان وخمسون سنة ، ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه ، وحصره في مجلسه ، [لا يدخل إليه أحد إلا من يريده][٢] ، ونقل الأموال من القصرإلى داره ، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن عثمان[٣] بن محمد ، أبو إسحاق[٤] الغَزِّي الكَلْبي[٥] :

من أهل غزة . جاوز الثمانين . وله شعر جيد . ومن شعره في الأتراك قوله : [من البسيط][٦]

في فتية مِنْ جُيُوشِ التُّركِ ما تَرَكتْ للرَّعْدِ كَرَّاتُهم[٧] صَوْتاً وَلا صِيتا
قَوْمٌ إذا قُوبلوا[٨] كانُوا مَلائِكَةً حُسْناً وإن قُوتلوا كانُوا عَفَارِيتا

وله : [من الكامل]

لَيْتَ الذي بالعِشْقِ دُونَكَ خَصَّني يا ظالمي قَسَمَ المَحَبَّة بَيْنَنَا
أَلْقَى الهِزَبْرَ فَلاَ أَخَافُ وُثُوبَهُ وَيَرُوعُني نَظَرُ الغَزال إذا رَنَا

وله : [من الخفيف]

إنَّما هٰذِهِ الحياةُ متاعٌ والسَّفيهُ الغَوِيُّ مَنْ يَصْطَفيها
ما مَضَى فاتَ والمُؤَمّلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ التي أَنْتَ فيها

وله أيضاً[٩] : [من الكامل]

---

(١) ليس في ب .
(٢) ط : لا يدع أحداً يدخل إليه إلا من يريد هو .
(٣) ط : إبراهيم بن يحيى بن عثمان .
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٥ ـ ١٦) والخريدة ـ شعراء الشام ـ (١/ ٤ ـ ٧٥) وابن الأثير (٨/ ٣٣٢) ووفيات الأعيان (١/ ٥٧ ـ ٦٢) والعبر (٤/ ٥٥) ومرآة الجنان (٣/ ٢٣٠) .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) الأبيات في المنتظم .
(٧) آ : لنابهم .
(٨) آ : قوماً إذا قوتلوا .
(٩) الأبيات في المنتظم (١٠/ ١٦) .

قَالوا هَجَرْتَ الشِّعْرَ[١] قُلْتُ ضَرورَةً   بـابُ البَـوَاعِـثِ والـدَّوَاعـي[٢] مُغْلَـقُ
خَلَتِ البِلادُ[٣] فَلاَ كَرِيمٌ يُرْتَجَى   مِنْـهُ النَّـوالُ وَلا مَليـحٌ يُعْشَـقُ
وَمِـنَ العَجَـائِـبِ أَنَّـهُ لا يُشْتَـرى   ويُخَـانُ[٤] فيـه مَعَ الكَسَـادِ ويُسْـرَقُ

ومما أنشده ابن خلكان في « الوفيات » من شعره الرائق قوله : [من البسيط]

إشَـارةٌ مِنْـكَ تكفينـا وأَحْسَـنُ مـا   رُدَّ السَّـلامُ غَـدَاةَ البَيْـنِ بـالعَنَـمِ
حَتَّى إذا طاحَ عَنْها المِرْطُ مِنْ دَهَشٍ   وَانْحَلَّ بالضَّمِّ سِلْكُ العِقْدِ في الظُّلَمِ
تَبَسَّمَـتْ فَـأَضَـاءَ اللَّيْـلُ فَـالتَقَطَـتْ   حَبَّـاتِ مُنْتَثِـرٍ فـي ضَـوْءِ مُنْتَظِـمِ

وكانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ ، ودفن[٥] فيها ، [رحمه الله][٦] .

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الله[٧] **بن القاسم**[٨] **بن (عبد الله) بن سليمان بن وهب الدباس ، أبو عبد الله الشاعر المعروف بالبارع**[٩] :

قرأ القراءات ، وسمع الحديث ، وكان عارفاً بالنحو واللغة والأدب ، وله شعر رائق ، وكانت وفاته في هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، رحمه الله .

محمد بن سعدون بن مرجّى ، أبو عامر العبدري[١٠] **القرشي الحافظ** : أصله من ميورقة[١١] من بلاد المغرب ، ودخل بغداد ، وسمع[١٢] بها على طِراد الزينبي والحُميدي وغير واحد . وكانت له معرفة

---

(١) ليس في ب .
(٢) ط : باب الدواعي والبواعث .
(٣) ط : الديار .
(٤) آ ، ب : ويخاف .
(٥) ط : ودفن بها .
(٦) ليس في ط .
(٧) آ ، ب : الحسن بن عبد الله .
(٨) من (ط) .
(٩) ترجمته في المنتظم (١٠/١٦ ـ ١٩) ومعجم الأدباء (١٠/١٤٧ ـ ١٥٤) وابن الأثير (٨/٣٣٢) وإنباه الرواة (١/٣٢٨) ووفيات الأعيان (٢/١٨١ ـ ١٨٤) وتاريخ الإسلام (١١/٣٩٩) والوافي (١١/١٠٦) والعبر (٤/٥٦) .
(١٠) ترجمته في المنتظم (١٠/١٩) وسير أعلام النبلاء (١٩/٥٧٩ ـ ٥٨٣) والعبر (٤/٥٧) الميورقي ومرآة الجنان (٣/٢٣٢) .
(١١) في ب ، ط : « بيروقة » ، محرف ، وما هنا من أ ، وهو الموافق لما في مصادر ترجمته . (بشار) .
(١٢) ط : فسمع .

بالحديث جيدة[١] ، وكان يذهب بالفروع مذهب الظاهرية . توفي ببغداد في ربيع الآخر[٢] ، رحمه الله[٣] .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمئة

فيها : ضَلَّ دُبَيْسٌ عن الطريق في البرِّيّة ، فأسره بعض أمراء الأعراب بأرض الشام ، وحمله إلى ملك دمشق بوري بن طُغْتِكين ، فباعه من زنكي بن آقسُنْقر ، صاحب الموصل بخمسين ألف دينار ، فلما حصل في يده لم يشكّ دبيس[٤] أنه سيهلكه ، لما بينهما من العداوة ، فأكرمه زنكي ، وأعطاه أموالاً جزيلة ، وقدّمه واحترمه ، ثم جاءت رسل الخليفة في طلبه ، فبعثه معهم ، فلما وصل إلى الموصل حبس في قلعتها .

وفيها : وقع بين الأخوين محمود ومسعود ، فتواجها للقتال ، ثم اصطلحا .

وفيها : كانت وفاة الملك محمود بن [محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان][٥] ، فأقيم في الملك مكانه ابنه[٦] داود ، وجعل له أتابكُ ، وزير أبيه ، وخطب له بأكثر البلاد[٧] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد[٨] بن عبد القاهر[٩] ، أبو نصر الطواسي :

سمع الحديث ، وتفقّه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي . وكان شيخاً لطيفاً عليه نور .

قال ابن الجوزي[١٠] : أنشدني : [من الطويل]

عَلَى كُلِّ حالٍ فَاجْعَلِ الحَزْمَ عُدَّةً تُقَدِّمُه[١١] بَيْنَ النَّوائب والدَّهْرِ

---

(١) ط : معرفة جيدة بالحديث .
(٢) ط : توفي في ربيع الآخر في بغداد .
(٣) وفيات الأعيان (١/ ٥٩) .
(٤) ليس في ط .
(٥) ليس في ط .
(٦) آ : مكان أبيه .
(٧) آ ، ب : وجعل له أتابك ووزير وخطب بأكثر البلاد .
(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢١ ـ ٢٢) وابن الأثير (٣/ ٣٣٤) والعبر (٤/ ٦٤) .
(٩) ب : عبد القادر .
(١٠) المنتظم (١٠/ ٢١) وتبيين كذب المفتري (٣١٨ ـ ٣٢٠) .
(١١) ط : تقدمها ، والأبيات في المنتظم .

فــإنْ نِلْــتَ خَيْــراً نِلْتَــهُ بعــزيمــة وَإنْ قَصُرَتْ عَنْكَ الخُطوبُ فَعَنْ عُذْرِ

قال(١) : وأنشدني أيضاً : [من البسيط]

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجا والنّاسُ قَدْ رَقَدوا وقُمْـتُ أَشْكُـو إلـى مَـوْلاَيَ مـا أَجِـدُ
وَقُلْـتُ يـا عُـدَّتـي فـي كُـلِّ نـائِبَـةٍ وَمَـنْ عَلَيْـهِ لِكَشْـفِ الضُّـرّ أَعْتَمِـدُ
وَقَدْ مَدَدْتُ يَدي والضُّرُّ مُشْتَمِلٌ(٢) إلَيْـكَ يـا خَيْـرَ مَـنْ مُـدَّتْ إلَيْـهِ يَـدُ
فَـلاَ تَـرُدَّنَّهـا يـا رَبِّ خَـائِبَـةً فَبَحْرُ جُودِكَ يَرْوي كُلَّ(٣) مَنْ يَرِدُ

الحسن(٤) بن سلمان(٥) بن عبد الله بن الفَتَى(٦) ، أبو علي الفقيه :

مدرس النظامية. وقد وعظ بجامع القصر ، وكان يقول : أنا في الفقه منتهي ، وفي الوعظ مبتدي(٧) . وقد توفي في هذه السنة ، وغسّله القاضي أبو العباس بن الرطبي ، ودفن عند أبي إسحاق .

حماد بن مسلم الرَّحَبي الدباس(٨) :

كان يذكر له أحوال ومكاشفات ، واطلاع على مغيَّبات(٩) ، وغير ذلك من المقامات .

ورأيت ابن الجوزي(١٠) يتكلم فيه ويقول : كان عريَّاً من العلوم الشرعية ، وإنما ينفُق على الجهال . وذكر عن ابن عقيل أنه كان ينفِّر الناس عنه ؛ وكان حماد الدباس يقول : ابن عقيل عَدُوِّي .

قال ابن الجوزي(١١) : وكان الناس ينذرون له فيقبل ذلك ، ثم ترك ذلك ، وصار يأخذ من المنامات ، وينفق على أصحابه . وكانت وفاته في رمضان ، ودفن في الشونيزية(١٢) .

---

(١) المنتظم (١٠/ ٢٢) .
(٢) المنتظم : والذل صاغرة .
(٣) ليس في ب .
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٢) وابن الأثير (٨/ ٣٣٤) وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٦١١ ـ ٦١٢) .
(٥) ط ، ب : سليمان .
(٦) آ : الغني ، ط : عبد الغنى .
(٧) ط : ما في الفقه منتهى ولا في الوعظ مبتدا ، والخبر في المنتظم (١٠/ ٢٢) .
(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٢ ـ ٢٣) وابن الأثير (٨/ ٣٣٤) والعبر (٤/ ٦٤) وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٢٩ ـ ٤٣١) ، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٩٤ ـ ٥٩٦) ومرآة الجنان (٣/ ٢٤٢) .
(٩) لا يعلم الغيب إلاّ الله تعالى . وهذا من المبالغات التي لا تجوز ، ومثل هذه الأقوال غير صحيحة ، وقد يدَّعي هذا من كان عريّاً من العلوم الشرعية ، كما ذكر عنه ابن الجوزي رحمه الله .
(١٠) المنتظم (١٠/ ٢٢) وينفق : أي يروج .
(١١) المنتظم (١٠/ ٢٢ ـ ٢٣) .
(١٢) قال بشار : كلام ابن الجوزي في حماد الدباس فيه تحامل وهوى واضح ، لذلك حينما نقله الذهبي في تاريخ الإسلام=

علي[١] **بن المستظهر بالله ، أخو الخليفة المسترشد** : توفي في رجب [من هذه السنة][٢] ، وله من العمر إحدى وعشرون سنة ، فترك ضرب الطبول وجلس الناس للعزاء أياماً .

محمد[٣] **بن أحمد بن أبي الفضل الماهِياني** ، أحد أئمة الشافعية :

تفقه بإمام الحرمين وغيره . ورحل في طلب العلم والحديث إلى بلاد شتى . ودرّس وأفتى وناظر . وتوفي [في هذه السنة][٤] ، [وقد قارب التسعين][٥] . ودفن بقرية ماهِيان[٦] من بلاد مرو ، رحمه الله .

محمود[٧] **السلطان بن السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق** :

كان من خيار الملوك ، وكان فيه حلم وأناة ، [وبِرٌّ وصِلات][٨] ، وجلس لعزائه ثلاثة أيام ، سامحه الله .

هبة الله[٩] **بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحُصَيْن**[١٠] ، أبو القاسم الشّيباني :

راوي المسند [عن أبي علي بن المُذْهب][١١] ، عن أبي بكر بن مالك ، عن عبد الله [بن أحمد][١٢]

= (١١/ ٤٣٠) صدَّره بقوله : « وقال ابن الجوزي قابله الله » . وقد نقم ابن الأثير (الكامل ١٠/ ٦٧١) وسبط ابن الجوزي (مرآة الزمان ٨/ ١٣٩) على أبي الفرج حيث حط على الشيخ حماد الدباس . وقد أثنى عليه كبار العلماء ، منهم : عبد الرحمن بن محمد بن حمزة الشاهد ، وأحمد بن صالح الجيلي ، وأبو سعد السمعاني ، وأبو النجيب عبد القاهر السهروردي ، والمبارك بن كامل الخفاف وغيرهم . وهو من أبرز شيوخ الشيخ عبد القادر رحمه الله ، وقد أثنى عليه الذهبي ، وموقفه من المتصوفة معروف . (بشار) .

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٣) وابن الأثير (٨/ ٣٣٤) والعبر (٤/ ٦٦) وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٣٦ ـ ٥٣٩) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٤٥) .

(٢) ط : منها .

(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٣) واللباب (٣/ ٥٧) وطبقات الأسنوي (٢/ ٤٢٤) .

(٤) ط : منها .

(٥) ليس في ب .

(٦) في الأصول : ماهان ، وما أثبت من المنتظم ومعجم البلدان .

(٧) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٤) وابن الأثير (٨/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) ووفيات الأعيان (٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣) والعبر (٤/ ٦٦) ومرآة الجنان (٣/ ٢٤٥) .

(٨) مكانهما في ط : وصلابة ، وهو تصحيف .

(٩) ترجمته في المنتظم (٧/ ٢٤) وابن الأثير (٨/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) ووفيات الأعيان (٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣) والعبر (٤/ ٦٦) ومرآة الجنان (٣/ ٢٤٥) .

(١٠) آ : الحسين ، وهو تحريف .

(١١) ط : عن علي بن المهذب ، وهو تصحيف .

(١٢) عن ط وحدها .

عن أبيه . وقد سمع قديماً ، لأنه ولد في سنة ثنتين وثلاثين وأربعمئة ، وباكر به أبوه فأسمعه ومعه أخوه عبد الواحد على جماعة من عِلْيَة المشايخ ، وقد روى عنه ابن الجوزي وغير واحد . وكان ثقة ثبتاً صحيح السماع . توفي بين الظهر والعصر يوم الأربعاء [رابع شوال من هذه السنة][١] ، وله ثلاث وتسعون سنة رحمه الله تعالى[٢] .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمئة

فيها : قدم مسعود بن محمد [بن ملكشاه][٣] ، وقدمها قراجا الساقي ، ومعه[٤] سلجوق شاه بن محمد ، وكل منهما يطلب المُلْكَ لنفسه ، وقدم عماد الدين زنكي بن آقسُنقر لينضم إليهما ، فتلقاه قراجا الساقي ، فهزمه ، فهرب منه إلى تكريت ، فخدمه نائب قلعتها نجم الدين أيوب [والد الملك صلاح الدين يوسف][٥] الذي [فتح القدس فيما بعد ، فكان هذا هو السبب في مصير نجم الدين][٦] أيوب إليه ، وهو بحلب ، فخدم عنده ، ثم كان من الأمور ما سيأتي بيانه مما قدَّره الله تعالى[٧] .

ثم إن الملك[٨] مسعوداً وسلجوق شاه اجتمعا ، فاصطلحا ، وركبا إلى الملك سَنجر ، فاقتتلا[٩] معه ، فكان جيشه مئة وستين ألفاً ، وكان جيشهما قريباً من ثلاثين ألفاً ، فكان[١٠] جملة من قتل بينهم أربعين ألفاً ، وأَسر جيشُ سَنجر قراجا الساقي فقتله صبراً بين يديه ، وأجلس[١١] طُغْرل بن محمد على سرير الملك ، وخطب له على المنابر ، ورجع سنجر إلى بلاده ، وكتب طُغْرُل إلى دُبيس وزنكي ليذهبا إلى بغداد ليأخذاها[١٢] ، فأقبلا في جيش كثيف ، فبرز إليهم الخليفة ، فهزمهما ، وقتل خلقاً من أصحابهما ، وأزاح الله شرهما عنه ، ولله الحمد .

---

(١) مكانهما في ط : منها .
(٢) ليست لفظة تعالى في ب ولا في ط .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ليس في ط .
(٥) ب : فهزموه .
(٦) ليس في ب .
(٧) ط : إن شاء الله تعالى .
(٨) ط : الملكين .
(٩) آ ، ب : فاقتتلوا .
(١٠) ط : وكان .
(١١) ب : ثم أجلس .
(١٢) آ : فيأخذاها .

وفيها : قتل أبو علي[١] بن الأفضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ الفاطمي[٢] ، فنقل الحافظ الأموال التي كان أخذها إلى داره ، واستوزر بعده أبا الفتح يانس الحافظي ، ولقَّبه أمير الجيوش ، ثم احتال له فقتله واستوزر الحافظ ولده حسناً وخطب له بولاية العهد .

وفيها : عزل المسترشد وزيره علي بن طِراد الزينبي واستوزر أنوشروان بن خالد بعد تمنّع .

وفيها : ملك دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طُغْتِكِين بعد وفاة أبيه ، واستوزر يوسف ابن فيروز ، وكان خيّراً ، فملك بلاداً كثيرة ، وأطاعه إخوته[٣] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعد[٤] بن عتبة بن فرقد[٥] السلمي ، ويعرف بابن كادش العكبَري[٦] ، أبو العز البغدادي :

سمع الحديث الكثير ، وكان يفهمه ويرويه[٧] ، وهو آخر من روى عن الماوردي ، وقد أثنى عليه غير واحد ، منهم أبو محمد بن الخشاب ، وكان محمد بن ناصر يتهمه ويرميه بأنه اعترف بوضع الحديث ، فالله أعلم .

وقال عبد الوهاب الأنماطي[٨] : كان مخلِّطاً . توفي في جمادى الأولى [من هذه السنة][٩] .

محمد بن محمد بن الحسين [بن محمد ، أبو الحسين][١٠] بن القاضي أبي يعلى بن الفراء[١١] الحنبلي :

ولد في شعبان من سنة إحدى وخمسين وأربعمئة . سمع أباه وغيره، وتفقّه وناظر وأفتى ودرّس. وكان له

---

(١) ليست بن في آ ، ب والخبر في ابن الأثير (٨/ ٣٣٤) والشذرات (٤/ ٧٨) .
(٢) ط : الهاشمي فانتقل .
(٣) آ : أخويه .
(٤) آ ، ط : سعيد وانظر المنتظم .
(٥) في الأصلين وط : يزيد ، وما هنا عن المنتظم (١٠/ ٢٨) .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٨) والعبر (٤/ ٦٨) وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٥٨ ـ ٥٦٠) ومرآة الجنان (٣/ ٣٣٨) .
(٧) آ : ويدرسه .
(٨) المنتظم (١٠/ ٢٨) .
(٩) في ط : منها .
(١٠) عن آ وحدها .
(١١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٩) وابن الأثير (٨/ ٣٣٨) والعبر (٤/ ٦٩) والوافي (١/ ١٥٩) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥١) وذيل ابن رجب (١/ ١٧٦ ـ ١٧٨) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٧٥) .

بيت فيه مال فعُدِيَ عليه من الليل فقتل وأُخذ ماله، ثم أظهر الله عز وجل قاتليه فقُتِلوا[١]، رحمه الله تعالى[٢].

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمئة

في صفر منها[٣] دخل السلطان مسعود إلى بغداد، فخُطب له [على منابرها][٤]، وخَلَع عليه الخليفة وولّاه السلطنة، [ولما ذُكر على المنابر][٥] نُثرت[٦] الدنانير والذهب على الناس، وخُلِعَ أيضاً على الملك[٧] داود بن محمود.

وفيها: جمع دُبيس جمعاً كثيراً بواسط، وانضم إليه جماعة، فأرسل إليه السلطان جيشاً فكسروه وفرّقوا شمله. ثم إن[٨] الخليفة عزم على الخروج إلى الموصل ليأخذها من يد زنكي، فخرج في جيش كثيف وخلقٍ من الأمراء والأكابر والوزراء، فلما اقترب منها بعث إليه عماد الدين زنكي يعرض عليه[٩] من الأموال الجزيلة والتحف شيئاً كثيراً ليرجع[١٠] عنه، فلم يقبل. ثم بلغه أن السلطان مسعوداً قد اصطلح مع دبيس، وخلع عليه، فكرّ راجعاً سريعاً إلى بغداد سالماً معظَّماً.

وفيها: مات ابن الزّاغوني أحد أئمة الحنابلة، فطلب حلقته ابن الجوزي، وكان شاباً، فحصلت لغيره، ولكن أذن له الوزير أنوشروان في الوعظ، فتكلم في هذه السنة على الناس بأماكن متعددة من بغداد، وكثرت مجالسه، وازدحم الناس عليه[١١].

وفيها: ملك شمس الملوك إسماعيل، صاحب دمشق مدينة حماة، وكانت بيد زنكي.

وفي ذي الحجة نهب التركمان مدينة طرابلس، فخرج[١٢] إليهم القومص[١٣]، لعنه الله، الفرنجي،

---

(١) ط: قاتله فقتلوه.
(٢) ليست جملة الترحم في غير آ.
(٣) عن ط وحدها.
(٤) ط: بها.
(٥) ليس في ط.
(٦) ط: ونثر.
(٧) ط: السلطان.
(٨) ليس في ب.
(٩) ط: عليه زنكي.
(١٠) آ، ب: ويرجع.
(١١) المنتظم (١٠/٣٠).
(١٢) ط: وخرج.
(١٣) في آ: «القوقص»، وما هنا من (ط)، وخط الذهبي في تاريخ الإسلام.

فهزموه وقتلوا خلقاً من أصحابه ، وحاصروه بها[١] مدة طويلة ، حتى طال عليهم الحصار ، فانصرفوا .

وفيها : ولي[٢] مكة قاسم بن أبي فُلَيْتَة بعد أبيه .

وفيها : قتل شمس الملوك أخاه سونج .

وفيها : اشترى الباطنية[٣] قلعة حصن القدموس بالشام ، فسكنوها[٤] ، وحاربوا مَنْ جاورهم من المسلمين والفرنج .

وفيها : اقتتلت الفرنج فيما بينهم قتالاً شديداً[٥] ، فمحق الله بسبب ذلك منهم خلقاً كثيراً ، وغزاهم فيها أيضاً عماد الدين زنكي ، فقتل منهم ألف قتيل ، وغنم أموالاً جزيلة ، ويقال لها غزاة[٦] أسوار .

وحج بالناس في هذه السنة الأمير نظر الخادم وكذا في التي بعدها وقبلها[٧] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن سلامة[٨] بن عبيد الله بن مَخْلد بن إبراهيم ، أبو العباس بن الرُّطَبي :

تفقّه على أبي إسحاق وابن الصباغ ببغداد ، وبأصبهان على محمد بن ثابت الخُجَنْدي ، ثم ولي الحكم ببغداد بالحريم والحسبة[٩] . وكان يؤدِّب أولاد الخليفة . وتوفي في رجب [من هذه السنة][١٠] ، ودفن عند الشيخ أبي إسحاق .

أسعد[١١] بن أبي نصر بن أبي الفضل ، أبو الفتح[١٢] المِيْهَني ، مجد الدين .

أحد أئمة الشافعية ، وصاحب الطريقة في الخلاف المطروقة . وقد درّس بالنظامية ببغداد في سنة سبع

---

(١) ط : فيها .
(٢) ط : وفيها تولى قاسم بن أبي فليتة مكة .
(٣) آ ، ب : الباطنية بالشام .
(٤) آ ، ب : فسكنوه .
(٥) آ : كثيراً .
(٦) ط : غزوة .
(٧) آ : قبلها وبعدها .
(٨) ترجمته في تبيين كذب المفتري (٣٢١) والمنتظم (١٠/ ٣١) ومعجم البلدان (رطبة) وابن الأثير (٨/ ٣٤١) (أحمد بن سلامة بن عبد الله) ، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٨٨) وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٦١٠ ـ ٦١١) والعبر (٤/ ٧١) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٢) .
(٩) بعدها في ط : ببغداد .
(١٠) مكانهما في ط : منها .
(١١) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٢٣ من هذا الجزء .
(١٢) ب ، ط : أبو الفضل .

عشرة[١] وخمسمئة إلى سنة ثلاث وعشرين[٢] . فعزل عنها . واشتهر[٣] أصحابه هنالك ، وبَعُد صِيته ، ثم كانت وفاته فيما ذكره ابن خلكان في هذه السنة رحمه الله[٤] .

الحسن[٥] بن محمد بن إبراهيم [بن أحمد بن علي ، أبو نصر][٦] اليُونارتي[٧] : من قرى أصبهان .

سمع الحديث ، ورحل وخرّج . وله[٨] تاريخ ، وكان يكتب حسناً ، ويقرأ فصيحاً[٩] . توفي بأصبهان في هذه السنة .

ابن الزاغوني[١٠] علي[١١] بن عبيد الله بن نصر بن السري الزاغوني الإمام الشهير[١٢] : قرأ القراءات ، وسمع الحديث ، واشتغل بالفقه والنحو واللغة . وله المصنفات الكثيرة في الأصول والفروع . وله يد في الوعظ ، واجتمع الناس في جنازته [خلقاً كثيراً][١٣] ، [وكانت حافلة جداً][١٤] .

علي[١٥] بن يعلى بن عوض ، أبو القاسم العلوي الهروي :

سمع مسند أحمد من ابن[١٦] الحُصَيْن ، والتّرمذي من أبي عامر الأزدي . وكان يعظ الناس

---

(١) ليست في آ ، ب . وهي ضرورية . المنتظم (٩/ ٢٤٦) .
(٢) آ ، ب : ثلاث عشرة ، وهو تصحيف ، المنتظم (٩/ ٢٠) .
(٣) ط : واستمر ، والخبر في الوفيات (١/ ٢٠٧) .
(٤) في ط : وقد تقدم في سنة سبع عشرة أنه وليها وأنه توفي في سنة ثلاث وعشرين ، وقال ابن خلكان توفي سنة سبع وعشرين . وتقدمت ترجمته ومظان مصادرها في سنة ٥١٧ .
(٥) جاءت هذه الترجمة في ط بعد ترجمة ابن الزاغوني . وترجمة أبي نصر اليونارتي في المنتظم (١٠/ ٣٢) ومعجم البلدان (يونارت) وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢١ ـ ٦٢٢) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٨٦ ـ ١٢٨٨) المنتظم (التورتاني) .
(٦) ليس في ط .
(٧) آ : البورتاقي ، المنتظم : التورتاني ط : البورباري . وكلها تصحيف ، وانظر معجم البلدان (يونارت) .
(٨) آ ، ب : له .
(٩) آ : قصصاً .
(١٠) ط : ابن الزاغوني الحنبلي .
(١١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٣٢) وابن الأثير (٨/ ٣٤١) والعبر (٤/ ٧٢) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٢) وذيل ابن رجب (١/ ١٨٠ ـ ١٨٤) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٧٧) .
(١٢) ط : المشهور .
(١٣) ليس في ط .
(١٤) عن ط وحدها .
(١٥) ترجمته في « العُمري » من الأنساب ، والمنتظم (١٠/ ٣٢) وابن الأثير (٨/ ٣٤١) وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٦٣) .
(١٦) ط : من أبي ، وهو تصحيف .

بنيسابور ، ثم قدم بغداد ، فوعظ بها ، فحصل له القبول التام من أهل بغداد ، وجمع أموالاً وكتباً .

قال ابن[١] الجوزي : وهو أول من سَلَّكني في الوعظ ، وتكلمت بين يديه ، وأنا صغير ، وتكلمت على الناس عند انصرافه .

محمد بن أحمد بن يحيى ، أبو عبد الله العثماني الدّيباجي[٢] : وكان ببغداد يعرف بالمقدسي . تفقه وكان أشعريَّ الاعتقاد ، ووعظ الناس ببغداد .

قال ابن [الجوزي][٣] : سمعته ينشد في مجلسه : [من الخفيف]

دَعْ جفُوني[٤] يَحِقُّ لي أَنْ أَنُوحا ... لم تَدَعْ لي الذُّنُوبُ قَلْباً صَحِيحا
أَخْلَقَتْ مُهْجَتي أَكفُّ المعاصِي ... ونَعانِي المَشِيبُ نَعْياً فَصِيحا
كُلَّما قُلْتُ قَدْ بَرَى جُرْحُ قَلْبي ... عَادَ قَلْبي مِن الذُّنوبِ جَرِيحا
إنَّما الفَوْزُ والنّعيمُ لِعَبْدٍ ... جَاءَ في الحَشْرِ آمِناً مُسْتَرِيحا

محمد[٥] بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف ، أبو خازم[٦] بن أبي يعلى بن الفراء الفقيه ابن الفقيه :

ولد سنة سبع وخمسين وأربعمئة ، وسمع الحديث . وكان من الفقهاء الزاهدين الأخيار . توفي في صفر منها .

أبو محمد[٧] عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حَمْديس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور :

أورد له ابن خلكان[٨] أشعاراً رائقة ، فمنها[٩] قوله[١٠] : [من السريع]

---

(١) المنتظم (١٠/ ٣٢) .
(٢) ترجمته في تبيين كذب المفتري (٣٢١) وفيه اسمه : محمد بن أحمد بن جني ، محرف ، والمنتظم (١٠/ ٣٣) وابن الأثير (٨/ ٣٤١) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٦٥) .
(٣) ليس في ب .
(٤) ط : دع دموعي .
(٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٣٤) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٢/ ٨٤٧) ووفاته فيه ٥٢٥ والعبر (٤/ ٧٣) وذيل ابن رجب (١/ ١٨٤ ـ ١٨٥) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٢) .
(٦) في آ ، ط : حازم ، وفي ب : بن جازم .
(٧) ترجمته في الخريدة ـ قسم المغرب (٢/ ١٩٤ ـ ٢٠٧) ووفيات الأعيان (٣/ ٢١٢ ـ ٢١٥) وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٦٠) .
(٨) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢١٣) .
(٩) ليس في ط .
(١٠) الأبيات في الخريدة (٢/ ٢٠٣) والوفيات (٣/ ٢١٣) والديوان (٨٩) .

قُمْ هَاتِهَا مِنْ كَفِّ ذاتِ الوِشَاحِ فَقَدْ نَعَى اللَّيْلَ بَشِيرُ الصَّبَاحِ
بَاكِرْ إِلَى اللَّذاتِ وَارْكَبْ لَهَا سَوَابِقَ اللَّهْوِ ذَوَاتِ المِرَاحِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ ترشفَ شَمْسُ الضُّحَى رِيقَ الغَوَادِي مِنْ ثُغُورِ الأَقَاحِ

وله أيضاً[١] :

زَادَتْ عَلَى كُحْلِ الجُفُونِ تَكَحُّلاً وَتَسُمُّ نَصْلَ السَّهْمِ وَهْوَ قَتُول

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمئة

فيها : اصطلح الخليفة وزنكي .

وفيها : فتح زنكي قلاعاً كثيرة ، وقتل خلقاً من الفرنج .

وفيها فتح شمس الملوك الشقيف[٢] وبيروت ونهب بلاد الفرنج .

وفيها : قدم سُلْجوق شاه بغداد ، فنزل بدار المملكة ، وأكرمه الخليفة ، وأرسل إليه الخليفة[٣] عشرة آلاف دينار ، ثم قدم السلطان مسعود وأكثر أصحابه ركاب على الجمال[٤] لقلة الخيل .

وفيها : ولي إمرة[٥] بني عُقَيْل أولاد سليمان بن مهارش العُقيلي إكراماً لجدهم .

وفيها : أُعيد ابن طِراد إلى الوزارة .

وفيها : خُلِعَ على إقبال المُسترشدي خلع الملوك ، ولُقِّب ملك العرب ، سيف الدولة ، وركب في الخلع وحضر الديوان كذلك .

وفيها : قوي أمر الملك طُغْرُل ، وضعف أمر الملك مسعود .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن علي بن إبراهيم ، أبو الوفاء الفيروزآبادي[٦] :

---

(١) البيت في الخريدة (٢/ ٢٠٣) والوفيات (٣/ ٢١٤) والديوان (٥٥٨) .
(٢) عند ابن الأثير : الشقيف تيرون .
(٣) عن آ وحدها .
(٤) آ ، ب : جمال .
(٥) آ : أسرة .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٣٦ ـ ٣٧) والعبر (٤/ ٧٤) وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٣) : « أبو الوقت » ، خطأ .

أحد مشايخ الصوفية . سكن رباط الزوزني ، وكان كلامه مُسْتَحلى[١] ، وكان يحفظ من سير الصوفية وأخبارهم وأشعارهم[٢] شيئاً كثيراً .

أبو علي الفارقي[٣] ، الحسن بن إبراهيم بن بَرْهون ، أبو علي الفارقي :

ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة ، وتفقّه بها على أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني صاحب المحاملي ، ثم بالشيخ[٤] أبي إسحاق وابن الصباغ . وسمع الحديث . وكان يكرِّر على « المهذَّب »[٥] و« الشامل » . ثم ولي القضاء بواسط . وكان حسن السيرة ، جيّد السريرة ، مُمَتَّعاً بعقله وحواسه[٦] إلى أن توفي في محرم هذه السنة عن ست وتسعين[٧] سنة .

عبد الله[٨] بن محمد بن أحمد بن الحسين ، أبو محمد بن أبي بكر الشاشي :

سمع الحديث ، وتفقّه على أبيه ، وناظر ، وأفتى . وكان فاضلاً واعظاً فصيحاً مفوّهاً . شكر ابن الجوزي من وعظه وحسن نظمه ونثره ولفظه . توفي في المحرم وقد قارب الخمسين ، رحمه الله ، ودفن عند أبيه .

محمد بن أحمد بن علي ، أبو بكر[٩] القطان[١٠] ويعرف بابن الحلاج البغدادي : سمع الحديث ، وقرأ القرآن . وكان خيّراً زاهداً عابداً . يُتَبَرَّك بدعائه ، ويزار ، رحمه الله .

محمد[١١] بن عبد الواحد الشافعي ، أبو رشيد : من أهل طبرستان .

---

(١) ط : يستحلى .

(٢) ط : وكان يحفظ من أخبار الصوفية وسيرهم .

(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٧٣) وابن الأثير (٨/ ٣٤٤) : ابن هرهون ، ووفيات الأعيان (٢/ ٧٧) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٣) .

(٤) ط : على الشيخ .

(٥) آ : المذهب ، ب : التهذيب .

(٦) ب : ممتعاً بحواسه وعقله .

(٧) ط : وسبعين ، وهو تصحيف .

(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٣٧ ـ ٣٨) ، و(٨/ ٣٤٤) وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٧٥) (بشار) .

(٩) آ : محمد بن علي بن أحمد بن علي بن أبي بكر ، وفي ب : محمد بن علي بن أبي بكر ، وكله تحريف ، والصواب ما أثبتنا .

(١٠) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٣٩ ـ ٤٠) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٧٨) .

(١١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٤٠) وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٨٠) وفيهما : محمد بن علي بن عبد الواحد الشافعي .

ولد سنة سبع(١) وثلاثين وأربعمئة . وحج وأقام بمكة مدة . وسمع الحديث(٢) وروى(٣) شيئاً يسيراً . وكان زاهداً منقطعاً عن الناس مشتغلاً بنفسه(٤) .

ركب مرّة مع تجار في البحر ، فأوفوا على جزيرة ، فقال : دعوني في هذه أعبد الله تعالى(٥) فيها ، فمانعوه ، فأبى إلا المقام بها ، فتركوه وساروا ، فردّتهم الريح إليه ، [فراودوه على المسير معهم ، فامتنع ، فساروا ، فردّتهم الريح إليه](٦) ، فقالوا : إنه لا يمكن المسير(٧) إلا بك ، وإذا أردت المقام بها فارجع إليها . فسار معهم ، ثم رجع إليها فأقام بها مدة ، ثم ترحل عنها .

[ويقال : إنه كان يقتات في تلك الجزيرة بأشياء موجودة فيها](٨) . ويقال : إنه كان بها ثعبان يبتلع الإنسان ، وبها عين ماءٍ كان يشرب منها ويتوضأ .

ثم رجع إلى بلده آمل(٩) فمات بها في هذا العام وقبره مشهور ويزار ، رحمه الله .

أم(١٠) الخليفة المسترشد : توفيت ليلة الإثنين بعد العتمة تاسع شوال [من هذه السنة](١١) ، والله سبحانه أعلم(١٢) .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمئة

فيها : كانت وفاة المسترشد وولاية الراشد .

وكان سبب ذلك أنه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة واقع كبير ، اقتضى الحال أنّ الخليفة أراد

---

(١) ط : أربع .
(٢) ط : من الحديث .
(٣) ليس في ط .
(٤) ليس في ب .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ليس ما بين ط .
(٧) آ : أن تسير .
(٨) ليس ما بين الحاصرتين في ط .
(٩) ب : آمر .
(١٠) ترجمتها في المنتظم (١٠/ ٤١) وابن الأثير (٨/ ٢٤٤) .
(١١) ط : منها .
(١٢) ليست الجملة الأخيرة في آ ، وليست لفظة : سبحانه ، في ب .

قطع خطبته[١] من بغداد ، فاتفق موت أخيه طُغْرُل بن محمد بن ملكشاه ، فسارإلى البلاد فملكها ، وقوي جأشه ، ثم شرع بجمع العساكر ، ليأخذ بغداد من يد[٢] الخليفة ، فلما علم الخليفة بذلك انزعج ، واستعدّ لذلك ، ففرّ[٣] جماعة من رؤوس الأمراء إلى الخليفة خوفاً على أنفسهم من سطوة الملك مسعود[٤] . وركب الخليفة من بغداد في جحافل كثيرة ، فيهم القضاة ورؤوس الدولة من جميع الأصناف ، فمشوا بين يديه أول منزلة ، حتى وصل إلى السرادق ، وبعث بين يديه مقدمة ، وأرسل الملك مسعود [على مقدمته][٥] دبيس بن صدقة بن منصور ، الذي كان صاحب الحلة ، فجرت خطوب كثيرة ، [وحروب كبيرة][٦] .

وحاصل الأمر أن الجيشين التقيا في عاشر رمضان يوم الإثنين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً[٧] ، ولم يُقتَل من الصفين سوى خمسة أنفس . ثم حمل الخليفة على جيش الملك مسعود ، فهزمهم ، ثم تراجعوا ، فحملوا على جيش الخليفة ، فهزموهم ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأسروا الخليفة ، ثم نُهبت[٨] أمواله وحواصله[٩] ، من جملة ذلك : أربعة آلاف ألف دينار ، وغير ذلك من الثياب والخلع والأثاث والقماش والماعون[١٠] ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وطار الخبر في الأقاليم بذلك ، وحين بلغ الخبر إلى بغداد انزعج الناس لذلك ، وزُلزلوا زلزالاً شديداً ، صورةً ومعنى . وجاءت العامة إلى المنابر فكسروها ، وامتنعوا عن حضور الجماعات ، وخرج النساء من البلد حاسرات ينحن على الخليفة وما جرى عليه من الأسر ، وتأسَّى بأهل بغداد في ذلك خلق كثير من أهل البلاد ، وتمّت فتنة كبيرة ، وانتشرت في الأقاليم ، واستمر[١١] الحال على ذلك إلى مستهل شهر ذي القعدة ، والشناعة في الأقاليم منتشرة ، فكتب الملك سَنْجَر إلى ابن أخيه مسعود يحذِّره غبَّ[١٢]

---

(١) ط : الخطبة له .
(٢) ليس في ط .
(٣) آ : وقعت ، وط : قفز ، وكلاهما تصحيف .
(٤) ط : محمود . والخبر في المنتظم (١٠/ ٤٣) .
(٥) ط : مقدمة عليهم .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) آ ، ب : كثيراً .
(٨) آ : ونهبت .
(٩) ط : أموالهم وحواصلهم .
(١٠) ط : من الأثاث والخلع والآنية والقماش .
(١١) ط : واستمر الحال على ذلك شهر ذي القعدة .
(١٢) آ : عن .

ذلك ويبصِّره بما[١] وقع فيه من الأمر العظيم والخطب الجسيم ، ويأمره أن يعيد الخليفة [إلى مستقرّ عزّه][٢] ودار خلافته ، فامتثل الملك مسعود ذلك ، وضُرب للخليفة سرادق عظيم ، ونُصب له قبة عظيمة ، وتحتها سرير هائل ، وأُلبس السواد على عادته[٣] ، وأُركب بعض ما كان يركبه من مراكبه . وجاء الملك مسعود ، فقبّل الأرض بين يديه ، وأمسك لجام الفرس ، ومشى[٤] في خدمته ، والجيش كلُّهم مشاة ، فمشى الملك حتى أجلس الخليفة على سريره ، ووقف الملك مسعود ، [فقبَّل الأرض][٥] بين يديه ، وخلع الخليفة عليه .

وجيء بدُبيس مكتوفاً[٦] ، وعلى يمينه أميران ، وعن يساره أميران ، وسيف مسلول ، ونسعة بيضاء ، فطرح بين يدي الخليفة ماذا يرسم فيه تطييباً لقلبه . فأقبل السلطان يشفع[٧] في دبيس وهو ملقى يقول : العفو يا أمير المؤمنين ، أنا أخطأت ، والعفو عند المقدرة ، فأمر الخليفة بإطلاقه ، وهو يقول : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [يوسف : ٩٢] فنهض قائماً ، والتمس أن يقبّل يد الخليفة ، فأذن له فقبّلها ، وأمرّها على وجهه[٨] وصدره . وسأل العفو عنه عما كان منه[٩] . واستقر الأمر على ما ذكرنا[١٠] ، وطار هذا الخبر في[١١] الآفاق ، وفرح الناس بذلك ، واطمأنت[١٢] قلوبهم .

فلما كان مستهلّ ذي الحجة جاءت الرسل من جهة الملك سنجر إلى ابن أخيه يستحثه على الإحسان إلى الخليفة ، [وأن يبادر إلى سرعة ردّه إلى وطنه ، وأرسل مع الرسل جيشاً ليكونوا في خدمة الخليفة][١٣] إلى بغداد ، فصحب الجيش عشرة من الباطنية ، فقيل : من حيث لا يشعرون ، وقيل : بل مجهزين ، فالله أعلم . إلا أنهم حالة [وصولهم إلى هناك حملوا على الخليفة في خيمته فقتلوه فيها

---

(١) ط : عاقبة ما وقع .
(٢) ط : مكانه .
(٣) آ : هيئته .
(٤) آ : تمشى .
(٥) ليس في آ .
(٦) آ : مكشوفاً .
(٧) ط : فشفع .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) ليس في آ .
(١٠) ط : على ذلك .
(١١) آ : إلى .
(١٢) آ : وطابت .
(١٣) ما بين الرقمين مستدرك في هامش ب .

وقطعوه قطعاً][1] . ولم[2] يلحق الناس منه إلا الرسوم ، وقتلوا معه جماعة من أصحابه ، منهم أبو عبد الله[3] بن سُكينة . فأُخذ أولئك الرهط فحرّقوا ، قبحهم الله[4] .

وسارت[5] بذلك الركبان في البلدان ، فما من أهل بلدة إلا وهم أشدّ حزناً على الخليفة المسترشد من الأخرى ، لا سيّما أهل بغداد ، خرجت النساء في الطرقات ينحن عليه ويندبنه . وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي[6] ما كنّ يقلنه من النياحة على الخليفة رحمه الله .

[وكان مقتله][7] على باب مراغة في يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة ، فحمل إلى بغداد[8] . ولما استقر خبر موته ببغداد عُمل العزاء له ثلاثة أيام بعدما بويع لولده الراشد .

ذكر شيء من ترجمة[9] المسترشد

كان ، رحمه الله ، شجاعاً مقداماً بعيد الهمة فصيحاً بليغاً ، عذب الكلام حسن الإيراد ، مليح الخط ، [سديد العبارة][10] ، محبَّباً إلى العامة والخاصة . وهو آخر خليفة رؤي خطيباً .

قتل ، رحمه الله ، وعمره ثلاث[11] وأربعون سنة وثلاثة أشهر ، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً .

وكانت أمه أم ولد من الأتراك ، رحمه الله .

---

(١) ط : فلما وصل الجيش حملوا على الخليفة فقتلوه في خيمته وقطعوه قطعاً .
(٢) آ : فلم .
(٣) ط : عبيد الله ، وما هنا من المنتظم (١٠/ ٤٩) وابن الأثير (١١/ ٢٧ ط . صادر) .
(٤) ط : ثم أخذ أولئك الباطنية فأحرقوا قبحهم الله وقيل : إنهم كانوا مجهزين لقتله والله أعلم .
(٥) لم أذكر الخلافات بين الأصول في هذا المقطع لكثرتها .
(٦) المنتظم (١٠/ ٤٩ ـ ٥٠) .
(٧) ط : قتل .
(٨) ط : ذي الحجة وحملت أعضاؤه . والخبر في المنتظم (١٠/ ٤٩) .
(٩) أخباره وترجمته في المنتظم (١٠/ ٤٧ ـ ٥٠) و(٥٣ ـ ٥٤) وابن الأثير (٨/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) و(٣٤٨) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٥) والفخري (٢٤٤ ـ ٢٤٥) .
(١٠) ط : كثير العبادة .
(١١) ط : خمس ، وولادته في (١٨/ ٨/ ٤٨٦) والخبر في ابن الأثير (٨/ ٣٤٩) .

خلافة الراشد[١] أبي جعفر منصور بن المسترشد[٢]

كان أبوه قد أخذ له العهد ، ثم أراد أن يخلعه ، فلم يقدر على ذلك [لأنه لم يغدر][٣] ، فلما قتل أبوه بباب مراغة في يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من سنة تسع وعشرين وخمسمئة كما ذكرنا ، [كان هو ببغداد ، فلما جاء خبره إليها][٤] بايعه الأمراء[٥] والأعيان ، وخُطب له على المنابر ببغداد وسائر البلاد ، وكان إذ ذاك كبيراً له أولاد . وكان أبيض جسيماً ، حسن اللون .

فلما كان يوم عرفة من هذه السنة جيء بالمسترشد ، قد نقل من هناك إلى بغداد ، فصلّي عليه ببيت النوبة ، وكثر الزحام ، وخرج الناس لصلاة العيد من الغد ، وهم في حزن شديد على المسترشد ، رحمه الله ، وقد ظهر الرفض قليلاً في أول أيام الراشد .

وممن توفي فيها[٦] من الأعيان :

أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر ، أبو المظفر ، بن أبي بكر الشاشي[٧] :

تفقّه بأبيه ، واخترمته المنية بعد أخيه ، ولم يبلغ سن[٨] الرواية[٩] . .

إسماعيل بن عبد الملك بن علي ، أبو القاسم[١٠] الحاكمي[١١] :

تفقّه بإمام الحرمين ، وكان رفيق الغزالي في الاشتغال وأسن منه ، فلهذا[١٢] كان الغزالي يحترمه ويكرمه . وكان فقيهاً بارعاً وعابداً ورعاً . [وكانت وفاته في هذه السنة بطوس][١٣] ، ودفن إلى جانب الغزالي رحمهما الله .

---

(١) عن ب وحدها .
(٢) أخباره وترجمته في المنتظم (١٠/ ٥٠ ـ ٥٢) وابن الأثير (٨/ ٣٤٨) والفخري (٢٤٩) .
(٣) ليس في ب . وفي ط : لم يقدر .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : الناس .
(٦) ب : في سنة تسع وعشرين وخمسمئة .
(٧) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٥٢) وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٨٢) .
(٨) آ : من .
(٩) بعده في ب : وممن توفي في هذه السنة .
(١٠) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٥) وتاريخ الإسلام (١١/ ٤٨٤) .
(١١) ط : الحاكم .
(١٢) ب : ولهذا .
(١٣) ط : توفي بطوس .

دُبَيْس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مَزْيَد ، أبو الأغر[١] الأسدي[٢] الأمير ابن الأمير من بيت الإمرة وسادة الأعراب :

كان شجاعاً بطلاً ، فعل الأفاعيل ، وتمزّق في البلاد من خوفه من الخليفة ، ثم استُرضي عنه الخليفة المسترشد كما ذكرنا ، فلما قُتل الخليفة عاش بعده أربعة وثلاثين يوماً ، ثم اتّهم عند السلطان مسعود بأنه قد كاتب زنكي ينهاه عن القدوم إلى[٣] السلطان ، [ويحذره منه][٤] ويأمره أن ينجو بنفسه ، فبعث إليه السلطان غلاماً أرمنياً ، فوجده منكساً[٥] رأسه ، يفكر في أمره[٦] ، فما كلمه حتى شهر سيفه وضربه ، فأبان رأسه عن جثته . ويقال : بل استدعاه السلطان إليه[٧] ، فقتله صبراً بين يديه ، فالله أعلم .

طُغْرُل السلطان بن السلطان محمد بن ملكشاه[٨] :

توفي بهمذان يوم الأربعاء ثالث المحرم من هذه السنة .

علي[٩] بن الحسن بن الدَّرْزِيجاني[١٠] :

كان عابداً زاهداً . حكى ابن الجوزي[١١] عنه أنه كان يقول : بأن القدرة تتعلق بالمستحيل[١٢] ، ثم أنكر عليه[١٣] ذلك[١٤] [أبو الحسن الزاغوني][١٥] ، وعذره لجهله وعدم تعقله[١٦] لما يقول .

---

(١) آ : المعز . ب ، ط : أبو الأعز .
(٢) ترجمته وأخباره في المنتظم (١٠/ ٥٢ _ ٥٣) وابن الأثير (٨/ ٣٤٩ _ ٣٥٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٦٣ _ ٢٦٥) والعبر (٤/ ٧٨) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٩) .
(٣) آ : على .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) آ : متكئاً .
(٦) ب ، ط : خيمته .
(٧) عن آ وحدها .
(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٥٣) وابن الأثير (٨/ ٣٤٥) .
(٩) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٥٣) .
(١٠) آ : الروريجاني ، ب : الرورعاني ، ط : علي بن محمد النروجاني ، وما هنا عن المنتظم وفي هامشه : وقع في الأصل الدرزنجاني .
(١١) المنتظم (١٠/ ٥٣) .
(١٢) ط : المستحيلات ، والخبر في المنتظم .
(١٣) ليس في ط .
(١٤) ب : أنكر عليه ذلك .
(١٥) ما بين المعقوفتين مستدرك عن المنتظم .
(١٦) آ : تعلقه .

الفضل[١] أبو منصور ، أمير المؤمنين المسترشد بالله[٢] : كان من خيار الخلفاء العباسيين ، شهماً[٣] شجاعاً ، يباشر الحروب بنفسه ، وقد أسلفنا ذلك فيما تقدم . قتله الباطنية بباب مراغة يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من هذه السنة ، ثم نقل إلى بغداد فدفن بها ، رحمه الله ، وبلّ بالرحمة ثراه ، وجعل الجنة منزلته[٤] ومأواه .

ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمئة

فيها : وقع بين الخليفة الراشد وبين السلطان مسعود ، بسبب أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه ما كان كتب له والده المسترشد حين أسره ، التزم له[٥] بأربعمئة ألف دينار ، فامتنع من أداء[٦] ذلك ، وقال : ليس بيننا وبينكم إلا السيف ، فوقع بينهما الخُلْفُ ، فاستجاش السلطان بالعساكر ، واستنهض الخليفة الأمراء ، وأرسل إلى عماد الدين زنكي[٧] فجاء والتف عليه[٨] خلائق . وجاء في غضون[٩] ذلك السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، فخطب له الخليفة ببغداد ، وخلع عليه ، وبايعه[١٠] على الملك ، فتأكدت الوحشة بين السلطان والخليفة جدًّا ، وبرز الخليفة إلى ظاهر بغداد ، ومشى الجيش بين يديه ، كما كانوا يعاملون به[١١] [أباه قبله][١٢] ، وذلك يوم الأربعاء سلخ شعبان ، وخرج السلطان داود من جانب آخر ، فلما بلغهم كثرة الجيوش مع السلطان مسعود[١٣] حَسَّنَ عماد الدين زنكي للخليفة أن يذهب معه[١٤] [إلى بلاد الموصل . واتّفق دخول السلطان][١٥] مسعود إلى بغداد في غيبتهم في[١٦] يوم الإثنين

---

(١) تقدم ذكر مصادره قبل صفحتين .
(٢) من هذه اللفظة إلى آخر الترجمة ليس في ط وجاء مكانهما العبارة التالية : تقدم شيء من ترجمته والله أعلم .
(٣) ب : كان شهماً .
(٤) ليس في ب .
(٥) ليس في ب .
(٦) عن آ وحدها .
(٧) عن آ وحدها .
(٨) ط : والتف على الخليفة .
(٩) آ ، ب : عيون .
(١٠) ب : تابعه .
(١١) ليس في ط .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) ط : كثرة جيوش السلطان محمود .
(١٤) ليس في آ .
(١٥) ليس في آ .
(١٦) ط : ثم .

رابع شوال ، فاستحوذ على دار الخلافة بما فيها جميعه حتى استخلص من نساء الخليفة وحظاياه الحلي والمصاغ والثياب التي للزينة وغير ذلك ، وجمع القضاة والفقهاء ، وأبرز لهم خط الراشد أنه متى خرج من بغداد لقتال السلطان ، فقد خلع نفسه من الخلافة ، فأفتى من أفتى من الفقهاء بخلعه ، فخُلع في يوم الإثنين سادس عشر شهر(١) [ذي القعدة بحكم الحاكم وفتيا أكبر الفقهاء وكانت خلافته أحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً . واستدعى السلطان](٢) بعمه المقتفي بن المستظهر فبويع بالخلافة عوضاً عن أخيه الراشد بالله .

خلافة المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله

وأمه صفراء تسمى نسيماً(٣) ، ويقال لها : ست السَّادة ، وله من العمر يومئذ أربعون سنة ، بويع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين ، وخُطب له على المنابر يوم الجمعة العشرين [من ذي القعدة(٤)] . ولُقِّب بالمقتفي لأنه يقال : إنه رأى النبي(٥) ﷺ ، في(٦) المنام وهو يقول : (سيصل هذا الأمر إليك) . فاقتفِ بي ، فصار إليه بعد ستة أيام فلقب بذلك لذلك .

فائدة حسنة ينبغي التنبيه(٧) عليها(٨)

ولي المقتفي والمسترشد الخلافة وكانا أخوين .

وكذلك السفاح والمنصور .

وكذلك الهادي والرشيد ابنا المهدي .

وكذلك الواثق والمتوكل ابنا المعتصم أخوان .

وأما ثلاثة أخوة : فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد .

والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل .

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) كذا في ط : نسيماً ، وفي الأصل : نسيم (ع) .
(٤) آ ، ب : منه .
(٥) ط : رسول الله .
(٦) ط : وهو في المنام .
(٧) ط : التنبه .
(٨) في ط : لها . وما هنا من آ ، وهو الأفصح .

والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد .
والراضي والمتقي[١] والمطيع بنو المقتدر .
وأما أربعة إخوة فلم يكن إلا في بني أمية وهم : الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان .

ولما استقرّ[٢] المقتفي بالخلافة استمرّ الراشد ذاهباً إلى الموصل صحبة صاحبها عماد الدين زنكي ، فدخلها في ذي الحجة من هذه السنة .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن حَمُّويه[٣] بن محمد بن حَمُّويه ، أبو عبد الله الجويني[٤] :

روى الحديث ، وكان صدوقاً مشهوراً بالعلم والزهد . وله كرامات . ودخل إلى بلد فلما ودّعهم[٥] أنشدهم[٦] : [من الطويل]

لَئِنْ كانَ لي مِنْ بَعْدِ عَوْدٍ إلَيْكُمُ   قَضَيْتُ لَبَاناتِ الفُؤادِ لَدَيْكُمُ[٧]
وإنْ تكُنِ الأُخْرَى وفي الغَيْبِ عِبْرَةٌ   وَحَالَ قَضَاءٌ فَالسَّلامُ عَلَيْكُمُ

[محمد[٨] بن عبد الله بن أحمد بن حبيب ، أبو بكر العامري][٩] المعروف بابن الخبّازة[١٠] :
سمع الحديث ، ورحل في طلبه . [وكانت له معرفة بالفقه والحديث ، وقد شرح كتاب الشهاب][١١] . وكان يعظ الناس على طريقة التصوف . وكان ابن الجوزي[١٢] ممن[١٣] تأدّب به ،

---

(١) ط : المقتفي ، وهو تصحيف .
(٢) آ : ولما استقر الأمر المقتفي .
(٣) آ : محمود .
(٤) ترجمته في التحبير (٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦) ، والمنتظم (١٠/ ٦٤ ـ ٦٥) وابن الأثير (٨/ ٣٥٦) والوافي (٣/ ٢٨) وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨) والعبر (٤/ ٨٣) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٨) .
(٥) ط : ودخل إلى بغداد فلما ودعهم بالخروج منها أنشدهم .
(٦) البيتان في المنتظم (١٠/ ٦٤) .
(٧) ط : نصيب لبانات الفؤاد إليكم .
(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٦٤ ـ ٦٥) وابن الأثير (٨/ ٣٥٦) وتاريخ الإسلام (١١/ ٥١٠ ـ ٥١١) .
(٩) آ : العاملي ، تصحيف .
(١٠) ط : ابن الخباز . وفي المنتظم : ابن الحنازة ، وما هنا من آ وهو الذي بخط الذهبي في تاريخ الإسلام .
(١١) ما بينهما جاء في ط بعد البيتين اللاميين ، وكتاب الشهاب هو المعروف « بمسند الشهاب » للحافظ القضاعي وقد طبع في مؤسسة الرسالة ، بتحقيق الشيخ حمدي السلفي وصدر في مجلدين (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .
(١٢) في المنتظم (١٠/ ٦٤) : وقرأت عليه كثيراً من الحديث والتفسير ، وكان نعم المؤدِّب ، يأمر بالإخلاص وحسن القصد .
(١٣) ط : فيمن .

وقد أثنى عليه . وقد أنشد[(١)] عنه[(٢)] : [من البسيط]

كَيْفَ احْتِيالي وهٰذا في الهَوَى حَالي والشَّوْقُ أَمْلَكُ بي[(٣)] من عَذْل عُذّالي
وَكَيْفَ أَسْلُو[(٤)] وفي حُبّي لَهُ شُغُلٌ يَحُـولُ بَيْـنَ مهمَّـاتـي وأَشْغـالـي

وقد ابتنى رباطاً فكان فيه[(٥)] جماعة من المتعبدين والزهّاد ، ولما احتُضر أوصاهم بتقوى الله عز وجلّ والإخلاص [لله والدين][(٦)] . فلما فرع شرع في النزع ، وعَرِقَ جبينُه ، فمدّ يده ثم قال[(٧)] : [من الكامل][(٨)]

ها قَدْ بَسَطْتُ[(٩)] يَدي إِلَيْكَ فرُدَّها بـالفَضْـلِ لا بِشَمـاتَـةِ الأَعـداءِ

ثم قال : أرى المشايخ بين أيديهم الأطباق وهم ينتظرونني . ثم مات[(١٠)] ، وذلك ليلة الأربعاء نصف رمضان ، ودفن برباطه ، ثم غرق رباطه وقبره في سنة [أربع وخمسين وخمسمئة ، رحمه الله][(١١)] .

محمد بن الفضل بن أحمد [بن محمد][(١٢)] بن أبي العباس ، أبو عبد الله الصاعدي الفُراوي[(١٣)] :

كان أبوه [من أهل ثغر فُراوة ، فسكن نيسابور ، فولد بها محمد هذا . وقد سمع الحديث الكثير على جماعة][(١٤)] من المشايخ في الآفاق[(١٥)] . وتفقه وأفتى وناظر ووعظ . وكان ظريفاً حسن الوجه ، جميل المعاشرة ، كثير التبسّم . وأملى أكثر من ألف مجلس ، ورحل إليه الطلبة من الآفاق ، حتى كان يقال :

---

(١) آ : ومن شعره .
(٢) البيتان في المنتظم (١٠/ ٦٤) .
(٣) ط : لي .
(٤) ط : أشكو .
(٥) آ : عنده .
(٦) ليس في آ .
(٧) ب ، ط : وقال بيتاً لغيره .
(٨) البيت في المنتظم (١٠/ ٦٥) وفيه أن البيت لأبي نصر القشيري وهو أيضاً عند ابن الأثير (٨/ ٣٥٦) .
(٩) في المنتظم وابن الأثير : مددت ، وما هنا موافق لما في تاريخ الإسلام (١١/ ٥١١) .
(١٠) آ : ينظرونني ومات .
(١١) ط : أربعين وخمسمئة وكذلك في المنتظم (١٠/ ٦٥) .
(١٢) عن ط وحدها .
(١٣) ترجمته في تبيين كذب المفتري (٣٢٢) والمنتظم (١٠/ ٦٥ ـ ٦٦) ومعجم البلدان (فراوة) وابن الأثير (٨/ ٣٥٦) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٣/ ٤٨٤) والعبر (٤/ ٨٣) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٨) .
(١٤) ليس في آ .
(١٥) ط : بالآفاق .

للفراوي ألف راوٍ ، وقيل : إن ذلك كان مكتوباً في خاتمه . وقد أسمع صحيح مسلم قريباً من عشرين مرة . توفي في شوال من هذه السنة عن تسعين سنة ، رحمه الله[١] .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمئة

فيها : كثر موت الفجأة ببلاد أصبهان ، فمات ألوف من الناس ، وأغلقت دور كثيرة ، [رحمهم الله][٢] .

وفيها : تزوج الخليفة بالخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه على صداق مئة ألف دينار ، فحضر أخوها السلطان مسعود العقد وجماعة من أعيان الدولة والوزراء والأمراء ، ونُثر على الناس أنواع النثار .

وفيها : صام أهل بغداد رمضان ثلاثين يوماً ، ولم يروا الهلال ليلة إحدى وثلاثين ، مع كون السماء كانت مصحية . قال ابن الجوزي[٣] : وهذا شيء لم يقع مثله .

وفيها : هرب وزير صاحب مصر ، وهو تاج الدولة بهرام النصراني ، وقد كان تمكَّن في البلاد وأساء السيرة ، فتطلَّبه الخليفة الحافظ حتى أخذه ، فسجنه ، ثم أطلقه ، فترهّب وترك[٤] العمل ، فاستوزر بعده رضوان بن الوَلَخْشي[٥] ، ولقبه الملك الأفضل ، ولم يلقب وزير بذلك قبله[٦] . ثم وقع بينه وبين الخليفة[٧] الحافظ ، فلم يزل به الخليفة الحافظ حتى[٨] قتله ، واستقلّ بتدبير أموره وحده .

وفيها : ملك عماد الدين زنكي عدة بلاد[٩] .

وفيها : ظهر[١٠] بالشام سحاب أسود أظلمت له الدنيا ، ثم ظهر بعده سحاب أحمر كأنه نار أضاءت له الدنيا ، ثم جاءت ريح عاصف فألقت أشجاراً كثيرة ، ثم وقع [مطر شديد ، وسقط برَد كبار .

---

(١) ليست : رحمه الله في ط .
(٢) ليس في ط .
(٣) المنتظم (١٠/ ٦٩) .
(٤) آ : وأدرك .
(٥) في ط : « الريحيني » ، محرف ، وما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٥٢٨) ، وهو في إحدى نسخ الكامل لابن الأثير كما يظهر من التعليق عليه (١١/ ٤٨ ط . صادر) (بشار) .
(٦) ط : وزير قبله بهذا .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ليس في ب .
(٩) ط : بلدان .
(١٠) ط : طلع .

وفيها : قصد ملك الروم بلاد الشام فأخذ بلداناً كثيرة][١] من أيدي الفرنج وأطاعه اليون بن ملك الأرمن[٢] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن ثابت [بن الحسن][٣] ، **أبو سعد الخُجَنْدي**[٤] :

تفقه على والده الإمام أبي بكر الخجندي الأصبهاني ، وولي [التدريس بالمدرسة النظامية][٥] ببغداد مراراً ، ويعزل عنها ، وقد سمع الحديث ووعظ ، وتوفي في غرة شعبان من هذه السنة وقد قارب التسعين .

هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري[٦] ، **ويعرف بابن الطَّبَر :**

سمع الكثير . وهو آخر من روى عن أبي الحسن ابن زوج الحرة ، وقد حدث عنه[٧] أبو بكر[٨] الخطيب . وكان ثبتاً صحيح السماع ، كثير الذِّكر والتلاوة ، مُمَتَّعاً بحواسه وقواه إلى أن توفي في جمادى الأولى من هذه السنة عن ست وتسعين سنة ، [٩]رحمه الله رحمة واسعة ورضي عنه .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمئة

فيها : قُتل الخليفة الراشد المخلوع ، وذلك أنه اجتمع معه الملك داود وجماعة من كبار الأمراء ، فقصدوا قتال السلطان[١٠] مسعود بأرض مراغة ، فهزمهم ، وبدّد شملهم ، وقتل منهم خلقاً صبراً [بين يديه][١١] ، منهم صدقة بن دُبَيْس ، وولى أخاه محمداً[١٢] مكانه على الحلة ، وهرب الخليفة المخلوع

---

(١) ليس في آ .
(٢) ط وابن الأثير (٨/ ٣٥٨) : ابن ليون الأرمني .
(٣) ليس في آ .
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٧٠) وابن الأثير (٨/ ٣٥٩) وتاريخ الإسلام (١١/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣) .
(٥) ط : وولي تدريس النظامية .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٧١) وابن الأثير (٨/ ٣٥٩) وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤) والعبر (٤/ ٨٦) .
(٧) آ : عن أبي بكر . وهو تصحيف ، والمقصود أن الخطيب حدث عن أبي الحسن ابن زوج الحرة .
(٨) ط : حدث عنه الخطيب .
(٩) من هنا إلى آخر الترجمة عن آ وحدها .
(١٠) ليس في ط .
(١١) عن آ وحدها .
(١٢) ليس في آ .

الراشد ، فدخل أصبهان ، فقتله رجل[١] ممن كان يخدمه من الخراسانية ، وكان قد برأ من وجع أصابه ، فقتلوه في الخامس والعشرين من رمضان ، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان .

وقد كان حسن اللون ، مليح الوجه ، شديد القوة ، مهيباً . أمه أم ولد ، رحمه الله تعالى .

وفيها : كسا الكعبةَ رجلٌ من التجار يقال له : راست[٢] الفارسي بثمانية عشر ألف دينار وذلك لأنه لم تأتها كسوة في هذا العام لأجل اختلاف الملوك[٣] .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة والعراق ، فانهدم شيء كثير من البيوت ، ومات [تحت الهدم][٤] خلق كثير وجم غفير .

وفيها : كان بخراسان غلاءٌ شديد حتى أكلوا الكلاب[٥] .

وفيها : أخذ الملك عماد الدين زنكي مدينة حمص في المحرم .

وتزوج في رمضان بالست زمرد خاتون ، أم صاحب دمشق ، وهي التي تنسب إليها الخاتونية البرانية .

وفيها : ملك صاحب الروم مدينة بزاعة[٦] ، وهي على ستة فراسخ من حلب ، فجاء أهلها الذين نجوا من القتل والسبي يستغيثون بالمسلمين ببغداد ، فمُنعت الخطبة ببغداد وجرت فتن طويلة .

[وفيها : ولد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بقلعة تكريت][٧] .

وفيها : حجّ بالناس الأمير نظر الخادم ، وكذا في السنوات التي قبلها ، أثابه الله تعالى .

وفيها : تزوج السلطان مسعود بسفرى بنت دُبَيْس بن صدقة ، وزُيّنت لذلك بغداد سبعة أيام . قال ابن الجوزي[٨] : فحصل بسبب ذلك فساد طويل عريض[٩] منتشر .

ثم تزوج ابنة عمه فزُينت بغداد ثلاثة أيام أيضاً .

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) آ : راشت . وعند ابن الأثير (٨/ ٣٦٣) : رامشت .

(٣) ط : لأجل اختلاف .

(٤) آ ، ب : تحته .

(٥) من قوله : وفيها كان . . . إلى هنا زيادة من آ .

(٦) ب : مراغة ، والخبر في المنتظم (١٠/ ٧٢) وابن الأثير (٨/ ٣٥٩) .

(٧) جاء ما بين الرقمين في ط بعد أسطر .

(٨) المنتظم (١٠/ ٧٢) والرواية مختلفة .

(٩) ب ، ط : عريض طويل .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن أحمد ، أبو بكر بن أبي الفتح الدينوري[١] الحنبلي .

سمع الحديث ، وتفقه[٢] على أبي الخطاب الكلوذاني ، وأفتى ودرّس وناظر . كان أسعد الميهني يقول : ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا ثلمه . وقد تخرّج به الشيخ أبو الفرج بن الجوزي[٣] ، وأنشد عنه قوله : [من الطويل][٤]

تَمَنَّيْتَ أن تُمْسي[٥] فقيهاً مناظراً بِغَيْرِ عَنَاءٍ فالجُنونُ فُنونُ
فَلَيْسَ اكتسابُ المالِ دونَ مَشَقَّةٍ تلقَّيْتَهَا فالعلمُ كيفَ يكونُ

عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن ، أبو المظفر القشيري[٦] ، آخر من بقي منهم[٧] . سمع أباه وأبا بكر البيهقي وغيرهما . وسمع منه[٨] عبد الوهاب الأنماطي وأجاز ابن الجوزي[٩] ، وقارب التسعين[١٠] .

محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر[١١] ، أبو الحسن الكَرَجي[١٢] ، سمع الكثير في بلاد شتى ، وكان فقيهاً شافعياً[١٣] . تفقّه بأبي إسحاق وغيره من أئمة[١٤] الشافعية . وكان أديباً[١٥] شاعراً فصيحاً . وله مصنفات كثيرة ، منها « الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول » يذكر فيه مذاهب السلف في باب

---

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٧٣) وابن الأثير (٨/ ٣٦٣) والعبر (٤/ ٨٧) والوافي (٧/ ٣٢٣) وذيل ابن رجب (١/ ١٩٠) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٨٤) .
(٢) آ : والفقه ، والخبر في المنتظم .
(٣) في المنتظم (١٠/ ٧٣) : سمعت عليه درسه مدة .
(٤) البيتان في المنتظم (١٠/ ٧٣) .
(٥) ط : يمسى . والمنتظم : تسمى .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٧٥) والعبر (٤/ ٨٨) ومرآة الجنان (٣/ ٢٦٠) .
(٧) يقصد من أولاد أبي القاسم القشيري كما في المنتظم (١٠/ ٧٥) .
(٨) آ : عنه .
(٩) قال ابن الجوزي : ولي منه إجازة ، والخبر في المنتظم (١٠/ ٧٥) .
(١٠) ب : الستين . وهو تصحيف لأنه ولد سنة ٤٤٥ كما في المنتظم .
(١١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٧٥ ـ ٧٦) وابن الأثير (٨/ ٣٦٣) والعبر (٤/ ٨٩) ومرآة الجنان (٣/ ٢٦٠) .
(١٢) في ط وبعض النسخ : « الكرخي » وهو تصحيف ، وما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٥٧٨) بله تقييد ابن العماد لهذه النسبة بالحروف .
(١٣) ط : مفتياً .
(١٤) ليس في ط .
(١٥) ليس في ط .

الاعتقاد ، ويحكي فيه أشياء غريبة حسنة . وله : « تفسير » وكتاب في « الفقه » . وكان لا يقنت في الفجر ويقول : لم يصح ذلك في حديث(١) ، وقد كان إمامنا الشافعي يقول : إذا صح الحديث(٢) فاضربوا بقولي هذا الحائط . وقد كان حسن الصورة جميل المعاشرة . ومن شعره(٣) : [من الوافر](٤)

تَنَاءَتْ دَارُهُ عَنِّي وَلَكِنْ خَيالُ جَمَالِهِ في القَلْبِ سَاكِنْ
إِذَا امتَلأَ الفُؤَادُ به فماذا يَضُرُّ إذا خَلَتْ منهُ الأَماكِنْ

[توفي رحمه الله وقد قارب التسعين](٥) .

الخليفة الراشد منصور بن المسترشد :

ولي الخلافة بعد أبيه ، ثم خُلع ، فذهب مع العماد زنكي إلى أرض الموصل ، ثم جمع جموعاً فاقتتل مع الملك مسعود في هذه السنة ، فهزمهم ، فذهب إلى أصبهان ، فقُتل بها بعد مرض أصابه ، فقيل : إنه سُمّ ، وقيل(٦) : قتلته الباطنية ، وقيل : بل [قتله الفرَّاشون الذين كانوا يلون](٧) أمره ، فالله أعلم .

وقد حكى ابن الجوزي(٨) عن أبي بكر الصولي أنه قال : الناس يقولون : كل سادس يقوم بأمر الناس منذ أول(٩) الإسلام لا بد وأن يُخْلَع .

قال ابن الجوزي : فتأملت ذلك فرأيته عجباً .

---

(١) لعل الشيخ يريد أن الملازمة على القنوت في الفجر لم يصح في حديث ، وهذا كلام صحيح ، وقد بالغ الشافعية في قنوت الفجر حتى قالوا : ينبغي لمن تركه أن يسجد للسهو . وهذا ليس عليه دليل صحيح ، وقد أخذوا بذلك من حديث رواه الحاكم في الأربعين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لم يزل يقنت في الصبح حتى فارق الدنيا ، وهذا الحديث ضعيف وإن كان قد صححه الحاكم ، فإن في سنده عيسى بن ماهان ، وهو أبو جعفر الرازي ، وهو سيء الحفظ . وأما القنوت للنازلة ، فثابت في الصلوات الخمس ، كما جاء في سنن أبي داود والدارقطني وغيرهما . وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يدعو لأحد ، أو أن يدعو على أحد قنت . وكان يجهر بدعائه ، ويرفع يديه ، ويؤمِّن من خلفه .

(٢) بعده في ط : فهو مذهبي .

(٣) بعده في ط : قوله .

(٤) البيتان في المنتظم (١٠/ ٧٦) .

(٥) ليس ما بينهما في آ ، واستدرك في هامش ب ، وفي المنتظم وابن الأثير أنه ولد سنة ٤٥٨هـ ، فتكون سنه حين وفاته ٧٤ ، فالمفروض أن يقول أنه قارب الثمانين لا التسعين .

(٦) عن ط وحدها .

(٧) ليس في ب .

(٨) المنتظم (١٠/ ٦٧) .

(٩) ط : من .

قام[١] رسول الله ﷺ ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم الحسن فخُلع[٢] .

ثم معاوية ، ويزيد ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان ، وعبد الملك ، ثم عبد الله بن الزبير فخلع[٣] ، وقتل .

ثم الوليد وسليمان ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد ، وهشام ، ثم الوليد بن يزيد فخلع ، وقتل .

ولم ينتظم بعده لبني[٤] أمية أمر حتى قام السفاح العباسي ، ثم أخوه المنصور ، ثم المهدي ثم الهادي ، ثم الرشيد ، ثم الأمين فخلع وقتل .

ثم المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، ثم المستعين فخلع وقتل .

ثم المعتز ، والمهتدي ، والمعتمد ، والمعتضد ، والمكتفي ، ثم المقتدر[٥] فخلع ثم أعيد فقتل .

ثم القاهر ، والراضي ، والمتقي ، والمستكفي ، والمطيع ، ثم الطائع فخلع .

ثم القادر ، والقائم ، والمقتدي ، والمستظهر ، والمسترشد ، ثم الراشد فخلع وقتل[٦] .

أنوشروان[٧] بن خالد بن محمد القاشاني[٨] القيني[٩] : وهو[١٠] من قرية قين من قاشان ، **الوزير أبو نصر** .

وزر للسلطان محمود وللخليفة المسترشد . وكان عاقلاً مهيباً عظيم الخلقة ، وهو الذي ألزم أبا

---

(١) ط : قيام .

(٢) قال بشار : الحسن لم يخلع ، بل تنازل عن حقه في الخلافة حقناً للدماء ، وثمة فرق بين التنازل والخلع .

(٣) قال ابن الأثير : « وفي هذا نظر لأن البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك بن مروان ، وكونه جعله بعده لا وجه له » . (بشار) .

(٤) ط : ولم ينتظم لبني أمية بعده .

(٥) قال ابن الأثير : « والصولي » إنما ذكر إلى أيام المقتدر بالله ، ومن بعده ذكره غيره (الكامل ١١/ ٦٣ ط . صادر) (بشار) .

(٦) عن ط وحدها .

(٧) آ ، ب : نوشراون .

(٨) المنتظم : القاساني .

(٩) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٧٧ـ٧٨) وابن الأثير (٨/ ٣٦٥) ووفيات الأعيان (٤/ ٦٧/ في ترجمة الحريري) والعبر (٤/ ٩٠) . قال بشار : وقد ذكر ابن الأثير وفاته في سنة ٥٣٣ . وكتب الذهبي ترجمته في تاريخ الإسلام بخطه في وفيات سنة ٥٣٢ ثم طلب تحويلها إلى سنة ٥٣٣ فحولناها (ينظر تاريخ الإسلام ١١/ ٥٨٩ـ٥٩٠) .

(١٠) عن آ وحدها .

محمد الحريري بتكميل المقامات ، وكان سبب ذلك أن أبا محمد كان جالساً [ذات يوم][١] في مسجد بني حرام في محلة من محال البصرة ، فدخل عليهم شيخ ذو طمرين ، فقالوا : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا رجل من سروج ، يقال لي أبو زيد . فعمل الحريري المقامة الحرامية ، واشتهرت في الناس ، فلما طالعها الوزير أنوشروان أُعجب بها ، وكلَّف أبا محمد الحريري أن يزيد عليها غيرها ، فعمل معها تمام الخمسين مقامة ، فهي هذه المشهورة المتداولة بين الناس . وقد كان الوزير أنوشروان كريماً [ممدَّحاً غير أنه كان يُنسب إلى التشيع][٢] ، وقد مدحه الحريري صاحب المقامات : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعري والتَّمنّي تَعلَّةٌ[٣] ... وإنْ كانَ فيه راحَةٌ لأخي الكَرْبِ
أتَدْرونَ أنّي مُذْ تناءتْ ديارُكُمْ ... وشَطَّ اقترابي[٤] من جنابِكم الرَّحْبِ
أكابدُ شَوْقاً ما يزالُ أُوارُه[٥] ... يقلّبني في الليلِ جنباً على جَنْبِ
وأَذْكرُ أيامَ التّلاقي فأنثني[٦] ... لتَذْكارِها بادي الأسى طائرَ اللُّبِّ
ولي حنَّةٌ في كلِّ وقت إليكُمْ ... ولا حنَّةُ الصّادي إلى البارد العذبِ[٧]
فوالله لَوْ أنّي كتمتُ هواكُمُ ... لما كان مكتوماً بشرقٍ ولا غربِ
ومما شجا قلبي المعنّى وشفَّه ... رضاكم بإهمالِ الإجابةِ عن كتبي
وقد كنتُ لا أخشى مع الذنب جفوةً ... فقد صرتُ أخشاها وما ليَ من ذنبِ
ولمّا سرى الوَفْدُ العراقيُّ نحوكم ... وأعوزني المسرى إليكم مع الركبِ
جعلتُ كتابي نائباً عن ضرورةٍ ... ومَنْ لم يجدْ ماءً تيمَّمَ بالتُّربِ
وَنَفَّذْتُ[٨] أيضاً بضعةً من جوارحي ... لتُنْبئكم[٩] [عن شر][١٠] حالي وتَسْتَنْبي
ولستُ أرى تذكارَكُم بَعْدَ خُبْرِكم[١١] ... بمكرُمةٍ حَسْبي اعْتذارُكم[١٢] حَسْبي

---

(١) ليس في ط .
(٢) ليس في ط .
(٣) في الأصلين وط : لعله ، وما هنا عن المنتظم .
(٤) المنتظم : افتراقي .
(٥) ط : ما أزال أداره .
(٦) ليس في ب .
(٧) جاء هذا البيت في ب بعد الذي يليه .
(٨) ط : ويعضد . . . تنبيكم عن سرحالي .
(٩) ط : تنبيكم .
(١٠) ط : سر .
(١١) ط : . . . إذكاركم بعد خيركم .
(١٢) المنتظم : اهتزازكم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة

فيها : كانت زلزلة عظيمة[١] بمدينة جنزة[٢] ، فمات[٣] بسببها مئتا ألف وثلاثون ألفاً ، وصار مكانها ماءٌ أسود ، عشرة فراسخ في مثلها . وزُلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة .

وفيها : وضع السلطان مسعود[٤] مكوساً كثيرة عن الناس ، وكثرت الأدعية له[٥] .

وفيها : كانت وقعة عظيمة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه ، فهزمه سنجر ، وقتل في المعركة ولده[٦] ، فحزن عليه والده حزناً شديداً .

وفيها : قُتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغتكين قتله[٧] ثلاثة من خواصه ليلاً ، وهربوا من القلعة ، فأُدرك اثنان فصُلبا ، وأُفلت واحد . [وملك بعده أخوه كمال الدين محمد بن تاج الملوك ، وكان ببعلبك قبل ذلك ، فهلك بعده ببعلبك عماد الدين زنكي ، واستناب عليها الأمير نجم الدين أيوب والد الملك صلاح الدين والملك العادل أبي بكر وذريتهما][٨] .

وفيها : صُرف[٩] اليهود والنصارى عن المباشرات[١٠] ، ثم أُعيدوا قبل شهر[١١] .

وحج بالناس فيها نظر الخادم ، أثابه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

زاهر[١٢] بن طاهر[١٣] بن محمد ، أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر الشَّحّامي ، المحدث المكثر الرحّال الجوّال ، سمع الكثير ، وأملى بجامع نيسابور ألف مجلس ، ويقال : إنه كان به مرض يُكثر

(١) عن ط وحدها .
(٢) ط : جبرت ، والشذرات (٤/ ١٠٢/ خبزة) . وفي نسخة « كنجة » .
(٣) آ : مات .
(٤) آ : محمود .
(٥) ليس في ب .
(٦) ط : ولده في المعركة .
(٧) ليس في آ .
(٨) عن آ وحدها .
(٩) ط : عزل ، وفي المنتظم : طردت .
(١٠) في المنتظم : أنهم طردوا عن الديوان والمخزن .
(١١) لعله يقصد المباشرات بالأعمال ، أي صرفوا عن الأعمال فلم يسمح لهم بمباشرتها ، والله أعلم (ع) .
(١٢) الترجمة في ط مختلفة في روايتها عما هنا . ولم أثبت الخلاف .
(١٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٧٩ ـ ٨٠) والعبر (٤/ ٩١) ولسان الميزان (٢/ ٤٧٠) .

بسببه الجمع من الصلوات ، فتكلم فيه أبو سعد السمعاني وقال : إنه كان يخلّ بالصلوات . وقد ردّ ابن الجوزي[١] على السمعاني بعذر المرض ، فالله أعلم . بلغ خمساً وثمانين سنة . وكانت وفاته بنيسابور في ربيع الآخر ، ودفن بمقبرة يحيى بن يحيى ، رحمه الله[٢] .

علي[٣] بن أفْلَح ، أبو القاسم الكاتب :

وقد خَلع عليه المسترشد ، ولقبه جمال الملك ، وأعطاه أربعة دور ، وكانت له دار إلى جانبهن فهدمهن كلَّهن ، واتخذ مكانهن داراً هائلة ، طولها ستون ذراعاً في عرض أربعين ذراعاً . وأطلق له الخليفة أخشاباً وآجُرّاً وذهباً ، فبناها وغرِم عليها ابنُ أفلح مالاً جزيلاً ، وكتب على أبوابها وطِرازاتها أشعاراً حسنة من نظمه ونظم غيره ، فمن ذلك ما هو على باب الدار[٤] :

إنْ عَجِبَ الرّاؤونَ[٥] من ظاهري ... فباطني لَوْ علموا أعجبُ
شيَّدني[٦] مَنْ كفُّه مُزْنَةٌ[٧] ... يخجلُ[٨] منها العارضُ الصيّبُ
ودبَّجتْ[٩] روضةُ أخلاقِه ... فيَّ رياضاً نورُها مُذْهَبُ
صدرٌ كسا صدريَ مِنْ نوره ... شمساً على الأيّام لا تَغْرُبُ

وعلى الطرز مكتوب : [من مجزوء الكامل]

ومِنَ المروءةِ للفتى ... ما عاش دارٌ فاخِرَهْ
فاقنعْ من الدنيا بها ... واعملْ لدار الآخره
هاتيك[١٠] وافيةٌ بما ... وعدَتْ وهاتي ساخره[١١]

---

(١) المنتظم (١٠/ ٨٠) وهو من مشايخه ومشايخ ابن عساكر .
(٢) مزجت ط بين الترجمتين على النحو التالي : ودفن بمقبرته . يحيى بن يحيى بن علي بن أفلح .
(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٨٠ ـ ٨٤) وتاريخ الإسلام (١١/ ٥٩٨ ـ ٥٩٩) .
(٤) بينهما مختلف عن ط . وقال ابن الجوزي : فمن الحوادث فيها أنه طردت الكتاب اليهود والنصارى من الديوان والمخزن . المنتظم (١٠/ ٧٨) وفي التاج : بشر : وهو المجاز : باشر فلان الأمر إذا وليه بنفسه .
(٥) المنتظم : الزوار .
(٦) ط : شد الاباني .
(٧) آ : شيدني كفه من مزنة .
(٨) المنتظم : يحمل .
(٩) ط : ورنّحت .
(١٠) ط :

هاتيك وافيت بما ... وعدت وهاتي باترة

والبيت في المنتظم .
(١١) المنتظم : ساحرة .

وفي موضع آخر مكتوب : [من المتقارب]

ونـادٍ كـأنّ جِنـانَ الخلـودِ[١] أعـارتْـه مـن حسنهـا رونقـا
وأعطتْه من حـادثـاتِ الـزمـا نِ ألا يُلـمّ بهـا مَـوْبِقـا[٢]
فـأضحى يتيـهُ علـى كُـلِّ مـا بنـى مُغْـربـاً كـان أو مُشْـرقـا
تظـلُّ[٣] الـوفـودُ بـه عُكَّفـاً وتَمْشـي الضيـوفُ بـه طُـرَّقـا
بقيـتَ لـه يـا جمـالَ الملـو كِ والفضـلِ مهمـا أرَدْت البَقـا
وسـالمَـهُ فيـكَ ريـبُ الـزمـان وُوقّيــتَ فيــه الــذي يُتَّقــى

فما ـ والله[٤] ـ صدقت هذه الأماني ، بل عما قريب ، [بعد نيلها][٥] ، اتهم الخليفة [ابنَ أفلح][٦] بأنه يكاتب دُبيساً ، فأمر بتخريب هذه الدار[٧] ، فلم يبق فيها جدار ، وصارت خرابة[٨] بعدما كان قد حسن فيها المقام والقرار ، وهذه حكمةُ من يقلّب الليل على النهار ، وتجري بمشيئته الأقدار[٩] ، وهي حكمته في كل دار بنيت بالأشَر والبَطَر ، وفي كل لِباس لُبس على التِّيه والكِبْر والأشَر .

وقد أورد له ابن الجوزي[١٠] أشياء حسنة من نظمه ونثره ، فمن ذلك قوله : [من البسيط]

دَعِ الهَـوَى لأُنـاسٍ يُعـرفـونَ بـه قَدْ مارسوا الحُبَّ حتى لانَ أصْعَبُه
بلوتَ نفسَكَ فيما لستَ تَخْبُره[١١] والشيءُ صعبٌ على مَنْ لا يجرّبه
اِقْنِ[١٢] اصطباراً وإن لم تستطع جلداً فـربَّ مُـدركِ أمـرٍ[١٣] عـزَّ مطلبُـه

(١) آ ، ط : الخلد . ولا يستقيم بها الوزن .
(٢) المنتظم : أن لا تسلم به موثقاً .
(٣) آ : يظل .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ليس في ط .
(٦) ليس في ط .
(٧) ط : فأمر بخراب داره تلك .
(٨) ط : خربة .
(٩) ط : وما تجري بمشيئته .
(١٠) المنتظم (١٠/ ٨٢) .
(١١) ط : أدخلت نفسك فيما لست تجربه .
(١٢) ط : امن ، وفي المنتظم (١٠/ ٨٢) : افن . واللفظة مهملة النقط في ب : امن .
(١٣) في المنتظم : أمراً .

أحنى[١] الضلوعَ على قلبٍ يُحَيّرني ... في كل يومٍ ويُعيينـي[٢] تقلُّبُه
تناوحُ الريحِ من نَجْدٍ يُهَيّجُه ... ولامعُ البرقِ من نعمانَ يطربُه

وله أيضاً[٣] : [من الرمل]

هٰذِهِ الخَيْفُ وهاتِيكَ مِنَى ... فترفَّقْ أيُّها الحادي بنا
وَاحْبِسِ الرَّكْبَ عَلَيْنا ساعَةً ... نَنْدُبُ الرَّبْعَ وَنَبْكي الدِّمَنا[٤]
فلِذا الموقِفِ أَعْدَدْتُ البُكا ... ولِذا اليومِ الدُّموعُ تُقْتَنَى
زَمَناً[٥] كانَ وَكُنَّا جِيرَة ... يا أَعادَ[٦] اللهُ ذاكَ الزَّمَنا
بَيْنَنَا يَوْمُ أُثيلاتِ النّقا ... كان مِنْ غَيْرِ تَراضٍ بَيْنَنا[٧]

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمئة

فيها : حاصر زنكي دمشق ، فحصّنها الأتابك معين الدين أُنَر[٨] مملوك طُغْتكين ، فاتفق موت ملكها جمال الدين محمد[٩] بن بوري بن طغتكين ، فأرسل معين الدين إلى أخيه مجير الدين أبق[١٠] ، وهو ببعلبك ، فملّكه دمشق ، فذهب زنكي إلى بعلبك ، فأخذها ، واستناب عليها نجم الدين أيوب[١١] .

وفيها : دخل الخليفة[المقتفي لأمر الله][١٢] على الخاتون فاطمة أخت[١٣] السلطان مسعود ، وأغلقت بغداد أياماً ، وكان وقتاً مشهوداً .

---

(١) آ : احنو ، ط : احنِ .
(٢) ط : يعيّيني ، وبدون واو العطف .
(٣) ب : ومن ذلك قوله ، ط : وقوله .
(٤) ط : نندب الدار ونبكي الدنا .
(٥) ط : زماننا . ولا يستوي بها الوزن .
(٦) ط : فأعاد .
(٧) ط : بيننا يوم ائتلاف نلتقى .
(٨) ط : بن وهو تصحيف وسترد وفاته في حوادث سنة ٥٤٤ من هذا الجزء .
(٩) ط : محمود .
(١٠) ط : أتق .
(١١) بعدها في ط : صلاح الدين ، وهو تصحيف لأن نجم الدين ليس صلاح الدين بل هو والده .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) ط : بنت .

وفيها : نُودي للصلاة على رجل صالح ، فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر ، ثم اتفق أن الرجل عَطَس فأفاق .

وحضرت جنازةُ رجل آخر فصلى عليه [ذلك الجمع الكثير][١] .

وفيها : نقصت المياه من سائر الدنيا .

وفيها : ولد صاحب حماة تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي[٢] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن جعفر بن الفرج ، أبو العباس الحربي[٣] :

أحد العبّاد الزهاد . سمع الحديث ، وكانت له أحوال صالحة ، حتى كان يقال : إنه كان يُرى في بعض السنين بعرفات ولم يكن حج في تلك السنة .

عبد السلام بن الفضل أبو[٤] القاسم الجيلي[٥] :

سمع الحديث ، وتفقّه على إلْكِيا الهرّاسي ، وبرع في الأصول والفروع وغير ذلك . وولي قضاء البصرة ، وكان من خيار القضاة ، رحمه[٦] الله .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمئة

فيها : وصلت البُردة والقضيب إلى بغداد ، وكانا [قد أُخذا][٧] من المسترشد سنة تسع وعشرين وخمسمئة[٨] ، فحفظهما السلطان سَنْجر عنده حتى ردّهما في هذه السنة .

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) ط : شاري . تصحيف .
(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٨٦) وتاريخ الإسلام (١١/ ٦٠٧) .
(٤) آ : بن .
(٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٨٧) وتاريخ الإسلام (١١/ ٦١٣) .
(٦) عن ب وحدها .
(٧) ليس في ط .
(٨) في (ط) : « وكانا مع المسترشد حين هرب سنة تسع وعشرين » وفيه إشكال لأن المسترشد لم يهرب وإنما أسر في الحرب ، ثم اغتيل . وفي آ : « وكانا قد أخذا مع المسترشد سنة تسع وعشرين » والأحسن هو قول ابن الأثير الذي نقل المؤلف منه هذا النص : « وكانا قد أخذا من المسترشد » (الكامل ١١/ ٧٩ ط . صادر) . أما الذهبي فذكر أن البردة والقضيب كانا مع الراشد لما قتل بظاهر أصبهان (تاريخ الإسلام ١١/ ٥٣٥) ، وهو احتمال قوي إذ قد يكون الراشد أخذهما معه حين هرب إلى الموصل ، ثم كانا معه حين قتل بظاهر أصبهان سنة ٥٣٢ ، والله أعلم (بشار) .

وفيها : كملت المدرسة الكمالية ببغداد المنسوبة إلى كمال الدين أبي الفتوح حمزة بن طلحة صاحب المخزن . ودرّس فيها الشيخ أبو الحسن بن الخل(١) ، وحضر عنده الأعيان والرؤساء رحمه الله تعالى .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن محمد بن الفضل علي بن أحمد ، أبو القاسم الطلحي الأصبهاني(٢) ، سمع الكثير ، ورحل ، وكتب ، وأملى بأصبهان قريباً من ثلاثة آلاف مجلس ، وكان إماماً في الفقه والحديث والتفسير واللغة ، حافظاً متقناً . توفي ليلة عيد الأضحى ، وقد قارب الثمانين ، ولما أراد الغاسل تنحية الخِرقة عن فرجه ، ردّها بيده ، وقيل : إنه وضع يده على فرجه(٣) .

محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع [بن ثابت](٤) بن وهب ابن مَشْجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك(٥) الأنصاري :

سمع الحديث ، وتفرّد عن جماعة من المشايخ ، وأملى الحديث في جامع القصر ، وكان مشاركاً في علوم كثيرة . وقد أسر في صغره في أيدي الروم ، فأرادوه(٦) أن يتكلم بكلمة الكفر ، فلم يفعل ، وتعلم منهم خط الروم وكان يقول : من خدم المحابر خدمته المنابر .

ومن شعره الذي أورده له ابن الجوزي(٧) عنه وسمعه منه قوله : [من الكامل]

احْفَظْ لِسانَكَ لا تَبُحْ بثلاثةٍ ... سنٍّ [ومالٍ ـ ما استطعتَ ـ ومَذْهَبِ](٨)
فعلى الثلاثةِ تُبْتَلى بثلاثةٍ ... بمكفّرٍ وبحاسدٍ ومكذّب

ومن ذلك قوله : [من الكامل]

لي مدةٌ لا بدَّ أبلغُها ... فإذا انقضتْ وتصرَّمت مُتُّ

---

(١) ط : أبو الحسن الحلي ، وهو تصحيف . والخبر في المنتظم (١٠/ ٨٩) وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٥٢ .
(٢) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٩٠) وابن الأثير (٨/ ٣٦٩) وتذكرة الحفاظ (٢/ ٧٠) والعبر (٤/ ٩٤ ـ ٩٥) ومرآة الجنان (٣/ ٢٦٣) .
(٣) هذا من المبالغات التي لا تصح (ع) .
(٤) آ : بن الربيع . مكررة .
(٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٩٢ ـ ٩٤) وابن الأثير (٨/ ٣٦٩) ومرآة الزمان (٨/ ١٧٨) والعبر (٤/ ٩٦) ومرآة الجنان (٣/ ٢٦٣) وذيل ابن رجب (١/ ١٩٢ ـ ١٩٨) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٨٦) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣ ـ ٢٨) .
(٦) ط : على أن يتكلم .
(٧) المنتظم (١٠/ ٩٢ ـ ٩٤) .
(٨) ليس في آ .

لـو عـانَـدَتْني الأُسـدُ ضـاريـةً ... مـا ضـرَّنـي مـا لـم يـجِ الـوقـتُ

ومن ذلك قوله :

بَغْـدادُ دارٌ لأَهْـلِ العِلْـمِ طَيِّبَـةٌ ... وللمفاليسِ دارُ الضَّنكِ والضِّيقِ
ظللتُ حيرانَ أمشي في أزقَّتها ... كـأنني مصحـفٌ فـي دارِ زِنـديـقِ

قال ابن الجوزي[١] : بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة ، لم تتغيّر حواسه وعقله . وكانت وفاته في ثاني رجب من هذه السنة ، وحضر جنازته الأعيان والناس ودفن قريباً من قبر بشر .

يوسف بن أيوب [بن يوسف][٢] بن الحسن[٣] بن وَهْرَة[٤] ، أبو يعقوب الهمذاني[٥] :

تفقّه بالشيخ أبي إسحاق ، وبرع في الفقه والمناظرة ، [ثم ترك ذلك][٦] ، واشتغل بالتعبُّد[٧] وصحب الصالحين ، وأقام بالجبال ، ثم عاد إلى بغداد ، فوعظ بها ، وحصل له قبول . وتوفي في ربيع الأول ببعض قرى هراة ، رحمه الله[٨] .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمئة

فيها : كانت حروب كثيرة بين السلطان سَنْجر [وبين السلطان][٩] خوارزم شاه . فاستحوذ خوارزم شاه على مرو بعد هزيمة سنجر ، فقَتل[١٠] بها ، وأساء التدبير بالنسبة إلى الفقهاء الحنفية الذين بها ، وكان جيش خوارزم شاه ثلاثمئة ألف مقاتل .

وفيها : كمل عمل بَثْق[١١] النهروان ، وخلع بهروز شحنة بغداد[١٢] على الصُّنَّاع جباب الحرير

---

(١) في المنتظم (١٠/ ٩٤) والرواية فيه : ورأيته بعد ثلاث وتسعين صحيح الحواس لم يتغير منها شيء .
(٢) ليس في ب .
(٣) هكذا في النسخ والمنتظم والكامل ، وفي كتب الذهبي : « الحسين » .
(٤) ط : زهرة ، والضبط عن ابن خلكان .
(٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٩٤ ـ ٩٥) وابن الأثير (٨/ ٣٩٨) ومرآة الزمان (٨/ ١٠٠) ووفيات الأعيان (٧/ ٧٨ ـ ٨١) والعبر (٤/ ٩٧) وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٦٦ ـ ٦٩) وتاريخ الإسلام (١١/ ٦٤٣) ومرآة الجنان (٣/ ٢٦٤ و٢٦٥) .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ط : ثم اشتغل بالعبادة .
(٨) جملة : رحمه الله . عن ب وحدها .
(٩) ليس في ط .
(١٠) ط : ففتك .
(١١) ط : تحمل عمل دمشق النهروز وخلع نهروز . وبثق النهر بَثْقاً وبِثْقاً وتبثاقاً : كسر شطه لينبثق الماء (القاموس) .
(١٢) آ : الشحنة ببغداد . وط وب : الشحنة . فقط .

الرومي[١] . وركب هو والسلطان مسعود في سفينة في ذلك النهر ، وفرح السلطان بذلك ، وكان قد صرف[٢] على ذلك النهر سبعين ألف دينار .

وفيها : حج كمال الدين بن طلحة[٣] صاحب المخزن ، وعاد فتزهد ، وترك العمل ، ولزم داره .

وفيها : عقدت الجمعة بمسجد العباسيين بإذن الخليفة .

وحج بالناس نظر الخادم[٤] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث ، أبو القاسم بن أبي بكر السمرقندي[٥] **الدمشقي ثم البغدادي :**

سمع الكثير ، وتفرّد بمشايخ ، وكان سماعه صحيحاً ، وأملى بجامع المنصور مجالس كثيرة نحواً من ثلاثمئة مجلس [وكانت وفاته في هذه السنة][٦] ، وقد جاوز الثمانين ، رحمه الله .

يحيى بن علي بن محمد بن علي ، أبو محمد (بن)[٧] **الطراح**[٨] **المُدير**[٩] **:**

ولد سنة تسع وخمسين[١٠] وأربعمئة ، وسمع الكثير ، وأسمع . وكان شيخاً حسناً[١١] مهيباً ، كثير العبادة . توفي في رمضان منها[١٢] .

---

(١) ط : على حباب صباغ الحرير الرومي .

(٢) ط : صرف السلطان .

(٣) ب ، ط : كمال الدين طلحة . والخبر في المنتظم (١٠/ ١٠٢) .

(٤) عن آ وحدها .

(٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٩٨ ـ ٩٩) وتاريخ الإسلام (١١/ ٦٥٠ ـ ٦٥٢) .

(٦) ط : توفي .

(٧) من ط ، ولا بد منها .

(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٠١ ـ ١٠٢) وتاريخ الإسلام (١١/ ٦٦٦ ـ ٦٦٧) والعبر (٤/ ٩٩) ومرآة الجنان (٣/ ٢٦٧) .

(٩) في (ط) : « المدبر » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف ، وبيت بني الطراح معروفون ، وقيدته كتب المشتبه بالياء آخر الحروف (بشار) ، وقال السمعاني : وكان مدير قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي (تاريخ الإسلام ١١/ ٦٦٧) . والمدير هو الذي يحفظ السجلات (بشار) .

(١٠) في آ ، ط : « وعشرين » ولا يصح البتة ولم يقل به أحد ، والصواب ما أثبتناه ، وهو الذي في المنتظم لابن الجوزي (١٠/ ١٠١) ، وذكر الذهبي أنه ولد قبل الستين وأربع مئة ، ونقل ذلك من ذيل تاريخ بغداد لأبي سعد السمعاني تاريخ الإسلام (١١/ ٦٦٧) .

(١١) ليس في آ .

(١٢) في آ : « وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة عن مئة وسبع سنين رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين » ، ولا أشك أن=

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمئة

فيها : ملك عماد الدين زنكي الحديثة ، ونقل آل مهارش منها إلى الموصل ، ورتَّب فيها نُوَّاباً من جهته[١] .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثين و خمسمئة

فيها : تجهز السلطان مسعود[٢] ليأخذ الموصل والشام من [عماد الدين][٣] زنكي ، فصالحه على مئة ألف دينار ، فدفع إليه منها عشرين ألف دينار ، وأطلق له الباقي ، وسبب ذلك أن ابنه سيف الدين غازي كان لا يزال في خدمة السلطان مسعود .

وفيها : ملك [عماد الدين][٤] زنكي بعض بلاد بكر .

وفيها : حصر الملك سَنْجر خوارزم شاه ، ثم أخذ منه مالاً وأطلقه .

وفيها : وجد رجل يفسق بصبي فأُلقي من رأس منارة .

وفي ليلة الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي القعدة زلزلت الأرض .

وحج بالناس نظر الخادم ، [أثابه الله تعالى][٥] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد ، أبو البركات الأنماطي[٦] الحافظ : [سمع الكثير ، وحدث][٧] . وكان ثقة ديّناً ورعاً طليق الوجه ، سهل الأخلاق . توفي في المحرم عن ست وتسعين سنة .

= هذا من زيادة الناسخ الذي وجد تاريخ مولده المحرف فأضاف هذه العبارة التي لم يقل بها أحد من معاصريه وتلامذته مثل ابن السمعاني وابن عساكر وابن الجوزي وغيرهم ، وما أثبتناه من (ط) هو الصواب . (بشار) .

(١) هكذا جاءت حوادث السنة في النسخ مبتسرة ، ولم يذكر ابن كثير من توفي فيها من الأعيان (بشار) .
(٢) آ : محمود .
(٣) ليس في ط .
(٤) ليس في ط .
(٥) عن آ وحدها .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٠٨) وابن الأثير (٩/ ٧) والعبر (٤/ ١٠٤) ومرآة الجنان (٣/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) وذيل ابن رجب (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٣) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٩١) .
(٧) ليس في ط .

علي بن طِرَاد بن محمد بن علي الزَّيْنبي[١] ، الوزير العباسي ، أبو القاسم نقيب النقباء على الطائفتين[٢] في أيام المستظهر :

ووزر للمسترشد [والمقتفي ، ثم عزل ، وأُعيد ، ولم يلِ الوزارة من العباسيين غيرُه . وقد سمع الكثير ، وأسمع][٣] . وتوفي في رمضان عن ست وسبعين سنة ، [رحمه الله تعالى][٤] .

الزمخشري[٥] محمود بن عمر بن محمد بن عمر ، أبو القاسم الزمخشري :

صاحب « الكشاف » في التفسير ، و« المفصّل » في النحو ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة . وقد سمع الحديث ، وطاف البلاد [في طلب العلم][٦] ، وجاور بمكة مدة ، وكان يُظهر مذهب الاعتزال ويصرّح بذلك في تفسيره ، ويناظر عليه ، ثم كانت وفاته بخوارزم ليلة عرفة[من هذه السنة][٧] ، رحمه الله ورضي عنه[٨] .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمئة

فيها : أخذ العماد زنكي الرُّها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الفرنج ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، [وسبى نساءً كثيرة][٩] ، وغنم أموالًا جزيلة ، وأزاح[١٠] عن المسلمين كُرَباً شديدة كثيرة[١١] ، جزاه الله خيراً .

---

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٠٩) وابن الأثير (٩/ ٨) والعبر (٤/ ١٠٤) ومرآة الجنان (٣/ ٢٦٩) .
(٢) يعني : العلويين والعباسيين .
(٣) ليس في ط .
(٤) عن آ وحدها .
(٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١١٢) ومعجم الأدباء (١٩/ ١٢٦ ـ ١٣٥) وابن الأثير (٩/ ٨) وإنباه الرواة (٣/ ٢٦٥) ووفيات الأعيان (٥/ ١٦٨ ـ ١٧٤) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٢/ ق٢/ ٣٩٢) والعبر (٤/ ١٠٦) ومرآة الجنان (٣/ ٢٦٩) .
(٦) عن آ وحدها .
(٧) ط : منها . وبعد هذا في آ : « عن ست وتسعين سنة » ، وفي ط : « عن ست وسبعين سنة » ، وكله غلط لا يصح ولا يخفى مثل هذا عن ابن كثير ، فالرجل ولد سنة (٤٦٧) ، أجمعت على ذلك مصادر ترجمته ، بل حدده ابن خلكان باليوم فقال : « وكانت ولادة الزمخشري يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمئة بزمخشر ؛ وتوفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة » (وفيات الأعيان ٥/ ١٧٣) ، فيكون عمره إحدى وسبعين سنة وأربعة أشهر ونصف تقريباً ، فلعل هذا من إضافات بعض القراء أو النساخ (بشار) .
(٨) ليست جملتا الدعاء الأخيرتان في غير آ .
(٩) ليس في آ .
(١٠) ط : وأزال .
(١١) ط : كرباً شديداً .

وحجّ بالناس [أمير الجيوش][١] نظر الخادم ، وتنافس هو وأمير مكة فنُهب[٢] الحجيجُ وهم يطوفون .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن محمد بن منصور بن عمر ، أبو البدر[٣] الكرخي[٤] :

تفقّه بالشيخ أبي إسحاق ، وأبي سعد المتولي ، حتى صار أوحد زمانه فقهاً وصلاحاً . ومات في هذه السنة .

سعد[٥] بن محمد بن[٦] عمر ، أبو منصور[٧] بن الرزاز[٨] :

سمع الحديث ، وتفقه بالغزالي والشاشي والمتولي وإلْكِيا الهراسي وأسعد الميهني ، وولي تدريس النظامية . وكان له سمت حسن ووقار وسكون . وكان يوم جنازته مشهوداً ، ودفن عند الشيخ أبي إسحاق .

عمر بن إبراهيم بن محمد بن أحمد[٩] بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي العلوي ، أبو البركات الكوفي ثم البغدادي[١٠] :

سمع كثيراً[١١] ، وكتب كثيراً . وأقام بدمشق مدة ، وكانت له معرفة جيدة بالفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب . وله تصانيف في النحو . وكان خشن العيش ، صابراً محتسباً . توفي في شعبان من هذه السنة عن سبع وتسعين سنة ، رحمه الله تعالى[١٢] .

---

(١) ليس في ط .
(٢) ب : فنهبت .
(٣) ط : أبو الوليد ، خطأ .
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١١٢ ـ ١١٣) والعبر (٤/ ١٠٦) .
(٥) كذا في الأصلين وط . وفي جميع المصادر : سعيد .
(٦) ليس في ب .
(٧) في بعض النسخ : « بن منصور » ، وهو تحريف ، وما هنا من ط ومصادر ترجمته (بشار) .
(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١١٣) وابن الأثير (٩/ ١٠) والعبر (٤/ ١٠٧) ومرآة الجنان (٣/ ٢٧١) .
(٩) هكذا في النسخ والمنتظم ، ونسبه بخط الذهبي : « عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد » (تاريخ الإسلام ١١/ ٧١٤) نقله من أبي سعد السمعاني ، وأبي موسى المديني وغيرهما . وكذلك هو في كتابه السير (٢٠/ ١٤٥) (بشار) .
(١٠) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١١٤) ومعجم الأدباء (١٥/ ٥٧) وإنباه الرواة (٢/ ٣٢٤) والعبر (٤/ ١٠٨) وميزان الاعتدال (٢/ ٢٤٩) .
(١١) ب : الكثير .
(١٢) ليست لفظة (تعالى) في ب .

ثم دخلت سنة أربعين وخمسمئة

فيها : حَصر علي بن دُبيس أخاه محمداً ، ولم يزل يحاصره حتى اقتلع من يده الحلة ، وملكها .

وفي رجب دخل السلطان مسعود إلى[١] بغداد خوفاً من اجتماع عباس صاحب الرَّيِّ ومحمد شاه ابن محمود ، ثم خرج منها في رمضان .

وحج بالناس قيماز[٢] الأُرجواني مملوك أمير الجيوش نظر ، بسبب ما كان وقع بين نظر وأمير مكة في السنة الماضية .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان ، أبو سعد الأصبهاني[٣] ثم البغدادي :

سمع الحديث ، وكان على طريقة السلف ، حلو الشمائل ، مطّرح الكلفة . ربما خرج إلى السوق بقميص وقلنسوة . وحجَّ إحدى عشرة حجة ، وكان يملي الحديث ، ويكثر الصوم . توفي بنهاوند في ربيع الأول من هذه السنة وقد قارب الثمانين .

علي بن أحمد بن الحسين بن أحمد ، أبو الحسن اليزدي[٤] : تفقّه بأبي بكر الشاشي ، وسمع الحديث وأسمعه . وكان له ولأخيه قميص واحد ، إذا خرج هذا لبسه[٥] وجلس الآخر في البيت[٦] وكذا الآخر[٧] .

موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ، أبو منصور الجواليقي[٨] :

---

(١) ليس في ط .

(٢) ط : أرجوان . وسترد ترجمة قيماز . في حوادث سنة ٥٥٥ من هذا الجزء .

(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١١٦ ـ ١١٧) وابن الأثير (٩/ ١١) والعبر (٤/ ١١٠) ومرآة الجنان (٣/ ٢٧٣) .

(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١١٨) والعبر (٤/ ١٤٣ ـ ١٤٤) ومرآة الجنان (٣/ ٢٩٨) .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) ط : في البيت عرياناً .

(٧) هكذا ذكر المؤلف وفاته في هذه السنة تبعاً لابن الجوزي في المنتظم وما أظن ابن الجوزي إلا واهماً ، فقد نقل ابن الجوزي هذه الترجمة من ذيل تاريخ بغداد لأبي سعد السمعاني ، وإن لم يصرح بذلك ، وأبو سعد ذكر وفاته في سنة (٥٥١) وقال ـ كما نقل الذهبي في تاريخ الإسلام (١٢/ ٣٢) : « سمعت منه وسمع مني » . وترجمه محب الدين ابن النجار في التاريخ المجدد لمدينة السلام (٣/ ٤٨ من طبعة الهند) وذكر وفاته في سنة (٥٥١) أيضاً ، قال : وقرأت بخط أحمد بن شافع وفاته في تاسع جمادى الآخرة . (بشار) .

(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٧١) ومعجم الأدباء (١٩/ ٢٠٥) وابن الأثير (٩/ ١١) وإنباه الرواة (٣/ ٣٣٥)=

شيخ اللغة في زمانه ، باشر مشيخة اللغة بالنظامية بعد[١] شيخه أبي زكريا التبريزي مدة . وكان يؤمّ بالمقتفي ، وربما قرأ عليه الخليفة شيئاً من الكتب . وكان عاقلاً متواضعاً في ملبسه ، طويل الصمت ، كثير التفكر . وكانت له حلْقة بجامع القصر أيام الجمع . وكانت فيه لُكنة . وكان يجلس إلى جانبه المغربي معبّر المنامات . وكان فاضلاً لكنه كان كثير النعاس في مجلسه ، فقال فيه بعض الأدباء[٢] :

[من الكامل]

بَغْدادُ عِنْدي ذَنْبُها لَنْ يُغْفَرا وعُيُوبُها مَكْشُوفَةٌ لَنْ تُسْتَرا
كَوْنُ الجَواليقيِّ فيها مُمْلِياً لُغَةً وكَوْنُ المَغْربيِّ مُعَبِّرا
مَأْسُورُ لُكْنَتِه يقولُ فَصاحَةً وَنَؤُوم[٣] يَقْظَتِهِ يُعَبِّرُ في الكَرى

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمئة

في ليلة مستهل[٤] [ربيع الأول منها][٥] احترق القصر الذي بناه المسترشد . وكان في غاية الحُسن ، وكان الخليفة المقتفي قد انتقل بجواريه وحظاياه إليه[٦] ليقيم فيه ثلاثة أيام ، فما هو إلا أن ناموا ، احترق عليهم القصر ، بسبب أنَّ جارية أخذت في يدها شمعة ، فعلِق لهبها ببعض الأخشاب ، فاحترق القصر ، وسلّم الله الخليفة وأهلَه . فأصبح فتصدّق بأشياء كثيرة ، وأطلق خلقاً من المُحَبَّسين .

وفي رجب منها[٧] وقع بين الخليفة وبين[٨] السلطان مسعود واقع ، فبعث الخليفة إلى الجوامع والمساجد ، فأُغلقت ثلاثة أيام ، حتى اصطلحا .

وفي يوم الجمعة المنتصف[٩] من ذي القعدة جلس ابن العبادي[١٠] الواعظ ، فتكلم والسلطان مسعود

= والعبر (٤/ ١١٠ ـ ١١١) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٨٦) ووفيات الأعيان (٥/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤) ومرآة الجنان (٣/ ٢٧١) وذيل ابن رجب (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٧) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٩٣) .

(١) ليس في آ .
(٢) الأبيات في وفيات الأعيان (٥/ ٣٤٤) برواية مختلفة .
(٣) ط : ليوم .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ليس في ط .
(٩) ط : نصف ذي القعدة .
(١٠) اسمه المظفر بن أردشير . وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٤٧ من هذا الجزء .

حاضر ، وكان قد وضع على الناس مكساً في البيع فاحشاً ، فقال في جملة وعظه : يا سلطان العالم أنت تطلق في بعض الأحيان للمغنِّي إذا طربتَ قريباً مما وضعت على المسلمين من هذا المكس[١] ، فهبني مغنِّياً وقد طربتَ ، فهب لي هذا المكس شكراً لنعم[٢] الله عليك ، وأسقطه عن الناس ، فأشار السلطان بيده أن قد فعلتُ ، فضجّ الناس بالدعاء له ، وكتب بذلك سجلات ، ونودي في البلاد بإسقاط ذلك المكس ، ففرح الناس بذلك ، ولله الحمد والمنة .

[وفي هذه السنة][٣] قلَّ المطرُ جدًّا ، وقلَّت مياهُ الأنهار ، وانتشر جراد عظيم ، وأصاب الناس داءٌ في حلوقهم ، فمات بذلك خلائق كثيرة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : قُتل الملك عماد الدين زنكي بن قسيم[٤] الدولة آقسُنْقُر التركي[٥] ، صاحب الموصل وحلب وغيرهما من بلاد الشام والجزيرة . وكان محاصراً قلعة جعبر .

وفيها : شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي[٦] ، فبرطل بعض مماليك زنكي حتى قتلوه في الليلة الخامسة من ربيع الأول من هذه السنة .

قال العماد الكاتب : وكان سكراناً[٧] ، والله أعلم . وقد كان زنكي من خيار الملوك ، وأحسنهم سيرة وشكلاً . وكان شجاعاً مقداماً حازماً ، خضعت له ملوك الأطراف ، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية ، وأجود الملوك معاملة ، وأرفقهم بالعامة .

وملك[٨] من بعده بالموصل ولده [سيف الدين غازي][٩] ، وبحلب ولده نور الدين محمود ، فاستعاد الملك نور الدين محمود هذا مدينة الرُّها ، وكان أبوه قد فتحها . ثم عصوا فقهرهم .

وفيها : ملكت الفرنج ـ لعنهم الله ـ مدينة طرابلس الغرب .

وفيها : استعاد صاحب دمشق مدينة بعلبك .

---

(١) ط : في البيع مكساً فاحشاً .
(٢) ط : لنعمة .
(٣) ط : وفيها .
(٤) ط : قيم الدولة .
(٥) المنتظم (١٠/١١٩ و١٢١) وابن الأثير (٩/١٣) .
(٦) ابن الأثير (٩/١٧) .
(٧) جملة : « وكان سكراناً » يعود فيها الضمير ـ والله أعلم ـ إلى شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي الذي كان في قلعة جعبر (ع) .
(٨) ط : وقام بالأمر .
(٩) ط : سيف الدولة .

وفيها : جاء(١) الأمير نجم الدين أيوب من جهة زنكي إلى صاحب دمشق ، فسلّمه القلعة ، وأعطاه إمرية(٢) عنده بدمشق .

وفيها : قَتل السلطان مسعود حاجبه عبد الرحمن بن طُغْرلْبَك ، وقتل عبَّاساً صاحب الرَّيّ وألقى برأسه إلى أصحابه ، فانزعج الناس ، ونهبوا خيام عباس . وقد كان عباس هذا من الشجعان المشهورين ، قتلت الباطنية(٣) جوهراً ، فلم يزل يقتل منهم حتى بنى مئذنة من رؤوسهم بمدينة الرَّي .

وفيها : مات نقيب النقباء ببغداد محمد بن طِراد الزينبي ، فولي(٤) بعده علي(٥) بن طلحة الزينبي .

وفيها : سقط جدار على ابنة الخليفة ، وكانت قد بلغت مبالغ النساء ، فماتت ، فحضر جنازتها الأعيان .

[وحج في هذه السنة نظام الدين بن جَهير الوزير](٦) .

[وممن توفي فيها من الأعيان :

زنكي بن آقسُنْقُر : تقدم ذِكر شيء من ترجمته [في الحوادث](٧) ، [وهو أبو نور الدين محمود الشهيد](٨) ، وقد أطنب الشيخ [شهاب الدين](٩) [أبو شامة](١٠) في « الروضتين » في ترجمته ، وما قيل فيه من نظم ونثر ، رحمه الله .

سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد ، أبو الحسن المغربي الأندلسي الأنصاري(١١) :

رحل من الأندلس إلى الصين . وسمع الحديث ، وتفقّه بالغزالي ، وحصّل كتباً نفيسة . وروى عنه

---

(١) عن آ وحدها .
(٢) ط : أمزبه ، وفي بعض النسخ : « إمرته » ، والصواب ما أثبتنا ، أي : جعله أميراً أو أعطاه إقطاعاً ، وقال الذهبي : « وأقطعه خبزاً بدمشق ، وملّكه عدة قرى ، فانتقل إلى دمشق وسكنها » تاريخ الإسلام (١١/ ٧٥٢) . (بشار) .
(٣) ط : قاتل الباطنية مع مخدومه .
(٤) ط : فتولى .
(٥) في المنتظم (١٠/ ١١٩) : أبو أحمد طلحة بن علي .
(٦) ما بين الحاصرتين مكانه في ط : وحج بالناس قطز الخادم . وفي ب : وحج بالناس نظر الخادم .
(٧) ليس في ط .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) ليس في ط .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٢١) وتاريخ الإسلام (١١/ ٧٨٢ ـ ٧٨٣) ، والعبر (٤/ ١١٢) ومرآة الجنان (٣/ ٢٧٤) .

ابن الجوزي(١) وغيره ، وقد أوصى عند وفاته ببغداد أن يصلي عليه الغزنوي(٢) ، وأن يدفن إلى جانب قبر عبد الله بن الإمام أحمد ، وحضر جنازته خلائق من الناس .

شافع بن عبد الرشيد بن القاسم ، أبو عبد الله الجيلي(٣) الشافعي :

تفقه على إلْكِيا الهرّاسي ثم على الغزالي ، وكان يسكن الكرخ ، وله حلقة بجامع المنصور في الرُّواق .

قال ابن الجوزي(٤) : وكنت أحضر حلْقته .

عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله ، أبو محمد سبط أبي منصور الزاهد(٥) :

قرأ القراءات ، وصنف فيها ، وسمع الحديث الكثير ، واقتنى الكتب الحسنة ، وأمّ في مسجده نيفاً وخمسين(٦) سنة . وختّم(٧) خلقاً كثيراً .

قال ابن الجوزي(٨) : وما سمعت أحداً أحسن(٩) قراءة منه . وحضر جنازته خلق كثير .

عباس(١٠) شحنة(١١) الريّ :

توصّل إلى أن مَلَكَها ، ثم قتله السلطان مسعود ، كما ذكرنا . وقد كان كثير الصدقات والإحسان إلى الرعية وقَتل من الباطنية خلقاً وابتنى من رؤوسهم منارة بالرَّيِّ ، وتأسف الناس عليه ، رحمه الله .

محمد بن طِراد بن محمد الزينبي(١٢) ، أبو الحسن نقيب الهاشميين :

وهو أخو علي بن طِراد الوزير ، سمع الكثير من أبيه وعمه أبي نصر وغيرهما ، وقارب السبعين .

---

(١) قال ابن الجوزي في المنتظم (١٠/ ١٢١) : وقرأت عليه الكثير .
(٢) هو علي بن الحسين . سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٥١ من هذا الجزء .
(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٢١ ـ ١٢٢) .
(٤) في المنتظم (١٠/ ١٢٢) : وكنت أحضر حلقته وأنا صبي .
(٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٢٢) وإنباه الرواة (٢/ ١٢٣) وابن الأثير (٩/ ١٦) والعبر (٤/ ١١٣) ومرآة الجنان (٣/ ٢٧٥) وذيل ابن رجب (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٢) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٩٧) .
(٦) في المنتظم (١٠/ ١٢٢) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٧٨٤) : وأم في المسجد منذ سنة سبع وثمانين إلى أن توفي ، وهذا يعني أنه أمّ في هذا المسجد أربعاً وخمسين سنة .
(٧) ط : وعلم ، وفي المنتظم : وقرأ عليه الخلق الكثير وختم مالا يحصى .
(٨) المنتظم .
(٩) في آ : أطيب .
(١٠) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٢٣) وابن الأثير (٩/ ١٥) وتاريخ الإسلام (١١/ ٧٨٤) .
(١١) الشحنة في البلد من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان (القاموس) .
(١٢) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٢٣) وتاريخ الإسلام (١١/ ٧٩٢) .

وجيه بن طاهر بن محمد بن محمد ، أبو بكر الشَّحَّامي[١] ، أخو زاهر :

وقد سمع الكثير من الحديث ، وكانت له معرفة به . وكان شيخاً حسن الوجه ، سريع الدمعة ، كثير الذِّكر ، صحيح[٢] السماع ، صدوق اللهجة[٣] . توفي ببغداد من هذه السنة ، [رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين][٤] .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمئة

فيها : ملكت الفرنج عدة حصون من جزيرة الأندلس .

وفيها : ملك نور الدين محمود[٥] بن زنكي عدة حصون من أيدي[٦] الفرنج بالسواحل وغيرها[٧] .

وفيها : خُطب للمستنجد بالله بولاية العهد من بعد أبيه المقتفي .

وفيها : ولي عون الدين يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزّمام ، وولي زعيم الدين يحيى بن جعفر صدرية المخزن المعمور .

وفيها : اشتدّ الغلاء بإفريقية ، فهلك بسببه أكثر الناس ، حتى خلت المنازل ، وأقفرت المعاقل .

وفيها : تزوّج سيف الدين غازي بنتَ صاحب ماردين حسام الدين تمرتاش بن أرتق ، بعد أن حاصره ، فصالحه على ذلك ، فحُملت إليه إلى الموصل بعد سنتين ، وهو مريض ، قد أشرف على الموت ، فلم يدخل بها حتى مات . فولي[٨] بعده على الموصل أخوه قطب الدين مودود[٩] فتزوجها .

قال ابن الجوزي[١٠] : وفي صفر رأى رجل في المنام قائلاً يقول[١١] : من زار قبر أحمد بن حنبل غُفر له[١٢] . قال : فلم يبق خاصٌّ ولا عام إلا زاره .

---

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٢٤) والعبر (٤/ ١١٣) وتاريخ الإسلام (١١/ ٧٩٦) .
(٢) ب : جمع .
(٣) ط : جمع السماع إلى العمل مع صدق اللهجة .
(٤) ليس ما بين الحاصرتين في غير آ .
(٥) ط : نور الدين بن محمود .
(٦) ط : من يد .
(٧) ليس في ط .
(٨) ط : فتولى .
(٩) ط : قطب الدين بن مودود .
(١٠) المنتظم (١٠/ ١٢٤) .
(١١) ط : يقول له .
(١٢) المنامات لا يؤخذ منها حكم شرعي ، وهذا غير صحيح ، سواء كان مناماً أو يقظة ، حتى الحديث الذي يقال في حق=

قال ابن الجوزي : وعقدتُ يومئذ ثَمَّ مجلساً ، فاجتمع فيه ألوفٌ من الناس .

ومِمن توفي فيها [من الأعيان](١) :

أسعد(٢) **بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله ، أبو منصور :**

سمع(٣) الكثير ، وكان خيّراً صالحاً ، مُمَتَّعاً بحواسه وقواه إلى حين الوفاة ، وقد جاوز المئة بنحو من سبع سنين ، رحمه الله .

أبو محمد(٤) **عبد الله [بن علي بن عبد الله بن علي]**(٥) **بن خلف بن أحمد بن عُمر اللخمي الأندلسي الرُّشاطي**(٦) **الحافظ**(٧) **:**

صنف كتاب « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار » وهو من أحسن التصانيف الكبار . قتل شهيداً صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى بالمَرِيَّة(٨) .

نصر الله بن محمد بن عبد القوي ، أبو الفتح اللاّذِقي المِصِّيصي الشافعي(٩) **:**

تفقَّه بالشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي بصور ، وسمع بها منه ومن أبي بكر الخطيب . وسمع ببغداد والأنبار . وكان من(١٠) مشايخ الشام ، فقيهاً في الأصول والفروع . [وكانت وفاته في هذه السنة](١١) ، وقد جاوز التسعين بأربع سنين ، رحمه الله .

= رسول الله ﷺ « من زار قبري وجبت له شفاعتي » غير صحيح ، لأنه قد يزور قبره الطائع والعاصي ، والمؤمن والكافر ، فهل تجب له الشفاعة ؟ اللهم لا (ع) .

(١) ليس في ب .

(٢) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٢٧) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٠٤) .

(٣) في ط : سمع الحديث الكثير .

(٤) ب : أبو محمد بن عبد الله ، وهو تصحيف .

(٥) مكانهما في ط : بن محمد .

(٦) ط : الرباطي ، وهو تصحيف .

(٧) ترجمته في معجم البلدان (رُشاطة) وفيه : (روى عن أَبَوَيْ علي الغساني والصدفي . وله عناية تامة بالحديث ورجاله والتاريخ . . . ومولده في جمادى الآخرة سنة ٤٦٦هـ وتوفي سنة ٥٤٠هـ) ووفيات الأعيان (٣/ ١٠٦ - ١٠٧) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٠٧) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٠٧) .

(٨) في الأصول : بالبرية ، وما هنا عن مصادره .

(٩) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٢٩) ومعجم البلدان (لاذقية) ، والعبر (٤/ ١١٦) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨١٦) ومرآة الجنان (٣/ ٢٧٥) .

(١٠) ط : أحد .

(١١) ط : توفي فيها .

هبة الله بن علي [بن محمد][١] بن حمزة ، أبو السعادات الشجري[٢] النحوي[٣] :

ولد سنة خمسين وأربعمئة . وسمع الحديث ، وانتهت إليه رئاسة النحاة .

قال الشجري : ما سمعت بيتاً في الذم أبلغ من قول مِسْكويه[٤] : [من الطويل][٥]

وَمَا أَنا إلّا المِسْكُ قَدْ ضَاع عِنْدَكُمْ يَضيعُ وعِنْدَ الأَكْثرين يَضُوعُ

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة

فيها : استغاث مجير الدين بن أتابك دمشق بالملك نور الدين محمود[٦] صاحب حلب على الفرنج . فركب سريعاً ، فالتقاهم[٧] بأرض بُصرى ، فهزمهم ، ورجع فنزل على الكُسوة . وخرج ملك دمشق مجير الدين أبق[٨] فخدمه واحترمه ، وشاهد الدماشقة حرمة نور الدين [حتى تمنَّوه][٩] .

وفيها : ملكت الفرنج المهدية[١٠] وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن يوسف بن[١١] بُلُكِّين بن زيري بأهله وما خفّ من أمواله ، فتمزّق في البلاد[١٢] ، وأكلتهم الأقطار . [وكان آخر ملوك بني باديس][١٣] ، وقد كان ابتداء ملكهم في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة ، فدخل الفرنج إليها وخزائنُها مشحونة بالحواصل والأموال والعدد وغير ذلك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) ليس في آ .
(٢) ط : ابن الشجري .
(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٣٠) ومعجم الأدباء (١٩/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤) وإنباه الرواة (٣/ ٣٥٦) ووفيات الأعيان (٦/ ٤٥ ـ ٥٠) والعبر (٤/ ١١١) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨١٨) ومرآة الجنان (٣/ ٢٧٥) .
(٤) في ط : مكوبة ، وفي آ : مسكونة .
(٥) البيت في المنتظم (١٠/ ١٣٠) .
(٦) ليس في ط .
(٧) ط : فالتقى معهم .
(٨) ط : ارتق ، وهو تصحيف ، وما أثبت من تاريخ ابن القلانسي (٤٤٣) ووفيات الأعيان (٥/ ١٨٨ ـ ١٨٩) .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ب : ملك المهدية .
(١١) آ ، ب : بلتكين ، ط : بليكين . وكلاهما تصحيف ، وفيات الأعيان (٥/ ٢٣٣) وابن خلدون (٦/ ١٥٥) .
(١٢) ط : وخاف على أمواله فتمزقت في البلاد وتمزق هو أيضاً في البلاد .
(١٣) ليس في ب .

وفيها : حاصرت الفرنج ، وهم في سبعين ألف مقاتل ومعهم ملك الألمان في خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، دمشق ، وعليها مجير الدين آبق بن محمد بن بوري بن طُغْتِكين ، وأتابكه[١] معين الدين أُنر[٢] مدبِّر المملكة ، وذلك يوم السبت سادس ربيع الأول . فخرج إليهم أهلها في مئة ألف[٣] وثلاثين ألفاً ، فاقتتلوا معهم قتالاً عظيماً[٤] ، وقتل من المسلمين[٥] في أول يوم نحو المئتين[٦] ، ومن الفرنج خلق كثير لا يُحْصَوْن ، واستمرّت[٧] الحرب مدة ، وأُخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن[٨] الجامع . واجتمع الناس[٩] يدعون الله عز وجل ، والنساء والأطفال مُكَشَّفُو[١٠] الرؤوس ، يدعون ويتباكون ، والرماد مفروش في البلد . فاستغاث أُنر[١١] بالملك نور الدين محمود صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل ، فقصداه سريعاً في نحو من سبعين ألفاً ممن انضاف إليهم من الملوك وغيرهم ، فلما سمعت الفرنج ، قبّحهم الله ، بقدوم الجيش[١٢] نحوهم أجلَوْا[١٣] عن البلد ، فلحقهم الجيش ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجمًّا غفيراً ، وقتلوا فيمن قتلوا منهم قسيساً معهم اسمه إلياس ، وهو الذي أغراهم بدمشق ، وذلك أنه افترى مناماً عن المسيح[١٤] أنه وعده بفتح دمشق ، فقُتل لعنه الله ، وقد كادوا[١٥] يأخذون البلد ، ولكن حماها الله تعالى[١٦] بحوله وقوته ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥١] ، وقال : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج : ٤٠] .

---

(١) آ ، ب : وأتابك .
(٢) ط : وهو . ب : أبيه وهو . وكلاهما تصحيف .
(٣) ليس في آ .
(٤) ط : شديداً .
(٥) بعدها في آ : الحرب .
(٦) ط : نحو من مئتي رجل .
(٧) ط : واستمر .
(٨) آ ، ب : الصحن .
(٩) ط : الناس حوله .
(١٠) آ : مَلتقي ، ب ، ط : مكشفي ، وما هنا تتطلبه اللغة .
(١١) ط : ارتق ، تصحيف .
(١٢) آ : الجيوش .
(١٣) ط : تحولوا .
(١٤) آ ، ب : الشيخ .
(١٥) آ ، ب : وقد كانوا كادوا .
(١٦) آ : حماه الله تعالى .

ومدينة دمشق لا سبيل للأعداء من الكفرة عليها ، لأنها المحلّة التي أخبر رسول الله ﷺ عنها أنها معقل الإسلام عند الملاحم والفتن ، وبها ينزل عيسى ابن مريم ، عليه السلام[١] .

وقد كانت الفرنج قتلوا خلقاً كثيراً من أهل دمشق ، وممن قتلوا الفقيه الكبير الملقب حجة الدين شيخ المالكية بها أبو الحجاج يوسف بن دوناس[٢] الفِنْدَلاوي بأرض النيرب ، ودفن بمقابر باب الصغير . وقد صالح مجير الدين الفرنج عن دمشق ببانياس ، فرحلوا عنها ، وتسلّموا بانياس .

وفيها : وقع[٣] بين السلطان مسعود وأمرائه ، ففارقوه وقصدوا بغداد ، فاقتتلوا مع العامة ، فقتلوا منهم[٤] خلقاً كثيراً من الصغار والكبار ، ثم إنهم[٥] اجتمعوا قبالة التاج ، وقبّلوا الأرض ، واعتذروا إلى الخليفة مما وقع ، وساروا نحو النَّهروان ، فتفرقوا في البلاد ، ونهبوا أهلها ، فغلت الأسعار بالعراق بسبب ذلك .

وفيها : ولي[٦] قضاء القضاة ببغداد أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن الدامغاني بعد وفاة الزَّينبي .

وفيها : ملك سُوري بن الحُسين[٧] ملك الغور مدينة غزنة ، فذهب صاحبها بهرام شاه بن مسعود بن

---

(١) روى أحمد في مسنده (٥/ ١٩٧) وأبو داود في الملاحم ، باب في المعقل من الملاحم رقم (٤٢٩٨) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق ، خير منازل المسلمين يومئذ » وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا . والفُسطاط ، بضم الفاء وكسرها : المدينة التي فيها مجتمع الناس . وروى الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« إذا وقعت الملاحم ، خرج بعث من الموالي من دمشق ، هم أكرم العرب فرساً وأجوده سلاحاً ، يؤيد الله بهم الدين » . وهو حديث حسن . وروى مسلم في صحيحه رقم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل المسيح بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق » وهو جزء من حديث طويل ، ورواه الطبراني من حديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء في دمشق » وهو حديث صحيح بالذي قبله وانظر « مجمع الزوائد » (٨/ ٢٠٥) . اهـ (ع) .

(٢) ب والعبر (٤/ ١٢٠) : دوباس . في ط ومعجم البلدان : (فِنْدلاو) والنجوم (٥/ ٢٨٢) : دُرْناس . وفي وفيات الأعيان : درباس ، وما هنا عن آ وهو يوافق ما في مرآة الزمان (٨/ ٢٠٠) واللباب (٢/ ٤٤٢) والروضتين (١/ ٥٣) وتذكرة الحفاظ (٢/ ١٢٩٧) ومرآة الجنان (٣/ ٢٨٠) .

(٣) كذا في الأصول ، وعبارة المنتظم (١٠/ ١٣١) : ووصلت الأخبار من معسكر السلطان أن الأمراء قد تغيرت على السلطان مسعود .

(٤) آ ، ب : كثيراً منهم .

(٥) ليس في ط .

(٦) عن ط وحدها .

(٧) ط : سولي بن الحسين ، وما هنا عند ابن الأثير (٩/ ٢٢) وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٧٥٥) .

إبراهيم ، من أولاد سبكتكين إلى الهند فاستجاش ملكها[١] ، فجاء بجيوش عظيمة ، فاقتلع غزنة من يد سُوري وأخذه أسيراً فصلبه ، وقد كان كريماً جواداً كثير الصدقات .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن محمد بن نبهان[٢] بن محرز الغنوي الرَّقِّي[٣] : سمع الحديث ، وتفقّه بالشاشي والغزالي ، وكتب شيئاً كثيراً من مصنّفاته ، وقرأها عليه وصحبه كثيراً . وكان حسناً مهيباً كثير الصمت بهي السمت . توفي في ذي الحجة [من هذه السنة][٤] ، وقد جاوز الثمانين .

شاهنشاه بن أيوب بن شاذي[٥] :

استشهد مع نور الدين . وهو والد الست عذراء[٦] واقفة العذراوية ، وتقي الدين عمر واقف التقوية وغير ذلك .

علي بن الحسين [بن محمد بن علي الزَّينبي[٧] ، أبو القاسم الأكمل بن أبي طالب نور الهدى بن أبي الحسن][٨] نظام الحضرتين ابن نقيب النقباء أبي القاسم ابن القاضي أبي تمام العباسي : قاضي القضاة ببغداد والعراق وغير ذلك .

سمع الحديث ، وكان فقيهاً رئيساً وقوراً حسن الهيئة والسمت ، قليل الكلام ، سافر مع الخليفة الراشد إلى الموصل ، وجرت له فصول ، ثم عاد إلى بغداد ، فمات بها في هذه السنة ، وقد جاوز الستين ، وكانت جنازته حافلة ، رحمه الله [رحمة واسعة][٩] .

---

(١) ط : إلى فرغانة فاستغاث بملكها .
(٢) ط : نهار .
(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٣٤) والعبر (٤/ ١١٩) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٢٢) ، ومرآة الجنان (٣/ ٢٧٩) وكنيته فيها : أبو إسحاق . وفي المنتظم : قال المصنف : ورأيته وله سمت وصمت ووقار وخشوع .
(٤) مكانهما في ط : منها .
(٥) ترجمته في الخريدة ـ مقدمة قسم الشام (١١٣) ومرآة الزمان (٨/ ٣٧٢) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٥٢) ومرآة الجنان (٣/ ٢٨٠) وترويح القلوب (٤٨) .
(٦) ط : عذار ، وهو تصحيف وتسرد ترجمتها في حوادث سنة ٥٩٣ من هذا الجزء .
(٧) ترجمته في تاريخ دمشق لابن القلانسي (٤٧١) وابن الأثير ، وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٣/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦) والعبر (٤/ ١١٩) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٣١) .
(٨) ليس في آ .
(٩) عن آ وحدها .

أبو الحجاج [يوسف بن دوناس][1] الفِنْدَلاوي[2] شيخ المالكية بدمشق :

قتل يوم السبت سادس ربيع الأول ، قريباً من الربوة في أرض النيرب ، هو والشيخ عبد الرحمن الحلحولي[3] ، أحد الزهاد ، قتلا معاً ، رحمهما الله تعالى آمين[4] .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمئة

فيها : كانت وفاة القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون[5] بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السَّبتي قاضيها .

أحد مشايخ العلماء المالكية ، وصاحب المصنَّفات الكثيرة المفيدة الشهيرة[6] ، منها : « الشفا »[7] ، و« شرح[8] مسلم » ، و« مشارق الأنوار »[9] وغير ذلك[10] . وله شعر حسن . وكان إماماً في علوم كثيرة ، كالفقه واللغة والحديث والأدب وأيام الناس . ولد سنة ست وستين وأربعمئة . وتوفي في يوم الجمعة في جمادى الآخرة ، وقيل : في رمضان ، من هذه السنة ، بمدينة سبتة ، رحمه الله .

وفيها : غزا الملك نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلادَ الفرنج ، فقتل منهم خلقاً [كثيراً

---

(١) ط : أبو الحجاج يوسف بن درباس .

(٢) ترجمته في معجم البلدان (فندلاو) ومرآة الزمان (٨/ ٢٠٠) واللباب (٢/ ٤٤٢) والروضتين (١/ ٥٣) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٥٢) وتذكرة الحفاظ (٢/١٢٩٧) والعبر (٤/ ١٢٠) ومرآة الجنان (٣/ ٢٨٠) والنجوم (٥/ ٢٨٢) .

(٣) تاريخ دمشق لابن القلانسي (٤٦٤) والروضتين (١/ ٥٣) .

(٤) ليست عبارة الترحم في ب .

(٥) كذا في ب وهو كذلك في ترجمة القاضي عياض لابنه محمد ومثله في الديباج المذهب (٢/ ٤٦) وفي آ : عمر ، وفي ط : عمرو ، وكذا في مصادر ترجمته وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٨٦٠) وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٣) .

(٦) ليس في ط .

(٧) اسمه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى .

(٨) اسمه : الإكمال في شرح كتاب مسلم ، كمل به كتاب : المعلم في شرح مسلم ، للمازري .

(٩) اسمه : مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، وهو كتاب مفيد جدًّا في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي الموطأ والبخاري ومسلم . وفيات الأعيان .

(١٠) وله أيضاً كتاب : ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك ، وكتاب : العقيدة ، وكتاب : شرح حديث أم زرع ، وكتاب : جامع التواريخ .

وجمًّا غفيراً][١] ، فكان[٢] فيمن[٣] قتل البرنس ملك[٤] أنطاكية ، وفتح شيئاً كثيراً من قلاعهم ، ولله الحمد والمنة . وكان قد استنجد بمعين الدين أُنر أتابك دمشق ، فأرسل إليه بفريق من جيشه صحبة الأمير مجاهد الدين بزان بن مامين[٥] نائب صرخد فأبلوا بلاءً حسناً . وقد قال الشعراء[٦] في هذه الغزوة أشعاراً كثيرة ، منهم ابن القيسراني وغيره ، وقد سردها الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « الروضتين »[٧] .

وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر استوزر للخلافة أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة ولقب عون الدين ، وخلع عليه .

وفي رجب قصد ملكشاه بن محمود بغدادَ ومعه خلق من الأمراء ، منهم علي بن دُبَيْس وجماعة من التركمان وغيرهم ، وطلبوا من الخليفة أن يُخطب له ، فامتنع من ذلك ، وتكررت المكاتبات ، وأرسل الخليفة إلى السلطان مسعود يستحثّه في القدوم ، فتمادى عليه ، وضاق النطاق ، واتسع الخرق على الراقع[٨] . وكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه مسعود يتوعده إن لم يسرع المشي إلى الخليفة . فما جاء إلا في أواخر السنة ، فانقشعت تلك الشرور كلها ، وتبدَّلت سروراً أجمعها .

وفي هذه السنة زُلزلت الأرض زلزالاً شديداً ، وتموّجت الأرض عشر مرات ، وتقطّع جبل بحلوان ، وانهدم الرباط البهروزي[٩] ، وهلك خلق كثير بالبرسام[١٠] ، لا يتكلم المرضى به حتى يموتوا .

وفيها : مات سيف الدين غازي بن زنكي ، صاحب الموصل ، وملك بعده أخوه قطب الدين مودود ابن زنكي ، وتزوج بامرأة أخيه التي لم يدخل بها الخاتون بنت تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق صاحب

---

(١) عن آ وحدها .
(٢) ط : وكان .
(٣) آ : ممن .
(٤) ط : صاحب .
(٥) في ط : مروان بن ماس ، وفي الروضتين : نران بن مامين ، وفي الوفيات (١/ ٢٤١) : بزان ، وما هنا من تاريخ ابن القلانسي وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٧٥٩) .
(٦) من هؤلاء الشعراء أحمد بن منير الطرابلسي ومطلع قصيدته التي تقع في اثنين وستين بيتاً :
أقوى الضلال وأقفرت عرصاته ... وعلا الهدى وتبلجت قسماته
(٧) الروضتين (١/ ٥٨ ـ ٦٢) .
(٨) المثل في معجم الأمثال العربية (تأليف رياض عبد الحميد مراد) ـ طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض (٢/ ٢٨) (ع) .
(٩) ط : النهرجوري ، والخبر في المنتظم (١٠/ ١٣٨) .
(١٠) البرسام ـ بالكسر ـ فارسي معرب ، معناه : ورم الصدر ، لأنّ بِرْ معناه بالفارسية : الصدر ، وسام معناه : الورم . قاموس الأطباء (٢/ ٥٤) والقاموس المحيط (البرسام) .

ماردين ، فولدت له أولاداً ، كلهم ملكوا الموصل ، وكانت هذه الخاتون[١] تضع خمارها بحضرة[٢] خمسة عشر ملكاً .

وفيها سار الملك نور الدين محمود[٣] إلى سنجار ففتحها ، فجهز إليه أخوه قطب الدين مودود جيشاً ليرده عنها ، ثم اصطلحا ، فعوّضه عنها الرحبة وحمص ، واستمرت سنجار لقطب الدين ، وعاد نور الدين إلى بلده . وغزا في هذه السنة الفرنج[٤] فقتل منهم خلقاً ، وأسر البرنس صاحب أنطاكية . فمدحه الشعراء ، منهم الفتح القيسراني بقصيدة طنَّانة يقول في أولها[٥] : [من البسيط][٦]

هٰذي العَزائِمُ لا ما تَدَّعي[٧] القُضُبُ وَذِي المَكارِمُ لا ما قالتِ الكتُبُ
وهذِهِ الهِمَمُ اللَّاتي مَتَى خَطَبَتْ تعثَّرتْ خَلْفَها الأشعارُ والخُطَبُ
صافحتَ يابْنَ عمادِ الدِّينِ ذِروَتَها براحةٍ للمساعي دُونَها[٨] تَعَبُ
ما زالَ جدُّكَ يبني كُلَّ شاهقةٍ حتى بنى[٩] قُبَّةً أوتادُها الشُّهُبُ

وفيها : فتح نور الدين حصن أفامية ، وهو قريب من حماة .

وفيها : مات صاحب مصر الحافظ[١٠] لدين الله عبد المجيد بن أبي القاسم محمد بن المستنصر ، فقام بالأمر من بعده ولده الظافر[١١] إسماعيل . وقد كان أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش قد استحوذ على الحافظ ، [وخطب بمصر للقائم آخر الزمان ، وأذّن][١٢] بحيّ على خير العمل . والحافظ هذا هو الذي وضع طبل القولنج الذي إذا ضربه من به القولنج يخرج منه القولنج والرِّيح الذي به[١٣] .

---

(١) ط : المرأة .
(٢) ب ، ط : بين .
(٣) ليس في ط .
(٤) ط : ثم غزا فيها الفرنج .
(٥) آ : في آخرها . تصحيف .
(٦) الأبيات مطلع قصيدة تقع في اثنين وخمسين بيتاً وردت في الروضتين (١/ ٥٨ ـ ٦٠) .
(٧) ط : تنعق .
(٨) آ : تعبها .
(٩) في الروضتين : ابتنى .
(١٠) ترجمته وأخباره عند ابن الأثير (٩/ ٢٤ ـ ٢٥) والروضتين (١/ ٦٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧) والعبر (٤/ ١٢٢) .
(١١) أخباره وترجمته عند ابن الأثير (٩/ ٤٣ ـ ٤٤) والروضتين (١/ ٩٧ ـ ٩٨) ووفيات الأعيان (١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٧) والعبر (٤/ ١٣٦) .
(١٢) ط : وخطب له بمصر ثلاثاً ، ثم أخر الأمر أذن .
(١٣) آ : وللحافظ وضع قليل القولنج الذي كان من ضربه يخرج خروج .

وخرج بالحجيج[١] الأمير نظر الخادم ، فمرض بالكوفة ، فرجع واستخلف على الحجاج مولاه قايماز[٢] . وحين وصوله إلى بغداد ، توفي رحمه الله بعد أيام ، فطمِعت العرب في الحجاج[٣] ، فوقفوا لهم في الطريق وهم راجعون ، فضعف قايماز عن مقاومتهم ، فأخذ لنفسه أماناً ، وهرب وأسلم إليهم الحجيج ، فقتلوا أكثرهم ، وأخذوا أموال الناس ، وقلّ مَنْ سلم فيمن نجا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : مات معين الدين أُنر[٤] أتابك العساكر بدمشق . وكان أحد مماليك طُغتِكين ، ثم كان بعد ذلك أتابك الملوك[٥] بدمشق . وهو والد الست عصمة[٦] الدين خاتون زوجة الملك نور الدين ، وهو[٧] واقف المدرسة المعينية داخل باب الفرج ، وقبره في قبة قبلي[٨] الشامية البرانية بمحلّة العُوَيْنة عند دار البطيخ .

ولما مات معين الدين قويت شوكة الوزير الرئيس مؤيد الدولة علي بن الصوفي وأخيه زين الدولة حيدرة ، ووقعت بينهما وبين الملك مجير الدين أبق[٩] وحشة ، اقتضت أنهما جَنَّدا[١٠] من العامة والغوغاء ما يقاومه[١١] فاقتتلوا ، فقتل خلقٌ من الفريقين . ثم وقع الصلح بعد ذلك ، وامتدحه الشعراء .

وممن توفي فيها [من الأعيان][١٢] :

أحمد بن نظام الملك الحسن بن علي[١٣] ، أبو نصر الوزير للمسترشد وللسلطان محمود :

وقد سمع الحديث . وكان من خيار الوزراء ، رحمه الله .

أحمد بن [محمد بن][١٤] الحسين الأَرَّجاني[١٥] ، قاضي تُسْتَر :

---

(١) ط : بالحجاج الأمير قطز .
(٢) ط : قيماز .
(٣) آ : وطمعت العرب في الحجيج .
(٤) ترجمته وأخباره في ابن الأثير (٩/ ٢٦) ووفيات الأعيان (١/ ٢٩٧ و٥/ ١٠٨٤) والعبر (٤/ ١٢١) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٥٢) .
(٥) آ : المسلمون .
(٦) سترد ترجمتها في هذا الجزء . وفيات سنة ٥٨١ .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ط : قتلى . تصحيف .
(٩) ط : أرتق . تحريف .
(١٠) آ ، ب : أن حشداً .
(١١) آ : تقاومانه .
(١٢) ليس في ب .
(١٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٣٨ ـ ١٣٩) وابن الأثير (٩/ ٢٦) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٤٤) .
(١٤) ليس في ب .
(١٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٣٩) ومعجم البلدان (أرجان) وابن الأثير (٩/ ٢٦) ووفيات الأعيان (١/ ١٥١ ـ=

[روى الحديث][١] ، وكان له شعر حسن رائق ، يبتكر[٢] معاني حسنة ، فمن ذلك قوله : [من الطويل][٣]

وَلَمَّا بَلَوْتُ النَّاسَ أطلبُ منهمُ[٤] أخا ثقةٍ عند اعتراضِ الشدائدِ
تطمَّعْتُ في حالَيْ رخاءٍ وشدّةٍ وناديتُ في الأحياءِ هل من مساعدِ
فلم أر فيما ساءني غيْرَ شامتٍ ولم أر فيما سرّني غيرَ حاسدِ
فطلَّقتُ وُدَّ العالمينَ جميعهم ورحتُ فلا ألوي على غير واحدِ[٥]
تَمَتَّعْتُما يا ناظِريّ بنظرةٍ وأوردتُما قلبي أمرَّ المواردِ
أَعينيَّ كُفَّا عن فؤادي فإنَّه من البغي سَعْيُ اثنين في قتلِ واحدِ

القاضي[٦] عياض بن موسى السبتي[٧] : صاحب التصانيف المفيدة . ومن شعره قوله : [من البسيط]

اللهُ يعلمُ أني منذُ لم أَرَكُمْ كطائرٍ خانه ريشُ الجناحَيْن
ولو قدرتُ ركبتُ البحر نحوكُم فإنَّ بُعدَكم عني جَنَى حَيْنِي

وقد ترجمه ابن خلكان[٨] ترجمة حسنة جدًّا[٩] .

عيسى بن هبة الله بن عيسى ، أبو عبد الله النقاش[١٠] :

سمع الحديث . ومولده سنة سبع وخمسين وأربعمئة .

= ١٥٥) والعبر (٤/ ١٢١) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٠٦) ومرآة الجنان (٣/ ٢٨١) .
(١) ليس في آ .
(٢) ط : يتضمن .
(٣) الأبيات في المنتظم (١٠/ ١٣٩ ـ ١٤٠) .
(٤) ط : عندهم .
(٥) البيت عن ط وحدها .
(٦) ليست الترجمة في آ .
(٧) ترجمته في إنباه الرواة (٢/ ٣٦٣) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣ ـ ٤٨٥) والعبر (٤/ ١٢٢) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٠٤) ومرآة الجنان (٣/ ٢٨٢) .
(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣ ـ ٤٨٥) .
(٩) ليس في ط .
(١٠) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٤١) وابن الأثير (٩/ ٢٧) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٦٢) وفوات الوفيات (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦) .

قال ابن الجوزي(١) : وكان ظريفاً خفيف الروح . له نوادر حسنة ، قد رأى الناس ، وعاشر الأكياس ، وكان يحضر مجلسي ويكاتبني وأكاتبه . كتبت إليه مرة فعظَّمته في الكتاب(٢) ، فكتب إليّ : [مخلع البسيط]

قد زِدْتَني في الخطابِ حتَّى خشيتُ نقصاً من الزيادَهْ(٣)
فاجعل خِطابي خطابَ مثلي ولا تُغَيِّرْ عَلَيَّ عادَهْ(٤)

وله(٥) : [من المتقارب]

إذا وَجَدَ الشيخُ في نفسِهِ نشاطاً فذلكَ موتٌ خفي
ألستَ تَرَى أنّ ضوءَ السراجِ له لهَبٌ قبلَ أن ينطفي

غازي بن [زنكي بن](٦) آقسنقر(٧) الملك سيف الدين صاحب الموصل : وهو أخو نور الدين محمود صاحب حلب ، ثم دمشق ، [فيما بعد](٨) ، وقد كان سيف الدين هذا من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، وأجودهم سريرة ، وأصبحهم صورة ، شجاعاً كريماً ، يذبح كل يوم لجيشه مئة من الغنم ، ولمماليكه ثلاثين رأساً ، وفي يوم العيد ألف رأس ، سوى البقر والدجاج . وهو أول من حُمِلَ على رأسه سنجق من ملوك الأطراف ، وأمر الجند ألا يركبوا إلا بسيف ودبوس . وبنى مدرسة بالموصل ، ورباطاً للصوفية . وامتدحه الحيص بيص(٩) فأعطاه ألف دينار عيناً ، وخلعة . ولما توفي بالحمى في جمادى الآخرة من هذه السنة ، دفن في مدرسته المذكورة ، وله من العمر أربعون سنة وكانت مدة ملكه بعد أبيه ثلاث سنين وخمسين يوماً ، رحمه الله .

نظر الخادم(١٠) أمير الحاج مدةَ عشرين سنة وأكثر . وسمع الحديث ، وقرأ على ابن الزاغوني ،

---

(١) المنتظم (١٠/ ١٤١) .
(٢) آ : الكتابة .
(٣) البيت ورد نثراً في ط .
(٤) لم يرد هذا البيت في غير آ .
(٥) ب : ومن شعره . والبيتان في فوات الوفيات .
(٦) ترجمته في تاريخ ابن القلانسي (٤٧٦) والروضتين (١/ ٦٥) وابن الأثير (٩/ ٢٣ ـ ٢٤) ومرآة الزمان (٨/ ٢٠٣) ووفيات الأعيان (٤/ ٤ ـ ٩٥ والعبر (٤/ ١٣٥) ومرآة الجنان (٣/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) .
(٧) عن آ وحدها .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٤ من هذا الجزء .
(١٠) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٤١ ـ ١٤٢) وابن الأثير (٩/ ٢٧) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٧٠) وعند ابن الجوزي : نظر بن عبد الله الجيوشي ، أبو الحسن الخادم .

وكان يحب العلم والصدقة ، وكان الحاج معه في غاية الدَّعة والراحة والأمن ، وذلك لشجاعته ووجاهته عند الخلفاء والملوك والأمراء . [وكانت وفاته بعد رجوعه][١] من[٢] طريق الحجاز ليلة الثلاثاء الحادي عشر من ذي القعدة ، ودفن بالرُّصافة .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمئة

فيها : فتح نور الدين محمود حصن أفامية ، وهو من أحصن القلاع ، [وأمنع البقاع][٣] . وقيل : فتحه[٤] في السنة[٥] التي قبلها .

وفيها : قصد دمشق ليأخذها ، فلم يتفق له أخذها[٦] ، فخلع على ملكها مجير الدين أبق[٧] وعلى وزيره الرئيس ابن الصوفي ، وتقررت الخطبة[٨] له بها بعد الخليفة والسلطان ، وكذلك السِّكة .

وفيها : فتح نور الدين حصن عزاز[٩] ، وأسر ابن ملكها ابن جوسلين ، ففرح المسلمون بذلك كافة ، ثم أُسر بعده والده جوسلين الملك الإفرنجي[١٠] ، [فكانت الفرحة أعظم ، وفتح بعد أسره من بلاده شيئاً كثيراً من الحصون ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة][١١] .

وفي المحرم منها حضر يوسف الدمشقي تدريس النظامية ، وخلع عليه ، وحضر عنده[١٢] الأعيان ولمّا لم يكن ذلك بإذن الخليفة بل بمرسوم السلطان ، وابن نظام الملك ، منع من ذلك ، فلزم بيته ، ولم يعد إلى المدرسة بالكلية ، وولي بعده الشيخ أبو النجيب بإذن الخليفة ومرسوم السلطان .

---

(١) مكانهما في ط : توفي .
(٢) آ : من أسنا .
(٣) ليس في ط .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ليس في ط .
(٦) ط : ذلك .
(٧) ط : ارتق .
(٨) آ ، ب : وتقرر الحال على الخطبة له .
(٩) ط : اعزاز . وهي لغة فيها .
(١٠) ط : الفرنجي .
(١١) ط : فتزايدت الفرحة بذلك ، وفتح بلاداً كثيرة من بلاده .
(١٢) ليس في ب .

قال ابن الجوزي : وفي هذه السنة وقع باليمن[١] مطر كله دم حتى صبغ ثياب الناس .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن ذي النون بن أبي القاسم بن أبي الحسن ، أبو المفاخر النيسابوري[٢] :

قدم بغداد ، فوعظ بها ، وجعل ينال من الأشعرية[٣] ، فأحبته الحنابلة ، ثم اختبروه فإذا هو معتزلي ففتر سوقه ، وجرت بسببه فتنة ببغداد . وقد سمع منه ابن الجوزي[٤] شيئاً من شعره ، من ذلك : [البسيط]

ماتَ الكرامُ ومرّوا وانقضوا ومَضَوْا ... وماتَ من بعدهم تلك الكراماتُ
وخلَّفونيَ في قومٍ ذوي سَفَهٍ ... لَوْ أبصروا طيفَ ضيفٍ في الكرى ماتوا

عبد الملك بن عبد الوهاب الحنبلي[٥] القاضي ، بهاء الدين :

كان يعرف مذهبَيْ[٦] أبي حنيفة وأحمد ، ويناظر عنهما ، ودفن مع أبيه وجده بقبور الشهداء .

عبد الملك بن أبي نصر بن عمر[٧] ، أبو المعالي الجيلي :

كان فقيهاً صالحاً ديّناً متعبّداً فقيراً ، ليس له بيت يسكنه ، وإنما يبيت بالمساجد المهجورة . وقد خرج مع الحجيج فأقام بمكة يعبد ربه ، ويفيد العلم ، فكان أهلها يثنون عليه خيراً .

الفقيه[٨] أبو بكر بن العربي المالكي[٩] : شارح الترمذي[١٠]

---

(١) ط : في هذه السنة وقع مطر باليمن .
(٢) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٤٣ ـ ١٤٤) وابن الأثير (٩/ ٢٩) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٧٢) .
(٣) ط : الأشاعرة .
(٤) المنتظم (١٠/ ١٤٤) .
(٥) ترجمته في الروضتين (١/ ٧٧) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٧٧) وذيل ابن رجب (١/ ٢١٩) والمنهج الأحمد (٢/ ٣٠٤) .
(٦) ط : مذهب .
(٧) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٤٤ ـ ١٤٥) وتاريخ الإسلام (١١/ ٨٧٨) .
(٨) لم ترد هذه الترجمة في آ .
(٩) ترجمته في برنامج شيوخ الرعيني (١١٧ ـ ١٢٠) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) والمغرب (١/ ٢٤٩) والعبر (٤/ ١٢٥/ في وفيات سنة ٥٤٦) والوافي بالوفيات (٣/ ٣٣٠) ومرآة الجنان (٣/ ٢٧٩/ في وفيات سنة ٥٤٣) ونفح الطيب (٢/ ٢٥) واسمه فيها : محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي المعروف بابن العربي ، وهو غير ابن عربي المتصوف .
(١٠) ب : شارح الأحوذي ، وهو جزء من اسم الكتاب : عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي . وهو مطبوع .

وكان فقيهاً عالماً ، وزاهداً عابداً ، وسمع الحديث بعد اشتغاله في الفقه ، وصحب الغزالي وأخذ عنه ، وكان يتهمه برأي الفلاسفة ، ويقول دخل في أجوافهم فلم يخرج منها ، والله سبحانه أعلم[١] .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمئة

فيها : أغار جيش[٢] السلطان على بلاد الإسماعيلية ، فقتلوا خلقاً ، ورجعوا سالمين .

وفيها : حاصر نور الدين دمشق [شهوراً ، ثم ترحّل عنها إلى حلب][٣] ، وكان الصلح على يدي البرهان البلخي ، رحمه الله .

وفيها : اقتتل الفرنج وجيش نور الدين محمود ، فانهزم المسلمون ، وقُتل منهم خلق ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما وقع هذا الأمر شقّ ذلك على الملك نور الدين ، وترك الترفّه ، وهجر اللّذة[٤] ، حتى يأخذ بالثأر . ثم إنّ أمراء التركمان ، ومعهم جماعة من أعوانهم[٥] ترصّدوا الملك جوسلين ، فلم يزالوا به حتى أسروه في بعض متصيّداته ، فأرسل نور الدين ، فكبس التركمان ، وأخذ منهم جوسلين أسيراً . وكان من أعيان[٦] الكفرة ، [وأعظم الفجرة][٧] ، لعنه الله . فأوقفه نور الدين بين يديه [في أذل حال][٨] ، ثم سجنه . ثم سار نور الدين فملك بلاده كلّها[٩] .

وفي ذي الحجة جلس ابن العبادي في جامع[١٠] المنصور ، وتكلم وعنده[١١] جماعة من الأعيان ، وكادت الحنابلة يُثيرون فتنةً ذلك اليوم ، لكونه غير حنبلي ، ولكنْ لطف الله وسلم .

---

(١) اختلف المؤرخون في وفاته ، فذكر ابن بشكوال (الصلة ، الترجمة ١٢٩٧) ، وعلي بن المفضل المقدسي في وفيات النقلة (كما نقل الذهبي) ، وابن خلكان أنه توفي سنة ٥٤٣هـ ، وورقه ابن النجار في سنة ست ، وصحح الذهبي وفاته في سنة ثلاث (تاريخ الإسلام ١١/٨٣٦) (بشار) .

(٢) ليس في ط .

(٣) آ : شهراً ثم رحل إلى مدينة مري .

(٤) آ ، ب : وهجر اللذة والترفه .

(٥) آ ، ب : وأغرى بهم جماعة من التركمان فترصدوا لملكهم .

(٦) آ : أعتاء .

(٧) عن آ وحدها .

(٨) عن ط وحدها .

(٩) ط : ثم سار نور الدين إلى بلاده فأخذها كلها بما فيها .

(١٠) آ ، ب : بجامع .

(١١) آ ، ب : عنده .

وحج بالناس فيها قايماز[١] الأرجواني .

ومن توفي فيها [من الأعيان][٢] :

الشيخ برهان الدين ، أبو الحسن علي[٣] البلخي ، شيخ الحنفية بدمشق :

درّس بالبلخية ، ثم بالخاتونية البرانية . وكان عالماً عاملاً[٤] ، ورعاً زاهداً . ودفن بمقابر باب الصغير .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمئة

فيها : توفي السلطان مسعود . وقام بالأمر من بعده ابن أخيه ملكشاه بن محمود . ثم جاء السلطان محمد فأخذ الملك ، واستقر له . وقتل الأمير خاص بك ، وأخذ أمواله ، وألقاه للكلاب ، [فاختبطت بغداد ، واضطربت الأمور ، وتغيرت القواعد][٥] . وبلغ الخليفة أن واسط قد تخبَّطت أيضاً ، فركب إليها في الجيش في أُبَّهة عظيمة ، وأصلح شأنها ، وكرّ على الكوفة والحلة ، ثم عاد إلى بغداد [مؤيداً منصوراً][٦] ، فزينت له البلد[٧] ، ولله الحمد .

وفيها : ملك عبد المؤمن صاحب بلاد[٨] المغرب بِجاية ، وهي بلاد بني حماد ، فكان آخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيز بن حماد . ثم بعث جيشاً[٩] إلى صنهاجة فحاصرها وأخذ أموالها .

وفيها : كانت وقعة عظيمة[١٠] بين نور الدين محمود[١١] وبين الفرنج ، فكسرهم وقتل منهم خلقاً[١٢] كثيراً ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) ط : قيماز .
(٢) ليس في ب .
(٣) ط : بن علي .
(٤) ب : عاملاً عالماً .
(٥) ليس في ط .
(٦) ليس في ط .
(٧) آ : بغداد .
(٨) عن آ وحدها .
(٩) ط : ثم جهز عبد المؤمن جيشاً .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) ط : الشهيد .
(١٢) ليس في ب .

وفيها : اقتتل السلطان سنجر وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحُسين[١] أول ملوكهم ، فكسره سنجر وأسره ، فلما أحضره بين يديه قال له : ماذا كنت تصنع بي لو أسرتني ، فأخرج قيداً من فضة ، وقال : كنت أقيدك بهذا . فعفا عنه ، وأطلقه إلى بلاده ، فسار إلى غزنة فانتزعها من يد صاحبها بهرام شاه السُّبُكْتِكِيني ، واستخلف عليها أخاه سيف الدين ، فغدر به أهل البلد ، وسلموه إلى بهرام شاه فصلبه . ومات بهرام شاه قريباً ، فسار إليها علاء الدين ، فهرب خسرو بن بهرام شاه عنها ، فدخلها علاء الدين ، فنهبها ثلاثة أيام ، وقتل [من أهلها][٢] بشراً كثيراً ، وسخَّر أهلها ، فحملوا تراباً في مخالي[٣] إلى محلة هناك ، بعيدة عن البلد ، فعمر من ذلك التراب قلعة معروفة إلى الآن ، وبذلك انقضت[٤] دولة بني سبكتكين عن بلاد غزنة وغيرها . وكان ابتداء أمرهم في سنة ست وستين وثلاثمئة إلى سنة سبع وأربعين وخمسمئة ، وكانوا من خيار الملوك ، وأكثرِهم جهاداً في الكفرة ، وأكثرهم أموالاً ونِساءً وعَدداً وعُدداً ، وقد كسروا الأصنام ، وأبادوا الكفار ، وجمعوا من الأموال ما لم يجمع غيرهم من الملوك ، مع أن بلادهم كانت من أطيب البلاد وأكثرهم ريفاً ومياهاً ، ففني جميعه وزال عنهم ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

ثم ملك الغورُ الهند وخراسان ، واتسعت ممالكهم ، وعظم سلطانهم .

وحكى ابن الجوزي في « المنتظم »[٥] أنّ في هذه السنة باض ديك بيضة واحدة ، وباض بازي بيضتين ، وباضت نعامة ليس لها ذكر ، وهذا شيء عجيب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

المظفر بن أردشير ، أبو منصور العَبَّادي[٦] الواعظ :

سمع الحديث ، ودخل بغداد ، فأملى ووعظ ، وكان[٧] يكتب ما يعظ الناس به ، فاجتمع له من ذلك مجلدات .

---

(١) في بعض النسخ : « الحسن » ، وما هنا من ط وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٧٦٥) .
(٢) آ ، ب : منها .
(٣) اللفظة مصحفة في آ . وفي ب : من محال إلى محلة . والخبر في ابن الأثير (٩/ ٣٣) .
(٤) آ ، ب : انتقضت .
(٥) المنتظم (١٠/ ١٤٦) .
(٦) ترجمته في الأنساب (العبادي) والمنتظم (١٠/ ١٥٠ ـ ١٥١) ومعجم البلدان (سنج) وابن الأثير (٩/ ٣٠) ووفيات الأعيان (٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٣/ ٧٢٠ ـ ٧٢١) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٩١٧) .
(٧) ط : وكان الناس يكتبون ما يعظ به .

قال ابن الجوزي[(١)] : لا تكاد[(٢)] تجد في المجلد منها خمس كلمات جيدة . [وتكلم فيه وأطال الحط عليه][(٣)] واستحسن من كلامه قوله ، وقد سقط مطر ، وهو يعظ الناس ، ففرَّ[(٤)] الناس إلى ما تحت الجدران فقال : لا تفرّوا من رشاش ماء رحمة ، قطر من سحاب نعمة ، ولكن فِرُّوا من شرار[(٥)] نار ، اقتدح من زناد الغضب . توفي وقد جاوز الخمسين بقليل .

مسعود[(٦)] السلطان بن (محمد بن)[(٧)] ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق التركي السلجوقي صاحب العراق[(٨)] وغيرها :

حصل له من التمكُّن والسعادة شيء كثير لم يحصل لغيره ، وجرت له خطوب [كثيرة ، وحروب][(٩)] طويلة[(١٠)] ، وقد[(١١)] أُسر في بعض تلك الحروب الخليفة المسترشد كما تقدم . [وكانت وفاته][(١٢)] يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة [من هذه السنة][(١٣)] .

يعقوب الخطاط الكاتب[(١٤)] :

توفي بالنظامية ، فجاء ديوان الحشرية[(١٥)] ليأخذوا[(١٦)] ميراثه لبيت المال ، فمنعهم الفقهاء ، فجرت فتنة عظيمة آل الحال إلى عزل مدرِّسها[(١٧)] الشيخ أبي النجيب ، وضربه تعزيراً بالديوان[(١٨)] .

---

(١) المنتظم (١٠/ ١٥١) .
(٢) آ ، ب : لا يكاد .
(٣) آ : وأطال فيه الحث عليه .
(٤) ط : وقد ذهب الناس إلى تحت الجدران .
(٥) ب ، ط : رشاش .
(٦) ترجمته وأخباره في المنتظم (١٠/ ١٥١) وابن الأثير (٩/ ٣١ ـ ٣٢) والروضتين (١/ ٨٩) ووفيات الأعيان (٥/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢) والعبر (٤/ ١٢٧ ـ ١٢٨) ومرآة الجنان (٣/ ٢٨٥) .
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة لا بد منها . (بشار) .
(٨) آ : صاحب ملك العراق .
(٩) ليس في ط .
(١٠) ب : خطوب طويلة وحروب كثيرة .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) ط : توفي .
(١٣) ط : منها .
(١٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٥٢) وابن الأثير (٩/ ٣٧) وتاريخ الإسلام (١١/ ٩٢٠) .
(١٥) ط : الحشر .
(١٦) آ : ليأخذوا منه .
(١٧) ط : المدرس .
(١٨) ليست اللفظة الأخيرة في ط .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمئة

فيها : وقعت الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك [ببلاد بلخ][١] ، فقتل الأتراك من جيشه خلقاً كثيراً ، بحيث صارت القتلى مثل التلال العظيمة[٢] ، وأسروا السلطان سَنجر وقتلوا من كان معه من الأمراء صبراً ، ولما أحضروه [قاموا بين يديه][٣] وقبّلوا الأرض [بين يديه][٤] ، وقالوا : نحن عبيدك ، وكانوا عدة من الأمراء الكبار[٥] من مماليكهم ، فأقام عندهم شهرين ، ثم جاؤوا معه[٦] ، فدخلوا مرو ، وهي كرسيّ مملكة خراسان ، فسأله بعضهم أن يجعلها له إقطاعاً ، فقال سنجر : هذا لا يمكن ، هذه كرسيّ المملكة ، فضحكوا منه ، وأضرط به[٧] بعضهم ، فنزل عن سرير المملكة . ودخل خانقاه ، وصار فقيراً من جملة أهلها ، وتاب عن الملك ، واستحوذ أولئك الأتراك على البلاد ، فنهبوها ، وتركوها قاعاً صفصفاً ، وأفسدوا في الأرض فساداً عريضاً ، وأقاموا سليمان شاه ملكاً ، فلم تطل أيامه[٨] حتى عزلوه ، وولّوا ابنَ أخت سَنجر الخاقان محمود بن محمد بن كوخان ، وتفرّقت الأمور ، واستحوذ كل إنسان منهم على ناحية من تلك الممالك ، وصارت الدولة دولاً .

وفيها : كانت حروب كثيرة بين عبد المؤمن وبين العرب ببلاد المغرب .

وفيها : أخذت الفرنج مدينة عسقلان من السواحل[٩] .

وفيها : خرج الخليفة إلى واسط في جحفل فأصلح شأنها ، وعاد إلى بغداد .

وحج بالناس فيها قيماز الأرجواني .

وفيها : كانت وفاة الشاعرين القرينين الشهيرين المشبَّهَيْن في الزمان الأخير ، بالفرزدق وجرير ،

---

(١) ليس في ط .
(٢) آ : فقتلوا من خلقه جيشاً كثيراً جدًّا ، بحيث بقيت القتلى مثل السلال العظيمة .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : له .
(٥) آ : الكرام .
(٦) ط : ثم أخذوه .
(٧) ط : وضرطوا به . آ ، ب : وأضرط له ، وكلاهما تصحيف . وأضرط به : عمل بفيه كالضراط ، وهزىء به . (القاموس) .
(٨) آ : مدته .
(٩) ط : ساحل غزة .

وهما : أبو الحسين[(١)] أحمد بن منير الجوني[(٢)] بحلب ، وأبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير ابن القيسراني الحلبي[(٣)] بدمشق ، رحمهما الله .

ومن توفي فيها :

أحمد[(٤)] بن منير بن أحمد بن مُفْلح ، **أبو الحسين الطرابلسي الشاعر الرفاء**[(٥)] : قال الحافظ ابن عساكر[(٦)] : كان أبوه ينشد بأسواق طرابلس أشعار العوني[(٧)] ، ويغنِّي . ونشأ أبو الحسين هذا ، فقرأ القرآن ، وتعلّم العربية والأدب ، وصار إلى مذهب الإمامية ، فكان رافضيًّا خبيثاً ، يكثر الهجو والفحش ، وقد سجنه بوري بن طُغتِكين بدمشق على سوء طريقته[(٨)] . وأراد قطع لسانه ، فاستوهبه منه الحاجب يوسف بن فيروز ، فوهبه له ونفاه .

وذكر ابن عساكر[(٩)] من أشعاره طرفاً ، فمن ذلك قوله[(١٠)] : [من الكامل]

وإذا الكريمُ رأى الخُمُولَ نزيلَهُ ... في مَنْزِلٍ فالحَزْمُ أنْ يترحَّلا
كالبَدْرِ لمّا أَنْ تضاءَلَ نورُهُ ... طلبَ الكمالَ فحازَهُ مُتَنَقِّلا[(١١)]
وصلِ الهجيرَ بهجرِ قومٍ كُلَّما ... أَمطرتَهُمْ عَسَلاً جَنَوْا لك حَنْظَلا
للهِ علمي بالزمانِ وأهلِهِ ... ذنبُ الفضيلةِ عندهم أن تكملا

(١) ط : أبو الحسن . وهو تصحيف .
(٢) كذا في ط ، وفي آ : الحوبي ، وفي ب : الحوفي .
(٣) هذه الترجمة لم ترد في غير آ .
(٤) ترجمته في تاريخ دمشق لابن القلانسي (٤٩٨) وفي الخريدة ـ قسم الشام ـ (١/ ٩٦) ومعجم الأدباء (١٩/ ٦٤) ومرآة الزمان (٨/ ٢١٣) والروضتين (١/ ١٩) ووفيات الأعيان (٤/ ٤٥٨ ـ ٤٦١) والعبر (٤/ ١٣٣) ومرآة الجنان (٣/ ٢٨٧) .
(٥) ترجمته في تاريخ دمشق لابن القلانسي (٤٩٨) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) وتهذيب بدران (٢/ ٩٧) والخريدة ـ قسم الشام (١/ ٧٦) والروضتين (١/ ٩١ ـ ٩٤) ووفيات الأعيان (١/ ١٥٦ ـ ١٦٠) ومرآة الجنان (٣/ ٢٨٧) .
(٦) تاريخ دمشق (٦/ ٣٣) .
(٧) في الأصل : ابن العربي ، وما هنا عن ابن عساكر . والعوني الشاعر كان رافضيًّا يسب الصحابة رضي الله عنهم في شعره . قيل إن عمر بن عبد العزيز أمر به فضرب بالمدينة فمات لأجل شعره . الأنساب (٤٠٢/ ب) واللباب (٢/ ٣٦٥) .
(٨) جاءت هذه الترجمة في آ قبل الخبر الأخير .
(٩) ابن منظور (٣/ ٣٠٧) .
(١٠) الأبيات اثنا عشر في مختصر تاريخ دمشق وخمسة عشر عند ابن خلكان .
(١١) قبله في المصدرين السابقين :

لا ترضَ عن دنياك ما أدناك من ... دنسٍ وكن طيفاً جلا ثم انجلى

طُبعوا على لؤمِ الطباعِ فخيرهم إن قلـتَ قـال وإن سكـتَّ تقـوّلا

ثم روى ابن عساكر(١) بسنده : أنَّ بعضهم رآه بعد وفاته في المنام في شرّ خبيثة ، ورائحة قبيحة . فقال : أتدري ما جرى عليَّ من هذه القصائد التي كنت أقولها ؟ إن لساني قد طال وثخن ، وصار مَدَّ البصر ، كلما أنشدت قصيدة منها قد صارت كُلَّاباً يتعلق في لساني . قال الرائي : وسمعت قارئاً يقرأ من فوق رأسه : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر : ١٦] فانتبهت مذعوراً .

علي بن السلَّار(٢) الملقب بالعادل ، وزير الظافر(٣) صاحب مصر :

وهو باني المدرسة بالإسكندرية للشافعية للحافظ أبي طاهر السِّلَفي ، رحمه الله . وقد كان العادل هذا ضد اسمه ، كان ظلوماً غشوماً حطوماً . وقد ترجمه ابن خلكان(٤) .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمئة

فيها : ركب الخليفة المقتفي في جيش كثيف إلى تكريت ، فحاصر قلعتها ، [ولقي هناك](٥) جمعاً من الأتراك والتركمان ، فأظفره الله(٦) بهم ، [وهزمهم له وأعلى كلمته عليهم](٧) ، ثم عاد إلى بغداد [مؤيداً منصوراً](٨) .

[ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق](٩)

وجاءت الأخبار بأن مصر قد قتل خليفتها الظافر ، ولم يبق منهم إلا صبيٌّ صغير ابن خمس(١٠) قد

(١) ابن منظور (٣/ ٣٠٧) وابن خلكان (١/ ١٥٩) .
(٢) ترجمته وأخباره في الاعتبار لأسامة بن منقذ (١٨٧) وتاريخ ابن الأثير (٩/ ٤١) ومرآة الزمان (٨/ ٢١٤) والروضتين (١/ ٩٠ ـ ٩١) ووفيات الأعيان (٣/ ٤١٦ ـ ٤١٩) والعبر (٤/ ١٣١) ومرآة الجنان (٣/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) .
(٣) ب : الظاهر . وهو تصحيف .
(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٤١٦ ـ ٤١٩) .
(٥) آ : والتقى جمعاً هنالك ، ب : والتقى هنالك جمعاً .
(٦) ليس في ب .
(٧) ليس في ط .
(٨) ليس في ط .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) في وفيات الأعيان (٣/ ٤٩٢) : ابن خمس سنين وقيل : سنتان ، وفي ط : ابن خمس شهور .

وَلَّوْه عليهم ، ولقَّبوه الفائز ، فكتب الخليفة عهداً للملك نور الدين محمود بن زنكي بالولاية على البلاد الشامية(١) والديار المصرية ، وأرسله إليه(٢) .

وفيها : هاجت ريح شديدة بعد العِشاء ، فيها نار ، فخاف الناس أن تكون الساعة . وزلزلت الأرض وتغيّر ماء دِجلة إلى الحمرة . وظهر بأرض واسط في الأرض(٣) دم لا يعرف سببه .

وجاءت الأخبار عن الملك سَنْجر أنه في أسر الترك ، وهو في غاية الذل والإهانة(٤) ، وأنه يبكي على نفسه في كل وقت .

وفيها : انتزع الملك نورالدين محمود بن زنكي دمشق [من] يد ملكها مجير الدين(٥) أبق بن محمد ابن بوري بن طُغْتِكين ، وذلك لسوء سيرته ، وضعف دولته ، ومحاصرة العامة له في القلعة غير مرة مع وزيره الرئيس مؤيد الدولة علي بن الصوفي ، وتغلب الخادم عطاء على المملكة مع ظلمه وغشمه ، فكان الناس يدعون الله ليلاً ونهاراً أن يبدلهم غيره بالملك نور الدين ، [فأرسل بين يديه الأمير أسد الدين شيركوه في ألف فارس ، في صفة طلب الصلح ، فلم يلتفت إليه مجير الدين ، ولا عدّه شيئاً ، ولا خرج إليه أحد من أعيان أهل البلد ، فكتب إلى نور الدين بذلك وما جرى له](٦) .

واتفق مع ذلك أن الفرنج أخذوا مدينة عسقلان ، فحزن(٧) الملك نور الدين على ذلك ، ولا يمكنه الوصول إليهم ، لأن دمشق بينهم وبينه(٨) ، ويخشى أن يحاصر دمشق بعسف فيبعث ملكها إلى الفرنج فيُنْجِدُونَهُ(٩) ، كما جرى غير مرة ، لأن الفرنج لا يختارون(١٠) أن يملك نور الدين دمشق ، لأنه يتقوّى(١١) بها عليهم ، ولا يطيقونه أبداً . فركب الملك نور الدين في جيشه فنزل عيون الفاسريا(١٢) من أرض

---

(١) ط : على بلاد الشام .
(٢) آ ، ب : إليه .
(٣) ط : بالأرض .
(٤) آ : وجاءت الأخبار بأن الملك سنجر في أسر الترك في غاية الإهانة والذل .
(٥) ط : نور الدين ارتق . تصحيف .
(٦) جاء ما بينهما في ط بعد الفقرة التالية .
(٧) آ ، ب : فتحزن .
(٨) ط : بينه وبينهم .
(٩) ط : ويخشى أن يحاصروا دمشق فيشق على أهلها ويخاف أن يرسل مجير الدين إلى الفرنج فيخذلونه .
(١٠) ط : وذلك أن الفرنج لا يريدون .
(١١) ط : فيقوى بها .
(١٢) عيون الفاسريا : تقع في سفح جبل دوما من ضواحي دمشق . غوطة دمشق (٥٧ و٨٩) .

دمشق ، ثم انتقل إلى قريب من الباب الشرقي ، ففتحها قهراً ، ودخل البلد من الباب الشرقي[(١)] ، بعد حصار عشرة أيام ، وكان دخوله في يوم الأحد عاشر صفر من هذه السنة ، وتحصّن مجير الدين في القلعة ، فأنزله منها ، وعوضه مدينة حمص . ودخل نور الدين القلعة ، واستقرّت يده على دمشق ولله الحمد ، فنادى في البلد بالأمان والبشارة[(٢)] ، ورفع[(٣)] عنهم المكوس ، وقرئت التواقيع بذلك[(٤)] على المنبر[(٥)] ، ففرح الناس[(٦)] بذلك ، وأكثروا الدعاء له ، وكتب ملوك الفرنج إليه يهنئونه بدمشق ، ويتقربون إليه ويخضعون له .

وممن توفي [فيها من الأعيان][(٧)] :

الرئيس مؤيد الدولة علي بن الصوفي[(٨)] وزير دمشق لمجير الدين آبق :

وقد ثار على الملك غير مرة ، ويستفحل[(٩)] أمره ، ثم يقع الصلح بينهما ، كما تقدم .

وعطاء الخادم[(١٠)] أحد أمراء دمشق :

وقد تغلّب على الأمور أيام[(١١)] مجير الدين آبق المذكور ، وكان ينوب ببعلبك[(١٢)] في بعض الأحيان . وكان ظالماً غاشماً . وهو الذي ينسب إليه مسجد عطاء خارج باب شرقي ، والله[(١٣)] أعلم .

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمئة

فيها : خرج الخليفة [المقتفي لأمر الله][(١٤)] في تجمُّل عظيم إلى دقوقاء[(١٥)] ؛ فحاصرها ، فخرج إليه

---

(١) ليس في آ .
(٢) آ ، ب : وأنه يبشر الناس بالخير .
(٣) ط : ثم وضع عنهم .
(٤) ط : وقرئت عليهم التواقيع .
(٥) ط : المنابر .
(٦) ليست اللفظة في ب ، وفي آ : المسلمون .
(٧) مكانهما في ب : في سنة تسع وأربعين وخمسمئة .
(٨) ترجمته وأخباره في الروضتين (١/ ٩٠ ـ ٩٥) والعبر (٤/ ١٣٨) ومرآة الجنان (٣/ ٢٩٦) .
(٩) ط : استفحل .
(١٠) ترجمته وأخباره في الروضتين (١/ ٩٥ ـ ٩٦) .
(١١) ط : بأمر .
(١٢) ب : في بعلبك ، ط : على بعلبك .
(١٣) ليست الجملة الدعائية الأخيرة في غير ب .
(١٤) ليس في ط .
(١٥) في ط : دموقا . ودقوقاء مدينة بين إربل وبغداد ، وتعرف اليوم باسم داقوق وطاووق ، وهي مركز ناحية داقوق في=

أهلها ، فسألوه أن يرحل[١] ؛ فإن أهلها قد هلكوا بين[٢] الجيشين ، فأجابهم ورحل[٣] عنهم ، وعاد إلى بغداد بعد شهرين ونصف .

ثم خرج نحو الحلّة والكوفة والجيش بين يديه . وقال له سليمان شاه : أنا وليّ عهد سنجر ، فإن قررت[٤] لي ذلك ، وإلا فأنا كأحد الأمراء ، فوعده خيراً ، وكان يحمل الغاشية[٥] بين يدي الخليفة على كاهله ، فمهّد الأمور وأطَّدها[٦] ، وسلّم على مشهد عليّ إشارة بإصبعه[٧] ، وكان قد عزم على دخول المشهد ، فنهاه الوزير ابن هبيرة عن ذلك ، كأنه خاف عليه من غائلة الروافض ، [أو أن يعتقد في نفسه من القبر شيئاً ، أو غير ذلك][٨] ، والله أعلم .

فتح بعلبك بيد نور الدين الشهيد

وفيها : افتتح نور الدين بعلبك عَوداً على بَدءٍ ، وذلك أن نجم الدين أيوب كان نائباً[٩] على البلاد والقلعة ، فسلمها إلى رجل يقال له الضحَّاك البقاعي ، فاستحوذ عليها ، وكاتب[١٠] نجم الدين لنور الدين ، ولم يزل يتلطف حتى أخذ القلعة أيضاً ، واستدعى بنجم الدين أيوب إليه إلى دمشق ، فأقطعه إقطاعاً حسناً ، وأكرمه من أجل أخيه أسد الدين ، فإنه كانت له اليد الطولى في فتح دمشق للملك العادل نور الدين ، وجعل الأمير شمس الدولة توران شاه[١١] بن نجم الدين شحنة دمشق ، ثم من بعده جعل أخاه صلاح الدين يوسف هو الشحنة ، وجعله من خواصه ، لا يفارقه حُضُوراً ولا سفراً ، لأنه كان حسن الشكل ، حسن اللعب بالكرة ، وكان نور الدين يحب لعب الكرة لتمرين الخيل وتعليمها الكرّ والفر ،

= لواء كركوك . معجم البلدان (دقوقاء) بلدان الخلافة الشرقية (٨٣ و١٢١) .

(١) ب : أن يترحل .

(٢) ط : من .

(٣) ب : فترحل .

(٤) ط : قررتني ، ب : قررت في .

(٥) الغاشية : جلد أُلبس جَفْنَ السيف (ع) .

(٦) أطّد الله تعالى ملكه تأطيداً : ثبّته . القاموس (الأطد) .

(٧) ط : بإصبعيه .

(٨) عن ط وحدها .

(٩) ط : نائباً بها .

(١٠) فكاتب .

(١١) ط : ب وران شاه ، وهو تصحيف . الأحكام السلطانية (١٤٧) .

وفي شحنكية[(١)] صلاح الدين يوسف يقول عرقلة الشاعر : [من المتقارب][(٢)]

رُوَيْـدَكُـم يـا لُصـوصَ الشَّـآمِ فـإنّـي لَكُـم نـاصـحٌ فـي مَقَـالـي
وإيّـــاكـــم وسَمِـــيَّ النَّبـ ـيِّ يُوسُفَ رَبِّ الحِجا والكمالِ[(٣)]
فــذاك مقطِّــعُ[(٤)] أيــدي النّســاء وهــذا مقطّــع[(٥)] أيـدي الـرِّجـالِ

وقد ملك أخوه توران شاه هذا بلاد اليمن فيما بعد ذلك ، وكان يلقب شمس الدولة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ ، أبو الفضل البغدادي[(٦)] :

ولد ليلة النصف من شعبان سنة سبع وستين وأربعمئة ، وسمع الكثير ، وتفرّد بمشايخ ، وكان حافظاً مكثراً ، من أهل السنة ، كثير الذِّكر ، سريع الدمعة ، وقد تخرج به جماعة ، منهم : الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي ، سمع بقراءته مسند الإمام أحمد ، وغيره من الكتب الكبار ، وكان يثني عليه كثيراً ، وقد رَدَّ على أبي سعد السمعاني في قوله : محمد بن ناصر يحب أن يقع في الناس . قال ابن الجوزي[(٧)] : والكلام في الجرح[(٨)] والتعديل ليس من هذا القبيل ، وإنما ابن السمعاني يحب أن يتعصب على أصحاب الإمام أحمد ، نعوذ بالله من سوء القصد والتعصب[(٩)] .

---

(١) ط : شحنة .
(٢) الأبيات في ديوان عرقلة (٨٧) وهو حسان بن نمير الكلبي أبو الندى ، والأحكام السلطانية (١٤٧) والروضتين (١/ ١٠٠) .
(٣) آ : والجمال ، وكذا هي رواية الديوان ، وهي في الروضتين : والحجال .
(٤) آ : فذاك يقطع . . . يقطع .
(٥) آ : فذاك يقطع . . . . يقطع .
(٦) ترجمته في الأنساب (٣٢٠/آ) والمنتظم (١٠/ ١٦٢) وابن الأثير (٩/ ٢٤٧) ومرآة الزمان (٨/ ٢٢٥) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٩٣) والعبر (٤/ ١٤٠) والوافي (٥/ ١٠٤) ومرآة الجنان (٣/ ٢٩٠) وذيل ابن رجب (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٩) والمنهج الأحمد (٢/ ٣١٠) وقد ذكرت المصادر نسبته التي اشتهر بها وهي السلامي ، وكلام السمعاني في كتابه « ذيل تاريخ مدينة السلام » كما نقله الذهبي في تاريخ الإسلام (١١/ ٩٩٢) .
(٧) المنتظم (١٠/ ١٦٣) .
(٨) ط ، ب : والكلام في الناس بالجرح ، والخبر في المنتظم .
(٩) قال أفقر العباد بشار بن عواد : بل هذا من تعصب ابن الجوزي وكلامه في العلماء ، وقد تعقبه إمام المؤرخين الذهبي بقوله : « يا أبا الفرج لا تنه عن خلق وتأتي مثله ، فإن عليك في هذا الفصل مؤاخذات عديدة ، منها أن أبا سعد لم يقل شيئاً في تجريحه وتعديله ، وإنما قال إنه يتكلّم في أعراض الناس ، بل قال ما يجب عليه ، والرجل فقد قال في ابن ناصر عبارتك بعينها التي سرقتها منه وصبغته بها ، بل وعامة ما في كتابك المنتظم من سنة نيّف وستين وأربع مئة إلى وقتنا هذا من التراجم إنما أخذته من « ذيل » الرجل . ثم أنت تتفاخم عليه وتتفاجج ، ومن نظر في كلام ابن=

[وكانت وفاة][(١)] محمد بن ناصر ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شعبان [من هذه السنة][(٢)] ، عن ثلاث وثمانين سنة ، وصلّي عليه مرات ، ودفن بباب حرب رحمه الله .

مُجَلِّي[(٣)] بن جُمَيع بن نجا ، أبو المعالي المخزومي الأرسوفي ثم المصري[(٤)] ، قاضيها : الفقيه الشافعي .

مصنف « الذخائر » في المذاهب ، وفيها غرائب كثيرة ، وهي من الكتب المفيدة ، رحمه الله[(٥)] .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمئة

في المحرم منها[(٦)] دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه [بن ألب أرسلان السلجوقي][(٧)] إلى بغداد ، وعلى رأسه الشمسة[(٨)] ، فتلقاه الوزير ابن هبيرة ، وأدخله على الخليفة ، فقبّل الأرض ، وحلّفه[(٩)] على الطاعة ، وصفاء النية والمناصحة والمودة ، وخلع عليه خلع الملوك ، وتقرّر أن للخليفة

= ناصر في الجرح والتعديل أيضاً عرف عترسته وتعسفه بعض الأوقات . ثم تقول : فإذا قال قائل إن هذا وقوع في الناس ، دلَّ على أنه ليس بمحدث ولا يعرف الجرح من الغيبة ، فالرجل قال قوله وما تعرض لا إلى جرح ولا غيبة حتى تلزمه بشيء ما قاله ، وقد علم العالمون بالحديث أنه أعلم منك بالحديث ، والطرق ، والرجال ، والتاريخ ، وما أنت وهو بسواء ، وأين من أفنى عمره في الرحلة والفن خاصة وسمع من أربعة آلاف شيخ ، ودخل الشام والحجاز والعراق والجبال وخراسان وما وراء النهر وسمع في أكثر من مئة مدينة وصنف التصانيف الكثيرة إلى من لم يسمع إلا ببغداد ولا روى إلا عن بضعة وثمانين نفساً ؟! فأنت لا ينبغي أن يطلق عليك اسم الحفظ باعتبار اصطلاحنا بل باعتبار أنك ذو قوة حافظة وعلم واسع وفنون كثيرة واطلاع عظيم ، فغفر الله لنا ولك . ثم تنسبه إلى التعصب على الحنابلة وإلى سوء القصد ، وهذا والله ما ظهر لي من أبي سعد ، بل والله عقيدته في السنة أحسن من عقيدتك ، فإنك يوماً أشعري ويوماً حنبلي ، وتصانيفك تنبئ بذلك ، فما رأينا الحنابلة راضين بعقيدتك ولا الشافعية . وقد رأيناك أخرجت عدة أحاديث في الموضوعات ثم في مواضع أخر تحتج بها وتحسِّنها ، فخلنا مساكتة ! (تاريخ الإسلام ١١/ ٩٩٢ ـ ٩٩٣) قال بشار : كلام الذهبي هذا كلام رجل منصف فقد أنصف الرجلين !.

(١) ط : توفي .

(٢) ط : منها .

(٣) ضبط الاسم في وفيات الأعيان : مجلي بن جُمَّيْع . وفي مرآة الزمان : محلى ، وماهنا عن العبر .

(٤) ترجمته في وفيات الأعيان (٤/ ١٥٤ ـ ١٥٨) والعبر (٤/ ١٤١) وتاريخ الإسلام (١١/ ٩٩٨) ومرآة الجنان (٣/ ٢٩٧) .

(٥) ليست جملة الترحم في ط .

(٦) ليس في ط ، وجاءت في ب في أول الجملة .

(٧) ليس في ط .

(٨) في ط : « الشمسية » ، وهو تحريف .

(٩) آ : وكلفه .

العراق ، ولسليمان شاه ما يغتنمه من خراسان ، ثم خطب له ببغداد بعد الملك سَنجر ، ثم خرج منها في ربيع الأول ، فاقتتل هو والسلطان محمد بن محمود بن ملكشاه ، فهزمه محمد[١] ، وهزم عسكره ، فذهب هارباً[٢] ، فتلقاه نائب قطب الدين مودود بن زنكي ، صاحب الموصل ، فأسره وحبسه بقلعة الموصل ، وأكرمه مدة حبسه ، وخدمه ، وهذا من أغرب الاتفاقات .

وفيها : ملكت الفرنج المهدية من بلاد المغرب بعد حصار شديد .

وفيها : فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل حارم ، واقتلعهامن أيدي الفرنج ، وكانت من أحصن القلاع ، وأمنع البقاع ، وذلك بعد قتال عظيم ، ووقعة هائلة ، كانت من أكبر الفتوحات وقد امتدحه الشعراء[٣] عند ذلك .

وفيها : هرب الملك سَنجر [من أسر الغز][٤] وعاد إلى ملكه بمرو ، وكان له في أيديهم نحو من خمس سنين .

وفيها : استعمل عبد المؤمن ملك المغرب أولاده على بلاده ، استناب كل واحد منهم على[٥] بلد كبير .

ذكر حصار بغداد

وسبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه أرسل إلى الخليفة المقتفي بأمر الله وطلب[٦] منه أن يخطب له ببغداد ، فلم يجبه إلى ذلك ، فسار من همذان إلى بغداد ليحاصرها ، فانجفل الناس ، وحصّن الخليفة البلد ، وجاء السلطان محمد فحصر بغداد ، ووقف تجاه التاج من دار الخلافة في جحفل عظيم ، ورموا نحوه بالنشاب[٧] ، وقاتلت العامة مع الخليفة قتالاً شديداً بالنِّفط وغيره ، واستمر القتال مدة[٨] ، فبينما هم كذلك [إذ بلغ السلطان أن أخاه][٩] قد خلفه في همذان ، [فانشمر عن بغداد

(١) عن ط وحدها .
(٢) ط : مهزوماً .
(٣) الروضتين (١/ ١٠٠ ـ ١٠١) .
(٤) آ : من أسر الغز الغارعلية ، ب : سنجر وعاد ، ط : من الأسر وعاد .
(٥) آ ، ب : في .
(٦) ب : فطلب ، ط : يطلب .
(٧) ط : النشاب .
(٨) آ : إلى مدة .
(٩) ط : إذ جاءه الخبر أن أخاه .

راحلاً إلى همذان في ربيع][١] الأول من سنة ثنتين وخمسين ، وتفرقت عنه العساكر الذين كانوا معه في البلاد ، وأصاب الناس بعد هذا[٢] القتال مرض شديد ، وموت ذريع ، واحترقت محال كثيرة من بغداد ، واستمر ذلك فيها مدة شهرين .

وفيها : أُطلِقَ أبو البدر[٣] بن الوزير ابن هبيرة من قلعة تكريت ، وكان معتقلاً فيها من مدة ثلاث سنين ، فتلقاه الناس إلى أثناء الطريق ، وامتدحه الشعراء ، وكان من جملتهم الأبله[٤] الشاعر ، أنشد الوزير قصيدة يقول في أولها : [الطويل]

بــأيِّ لِســانٍ للــوُشــاةِ أُلامُ ... وَقَدْ عَلِموا أَنّي سَهِرْتُ وَناموا

إلى أن قال :

وَيَسْتَكْثِرونَ الوَصْلَ لي مِنْكَ لَيْلَةً ... وَقَـدْ مَـرَّ عَـامٌ بـالصُّـدودِ وَعَـامُ

فطرب الوزير عند ذلك ، وخلع عليه ثيابه ، وأطلق له خمسين ديناراً .

وحجّ بالناس قيماز .

وممن توفي فيها من الأعيان :

علي بن الحسين ، **أبو الحسن الغَزْنوي**[٥] **الواعظ** : كان له قبول كثير من العامة . وبنت له الخاتون زوجة المستظهر رباطاً بباب الأزَج ، ووقف عليه أوقافاً كثيرة ، وحصل له جاه عريض . وزاره السلطان . وكان حسن الإيراد ، مليح الوعظ ، يحضر مجلسه خلق كثير ، وجَمٌّ غفير من أصناف الناس .

---

(١) ط : فانشمر عن بغداد إليها في ربيع الأول .

(٢) ط : ذلك .

(٣) كذا في آ ، ب ، وفي ط : أبو الوليد البدر . وهو في المصادر : ظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة أبو البدر ، وعند ابن خلكان : شرف الدين أبو الوليد مظفر ، وفي حاشيته : أبو البدر ظفر . ناب عن والده في الوزارة . وكان أديباً ، شاعراً ، فاضلاً . سجن أيام والده سنين في قلعة تكريت ، ثم خُلّص . وقبض عليه لما توفي والده وحبس ، ولم يزل في حبسه إلى أن مات سنة ٥٦٢هـ . المنتظم (١٠/ ١٦٥ و٢٢٠) وخريدة العراق (١/ ١٠١) ووفيات الأعيان (٦/ ٢٤٢) وفوات الوفيات (٢/ ١٤١) .

(٤) الأبله الشاعر هو محمد بن بَخْتيار بن عبد الله ، أبو عبد الله : من شعراء بغداد ، يقول الشعر دون علم ، توفي سنة ٥٧٩ وقيل ٥٨٠ . وترجمته في مرآة الزمان (٢٤٢) والروضتين (٢/ ٥٤) ووفيات الأعيان (٤/ ٤٦٣) ومختصر أبي الفداء ـ وفيات (٥٧٩) والمختصر المحتاج إليه (١/ ٢٨) والمحمدون (٢٣٥) والعبر (٤/ ٣٨) ومرآة الجنان (٣/ ٤١٦) .

(٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٦٦ ـ ١٦٨) ، وابن الأثير (١١/ ٢١٦) ، وتاريخ الإسلام (١١/ ٣٣) .

وقد ذكر ابن الجوزي[١] أشياء من وعظه . قال : وسمعته يوماً يقول : حزمة حزن خير من أعدال أعمال ، ثم أنشد : [من مجزوء الرجز]

كَمْ حَسْرةٍ لي في الحَشَا ... مِنْ وَلَدٍ إذا نشا
أمَّلْتُ فِيهِ رُشْدَهُ ... فما نشا كما نشا

قال : وسمعته يوماً ينشد قوله : [من السريع]

يَحْسدُني قَوْمِي على صَنْعَتي ... لأنَّني في صَنْعَتي فارِسُ
سَهرتُ في لَيْلِيَ وَاستَنْعَسُوا ... هَلْ يَسْتَوي السَّاهِرُ والنّاعِسُ

قال : وكان يقول : تولون اليهود والنصارى ، فيسبّون نبيّكم في يوم عيدهم ، ويصبحون يجلسون إلى جانبكم . ثم يقول : ألا هل بلّغت ! .

قال : وكان يتشيّع ، ثم سُعِيَ في منعه من الوعظ ، ثم أُذن له ، ولكن ظهر للناس ابن العبادي فكان كثير من الناس يميلون إليه . وقد كان السلطان مسعود يعظّمه ، ويحضر مجلسه . فلما مات السلطان مسعود ذل الغزنوي بعده ، وأُهين إهانة بالغة ، فمرض ومات في المحرم من هذه السنة .

قال ابن الجوزي : وبلغني أنه كان يعرق في نزعه ، ثم يُفيق ، وهو يقول : رضًى وتسليم . ولما مات دفن في رباطه الذي كان فيه .

محمود بن إسماعيل بن قادوس ، أبو الفتح الدمياطي[٢] :

كاتب الإنشاء بالديار المصرية . وهو شيخ القاضي الفاضل ، وكان يسميه ذا البلاغتين . وذكره العماد الكاتب في « الخريدة »[٣] وأثنى عليه . ومن شعره فيمن يكرر التكبير [ويوسوس في نية الصلاة في أولها][٤] : [من السريع][٥]

وَفَاتِرِ النِّيَّةِ عِنّينها ... مع كَثْرةِ الرعْدَةِ والهزةِ[٦]
يُكَبّرُ السَّبْعينَ في مَرَّةٍ ... كأنَّهُ صَلَّى على حَمْزَةِ[٧]

---

(١) المنتظم (١٠/١٦٦ ـ ١٦٨) .
(٢) ترجمته في وفيات الأعيان (١/١٦٢) وتاريخ الإسلام (١٢/٣٦) .
(٣) الخريدة (٢/٤٦٨) .
(٤) مكانهما في آ ، ب : في أول الصلاة .
(٥) البيتان في الروضتين (١/١٠٣) والفوات (٤/١٠١) وتاريخ الإسلام (١٢/٣٦) .
(٦) في الفوات : يواصل للرعدة والهزّة .
(٧) رواية البيت في ط : =

الشيخ أبو البيان نبأ بن محمد المعروف بابن الحوراني[١] الفقيه الزاهد العابد الناسك[٢] الخاشع [قدس الله روحه][٣] :

قرأ القرآن ، وكتاب « التنبيه » على مذهب الشافعي . وكان حسن المعرفة باللغة ، كثير المطالعة ، وله كلام يؤثَر عنه . ورأيت له كتاباً بخطه ، فيه النظائم التي[٤] يقولها أصحابه وأتباعه بلهجة غريبة . وقد كان من نشأته إلى أن توفي على طريقة صالحة . وقد زاره الملك نور الدين محمود[٥] في رباطه[٦] داخل درب الحجر ، ووقف عليه شيئاً ، وكانت وفاته في يوم الثلاثاء[٧] الثالث من ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وكان يوماً مشهوداً . وقد ذكرته في « طبقات الشافعية » رحمه الله .

عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر[٨] بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن سعيد الفارسي[٩] الحافظ[١٠] :

تفقّه بإمام الحرمين ، وسمع الكثير على جده لأمه أبي القاسم القشيري ، ورحل إلى البلاد[١١] ،

= يكبر التسعين في مرة كأنه يصلي على حمزة

وروايته في الروضتين :

مكبراً سبعين في مرة كأنه صلّى على حمزة

وروايته في الفوات :

مكبراً سبعين في مرة كأنما صلّى على حمزة

(١) ترجمته في تاريخ ابن القلانسي (٥١٢) والكامل في التاريخ (٩/ ٥٣) والروضتين (٢/ ١٣) وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣٢٦) والعبر (٤/ ١٤٤) وتاريخ الإسلام (١١/ ٣٧) .

(٢) ط : الفاضل .

(٣) ليس في ط .

(٤) آ : التي له .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) آ : رباط .

(٧) آ : ثالث ، وفي تاريخ الإسلام : الثلاثاء ثاني .

(٨) ب ، ط : عبد القادر . وهو تصحيف .

(٩) آ : الغازي . وهو تصحيف .

(١٠) ترجمته في التحبير (١/ ٥٠٧ ـ ٥٠٩) ومرآة الزمان (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤) والعبر (٤/ ٧٩) وتذكرة الحفاظ (٥/ ١٢٧) وطبقات السبكي (٤/ ٢٥٥) ومرآة الجنان (٣/ ٢٥٦) قال بشار : وذكره في هذه السنة وهم من المؤلف ، فالمحفوظ أنه توفي سنة ٥٢٩هـ ، كما في مصادر ترجمته ، ومولده في سنة (٤٥١) فكأنه اشتبه عليه فجعله (٥٥١) وصار تاريخاً لوفاته ، والله أعلم .

(١١) ب : بلاد .

وأسمع الكثير ، وصنف « المفهم في غريب مسلم » وغيره[١] . وولي خطابة نيسابور . وكان فاضلاً بارعاً ديّناً حافظاً ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمئة

استُهلَّت هذه السنة ومحمد شاه بن محمود محاصر بغداد ، والعامة والجند من جهة الخليفة المقتفي يقاتلون أشدّ القتال ، والجمعة لا تقام لعذر القتال ، والفتنة كبيرة[٢] ، ثم يسَّر الله بذهاب السلطان ، كما تقدّم [ذكر ذلك][٣] في السنة التي قبلها . وقد بسط ذلك ابن الجوزي[٤] في هذه السنة ، فطوّل .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة بالشام ، هلك بسببها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وتهدّم أكثر حلب وحماة وشيزر وحمص وكفر طاب وحصن الأكراد واللاذقية والمعرَّة وفامِية[٥] وأنطاكية وطرابلس .

قال ابن الجوزي[٦] : وأما شيزر فلم يسلم منها[٧] إلا امرأة وخادم لها ، وهلك الباقون ، وأما كفر طاب فلم يسلم منها[٨] أحد ، وأفامية ساخت[٩] قلعتها ، وتلّ حران انقسم نصفين فأبدى نواويس وبيوتاً كثيرة في وسطه .

قال : وهلك من مدائن الفرنج[١٠] شيء كثير ، وتهدّم أسوار أكثر مدن الشام ، حتى إن مكتباً بحماة[١١] انهدم على الصبيان[١٢] ، فهلكوا عن آخرهم ، فلم يأت[١٣] أحد يسأل عن أحد منهم .

---

(١) أورد له ابن خلكان من كتبه : مجمع الغرائب في غريب الحديث والسياق لتاريخ نيسابور .
(٢) ب : كثيرة ط : منتشرة .
(٣) ليس في ط .
(٤) المنتظم (١٠/ ١٦٨ ـ ١٧٧) .
(٥) عن ط وحدها : وفامية ، يقال لها أيضاً أفامية . معجم البلدان (فامية) .
(٦) المنتظم (١٠/ ١٧٦) .
(٧) ليس في ب .
(٨) ط : من أهلها .
(٩) ط : ساحت . وهو تصحيف ، وساخت الأرض بهم : انخسفت .
(١٠) آ : الافرنج .
(١١) ب : من حماة ، ط : من مدينة حماة .
(١٢) على من فيه من الصغار .
(١٣) آ ، ب : ينجى ، والخبر في الروضتين (١/ ١٠٥) .

وقد ذكر هذا الفصل الشيخ أبو شامة في كتاب الروضتين[١] مستقصى ، وذكر ما قاله الشعراء[٢] [من القصائد][٣] في ذلك .

وفيها : ملك السلطان محمود بن محمد بعد خاله سنجر جميع بلاده .

وفيها : فتح السلطان محمود بن زنكي حصن شيزر بعد حصار شديد ، وأخذ مدينة بعلبك ، وكان بها الضحاك البقاعي ، وقد قيل : إن ذلك كان في سنة خمسين ، كما تقدم ، والله[٤] أعلم ، وقد تقدم ذلك .

وفيها : مرض نور الدين ، فمرض الشام لمرضه[٥] ، ثم عوفي[٦] ، ففرح المسلمون بذلك[٧] فرحاً شديداً ، واستولى أخوه قطب الدين مودود صاحب الموصل على جزيرة ابن عُمَر .

وفيها : عمل الخليفة باباً للكعبة مصفحاً بالذهب ، وأخذ بابه الأول ، فجعله لنفسه تابوتاً .

وفيها : أغارت الإسماعيلية على حجاج خراسان ، فلم يُبْقُوا منهم على أحد ، لا زاهد ولا عالم[٨] .

وفيها : كان غلاء شديد بخراسان ، حتى أكلوا الحشرات ، وذبح إنسان منهم[٩] رجلاً علويًّا ، فطبخه وباعه في السوق ، فحين ظهر عليه قُتل .

وذكر[١٠] أبو شامة : إن فتح بانياس كان في هذه السنة على يد[١١] الملك نور الدين بنفسه . وقد كان معين الدين أرسله إلى الفرنج صلحاً عن دمشق حين حاصروها ، فقتل ملكها الهنفري[١٢] ، وغنم شيئاً كثيراً[١٣] . ولله الحمد[١٤] والمنة .

---

(١) الروضتين (١/ ١٠٤ ـ ١٠٥) .
(٢) أورد أبو شامة بعض الأشعار لأسامة بن منقذ ولعرقلة ولصالح بن رزيك ، وقصيدة بدون نسبة مطلعها :
روّعتنا زلازل حادثات ... بقضاء قضاه رب السماء
(٣) ليس في آ .
(٤) ط : فالله .
(٥) كذا في ب : لمرضه .
(٦) آ : توفي . وهو تصحيف .
(٧) عن آ وحدها .
(٨) ط : أحداً ولا زاهداً ولا عالماً .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ورد هذا المقطع في آ بعد الذي يليه .
(١١) في آ : « يدي » ، وما هنا من ط ، وهو أحسن .
(١٢) ليس في ب .
(١٣) عبارة ط : وقد كان معين الدين سلمها إلى الفرنج حين حاصروا دمشق فعوضهم بها وقيل ملكها وغنم شيئاً كثيراً .
(١٤) ليست الجملة الأخيرة في ط .

وفيها : قدم الشيخ أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب[١] السِّجْزي ، فسمعوا[٢] عليه البخاري في دار الوزير .

وحجَّ بالناس قيماز .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عمر[٣] بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ، أبو الليث النسفي[٤] :

من أهل سمرقند . سمع الحديث ، وتفقّه ووعظ ، وكان حسن السمت . قدم بغداد فوعظ الناس[٥] ثم عاد إلى بلده ، فقتله قُطّاع الطريق ، رحمه الله .

أحمد بن بختيار بن علي بن محمد ، أبو العباس الماندائي[٦] الواسطي قاضيها : سمع الحديث ، وكانت له معرفة تامة بالأدب واللغة ، وصنف كتباً في التاريخ وغير ذلك . وكان ثقة صدوقاً . توفي ببغداد ، وصُلِّي عليه بالنظامية .

السلطان سَنْجَر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سُلجوق[٧] ، أبو الحارث واسمه أحمد، ولقب بسَنْجَر. مولده في رجب سنة تسع وسبعين[٨] وأربعمئة، وأقام في الملك نيّفاً وستين سنة ، من ذلك استقلالاً إحدى وأربعين سنة[٩] ، وقد أسره الغزُّ نحواً من خمس سنين ، ثم هرب منهم ، فعاد إلى ملكه بمرو ، [ثم كانت وفاته][١٠] في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن في قُبة بناها ، سمّاها دار الآخرة ، رحمه الله .

محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت ، أبو بكر الخُجَنْدي[١١] الفقيه الشافعي :

---

(١) آ : سعد .
(٢) آ ، ب : فسمع .
(٣) ط : أحمد بن محمد بن عمر .
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٧٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٤٢) والنجوم (٥/ ٣٢٦) .
(٥) ليس في آ .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٧٨) ومعجم الأدباء (٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٣) وابن الأثير (٩/ ٥٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٤٢) والوافي (٥/ ١٢٨) وطبقات الشافعية (٤/ ٣٧) .
(٧) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٧٨) وابن الأثير (٩/ ٥٥) والروضتين (١/ ١١٤) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) والعبر (٤/ ١٤٧ ـ ١٤٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٤٥) .
(٨) آ : وأربعين ، وهو تصحيف ، والخبر في وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٨) .
(٩) آ : وأربعمئة . تصحيف .
(١٠) ط : توفي .
(١١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٧٩) وابن الأثير (٩/ ٥٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٥٤) ، والعبر (٤/ ١٤٩) ومرآة الجنان (٣/ ٣٠٠) .

ولي تدريس النظامية ببغداد ، وكان يناظر حسناً ، ويعظ الناس وحوله السيوف مسلَّلة .

قال ابن الجوزي[١] : ولم يكن ماهراً بالوعظ . [وكانت حاله][٢] أشبه بالوزراء من العلماء ، وتقدّم عند السلاطين ، حتى كانوا يَصْدُرُون عن رأيه . توفي بأصبهان فجأة [من هذه السنة][٣] .

محمد بن المبارك بن محمد بن الخَلّ[٤] ، أبو الحسن بن أبي البقاء . سمع الحديث ، وتفقّه على الشاشي ، ودرّس وأفتى . وتوفي في محرم هذه السنة .

وتوفي :

أخوه الشيخ أبو الحسين بن الخَلّ[٥] الشاعر : في ذي القعدة منها .

يحيى بن عيسى بن إدريس ، أبو البركات الأنباري[٦] الواعظ :

قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفقه ، ووعظ الناس على طريقة الصالحين ، وكان يبكي من أول صعوده إلى حين نزوله . وكان زاهداً عابداً[٧] ورعاً ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر . ورُزق أولاداً صالحين سمّاهم بأسماء الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي[٨] ، وحفّظهم القرآن كلّهم بنفسه[٩] ، وختّم خلقاً كثيراً . وكان هو وزوجته يصومان الدهر ، ويقومان الليل ، ولا يفطران إلا بعد العشاء[١٠] . وكانت له كرامات ومنامات صالحة . ولما مات قالت زوجته : اللهم لا تحييني بعده .

---

(١) المنتظم (١٠/ ١٧٩) .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ط : فيها .
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٧٩ ـ ١٨٠) وابن الأثير (٩/ ٥٢) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٢٧) والعبر (٤/ ١٥٠) والوافي (٤/ ٣٨١) وطبقات السبكي (٤/ ٩٦) والقاموس (خلل) ، ومرآة الجنان (٣/ ٣٠٢) .
(٥) له ذكر في المنتظم (١٠/ ١٨٠) وترجم له ابن خلكان في (٤/ ٢٢٧) وسمّاه : أحمد بن المبارك . وأن مولده سنة ٤٨٢ وأورد له شيئاً من شعره .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٨٠) .
(٧) آ : عابداً زاهداً .
(٨) آ : أبو بكر ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) هذه الأمور الثلاثة، هي خلاف السنة ، فصوم الدهر مكروه ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن صيام الدهر ، وقال : أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وما عهد عن رسول الله ﷺ أنه قام ليلة بتمامها ، وإنما كان يقوم ويرقد، ومن السنة أيضاً التعجيل بالفطور ، وفي الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر ، وروى ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن أنس رضي الله عنه قال : ما رأيت رسول الله ﷺ قط صلى صلاة المغرب حتى يفطر ولو على شربة من ماء .

فماتت بعده بخمسة عشر يوماً . وكانت من الصالحات ، رحمهما الله تعالى وأرضاهم[١] .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة

فيها : كثر فساد[٢] التركمان من أصحاب ابن برجم الإيوائي[٣] . فجهز إليهم الخليفة[٤] منكورس[٥] المسترشدي في جيش كثيف ، فالتقوا معهم ، [فهزموهم أقبح هزيمة وجاؤوا][٦] بالأسارى والرؤوس إلى بغداد .

وفيها : كانت وقعة عظيمة بين الغزّ والملك محمود[٧] ، [فكسروه وقتلوا من أصحابه وغيرهم خلقاً كثيراً][٨] ، ونهبوا البلاد ، وأقاموا بمرو ، ثم إنهم طلبوه إليهم ، فخاف على نفسه ، فأرسل ولده بين يديه ، فأكرموه ، ثم قدم السلطان إليهم[٩] ، فاجتمعوا عليه وعظَّموه .

وفيها : وقعت فتنة كبيرة بمرو بين فقيه الشافعية المؤيد بن الحسين وبين نقيب العلويين بها أبي القاسم زيد بن الحسن ، فقتل منهم خلق عظيم ، واحترقت[١٠] المساجد والمدارس والأسواق ، وانهزم المؤيد إلى بعض القلاع .

وفيها : ولد الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله .

وفيها : خرج المقتفي نحو الأنبار متصيّداً ، وعبر الفرات ، وزار الحسين ، ومضى إلى واسط ، وعاد إلى بغداد ، ولم يكن معه الوزير .

وفيها : كَسر جيشُ مصر الفرنجَ بأرض عسقلان كسرة فظيعة[١١] ، صحبة الملك الصالح[١٢]

---

(١) اللفظة عن آ وحدها .
(٢) ليس في ب .
(٣) كذا في الأصول ، وعند ابن الأثير : ترجم الإيواني .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ورد الاسم عند ابن الأثير مرتين ، الأولى : خطلوبرس ، والثانية : منكوبرس .
(٦) ط : فهزمهم أقبح هزيمة وجاء . . .
(٧) ط : بين السلطان محمود وبين الغز .
(٨) ليس في ط .
(٩) ب ، ط : عليهم .
(١٠) ط : كثير وأحرقت المدارس والمساجد .
(١١) ط : فجيعة .
(١٢) ط : صالح .

أبي[١] الغارات فارس الدين طلائع بن رُزِّيك ، وامتدحه الشعراء .

وفيها : قدم الملك نور الدين من حلب إلى دمشق ، وقد شفي من المرض ، ففرح به المسلمون ، وخرج إلى قتال الفرنج ، فانهزم جيشه ، وبقي هو في شرذمة قليلة من أصحابه في نحر العدو[٢] ، فرمَوهم بالسهام الكثيرة . ثم خاف[٣] الفرنج أن يكون وقوفه في هذه الشرذمة القليلة خديعة ليجيء[٤] كمين إليهم ، ففرُّوا منهزمين ، ولله الحمد .

وحج[٥] بالناس فيها[٦] قيماز الأرجواني .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق ، أبو الوقت السِّجْزِي الصُّوفي الهَرَوي[٧] :

راوي البخاري ومسند الدارمي والمنتخب من مسند عبد بن حميد . قدم بغداد ، فسمع عليه الناس هذه الكتب . وكان من خيار المشايخ وأحسنهم سمتاً[٨] ، وأصبرهم على قراءة الحديث .

قال ابن الجوزي : أخبرني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال : أسندته إليَّ [في مرضه] فمات ، فكان آخر ما تكلَّم به[٩] أن قال : ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يٓس : ٢٦ ـ ٢٧] [ودفن بالشونيزية] .

نصر بن منصور بن الحسين بن أحمد بن عبد الخالق العطّار ، أبو القاسم الحرّاني[١٠] :

كان كثير المال ، يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القربات الحسنة ، ويكثر من تلاوة القرآن ، ويحافظ على الصلوات[١١] في الجماعة ، ورؤيت له منامات صالحة ، وقارب الثمانين .

---

(١) في الأصول (أبو) خطأ .
(٢) آ : فبقي هو وشرذمة من أصحابه في لجة العدو .
(٣) آ : ثم خافوا .
(٤) ط : لمجيء .
(٥) جاء هذا السطر في ب ، ط قبل خبرين وقبل الوفيات .
(٦) ليس في آ .
(٧) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٨٢ ـ ١٨٣) وابن الأثير (٩/ ٦١) واللباب (السجزي/ ٢/ ١٠٥) والروضتين (١/ ١٢٢) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) والعبر (٤/ ١٥١) وتذكرة الحفاظ (١٣١٥) ومرآة الجنان (٣/ ٣٠٤) وترجمة الذهبي في تاريخ الإسلام ترجمة رائقة (١٢/ ٦٣ ـ ٦٩) .
(٨) آ : صمتاً .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٨٣) وابن الأثير (٩/ ٦١) ، وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٧ ـ ٧٨) .
(١١) ب : الصلاة .

يحيى بن سلامة بن [الحسين بن محمد][(١)] ، أبو الفضل الشافعي الحَصْكَفي[(٢)] :

نسبة إلى حصن كيفا ، كان إماماً في علوم كثيرة من الفقه والأدب ، ناظماً وناثراً ، غير أنه ينسب إلى الغلوّ في التشيّع .

وقد أورد له ابن الجوزي [قطعة من نظمه][(٣)] ، فمن ذلك قوله في جملة قصيدة[(٤)] : [من الرجز][(٥)]

تَقَاسَمُوا[(٦)] يَوْمَ الوَداعِ كبدي فَلَيْسَ لي مُنْذُ تَوَلَّوْا كبدُ
عَلَى الجُفُونِ[(٧)] رَحَلُوا وفي الحَشَا نَزَلُوا[(٨)] وَمَاءَ عَيْني وَرَدُوا
وَأَدْمُعي مَسْفُوحَةٌ وَكَبِدي مَقْرُوحَةٌ وَغُلَّتي ما تَبْرُدُ[(٩)]
وَصَبْوَتي دائِمَةٌ وَمُقْلَتي دامِيَةٌ ونَوْمُها مُشَرَّدُ[(١٠)]
تَيَمَّنَي مِنْهُمْ غَزالٌ أَغْيَدٌ يا حَبَّذا ذاكَ الغَزالُ الأَغْيَدُ
حُسامُهُ مُجَرَّدٌ وَصَرْحُهُ مُمَرَّدٌ وَخَدُّهُ مُوَرَّدُ
وصُدْغُهُ فَوْقَ احْمرارِ خَدِّهِ مُبَلْبَلٌ مُعَقْرَبٌ مُجَعَّدُ
كَأَنَّما نَكْهَتُهُ وَرِيقُهُ مِسْكٌ وخَمْرٌ والثَّنايا بَرَدُ[(١١)]
يُقْعِدُهُ[(١٢)] عِنْدَ القِيامِ رِدْفُهُ وفي الحَشَا مِنْهُ المُقيمُ المُقْعِدُ
لَهُ قَوامٌ كَقَضِيبِ بانَةٍ يَهْتَزُّ قَصْداً لَيْس فيه أَوَدُ

وهي طويلة جدًّا ، ثم خرج من هذا التغزل إلى مدح أهل البيت والأئمة الاثني عشر ، [رحمهم الله][(١٣)] حيث يقول :

(١) ليس في ط .
(٢) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٨٣ ـ ١٨٨) وخريدة الشام (٢/ ٤٧١ ـ ٥٤٠) ومعجم البلدان (طنزة) ، ومعجم الأدباء (٢٠/ ١٨ ـ ١٩) وابن الأثير (٩/ ٦١) ووفيات الأعيان (٦/ ٢٠٥ ـ ٢١٠) ومرآة الجنان (٣/ ٢٩٨) .
(٣) ليس في ب .
(٤) آ : قصيدته .
(٥) القصيدة كاملة في المنتظم (١٠/ ١٨٤ ـ ١٨٧) وأبيات النسيب في الخريدة (٢/ ٤٩٢ ـ ٤٩٤) .
(٦) قبل هذا البيت في المنتظم عشرة أبيات وفي الخريدة أحد عشر بيتاً .
(٧) آ : الجنون .
(٨) آ : قبلوا ، وهي تصحيف لرواية المنتظم والخريدة : تقبلوا .
(٩) ط : وعلتي ما قد بدوا .
(١٠) بعده في الخريدة بيتان .
(١١) لم يرد في المنتظم .
(١٢) ط : يعقده . تصحيف .
(١٣) مكانهما في آ : رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم .

وَسَائِلي عَنْ حُبِّ أهل البَيْتِ هَلْ[١] ... أُقِــرُّ إعْــلانــاً بِــهِ أَمْ أَجْحَــدُ
هَيْهَــاتَ مَمْــزُوجٌ بَلحْمــي وَدَمــي ... حُبُّهُــمُ وَهُــوَ الهُــدَى والــرَّشَــدُ
حَيْــدَرَةٌ والحَسَنَــانِ بَعْــدَه ... ثُــمَّ عَلِــيٌّ وَابْنُــهُ مُحَمَّــدُ
وَجَعْفَــرُ الصَّــادِقُ وَابْــنُ جَعْفَــرٍ ... مُــوسَــى ويَتْلُــوهُ عَلِــيُّ السَّيِّــدُ
أَعْنــي الــرِّضَــا ثُــمَّ ابنُــهُ مُحَمَّــدٌ ... ثُــمَّ علــيٌّ وابْنُــهُ المُسَــدَّدُ
والحَسَــنُ التّــالــي[٢] وَيَتْلُــو تِلْــوَهُ ... مُحَمَّــدُ بــنُ الحَسَــنِ المُفْتَقَــدُ
فــإنَّهُــمْ أئِمَّتــي وســادتــي ... وَإنْ لَحَــانــي مَعْشَــرٌ وفَنَّــدوا
أئِمَّــةٌ أَكْــرِمْ بِهِــمْ أَئمَّــةً ... أَسْمــاؤُهُــمْ مَسْــرودَةٌ تَطَّــرِدُ
هُــمْ حُجَــجُ اللهِ علــى عِبــادِهِ ... وَهُــمْ إلَيْــهِ مَنْهَــجٌ ومَقْصَــدُ
قَــوْمٌ لَهُــمْ فَضْــلٌ وَمَجْــدٌ بــاذخٌ ... يَعْــرِفُــهُ المُشْــرِكُ والمُــوَحِّــدُ
قَــوْمٌ لهــم فــي كُــلِّ أرضٍ مَشْهَــدٌ ... لا بَــلْ لَهُــمْ فــي كُــلِّ قَلْــبٍ مَشْهَــدُ[٣]
قَــوْمٌ مِنًــى والمَشْعَــرانِ لَهُــمُ ... والمَــرْوتــانِ لَهُــمُ والمَسْجِــدُ
قَــوْمٌ لهــم مَكَّــةُ والأَبْطَــح والـ ... ـخَيــفُ وَجمــعٌ والبَقيــعُ الغَــرْقَــدُ

ثم ذكر مقتل الحسين بالطَّفِّ، إلى أن قال :

ياأَهْلَ بَيْتِ المُصْطَفَى يا عُدَّتي[٤] ... ومَــنْ[٥] عَلَــى حُبِّهِــمُ أَعْتَمِــدُ
أَنْتُــمْ إلــى اللهِ غَــداً وَسيلَتــي ... وَكَيْــفَ أَخْشَــى وبِكُــمْ أَعْتَضِــدُ
وَلِيُّكُــمْ فــي الخُلْــدِ حَــيٌّ خَــالــدٌ ... والضِّــدُّ فــي نــارِ لَظَــى مُخَلَّــدُ
وَلَسْــتُ أَهْــوَاكُــم بِبُغْــضِ غَيْــرِكــم ... إنــي إذاً أَشْقَــى بكُــمْ لا أَسْعَــدُ
فَــلاَ يَظُــنُّ رافِضِــيٌّ أَنَّنــي ... وافَقْتُــهُ أو خــارجــيٌّ مُفْسِــدُ
مُحَمَّــدٌ والخُلَفَــاءُ بَعْــدَه ... أَفْضَــلُ خَلْــقِ اللهِ فيمــا أجِــدُ
هُــمْ أَسَّسُــوا قَــواعِــدَ الــدِّيــنِ لَنــا ... وَهُــمْ بَنَــوْا أَرْكَــانَــهُ وشَيَّــدُوا
وَمَــنْ يَخُــنْ أَحْمَــدَ فــي أَصْحــابِــهِ ... فَخَصْمُــهُ يَــوْمَ المَعَــادِ أَحْمَــدُ
هٰــذا اعْتِقــادي فَــالْــزَمُــوهُ تُفْلِحــوا ... هــذا طَــريقــي فــاسْلُكــوهُ تَهْتَــدوا

---

(١) ليس في آ .
(٢) ط : الثاني .
(٣) جاء هذا البيت واللذان يلياه في ب بدايةً للمقطع الأخير من القصيدة .
(٤) جاءت هذه اللفظة في ط في الشطر الثاني فكسرت الوزن .
(٥) ليس في ب .

والشّـافِعـيُّ مَـذْهَبِـي مَـذْهَبُـهُ لأَنَّـهُ فـي قَـوْلِـهِ مُـؤيَّـدُ
أَتْبَعُـهُ فـي الأَصْـلِ والفَـرْعِ معـاً فَلْيَتَّبِعْنِي[١] الطـالـبُ المُسْتَرْشِـدُ[٢]
إنِّـي بِـإِذْنِ اللهِ نـاجٍ سـابـقٌ إذا وَنَـى الظَّـالِـمُ والمُقْتَصِـدُ[٣]

وله[٤] : [من الطويل]

إِذَا قَلَّ مَالي لَمْ تَجِدْني ضَارعاً[٥] كَثيرَ الأَسَى مُغْرًى بِعَضِّ الأَنَامِلِ
ولا بَطِـراً إنْ جَـدَّدَ اللهُ نِعْمَـةً وَلَوْ أَنَّ ما أُوتي جميعُ الأنام لي[٦]

توفي[٧] رحمه الله في ربيع الأول من هذه السنة بميّافارِقين[٨] .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمئة

فيها : مرض الخليفة المقتفي مرضاً شديداً ، ثم عُوفي منه ، فزينت له[٩] بغداد أياماً ، وتصدّق بصدقات عظيمة[١٠] كثيرة .

وفيها : استعاد عبد المؤمن مدينة المهدية من أيدي الفرنج ، وقد كانوا أخذوها من المسلمين في سنة ثلاث وأربعين .

وفيها : قاتل عبد المؤمن خلقاً كثيراً[١١] ببلاد المغرب[١٢] ، حتى صارت[١٣] عظام القتلى هنالك[١٤] كالتل العظيم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) آ : فليستضيء ، ولا يستقيم بها الوزن .
(٢) ب ، ط : المرشد .
(٣) في الأصول : المفسد . وما هنا عن المنتظم .
(٤) البيتان في المنتظم (١٠/ ١٨٨) .
(٥) ط : جازعاً .
(٦) كذا في ط : جميع الناس لي (ع) .
(٧) لم يرد هذا السطر في ط .
(٨) من قوله : وله . . . إلى هنا ، لم يرد في ب .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ليس في ط .
(١١) آ : عظيماً .
(١٢) ب : من العباد ببلاد ، وفي ط : كثيراً من الغرب .
(١٣) آ : صار .
(١٤) ط : هناك .

وفي صفر منها سقط بَرَدٌ بالعراق كبار ، زنة البَرَدَةِ قريبٌ من خمسة أرطال ، ومنها ما هو تسعة أرطال بالبغدادي ، فهلك بذلك شيء كثير من الغلات .

وخرج الخليفة إلى واسط ، فاجتاز بسوقها ، ورأى جامعها ، وسقط عن فرسه فشُجَّ جبينه ، ثم عوفي .

وفي ربيع الآخر زادت دجلة زيادة عظيمة ، فغرقت(١) بسبب ذلك محالٌّ كثيرة من بغداد ، حتى صار أكثر الدور بها تلولاً ، وغرقت تربة الإمام أحمد ، وخسفت(٢) هنالك القبور ، وطفت الموتى على وجه الماء .

قال ابن الجوزي : وفي هذه السنة كثر المرض والموت .

وفيها : أقبل ملك الروم في جحافل كثيرة قاصداً بلاد الشام فردّه الله خائباً خاسراً خاسئاً(٣) وذلك لضيق حالهم من الميرة ، وأسر المسلمون ابنَ أخته ، ولله الحمد والمنة(٤) .

وحج بالناس [في هذه السنة](٥) قيماز الأرجواني ، أثابه الله تعالى .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن معالي بن بركة الحربي(٦) :

تفقّه بأبي الخطاب الكَلْوَذاني الحنبلي ، وبرع في النظر(٧) ، ودرّس وأفتى ، ثم صار بعد ذلك شافعيًّا ، ثم عاد حنبليًّا ، ووعظ ببغداد ، وتوفي في هذه السنة ، وذلك أنه دخلت به دابته(٨) في مكان ضيق ، فدخل قربوس سرجه في صدره(٩) ، فمات ، رحمه الله .

السلطان محمد شاه(١٠) بن [محمود بن محمد](١١) بن ملكشاه بن ألب أرسلان(١٢) :

لما رجع من محاصرة بغداد إلى همذان أصابه مرض السلّ ، فلم ينج منه ، بل توفي في ذي الحجة

---

(١) ط : فغرق .
(٢) آ ، ب : وتخسفت ، وفي المنتظم : وانخسفت .
(٣) ليس في آ .
(٤) عن آ وحدها .
(٥) ط : فيها .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٩٠) والوافي (٧/ ١١٢) وذيل ابن رجب (١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) والمنهج الأحمد (٢/ ٣١٦).
(٧) ط : وبرع وناظر .
(٨) ط : راحلته .
(٩) آ : بطنه .
(١٠) عن آ وحدها .
(١١) ليس في ب .
(١٢) ترجمته وأخباره في المنتظم (١٠/ ١٩١) وابن الأثير (٩/ ٦٦ ـ ٦٧) ووفيات الأعيان (٥/ ١٨٣) والعبر (٤/ ١٥٥) ومرآة الجنان (٣/ ٣٠٨) .

[من هذه السنة][١] ، وقبل وفاته بأيام أمر أن يعرض عليه جميع ما يملكه ويقدر عليه ، وهو جالس في المنظرة ، فركب الجيش بكماله ، وأُحضرت أمواله كلها ، ومماليكه حتى جواريه وحظاياه ، فجعل يبكي ويقول : هذه العساكر لا يدفعون عني مثقال ذرة[٢] ، ولا يزيدون في عمري لحظة ، ثم ندم وتأسّف على ما كان منه إلى الخليفة المقتفي وأهل بغداد ، وحصارهم وأذيّتهم . ثم قال : وهذه الخزائن والأموال والجواهر لو قبلهم ملك الموت مني فداءً لجدتُ بذلك جميعه له ، وهذه الحظايا والجواري الحسان والمماليك لو قبلهم فداءً مني لكنت بذلك سمحاً له . ثم قال : ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾[٣] [الحاقة : ٢٨ ـ ٢٩] . ثم فرّق شيئاً كثيراً[٤] من[٥] تلك الحواصل والأموال[٦] . وتوفي عن ولد صغير ، رحمه الله .

واجتمعت العساكر والأمراء على عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان[٧] مسجوناً بالموصل ، فأُفرج[٨] عنه ، وانعقدت السلطنة له[٩] ، وخُطب له على منابر تلك البلاد سوى بغداد والعراق ، والله[١٠] سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمئة

[ذكر وفاة الخليفة المقتفي[١١] وخلافة المستنجد][١٢]

فيها : كانت [وفاة أمير المؤمنين][١٣] الخليفة المقتفي بأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ،

---

(١) ط : منها .
(٢) بعدها في ط : من أمر ربي .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ليس في آ .
(٥) ط : من ذلك من تلك .
(٦) ب : الأموال والحواصل .
(٧) آ : وهو .
(٨) آ : وأخرج .
(٩) ط : له السلطنة .
(١٠) جملة التسبيح عن ط وحدها .
(١١) ترجمته وأخباره في المنتظم (١٠/ ٦٠ ـ ٦٢ و١٩٧) وابن الأثير (٩/ ٦٨) والروضتين (١/ ١٢٤) والعبر (٤/ ١٥٨) والفخري (٢٥٠) ومرآة الجنان (٣/ ٣٣٠) .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) عن ب وحدها .

[وأمه نسيم ، المدعوَّة ست السَّادة[١] ، سمراء من خيار الجواري][٢] . مرض بالتراقي ، وقيل : بدمَّل خرج[٣] في حلقه ، فمات ليلة الأحد ثاني ربيع الأول [من هذه السنة][٤] عن ست وستين سنة إلا ثمانية وعشرين يوماً . وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر[٥] يوماً ، ودفن[٦] بدار الخلافة ، ثم نقل إلى التُّرَبِ[٧] .

وقد كان شهماً شجاعاً مقداماً ، يباشر الأمور بنفسه ، ويشاهد الحروب ، ويبذل الأموال الكثيرة لأصحاب الأخبار . وهو أول[٨] من استبد بالعراق منفرداً عن السلاطين[٩] ، من أول أيام الديلم إلى أيامه ، وتمكن في الخلافة ، وحكم على العسكر والأمراء .

وقد وافق أباه في أشياء : من ذلك مرضه بالتراقي . وموته في ربيع الأول ، وتقدم موت السلطان محمد شاه قبله بثلاثة أشهر ، وكذلك [أبوه المستظهر مات قبله السلطان][١٠] محمود بثلاثة أشهر[١١] . [ومات المقتفي][١٢] بعد غرق بغداد بسنة ، وكذا الآخر[١٣] .

قال عفيف الناسخ : رأيت في المنام قائلاً يقول : إذا اجتمعت ثلاث خاءات مات المقتفي ، يعني سنة خمس وخمسين وخمسمئة .

خلافة المستنجد[١٤] بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي

لما توفي أبوه ، كما ذكرنا ، بويع هو بالخلافة في صبيحة يوم الأحد ثاني ربيع الأول من هذه السنة .

(١) آ : النادة . وهو تصحيف . المنتظم (١٠/ ٦١) .
(٢) عن آ وحدها .
(٣) آ ، ب : خرجت .
(٤) ط : منها .
(٥) ط : ستة وعشرين . المنتظم (١٠/ ١٩٧) .
(٦) هذه الجملة جاءت في ط قبل سطر .
(٧) آ ، ب : التراب . وهو تصحيف ، المنتظم (١٠/ ١٩٧) ، وكانت الترب بالرصافة .
(٨) ليس في ب .
(٩) ط : السلطان .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) ليس في آ .
(١٢) عن المنتظم (١٠/ ١٩٧) .
(١٣) ط : وبعد غرق بغداد بسنة مات أبوه وكذلك هذا .
(١٤) ترجمته وأخباره في المنتظم (١٠/ ١٩٢ ـ ١٩٤ و٢٣٦) وابن الأثير (٩/ ٦٨ ـ ٦٩) والروضتين (١/ ١٩٠ ـ ١٩١) والعبر (٤/ ١٩٤) والفخري (٢٥٥) ومرآة الجنان (٣/ ٣٧٩) .

بايعه أشراف بني العباس ، ثم الوزير والقضاة والعلماء والأمراء . وعمره يومئذ خمس وأربعون سنة . وكان رجلاً صالحاً . وكان[١] ولي عهد أبيه من مدة متطاولة . ثم عمل عزاء أبيه ، ولما خُطب له يوم الجمعة[٢] نُثرت الدراهم والدنانير على الناس ، وفرح المسلمون به بعد أبيه . وأقرّ الوزيرَ ابن هبيرة على منصبه ، ووعده بذلك إلى الممات . وعزل قاضي القضاة ابن الدامغاني وولّى مكانه أبا جعفر عبد[٣] الواحد بن الثقفي ، وكان شيخاً كبيراً ، له سماع بالحديث ، وباشر الحكم بالكوفة مدة[٤] . ثم توفي[٥] في ذي الحجة [من هذه السنة][٦] فولّي مكانه ولده[٧] جعفر المذكور .

وفي شوال من هذه السنة اتفق الأتراك بباب همذان على خلع[٨] سليمان شاه . وخطبوا لأرسلان شاه ابن طغرل .

وفيها توفي الفائز بنصر الله الفاطمي صاحب مصر[٩] : وهو أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر .

[وكانت وفاته][١٠] في صفر [منها][١١] ، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة ، ومدة ولايته من ذلك ست سنين وشهران ، وكان مدبّر دولته أبو الغارات[١٢] . ثم قام بعده العاضد[١٣] آخر خلفائهم ، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ، ولم يكن أبوه خليفة ، وكان يومئذ قد ناهز[١٤] الاحتلام ، فقام بتدبير مملكته الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك الوزير ، أخذ له البيعة وزوّجه بابنته ، وجهّزها بأمر[١٥] عظيم

(١) آ : وهو .
(٢) ط : ولما ذكر اسمه يوم الجمعة في الخطبة .
(٣) ط : أبا جعفر بن عبد الواحد . وهو تصحيف .
(٤) عن آ وحدها .
(٥) آ ، ب : فتوفي .
(٦) ط : منها .
(٧) ليس في ب .
(٨) ليس في ط .
(٩) ترجمته في المنتظم (١٠/١٩٦) وابن الأثير (٩/٦٨) والروضتين (١/ ١٢٤) ووفيات الأعيان (٤/ ٤٩١ ـ ٤٩٤) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٣/٢٨ ـ ٢٩) والعبر (٤/ ١٥٦ و١٥٧ ـ ١٥٨) ومرآة الجنان (٣/ ٣٠٨) .
(١٠) ط : توفي .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) سترد ترجمته في سنة ٥٥٦ من هذا الجزء .
(١٣) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٦٧ من هذا الجزء .
(١٤) آ : نافذ .
(١٥) ط : بجهاز .

يعجز عنه الوصف ، وقد[١] عُمِّرت بعد زوجها العاضد ، ورأت زوال دولة الفاطميين على يد الملك [صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي][٢] في سنة أربع وستين ، كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله تعالى .

وفيها : كانت وفاة السلطان الكبير صاحب غزنة **خسروشاه**[٣] **بن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين** من بيت مُلك[٤] ورئاسة باذخة يرثونها كابراً عن كابر ، وكان من سادات الملوك وأحسنهم سيرة ، يحب العلم وأهله . وكانت وفاته في رجب من هذه السنة .

وقام من بعده ولده ملكشاه ، فسار إليه علاء الدين الحسين بن ملك الغور[٥] ، فحاصر غزنة مدة ، فلم يقدر عليها فرجع خائباً .

وفيها : مات **السلطان ملكشاه**[٦] **بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي** بأصبهان مسموماً ، فيقال : إن الوزير عون الدين بن هبيرة دسّ إليه من سقاه إياه ، والله أعلم .

وفيها : مات **أمير الحاج قايماز**[٧] **بن عبد الله الأُرجواني**[٨] . سقط عن[٩] فرسه ، وهو يلعب بالكرة بميدان الخليفة ، فسال دماغه من أذنه ، فمات من ساعته ، رحمه الله . وقد كان من خيار الأمراء ، فتأسّف الناس عليه ، وحضر جنازته خلق كثير . مات[١٠] في شعبان من هذه السنة ، فحجَّ بالناس فيها الأمير بزغش مقطِّع الكوفة .

وحج في هذه السنة الأمير الكبير شيركوه بن شاذي ، مقدم عساكر الملك نور الدين [محمود بن زنكي][١١] ، وتصدّق بأموال كثيرة .

وفيها : استعفى القاضي زكي الدين[١٢] أبو الحسن علي بن [محمد بن يحيى بن علي القرشي من

---

(١) ليس في آ .
(٢) ط : صلاح الدين بن يوسف . وهو تصحيف .
(٣) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٧٠) والعبر (٤/ ١٥٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٩٢) .
(٤) آ : الملك .
(٥) ط : بن الغوري . وترجمته في ابن الأثير (٩/ ٧٤) .
(٦) ترجمته في المنتظم (٩/ ٦٩ و١٠/ ١٩٨) وابن الأثير (٩/ ٧١) والعبر (٣/ ٣٠٩) .
(٧) ط : قيماز .
(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٩٦ ـ ١٩٧) وابن الأثير (٩/ ٧١) .
(٩) آ ، ب : من .
(١٠) في آ : « كان » ، وما هنا من ب ط .
(١١) ليس في ط .
(١٢) آ : ركن الدين ، وهو تصحيف ، والخبر في ابن القلانسي (٥٤٨) والكواكب الدرية (١٥٩) والروضتين (١/ ١٢٤) .

القضاء بدمشق ، فأعفاه الملك][1] نور الدين ، وولّى مكانه القاضي كمال الدين محمد بن][2] عبد الله الشهرزوري . وكان من خيار القضاة ، وأكثرهم صدقة ، وله صدقات جارية بعده ، وكان عالماً بارعاً ، وإليه ينسب الشبَّاك الكمالي الذي [يجلس فيه الحكام بعد صلاة الجمعة من المشهد الغربي بالجامع الأموي][3] .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الأمير مجاهد الدين بُزان بن مامين الكردي[4] :

أحد مقدمي جيش الشام ، قبل الملك نور الدين وبعده . وقد ناب في مدينة صرخد مدة . وكان شهماً شجاعاً كثير البِرِّ والصدقات والصِّلات ، وهو واقف المدرسة المجاهدية[5] بالقرب من النورية[6] ، جوار الخيميين . وله أيضاً المدرسة المجاهدية التي داخل باب الفراديس البرَّاني ، وبها قبره . وله السبع المجاهدي داخل باب الزيادة من الجامع بمقصورة الخضر . [وكانت وفاته بداره في صفر من هذه السنة][7] ، فحُمل إلى الجامع ، وصُلّيَ عليه ، ثم أعيد إلى مدرسته ، فدفن بها داخل باب الفراديس . وتأسَّفَ الناس عليه ، رحمه الله ورضي الله تعالى عنه .

الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان ، الهكاري شيخ الطائفة العدوية[8] : أصله من البقاع غربي دمشق من قرية بيت

(١) ليس في ط .
(٢) ليس في ب .
(٣) آ ، ب : يجلس فيه الحكام في الجامع بعد صلاة الجمعة .
(٤) ورد اسمه في ب ، ط : نزار ، وهو كما هنا عند ابن القلانسي (٥٤٧) والروضتين (١/ ١٢٣) ووفيات الأعيان (١/ ٢٤١) ، وتاريخ الإسلام (١٢/ ٩٠) .
(٥) لمجاهد الدين في دمشق مدرستان : إحداهما تسمى المجاهدية الجوانية بالقرب من باب الخواصين بالقرب من النورية ، درست . والثانية تسمى المجاهدية البرانية بين بابي الفراديس ، وهي موجودة إلى الآن ، وتسمى جامع السادات ، وبها دفن . الدارس (٢/ ٣٣٢) ومختصر تنبيه الطالب (٧١ ـ ٧٢) ومنادمة الأطلال (١٤٦ ـ ١٤٨) .
(٦) ط : الغورية . تصحيف .
(٧) ط : توفي بداره في صفر منها .
(٨) عدي بن مسافر ، ولد في بلدة من بعلبك ، وتوجه بعد ذلك إلى الهكارية ، من أعمال الموصل ، وبني له في جبل الهكارية زاوية ، وانقطع للعبادة ، وكان زاهداً عابداً ناسكاً ، وتبعه خلق جاوز اعتقادهم الحد ، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها ، وهذا شرك يؤدي إلى الخروج من الدين جملة كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ، وكان بعض الغلاة يقولون : إن زيارة قبره أفضل من الحج وزيارة القدس ، وبعض أتباعه من الطائفة العدوية يقولون : قد تحمل عنا صومنا وصلاتنا ، وسيذهب بنا يوم القيامة إلى الجنة من دون عتاب أو عقاب . وهذا كفر نعوذ بالله من ذلك . (ع) . وترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) والعبر (٤/ ١٦٣) ومرآة الجنان (٣/ ٣١٢ ـ ٣١٣) ووفاته=

فار[(١)] ، ثم رحل[(٢)] إلى بغداد ، فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر [الجيلاني] والشيخ حمّاد الدبّاس ، والشيخ عقيل المنبجي وأبي الوفاء الحلواني ، وأبي النجيب السهروردي وغيرهم . ثم انفرد عن الناس بجبل هكّار ، وبني له هنالك[(٣)] زاوية . [واعتقد فيه][(٤)] أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغاً ، حتى إن منهم من يغلو فيه غلوّاً كثيراً[(٥)] منكراً ، ومنهم من يجعله إلهاً أو شريكاً ، وهذا اعتقاد فاحش يؤدِّي إلى الخروج من الدين جملة . ثم كانت وفاته[(٦)] في هذه السنة بزاويته وله تسعون[(٧)] سنة ، [رحمه الله][(٨)] .

عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن حمزة ، أبو جعفر الثقفي[(٩)] :

قاضي قضاة بغداد ، وليها بعد عزل أبي الحسن بن الدامغاني في أول هذه السنة . وكان قاضياً بالكوفة قبل ذلك . [ثم كانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة][(١٠)] ، وقد ناهز الثمانين ، وولي بعده ابنه جعفر .

الفائز صاحب مصر : [تقدم في الحوادث][(١١)] .

قيماز الأُرجواني : تقدم أيضاً .

الخليفة المقتفي أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد المستظهر : تقدمت ترجمته عند ذكر وفاته .

= في المصدرين الأخيرين سنة ٥٥٧ ، وقد ذكر ابن خلكان السنتين معاً . قال بشار : ووفاته سنة سبع أصح ، فقد قال الذهبي في تاريخ الإسلام بعد أن نقل التاريخين عن ابن خلكان : « قرأت بخط الحافظ الضياء : سمعت الشيخ نصر يقول : قدم الشيخ عدي الموصل سنة ست وخمسين وفيها أخذ من شعري ، وتوفي يوم عاشوراء وقت طلوع الشمس سنة سبع » (تاريخ الإسلام ١٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠) والرجل كان صالحاً ناسكاً سنيًّا ، وقد صحبه الحافظ عبد القادر الرهاوي المتوفى سنة ٦١٢هـ وأثنى عليه ثناءً عاطراً نقله الذهبي في تاريخ الإسلام ، ولا علاقة له بمن يغلو فيه ويجاوز الحد .

(١) آ : مار ، ط : نار . وكلاهما تصحيف . والخبر في وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٤) .

(٢) ب ، ط : دخل .

(٣) ط : انفرد عن الناس وتخلى بجبل هكار وبني له هناك . وهكار في جزيرة ابن عمر كما في معجم البلدان (الهكاريّة) .

(٤) ط : واعتقده .

(٥) آ : كبيراً .

(٦) ط : مات .

(٧) ب ، ط : سبعون . وهو تصحيف لأن الشيخ عدي ولد سنة ٤٦٧ ، العبر (٤/ ١٦٣) والأعلام (٥/ ١١) .

(٨) ليس في آ .

(٩) ترجمته في المنتظم (٧/ ١٩٦) والعبر (٤/ ١٥٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٩٤) ومرآة الجنان (٣/ ٣٠٨) .

(١٠) ط : توفي في ذي الحجة منها .

(١١) ط : تقدما في الحوادث .

محمد بن يحيى بن علي بن مسلم ، أبو عبد الله الزَّبِيدي[١] :

مولده[٢] بمدينة زَبِيد باليمن تقريباً[٣] سنة ثمانين . وقدم بغداد سنة تسع وخمسمئة فوعظ . وكانت له معرفة بالنحو والأدب ، وكان صبوراً على الفقر لا يشكو حاله إلى أحد ، وكانت له أحوال صالحة ، رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمئة

فيها : قُتل السلطان سليمان شاه[٤] بن محمد بن ملكشاه ، وكان عنده تهوّر[٥] وقِلَّة مبالاة بالدِّين ، يدمن[٦] شرب الخمر حتى في رمضان ، فثار عليه مدبّر مملكته كردَبازو[٧] الخادم ، فقتله ، وبايع بعده السلطان أرسلان شاه بن طُغْرُل بن محمد بن ملكشاه .

وفيها : قتل الملك الصالح فارس الدين أبو الغارات طلائع بن رُزِّيك[٨] الأرمني ، [وزير العاضد صاحب مصر ووالد زوجته ، وكان قد حجر على العاضد لصغره][٩] ، واستحوذ على الأمور ، فقتلته الحاشية ووزَر بعده ولده رُزّيك ، ولقب بالعادل ، وقد كان أبوه الصالح كريماً أديباً ، يحب أهل العلم ، ويحسن إليهم . كان[١٠] من خيار الملوك والوزراء . وقد امتدحه غير واحد من الشعراء والأدباء .

قال القاضي ابن خَلّكان[١١] : كان أولاً متولياً بمنية بني خصيب ، ثم آل به الحال إلى أن وزَر للفائز[١٢] وذهبت له وزارة عباس في سنة تسع وأربعين ، ثم لما هلك في هذه السنة قام في الوزارة بعده ولده العادل رُزّيك بن طلائع ، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سيأتي .

---

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ١٩٧ ـ ١٩٨) ومعجم الأدباء (١٩/ ١٠٦ ـ ١٠٨) وابن الأثير (٩/ ١٧) ووفيات الأعيان (٦/ ٢٣١ و٢٤٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٢) .

(٢) ط : ولد .

(٣) ط : سنة ثمانين تقريباً .

(٤) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٧٢) والعبر (٤/ ١٦٠) ومرآة الجنان (٣/ ٣١٠) .

(٥) ط : استهزاء .

(٦) ط : مدمن .

(٧) ب : ودبازوه . ط : بزدياد . وما أثبتناه عن آ والكامل لابن الأثير .

(٨) ترجمته في خريدة القصر ـ مصر ـ (١/ ١٧٣) وابن الأثير (٩/ ٧٢) والروضتين (١/ ١٢٤ ـ ١٢٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٥٢٦ ـ ٥٣٠) والعبر (٤/ ١٦٠) ومرآة الجنان (٣/ ٣١٠ ـ ٣١٢) .

(٩) ليس في ط .

(١٠) عن ط وحدها .

(١١) النص مختلف الرواية في وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٦) .

(١٢) ط : إلى أن صار وزير العاضد والفائز قبله .

قال[١] : والصالح هذا هو باني الجامع[٢] عند باب زويلة ظاهر القاهرة .

قال[٣] : ومن العجائب أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر ، وقتل في تاسع عشر شهر ، ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر آخر[٤] ، وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر .

قال[٥]: ومن شعره مما رواه عنه الواعظ زين الدين علي بن نجا[٦] الحنبلي ، وهو قوله[٧] : [من الوافر]

مَشيبُكَ قَدْ نَضا[٨] صبْغَ الشَّبابِ وَحَلَّ البازُ في وَكْرِ الغُرابِ
تَنامُ وَمُقْلَةُ الحدَثانِ يَقْظى وَما نابَ النَّوائب عنك نابي
وَكَيْفَ بَقاءُ عُمْرِكَ وَهْوَ كَنْزٌ وَقَدْ أَنْفَقْتَ منه بلا حِسابِ

وقوله[٩] : [من الكامل][١٠]

كَمْ ذا يُرينا الدَّهْرُ مِنْ أَحْداثِهِ عِبَراً وفينا الصَّدُّ والإِعْراضُ
نَنْسَى[١١] المماتَ وَلَيْسَ يَجْرِي ذِكْرُهُ فينا فَتُذْكِرنا بِه الأَمْراضُ

ومن شعره الجيّد أيضاً قوله[١٢] : [من الطويل]

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٩) .
(٢) قال المقريزي : عرف بمسجد بني عبيد الله ، وبمسجد القبة ، وبمسجد العزاء ، والذي بناه الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر ، وكان في أعلاه مناظر ، وعمارته متقنة الزي ، وأدركته عامراً إلى ما بعد سنة ثمانمئة . خطط المقريزي - بولاق - (٢/ ٤٤٦) .
(٣) وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٠) .
(٤) عن آ وحدها .
(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٧) .
(٦) اسمه في وفيات الأعيان : أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الملقب زين الدين المعروف بابن نُجَية الواعظ المشهور الدمشقي . وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٩ من هذا الجزء .
(٧) الأبيات في وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٧) ومرآة الجنان (٣/ ٣١١) .
(٨) ط : محى .
(٩) ط : وله وليست اللفظة في ب .
(١٠) البيتان في وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٦) ومرآة الجنان (٣/ ٣١٠ - ٣١١) .
(١١) آ : تنسى .
(١٢) الأبيات خمسة عند ابن الأثير (٩/ ٧٥) بإضافة البيتين التاليين :

قرانا إذا رحنا إلى الحرب مرة قرانا ومن أضيافنا الذئب والنسرُ
كما أننا في السلم نبذل جهدنا ويرتع في أنعامنا العبد والحرُّ

أَبـى اللهُ إلا أَنْ يَـديـنَ لنـا الـدَّهْـرُ وَيَخْدِمُنا في مُلْكِنا النَّهْيُ والأَمْرُ[١]
عَلِمْنـا بـأَنَّ المـالَ تَفْنـى أُلـوفُـهُ وَيَبْقَى لَنا مِنْ بَعْدِهِ الأَجْرُ والذِّكْرُ
خلطنا النَّدى بالبأس[٢] حَتَّى كَأَنّنا سَحابٌ لَدَيْهِ البَرْقُ والرَّعْدُ والقَطْرُ[٣]

وله أيضاً ، مما نظمه قبل موته بثلاث ليالٍ[٤] : [من الخفيف]

نَحْـنُ فـي غَفْلَـةٍ وَنَـوْمٍ وَلِلْمَـوْ تِ عُيـونٌ يَقْظَـانَـةٌ لا تنـامُ
قَـدْ رَحَلْنـا إلـى الحِمـامِ سِنينـا لَيْـتَ شِعْـري مَتَـى يكـونُ الحِمـامُ

ثم قتله غلمان العاضد في النهار غِيلة ، وله إحدى وستون سنة ، وخلع على ولده العادل بالوزارة . ورثاه عُمارة اليمني[٥] بقصائد[٦] حسان .

ويوم[٧] نُقل [من الوزارة][٨] إلى تربته بالقرافة سار العاضد معه حتى وصل إلى قبره فدفنه في التابوت .

قال القاضي ابن خلكان : فعمل الفقيه عُمارة في ذلك قصيدة[٩] طويلة أجاد فيها ، فمن ذلك في صفة التابوت قوله : [من الكامل][١٠]

وَكَـأَنَّـهُ تـابـوتُ مُـوسَـى أُودِعَـتْ فـي جـانِبَيْـه سَكِينَـةٌ وَوَقـارُ

[وفيها : أوقعت بنو خفاجة بأهل الكوفة وقعة عظيمة ، فقتلوا خلقاً][١١] ، منهم الأمير قيصر ، وجرحوا أمير الحاج بزغش جراحات . فنهض إليهم وزير الخلافة عون الدين ابن هبيرة في جيش ، فتبعهم حتى أوغل خلفهم في البرية ، في جيش كثيف ، فبعثوا يطلبون العفو .

---

(١) ط : العز والنصر .
(٢) ب : بالناس .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) البيتان في الروضتين (١/ ١٢٥) وابن الأثير (٩/ ٧٥) .
(٥) ط : التميمي . تصحيف . وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٦٩ .
(٦) أورد أبو شامة شيئاً منها في الروضتين (١/ ١٢٥ ـ ١٢٧) .
(٧) ط : ولما .
(٨) ليس في ط .
(٩) القصيدة في ٤١ بيتاً في الروضتين (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧) .
(١٠) البيت هو العاشر من القصيدة في الروضتين (١/ ١٢٦) وهو وحده في وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٩) .
(١١) ط : وفيها كانت وقعة عظيمة بين بني خفاجة وأهل الكوفة فقتلوا من أهل الكوفة خلقاً .

وفيها : ولي مكة الشريف عيسى بن قاسم بن أبي هاشم[١] ، ـ وقيل : قاسم ـ بن فليتَة[٢] بن قاسم ابن أبي هاشم .

وفيها : أمر الخليفة المستنجد بإزالة الدكاكين التي تضيِّق الطرقات ، وألا يجلس أحد من الباعة في عرض الطريق[٣] لئلا يضرّ ذلك بالمارة[٤] .

وفيها : وقع رخص عظيم ببغداد جداً .

وفيها : فتحت المدرسة التي بناها ابن الشَّمَحْل في المأمونية ، ودرّس فيها أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني الحنبلي[٥] ، وقد توفي في آخر هذه السنة ، ودرّس فيها بعده الشيخ أبو الفرج بن الجوزي ، وقد كان عنده معيداً ، ونزل له عن تدريسٍ آخر بباب الأزَج عند موته .

وممن توفي فيها من الأعيان :

حمزة بن علي بن طلحة ، أبو الفتوح الحاجب[٦] :

وكان خصيصاً عند المسترشد والمقتفي أيضاً . وقد بنى مدرسة إلى جانب داره . وحج فرجع متزهِّداً ، ولزم[٧] بيته معظَّماً نحواً من عشرين سنة . وكانت وفاته في هذه السنة . وقد امتدحه بعضهم[٨] فقال : [من السريع][٩]

يا عَضدَ الإِسْلامِ يا مَنْ سَمَتْ   إلـى العُـلاَ هِمَّتُـهُ الفـاخِـرَهْ
كانَتْ لَكَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَرْضَها   مُلْكـاً فَـأَخْلَـدْتَ إلَـى الآخِـرَهْ

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمئة

فيها : دخلت الكرج بلاد المسلمين ، فقتلوا خلقاً من الرجال ، وأسروا من الذراري أمماً ، [فاجتمع

(١) ليس في ب .
(٢) ط : أبي فليتة .
(٣) آ : الطرقات .
(٤) آ ، ب : لئلا تضر بالمارة .
(٥) له ترجمة في العبر (٤/ ١٥٩) وذيل ابن رجب (١/ ٢٣٩) .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٠٢) وابن الأثير (٩/ ٧٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١١) .
(٧) آ : فلزم .
(٨) ط : الشعراء .
(٩) البيتان في المنتظم (١٠/ ٢٠٢) .

لحربهم][(١)] ملوك تلك الناحية : ايلدكز صاحب أذربيجان ، وابن مسكمان صاحب خلاط ، وابن قراسنقر[(٢)] صاحب مراغة . وساروا إلى بلادهم في السنة الآتية فنهبوها ، وأسروا ذراريهم ، والتقوا معهم ، فكسروهم كسرة ذريعة فظيعة منكرة ، مكثوا يقتلون فيهم ، ويأسرون ثلاثة أيام .

وفي رجب أُعيد يوسف الدمشقي إلى تدريس النظامية بعد عزل ابن نظام الملك بسبب أن امرأة ادّعت أنه تزوّجها فأنكر ، ثم اعترف ، فعزل عن التدريس .

وفيها : كملت المدرسة التي بناها الوزير ابن هبيرة بباب البصرة ، ورتَّب فيها[(٣)] مدرِّساً وفقيهاً .

وحجَّ بالناس أمير الكوفة بزغش .

وممن توفي فيها من الأعيان :

شجاع[(٤)] شيخ[(٥)] الحنفية بمشهد أبي حنيفة : [ودفن عند المشهد . وكان شيخ الحنفية بمشهد أبي حنيفة][(٦)] . وكان جيد الكلام في النظر . أخذ عنه الحنفية . ودفن عند المشهد .

صدقة بن وزير الواسطي[(٧)] : دخل بغداد ووعظ بها ، وأظهر تقشفاً زائداً . وكان يميل إلى التشيّع وعلم الكلام ، ومع هذا كله راج عند العوام وبعض الأمراء ، وحصل له فتوح كثير . ابتنى منه رباطاً ، ودفن فيه ، سامحه الله .

زمرد[(٨)] خاتون بنت جاولي أخت الملك دُقاق[(٩)] بن تُتُش لأمه :

وهي بانية الخاتونية البرَّانية[(١٠)] بدمشق ظاهرها عند قرية صنعاء[(١١)] بمكان يقال له : تل الثعالب غربي

---

(١) ليس في ط .
(٢) ط : آقسنقر .
(٣) آ : بها .
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٠٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٢٦) والجواهر المضية (٢/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) واسمه في الأخير : الحسن بن الفضل البغدادي ، أبو الغنائم
(٥) ليس في آ .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٠٤) وابن الأثير (٩/ ٨٠) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٢٦) واسمه : صدقة بن الحسين ابن أحمد بن محمد بن وزير .
(٨) ترجمتها في تاريخ دمشق (٦٩/ ١٦٧ ـ ١٦٨) وابن الأثير (٨/ ٣٥٩) والأعلاق الخطيرة (٢١٨) والعبر (٤/ ١٦٢) . وقد سقطت هذه الترجمة بكاملها من آ .
(٩) ط : دقماق . تصحيف .
(١٠) الأعلاق الخطيرة (٢١٨) ومنادمة الأطلال (١٦٧ ـ ١٦٨) .
(١١) قال محمد كردعلي : صنعاء دمشق قرية كانت بين المزة ودمشق محاذية لما كان يقال له تل الثعالب الذي بني في=

دمشق على جانب الشرف[١] القبلي بصنعاء الشام ، وهي قرية معروفة قديماً . وأوقفتها على الشيخ برهان الدين علي بن محمد البلخي الحنفي المتقدم ذِكره .

وكانت زوجة الملك بوري بن طُغْتكين ، فولدت له ابنيه شمس الملوك إسماعيل المذكور وقد تملك[٢] بعد أبيه ، فساءت سيرته ، وصادر الناس ، ومالأ الفرنج على المسلمين ، وهمّ بتسليم [البلد والأموال][٣] إليهم فقتلوه . وتملك أخوه ، وذلك بعد مراجعتها ومساعدتها .

وقد كانت قرأت القرآن العظيم ، وسمعت الحديث ، وكانت حنفية المذهب ، تحب العلماء والصالحين . وقد تزوجها الأتابك زنكي صاحب حلب ، طمعاً في أن يأخذ بسببها دمشق ، فلم يظفر بطائل[٤] ، بل ذهبت إليه إلى حلب ، ثم عادت إلى دمشق بعد وفاته . وقد دخلت بغداد ، وسارت من هناك إلى الحجاز الشريف ، وجاورت بمكة سنة ، ثم عادت[٥] فأقامت بالمدينة النبوية حتى ماتت بها ، ودفنت بالبقيع في هذه السنة . وقد كانت كثيرة البر والصدقات والصلات والصوم والصلوات .

قال السبط : ولم تمت حتى قلّ ما بيدها . وكانت تغربل القمح والشعير ، وتتقوت بأجرتها[٦] ، وهذا من تمام الخير والسعادة وحسن الخاتمة رحمها الله تعالى ، والله أعلم[٧] .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمئة

فيها : مات صاحب المغرب عبد المؤمن بن علي ، [تلميذ ابن التومرت وخليفته من بعده بمدينة سَلا . فصبَّره ابنه يوسف وحمله إلى مراكش في صفة أنه مريض][٨] . فلما وصلها أظهر موته فعزّاه الناس وبايعوه على الملك من بعده ، ولقبوه أمير المؤمنين .

= موضعه مسجد خاتون المشرف على بانياس والمرج الأخضر ، وهي من القرى التي نزلها اليمانيون وسمّوها باسم عاصمة قطرهم ، ومنذ القرن السادس أصبحت صنعاء دمشق مزرعة وهي لعهدنا بساتين . غوطة دمشق (١٧٤) .

(١) ط : الشرق . تصحيف .
(٢) ط : ملك بعد أبيه وسار سيرته .
(٣) ب : دمشق .
(٤) في ط : بذلك .
(٥) ط : ثم جاءت فأقامت .
(٦) ط : بأجرته .
(٧) الجملة الأخيرة عن ط وحدها .
(٨) ط : التومرتي وخلفه في الملك من بعده ابنه يوسف وحمل أباه إلى مراكش على صفة أنه مريض ، وسَلَا : مدينة بأقصى المغرب . قلت : وتقع اليوم بجانب مدينة الرباط في المملكة المغربية . معجم البلدان (سلا) .

وقد كان عبد المؤمن حازماً شجاعاً جواداً معظِّماً للشريعة . وكان[١] [من لا يحافظ على الصلوات في زمانه يُقتل . [وكان إذا أذّن المؤذن ، وقبل الأذان يزدحم الخلق في المساجد . وكان حسن الصلاة ذا طمأنينة فيها ، كثير الخشوع ، ولكن][٢] كان سفّاكاً للدماء حتى على الذنب الصغير ، فأمره إلى الله يحكم فيه بما يشاء .

وفيها : قُتل الملك سيف الدين[٣] محمد بن علاء الدين الغوري ، قتله الغز وكان عادلاً .

وفيها : كبست الفرنج نور الدين وجيشه ، فانهزم المسلمون ، لا يلوي أحد على أحد . ونهض الملك نور الدين ، فركب فرسه والشبحة[٤] في رجله ، فنزل رجل كردي ، فقطعها حتى سار[٥] السلطان نور الدين فنجا ، وأدركت الفرنج ذلك الكرديَّ ، فقتلوه ، رحمه الله . فأحسن نور الدين إلى ذريّته ، وكان لا ينسى ذلك له .

وفيها : أمر الخليفة بإجلاء بني أسد عن الحلَّة ، وقتل مَنْ تخلّف منهم ، وذلك لإفسادهم ومكاتبتهم السلطان محمد شاه ، وتحريضهم له على حصار بغداد ، فقتل من بني أسد أربعة آلاف ، وخرج الباقون منها ، وتسلّم نواب الخليفة الحلة المزيدية .

وحجّ بالناس في هذه السنة الأمير بزغش الكبير[٦] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

السلطان الكبير أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي[٧] ، تلميذ ابن تومرت[٨] : كان أبوه يعمل في الطين فاعلاً[٩] ، فحين وقع نظر ابن التومرت عليه أحبّه ، وتفرّس فيه أنه شجاع سعيد ، فاستصحبه فعظم في شأنه ، والتفّت[١٠] عليه العساكر التي جمعها ابن التومرت من المصامدة وغيرهم ،

---

(١) ليس في ط .
(٢) ليس في ط .
(٣) ليس في آ .
(٤) الشبحة : قيد تقيد به رجلا الفرس الأماميتان .
(٥) في ط : فسار .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) في (ط) : « الكوفي » ، وهو تحريف ، والكومي : منسوب إلى كومية من البربر .
(٨) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٨١ ـ ٨٢) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٣٧ ـ ٢٤١) والعبر (٤/ ١٦٥) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٣٩ ـ ١٥٠) ومرآة الجنان (٣/ ٣١٥ ـ ٣١٨) .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) آ : والتف .

وحاربوا صاحب مراكش علي بن يوسف بن تاشفين ، ملك الملثّمين ، فاستحوذ(١) عبد المؤمن على وهران وتلمسان وفاس وسَلاَ وسبتة ، ثم حاصر مراكش أحد عشر شهراً ، فافتتحها في سنة ثنتين وأربعين وخمسمئة ، وتمهدت له الممالك هناك ، وصفا له الوقت .

وكان عاقلاً حازماً(٢) وقوراً شكلاً حسناً محباً للخير . [وكانت وفاته في سنة ثمان وخمسين ، وله في الملك ثلاث وثلاثون سنة](٣) . وكان يسمي نفسه أمير المؤمنين .

طلحة بن علي بن طراد ، أبو أحمد الزينبي ، نقيب النقباء(٤) :

مات فجأةً رحمه الله ، وولي من بعده النقابة ولده أبو الحسن(٥) علي وكان أمرد ، فعزل [في هذه السنة ، وصودر](٦) .

محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم [بن عبد الكريم](٧) ، أبو عبد الله المعروف(٨) بابن الأنباري(٩) :

كاتب الإنشاء ببغداد ، وكان شيخاً حسناً ظريفاً . وانفرد بصناعة الإنشاء وبُعث رسولاً إلى الملك سَنجر وغيره ، وخدم الملوك والخلفاء . وقارب التسعين . ومن شعره [في محبي الدنيا والصور](١٠) قوله : [من مخلع البسيط](١١)

يا مَنْ هَجَرْتِ فما(١٢) تبالي ... هَلْ ترجعُ دَوْلَةُ الوصالِ
ما أَطْمَعُ(١٣) يا عَذابَ قَلْبي ... أَنْ يَنْعَمَ في هَواكِ بالي
الطَّرْفُ كما عَهِدت باكٍ ... والجِسْمُ كما تَرَيْنَ بالي(١٤)

---

(١) ط : واستحوذ .
(٢) عن آ وحدها .
(٣) ط : توفي في هذه السنة ومكث في الملك ثلاثاً وثلاثين سنة .
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٠٦) .
(٥) ط : وصودر هذه السنة .
(٦) آ : أبو القاسم .
(٧) ليس في ط .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٠٦) وابن الأثير (٩/ ٨٤) والعبر (٤/ ١٦٥ ـ ١٦٦) والوافي (٣/ ٢٧٩) .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) الأبيات أحد عشر بيتاً في المنتظم (١٠/ ٢٠٧) منسوبة لهبة الله بن الفضل بن عبد العزيز المتوثي ، والخمسة الأولى منها في ابن الأثير (٩/ ٨٤) .
(١٢) ط : ولا .
(١٣) البيت عن آ وحدها .
(١٤) ط : هل أطمع .

مـــا ضَــــرَّكِ أن تُعَلِّلينـــي ... في الوَصْل[١] بمَوْعِدٍ مُحالِ
أهـواكِ وأنـتِ حـظُّ غيـري ... يـا قـاتِلَتي[٢] فمـا احْتِيـالـي
أيـام عنـاي فيـك[٣] سـود ... مـا أشبههـن بـالليـالـي
العــذّلُ فيـكِ يعـذلـونـي ... عـن حبّـك مـا لهـم ومـالـي
يـا ملـزمتـي السلـوَّ عنهـا ... الصّـبُّ أنـا وأنـت سـالـي
والقـول بتـركهـا صـوابٌ ... مـا أحسنـهُ لـو استوى لـي[٤]
طلّقــتُ تجلّــدي ثــلاثــاً ... والصَّبْـوةُ بعـدُ فـي خيـالـي[٥]

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمئة

فيها : قدم شاوَر بن مُجير[٦] ، أبو شُجاع السَّعدي الملقب بأمير الجيوش ، وهو إذ ذاك وزير الديار المصرية بعد آل رُزِّيك . لما قتل الناصر رُزِّيك [بن طلائع][٧] ، وقام بالوزارة بعده ، واستفحل أمره فيها ، ثار عليه أمير يقال له الضرغام بن سوَّار[٨] ، وجمع له جموعاً كثيرة ، واستظهر عليه ، وقتل ولديه طَيّاً[٩] وسليمان ، وأسر الثالث ، وهو الكامل بن شاور ، فسجنه ولم يقتله ليدٍ كانت لأبيه عنده .

واستوزر ضرغام بعده ، ولقّب بالمنصور ، فخرج شاوَر من الديار المصرية هارباً من العاضد وضرغام ، ملتجئاً إلى نـور الدين محمود ، [فأمر له نـور الدين بجوسق الميدان الأخضر ، وأحسن ضيافته وكرامته][١٠] ، وطلب منه شاور عسكراً ليكونوا معه ليفتح بهم الديار المصرية ،

---

(١) آ : بالموصل .
(٢) آ : يا قاتلي .
(٣) ط : قبل .
(٤) بعده في المنتظم :
فـي طـاعتهـا بـلا اختيـاري ... قـد صَـحَّ بِعِشْقهـا اختيـالـي
(٥) بعده في المنتظم :
ذا الحكـم علـى مـن قضـاه ... مـن أَرْخَصَنِـي لكـلِّ غـالـي
(٦) ط : مجير الدين ، وليست لفظة الدين لدى أحد ممن ترجموا لشاور ، ابن الأثير (٩/ ٩٩ ـ ١٠١) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٣) والعبر (٤/ ١٨٦) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) في الروضتين (١/ ١٣٠) : ضرغام بن سواد ، وفي الكواكب الدريّة : ضرغام بن ثعلبة ، وفي وفيات الأعيان (٢/ ٤٤٠) : أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوّار ، الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري ، نائب الباب .
(٩) ط : طيباً . والخبر في الروضتين (١/ ١٣٠ و١٣١) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٤٠) .
(١٠) ط : وهو نازل بجوسق الميدان الأخضر فأحسن ضيافته وأنزله بالجوسق المذكور .

ويكون[١] لنور الدين ثلث مغلّها . فأرسل معه جيشاً عليهم أسد الدين شيركوه بن شاذي .

فلما دخلوا بلاد مصر خرج إليهم الجيش الذي بها ، فاقتتلوا أشدّ القتال ، فهزمهم أسد الدين ، وقتل منهم [خلقاً ، وقتل][٢] ضرغام بن سوّار ، وطيف[٣] برأسه في البلاد .

واستقرّ أمر شاور في الوزارة ، وتمهّد حاله . ثم اصطلح العاضد وشاور على أسد الدين ، ورجع شاور[٤] عما كان عاهد عليه نور الدين ، وأمر أسد الدين بالرجوع ، فلم يقبل منه ، وعاث في البلاد وأخذ أموالًا كثيرة ، وافتتح بلداناً كثيرة من الشرقية وغيرها ، فاستعان شاور عليهم بملك الفرنج الذي بعسقلان ، واسمه مري ، فأقبل إليه[٥] في خلق كثير ، فتحوّل أسد الدين إلى بلبيس ، وقد حصّنها وشحنها بالعُدَد والآلات وغير ذلك ، فحصروه فيها ثمانية أشهر . وامتنع أسد الدين وأصحابه أشدّ الامتناع .

فبينما هم على ذلك ، إذ جاءت الأخبار بأن الملك نور الدين قد اغتنم غيبة الفرنج فسارت[٦] العساكر إلى بلادهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً . وفتح حارم ، وقتل من الفرنج خلقاً . وسار إلى بانياس ، [فضعف أمر الفرنج بديار مصر عند ذلك ، وطلبوا][٧] من أسد الدين المصالحة[٨] ، فأجابهم إلى ذلك ، وقبض من شاور ستين ألف دينار ، وخرج أسد الدين وجيشه فساروا[٩] إلى الشام في ذي الحجة منها .

وقعة حارم

[وكان فتح حارم][١٠] في رمضان من هذه السنة ، وذلك أن نور الدين استغاث[١١] بعساكر المسلمين ، فجاؤوه من كل فج عميق[١٢] ليأخذ بثأره من الفرنج ، فالتقى معهم بتل حارم ، فكسرهم كسرة عظيمة ، وأسر البرنس بيمند[١٣] صاحب أنطاكية ، والقومص صاحب طرابلس ،

---

(١) ط : وليكون .
(٢) ليس في ب .
(٣) آ : طيف . بدون العطف .
(٤) ليس في ط .
(٥) ليس في ط .
(٦) ط ، ب : فسار .
(٧) رواية ط : فضعف صاحب عسقلان الفرنجي وطلبوا .
(٨) ط : الصلح .
(٩) ط : وساروا .
(١٠) ط : فتحت في رمضان .
(١١) آ ، ب : استغاث نور الدين .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) عن ط وحدها .

والدوك مقدم[١] الروم ، وابن جوسلين ، وقتل منهم عشرة آلاف ، وقيل : عشرين ألفاً .

وفي ذي الحجة منها فتح نور الدين مدينة بانياس ، وقيل : إنما كان فتحه لها في سنة ستين[٢] ، فالله أعلم . وكان معه أخوه نصرة الدين أمير أميران[٣] ، فأصابه سهم في إحدى عينيه ، فأذهبها ، فقال له الملك نور الدين : لو نظرت إلى ما[٤] أعدّ الله لك من الأجر في الآخرة لأحببت أن تذهب الأخرى . وقال لابن معين الدين[٥] : اليوم قد بردت[٦] جلدة والدك من نار جهنم ، لأنه كان قد سلّمها إلى الفرنج[٧] صلحاً عن دمشق .

وفي شهر ذي الحجة [من هذه السنة][٨] احترق[٩] قصر جيرون حريقاً عظيماً . فحضر في تلك الليلة الأمير[١٠] أسد الدين شيركوه بعد رجوعه من الديار المصرية[١١] ، وسعى سعياً عظيماً في كف[١٢] هذه النار وصون حوزة الجامع منها ، [جزاه الله خيراً وأثابه دار القرار][١٣] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الجمال وزير صاحب الموصل[١٤] : **محمد بن علي بن أبي منصور ، أبو جعفر الأصبهاني ، الملقب** بالجَوَاد[١٥] ، وزير صاحب الموصل قطب الدين مودود بن زنكي .

---

(١) ط : صاحب .

(٢) ط : وقيل : إنه إنما فتحها في سنة ستين .

(٣) اختلفت المصادر في اسمه ولقبه ، فقيل : ناصر الدين وقيل : نصرة الدين وقيل نصير الدين . وأجمعت أكثر المصادر على أنه أمير أميران ، نصرة الدين بن زنكي بن آقسنقر التركي أخو نور الدين . ذهبت عينه يوم فتح بانياس . وكان أميراً شجاعاً مقداماً عزيزاً على أخيه نور الدين . توفي سنة ٥٦٠ ، وعظم مصابه عليه . وترجمته في ابن القلانسي (٥٣٣ و٥٤٢ ـ ٥٤٣) والروضتين (١/ ١٠٧ و١١٠ و١٣٩) والأعلاق الخطيرة (٣/ ١/ ٥٦ ـ ٥٧) والعبر (٤/ ١٦٩) وابن خلدون (٥/ ٢٤٦) والكواكب الدرية (١٥٣ و١٦٨) والنجوم (٥/ ٣٦٧) .

(٤) ط : لما .

(٥) بعدها في ب : أنز .

(٦) ط : إنه اليوم بردت .

(٧) ط : للفرنج .

(٨) ب : هذا من السنة ، وليست الجملة في ط .

(٩) ليس في آ .

(١٠) ط : الأمراء منهم .

(١١) ط : من مصر .

(١٢) ط : إطفاء ، وليست اللفظة في ب .

(١٣) ليست الجملتان في ط ، وليست الجملة الثانية في ب .

(١٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٠٩) وابن الأثير (٩/ ٨٧ ـ ٨٨) والروضتين (١/ ١٣٤ ـ ١٣٩) ووفيات الأعيان (٥/ ١٤٣ ـ ١٤٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤) والعبر (٤/ ١٦٦) ومرآة الجنان (٣/ ٣٤٢) .

(١٥) في (ط) : « بالجمال » ، محرف ، وما هنا من مصادر ترجمته .

كان كثير المعروف والصدقات ، وقد أثر آثاراً حسنة بمكة والمدينة ، من ذلك : أنه ساق عيناً إلى عرفات ، وعمل هناك مصانع ، وبنى مسجد عرفات ودرجه ، وأحكم أبواب الحرم ، وبنى مسجد الخيف ، وبنى الحجر ، وزخرف الكعبة ، وأذهبها وعملها بالرخام ، وبنى على المدينة النبوية سوراً ، وبنى جسراً على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص ، وبنى الربط الكثيرة وكان يتصدّق كل يوم على بابه بمئة دينار ، ويفتدي من الأسارى في كل سنة بعشرة آلاف دينار ، ولا تزال صدقاته وافدة إلى الفقهاء والفقراء حيث كانوا من بغداد وغيرها من البلاد . وقد حبس في سنة ثمان وخمسين .

فذكر ابن الساعي في « تاريخه » عن شخص كان معه في السجن أنه نزل إليه طائر أبيض قبل موته ، فلم يزل عنده ، وهو يذكر الله عز وجل ، حتى توفي في شعبان من هذه السنة ، ثم طار عنه ، ودفن في رباط بناه لنفسه بالموصل ، وقد كان بينه وبين أسد الدين شيركوه بن شاذي مواخاة وعهد ، أيهما مات قبل الآخر أن يحمله إلى المدينة النبوية(١) ، [فاستأجر له أسد الدين شيركوه رجالاً فنقلوه إلى المدينة](٢) ، فما مروا به في بلدة إلا صلوا عليه ، وترحموا عليه ، وأثنوا عليه خيراً(٣) . فصلّوا عليه بالموصل وتكريت وبغداد والحلة والكوفة وفيد ومكة ، وطيف به حول الكعبة . ثم نقل(٤) إلى المدينة النبوية ، فدفن برباط بناه شرقي المسجد النبوي(٥) .

قال ابن الجوزي(٦) وابن الساعي : [ليس بينه وبين حرم رسول الله ﷺ وقبره سوى خمسة عشر ذراعاً . قال ابن الساعي : ـ رسول الله ﷺ](٧) ـ ولما صلوا عليه بالحلة صعد شاب على نشز فأنشد(٨) يقول(٩) : [من الطويل](١٠)

سَرَى نَعْشُهُ فَوْقَ الرّقابِ وَطالَما ... سَرَى جُودُهُ فَوْقَ الرِّكابِ ونائِلُهْ
يمُرُّ على الوادي فتُثْني رِمالُهُ ... عَلَيْهِ وبالنّادِي فتُثْني أرامِلُهْ

(١) ليس في ط .
(٢) ط : فحمل إليها من الموصل على أعناق الرجال .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : حمل .
(٥) ط : ودفن بها في رباط بناه شرقي مسجد النبي ﷺ .
(٦) المنتظم (١٠/ ٢٠٩) .
(٧) ليس في آ .
(٨) ط : ولما صُلّيَ عليه بالحلة صعد شاب نشزاً فأنشد .
(٩) عن آ وحدها .
(١٠) البيتان عند ابن الأثير (٩/ ٨٨) والروضتين (١/ ١٣٧) ووفيات الأعيان (٥/ ١٤٦) .

وممن توفي فيها بعد الخمسين :

ابن الخازن الكتب(١) : أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق ، أبو الفضل المعروف بابن الخازن الكاتب البغدادي الشاعر .

كان يكتب جيداً فائقاً ، اعتنى بكتابة الختمات ، وأكثر ابنه أبو الفتح نصر الله من كتابة المقامات ، وجمع لأبيه ديوان شعر ، وأورد منه ابن خلكان قطعة(٢) كبيرة .

[ثم دخلت](٣) سنة ستين(٤) وخمسمئة

في صفر منها وقعت بأصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء بسبب المذاهب ، دامت أياماً ، وقتل فيها خلق كثير .

وفيها : كان حريق عظيم ببغداد ، فاحترقت محالٌّ كثيرة جداً(٥) .

وذكر ابن الجوزي(٦) أن في هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات في بطن واحد .

وحجّ بالناس [في هذه السنة](٧) الأمير بزغش الكبير ، [أثابه الله تعالى](٨) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عمر بن بهليقا الطحان(٩) : الذي جدّد جامع العقبة ببغداد ، واستأذن الخليفة في أن تقام فيه جمعة ، فأذن في ذلك . وكان قد اشترى ما حوله من القبور ، فأضاف إليه ذلك(١٠) ، ونبشت(١١) ،

---

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٠٤) وابن الأثير (٨/ ٢٨٥) ووفيات الأعيان (١/ ١٤٩ ـ ١٥١) وفي هذه المصادر : أنه توفي سنة ٥١٨ ، قلت : وقد تقدمت ترجمة أخرى له في حوادث سنة ٥١٢ من هذا الجزء ، تحت عنوان : أبو الفضل الخازن ، وترجمته في هذه السنة لا تصح .

(٢) ب : كثيراً والله أعلم .

(٣) ليس في آ .

(٤) آ : خمسين . تصحيف .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) الخبر بتفصيل أكثر في المنتظم (١٠/ ٢١٠) .

(٧) ط : فيها .

(٨) عن آ وحدها .

(٩) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢١٢) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٧٤) .

(١٠) ط : وذلك إليه .

(١١) في ط : ونبش الموتى منها . وفي آ ، ب : ونبشت فقيّض .

فقيّض الله له من نبشه من قبره بعد دفنه ، جزاءً وفاقاً ، ﴿ وَمَارَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد ، أبو عبد الله الحرّاني(١) :

كان آخر من بقي من الشهود المقبولين عند أبي الحسن الدامغاني ، وقد سمع الحديث ، وكان لطيفاً ظريفاً . جمع كتاباً سمّاه (روضة الأدباء) فيه نتف حسنة .

قال ابن الجوزي(٢) : زرته يوماً ، فأطلت الجلوس عنده ، فقلت : أقوم فقد ثقّلت ، فأنشدني(٣) : [وافر]

لئن سَمَّيْتَ إِبْراماً وَثِقْلاً زياراتٍ رَفَعْتَ بهنَّ قَدْري
فَما أَبْرَمْتَ إلاّ حَبْلَ ودّي ولا ثَقَّلْتَ إلا ظَهْرَ شُكْري

مرجان الخادم(٤) :

كان يقرأ القرآن(٥) ، وتفقّه لمذهب الشافعي ، وكان يتعصّب على الحنابلة ، ويكرههم ، ويعادي الوزير ابن هبيرة وابن الجوزي [معاداة شديدة](٦) ، ويقول لابن الجوزي : مقصودي [قلع مذهبكم ، وقطع ذِكركم](٧) . ولما توفي(٨) ابن هبيرة في هذه السنة ، قوي أمره(٩) على ابن الجوزي وخافه ابن الجوزي ، فلما توفي في هذه السنة فرح بذلك فرحاً شديداً . [وكانت وفاته](١٠) في ذي القعدة منها .

ابن التلميذ(١١) الطبيب الحاذق الماهر(١٢) : اسمه هبة الله بن صاعد .

[كانت وفاته في هذه السنة](١٣) عن خمس وتسعين سنة ، وكان موسّعاً عليه في الدنيا ، وله عند

---

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٧٥) والعبر (٤/ ١٧١) والوافي (٣/ ٣٣٠) وذيل ابن رجب (١/ ٢٥٠) والمنهج الأحمد (٢/ ٣٣١) .
(٢) المنتظم (١٠/ ٢١٢) .
(٣) البيتان في المنتظم (١٠/ ٢١٢) وذيل ابن رجب ، والمنهج الأحمد .
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢١٣ ـ ٢١٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٧٩) .
(٥) ط : القراءات .
(٦) آ ، ب : شديداً .
(٧) آ ، ب : قلع المذهب .
(٨) آ : مات .
(٩) ليس في ط .
(١٠) ط : توفي .
(١١) ترجمته في معجم الأدباء (٩/ ٢٧٦) وعيون الأنباء (١/ ٢٥٩) ووفيات الأعيان (٦/ ٦٩ ـ ٧٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٨٠ ـ ١٨٣) ، والعبر (٤/ ١٧٢) ومرآة الجنان (٣/ ٢١٤) .
(١٢) آ : الماهرالحاذق .
(١٣) ط : توفي .

الناس وجاهة كبيرة[١] . وقد توفي قبّحه الله على دينه ، ودفن بالبيعة العتيقة ، لا رحمه الله ، إن كان مات نصرانيًّا .[فإنه كان يزعم أنه مسلم ، ثم مات على دينه] .

الوزير ابن هبيرة[٢] [رحمه الله][٣] : يحيى بن محمد بن هبيرة ، أبو المظفر ، الوزير للخلافة المعظّمة ، عون الدين .

مصنف[٤] كتاب « الإفصاح » . وقد[٥] قرأ القراءات[٦] ، وسمع الحديث . وكانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة والعروض . وتفقّه على مذهب الإمام أحمد . وصنّف كتباً جيّدة[٧] مفيدة ، من ذلك : « الإفصاح » في مجلدات ، يشرح [فيه الأحاديث ، ويتكلم][٨] على مذاهب العلماء . وكان على مذهب السلف في الاعتقاد . وقد كان فقيراً لا مال له ، ثم تعرّض للخدمة[٩] ، فتقدم إلى أن وزر للمقتفي [ثم لابنه المستنجد ، فكان من خيار الوزراء ، وأحسنهم سيرة ، وأبعدهم عن الظلم . وكان لا يلبس الحرير . وكان المقتفي][١٠] يقول : ما وزر لبني العباس مثله . وكذلك ابنه المستنجد كان معجَباً به .

قال مرجان الخادم :

سمعت أمير المؤمنين الخليفة المستنجد ينشد لابن هبيرة ، وهو بين يديه من شعره مادحاً له[١١] :

صَفَـتْ نِعْمتـان خَصَّتـاك وَعَمَّتـا ... فـذِكْرُهما حَتَّى القيامـةِ يُـذْكَـرُ[١٢]

وُجـودُكَ والـدُّنْيـا[١٣] إلَيْـكَ فَقيـرةٌ ... وَجُودُكَ والمَعْروفُ في الناس يُنْكَرُ

---

(١) ب : كثيرة .
(٢) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢١٤) وخريدة العراق (١/ ٩٦) وابن الأثير (٩/ ١٧ و٩٣) ومرآة الزمان (٨/ ٢٥٥) والروضتين (١/ ١٤١) ووفيات الأعيان (٦/ ٢٣٠ ـ ٢٤٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٨٤ ـ ١٨٧) والعبر (٤/ ١٧٢ ـ ١٧٣) والفخري (٢٥٢ ـ ٢٥٥) ومرآة الجنان (٣/ ٣٤٤ ـ ٣٤٦) وذيل ابن رجب (١/ ٢٥١ ـ ٢٨٩) والمنهج الأحمد (٢/ ٣٣٢) .
(٣) ليس في ط .
(٤) ب : ومصنف .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ط : القرآن .
(٧) ليس في آ .
(٨) ط : شرح . . . وتكلم .
(٩) آ ، ب : للخدم .
(١٠) ليس في ب .
(١١) الأبيات في المنتظم وذيل ابن رجب والمنهج الأحمد .
(١٢) المنتظم : ينشر .
(١٣) آ : وجودك في الدنيا .

فلَوْ رَامَ يا يَحْيَى مكانَكَ جَعفَرٌ ... وَيَحْيَى لَكَفَّا عَنْهُ يَحْيَى وجَعْفَرُ
وَلَمْ أَرَ مَنْ يَنْوي لك السُّوءَ يا أبا الـ ... ـمُظَفَّرِ إلَّا كُنْتَ أَنْتَ المُظَفَّرُ

وقد كان يبالغ في إقامة الدولة العباسية ، وحسم[(١)] مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن ، حتى استقرّت الخلافة في العراق كله ، ليس للملوك معهم حكم بالكلية ، ولله الحمد .

وكان يعقد في داره للعلماء مجلساً للمناظرة ، يبحثون فيه ، ويناظرون عنده وبين يديه ، ويستفيد منهم ، ويستفيدون منه .

فاتفق[(٢)] يوماً أنه كلّم رجلاً من الفقهاء كلمةً فيها بشاعة ، قال له : يا حمار ، ثم ندم فقال : أريدأن تقول لي كما قلتُ لك ، فامتنع[(٣)] ذلك الرجل ، فصالحه على مئتي دينار .

وكانت وفاته فجأة ، ويقال : إنه سمَّهُ طبيب ، فسُمَّ ذلك الطبيبُ بعد ستة أشهر . وكان الطبيب يقول : سُمِمْتُ كما سَمَمْتُ ، [وكان موته في يوم][(٤)] الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى من هذه السنة عن إحدى وستين سنة ، وغسّله ابن الجوزي ، وحضر جنازته خلق كثير جدًّا ، وجم غفير جدًّا ، وغلقت الأسواق ، وتباكى الناس عليه ، ودفن في المدرسة التي أنشأها بباب البصرة ، رحمه الله .

وقد رثاه الناس[(٥)] بمراثٍ[(٦)] كثيرة .

[ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمئة][(٧)]

فيها : فتح الملك[(٨)] نور الدين محمود بن زنكي حصن المنيطرة[(٩)] من الشام[(١٠)] . وقَتل عنده خلقاً كثيراً من الفرنج ، وغنم أموالاً جزيلة .

---

(١) آ ، ب : ختم .
(٢) آ : فاتفق أن رجلاً من الفقهاء كلمه كلمة .
(٣) آ ، ب : فتمنّع .
(٤) مات يوم .
(٥) ط : الشعراء .
(٦) بعض هذه المراثي في المنتظم وذيل ابن رجب والمنهج الأحمد .
(٧) ليس في ب .
(٨) ليس في ط .
(٩) حصن المنيطرة ـ مصغراً وبالطاء المهملة : حصن بالشام قريب من طرابلس . معجم البلدان .
(١٠) عن ط وحدها .

وفيها: هرب عز الدين(١) ابن الوزير ابن هُبَيرة من السجن، ومعه مملوك تركي، فنُودي عليه في البلد: مَنْ رَدَّه فله مئة دينار، ومَنْ وُجِد عنده هُدِّمتْ دارُه، وصُلب على بابها، وذُبحت أولاده بين يديه. فدلَّهم رجلٌ من الأعراب عليه، فأُخذ من بستانٍ، فضُرب ضرباً شديداً، [وأُعيد إلى السجن، وضُيِّق عليه.

وفيها: أظهر الروافض سبَّ الصحابة، وتظاهروا بأشياء](٢) منكرة، لم يكونوا يتمكنون منها في هذه الأعصار المتقدمة، خوفاً من ابن هبيرة.

ووقع بين العوام كلام فيما يتعلّق بخلق القرآن.

وحجّ بالناس بزغش.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن العباس بن أبي الطيب بن رُسْتُم، أبو عبد الله الأصبهاني(٣) الرُّسْتُمي:

كان من كبار [عباد الله](٤) الصالحين البكّائين. قال(٥): حضرت يوماً مجلس ما شاذَه(٦)، وهو يتكلم على الناس، فرأيت ربَّ العزّة في تلك الليلة، وهو يقول لي: وقفتَ على مبتدع، وسمعتَ كلامَهُ، لأحرمنَّك النظر في الدنيا. قال: فأصبح لا يبصر، وعيناه مفتوحتان كأنه بصير.

عبد العزيز بن الحسين(٧) بن الجَبَّاب(٨) الأغلبي السعدي القاضي، أبو المعالي المصري(٩) المعروف بالجليس(١٠): لأنه كان يجالس صاحب مصر.

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن هبيرة، لقبه عز الدين: ناب في الوزارة عن أبيه. وكان فاضلاً شاعراً أديباً، وحبس بعد موت أبيه ولم يعلم خبره بعد الحبس، وقيل: قتل في صفر من سنة ٥٦٢. وفيات الأعيان (٦/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) والفخري (٢٥٥) والمنهج الأحمد (٢/ ٣٦١).

(٢) ليس في آ.

(٣) ترجمته في الوفيات للحاجي (الترجمة ١٨٧)، والمنتظم (١٠/ ٢١٩) وابن الأثير (٩/ ٩٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧)، والعبر (٤/ ١٧٤) ومرآة الجنان (٣/ ٣٤٧).

(٤) عن آ وحدها.

(٥) الخبر في المنتظم (١٠/ ٢١٩).

(٦) ثمة راويان بهذا الاسم: ١ـ علي بن محمد بن أحمد بن ميلة الأصبهاني، أبو الحسن ابن ماشاذة، توفي سنة ٤١٤هـ. ٢ـ ومحمد بن أحمد بن ماشاذة، أبو بكر الأصبهاني، توفي سنة ٥٧٢هـ. والمرجح أن يكون المقصود هنا هو الثاني، لأن الأول مات سنة ٤١١ قبل أن يولد المترجم.

(٧) ب: الحسن.

(٨) في الأصول: الحباب، وما هنا من وفيات الأعيان والفوات، وقد ضبط بالفوات بالحرف، كما ضبط في وفيات الأعيان بخط ابن خلّكان.

(٩) آ: البصري.

(١٠) ترجمته في خريدة مصر (١/ ١٨٩) والروضتين (١/ ١٤١) ووفيات الأعيان (١/ ١٦٣ و٧/ ٢٢٣) وتاريخ الإسلام=

وقد ذكره العماد في « الخريدة » وقال : كان له فضل مشهور ، وشعر مأثور ، فمن ذلك قوله[١] :

[من الطويل]

ومن عجبٍ أنَّ السّيوفَ لَدَيْهِمُ تحيضُ دماءً والسُّيوفُ ذُكورُ
وأعجبُ من ذا أنَّها في أكفِّهم تَأَجَّجُ[٢] ناراً والأكُفُّ بُحورُ

الشيخ عبد القادر الجيلي[٣] ، [رحمه الله][٤] ، عبد القادر بن أبي صالح ، أبو محمد الجيلي .

ولد سنة سبعين وأربع مئة . ودخل بغداد ، فسمع الحديث ، وتفقه على أبي سعد المخرِّمي[٥] الحنبلي . وكان قد[٦] بنى مدرسة ففوّضها إلى الشيخ عبد القادر ، فكان[٧] يتكلم على الناس بها ، ويعظهم ، وينتفع[٨] الناس بوعظه [انتفاعاً كثيراً][٩] . وكان له سمت حسن ، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفيه تزهد كثير ، وله أحوال صالحة[١٠] ومكاشفات ، [ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات ، أكثرها مغالاة . وقد كان صالحاً بارعاً][١١] . وقد صنّف كتاب الغُنية ، وفتوح الغيب ، وفيهما أشياء حسنة ، ولكن[١٢] ذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة . وبالجملة كان من سادات المشايخ [الكبار ، قدس الله روحه ، ونوَّر ضريحه ، وكانت وفاته ليلة السبت ثامن شهر ربيع الآخر من هذه السنة][١٣] ، وله[١٤] تسعون سنة ، ودفن بالمدرسة التي كانت له ، رحمه الله .

= (١٢/ ٢٥٢) وفوات الوفيات (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٥) .

(١) البيتان في الخريدة والروضتين والفوات .

(٢) في هامش ب : تتوقد ولعله توقد .

(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢١٩) وابن الأثير (٩/ ١٩٤) ومرآة الزمان (٨/ ٢٦٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٢٥٢ ـ ٢٦٣) ، والعبر (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٦) وفوات الوفيات (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) ومرآة الجنان (٣/ ٣٤٧) وذيل ابن رجب (١/ ٢٩٠ ـ ٣٠١) وفيه أن اسمه : عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله بن عبد الله الجيلي ، وقال ابن شاكر الكتبي : ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما .

(٤) ليس في آ .

(٥) آ : المخزومي . وهو تصحيف ، وقد تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥١٤ من هذا الجزء .

(٦) ط : وقد كان .

(٧) ب : وكان .

(٨) ط : وانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً .

(٩) عن ط وحدها .

(١٠) آ : وكان فيه زهد كبير .

(١١) عن ط وحدها .

(١٢) عن آ وحدها .

(١٣) ليس في ط .

(١٤) ط : توفي وله .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمئة

فيها : أقبلت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية ، وساعدهم المصريون ، فتصرفوا في بعض البلاد ، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه [بن شاذي][(١)] ، فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها ، [وكان كثير الحنق][(٢)] على الوزير شاور ، فأذن له ، وسار إليها في ربيع الآخر ، معه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد وقع في النفوس أنه سيملك الديار المصرية ، وفي ذلك يقول عرقلة المسمى بحسان الشاعر[(٣)] : [من السريع]

أَقُولُ[(٤)] والأَتْراكُ قَدْ أَزْمَعَتْ ... مِصْرَ إلى حَرْبِ الأَعارِيبِ
رَبِّ كَما مَلَّكْتَها يُوسُفَ الصِّـ ... ـدِّيقَ مِنْ أَوْلادِ يَعْقُوبِ
يَمْلكُها[(٥)] في عَصْرِنا يوسُفُ الصّا ... دِقُ مِنْ أَوْلادِ أَيُّوبِ
من لَمْ يَزَلْ ضَرّابَ هامِ[(٦)] العدا ... حَقّاً وضَرّابَ العَراقيبِ

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين [والجيش معه بعث إلى الفرنج ، فجاؤوا من كل فج عميق ، ولما بلغ أسد الدين][(٧)] ذلك من شأنهم ، وإنما معه ألفا فارس ، فاستشار مَنْ معه من الأمراء ، فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى الملك نورالدين لكثرة الفرنج إلّا أميراً واحداً ، يقال له : شرف الدين بزغش ، فإنه قال : مَنْ خاف الأسر[(٨)] والقتل فليقعد في بيته عند زوجته ، ومَنْ أكل أموال المسلمين[(٩)] فلا يسلِّم بلادهم إلى العدو . وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي ، فعزم الله لهم ، فساروا نحو الفرنج ، فاقتتلوا هم وإياهم قتالاً عظيماً ، [فكسروا الفرنج وهزموهم ، وقتلوا][(١٠)] منهم خلقاً كثيراً لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ولله الحمد والمنة على كل حال .

---

(١) عن آ وحدها .
(٢) آ ، ب : وقد كثر الحنق .
(٣) الأبيات في الروضتين (١/ ١٤٢) وديوان عرقلة .
(٤) ليس اللفظة في ط .
(٥) في الأصول : فملكها ، ولا يستوي بها الوزن ، وما هنا عن الروضتين والديوان .
(٦) ليست في آ .
(٧) ليس في ب .
(٨) ط : القتل والأسر .
(٩) ط : الناس .
(١٠) ط : فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة وهزموهم ثم قتلوا .

ذكر فتح الإسكندرية على يد[١] أسد الدين شيركوه

[ثم سار أسد الدين شيركوه بعد أن كسر الفرنج والمصريين بالمسير إلى الإسكندرية ، فملكها وجبى أموالها][٢] ، واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، وعاد إلى الصعيد فملكه ، وجمع منه أموالاً جزيلة جدًّا ، ولله الحمد والمنة .

ثم إن الفرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الإسكندرية ثلاثة أشهر لينزعوها من يد الملك صلاح الدين ، وذلك في غيبة عمه في الصعيد ، وامتنع بها[٣] صلاح الدين ومن معه أشد الامتناع ، ولكن ضاقت عليهم الأقوات ، وضاق عليهم[٤] الحال جدًّا ، فسار إليهم أسد الدين شيركوه أيده الله ، فصالحه شاور الوزير عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأجابه إلى ذلك ، خرج صلاح الدين منها ، وسلَّمها إلى المصريين ، وعاد إلى الشام في منتصف شوال أو ذي القعدة ، وقرّر شاور للفرنج على مصر في كل عام مئة ألف دينار ، وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة ، وعادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين محمود ابن زنكي قد تبعهم[٥] في بلادهم ، [وافتتح حصوناً كثيرة من بلادهم][٦] ، وقتل خلقاً من رجالهم ، وأسر جمًّا غفيراً[٧] من نسائهم وأطفالهم ، وغنم شيئاً كثيراً من أمتعتهم وأموالهم[٨] ، ولله الحمد . وكان معه أخوه قطب الدين مودود ، فأطلق له الرقة ، فسار فتسلَّمها .

[وفي هذه السنة][٩] في شعبان منها كان قدوم[١٠] العماد الكاتب من بغداد إلى دمشق ، وهو أبو حامد محمد بن محمد الأصبهاني[١١] ، صاحب « الفتح القدسي » و « البرق الشامي »[١٢]

---

(١) ط : يدي .
(٢) ط : ثم أشار أسد الدين بالمسير [إلى الإسكندرية] فملكها وجبى أموالها . ويندمج العنوان بأول الفقرة في ب .
(٣) ط : فيها .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) آ : بعثهم ، ط : أعقبهم .
(٦) ليس في ب .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ط : من النساء والأطفال وغنم شيئاً كثيراً من الأمتعة والأموال .
(٩) ط : وفيها .
(١٠) سنا البرق الشامي (١/ ٥٥) .
(١١) ستردُ ترجمته في حوادث سنة ٥٩٧ من هذا الجزء .
(١٢) اختصره الفتح بن علي البنداري ، وطبع الجزء الأول من هذا المختصر في بيروت سنة ١٩٧١م بتحقيق الدكتور رمضان ششن .

و « الخريدة »[١] وغير ذلك من المصنفات . فأنزله[٢] قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري[٣] بالمدرسة النورية الشافعية داخل باب الفرج ، فنسبت إليه لسكناه بها ، فيقال لها العمادية[٤] ، ثم ولي تدريسها في سنة سبع وستين بعد الشيخ الفقيه ابن عبد[٥] ، وأول من جاء للسلام عليه نجم الدين أيوب ، وكانت له به معرفة جيدة من تكريت ، فامتدحه العماد بقصيدة ذكرها الشيخ شهاب الدين[٦] أبو شامة ، [وكان أسد الدين شيركوه وصلاح الدين يوسف بمصر ، فبشره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصرية حيث يقول : [من البسيط] .

ويَسْتقِرُّ بِمصْـر يـوسُـفٌ وبـه تَقَـرُّ بعـد التَّنـائـي عَيْـنُ يَعْقُـوبِ
وَيَلْتَقـي يـوسُـفٌ فيهـا بـإخْـوَتِـهِ واللهُ يَجْمَعُهُمْ من غَيْرِ تَثْرِيبِ][٧]

ثم ولي العماد[٨] كتابة الإنشاء للملك نور الدين ، رحمه الله .

[وممن توفي فيها من الأعيان][٩] :

بزغش أمير الحاج : سنين متعددة ، كان مقدماً على العساكر ، خرج من بغداد لقتال شملة التركماني[١٠] ، فسقط عن فرسه ، فمات .

أبو المعالي الكاتب محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون[١١] :

صاحب « التذكرة الحمدونية » ، وقد ولي ديوان الزِّمام مدة . [وكانت وفاته][١٢] في ذي القعدة ، ودفن بمقابر قريش .

---

(١) ط : الجريدة ، وهو تصحيف . وقد طبع من هذا الكتاب ثلاثة أقسام : قسم الشام ، وقسم العراق ، وقسم المغرب والأندلس .
(٢) آ : وأنزله .
(٣) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٦ من هذا الجزء .
(٤) الأعلاق الخطيرة (٢٣٧ ـ ٢٣٨) ومنادمة الأطلال (١٣٣ ـ ١٣٤) .
(٥) اسمه : الخضر بن شبل بن عبد الحارثي ، توفي في هذه السنة .
(٦) الروضتين (١/ ١٤٤) .
(٧) ما بين الحاصرتين في آ جاء قبل خبر العماد والبيتان يمثلان البيت ١١ والبيت ١٢ من قصيدة مؤلفة من ثلاثة عشر بيتاً في ديوان العماد (٨٣ ـ ٨٤) ومنها خمسة أبيات في معجم الأدباء (١٩/ ١٣) هي الأبيات ١ ، ٣ ، ٦ من القصيدة ، ومنها ١١ بيتاً في الروضتين (١/ ١٤٤) هي ١ ، ٩ ، ١٢ من القصيدة .
(٨) ط : ثم تولى عماد الدين .
(٩) ب : وممن توفي في هذه السنة .
(١٠) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٠ من هذا الجزء .
(١١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٢١) والخريدة ـ العراق (١/ ١٨٤) وابن الأثير (٩/ ٩٧) ووفيات الأعيان (٤/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) والوافي (٢/ ٣٥٧) وفوات الوفيات (٣/ ٣٢٣) ومرآة الجنان (٣/ ٣٧٠) .
(١٢) ط : توفي .

الرشيد الصوفي : كان يجلس بين يدي ابن العبادي[١] على الكرسي . كانت له شيبة حسنة ، وسمت ووقار . وكان يواظب [على] حضور السماعات . فاتفق أنه مات وهو يرقص في بعض السماعات ، رحمه[٢] الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمئة

في صفر منها وصل[٣] شرف الدين أبو جعفر بن البلدي[٤] من واسط إلى بغداد ، فخرج الجيش لتلقّيه والنقيبان والقاضي . ومشى الناس بين يديه إلى الديوان ، فجلس في دست الوزارة ، وقُرئ عهده ، وكان يوماً مشهوداً ، ولقب بالوزير شرف الدين ، جلال الإسلام ، معز الدولة ، سيد الوزراء ، صدر الشرق والغرب .

وفيها : أفسدت خفاجة في البلاد ، ونهبوا القرى ، فجُهِّز[٥] إليهم جيش من بغداد ، فهربوا في البراري ، فانحسر الجيش عنهم ، خوفاً من العطش ، فكرّوا على الجيش ، فقتلوا منهم خلقاً ، وأسروا آخرين ، وكان قد أسر منهم الجيش[٦] خلقاً ، فصُلبوا على الأسوار .

وفي شوال منها[٧] وصلت امرأة الملك نور الدين محمود بن زنكي إلى بغداد ، تريد أن تحج[٨] من هناك . وهي الست عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أُنر ، [فتلقّاها الجيش][٩] ، ومعهم[١٠] صندل الخادم ، وحُملت لها الإقامات[١١] ، وأُكرمت غاية الإكرام .

وفيها : مات قاضي قضاة بغداد جعفر بن الثقفي ، فشغر البلد عن حاكم ثلاثة[١٢] وعشرين

---

(١) وقد تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٤٧ من هذا الجزء .
(٢) ليست رحمه الله تعالى في ط .
(٣) آ : دخل .
(٤) هو شرف الدين أبو جعفر محمد بن أبي الفتح بن البلدي توفي سنة ٥٦٦ . له ترجمة في سنا البرق الشامي (١/ ١٠٠) والعبر (٤/ ١٩٢) والفخري (٢٥٦ ـ ٢٥٧) .
(٥) ط : فخرج .
(٦) ط : الجيش منهم .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ط : تريد الحج .
(٩) ليس في ب .
(١٠) ب ، ط : وفيهم .
(١١) ط : الإمامات ، ولم أصل فيها إلى رأي .
(١٢) آ ، ط : ثلاثاً ، وهو خطأ .

يوماً حتى [ولي روح بن الحديثي قضاء القضاة][١] في رابع رجب .

وحجَّ بالناس بزغش .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جعفر بن عبد الواحد ، أبو البركات الثقفي[٢] : قاضي القضاة[٣] ببغداد بعد أبيه . ولد سنة تسع عشرة[٤] وخمسمئة ، وكانت وفاته في هذا العام ، وسبب وفاته أنه طُلب منه مال ، وكلّمه الوزير ابن البلدي كلاماً خشناً ، فخاف ، فرمى الدم ومات ، [رحم الله أباه وإيّاه][٥] .

أبو سعد السمعاني[٦] : عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أبو سعد السمعاني . رحل إلى بغداد ، فسمع بها ، وذيَّل على « تاريخها » للخطيب البغدادي . وقد ناقشه ابن الجوزي في « المنتظم »[٧] . وذكر عنه أنه كان يتعصب على أهل مذهبه ، ويطعن في جماعة منهم ، وأنه يترجم بعبارة عامة[٨] ، مثل قوله عن بعض الشيخات أنها كانت عفيفة ، وعن الشاعر المشهور بالحيص بيص[٩] أنه كانت له أخت يقال لها (دخل خرج) وغير ذلك[١٠] .

عبد القاهر بن عبد الله بن محمد[١١] بن عَمَّوَيْه[١٢] ، أبو النجيب السُّهروردي[١٣] :

---

(١) ط : حتى ألزموا روح بن الحديثي قاضي القضاة . وسترد ترجمة الحديثي في حوادث سنة ٥٧٠هـ من هذا الجزء .

(٢) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٢٤) وابن الأثير (٩/ ٩٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) والعبر (٤/ ١٨١) والجواهر المضيَّة (٢/ ١٧) .

(٣) ط : قاضي قضاة بغداد .

(٤) ط : تسع وعشرون ، وهو تصحيف .

(٥) ليس في ط .

(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) وابن الأثير (٩/ ٩٨) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٢) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦) والعبر (٤/ ١٧٨) ومرآة الجنان (٣/ ٣٧١) ، قال بشار : والصحيح في وفاته سنة ٥٦٢ .

(٧) المنتظم (١٠/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

(٨) ب ، ط : عامية .

(٩) هو سعد بن محمد بن سعد . ستردترجمته في هذا الجزء ، وفيات سنة ٥٧٤ .

(١٠) قال بشار : قصّر المؤلف في ترجمة هذا العالم الكبير ، وذلك بسبب اعتماده على ابن الجوزي فحسب ، وقد تقدم في ترجمة محمد بن ناصر تعليق مطوّل على هذه المسألة نقلناه من تاريخ الإسلام للذهبي ، فراجعه .

(١١) في آ ، ب : « محمد بن عبد الله » مقلوب ، وما هنا من مصادر ترجمته كافة .

(١٢) آ : حموية . تصحيف ، وفي ب : بن عبد الله . وهو اسم عموية .

(١٣) ترجمته في معجم البلدان (سهرورد) ، والمنتظم (١٠/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢) والعبر (٤/ ١٨١ ـ ١٨٢) ومرآة الجنان (٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) .

كان يذكر أنه من سلالة[١] أبي بكر الصديق رضي الله عنه . سمع الحديث ، وتفقّه وأفتى ، ودرّس بالنظامية ، وابتنى لنفسه مدرسة ورباطاً . وكان مع ذلك متصوفاً يعظ الناس ، ودفن بمدرسته .

محمد بن عبد الحميد بن أبي الحسين[٢] ، أبو الفتح الرازي[٣] ، المعروف بالعلاء العالم :

وهو من أهل سمرقند . وكان من الفحول في المناظرة ، وله طريقة في الخلاف والجدل ، ويقال لتعليقته[٤] : (العالمي) .

قال ابن الجوزي[٥] : وقد ورد بغداد وحضر مجلسي .

وقال أبو سعد السمعاني : كان يدمن الخمر . وكان يقول : ليس من الدنيا أطيب من كتاب أطالعه وباطية من الخمر[٦] أشرب منها . قال ابن الجوزي : ثم بلغني عنه[٧] أنه أقلع عن شرب الخمر والمناظرة وأقبل على التنسك[٨] والخير ، [رحمه الله][٩] .

يوسف بن عبد الله بن بُندار الدمشقي[١٠] : مدرس النظامية ببغداد .

تفقّه على أسعد المِيْهَني ، وبرع في المناظرة ، وكان يتعصب للأشعرية وقد بُعث رسولاً في هذه السنة إلى شملة التركماني[١١] ، فمات في تلك البلاد رحمه[١٢] الله .

---

(١) أورد ياقوت نسبه متصلاً إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
(٢) آ : بن أبي الحسن ، وفي المنتظم : بن الحسن .
(٣) ترجمته في معجم البلدان (أسمند) ، والمنتظم (١٠/ ٢٢٦) واللباب (١/ ٤٧) والوافي (٣/ ٢١٨) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٢/ ١٠٨٧) .
(٤) ط : يقال لها : التعليقة العالمية .
(٥) المنتظم (١٠/ ٢٢٦) .
(٦) ط : من كتاب المناظرة : وباطية من خمر .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ط : النسك .
(٩) ليس في ط . قال بشار : وترجمه الذهبي في وفيات سنة ٥٥٢ من تاريخه نقلاً عن أبي سعد السمعاني ونقل كلام أبي سعد المذكور فيه هنا (١٢/ ٥٣) . ثم ذكره بترجمة مختصرة فيمن توفي على التقريب من أصحاب الطبقة السادسة والخمسين (٥٥١ ـ ٥٦٠) نقلاً عن أبي المظفر بن أبي سعد السمعاني ، فهو شيخه (١٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) وذكر أنه ولد سنة ٤٨٨ .
(١٠) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٢٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٣١٢) .
(١١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٠ من هذا الجزء .
(١٢) ليست جملة الترحم في ط .

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمئة

فيها : كان فتح مصر على يدي الأمير أسد الدين شيركوه .

وفيها : طغت الفرنج بالديار المصرية . [وذلك لما جُعل لهم شحنة بها ، وتحكَّموا في أبوابها ، وسكنها أكثر شجعانها][(١)] ، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ، ويخرجوا منها أهلها من المسلمين[(٢)] ، فعند ذلك جاء إمداد الفرنج من كل ناحية ، وساروا صحبة مري ملك عسقلان[(٣)] في جحافل هائلة .

فأول ما أخذوا مدينة بلبيس ، فقتلوا منها خلقاً ، وأسروا آخرين ، ونزلوا بها ، وتركوا فيها أثقالهم ، وجعلوها موئلاً ومعقلاً [لهم] ، ثم جاؤوا فنزلوا على القاهرة من ناحية باب البرقية ، فأمر الوزير شاور الناسَ أن يحرقوا مصر[(٤)] ، وأن ينتقل الناس منها[(٥)] إلى القاهرة ، فنهبوا البلد ، وذهب للناس أموال كثيرة جدًّا ، وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوماً ، [فإنا لله وإنا إليه راجعون][(٦)] .

وعند[(٧)] ذلك أرسل الخليفة العاضد يستغيث بالملك نور الدين ، وبعث إليه بشعور نسائه يقول : أدركني ، واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج ، والتزم له بثلث خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيماً بها عندهم ، والتزم[(٨)] لهم بإقطاعات زائدة على الثلث .

فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى [الديار المصرية][(٩)] . فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين ، أرسل إلى ملك الفرنج يقول له : قد عرفتَ محبَّتي ومَوَدَّتي ولكن العاضد والمسلمين[(١٠)] لا يوافقوني على تسليم البلد . وصالحهم ليرجعوا ، عامهم ذلك ، عن البلد بألف ألف دينار ، وعجّل

---

(١) ط : وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها ، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجاً أفواجاً .
(٢) بعدها في ط : وقد سكنها أكثر شجعانهم .
(٣) ط : فلما سمع الفرنج بذلك جاؤوا من كل فج وناحية صحبة ملك عسقلان .
(٤) يعني : الفسطاط ، وهي فسطاط مصر ، فحذفت لفظة « فسطاط » وبقيت « مصر » . (بشار) .
(٥) من ط .
(٦) من ط .
(٧) ط : فعند ذلك أرسل صاحبها .
(٨) ليس في آ .
(٩) ط : مصر .
(١٠) آ ، ب : والمسلمون . قلت : وهذا مما يسمونه : لغة المحدثين .

لهم من ذلك بمئة[١] ألف دينار ، فأخذوها وانشمروا [راجعين إلى بلادهم][٢] خوفاً من وصول الملك نور الدين[٣] وطمعاً في العودة إليها مرة ثانية ، ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

ثم شرع الوزير[٤] شاور في مطالبة الناس بتحصيل الذهب [الذي صالح الفرنج عليه][٥] ، وضيَّق على الناس مع ما نالهم من الضِّيق : الحريق والخوف ، فجبر الله مصابهم ، وأحسن ما بهم بقدوم عساكر المسلمين عليهم ، وهلاك الوزير على يديهم . وذلك أن الملك نور الدين استدعى[٦] الأمير أسد الدين شيركوه من حمص إلى حلب . فساق إليه في يوم واحد من حمص ، فدخل حلب ذلك اليوم ، فسر بذلك نور الدين ، فقدَّمه على العساكر التي قد جهزها إلى الديار المصرية ، وأنعم عليه بمئتي ألف دينار ، وأضاف إليه من الأمراء والأعيان جماعة ، كل منهم يبتغي بمسيره رضا الله تعالى [والجهاد في سبيله][٧] ، وكان في جملتهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب [بن شاذي][٨] ، ولم يكن منشرحاً لخروجه هذا ، بل كان كارهاً له ، وقد قال الله تعالى[٩] : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] . وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان ، وجعل أسد الدين مقدماً على هذه العساكر كلها ، وسار هو وإياه من حلب إلى دمشق ، ونور الدين معهم ، ثم جهزه من دمشق إلى الديار المصرية بمن معه ، وأقام نور الدين بدمشق .

ولمّا وصلت الجيوش النورية إلى الديار المصرية ، وجدوا الفرنج قد انشمروا عن القاهرة خائبين راجعين[١٠] [إلى بلادهم[١١] بالصفقة الخاسرة . وكان وصوله إليها في سابع ربيع الآخر ، فدخل الأمير أسد الدين على العاضد في ذلك اليوم ، وخلع عليه خلعة سنية ، فلبسها وعاد إلى مخيّمه بظاهر البلد ،

(١) ب ، ط : ثمانمئة ، وما هنا موافق لما في سنا البرق الشامي (١/ ٧٤) وابن الأثير (٩/ ١٠) والروضتين (١/ ٥٤) والكواكب الدرية (١٧٦) ومختصر أبي الفداء (٣/ ٤٥) .

(٢) عن ط وحدها .

(٣) ط : عساكر نور الدين .

(٤) آ : الأمير .

(٥) ط : الذي صالح به الفرنج وتحصيله .

(٦) آ : ما بهم استدعى الملك نور الدين .

(٧) « هم » ط وحدها .

(٨) ليس في ط .

(٩) مكان هذه الآية في ط : قل اللهم مالك الملك . . . الآية .

(١٠) اللفظة مصحفة في آ ، ب .

(١١) هم ط وحدها .

وفرح المسلمون بقدومه إليهم ، وأجريت عليهم الجرايات][(١)] ، وحملت إليهم التحف والكرامات ، وخرج[(٢)] وجوه الناس إلى مخيم أسد الدين خدمة له ، وكان فيمن جاء إليه إلى المخيم الخليفة العاضد متنكراً ، فأسرّ إليه أموراً مهمّة ، منها قتل الوزير شاور ، وقرر ذلك معه .

وعظم أمر الأمير أسد الدين بمصر ، ولم يقدر الوزير شاور على منع شيء من ذلك لكثرة الجيش الذي مع أسد الدين ، ولكن شرع يماطل[(٣)] فيما كان تقرر له وللملك نور الدين مما كانوا التزموا له ولهم ، وهو مع ذلك يتردد إلى الأمير أسد الدين ، [ويركب معه ، وعزم على عمل ضيافة له ، فنهاه أصحابه عن الحضور عنده خوفاً عليه من غائلته ، وشاوروه في قتل شاور ، فلم يمكّنهم الأمير أسد الدين من ذلك][(٤)] .

فلما كان في بعض الأيام جاء شاور إلى منزل الأمير أسد الدين فوجده قد ذهب لزيارة قبر الشافعي ، وإذا ابن أخيه صلاح الدين[(٥)] هنالك ، فعند ذلك أمر صلاح الدين بالقبض [على الوزير شاور][(٦)] ، ولم يمكنه قتله إلا بعد مشاورة عمه أسد الدين ، وانهزم أصحابه ، فأعلموا العاضد لعله يبعث ينقذه ، فأرسل العاضد إلى الأمير أسد الدين يطلب منه رأسه ، فقُتل شاور ، وأُرسل رأسه[(٧)] إلى العاضد في سابع عشر ربيع الآخر ، ففرح المسلمون بذلك ، وأمر الأمير أسد الدين بنهب دار شاور فنهبت .

ودخل أسد الدين شيركوه[(٨)] على العاضد ، فاستوزره ، وخلع عليه خلعة عظيمة ، ولقّبه الملك المنور . فسكن دار شاور ، وعظم شأنه هنالك .

قال ابن أبي طي[(٩)] : ولما بلغ ذلك العادل نور الدين خبر فتح مصر فرح بذلك ، وقصدته الشعراء بالتهنئة غير أنه لم ينشرح لكون أسد الدين صار وزيراً للعاضد ، وكذلك لما انتهت الوزارة إلى ابن أخيه صلاح ، وشرع في إعمال الحيلة في إزالة ذلك فلم يتمكن ، ولا قدر عليه ، ولاسيما حين[(١٠)] بلغه أن صلاح الدين استحوذ على خزائن العاضد ، كما سيأتي بيانه ، [إن شاء الله][(١١)] ، والله أعلم .

---

(١) ا : وأجريت لهم الخيرات .
(٢) آ : وخرجت .
(٣) العبارة في ط : يماطل بما كان التزمه للملك نور الدين .
(٤) ليس في آ .
(٥) ط : يوسف .
(٦) ط : عليه .
(٧) ط : وأرسلوا إليه .
(٨) عن آ وحدها .
(٩) هو يحيى بن حميدة بن ظافر بن علي بن عبد الله الغساني الحلبي الشهير بابن أبي طي النجار مؤرخ أديب من أهل حلب شيعي ، توفي سنة ٦٣٠هـ . ترجمته في الأعلام (٩/ ١٧٥) ومعجم المؤلفين (١٣/ ١٩٥) .
(١٠) ط : أنه .
(١١) عن ط وحدها .

وأرسل أسد الدين إلى القصر يطلب كاتباً ، فأرسلوا إليه بالقاضي[(١)] الفاضل ، [رجاء أن يقتل معه إذا قتل فيما كانوا يؤمِّلون][(٢)] ، وبعث أسد الدين العمال في الأعمال وأقطع الإقطاعات ، وولي في[(٣)] الولايات وفرح بنفسه أياماً معدودات ، فأدركه حِمامُهُ في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة . وكانت[(٤)] ولايته شهرين وخمسة أيام ، فلما توفي أسد الدين شيركوه ، رحمه الله ، أشار الأمراء الشاميون على العاضد بتولية صلاح الدين يوسف الوزارة بعد عمه ، فولّاه العاضد الوزارة ، وخلع عليه خلعة سنية ، ولقّبه الملك الناصر ، رحمه الله .

صفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين يومئذ مما ذكره الشيخ شهاب الدين في « الروضتين »[(٥)]

عمامة بيضاء تِنيسيّ[(٦)] بطرف ذهب ، وثوب دَبِيقي[(٧)] بطراز ذهب ، [وجبة بطراز ذهب][(٨)] ، وطيلسان مطرَّز بذهب[(٩)] ، وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار ، وسيف مُحلّى بخمسة آلاف دينار ، وحِجر[(١٠)] بثمانية آلاف دينار ، وعليها طوق ذهب وسرفسار[(١١)] ذهب مجوهر ، وفي رأسها مئتا حبة جوهر ، وفي قوائمها أربعة عقود جوهر ، وفي رأسها قصبة ذهب ، وفي رأسها شدة[(١٢)] بيضاء بأعلام بيض . ومع الخلعة عدة بقج[(١٣)] ، وخيل وأشياء أُخر . ومنشور الوزارة ملفوف في ثوب أطلس أبيض .

---

(١) ط : القاضي .
(٢) العبارة في ط : رجاء أن يقبل منه إذا قال وأفاض فيما كانوا يؤملون . وهو تصحيف . والخبر في الروضتين (١/ ١٥٩) .
(٣) ليس في ط .
(٤) آ : فكانت .
(٥) الروضتين (١/ ١٧٣) .
(٦) تنيس ـ كسكين ـ بلد بجزيرة من جزائر بحر الروم قرب دمياط ، تنسب إليه الثياب الفاخرة . القاموس والتاج ومعجم البلدان .
(٧) ط : ديبقي . وهو تصحيف . ودبيق ـ كأمير ـ بلد بمصر منها الثياب الدَّبيقية والدَّبقية . القاموس ومعجم البلدان والروضتين (١/ ١٧٢) والكواكب الدرية (١٧٩) .
(٨) ليس في آ .
(٩) ط : بطراز مذهّبة ، وفي الروضتين والكواكب : وطيلسان دبيقي بطراز دقيق ذهبي .
(١٠) الحجر : الأنثى من الخيل . القاموس والتاج . وفي الروضتين : وفرس حجر صفراء ، وفي الكواكب : وفرس حجرة صفراء .
(١١) آ : وشربشار .
(١٢) ط : فيها تندة بيضاء .
(١٣) جمع بقجة ، وهي ما تلف فيها الأقمشة والثياب ، وهي مستعملة إلى اليوم في العامية العراقية (بشار) .

وكان ذلك يوم الإثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، فكان[١] يوماً مشهوداً ، وسار الجيش بكماله في خدمته ، ولم يتخلّف عنهم سوى عين الدولة الياروقي قال : لا أخدم يوسف بعد نور الدين ، وسار بجيشه إلى الشام ، فلامه نور الدين على ذلك .

وأقام الملك صلاح الدين [بالديار المصرية] بصفة[٢] نائب للملك نور الدين ، يُخْطَبُ له على المنابر بالديار المصرية . ويكاتبه نور الدين بالأمير الأسفهلار صلاح الدين ، ويتواضع له صلاح الدين في الكتب والعلامة ، ولكن قد التفّت عليه القلوب ، وخضعت له النفوس ، واضطهد العاضد في أيامه غاية الاضطهاد ، وارتفع قدر صلاح الدين بين العباد في تلك البلاد ، وزاد في إقطاعات الذين معه ، فأحبوه وخدموه واحترموه[٣] . وكتب إليه نور الدين يعنّفه على قبول الوزارة بدون مرسومه ، وأمره أن يقيم حساب الديار المصرية ، فلم يلتفت الناصر إلى ذلك ، وجعل نور الدين يقول في غضون ذلك : ملك ابن أيوب . وأرسل صلاح الدين إلى الملك نور الدين يطلب منه أهله وإخوته وقرابته ، فأرسلهم إليه ، وشرط عليهم السمع والطاعة له ، فاستقر أمره هنالك[٤] ، وتوطدت[٥] دولته بذلك ، وكمل أمره ، وتمكن سلطانه ، وقويت أركانه .

وقد قال بعض الشعراء في قتل صلاح الدين لشاور الوزير[٦] : [من الطويل]

هنيئاً لِمِصْرَ حَوْزُ[٧] يوسفَ مُلْكَها بأَمْرٍ من الرَّحْمنِ قَدْ[٨] كان مَوْقُوتا
وما كانَ فيها قَتْلُ يوسفَ شاوراً يُماثِلُ إلّا[٩] قَتْلَ داودَ جالوتا[١٠]

قال أبو شامة[١١] : وقتل العاضد في هذه السنة أولاد شاور وهم : شجاع الملقب بالكامل ، والطاري الملقب بالمعظم ، وأخوهما الآخر الملقب بفارس المسلمين ، وطيف برؤوسهم ببلاد مصر .

---

(١) ط : ثم سار .
(٢) ط : صفة .
(٣) ط : فأحبوه واحترموه وخدموه .
(٤) ط : بمصر .
(٥) آ : وحفظ ، ط : وتوطأت .
(٦) البيتان مع ثالث في ديوان العماد (٨٦) والروضتين (١/ ١٨٠) .
(٧) ط : هيا لمصر حور . وهو تصحيف .
(٨) ليس في ط .
(٩) ليس في آ .
(١٠) بعده في الديوان والروضتين :
وقلتُ لقلبي أبشر اليوم بالمنى فقد نلتَ ما أَمَّلتَ بل حزت ماشيتا
(١١) الروضتين (١/ ١٨٠) .

ذكر مقتل[(١)] الطواشي مؤتمن الخلافة وأصحابه على يد الملك صلاح الدين ، [نصره الله][(٢)]

وذلك أنه[(٣)] كتب من دار الخلافة بمصر إلى الفرنج ليقدموا إلى[(٤)] الديار المصرية ، ليخرجوا منها الجيوش الإسلامية الشامية والعساكر النورية ، وكان الذي يفد[(٥)] بالكتاب إليهم الخادم[(٦)] مؤتَمن الخلافة ، مقدم العساكر بالقصر ، وكان حبشياً ، وكان قد أرسله[(٧)] مع إنسان أمن إليه ، فصادفه[(٨)] في بعض الطريق من أنكر حاله ، وحمله إلى الملك الناصر صلاح الدين ، فقرّره ، فأخرج الكتاب ، ففهم صلاح الدين الحال وكتمه . واستشعر مؤتَمن الخلافة الخادم[(٩)] أن الملك صلاح الدين قد اطّلع على الأمر ، فلازم القصر مدة طويلة خوفاً على نفسه ، ثم عنَّ له في بعض الأيام أن خرج إلى الصيد فأرسل الملك صلاح الدين إليه من قبض عليه وقتله ، وحمل رأسه إليه ، ثم عزل جميع الخدّام الذين يلون خدمة القصر ، واستناب على القصر عوضهم بهاء الدين قراقوش ، وأمره أن يطالعه بجميع الأمور صغارها وكبارها .

وقعة السودان

وذلك أنه لما قتل مؤتَمن الخلافة الخادم الحبشي ، وعزل بقية الخدام غضبوا لذلك ، واجتمعوا قريباً من خمسين ألفاً ، فاقتتلوا هم وجيش الملك الناصر صلاح الدين بين القصرين ، فقتل خلق كثير من الفريقين ، وكان العاضد ينظر من القصر إلى المعركة ، وقد قذف الجيش الشامي من القصر بحجارة ، وجاءهم منه سهام ، فقيل : كان ذلك بأمر العاضد ، وقيل : لم يكن بأمره . ثم إنَّ أخا[(١٠)] الناصر شمس

---

(١) ط : قتل .
(٢) عن ب وحدها .
(٣) ب : لأنه .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) أ : وكان الذي نفذ الكتاب .
(٦) ط : الطواشي .
(٧) ط : وأرسل الكتاب .
(٨) ب : فصدفه .
(٩) ط : الطواشي مؤتمن الخلافة .
(١٠) أ : فجمع أخو ، ب : فأمر أخو .

الدولة تورانشاه[١] ، وكان حاضراً للحرب ، قد بعثه نور الدين إلى أخيه[٢] ليشدّ أزره ، أمر بإحراق منظرة العاضد ، ففتح بابها[٣] ، ونودي : إن أمير المؤمنين يأمركم أن تخرجوا هؤلاء السودان من بين أظهركم ومن بلادكم ، فقوي الشاميون ، وضعف جأش السودان جدًّا . وأرسل [الملك الناصر][٤] إلى محلّتهم[٥] المعروفة بالمنصورة ، التي فيها دورهم وأهلوهم وأولادهم بباب زويلة فأحرقها ، فولّوا عند ذلك مدبرين ، وركبهم السيف ، فقُتل منهم خلق كثير[٦] ، ثم طلبوا الأمان من الملك صلاح الدين ، فأجابهم إلى ذلك ، وأخرجهم إلى الجيزة[٧] ، ثم خرج إليهم[٨] شمس الدولة تورانشاه أخو الملك صلاح الدين الأكبر[٩] ، فقتل أكثرهم أيضاً ، ولم يبق منهم إلا القليل : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾ [النمل : ٥٢] .

وفيها : افتتح الملك نور الدين محمود بن زنكي قلعة جعبر ، وانتزعها من يد صاحبها شهاب الدين مالك بن علي بن مالك[١٠] العقيلي ، وكانت في أيديهم من أيام السلطان ملكشاه .

وفيها : احترق جامع حلب ، فجدده نور الدين .

وفيها : مات ياروق[١١] الذي تنسب إليه المحلة بظاهر حلب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي[١٢] ، أبو الحسن الواعظ الحنبلي :

---

(١) ط : نورشاه . تصحيف . والخبر في وفيات الأعيان (١/ ٣٠٦) .
(٢) ط : لأخيه .
(٣) ط : الباب .
(٤) ط : السلطان .
(٥) ط : محلة السودان .
(٦) ط : خلقاً كثيراً .
(٧) أ : الجزيرة . وهو تصحيف . انظر الروضتين (١/ ١٧٨) .
(٨) ط : لهم .
(٩) ليست اللفظة في ط ، وفي أ : الأكثر ، وفي ب : الآخر . وكلاهما تصحيف . والخبر في وفيات الأعيان (١/ ٣٠٦) .
(١٠) أ : بلل بن علي بن بلل ، وفي ب : فلك بن علي العقيلي ، معجم البلدان (جعبر) وابن الأثير (٩/ ٩٨) .
(١١) ط : ماروق . وهو تصحيف . معجم البلدان (الياروقية) والروضتين (١/ ١٨٠) ووفيات الأعيان (٦/ ١١٧ ـ ١١٨) ومختصر أبي الفداء (٣/ ٤٨) .
(١٢) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٢٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٣١٧) والوافي (١٣/ ١٤٩) وفوات الوفيات (٢/ ٤٦) وذيل ابن رجب (١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٥) .

ولد[١] سنة ثمانين وأربعمئة . وسمع الحديث وتفقّه ووعظ ، وكان لطيف الوعظ . وقد[٢] أثنى عليه ابن الجوزي في ذلك ، وذكر أنه سئل مرة عن أحاديث الصفات ، فنهى عن التعرض لذلك ، وأنشد[٣] :

[طويل][٤]

أَبَى العاتِبُ[٥] الغَضْبانُ يا نَفْسُ أَنْ يَرْضَى[٦] وَأَنْتِ الَّتِي صَيَّرتِ طاعَتَهُ فَرْضَا
فَلا تَهْجُري مَنْ لاَ تُطيقينَ هَجْرَهُ وإِنْ هَمَّ بالهِجْرانِ خَدَّيْكِ[٧] والأَرْضا

وذكر ابن الجوزي[٨] عنه أنه قال : خفتُ مرةً من الخليفة ، فهتف بي هاتفٌ في المنام ، وقال لي : اكتب[٩] : [من الكامل]

اِدْفَعْ بِصَبْرِكَ حادِثَ الأَيّام وتَرَجَّ لُطْفَ الواحِدِ العَلَّامِ[١٠]
لا تَيْأَسَنَّ وإِنْ تَضَايَقَ كَرْبُها وَرَمَاكَ رَيْبُ صُروفِها بِسِهامِ
فَلَهُ تَعالَى بَيْنَ ذَلِكَ فُرْجَةٌ تَخْفَى على الأَبْصارِ والأَوْهَامِ[١١]
كَمْ مَنْ نَجا من بَيْنِ أَطْرَافِ القَنا وفَرِيسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ الضِّرْغامِ

توفي في شعبان [من هذه السنة][١٢] عن أربع وثمانين سنة[١٣] ، ودفن إلى جانب رباط الزوزني ، ثم نقل إلى مقبرة الإمام أحمد .

شاور بن مجير ، أبو شجاع السعدي[١٤] ، الملقب أمير الجيوش ، وزير الديار المصرية أيام العاضد .

---

(١) أ : ولد في ، ب : مولده سنة .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ليست اللفظة في أ .
(٤) البيتان في المنتظم وذيل ابن رجب .
(٥) أ ، ط ، والمنتظم : الغائب .
(٦) في الأصول : ترضى . وما هنا عن المنتظم .
(٧) المنتظم : خدك .
(٨) المنتظم (١٠/ ٢٢٨) .
(٩) الأبيات في المنتظم وذيل ابن رجب .
(١٠) ليس البيت في أ .
(١١) ط : تخفى على الأفهام والأوهام .
(١٢) ط : منها .
(١٣) عن ط وحدها .
(١٤) ط : شاور بن مجير الدين . وليست لفظة (الدين) في أ ، ب ولا عند من ترجموا له . ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٩٩ ـ ١٠١) والروضتين (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٨) ومختصر أبي الفداء (٣/ ٤٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٣١٧ ـ ٣١٩) والعبر (٤/ ١٨٦) ومرآة الجنان (٣/ ٣٧٤) .

وهو الذي انتزع الوزارة من أيدي بني[١] رُزِّيك ، وهو أول من استكتب القاضي الفاضل ، استدعى به من إسكندرية من باب السدرة[٢] ، فحظي عنده ، وانحصر منه الكتّاب بالقصر لما رأوا من فضله وفضيلته . وقد امتدحه الشعراء ، فمنهم عمارة اليمني حيث يقول[٣] : [من الكامل]

ضَجِرَ الحَديدُ مِنَ الحَدِيدِ وشاوَرٌ مِنْ[٤] نَصْرِ دِينِ[٥] مُحَمَّدٍ لَمْ يَضْجَرِ
حَلَفَ الزَّمانُ ليأتِيَنَّ بِمِثْلِهِ حَنِثَتْ يَمينُكَ يا زَمانُ فكفِّرِ

ولم يزل قائماً إلى أن ثار عليه الأمير ضرغام بن سَوّار ، فالتجأ إلى الملك[٦] نور الدين ، فأرسل معه الأمير أسد الدين شيركوه ، فنصروه على عدوه ، فنكث عهده ، [وجهل حدَّه][٧] ، فلم يزل أسد الدين حنقاً عليه ، حتى كان قتله في هذه السنة على يدي ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، ضرب عنقه بين [يديه الأمير جرديك][٨] في السابع عشر من ربيع الآخر . واستوزر بعده أسد الدين [شيركوه ، كما ذكرنا][٩] ولم تطل مدته بعده إلا شهرين وخمسة أيام .

قال ابن خلكان[١٠] : هو أبو شجاع شاور بن مُجير[١١] بن نزار بن عشائر بن شَأْس بن مُغيث بن حبيب ابن الحارث بن ربيعة بن مخيس[١٢] بن أبي ذؤيب عبد الله ، وهو والد حليمة السعدية[١٣] .

كذا[١٤] قال ، وفي هذا نظر لقصر هذا النسب بالنسبة إلى بُعد المدة ، والله أعلم .

(١) عن أ وحدها .
(٢) أ : السدرة .
(٣) البيتان في وفيات الأعيان .
(٤) أ : في نصر .
(٥) في الأصلين : آل .
(٦) ليس في ط .
(٧) عن ب وحدها .
(٨) ط : بين يدي الأمير جردنك . وهو تصحيف . وفيات الأعيان : ترجمة شاور .
(٩) ليس في ط .
(١٠) وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٩) .
(١١) ط : مجير الدين .
(١٢) اللفظة مصحفة في الأصلين ، وفي وفيات الأعيان : يخنس .
(١٣) جمهرة ابن الكلبي (٢/ ٨٨) وجمهرة ابن حزم (٢٦٥) .
(١٤) ليس في أ .

شيركُوه بن شاذي[١] أسد الدين الكردي الرَّوادي[٢] :

وهم أشرف شعوب الأكراد[٣] ، وهو من قرية يقال لها دُوِين[٤] ، من أعمال أذربيجان . خدم هو وأخوه نجم الدين أيوب ـ وكان الأكبر ـ الأمير[٥] مجاهد الدين بِهْرُوز الخادم شحنة العراق ، فاستناب نجم الدين أيوب[٦] على قلعة تكريت ، فاتفق أن دخلها الملك عماد الدين زنكي[٧] هارباً من قراجا الساقي ، فأحسنا إليه وخدماه ، ثم اتفق أن قتل[٨] رجلاً من العامة في تأديب ، فأخرجهما بهروز من القلعة ، فصارا إلى زنكي بحلب ، فأحسن إليهما ، ثم حظيا عند ولده نور الدين محمود ، فاستناب أيوب على بعلبك[٩] ، وأقرّه نور الدين وصار أسد الدين عند نور الدين أكبر أمرائه ، وأخصّهم عنده . وكان قد أقطعه الرحبة وحمص ، مع ما له عنده من الإقطاعات ، وذلك لشهامته وشجاعته وصرامته وجهاده في أعداء الله[١٠] الفرنج وغيرهم ، في أيام معدودات ومعدودة ، ووقَعات معتبرات ومحمودة ، ولا سيما يوم فتح الشهيد دمشق المحروسة بالنصر ، وأعجب من ذلك ما فعله بديار مصر ، فَبَلَّ الله بالرحمة ثراه ، وجعل الجنة مأواه ، وكانت وفاته يوم السبت فجأة بخانوق حصل له ، وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة رحمه الله .

---

(١) ترجمته في سنا البرق الشامي (١/ ٨٠ ـ ٨١) وابن الأثير (٩/ ١٠١ ـ ١٠٢) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨١) وتاريخ ابن العبري (٣٦٩ ـ ٣٧٠) ومختصر أبي الفداء (٣/ ٤٦ ـ ٤٧) والعبر (٤/ ١٨٦ ـ ١٨٧) ومرآة الجنان (٣/ ٣٧٤) والكواكب الدرية (١٧٩) . وعند ابن خلّكان أن شيركوه لفظ أعجمي معناه أسد الجبل ، لأن شير : أسد ، وكوه : جبل .

(٢) أ : الزراري ، ب : الدراري ، ط : الزرزاري . وما هنا عن مصادر الترجمة . وهو بفتح الراء والواو : بطن من الهَذَبانية قبيلة كبيرة من الأكراد . تاريخ ابن العبري (٣٧٠) ووفيات الأعيان (٧/ ١٣٩) ومختصر أبي الفداء (٣/ ٤٧) .

(٣) قال الذهبي : « وأنكر جماعة من بني أيوب النسبة إلى الأكراد وقالوا : إنما نحن عرب نزلنا عند الأكراد وتزوجنا منهم » تاريخ الإسلام (١٢/ ٣١٩) (بشار) .

(٤) ط : درين . وهو تصحيف . ودوين : بكسر الدال ـ عند ياقوت ـ أو بضمها عند ابن خلكان (٧/ ١٣٩) ـ وكسر الواو ، وسكون الياء ، وبعدها نون : وهي بلدة في آخر عمل أذربيجان ، من جهة أرّان ، بالقرب من تِفْليس ، ولم يذكر كي لوسترانج دوين أثناء حديثه عن أرّان وتفليس في بلدان الخلافة الشرقية . وتقع تفليس اليوم في جمهورية جورجيا .

(٥) عن ب وحدها .

(٦) عن ط وحدها .

(٧) ليس في ب .

(٨) أ : قتلا .

(٩) أ : بعلبك زنكي .

(١٠) ب : أعدائه . وليست اللفظة في ط .

وقال[١] الشيخ شهاب الدين[٢] : وإليه تنسب الخانقاه[٣] الأسدية داخل باب الجابية بدرب الهاشميين ، والمدرسة[٤] الأسدية بالشرف[٥] القبلي .

وآل الأمر من بعده إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، ثم استوسق[٦] له الملك ، وأطاعته الممالك هنالك ، ولله الحمد .

محمد بن عبد الباقي بن أحمد[٧] بن سلمان المعروف بابن البطي :

سمع الحديث الكثير ، وأسمع ، ورحل إليه ، وقارب التسعين ، رحمه الله .

محمد الفارقي[٨] ، أبو عبد الله الواعظ : يقال : إنه كان يحفظ نهج البلاغة ، ويغيّر[٩] ألفاظه . وكان فصيحاً بليغاً ، يكتب كلامه ، ويروى عنه كتاب يعرف بـ « الحكم الفارقية » .

مُعَمَّر بن عبد الواحد بن رجاء[١٠] ، أبو محمد[١١] الأصبهاني[١٢] :

أحد الحفاظ الوعاظ ، روى عن أصحاب أبي نعيم ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث . توفي وهو ذاهب إلى الحج بالبادية .

---

(١) ب : ثم قال ، ط : قال أبو شامة .
(٢) الروضتين (٢/ ٧٥) .
(٣) منادمة الأطلال (٢٧٢) .
(٤) منادمة الأطلال (٧٩) .
(٥) ط : الشرق . وهو تصحيف .
(٦) ب : استوثق ، وما هنا من أ ، ط ، واستوسق : اجتمع .
(٧) في ط ، وبعض النسخ : « محمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن أحمد » ولا يصح ، ولا يوجد مثل هذا في كتب التراجم ، وما أثبتناه هو الصواب ، وابن البطي هذا شيخ بغدادي مشهور ، ولد سنة ٤٧٩ ، وسمع ، وروى عنه الجم الغفير ، وله ترجمة في المنتظم (١٠/ ٢٢٩) والتقييد لابن نقطة (٨٣) وتاريخ ابن الدبيثي (٢/ ٧١ ـ ٧٣) وتاريخ ابن النجار كما في المستفاد (١٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) وغيرها (بشار) .
(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٢٩) وخريدة الشام (٢/ ٤٣١ ـ ٤٥٤) وابن الأثير (٩/ ١٠٥) ووفيات الأعيان (٥/ ١٥٦) ومختصر أبي الفداء (٣/ ٤٨) والعبر (٤/ ١٨٨) والوافي (٤/ ٤٤) وفي بعض هذه المصادر أن اسمه : محمد بن عبد الملك الفارقي .
(٩) ط : ويعبر . وهو تصحيف . المنتظم (١٠/ ٢٢٩) .
(١٠) ط وابن الأثير : بن رجار .
(١١) كذا في الأصلين وابن الأثير ، وفي ط وباقي المصادر : أبو أحمد .
(١٢) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٢٩) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١١٠) والعبر (٤/ ١٨٩) ومرآة الجنان (٣/ ٣٧٧) .

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمئة

في صفر منها حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر خمسين يوماً ، بحيث ضيّقوا على أهلها ، وقتلوا منهم خلقاً في أمم لا يحصون كثرة[١] ، قد تجمّعوا من البر والبحر ، رجاء أن يملكوا الديار المصرية ، وخوفاً من استيلاء المسلمين على القدس . فكتب الملك[٢] صلاح الدين إلى الملك[٣] نور الدين يستنجده عليهم ، ويطلب منه أن يرسل إليه بإمداد من الجيوش ، فإنه إن خرج من مصر خلفه[٤] أهلها بسوء ، وإن غفل[٥] عن الفرنج أخذوا دمياط ، وجعلوها معقلاً لهم يتقوون به[٦] على أخذ مصر ، فارسل إليه [نور الدين][٧] ببعوث كثيرة ، يتبع بعضها بعضاً ، ثم إن نور الدين اغتنم غيبة الفرنج عن بلادها[٨] ، فصمد إليهم في جيشه[٩] ، فجاس خلال ديارهم ، وغنم من أموالهم ، وقتل من رجالهم وسبى من نسائهم وأطفالهم شيئاً كثيراً . وكان[١٠] من[١١] جملة من أرسله[١٢] إلى صلاح الدين أبوه الأمير نجم الدين أيوب في[١٣] جيش من تلك الجيوش ، ومعه بقية أولاده ، فتلقاه الجيش من مصر في رجب . وخرج العاضد لتلقّيه إكراماً لولده صلاح الدين ، وأقطعه الإسكندرية[١٤] ودمياط والجيزة وكذلك لبقية[١٥] أولاده ، وقد أمدَّ العاضد الملك صلاح الدين في هذه الكائنة بألف ألف دينار حتى انفصلت[١٦] الفرنج عن دمياط ، وأجلت الفرنج عن دمياط ، لأنه بلغهم أن الملك نور الدين قد حاصر[١٧] بلادهم ،

---

(١) ب : وقتلوا منهم ما لا يحصون كثرة قد لحقوا ، ط : أمماً كثيرة جاؤوا إليها .
(٢) ليس في ط .
(٣) عن أ وحدها .
(٤) أ : خلف .
(٥) ط : قعد .
(٦) ط : بها .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ط : بلدانهم .
(٩) ط : جيوش كثيرة .
(١٠) ليس في ب .
(١١) ط : في .
(١٢) أ ، ب : أرسل إلى صلاح الدين أن بعث ـ ب : أرسل ـ الأمير نجم الدين أيوب أباه .
(١٣) ليس في أ .
(١٤) ب ، ط : إسكندرية .
(١٥) أ : بقية .
(١٦) أ : انقطعت .
(١٧) ط : غزا .

وقتل خلقاً من رجالهم ، وسبى كثيراً من نسائهم وأطفالهم ، وغنم مالاً جزيلاً من أموالهم ، فجزاه الله عن الإسلام خيراً ، ثم سار نور الدين في جمادى الآخرة إلى الكرك[١] ، فحاصرها وكانت من أمنع البلاد ، فكاد[٢] أن يفتحها ، ولكن بلغه أن مُقَدَّمَيْن من الفرنج قد أقبلا نحو دمشق ، فخاف أن يلتفّ[٣] عليهما الفرنج ، فترك الحصار ، وأقبل إلى[٤] دمشق فحصّنها ، ولمّا أجلت الفرنج عن دمياط فرح نور الدين والمسلمون فرحاً شديداً ، وأنشد الشعراء كل[٥] منهم في ذلك قصيداً[٦] ، وقد كان الملك نور الدين شديد الاهتمام ، قوي الاغتمام بذلك ، حتى إنه قرأ عليه بعض طلبة الحديث جزءاً[٧] فيه حديث مسلسل بالتبسُّم ، فطلب منه أن يتبسَّم[٨] ليتصل[٩] التسلسل ، فامتنع من ذلك ، وقال : إني لأستحي من الله أن يراني متبسِّماً ، والمسلمون يحاصرهم الفرنج بثغر دمياط .

وقد ذكر[١٠] الشيخ [شهاب الدين][١١] أن إمام مسجد[١٢] أبي الدرداء بالقلعة المنصورة رأى في تلك الليلة التي أجلى الفرنج فيها عن دمياط رسولَ الله ﷺ ، وهو يقول له : سَلِّمْ على نور الدين وبشّرْهُ بأَنَّ الفرنج قد رحلوا عن دمياط ، فقلت : يا رسول الله ، بأي علامة ؟ فقال : بعلامة ما سجد يوم تل حارم ، وقال في سجوده : اللّهم انصر دينك ، [ولا تنصر محموداً][١٣] ، ومن هو محمود الكلب ؟ فلما صلّى نور الدين عنده صلاة الصبح بشرّه بذلك ، [وأخبره بالعلامة ، فلما جاء إلى عند ذكر : (من هو محمود الكلب) انقبض من قول ذلك ، فقال له نور الدين : قل ما أمرك به رسول الله ﷺ : فقال ذلك ، فقال : صدقت ، وبكى نور الدين تصديقاً وفرحاً بذلك ، ثم كشفوا فإذا الأمر كما أخبر في المنام][١٤] .

---

(١) ط : الكرخ ، وهو تصحيف . الروضتين (١/ ١٨٣) .
(٢) ط : وكاد .
(٣) ب : يلتفت .
(٤) ط : نحو .
(٥) أ : كلاً .
(٦) أورد أبو شامة من هذه القصائد ثلاثة ، منها لعمارة اليمني ، ولفتيان الشاغوري ، وللعماد الأصفهاني . الروضتين (١/ ١٨١ ـ ١٨٢) .
(٧) أ : خبراً ، ط : جزءاً في ذلك .
(٨) أ : تبسم .
(٩) ط : ليصل .
(١٠) القصة بتفصيل أكثر في الروضتين (١/ ١٨١) .
(١١) ط : أبو شامة .
(١٢) يقع في الجهة الشمالية من قلعة دمشق على الطريق الذي شق حديثاً .
(١٣) ما بين المعقوفتين عن الروضتين .
(١٤) أ ، ب : وأعلمه بالعلامة ففرح وكشفوا تلك الليلة فإذا هي هي ، وما أثبتناه من ط والروضتين .

قال العماد الكاتب[١] : وفي هذه السنة عمر الملك نور الدين جامع داريا ، وعمر مشهد أبي سليمان الداراني بها ، وشَتَّى بدمشق .

وفيها : حاصر [نور الدين][٢] الكرك أربعة أيام ، وفارقه من هناك نجم الدين أيوب [والد صلاح الدين][٣] متوجّهاً إلى ابنه بمصر ، وقد وصّاه الملك نور الدين أن يأمر ابنه صلاح الدين أن يخطب للخليفة المستنجد العباسي بمصر[٤] ، وذلك أن الخليفة بعث يعاتبه في ذلك ، وقدم الفرنج من السواحل ليمنعوا الكرك مع فيليب بن الدقيق[٥] وابن الهَنْفَري ، وكانا أشجع فرسان الفرنج ، فقصدهما نور الدين ليتلقاهما[٦] فحادا عن طريقه .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة ، وعمت أكثر الأرض ، فتهدمت[٧] أسوار كثيرة بالشام ، وسقطت دور كثيرة على أهلها ، ولاسيما بدمشق وحمص وحماة وحلب وبعلبك سقطت أسوارها وأكثر قلعتها ، فجدد الملك نور الدين عمارة أكثر ما سقط بهذه الزلزلة[٨] .

وفيها : توفي الملك قطب الدين مودود بن زنكي[٩] ، صاحب الموصل[١٠] ، أخو نور الدين محمود ، وله من العمر أربعون سنة ، ومدة ملكه منها إحدى وعشرون سنة . وكان من خيار الملوك ، محبَّباً إلى الرعية[١١] ، عطوفاً عليهم[١٢] ، محسناً إليهم ، حسن الشكل . وتملَّك من بعده ولده سيف الدين غازي ابن الست خاتون بنت تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق ، أصحاب ماردين ، وكان مدبِّر مملكته والمتحكِّم فيهم[١٣] فخر الدين عبد المسيح ، وكان ظالماً غاشماً .

---

(١) سنا البرق الشامي (١/ ٨٨ ـ ٨٩) .
(٢) ليس في ط .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : أن يخطب بمصر .
(٥) اللفظتان كثيرتا التصحيف فيما بين أيدينا من النسخ، وعند ابن الأثير : قريب بن الرقيق ، وفي الروضتين (١/ ١٨٣): فليب بن الرفيق ، وما هنا عن سنا البرق الشامي (١/ ٩٠) وفي حاشيته أن اسمه : L hilipe de Milly .
(٦) ط : ليقابلهما .
(٧) ط : وتهدمت .
(٨) ما وقع بهذه الأماكن .
(٩) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ١٠٦ ـ ١٠٧) ومرآة الزمان (٨/ ٢٨٠) والروضتين (١/ ١٨٦ ـ ١٨٧) ووفيات الأعيان (٥/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) والعبر (٤/ ١٩١) ومرآة الجنان (٣/ ٣٧٨) والأعلام (٨/ ٦٥) وفيه ذكر لمصادر أخرى .
(١٠) ط : أخو نور الدين صاحب الموصل .
(١١) أ : للرعية .
(١٢) ب : إليهم .
(١٣) ط : فيها .

وفيها : كانت حروب كثيرة بين ملوك المغرب بجزيرة الأندلس ، وكذلك كانت حروب كثيرة بين ملوك المشرق أيضاً .

وحجّ بالناس [في هذه السنة والتي قبلها][١] الأمير بزغش الكبير .

ولم[٢] أر أحداً من أكابر الأعيان توفي فيها .

ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمئة

فيها : كانت وفاة المستنجد وخلافة ابنه المستضيء ، وذلك أن الخليفة[٣] المستنجد كان قد مرض في أول هذه السنة ، ثم عوفي [فيما يبدو للناس][٤] ، فعُملت[٥] ضيافة عظيمة بسبب ذلك ، وفرح الناس بذلك ، ثم أدخله الطبيب[٦] إلى الحمَّام ، وفيه[٧] ضعف شديد ، فمات في الحمَّام ، رحمه الله[٨] .

ويقال : إن ذلك كان بإشارة بعض الدولة على الطبيب استعجالاً لموته ، [فكانت وفاته][٩] يوم السبت بعد الظهر[١٠] ثامن[١١] ربيع الآخر عن ثمان وأربعين سنة . وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً .

وكان من خيار الملوك وأعدلهم وأرفقهم بالرعايا ، وضع[١٢] عنهم المكوس والضرائب ، ولم يترك بالعراق مَكساً ، وقد شفع إليه بعض أصحابه في رجل شرِّير ، وبذل[١٣] فيه عشرة آلاف دينار ، فقال له الخليفة : أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وائتني بمثله لأريح المسلمين من شرِّه .

---

(١) ط : فيها وفيما قبلها .
(٢) سقط هذا السطر من أ .
(٣) ليس في ط .
(٤) ليس في ب .
(٥) ط : فعمل .
(٦) أ : الحكيم .
(٧) أ : وعنده ، ط : وبه .
(٨) تقدمت مصادر ترجمته عند ذكر ولايته سنة ٥٥٥ .
(٩) ط : توفي .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) في ب ، ط : ثاني . مرآة الزمان . وعند ابن الأثير : تاسع ربيع الآخر .
(١٢) ط : ومنع .
(١٣) أ ، ب : فبذل . وقبلها في ب : وكان المستنجد . ولا لزوم لها .

وكان المستنجد أسمر طويل اللحية ، وهو الثاني والثلاثون[١] من العباسيين ، وذلك في الجُمَّل (لام ، باء)[٢] . ولهذا قال فيه بعض الأدباء : [من البسيط]

أَصْبَحْتَ لُبَّ بَني العباسِ كُلِّهِم   إنْ عُدِّدَتْ بِحِسَابِ الجُمَّلِ الخُلَفا[٣]

وكان أمَّاراً بالمعروف ، نهَّاءً عن المنكر ، [رحمه الله][٤] . وقد رأى في المنام رسول الله ﷺ غير مرة ، فكانت[٥] آخرهن قبل أن يلي بأربعة أيام ، وهو يقول له : قل اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، دعاء القنوت بتمامه[٦] .

وصُلِّي عليه يوم الأحد قبل الظهر ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى الترب من الرصافة ، رحمه الله تعالىٰ[٧] .

خلافة المستضيء[٨]

وهو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي ، وأمه أرمنية ، تدعى : غضة[٩] . وكان مولده في شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمئة . بويع له بالخلافة يوم مات أبوه ، وجلس بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر ، وبايعه الناس . ولم يَلِ الخلافةَ أحدٌ اسمه الحسن بعد الحسن بن علي غير هذا ، ووافقه في

---

(١) في كل الأصول : والثلاثين . وهو خطأ .
(٢) اللام = ٣٠ والباء = ٢ والمجموع = ٣٢ .
(٣) البيت في الروضتين (١/ ١٩٠) والكواكب (١٩٣) .
(٤) عن أ وحدها .
(٥) ب : وكانت .
(٦) دعاء قنوت الوتر ، رواه أحمد في المسند (١/ ١٩٩) والدارمي (١/ ٣٧٣) وأبو داود رقم (١٤٢٥) والترمذي رقم (٤٦٤) والنسائي (٣/ ٢٤٨) وابن ماجه رقم (١١٧٨) والحاكم في المستدرك (٣/ ١٧٢) والبيهقي في سننه (٢/ ٢٠٩) كلهم من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : علَّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شرّ ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، ولا يعزّ من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت » . وهو حديث صحيح قال الترمذي : ولا نعرف عن النبي ﷺ في القنوت في الوتر شيئاً أحسن من هذا .
أقول : وكان ﷺ يدعو بهذا الدعاء أحياناً ، ولم يكن يداوم عليه ، ففيه دليل على أنه غير واجب ، بل يستحب أن يدعو به الإنسان أحياناً ، ويتركه أحياناً . (ع) .
(٧) ليست العبارة في أ ، وليست تعالىٰ في ب .
(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وابن الأثير (٩/ ١٠٩) ومرآة الزمان (٨/ ٢٥٦) والعبر (٤/ ٢٢٣) والفخري (٢٥٧) وفوات الوفيات (١/ ٣٧٠) ومرآة الجنان (٣/ ٤٠١) .
(٩) ب ، ط : عصمة وما أثبت من أ وأمهات الخلفاء (٢٦) والمنتظم وفوات الوفيات وابن الأثير .

الكنية أيضاً ، وخلع يومئذ على الناس أكثر من ألف خلعة ، وكان يوماً مشهوداً ، وولى قضاء قضاة بغداد لروح بن الحديثي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر[١] ، وخلع على الوزير خلعة عظيمة، وهو الأستاذ عضد الدين[٢] ، وضربت على بابه نوبة[٣] في ثلاثة أوقات : الفجر والمغرب والعشاء ، وأمر سبعة عشر أميراً من المماليك[٤] ، وأذن للوعاظ فتكلموا بعدما كانوا قد منعوا مدة طويلة ، ثم كثر احتجابه بعد[٥] ذلك .

ومما نظمه[٦] العماد الكاتب حين جاءتهم البشارة بخلافة المستضيء وهم بأرض الموصل[٧] : [من الخفيف]

قَـدْ أَضَـاءَ الـزَّمَـانُ بـالمُسْتَضِـيءِ ... وارِثِ البُـرْدِ وابْـنِ عَـمِّ النَّبِـيءِ
جـاءَ بـالحَـقِّ والشَّـريعـةِ والعَـدْ ... لِ فَيـا مَـرْحبـاً بهـذا المَجِـيءِ[٨]
فَهَنِيئـاً لأَهْـلِ بَغْـدادَ فَـازُوا ... بَعْـدَ بُـؤْسٍ بِكُـلِّ عَيْـشٍ هَنِـيءِ
ومُضِـيءٌ إنْ كـانَ فـي الـزَّمَـنِ المُظْـ ... ـلِمِ ، فَالعَوْدُ[٩] في الزَّمانِ المُضِيءِ

وفيها : سار نور الدين [محمود بن زنكي][١٠] إلى الرقة فأخذها ، وكذلك[١١] نصيبين والخابور وسنجار ، وسلّمها إلى زوج ابنته ، ابن أخيه ، عماد[١٢] الدين [زنكي بن مودود][١٣] ، ثم سار إلى الموصل ، فأقام بها أربعة وعشرين يوماً ، وأقرّها على ابن أخيه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود مع الجزيرة ، وزوّجه ابنته الأخرى ، وأمر بعمارة جامعها وتوسعته[١٤] ، ووقف على تأسيسه بنفسه ،

---

(١) شهد عبد الملك بن روح بن أحمد الحديثي (أبو المعالي) عند أبيه باليوم الثاني من ولايته لقضاء القضاة ، وهو يوم السبت الثاني والعشرون من ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة ، وبذلك يكون يوم الجمعة حادي عشرين ربيع الآخر . انظر ترجمة عبد الملك بن روح الحديثي في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (١٦/ ٢٢) طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .
(٢) ط : عضد الدولة ، ترجمته في الفخري (٢٥٧) وفوات الوفيات (١/ ٣٧١) .
(٣) ط : دبابات .
(٤) أ : الممالك .
(٥) ب : هذا .
(٦) العبارة في ط : ولما جاءت البشارة بولايته إلى الموصل قال العماد الكاتب .
(٧) الأبيات هي ١ ، ٢ ، ٦ ، ١٣ من قصيدة مؤلفة من ١٣ بيتاً في ديوان العماد (٦٤ ـ ٦٥) وخريدة العراق (١/ ١٢) وهي كما هنا عدداً في الروضتين .
(٨) ط : المحيي . تصحيف .
(٩) ب ، ط : بالعود .
(١٠) ليس في ط .
(١١) ط : وكذا .
(١٢) ط : مودود بن عماد الدين .
(١٣) ليس في ب .
(١٤) أ : ووسعه .

وجعل له خطيباً ومدرساً للفقه ، وولّى التدريس للفقيه أبي بكر النوقاني[١] ، تلميذ محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وكتب له منشوراً بذلك ، ووقف على الجامع قرية من قرى الموصل ، وذلك كله بإشارة الشيخ الصالح العابد عمر الملا ، وقد كانت له زاوية يُقصد فيها ، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد ، يحضر فيها عنده الملوك والعلماء[٢] والأمراء والوزراء ، ويحتفل بذلك ، وقد كان الملك نور الدين صاحبه ، وكان يستشيره في أموره ، وما يعتمده[٣] من المهمّات ، وهو الذي أشار عليه في مدة مقامه بالموصل[٤] بجميع ما فعله من الخيرات ، فلهذا حصل بقدومه لأهل الموصل كل مسرّة ، واندفعت عنهم المصائب ، [وأسقط عنهم المكوس والضرائب][٥] .

وأخرج من بين أهلها[٦] الظالم الغاشم [فخر الدين][٧] عبد المسيح ، وسماه عبد الله ، وأخذه معه إلى دمشق ، فأقطعه إقطاعاً حسناً ، فجزاه الله خيراً . وقد كان عبد المسيح هذا نصرانياً ، فأظهر الإسلام . وكان يقال : إن له كنيسة في جوف داره . وكان سيّئ السيرة خبيث السريرة في حق العلماء والمسلمين خاصة[٨] . ولما دخل نور الدين الموصل كان الذي استأمن[٩] له الشيخ عمر الملا[١٠] .

وحين دخل نور الدين إلى[١١] الموصل خرج إليه ابن أخيه ، فوقف بين يديه ، فأحسن إليه وأكرمه[١٢] ، وألبسه خلعة جاءته من الخليفة ، فدخل بها[١٣] إلى البلد في أُبّهة عظيمة ، ولم يدخل نور الدين الموصل حتى قوي الشتاء ، فأقام بها ، كما ذكرنا أربعة وعشرين يوماً ، فلما كانت[١٤] آخر ليلة أقام

---

(١) أ : اليوقاني ، ب ، ط : البرقاني ، وفي سنا البرق الشامي (١/ ٩٨) : التوقاني ، وفي الروضتين (١/ ١٨٩) : التوقاتي . وكل ذلك تصحيف . وهو عماد الدين أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي العباس النوقاني الأصولي . ترجمته في تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (٤/ ٢/ ٧٥٣) .
(٢) ط : الملوك والأمراء والعلماء والوزراء .
(٣) ط : وممن يعتمده .
(٤) ط : في الموصل .
(٥) عن أ وحدها .
(٦) ط : بين أظهرهم .
(٧) ليس في أ .
(٨) أ ، ب : وخاصة المسلمين .
(٩) ط : استأمن نور الدين .
(١٠) بعدها في أ ، ب : فطلب من الملك سيف الدين غازي .
(١١) ب : على . وليست اللفظة في ط .
(١٢) أ : فأكرمه وأحسن إليه .
(١٣) ط : فيها .
(١٤) ط : فلما كان في آخر ليلة من إقامته بها .

بها ، رأى رسولَ الله ﷺ في المنام وهو يقول له : طابت لك بلدك ، وتركت الجهاد ، وقتال أعداء الله . فنهض من فوره إلى السفر ، وما أصبح إلا [وهو سائر][١] إلى الشام .

واستقضى الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون ، وكان معه على سنجار ، ونصيبين ، والخابور ، فاستناب فيها ابن أبي عصرون نواباً وأصحاباً .

وفيها : عزل الملك [صلاح الدين يوسف][٢] قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة ، وولى قضاء القضاة بها لصدر الدين عبد الملك بن دِرْباس الماراني[٣] الشافعي ، واستناب في سائر الأعمال[٤] قضاة[٥] شافعية ، وبنى مدرسة للشافعية ، وأخرى للمالكية ، واشترى ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه داراً كانت تعرف بمنازل العز ، وجعلها مدرسة للشافعية ، وأوقف عليها الروضة وغيرها .

وعمّر الملك صلاح الدين أسوار البلد ، وكذلك أسوار إسكندرية ، وأحسن إلى الرعايا إحساناً كثيراً ، وركب ، فأغار على بلاد الفرنج بنواحي عسقلان وغزة ، وضرب قلعة كانت لهم على أيلة ، وقتل خلقاً كثيراً من مقاتلتهم ، وتلقى أهلَه وهم واردون[٦] من الشام ، واجتمع[٧] شمله بهم بعد فرقة طويلة .

وفيها : قطع صلاح الدين الأذان بحيّ على خير العمل من ديار مصر كلها ، وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر .

وممن توفي فيها من الأعيان :

طاهر بن محمد بن طاهر أبو زرعة المقدسي[٨] الأصل الرازي المولد الهمذاني الدار : ولد سنة إحدى

---

(١) ط : إلا سائراً .
(٢) ليس في ط .
(٣) أ : المازني ، ط والكواكب الدرية (١٩٤) : الماردانى ، وفي ذيل الروضتين (٦٧) : ابن درياس الكردي ، وفي الروضتين (١/ ١٩١) : ابن دواس . وهو القاضي صدر الدين أبو القاسم عبد الملك ، أخو ضياء الدين أبي عمرو عثمان بن عيسى بن دِرْباس بن فِير بن جَهْم بن عبدوس الهذباني الماراني ـ نسبة إلى بني ماران بالمروج تحت الموصل ـ ولد سنة ٥١٦هـ . وتفقه بحلب على أبي الحسن المرادي ، وسمع بدمشق من أبي القاسم بن البُن . وسكن مصر . وبها توفي سنة ٦٠٥هـ . ترجمته في سنا البرق الشامي (١/ ١٠٧) هـ٥ ، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) والعبر (٥/ ١٣) .
(٤) ط : المعاملات .
(٥) ليس في أ .
(٦) ط : قادمون .
(٧) ب : فاجتمع .
(٨) ترجمته في وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢) والعبر (٤/ ١٩٢ ـ ١٩٣) ومرآة الجنان (٣/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) .

وثمانين وأربعمئة . وأسمعه والده الحافظ محمدُ بن طاهر الكثيرَ[١] ، ومما كان يرويه مسند الشافعي [وكانت وفاته][٢] بهمذان يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر ، وقد قارب التسعين .

يوسف القاضي[٣] **أبو الحجاج بن الخلال** صاحب ديوان الإنشاء [بالديار المصرية][٤] : وهو شيخ القاضي الفاضل في هذا الفن . اشتغل عليه فيه وبرع[٥] حتى قدَّر أَنَّه صار مكانه حين ضعف الشيخ[٦] عن القيام بأعباء الوظيفة لكبره ، فكان[٧] القاضي الفاضل يقوم به وبأهله حتى[٨] مات . ثم كان [بعد موته][٩] ، كثير الإحسان إلى أهله رحمهم الله .

يوسف الخليفة[١٠] **المستنجد بالله بن المقتفي بن المستظهر** : تقدم ذِكر[١١] وفاته وترجمته في الحوادث .

[أبو نصر بن المستظهر][١٢] : وقد توفي بعده[١٣] عمُّه أبو نصر بن المستظهر بأشهر ، ولم يبق بعده أحد من ولد المستظهر ، وكانت وفاته في يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي القعدة ، رحمه[١٤] الله تعالىٰ .

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمئة

فيها : كانت وفاة العاضد [صاحب مصر][١٥] .

---

(١) أ : الكبير .
(٢) ط : توفي .
(٣) ترجمته في خريدة مصر (١/ ٢٣٥) وابن الأثير (٩/ ١١١) ووفيات الأعيان (٧/ ٢١٩ ـ ٢٢٥) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٣٦٠) والعبر (٤/ ١٩٤) ومرآة الجنان (٣/ ٣٧٩) ـ واسمه في هذه المصادر : يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب بالموفق ، أبو الحجاج .
(٤) ط : بمصر .
(٥) ط : فبرع .
(٦) ليس في ط .
(٧) ط : وكان .
(٨) أ : ثم .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) في (ط) : « يوسف بن الخليفة » خطأ ظاهر .
(١١) ليس في ب .
(١٢) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٣٦) وابن الأثير (٩/ ١١١) وفيه : نصر .
(١٣) ط : بعد .
(١٤) ليست جملة الترحم في غير أ .
(١٥) عن ط وحدها .

في أول جمعة منها أمر[١] الملك[٢] صلاح الدين بإقامة الخُطبة لبني العباس بمصر[٣] ، وفي الجمعة الثانية بالقاهرة ، وكان ذلك يوماً مشهوداً . ولما انتهى الخبر إلى الملك نور الدين بالشام أرسل إلى الخليفة يعلمه بذلك مع ابن أبي عصرون وهو شهاب الدين[٤] أبو المعالي المطهر[٥] ، فزيّنت بغداد ، وغلقت الأسواق ، وعملت القباب ، وفرح المسلمون فرحاً شديداً .

وكانت الخطبة لبني العباس[٦] قد قطعت من ديار مصر من سنة تسع وخمسين وثلاثمئة في خلافة المطيع العباسي حين تغلب الفاطميون عليها[٧] أيام المعزِّ الفاطمي باني القاهرة إلى هذا الأوان ، وذلك مئتا سنة وثماني سنين .

قال ابن الجوزي : [وقد ألّفتُ في ذلك كتاباً سمّيته (النصر على مصر)][٨] .

موت العاضد آخر الخلفاء[٩] العبيديين

والعاضد في اللغة[١٠] : القاطع ، و (لا يعضد شجرها) : لا يقطع[١١] . وبه قطعت دولتهم .

واسمه : عبد الله ، ويُكْنَى بأبي محمد ، بن يوسف الحافظ بن محمد المستنصر [بن الظاهر][١٢] بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور[١٣] بن القائم بن المهدي أول ملوكهم . وكان مولد العاضد في سنة ست وأربعين ، فعاش إحدى وعشرين سنة . وكانت سيرته مذمومة ، وكان شيعيًّا خبيثاً ، لو أمكنه قَتَلَ كل مَنْ قدر عليه من أهل السنة .

---

(١) ط : فأمر .
(٢) ليس في ط .
(٣) ط : بمصر وأعمالها في .
(٤) ليس في ب .
(٥) ليست اللفظة في ب ، ط . وأما في أ فهي : المظفر ، وهو تصحيف . سنا البرق الشامي (١/ ١١٥) والروضتين (١/ ١٩٧) .
(٦) ليست : « لبني العباس » في أ ، وجاءت في ط على النحو التالي : وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر .
(٧) ط : على مصر .
(٨) المنتظم (١٠/ ٢٣٧) .
(٩) ب : الخلائف .
(١٠) ب : اسمه في اللغة .
(١١) في النهاية في غريب الحديث : نهى أن يعضد شجرها أي : يقطع . القاموس (عضد) .
(١٢) عن أوحدها ، وفيات الأعيان (٣/ ١٠٩) .
(١٣) بعدها في ب : بن الطاهر . وهو زيادة . وبعدها في ط : القاهري أبي الغنائم بن المهدي أولهم كان .

واتفق أنه لما استقر أمر الملك صلاح الدين ، رسم بالخطبة لبني العباس عن مرسوم الملك نور الدين له بذلك لمعاتبة[١] الخليفة المستنجد إياه قبل وفاته في ذلك ، وكان العاضد إذ ذاك مريضاً مدنفاً ، فكانت وفاته في يوم عاشوراء ، فحضر الملك صلاح الدين جنازته وشهد عزاءه ، وبكى عليه وتأسف ، وظهر منه حزن كثير عليه[٢] . وقد كان مطيعاً له فيما يأمره به ، وكان العاضد كريماً جواداً ممدَّحاً سامحه الله .

ولما مات استحوذ الملك صلاح الدين على القصر بما فيه ، وأخرج منه أهل العاضد إلى دار أفردها لهم ، وأجرى عليهم النفقات والأرزاق الهنية ، والعيشة الرضية ، عوضاً عما فاتهم من الخلافة . وكان صلاح [الدين][٣] يتندَّم على إقامة الخطبة [لبني العباس][٤] بمصر قبل وفاة العاضد ، وهلاّ صبر بها إلى ما بعد وفاته[٥] ، ولكن كان ذلك قدراً مقدوراً ، وفي الكتاب مسطوراً .

ومما نظمه العماد الكاتب[٦] في ذلك[٧] : [من المنسرح]

تُـوُفّـيَ العـاضِـدُ الـدَّعِـيُّ فَمـا ... يَفْتَـحُ ذو بِـدْعَـةٍ بمصْـرَ فَمـا
وَعَصْرُ[٨] فِرْعَوْنِها انْقَضَى وغدا ... يُـوسُفُهـا فـي الأُمـورِ مُحْتَكِمـا
وَانْطَفَـأَتْ[٩] جَمْـرَةُ الغُـواةِ وَقَـدْ ... باخَ[١٠] من الشِّرْكِ كُلُّ ما اضْطَرَما
وَصَـارَ شَمْـلُ الصَّـلاحِ مُلْتَئِمـاً ... بِهـا وعَقْـدُ السَّـدادِ مُنْتَظِمـا
لَمّا غدا مُعْلِناً[١١] شِعارَ بني الـ ... ـعَبّـاسِ حَقّـاً والبـاطِـلِ اكتتمـا
وبَـاتَ داعـي التَّـوْحِيـدِ مُنْتَصِـراً ... وَمِـنْ دُعـاةِ الإشْـراكِ مُنْتَقِمـا
وَظَـلَّ أَهْـلُ الضَّـلالِ فـي ظُلَـلٍ ... دَاجِيَـةٍ مِـنْ غيـابـةٍ وَعَمَـى
وَارْتَبَكَ[١٢] الجاهلون في ظُلَمٍ ... لَمّـا أضـاءَتْ مَنَـابِـرُ العلمـا

---

(١) رواية الخبر مختلفة عما هنا في ط .
(٢) أ ، ب : وتأسف عليه وظهر منه حزن .
(٣) ليست في الأصول .
(٤) أ ، ب : العباسية .
(٥) أ ، ب : وفاته .
(٦) ليس في ط .
(٧) الأبيات في ديوان العماد (٣٧٦ ـ ٣٧٧) والروضتين (١/ ١٩٥) .
(٨) أ : وبمصر . ولا يستوي بها الوزن .
(٩) ط : قد طفئت .
(١٠) داخ .
(١١) أ : معلماً . ب : متعلماً ، ط : مشعراً ، وما هنا عن الديوان والروضتين .
(١٢) أ : وارتكب ، ط : وارتكس .

وَعَـادَ بِـالمُسْتَضِـيءِ مُعْتَلِيـاً[١] بِنـاءُ حَـقّ قَـدْ كـانَ[٢] مُنْهَـدِمـا
وَاعْتَلَتِ[٣] الدَّوْلَةُ التي اضْطُهِدَتْ وانْتَصَـرَ الـدِّيـنُ بَعْـدَ مَـا اهْتُضِمـا
واهْتَزَّ عِطْفُ الإِسْلَامِ مِن جَذَلٍ[٤] وافتـرَّ ثَغْـرُ الإِسْـلامِ[٥] وَابْتَسَمـا
وَاسْتَبْشَـرَتْ أَوْجُـهُ الهُـدَى فَـرَحـاً فَلْيَقْـرَعِ[٦] الكُفْـرُ سِنَّـهُ نَـدَمـا
عَـادَ حَـرِيـمُ الأَعْـداءِ مُنْتَهَـكَ الـ ـحِمَـى وَفَـيْءُ الطُّغَـاةِ مُقْتَسَمـا
قُصُـورُ أَهْـلِ القُصُـورِ أَخْـرَبَهـا عَـامِـرُ بَيْـتٍ مِـنَ الكَمـالِ سَمـا
أَزْعَـجَ بَعْـدَ السُّكُـونِ[٧] سـاكِنَهـا ومَـاتَ[٨] ذُلًّا وَأَنْفُـهُ رَغِمَـا

ومما قيل من الشعر ببغداد يبشر به الخليفة المستضيء بأمر الله بالخطبة له بمصر وأعمالها[٩] : [من الطويل][١٠]

لِيَهْنِـكَ يـا مَـوْلَايَ فَتْـحٌ تَتَـابَعَـتْ إِليـكَ بـه خـوصُ الـركـائـب تـوجِـفُ
أَخَـذْتَ بـهِ مِصْـراً وَقَـدْ حَـالَ دُونَهـا مِنَ الشِّرْكِ يَأْسٌ[١١] في لَهَى الحَقِّ يَقْذِفُ
فَعَـادَتْ بِحَمْـدِ اللهِ بِـاسْـمِ إِمـامِنـا تَتِيـهُ عَلَـى كُـلِّ البِـلادِ وَتَشْـرُفُ
وَلَا غَرْوَ إِن ذَلَّتْ[١٢] لِيُوسُفَ مِصْرُهُ وَكَـانَـتْ إِلَـى عَلْيَـائِـهِ تَتَشَـوَّفُ
تَمَلَّكَهـا مِـن قَبضَـةِ الكُفْـرِ يُـوسُـفٌ وخَلَّصَها من عُصْبَةِ الرَّفْضِ يُوسُفُ[١٣]

(١) أ والروضتين : ممتهداً ، والديوان : مجتهداً .
(٢) ط : قد كان .
(٣) ط : أعيدت .
(٤) ب ، ط : جلل .
(٥) الديوان والروضتين : الإيمان .
(٦) أ ، ب : ليقرع .
(٧) ط : السكوت .
(٨) أ ، ب : وبات .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) الأبيات من قصيدة مؤلفة من اثني عشر بيتاً بدون الرابع . في المنتظم (١٠/ ٢٠٩) وهي أربعة عشر بيتاً بدون الأخير في الروضتين (١/ ١٩٧) .
(١١) في الروضتين : ناس ، وفي المنتظم : ناس في لحى .
(١٢) في الروضتين : دانت .
(١٣) ليس البيت في ط ، وجاء في الروضتين أخيراً .

فشـــابَهَـــهُ خُلْقـــاً وخَلْقـــاً وعِفَّـــةً وَكُلٌّ عَنِ[١] الرَّحْمـٰنِ في الأَرْضِ يَخْلُفُ

كَشَفْـتَ بهـا عَـن آلِ هـاشِـمَ سُبَّـةً وَعَـاراً أَبَـى إِلَّا بِسَيْفِـكَ يُكْشَـفُ

وقد ذكرها[٢] الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « الروضتين »[٣] ، وهي أطول من هذه . وذكر أَنَّ أبا الفضائل الحسين بن محمد بن تركان[٤] وزير ابن هبيرة أنشدها للخليفة المستنجد قبل[٥] موته عند تأويل منام رآه بعض الناس للخليفة في هذا المعنى ، وأراد بيوسف الثاني الخليفة المستنجد .

وهكذا ذكر[٦] ابنُ الجوزي[٧] : أنها أُنشدت في حياة المستنجد ، ولم يُخطب بها إلا لابنه المستضيء ، فجرى الفأل[٨] باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، [رحمه الله][٩] .

وقد أرسل الخليفة المستضيء بأمر الله إلى الملك نور الدين [خلعة سنيَّة سُنِّية][١٠] ، [لمّا بُشّر بالخطبة له بمصر][١١] ، وكذلك للملك صلاح الدين إلى الديار المصرية ، ومعها أعلام سود ، ولواء معقود ، ففرّقت على الجوامع[١٢] بالشام وبلاد مصر ، فللّه الحمد على ما منح من العز والنصر .

قال ابن أبي طيّ في كتابه[١٣] : ولما تفرّغ الملك صلاح الدين الملك الناصر من توطيد المملكة ، وإقامة الخطبة العباسية ، والتعزية بالقضاء على الدولة العبيدية الزاعمة بأنها فاطمية ، استعرض حواصل القصرين ، فوجد فيهما من الحواصل والأمتعة والآلات والثياب والملابس والمفارش شيئاً باهراً وأمراً هائلاً ، فمن ذلك : سبعمئة يتيمة من الجوهر ، وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر ، وسمكة نحو الإبهام ،

---

(١) أ : من .

(٢) ط : وقد ذكر ذلك .

(٣) الروضتين (١/ ١٩٧) .

(٤) ط : بركات ، أ : بركان .

(٥) ط : ند موته بعد منام رآه .

(٦) أ ، ب : وهكذا ذكر هذه القصيدة في حياة المستنجد ابن الجوزي ، وغيره ، ولم يخطب إلا لمولد المستضيء .

(٧) المنتظم (١٠/ ٢٠٩) .

(٨) ط : المقال . وهو تصحيف .

(٩) ليس في ط .

(١٠) ط : معظمة .

(١١) عن ط وحدها .

(١٢) أ : الجامع .

(١٣) سماه أبو شامة : السيرة الصلاحية . في الروضتين (١/ ١٦٥) واسمه الكامل : كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين كما في سنا البرق الشامي (١/ ٣٤) ومعجم المؤلفين (١٣/ ١٩٥) .

وحبل من ياقوت ، وإبريق[(١)] عظيم من الحجر المانع ، وطبل للقولنج إذا ضرب عليه[(٢)] أحد[(٣)] يحصل له خروج ريح من دبره ينصرف عنه ما يجده من القولنج ، فاتفق أن بعض أمراء الأكراد أخذه في يده ، ولم يدر ما شأنه ، فلما ضرب عليه حَبَق ـ أي : ضرط ـ فألقاه من يده على الأرض ، فكسره فبطل أمره . وأما القضيب الزمرد[(٤)] فإن صلاح الدين[(٥)] كسره ثلاث فلق ، فقسمه بين نسائه ، وقسم بين الأمراء شيئاً كثيراً من قطع البلخش والياقوت والذهب والفضة والأثاث وغير ذلك ، ثم باع ما فضل عن ذلك ، وجمع عليه أعيان التجار ، واستمر[(٦)] البيع فيما كان[(٧)] هنالك من الأثاث والأمتعة نحواً من عشر سنين .

وأرسل إلى الخليفة ببغداد من ذلك هدايا عظيمة سنيَّة نفيسة ، وكذلك إلى الملك نور الدين أرسل إليه من ذلك جانباً كبيراً[(٨)] صالحاً ، وكان لا يدّخر لنفسه شيئاً مما يحصل له من الأموال والغنائم ، بل كان يعطي ذلك كله لمن[(٩)] حوله من الأمراء [والوزراء والملوك والأصحاب ، رحمه الله][(١٠)] .

وكان[(١١)] مما أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع بلخش[(١٢)] ، زنة الواحدة أحد[(١٣)] وثلاثون مثقالاً ، والأخرى ثمانية عشر مثقالاً ، والثالثة [عشرة مثاقيل ، وقيل أكثر][(١٤)] ، مع لآلئ كثيرة ، وستون ألف دينار ، وعطر لم يُسمع بمثله .

ومن ذلك حمارة[(١٥)] عتَّابية ، وفيل عظيم جدًّا . فأرسلت الحمارة إلى الخليفة في جملة هدايا وتحف هائلة[(١٦)] .

---

(١) أ ، ب : ووجد فيه إبريق .
(٢) ليس في ب .
(٣) ط : أحد فيه ريح غليظة أو غيرها خرج منه ذلك الريح من دبره وينصرف .
(٤) ليس في أ .
(٥) أ ، ب : السلطان .
(٦) ط : فاستمر .
(٧) ط : بقي .
(٨) ط : كثيراً صالحاً ولم يدخر لنفسه شيئاً مما حصل .
(٩) ط : من .
(١٠) ما بينهما في ط : وغيرهم .
(١١) ط : فكان .
(١٢) بلخش : الياقوت الوردي اللون ، كما في تكملة المعاجم (١/ ٤١٩) .
(١٣) ط : إحدى .
(١٤) أ ، ب : دونها .
(١٥) أ ، ب : حمارة عتابي ، وفي الروضتين (١/ ٢٠٦) : الحمارة العتابية ، ولفظة : عتابية ، ليست في ط .
(١٦) عن أ وحدها .

قال ابن أبي طي : ووجد خزانة كتب ليس لها في مدائن الإسلام نظير[١] ، تشتمل على نحو ألفي ألف مجلد .

قال : ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألف ومئتان وعشرون نسخة من تاريخ[٢] الطبري . كذا قال[٣] .

قال العماد الكاتب[٤] : وكانت الكتب قريبة من مئة وعشرين ألف مجلد .

وقال ابن الأثير[٥] : كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مئة ألف مجلد . وقد تسلّمها القاضي الفاضل ، فأخذ منها شيئاً كثيراً مما اختاره وانتخبه .

قال : وقسم القصر الشمالي بين الأمراء فسكنوه ، وأسكن أباه [نجم الدين][٦] في قصر عظيم على الخليج يقال له اللؤلؤة الذي فيه بستان الكافوري . وأسكن أكثر الأمراء في دور من كان ينتمي إلى الفاطميين . ولا يلقى أحد من الأتراك أحداً من أولئك الذين كانوا بها من الأكابر إلّا شلّحوه ثيابه ، ونهبوا داره ، حتى تمزّق كثير منهم في البلاد ، وتفرقوا شذر مذر ، وصاروا أيادي سبأ .

وقد كانت مدة ملك الفاطميين مئتين وثمانين سنة[٧] وكسراً ، فصاروا كأمس الذاهب ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ [الأعراف : ٩٢] .

وكان أول من ملك منهم المهدي ، وكان من أهل[٨] سَلَمْيَة[٩] حدَّاداً ، اسمه سعيد[١٠] ، وكان يهوديًّا ، فدخل بلاد المغرب ، وتسمّى بعبيد الله ، وادّعى : أنَّه شريف علوي فاطمي . وقال [عن نفسه][١١] : إنه المهدي ، وقد ذكر هذا غير واحد من سادات العلماء الكبراء ، كالقاضي أبي بكر

(١) أ : لها نظير .
(٢) أ ، ب : بتاريخ .
(٣) ط : وكذا قال العماد الكاتب .
(٤) سنا البرق الشامي (١/ ١١٣) .
(٥) ما عند ابن الأثير لا ينطبق مع هذا الكلام . والخبر في الروضتين (١/ ٢٠٠) أيضاً .
(٦) ليس في أ .
(٧) اختلف في مدة دولة العبيديين في مصر : فمن قائل : إنها دامت مئتين وثمانين سنة وكسوراً ، كما في الروضتين (١/ ٢٠٠) على اعتبار ظهور المهدي عبيد الله في سجلماسة سنة ٢٩٦ ، ومن قائل : إنها دامت ٢٦٨ سنة ، كما في الروضتين (١/ ٢٠٢) على اعتبار مبايعة المهدي عبيد الله برقّادة والقيروان سنة ٢٩٧ ، ومن قائل : إنها دامت ٢٧٢ سنة كما في مختصر أبي الفداء (٣/ ٥١) على اعتبار أن دولتهم بدأت سنة ٢٩٥ .
(٨) ليس في ط .
(٩) بليدة بالشام من أعمال حمص كما في وفيات الأعيان (٣/ ١١٩) وأخبارها في معجم البلدان (سلمية) . قلت : وهي اليوم تتبع محافظة حماة في الجمهورية العربية السورية .
(١٠) ط : عبيد وهو صحيح أيضاً فسعيد هو عبيد .
(١١) عن ط وحدها .

الباقلاني والشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وغير واحد من سادات الأئمة بعد الأربعمئة ، كما بسطنا ذلك فيما تقدم . والمقصود : أَنَّ هذا الدعيَّ المدّعي الكذّاب راج له ما افتراه في تلك البلاد ، وآزره جماعة من جهلة العبّاد ، وصارت له دولة وجولة وصولة ، فتمكّن إلى أن بنى مدينة سمّاها المهدية ، نسبة إليه ، وصار ملكاً مطاعاً ، يظهر الرفض ، وينطوي على الكفر المحض .

ثم كان من بعده ابنه القائم محمد(١) ، ثم ابنه المنصور إسماعيل ، ثم ابنه المعز معد ، وهو أول من دخل ديار مصر منهم ، وبنيت له القاهرة المعزيّة والقصران ، ثم ابنه العزيز نزار ، ثم ابنه الحاكم منصور ، ثم ابنه الظاهر علي(٢) ، ثم ابنه المستنصر معد ، ثم ابنه المستعلي أحمد ، ثم ابنه الآمر منصور ، ثم ابن عمّه الحافظ عبد المجيد ، ثم ابنه الظافر إسماعيل ، ثم الفائز علي ، ثم ابن عمّه العاضد عبد الله ، وهو آخرهم .

فجملتهم أربعة عشر ملكاً ، ومدتهم مئتان ونيف وثمانون سنة ، وكانت(٣) عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضاً ، ولكن كانت مدتهم نيّفاً وتسعين(٤) سنة .

وقد نظمتُ هؤلاء وهؤلاء في أرجوزة تابعة لأرجوزة بني العباس عند انقضاء دولتهم ببغداد ، في سنة ست وخمسين وستمئة ، كما سيأتي ، وبالله(٥) الثقة وعليه التكلان .

[وقد كان الفاطميون أغنى](٦) الخلفاء وأكثرهم مالاً ، وأجبرهم وأظلمهم ، وأنجس الملوك سيرة ، وأخبثهم سريرة ، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات ، وكثر أهل الفساد ، وقلَّ عندهم الصالحون من العلماء(٧) والعبّاد ، وكثر بأرض الشام النّصيريّة والدرزيّة والحشيشيّة ، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله ، حتى أخذوا القدس الشريف(٨) ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعَثْلِيث(٩) وصيدا وبيروت وعكا وصفد وطرابلس وأنطاكية وجميع ما

---

(١) دأب ناسخ أ على ذكر اللقب فقط دون الاسم وصلة القرابة في جميع أسماء ملوك العبيديين .

(٢) ط : الطاهر . وهو تصحيف . وفيات الأعيان (٣/ ٤٠٧) .

(٣) ط : وكذلك .

(٤) ط : نيفاً وثمانين . وهو خطأ ، لأن دولة بني أمية بدأت سنة ٤٠ وانتهت سنة ١٣٢ وبينهما ٩٢ سنة .

(٥) الجملة الأخيرة عن ب وحدها .

(٦) وقد كانوا من أغنى .

(٧) ليس في أ .

(٨) ليس في ط .

(٩) في ط : عكا . وعثليث : حصن بسواحل الشام يعرف بالحصن الأحمر ، فتحه صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ ، معجم البلدان .

والى ذلك إلى بلاد إياس[١] وسيس ، واستحوذوا[٢] على بلاد آمد والرُّها [ورأس العين][٣] وبلاد شتّى غير ذلك . وقتلوا من المسلمين خلقاً وأمماً لا يعلمهم[٤] إلا الله عز وجل وسبَوا[٥] ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يُحَدُّ ولا يوصف ، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها ، وصارت دار إسلام ، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحدّ ولا يوصف . وكادوا مرة أن يتغلبوا[٦] على دمشق ، [ولكن صانها الله بعنايته ، وسلّمها برعايته][٧] ، وحين زالت أيامهم ، وانتقض إبرامهم ، أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها على [أهلها من السادة المسلمين][٨] بحوله وقوته وجوده ورحمته ، وردّ الله الكفرة خائبين ، وأركسهم بما كسبوا في هذه الدنيا ويوم الدين .

وقد قال حسان الشاعر المدعو[٩] بعرقلة[١٠] : [من الخفيف]

أَصْبَحَ المُلْكُ بَعْدَ آلِ عَلِيٍّ ... مُشْرِقاً بالمُلُوكِ مِن آل شاذي[١١]
وَغَدا الشَّرْقُ يَحْسُدُ الْغَرْبَ[١٢] للقَوْ ... مِ ومِصْرٌ تَزْهو عَلَى بَغْدادِ
ما حَوَوْها[١٣] إلا بِعَزْمٍ وَحَزْمٍ[١٤] ... وَصَلِيلِ الفُولاذِ في الفُولاذِ[١٥]
لَا كَفِرْعونَ وَالعَزِيزِ وَمَنْ[١٦] كا ... نَ بها كالخَصيبِ[١٧] والأُسْتاذِ

(١) بلاد إياس لم يذكرها ياقوت في معجمه . وقال ابن العبري : هي فرضة البحر ببلد قيلقيا . قلت وتقرن دائماً بسيس . قال ياقوت : سِيسِيّة : وعامة أهلها يقولون سيس وهي من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة . وبها مسكن ابن ليون سلطان تلك الناحية الأرمني . معجم البلدان (سيسية) وابن العبري (٩١ و٤٩٨) .
(٢) أ : واستحوذ .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : لا يحصيهم .
(٥) ط : وسبوا من .
(٦) أ : ينقلون .
(٧) ط : ولكن الله سلم .
(٨) ط : كلها إلى المسلمين .
(٩) ط : وقد قال الشاعر المعروف عرقلة .
(١٠) الأبيات في ديوان عرقلة (٣٧) والروضتين (١/ ٢٠٠) .
(١١) ط : شادي . بالدال وكذلك بقية القوافي .
(١٢) يبدأ الشطر الثاني في ط بحرف الباء من هذه اللفظة وهو خطأ عروضيّ .
(١٣) في الديوان : ما حواها .
(١٤) في الديوان والروضتين : إلا بحزم وعزم .
(١٥) ط : في الأكباد .
(١٦) بهذه اللفظة ينتهي الشطر الأول في ط ، وهو خطأ عروضي .
(١٧) ط : كالخطيب .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة[١] رحمه الله : يعني بالأستاذ : كافوراً الإخشيدي ، وقوله : (آل علي) يعني : الفاطميين ، على زعمهم ، ولم يكونوا فاطميين ، وإنما كانوا أدعياء ينسبون إلى عبيد ، وكان اسمه سعيداً ، وكان يهوديًّا حداداً بسلمية . ثم ذكر ما ذكرناه من كلام الأئمة فيهم ، وطعنهم في نسبهم .

قال[٢] : وقد استقصيت الكلام في ذلك في مختصر تاريخ دمشق في ترجمة (عبد الرحيم[٣] بن إلياس) .

ثم ذكر في « الروضتين » في هذا الموضع أشياء كثيرة من قبائحهم[٤] ، وما كانوا يجهرون به في بعض الأحيان من الكفريات [والمصائب العظيمات ، لعنهم الله .

وقد ذكرت أشياء كثيرة في غضون ما سقته من سيرتهم في السنين المتقدمة مما يسدُّ الأسماع وينفِّر الطباع][٥] .

قال أبو شامة[٦] : وقد أفردت كتاباً سميته : « كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد » . وكذا صنف العلماء في الردّ عليهم كتباً كثيرة ، من أَجَلِّ ما وُضع في ذلك : كتاب القاضي أبي بكر الباقلاني الذي سماه : « كشف الأسرار وهتك الأستار » .

وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في بني أيوب يمدحهم على ما فعلوه بديار مصر[٧] : [من الطويل]

أَلَسْتُمْ مُزيلي[٨] دَوْلَةِ الكُفْرِ مِنْ[٩] بني ... عُبَيْـدٍ بمصـرٍ إنَّ هـذا هُـوَ الكُفْـرُ

زَنـادِقـةٌ شيعيَّـةٌ بـاطِنيَّـةٌ ... مَجوسٌ وما في الصَّالِحِينَ لَهُمْ أَصْلُ

يُسِـرُّونَ كُفْـراً يُظْهِـرونَ تشيُّعـاً ... لِيَسْتَتِـروا[١٠] شَيْئـاً وعَمَّهُـمُ الجَهْـلُ

(١) الروضتين (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) .
(٢) الروضتين (١/ ٢٠٢) .
(٣) ط : عبد الرحمن . الروضتين (١/ ٢٠١) .
(٤) ط : في غضون ما سقته من قبائحهم .
(٥) ط : وقد تقدم من ذلك شيء كثير في تراجمهم .
(٦) الروضتين (١/ ٢٠٢) .
(٧) الأبيات في الروضتين (١/ ٢٠٢) .
(٨) ط : أبدتم من بلى . وهو تصحيف .
(٩) بهذه اللفظة ينتهي الشطر الأول في ط وهو خطأ عروضي .
(١٠) ط : ليستروا سابور .

[وفي هذه السنة][١] أسقط الملك صلاح الدين عن أهل مصر المكوس والضرائب ، وقرئ المنشور بذلك على رؤوس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر .

وفيها : وقعت[٢] نفرة بين الملك[٣] نور الدين والملك صلاح الدين الناصر[٤] ، وذلك أن الملك[٥] نور الدين غزا في هذه السنة بلاد الفرنج في السواحل فأحلّ بهم بأساً شديداً ، وقرّر في أنفسهم منه نقمة ووعيداً ، ثم عزم على محاصرة الكرك ، وكتب إلى صلاح الدين أن يلتقيه بالعساكر المصرية إلى بلاد الكرك ، ليجتمعا هنالك ويتفقا[٦] على المصالح فيما يعود نفعه[٧] على المسلمين ، فتوهّم من ذلك الملك صلاح الدين ، وخاف أن يكون لهذا الأمر غائلة يزول بها ما حصل له من التمكّن من بلاد مصر ، ولكنه مع ذلك ركب في جيشه من [الديار المصرية][٨] لأجل[٩] امتثال المرسوم ، فسار أياماً ، ثم كرَّ راجعاً معتلاً بقلة الظهر والخوف على اختلال[١٠] الديار المصرية إذا بعُد منها ، واشتغل عنها ، وأرسل يعتذر بذلك إلى السلطان الملك العادل نور الدين رحمه الله ، فوقع في نفسه منه ، واشتدّ غضبه عليه ، وعزم على الدخول [إلى الديار المصرية][١١] وانتزاعها[١٢] من صلاح الدين وتولية[١٣] غيره فيها . ولما بلغ هذا الخبر إلى صلاح الدين ضاق بذلك ذرعه ، وذكر[١٤] ذلك بحضرة الأمراء والكبراء ، فبادر ابن أخيه[١٥] تقي الدين عمر ، فقال : والله لو قصدنا نور الدين لَنُقَاتِلَنّه[١٦] ، فشتمه الأمير نجم الدين أيوب والد الملك صلاح الدين ، وسبّه وأسكته ، ثم قال لابنه : اسمعْ ما أقول لك ، والله ما هاهنا أحد أشفق عليك مني ومن

---

(١) ط : وفيها .
(٢) ط : حصلت .
(٣) ليس في ط .
(٤) ليس في ط .
(٥) ليس في ط .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ط : التي يعود نفعها .
(٨) ط : من مصر .
(٩) أ ، ب : ليقصد .
(١٠) ط : اختلال الأمور إذا .
(١١) ط : إلى مصر .
(١٢) أ : وانتزعها .
(١٣) ط : وتوليتها .
(١٤) أ ، ب : وذكره .
(١٥) أ : ابن أخته عمر تقي الدين . وهو تصحيف ، لأن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، هو ابن أخي صلاح الدين ، لا ابن أخته ، وفيات الأعيان (٤/ ٤٥٦) .
(١٦) أ : لتنا ثلثة . وهو تصحيف . ابن الأثير (٩/ ١١٣) والروضتين (١/ ٢٠٤) ووفيات الأعيان (٧/ ١٦٣) .

خالك هذا ـ يعني شهاب الدين الحارمي ـ ولو رأينا الملك نور الدين لبادرنا [إليه ولقبلنا الأرض بين يديه ، وكذلك بقية هؤلاء الأمراء والجيش ، ولو كتب][(١)] إليَّ أن أبعثك إليه مع نجّاب لفعلت . ثم أمر من هنالك بالانصراف والذهاب ، فلما خلا بابنه قال له : أما لك عقل ؟! تذكر مثل هذا بحضرة هؤلاء ، فيقول عمر مثل هذا الكلام ، وتقرّه عليه !! فلا يبقى عند نور الدين وجهٌ أهمُّ من قصدك وقتالك وخراب ديارنا ، ولو قد رآه[(٢)] هؤلاء لم يبق معك منهم واحد ، ولذهبوا كلهم إليه ، ولكن ابعث إليه ، وترقَّق له ، وتواضع عنده ، وقل له : وأي حاجة إلى مجيء مولانا السلطان إلى قتالي ؟! ابعث إليَّ بنجّابٍ أو جَمّال حتى أجيء معه إلى بين يديك . فبعث إليه بذلك . فلما سمع نور الدين مثل هذا الكلام لان قلبه له ، وانصرفت همّته عنه ، واشتغل بغيره ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

وفيها : اتخذ نور الدين الحَمَام الهوادي ، وذلك لامتداد مملكته واتساعها ، فإنه ملك من حدِّ النوبة إلى همذان لا يتخلّلها إلا بلاد الفرنج لعنهم الله[(٣)] ، وكلهم تحت قهره وهدنته . فلذلك[(٤)] اتخذ في كل قلعة وحصن الحمام التي تحمل الرسائل إلى الآفاق في أسرع مدة وأيسر عدة ، وما أحسن ما قال فيهن القاضي الفاضل : الحمام ملائكة الملوك . وقد أطنب في ذلك العماد الكاتب[(٥)] ، وأطرف وأطرب ، وأعجب[(٦)] وأغرب ، رحمه الله تعالىٰ .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن أحمد [بن أحمد بن أحمد][(٧)] ، أبو محمد بن الخشاب[(٨)] :

قرأ القرآن، وسمع الحديث، واشتغل بالنحو واللغة حتى ساد أهل زمانه فيهما . وشرح « الجمل »[(٩)] لعبد القاهر الجرجاني ، وكان رجلاً صالحاً متطوّعاً ، وهذا نادر في النحاة . [كانت وفاته][(١٠)] في

---

(١) ليس في ب .
(٢) ط : ولو قد رأى الجيش كلهم نور الدين لم يبق معك واحد منهم .
(٣) بعدها في ب : ملائكة الملوك . وفوتها (إلى) إشارة إلى أن ورودها هنا خطأ .
(٤) ط : ولذلك .
(٥) سنا البرق الشامي (١/ ١١٩) .
(٦) ب : وأغرب وأعجب .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٣٨) ومعجم الأدباء (١٢/ ٤٧) وابن الأثير (٩/ ١١٤) وإنباه الرواة (٢/ ٩٩) ووفيات الأعيان (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٤) والعبر (٤/ ١٩٦ ـ ١٩٧) وفوات الوفيات (٢/ ١٥٦) ومرآة الجنان (٣/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) وذيل ابن رجب (١/ ٣١٦ـ ٣٢٣) .
(٩) سماه : المرتجل في شرح الجمل . وفيات الأعيان (٣/ ١٠٣) .
(١٠) ط : توفي .

شعبان من هذه السنة ، ودفن قريباً من الإمام أحمد[١] ورئي في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، وأدخلني الجنة ، إلا أنه أعرض عني ، وعن جماعة من العلماء تركوا العمل ، واشتغلوا بالقول .

قال القاضي ابن خلكان[٢] : وكان مطّرَح الكلفة[٣] في مأكله وملبسه ، وكان لا يبالي بمن شرّق أو غرّب ، [رحمه الله][٤] .

محمد بن محمد [بن محمد][٥] ، أبو المظفر[٦] البَرَوي[٧] :

تفقّه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وناظر ووعظ ببغداد ، وكان يظهر مذهب الأشعري ، ويتكلم في الحنابلة ومات في رمضان منها .

ناصر بن الخويي[٨] الصوفي[٩] : كان يمشي في طلب الحديث حافياً . توفي ببغداد ، رحمه الله .

[ابن قلاقس[١٠] الشاعر] : قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة[١١] : وفيها توفي نصر[١٢] بن

---

(١) ليس في ب .
(٢) ليس هذا الكلام فيما طبع من وفيات الأعيان .
(٣) ط : مطرحاً للكلفة .
(٤) ليس في ط .
(٥) ليس في أ .
(٦) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٣٩) وابن الأثير (٩/ ١١٤) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) والعبر (٤/ ٢٠٠) والوافي (١/ ٢٧٩) ومرآة الجنان (٣/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣) . وهكذا كنّاه ابن الجوزي أبا المظفر . وكناه ابن خلكان أبا منصور . أما ابن عساكر فكناه أبا حامد . تاريخ دمشق (٥٥/ ٢٠٤) وبه أخذ الذهبي .
(٧) ط : الدوى . وهو تصحيف . قال ابن خلكان : والبروي : بفتح الباء الموحدة ، والراء بعدها ، وواو ، لا أعلم هذه النسبة إلى أي شيء ، ولا ذكرها السمعاني ، وغالب ظني أنها من نواحي طوس ، والله أعلم . وفي الشذرات (٤/ ٢٢٤) : والبروي بفتح المعجمة ، وتشديد الراء المضمومة ، نسبة إلى بَرَّويه ، جَدٌّ . وفي مرآة الزمان : محمد بن محمد بن محمد ثلاث مرات البغوي ويقال البروي . قلت وفي قول ابن العماد نظر لأن النسبة إلى برويه برويي ، وهذه النسبة غير البروي ، لأن هذه أوردها السمعاني ، بينما أهمل البروي كما يقول ابن خلكان .
(٨) ط : الجوني والنسبة إلى خُوَيّ وهي إحدى مدن أذربيجان . الأنساب (٢١٢/ب) ومعجم البلدان واللباب (١/ ٤٧٢) .
(٩) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٣٩) .
(١٠) ترجمته في خريدة مصر (١/ ١٤٥) ومعجم الأدباء (١٩/ ٢٢٦) والروضتين (١/ ٢٠٥) ووفيات الأعيان (٥/ ٣٨٥ ـ ٣٩٧) ومرآة الجنان (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) .
(١١) الروضتين (١/ ٢٠٥) .
(١٢) في ط ووفيات الأعيان : نصر الله .

عبد الله ، أبو الفتوح الإسكندري ، المعروف بابن قلاقس الشاعر بعَيذاب[١] ، توفي عن خمسٍ وثلاثين[٢] سنة .

[يحيى بن سعدون القرطبي][٣] : والشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي ، نزيل الموصل ، المقرئ النحوي ، رحمه الله .

[ولادات] : قال[٤] : وفيها ولد العزيز[٥] والظاهر[٦] ابنا صلاح الدين ، والمنصور[٧] محمد بن تقي الدين عمر . والله[٨] أعلم بالصواب .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وستين وخمسمئة

فيها : أرسل الملك[٩] نور الدين إلى الملك[١٠] صلاح الدين ، [وكان الرسول][١١] الموفَّق خالد ابن القيسراني ، ليقيم له[١٢] حساب الديار المصرية ، وذلك لأنَّ نور الدين استقلّ الهديّة التي أرسلها[١٣] إليه[١٤] من خزائن العاضد ، ومقصوده أن يقرر على الديار المصرية خراجاً[١٥] يحمل إليه في كل عام .

---

(١) « عَيْذاب » : بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد . معجم البلدان .
(٢) ط : خمس وأربعين . وهو تصحيف ، لأن ابن قلاقس ولد سنة ٥٣٢ كما في مصادر ترجمته .
(٣) ترجمته في معجم الأدباء (٢٠/ ١٤) وابن الأثير (٩/ ١١٤) ووفيات الأعيان (٦/ ١٧١ - ١٧٣) والعبر (٤/ ٢٠٠) ومرآة الجنان (٣/ ٣٨٠ - ٣٨٣) .
(٤) الروضتين (١/ ٢٠٥) .
(٥) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٥ من هذا الجزء .
(٦) سترد ترجمته في حوادث سنة ٦١٣ من هذا الكتاب . ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٣١٢) ومرآة الزمان (٨/ ٥٧٩) وذيل الروضتين (٩٤) ووفيات الأعيان (٤/ ٦ - ١٠) والعبر (٥/ ٤٦) .
(٧) سترد ترجمته في حوادث سنة ٦١٧ وترجمته أيضاً في ابن الأثير (٩/ ٣٨٠) وذيل الروضتين (١٢٤) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٥٧) .
(٨) الجملة الأخيرة عن ب وحدها .
(٩) ليس في ط .
(١٠) ليس في ط .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) عن أ وحدها .
(١٣) ليس في ب .
(١٤) ب ، ط : أرسل بها . ولم يبق منها في ب غير بها .
(١٥) أ ، ب : خراج وهو خطأ .

وفيها : حاصر الملك صلاح الدين الكرك والشوبك ، فضيّق على ساكنيها[١] ، وخرّب أماكن كثيرة من معاملتها[٢] ، ولكن لم يظفر بها عامه ذلك .

وفيها : اجتمعت الفرنج بالشام لقصد مدينة زرع[٣] ، فوصلوا إلى شمسكين[٤] ، فبرز إليهم نور الدين ، فهربوا منه إلى الغور ، ثم إلى السواد[٥] ، ثم إلى الشلالة[٦] ، فبعث سرية إلى طبرية ، فعاثوا هنالك ، وسبَوا وقتلوا وغنموا ، وعادوا [وقد سلّمهم الله][٧] ، ورجع الفرنج[٨] خائبين ، لعنهم الله أجمعين . وقد امتدحه العماد الكاتب بقصيدة[٩] طنّانَة في هذه الغزوة .

فتح بلاد النوبة

وفيها : أرسل الملك صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه[١٠] إلى بلاد النوبة فافتتحها ، واستحوذ على معقلها ، وهو حصن يقال له إبريم[١١] ، ولمّا رآها بلدة قليلة الجدوى ، لا يفي خراجها[١٢] بكلفتها ، استخلف على الحصن المذكور رجلاً من الأكراد ، ويقال له : إبراهيم ، فجعله مقدماً مقرراً بحصن إبريم ، وانضاف إليه جماعة من الأكراد البطالين ، فكثرت أموالهم ، وحسنت حالهم هنالك ، وشنُّوا الغارات ، وحصلوا على الغنائم والمسرات ، ولله الحمد الذي[١٣] بنعمته تتم الصالحات .

---

(١) ط : أهلها .
(٢) ط : معاملاتها . وفي الروضتين (١/ ٢٠٦) : أعمالها .
(٣) بلدة تعرف الآن بـ « إزرع » .
(٤) ب : سمشكين ، ط : سمسكين . وهي إحدى مدن حوران ، وتسمى اليوم شيخ مسكين . واسمها في الروضتين (١/ ٢٠٧) ومعجم البلدان : سمسكين .
(٥) « السواد » : نواحٍ قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها (معجم البلدان) .
(٦) موضع في جنوبي بحيرة طبرية . سنا البرق الشامي (١/ ١٢٧) هـ٧ .
(٧) ط : سالمين .
(٨) ب : (ورجعت الفرنج ـ لعنهم الله أجمعين ـ خائبين) ، وفي أ : ورجعت .
(٩) أورد أبو شامة في الروضتين (١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) من هذه القصيدة ومطلعها :
عُقدت بنصرك رايةُ الأعيانِ وبدتْ لعصرك آيةُ الإحسانِ
ديوان العماد (٤١٠ ـ ٤١٨) وخريدة الشام ـ بداية شعراء الشام (٥٣ ـ ٦٢) .
(١٠) ط : نورشاه . تصحيف .
(١١) أ ، ب : بريم ، وعند ابن الأثير (٩/ ١١٨) ابزيم . وما هنا يوافق ما في الروضتين (١/ ٢٠٨) والكواكب الدرية (٢١٩) .
(١٢) أ : خرجها .
(١٣) من هذه اللفظة إلى آخر الفقرة ليس في ب .

وفيها : كانت وفاة الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي ، والد الملك صلاح الدين . سقط عن فرسه فمات ، وستأتي ترجمته في الوفيات إن شاء الله تعالىٰ .

وفيها : سار الملك نور الدين إلى بلاد عز الدين قليج[١] أرسلان بن مسعود بن قليج بن أرسلان بن سليمان السلجوقي ملك الروم ، وتفقّد[٢] في طريقه بلاده ، وأصلح ما وجده فيها من الخلل ، ثم سار فافتتح مَرْعَشَ[٣] وبَهَسْنا[٤] ، وعمل في كل منهما[٥] بالحسنى .

قال العماد الكاتب[٦] : وفي هذه[٧] السنة وصل الفقيه الإمام الكبير قطب الدين النيسابوري[٨] ، وهو فقيه عصره ، ونسيج وحده ، فسرّ به نور الدين ، وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق ، ثم أطلعه[٩] إلى دمشق ، فدرَّس بزاوية الجامع[١٠] الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي ، ونزل بمدرسة الجاروق[١١] ، وشرع نور الدين في إنشاء مدرسة كبيرة للشافعية ، فأدركه الأجل قبل ذلك .

قال أبو شامة[١٢] : وهي العادلية الكبيرة التي عمرها بعده[١٣] الملك العادل أبو بكر بن أيوب .

وفيها : عاد[١٤] شهاب الدين[١٥] بن أبي عصرون من بغداد ، وقد سار[١٦] للهناء بالخطبة العباسية

---

(١) ط : قلج . ترجمته ومظانها في حوادث سنة ٥٨٨ من هذا الجزء .
(٢) أ : وافتقد .
(٣) « مَرْعَشُ » : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم . معجم البلدان .
(٤) بَهَسْنَا ، قال ياقوت : قلعة حصينة عجيبة بقرب مرعش وسُمَيْساط . وهي اليوم من أعمال حلب .
(٥) كذا في ط : منهما وهو الصواب ، وفي الأصل : منها (ع) .
(٦) سنا البرق الشامي (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥) .
(٧) ط : وفيها .
(٨) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٨ من هذا الجزء .
(٩) ط : ثم أتى به .
(١٠) ط : جامع . مما قد يوحي بأن اسم الجامع (جامع الغربية) وإنما هو الجامع الأموي ، وأما الغربية فهي زاويته الغربية وتعرف بالمدرسة الغزالية المنسوبة إلى الغزالي وتعرف أيضاً بالشيخ نصر المقدسي لأنه أول من درس فيها ، الأعلاق الخطيرة (٨٤ و٢٤٦ ـ ٢٤٧) والدارس (٢/ ٤١٢) ومختصر تنبيه الطالب (٢٢٥) .
(١١) كذا في الأصول والروضتين (١/ ٢١٤) ويبدو أنها هي المدرسة الجاروخية ذاتها الواقعة داخل بابي الفرج والفراديس : لصيق الإقبالية الحنفية ، شمالي الجامع الأموي والظاهرية . الأعلاق الخطيرة (٢٢٩) . مختصر تنبيه الطالب (٣٨) .
(١٢) الروضتين (١/ ٢١٤) .
(١٣) ط : بعد ذلك .
(١٤) ط : رجع .
(١٥) كذا في الأصلين وط ، ولقبه شرف الدين في ترجمته التي سترد في حوادث سنة ٥٨٥ من هذا الجزء .
(١٦) ط : وقد أدّى الرسالة بالخطبة .

بالديار المصرية ، ومعه توقيع[١] من الخلافة بإقطاع درب هارون وصريفين للملك[٢] نور الدين ، وقد كانتا قديماً لأبيه عماد الدين زنكي ، فأراد الملك[٣] نور الدين أن يبني[٤] ببغداد مدرسة على حافة[٥] دجلة ، ويجعل هذين المكانين وقفاً عليها[٦] ، فعاقه القدر عن ذلك[٧] ، رحمه الله .

وفيها : جرت[٨] بناحية خوارزم حروب كثيرة بين سلطان شاه وبين أعدائه ، تقصّاها[٩] ابن الأثير[١٠] وابن الساعي .

وفيها : هزم ملك الأرمن مليح بن ليون[١١] عساكر[١٢] الروم ، وغنم منهم شيئاً كثيراً ، وبعث إلى نور الدين بأموال كثيرة من ذلك ، وبثلاثين رأساً من رؤوسهم[١٣] ، فأرسلها نور الدين إلى الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي .

وفيها : بعث الملك صلاح الدين سرية صحبة قراقوش[١٤] مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه إلى بلاد إفريقية ، فملكوا طائفة كبيرة[١٥] منها ، من ذلك مدينة طرابلس الغرب وعدة مدن معها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إيلدكز[١٦] التركي[١٧] الأتابك[١٨] صاحب أذربيجان وغيرها :

---

(١) ب : توقيعة .
(٢) ليس في ط .
(٣) ليس في ط .
(٤) ط : ينشيء .
(٥) ليس في أ .
(٦) أ : عليهما .
(٧) كذا في ط : فعاقه القدر عن ذلك . وفي الأصل : وفاقه القدر من ذلك (ع) .
(٨) ط : وقعت .
(٩) ط : استقصاها .
(١٠) ابن الأثير (٩/ ١١٤ ـ ١١٨) .
(١١) أ : فليح بن أليون ، ، وفي ب : مليح بن النون ، الروضتين (١/ ٢١٥) ، ابن الأثير (٩/ ١١٩) ، العبر (٤/ ٢٠١).
(١٢) أ : بعسكر ، ب : لعساكر .
(١٣) ط : رؤوس كبارهم .
(١٤) أ : قراقش ، ط : قراقرش .
(١٥) ط : كثيرة . وليست اللفظة في ب .
(١٦) أ : المذكر ، وفي العبر وتاريخ الإسلام (١٢/ ٣٨٩) : إِلْدَكِز ، وهو اسم أعجمي يحتمل الرسمين .
(١٧) ترجمته وأخباره عند ابن الأثير (٩/ ١١٩ و١٢١) والعبر (٤/ ٢٠٣) .
(١٨) ط : الأتابكي .

كان مملوكاً لكمال السُّمَيْرمي[(١)] وزير السلطان محمود ، فلما قتله محمود حظي إيلدكز هذا عند السلطان محمود ، ثم علا أمره ، وتمكّن حتى ملك بلاد أذربيجان وبلاد الجبل وغيرها ، وكان عادلاً منصفاً شجاعاً محسناً إلى الرعية ، رحمه الله ، توفي في هذه السنة بهمذان .

الأمير نجم الدين ، أبو الشكر ، أيوب بن شاذي[(٢)] : والد الملوك بني أيوب ، الكردي الدُّزْداري[(٣)] ، وهم من خيار الأكراد ، الدُّوِيني ، نسبة إلى دُوِين[(٤)] ، شمالي بلاد أذربيجان مما يلي الكَرَج . ومنهم من يقول : أيوب بن شاذي بن مروان . وزاد بعضهم بعد مروان : ابن يعقوب ، والذي عليه جمهورهم[(٥)] أنه لا يعرف بعد شاذي أحد في نسبهم ، وأغرب بعضهم فزعم : أنهم من سلالة مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية ، وهذا ليس بصحيح ، والذي نُسب[(٦)] إليه ادعاء[(٧)] هذا هو الملك أبو الفداء إسماعيل بن طغتكين بن أيوب بن شاذي ، ويعرف بابن سيف[(٨)] الإسلام ، وقد ملك اليمن بعد أبيه ، فتعاظم في نفسه ، وادّعى الخلافة ، وتلقّب بالإمام الهادي بنور[(٩)] الله ، [المعز لدين الله ، أمير المؤمنين ، وزعم أنه أموي . ومدحه الشعراء وأطروه][(١٠)] ، ولهجوا[(١١)] بذلك . وقال هو في ذلك أيضاً[(١٢)] : [من الطويل]

وَإِنِّي أَنا الهادي الخَلِيفَةُ وَالَّذي[(١٣)] ... أَدوسُ رقابَ الغُلبِ[(١٤)] بالضُّمَّرِ الجُرْدِ[(١٥)]
ولا بُدَّ من بَغْدادَ أطوي رُبوعَها ... وأَنْشُرُها نَشْرَ السَّماسِرِ[(١٦)] للبُرْدِ

---

(١) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥١٦هـ من هذا الجزء .
(٢) ترجمته في الروضتين (١/ ٢٠٩) ووفيات الأعيان (١/ ٢٥٥ ـ ٢٦١) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩١) والعبر (٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) ومرآة الجنان (٣/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦) .
(٣) النسبة إلى دُزْدار ، ومعناه حافظ القلعة . وفيات الأعيان (٧/ ١٤٢) .
(٤) ضبطها ياقوت بفتح الدال بينما ضبطها ابن خلكان (١/ ٢٥٩) بضمها ، وأما الواو فهي مكسورة في كليهما .
(٥) أ : الجمهور .
(٦) أ : ينسب .
(٧) وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٤) والروضتين (١/ ٢١١) .
(٨) أ : ابن يوسف ، وهو تصحيف . وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٣) .
(٩) أ : نور الدين .
(١٠) ليس في ب .
(١١) أ ، ب : ونهجوا .
(١٢) الأبيات في الروضتين (١/ ٢١٠) .
(١٣) أ : الذي . ولا يستقيم بها الوزن .
(١٤) ب : الصلب .
(١٥) جاء هذا البيت في أ بعد الذي يليه .
(١٦) أ ، ب : الشماس ، ط : السماس على البرد . وما هنا عن الروضتين .

وأَنْصِبُ أَعْلامي عَلى شُرُفاتِها ... وَأُحْيِي[١] بها ما كانَ أَسَّسَهُ جَدّي[٢]
ويُخْطَبُ لي فيها على كُلِّ منبَرٍ ... وأُظْهِرُ دِينَ[٣] اللهِ في الغَوْرِ والنَّجْدِ

وهذا الادعاء[٤] ليس بصحيح ، ولا أصل[٥] له يعتمد عليه ، ولا مستند يستند إليه . والمقصود أن الأمير نجم الدين كان أسنَّ من أخيه أسد الدين شيركوه ، ولد بأرض الموصل . وكان الأمير نجم الدين شجاعاً باسلاً[٦] ، خدم[٧] الملك محمد بن ملكشاه ، فرأى فيه شهامة وأمانة ، فولّاه قلعة تكريت ، فحكم فيها ، فعدل ، وكان من أكرم الناس . ثم أقطعها الملك لمجاهد الدين بِهْرُوز[٨] شحنة العراق ، فاستمر فيها ، فاجتاز به في بعض الأحيان الملك عماد الدين زنكي منهزماً من قراجا الساقي[٩] فآواه وخدمه خدمة بالغة[١٠] تامة ، وداوى جراحه[١١] ، وأقام عنده مدة خمسة عشر يوماً ، ثم ارتحل إلى بلده الموصل .

ثم اتفق أن نجم الدين أيوب عاقب رجلاً نصرانيًّا فقتله ، وقيل : إنما قتله أخوه أسد الدين شيركوه . وهذا بخلاف الذي ذكره القاضي ابن خلكان[١٢] ، فإنه قال : رجعت جارية من بعض الخدم ، فذكرت له أنه تعرّض لها اسفهسلار الذي بباب القلعة ، فخرج إليه أسد الدين شيركوه ، فطعنه بحربة ، فقتله . فحبسه أخوه نجم الدين أيوب[١٣] ، وكتب إلى مجاهد بِهْروز ، يخبره بصورة الحال ، فكتب إليه يقول :

---

(١) أ : وأجني .
(٢) ليس هذا البيت في ب .
(٣) ط : أمر الله .
(٤) ط : ادعاء ليس .
(٥) أ ، ب : ولا له أصل .
(٦) ليس في ط .
(٧) أ : يخدم .
(٨) هو مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الفياتي ، شحنة العراق ، كان خادماً روميّاً أبيض اللون . ولاه السلطان مسعود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي شحنة العراق . توفي سنة ٥٤٠هـ وبهروز بكسر الباء الموحدة ، وسكون الهاء ، وضم الراء ، وسكون الواو ، وبعدها زاي ، وهو لفظ أعجمي معناه : يوم جيد . وفيات الأعيان (٧/ ١٤١ ـ ١٤٢ و١/ ٢٥٦) .
(٩) قراجا الساقي اسمه : برس ، صاحب بلاد فارس وخوزستان ، أصيب في المعركة التي وقعت بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر ، وأسره سنجر . ثم مات سنة ٥٢٦ . ابن الأثير (٨/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧ و٩/ ١٠١) ، وفيات الأعيان (٧/ ١٤٢) .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) ط : جراحاته .
(١٢) وفيات الأعيان (٧/ ٢٥٧) .
(١٣) عن أ وحدها .

(إن أباكما كانت له عليّ خدمة ـ وكان قد استنابه في هذه القلعة قبل ابنه نجم الدين أيوب ـ وإني أكره أن أسوءكما ، ولكن انتقلا منها) . فأخرجهما بِهْرُوز من قلعته .

وفي ليلة خروجه منها ولد له الملك الناصر صلاح الدين يوسف . قال : فتشاءمت به لفقدي بلدي ووطني ، فقال له بعض الناس : قد ترى ما أنت فيه من التشاؤم بهذا المولود ، فما يؤمّنك أن يكون هذا المولود ملكاً عظيماً له صيت كبير(١) ، فكان كذلك(٢) .

فاتصلا بخدمة الملك عماد الدين زنكي أبي نور الدين ، ثم كانا عند ابنه نور الدين محمود الملك العادل ، وتقدما عنده ، وعظما ، واستناب(٣) نور الدين نجمَ الدين أيوبَ على بعلبك ، وكان أسد الدين من أكبر أمرائه ، ولما تسلّم(٤) بعلبك أقام بها مدة طويلة ، وولد له بها أكثر أولاده .

ثم كان من الأمر(٥) ما ذكرناه في دخولهم(٦) الديار المصرية ، وصيرورة الأمير نجم الدين أيوب(٧) إلى ابنه بها في سنة أربع وستين .

ثم اتفق أنه في ذي الحجة سقط ، ومات بعد ثمانية أيام ، في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وكان ابنه الملك الناصر(٨) صلاح الدين محاصراً(٩) للكرك والشوبك ، فلما وصله الخبر تألّم لعدم حضوره ذلك ، وأرسل يتحرّق ويتحزّن ، وأنشد يقول : [من الكامل]

وَتَخَطَّفَتْهُ(١٠) يَدُ الرَّدَى في غَيْبَتي هَبْني(١١) حَضَرْتُ ، فَكُنْتُ ماذا أَصْنَعُ

وقد كان نجم الدين أيوب ، كثير(١٢) الصلاة والصيام والصدقة ، كريم النفس ، جواداً ممدَّحاً .

قال القاضي ابن خلكان(١٣) : وله خانقاه بالديار المصرية ، ومسجد وقناة خارج باب النصر

---

(١) ب : كثير وليست اللفظة في ط .
(٢) ط : فكان كما قال .
(٣) أ ، ب : واستنابه الملك نور الدين ببعلبك .
(٤) أ ، ب : سلمت إليه أقام .
(٥) ط : أمره .
(٦) ط : دخوله .
(٧) عن ب وحدها .
(٨) عن ب وحدها .
(٩) ط : محاصر الكرك غائباً عنه فلما بلغه خبر موته تألّم لغيبته عن حضوره وأرسل .
(١٠) أ ، ط : وتخطفه .
(١١) ليس في ب .
(١٢) ب : كثير الصدقة والصلاة والصيام ، ط : كثير الصلاة والصدقة والصيام .
(١٣) وفيات الأعيان (١/ ٢٥٧ و٢٦١) وفيه : أن الخانقاه ببعلبك ولعلها من قبيل إطلاق الكل وإرادة البعض .

من[١] القاهرة ، وقفها في سنة ست وستين .

قلت : وله بدمشق خانقاه أيضاً تعرف بالنجمية[٢] .

وقد استنابه ابنه على الديار المصرية حين خرج إلى الكرك ، وحكمه[٣] في الخزائن . وكان من أكرم الناس . وقد امتدحه الشعراء ، كالعماد [الكاتب ، وعرقلة ، وعمارة اليمني][٤] ، وغير واحد[٥] . ورثَوه حين مات بمراثٍ كثيرة . وقد ذكر ذلك مستقصىً الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه « الروضتين »[٦] .

ولما مات دفن مع أخيه أسد الدين شيركوه بدار الإمارة ، ثم نقلا إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين ، فدفنا بتربة[٧] الوزير جمال الدين[٨] الموصلي الذي كان مؤاخياً لأسد الدين شيركوه ، [وهو الجمال المتقدِّم ذِكره الذي ليس بين تربته ومسجد النبي ﷺ إلا مقدار سبعة عشر ذراعاً ، فدفنا عنده][٩] .

[الحسن[١٠] بن صافي][١١] : قال[١٢] الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وفي هذه السنة توفي ملك النحاة الحسن بن صافي .

---

(١) أ : في القاهرة .
(٢) الفقرة الأخيرة متقدمة في أ .
(٣) ليس في أ .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : وغيره .
(٦) الروضتين (١/ ٢١٢ ـ ٢١٣) .
(٧) أ : بتربة الملك الوزير .
(٨) ليس في ب .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ط : وفي هذه السنة توفي ملك الرافضة والنحاة الحسن بن صافي بن بزدن التركي ، وفي هذا الكلام عدة تصحيفات وأخطاء ، لعلَّ أشنعها أنه جعل الاسمين اسماً واحداً ، ناهيك عن التصحيف في اسميهما .
(١١) ترجمته عند بدران (٤/ ١٦٦) ومعجم الأدباء (٨/ ١٢٢) وابن الدبيثي (١/ ٢٨١) وإنباه الرواة (١/ ٣٠٥) ومرآة الزمان (٨/ ٢٩٥) والروضتين (١/ ٢٠٥) ووفيات الأعيان (٢/ ٩٢ ـ ٩٤) والعبر (٤/ ٢٠٤) ومرآة الجنان (٣/ ٣٨٦) وفي هذه المصادر : (هو أبو نزار الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار بن أبي الحسن النحوي المعروف بملك النحاة . ولد ببغداد سنة ٤٨٩ وسمع الحديث من أبي طالب الزينبي ، وقرأ الفقه على أحمد وأصوله على ابن برهان والخلاف على أسعد الميهني ، والنحو على الفصيحي ، وبرع في النحو حتى صار أنحى أهل طبقته . رحل إلى خراسان وكرمان وغزنة وقدم دمشق فهاجاه فيها ثلاثة شعراء هم : ابن منير والقيسراني والشريف الواسطي ، واستخف به ابن الصوفي فخرج منها وما عاد إليها حتى ماتوا جميعاً . كان صحيح الاعتقاد ، كريم النفس ، فهماً فصيحاً ذكيًّا ، إلا أنه كان عنده عجب بنفسه وتيه ، لقب نفسه ملك النحاة . وله مصنفات كثيرة في النحو والفقه وأصوله والقراءات والعروض ، وله ديوان شعر وكتاب مقامات . توفي في دمشق ودفن بباب الصغير وقد ناهز الثمانين .
(١٢) الروضتين (١/ ٢٠٥) .

يزدن التركي[١] : كان من أكابر أمراء بغداد المتحكِّمين في الدولة ، ولكنه كان رافضيًّا خبيثاً متعصباً للروافض ، وكانوا في خفارته[٢] وجاهه ، حتى أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذي الحجة منها . ودفن بداره ، ثم نقل إلى مقابر قريش ، ولله الحمد والمنة . وحين مات فرح أهل السُّنَّة بموته فرحاً شديداً ، وأظهروا الشكر لله ، فلا تجد أحداً منهم إلا يحمد الله ، فغضب[٣] الشيعة من ذلك ، ونشأت بينهم فتنة بسبب ذلك .

وذكر ابن الساعي في « تاريخه » أنه كان في صغره شابًّا حسناً مليحاً معشوقاً للأكابر من الناس . قال : ولشيخنا أبي اليمن الكندي[٤] فيه ، وقد رمدت عينه : [من الطويل]

بِكُلِّ صَباحٍ لي وكُلِّ عَشِيَّةٍ وُقوفٌ عَلَى أَبْوَابِكُمْ وَسَلامُ
وَقَدْ قِيلَ لي يَشْكُو سَقاماً بِعينِهِ فَهَا نَحْنُ منها نَشْتَكِي ونُضامُ[٥]

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمئة

قال ابن الجوزي في « المنتظم »[٦] : إنه سقط عندهم ببغداد[٧] بَرَدٌ كبار كالنارنج ، ومنه ما وزنه سبعة أرطال ، ثم أعقب[٨] ذلك [سيل عظيم[٩] وزيادة عظيمة بدجلة[١٠] ، لم يعهد مثلها أصلاً ، فخرَّبت[١١] شيئاً كثيراً[١٢] من العمران والقرى والمزارع حتى القبور ، وخرج الناس إلى الصحراء ، وكثر

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٤٢) وابن الأثير (٩/ ٨٣ و١٠٨ و١٢١) واسمه في الأخير يزدن بن قماج .
(٢) مكان الجار والمجرور في أ : صارت .
(٣) أ ، ب : وغضب الشيعة من ذلك فكان بسبب ذلك فتنة .
(٤) هو زيد بن الحسن بن سعيد الكندي الملقب : تاج الدين البغدادي المولد والمنشأ ، الدمشقي الدار والوفاة ، المقرىء النحوي الأديب ، ولد سنة ٥٢٠هـ وتوفي سنة ٦١٣ . وكان وحيد عصره في فنون الآداب وعلو السماع ، وله مشيخة على حروف المعجم ، خريدة الشام (١/ ١٠٠) ومعجم الأدباء (١١/ ١٧١) وإنباه الرواة (٢/ ١٠) وذيل الروضتين (٩٥) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٩ ـ ٤٢) .
(٥) الشطر مصحف في أ ، ب .
(٦) المنتظم (١٠/ ٢٤٤) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) أ : عقب .
(٩) ليس في أ .
(١٠) ط : في دجلة .
(١١) ط : فخرب .
(١٢) ليس في ب .

الضجيج والابتهال إلى الله [في الدعاء][١] ، حتى فرّج الله عز وجل ، وتناقصت زيادة الماء ، [فللّه الحمد رب الأرض والسماء][٢] .

قال[٣] : وأما الموصل فإنه كان بها نحوٌ مما[٤] كان ببغداد أو أكثر ، وانهدم بالماء نحو من ألفي دار ، واستهدم بسببه مثل ذلك ، وهلك تحت الهدم[٥] خلق كثير . وكذلك الفرات زادت زيادة عظيمة أيضاً ، فهلك بسببها شيء كثير من القرى ، وغلت الأسعار بالعراق في هذه السنة في الزروع والثمار ، ووقع المُوتان[٦] في الغنم ، وأصيب كثير[٧] ممن أكل منها بالعراق وغيرها .

قال ابن الساعي : وفي رمضان[٨] توالت الأمطار بديار بكر والموصل أربعين صباحاً[٩] ، لم يروا الشمس فيها سوى مرتين لحظتين يسيرتين ، ثم تستتر بالغيوم ، فتهدَّمت البيوت والمساكن[١٠] على أهلها ، وزادت الدجلة بسبب ذلك زيادة عظيمة ، وغرق كثير[١١] من مساكن بغداد والموصل ، ثم تناقص الماء بإذن الله عز وجل .

قال ابن الجوزي : وفي رجب وصل ابن الشهرزوري[١٢] من عند نور الدين ومعه ثياب من ثياب المصريين[١٣] وحمارة ملوّنة ، جلدها مخطط مثل الثوب العتّابي .

قال : وفيها عزل ابن الشاشي عن تدريس النظامية ، ووَلِيَ[١٤] أبو الخير القزويني .

قال : وفي جمادى الآخرة اعتُقل المجير[١٥] الفقيه ، ونسب إلى الزندقة والانحلال وترك الصلاة

---

(١) ليس في ط .
(٢) ط : بحمد الله ومنه .
(٣) ليست اللفظة في أ ، ب والخبر في المنتظم (١٠/٢٤٧) .
(٤) ط : ما .
(٥) ط : الردم .
(٦) أ : الوباء . وط : الموت ، وآثرت رواية ب لأنها رواية ابن الجوزي .
(٧) أ : شيء كثير .
(٨) ب ، ط : شوال ، وما هنا يوافق ما عند ابن الأثير (٩/١٢٨) .
(٩) ط : يوماً وليلة .
(١٠) ط : بيوت كثيرة ومساكن .
(١١) أ : وغرقت كثير ، ب : وغرق كثيراً .
(١٢) في المنتظم : (ابن الهروي) وهو تصحيف .
(١٣) أ ، ب : ثياب المصري ، ط : المصرية ، وما هنا عن المنتظم .
(١٤) ط : ووليها .
(١٥) في المنتظم : المحيي .

والصوم . ثم تعصب[١] له ناس[٢] وزكّوْه ، وأُخرج[٣] . وذكر أنه وعظ بالحَرْبيَّةِ[٤] ذات يوم فاجتمع عنده قريب[٥] من ثلاثين الفاً[٦] .

قال ابن الساعي : وفيها سقط أبو العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستضيء من قُبَّة شاهقة إلى الأرض ، فسلم ، ولله الحمد ، ولكن نبت[٧] يده اليمنى وساعد يده اليسرى ، وانسلخ شيء من أنفه ، وكان معه خادم أسود يقال له نجاح ، فلما رأى سيده قد سقط ألقى هو نفسه أيضاً خلفه ، وقال : لا حاجة لي بالحياة بعده ، فسلم أيضاً . فلما صارت الخلافة إلى أبي العباس الناصر ـ وهذا هو الذي سقط ـ كان لا ينساها[٨] لنجاح ، فحكّمه في الدولة ، وأحسن إليه وقد كانا صغيرين لمّا سقطا .

وفيها : سار الملك نور الدين نحو بلاد الرُّوم ، وفي خدمته الجيش ، وملك الأرمن ، وصاحب ملطية ، وخلق من الملوك والأمراء ، وافتتح عدة من حصونهم ، ولله الحمد . وحاصر قلعة الروم ، فصانعه[٩] صاحبها بخمسين الف دينار جزية . ثم عاد إلى حلب ، وقد أنجح[١٠] في كل ما طلب ، ثم عاد[١١] إلى دمشق مؤيَّداً منصوراً ، مسروراً محبوراً .

[وفي هذه السنة][١٢] كان فتح بلاد اليمن للملك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان سبب ذلك : أن صلاح الدين بلغه أن بها رجلاً يقال له عبد النبي بن مهدي قد[١٣] تغلب عليها ، ودعا إلى نفسه ، وتسمّى بالإمام ، ويزعم[١٤] لأصحابه أنه سيملك[١٥] الأرض كلها ، وقد كان أخوه علي بن مهدي تغلّب

(١) ط : فغضب .
(٢) أ : أناس .
(٣) أ : فأخرج .
(٤) ط : الحديثة . معجم البلدان (الحربية) .
(٥) ط : قريباً .
(٦) أ : ثلاثمئة ألف .
(٧) كذا في ط : نبت ، وفي الأصل : ثَبَت .
(٨) ط : لم ينسها .
(٩) ط : فصالحه .
(١٠) ط : وجد النجاح .
(١١) ط : ثم أتى دمشق .
(١٢) ط : وفيها .
(١٣) ط : وقد .
(١٤) ط : وزعم .
(١٥) أ : سيهلك .

قبله على اليمن ، وانتزعها من أيدي أهل زَبيد ، ومات سنة ستين ، فملك[١] بعده أخوه هذا ، وكلٌّ منهما كان[٢] سيئ السيرة والسريرة ، فعزم الملك[٣] صلاح الدين ، لكثرة جيشه وقوته ، على إرسال[٤] سرية إليه ، وكان أخوه الأكبر شمس[٥] الدولة توران شاه شجاعاً مهيباً بطلاً ، وكان ممن يجالسه[٦] عمارة اليمني الشاعر ، فكان عمارة ينعت له بلاد اليمن وحسنها[٧] ، وكثرة خيرها ، فحداه ذلك إلى أن خرج في هذه[٨] السرية في رجب من هذه السنة ، فورد مكة ، شرّفها الله ، فاعتمر بها ، ثم سار منها إلى زَبيد ، فخرج إليه عبد النبي ، فقاتله ، فهزمه[٩] تورانشاه ، وأسره وأسر زوجته الحرة ، وكانت ذات أموال جزيلة ، فاستقرّها على أشياء جزيلة[١٠] ، وذخائر جليلة . ونهب الجيش زَبيد ، ثم سار إلى عدن ، فقاتله ياسر[١١] ملكها ، فهزمه تورانشاه ، وأسره ، وأخذ البلد بيسير من الحصار ، ومنع الجيش من نهبها ، وقال : ما جئنا لتخريب[١٢] البلاد ، وإنما جئنا لعمارتها وملكها . ثم سار في الناس سيرة حسنة عادلة ، فأحبّوه ، ثم تسلّم بقية الحصون والمعاقل والمخاليف[١٣] ، واستوسق له ملك اليمن بحذافيره ، وألقى إليه بأفلاذ كبده ومطاميره . وخطب فيها للخليفة العباسي أبي محمد الحسن المستضيء ، وقُتل الدعيُّ المسمى بعبد النبي ، وصفت اليمن من أكدارها ، وعادت إلى ما سبق من مضمارها ، وكتب بذلك إلى أخيه الملك الناصر صلاح الدين يخبره بما فتح الله عليه ، وأحسن إليه ، فكتب بذلك الملك صلاح الدين[١٤] إلى الملك نور الدين ، [فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة][١٥] يبشِّره بفتح اليمن والخطبة له[١٦] بها .

---

(١) ط : فملكها .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ليس في ط .
(٤) أ : إرساله .
(٥) ب : شمس الدولة والدين .
(٦) ط : يجالس .
(٧) أ : وحصنها .
(٨) ط : تلك .
(٩) أ : فهزم تورانشاه جيشه ، ب : فهزمه تورانشاه جيشه .
(١٠) ط : نفيسة .
(١١) الاسم محرف في أ . والخبر في ابن الأثير (٩/ ١٢٢) .
(١٢) ط : لنخرب .
(١٣) ط : والمخالف .
(١٤) ط : فكتب الملك صلاح الدين بذلك .
(١٥) ليس في أ .
(١٦) ليس في ب .

وفيها : خرج الموفَّق خالد بن القيسراني من الديار المصرية ، وقد أقام له الملك الناصر حساب الديار المصرية وما خرج من الحواصل حسب ما رسم به الملك نور الدين كما تقدم ذِكره ، وقد كاد الملك الناصر صلاح الدين لما جاءته الرسالة بذلك يظهر شق العصا ، ويكاشر[١] بالمخالفة والإباء ، ولكن عاد إلى طباعه الحسنة ، وأظهر الطاعة المستحسنة ، وأمر بكتابة الحساب ، وتحرير الكتاب والجواب ، فامتثل ذلك جماعة الدواوين والحساب والكُتّاب ، وبعث مع ابن[٢] القيسراني بهدية سنية وتحف هائلة هنية .

فمن ذلك خمس ختمات شريفات معظَّمات بخطوط منسوبات[٣] ، ومئة عقد من الجواهر المثمنات خارجاً عن قطع[٤] البلخش واليواقيت[٥] ، والفصوص والثياب الفاخرات ، والأواني والأباريق والصحاف[٦] الفضِّيات ، والخيول المسوَّمات ، والغلمان والجواري الحسان والحسنات ، والذهب[٧] في عشرة صناديق مثقلات مختومات ، مما لا يُدْرَى كم عدة ما فيها من مئين ألوف ومئات[٨] من الذهب المصري المعدّ للنفقات . فلما وصلت العير من الديار المصرية لم تصل إلى الشام حتى كانت وفاة[٩] الملك نور الدين ، رحمه الله ربُّ الأرضين والسموات ، فأرسل الملك الناصر صلاح الدين مَن ردها عليه ، وأعادها إليه[١٠] . ويقال : إن منها ما عدي عليه ، وعلم بذلك حين استقرت[١١] بين يديه .

مقتل عمارة بن أبي الحسن بن زيدان[١٢] الحكمي من قحطان ، أبو محمد الملقب بنجم الدين اليمني[١٣] الشاعر الفقيه[١٤] الشافعي : [وسبب قتله أنه اجتمع][١٥] جماعة من رؤوس الدولة الفاطمية

---

(١) ط : ويواجه .
(٢) ليس في أ .
(٣) ط : مغطات بخطوط مستويات ، وهي تصحيف .
(٤) ب : القطع .
(٥) أ : الياقوت .
(٦) عن ب وحدها .
(٧) ط : ومن الذهب عشرة .
(٨) ب : مئين الألوف ، أ : مئين ألوف .
(٩) ط : حتى إن نور الدين مات .
(١٠) ط : ردها إليه وأعادها عليه .
(١١) ط : وضعت ، وفي الروضتين (١/ ٢١٩) تفصيلات خريدة أكثر لهدية صلاح الدين ، وكذلك الكواكب الدرية (٢٢٣ ـ ٢٢٤) .
(١٢) في وفيات الأعيان : ريدان بالراء المهملة ، قد علق المرحوم الدكتور شكري فيصل على نسبه في الخريدة (٣/ ١٠٢) .
(١٣) ترجمته في خريدة الشام (٣/ ١٠١ ـ ١٤١) والروضتين (١/ ٢١٩ ـ ٢٢٧) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٣١ ـ ٤٣٦) وأبـو الفداء (٣/ ٥٤) والعبر (٤/ ٢٠٨) ومرآة الجنان (٣/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢) .
(١٤) ط : الفقيه الشاعر .
(١٥) أ ، ب : كان قد اجتمع .

الذين كانوا حكّاماً ، فاتفقوا فيما بينهم أن يعيدوا[١] الدولة الفاطمية ، فكتبوا إلى الفرنج يستدعونهم إليهم ، وعينوا خليفة من ذرية[٢] الفاطميين ووزيراً وأمراء ، وذلك في غيبة السلطان ببلاد الكرك ، ثم اتفق مجيئه ، فحرَّض عمارة اليمني شمس الدولة تورانشاه على المصير[٣] إلى اليمن ليضعف[٤] بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج إذا قدموا لنصرة الفاطميين ، فخرج توران شاه ، ولم يخرج معه عمارة اليمني[٥] ، بل أقام بالقاهرة يفيض في هذا الحديث ، ويداخل المتكلمين فيه ، ويصافيهم[٦] ، وكان من أكابر الدعاة إليه ، والمحرّضين عليه ، هذا وقد أدخلوا معهم في هذا الأمر بعض من[٧] ينسب[٨] إلى الملك الناصر صلاح الدين ، وذلك من قلة عقلهم ، وكثرة جهلهم ، وتعجيل دمارهم . فخانهم أحوج ما كانوا إليه وهو الشيخ زين الدين علي بن نجا الواعظ [جاء إلى السلطان الملك الناصر ، فأخبره بما تمالأ القوم عليه ، وبما انتهى أمرهم إليه][٩] ، فأطلق له السلطان أموالاً جزيلة ، وأفاض عليه حللاً جميلة .

ثم استدعاهم السلطان واحداً واحداً ، فقرّرهم فأقرّوا بذلك ، فاعتقلهم ، ثم استفتى[١٠] الفقهاء في أمرهم فأفتوه بقتلهم ، وتبديد شملهم ، ثم عند ذلك أمر[١١] بقتل رؤوسهم وأعيانهم دون أتباعهم وغِلمانهم ، وأمر بنفي مَنْ بقي من جيش العبيديين إلى أقاصي[١٢] البلاد .

وأفرد ذرية[١٣] العاضد وأهل بيته في دار ، فلا[١٤] يصل إليهم إصلاح ولا إفساد ، وأجرى عليهم ما يليق بهم من الأرزاق والثياب كفايتهم .

وقد كان عمارة معادياً للقاضي الفاضل ، فلما أُحضر[١٥] بين يدي السلطان قام القاضي الفاضل

---

(١) ط : يردوا .
(٢) عن أ وحدها .
(٣) ط : المسير .
(٤) أ ، ب : ليخيف الحبش ويمنع ويضعف عن مقاومة الفرنج .
(٥) ليس في ط .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ليس في ب .
(٨) ب : ينتسب .
(٩) ط : فإنه أخبر السلطان بما تمالؤوا وتعاقدوا عليه .
(١٠) ب : فأعتقهم ثم استفتاهم الفقهاء .
(١١) أ : أمر بصلب .
(١٢) ط : أقصى .
(١٣) ب : دولة .
(١٤) ط : لا .
(١٥) ط : حضر عمارة .

إلى[١] السلطان ليشفع فيه عنده ، فتوهّم عمارة أنه يتكلّم[٢] فيه ، فقال : يا مولانا السلطان لا تسمع منه ، فغضب القاضي الفاضل ، وخرج من القصر ، فقال له السلطان : إنه إنما كان يشفع فيك[٣] ، فندم ندماً عظيماً ، ولما ذُهب به ليصلب اجتاز[٤] بدار القاضي الفاضل ، فطلبه فتغيب عنه ، فأنشد عند ذلك : [من مجزوء الكامل][٥]

عَبْدُ الرَّحِيمِ[٦] قَدِ احْتَجَبْ   إنَّ الخَـلاصَ هُـوَ العَجَـبْ

قال ابن أبي طي : وكان الذين صُلبوا :

١ ـ الفضل[٧] بن كامل القاضي : وهو أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل قاضي قضاة الديار المصرية زمن الفاطميين ويلقب بفخر الأمناء ، وكان أول من صلب فيما قاله العماد الكاتب . وكان ينسب إلى فضيلة وأدب ، وله شعر رائق ، فمن ذلك قوله في غلام رفَّاء[٨] : [من مخلّع البسيط]

يـا رافِيـاً خَـرْقَ كُـلِّ ثَـوْبِ   ويَـا رَشَـا[٩] حُبُّـه اعْتِقـادِي
عَسَى بِكَـفِّ الـوِصـالِ تَـرْفُـو   مـامَـزَّقَ الهَجْـرُ مـن فُـؤادِي

٢ ـ وابن عبدالقوي[١٠] داعي الدعاة ، وكان يعلم بدفائن القصر ، فعوقب ليدلّ عليها[١١] ، فامتنع من ذلك ، فمات واندرست .

---

(١) أ ، ب : فاجتمع بالسلطان .
(٢) أ : تكلم .
(٣) أ ، ب : إنه كان قد شفع فيك .
(٤) ط : مر بدار الفاضل .
(٥) البيت في الروضتين (١/ ٢٢٣) والكواكب الدرية (٢٢٥) .
(٦) هو اسم القاضي الفاضل الذي سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٦ من هذا الجزء . ومما قاله عمارة في القاضي الفاضل :

قَسَتْ رأفةُ الدنيا فلا الدهرُ عاطفٌ   علـيَّ ولا عبـدُ الـرحيـمِ رحيـمُ

الروضتين (١/ ٢٢٣) .
(٧) ب : المفضل . والخبر في الروضتين (١/ ٢٢٠) والكواكب الدرية (٢٢٦) وسنا البرق الشامي (١/ ١٤٨) والشذرات (٤/ ٢٣٥) .
(٨) البيتان في الروضتين (١/ ٢٢٤) .
(٩) ط : وما رفا .
(١٠) الروضتين (١/ ٢٢٠) والكواكب الدرية (٢٢٦) وسنا البرق الشامي (١/ ١٤٩) .
(١١) أ ، ب : ليعلم بها .

٣ ـ **والعوريس**[١] الذي[٢] كان ناصر الديوان وتولّى مع ذلك القضاء .

٤ ـ **وشبريا**[٣] وهو[٤] كاتب السر .

٥ ـ **وعبد الصمد**[٥] **القشّة**[٦] الكاتب ، وهو أحد أمراء المصريين .

٦ ـ **ونجاح الحمامي**[٧] .

٧ ـ **ورجل منجم نصراني**[٨] أرمني ، كان قد بشّرهم بأن هذا الأمر يتم بعلم النجوم .

٨ ـ **وعمارة اليمني الشاعر** ، وقد كان[٩] شاعراً مطبقاً بليغاً فصيحاً ، لا يُلحق شأوه في هذا الشأن . وله ديوان شعر مشهور . وقد ذكرته في « طبقات الشافعية » لأنه كان[١٠] يشتغل بمذهب الشافعي ، وله تصنيف[١١] في الفرائض ، وكتاب الوزراء الفاطميين ، وكتاب جمع فيه سيرة نفيسة[١٢] التي كان يعتقدها عوام مصر . وقد كان أديباً فاضلاً فقيهاً فصيحاً ، غير أنه كان ينسب إلى موالاة الفاطميين ، وله فيهم وفي وزرائهم وأمرائهم مدائح كثيرة جدًّا ، وأقلّ ما كان ينسب[١٣] إلى الرفض ، وقد اتُّهم باطنه[١٤] بالكفر المحض .

---

(١) ط وسنا البرق (١/ ١٤٩) : العويرس ، وفي أ : العوروس . والخبر في الروضتين (١/ ٢٢٠) والكواكب الدرية (٢٢٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٢٣٦) .

(٢) ط : وهو ناظر .

(٣) في الروضتين (١/ ٢٢٠) : شبرما .

(٤) عن ط وحدها .

(٥) الروضتين (١/ ٢٢٠) والكواكب الدرية (٢٢٦) وسنا البرق الشامي (١/ ١٤٩) .

(٦) ليس في ط .

(٧) الروضتين (١/ ٢٢٠) والكواكب الدرية (٢٢٦) .

(٨) الروضتين (١/ ٢٢٠) والكواكب الدرية (٢٢٦) .

(٩) ط : وكان عمارة شاعراً .

(١٠) أ : فكان يستعمل المذهب ، ب : فإنه كان يشتغل .

(١١) ط : مصنف .

(١٢) هي السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين . ولدت سنة ١٤٥هـ بمكة ونشأت بالمدينة وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها سنة ٢٠٨هـ . وهي صاحبة المشهد المعروف بمصر ، وللمصريين فيها اعتقاد عظيم ـ كما قال ابن خلكان ـ حجت ثلاثين حجة وكانت تحفظ القرآن الكريم ، وسمع عليها الإمام الشافعي رضي الله عنهما . وفيات الأعيان (٥/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤) والعبر (١/ ٣٥٥) والنجوم (٢/ ١٨٥) والشذرات (٢/ ٢١) والأعلام (٩/ ١٧) .

(١٣) أ : وأقل ما نسب .

(١٤) ط : وقد اتهم بالزندقة والكفر .

وذكر العماد في الخريدة[١] أنه قال في قصيدته التي يقول في أولها : [من البسيط]

العِلْـمُ مُـذْ كـانَ مُحْتـاجٌ إِلـى العَلَـمِ وشَفْـرَةُ السَّيْـفِ تَسْتَغْنِـي عَـنِ القَلَـمِ

وهي طويلة جدًّا ، فيها كفر وزندقة كثيرة ، قال فيها[٢] :

قَدْ كان أَوَّلُ هذا الدّينِ مِنْ رَجُلٍ سَعَـى إِلـى أَنْ دَعَـوْهُ سَيِّـدَ الأُمَـمِ

قال العماد : فأفتى علماء مصر[٣] بقتله ، وحرّضوا السلطان على المثلة بمثله[٤] . ويجوز أن يكون هذا البيت معمولاً عليه ، فالله أعلم[٥] .

وقد أورد ابن الساعي شيئاً من رقيق شعره ، فمن ذلك قوله يمدح بعض الملوك[٦] : [من الكامل]

مَلِكٌ إذا قَابَلْتُ بِشْرَ جَبِينِهِ فـارَقْتُـهُ والبِشْـرُ فَـوْقَ جَبِينـي
وَإذا لَثَمْتُ يَمينَهُ وَخَرَجْتُ مِنْ أَبْـوَابِـهِ[٧] لَثَمَ المُلـوكُ يَمِينـي

ومن ذلك قوله يتغزّل[٨] : [من البسيط]

لي في هَوَى الرَّشَأِ العُذْرِيِّ أَعْذارُ لَمْ يَبْقَ لي مُذْ أَقَرَّ[٩] الدَّمْعُ إِنْكارُ
لي في القُدودِ وفي لَثْمِ الخُدودِ وَفي ضَـمِّ النُّهـودِ لُبـانـاتٌ وأَوْطـارُ
هذا اخْتِياري فَوافِقْ إِنْ رَضيتَ بِهِ أَوْ لَا فَدَعْني بما[١٠] أَهْوَى وَأَخْتارُ

ومما أنشده الشيخ تاج الدين الكندي في عمارة اليمني حين صلب[١١] : [من الطويل]

عُمارَةُ في الإِسلامِ أَبْدَى خِيانةً[١٢] وبَـايَـعَ فيهـا بيعـةً وصَلِيبـا

---

(١) خريدة الشام (٣/ ١٠٤) .
(٢) ط : قال وفيها .
(٣) ط : فأفتى أهل العلم من أهل مصر .
(٤) ط : وبه وبمثله .
(٥) ط : والله أعلم ، وليست الجملة من كلام العماد .
(٦) البيتان في خريدة الشام (٣/ ١٠٦) والروضتين (١/ ٢٢٥) .
(٧) الخريدة : إيوانه .
(٨) الأبيات خمسة في خريدة الشام (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨) وفي الروضتين (١/ ٢٢٥) .
(٩) ط : مذا قسر .
(١٠) ط : وإلا فدعني لما ، والخريدة : وما .
(١١) الأبيات في الخريدة (٣/ ١٠٥) والروضتين (١/ ٢٢٢) .
(١٢) ب ، ط ، والروضتين : جناية .

وأمسى شريك الشرك في بغض[١] أحمد ... فأَصْبَحَ[٢] في حُبِّ الصَّليبِ صَليبا
وَكَانَ خَبيثَ المُلْتَقَى إنْ عَجَمْتَهُ ... تَجِدْ منهُ عُوداً في النّفاقِ صَليبا[٣]
سَيَلْقَى غداً ما كانَ يَسْعَى لأجْلهِ ... ويُسْقَى صَديداً في لَظَىً وصَلِيبا

قال الشيخ [شهاب الدين][٤] أبو شامة[٥] : فالأول : صليب النصارى ، والثاني : صليب بمعنى مصلوب ، والثالث بمعنى القوي[٦] ، والرابع هو ودَك العظام .

ولما صلب الملك الناصر هؤلاء ، وكان ذلك يوم السبت الثاني من شهر رمضان من هذه السنة ، [بين القصرين من القاهرة][٧] ، كتب إلى الملك نور الدين يعلمه بما وقع منهم ، [وما أوقع][٨] بهم من الخزي والنكال .

قال العماد[٩] الكاتب : فوصل الكتاب بذلك الأمر يوم توفي الملك نور الدين ، رحمه الله تعالى[١٠] .

وكذلك قتل الملك صلاح الدين رجلاً من أهل إسكندرية[١١] ، يقال له : قديد القفاص[١٢] ، كان قد افتُتن به الناس ، وجعلوا له جزءاً من أكسابهم ، حتى النساء من أموالهن ، فأُحيط به ، فأراد الخلاص[١٣] ، ولات حين مناص ، فقتِل أُسوة فيمن سلف ، ولقد كان بئس الخلف ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .

ومما وجد من شعر عمارة يرثي العاضد ودولته وأيامه[١٤] : [من الكامل]

---

(١) ط : بعض . تصحيف .
(٢) ط : وأصبح .
(٣) لم يرد البيت في غير أ .
(٤) ليس في ط .
(٥) الروضتين (١/ ٢٢٢) .
(٦) في الروضتين : والثالث من الصلابة .
(٧) وردت هذه العبارة في أ قبل سطر بعد لفظة هؤلاء .
(٨) عن أ وحدها .
(٩) البرق الشامي (١/ ١٥٠) .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) ط : الإسكندرية .
(١٢) أ : القصاص ، ط : القفاجي ، الروضتين (١/ ٢٢١) .
(١٣) ط : فأراد القفاجي الخلاص .
(١٤) الأبيات في الروضتين (١/ ٢٢٣) .

أَسَفي على زمنِ الإمامِ العاضِدِ أَسَفُ العَقيمِ على فِراقِ الواحِدِ
جالَسْتُ مِنْ وزرائِهِ وصحبتُ من أُمَرائِهِ أهلَ الثناءِ الخالدِ[١]
لهفي على حُجُراتِ قَصْرِكَ إذْ خَلَتْ يابْنَ النبيِّ من ازْدِحامِ الوافِدِ
وَعَلى انْفِرادِكَ من عَساكِرِكَ التي[٢] كانوا كأَمْواجِ الخِضَمِّ الرَّاكِدِ
قَلَّدتَ مُؤْتَمَن[٣] الخِلافَةِ أَمْرَهم فكبا وقصَّر عن صَلاحِ الفاسِدِ
فَعَسى اللَّيالي أنْ تردّ إِلَيْكُمُ[٤] ما عَوَّدَتْكُمْ من جَميلِ عَوائِدِ

وله في جملة[٥] قصيدة[٦] : [من البسيط]

يا عاذِلي في هَوَى أبناءِ فاطمةٍ لكَ الملامةُ إنْ قَصَّرتَ في عَذَلي
باللهِ زُرْ ساحةَ القَصْرينِ وابْكِ معي عليهما لا عَلى صفّين[٧] والجَمَلِ
وقُلْ لأَهْلِهما واللهِ ما الْتَحَمتْ فيكم قُروحي ولا جَرْحي بمُنْدَمِلِ
ماذا تُرى كانَتْ الإفْرَنجُ فاعِلةً في نَسْلِ آل[٨] أميرِ المؤمنينَ علي

وقد أورد الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « الروضتين » [من أشعار عمارة اليمني ومدائحه في الخلفاء الفاطميين وذويهم شيئاً كثيراً][٩] . وكذا القاضي ابن خلِّكان .

ابن قُرْقُول[١٠] : إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد الحَمْزي[١١] ، أبو إِسحاق ، ابن قُرْقول الأندلسي ، صاحب كتاب « مطالع الأنوار » الذي وضعه على كتاب « مشارق

(١) أ : الماجد ، وليس البيت في ط .
(٢) أ : الذي .
(٣) ط : قلدت مؤتمن أمرهم ، ولا يستقيم به الوزن . وأضيف في الطبعة الثانية كلمة بلاد بعد مؤتمن ، إلا أن الوزن ظل غير صحيح ولذلك شدّدت راء (أمرّهم) ففسد المعنى .
(٤) أ : عليكم .
(٥) ليس في أ .
(٦) الأبيات في قصيدة مؤلفة من واحد وثلاثين بيتاً في الروضتين (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) مطلعها :
رميت يا دهر كفّ المجد بالشلل وجيده بعد حلي الحسن بالعطل
(٧) ط : لا على صفين البكا ، ولا يستقيم بها الوزن .
(٨) ط : ابني .
(٩) ط : أشعاراً كثيرة من مدائحه في الفاطميين .
(١٠) ترجمته في التكملة لابن الأبار (١/ ١٣١ ط الهراس) ووفيات الأعيان (١/ ٦٢ ـ ٦٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) .
(١١) الحَمْزي نسبة إلى حمزة آشير : بليدة بإفريقية ما بين بجاية وقلعة بني حماد . انظر وفيات الأعيان (١/ ٦٣) ومعجم البلدان (حمزة) .

الأنوار » للقاضي عياض ، وكان من علماء بلادهم وفضلائهم المشهورين . مات فجأة بعد صلاة الجمعة سادس شوال [من هذه][١] السنة عن أربع وستين سنة . قاله ابن خلكان[٢] .

فصـــلٌ
في وفاة الملك العادل نور الدين[٣] محمود بن زنكي [بن آقسنقر التركي السلجوقي في هذه السنة ، رحمه الله][٤] ، وذكر شيء من سيرته العادلة ، وأيامه الكاملة

هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم[٥] محمود بن الملك الأتابك قسيم الدولة عماد الدين أبي سعيد زنكي الملقب بالشهيد بن الملك آقسُنْقُر الأتابك الملقب بقسيم الدولة أيضاً التركي السُّلجوقي مولاهم .

ولد وقت طلوع الشمس من[٦] يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة إحدى عشرة وخمسمئة بحلب .

ونشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرهما من البلدان الكثيرة . وتعلم القرآن[٧] والفروسية والرمي . وكان شهماً شجاعاً ، ذا همة عالية ، وقصد صالح ، وحرمة وافرة ، وديانة متينة[٨] .

فلما قُتل أبوه سنة إحدى وأربعين ، وهو محاصِرٌ جَعْبر[٩] كما ذكرنا ، صار المُلك بحلب إلى ابنه محمود هذا ، وأُعطي أخوه سيف الدين غازي الموصل كما تقدم ، ثم افتتح الملك نور الدين دمشق في سنة تسع وأربعين ، فأحسن إلى أهلها ، وبنى لهم المدارس والمساجد والربط ، ووسَّعَ لهم الطرق والأسواق[١٠] ، ووضع المكوس بدار البطيخ والغنم والعَرْصَة[١١] ، وغير ذلك .

---

(١) ط : منها .
(٢) انظر وفيات الأعيان (١/ ٦٢) .
(٣) أخباره وترجمته في تاريخ دمشق (٥٧/ ١١٨ فما بعد) والمنتظم (١٠/ ٢٤٨) وابن الأثير (٩/ ١٢٤ ـ ١٢٦) ومرآة الزمان (٨/ ٣٠٥) والروضتين (١/ ٢٢٧) ووفيات الأعيان (٥/ ١٨٤ ـ ١٨٨) ومختصر أبي الفداء (٣/ ٥٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٤٢٤ ـ ٤٣٦) والعبر ـ الكويت (٤/ ٢٠٥) ـ بيروت (٣/ ٥٨) ومرآة الجنان (٣/ ٣٨٦ ـ ٣٨٩) .
(٤) ليس ما بين الحاصرتين في ط .
(٥) في أ : أبو الغنائم ، وهو تصحيف .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) في ط : بنية .
(٩) جَعْبَر : قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين . معجم البلدان .
(١٠) العبارة في ط : (ووسّع لهم الطرق على المارة وبنى عليها الرصافات ووسّع الأسواق) .
(١١) في ط : العرصد وفي الروضتين (١/ ٥) : والكيالة وغيرها .

وكان حنفيَّ المذهب ، يحبّ العلماء والفقراء ويكرمهم ويحترمهم ويحسن إليهم . وكان يقوم في أحكامه بالمعدلة الحسنة ، واتّباع الشرع المطهَّر ، ويعقد مجالس العدل ، ويتولّاها بنفسه ، ويجتمع إليه في ذلك القاضي والفقهاء والمفتون[١] من سائر المذاهب . ويجلس في يوم الثلاثاء بالمسجد المعلَّق الذي بالكشك[٢] ، ليصل إليه كلّ أحد[٣] من المسلمين وأهل الذمة ، حتى نساؤهم[٤] .

وأحاط السور على حارة اليهود ، وكان خراباً .

وأغلق باب كيسان[٥] وفتح باب الفرج ، ولم يكن هناك قبله باب بالكلية .

وأظهر ببلاده السنّةَ وأمات البدعةَ ، وأمر بالتأذين بحلب[٦] بحيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح . ولم يكن[٧] يؤذّن بهما في دولتَيْ أبيه وجده ، وإنما كان يؤذَّن بحيّ على خير العمل ، لأنَّ شعار الروافض[٨] كان ظاهراً بها .

وأقام الحدود ، وفتح الحصون ، وكسر الفرنج غير مرة[٩] ، واستنقذ من أيديهم معاقل كثيرة من الحصون المنيعة التي كانوا قد استحوذوا عليها من بلاد[١٠] المسلمين ، كما تقدم بسط ذلك في السنين المتقدمة [في أيامه][١١] .

وأقطع أمراء العرب إقطاعات[١٢] لئلا يتعرّضوا للحجيج .

وبنى بدمشق مرستاناً حسناً لم يُبْنَ في الشام قبله مثله[١٣] ولا بعده مثله أيضاً . ووقف وقفاً على مَنْ يعلّم الأيتام الخط والقراءة ، وجعل لهم نفقة وكسوة ، وعلى من يقرئ الأيتام القرآن ، وعلى المجاورين بالحرمين . [وله أوقاف دارَّةٌ على جميع أبواب الخير ، وعلى الأرامل والمحاويج][١٤] .

---

(١) في ط : المفتيون ، وهو من أخطاء ط .
(٢) وتكتب : الكوشك ، أيضاً .
(٣) في ط : واحد .
(٤) ليست اللفظة في أ ، وهي في ط : حتى يساويهم ، وهي من تصحيفات ط .
(٥) في ط : كسان ، وهو من أخطاء ط .
(٦) ليست اللفظة في ط .
(٧) في أ ، ب : وإنما كان ، وهو تصحيف .
(٨) في ط : شعار الرفض .
(٩) في ط : مراراً عديدة .
(١٠) في ط : معاقل .
(١١) ليس في ط .
(١٢) عن ط وحدها .
(١٣) عن ط وحدها .
(١٤) عن ط وحدها .

وكان الجامع داثراً فولّى نظره القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري الموصلي[١] الذي قدم به فولاه قضاء القضاة بدمشق ، فأصلح أموره ، وفتح المشاهد الأربعة ، وقد كانت حواصل الجامع بها من حين احترقت في سنة إحدى وستين وأربعمئة ، وأضاف إلى أوقاف [الجامع المعلومة الأوقاف][٢] التي لا يعرف واقفوها ، ولا يعرف شروطهم فيها ، وجعلها قلماً واحداً ، وسمّاه[٣] : مال المصالح ، ورتب عليه لذوي الحاجات والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وما أشبه ذلك وشاكله .

وقد كان الملك نور الدين رحمه الله حسن الخطّ ، كثير المطالعة للكتب الدينية ، متّبعاً للآثار النبويّة ، محافظاً على الصلوات في الجماعات[٤] ، كثير التلاوة ، محبًّا لفعل الخيرات ، عفيف البطن والفرج ، مقتصداً في الإنفاق على نفسه وأهله وعياله في المطعم والملبس ، حتى قيل : إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلى نفقة منه ، من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا ، ولم تسمع منه كلمة فحش قط ، في غضب ولا رضا ، صموتاً وقوراً .

قال ابن الأثير[٥] : لم يكن [في ملوك الإسلام][٦] بعد عمر بن عبد العزيز مثل ملك نور الدين ولا أكثر تحرّياً للعدل والإنصاف منه .

كان قد استفتى العلماء في مقدار ما يحلّ له من بيت المال فكان يتناوله ولا يزيد عليه شيئاً ، ولو مات جوعاً .

وكانت[٧] له دكاكين بحمص قد اشتراها مما يخصّه من المغانم ، فكان يقتات منها ، فزاد كراها لامرأته على نفقتها حين استقلّتها عليها .

وكان يكثر اللعب بالكرة ، فعاتبه بعض[٨] الصالحين في ذلك فقال : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما أريد بذلك تمرين الخيل وتعليمها[٩] على الكرّ والفر ، ونحن لا نترك الجهاد .

وكان لا يلبس الحرير ، ويأكل من كسب يده بسيفه ورمحه ، رحمه الله .

---

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٧٢ من هذا الكتاب .
(٢) ليس في ب .
(٣) في ب ، ط : وسمي .
(٤) في ب : الصلوات والجماعات .
(٥) الخبر في الكامل لابن الأثير (٩/ ١٢٥) بخلاف في الرواية .
(٦) عن أوحدها .
(٧) في ط : وزاد امرأته من كراها على نفقتها عليها ، الخبر بصيغة أخرى في الكامل لابن الأثير (٩/ ١٢٥) .
(٨) في ط : رجل من كبار الصالحين .
(٩) العبارة في ط : تمرين الخيل على الكر والفر وتعليمها ذلك .

وركب يوماً مع بعض أصحابه ، والشمس في ظهورهما وظلهما[١] بين أيديهما لا يدركانه ، ثم رجعا فصار الظلّ وراءهما ، فساق[٢] الملك نور الدين [فرسه سوقاً عنيفاً][٣] ، وجعل يلتفت وراءه وظلُّه يتبعه ، ثم قال[٤] لصاحبه : أتدري ما شبَّهت هذا الذي نحن فيه ؟ قد شبهت ما نحن فيه بالدنيا تهرب ممن يطلبها ، وتطلب من يهرب منها ، وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى : [من الرمل][٥]

مَثَــلُ الــرّزْقِ الّــذي تَطْلُبُــهُ ... مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكْ
أَنْــتَ لَا تُــدْرِكُــهُ مُتَّبِعــاً[٦] ... فَــإِذَا وَلَّيْــتَ عَنْــهُ تَبِعَــكْ

وكان فقيهاً على مذهب أبي حنيفة ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان يكثر[٧] الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب ، [فكان كما قيل][٨] : [من الكامل][٩]

جَمَعَ الشَّجاعَةَ والخُشُوعَ لِرَبِّهِ[١٠] ... ما أَحْسَنَ الشُّجْعَانَ[١١] في المِحْرَابِ

وكذلك كانت زوجته عصمة الدين[١٢] خاتون بنت الأتابك معين الدين أُنر تكثر القيام الليل ، فنامت ذات ليلة عن وردها ، فأصبحت وهي غضبى ، فسألها نور الدين عن أمرها ، فذكرت ما حصل لها من النوم الذي قطعها عن وردها[١٣] ، فأمر نور الدين بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر ليوقظها وأمثالها من النوم[١٤] لقيام الليل ، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجراً جزيلاً وجراية كثيرة : [من البسيط][١٥]

فَـأَلْبَـسَ اللهُ هـاتيـكَ العِظـامَ وَإِنْ ... بَلَيْنَ تَحْتَ الثَّرى عَفْواً وغُفْرانا
سَقَى ثَرىً أَوْدَعُوهُ رَحْمَةً مَلَأَتْ ... مَثْـوَى قُبُـورِهِـمْ رُوحـاً وَرَيْحـانـا

---

(١) في ط : والظل .
(٢) في ط : ثم ساق نور الدين .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) في ط : فقال .
(٥) البيتان في الروضتين (١/ ٦) .
(٦) في ط : مستعجلاً .
(٧) في ط : كثير .
(٨) عن مختصر أبي الفداء (٣/ ٥٥) .
(٩) البيت في الروضتين (١/ ٦) ومختصر أبي الفداء وكامل ابن الأثير (٩/ ١٢٥) .
(١٠) في ط : لديه ، وهي من تصحيفات ط .
(١١) كذا في ط : الشجعان ، وفي الأصل : المحراب والبيت في مختصر أبي الفداء وكامل ابن الأثير .
(١٢) سترد ترجمتها في وفيات سنة ٥٨١ من هذا الجزء .
(١٣) عبارة ط : فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها .
(١٤) في ط : لتوقظ النائم ذلك الوقت .
(١٥) البيتان في الروضتين (١/ ٤) .

وذكر ابن الأثير[١] أن الملك نور الدين بينما هو يوماً يلعب بالكرة ، إذ رأى رجلاً يحدّث آخر ، ويومئ إليه ، فبعث الحاجب ليسأله ما شأنه ، فإذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم ، وهو يزعم أن له على الملك حقًّا يريد أن يحاكمه عند القاضي ، فلما أعلمه الحاجب بذلك ألقى الجوكان[٢] من يده ، وأقبل مع خصمه إلى القاضي[٣] كمال الدين الشهرزوري ، وقد أرسل إليه من أثناء الطريق ألَّا تعاملني إلا معاملة الخصوم ، فحين وصلا وقف نور الدين مع خصمه بين يدي القاضي حتى انفصلت الحكومة ، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق ، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل ، فلما تبين ذلك قال السلطان : إنما جئت معه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دعي إليه ، فإنما نحن شحنكية بين يديه ، وأنا أعلم أنه لا حق له عندي ، ومع هذا أشهدكم أني قد ملَّكته ذلك ، ووهبته له .

وأرسل[٤] القاضي تاج الدين رسولاً من جهته يقال له : سويد ليحضر الملك نور الدين إلى مجلس الحكم لسماع دعوى من رجل عليه ، فبلّغ سويد الرسالة إلى الحاجب ، فدخل عليه ، وهو يضحك ويقول : ليقم المولى إلى القاضي لسماع دعوى ، وكأنه يهزأ [بذلك ، فقال له الملك : وما بك تهزأ][٥] بذلك ؟ ثم قال : ائتوني بفرسي ، فنهض وهو يقول : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور : ٥١] ، وذهب إلى الحاكم ، وكان يوماً مطيراً كثير الوحل ، رحمه الله تعالىٰ .

قال ابن الأثير[٦] : وهو أول من ابتنى داراً للعدل[٧] ، فكان يجلس فيها في الأسبوع يومين[٨] ، وقيل : أربعة ، وقيل : خمسة ، ويحضر القاضي والفقهاء من سائر المذاهب ، ولا يحجبه يومئذ حاجب ولا غيره[٩] ، بل يصل إليه القوي والضعيف ، فكان[١٠] يكلم الناس ويستفهمهم ويخاطبهم بنفسه ، فيكشف المظالم ، وينصف المظلوم من الظالم .

---

(١) الخبر برواية أخرى في ابن الأثير (٩/ ١٢٥) والروضتين (١/ ٧) وثمة خلافات كثيرة بين النسخ أعرضت عن ذكرها لكثرتها .
(٢) الجوكان : مضرب الكرة .
(٣) من قوله : فلما أعلمه . . إلى هنا ساقط من ب .
(٤) ليس الخبر في ب ولا في ط .
(٥) في الأصل : يتهزى . . تتهزى ، والخبر في الروضتين (١/ ٧ ، ١٥) .
(٦) ابن الأثير (٩/ ١٢٥) والروضتين (١/ ٨) .
(٧) في ب : دار العدل .
(٨) في ب ، ط : مرتين ، وبعدها في ط : وقيل : أربع مرات وقيل : خمس .
(٩) ليست في أ .
(١٠) عن ط وحدها .

قال[١] : وكان سبب ذلك أن أسد الدين شيركوه بن شاذي كان قد عظم شأنه عند نور الدين حتى صار كأنه شريكه[٢] في المملكة ، واقتنى الأملاك[٣] والأموال والمزارع والقرى . وكان ربما ظلم نوابُه جيرانَهم في الأراضي[٤] ، وكان القاضي كمال الدين ينصف كل من استعداه[٥] على جميع الأمراء إلا أسد الدين هذا ، فما كان يهجم عليه ، فلما ابتنى نور الدين دار العدل تقدم أسد الدين إلى نوابه ألا يَدَعُوا لأحد عنده ظلامة ، وإن كانت عظيمة[٦] ، فإن زوال ماله عنده أحب إليه من أن يراه نور الدين بعين ظالم أو يوقفه مع خصم[٧] من العامة ، ففعلوا ذلك ، فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة ، ولم ير أحداً يستعدي[٨] على أسد الدين ، فسأل القاضي عن ذلك ، فأعلمه بصورة الحال ، فسجد نور الدين عند ذلك شكراً لله ، وقال : الحمد لله الذي أصحابنا[٩] ينصفون من أنفسهم .

وأما شجاعته فكان يقال : إنه لم ير على ظهر الفرس أحسن ولا أثبت منه . وكان يحسن اللعب بالكرة ، وربما ضربها ثم يسوق وراءها ويأخذها من الهواء بيده ، ثم يرميها إلى آخر الميدان ، ولم يُرَ جوكانه يعلو على رأسه ، ولا يرى الجوكان في يده ، لأنّ الكم ساتر لها ، ولكنه استهانة بلعب الكرة .

وكان شجاعاً ، صبوراً في الحرب ، يضرب به المثل في ذلك .

وكان يقول : قد تعرّضت للشهادة غير مرة ، فلم يتّفق لي ذلك[١٠] ، فقال له يوماً الفقيه قطب الدين النيسابوري[١١] : بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك ، فإنك لو قُتلت قتل جميع من معك وأُخذت البلاد[١٢] ، فقال : اسكت يا قطب الدين ، فإن قولك إساءة أدب مع الله ومن هو محمود ؟ من كان يحفظ الدين قبلي غير الله الذي لا إله إلا هو ؟ قال : فبكى من حضر[١٣] . رحمه الله .

---

(١) ليست في ط .
(٢) أ ، ب : شريك .
(٣) بعدها في أ : والأولاد .
(٤) بعدها في ط : والأملاك العدل .
(٥) في أ : استدعاه .
(٦) أ ، ب : وإن كان عظيماً .
(٧) ب : خصمه .
(٨) أ : يستدعي على نور الدين .
(٩) ليست في ب .
(١٠) بعدها في ط : ولو كان فيّ خير ولي عند الله قيمة لرزقنيها والأعمال بالنية . والخبر في الروضتين (١/ ٨) .
(١١) هو مسعود بن محمد وسترد ترجمته في وفيات سنة ٥٧٨ من هذا الجزء .
(١٢) بعدها في ط : وفسد حال المسلمين .
(١٣) ط : من كان حاضراً .

وقد أسر بنفسه في بعض الغزوات بعض ملوك الفرنج ، فاستشار الأمراء فيه : هل يقتله أو يأخذ منه ما يبذل له من المال في الفداء ، وكان قد بذل له في فداء نفسه مالاً كثيراً ، فاختلفوا عليه ، ثم حسن في رأيه إطلاقه وأخذ الفداء [منه ، فبعث إلى بلده من خلاصته مَنْ يأتيه بما افتدى به نفسه ، فجاء به سريعاً ، فأطلقه نور الدين ، فحين وصل إلى بلاده مات ذلك الملك ببلده][1] ، فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه .

وابتنى[2] نور الدين من ذلك المال البيمارستان الذي[3] بدمشق ، [وهو أحسن ما بني من البيمارستانات][4] ، ومن شرطه أنه [وقف][5] على الفقراء والمساكين ، وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعزّ وجودها إلا فيه [فلا يمنع منه الأغنياء ، ومن جاء إليه مستوصفاً][6] فلا يمنع من شرابه ، ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شرابه . رحمه الله .

قلت : ويقول بعض الناس : إنه لم تخمد منه النار منذ بُني إلى زماننا هذا ، فالله أعلم .

وقد بنى الخانات الكثيرة في الطرقات[7] والأبراج ، ورتَّب الخفراء في الأماكن المخوفة ، وجعل فيها الحمام الهوادي التي تطلعه[8] على الأخبار في أسرع مدة .

وبنى الربط الخانقاهات .

وكان يجمع الفقهاء عنده والمشايخ والصوفية للزيارة[9] ، ويكرمهم ويعظِّمهم ، وكان يحب الصالحين .

وقد نال بعض الأمراء مرة عنده من بعض العلماء ، وهو قطب الدين النيسابوري[10] ، فقال له نور الدين : ويحك إن كان ما تقول حقًّا فله من الحسنات[11] الكثيرة ما ليس عندك مما يكفِّر عنه سيئات ما ذكرت إن كنت صادقاً ، على أني والله لا أصدقك ، وإن عدت ذكرته أو أحداً غيره عندي بسوءٍ لأؤدبنَّك[12] ، قال : فكفّ عنه ، ولم يذكره بعد ذلك .

---

(١) في أ وب : فحين جهز بعث الفداء مات ببلده .
(٢) في ط : وبنى .
(٣) بعده في أ : بني .
(٤) ط : وليس له في البلاد نظير .
(٥) عن الروضتين (١/ ٩) .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ : الطرق .
(٨) أ : يطالع ، وب : تطالع .
(٩) ليست في ط .
(١٠) سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٧٨ من هذا الجزء .
(١١) ب : الحسنات الكبيرة .
(١٢) ط : لأؤذينّك .

وابتنى بدمشق داراً لسماع الحديث وإسماعه .

قال ابن الأثير : وهو أول من بنى دار حديث(١) .

وقد كان مهيباً وقوراً ، شديد الهيبة في قلوب الأمراء(٢) ، لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه(٣) ، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس بلا إذن سوى الأمير نجم الدين أيوب(٤) . وأما أسد الدين شيركوه(٥) ومجد الدين بن الداية(٦) نائب حلب والأكابر(٧) وغيرهم فكانوا يقفون بين يديه ، ومع هذا كان إذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام له ومشى خطوات ، وأجلسه معه على سجادته ، وشرع يحادثه في وقار وسكون ، وإذا أعطى أحداً منهم شيئاً يقول : هؤلاء جند الله وبدعائهم نُنْصر على الأعداء ، ولهم في بيت المال حقٌّ أضعاف ما أعطيهم(٨) ، فإذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنة علينا .

وقد سمع عليه جزء حديث ، وفيه : (فخرج رسول الله ﷺ متقلداً(٩) السيف)(١٠) فجعل يتعجب من تغيير عادات الناس [لما ثبت عنه عليه السلام](١١) ، وكيف يربط(١٢) الأجناد والأمراء السيوف على(١٣) أوساطهم ، ولا(١٤) يفعلون كما فعل رسول الله ﷺ . ثم أمر الجند بأن لا يحملوا السيوف إلا متقلّديها ،

---

(١) في هذا القول نظر ، ولعمي العلامة الدكتور ناجي معروف طيب الله ثراه مقالة عنوانها : دور حديث قبل النورية (بشار) .
(٢) أ : أمرائه .
(٣) أ : بإذن .
(٤) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٦٨ .
(٥) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٦٤ .
(٦) مجد الدين أبو بكر بن الداية : هو رضيع نور الدين . كان من أعظم الأمراء منزلة عنده ، وكانت حلب وحارم وجعبر من إقطاعه . توفي سنة ٥٦٥هـ . ابن الأثير (٩/ ١٠٨) والروضتين (١/ ١٨٠) ومختصر أبي الفداء (٣/ ٤٩) .
(٧) وغيرهما من الأكابر .
(٨) أ ، ب : أضعاف هذا ، الروضتين (١/ ١٠) .
(٩) أ ، ب : وهو متقلد ، الروضتين (١/ ١١) .
(١٠) هو جزء من حديث طويل رواه البخاري (٦/ ١١٤) في الجهاد ، باب إذا فزعوا بالليل ، والترمذي رقم (١٦٨٦) في الجهاد ، باب ما جاء في الخروج عند الفزع ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، قال : وقد فزع أهل المدينة ، سمعوا صوتاً ، قال : فتلقاهم رسول الله ﷺ على فرس لأبي طلحة عُرْي (وهو متقلّد سيفه) فقال : « لم تراعوا ، لم تراعوا » فقال النبي ﷺ : « وجدته بحراً » يعني : الفرس ، والمعنى : ينبغي لأمير العسكر أن يكشف الخبر بنفسه أو بمن يندبه لذلك .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) أ : ربط .
(١٣) أ : في .
(١٤) أ : ولا يفعلون هكذا .

وخرج[١] في اليوم الثاني إلى الموكب ، وهو متقلد السيف ، وجميع الجيش كذلك ، يريد بذلك[٢] الاقتداء برسول الله ﷺ .

وقصّ عليه وزيره موفَّق الدين خالد بن محمد [بن نصر بن صفير ، بن][٣] القيسراني الشاعر أَنَّه رأى في منامه أَنَّه يغسل ثياب الملك نور الدين ، فأمره أن يكتب مناشير بوضع المكوس[٤] والضرائب عن البلاد . وقال له : هذا تأويل[٥] رؤياك .

وكتب إلى الناس ليكون[٦] منهم في حلّ مما كان أخذ منهم ، ويقول لهم : إنما صُرف في قتال أعدائكم من الكفرة ، قبَّحهم[٧] الله ولعنهم ، والذبّ عن بلادكم ونسائكم وأولادكم . وكتب بذلك إلى سائر ممالكه وبلدان سلطانه ، وأمر الوعّاظ أن يستحلّوا له من التجار[٨] .

وكان يقول في سجوده : اللهمّ ارحم العشّار المكّاس[٩] .

وقيل : إن برهان الدين البلخي أنكر على الملك نور الدين استعانته في الحروب[١٠] بأموال المكوس . وقال له مرة : كيف تُنْصَرون وفي عساكركم الخمور والطبول والزمور ؟!! .

ويقال : إن سبب وضعه المكوس عن الناس[١١] أن الواعظ أبا عثمان المنتجب بن أبي محمد الواسطي ، وكان من الصالحين الكبار ، وكان هذا الرجل ليس له شيء ، ولا يقبل من أحد شيئاً ، إنما كانت له جبة يلبسها إذا خرج إلى مجلس وعظه ، وكان يجتمع في مجلس وعظه الألوف من الناس ، أنشد نور الدين أبياتاً تتضمن ما هو متلبّس به في ملكه ، وفيها تخويف وتحذير شديد له : [من الكامل][١٢]

مَثِّلْ وُقُـوفَـكَ أَيُّهـا المَغْـرُورُ ... يَـوْمَ القِيَـامَـةِ والسَّمـاءُ تَمُـورُ
إِنْ قِيلَ نُورُ الدِّينِ رُحْتَ مُسَلّماً ... فَـاحْـذَرْ بِـأَنْ تَبْقَـى وَمَـالَـكَ نُـورُ

(١) ط : ثم خرج .
(٢) أ : ب : يريد به .
(٣) ليس في ب .
(٤) أ ، ب : المكوسات .
(٥) أ : تفسير ، والخبر في الروضتين (١/ ١١) .
(٦) أ : يستعجل ، ب : يستجعل ، الروضتين (١/ ١١) .
(٧) ب : لعنهم الله وليست الجملة الدعائية في ط .
(٨) أ ، ب : يستحلوا من التجار لنور الدين .
(٩) ط : ارحم المكاس العشار الظالم محمود الكلب . الروضتين (١/ ١١) .
(١٠) ط : حروب الكفار .
(١١) ط : البلاد .
(١٢) الأبيات في الروضتين (١/ ١٢) .

أَنَهَيْتَ عَنْ شُرْبِ الخُمُورِ وَأَنْتَ مِنْ[١] كَـأْسِ المَظَـالِـمِ طَـافِـحٌ مَخْمُـورُ
عَطَّلْـتَ كـاسـاتِ المُـدام تَعَفُّفـاً وَعَلَيْـكَ كـاسـاتُ الحَـرام تَـدُورُ
مَـاذَا تَقُـولُ إِذَا نُقِلْـتَ[٢] إِلـى البِـلا فَــرْداً وَجَــاءَكَ مُنكـرٌ ونَكِيـرُ
وَتَعَلَّقَـتْ فِيـكَ الخُصـومُ وَأَنْـتَ فِـي يَـوْمِ الحِسَـابِ مُسَحَّـبٌ[٣] مَجْـرُورُ
وَتَفَـرَّقَـتْ عَنْـكَ الجُنُـودُ وَأَنْـتَ فِـي ضِيـقِ اللُّحـودِ[٤] مُـوَسَّـدٌ مَقْبُـورُ
وَوِدْتَ أَنَّـكَ مَـا وَلِيـتَ وِلايَـةً يَـوْمـاً وَلَا قَـالَ الأَنَـامُ أَسِيـرُ
وَبَقِيـتَ بَعْـدَ العِـزِّ رَهْـنَ حُفَيْـرَةٍ فِـي عَـالَـمِ المَـوْتَـى وَأَنْـتَ حَقِيـرُ
وَحُشِـرْتَ عُـريـانـاً حَـزينـاً بـاكيـاً قَلِقـاً وَمَـا لَـكَ فِـي الأَنَـامِ مُجِيـرُ
أَرَضِيـتَ أَنْ تَحْيَـا وَقَلْبُـكَ دَارِسٌ عَافِي الخَرابِ[٥] وجِسْمُكَ المَعْمُورُ
أَرَضِيـتَ أَنْ يَحْظَـى سِـواكَ بِقُـرْبِـهِ أَبَــداً وَأَنْــتَ مُبَعَّــدٌ[٦] مَهْجُــورُ
[مَهِّـدْ لِنَفْسِـكَ حُجَّـةً تَنْجُـو بِهـا يَـوْمَ المَعَـادِ لَعَلَّـكَ[٧] المَعْذُورُ][٨]

فلما سمع الملك[٩] نور الدين [هذه الأبيات][١٠] بكى بكاءً شديداً ، وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر البلاد ، رحمه الله[١١] .

وكتب إليه عمر المُلاَّ من الموصل ، وكان قد أمر الولاة والأمراء بها ألا يفصلوا بها أمراً حتى يُعلموه ، فما أمرهم به من شيء امتثلوه ، وكان من الصالحين الزاهدين ، وكان نور الدين يستقرض منه في كل شهر رمضان ما يفطر عليه ، وكان يرسل إليه بفتيت ورقاق ، فيفطر عليه جميع رمضان .

كتب[١٢] إليه الشيخ عمر الملا هذا : إن المفسدين قد كثروا ويحتاج إلى سياسة ، ومثل هذا لا يجيء

---

(١) في الأصول : في ، وما هنا عن الروضتين .
(٢) أ ، ب : انقلبت .
(٣) ط : مسلسل .
(٤) ط : ضيق القبور .
(٥) أ : التراب .
(٦) ط : معذّب .
(٧) ط : ويوم تبدو العور .
(٨) ليس في ب .
(٩) ليس في ط .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) عن ب وحدها .
(١٢) ط : فكتب ، والخبر في الروضتين (١/ ١٣) .

إلا بقتلٍ وصلب وضرب ، وإذا أُخذ مال رجل[١] في البرية من يجيء فيشهد له ؟! فكتب الملك نور الدين على ظهر الكتاب : إن الله خلق الخلق ، وشرع لهم شريعة ، وهو أعلم بما يصلحهم ، ولو علم أن في الشريعة زيادة في المصلحة لشرعها لنا ، فلا حاجة إلى الزيادة على ما شرعه[٢] الله تعالىٰ ، فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكمّلها بزيادته ، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه ، والعقول المظلمة لا تهتدي ، والله سبحانه يهدينا وإياك إلى صراط مستقيم . فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عمر الملا جمع الناس بالموصل . وأقرأهم[٣] الكتاب ، وجعل يقول : انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك ، وكتاب الملك إلى الزاهد .

وجاء إليه أخو الشيخ أبي البيان يستعديه على رجل أنه[٤] يسبّه ويرميه بأنه مراءٍ متنامس ، وجعل يبالغ في شكايته[٥] منه ، فقال له السلطان : أليس الله تعالىٰ يقول : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] وقال : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] فسكت الشيخ ولم يحر جواباً .

وقد كان نور الدين يعتقده ويعتقد أخاه أبا البيان[٦] ، وأتاه زائراً مرات ، ووقف عليه وقفاً .

وقال الفقيه أبو الفتح الأشتري[٧] ، معيد النظامية ببغداد ، وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين قال : وكان يحافظ على الصلوات في أوقاتها في جماعة بتمام شروطها وأركانها وركوعها وسجودها[٨] وكان كثير الصلاة بالليل والابتهال[٩] في الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل في أموره كلها .

قال : وبلغنا عن جماعة من الصوفية ممن يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام الفرنج ، فسمعوا الكفار يقولون : ابن القسيم[١٠] ـ يعنون : نور الدين ـ له مع الله سر فإنه ما يظفر وينصر[١١] علينا بكثرة جنده وجيشه ، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل ، فإنه يصلي بالليل

---

(١) ط : أخذ إنسان ، وب : وإذا اتخذنا إنسان .
(٢) أ : شرع .
(٣) ط : وقرأ عليهم .
(٤) ط : أنه سبّه ورماه بأَنَّه يرائي وأنه وأنه .
(٥) ط : الشكاية عليه .
(٦) هو نبا بن محمد المعروف بابن الحوراني ، تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٥١ من هذا الجزء .
(٧) اللفظة مصحفة في الأصلين وط . وفي الروضتين (١/ ١٣) : بنجه بن أبي الحسن بن بنجه الأشتري .
(٨) ط : بتمام شروطها والقيام بأركانها والطمأنينة في ركوعها وسجودها .
(٩) ط : كثير الابتهال .
(١٠) ط : القسيم ابن القسيم .
(١١) عن ط وحدها .

ويرفع يده إلى الله ويدعو[(١)] ، فإنه[(٢)] سبحانه وتعالىٰ يستجيب له دعاءه ويعطيه سؤله وما يردّ يده خائبة فيظفر علينا . قال : فهذا كلام الكفار في حقه [رحمه الله][(٣)] .

وحكى[(٤)] الشيخ شهاب الدين أبو شامة : أن الملك نور الدين وقف بستان الميدان سوى الغيضة التي من قبليه[(٥)] ، نصفه على تطييب جامع دمشق ، والنصف الآخر يُقسَّم أحد عشر جزءاً : جزءان على تطييب المدرسة التي أنشأها للحنفية ، والتسعة[(٦)] أجزاء الباقية على تطييب المساجد التسعة وهي :

١ ـ مسجد الصالحين بجبل قاسيون[(٧)] .

٢ ـ وجامع القلعة .

٣ ـ ومسجد عطية[(٨)] .

٤ ـ ومسجد ابن لبيد بالفسقار .

٥ ـ ومسجد الرَّماحين[(٩)] .

٦ ـ [والمسجد][(١٠)] المعلَّق [بسوق الصاغة] .

٧ ـ ومسجد العباسي[(١١)] بالصالحية[(١٢)] .

٨ ـ ومسجد دار البطيخ المعلَّق .

٩ ـ والمسجد الذي جدده نور الدين جوار بيعة اليهود .

لكل من هذه المساجد جزء من أحد عشر جزءاً من النصف[(١٣)] .

---

(١) ليس في ب .
(٢) أ : فالله .
(٣) ليس في ط .
(٤) الروضتين (١/ ١٧) .
(٥) في الروضتين : تليه ، وما أثبت هو الصواب .
(٦) ط : والثمانية ، وهو خطأ .
(٧) ط : قيسون . خطأ .
(٨) في الروضتين : مسجد ابن عطية داخل باب الجابية .
(٩) في الروضتين : مسجد سوق الرماحين .
(١٠) عن الروضتين فقط .
(١١) ط : العباس .
(١٢) أ : بالصاغة .
(١٣) ط : جزء من إحدى عشر جزء من النصف ، وهذا من أخطاء ط .

ومناقبه ومآثره ومحاسنه كثيرة جدًّا ، وقد ذكرنا نبذة من ذلك يستدلّ بها على ما عداها .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين في أول الروضتين[١] كثيراً من محاسنه ، وذكر ما مدح به من القصائد[٢] .

وذكر[٣] أنه لما فتح الملك صلاح الدين الديار المصرية[٤] هَمَّ بعزله عنها واستنابة غيره فيها ، غير مرة ، ولكن يعوقه عن ذلك القدر ، ويصدّه قتال الفرنج واقتراب أجله وفراغ[٥] عمره . فلما كان في هذه السنة ـ أعني سنة تسع وستين وخمسمئة ـ وهي آخر مدته ، قد صمم[٦] على الديار المصرية ، وأرسل إلى عساكر بلاد الموصل وغيرها ليكونوا ببلاد الشام حفظاً لها من الفرنج في غيبته ، ويركب هو في جمهور جيشه[٧] إلى مصر . وقد خاف منه الملك صلاح الدين خوفاً شديداً[٨] . فلما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة ركب إلى الميدان الأخضر القبلي وصلّى الخطيب فيه صلاة عيد الفطر ، وكان ذلك يوم[٩] الأحد ، ورمى القبق[١٠] في الميدان الأخضر الشمالي ، والقدر يقول له : هذا آخر أعيادك[١١] ، ومدّ في ذلك اليوم سماطاً حافلاً ، وأمر بانتهابه [على العادة][١٢] وطهّر ولده الملك الصالح إسماعيل[١٣] في هذا اليوم ، وزيّنت[١٤] له البلد ، وضربت البشائر للعيد والختان .

وركب يوم الإثنين في الموكب على العادة ، ثم لعب بالكرة في يومه[١٥] ذلك ، فحصل له غيظ من بعض الأمراء ، ولم يكن ذلك من سجيته ، فبادر إلى القلعة ، وهو كذلك في غاية الغضب ، وحصل له

---

(١) الروضتين (١/ ٥ ـ ٢٤) .
(٢) بعدها في أ وحدها : وقد أوردنا في عيون دولته طرفاً صالحاً من عدله وقصده الصالح .
(٣) الروضتين (١/ ٢٢٨) .
(٤) ط : وذكر أنه لما فتح أسد الدين الديار المصرية ثم مات ثم تولى صلاح الدين .
(٥) استدركت لفظة (عمره) فوق السطر في ب ، ولذلك سقطت من أ .
(٦) ط : أضمر على الدخول إلى الديار المصرية وصمم عليه .
(٧) ط : جمهور الجيش .
(٨) ليس في أ .
(٩) ط : نهار .
(١٠) ط : العتق .
(١١) أ : الأعياد ومدّ يوم العيد . وهي رواية ب ولكن بخلاف بسيط وهو : يوم الأحد .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) سترد أخباره ووفاته في سنة ٥٧٧ من هذا الجزء .
(١٤) أ : وزين له البلد وضرب .
(١٥) ط : في ذلك اليوم .

انزعاج[١] ، ودخل في حيّز[٢] سوء المزاج ، واشتغل بنفسه وأوجاعه[٣] ، وتنكرت عليه جميع حواسه وطباعه ، واحتبس أسبوعاً عن الناس ، والناس في شغل عنه بما هم فيه من اللعب والانشراح بالزينة التي قد نصبوها[٤] ، فهذا يجود بروحه ، وهذا يروح بجوده[٥] ، وانعكست تلك[٦] الأفراح بالأتراح ، ونسخ الجد ذلك المزاح ، وحصلت للملك خوانيق في حلقه منعته من أداء النطق ، وهذا شأن أوجاع الحلق ، وقد كان أُشير عليه بالفصد ، [فلم يقبل ، وبالمبادرة إلى المعالجة][٧] فلم يفعل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً .

فلما كان يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال من هذه السنة قُبض إلى رحمة الله تعالىٰ عن ثمانٍ وخمسين سنة [مكث منها][٨] في الملك ثمانٍ وعشرين سنة رحمه الله . وصلّي عليه بجامع القلعة بدمشق[٩] ، [ودفن بها][١٠] ، حتى[١١] حُوّل إلى [تربة بنيت له بباب المدرسة][١٢] التي أنشأها للحنفية على الدرب ، رحمه الله ، وبلَّ بالرحمة ثراه ، وجعل الجنة مأواه .

وقد رثاه الشعراء بمراثٍ كثيرة ، قد أوردها أبو شامة في « الروضتين »[١٣] ، وما أحسن ما قال العماد[١٤] : [من المتقارب]

عَجِبْتُ مِنَ المَوْتِ لَمَّا[١٥] أَتَىٰ إِلَى مَلِكٍ فِي سَجَايَا مَلَكْ
وَكَيْفَ ثَوَى الفَلَكُ المُسْتَدِيـ ـرُ في الأَرْضِ وَالأَرْضُ وَسْطَ فَلَكْ

---

(١) ط : وانزعج ودخل .
(٢) في أ : حيرة .
(٣) أ : وإزعاجه .
(٤) ط : في الزينة التي نصبوها .
(٥) ط : يجود بموجوده سروراً بذلك .
(٦) ليس في ب .
(٧) ليس في أ .
(٨) مكانهما في أ : وله .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) عن أ وحدها .
(١١) ط : ثم .
(١٢) مكانهما في ط : تربته .
(١٣) الروضتين (١/ ٢٢٧ ـ ٢٣١) .
(١٤) البيتان في ديوان العماد الأصفهاني (٣٢٠) والروضتين (١/ ٢٢٨) .
(١٥) الديوان والروضتين : كيف .

وقال حسان الشاعر الملقب بالعرقلة في مدرسة نور الدين حين دُفن فيها ، رحمه الله تعالى[١] : [من الوافر]

وَمَدْرَسَةٍ سَتَدْرُسُ[٢] كُلُّ شَيْءٍ وَتَبْقَى فِي حِمَى عِلْمٍ وَنُسْكِ
تَضَوَّعَ ذِكْرُهَا[٣] شَرْقاً وغَرْباً بِنُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكي
يقولُ وقولُهُ حَقٌّ وصِدقٌ بغيرِ كنايةٍ وبغيرِ شكٍّ
دِمَشْقٌ فِي المَدَائِنِ بَيْتُ مُلْكِي وَهَذِي في المدَارِسِ بَيْتُ[٤] مُلكِ

[وقبره مشهورٌ بدمشق يزار ويخلّق شباكه فيطيب بريحه كل مارٍّ .

وإنما يقول الناس نور الدين الشهيد ، لما حصل له في حلقه من الخوانيق ، وكذا كان يقال لأبيه الشهيد ، ويلقب بالقسيم ، وكانت الفرنج يقولون له : ابن القسيم][٥] .

صفة نور الدين رحمه الله[٦] تعالى[٧]

كان طويلَ القامة ، أسمر اللون ، حلو العينين ، واسع الجبين ، حسن الصورة ، تركي الشكل ، ليس له لحية إلا في حنكه ، مهيباً متواضعاً ، عليه جلالة ونور الإسلام ، ويعظِّم[٨] [قواعد الشرع ، رحمه الله][٩] .

فصل

لما[١٠] مات الملك نور الدين في شوال من هذه السنة ـ [أعني : سنة تسع وستين وخمسمئة][١١] ـ

(١) الأبيات في ديوان عرقلة الكلبي (٧٠) والروضتين (١/ ٢٢٩) ومنادمة الأطلال (٢١٢) .
(٢) في الأصول : ستدرس .
(٣) في أ : نورها .
(٤) ط : بنت ملكي .
(٥) ما بين الحاصرتين جاء في ط قبل الأبيات وبرواية مخالفة .
(٦) ب : ورضي الله عنه .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) أ : وتعظيم .
(٩) ط : وعليه جلالة ونور يعظم الإسلام وقواعد الدين ويعظم الشرع .
(١٠) ط : فلما .
(١١) عن ب وحدها .

بويع من بعده بالملك لولده الملك[١] الصالح إسماعيل ، وكان صغيراً ، وجُعل أتابكه[٢] الأمير شمس الدين بن مقدم[٣] ، فاختلف الأمراء ، وحارت الآراء ، وظهرت الشرور ، وكثـرت الخمور ، وقد كانت لا توجد في زمنه ، ولا أحد يجسر أن يتعاطى شيئاً منها ، وانتشرت[٤] الفواحش وظهرت ، حتى إن ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود[٥] صاحب الموصل لما تَحَقّق موتَ عمّه[٦] ، وكان محظوراً[٧] منه ، نادى مناديه بالبلد بالمسامحة في اللعب واللهو والشراب والمسكر والطرب ، ومع المنادي دفٌّ[٨] وقدح ومزمار ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، [وقد كان ابن أخيه هذا وغيره من الملوك والأمراء الذين له حكم عليهم لا يستطيع أحد منهم أن يفعل شيئاً من المناكر والفواحش ، فلما مات مَرِج أمرهم وعاثوا في الأرض فساداً][٩] .

وتحقق حينئذ قول الشاعر : [من الطويل]

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْراً وَقُلْ لِي هِيَ الخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرّاً وَقَدْ أَمْكَنَ الجَهْرُ

وطمعت الأعداء من كلّ جانب في المسلمين ، وعزم الفرنج على قصد دمشق ، وانتزاعها من أيدي المسلمين ، فبرز إليهم ابن مقدم الأتابك ، فواقعهم[١٠] عند بانياس ، فضعف عن مقاومتهم عند بانياس ، فهادنهم مدة ، ودفع إليهم أموالاً جزيلة[١١] ، عجّلها لهم ، ولولا أنَّه خوّفهم بقدوم الملك صلاح الدين[١٢] لما هادنوه .

ولما بلغ ذلك السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب صاحب الديار المصرية كتب إلى الأمراء ، وخاصة ابن المقدّم ، يلومهم على ما صنعوا من المهادنة ودفع الأموال إلى الفرنج ، وهم أقل وأذل ، وأفهمهم أنه عزم على قصد البلاد ليحفظها[١٣] من الفرنج ، فردّوا إليه كتاباً فيه [غلظة وكلام

---

(١) ليس في ط .
(٢) أ : أتابك .
(٣) هو محمد بن عبد الملك ، سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٨٣ من هذا الجزء .
(٤) قبلها في ط : ولا من الفواحش .
(٥) أ : شرف الدين ، وهو تصحيف وسترد ترجمته في وفيات سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(٦) ط : موته .
(٧) أ ، ط : محصوراً .
(٨) أ : دن ، وفي الروضتين (١/ ٢٣٢) : وقيل أخذ المنادي على يده دناً وعليه قدح وزمر .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) أ ، ب : فوافقهم .
(١١) أ : كثيرة .
(١٢) ط : الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .
(١٣) ط ، ب : وأخبرهم أنه على عزم قصد البلاد .

فيه](١) بشاعة ، فلم يلتفت إليهم ، ومن شدة خوفهم منه كتبوا إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل ، ليملّكوه عليهم ، ليدفعوا(٢) به الملك الناصر صاحب مصر ، فلم يفعل ، لأنه خاف أن يكون مكيدة منهم له ، وذلك أنه كان(٣) قد هرب منه الطواشي سعد الدولة كمشتكين(٤) الذي كان(٥) قد جعله عنده الملك نور الدين عيناً عليه ، وحافظاً(٦) له من تعاطي ما لا يليق [من الفواحش والخمر واللعب واللهو](٧) ، فلما سمع الخادم بموت أستاذه خاف أن يمسكه فهرب سرّاً ، فحين تحقّق(٨) غازي موت عمه بعث في إثر هذا الخادم ، ففاته فاستحوذ على حواصله . ودخل سعد [الدولة حلب](٩) ، ثم سار إلى دمشق ، فاتفق مع الأمراء أن يأخذ(١٠) ابن أستاذه ، الملك الصالح إسماعيل إلى حلب فيربّيه هنالك(١١) ، وتكون دمشق مسلمة إلى الأتابك شمس الدين ابن مقدم ، والقلعة إلى الطواشي جمال الدين ريحان .

[فلما سار الملك الصالح من دمشق خرج معه الأمراء والكبراء](١٢) إلى حلب(١٣) ، وذلك في الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وحين وصلوا حلب جلس الصبيّ على سرير مملكتها(١٤) ، واحتاطوا على بني الداية : شمس الدين علي بن الداية ، أخو مجد الدين الذي كان رضيع نور الدين الشهيد وإخوته الثلاثة . وقد كان شمس الدين علي بن الداية يظن أن ابن نور الدين يسلَّم إليه فيربِّيه ، لأنه أحق الناس بذلك ، فخيّبوا ظنه ، وسجنوه وإخوته في الجب . فكتب الملك صلاح الدين إلى الأمراء يلومهم على ما فعلوا من نقل الولد من دمشق إلى حلب ، ومن سجنهم لبني(١٥) الداية ، وقد

---

(١) أ : ويحفظها .
(٢) ط : ليدفع عنهم كيد الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر .
(٣) ليس في ب .
(٤) سترد بعض أخباره في سنة ٥٧٣ من هذا الجزء .
(٥) ليس في ب .
(٦) أ : وحفظاً .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ط : فلما مات نور الدين ، ونادى في الموصل تلك المناداة القبيحة خاف منه الطواشي المذكور أن يمسكه فهرب منه سراً ، فلما تحقق .
(٩) ليس في أ .
(١٠) ط : على أن يأخذوا ابن نور الدين .
(١١) بعدها في ط : مكان ربي والده .
(١٢) مكانهما في أ : فسار .
(١٣) أ : إلى ذلك .
(١٤) أ : ملكها .
(١٥) ط : بني .

كانوا[١] من خيار الأمراء ، ورؤوس الكبراء[٢] ، ولمَ لا يسلموا الولد إلى مجد الدين ابن الداية الذي هو أحظى الناس [عند نور الدين رحمه الله][٣] ، وعند الناس منهم . فكتبوا إليه ، يسيئون الأدب عليه[٤] ، وكل ذلك مما يزيده حنقاً عليهم ، ويحرِّضه على القدوم بجيشه إليهم ، ولكنه في هذا الوقت في شغل شاغل ، لما دهمه ببلاده[٥] من الأمر الهائل ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ في أول السنة[٦] الآتية .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان والمشاهير :

أبو العلاء الهَمَذَاني[٧] : **الحسن بن الحسن بن أحمد بن محمد العطار ، أبو العلاء الهمذاني الحافظ الكبير .**

سمع الكثير ، ورحل إلى بلدان كثيرة ، واجتمع بالمشايخ ، وقدم بغداد ، وحصّل الكتب الكثيرة[٨] ، واشتغل بعلم القراءات واللغة ، حتى صار وحيد[٩] زمانه في علمي الكتاب والسنة . وصنّف الكتب الكثيرة المفيدة ، وكان على طريقة [السلف ، مرضيّ الطريقة][١٠] ، سخيّاً عابداً زاهداً ، صحيح الاعتقاد ، حسن السمت ، له ببلده المكانة والقبول التام . وكانت وفاته ليلة الخميس الحادي عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين بأربعة أشهر وأيام .

قال ابن الجوزي[١١] : وقد بلغني أنه رؤي في المنام [في مدينةٍ][١٢] جميع جدرانها كتب ، وحوله كتب لا تحدّ[١٣] ، وهو مشتغل بمطالعتها ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : سألت الله أن يشغلني بما كنت أشتغل به في الدنيا فأعطاني[١٤] .

---

(١) ط : وهم .
(٢) أ : الأمراء .
(٣) ليس في ط .
(٤) أ ، ب : عليه الأدب .
(٥) أ : دهم بلاده .
(٦) ب : هذه .
(٧) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٤٨) ومعجم الأدباء (٨/ ٥) وابن الأثير (٩/ ١٢٩) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٤٠٣ ـ ٤٠٦) والعبر ـ الكويت (٤/ ٢٠٦) وبيروت (٣/ ٥٦ ـ ٥٧) .
(٨) ب : الكبيرة .
(٩) ط : أوحد .
(١٠) مكانهما في ط : حسنة .
(١١) المنتظم (١٠/ ٢٤٨) .
(١٢) عن ط والمنتظم .
(١٣) ط : لا تعد ولا تحصى ، والخبر في المنتظم .
(١٤) بعدها في ط : وفيها توفي .

الأهوازي[١] **خازن كتب مشهد أبي حنيفة ببغداد** : توفي فجأة في ربيع الأول من هذه السنة ، وكذلك توفي أبوه وأخوه فجأة كما مات . رحمهم الله تعالىٰ .

محمود بن زنكي بن آق سنقر السلطان الملك العادل نور الدين صاحب بلاد الشام وغيرها من البلدان الكثيرة الواسعة[٢] : [كان مجاهداً في الفرنج ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، محبًّا للعلماء والفقراء والصالحين ، مبغضاً للظلم ، صحيح الاعتقاد ، مؤثراً لأفعال الخير ، لا يجسر أحد أن يظلم أحداً في زمانه . وكان قد قمع المناكر وأهلها ، ورفع العلم والشرع ، وكان مدمناً لقيام الليل ، يصوم كثيراً ، ويمنع نفسه عن الشهوات . وكان يحب التيسير على المسلمين ، ويرسل البر إلى العلماء والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ، وليست الدنيا عنده بشيء ، رحمه الله ، وبلَّ ثراه بالرحمة والرضوان][٣] .

[قال ابن الجوزي[٤] : انتزع[٥] من أيدي الكفار نيّفاً وخمسين مدينة . . وقد كان يكاتبني[٦] ، رحمه الله][٧] .

قال[٨] : ولما حضرته الوفاة أخذ العهد على الأمراء من بعده لولده ، يعني : الصالح إسماعيل ، وجدد العهد مع صاحب طرابلس أن لا يغير على الشام المدة التي كان مادَّه عليها ، وذلك أنه كان قد أسره في بعض غزواته ، وأسر معه جماعة من أهل دولته ، فافتدى نفسه منه بثلاثمئة ألف دينار ، وخمسمئة حصان ، وخمسمئة زردية[٩] ، ومثلها أتراس[١٠] ، وقنطوريات[١١] ، وخمسمئة أسير من المسلمين ، وعاهده ألا يغير على المسلمين إلى سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام ، وأخذ منه رهائن على ذلك مئة من أولاد أكابر الفرنج وبطارقتهم . فإن نكث أراق دماءهم . وعزم على فتح بيت المقدس[١٢] ،

---

(١) في المنتظم (١٠/٢٤٨) : ابن الأهوازي .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) مكانهما في أ ، ب : قد تقدم ذكره في الحوادث رحمه الله .
(٤) المنتظم (١٠/٢٤٨ـ٢٤٩) .
(٥) ط : استرجع نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالىٰ .
(٦) ط : وقد كان يكاتبني وأكاتبه ، وعبارة ابن الجوزي : وكاتبني مراراً .
(٧) ليس في ب .
(٨) المنتظم (١٠/٢٤٩) برواية مخالفة .
(٩) أ : ذروية ، ط : وردية ، والخبر في المنتظم .
(١٠) ب ، ط : برانس .
(١١) « القنطوريات » : النساء من أصل تركي .
(١٢) بعدها في ط : شرفه الله .

فوافته المنية في شوال من هذه السنة[١] ، وكانت[٢] ولايته ثمان وعشرين سنة وأشهراً[٣] .

وهذا مقتضى ما ذكره ابن الجوزي[٤] .

الخضر بن نصر بن عقيل[٥] بن نصر الإربلي الفقيه الشافعي[٦] : أول من درس بإربل في سنة ثلاث وستين وخمسمئة . وكان فاضلاً ديّناً . انتفع الناس به[٧] ، وكان قد اشتغل على إلْكيا الهرّاسي[٨] وغيره ببغداد . وقدم دمشق فأرّخه ابن عساكر في هذه السنة ، وترجمه القاضي ابن خلكان في « الوفيات » وقال : قبره يزار ، وقد زرته غير مرة ، [رحمه الله][٩] .

[ملك الفرنج مري][١٠] : [وفي هذه السنة كانت وفاة][١١] ملك الفرنج مري ، لعنه الله ، وأظنه ملك بلاد[١٢] عسقلان ونحوها ، وكان[١٣] قد قارب أن يملك الديار المصرية ، لولا فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين .

ثم دخلت سنة سبعين وخمسمئة

استهلت هذه السنة والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد[١٤]

---

(١) بعدها في ط : والأعمال بالنيات ، فحصل له أجر ما نوى .
(٢) أ : فكانت .
(٣) بعدها في ط : وقد تقدم ذلك .
(٤) بعدها في ط : ومعناه .
(٥) ط ، ب : علي .
(٦) ترجمته في تاريخ دمشق (٥/ ٣٤٨) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٣٧) وترجمه الذهبي في وفيات سنة (٥٦٧) تاريخ الإسلام (١٢/ ٣٦٢) .
(٧) ط : انتفع به الناس .
(٨) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٠٤ .
(٩) مكانهما في ط : ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبركون به ، وهذا الذي قاله ابن خلكان مماينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظِّم القبور .
(١٠) جاءت هذه الترجمة في أ قبل ترجمة الخضر بن نصر ، ترجمته في ابن الأثير (٩/ ١٣٢) والروضتين (١/ ٢٣٤) وفيه كتاب فاضلي منه : هلك مري ملك الفرنج لعنه الله ، ونقله إلى عذاب كاسمه مُشْتَقّاً ، وأقدمه على نار تلظّى لا يصلاها إلا الأشقى .
(١١) ط : وفيها هلك .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) ط : وقد كان .
(١٤) عن ط وحدها .

الشام ليحفظه من أيدي الفرنج المخذول(١) ، ولكنه دهمه أمر شغله عنه ، وذلك أن الفرنج قدموا إلى الساحل بالبلاد المصرية(٢) في أسطول لم يسمع بمثله ، في كثرة مراكبه(٣) ، وما فيه من آلات الحرب والحصار ، [وكثرة الرجال](٤) المقاتلة . من جملة ذلك : مئتا(٥) شيني(٦) ، في كل منها مئة وخمسون مقاتلاً ، وأربعمئة قطعة أخرى . وكان قدومهم من صِقِلِّيَةَ إلى ظاهر إِسْكَنْدَرِيّة قبل رأس السنة بأربعة أيام ، فنصبوا المنجنيقات والدبابات حول البلد ، وبرز إليهم أهلها فقاتلوهم دونها قتالاً شديداً ، واستمر القتال أياماً ، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ، ثم اتفق أهل البلاد على تحريق ما نصبوه من المنجنيقات(٧) والدبابات ففعلوا ذلك ، فأضعف ذلك قلوب الفرنج ، [وفلَّ في أعضادهم](٨) ، ثم كبسهم المسلمون في منازلهم ، فقتلوا(٩) من أحبّوا وأرادوا ، وغنموا ما شاؤوا واختاروا ، وانهزم الكفار(١٠) في كل وجه ، ولم يكن لهم ملجأ إلا البحر أو القتل أو الأسر ، واستحوذ المسلمون على أموالهم وأثقالهم وخيولهم وما ضربوه من الخيام لنزولهم ، وبالجملة قتلوا خلقاً من الرجال ، وغنموا شيئاً كثيراً من الأموال ، وركب من بقي منهم في الأسطول راجعين إلى بلادهم خائبين ، لم يفوزوا بالمأمول .

ومما عوّق الملك الناصر عن الشام أيضاً : أن رجلاً يعرف بالكنز ، وسماه بعضهم : عباس بن شاذي ، وكان من مقدمي الديار المصرية ، ومن الدولة الفاطمية وإنما هي العبيدية ، كان قد انتزح(١١) إلى بلد يقال له : أُسْوَان ، وجعل يجمع عليه(١٢) خلقاً من الرعاع من الحاضرة والعربان ، ويزعم لهم أنه سيعيد الدولة الفاطمية ، ويدحض الأتابكة التركية ، فالتف عليه خلق كثير ، وجم غفير . وقصد(١٣) قوص وأعمالها ، وقتل طائفة من أمرائها ورجالها ، فجرد إليه الملك صلاح الدين طائفة من الجيش

---

(١) ط : لأجل حفظه من الفرنج ولكن دهمه .
(٢) ط : الساحل المصري .
(٣) ليس في ط .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : مئتي ، وهي من أخطاء ط .
(٦) « الشيني أو الشونة » : نوع من السفن السريعة .
(٧) ط : على حريق المجانيق .
(٨) عن ب وحدها .
(٩) ط : فقتلوا منهم جماعة وغنموا منهم ما أرادوا .
(١٠) ط : فانهزم الفرنج .
(١١) ط : استند .
(١٢) بعدها في ط : الناس فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاع من الحاضرة والعربان والرعيان ، وكان يزعم إليهم .
(١٣) ط : ثم قصدوا .

المصري ، وقدّم(١) عليه أخاه الملك العادل سيف الدين أبا بكر الكردي ، فلما التقيا هزمه أبو بكر سَميُّ المبايَع يوم السقيفة ، وبدَّد شمله ، وأسر أهله ، وقتله كما جرى لمقدم بني حنيفة(٢) ، ولهذا جعل الله دولة بني أيوب عالية منيفة .

فصـــل

لما تمهدت البلاد المصرية ، ولم يبق بها رأس من بقية الدولة العبيدية ، برز السلطان الملك الناصر صلاح الدين في الجيوش التركية قاصداً إلى البلاد الشامية ، وذلك حين مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكي ، وأُخيف سكانها ، وتضعضعت أركانها ، واختلف(٣) حكامها ، وفسد نقضها وإبرامها ، وقَصْدُهُ [رحمه الله](٤) جمع شملها ، والإحسان إلى أهلها ، وأمن سهلها وجبلها ، ونصرة الإسلام ، ودفع الطغام، وإظهار القرآن ، وإخفاء سائر الأديان ، وخفض الصلبان(٥) ، ورضا الرحمن ، وإرغام الشيطان.

فخرج(٦) من الديار المصرية إلى البِرْكة(٧) في مستهلّ صفر ، وأقام هنالك حتى اجتمع إليه العسكر ، وقد استناب على مصر أخاه سيف الدين أبا بكر ، ثم سار إلى بِلْبِيس(٨) في الثالث عشر من ربيع الأول . ثم ساق حتى اجتاز بمدينة بصرى ، فسار في خدمته صاحبها صديق بن جاولي .

فدخل مدينة دمشق في يوم الإثنين سلخ ربيع الأول ، ولم ينتطح فيها عنزان ، ولا اختلف عليه(٩) سيفان . وذلك أن نائبها شمس الدين بن مقدم كان قد كتب إليه أولاً فأغلظ له في الكتاب ، فلما رأى أمره متوجهاً جعل يكاتبه ويستحثّه على القدوم إلى دمشق ، ويعده بتسليم البلد . فلما رأى الجد لم يمكنه المخالفة ، فسلمه(١٠) البلد بلا مدافعة ، فنزل السلطان أولاً في دار والده ، وهي دار العقيقي(١١) ،

---

(١) ط : وأمَّر عليهم .
(٢) يعني مسيلمة الكذاب .
(٣) أ ، ب : واختلفت .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : وتكسير الصلبان في رضا الرحمن .
(٦) ط : فنزل .
(٧) واسمها بركة الحبش . قال ياقوت : هي أرض في وهدة من الأرض واسعة . . مشرفة على نيل مصر خلف القرافة . معجم البلدان (١/ ٤٠١) .
(٨) بِلبِيس ـ بكسر البائين : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام . معجم البلدان .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ط : فسلم .
(١١) في ط : دار العقيلي ، وهو خطأ . ودار العقيقي اشتراها نجم الدين أيوب والد صلاح الدين من تركته واتخذها داراً له . منادمة الأطلال (١١٩) .

وهي التي بنيت مدرسة[١] للملك الظاهر[٢] .

[وجاء القاضي وأعيان الدماشقة للسلام على السلطان][٣] فرأوا منه غاية الإحسان . وكان نائب القلعة إذ ذاك الطواشي جمال الدين ريحان الخادم ، [فلم يزل يكاتبه ، ويفتل له في الذروة والغارب ، حتى استماله][٤] ، وأجزل نواله ، فسلمها إليه ، ووفد عليه ، ومثل بين يديه [ثم نزل إليه فأكرمه واحترمه ، وأحسن إليه ، وأظهر الملك الناصر[٥] أنه أحق بتربية][٦] ولد نور الدين لما له[٧] عليهم من الإحسان المتين ، وذكر أنه خطب لنور الدين بديار[٨] مصر ، وضرب باسمه السكة ، ثم عامل[٩] الناس بالجميل ، وأمر بوضع ما كان أحدث بعد نور الدين من المكوس والضرائب وأقام الحدود ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور .

فصـــل

فلما استقرّت له دمشق بحذافيرها ، [لم يلبث][١٠] أن نهض إلى حلب [مسرعاً][١١] لما فيها من التخبيط والتخليط ، فاستناب على دمشق أخاه طغتكين[١٢] بن أيوب الملقب بسيف الإسلام . فلما اجتاز بحمص أخذ ربضها ، ولم يشتغل بقلعتها ، لعلمه بحصولها .

---

(١) واسمها المدرسة الظاهرية الجوانية ، وتقع شمال باب البريد بجوار الجامع الأموي . قلت : ولا تزال إلى عصرنا الحاضر وتعرف اليوم بدار الكتب الظاهرية ، وهي أول مكتبة عامة في دمشق . وتقع مقابل بناء مجمع اللغة العربية سابقاً . منادمة الأطلال (١١٩) .

(٢) ط : التي بناها الملك للظاهر بيبرس مدرسة . وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي ، أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب تولى المحكمة بعد قتل قطز سنة ٦٥٨ ، وشرع في بناء الدار التي تعرف بدار العقيقي سنة ٦٧٦هـ لتجعل مدرسة وتربة له . وفيات الأعيان (٤/ ١٥٥) ومنادمة الأطلال (١١٩) .

(٣) ط : وجاء أعيان البلد للسلام عليه .

(٤) مكانهما في ط : فكاتبه .

(٥) مكانهما في ط : السلطان .

(٦) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٧) ط : لما لنور الدين .

(٨) ط : بالديار المصرية .

(٩) ط : ثم إن السلطان عامل الناس بالإحسان وأمر بإبطال ما أحدث .

(١٠) ليس في ط .

(١١) عن ط وحدها .

(١٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٣ من هذا الجزء .

ثم سار إلى حماة ، [فأخذ المدينة ، سلّمها إليه](١) صاحبها عز الدين جرديك(٢) ، وسأله أن يكون سفيره بينه وبين الحلبيين ، فأجابه إلى ذلك ، فسار إليهم فحذَّرهم(٣) بأس صلاح الدين ، فلم يلتفتوا إليه ، [ولم يعوِّلوا عليه](٤) ، بل أمروا بسجنه واعتقاله ، وجمعوا بينه وبين بني الداية في البئر الذي هم فيه ، فأبطأ الجواب على صلاح الدين(٥) ، فكتب إليهم(٦) كتاباً بليغاً ، يلومهم فيه على ما هم فيه من الاختلاف ، وعدم الائتلاف ، فردّوا عليه أسوأ جواب ، وأحدّ من الحراب ، فأرسل إليهم يذكرهم أيامه وأيام أبيه وعمه في خدمة نور الدين ، في المواقف المحمودة ، التي يشهد لهم بها أهل الدين .

ثم إنه سار إلى حلب ، فنزل(٧) على جبل(٨) جَوْشَن ، فخاف من سطوته كل ذي جوشن ، فنودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق ، فاجتمعوا ، فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين ، فتودّد إليهم ، وتباكى لديهم ، وحرّضهم على قتال صلاح الدين ، وذلك عن إشارة الأمراء المقدمين ، فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد .

وشرط عليه الروافض منهم أن يعاد الأذان بحي على خير العمل ، وأن يذكر في الأسواق ، وأن يكون لهم في الجامع الجانب الشرقي ، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بين يدي الجنائز ، وأن يكبِّروا على الجنائز خمساً ، وأن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني(٩) ، فأُجيبوا إلى ذلك كله ، فأُذِّن بالجامع وغيره بسائر البلد ، بحيّ على خير العمل .

وعجز أهل البلد عن مقاومة الناصر ، وأعملوا في مكيدته(١٠) كل خاطر . فأرسلوا أولاً إلى [سنان صاحب الحشيشية](١١) ، فأرسل نفراً من أصحابه [ليقتلوا الناصر](١٢) ، فلم يظفروا منه بشيء ، بل قتلوا بعض الأمراء ، ثم ظهر عليهم فقُتلوا عن آخرهم ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) مكانهما في ط : فتسلمها من صاحبها .
(٢) أ ، ط : عزالدين بن جبريل ، وهو تصحيف ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٤ من هذا الجزء .
(٣) ب : يحذرهم .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : السلطان .
(٦) ليس في ب .
(٧) أ ، ب : فنازلها .
(٨) « جَوْشَن » : جبل مطلٌّ على حلب ، في غربيّها ، في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة . معجم البلدان .
(٩) ط : حمزة بن زاهر ، وفي أ : حمزة بن زهر ، والخبر في الروضتين (١/ ٢٣٨) .
(١٠) ط : كيده .
(١١) ط : شيبان صاحب الحسبة ، وهي من تصحيفات ط العجيبة ، والخبر في ابن الأثير (٩/ ١٣٢) والروضتين (١/ ٢٣٨) .
(١٢) ط : إلى الناصر ليقتلوه .

فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس[١] الفرنجي ، ووعدوه بأموال جزيلة ، إن هو رَحَّلَ عنهم السلطان الناصر . وكان هذا القومص قد أسره نور الدين ، وبقي معتقلاً[٢] عنده مدة عشر سنين ، ثم فاداه[٣] على مئة ألف دينار وألف أسير من أسارى المسلمين ، فكان لا ينساها لنور الدين ، [رحمه الله ، فركب القومص ، لعنه الله ، من بلده طرابلس في جيشه ، فلم يتجاسر على مقاتلة السلطان][٤] ، بل قصد حمص ليأخذها بغتة ، فركب إليه السلطان الناصر[٥] ، وقد أرسل سرية إلى بلده طرابلس[٦] ، فقتلوا منها ، وأسروا ، وغنموا ، فلما اقترب السلطان الناصر منه نكص على عقبيه ، وكرّ راجعاً إلى بلده ، ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا منه[٧] ، ولما رجع صلاح الدين إلى حمص[٨] لم يكن أخذ قلعتها في ذهابه فتصدّى لأخذها ، فنصب عليها المنجنيقات [التي ملّكته إياها قسراً ، وقهرت ساكنها قهراً][٩] ، ثم كرّ راجعاً إلى حلب ، فأناله الله في هذه الكرّة ما طلب ، فلما نزل بها كتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتاباً بليغاً فصيحاً رائقاً فائقاً[١٠] ، على يدي الخطيب شمس الدين[١١] يقول فيه[١٢] :

« فإذا قضى التسليم حق اللقاء ، فاستدعى الإخلاص جهد الدعاء ، فليَعُدَّ[١٣] وليُعِدَّ حوادث ما كان[١٤] حديثاً يُفترى ، وجواري أمور إن قال فيها كثيراً فأكثر منه ما قد جرى ، وليشرح صدراً منها [لعله يشرح منها صدراً][١٥] ، وليوضح الأحوال المنتشرة فإن الله لا يُعبد سرًّا [من الكامل]

وَمِـنَ العَجـائِـبِ أَنْ تَسيـرَ غَـرائِـبٌ ... فـي الأَرْضِ لَـمْ يَعْلَـم بِهَـا المَـأْمُـولُ
كَالعِيسِ أَقْتَلُ مَا يكونُ لهَا الصَّدَى ... والمَـاءُ فَـوْقَ ظُهـورِهَـا مَحْمُـولُ

---

(١) هو ريمند بن رمنيد الصنجيلي . سترد ترجمته لفي حوادث سنة ٥٨٢ من هذا الجزء .
(٢) ط : وهو معتقل ، أ ، ب : وهو معتقلاً ، وما هنا عن الروضتين (١/ ٢٣٨) .
(٣) ط : افتدى نفسه .
(٤) ليس في ط .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ط : وقد أرسل السلطان إلى بلده سرية .
(٧) أ ، ب : قد أجاب ما سألوا ، وحصل على ماله بذلوا إذ نكلوا .
(٨) ط : فلما فصل الناصر إلى حمص .
(٩) ط : فأخذها قسراً وملكها قهراً .
(١٠) ط : فائقاً رائقاً .
(١١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٢ من هذا الجزء .
(١٢) الروضتين (١/ ٢٤١) .
(١٣) أ : فليعدوا .
(١٤) الروضتين : ما كانت .
(١٥) ليس في أ .

فإنا كنا نقتبس النار بأكفّنا وغيرنا يستنير ، ونستنبط الماء بأيدينا وسوانا يستمير ، وتلقى[١] السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير ، ونصافح الصفاح بصدورنا وغيرنا يدّعي التصدير ، والأبدان تستردّ بضاعتنا بموقف العدل الذي يُردّ به المغصوب ، وتظهر طاعتنا فنأخذ بحظِّ الألسن كما أخذنا بحظّ القلوب ، [وما كان العائق إلا أنا كنا ننتظر ابتداءً من الجانب الشريف بالنعمة ، يضاهي ابتداءنا بالخدمة ، وإنجاباً للحق ، يشاكل إنجابنا للسبق][٢] . وكان أول أمرنا أنَّا كنا في الشام نفتح[٣] الفتوح مباشرين[٤] بأنفسنا ، ونجاهد الكفار متقدمين بعساكرنا ، نحن ووالدنا وعمّنا ، فأي[٥] مدينة فتحت ، أو أي معقل ملك ، أو عسكر للعدو كسر ، أو مصاف للإسلام معه ضرب ، فما يجهل أحد صنعنا ، ولا يجحد عدونا أنا نصطلي[٦] الجمرة ، ونملك[٧] الكرة ، ونقدم[٨] الجماعة ، ونرتب المقاتلة ، وندبِّر التعبئة ، إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أجرها ، ولا يضرّنا أن يكون لغيرنا ذِكرها » .

ثم ذكر[٩] ما صنعوا بمصر من كسر الكفر ، وإزالة المنكر ، وقمع الفرنج ، وهدم البدع التي كانت هنالك ، وما بسط من العدل ، ومدَّ[١٠] من الفضل ، وما أقامه من الخطبة[١١] العباسية ببلاد مصر واليمن والنوبة ، وإفريقية وغير ذلك ، بكلام بسيط حسن .

فلما وصلهم الكتاب أساؤوا الجواب .

وقد كانوا كاتبوا صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود[١٢] أخي نور الدين محمود بن زنكي ، فبعث إليهم أخاه مسعوداً[١٣] عزّ الدين في عساكره ، وأقبل عليهم[١٤] في دساكره ، فانضاف[١٥] إليهم

---

(١) ط : ونلتقى .
(٢) ما بين المعقوفتين مستدرك من أ .
(٣) في الروضتين : لفتح .
(٤) أ : نباشر ، وط : بمباشرتنا . وانظر الروضتين .
(٥) في الروضتين : في أي .
(٦) ط : يصطلي .
(٧) أ ، ب : ويملك .
(٨) في الروضتين : نتقدم .
(٩) باقي الرسالة في الروضتين .
(١٠) ط : ونشر .
(١١) ط : الخطب .
(١٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(١٣) ليس في ط .
(١٤) ط : إليهم .
(١٥) ط : وانضاف .

الحَلبيُّون ، وقصدوا حماة في غيبة السلطان[١] واشتغاله بقلعة حمص وعمارتها . فلما بلغه خبرهم سار إليهم في قُلٍّ من الجيش ، فانتهى إليهم وهم في جحافل كثيرة ، فوافقوه وطمعوا فيه لقلة من معه ، وهموا بمناجزته ، فجعل يداريهم ، ويدعوهم إلى المصالحة ، لعل الجيش يلحقونه ، حتى قال لهم في جملة ما قال : أنا أقنع بدمشق وحدها ، وأقيم بها الخطبة للملك الصالح إسماعيل ، وأترك ما عداها من أرض الشام ، فامتنع من المصالحة الخادم سعد الدولة كمشتكين[٢] ، إلا أن يجعل لهم[٣] الرحبة التي هي بيد ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدِّين[٤] ، فقال : ليس لي ذلك ، ولا أقدر عليه ، فأبوا الصلح ، وأقدموا على القتال ، فجعل جيشه[٥] كردوساً واحداً ، وذلك يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان عند قرون حماة ، فصبر صبراً عظيماً . وجاء في أثناء الحال ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه[٦] ، ومعه أخوه فروخشاه[٧] في طائفة من الجيش ، وقد ترجح دسته عليهم ، وخلص رعبه[٨] إليهم ، فولَّوا هنالك هاربين ، وتولَّوا منهزمين ، فأسر من أسر من رؤوسهم ، ونادى ألا يتبع مدبر ، ولا يذفف[٩] على جريح ، ثم أطلق من وقع في أسره منهم ، وسار على الفور إلى حلب ، فانعكس عليهم الحال ، وآلوا إلى شرّ مآل ، فبالأمس كان يطلب منهم المصالحة والمسالمة ، وهم اليوم يطلبون منه أن يكف عنهم ويرجع[١٠] ، على أن المعرَّة ، وكفر طاب[١١] ، وبارين[١٢] له[١٣] زيادة على ما بيده من أراضي حماة وحمص وبعلبك مع دمشق ، فقبل منهم[١٤] ، وكفّ عنهم ، وحلف ألا يغزو بعدها الملك الصالح ، وأن يدعو له على منابر سائر بلاده وممالكه . وشفع في بني الداية أخوه مجد الدين على أن يخرجوا من السجن ، ففعل ذلك ثم رجع مؤيداً منصوراً ، مسلماً محبوراً .

---

(١) ط : الناصر .
(٢) سترد أخباره ووفاته في حوادث سنة ٥٧٣ .
(٣) ليس في ط .
(٤) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨١ .
(٥) أ : كتيبة .
(٦) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .
(٧) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .
(٨) أ ، ب : رغبة .
(٩) يذفف : ذف على الجريح ذفاً ، أجهز عليه . القاموس المحيط . (ذفف) .
(١٠) أ ، ب : واليوم طلبوا منه أن يكف عنهم ويسير عنهم .
(١١) بلدة بين المعرة ومدينة حلب . معجم البلدان .
(١٢) ط : ماردين وما هنا كما في الروضتين (٢/٢٤٨) وبارين ـ والعامة تقول بَعْرين ـ مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب . معجم البلدان .
(١٣) عن ط وحدها .
(١٤) ط : ذلك .

فلما كان بحماة وصلت إليه رسل الخليفة المستضيء[١] بأمر الله ، ومعهم الخلع السنية والتشريفات العباسية ، والأعلام السود ، وتوقيع[٢] من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام ، وأفيضت الخلع على أهله وأقاربه وأصحابه وأصهاره وأعوانه وأنصاره ، وكان يوماً مشهوداً .

واستناب على حماة ابن خاله وصهره الأمير شهاب الدين محمود[٣] ، ثم سار[٤] إلى حمص فأطلقها لابن[٥] عمه ناصر الدين[٦] ، كما كانت [لأبيه من قبله شيركوه أسد الدين ، ثم إلى بعلبك ، ثم إلى البقاع][٧] ، ورجع إلى دمشق في ذي القعدة .

[وفي هذه السنة][٨] ظهر رجل من قرية مَشْغَرى[٩] ، من معاملة دمشق ، وكان مغربياً ، فادّعى النبوّة ، وأظهر شيئاً من المخاريق والمخاييل[١٠] والشعبذة والأبواب النيرنجية ، فافتتن به طوائف [من أهل تلك الناحية من الطغام والعوام][١١] ، فتطلبه السلطان فهرب [في الليل من مشغرى][١٢] إلى معاملة حلب ، فالتف[١٣] على كل مقطوع الذنب ، وأضلّ خلقاً من الفلاحين لا المفلحين ، وتزوج امرأة أحبّها ، وكانت من أهل تلك البطائح ، فعلّمها أن ادّعت النبوة ، فأشبها قصة مسيلمة وسجاح ، فلعنهما الله ، كلما عب الحمام وهدر ، وكلما صبّ الغمام وقطر .

وفيها : هرب وزير[١٤] الخليفة ونهبت داره .

---

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٧٥ من هذا الجزء .
(٢) ط : والتوقيع .
(٣) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٣ من هذا الجزء .
(٤) ب : صار .
(٥) ط : إلى ابن .
(٦) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨١ من هذا الجزء .
(٧) ط : كما كانت من قبله لأبيه شيركوه أسد الدين ثم بعلبك ثم على البقاع .
(٨) مكانهما في ط : وفيها .
(٩) قرية من ناحية البقاع . معجم البلدان .
(١٠) في الروضتين (١/٢٥١) : التخاييل والتمويهات .
(١١) ط : من الهمج والعوام .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) ط : فالف .
(١٤) هو الوزير عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء . ولد سنة ٥١٤ . وتولى الوزارة للمستضيء سنة ٥٦٦ ، ثم عزله سنة ٥٧٠ فنهب الجند والعوام داره ، ثم أعيد إلى الوزارة فظل بها إلى أن قتله باطني في سنة ٥٧٣ . أخباره في المنتظم (١٠/٢٧٣) وابن الأثير (٩/١٤٣) ومختصر أبي الفداء (٣/٦١) والعبر ـ الكويت (٤/٢١٧) ـ وبيروت (٣/٦٤) والفخري (٢٥٧ ـ ٢٥٩) ومرآة الجنان (٣/٣٩٨) .

وفيها : درّس الشيخ أبو الفرج بن الجوزي[١] بمدرسة[٢] أنشئت للحنابلة ، فحضر عنده قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني[٣] والفقهاء والكبراء ، وكان يوماً مشهوداً ، وخلعت عليه خلعة سنية .

وممن توفي فيها من الأعيان[٤] :

روح بن أحمد[٥] ، أبو طالب الحَدِيثي قاضي القضاة ببغداد في بعض الأحيان :

وكان ابنه[٦] بأرض الحجاز ، فلما بلغه موت أبيه مرض بعده فمات بعد أيام . وكان ينبز[٧] بالرفض .

شَمْلَة[٨] التركماني :

كان قد تغلب على بلاد فارس ، واستحدث قلاعاً . وتغلّب على السلجوقية ، وانتظم له الدست نحواً من عشرين سنة ، ثم حاربه بعض التركمان فقتلوه .

قيماز[٩] بن عبد الله ، قطب الدين المستنجدي :

وزر للخليفة المستضيء ، وكان مقدَّماً على العساكر كلهم[١٠] ، ثم إنه[١١] خرج على الخليفة ، وقصد أن ينهب دار الخليفة ، فصعد الخليفة فوق سطحٍ[١٢] في داره ، وأمر العامّة بنهب دار قيماز ، فنُهبت . وكان ذلك بإفتاء الفقهاء ، فهرب ، فهلك وهلك من كان[١٣] معه في المهامه والقفار[١٤] .

---

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٩٧ من هذا الجزء .
(٢) المنتظم (١٠/ ٢٥٠) .
(٣) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٣ من هذا الجزء .
(٤) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٥٥) ويبدو أنه مصدر ابن كثير في هذه الترجمة ، وأورد له ياقوت في معجمه (حديثة الفرات) ترجمة طيبة ، وله ترجمة في تاريخ ابن الدبيثي ، الورقة ٥٢ (باريس ٥٩٢٢) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٤٤٠) .
(٦) أ ، ب : أبيه ، وهو خطأ ، وعبارة المنتظم : وكان ولده عبد الملك في الحج ، فبلغته وفاته وهو بالكوفة .
(٧) ط : ينبذ . وهو خطأ .
(٨) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٥٥) وابن الأثير (٩/ ١٣٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٤٤١) والعبر ـ الكويت (٤/ ٢١١) وبيروت (٣/ ٥٩) ومختصر أبي الفداء (٣/ ٥٧) وفي الشذرات (٢/ ٢٣٧) : سلمة . تصحيف .
(٩) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) وابن الأثير (٩/ ١٣٤ ـ ١٣٥) قايماز ، والروضتين (١/ ٢٥٢) قايماز ، وأبو الفداء (٣/ ٥٧ ـ ٥٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٤٤٣) والعبر ـ الكويت (٤/ ٢١١) ـ بيروت (٣/ ٦٠) قايماز .
(١٠) ط : كلها .
(١١) ليس في ط .
(١٢) ب : السطح .
(١٣) ط : فهرب فهلك هو ومن معه .
(١٤) في مصادره أنه توفي بناحية الموصل .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمئة

فيها : طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين ، وكان قد أقام[١] بدمشق في مرج الصُّفَّر ، أن يهادنهم فأجابهم إلى ذلك ، [لأن الشام كان مجدباً فاحتاج إلى ذلك][٢] ، وأرسل جيشه صحبة القاضي الفاضل إلى الديار المصرية ، ليستغلوا المغل ، ثم يقبلوا ، وعزم على المقام بالشام ، واعتمد على كاتبه العماد عوضاً عن [أفصح العباد ، بتلك البلاد ، وهو القاضي الفاضل ، قدوة العلماء والأماثل ، ورحلة الطالبين ، وزين المحافل ، زين الإسلام ، ومَنْ لسانه أحدّ من حسام ، ولكن احتاج السلطان إلى إرساله إلى الديار المصرية ليكون عيناً وعوناً له بها ، ولساناً فصيحاً يعبّر عنها ، فاحتاج أن يتعوض عنه ، ولم يكن أحد أعز عليه ولا أحبّ إليه منه][٣] . [من الطويل]

وَمَا عَنْ رِضىً كَانَتْ سُلَيْمَى بَديلةً بِلَيْلَـى ولَكِـنْ للضَّـروراتِ أَحْكَـامُ

وكانت إقامة [السلطان ببلاد][٤] الشام ، هو غاية الحزم والتدبير والإلهام ، ليحفظ ما استجد من الممالك ، خوفاً عليه من سطوة ما[٥] هنالك .

ولما أرسل الجيوش إلى مصر ، وبقي في طائفة[٦] قليلة من عسكره ، والله قد تكفل له بالنصر ، كتب صاحب الموصل سيف الدين غازي[٧] ابن أخي نور الدين ، إلى جماعة الحلبيين ، يلومهم على ما وقع بينهم وبين الملك صلاح الدين من المصالحة ، وقد كان إذ ذاك مشغولاً بمحاصرة أخيه عماد الدين زنكي[٨] بسنجار ، وليست هذه بفعلة صالحة ، وما كان سبب قتاله لأخيه إلا لكونه أبى طاعةَ[٩] الملك الناصر وذويه ، فاصطلح مع أخيه حين عرف قوة الناصر وناصريه ، ثم حرَّض الحلبيين على نقض العهود ، ونبذها إليه[١٠] ، فأرسلوا إليه بالعهود التي عاهدوه عليها ، ودعوه إليها . فاستعان بالله

(١) ط : وهو مقيم بمرج الصفر .
(٢) ليس في أ .
(٣) مكانهما في ط : القاضي ، ولم يكن أحد أعز عليه منه .
(٤) ليس في ط .
(٥) ب : من .
(٦) ط : طائفة يسيرة .
(٧) تقدمت ترجمته في حواشي سنة ٥٧٠ من هذا الجزء .
(٨) ط : مشغولاً بمحاربة أخيه ومحاصرته وهو عماد الدين زنكي بسنجار .
(٩) أ ، ب : إلا إباؤه ـ في أ : انتماؤه ـ إلى طاعة الملك الناصر .
(١٠) أ ، ب : على نبذ العهود إلى الملك صلاح الدين .

عليهم[١] ، وأرسل إلى جيوشه المصرية ليقدموا إليه[٢] ، وأقبل صاحب الموصل بعساكره ودساكره[٣] ، واجتمع بابن عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وسار في عشرين ألف مقاتل على الخيول الضمر[٤] الجرد الأبابيل ، وسار نحوهم الناصر وهو كالهزبر الكاسر ، وإنما معه ألف فارس من الحماة و ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ولكن الجيوش المصرية[٥] قد خرجوا إليه قاصدين ، وله ناصرين في جحافل كالجبال ، وعدَّة وعدد كالرمال ، فاجتمع الفريقان ، وتداعَوْا إلى النزال ، وذلك في يوم الخميس العاشر من شوال ، فاقتتلوا قتالاً هائلاً[٦] ، حتى حمل السلطان بنفسه الكريمة ، فكانت بإذن الله الهزيمة ، فقتلوا خلقاً من الحلبيين والمواصلة ، وأُخذت مضارب الملك سيف الدين غازي وحواصله ، وأسروا جماعة من رؤوسهم ، [فأطلقهم السلطان بعد ما أفاض الخلع على أبدانهم ورؤوسهم][٧] ، وقد كانوا استعانوا بجماعة من الفرنج في حال القتال ، وهذا ليس من صنيع[٨] الصناديد والأبطال ، وقد وجد السلطان في مخيم السلطان غازي شيئاً[٩] من الأقفاص التي فيها الطيور المطربة ، وذلك في مجلس شرابه المسكر[١٠] ، وكيف مَنْ كان هذا حاله ومسلكه ينتصر[١١] ، فأمر السلطان بردّها عليه ، وتسييرها إليه . وقال للرسول : قل له بعد وصولك إليه ، وسلامك عليه ، اشتغالك بهذه الطيور أحب من الوقوع فيما رأيت من المحذور[١٢] ، وغنم السلطان [من أموالهم][١٣] شيئاً كثيراً ، ففرقه على أصحابه غُيَّباً كانوا أو حضوراً ، وأنعم بخيمة الملك[١٤] سيف الدين غازي على ابن أخيه عز الدين فروخشاه[١٥] ابن شاهنشاه بن نجم الدين ، وردّ ما كان في وطاقه من

(١) ط : فاستعان عليهم بالله .
(٢) ط : الجيوش المصرية ليقدموا عليه .
(٣) أ ، ب : بعساكره ومشاريه ودساكره .
(٤) ط : المضمرة .
(٥) أ ، ب : ولكن الجيوش قد خرجت من الديار المصرية .
(٦) ط : قتالاً شديداً حتى حمل الملك الناصر .
(٧) ليس في ب .
(٨) ط : أفعال .
(٩) ط : سبتاً .
(١٠) ليس في ب .
(١١) أ ، ب : وكيف ينصر من كان هذا مسلكه ومذهبه ينتصر .
(١٢) ط : أحب إليك مما وقعت فيه من المحذور .
(١٣) ليس في ط .
(١٤) ليس في ط .
(١٥) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٨ من هذا الجزء .

الجواري والمغنيات ، وقد كان معه أكثر من مئة مغنية ، وردّ الأقفاص وآلات اللهو[١] واللعب إلى حلب ، وقال : قولوا له[٢] : هذه أحب إليك من الركوع والسجود والحرب . ووجد عسكر المواصلة كالحانة من كثرة الخمور والبرابط والملاهي ، وهذه سبيل كل فاسق ، من هو عن طريق الخير ساهٍ لاهٍ .

فصـــل

لما رجع الحلبيون إلى حلب فاؤوا بشرّ منقلب ، وندموا على نقضهم الأيمان[٣] ، ومخالفتهم طاعة الرحمن ، وشقّهم العصا على السلطان ، فحصّنوا البلد ، خوفاً من وثوب الأسد ، وأسرع صاحب الموصل فوصلها ، وما صدَّق حتى دخلها .

وأما[٤] السلطان صلاح الدين ، فإنه لما فرغ من قسمة ما غنم ، مما تركه من عطب ومن سلم ، أسرع السير إلى حلب الشهباء ، وهو في غاية السطوة والقوة والعزة القعساء ، فوجدهم قد حصّنوها ، والقلعة قد أحكموها ، فقال : من المصلحة أن نبادر إلى فتح الحصون التي حول البلد ، ثم نعود إليهم فلا يمتنع علينا منهم أحد . فشرع بفتح الحصون حصناً حصناً ، ثم يعود إليهم ويهدم من أركان دولتهم ركناً ركناً ، ففتح بزاعة[٥] ومنبج ، ثم صار إلى عَزاز ، فأرسل الحلبيون إلى سنان ، فأرسل جماعة من أصحابه ليقتلوا صلاح الدين ، فدخل طائفة منهم في جيشه في زي الجند ، فقاتلوا أشد القتال ، حتى اختلطوا بهم ، فوجدوا فرصةً ذات يوم ، والسلطان ظاهر للناس ، فحمل عليه واحد منهم فضربه بالسكّين على رأسه ، فإذا هو محترس منهم باللأمة ، فسلمه الله ، غير أن السكين مرت على خده ، فجرحته جرحاً هيناً ، ثم أخذ الفداوي رأس السلطان ، فوضعه إلى الأرض ليذبحه ، ومن حوله قد أخذتهم دهشة ، ثم ثاب إليهم عقلُهم ، فبادروا إلى الفداوي فقتلوه وقطعوه ، ثم هجم آخر في الساعة الراهنة على السلطان فقُتل ، ثم هجم آخر على بعض الأمراء فقُتل أيضاً ، وهرب الرابع فأُدرك فقُتل ، وبطل القتال ذلك اليوم ، ثم صمم السلطان على البلد ففتحه وأقطعه ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وقد اشتد حنقه على أهل حلب ، لما فعلوا ولما أرسلوا من الفداوية إليه ، وإقدامهم عليه .

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) ط : لهم . . إليكم .

(٣) ط : فلما رجعت الجيوش إلى حلب وقد انقلبوا شر منقلب وندموا على ما نقضوا من الأيمان .

(٤) في هذا المقطع خلاف في الرواية بين ط والأصلين تركتها لكثرتها . وأثبت رواية أ ، ب .

(٥) في الأصول كلها : مراغة ، وبزاعة : بضم الباء وكسرها ، وقيل بالقصر ، بزاعا : وهي بلدة من أعمال حلب بين منبج وحلب . معجم البلدان .

فجاء فنزل تجاه البلد على جبل جوشن ، وضربت خيمته على رأس الياروقية[(١)] ، وذلك في خامس عشر ذي الحجة ، وجبى الأموال ، وأخذ الخراج من القرى ، ومنع أن يدخل البلد شيء أو يخرج منه شيء[(٢)] ، واستمرّ حصاره[(٣)] إياها حتى انسلخت السنة .

وفي ذي الحجة من هذه السنة عاد شمس الدولة[(٤)] تورانشاه أخو السلطان من بلاد اليمن ، [وذلك من كثرة اشتياقه][(٥)] إلى[(٦)] أخيه وذويه ، وإلى الشام وطيبه وظلاله ، لأنه ضجر من حر اليمن ، وإن كان قد حصل على أموال جزيلة ، ففرح [أخوه الملك الناصر به ، واشتد أزره بسببه ، ولما اجتمعا قال الناصر الناصح البَرُّ الوفي][(٧)] : ﴿ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ ﴾ [يوسف : ٩٠] وقد استناب شمسَ الدولة على بلاد اليمن ، وإنما استناب على مخاليفها من ذوي[(٨)] قراباته ومن له عليه[(٩)] سالف المنن ، ولما استقر عند أخيه استنابه على دمشق وأعمالها ، وقيل : إن قدومه كان قبل وقعة المواصلة ، وكان من أكبر أسباب الظفر والنصر لشهامته وشجاعته وفروسيته وبسالته[(١٠)] .

وفيها : أنفذ تقي الدين عمر بن أخي السلطان[(١١)] مملوكه بهاء الدين قراقوش[(١٢)] في جيش إلى بلاد المغرب ، ففتح بلاداً كثيرة هنالك ، وغنم أموالاً جزيلة ، ثم عاد إلى مصر ، وطابت له ، وترك تلك البلاد .

وفيها : قدم إلى دمشق الواعظ الكبير أبو الفتوح عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي الأصل البغدادي المنشأ . ذكره العماد في « الخريدة »[(١٣)] وقال :

---

(١) ط : البادوقية . وهو تصحيف . والياروقية محلة كبيرة بظاهر مدينة حلب تنسب إلى ياروق بن أرسلان التركماني من أمراء نور الدين ، وهي شبه القرية ، قال ابن خلكان : وهي إلى اليوم معمورة مسكونة ، آهلة ، يتردد إليها أهل حلب في أيام الربيع يتنزهون هناك . معجم البلدان ، ووفيات الأعيان (٦/ ١١٧) .
(٢) ط : أحد .
(٣) ط : محاصراً لها .
(٤) ط : نور الدولة أخو ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(٥) ليس في ط .
(٦) ط : إلى أخيه شوقاً إليه .
(٧) ط : ففرح به السلطان فلما اجتمعا قال السلطان البر التقي .
(٨) ط : من ذوي قرابته .
(٩) عن ب وحدها .
(١٠) ط : أسباب الفتح والنصر لشجاعته وفروسيته .
(١١) ط : الناصر .
(١٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٧ من هذا الجزء .
(١٣) ط : الجريدة . وهو من تصحيفات ط .

كان صاحبي ، وجلس للوعظ ، وحضر عنده السلطان صلاح الدين . وأورد له مقطعات أشعار ، فمن ذلك ما كان يقول في مجلسه : [من البسيط][١]

يـا مـالِكـاً مُهْجَتـي يـا مُنْتَهـى أَمَلِـي ... يا حاضِراً شاهِداً في القَلْبِ والفِكرِ
خَلَقْتَنـي مـن تُـرابٍ أَنْـتَ خَـالِقُـهُ ... حتّـى إذا صِـرْتُ تمثـالاً مـن الصُّـوَرِ
أَجْـرَيْـتَ فِـي قَـالبِـي رُوحـاً مُنَـوَّرَةً ... تَمُـرُّ فيـهِ كَجَـرِي المـاءِ فـي الشَّـجَـرِ
جَمَعْتَنِـي مـن صَفَـا روحٍ مُنَـوَّرَةٍ ... وَهَيْكَـلٍ صُغْتَـهُ مـن مَعْـدنٍ كَـدِرِ
إن غِبْتُ فيكَ فَيا فَخْرِي ويا شَرفِي ... وَإِنْ حَضَرْتُ فَيَا سَمْعِي وَيَا بَصَرِي
أَوِ احْتَجَبْتُ فَسِـرّي فيـكَ فـي وَلَـهٍ ... وَإِنْ خَطَرْتُ فَقَلْبِي مِنْكَ فِي[٢] خَطَرِ
تَبْـدُو فَتَمْحُـو رُسـومـي ثُـمّ تُثْبِتُهـا ... وَإِنْ تَغَيَّبْـتَ عَنّـي عِشْـتُ بـالأَثَـرِ

وممن توفي فيها[٣] من الأعيان :

الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر[٤] : علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، أبو القاسم الدمشقي .

أحد أكابر حفاظ الحديث ، ومن عُني به سماعاً وإسماعاً[٥] ، وجمعاً وتصنيفاً واطلاعاً ، وحفظاً لأسانيده ومتونه ، وإتقاناً لأساليبه وفنونه .

صنّف « تاريخ الشام » في ثمانين مُجَلَّدة ، فهي باقية بعدَه مُخَلَّدة[٦] . وقد ندر على من تقدمه من المؤرخين ، وأتعب من يجيء[٧] بعده من المتأخرين ، فحاز فيه قصب[٨] السباق ، [وحاز حدًّا يأمن من فيه اللحاق][٩] ، ومن نظر فيه وتأمله ، ورأى ما وصفه فيه[١٠] وأصّله ، حكم بأنه فريد[١١] في التواريخ ،

---

(١) الأبيات في الروضتين (١/ ٢٦١) .
(٢) ليس في أ .
(٣) ليس في ط .
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٦١) والخريدة ـ الشام ـ (١/ ٢٧٤) ومعجم الأدباء (١٣/ ٧٣) ومرآة الزمان (٨/ ٣٣٦) والروضتين (١/ ٢٦١) ووفيات الأعيان (٣/ ٣٠٩ ـ ٣١١) وأبو الفداء (٣/ ٦٢) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٤٩٣ ـ ٥٠١) والعبر ـ الكويت (٤/ ٢١٢) ـ بيروت (٣/ ٦٠ ـ ٦١) ومرآة الجنان (٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٦) .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) ليس في ب .
(٧) ط : يأتي .
(٨) ط : قصب السبق .
(٩) ليس في ط .
(١٠) ليس في أ .
(١١) ط : فريد دهره .

وأنه في الذروة العليا من الشماريخ ، هذا مع ما له في علوم الحديث من كتب مفيدة ، وما كان مشتملاً عليه من العبادة[١] والطرائق الحميدة ، فله : « أطراف الكتب الستة »[٢] و« الشيوخ النُّبَّل »[٣] ، و« تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري »[٤] ، وغير ذلك من المصنّفات الكبار والصغار ، والأجزاء والأسفار[٥] .

وقد أكثر في طلب الحديث من الترحال والأسفار ، وجاب المدن والأقاليم والأمصار ، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الحفاظ نسخاً واستنساخاً ، ومقابلة وتصحيحاً للألفاظ .

وكان من أكابر بيوتات[٦] الدماشقة ، ورئاسته فيهم عالية باسقة ، من ذوي الأقدار والهيئات ، والأموال الجزيلة والصلاة والهبات[٧] .

وكانت وفاته في الحادي عشر من شهر رجب ، وله من العمر ثنتان وسبعون سنة . وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ، ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالىٰ . وكان[٨] الذي صلى عليه الشيخ قطب الدين النيسابوري[٩] .

قال ابن خلكان[١٠] : وله أشعار كثيرة منها قوله : [من المتقارب]

أَيَا نَفْسُ وَيْحَكِ جَاءَ المَشِيبُ ... فَمَاذَا التَّصَابِي وَمَاذَا الغَزَلْ
تَوَلَّى شَبابي[١١] كَأَنْ لَمْ يَكُنْ ... وَجَاءَ المَشِيبُ[١٢] كَأَنْ لَمْ يَزَلْ
كَأَنِّي بِنَفْسِي عَلَى غِرَّةٍ ... وَخَطْبُ المَنُونِ بها قَدْ نَزَلْ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِيَ مِمَّنْ أَكُونُ ... وَمَا قَدَّرَ اللهُ لِي في الأَزَلْ

---

(١) ط : من الكتب المفيدة وما هو مشتمل عليه من العبادة .
(٢) هو أحد الكتب التي اعتمدها الحافظ المزي في « تحفة الأشراف » وبنى كتابه عليها (بشار) .
(٣) هو « المعجم المشتمل على شيوخ الأئمة النبّل » حققته الفاضلة سكينة الشهابي (بشار) .
(٤) مطبوع منتشر مشهور ، رد فيه على المقرىء أبي علي الأهوازي (بشار) .
(٥) أ ، ب : والأشعار . وهو تصحيف .
(٦) ط : سروات .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) عند هذه اللفظة يتغير خط النسخة ب .
(٩) سترد ترجمته في وفيات سنة ٥٧٨ من هذا الجزء .
(١٠) وفيات الأعيان (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١) وقد قدم للأبيات بقوله : ومن المنسوب إليه أيضاً قوله .
(١١) أ : تولى شباب . . وجاء مشيب .
(١٢) وفي ط : وجاء المشيب . . .

قال : وقد التزم فيها بما لا يلزم ، وهو الزاي قبل اللام[١] .

قال[٢] : وكان أخوه صائن الدين هبة الله بن الحسن محدثاً فقيهاً . اشتغل ببغداد على أسعد الميهني[٣] ، ثم قدم دمشق ، فدرّس بالغزالية[٤] . وتوفي بها في سنة ثلاث وستين[٥] ، رحمهما الله تعالىٰ وإيانا بمنّه .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمئة

استهلت هذه السنة [والسلطان صلاح الدين][٦] محاصر حلب ، [وقد أشرف منها على نيل الطلب][٧] ، فسألوه وتوسلوا إليه أن يصالحهم ، فصالحهم على أن تكون حلب وأعمالها[٨] للملك الصالح فقط ، فكتب[٩] بذلك الكتاب ، وأبرم الحساب . فلما كان المساء[١٠] بعث السلطان الصالح إسماعيل إلى الملك الناصر يطلب[١١] منه زيارة قلعة إعزاز ، على ما شرّفه به من الإعزاز ، وأرسل بأخت له صغيرة ، وهي الخاتون بنت نور الدين ، ليكون ذلك أدعى إلى قبول [السؤال ، وأنجع لحصول][١٢] النوال . فحين رآها الناصر[١٣] قام قائماً كالقضيب الناضر ، وقبّل الأرض ، وأجابها إلى سؤالها وأطلق لها من الجواهر [والتحف ما رأى أنه عليه فرض][١٤] .

---

(١) ب ، ط : بما لم يلزم وهو الزاي مع اللام .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣١١) فيه معلومات أكثر .

(٣) في أ : أبي أسعد . وهو تصحيف ، وأسعد الميهني من شيوخ ابن عساكر ، وقد تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٢٣ من هذا الجزء .

(٤) في وفيات الأعيان : ودرّس بالمقصورة الغربية في جامع دمشق . ويبدو أنهما واحد لأن المدرسة الغزالية زاوية بالجامع الأموي ، كانت تعرف بزاوية الشيخ نصر المقدسي ، ثم لما أقام بها الغزالي نسبت إليه . منادمة الأطلال (١٣٤ ـ ١٣٥) .

(٥) ليست العبارة الأخيرة لا في ب ولا في ط . قال بشار : وكتب الصائن بخطه نسخة بتاريخ الخطيب البغدادي وصل إلينا بعضها ، وهي من أجود النسخ ، وسماعه وسماع أخيه أبي القاسم عليها .

(٦) مكانهما في ط : والناصر .

(٧) ليس في ط .

(٨) ب : وعملها .

(٩) ط : فكتبوا .

(١٠) ط : المساء .

(١١) ط : يطلب .

(١٢) ط : أدعى له بقبول السؤال ، وأنجح في حصول النوال .

(١٣) ط : السلطان .

(١٤) ط : والتحف شيئاً كثيراً .

ثم ترحّل عن حلب ، فقصد الإسماعيلية(١) الذين اعتدَوا عليه ، فحاصر حصنهم مصياث(٢) ، فقتل وسبى وحرق(٣) ، وأخذ أبقارهم ، وخرَّب ديارهم ، وقصّر أعمارهم ، حتى شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تُتُش(٤) صاحب حماة لأنهم جيرانه ، فقبل شفاعته .

وقد أحضر إليه نائب بعلبك الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مقدم(٥) ، الذي كان نائب دمشق ، جماعة من أسارى الفرنج الذين عاثوا بالبقاع في غيبة السلطان(٦) ، واشتغاله بحصار مصياث ، فجدد ذلك له العزم على غزو الفرنج والانبعاث ، فصالح الإسماعيلية(٧) أصحاب سنان ، ثم كرّ راجعاً إلى دمشق في حراسة الرحمن ، وقد تلقاه أخوه شمس الدين توران(٨) شاه إلى حماة ، فتسالما وتعانقا ، وتناشدا الأشعار . ولما دخل السلطان إلى دمشق في سابع عشر صفر فوّضها إلى أخيه هذا شمس الدولة توران شاه ولقَّبه الملك المعظَّم .

وعزم السلطان على السفر إلى مصر ، وكان القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري قد توفي في سادس المحرم من هذه السنة ، وقد كان من خيار القضاة ، وأخص الناس بنور الدين الشهيد ، فوّض إليه نظر الجامع ودار الضرب ، وعمارة الأسوار ، والنظر في المصالح العامة ، ولما حضره الموت(٩) أوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهرزوري(١٠) ، فأمضى ذلك السلطان الملك الناصر صلاح الدين رعاية لحق الكمال الشهرزوري مع أنه كان يجد عليه بسبب ما كان بينه وبينه حين كان صلاح الدين سجنه بدمشق . وكان يعاكسه ويخالفه ، ومع هذا أمضى وصيته لابن أخيه ، فجلس في مجلس القضاء على عادة عمه ، وقاعدته ورسمه ، وبقي في نفس السلطان من تولية شرف الدين أبي سعيد عبد الله بن أبي عصرون(١١) الحلبي ، وكان قد هاجر إلى السلطان(١٢) إلى دمشق ، فوعده أن يوليه

---

(١) ط : الفداوية .
(٢) ب ، ط : مصياب : وهو حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس ، وبعضهم يقول : مصياف .
(٣) أ ، ب : فقتل وخرب ـ أ : وضرب ـ وسبى .
(٤) ستّرد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٣ من هذا الجزء .
(٥) ستّرد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٣ من هذا الجزء .
(٦) ط : في البقاع في غيبته .
(٧) ط : فجدد ذلك له الغزو في الفرنج فصالح الفداوية الإسماعيلية .
(٨) ستّرد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(٩) ط ، ب : حضرته الوفاة .
(١٠) ستّرد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٩ من هذا الجزء .
(١١) ستّرد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٥ من هذا الجزء .
(١٢) أ : للسلطان .

قضاءها ، فأسرّ بذلك إلى [القاضي الفاضل ، فأشار][(١)] القاضي[(٢)] الفاضل على الضياء أن يستعفي من القضاء ، فاستعفى ، فأُعفي ، وترك له وكالة بيت المال . وولى السلطان ابن أبي عصرون على أن يستنيب القاضي محيي الدين أبا[(٣)] المعالي محمد بن زكي الدين[(٤)] والأوحد[(٥)] عنه ، ففعل ذلك ، ثم بعد سنوات[(٦)] استقلّ بالحكم محيي الدين أبو حامد بن أبي عصرون عوضاً عن أبيه شرف الدين بسبب ضعف بصره .

وفي صفر [من هذه السنة][(٧)] وقف السلطان الملك الناصر قرية خُرَّم[(٨)] على الزاوية الغزالية ومن يشتغل بها في العلوم[(٩)] الشرعية ، أو ما[(١٠)] يحتاج إليه الفقيه ، وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري[(١١)] مدرسها .

وفي هذا الشهر تزوج السلطان صلاح الدين[(١٢)] بالست خاتون عصمة الدين[(١٣)] بنت معين الدين أُنر ، وكانت زوجة الملك نور الدين محمود ، [فأقامت بعده في القلعة محترمة مكرَّمة معظمة][(١٤)] ، وولي تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين[(١٥)] مسعود بن أنر . وحضر القاضي ابن أبي عصرون العقد ، ومعه جماعة من العدول ، وبات السلطان[(١٦)] عندها تلك الليلة ، والتي بعدها ، ثم سافر إلى مصر بعد يومين من الدخول بها ، فركب يوم الجمعة قبل الصلاة ، فنزل بمرج الصُّفَّر ، ثم سار فعشى قريباً من الصنمين ،

---

(١) ليس في ب .
(٢) ليس في ط .
(٣) ب ، ط : أبو . وهو خطأ .
(٤) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٨ من هذا الجزء .
(٥) ليست اللفظة في ب ، ط .
(٦) ط : بعد ذلك .
(٧) مكانهما في ط : منها .
(٨) في ب : حرم ، وفي ط : حزم ، الروضتين (١/ ٢٦٣) ومنادمة الأطلال (١٣٥) وفيهما : قرية خرم باللوى من حوران .
(٩) ب ، ط : بالعلوم .
(١٠) ط : وما يحتاج ، وفي الروضتين ومنادمة الأطلال : أو بعلم يحتاج إليه الفقيه .
(١١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٨ من هذا الجزء .
(١٢) ط : السلطان الملك الناصر .
(١٣) سترد ترجمتها في حوادث سنة ٥٨١ من هذا الجزء .
(١٤) ط : وكانت مقيمة بالقلعة . وليست لفظة : معظمة ، في أ .
(١٥) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨١ من هذا الجزء .
(١٦) ط : وحضر القاضي ابن عصرون ومن معه من العدول وبات الناصر .

ثم أغذّ السير حتى كان دخوله إلى الديار المصرية ، ثم إلى القاهرة المعزيّة يوم السبت[(١)] سادس عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، في أُبَّهة الملك ، وقد تلقاه أخوه ونائبه عليها الملك العادل سيف الدين أبو بكر[(٢)] إلى عند بحر القُلْزُم[(٣)] ، ومعه من الهدايا والتحف شيء كثير ، ولا سيما من المآكل المتنوعة وغيرها ، وكان في صحبة السلطان العمادُ الكاتب ، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك ، فشرع[(٤)] يذكر محاسنها ، وما اختصت به من بين البلدان ، ووصف الهرمين[(٥)] وشبَّههما بأنواع من التشبيهات ، وبالغ في ذلك حسب ما ذكر في « الروضتين »[(٦)] .

وفي شعبان منها[(٧)] ركب [السلطان الناصر بن أيوب][(٨)] إلى الإسكندرية ، فأسمع ولديه الأفضل[(٩)] علي ، والعزيز عثمان[(١٠)] على الحافظ السِّلَفي[(١١)] ، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام : الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان .

وعزم السلطان [على الصيام][(١٢)] بها ، وقد كمَّل عمارة السور على البلد ، وأمر بتجديد الأسطول وإصلاح مراكبه وسفنه ، وشحنه بالرجال[(١٣)] والمقاتلة ، وأمرهم بغزو جزائر البحر ، وأقطعهم

---

(١) ط : ثم سافر فعشا قريباً من الصفين ثم سار فدخل مصر يوم السبت .
(٢) هو أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي ، الملقب بالملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين . ولد سنة ٥٣٩ ، ونشأ في خدمة نور الدين بن زنكي ، وحضر مع أخيه صلاح الدين في فتوحاته وغزواته ، واستنابه بالديار المصرية مرة ، ثم أعطاه حلب وغيرها . توفي سنة ٦١٥هـ أخباره في ابن الأثير (٩/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) ومرآة الزمان (٨/ ٥٩٤) وذيل الروضتين (١١١) ووفيات الأعيان (٥/ ٧٤ ـ ٧٩) وأبو الفداء (٣/ ١١٩ ـ ١٢٠) والعبر ـ الكويت ـ (٥/ ٥٨) ـ وبيروت (٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨) والوافي (٢/ ٢٣٥) .
(٣) يعرف الآن بالبحر الأحمر .
(٤) ط : فجعل .
(٥) ط : وذكر الأهرام .
(٦) الروضتين (١/ ٢٦٧) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ط : الناصر .
(٩) ب ، ط : الفاضل . وهو أبو الحسن علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، الملقب بالملك الأفضل . ولد سنة ٥٦٥ بالقاهرة ، وتسلطن بدمشق بعد أبيه ، ثم حارب أخاه صاحب مصر على الملك . وتوفي سنة ٦٢٢هـ أخباره في ابن الأثير (٩/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) ومرآة الزمان (٨/ ٦٣٧) وذيل الروضتين (١٤٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٤١٩ ـ ٤٢١) والعبر ـ الكويت (٥/ ٩١) ـ بيروت (٣/ ١٨٨) .
(١٠) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٥ من هذا الجزء .
(١١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(١٢) ط : تمام الصيام .
(١٣) ليس في ط .

الإقطاعات الجزيلة[١] ، وأرصد لصالح الأسطول من بيت المال ومغلاته ما يكفيه لجميع شؤونه ، ثم عاد السلطان إلى القاهرة في أثناء رمضان فأكمل صومه بها .

وفيها : أمر السلطان صلاح الدين يوسف ببناء مدرسة للشافعية على قبر الإمام[٢] الشافعي وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشاني[٣] مدرِّسها وناظرها .

وفيها : أمر ببناء المارستان بالقاهرة ، ووقف عليه أوقافاً[٤] كثيرة .

وفيها : بنى الأمير مجاهد الدين قيماز[٥] نائب قلعة الموصل جامعاً حسناً ورباطاً ومدرسة ومارستاناً متجاورات بظاهر مدينة الموصل ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمس وتسعين وخمسمئة [رحمه الله][٦] . وله عدة مدارس وخوانق[٧] وجوامع غير ما ذكرنا . وكان ديناً خيّراً فاضلاً حنفي المذهب ، يذاكر في الأدب والأشعار والفقه ، كثير الصيام وقيام الليل ، قدس الله روحه .

وفيها : أُخرج[٨] المجذومون من أهل بغداد إلى ناحية منها ليتميّزوا عن أهل العافية ، نسأل الله العافية بفضله وكرمه .

وذكر ابن الجوزي في « المنتظم »[٩] عن امرأة أنها قالت : كنت أمشي في الطريق ، وكان رجل يعارضني كلما مررت به ، فقلت له : إنه لا سبيل إلى هذا الذي ترومه مني إلا بكتاب وشهود ، فتزوجني عند الحاكم ، فمكثت معه مدة ، ثم اعتراه انتفاخ بطنه[١٠] ، فكنا نظن أن به استسقاءً ، فنداويه لذلك ، فلما كان بعد مدة ، ولد ولداً كما تلد النساء ، وإذا هو خنثى مشكل ، وهذا من أغرب الأشياء ، والله تعالىٰ أعْلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

علي بن عساكر بن المُرَحَّب بن العوام[١١] ، أبو الحسن البطائحي المقرئ اللغوي .

---

(١) ط : على ذلك .
(٢) عن أ وحدها .
(٣) هو محمد بن الموفق بن سعيد ، سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .
(٤) ط : وقوفاً .
(٥) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٥ من هذا الجزء .
(٦) ليس في أ .
(٧) أ : خوانق ومدارس ، وفي ط : وخوانقات .
(٨) ط : أمر الخليفة بإخراج ، والخبر في المنتظم (١٠/ ٢٦٣) .
(٩) المنتظم (١٠/٢٦٦) .
(١٠) ط : ببطنه .
(١١) ترجمته في المنتظم (١٠/٢٦٧) ومعجم الأدباء (١٤/ ٦١ ـ ٦٢) وابن الأثير (٩/ ١٣٩) وإنباه الرواة (٢/ ٢٩٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٥١٢) والعبر ـ الكويت (٤/ ٢١٥) ـ بيروت (٣/ ٦٢) ونكت الهميان (٢١٤ ـ ٢١٥) .

سمع الحديث وأسمعه ، وكان حسن المعرفة بالنحو واللغة . ووقف كتبه بمسجد ابن جردة ببغداد . [وكانت وفاته][(١)] في شعبان ، وقد نيّف على الثمانين [رحمه الله تعالىٰ][(٢)] .

محمد بن عبد الله بن القاسم[(٣)] ، **أبو الفضل ، قاضي القضاة بدمشق ، كمال الدين الشهرزوري الموصلي** .

وله بها مدرسة على الشافعية ، وأخرى بنصيبين . وكان فاضلاً ديّناً أميناً ثقة ورعاً . ولي القضاء بدمشق لنور الدين محمود بن زنكي ، واستوزره أيضاً ، فيما حكاه ابن الساعي ، قال : وكان يبعثه في الرسائل . كتب مرة على أعلى[(٤)] قصة إلى الخليفة المقتفي[(٥)] : (محمد بن عبد الله الرسول) ، فكتب الخليفة تحت ذلك : (ﷺ) . قلت : وقد فوض إليه نور الدين نظر الجامع ودار الضرب والأسوار[(٦)] ، وعمر له المارستان والمدارس وغير ذلك من الأمور المهمات رحمه الله تعالىٰ . وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة بدمشق .

الخطيب شمس الدين بن الوزير أبي المضاء خطيب الديار المصرية وابن وزيرها :

كان أول من خطب بديار مصر للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي ، بأمر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم حظي عنده حتى كان قد جعله سفيراً بينه وبين الملوك والخلفاء ، وكان رئيساً مطاعاً كريماً ممدَّحاً ، يقرأ عليه الشعراء والأدباء ، ثم جعل الناصر[(٧)] مكانه في السفارة وأداء الرسائل ضياء الدين[(٨)] بن قاضي القضاة الشهرزوري بمرسوم سلطاني ، وكانت[(٩)] وظيفة مقررة ، رحمه[(١٠)] الله تعالىٰ وإيانا بمنه وكرمه .

---

(١) ما بين الحاصرتين في ط : توفي .
(٢) عن أوحدها .
(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٦٨) والخريدة ـ قسم الشام ـ (٢/ ٣٢٣) وابن الأثير (٩/ ١٤١) والمختصر المحتاج إليه (٥٥) ومرآة الزمان (٨/ ٣٤٠) والروضتين (١/ ٢٦٢) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٤١ ـ ٢٤٥) وأبو الفداء (٣/ ٥٩) والعبر (٤/ ٢١٥) والوافي (٣/ ٣٣١) ومرآة الجنان (٣/ ٢٩٨) وفيه : السهر وردي . تصحيف .
(٤) ليس في ط .
(٥) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٣٠ من هذا الجزء .
(٦) الروضتين (١/ ٢٦٣) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٩ من هذا الجزء .
(٩) ط ، ب : الشهرزوري المتقدم بمرسوم السلطان وصارت وظيفة مقررة .
(١٠) الجملة الدعائية الأخيرة كلها عن أوحدها .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة

فيها : أمر السلطان الناصر ببناء قلعة الجبل ، وإحاطة السُّور [على القاهرة(١) ومصر يشملها جميعاً](٢) . فعُمِّرت قلعة للملك لم يكن بالديار المصرية مثلها ولا على شكلها(٣) . وولي عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش(٤) مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه(٥) بن أيوب .

وفيها : كانت وقعة الرملة على المسلمين ؛ في جمادى الأولى منها سار السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف من الديار المصرية قاصداً غزو الفرنج ، فانتهى إلى بلاد الرملة(٦) فسبى وسلب ، وغنم وغلب ، وأسر وقسر ، وكسر(٧) وكسب(٨) ، ثم تشاغل جيشه بالغنائم ، وتفرقوا في القرى والمحال تفرُّق البهائم ، وبقي السلطان(٩) في طائفة من الجيش منفرداً ، فهجمت عليه الفرنج في جحفل من المقاتلة ، فما سلم السلطان إلا بعد جهد جهيد ، ولله الحمد والمنة(١٠) أبلغ التحميد . وتراجع الجيش بعد تفرقهم ، واجتمعوا على السلطان(١١) بعد أيام ، [وما صدّق أهل الديار المصرية برؤيته بعد ما بلغهم من الإرجاف والإرهاب](١٢) ، وصار الأمر كما قيل(١٣) :

رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإيابِ

ومع هذا دقَّت البشائر في البلدان ، فرحاً بسلامة السلطان ، ولم يجر مثل هذه الوقعة(١٤) إلا بعد عشر سنين ، وذلك يوم حِطِّين ، فالحمد لله رب العالمين . وقد ثبت السلطان في هذه الوقعة ثباتاً عظيماً ،

---

(١) أ : سور .
(٢) ليس في ط .
(٣) ط : فعمر قلعة للملك لم يكن في الديار المصرية مثلها على شكلها .
(٤) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٧ من هذا الجزء .
(٥) ط : منها سار السلطان الناصر صلاح الدين من مصر .
(٦) الرملة بلدة في فلسطين قرب اللد ، تبعد عن بيت المقدس ١٨ فرسخاً باتجاه البحر . معجم البلدان (٣/ ٦٩) .
(٧) ليس في ب .
(٨) ط : إلى بلاد الرملة فسبى وغنم .
(٩) ط : هو .
(١٠) ليس عبارة : والمنة أبلغ التحميد . في أ .
(١١) ط : واجتمعوا عليه .
(١٢) ط : ووقعت الأراجيف في الناس بسبب ذلك وما صَدَّق أهل مصر حتى نظروا إليه .
(١٣) ب : كما قال الشاعر .
(١٤) ط : ولم تجر هذه الوقعة .

وأُسر للملك المُظفّر تقي الدين عمر(١) بن أخي السلطان ولده شاهنشاه ، فبقي عندهم سبع سنين ، وقُتل ابنه الآخر ، وكان شابًّا قد طرّ شاربه ، فحزن على المقتول والمفقود ، وصبر تأسِّيًا بأيوب ، وناح كما ناح داود ، وأُسر الفقيهان الأخوان ، ضياء الدين عيسى(٢) وظهير الدين ، فافتداهما السلطان بعد سنين(٣) بتسعين(٤) ألف دينار .

وفيها : تخبَّطت الدولة بحلب ، وقبض السلطان الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين على الخادم كمشتكين ، وألزمه بتسليم قلعة حارم ، وكانت له ، فأبى من ذلك ، فعلّقه منكوساً ، ودخن تحت أنفه حتى مات من ساعته .

وقصدت الفرنج حارم ، فامتنعت عليهم ، ثم سلِّمت إلى الملك الصالح .

وفيها : جاء ملك كبير من ملوك الفرنج يروم أخذ الشام لغيبة السلطان ، واشتغال نوابه بلذاتهم(٥) .

قال العماد الكاتب : ومن شرط هدنة الفرنج أنه متى جاء ملك كبير من ملوكهم ، لا يمكنهم دفعه فإنهم يقاتلون معه ويؤازرونه وينصرونه ، فإذا انصرف عنهم عادت الهدنة كما كانت .

فقصد هذا الملك وجملة الفرنج معه(٦) مدينة حماة ، وصاحبها شهاب الدين محمود خال السلطان مريض ، ونائب دمشق ومَنْ معه من الأمراء مشغولون بلذاتهم(٧) ، فكادوا يأخذون البلد ، ولكن هزمهم الله بعد أربعة أيام ، فانصرفوا إلى حارم ، فلم يتمكنوا من أخذها ، وكشفهم عنها الملك الصالح صاحب حلب ، وقد دفع إليهم من الأموال والأسارى ما طلبوه منه(٨) ، وتوفي صاحب حماة الأمير شهاب الدين محمود بن تتش خال السلطان [الناصر ، وتوفي](٩) قبله ولده تُتُش [بثلاثة أيام](١٠) ، رحمه الله(١١) .

ولما سمع السلطان الملك الناصر بنزول الفرنج على حارم برز من الديار المصرية(١٢) قاصداً بلاد

---

(١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .
(٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٥ من هذا الجزء .
(٣) ط : سنتين .
(٤) أ : بسبعين .
(٥) ط : ببلدانهم . وهو تصحيف .
(٦) ليس في ط .
(٧) ط : ببلدانهم . تصحيف .
(٨) ب : ما طلبه الكفرة والنصارى ، وليست : منه ، في أ ، ب .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ليس في ب .
(١١) عن ب وحدها .
(١٢) ط : برز من معه .

الشام لغزو الفرنج ، لعنهم[١] الله تعالىٰ ، فكان دخوله إلى دمشق في الرابع والعشرين من شوال[٢] ، وصحبته العماد الكاتب ، وتأخر القاضي الفاضل بمصر[٣] ناوياً الحج في هذا العام ، تقبل الله منه[٤] .

وفيها : جاء كتاب[٥] القاضي الفاضل إلى الناصر يهنِّئه بوجود[٦] مولود ، وهو أبو سليمان داود ، وهو موفٍ[٧] لاثني عشر ذكراً ، وقد ولد له بعده عدة ذكور أيضاً ، فإنه توفي عن سبعة عشر ولداً ذكراً ، وابنة صغيرة ، وهي[٨] مؤنسة التي تزوجها ابن عمها الكامل محمد بن العادل[٩] كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالىٰ[١٠] .

وفي هذه السنة جرت فتنة[١١] عظيمة بين اليهود والعامة ببغداد ، وكانت بسبب أن مؤذِّناً أذَّن عند كنيسة اليهود ، فنال منه بعض اليهود بكلام أغلظ له فيه ، فشتمه[١٢] المسلم ، فاقتتلا ، فجاء المؤذِّن ، يشتكي منه إلى الديوان ، وتفاقم الحال ، وكثرت العوام ، وأكثروا الضجيج ، ولما كان يوم الجمعة[١٣] منعت العامة إقامة الخطبة في بعض الجوامع ، وخرجوا من فورهم ، فنهبوا سوق العطّارين الذي فيه اليهود ، وذهبوا إلى كنيسة اليهود فنهبوها ، ولم يتمكن الشرط من ردهم ، فأمر الخليفة بصلب بعض العامة ، فأخرج في الليل جماعة من الشطار من الحبس[١٤] ، فصُلبوا ، فظن كثير من الناس أن هذا كان بسبب هذه الكائنة ، فسكنت[١٥] الفتنة ، ولله الحمد .

---

(١) ب : عليهم لعائن الملك العلام .
(٢) ط : فدخل دمشق في رابع عشر شوال .
(٣) ب : بديار مصر .
(٤) ط : بمصر لأجل الحج .
(٥) ورد هذا الكتاب في الروضتين (١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) .
(٦) ليس في أ .
(٧) ط : وبه كمل له اثنى عشر ذكراً .
(٨) ط : اسمها .
(٩) هو أبو المعالي محمد ابن الملك العادل الملقب بالملك الكامل ناصر الدين . ولد سنة ٥٧٦هـ . وتملك الديار المصرية تحت جناح والده عشرين سنة ، وبعده عشرين سنة ، وتملك دمشق قبل موته بشهرين ، وتوفي سنة ٦٣٥هـ . مرآة الزمان (٨/ ٧٠٥) وذيل الروضتين (١٦٦) ووفيات الأعيان (٥/ ٧٩ ـ ٨٩) والعبر ـ بيروت (٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) .
(١٠) ب ، أ : كما سيأتي بيانه .
(١١) الحادثة في المنتظم (١٠/ ٢٧٥) وابن الأثير (٩/ ١٤٤) .
(١٢) ب : بعض كلام فسبه .
(١٣) ط : فلما حان وقت الجمعة .
(١٤) ط : من الشطار الذين كانوا في الحبوس وقد وجب عليهم القتل .
(١٥) ط : فسكن الناس .

وفيها : خرج وزير الخليفة عضد الدولة بن رئيس الرؤساء بن المسلمة قاصداً للحج ، وخرج الناس في خدمته ليودِّعوه ، فتقدم إليه ثلاثة من الباطنية في صورة فقراء ومعهم قصص ، فتقدم أحدهم ليناوله قصته فاعتنقه[١] وضربه بالسكين ضربات ، وهجم الثاني ، وكذا[٢] الثالث ، فهبَّروه ، وجرحوا جماعة من[٣] حوله ، وقتل الثلاثة من فورهم ، وحرقوا[٤] ، ورجع الوزير إلى منزله محمولاً ، فمات من[٥] يومه ، سامحه الله ولطف به . وقد كان تبع ولدي[٦] الوزير ابن هبيرة ومازال حتى قتلهما وأعدمهما ، [فسلط الله عليه من قتله][٧] ، وكما تدين تدان ، جزاءً وفاقاً ، [وما ربك بظلام للعبيد][٨] .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

صدقة بن الحسين ، أبو الفرج الحداد[٩] :

قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفقّه وأفتى ، وقال الشعر ، ونظر[١٠] في الكلام ، وناظر . وله تاريخ ذيَّل فيه على شيخه ابن الزاغوني[١١] ، وفيه غرائب وعجائب .

وقال ابن الساعي : كان شيخاً عالماً فاضلاً ، وكان فقيراً يأكل من أجرة النسخ ، وكان يأوي إلى مسجد ببغداد عند البدرية يؤمّ فيه ، وكان يتعتب على الزمان وبنيه . ورأيت ابن الجوزي في « المنتظم »[١٢] يذمّه ويرميه بالعظائم ، وأورد له من أشعاره ما فيه مشابهة لابن الراوندي[١٣] في الزندقة ،

---

(١) ليس في أ .
(٢) ط : وكذلك الثالث عليه .
(٣) عن ب وحدها .
(٤) ب : وجرحوا . وليست اللفظة في ط .
(٥) أ : في يومه .
(٦) ط : وهذا الوزير هو الذي قتل ولدي الوزير ابن هبيرة وأعدمهما .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ليست في ط .
(٩) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٧٦) وابن الأثير (٩/ ١٤٤) وأبو الفداء (٣/ ٦١) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٥٢٣ - ٥٢٤) وذيل ابن رجب (١/ ٣٣٩ - ٣٤٢) .
(١٠) ط : وقال .
(١١) سبقت ترجمته في حوادث سنة ٥٢٧ .
(١٢) المنتظم (١٠/ ٢٧٧ - ٢٧٨) .
(١٣) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي ، له مقالة في علم الكلام ونحو من ١١٤ كتاباً ، وله مناظرات ومجالس مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم . توفي في سنة ٢٤٥ وقيل ٢٥٠ وقيل في حدود الثلاثمئة . قال ابن عقيل : عجبي كيف لم يقتل وقد صنف الدامغ يدمغ به القرآن ، والزمردة يزري بها على النبوات . الفهرست (١٠٨) والمنتظم (٦/ ٩٩) ووفيات الأعيان (١/ ٩٤) والعبر - بيروت (١/ ٤٣٩) وفيه : الريوندي .

فالله أعلم . وكانت وفاته[١] في ربيع الآخر عن خمس وسبعين سنة ، ودفن بباب حرب . ورؤيت له منامات غير صالحة ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

محمد[٢] بن أحمد بن عبد الجبار ، أبو المظفر الحنفي المعروف بالمُشَطَّب[٣] :

كان من الفضلاء المشاهير ، تفقّه ودرّس وأفتى وناظر[٤] . توفي في هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين .

محمد بن أسعد بن محمد ، أبو منصور العطار المعروف بحَفَدة[٥] :

سمع الكثير ، وتفقه وناظر وأفتى ودرس . وقدم بغداد فمات بها في هذه السنة ، رحمه الله تعالىٰ[٦] .

محمود بن شهاب الدين الحارمي[٧] ، خال السلطان صلاح الدين :

كان من خيار الأمراء وشجعانهم ، وقد أقطعه ابن أخته حماة حين فتحها ، وقد حاصره الفرنج هناك[٨] هذه السنة ، وهو مريض ، ففتحوها ، وقتلوا بعض أهلها ، ثم تناخى أهلها فردّوهم خائبين ، ولله الحمد .

فاطمة بنت نصر بن العطار[٩] :

كانت من سادات النساء ، فإنها[١٠] من سلالة أخت صاحب المخزن[١١] ، وكانت من العابدات

---

(١) ط : توفي .
(٢) سقطت هذه الترجمة من ط .
(٣) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٧٩) وابن الأثير (٩/ ١٤٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٥٢٧) .
(٤) ب : تفقه وأفتى ودرس وناظر .
(٥) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٧٩) وتاريخ ابن الدبيثي (١/ ١٧٧) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٥٢٨) والعبر ـ الكويت (٢/ ٢١٣) ـ بيروت (٣/ ٦١) ومرآة الجنان (٣/ ٣٩١) وقد تقدم ذكره في هوامش سنة ٥٧١هـ .
(٦) ليست الجملة الدعائية في ط . وفي ب : والله أعلم .
(٧) أخباره في ابن الأثير (٩/ ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٢) والروضتين (١/ ٢٧٥) وأبو الفداء (٣/ ٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٥٣١) .
(٨) ليس في ب .
(٩) في ط : فاطمة بن نصر العطار ، وترجمتها في المنتظم (١٠/ ٢٧٩) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٥٢٦) .
(١٠) ط : وهي .
(١١) هو منصور بن نصر المعروف بابن العطار . سترد ترجمته وأخباره في حوادث سنة ٥٧٥ من هذا الجزء .

المتورِّعات المخدَّرات[١] ، يقال : إنها لم تخرج من منزلها سوى ثلاث مرات ، وقد أثنى عليها الخليفة وغيره ، والله[٢] أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمئة

فيها : ورد كتاب من القاضي الفاضل ، وهو بمصر[٣] ، إلى السلطان ، وهو بالشام[٤] ، يهنِّئه بسلامة أولاده الملوك الاثني عشر يقول [في بعضه][٥] :

« وهم بحمد الله بهجة الدنيا وزينتها[٦] ، وريحان[٧] الحياة وزهرتها ، وإن فؤاداً وسع فراقهم لواسع ، وإن قلباً قنع بأخبارهم لقانع ، وإن طَرْفاً نام على البعد عنهم[٨] لهاجع ، وإنَّ ملكاً تصبّره[٩] عنهم لحازم ، وإن نعمة الله فيهم لنعمة[١٠] بها العيش ناعم ، أما يشتاق جيد المولى أن يتطوّق[١١] بدُررهم . أما تظمأ عينه أن تُروى بنظرهم[١٢] ، أما يحنّ قلبه إلى قلبه[١٣] ، أما يلتقط ذلك الطائر بتقبيلهم[١٤] ما خرج من حبه ، وللمولى أبقاه الله أن يقول : [من الطويل]

وَمَا مِثْلُ هَذا[١٥] الشَّوْقِ تَحْمِلُ مُضْغَةٌ[١٦] وَلَكِــنَّ قَلْبِــي فــي الهَــوَى يَتَقَلَّــبُ[١٧]

(١) ليس في ب .
(٢) جملة : والله أعلم . عن ط وحدها .
(٣) ب : وهو بالديار المصرية ، وفي ط : من مصر .
(٤) ب : بالشام المحروس .
(٥) ليس في ط .
(٦) ط : بهجة الحياة وزينتها ، وريحانة القلوب والأرواح وزهرتها .
(٧) في الروضتين (٢/ ٣) : وريحانة .
(٨) أ : منهم ، والخبر في الروضتين (٢/ ٣) .
(٩) ط : صبره .
(١٠) أ : وأما نعمة الله فيهم فنقمة بها العيش ناعم . وفي ط : نعمة الله بهم .
(١١) ط : أن تطرّق .
(١٢) أ : أما يحن صادي طرفه أن يروى بنظرهم .
(١٣) ط : للقيّهم .
(١٤) ط : بفتيلهم وللمولى ، وفي أ : من خرج .
(١٥) ليس في ب .
(١٦) ب ، ط : يحمل بعضه .
(١٧) أ : بقلوب ، ب : مقلوب ، وفي الروضتين : متقلّب .

وفيها : أسقط السلطان الناصر[١] صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة ، وقد كان يؤخذ من حجاج المغرب[٢] شيء كثير ، ومن عجز عن أدائه حبس ، فربما فاته الوقوف بعرفة ، وعوّض أميرها بمال يقطعه[٣] بديار مصر ، وأن يحمل إليه في كل سنة ثمانية آلاف أردبّ غلة إلى مكة ، ليكون عوناً له ولأتباعه ورفقاً بما تيسر على المجاورين من ابتياعه ، وقرر[٤] للمجاورين أيضاً غلات ، تحمل إليهم وصلات ، رحمه الله في سائر الأوقات .

وفيها : عصى الأمير شمس الدين بن مقدم[٥] ببعلبك ، ولم يجئ إلى خدمة السلطان ، وهو نازل على ظاهر حمص ، وذلك أنه بلغه أن أخا[٦] السلطان توران شاه[٧] طلب بعلبك من السلطان[٨] فأطلقها له ، فامتنع من الخروج منها ابن مقدم[٩] حتى جاء السلطان بنفسه ، فحصره[١٠] فيها من غير قتال ، [فجاءت الأمطار والبَرَد ، فعاد إلى دمشق في رجب ، ووكل بالبلد من يحصره من غير قتال][١١] ، ثم عوّض ابن مقدم عنها بتعويض كثير خير مما كان بيده ، فخرج منها وتسلمها تورانشاه .

قال ابن الأثير[١٢] : وكان في هذه السنة غلاء شديد ، بسبب قلة المطر ، وعمّ العراق والشام وديار مصر ، واستمر إلى سنة خمس وسبعين ، فجاء المطر ، ورخصت الأسعار ، ثم عقب ذلك[١٣] وباءٌ شديد ، وعمّ البلاد مرضٌ واحد[١٤] وهو البرسام[١٥] ، فما ارتفع إلا في سنة ست وسبعين ، فمات في[١٦] ذلك الوباء خلق كثير ، وأمم لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم[١٧] .

---

(١) ليس في أ .
(٢) ط : الغرب .
(٣) ط : بمال أقطعه إياه بمصر .
(٤) ط : وقررت .
(٥) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٣ من هذا الجزء .
(٦) أ : أخاه .
(٧) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(٨) ط : منه .
(٩) ط : فامتنع ابن المقدم من الخروج منها .
(١٠) ب : فحصروه .
(١١) عن أ وحدها .
(١٢) ابن الأثير (٩/ ١٤٥) .
(١٣) أ ، ب : ولكن تعقب ذلك .
(١٤) ط : ومرض واحد وهو السرسام ، وهي رواية ابن الأثير .
(١٥) هو ذات الجنب ، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة . (المعجم الوسيط) .
(١٦) ط : بسبب ذلك .
(١٧) ط : إلا الله .

وفي رمضان منها[١] وصلت خِلع الخليفة إلى الملك صلاح الدين ، وهو بدمشق ، [وكانت سنية عظيمة جدًّا][٢] ، وزيد في ألقابه (معزّ أمير المؤمنين) ، وخلع أيضاً على أخيه تورانشاه[٣] ولُقب (بمصطفى أمير المؤمنين) .

وفيها : جهز [الملك صلاح الدين][٤] ابن أخيه فروخشاه[٥] بن شاهنشاه بن أيوب بين يديه لقتال الفرنج الذين قد عزموا على قتال المسلمين ، وعاثوا في نواحي دمشق [وقراها ، ونهبوا ما حولها وأرجاءها ، وأمره أن يداريهم حتى يتوسطوا البلاد ، ولا يقاتلهم حتى يقدم][٦] عليه ، فلما التقوا عاجلوه بالقتال ، فكسرهم ، وقتل من ملوكهم صاحب الناصرة والهنفري ، وكان من أكابر ملوكهم وشجعانهم ، لا ينهنهه اللقاء ، فكبته الله في هذه الغزوة ، وركب السلطان صلاح الدين في إثر ابن أخيه فما وصل إلى الكسوة حتى تلقته الرؤوس على الرماح ، والغنائم والأسارى والأرماح[٧] ، والجيش في سُمْره وبيضه من المشارف والصفاح .

وفي هذه السنة بنت الفرنج ، لعنهم الله ، قلعة عند بيت الأحزان للداوية[٨] فجعلوها مرصاداً لحرب المسلمين ، وقطع طرقاتهم عليهم[٩] ، ونقضت ملوكهم العهود التي كانت بينهم وبين صلاح الدين . وأغاروا على نواحي البلدان من كل جانب ، ليشغلوا المسلمين عنهم ، وتتفرق[١٠] جيوشهم في بقعة واحدة ، فرتب السلطان ابن أخيه تقي الدين عمر[١١] بثغر حماة ، ومعه شمس الدين بن مقدم[١٢] ،

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) ليس في ط .
(٣) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(٤) مكانهما في ط : الناصر .
(٥) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٨ من هذا الجزء .
(٦) ليس في ب .
(٧) عن ب وحدها .
(٨) الاستبار والداوية أو الديوية جماعتان من الفرنج كان لهما دور هام في الحروب الصليبية ، فهم يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون أنفسهم من النكاح وغيره ولهم أموال وسلاح ولا طاعة لأحد عليهم ، وكان المسلمون يحرصون على قتلهم لشدة عدائهم للمسلمين وشجاعتهم ، وإذا تميز بينهم أحد أفرادهم بعقل أو شجاعة قدموه عليهم أميراً . وبنوا لأنفسهم قلاعاً وحصوناً في جميع المناطق التي احتلها الفرنج ، معجم البلدان (الحصن) وابن الأثير (٩/١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٦) ووفيات الأعيان (٣/٤١٨) .
(٩) ط : فجعلوها مرصداً لحرب المسلمين وقطع طريقهم .
(١٠) ط : وتفرقت .
(١١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .
(١٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٣ من هذا الجزء .

وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب[١] . وبثغر حمص ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه[٢] ، وبعث إلى أخيه سيف الدين أبي بكر ، وهو الملك العادل[٣] نائب مصر يأمره أن يرسل إليه بألف وخمسمئة فارس[٤] يستعين بهم على قتال الفرنج . وكتب إلى الفرنج يأمرهم بتخريب هذا الحصن الذي بنوه للداوية ، فامتنعوا إلا أن يبذل لهم ما غرموه عليه ، فبذل لهم ستين ألف دينار ، فلم يقبلوا ، ثم أوصلهم[٥] إلى مئة ألف دينار فأبوا ، فقال له ابن أخيه تقي الدين عمر : ابذل هذه في أجناد[٦] المسلمين ، وسر إلى هذا الحصن فخرِّبه[٧] ، ففعل ذلك ، فكان كذلك[٨] في السنة الآتية كما[٩] سنذكره بعدُ إن شاء الله .

وفيها : أمر الخليفة المستضيء[١٠] بكتابة لوح على قبر الإمام أحمد[١١] بن حنبل[١٢] فيه آية الكرسي ، وبعدها : هذا قبر تاج السُّنَّة ، وحيد الأمة[١٣] ، العالي الهمة ، العالم العابد ، الفقيه الزاهد ، وذكر[١٤] تاريخ وفاته رحمه الله تعالى[١٥] .

وفيها : احتيط ببغداد على شاعر ينشد للروافض[١٦] ، يقال له ابن قرايا[١٧] يقف في الأسواق ويذكر أشعاراً يضمنها ذم الصحابة ، [رضي الله عنهم][١٨] ، وسبَّهم وتجويرهم ، وتهجين من أحبهم . فعُقد له

---

(١) ط : بنواحي البقاع وغيرها ، وسترد ترجمة المشطوب في حوادث سنة ٥٨٨ من هذا الجزء .
(٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨١ من هذا الجزء .
(٣) تقدمت ترجمته في هوامش سنة ٥٧٢ .
(٤) ط : وبعث إلى أخيه الملك أبي بكر العادل نائبه بمصر أن يبعث إليه ألفاً وخمسمئة فارس .
(٥) أ : فوصلهم ، وفي ب : ووصلهم .
(٦) ط : ابذل هذا . وفي أ : جنود .
(٧) ليست في أ .
(٨) ط : فأخذ بقوله في ذلك وضربه .
(٩) ب : نذكره .
(١٠) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٥ .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٣ من هذا الجزء .
(١٣) ط : وحبر الأمة . والخبر في المنتظم (١٠/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) .
(١٤) ط : وذكروا .
(١٥) ليس في ب .
(١٦) ليس في ط .
(١٧) المنتظم (١٠/ ٢٨٣) : أبو السعادات ابن قرايا .
(١٨) عن أ وحدها .

مجلس بأمر الخليفة المستضيء[١] ، واستنطق[٢] ، فإذا هو رافضي خبيث داعية[٣] ، جلدٌ ، فأفتى الفقهاءُ بقطع لسانه ويده[٤] ، ففعل به ذلك ، ثم اختطفته العامة ، فما زالوا يرمونه بالآجر ، حتى ألقى نفسه في دجلة ، فاستخرجوه منها ، وقتلوه حتى مات . فأخذوا شريطاً ، وربطوه في رجليه[٥] ، وطوَّفوا به في البلد يجرجرونه في أكنافها ، ثم ألقوه في بعض الأُتونات[٦] مع الآجر والكلس ، وعجز الشرط عن تخليصه منهم .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أسعد بن يَلْدرك أبو أحمد الجِبْريلي[٧] :

سمع الحديث ، وكان شيخاً ظريفاً ، حسن المذاكرة ، جيد النادرة ، سريع المبادرة[٨] . توفي في هذه السنة عن مئة سنة وأربع سنين ، رحمه الله تعالىٰ .

محمد بن نسيم بن عبد الله ، أبو عبد الله الخياط عتيق الرئيس أبي الفضل بن عَيْشون[٩] :

سمع الحديث ، وقارب الثمانين ، سقط من درجة ، فمات . قال أنشدني مولى والدي يعني ابن أعلى الحكيم ، أبو الفضل بن[١٠] عيشون : [من الكامل]

القَارِئُ التَّشْريحَ[١١] أَجْدَرُ بالتُّقَى ... مِـنْ راهـبٍ فـي دَيْـرِهِ مُتَقَـوِّسِ
وَمُراقِبُ[١٢] الأَفْلاكِ كانَتْ نَفْسُهُ ... بِعِبـادَةِ الـرَّحْمـٰـنِ أَحْـرَى الأَنْفُـسِ

---

(١) عن ب وحدها .
(٢) ب : فاستنطق ، وفي ط : ثم استنطق .
(٣) ب : رافضي خبيث داعية جلد . وفي أ : رافضي جلد داهية .
(٤) ط : يديه .
(٥) ط : رجله .
(٦) ط : وجروه على وجهه حتى طافوا به البلد وجميع الأسواق ثم ألقوه في بعض الأتونة .
(٧) ترجمته في تاريخ ابن الدبيثي ، الورقة ٢١٢ (مصورة الدكتور بشار عن نسخة الشهيد علي باشا) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٥٣٥) والعبر (٤/ ٢١٩) ـ بيروت (٣/ ٦٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٨٤) والشذرات (٤/ ٣٤٦)
(٨) ب : ظريفاً حسن المذاكرة جيد البادرة ، وفي ط : ظريف المذاكرة جيد المبادرة .
(٩) جاءت هذه الترجمة في ب ، ط بعد ترجمة الحيص بيص في آخر السنة وترجمته في تاريخ الإسلام (١٢/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥) والعبر (٤/ ٢٢١) ـ بيروت (٣/ ٦٦) ونسبته فيهما : العيشوني .
(١٠) ط : أنشدني مولى الدين يعني ابن علام الحكيم بن عبسون .
(١١) ط : القارئ المخزون .
(١٢) ب : ومراكب .

والمَاسِحُ الأَرْضِينَ وَهِي رَحيبةٌ[١] أَوْلَى بِمَسْحٍ فـي أَكُـفِّ اللُّمَّـسِ[٢]
أَوْلَى بخِيفَـةِ[٣] رَبِّـهِ مِـنْ جَـاهِـلٍ بِمُثَلَّـثٍ وَمُـرَبَّـعٍ وَمُخَمَّـسِ

الحَيْصَ بَيْصَ[٤] سعد بن محمد بن سعد، شهاب الدين، أبو الفوارس الصَّيْفي الشاعر[٥] المعروف بـ «حَيْصَ بَيْص»: له ديوان[٦] شعر مشهور. وكانت وفاته في يوم الثلاثاء خامس شعبان من هذه السنة، وله ثنتان وثمانون سنة، وصُلّي عليه بالنظامية، ودفن بباب التبن[٧]، ولم يعقب. ولم يكن له في المراسلات بديل، كان يتقعَّر فيها، ويتفاصح جدًّا، فلا تواتيه إلا وهي مغربة[٨]، وكان يزعم أنه من بني تميم[٩]، فسئل أبوه عن ذلك، فقال: ما سمعته إلَّا منه، فقال بعض الشعراء يهجوه فيما ادَّعاه من ذلك[١٠]: [من الخفيف]

كَمْ تَبَادَى[١١] وَكَمْ تُطَوِّلُ[١٢] طرطو رَكَ[١٣]!! ما فِيكَ[١٤] شَعْرَةٌ مِنْ تَمِيمِ
فَكُلِ الضَّبَّ وَابْلَعِ[١٥] الحَنْظَلَ اليَا بِسَ واشْرَبْ مَا شِئْتَ بَوْلَ الظَّلِيمِ
لَيْسَ ذَا وَجْـهُ مَـنْ يُضِيـفُ وَلَا يُقْـ ـرِي وَلَا يَـدْفَـعُ الأَذَى عَـن حَـرِيـمِ

(١) ط: فسيحة.
(٢) ليس هذا البيت في ب.
(٣) ط: أولى بخشية.
(٤) ترجمته في المنتظم (١٠/ ٢٨٨) والخريدة - قسم العراق - (١/ ٢٠٢) ومعجم الأدباء (١١/ ١٩٩ - ٢٠٧) وابن الأثير (٩/ ١٤٦) وطبقات الأطباء (١/ ٢٨٣) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٦٢ - ٣٦٥) وأبو الفداء (٣/ ٦١) والعبر (٤/ ٢١٩) - بيروت (٣/ ٦٥) ومرآة الجنان (٣/ ٣٩٩ - ٤٠٠) وطبقات السبكي (٤/ ٢٢١).
(٥) بعدها في ب: المعروف بالحيص بيص.
(٦) طبع هذا الديوان في جزأين في بغداد سنة ١٩٧٤م.
(٧) باب التبن: محلة كانت ببغداد على الخندق بإزاء قطيعة أم جعفر، وبها قبر الإمام أحمد، ولصقها مقابر قريش، وبها قبر موسى الكاظم ويعرف قبره بمشهد باب التبن، ويعتقد لسترنج أن مقبرة قريش ومقبرة باب التبن ومقبرة الشونيزي ومقبرة الكاظميين كلها كانت أقساماً من مدفن واحد يمتد مساحات واسعة وراء حدود المدينة. معجم البلدان، خطط بغداد (٢٠٧).
(٨) أ، ط: معجرفة.
(٩) ب: من تميم، وفي وفيات الأعيان (٢/ ٣٦٥): ويزعم أنه من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب.
(١٠) الأبيات في وفيات الأعيان (٢/ ٣٦٤).
(١١) ب: تنادا.
(١٢) ب، ط: تطيل.
(١٣) ب: الطيراطير.
(١٤) ب، ط: وما فيك. ولا يستوي بها الوزن.
(١٥) ط والوفيات: واقرط.

ومن شعر الحيص بيص [المستجاد قوله[١] : [من المنسرح]

سَلامَةُ المَرْءِ سَاعَةٌ عَجَبُ وَكُــلُّ شَــيْءٍ لِحَتْفِــهِ سَبَــبُ
يَفِــرُّ والحــادِثــاتُ تَطْلُبُــهُ يَفِـرُّ منها وَنَحْـوَهـا الهَـرَبُ
وَكَيْــفَ يَبْقَــى عَلَــى تَقلُّبِــهِ مُسَلَّمـاً مِـنْ حَيـاتِـهِ العَطَـبُ

ومن شعره أيضاً قوله[٢] : [من السريع]

[لا تَلْبَسِ الدَّهْرَ عَلَى غِرَّةٍ فَمَا لِمَوْتِ الحيِّ مِنْ بُدِّ][٣]
ولا يُخَـادِعْـكَ طَـويـلُ البَقَـا فَتَحْسبَ الطُّولَ مِنَ الخُلْدِ[٤]
يَقْــرِبُ مَــا كَــانَ لَــهُ آخِـرٌ مـا أَقْـرَبَ المَهْـدَ مِـنَ اللَّحْـدِ

ويقرب من هذا قول صاحب العقد، وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي[٥] في عقده[٦] :

ألا إِنَّمــا الــدُّنْيـا غضَــارَةُ أَيْكَـةٍ إِذا اخْضَرَّ منها جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
وَمَا الدَّهْرُ والآمالُ إِلَّا فَجَائِعٌ عَلَيْهَـا وَمَـا اللَّـذَّاتُ إِلَّا مَصَـائِـبُ
فَـلَا تَكْتَحِـلْ عَيْنـاكَ فِيهَـا بِعَبْـرَةٍ عَلَـى ذَاهِـبٍ مِنْهـا فَـإِنَّـكَ ذَاهِـبُ

وقد ذكر السمعاني[٧] أبو سعد حيص بيص هذا في ذيله[٨] ، وأثنى عليه ، وسمع عليه ديوانه ورسائله .

وأثنى على رسائله القاضي ابن خلكان[٩] ، وقال : كان فيه تِيه وكبر[١٠] ، وكان لا يتكلم إلا مغرباً ،

---

(١) مكانهما في ط : الجيد .
(٢) عن أ وحدها .
(٣) ليس في ب .
(٤) ط : فتحسب التطويل من خلد .
(٥) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي الأندلسي الأموي ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن هشام ابن عبد الملك بن مروان . ولد سنة ٢٤٦هـ . كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس . وصنف كتابه العقد الفريد ، وهو من الكتب الممتعة ، حوى من كل شيء . وله ديوان شعر . توفي سنة ٣٢٨هـ . ترجمته وأخباره في معجم الأدباء (٤/ ٢١١) ووفيات الأعيان (١/ ١١٠ ـ ١١٢) .
(٦) الأبيات في العقد الفريد (٣/ ١٧٥) مختلفة الرواية والعدد ، فهي فيه أربعة بزيادة البيت التالي بعد الثاني :
فكم سخنتْ بالأمس عينٌ قريرةٌ وقرّت عيونٌ دمعها اليوم ساكبُ
(٧) عن ب وحدها .
(٨) من هذا الذيل قطعة صغيرة مختصرة لابن منظور في كلية ترينتي بجامعة كمبردج رقم : (R13, 66) .
(٩) الوفيات (٢/ ٣٦٣) .
(١٠) ط ، والوفيات : تيه وتعاظم .

وكان فقيهاً ، شافعي المذهب ، واشتغل بالخلاف وعلم النظر ، ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر ، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغاتهم .

قال[١] : وإنما قيل له : الحيص بيص ، لأنه رأى الناس في حركة واختلاط ، فقال : ما للناس في حيص بيص ، أي : في شدة وهرج ، فغلبت عليه هذه الكلمة ، وكان يزعم أنه من ولد أكثم بن صيفي طبيب العرب ، ولم يترك عقباً . كانت له حوالة بالحلة ، فذهب يتقاضاها[٢] ، فتوفي ببغداد في هذه السنة ، رحمه الله تعالىٰ .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمئة

وفيها : كانت وقعة مرج عيون .

استهلّت هذه السنة ، والسلطان صلاح الدين الناصر[٣] نازل بجيشه على تلّ القاضي ببانياس ، ثم قصده الفرنج بقضِّهم وقضيضهم[٤] ، فنهض إليهم [نهوض الأسد ، فالتقاهم][٥] ، فما هو إلا أن تواجه[٦] الفريقان ، واصطدم الجيشان[٧] ، حتى أنزل الله نصره ، وأعز جنده ، [وهزم الأعداء وحده][٨] ، ففرَّت[٩] ألوية الصلبان ذاهبة ، وخيل الله لرقابهم[١٠] راكبة ، فقتل منهم خلق كثير ، [وجم غفير][١١] ، وأسر من ملوكهم جماعة ، وأنابوا إلى السمع والطاعة ، منهم مقدم الدَّاوية ، ومقدم الاستبارية ، وصاحب الرملة ، وصاحب طبرية ، وقسطلان يافا ، وآخرون من ملوكهم ، وخلق من شجعانهم وأبطالهم ، ومن فرسان القدس جماعة كثيرة ، قريباً[١٢] من ثلاثمئة أسير ، من أشراف النصارى ، فصاروا يَتَهَادَوْن[١٣] في قيودهم كأنهم سُكارى ، وما هم بسُكارى .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٣٦٥) .
(٢) ليس في ب .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) مكانهما في ط : بجمعهم .
(٥) ليس في ط . وفي ب : نهوض الروايا تحب ذات الصلاصل فالتقاهم .
(٦) ط : التقى .
(٧) ط : الجندان .
(٨) ليس في ط .
(٩) ب ، ط : فولت .
(١٠) ط : لركابهم .
(١١) ليس في ط .
(١٢) ب ، ط : كثيرون تقريباً .
(١٣) ط : من أشرافهم فصاروا يهانون .

قال العماد الكاتب : فاستعرضهم السلطان في الليل إلى أن[(١)] أضاء الفجر عن الظلماء ، وصلّى يومئذ الصبح بوضوء العشاء ، وقد كان السلطان جالساً ليلتئذ في نحو العشرين ، [وهم في هذه العدة][(٢)] فسلمه الله تعالىٰ منهم ، ولله الحمد رب العالمين .

ثم أرسل بهم[(٣)] إلى دمشق ليعتقلوا بقلعتها ، وليكونوا في كنف دولتها ، فافتدى ابن البارزاني[(٤)] صاحب الرملة نفسه [بعد سنة][(٥)] بمئة ألف دينار [وخمسين ألف دينار][(٦)] صورية ، وإطلاق ألف أسير من بلاده ، فأجيب إلى ذلك . وكذا افتدى جماعة منهم أنفسهم بأموال جزيلة ، وتحف جليلة ، ومنهم من مات في السجن ، فانتقل منه إلى سِجِّين ، وهكذا يفعل الله[(٧)] بالكافرين .

واتّفق أنه في اليوم الذي ظفر فيه السلطان على الفرنج بمرج عيون هذا ، ظهر الأسطول [على] بطسة[(٨)] للفرنج في البحر ، وأخرى معها ، فغنموا منها ألف رأس من السبي ، وعاد إلى الساحل مؤيداً منصوراً .

وقد امتدح الشعراء السلطان في هذه الغزوة بمدائح كثيرة ، وكتب بذلك إلى بغداد ، فدقّت البشائر بها فرحاً وسروراً بظهور المسلمين على أعداء الله[(٩)] المجرمين .

وكان الملك المظفر تقي الدين عمر[(١٠)] غائباً عن هذه الوقعة مشتغلاً بما هو أعظم[(١١)] منها . وذلك أن ملك الروم قرارسلان[(١٢)] بعث يطلب حصن رَعْبَان[(١٣)] ، وزعم أن نور الدين اغتصبه منه ، وأن ولده قد

---

(١) ب ، ط : حتى .
(٢) ط : الفرنج كثير .
(٣) ط : أرسلهم .
(٤) هو بادين بن بارزان .
(٥) ليس في ب .
(٦) ليس في ب .
(٧) ب : هكذا يفعل الله تعالىٰ بكل من أخرج عن أمره من الكافرين .
(٨) البطسة : نوع من السفن الحربية الكبيرة ، وفي تاريخ الإسلام : « ظفر أسطول مصر ببطستين ، وأسروا ألف نفس » (١٢/ ٤٧٣) (بشار) .
(٩) أ : أعداء الله الملحدين .
(١٠) ستردُ ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .
(١١) ط : أعظم منه .
(١٢) كذا في الأصلين ، وفي ط : قرار سلان ، وفي الروضتين (٢/ ٩) : قليج أرسلان ، وفي ابن الأثير (٩/ ١٤٨) : قلج أرسلان ، وسترد ترجمة قلج أرسلان في حوادث سنة ٥٨٨ من هذا الجزء .
(١٣) ط : رعنان ، وأ : رعيان ، وكلاهما تصحيف ، ورَعْبان : قلعة تحت جبلٍ في الثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات . معجم البلدان .

أغضى[١] له عنه ، [فلم يجبه السلطان تقي الدِّين عمر إلى ذلك ، فبعث صاحب الروم][٢] عشرين ألف مقاتل يحصرونه ، فأرسل السلطان تقيَّ الدين عمر في ثمانمئة فارس ، منهم سيف الدين علي بن أحمد المشطوب[٣] ، فالتقوا بهم ، فهزموهم[٤] بإذن[٥] الله تعالىٰ . واستقرت يد الملك[٦] صلاح الدين على حصن رعبان ، وقد كان مما عُوض به ابن المقدم[٧] عن بعلبك . وكان تقي الدين عمر يفتخر بهذه الوقعة ، ويرى أنه قد هزم عشرين ألفاً ، وقيل : ثلاثين ألفاً ، بثمان مئة فارس . وكان السبب في ذلك أنه بيَّتَهم وأغار عليهم ، وهم غارون ، فما لبثوا أمامه ، بل فروا منهزمين عن آخرهم فأكثر فيهم القتل ، واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم ، ويقال : إنه أصابهم[٨] يوم كسر السلطان الفرنج بمرج عيون ، والله أعلم .

تخريب حصن بيت[٩] الأحزان[١٠] قريب من صفد

ثم ركب السلطان في جحافله إلى الحصن الذي كانت الفرنج قد بنوه في العام الماضي وحفروا فيه بئراً ، وجعلوه لهم عيناً ، وسلموه إلى الداوية ، فقصده السلطان ، فحاصره ، ونقبه من جميع جهاته ، وألقى فيه النيران ، فجعله دكاً ، وخرّبه إلى الأساس ، وغنم ما فيه[١١] من الحواصل ، فكان فيه مئة ألف قطعة من السلاح ، ومن المأكل شيء كثير ، وأخذ منه سبعمئة أسير ، فقتل بعضاً ، وأرسل إلى دمشق الباقين[١٢] ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، غير أنه مات من أمرائه عشرة ، بسبب ما نالهم من الحر والوجاء في مدة الحصار ، وكانت أربعة عشر[١٣] يوماً ، وعاد الناس إلى زيارة مشهد يعقوب على العادة القديمة[١٤] .

---

(١) ط : عصى ، وفي الروضتين (٢/ ١٩) : وإن الملك الصالح ولده قد أنعم عليه به ورضي بعوده إليه .
(٢) ليس في ب .
(٣) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٨ من هذا الجزء .
(٤) أ : فهزمهم .
(٥) ليس في أ .
(٦) ليس في ط .
(٧) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٣ من هذا الجزء .
(٨) ط : كسرهم .
(٩) عن ب وحدها .
(١٠) بيت الأحزان : بلد بين دمشق والساحل ، سمي بذلك لأنهم زعموا أنه كان يسكنه يعقوب عليه السلام أيام فراقه ليوسف عليه السلام . وكان الافرنج عمّروه وبنوا به حصناً حصيناً ، ففتحه صلاح الدين وأخربه . معجم البلدان .
(١١) ط : وغنم جميع ما فيه .
(١٢) ط : الباقي .
(١٣) أ : (وعشرين) وفوقها حرف طاء إشارة إلى خطأ الرواية .
(١٤) ط : ثم إن الناس زاروا مشهد يعقوب على عادتهم .

وقد امتدحه الشعراء فقال بعضهم[(١)] : [من الطويل]

بِجِـدِّكَ أَعْطَـافُ القَنَـا تَتَعَطَّـفُ[(٢)] وَطَـرْفُ الأَعَـادِي دُونَ مَجْـدِكَ يَطْـرِفُ
شِهابُ هُدىً في ظُلْمَةِ الشِّرْكِ[(٣)] ثاقِبٌ وَسَيْـفٌ إِذا مـا هَـزَّهُ اللهُ مُـرْهَـفُ[(٤)]
وَقَفْـتَ عَلَـى حِصْـنِ المَخَـاضِ وَإِنَّـهُ لَمَـوْقِـفُ حَـقٍّ لا يُـوازِيـهِ مَـوْقِـفُ
فَلَـمْ يَبْـدُ وَجْـهُ الأَرْضِ بَـلْ حَـالَ دُونَـهُ رِجَـالٌ كـآسـادِ الشَّـرَى وَهْـيَ تَـزْحَـفُ
وَجَـرْداءُ سُلْهُـوبٌ[(٥)] وَدِرْعٌ مُضَـاعَـفٌ وَأَبْيَـضُ هِنْـدِيٌّ وَلَـدْنٌ مُثَقَّـفُ[(٦)]
وَمَا رَجَعَتْ أَعْلامُكَ الصُّفْرُ[(٧)] ساعَةً إِلـى أَنْ غَـدَتْ أَكْبَادُها السُّودُ تَـرْجُـفُ
كَبـا مـن أَعـاليـه[(٨)] صَلِيـبٌ وبيعَـةٌ وَشَـادَ بِـهِ دِيـنٌ حَنِيـفٌ ومُصْحَـفُ
صَلِيبَـةُ عُبَّـادِ الصَّلِيـبِ وَمَنْـزِلُ النِّـ ـزَالِ[(٩)] لَقَـدْ غَـادَرْتَـهُ وَهُـوَ صَفْصَـفُ
أَيَسْكُـنُ[(١٠)] أَوْطَـانَ النَّبِيِّـينَ عُصْبَـةٌ تَميـنُ لَـدَى أَيْمَـانِهـا وَهْـيَ تَحْلِـفُ
نَصَحْتُكُم والنُّصْحُ في الدِّينِ[(١١)] واجِبٌ ذَروا بَيْـتَ يَعْقُـوبٍ فَقَـدْ جَـاءَ يُـوسُـفُ

وقال شاعر آخر وأجاد : [من المتقارب]

هَـلاكُ الفِـرَنْـجِ أَتَـى عَـاجِـلاً وَقَـدْ آنَ تَكْسِيـرُ صُلْبَـانِهـا
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ دَنا حَتْفُهَا لَمَا عَمَّرَتْ بَيْتَ أَحْزانِها[(١٢)]

---

(١) الأبيات في الروضتين (٢/ ١١ ـ ١٢) منسوبة إلى ابن الساعاتي ، والبيتان الأخيران منها في ابن الأثير (٩/ ١٤٧) . وهو أبو الحسن علي بن رستم ـ وفي بعض المصادر : علي بن محمد بن رستم ـ المعروف بابن الساعاتي الملقب بهاء الدين الدمشقي الشاعر المشهور . له ديوان شعر مطبوع ، وله ديوان آخر سمّاه (مقطعات النيل) . توفي سنة ٦٠٤ والخبر مع الشعر في مرآة الزمان (٨/ ٣٧٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٣٩٥) والعبر (٥/ ١١) ـ بيروت (٣/ ١٣٧) .

(٢) ط : قد تعطف .

(٣) ط : ظلمة الليل ، والروضتين : ظلمة الشك .

(٤) رواية الروضتين : وسيف هدى في طاعة الله مرهف .

(٥) ط : وجرد سلاهبة .

(٦) ط : ولدن مهفهف .

(٧) ط : البيض .

(٨) ط : كنائس أغياد . تصحيف .

(٩) ط : صليب وعباد الصليب ومنزل لمنوال .

(١٠) ط : أتسكن .

(١١) في الروضتين : والدين في النصح .

(١٢) البيتان عند ابن الأثير منسوبين إلى صديقه النشو بن نفادة ، وفي الروضتين (٢/ ١١) : منسوبين إلى نشو الدولة أحمد بن نفادة الدمشقي .

من كتاب[١] فاضلي إلى بغداد في وصف هذا الحصن الذي خرَّبه صلاح الدين ، [نصره الله][٢] :

(وقد[٣] عُرِّضَ حائطه إلى أن زاد على عشرة أذرع ، وقطعت له عظام الحجارة ، كل فص منها من سبعة أذرع إلى ما فوقها وما دونها ، وعدتها تزيد على عشرين ألف حجر ، لا يستقر الحجر في مكانه ، ولا يستقل في بنيانه إلا بأربعة دنانير فما فوقها . وفيما بين الحائطين حشو من الحجارة الصمِّ ، المرغم بها أنوف الجبال الشم . وقد جعلت تسقيته بالكلس الذي إذا أحاطت قبضته بالحجر مازجه بمثل جسمه ، وصاحبه بأوثق وأصلب من جرمه ، وأوعز إلى خصمه من الحديد بألَّا يتعرض لهدمه) .

وفي هذه السنة أقطع السلطان الناصر صلاح الدين لابن أخيه عز الدين فروخشاه [بن شاهنشاه بن أيوب][٤] مدينة بعلبك ، وأغار فيها على صفد[٥] وأعمالها ، فقتل طائفة كبيرة[٦] من مقاتلتها[٧] ورجالها . وكان فروخشاه من الصناديد الأبطال والشجعان المشهورين المشكورين في النِّزال .

وفيها : حج القاضي الفاضل من دمشق وعاد إلى مصر فقاسى في الطريق أهوالًا ، ولقي بَرحاً وتعباً وكلالًا ، وكان في العام الماضي قد حج من مصر وعاد إلى الشام ، ولكن كان أمره فيه أسهل من هذا العام .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة انهدم بسببها قلاع وقرى ، وخلق كثير من الورى ، وسقط من رؤوس الجبال صخور كبار ، فصادمت[٨] بين الجبال في البراري[٩] والقفار[١٠] ، مع بُعد ما بين الجبال من الأقطار[١١] .

وفيها : أصاب الناس غلاءٌ شديد ، وفناءٌ[١٢] حصيد[١٣] ، وجهدٌ جهيد[١٤] ، فمات

---

(١) ب : ومن كتاب الفاضل إلى بغداد في فضل هذا الحصن ، وفي ط : من كتاب كتبه القاضي الفاضل إلى بغداد في خراب هذا الحصن وقد قيس عرض حائطه .
(٢) عن ب وحدها .
(٣) ثمة خلافات كثيرة في رواية كتاب الفاضل في ط أعرضت عنها .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : على صفت .
(٦) ب : كثيرة .
(٧) ط : مقاتليها .
(٨) أ : وصارت ، والخبر في الروضتين (٢/ ١٦) .
(٩) أ ، ب : البرية .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) في هامش أ التعليقة التالية : إنما كذب لأجل السجع فلا قوة إلا بالله .
(١٢) ليس في أ .
(١٣) ط : وفناء شريد .
(١٤) بعدها في أ : أيضاً .

كثير من الخلائق[١] بهذا وهذا ، ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ذكر[٢] وفاة الخليفة[٣] المستضيء[٤] بأمر الله [رحمه الله تعالىٰ][٥] وذكر شيء من ترجمته :

كان ابتداء[٦] مرضه في أواخر شوال من هذه السنة . فأردات زوجته أن تكتم ذلك ، فلم يمكنها ووقعت فتنة كبيرة[٧] ببغداد ، ونهبت العامة[٨] دوراً كثيرة ، وأموالاً جزيلة .

فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال خُطب لولي العهد أبي العباس أحمد بن المستضيء وهو الخليفة الناصر لدين الله ، وكان يوماً مشهوداً ، نثر الذهب فيه[٩] على الخطباء والمؤذِّنين ومن حضر ذلك عند ذِكره على المنبر ، والتنويه باسمه في العشر[١٠] .

فلما كان يوم السبت سلخ شوال مات الخليفة المستضيء بأمر الله ، وكان مرضه بالحمى ، ابتدأ بها[١١] في يوم عيد الفطر ، ولم يزل الأمر يتزايد به حتى استكمل في مرضه شهراً ، فمات رحمه الله سلخ شوال ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة . وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً ، وغُسّل ، وصُلّي عليه من الغد ، ودفن بدار النصر التي بناها ، وذلك عن وصيته التي أوصاها .

وترك من بعده ولدين :

أحدهما : ولي العهد[١٢] وهو عدَّة الدين والدنيا[١٣] أبو العباس أحمد الناصر لدين الله .

والآخر : أبو منصور هاشم[١٤] .

---

(١) ط : فمات خلق كثير .
(٢) ليس في ط .
(٣) ليس في ب .
(٤) ترجمته وأخباره في ابن الأثير (٩/١٤٨ ـ ١٤٩) ومرآة الزمان (٨/٣٥٦) والروضتين (٢/١٥ ـ ١٦) ووفيات الأعيان (٤/ ٤٧٠) وأبو الفداء (٣/ ٦٢) والعبر (٤/ ٢٢٣) ـ بيروت (٣/ ٦٨) والفخري (٢٥٧) وفوات الوفيات (١/ ٣٧٠) ومرآة الجنان (٣/ ٤٠١) وتاريخ الخميس (٢/ ٣٦٦) .
(٥) جاءت في ب آخر العنوان ، وسقطت من ط .
(٦) بعدها في أ : الجهد .
(٧) ب : عظيمة .
(٨) ط : العوام .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ط : عند ذكر اسمه على المنبر .
(١١) ط : فيها .
(١٢) ط : ولي عهده .
(١٣) ب ، ط : عدة الدنيا والدين .
(١٤) يذكر ابن الأثير في (٩/ ١٦٠) أنه توفي سنة ٥٧٨هـ .

وقد وزر له جماعة من الرؤساء ، وكان من خيار الخلفاء ، أمّاراً [بالمعروف ، نهّاءً][١] عن المنكر ، وضع عن الناس المكوسات والضرائب ، ودرأ عنهم البدع والمصائب . وكان حليماً وقوراً كريماً . فرحمه الله تعالىٰ وبلَّ بالرحمة[٢] ثراه ، وجعل الجنة مأواه .

وبويع بالخلافة من بعده للخليفة الناصر ولده[٣] .

ومن توفي[٤] فيها من الأعيان :

إبراهيم بن علي ، أبو إسحاق السلمي الفقيه الشافعي المعروف بابن الفراء الآمدي[٥] ثم البغدادي :

كان فقيهاً بارعاً فاضلاً مناظراً فصيحاً بليغاً شاعراً مطبقاً . توفي عن أربع وسبعين سنة . وصلّى عليه أبو الحسن[٦] القزويني مدرس النظامية ، [رحمه الله تعالىٰ][٧] .

إسماعيل بن موهوب[٨] بن محمد بن أحمد بن الخضر ، أبو محمد الجواليقي[٩] الملقب[١٠] حجة الإسلام :

أحد أئمة اللغة في زمانه ، والمشار إليه من بين أقرانه ، بحسن الدين ، وقوة اليقين ، وعلم اللغة والنحو ، وصدق اللهجة ، وخلوص النية ، وحسن السيرة في مرباه ومنشئه ومنتهاه . وقد[١١] سمع الحديث ورواه[١٢] ، وفهم[١٣] الأثر واتبع سبيله ومغزاه[١٤] ، فرحمه الله ، وأكرم مثواه .

---

(١) ط : آمراً . . ناهياً . . مزيلاً . . مبطلاً للبدع .
(٢) ليس في أ .
(٣) ط : من بعده لولده الناصر .
(٤) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(٥) ط : « الأموي » محرف ، وما هنا من أ ، ويعضده قول المؤلف : ثم البغدادي ، وترجمته في تاريخ ابن الدبيثي (الورقة ٢١٩ شهيد علي) ، وتاريخ الإسلام (١٢/ ٥٤٨) (بشار) .
(٦) سيرد في حوادث سنة ٥٩٠ أحمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني ، ولكن كنيته أبو الخير أبو الحسن ، فلعل ما هنا تصحيف .
(٧) عن أ وحدها .
(٨) ترجمته في معجم الأدباء (٧/ ٤٥ ـ ٤٧) وإنباه الرواة (١/ ٢١٠) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٥٤٩) وذيل ابن رجب (١/ ٣٤٦ـ٣٤٧) .
(٩) أ : بن الجواليقي .
(١٠) عن أ وحدها .
(١١) ليس في ط .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) ط : وسمع .
(١٤) ط ، ب : مرماه رحمه الله .

المبارك بن علي بن الحسين[١] بن عبد الله بن محمد ، أبو محمد بن الطباخ البغدادي :

نزيل مكة ومجاورها ، وحافظ الحديث بها ، والمشار إِليه بالعلم فيها . كان[٢] يومُ جنازته يوماً مشهوداً ، [رحمه الله تعالىٰ][٣] .

خلافة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر[٤] الله ، رحمه الله تعالىٰ[٥] :

لما توفي أبوه في سلخ شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمئة بايعه الأمراء والكبراء والوزراء والخاصة والعامة ، وكان قد خُطب له على المنابر في حياة أبيه قبل موته بيسير ، فقيل : إِنه إِنما عهد إِليه قبل موته بيوم ، وقيل : بأسبوع ، ولكن قدَّر الله عز وجل أنه لم يختلف عليه اثنان بعد وفاة أبيه ، ولقب بالخليفة الناصر لدين الله ، ولم يلِ الخلافة قبله من بني العباس [أطول مدة منه ، فإِن خلافته امتدت][٦] إِلى سنة [وفاته في سنة][٧] ثنتين[٨] وعشرين وستمئة . وكان ذكياً شجاعاً مهيباً وستأتي[٩] سيرته عند وفاته إِن شاء الله تعالىٰ .

وفي سابع ذي القعدة من هذه السنة عُزِلَ صاحب المخزن ظهير الدين أبو بكر بن العطار[١٠] ، وأُهين غاية الإِهانة ، هو وأصحابه ، وقتل كثير[١١] منهم ، وشهِّروا في البلد ، وتمكن أمر الخليفة الناصر وعظمت هيبته في البلاد ، وفي[١٢] قلوب العباد ، وقام بأعباء الخلافة على ما ينبغي في جميع أمره وشؤونه[١٣] . ولما حضر عيد الأضحى أقيم على ما جرت به العادة ، والله أعلم[١٤] .

---

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام (١٢/ ٥٦٥) ، والعبر (٤/ ٤٢٦) بيروت (٣/ ٧٠) وذيل ابن رجب (١/ ٣٤٦) .
(٢) ب : وكان .
(٣) مكانهما في ب : والله أعلم ، وليست العبارة كلها في ط .
(٤) عبارة بأمر الله . عن ب وحدها .
(٥) ترجمته وأخباره عند ابن الأثير (٩/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) وذيل الروضتين (١٤٥) وأبو الفداء (٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦) والعبر ـ بيروت (٣/ ١٨٥) ومرآة الجنان (٤/ ٥٠) .
(٦) ط : قبله أطول مدة منه فإِنه مكث خليفة إِلى سنة .
(٧) ليس في ب .
(٨) في ب ، ط : ثلاث وكذلك في مصادره السابقة الذكر .
(٩) ب : وسيأتي ذكر سيرته .
(١٠) هو منصور بن نصر ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٧٥ من هذا الجزء .
(١١) ط : خلق .
(١٢) عن ب وحدها .
(١٣) ط : وقام قائم الخلافة في جميع الأمور .
(١٤) عبارة والله أعلم . عن ط وحدها .

ثم دخلت سنة ستٍّ وسبعين وخمسمئة

فيها : هادن السلطان صلاح الدين الفرنج ، وسار إلى بلاد الروم فأصلح بين ملوكها من بني أرتق وكرّ على بلاد الأرمن ، فأهان ملكها[١] ، وفتح بعض حصونها[٢] ، وأخذ منها غنائم كثيرة جدًّا من أواني الذهب والفضة[٣] ، لأنه كان قد غدر بقوم من التركمان ، أووا[٤] إلى بلاده ، ثم صالحه على مال يحمله إليه ، وأسارى يُطلقهم من أسره ، وآخرين يستفكهم[٥] من أيدي الفرنج ، ثم عاد السلطان[٦] مؤيَّداً منصوراً ، فدخل حماة في أواخر جمادى الآخرة . وامتدحه الشعراء[٧] على ذلك .

ومات صاحب الموصل سيف الدين غازي[٨] بن مودود ، وكان شابًّا حسناً ، مليح الشكل ، تام القامة ، مدوّر اللحية . مكث في الملك عشر سنين ، ومات عن ثلاثين سنة . وكان عفيفاً في نفسه ، مهيباً وقوراً ، لا يلتفت إذا ركب ، ولا إذا جلس ، غيوراً لا يدع أحداً من الخدام[٩] الكبار[١٠] يدخل[١١] على النساء ، وكان لا يقدم على سفك الدماء . وكان ينسب إلى شيء من البخل سامحه الله[١٢] .

وكانت وفاته في ثالث صفر ، وكان قد عزم على أن يجعل[١٣] الملك من بعده لولده عز الدين سنجر شاه[١٤] ، فلم يوافقه الأمراء خوفاً من صلاح الدين لصغر سن ولده ، فاتفقوا كلهم على أخيه ، فأُجلس

---

(١) ط : فأقام عليها ، وفي ب : فأهان عليها .
(٢) أ : حصونها . . وأخذ منها .
(٣) ط : الفضة والذهب .
(٤) ط : فرده .
(٥) ط : يستنقذهم .
(٦) ليس في ط .
(٧) الروضتين (٢/ ١٦ ـ ١٧) .
(٨) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ١٥٠) ومرآة الزمان (٨/ ٣٦٣) والروضتين (٢/ ١٧ ـ ١٨) ووفيات الأعيان (٤/ ٤) والعبر (٤/ ٢٣٠) ـ بيروت (٣/ ٧٢ ـ ٧٣) .
(٩) ط : الخدم .
(١٠) ليس في أ .
(١١) ب : يدخلون .
(١٢) أ : رحمه الله تعالى .
(١٣) ب : وكان في عزمه يجعل .
(١٤) تولّى سنجر شاه بن غازي بن مودود جزيرة ابن عمر في سنة ٥٧٦هـ . وكان ظالماً غشوماً قبيح السيرة حتى مع أقرب الناس إليه ، فقد حبس ابنيه محموداً ومودوداً في قلعة . وحبس ابنه الثالث غازي في دار في المدينة ، وضيّق عليه ولكنه استطاع أن يهرب ويوحي لأبيه بأنه سافر إلى الموصل ، ودخل قصر أبيه خفية وقتله ، ووصل الخبر إلى أخيه=

مكانه في المملكة[١] أخوه عز الدين مسعود ، وجعل مجاهد الدين قايماز نائبه ومدبِّر مملكته .

وجاءت رسل الخليفة يلتمسون من صلاح الدين أن يُبقي سروج والرُّها والرَّقّة وحرَّان ونصيبين في يده كما كانت في يد أخيه ، فامتنع السلطان من ذلك . وقال : هذه البلاد هي حفظ ثغور[٢] الإسلام ، وإنما كنت تركتها في يده ليساعدنا على غزو الفرنج ، فلم يكن يفعل ذلك ، وكتب إلى الخليفة يعرفه أن المصلحة في ترك ذلك عوناً للمسلمين[٣] .

وفاة[٤] تورانشاه أخو السلطان[٥] رحمه الله تعالىٰ[٦] :

وفيها : توفي أخو السلطان الأكبر[٧] الملك المعظَّم شمس[٨] الدولة والدِّين تورانشاه بن أيوب[٩] الذي افتتح بلاد اليمن عن أمر أخيه صلاح الدين ، فمكث فيها حيناً ، واقتنى منها أموالاً جزيلة ، ثم استناب فيها ، [وأقبل نحو أخيه إلى الشام ، شوقاً إليه][١٠] ، وقد كتب إليه من أثناء الطريق شعراً عمله له شاعره[١١] ابن المنجم ، وكانوا قد وصلوا إلى تيماء[١٢] : [من الطويل][١٣]

فَهَلْ لأَخي بَلْ مالِكي عِلْمُ أَنَّني[١٤] إِلَيْــهِ وَإِنْ طَــالَ التَّــرَدُّدُ راجِــعُ

= محمود فسارع إلى القصر فاستولى عليه وقتل أخاه وتولّى الحكم ، وما زال يعمل حتى استطاع قتل أخيه الثالث . وكانت وفاة سنجر شاه في سنة ٦٠٥هـ . ابن الأثير (٩/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) وأبو الفداء (٣/ ١١١ ـ ١١٢) .

(١) بعدها في ط : وكان يقال له .

(٢) في أ ، ب : ثغر المسلمين .

(٣) أ : أن المصلحة في كونها في يده ـ في ب : بيده .

(٤) ط ، ب : وفاة السلطان .

(٥) عن أ وحدها .

(٦) ترجمته وأخباره في ابن الأثير (٩/ ١٥٢) ومرآة الزمان (٨/ ٣٦٢) ووفيات الأعيان (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٩) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ٢٥/ ١١٨٥) وأبو الفداء (٣/ ٦٢) ـ والعبر (٤/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) بيروت (٣/ ١٣٨) ومرآة الجنان (٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) وطبقات السبكي (٥/ ٥٢) .

(٧) ليس في ط .

(٨) أ : شمس الدين ، ب : شمس الدولة والدين .

(٩) بعدها في ط : أخي صلاح الدين وهو الذي .

(١٠) ط : وأقبل إلى الشام شوقاً إلى أخيه .

(١١) ط : عمله له بعض الشعراء يقال له .

(١٢) ط : سما ، ب : أسماء وتيماء بليدة في أطراف الشام ، بينها وبين وادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق . معجم البلدان . قلت : وتقع اليوم ضمن أراضي المملكة العربية السعودية بين تبوك والحدود الأردنية .

(١٣) الأبيات في الروضتين (٢/ ١٨ ـ ١٩) .

(١٤) ط : علم ذا الذي .

وَإِنِّـي بيَـوْمٍ واحِـدٍ مـن لِقـائِـهِ بمُلكي عَلَى(١) عُظْمِ المَؤونَةِ بَائِعُ
وَلَـمْ يَبْـقَ إلا دُونَ عِشْـريـنَ لَيْلَـةً وَتَجْني(٢) المُنى أَبْصارُنا وَالمَسَامِعُ
لَدَى مَلِكٍ(٣) تَعْنُو المُلُوكُ إذَا بَدَا وَتَخْشَـعُ إعْظَـامـاً لَـهُ وَهْـوَ خَـاشِـعُ
كَتَبْـتُ وَأَشْـوَاقِـي إلَيْـكَ بِبَعْضِهـا تَعَلَّمَـتِ النَّـوْحَ الحَمـامُ السَّـواجِـعُ
وَمَـا المُلْـكُ إلَّا رَاحَـةٌ أَنْتَ زَنْـدُهـا تَضُـمُّ عَلَـى الـدُّنْيَـا وَنَحْـنُ الأَصَـابِـعُ

وكان قدومه(٤) إليه في سنة إحدى وسبعين وخمسمئة(٥) ، فشهد معه مواقف مشهودة ، وغزوات محمودة . واستنابه على دمشق مدة ، ثم سار إلى مصر فاستنابه على الإسكندرية ، فلم توافقه(٦) ، وكان يعتريه(٧) القولنج ، فمات بها ، رحمه الله تعالىٰ(٨) في هذه السنة ، [ودفن بقصر الإمارة](٩) فيها . ثم نقلته أخته ست الشام بنت أيوب(١٠) ، فدفنته بتربتها التي بالشامية البرَّانية(١١) ، فقبره القبلي ، والوسطاني قبر زوجها ، وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه(١٢) ، صاحب حمص(١٣) والرجعة ، والمؤخَّر قبرها رحمها الله تعالىٰ ، وأجزل ثوابها .

والتربة الحسامية(١٤) منسوبة إلى ولدها حسام الدين عمر بن لاجين ، وهي إلى جانب المدرسة من غربيها .

وقد كان الملك تورانشاه كريماً جواداً ممدَّحاً شجاعاً باسلاً ، عظيم الهيبة ، كبير النفس ، واسع الصدر(١٥) . قال فيه ابن سعدان الحلبي : [من الطويل](١٦)

---

(١) ط : علي وإن قد عظم .
(٢) ط : ويحيي اللقاء أبصارنا والمسامع . ولا تستقيم بها القافية .
(٣) ط : إلى ملك .
(٤) ط : وكان قدومه على أخيه صلاح الدين .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ب : فلم يوافقه .
(٧) ط : وكانت تعتريه .
(٨) عن أ وحدها .
(٩) ليس في أ .
(١٠) ترجمتها في ذيل الروضتين (١١٩) ووفيات الأعيان (١/ ٢٤٥) والعبر ـ بيروت (٣/ ١٦٩) والشذرات (٥/ ٦٧) ومنادمة الأطلال (١٠٨) .
(١١) منادمة الأطلال (١٠٤) .
(١٢) ستردُ ترجمته في حوادث سنة ٥٨١ من هذا الجزء .
(١٣) ط : صاحب حماة . وهو تصحيف .
(١٤) منادمة الأطلال (١٠٤) .
(١٥) ط : واسع النفقة والعطاء .
(١٦) الأبيات في الروضتين (٢/ ١٨) .

هو الملك إن تسمع بكسرى وقيصر فإنهما في الجود والبأس عبداه
وما حاتِم[١] ممن يُقاس بجوده[٢] فخذ ما رأيناه ودع ما رويناه
ولذ بذراه[٣] مستجيراً فإنه يُجيرك من جَور الزمان وعدواه
ولا تتحمل للسحائب منّةً إذا هطلت جوداً سحائبُ جدواه[٤]
ويرسل كفيه[٥] بما اشتقَّ منهما فلليمن يمناه ولليسر يسراه[٦]

ولما بلغ خبر[٧] موته إلى[٨] أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين [بن أيوب][٩] ، وهو مخيم بظاهر حمص ، حزن عليه حزناً شديداً[١٠] . وجعل ينشد باب المراثي من[١١] « الحماسة » وكانت من محفوظه ، رحمه الله تعالى[١٢] .

وفي رجب منها قدمت رسل الخليفة الناصر وخلعه وهداياه[١٣] إلى الملك الناصر صلاح الدين . فلبس السلطان خلعة الخليفة بدمشق ، وزُينت له البلد ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها : في[١٤] رجب[١٥] منها سار السلطان من الشام إلى الديار المصرية[١٦] لينظر في أحوالها وأمورها ، ويصوم بها رمضان ، ومن عزمه أن يحج عامه ذلك إلى بيت الله الحرام ، واستناب على الشام ابن أخيه عز الدين[١٧] فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب .

---

(١) ط : وما حتم ، ولا يستقيم بها الوزن .
(٢) ط ، والروضتين : بمثله .
(٣) ط : بعلاه .
(٤) رواية البيت بالشكل التالي ، ولا يستقيم بها الوزن :
ولا تحملْ للسحائب منه إذا هطلت جوداً سحائب كفاه
(٥) ط : فترسل كفاه .
(٦) الأبيات الثلاث الأخيرة ليست في ب .
(٧) ليس في ط .
(٨) ط : أخاه .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) أ : حزن حزناً شديداً عليه .
(١١) عن الروضتين (٢/١٨) .
(١٢) عن أ وحدها .
(١٣) ط : وخلع وهدايا .
(١٤) ليس في ب .
(١٥) بعدها في أ ، ب : منها .
(١٦) ط : سار السلطان إلى مصر .
(١٧) ستردُ ترجمته في حوادث سنة ٥٧٨ من هذا الجزء .

قال العماد[١] الكاتب : وكان عزيز المثل غزير الفضل . فكتب القاضي الفاضل عن الملك العادل أبي بكر[٢] نائب مصر إلى أهل اليمن والينبُع[٣] ومكة يعلمهم بعزم السلطان الناصر على الحج في هذا العام [إلى المسجد الحرام][٤] ليتأهَّبوا للملك ، ويهتموا به ، واستصحب السلطان معه صدر الدين أبا القاسم عبد الرحيم[٥] شيخ الشيوخ ببغداد الذي قدم في الرسيلة[٦] من جهة الخليفة ، ليكون في خدمته إلى الديار المصرية ، وفي صحبته إلى الحجاز الشريف . فدخل السلطان ديار مصر ، وتلقاه الجيش ، وكان يوماً مشهوداً ، وأما شيخ الشيوخ صدر الدين فإنه لم يُقِم بها إلا قليلاً حتى توجّه إلى الحجاز الشريف في البحر ، فأدرك الصيام في المسجد[٧] الحرام .

وفيها : سار قراقوش[٨] التَّقَوِي إلى بلاد المغرب ، فحاصر قابس[٩] ، وقلاعاً كثيرة حولها ، واستحوذ على أكثرها ، فاتفق له أنه أسر من بعض الحصون غلاماً أمرد[١٠] فأراد قتله ، فقال له أهل الحصن : لا تقتله ، وخذ لك[١١] عشرة آلاف دينار ، فأبى ، فوصلوه[١٢] إلى مئة ألف دينار ، فأبى إلا قتله ، فقتله . فلما قتله نزل صاحب الحصن ، وهو شيخ كبير ، ومعه مفاتيح الحصن[١٣] فقال له : خذ

---

(١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٧ من هذا الجزء .

(٢) الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب بن شاذي ، سيف الدين . ولد سنة ٥٤٠هـ . ونشأ في خدمة نور الدين مع أبيه ، وكان أخوه صلاح الدين يستشيره ويعتمد على رأيه وعقله ودهائه . وكانت مدة ملكه لدمشق ٢٣ سنة ولمصر ١٩ سنة ، وخلف ستة عشر ولداً ذكراً غير البنات . توفي سنة ٦١٥هـ . ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) وذيل الروضتين (٩/ ١١١ ـ ١١٣) وأبو الفداء (٣/ ١١٩ ـ ١٢٠) والعبر ـ بيروت (٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨) .

(٣) ط : والبقيع ، وهو تصحيف . الروضتين (٢/ ١٩) .

(٤) عن ب وحدها .

(٥) هو عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعيد الصوفي شيخ الشيوخ وابن شيخ الشيوخ صدر الدين ، أخذ مكان والده حين توفي سنة ٥٤١ . وجمع بين رئاسة الدين والدنيا . وأرسله الخليفة إلى صلاح الدين رسولاً ، فتوفي في طريق عودته إلى العراق سنة ٥٨٠هـ . ابن الأثير (٩/ ١٦٧) وأبو الفداء (٣/ ٦٨) .

(٦) ط : الذي قدم من جهة الخليفة في الرسالة وجاء بالخلع ليكون .

(٧) أ : بالمسجد .

(٨) قراقوش هذا غيرُ الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي الذي سترد ترجمته ضمن وفيات سنة ٥٩٧ من هذا الجزء . وفيات الأعيان (٤/ ٩١) .

(٩) ط : فاس ، وهو تصحيف . الروضتين (٢/ ٢١) وقابس مدينة على ساحل البحر بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية . معجم البلدان . وتقع اليوم في جنوب شرقي تونس على خليج قابس .

(١٠) ط : أسود . وهو تصحيف . الروضتين (٢/ ٢١) .

(١١) ط : وخذ لك رتبه .

(١٢) ط : فأوصله .

(١٣) ط : ذلك الحصن .

هذه ، فإني شيخ كبير ، وإنما كنت أحفظه من أجل هذا الصبي الذي قتلته ، ولي أولاد أخ ، أكره أن يملكوه بعدي . فأقره فيه ، وأخذ منه أموالًا كثيرة ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بالصواب .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

الحافظ أبو طاهر[١] **السِّلَفي**[٢] أحمد بن محمد بن أحمد [بن محمد][٣] بن إبراهيم سِلَفَة الحافظ الكبير المعمر أبو طاهر السِّلَفي الأصبهاني .

وإنما قيل لجده إبراهيم[٤] (سِلَفَة) ، لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين ، فكان [له ثلاث شفاه ، فسمته الأعاجم بذلك][٥] .

قال القاضي ابن خلكان[٦] : وكان السِّلفي يلقب بصدر الدين ، وكان شافعي المذهب ، ورد بغداد ، واشتغل بها على إلْكيا الهراسي[٧] ، وأخذ اللغة عن الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي[٨] . وسمع الحديث الكثير ، ورحل في طلبه إلى الآفاق ، ثم نزل ثغر الإسكندرية في سنة إحدى عشرة وخمسمئة . وبنى له العادل أبو الحسن علي بن السلار[٩] وزير الخليفة الظافر مدرسة ، وفوَّضها إليه[١٠] ، فهي معروفة به[١١] إلى الآن .

قال ابن خلكان[١٢] : وأماليه[١٣] وتعاليقه كثيرة جدًّا ، وكتب شيئاً كثيراً . وكان مولده فيما ذكره المصريون في سنة ثنتين وسبعين وأربعمئة . ونقل الحافظ عبد الغني[١٤] المقدسي عنه أنه قال : أذكر مقتل

---

(١) ترجمته في مختصر ابن منظور (٣/ ٢٢٩) وتهذيب بدران (١/ ٤٤٩) وابن الأثير (٩/ ١٥٢) ومرآة الزمان (٨/ ٣٦١) ووفيات الأعيان (١/ ١٠٥ ـ ١٠٧) والعبر (٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) ـ بيروت (٣/ ٧١) وميزان الاعتدال (١/ ٧٣) والوافي (٦/ ١٣٦ ـ ١٣٨) ومرآة الجنان (٣/ ٤٠٣) . وله ترجمة رائقة في صدر المجلد الحادي والعشرين من سير أعلام النبلاء ، وفي تاريخ الإسلام (١٢/ ٥٧٠ ـ ٥٧٨) .

(٢) ليس في ط .

(٣) عن أ وحدها .

(٤) العبارة مضطربة في ط : وإنما قيل له السلفي لجده إبراهيم سلفه .

(٥) ط : وكان له . . لذلك .

(٦) الخبر برواية مختلفة في وفيات الأعيان (١/ ١٠٥) .

(٧) سبق الترجمة له في حوادث سنة ٥٠٤ من هذا الجزء .

(٨) سبق الترجمة له في حوادث سنة ٥٠٢ من هذا الجزء .

(٩) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٤٨ من هذا الجزء .

(١٠) أ : وفوض أمرها إليه .

(١١) ليس في أ .

(١٢) الخبر برواية مختلفة في وفيات الأعيان (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧) .

(١٣) ط : وأما أماليه فكثيرة جدًّا وكان مولده فيما ذكر المصريون .

(١٤) سترد ترجمته في حوادث سنة ٦٠٠ من هذا الجزء .

نظام الملك[١] في سنة خمس وثمانين وأربعمئة ببغداد وأنا ابن عشر تقريباً . ونقل عنه الحافظ أبو القاسم الصفراوي[٢] أنه قال : مولدي بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين ، فيكون مبلغ عمره ثمانياً وتسعين سنة . لأنه توفي ليلة الجمعة خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمئة بثغر الإسكندرية[٣] . ودفن بوَعْلَة[٤] ، وفيها جماعة من الصالحين ، رحمه الله تعالىٰ .

وقد رجّح ابن خلكان قول الصفراوي . قال : ولم يبلغنا من نحو ثلاثمئة سنة[٥] أن أحداً جاوز المئة إلا القاضي أبا الطيب[٦] الطبري [رحمه الله][٧] .

وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر[٨] في « تاريخه »[٩] ترجمة حسنة ، وإن كان قد مات قبله بخمس سنين ، فذكر رحلته في طلب الحديث ، ودورانه في الأقاليم ، وأنه كان يتصوّف أولاً ، ثم أقام بثغر

---

(١) أبو علي الحسن بن إسحاق بن العباس الملقب نظام الملك ، قوام الدين الطوسي . من أعظم الوزراء . توفي سنة ٤٨٥هـ . ترجمته في الروضتين (١/ ٢٥) ووفيات الأعيان (٢/ ١٢٨ ـ ١٣١) وأبو الفداء (٢/ ٢٠٢) والعبر ـ بيروت (٢/ ٣٤٩) .

(٢) عبد الرحمن بن عبد المجيد ـ في نيل الابتهاج : عبد الحميد ـ بن إسماعيل الصَّفْراوي الإسكندراني جمال الدين أبو القاسم . ولد سنة ٥٤٤هـ . فقيه مالكي مقرئ . سمع الكثير من السلفي وغيره . وتوفي في سنة ٦٣٦هـ . ترجمته في العبر (٣/ ٢٢٧) ونيل الابتهاج (١٦٣) والشذرات (٥/ ١٨٠) .

(٣) بعدها في ط : والله أعلم .

(٤) وعلة : قال ابن خلكان : بفتح الواو وسكون العين المهملة ، وبعدها لام وهاء ، ويقال إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وعلة السَّبئي المصري ، صاحب ابن عباس ، رضي الله عنهما ، وقيل غير ذلك ، وهي مقبرة بثغر الإسكندرية داخل السور عند الباب الأخضر ، فيها جماعة من الصالحين كالطرطوشي وغيره . وفيات الأعيان (١/ ١٠٦) .

(٥) ليس في ط .

(٦) هو أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشافعي . ولد بآمل سنة ٣٤٨هـ . وتفقه على أبي علي الزجاج ، وقرأ على أبي سعد الإسماعيلي ، وأبي القاسم بن كَجٍّ بجرجان ، ثم ارتحل إلى نيسابور وأدرك بها أبا الحسن الماسرجسي ، فصحبه أربع سنين ، وتفقه عليه ، ثم ارتحل إلى بغداد ، وحضر مجلس أبي حامد الأسفراييني . وعليه اشتغل أبو إسحاق الشيرازي ، وشرح مختصر المزني ، وصنف في الأصول والمذهب والخلاف والجدل كتباً كثيرة . واستوطن بغداد وولي القضاء بربع الكرخ بعد الصيمري ، ولم يزل على القضاء إلى أن توفي سنة ٤٥٠هـ . فقد عاش مئة وسنتين ، لم يختلّ عقله ، ولا تغيّر فهمه ، يفتي ويستدرك على الفقهاء الخطأ ، ويقضي ببغداد ، ويحضر المواكب في دار الخلافة . ابن الأثير (٨/ ٨٧) ووفيات الأعيان (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٥) وأبو الفداء (٢/ ١٧٩) والعبر ـ بيروت (٢/ ٢٩٦) ومرآة الجنان (٣/ ٧٠) .

(٧) عن أ وحدها . قال بشار : وقول ابن خلكان هذا لا يصح البتة ، وقد تعقبناه بما كتبه الذهبي في « أهل المئة فصاعداً » وبيّنا فساده ، وذكرنا عدداً كبيراً وجماً غفيراً ممن جاوز المئة خلال الثلاث مئة سنة التي أشار إليها ابن خلكان (تنظر مجلة المورد م٨ عدد١ ص٣٨٧) .

(٨) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٧١ .

(٩) مختصر ابن منظور (٣/ ٢٢٩) بدران (١/ ٤٤٩) .

الإسكندرية ، وتزوج امرأة[١] ذات يسار ، فحسنت حاله ، ووقفت[٢] عليه مدرسة هنالك وذكر طرفاً من أشعاره ، فمن ذلك[٣] قوله رحمه الله تعالىٰ : [من الطويل][٤]

أَتَـأْمَـنُ إِلْمَـامَ المَنِيَّـةِ بَغْتَـةً ... وَأَمْنُ[٥] الفتَى جَهْلٌ وَقَدْ خَبرَ الدَّهْرَا
وَلَيْسَ يُحَابِي الدَّهْرُ فِي دَوَرَانِهِ ... أَرَاذِلَ أَهْلِيهِ وَلا السَّادَةَ الزُّهْرَا
وَكَيْفَ وَقَدْ مَاتَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ ... وَأَزْوَاجُهُ طُرًّا وَفَاطِمَةُ الزَّهْرَا

[٦][ومن شعر الحافظ][٧] السِّلفي الذي أورده ابن عساكر قوله :

يَا قَاصِداً عِلْمَ الحَدِيثِ يَذُمُّهُ[٨] ... إِذْ[٩] ضَلَّ عَنْ طُرُقِ الهدايَةِ وَهْمُهُ
إِنَّ العُلُومَ كَمَا عَلِمْتَ كَثِيرَةٌ ... وَأَجَلُّهَا فِقْهُ الحَدِيثِ وَعِلْمُهُ
مَنْ كَانَ طَالِبَهُ وَفِيهِ تَيَقُّظٌ ... فَأَتَمُّ[١٠] سَهْمٍ في المَعَالِي سَهْمُهُ
لَوْلَا الحَدِيثُ وَأَهْلُهُ لَمْ يَسْتَقِمْ ... دِينُ النَّبِيِّ وَشَذَّ عَنَّا حُكْمُهُ
وَإِذَا اسْتَرَابَ بِقَوْلِنَا مُتَحَذْلِقٌ ... فَأَقَلُّ[١١] فَهْمٍ فِي البَسِيطَةِ فَهْمُهُ

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمئة

استُهلت [والملك الناصر][١٢] صلاح الدين مقيم بالقاهرة ، مواظب على سماع الأحاديث .

وجاء[١٣] كتاب من نائبه بالشام عز الدين فرخشاه يهنئه[١٤] بما منَّ الله تعالىٰ[١٥] به على الناس من

---

(١) ط : بامرأة .
(٢) ط : وبنت .
(٣) ط : منها .
(٤) الأبيات في مختصر ابن منظور (٣/ ٢٢٩) .
(٥) أ : فأمن .
(٦) مكانها في ط : وله أيضاً .
(٧) ليس في ب .
(٨) ب : بدينة ، ط : لدينه .
(٩) ط : إذا ، ولا يستقيم بها الوزن .
(١٠) ط : قاتم . ولا يستقيم بها المعنى ولا الوزن .
(١١) ط : ما كل .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) ط : وجاءه .
(١٤) ط : يخبره منه .
(١٥) عن أوحدها .

كثرة[١] ولادة النساء من التوائم ، جبراً لما كان أصابهم في العام الماضي من الوباء [والفناء . وأن الشام مخصب][٢] بإذن الله جبراً لما كان أصابهم من الجدب والغلاء ، [ولله الحمد والمنّة][٣] .

وفي شوال توجّه الملك صلاح الدين إلى الإسكندرية فشاهد[٤] ما أمر به من تحصين سورها ، وعمارة أبراجها وقصورها ، وسمع[٥] « موطأ » الإمام مالك على الشيخ أبي طاهر بن عوف ، عن الطرطوشي ، وسمع ذلك معه العماد الكاتب ، وأرسل القاضي الفاضل إلى السلطان[٦] رسالة يهنّئه بهذا السماع ، والله تعالىٰ أعلم .

ذكر وفاة الملك الصالح إسماعيل بن الملك نور الدين الشهيد[٧] صاحب حلب وما جرى بعده من الأمور

كانت وفاته في الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة بقلعة حلب ، ودفن بها . وكان سبب وفاته ، فيما قيل ، أن الأمير علم الدين سليمان بن حيدر[٨] سقاه سُمًّا في عنقود عنب في الصيد . وقيل : بل سقاه ياقوت الأسدي في شراب ، وقيل : في خشكنانجة فاعتراه قولنج ، فما زال كذلك حتى مات ، رحمه الله .

وهو شاب حسن الصورة ، بهيّ المنظر ، ولم يبلغ عشرين سنة . وكان من أعفّ الملوك ، ومن يشابه أباه[٩] فما ظلم . وصف له الأطباء في مرضه شرب الخمر ، فاستفتى بعض الفقهاء في شربها تداوياً ، فأفتاه[١٠] بذلك . فقال له : أيزيد شربها في أجلي أو ينقص[١١] منه شيئاً ؟ قال[١٢] : لا . قال : فوالله لا أشربها فألقى الله وقد شربت ما حرّمه[١٣] عليّ . ولما يئس من نفسه استدعى الأمراء ، فحلفهم لابن عمه

---

(١) عن أ وحدها .
(٢) ط : من الوباء بالعام الماضي والغناء وبأن الشام مخصبة .
(٣) عن ب وحدها .
(٤) ط : لينظر .
(٥) ط : وسمع بها .
(٦) ط : وأرسل القاضي الفاضل رسالة إلى السلطان .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) كذا في الأصلين وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧هـ من هذا الجزء .
(٩) ط : ومن أشبه أباه .
(١٠) ط : فأفتوه .
(١١) ط : أو ينقص تركها .
(١٢) ط : قالوا .
(١٣) ط : وألقى الله وقد شربت ما حرم علي .

عز الدين مسعود[١] صاحب الموصل ، لقوة سلطانه وتمكّنه ، ليمنعها من[٢] صلاح الدين ، وخشي أن يبايع لابن عمه الآخر عماد الدين زنكي[٣] صاحب سنجار ، وهو زوج أخته ، وتربية والده ، فلا يمكنه حفظها من صلاح الدين .

فلما مات استدعى الحلبيون عز الدين مسعود بن قطب الدين صاحب الموصل ، فجاء إليهم ، فدخل حلب في أُبَّهة عظيمة . وكان يوماً مشهوداً ، وذلك في العشرين من شعبان ، فتسلّم خزائنها وحواصلها وما فيها من السلاح ، وكان تقيُّ الدين عمر[٤] بمدينة منبج فهرب إلى حماة ، فوجد أهلها قد نادوا بشعار [عز الدين][٥] صاحب الموصل ، وأطمع الحلبيون [عز الدين][٦] مسعوداً[٧] في أخذ دمشق لغيبة صلاح الدين [بالديار المصرية][٨] ، وأعلموه محبة[٩] أهل الشام لهذا البيت الأتابكي[١٠] ، فقال لهم[١١] : بيننا [وبين صلاح الدين][١٢] أَيْمان وعهود ، وأنا لا[١٣] أغدر به . فأقام بحلب شهوراً وتزوج بأم الملك الصالح في شوال ، ثم سار إلى الرقة فنزلها ، وجاءته[١٤] رسل أخيه عماد الدين زنكي تطلب[١٥] منه أن يقايضه من حلب إلى سنجار ، وألح عليه في ذلك ، وتمنَّع أخوه ، ثم فعل بعد ذلك على كره منه ، فسلّم إليه حلب ، وسلمه عماد الدين[١٦] سنجار والخابور والرقة ونصيبين وسروج وغير ذلك من البلاد .

ولما سمع الملك صلاح الدين بهذه الأمور ركب من الديار المصرية في عساكره ، فسار حتى أتى الفرات ، فعبرها ، وخامر إليه بعض أمراء صاحب الموصل ، فتقهقر صاحب الموصل عن لقائه ،

---

(١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٩ من هذا الجزء .
(٢) ليس في أ .
(٣) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٤ من هذا الجزء .
(٤) ط : تقي الدين عمه في مدينة . وهو تصحيف . وسترد ترجمة عمر بن شاهنشاه في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .
(٥) ليس في ط .
(٦) ليس في ط .
(٧) أ ، ب : مسعود ، وهو خطأ .
(٨) ط : عنها .
(٩) أ : بحبه . وهو تصحيف .
(١٠) بعده في ط : نور الدين .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) أ ، ب : وبينه .
(١٣) ليس في أ .
(١٤) ط : وتسلم عز الدين .
(١٥) ط : ولقلة .
(١٦) ط : وتسلم عز الدين .

فاستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكمالها ، وهمّ بمحاصرة الموصل ، فلم يتفق ذلك ، ثم جاء إلى حلب ، فتسلمها من عماد الدين زنكي لضعفه عن ممانعتها لقلة[(١)] ما ترك فيها عز الدين من الأسلحة وآلات القتال ، وذلك في السنة الآتية ، كما سنذكره .

وفيها : عزم البرنس[(٢)] صاحب الكرك ، لعنه الله ، على قصد تيماء من أرض الحجاز[(٣)] ، ليتوصل منها إلى المدينة النبوية ، فجهز له صلاح الدين سرية[(٤)] من دمشق تكون حاجزة بينه وبين أرض الحجاز ، فصدّه ذلك عن قصده ، ولله الحمد .

وفيها : وَلَّى السلطان صلاح الدين أخاه سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين[(٥)] بن أيوب نيابة اليمن ، فملَّكه عليها ، وأرسله إليها ، وذلك لاختلاف نوابها ، واضطراب أصحابها ، بعد وفاة المعظم تورانشاه أخي السلطان الذي كان افتتحها ، فلما وقعت الفتن بها ، وكثر التخليط والتخبيط ، سمت نفس أخيه طغتكين إليها ، فأرسله أخوه إليها ، وولاه عليها ، فسار إليها فوصلها في سنة ثمان وسبعين ، فسار فيها أحسن سيرة ، وأكمل بها المعدلة والسريرة ، فاحتاط على أموال حطان بن منقذ[(٦)] نائب[(٧)] زبيد ، وكانت تقارب زهاء[(٨)] ألف ألف دينار أو أكثر . وأما نائب عدن فخر الدين عثمان الزنجبيلي[(٩)] فإنه خرج من اليمن قبل قدوم طغتكين إليها[(١٠)] ، فسكن الشام . وله أوقاف مشهورة باليمن ومكة . وإليه تنسب المدرسة الزنجبيلية[(١١)] خارج باب توما تجاه دار المطعم[(١٢)] ، وكان قد حصَّل من اليمن أموالاً عظيمة[(١٣)] جدًّا .

---

(١) ولقلة .
(٢) هو البرنس أرناط ، سترد قصة أسره وقتله في وقعة حطين في حوادث سنة ٥٨٣ .
(٣) ليس في ب .
(٤) أ ، ب : فجهزت سرية .
(٥) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٣ من هذا الجزء .
(٦) أ : حطان بن معد . وهو تصحيف . وانظر ابن الأثير (٩/١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦) والروضتين (٢/ ٢٥) ووفيات الأعيان (٤/ ١٤٤) .
(٧) ط : صاحب .
(٨) عن أ وحدها .
(٩) ابن الأثير (٩/ ١٥٥) والروضتين (٢/ ٢٥) ومنادمة الأطلال (١٧٤) .
(١٠) ليس في أ .
(١١) وتسمى أيضاً المدرسة الزنجارية نسبة إلى نهر يمر بجانبها اسمه نهر الزنجاري ، وتقع خارج باب السلامة وباب توما في دمشق ، تجاه دار الأطعمة ، وقد أصبحت زمن بدران ـ المتوفى سنة ١٣٤٦هـ ـ بلا تدريس ولا صلاة إلا الجمعة وبعض أوقات للمنفردين ، وأصبح اسمها جامع السقيفة . منادمة الأطلال (١٧٣ ـ ١٧٤) .
(١٢) في أ ، ب : ط : دار الطعم ، وفي منادمة الأطلال : دار الأطعمة . قال بدران : وأما دار الأطعمة فقد صارت طعام الخراب . منادمة الأطلال (١٧٤) .
(١٣) أ : جزيلة .

وفيها : غدرت الفرنج ، ونقضوا[١] عهودهم ، وقطعوا السبل على المسلمين برًّا وبحراً ، وسرًّا وجهراً ، فأمكن الله من بطسة[٢] عظيمة لهم[٣] فيها نحو من ألفي نفس من رجالهم[٤] المعدودين منهم ، ألقاها الموج إلى ثغر دمياط قبل خروج السلطان من مصر ، فأحيط بها[٥] ، فغرق بعضهم ، وحصل في الأسر نحو ألف وسبعمئة منهم ، ولله الحمد[٦] والمنة .

وفيها : سار قراقوش[٧] إلى بلاد إفريقية ، ففتح بلاداً كثيرة ، وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن[٨] [صاحب المغرب][٩] ، واستفحل أمره هناك[١٠] . وهو من جملة مماليك[١١] تقي الدين عمر بن أخي السلطان صلاح الدين . ثم عاد إلى مصر ، فأمره السلطان[١٢] أن يتمم السور المحيط بالقاهرة ومصر ، وذلك قبل خروجه منها في هذه السنة ، وكان ذلك آخر عهده بها ، حتى توفاه الله عز وجل وذلك بعد أن أراه[١٣] الله بلوغ[١٤] مُناه ، قبل حلول الوفاة ، فأقر به عينه مِنْ أعْدَاه ، وفتح على يديه[١٥] بيت المقدس وما حوله وما حواه . ولما خيَّم بارزاً من مصر أحضر أولاده حوله ، فجعل يشمّهم ويقبّلهم ويضمّهم أنشده بعضهم [في ذلك][١٦] : [من الوافر][١٧]

تَمَتَّعْ مـن شَميـمِ عَـرارِ نَجْـدٍ ... فَمَـا بَعْـدَ العَشِيَّـةِ مِـن عَـرارِ

---

(١) ط : ونقضت عهودها .
(٢) أ : بطة ، ط : لطيشة ، وعند ابن الأثير (٩/ ١٥٦) : بسطة ، وما أثبت من ب ، والروضتين (٢/ ٢٧) .
(٣) ليس في ط .
(٤) ط : من مقاتلتهم .
(٥) أ : عليها .
(٦) ليست : والمنة . في ب .
(٧) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٧ من هذا الجزء .
(٨) ليست ابن ، في أ ، وهو سهو لأن عبد المؤمن توفي سنة ٥٥٨هـ كما تقدم ، والمقصود هنا يوسف بن عبد المؤمن الذي تولى سنة ٥٥٨هـ وتوفي سنة ٥٨٠هـ . كما سيرد ذلك في حوادث سنة ٥٨٠ من هذا الجزء .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ب : هنالك .
(١١) ط : وقراقوش مملوك تقي الدين .
(١٢) ط : صلاح الدين أن يتم .
(١٣) ط : أناله .
(١٤) ليس في أ .
(١٥) ط : وفتح عليهم .
(١٦) ليس في أ .
(١٧) البيت في معجم البلدان (عرار) وعند ابن الأثير (٩/ ١٥٥) والروضتين (٢/ ٢٨) ووفيات الأعيان (٧/ ٢٠٤) ، قال ابن خلكان : هذا البيت من جملة أبيات في الحماسة في باب النسيب .

فكان الأمر كما قال ، لم يعد إلى مصر بعد هذا العام ، بل كان مقامه بالشام .

[وفي هذه السنة][١] ولد للسلطان ولدان وهما[٢] المعظَّم تورانشاه[٣] والملك المحسن[٤] أحمد ، وكان بين ولادتهما سبعة أيام ، فزينت البلاد ، واستمر الفرح أربعة عشر يوماً ، ولله الحمد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ كمال الدين ، أبو البركات[٥] ، عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعادات عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن الحسن بن إبراهيم الأنباري النحوي الفقيه العابد الزاهد الناسك الخاشع الورع :

كان خشن العيش ، ولا يقبل من أحد شيئاً ولا من الخليفة . وكان يحضر نوبة الصوفية بدار الخلافة ، ولا يقبل من جوائز الخليفة لهم ولا فلساً . وكان مثابراً على الاشتغال ، وله تصانيف مفيدة . [وكانت وفاته][٦] في شعبان من هذه السنة .

قال القاضي[٧] ابن خلكان : له كتاب « أسرار العربية » مفيد جدًّا ، وكتاب[٨] « طبقات النحاة »[٩] مفيد جدًّا[١٠] أيضاً ، [وكتاب « الميزان في النحو » أيضاً][١١] ، وغير ذلك ، والله سبحانه أعلم[١٢] .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمئة

في خامس المحرم[١٣] كان بروز السلطان من[١٤] الديار المصرية قاصداً بلاد الشام لمناجزة الأعداء ،

---

(١) ط : وفيها .
(٢) ط : أحدهما .
(٣) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(٤) الروضتين (٢/ ٢٧) .
(٥) ترجمته عند ابن الأثير (٩/ ١٥٥) وفي إنباه الرواة (٢/ ١٦٩) والروضتين (٢/ ٢٧) ووفيات الأعيان (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠) وأبو الفداء (٣/ ٦٣) والعبر (٤/ ٢٣١) ـ بيروت ـ (٣/ ٧٣ ـ ٧٤) وفوات الوفيات (٢/ ٢٩) ومرآة الجنان (٣/ ٤٠٨) .
(٦) ط : وتوفي .
(٧) ليس في ط .
(٨) عن أ وحدها .
(٩) هو « نزهة الألباء بطبقات الأدباء » مطبوع مشهور .
(١٠) ليس في أ .
(١١) ليس في أ .
(١٢) العبارة الأخيرة عن ط وحدها .
(١٣) ط : محرمها .
(١٤) ط : من مصر قاصداً دمشق لأجل الغزو والإحسان إلى الرعايا .

والإحسان إلى الأولياء ، وكان ذلك آخر عهده بمصر ، [لم يعد إليها بعد ذلك][١] . وقد أغار في طريقه على بعض أطراف بلاد الفرنج بأرض الكرك[٢] ، وجعل أخاه تاج الملوك بوري بن أيوب على الميمنة ، يسير ناحية عنه ليتمكنوا من بلاد العدو ، فالتقوا على الأردن[٣] بعد سبعة أيام . وقد أغار نائب دمشق عز الدين فرخشاه على بلاد طبرية وما حولها ، وافتتح حصوناً جيدة ، وأسر منهم ألفاً[٤] ، وغنم عشرين ألف رأس من الأنعام ، بَيَّضَ الله وجهه .

وكان[٥] دخول السلطان إلى دمشق سابع عشر صفر ، ثم خرج منها في العشر الأول من ربيع الأول ، فاقتتل مع الفرنج في نواحي طبرية وبيسان تحت حصن كوكب[٦] ، فقُتل خلق من الفريقين ، ولكن كانت[٧] الدائرة للمسلمين . [والحمد لله رب العالمين][٨] ، ورجع مؤيداً منصوراً .

ثم ركب السلطان في جحافله وعساكره قاصداً إلى حلب وبلاد الشرق ، ليأخذها ، وذلك أن المواصلة والحلبيين قد كاتبوا الفرنج [على حرب المسلمين ، فغارت الفرنج على بعض][٩] أطراف البلاد ، ليشغلوا الناصر بنفسه عنهم[١٠] ، فكان مسيره إلى بلاد البقاع ثم إلى حماة ، ثم إلى حلب ، فحاصرها ثلاثاً ورأى أن العدول عنها إلى غيرها أولى به .

فسار حتى قطع[١١] الفرات ، واستحوذ على بلاد الجزيرة والخابور وحرَّان والرُّها والرقة ونصيبين وغير ذلك وخضعت له الملوك هنالك ، ثم عاد إلى حلب ، فتسلمها من صاحبها عماد الدين زنكي ، وقد كان قايض أخاه عز الدين مسعود بها إلى سنجار ، كما ذكرنا ذلك في أول السنة الماضية . فاستوسقت له الممالك شرقاً وغرباً ، وبُعداً وقرباً ، وتمكّن حينئذ من قتال أعدائه من الفرنج ، لعنهم الله ، وأمكنه الله من نواصيهم ، فله الحمد على ما أولاه .

---

(١) ليس في ط .
(٢) ط : وأغار بطريقه على بعض نواحي بلاد الفرنج .
(٣) ط : على الأزرق . وهو تصحيف .
(٤) ط : خلقاً واغتنم .
(٥) ط : ودخل الناصر دمشق سابع صفر ، وفي ابن الأثير (٩/ ١٥٥) : حادي عشر صفر . وما هنا يوافق ما في الروضتين (٢/ ٢٨) .
(٦) كوكب : اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية حصينة رصينة تشرف على الأردن افتتحها صلاح الدين فيما افتتحه من البلاد ، ثم خربت بعد . معجم البلدان (كوكب) .
(٧) ط : وكانت النصرة للمسلمين على الفرنج .
(٨) عن ب وحدها .
(٩) مكانهما في أ ، ب : حتى يغزو على أطراف .
(١٠) ط : عنهم بنفسه .
(١١) ط : بلغ .

فصــل

[في هجمات برنس البحرية][١]

ولما عجز برنس الكرك[٢] ، لعنه الله عن إيصال[٣] الأذى للمسلمين في البر عمل مراكب في بحر القُلزم ليقطعوا الطريق على التجار والحجاج ، فوصلت أذيَّتُهم إلى عَيْذَاب[٤] ، وخاف أهل المدينة النبوية من شرّهم ، فأمر الملك العادل[٥] أبو بكر نائب مصر الأمير حسام الدين لؤلؤ[٦] صاحب الأسطول أن يعمل مراكبه[٧] في بحر القلزم لمحاربة أصحاب الإبرنس[٨] ففعل ذلك ، فظفروا[٩] بهم في كل موطن ، فقتلوا منهم ، وحرّقوا ، وغرّقوا ، وسَبَوْا ، [وقهروا ، وأسروا][١٠] في مواطن كثيرة ، ومواقف هائلة كبيرة][١١] ، وأمن البحر والبر بإذن الله [تعالىٰ الذي بيده النفع والضر][١٢] . وأرسل السلطان[١٣] إلى أخيه العادل يشكر[١٤] من مساعيه ، وأرسل إلى ديوان الخلافة يعرِّفهم [بما أنعم الله به عليهم من الفتوحات برًّا وبحراً ، وبما هو متقلِّب فيه من أنعم الله وإحسانه سرًّا وجهراً ، والحمد لله رب العالمين][١٥] .

---

(١) ليس ما بين المعقوفتين في الأصول .
(٢) هو البرنس أرناط ، سترد قصة قتله في وقعة حطين سنة ٥٨٣ من هذا الجزء .
(٣) ب : إيصال المسلمين الأذى .
(٤) عَيْذاب : بليدة على ضفة بحر القلزم (البحر الأحمر) هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد ، قرب سواكن ، ويعدي منها الركب المصري المتوجه إلى الحجاز على طريق قوص في ليلة واحدة في أغلب الأوقات فيصل إلى جدة . معجم البلدان (سواكن ، عيذاب) ووفيات الأعيان (٥/ ٣٨٨) .
(٥) تقدم التعريف به في هوامش سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(٦) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٦ من هذا الجزء .
(٧) أ : مراكب .
(٨) أ : ابرنس .
(٩) ط : فظفر .
(١٠) ليس في ط .
(١١) ليس في ط .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) ط : الناصر .
(١٤) ط : ليشكر ذلك عن مساعيه .
(١٥) مكانهما في ط : بذلك .

فصــل

في وفاة الملك المنصور عز الدين فَرُّوخْشاه[(١)] بن شاهنشاه بن أيوب ، صاحب بعلبك ، ونائب دمشق لعمه الملك صلاح الدين

وهو والد الملك الأمجد بهرام شاه[(٢)] ، صاحب بعلبك أيضاً بعد أبيه المذكور ، وإليه تنسب المدرسة الفرخشاهية[(٣)] بالشرف الشمالي ، وإلى جانبها التربة الأمجدية لولده على الحنفية والشافعية .

وقد كان فرخشاه شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً ذكيًّا فاضلاً كريماً ممدَّحاً ، امتدحه الشعراء لجوده وفضله وإحسانه ، وكان من أكبر أصحاب الشيخ تاج الدين أبي اليمن الكندي[(٤)] ، عرفه من مجلس القاضي الفاضل ، [فانتمى إليه ، وكان يحسن إليه][(٥)] ، وله وللعماد الكاتب فيه مدائح .

وله [هو رحمه الله[(٦)] شعر رائق لطيف ، من ذلك قوله[(٧)] : [من مجزوء الرمل]

أَنَـا فِـي أَسْـرِ السَّقَـامِ ... مِنْ هَوَى هذَا الغُلَامِ[(٨)]
رَشَـأٌ تَـرْشُـقُ[(٩)] عَيْنَـا ... هُ فُـــؤَادِي بِسِهـــامِ

(١) ترجمته في الخريدة ـ بداية قسم شعراء الشام ـ (١١٣ ـ ١٣٣) وابن الأثير (٩/ ١٦٠) ومرآة الزمان (٨/ ٢٧٢) والروضتين (٢/ ٣٣) وأبو الفداء (٣/ ٦٥) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٦١٧) والعبر (٤/ ٢٣٣ و٢٣٥) ـ بيروت (٣/ ٧٤) .

(٢) توفي سنة ٦٢٨هـ ، ترجمته في مرآة الزمان (٨/ ٢٦٦ ـ ٢٦٨) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٥٣) والعبر ـ بيروت (٣/ ٢٠٠) .

(٣) المدرسة الفرخشاهية أوقفتها والدة فرخشاه . قال بدران : صارت بستاناً ولم يبق منها إلا قبّتان ، واحدة أصغر من الأخرى ، فالكبرى هي المدرسة ، والصغرى هي التربة الأمجدية . منادمة الأطلال (١٩٠ ـ ١٩١) .

(٤) هو أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكِنْدي الملقب تاج الدين البغدادي الدمشقي : ولد سنة ٥٢٠هـ ، وأخذ عن الجواليقي وابن الخشاب وابن الشجري . سافر إلى حلب ثم انتقل إلى دمشق وصحب الأمير عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه ، واختص به ، وتقدم عنده ، وسافر صحبته إلى الديار المصرية . وتوفي في دمشق سنة ٦١٣هـ . الخريدة ـ قسم الشام ـ (١/ ١٠٠) ومعجم الأدباء (١١/ ١٧١) وابن الأثير (٩/ ٢٣١٢) وإنباه الرواة (٢/ ١٠) وذيل الروضتين (١٥) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٢) وأبو الفداء (٣/ ١١٧) والعبر ـ بيروت (٣/ ١٥٩) ومرآة الجنان (٤/ ٢٦) ، وستأتي ترجمته في موضعها من هذا الكتاب .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) عن أ وحدها .

(٧) الأبيات في الروضتين (٢/ ٣٤) ومنادمة الأطلال (١٩٢) .

(٨) ط : وهو في هذا المقام .

(٩) ط : يرشق .

كُلَّمَـــا أَرْشَفَنِـــي فَـــا ةُ عَلَـــى حَـــرِّ الأُوَامِ
ذُقْتُ مِنْهُ الشَّهْدَ فِي الثَلْـ ـجِ المُصَفَّى فِي المُدَامِ(١)

(٢)وكان ابنه الملك(٣) الأمجد شاعراً(٤) جيداً أيضاً ، وقد ولّاه عمُّ أبيه صلاح الدين بعلبك بعد أبيه ، واستمرّ فيها مدة طويلة .

ومن محاسن المنصور عز الدين فرخشاه صحبته لتاج الدين الكندي ، [وله في الكندي مدائح ، وقد أورد الشيخ شهاب الدين ذلك كله مستقصىً في « الروضتين »](٥) .

ومن ذلك أنه دخل يوماً إلى الحمَّام فرأى رجلاً كان يعرفه من أصحاب الأموال ، وقد نزل به الحال ، حتى أنه تستَّر ببعض يديه حتى لا يبدو جسمه(٦) ، فرقَّ له ، وأمر غلامه أن ينقل بقجة وبساطاً إلى موضع الرجل ، وأحضر [له بغلة](٧) وألف دينار(٨) ، وتوقيعاً له في كل شهر بعشرين ديناراً(٩) ، فدخل الرجل الحمَّام من أفقر الناس وخرج وهو من أغنى الناس ، فرحمة الله تعالىٰ على(١٠) الأجواد الأكياس(١١) .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ(١٢) أحمد الرفاعي(١٣) بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد ، الشيخ أبو العباس :

شيخ الطائفة الأحمدية الرفاعية والبطائحية ، لسكناه أم عَبِيدَة من قرى البطائح ، وهي بين البصرة وواسط . كان أصله من العرب . سكن(١٤) هذه البلاد ، والتفّ عليه خلق كثير .

---

(١) ط : الشهد في أصفى مذاقات المدام .
(٢) جاءت هذه الفقرة في ط قبل الأبيات .
(٣) عن أ وحدها .
(٤) طبع هذا الديوان بالعراق .
(٥) ليس في ط ، والخبر في الروضتين (٢/ ٣٤ ـ ٣٥) .
(٦) ط : وكان يستتر ببعض ثيابه لئلا تبدو عورته .
(٧) ليس في ب .
(٨) ط : وأمره فأحضر ألف دينار وبغلة .
(٩) ط : بعشرين ألف دينار ودخل .
(١٠) أ : على هذه .
(١١) ط : الأجواد الجياد .
(١٢) في ط : الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي .
(١٣) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ١٦٠) ومرآة الزمان (٨/ ٣٧٠) ووفيات الأعيان (١/ ١٧١ ـ ١٧٢) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٦٠٥ ـ ٦١٠) والعبر (٤/ ٢٣٣) ومرآة الجنان (٣/ ٤٠٩ ـ ٤١٢) .
(١٤) عن ب وحدها .

ويقال: إنه حفظ «التنبيه» في الفقه.

وقد ذكرته في «طبقات الشافعية».

قال القاضي [ابن خلكان][١]: ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيَّات وهي حيَّة، والنزول[٢] في التنانير، وهي تضطرم، فيطفئونها، ويقال[٣]: إنهم في بلادهم يركبون الأسُود.

قال: وليس للشيخ أحمد عقب، وإنما النَّسلُ لأخيه، وذريّته يتوارثون المشيخة بتلك البلاد.

قال: ومن شعر الشيخ أحمد على ما قيل[٤]: [من الطويل]

إِذَا جَنَّ لَيْلِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِكُمْ ... أَنُوحُ كَمَا نَاحَ الحَمَامُ المُطَوَّقُ
وَفَوْقِي سَحَابٌ يُمْطِرُ الهَمَّ وَالأَسَى ... وَتَحْتِي بِحارٌ بالدُّموعِ تَدَفَّقُ[٥]
[سَلُوا أُمَّ عَمْرٍو كَيْفَ باتَ أَسِيرُها ... تُفَكُّ الأَسَارَى دُونَهُ وَهُوَ مُوثَقُ
فَلاَ هُوَ مَقْتُولٌ فَفِي القَتْلِ رَاحَةٌ ... وَلاَ هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَيُطْلَقُ][٦]

[٧] ومن شعره[٨]: [من الطويل]

أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ أَبِيهَا وَأُمِّها ... وَمِنْ كُلِّ مَنْ يَدْنُو إِلَيْهَا وَيَنْظُرُ
وَأَحْسُدُ لِلْمِرآةِ أَيْضاً بَكَفِّهَا ... إِذَا نَظَرَتْ مِثْلَ الَّذِي أَنَا أَنْظُرُ

قال: ولم يزل على تلك[٩] الحال إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة، [رحمه الله تعالىٰ][١٠].

خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بَشْكُوَال[١١]، أبو القاسم القرطبي الحافظ المحدث المؤرخ، صاحب التصانيف:

---

(١) في ط: وذكر ابن خلكان أنه قال، وفيات الأعيان (١/ ١٧٢).
(٢) ط: والدخول.
(٣) قبل هذه اللفظة في ط: ويلعبون بها وهي تشتعل. وليست في ابن خلكان.
(٤) الأبيات في وفيات الأعيان (١/ ١٧٢).
(٥) ب: للأسى يتدفق، ط ووفيات الأعيان: بحار بالأسى تتدفق.
(٦) البيتان لشبيب بن البرصاء. وفيات الأعيان: (١٢/ ٢٥٤).
(٧) الأبيات ليست في أ.
(٨) في ط: ومن شعره قوله.
(٩) ب: على تلك هذه الحال.
(١٠) عن أ وحدها.
(١١) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ١٦٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) وأبو الفداء (٣/ ٦٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٦١٢ ـ ٦١٣) والعبر (٤/ ٢٣٤) ـ بيروت (٣/ ٧٥) ومرآة الجنان (٣/ ٤١٢) والديباج المذهب (١١٤).

له كتاب « الصلة »[١] ، جعله ذيلاً على « تاريخ »[٢] أبي الوليد بن الفرضي ، وله كتاب « المستغيثين بالله »[٣] ، وله مجلدفي « تعيين الأسماء المبهمة »[٤] في الروايات على طريقة الخطيب ، وأسماء من روى « الموطأ »[٥] على حروف المعجم ، بلغوا ثلاثة وسبعين رجلاً . وكانت وفاته[٦] في رمضان عن أربع وثمانين سنة ، [رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه][٧] .

العلامة قطب الدين[٨] أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري[٩] :

تفقّه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي . قدم دمشق ، ودرّس بالغزالية[١٠] والمجاهدية[١١] ، وبحلب بمدرسة نور الدين وأسد الدين ، ثم بهمذان ، ثم رجع إلى دمشق ودرس بالغزالية ، وانتهت إليه رئاسة المذهب . ومات بها في سلخ رمضان ، يوم العيد ، سنة ثمان وسبعين وخمسمئة عن ثلاث وتسعين سنة . وعنه أخذ الفخر بن عساكر[١٢] وغيره . وهو الذي صلّى على الحافظ ابن عساكر[١٣] والله سبحانه أعلم .

---

(١) طبع كتاب الصلة في أوربا ، ثم في القاهرة في مجلدين سنة ١٩٥٥م .
(٢) طبع تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس لابن الفرضي في مجلدين في مصر ١٩٥٤م .
(٣) سماه ابن خلكان (٢/ ٢٤٠) : كتاب المستغيثين بالله تعالىٰ عند المهمات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات وما يسّر الله الكريم لهم من الإجابات والكرامات .
(٤) اسمه في وفيات الأعيان والديباج المذهب : الغوامض والمبهمات .
(٥) ذكر في وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٠) .
(٦) في الديباج أنه توفي سنة ٥٩٨هـ ، وهو تصحيف لأنه ولد سنة ٤٩٤هـ وعاش ٨٤ سنة .
(٧) ليس ما بين المعقوفين في ط ، مكانهما في ب : والله أعلم بالصواب .
(٨) سقطت هذه الترجمة من أ و ب ، ترجمته في اللباب (٣/ ٣٧) ومرآة الزمان (٨/ ٣٧٢) ووفيات الأعيان (٥/ ١٩٦ ـ ١٩٧) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٤/ ٧١٩ ـ ٧٢٠) وأبو الفداء (٣/ ٦٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٦٢٠ ـ ٦٢١) والعبر (٤/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) ـ بيروت (٣/ ٧٦ ـ ٧٧) ومرآة الجنان (٣/ ٤١٣) .
(٩) في معظم المصادر يقال له : الطُّرَيثيثي ، نسبة إلى طُرَيثيث من نواحي نيسابور . معجم البلدان .
(١٠) تقدم التعريف بها في هوامش سنة ٥٧١هـ .
(١١) منادمة الأطلال (١٤٦ ـ ١٤٨) .
(١٢) هو أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الملقب فخر الدين المعروف بابن عساكر الفقيه الشافعي ، وهو ابن أخي ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق . ولد سنة ٥٥٠هـ ، وتفقه على الشيخ قطب الدين أبي المعالي مسعود النيسابوري وصحبه زماناً ، وانتفع بصحبته ، وتزوج ابنته ، ثم استقلّ بنفسه ودرّس بالقدس زماناً ، وتوفي سنة ٦٢٠هـ . ترجمته في مرآة الزمان (٨/ ٦٣٠) وذيل الروضتين (١٣٦) والعبر (٥/ ٨١) ـ بيروت (٣/ ١٨١ ـ ١٨٢) .
(١٣) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٧١ من هذا الجزء .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمئة

في الرابع[١] عشر من محرَّمها تسلَّم السلطان[٢] صلاح الدين مدينة آمد[٣] صلحاً بعد حصار طويل[٤] شديد[٥] من صاحبها ابن نيسان[٦] بعد ما حمل ما أمكنه من حواصله وأمواله وأثقاله مدة ثلاثة أيام . ولما تسلَّم السلطان البلد وجد فيه شيئاً كثيراً من الحواصل وآلات الحرب والسلاح ، حتى أنه وجد بُرجاً مملوءاً نصول النشَّاب ، وبرجاً آخر فيه مئة ألف شمعة ، وأشياء يطول شرحها . ووجد فيه خزانة كتب فيها ألف ألف مجلد[٧] وأربعون[٨] ألف مجلد ، فوهبها للقاضي الفاضل ، فانتخب منها حمل سبعين حمارة[٩] ، ثم وهب السلطان البلد بما فيه لنور الدين محمدبن قرا رسلان ، وكان قد وعده بها ، فقيل له : فإن الحواصل لم تدخل في وعدك . فقال : لا أبخل بها عليه ، وقد صار من أصحابنا وأنصارنا ، وكان في خزانتها ثلاثة آلاف ألف[١٠] دينار ، فامتدحه الشعراء على هذا الصنيع الحسن الجميل ، [وهو حقيق بالثناء والجزاء الجزيل][١١] ، ومن[١٢] أحسن ما قاله بعضهم في ذلك من جملة قصيدة له في السلطان :

[من البسيط]

قُلْ لِلْمُلوكِ تَنَحَّوْا عَنْ مَمَالِكِكُمْ فَقَدْ أَتَى آخِذُ الدُّنْيا ومُعْطِيها[١٣]

ثم سار السلطان في بقية المحرَّم إلى مدينة حلب ، فنازلها ، وحاصرها ، وقاتله أهلُها قتالاً

(١) ط : في رابع عشر محرمها .
(٢) ط : السلطان الناصر .
(٣) آمد : أعظم مدن ديار بكر كما في معجم البلدان (آمد) ، وتقع ديار بكر اليوم على الحدود السورية التركية من جهة الجزيرة الفراتية .
(٤) ليس في أ .
(٥) عن أوحدها .
(٦) ط : اللفظة مهملة في أ ، وفي ط : ابن بيسان ، وفي الروضتين (٢/ ٣٩) : ابن تيسان . وما هنا يتوافق مع ما في ابن الأثير (٩/ ١٦١) .
(٧) ليس في ب .
(٨) ط : وأربعين .
(٩) أ : جمّازة .
(١٠) ط : في الهبة .
(١١) ليس في ط .
(١٢) ب : وما ، ط : ومن أحسن ذلك قول بعضهم .
(١٣) البيت في الروضتين (٢/ ٤٢) منسوباً إلى البلغوي .

شديداً[١] ، وجرح أخو السلطان بوري بن أيوب جرحاً بليغاً ، فمات منه بعد أيام . وكان أصغر أولاد أيوب ، ولم يبلغ عشرين سنة ، وقيل : بل جاوزها بسنتين[٢] . وكان ذكياً فهماً ، له ديوان شعر لطيف . فحزن عليه أخوه الملك صلاح الدين حزناً كثيراً[٣] ، ودفنه بحلب ، ثم نقله إلى دمشق ، ثم اتفق الحال بين السلطان[٤] وبين صاحب حلب عماد الدين زنكي[٥] بن مودود بن زنكي بن آقسنقر على عوض أطلقه السلطان ، وهو أن يرد عليه سنجار ، ويُسلمه البلد ، فخرج عماد الدين زنكي وجاء إلى خدمة السلطان ، وعزَّاه في أخيه ، ونزل عنده في المخيم ، ونقل أثقاله إلى سنجار ، وزاده السلطان : الخابور والرقة ونصيبين وسروج ، واشترط عليه إرسال العسكر في الخدمة للغزاة[٦] في الفرنج ، ثم سار ، وودَّعه السلطان ، ومكث السلطان في المخيم[٧] أياماً ، غير مكترث بحلب ، ولا مستكثر لها ولا بها[٨] ، ثم صعد إلى قلعتها يوم الإثنين سابع عشرين صفر[٩] مؤيداً منصوراً ، مسروراً محبوراً .

وعمل له الأمير طُمان[١٠] وليمة عظيمة ، وكان يوماً مشهوداً مشهوراً ، فسمعه بعضهم وهو داخل يتلو[١١] هذه الآية : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ الآية [آل عمران : ٢٦] . ولما دخل دار الملك تلا قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ ﴾ الآية [الأحزاب : ٢٧] . ولما دخل مقام إبراهيم صلى فيه ركعتين ، أطال السجود به والدعاء والتضرّع [إلى الله][١٢] ، رحمه الله .

ثم شرع في عمل وليمة عظيمة . وقد ضربت البشائر ، وخلع السلطان على الأمراء ، وأحسن إلى الرؤساء والفقراء ، وألقت[١٣] الحرب أوزارها ، وقضت القلوب أوطارها : [من الطويل]

---

(١) ط : جيداً .
(٢) ط : وقيل إنه جاوزها بثنتين .
(٣) ط : حزناً شديداً .
(٤) ط : الناصر .
(٥) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٤ من هذا الجزء .
(٦) مكان اللفظة في ط : من القلعة .
(٧) ب : بالمخيم .
(٨) ط : في المخيم يرى حلب أياماً غير مكترث بحلب ولا وقعت منه موقعاً .
(٩) ط : يوم الإثنين السابع والعشرين من صفر .
(١٠) في ط : طهمان ، والأمير طُمان بن غازي بن يلمي بن تنجول ، حسام الدين ، أمير الرقة . نجح في السفارة بين صلاح الدين وعماد الدين زنكي ، فكافأه صلاح الدين بإمارة الرقة ، وكان من المجاهدين المجتهدين والأتقياء المجتهدين . توفي سنة ٥٨٥هـ . الروضتين (٢/ ٤٣) و(١٤٩) ووفيات الأعيان (٧/ ١٧٠ و١٩٤) .
(١١) ط : فتلا هذه الآية وهو داخل في بابها .
(١٢) عن ط وحدها .
(١٣) ط : ووضعت .

وأَلْقَتْ عَصَاهَا واسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالإِيَابِ المُسَافِرُ

وقد امتدحه الشعراء عند فتح حلب بمدائح[١] حسان .

[وكانت قد وقعت منه موقعاً عظيماً حتى إنه قال][٢] : ما سررت بفتح قلعة أعظم سروراً من فتحي[٣] مدينة حلب . وأسقط[٤] عنها وعن سائر بلاد الجزيرة المكوس[٥] والضرائب ، وكذلك عن بلاد الشام ومصر ، فجزاه الله [عن نفسه وعن الإسلام][٦] خيراً .

[وقد كانت الفرنج في غيبة السلطان واشتغاله ببلاد الجزيرة وتلك الأمور قد عاثت في البلاد بالإفساد يميناً وشمالاً ، واغتنمت الثعالب غيبة الأسد فجالت حول العرين وهي تظن ذلك خيالاً][٧] . فأرسل السلطان إلى عساكره ليجتمعوا[٨] إليه ، ويكونوا بين يديه ليتصدّى بعد هذا كله للفرنج[٩] وقتالهم .

وكان قد بُشّر بفتح بيت المقدس حين فتح حلب ، وذلك أن الفقيه مجد الدين ابن جهبل[١٠] الشافعي رأى في تفسير أبي الحكم بن بَرّجان المغربي[١١] عند قوله تعالىٰ : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ الآية [الروم : ١ـ٢] . البشارة بفتح بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة ، واستدل على ذلك بأشياء ، فكتب ذلك[١٢] في ورقة وأعطاها للفقيه عيسى الهَكّاري[١٣] ، ليبشّر بها السلطان ، فلم يتجاسر على ذلك خوفاً من عدم المطابقة ، فأعلم بذلك القاضي محيي الدين بن الزكي[١٤] ،

---

(١) الروضتين (٢/ ٤٣ ـ ٤٦) .
(٢) ط : ثم إن القلعة وقعت منه بموقع عظيم ثم قال .
(٣) ط : فتح .
(٤) ط : وأسقط .
(٥) ب : المكوسات .
(٦) عن ب وحدها .
(٧) مكانهما في ط : وقد عاث الفرنج في غيبة في الأرض فساداً .
(٨) ط : فاجتمعوا إليه .
(٩) ب : لقتال الفرنج العدو المخذول .
(١٠) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٦ من هذا الجزء .
(١١) ب ، ط : أبي الحكم العربي . هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي أبو الحكم بن برّجان : شيخ الصوفية . كان عبداً صالحاً . له تفسير القرآن العظيم ، وشرح الأسماء الحسنى . توفي سنة ٥٣٦هـ . ترجمته في وفيات الأعيان (٤/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) والعبر (٤/ ١٠٠) ـ بيروت (٢/ ٤٥٠) وفوات الوفيات (١/ ٥٦٩) ومرآة الجنان (٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) .
(١٢) ب : فكتبه .
(١٣) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٥ من هذا الجزء .
(١٤) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٨ من هذا الجزء .

فنظم معناها في قصيدة يقول فيها[١] : [من البسيط]

وَفَتْحُكُم حَلَبَ الشَّهْباءَ في صَفَرٍ قَضَى لَكُمْ بِافْتِتَاحِ القُدْسِ فِي رَجَبِ

وقدمها للسلطان [فتشوَّفت همته إلى ذلك][٢] . فلما افتتحها ، كما سيأتي ، أمر القاضي[٣] ابن الزكي[٤] فخطب يومئذ ، وكان يوم الجمعة . ولما [بلغه أن ابن جهبل هو الذي اطّلع على ذلك أولاً أمره][٥] فدرّس على نفس الصخرة درساً عظيماً ، وأجزل له العطاء ، وأحسن عليه الثناء .

فصل

[في غزو بَيْسان]

ثم رحل السلطان من حلب في أواخر ربيع الآخر بجيوشه وعساكره ، وقد جعل فيها[٦] ولده الظاهر غازي[٧] ، وولّى قضاءها لمحيي الدين بن الزكي[٨] ، فاستناب فيها له نائباً[٩] ، ورجع[١٠] هو مع السلطان في خدمته ، فاجتاز بحماة ثم بحمص ثم على بعلبك ، ثم دخل[١١] دمشق في ثالث جمادى

---

(١) البيت في ابن الأثير (٩/ ١٦٢) بالرواية التالية :

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

وهو في الروضتين (٢/ ٤٦) بروايتين : إحداهما برواية ابن الأثير ، وأما الرواية الأخرى فهي :

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر قضى لكم بافتتاح القدس في رجب

وهو في وفيات الأعيان (٢/ ٣٣١) و(٤/ ٢٢٩) بالرواية التالية :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

(٢) ط : إلى السلطان فتاقت نفسه إلى ذلك .

(٣) ليس في ط .

(٤) ليس في أ .

(٥) ط : ثم بلغه بعد ذلك أن ابن جهبل هو الذي قال ذلك أولاً فأمره .

(٦) ب : بها .

(٧) الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين . ولد بمصر سنة ٥٦٨هـ ، أعطاه أبوه مملكة حلب سنة ٥٨٢هـ ، بعد أن كانت لعمّه الملك العادل . وكان بديع الحسن ذا دهاء ورأي سمحاً جواداً . توفي سنة ٦١٣هـ . ابن الأثير (٩/ ٣٢٢) ومرآة الزمان (٨/ ٥٧٩) وذيل الروضتين (٩٤) ووفيات الأعيان (٤/ ٦ ـ ٩) والعبر (٥/ ٣٦) ـ بيروت (٣/ ١٦٠) ومرآة الجنان (٤/ ٢٧) .

(٨) سيرد ذكر وفاته في سنة ٥٩٨ من هذا الجزء .

(٩) ب ، ط : فاستناب له فيها .

(١٠) ط : وسار مع .

(١١) ط : فدخلوا .

الأولى مؤيداً منصوراً في أُبَّهة عظيمة ونعمة[١] جسيمة ، وكان ذلك يوماً مشهوداً ، [ومن نيته الخروج سريعاً إلى قتال الفرنج ، فبرز منها في أول جمادى الآخرة في جحافله ، قاصداً نحو القدس الشريف][٢] ، فانتهى إلى بَيْسان[٣] فنهبها ، ونزل على عين جالوت[٤] ، وأرسل بين يديه سرية هائلة ، فيها جرديك[٥] وطائفة من النورية وجاء[٦] مملوك عمه أسد الدين ، فوجدوا جيش الكرك من الفرنج قاصدين إلى أصحابهم نجدة لهم ، فالتقوا[٧] معهم ، فقتلوا من الفرنج خلقاً كثيراً ، وأسروا مئة أسير ، ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد ، ثم عاد في آخر ذلك اليوم .

وبلغ السلطان أن الفرنج قد اجتمعوا لقتاله ، فقصدهم ، وتصدّى لهم لعلهم يصافّونه ، [فنكلوا عنه][٨] ، فقتل منهم خلقاً كثيراً من أطرافهم ، وجرح مثلهم ، فرجعوا ناكصين على أعقابهم ، خائفين منه غاية المخافة ، لكثرة جيشه ، ولله[٩] الحمد والمنة ، وهو خلفهم[١٠] يقتل ويأسر حتى أوغلوا[١١] في بلادهم ، فرجع عنهم مؤيداً منصوراً ، جعل الله ثوابه موفوراً ، كما جعل سعيه مشكوراً .

وكتب القاضي[١٢] الفاضل إلى الخليفة يعلمه بما مَنَّ الله به عليه[١٣] وعلى المسلمين من نصرهم[١٤] على الفرنج[١٥] ، وكان لا يفعل شيئاً ، ولا يريد أن يفعله إلا أطلع[١٦] عليه الخليفة أدباً واحتراماً ، وطاعة واحتشاماً .

---

(١) ب : ونعمة حسنة .
(٢) ط : ثم برز منها خارجاً إلى قتال الفرنج في أول جمادى الآخرة قاصداً نحو بيت المقدس .
(٣) في ط : بياسن ، وبَيْسان : مدينة بغور الأردن ـ كما في معجم البلدان ـ وهي اليوم على الضفة الشرقية لنهر الأردن جنوب بحيرة طبرية .
(٤) عين جالوت : بليدة لطيفة بين بَيْسان ونابلس من أعمال فلسطين . كان الروم قد استولوا عليها مدة ، ثم استنقذها منهم صلاح الدين في سنة ٥٧٩هـ . معجم البلدان : عين الجالوت .
(٥) ط : بردويل . تصحيف ، وسترد ترجمة جرديك في حوادث سنة ٥٩٤ من هذا الجزء .
(٦) أ : وجاولي مملوك .
(٧) ب ، أ : فاتفقوا . وهو تصحيف .
(٨) ط : فالتقى معهم .
(٩) هذه الجملة عن ب وحدها .
(١٠) ط : ولا زال جيشه خلفهم .
(١١) ط : غزوا في بلادهم فرجعوا عنهم .
(١٢) ليس في ب .
(١٣) عن ط وحدها .
(١٤) ط : نصرة الدين .
(١٥) عن ط وحدها .
(١٦) أ ، ب : إلا طالع بذلك الخليفة .

فصل
[في غزو الكَرَك][١]

وفي رجب سار السلطان إلى الكَرَك ، فحاصرها ، وفي صحبته تقي الدين عمر[٢] بن أخيه ، وقد كتب إلى أخيه[٣] العادل [أبي بكر][٤] ليحضر عنده ، ليوليه حلب وأعمالها ، كما كان طلب منه[٥] . واستمرّ الحصار على الكرك مدة شهر رجب ، فلم يظفر منها بطلب . وبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا كلهم ليمنعوا منه الكرك ، فكرّ راجعاً إلى دمشق ليلقاهم[٦] ، وذلك من أكبر[٧] همه ، وأعظم طلبه . وأرسل[٨] ابن أخيه تقي الدين عمر إلى مصر نائباً ، وفي صحبته القاضي الفاضل ، وبعث أخاه العادل[٩] على مملكة حلب ، واستقدم ولده الظاهر[١٠] إليه ، وكذلك نوابه ومن يعزّ عليه . وإنما أعطى السلطانُ أخاه العادلَ حلب ليكون قريباً منه ، فإنه كان لا يقطع أمراً دون مشورته[١١] . واقترض السلطان الناصر من أخيه أبي بكر العادل مئة ألف دينار . وتألّم الظاهر بن الناصر على مفارقة حلب ، وكانت إقامته الأولى بها ستة أشهر ، ولكنه[١٢] لا يُظهر ما في نفسه لوالده ، لكن يظهر ذلك على صفحات وجهه وفلتات[١٣] لسانه .

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمئة

في هذه [السنة][١٤] أرسل السلطان إلى العساكر الحلبية والجزرية والمصرية [والشامية أن يقدموا

---

(١) كَرَك في معجم البلدان : اسم قلعة حصينة جدًّا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القُلزُم وبيت المقدس ، وهي على سنّ جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض . قلت : وتقع اليوم في أراضي الأردن شرقي القسم الجنوبي من البحر الميت .
(٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .
(٣) ط : لأخيه ، وقد تقدمت ترجمته في حواشي سنة ٥٧٢ من هذا الجزء .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : وفق ما كان طلب .
(٦) ب : للقاهم ، وسقطت اللفظة جميعاً من ط .
(٧) ب ، ط : همته .
(٨) ب : إلى ابن . وكانت كذلك في أ ، ولكن الناسخ شطب لفظة : إلى .
(٩) عن ب وحدها .
(١٠) تقدمت ترجمته في هوامش غزو بيسان في الصفحة السابقة .
(١١) ط ، ب : دونه .
(١٢) العبارة في ط : ولكن لا يقدر أن يظهر ما في نفسه لوالده لكن ظهر ذلك على صفحات وجهه ولفظات لسانه .
(١٣) في هامش أ : بيض هنا للوفيات بياضاً مقدار عشرة أسطر .
(١٤) ط : فيها .

عليه لقتال الفرنج][١] . فقدم تقي الدين عمر من مصر ومعه القاضي[٢] الفاضل ، وجاء[٣] من حلب أبو بكر العادل . وقدمت ملوك الجزيرة وسنجار [وتلك النواحي والأقطار][٤] ، وأخذهم كلهم[٥] مع جيشه ، فسار إلى الكرك ، فأحدقوا بها في رابع عشر جمادى الأولى ، وركب عليها المجانيق[٦] ، وكانت تسعة ، وأخذ في حصارها ، وذلك لأنه رأى أن فتحها الآن أنفع للمسلمين من غيرها ، [فإنهم يقطعون الطريق على الحجيج والتجار في البراري والبحار][٧] . فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الفرنج قد اجتمعوا له كلهم ، فارسهم وراجلهم ، ليمنعوا منه الكرك ، فانشمر عنها ، وقصدهم فنزل على حسبان[٨] تجاههم ، ثم صار إلى ماء عين[٩] ، فانهزمت الفرنج قاصدين إلى الكرك ، فأرسل وراءهم من قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأمر السلطان الجيوش بالإغارة على السواحل لخلوِّها من المقاتلة ، فنهبت نابلس وما حولها من القرايا[١٠] والرساتيق .

ثم عاد السلطان إلى دمشق ، وأذن للعساكر في الانصراف إلى بلدانهم[١١] الشتى ، وأمر ابن أخيه تقي الدين عمر[١٢] الملك المظفر أن يعود إلى مصر بعسكره[١٣] ، وكذلك لأخيه العادل أن يعود إلى الشهباء . وأقام السلطان[١٤] بدمشق ليؤدي فرض الصيام ، ولتجم[١٥] الخيل ، ويحدّ الحسام ، وقدمت[١٦] على السلطان خلع[١٧] الخليفة ، فلبسها وألبس أخاه العادل وابن عمه ناصر الدين محمد[١٨] بن شيركوه ثم خلع

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) عن أ وحدها .
(٣) ليس في ط .
(٤) ط : وغيرها .
(٥) ط : فاخذ الجميع وسار نحو الكرك ، ب : وأخذها كلها .
(٦) ط : المنجنيقات .
(٧) ط : فإن أهلها يقطعون الطريق على الحجاج .
(٨) في ط : حسان . وهو تصحيف . الروضتين (٢/ ٥٥) .
(٩) في ط : ماعسر ، وهو تصحيف . الروضتين (٢/ ٥٥) .
(١٠) ط : القرى .
(١١) ط : بلادهم .
(١٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .
(١٣) ب : بعساكره ، وليست اللفظة في ط .
(١٤) ط : هو .
(١٥) ط : وليجل .
(١٦) ط ، ب : وقدم .
(١٧) ب : خلعة .
(١٨) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨١ من هذا الجزء .

السلطان خلعته على نور الدين[١] بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا[٢] وخَرْتَبِرْت[٣] وآمد التي أطلقها له السلطان .

وفي هذه السنة مات ابن عمه صاحب ماردين وميافارقين وتلك الأعمال وهو قطب الدين إيلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق فقام في الملك بعده ولده وله من العمر عشرون سنة .

وفيها : مات صاحب المغرب أيضاً يوسف[٤] بن عبد المؤمن بن علي ، وقام في الملك بعده ولده يعقوب .

وفي أواخر[٥] السنة بلغ السلطان[٦] صلاح الدين أن صاحب الموصل نازل إربل[٧] ، فبعث صاحبها يستصرخ بالسلطان[٨] ، فركب من فوره إليه في جنوده وعساكره ، فسار إلى بعلبك ثم إلى حمص ثم إلى حماة فأقام بها أياماً ينتظر وصول العماد الكاتب إليه ، وذلك لأنه حصل له ضعف ، فأقام ببعلبك ، [ريثما أبلَّ من مرضه][٩] ، وقد أرسل إليه القاضي الفاضل من دمشق طبيباً[١٠] يقال له أسعد[١١] بن إلياس المطران ، فعالجه معالجة[١٢] من طب لمن حب[١٣] .

---

(١) ط : ناصر الدين . وهو تصحيف . وهو محمد بن قرا رسلان بن داود ، نور الدين ، صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر . تزوج ابنة قلج أرسلان إلا أنه أهملها مما حدا بأبيها أن يحاربه ، ولكن صلاح الدين قرّب بينهما . توفي سنة ٥٨١هـ . ابن الأثير (٩/ ١٥٠ و١٥١ و١٥٧ و١٦١ و١٦٥ و١٦٩) والروضتين (٢/ ٦٣) وأبو الفداء (٣/ ٦٩) .

(٢) حصن كَيْفا ـ ويقال : كَيْبا : وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر . (معجم البلدان) .

(٣) « خَرْتَبِرْت » : ويعرف أيضاً بحصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم ، بينه وبين ملطية مسيرة يومين ويفصل بينهما الفرات . (معجم البلدان) .

(٤) من هذه اللفظة إلى آخر السطر ليس في أ . وترجمة يوسف بن عبد المؤمن في ابن الأثير (٩/ ١٦٥) والروضتين (٢/ ٦٠) وأبو الفداء (٣/ ٦٧) ووفيات الأعيان (٧/ ١٣٠ ـ ١٣٨) والعبر (٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) ـ بيروت (٣/ ٧٩ ـ ٨٠) ومرآة الجنان (٣/ ٤١٧) .

(٥) ط : وفي أواخرها .

(٦) ليس في ط .

(٧) « إربل » : مدينة كبيرة وقلعة حصينة بالقرب من الموصل من جهتها الشرقية (معجم البلدان : إربل) ووفيات الأعيان (١/ ١٨٧) وهي اليوم إحدى محافظات العراق وتسمى أربيل، وتقع شمالي كركوك وغربي السليمانية وشرقي الموصل.

(٨) ط : به .

(٩) عن أوحدها .

(١٠) أ : حكيماً .

(١١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .

(١٢) ب ، ط : مداواة .

(١٣) في هامش أ : هنا بياض للوفيات في نسخة الأصل مقدار عشرين سطراً .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمئة

استُهلّت [هذه السنة][١] ، والسلطان مخيّم بظاهر حماة ، فسار[٢] إلى حلب ، وتلقاه أخوه العادل ، واجتمعت إليه العساكر ، فخرج[٣] منها في صفر لقصد[٤] الموصل ، فقطع الفرات ، وجاء إلى حَرَّان ، فقبض على صاحبها مظفر الدين[٥] بن زين الدين ، وهو أخو زين[٦] الدين صاحب إربل ، ثم رضي عنه ، وأعاده إلى مملكته حين تبيَّن حسن طويته[٧] ، ثم سار منها إلى الموصل ، فتلقاه الملوك من كلِّ ناحية ، وجاء إلى خدمته عماد الدين أبو بكر بن قرا رسلان صاحب بلاد بكر وآمد ، ثم بلغه موت أخيه نور الدين[٨] بن قرا أرسلان[٩] ، فطلب دستوراً ليأخذ مملكته فأعطاه .

وسار السلطان فنزل على الإسماعيليات قريباً من الموصل . وجاءه صاحب إربل زين الدين بن زين الدين وهو ممن[١٠] خضع له من ملوك تلك الناحية كما تقدم .

وأرسل السلطان ضياء الدين[١١] بن كمال الدين الشهرزوري إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل ، وإنما مقصوده ردهم إلى طاعة الإمام[١٢] ، ونصرة الإسلام .

فحاصرها مدة ثم ترحّل[١٣] عنها في آخر ربيع الآخر ، ولم يفتحها ، وسار إلى خِلاط[١٤] ، واستحوذ

---

(١) ليس في ط .
(٢) ط : ثم سار .
(٣) ط : ثم خرج .
(٤) ط : قاصداً .
(٥) هو مظفر أبو سعيد كوكُبُري بن زين الدين علي بن بُكْتِكين بن محمد ، الملقب بالملك المعظم ، مظفر الدين ، صاحب إربل ، اتصل بخدمة صلاح الدين ، وتمكن منه ، وتزوج بأخته ربيعة ، وشهد معه حرب الفرنج فأبان عن شجاعة وإقدام ، فأعطاه السلطان إربل وشهرزور . توفي سنة ٦٣٠هـ . ترجمته في ذيل الروضتين (١٦١) ووفيات الأعيان (٤/ ١١٣) وأبو الفداء (٣/ ١٥٣) والعبر ـ بيروت (٣/ ٢٠٨) .
(٦) سترد وفاته في حوادث سنة ٥٨٦ .
(٧) ط : حتى يتبين خبث طويته . وهو تصحيف .
(٨) عن ب وحدها .
(٩) هو محمد بن قرا رسلان . تقدمت ترجمته في هامش حوادث سنة ٥٨٠ .
(١٠) ط : وجاءه صاحب إربل نور الدين الذي خضعت له ، واسمه مصحف .
(١١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٩ من هذا الجزء .
(١٢) ط : الخليفة .
(١٣) ط : رحل .
(١٤) « خِلاط » : قصبة أرمينية الوسطى ، تقع على بحيرة وان ، كما في معجم البلدان : خلاط . واسم البحيرة ـ اليوم ـ بحيرة فان ، وتقع في شرقي تركيا .

على[١] بلدان كثيرة ، وأقاليم جمَّة ببلاد الجزيرة وديار بكر ، وجرت أمور طويلة قد استقصاها ابن الأثير في « الكامل »[٢] وصاحب « الروضتين »[٣] .

ثم وقع الصلح بينه وبين المواصلة ، على أن يكونوا من جنده إذا ندبهم لقتال الفرنج ، وعلى أن يُخْطَب له ، وتُضْرَبُ السكةُ باسمه[٤] ، ففُعِلَ ذلك في تلك البلاد كلها ، وانقطعت خطبة السلاجقة والأُرْتُقِيَّة[٥] بتلك البلاد كلها ، واتفق الحال ، وزال الإشكال .

واتفق[٦] أنه مرض السلطان بعد هذا مرضاً شديداً ، وهو يتجلّد[٧] ، ولا يُظْهر شيئاً من التألُّم[٨] ، حتى قوي عليه الأمر ، وتزايد الحال حتى وصل إلى حرّان ، فخيّم هنالك من شدة ألمه . وشاع ذلك في البلاد ، وخاف الناس عليه ، [ومرضوا لمرضه][٩] ، وأرجفت الكفرة والملحدون بموته[١٠] ، وخاف أهل البلد والمؤمنون ، وقصده أخوه أبو بكر العادل[١١] من حلب بالأطباء والأدوية ، فوجده في غاية الضعف ، وأشار عليه بأن يوصي ويعهد ، فقال : ما أبالي وأنا أترك من بعدي أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا ، يعني أخاه العادل صاحب حران ، وتقي الدين عمر صاحب حماة ، وهو إذ ذاك نائب مصر ، وهو بها مقيم ، وابنيه العزيز عثمان[١٢] ، والأفضل[١٣] عليًّا ، ثم نذر لله تعالىٰ لئن شفاه من مرضه هذا ليصرفنَّ همته كلها إلى قتال الكفار[١٤] ، ولا يقاتل بعد ذلك مسلماً ، وليجعلن[١٥] أكبر همه فتح بيت المقدس ،

---

(١) ب : سار إلى .
(٢) الكامل (٩/ ١٦٧ ـ ١٦٩) .
(٣) الروضتين (٢/ ٦٣ ـ ٦٦) .
(٤) ط : وتضرب له السكة ففعلوا .
(٥) ط : والأزيقية . وهو تصحيف . وإنما النسبة إلى أُرْتُق بن أَكْسَب جد الملوك الأُرْتُقية . وهو رجل من التركمان . توفي سنة ٤٤٨ أو ٤٤٩هـ ، وخلّف ولدين هما سُكمان وإيلغازي ، احتلا الجزيرة الفراتية وملكا ديار بكر وماردين في عام ٤٩١هـ . وفيات الأعيان (١/ ١٩١) .
(٦) ط : ثم اتصف .
(٧) ط : فكان يتجلد .
(٨) ط : من الألم .
(٩) ليس في ط .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) تقدمت ترجمته في هوامش سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(١٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٥ من هذا الجزء .
(١٣) تقدمت ترجمته في هوامش سنة ٥٧٢ من هذا الجزء .
(١٤) ط : الكفار .
(١٥) ط : وليجعل .

ولو صرف في سبيل ذلك جميع ما يملكه من الأموال والذخائر ، وليقتلن البرنس صاحب الكرك بيده ، وذلك لأنه نقض العهد [الذي عاهد السلطان عليه ، فغدر بقافلة تجار من مصر][١] ، فأخذ أموالهم ، وضرب رقابهم صبراً بين يديه ، وهو يقول : أين محمَّدكم[٢] ينصركم .

وكان هذا النذر كله بإشارة القاضي الفاضل رحمه الله ، هو الذي أرشده إلى ذلك ، وحثَّه عليه ، حتى عقده مع الله عز وجل . فشفاه [الله تعالىٰ ، وعافاه مما كان ابتلاه به من ذلك][٣] المرض الذي كان فيه كفَّارة لذنوبه ، ورفع لدرجته ، ونصرة للإسلام وأهله ، وجاءت البشائر[٤] بذلك من كل ناحية ، وزينت البلاد ، ولله الحمد والمنة .

وكتب[٥] الفاضل من دمشق ، وهو مقيم بها إلى المظفر تقي الدين عمر نائب مصر لعمه الناصر : إنَّ العافية الناصريّة قد استقامت واستفاضت أخبارها ، وطلعت بعد الظلمة أنوارها ، وظهرت بعد الاختفاء آثارها . وولت العلَّة ، ولله الحمد والمنة . وأُطفئت[٦] نارها ، وانجلى غبارها ، وخمد شرارها ، وما كانت إلا فلتة وقى الله شرها[٧] ، وعظيمة كفى الإسلام أمرها[٨] ، ونوبة امتحن الله بها نفوسنا ، فرأى أقل ما فيها صبرها[٩] . وما كان الله ليضيع الدعاء ، وقد أخلصته القلوب ، ولا ليوقف[١٠] الإجابة ، وإن سدَّت طريقها الذنوب ، ولا ليخلف وعد فرج وقد أيس الصاحب والمصحوب : [من الوافر]

نَعِيٌّ زادَ فيهِ الدَّهْرُ مِيمَا ... فَأَصْبَحَ بَعْدَ بُؤْسَاهُ نَعِيمَا
وَمَا صَدَقَ النَّذِيرُ بِهِ لأَنِّي ... رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَالنُّجُومَا

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر العافية غضة جديدة ، والعزمة ماضية حديدة ، والنشاط إلى الجهاد ، والتوبة لرب العباد ، والجنة مبسوطة البساط ، وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط ، وعرضنا نحن على الأهوال التي من خوفها كاد الجمل يلج في سَمِّ الخياط .

ثم ركب السلطان من حرَّان بعد العافية ، فدخل حلب ، ثم اجتاز بحماة وحمص . ودخل إلى

---

(١) مكانهما في ط : وتنقص الرسول ﷺ وذلك أنه أخذ قافلة ذاهبة من مصر إلى الشام .
(٢) ط : دعوه ينصركم .
(٣) ط : فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض .
(٤) ط : البشارات .
(٥) الكتاب في الروضتين (٢/٦٦) بخلاف في الرواية .
(٦) ط : وطفئت .
(٧) ط : وشنارها .
(٨) ط : عارها وتوبة .
(٩) ط ، ب : فرأى أقل ما عندها صبرنا .
(١٠) ط : تتوقف .

دمشق ، وقد تكاملت عافيته ، وكان يوم دخوله إليها مشهوداً[١] ، وصباحه محموداً[٢] ، ولله[٣] المنة .

وممن[٤] توفي في هذه السنة [من الأعيان][٥] :

الفقيه مهذب الدين عبد الله بن أسعد الموصلي مدرس حمص[٦] :

وكان بارعاً في فنون ، ولا سيما في الشعر والأدب . وقد أثنى عليه العماد والشيخ شهاب الدين [أبو شامة][٧] ، رحمه الله تعالىٰ .

الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة[٨] :

وهو ابن عم السلطان صلاح الدين ، وزوج أخته ست الشام بنت أيوب . [وكانت وفاته][٩] بحمص ، فنقلته زوجته ست الشام إلى تربتها بالمدرسة الشامية البرانية ، فقبره هو الأوسط بينها وبين أخيها المعظَّم تورانشاه[١٠] ، صاحب اليمن ، وقد خلف ناصر الدين محمد من الأموال والذخائر شيئاً كثيراً ، ينيف على ألف ألف دينار ، وكانت وفاته يوم عرفة فجأة ، فولي[١١] بعده مملكة حمص ولده أسد الدين شيركوه[١٢] بأمر السلطان صلاح الدين أيده الله تعالىٰ .

محمود بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الرحمن الشيخ جمال الدين أبو الثناء المحمودي ابن الصابوني[١٣] :

---

(١) ليس في ط .
(٢) ب : وصباحاً .
(٣) ليست عبارة : ولله الحمد في ب .
(٤) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(٥) ليس في ب .
(٦) ترجمته في الخريدة ـ قسم الشام (٢/ ٢٧٩ ـ ٢٩٤) وابن الأثير (٩/ ١٧٢) وإنباه الرواة (٢/ ١٠٣) والروضتين (٢/ ٦٧) ووفيات الأعيان (٣/ ٥٧ ـ ٦١) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٢٧ ـ ٧٢٩) والعبر (٤/ ٢٤٣) ـ بيروت (٣/ ٨١ ـ ٨٢) ومرآة الجنان (٣/ ٤٢٢) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ترجمته في وفيات الأعيان (٤/ ٤٨٠) وأبو الفداء (٣/ ٦٩ ـ ٧٠) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٣٧) والعبر (٤/ ٢٤٦) ـ بيروت (٣/ ٨٣) والروضتين (٢/ ٦٧) .
(٩) ط : توفي .
(١٠) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٧٦ من هذا الجزء .
(١١) أ : فولي من بعده .
(١٢) هو شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي : ولد سنة ٥٦٩ ، وتملك حمص بعد وفاة أبيه سنة ٥٨١هـ ، وكان عمره إذ ذاك ١٢ سنة ، وظل فيها حتى توفي سنة ٦٣٧هـ ، وكان عسوفاً لرعيته ، وملك حمص بعده ابنه إبراهيم . وفيات الأعيان (٢/ ٤٨٠) وأبو الفداء (٣م١٦٥ ـ ١٦٦) والعبر ـ بيروت (٣/ ٢٣٠) .
(١٣) جاء الاسم مصحفاً في ط على النحو التالي : المحمودي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الرحيم الشيخ جمال=

لأن جدّ أبيه الشيخ أبا عثمان الصابوني كان أحد الأئمة المشاهير[١] ، وإنما يقال له (المحمودي) لصحبة جده للسلطان محمود بن محمد[٢] بن ملكشاه ، فقدم الشيخ كمال الدين هذا الشام في أيام السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، فأكرمه واحترمه ، ثم سار إلى مصر ، فنزلها ، وكان صلاح الدين يكرمه أيضاً ، وأوقف[٣] عليه ، وعلى ذريته أرضاً ، فهي لهم إلى الآن ، [رحمه الله تعالى][٤] .

الأمير الكبير سعد الدين مسعود بن معين الدين أُنَر[٥] : كان من الأمراء الكبار أيام نور الدين وصلاح الدين ، وهو أخو الست خاتون . وحين تزوجها صلاح الدين زوَّجه أخته الست ربيعة[٦] خاتون بنت أيوب التي تنسب إليها المدرسة الصاحبة[٧] بالسفح على الحنابلة . وقد تأخرت مدتها ، فتوفيت سنة ثلاث وأربعين وستمئة[٨] ، فكانت آخر من بقي من أولاد أيوب لصلبه ، وكانت وفاته في دمشق في جمادى الآخرة من جرح أصابه ، وهو في حصار ميَّافارقين[٩] رحمه الله تعالىٰ وإيانا بمنه وكرمه .

= الدين أبو الثناء . وقد ترجم له أبو شامة في الروضتين (٢/ ٦٨) فقال : وفي هذه السنة توفي بمصر في شعبان الشيخ جمال الدين أبو الفتح ، أبو الثناء ، أبو محمد ، محمود بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن المحمودي ، المعروف بابن الصابوني . ودفن بسارية من القرافة . ومولده ببغداد سنة خمسمئة . وجد أبيه لأمه شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، فيه عرف بابن الصابوني ، وكان جده صحب السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، ونسبته بالمحمودي إليه . ودخل ابن الصابوني هذا دمشق زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، رحمه الله ، واجتمع به ، ونزل إلى زيارته ، وسأله الإقامة بدمشق ، فذكر له قصده زيارة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه بمصر ، فجهزه وسيّره صحبة الأمير نجم الدين أيوب والد صلاح الدين سنة سار إلى ولده بمصر ، وصار بينه وبينه صحبة أكيدة ، ومحبة عظيمة ، بحيث إنه ما كان يصبر عنه ساعة واحدة ، وأقبل عليه . ولما ملك ولده الملك الناصر صلاح الدين ، رحمه الله ، مصر ، لم يمكنه من العود إلى الشام ، ووقف عليه وقفاً بالديار المصرية ، وعلى عقبه ، وهو باق بأيديهم إلى الآن . قال بشار : وله ترجمة في تكملة المنذري (في القسم غير المنشور ، وهو في النسخة المحفوظة بالخزانة الملكية بمراكش ، الورقة ٦) ، وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٤٢ـ٧٤٣) ، وفيهما : محمد بن أحمد بن علي بن أحمد ، أبو الفتح المحمودي البغدادي .

(١) ط : المشهورين .

(٢) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٢٥هـ من هذا الجزء .

(٣) أ : ووقف .

(٤) ليس في ب .

(٥) ترجمته في الروضتين (٢/ ٦٧) ومرآة الزمان (٨/ ٣٨٥) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٢٦) .

(٦) ترجمتها في ذيل الروضتين (١٧٧) ووفيات الأعيان (٤/ ١٢٠ ـ ١٢١) وأبو الفداء (٣/ ١٧٤) والعبر ـ بيروت (٣/ ٢٤٥) .

(٧) ط : الصلاحية ، منادمة الأطلال (٢٣٧) . والسفح : سفح قاسيون .

(٨) ط : وسبعمئة . وهو تصحيف .

(٩) « ميَّافارقين » : أشهر مدن ديار بكر .

الست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أُنر[١] نائب دمشق وأتابك عسكرها قبل نور الدين كما تقدم :

وقد كانت زوجة نور الدين ، رحمه الله ، ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين في سنة ثنتين وسبعين [وخمسمئة][٢] . وكانت من أحسن النساء وأعفّهن وأكثرهن صدقة . وهي واقفة الخاتونية[٣] الجوانية بمحلة حجر الذهب وخانقاه خاتون[٤] ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس . ودفنت بتربتها[٥] في سفح قاسيون قريباً من قباب الشركسية[٦] ، [ولها أوقاف كثيرة غير ذلك][٧] . فأما الخاتونية البرانية التي على القنوات بمحلة صنعاء الشام ، ويعرف ذلك المكان الذي[٨] هي فيه بتل الثعالب فهي من إنشاء الست زمرّد[٩] خاتون بنت جاولي ، وهي أخت الملك دقاق لأمه ، وكانت زوجة زنكي والد نور الدين صاحب حلب . وقد ماتت قبل هذا الحين كما تقدم ، رحمها[١٠] الله تعالىٰ .

الحافظ[١١] الكبير أبو موسى المديني ، محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد[١٢] الأصبهاني[١٣] رحمه الله تعالىٰ :

---

(١) ترجمتها في الروضتين (١/ ٢٦٣) و(٢/ ٦٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٣٦) والعبر (٤/ ٢٤٥) ومنادمة الأطلال (١٦٩-١٧٠) و(٢٧٤ ـ ٢٧٥) و(٣٣٣) .

(٢) عن ط وحدها .

(٣) منادمة الأطلال (١٦٩) .

(٤) منادمة الأطلال (٢٧٤ ـ ٢٧٥) .

(٥) منادمة الأطلال (٣٣٣) .

(٦) ط : السركسية ، وفي منادمة الأطلال : الجهاركسية .

(٧) ليس في ط .

(٨) ط : التي .

(٩) تقدمت ترجمتها في حوادث سنة ٥٥٧ من هذا الجزء .

(١٠) ب : رحمهم ، وليست جملة الترحم في ط .

(١١) جاءت الترجمة مختصرة في أ ، ب ، مما حدا ناسخ أ إلى كتابة هذه الملاحظة في الهامش (ترك له بياضاً) . ترجمته في وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٦) وأبو الفداء (٣/ ٧٠) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٣٨ ـ ٧٤١) والعبر (٤/ ٢٤٦) ـ بيروت (٣/ ٨٤) ومرآة الجنان (٣/ ٤٢٣) وفي هذه المصادر أنه ولد سنة ٥٠١هـ . وسمع من غانم البرجي وجماعة من أصحاب أبي نُعَيْم . وله مؤلفات مفيدة ، منها المغيث في مجلد ، كمّل به كتاب الغريبين للهروي ، واستدرك عليه ، وهو كتاب نافع . وله كتاب الزيادات في جزء لطيف ، جعله ذيلاً على كتاب شيخه أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الذي سماه كتاب الأنساب ، وذكر من أهمله وما أقصر فيه . ورحل عن أصبهان في طلب الحديث . ثم رجع إليها وأقام بها .

(١٢) في أ ، ب : « محمد بن عمر بن محمد بن أحمد » وفي ط : محمد بن عمر بن محمد ، وكله غلط والصواب ما أثبتنا من مصادر ترجمته (بشار) .

(١٣) ط : الحافظ الموسوي المديني .

أحد حفاظ الدنيا الرحالين الجوالين . له مصنفات عديدة وشرح أحاديث كثيرة ، رحمه الله تعالىٰ[١] .

أبو[٢] القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر[٣] أحمد[٤] ابن[٥] أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح ـ وهو الداخل إلى الأندلس ـ الخثعمي السهيلي[٦] : حكى القاضي[٧] ابن خلكان[٨] عن[ابن دحية][٩] أنه أملى عليه نسبه كذلك .

قال ابن خلكان[١٠] : والسُّهَيلي نسبة إلى قرية بالقرب من مالقة اسمها سُهيل[١١] ، لأنه لا يُرى سهيل النجم في شيء من تلك البلاد إلا من رأس جبل شاهق عندها ، [فسميت بذلك][١٢] .

ولد سنة ثمان وخمسمئة . وقرأ القرآن[١٣] واشتغل وحصّل حتى برع وساد أهل زمانه بقوة القريحة[١٤] وجودة الذهن وحسن التصانيف[١٥] . وكان ضريراً مع ذلك . وله كتاب « الروض الأُنف » يذكر فيه نكتاً

---

(١) عن أ وحدها .
(٢) قبله في ب : قال السهيلي ، وفي ط : السهيلي .
(٣) ب : أبي عمرو .
(٤) ليست في ط .
(٥) ليس في ب .
(٦) ترجمته في معجم البلدان (سهيل) ، وفي إنباه الرواة (٢/ ١٦٢) ووفيات الأعيان (٣/ ١٤٣ ـ ١٤٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٣١ ـ ٧٣٢) والعبر (٤/ ٢٤٤) ـ بيروت (٣/ ٨٢) وتذكرة الحفاظ (١٣٤٨) ونكت الهميان (١٨٧) ومرآة الجنان (٣/ ٤٢٢) والديباج المذهب (١٥٠ ـ ١٥١) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) وفيات الأعيان (٣/ ١٤٣) .
(٩) عن أ وحدها . وابن دِحْية هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد الجُمَيِّل بن فَرْح بن خلف الكلبي ، المعروف بذي النسبين الأندلسي البلنسي الحافظ ـ ينتهي نسبه إلى دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ . ولد سنة ٥٤٤ أو ٥٤٦ أو ٥٤٨هـ . وأخذ عن علماء الأندلس ، ومنهم ابن زرقون ، وابن بشكوال ، وابن الجدّ . ورحل إلى المغرب وأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى المشرق فأخذ عن علمائها . وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين ، وسمع بأصبهان من أبي جعفر الصيدلاني ، وبنيسابور من الفراوي ، وغيرهم كثير . توفي سنة ٦٣٣هـ . ترجمته في مرآة الزمان (٦٩٨) وذيل الروضتين (١٦٣) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٤٨ ـ ٤٥٠) والعبر (٥/ ١٣٤) ـ بيروت (٣/ ٢١٧) وميزان الاعتدال (٣/ ١٨٦) ومرآة الجنان (٤/ ٨٤) .
(١٠) مكانهما في ط : ال . وفيات الأعيان (٣/ ١٤٤) .
(١١) معجم البلدان (سهيل) .
(١٢) مكانهمافي ط : وهي من قرى المغرب ولد السهيلي .
(١٣) ط : القراءات .
(١٤) أ : الفهم .
(١٥) ط : التصنيف وذلك من فضل الله تعالىٰ ورحمته .

حسنة على السيرة لم يسبق إلى أشياء كثيرة منها ، وله كتاب « الإعلام فيما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام » وله كتاب « نتائج الفكر » و « مسألة في الفرائض » بديعة ، و « المسألة في السرّ[١] في كون الدجال أعور » وأشياء كثيرة فريدة[٢] ، بديعة مفيدة .

وله أشعار حسنة . وكان عفيفاً فقيراً . وقد حصل له مال كثير آخر عمره من صاحب مراكش . [وكانت وفاته في هذه][٣] يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان منها[٤] . وله قصيدة كان يدعو الله بها ويرتجي الإجابة ببركتها[٥] ، وهي قوله[٦] : [من الكامل]

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ المُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا ... يَا مَنْ إِلَيْهِ المُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ ... امْنُنْ فَإِنَّ الخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ ... وَبِالافْتِقَارِ[٧] إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَالِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ ... وَلَئِنْ[٨] رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنِ الَّذِي أَدْعُو[٩] وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ ... إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
حَاشَا لِمَجْدِكَ أَنْ يُقَنِّطَ[١٠] عَاصِياً ... الفَضْلُ أَجْزَلُ وَالمَوَاهِبُ أَوْسَعُ[١١]

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وخمسمئة

في[١٢] ثاني ربيع الأول منها كان دخول [السلطان صلاح الدين إلى دمشق بعد عافيته ، فكان يوماً

(١) ط : مسألة سر كون الدجال أعور .
(٢) ط : وأشياء فريدة كثيرة بديعة مفيدة ، وفي ب : وأشياء كثيرة فريدة مفيدة بديعة .
(٣) ط : مات .
(٤) ط : من هذه السنة .
(٥) ب : بها ، ط : فيها .
(٦) الأبيات في وفيات الأعيان (٣/ ١٤٣) ومرآة الجنان (٣/ ٤٢٢) والديباج (١٥٠ ـ ١٥١) والشذرات (٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .
(٧) في ب وط وباقي المصادر : فبالافتقار ، وما هنا عن أ والشذرات .
(٨) في ب وط وباقي المصادر : فلئن ، وما هنا عن أ .
(٩) في ط : أرجو .
(١٠) في ط والشذرات والديباج : تقنط .
(١١) بعده في الديباج :
ثُمَّ الصَّلاةُ على النَّبيِّ وآلِهِ ... خَيْرِ الأَنَامِ وَمَنْ بِهِ يُسْتَشْفَعُ
(١٢) ب : فيها في ثاني .

مشهوداً ، كما جرت بمثل ذلك عادات الملوك ، واجتمع بالقاضي الفاضل ، وزاره واستزاره ، وفاوضه واستشاره](١) ، وكان لا يقطع أمراً دونه ، [ولا يخفي عنه مكنونه ولا ضميره ومضمونه](٢) .

ثم قرر السلطان في مُلْك دمشق(٣) ولده الأفضل علي .

ونزل العادل أبو بكر عن حلب لصهره زوج ابنته الملك الظاهر غازي بن السلطان(٤) .

وأرسل السلطان أخاه العادل صحبة ولده عماد الدين عثمان الملك العزيز على ملك مصر ، ويكون العادل أتابكه ، وله إقطاع عظيم(٥) جداً ، وعزل عنها نائبها(٦) تقي الدين عمر ، فعزم على الدخول إلى إفريقية ، [فلم يزل السلطان يكاتبه ، ويتلطّف به ، ويترفّق له](٧) ، حتى أقبل بجنوده نحوه ، فأكرمه واحترمه ، وعظَّمه وأقطعه حماة وبلاداً كثيرة معها ، وقد كانت له قبل ذلك بسنتين ، وزاده(٨) على ذلك مدينة ميّافارقين .

وامتدحه العماد الكاتب بقصيدة سينيَّة سنيَّة مذكورة(٩) في « الروضتين »(١٠) .

[وفي هذه السنة](١١) هادن قومص(١٢) طرابلس السلطان ، وصالحه ، وصافاه ، حتى كان يقاتل ملوك الفرنج أشدّ القتال ، ويسبي منهم النساء والأطفال(١٣) ، وكاد أن يُسْلِم ، ولكن صدّه شيطانه ، ورماه

---

(١) ط : دخول الناصر دمشق بعد عافيته وزار القاضي واستشاره .

(٢) ليس في ط .

(٣) ط : وقرر في نيابة دمشق .

(٤) ط : ابن الناصر .

(٥) ط : كبيرة .

(٦) ط ، ب : نيابتها .

(٧) ط : فلم يزل الناصر يتلطف به ويترفق له .

(٨) ط : وزاد له .

(٩) ط ، ب : ذكرها .

(١٠) في الروضتين (٢/ ٧١) : قال العماد : ومدحت تقي الدين بقصيدة سينية سنية ، قطوفها دانية جنية ، تشتمل على مئة وأربعين بيتاً ، أنشدته إياها في ثالث شهر رمضان من هذه السنة بدمشق ، وأوردت بعضها ، ومطلعها : [من الطويل]

عفا الله عنكم عن ذوي الشوق نَفِّسوا فقد تلفَتْ منا قلوبٌ وأنفسُ

قلت : وأورد أبو شامة من هذه القصيدة سبعة وعشرين بيتاً . ديوان العماد (٢٣٦ ـ ٢٣٩) وفيه الأبيات الواردة عند أبي شامة ذاتها .

(١١) ط : وفيها .

(١٢) القومص واسمه رموند بن ريموند الصنجيلي ، أخباره في ابن الأثير (٩/ ١٧٤) والروضتين (٢/ ٧٤ ـ ٧٥) ووفيات الأعيان (٧/ ١٧٥ و١٧٦ و١٨٣) .

(١٣) ط : النساء والصبيان .

بالخبال[١] ، وكانت مصالحة القومص من أقوى أسباب[٢] نصرة السلطان على الفرنج ومن أشدّ ما دخل عليهم في دينهم ودنياهم ، ولله الحمد والمنة[٣] .

قال العماد الكاتب[٤] : وكان المنجمون في جميع البلاد يحكمون بخراب العالم في شعبان ، عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان ، بطوفان الريح في سائر البلدان . وذكر أن ناساً من الجهلة تأهّبوا لذلك بحفر مغارات ومدخلات وأسراب في الأرض خوفاً من ذلك .

قال العماد الكاتب[٥] : فلما كانت تلك الليلة التي أشاروا إليها ، وأجمعوا عليها ، لم يُر ليلة مثلها في ركودها وركونها وهدوئها . وكذا ذكر غير واحد من الناس .

وقد نظم الشعراء في تكذيب المنجمين في هذه الوقعة وغيرها أشعاراً حسنة من ذلك قول عيسى بن مودود[٦] : [مجزوء الرمل][٧]

مَزِّقِ التَّقْوِيمَ والزِّيـ ـجَ فَقَدْ بَانَ الخَفَاءُ[٨]
إِنَّمَا التَّقْوِيمُ والزِّيـ ـجُ هَبَاءٌ وَهَوَاءُ[٩]
قُلْتَ لِلسَّبْعَةِ إِبْرا مٌ وَمَنْعٌ وَعَطَاءُ
وَمَتَى يَنْزِلْنَ فِي المَيْـ ـزَانِ يَسْتَوْلِي الهَواءُ
وَتُثِيرُ[١٠] الرَّمْلَ حَتَّى يَمْتَلِي مِنْهُ الفَضَاءُ
وَيَعُمُّ الأَرْضَ خَسْفٌ وَخَرَابٌ وَبَلاَءُ[١١]
ويَصِيرُ الْقَاعُ كَالقُفِّ وَكَالطَّوْدِ العَرَاءُ[١٢]

---

(١) ب : ورماه بالرباب والخبال .
(٢) ط : وكانت مصالحته أقوى أسباب النصر على الفرنج .
(٣) الجملة الدعائية الأخيرة عن ب وحدها .
(٤) رواية الخبر مختلفة في ط .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) هو أبو المنصور عيسى بن مودود بن علي بن عبد الملك بن شعيب ، فخر الدين ، صاحب تكريت . ولد بحماة من أتراك الشام ، وله ديوان شعر حسن ، ورسائل أدبية ، ودوبيت رقيق . قتله إخوته سنة ٥٨٤ ـ في قلعة تكريت . وفيات الأعيان (٣/ ٤٩٨ ـ ٥٠٠) .
(٧) الأبيات في الروضتين (٢/ ٧٣) وقد جعلها ناسخ ط كل شطرين في شطر واحد .
(٨) ط : فقد بان الخطا ، والقافية في ط كلها مقصورة .
(٩) في الروضتين : هواء وهباء .
(١٠) ط : ويثور . وقد جاء هذا البيت والذي يليه في ط قبل بيتين .
(١١) ط : رجف وخراب وبلى .
(١٢) أ : العواء ، وفي ب : العداء ، وما هنا عن الروضتين .

أَحْكَمُوا ذَا[١] فَأَبَى الحَا كِـمُ إِلَّا مَـا يَشَـاءُ
مَـا أَتَـى الشَّـرْعُ وَلَا جَـا ءَتْ بِهَـذَا الأَنْبِيَـاءُ
فَبَقِيتُـمْ ضِحْكَـةً يَضْـ حَـكُ[٢] مِنْهَـا العُلَمَـاءُ
حَسْبُكُـمْ خِـزْيـاً وَعَـاراً مَـا يَقُـولُ الشُّعَـرَاءُ[٣]
ثُمَّ مَا[٤] أَطْمَعَكُمْ في الـ حُكْـمِ إِلَّا الأُمَـرَاءُ
لَيْتَ إِذْ لَمْ يُحْسِنوا في الدِّ يـنِ ظَنّـاً مَـا[٥] أَسَـاؤوا
فَعَلَـى أَصْطِـرْلَابِ بَطْلَيْـ مُـوسَ[٦] والـزِّيـجِ العَفَـاءُ
وَعَلَيْـهِ الخِـزْيُ[٧] مَـا جَـا دَتْ عَلَى الأَرْضِ السَّمَاءُ[٨]

ومِمن توفي في هذه السنة من المشاهير[٩] :

أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بَرِّي بن عبد الجبار بن بري المقدسي ثم المصري[١٠] :

أحد أئمة اللغة والنحو في زمانه . وعليه كانت[١١] تعرض الرسائل بعد ابن بَابْشَاذ[١٢] . وكان كثير الاطلاع ، عالماً بهذا الشأن ، مطرحاً للتكلف في كلامه ، لا يعرّج[١٣] على الإعراب فيه إذا خاطب

---

(١) ب ، ط ، والروضتين : وحكمتم .
(٢) في الروضتين : تضحك .
(٣) أ : العظماء .
(٤) ط : ما الذي ، وفي ب : ما أطعمكم ، وتحتها : الذي .
(٥) صحفت اللفظتان في ط : طغاماً ، واهتم المحقق بشرح المعنى المصحَّف ولم يلتفت إلى الوزن المكسور .
(٦) أ : بطليموس .
(٧) في الروضتين : وعليه الحربي .
(٨) الأبيات الثلاثة الأخيرة ليست في ب .
(٩) ط : وممن توفي فيها من الأعيان .
(١٠) ترجمته عند ابن الأثير (٩/ ١٧٥) ومعجم الأدباء (١٢/ ٥٦) وإنباه الرواة (٢/ ١١٠) وتكملة المنذري (١/ الترجمة ٦) والروضتين (٢/ ٧٣) ووفيات الأعيان (٣/ ١٠٨ ـ ١٠٩) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٤٨ ـ ٧٥٠) والعبر (٤/ ٢٤٧) ـ بيروت (٣/ ٨٤) .
(١١) ط : وكان عليه تعرض .
(١٢) هو طاهر بن أحمد بن بابْشَاذ النحوي المصري الجوهري أبو الحسن . أصله من الديلم ، وصار إمام عصره في النحو . وله المصنفات المفيدة ، من مثل المقدمة المشهورة وشرحها ، وشرح جمل الزجاجي ، ومجموعة تسمى تعليق الغرفة انتقلت من بعده إلى تلميذه محمد بن بركات السعدي المتصدر مكانه ، ومن بعده إلى صاحبه ابن بَرّي المتصدر بعده ، ثم إلى صاحبه أبي الحسين النحوي المتصدر في موضعه . وخدم بمصر في ديوان الإنشاء . وسقط من السطح فمات سنة ٤٦٩هـ . معجم الأدباء (١٢/ ١٧) وإنباه الرواة (٢/ ٩٥) ووفيات الأعيان (٢/ ٥١٥ ـ ٥١٧) والعبر ـ بيروت (٣/ ٣٢٦) .
(١٣) ط : لا يلتفت ولا يعرج .

الناس . وله التصانيف المفيدة . توفي وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين رحمه الله تعالىٰ[١] . والله[٢] سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة

فيها : كانت وقعة حِطِّين[٣] ، التي كانت أمارة ، ومقدمة وبشارة[٤] ، لفتح بيت[٥] المقدس [على عباد الله الصالحين][٦] ، واستنقاذه من أيدي الكافرين[٧] .

قال[٨] ابن الأثير [في « الكامل »][٩] : كان أول يوم منها يوم السبت ، وكان يوم النيروز ، وذلك أول سنة الفرس ، واتفق[١٠] أنه أول سنة الروم أيضاً ، وهذا اليوم[١١] الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل ، وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضاً .

قال : وهذا شيء يبعد وقوع مثله .

وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهلّ محرم ، [وقيل في أثنائه][١٢] ، في [الجيش العرمرم ليجاهد بأهل الجنة أهل جهنم][١٣] .

فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش ، وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بُصْرَى ، ثم خيَّم[١٤] على قصر أبي سلامة[١٥] ، ينتظر قدوم الحجاج[١٦] ، وفيهم أخته ست

(١) ليس في ب . وفي هامش أ : في الأصل هنا بياض ، وفوقها حرف ط .
(٢) ليست الجملة الأخيرة في غير ط .
(٣) حطين : موضع بين طبرية وعكا ، بينه وبين طبرية نحو فرسخين . معجم البلدان .
(٤) ب : وإشارة ، وط : وتقدمة وإشارة .
(٥) أ : لفتح بيت المقدس على المؤمنين .
(٦) ليس في ب .
(٧) ط : من أيدي الكفرة .
(٨) رواية الخبر في الكامل (٩/ ١٧٥) برواية مختلفة .
(٩) عن أ وحدها .
(١٠) ط : واتفق أن ذلك كان أول سنة الروم وهو اليوم .
(١١) اللفظة مستدركة في هامش أ .
(١٢) ليس ما بينهما في ط ، وفي ب : في أثناء الشهر .
(١٣) مكانهما في ب : في جيشه .
(١٤) ب : وخيم ، ط : فخيم .
(١٥) ط : سلام .
(١٦) أ : الحاج .

الشام[(١)] ، وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين[(٢)] ليسلموا من معرَّة ابرنس[(٣)] الكرك ، [الذي غدر ، ونكث العهد وفجر][(٤)] .

فلما اجتاز[(٥)] الحجيج [في أواخر صفر][(٦)] سار السلطان فنزل[(٧)] الكرك ، وقطع ما حوله من الأشجار ، ورعَى الزروع[(٨)] وأكلوا الثمار .

وجاءته[(٩)] العساكر المصرية ، وتوافت الجيوش[(١٠)] الشرقية ، بالرماح الخطية ، والسيوف المشرفية . فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء .

وبعث الأفضل سريةً نحو بلاد الفرنج ، فقتلت وغنمت ، وسلمت وكسرت ، وأسرت ورجعت . فبشَّرت[(١١)] بمقدمات الفتح والنصر .

وجاء السلطان في جحافله[(١٢)] ، والتفَّت عليه جميع العساكر ، البادي منهم والحاضر ، فرتب الجيوش والأطلاب ، وسار قاصداً بلاد الساحل . وكان جملة مَنْ معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المطّوّعة ، فتسامعت الفرنـج بمقدمه[(١٣)] ، فاجتمعوا كلهم ، وتصـالحوا فيمـا بينهم ، ودخل معهم قومص طرابلس الغادر ، وابرنس الكرك الفاجر ، وجاؤوا بقضّهم وقضيضهم ، وأهل أوجهم وحضيضهم[(١٤)] . وقد استصحبوا معهم صليب الصلبوت ، يحمله منهم عُبَّاد الطاغوت ، وضُلَّال الناسوت واللاهوت[(١٥)] ، في خلق لا يعلم عددهم[(١٦)] إلا الله عز وجل[(١٧)] . يقال : كانوا خمسين ألفاً ،

(١) تقدمت ترجمتها في هوامش سنة ٥٧٦هـ .
(٢) ط : بن لاشين ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٥٨٧ .
(٣) سبق التعريف به في حوادث سنة ٥٨١ .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : جاز .
(٦) مكانهما في ط : سالمين .
(٧) أ : فنازل .
(٨) ط : الزرع .
(٩) ط : وجاءت .
(١٠) ط : الجيوش المشرقية .
(١١) ط : فبشر .
(١٢) ط : بجحافله فالتقت .
(١٣) ب ، ط : بقدومه .
(١٤) ط : وصالح قومص طرابلس وبرنس الكرك الفاجر وجاؤوا بحدهم وحديدهم .
(١٥) ليس في ط .
(١٦) ط : عدتهم .
(١٧) أ : تعالى .

وقيل : ثلاثاً[١] وستين ألفاً . وقد خوّفهم القومص صاحب طرابلس بأس[٢] المسلمين ، فاعترض عليه البرنس أرناط صاحب الكرك ، فقال له : لاشكَّ أنك تُحبُّ المسلمين وتخوّفنا من كثرتهم ، [والنار لا تخاف من كثرة الحطب . فقال القومص لهم : ما أنا إلا واحد منكم][٣] ، وسترون[٤] غبّ ما أقول لكم . فتقدموا [نحو المسلمين][٥] .

وأقبل السلطان ، ففتح طبرية ، وتقوّى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك ، وتحصّنت منه[٦] القلعة فلم يشتغل[٧] بها ، وحاز البحيرة في حوزته ، ومنع[٨] الكفرة أن يصلوا منها إلى غَرْفةٍ ، أو يروا للماء ريّاً ، وأقبلوا[٩] في عطش ، لا يعلمه إلا الله عز وجل .

فبرز لهم السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها : حطّين ، التي يقال : إن فيها قبر شعيب عليه السلام . وجاء العدو المخذول ، وكان فيهم صاحب عكا وكَفْركَنّا[١٠] وصاحب الناصرة وصاحب صور ، وغير ذلك من جميع ملوكهم ، فتواجه هنالك الجيشان[١١] وتقابل الفريقان ، وأسفر وجه الإيمان ، واغبرّ وأقتم وأظلم وجه الكفران[١٢] والخسران ، ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان ، وذلك عشية[١٣] يوم الجمعة ، وبات الناس على مصافّهم . وأسفر صباح يوم[١٤] السبت الذي كان يوماً عسيراً على أهل الأحد[١٥] ، وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر ، في شدة الحر ، [فطلعت الشمس على وجوه النصارى ، وهم من شدة العطش سكارى ، وما هم بسُكارى][١٦] ، وكان تحت أقدام خيولهم

---

(١) أ : ثلاث وستون ، ب : ثلاث وستين .
(٢) ب ، ط : من .
(٣) عن أوحدها .
(٤) ط : وسترى غب ما أقول لك .
(٥) ليس في أ .
(٦) أ : عنه .
(٧) ط : يعبأ .
(٨) ط : ومنع الله الكفرة .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ط : كفرنكا . وكَفْركَنّا بلد في فلسطين ، فيه مقام ليونس عليه السلام وقبر لأبيه . معجم البلدان .
(١١) ط : فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان .
(١٢) ط : وجه الكفر والطغيان .
(١٣) أ : وذلك يوم الجمعة عشية .
(١٤) أ : وأسفر الصباح عن يوم السبت .
(١٥) أ : أهل يوم الأحد .
(١٦) فطلت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوي بهم العطش .

حشيش قد صار هشيماً ، وكان ذلك عليهم مشؤوماً ، فأمر السلطان النفّاطة ، فرمَوه[١] بالنفط ، فتأجج تحت سنابك خيولهم ناراً ، فاجتمع عليهم حرّ الشمس وحرّ العطش ، وحرّ النار من تحت أرجلهم ، وحرّ السلاح ، وحرّ رشق[٢] السهام عن القسيِّ القاسية ، وتبارز الشجعان في حومة الوغى ، ثم أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة ، فحملوا فكان النصر من الله عزّ وجل ، فمنحهم الله [أكتاف الكفرة الفجرة][٣] ، فقتل منهم ثلاثون ألفاً [في ذلك اليوم وأُسر ثلاثون][٤] ألفاً من شجعانهم وفرسانهم . وكان في جملة الأسارى[٥] جميع ملوكهم سوى قومص طرابلس ، فإنه انهزم في أول المعركة .

واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم عندهم ، وهو الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب وقد غلفوه بالذهب واللآلىء والجواهر النفيسة . وكان يوماً على الكافرين عسيراً ، ولم يُسمع بمثل هذا اليوم في عزِّ الإسلام وأهله ، ودفع الباطل وذُلِّه[٦] ، حتى أنه ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم ، وهو[٧] يقود نيّفاً وثلاثين أسيراً من الفرنج ، وقد ربطهم بطُنُب خيمة ، وباع بعضهم أسيراً بمداسٍ[٨] لبسها[٩] في رجله . وجرت أمور لم يُسمع بمثلها ، ولا وقعت العيون على شكلها ، [إلا في زمن الصحابة والتابعين][١٠] ، فللّه الحمد دائماً وأبداً حمداً كثيراً طيباً مباركاً .

ولما تمت هذه الوقعة العظيمة ، والنعمة العميمة الجسيمة ، [ووضعت الحرب أوزارها][١١] ، أمر السلطان بضرب مخيم عظيم ، وجلس فيه على سرير المملكة ، وعن يمينه أسرّة وعن يساره مثلها ، وجيء بالأسارى تتهادى في قيودها ، فضرب أعناق[١٢] جماعة من مقدمي الداوية والاسبتارية[١٣] بين يديه صبراً [ولم يترك منهم من كان يذكر الناس عنه ذِكراً][١٤] .

---

(١) ط : أن يرموه بالنفط فرموه فتأجج ناراً .
(٢) ط : رشق النبال .
(٣) ط : أكتافهم .
(٤) ليس في ب .
(٥) من أسر .
(٦) ط : وأهله .
(٧) ليس في ط .
(٨) ب : بنعل .
(٩) ط : ليلبسها .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) ط : فأمر بضرب أعناق .
(١٣) ط : الداوية والأسارى . تصحيف .
(١٤) ط : ولم يترك أحداً ممن كان يذكر الناس عنه شراً .

ثم جيء بالملوك ، فأُجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم ، فأُجلس ملكهم الكبير عن يمينه ، وتحته[(١)] أرناط ابرنس الكرك ، قبحه[(٢)] الله تعالىٰ ، وبين يديه بقية الملوك وعن يساره .

ثم جيء[(٣)] السلطان بشراب مثلوج[(٤)] من الجلّاب ، فشرب ، ثم ناول الملك فشرب ، ثم ناول ملكهم أرناط[(٥)] صاحب الكرك فشرب[(٦)] ، فغضب السلطان وقال : أنا سقيتك ، ولم آمرك أن تسقيه ، هذا لا عهد له عندي .

ثم تحوَّل السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة ، واستدعى أرناط ، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ، ودعاه[(٧)] إلى الإسلام فامتنع ، فقال له : نعم أنا أنوب عن رسول الله ﷺ في الانتصار لأمته ، ثم قتله ، وأرسل برأسه إلى الملوك ، وهم في الخيمة ، وقال : إن هذا تعرض لسبِّ رسول الله ﷺ فقتلته .

ثم قتل السلطان جميع من كان في الأسارى من الداوية والاسبتارية[(٨)] صبراً ، وأراح الله[(٩)] المسلمين من هذين الجنسين النجسين[(١٠)] ، ولله الحمد . ولم يسلم ممن عُرض عليه الإسلام منهم إلا القليل ، فيقال : إنه بلغت القتلى ثلاثين ألفاً ، وكذلك الأسارى كانوا ثلاثين ألفاً ، وكان جملة [جيش الفرنج][(١١)] ثلاثة وستين ألفاً ، وكان مَنْ سلم منهم ، مع قلّتهم[(١٢)] ، أكثرهم جرحى ، فماتوا ببلادهم بعد رجوعهم .

وممن مات كذلك قومص طرابلس ، فإنه انهزم جريحاً ، فمات ببلاده بعد مرجعه[(١٣)] لعنه الله .

ثم أرسل[(١٤)] برؤساء الأسارى ورؤوس أعيان القتلى وبصليب الصلبوت صحبة القاضي ابن أبي

(١) ط : واجلس أرياط برنس الكرك وبقيتهم عن شماله .
(٢) ب : لعنه الله .
(٣) ط : ثم جيء إلى السلطان .
(٤) ب : بشراب من الجلاب مثلوج ، وفي ط : بشراب من الجلاب مثلوجاً .
(٥) ط : أرياط . تصحيف .
(٦) أ : ثم ناول الملك فشرب ثم ناول ملكهم أرناط فشرب . تكرار .
(٧) جاء في أ ، ب تأنيبه لأرناط قبل عرضه عليه الإسلام ، ووجدت أن ما أثبته أقرب إلى نفس صلاح الدين فأثبته .
(٨) ط : الاستثارية . تصحيف .
(٩) عن أوحدها .
(١٠) ط : الخبيثين .
(١١) ط : جيشهم .
(١٢) ط : وهرب أكثرهم .
(١٣) بعدها في ب (وعدانه) .
(١٤) ط : ثم أرسل السلطان برؤوس أعيان الفرنج ومن لم يقتل من رؤوسهم .

عصرون[١] إلى [دمشق ليودعوا في قلعتها ، فدخل بالصليب منكوساً بين يدي القاضي إلى][٢] دمشق ، وكان يوماً مشهوداً ، ولله الحمد والمنة .

ثم سار[٣] السلطان إلى قلعة طبرية ففتحها[٤] ، وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران والبلقاء وما حولها من الجولان[٥] وتلك الأراضي كلها بالنصف ، فأراح الله المسلمين من تلك المقاسمة ، [وتوفّرت عليهم][٦] .

[ثم سار السلطان إلى حطين ، فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن ، فتسلم تلك البلاد كلها ، وهي قرى كثيرة كبار وصغار][٧] .

ثم سار إلى عكا فنزل عليها يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر ، فافتتحها صلحاً يوم الجمعة[٨] ، وأخذ ما كان من حواصل[٩] وأموال وذخائر ومتاجر وغيرها ، واستنقذ من كان بها من أسارى[١٠] المسلمين ، فوجد[١١] فيها أربعة آلاف أسير منهم ، ففرّج الله عنهم ، ولله الحمد والمنة[١٢] .

وأمر بإقامة الجمعة بعكا[١٣] ، فكانت أول جمعة أقيمت بالساحل بعد أن أخذه الفرنج من نحو تسعين[١٤] سنة ، فللّه الحمد دائماً .

ثم سار منها إلى صيدا وبيروت وتلك النواحي من السواحل ، فأخذها[١٥] بلداً بلداً ، لخلوّها من المقاتلة ومن الملوك . ثم سار[١٦] نحو غزة وعسقلان ونابلس وبيسان وأراضي الغور فملك ذلك كله بحول الله وقوته .

---

(١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٥ من هذا الجزء .
(٢) ليس في أ .
(٣) ليس في ب .
(٤) ط : فأخذها .
(٥) أ : من الجيران .
(٦) ليس في ط .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) أ : جمعة .
(٩) ط : من حواصل الملوك وأموالهم وذخائرهم ومتاجر .
(١٠) ط : أسرى .
(١١) أ : فوجدوا .
(١٢) عن ب وحدها .
(١٣) ط : بها .
(١٤) في ب ، ط : سبعين .
(١٥) ط : يأخذها وما بعدها : بلداً بلداً . عن ط وحدها .
(١٦) ط : ثم رجع سائراً .

واستناب السلطان على نابلس ابن أخته[١] حسام الدين عمر بن محمد بن لاجين[٢] ، وهو الذي افتتحها ، وكان جملة ما افتتحه السلطان في هذه المدة القريبة قريباً من خمسين بلداً كباراً ، كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعه فللّه الحمد . وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن [وسبَوا شيئاً كثيراً لا يُحدّ ولا يوصف . واستبشر الإسلام وأهله شرقاً وغرباً بهذا النصر العظيم ، والفتوحات الهائلة][٣] .

[وترك السلطان جيوشه ترتع في هذه الفتوحات والغنائم الكثيرة][٤] ، مدة شهور ، ليستريحوا ويُجمُّوا[٥] أنفسهم وخيولهم ، وليتأهّبوا لفتح بيت المقدس الشريف . وطار في الناس أَنَّ السلطان عزم[٦] على فتح بيت المقدس ، فقصده العلماء [والصالحون والمتطوعة من كل فج عميق . وجاء أخوه العادل][٧] بعد وقعة حِطِّين وفتح عكا ، ففتح بنفسه حصوناً كثيرة [أيضاً . فاجتمع من عباد الله من الجيوش المتطوعة خلق كثير وجمٌّ غفير][٨] . فعند ذلك قصد السلطان بيت المقدس[٩] بمن معه ، كما سيأتي بيانه .

[وقد امتدح الشعراء الملك صلاح الدين][١٠] بسبب وقعة حِطِّين ، فقالوا وأكثروا ، وأطالوا[١١] وأطنبوا .

وكتب إليه القاضي الفاضل من دمشق ، وكان[١٢] مقيماً بها لمرض ناله[١٣] :

لِيَهْنَ المولى أَنَّ الله قد أقام به الدين القيّم ، وأنه كما قيل : أصبحتَ مولاي ومولى كل مسلم ، وأنه قد أسبغ عليه النعمتين الباطنة والظاهرة ، وأورثه المُلْكين : مُلْك الدنيا وملك الآخرة ، كتب المملوك : هذه الخدمة والرؤوس إلى الآن لم تُرفع من سجودها ، والدموع لم تُمسح من خدودها ، وكلما فكّر[١٤]

---

(١) ط : ابن أخيه . وهو تصحيف .
(٢) كذا في الأصلين وسيرد في حوادث سنة ٥٨٧هـ أَنَّ ابن أخته اسمه محمد بن عمر بن لاجين .
(٣) ط : شيئاً كثيراً وسبوا خلقاً .
(٤) ط : ثم إن السلطان أمر جيوشه أن ترتع في هذه الأماكن .
(٥) ط : وتحموا .
(٦) أ ، ب : على عزم .
(٧) ط : والصالحين تطوعاً وجاؤوا إليه ووصل أخوه .
(٨) ط : فاجتمع من عبّاد الله ومن الجيوش شيء كثير جداً .
(٩) ط : القدس .
(١٠) ط : وقد امتدحه الشعراء .
(١١) في أ : أطابوا .
(١٢) ط : وهو مقيم بها لمرض اعتراه .
(١٣) ليس في ب . والكتاب في الروضتين (٢/ ٨٢ ـ ٨٣) .
(١٤) ب : ذكر .

المملوك[١] أَنَّ البِيَعَ تعود وهي مساجد ، والمكان الذي كان يقال فيه : إن الله ثالث ثلاثة ، يقال اليوم فيه : إله[٢] واحد ، جدّد لله شكراً تارةً بفيضٍ من لسانه ، وتارة بفيض من أجفانه[٣] ، وجزى الله يوسف خيراً عن إخراجه من سجنه ، والمماليك ينتظرون أمر المولى ، فكل مَنْ أراد أن يدخل الحمَّام بدمشق ، قد عوَّل على دخول حمَّام طبرية .

منها[٤] : [من البسيط]

تِلْـكَ المَكَـارِمُ لَا قُعْبَـانُ مِـن لَبَـنٍ   [وَذَلِكَ الفَتْحُ لَا عَمَّانَ واليَمنِ][٥]
وَذَلِكَ السَّيْفُ لَا سَيْفُ ابْنِ ذِي يَزَنِ

ثم قال : وللألسنة بعدُ في[٦] هذا الفتح سبحٌ[٧] طويل ، وقول جليل .

ذكر فتح بيت المقدس في هذه السنة واستنقاذه من أيدي النصارى بعد[٨] ثنتين وتسعين سنة

لما افتتح السلطان [ما حول بيت المقدس من الأماكن المباركة وما يقرب من تلك السواحل المتقدم ذِكرها والإشارة إليها][٩] ، أمر العساكر فاجتمعت ، [والجيوش المتفرِّقة في البلدان للمغانم فائتلفت][١٠] ، وسار نحو بيت المقدس الشريف بتلك[١١] العساكر المنصورة ، والرايات القادرة الكاسرة الكسورة ، فنزل غربي بيت المقدس يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب من هذه السنة ـ أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة ـ وقد [حصَّنت الفرنج لعنهم الله الأسوارَ بالمقاتلة][١٢] . وكانوا ستين ألف

---

(١) في الروضتين : الخادم .
(٢) ط والروضتين : يقال فيه اليوم إنه الواحد .
(٣) في الروضتين : من جفنه ، وفي ط : من جفنه سروراً بتوحيد الله تعالىٰ الملك الحق المبين وأن يقال محمد رسول الله الصادق الأمين .
(٤) عن أ وحدها .
(٥) عن أ وحدها .
(٦) ليس في ب .
(٧) ط : تسبيح ، وفي الروضتين : شرح .
(٨) ط : بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين .
(٩) ط : تلك الأماكن المذكورة فيما تقدم .
(١٠) ليس في ط .
(١١) من هذه اللفظة إلى لفظة : بيت المقدس ، عن ب وحدها .
(١٢) ط : فوجد البلد قد حصنت غاية التحصن .

مقاتل ، دون بيت المقدس ، أو يزيدون ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٤] .

وكان صاحب البلد(١) يومئذ رجلاً يقال له : باليان(٢) بن بارزان ، ومعه مَنْ سلم من وقعة حِطّين ، يوم التقى الجمعان من الداوية والاسبتارية(٣) أتباع الشيطان وعبدة الصلبان(٤) عليهم لعائن الرحمن(٥) أجمعين ، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام ، وسلّم إلى كل طائفة من الجيش(٦) المنصور ناحية من أبرجة السور(٧) ، ثم تحوّل إلى ناحية الشمال(٨) ، لأنه رآها أوسع وأنسب(٩) للمجال ، والجلاد والنِّزال ، وقاتل الفرنج دون البلد قتالاً هائلاً ، وبذلوا [أنفسهم وأموالهم](١٠) في نصرة قمامة والقيامة(١١) بذلاً طائلاً ، واستشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين إلى رحمة رب العالمين ، فحنق عند ذلك كثير من أمراء الإسلام ، [واجتهدوا في القتال بكل خطيّ وحسام ، وقد نُصِبت المجانيق](١٢) والعرَّادات(١٣) على البلد ، وغنّت السيوف والرماح الخطيّات ، وعملت السَّمْهريات ، والعيون تنظر إلى الصلبان ، وهي منصوبة ، فوق الجدران ، وفوق قبة الصخرة ، قبلة أهل الأديان [من قديم الأزمان](١٤) صليب كبير ، فزاد ذلك أهل الإيمان الحنق الكثير وشدة التشمير(١٥) ، فوجد(١٦) يوم عسير ، على الكافرين غير يسير . فبادر السلطان ـ أيده الله ـ ، بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وعلّقها وحشاها بالنيران وأحرقها . فسقط ذلك الجانب ، وخرَّ البرجُ برمّته ، فإذا هو

---

(١) ط : القدس .

(٢) ط : بالبان بن بازران . وهو تصحيف . وعند ابن الأثير (٩/ ١٨٢ و١٨٣) : باليان بن بيرزان ، وفي وفيات الأعيان (٧/ ١٨٥) : ابن بارزان . وفي هامشه : يعني هنا : (Balean d ibelin) .

(٣) في ط : الاستثارية . وهو تصحيف ، وقد تقدم الحديث عن الداوية أو الديوية (Templars) والاسبتارية (Hospitalers) في هوامش سنة ٥٧٤ من هذا الجزء .

(٤) ليس في ط .

(٥) أ : عليهم لعائن الله أجمعين .

(٦) أ : جيشه .

(٧) ط : السور وأبراجه .

(٨) ط : الشام .

(٩) ب : وأبيت .

(١٠) عن ط وحدها .

(١١) ط : في نصرة دينهم وقمامتهم .

(١٢) ط : الأمراء والصالحين واجتهدوا في القتال ونصب المناجنيق .

(١٣) « العرَّادة » : شبه المنجنيق صغيرة . اللسان والتاج .

(١٤) عن أ وحدها .

(١٥) ط : للتشمير .

(١٦) ط : وكان ذلك يوماً عسيراً .

واجب[١] ، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث المفظع[٢] ، والخطب المؤلم[٣] الموجع ، قصد أكابرهم السلطان ، وتشفعوا إليه بكل إنسان ، أن يعطيهم الأمان ، فامتنع [من ذلك][٤] ، وقال : لا أفتحها إلا[٥] كما فتحتموها عنوة ، ولا أترك بها أحداً من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين فطلب صاحبها باليان بن بارزان من السلطان الأمان ليحضر عنده فأمَّنهُ ، فلما حضر ترقّق للسلطان[٦] وذلّ ذُلًّا عظيماً ، وتشفع إليه بكل ما أمكنه ، فلم يجبه إلى الأمان لهم ، فقالوا : إن[٧] لم نُعْطَ[٨] الأمان ، رجعنا ، فقتلنا كل أسير من المسلمين بأيدينا ، وهم[٩] قريب من أربعة آلاف ، وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا ، وخربنا الدور والأماكن الحسنة ، وأحرقنا المتاع ، وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال ، وألقينا قبة الصخرة ، وحرقنا ما نقدر عليه ، ولا نبقي ممكناً في إتلاف ما نقدر عليه ، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت ، ولا خير في حياتنا بعد ذلك ، فلا يُقتل واحد منا حتى يقتل أعداداً منكم فماذا يُرْتَجى[١٠] بعد هذا من الخير ؟

فلما سمع السلطان ذلك أجاب ، إلى الصلح وأناب ، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير ، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن كل صغير وصغيرة دينارين ، ومن عجز عن ذلك كان أسيراً للمسلمين ، وأن تكون الغلّات والأسلحة والدور للمسلمين ، ويتحولوا[١١] منها إلى مأمنهم ، وهي مدينة صور .

فكُتب الصلحُ على ذلك[١٢] ، ومن لا يبذل ما شُرِط عليه إلى أربعين يوماً[١٣] فهو أسير ، فكان جملة من أسر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير[١٤] من رجال ونساء وولدان .

---

(١) أصل الوجوب السقوط والوقوع . التاج واللسان .
(٢) ط : الفظيع . . الوجيع .
(٣) أ ، ب : المؤلم لهم .
(٤) ليس في أ .
(٥) ط : إلا عنوة كما افتتحتموها أنتم .
(٦) أ ، ب : له .
(٧) أ : لئن .
(٨) ط : تعطنا .
(٩) ط : وكانوا قريباً .
(١٠) ط : نرتجي .
(١١) ط : وأنهم يتحولون .
(١٢) ط : فكتب الصلح بذلك ، وأن من لم يبذل .
(١٣) أ : فهو أسير إلى أربعين يوماً .
(١٤) ط : إنسان .

ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبيل[١] وقت الصلاة بقليل ، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب .

قال العماد : وهي ليلة الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى [إلى السماوات العُلى][٢] .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة[٣] : وهذا[٤] أحد الأقوال في الإسراء ، والله تعالىٰ أعلم .

ولم تتفق[٥] صلاة الجمعة يومئذ ، خلافاً لمن زعم أنها أقيمت يومئذ ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد يومئذ . والصحيح أن الجمعة لم يمكن[٦] ، إقامتها يومئذ لضيق الوقت ، وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة ، وكان الخطيب القاضي محيي الدين[٧] محمد بن علي القرشي بن الزكي ، كما سيأتي قريباً .

ولكن نُظِّف[٨] المسجد الأقصى يومئذٍ مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير وخرّبت دور الداوية[٩] ، كانوا قد ابتنوها[١٠] غربي المحراب الكبير ، واتخذوا المحراب حُشّاً[١١] لعنهم الله تعالىٰ[١٢] . فنُظِّف المسجد من ذلك كله . وأُعيد إلى ما كان عليه في الأيام[١٣] الإسلامية والدولة المحمدية ، وغسلت الصخرة بالماء الطاهر ، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك[١٤] الفاخر ، وأُبرزت للناظرين ، وقد كانت مغمورة مستورة محجوبة[١٥] عن الزائرين ، ووُضِع الصليب عن قبّتها ،

---

(١) ط : قبل .
(٢) ليس في ط .
(٣) الروضتين (٢/ ٩٢) .
(٤) ط : وهو .
(٥) ط : ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافاً لمن زعم أنها أقيمت .
(٦) ط : والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من .
(٧) أ : محيي الدين بن علي . وهذا صحيح ، وفي ط : محيي الدين بن محمد بن علي . وهذا تصحيف . وسترد ترجمة ابن الزكي في حوادث سنة ٥٩٨هـ من هذا الجزء .
(٨) أ : ولكن نضف ، وفي ط : ولكن نظفوا .
(٩) الداوية أو الديوية (Templars) تقدم الحديث عنهم في هوامش سنة ٥٧٤ من هذا الجزء .
(١٠) ط : بنوها .
(١١) ط : مشتاً . وهو تصحيف ، والحش : بيت الخلاء .
(١٢) عن أ وحدها .
(١٣) ليس في ب .
(١٤) عن ط وحدها .
(١٥) ط : وقد كانت مستورة مخبوءة عن .

وعادت إلى حرمتها . وقد كان الفرنج قطعوا[١] منها قطعاً ، فباعوها إلى ملوك البحور بزنتها من الذهب[٢] ، فتعذّر استعادة ما نقص[٣] منها وذهب .

وقبض[٤] من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال ، وأطلق السلطان خلقاً منهم من بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال ، ووقعت المسامحة في كثير منهم ، وشفع في أناس كثير ، فعُفي عنهم ، وفرّق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في العسكر ، ولم يدع[٥] منه شيئاً مما يُقْتَنى ويُدَّخَر . وكان رحمه الله حليماً[٦] كريماً شجاعاً مقداماً رحيماً . أسأل الله تعالىٰ أن يجدّد رحمته عليه ، وأن يُقبل بوجهه الكريم إليه .

ذكر أول جمعة أُقيمت ببيت المقدس بعد فتحه في الدولة الصلاحيّة

لما نُزّه[٧] البيت المقدّس عما كان فيه من الصلبان والنواقيس ، والرهبان والخنازير والقساقيس[٨] ، وجاء أهل الإيمان ، ونودي بالأذان ، وهرب الشيطان ، وقرئ القرآن ، [ووُحِّد الرحمن][٩] ، [وطُهّر المكان][١٠] ، فكان أول جمعة[١١] أقيمت فيه في اليوم الرابع من شعبان ، بعد يوم الفتح بثمان ، فنصب المنبر ، إلى جانب المحراب المطهّر . وبسطت البسط الرفيعة ، في تلك العراص الوسيعة ، وعُلّقت القناديل ، وتُلي التنزيل ، عوضاً عما كان يُقرأُ من التحريف في الإنجيل ، وجاء الحق وبطلت[١٢] تلك[١٣] الأباطيل ، وصفِّفت[١٤] السجادات ، وأُطيلت[١٥] السجدات ، وتنوعت العبادات ، وارتفعت[١٦]

---

(١) ط : قلعوا .
(٢) ط : فباعوها من أهل البحور الجوانية بزنتها ذهباً .
(٣) ب ، ط : ما قطع منها .
(٤) ط : ثم قبض .
(٥) ط : ولم يأخذ .
(٦) أ : عليماً .
(٧) ط : لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه .
(٨) ب ، ط : والقساقس .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ليس في ط .
(١١) أ : فكان إقامة أول جمعة ، ب : فكان أول إقامة جمعة .
(١٢) ب : وبطل .
(١٣) عن أ وحدها .
(١٤) ط : وصفت .
(١٥) ط : وكثرت .
(١٦) أ : وادعت ، ب : واودعت .

الدعوات ، ونزلت البركات ، وانجلت الكربات ، وأقيمت الصلوات ، ونطق الأذان ، وخرس الناقوس ، وحضر المؤذِّنون[١] وغاب القسوس ، [وزال العبوس والبوس][٢] ، وطابت الأنفاس واطمأنت النفوس ، وأقبلت السعود ، وأدبرت النحوس ، وحضر العباد والزهاد والأبدال والأقطاب والأوتاد ، وعُبد[٣] الواحد ، وكثر الراكع والساجد ، والقائم والقاعد ، والعاكف والمجاهد ، وامتلأ الجامع ، واحتفلت المجامع ، وسالت لرقة القلوب المدامع ، وقال الناس : هذا يوم كريم ، وفضل عظيم ، [وموسم وسيم][٤] ، هذا يوم تجاب فيه الدعوات ، وتصب فيه البركات ، وتسيل العبرات ، وتقال العثرات . [ولما أذن المؤذنون للصلاة وقت الزوال ، كادت][٥] القلوب تطير من الفرح بتلك[٦] الحال .

[ولم يكن السلطان إلى تلك الساعة عيَّنَ خطيباً ، وقد تهيّأ لها خلق من العلماء خوفاً أن يدعى إليها أحدهم فلا يكون نجيباً][٧] ، فبرز[٨] المرسوم السلطاني الصلاحي ، وهو في قبة الصخرة الغرَّاء ، أن يكون القاضي محيي الدين بن الزكي اليوم خطيباً للخطباء ، فلبس الخلعة السوداء ، وصعد المنبر وقد كساه الله البهاء ، وألزمه[٩] بكلمة التقوى وأعطاه السكينة والوقار والسناء ، فخطب بالناس خطبة عظيمة سنية فصيحة بليغة ذكر فيها شرف البيت المقدس وما ورد فيه من الفضائل والترغيبات ، وما فيه من الدلائل والأمارات ، وما منّ الله به على الحاضرين من هذه النعمة التي تعدل كثيراً من القربات .

وقد أورد الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « الروضتين »[١٠] الخطبة[١١] بطولها :

وكان[١٢] أول ما قال حين تكلم : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٥] ثم أورد تحميدات القرآن كلّها ، ثم قال :

---

(١) ط : وأذن المؤذنون وخرس القسيسون .
(٢) عن ب وحدها .
(٣) ط : وعبد الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وكبّره الراكع .
(٤) ب : وفضل جسيم وهو سم عظيم .
(٥) أ : فأذن . . وكادت .
(٦) ب : لذلك ، ط : في ذلك .
(٧) مكانهما في ط : ولم يكن عين خطيب .
(٨) ط : فبرز من السلطان المرسوم .
(٩) أ : وأكرمه .
(١٠) الروضتين (٢/ ١١٠ ـ ١١١) .
(١١) ط : الخطبة في الروضتين .
(١٢) أ : فكان .

« الحمد لله معزّ الإسلام بنصره ، ومذلّ الشرك بقهره ، ومصرّف الأمور بأمره ، ومديم[١] النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدّر الأيام ، دولاً بعَدْله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على عباده من ظلّه ، وأظهر دينه على الديّن كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجَع ، والحاكم بما يريد فلا يدافَع . أحمده على إظفاره وإظهاره[٢] ، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهيره[٣] بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سرِّه وظاهر جهاره[٤] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة مَنْ طهَّر بالتوحيد قلبَه ، وأرضى به ربَّه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكّ[٥] وداحض الشرك ، ورافض[٦] الإفك ، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به فيه[٧] إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] [صلى الله عليه][٨] وعلى خليفته الصدِّيق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول مَنْ رفع عن هذا البيت شعارَ الصُّلبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ، ومكسّر الأوثان[٩] ، وعلى آله وصحبه[١٠] والتابعين لهم بإحسان .

ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تغبيط الحاضرين بما[١١] يسّره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس ، الذي من شأنه كذا وكذا ، فذكر فضائله ومآثره[١٢] ، وأنه أُولى القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تُشَدُّ الرّحالُ بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد المَوْطنين إلا عليه ، وإليه أُسْرِيَ برسول الله ﷺ من المسجد الحرام ، وصلى فيه بالملائكة المقرَّبين والأنبياء والرسل الكرام ، ومنه كان المعراج إلى السموات ، ثم عاد إليه ثم سار منه إلى المسجد الحرام على البراق ، وهو أرض

---

(١) ط : ومزيد . الروضتين (٢/ ١١٠) .
(٢) ط : من طله وهطله الذي أظهر .
(٣) ط : ومطهر بيت المقدس .
(٤) ط : أجهاره .
(٥) ط : الشكر . وهو تصحيف .
(٦) العبارة مضطربة في الأصول ، وما هنا عن ط .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ليس في ط .
(٩) ط : الأوثان .
(١٠) ب : وأصحابه .
(١١) أ ، ب : على ما .
(١٢) ب : مآثره وفضائله .

المحشر والمنشر يوم التلاق ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، وقد أُسِّس على التقوى من أول يوم .

قلت : ويقال : إن الذي[١] أسسه أولاً يعقوب عليه السلام بعد أن بنى الخليل عليه السلام المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء في « الصحيحين »[٢] ، ثم جدد بناءه سليمان بن داود عليهما[٣] السلام ، كما ثبت فيه[٤] الحديث بالمسند والسنن ، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم ، وسأل [سليمان عليه السلام][٥] اللهَ عند الفراغ[٦] منه خلالاً ثلاثاً : حكماً يصادف حكمه ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وأنه لا يأتي أحد[٧] إلى هذا المسجد لا ينهزه[٨] إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[٩] .

وذكر الخطيب تمام الخطبتين ، ودعا[١٠] للخليفة الناصر[١١] العباسي ، ثم[١٢] للسلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمهما الله تعالىٰ . وبعد الصلاة جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن عليّ بن نجا المصري[١٣] على كرسي الوعظ بإذن السلطان ، فوعظ الناس وكان وقتاً مشهوداً وحالاً محموداً ، فللّه

---

(١) ط : إن أول من أسس .

(٢) قوله : كما جاء في الصحيحين : رواه البخاري في صحيحه في أحاديث الأنبياء رقم (٣٣٦٦) و(٣٤٢٥) ومسلم رقم (٥٢٠) في المساجد ومواضع الصلاة ، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصلّ فهو مسجد (ع) .

(٣) ط : عليه .

(٤) أ ، ب : به .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) ط : فراغه .

(٧) ليس في ط .

(٨) يريد أنه من خرج إلى المسجد ولم ينو بخروجه غير الصلاة من أمور الدنيا . وأصل النهز : الدفع . النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٣٦) .

(٩) رواه أحمد في « مسنده » (٢/ ١٧٦) رقم (٦٦٤٤) والنسائي في المجتبى (٢/ ٣٤) رقم (٦٩٣) وابن ماجه في سننه رقم (١٤٠٨) وابن خزيمة رقم (٣٣٤) وابن حبان في رقم (١٦٣٣) والحاكم في مستدركه (١/ ٣٠ و٣١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : لما فرغ سليمان بن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس سأل الله عز وجل ثلاثاً ، أن يعطيه حكماً يصادف حكمه ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وأنه لا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلَّا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقال رسول الله ﷺ : أما ثنتين فقد أعطيتهما ، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة . وهو حديث صحيح (ع) .

(١٠) ط : ثم ذكر تمام الخطبتين ثم دعا .

(١١) عن ط وحدها .

(١٢) ط : ثم دعا .

(١٣) ط : أبو الحسن بن علي نجا ، وهو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا . سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٩هـ من هذا الجزء .

الحمد والمنة على ما أسبغ من النعمة ، واستمر القاضي محيي الدين [محمد بن علي][(١)] ابن الزكي القرشي يخطب بالناس في أيام الجمع أربع جمعات ، ثم قرر السلطان للقدس خطيباً مستقراً ، وأرسل إلى حلب فاستحضر المنبر الذي كان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد قد استعمله لبيت المقدس ، لما كان يؤمِّله من فتحه في حياته[(٢)] ، فما كان إلا على يدي بعض أتباعه[(٣)] بعد وفاته رحمه الله تعالىٰ .

نكتة غريبة[(٤)]

قال الشيخ شهاب الدِّين أبو شامة في « الروضتين » : وقد تكلم شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوي في « تفسيره » الأول فقال : وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي ـ يعني ابن بَرَّجان[(٥)] ـ في أول سورة الروم أخبارٌ عن فتح بيت المقدس ، وأنه ينزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة . قال السخاوي : ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف ، وإنما أخذه فيما زعم[(٦)] من قوله : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾ [الروم : ١ ـ ٤] ، فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون ، ثم ذكر[(٧)] أنهم يَغلبون في سنة كذا ، ويُغلبون في سنة كذا[(٨)] ، على ما تقتضيه دوائر التقدير ، ثم قال : وهذه نجابة وافقت إصابة ، إن صح أنه[(٩)] قال ذلك قبل وقوعه ، وكان

---

(١) عن ب وحدها .
(٢) ط : وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه .
(٣) ط : بعض أتباعه صلاح الدين بعد وفاته .
(٤) هذه النكتة الغريبة نقلها أبو شامة في روضتيه (٢/ ١١٣) كما أوردها ابن خلكان في وفياته (٤/ ٢٣٠) وقد علّق ابن خلكان على هذه النكتة قائلاً : ولما وقفت أنا على هذا . . لم أزل أتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة ، لكن كان هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخط غير الأصل ، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به ؟ وفي الهامش الثاني من وفياته ما يلي :
بهامش المختار : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد ، لطف الله به : وقعت في القاهرة ودمشق على ثلاث نسخ من التفسير المذكور ، وهذا الفصل المشار إليه لكنه مكتوب على الجميع على الحاشية بعد خط الأصل . وأخبرني الشيخ تقي الدين محمد بن زين الدين الشافعي قاضي القضاة بالديار المصرية رحمه الله تعالىٰ أنه رأى هذا الفصل المعين في نسختين على صورة ما ذكرناه والله أعلم . وانظر « تفسير القرطبي » (١٤/ ١ ـ ٧) وابن كثير (٣/ ٥٦٠ ـ ٥٦٦) في تفسير سورة الروم .
(٥) تقدم التعريف به في هوامش سنة ٥٧٩ .
(٦) أ : يزعم .
(٧) أ ، ط : فذكر .
(٨) ط : كذا وكذا .
(٩) ليس في ط .

في كتابه قبل حدوثه ، قال : وليس هذا من قبيل علم الحروف ، ولا من باب الكرامات والمكاشفات[١] لأنها[٢] لا تنال بحساب[٣] ، قال : وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي يرفع فيه .

قلت : ابن بَرَّجان ذكر هذا في تفسيره في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمئة ، ويقال : إن الملك نور الدين أُوقف على ذلك ، فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين [وخمسمئة][٤] لأن مولده في سنة إحدى عشرة وخمسمئة ، فتهيأ لأسباب ذلك حتى أنه أعدَّ منبراً عظيماً لبيت المقدس إذا فتحه الله على يديه والله أعلم .

وأما الصخرة المعظمة[٥] فإن السلطان أزال ما حولها وعندها من المنكرات والصور[٦] والصلبان ، وأظهرها بعد ما كانت خفية ، مستورة غير مرئية ، وأمر الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري[٧] فعمل[٨] حولها شبابيك من حديد، ورتَّب لها إماماً راتباً، ووقف[٩] عليه رزقاً جيداً، وكذلك إمام محراب الأقصى، وعمل[١٠] للشافعية المدرسة الصلاحية ويقال لها الناصرية أيضاً ، وكان موضعها كنيسة على صيدخة[١١] ، أي: قبر حنة أم مريم عليها السلام، ووقف على الصوفية رباطاً كان داراً للتبرك إلى جانب القمامة، وأجرى على الفقهاء والفقراء [الجامكيات والجرايات][١٢] وأرصد الختم[١٣] والربعات في أرجاء المسجد الأقصى والصخرة [لمن يقرأ أو ينظر فيها من المقيمين والزائرين][١٤] ، وتنافس بنو أيوب فيما يفعلونه [من الخيرات بالقدس الشريف للقادمين والظاعنين والقاطنين ، فجزاهم الله خيراً أجمعين][١٥] ، وعزم

(١) عن ط وحدها .
(٢) عن أ وحدها .
(٣) ط : ولا ينال في حساب .
(٤) ليس في أ .
(٥) أ : العظيمة .
(٦) ب : والصور والصلبانات .
(٧) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٥ من هذا الجزء .
(٨) ط : أن يعمل .
(٩) ط : وقف .
(١٠) ط : وعمل للشافعية مدرسة يقال لها الصلاحية والناصرية أيضاً .
(١١) كذا في الأصلين . وفي الروضتين (٢/ ١١٤) : صندحنة .
(١٢) ط : الجوامك .
(١٣) أ : الختمات .
(١٤) ط : ليقرأ فيها المقيمون والزائرون .
(١٥) ط : ببيت المقدس وغيره من الخيرات إلى كل أحد .

السلطان على هدم القمامة[١] وجعلها[٢] دكاً لتنحسم مادة النصارى عن[٣] بيت المقدس ، فقيل له : إن هؤلاء[٤] لا يتركون الحج إلى هذه البقعة ، ولو تركتها[٥] قاعاً صفصفاً ، وقد فتح هذا البلد قبلك[٦] أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وترك هذه الكنيسة بأيديهم ، فلك في ذلك أُسوة . فأعرض عنها وتركها على حالها تأسّياً بعمر بن الخطاب أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين[٧] ولم يترك بها من النصارى[٨] سوى أربعة يخدمونها ، وحال بين النصارى وبينها ، وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب الرحمة ، وعَفَّى آثارها ، وهدم ما كان هناك من القباب ، وعجّل دمارها .

وأما الأسارى المسلمون[٩] الذين كانوا بالقدس فإن السلطان أطلقهم جميعهم ، وأحسن إليهم ، وأطلق لهم أعطيات هنيَّة ، وكساهم حللاً[١٠] سنيَّة ، وانطلق كل منهم إلى وطنه ، وعاد إلى أهله وسكنه[١١] ، فللّه الحمد على نعمه ومننه .

فصل

فلما قرر[١٢] السلطان صلاح الدين بالمقدس[١٣] الشريف ما ذكرناه ، انفصل عنها في الخامس والعشرين [من شعبان وأمر ولده العزيز بالرجوع إلى مصر ، وسار السلطان بجيشه فقصد مدينة صور بالساحل ، وكانت قد تأخرت من بين تلك النواحي][١٤] وقد استحوذ عليها بعد وقعة حطين رجل من تجار الفرنج يقال له المركِس[١٥] ، فحصنها وضبط أمرها وحفر حولها خندقاً من البحر [إلى البحر][١٦] وجاء

(١) أ ، ب : قمامة .
(٢) ط : وأن يجعلها .
(٣) ط : من .
(٤) ط : فقيل [له] إنهم .
(٥) ليس في ط .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) قبلها في ط : رضي الله عنه .
(٨) ط : ولم يترك من النصارى فيها .
(٩) ط : وأما أسارى المسلمين .
(١٠) ط : وأطلق لهم إعطاءات سنية وكساهم .
(١١) ط : ومسكنه .
(١٢) ط : فرغ .
(١٣) ط : من القدس .
(١٤) ط : قاصداً مدينة صور بالساحل وكان فتحها قد تأخر .
(١٥) أ : اكركيس . الروضتين (٢/ ١٩) ووفيات الأعيان (٧/ ١٩٧) .
(١٦) ليس في ب وبعدها في أ : وجمهورها في البحر .

السلطان بجيشه فحاصرها مدة ، واستدعى[١] بالأسطول من الديار المصرية في البحر ، فأحاط[٢] بها برًّا وبحراً ، فعَدَت الفرنج في بعض الليالي على خمس شواني من أسطول[٣] المسلمين[٤] فملكتها ونكبتها[٥] ، فأصبح المسلمون واجمين حزناً وتأسفاً ، وقد دخل عليهم فصل البرد وقلَّت الأزواد ، وكثرت الجراحات ، وكلَّ الأمراء من المحاصرات ، فسألوا السلطان أن ينصرف بهم إلى دمشق [في هذا الوقت][٦] حتى يستريحوا ثم يعودوا[٧] إليها بعد هذا الحين ، فأجابهم إلى ذلك بعد[٨] تمنُّع منه ، [وذلك أن السور من صور كان قد هدم أكثره ، ولم يبق إلا الفتح والنُّجح][٩] ، ثم توجه[١٠] بهم نحو دمشق واجتاز في طريقه على عكا ، وتفرقت العساكر [كلٌّ إلى بلده ورستاقه مستصحباً كثرة حنينه إلى أهله ووطنه واشتياقه][١١] .

وأما السلطان فإنه لما وصل إلى عكا نزل بقلعتها ، وأسكن ولده الأفضل برج الداوية ، وولى نيابتها عز الدين جرديك[١٢] ، وقد أشار بعضهم على السلطان بتخريب مدينة عكا خوفاً من عود الفرنج إليها ، فكاد ولم يفعل ، وليته فعل ، بل وكَّل بعمارتها وتجديد محاسنها بهاء الدين قراقوش التقوي ، ووقف دار الاسبتار نصفين[١٣] على الفقهاء والفقراء ، وجعل دار الأسقف بيمارستاناً[١٤] ووقف على ذلك كله أوقافاً دارَّة ، وولَّى نظر ذلك لقاضيها[١٥] جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب [وهو في جميع ذلك بآرائه مصيب][١٦] .

---

(١) ط : ودعا .
(٢) أ ، ب : فاحتاط .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) أ ، ب : الأسطول .
(٥) ليس في ط .
(٦) ليس في ط .
(٧) أ : يغدوا .
(٨) ط : على .
(٩) عن أ وحدها .
(١٠) أ : فتوجه إلى دمشق ، ب : فتوجه بهم إلى دمشق .
(١١) مكانهما في ط : إلى بلادها .
(١٢) ط : حردبيل . وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٤ من هذا الجزء .
(١٣) ط : والإستثارية بصفين ، وهو تصحيف . وقد تقدم الحديث عن الاستبارية (Hospitalers) في هوامش سنة ٥٧٤ من هذا الجزء .
(١٤) ط : مارستاناً .
(١٥) ط : إلى قاضيها .
(١٦) عن أوحدها .

[ولما فرغ السلطان من هذه الحروب ، وأزال عن المسلمين تلك الكروب][١] عاد إلى دمشق مؤيَّداً منصوراً ، أبهج العيون ، وسَرَّ القلوب ، وجاءته رسل الملوك[٢] بالتهاني [من سائر الأقطار والأمصار][٣] والتحف والهدايا التي تبهر الأبصار ، وكتب الخليفة إلى السلطان يعتب عليه في أشياء ، منها أنه بعث إليه في بشارة الفتح بوقعة حطين مع شاب بغدادي[٤] كان وضيعاً عندهم ، لا قدر له ولا قيمة ، وأرسل بفتح القدس الشريف مع نجّاب ، ولقَّب نفسه الملك الناصر مضاهاةً للخليفة الناصر .

فتلقى ذلك[٥] بالبِشر واللطف ولم يظهر له إلا السمع والطاعة ، وأرسل يعتذر مما وقع بأن[٦] الحرب كانت قد شغلته عن التروِّي في كثير من الأمور[٧] ، وأما لقبه بالناصر فهو من أيام الخليفة المستضيء ، ومع هذا فمهما لقَّبني به أمير المؤمنين فهو الذي لا يعدل عنه[٨] . وتأدَّب مع الخليفة غاية الأدب مع غناه عنه ، رحمه الله تعالىٰ .

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة ببلاد الهند بين الملك شهاب الدين الغوري صاحب غزنة ، وبين ملك الهند الكبير ، فأقبلت الهنود في عدد[٩] كثير من الجنود ، ومعهم أربعة عشر فيلاً ، [فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً][١٠] ، فانهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم ، وقيل للملك : انجُ بنفسك ، فما زاده ذلك[١١] إلا إقداماً ، فحمل على الفيلة ، فجرح بعضها ـ وجَرْحُ الفيل لا يَنْدَمِلُ ـ فرماه بعض الفيّالة بحربة في ساعده فخرجت من الجانب الآخر فخرَّ صريعاً ، فحملت عليه الهنود[١٢] ليأخذوه ، فحاجف[١٣] عنه أصحابه ليحموه فاقتتلوا عنده قتالاً شديداً ، وجرت عنده حرب عظيمة لم يسمع [بشدتها في موقف][١٤] فغلب

(١) ليست العبارة في أ . وهي في ط : ولما فرغ من هذه الأشياء عاد .
(٢) ط : وأرسل إليه الملوك .
(٣) جاء ما بين المعقوفين في ط قبل السطر .
(٤) ط : شابًّا بغداديًّا .
(٥) أ ، ب : فتلقى الهول .
(٦) ط : قال ، ب : وكان .
(٧) ط : من ذلك .
(٨) ط : فلا أعدل عنه .
(٩) ليس في أ .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) ليس في ط .
(١٢) أ : فحملت الهند عليه .
(١٣) ط : فجاحف ، وحاجف محاجفة : دافع ، وأصلها من حجف إذا اتقاه بحجفة وهي ترس من جلد مُطارَق . أساس البلاغة والقاموس واللسان .
(١٤) ط : بمثلها في الموقف .

المسلمون الهنود وخلصوا [ملكهم واحتملوه][١] على كواهلهم في محفَّةٍ عشرين فرسخاً ، وقد نزفه الدم ، فلما تراجع إليه جيشه أخذ في تأنيب الأمراء ، وحلف ليأكلن كلّ أمير عليقة فرسه[٢] ، وما أدخلهم غزنة إلا مشاةً حفاة .

[وفي هذه السنة][٣] ولدت امرأة من سواد بغدادبنتاً لها أسنان .

وفيها : قتل الخليفةُ الناصرُ أستاذَ داره أبا الفضل بن الصاحب[٤] ، وكان قد استحوذ على الأمور ولم يبق للخليفة معه كلمة تطاع ، ومع هذا كان[٥] عفيفاً عن الأموال ، جيد السيرة ، فأخذ منه الخليفة[٦] شيئاً كثيراً من الحواصل والأموال .

وفيها : استوزر الخليفة أبا المظفَّر عبد الله[٧] بن يونس ، ولقَّبه جلال الدين ، ومشى أهل الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني وقد كان ابن يونس هذا شاهداً عنده ، فكان القاضي يقول[٨] وهو يمشي في ركابه : لعن الله طول العمر ، فمات القاضي في آخر هذه السنة ، رحمه الله تعالىٰ ، وقد حكم في أيام عدة من الخلفاء وهو من بيت .

وممن توفي في هذه السنة ـ أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة ـ من الأعيان :

الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربي[٩] :

كان من صلحاء الحنابلة ، وكان يزار ، وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية ، أتى فيه بغرائب وعجائب[١٠] ، وقد رَدَّ عليه أبو الفرج بن الجوزي في هذا الكتاب فأجاد وأصاب ، ومن أحسن ما اتفق

---

(١) ط : صاحبهم وحملوه .

(٢) ط : عليق فرسه .

(٣) ط : وفيها .

(٤) هو هبة الله بن علي بن هبة الله بن محمد بن الحسن المعروف بابن الصاحب ، مجد الدين أبو الفضل . قتله الخليفة الناصر في هذه السنة . أخباره في ابن الأثير (٩/ ١٣٨ و١٨٩) ووفيات الأعيان (٦/ ٢٤٥) ـ في ترجمة ابن زيادة الذي تولى بعده ـ والعبر (٤/ ٢٤٨) ومرآة الجنان (٣/ ٤٢٦) والشذرات (٤/ ٢٧٥) .

(٥) ليس في ب .

(٦) ط : فأخذ الخليفة منه .

(٧) ترجمته وأخباره في ابن الأثير (٩/ ١٨٩ و١٩٧) والعبر (٤/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) والفخري (٢٦١) واسمه في هذه المصادر : عبيد الله ، ومرآة الجنان (٣/ ٤٧٦) والشذرات (٤/ ٣١٣) .

(٨) ط : عند القاضي وكان يقول .

(٩) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ١٨٩) والتاريخ المجدد لابن النجار (١/ ٢ ـ ٦) والتكملة للمنذري (١/ ٦٣ ـ ٦٤) والعبر (٤/ ٢٤٩) وذيل ابن رجب (١/ ٣٥٤ـ ٣٥٨) .

(١٠) ط : بالغرائب والعجائب .

لعبد المغيث هذا أن بعض الخلفاء ـ وأظنه الناصر ـ جاءه زائراً مستخفياً[(١)] ، فعرفه الشيخ عبد المغيث ولم يُعلمه بأنه قد[(٢)] عرفه ، فسأله الخليفة عن يزيد أيُلْعَنُ أم لا ؟ فقال : لا أسوّغ لعنه[(٣)] ، لأني لو فتحت هذا الباب لَلَعن الناسُ خليفتنا[(٤)] . فقال الخليفة[(٥)] : ولِمَ ؟ قال : لأنه يفعلُ أشياء منكرة كثيرة ، منها كذا وكذا وكذا ، ثم شرع يعدّد على الخليفة أفعاله القبيحة ، وما يقع منه من المنكرات[(٦)] لينزجر عنها ، فتركه الخليفة ، وخرج من عنده وقد أثّر كلامه[(٧)] فيه ، وانتفع به ، [ثم كانت وفاته][(٨)] في المحرم من هذه السنة ، [رحمه الله تعالىٰ][(٩)] .

[ابن ظفر الناسك][(١٠)] : وفيها : توفي الشيخ علي بن خطاب بن ظفر[(١١)] العابد الناسك أحد الزهاد ، وذوي الكرامات ، وكان مقامه بجزيرة ابن عمر ، قال ابن الأثير في « الكامل » : ولم[(١٢)] أر مثله في حسن خلقه وسمته وكراماته وعبادته ، رحمه الله .

الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مُقدَّم[(١٣)] :

أحد نواب [الملك الناصر][(١٤)] صلاح الدين ، لما فتح[(١٥)] البيت المقدس أحرم جماعة في زمن الحج منه إلى المسجد الحرام ، فكان[(١٦)] ابن مقدم أمير الحاج في تلك السنة ، فلما كان[(١٧)] بعرفة ضرب

---

(١) أ ، ب : جاءه للزيارة مختفياً .
(٢) ليس في أ .
(٣) أ ، ب : لعنته .
(٤) ط : لأفضى الناس إلى لعن خليفتنا .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ط : المنكر .
(٧) أ : كلامه له فيه .
(٨) ط : مات .
(٩) عن أ وحدها .
(١٠) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .
(١١) ط : بن خلف .
(١٢) الكامل (٩/ ١٩٠) وفي أ ، ب : لم ، وابن الأثير : فلم .
(١٣) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ١٨٨) والروضتين (٢/ ١٢٣) وأبو الفداء (٣/ ٧٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٦٤ ـ ٧٦٦) والعبر (٤/ ٢٥٠) ومرآة الجنان (٣/ ٤٢٦) .
(١٤) ليس في ط .
(١٥) ط : لما افتتح الناصر .
(١٦) ط : وكان .
(١٧) ط : فلما وقف .

الدبادب ، ونشر الألوية ، وأظهر عز السلطان صلاح الدين وعظمته ، فغضب طاشتكين[(١)] أمير الحاج من جهة الخليفة ، فزجره عن ذلك ، فلم يسمع ، فاقتتلا فجرح ابن مُقدّم ومات في اليوم الثاني بمنى رحمه الله تعالىٰ ، ودفن هنالك ، وجرت خطوب كثيرة ، وليم طاشتكين على ما فعل ، وخاف معرَّة ذلك من جهة صلاح الدين والخليفة ، وعزله الخليفة عن منصبه .

محمد بن عبيد الله بن عبد الله ، سبط ابن التعاويذي[(٢)] ، **الشاعر** :

وكان شاعراً أضرّ في آخر عمره[(٣)] وقد جاوز الستين سنة[(٤)] ، وكانت وفاته رحمه الله تعالىٰ في شوال من هذه السنة .

[**ابن المنِّي الحنبلي**][(٥)] : وفي خامس رمضان توفي الفقيه أبو الفتح نصر بن فتيان بن مطر الفقيه الحنبلي المعروف بابن المَنِّي ، كان زاهداً عالماً عابداً ، مولده سنة إحدى وخمسمئة ، وممن تفقه عليه من المشاهير الشيخ موفَّق الدين بن قدامة[(٦)] ، والحافظ عبد الغني[(٧)] ، ومحمد بن خلف بن راجح[(٨)] والناصح

---

(١) طاشتكين مجير الدين ، أمير الحاج : استعمله الخليفة أميراً على الحاج سنين كثيرة . وكان خيّراً صالحاً ، حسن السيرة ، كثير العبادة ، يتشيّع ، وولاّه الخليفة على جميع خوزستان . توفي سنة ٦٠٢هـ . ابن الأثير (٣/ ٢٨٣) .

(٢) ترجمته في معجم الأدباء (١٨/ ٢٣٥) والروضتين (٢/ ١٢٣) ووفيات الأعيان (٤/ ٤٦٦ ـ ٤٧٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٨٧ ـ ٧٨٨) والعبر (٤/ ٢٥٣) ووفاته فيه سنة ٥٨٤هـ ، ومرآة الجنان (٣/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦) واسمه فيه : محمد بن عبد الله ووفاته سنة ٥٥٣هـ . و(٣/ ٤٢٩) ووفاته فيها : ٥٨٤ وفي هذه المصادر أن كنيته : أبو الفتح وأن جده الذي نسب إليه هو أبو محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد ، المعروف بابن التعاويذي ، وإنما نسب إليه لأنه كفله صغيراً ، ونشأ في حجره ، فنسب إليه . ومولده سنة ٥١٩هـ ، وله كتاب اسمه الحجبة والحجاب ، يدخل في مقدار خمس عشرة كراسة . وكان كاتباً بديوان المقاطعات ، وخدم بيت رئيس الرؤساء .

(٣) ط : وقد جاوز الستين توفي في شوال . وليس تعبير رحمه الله تعالىٰ ولا تعبير (في هذه السنة) في ب .

(٤) بعدها في ب : تغمده الله برحمته .

(٥) ترجمته عند ابن الأثير (٩/ ١٩٠) والروضتين (٢/ ١٢٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٦٨) والعبر (٤/ ٢٥١) ومرآة الجنان (٣/ ٤٢٦) وذيل ابن رجب (١/ ٣٥٨ ـ ٣٦٥) وإنسان العيون (٣٩/ ب) .

(٦) هو أبو محمد عبد الله بن أحمدبن محمد بن قدامة المقدسي ، الملقب بموفق الدين ، أخو الشيخ أبي عمر . ولد بجمّاعيل سنة ٥٤١هـ ، وسافر إلى بغداد مرتين إحداهما مع الحافظ عبد الغني سنة ٥٦١هـ والأخرى سنة ٥٦٧ ، وحج سنة ٥٧٣هـ ، وتفقه على مذهب الإمام أحمد . سمع الشيخ عبد القادر الجيلي وأبا زرعة المقدسي وابن النقور وابن الخشاب وابن الجوزي وغيرهم كثير . توفي سنة ٦٢٠ ، ذيل الروضتين (١٣٩ ـ ١٤١) والعبر (٣/ ١٨٠ ـ ١٨١) ومرآة الجنان (٤/ ٤٧) .

(٧) ستردترجمته في حوادث سنة ٦٠٠ من هذا الجزء .

(٨) هو الشيخ الشهاب محمد بن خلف بن راجح المقدسي الحنبلي ، أبو عبد الله ، رحل إلى السلفي فأكثر عنه ، وإلى شهدة وطبقتها فأكثر عنهم ، وأخذ الخلاف على ابن المني ، ونسخ الكثير . ومات سنة ٦١٨هـ ، ترجمته في ذيل الروضتين (١٣٠) والعبر (٣/ ١٧٨) .

عبد الرحمن بن النجم[١] بن عبد الوهاب الحنبلي ، وعبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي[٢] وغيرهم .

[**قاضي القضاة علي بن أحمد بن علي بن محمد بن علي الحنفي**][٣] : وفيها : توفي قاضي القضاة ببغداد أبو الحسن بن الدامغاني . وقد حكم في أيام المقتفي ثم المستنجد ثم عُزل وأعيد في أيام المستضيء ، وحكم للناصر . وتوفي[٤] في هذه السنة رحمه[٥] الله .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمئة

في المحرم[٦] حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب ، فرآه منيعاً صعباً[٧] ووقته[٨] مشغول بغيره ، فوكل به الأمير قايماز النجمي[٩] في خمسمئة فارس يضيِّقون عليهم المسالك ، وكذلك وكل بصفد[١٠] ، وكانت للداوية خمسمئة فارس مع طغرلبك الخازندار[١١] يمنعون وصول[١٢] الميرة والتقاوي[١٣] إليها[١٤] ، وبعث إلى الكرك والشوبك جيشاً آخر يحاصرونه[١٥] ويضيقون على أهله ، ليتفرغ من أموره لقتال هذه الأماكن وحصارها .

---

(١) ط : والناصر عبد الرحمن بن المنجم . وفيه تصحيفان . والناصح بن الحنبلي هو أبوالفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن أبي الفرج الشيرازي الأنصاري الحنبلي الواعظ : ولد بدمشق سنة ٥٥٤هـ ، ورحل فسمع من شهدة وطبقتها . وله خطب ومقامات وتاريخ الوعاظ . انتهت إليه رئاسة المذهب بعد الشيخ الموفق . توفي سنة ٦٣٤هـ . ذيل الروضتين (١٦٤) والعبر (٥/ ١٣٨) ومرآة الجنان (٤/ ٨٦) .

(٢) ليست (الجيلي) في أ . وهو عبد الرزاق بن عبد القادر ، أبو بكر الجيلي . ولد سنة ٥٢٨هـ ، وسمع الكثير . وكان زاهداً عابداً ورعاً . توفي سنة ٦٠٣هـ . ذيل الروضتين (٥٨) والعبر (٥/ ٦) .

(٣) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ١٨٩) وأبو الفداء (٣/ ٧٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٦٢) والعبر (٤/ ٢٤٩) ومرآة الجنان (٣/ ٤٢٦) .

(٤) ط : حتى توفي .

(٥) ليست جملة الترحم في ط .

(٦) ط : في محرمها .

(٧) ليس في ط .

(٨) ب : وهو .

(٩) ط : البجمي . وهو تصحيف ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٦ .

(١٠) ط : وكل لصفت [الصفد] . وهما تصحيفان .

(١١) في الروضتين ، وط : طغرل الجاندار .

(١٢) ط : يمنعون الميرة والتقاوي أن تقبل إليهم .

(١٣) عن أ وحدها .

(١٤) ليس في أ .

(١٥) ط : وبعث إلى الكرك الشوبك يضيقون على أهلها ويحاصرونهم ليفرغ .

وكان دخول السلطان إلى دمشق من هذه الغزاة(١) في ربيع الأول [فكان يوماً مشهوداً](٢) ، فرح به المسلمون ، ودقت البشائر ، وزين البلد ، ووجد الصفي بن القانص(٣) وكيل الخزانة قد بنى للملك داراً(٤) بالقلعة هائلة مطلة على الشرف القبلي ، فغضب(٥) عليه وعزله من قطيعته . وقال : إننا لم نخلق للمقام بدمشق [ولا بغيرها من البلاد](٦) ، وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد في سبيله ، وهذا الذي عملتَه مما يثبِّط النفوس ، ويقعدها عما خلقت له ، وجلس السلطان بدار العدل فحضر(٧) عنده القضاة وأهل الفضل ، وزار القاضي الفاضل ببستانه(٨) على الشرف في جومق بن الفراش ، وحكى له ما كان(٩) من الأمور ، واستشاره فيما يفعله(١٠) في المستقبل من المهمات والغزوات ، ثم خرج من دمشق في جيوشه فسلك على جبل يبوس(١١) ، ودخل(١٢) البقاع ، وخيّم على بعلبك ، وسار إلى حمص وحماة ، وجاءته عساكر(١٣) الجزيرة وهو على العاصي ، فسار إلى السواحل الشامية(١٤) ففتح أنطرطوس(١٥) وغيرها من الحصون ، وفتح جبَلة واللاذقية ، وكانتا من أحسن(١٦) المدن عمارة ورخاماً ومحالّ(١٧) ،

(١) ب : الغزوة السعيدة ، وط : الأماكن ، ولما رجع السلطان من هذه الغزوة إلى دمشق وجد .
(٢) عن ب وحدها .
(٣) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٧ من هذا الجزء .
(٤) ط : بنى له داراً .
(٥) أ ، ب : فتغضب .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ط : فحضرت .
(٨) ط : في بستانه .
(٩) ط : ما جرى .
(١٠) ط : يفعل .
(١١) يبوس : اسم جبل بالشام بوادي التيم من دمشق . معجم البلدان (يبوس) قلت : وثمة اليوم قرية صغيرة في الطريق الممتد بين دمشق وبيروت على الحدود السورية اللبنانية ، واسمها : جديدة يبوس فلعلها سميت به لوقوعها في سفحه .
(١٢) ط : وقصد .
(١٣) ط : وجاءت الجيوش من الجزيرة .
(١٤) ط : الشمالية .
(١٥) أنطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام ، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية ، وأول أعمال حمص . وقال أبو القاسم الدمشقي : هي من أعمال طرابلس مطلة على البحر شرقي عِرْقة ، بينهما ثمانية فراسخ . معجم البلدان . قلت : وهي إحدى محافظات الجمهورية العربية السورية على البحر المتوسط واسمها اليوم : طرطوس .
(١٦) ط : من أحصن .
(١٧) ط : ومحالاً .

وفتح صهيون[١] وبكّاس[٢] والشُّغر وهما قلعتان على العاصي حصينتان ممتنعتان ، ففتحهما عَنْوة ، وفتح حصن بَرْزيه[٣] وهي قلعة عظيمة على جبل شاهق[٤] منيع تحتها الأودية عميقة يضرب المثل بحصانتها في سائر[٥] بلاد الفرنج والمسلمين ، فحاصرها أشدّ حصار ، وركّب عليها المجانيق الكبار ، وفرّق الجيش ثلاث فرق ، كل فريق [يلون القتال][٦] فإذا كلّوا وونوا خَلَفَهم الآخر[٧] ، حتى لا يزال القتال مستمرًّا ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً ؛ فكان فتحها في نوبة السلطان [لا زال محروساً من الخذلان][٨] فأخذها عنوة في أيام معدودات ، ونهبَ جميع ما فيها ، واستولى على حواصلها وأموالها ، وقتل حماتها ورجالها ، وسبى[٩] نساءها وأطفالها ، ثم عدل عنها ففتح حصن دربساك وحصن بغراس[١٠] كل ذلك يفتحه عنوة فيغنم ويسلم ولله الحمد والمنة ، ثم سمت به همته العالية إلى فتح أنطاكية ، [وذلك لأنه أخذ جميع][١١] ما حولها من القرى والمدن[١٢] ، واستظهر[١٣] عليها بكثرة الجنود ، فراسله صاحب أنطاكية يطلب منه الهدنة على أن يطلق مَنْ عنده من أسارى[١٤] المسلمين ، فأجابه السلطان[١٥] [إلى ذلك][١٦]

---

(١) صهيون : حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام ، من أعمال حمص ، ولا يشرف على البحر ، وكان بيد الفرنج حتى استرجعه صلاح الدين سنة ٥٨٤هـ . معجم البلدان . قلت : وتسمى اليوم بقلعة صلاح الدين .

(٢) بكاس : قلعة من نواحي حلب على شواطئ العاصي ، ولها عين تخرج من تحتها ، بينها وبين ثغور المصيصة ، تقابلها قلعة أخرى يقال لها الشُّغر ، بينهما واد كالخندق يقال له أيضاً الشّغر ، وهما قرب أنطاكية . معجم البلدان (بكاس وشغر) .

(٣) برزويه ، والعامة تقول : بَرْزَيه : حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق ، يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج بالحصانة ، تحيط بها أودية من جميع جوانبها ، ويبلغ علو قلعتها خمسمئة وسبعين ذراعاً . كانت بيد الفرنج ففتحها صلاح الدين سنة ٥٨٤هـ . معجم البلدان (برزويه) .

(٤) أ ، ب : شاهق جبل .

(٥) ط : يضرب بها المثل في سائر .

(٦) ط : يقاتل .

(٧) ط : فإذا كلوا وتعبوا خلفهم الفريق الآخر .

(٨) ليس ما بينهما في ط ، ومكانهما في أ : رحمه الله .

(٩) ب ، ط : واستخدم ذراريها وأطفالها .

(١٠) بَغْراس : مدينة مطلة على نواحي طرسوس ، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب ، وقد كانت بيد الفرنج ففتحها صلاح الدين في سنة ٥٨٤هـ . معجم البلدان .

(١١) مكانهما في ط : لأنه أهلك .

(١٢) عن ط وحدها .

(١٣) أ : واستظهاره .

(١٤) ط : أسرى .

(١٥) ليس في ط .

(١٦) ليس في ب .

لعلمه [بضجر من معه من المقاتلة والأعوان][(١)] فوقعت الهدنة على سبعة أشهر ، ومقصود السلطان أن تستريح[(٢)] الجيوش من تعبها وتجم النفوس من نصبها ، وأرسل السلطان إليه من تَسلَّم منه الأسارى ، وقد ولت[(٣)] دولة النصارى ، ثم سار السلطان ، فسأله ولده الظاهر أن يجتاز بحلب ، فأجابه إلى ما طلب[(٤)] فنزل بقلعتها ثلاث ليال[(٥)] ، فاستقدمه ابن أخيه تقي الدين إليه إلى حماة فنزل بقلعتها[(٦)] ليلة واحدة كانت من أكبر مقاصده ومناه ، وأقطعه تلك الليلة[(٧)] جبَلة واللاذقية ، ثم سار فنزل بقلعة بعلبك ، ودخل إلى حمَّامها ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً مسروراً محبوراً ، وذلك في أوائل رمضان وكان يوماً مشهوداً ومقدماً محموداً .

فتح الكرك على يدي المسلمين[(٨)]

وجاءته البشارة[(٩)] بفتح الكرك على المسلمين الذين كانوا محاصرين أراح الله منهم تلك الناحية ، وسهَّل حَزْنَها على السالكين من التجار والغزاة والحجاج والمعتمرين ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام : ٤٥] .

فصل
في صفة فتح صفد وحصن كوكب

لم يقم[(١٠)] السلطان بدمشق إلا أياماً معدودة حتى خرج بجيشه قاصداً بلاد صفد فنازلها في العشر الأوسط من رمضان ، وحاصرها بالمنجنيقات[(١١)] والشجعان ، وكان البرد شديداً ويصبح الماء فيه جليداً ، فما زال حتى فتحها صلحاً في ثامن شوال ، ولله الحمد على كل حال ، ثم راح[(١٢)] إلى صور

(١) ط : بتضجر من معه من الجيش .
(٢) ط : يستريح .
(٣) ط : ذلت .
(٤) ط : إلى ذلك .
(٥) ط : ثلاثة أيام ثم استقدمه .
(٦) ط : عنده .
(٧) عن أ وحدها .
(٨) ط : البشائر .
(٩) ط : وإنقاذه من أيدي الفرنج .
(١٠) أ : يتم .
(١١) ط : بالمجانيق ، ب : بالمنجنيق .
(١٢) ط : سار .

فألقت إليه بقيادها ، وتبرّأت من ناصريها[١] وأجنادها[٢] وقوادها ، وتحققت لما فتحت صفد أنها مقرونة معها في أصفادها[٣] ، ثم سار منها إلى حصن كوكب ، وهي معدن الاسبتارية[٤] ، كما أن صفد كانت معقل الدّاوية - وكانوا أبغض أجناس الفرنج إلى [الملك الناصر صلاح الدين][٥] ، لا يكاد يترك منهم أحداً [إلا قتله][٦] إذا وقع في المأسورين ، فحاصر قلعة كوكب حتى قهرها[٧] وقتل [مقاتلتها وأسرها][٨] وأراح المارة من شر ساكنيها ، وتمهدت تلك السواحل واستقرت[٩] بها منازل قاطنيها . هذا والسماء تصب والرياح تهب ، والسيول تعب ، والأرجل في الأوحال تخب ، والسلطان[١٠] في كل ذلك صابر مصابر محتسب ، وكان القاضي الفاضل معه في هذه [المواقف شاهد مرتقب][١١] .

وكتب القاضي الفاضل عن السلطان إلى أخيه سيف الإسلام صاحب اليمن[١٢] يستدعيه إلى الشام لنصرة أهل الإسلام ، [وقتل الكفرة اللئام][١٣] ، فإنه[١٤] قد عزم على حصار[١٥] أنطاكية بنفسه ، ويكون تقي الدين عمر[١٦] محاصراً طرابلس إذا انسلخ هذا العام ، ثم عزم القاضي الفاضل على الدخول إلى [الديار المصرية فسار السلطان معه لتوديعه ، ثم عدل إلى القدس الشريف فصلى][١٧] فيه الجمعة وعيَّد فيه عيد الأضحى ، بالصخرة من الأقصى ، ثم سار ومعه أخوه السلطان العادل إلى عسقلان ، ثم أقطع

(١) ط : أنصارها .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) أ : وتحققت أنها لما فتحت صفد أن تكون مقرونة أصفادها .
(٤) ط : وهي معقل الاستثارية . وهو تصحيف . وقد تقدم الحديث عن الاسبتارية (Hospitalers) في هوامش سنة ٥٧٤ من هذا الجزء .
(٥) مكانهما في ط : السلطان .
(٦) ليس في أ .
(٧) ط : أخذها .
(٨) مكانهما في ط : من بها .
(٩) ط : واستقر .
(١٠) ط : وهو .
(١١) مكانهما في ط : الغزوة .
(١٢) ط : وكتب القاضي الفاضل إلى أخي السلطان صاحب اليمن .
(١٣) ليست في ط .
(١٤) ط : وإنه .
(١٥) أ : حصر .
(١٦) عن ط وحدها .
(١٧) ط : إلى مصر فودعه السلطان فدخل القدس فصلّى به .

أخاه الكرك عوضاً عن عسقلان ، وأمره بالانصراف ليكون عوناً لابنه العزيز على حوادث الزمان ، وعاد السلطان فأقام بمدينة عكا حتى انسلخت هذه السنة .

[وفي هذه السنة][١] خرجت طائفة [من الرافضة بمصر يريدون أن][٢] يعيدوا دولة الفاطميين ، واغتنموا غيبة العادل عن مصر واستخفّوا أمر العزيز عثمان بن صلاح الدين ، فبعثوا اثني عشر رجلاً ينادون في الليل : يا آل علي ، [يا لعلي ، بناءً][٣] على أن العامة تجيبهم [إلى ما عزموا عليه ، فلم يلتفت إليهم أحد ولا يتبعهم من الناس واحد][٤] ، فلما رأوا ذلك انهزموا فأدركوا وأُخذوا وقُيِّدوا وحُبسوا ، ولما بلغ أمرهم إلى السلطان صلاح الدين ساءه ذلك واهتم له ، وكان القاضي الفاضل عنده بعد لم يفارقه ، فقال له : أيها الملك ينبغي أن تفرح ولا تحزن ، حيث لم يُصْغِ إلى دعوة هؤلاء الجهلة أحد من رعيّتك ، ولا التفتوا إليهم ، ولو أنك بعثت من قبلك جواسيس يختبرون رعيتك[٥] لسَرَّكَ ما بَلغك عنهم[٦] ، فسريَ عنه ما كان يجد ، ورجع إلى قوله ، ولهذا أرسله إلى مصر ليكون له عيناً وعوناً ومعيناً .

[وممن توفي فيها من الأعيان][٧] :

الأمير الكبير سلالة الملوك والسلاطين [بقلعة شيزر][٨] : مؤيد الدولة أبو الحارث وأبو المظفر أسامة ابن مُرْشد بن عليّ بن مُقلَّد بن نصر بن مُنْقِذ[٩] .

أحد الشعراء المشهورين ، والأمراء المشكورين ، بلغ من العمر ستًّا وتسعين سنة ، وكان عمره تاريخاً مستقلاً وحده ، وكانت داره بدمشق ، [مكان العزيزية][١٠] وكانت معقلاً للفضلاء ، ومنزلاً للعلماء ، وله من الأشعار الرائقة ، والمعاني الفائقة شيء كثير ، ولديه[١١] علم غزير ، وعنده جود وفضل

---

(١) ط : وفيها .
(٢) مكانهما في ط : بمصر من الرافضة .
(٣) ط : يا آل علي بنيانهم .
(٤) مكانهما في ط : فلم يجبهم أحد ولا التفت إليهم .
(٥) ط : جواسيس من قبلك يختبرون الناس لسرّك ما بلغك عنهم .
(٦) أ : فسرى ذلك عنه . ب : فسرى عنه ذلك .
(٧) ط : وفيها توفي من الأعيان . ب : وممن توفي فيها من الأعيان .
(٨) مكانهما في ط : الشزري ، وشيزر : قلعة قرب المعرة ، بينها وبين حماة يوم . معجم البلدان .
(٩) ترجمته في تهذيب ابن عساكر (٢/ ٤٠٠) وخريدة الشام (١/ ٤٩٩) ومعجم الأدباء (٥/ ١٨٨) والروضتين (١/ ٢٦٤) و(٢/ ١٣٧) ووفيات الأعيان (١/ ١٩٥) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٧٠ ـ ٧٧٥) والعبر (٤/ ٢٥٢) ومرآة الجنان (٣/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) .
(١٠) ليس في أ .
(١١) ط : وله أشعار رائقة ومعان فائقة ولديه .

كبير ، وقد كان من أبناء[١] ملوك شيزر ، ثم أقام بديار مصر[٢] مدة في أيام الفاطميين ، ثم عاد إلى الشام ، وقدم[٣] على الملك صلاح الدين في سنة سبعين دمشق وأنشد[٤] : [من المتقارب]

حَمِدْتُ على طُولِ عُمْرِي المَشيبا ... وإن كُنْتُ أَكْثَرْتُ فيه الذُّنُوبَا
لأَنِّي حَيِيتُ إلى أنْ لقيـ ... ـتُ بَعْدَ العَدُوِّ صَديقاً حَبيبا

وله [مبتكراً معناه][٥] في سنٍّ قلعها ففقد[٦] نفعها[٧] : [من البسيط]

وَصَاحِبٍ لاَ أَمَلّ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ ... يَشْقَى لِنَفْعي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فحِينَ بَدَا ... لِنَاظِريَّ افْتَرَقْنَا فرقَةَ الأَبَدِ

وله ديوان[٨] شعر كبير ، وكان صلاح الدين يفضله على سائر الدواوين ، وقد كان [أسامة هذا الأمير ولد][٩] في سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ، وكان في شبيبته شهماً شجاعاً فاتكاً ، قتل الأسد مواجهة[١٠] وحده ، ثم عُمّر إلى أن توفي في هذه السنة رحمه الله .

قال ابن خلكان[١١] : ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان ودفن شرقي جبل قاسيون[١٢] قال : زرت قبره وقرأت عنده ، وأهديت له ، رحمه الله تعالىٰ ، ومما أنشده[١٣] له قوله[١٤] : [من الكامل]

لاَ تَسْتَعِرْ جَلَداً عَلَى هِجْرَانِهِم ... فَقِواكَ تَضْعفُ عَنْ صُدودٍ دَائِمِ
وَاعْلَمْ بأَنَّكَ إنْ رَجعْتَ إِلَيْهِمُ ... طَوْعاً وإلاَّ عُدْتَ عَوْدَةَ نادِمِ

---

(١) ط : من أولاد .
(٢) ط : بمصر .
(٣) ط : فقدم .
(٤) البيتان في الروضتين (١/ ٢٦٤) .
(٥) ليس في ط .
(٦) ط : وفقد .
(٧) البيتان في أكثر المصادر التي ترجمته .
(٨) طبع ديوانه في القاهرة سنة ١٩٥٣م بتحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد .
(٩) مكانهما في ط : مولده .
(١٠) ط : قتل الأسد وحده مواجهة .
(١١) وفيات الأعيان (١/ ١٩٩) .
(١٢) ط : قايسون .
(١٣) ط : وأنشدت له .
(١٤) البيتان في وفيات الأعيان (١/ ١٩٦) .

[وقوله في قتل الأسد وكبره][(١)] : [من البسيط]

وَاعْجَبْ لِضَعْفِ يَدِي عَنْ حَمْلِهَا قَلَماً ... مِنْ بَعْدِ حَطْمِ القَنَا فِي لَبَّةِ الأَسَدِ

[وَقُلْ لِمَنْ يَتَمَنَّى طُولَ مُدَّتِهِ ... هذِي عَواقِبُ طُولِ العُمْرِ والمَدَدِ[(٢)]

[ابن سُوَيْدة التكريتي][(٣)] :

قال ابن الأثير : [وفي هذه السنة توفي شيخنا][(٤)] أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سويدة[(٥)] التكريتي ، كان عالماً بالحديث وله فيه[(٦)] تصانيف حسنة ، [رحمه الله تعالىٰ] .

الحازمي الحافظ[(٧)] :

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة[(٨)] : وفيها توفي الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمذاني ببغداد صاحب التصانيف على صغر سنه ، منها : « العجالة في النسب » و« الناسخ والمنسوخ » في الحديث وغيرهما[(٩)] . ومولده سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمئة ، وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة ، رحمه[(١٠)] الله .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمئة

فيها : قدم من جهة الخليفة رسلٌ إلى السلطان يُعلمونه بولاية العهد لأبي[(١١)] نصر الملقَّب بالظاهر بن الخليفة الناصر ، فأمر السلطان خطيب دمشق أبا القاسم عبد الملك بن زيد الدَّولعي[(١٢)] [أن يذكره على

---

(١) ط : وله أيضاً .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ترجمته في تاريخ ابن الأثير (٩/ ١٩٨) وتاريخ ابن الدبيثي (الورقة ٩٧ من مجلد باريس ٥٩٢٢) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٧٩) .
(٤) ط : وفيها توفي شيخه .
(٥) ب ، ط : سويد ، أ : سونده ، وما هنا عن ابن الأثير ، وغيره .
(٦) عن أ وحدها .
(٧) ترجمته في مختصر ابن الدبيثي (١٤٤) والروضتين (٢/ ١٣٧) وتهذيب الأسماء والصفات (٢/ ١٩٢) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٧٨٩ ـ ٧٩٠) والعبر (٤/ ٢٥٤) ومرآة الجنان (٣/ ٤٢٩) .
(٨) الروضتين (٢/ ١٣٧) .
(٩) ط : وغيرها .
(١٠) ليست جملة الترحم في ط .
(١١) أ ، ب : إلى أبي .
(١٢) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٨ من هذا الجزء .

المنبر][١] ، ثم جهز السلطان مع الرسل تحفاً كثيرة ، وهدايا سنية ، وأرسل بأسارى من الفرنج على هيئتهم في حال حربهم ، وأرسل بصليب الصلبوت فدفن تحت عتبة باب النوبي[٢] من دار الخليفة ، فكان بالأقدام يداس ، بعد ما كان يعظَّم[٣] ويباس ، [وصار يُبْصق عليه ، بعد ما كان يسجد إليه][٤] ، والصحيح أن هذا الصليب إنما هو الذي كان منصوباً على قبة الصخرة ، وكان من نحاس مطلياً بالذهب ، فحطّه[٥] الله إلى أسفل الرتب .

قصة عكا وما كان من أمرها

في[٦] شهر رجب اجتمع مَنْ كان بصور من الفرنج ، وساروا إلى مدينة عكا فأحاطوا بها يحاصرونها ، فتحصَّن مَنْ فيها من المسلمين ، فأعدّوا للحصار ما يحتاجون إليه ، وبلغ السلطان خبرهم فسار إليهم من دمشق مسرعاً ، فوجدهم قد أحاطوا بها كإحاطة[٧] الخاتم بالخنصر ، فلم يزل يدافعهم عنها ويمانعهم منها ، حتى جعل طريقاً إلى باب القلعة يصل إليه كل مَنْ أراده ، من جندي وسوقي ، وامرأة وصبي ، ثم أولج فيها ما أراد من الآلات والأمتعة[٨] والمقاتلة ودخل هو[٩] بنفسه الكريمة[١٠] فعلا على سورها ، ونظر إلى الفرنج وجيشهم وكثرة عَددهم وعُددهم والميرة تفد إليهم من[١١] البحر في كل وقت [أصيل وفجر][١٢] وكل ما لهم في ازدياد ، وفي كل حين تصل إليهم الأمداد ، ثم عاد السلطان إلى مخيمه والجنود[١٣] تفد إليه وتقدم عليه من كل جهة ومكان ، من رجالة وفرسان والله أعلم بالصواب .

وقعة مرج عكا

فلما كان العشر الأخير من شعبان برزت[١٤] الفرنج من مراكبها إلى مواكبها في نحو من ألفي فارس

---

(١) أ : بالدعاء له .
(٢) ط : باب النوى .
(٣) أ ، ب : يقبل .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) أ ، ب : قد انحط .
(٦) ط : لما كان .
(٧) ط : إحاطة .
(٨) أ ، ب : ثم أولج فيها ما أراد من آلات وأمتعة مقاتلة . واللفظة الأخيرة في أ وحدها .
(٩) ليس في ب .
(١٠) ليس في ط .
(١١) ط : في .
(١٢) عن ب وحدها .
(١٣) ب : والجنود تصل إليه وتفد عليه .
(١٤) أ ، ب : ثم برزت . . ألف راجل في العشر الأخير من شعبان .

وثلاثين ألف راجل في العشر الأخير من شعبان ، فبرز إليهم السلطان فيمن معه من السادة الشجعان ، فاقتتلوا بمرج عكا قتالاً عظيماً ، وهُزم جماعة من المسلمين في أول النهار ، ثم كانت الكرَّة[(١)] على الفرنج في آخره ، والعاقبة للمتقين ، فقتل من المسلمين قريب من المئتين ، وأما الفرنج[(٢)] فكانت القتلى بينهم[(٣)] أزيد من سبعة آلاف قتيل ، ولما تمت[(٤)] هذه الوقعة تحول السلطان عن مكانه الأول إلى مستنزه[(٥)] بعيد من رائحة القتلى ، خوفاً من الوخم والأذى لتستريح[(٦)] الخيَّالة والخيل ، ولم يعلم أن ذلك كان من أكبر مصالح العدو[(٧)] المخذول ، فإنهم اغتنموا هذه الفرصة[(٨)] فحفروا حول مخيَّمهم خندقاً [لجميع جيشهم من البحر إلى البحر محدقاً[(٩)] واتخذوا من ترابه سوراً شاهقاً ، وجعلوا له أبواباً يخرجون منها إذا أرادوا وتمكَّنوا في منزلهم ذلك الذي له اختاروا وارتادوا ، وتفارط الأمر [على المسلمين][(١٠)] وقوي الخطب ، وصار الداء عضالاً ، وازداد الحال وبالاً ، [اختبارًا من الله وامتحاناً][(١١)] ، وكان رأي السلطان أن يناجزوا بعد الكرة سريعاً ، ولا يتركوا حتى تطيب ريح[(١٢)] البحر فتأتيهم الأمداد من كل صوب [هريعاً ، فاعتذر الأمراء إليه بالملال][(١٣)] والضجر ، وكل منهم لأمر الفرنج قد احتقر ، ولم يدر ما قد حُتِّم في القدر ، فأرسل السلطان إلى جميع الملوك يستنفر ويستنصر ، وكتب إلى الخليفة بالبث[(١٤)] ، وبثَّ الكتب بالتحضيض والحث ، فجاءته الأمداد جماعات وآحاداً[(١٥)] ، وأرسل إلى مصر يطلب أخاه العادل [فقدم عليه][(١٦)] ويستعجل الأسطول ، فوصل إليه في خمسين[(١٧)] قطعة في البحر مع الأمير حسام

---

(١) ط : الدائرة .
(٢) عن أ وحدها .
(٣) أ ، ب : منهم .
(٤) ط : تناهت .
(٥) ط : موضع .
(٦) ط : وليستريح .
(٧) أ ، ب : المصالح للعدو .
(٨) أ ، ب : الفترة .
(٩) ط : خندقاً في البحر محدقاً بجيشهم .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) ليس في ط .
(١٣) ط : كل صوب فتعذر عليه الأمر بإملال الجيش والضجر .
(١٤) أ ، ب : بالبت وبت الكتب .
(١٥) ط : وآحادا .
(١٦) جاء ما بينهما في ط بعد لفظة الأسطول في السطر التالي .
(١٧) ط : إليه خمسون .

الدين لؤلؤ وقدم العادل في عسكر المصريين ، فلما وصل الأسطول حادت مراكب الفرنج عنه يمنة ويسرة ، وخافوا منه ، واتصل[١] بالبلد الميرة والعَدد والعُدد ، وانشرحت الصدور [بعد الضيق والكمد][٢] وانسلخت هذه السنة والحال ما حال بل هو على ما هو عليه ، ولا ملجأ من الله تعالىٰ[٣] إلا إليه ، والله أعلم بالصواب .

ومِمن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان ، أبو العباس المعروف بابن أفضل الزمان[٤] :

قال ابن الأثير : كان عالماً متبحراً في علوم كثيرة من الفقه والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق [وغير ذلك][٥] ، وقد جاور بمكة ، وأقام بها إلى أن مات[٦] ، وكان من أحسن الناس صحبة وخلقاً ، [رحمه الله تعالىٰ][٧] .

القاضي شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون[٨] : أحد أئمة الشافعية ، له كتاب « الانتصار »[٩] ، وقد ولي قضاء القضاة بدمشق ، ثم أَضَرَّ قبل موته بعشر سنين ، فجعل ولده محيي[١٠] الدين مكانه تطييباً لقلبه[١١] ، وبلغ القاضي شرف الدين من العمر ثلاثاً وتسعين سنة ونصفاً ، ودفن بالمدرسة العصرونية[١٢] ، التي أنشأها عند سويقة باب البريد ، قبالة داره ، بينهما عرض الطريق . وكان من الصالحين والعلماء العاملين رحمه الله .

وقد ذكره القاضي ابن خلكان فقال[١٣] : كان أصله من حديثة عانة الموصل[١٤] ، ورحل في طلب

---

(١) أ : فحين وصل الأسطول جاءت مراكب الفرنج يمنة ويسرة وخافت كلها منه واتصلت .
(٢) مكانهما في ط : بذلك .
(٣) عن أ وحدها .
(٤) جاءت هذه الترجمة في ب ، ط بعد ترجمة ابن أبي عصرون وترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٠٥) .
(٥) أ : وغيرها .
(٦) ط : مات بها .
(٧) ليس في ب .
(٨) ترجمته عند ابن الأثير (٩/ ٢٠٥) والروضتين (٢/ ١٥٠) ووفيات الأعيان (٣/ ٥٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٠١ـ ٨٠٣) والعبر (٤/ ٢٥٦) ومرآة الجنان (٣/ ٤٣٠) .
(٩) ط : الانتصاف . وهو تصحيف . وفيات الأعيان (٣/ ٥٤) . قال ابن خلكان عنه أنه في أربع مجلدات .
(١٠) ب ، ط : نجم الدين ، وهو تصحيف لأن ابنه محمداً لقبه محيي الدين لا نجم الدين .
(١١) ط : بطيب قلبه .
(١٢) منادمة الأطلال (١٣١) .
(١٣) وفيات الأعيان (٣/ ٥٤) وقد تصرّف فيما نقل .
(١٤) أ : حديثة الموصل ، ب : مدينة عانة . والحديثة وعانة : بلدتان كانتا تحفان بالموصل من جهتيه ، فعانة في غربيّه=

العلم إلى بلدان شتى ، وأخذ عن أسعد المِيهَني[١] وأبي علي الفارقي[٢] وجماعة ، وولي قضاء سنجار وحرّان ، وباشر في أيام نور الدين تدريس الغزاليّة[٣] ، ثم انتقل إلى حلب فبنى له نور الدين مدرسة بحلب وبحمص أيضاً[٤] ثم قدم دمشق في أيام صلاح الدين ، فولي قضاءها في سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة ، إلى أن توفي في هذه السنة ، وقد جمع « جزءاً في قضاء الأعمى » ، وأنه جائز ، وهو خلاف المذهب ، لكن حكاه صاحب البيان وجهاً لبعض الأصحاب . قال[٥] : ولم أره في غيره[٦] . وقد صنف كتباً كثيرة منها « صفوة المذهب في نهاية المطلب » في سبع مجلدات ، و « الانتصار »[٧] في أربعة ، و « الخلاف » في أربعة ، و « الذريعة في معرفة الشريعة » ، [و « المرشد » وغير ذلك وكتاباً سماه « مآخذ النظر » و « مختصراً »[٨]] في الفرائض ، وغيرها . وقد ذكره ابن عساكر في « تاريخه » ، والعماد فأثنى عليه ، وكذلك القاضي الفاضل ، وأورد له العماد أشعاراً كثيرة[٩] ، ومما أورده ابن خلكان عنه قوله[١٠] : [من الطويل]

أُؤَمِّلُ أَنْ أَحْيَا وفِي كُلِّ سَاعَةٍ ... تَمُرُّ بِيَ المَوْتَى تَهُزُّ نُعُوشَهَا

وَمَا[١١] أَنَا إلاَّ مِثْلُهم غَيْرَ أَنَّ لي ... بَقَايَا لَيَالٍ في الزَّمَانِ أَعِيشُهَا

الفقيه الأمير ضياء الدين عيسى[١٢] الهكاري[١٣] :

= والحديثة في شرقيّه . كما في معجم البلدان . قلت والموصل اليوم مركز محافظة نينوى الواقعة شمال غربي العراق على الحدود السورية .

(١) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٢٣هـ من هذا الجزء .

(٢) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٢٨هـ من هذا الجزء .

(٣) تقدم الحديث عنها في هوامش سنة ٥٧١هـ من هذا الجزء .

(٤) ط : فبنى له نور الدين بحلب مدرسة وبحمص أخرى .

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٥٤) .

(٦) بعده في ط : ولكن حبك الشيء يعمي ويصم . وليست في الوفيات .

(٧) ط : الانتصاف . وهو تصحيف .

(٨) عن ط وحدها .

(٩) ط : وابن خلكان منها .

(١٠) البيتان في وفيات الأعيان (٣/ ٥٥) .

(١١) ط : وهل .

(١٢) ترجمته عند ابن الأثير (٩/ ٢٠٥) والروضتين (٢/ ١٥٠) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) وأبو الفداء (٣/ ٧٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٠٥ ـ ٨٠٦) واسمه في وفيات الأعيان : أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمدبن أحمد بن يوسف بن القاسم بن عيسى بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ ويقال له الهكاري الملقب ضياء الدين .

(١٣) أ ، ب : ابن الهكاري ، والهكاري نسبة إلى الهكّارية وهي بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكاريّة . (معجم البلدان) .

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، دخل معه إلى مصر ، وحظي عنده ، ثم كان ملازماً للسلطان صلاح الدين حتى توفي[١] في ركابه بمنزلة الخرّوبة[٢] قريباً من عكا ، فنقل إلى القدس الشريف فدفن به [رحمه الله][٣] ، كان ممن تفقه على الشيخ أبي القاسم ابن البَزْرِي[٤] الجزري ، وكان الفقيه عيسى من الفضلاء النبلاء والأمراء الكبار رحمه الله تعالىٰ .

المبارك بن المبارك الكرخي[٥] : مدرس النظامية ، تفقه بابن الخلِّ[٦] وكانت له مكانة[٧] عند الخليفة والعامة ، وكان يضرب بحسن خطه المثل . وقد[٨] ذكرته في « الطبقات » رحمه [الله تعالىٰ][٩] .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمئة

استُهِلَّتْ والسلطان محاصِر لحصن عكا ، وأمداد الفرنج تفد إليهم[١٠] من البحر في كل وقت [وكل حين][١١] حتى إن [نساء الفرنج][١٢] ليخرجن بنية القتال ، ومنهن[١٣] من تأتي بنية إراحة العزبان[١٤] في الغربة ، [فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطر][١٥] ، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمئة امرأة

---

(١) ط : مات .
(٢) الخرّوبة حصن بسواحل بحر الشام مشرف على عكا .
(٣) ليس في ط .
(٤) هو أبو القاسم عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة ، المعروف بابن البَزْري الجزري الفقيه الشافعي إمام جزيرة ابن عمر ومفتيها . مولده في سنة ٤٧١هـ واشتغل على إلكيا الهراسي وأبي حامد الغزالي ، وصحب الشاشي . وألف كتاب الأسامي والعلل من كتاب المهذب وهو مختصر . توفي سنة ٥٦٠هـ . ترجمته في معجم البلدان ، وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٧٤) .
(٥) ترجمته عند ابن الأثير (٩/ ٢٠٥) والتكملة للمنذري (١/ ١٢٢) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٠٨ ـ ٨٠٩) والعبر (٤/ ٢٥٧) . واسمه فيه أبو طالب الكرخي المبارك بن المبارك ، ومرآة الجنان (٣/ ٤٣٠) .
(٦) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٥٢هـ من هذا الجزء .
(٧) ط : [وحظي] بمكانة .
(٨) ليس في ط .
(٩) الترحم عن أ وحدها .
(١٠) أ : تقدم عليهم .
(١١) ليس في ط .
(١٢) أ ، ب : النساء .
(١٣) أ : ومنهم من يأتي بنية العزبان وإراحة العزبان في الغربة .
(١٤) العزبان لينكحوها في الغربة .
(١٥) عن ط وحدها .

حسناء[١] بهذه النية ، فإذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والغربة ، حتى إن كثيراً من فسقة المسلمين تحيَّزوا إليهم لأجل[٢] هذه النسوة ، واشتهر الخبر[٣] وشاع بين المسلمين والفرنج بأن ملك الألمان قد أقبل [في نحو ثلاثمئة][٤] ألف مقاتل من ناحية القسطنطينية ، يريد أخذ الشام وقتل أهله وملوكه انتصاراً لبيت المقدس ، فحمل[٥] المسلمون همًّا عظيماً ، وخافوا [غائلة ذلك][٦] مع ما هم فيه من الشغل العظيم والحصار الهائل ، وقويت قلوب الفرنج بذلك ، واشتدوا للحصار والقتال ، ولكن لطف الله بهم وأهلك عامة الألمان[٧] في الطرقات بالبرد والجوع والضلال في المهالك ، على ما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله تعالىٰ .

وكان سبب نفير النصارى [هذا النَّفير العام][٨] ما ذكره ابن الأثير في « كامله »[٩] أن جماعة من الرهبان][١٠] والقسوس الذين كانوا ببيت المقدس وغيره ، ركبوا من مدينة صور في أربعة مراكب ، وخرجوا يطوفون البلاد البحرية[١١] وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى يحرِّضون الفرنج ويحثُّونهم على الانتصار لبيت المقدس ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار ، وقد صوروا صورة المسيح [عليه السلام][١٢] وصور رجل عربي آخر يضربه ويؤذيه ، فإذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح[١٣] ؟ قالوا : هذا نبي العرب يضربه وقد جرحه ومات ، فينزعجون لذلك ويحمون ويبكون ويحزنون ، فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم ، وموضع حجهم على الصعب والذلول حتى النساء المخدَّرات والزواني والزانيات والأبناء الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات وأخص المخدرات .

---

(١) ط : امرأة من أحسن النساء وأجملهن .
(٢) ط : من أجل .
(٣) ط : واشتهر الخبر بذلك .
(٤) ط : بثلاثمئة .
(٥) ط : فعند ذلك حمل السلطان والمسلمون .
(٦) ط : غاية الخوف .
(٧) أ : وأهلك أمة الألمان ، ط : وأهلك عامة جنده .
(٨) ط : وكان سبب قتال الفرنج وخروجهم من بلادهم ونفيرهم .
(٩) الكامل في التاريخ (١٢/ ٥٥) .
(١٠) أ ، ب : الرهبان والقسوس .
(١١) ط : يطوفون ببلدان النصارى البحرية ، والمراد : أوربا .
(١٢) عن أ وحدها .
(١٣) بعده في أ ، ب : وأخص الحذرات .

وفي نصف ربيع الأول[(١)] تسلَّم السلطان شقيف أرنون[(٢)] بالأمان ، وكان صاحبه مأسوراً في الذل والهَوان ، وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس ، وربما قرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن ، وكان مع هذا غليظ الجلد ، [قاسي القلب ، كافر النفس][(٣)] .

ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع ، جاءت ملوك الإسلام من بلدانها بجيوشها[(٤)] وشجعانها ، ورجالها[(٥)] وفرسانها ، وأرسل[(٦)] الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالاً من النفط والرماح الخطية[(٧)] ، ونفَّاطة ونقّابين ، كل منهم متقن في صنعته غاية الإتقان[(٨)] ، ومرسوماً بعشرين ألف دينار ، وانفتح البحر وتواترت مراكب[(٩)] الفرنج والنصارى ، من كل جزيرة ، ينصرون أصحابهم ويمدونهم[(١٠)] بالقوة والمِيرَة ، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد ، عليها جلود مسقاة بالخل لئلا يعمل فيها النفط ، يسع البرج منها خمسمئة مقاتل ، وهي أعلى من أبرجة البلد ، وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاؤوا ، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير ، [فأهمَّ أمرُها المسلمين ، وكانوا عليها حنقين وخافوا على البلد][(١١)] ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا ، وحصل لهم ضيق منها ، فأعمل السلطان فكره في إحراقها[(١٢)] وإهلاكها ، فاستحضر[(١٣)] النفّاطين ووعدهم بالأموال الجزيلة إن هم أحرقوها ، فانتدب لذلك شاب نحّاس من دمشق يعرف بعلي ابن عريف النحاسين ، والتزم بإحراقها وإهلاكها ، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية[(١٤)] عرفها ، وغلا ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار ناراً تأجج ، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا ، فاحترقت الأبرجة الثلاثة بإذن الله عز وجل حتى

---

(١) ب : الآخر .

(٢) أ ، ب : أريون ، ط : أربون . وكل ذلك تصحيف . وشقيف أَرْنُون : قلعة حصينة جدًّا في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل (معجم البلدان) . قلت : وفي جنوب لبنان ـ اليوم ـ قلعة شقيف ، وتقع جنوب النبطية ، قرب الحدود اللبنانية الفلسطينية ، فلعلها هي .

(٣) أ : كافر القلب قبحه الله تعالىٰ ، ب : لعنه الله .

(٤) ط : بخيولها .

(٥) أ ، ب : ورجالتها .

(٦) ب : فأرسل .

(٧) ليس في ط .

(٨) أ ، ب : ونفاطة متقنين لهذه الصناعة غاية الإتقان .

(٩) عن ط وحدها .

(١٠) ط : لأجل نصرة أصحابهم يمدونهم .

(١١) ط : فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها وخافوا على البلد .

(١٢) ط : بإحراقها .

(١٣) ط : وأحضر .

(١٤) أ ، ب : وخلط إليه أدوية يعرفها وغلى ذلك في ثلاثة قدور .

صارت ناراً[١] لها ألسنة في الجو متصاعدة [واحترق من كان فيها][٢] ، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل والتكبير ، واحترق في كل برج سبعون[٣] كفوراً من مقاتلتهم ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً ، وذلك يوم الإثنين الثامن[٤] والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وكان[٥] الفرنج قد تعبوا في عملها[٦] سبعة أشهر ، فاحترقت في يوم واحد ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] وعرض السلطان على ذلك[٧] الشاب النَّحَّاس العطية السنية ، فامتنع من قبولها ، وقال : إنما عملت هذا ابتغاء وجه الله [ورجاء ما عنده سبحانه][٨] فلا أريد منكُم جزاءً ولا شكوراً .

وأقبل الأسطول المصري وفيه المِيرة الكثيرة لأهل البلد ، فعبَّأ الفرنج أسطولهم ليحاربوا[٩] أسطول المسلمين ، [فنهض السلطان بجيشه ليشغلهم عن قتال الأسطول][١٠] ، وقاتلهم أهل البلد أيضاً واقتتل الأسطولان في البحر ، وكان يوماً مشهوداً عظيماً[١١] ، وحرباً في البر والبحر ، فظفرت الفرنج بشيني[١٢] واحد من الأسطول الذي للمسلمين ، وسلم الله الباقي ، فوصل إلى البلد بما فيه من الميرة ، [التي قد اشتدت حاجتهم إلى عشرها ، وحمدوا الله تعالىٰ على يسرها بعد عسرها][١٣] .

وأما ملك الألمان المتقدم ذِكره فإنه أقبل في عدد كثير وجم غفير[١٤] ، قريب من ثلاثمئة ألف مقاتل ، ومن نيّته خراب البلد وقتل أهلها من المسلمين ، والانتصار لبيت المقدس ، [حين أُخذ من أيديهم فما زال يمر بإقليم][١٥] بعد إقليم ، فما نال من ذلك شيئاً بعون الله وقوته ، بل أهلكهم الله عز وجل في كل

---

(١) ط : فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت ناراً بإذن الله ، ب : لها ألسنة في الجو .
(٢) ليس في ب .
(٣) ط : منها سبعون كفوراً ، ب : في كل برج من مقاتلتهم .
(٤) ط : الثاني والخبر في الروضتين (٢/ ١٥٣) .
(٥) أ ، ب : وكانت .
(٦) أ : فيها ، ب : عليها .
(٧) ط : ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنية وأموال كثيرة فامتنع أن يقبل شيئاً من ذلك وقال إنما عملت ذلك .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) ط : فعبّي الفرنج أسطولهم ليحاربوا .
(١٠) ط : نهض . . ليشغلهم عنهم .
(١١) ط : وكان يوماً عسيراً . ب : وكان يوماً عظيماً .
(١٢) ط : بشبيني ، وهو تصحيف ، والخبر في الروضتين (٢/ ١٥٤) .
(١٣) ب : وحمدت الله على يسرها . وط : وكانت حاجتهم قد اشتدت إليها جدًّا بل إلى بعضها .
(١٤) ط : في عدد وعدد كثير جدًّا .
(١٥) ط : وأن يأخذ البلادإقليماً بعد إقليم حتى مكة والمدينة فما نال .

مكان وزمان ، فكانوا يُتَخَطَّفون [في كل مكان ، ويقتلون كما يقتل][١] الحيوان ، حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية ، فدعته نفسُه أن يسبح فيه ، فلما صار فيه حمله الماء إلى جِذم[٢] شجرة فشجَّت رأسه ، وأخمدت أنفاسه ، وأراح الله [منه المسلمين ، وحشرت روحه إلى سجين][٣] .

فأقيم ولده الأصغر في الملك بعده[٤] ، وقد تمزَّق شملهم ، وقلَّت [منهم العِدَّة][٥] ، ثم أقبلوا لا يجتازون ببلد[٦] إلا قُتلوا فيه ، [وقلَّ عددهم حتى جاؤوا إلى أصحابهم المحاصرين لعكا وهم في ألف فارس وليس لهم قدر ولا قيمة][٧] عند أحد من أهل ملتهم ولا غيرهم ، [هذه سنة الله فيمن أراد مخالفة الإسلام وأهله في إهلاكه وتمزيق شمله ، ولله الحمد والمنة][٨] .

وزعم العماد في سياقه أن الألمان وصلوا في خمسة آلاف مقاتل ، وأن ملوك الفرنج[٩] كلهم كرهوا قدومه[١٠] عليهم ، لما يخافون من سطوته[١١] ، وزوال دولتهم بدولته ، ولم يفرح به إلا المركيس صاحب صور الذي أنشأ[١٢] هذه الفتنة وأثار هذه المحنة ، لعنه الله ، فإنه تقوَّى به وبجيشه وكيده ، فإنه كان خبيراً بالحروب وقد [أحدث أشياء][١٣] كثيرة من آلات الحرب لم تخطر لأحد ببال ، نصب دبابات أمثال الجبال ، تسير بعجل ، ولها زلوم من حديد ، تنطح السور فتكسره[١٤] ، وتثلم جوانبه ، فمنَّ الله العظيم بإحراقها وإتلافها ، وأراح الله المسلمين [من شرها ولله الحمد][١٥] .

ونهض [صاحب الألمان][١٦] بالعسكر الفرنجي ، فصادم به جيش المسلمين [وناصب بالحرب

---

(١) ط : يتخطفون كما يتخطف الحيوان .
(٢) ليست اللفظة في ط . والجذم ـ بالكسر الأصل ويفتح كما في القاموس المحيط (جذم) .
(٣) ط : وأراح الله منه العباد والبلاد .
(٤) ليس في ط .
(٥) أ : عدّتهم .
(٦) ب : لا يجتازون بلداً . أ : ولا يجتازون إلا وقتلوا .
(٧) ط : فلما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا في ألف فارس فلم يرفعوا بهم رأساً ولا لهم قدراً ولا قيمة بهم ولا عند .
(٨) ط : وهكذا شأن من أراد إطفاء نور الله وإذلال دين الإسلام .
(٩) ط : الإفرنج .
(١٠) ط : قدومهم .
(١١) ط : سطوة ملكهم .
(١٢) في أ ، ب : لفظه لا تبين .
(١٣) ط : قدم بأشياء .
(١٤) في ط : فتمزقه .
(١٥) مكانهما في ط : منها .
(١٦) عن ط وحدها .

صلاح الدين ، فمنّ الله سبحانه وله الحمد ، بالنصرة عليه وتقدمت الجيوش](١) برُمَّتها إليه ، فقتلوا من الكفرة خلقاً كثيراً وجمًّا غفيراً ، وهجموا مرةً على مخيم السلطان بغتةً فنهبوا [شيئاً كثيراً](٢) من الأمتعة ، فنهض إليهم(٣) الملك العادل أبو بكر ـ وكان رأس الميمنة ـ فركب بأصحابه(٤) وأمهل الفرنج حتى توغَّلوا بين الخيام ، ثم حمل عليهم بالرماح والحسام ، فتهاربوا من(٥) بين يديه(٦) فما زال يقتل منهم جماعة بعد جماعة ، وفرقة بعد فرقة ، حتى كسا(٧) وجه الأرض منهم حُللاً أزهى من الرياض الباسمة ، [وأحب إلى النفوس من الخود(٨) الناعمة](٩) ، [وحُزر ما قتل منهم فأقل ما قيل خمسة آلاف](١٠) ، وزعم العماد وغيره أنه قتل منهم فيما بين الظهر إلى العصر عشرة آلاف [ولله الحمد](١١) .

هذا وطرف الميسرة لم يشعر بما جرى بل هم نائمون وقت القيلولة(١٢) في خيامهم وكثير منهم ما درى ، وكان الذين ساقوا وراءهم وكسروهم أقل من الألف ، وإنما قُتل من المسلمين عشرة أو دونهم ، وهذه نعمة عظيمة ، ونصرة عميمة ، وقد أوهن هذا الجيش الفرنج وأضعفهم(١٣) ، وكادوا يطلبون الصلح وينصرفون عن البلد .

فاتفق قدوم مدد عظيم إليهم من البحر مع ملك يقال له كندهري(١٤) ، لعنه الله تعالىٰ ومعه أموال كثيرة فأنفق فيهم(١٥) وعزم(١٦) عليهم ، وأمرهم أن يبرزوا معه للقاء السلطان صلاح الدين ، ونصب على عكا

---

(١) ط : (فجاءت جيوش المسلمين) .
(٢) مكانهما في ط : بعض .
(٣) ليس في حا .
(٤) ط : في أصحابه .
(٥) ليس في ب .
(٦) ط : فهربوا بين يديه .
(٧) ط : كسوا .
(٨) ط : الخدود .
(٩) ليس في أ .
(١٠) ط : وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسة آلاف .
(١١) مكانهما في ط : والله أعلم .
(١٢) ط : القائلة .
(١٣) أ : وأضعفه .
(١٤) ب : كندي ، ط : كيدهري ، وكلاهما تصحيف . وعند ابن الأثير (٩/ ٢٠٨) : كند من الكنود البحرية . يقال له الكندهري ابن أخي ملك افرنسيس لأبيه وابن أخي ملك انكلترا لأمه . وسيرد ذكره في حوادث سنة ٥٩٠هـ من هذا الجزء .
(١٥) أ : عليهم .
(١٦) ط : وعزم عليهم وأمرهم أن يبرزوا معه لقتال المسلمين .

منجنيقين ، غرم على كل واحد[١] منهما ألفاً وخمسمئة دينار ، فأحرقها أهل البلد[٢] ، وجاءت كتب صاحب الروم من القسطنطينية يعتذر لصلاح[٣] الدين من جهة ملك الألمان ، وأنه لم[٤] يجاوز ملكه ولا بلده باختياره لكثرة جنوده ، ولكن[٥] ليبشِّر السلطان بأن الله سيهلكهم في كل مكان ، وكذلك وقع ، ولله الحمد القديم الإحسان .

وأرسل إلى السلطان يقول له : إني سأقيم عندي للمسلمين جمعة وخطيباً[٦] فأرسل السلطان مع رسله خطيباً ومنبراً ، وكان يوم دخولهم إليهم يوماً مشهوداً ، ومشهداً محموداً ، فأقيمت الخطبة بالقسطنطينية ، ودعي[٧] للخليفة العباسي ، واجتمع فيها مَنْ هناك من المسلمين والتُّجَّار المسافرين[٨] والحمد لله[٩] رب العالمين .

فصـــل

وكتب متولِّي عكا من جهة السلطان[١٠] وهو الأمير بهاء الدين[١١] قراقوش [إلى السلطان][١٢] ، في العشر الأول من شعبان : إنه لم يبق عندهم من المؤونة[١٣] إلا ما يبلّغهم إلى ليلة النصف من شعبان ، فلما وصل الكتاب إلى السلطان أَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ[١٤] خوفاً من إشاعة[١٥] ذلك فيبلغ العدو فيقووا[١٦] على المسلمين ، وتضعف القلوب .

(١) أ : عزم على أحدهما ألف وخمسمئة .
(٢) ط : فأحرقهما المسلمون من داخل البلد .
(٣) أ : يعتذر إلى .
(٤) ط : وأنه لم يتجاوز بلده باختياره وأنه تجاوزه .
(٥) أ : ولذلك .
(٦) ط : وأرسل إلى السلطان يخبره بأنه يقيم للمسلمين عنده جمعة وخطباً .
(٧) ط : ودعا .
(٨) حا : من المسلمين من التجار والمسلمين الأسرى والمسافرين إليها .
(٩) أ : ولله الحمد .
(١٠) ط : السلطان صلاح الدين .
(١١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٧ من هذا الجزء .
(١٢) جاءت لفظتا (إلى السلطان) في ب ، ط بعد لفظة (شعبان) في آخر الجملة .
(١٣) ب : في المدينة . والرواية ذاتها في ط بإضافة : (من الأقوات) بعدها .
(١٤) أ ، ب : لأحد .
(١٥) أ ، ب : شيوع .
(١٦) ط : فيقدموا .

وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية ليقدم[١] بالميرة إلى عكا، فتأخر سيره ، ثم وصلت ثلاث بطس[٢] ليلة النصف ، فيها من الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء، وهي صحبة الأمير[٣] الحاجب لؤلؤ[٤] ، فلما أشرفت على [الناس تقدَّم إليها أسطول الفرنج ليحاجز عن البلد][٥] ويتلف البطس ، فاقتتلوا في البحر قتالاً عظيماً[٦] والمسلمون [في البر][٧] يبتهلون إلى الله [عز وجل][٨] في سلامتها[٩]، والفرنج[١٠] تصرخ أيضاً برًّا وبحراً ، وقد ارتفع الضجيج ، فنصر الله المسلمين وسلم مراكبهم ، وطابت الريح للبطس فسارت فأحرقت[١١] المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء ، ودخلت البلد سالمة ، ففرح[١٢] بها أهل البلد والجيش فرحاً شديداً جدًّا[١٣] ، [ولله الحمد][١٤] ، وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطس[١٥] الثلاث المصريات بطسة عظيمة[١٦] من بيروت، فيها أربعمئة غرارة، وفيها [شيء كثير[١٧] من الجبن والبصل والشحم والقديد والنشّاب والنفط، وكانت هذه البطسة من بطس الفرنج المغنومة، وأمر من فيها من البحّارة[١٨] أن يتزيوا[١٩] بزي الفرنج حتى إنهم حلقوا لحاهم، وشدّوا الزنانير، واستصحبوا معهم في البطسة[٢٠] شيئاً من الخنازير ، وقدموا بها على مراكب الفرنج ، فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها السهم إذا خرج من الرمية[٢١] ، فحذَّرهم الفرنج غائلة

(١) ط : أن يقوم .
(٢) ط : البطس . والخبر في ابن الأثير (٩/ ٢٠٩) والروضتين (٢/ ١٦٠) .
(٣) عن أ وحدها .
(٤) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٦ من هذا الجزء .
(٥) ط : على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد ويتلف ما فيها .
(٦) ط : شديداً .
(٧) ليس في أ .
(٨) أ : (تعالى) .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ط : والفرنج أيضاً تصرخ .
(١١) ب : فاحترقت .
(١٢) أ : وفرح .
(١٣) عن ب وحدها .
(١٤) ليس في ط .
(١٥) أ ، ب : (الثلاث بطس) .
(١٦) ط : كبيرة .
(١٧) جاء ما بينهما بعد كلمة النفط في ط .
(١٨) ب ، ط : من التجار .
(١٩) ط : أن يلبسوا .
(٢٠) ط : في البطشة معهم .
(٢١) ط : من كبد القوس .

الميناء من ناحية المسلمين[١] فاعتذروا بأنهم [مغلوبون معها والريح قوية لا يمكنهم أن يقفوا ولا ينصرفوا][٢] ، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء وأفرغوا[٣] ما كان معهم من الميرة ، والحرب خدعة ، فعبرت الميناء وعين الكفر عبرى ، وامتلأ الثغر بها خيراً ، وسروراً وأثرى ، وكانت مؤونتهم إلى[٤] أن قدمت عليهم تلك البطس الثلاث المصرية[٥] .

وكان ميناء البلد يكتنفها[٦] برجان، يقال لأحدهما برج الذبان[٧] ، فاتخذت الفرنج بطسة عظيمة لها خرطوم[٨] وفيه حركات[٩] إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار أو الأبرجة قلبوه[١٠] فوصل إلى ما أرادوه[١١] ، فعظم أمر هذه البطسة على المسلمين، ولم يزالوا في أمرها محتالين، حتى أرسل الله عليها شُواظاً من نار فأحرقها وغرَّقها، وذلك أن الفرنج أعدُّوا فيها نفطاً كثيراً وحطباً جزلاً ، وأخرى خلفها فيها حطب محض، [حتى إذا][١٢] أراد المسلمون المجاحفة[١٣] على الميناء بمراكبهم[١٤] أرسلوا النفط على بطسة الحطب فاحترقت[١٥] وهي سائرة بين بطس المسلمين ، [واحترقت الأخرى ، وكان][١٦] في بطسة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها ، فلما أرسلوا النفط على برج الذبان[١٧] انعكس الأمر عليهم بقدرة الله [الرحيم الرحمن][١٨] وذلك لشدة الهواء تلك الليلة، فما تعدت النار بطستهم فاحترقت، وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت، ووصل إلى بطسة المقاتلة فتلفت، وهلك[١٩]

---

(١) ط : البلد .
(٢) ط : مغلوبون عنها ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح .
(٣) ط : فأفرغوا .
(٤) ب : برواتبهم ، فكفتهم إلى أن .
(٥) ب : المصونة .
(٦) ط : وكانت البلد ، ب : يكشفها .
(٧) ط : الديان ، والخبر في الروضتين (٢/ ١٦٣) .
(٨) ب : حزم .
(٩) ط : محركات .
(١٠) أ : كلبوه .
(١١) ط : ما أرادوا .
(١٢) ط : فلما .
(١٣) ط : المحافظة .
(١٤) ليس في ط .
(١٥) أ : على تلك البطسة الحطبة فأحرقت .
(١٦) عن ط وحدها .
(١٧) ط : الديان والخبر في الروضتين (٢/ ١٦٣) .
(١٨) عن ب وحدها .
(١٩) أ ، ب : وهلكت بمن فيها .

من فيها ، فأشبهوا من سلف [من أهل الكتاب من][(١)] الكافرين [كما قال تعالىٰ في كتابه المبين][(٢)] : ﴿ يُخْرِبُونَ[(٣)] بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر : ٢] .

فصـــل

وفي ثالث[(٤)] رمضان اشتدَّ حصار الفرنج للبلد[(٥)] حتى نزلوا إلى الخندق ، فبرز إليهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وتمكَّنوا من حريق الكبش[(٦)] الذي اتخذوه[(٧)] لحصار الأسوار ، وسرى حريقه إلى السقوف[(٨)] وارتفعت له لهبة عظيمة[(٩)] في عنان السماء ، ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلاليب من حديد في سلاسل ، فحصلوه[(١٠)] عندهم ، وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام ، فكان فيه من الحديد مئة قنطار بالدمشقي ، ولله الحمد والمنة .

وفي[(١١)] الثامن والعشرين من رمضان توفي الملك زين الدين[(١٢)] صاحب إربل في[(١٣)] حصار عكا مع السلطان ، فتأسف الناس عليه لشبابه [وغربته وجودته[(١٤)] ، وعُزِّي أخوه مظفر[(١٥)] الدِّين فيه ، وهو الذي قام في الملك من بعده ، وسأل من السلطان صلاح الدين أن يضيف إليه شهرزور[(١٦)] ويترك حرَّان والرُّها

---

(١) ليس في أ .
(٢) مكانهما في ط : في قوله تعالىٰ .
(٣) ط : يخرّبون . وهو تصحيف شنيع .
(٤) ب : وفي ثالث شهر رمضان .
(٥) ط : للمدينة .
(٦) ط : الكبس ، أ : المكبس . وكلاهما تصحيف ، والخبر في الروضتين (٢/ ١٦٤) .
(٧) ب : أعدوه .
(٨) أ ، ب : السفود .
(٩) أ : لهب عظيم ، ب : فارتفعت إليه ، ط : وارتفعت .
(١٠) ط : فحصل .
(١١) أ : وكان مع السلطان في الثامن والعشرين من رمضان الملك زين الدين صاحب إربل فتوفي على عكا .
(١٢) هو زين الدين يوسف بن زين الدين علي بن بُكْتكين بن محمد . ترجمته وأخباره في ابن الأثير (٩/ ٢١٠) والروضتين (٢/ ١٦٤) والعبر (٤/ ٢٦٠) .
(١٣) ب : وكان مع السلطان على عكا .
(١٤) ليس في ب .
(١٥) ط : وعزى أخاه مظفر الدين . وقد تقدمت ترجمة مظفر الدين في هوامش سنة ٥٨١ .
(١٦) شهرزور كورة واسعة وبلدة في الجبال بين إربل وهمذان ، وقد لاحظ كي لوسترنج أنها تقع على مسيرة أربع مراحل شمالي غربي الدينور . (معجم البلدان) ، وبلدان الخلافة (٢٢٦) .

وسميساط وغيرها ، وتحمل(١) مع ذلك خمسين ألف دينار نقداً ، فأجيب إلى ذلك ، وكتب له تقليد(٢) ، وعُقد له لواءٌ ، وأضيف ما تركه إلى الملك المظفر تقي الدِّين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين [والله تعالىٰ أعلم](٣) .

فصـــل

وكان القاضي الفاضل [بالديار المصرية](٤) يدبِّر الممالك بها ، ويجهز إلى السلطان ما يحتاج إليه منها من الأقوات والأموال والنفقات ، وعمل الأسطول [وما يحتاج إليه فيه من محصول](٥) والكتب السلطانية [واردة إليه في كل حين ، يستشيره فيما يصلح به أمر المسلمين ، وكذلك الكتب الفاضلة قادمة على السلطان في كل أوان](٦) ، [فمن ذلك](٧) كتاب يذكر فيه أن سبب هذا التطويل في الحصار إنما هو بسبب كثرة الذُّنوب ، وارتكاب المحارم بين(٨) الناس ، ويقول في بعضها : إن الله لا يُنال ما عنده إلاَّ بطاعته ، ولا يفرّج الشدائد إلا بالرجوع إليه ، [وامتثال أمر شريعته ، فكيف لا يطول الحصار](٩) والمعاصي في كل مكان بادية ، والمظالم في كل موضع فاشية ، [وقد طلع إلى الله تعالىٰ منها ما لا يتوقع بعدها إلاَّ ما يستعاذ منه](١٠) ، وفيه أنه قد بلغه أن بيت المقدس قد ظهر فيه من المنكرات والفواحش والظلم في بلاده ما لا يمكن تلافيه إلا بكلفة كبيرة(١١) .

[ومن ذلك](١٢) كتاب يقول فيه : إنما أُتينا من قبل أنفسنا ، ولو صدقناه لعجل(١٣) لنا عواقب صدقنا ، ولو أطعناه لما عاقبنا بعدوِّنا ، ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا نقدر عليه إلا به ، فلا

---

(١) أ : ويحمل .
(٢) ط : تقليداً .
(٣) عن أوحدها .
(٤) ط : بمصر .
(٥) ليس في ط .
(٦) ليس في ط .
(٧) ط : فمنها .
(٨) أ : من .
(٩) أ : والامتثال لشريعته ، ب : والامتثال لا وشريعته .
(١٠) ط : وقد صدر إلى الله منها ما يتوقع بعده الاستعاذة منه .
(١١) ط : كثيرة .
(١٢) ط : ومنها .
(١٣) ط : ولو صدقنا لعجل الله . والخبر في الروضتين (٢/ ١٦٧) .

يستخصم[١] أحد إلا عمله ، ولا يلم إلا نفسه ، ولا يرجُ إلا ربَّه[٢] ولا ننتظر العساكر أن تكثر ، ولا الأعوان أن تحضر[٣] ، ولا الأموال أن تحصر ، ولا يغتر بكثرة العساكر والأعوان ، ولا فلان الذي يعتمد أن يقاتل ، ولا فلان الذي ينتظر أن يسير ، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها[٤] ، ولا نأمن أن يكلنا الله إليها ، والنصر به واللطف منه ، والعادة[٥] الجميلة له ، ونستغفر الله تعالىٰ من ذنوبنا ، فلولا أنها تسدُّ طريق دعائنا ، لكان جواب دعائنا قد نزل ، وفيض دموع الخاشعين قد غسل ، ولكن في طريق عائق ، خار الله لمولانا في القضاء السابق واللاحق .

وفي[٦] كتاب آخر يتألم فيه لما عند السلطان من الضعف في جسمه بسبب ما حمل على قلبه مما هو فيه من الشدائد ، أثابه الله تعالىٰ يقول فيه[٧] : وما في نفس المملوك شائنة إلا بقية هذا الضعف الذي في جسم مولانا ، فإنه بقلوبنا ، ونفديه بأسماعنا وأبصارنا ، ثم قال[٨] : [من الطويل]

بِنَا مَعْشَرَ الخُدّامِ ما بِكَ مِنْ أذىً وَإِنْ أَشْفَقُوا مِمَّا أَقُولُ فَبِي وَحْدِي

وقد أورد الشيخ شهاب الدين في[٩] « الروضتين »[١٠] في هذا المكان كتباً عدَّة من الفاضل إلى السلطان ، فيها فصاحة وموعظة وتحضيض على الجهاد ، [يعجز عن مثلها سحبان ، وهي جديرة أن تكتب بماء الذهب على قلائد العقيان][١١] ، فرحمه الله من إنسان ما أفصحه ، ومن وزير ما كان أنصحه ، ومن عقل ما كان أرجحه .

فصل[١٢]

وكتب القاضي الفاضل كتاباً بليغاً على لسان[١٣] السلطان إلى ملك المغرب[١٤] أمير المسلمين ،

---

(١) ط : فلا يختصم . والخبر في الروضتين (٢/ ١٦٧) .
(٢) ط : ولا يغتر بكثرة العساكر والأعوان .
(٣) عن ب وحدها .
(٤) بعده في ط : وإنما النصر من عند الله .
(٥) أ : والعبادة .
(٦) ط : ومن .
(٧) ط : بقوله .
(٨) البيت في الروضتين (٢/ ١٦٧) .
(٩) ط : صاحب .
(١٠) الروضتين (٢/ ١٦٥ ـ ١٧٠) .
(١١) ليس في ط .
(١٢) ليس في ب .
(١٣) أ : عن السلطان .
(١٤) ط : ملك الغرب .

وسلطان جيش الموحِّدين ، يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن[١] ، يستنجد[٢] به في إرسال مراكب في البحر تكون عوناً له على المراكب الإفرنجية[٣] في عبارة طويلة [فصيحة بليغة مليحة][٤] ، حكاها [شهاب الدين][٥] بطولها وحسنها ، وبعث السلطان صلاح الدين [مع ذلك بهديَّة][٦] سنية من التحف والألطاف ، وذلك كله صحبة الأمير الكبير شمس الدين أبي الحزم عبد الرحمن بن منقذ [وكان ابتداء سَيْرِهِ][٧] في البحر في ثامن ذي القعدة من هذه السنة ، فدخل على [السلطان يعقوب][٨] في العشرين من ذي الحجة ، فأقام عنده إلى عاشوراء من المحرم من سنة ثمان وثمانين ، ولم يفد ذلك[٩] الإرسال شيئاً ، [لأن السلطان][١٠] يغضب إذ لم يلقَّب بأمير المؤمنين ، وكانت إشارة القاضي الفاضل إلى عدم الإرسال إليه ، والتعويل عليه ، ولكن وقع ما وقع بمشيئة الله تعالىٰ .

فصـــل

[وفي هذه السنة][١١] حصل [للناصر صلاح][١٢] الدين سوء مزاج ، من كثرة ما يكابده من الأمور التي هي أمر من الأجاج ، فطمع العدو المخذول ، لعنهم الله ، في حوزة الإسلام ، فتجرد جماعة منهم للقتال ، وثبت آخرون على الحصار ، فأقبلوا في عَدَد كثير وعُدَد ، فرتب السلطان الجيوش ميمنة وميسرة[١٣] ، وقلباً وجناحين ، [فلما رأوا ما عاينوا من الجيش الكثيف فروا من موقف الحرب وحادوا عن حومة الوغى فقتل منهم خلق كثير وجم غفير ولله الحمد][١٤] .

---

(١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٥ من هذا الجزء .
(٢) ب ، ط : يستنجده .
(٣) ط : عوناً للمسلمين على المراكب الفرنجية .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ط : أبو شامة .
(٦) ط : الكتاب .
(٧) ط : وسار .
(٨) ط : سلطان المغرب .
(٩) ط : هذا .
(١٠) ط : لأنه .
(١١) ط : وفيها .
(١٢) أ ، ب : للسلطان .
(١٣) ط : يمنة ويسرة .
(١٤) ط : فلما رأى العدو الكثيف فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجمعاً غفيراً .

فصـــل

ولما دخل فصل الشتاء وانشمرت مراكب الفرنج[١] عن البلد خوفاً من الهلاك بسبب اغتلام[٢] البحر ، سأل مَن في البلد من المسلمين من السلطان أن يريحهم مما هم فيه من الحصر العظيم ، والمقاتلة[٣] ليلاً ونهاراً ، وصباحاً ومساءً ، سرًّا وجهاراً ، وأن يرسل إلى البلد بدلهم ، فرقَّ لهم السلطان ، وعزم على ذلك ، وكانوا قريباً من عشرين ألف مسلم ما بين أمير ومأمور ، فجهز جيشاً آخر غيرهم ، قالوا[٤] : ولم يكن ذاك[٥] برأي جيد ، ولكن ما قصد السلطان إلا خيراً ، وأن هؤلاء يدخلون البلد ، وهم جدد الهمم[٦] ، ولهم عزم قوي ، وهم في راحة بالنسبة إلى[٧] أولئك ، ولكن [أولئك الذين كانوا بالبلد وخرجوا منه][٨] كانت لهم خبرة بالبلد وبالقتال [وصبر عظيم ، وقد تمرَّنوا على ما هم فيه من المصابرة للأعداء برًّا وبحراً ، وجهزت لهؤلاء الداخلين سبع][٩] بطس من مصر فيها[١٠] ميرة تكفي[١١] أهل البلد سنة كاملة ، فقدر الله تعالى[١٢] ـ وله الأمر من قبل ومن بعد ـ أنها لما توسطت البحر ، واقتربت من الميناء ، هاجت عليها ريح عظيمة [في البحر][١٣] فقلبت[١٤] تلك البطس على عظمها ، فاختبطت واضطربت وتصادمت فتكسرت وغرقت ، وغرق ما كان فيها من الميرة ، وهلك من كان بها من البحَّارة ، فدخل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين ، واشتد الأمر جدًّا ، واحتد مرض السلطان ، وازداد مرضاً إلى مرضه ، [عافاه الله][١٥] ، وكان ذلك [عوناً للعدو المخذول][١٦] على أخذ البلد ، ولا قوة إلا

---

(١) أ : الإفرنج .

(٢) غلم ـ كفرح ـ واغتلم هاج (القاموس) وأساس البلاغة (غلم) .

(٣) ط : والقتال .

(٤) عن أ وحدها .

(٥) ط : ذلك .

(٦) ط : بهمم حدة شديدة .

(٧) ط : إلى ما أولئك .

(٨) عن ط وحدها .

(٩) ط : وكان لهم صبر وجلد وقد تمونوا فيها مؤنة تكفيهم سنة فانمحقت بسبب ذلك وقدم بطش .

(١٠) ط : فيه .

(١١) أ ، ب : تكفيهم سنة كاملة .

(١٢) ط : فقدر الله العظيم .

(١٣) ليس في ط .

(١٤) ط : فانقلبت تلك البطش وتغلبت على عظمها .

(١٥) ط : فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(١٦) مكانهما في أ : عنواناً .

بالله ، وذلك في ذي الحجة من هذه السنة ، وكان المقدم على الداخلين إلى عكا الأمير سيف الدين علي ابن أحمد بن المشطوب(١) .

وفي اليوم السابع من ذي الحجة سقطت ثلمة عظيمة من سور عكا ، فبادر الفرنج إليها فسبقهم المسلمون إلى سدها بصدورهم ، وقاتلوا دونها(٢) بنحورهم ، ومازالوا يمانعون عنها حتى بَنَوْها أشدَّ مما كانت ، وأقوى وأحسن وأبهى .

ووقع في هذه السنة وباءٌ عظيم في الجيشين(٣) المسلم والكافر ، فكان السلطان يقول في ذلك(٤) :

[من مجزوء الخفيف]

اقتلـونـي ومـالكـاً   واقتلـوا مـالكـاً معـي

واتفق موت ابن ملك الألمان ، لعنه الله ، في ثاني ذي الحجة ، [من هذه السنة](٥) ، وجماعة من كبراء الكندهرية ، وسادات الفرنج لعنهم الله ، فحزن الفرنج على ابن ملك الألمان حزناً عظيماً ، وأوقدوا ناراً عظيمة في كل خيمة ، وصار في كل يوم يهلك من الفرنج المئة والمئتان ، واستأمن السلطان جماعة منهم من شدة ما هم فيه من الجوع(٦) والضيق والحصر ، وأسلم خلق كثير منهم ولله الحمد والمنة .

[وفي هذا الشهر](٧) قدم القاضي الفاضل [من الديار المصرية](٨) على السلطان ، وكان قد طال شوق كل واحد منهما إلى صاحبه ، فأفضى كل واحد منهما إلى الآخر(٩) ما كان يسرّه ويكتمه من الآراء التي فيها مصالح المسلمين ، وقدم وزير الصدق على السلطان الموفَّق والأمير المؤيد رحمهما الله تعالىٰ .

---

(١) بعده في ب : أيده الله . وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٨٨ من هذا الجزء .
(٢) أ ، ب : عنها .
(٣) ط : في المسلمين والكافرين .
(٤) كان مالك بن الحارث المعروف بالأشتر النخعي من الشجعان والأبطال المشهورين ، وهو من خواص أصحاب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكان عبد الله بن الزبير أيضاً من الأبطال ، وقد خرجا جميعاً يوم الجمل ، فلما تماسكا صار كل واحد منهما إذا قوي على صاحبه جعله تحته وركب على صدره ، وفعلا ذلك مراراً ، وابن الزبير ينشد هذا البيت . يريد بمالك الأشتر النخعي . قال ابن شداد : يريد بذلك أني قد رضيت بأن أتلف إذا أتلف أعداء الله . وفيات الأعيان (٧/ ١٩٥) والروضتين (٢/ ١٨٠) .
(٥) عن أوحدها .
(٦) ليس في ب .
(٧) ط : وفيها .
(٨) ط : من مصر .
(٩) ط : صاحبه .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

[**ملك الألمان**][١] : هلك فيها ملك الألمان الذي أقبل في مئتي ألف مقاتل ، ويقال : في ثلاثمئة ألف مقاتل من أقصى بلاده ، فاجتاز بالقسطنطينية وما بعدها من البلدان ، يريد انتزاع بلاد الشام بكمالها من أيدي المسلمين ، انتصاراً ـ في زعمه ـ لبيت المقدس الذي استنقذه الملك صلاح الدين ـ [أيّده الله][٢] ـ من أيدي المشركين ، فلم يزل اللعين يتناقص جيشه ، ويتفانَوا في كل موطن وموضع ، وقدَّر الله هلاكه[٣] بالغرق ، كما أهلك فرعون ، لعنهما [الله تعالىٰ][٤] ، وذلك أنه نزل يسبح في بعض الأنهار ، فاحتمله الماء قسراً ، فألجأه إلى جذم شجرة هناك ، فشدخت رأسه ، ومات من ساعته ، لعنه الله .

[**ابن ملك الألمان**][٥] : فملَّكَ الألمانُ عليهم ابنَه الأصغر ، وأقبل بمن بقي منهم وأمره قد تقهقر ، والمقصود أنهم وصلوا إلى إخوانهم بعكا في خمسة آلاف ، وقيل : في ألف مقاتل ، وكان المسلمون قد حملوا من قدومهم[٦] همًّا عظيماً ، وخافوا خوفاً شديداً ، فكفى الله المؤمنين[٧] القتال ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

محمد بن محمد بن عبد الله ، أبو حامد ، قاضي القضاة بالموصل[٨] ، محيي الدين ابن قاضي القضاة[٩] كمال الدين ، الشهرزوري الشافعي[١٠] : أثنى عليه العماد الكاتب[١١] ، وأنشد له من شعره قوله : [من الكامل]

قامَت بإثْباتِ الصّفاتِ أدِلَّةٌ ... قَصَمَتْ ظُهورَ أئِمَّةِ التَّعْطيلِ
وطَلائعُ التَّنْزيهِ لَمَّا أقْبَلَتْ ... هَزَمَتْ ذَوي التَّشبيهِ وَالتَّمْثيلِ

---

(١) رواية هذه الترجمة والتي تليها تختلف عما في ط اختلافاً كبيراً يتطلب إيراد جميع الترجمة ، ولم أر فائدة من ذلك .
(٢) عن ب وحدها .
(٣) ب : إهلاكه .
(٤) ليس في ب .
(٥) أخباره عند ابن الأثير (٩/ ٢٠٧) والروضتين (٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠) .
(٦) ب : منهم .
(٧) ب : من شرهم القتال .
(٨) عن أ وحدها .
(٩) ليس في أ .
(١٠) ترجمته في خريدة الشام (٢/ ٣٢٩) والروضتين (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ و٢/ ١٨٢) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٤٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٢٣ ـ ٨٢٤) والعبر (٤/ ٢٥٩) ومرآة الجنان (٣/ ٤٣٢) .
(١١) الأبيات في الروضتين (٢/ ١٨٢) .

فالحقُّ ما صِرْنا[١] إليهِ جَميعُنا ... بِـأدلَّـةِ الأخْبـارِ والتَّنْـزِيـلِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بالشَّرْعِ مُقْتدِياً فَقَدْ ... أَلْقاهُ فَرْطُ الجَهْلِ في التَّضْليلِ

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمئة

فيها : قدم ملك الإفرنسيس[٢] وملك إنكلترا[٣] وغيرهما من ملوك البحر[٤] ، على الفرنج وتمالؤوا على أخذ[٥] عكا في هذه السنة كما سيأتي تفصيله .

وقد استهلت [هذه السنة][٦] والحصار الشديد على عكا [على حاله][٧] من الجانبين ، وقد استكمل دخول البدل[٨] إلى البلد ، والملك العادل مخيِّم إلى جانب البحر ، ليتكامل دخولهم ودخول مِيرتهم لطف الله بهم .

وفي ليلة مستهل ربيع الأول منها[٩] خرج المسلمون من عكا فهجموا على مخيَّم الفرنج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ونهبوا[١٠] شيئاً كثيراً ، وسبَوا اثنتي عشرة[١١] امرأة ، وانكسر[١٢] مركب عظيم للفرنج فغرق [فيه خلق][١٣] وأُسر باقيهم ، وأغار صاحب حمص أسد الدين[١٤] شيركوه بن ناصر الدين محمد ابن شيركوه على سرح الفرنج بأراضي طرابلس ، فاستاق منهم شيئاً كثيراً من الخيول والأبقار والأغنام ، وظفر اليزك[١٥] بخلق كثير من الفرنج فقتلوهم ، ولم يقتل من المسلمين سوى طواشي صغير عثر به فرسه .

---

(١) أ : الحق قاسرنا .
(٢) ط : الفرنسيس .
(٣) أ ، ب : انكليه ، وابن الأثير (٩/ ٢١٣) : انكلتار ، والروضتين (٢/ ١٨٢) : انكلتيره .
(٤) ط : ملوك البحر الفرنج .
(٥) ليس في أ . وأثبتنا لفظ ط حيثما ورد في الكتاب لأنه اللفظ الشائع .
(٦) عن أ وحدها .
(٧) ليس في ط .
(٨) ب : البلد ، ط : العدو .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ب ، ط : وسبوا وغنموا شيئاً كثيراً .
(١١) ط : اثني عشر ، امرأة وهو خطأ .
(١٢) ب : فانكسر .
(١٣) ط : ما فيه .
(١٤) في ب ، ط : أسد الدين بن شيركوه وهو تصحيف . ترجمته في وفيات سنة (٦٣٧) من هذا الكتاب .
(١٥) ب ، ط : الترك ، والخبر في الروضتين (٢/ ١٨٣) ، واليزك : مقدمة الجيش .

وفي ثاني[١] عشر ربيع الأول وصل إلى الفرنج ملك إفرنسيس فليب[٢] في ست بطس ملعونة مشحونة بعبدة الصليب ، وحين[٣] وصل إليهم وقدم عليهم لم يبق لأحد معه من ملوكهم حكم ، وذلك لعظمته عندهم ، وقدم معه باز عظيم أبيض وهو الباز الأشهب ، هائل ، [فطار من يده فوقع][٤] على سور عكا ، فأمسكه أهلها وبعثوا به إلى[٥] السلطان صلاح الدين ، فبذل الفرنج فيه ألف دينار فلم يُجابوا إلى ذلك .

وقدم بعده كندفرير[٦] وهو من أكابر ملوكهم أيضاً . ووصلت سفن ملك الإنكليز[٧] ولم يجئ ملكهم[٨] لاشتغاله بجزيرة قبرص وأخذها من يد صاحبها .

وتواصلت ملوك الإسلام أيضاً من بلدانها في أول فصل الربيع ، لخدمة[٩] السلطان الناصر صلاح الدين ، أيده الله[١٠] .

قال العماد[١١] : وقد كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام الفرنج فيسرقون ، حتى إنهم كانوا يسرقون الرجال ، فاتفق أن بعضهم أخذ صبيًّا رضيعاً من مهده ابن ثلاثة أشهر ، فوجدت عليه أمه وجداً شديداً ، واشتكت إلى ملوكهم ، فقالوا لها : إن سلطان المسلمين رحيم القلب ، وقد أذنًّا لك أن تذهبي إليه فتشتكي أمرك إليه ، قال العماد : فجاءت إلى السلطان وأنا واقف معه فبكت بكاءً شديداً ، وجعلت تمرّغ وجهها على الأرض ، فسألها عن أمرها ، فأنهت إليه حالها ، فرقّ لها رقة شديدة حتى دمعت عيناه[١٢] . ثم أمر[١٣] بإحضار ولدها فإذا هو قد[١٤] بيع في السوق ، فرسم بدفع ثمنه إلى المشتري ، ولم يزل واقفاً حتى جيء بالغلام ، فأخذته أمه وأرضعته ساعة وهي تبكي من شدة فرحها وشوقها إليه ، ثم أمر

---

(١) أ : ثامن وهو تصحيف والخبر في الروضتين (٢/ ١٨٣) .
(٢) ط : في قريب من ستين بطش . وهو تصحيف والخبر في الروضتين (٢/ ١٨٣) وابن الأثير (٩/ ٢١٣) وتاريخ ابن العبري (٣٨٦) .
(٣) ط : فحين .
(٤) أ : الهائل . . فسقط .
(٥) ط : فأخذه أهلها وبعثوه إلى .
(٦) ب : كندفريز : ط : كيدفريز . والخبر في الروضتين (٢/ ١٨٣) .
(٧) أ ، ب : الإنكليتر ، وفي الروضتين (٢/ ١٨٣) : الإنكليترة .
(٨) أ ، ب : هو .
(٩) أ ، ب : إلى خدمة .
(١٠) ط : لخدمة الملك الناصر ، قال العماد .
(١١) الروضتين (٢/ ١٨٣) .
(١٢) أ ، ط : عينه .
(١٣) أ ، ب : فأمر .
(١٤) ليس في أ .

بحملها إلى خيمتها[١] على فرس مكرَّمةً ، رحمه الله تعالى[٢] [وبلَّ بالرحمة ثراه][٣] .

فصــل

في كيفية أخذ العدو[٤] [المخذول مدينة عكا من يدي السلطان قسراً][٥]

لما كان شهر جمادى الأولى اشتد حصار الفرنج ، لعنهم الله ، لمدينة عكا ، وتمالؤوا عليها من كل فج عميق ، وقدم عليهم ملك الإنكليز في جم غفير ، وجمع كثير ، في خمسة وعشرين قطعة مشحونة بالمقاتلة ، وابتلي[٦] أهل الثغر منهم ببلاءٍ لا يشبه ما قبله ، فعند ذلك حُرِّكت الكوسات في البلد ، وكانت علامة ما بينهم وبين السلطان ، فحرَّك السلطان كوساته فاقترب من البلد وتحول إلى قريب منه ، ليشغلهم[٧] عن البلد ، وقد أحاطوا به من كل مكان[٨] ، ونصبوا عليه سبعة مجانيق[٩] ، وهي تضرب في البلد ليلاً ونهاراً ، ولا سيما على برج عين البقر ، حتى أثَّرت فيه[١٠] أثراً بيِّناً ، وشرعوا في ردم الخندق بما أمكنهم من دوابّ ميتة ، ومن قتل منهم[١١] ، أو مات أيضاً ، وقابلهم أهل البلد ينقلون ما ألقوه فيه إلى البحر . وظفر ملك الإنكليز[١٢] ببطسة عظيمة للمسلمين قد أقبلت من بيروت مشحونة بالأمتعة والأسلحة فأخذها ، وكان واقفاً في البحر في أربعين مركباً لا يترك شيئاً يصل إلى البلد بالكلية ، لعنه الله ، وكان فيه[١٣] ستمئة من المقاتلة الصناديد الأبطال ، فهلكوا عن آخرهم رحمهم الله أجمعين[١٤] . فإنه لما أحيط بهم من الجوانب كلِّها ، وتحققوا إما الغرق أو القتل ، خرقوا من جوانبها كلها وغرقت ، ولم يقدر الفرنج على أخذ شيء منها لا من الميرة ولا من الأسلحة ، وحزن المسلمون على هذا المصاب حزناً عظيماً ، فإنا

---

(١) أ : فوقها .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) مكانهما في ط : وعفا عنه .
(٤) ليس في ب .
(٥) ليس في ط .
(٦) أ ، ب : وبلي .
(٧) أ : يشغلهم ، ب : لشغلهم .
(٨) ط : جانب .
(٩) ط : منجانيق .
(١٠) ط : به .
(١١) ط : ومن مات أيضاً ردموا به وكان أهل البلد يلقون ما ألقوه فيه إلى البحر وتلقى ملك الإنكليز بطشة .
(١٢) أ ، ب : الانكلتير .
(١٣) ط : وكان بالبطشة .
(١٤) عن أ وحدها .

لله وإنا إليه راجعون . ولكن جبر الله سبحانه هذا البلاء بأن أحرق المسلمون في هذا اليوم للفرنج دبابة كانت أربع طبقات ، الأولى من خشب[١] ، والثانية من رصاص ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس ، وهي مشرفة على السور والمقاتلة فيها ، وقد قلق أهل البلد منها بحيث حدَّثتهم أنفسهم من خوفهم من شرها بأن يطلبوا الأمان من الفرنج ، ويسلموا البلد ، ففرّج الله عن المسلمين وأمكنهم من حريقها ، واتفق ذلك في هذا اليوم الذي غرقت فيه البطسة المذكورة ، فأرسل أهل البلد[٢] إلى السلطان يشكون شدة[٣] الحصار وقوته[٤] عليهم منذ قام ملك الإنكليز[٥] لعنه الله ، ومع هذا قد مرض هو[٦] وجرح ملك الإفرنسيس[٧] أيضاً ، ولا يزيدهم ذلك إلا شدة وغلظة وعتوًّا ، وفارقهم المركيس وسار إلى بلده صور خوفاً منهم أن يُخرجوا مُلْكَها من يده .

وبعث ملك الإنكليز إلى السلطان صلاح الدين يذكر له[٨] أن عنده جوارح قد جاء بها من البحر ، وهو على نيّة إرسالها إليه ، ولكنها قد ضعفت وهو يطلب لها دجاجاً وطيْراً لتتقوى[٩] به ، فعرف أنه إنما يطلب ذلك لنفسه بتلطف[١٠] ، فأرسل إليه بشيء[١١] من ذلك كرماً وسجية وحشمة[١٢] ، ثم أرسل يطلب منه فاكهة وثلجاً ، فأرسل إليه أيضاً ، فلم يفد معه الإحسان ، بل لما عوفي عاد إلى شرّ مما كان عليه ، واشتد الحصار ليلاً ونهاراً[١٣] ، فأرسل أهل البلد يقولون للسلطان : إما[١٤] أن تعملوا معنا شيئاً غداً وإلا طلبنا من الفرنج الصلح والأمان ، [فشق ذلك][١٥] على السلطان ، وذلك لأنه كان قد بعث[١٦] إليها أسلحة

---

(١) ط : من الخشب .
(٢) ط : أهل البلد يشكون إلى السلطان .
(٣) أ ، ب : كثرة الحصار .
(٤) أ : وقوتهم .
(٥) أ ، ب : الانكلتير .
(٦) ليس في ط .
(٧) ط : الإفرنسيين .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) ط : لتقوى به .
(١٠) ط : يلطفها به .
(١١) أ ، ب : بشيء من ذلك .
(١٢) عن أ وحدها .
(١٣) أ : وأرسل من في البلد .
(١٤) أ ، ب : إن لم .
(١٥) في أ : فشق ذلك على السلطان عظيماً ، وفي ب : الأمان على السلطان أمراً عظيماً . وأثبتنا رواية ط .
(١٦) أ : قد سيَّر ، ب : قد صيَّر .

الشام والديار المصرية وسائر السواحل ، وما كان غنمه من وقعة حطين ومن بيت المقدس[(١)] وهي ، مشحونة بذلك ، فعزم السلطان على مهاجمة العدو[(٢)] ، فلما أصبح ركب في جيشه فرأى الفرنج قد ركبوا من وراء خندقهم ، والرَّجَّالة منهم قد ضربوا سوراً حول الفرسان ، وهم قطعة من حديد صماء لا ينفذ فيهم[(٣)] شيء ، فأحجم عنهم لما يعلم من نكول جيشه عما يريده ، وتحدوه على شجاعته رحمه الله تعالىٰ .

هذا وقد اشتد الحصار على البلد جدًّا ، ودخلت الرَّجَّالة منهم إلى الخندق وعلّقوا بدنة في[(٤)] السور وحشوها وأحرقوها ، فسقطت ، ودخلت الفرنج إلى البلد ، فمانعهم المسلمون وقاتلوهم أشد القتال ، وقتلوا من رؤوسهم ستة أنفس ، فاشتد حنق الفرنج على المسلمين[(٥)] جدًّا بسبب ذلك ، وجاء الليل فحال بين الفريقين ، فلما أصبح الصباح خرج أمير المسلمين بالبلد سيف الدين علي بن أحمد[(٦)] بن المشطوب ، فاجتمع بملك الإفرنسيس وطلب منه الأمان على أنفسهم ، ويتسلمون منه البلد ، فلم يجبه[(٧)] إلى ذلك ، وقال له : بعد ما سقط السور جئت تطلب الأمان ؟ فأغلظ له الأمير ابن المشطوب في الكلام ، ورجع إلى البلد في حالٍ[(٨)] الله بها عليم ، فلما أخبر أهل البلد بما وقع خافوا خوفاً شديداً[(٩)] ، وأرسلوا إلى السلطان يعلمونه بما وقع ، فأرسل إليهم أن يسرعوا الخروج من البلد في البحر ولا يتأخروا عن هذه الليلة ، ولا يبقى بها مسلم ، فتشاغل كثير ممن كان بها في جمع[(١٠)] الأمتعة والأسلحة ، وتأخروا عن المسير[(١١)] تلك الليلة ، فما أصبح الخبر إلا عند الفرنج من مملوكَيْن صغيرَيْن سمعا بما رسم به السلطان ، فهربا إلى قومهما فأخبراهم[(١٢)] بذلك ، فاحتفظوا على البحر احتفاظاً عظيماً ، فلم يتمكن أحد من أهل البلد أن يتحرك بحركة ، ولا خرج منها شيء بالكلية ، [وهذان المملوكان كانا أسيرين قد أسرهما السلطان من أولاد الفرنج][(١٣)] وعزم السلطان على كبس العدو في هذه الليلة ، فلم يوافقه الجيش على

---

(١) ط : ومن القدس فيه .
(٢) ط : فعند ذلك عزم السلطان على الهجوم على العدو .
(٣) أ ، ب : لا ينفدها .
(٤) أ ، ب : من .
(٥) أ ، ب : عليهم جداً .
(٦) ليس في أ .
(٧) ط : وطلب منهم . . فلم يجبهم .
(٨) ط : حالة .
(٩) ط : خافوا خوفاً شديداً لما وقع .
(١٠) ب : يجمع ، ط : لجمع .
(١١) ط : عن الخروج .
(١٢) ب ، ط : فأخبروهم .
(١٣) عن ط وحدها .

ذلك ، وقالوا : لا نخاطر بالإسلام كله[١] ، فلما أصبح بعث إلى ملوك الفرنج يطلب منهم الأمان لأهل البلد على أن يطلق عدتهم من الأسرى الذين تحت يده من النصارى[٢] ويزيدهم [على ذلك][٣] صليب الصلبوت ، فأبوا إلا أن يطلق لهم كل أسير تحت يده ، ويعيد إليهم[٤] جميع البلاد الساحلية التي أخذت منهم ، وبيت المقدس ، فأبى[٥] ذلك ، وترددت المراسلات في ذلك ، والحصار يتزايد على أسوار البلد .

وقد تهدمت ثلم كثيرة منه[٦] ، وأعاد المسلمون كثيراً منها ، وسدُّوا ثُغَر تلك الأماكن بنحورهم رحمهم الله ، وصبروا صبراً عظيماً ، وصابروا العدو ، ثم كان آخر أمرهم[٧] إلى الشهادة[٨] ، وقد كتبوا إلى السلطان في آخر أمرهم يقولون له : يا مولانا لا تخضع لهؤلاء الملاعين ، الذين قد أبوا عليك الإجابة إلى ما دعوتهم فينا ، فإنا قد بايعنا الله تعالىٰ على الجهاد حتى نقتل عن آخرنا ، وبالله المستعان .

فلما كان وقت الظهر في اليوم السابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ما شعر الناس إلا وقد ارتفعت أعلام الكفار[٩] وصلبانه وشعاره وناره على أسوار البلد ، وصاح الفرنج صيحة واحدة ، فعظمت عند ذلك المصيبة على المسلمين ، واشتد حزن الموحِّدين ، وانحصر كلام العقلاء من الناس في : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وغشي الناس بهتة عظيمة ، وحيرة شديدة ، ووقع في عسكر السلطان ، الصياح والعويل [والبكاء والنحيب][١٠] ، ودخل المركيس ، لعنه الله ، وقد عاد إليهم سريعاً بهدايا فأهداها إلى الملوك ، فدخل في هذا اليوم عكا بأربعة أعلام فنصبها في البلد ، واحداً على المئذنة يوم الجمعة ، وآخر على القلعة ، وآخر على[١١] برج الداوية ، وآخر على برج القتال ، عوضاً عن أعلام السلطان ، وتحيز[١٢] المسلمون الذين بها إلى ناحية من البلد معتقلين ، محتاط بهم ، وضيّق عليهم ، وقد أُسرت[١٣] النساء

---

(١) ط : معسكر المسلمين .
(٢) ط : من الفرنج .
(٣) عن أوحدها .
(٤) ط : ويطلق لهم .
(٥) أ ، ب : فأبا من .
(٦) ط : منه ثلم كبيرة .
(٧) ط : ثم كان آخر الأمر وصولهم إلى درجة الشهادة .
(٨) بعده في أ : عظيماً .
(٩) ط : إلا وأعلام الكفار قد ارتفعت وصلبانهم ونارهم على أسوار البلد .
(١٠) ليس في ط .
(١١) ليس في ب .
(١٢) أ ، ب : حيّز .
(١٣) ط : وقد أسروا .

والأبناء ، وغُنمت منهم الأموال[١] ، وقُيّدت الأبطال ، وأهين الرجال ، ولكن الحرب سجال ، والحمد لله على كل حال .

[فعند ذلك][٢] أمر السلطان [أيده الله][٣] الجيش[٤] بالتأخر عن هذه المنزلة [المضايقة إلى التي بعدها][٥] ، وثبت هو مكانه[٦] لينظر ماذا يصنعون وما عليه يعوِّلون [وهم ـ لعنهم الله ـ بالاستيلاء على البلد مشغولون ، وبتحصيل الأموال جملة وتفصيلاً مدهوشون][٧] ، ثم سار السلطان إلى المعسكر[٨] وعنده من الحزن[٩] والهم ما لا يعلمه إلا الله [عز وجل][١٠] ، وجاءت الملوك الإسلامية ، والأمراء وكبراء الدولة يعزُّونه فيما وقع ، [ويسألونه عما عنه الحال انقشع][١١] ، ثم راسل ملوك الفرنج في خلاص مَنْ بأيديهم من [أسارى الإسلام][١٢] فطلبوا منه عدتهم من أساراهم[١٣] ومئة ألف دينار ، وصليب الصلبوت إن كان باقياً ، فأرسل فأُحضر المال والصليب ، ولم يتهيأ له من الأسارى إلا ستمئة أسير ، فطلب الفرنج منه أن يريهم الصليب من بعيد ، فلما رُفع لهم[١٤] سجدوا له وألقوا أنفسهم إلى الأرض ، وبعثوا يطلبون منه ما أحضره من المال والأسارى والصليب ، فامتنع إلا أن يرسلوا إليه من بأيديهم من الأسارى أو يبعثوا له برهائن عنه على ذلك ، فقالوا : لا ولكن أرسل لنا ذلك وارض[١٥] بأمانتنا ، [ففهم منهم][١٦] أنهم يريدون الغدر والمكر ، فلم يرسل إليهم شيئاً من ذلك[١٧] ، وأمر بردِّ

---

(١) ط : وغنمت أموالهم .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ليس في أ .
(٤) ط : الناس .
(٥) ليس في أ .
(٦) أ : وتأخر هو جريدة لينظر ، وفي الروضتين (٢/ ١٨٨) : وأقام هو جريدة مكانه لينظر .
(٧) ط : والفرنج في البلد معولون مدهوشون .
(٨) ط : العسكر .
(٩) عن أ وحدها .
(١٠) ليس في ط .
(١١) ط : ويسلونه على ذلك .
(١٢) ط : الأسارى .
(١٣) ط : أسراهم .
(١٤) ليس في ط .
(١٥) أ ، ب : ولكن يرسل ذلك ويرضى بأمانتنا .
(١٦) ط : فعرف أنهم .
(١٧) أ : فلم يرسل ذلك إليهم .

الأسارى إلى أهاليهم[١] بدمشق ، وبعث[٢] بالصليب إلى دمشق مهاناً ، وأبرزت[٣] الفرنج خيامهم إلى ظاهر البلد ، وأحضروا ثلاثة آلاف من المسلمين في صعيد واحد رحمهم الله ، فأوقفوهم بعد العصر وحملوا عليهم حملة رجل واحد فقتلوهم عن آخرهم في صعيد واحد رحمهم الله وأكرم مثواهم وجعل الجنان منقلبهم ومثواهم . ولم يستبقوا بأيديهم من المسلمين إلا أميراً أو سرياً[٤] ، أو من يرونه في عملهم قوياً ، أو امرأة [أو صبياً ، وكان ما كان][٥] ، و ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٤١] وكان مدة [مقام السلطان رحمه الله][٦] على عكا صابراً مرابطاً سبعة وثلاثين شهراً ، وجملة من قتل من الفرنج خمسين ألفاً .

فصل
فيما جرى من الحوادث بعد أخذ الفرنج عكا

ساروا برُمَّتهم قاصدين عسقلان ، والسلطان بجيشه يسايرهم ويعارضهم منزلة منزلة ، ومرحلة مرحلة ، والمسلمون يتخطَّفونهم ، ويسلبونهم في كل مكان ، وكل أسير أُتي به إلى السلطان يأمر بقتله في ذلك المكان والأوان[٧] ، وجرت بين الجيشين وقعات[٨] متعددات ، ثم طلب ملك الإنكليز[٩] أن يجتمع بالملك العادل أخي السلطان يطلب منه الصلح والأمان . [على أن تعاد إلى أهلها بلاد الساحل][١٠] فقال له العادل : إن دون ذلك قتل كل فارس منكم وراجل ، فغضب اللعين ونهض من عنده غضبان[١١] ، ثم اجتمعت الفرنج على حرب السلطان عند غابة أرسوف[١٢] ، [فكانت النصرة للمسلمين ، فقتل من الفرنج عند غابة أرسوف][١٣] ألوف بعد ألوف ، وقتل من المسلمين خلق كثير أيضاً ، وقد كان الجيش فرَّ عن

---

(١) أ : أماكنهم ، ط : أهليهم .
(٢) ط : وردّ الصليب .
(٣) أ ، ب : وبرزت .
(٤) ط : أميراً أو صبياً .
(٥) ط : أو امرأة . وجرى الذي كان .
(٦) ط : وكان مدة إقامة صلاح الدين على عكا .
(٧) ط : بقتله في مكانه وجرت .
(٨) ط : وجرت خطوب بين الجيشين ووقعات .
(٩) أ ، ب : الانكلتير .
(١٠) ط : على أن يعاد لأهلها بلاد السواحل .
(١١) أ ، ب : وهو متغضب .
(١٢) أرسوف مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا (معجم البلدان) .
(١٣) ليس في ب .

السلطان في أول الوقعة ، ولم يبق معه سوى سبعة عشر مقاتلاً ، وهو ثابت صابر ، [والكوسات تدق لا تفتر ، والكوسات والأعلام][١] منشورة ، ثم تراجع الناس ، فكانت النصرة للمسلمين ، [والكرَّة على الكافرين والحمد لله رب العالمين][٢] ، ثم تقدم السلطان بعساكره فنزل ظاهر عسقلان ، فأشار ذوو الرأي على السلطان ، بتخريب عسقلان ، خشية أن يتملَّكها الكفار ، ويجعلونها وسيلة إلى أخذ بيت المقدس صانه الله تعالى ، أو يجري[٣] عندها من الحرب والقتال نظير ما كان عند عكا ، [أو أشد][٤] ، فبات السلطان ليلته تلك[٥] مفكراً في ذلك ، ولما[٦] أصبح وقد أوقع الله في قلبه أن خرابها[٧] هو المصلحة ، قال[٨] لمن حضره : والله لموت جميع أولادي أهون عليَّ من تخريب حجر واحد منها ، ولكن إذا كان خرابها[٩] فيه مصلحة للمسلمين ، فلا بأس به ، ثم طلب الولاة وأمرهم بتخريب البلد سريعاً ، قبل وصول العدو المخذول إليها[١٠] ، فشرع الناس في خرابه ، وأهله ومن حضره يتباكَون على حسنه وطيب مقيله ، وكثرة زروعه[١١] وثماره ، ونضاره وأنهاره وأزهاره ، [وكثرة رخامه وحسن بنائه][١٢] . وألقيت [النيران في أرجائه وجوانبه][١٣] وخربت قصوره ودوره وأسواقه ورحابه وأتلف ما فيه من الغلات التي لا يمكن تحويلها ، ولا نقلها ، ولم يزل الخراب والحريق فيه من جمادى الآخرة إلى سلخ شعبان من هذه السنة .

ورحل عنها[١٤] السلطان في ثاني رمضان ، وقد تركها قاعاً صفصفاً ليس فيها معلم[١٥] لأحد ، ثم اجتاز بالرملة فهدم[١٦] حصنها وخرّب كنيسة لدّ ، وزار بيت المقدس وعاد إلى المخيَّم سريعاً ، تقبَّل الله

---

(١) ط : والكؤسات لا تفتر والأعلام .
(٢) ليس في ط .
(٣) أ ، ب : ويجري عنده من القتال .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) ط : فما .
(٧) أ ، ب : ذلك .
(٨) ط : فذكر ذلك لمن حضره وقال لهم والله .
(٩) أ ، ب : هذا .
(١٠) عن أ وحدها .
(١١) ط : زرعه .
(١٢) أ : وغزارة أنهاره .
(١٣) ط : وألقيت النار في سقوفه وأتلف .
(١٤) ط : ثم رحل السلطان منها .
(١٥) ط : معلمة .
(١٦) ط : فخرب .

منه ، ثم بعث[١] ملك الإنكليز[٢] إلى السلطان يقول له : إن الأمر قد طال وهلك الفرنج والمسلمون ، وإنما مقصودنا ثلاثة أشياء لا سواها ، رد الصليب وبلاد الساحل[٣] وبيت المقدس ، لا نرجع عن هذه الثلاثة وبنا عين تطرف[٤] ، فأرسل إليه السلطان [جواب ذلك][٥] أشد جواب ، وأسوأ خطاب ، ثم عزمت[٦] الفرنج لعنهم الله على قصد بيت المقدس ، فتقدم السلطان بجيشه إلى بيت المقدس[٧] فنزله ، وسكن في دار القساوس قريباً من قمامة ، في ذي القعدة ، وشرع في تحصين البلد[٨] وتعميق خنادقه ، وعمل فيه بنفسه وأولاده وأمرائه ، وعمل فيه القضاة والعلماء والصوفية بأنفسهم ، وكان[٩] وقتاً مشهوداً ، واليزك حول البلد من ناحية الفرنج ، وفي كل وقت يستظهرون على الفرنج فيقتلون[١٠] ويأسرون ويغنمون منهم ، ولله الحمد والمنة . وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك .

وفي هذه السنة فيما ذكره العماد الكاتب تولى القاضي[١١] محيي الدين محمد بن الزكي قضاء دمشق .

وفيها : عدى[١٢] أمير مكة داود بن عيسى بن فُلَيْتَة بن قاسم[١٣] بن محمد بن أبي هاشم الحسني[١٤] ، فأخذ أموال الكعبة حتى انتزع طوقاً من فضة كان على دارة الحجر الأسود ، كان قد لمَّ شعثه حين ضربه ذلك القرمطي بالدبوس ، فلما بلغ السلطان خبره من الجميع عزله وولّى أخاه مكثراً[١٥] ، ونقض القلعة التي كان بناها أخوه على جبل أبي قبيس ، فأقام[١٦] داود بنخلة حتى توفي بها في سنة تسع[١٧] وثمانين .

---

(١) ط : وبعث .
(٢) أ ، ب : الانكلتير .
(٣) ب : السواحل الساحل .
(٤) ط : لا ترجع عن هذه الثلاثة ومنا عين تطرف .
(٥) ليس في ط .
(٦) ط : وأسد مقال ، فعزمت .
(٧) ط : إلى القدس .
(٨) عن ب وحدها .
(٩) ط : وعمل فيه الأمراء والقضاة والعلماء والصالحون وكان .
(١٠) ط : ويقتلون .
(١١) ط : وفيها على ما ذكره العماد تولى القضاء محيي الدين .
(١٢) الروضتين (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .
(١٣) ط ، ب : هاشم .
(١٤) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٢٩) والروضتين (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) وأبو الفداء (٣/ ٨٩) والعبر (٤/ ٦٨) ومرآة الجنان (٣/ ٤٣٨) والشذرات (٤/ ٢٩٧) .
(١٥) ب ، ط : بكيراً .
(١٦) ط : وأقام .
(١٧) أ ، ط : سبع ، وهو خطأ .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان[١] :

الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب[٢] :

كان عزيزاً عند[٣] عمه السلطان الملك الناصر صلاح الدِّين ، استنابه بمصر وغيرها من البلاد ، ثم أقطعه حماة ومدناً كثيرة معها حولها ، ومن[٤] بلاد الجزيرة ، وكان مع عمه السلطان[٥] على عكا ، ثم استأذنه في الإشراف[٦] على بلاده المجاورة للجزيرة والفرات ، فلما صار إليها اشتغل بها ، وامتدت عينه إلى أخذ غيرها من أيدي الملوك الذين يجاورونه[٧] ، فقاتلهم [فاتفق موته وهو على ذلك ، والسلطان صلاح الدين غضبان عليه بسبب ذلك من اشتغاله عنه][٨] ، وحملت جنازته حتى دفن[٩] بحماة ، وله مدرسة هناك هائلة كبيرة ، وكذلك بدمشق له[١٠] مدرسة[١١] مشهورة ، وعليها أوقاف كثيرة مبرورة .

وقام بالملك من بعده ولده المنصور ناصر الدين محمد ، فأقره الملك[١٢] صلاح الدين على ذلك[١٣] بعد جهد جهيد ، ووعد ووعيد ، ولولا السلطان الملك العادل أبو بكر شفع فيه لما استقر[١٤] في مكان أبيه ، ولكن الله سلَّم ، وكانت وفاة تقي الدين يوم الجمعة تاسع عشر رمضان من هذه السنة ، وكان شجاعاً باسلاً وهماماً فاتكاً كريماً كاملاً رحمه الله .

الأمير حسام الدين[١٥] محمد بن عمر بن لاجين[١٦] :

---

(١) ط : وفيها توفي من الأعيان . .

(٢) ترجمته في خريدة الشام ـ بداية قسم الشام (١/ ٨٠ ـ ١١٤) وابن الأثير (٩/ ٢١٢) والروضتين (٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٥٦ ـ ٤٥٨) وأبو الفداء (٣/ ٨٠) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٣٦ ـ ٨٣٧) والعبر (٤/ ٢٦٢).

(٣) ط : على .

(٤) ط : في .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) ط : ثم استأذنه أن يذهب ليشرف على .

(٧) المجاورين له .

(٨) ط : فاتفق موته وهو كذلك والسلطان عمه غضبان عليه بسبب اشتغاله بذلك عنه .

(٩) ط : دفنت .

(١٠) ط : حا : وكذلك له بدمشق .

(١١) هي المدرسة التقوية . منادمة الأطلال (٩٠) والأعلاق الخطيرة (٢٣٥) .

(١٢) ليس في ط .

(١٣) ليس في ب .

(١٤) ط : ولولا السلطان العادل أخو صلاح الدين تشفع فيه لما أقره في مكان أبيه ولكن سلم الله توفي . . .

(١٥) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢١٨) ومرآة الزمان (٨/ ٤١٣) والروضتين (٢/ ١٩٥) وأبو الفداء (٣/ ٨٠) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٤٠) .

(١٦) ط : لاشين .

وأمه[(١)] ست الشام بنت أيوب ، واقفة الشاميتين بدمشق ، توفي ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان أيضاً ، فتفجّع[(٢)] السلطان بابن أخيه وابن أخته في ليلة واحدة ، وقد كانا له من أكبر الأعوان[(٣)] ، ودفن حسام الدين في التربة الحسامية[(٤)] ، وهي التي أنشأتها أمه بمحلة العونية ، وهي الشامية البرانية .

[الأمير علم الدِّين][(٥)] : وفيها : توفي الأمير علم الدين سليمان بن جَنْدر الحلبي ، وكان من أكابر الأمراء في الدولة الصلاحية ، وفي خدمة السلطان حيث كان ، وهو الذي أشار على السلطان بتخريب عسقلان ، واتفق مرضه بالقدس ، فاستأذن في أن يمرض بدمشق ، فأذِن له ، فسار حتى[(٦)] وصل إلى غَباغِب مات بها في أواخر ذي الحجّة [رحمه الله][(٧)] .

[الصفي بن القابض[(٨)]][(٩)] : وفي رجب[(١٠)] توفي الأمير الكبير نائب دمشق حرسها الله تعالىٰ ، الصفي بن القابض ، وقد كان من أكبر أصحاب السلطان قبل الملك ، ثم استنابه على دمشق حتى توفي بها في هذه السنة رحمه الله .

[أسعد بن المطران][(١١)] : وفي ربيع الأول توفي الطبيب الماهر الحاذق أسعد بن المطران وقد شرف[(١٢)] بالإسلام ، وشكره على طبّه الخاصُّ والعام ، رحمه الله .

[الشيخ نجم الدين[(١٣)] الخبوشاني][(١٤)] :

---

(١) ط : أمه .
(٢) ط : ففجع .
(٣) ط : أعوانه .
(٤) وهي المسماة بالشامية البرانية . الأعلاق الخطيرة (٢٤٩ ـ ٢٥٠) ومنادمة الأطلال (١٠٤) .
(٥) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ١٧٣) والروضتين (٢/ ١٩٥) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٣٢) .
(٦) ط : فساء منها فلما ، ب : فصار حتى .
(٧) عن ب وحدها .
(٨) ترجمته عن ابن الأثير (٩/ ٢١٨) والروضتين (٢/ ١٩٥) .
(٩) ط : الفائض . تصحيف .
(١٠) ط : وفي رجب منها .
(١١) ترجمته في الروضتين (٢/ ١٩٥) وطبقات الأطباء (٢/ ١٧٥) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٣١) واسمه فيها : أسعد بن الياس بن جرجس المطران .
(١٢) ب : تشرّف .
(١٣) ترجمته في مرآة الزمان (٨/ ٤١٤) والروضتين (٢/ ١٩٥) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٤١ ـ ٨٤٣) والعبر (٤/ ٢٦٢) ومرآة الجنان (٣/ ٤٣٣) واسمه فيها : محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن بن عبد الله الخبوشاني نجم الدين الفقيه الشافعي .
(١٤) ط : الجيوشاني الشيخ نجم الدين ، ب : الخبوشاني الشيخ نجم الدين .

الذي بنى تربة الشافعي بمصر ، بأمر السلطان صلاح الدين ، ووقف عليها الأوقاف السنية[١] ، وولَّاه تدريسها ونظرها ، وقد كان السلطان يحترمه ويكرمه ، وقد ذكرته في « طبقات الشافعية » ، وما صنفه في المذهب من « شرح الوسيط » وغيره ، ولما توفي الخبوشاني[٢] طلب التدريس جماعة ، فشفع الملك العادل عند أخيه في شيخ[٣] الشيوخ أبي الحسن محمد بن حمويه ، فولاه إِيَّاها[٤] ، ثم عُزِلَ عنها بعد موت السلطان ، واستمرت عليه أيدي بني السلطان واحداً بعد واحد ، ثم [خلصت بعد ذلك][٥] وعاد إِليها الفقهاء والمدرسون[٦] ، والله[٧] تعالىٰ أعلم بالصواب .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمئة

استهلت والسلطان صلاح الدين مخيِّم بالقدس الشريف[٨] ، وقد قسم السور بين أولاده وأمرائه ، وهو يعمل فيه[٩] بنفسه ، ويحمل الحجر بين القربوس[١٠] وبينه ، والناس يقتدون به ، والعلماء والفقهاء يعملون بأنفسهم ، والفرنج[١١] لعنهم الله حول البلد من ناحية عسقلان وما والاها ، لا يتجاسرون أن يقربوا[١٢] البلد من الحرس واليزك الذين للسلطان حول القدس الشريف ، إِلا أنهم على نية محاصرة القدس مصمِّمون ، ولكيد الإِسلام مجمعون ، وهم الحرس ، تارة يَغْلبون وتارة يُغْلبون ، وتارة يَنْهَبون وتارة[١٣] يُنْهَبون[١٤] .

وفي ربيع الآخر وصل الأمير سيف الدين المشطوب إِلى السلطان وهو بالقدس من الأسر[١٥] ، وكان

(١) ط : أوقافاً سنية .
(٢) ط : الجيوشاني .
(٣) أ : لشيخ .
(٤) ط : إِياه .
(٥) ليس في ط .
(٦) ط : والمدرسون بعد ذلك .
(٧) ليست العبارة الأخيرة في ط .
(٨) ليس في ط .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ط : القربوسين ، الروضتين (٢/١٩٦) .
(١١) ط : والناس يقتدون بهم والفقهاء والقراء يعلمون والفرنج .
(١٢) أ ، ب : يتقربوا من الحرس .
(١٣) ليس في ب .
(١٤) أ : ينتهبون . وليست اللفظة في ب .
(١٥) ط : وصل إِلى السلطان الأمير سيف الدين المشطوب من الأسر .

نائباً على عكا حين أخذت ، فافتدى نفسه منهم بخمسين ألف دينار ، فأعطاه السلطان شيئاً كثيراً منها ، واستنابه على مدينة نابلس ، فتوفي بها في شوال [من هذه السنة][١] .

وفي ربيع الآخر قتل المركيس صاحب صور لعنه الله ، أرسل إليه ملك الإنكليز اثنين من الفداوية فأظهرا التنصر ولزما الكنيسة حتى ظفرا بالمركيس فقتلاه[٢] ، وقُتلا أيضاً ، فاستناب ملك الإنكليز[٣] عليها ابن أخيه الكندهري[٤] ، وهو ابن أخت ملك الإفرنسيس لأبيه ، فهما خالاه لعنهم[٥] الله ، ولما سار[٦] إلى صور بنى[٧] بزوجة المركيس بعد موته بليلة واحدة ، وهي حبلى أيضاً ، وذلك لشدة العداوة التي كانت بين الإنكليز وبينه ، وقد كان السلطان صلاح الدين يُبْغضهما ، ولكن المركيس كان قد صانعه[٨] بعض الشيء[٩] ، فلم يهُن عليه قتله .

وفي تاسع جمادى الأولى استولى الفرنج ، لعنهم الله ، على قلعة الدَّاروم ، فخرَّبوها ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأسروا طائفة من الذرية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أقبلوا [بخيلهم ورَجِلهم][١٠] نحو القدس الشريف ، فبرز إليهم السلطان في حزب الإيمان ، فلما تراءى الجمعان نكص حزب الشيطان على عقبيه ، وانقلبوا راجعين ، فراراً[١١] من القتال والنِّزال ، وعاد السلطان إلى القدس الشريف : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

ثم إن ملك الإنكليز ، لعنه الله ، وهو أكبر ملوك الفرنج ذلك الوقت[١٢] ـ ظفر ببعض فلول[١٣] المسلمين ، فكبسهم ليلاً فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر منهم خمسمئة أسير ، وغنم منهم[١٤] شيئاً كثيراً من

---

(١) أ ، ب : منها .
(٢) ط : الغداوية فقتلوه أظهرا حتى ظفروا به فقتلاه .
(٣) أ : الإنكليس .
(٤) أ ، ب : بلام الكندهر ، ط : بلام الكندهر ، وما هنا عن الروضتين (٢/١٩٦) وابن الأثير (٩/٢١٩) .
(٥) أ : لعنه الله .
(٦) ط : صار .
(٧) أ ، ب : ابتنى .
(٨) أ ، ب : ولكنه كان صانعه المركيس . . فلم يهن قتله عليه .
(٩) ط : شيء .
(١٠) مكانهما في ط : جملةً .
(١١) أ : قبل .
(١٢) ط : الحين .
(١٣) أ ، ب : قفول .
(١٤) عن ط وحدها .

الأموال والجمال ، والخيل والبغال ، فكانت[١] جملة الجمال ثلاثة آلاف بعير ، فتقوَّى الفرنج بذلك [شيئاً كثيراً][٢] ، وساء ذلك السلطان مساءة عظيمة جدًّا ، وخاف من غائلة ذلك ، واستخدم الإنكليز الجمَّالة[٣] على الجمال ، والخربندية على البغال ، والسيّاس على الخيل ، وأقبل وقد قويت نفسه جدًّا ، وصمَّم على محاصرة القدس ، وأرسل إلى ملوك الفرنج[٤] الذين بالساحل ، فاستحضرهم ومن معهم من المقاتلة ، فتعبَّأ السلطان لهم[٥] وتهيَّأ[٦] ، وأكمل السور ، وعمر الخنادق ، ونصب [الآلات والمجانيق][٧] ، وأمر بتغوير ما حول القدس من المياه ، وأحضر السلطان أمراءه ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة ، وفيهم أبو الهيجاء السمين[٨] ، والمشطوب ، والأسدية[٩] ، بكمالهم ، واستشارهم السلطان فيما دهمه من هذا الأمر الفظيع ، الموجع المؤلم ، فأفاضوا في ذلك ، وأشاروا كل برأيه ، وأشار العماد الكاتب بأن يتحالفوا على الموت عند الصخرة ، كما كان[١٠] الصحابة يفعلون ، فأجابوا إلى ذلك .

هذا كلُّه والسلطان ساكت واجم مفكِّر ، فسكت القوم كأنما[١١] على رؤوسهم الطير ، ثم قال : الحمد لله ، والصلاة[١٢] والسلام على رسول الله : اعلموا أنكم جند الإسلام اليوم ومنعته ، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراريهم في ذممكم معلقة ، والله عز وجل سائلكم يوم القيامة عنهم ، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن العباد والبلاد غيركم ، فإن ولَّيتم ، والعياذ بالله [طوى البلادَ وأهلك العباد][١٣] ، وأخذ الأموال والأطفال والنساء ، وعُبد الصليبُ في المساجد ، وعُزل القرآن منها والصلاة ، وكان ذلك كله في ذممكم ، فإنكم أنتم الذين تصدَّيتم لهذا كله ، وأكلتم بيت مال المسلمين ، لتدفعوا عنهم عدوهم ، وتنصروا ضعيفهم ، فالمسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام .

---

(١) أ : فكان ، ط : وكان .
(٢) ليس في ط .
(٣) ب : الجمالين .
(٤) أ : الإفرنج .
(٥) ب : لذلك .
(٦) ليس في ب .
(٧) ط : المنجانيق . أ : المناجنيق .
(٨) ط : أبا الهيجاء الميسمين ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٣هـ من هذا الجزء .
(٩) أ : والأسدي .
(١٠) أ : كانت .
(١١) ب : حتى كأنما .
(١٢) أ : وصلّى على رسول الله .
(١٣) مكانهما في ب : كطيّ السجل للكتاب .

فانتدب لجوابه سيف الدين المشطوب وقال : يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك ، وأنت الذي أعطيتنا وكبَّرتنا وعظَّمتنا[١] ، وليس لنا إلَّا رقابنا ونحن بين يديك ، والله ما يرجع أحد منا عن نصرك[٢] حتى يموت . فقال الجماعة مثل ما قال ، ففرح السلطان بذلك ، وطاب قلبه ، ومدَّ لهم سماطاً حافلاً ، وانصرفوا من بين يديه على ذلك . ثم بلغه بعد ذلك عن بعض الأمراء أنه قال[٣] : إنا نخاف أن يجري علينا في هذه البلدة كما جرى على أهل[٤] عكا ، ثم يأخذون بلاد الإسلام بلداً بلداً ، والمصلحة أن نلتقيهم بظاهر البلد ، فإن هزمناهم أخذنا بقية بلادهم ، وإن تكن الأخرى سلم [العسكر][٥] ومضى بحاله[٦] ، فيأخذون القدس ونحفظ[٧] بقية بلاد الإسلام بدون القدس مدة طويلة[٨] ، وبعثوا [إلى السلطان][٩] يقولون له : إن كنت تريدنا نقيم بالقدس تحت حصار[١٠] الفرنج[١١] ، فكن[١٢] أنت معنا أو بعض أهلك ، حتى يكون الجيش تحت[١٣] أمره[١٤] ، فإن الأكراد لا تطيع[١٥] التُّرك ، والترك لا تطيع الأكراد . فلما بلغه[١٦] ذلك شق عليه مشقة عظيمة ، وبات ليلته أجمع مهموماً كئيباً يفكر فيما قالوا ، ثم انجلى الأمر واتفق الحال على أن يكون الملك الأمجد صاحب بعلبك مقيماً عندهم نائباً عنه بالقدس الشريف[١٧] ، وكان ذلك نهار الجمعة ، فلما حضر إلى صلاة الجمعة ، وأذن المؤذِّن للظهر قام فصلى ركعتين بين الأذانين ، وسجد ، وابتهل إلى الله تعالىٰ ابتهالاً عظيماً ، وتضرع لربه[١٨] ، وتمسكن وسأله[١٩] فيما بينه وبينه كشف هذه الضائقة العظيمة .

---

(١) ب : وأنت الذي أنعمت علينا وكبرتنا وعظمتنا وأعطيتنا وأعتنتا .
(٢) ب : عن نصرتك .
(٣) ط : إن بعض الأمراء قال .
(٤) ط : في هذا البلد مثل ما جرى على أهل عكا .
(٥) ب : سلم الله العسكر .
(٦) أ : في جباله .
(٧) ب : وانحفظت ، ط : وتحفظ .
(٨) بعدها في ب : وكان فيما .
(٩) ليس في ب .
(١٠) ب : حصر .
(١١) أ : الإفرنج .
(١٢) ب : فكنت .
(١٣) ليس في أ .
(١٤) ط : أمرك .
(١٥) ب : لا يطيعون .
(١٦) ب : بلغ .
(١٧) عن ب وحدها .
(١٨) ط : إلى ربه .
(١٩) أ : وساءله .

فلما كان يوم السبت من الغد جاءت الكتب من الحرس[١] الذين حول البلد بأن الفرنج قد اختلفوا فيما بينهم [في محاصرة القدس][٢] ، فقال ملك الإفرنسيس : إنا إنما جئنا من البلاد البعيدة ، وأنفقنا الأموال العديدة في تخليص بيت المقدس وردِّه إلينا ، وقد بقي بيننا وبينه مرحلة ، فقال الإنكليز : إن هذا البلد يشق[٣] علينا حصاره ، لأن المياه حوله قد عدمت ، وإلى أن[٤] يأتينا الماء من المشقة البعيدة يعطِّل[٥] الحصار[٦] ، ويتلف الجيش ، ثم اتفق الحال بينهم على أن حكّموا منهم عليهم ثلاثمئة منهم ، فردُّوا[٧] أمرهم إلى اثني عشر منهم ، فردُّوا أمرهم إلى ثلاثة منهم ، فباتوا ليلتهم ينظرون ثم أصبحوا وقد حكموا عليهم بالرحيل ، فلم يمكنهم مخالفتهم ، فسحبوا راجعين ، لعنهم الله أجمعين ، فساروا حتى نزلوا على الرملة وقد طالت عليهم الغربة والزملة ، وذلك في بكرة الحادي والعشرين من جمادى الآخرة ، [وقد أبوا بالصفقة الخاسرة والخيبة في الدنيا والآخرة][٨] ، وبرز السلطان بجيشه إلى خارج القدس[٩] ، وسار نحوهم خوفاً[١٠] أن يسيروا إلى مصر[١١] ، لكثرة[١٢] ما معهم من الظهر والأموال ، وكان ملك الإنكليز يلهج بذلك كثيراً ، فخذلهم الله[١٣] عن ذلك ، وترددت[١٤] الرُّسل من الإنكليز إلى السلطان في طلب الصلح[١٥] ووضع الحرب بينه[١٦] وبينهم ثلاث سنين [وستة أشهر][١٧] ، على أن يعيد لهم[١٨] عسقلان ويهب لهم كنيسة[١٩] بيت المقدس ، وهي القمامة ، وأن يمكن الزوّار من النصارى من زيارتها وحجِّها بلا

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) ليس في ط .
(٣) ط : شق .
(٤) ب : وحتى بقينا من .
(٥) أ ، ب : تعطل . . وتلف .
(٦) ب : أثر الحصار .
(٧) ب : فردوا أولئك .
(٨) عن أ وحدها .
(٩) ب : خارج البلد .
(١٠) ب : خوفاً منه على أن .
(١١) ب : الديار المصرية .
(١٢) أ : إلى كثرة .
(١٣) ليس في ب .
(١٤) ب : وتردون .
(١٥) ط : الأمان .
(١٦) ب : بينهم وبينه .
(١٧) عن أ وحدها .
(١٨) ب : إليهم .
(١٩) ب : له أكبر كنيسة .

شيء ، فامتنع السلطان من إعادة عسقلان ، وأطلق لهم القمامة ، وفرض على الزُّوَّار مالاً يؤخذ من كلّ منهم ، فامتنع الإنكليز إلا أن تُعاد لهم عسقلان ، ويعمّر سورها كما كانت[١] ، فصمم السلطان على عدم الإجابة[٢] .

ثم ركب السلطان في جيشه العرمرم حتى وافى يافا ، فحاصرها حصاراً شديداً ، فافتتحها [وغنم جيشه منها شيئاً كثيراً ، وامتنعت القلعة ، فبالغ في أمرها حتى هانت ولانت ودانت وكادت أن يبعثوا إليه بأقاليدها][٣] ، ويأخذوا[٤] الأمان لكبيرها وصغيرها[٥] ، فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم مراكب الإنكليز[٦] على وجه البحر الزخّار ، فقويت رؤوسهم ، واستعصت نفوسهم ، وهجم[٧] اللعين فاستعاد البلد[٨] وقتل من تأخر بها من المسلمين صبراً بين يديه ، وتقهقر السلطان عن منزلة[٩] الحصار إلى ما وراءها خوفاً على الجيش من معركة الفرنج[١٠] ، فجعل ملك[١١] الإنكليز يتعجب من شدة سطوة السلطان ، وكيف فتح مثل هذا البلد العظيم في يومين ، وغيره لا يمكنه فتحه في عامين ، ويقول مع ذلك : ولكن ما ظننت أنه مع شهامته وصرامته يتأخر من منزلته بمجرد قُدُومي ، وأنا ومن معي لم نخرج من البحر إلا جرائد[١٢] بلا سلاح القتال ولا أُهبة النزال ، ثم ألح في طلب الصلح وأن تكون عسقلان داخلة في صلحهم ، فامتنع السلطان من ذلك أشد الامتناع ، ثم إن السلطان كبس في تلك الليالي الإنكليز وهو في سبعة عشر مقاتلاً ، وحوله قليل من الرجّالة فأكبَّ السلطان بجيشه حوله وحصره حصراً لم يبق له[١٣] معه نجاة ، لو صمم معه الجيش ، ولكنهم نكلوا كلهم عن الحملة ، فلا قوة إلا بالله ، وجعل السلطان يحرّضهم غاية التحريض ، فكلهم يمتنع كما يمتنع من شرب الدواء المريض[١٤] .

---

(١) ب : كان .
(٢) بعدها في ب : صلاح الدين .
(٣) عن ب وحدها .
(٤) أ ، ب : وأخذوا .
(٥) ب : ووليدها .
(٦) أ : الكلبير ، ب : الانكبار .
(٧) ط : فهجم .
(٨) ب : البلد إليه .
(٩) أ : منزل .
(١٠) بعده في ب : ورعاعها .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) يقصد مجرّدين من السلاح .
(١٣) ليس في ط .
(١٤) أ : كما يمتنع الممتع من شرب الدواء ، ط : كما يمتنع المريض عن شرب الدواء .

هذا وملك الإنكليز ، لعنه الله ، قد ركب في أصحابه وأخذ عدة قتاله وحرابه[١] ، واستعرض الميمنة إلى آخر الميسرة ، يعني ميمنة المسلمين وميسرتهم ، فلم يتقدم إليه منهم أحد من الفرسان ولا نهره[٢] في وجهه بطل من الشجعان ، فعند ذلك كرّ السلطان راجعاً ، وقد أحزنه أنه لم يَرَ في الجيش مطيعاً [ولا سامعاً][٣] ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . [ولو أن له بهم قوة لما ترك أحداً منهم يتناول من بيت المال فلساً][٤] . ثم حصل لملك الإنكليز بعد ذلك مرض شديد ، وبعث[٥] إلى السلطان يطلب منه فاكهة وثلجاً ، فأمدَّه السلطان بذلك من باب[٦] الكرم والإحسان وإظهار القوة والامتنان ، ثم عوفي ، لعنه الله ، وتكررت الرسل منه يطلب من السلطان المصالحة وذلك لكثرة شوقه إلى أولاده وبلاده ، وتوقه إلى ملاذه ، وطاوع السلطان على ما يقول ، ونزل عن[٧] طلب عسقلان ، ورضي بما رسم به السلطان ، وكتب كتاب الصلح ، [٨] على ما رسم به[٩] السلطان ثامن[١٠] عشر شعبان ، وأُكدت العهود والمواثيق في كل ملك من ملوكهم ، وأُسقف وجاثليق ، وحلف الأمراء من المسلمين ، وكتبوا خطوطهم ، واكتفى من السلطان بالقول المجرد ، كما جرت به عادة السلاطين ، وفرح كل من الفريقين فرحاً شديداً[١١] ، وأظهروا سروراً كثيراً ، ووُقِّعت الهدنة على وضع الحرب ثلاثين سنة وستة أشهر . وعلى أن يقرهم على ما بأيديهم من البلاد الساحلية ، وللمسلمين ما يقابلها من البلاد الجبلية ، وما بينهما من المعاملات ، فقسمها[١٢] على المناصفة ، وأرسل السلطان مئة نقاب صحبة أمير لتخريب سور عسقلان وإخراج مَنْ بها من الفرنج والألمان .

وعاد السلطان إلى القدس الشريف ، فرتّب أحوالها ووطّدها[١٣] ، وسدّد أموره وأكّدها ، وزاد وقف المدرسة سوقاً بدكاكينها ، وأرضاً وبساتينها ، وزاد وقف الصوفية أيضاً ، وعزم على الحج عامه ذلك ،

---

(١) ط : وأهبة نزاله .
(٢) أ : نهش ، ب : نهس .
(٣) ليس في ط .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ط : فبعث .
(٦) أ ، ب : من باب القوة .
(٧) ط : وترك طلب .
(٨) مكانهما في ط : بينهما .
(٩) ليس في ب .
(١٠) ط : سابع .
(١١) أ ، ب : كثيراً .
(١٢) ط : تقسم .
(١٣) أ ، ب : وأطّدها .

فكتب إلى الحجاز واليمن [والديار المصرية والشامية][(١)] ليعلموا بذلك ، ويتأهّبوا[(٢)] له . فكتب إليه القاضي الفاضل ينهاه عن ذلك ، خوفاً على البلاد [من استيلاء الفرنج عليها ، ومن كثرة المظالم بها][(٣)] ، [وفساد الناس والعسكر ، وقلة نصحهم ، وأن النظر في أحوال المسلمين خير لك عامك هذا][(٤)] ، والعدو المخذول مخيِّمٌ بعدُ بالشام ، ولم يقلع منه مركب إلى بلادهم ، وأنت تعلم أنهم إنما يتهادنون ليتقوَّوْا[(٥)] ويكثروا ، ثم يمكرون ويغدرون[(٦)] ، فسمع السلطان منه ، وشكر نصحه ، [وقبله ، وعزم على ترك الحج عامه ذلك][(٧)] ، وكتب به إلى سائر الممالك ، واستمر السلطان مقيماً بالقدس جميع شهر رمضان ، في صيام وصلاة وقرآن ، وكلما وفد أحد من رؤساء النصارى[(٨)] للزيارة ، أولاه غاية الإكرام والإحسان ، تأليفاً لقلوبهم ، وتأكيداً لما حلفوه من الأيمان ، ورغبة أن يدخل في قلوبهم شيء من الإيمان ، ولم يبق أحد من ملوكهم إلا جاء لزيارة القمامة متنكراً ، ويحضر سماط السلطان فيمن يحضر من جمهورهم ، بحيث لا يُرى ، والسلطان يعلم[(٩)] ذلك جملة لا تفصيلاً ، ولهذا كان يعاملهم بالإكرام ، ويريهم صفحاً جميلاً ، وبراً جزيلاً ، وظلاً ظليلاً .

فلما كان في خامس شوال ركب السلطان في عساكره[(١٠)] وجحافله ، فبرز من القدس الشريف قاصداً دمشق المحروسة واستناب [على القدس][(١١)] عز الدين جرديك[(١٢)] وعلى قضائها بهاء الدين[(١٣)] بن يوسف بن رافع بن تميم الشافعي ، فاجتاز على وادي الجيب ، وبات على بركة الداوية ، ثم أصبح في نابلس ، فنظر في أحوالها وأمورها ، ثم ترحّل عنها ، فجعل يمرّ بالمعاقل[(١٤)] والحصون والبلدان [للنظر في الأحوال والأموال ، وكشف المظالم والمحارم والمآثم ، وترتيب المكارم][(١٥)] .

---

(١) ط : مصر والشام .
(٢) ب : وليتأهبوا .
(٣) ليس في أ .
(٤) أ ، ب : الفساد وسد ثغورهم ومصادرة أعيانهم في هذا الوقت أفضل لك مما عزمت عليه عامك هذا .
(٥) أ ، ب : ليتفقوا .
(٦) ط : ثم يمكروا ويغدروا .
(٧) ط : وترك ما عزم عليه .
(٨) ط : الفرنج .
(٩) ط : لا يعلم ذلك جملة ولا تفصيلاً .
(١٠) ط : العساكر .
(١١) ط : جورديك ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٤هـ من هذا الجزء .
(١٢) ب : عليها .
(١٣) هو القاضي بهاء الدين بن شداد . وسترد وفاته في حوادث سنة ٦٣٢ من هذا الكتاب .
(١٤) ط : بالقلاع .
(١٥) مكانهما في ط : فينظر في أحوالها ويكشف المظالم عنها .

وفي أثناء الطريق جاء إلى خدمته بيمند[١] ابرنس[٢] أنطاكية ، فأكرمه وأحسن إليه ، وأطلق له أموالاً جزيلة ، وخلعاً جميلة[٣] . وكان العماد الكاتب في صحبته ، فأخبر عن منازله منزلة[٤] منزلة ، ومرحلة مرحلة ، إلى أن قال :

وعبر يوم الإثنين عين الحرّ[٥] إلى مرج يبوس[٦] ، وقد زال البؤس ، وهناك توافد[٧] عليه أعيان دمشق وأماثلها، وأفاضلها وفواضلها، ونزلنا[٨] يوم الثلاثاء على العرّادة، [وجرى المتلقّون بالطرف والتحف][٩] على العادة ، وأصبحنا يوم الأربعاء ـ يعني سادس عشر شوال بكرة ـ إلى جنة[١٠] دمشق داخلين ، بسلام آمنين ، لولا أننا غير خالدين ، وكانت غيبة السلطان عنها طالت أربع سنين ، فأخرجت دمشق أثقالها ، وأبرزت نساءها وأطفالها ورجالها ، وكان يوم الزينة ، وخرج أكثر أهل المدينة ، وحشر الناس ضحى ، وأشاعوا استبشاراً وفرحاً ، واجتمع بأولاده[١١] الكبار والصغار ، وقدم عليه رسل الملوك من سائر الأمصار ، وأقام بقية عامه في اقتناص الصيد وحضور دار العدل ، للفصل والعمل بالإحسان والفضل .

ولما كان عيد الأضحى امتدحه بعض الشعراء بقصيدة يقول فيها[١٢] : [من الخفيف]

وَأَبيهـــا لَــوْلا تَغَــزُّلُ عَيْنَيْـ ـها لما قُلْتُ في التَّغزُّلِ شِعْرا
ولكانَتْ مدائحُ الملكِ النّا صِرِ أوْلى[١٣] ما فيه أعملُ فِكْرا
ملِكٌ طبَّقَ الممالكَ عَدْلاً[١٤] مثلما أوسعَ البـريَّـةَ بِـرّا[١٥]

(١) عن ط وحدها .
(٢) ط : صاحب . واللفظة مصحفة في أ ، ب . والخبر في الروضتين (٢/٢٠٧) .
(٣) ليس في ط .
(٤) ليس في ب .
(٥) أ : عين الحسن ، وفي الروضتين (٢/٢٠٧) : عين الجرّ .
(٦) ط : بيوس . وفي الروضتين : تبوس . وفي نسخة : مرج يابوس .
(٧) ط : وفد .
(٨) ط : ونزل .
(٩) ط : وجاءه هناك التحف والمتلقون .
(١٠) ط : بجنة .
(١١) ط : واجتمع أولاده .
(١٢) الأبيات في الروضتين (٢/٢٠٨ ـ ٢٠٩) في مقطعتين الأولى في ثلاثة أبيات هي : ١ ، ٢ ، ٣ والثانية في أربعة أبيات هي : ٦ ، ٤ ، ٥ ، ٧ .
(١٣) ط والأصلين : إلى ، ولا يستقيم بها الوزن .
(١٤) ط : بالعدل ، ولا يستقيم بها الوزن .
(١٥) بعدها في الروضتين : ثم قال في آخرها .

فيحـلُّ[١] الأعيـادَ صـومـاً وفطـراً ويُلَقَّـى الهنـاءَ بَـرّاً وبَحْـرا[٢]
يـأمـرُ بـالطـاعـاتِ لله إن أضـ ـحى مليـك علـى الهنـاة مُصِرّا[٣]
نلتَ ما تبتغي[٤] من الدين والدنـ ـيا[٥] فتِيهـاً علـى الملـوك وفخـرا
قد جمعتَ المَجْدَيْن أصلاً وفَرْعاً وملكْـتَ الـدارَيْـن دُنْيـاً وأُخْـرى

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث غزوة عظيمة بين صاحب غزنة شهاب الدين[٦] السبكتكيني وبين ملك الهند وأصحابه الذين كانوا قد كسروه في سنة ثلاث وثمانين[٧] ، فأظفره الله بهم[٨] هذه السنة ، فكسرهم وقتل خلقاً منهم ، [وأسر خلقاً][٩] . وكان من جملة من أسره ملكهم الأعظم ، وثمانية عشر فيلاً ، من جملتها الذي كان جرحه ، ثم أُحضر الملك بين يديه فأهانه ولم يكرمه ، واستحوذ على حصنه ، وأخبر بما كان فيه من كل جليل وحقير ، ثم قتله بعد ذلك ، وعاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً ، مسروراً محبوراً .

[وفي هذه][١٠] السنة اتُّهم أمير الحج ببغداد ، وهو طاشتكين[١١] ، وقد كان على إمرة الحجيج[١٢] من مدة عشرين سنة ، وكان في غاية حسن السيرة ، واتُّهم بأنه يكاتب صلاح الدين بن أيوب [بالقدوم إلى العراق ليأخذها][١٣] ، فإنه [ليس بينه وبينها أحد يمانعه عنها][١٤] ، وقد كان مكذوباً عليه في ذلك ، ومع هذا حبس وأُهين وصودر[١٥] .

---

(١) في الروضتين : فيمل .
(٢) ب : عشراً وبحراً ، وفي الروضتين : فطراً ونحراً .
(٣) رواية البيت في ط :
يـأمـر النـاس طـاعـة الله أن أضحى مليك على المقاهي مصرّا
وفي بعض النسخ : يأمر الطاعات .
(٤) ط : تسعى .
(٥) جاءت اللفظة كلها من الشطر الأول في ط مما جعل الوزن مضطرباً .
(٦) بعدها في ط : ملكها .
(٧) أ : وثلاثين .
(٨) أ : أيديهم .
(٩) أ : واسرهم .
(١٠) ط : وفيها .
(١١) ستردد ترجمته في حوادث سنة ٦٠٢ من هذا الكتاب .
(١٢) ط : الحج .
(١٣) ط : في أخذ بغداد .
(١٤) أ ، ب : فإنه ليس بين يديه أحد .
(١٥) ط : أهين وحبس وصودر .

فصـــل

وممن توفي فيها من الأعيان :

القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى ، المعروف بابن الفراش[١] :

كان قاضي العساكر بدمشق ، ويرسله السلطان [في الرسالات][٢] إلى ملوك الآفاق . ومات بملطية .

الأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب[٣] : كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، حضر معه الوقَعات الثلاث بديار مصر[٤] ، ثم صار من أكابر[٥] أمراء صلاح الدين . وهو الذي كان على نيابة[٦] عكا لما أخذها[٧] الفرنج ، [فأسروه في جملة من أسروا][٨] ، فافتدى نفسه منهم بخمسين ألف دينار ، [وتخلّص إلى أن خلص][٩] إلى السلطان ، وهو بالقدس ، فأعطاه أكثرها ، وولاه نيابة نابلس . [وكانت وفاته][١٠] يوم الأحد الثالث والعشرين[١١] من شوال بالقدس الشريف ، ودفن في داره .

[صاحب بلاد الروم قلج أرسلان][١٢] :

وممن توفي فيها صاحب بلاد الروم عز الدين ، قلج[١٣] أرسلان[١٤] بن مسعود بن قلج أرسلان . وكان قد قسم جميع بلاده بين أولاده طمعاً في طاعتهم له ، فخالفوه ، وتجبّروا ، وعتوْا عليه ، وانخفض[١٥]

---

(١) ترجمته في خريدة الشام (١/ ٢٨٩ ـ ٣٠٦) والروضتين (١/ ٢٧٢ و٢/ ٢٠٩) .
(٢) ليس في ط .
(٣) ترجمته في الروضتين (٢/ ٢٠٩) ووفيات الأعيان (١/ ١٨٢ ـ ١٨٣) وأبو الفداء (٣/ ٨٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٥٦) والعبر (٤/ ٢٦٧) ومرآة الجنان (٣/ ٤٣٨) .
(٤) ط : بمصر .
(٥) ط : كبراء .
(٦) ط : نائباً على .
(٧) ب : أخذه . ط : أخذوها الفرنج ، وكلاهما خطأ .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) ط : وجاء .
(١٠) ط : توفي .
(١١) ط : ثالث وعشرين شوال .
(١٢) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) والروضتين (٢/ ٢٠٩) وابن العبري (٣٨٨) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق١/ ٢٨٢) وأبو الفداء (٣/ ٨٤ ـ ٨٥) والعبر (٤/ ٢٦٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٥٨) .
(١٣) أ ، ب والروضتين وأبو الفداء : قليج .
(١٤) أ ، ب : رسلان .
(١٥) ط : وخفضوا .

قدره ، وارتفعوا[١] . ولم يزل كذلك حتى توفي في عامه هذا .

[أبو المرهف النميري][٢] :

وفي ربيع الآخر توفي الأديب الشاعر أبو المرهف نصر بن منصور النميري . سمع الحديث ، واشتغل بالأدب ، وكان قد أصابه جُدري ، وهو ابن أربع[٣] عشرة سنة ، فنقص بصره جدًّا ، فكان لا يبصر الأشياء البعيدة ، ويرى القريب منه ، ولكنه كان لا يحتاج إلى قائد ، فارتحل إلى العراق لمداواة عينيه ، فآيسته الأطباء من ذلك ، فاشتغل بحفظ القرآن ومصاحبة الصالحين والزهاد فأفلح . وله ديوان شعر كبير حسن ، وقد سئل مرة عن مذهبه واعتقاده ، فأنشأ يقول[٤] : [من الطويل]

أُحِبُّ عليّاً والبتولَ ووُلْدَها ... ولا أَجْحَدُ الشَّيْخَيْنِ فَضْلَ التقدُّمِ
وأَبْرأُ مما نالَ عثمانَ بالأذى ... كما أَتَبَرّا من ولاءِ ابنِ مُلْجَمِ
ويُعجبني أهلُ الحديثِ لصدقهم ... فلستُ إلى قومٍ سواهم بمُنْتَمِي

وكانت وفاته[٥] ببغداد ، ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب ، رحمه الله تعالىٰ[٦] .

ثم[٧] دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمئة

فيها : كانت وفاة السلطان[٨] الملك الناصر[٩] صلاح الدين رحمه الله تعالىٰ .

---

(١) أ ، ب : حتى ارتفعوا .
(٢) ترجمته في معجم الأدباء (١٩/ ٢٢٢) وفيه : نصر بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد بن أنال ، أبو المرهف العيلاني النميري (فسقط منه اسم أبيه منصور إذ هو ثابت في مصادر ترجمته) ومرآة (٨/ ٤٢١) والتكملة للمنذري (١/ ١٧٠) ، والروضتين (٢/ ٢١١) وابن خلكان (٥/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٦١ ـ ٨٦٣) ومرآة الجنان (٣/ ٤٣٨) وذيل ابن رجب (١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦) .
(٣) ط : أربعة ، خطأ .
(٤) الأبيات في الروضتين (٢/ ٢١١) .
(٥) ط : توفي .
(٦) لفظة (تعالىٰ) عن ط وحدها . وبعدها في ط : بحمد الله تعالىٰ قد تم طبع الجزء الثاني عشر من البداية والنهاية للعلامة ابن كثير ، ويليه الجزء الثالث عشر وأوله سنة تسع وثمانين وخمسمئة هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية . وفات ابن كثير ذكرهم .
(٧) قبلها في ط : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لأنها بداية الجزء الثالث عشر .
(٨) قل أن يخلو كتاب تاريخ أو تراجم من ترجمة صلاح الدين وعلى سبيل المثال لا الحصر : ابن الأثير (٩/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧) ومرآة الزمان (٨/ ٤٢٥) والروضتين (٢/ ٢١٢ ـ ٢٢٦) ووفيات الأعيان (٧/ ١٣٩ ـ ٢١٨) وابن العبري (٣٨٨ ـ ٣٨٩) وأبو الفداء (٣/ ٨٥ ـ ٨٧) والعبر (٤/ ٢٧٠) ومرآة الجنان (٣/ ٤٣٩ ـ ٤٦٦) وسيرة صلاح الدين لابن شداد .
(٩) ليس في ط .

استهلت هذه السنة وهو في غاية الصحة والسلامة ، وخرج هو وأخوه العادل أبو بكر إلى الصيد شرقي دمشق .

وقد اتفق الحال بينه وبين أخيه العادل أنه بعد ما يفرغ(١) من أمر الفرنج هذه المدة ، يسير هو إلى بلاد الرُّوم ، ويبعث أخاه العادل إلى خلاط ، فإذا فرغا من شأنهما سارا جميعاً إلى بلاد أذربيجان وبلاد العجم ، فإنه ليس دونهما أحد يمانع عنها ولا يصدهم عنها .

فلما قدم الحجيج من الحجاز الشريف في يوم الإثنين حادي عشر صفر خرج السلطان لتلقيهم وكان معهم ولد(٢) أخيه سيف الإسلام ، صاحب اليمن ، فأكرمه والتزمه ، وعاد إلى القلعة المنصورة فدخلها من باب الحديد(٣) ، فكان ذلك آخر ما ركب في هذه الدنيا .

ثم(٤) إنه اعتراه حُمَّى صفراوية ليلة السبت سادس عشر صفر ، فلما أصبح دخل عليه القاضي الفاضل وابن شدّاد وابنه الأفضل ، فأخذ يشكو إليهم كثرة قلقه البارحة ، وطاب له الحديث ، وطال مجلسهم عنده ، ثم تزايد به المرض واستمر ، وفصده(٥) الأطباء في اليوم الرابع ، فاعتراه(٦) يبس ، وحصل له عَرَق شديد بحيث نفذ إلى الأرض ، ثم قوي(٧) اليبس أيضاً ، فأحضر الأمراء من الأكابر والرؤساء فبويع لولده الأفضل نور الدين علي(٨) ، وكان نائباً على ملك دمشق وذلك عندما ظهرت مخايل الضعف الشديد ، وغيبوبة الذهن في بعض الأوقات .

وكان الذين يدخلون عليه في هذه الحال القاضي الفاضل وابن شدَّاد وقاضي البلد ابن الزكي وتفاقم(٩) به الحال ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر ، واستدعى الشيخ أبا(١٠) جعفر إمام الكلاسة ليبيت عنده يقرأ القرآن ويلقِّنه الشهادة إذا جد به الأمر ، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في [غمرات الموت(١١) فقرأ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الحشر : ٢٢] فقال : وهو كذلك صحيح .

(١) أ : ما قد تفرغ .
(٢) ط : ابن .
(٣) ط : الجديد .
(٤) ب : وذلك .
(٥) ب ، ط : وفصدوا .
(٦) ط : ثم اعتراه .
(٧) أ ، ب : فقوي .
(٨) سترد ترجمته في حوادث سنة ٦٢٢ من هذا الكتاب .
(٩) ط : ثم اشتد .
(١٠) أ ، ب : أبو ، وهو خطأ .
(١١) ب ، ط : الغمرات .

فلما أذَّن الصبح جاء القاضي الفاضل فدخل عليه وهو في آخر[١] رمقه ، فلما قرأ القارئ : ﴿ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ ﴾ [التوبة : ١٢٩] تبسم وتهلل وجهه [وأسلم روحه إلى ربه سبحانه][٢] ، ومات رحمه الله ، وأكرم مثواه ، وجعل جنات[٣] الفردوس مأواه ، وكان له من العمر سبع وخمسون سنة لأنه ولد بتكريت في شهور سنة ثنتين وثلاثين وخمسمئة ، [رحمه الله][٤] .

فقد[٥] كان رِدءاً للإسلام ، وحرزاً وكهفاً من كيد الكفرة اللئام ، وذلك بتوفيق الله له ، وكأن أهل دمشق لم يصابوا بمثل مصابه ، وودَّ كل منهم لو فداه بأولاده وأحبابه وأصحابه ، وقد غلقت الأسواق واحتفظ على الحواصل ، ثم أخذوا في تجهيزه وغسله[٦] ، وحضر جميع أولاده وأهله ، ويعزُّ عليهم أن يأتوا بمثله .

وكان الذي تولى غسله خطيب البلد الفقيه الدُّولعي[٧] ، وكان الذي أحضر الكَفَنَ ومؤنة التجهيز القاضي الفاضل من صلب ماله الحلال ، هذا وأولاده الكبار والصغار يتباكَون وينادون[٨] ، وأخذ الناس في العويل والانتحاب والدعاء له والابتهال .

ثم[٩] أبرز جسمه في نعشه في تابوت بعد صلاة الظهر ، وأمّ الناس عليه القاضي ابن الزكي[١٠] ثم دفن في داره بالقلعة المنصورة ، ثم شرع ابنه في بناء تربة له ومدرسة للشافعية بالقرب من مسجد القدم لوصيته بذلك قديماً ، فلم يكمُل بناؤها ولم يتم ، وذلك حين قدم ولده العزيز[١١] وكان محاصراً لأخيه الأفضل كما سيأتي بيانه . في سنة تسعين وخمسمئة .

ثم اشترى له الأفضل داراً شمالي الكلاسة في وزان ما زاده القاضي الفاضل في الكلاسة ، فجعلها تربة ، هطلت سحائب الرحمة عليها ، ووصلت ألطاف الرأفة إليها . وكان نقله إليها في يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين .

---

(١) أ ، ب : بآخر .
(٢) أ ، ب : وسلمها إلى ربه عز وجل .
(٣) أ ، ب : جنة .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) أ ، ب : لقد .
(٦) ليس في ط .
(٧) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٨ من هذا الجزء .
(٨) أ ، ب : والصغار يبرزون وينادون ويبكون .
(٩) أبدل حرف العطف في أ ، ب إلى الواو .
(١٠) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٨ من هذا الجزء .
(١١) هو عثمان بن يوسف بن أيوب وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٥ من هذا الجزء .

وصلى عليه تحت النسر قاضي القضاة محمد بن علي القرشي(١) ابن الزكي ، على إذن الأفضل ودخل في لحده ولده الأفضل فدفنه بنفسه ، وهو يومئذ سلطان الشام ، وذلك لما عليه من الحق والخدمة والإكرام ، ويقال : إنه دفن معه سيفه الذي كان يحضر به الجهاد والجلاد ، وذلك عن أمر القاضي الفاضل أحد الأجواد والأمجاد ، وتفاؤلوا بأنه يكون يوم القيامة معه يتوكأ عليه ، حتى يدخل الجنة إن شاء الله ، لما أنعم به عليه من كسر الأعداء ، وبعز الأولياء ، وأعظم عليه بذلك المنة .

ثم عمل عزاؤه في الجامع(٢) الأموي ثلاثة أيام ، يحضره الخواص والعوام(٣) ، والرعيَّة والحكَّام .

وقد عمل الشعراء فيه مراثي كثيرة ، ومن أحسنها ما عملها العماد الكاتب في آخر كتابه « البرق الشامي » وهي مئتان وثلاثون بيتاً واثنان ، وقد سردها الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « الروضتين »(٤) ، منها قوله [في أولها](٥) : [من الكامل]

شَمِلَ الهُدى والملكُ عَمَّ شَتَاتُهُ ... والدَّهْرُ ساءَ وَأَقْلَعَتْ حَسَنَاتُهُ
أَيْنَ الذي مُذْ لم يَزَلْ مَخْشيَّةً ... مَرْجُوَّةً رَهَباتُهُ وَهِباتُهُ
أَيْنَ الذي كانَتْ لَهُ طاعاتُنا ... مَبْذُولَةً ولربِّهِ طاعاتُهُ
باللهِ أَيْنَ النَّاصِرُ المَلِكُ الذي ... للهِ خالِصَةً صَفَتْ نِيَّاتُهُ
أَيْنَ الذي ما زالَ سُلطاناً لَنا ... يُرْجَى نَداهُ وتُتَّقَى سَطَواتُهُ
أَيْنَ الذي شَرُفَ(٦) الزَّمانُ بِفَضْلِهِ ... وسَمَتْ على الفُضَلاءِ تَشْريفاتُهُ
أَيْنَ الذي عَنَتِ الفِرَنْجُ لِبَأْسِهِ ... ذُلًّا ، ومِنْهَا أُدْرِكَتْ ثاراتُهُ
أَغْلالُ أَعْناقِ العِدَا أَسْيافُهُ ... أَطْواقُ أَجْيادِ الوَرَىٰ(٧) مَنّاتُهُ

[وللعماد الكاتب في الملك الناصر يرثيه](٨) : [من الكامل](٩)

---

(١) ط : القرابيني . تصحيف .
(٢) ط : بالجامع .
(٣) ط : الخاص والعام .
(٤) في الروضتين (٢/ ٢١٥ ـ ٢١٧) من هذه القصيدة سبعة وستون بيتاً وهي أيضاً في ديوان العماد (٨٦ ـ ٩٢) .
(٥) ط : وهي مئتا بيت واثنان .
(٦) أ ، ب : تشرف . ولا يستوي بها الوزن .
(٧) أ : أجياد العدى .
(٨) ط : وله .
(٩) الأبيات في الروضتين (٢/٢١٧) وديوان العماد (٣٤٠) .

مَنْ لِلْعُلَى مَنْ لِلذُّرَى [مَنْ لِلْهُدَى][(١)] يَحْمِيهِ ؟ مَنْ لِلْبَأْسِ[(٢)] مَنْ لِلنَّائِلِ ؟
طَلَبَ البَقاءَ لملْكِهِ فِي آجلٍ إذْ لَمْ يَثِقْ بِبَقاءِ مُلْكِ العَاجِلِ[(٣)]
بَحْرٌ أَعادَ البَرَّ بَحْراً بِرُّهُ وبِسَيْفِهِ فُتِحَتْ بِلادُ السَّاحِلِ
مَنْ كانَ أَهْلُ الحقِّ في أيَّامِهِ وبِعِزِّهِ يُرْدونَ أَهْلَ الباطِلِ
وَفُتُوحُهُ والقُدْسُ مِنْ أَبْكَارِها[(٤)] أَبْقَتْ لَهُ فَضْلاً بِغَيْرِ مُساجِلِ
ما كُنْتُ أَسْتَسْقِي لقَبْرِكَ[(٥)] وابلاً وَرَأَيْتُ جُودَكَ مُخْجِلاً لِلْوَابِلِ
فَسَقَاكَ رِضوانُ الإلهِ لأنَّني لا أَرْتَضِي سُقْيا الغَمامِ الهاطِلِ

ذكر تركته وشيء من ترجمته

قال العماد وغيره : لم يترك في خزانته من الذهب سوى جرم واحد[(٦)] - أي[(٧)] دينار واحد - صوري[(٨)] وستة وثلاثين درهماً . وقال غيره : سبعة وأربعين درهماً ، ولم يترك داراً ولا عقاراً ولا مزرعة ولا سقفاً[(٩)] ، ولا شيئاً من أنواع الأملاك .

هذا وله من الأولاد سبعة عشر ذكراً وابنة واحدة ، وتوفي له في حياته غيرهم ، والذين تأخَّروا بعده ستة عشر ذكراً :

١ - أكبرهم الملك الأفضل نور الدين علي ، ولد بمصر سنة خمس وستين ليلة عيد الفطر .

٢ - [ثم العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان، ولد بمصر أيضاً في جمادى الأولى سنة سبع وستين][(١٠)] .

٣ - ثم الظافر مظفر الدين أبو العباس الخضر[(١١)] ، ولد بمصر في شعبان سنة ثمان وستين ، وهو شقيق الأفضل .

---

(١) ليس في أ .
(٢) أ : من الناس .
(٣) ط : عاجل .
(٤) أ : إنكارها .
(٥) الروضتين والديوان : بغيرك .
(٦) ليس في ب .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) في الأصلين وط : صورياً ، والخبر في أبي الفداء (٣/ ٨٨) .
(٩) ط : بستاناً ، والخبر في الروضتين (٢/ ٢١٧) .
(١٠) ما بين المعقوفين جاء في ب بعد الظافر .
(١١) ليس في أ .

٤ ـ ثم الظاهر غياث الدين أبو منصور غازي ، ولد بمصر في نصف رمضان سنة ثمان وستين .

٥ ـ ثم العزيز[١] فتح الدين أبو يعقوب إسحاق ، ولد بدمشق في ربيع الأول سنة سبعين .

٦ ـ ثم المُؤَيّد نجم الدين أبو الفتح مسعود ، ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين وهو شقيق العزيز .

٧ ـ ثم الأعز[٢] شرف الدين أبو يوسف يعقوب ، ولد بمصر سنة ثنتين وسبعين وهو شقيق العزيز .

٨ ـ ثم الزاهر مجد الدين أبو سليمان داود ، ولد[٣] بمصر سنة ثلاث وسبعين وهو شقيق الظاهر .

٩ ـ ثم أبو[٤] الفضل[٥] قطب الدين موسى ، وهو شقيق الأفضل ، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين أيضاً ، ثم نعت بالمظفر أيضاً .

١٠ ـ ثم الأشرف عزيز[٦] الدين أبو عبد الله محمد ، ولد بالشام سنة خمس وسبعين .

١١ ـ ثم المحسن ظهير الدين أبو العباس أحمد ، ولد[٧] سنة سبع وسبعين بمصر ، وهو شقيق الذي قبله .

١٢ ـ ثم المعظَّم فخر الدين أبو منصور تورانشاه ولد بمصر في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وتأخرت وفاته إلى سنة ثمان وخمسين وستمئة .

١٣ ـ ثم الجواد[٨] ركن الدين أبو سعيد أيوب ولد سنة ثمان وسبعين وهو شقيق للمعظَّم[٩] .

١٤ ـ ثم الغالب نصير الدين أبو الفتح ملك شاه[١٠] ، ولد في رجب سنة ثمان وسبعين وهو شقيق للمعظَّم[١١] .

١٥ ـ ثم المنصور أبو بكر أخو المعظَّم لأبويه ، ولد بحرَّان بعد وفاة السلطان .

---

(١) في ترويح القلوب : المعز .
(٢) ط : الأغر .
(٣) ليس في ب .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) في ترويح القلوب (٩٣) : الملك المفضل قطب الدين ويقال مظفّر الدين موسى .
(٦) ط : معز الدين .
(٧) ط : ولد بمصر .
(٨) ط : الجوال .
(٩) ط : المعز .
(١٠) في ترويح القلوب : (٩٦) : فرُّخشاه .
(١١) ب : المعز .

١٦ ـ ثم عماد[١] الدين شادي لأم ولده .

١٧ ـ ونصرة[٢] الدين مروان[٣] لأم ولد أيضاً .

وأما البنت فهي مؤنسة خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب رحمهم الله تعالىٰ[٤] .

وإنما لم يخلّف أموالاً ولا أملاكاً لكثرة عطاياه وهباته وصدقاته وإحسانه إلى أمرائه ووزرائه وأوليائه ، حتى إلى أعدائه ، وقد أسلفنا ما يدل على كثير من ذلك رحمه الله[٥] ، وقد كان متقلِّلاً في ملبسه ، ومأكله ، ومشربه[٦] ، ومركبه ، فلا يلبس إلا الكتان والقطن[٧] ، والصوف ولا يعرف أنه تخطى مكروهاً بعد أن أنعم الله عليه بالملك ، بل كان همه الأكبر ومقصده الأعظم نصرة الإسلام ، وكسر الأعداء اللئام[٨] ، وكان يُعمل فكره[٩] في ذلك ورأيه وحده ، ومع من يثق برأيه ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، هذا مع ما لديه من الفضائل والفواضل ، والفوائد ، والفرائد ، في اللغة والأدب وأيام الناس ، حتى قيل : إنه كان يحفظ الحماسة بتمامها وختامها ، وكان مواظباً على الصلوات في أوقاتها في جماعة[١٠] ، ويقال : إنه لم تفته الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل ، حتى في مرض[١١] موته كان يدخل الإمام فيصلّي به ، ويتجشَّم[١٢] القيام مع ضعفه رحمه الله ، وكان يفهم ما يقال بين يديه من البحث والمناظرة . ويشارك في ذلك مشاركة قريبة حسنة ، وإن لم يكن بالعبارة المصطلح عليها ، وكان قد جمع له القطب النيسابوري[١٣] عقيدة ، فكان يَحْفَظَها ويُحْفِظها مَنْ عَقَلَ من أولاده ، وكان يحب سماع القرآن العظيم[١٤] ، ويواظب على

---

(١) أ ، ب : وعماد الدين .
(٢) ط : ونصير ، والخبر في ترويح القلوب (١٠٠) .
(٣) في ترويح القلوب (١٠٠) : نصرة الدين إبراهيم .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ط : لجوده وكرمه وإحسانه إلى أمرائه وغيرهم حتى إلى أعدائه وقد تقدم من ذلك ما يكفي .
(٦) ليس في ط .
(٧) ط : وكان لا يلبس إلا القطن والكتان والصوف ولا يعرف أنه تخطى إلى مكروه ولا سيما بعد أن أنعم .
(٨) ط : نصرة الإسلام وكسر أعدائه اللئام .
(٩) ط : وكان يعمل رأيه .
(١٠) ط : الجماعة .
(١١) ط : حتى ولا في مرض .
(١٢) ط : فكان يتجشم .
(١٣) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٧٨ من هذا الجزء .
(١٤) مكان اللفظة في ط : والحديث والعلم .

سماع الحديث ، حتى إنه سمع في بعض مصافّه جزءاً وهو بين الصفين ويتبجّح[١] بذلك ، ويقول : هذا موقف لم يسمع فيه أحد من قبله حديثاً[٢] ، وكان ذلك بإشارة العماد الكاتب . وكان رقيق القلب ، سريع الدمعة عند سماع الحديث ، وكثير[٣] التعظيم لشرائع الدين ، وكان قد لجأ إلى[٤] ولده الظاهر وهو بحلب شاب يقال له : الشهاب السهروردي[٥] ، وكان يعرف الكيمياء وشيئاً من الشعبذة والأبواب النيرنجيات ، فافتتن به ولده السلطان الظاهر وقرّبه وأحبه[٦] ، وخالف فيه حملة الشرع ، فكتب إليه أن يقتله لا محالة ، فصلبه ولده عن أمر والده وشهّره ، ويقال : إنه[٧] حبسه بين حيطين حتى مات كمداً ، وذلك في سنة ست وثمانين وخمسمئة ، وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله من أشجع الناس وأقواهم بدناً وقلباً مع ما كان يعتري جسمه من الأمراض والأسقام ، ولا سيما[٨] وهو مرابط مصابر مثابر عند عكا فإنهم كانوا كلما كثرت جموعهم وتراكمت أمدادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشهامة ، وقد بلغت جموعهم خمسمئة ألف مقاتل ، ويقال : ستمئة ألف ، وكان جملة من قتل[٩] منهم مئة ألف مقاتل .

ولما انفصل الحرب[١٠] وتسلموا عكا ، وقتلوا أكثر من كان بها [من المسلمين][١١] ، ساروا برُمَّتهم إلى بيت المقدس[١٢] فجعل يسايرهم منزلة منزلة ، [ومرحلة مرحلة][١٣] ، وجيوشهم أضعاف أضعاف من معه ، ومع هذا نصره الله وخذلهم ، [وأيده وقتلهم][١٤] وسبقهم إلى بيت المقدس[١٥] فصانه وحماه منهم ، وشيد بنيانه ، وأطّد أركانه ، وصان حماه ، ولم يزل بجيشه مقيماً به يرهبهم ويرعبهم ويغلبهم ويسلبهم . ويكسرهم ويأسرهم حتى تضرعوا إليه وخضعوا لديه ، ودخلوا عليه ، [أن يصالحهم

---

(١) ط : يسمع في بعض مصافه جزء وهو بين الصفين فكان يتبجح . والبجح : الفرح ، وبجحته تبجيحاً فتبجّح . القاموس (بجح) .
(٢) ط : لم يسمع أحد من قتله حديثاً .
(٣) ط : وكان كثير .
(٤) ط : كان قد صحب ولده .
(٥) هو يحيى بن حبش ، له ترجمة واسعة في وفيات الأعيان (٦/٢٦٨) .
(٦) ليس في ب .
(٧) ط : بل .
(٨) مكانهما في ط : ولا سيما في حصار عكا فإنه كان مع كثرة جموعهم وأمدادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشجاعة .
(٩) ط : ستمئة ألف فقتل .
(١٠) أ ، ب : الحال .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) ط : وساروا برمتهم إلى القدس .
(١٣) ليس في ط .
(١٤) ليس في ط .
(١٥) ط : القدس .

ويباركهم][1] وأن تضع الحرب أوزارها بينهم وبينه ، فأجابهم إلى ما سألوا على الوجه الذي أراده ، لا على ما يريدونه ، وكان ذلك من جملة الرحمة التي خص بها المؤمنون[2] ، فإنه ما انقضت تلك السنون حتى ملك البلاد أخوه أبو بكر العادل ، فعزّ به المسلمون وذُلَّ به الكافرون ، وكان ، رحمه الله ، سخياً [كريماً حَيّياً][3] ضحوك الوجه كثير البشر ، لا يتضجر من خير يفعله ، شديد المصابرة والمثابرة على الخيرات والطاعات ، فرحمه الله ، وأسكنه الجنات . وقد ذكر الشيخ شهاب[4] الدين أبو شامة طرفاً صالحاً من سيرته وأيامه ، وعدله في سريرته وعلانيته وأحكامه .

فصـــل

وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين قد قسم البلاد بين أولاده :

فالديار المصرية لولده العزيز عماد الدين عثمان أبي الفتح .

وبلاد دمشق وما حولها لولده الأفضل نور الدين علي ، وهو أكبر أولاده كلِّهم .

والمملكة الحلبية لولده الظاهر غازي غياث الدين .

ولأخيه العادل الكرك والشوبك وبلاد جعبر وبلدان كثيرة قاطع الفرات .

وحماة ومعاملة أخرى معها للملك المنصور محمد بن[5] تقي الدين عمر ابن أخي السلطان .

وحمص والرحبة وغيرها لأسد الدين شيركوه[6] بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، نجم الدين أخي أبيه نجم الدين أيوب رحمهم الله .

واليمن بمعاقله ومخاليفه جميعه في قبضة السلطان ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ، أخي السلطان صلاح الدين .

وبعلبك وأعمالها للأمجد بهرام شاه بن فرُّوخ شاه .

وبصرى وأعمالها للظافر بن الناصر .

(١) مكانهما في ط : الصلح .
(٢) ط : التي رحم الله بها المؤمنين .
(٣) ط : جبيا ، تصحيف .
(٤) الروضتين (٢/٢١٨ ـ ٢٢٤) .
(٥) ليس في ب .
(٦) توفي سنة ٦٣٧ ، فملك حمص ستاً وخمسين سنة تاريخ الإسلام (١٤/٢٣٩) .

ثم شرعت الأمور [بعد موت صلاح الدين][١] تضطرب وتختلف وتتفاقم[٢] في جميع هذه الأحوال[٣] ، حتى آل الأمر إلى ما إليه آل ، واستقرت الممالك ، واجتمعت المحافل[٤] على أخي السلطان العادل[٥] ، وصارت المملكة في أولاده [الأماجد الأفاضل كما سنوضحه][٦] إن شاء الله تعالىٰ .

[وفي هذه السنة][٧] جدد الخليفة الناصر لدين الله[٨] خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد ، ونقل إليها ألوفاً من الكتب الحسنة المثمنة .

وجرت ببغداد في المحرم من هذه السنة[٩] كائنة غريبة وهي أن ابنةً لرجلٍ من التجار في الطحين عشقت[١٠] غلامَ أبيها ، فلما علم أبوها بأمرهما طرد الغلامَ من داره ، فواعدتْهُ البنتُ ذاتَ ليلة[١١] فجاء إليها مختفياً ، فتركته في بعض الدار[١٢] ونزل في أثناء الليل [فقتل أباها مولاه][١٣] ، وأمرته الجارية بقتل أمها فقتلها وهي حبلى ، وأعطته الجارية حلياً بقيمة ألفي دينار ، فأصبح أمره عند الشرطة فمُسك وقُتل ، قبّحه الله وإياها . وقد كان سيده من خيار الناس وأكثرهم صدقة وبِرًّا وكان[١٤] شابًّا وضيء الوجه ، رحمه الله .

وفيها : درّس بالمدرسة الجديدة عند قبر معروف الكرخي الشيخ أبو عبد الله بن أبي علي النُّوقاني[١٥] وحضر عنده القضاة والأعيان ، وعمل بها دعوة حافلة .

---

(١) ليس في ب .
(٢) ليس في ط .
(٣) ط : الممالك .
(٤) ط : الكلمة .
(٥) ط : على الملك العادل أبي بكر صلاح الدين .
(٦) مكانهما في ط : كما سيأتي قريباً .
(٧) ط : وفيها .
(٨) تقدمت مبايعته بالخلافة في حوادث سنة ٥٧٥ من هذا الجزء ، وسترد وفاته في حوادث سنة ٦٢٢ من هذا الكتاب .
(٩) ط : وفي المحرم منها جرت كائنة .
(١٠) أ ، ب : تعشقت الغلام .
(١١) ط : ليلة أن يأتيها فجاء .
(١٢) ط : بأمرها ، ب : طرده .
(١٣) مكانهما في ط : فلما جاء أبوها في أثناء الليل أمرته فنزل فقتله .
(١٤) عن ط وحدها .
(١٥) في أ : « أبو علي البرقاني » وفي ط : التوبابي ، وكله تحريف ، فهذا رجل مشهور وفقيه مذكور ، ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٩٢) من هذا الكتاب لكن تحرفت ترجمته في المطبوع والنسخ تحريفاً قبيحاً ، كما سترى في التعليق عليه ، وهو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي علي بن أبي نصر النوقاني ، ونوقان التي نسب إليها هي إحدى مدينتي طوس ، قيدها الزكي المنذري بالحروف (التكملة ١/ ٢٤١) والمدرسة الجديدة التي يشير إليها المؤلف هي=

وممن توفي فيها من الأعيان :

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب[١] ابن شاذي : [وقد تقدم ذلك مبسوطاً][٢] .

والأمير بكتمر[٣] صاحب خلاط : قتل في هذه السنة ، وكان من خيار الملوك وأشجعهم وأكرمهم وأحسنهم سيرة رحمه الله .

الأتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي[٤] : صاحب الموصل نحواً من ثلاث عشرة سنة ، وكان من خيار الملوك ، وأحسنهم سيرة ، كان يُشبَّه[٥] بالملك العادل نور الدين الشهيد عمه رحمه الله ، ودفن بتربته عند مدرسة أنشأها بالموصل أثابه الله تعالىٰ .

جعفر بن محمد بن فطيرا ، أبو الحسن : أحد الكتَّاب بالعراق ، وكأنه[٦] كان ينسب إلى التشيع ، وهذا كثير في أهل تلك البلاد [لا كثَّر الله في المسلمين أمثالهم ولا أشكالهم][٧] ، جاءه[٨] رجل ذات يوم ، فقال له : رأيت البارحة أمير المؤمنين عليًّا[٩] [في المنام][١٠] [وهو يقول لي][١١] : اذهب إلى ابن فطيرا فقل له يعطيك عشرة دنانير ، فقال ابن فطيرا : متى رأيته ؟ فقال : أول الليل ، فقال ابن فطيرا : فأنا رأيته آخره[١٢] فقال لي : إذا جاءك رجل من صفته كذا وكذا فطلب منك شيئاً ، فلا تعطه ، فأدبر الرجل

= المدرسة التي أنشأتها الجهة زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله مجاورة لتربتها (والتربة باقية إلى يومنا هذا تعرف عند العوام بالست زبيدة) ، وقد ابتدأ التدريس بها يوم الخميس التاسع والعشرين من شوال من هذه السنة ، أرخ ذلك جمال الدين ابن الدبيثي (الورقة ١٨٠) من مجلد باريس ٥٩٢١) ، وانظر بعد تعليقنا على ترجمته (بشار) .

(١) تقدم ذكر مصادره عند ذكر وفاته .

(٢) مكانهما في ط : وقد تقدمت وفاته مبسوطة .

(٣) ترجمته في أبي الفداء (٣/ ٨٨ ـ ٨٩) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٦٨) والعبر (٤/ ٢٦٨) والشذرات (٤/ ٢٩٧) .

(٤) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٢٨) ووفيات الأعيان (٥/ ٢٠٣ ـ ٢٠٩) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٢/ ٣٦١) وأبو الفداء (٣/ ٨٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٨٨٧ ـ ٨٨٩) والعبر (٤/ ٢٦٩) ومرآة الجنان (٣/ ٤٣٨) .

(٥) ط : بنسبه .

(٦) ليس في ط .

(٧) مكانهما في ط : لا أكثر الله منهم .

(٨) أ ، ب : جاء .

(٩) أ ، ب : علي ، وهو خطأ .

(١٠) عن ط وحدها .

(١١) ط : فقال لي .

(١٢) ط : وأنا رأيته آخر الليل .

مولِّياً ، فاستدعاه ووهبه شيئاً ، ومن شعره فيما أورده ابن الساعي وقد تقدمت[١] لغيره : [من الطويل]

وَلَمَّا سَبَرْتُ النَّاسَ أَطْلُبُ منهمُ أخَا ثِقَةٍ عِندَ اعْتِراضِ الشَّدائدِ
وفكَّرْتُ في يَوْمَيْ سُروري وشِدَّتي ونَادَيْتُ في الأحياءِ هَلْ مِنْ مُساعدِ
فَلَمْ أَرَ فيما ساءَني غَيْرَ شَامِتٍ وَلَمْ أَرَ فِيما سَرَّني غَيْرَ حاسِدِ

يحيى بن سعيد ، أبو العباس البصري[٢] النصراني[٣] صاحب المقامات[٤] .

كان شاعراً أديباً فاضلاً بليغاً ، له اليد الطولى في اللغة والنظم ، ومن شعره قوله : [من مخلّع البسيط]

غِناؤُها[٥] يَنْسابُ لُطْفاً بلا عَنا في كلِّ أُذْنِ
ما رَدَّهُ قَطُّ بابُ سَمْعٍ وَلاَ أَتَى زائِراً بإِذْنِ

السيدة زبيدة[٦] بنت الإمام المقتفي لأمر[٧] الله : أخت المستنجد وعمة المستضيء ، كانت قد عُمِّرت دهراً طويلاً ، ولها صدقات كثيرة دارَّة ، وقد تزوجها في وقتِ السلطانُ مسعودٌ على صَداق مئة ألف دينار ، فتوفي قبل أن يدخل بها ، وقد كانت كارهة لذلك ، فحصل مقصودها وطلبتها .

الشيخة الصالحة فاطمة خاتون بنت محمد بن الحسين[٨] العميد : كانت صالحة عابدة زاهدة ، عُمِّرت مئة سنة وست سنين ، وكان قد تزوجها في وقت أمير الجيوش نظر[٩] وهي بِكْرٌ ، فبقيت عنده إلى أن توفي ، ولم تتزوج بعده ، بل اشتغلت بذكر الله عز وجل والعبادة ، رحمها الله .

---

(١) ط : وقد تقدم ذلك .
(٢) ترجمته في تاريخ ابن العبري (٤١٥ ـ ٤١٦) واسمه فيه : يحيى بن سعيد بن ماري الطبيب النصراني ، وفي معجم الأدباء (٢٠/ ٤٠ ـ ٤١) واسمه فيه : يحيى بن يحيى بن سعيد المعروف بابن ماري المسيحي ، والشذرات (٤/ ١٨٥) وفي ط جاء الاسم على النحو التالي : يحيى بن سعيد بن غازي ـ لعله تصحيف عن ماري ـ أبو العباس البصري النجراني .
(٣) ب : النصري ، وهو تصحيف لأنه كان من أهل البصرة ولذا قيل له البصري .
(٤) قال ياقوت : وصنف المقامات الستين أحسن فيها وأجاد .
(٥) في الأصلين وط : غناء خود وما هنا يتطلبه الوزن .
(٦) ترجمتها في تاريخ الإسلام (١٢/ ٨٧٠) .
(٧) أ ، ب : بأمر الله ، وهو تصحيف .
(٨) في أ ، ط : الحسن العميد . والعميد الذي اشتهر ابنه ابن العميد اسمه الحسين لا الحسن كما في : المحمدون من الشعراء بتحقيقي (٣٤٢) فلعلّ هذه حفيدته أو حفيدة حفيدته أو أن هذا العميد غير ذاك .
(٩) أ : بطر ، ط : مطر ، وكلاهما تصحيف وقد تقدمت ترجمته .

[وفي هذه السنة][١] أنفذ الخليفة الناصر [لدين الله][٢] العباسي إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي يطلب منه أن يزيد على أبيات عدي بن زيد المشهورة ما يناسبها من الأشعار[٣] ولو بلغ ذلك عشر[٤] مجلدات ، وهي هذه الأبيات[٥] : [من الخفيف]

أَيُّهـا الشَّـامِـتُ المُعَيِّـرُ بـالـدَّهْـ ـــرِ أَأَنْـتَ المُبَـرَّأُ المَـوْفُـورُ
أَمْ لَـدَيْـكَ العَهْـدُ الـوَثِيـقُ مِـنَ الأَيْـ ـيَـام بَـلْ[٦] أَنْـتَ جَـاهِـلٌ مَغْـرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ المَنونَ خَلَّدَنْ[٧] أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْـهِ مِـنْ أَنْ يُضَـامَ خَفيـرُ
أَيْنَ كِسْرى كِسرَى المُلُوك أبو سا سـان[٨] أم أيـن قبلـه سـابـورُ
وبنـو الأصفـر ملـوك الـرّ وم لَـمْ يَبْـقَ مِنْهُـمُ مَـذْكـورُ
وَأَخُـو الحَضْـرِ إِذْ بَنـاهُ وَإِذْ دِجْلَـةُ تُجْبَـى إِلَيْـهِ والخـابـورُ
شَـادَهُ مَـرْمَـراً وجَلَّلَـهُ كِلْـ ـسـاً فَللطيْـرِ فـي ذُراهُ وُكـورُ
لَـمْ تَهَبْـهُ أَيْـدِي المَنونِ فزال[٩] الـ ـمُلْـكُ عَنْـهُ فَبـابُـهُ مَهْجـورُ
وَتَـذكـر[١٠] رَبَّ الخَـوْرَنَـقِ إِذْ أَشْـ ـرَفَ يـومـاً وللهـدى تفكيـرُ[١١]
سَـرَّهُ حـالُـهُ[١٢] وَكَثْـرَةُ مَـا يَمْـ ـلِـكُ والبَحْـرُ مُعْـرِضـاً والسَّـديـرُ
فَـأَرْعَـوَى قَلْبُـهُ وَقـالَ[١٣] ومـا غِبْـ ـطَـةُ حَـيٍّ إِلـى الممـاتِ يَصِيـرُ
ثُـمَّ بَعْـدَ النَّعِيـمِ[١٤] والمُلْـكِ والإمَّـ ـةِ[١٥] وارَتْهُـمُ هنـاكَ قُبـورُ

(١) ط : وفيها .
(٢) ليس في ط .
(٣) ط : الشعر .
(٤) ط : عشرة .
(٥) الأبيات في الشعر والشعراء (٦٣ ـ ٦٤) والأغاني (٢/ ١٣٨ ـ ١٣٩) .
(٦) الشعر والشعراء : أم أنت .
(٧) ط : خلدت ، ولا يستقيم بها الوزن .
(٨) الشعر والشعراء والأغاني : أنوشروان ، اللسان (كلس) .
(٩) في الأغاني ، والشعر والشعراء : لم يهبه ريب المنون فباد . وجاء البيت في الشعر والشعراء قبل آخر بيت .
(١٠) في الشعر والشعراء : وتبَيَّنْ .
(١١) أ ، ط : وللهندي تكفير ، ولا يستقيم بها الوزن ولا المعنى .
(١٢) في الأغاني : سره ماله .
(١٣) في الشعر والشعراء والأغاني : فقال .
(١٤) ب ، والأغاني والشعر والشعراء : بعد الفلاح .
(١٥) أ ، ط : والملك والنهي والأمر ، ولا يستقيم بهما الوزن . والإمّة : النعمة .

ثم أُضْحَوْا[١] كَأَنَّهُم وَرَقٌ جَفّ[٢] فَـأَلْـوَتْ بهـا[٣] الصَّبـا والـدَّبـورُ
غَيْـرَ أَنَّ الأَيَّـامَ تَلْعَبْـنَ[٤] بـالمَـرْ ءِ وفيها لَعَمْري العِظاتُ والتَّفْكِيرُ[٥]

ثم دخلت سنة تسعين وخمسمئة

لما استقر الملك الأفضل بن صلاح الدين مكان أبيه بدمشق[٦] ، بعث بهدايا سنية ، فيها [تحف شريفة][٧] ، إلى باب الخليفة الناصر ، من ذلك سلاح أبيه وحصانه الذي كان يحضر عليه الغزوات[٨] وأشياء كثيرة ، منها صليب الصلبوت الذي استلبه أبوه من الفرنج يوم حِطِّين[٩] وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلاً ، وهو مرصَّع[١٠] بالجواهر النفيسة[١١] ، وأربع جواري من بنات ملوك الفرنج ، وأنشأ له العماد الكاتب كتاباً حافلاً يذكر فيه التعزية بأبيه ، والسؤال من الخليفة أن يكون في الملك من بعده[١٢] فأجيب إلى ذلك .

ولما كان شهر جمادى الأولى[١٣] قدم العزيز[١٤] صاحب مصر[١٥] إلى دمشق ليأخذها من أخيه الأفضل ، فخيَّم على الكسوة يوم السبت سادس جمادى ، وحاصر البلد ، فمانعه أخوه ودافعه عنها ، فقطعت[١٦] الأنهار ، ونهبت الثمار ، واشتد الحال ، ولم يزل الأمر كذلك حتى قدم العادل عمهما فأصلح

---

(١) في الأغاني : ثم صاروا .
(٢) أ : خفّ ، ط : أورقةٌ جفت .
(٣) أ والأغاني : به ، وفي الشعر والشعراء : فيه .
(٤) ط : تختص .
(٥) أ : والتكفير وليس البيت في ب ولا الأغاني ولا الشعر والشعراء .
(٦) ب : في ملك دمشق .
(٧) عن ب وحدها .
(٨) ب : الغزاة .
(٩) ب : أبوه يوم حطين من الفرنج .
(١٠) ط : مرصعاً .
(١١) ب : الثمينة .
(١٢) ب : ملكه .
(١٣) عن ط وحدها .
(١٤) ليس في ب .
(١٥) ليس في ب .
(١٦) أ ، ط : فقطع .

بينهما[١] وردَّ الأمر للألفة بعد البين[٢] على أن يكون للعزيز القدس[٣] وما جاور فلسطين من ناحيته أيضاً ، وعلى أن يكون جبلة واللاذقية للظاهر صاحب حلب ، وأن يكون لعمهما العادل أقطاعه الأول ببلاد مصر مضافاً إلى ما بيده من الشام[٤] والجزيرة كحرّان والرُّها وجَعْبَر وما جاور ذلك[٥] ، فاتفقوا على ذلك ، وتزوج العزيز بابنة عمه العادل ، ومرض ثم عوفي ، وهو مخيِّم بمرج الصُّفر ، وخرجت الملوك لتهنئته بالعافية والتزويج والصلح ، ثم كر راجعاً إلى مصر[٦] لطول شوقه إلى أهله وأولاده ، وكان الأفضل بعد موت أبيه قد أساء التدبير ، فأبعد أمراء أبيه وخواصه ، وقرَّب الأجانب ، وأقبل على شرب المسكر واللهو واللعب ، واستحوذ عليه وزيره ضياء الدين ابن الأثير الجزري[٧] ، وهو الذي كان يحدوه على[٨] ذلك ، فتلف وأتلفه ، وضل وأضله ، وزالت النِّعمة عنهما كما سيأتي بيانه .

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين شهاب الدين[٩] ملك غزنة وبين كفّار الهند ، أقبلوا إليه في ألف ألف مقاتل ، ومعهم سبعمئة فيل ، منها فيل أبيض لم ير مثله ، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يُرَ مثله ، فهزمهم شهاب الدين عند نهر عظيم يقال له : الملاَّحون ، وقتل ملكهم واستحوذ على حواصله ، وحواصل بلاده وغنم فيلتهم ودخل بلد الملك الكبرى ، فحمل من خزانته ذهباً وغيره على ألف وأربعمئة جمل ، ثم عاد إلى بلده[١٠] سالماً منصوراً .

وفيها : ملك السلطان خوارزم شاه تكش ـ ويقال له : ابن الأصباغي[١١] ـ بلاد الرّيّ وغيرها ، واصطلح مع[١٢] السلطان طغرلبك[١٣] السلجوقي وكان [قد تسلم بلاد الري وسائر][١٤] مملكة أخيه

---

(١) ب : بين الأخوين .
(٢) أ ، ط : اليمين .
(٣) ب : بيت المقدس .
(٤) ب : من بلاد الكرك والشوبك وبلاد الجزيرة .
(٥) ب : ذلك النواحي .
(٦) ب : إلى بلاده بعد ما طال شوقه .
(٧) هو نصر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، ضياء الدين الوزير صاحب المثل السائر . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٣٧ من هذا السفر .
(٨) ط : إلى .
(٩) ابن الأثير (٩/ ٢٢٩ ـ ٢٣١) .
(١٠) ط : إلى بلاده ، وليست العبارة في ب وأضاف ناسخها إلى آخر العبارة لفظتي (إلى غزنة) .
(١١) أ : الاصناعي ، ط : الاصباعي . وسترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٦ من هذا الجزء .
(١٢) بعدها في أ : السلطان خوارزم شاه تكش .
(١٣) له ترجمة في تاريخ دولة آل سلجوق (٢٧٦) وابن الأثير (٩/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) وذيل الروضتين (٦) وأبو الفداء (٣/ ٨٩) والعبر (٤/ ٢٧٢) .
(١٤) ليس في ب .

سلطان شاه وخزائنه ، وعظم شأنه ، ثم التقى هو والسلطان طغرلبك في ربيع الأول من هذه السنة . فقتل السلطان طغرلبك ، وأرسل رأسه إلى الخليفة ، فنُصب[١] على باب النوبة عدة أيام ، وأرسل الخليفة الخلع والتقليد إلى السلطان خوارزم شاه ، وملك همذان[٢] وغيرها من البلاد المتَّسعة .

وفيها : نقم الخليفة على الشيخ أبي الفرج بن[٣] الجوزي وغضب[٤] عليه ، ونفاه إلى واسط فمكث فيها[٥] خمسة أيام لم يأكل طعاماً[٦] ، وأقام بها خمسة أعوام يخدم نفسه ويستقي[٧] لنفسه الماء ، وكان شيخاً كبيراً قد بلغ ثمانين[٨] سنة ، وكان يتلو في كل يوم وليلة ختمة . قال : ولم أقرأ[٩] فيها سورة يوسف لوجدي على ولدي يوسف ، إلى أن فرَّج الله عنه كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى[١٠] .

وفيها توفي من الأعيان[١١] :

أحمد بن إسماعيل بن يوسف أبو الخير القزويني الشافعي المفسّر[١٢] :

قدم بغداد ووعظ بالنظامية ، وكان يذهب إلى قول الأشعري في الأصول ، وجلس في يوم عاشوراء ، فقيل له : العن يزيد بن معاوية ، فقال : ذاك إمام مجتهد ، فرماه الناس بالآجر فاختفى ثم هرب إلى قزوين .

الشاطبي[١٣] ناظم الشاطبية[١٤] أبو القاسم بن فِيرّة[١٥] بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرُّعَيْني الشاطبي

---

(١) ب : فنصب رأسه ، ط : فعلّق .
(٢) ط : همدان ، بالدال المهملة وهو تصحيف .
(٣) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٧ من هذا الجزء .
(٤) ب : وتغضب .
(٥) ط : بها ، وليست اللفظة في ب .
(٦) ب : يستطعم بطعام .
(٧) بعدها في ب : من بئر عميقة .
(٨) عاماً .
(٩) عن ب وحدها .
(١٠) ليس في ط .
(١١) ب : وممن توفي فيها من الأعيان .
(١٢) ترجمته في التكملة للمنذري (١/ ٢٠٠ ـ ٣٠٢) وذيل الروضتين (٩) ووفيات الأعيان (٥/ ٣١٧ ـ ٣١٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٩٠٣ ـ ٩٠٤) والعبر (٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) ومرآة الجنان (٣/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) .
(١٣) ترجمته في معجم الأدباء (١٦/ ٢٩٣) والتكملة للمنذري (١/ ٢٠٧) وذيل الروضتين (٧) ووفيات الأعيان (٤/ ٧١ ـ ٧٣) والعبر (٤/ ٢٧٤) ونكت الهميان (٢٢٨) ومرآة الجنان (٣/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨) وقال الذهبي بعد أن سماه القاسم : « من جعل كنيته أبا القاسم لم يجعل له اسماً سواها ، وكذلك فعل أبو القاسم السخاوي ، والأصح أن اسمه القاسم وكنيته أبو محمد ، كذا سماه جماعة كثيرة » تاريخ الإسلام (١٢/ ٩١٣) (بشار) .
(١٤) ط : ابن الشاطبي .
(١٥) ط : قسيرة ، وهو تصحيف ، وقد ضبط الاسم في العبر : فِيرُّه ، ومعناه الحديد .

الضرير : مصنف الشاطبية[١] في القراءات السبع ، ولم[٢] يُسبق إليها ولا يُلحق فيها ، وفيها من الرموز كنوز لا يهتدي إليها إلا كلُّ ناقد بصير ، هذا مع أنه ضرير ، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة ، وبلده شاطبية ـ قرية[٣] شرقي الأندلس ـ كان فقيراً ، وقد أُريد على أن يلي خطابة بلده فامتنع [من ذلك لأجل مبالغة الخطباء على المنابر][٤] في وصف الملوك ، خرج الشاطبي إلى الحج فقدم إسكندرية[٥] سنة ثنتين وسبعين وخمسمئة ، وسمع على السِّلفي الحافظ ، وولّاه القاضي الفاضل مشيخة الإقراء بمدرسته ، وزار القدس الشريف وصام به شهر رمضان ، ثم رجع إلى القاهرة ، فكانت وفاته بها في جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بالقرافة بالقرب من التربة الفاضلية ، وكان ديّناً خاشعاً ناسكاً كثير الوقار ، لا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان يتمثل كثيراً بهذه الأبيات ، وهي لغز في النعش ، وهي لغيره : [من الطويل]

أَتَعْـرِفُ شَيْئـاً فِـي السَّمـاءِ يَطيـرُ ... إذا سَارَ هاجٍ[٦] الناسُ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَـاهُ مَـرْكُـوبـاً وتَلْقَـاهُ راكبـاً ... وَكُـــلُّ أميــرٍ يَعْتَلِيـــهِ أَسيــرُ
يَحُثُّ عَلَى التَّقْوَى ويُكْرَهُ قُرْبُهُ ... وَتَنْفِـرُ مِنْـهُ النَّفْـسُ وَهْـوَ نَـذيـرُ
وَلَمْ يُسْتَزَرْ عَنْ رَغْبَةٍ في زيارةٍ ... وَلٰكِـنْ عَلَـى رَغْـمِ المَـزُورِ يَـزُورُ

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمئة

[فيها كانت][٧] وقعة الزلَّاقَة ببلاد الأندلس شمالي قرطبة ، بمرج الحديد ، كانت وقعة عظيمة ، نصر الله فيها الإسلام ، وخذل فيها عبدة الصلبان . وذلك أن ألْفُنْش[٨] ملك الفرنج ببلاد الأندلس ، ومقرُّ[٩] ملكه بمدينة طليطلة ، كتب إلى الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن[١٠] ملك الغرب يستنخيه

---

(١) اسمها : حرز الأماني ، وله قصيدة أخرى دالية ضمنها كتاب التمهيد لابن عبد البر ، وأيضاً وفيات الأعيان .
(٢) ط : فلم .
(٣) ب : بلدة .
(٤) مكانهما في ب : لما يبالغ .
(٥) ط : الإسكندرية .
(٦) ب : صاح .
(٧) ليس في ب . وفي نسخة : وقعة مرج الحديد .
(٨) في الأصول : القيش وهو : الفيش في الشذرات (٤/ ٣٠٦) وما هنا عن العبر (٤/ ٢٧٥) وتاريخ ابن العبري (٣٩٠) وابن الأثير (٩/ ٣٣٢) وهو الأقرب إلى الصواب ، وأصحّ منه ما ورد في ذيل الروضتين (٧) : ألفنس ؛ لأن اسمه باللغات الأوربية (Alphonse) .
(٩) ب : ومقره .
(١٠) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٥ من هذا الجزء .

ويستدعيه[١] ، ويستحثُّه إليه ، ليكون من بعض من يخضع له في مثالبه وفي قتاله[٢] ، في كلام طويل فيه تأنيب وتهديد ، ووعيد شديد ، فكتب السلطان يعقوب [أمير المسلمين][٣] في رأس[٤] كتابه فوق خطه : ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [النمل : ٣٧] .

ثم نهض من فوره في جنوده وعساكره ، حتى قطع الزقاق[٥] إلى الأندلس ، فالتقوا في المحل المذكور[٦] ، فكانت الدائرة أولاً على المسلمين ، فقتل منهم عشرون ألفاً ، ثم كانت آخراً[٧] على الكافرين ، فهزمهم الله وكسرهم وخذلهم أقبح كسرة وشر هزيمة وأشنعها ، فقتل منهم مئة ألف وثلاثة وأربعون ألفاً ، وأسر منهم ثلاثة عشر ألفاً .

وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً ، من ذلك مئة ألف خيمة وثلاثة وأربعون ألف[٨] خيمة ، ومن الخيل ستة وأربعون ألف فرس ، ومن البغال مئة ألف بغل ، ومن الحمر مثلها ، ومن السلاح التام سبعون ألفاً ، ومن العدد شيء كثير ، وملك عليهم من حصونهم شيئاً[٩] كثيراً ، وحاصر مدينتهم طليطلة مدة ، ثم لم يفتحها فانفصل عنها راجعاً إلى بلاده .

ولما حصل[١٠] للفنش ما حصل حلق رأسه ولحيته[١١] ، ونكس صليبه ، وركب حماراً ، وحلف لا يركب فرساً ، ولا يتلذَّذ بطعام[١٢] ولا ينام مع امرأة حتى تنصره النصرانية ، ثم طاف على ملوك الفرنج فجمع[١٣] من الجنود ما لا يعلمه إلا الله عز وجل .

فاستعدّ له السلطان يعقوب فالتقيا فاقتتلا[١٤] قتالاً عظيماً لم يسمع بمثله ، فانهزم الفرنج أقبح من

---

(١) ب : يستهجنه ويستحثه ويستدعيه .
(٢) ب : لقتاله .
(٣) مكانهما في ط : بن يوسف .
(٤) ب : على رأس الكتاب .
(٥) الزقاق : مجاز البحر بين طنجة والأندلس (معجم البلدان) ويعرف الآن بمضيق جبل طارق .
(٦) ب : المقدم ذكره .
(٧) ط : أخيراً .
(٨) ليس في ط . وفي ب : ألفاً .
(٩) أ : شيء كثير .
(١٠) ب : ولما هزم الفيش حلق .
(١١) ط : حلق لحيته ورأسه .
(١٢) ب : ويتلذذ بمطعم حتى ينصره .
(١٣) ب : وجمع .
(١٤) ب : والتقيا واقتتلا .

هزيمتهم الأولى ، وغنموا منهم نظير ما تقدم أو أكثر[١] ، واستحوذ السلطان على كثير من معاقلهم[٢] وقلاعهم ، ولله الحمد والمنة . حتى قيل : إنه بيع[٣] الأسير بدرهم ، والحصان بخمسة دراهم ، والخيمة بدرهم ، والسيف بدون ذلك ، ثم قسم السلطان[٤] هذه الغنائم على الوجه الشرعي ، فاستغنى المجاهدون إلى الأبد .

ثم طلبت الفرنج [من السلطان][٥] الأمان فهادنهم على وضع الحرب خمس سنين ، وإنما حمله على ذلك أن رجلاً يقال له : علي بن إسحاق الميورقي[٦] [الذي يقال له][٧] الملثَّم[٨] ، ظهر ببلاد إفريقية ، فأحدث أموراً فظيعة في غيبة السلطان واشتغاله بقتال الفرنج مدة ثلاث سنين ، فأحدث هذا المارق الميورقي بالبادية حوادث ، وعاث في الأرض فساداً ، وقتل خلقاً كثيراً ، وتملك بلاداً .

وفي هذه السنة والتي قبلها استحوذ جيش الخليفة [على كثير من][٩] بلاد الرَّي وأصبهان وهمذان[١٠] وخوزستان وغيرها من البلاد ، وقوي جانب الخلافة[١١] على الملوك والممالك[١٢] .

وفيها : خرج العزيز من مصر قاصداً دمشق ليأخذها من يد أخيه الأفضل ، وكان الأفضل قد تاب وأناب وأقلع عما كان فيه من الشراب واللهو واللعب ، وأقبل على الصيام والصلاة[١٣] ، وشرع بكتابة مصحف بيده وحسنت طريقته ، غير أن وزيره الضياء[١٤] الجزري يفسد عليه دولته ويكدِّر عليه صفوته ، فلما بلغ الأفضل إقبال أخيه نحوه سار سريعاً إلى عمه العادل وهو بجعبر فاستنجده ، فسار معه وسبقه إلى

---

(١) بدل اللفظة في ب : ذكره .
(٢) ط : معاملهم .
(٣) أ ، ب : أبيع .
(٤) ب : وقسم الملك يعقوب .
(٥) ب : منه .
(٦) منسوب إلى ميورقة الجزيرة المشهورة التي استولى عليها بنو غانية . ووقعت هذه النسبة محرفة في الأصول والمطبوع من الكتاب ، وعلي بن إسحاق هذا من بني غانية ، تولى بعد أبيه إسحاق بن محمد بن علي بن غانية سنة ٥٧٩ ينظر المعجب (٣٤٥) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٧٤) (بشار) .
(٧) ليس في ب .
(٨) أ : التوزني المكلثم ، ب : التوزني المليم . وفي ابن الأثير (٩/ ٢٣٣) : الملثم الميورقي .
(٩) ليس في ط .
(١٠) ط : همدان ، تصحيف .
(١١) ب : الخليفة .
(١٢) بعدها في ب : اللاتي هنالك .
(١٣) ب : وكثرة الصلاة .
(١٤) أ : ضياء .

دمشق . وراح الأفضل أيضاً إلى أخيه الظاهر بحلب ، فسارا جميعاً نحو دمشق ، فلما سمع الوزير بذلك ، وقد اقترب من دمشق ، كرّ[١] راجعاً سريعاً[٢] إلى مصر ، وركب وراءه العادل والأفضل ليأخذا منه مصر[٣] ، وقد اتفقا على أن يكون ثلث ملك مصر للعادل ، وثلثاها للأفضل ، ثم بدا للعادل في ذلك فأرسل للعزيز يثبته ، وأقبل على الأفضل يثبّطه ، وأقاما على بلبيس أياماً حتى خرج إليهما القاضي الفاضل من جهة العزيز ، فوقع الصلح بينهم[٤] على أن يرجع القدس ومعاملتها للأفضل ، ويستقر العادل مقيماً بمصر على إقطاعه القديم[٥] ، فأقام العادل بها طمعاً فيها ، ورجع الأفضل[٦] إلى دمشق[٧] بعد ما خرج العزيز لتوديعه ، وهي هدنة على أقذاء[٨] ، وصلح على دخن .

وفيها توفي من الأعيان[٩] :

علي بن حسان بن مسافر[١٠] ، أبو الحسن الكاتب البغدادي[١١] : كان أديباً شاعراً ، فمن[١٢] شعره قوله : [من مجزوء الرجز]

نَفَـى رُقـادي ومَضَـى   بَـرْقٌ بِسَلْـعٍ وَمَضـا

---

(١) فعاد كر .
(٢) ب : مسرعاً .
(٣) ب : ديار مصر .
(٤) عن ب وحدها .
(٥) أ : القديمة .
(٦) ط : العادل .
(٧) ب : بلاده .
(٨) ب : قذا ، وفي مجمع الأمثال (١/ ١٦١) : جماعة على أقذاء . و(٢/ ٣٨٢) : هونة على دهن ، والمثلان يضربان لمن يضمر أذى ويظهر صفاء .
(٩) ب : المشاهير .
(١٠) ط : مسافر .
(١١) ترجم له ابن النجار في ذيله لتاريخ بغداد (٣/ ٢٤٨) وقال : مولده سنة أربع وأربعين وخمسمئة . وتوفي يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وخمسمئة ، ودفن في هذا اليوم في مقابر قريش بالجانب الغربي . وأنشد له قصيدتين : الأولى في خمسة عشر بيتاً ومطلعها :

زار وثغـر مبتسـم فخـرا   وعقـد النجـوم منفصـم

والثانية في سبعة عشر بيتاً مطلعها :

خيـم فـي جفـن عينـي السهـر   لما استسرت بدورهم وسروا

وله ترجمة في تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٩٦٤) .
(١٢) ط : من .

لاح كما سَلَّتْ[١] يدُ الـ ـأسْوَدِ عَضْباً أَبْيَضا
كَأَنَّهُ الأَشْهَبُ في النَّـ ـقْعِ إذا ما رَكَضا
يَبْدو كما يختلف[٢] الرّ يح على جَمْرِ الغَضَا
فَتَحْسَبُ الزِّنْجيَّ[٣] أبـ ـدًا نَظراً أو غَمَّضا
أَوْ شُعْلَةَ النّار علا لَهِيبُها وانخفضا
آهٍ لَهُ مِنْ بارقٍ ضَاءَ على ذاتِ الأضا
أَذْكَرني عهداً مَضَى على الغوير وانْقَضَى
فقال لي قَلْبي أَتُو صي[٤] حاجَةً وَأَعْرَضا
يطلبُ[٥] مَنْ أَمْرَضَهُ فَديت ذاك المُمْرِضا
يا غرضَ القَلْبِ لَقَدْ غَادَرْتَ قَلْبي غَرَضا
لأَسْهُم كأَنَّما يُرْسِلُها[٦] صَرْفُ القَضَا
فَبِتُّ لا أرتابُ في أَنَّ رُقادي قَدْ قَضَى
حتَّى قَفا الليلُ[٧] وكا دَ اللَّيلُ أنْ يَنْقَرِضا
وأقبلَ الصُّبْحُ لأطْـ ـرافِ الدُّجا مُبَيِّضا
وَسَلَّ في الشَّرقِ على الـ ـغربِ ضياءً[٨] وانتضى[٩]
كالبازِ[١٠] هَبَّ سحَراً مِنْ نَوْمِه فانْتَفَضَا

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسمئة

في رجب منها أقبل العزيز من مصر صحبة عمه العادل في العساكر ، فدخلا[١١] دمشق قهراً وأخرجا

(١) أ : شلت .
(٢) أ : يختلف .
(٣) ط : الريح ، ولا يستقيم بها الوزن .
(٤) ب : أترضى .
(٥) أ : تطلب .
(٦) أ ، ب : ترسلها .
(٧) ب : حتى صفى النجم .
(٨) ب : ظباه .
(٩) ط : وانقضى .
(١٠) البيت عن ب وحدها .
(١١) ط : في عساكر ودخلا .

منها الأفضل ووزيره الذي أساء تدبيره ، وصلى العزيز عند تربة والده صلاح الدين[١] وخُطب له بدمشق [وقد دخل في هذا اليوم إلى][٢] القلعة المنصورة في يومه[٣] وجلس في دار العدل للحُكم والفصل ، وكل[٤] هذا وأخوه الأفضل حاضر عنده في الخدمة ، وأمر القاضي محيي الدين بن الزكي[٥] بتأسيس المدرسة[٦] العزيزية[٧] إلى جانب تربة أبيه وكانت داراً[٨] للأمير عز الدين سامة[٩] ، ثم استناب على دمشق عمه الملك العادل ورجع إلى مصر[١٠] يوم الإثنين تاسع شوال ، والسكة والخطبة بدمشق له ، وصولح الأفضل على صرخد ، وهرب وزيره ابن الأثير الجزري إلى جزيرته ، وقد أتلف نفسه ومَلكه ومُلكه بجريرته[١١] ، وانتقل الأفضل إلى صرخد بأهله وأولاده ، وأخيه قطب الدين .

وفي هذه السنة هبت ريح شديدة[١٢] سوداء مدلهمَّة بأرض العراق ومعها رمل أحمر ، حتى احتاج الناس إلى السُّرُج[١٣] بالنهار .

وفيها : ولي قوام الدين أبو طالب يحيى بن سعد بن زبادة[١٤] كتابة[١٥] الإنشاء ببغداد ، وكان فاضلاً ولكن لا كالفاضل[١٦] .

---

(١) ب : الملك الناصر ، وفي ط : صلاح .

(٢) ط : ودخل .

(٣) ط : يوم ، وليست اللفظة في ب .

(٤) ب : فكل .

(٥) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٨ من هذا الجزء .

(٦) منادمة الأطلال (١٨٣) .

(٧) ليس في ب .

(٨) ليس في ب .

(٩) سماه ابن الأثير أسامة ، وقال : الأمير عز الدين أسامة هو أحد أمراء العادل ، كان له إقطاع كثيرة في الأردن والشام . دعاه الأفضل في سنة ٥٩٧ إلى نفسه لمساعدته ضد عمه العادل فأجابه وحلف له لينكشف له أمره فلما فارقه أرسل للعادل وهو بمصر يخبره بما حدث فأرسل العادل جيشاً إلى صرخد ثم إلى دمشق ، ثم تصالح العادل مع بني أخيه، ومن ثم جرى من الأمير عز الدين ما دعا العادل للقبض عليه في سنة ٦٠٩ . ابن الأثير (٩/ ٢٥١ ـ ٢٥٢ و٣٠٧). قال بشار: والصواب: « سامة » بالسين المهملة ، كما في الروضتين (١٠) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٩٣٢).

(١٠) وانشمر إلى الديار المصرية .

(١١) أ ، ب : بجزيرته .

(١٢) عن ط وحدها .

(١٣) ب : إلى إشعال الأضواء .

(١٤) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٤ من هذا الجزء . قال بشار : ووقع في ط والعديد من المصادر المطبوعة : « زيادة » بالياء آخر الحروف ، وهو بالباء الموحدة ، قيدته كتب المشتبه ومنها مشتبه الذهبي ٣٤٣ . وقيده المنذري في التكملة (١/ ٣١٥) فقال : « وزبادة بفتح الزاي وبعدها باء موحدة مفتوحة وبعد الألف دال مهملة وتاء تأنيث » .

(١٥) ط : كتاب .

(١٦) أ ، ط : وكان بليغاً وليس هو كالفاضل .

وفيها : درَّس مجير الدين[١] أبو القاسم محمود بن المبارك البغدادي[٢] بالنظامية ، وكان فاضلاً بارعاً مناظراً ، وفي هذه السنة توفي رحمه الله .

وفيها : قتل رئيس الشافعية بأصبهان صدر الدين محمود[٣] بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي[٤] قتله فلك[٥] الدين سنقر الطويل ، وكان ذلك سبب زوال ملك أصبهان عن الديوان .

[مؤيد الدولة أبو الفضل محمد بن علي بن القصاب][٦] : وفيها : مات الوزير وزير الخلافة مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن علي بن القصاب .

وكان أبوه يبيع اللحم في بعض[٧] أسواق بغداد ، فتقدم ابنه وساد أهل زمانه . توفي[٨] بهمذان ، وقد أعاد رساتيق كثيرة من بلاد العراق وخراسان وغيرها[٩] إلى ديوان الخلافة ، وكان ناهضاً ذا همة عالية وله صرامة وشعر جيد .

[محمد بن أبي علي النوقاني الشافعي][١٠] :

---

(١) ذكر أبو شامة أن مجير الدين هذا توفي في هذه السنة أي سنة ٥٩٢ ، وأن اسمه محمود بن المبارك بن علي بن المبارك ، أبو القاسم . ولد سنة ٥١٧ ، وتفقه على مذهب ابن حنبل ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ، وأعطي تدريس النظامية ، وخرج إلى همذان فتوفي بها في ذي القعدة . قال بشار : وله ترجمة في تكملة المنذري (١/ ٢٦٧) وذكرنا له هناك جملة من مصادر ترجمته .

(٢) ليس في ط .

(٣) هكذا سماه ابن الأثير ونقله المؤلف فيه ، والصواب في اسمه : « محمد » ، فقد ترجمه ابن الدبيثي في المحمدين من تاريخه (الورقة ٧٧ شهيد علي باشا) ، وكذا ذكره المنذري في التكملة (١/ ٢٥٢) ، والذهبي في كتبه ، ومنها : تاريخ الإسلام (١٢/ ٩٨٤) (بشار) .

(٤) ترجمته عند ابن الأثير (٩/ ٢٣٦) وذيل الروضتين (١٠) وأبو الفداء (٣/ ٩١ ـ ٩٢) .

(٥) أ ، ط : ملك الدين ، ابن الأثير (٩/ ٢٣٦) .

(٦) ترجمته عند ابن الأثير (٩/ ٢٣٧) والمختصر المحتاج إليه (٩٦) ومرآة الزمان (٨/ ٤٥٠) وذيل الروضتين (٩) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٩٨٦) والعبر (٤/ ٧٩ ـ ٨٠) .

(٧) ب : ببعض .

(٨) ب : وكانت وفاته .

(٩) مكانها في ب : وخوزستان .

(١٠) تحرفت هذه الترجمة في ط والنسخ تحريفاً قبيحاً ، في الاسم واسم الأب والنسبة ، فسمي « محمود » وهو « محمد » ، وقيل : « بن علي » وهو « ابن أبي علي » وقيل في نسبته : « التوقاني » ، والصواب ما ذكرنا ، وقد ذكره ابن الأثير في الكامل على الصواب لكن محققه المستشرق فضَّل القراءة الخاطئة ، كما يظهر من إشارته ، ثم انتقل ذلك إلى الطبعات العربية (تنظر طبعة صادر التي حوفظ فيها على تعليقات المحقق المستشرق ١٢/ ١٢٤) .
وترجمه ابن الدبيثي في تاريخه الذي ذيّل به على ذيل ابن السمعاني (الورقة ١٨٠ من مجلد باريس ٥٩٢١) ، والمنذري في التكملة (١/ الترجمة ٣٠٩) وذكر أن مولده بنوقان سنة ست عشرة وخمس مئة ، وقيد نسبته بالحروف=

وفيها : توفي الفخر محمد بن أبي علي النوقاني الشافعي ، عائداً من الحج ، رحمه الله .

والشاعر أبو الغنائم محمد بن علي بن المعلم الهَرْثي(١) :

وهُرْث : من قرى(٢) واسط عن إحدى وتسعين سنة ، وكان شاعراً فصيحاً بليغاً ماهراً ، وكان ابن الجوزي في مجالسه يستشهد بشيء من لطائف أشعاره [ومستجاد ابتكاره](٣) ، وقد أورد ابن الساعي قطعة(٤) جيدة من شعره الحسن المليح .

[علي بن سعيد بن الحسن البغدادي](٥) :

وفيها : توفي الفقيه أبو الحسن علي بن سعيد بن الحسن البغدادي المعروف بابن العريف ، ويلقب بالبيع الفاسد ، كان حنبليًّا ثم اشتغل شافعيًّا على أبي القاسم بن فضلان(٦) ، وهو الذي لقَّبه بذلك لكثرة تكراره على هذه المسألة بين الشافعية والحنفية ، ويقال : إنه صار بعد هذا كله إلى مذهب الإمامية ، فالله(٧) أعلم .

[الشيخ أبو شجاع(٨) محمد بن علي بن شعيب(٩) بن الدهان الفرضي الحاسب](١٠) :

= زيادة في الضبط . أما ما جاء في ذيل الروضتين من أنه ولد سنة (٥١٠) فالظاهر أن لفظة (ست) قد سقطت من المطبوع . وترجمه جمال الدين ابن الصابوني في تكملته (٣٥١ ـ ٣٥٢) وزعم أنه درس بالنظامية ، ولا يصح ذلك . كما ترجمه ابن الفوطي في الملقبين بفخر الدين من تلخيص مجمع الآداب (٤/ الترجمة ٢٣٨٩) ونقل ترجمته من تاريخ القاضي تاج الدين التكريتي وترجمه الذهبي في كتبه ، ومنها : تاريخ الإسلام (١٢/ ٩٨٨ ـ ٩٨٩) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٤٨) وغيرهما ، ولمزيد مصادر يراجع تعليقنا على سير أعلام النبلاء (بشار) .

(١) ترجمته في معجم البلدان (الهُرْثُ) وعند ابن الأثير (٩/ ٣٢٧) والمختصر المحتاج إليه (٩٥) ومرآة الزمان (٨/ ٤٥١) وذيل الروضتين (٩) ووفيات الأعيان (٥/ ٥ ـ ٩) والعبر (٤/ ٢٧٩) والوافي (٤/ ١٦٥) ومرآة الجنان (٣/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥) .

(٢) في معجم البلدان : الهُرْثُ : قرية على نهر جعفر من أعمال واسط .

(٣) عن ب وحدها .

(٤) ب : قطعة صالحة من أشعاره الحسنة المليحة .

(٥) هو يحيى بن علي بن الفضل بن بركة بن فضلان ، ستَرِد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٥ من هذا الجزء .

(٦) ترجمته في تاريخ ابن الدبيثي (الورقة ١٤١ من مجلد كيمبرج) ، وتاريخ الإسلام (١٢/ ٩٨١) (بشار) .

(٧) أ : والله .

(٨) في أ : أبو إسحاق . خطأ .

(٩) في (ط) : « مغيث » ، خطأ ، وما أثبتناه من مصادر ترجمته كافة (بشار) .

(١٠) ترجمته في تاريخ ابن الدبيثي (٢/ ١٣٤ ـ ١٣٥) ، وإنباه الرواة (٣/ ٩٣) ، وتكملة المنذري (١/ ٢١٤) وذيل الروضتين (٩) ووفيات الأعيان (٥/ ١٢ ـ ١٣) وتلخيص مجمع الآداب (٤/ الترجمة ٢٣٨٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ٩١٨ ـ ٩١٩) والعبر (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) والوافي بالوفيات (٤/ ١٦٤ ـ ١٦٥) وبغية الوعاة (١/ ١٨٠ ـ ١٨١) وشذرات الذهب (٤/ ٣٠٤) وغيرها (بشار) .

وفيها : توفي الشيخ أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان الفرضي الحاسب المؤرخ البغدادي .

قدم دمشق وامتدح الشيخ(١) الكندي أبا(٢) اليمن زيد بن الحسن فقال(٣) : [من البسيط]

يـا زَيْـدُ زادَكَ رَبِّـي مِـنْ مَـواهِبِـهِ نُعْمَـى يُقَصِّـرُ عَـنْ إِدْرَاكِهـا الأَمَـلُ
لاَ بَـدَّلَ اللهُ حـالاً قَـدْ حَبَـاكَ بهـا مـا دَارَ بَيْـنَ النُّحَـاةِ الحـالُ والبَـدَلُ
النَّحْـوُ أَنْـتَ أَحَـقُّ العَـالميـنَ بِـهِ أَلَيْسَ باسْمِكَ فيهِ يُضْرَبُ المَثَلُ(٤)

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة

فيها : ورد كتاب من القاضي الفاضل إلى [القاضي محيي الدين](٥) بن الزكي يخبره فيه :

أن في ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة أتى عارض فيه ظلمات متكاثفة ، وبروق خاطفة ، ورياح عاصفة ، فقوي الجو(٦) بها ، واشتد هبوبها ، فتدافعت(٧) لها أعنَّة مطلقات ، وارتفعت لها صعقات(٨) ، فرجفت لها الجدران واصطفقت ، وتلاقت على بُعدها واعتنقت ، وثار بين السماء والأرض [عجاج ، فقيل : لعل هذه](٩) على هذه قد انطبقت ، ولا تحسب(١٠) إلا أن جهنم قد سال منها واد ، وعدا(١١) منها عاد ، وزاد عصف الريح إلى أن أطفأتْ سُرُجَ النُّجوم ، ومزَّقت أديم السماء ، ومحت ما فوقه من الرقوم ، فكنا كما قال تعالىٰ : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ [البقرة : ١٩] قلنا : ويردّون أيديهم على أعينهم من البوارق ، لا عاصم لخطف الأبصار ، ولا ملجأ من الخطب إلا معاقل الاستغفار ، وفرَّ الناس نساءً ورجالاً وأطفالاً ، ونفروا من دورهم خفافاً وثقالاً ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون

---

(١) عن ب وحدها .
(٢) أ ، ب ، ط : أبو . وهو خطأ .
(٣) البيتان الثاني والثالث في ذيل الروضتين .
(٤) ذكر وفاته في هذه السنة فيه نظر ، فقد ذكر القفطي وابن خلكان ، والذهبي وغيرهم وفاته في صفر من سنة (٥٩٠) (بشار) .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) ب : الهوى .
(٧) أ ، ط : قد أثبت ، وهو تصحيف . الروضتين (٢/ ٢٣٢) .
(٨) ط : صفقات .
(٩) أ ، ط : عجاجاً حتى قيل إن هذه .
(١٠) ط : ولا يحسب .
(١١) أ : أوعدا منها غار .

سبيلاً ، فاعتصموا بالمساجد الجامعة ، وأذعنوا للنازلة بأعناق خاضعة ، بوجوه عانية ، ونفوس عن الأهل والمال سالية[١] ، ينظرون من طرف خفي ، ويتوقَّعون أي خطب جلي ، قد انقطعت من الحياة علقهم[٢] ، وعميت عن النجاة طرقهم ، ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون ، وقاموا إلى[٣] صلاتهم ، ووَدُّوا لو كانوا[٤] من الذين هم[٥] عليه دائمون ، إلى أن أذن الله بالرُّكود ، وأسعف الهاجدين[٦] بالهجود ، فأصبح كلٌّ يسلِّم[٧] على[٨] رفيقه ويهنيه بسلامة طريقه ، ويرى أنه قد بُعث بعد النفخة ، وأفاق بعد الصيحة والصرخة ، وأن الله قد رد له الكرة ، وأحياه بعد أن كاد يأخذه على غِرة[٩] ، ووردت الأخبار بأنها قد[١٠] كسرت المراكب في البحار ، والأشجار في القفار ، وأتلفت خلقاً كثيراً من السفَّار ، ومنهم[١١] من فرّ فلم[١٢] ينفعه الفرار .

إلى أن قال : ولا يحسب المجلس أني أرسلت القلم مُحَرَّفاً ، والعلم مُجَوَّفاً ، فالأمر أعظم ، ولكن الله سلَّم ، ونرجو أن الله قد أيقظنا بما به وعظنا ، ونبهنا بما فيه ولهنا ، فما من عباده من[١٣] رأى القيامة عياناً ، ولم يلتمس عليها من بعد[١٤] ذلك برهاناً ، إلا أهل بلدنا ، فما قص الأولون مثلها في المثلات ، ولا سبقت لها سابقة في المعضلات ، والحمد لله الذي من فضله قد جعلنا نخبر عنها ، ولا يُخْبَر عنَّا ، ونسأل الله أن يصرف عنا عارض الحرص والغرور ، ولا يجعلنا من أهل الهلاك والثبور .

وفيها[١٥] : كتب القاضي الفاضل من مصر[١٦] إلى الملك العادل بدمشق يحثُّه على قتال الفرنج ،

(١) ب : عن المال والأهل .
(٢) أ : عقلهم وعمت .
(٣) ط : على .
(٤) ب : كانوا عليها .
(٥) ليس في ط .
(٦) أ : المهاجرين ، ط : الهاجدون .
(٧) ط : مسلم .
(٨) ليس في أ .
(٩) ب : على الغرة .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) ليس في ب .
(١٢) ط : (فلا) .
(١٣) أ ، ط : إلاَّ من ، الروضتين (٢/ ٢٣٢) .
(١٤) ب : من بعده .
(١٥) ب : أراعنا وقد كتب .
(١٦) ب : من الديار المصرية .

ويشكره على ما هو بصدده من محاربتهم ، وحفظ حوزة الإسلام ، فمن ذلك قوله في بعض تلك الكتب إليه :

هذه الأوقات التي أنتم فيها عرائس الأعمار ، وهذه النفقات التي تجري على أيديكم مهور الحور في دار القرار ، وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه ، فتلك نعم الله عليه ، وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل إليه ، وسواد العجاج في هذه المواقف بباطن ما سودته الذنوب من الصحائف فما أسعد تلك الوقَفات(١) ، وما أعود بالطمأنينة تلك الرَّجَفات(٢) .

وكتب إليه(٣) أيضاً :

أدام الله ذلك الاسم تاجاً على مفارق المنابر والطُّروس ، وحياة للدنيا وما فيها من الأجساد والنفوس ، وعرف المملوك ما عرفه من الأمر الذي اقتضته المشاهدة ، وجرت به العاقبة في بيروت(٤) ، ولا مزيد على تشبيه(٥) الحال بقوله : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْءَ تَدْوَى(٦) يَمينُهُ فَيَقْطَعها عَمْداً لِيَسْلَمَ سائِرُهْ

ولو كان فيها تدبير لكان مولانا سبق إليه ، ومن قَلَّم من الإصبع ظفراً ، فقد جلب إلى الجسد بفعله نفعاً ، ودفع عنه ضرراً : [الكامل]

وَتَجَشُّمُ المَكْرُوهِ لَيْسَ بِضَائِرٍ ما خِلْتُهُ(٧) سَبباً إِلى المَحْمودِ

وآخر كل شقوة(٨) أول كل غزوة ، فلا يسأم مولانا نية الرباط وفعلها ، وتجشم الكلف وحملها ، فهو إذا صرف وجهه إلى وجه واحد وهو وجه الله . صرف الله(٩) إليه الوجوه كلها ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وفي هذه السنة انقضت مدة الهدنة التي كان عقدها(١٠) الملك صلاح الدين رحمه الله للفرنج(١١)

---

(١) أ : الواقعات ، وفي الروضتين (٢/ ٢٣٣) : الوقعات .
(٢) ط : الرجعات .
(٣) ليس في ط .
(٤) أ ، ط : في سرور .
(٥) أ : ولا يزيد على سيئية ، ب : ولا يزيد على سننه ، ط : ولا يزيد على سيبه ، وما هنا عن الروضتين (٢/ ٢٣٣) .
(٦) ط : تدوى ، ودَوِيَ دوىً : مرض القاموس (دوى) .
(٧) وصلت ب بين الشطرين على النحو التالي : وتجشم المكروه ليس بضائر إذا كان ما جلبه سبباً إلى المحمود .
(٨) ط والأصلين : سنوه ، وما هنا عن الروضتين (٢/ ٢٣٣) .
(٩) عن ب وحدها .
(١٠) ب : عقد بها لهم .
(١١) ليس في ب .

فأقبلوا بقَضّهم وقضيضهم وحدهم وحديدهم ، فالتقاهم[١] الملك العادل أبو بكر بمرج عكا فكسرهم وغنمهم ، وفتح يافا عنوة ولله الحمد والمنة . وقد كانوا كتبوا إلى ملك الألمان يستنهضونه لفتح بيت المقدس ، فقدر الله هلاكه سريعاً ، والحمد لله كثيراً .

وأخذت الفرنج في هذه السنة بيروت من يد نائبها عز الدين سامة[٢] من غير قتال ولا نزال ، ولهذا قال بعض الشعراء في الأمير سامة : [من الخفيف][٣]

سَلِّم الحِصْنَ ما عَلَيْكَ مَلامَهْ ... ما يُلامُ الَّذي يريد السَّلامَهْ
فَعَطَاءُ[٤] الحُصونِ من غَيْرِ حَرْبٍ ... سُنَّةٌ سَنَّها بِبَيْروتَ سامَهْ

ومات فيها ملك الفرنج كندهري ، سقط من شاهق فمات ، فبقيت الفرنج كالغنم بلا راعٍ ، حتى ملكوا عليهم صاحب قبرس وزوّجوه بالملكة امرأة كندهري ، وجرت خطوب كثيرة بينهم وبين العادل [أبي بكر بن أيوب][٥] . ففي كلها يستظهر عليهم ويكسرهم ، ويقتل خلقاً من مقاتلتهم ، ولله الحمد ، ولم يزالوا كذلك معه حتى طلبوا الصلح والمهادنة ، فعاقدهم على ذلك في السنة الآتية كما سيأتي .

[سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين][٦] :

فيها[٧] : توفي ملك اليمن سيف الإسلام طُغْتِكين بن أيوب [أخو السلطان صلاح الدين][٨] بزَبيد وكان قد جمع أموالاً جزيلة جداً ، وكان يسبك الذهب مثل الطواحين ويدّخره كذلك ، وقام في الملك بعده ولده إسماعيل ، وكان أهوج قليل التدبير ، فحمله جهله على أن ادّعى أنه قرشي أموي ، وتلقب بالهادي ، فكتب إليه عمه العادل ينهاه عن ذلك ، ويهجن رأيه ويتهدده بسبب ذلك ، فلم يقبل منه ولا التفت إليه ، بل تمادى في ذلك وأساء التدبير إلى الأمراء والرعية ، فقتل وتولى بعده مملوك من مماليك أبيه .

---

(١) ط : فأقبلوا بحدهم وحديدهم فتلقاهم .
(٢) في ط : « شامة » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه من ب والروضتين وغيرهما ، وقد تكلمنا عليه قبل قليل (بشار) .
(٣) البيتان في الروضتين (٢/ ٢٣٣) .
(٤) ط : أفتعطي .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) والروضتين (٢/ ٢٣٣) وذيلها (١١) ووفيات الأعيان (٢/ ٥٢٣ ـ ٥٢٥) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (١/ ٤١٦) وأبو الفداء (٣/ ٩٣) والعبر (٤/ ٢٨١) ومرآة الجنان (٣/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦) .
(٧) ليس في ب .
(٨) ب : الملك الناصر .

[الأمير أبو الهيجاء السمين الكردي][(١)] :

وفيها : توفي الأمير الكبير أبو الهيجاء السمين الكردي . كان من أكابر أمراء صلاح الدين[(٢)] وهو الذي كان نائباً على عكا وهي محاصرة ، وخرج منها قبل أخذ الإفرنج ، ثم دخلها بعد المشطوب فأخذت منه ، واستنابه صلاح الدين على القدس[(٣)] ، ثم لما أخذها العزيز عزل عنها ، فطلب إلى بغداد فأكرم إكراماً زائداً ، وأرسله الخليفة مقدماً على العساكر إلى همذان ، فمات هناك .

[قاضي بغداد أبو طالب علي بن علي بن البخاري][(٤)] :

وفيها : توفي قاضي بغداد أبو طالب علي بن علي بن هبة الله بن محمد بن البخاري ، سمع الحديث على أبي الوقت[(٥)] وغيره ، وتفقه على أبي القاسم بن فضلان[(٦)] ، وتولى نيابة الحكم ببغداد ، ثم استقل بالمنصب ، وأضيف إليه في وقت نيابة الوزارة . ثم عزل عن القضاء ثم أعيد ومات وهو حاكم ، نسأل الله العافية ، وكان فاضلاً بارعاً من بيت فقه وعدالة . وله شعر[(٧)] : [من الوافر]

تَنَحَّ عَنِ القَبِيحِ ولا تُرِدْهُ ... وَمَنْ أَوْلَيْتَهُ حُسْناً فَزِدْهُ
كَفا بكَ مِنْ عَدُوِّكَ كُلَّ كَيْدٍ ... إذا كادَ العَدُوُّ وَلَمْ تكِدْهُ

[السيد الشريف نقيب الطالبيين ببغداد أبو محمد الحسن بن علي][(٨)] :

وفيها : توفي السيد الشريف نقيب الطالبيين ببغداد ، أبو محمد الحسن بن علي [بن حمزة بن محمد ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن علي][(٩)] بن يحيى بن الحسين بن زيد[(١٠)] بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب العلوي الحسيني المعروف بابن الأقساسي ، الكوفي مولداً ومنشأً ، كان شاعراً مطبقاً[(١١)] ، امتدح الخلفاء والوزراء ، وهو من بيت مشهور بالأدب والرئاسة والمروءة ، قدم بغداد ،

---

(١) أخباره في ابن الأثير (٩/ ٢٣٧) والروضتين (٢/ ٢٣٣) وذيلها (١١) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠١٢) .
(٢) ب : الملك الناصر .
(٣) ب : بيت المقدس .
(٤) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٣٩) وتكملة المنذري (١/ ٢٨١) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٣/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٠٢ ـ ١٠٠٣) والعبر (٤/ ٢٨٢) .
(٥) هو عبد الأول بن عيسى بن شعيب . تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٥٣ من هذا الجزء .
(٦) هو يحيى بن علي بن الفضل بن فضلان . سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٥ من هذا الجزء .
(٧) ب : من بيت الفقه والعدالة وله شعر فمنه قوله .
(٨) ترجمته في ذيل الروضتين (١١) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق١/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧) .
(٩) ليس في ب .
(١٠) ط : يزيد .
(١١) ط : مطلقاً .

فامتدح المقتفي والمستنجد وابنه المستضيء وابنه الناصر ، فولاه النقابة[١] كان شيخاً مهيباً ، جاوز الثمانين ، وقد أورد[٢] له ابن الساعي قصائد كثيرة منها قوله[٣] : [مجزوء الكامل]

اِصْبِـرْ عَلَـى كَيْـدِ الـزَّمـا نِ فَمـا يَـدومُ علـى طَـريقَـهْ
سَبَـقَ القَضَـاءُ فَكُـنْ بِـهِ رَاضٍ وَلاَ تَطْلُـبْ حَقِيقَـهْ
كَـمْ قَـدْ تَغَلَّـبَ[٤] مَـرَّةً وَأَرَاكَ مِـنْ سَعـةٍ وَضِيقَـهْ[٥]
مـا زالَ فـي أُولاهُ وَالْـ أُخْرَى على هذي الطَّريقَهْ[٦]

[الست عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب][٧] :

وفيها : توفيت الست عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب ودفنت بمدرستها[٨] داخل باب النصر ، رحمها الله .

[الست خاتون][٩] :

والست خاتون والدة الملك العادل ودفنت[١٠] بدارها بدمشق المجاورة لدار أسد الدين شيركوه[١١] .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمئة

فيها : جمعت الفرنج جموعها[١٢] وأقبلوا فحاصروا تبنين ، فاستدعى العادل بني أخيه لقتالهم ،

(١) ب : وهو الذي ولاّه نقابة الطالبيين .
(٢) ب : وقد أورد ابن الساعي له .
(٣) عن ب وحدها .
(٤) أ : تقلّب .
(٥) ب : كم قد فعلت مرة وأراك من سبعه وضيعة .
(٦) ط : في أولاده يجري على هذه الطريقة .
(٧) ترجمتها في ذيل الروضتين (١١) ووفيات الأعيان (٢/٤٥٣) وتاريخ الإسلام (١٢/١٠٠٢) والدارس (١/٢٢٦) .
(٨) ليس في أ .
(٩) ترجمتها في تاريخ الإسلام (١٢/٩٩٦) (بشار) .
(١٠) ليس في ب .
(١١) وهي الدار المعروفة بدار العقيقي (بشار) .
(١٢) ب : جموعهم .

فجاءه[١] العزيز[٢] من مصر والأفضل من صرخد ، فأقلعت[٣] الفرنج عن الحصن وبلغهم موت ملك الألمان ، فطلبوا [عند ذلك][٤] من العادل الهدنة والأمان ، فهادنهم ورجعت الملوك إلى أماكنها[٥] ، وقد عظُم المعظّم عيسى بن العادل في هذه المدة[٦] ، واستنابه أبوه على دمشق ، وسار إلى ملكه بالجزيرة ، فأحسن فيهم السيرة .

وكان قد توفي في هذه السنة السلطان الكبير صاحب سنجار وغيرها من المدائن الكبار ، وهو عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي الأتابكي ، كان من خيار الملوك وأحسنهم شكلاً وسيرة ، وأجودهم طوية وسريرة ، غير أنه كان يبخل ، وكان شديد المحبة للعلماء ، ولاسيما الحنفية[٧] ، وقد ابتنى لهم مدرسة بسنجار ، وشرط لهم طعاماً يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم ، وهذا نظر حسن ، والفقيه أولى بهذه[٨] الحسنة من الفقير ، لاشتغال الفقيه بتكراره ومطالعته عن الفكر فيما يُقِيته[٩] .

فعدى على أولاده[١٠] ابن عمه صاحب الموصل ، فأخذ الملك منهم ، فاستغاث بنوه بالملك العادل ، فرد فيهم الملك ، ودرأ عنهم الضيم والهلكة ، واستقرت المملكة لولده قطب الدين محمد .

ثم سار العادل[١١] إلى ماردين فحاصرها في شهر رمضان[١٢] ، فاستولى على ربضها[١٣] ومعاملتها ، وأعجزته قلعتها ، فطاف[١٤] عليها ومشى[١٥] ، وما ظن[١٦] أحد أنه تملّكها[١٧] ، لأن ذلك لم يكن مثبوتاً ولا مقدراً .

---

(١) ب : حتى جاءه .
(٢) ليس في ب .
(٣) ب : فخلفت .
(٤) عن ب وحدها .
(٥) ب : فهادنهم عند ذلك السلطان ورجعت العساكر إلى أماكنها .
(٦) ط : المرة .
(٧) ب : ولا سيما للحنفية منهم .
(٨) ب : أولى سجاله الحسنة من الفقير .
(٩) ب : فيما يقوم بكفايته ومؤنته .
(١٠) ب : فعدى مملكته ابن عمه صاحب الموصل فقطعهم ولم يكن بالواصل .
(١١) ط : الملك .
(١٢) أ : شعبان .
(١٣) ط : ريفها .
(١٤) ط : فطاف .
(١٥) كذا في ط : فطاف عليها ومشى ، وفي الأصل : فصاف عليها وشتى (ع) .
(١٦) ب : وما نتك .
(١٧) ب : أنه سيملكها حتى هبة الشعراء بذلك ولكن لم يكن ذلك .

[وفي هذه السنة][١] ملكت الخزر مدينة بلخ ، وكسروا الحظا[٢] وقهروهم ، [وهزموهم وتوقعوا بإرسال][٣] الخليفة إليهم أن يمنعوا خوارزم شاه من دخول العراق ، فإنه كان يروم أن يخطب له ببغداد .

وفيها : حاصر خوارزم شاه مدينة بخارى ففتحها بعد مدة ، وقد كانت امتنعت عليه دهراً ونصرهم الحظا[٤] ، فقهرهم جميعاً وأخذها[٥] عنوة ، وعفا عن أهلها ، وصفح عنهم[٦] ، وقد كانوا ألبسوا كلباً أعور قباءً ، وسموه خوارزم شاه ، ورموه في المنجنيق إلى الخوارزمية ، وقالوا : هذا ملككم ، وكان خوارزم شاه أعور ، فلما قدر عليهم[٧] عفا عنهم ، جزاه الله خيراً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

العوام بن زَبَادَة[٨] : كاتب الإنشاء بباب الخلافة .

هو أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن زبادة [قوام الدين][٩] ، انتهت إليه رئاسة الرسائل والإنشاء والبلاغة والفصاحة في زمانه بالعراق ، وله علوم كثيرة غير ذلك من الفقه على مذهب الشافعي ، أخذه ابن فضلان[١٠] وله معرفة جيدة بالأصلين الحساب واللغة ، وله شعر جيد ، وقد ولي عدة مناصب ، وكان مشكوراً في جميعها ، ومن مستجاد شعره قوله : [من البسيط]

لا تَحْقِرنَّ عَدُوًّا تَزْدَريهِ فَكَمْ ... قَدْ أَتْعَسَ الدَّهْرُ جِدَّ الجِدِّ باللَّعِبِ
فَهٰذِهِ الشَّمْسُ يَعْروها[١١] الكُسوفُ لها ... عَلَىٰ جَلالَتِها بالرَّأْسِ والذَّنَبِ

---

(١) ط : وفيها .
(٢) في ط وكسروا الخطا (ع) .
(٣) ط : وأرسل .
(٤) في ط وكسروا الخطا (ع) .
(٥) أ : فأخذها .
(٦) ليس في ط .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ترجمته في معجم الأدباء (٢٠/١٦ ـ ١٨) وفيه : ابن زيادة ، وابن الأثير (٩/٢٣٦ و٢٤٢) : زيادة ، وذيل الروضتين (١٤) : زيادة ، ووفيات الأعيان (٦/٢٤٢ ـ ٢٤٩) ومجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٤/ ٨٧٠) والعبر (٤/ ٢٨٤) ومرآة الجنان (٣/ ٤٧٧) : ابن الزياد ، والشذرات (٤/ ٣١٨) . وزبادة : بالباء الموحدة قيده الزكي المنذري في التكملة (١/ ٣١٥) والذهبي في المشتبه (٣٤٣) .
(٩) ليس في ط .
(١٠) سترد ترجمته في حوادث سنة ٥٩٥ من هذا الجزء .
(١١) ب : بعين .

وقوله[١] : [من الخفيف]

بـاضْطـرابِ الـزَّمـانِ تَـرْتَفِـعُ الأَنْــ ـــذالُ فيــهِ حَتَّــى يَعُــمَّ البَــلاءُ
وَكَــذَا المــاءُ راكــدٌ فــإذا حَــرَّ كَ ثــارتْ مــن قَعْــرِهِ الأَقْــذاءُ

وله أيضاً : [من الخفيف]

قَدْ سَلَوْتُ الدُّنا وَلَمْ يَسْلُها مَن عَلقــتْ فــي آمــالــهِ والأَراجــي
فإذا ما[٢] صرفتُ وَجْهيَ عَنْها قَـذَفَتْني[٣] في بحرهـا العَجَّـاجِ
يَستَضيئـونَ بـي وَأَهْلِـكُ وَحْـدي فكـأنِّـي[٤] ذُبـالـةٌ فـي سـراجِ

توفي[٥] في هذه السنة من ذي الحجة وله ثنتان وسبعون سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن عند موسى بن جعفر .

القاضي أبو الحسن علي بن رجاء[٦] بن زهير بن علي البطائحي :

قدم بغداد فتفقه بها ، وسمع الحديث ، وأقام برحبة مالك بن طوق مدة يشتغل على أبي عبد الله بن النبيه الفرضي ، ثم ولي قضاء الغَرَّاف[٧] مدة ، وكان فقيهاً أديباً ، وقد سمع من شيخه أبي عبد الله بن النبيه ينشد لنفسه معارضاً للحريري في بيتيه اللَّذين زعم أنهما لا يعززان بثالث[٨] لهما وهما قوله : [من السريع]

سِــمْ سِمَــةً يُحْمَــدُ آثـارهــا واشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سِمْسِمَهْ
والمَكْـرُ مَهْمـا اسْطَعْـتَ لا تَـأْتِـهِ لِتَقْتَنِـي السُّــؤْدُدَ والمَكْــرُمَــهْ

---

(١) ط : وله .
(٢) ليس في ب .
(٣) ب : قد ترى .
(٤) ب : فكأني دنان سراج .
(٥) ب : توفي في ذي الحجة من هذه السنة .
(٦) هكذا في النسخ ومعجم البلدان لياقوت (ساقية سليمان ٣/ ١٢ ط فستنفلد) وسماه الآخرون : « جابر » ، كما في تاريخ ابن الدبيثي (الورقة ٢٢٠ من مجلد باريس ٥٩٢٢) وهو شيخه وبلديه لقيه بواسط فكتب عنه، وتاريخ ابن النجار (الورقة ١٩٦ من مجلد الظاهرية) ، والمنذري في التكملة (١/ ٣١٦) والذهبي في تاريخ الإسلام (١٢/ ١٠١٨). وله ترجمة في ذيل الروضتين (١٣) وعقد الجمان لبدر الدين العيني (١٧/ الورقة٢٢٣) (بشار).
(٧) في ط : « العراق » وهو تصحيف ، وما أثبتناه من تاريخ ابن الدبيثي وتكملة المنذري وغيرهما . والغراف : بلدة معروفة إلى اليوم من سواد واسط (بشار) .
(٨) ط : ثالثاً .

فقال ابن النبيه :

مـا الأمَـةُ الـوَكْعـاءُ بَيْـنَ الـوَرَى أَحْسَـنُ مـن حُـرٍّ أَتَـى مَـلأمَـهْ
فَمَـهْ إذا اسْتُجْـدِيْـتَ عَـنْ قَـوْلِ لا فَـالحُـرُّ لا يَمْـلأ منهـا فَمَـهْ

الأمير عز الدين جرديك(١) :

كان من أكابر الأمراء في زمان(٢) نور الدين ، وكان ممن شرك في قتل شاور ، وحظي عند الملك(٣) صلاح الدين ، وقد استنابه على القدس حين افتتحها ، وكان يستند بها للمهمَّات الكبار فيسدها بنفسه(٤) وشجاعته ، ولما ولي الأفضل عزله عن بيت المقدس(٥) ، فترك بلاد الشام ، وانتقل إلى بلد الموصل . فمات بها في هذه السنة ، رحمه(٦) الله .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمئة

[وفاة العزيز صاحب مصر]

فيها : كانت وفاة العزيز صاحب مصر ، وذلك أنه خرج إلى الصيد فلما(٧) كانت(٨) ليلة الأحد العشرين من المحرم ، ساق خلف ذئب ، فكبا به [الفرس ، فسقط عنه . وكانت وفاته](٩) بعد أيام بعد رجوعه إلى البلد ، فنقل ودفن بداره ، ثم حوّل إلى عند تربة الشافعي ، وله سبع أو ثمان وعشرون سنة رحمه الله .

ويقال : إنه كان قد عزم في هذه السنة على(١٠) إخراج الحنابلة من بلده ، ويكتب إلى بقية إخوته [أن يخرجوهم من بلادهم](١١) ، وشاع [ذلك عنه ، وسُمع منه وذاع ، وصرح به](١٢) وكل ذلك من معلّميه

---

(١) أ ، ط : حرديل ، وترجمته في مرآة الزمان (٨/ ٤٥٦) والروضتين (٢/ ٢٣٤) وذيلها (١٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠١٥) .
(٢) ط : أيام .
(٣) ليس في ط .
(٤) أ : بنصيبه .
(٥) ط : القدس .
(٦) ليست جملة : رحمه الله . في ط .
(٧) ليس في ط .
(٨) ط : فكانت .
(٩) ط : فرسه فسقط عنه فمات .
(١٠) ليس في ب .
(١١) ط : بإخراجهم من البلاد .
(١٢) ط : وشاع ذلك عنه وذاع وسمع ذلك منه وصرح به .

وخلطائه وعشرائه من الجهمية ، وقلة علمه بالقرآن[١] وبالحديث ، فلما وقع [منه هذا ونوى هذه النية القبيحة الفاسدة أهلكه الله ودمره سريعاً ، وعظم][٢] قدر الحنابلة [بين الخلق][٣] بديار مصر[٤] والشام ، عند الخاص والعام . وقيل : إن بعض صالحيهم دعا عليه ، فما هو إلا أن خرج إلى الصيد فكان هلاكه سريعاً . فالله أعلم .

وكتب القاضي الفاضل كتاب التعزية بالعزيز لعمه[٥] الملك العادل ، وهو [مقيم على محاصرة][٦] ماردين ومعه العساكر وولده محمد الكامل ، وهو نائبه على بلاد الجزيرة المقاربة لبلاد الحيرة ، وصورة الكتاب :

أدام الله سلطان مولانا الملك العادل[٧] وبارك في عمره ، وأعلى أمره بأمره ، وأعز نصر[٨] الإسلام بنصره ، وفدت الأنفسُ نفسَه الكريمة ، وأصغر الله العظائم بنعمه فيه العظيمة ، وأحياه الله حياة طيبة ، هو والإسلام في مواقف[٩] الفتوح الجسيمة ، وينقلب عنها بالأمور المسلمة والعواقب السليمة ، ولا نقص له رجالاً ولا عدداً ، ولا أعدمه نفساً ولا ولداً ، ولا قصر له ذيلاً ولا يداً ، ولا أسخن له عيناً ولا كبداً ، ولا كدَّر له خاطراً ولا مورداً ، ولما قدر الله ما قدر من موت الملك العزيز ، [رحمة الله عليه وتحياته مكررة إليه ، من انقضاء مهله ، وحضور أجله ، كانت بديهة المصاب عظيمة ، وطالعة المكروه أليمة][١٠] ، فرحم الله ذلك الوجه ونَضَّرَه ، ثم إلى سبيل الجنة يسَّره : [من الكامل]

وإِذَا مَحَاسِنُ أَوْجُهٍ بَلِيَتْ فَعَفَا الثَّرى عَنْ وَجْهِهِ الحَسَنِ[١١]

فاعزز على المملوك وعلى الأولياء بل على قلب مولانا لا سلبه الله[١٢] ثياب العزاء بسرعة مصرعه ، وانقلابه إلى مضجعه ، ولباسه ثوب البلاء قبل أن يبلى ثوب الشباب[١٣] ، وزفه إلى التراب ، وسريره

(١) عن أ وحدها .
(٢) أ : فلما وقع ما وقع عظم .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : بمصر .
(٥) أ ، ب : إلى عمه .
(٦) ط : محاصر .
(٧) ب : العادل الناصر .
(٨) ب : نصرة .
(٩) ط : مواقيت .
(١٠) ط : كانت حياته مكدرة عليه منغصة مهملة فلما حصرا قلبه ، الروضتين (٢/ ٢٣٤) .
(١١) جاء البيت في ط بالرواية التالية وكأنه نثر لا شعر : وإذا محاسن الوجه بليت تعفي الثرى عن وجهه الحسن .
(١٢) ليس لفظ الجلالة في الأصول واستدركت عن الروضتين (٢/ ٢٣٤) .
(١٣) أ : الثبات .

محفوف باللِّذات والأتراب ، وكانت مدة المرض بعد العود[١] من الفيوم أسبوعين ، وكانت في الساعة السابعة من ليلة الأحد العشرين[٢] من المحرم ، والمملوك في حال تسطيرها مجموع بين مرض القلب والجسد ، ووجع أطراف[٣] ، وعليل كبد[٤] ، وقد فجع بهذا المولى والعهد بوالده [رحمه الله][٥] غير بعيد ، والأسى عليه في كل يوم جديد .

ولما توفي العزيز [رحمه الله][٦] خلَّف من الولد عشرة ذكور ، فعمد أمراؤه فملَّكوا عليهم ولده محمداً ، ولقبوه بالمنصور ، وجمهور الأمراء في الباطن مائلون إلى تمليك العادل ، ولكنهم يستبعدون[٧] مكانه ، فأرسلوا إلى الأفضل ، وهو بصرخد فأحضروه على البريد سريعاً ، فلما حصل[٨] عندهم منع رفدهم[٩] ، ووجدوا الكلمة مختلفة عليه ، ولم يتم له ما سار[١٠] إليه ، وخامر عليه أكابر الأمراء الناصرية ، وخرجوا من ديار مصر فأقاموا في بيت[١١] المقدس وأرسلوا يستحثون الجيوش العادلية ، فأقر ابن أخيه على السلطنة ونوه بذكره[١٢] على السكة والخطبة في سائر [ما هنالك من المملكة][١٣] لكن استفاد الأفضل في سفرته هذه[١٤] أن أخذ جيشاً[١٥] كثيفاً من المصريين ، وأقبل بهم ليسترد دمشق في غيبة عمه لمحاصرة ماردين ، وذلك بإشارة أخيه صاحب حلب وابن عمه ملك حمص أسد الدين .

فلما انتهى إليها ، ونزل حواليها ، قطع أنهارها ، وعقر أشجارها ، وقلَّل[١٦] ثمارها ، ونزل بمخيمه على مسجد القدم ، وقد لحقه الأسف والندم ؛ وجاء إليه أخوه الظاهر ، وابن عمه الأسد الكاسر ،

---

(١) ط : مدة مرضه بعد عودة .
(٢) ط : الأحد والعشرين .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : وعلة كبد .
(٥) ليس في ط .
(٦) ليس في ط .
(٧) أ ، ب : يستبعدوا .
(٨) ط : حضر .
(٩) أ : وفدهم .
(١٠) ط : صار .
(١١) ط : ببيت .
(١٢) ط : باسمه .
(١٣) ط : بلاد مصر .
(١٤) أ ، ب : ولكن استفاد بهذه السفرة .
(١٥) ب : جيشه .
(١٦) ط : وأكل .

والليث الكاشر ، وجيش حماة ، فكثر جيشه وقوي [الأفضل بن الناصر][(١)] ، وقد دخل جيشه إلى البلد ، ونادوا بشعاره فلم يتابعهم من العامة أحد ، وأقبل العادل من ماردين بعساكره وقد التف عليه أمراء أخيه ، وطائفة بني[(٢)] أخيه ، وأمده كل مصر بأكابره ، وسبق الأفضل إلى دمشق بيومين فحصنها وحفظها ، من كل حاسد وذي عينين ، وقد استناب على ماردين ولده محمداً الكامل . ولما دخل دمشق خامر إليه أكثر الأمراء من المصريين وغيرهم ، وضعف أمر الأفضل ويئس من برهم وخيرهم ، فأقام محاصراً[(٣)] البلد بمن معه حتى انسلخ الحول وهو كذلك ، ثم انفصل الحال في أول السنة الآتية على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ .

وفيها : شُرع في بناء سورٍ لبغداد من الآجُرّ[(٤)] والكلس ، وفرق على الأمراء ، فكملت[(٥)] عمارته بعد هذه السنة فأمنت بغداد من الغرق والحصار ، ولم يكن لها سور قبل ذلك .

[السلطان أبو محمد يعقوب بن يوسف][(٦)] :

[وفي هذه السنة][(٧)] توفي السلطان الكبير أبو محمد يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، صاحب المغرب والأندلس بمدينته ، وكان قد ابتنى[(٨)] عندها مدينة مليحة ، سمّاها المهدية . وقد كان ديّناً حسن السيرة صحيح السريرة ، وكان مالكيَّ المذهب ، ثم صار ظاهريًّا حزميًّا ، ثم مال إلى مذهب الشافعي ، واستقضى في بعض بلاده منهم قضاة[(٩)] ، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ، وكان كثير الجهاد ، رحمه الله ، وكان يؤمّ الناس في الصلوات الخمس ، وكان قريباً إلى المرأة والضعيف [رحمه الله][(١٠)] ، وهو الذي كتب إليه صلاح الدين يستنجده على الفرنج ، فلما لم يخاطبه بأمير المؤمنين غضب من ذلك ولم يجبه إلى ما طلب منه ، وقام بالملك بعده ولده محمد فسار كسيرة[(١١)] والده ، ورجع إليه كثير من البلدان

---

(١) مكانهما في ط : باسه .
(٢) أ ، ب : بنو . وهو خطأ .
(٣) ط : محاصر .
(٤) ط : بالآجر .
(٥) ط : وكملت .
(٦) ترجمته عند ابن الأثير (٩/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦) ومرآة الزمان (٨/ ٣٧٤) وذيل الروضتين (١٦) ووفيات الأعيان (٧/ ٣ ـ ١٩) والعبر (٤/ ٢٨٩) ومرآة الجنان (٣/ ٤٧٩ ـ ٤٨٤) وله ترجمة رائقة في تاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٥١ ـ ١٠٦٤) .
(٧) ط : وفيها .
(٨) ط : بنى .
(٩) ليس في ب .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) ب : كسير .

اللاتي كانت قد عصت على أبيه[١] ثم من بعد ذلك ، تفرقت بهم الأهواء وباد هذا البيت بعد الملك يعقوب [رحمه الله][٢] .

[وفي هذه السنة][٣] ادّعى رجل أعجمي بدمشق أنه عيسى ابن مريم ، فأمر الأمير صارم الدين بزغش نائب القلعة بصلبه عند حمَّام العماد الكاتب خارج باب الفرج مقابل الطاحون التي بين البابين وقد باد هذا الحمام قديماً . وبعد صلبه[٤] بيومين ثارت العامة على الروافض وعمدوا[٥] إلى قبر رجل منهم بباب الصغير ، يقال له : وثاب فنبشوه ، وصلبوه مع كلبين وذلك في ربيع الآخر [من هذه السنة][٦] .

وفي هذه السنة وقعت فتنة كبيرة ببلاد خراسان، وكان سببها أن فخر الدين محمد بن عمر الرازي أستاذ المتكلمين في زمانه وفد إلى الملك غياث الدين الغوري صاحب غزنة ، فأكرمه واحترمه وبنى له مدرسة بهراة، وكان أكثر الغورية كرَّامية، فأبغضوا الفخر الرازي، وأحبوا إبعاده عن[٧] الملك، فجمعوا له جماعة من الفقهاء الحنفية والكرَّامية وخلقاً من الشافعية، وحضر ابن القدوة، وكان شيخاً معظماً في الناس، وهو على مذهب ابن كرّام وابن الهيصم فتناظر هو وفخر الدين ، وخرجا من المناظرة إلى السب والشتم .

فلما كان من الغد اجتمع الناس في المسجد الجامع ، وقام واعظ فتكلم فقال في خطبته : أيها الناس إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله ﷺ ، وأما علم أرسطاطاليس وكفر[٨] ابن سينا وفلسفة الفارابي[٩] فلا نعلمها ولا نقول بها ، وإنما هو كتاب الله وسنة رسوله ، ولأي شيء يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام ، يذبُّ عن دين الله وسنة رسوله على لسان متكلم ليس معه على ما يقول دليل ، قال : فبكى الناس وضجّوا ، وبكى الكرَّامية ، وأعانهم على ذلك قوم [آخرون من الخاصة][١٠] وأنهوا إلى الملك صورة ما وقع ، فأمر بإخراج [فخر الدين من البلد ولم يكن الملك مختاراً لذلك][١١] ، فعاد إلى هراة ،

---

(١) أ ، ب : اللاتي كانوا قد عصوا عليه .
(٢) ليس في ط .
(٣) ط : وفيها .
(٤) أ ، ب : وبعد صلب هذا .
(٥) أ : وعهدوا .
(٦) ط : منها .
(٧) أ ، ب : من .
(٨) ط : كفريات .
(٩) بعدها في ط : وما تلبس به الرازي . وهي لا معنى لها ، لأن الواعظ الذي يتكلم هو ابن عم الفخر الرازي ، وهو يدافع عنه . العبر (٤/ ٢٨٥) .
(١٠) ط : من خواص الناس .
(١١) ط : الرازي من بلاده وعاد .

فلهذا أُشرب قلب الرازي بغض الكرَّامية . فهو[١] يلهج في كلامه بهم في كل موطن ومكان ، وكلما هبت الصبا .

وفي هذه السنة [وقع الرضا عن الشيخ جمال الدين][٢] أبي الفرج بن الجوزي شيخ الوعاظ [في زمانه وبعده][٣] ، وقد كان أُخرج من بغداد إلى واسط ، فأقام بها خمس سنين ، فانتفع به أهلها [واشتغلوا عليه][٤] واستفادوا منه ، فلما عاد إلى بغداد خلع عليه الخليفة ، وأذن له في الجلوس[٥] على عادته عند التربة الشريفة المجاورة لقبر معروف ، فكثر الجمع جدًّا [وحضر الخليفة][٦] وأخذ في العتاب ، وأنشد يومئذ فيما قال يخاطب به الخليفة : [من السريع]

لا تُعْطِشِ الرَّوْضَ الَّذي بنيتَهُ[٧] بِصَوْبِ إنْعامِكَ قَدْ رُوِّضا
لا تَبْرِ عُوداً أَنْتَ قَد رِشْتَهُ حاشَى لباني المَجْدِ أنْ يَنْقُضا
إنْ كانَ لي ذَنْبٌ بحُرْمَتِهِ[٨] فَاسْتَأْنِفِ العَفْوَ وهب ما مَضَى[٩]
قَدْ كُنْتُ أَرْجُوكَ لِنَيْلِ المُنَى فاليَوْمَ لا أَطْلُبُ إلاَّ الرِّضَى

ومما أنشده يومئذ[١٠] : [من الوافر]

شَقينا بالنَّوَى زَمَناً فَلَمَّا تَلاقَيْنَا كَأَنَّا ما شَقِينا
سَخِطْنَا عِنْدَمَا جَنَتِ اللَّيالي وَمَا زَالَتْ بنا حَتَّى رَضِينا
وَمَنْ لَمْ يَحْيَ بَعْدَ المَوْتِ يَوْماً فَإنَّا بَعْدَمَا مِتْنَا حَيِينا

وفي هذه السنة استدعى الخليفة الناصر قاضي الموصل ضياء الدين الشهرزوري فولاّه قضاء قضاة بغداد .

---

(١) ط : وصار .
(٢) ط : وفيها رضي الخليفة عن أبي الفرج .
(٣) ليس في ط .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ط : الوعظ .
(٦) ليس في ب .
(٧) كذا في ط : بنيته وفي الأصل : نبتُه (ع) .
(٨) ط : قد جنيته .
(٩) ط : لي الرضا ، والبيت للشريف الرضي ، وهو تضمين . ذيل الروضتين (١٥) .
(١٠) الأبيات أربعة في ذيل الروضتين (١٥) بزيادة البيت التالي بعد الثاني :
سعدنا بالوصال وكم شقينا كاسات الصدود وكم ضنينا

[وفي هذه السنة][(١)] وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبد الغني المقدسي ، وذلك أنه كان يتكلم في مقصورة الحنابلة بالجامع الأموي ، فذكر يوماً شيئاً من العقائد ، فاجتمع القاضي محيي الدين بن الزكي وضياء الدين الخطيب الدَّولعي بالسلطان المعظم ، والأمير صارم الدين بزغش فعُقِد له مجلس فيما يتعلق بمسألة الاستواء على العرش والنزول والحرف والصوت ، فوافق النجم الحنبلي بقية الفقهاء ، واستمر الحافظ على ما يقوله لم يرجع عنه ، واجتمع بقية الفقهاء عليه ، وألزموه بإلزامات شنيعة لم يلتزمها ، حتى قال له الأمير بزغش : كل هؤلاء على الضلالة وأنت وحدك على الحق ؟ قال : نعم ، فغضب الأمير ، وأمر عند ذلك بنفيه من البلد . [فاستنظر ثلاثة أيام فأُنظر][(٢)] ، وأرسل بزغش الأسارى من القلعة ، فكسروا منبر الحافظ[(٣)] ، وتعطلت يومئذ صلاة الظهر في محراب الحنابلة ، وأخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك ، وجرت خبطة شديدة ، نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وكان عقد المجلس في يوم الإثنين الرابع والعشرين من ذي الحجة . فارتحل الحافظ عبد الغني إلى بعلبك ، ثم سار إلى الديار المصرية[(٤)] فآواه الطحانون[(٥)] ، فحنّوا عليه وأكرموه .

وممن توفي [في هذه السنة][(٦)] من الأعيان :

الأمير الكبير[(٧)] مجاهد الدين قايماز[(٨)] الرومي[(٩)] :

نائب الموصل والمستولي على مملكتها أيام ابن أستاذه نور الدين أرسلان ، وكان عاقلاً ذكيًّا فقيهاً حنفيًّا ، وقيل : شافعيًّا ، يحفظ شيئاً[(١٠)] كثيراً من التواريخ والحكايات ، وقد ابتنى عدة جوامع ومدارس وربط وخانات ، وله صدقات كثيرة دارَّة ، قال ابن الأثير[(١١)] : وقد كان من محاسن الدنيا .

أبو الحسن محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن إسماعيل بن علي بن سليمان ابن يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي[(١٢)] .

---

(١) ط : وفيها .
(٢) ط : فاستنظره ثلاثة أيام فأنظره .
(٣) ط : الحنابلة .
(٤) أ : الديار المصرية .
(٥) ط : المحدثون ، وما أثبتناه هو الصواب ، وينظر تاريخ الإسلام (١٢/ ١٢١٣) .
(٦) ط : فيها .
(٧) ليس في ط .
(٨) ط : قيماز .
(٩) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٤٨) ووفيات الأعيان (٤/ ٨٢ ـ ٨٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٣٨ ـ ١٠٣٩) .
(١٠) ليس في أ .
(١١) ابن الأثير (٩/ ٢٤٨) .
(١٢) ترجمته في تاريخ ابن الدبيثي ١/ ١٩٦ ـ ١٩٨ وذيل الروضتين (١٥) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب=

قاضي القضاة ببغداد بعد ابن البخاري[١] ، [وقد كان من الشافعية][٢] ، تفقه على أبي الحسن بن الخَلِّ وغيره ، وقد كان ولي القضاء والخطابة بمكة ، شرفها الله تعالىٰ ، وأصله منها ، ولكن ارتحل إلى بغداد فنال بها[٣] ما نال ، وآل من أمره بها إلى ما آل ، ثم إنه عزل عن القضاء بسبب محضر رقم خطّه عليه ، وكان فيما قيل مزوَّراً عليه ، فالله أعلم . وجلس[٤] في منزله حتى مات ، رحمه الله .

الشيخ جمال الدين أبو القاسم يحيى بن علي بن الفضل بن هبة الله بن بركة بن فضلان[٥] ، شيخ الشافعية ببغداد .

تفقه أولاً على سعيد بن محمد الرزاز[٦] مدرس النظامية ، ثم ارتحل إلى خراسان فأخذ عن الشيخ محمد الزبيدي تلميذ الغزالي وعاد إلى بغداد وقد اقتبس علم المناظرة والأصلين ، وساد أهل بغداد وانتفع به الطلبة والفقهاء ، وبنيت له مدرسة فدرّس بها ، وبعُدَ صيته ، وكثُرت تلاميذه ، وكان كثيرَ التلاوة ، وإسماع الحديث ، وكان شيخاً حسناً لطيفاً ظريفاً ، ومن شعره قوله[٧] : [من الطويل]

وَإِذَا أَرَدْتَ مَنَازِلَ الأَشْرَافِ فَعَلَيْكَ بِالإِسْعَافِ والإِنْصَافِ
وَإِذَا بَغَا بَاغٍ عَلَيْكَ فَخلِّهِ وَالدَّهْرَ فَهْوَ لَهُ مُكَافٍ كَافِ

ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمئة

استهلت [هذه السنة][٨] والملك الأفضل بالجيش المصري محاصر دمشق لعمه العادل[٩] ، وقد قطع عنها الأنهار والميرة ، فلا خبز ولا ماء إلا قليلاً ، وقد تطاول الحال وقد خندقوا من أرض اللَّوَّان إلى يَلْدا[١٠] خندقاً لئلا يصل إليهم جيش دمشق ، وجاء فصل الشتاء وكثرت الأمطار والأوحال ، فلما دخل

= (ج٤/ ق٣/ ٣١٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٤٢ ـ ١٠٤٣) .
(١) ط : ابن النجاري ، وهو علي بن هبة الله ، تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٩٣ من هذا الجزء .
(٢) ط : وكان شافعياً .
(٣) ط : فنال منها ما نال من الدنيا وآل به الأمر إلى ما آل .
(٤) ط : فجلس .
(٥) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٤٨) وذيل الروضتين (١٥) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٥٠ ـ ١٠٥١) والعبر (٤/ ٢٨٩) ومرآة الجنان (٣/ ٤٧٩) .
(٦) في (ط) : البزاز ، وهو تحريف .
(٧) عن ب وحدها .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) بعدها في أ ، ب : بدمشق .
(١٠) ط : الله . وهو تصحيف .

شهر صفر ، قدم الملك الكامل محمد بن العادل على أبيه بخلق من التركمان ، وعساكر من بلاد الجزيرة والرُّها وحرّان ، فعند ذلك انصرف العساكر المصرية وتفرقوا أيادي سبأ ، فرجع الظاهر [إلى المملكة الحلبية ، والأسد إلى حمصه ، والأفضل إلى الديار المصرية][(١)] ، وسلم العادل من كيد الأعادي ، بعد ما كان قد عزم على تسليم البلد [واستسلم ولكن الله سلَّم ، وطردت][(٢)] الأمراء الناصرية خلف الأفضل ليمنعوه من الدخول إلى القاهرة ، وكاتبوا العادل أن يسرع السير إليهم[(٣)] ، [والقدوم عليهم][(٤)] ، فنهض إليهم سريعاً سامعاً لمشورتهم مطيعاً ، فتحصن الأفضل بالقلعة من الجبل][(٥)] ، وقد اعتراه الضعف والفشل ، ونزل العادل على البركة ، [واستبد بملك مصر آمناً من الشركة][(٦)] ، ونزل إليه ابن أخيه الأفضل خاضعاً ذليلاً [بعد ما كان مهيباً جليلاً][(٧)] ، فأقطعه بلاداً من الجزيرة ، ونفاه من[(٨)] الشام لسوء السيرة ، ودخل العادل [إلى دار السلطان بالقاهرة][(٩)] ، وأعاد القضاء إلى صدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني[(١٠)] الكردي[(١١)] ، وأبقى الخطبة والسكة باسم ابن أخيه المنصور [ولكن هو][(١٢)] المستقلُّ بالأمور ، واستوزر الصاحب صفي الدين بن شكر[(١٣)] لصرامته وشهامته ، وسيادته وديانته ، وكتب السلطان الملك إلى [ابنه الملك][(١٤)] الكامل يستدعيه ، من بلاد الجزيرة ليملّكه على الديار المصرية[(١٥)] ويسترعيه ، فقدم عليه ، فبرز له وأكرمه واحترمه ، وعانقه والتزمه ، وأحضر الملك العادل الفقهاء ، واستفتاهم في صحة مملكة ابن أخيه المنصور بن العزيز ، وأنه صغير ابن عشر سنين ، فأفتوا بأن

---

(١) ط : إلى حلب والأسد إلى حمص والأفضل إلى مصر .

(٢) ط : وسارت .

(٣) ليس في ب .

(٤) ليس في ط .

(٥) ط : فدخل الأفضل مصر وتحصن بقلعة الجبل .

(٦) ط : وأخذ ملك مصر .

(٧) ليس في ط .

(٨) أ ، ب : عن .

(٩) مكانهما في ط : القلعة .

(١٠) ط : المارداني . وهو تصحيف والماراني نسبة إلى بني ماران بالمروج تحت الموصل . وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٣) .

(١١) سترد ترجمته في حوادث سنة ٦٠٥ من هذا الكتاب . وترجمته أيضاً في ذيل الروضتين (٦٧) والعبر (٥/ ١٣) .

(١٢) مكانهما في ط : والعادل .

(١٣) هو عبد الله بن علي بن عبد الخالق بن شكر . سترد ترجمته في حوادث سنة ٦٢٢ من هذا الكتاب . وترجمته في ذيل الروضتين (١٤٧) والعبر (٥/ ٩٠) .

(١٤) ط : ولده .

(١٥) ط : مصر .

ولايته لا تصحّ لأنه تُولّي[(١)] عليه ، فعند ذلك طلب الأمراء ، ودعاهم إلى مبايعته ، فامتنعوا فأرغبهم وأرهبهم ، وقال فيما قال : قد سمعتم ما أفتى به العلماء ، والأئمة والفقهاء ، وقد علمتم أن ثغور المسلمين لا يحفظها الأطفال الصغار ، وإنما يحرسها[(٢)] الملوك الكبار ، فأذعنوا عند ذلك وبايعوه ، ثم من بعده لولده الكامل ، فخطب الخطباء بذلك بعد الخليفة لهما ، وضُربت السكة باسميهما ، واستقرت دمشق باسم المعظَّم عيسى بن العادل ، [كما أن مصر للكامل][(٣)] .

وفي شوال رجع إلى دمشق الأمير فلك [الدين أبو منصور سليمان بن شروة][(٤)] بن جندر ، وهو أخو الملك العادل لأمه ، وهو واقف المدرسة الفلكية داخل باب الفراديس ، وبها قبره فأقام بها محترماً معظَّماً إلى أن توفي رحمه الله في هذه السنة .

[وفي هذه السنة][(٥)] والتي بعدها كان بديار مصر غلاء شديد فهلك بسببه[(٦)] الغني والفقير ، [وعم الجليل والحقير][(٧)] ، وهرب الناس منها نحو الشام ، فلم يصل إليها إلا القليل من الفئام ، وتخطَّفهم الفرنج من الطرقات ، وغروهم من أنفسهم واغتالوهم بالقليل من الأقوات . وأما بلاد العراق فإنه كان مرخصاً رخيًّا ، هنيئاً مريًّا ، فللَّه الحكم والحكمة بكرة وعشيًّا .

قال ابن الساعي في « تاريخه » : وفي هذه السنة باض ديك ببغداد ، سألت[(٨)] جماعة عن ذلك فأخبروني به .

وممن توفي فيها من الأعيان :

السلطان علاء الدين خُوَارزم شاه[(٩)] بن تكش بن ألب أرسلان[(١٠)] بن أتسنر ، من ولد طاهر بن الحسين :

---

(١) ط : متولى .
(٢) ط : يحفظها .
(٣) ط : ومصر باسم الكامل .
(٤) ط : ملك الدين . . بن مسرور .
(٥) ط : وفيها وفي .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ليس في ط .
(٨) ط : فسألت .
(٩) ترجمته وأخباره في ابن الأثير (٩/ ٢٥٠) ومرآة الزمان (٨/ ٤٧١ و٤٧٢) والروضتين (٢/ ٢٤٤) وذيلها (١٧) وتاريخ ابن العبري (٣٩٢ ـ ٣٩٣) وتلخيص مجمع الآداب في مجمع الألقاب (ج٤/ ق٢/ ١٠٠٧) وأبو الفداء (٣/ ٩٨) والعبر (٤/ ٢٩٢) ومرآة الجنان (٣/ ٤٨٥) .
(١٠) ب : أرسلان .

وهو صاحب خوارزم وبعض بلاد خراسان والري وغير[١] ذلك من الأقاليم المتَّسعة ، وهو الذي قطع دولة السلاجقة ، كان عادلاً حسن السيرة ، له معرفة جيدة بالموسيقا ، حسن المعاشرة ، فقيهاً على مذهب أبي حنيفة ، ويعرف الأصول ، وبنى للحنفية مدرسة عظيمة ، ودفن بتربةٍ بناها بخوارزم . وقام في الملك من بعده ولده علاء الدين محمد ، وقد كان قبل ذلك يلقب بقطب الدين .

[نظام الدين مسعود بن علي][٢] :

وفيها : قتل وزير السلطان خوارزم شاه ، نظام الدين مسعود بن علي ، وكان حسن السيرة ، شافعي المذهب ، له مدرسة عظيمة بخوارزم ، وجامع هائل ، وبنى بمرو جامعاً عظيماً للشافعية ، فحسدتهم الحنابلة وشيخهم بها[٣] يقال له شيخ الإسلام ، فيقال : إنهم أحرقوه ، وهذا إنما يصدر من[٤] قلة الدين والعقل ، واحترام معاني الإسلام ، فأغرمهم السلطان خوارزم شاه على ما غرم الوزير على بنائه[٥] .

[عبد المنعم بن عبد الوهاب][٦] :

وفيها : توفي الشيخ المسند المُعَمَّر رحلة الوقت ، أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن صدقة بن الخضر بن كليب الحراني الأصل البغدادي المولد والدار والوفاة ، عن ست وتسعين سنة . سمع الكثير وأسمع ، وتفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ ، وكان من أعيان التجار وذوي الثروة رحمه الله .

الفقيه مجد الدين ، أبو محمد[٧] طاهر بن نصر الله بن جَهْبَل[٨] : مدرس القدس الشريف ، أول من درَّس بالصلاحية ، وهو والد الفقهاء [من] بني جَهْبَل[٩] الذين كانوا بالمدرسة الجاروخية[١٠] ، ثم صاروا إلى العمادية والدماغية ، في أيامنا هذه ، ثم ماتوا ولم يبق إلا ذكرهم[١١] .

---

(١) ط : وغيرها .
(٢) أخباره وترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٩١) .
(٣) ب : بها شيخ يقال له .
(٤) ط : إنما يحمل عليه .
(٥) ب : عليه .
(٦) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٥١) وتاريخ ابن النجار (١/ ١٦٦) وذيل الروضتين (١٨) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٨٠ ـ ١٠٨١) والعبر (٤/ ٢٩٣) ومرآة الجنان (٣/ ٤٨٨) .
(٧) ترجمته في ذيل الروضتين (١٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٧٢) والعبر (٤/ ٢٩٢) ومرآة الجنان (٣/ ٤٨٥) .
(٨) ط : أبو محمد بن طاهر بن نصر بن جميل ، وهو تصحيف .
(٩) ط : بني جميل الدين ، وفيها تصحيفان .
(١٠) المدارس الثلاث في منادمة الأطلال (٩٣ ، ٩٧ ، ١٣٣) .
(١١) لعل العبارة تكون هكذا : ثم ماتوا ولم يبق إلا ذكرهم ، وفي ط : ثم أتوا ولم يبق إلا شرحهم (ع) .

الأمير صارم الدين قايماز[١] بن عبد الله[٢] النجمي :

من أكابر الدولة الصلاحية ، وكان عند الملك صلاح الدين بمنزلة استادار[٣] ، وهو الذي[٤] تسلَّم القصر حين مات العاضد . فحصل له أموال جزيلة جدًّا ، وكان كثير الصدقات والأوقاف ، وقد[٥] تصدَّق في يوم بسبعة آلاف دينار عيناً ، وهو واقف المدرسة القيمازية[٦] ، شرقي القلعة المنصورة ، وقد كانت دار الحديث الأشرفية داراً لهذا الأمير ، وله بها حمَّام ، فاشترى ذلك الملك الأشرف فيما بعد وبناها دار حديث ، وأخرب الحمام وبناه مسكناً للشيخ المدرس بها . ولما توفي قايماز[٧] ودفن في قبره نبشت دوره وحواصله ، وكان مُتَّهماً بمال جزيل ، فتحصل ما جمع من ذلك مئة ألف دينار ، وكان يُظن أن عنده أكثر من ذلك، ولكن كان يدفن أمواله في الخراب من أراضي ضياعه وقراياه ، فسامحه الله ، وبل بالرحمة ثراه .

الأمير الكبير لؤلؤ[٨] :

أحد الحجَّاب بالديار المصرية ، ومن[٩] أكابر الأمراء في الدولة الصلاحية[١٠] ، وهو الذي كان يستلم[١١] الأسطول في البحر ، فيكون كالشجا في حلوق الفرنج ، والبحر في البحر ، فكم من شجاع قد أَسر ، وكم من مركب قد كَسَر ، وكم من أسطول لهم قد فرَّق شَمْلَه ، ومن بطسةٍ وقاربٍ قد غرَّقَ أهله ، وقد كان مع كثرة جهاده دارَّ الصدقات ، كثير النفقات في كل يوم . [وكان بديار مصر غلاءٌ شديد][١٢] ، فتصدق باثني عشر ألف رغيف لاثني عشر ألف نفس ، فجزاه الله خيراً ، ورحمه في قبره ، وبيَّض وجهه يوم محشره ومنشره ، آمين .

الشيخ الإمام الفقيه العلامة شهاب الدين الطوسي[١٣] :

---

(١) ترجمته في الروضتين (٢/ ٢٣٩) .
(٢) ط : النجمي كان .
(٣) ط : الأستاذ .
(٤) ليس في ب .
(٥) ليس في ط .
(٦) منادمة الأطلال (١٩٨) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ترجمته في الروضتين (٢/ ٢٤٠) .
(٩) ط : وكان من .
(١٠) ط : في أيام صلاح الدين .
(١١) ط : متسلم .
(١٢) ط : وقع غلاء بمصر .
(١٣) ترجمته في الروضتين (٢/ ٢٤٠) وذيلها (١٨) واسمه فيه : محمد ، وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٨٨ ـ ١٠٨٩) والعبر (٤/ ٢٩٤) ومرآة الجنان (٣/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨) واسمه فيها : محمد بن محمود أبو الفتح الطوسي .

أحد مشايخ الشافعية بديار مصر ، شيخ المدرسة المنسوبة إلى تقي الدين شاهنشاه ابن أيوب التي يقال لها منازل العز ، وهو من أصحاب محمد بن يحيى تلميذ الغزالي وكان له قدر ومنزلة عند ملوك مصر ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، إلى أن توفي رحمه الله في هذه السنة ، فازدحم الناس في[١] جنازته ، وتأسفوا عليه .

الشيخ ظهير الدين عبد السلام الفارسي[٢] : شيخ الشافعية بحلب ، أخذ الفقه عن محمد بن يحيى [تلميذ الغزالي][٣] ، وتتلمذ للفخر[٤] الرازي ورحل إلى مصر ، وفُوِّض إليه[٥] أن يدرّس بتربة الشافعي فلم يقبل ، فسار[٦] إلى حلب ، فأقام بها إلى أن توفي في هذه السنة .

الشيخ العلامة بدر الدين بن عسكر[٧] : رئيس الحنفية بدمشق ، قال أبو شامة : ويعرف بابن العقادة[٨] .

الشاعر الماهر الهمام العبدي[٩] : وهو أبو الحسن علي بن نصر بن عقيل بن أحمد بن علي بن عبد القيس بن ربيعة .

وهو بغدادي ، قدم دمشق في سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، ومعه ديوان شعر ، له فيه دُرَرٌ حسان ، وفرائد وعقائد وعقيان ، وقد تصدى لمدح الملك الأمجد[١٠] صاحب بعلبك . [ومن قيله][١١] : [من الطويل][١٢]

ومَا النَّاسُ إلاَّ كاملُ الحَظِّ ناقِصٌ　　وَآخَرُ مِنْهُمْ ناقِصُ الحَظِّ كامِلُ

(١) ط : على .
(٢) ترجمه الزكي المنذري في التكملة (١/ ٣٥٩) وهو فيه : أبو المعالي عبد السلام بن محمود بن أحمد الفارسي المنعوت بالظهير ، والروضتين (٢/ ٢٤٠) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٠٧٨) وقال المنذري : « أجاز لنا بدمشق في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وخمسمئة » .
(٣) ليس في ب .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : وعرض عليه ، أ ، ب : وفرض عليه ، وما هنا عن الروضتين .
(٦) أ ، ب : فصار . ط : فرجع ، وما هنا عن الروضتين .
(٧) ترجمته في الروضتين (٢/ ٢٤٠) .
(٨) كذا في الروضتين ، وفي ذيلها (١٧) : ابن العفارة .
(٩) ترجمته في الروضتين (٢/ ٢٤٠) وذيلها (١٩) .
(١٠) سترد ترجمة الأمجد في حوادث سنة ٦٢٨ من هذا الكتاب .
(١١) ط : وله .
(١٢) البيتان في الروضتين (٢/ ٢٤١) .

وإنِّـي لمُثْـرٍ مـن حَيـاءٍ وعِفَّـةٍ[١] وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي مِنَ المالِ طائِلُ[٢]

القاضي[٣] الفاضل : الإمام العلاَّمة شيخ الفصحاء والبلغاء أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي المجد علي بن الحسن بن البيساني[٤] المولى الأجل القاضي الفاضل .

كان والده[٥] قاضياً بعسقلان ، فأرسل ولده في الدولة الفاطمية إلى الديار المصرية ، فاشتغل بها بكتابة الإنشاء على الشيخ أبي الفتح بن قادوس[٦] وغيره ، فساد أهل البلاد حتى بغداد شرقاً وغرباً ، بُعداً وقرباً ، ولم يكن له في زمانه نظير ولا عون ، ولا فيما بعده إلى وقتنا هذا [مماثل ولا مناظر ولا نديد][٧] ، ولما استقر الملك صلاح الدين [في الديار المصرية][٨] جعله كاتبه وصاحبه ووزيره ومشيره وجليسه وأنيسه ، وكان[٩] أعز عليه من أهله وأولاده ، وأكرم عليه من طريفه وتلاده ، وتساعدا حتى فتح الأقاليم [والبلدان والحصون والمعاقل][١٠] هذا بحسامه وسنانه ، وهذا بلسانه[١١] وقلمه وبيانه ، وقد كان القاضي الفاضل مع كثرة أمواله ووجاهته ورئاسته كثير الصدقات ، والصلات ، والصيام والصلاة ، وكان[١٢] يواظب في كل يوم وليلة على ختمةٍ كاملة ، مع ما يزيد عليها من نافلة ، رحيم القلب ، حسن السيرة ، طاهر القلب والسريرة ، له مدرسة بديار مصر على الشافعية والمالكية ، وأوقاف على تخليص الأسارى ، من أيدي النصارى ، وقد اقتنى من الكتب نحواً من مئة ألف كتاب ، وهذا شيء لم يفرح به أحد من الوزراء ولا العلماء ولا الملوك [ولا الكتّاب][١٣] . [كان مولده][١٤] في سنة ثنتين وثلاثين

---

(١) ط : من خيار أعفة . الروضتين .

(٢) ط : كامل . وقد صحف ناسخ ب كلمتي : المال طائل . واستحق منها كلمة واحدة هي : المائل .

(٣) ترجمته وأخباره في خريدة مصر (١م٣٥) وابن الأثير (٩/ ٢٥١) والروضتين (٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٤) ووفيات الأعيان (٣/ ١٥٨ ـ ١٦٣) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (٣/ ٢٤ ـ ٢٥) وأبو الفداء (٣/ ٩٨) ونهاية الأرب (٨/ ١ ـ ٥١) والعبر (٤/ ٢٩٣) ومرآة الجنان (٣/ ٤٨٥ ـ ٤٨٧) .

(٤) ط : وفيها توفي القاضي الفاضل .

(٥) ط : أبوه .

(٦) هو محمد بن إسماعيل بن قادوس . تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٥١ من هذا الجزء .

(٧) ط : مثيل .

(٨) ط : بمصر .

(٩) أ : فكان .

(١٠) ط : والبلاد .

(١١) ط : وهذا بقلمه ولسانه وبيانه .

(١٢) عن ط وحدها .

(١٣) ليس في ط .

(١٤) ط : ولد .

وخمسمئة[١] وكانت وفاته[٢] في يوم دخل العادل إلى قصر مصر بمدرسته ، فجأة يوم الثلاثاء سادس ربيع الآخر واحتفل الناس بجنازته ، وزار قبره في اليوم الثاني الملك العادل ، وتأسف عليه ، [ويقال : إنه][٣] استوزر الملك العادل صفي الدين ابن شكر ، [فلما سمع الفاضل بذلك][٤] دعا الله تعالى أن لا يحييه إلى هذه الدولة ، لما بينهما من المنافسة ، فمات ، رحمه الله ، ولم ينله أحد بضيم يؤذيه[٥] ولا رأى في الدولة من هو أكبر منه [ولا من يدانيه . وقد امتدحه الشعراء فأكثروا ، ومن أحسن ما مدح][٦] به قول القاضي هبة الله بن سناء المُلْك[٧] : [من الكامل]

عَبْدُ الرَّحيم على البَرِيَّةِ رحمةٌ ... أمِنَتْ بصُحْبَتها حلولَ عقابِها
يا سائلي عَنْهُ وعن أسبابِه ... نالَ السماءَ فسَلْهُ عن أسبابِها
والدَّهْرُ يعلمُ أنَّ فيصلَ خطبه ... بخُطى براعته وفصلِ خطابِها
ولقد عَلَتْ رتبُ الأجلّ على الورى ... بسمُوّ منصبها[٨] وطيب نصابِها
وَأَتَتْهُ خاطبةً إليه وزارةٌ ... ولطالما أعْيَتْ على خُطّابِها
[ما لَقَّبوهُ بها لأنَّ بعلمها ... أسماءَه][٩] أَغْنَتْهُ عن ألْقابِها
مال الزمانُ لغيرهِ إذ رامها[١٠] ... تَرِبَتْ يمينُكَ لَسْتَ من أَتْرابِها
[إذهَبْ طَريقَكَ لستَ من آرابها ... وارجِع وراءَكَ لستَ من أَرْبَابِها][١١]
وبِعِزّ سيدنا وسيّد غيرنا ... ذَلَّتْ من الأيامِ شمسُ صِعابِها
وَأَتَتْ سعادتُهُ إلى أبوابه ... لا كالذي يَسْعَى إلى أبوابِها
تَعْنُو الملوكُ لوَجْهِهِ بوجوهِها ... لا بل تُساقُ لبابه برقابِها
شَغَلَ الملوكَ بما يَقولُ[١٢] ونفسُهُ ... مشغولةٌ بالذّكرِ في محرابِها

---

(١) في بعض المصادر أنه ولد سنة ٥٢٩ .
(٢) ط : توفي يوم .
(٣) ط : ثم .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ط : ولا أذى .
(٦) ط : وقد رثاه الشعراء بأشعار حسنة منها .
(٧) الأبيات في الروضتين (٢/ ٢٤٣) .
(٨) في الروضتين : منصبها .
(٩) أ ، ب : أسماؤه ، وما هنا عن الروضتين .
(١٠) أ ، ب : زانها . وما هنا عن الروضتين .
(١١) عن ب وحدها .
(١٢) ط : يزول .

في الصَّوْمِ والصَّلَواتِ أَتْعَبَ نفسَهُ … وضَمانُ راحتِه على أَتْعابِها
وتعجَّلَ الإقلاعَ عن لذّاتِهِ … ثقةً بحُسْنِ مآلِها ومآبِها
فَلْتَفْخَرِ الدُّنْيا بسائسِ مُلْكِها … منهُ ودارسِ علمها وكتابِها
صَوَّامِها قَوّامِها عَلاّمِها … عمالِها بَذّالِها وهّابِها

والعجب أن القاضي[1] الفاضل مع براعته [وفصاحته التي لا تُدانى ، ولا تحاذى ، لا يعرف][2] له قصيدة طويلة [طنانة بل له][3] ما بين البيت والبيتين[4] في أثناء الرسائل[5] وغيرها شيء كثير جدًّا ، فمن ذلك قوله[6] : [من الطويل]

سَبَقْتُمْ بِإِسْدَاءِ الجَمِيلِ تَكَرُّماً … وَمَا مِثْلُكُم فيمن تَحَدَّثَ أَوْ حَكَى[7]
وَقد كانَ ظَنّي أَنْ أُسابِقَكمْ به … ولكنْ بَكَتْ[8] قَبلي فهَيَّجَ لي البُكا

[ومن ذلك قوله][9] : [من الطويل]

وَلي صاحبٌ ما خِفْتُ من جَورِ حادثٍ … من الدَّهْرِ إلاَّ كانَ لي من وَرائِهِ
إذا عضَّني صَرْفُ الزَّمانِ فإنَّني … برايَاتِه أَسْطُو عَلَيْهِ ورائِهِ

وقوله[10] في بُدُوِّ أَمْرِهِ : [من الوافر]

أَرَى الكُتَّابَ كُلَّهمُ جَميعاً … بأَرْزَاقٍ تعمُّهمُ سنينا
وما لي بَيْنَهُمْ رزقٌ كأني … خُلِقْت من الكرامِ الكاتِبينا

وله في النحلة والزلقطة : [من الكامل]

ومُغَرِّدَيْن تَجاوَبا في مَجْلِسٍ … فَنَفاهُما لأَذاهُما الأَقْوَامُ
هذا يَجُودُ بِعَكْسِ مَا يَأْتِي بهِ … هذا فيُحْمَدُ ذا وذاكَ يُذامُ

---

(١) ليس في ط .
(٢) مكانهما في ط : ليس .
(٣) ط : مثيل .
(٤) أ : ما بين ثلث وثنتين .
(٥) ط : رسائله .
(٦) البيتان في الروضتين (٢/ ٢٤٤) .
(٧) أ ، ط : يحدث أو يحكي .
(٨) ط : بلت .
(٩) ط : وله .
(١٠) أ : كف .

وله في ممسحة القلم : [مجزوء الرجز]

مِمسحـــــةٌ نَهـــارُهـــا [سكناها][١] عن لَيْلِ الظُّلَمْ
كَـــأنَّهـــا مِـــنْ طَـــرْفِهـــا مِنْـــديـــلُ أطـــرافِ القَلَـــمْ

وقوله :

بِتْنَـا عَلَـى حـالٍ تسرُّ الهَـوى لكِنَّـــهُ لا يمكـــنُ الشَّـــرْحُ
بَـــوَّابنـــا اللَّيْـــلُ وقُلْنـــا لَـــهُ إنْ غِبْـتَ عَنَّـا هَجَـمَ الصُّبْـحُ

وسأله الملك العزيز عثمان بن الناصر عن جارية من حظاياه أرسلت له[٢] زِرّاً من ذهب مغلَّف بعنبر أسود ، فأنشأ الفاضل[٣] يقول :

أَهْدَتْ لَكَ العَنْبَرَ في وَسْطِهِ زِرّ مِـنَ التِّبْـرِ خَفِـيّ[٤] اللِّحـامْ
الـزرُّ[٥] فـي العَنْبَـرِ مَعْنَـاهُمـا زُرْ هكذَا مُخْتَفِياً في الظَّلامْ[٦]

قال القاضي[٧] ابن خلكان[٨] : وقد اختلف في لقبه فقيل : محيي الدين ، وقيل : مجير الدين ، وحكي عن عمارة اليمني [أنه ذكره بذكر][٩] جميل ، وأن العادل بل الصالح هو الذي استقدمه من الإسكندرية ، واستخدمه ، وكان معدوداً من حسناته ، ومثقلاً لكفاته . وقد بسط القاضي ابن خلكان ترجمته بنحو ما ذكرنا ، وفي هذه زيادة كثيرةٌ ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمئة

فيها : اشتد الغلاءُ بأرض مصر جدًّا ، فهلك خلق[١٠] كثير جدًّا من الفقراء والأغنياء ، ثم أعقبه فناء

---

(١) في الأصل الكلام غير واضح ، ولعلها تكون هكذا والله أعلم ، لكي يستقيم وزن الشعر (ع) .
(٢) ط : وأرسلت جارية من جواري الملك العزيز إلى الملك العزيز .
(٣) ط : فسأل الملك الفاضل عن معنى ما أرادت بإرساله فأنشأ يقول .
(٤) ط : زر من التبر رقيق .
(٥) ط : فالزر .
(٦) الأبيات في وفيات الأعيان (٣/ ١٦٠ ـ ١٦١) .
(٧) ليس في ط .
(٨) وفيات الأعيان (٣/ ١٦٣) .
(٩) ط : أنه كان يذكر .
(١٠) عن ط وحدها .

عظيم ، حتى حكى الشيخ أبو شامة في « الذيل »[١] أن [السلطان الملك][٢] العادل كفَّن من ماله في مدة شهر من هذه السنة نحواً من مئتي ألف وعشرين ألف ميت ، وأُكلت الكلاب والميتات [في هذه السنة][٣] بمصر ، وأُكِل من الصغار والأطفال خلقٌ كثير ، [يشوي الصغيرَ][٤] والداه ويأكلانه ، وكثر هذا في الناس جدًّا حتى صار لا ينكر بينهم ، ثم [صاروا يحتالون على بعضهم بعضاً ، فيأكلون من يقدرون عليه ، ومن غلب من قوي ضعيفاً ذبحه وأكله ، وكان الرجل يضيف صاحبه ، فإذا خلا به ذبحه وأكله][٥] .

ووجد عند بعضهم أربعمئة رأس . وهلك كثير من الأطباء الذين يُسْتَدْعَوْنَ إلى المرضى ، ويُذْبحون[٦] ويُؤْكَلون ، كان الرجل يستدعي الطبيب ثم يذبحه ويأكله .

وقد استدعى رجل طبيباً حاذقاً ، وكان الرجل موسراً من أهل المال ، [فخاف الطبيب وذهب معه][٧] على وَجَل وخوف ، فجعل الرجل يتصدق على مَنْ لقيه في الطريق ، ويذكر الله ويسبّحه[٨] ، ويكثر من ذلك ، فارتاب به الطبيب ، وتخيّل منه ، ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه ، [فلما وصلا إلى الدار فإذا][٩] هي خربة فارتاب الطبيب أيضاً ، [فخرج رجل من الدار فقال لصاحبه][١٠] : ومع هذا البطء جئت لنا بصيد . فلما سمعها الطبيب هرب ، فخرجا خلفه سراعاً فما خلص إلا بعد جهد جهيد[١١] .

وفيها : وقع وباءٌ شديدٌ ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن ، وكانوا يسكنون في عشرين قرية ، فبادت منها ثماني عشرة قرية لم يبق فيها ديَّارٌ ولا نافخ نار . وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها ، ولا يستطيع أحد أن يسكن تلك القرايا[١٢] ، ولا يدخلها ، بل كل من اقترب إلى شيء من هذه القرايا[١٣] هلك من ساعته

---

(١) ذيل الروضتين (١٩) .
(٢) ليس في ط .
(٣) ط : فيها .
(٤) أ ، ب : يشويه .
(٥) ما بينهما مختلف عما في ط كثيراً .
(٦) ط : فكانوا يذبحون .
(٧) ط : فذهب الطبيب معه .
(٨) أ ، ب : ويسبح .
(٩) ط : حتى دخل داره فإذا .
(١٠) ط : فخرج صاحبه فقال له .
(١١) ط : جهد وشر .
(١٢) ط : القرى .
(١٣) ط : القرى .

[فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون][١] ، وأما القريتان الباقيتان فإنهما لم يمت منهما واحد ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم من القرى ، بل هم على ما كانوا عليه[٢] لم يفقد منهم أحد ، فسبحان الحكيم العليم .

واتفق باليمن في هذه السنة كائنة غريبة جدًّا ، وهي أن رجلاً يقال له : عبد الله بن حمزة العلوي ، كان قد تغلب على كثير من بلدان[٣] اليمن ، وجمع نحواً من اثني عشر ألف فارس ، ومن الرَّجَّالة جمعاً كثيراً وخافه ملك اليمن إسماعيل بن سيف الإسلام طُغْتِكين بن أيوب[٤] ، وغلب على ظنه زوال ملكه على يدي هذا المتغلّب ، وأيقن بالهلكة لضعفه عن مقاومته ، واختلاف أمرائه [عليهم إلى هذا العلوي خوفاً منه ، فقصده العلوي المذكور ، فلما كان بينهم مراحل اجتمع خاصة أمرائه][٥] معه في المشورة ، فأرسل الله صاعقة ، فنزلت عليهم ، فلم يَبْقَ منهم أحد [سوى طائفة من الخيَّالة والرجالة][٦] ، [فاضطرب الجيش فيما بينهم ، فأقبل المعز بعسكره فغشيهم فقتل][٧] منهم ستة آلاف قتيل[٨] واستقر في ملكه آمناً .

وفيها : تكاتب الأخوان الأفضل من صرخد ، والظاهر من حلب على أن يجتمعا على حصار دمشق وينزعاها من المعظم بن العادل ، وتكون للأفضل ، ثم يسيرا[٩] إلى الديار المصرية فيأخذاها[١٠] من العادل وابنه الكامل اللَّذين نقضا العهد ، وأبطلا خطبة المنصور بن العزيز ونكثا المواثيق ، فإذا استقر[١١] لهما ملك مصر كانت للأفضل وتصير دمشق مضافة للظاهر[١٢] مع حلب ، ولما[١٣] بلغ الملك العادل[١٤]

---

(١) ط : نعوذ بالله من بأس الله وعذابه وغضبه وعقابه .
(٢) ط : على حالهم .
(٣) ط : البلاد .
(٤) تقدم الحديث عنه في حوادث سنة ٥٩٣ من هذا الجزء أثناء ترجمة أبيه طغتكين .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ط : فاختلف جيشه فيما بينهم فغشيهم المعز فقتل .
(٨) ليس في ط .
(٩) الصيغة بالمفرد في أ وب . ابن الأثير (٩/ ٢٥١) والعبر (٤/ ٢٩٦) .
(١٠) الصيغة بالمفرد في أ .
(١١) ط : فإذا أخذا مصر .
(١٢) ط : إلى الظاهر .
(١٣) ط : فلما .
(١٤) ليس في ب .

ما تمالآ[١] عليه ، أرسل جيشاً مدداً لابنه المعظَّم عيسى بدمشق[٢] ، فوصلوا إليها قبل وصول الظاهر وأخيه الأفضل إليها ، وكان وصولهما إليها في ذي القعدة من ناحية بعلبك [فنزلا بجيشهما في ناحية مسجد القدم][٣] ، واشتد الحصار للبلد ، وتسلّق كثير من الجيش من ناحية خان القدم ، ولم يبق إلا فتح البلد ، لولا هجوم الليل ، ثم إن الظاهر بدا له [فيما كان عاهد أخاه عليه من كون دمشق][٤] للأفضل ، فرأى أن تكون له أولاً ، ثم إذا فُتحت مصر تسلَّمها الأفضل ، فأرسل إليه في ذلك فلم يقبل الأفضل ، واختلفا في ذلك ، وتفرقت[٥] كلمتهما ، وتنازعا الملك بدمشق ، فتفرقت الأمراء عنهما . وكوتب العادل في الصلح ، فأرسل يجيب إلى ما سألا ، وزاد في إقطاعهما[٦] شيئاً من بلاد الجزيرة ، وبعض معاملة المعرَّة ، وتفرقت العساكر عن دمشق[٧] في محرم سنة ثمان وتسعين [وسار كل من الملكين إلى تسلم البلاد][٨] التي أُقطعها ، وجرت خطوب يطول شرحها .

وقد كان الظاهر وأخوه كتبا إلى صاحب الموصل نور الدين أرسلان الأتابكي أن يحاصر مدن الجزيرة التي مع عمهما العادل ، فركب في جيشه وأرسل إلى ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار ، واجتمع معهما صاحب ماردين الذي كان العادل قد حاصره وضيّق عليه مدة طويلة ، فقصدت العساكر حَرَّان ، وبها الفائز ابن العادل ، فحاصروه مدة ، ثم لما بلغهم وقوع الصلح بين العادل وابني أخيه الظاهر والأفضل عدلوا إلى المصالحة[٩] ، وذلك بعد طلب الفائز ذلك منهم ، وتمهدت الأمور واستقرت على ما كانت عليه ، ولله الحمد والمنة .

[وفي هذه السنة][١٠] ملك غياث الدين وأخوه شهاب الدين الغوريان جميع [ما كان يملك][١١] خوارزم شاه من البلدان والحواصل والأموال ، وجرت لهم خطوب طويلة[١٢] جدًّا .

---

(١) أ ، ب : تمالؤوا .
(٢) ط : إلى دمشق .
(٣) ط : فنزلا على مسجد القدم .
(٤) ط : في كون دمشق .
(٥) ط : فاختلفا وتفرقت .
(٦) أ : فأرسل يجيب إلى ما ينالا من إقطاعهما .
(٧) أ ، ب : عن البلد .
(٨) ط : وسار كل منهما إلى ما تسلم من البلاد .
(٩) بعده في أ ، ب : مضيا .
(١٠) ط : وفيها .
(١١) أ ، ب : ما يملكه .
(١٢) ب : كثيرة .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق ، وكان جمهورها وعظمها[١] بالشام ، تهدمت منها دور كثيرة ، [وتخربت محالٌّ كثيرة ، وخسف][٢] بقرية من أرض بصرى ، [وأما سواحل الشام وغيرها فهلك][٣] فيها[٤] شيء كثير ، وخربت[٥] محال كثيرة من طرابلس وصور وعكا ونابلس ، ولم يبق بنابلس سوى حارة السامرة ومات بها وبقراها[٦] ثلاثون ألفاً تحت الردم ، وسقط طائفة كثيرة من المنارة الشرقية [بجامع دمشق][٧] ، وأربع عشرة ، شرفة[٨] منه ، وغالب الكلاسة والبيمارستان[٩] النوري ، وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون ، وسقط غالب قلعة بعلبك مع وثاقة بنيانها ، وانفرق[١٠] البحر إلى قبرص ، وقد قذف[١١] بالمراكب منه إلى ساحله ، وتعدى إلى ناحية الشرق فسقط بسببها[١٢] دور كثيرة ومات أمم لا يحصون ولا يُعدُّون حتى قال صاحب « مرآة الزمان » : إنه مات في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو[١٣] من ألف ألف ومئة ألف إنسان ، [نقله في « ذيل الروضتين » عنه][١٤] .

[وممن توفي في هذه السنة من المشاهير والأعيان][١٥] :

الشيخ أبو الفرج بن الجوزي[١٦] : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عُبيد الله بن عبد الله بن حُمَّادَى بن

---

(١) الخبر ليس في ب .
(٢) ليس في أ .
(٣) أ ، ب : وأما السواحل فهلك .
(٤) أ : فيه .
(٥) ط : وأخربت .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ط : بدمشق بجامعها .
(٨) أ ، ط : شرافة .
(٩) ط : والمارستان .
(١٠) ب : بنائها وانفلق .
(١١) في الأصلين وط : حذف . وما هنا عن ذيل الروضتين .
(١٢) ط : بسبب ذلك .
(١٣) أ ، ب : نحواً . خطأ .
(١٤) مكانهما في ط : قتلاً تحتها ، وقيل إن أحداً لم يحص من مات فيها ، والله سبحانه أعلم . قلت : وهذا الكلام غير وارد في ذيل الروضتين المطبوع .
(١٥) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(١٦) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٥٥) ومرآة الزمان (٨/ ٨٤١) وله ترجمة في ذيل الروضتين (٢١ ـ ٢٨) وفي وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠ ـ ١٤٢) وأبو الفداء (٣/ ١٠١) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١٠٠ ـ ١١١٤) والعبر (٤/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) وتذكرة الحفاظ (١٣٤٢) ومرآة الجنان (٣/ ٤٨٦ ـ ٤٩٢) وذيل ابن رجب (١/ ٣٩٩ ـ ٤٣٣) .

أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي ـ نسبة إلى فرضة نهر البصرة ـ ابن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي ، القرشي التَّيْمي البغدادي الحَنْبَلي .

أحد أفراد العلماء ، برَّز في كثير من العلوم[١] ، وانفرد بها عن غيره ، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمئة مصنف ، وكتب بيده نحواً من ألفي[٢] مجلدة .

وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إلى مثله[٣] ، ولا يُلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله ، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبة كلامه[٤] وحلاوة ترصيعه ، ونفوذ وعظه ، وغوصه على المعاني البديعة ، وتقريبه الأشياء الغريبة بما[٥] يشاهَدُ من الأمور الحسية ، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك ، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة .

هذا وله في العلوم كلها اليد الطولى ، والمشاركات في سائر أنواع العلوم[٦] من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من الفقه والنحو .

وله من المصنفات في ذلك مايضيق هذا المقام[٧] عن تعدادها ، وحصر أفرادها ، [ولكن من مشاهير مصنفاته][٨] : كتابه في التفسير الشهير « بزاد المسير »[٩] .

وله تفسير أبسط منه ، ولكنه ليس بمشهور ، ولا منكور .

وله «جامع المسانيد» استوعب به غالب مسند الإمام أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي .

وله كتاب « المنتظم في تواريخ الأمم من العرب والعجم » في عشرين مجلداً ، قد أوردنا في كتابنا هذا كثيراً منه من حوادثه وتراجمه ، ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار تاريخاً ، وما أحقَّهُ بقول الشاعر : [من البسيط]

---

(١) ط : علوم كثيرة .

(٢) ط : مائتي ، وهو تصحيف . ذيل الروضتين (٢١) .

(٣) ط : لم يسبق إليه .

(٤) ط : وعذوبته .

(٥) ط : فيما .

(٦) ط : أنواعها .

(٧) ط : هذا المكان .

(٨) ط : منها .

(٩) وقد طبع هذا الكتاب القيّم في المكتب الإسلامي بدمشق بين عامي ١٣٨٤ـ إلى ١٣٨٨هـ وقام بتحقيقه وتخريج نصوصه والتعليق عليه وإعداد فهارسه الشيخان الفاضلان شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، ثم أعاد طبعه المكتب الإسلامي في بيروت مصوراً عن هذه الطبعة عدة مرات .

ما زِلْتَ تَدْأَبُ في التاريخِ مُجْتَهِداً حَتَّى رَأَيْتُكَ في التاريخِ مَكْتوبا

وله مقامات وخطب .

وله « الأحاديث الموضوعة » [و] : « العلل المتناهية في الأحاديث الواهية » وغير ذلك .

ولد سنة عشر وخمسمئة ، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين ، وكان أهله تجاراً في النحاس ، فلما ترعرع جاءت به عمَّته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ(١) ، فلزم الشيخ [وقرأ عليه](٢) وسمع عليه الحديث وتفقه بابن الزاغوني(٣) ، وحفظ الوعظ ، ووعظ وهو دون(٤) عشرين سنة ، وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي(٥) ، وكان وهو صبي(٦) ديناً مجموعاً على نفسه ، لا يخالط أحداً ولا يأكل مما فيه شبهة ؛ ولا يخرج من بيته إلا للجمعة وكان لا يلعب مع الصبيان .

وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء والملوك والأمراء والعلماء والفقراء ، ومن سائر صنوف بني آدم ، وأقل ما كان يجتمع في [مجلس وعظه](٧) عشرة آلاف ، وربما اجتمع فيه مئة ألف أو يزيدون ، وربما تكلم من خاطره على البديهة نظماً ونثراً ، رحمه الله . وبالجملة كان أستاذاً فرداً في الوعظ وغيره . [وله مشاركات حسنة في بقية العلوم](٨) . وقد كان فيه بهاء وترفُّع في نفسه وسموٌّ(٩) بنفسه أكثر من مقامه ، وذلك ظاهر(١٠) في نثره ونظمه ، فمن ذلك قوله : [من الكامل]

ما زلْتُ أُدركُ ما غَلا بَلْ ما عَلا(١١) وأُكابِدُ النّهجَ العسيرَ الأَطْوَلا

تَجْرِي بيَ الآمالُ في حَلَباتِهِ جَرْيَ(١٢) السَّعيدِ جَرَى مَدَى ما أَمَّلا

---

(١) تقدمت ترجمته في سنة ٥٥٠ من هذا الجزء .

(٢) عن ط وحدها .

(٣) هو علي بن عبد الله بن نصير ، تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٢٧ من هذا الجزء .

(٤) ط : ابن عشرين أو دونها .

(٥) هو موهوب بن أحمد بن محمد ، تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٤٠ من هذا الجزء .

(٦) أ ، ب : وكان صبياً .

(٧) أ ، ب : مجلسه .

(٨) ليس في ط .

(٩) ط : وإعجاب وسمو .

(١٠) ط : ظاهر في كلامه في .

(١١) ب : أدرك ما علا بل ما غلا .

(١٢) ب : طلق .

يُفْضي[١] بيَ التَّوْفِيقُ فيهِ إلى الذي أَعْيـا[٢] سِـوايَ تَـوَصُّـلاً وَتَغَلْغُـلا
لَوْ كانَ هذا العلمُ شَخْصاً ناطِقاً وسأَلْتُه هَلْ زُرْتَ[٣] مثليَ ؟ قال : لا

ومن شعره [أيضاً ويُروى][٤] لغيره : [من البسيط]

إذَا قَنِعــتَ بميســورٍ مــن القُــوتِ أصبحتَ[٥] في الناسِ حُرّاً غيرَ مَمْقُوتِ
يا قوتَ يَوْمي[٦] إذا ما دَرَّ حلقكَ لي فلســتُ آســي علــى دُرٍّ ويــاقــوتِ

وله من النظم والنثر شيء كثير لا ينضبط[٧] .

وله كتاب مفرد سماه : « نظم[٨] الجمان في كان وكان » .

ومن لطائف كلامه قوله في الحديث : « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين »[٩] إنما طالت أعمار من قبلنا لطول البادية ، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل لهم حُثُّوا المطيَّ .

وقال له رجل : أيما[١٠] أفضل أن أُسَبّح أو أستغفر ؟ فقال : الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور .

وسئل عمن أوصى وهو في السِّياق ، فقال : هذا طَيَّنَ سطحه في كانون .

والتفت إلى ناحية الخليفة المستضيء ، وهو في الوعظ فقال : يا أمير المؤمنين إن تكلمتُ خِفتُ منك ، وإن سكتُّ خفتُ عليك ، وإن قول القائل لك : اتق الله خير لك[١١] من قوله لكم : إنكم أهل بيت مغفور لكم ، كان عمر بن الخطاب يقول : إذا بلغني عن عامل لي[١٢] أنه ظلم فلم أغيِّره فأنا الظالم ، يا

---

(١) ط : أمضى .
(٢) أ ، ب : أعمى .
(٣) ط : زار .
(٤) ط : وقيل : هو .
(٥) ط : بقيت .
(٦) ب : نفسي .
(٧) ط : شيء كثير جداً .
(٨) ط : لقط الجمان ، ب : نظم الحان .
(٩) روى الترمذي في « سننه » رقم (٣٥٥٠) وابن ماجه في « سننه » رقم (٤٢٣٦) وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٤٦٧) موارد ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٧) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، واقلهم من يجوز ذلك » . وهو حديث حسن . (ع) .
(١٠) ط : أيهما .
(١١) أ ، ب : لكم .
(١٢) عن ط وحدها .

أمير المؤمنين ، وكان يوسف لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجيعان[(١)] ، وكان عمر يضرب بطنه عام الرَّمادة ويقول : قَرْقِرْ أو لا تُقَرْقِر ، والله لا ذقْت[(٢)] سمناً ولا سميناً حتى يُخصب الناس . قال : فبكى المستضيء وتصدَّق بمال جزيل[(٣)] ، وأطلق المحابيس وكَسَى خلقاً من الفقراء .

ولد ابن الجوزي في حدود سنة عشر وخمسمئة كما تقدم ، وكانت وفاته ليلة[(٤)] الجمعة بين العشاءين الثاني عشر من شهر[(٥)] رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبع وثمانون سنة ، وحملت جنازته على رؤوس الناس ، وكان الجمع كثيراً جدًّا . ودفن بباب حرب عند أبيه بالقرب من الإمام أحمد وكان يوماً مشهوداً ، حتى قيل[(٦)] : إنه أفطر جماعة من الناس [بسبب شدة الحر ، وكثرة الزحام ، رحمه الله ، وقد كُتب على قبره عن وصيته][(٧)] هذه الأبيات[(٨)] : [من مجزوء الكامل]

يـا كَثيـرَ العَفْـوِ عَمَّـنْ ... كَثُـرَ الـذَّنْـبُ لَـدَيْـهِ[(٩)]
جَاءَكَ المُذْنِبُ يَرْجُو الـ ... ـصَّفْحَ عَنْ جُرْمِ يَدَيْهِ
أنا ضَيْفٌ وَجَزَاءُ الضَّـ ... ـيـفِ إحسـانٌ إلَيْـهِ

وقد كان [للشيخ جمال الدين بن الجوزي][(١٠)] من الأولاد الذكور ثلاثة :

عبد العزيز ، وهو أكبر أولاده ، مات شابًّا في حياة والده في سنة أربع وخمسين .

ثم أبو القاسم علي ، وقد كان عاقًّا لوالده ، إلباً عليه في زمن المحنة وغيرها ، وقد تسلَّط على كتبه في غيبته بواسط فباعها[(١١)] بأبخس الأثمان[(١٢)] .

ثم محيي الدين يوسف ، وكان أنجب أولاده وأصغرهم . ولد سنة ثمانين ووعظ بعد أبيه ، واشتغل

---

(١) ط : الجائع .
(٢) ط : لا ذاق عمير .
(٣) ط : كثير .
(٤) ب : يوم .
(٥) ليس في ط .
(٦) ليس في أ .
(٧) ط : من كثرة الزحام وشدة الحر وقد أوصى أن يكتب على قبره .
(٨) الأبيات في ذيل الروضتين (٢٦) .
(٩) ط :

يـا كثيـر العفـو يـا مـن ... كثـرت ذنبـي لـديـه

(١٠) ط : له .
(١١) ليس في ب .
(١٢) ط : الثمن .

وحرر ، وأتقن وساد أقرانه ، ثم باشر حسبةَ بغداد ، ثم صار[(١)] رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد ، ولا سيما إلى بني أيوب بالشام ، وقد حصّل منهم من الأموال والكرامات ما ابتنى به[(٢)] المدرسة الجوزية بالنشَّابين بدمشق وما أوقف عليها ، ثم حصل له من سائر الملوك أموالاً جزيلة ، ثم صار أستادار الخليفة المستعصم في سنة أربعين وستمئة واستمر مباشرَها إلى أن قتل مع الخليفة عام [هولاكو خان ابن][(٣)] تولي بن جنكيز خان .

[وكان لأبي الفرج][(٤)] عدة بنات ، منهن رابعة أم سبطه أبي المظفر بن قُزْأُغْلي صاحب « مرآة الزمان » وهي من أجمع التواريخ وأكثرها فائدة ، وقد ذكره ابن خلكان في « الوفيات »[(٥)] فأثنى عليه وشكر تصانيفه وعلومه .

العماد الكاتب الأصبهاني[(٦)] :

محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أُلُه ـ بتشديد اللام وضمها ـ المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني .

صاحب المصنفات والرسائل والشعر[(٧)] وهو قرين القاضي الفاضل ومن نبغ واشتهر[(٨)] في زمن الفاضل فهو فاضل .

ولد بأصبهان في سنة تسع عشرة وخمسمئة ، وقدم بغداد فاشتغل بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن الرزاز[(٩)] مدرس النظامية ، وسمع الحديث ثم رحل إلى الشام فحظي عند الملك نور الدين محمود زنكي وكتب بين يديه ، وولاه المدرسة التي أنشأها داخل باب الفرج التي يقال لها العمادية[(١٠)] نسبة إلى العماد

(١) أ ، ب : كان .
(٢) أ ، ب : من ذلك .
(٣) ط : هارون تركي .
(٤) ب : له .
(٥) وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠ـ١٤٢) .
(٦) ترجمته في معجم الأدباء (١٩/ ١١ ـ ٢٧) وابن الأثير (٩/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) والمختصر المحتاج إليه (١٣٢) ومرآة الزمان (٨/ ٣٢٧) والروضتين (١/ ١٤١ و٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٤) وذيلها (٢٧) ووفيات الأعيان (٥/ ١٤٧ ـ ١٥٣) وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج٤/ ق٢/ ٨٤٥) وأبو الفداء (٣/ ١٠٠) والعبر (٤/ ٢٩٩) والوافي (١/ ١٣٣) ومرآة الجنان (٣/ ٤٩٢ ـ ٤٩٤) .
(٧) ليس في ط .
(٨) ط : واشتهر في زمن ومن اشتهر .
(٩) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٣٩ من هذا الجزء .
(١٠) منادمة الأطلال (١٣٣) .

لكثرة[١] إقامته بها وتدريسه فيها ، ولم يكن هو[٢] أول من درَّس بها ، بل قد سبقه إلى تدريسها غير[٣] واحد كما تقدم في ترجمة نور الدين ، ثم صار العماد كاتباً[٤] في الدولة الصلاحية ، وكان القاضي الفاضل يثني عليه ويشكره ، قالوا : وكان منطوقه يعتريه جمود وفترة ، وقريحته في غاية الجودة والحدّة .

وقد قال القاضي الفاضل لأصحابه يوماً : قولوا فيه[٥] ، فتكلموا وشبَّهوه في هذه الصفة بصفات ، فلم يقبلها الفاضل[٦] ، وقال : هو كالزناد ظاهره بارد وداخله نار .

وله من المصنفات « خريدة القصر[٧] في شعراء العصر » ، و« الفتح القدسي » ، و« البرق الشامي » وغير ذلك من المصنفات المسجعة ، والعبارات المصرعة[٨] والقصائد المطولة والمعاني والألفاظ المُؤَثّلة .

ومن لطيف تغزله قوله[٩] : [من الخفيف]

كَيْفَ قُلْتُمْ في مُقْلَتَيْهِ فُتورُ   وَأَراها بلا فُتورٍ تَجورُ
لو بَصُرْتُمْ بِطَرْفِهِ كَيْفَ يَسْبي   قُلْتُمُ ذاكَ كاسِرٌ لا كَسيرُ
مُوتِرٌ قَوْسَ حاجِبَيْهِ لإصْما   ءِ فُؤادي كَأَنَّهُ مَوْتُورُ
لا تَسَلْني[١٠] عن العقارِ[١١] فَعَقْلِي   طافِحٌ[١٢] مِنْ عُقارِهِنّ عَقِيرُ
كَيْفَ يَصْحو من سُكْرِهِ مُسْتَهامٌ   مَزَجَتْ كَأْسَهُ العيونُ الحُورُ
أَوْرَثَتْهُ سقامَها الحَدَقُ النُّجْـ   ـلُ وَأَهْدَتْ لَهُ النُّحولَ الخُصُورُ
ما يَصيدُ الأُسْدَ الخَوادِرِ إلا   ظَبَياتٌ كِناسُهُنَّ الخُدورُ

---

(١) ط : نسبة إلى سكناه بها وإقامته فيها وتدريسه بها .
(٢) ليس في ط .
(٣) ليس في ب .
(٤) أ ، ب : ثم كتب في الدولة الصلاحية .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) ط : القاضي .
(٧) ط : الجريدة جريدة النصر ، وهذا تصحيف عجيب .
(٨) ط : المتنوعة .
(٩) الأبيات في ديوان العماد (١٧٧ ـ ١٨٤) ضمن قصيدة مؤلفة من ٨٥ بيتاً قالها سنة ٥٦٢ في مدح صلاح الدين . ومنها ٢٨ بيتاً في الروضتين (١/١٤٦) .
(١٠) أ ، ب : لا تسألني .
(١١) في الديوان : اللحاظ .
(١٢) أ : الخنيصرات . ب : الخصبات .

كـلُّ غُصْنِيّـةِ المـوشَّـح هَيْفَـا ءَ علـى البَـدْرِ جَيْبُهـا مَـزْرُورُ
وَجَناتٌ تُجْنَى الشَّقائِقُ مِنْهَا وَثَنَـايَـا كَـأَنَّهَـا المَنْثُـورُ

وقد كانت وفاته في مستهل رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، رحمه الله ، ودفن بمقابر الصوفية .

الأمير بهاء الدين قراقوش[١] الفحل الخصي : أحد كبار[٢] أمراء[٣] الدولة الصلاحية ، كان شهماً شجاعاً فاتكاً ، تسلَّم القصر لما مات العاضد ، وعمَّر سورَ القاهرة ، محيطاً على مصر أيضاً ، وانتهى به إلى المقسم وهو المكان الذي اقتسمت فيه الصحابة مغنم[٤] الديار المصرية ، وبنى قلعة الجبل ، وقد[٥] كان صلاح الدين سلَّمه عكا ليُعمّر فيها أماكن كثيرة ، فوقع الحصار وهو بها ، فلما [خرج منها البدل كان هو في جملة من خرج ، حتى دخلها][٦] ابن المشطوب .

وقد ذُكر أنه أُسر فافتدى نفسه بعشرة آلاف دينار ، [وعاد في حياة الملك][٧] صلاح الدين ففرح به فرحاً شديداً ، ولما توفي في هذه السنة احتاط الملك العادل على تركته ، وصارت أملاكه وأقطاعه[٨] للملك الكامل محمد بن العادل .

قال القاضي ابن خلكان[٩] : وقد نُسب إليه أحكام عجيبة ، حتى صنف بعضهم[١٠] جزءاً لطيفاً سماه « كتاب الفاشوش في أحكام قراقوش » فذكر أشياء كثيرة جداً[١١] قال : وأظنها موضوعة عليه ، فإن الملك صلاح الدين كان يعتمد عليه ، [وما كان ليفعل ذلك وهو][١٢] [بهذه] المثابة ، والله أعلم .

مكلبة بن عبد الله المستنجدي[١٣] :

---

(١) ترجمته في ذيل الروضتين (١٩) ووفيات الأعيان (٤/ ٩١ ـ ٩٢) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١١٨ ـ ١١١٩) والعبر (٤/ ٢٩٨) .
(٢) أ ، ب : كبراء .
(٣) في ط : « كتاب أمراء » ولا تصح .
(٤) ط : ما غنموا من .
(٥) ليس في ط .
(٦) ط : خرج البدل منها كان هو من جملة من خرج ثم دخلها .
(٧) ط : إلى .
(٨) ط : أقطاعه وأملاكه .
(٩) وفيات الأعيان (٤/ ٩١) .
(١٠) هو الأسعد بن مَمَّاتي (بشار) .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) ط : فكيف يعتمد على من .
(١٣) ترجمته في ذيل الروضتين (٢٨) .

كان تركياً عابداً زاهداً ، سمع المؤذن وقت السحر وهو ينشد على المنارة[١] : [من مجزوء الرمل]

يـا رِجـالَ اللَّيْـلِ جِدُّوا رُبَّ صَـوْتٍ لا يُـرَدُّ
مـا يَقـومُ اللَّيْـلَ إلاَّ مَـنْ لَـهُ عَـزْمٌ وجِـدُّ

فبكى مكلبة ، وقال للمؤذن : يا مؤذن زدني ، فقال المؤذن :

قَدْ مَضَى اللَّيْلُ وَوَلَّى وَحَبِيبِـي قَـد تَجَلَّـى[٢]

فصرخ مكلبة صرخة كان فيها حتفه[٣] ، فأصبح أهل البلد قد اجتمعوا على بابه ، فالسعيد فيهم[٤] من وصل إلى نعشه رحمه الله تعالىٰ وأكرم مثواه .

أبو منصور بن أبي بكر[٥] بن شجاع : المزكلش ببغداد ويعرف بابن نقطة .

كان يدور في أسواق بغداد بالنهار ، ينشد كان وكان ، والمواليا ، ويُسحّر الناس في ليالي رمضان ، وكان مطبوعاً ظريفاً خليعاً ، وكان أخوه الشيخ عبد الغني[٦] الزاهد من أكابر الصالحين ، له زاوية ببغداد ، ويُزار فيها ، وكان له أتباع ومريدون ، ولا يدّخر شيئاً يحصل له من الفتوح ، تصدَّق في ليلة بألف دينار وأصحابه صيام ، لم يدخر منها شيئاً لعشائهم[٧] وزوَّجَتْهُ أُمُّ الخليفة بجارية من خواصها وجهزتها بعشرة آلاف دينار إليه ، فما حال الحول وعندهم من ذلك شيء[٨] سوى هاون ، فوقف سائل ببابه فألح[٩] في الطلب على الباب ، فأخرج إليه الهاون فقال : خذ هذا وكل به ثلاثين يوماً ، ولا تسأل الناس ، ولا تُشَنِّع على الله عزَّ وجل ، وكان[١٠] من خيار الصالحين ، والمقصود أنه قيل[١١] لأخيه أبي منصور هذا : ويحك أنت تدور في الأسواق وتنشد الأشعار وأخوك مَنْ قد عرفتَ ؟ فأنشأ يقول في جواب ذلك بيتين مواليا من شعره على البديهة[١٢] : [من المواليا]

---

(١) الخبر والأبيات في ذيل الروضتين (٢٨) .
(٢) ط : تخلا .
(٣) ليس في ب .
(٤) ط : منهم .
(٥) ترجمته في مرآة الزمان (٨/ ٥٠٩) وذيل الروضتين (٢٨) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١٢٩ ـ ١١٣٠) .
(٦) قال أبو شامة: عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن نقطة كان ديناً جواداً سمحاً . توفي سنة ٥٥٣، ذيل الروضتين (٢٨).
(٧) أ ، ب : ولا عشاء .
(٨) بعدها في أ ، ب : بل جميع ذلك يوتر به ويتصدق به حتى لم يبق عندهم .
(٩) أ ، ب : فلح .
(١٠) ط : هذا الرجل من .
(١١) ط : قال .
(١٢) البيتان في ذيل الروضتين (٢٨) .

قَدْ خَابَ مَنْ شَبَّه الجزعة إلى دره   وقاسَ قَحْبَةً إلى مستحسنةٍ حره[١]
أنا مغني وأخي زاهد إلى مره   في الدار بثرين ذي حلوة وذي مره

وقد جرى عنده مرة ذِكر قتل عثمان وعلي حاضر بالمدينة[٢] ، فأنشأ يقول كان وكان :

ومن قُتل في جواره مثل ابن عفان فاعتذر يجب عليه أن يقبل في الشام عذر يزيد

فأرادت الروافض قتله فاتفق أنه في بعض الليالي ، يُسحّر في رمضان ، إذ مرّ بدار الخليفة ، فعطس الخليفة في المنظرة[٣] ، فشَمَّتَه أبو منصور هذا من الطريق ، فأرسل إليه مئة دينار ، ورسم بحمايته من الروافض ، إلى أن مات في هذه السنة سامحه[٤] الله .

[أبو طاهر الخشوعي][٥] :

وفيها : توفي مسند الشام أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي . شارك ابن عساكر في كثير من مشايخه[٦] ، وطالت حياته بعد وفاته بسبع وعشرين سنة ، فألحق فيها الأحفاد بالأجداد .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمئة

فيها : شرع الشيخ أبو عمر محمد بن [أحمد بن][٧] قدامة[٨] المقدسي [باني المدرسة بسفح قاسيون][٩] ، في بناء المسجد الجامع[١٠] بالجبل[١١] فأنفق[١٢] عليه رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن

---

(١) أ ، ب : وسام قحبة إلى مستحسنه حره ، وفي الذيل : وشابه قحبة إلى مستحسنه حرة .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ط : الطارقة . وفي أ ، ب : الطارمة ، وما هنا عن ذيل الروضتين .
(٤) ط : رحمه .
(٥) ترجمته في ذيل الروضتين (٢٨ ـ ٢٩) ووفيات الأعيان (١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) والعبر (٤/ ٣٠٢) ومرآة الجنان (٣/ ٤٩٥) .
(٦) ط : مشيخته .
(٧) ليس في ط .
(٨) توفي سنة ٦٠٧ . وسترد ترجمته في حوادث هذه السنة في هذا السفر الضخم ، وترجمته أيضاً في ذيل الروضتين (٧١) والعبر (٥/ ٢٥) والنجوم (٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) والدارس (٢/ ٤٣٦) .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ويسمى جامع الجبل ، وجامع الحنابلة ، وجامع المظفري . الدارس (٢/ ٤٣٥) ومنادمة الأطلال (٣٧٣) قلت ولا يزال هذا المسجد قائماً إلى اليوم في حي أبي جرش ويسمونه جامع الحنابلة .
(١١) ط : بالسفح . وليست اللفظة في أ .
(١٢) ط : فاتفق . وهو تصحيف .

الفامي[١] حتى بلغ البناء مقدار قامة فنفد ما عنده وما كان معه من المال ، فأرسل الملك المظفر كُوكُبوري[٢] بن زين الدين صاحب إِرْبَل مالاً جزيلاً ليتممه[٣] به ، فكمل ، وأرسل ألف دينار ليساق بها إليه الماء من برزة[٤] ، فلم يُمكِّن من ذلك الملك المعظَّم صاحب دمشق ، واعتذر بأن هذافرش قبور كثيرة للمسلمين ، فصُنع له بئر وبغل يدور ، ووقف[٥] عليه وقفاً لذلك .

وفيها : كانت حروب كثيرة وخطوب طويلة بين الخوارزمية والغورية ببلاد المشرق بسطها ابن الأثير[٦] .

وفيها : درَّس بالنظامية مجد الدين يحيى بن الربيع ، وخلع عليه خلعة سنية سوداء وطرحة كحلي وحضر عنده العلماء والأعيان .

وفيها : تولى القضاء ببغداد أبو الحسن علي بن سليمان الجيلي وخلع عليه أيضاً .

وفيها توفي من المشاهير[٧] :

القاضي ابن الزكي[٨] : محمد بن علي بن محمد بن يحيى][٩] بن علي بن عبد العزيز ، أبو المعالي القرشي ، محيي الدين قاضي قضاة دمشق .

وكل منهم[١٠] كان قاضياً : أبوه وجده وأبو جده يحيى بن علي المذكور ، وهو أول من ولي الحكم بدمشق منهم ، وكان هو جد الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأمه ، وقد ترجمه[١١] في التاريخ ولم يزد على القرشي .

---

(١) ب : أبو مجلس القامي ، ط : الغامي . الدارس (٢/ ٤٣٥) .
(٢) ط : كوكري . وهو تصحيف . وكوكبري مؤلفة من كلمتين كوك وبوري وهي بضم الكافين ، وهو اسم تركي ، ومعناه دب أزرق . وسترد ترجمته في حوادث سنة ٦٣٠ من هذا الكتاب .
(٣) ط : ليتمه .
(٤) ط : بردى . منادمة الأطلال (٣٧٣) .
(٥) أ ، ب : وأوقف .
(٦) تاريخ ابن الأثير (٩/ ٢٥٦ ـ ٢٥٨) ، وقد جاء بعد هذا في ط : « واختصرها ابن كثير » ولا شك أن هذا من زيادات النساخ .
(٧) ط : من الأعيان .
(٨) ترجمته في ذيل الروضتين (٣٠ ـ ٣٢) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٢٩ ـ ٢٣٧) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١٥٥ ـ ١١٥٧) والعبر (٤/ ٣٠٥) والوافي (٤/ ١٦٩) ومرآة الجنان (٣/ ٤٩٥) .
(٩) ليس في ب .
(١٠) ليست اللفظة في ب . وفي ط : منهما .
(١١) بعدها في ط : ابن عساكر . ولا ضرورة لها .

وقال الشيخ أبو شامة[١] : ولو كان أمويًّا عثمانيًّا كما يزعمون لذكر ذلك ابن عساكر ، إذ كان فيه شرف لجده وخالَيْه محمد وسلطان ، ولو كان ذلك صحيحاً لما خفي عليه[٢] .

اشتغل ابن الزكي على القاضي شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عَصْرون[٣] وناب عنه في الحكم ، وهو أول من ترك النيابة ، وهو أول من [خطب بالقدس لما فتحهُ الملك صلاح الدين ، كما تقدم بيان ذلك في سنة ثلاث وثمانين ، ثم ولي قضاء][٤] دمشق وأُضيف[٥] إليه قضاء حلب أيضاً ، وكان ناظر أوقاف الجامع ، وعزل عنها قبل وفاته بشهور ، ووليها شمس الدين ابن الليثي ضماناً ، وقد كان القاضي محيي الدين بن الزكي ينهى الطلبة عن الاشتغال بالمنطق وعلم الكلام ، ويمزّق كتب من كان عنده شيء من ذلك بالمدرسة التقوية[٦] ، وكان يحفظ العقيدة المسماة « بالمصباح » للغزالي ، ويُحَفِّظها أولادَه أيضاً ، وكان له درس في التفسير يذكره بالكلاسة ، تجاه تربة صلاح الدين ، ووقع بينه وبين الإسماعيلية ، فأرادوا قتله ، فاتخذ له باباً من داره إلى الجامع ، ليخرج منه إلى الصلاة ، ثم إنه خولط في عقله ، فكان[٧] يعتريه شبه الصرع إلى أن توفي في شعبان من هذه السنة ، ودفن بتربته بسفح قاسيون [ويقال : إن الحافظ عبد الغني دعا عليه فحصل له هذا الداء العضال ، ومات ، وكذلك الخطيب الدَّوْلعي توفي فيها ، وهما اللذان قاما على الحافظ عبد الغني ، فماتا في هذه السنة فكانا عبرة لغيرهما][٨] .

الخطيب الدَّوْلَعي[٩] : ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين التَّغْلبي[١٠] الدَّوْلَعي ، نسبة إلى قرية بالموصل يقال لها الدَّوْلَعِيَّة[١١] .

ولد بها في سنة ثماني عشرة وخمسمئة ، وتفقه ببغداد على مذهب الشافعي ، وسمع الحديث :

---

(١) ذيل الروضتين (٣١) .
(٢) ط : فلو كان ذلك صحيحاً لما خفي على ابن عساكر .
(٣) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٨٥ من هذا الجزء .
(٤) ط : وهو أول من خطب بالأندلس لما فتح كما تقدم ثم تولى قضاء دمشق .
(٥) أ ، ب : وأضاف .
(٦) ط : النورية . منادمة الأطلال (٥٨ و٩٠) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) عن ط وحدها . قال بشار : أظنها من زيادات النساخ .
(٩) ترجمته في معجم البلدان (الدولعية) وابن الأثير (٩/ ٢٥٨) ومرآة الزمان (٨/ ٥١١) وذيل الروضتين (٣١) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١٤٩) والعبر (٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) .
(١٠) في ط : « الثعلبي » بالثاء المثلثة ، وهو تصحيف . والتغلبي قيده الحافظ المنذري في التكملة (١/ ٤٢١) فقال : بفتح التاء ثالث الحروف وسكون الغين المعجمة وبعد اللام المفتوحة باء موحدة . (بشار) .
(١١) في معجم البلدان : قرية كبيرة بينها وبين الموصل يوم واحد على سير القوافل في طريق نصيبين .

فسمع الترمذي على أبي الفتح الكَرُوخي[(١)] ، والنَّسائي على أبي الحسن علي بن أحمد اليزدي[(٢)] ، ثم قدم دمشق فولي بها الخطابة وتدريس الغزالية ، وكان زاهداً متورعاً حسن الطريقة مهيباً في الحق ، [وكانت وفاته][(٣)] يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الأول ، ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبور الشهداء ، وكان يوم جنازته يوماً[(٤)] مشهوداً ، وتولى بعده الخطابة ولد أخيه محمد بن أبي الفضل بن زيد سبعاً وثلاثين سنة ، وقيل : ولده جمال الدين محمد[(٥)] . وقد كان ابن الزكي ولّى ولده الزكي الطاهر[(٦)] فصلّى صلاة واحدة ، فتشفع جمال الدين بالأمير علم الدين[(٧)] أخي العادل ، فولاه إياها ، فبقي فيها إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين وستمئة .

الشيخ علي بن محمد بن غُلَيْس[(٨)] اليمني العابد الزاهد[(٩)] :

كان مقيماً شرقي الكلاسة ، وكانت له أحوال ومقامات ، نقلها الشيخ علم الدين السخاوي عنه ، ساقها أبو شامة عنه في الذيل[(١٠)] .

الصَّدْر أبو الثَّناء حمّاد بن هبة الله بن حماد الحرّاني التاجر[(١١)] :

ولد سنة إحدى عشرة عام [ولد][(١٢)] نور الدين بن زنكي[(١٣)] وسمع الحديث ببغداد ومصر وغيرهما من [البلدان وحدث][(١٤)] ، وتوفي في ذي الحجة ، ومن شعره قوله[(١٥)] : [من البسيط]

---

(١) ط : الكروجي ، وهو تصحيف . والكروخي هو أبو الفتح عبد الملك بن أبي سهل الهروي الكروخي ، راوي جامع الترمذي . كان ورعاً ثقة ، كتب من الجامع نسخة ووقفها ، وكان يعيش من النسخ . حدث ببغداد ومكة . وتوفي سنة ٥٤٨ ، ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٤٣) والعبر (٤/ ١٣١) .
(٢) ط : البردي . وهو تصحيف . وقد تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٥١ من هذا الجزء .
(٣) ط : توفي .
(٤) ليس في ب .
(٥) بعدها في ب : سبعاً وثلاثين سنة .
(٦) ليس في ط .
(٧) أ ، ب : فلك الدين . وهو تصحيف والخبر في ذيل الروضتين (٣١) والقصة هناك أوضح .
(٨) ط : علي بن علي بن عليش . والخبر في ذيل الروضتين .
(٩) ترجمته في ذيل الروضتين (٣٠ ـ ٣١) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١٥١) .
(١٠) ذيل الروضتين (٣٠) .
(١١) ترجمته في ذيل الروضتين (٢٩ ـ ٣٠) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١٤٠ ـ ١١٤١) والعبر (٤/ ٣٠٢) ومرآة الجنان (٣/ ٤٩٥) وذيل ابن رجب (١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥) .
(١٢) ليست في الأصول واستدركت عن ذيل الروضتين .
(١٣) ط : الشهيد .
(١٤) ط : من البلاد .
(١٥) البيتان في ذيل الروضتين .

تَنَقُّلُ المَرْءِ في الآفاقِ يُكْسِبُهُ مَحاسِناً لَمْ يَكُنْ فيها[١] بِبَلْدَتِهِ
أَمَا تَرى بَيْدَقَ[٢] الشَّطْرنجِ أَكْسَبَهُ حُسْنُ التَّنَقُّلِ حُسْناً فَوْقَ رُتْبَتِهِ[٣]

الست الجليلة[٤] بنفشا بنت عبد الله[٥] :

عتيقة المستضيء ، وكانت من أكبر حظاياه ، ثم صارت بعده من أكثر النساء صدقة وبرًّا وإحساناً إلى العلماء والفقراء ، لها [بطريق الحجاز معروف كبير ، وقفت على الحنابلة مدرسة وأوقافاً دارَّةً ، ودفنت][٦] في[٧] تربتها ببغداد عند تربة معروف الكرخي[٨] .

ابن المحتسب الشاعر أبو الشكر : محمود[٩] بن سليمان بن سعيد الموصلي يعرف بابن المحتسب ، تفقه ببغداد ، ثم سافر إلى البلاد ، وصحب ابن الشهرزوري ، وقدم معه ، فلما ولي قضاء بغداد ولاه نظر أوقاف النظامية ، وكان فاضلاً[١٠] يقول الشعر الرائق ، فمن ذلك : [من المنسرح][١١]

أَسْلِفْ لَنا في سُلافَةِ العِنَبِ جَميعَ ما تَقْتَني مِنَ الذَّهَبِ
وَانْشبْ مَعَ النَّفْسِ في مُعامَلةٍ فيها بما عِنْدَنا مِنَ النَّشَبِ
جَميعَ ما في الهِمْيانِ يَحْقرُهُ الـ ـعاقِلُ في لَثْمِ ريقها الشَّنب
لا سِيَّما إن أَتَتْكَ كالذَّهَبِ قَدْ قَلَّدوها عَقْداً مِنَ الحَبَبِ
تَحْرِقُ كَفُّ المُديرِ إن وقفَ الدَّ وْرُ بها ساعَةً مِنَ اللَّهَبِ
إذَا بَدا [لم][١٢] تَسْترق السَّـ ـمْعَ بِرِفْقِ اللَّهْوِ واللَّعِبِ

---

(١) ط : منها .
(٢) ط : البيدق .
(٣) ط : زينته .
(٤) ط : ينفشا بنت عبد الله الست الجليلة .
(٥) أ : بنفسيا ، وفي ط : ينفشا . وكلاهما تصحيف وترجمتها في ابن الأثير (٩/٢٥٨) وفيه : بنقشه ، وذيل الروضتين (٢٩) وتاريخ الإسلام (١٢/١١٣٨) .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) في الأصلين وط : عند . وما هنا للسياق .
(٨) بعدها في أ ، ط : صدقات وبر .
(٩) ترجمته في تاريخ الإسلام (١٢/١١٥٨ ـ ١١٥٩) .
(١٠) ليس في ط .
(١١) ليست القصيدة . ولا التي تليها في ط ، ومكانهما العبارة التالية : وله أشعار في الخمر لا خير فيها تركتها تنزهاً عن ذلك وتقذراً لها .
(١٢) في الأصلين كلمة لا تبين ، ولعلها تكون هكذا ، والله أعلم ، لكي يستقيم وزن الشعر (ع) .

يَتْبَعُــه مــن سَمــاءِ راووقِهــا الـ ـرَّائِقِ [. . .][١] بالأَنجبِ الشُّهبِ
أَمُــرُّ بــالكَــرْمِ خَلْــفَ حَــائِطِــهِ تَــأْخُــذُنــي نَشْــوَةٌ مــن الطَّــربِ
أَسكر بالأَمسِ إِن عَزَمْتُ على الـ ـشُّــرْبِ غَــداً إِنَّ ذَا مِــنَ العَجَــبِ
حَبيبهــا سُكْــرهــا وصُحْبَتُهــا تَحــريــمُ شَــرْعٍ لسيّــدِ العَــربِ
تَــرَكْتُهــا جــانِبــاً وَلُــذْتُ إِلــى ظِــلِّ إِمــامٍ ينجّــي مــن النُّــوَبِ
الطّاهر الطّهر [يرجو][٢] حُرْمتي وطــاهِــرُ الخَلْــقِ طــاهِــرُ النَّسَــبِ
مَــاذَا يَقــولُ المُــدّاحُ فــي رَجُــلٍ خَلِيفَــةُ اللهِ وابــنُ عَــمِّ نَبِــي

ومن شعره الرقيق أيضاً قوله : [من الرجز]

أهابَ وَصْفُ الخَمْرِ في إهابها يــا حَبَّــذا مــا كــانَ مــن مهــابِهــا
جــاءَ بهــا السَّــاقي وَقَــدْ أَقْعَــدَهُ سُكْــرٌ فــزادَ السّكــرُ إذ جــاءَ بهــا
خطــابهــا وثيقــةٌ شــرعيّــةٌ علــى الــذي يُفْلِسُ مــن خُطّــابِهــا
دعــا بهــا فــي صــدر كــلّ بــاخــلٍ وخلّيــا مــن كــان مــن دُعّــابهــا
فتــابهــا قلــب الحســود واشتكــوا كــلّ فتــى فــي النــاس قــد فتــا بهــا
أعــن بهــا فــإنهــا القــوى بهــا وأسلــف النصــارى فــي أعنــابهــا
ثــوى بهــا كــل الســرور عنــدنــا وإثمهــا أكبــر مــن ثــوابهــا

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمئة

قال سبط ابن الجوزي في « المرآة »[٣] : في ليلة السبت سلخ المحرم ماجت النجوم في السماء شرقاً وغرباً[٤] ، وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً ، قال : ولم ير مثل هذا إلا في عام المبعث ، وفي سنة إحدى وأربعين ومئتين .

[وفي هذه السنة شُرع في عمارة][٥] سور قلعة دمشق وَابْتُدِئَ ببرج الزاوية الغربية القبلية المجاور لباب النصر .

---

(١) في الأصلين كلمة لا تبين (ع) .
(٢) في الأصلين كلمة لا تبين ، ولعلها تكون هكذا ، والله أعلم ، لكي يستقيم الشعر (ع) .
(٣) ط : مرآته . مرآة الزمان (٨/ ٥١٣) .
(٤) ط : هاجت النجوم في السماء وماجت شرقاً وغرباً .
(٥) ط : وفيها شرع بعمارة .

وفيها : أرسل الخليفة الناصر الخلع وسراويلات الفتوة للملك[١] العادل وبنيه[٢] .

وفيها : بعث العادل ولده الأشرف موسى[٣] لمحاصرة ماردين ، وساعده جيش سنجار والموصل ، ثم وقع الصلح على يدي الظاهر ، على أن يحمل صاحب ماردين في كل سنة مئة ألف وخمسين ألف دينار ، وأن تكون السكة والخطبة للعادل ، وأنه متى طلبه بجيشه يحضر إليه .

وفيها : كمل بناء رباط المرزبانية[٤] ، ووليه الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي[٥] ، ومعه جماعة من الصوفية ورتب لهم من المعلوم والجراية ما ينبغي لمثلهم .

وفيها : احتجر الملك العادل على محمد بن الملك العزيز وإخوته وسيَّرهم إلى الرُّها خوفاً من إقامتهم[٦] بمصر .

وفيها : استحوذت الكُرْج على مدينة دُوَيْن[٧] فقتلوا أهلها ونهبوها ، وهي من بلاد أذربيجان ، وذلك[٨] لاشتغال ملكها بالفسق[٩] وشرب الخمر قبّحه الله ، فتحكمت الكفرة في رقاب المسلمين بسببه ، وذلك كله غُل في عنقه يوم القيامة .

[غياث الدين الغوري][١٠] :

وفيها : توفي الملك غياث الدين الغوري أخو شهاب الدين فقام في الملك[١١] بعده ولده محمود ، وتلقَّب بلقب أبيه ، وكان غياث الدين عاقلاً حازماً شجاعاً ، لم تكسر له راية قط مع كثرة حروبه ، وكان

---

(١) ط : إلى الملك .
(٢) ليس في ب .
(٣) ط : موسى الأشرف .
(٤) في ط : « الموريانية » ، وهو تحريف ظاهر ، فرباط المرزبانية على نهر عيسى رباط مشهور ، ذكرته الكتب التي تناولت سيرة الناصر . وأراد الناصر التخلي عن الحكم في وسط ولايته ثم عدل عن ذلك (ينظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٠٢) وتعليق بشار عليه) .
(٥) في الأصول : الشهرزوري ، خطأ ، وستأتي ترجمته في وفيات سنة ٦٣٢ من هذا الكتاب .
(٦) ط : آفاتهم .
(٧) ابن الأثير (٩/ ٢٦٠) .
(٨) ليس في ط .
(٩) أ : بالعشق .
(١٠) ترجمته وأخباره في ابن الأثير (٩/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) وأبو الفداء (٣/ ١٠٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١٧٨ ـ ١١٧٩) ومرآة الجنان (٣/ ٤٩٦) .
(١١) ط : بالملك .

شافعي المذهب ، قد ابتنى مدرسة هائلة للشافعية[١] ، وكانت سيرته حسنة[٢] في غاية الجودة ، وكذا سريرته رحمه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان أيضاً :

الأمير[٣] الكبير فلك الدين أبو منصور : سليمان بن شيروة[٤] بن جلدك[٥] أخو الملك العادل لأمه[٦] في التاسع والعشرين[٧] من المحرم ودفن بداره التي جعلها[٨] مدرسة[٩] في داخل باب الفراديس في محلة الافتريس[١٠] ، وأوقف عليها الخمان[١١] بكمالها تقبّل الله منه .

القاضي الضياء الشهرزوري[١٢] : [أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري][١٣] الموصلي ، قاضي قضاة بغداد .

وهو ابن أخي قاضي قضاة دمشق كمال الدين الشهرزوري ، أيام نور الدين . ولما توفي سنة ست وسبعين في الدولة الصلاحية[١٤] أوصى لولد أخيه هذا بالقضاء فوليه ، ثم عُزل عنه بابن أبي عصرون ، وعوض بالسفارة إلى الملوك ثم ولي[١٥] قضاء بلدِه الموصل ، ثم استدعي إلى بغداد فوليها سنتين وأربعة

---

(١) أ ، ب : لهم .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) في ط : « علم الدين أبو منصور سليمان بن شيروه بن جندر » ، والخبر في ذيل الروضتين (٣٣) . وبذلك يظهر أنه قد حصل خلط بين علم الدين سليمان بن جندر صاحب عزاز وبغراس الذي مرت ترجمته في وفيات سنة ٥٨٧ من هذا الكتاب ، وبين فلك الدين هذا . ووجدت في وفيات سنة ٥٩٩ هذه من تاريخ الإسلام ترجمة فلك الدين ، الأمير الملقب بالمبارز سليمان بن (ثم ترك المؤلف فراغاً) ، وهو أخو السلطان الملك العادل لأمه . وأشار إلى أنه دفن بداره الفلكية التي وقفها مدرسة بناحية باب الفراديس ، وذكر أنه نقل ذلك من أبي شامة (١٢/ ١١٨٠) وقد زاغت عيني عن الوقوف على الموضع الذي ذكره أبو شامة في ذيل الروضتين يومئذٍ . (بشار) .
(٤) ذيل الروضتين : شيرويه ، ومنادمة الأطلال : شرف ، وما هنا من ط .
(٥) ط وبعض المصادر : جندر .
(٦) ط : لأبيه .
(٧) ط : في تاسع عشر .
(٨) ط : خطها ، وذيل الروضتين : وقفها .
(٩) اسم هذه المدرسة : الفلكية ، نسبة للأمير فلك الدين .
(١٠) ط : الافتراس ، وخبر المدرسة في منادمة الأطلال (١٣٧) .
(١١) ط : الحمام . ذيل الروضتين (٣٣) .
(١٢) ترجمته في خريدة الشام (٢/ ٣٤٣) وذيل الروضتين (٣٥ ـ ٣٦) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٤٤) والعبر (٤/ ٣٠٨) .
(١٣) ليس في ب .
(١٤) ط : في أيام صلاح الدين .
(١٥) ط : ثم تولى .

أشهر ، ثم استقال[١] فلم يقله الخليفة لحظوته عنده ، فاستشفع بزوجته[٢] ست الملوك على أم الخليفة ، وكانت[٣] لها مكانة عندها ، فأجيب إلى ذلك فصار إلى قضاء حماة لمحبته إياها ، وكان[٤] يُعاب عليه ذلك[٥] . وكانت لديه فضائل ، وله أشعار رائقة ، [وكانت وفاته بحماة في المنتصف من رجب رحمه الله][٦] .

عبيد[٧] الله بن علي بن نصر بن حُمْرَة[٨] ، أبو بكر البغدادي المعروف بابن المرستانية[٩] :

أحد الفضلاء المشهورين . سمع الحديث وجمعه وكان طبيباً منجماً ، يعرف علوم الأوائل وأيام الناس ، وصنّف « ديوان الإسلام في تاريخ دار السلام » ، ورتبه على ثلاثمئة وستين كتاباً ، إلا أنه لم يشتهر ، وجمع سيرة ابن هُبيرة ، وقد كان يزعم أنه من سلالة الصدِّيق ، فتكلموا فيه بسبب ذلك وأنشد بعضهم[١٠] : [من الوافر]

دَعِ الأَنْسابَ لا تَعْرِضْ لِتَيْمٍ ... فَإِنَّ الهُجْنَ من وَلَدِ الصَّمِيمِ
لَقَدْ أَصْبَحْتَ مِن تَيْمٍ دَعِيّاً ... كَدَعْوَى حَيْصَ بَيْصَ إلى تَمِيمِ

ابن نجا[١١] الواعظ[١٢] : علي بن إبراهيم بن نجا ، زين الدين أبو الحسن الدمشقي ، الواعظ الحنبلي .

قدم بغداد فتفقه بها ، وسمع الحديث ، ثم رجع إلى بلده دمشق[١٣] ، ثم عاد إليها رسولاً من جهة نور

---

(١) ط : ثم استقال الخليفة .
(٢) ط : في زوجته .
(٣) ط : وكان .
(٤) ب : فكان .
(٥) يعني : عيب عليه ترك قضاء القضاة ببغداد ، والاقتصار على قضاء حماة ، فهي همة ناقصة كما عبر عنها الذهبي تاريخ الإسلام (١٢/ ١١٨٠) (بشار) .
(٦) ط : توفي في حماة في نصف رجب منها .
(٧) ط : عبد الله ، وهو تصحيف .
(٨) في الأصول : بن حمزة ، وهو تصحيف .
(٩) ترجمته في تاريخ ابن الدبيثي (الورقة ٢٦ ـ ٢٧ من مجلد كيمبرج) وتاريخ ابن النجار (٢/ ٩٥) وذيل الروضتين (٣٤) وطبقات الأطباء (١/ ٣٠٣) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١٧٢ ـ ١١٧٣) وذيل ابن رجب (١/ ٤٤٢ ـ ٤٤٦) .
(١٠) البيتان في ذيل الروضتين (٣٤) .
(١١) ط : ابن النجا ، وفي العبر : ابن نجيَّة .
(١٢) ترجمته في تكملة المنذري (١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤) وفي حاشيته العديد من مصادر ترجمته وفي ذيل الروضتين (٣٤ ـ ٣٥) والعبر (٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) ومرآة الجنان (٣/ ٤٩٦) وذيل ابن رجب (١/ ٤٣٦ ـ ٤٤٠) .
(١٣) عن ط وحدها .

الدين في سنة أربع وستين وحَدَّث بها ، ثم كانت له حظوة عند الملك الناصر صلاح الدين وهو الذي نَمَّ على عمارة اليمني وذويه فصُلبوا ، وكانت له مكانة بمصر . وقد تكلم يوم الجمعة التي خطب فيها بالقدس الشريف[١] بعد الفراغ من الجمعة ، وكان وقتاً مشهوداً .

وكان يعيش عيشاً [هائلاً كما يعيشها][٢] الملوك في الأطعمة والملابس ، وكانت[٣] عنده أكثر من عشرين[٤] سرية من أحسن النساء ، كل واحدة بألف دينار ، فكان يطوف عليهن ويغشاهن ، وبعد ذلك كله مات فقيراً لم يخلف كفناً ، وقد أنشد وهو على منبره للوزير طلائع[٥] بن رُزِّيك[٦] : [من الوافر]

مَشيبُكَ قَدْ قَضَى صَبْغَ[٧] الشَّبابِ ... وحلَّ البازُ في وكْرِ الغُرابِ
تَنامُ ومُقْلَةُ الحدثانِ يَقْظَى ... وما نابُ النَّوائِبِ عنكَ نابِ
وكَيْفَ[٨] بقاءُ عُمْرِكَ وَهْوُ كَنْزٌ ... وَقَدْ أَنْفَقْتَ منهُ بلا حسابِ

[المؤيد التكريتي][٩] : الشيخ أبو البركات محمد بن أحمد بن سعيد التكريتي ويعرف[١٠] بالمُؤيَّد ، وكان أديباً شاعراً ، ومما نظمه في الوجيه النحوي[١١] حين كان حنبليًّا فانتقل حنفيًّا ، ثم صار شافعيًّا [نظم ذلك][١٢] في حلقة النحو بالنظامية فقال[١٣] : [من الطويل]

---

(١) ليس في ط .
(٢) ط : أطيب من عيش .
(٣) ط : وكان .
(٤) أ ، ب : عشرون .
(٥) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٥٦ من هذا الجزء .
(٦) الأبيات في ذيل الروضتين (٣٥) .
(٧) ط : شرخ .
(٨) ط : فكيف .
(٩) ترجمته في تاريخ ابن الدبيثي (١/ ١٣٧) والمحمدون من الشعراء ـ بتحقيقي ـ (٥٠) وذيل الروضتين (٣٦) والوافي (٥/ ١١٥) .
(١٠) ط : يعرف .
(١١) الوجيه الدهان أبو بكر المبارك بن المبارك بن أبي الأزهر الواسطي الضرير النحوي . ولد سنة ٥٣٢هـ . وسمع ببغداد من أبي زرعة ، ولزم الكمال عبد الرحمن الأنباري مدة وأبا محمد بن الخشاب ، وبرع في العربية ، ودرس النحو بالنظامية . كن يحسن ست لغات ، ولازم الوزير عضد الدين أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء . توفي سنة ٦١٢ . ترجمته في معجم الأدباء (١٧/ ٥٨) والعبر (٥/ ٤٣) والأعلام (٦/ ١٥٢) .
(١٢) عن ط وحدها .
(١٣) الأبيات مع الخبر في معجم الأدباء (١٦/ ٦٦) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٩٩) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١١٦) وذيل الروضتين (٣٦) والمحمدون (٥٠) ونكت الهميان (٢٣٣) .

أَلاَ مُبْلِغٌ[١] عَنّي الوَجِيهَ رِسالةً ... وإنْ كانَ لا تُجْدي لَدَيْهِ الرَّسائلُ
تَمَذْهَبْتَ للنُّعْمانِ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ ... وذلِكَ لَمّا أَعْوَزَتْكَ المآكِلُ
وَمَا اخْتَرْتَ رَأْيَ الشَّافِعيّ تَدَيُّناً[٢] ... وَلَكِنَّما تَهْوَى الذي هُوَ حَاصِلُ
وَعَمّا قَلِيلٍ أَنْتَ لا شَكَّ صَائِرٌ ... إِلى مَالِكٍ فَانْظُرْ لما أَنْتَ قَائِلُ

الست الجليلة المصونة[٣] زمرد[٤] خاتون : أم الخليفة الناصر لدين الله بن[٥] المستضيء .

كانت صالحة عابدة كثيرة البر والإحسان[٦] والصلات والأوقاف والصدقات ، عمرت المصانع بطريق الحجاز الشريف ، وأصلحت الطرقات ، بنت لها تربة إلى جانب قبر معروف الكرخي ، وكانت جنازتها مشهودة[٧] جدًّا ، واستمر العزاء بسببها شهراً ، وعاشت في زمان خلافة ولدها أربعاً وعشرين سنة نافذة الكلمة مطاعة[٨] الأوامر .

[مولد أبي شامة] : [وفي هذه السنة][٩] كان مولد الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، وقد ترجم نفسه عند ذكر مولده في هذه السنة في « الذيل »[١٠] ترجمة مطولة فينقل إلى سنة وفاته رحمه الله . وذكر بدء أمره واشتغاله ومصنفاته وشيئاً كثيراً من أشعاره وما رئي له من المنامات المبشِّرة .

وفي هذه السنة كان ابتداء ملك جنكيز خان ملك التتار[١١] [عليه من الله ما يستحقه][١٢] ، وهو صاحب الياسق[١٣] وضعها ليتحاكم[١٤] إليها التتار ومن معهم من أمراء الترك ممن يبتغي حكم الجاهلية ، وهو والد تولي ، وجد هولاكو بن تولي ، الذي قتل الخليفة المستعصم ، وأهل بغداد في سنة

---

(١) ط : مبلغاً .
(٢) ط : وما اخترت قول الشافعي ديانة .
(٣) في أ ، ب : درة ، وترجمتها في ابن الأثير (٩/ ٢٦١) وذيل الروضتين (٣٣) وأبي الفداء (٣/ ١٠٤) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١١٦٧) .
(٤) ليس في ط .
(٥) ط : زوجة .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ط : مشهورة .
(٨) أ ، ب : مطاوعة .
(٩) ط : وفيها .
(١٠) ذيل الروضتين (٣٧ـ٤٥) .
(١١) أ : التاتار .
(١٢) أ ، ب : لعنه الله .
(١٣) في ط : « الباسق » مصحفة ، وما هنا من أ ، ويقال فيها : « اليسق » أيضاً (بشار) .
(١٤) ليتحاكموا إليها يعني التتار .

ست وخمسين وستمئة كما سيأتي بيانه إن[١] شاء الله تعالىٰ في موضعه والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

[ثم دخلت][٢] سنة ستمئة من الهجرة النبوية

في هذه السنة كانت الفرنج قد جمعوا[٣] خلقاً منهم ليستعيدوا بيت المقدس من أيدي المسلمين ، فيما كانوا زاعمين ، فأشغلهم الله [عن ذلك][٤] بقتال الروم ، وذلك أنهم اجتازوا في طريقهم بالقسطنطينية فوجدوا ملوكها قد اختلفوا فيما بينهم ، فحاصروها حتى فتحوها قسراً ، وأباحوها ثلاثة أيام قتلاً وأسراً ، واحترق[٥] أكثر من ربع ريعها ، وما أصبح أحد من الروم [بعد الثلاث][٦] إلا قتيلاً أو فقيراً أو مكبولاً أو أسيراً ، ولجأ[٧] عامة من بقي منها[٨] إلى كنيستها العظمى المسماة بسوفيا[٩] ، فقصدها[١٠] الفرنج فخرج إليهم القسوس[١١] بالأناجيل ليتوسلوا إليهم ، ويتلو ما فيها عليهم ، فما التفتوا إلى شيء مما [واجهوهم به][١٢] . بل قتلوهم أجمعين أكتعين أبصعين ، وأخذوا ما كان في الكنيسة من الحلي والأذهاب والأموال التي لا تحصى ولا تعد ، وأخذوا ما كان على الصلبان والحيطان ، والحمد لله الرحيم الرحمن الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ثم اقترع ملوك الفرنج ، وكانوا ثلاثة وهم دوقس[١٣] البنادقة ، وكان شيخاً أعمى يقاد فرسه ، ومركيس الإفرنسيس وكُنْد أفلند ، وكان أكثرهم عَدداً وعُدداً ، فخرجت القرعة له ثلاث مرات ، فولّوه ملك القسطنطينية وأخذ الملكان الآخران بعض البلاد ، وتحول الملك من الروم إلى الفرنج بالقسطنطينية في هذه السنة ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ولم يبق بأيدي الروم هنالك إلا ما وراء الخليج استحوذ عليه رجل منهم يقال له[١٤] لشكري ، لم يزل مالكاً لتلك الناحية حتى توفي ، لعنه الله .

---

(١) من هذه اللفظة إلى آخر السنة عن ط وحدها .
(٢) عن ب وحدها .
(٣) أ : جمع .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ط : وأحرقوا .
(٦) ط : في هذه الأيام الثلاثة .
(٧) أ ، ب : ونجا .
(٨) أ ، ب : بها .
(٩) ب : يسوف ، ط : أيا صوفيا ، وفي تاريخ ابن العبري (١٣٥) : أجيا سوفيا أي حكمة القدوس .
(١٠) ط : فقصدهم .
(١١) ط : القسيسون .
(١٢) ط : من ذلك .
(١٣) ط : دوقيس .
(١٤) في ط : يشكري ، وما هنا من ابن الأثير (٩/ ٢٦٤) وغيره .

ثم إن الفرنج لعنهم الله قصدوا بلاد الشام ، وقد تقوَّوا بملكهم القسطنطينية فنزلوا عكا ، وأغاروا على كثير من بلاد الإسلام من ناحية الغور وتلك الأراضي ، فقتلوا وسبَوا ، فنهض إليهم الملك العادل ، وكان بدمشق ، ولله الحمد ، واستدعى الجيوش[١] المصرية والمشرقية[٢] ، ونازلهم بالقرب من عكا ، فكان بينهم قتال شديد [ومصابرة عظيمة][٣] ، ثم وقع الصلح بينهم والهدنة ، وأطلق لهم السلطان شيئاً من [بعض البلدان][٤] فإنا لله وإنا إليه راجعون .

[وفي هذه السنة][٥] جرت حروب كثيرة بين الخوارزمية والغورية بالمشرق يطول ذكرها .

وفيها : تحارب صاحب الموصل[٦] وقطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي صاحب سنجار ، وساعد[٧] الأشرف[٨] بن العادل [وهو بحرّان قطب الدين][٩] ، ثم اصطلحوا فيما بينهم وتزوج الأشرف أخت نور الدين ، وهي الأتابكية بنت عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي واقفة المدرسة الأتابكية التي بالسفح[١٠] وبها تربتها رحمها الله تعالىٰ .

وفيها : كانت زلزلة عظيمة [بديار مصر][١١] والشام والجزيرة وقبرص وغير ذلك من البلاد ، قاله ابن الأثير في « كامله »[١٢] .

وفيها : تغلَّب رجل من التجار ، يقال له : محمودبن محمد الحميري على بعض بلاد حضرموت ظفار وغيرها ، واستمرت أيامه إلى سنة تسع عشرة وستمئة وما بعدها .

وفي جمادى الأولى منها عقد مجلس لقاضي القضاة ببغداد وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سَلْمان

---

(١) أ ، ب : بالجيوش .
(٢) ط : الشرقية .
(٣) ط : وحصار عظيم .
(٤) ط : البلاد .
(٥) ط : وفيها .
(٦) هو نور الدين أرسلان شاه .
(٧) ط : صاحب الموصل نور الدين وصاحب سنجار قطب الدين وساعد .
(٨) ليس في ب .
(٩) مكانهما في ط : القطب .
(١٠) منادمة الأطلال (٧٧) قلت : وفي حي الشركسية بدمشق مسجد صغير اسمه التابتية ، ويبدو أنه هو الذي تبقى من هذه المدرسة .
(١١) ط : بمصر .
(١٢) ابن الأثير (٩/٢٦٦ ـ ٢٦٧) .

الحلي[(١)] بدار الوزير ، وثبت عليه محضر بأنه يتناول الرُّشا ، فعزل في ذلك المجلس وفُسِّق ، ونزعت الطرحة عن رأسه ، وكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

وفيها : كانت وفاة الملك ركن الدين بن قلج أرسلان [صاحب بلاد الروم ما بين ملطية وقونية وكانت فيه شهامة وصرامة غير أنه][(٢)] كان ينسب إلى اعتقاد الفلاسفة ، ولهذا كان كهفاً لمن ينسب إلى ذلك ، وملجأً لهم ، وظهر منه قبل موته تجهرم عظيم ، وذلك أنه حاصر أخاه شقيقه ـ وكان صاحب أنكورية ، وتسمى أيضاً أنقرة ـ مدة سنين حتى ضيَّق عليه الأقوات بها ، فسلمها إليه قسراً ، على أن يعطيه بعض البلاد . فلما تمكَّن منه ومن أولاده أرسل إليهم من قتلهم غدراً وخديعة ومكرراً فلم ينظر [بعد ذلك][(٣)] إلا خمسة أيام حتى ضربه[(٤)] الله تعالىٰ بالقولنج سبعة أيام ومات ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان : ٢٩] وأقام بالملك من بعده ولده قليج[(٥)] أرسلان وكان صغيراً فبقي سنة واحدة ، ثم نزع منه الملك أيضاً وصار إلى عمه كيخسرو[(٦)] .

وفيها : قُتل خلق كثير من الباطنية بواسط ولله الحمد .

قال ابن الأثير[(٧)] : وفي رجب[(٨)] اجتمع جماعة من الصوفية برباط ببغداد في سماع فأنشدهم الحادي وهو الجمال الحلي : [مجزوء المتقارب]

أَعــاذِلَتــي أَقْصِــرِي كَفَــى بِمَشيبِــي عَــذَلْ
شَبــابٌ كَـأَنْ لَـمْ يَكُـنْ وَشَيــبٌ كَـأَنْ لَـمْ يَـزَلْ
وبَثِّي[(٩)] ليالي الوِصالِ أواخِــرهــا والأُوَلْ
وصُفْــرَةُ لَــوْن المُحِبــ ـبِ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الغزَلْ

---

(١) في ط : « سليمان الجيلي » وهو تحريف ، وما أثبتناه من تاريخ ابن الدبيثي (الورقة ١٤٣ من مجلد كيمبرج) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٣/ ٦٧٥) ، وكان علي بن عبد الله بن سلمان بن حُسين هذا قاضياً بالحلة السيفية ، وقدم بغداد وعظم شأنه حتى ولي قضاء القضاة في سنة ٥٩٨ ، ثم عزل في هذه السنة كما ذكر المؤلف ، وعاد إلى بلده الحلة . وتوفي بها سنة ٦٢١ (بشار) .
(٢) ليس في ط .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : فضربه .
(٥) ط : أفلح .
(٦) ط : كنخسرو .
(٧) الخبر في ابن الأثير (٩/ ٢٦٦ـ٢٦٧) بخلاف في الرواية وبتفصيل أكثر .
(٨) ط : وفي رجب منها .
(٩) ب : وحتى . وابن الأثير : وحق .

لئِــنْ عَــادَ عَيْشــي لَكُــمْ حَلا العَيْشُ لِي وَاتَّصَلْ[١]
[فَلَسْتُ أُبالي بما نالني ولستُ أُبالي بأَهْلٍ وَمَلْ][٢]

قال : فتحرك الصوفية على العادة ، فتواجد من بينهم رجل يقال له أحمد الرازي[٣] ، فخرَّ مغشياً عليه ، فحركوه فإذا هو ميت . قال : وكان رجلاً صالحاً . وقال ابن الساعي : كان شيخاً صالحاً ، صحب الصدر عبد الرحيم[٤] شيخ الشيوخ ، فشهد الناس جنازته ، ودفن بباب أبرز .

وفيها توفي من الأعيان :

أبو [محمد] القاسم بهاء الدين[٥] : الحافظ بن الحافظ أبي القاسم علي بن هبة الله بن عساكر .

كان مولده في سنة سبع وعشرين وخمسمئة ، أسمعه أبوه الكثير ، وشارك أباه في أكثر مشايخه ، وكتب تاريخ أبيه مرتين بخطه ، وكتب الكثير وأسمع وصنف كتباً عدة ، وخلف أباه في إسماع الحديث بالجامع الأموي ودار الحديث النورية ، [وكانت وفاته][٦] يوم الخميس ثامن صفر ودفن بعد العصر على أبيه بمقابر باب الصغير شرقي قبور الصحابة خارج الحظيرة رحمهما الله .

الحافظ عبد الغني المقدسي[٧] : عبد الواحد[٨] بن علي بن سرور الحافظ أبو محمد المقدسي .

صاحب التصانيف المشهورة ، من ذلك « الكمال في أسماء الرجال » و« الأحكام الكبرى والصغرى » وغير ذلك . ولد بجَمَّاعيل في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمئة ، وهو أسنّ من عَمَّيْه[٩] الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي والشيخ أبي عمر[١٠] بأربعة أشهر وكان قدومهما مع

---

(١) ط : لئن عاد عتبي لكم . . حلا لي العيش واتصل .
(٢) ليس في ب .
(٣) عند ابن الأثير : أحمد بن إبراهيم الداري .
(٤) عن ذيل الروضتين (٤٧) .
(٥) ترجمته في ذيل الروضتين (٤٧) ووفيات الأعيان (٣/ ٣١١) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٢٢٤ ـ ١٢٢٥) والعبر (٤/ ٣١٤) ومرآة الجنان (٣/ ٥٠٠) .
(٦) ط : مات .
(٧) ترجمته في معجم البلدان (جماعيل) ومرآة الزمان (٨/ ٥١٩) وذيل الروضتين (٤٦ ـ ٤٧) والعبر (٤/ ٣١٣) ومرآة الجنان (٣/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠) وله ترجمة رائقة في تاريخ الإسلام أطال فيها الذهبي النفس (١٢/ ١٢٠٣ ـ ١٢١٨) .
(٨) ط : ابن عبد الواحد .
(٩) المعروف أن الحافظ عبد الغني المقدسي ، ابن خالة الموفق وأخيه أبي عمر . وبذلك قال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ (ع) .
(١٠) ليس في ب .

أهلهما من بيت المقدس إلى مسجد أبي صالح[(١)] أولاً ، ثم انتقلوا إلى السفح ، فعرفت المحلة[(٢)] بهم ، فقيل لها الصالحية ، فسكنوا الدير ، وقرأ الحافظ عبد الغني القرآن ، وسمع الحديث وارتحل هو والموفق إلى بغداد سنة ستين وخمسمئة ، فأنزلهما الشيخ عبد القادر عنده في المدرسة ، [وكان لا يترك أحداً ينزل عنده][(٣)] ولكنه[(٤)] توسَّم فيهما النجابة والخير[(٥)] والصلاح ، فأكرمهما وأسمعهما ، ثم توفي بعد مقدمهما بخمسين ليلة[(٦)] [رحمه الله][(٧)] ، وكان ميل عبد الغني إلى الحديث وأسماء الرجال ، وميل الموفق إلى الفقه ، واشتغلا على الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي[(٨)] وعلى الشيخ أبي الفتح ابن المَنِّي[(٩)] ، ثم قدما دمشق بعد أربع سنين ، فدخل عبد الغني إلى مصر وإسكندرية ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم ارتحل إلى الجزيرة وبغداد ، ثم رحل[(١٠)] إلى أصبهان ، فسمع بها الكثير ، ووقف على مصنف للحافظ أبي نُعيم في أسماء الصحابة ، قلت : وهو عندي بخط أبي نعيم . فأخذ في مناقشته في أماكن من الكتاب في مئة وتسعين موضعاً[(١١)] ، فغضب بنو الخُجَنْدي من ذلك [وتعصبوا عليه][(١٢)] ، وأخرجوه منها مختفياً في إزار . ولما دخل في طريقه إلى الموصل سمع كتاب[(١٣)] العقيلي في الجرح والتعديل ، فثار عليه الحنفية بسبب ترجمة[(١٤)] أبي حنيفة[(١٥)] فخرج منها أيضاً خائفاً يترقب .

---

(١) بعدها في ط : خارج باب الشرقي .
(٢) ط : محلة الصالحية .
(٣) أ ، ب : وكان لا ينزل عنده أحد .
(٤) ط : ولكن .
(٥) ط : الخير والنجابة .
(٦) قال بشار : هكذا قال ، وقد روى الذهبي عن شيخه أبي بكر بن طرخان عن الشيخ الموفق ، قال : أدركناه في آخر عمره ، فأسكننا في مدرسته . . فأقمنا عنده شهراً وتسعة أيام ، ثم مات وصلينا عليه ليلاً في مدرسته . تاريخ الإسلام (١٢/ ٢٥٥) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٩٧ من هذا الجزء .
(٩) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٨٣ من هذا الجزء .
(١٠) ط : ارتحل .
(١١) وألف من هذه المناقشات كتابه : « تبيين الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة » ، وقد أثنى عليه الحافظ أبو موسى المديني فقال : « وقد وفق لتبيين هذه الغلطات » وقال الذهبي : « أبان فيه عن حفظ باهر ومعرفة تامة » تاريخ الإسلام (١٢/ ١٢٠٥) (بشار) .
(١٢) ط : فبغضوه .
(١٣) طبع هذا الكتاب باسم : الضعفاء الكبير ، في أربع مجلدات ، بتحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م في بيروت .
(١٤) عن ب وحدها .
(١٥) لأبي حنيفة ترجمة في كتاب العقيلي المذكور وفيها طعن كثير وجرح لأبي حنيفة وتكفير له ، ولكن المحقق جزاه الله خيراً رد ردًّا طيباً في الهامش .

فلما ورد دمشق كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة برواق الحنابلة من جامع دمشق فاجتمع[١] الناس إليه[٢] ، وكان رقيق القلب سريع الدمعة ، فحصل له قبول من الناس جدًّا ، فحسده بنو الزكي والدَّولعي وكبار الشافعية[٣] وبعض الحنابلة الدماشقة[٤] ، وجهزوا الناصح الحنبلي[٥] ، فتكلم تحت قبة النسر ، وأمروه أن يجهر بصوته مهما أمكنه حتى يشوش عليه ، فحوَّل عبد الغني ميعاده إلى بعدالعصر ، فذكر يوماً عقيدته على الكرسي ، فثار عليه القاضي محيي الدين بن الزكي[٦] وضياء الدين الدَّولعي ، وعقد له مجلس بالقلعة[٧] في يوم الإثنين الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ، وتكلموا معه في مسألة العلو ومسألة النزول ومسألة الحرف والصوت وطال الكلام وظهر عليهم بالحجة ، فقال له بزغش نائب القلعة : كل هؤلاء على الضلالة وأنت على الحق ! قال : نعم ، فغضب بزغش من ذلك وأمره بالخروج من البلد ، فارتحل بعد ثلاث إلى بعلبك ، ثم إلى الديار المصرية[٨] ، فآواه الطحّانون ، فكان يقرأ الحديث بها ، فثار عليه الفقهاء بمصر أيضاً ، وكتبوا إلى الوزير صفي الدين بن شكر ، فأمر[٩] بنفيه إلى المغرب ، فمات قبل وصول الكتاب يوم الإثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة . وله تسع[١٠] وخمسون سنة . ودفن بالقرافة عند الشيخ أبي عمر بن مرزوق رحمهما الله .

قال[١١] السبط[١٢] : كان عبد الغني ورعاً زاهداً عابداً يصلي كل يوم ثلاثمئة ركعة كورد الإمام أحمد ، ويقوم الليل ، ويصوم عامة السنة . وكان كريماً جواداً لا يدّخر شيئاً ، ويتصدق على الأرامل والأيتام حيث لا يراه أحد ، وكان يرقع ثوبه ، ويؤثر [بثمن الجديد][١٣] ، وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء ، وكان أوحد زمانه في علم الحديث والحفظ .

---

(١) أ ، ب : فيجتمع .
(٢) ط : عليه وإليه .
(٣) ط : وكبار الدماشقة من الشافعية .
(٤) ليس في ط .
(٥) هو عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب . سترد ترجمته في حوادث سنة ٦٣٤ من هذا الكتاب ، وترجمته أيضاً في ذيل الروضتين (١٦٤) والعبر (٥/ ١٣٨) .
(٦) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٥٩٨ من هذا الجزء .
(٧) ط : وعقدوا له مجلساً في القلعة .
(٨) ط : إلى القاهرة .
(٩) ط : فأقرّ .
(١٠) ط : سبع ، وهو تصحيف ، لأنه ولد سنة ٥٤١ .
(١١) أ : وقال .
(١٢) مرآة الزمان (٨/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) .
(١٣) ب : بثمنه .

قلت : وقد هذب شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي ، [تغمده الله برحمته][١] ، كتابه « الكمال في أسماء الرجال » رجال الكتب الستة بتهذيبه الذي استدرك عليه فيه أماكن كثيرة نحواً من ألف موضع ، وذلك الإمام المزي الذي [لا يبارى ولا يجارى ولا يمارى][٢] ، وكتابه « التهذيب » لم يسبق إلى مثله ، ولا يلحق في شكله[٣] ، [فرحم الله صاحبَي التهذيب والكمال][٤] ، فلقد كانا نادرين في زمانهما في الرجال[٥] حفظاً وإتقاناً وسماعاً وإسماعاً وسرداً للمتون وأسماء الرجال ، [والحاسد لا يفلح ولا ينال منالاً طائلاً][٦] .

قال ابن الأثير في « الكامل » وفيها توفي :

أبو الفتوح أسعد بن محمود العجلي[٧] ، صاحب « تتمة التتمة »[٨] : أسعد بن أبي الفضائل[٩] محمود[١٠] بن خلف العجلي الفقيه الشافعي الأصبهاني الواعظ منتجب الدين[١١] ، سمع [الحديث وتفقه وبرع ، وصنف « تتمة التتمة » لأبي سعد][١٢] الهروي ، وكان زاهداً عابداً . وله « شرح مشكلات الوسيط والوجيز » .

قال ابن[١٣] خلكان : توفي في صفر سنة ستمئة [وله خمس وثمانون سنة ، رحمه الله][١٤] .

---

(١) ليس في ط .
(٢) ط : لا يمارى ولا يجارى .
(٣) قال بشار : هو من أجل الكتب التي حققتها في الثمانينات من المئة الماضية وعلقت عليه بما يسر الله لي ، ونشرته مؤسسة الرسالة في (٣٥) مجلداً ، ثم سرق نصي المحقق بعض أصحاب دور النشر ووضع أحد الدكاترة السوريين المشهورين بسرقة جهود الآخرين اسمه عليه نسأل الله الستر والعافية .
(٤) ط : فرحمهما الله .
(٥) ط : في أسماء الرجال .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : العجلي الفقيه الشافعي بأصبهان في صفر . وكان إماماً فاضلاً ، العجلي صاحب تتمة التتمة .
(٨) ترجمته في ابن الأثير (٩/ ٢٦٧) ووفيات الأعيان (١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) والعبر (٤/ ٣١١ ـ ٣١٢) ومرآة الجنان (٣/ ٤٩٨) .
(٩) في ط : « الفضل » ، وهو تحريف ، وما أثبتناه من تاريخ ابن الدبيثي (الورقة ٢١٣ من مجلد الشهيد علي باشا) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ١١٩٣) وغيرهما (بشار) .
(١٠) في ط : « بن محمود » ، وهو غلط محض ، فأبو الفضائل هو محمود ، كما في تاريخ ابن الأثير وابن الدبيثي والذهبي وغيرهم (بشار) .
(١١) في ط : « منتخب الدين » وهو تصحيف ، بل لا يوجد مثل هذا اللقب في الألقاب (بشار) .
(١٢) ليس في ب .
(١٣) وفيات الأعيان (١/ ٢٠٩) .
(١٤) عن ب وحدها .

البناني الشاعر : أبو عبد الله محمدبن المُهَنَّا بن محمد الشاعر الشهير المعروف بالبناني[١] .

مدح الخلفاء والوزراء والأمراء وغيرهم ، وكبر[٢] وعَلَتْ سنُّه ، وكان رقيق الشعر لطيفه ظريفه [فمنه قوله][٣] : [من البسيط]

ظُلْماً تَرَى مُغْرَماً في الحبِّ تَزْجُرُهُ[٤] وَغَيْـرُهُ بـالهَـوَى أَمْسَيْـتَ تُنْكِـرُهُ
يا عاذِلَ الصَّبِّ لَوْ عَايَنْتَ قاتِلَهُ بِـوَجْنَـةٍ[٥] وعـذارٍ كُنْـتَ تَعْـذِرُهُ
أَفْدي الذي سِحْرُ[٦] عَيْنَيْهِ يُعَلِّمني إذا تَصَـدَّى لِقَتْلِـي كَيْـفَ أَسْحَـرُهُ
يَسْتَمْتِـعُ اللَّيْـلَ فـي نَـوْمٍ وَأَسْهَـرُهُ إلـى الصَّبـاحِ ويَنْسـانـي وَأَذْكُـرُهُ

وله أيضاً : [مجزوء الكامل]

بَكَرَتْ تُديرُ على العَواذِلْ وَتَجُرُّ ذَيْـلاً فـي الخَمَـائِـلْ
وَتهـزُّ فـي ثنْـي الغَـلا ئِـلِ عِطْفَهـا هَـزَّ الـذَّوابِـلْ
وتَميـلُ للغُصْـنِ الـرَّطيـ ـبِ إذا تَمَـاثَـلَ أَو تَمَـايَـلْ
بَيْضَـاءَ صَبْغَـةُ خَـدِّهَـا تنمي وصَبْغُ الـوَرْدِ هَـائِـلْ
شَهِـدَ الجُنَـاةُ وِصَـالَهَـا وَصُـدودُهـا سـمُّ القَـواتِـلْ

أبو سعيد الحسن بن خالد[٧] **بن المبارك** [بن مخطر][٨] **النصراني المارداني الملقب بالوحيد** :

اشتغل في حداثته بعلم الأوائل وأتقنه وبرز فيه ، وكانت له يد طولى في الشعر الرائق ، فمن ذلك قوله قاتله الله : [من الطويل]

أتـانـي كِتـابٌ أَنْشَـأَتْـهُ أَنَـامِـلٌ حَوَتْ أَبْحُراً مِنْ فَيْضِها يَغْرِفُ[٩] البَحْرُ

---

(١) ترجمته في تاريخ الدبيثي (الورقة ١٣٠ شهيد علي) ، والتكملة للمنذري (٢/ ٤٠) والجامع المختصر لابن الساعي (٩/ ١٣٧ ـ ١٣٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ١٢٢٩) والمختصر المحتاج إليه (١/ ١٤٦ ـ ١٤٧) . وذكر الزكي المنذري أن نسبته بالبناني إلى امرأة يقال لها بنانة (بشار) .
(٢) ط : ومدح وكبر .
(٣) ط : قال .
(٤) أ : ظلماً يرى مغرماً في الحب ترجوه .
(٥) ط : لو عاينت قاتله لوجنة .
(٦) ط : بسحر . ولا يستقيم بها الوزن .
(٧) ط : خلد .
(٨) ليس في ط .
(٩) ط : يغرق .

فَـوَاعَجَبـاً أَنَّـى الْتَـوَتْ فَـوْقَ طِـرْسِـهِ وَمَـا عُـوِّدَتْ بِـالقَبْـضِ أَنْمُلُـهُ العَشْـرُ

وله أيضاً لعنه الله : [من الطويل]

لَقَـدْ أَثَّـرَتْ صـدْغـاهُ فـي لَـوْنِ خَـدِّهِ وَلاحـا كَفَـيْءٍ مِـنْ وَراءِ زُجـاجِ
تَرَى عَسْكراً للرُّومِ في الرِّيحِ مُذْ بَدَتْ طـلائِعُـهُ[١] تَسْعَـى لِيَـوْمِ هِيـاجِ
أَمِ الصُّبْـحُ بِـاللَّيْـلِ البَهِيـجِ مُـوَشَّحٌ حَكَـى آبنـوسـاً فـي صَحِيفَـةِ عـاجِ
لَقَـدْ غـارَ صَـدْغـاهُ على وَرْدِ خَـدِّهِ فَسَيَّجَـهُ مِـنْ شِعْـرِهِ بِسِيـاجِ

الطاووسي صاحب الطريقة[٢] : العراقي بن محمد[٣] بن العراقي ركن الدين أبو الفضل القزويني ثم الهمذاني ، المعروف بالطاووسي .

كان بارعاً في علم الخلاف والجدل والمناظرة[٤] . أخذ [هذا الشأن][٥] عن الشيخ رضي الدين النيسابوري الحنفي ، وصنف في ذلك ثلاث تعاليق .

قال ابن خلكان[٦] : أحسنهن الوسطى . وكانت إليه الرحلة بهمذان ، وقد بنى له بعض الحجبة[٧] بها مدرسة تعرف بالحاجبية ، وكانت وفاته في هذه السنة ، ويقال : إنه منسوب إلى طاووس بن كيسان التابعي ، فالله[٨] أعلم .

تم تحقيق هذا الجزء من كتاب البداية والنهاية لابن كثير في صبيحة يوم الأحد الخامس من شهر ذي الحجة من سنة ١٤٠٦هـ ، العاشر من شهر آب من سنة ١٩٨٦م ، ولله الحمد من قبل ومن بعد .

●●●

---

(١) ط : كطائفة .
(٢) ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩) وتاريخ الإسلام (١٢/ ١٢٢٠) والعبر (٤/ ٣١٣) ومرآة الجنان (٣/ ٤٩٨) .
(٣) ط : العراقي محمد ، وفي العبر : العراقي عزيز .
(٤) بعدها في ب : قيماً بذلك .
(٥) ط : أخذ علم ذلك .
(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٩) .
(٧) أ ، ب : بعض الأمراء الحجبة ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٩) .
(٨) ليست الجملة الدعائية الأخيرة في ب .

ثم دخلت سنة إحدى وستمئة(١)

فيها : عزل الخليفة الناصر ولدَه محمداً(٢) الملقب بالظاهر عن ولاية العهد بعد ما خطب له سبع عشرة سنة . وولَّى العهد ولدَه الآخر عليًّا ، فمات عليٌّ من قريب ، فعاد الأمر إلى الظاهر ، فبويع له بالخلافة بعد أبيه الناصر كما سيأتي في سنة ثلاث وعشرين وستمئة .

وفيها : وقع حريقٌ عظيمٌ بدار الخلافة في خزائن السلاح ، فاحترق من ذلك شيءٌ كثيرٌ من السلاح والأمتعة والمساكن ما يقارب قيمتُه أربعة آلاف ألف دينار ، وشاع خبرُ هذا الحريق في الناس ، فأرسلت الملوك من سائر الأقطار هدايا [أسلحة إلى الخليفة عوضاً عن ذلك وفوقه من ذلك شيئاً كثيراً](٣) .

وفيها : عاثت الكُرجُ ببلاد المسلمين فقتلوا خلقاً ، وأسروا أُمماً(٤) .

وفيها : وقعت الحربُ بين أمير مكة قتادة الحَسَني(٥) ، وبين أمير المدينة سالم بن قاسم الحسيني ، وكان قتادة قد قصد المدينة فحصر سالماً فيها ، فركب إليه سالم بعد ما صلى عند الحجرة واستنصر الله على قتادة(٦) ، ثم برز إليه فكسره وساق وراءه إلى مكة فحصره بها ، ثم إن قتادة أرسل(٧) إلى أمراء سالم فأفسدهم عليه ، فكرَّ سالم راجعاً إلى المدينة ، وهو سالم(٨) .

وفيها : ملك غياث الدين كيخسرو(٩) بن قِلج أرسلان بن مسعود بن قِلج بن سليمان بن قتلمش بلادَ الروم ، واستلبها من ابن أخيه ، واستقرَّ هو بها وعظم شأنه وقويت شوكتُه ، وكثرت عساكره وأطاعه الأمراء وأصحاب الأطراف ، وخطبَ له الأفضل بن صلاح الدين بسميساط ، وسار إلى خدمته .

---

(١) من هنا وإلى نهاية هذا المجلد وقع إلينا تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي بخطه في حوادثه ووفياته ، وقد أقمنا تحقيقه على هذه النسخة ، فرأينا من المفيد الإفادة من هذا التاريخ الوسيع في تصحيح هذا المجلد من البداية والنهاية (بشار) .

(٢) في أ و ط : محمد . وما هنا للسياق النحوي .

(٣) ما بين الحاصرتين في أ : الأسلحة إلى الخليفة عوضاً عما فات : شيئاً كثيراً ولله الحمد .

(٤) ط : آخرين .

(٥) في ط : « الحسيني » ، وهو غلط بيِّن فأمراء مكة هؤلاء حسنيون لا حسينيون ، وقتادة هذا هو ابن إدريس بن مطاعن ، توفي سنة ٦١٧ ، كما في التكملة للمنذري (٣/ ١٧) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥١٣) وغيرهما (بشار) .

(٦) ط : فاستنصر الله عليه .

(٧) أ : ثم أرسل قتادة .

(٨) ط : إلى المدينة سالماً .

(٩) قتل سنة ٦٠٧هـ ، وترجمته في ذيل الروضتين (٨٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٩) .

واتفق في هذه السنة أن رجلاً ببغداد نزل إلى دجلة يسبح فيها وأعطى ثيابه لغلامه فغرق في الماء فوجد في ورقة بعمامته هذه الأبيات :

يا أيُّها الناسُ كانَ لي أَمَلٌ   قَصَّرَ بي عن بلوغِهِ الأَجَلُ
فليتَّقِ اللهَ ربَّهُ رجلٌ   أمكَنهُ في حياتِهِ العملُ
ما أَنا وحدي نقلت حيث ترى   كلٌّ إلى مثله سينتقلُ[١]

ومن توفي فيها من المشايخ والأعيان :

أبو الحسن علي بن (الحسن بن)[٢] عنتر[٣] بن ثابت الحلِّي[٤] المعروف بشُمَيْم .

كان شيخاً أديباً لغوياً شاعراً جمع من شعره « حماسةً » كان يفضّلها على « حماسة أبي تمام » ، وله خمريات[٥] يزعم أنها أفحلُ من التي لأبي نواس .

قال أبو شامة في « الذيل »[٦] : كان قليلَ الدين ، ذا حماقة ورقاعة وخلاعة[٧] ، وله « حماسة » و« رسائل » .

قال ابن الساعي : قدم بغداد فأخذ النحو عن ابن الخشاب ، وحصَّلَ منه طرفاً صالحاً من النحو ، واللغة[٨] وأشعار العرب ، ثم أقام بالموصل حتى توفي بها[٩] .

ومن شعره [في حماسته] : [من الكامل]

لا تَسْرَحَنَّ الطرفَ في مُقَلِ المها   فَمَصارِعُ الآجالِ في الآمالِ[١٠]

---

(١) رواية البيت في ط :

ما أنا وحدي بفناء بيت   يرى كل إلى مثله سينتقل

وهو مضطرب الوزن .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من ط ، ولا يصح إلا به (بشار) .

(٣) في أ : عنبر ؛ تحريف ، وقد قيدها كل من المنذري والعماد الحنبلي بالحرف ، وكذلك قيّدا لفظة : شُمَيْم .

(٤) ترجمة شميم في معجم الأدباء (٥/ ١٢٩) وإنباه الرواة (٢/ ٢٤٣) وذيل الروضتين (٥٢) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٦٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٣٣٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٠ ـ ٤٣) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤١١) والعبر (٥/ ٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٨٨) وبغية الوعاة (٢/ ١٥٦٠) وشذرات الذهب ـ دمشق ـ (٧/ ٨ ـ ١١) .

(٥) أ : حماريات ؛ تحريف .

(٦) ذيل الروضتين (٥٢) .

(٧) ط : ذا حماقة ورقاعة وخلاعة ؛ وما هنا عن ذيل أبي شامة .

(٨) ط : طرفاً صالحاً ومن اللغة .

(٩) الأبيات عشرة في معجم الأدباء بزيادة سبعة أبيات بعد البيت الثاني .

(١٠) رواية البيت في معجم الأدباء :

=

كم نظرةٍ أرْدَت وما أخذت يد الـ ـمصمـي لمـن قتلـت أداة قتـالِ[١]
سنحت وما سمحت بتسليم[٢] وإقـ ـــلال التحيــة فعلــةُ المختـــال[٣]

[ومن خمرياته قوله[٤] : [من مجزوء الكامل]

امــزج بمسبــوكِ اللجيــنِ ذهبـاً حكَتـه دمـوع عينـي
لمَّـا نعـى نـاعـي الفـرا ق ببيـن مَـنْ أهـوى وبينـي
خَفَقَـتْ لنـا شمسـان مـن لألائهـا فـي الخـافقيـنِ
وبَـدَتْ لنـا فـي كـأسهـا مـن لـونهـا فـي حُلَّتَيْـنِ

ومن شعره في التجنيس[٥] : [مجزوء الرمل]

ليـتَ مَـنْ طَـوَّل بـالشَّـا مِ ثـــواهُ وثـــوى بِـــهْ
جعـلَ العَـوْدَ إلـى الـزَّوْ رَاءِ مـن بعـض ثَـوابِـهْ
أتُـرى يُـوطِئنـي الـدَّهْـ ـرُ ثَـرَى مِسْـك تـرابـهْ
وأرى أيْ نـــور عينـــي مـوطئـاً لـي وتـرى بـه[٦]

أبو نصر محمد بن سعد الله[٧] بن نصر بن سعيد بن الدَّجَاجي[٨] .

كان شيخاً[٩] بهياً واعظاً حنبلياً فاضلاً شاعراً مجيداً[١٠] ، فمن قوله[١١] : [من الرجز]

= لا تسرحنَّ الطرف في بقر المها فمصـارع الآجـال فـي الآجـال

(١) رواية البيت في ط :
كـم نظـرة أردت ومـا أخـرت وكــم يــد قبلــت أوان قتــال
وفي أ : آداب قتال .

(٢) ط : بتسليمه .

(٣) في معجم الأدباء : فعلة المغتال .

(٤) الأبيات في معجم الأدباء والشذرات .

(٥) الأبيات في معجم الأدباء .

(٦) بعده في ط : وله أيضاً في الخمر وغيره .

(٧) ترجمة ـ ابن الدجاجي ـ في التكملة لوفيات النقلة (٢/ ٥٨) وذيل الروضتين (٥٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٨) والوافي بالوفيات (٣/ ٩١) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٤) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٨٧) والمقصد الأرشد (٢/ ٤١٤) .

(٨) في ط : الأرتاحي كان سخياً ؛ وهما تصحيفان .

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) ط : مجيداً له .

(١١) الأبيات في ذيل الروضتين وذيل ابن رجب . ومنها الأول والثاني في النجوم الزاهرة .

نفسُ الفتى إن أصلحتْ أحوالها ... كانَ إلى نيلِ المنى[١] أحوى لها
وإن تراها سدَّدتْ أقوالها ... كان[٢] على حملِ العلى أقوى لها
فإن[٣] تبدَّتْ حالُ منْ لها لها ... في قبرهِ عندَ البلى لها لها

أبو العباس أحمد بن مسعود[٤] بن محمد القرطبي الخزرجي .

كان إماماً في التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب ، وله تصانيف حسان ، وشعر رائق ، منه قوله : [من الوافر]

وفي الوجَناتِ ما في الرَّوْضِ لكنْ ... لِرَوْنَقِ زَهْرِها مَعْنىً عجيبُ
وأعجبُ ما التَّعجُّبُ منه أني ... أرى البستانَ يحمله قضيبُ[٥]

أبو الفداء إسماعيل بن يرنقش السِّنْجَاري مولى صاحبها عماد الدين زنكي بن مودود .

وكان جندياً حسنَ الصورة ، مليحَ النظم ، كثير الأدب ، ومن[٦] شعره ما كتب به إلى الأشرف موسى بن العادل يعزِّيه في أخ له اسمه يوسف : [من الطويل]

دموعُ المعالي والمكارم ذُرَّفُ[٧] ... وربعُ العُلاَ قاعٌ لفقدكَ صَفْصَفُ
غدا الجودُ والمعروفُ في اللَّحدِ ثاوياً ... غداةَ ثوى في ذلك اللحدِ يوسفُ
فتى خَطَفَتْ كفُ المنيَّةِ روحهُ ... وقد كانَ للأرواحِ بالبيضِ يخطفُ
سَقَتْهُ ليالي الدهرِ كأسَ حِمامها ... وكانَ بِسَقْيِ الموتِ في الحربِ يُعْرَفُ
فواحسرتا لو ينفع الموتَ حسرةٌ ... وواأسفا لو كانَ يُجْدي التأسُّفُ
وكانَ على الأرزاءِ نفسي قويَّةٌ ... ولكنَّها عن حَمْلِ ذا الرُّزْءِ تضعفُ

أبو الفضل إلياس[٨] بن جامع بن علي الأربلي .

---

(١) في ذيل الروضتين وذيل ابن رجب : كانت إلى نيل التقى .
(٢) في ذيل ابن رجب : كانت إلى .
(٣) في ذيل ابن رجب : فلو تبدَّت .
(٤) ترجمة ـ القرطبي ـ في نفح الطيب (٢/ ٦٤٣) والأعلام (١/ ٢٤١) ومعجم المؤلفين (١/ ١٧٦) .
(٥) في ط : منه ، أنى لتيار تحمله عصيب .
(٦) أ : فمن .
(٧) ط : أذرفت .
(٨) أ : أبو الفضل بن الناس . قال بشار : وفي ط : أبو الفضل بن إلياس . وكله تحريف ، والصواب ما أثبتنا ، وترجمته في تاريخ ابن الدبيثي (الورقة ٢٧٧ من مجلد باريس ٥٩٢١) وتكملة المنذري (٢/ ٦٤) والجامع المختصر لابن الساعي (٩/ ١٦٥) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٣) والمختصر المحتاج إليه (١/ ٢٦٠) وعقد الجمان=

تفقه بالنِّظامية وسمع الحديث ، وصنَّف التاريخ وغيره ، وتفرد بحسن كتابة الشروط ، وله فضل ونظم حسن ، منه قوله[(١)] : [من الطويل]

أَمُمْـرِضَ قلبـي مـا لهجـركَ آخـرُ ؟ ومُسْهِرَ طَرْفي ، هل خيالُكَ زائرُ ؟
ومُسْتَعْـذِبَ التَّعـذيـبِ جَـوْراً بصدِّهِ أَمَا لـكَ فـي شـرعِ المَحَبَّـةِ زاجـرُ ؟
هَنيئاً لـكَ القلـبُ الـذي قـد وقفتهُ علـى ذِكْـرِ أيـامـي وأنـتَ مُسـافـرُ
فلا فارقَ الحزنُ المبرِّحُ خاطري لبُعدكَ حتى يجمع[(٢)] الشملَ قادرُ
فـإن مِـتُّ فـالتسليـمُ منِّـي عليكـمُ يعـاودُكُـم مـا كبَّـرَ اللهَ ذاكـرُ

أبو السعادات الحلّي التاجر البغدادي الرافضي .

كان في كل جُمعةٍ يلبس لأْمَةَ الحرب ويقفُ خلفَ باب داره ، والبابُ مجاف عليه ، والناسُ في صلاةِ الجمعة ، وهو ينتظرُ أن يخرجَ صاحبُ الزمانِ من سرداب سامراء ـ يعني محمد بن الحسن[(٣)] العسكري ـ ليميل بسيفه في الناس نصرة للمهدي .

أبو غالب بن كمنونة ، اليهودي الكاتب .

كان يزوِّرُ على خطِّ ابن مقلة من قوَّة خطِّه ، توفي ـ لعنه الله ـ بمطمورة واسط ، ذكره ابن الساعي في « تاريخه » .

ثم دخلت سنة ثنتين وستمئة

فيها وقعت حرب عظيمة بين شهاب الدين محمد بن سام الغوري ، صاحب غزنة ، وبين بني كَوْكَر[(٤)] أصحاب جبل الجودي ، وكانوا قد ارتدّوا عن الإسلام فقاتلهم وكسرهم وغنم منهم شيئاً كثيراً لا يُعَدّ[(٥)] ولا يُوصف ، فاتبعه بعضُهم حتى قتله غِيلةً في ليلة مستهل شعبان منها بعد العشاء . وكان رحمه الله من

= للعيني (١٧/ الورقة ٢٨١) .
(١) ط : ونظم فمن شعره .
(٢) أ : حتى يشمل الشمل .
(٣) ليست اللفظة في أ . وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ١١٩ ـ ١٢٢) وثمة كلام للذهبي عنه وعن خروجه من سرداب سامراء .
(٤) أ : بني لوكر . وفي ط : أصحاب الجبل الجودي ، وما هنا يعضده ما في الكامل لابن الأثير (١٢/ ٢٠٨ ط . صادر) .
(٥) أ : لا يحدّ .

أجود الملوك سيرةً وأعقلهم وأثبتهم [في الحرب][١] ، ولما قُتل كان في صحبته فخر الدين الرازي[٢] ، وكان يجلس للوعظ بحضرة الملك ويعظه ، وكان السلطان يبكي حين يقول في آخر مجلسه[٣] : يا سلطان سلطانك لا يبقى ، ولا يبقى الرازي أيضاً ، إن مردَّنا جميعاً إلى الله ، وحين قُتل السلطان اتّهم الرازي بعض الخاصكية بقتله ، فخاف من ذلك والتجأ إلى الوزير مؤيد الملك بن خواجا ، فسيَّره إلى حيث يأمن ، وتملك غزنة بعده أحد مماليكه تاج الدين الدر ، وجرت بعد ذلك خطوب يطول ذِكرها[٤] ، قد استقصاها ابن الأثير وابن الساعي .

وفيها : أغارت الكُرج على بلاد المسلمين فوصلوا إلى خلاط فقتلوا وسبوا ، وقاتلهم المقاتلة والعامة .

وفيها سار صاحب إربل مظفر الدين كُوكُبُوري[٥] وصحبته صاحب مراغة لقتال ملك أذربيجان ، وهو أبو بكر بن البهلوان[٦] ، وذلك لنكوله عن قتال الكُرج وإقباله على السُّكْر ليلاً ونهاراً ، فلم يقدروا عليه ، ثم إنه تزوج في هذه السنة بنت ملك الكُرج ، فانكف شرُّهم عنه . قال ابن الأثير[٧] : وكان كما يقال : أغمد سيفه ، وسَلَّ أَيْره .

وفيها : استوزر الخليفةُ نصيرَ الدين ناصر بن مهدي العلوي الحسني ، وخلع عليه بالوزارة ، وضُربت الطبول بين يديه وعلى بابه أوقات الصلوات [الفجر والمغرب والعشاء][٨] .

وفيها : أغار صاحب بلاد الأرمن وهو ابن لاون على بلاد[٩] حلب ، فقتل وسبى ونهب ، فخرج إليه الملك الظاهر غازي بن الناصر ، فهرب ابن لاون بين يديه ، فهدم الظاهر قلعة كان قد بناها [ابن لاون][١٠] ودكَّها إلى الأرض .

وفي شعبان منها هدمت القنطرة الرومانية عند الباب الشرقي ، ونشرت حجارتها ليبلَّط بها الجامع

---

(١) وكان ما بين الحاصرتين في أ : تغمده الله برحمته .
(٢) سترد ترجمة الرازي في وفيات سنة ٦٠٦ من هذا الجزء .
(٣) أ : (في أثناء المجلس) .
(٤) أ : يطول بسطها وقد استقصاها .
(٥) اللفظة كثيرة التصحيف من الأصول ، وقد قيدها ابن خلكان (٤/ ١٢١) .
(٦) في ط : « البهلول » ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتنا ، وهو الذي في كامل ابن الأثير (١٢/ ٢٣٦) وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ١٠) (بشار) .
(٧) الكامل(١٢/ ٢٤٢) .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) عن أ ، وحدها .
(١٠) عن ب وحدها .

الأموي بسفارة الوزير صفي الدين بن شكر[١] وزير العادل ، وكمل تبليطه في سنة أربع وستمئة .

وممن توفي فيها من المشاهير[٢] :

شرف الدين أبو الحسن[٣] علي بن محمد بن علي جمالِ الإسلام الشهرزوري ، بمدينة حمص ، وقد كان أُخرج إليها من دمشق .

وكان قبل ذلك مدرِّساً بالأَمِينيّة[٤] والحلقة بالجامع تجاه البرادة[٥] ، وكان لديه علم جيد بالمذهب والخلاف .

التقي عيسى بن يوسف[٦] بن أحمد الغَرَّافي[٧] الضرير ، مدرس الأَمينيَّة أيضاً .

كان يسكن المنارة الغربية ، وكان عنده شاب يخدمه ويقوده[٨] فعدم للشيخ دراهم ، فاتُّهم هذا الشاب بها ، فلم يثبت له عنده شيء[٩] واتهم به[١٠] الشيخ ، ولم يكن يظن الناس أن عنده من المال شيئاً[١١] ، فضاع المال واتهم عرضه ، فأصبح يوم الجمعة السابع من ذي القعدة مشنوقاً ببيته بالمئذنة الغربية ، فامتنع[١٢] الناس من الصلاة عليه لكونه قتل نفسه ، فتقدم الشيخ فخر الدين عبد الرحمن بن عساكر فصلى

---

(١) هو عبد الله بن علي بن عبد الخالق الوزير صفي الدين بن شكر ، سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٢٢ من هذا الجزء .

(٢) في ط : وفيها توفي من الأعيان .

(٣) ترجمته في التكملة لوفيات النقلة (٢/ ٨٢ ـ ٨٣) وذيل الروضتين (٥٤) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٦) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٢٣) .

(٤) المدرسة الأمينية إحدى مدارس الشافعية في دمشق بناها أمين الدولة كُمُشْتكين بن عبد الله الطُّغتكي . توفي سنة ٥٤١هـ .

(٥) قال العلموي : (المدرسة الأمينية قبلي باب الزيادة (كذا) من أبواب الجامع الأموي المسمَّى قديماً بباب الساعات وفي شرقي المجاهدية جوار قاسارية القواسين) .
وقال بدران : اغتصبت أوقافُها ثم قيَّض الله لها بعض مؤدبي الأولاد ، اتخذها مكتباً للتعليم وهي الآن على ما ذكرنا مختصر تنبيه الطالب (٣٣) ومنادمة الأطلال (٨٦ ـ ٨٧) .

(٦) ترجمة ـ الغَرّافي ـ في ذيل الروضتين (٥٥٤ ـ ٥٥٥) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٥) والعبر (٥/ ٤) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٢٢) ونكت الهميان (٣٢٣ ـ ٣٢٤) وطبقات السبكي (٨/ ٣٤٥) وطبقات الإسنوي (١/ ١٢٧) والدارس (١/ ١٨٥) وشذرات الذهب ـ محمود الأرناؤوط ـ (٧/ ١٣ ـ ١٤) .

(٧) في ط : العراقي . وهو تحريف ـ نسبة الغرافي إلى الغَرَّاف ـ وهو نهر كبير تحت واسط بينها وبين البصرة وعليه كورة فيها كور كثيرة . معجم البلدان : (غرف) وذيل الروضتين (٥٤) .

(٨) ط : ويقود به .

(٩) ط : شيئاً ؛ وهو خطأ .

(١٠) ط : واتهم الشيخ عيسى هذا بأنه يلوط به .

(١١) ط : شيء ؛ خطأ نحوي .

(١٢) أ : فأحجم .

عليه ، فائتم به بعض الناس[(١)] قال [الشيخ شهاب الدين] أبو شامة[(٢)] : وإنما حمله على ما فعله [كثرة همِّه بضياع] ماله والوقوع في عرضه ، قال : وقد جرى لي أخت هذه القضية[(٣)] وعصمني الله سبحانه بفضله ، قال : وقد درَّس بعده في الأمينيَّة الجمال المصري[(٤)] وكيل بيت المال .

أبو الغنائم المركيسهلار[(٥)] البغدادي .

كان يخدم مع عز الدّين نجاح الشَّرابي ، وحصَّلَ أموالاً جزيلةً ، كان كلما تهيَّأَ له مالٌ اشترى به مُلْكاً وكتبه باسم صاحبٍ له يعتمد عليه ، فلما حضرته الوفاةُ أوصى ذلك الرجل أن يتولَّى أولادَه ، وينفق عليهم من ميراثه مما تركه لهم ، فمرض المُوصى إليه بعد قليل ، فاستدعى الشهودَ ليُشهدهم على نفسه أَنَّ ما في يده لورثة أبي الغنائم ، فتمادى ورثته بإحضار الشهود / وطوَّلوا عليه / وأخذته سكتة فمات ، فاستولى ورثته على تلك الأموال والأملاك ، ولم يعطوا[(٦)] أولاد أبي الغنائم منها شيئاً مما[(٧)] ترك [أبوهم] لهم .

أبو الحسن علي بن علي[(٨)] بن سعادة الفارقي[(٩)] .

تفقه ببغداد ، وأعاد بالنِّظَّامية ، وناب في تدريسها ، واستقل بتدريس المدرسة التي أنشأتها أم الخليفة ، وأُريد على نيابة القضاء عن أبي طالب بن البخاري[(١٠)] فامتنع [من ذلك] فألزم به فباشره قليلاً ، ثم دخل يوماً إلى مسجد فلبس على رأسه مئزر صوف ، وأمر الوكلاء والجَلاَوِزة[(١١)] أن ينصرفوا عنه ، وأشهد على نفسه بعزلها عن نيابة القضاء ، واستمر على الإعادة والتدريس رحمه الله .

وفي يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول توفيت :

الخاتون أم السلطان الملك المعظَّم عيسى بن العادل[(١٢)] ، فدفنت بالقبة [التي] بالمدرسة

(١) أ : مأتمّ الناس به .
(٢) ذيل الروضتين (٥٥) بتصرف .
(٣) أو ذيل الروضتين : القصية .
(٤) سترد ترجمة الجمال المصري في وفيات سنة ٦٢٣ من هذا الجزء .
(٥) كذا في الأصول ، ولم أجد لها ذكراً في ما بين يدي من المصادر .
(٦) ط : ولم يقضوا .
(٧) بهذه اللفظة تنضم النسخة ب إلى الأصلين الآخرين .
(٨) ط : أبو الحسن بن علي بن سعاد الفارسي ؛ وما هنا عن أ وب ومصادره .
(٩) ط : الفارسي ، وفي أ ، ب : القاري ، وما هنا عن التكملة . وترجمة ـ الفارقي ـ في كامل ابن الأثير (١٢/ ١٢١) والتكملة (٢/ ٩١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٦) وطبقات السبكي (٥/ ١٢٦) .
(١٠) تقدمت ترجمة ابن البخاري في وفيات سنة ٥٩٣ من الجزء السابق .
(١١) ط : الجلاوذة تحريف وفي أ : الجلادرة . وهو تحريف أيضاً .
(١٢) أ ، ب : الملك المعظم العادل ، وفيها نقص . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٢١ من هذا الجزء .

المعظمية[١] بسفح قاسيون[٢] .

الأمير مُجِير الدين طَاشْتِكين الْمُسْتَنْجِدي[٣] أمير الحاج وزعيم بلاد خوزستان .

كان شيخاً خيِّراً حسن السيرة كثير العبادة ، غالياً في التشيّع ، توفي بتُسْتَر[٤] [في] ثاني جمادى الآخرة [من سنة ثنتين وستمئة] وحمل تابوته إلى الكوفة فدفن بمشهد عليّ بوصية منه[٥] ، هكذا ترجمه ابن الساعي في « تاريخه »[٦] .

وذكر أبو شامة في « الذيل »[٧] أنه طاشتكين[٨] بن عبد الله الْمُقْتَفَوي[٩] أمير الحاج [ولقبه مجير[١٠] الدين] . حج بالناس ستاً وعشرين سنة ، وكان[١١] يكون في الحجاز كأنه ملك ، وقد رماه الوزير ابن يونس بأنه يكاتب صلاح الدين فحبسه الخليفة ، ثم تبين له بطلان ما ذُكر عنه فأطلقه وأعطاه خوزستان ثم أعاده إلى إمرة الحاج[١٢] ، وكانت الحلة السَّيفيّة[١٣] إقطاعه ، وكان شجاعاً جواداً سمحاً قليل الكلام ، يمضي عليه الأسبوع لا يتكلم فيه بكلمة ، وكان فيه حلم واحتمال ، استغاث به رجل على بعض نوابه فلم يردَّ عليه ، فقال له الرجل المستغيث : أحمار أنت ؟ فقال : لا .

وفيه يقول ابن التعاويذي[١٤] : [من الخفيف]

وأميــر علــى البــلاد مــولًــى لا يجيب الشاكي بغير السكوت

---

(١) منادمة الأطلال (٢٠١) والقلائد الجوهرية (١٣١) .

(٢) ط : قايسون .

(٣) ترجمة (طاشتكين) في تاريخ ابن الأثير (١٢/ ١٠١) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٨٣) وذيل الروضتين (٥٣ ـ ٥٤) والمختصر في أخبار البشر (٣/ ١١٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦١) وفوات الوفيات (٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٩٠) .

(٤) تستر : بالضم ، ثم السكون ، وفتح التاء الأخرى وراء : أعظم مدينة بخوزستان وهي تعريف شوشتر التي تقع على ستين ميلاً شمال الأهواز بخط مستقيم . معجم البلدان (٢/ ٢٩) وبلدان الخلافة الشرقية (٢٦٩ ـ ٢٧٠) .

(٥) ط : لوصيته ذلك .

(٦) الجامع المختصر (٩/ ١٨٦) .

(٧) ذيل الروضتين (٥٣) .

(٨) ن : مجير الدين طاشتكين .

(٩) ترجمته في حسن الصفا والابتهاج (١١٧) .

(١٠) في ذيل الروضتين : ولقبه فخر الدين ، وهو تحريف .

(١١) ط : كان .

(١٢) ط : الحج .

(١٣) أ : السبعية ، وط : الشيعية ؛ وما هنا عن ب ومعجم البلدان (٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) .

(١٤) البيتان في ذيل الروضتين ، وفوات الوفيات ، والنجوم الزاهرة ، وقد أخلَّ الديوان بهما .

كُلَّمـا زادَ رفعـةً حَطَّنـا اللَّـ ـهُ بِتَفْضِيلِهِ[١] إلى البهموتِ[٢]

وقد سرق فرّاشُه حياصة[٣] له فأرادوا أن يستقروا الفرَّاش[٤] عليها ، وكان قد رآه الأمير طاشتكين وهو[٥] يأخذها ، فقال : لا تعاقبوا أحداً فإنه أخذها من لا يردّها ، ورآه حين أخذها من لا ينمُّ عليه ، وقد كان بلغ[٦] من العمر تسعين سنة . واتفق أنه استأجر أرضاً مدة ثلاثمئة سنة للوقف ، فقال فيه بعض المضحكين : هذا لا يوقن بالموت ، عمره تسعون سنة ، واستأجر أرضاً ثلاثمئة سنة ، فاستضحك القوم ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وستمئة

فيها جرت أمور طويلة [ببلاد] المشرق[٧] بين الغورية والخوارزمية وملكهم خوارزم شاه بن تكش ببلاد الطالقان .

وفيها : ولّى الخليفة الناصر قضاء القضاة ببغداد لعماد الدين أبي القاسم عبد الله[٨] بن الدامغاني .

وفيها : قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، بسبب فسقه وفجوره ، وأُحرقت كتبه وأمواله قبل ذلك لما فيها من كتب الفلاسفة ، وعلوم الأوائل ، وأصبح يستعطي بين الناس ، وهذا بخطيئة قيامه على أبي الفرج بن الجوزي ؛ فإنَّه هو الذي كان وَشَى به إلى الوزير ابن القَصَّاب حتى أُحرقت بعضُ كتب ابن الجوزي ، وخُتم على بقيتها ، ونُفي إلى واسط خمس سنين كما [تقدم بيان ذلك][٩] ، والناس يقولون : في الله كفايةٌ ، وفي القرآن : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى : ٤٠] والصوفية يقولون : الطريقُ يأخذ [حقها] . والأطباء يقولون : الطبيعةُ مكافئةٌ .

وفيها : نازلت الفرنجُ حمصَ فقاتلهم ملكُها أسدُ الدين شيركوه [بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير] وأعانه بالمدد الملك الظاهر صاحب حلب فكفَّ الله شرهم .

---

(١) ط : بتفيله ؛ وهو تحريف .
(٢) في فوات الوفيات : اليهموت .
(٣) ط : حياجبة ؛ والحياصة ـ والأصل حواصة ـ سيرٌ نَشُدُّ به حزام السرج . القاموس : (حوص) .
(٤) ط : مستقردة .
(٥) ب : قال أخذها من لا يردها ، وفي ط : حين أخذها لا تعاقبوا أحداً قد أخذها .
(٦) أوب : وكان قد بلغ .
(٧) ط : طويلة بالمشرق .
(٨) ط : ولى الخليفة القضاء ببغداد لعبد الله .
(٩) عن ب وحدها .

وفيها : اجتمع شابان(١) ببغداد على الشراب(٢) فضرب أحدهما الآخر بسكِّين فقتله وهرب ، فأُخِذ فقُتل فوُجد معه رقعة فيها بيتان من نظمه أمر أن يجعلا(٣) بين أكفانه [وهما قوله] : [من الوافر](٤)

قَدِمْتُ على الكَريم(٥) بِغَيْرِ زادٍ   مـن الأَعْمَـالِ بـالقَلْـبِ السَّليـمِ
وسـوءُ الظـنِّ أن يعتـدَّ(٦) زاداً   إذا كـان القـدومُ علـى كـريـمِ

ومن توفي فيها من الأعيان(٧) :

الفقيه [العالم] أبو منصور(٨) عبد الرحمن بن الحسين بن النُّعماني(٩) النِّيلي ، الملقب بالقاضي شريح لذكائه وفضله وبراعته(١٠) وعقله وكمال أخلاقه .

ولي قضاء بلده (ثم قدم بغداد فنُدب إلى المناصب الكبار فأباها ، فحلف عليه الأمير طاشْتِكين أن يعمل عنده في الكتابة) فخدمه عشرين سنة ، ثم وَشَى به الوزير ابن مهدي إلى الخليفة(١١) ، فحبسه في دار طاشتكين إلى أن توفي(١٢) في هذه السنة ، ثم إن الوزير الواشي عما قريب حُبس بها أيضاً ، [ومات فيها] وهذا من العجب العجاب(١٣) .

عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر(١٤) .

---

(١) في هامش ط : أحدهما أبو القاسم أحمد بن المقرئ صاحب ديوان الخليفة ، داعب ابن الأمير أصبه وكان شاباً جميلاً فرماه بسكين فقتله . فسلمه الخليفة إلى أولاد ابن أصبه فقتلوه . النجوم (ج٦/ ص ١٩٢) .
(٢) ط : على الخمر .
(٣) ط : أن تجعل .
(٤) البيتان في النجوم الزاهرة (٦/ ١٩٣) والكامل لابن الأثير (٩/ ٢٠٩) .
(٥) في النجوم : قدمت على الإله .
(٦) ط ، والكامل : أن تعتد .
(٧) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(٨) ترجمة النيلي في التكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٠٣) وذيل الروضتين (٥٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٧) .
(٩) في ط : « النعمان » ، وهو تحريف (بشار) .
(١٠) ط : وبرعاته ؛ تصحيف .
(١١) ط : « المهدي » ولا يستقيم (بشار) .
(١٢) ط : مات .
(١٣) ط : وهذا مما نحن فيه من قوله : كما تدين تدان .
(١٤) ترجمة ـ عبد الرزاق الجيلاني ـ في التكملة لوفيات النقلة (٢/ ١١٦) وذيل الروضتين (٥٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٨) وتذكرة الحفاظ (١٣٨٥) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٢٦) والعبر (٥/ ٦) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٠ ـ ٤١) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٩٢) وشذرات الذهب (٧/ ١٨) .

كان ثقة عابداً زاهداً ورعاً ، [لم يكن في أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني خير منه][١] ، لم يدخل فيما دخلوا فيه من المناصب والولايات ، (بل) كان متقلِّلاً من الدنيا مقبلاً على أمر الآخرة ، وقد سمع الكثير وسُمع عليه أيضاً .

أبو الحَرَم[٢] مَكِّي بن رَيَّان[٣] بن شَبَّة بن صالح الماكسيني[٤] ، من أعمال سنجار ، ثم الموصلي النحوي .

قدم بغداد وأخذ على ابن الخشَّاب[٥] وابن العَصَّار[٦] ، والكمال الأنباري[٧] ، وقدم الشام فانتفع به خلق كثير ، منهم الشيخ علَم الدين السَّخاوي وغيره وكان ضريراً ، و(كان) يتعصَّب لأبي العلاء المعري لما بينهما من القدر المشترك في الأدب والعمى[٨] ، ومن شعره[٩] : [من الوافر]

إذا احتـاجَ النَّـوالُ إلـى شفيـعٍ فلا تقبلْهُ تُضحِ[١٠] قريرَ عَيْنِ
إذا عِيـفَ النَّـوالُ لِفَـرْدِ مَـنٍّ فـأولـى أن يعــافَ لِمنَّتَيْـنِ

ومن شعره (أيضاً) : [من المنسرح]

---

(١) أ : لم يكن في إخوته خيراً منه .

(٢) ترجمة ـ مكي بن ريان ـ في معجم الأدباء (١٩/ ١٧١) وكامل ابن الأثير (١٢/ ١٠٨) وإنباه الرواة (٣/ ٣٢٠) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ١١٧) وذيل الروضتين (٥٨) ووفيات الأعيان (٥/ ٢٧٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٧) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٢٥) والعبر (٥/ ٨) ونكت الهميان (٤٦) وغاية النهاية (٢/ ٣٠٩) وبغية الوعاة (٢/ ٢٩٩) وشذرات الذهب (٧/ ٢١) .

(٣) ط : أبو الحزم مكي بن زيان ؛ وفيها تحريفان ، وكأني بأبي شامة ينظر بعين الحق حين قال : وربما يقع تصحيف في اسم أبيه وجده ، فاعلم أن اسم أبيه أوله راء بعدها ياء معجمة بواحدة ـ وفي وفيات الأعيان ـ معجمة باثنتين وهي الأصح ـ من تحت . وشبَّة على وزن حبَّة .

(٤) الماكسيني نسبة إلى ماكسين ـ بكسر الكاف : بلد بالخابور قريب من رحبة مالك بن طوق من ديار ربيعة . وفي بلدان الخلافة : تقع ماكسين بين عرابان وبين قرقيسيا ، حيث كان جسر سفن يقطع الخابور وعلى مقربة منها بحيرة صغيرة تسمى المنخرق . معجم البلدان (٥/ ٤٣) وبلدان الخلافة (١٢٧) .

(٥) ابن الخشَّاب هو عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد . تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٦٧ من الجزء السابق .

(٦) ابن العصار هو علي بن عبد الرحيم بن الحسن السلمي ثم العباسي الرقي ثم البغدادي اللغوي أخذ عن الجواليقي . وكان مليح الخط أنيق الضبط . مات سنة ٥٧٦ . معجم الأدباء (١٤/ ١٠) وإنباه الرواة (٢/ ١٢٩١) وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٧٨) وبغية الوعاة (٢/ ١٧٥) . قال بشار : وقع في ط : « القصار » بالقاف ، وهو تحريف .

(٧) الكمال الأنباري هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله . تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٧٧ من الجزء السابق .

(٨) أ : في الأدب والمعنى والمعمى .

(٩) البيتان في ذيل أبي شامة ومعجم الأدباء ووفيات الأعيان .

(١٠) ب : نصحح ، وفي ط : تصبح . ولا يستوي ، فالأولى لا يستقيم بها المعنى ، والثانية لا يستقيم بها اللفظ .

نفسـي فـداءٌ لأَغْيَـدٍ غَنِـجٍ قـال لنـا الحَقَّ يـوم[١] ودَّعَنـا
من وَدَّ شيئاً من حبّهِ طمعاً فـي قُبلَـةٍ[٢] للـوداع ودّعنـا

إقبال الخادم[٣] جمال الدين أحدُ خدّام [الملك] صلاح الدين ، واقف الإقباليتين[٤] الشافعية والحنفية ، وكانتا دارين [له] فجعلهما مدرستين ، ووقف عليهما وقفاً ، الكبيرة للشافعية ، والصغيرة للحنفية ، وعليها ثلث الوقف . توفي بالقدس [الشريف] رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع وستمئة

فيها رجع الحجاج[٥] إلى العراق وهم يدعون الله ويشتكون[٦] إليه ما لَقوا من صدر جهان البخاري[٧] الحنفي ، الذي كان قدم بغداد في رسالة فاحتفل به الخليفة ، وخرج إلى الحج في هذه السنة ، فضيَّق على الناس في المياه والميرة ، فمات نحو من ستة آلاف من الحجيج العراقي بسببه هذه السنة . كان فيما ذُكر يسبق غلمانه إلى المناهل فيحجزون على المياه ويأخذونه فيرشُّونه حول خيمته فيحرموهم في قيظ الحجاز ويسقونه البقولات التي كانت تحمل معه في ترابها ، ويمنعون منه الناس وابن السبيل ، الآمّين المسجد[٨] الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ، فلما رجع مع الناس لعنته العامة ولم تحتفل به الخاصة ولا أكرمه الخليفة[٩] ولا أرسل إليه أحداً ، وخرج من بغداد[١٠] والعامة من ورائه يرجمونه ويلعنونه ، وسماه الحجاج [في هذه السنة][١١] صدر جهنم ، نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله أن يزيدنا شفقة ورحمة لعباده ، فإنه إنما يرحم من عباده الرحماء .

---

(١) ط : حين ودعنا .
(٢) ط : في قتله ؛ وهو تحريف شنيع .
(٣) ترجمته في ذيل الروضتين (٥٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٢) .
(٤) تقع هاتان المدرستان داخل بابي الفرج والفراديس شمالي الجامع والظاهرية الجوانية وشرقي الجاروخية وغربي التقوية . وقال بدران : إنها قد اندرست . مختصر تنبيه الطالب (٢٩ و٧٦) ومنادمة الأطلال (٨١ و١٥٢) .
(٥) أ : الحاج .
(٦) أ : وهم يدعون إلى الله ويشتكون إلى الناس ، ط : ويشكون .
(٧) في حاشية ذيل الروضتين (٥٩) : أنه محمد بن أحمد بن عبد العزيز البخاري .
(٨) ط : البيت الحرام .
(٩) أ ، ب : ولا أرسل إليه الخليفة أحداً .
(١٠) ب : بغداذ . وهو أحد أسماء بغداد ، وهي بغداذ وبغداد ومغدان وبغدان ومدينة السلام . تاريخ بغداد (١/ ٥٨ ـ ٦٢) .
(١١) ما بين الحاصرتين في ط : الناس .

وفيها : قبض الخليفة على وزيره ابن مهدي العلوي ، وذلك أنه نسب إليه أنه يروم الخلافة ، وقيل غير ذلك من الأسباب ، والمقصود أنه حبس بدار طاشتكين [الأمير] حتى مات بها ، وكان جبَّاراً عنيداً ، يذمّه الشعراء حتى قال بعضهم فيه(١) : [من الطويل]

خليليّ قولا للخليفةِ(٢) وانصحا ... توقَّ وُقِيتَ السُّوء ما أنتَ صانعُ
وزيركَ هذا بينَ أمرينِ فيهما ... صنيعكَ(٣) يا خيرَ البريَّةِ ضائعُ
فإن كانَ حقّاً من سلالةِ حيدرٍ(٤) ... فهذا وزيرٌ في الخلافةِ طامعُ
وإنْ كانَ فيما يدّعي غيرَ صادقٍ ... فأضيعُ ما كانت لديهِ الصنائعُ

وقد قيل(٥) : إنه كان عفيفاً عن الأموال حسن السيرة جيد المباشرة ، فالله [سبحانه وتعالىٰ] أعلم بحاله .

وفي رمضان منها رتَّب الخليفة [ببغداد] عشرين داراً للضيافة يفطر فيها الصائمون من الفقراء ، يُطبخ لهم في كل يوم [منها] طعامٌ كثيرٌ ويحمل إليها أيضاً من الخبز النقيّ والحلوى شيءٌ كثير [أيضاً فجزاه الله خيراً] ، وهذا الصنيع يشبه ما كانت قريش تفعله من الرِّفادة في زمن الحج ، [وقد] كان(٦) يتولَّى ذلك عمه أبو طالب ، كما كان العباس يتولَّى السقاية ، وقد كانت فيهم السفارة واللواء والندوة له ، كما تقدم بيان ذلك في مواضعه ، وقد صارت هذه المناصب كلّها على أتم الأحوال إلى الخلفاء(٧) العباسيين [رحمهم الله] .

وفيها : أرسل الخليفة الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدي(٨) وفي صحبته سنقر السلحدار(٩) إلى الملك العادل بالخلعة السنيّة ، وفيها الطوق والسواران ، وإلى جميع أولاده بالخلع أيضاً .

وفيها : ملك الأوحد بن العادل صاحب ميّافارقين مدينة خلاط بعد قتل صاحبها ابن(١٠) بُكتمر ،

---

(١) الأبيات في الكامل لابن الأثير (٩/ ٢٩٨) .
(٢) في الكامل : ألا مبلغ عني الخليفة أحمدا .
(٣) في الكامل : فعالك .
(٤) في تاريخ الكامل : من سلالة أحمد .
(٥) ط : وقيل .
(٦) ط : دكان .
(٧) ط : في الخلفاء .
(٨) في الأصول : الشهرزوري . وما هنا عن ذيل الروضتين وهو الصحيح ، وسترد ترجمة السهروردي في وفيات سنة ٦٣٢ من هذا الجزء .
(٩) أ ، ب : السلحداري .
(١٠) ط : شرف الدين بكتمر .

وكان شاباً جميل الصورة جداً ، فقتله[١] بعض مماليكهم[٢] ثم قُتل القاتل أيضاً ، فخلا البلد عن ملك فأخذها الأوحد بن العادل ، كما ذكرنا .

وفيها : ملك خوارزم شاه محمد بن تكش بلاد ما وراء النهر بعد حروب طويلة . اتفق له في بعض المواقف أمر عجيب ، وهو أن المسلمين انهزموا عن [السلطان] خوارزم شاه [في بعض المواقف] وبقي معه عصابة قليلة من أصحابه ، فقتل منهم الكفار من الخطأ[٣] من قتلوا ، وأسروا خلقاً منهم ، فكان[٤] السلطان خوارزم شاه في جملة من أسروا[٥] ، أسره رجلٌ وهو لا يشعر به ولا يدري أنه الملك ، وأسر معه أميراً يقال له مسعود[٦] ، فلما وقع ذلك وتراجعت العساكر الإسلامية إلى مقرّها فقدوا من بينهم السلطان فاختبطوا فيما بينهم واختلفوا اختلافاً كثيراً وانزعجت خراسان بكمالها ، ومن الناس من ظن[٧] أن السلطان قد قُتل ، وأما ما كان من أمر السلطان وذاك الأمير (فإن) الأمير قال للسلطان : أنا أرى من المصلحة[٨] أن تترك اسم[٩] الملك عنك في هذه الحالة ، وتظهر أنك غلام[١٠] لي ، فقبل منه ما قال وأشار به ، ثم جعل الملك يخدم[١١] ذلك الأمير يلبسه ثيابه ويسقيه الماء ويصنع له الطعام ويضعه بين يديه[١٢] ، ولا يألو جهداً في خدمته ، فقال الذي أسرهما : إني أرى هذا يخدمك فمن أنت ؟ فقال : أنا مسعود الأمير ، وهذا غلامي ، فقال : والله لو علم الأمراء أني قد أسرت أميراً (وأطلقته) لأطلقتك ، فقال له : إني إنما أخشى على أهلي ، فإنَّهم يظنون أني قد قُتلت[١٣] ويقيمون المأتم ، فإن رأيتَ أن تفاديني على مالٍ وترسل مَنْ يقبضه منهم فعلت خيراً ، فقال : نعم ، فعيَّنَ رجلاً من أصحابه فقال له الأمير مسعود : إن أهلي[١٤] لا يعرفون هذا ولكن إن رأيت أن أرسل معه غلامي[١٥] ليبشِّرهم بحياتي فإنهم يعرفونه ، ويأمرهم

---

(١) ط : قتله .
(٢) اسمه الهزاردیناري . النجوم (٦/١٨٨) وذيل الروضتين (٦٠) .
(٣) ط : كفار من الخطأ .
(٤) ط : وكان .
(٥) ليست اللفظة في ب ، وهي في أ : أسر .
(٦) أ ، ب : ابن مسعود .
(٧) ط : حلف .
(٨) ط : فقال الأمير للسلطان : من المصلحة .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) أ ، ب : غلاماً ، وهو مخالف للسياق النحوي .
(١١) أ ، ب : يخدمه .
(١٢) أ ، ب : ويضع الطعام بين يديه .
(١٣) أ ، ب : قبلت .
(١٤) أ ، ن : فقال ابن مسعود إنهم .
(١٥) ط : غلامي هذا فعلت ليبشرهم .

بتحصيل[١] المال ، فقال : نعم ، فجهز معهما من يحفظهما (إلى مدينة) خوارزم[٢] . فلما اقتربوا (من) مدينة خوارزم سبق الملك إليها . فلما رآه الناس فرحوابه فرحاً شديداً [جداً] ، ودقت البشائر في سائر بلاده ، وعاد الملك إلى نصابه ، واستقر السرور بإيابه ، وأصلح ما كان وهى من مملكته بسبب ما اشتهر من قتله[٣] ، وحاصر هراة وأخذها عنوة .

وأما الذي كان (قد أسره فإنه قال يوماً للأمير مسعود الذي يتوجَّه لي وينوِّهون به أن خوارزم شاه قد قتل[٤] ، فقال : لا ، هو الذي كان) في أسرك ، فقال له : فهلاَّ أعلمتني به حتى كنت أردُّه موقَّراً معظَّماً ؟ (فقال : خفتك عليه) ، فقال : سر بنا إليه ، فسارا إليه فأكرمهما إكراماً زائداً ، وأحسن إليهما .

وأما غدر صاحب سمرقند ، فإنه قتل كل من كان ببلده[٥] من الخوارزمية ، حتى كان الرجل يُقطع قطعتين ويُعلَّق في السوق كما تعلَّق الأغنام ، وعزم على قتل زوجته بنت خوارزم شاه ، ثم رجع عن قتلها وحبسها في قلعةٍ وضيَّق عليها ، فلما بلغ الخبر إلى [الملك] خوارزم شاه سار إليه في الجنود (فنازله) وحاصر سمرقند فأخذها قهراً وقتل من أهلها نحواً من مئتي ألف ، وأنزل الملك من القلعة وقتله صبراً بين يديه ، ولم يترك له نسلاً ولا عقباً ، واستحوذ خوارزم شاه على تلك الممالك التي هنالك .

[وفيها] تحارب الخطا وملك التتار كشلي خان المتاخم لمملكة الصين ، فكتب (ملك) الخطا إلى خوارزم[٦] شاه يستنجده[٧] على التتار ويقول : متى غلبونا[٨] خلصوا إلى بلادك ، وكذا (وكذا) . وكتب التتار إليه أيضاً يستنصرونه على الخطا ويقولون : هؤلاء أعداؤنا وأعداؤك ، فكن معنا عليهم ، فكتب خوارزم شاه إلى كلٍّ من الفريقين يطيِّب قلبه ، وحضر الوقعة بينهم (وهو متحيِّز عن الفريقين ، وكانت الدائرة على الخطا فهلكوا إلا القليل منهم ، و) غدر[٩] التتار ما كانوا عاهدوا[١٠] عليه خوارزم شاه ، فوقعت بينهما[١١] الوحشة الأكيدة ، وتواعدوا للقتال ، (وخاف منهم خوارزم شاه وخرَّب بلاداً كثيرة

(١) ط : ثم يسعى في تحصيل المال .
(٢) ط : خوارزم شاه . ولفظة شاه زائدة هنا لأن المقصود المدينة لا الملك .
(٣) أ ، ب : من عدمه .
(٤) أ : قال يوماً لابن مسعود توحون أن خوارزم شاه قد عدم .
(٥) ط : من كان في أسره .
(٦) ط : لخوارزم شاه .
(٧) أ : يستنجدونه .
(٨) ب : غلبوا .
(٩) أ : غدروا التتار . وهي لغة مفضولة .
(١٠) ب : ما كانوا وافقوا عليه .
(١١) ط : بينهم .

متاخمة) لبلاد كشلي خان خوفاً عليها أن يملكها ، ثم إن جنكيز خان خرج على كشلي خان ، فاشتغل بمحاربته عن محاربة خوارزم شاه ، ثم إنه[١] وقع من الأمور الغريبة ما سنذكره إن شاء الله تعالىٰ .

وفيها كثرت غارات الفرنج من طرابلس على نواحي حمص ، فضعف صاحبها أسد الدين شيركوه عن مقاومتهم ، فبعث إليه الظاهر صاحب حلب عسكراً قوّاه بهم على الفرنج ، وخرج [الملك] العادل من الديار المصرية[٢] في العساكر الإسلامية ، وأرسل إلى جيوش الجزيرة [العمرية] فوافوه على عكا فحاصرها ، بسبب أنَّ القبارصة أخذوا[٣] من أسطول المسلمين قطعاً[٤] فيها جماعة من المسلمين ، فطلب صاحب عكّا الأمان والصلح على أن يردَّ الأسارى ، فأجابه إلى ذلك ، وسار العادل فنزل على بُحَيْرة قَدَس[٥] قريباً من حمص ، ثم سار إلى بلاد طرابلس ، فأقام اثني عشر يوماً يقتل ويأسر ويغنم ، [وخرَّب بعض تلك البلدان الأَطْرابُلُسيَّة] حتى جنح الفرنج إلى المهادنة ، ثم عاد إلى دمشق .

وفيها : ملك صاحب أَذْرَبِيجَان الأمير نصرة[٦] الدين أبو بكر بن البهلول مدينة مراغة[٧] لخلوّها عن ملك قاهر ، فإنَّ[٨] ملكها مات وقام بالملك[٩] « بعده » ولد له صغير ، فدبَّر أمره خادم له .

وفي غرة[١٠] ذي القعدة شهد محيي الدين أبو محمد يوسف بن (الشيخ أبي الفرج) عبد الرحمن بن الجوزي[١١] عند قاضي القضاة أبي القاسم بن الدامغاني[١٢] ، فقبله وولاه حسبة جانبي بغداد ، وخلع عليه خلعة سنية سوداء بطرحة كحلية ، وبعد عشرة أيام جلس للوعظ مكان أبيه أبي الفرج بباب بَدْر

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) ط : من مصر .
(٣) ط : لأن القبارصة أخذوا .
(٤) أ ، ب : من أسطول الديار المصرية قطعاً .
(٥) بُحَيْرة قَدَس : بفتح القاف ، والدال المهملة ، وسين مهملة أيضاً : قرب حمص ، طولها اثنا عشر ميلاً في عرض أربعة أميال : وهي بين حمص وجبل لبنان تنصبّ إليها مياه تلك الجبال ، وقد نسبت إلى بلد بجانبها اسمه قَدَس . معجم البلدان (١/ ٣٥٢ ، ٤/ ٣١١) .
(٦) ط : نصير الدين .
(٧) مراغة : أعظم وأشهر مدن أَذْربيجان . وتقع اليوم على سبعين ميلاً جنوب تبريز على نهر صافي . معجم البلدان (٥/ ١٩٣) وبلدان الخلافة الشرقية (١٩٨) .
(٨) ط : لأن .
(٩) أ ، ب : وقام في الملك .
(١٠) في ب : وفي عشر . وهو تحريف .
(١١) سترد ترجمة ـ محيي الدين ابن الجوزي ـ في وفيات سنة ٦٥٦ من هذا الجزء .
(١٢) سترد ترجمة ـ ابن الدامغاني ـ في سنة ٦١٥ .

الشريف[١] ، وحضر عنده خلق كثير . وبعد أربعة أيام من يومئذ درَّس بمشهد أبي حنيفة ضياء الدين أحمد بن مسعود التُّرْكستاني[٢] الحنفي ، (وحضر عنده الأعيان والأكابر .

وفي رمضان منها وصلت الرسل من الخليفة) إلى العادل بالخلع ، فلبس هو وولداه المعظَّم والأشرف ، ووزيره صفي الدين بن شكر[٣] ، وغير واحد من الأمراء ، [الخلع السنية الخليفية] ودخلوا [إلى] القلعة (وقت) صلاة الظهر من باب الحديد ، وقرأ التقليد الوزير وهو قائم ، وكان (يوماً) مشهوداً .

وفيها : درس [الشيخ] شرف الدين[٤] عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن [بن سلطان] بالمدرسة الرواحية[٥] بدمشق .

وفيها : انتقل الشيخ [ابن][٦] الخَيِّر البغدادي من الحنبلية إلى مذهب الشافعية[٧] ، ودرَّس بمدرسة أم الخليفة ، وحضر عنده الأكابر [والعلماء] من سائر المذاهب .

وممن توفي فيها من الأعيان[٨] :

الأمير [الكبير] بنيامين[٩] بن عبد الله أحد أمراء الخليفة الناصر ، وكان من سادات الأمراء ، [ديناً و] عقلاً ونزاهة وعفة[١٠] ، سقاه بعض الكتّاب من النصارى سُمَّاً فمات [رحمه الله] .

وكان اسم الذي سقاه ابن ساوا [فلما اطّلع الخليفة على الحال سلَّم ابن ساوا][١١] إلى غلمان بنيامين فشفع فيه ابن مهدي الوزير وقال : إن النصارى قد بذلوا فيه خمسين ألف دينار ، فكتب الخليفة على رأس الورقة[١٢] : [من البسيط]

---

(١) ط : « بباب درب الشريف » ، وهو تحريف ، وما هنا من أ ، ب .
(٢) اللفظة كثيرة التصحيف في أصولنا ، وسترد ترجمته في سنة ٦١٠ .
(٣) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٢٢ .
(٤) سترد ترجمة ـ شرف الدين بن سلطان ـ في وفيات ٦١٥ .
(٥) منادمة الأطلال (ص٢٠) وقد ذكر بدران أنها صارت داراً للسكن .
(٦) ط : الخير بن البغدادي . وفي أ ، ب : الخير البغدادي . وهو أبو إسحاق وأبو محمد إبراهيم بن محمود بن سالم بن مهدي البغدادي الأزجي الحنبلي المشهور بابن الخَيِّر الشيخ الإمام المقرئ الفقيه المحدث مسند بغداد توفي سنة ٦٤٨ . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٣٥) وفيه ذكرٌ لأسماء مصادره الأخرى .
(٧) ب : مذهب الشافعي .
(٨) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(٩) أ : بيامين . وب : بيامشن .
(١٠) ط : عقلاً وعفة ونزاهة .
(١١) مكانهما في ط : فسلّمه الخليفة .
(١٢) البيت في ذيل الروضتين (٦١) .

إنَّ الأُسـودَ أُسـودَ الغـابِ هِمَّتُهـا يومَ الكَريهةِ في المسْلوبِ لا السَّلَبِ

فتسلَّمه غلمـان بنيامين فقتـلوه وحرّقوه ، وقبض الخليفة بعد ذلك على الوزير ابن مهدي(١) كما تقدم .

حنبل بن عبد الله(٢) بن الفرج بن سعادة الرَّصافي(٣) الحنبلي ، المُكَبِّر بجامع المهدي .

راوي مسند أحمد عن ابن الحُصَيْن(٤) عن ابن المُذْهِب(٥) عن ابن(٦) مالك عن عبد الله عن أبيه ، عُمِّر تسعين سنة وخرج من بغداد فأسمعه بإربل ، واستقدمه ملوك دمشق إليها فسمع الناس عليه(٧) « المسند » ، وكان المعظَّم يكرمه ويأكل عنده على السماط من الطيبات ، فتصيبه التُّخَمة كثيراً ، لأنه كان فقيراً ضيِّق الحال(٨) ، خشن العيش ببغداد ، وكان الكندي إذا دخل على المعظَّم يسأل عن حنبل فيقول (المعظَّم) هو متخومٌ ، فيقول : أطعمه العَدَس ، فيضحك المعظم ، ثم أعطاه (المعظم) مالاً جزيلاً وردَّه إلى بغداد فتوفي بها [في هذه السنة] ، وكان مولده سنة عشر وخمسمئة ، وكان معه ابن طبرزد ، فتأخرت وفاته عنه إلى سنة سبع وستمئة .

عبد الرحمن بن عيسى(٩) بن أبي الحسن البُزُوري(١٠) الواعظ البغدادي .

---

(١) أ : ابن مهدي الوزير .

(٢) ترجمة ـ الرصافي الحنبلي ـ في تاريخ ابن الأثير (١٢/ ١١٦) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٢٥) وذيل الروضتين (٦٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٩٢ ـ ٩٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٣١) والعبر (٥/ ١٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٩٥) وشذرات الذهب (٧/ ٢٤) .

(٣) أ : الوصافي . وهو تحريف . قال المنذري : والرصافة التي نسب إليها هي رصافة بغداد . التكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٢٦) .

(٤) تقدمت ترجمة ـ ابن الحصين ـ في سنة ٥٢٥ .

(٥) ترجمة ـ ابن المذهب ـ في وفيات سنة ٤٤٤ .

(٦) ط : عن أبي مالك . وفي ب : عن مالك .

(٧) ط : بها عليه .

(٨) ط : كان فقيراً ضيق الأمعاء من قلة الأكل خشن العيش .

(٩) ترجمة ابن البزوري في إكمال الإكمال لابن نقطة (١/ ٤٠١) وتاريخ ابن الدبيثي (الورقة ١٢٣ من مجلد باريس ٥٩٢٢) ومرآة الزمان (٨/ ٥٣٧) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٣٧) وذيل الروضتين (٦٢) والجامع المختصر لابن الساعي (٩/ ٢٤٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٩٧) والمختصر المحتاج إليه (٢/ ٢٠٨) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤١) وشذرات الذهب (٥/ ١٧) وغيرها (بشار) .

(١٠) ط : المروزي وهو تحريف ؛ والبزوري : بضم الباء الموحدة ، والزاي ، والراء ، بعد الواو : هذه النسبة إلى البزور قيده ابن نقطة في إكمال الإكمال (١/ ٤٠١) .

سمع من أبي الوقت[(١)] وغيره ، واشتغل على ابن الجوزي[(٢)] في الوعظ[(٣)] ، ثم حدَّثته نفسه بمضاهاته وشمخت[(٤)] نفسه ، واجتمع عليه طائفة من أهل باب البصرة[(٥)] ، (ثم) تزوج في آخر عمره وقد قارب السبعين ، فاغتسل في يوم بارد فانتفخ ذكره فمات في هذه السنة .

الأمير زين الدين قراجا الصَّلاحي[(٦)] صاحب صرخد .

كانت له دار عند باب الصغير عند قناة الزلاقة ، وتربته بالسفح في قبة على جادة الطريق عند تربة (ابن) تميرك ، وأقر العادل ولده يعقوب[(٧)] على صرخد .

عبد العزيز الطبيب[(٨)] .

توفي فجأة ، وهو والد سعد الدين الطبيب الأشرفي ، وفيه يقول ابن عنين[(٩)] : [من الطويل][(١٠)]

فُرادَى[(١١)] ولا خَلْفَ الخَطيبِ جَمَاعَةٌ وَمَـوْتٌ ولا عَبْـدُ العـزيـزِ طَبيـبُ

وفيها توفي :

العفيف بن الدرجي[(١٢)] إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع دمشق[(١٣)] .

---

(١) ط : من ابن أبي الوقت ، وهو خطأ . وأبو الوقت هو عبد الأول بن عيسى ، تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٥٣ من الجزء السابق .

(٢) تقدمت ترجمة ـ أبي الفرج بن الجوزي ـ في وفيات ٥٩٧ من الجزء السابق .

(٣) ط : بالوعظ .

(٤) أ : وسمحت . تحريف .

(٥) ط : باب النصيرة ، وفي ب : من أهل البصرة ؛ وكلاهما خطأ والصحيح ما أثبتاه عن النسخة (أ) يؤيد ذلك ما ورد في مصادر ترجمته ، وهي محلة سنية معروفة .

(٦) ترجمة ؛ قراجا الصلاحي ـ في ذيل الروضتين (٦٢) ومفرج الكروب ٣/ ١٧٥ وتاريخ الإسلام (١٣/ ١٠١) .

(٧) ذكره أبو شامة في ذيله (٦٢ـ٦٣) فقال : وصل ابنه ناصر الدين يعقوب من قلعة صرخد إلى خدمة السلطان العادل ، وهو على القدس ، فأكرمه وأنعم عليه بما كان بيد أبيه ، ثم توفي في سنة أربع مئة عشرة وستمئة وعمره إحدى وعشرون سنة وثلاثة أشهر .

(٨) ترجمة ـ عبد العزيز الطبيب ـ في ذيل الروضتين (٦٢) .

(٩) ستردُ ترجمة ـ ابن عنين ـ في وفيات سنة ٦٣٠ .

(١٠) ديوان ابن عنين (٢٤٣) وذيل الروضتين (٦٣) .

(١١) في ط والديوان : فراري . وهو تحريف ، وما هنا عن النسختين أ ، ب وذيل الروضتين ، وقد كتب محقق الديوان الأستاذ خليل مردم بك معلقاً على رواية ذيل الروضتين هذه بخطّه ـ وهو الصواب ـ .

(١٢) ترجمة ـ العفيف بن الدرجي ـ في ذيل الروضتين (٦٤) . قال بشار : هو عفيف الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن يحيى ، أبو محمد ابن الدرجي القرشي الدمشقي ، ترجمه الزكي المنذري في التكملة (٢/ ١٢٧) والذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ٩٧) .

(١٣) ط : بجامع بني أمية .

أبو (محمد) جعفر[١] (بن محمد) بن محمود هبة الله بن أحمد بن يوسف الإِرْبلي ، كان فاضلاً في علوم كثيرة في الفقه على مذهب الشافعي ، والحساب والفرائض والهندسة والأدب والنحو ، وما يتعلق بعلوم القرآن العزيز وغير ذلك . ومن شعره [الحسن الجيّد قوله] (من البسيط)

لا يدفعُ المرءُ ما يأتي بِهِ القدَرُ … وفـي الخطـوبِ إذا فكّـرتَ مُعْتَبَـرُ
فليسَ يُنْجي من الأقدارِ إن نَزَلت … رَأيٌ وحـزمٌ ولا خـوفٌ ولا حَـذَرُ
فاستعملِ الصبرَ في كلِّ الأمورِ ولا … تجـزعْ لشـيءٍ فعُقْبـى صبـرِكَ الظَّفَـرُ
كَـمْ مَسَّنـا مـرةً عُسْـرٌ فَصَـرَّفَـهُ … صَرْف الزَّمَان ووَالَى[٢] بَعْدَهُ يسرُ
لا ييئسِ المرءُ من رَوْحِ الإلهِ فما … ييـأسُ منـه إلا عصبـةٌ كَفَـروا
إِنـي لأعلـمُ أن الـدهـرَ ذو دولٍ … وأن يـوميـهِ ذا أمـنٌ وذا خَطَـرُ

ثم دخلت سنة خمس وستمئة

في [المحرم منها تكامل][٣] بناء دار الضيافة ببغداد[٤] التي أنشأها الناصر لدين الله بالجانب الغربي منها للحُجّاج والمارّة لهم الضيافة ما داموا نازلين بها ، فإذا عزم[٥] أحدهم السفر منها زُوِّد وكُسِي وأُعْطِي بعد ذلك [كله] ديناراً [للسفر] ، جزاه الله خيراً .

وفيها : عاد أبو الخطاب ابن دحية الكلبي[٦] من رحلته العراقية فاجتاز بالشام فاجتمع في مجلس الوزير صفي الدين بن شكر[٧] هو والشيخ تاج الدين أبو اليمن [زيد بن الحسن بن زيد] الكِنْدي[٨] شيخ اللغة والحديث ، فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى إلى قول إبراهيم عليه السلام « إنَّما كنتُ خليلاً من وراءَ وراءَ » بفتح اللفظتين ، فقال الكِنْدي من وراءُ وراءُ (بضمهما) ، فقال ابن دحية للوزير ابن شكر : من هذا ؟ فقال : هذا [الشيخ] أبو اليمن الكندي ، فنال منه ابن دحية ، وكان جريئاً ،

---

(١) أ : أبو محمد بن جعفر .
(٢) فصرّفه الإله عنا وولي ؛ ولا يستقيم بها الوزن .
(٣) ط : في محرمها كمل .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ط : فإذا أراد .
(٦) سترد ترجمة ـ ابن دحية الكلبي ـ في وفيات سنة ٦٣٣ من هذا الجزء .
(٧) سترد ترجمة ـ ابن شكر ـ في وفيات ٦٢٢ .
(٨) سترد ترجمة ـ الكندي ـ في وفيات سنة ٦١٣ .

فقال الكندي : هو من كلب ، ينبح كما ينبح الكلب[١] . قال [الشيخ شهاب الدين] أبو شامة : وكلتا الروايتين محكيَّتان[٢] ، وحكي فيهما الجزُّ أيضاً .

وفيها : عاد فخر الدين ابن تيمية[٣] خطيب حرَّان[٤] من الحج إلى بغداد وجلس بباب بدر للوعظ ، مكان محيي الدين يوسف بن [الشيخ أبي الفرج][٥] ، فقال في كلامه ذلك[٦] : [من البسيط]

وابنَ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ[٧] لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ

كأنه يُعَرِّض بالمُحْيي ابن الجوزي[٨] يوسف ، لكونه شاباً ابنَ خمس وعشرين سنة والله أعلم .

وفي يوم الجمعة تاسع محرم دخل مملوك أَفرنجي من باب مقصورة جامع دمشق وهو سكران وفي يده سيف مسلول ، والناس جلوس ينتظرون صلاة الفجر ، فمال على الناس يضربهم بسيفه [ذلك] فقتل اثنين أو ثلاثة ، وضرب المنبر بسيفه فانكسر سيفه فأُخذ وأودع المارستان ، وشنق في يومه ذلك على جسر اللبَّادين[٩] .

وفيها : عاد الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَردي[١٠] من دمشق بهدايا الملك العادل فتلقاه الجيش ومعه أموال كثيرة لنفسه أيضاً[١١] ، وكان قبل ذلك فقيراً زاهداً ، فلما عاد مُنع من الوعظ وأُخذت منه الربط التي [كان] يباشرها ، ووُكِّل إلى ما بيده من الأموال ، فشرع في تفريقها على الفقراء والمساكين ، فاستغنى منه خلق كثير [من الفقراء وغيرهم] ، فقال المحيي ابن الجوزي في مجلس[١٢] وعظه [ما معناه] : لا حاجة بالرجل [أن] يأخذ أموالاً من غير حقها ويصرفها إلى من يستحقها[١٣] ، وكان تركها أولى به من تناولها ، (وإنما أراد أن ترتفع منزلته ببذلها . أو يعود إلى حاله كما كان ، ولو ترك على ما كان يباشره لما

---

(١) ن : من كلب فنج .
(٢) وكلتا اللفظتين ـ محلية ـ وفي أ : وكلا .
(٣) سترد ترجمة ـ فخر الدين ابن تيمية ـ في سنة ٦٢٢ .
(٤) ط : من حران .
(٥) مكان الحاصرتين في ط : ابن الجوزي .
(٦) البيت لجرير في ديوانه ٢٥٠ .
(٧) ب : إذا ما أبرّني قرب ، وهو تصحيف وتحريف .
(٨) ط : يعرض بابن الجوزي . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٥٦ .
(٩) قال أبو شامة في ذيله (٦٤) : (ولم يكن على الجسر ذلك الزمان هذه العمارة بل كان على حافته الشرقية درابزين يُدَلّى المشنوق فيه إلى الطريق المسلوكة بجيرون فيراه الناس من الطريق كما يرون المارة بالجسر المذكور .
(١٠) ب : الشهرزوري ؛ وهو تحريف ، وسترد ترجمة ـ السهروردي ـ في وفيات سنة ٦٣٠ من هذا الجزء .
(١١) ط : أيضاً لنفسه .
(١٢) أ ، ب : في مجلسه .
(١٣) بعدها في ط وحدها ولو ترك على ما كان .

بذلها[١] ، فليحذر العبد الدنيا فإنها خَدَّاعة غَرَّارة تسرق[٢] فحول العلماء والعباد [فضلاً عن العوام والقُوَّاد] ، وقد وقع ابن الجوزي فيما بعد فيما وقع فيه السُّهْرَوَرْدي وأعظم .

وفيها : قصدت الفرنج حمص وعبروا على العاصي بجسر أعدّوه في بلادهم . فلما أحسَّ بهم العساكر المنصورة ، ركبوا[٣] في آثارهم فهربوا منهم فقتلوا خلقاً كثيراً منهم وغنم المسلمون منهم غنيمة جيدة (ولله الحمد) .

وفيها : قتل صاحب الجزيرة ، وكان من أسوأ الناس سيرةً وأخبثهم[٤] سريرةً ، وهو الملك سنجر شاه[٥] بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي ، ابن عمِّ نور الدين صاحب الموصل ، وكان الذي تولَّى قتله ولدهُ غازي ، توصَّل إليه حتى دخل عليه وهو في الخلاء سكران ، فضربه بسكِّينٍ أربعَ عشرةَ ضربةً ، ثم ذبحه ، وذلك كله ليأخذ الملك من بعده ، فحرمه الله ذلك[٦] ، فبويع بالملك لأخيه محمود ، وأخذ غازي هذا [العاق لوالده][٧] فقتله من يومه ، فسلبه الله الملك والحياة ، ولكن أراح الله المسلمين من ظلم أبيه وغشمه ، وفسقه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

وممن توفي فيها أيضاً[٨] :

أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار[٩] بن علي بن محمد بن إبراهيم بن جعفر الواسطي المعروف بابن المَنْدائي[١٠] .

---

(١) ط : ويعود على حاله كما كان مباشرة لما بذلها .
(٢) ط : غرارة تسترق .
(٣) ط : بجسر عودة من عرف بهم العساكر ركبوا .
(٤) ب : وأردأ سريرة .
(٥) ترجمة ـ الملك سنجر ـ في ذيل الروضتين (٦٧) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١١٧) والعبر (٥/ ١٢) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٧) وشذرات الذهب ـ بتحقيق الأستاذ محمود الأرناؤوط (٧/ ٢٩) .
(٦) ط : فحرمه الله إياه .
(٧) بين الحاصرتين في ط : القاتل .
(٨) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(٩) ترجمة ـ ابن المندائي ـ في كامل ابن الأثير (١٢/ ١١٨) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٥٧) والعبر (٥/ ١٤) وتاريخ الإسلام (١٣/ ١٢٠ ـ ١٢١) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٣٨) والوافي بالوفيات (٢/ ١١٦) وغاية النهاية (٢/ ٥٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٩٦) وشذرات الذهب (٧/ ٣٣) .
(١٠) أ ، ب : السنداني ؛ تحريف .

آخر من روى مسند الإمام أحمد[١] عن ابن الحصين[٢] ، وكان من بيت فقه وقضاءٍ وديانة ، وكان ثقةً عدلاً متورِّعاً في النقل ، ومما أنشده من حفظه : [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى مَطْلَعُ الشمسِ دُونَها ... وكنتُ[٣] وَرَاءَ الشَّمْسِ حينَ تَغيبُ
لَحَدَّثْتُ نَفْسِي[٤] بِانْتِظَارِي نَوَالَها ... وَقَالَ المُنَى لي : إِنَّهَا لَقَرِيبُ

قاضي قضاة الديار المصرية[٥] صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن دِرْبَاس الماراني[٦] الكردي والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وستمئة

في المحرم وصل نجمُ الدين خليل[٧] شيخُ الحنفيَّة من دمشق إلى بغداد في الرسلية عن العادل ، ومعه هدايا كثيرة ، وتناظر هو وشيخ النظامية مجد الدين يحيى بن الرَّبيع في مسألة وجوب الزكاة في مال اليتيم والمجنون ، وأخذ الحنفي يستدل على[٨] عدم وجوبها ، فاعترض عليه الشافعي فأجاد[٩] كل منهما في الذي أورده ، ثم خلع على الحنفي وأصحابه (بسبب) الرسالة ، وكانت المناظرة بحضرة نائب الوزير ابن شكر[١٠] .

وفي يوم السبت خامس جمادى الآخرة وصل الجمال يونس بن بدران[١١] المصري رئيس الشافعية

(١) ط : المسند .
(٢) ط : أحمدبن الحصين ؛ وهو خطأ . وقد تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٢٥ من الجزء السابق .
(٣) ط : وكانت من . ولا يستقيم الوزن بها .
(٤) ب : الحديث نفسها . ولا يستقيم بها الوزن .
(٥) قاضي القضاة لمصر .
(٦) أ ، ط : المارداني وهو تحريف . قال الذهبي : وبنو ماران إقامتهم بالمروح تحت الموصل . سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٧٥) . ترجمة ـ ابن درباس ـ في التكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٥٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ١١٥) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٧٤) والعبر (٥/ ١٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٩٦) وحسن المحاضرة (١/ ١٩٠) .
(٧) هو الخليل بن علي بن الحسين بن علي الملقب نجم الدين ، قاضي العسكر الحموي ولي قضاء العسكر للملك العادل أبي بكر بن أيوب بعد الست مئة ، وقد قدم دمشق ودرّس فيها . وتوفي سنة ٦٤١ ودفن في قاسيون . تاريخ الإسلام (١٤/ ٣٨٠) والجواهر المضية (٢/ ١٨٠) والدارس (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) والطبقات السنية (٢/ ٢٢٠) .
(٨) أ : يستدل في .
(٩) أ ، ب : وجاء .
(١٠) سترد ترجمة ـ ابن شكر ـ في سنة ٦٢٢ .
(١١) سترد ترجمة ـ ابن بدران ـ في سنة ٦٢٣ .

بدمشق إلى بغداد في الرسلية عن العادل ، فتلقاه الجيش مع حاجب الحجَّاب ، ودخل معه ابن أخي صاحب إربل مظفر الدين كُوكُبُري[١] ، والرسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربل والسؤال في الرضا عنه ، فأجيب إلى ذلك .

وفيها : ملك العادل الخابور ونصيبين ، وحاصر مدينة سنجار مدةً ، فلم يتمكن منها[٢] ثم صالح صاحبها ورجع عنها .

وممن توفي فيها من المشاهير والأعيان[٣] :

أبو المكارم أسعد[٤] بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مِيْنا[٥] بن زكريا [الأسعد بن مَمَّاتي][٦] بن أبي قدامة بن أبي مَلِيح المصري الكاتب الشاعر .

أسلم في الدولة الصلاحية وتولَّى نظر الدواوين بمصر مدة .

قال ابن خلِّكان[٧] : وله فضائل عديدة ، ومصنَّفات[٨] ، ونظم سيرة صلاح الدين و« كليلة ودمنة » ، وله « ديوان » شعر . ولما تَوَلَّى الوزير ابن شكر[٩] هرب منه إلى حلب فمات بها وله ثنتان وستون (سنة) .

فمن شعره في ثقيل زاره بدمشق[١٠] : [من الهزج]

حكى نَهْرَيْنِ ما[١١] في الأر ضِ مَـــن يحكيهمـــا أبـــدا

---

(١) ط : كوكري . وسترد ترجمته في وفيات ٦٣٠ .
(٢) ط : فلم يظفر بها .
(٣) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(٤) ترجمة ـ القاضي الأسعد ـ في خريدة القصر ـ شعراء مصر ـ (١/ ١٠) ومعجم الأدباء (٦/ ١٠٠) وإنباه الرواة للقفطي (١/ ٢٣١) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٨٠) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٥) ووفيات الأعيان (١/ ٢١٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٧٨) وحسن المحاضرة (١/ ٢٤٢) وشذرات الذهب (٧/ ٣٨) .
(٥) أ : ابن سينا ، وب : ابن مسنيا . والضبط عن الشذرات .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) وفيات الأعيان (١/ ٢١٠) .
(٨) في الوفيات : وفيه فضائل وله مصنفات عديدة .
(٩) سترد ترجمة ـ ابن شكر ـ في وفيات سنة ٦٢٢ .
(١٠) البيتان في معجم الأدباء ووفيات الأعيان وشذرات الذهب .
(١١) ط : وما في الأرض . ولا يستقيم الوزن بها .

حكى في (خَلقهِ)[١] تَوْرَى[٢] وفــي[٣] أخــلاقــهِ بَــرَدَى[٤]

أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل[٥] بن عبد الرحمن بن عبد السلام اللَّمْغَاني[٦] .

أحد الأعيان من الحنفية ببغداد ، سمع الحديث ودرَّس بجامع السلطان ، وكان معتزلياً في الأصول ، بارعاً في الفروع ، اشتغل (على) أبيه وعمه ، وأتقن الخلاف ، وعلم المناظرة ، وقارب التسعين ، (رحمه الله) .

أبو عبد الله[٧] محمد بن [محمد بن] الحسين[٨] ، المعروف بابن الخراساني ، المحدِّث الناسخ .

كتب كثيراً من الحديث وجمع خطباً له ولغيره ، وخطّه جيد مشهور ، [رحمه الله] .

أبو المواهب مَعْتُوق بن منيع[٩] بن مواهب الخطيب البغدادي .

قرأ النحو واللغة على ابن الخشاب ، وجمع خطباً كان يخطب منها ، وكان شيخاً فاضلاً [أديباً] له ديوان شعر ، فمنه قوله : [من الوافر]

ولا ترجُو الصَّداقةَ من عَدُوٍ يُعــادي نفسَــهُ سِــرّاً وَجَهْــرَا
فلـو أَجْـدَتْ مـودّتُـهُ انتفـاعـاً لكـانَ النفـعُ منـهُ إليـهِ أجـرا

ابن خَرُوف[١٠] « شارح سيبويه » ، علي بن محمد بن يوسف[١١] أبو الحسن ابن خَرُوف الأندلسي النحوي .

---

(١) أ : أخلاقه . ولا يستقيم بها الوزن .
(٢) تَوْرَى أحد فروع نهر بردى الذي يقطع دمشق من غربها إلى شرقها .
(٣) ط : أراد وفي ، أ : زاد في أخلاقه برداً . وكلاهما لا يستقيم الوزن بهما .
(٤) في الشذرات : وفي ألفاظه بردى .
(٥) ترجمة ـ اللمغاني ـ في التكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٧٩) والجواهر المضية (٣/ ٦٢٠) .
(٦) قال المنذري : اللمغاني : منسوب إلى لَمْغان : بفتح اللام ، وسكون الميم ، وفتح الغين المعجمة وهي من جبال غزنة .
(٧) ترجمة ـ ابن الخراساني ـ في التكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٨٢) والوافي بالوفيات (١/ ٩٤٥) .
(٨) ط : الحسن ؛ تحريف .
(٩) ترجمة ـ معتوق ـ في التكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٨٥) وتاريخ الإسلام (١٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠) .
(١٠) ترجمة ـ ابن خروف ـ في معجم الأدباء (١٥/ ٧٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٣٣٥) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١٢١) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٦) وفوات الوفيات (٣/ ٨٤) ومرآة الجنان (٤/ ٢١) وبغية الوعاة (٢/ ٢٠٣) ونفح الطيب (٢/ ١٨ ـ ١٩) ومعجم كحالة (٧/ ٢٢١) .
(١١) قال بشار : هكذا سماه المؤلف وقبله ياقوت في معجم الأدباء ، ولا يصح ذلك فهذا اسم لابن خروف الشاعر الذي هاجر من الأندلس وسكن حلب . أما هذا فاسمه : علي بن محمد بن علي بن محمد ، كما ذكره ابن الأبار في التكملة (٣/ ٢٢٦ من طبعة الهراس) والذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ٢٢٠) وغيرهما .

شرح سيبويه، وقدّمه إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار، وشرح « جمل » الزجاجي، وكان يتنقّل في البلاد ولا يسكن إلا في الخانات، ولم يتزوج [قط] ولا تَسَرَّى[١]، وقد تَغَيَّر عقلُه في آخر عمره، فكان يمشي في الأسواق مكشوف الرأس، وكانت وفاته[٢] في هذه السنة[٣] عن خمس وثمانين سنة.

أبو علي يحيى بن الرَّبيع[٤] بن سليمان بن حَرّاز الواسطي البغدادي.

اشتغل بالنظامية على [ابن] فضلان وأعاد عنده، وسار[٥] إلى محمد بن يحيى فأخذ عنه طريقته في الخلاف، ثم عاد إلى بغداد ثم صار مدرساً بالنظامية وناظراً على أوقافها[٦] وقد سمع الحديث، وكان لديه علوم كثيرة، ومعرفة حسنة بالمذهب، وله تفسير في أربع مجلدات كان[٧] يدرِّس منه، واختصر « تاريخ الخطيب » و « الذيل » عليه لابن السمعاني. وقارب الثمانين، [رحمه الله].

ابن الأثير[٨] صاحب « جامع الأصول »[٩] و « النهاية »[١٠] المُبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد مجد الدين أبو السَّعادات الشَّيباني الجَزَري الشافعي، المعروف بابن الأثير.

---

(١) بعد هذا في ط « ولذلك علة تغلب على طباع الأراذل »، ولا نعتقد أن هذا من كلام ابن كثير ولا رأيه، فشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية لم يتزوج، وكذلك غيره من كبار العلماء الأتقياء، فضلاً عن أن هذه العبارة لم ترد في النسخ الخطية، لذا أرى أنها مقحمة.

(٢) ط : توفي.

(٣) في وفاته روايات كثيرة أوردها الذين ترجموا له كابن خلكان وغيره.

(٤) ترجمة ـ ابن حرّاز ـ في الكامل لابن الأثير (١٢/ ١٢٠) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٨٩) وذيل الروضتين (٦٩) والعبر (٥/ ٢٠) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٦) وطبقات الإسنوي (٢/ ٥٤٨) وطبقات السبكي (٥/ ١٦٥) وغاية النهاية (٢٢/ ٣٧٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٩٦) وشذرات الذهب (٧/ ٤٥).

(٥) ط : وأعاد عنه وسافر.

(٦) أ : أوقاتها.

(٧) ب : وكان.

(٨) ترجمة ـ ابن الأثير ـ في معجم الأدباء (١٧/ ٧١) والكامل لابن الأثير (١٢/ ١٢٠) وإنباه الرواة (٣/ ٢٥٧) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٩١) وذيل الروضتين (٦٩) ووفيات الأعيان (٤/ ١٤١) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١١٨) والعبر (٥/ ١٩) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٨) وطبقات الإسنوي (١/ ١٣٠) وطبقات السبكي (٥/ ١٥٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٩٨) وبغية الوعاة (٢/ ٢٧٤) وشذرات الذهب (٧/ ٤٢).

(٩) طبع كتاب ـ جامع الأصول ـ طبعتين : الأولى في مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله، والثانية بتحقيق الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط فسح الله في أجله. وأشرف الشيخ عبد القادر أيضاً على طبع تتمة جامع الأصول، وكنت أحد الذين منَّ الله عليهم بخدمة كتب رجال الحديث النبوي الشريف فحققت الجزء الرابع منها.

(١٠) طبع كتاب ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ـ في مصر بتحقيق الأستاذين طاهر الزاوي والدكتور محمود محمد الطناحي سنة ١٩٦٣م.

وهو أخو الوزير وزير الأفضل ضياء الدين[١] نصر الله ، وأخو الحافظ عز الدين[٢] أبي الحسن علي صاحب « الكامل في التاريخ » .

ولد أبو السعادات المبارك[٣] في أحد[٤] الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمئة ، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ القرآن [الكريم] وأتقن علومه وأحرز علوماً جمة[٥] ، وكان مقامه بالموصل ، وقد جمع في سائر العلوم كتباً مفيدة ، منها جامع الأصول الستة : « الموطَّأ » و « الصحيحين » و « سنن أبي داود » و « النَّسائي » و « التِّرمذي » ، ولم يذكر « ابن ماجه » فيها[٦] ، وله كتاب « النهاية في غريب الحديث » وله « شرح مسند الشافعي »[٧] و« التفسير » في أربع مجلدات ، وغير ذلك في فنون شتى .

وكان [رحمه الله] معظَّماً عند ملوك الموصل ، فلما آل الملك إلى نور الدين أرسلان[٨] شاه [بن مسعود بن مودود بن زنكي] ، أرسل إليه مملوكه لؤلؤ [يعرض إليه] أن يستوزره فأبى ، فركب السلطان إليه [بنفسه] فامتنع أيضاً وقال له] : قد كبرت سني واشتهرت بنشر العلم ، ولا يصلح هذا الأمر إلا بشيء من العسف والظلم][٩] ، ولا يليق بي ذلك ، فأعفاه .

قال أبو السعادات : كنت أقرأ علم العربية على سعيد بن الدهان[١٠] ، فكان[١١] يأمرني بصنعة الشعر فكنت لا أقدر عليه ، فلما توفي الشيخ رأيته في بعض الليالي ، فأمرني بذلك ، فقلت له : ضع لي مثالاً أعمل عليه ، فقال : [من البسيط]

حُبَّ العُلا[١٢] مُدْمِناً إن فاتَكَ الظَّفَرُ وخُـدَّ خَـدَّ الثَّرى[١٣] والليـلُ معتكـرُ

---

(١) توفي ضياء الدين بن الأثير سنة ٦٣٧ . وفيات الأعيان (٤/ ٢٥) .
(٢) توفي عز الدين بن الأثير سنة ٦٣٠ ، وسترد ترجمته في وفيات هذه السنة من كتابنا هذا .
(٣) ط : أبو السعادات هذا .
(٤) في الأصول جميعاً : إحدى ؛ خطأ .
(٥) ط : حررها وكان .
(٦) ط : فيه .
(٧) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم (٣٠٦ حديث) في أربع مجلدات ، ونسخة أخرى في مجلد واحد رقمها (٥٢٢١١٨٤) .
(٨) سترد ترجمته في وفيات السنة التالية (٦٠٧) .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) سعيد بن المبارك بن عبد الله ، ابن الدهان : توفي سنة ٥٦٩ . معجم الأدباء (١١/ ٢١٩) .
(١١) ط : وكان .
(١٢) أ : الفلا ؛ وهو تحريف .
(١٣) ب : البرى .

فقلتُ أنا :

فالعزُّ فِي صَهَواتِ اللَّيْلِ مركبُه[١] والمجدُ يُنتجهُ الإسْراءُ والسَّهَرُ

فقال [لي] : أحسنتَ ، ثم استيقظتُ فأتممت عليها نحواً من عشرين بيتاً . كانت وفاته في سلخ ذي الحجة [من هذه السنة] عن ثنتين وستين سنة ، [رحمه الله] .

وقد ترجمه أخوه في « الذيل » فقال : كان عالماً في عدة علوم ، منها الفقه وعلم الأصولين[٢] والنحو والحديث واللغة ، وله تصانيف[٣] مشهورة في التفسير والحديث[٤] والفقه والحساب وغريب الحديث ، وله رسائل مدوَّنة ، وكان كاتباً مفلقاً[٥] يضرب به المثل ، ذا دين متين ، ولزوم[٦] طريقة مستقيمة[٧] رحمه الله ، فلقد كان من محاسن الزمان .

قال ابن الأثير[٨] وفيها توفي :

المجد المطرزي[٩] النحوي الخوارزمي وكان إماماً في النحو له فيه تصانيف حسنة .

قال أبو شامة[١٠] . وفيها توفي :

الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل ، ودفن بتربة[١١] أخيه المعظَّم بسفح قاسيون[١٢] .

والملك المؤيّد مسعود بن صلاح الدين بمدرسة رأس العين فحُمل إلى حلب فدفن[١٣] بها .

---

(١) ط : مركزه .
(٢) ط : وعلم الأصول .
(٣) ط : وتصانيفه .
(٤) ط : في الحديث والتفسير .
(٥) وط : وكان مغلقاً .
(٦) ط : ولزم .
(٧) ب : طريق مستقيم .
(٨) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٠٢) .
(٩) هو ناصر بن عبد السيد بن علي ، أبو الفتح المُطرِّزي ، برهان الدين . توفي سنة ٦١٠ ترجمته في : معجم الأدباء (١٩/ ٢١٢) وإنباه الرواة (٣/ ٣٣٩) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٧٩) ووفيات الأعيان (٥/ ٣٦٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٨) والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (٤٠٤) وفوات الوفيات (٤/ ١٨٢) والجواهر المضية (٣/ ٥٢٨) وتاج التراجم (٢٧٤) وبغية الوعاة (٢/ ٣١١) .
(١٠) ذيل الروضتين (٦٧) .
(١١) ط : في تربة .
(١٢) في ذيل أبي شامة : ودفن بسفح قاسيون بالتربة التي فيها أخو الملك المعظم .
(١٣) أ : ودفن .

وفيها : توفي[١] .

الفخر الرازي[٢] المتكلم صاحب « التفسير »[٣] والتصانيف محمد[٤] بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي (التيمي) البكري ، أبو المعالي وأبو عبد الله[٥] المعروف بالفخر الرازي ، ويقال له : ابن خطيب الري ، الفقيه الشافعي[٦] .

أحد المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مئتي مصنف ، فمن ذلك[٧] « التفسير » الحافل و « المطالب العالية » ، و « المباحث الشرقية » ، و « الأربعين » ، « شرح الإشارات » ، وغيرها في علوم الكلام ومذاهب الأوائل وأقوال الناس ، وله أصول الفقه والمحصول وغيره ، وصنف ترجمة الشافعي في مجلد مفيد ، وفيه غرائب لا يوافق عليها ، وينسب إليه أشياء عجيبة ، وقد استقصيت ترجمته في « طبقات الشافعية » . وقد كان معظَّماً عند ملوك خوارزم[٨] وغيرهم ، وبنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى ، وملك من الذهب العين ثمانين ألف دينار ، وغير ذلك من الأمتعة والمراكب والأثاث والملابس ، وكان له خمسون مملوكاً من الترك ، وقد كان يقعد في مجلس الوعظ فيحضر[٩] الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعامة [والغوغاء] ، وكانت له عبادات[١٠] وأوراد ، وقد وقع بينه وبين الكرَّامية في أوقات ، وكان يبغضهم ويبغضونه ويبالغ في ذمّهم ويبالغون في الحطِّ عليه[١١] . وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فيما تقدم ، وكان مع غزارة علمه [وتبحّره] في فن الكلام يقول : من لزم[١٢] مذهب العجائز كان هو الفائز .

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) ترجمة ـ الفخر الرازي ـ في تاريخ ابن الأثير (١٢/ ١٢٠) وأخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (١٩٠ ـ ١٩٢) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧) وذيل الروضتين (٦٨) وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (٣/ ٤٥٠٣٤) وتاريخ ابن العبري (٤١٨) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥٢) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١١٨) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠) والعبر (٥/ ١٨) والوافي بالوفيات (٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥٩) وطبقات السبكي (٥/ ٣٣ ـ ٤٠) ولسان الميزان (٤/ ٤٢٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٩٧ ـ ١٩٨) وشذرات الذهب (٧/ ٤٠) وله ترجمة رائقة في تاريخ الإسلام (١٣/ ١٣٧ ـ ١٤٥) .

(٣) ط : التسير .

(٤) ط : يعرف بابن خطيب الري واسمه محمد .

(٥) أ : أبو عبد الله وأبو المعالي .

(٦) ط : أحد الفقهاء الشافعية .

(٧) ط : منها .

(٨) في بعض النسخ : « خوارزمية » ولا يصح .

(٩) ط : وكان يحضر مجلس وعظه .

(١٠) ط : عبادات .

(١١) في بعض النسخ : عبارات .

(١٢) أ ، ب : من ألزم بمذهب .

وقد ذكرت (وصيته) عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه[١] .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « الذيل »[٢] في ترجمته : وكان[٣] يعظ وينال من الكرَّامية[٤] وينالون منه سبّاً وتكفيراً (بالكبائر) ، وقيل إنهم وضعوا عليه مَن سقاه السم[٥] فمات ففرحوا بموته ، وكانوا يرمونه بالكبائر[٦] .

قال[٧] : وكانت وفاته في ذي الحجة ، ولا كلام في فضله ، [وإنما الشناعات عليه قائمة بأشياء : منها أنه كان يقول][٨] : قال محمد التازي[٩] ، يعني العربي يريد به النبي[١٠] ﷺ ، وقال محمد الرازي يعني نفسه .

ومنها : أنه كان يقرر الشبهة من جهة الخصوم بعبارات كثيرة ويجيب عن ذلك[١١] بأدنى إشارة وغير ذلك .

قال : وبلغني أنه خلَّف من الذهب العين ثمانين[١٢] ألف دينار غير[١٣] ما كان يملكه من الدواب

---

(١) ساقها الذهبي بتمامها في تاريخ الإسلام (١٣/ ١٤٣ ـ ١٤٥) ، ونقلها منه التاج السبكي في الطبقات (بشار) .

(٢) ذيل الروضتين (٦٨) .

(٣) ط : كان ، وما هنا عن ذيل الروضتين .

(٤) ب : من الكرامات لون منه .

(٥) أ ، ط : سمّاً .

(٦) ط : يرمونه بالمعاصي مع المماليك وغيرهم .

(٧) ب : وقال .

(٨) مكانهما في ط : ولا فيما يتعاطاه ، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعاً زائداً ، وليس ذلك من صفة العلماء ، ولهذا وأمثاله كثرت الشناعات عليه وقامت عليه شناعات عظيمة بسبب كلمات كان يقولها مثل قوله . وكل هذا لا وجود له في ذيل الروضتين .

(٩) ب : الباري ، ط : البادي . وفي حاشية ذيل الروضتين التعليقة التالية على لفظه ؛ ـ التازي ـ : بالزاي ، كان العجم يطلقونه على العرب، وهو يفيد معنى العربي عندهم ، فقول ابن كثير : البادي من البادية . تحريف ، على أن التازي هوالذي يوازن الرازي . ز . قلت : والمقصود بحرف الزاي الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله . وأما التحريف الذي أشار إليه فهو ليس من ابن كثير وإنما من النساخ . ولا يفوتنا أن الكتاب ـ أقصد البداية والنهاية ـ غير محققة ولا مقابلة على نسخ جيدة . ففي نسخة برلين التي تعرض طبعتنا عليها : ـ التازي ـ وهو موافق لما في ذيل الروضتين .

(١٠) بعدها في ط : نسبة إلى البادية .

(١١) تختلف العبارة في ذيل الروضتين عما هنا ، فلتراجع .

(١٢) في الأصول : مئتي ، وما هنا عن ذيل الروضتين ويؤيد هذه الرواية ما سيرد بعد أسطر من أن ولديه أخذ كل واحد أربعين ألف دينار .

(١٣) في الذيل : خارصاً عما كان يملكه .

والثياب والعقار والآلات ، وخلَّف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار ، وكان ابنه الأكبر قد تجند وخدم السلطان محمد بن تكش[(١)] .

وقال ابن الأثير في « الكامل »[(٢)] : وفيها : توفي فخر الدين أبو الفضل[(٣)] محمد بن عمر بن خطيب الري الفقيه الشافعي صاحب التصانيف المشهورة في الفقه والأصول [وغيرها] ، وكان إمام الدنيا في عصره ، بلغني أن مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة .

ومن شعره قوله : [من الطويل]

إِلَيْـكَ إِلَـهَ الخَلْـقِ وَجْهِـي وَوُجْهَتِـي   وَأَنْتَ الذي أَدْعُوكَ[(٤)] في السرِّ والجهرِ
وأنـتَ غِيـاثـي عِنْـدَ كُـلِّ مُلِمَّـةٍ   وَأَنْتَ مَعادي[(٥)] في حَيَاتي وفي قَبْرِي

روى ذلك ابن الساعي[(٦)] عن ياقوت الحموي عن ابنٍ لفخر الدين عنه ، وبه قال : أنشدنا [من الطويل]

تَتِمَّـةُ أَبْـوابِ السَّعَـادَةِ لِلخَلْـقِ   بِـذِكْـرِ جَـلالِ الـواحـدِ الأَحـدِ الحَـقِّ
مُـدَبِّـرِ كُـلِّ الْمُمْكِنَـاتِ بِـأَسْـرِهَـا   وَمُبْـدِعِهـا بـالعَـدْلِ والقَصْـدِ والصِّـدْقِ
أجـلَّ جَـلالُ اللهِ عـن شِبْـهِ خَلْقِـهِ   وأَنْصَرَ هذا الدينَ في الغَرْبِ والشَّرْقِ
إِلَـهٌ عَظِيـمُ الفَضْـلِ والعَـدْلِ والعُـلاَ   هُوَ المُرْشِدُ المُغْوِي هوَ الْمُسْعِدُ المُشْقِي

ومما كان ينشده في بعض مصنفاته قوله[(٧)] : [من الطويل]

نهـايـة إقـدام العقـول عقـال   وأكثـر سعـي العـالميـن ضـلالُ
وأرواحُنا في وَحْشةٍ من جُسومِنا   وحـاصِـل دُنيـانـا أذىً ووبـالُ
ولم نَسْتَفِدْ من بَحْثنا طولَ عُمْرِنا   سـوى أَنْ جمعنـا فيـهِ قيـلَ وقـالـوا

ثم يقول[(٨)] : لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥]

---

(١) أورده أبو شامة في وفيات سنة ٦٢٢ .
(٢) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٠٢) .
(٣) مكان الكنية في ط : الرازي .
(٤) ط : أدعوه .
(٥) ط : ملاذي .
(٦) ط : ذكره ابن الساعي .
(٧) الأبيات خمسة في وفيات الأعيان (٤/ ٢٥٠) وهي كما هنا في شذرات الذهب (٧/ ٤٢) .
(٨) هذه قطعة من وصيته (بشار) .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] وفي النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] .

ثم دخلت سنة سبع وستمئة

ذكر الشيخ [شهاب الدين[١] في الذيل][٢] أن في هذه السنة تمالأت ملوك الجزيرة : صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب إربل و[معهم ابن أخيه] الظاهر صاحب حلب وملك الروم أيضاً ، على مخالفة العادل ومنابذته ومقاتلته واصطلام الملك من يده ، وأن تكون الخطبة [في بلادهم بذلك] للملك كيخسرو بن قلج أرسلان صاحب الروم ، وأرسلوا إلى الكرج ليقدموا لحصار خلاط ، [وأخذها من يد][٣] الملك الأوحد [نجم الدين أيوب] بن العادل ، ووعدهم النصر والمعاونة عليه .

قلت : وهذا بغي وعدوان ينهى الله عنه ، فأقبلت الكرج في ملكهم[٤] إيواني فحاصروا خَلاط فضاق بهم الأوحد ذرعاً وقال : هذا يوم عصيب ، فقدر الله تعالىٰ أن في يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الآخر اشتد حصارهم للبلد وأقبل ملكهم إيواني[٥] وهو راكب على جواده وهو سكران فسقط به جواده في بعض الحفر التي قد أعدت مكيدة حول البلد ، فبادر إليه رجال البلد فأخذوه أسيراً حقيراً ، فأسقط في أيدي الكرج ، فلما أوقف بين يدي الأوحد أطلقه ومنَّ عليه [وأكرمه] وأحسن إليه ، وفاداه على مئتي ألف دينار وألفي أسير من المسلمين ، وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لبلاد الأوحد ، وأن يزوج ابنته من أخيه الأشرف موسى ، وأن يكون عوناً له على من يحاربه[٦] ، فأجابه إلى ذلك كله وأُخذت الأيمان[٧] منه بذلك وبعث الأوحد إلى أبيه[٨] يستأذنه في ذلك كله والعادل[٩] نازل بظاهر حرّان في أشد حيرة[١٠] مما قد داهمه من هذا الأمر الفظيع ، فبينما هو كذلك إذ أتاه هذا الخبر والأمر الهائل [والتدبير] من الله العزيز الحكيم ،

---

(١) في ط : أبو شامة .
(٢) ذيل الروضتين (٧٥) .
(٣) ما بين الحاصرتين في ط : وفيها .
(٤) ط : بملكهم .
(٥) في ذيل الروضتين إيوائي . كذا في التاريخ المنصوري (٢١٩ و٢٢٠) .
(٦) أ ، ب : حاربه .
(٧) ط : فأخذت منه الأيمان .
(٨) أ ، ب : ابنه . وهو تحريف .
(٩) ط : وأبوه .
(١٠) ط : أشدّ حده .

ولم يكن في باله ولا في حسابه ، فكاد يذهل فرحاً وسروراً[١] وأجاز جميع ما فعله ولده ، وطارت الأخبار بما وقع[٢] بين الملوك فخضعوا وذلوا عند ذلك ، وأرسل كل منهم يعتذر مما نسب إليه ويحيل على غيره ، فقبل منهم اعتذاراتهم وصالحهم صلحاً أكيداً واستقبل الملك عصراً[٣] جديداً [ولله الحمد] ، وفي ملك الكرج للأوحد بجميع ما شرطه[٤] عليه ، وتزوج الأشرف بابنته[٥] .

ومن غريب ما ذكره أبو شامة[٦] في هذه الكائنة أن قسيس الملك [حَزّاءً][٧] كان ينظر في النجوم فقال للملك قبل ذلك بيوم : اعلم أنك تدخل غداً إلى قلعة خلاط ولكن بزي غير زيّك[٨] أذانَ العصر ، فوافق دخوله إليها أسيراً [وقت] أذان العصر .

ذكر[٩] وفاة صاحب الموصل نور الدين[١٠]

وأرسل الملك نور الدين [أرسلان] شاه بن عز الدين[١١] مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل يخطب ابنة السلطان[١٢] الملك العادل ، وأرسل وكيله لقبول العقد على ثلاثين ألف دينار ، فاتفق موت نور الدين ووكيله في أثناء الطريق ، فعقد العقد بعد وفاته رحمه الله .

وقد أثنى عليه ابن الأثير[١٣] في كامله كثيراً وشكر منه ومن عدله وشهامته [وتحرّيه] وهو

---

(١) ط : الحكيم لا من حولهم ولا من قوتهم ولا كان في بالهم ، فكاد يذهل من شدة الفرح والسرور ثم أجاز جميع ما شرطه ولده .
(٢) ب : بما وقوا .
(٣) أ ، ب : غضبا .
(٤) ب : شارطه .
(٥) ط : ووفي ملك الكرج الأوحد بجميع ما شرطه عليه وتزوج الأشرف ابنته .
(٦) ذيل الروضتين (٦٧) بخلاف في الرواية .
(٧) حَزّاء : من حزا وحزى أي تكهّن وزجر . القاموس (حزا وحزى) .
(٨) ط : غير ذلك .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ترجمة أرسلان شاه في تاريخ ابن الأثير (٩/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) ومرآة الزمان (٨/ ٥٤٦) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢١٠) وذيل الروضتين (٧٠) وتاريخ ابن العبري (٢٢٩) ووفيات الأعيان (١/ ١٩٣) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١١١) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٩٦) والعبر (٥/ ١ ـ ٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٠٠) وشذرات الذهب (٧/ ٤٦) .
(١١) ط : أرسل الملك نور الدين شاه بن عز الدين .
(١٢) ط : ووكيله سائر .
(١٣) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٠٣) .

أعلم به من غيره ، وذكر أن مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد[١] عشر شهراً .

وأما أبو المظفر السبط فإنه قال[٢] : كان جباراً ظالماً بخيلاً سفاكاً للدماء فالله أعلم به[٣] . وقام في الملك[٤] [من بعده] ولده القاهر عز الدين[٥] مسعود[٦] ، وجعل تدبير مملكته إلى غلامه بدر الدين لؤلؤ الذي صار الملك إليه فيما بعد ، [كما سيأتي] .

قال أبو شامة[٧] : وفي سابع شَوّال شرع في عمارة المُصَلَّى ، [بظاهر دمشق المجاور لمسجد النارنج[٨] برسم صلاة العيدين . وهدم حائطه القبلي ومنبره ليجدد][٩] وبُني له أربع جدر بشرفة[١٠] ، وجُعل له أبواب صوناً لمكانه من الميتات[١١] ونزول القوافل ، وجُعل في قبلته محراب من حجارة ومنبر من حجارة[١٢] وعُقدت فوق ذلك قبة .

ثم في سنة ثلاث عشرة عُمل في قبلته رواقان ، وعُمل له منبرٌ من خشب ورُتِّب له خطيب راتب وإمام راتب[١٣] ، ومات العادل ولم يتم الرواق الثاني منه ، وذلك كله على يدي الوزير صفي الدين[١٤] ابن شكر .

قال : وفي ثاني شوال من هذه السنة[١٥] جُدِّدت أبوابُ الجامع الأموي من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر ، ورُكبت في أماكنها .

وفي شوّال أيضاً شُرع في إصلاح الفوَّارة والشاذروان والبركة ، وعمل عندها مسجد ، وجُعل له إمامٌ

---

(١) ط : وإحدى عشر ؛ خطأ .
(٢) مرآة الزمان (٨/ ٥٤٦) .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : بالملك .
(٥) سترد ترجمة عز الدين في وفيات ٦١٥ .
(٦) بعدها في أ ، ب : لأخيه عماد الدين زنكي وكان للأصغر بعض البلاد .
(٧) ذيل الروضتين (٧٦) بخلاف في الرواية .
(٨) مسجد الحجر ويعرف بمسجد النارنج قبلي المصلّى من شرقيه وفي حاشية ثمار المقاصد : مسجد النارنج بباب الصغير . الأعلاق الخطيرة (١٥٥) ، ثمار المقاصد (١٢٨) الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ٣٦١) .
(٩) ما بين الحاصرتين مستدرك من ذيل الروضتين .
(١٠) ط : مشرفة .
(١١) ط : الميار .
(١٢) ط : محراباً من حجارة ومنبراً من حجارة .
(١٣) ط : له خطيب وإمام راتبان .
(١٤) ط : وذلك كله على يد الوزير صفي ابن شكر .
(١٥) ط : منها .

راتبٌ ، وأوّل من تولّاه رجل يقال له النَّفيس المصري ، وكان يقال له بوق الجامع لطيب صوته إذا قرأ على الشيخ أبي منصور الضرير المصدر فيجتمع عليه الناس الكثيرون(١) .

وفي ذي الحجة من هذه السنة توجهت مراكب من عكا إلى البحر إلى ثغر دمياط .

وفيها : ملك قبرص المسمى إليان ـ لعنه الله ـ(٢) فدخل الثغر ليلاً وأغار(٣) على بعض البلاد فقتل وسبى [وغنم] وكرَّ راجعاً فركب مراكبه فلم يدركه الطلب ، وقد تقدمت له بمثلها(٤) قبل هذه ، وهذا شيء لم يتفق لغيره .

وفي هذه السنة(٥) عاثت الفرنج بنواحي القدس [الشريف] فبرز إليهم الملك المعظم [في عساكره] ، وجلس الشيخ شمس الدين أبو المظفر ابن قُزُغلي(٦) الحنفي وهو سبط [الشيخ أبي الفرج] ابن الجوزي ابن ابنته رابعة ، وهو صاحب « مرآة الزمان » ، وكان فاضلاً في فنون(٧) كثيرة ، حسن الشكل طيب الصوت ، وكان يتكلّم في الوعظ جيداً ، وتحبه العامة على صيت جده ، وقد رحل من بغداد فنزل دمشق وأكرمه ملوكها ، وولي التدريس بها ، وكان يجلس كل يوم سبت عند باب مشهد علي [بن الحسين](٨) زين العابدين إلى السارية التي يجلس عندها الوعاظ في زماننا هذا ، فكان يكثر الجمع عنده [جداً] ، حتى يكونوا من باب الناطفانيين(٩) إلى باب المشهد إلى باب الساعات(١٠) غير(١١) الوقوف ، فيحزر(١٢) جمعه في بعض الأيام بثلاثين ألفاً من الرجال والنساء ، وكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع في الصيف ويتركون البساتين والفرج ، يبيتون في قراءة ختمات وأذكار لتحصيل(١٣) الأماكن [بميعاده]

---

(١) أ ، ب : الكثير .

(٢) جاءت الجملة الدعائية في ط في آخر الجملة .

(٣) ط : فأغار .

(٤) ط : ولم يدركه الطلب وقد تقدمت له مثلها .

(٥) ط : وفيها .

(٦) سترد ترجمة سبط ابن الجوزي في وفيات ٦٥٤ .

(٧) ط : علوم .

(٨) عن ط وحدها .

(٩) باب الناطفانيين أو الناطفيين ، ويعرف أيضاً بباب الفراديس وباب العمارة ، وهو باب شمالي الجامع الأموي . للأستاذ مطيع الحافظ (٢٣) .

(١٠) باب الساعات : كان باب الزيادة القبلي هو الذي يعرف بباب الساعات إلى جانبه ويطلق عليه أيضاً اسم باب جيرون وباب اللبادين . الجامع الأموي (٢٢) .

(١١) ط : الجلوس غير الوقوف .

(١٢) ط : فحزر جمعه .

(١٣) ط : ليحصل لهم أماكن .

من شدة الزحام ، فإذا فرغ من وعظه خرجوا إلى بساتينهم[١] وليس لهم كلام إلا فيما قال يومهم ذلك أجمع ، يقولون قال الشيخ وسمعنا من الشيخ ، فيحثهم ذلك على العمل الصالح والكف عن المساوىء ، وكان يحضر عنده الأكابر[٢] ، حتى الشيخ تاج الدين أبو اليُمْنِ الكندي[٣] ، كان يجلس في القبة التي عند باب المشهد هو ووالي البلد المعتمد ووالي (البر) ابن تميرك وغيرهم .

فلما جلس[٤] [في] يوم السبت خامس ربيع الأول [بالجامع] كما ذكرنا حث الناس على الجهاد وأمر بإحضار ما كان يحصل[٥] عنده من شعور التائبين ، وقد عمل منه شكالات يحملها[٦] الرجال ، فلما رآها الناس ضجوا ضجة واحدة وتباكَوْا[٧] بكاءً كثيراً وقطعوا من شعورهم نحوها ، فلما انقضى المجلس نزل عن المنبر فتلقاه[٨] الوالي مبارز[٩] الدين المعتمد بن إبراهيم ، وكان من خيار الناس ، فمشى بين يديه إلى باب الناطفيين[١٠] يعضده حتى ركب فرسه والناس من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فخرج من باب الفرج وباب بالمصلى[١١] ، ثم ركب من الغد في الناس إلى الكسوة ومعه خلائق كثيرون خرجوا بنية الجهاد ببلاد[١٢] القدس ، وكان من جملة من معه ثلاثمائة من أهل[١٣] زَمْلَكا بالعدد الكثيرة التامة ، قال : فجئنا عقبة أفيق والطير لا يتجاسر أن يطير من خوف الفرنج ، فلما وصلنا نابلس تلقانا المعظم ، قال ولم أكن اجتمعت به قبل ذلك ، فلما رأى الشكالات من شعور التائبين جعل يقبِّلها ويمرِّغها على وجهه[١٤] ويبكي .

وعمل أبو المظفَّر ميعاداً بنابلس وحثّ على الجهاد وكان يوماً مشهوداً ، ثم سار صحبة المعظم

---

(١) ط : إلى أماكنهم .
(٢) ب : ويحضرون عنده الأكابر . وهي لغة مفضولة .
(٣) سترد ترجمة ـ الكندي ـ سنة ٦١٣ .
(٤) ط : وغيرهم والمقصود أنه لما جلس يوم السبت .
(٥) ط : تحصل .
(٦) ط : تحمل .
(٧) ط : وبكوا .
(٨) أ ، ب : تلقاه .
(٩) ط : ونزل عن المنبر فتلقاه مبادر الدين المعتمد بن إبراهيم . ذيل الروضتين (٧٣) .
(١٠) أ ، ب : الناطفانيين .
(١١) في ب : فخرج وباب بالمصلى ، أ : وباب المصلى .
(١٢) ط : إلى بلاد القدس .
(١٣) ط : من جهة زملكا ، وفي أ ، ب : من أهل ملكا .
(١٤) : على عينيه ووجهه .

إلى ناحية الفرنج[(١)] فقتلوا خلقاً وخرّبوا أماكن كثيرة ، وغنموا وعادوا سالمين .

وشرع المعظم في تحصين جبل الطور وبناء[(٢)] قلعة فيه ليكون إلباً على الفرنج ، فغرم أموالاً كثيرة في ذلك ، فبعث[(٣)] الفرنج إلى العادل يطلبون منه الأمان والمصالحة ، فهادنهم وبطلت تلك العمارة ، وضاع ما كان المعظم غرم عليها والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان[(٤)] :

الشيخ أبو عمر[(٥)] باني المدرسة بسفح قاسيون للفقراء [المشتغلين في القرآن][(٦)] رحمه الله ، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الشيخ الصالح أبو عمر المقدسي .

باني المدرسة التي يقرأ بها القرآن بسفح قاسيون ، وهو أخو العلاّمة موفق الدين[(٧)] عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة[(٨)] ، وكان [الشيخ] أبو عمر أسنَّ منه ، لأنه ولد سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمئة بقرية الساويا[(٩)] ، وقيل بجَمَّاعِيل[(١٠)] ، [والشيخُ أبو عمر][(١١)] رَبَّى الشيخَ موفقَ الدين ، وأحسن إليه ، وزَوَّجه ، وكان يقوم بمصالحه .

فلما قدموا من الأرض المقدسة نزلوا[(١٢)] بمسجد أبي صالح خارج باب شرقي ثم انتقلوا منه إلى

---

(١) ط : ثم سار هو ومن معه وصحبته المعظم نحو الفرنج .

(٢) ط : وبنى قلعة .

(٣) أب : فبعثت .

(٤) ط : وفيها توفي من الأعيان .

(٥) ترجمة ـ أبي عمر ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٤٦) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٠٢) وذيل الروضتين (٧١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ١٧١) والعبر (٥/ ٢٥) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٥) والوافي بالوفيات (٢/ ١١٦) وذيل طبقات الحنابلة (٢٠/ ٥٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٨) والدارس (٢/ ١٠٠ ـ ١٠٢) والقلائد الجوهرية (٢١/ ١٦٥) والمقصد الأرشد (٢/ ٣٤٦) وشذرات الذهب (٧/ ٥٠ ـ ٥٦) . قال بشار : كتب ابن أخته الحافظ الضياء المتوفى سنة ٦٤٣ جزءاً في سيرته (ضمن مجموع بالظاهرية برقم ٨٣ ، الورقة ٣٩ ـ ٤٣) سلخ الذهبي أكثره في تاريخ الإسلام .

(٦) عن ط وحدها .

(٧) ط : باني المدرسة التي بالسفح يقرأ بها القرآن العزيز وهو أخو الشيخ موفق الدين .

(٨) سترد ترجمته في وفيات (٦٢٠) من هذا الجزء .

(٩) في الدارس (اكساويه) وفي هامشه : (اكساويا) ، وهي كما هنا في ذيل الروضتين (٧١) ولم أصل فيه إلى رأي .

(١٠) جَمّاعيل : قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين ، ونابلس وأعمالها جميعاً من أعمال بيت المقدس . معجم البلدان (٣/ ٩٤) والقلائد الجوهرية (١/ ٢١٨ ـ هـ٢) . قال بشار : نقل الذهبي عن الحافظ الضياء قوله : « مولده . . بجماعيل ، شاهدته بخط والده » .

(١١) مكانهما في أ ب : (وهو) .

(١٢) في أ ، ب : « وهو الذي قدم بهم من تلك البلاد فنزلوا » ولا يصح ، لأن الذي قدم بهم والده .

السفح ، وليس به من العمارة[١] سوى دير الحوراني[٢] ، قال : فقيل لنا الصالحين نسبونا[٣] إلى مسجد أبي صالح ، لا أنا صالحون ، وسميت هذه البقعة من ذلك الحين بالصالحية نسبة إلينا .

فقرأ[٤] الشيخ أبو عمر القرآن على رواية أبي عمرو ، وحفظ « مختصر الخِرَقي »[٥] في الفقه ، [وهو الذي شرحه [أخوه] فيما بعد][٦] فكتب « شرحه » بيده ، وكتب « تفسير البغوي » و« الحلية » لأبي نعيم و« الإبانة » لابن بطة ، وكتب مصاحف كثيرة بيده للناس ولأهله بلا أجرة[٧] .

وكان كثير العبادة والتهجد[٨] ، ويصوم الدهر ، [حسن الشكل ، نحيل الجسم ، عليه أنوار العبادة] وكان لا يزال متبسِّماً ، وكان يقرأ (كل يوم سبعاً بين الظهر والعصر ويصلي الضحى ثماني ركعات يقرأ) فيهن ألف مرة قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ، وكان يزور مغارةَ الدّم في كل يوم اثنين وخميس .

ويجمع في طريقه الشيح فيعطيه الأرامل والمساكين ، ومهما تهيَّأَ له من فتوح وغيره يؤثر به أهله والمساكين .

وكان متقلّلاً في الملبس ، وربما مضت عليه مدة لا يلبس فيها سراويل ولا قميصاً ، وكان [يقطع من عمامته قطعاً يتصدق بها أو في تكميل كفن ميت][٩] .

وكان هو وأخوه وابن خالتهم[١٠] الحافظ عبد الغني[١١] وأخوه الشيخ العماد لا ينقطعون عن غزاة

---

(١) مسجد أبي صالح : بظاهر باب شرقي . وأبو صالح هو مفلح بن عبد الله الحنبلي الذي مات سنة ٥٣٠ . تاريخ دمشق (٢/ ٨١) والأعلاق الخطيرة (١٣٦) والدارس (٢/ ١٠١) وتاريخ الصالحية (١/ ٢٥) وفي هامشه ما يلي : وقد درس هذا المسجد ولم يبق منه شيء ولكن أحيط مكانه بجدار من دكٍّ داخله قبر يعرف بالشيخ صالح ، ينذر له أهل القرى والبساتين التي حوله .

(٢) دير الحوراني : ذكره ابن طولون في أديرة الصالحية ، ويقع غربي دير الحنابلة في سفح الجبل . تاريخ الصالحية (٤٠) وغيرها . قلت : ودير الحنابلة يسمى في عصرنا : جامع الحنابلة ، ويقع في آخر سوق أبي جرش الملاصق لسوق الشيخ محيي الدين .

(٣) ط : فقيل لنا الصالحيين نسبة إلى مسجد أبي صالح .

(٤) ب : مسجد أبي صالح لأنّا صالحون فقرأ الشيخ .

(٥) مؤلف هذا المختصر اسمه : الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي والد أبي القاسم . توفي سنة ٢٩٩هـ . وقد طبع المختصر في دمشق بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط مع بعض الأساتذة .

(٦) ط : ثم إن أخاه الموفق شرحه فيما بعد .

(٧) ن : إلا بأجرة .

(٨) ط : وكان كثير العبادة والزهادة والتهجد .

(٩) ط : كفن من يعوز كفنه .

(١٠) في ط : « خالهم » ولا يصح ، وما أثبتناه هو الصواب (بشار) .

(١١) تقدمت ترجمة الحافظ عبد الغني في وفيات سنة ٦٠٠هـ من الجزء السابق .

يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج ، وقد حضروا معه فتح القدس والسواحل[١] وغيرها ، وجاء الملك العادل [أبو بكر] يوماً إلى خيمتهم[٢] لزيارة [الشيخ] أبي عمر ، وهو قائم يصلي ، فما قطع صلاته ولا أوجز فيها ، فجلس السلطان واستمر أبو عمر في صلاته ولم يلتفت إليه حتى قضى صلاته رحمه الله .

والشيخ أبو عمر هو الذي شرع[٣] في بناء المسجد الجامع أولاً بمال رجل من الناس فنفد ما كان بيده[٤] وقد ارتفع البناء قامة ، فبعث صاحب إربل الملك المظفر كُوْكُبري[٥] مالاً فكمِّل به ، وولي خطابته الشيخ أبو عمر ، فكان يخطب به وعليه لباسه الضعيف وعليه أنوار الخشية[٦] والتقوى والخوف من الله عز وجل ، والمسك كيف خبأته ظهر عليك وبان ، وكان المنبر الذي فيه يومئذ ثلاث مراقي والرابعة للجلوس ، كما كان المنبر النبوي .

وقد حكى أبو المظفر[٧] أنه حضر يوماً عنده الجمعة وكان الشيخ عبد الله اليوناني[٨] حاضراً هناك[٩] عنده ، فلما انتهى في خطبته إلى الدعاء[١٠] للسلطان قال : اللهم أصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب ، فنهض[١١] الشيخ عبد الله اليوناني وأخذ نعليه وخرج من الجامع وترك صلاة الجمعة . [قال :] فلما فرغنا ذهبت إليه فقلت (له) : ماذا نقمت عليه في قوله ؟ فقال : يقول لهذا الظالم العادل لا صليت معه ، قال : فبينما نحن في الحديث إذ أقبل الشيخ أبو عمر ومعه رغيف وخيارتان فكسر ذلك الرغيف وقال : الصلاة ، ثم قال : قال النبي ﷺ « بعثت في زمن الملك العادل كسرى »[١٢] فتبسم الشيخ عبد الله اليوناني [ومدَّ يدَه فأكلَ فلما فرغوا][١٣] قام الشيخ أبو عمر فذهب فلما ذهب قال لي اليوناني : يا سيدنا ما هذا إلا رجل صالح .

---

(١) ب : القدس الشريف .
(٢) ط : إلى خيمتهم أي خصهم .
(٣) أ ، ب : ولا أوجزها بل استمر ولم يلتفت إليه وهو الذي شرع .
(٤) ب : بناه بمال رجل ، وفي ط : بمال رجل فامي فنفد ما عنده .
(٥) ط : كوكري ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٣٠ .
(٦) ب : أثواب الخشبة .
(٧) مرآة الزمان (٨/ ٥٤٧ ، ٥٤٨ ـ ٥٤٩) .
(٨) ط : البوتاني . واليوناني ويقال له اليونيني أيضاً ، سترد ترجمته في وفيات سنة ٦١٧ .
(٩) ط : حاضراً الجمعة أيضاً .
(١٠) ب : فلما انتهى الشيخ أبو عمر إلى الدعاء .
(١١) ط : فلما قال ذلك نهض .
(١٢) انظر ما قاله ابن كثير حول هذا الحديث في الصفحة التي بعدها .
(١٣) عن ط وحدها .

قال [الشيخ شهاب الدين] أبو شامة[١] كان [الشيخ عبد الله] اليوناني من الصالحين الكبار ، وقد رأيته وكانت وفاته بعد أبي عمر بعشر سنين فلم يسامح الشيخ أبا عمر في تساهله مع ورعه ، ولعله كان مسافراً والمسافر لا جمعة عليه ، وعذر الشيخ أبي عمر أن هذا قد جرى مجرى الأعلام العادل الكامل الأشرف ونحوه ، كما يقال سالم وغانم ومسعود ومحمود ، وقد يكون ذلك على الضد من[٢] هذه الأسماء ، فلا يكون سالماً ولا غانماً ولا مسعوداً ولا محموداً ، وكذلك إطلاق[٣] العادل ونحوه من أسماء الملوك وألقابهم ، والتجار وغيرهم ، كما يقال شمس الدين وبدر الدين وعز الدين وتاج الدين ونحو ذلك قد يكون معكوساً على الضد والانقلاب ، ومثله الشافعي والحنبلي وغيرهم ، وقد تكون أعماله ضد ما كان عليه إمامه الأول من الزهد والعبادة ونحو ذلك ، وكذلك العادل يدخل[٤] إطلاقه على المشترك [فهذا أولى] (والله أعلم)[٥] .

قلت : هذا الحديث الذي احتج به الشيخ أبو عمر لا أصل له ، وليس هو في شيء من الكتب المشهورة ، وعجباً له ولأبي المظفر ثم لأبي شامة[٦] في قبول مثل هذا وأخذه منه مسلّماً إليه فيه والله أعلم .

ثم شرع (أبو) المظفر في ذكر مناقب أبي عمر وكراماته وما رآه هو وغيره من أحواله الصالحة .

قال : وكان على مذهب السَّلَف الصالح[٧] وكان حسن العقيدة متمسكاً بالكتاب والسنة والآثار المروية ، يُمرُّها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين ، وكان ينهى عن صحبة المبتدعين ويأمر بصحبة الصالحين ، قال[٨] : وربما أنشدني[٩] لنفسه في ذلك : [من الرجز]

أُوصِيكُمُ بالقَوْلِ فِي القُرْآنِ ... بِقَوْلِ أَهْلِ الحَقِّ وَالإِتْقَانِ[١٠]
لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ولا بِفَانِ[١١] ... لَكِنْ كَلامَ المَلِكِ الدَّيَّانِ

---

(١) ذيل الروضتين (٧٢) بتصرف .
(٢) على الضد والعكس في هذه الأسماء .
(٣) ط : اسم العادل .
(٤) أ ، ب : قد دخل .
(٥) وينظر مثل هذا التبرير للذهبي أيضاً تاريخ الإسلام (١٣/ ١٨١) .
(٦) ذيل الروضتين (٧٥) .
(٧) ط : الصالح سمتاً وهدياً .
(٨) مكان اللفظة في ط : الصالحين الذين هم على سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين .
(٩) ب : أنشد . والأبيات في ذيل ابن رجب (٥٩) وذيل الروضتين (٧٤) وشذرات الذهب (٧/ ٥٥) .
(١٠) ب والشذرات : أهل الحق والإيقان .
(١١) ب : ولا فان . ولا يستقيم الوزن بها .

آيـاتُـهُ مُشْـرِقَـةُ المَعَـانِـي ... مَتْلُـوَّةٌ للهِ بِـالـلِّسَـانِ[١]
محفوظةٌ[٢] في الصَّدْرِ والجَنَانِ ... مَكْتُـوبـةٌ فـي الصُّحْـفِ بـالبَنَـانِ
والقَوْلُ في الصِّفاتِ يا إخْوانِي ... كـالـذاتِ والعِلْـمِ مـعَ البَيَـانِ
إمْـرارُهـا مِـنْ غَيْـرِ مَـا كُفْـرانِ ... مِـنْ غَيْـرِ تَشْبِيـهٍ ولا عُطْـلانِ[٣]

قال : وأنشدني لنفسه[٤] : [من الطويل]

أَلَـمْ يَـكُ مَلْهـاةٌ عَـنِ اللّهْـوِ أَنَّنِـي ... بَدَا لِيَ شَيْبُ الرَّأْسِ والضَّعْفُ والأَلَمْ
أَلَـمَّ بِـيَ الخطـبُ الـذي لـو بَكَيْتُـهُ ... حَيَاتِيَ حَتَّى يَذْهَبَ[٥] الدَّمْعُ لَمْ أُلَمْ

قال[٦] ومرض أياماً فلم يترك شيئاً مما كان يعمله من الأوراد ، حتى كانت وفاته وقت السحر في[٧] ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول فغُسِّل في الدير[٨] وحُمل إلى مقبرته في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ولم يبق أحد من الدولة والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم إلا حضر جنازته[٩] ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان الحرُّ شديداً فأظلت الناس سحابةٌ من الحرِّ ، كان يسمع منها كدويِّ النحل ، وكاد[١٠] الناس ينتهبون أكفانه وبيعت ثيابه بالغالي الغالي ، وقد رثاه الشعراء بمراثي حسنة ، ورُئيت له منامات صالحةٌ رحمه الله .

وترك من الأولاد ثلاثة من الذكور[١١] : عمر ، وبه كان يكنى ، والشرف عبد الله وقد ولي[١٢] الخطابة (بعد أبيه ، وهو والد العزّ إبراهيم[١٣] وعبد الرحمن[١٤] . ولما توفي الشرف عبد الله صارت

(١) في ذيل ابن رجب والشذرات : متلوة في اللفظ باللسان .
(٢) بعدها في ب : متلوة باللسان .
(٣) أ ، ب ، وذيل طبقات ابن رجب والشذرات : ولا عدوان وما هنا هو الأشبه .
(٤) البيتان في ذيل الروضتين (٧٥) وذيل ابن رجب (٥٩) .
(٥) في الذيلين : حتى ينفد .
(٦) في ذيل الروضتين (٧٣) .
(٧) أ : حتى كانت وفاته في وقت السحر ليلة الثلاثاء .
(٨) أ : بالدير ، وب : بالدين ، والأخير تحريف .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ب ، ط : مكان .
(١١) ط : ثلاثة ذكور .
(١٢) ط : وهو الذي ولي .
(١٣) ط : « أحمد » وما هنا من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ١٨٢) (بشار) .
(١٤) لم يرد الاسم في أ ولا في ب ، وهو أبو عبد الله شمس الدين الملقب بشيخ الجبل سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٢ من هذا الجزء .

الخطابة) إلى أخيه[١] شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر ، وكان من أولاد أبيه الذكور ، وكان له من الإناث بنات كما قال الله تعالىٰ : ﴿ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] .

قال : وقبره في طريق مغارة الجوع في الزقاق المقابل لدير الحوراني رحمه الله وإيانا .

ابن طَبَرْزَدْ[٢] شيخ الحديث[٣] عمر بن محمد بن مُعَمَّر بن يحيى المعروف بأبي حفص بن طَبَرْزَد البَغْدادي الدارقزِّي .

ولد سنة خمس عشرة وخمسمئة ، سمع الكثير وأسمع ، وكان خليعاً ظريفاً ماجناً ، وكان يؤدِّب الصبيان بدار القزِّ[٤] قدم مع حنبل بن عبد الله المُكَبِّر إلى دمشق فسمع أهلها عليهما ، وحصل لهما أموال ، وعادا إلى بغداد فمات حنبل سنة ثلاث[٥] وتأخر هو إلى هذه السنة[٦] فمات وله سبع وتسعون سنة ، وترك مالاً جيداً ولم يكن له وارث إلا بيت المال ، ودفن بباب حرب .

السلطان الملك العادل[٧] نور الدين أبو الحارث أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل .

وهو ابن أخي نور الدين الشهيد ، وقد ذكرنا من سيرته في الحوادث [ما فيه كفاية] ، وكان شافعيَّ المذهب ، ولم يكن بينهم شافعيٌّ[٨] سواه ، وبنى للشافعية مدرسةً كبيرةً بالموصل وبها تربته .

---

(١) ط : لأخيه .

(٢) قيّدها ابن خلكان في وفياته (٣/ ٤٥٣) فقال : ابن طبرزذ : بفتح الطاء المهملة ، والباء الموحدة ، وسكون الراء ، وفتح الزاي ، وبعدها ذال معجمة ، وهو اسم لنوع من السكر .

(٣) ترجمة ـ ابن طبرزذ ـ في معجم البلدان (٣/ ٤٢٢) والكامل في التاريخ (٩/ ٣٠٥) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٠٧) وذيل الروضتين (٧٠ ـ ٧١) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ١٦٧) والعبر (٥/ ٢٤) وميزان الاعتدال (٣/ ٢٢٣) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٥٠٧ ـ ٥١٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٠١) وشذرات الذهب (٧/ ٤٩) .

(٤) دار القز : محلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء بين البلد وبينها نحو الفرسخ ولم يبق منها زمن ياقوت إلا أربع محال وكل ما حولها قد خرب . معجم البلدان (٣/ ٤٢٢) .

(٥) هذا وهم من المؤلف رحمه الله فقد ذكر وفاته في سنة ٦٠٤ من هذا الجزء .

(٦) بعدها في ط : (في تاسع شهر رجب) .

(٧) ترجمة ـ الملك العادل ـ في الكامل (٩/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) ومرآة الزمان (٨/ ٥٤٦) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢١٠) وذيل الروضتين (٧٠) وتاريخ ابن العبري (٢٢٢٩) ووفيات الأعيان (١/ ١٩٣ ـ ١٩٤) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١١١) والعبر (٥/ ٢١) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ١٩١) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٠) وشذرات الذهب (٧/ ٤٦) . وله ترجمة حافلة في تاريخ ابن النجار (الورقة ٦٤ ـ ٦٦ من مجلد الظاهرية) .

(٨) ب : شافعياً ؛ خطأ .

قال ابن خلكان(١) : وكانت وفاته(٢) ليلة الأحد التاسع والعشرين من رجب من هذه السنة .

ابن سُكَيْنَة(٣) عبد الوهاب بن علي ضياء الدين [أبو أحمد](٤) المعروف بابن سُكَيْنَة الصّوفي .

كان يُعدُّ من الأبدال ، سمع الكثير(٥) وأسمعه ببلاد شتى ، وكان [مولده](٦) في سنة تسع عشرة وخمسمئة ، وكان صاحباً للشيخ أبي(٧) الفرج بن الجوزي(٨) ملازماً لمجلسه وكان يوم جنازته مشهوداً لكثرة(٩) ما كان فيه من الخاصة والعامة رحمه الله .

مظفر بن شاشير(١٠) الواعظ الصوفي البغدادي .

ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمئة ، وسمع الحديث ، وكان يعظ في (الأعزية والمساجد والقرى ، وكان ظريفاً مطبوعاً قام إليه إنسان) [وهو يعظ] فقال له فيما بينه وبينه : أنا مريضٌ وجائعٌ ، فقال : اِحْمَدْ ربَّك فقد عُوفيت . واجتاز مرة على قصَّاب يبيع لحماً ضعيفاً ، وهو يقول : أين من حلف لا يغبن ، فقال له [ابن شاشير] : (حتى) تحنثه . قال : وعملت مرة مجلساً ببعقوبا(١١) فجعل هذا يقول : عندي للشيخ نصفية [وهذا يقول عندي للشيخ نصفية ، وهذا](١٢) يقول مثله ، حتى عدُّوا نحواً من خمسين نصفية ، فقلت في نفسي : استغنيت الليلة (فأرجع إلى البلد تاجراً ، فلما أصبحت) إذا صبرة من شعير في المسجد فقيل لي : [هذه النصافي](١٣) التي ذكر الجماعة ، وإذا بكيلة يسمونها نصفية مثل الزبدية . وعملت مرة مجلساً بباجسرى(١٤) فجمعوا لي شيئاً لا أدري ما هو ، فلما أصبحنا إذا شيء من صوف

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ١٩٣) بخلاف بسيط في الدولة والاستدراك منه .
(٢) في ط : توفي في مصر .
(٣) ترجمة ـ ابن سكينة ـ في الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٠٥) وذيل الروضتين (٧٠) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٠) والعبر (٥/ ٢٣) ، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٢) وشذرات الذهب (٧/ ٤٨) .
(٤) في بعض النسخ : « أبو محمد » وهو خطأ بيّن ، وما هنا من مصادر ترجمته (بشار) .
(٥) ط : سمع الحديث الكثير .
(٦) ط : ولد .
(٧) ط : وكان صاحباً لأبي الفرج .
(٨) تقدمت ترجمة أبي الفرج ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٩٧ من الجزء السابق .
(٩) ط : وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً لكثرة الخلق ولكثرة ما كان .
(١٠) عن ذيل الروضتين (٧٧) وينظر تاريخ الإسلام (١٣/ ١٨٤) وهو المظفر بن أبي محمد بن شاشير أبو منصور .
(١١) بعقوبا قرية كبيرة كالمدينة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من أعمال طريق خراسان . معجم البلدان (٢/ ٤٥٣) .
(١٢) عن ط وحدها .
(١٣) مكانهما في الأصلين : النصافي .
(١٤) ط : بباصرا ؛ وهو تحريف . وما هنا من خط الذهبي ، وباجسرى قرية معروفة من محافظة ديالى (بعقوبا) تعرف اليوم باسم « أبو جسره » (بشار) .

الجواميس وقرونها ، فقام رجل ينادي عليها : كم عندكم صوف الشيخ وقرونه[١] ، فقلت لا حاجة لي بهذا وأنتم في حل منه[٢] . ذكره أبو شامة[٣] .

ثم دخلت سنة ثمان وستمئة

استُهلَّتْ والعادلُ مقيمٌ على الطّور لعمارة حصنه .

وجاءت الأخبار من بلاد المغرب بأن ابن عبد المؤمن[٤] قد كسر الفرنج بطليطلة كسرةً عظيمةً ، وربَّما فتح البلد عنوةً وقتل منهم خلقاً عظيماً[٥] .

وفيها كانت زلزلةٌ عظيمةٌ شديدةٌ بمصر والقاهرة ، هدمت منها دوراً كثيرة ، وكذلك بمدينة الكرك[٦] والشّوبك هدمت من قلعتها أبراجاً ، ومات خلقٌ كثيرٌ من الصبيان والنسوان تحت الهدم ، ورُؤي دخانٌ نازل من السماء [إلى الأرض][٧] فيما بين المغرب والعشاء عند قبر عاتكة غربيَّ دمشق[٨] .

وفيها أظهرت الباطنية الإسلام ، وأقامت الحدود على مَنْ يَتَعَاطى[٩] الحرام ، وبَنَوا الجوامِعَ والمساجِدَ ، وكتبوا إلى إخوانهم بالشام في مصياب[١٠] وأمثالها بذلك ، وكتب زعيمهم جلال الدين إلى الخليفة يعلمه بذلك ، وقدمت أُمة منهم إلى بغداد حجاجاً فأُكرمت وعظمت[١١] بسبب ذلك ، ولكن لما

(١) ط : عليكم عندكم من قرون الشيخ وصوفه . وعند أبي شامة : من يشتري صوف الشيخ وقرونه .

(٢) في ذيل الروضتين : ردوا صوفكم وقرونكم إليكم .

(٣) ذيل الروضتين (٧٧) بخلاف في الرواية .

(٤) في الأصول : عبد المؤمن . والصحيح ما أثبتناه . ذيل الروضتين (٧٨) والتاريخ المنصوري (٦٦) .

(٥) ط : خلقاً كثيراً .

(٦) ط : بالكرك .

(٧) ط : للأرض .

(٨) كان قبر عاتكة في غربي دمشق القديمة ، أما اليوم فيقع جنوبي دمشق الحديثة . وعاتكة هي بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان زوجة عبد الملك بن مروان . ومحلة قبر عاتكة لا تزال قائمة حتى عصرنا الحاضر . الإشارات إلى أماكن الزيارات لابن الحوراني (٣٣) والزيارات للعدوي (٦١) .

(٩) ط : من تعاطى .

(١٠) ط : بمضات ؛ تحريف ، وقال ياقوت : مصياب : حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس ، وبعضهم يقول : مصياف . وقال النابلسي : قلعة مصياف بالصاد المهملة وفي آخرها فاء ، وبعضهم يقول مصياط ، فيجعل الفاء طاء مهملة . معجم البلدان (٥/ ١٤٤) والحقيقة والمجاز (١/ ١٦٥) .

(١١) ب : حاجة فأكرمت وعظمت ، وفي ط : لأجل الحج فأكرموا وعظموا .

كان الناس بعرفات ظهر[١] واحد منهم على قريب لأمير مكة قتادة[٢] الحسيني فقتله ظاناً أنه قتادة ، فثارت فتنة [عظيمة] بين سودان[٣] مكة وركب العراق ، ونهب الركب وقتل منهم خلق كثير .

وفيها : ابتاع[٤] الملك الأشرف[٥] جوسق[٦] الرئيس من النيرب من ابن عمِّه[٧] الظاهر خضر[٨] بن صلاح الدين وبناه بناءً حسناً ، وهو المسمى بزماننا بالدهشة[٩] .

وممن توفي فيها من الأعيان[١٠] :

الشيخ عماد الدين[١١] محمد بن يونس الفقيه الشافعي الموصلي .

صاحب التصانيف والفنون الكثيرة ، وكان رئيس الشافعية بالموصل ، وبعث رسولاً إلى بغداد بعد موت نور الدين أرسلان[١٢] ، وكان عنده وسوسة كثيرة في الطهارة ، ويقال إنه[١٣] يعامل في الأموال بمسألة العِينة[١٤] (كما قيل تُصَفُّونَ البعوضَ من شرابكم وتستربطون[١٥] الجمال بأحمالها ، ولو عكس الأمر لكان خيراً له ، فلقيه يوماً قضيب البان المولَّه[١٦] فقال له : يا شيخ بلغني عنك أنك تغسل [العضو

---

(١) ط : لما كانوا بعرفات ظفر .
(٢) سترد ترجمة قتادة في وفيات سنة ٦١٧ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٣) ب : سود .
(٤) ط : وفيها اشترى ، والخبر في ذيل الروضتين (٧٨) .
(٥) سترد ترجمة الأشرف في وفيات سنة ٦٣٥ .
(٦) « الجوسق » : القصر . القاموس والتاج (جسق) .
(٧) ط : عم .
(٨) توفي خضر بن صلاح الدين سنة ٦٢٧ . ترويح القلوب (٩٤) .
(٩) الدهشة أحسن مساكن بساتين دمشق التي خربت ، وهي بستان ابن النشو على حافة تورى بالقرب من الربوة ، وفيها أَلَّفَ تاج الدين السبكي كتابه الشهير « جمع الجوامع » غوطة دمشق (١٨٦) .
(١٠) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(١١) ترجمة ـ الشيخ عماد الدين الموصلي ـ في الكامل في التاريخ (٩/ ٢٠٦) ومرآة الزمان (٨/ ٥٥٨) وذيل الروضتين (٨٠) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٢٦) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٥٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٢٠٠) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٩٨) والعبر (٥/ ٢٨) وطبقات السبكي (٥/ ٤٥) وشذرات الذهب (٧/ ٦٣) .
(١٢) تقدمت ترجمته في وفيات (٦٠٧) .
(١٣) ط : وكان يعامل .
(١٤) العينة وهي أن يبيع الرجل سلعة بثمن مؤجل ، ثم يشتريها من المشتري قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك القدر . القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً (٢٧٠) .
(١٥) أ : تشترطون . ولعل الصحيح : وتسترطبون أي تستحلون .
(١٦) ط : الموكة ؛ تحريف .

من][١] أعضائك بإبريق من الماء فلم لا تغسل اللقمة التي تأكلها (لتستنظف قلبك وباطنك) ؟[٢] ففهم الشيخ ما [أشار إليه وترك المعاملة وكانت وفاته][٣] بالموصل في رجب عن ثلاث وسبعين سنة .

ابن حمدون[٤] تاج الدين أبو سعد الحسن بن محمد بن حمدون ، صاحب[٥] « التذكرة الحمدونية » .

وكان فاضلاً بارعاً ، اعتنى بجمع الكتب المنسوبة وغيرها ، وولاه الخليفة المارستان العضدي ، وكانت وفاته[٦] بالمدائن وحمل إلى مقابر قريش [فدفن بها][٧] .

صاحب الروم خسروشاه[٨] ابن قليج[٩] أرسلان[١٠] ، وقام[١١] بالمُلك بعده ولده كيكاوس[١٢] ، فلما توفي في سنة خمس عشرة ملك أخوه كيُقباذ[١٣] صارم الدين بزغش العادلي نائب القلعة بدمشق ، (مات) في صفر ودفن بتربته غربي الجامع[١٤] المُظَفَّري ، وهذا الرجل هو الذي نفى الحافظ عبد الغني

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) أ : فلم لا تستنظف . . . لتغسل .
(٣) ط : ففهم الشيخ ما أراد فترك ذلك ، توفي بالموصل .
(٤) ترجمة ـ ابن حمدون ـ في معجم الأدباء (٩/ ١٨٤) والكامل في التاريخ (٩/ ٣٠٦) وكناه أبا سعيد ، والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٢٠) وذيل الروضتين (٧٩) والعبر (٥/ ٧) والشذرات (٧/ ٦٠) والأعلام للزركلي (٢/ ٢٣١) .
(٥) هذا وهم وقع فيه أبو شامة والذهبي في العبر بالإضافة إلى ابن كثير وهو لأبيه أبي المعالي محمد بن أبي سعد الحسن ابن محمد بن علي بن حمدون ، وقد نبّه إلى هذا الوهم ابن الأثير والحافظ المنذري . (قال بشار : لم يقل الذهبي مثل هذا ، ولكن سقطت لفظة « بن » من العبر ، فلم ينتبه محققه إلى ذلك ، والعبر مختصر من تاريخ الإسلام ، وقد قال فيه : « وهو ابن مصنف التذكرة » تاريخ الإسلام (١٣/ ١٨٩) كما نسب الكتاب إلى الأب حينما ترجمه في وفيات سنة ٥٦٢ من تاريخ الإسلام (١٢/ ٢٨٤) . وفيات الأعيان (٤/ ٣٨٠) وفوات الوفيات (٣/ ٣٥٣) والوافي بالوفيات (٢/ ٣٥٧) وشذرات الذهب (٧/ ٦٠) .
(٦) ط : توفي .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ترجمة ـ خسروشاه ـ في ذيل الروضتين (٨٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٩) وفيه : غياث الدين كيخسرو بن قلج رسلان .
(٩) في ط : وسير أعلام النبلاء : قِلْج ، وفي هامشه : ويقال فيه : قليج . وهو السيف بالتركية .
(١٠) في سير أعلام النبلاء : رسلان . وفي هامشه : ويقال فيه أرسلان وهو الأسد بالتركية .
(١١) ط : مات فيها وقام ، وفي سير أعلام النبلاء : قتله ملك الأشكري سنة سبع وستمئة .
(١٢) ط : كيكايرس ، وترجمته في الكامل (٩/ ٣٢٧) ومرآة الزمان (٨/ ٥٩٣) وذيل الروضتين (٧٩) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٣٧) ومفرج الكروب (٣/ ٢٦٣) .
(١٣) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٣٦ من هذا الجزء .
(١٤) جامع الجبل المشهور بجامع الحنابلة وبالمظفري ، شرع بعمارته أبو عمر سنة ٥٩٨ ، وكان المنفق عليه أبو داود محاسن حتى نفد ما عنده من المال وكمّله المظفر كوكبري صاحب إربل . مختصر تنبيه الطالب (٢٣٠ ـ ٢٣١) ومنادمة الأطلال (٣٧٣) .

المقدسي[١] إلى مصر ، وبين يديه كان عقد المجلس ، (وكان في جملة من قام عليه ابن الزكي[٢] والخطيب الدَّوْلعي[٣] ، وقد تُوفُّوا أربعتهم وغيرهم ممن قام عليه واجتمعوا عند ربهم الحكم العدل سبحانه) .

الأمير فخر الدين شركس[٤] (ويقال (له) جهاركس[٥] أحد أمراء الدولة الصلاحية وإليه تنسب قباب[٦] شركس) بالسفح تجاه تربة[٧] خاتون[٨] وبها قبره .

قال ابن خلّكان[٩] : هذا هو الذي بنى القيسارية الكبرى بالقاهرة المنسوبة إليه وبنى (في) أعلاها مسجداً معلَّقاً وربعاً ، وقد ذكر جماعة من التجار أنهم لم يروا لها نظيراً في البلدان في حسنها وعِظَمِها وإحكام بنائها .

قال : وجهاركس بمعنى أربعة أنفس .

قلت : وقد كان نائباً للعادل على بانياس والشقيف[١٠] وتبنين[١١] وهُونين[١٢] ، فلما توفي ترك ولداً صغيراً فأقرَّه العادل على ما كان يليه أبوه وجعل له مدبراً وهو الأمير صارم الدين خطلبا

---

(١) تقدمت ترجمته في وفيات ٦٠٠ من الجزء السابق .

(٢) تقدمت ترجمة القاضي ابن الزكي في وفيات سنة ٥٩٨هـ من الجزء السابق .

(٣) تقدمت ترجمة الدولعي في وفيات (٥٩٨) من الجزء السابق .

(٤) ترجمة ـ شركس ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٥٨) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) ووفيات الأعيان (١/ ٣٨١) وذيل الروضتين (٧٩) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١١٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ١٨٩) والعبر (٥/ ٢٧) وتاريخ الصالحية (١٣٥) وشذرات الذهب (٧/ ٦٠) .

(٥) قال ابن خلكان : جهاركس : بكسر الجيم ، وفتح الهاء ، بعد الألف راء ، ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ومعناه بالعربية : أربعة أنفس .

(٦) « قباب الجركسية » : هي الحي المعروف اليوم بالشركسية من أحياء دمشق ، ويسمى أيضاً بحارة المدارس وكله قباب ، ويمتد من جامع ابن عربي إلى منطقة العفيف .

(٧) تحدث ابن طولون عن تربتها في تاريخ الصالحية (٥٩) .

(٨) سترد ترجمة ـ خاتون ـ في وفيات سنة ٦٤٣ من هذا الجزء .

(٩) وفيات الأعيان (١/ ٣٨١) .

(١٠) شقيف : بفتح أوله ، وكسر ثانيه ، ثم ياء مثناة من تحت ، وفاء . وقد ذكر ياقوت أربعة مواضع باسم شقيف ، والمقصود هنا : شقيف أرنون : وهي قلعة حصينة جداً قرب بانياس في الساحل . معجم البلدان (٣/ ٣٥٦) .

(١١) « تِبنين » ـ بكسر أوله ، وتسكين ثانيه ، وكسر النون ، وياء ساكنة ، ونون أخرى : بلدة في جبال بني عامر المطلّة على بلد بانياس بين دمشق وصور . معجم البلدان (٢/ ١٤) .

(١٢) « هونين » : بالضم ، ثم السكون ، ونون ، ثم ياء ، ونون أخرى : بلدة في جبال عاملة . معجم البلدان (٥/ ٤٢٠) .

التِّبْنيني[١] ، ثم استقل بها بعد موت الصبي إلى سنة خمس عشرة .

الشيخ الكبير المعمر الرحلة أبو القاسم وأبو بكر وأبو الفتح ، منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفُراوي[٢] النَّيْسابوري .

سمع أباه وجدَّه وجد أبيه[٣] وغيرهم ، وعنه ابن الصلاح[٤] وغيره ، وكانت وفاته بنيسابور في شعبان[٥] هذه السنة عن خمس وثمانين سنة .

العقيبي[٦] والد والي البلد ، كانت وفاته في شوال من هذه السنة [والله أعلم][٧] .

ثم دخلت سنة تسع وستمئة

فيها اجتمع العادل[٨] وأولاده الكامل[٩] والمعظم[١٠] والفائز[١١] بدمياط من بلاد مصر في مقاتلة

---

(١) ط : قطلبا التنيسي . وما هنا عن أ وب وهو يوافق ما في ذيل الروضتين (٧٩) .

(٢) ترجمة - الفراوي - في معجم البلدان (٣/٨٦٦) والتكملة لوفيات النقلة (٢/٢٢٨) وذيل الروضتين (٨٠) والمستفاد للدمياطي (٣٩٧) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٩٤) والعبر (٥/ ١٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٠٤) والشذرات (٧/ ٦٤) .
أ : الفزاري . وقد قيَّده ابن الأثير في اللباب (٢/ ٢٠٠) بضم الفاء وفتح الراء وبعد الألف واو ، نسبة إلى فراوة : بليدة مما يلي خوارزم ومعجم البلدان (٤/ ٢٤٥) .

(٣) أ : وجدها ، وب : وجده . والصواب ما أثبتنا ، قال المنذري : « سمع من أبيه ، وجده ، وجد أبيه » التكملة (٢/٢٢٨) ، وقال الذهبي : « سمع من جد أبيه وجده ، وأبيه » تاريخ الإسلام (١٣/ ٢٠١) ، وجد أبيه هو محمد ابن الفضل الفراوي شيخ ابن عساكر الذي كان يقال : الفراوي ألف راوي ، وهو الذي قصده ابن عساكر برحلته إلى خراسان . ينظر كتاب المحقق : التبادل الثقافي بين بلاد الشام وبلاد خراسان ، وتبيين كذب المفتري (٣٢٢ - ٣٢٥) (بشار) .

(٤) سترد ترجمة - ابن الصلاح - في وفيات سنة (٦٤٣) من هذا الجزء .

(٥) ط : توفي بنيسابور في شعبان في هذه السنة .

(٦) ذكره أبو شامة في ذيل الروضتين (٨٠) وقال إنه توفي بالعقيبة ظاهر دمشق في التاسع والعشرين من شوال وهو والد قاسم الدين والي دمشق .

(٧) ط : منها .

(٨) ترجمة العادل في وفيات ٦١٥ .

(٩) الملك الكامل ترجمته في وفيات سنة ٦٣٥ .

(١٠) الملك المعظم ترجمته في وفيات سنة ٦٢٦هـ .

(١١) الملك الفائز ترجمته في وفيات سنة ٦١٧هـ .

الفرنج فاغتنمَ غيبتهم سامة[١] الجبلي أحد أكابر الأمراء[٢] ، وكانت بيده قلعة عجلون وكوكب فسار مسرعاً إلى الشام[٣] ليسلّم البلدين ، فأرسل العادل في إثره ولده المعظم [صاحب الشام] فسبقه إلى القدس الشريف[٤] وحمل عليه فرسم عليه في كنيسة صهيون ، وكان شيخاً كبيراً قد أصابه النقرس ، فشرع يرده إلى الطاعة بالملاطفة فلم ينفع فيه فاستولى على حواصله وأملاكه وأمواله وأرسله إلى قلعة[٥] الكرك فاعتقله بها ، وكان قيمة ما أخذ[٦] منه قريباً من ألف ألف دينار ، من ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة ، وداره هي التي جعلها البادرائي مدرسة للشافعية ، وخرب حصن كوكب ، ونقلت حواصله إلى حصن الطور الذي استجده العادل وولده المعظم .

وفيها عزل الوزير [صفي الدين] ابن شكر[٧] ، واحتيط على أمواله ، ونُفي إلى الشرق ، وهو الذي كان قد كتب إلى الديار المصرية بنفي الحافظ عبد الغني[٨] إلى المغرب ، فتوفي الحافظ قبل أن يصل كتابه[٩] ، وكتب الله عز وجل بنفي الوزير إلى الشرق[١٠] .

ولما استولى صاحب[١١] قبرص [لعنه الله] على مدينة أنطاكية حصل[١٢] بسببه شرٌّ عظيمٌ وتمكّن من الغارات على بلاد المسلمين ، لا سيَّما على التراكمين[١٣] الذين حول أنطاكية ، قَتل منهم خلقاً كثيراً (وغنم من أغنامهم شيئاً كثيراً) ، فقدَّر الله عز وجل أن أمكنهم منه في بعض الأودية فقتلوه وطافوا برأسه في تلك البلاد ، ثم أرسلوا رأسه إلى الملك العادل إلى مصر فطيف به هنالك ، وهو الذي أغار[١٤]

---

(١) وقع في بعض الكتب المطبوعة « أسامة » وهو تحريف ظاهر ، وما هنا من ط والأصلين وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ٢٥) ، قال : « قال أبو شامة : فيها نكبة سامة الجبلي صاحب دار سامة التي صيّرت مدرسة الباذرائية . . قال أبو المظفر سبط الجوزي . . وكان سامة بالقاهرة قد استوحش منهم » وتفاصيل الخبر في مرآة الزمان (٨/ ٥٦٠ ـ ٥٦١) وكان السبط مع المعظم (بشار) .

(٢) ب : أكابر العلماء .

(٣) ط : دمشق ليستلم .

(٤) عن أ وحدها .

(٥) أ ، ب : وأرسله فاعتقله بقلعة .

(٦) ط : أخذه .

(٧) ترجمة ـ ابن شكر ـ سترد في وفيات سنة ٦٢٢ .

(٨) ط : عبد الغني منها بعد نفيه من الشام فكتب بنفي .

(٩) ط : فتوفي الحافظ عبد الغني رحمه الله قبل أن يصل الكتاب .

(١٠) أ ، ب : بنفيه إلى الشرق ، وبعدها في ط : محل الزلازل والفتن والشر ، ونفاه عن الأرض المقدسة جزاءً وفاقاً .

(١١) في ذيل الروضتين : البال القبرسي .

(١٢) أ ، ب : فحصل .

(١٣) يقصد التركمان ، انظر ذيل الروضتين (٨١) .

(١٤) أ ، ب : ثم أرسلوه إلى الملك العادل إلى الديار المصرية فطيف به هنالك وهو الذي كان أغار .

على بلاد مصر من ثغر دمياط مرتين ، فقتل وسبى [وعجز عنه الملوك][١] .

وفي ربيع الأول منها توفي :

الملكُ الأوحدُ نجمُ الدّين أيوبُ[٢] ابن العادل ، صاحب خلاط ، يقال : إنه كان قد سفك الدماءَ وأساءَ السيرة [إلى أهلها] فقصف الله عمره ، ووليها بعده أخوه الملكُ الأشرفُ[٣] موسى [بن العادل] ، وكان محمودَ السيرةِ جيّدَ السريرةِ ، فأحسن إلى أهلها ، فأحبُّوه كثيراً .

وفيها توفي[٤] :

فقيه الحرم الشريف بمكة[٥] محمد بن إسماعيل بن أبي الصَّيف اليمني رحمه الله .

وأبو إسحاق إبراهيم[٦] بن محمد بن أبي بكر القَفْصي المقرئ المحدث ، كتب كثيراً وسمع الكثير ودفن بمقابر الصوفية ، [رحمه الله] .

وأبو[٧] الفتح محمد بن سعد بن محمد الدِّيباجي[٨] من أهل مَرْوَ ، له كتابُ « المُحَصَّل في شرح المُفَصَّل » للزَّمَخْشَري في النحو وكان ثقةً عالماً ، سمع الحديث ، وتوفي في هذه السنة[٩] عن ثنتين وتسعين سنة .

الشيخ الصالح الزاهد العابد[١٠] أبو الثناء[١١] محمود بن عثمان بن مكارم النَّعَّال الحنبلي .

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) ترجمة ـ الملك الأوحد ـ في ذيل الروضتين (٨١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٢١٢) والعبر (٥/ ٣١) وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٣١) وشذرات الذهب (٧/ ٦٩) وترويح القلوب (٦٠) .

(٣) سترد ترجمة الملك الأشرف سنة ٦٣٥ .

(٤) ط : وفيها توفي من الأعيان .

(٥) ترجمة ـ ابن أبي الصيف ـ في الكامل في التاريخ لابن الأثير (٩/ ٣٠٧) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٦٤) وطبقات السبكي (٥/ ١٩) وطبقات الخواص (١٤١) .

(٦) ترجمة ـ القفصي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٦١) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٤٧) وذيل الروضتين (١٨٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٢١٠) .

(٧) ط : أب ، بلا واو .

(٨) ترجمة ـ الديباجي ـ في تاريخ ابن الدبيثي (١/ ٢٧٩) وإنباه الرواة (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٤١) وذيل الروضتين (٨٠) والمختصر المحتاج إليه (١/ ٥١) والوافي بالوفيات (٣/ ٨٩) وبغية الوعاة (١/ ١١١) .

(٩) ط : وتوفي فيها عن .

(١٠) ترجمة ـ النعال ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٦٢) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٤٠) وذيل الروضتين (٨٢) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٦٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٠٧) والقلائد الجوهرية (١١٨) وشذرات الذهب (٧/ ٧٠) .

(١١) ط : « أبو البقاء » وهو تحريف ، وما هنا يعضده ما في مرآة الزمان وذيل الروضتين وذيل ابن رجب . وكنّاه =

كان له عباداتٌ ومجاهداتٌ وسياحاتٌ ، وبنى رباطاً بباب الأَزج يأوي إليه أهل العلم من المقادسة وغيرهم ، وكان يؤثرهم ويحسن إليهم ، وقد سمع الحديث وقرأ القرآن ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وكانت (وفاته) في هذه السنة[١] وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة عشر وستمئة

فيها أمر العادل[٢] أيام الجمع بوضع سلاسل على أفواه[٣] الطرق إلى الجامع لئلا تصل الخيول إلى قريب الجامع صيانة للمسلمين عن التأذّي بهم والتضييق عليهم[٤] .

وفيها ولد الملك العزيز للظاهر غازي[٥] صاحب حلب ، وهو والد الملك الناصر[٦] صاحب دمشق واقف الناصريتين داخل دمشق ، إحداهما داخل باب الفراديس ، والأخرى بالسفح ذات الحائط الهائل والعمارة المتينة ، التي قيل إنه لا يوجد مثلها إلا قليلاً ، وهو الذي أسره التتار الذين مع هلاكو ملك التتار[٧] .

وفيها : قدم بالفيل من الديار المصرية[٨] ليُحمل[٩] هديةً إلى (صاحب) الكرج فتعجب أهل دمشق منه جداً ، ومن بديع خلقته[١٠] .

وفيها : قدم الملك الظافر[١١] خضر بن السلطان صلاح الدين من حلب قاصداً الحج ، فتلقاه الناس وأكرمه ابن عمه المعظم[١٢] [صاحب دمشق] ، فلما لم يبق بينه وبين مكة إلا مراحل يسيرة تلقته حاشية الكامل[١٣]

= المنذري : أبا الشكر . (بشار) .

(١) في ط : توفي .

(٢) سترد ترجمة الملك العادل سنة ٦١٥هـ .

(٣) أ ، ب : أبواب الطريق ، وفي ذيل الروضتين : أفواه السكك .

(٤) ط : عن الأذى بهم ولئلا يضيقوا على المارين إلى الصلاة .

(٥) سترد ترجمة ـ الملك الظاهر ـ في وفيات ٦١٣هـ .

(٦) سترد ترجمة الملك الناصر سنة ٦٥٩هـ .

(٧) أ ، ب : واقف الناصريتين الذي أسره هلاوون ملك التتار . والباقي عن ط وحدها . وترجمة المدرستين في مختصر تنبيه الطالب ، ومنادمة الأطلال .

(٨) ط : من مصر .

(٩) في ط : « فحمل » وما أثبتناه أحسن ، وينظر تاريخ الإسلام (١٣/ ٢٧) .

(١٠) ط : وفيها قدم بالفيل من مصر فحمل هدية إلى صاحب الكرج فتعجب الناس منه جداً ومن بديع خلقه .

(١١) ب : الملك الظاهر . تحريف ، وترجمة الظافر سنة ٦٢٧هـ . ترويح القلوب (٩٤) .

(١٢) الملك الظافر سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٢٧هـ .

(١٣) الملك الكامل سترد ترجمته في سنة ٦٣٥هـ .

صاحب مصر وصدّوه عن الدخول إلى مكة[١] ، وقالوا إنما جئت لأخذ اليمن ، فقال لهم : قَيِّدوني وذَروني أقضي المناسكَ ، فقالوا : ليس معنا مرسومٌ وإنما أُمرنا بردِّكَ وصدِّكَ ، فهمَّ طائفةٌ من الناس بقتالهم فخاف من وقوع فتنة فتحلَّل من حَجِّه ورجعَ إلى الشام ، وتأسف الناسُ على ما فُعل به وتباكَوا لمَّا ودَّعَهم ، تَقَبَّلَ اللهُ منه .

وفيها : وصل كتابٌ من بعضِ فقهاءِ الحنفيَّةِ بخراسانَ إلى الشيخ تاج الدين الكِنْدِي[٢] يخبر به أن السلطانَ خوارزم شاه محمد بن تكش تنكَّر في ثلاثةِ نفرٍ من أصحابه ، ودخل بلادَ التَّتَر ليكشفَ أخبارَهم بنفسه ، فأنكروهم فقبضوا عليهم فضَربوا منهم[٣] اثنين حتى ماتا ولم يُقِرّا بما جاؤوا إليه[٤] واستَوْثَقوا من الملك وصاحبه الآخر إساراً[٥] ، فلما كان في بعض الليالي هربا [فسلما] ، ورجع السلطان إلى معسكره فعاد إلى مملكته . قلت : وهذه المكاتبة غير ما تقدم من أسره[٦] في المعركة مع [ابن] مسعود الأمير ، [والله أعلم] .

وفيها : ظهرتْ بلاطة وهم يحفرون في خندق حلب فوُجد تحتها من الذهب خمسةٌ وسبعون رَطلاً ، ومن الفضة خمسةٌ وعشرون بالرَّطل الحلبي .

وفيها توفي :

شيخُ الحنفيَّة[٧] ومدرسُ مشهدِ أبي حنيفةَ ببغداد ، الشيخُ أبو الفضل أحمدُ بن مسعود بن علي التُّرْكسْتاني[٨] ، وكان إليه المظالمُ ، ودُفنَ بالمشهد المذكور .

والشيخُ أبو محمد[٩] إسماعيل[١٠] بن علي بن الحسين ، فخر الدين الحنبلي ، ويُعرف[١١] بابن المَاشِطَة ، ويُقال له : الفخرُ غُلام ابن المَنِّي .

---

(١) ط : عن دخول مكة .
(٢) ط : تاج الدين أبو اليمن الكندي . وفيها خطأ نحوي ، وسترد ترجمته في وفيات ٦١٣هـ .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : جاؤا فيه .
(٥) ط : أسراً .
(٦) ط : رجع السلطان على ملكه وهذه المرة غير نوبة أسره .
(٧) ترجمة التركستاني في الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٠٧) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٧٤) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٢٣٢) والمختصر المحتاج إليه (١/ ٢١٧) والطبقات السنية (٢/ ١٠٦) وشذرات الذهب (٧/ ٧٦) .
(٨) ط : الرساني ، وب : الرستاني ، وأ : الرسياني . وكلها تحريف صححته من مصادر الترجمة .
(٩) ترجمة ـ ابن المني ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٦٥) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٧٢) وذيل الروضتين (٨٢ ـ ٨٥) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٢٣٣) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٨) والمختصر المحتاج إليه (١/ ٢٤٤) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٦٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢١٠) وشذرات الذهب (٧/ ٧٦) .
(١٠) ط : أبو الفضل بن إسماعيل . وفيها خطآن فلم يكنّه أحد بأبي الفضل ، وفيه زيادة لفظة (بن) وهي في أ ، ب .
(١١) ط : يعرف . بلا واو .

له تعليقةٌ في الخلاف و[كانت] له حلقةٌ بجامع الخليفة[١] ، وكان يلي النظرَ في قرايا للخليفة[٢] ، ثم عزله فلزم بيته فقيراً لاشيءَ له إلى أن مات رحمه الله ، وكان ولده محمد مدبراً شيطاناً مريداً كثيرَ الهجاء والسعاية بالناس إلى أولياءِ الأمر بالباطل ، فقُطع لسانُه وحُبس إلى أن مات .

والوزير مُعِزّ الدِّين[٣] أبو المعالي[٤] ، سعيد بن علي بن أحمد بن حَديدة .

من سُلالة الصَّحابي قُطْبَةَ بن عامر بن حَديدة الأَنصاري[٥] ، ولي الوزارةَ للناصر[٦] في سنة أربعٍ وثمانين ، ثم عزله عن سعاية ابن مهدي[٧] فهرب إلى مراغَة[٨] ، ثم عاد بعد موت[٩] ابن مهدي فأقام ببغداد مُعَظَّماً محترماً ، وكان كثيرَ الصدقات والإحسان إلى الناس إلى أن مات رحمه الله .

وسنجر بن عبد الله النَّاصِري[١٠] ، الخليفتي .

كانت له أموالٌ كثيرةٌ وأملاكٌ وإقطاعاتٌ مُتَّسعة ، وكان مع ذلك بخيلاً ذليلاً ساقطَ النفسِ ، اتفق أنه خرج أميرُ الحاج في سنة تسع وثمانين وخمسمئة ، فاعترضه بعض الأعراب[١١] في نفرٍ يسيرٍ ، ومع سنجر[١٢] خمسمئة فارس ، فدخله الذلّ من الأعرابي[١٣] ، فطلب منه الأعرابيُّ خمسين ألف دينار فجباها سنجر من الحجيجِ ودفعها إليه ، فلما عاد إلى بغداد أخذ الخليفةُ منه خمسين ألف دينار ودفعها إلى أصحابها وعزله وولّى طاشتكين مكانه .

وقاضي السَّلاميَّة[١٤] ، ظَهير الدّين ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن نَصْر بن عَسْكَر ، الفقيه الشافعيّ الأديب .

---

(١) هو المعروف بجامع القصر ، منه بقية إلى اليوم في شارع الخلفاء ببغداد (بشار) .
(٢) ط : قرابا الخليفة .
(٣) ترجمة ـ ابن حديدة ـ في الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٠٧) ومرآة الزمان (٨/ ٥٦٧) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) وذيل الروضتين (٨٥) والمختصر المحتاج إليه (٢/ ٩١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٢٣٨) .
(٤) في الكامل لابن الأثير : أبو المعاني سعد بن علي المعروف بابن حديد .
(٥) الاستيعاب (٣/ ١٢٨٢) .
(٦) سترد ترجمة الناصر في وفيات ٦٢٢هـ .
(٧) ابن مهدي هو ناصر بن مهدي بن حمزة العلوي المازندراني الرازي نصير الدين أبو الحسن وزير الملك الناصر لدين الله توفي سنة ٦١٧هـ . الفخري لابن الطقطقي (٢٦٢ ـ ٢٦٣) والأعلام (٨/ ٣١٣) .
(٨) مراغة تقدم الحديث عنها .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ترجمة ـ سنجر الناصري ـ في ذيل الروضتين (٨٥ ـ ٨٦) .
(١١) في ذيل الروضتين : يقال له دهمش .
(١٢) أ : وكان مع سنجر .
(١٣) أ ، ب : فدلّ على الأعرابي . وعبارة أبي شامة : فلم يلقه وذلَّه .
(١٤) ترجمة ـ قاضي السلامية ـ في وفيات الأعيان (١/ ٣٧) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٢٣٣) والسَّلاَّمية : بفتح السين =

ذكره العمادُ في « الخريدة »[(١)] وابنُ خلِّكان في « الوفيات »[(٢)] ، وأثنى عليه وأَنشَدَ من شعره ، في شيخٍ له زاوية ، وفي أصحابه يقال له مكي : [من المتقارب][(٣)]

ألا قُلْ لمكي قولَ النَّصيحِ[(٤)] فحَقُّ النصيحةِ أن تُسْتَمَعْ
مَتى سَمِعَ النَّاسُ في دِينهم بأَنَّ[(٥)] الغِنا سُنَّةٌ تُتَّبَعْ ؟
وأنْ يأكُلَ المَرْءُ أَكْلَ البَعيرِ ويَرْقُصَ في الجَمْعِ حَتَّى يَقَعْ
وَلَوْ كَانَ طَاوِي الحَشَا جَائِعاً لما دَارَ من طَرَبٍ واسْتَمَعْ
وقالوا : سَكِرْنا بحبِّ الإلهِ وما أَسكَرَ القومَ إلا القِصَعْ
كذاكَ الحميرُ إذا أَخْصَبَتْ يُهَيِّجُهَا[(٦)] رِيُّها والشِّبَعْ
تراهُمْ يهزُّوا لِحَاهُمْ إذا ترنَّمَ حاديهمُ بالبِدعْ[(٧)]
فيصرُخُ هذا وهذا يئن ويا سينُ لو تُليت[(٨)] ما انصدعْ

وتاجُ الأُمناء[(٩)] أبو الفضل ، أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر .

من بيت الحديث والرواية ، وهو أكبرُ من أخويه[(١٠)] زين الأمناء[(١١)] والفخر عبد الرحمن[(١٢)] ، سمع

= المهملة ، وتشديد اللام ، وبعد الميم ياء مثناة من تحتها ثم هاء : وهي بليدة بنواحي الموصل على شرقي دجلتها بينهما ثماني فراسخ للمنحدر إلى بغداد مشرفة على شاطىء دجلة . وقال ابن خلكان : وقد خربت السلامية القديمة التي كان الظهير قاضيها ، وأنشئت بالقرب منها بليدة أخرى وسمَّوها السلامية أيضاً . معجم البلدان (٣/ ٢٣٤) ووفيات الأعيان (١/ ٣٧) .

(١) ط : الجريدة .

(٢) في وفيات الأعيان (١/ ٣٧) .

(٣) الأبيات الستة الأولى في وفيات الأعيان (١/ ٣٨) بالمقدمة التالية : وكان بالبوازيج ـ وهي بليدة بالقرب من السلامية ـ زاوية لجماعة من الفقراء اسم شيخهم مكي ، فعمل فيهم :

(٤) أ ، ب والوفيات : النصوح . وفي القاموس : نصح : نصحَهُ وله ـ كمنعه ـ نُصْحاً ونَصاحة ونصاحية ، وهو ناصح ونَصيح ج نُصَّح ونصّاح . والتوبة النصوح : الصادقة .

(٥) أ ، ب : (أنَّ) .

(٦) في الوفيات : ينقزها .

(٧) ليس هذا البيت ولا الذي يليه في وفيات الأعيان .

(٨) ط : ويبس لو تلّين ، ولا يستقيم بها المعنى ولا الوزن .

(٩) ترجمة ـ تاج الأمناء ابن عساكر ـ في التكملة لوفيات النقلة (٢/ ٣٠٤) وذيل الروضتين (٨٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٢٣٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٦) والعبر (٥/ ٣٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢١٠) وشذرات الذهب (٧/ ٧٥).

(١٠) ط : إخوته زين الفخر والأمناء .

(١١) ستردُ ترجمة زين الأمناء في وفيات ٦٢٧هـ .

(١٢) ستردُ ترجمة ـ الفخر ابن عساكر ـ في وفيات سنة ٦٢٠هـ .

عَمَّيْه الحافظ أبي القاسم(١) والصائن(٢) ، وكان صديقاً [للشيخ تاج الدين] الكِنْدي وكانت وفاته(٣) يوم الأحد ثاني رجب ودفن قبلي محراب مسجد القدم ، [رحمه الله] .

وتاج العُلى النسابة الرَّملي(٤) الحَسَني(٥) .

اجتمع بآمد [بالشيخ أبي الخطاب] بن دحية(٦) ، وكان ينسب إلى دحية الكلبي ، [فقال له : إنَّ] دحية(٧) لم يُعْقِب ، فرماه ابن دحية بالكذب في مسائله الموصلية .

قال ابن الأثير(٨) [في الكامل] : وفي المحرم منها توفي :

المُهَذَّب(٩) الطبيب المشهور ، وهو علي بن أحمد بن هَبَل(١٠) الموصلي ، سمع الحديث وكان أعلمَ أهلِ زمانه بالطب ، وله فيه تصنيفٌ حسن(١١) ، وكان كثيرَ الصدقة حسنَ الأخلاق .

الجُزُولي(١٢) صاحب(١٣) المقدمة المسماة « بالقانون » وهو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز

---

(١) الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق في وفيات سنة ٥٧١هـ في الجزء السابق .

(٢) الصائن ابن عساكر في وفيات سنة ٥٦٣هـ .

(٣) ط : توفي يوم الأحد .

(٤) ط : والنسابة الكلبي كان يقال له تاج العلى .

(٥) ط : « الكلبي الحسيني » وهو تحريف قبيح ، إذ كيف يجتمع « الكلبي » مع « الحسيني » ؟! فلفظة « الكلبي » صوابها « الرملي » ، و« الحسيني » صوابها : « الحسني » كما بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ٢٣٥) ، قال : « تاج العلى ، الشريف النسابة الحسني الرملي الرافضي الذي كان بآمد . . واسم تاج العلى : الأشرف بن الأعز بن هاشم العلوي الحسني » . ثم نقل ترجمة مطولة له من تاريخ ابن أبي طي الشيعي المعروف الذي وصفه بشيخنا العلامة الحافظ النسابة الواعظ الشاعر . وقال الذهبي في آخر ترجمته : « ما كان هذا إلا وقحاً جريئاً على الكذب » .

(٦) سترد ترجمة ابن دحية الكلبي سنة ٦٣٣هـ .

(٧) ط : دحية الكلبي .

(٨) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٠٧) بخلاف في الرواية .

(٩) ترجمة ـ المهذب ابن هبل ـ في الكامل في التاريخ (٩/ ٣٠٧) وتاريخ الحكماء (١٥٩) وإنباه الرواة (٢/ ٢٣١) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٢٦٦) ومختصر ابن العبري (٤٢٠) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٢٤٣) والعبر (٥/ ٣٦) ونكت الهميان (٢٠٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٠٩) والدارس (٢/ ١٣٠) وشذرات الذهب (٧/ ٧٩) .

(١٠) في الأصول : بن مقبل ؛ وهو تحريف . وأثبتنا ما في مصادره وقد قيّده الصفدي بفتح الهاء والباء ثانية الحروف وبعدها لام .

(١١) قال بشار : هو كتاب « المختار في الطب » طبع بحيدر أباد في أربع مجلدات ١٣٦٢ ـ ١٣٦٤هـ ، ومنه نسخة نفيسة في مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد كتبت سنة ٦١٠هـ .

(١٢) قيّده ابن خلكان بضم الجيم والزاي وسكون الواو بعدها لام : هذه النسبة إلى جُزولة ، ويقال له كزولة ـ بالكاف ـ وهي بطن من البربر .

(١٣) ترجمة ـ الجزولي ـ في إنباه الرواة (٢/ ٣٧٨) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٨٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ١٧٠) والعبر =

الجُزُولي ـ بطن من البربر ـ ثم اليَزْدَكْتَني[١] النَّحْوي المَغْرِبي .

مصنف المقدمة المشهورة البديعة ، شرحها[٢] هو وتلامذته ، وكلهم يعترفون بتقصيرهم عن فَهْم مرادِه في أماكنَ كثيرةٍ منها . قدم مصر[٣] وأخذ عن ابن بري ، ثم عاد إلى بلاده وولي خطابة مراكش ، وكانت وفاته[٤] في هذه السنة وقيل قبلها فالله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستمئة

فيها : أرسل الملكُ خوارزم شاه أميراً من أخصّاء أمرائه عنده[٥] ، وكان قبل ذلك سيرواناً[٦] فصار أميراً خاصاً ، فبعثه في جيشٍ ففتح له كَرْمان[٧] ومكران[٨] وإلى حدود بلاد السند ، وخُطب لخوارزم شاه بتلك النواحي[٩] ، وكان خوارزم شاه لا يُصيِّفُ إلا بنواحي سمرقند خوفاً من التتار أصحاب كشلي خان أن يتوثبوا على أطراف بلاده[١٠] التي تتاخمهم .

قال أبو شامة[١١] : وفيها شُرع في تبليط داخل الجامع (الأموي) وبدؤوا من ناحية السبع الكبير ، وكانت[١٢] أرض الجامع قبل ذلك حُفَراً وجُوَراً ، فاستراح الناس بتبليطه[١٣] .

= (٥/ ٢٤) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٩٧) وبغية الوعاة (٢/ ٢٣٦) وشذرات الذهب (٧/ ٤٩ ـ ٥٠) ووفاته سنة ٦٠٧هـ .

(١) قيّدها ابن خلكان بفتح الياء المثناة من تحتها ، وسكون الزاي ، وفتح الدال المهملة ، وسكون الكاف ، وفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعدها نون ، هذه النسبة إلى فخذ من جُزولة .

(٢) ب : وقد شرطها .

(٣) أ ، ب : الديار المصرية .

(٤) ط : توفي .

(٥) ب : عنه . وقد ذكر ابن الأثير (٩/ ٣٠٨) أنه كان من أمراء أبيه أمير اسمه أبو بكر ولقبه تاج .

(٦) ط : سيروانياً . قال ابن الأثير : وكان في ابتداء أمره جمّالاً يكري الجمال في الأسفار ثم جاءته السعادة فاتصل بخوارزم شاه وصار سيروان جماله فرأى منه جلداً وأمانة فقدمه إلى أن صار من أعيان أمراء عسكره فولاه مدينة زوزن ، وكان عاقلاً ذا رأي وحزم وشجاعة فتقدم عند خوارزمشاه تقدماً كثيراً فوثق به أكثر من جميع أمراء دولته .

(٧) كرمان : بالفتح ، ثم السكون ، وآخره نون ، وربما كسرت ، والفتح أشهر . معجم البلدان (٤/ ٤٥٤) .

(٨) أ : نكران ؛ وهو تحريف . ومكران : بالضم ، ثم السكون ، وراء ، وآخره نون أعجمية معجم البلدان (٥/ ١٧٩) .

(٩) ط : وخطب له بتلك البلاد .

(١٠) ط : أن يثبوا على أطراف تلك البلاد .

(١١) ذيل الروضتين (٨٦) بخلاف في الرواية .

(١٢) أ ، ب : بدأ بناحية السبع الكبير وكان .

(١٣) ط : في تبليطه .

وفيها : وسع الخندق (مما يلي القيمازية فأخربت دور كثيرة وحمام قايماز وفرن كان هناك وقفاً على دار الحديث النورية[١]) .

وفيها[٢] : بنى المُعَظَّم[٣] الفندقَ المنسوبَ إليه بناحية قبر عاتكة ظاهر باب الجابية .

وفيها : أخذ المُعَظَّم قلعةَ صرخد من ابن قراجا[٤] وعوَّضَه عنها وسلَّمها إلى مملوكه عز الدين أيبك[٥] المُعظَّمي ، فثبتت في يده إلى أن انتزعها منه نجمُ الدين أيّوب سنة أربع وأربعين .

وفيها : حجَّ الملك المُعظَّم ابن العادل . ركب من الكرك على الهجن في حادي عشر ذي القعدة ومعه ابن موسك ومملوكه أيبك[٦] عز الدين أستاذ داره[٧] وخلق ، فسار على طريق تبوك والعلا . وبنى[٨] البركة المنسوبة إليه ، ومصانع أُخر . فلما قدم المدينة النبوية تلقاه صاحبها سالم[٩] وسلَّم إليه مفاتيحها وخدمه خدمة تامة ، وأما صاحب مكة قتادة[١٠] فلم يرفع به رأساً ، ولهذا لما قضى نسكه ، وكان قارناً ، وأنفق في المجاورين ما حمله إليهم من الصدقات وكرّ راجعاً استصحب معه سالماً صاحب المدينة وشكا[١١] إلى أبيه عند رأس الماء ما لقيه من صاحب مكة ، فأرسل العادلُ ، مع سالم جيشاً يطردون صاحبَ مكة ، فلما انتهوا إليها هرب منهم في الأودية والجبال والبراري ، وقد أثر المعظم في حجته هذه (آثاراً حسنة) بطريق الحجاز أثابه الله[١٢] .

وفيها : تعامل أهل دمشق بالقراطيس السود العادلية ثم بطلت بعد ذلك وفنيت[١٣] .

---

(١) مكان القوسين في ب : وغير ذلك .
(٢) ذيل الروضتين (٨٧) .
(٣) الملك المعظم ترجمته في وفيات سنة ٦٢٦هـ .
(٤) سترد حادثة قتل ـ ابن قراجا ـ في سنة ٦٥٨ .
(٥) عز الدين أيبك المعظمي صاحب صرخد . توفي سنة ٦٤٦ . وفيات الأعيان (٣/ ٦٩٤) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١٧٨) .
(٦) ط : ابن موسك ومملوك أبيه عز الدين .
(٧) الأستاذ دار هو الذي يتولّى شؤون مسكن السلطان أو الأمير كلها من المطبخ وغيرها . صبح الأعشى (٤/ ٢٠) .
(٨) أ ، ب : وبنى المعظم .
(٩) سترد أخبار وفاته في السنة القادمة ٦١٢ .
(١٠) أ ، ب : قاسم بن عزيز . ذيل الروضتين (٨٩) وقتادة هو أبو عزيز . تولى إمرة مكة مدة . توفي سنة ٦١٧هـ ، وقيل ٦١٨ . الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٢٥) ومرآة الزمان (٨/ ٦١٧) والتكملة (٣/ ١٧) وذيل الروضتين (١٢٣) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٥٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٤٩ ـ ٥٠) وشذرات الذهب (٧/ ١٣٥) .
(١١) ط : تشكّى .
(١٢) أ ، ب : بطريق الحجاز آثاراً حسنة أثابه الله تعالىٰ وتقبل منه آمين .
(١٣) ط : في القراطيس السود العادلية ثم بطلت بعد ذلك ودفنت .

وفيها : مات صاحب اليمن ابن سيف الإسلام فتولاها[١] سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب باتفاق الأمراء عليه ، فأرسل العادل إلى ابنه[٢] الكامل أن يرسل إليها ولده أخسيس[٣] ، فأرسله فتملكها فظلم بها وفتك (وغشم) ، وقتل من الأشراف نحواً من ثمانمئة ، وأما ممن[٤] عداهم فكثيرٌ ، وكان من أفجر الملوك وأكثرهم فسقاً وأقلِّهم حياءً[٥] ، وقد ذُكر[٦] عنه ما تقشعرُّ منه الأبدانُ وتنكره القلوبُ ، نسأل الله العافيةَ .

ومِمن توفي فيها :

إبراهيم بن علي[٧] بن محمد بن بكروس الفقيه الحنبلي ، أفتى وناظر وعُدِّل عند الحُكَّام ، ثم انسلخ من هذا كله وصار شرطياً بباب النّوبي[٨] يضربُ الناسَ ويُؤذيهم غايةَ الأذى ، ثم بعد ذلك ضُرب إلى أن مات وأُلقي في دجلة[٩] وفرحَ الناسُ بموته ، وقد كان أبوه رجلاً صالحاً .

الركن عبد السلام بن عبد الوهاب[١٠] بن الشيخ عبد القادر .

---

(١) ط : صاحب اليمن وتولاها ، والخبر في ذيل الروضتين (٨٦) وابن سيف الإسلام هو الملك الناصر أيوب بن طغتكين ، حاكم اليمن . توفي مسموماً سنة ٦١١هـ سمَّه أتابكه غازي بن جبريل . ترويح القلوب (٥٨) وزامباور (١/ ١٥٢) .

(٢) ط : ولده .

(٣) أ ، ب : أن يرسل ولده أقسيس ابن الكامل إليها . وهو أخسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر ولقب بالملك المسعود . والعامة يسمّونه أقسيس وغلبت عليه مقالة العامة لأن والده الكامل ما كان يعيش له ولد ، فلما ولد له هذا قال له بعض الأتراك في بلادنا : إذا كان الإنسان لا يعيش له ولد يسمونه أخسيس ، ومعناه باللغة التركية (ما له اسم) فسمّاه بذلك ، فلما كبر ثقل على العامة لفظ (أخسيس) ؛ فسمَّوه أقسيس . توفي سنة ٦٢٦ بمكة ودفن بالمعلى . النجوم الزاهرة (٦/ ٢١٠ ـ ٢١١ و٢٧٢) ووفيات الأعيان (٥/ ٧٨ ـ ٧٩) .

(٤) ط : وأما من عداهم .

(٥) ط : حياءً وديناً .

(٦) ط : ذكروا .

(٧) ترجمة ـ ابن بكروس ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٧٠ ـ ٥٧١) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦) وذيل الروضتين (٨٧ ـ ٨٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣١١) والمختصر المحتاج إليه (١/ ٢٣٣) وذيل ابن رجب (٢/ ٦٩ ـ ٧٠) .

(٨) ط : النوى .

(٩) هكذا قال أبو شامة ، ونقله الذهبي في تاريخ الإسلام ، ولم يصح أنه رمي بدجلة ، فقد ذكر ابن الدبيثي في تاريخه (الورقة ٢٦٣ من مجلد باريس ٥٩٢١) والمنذري في التكملة ، وابن رجب في الذيل (٢/ ٧٠) وغيرهم أنه دفن بمقبرة باب أبرز ، قال ابن رجب : « وقد وجد أبو شامة في ابن بكروس مجالاً للمقال فقال فيه وأطال ، وأظهر بعض ما في نفسه فيه وفي أمثاله » (بشار) .

(١٠) ترجمة ـ الركن الجيلاني ـ في الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٠٨) ومرآة الزمان (٨/ ٥٧١) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٣٠٣) وذيل الروضتين (٨٨) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٢٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣١٥) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٥٥) وفوات الوفيات (١/ ٥٧١) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٧١ ـ ٧٣) وشذرات الذهب (٧/ ٨٣) .

كان أبوه صالحاً وكان هو متَّهماً[١] بالفلسفة ومخاطبة النجوم ، ووجد عنده كتب في ذلك ، وقد ولي عدة ولايات ، (وفيه وفي أمثاله يقال[٢] : نعم الجدود ، ولكن بئس ما نسلوا . رأى[٣] عليه أبوه يوماً ثوباً بخارياً) فقال : سمعنا بالبخاري ومسلم ، وأما بخاريٌّ وكافرٌ فهذا شيء عجيب ، وقد كان مصاحباً لأبي القاسم ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وكان الآخر مدبَّراً فاسقاً ، وكانا يجتمعان على الشراب والمردان قبحهما الله .

أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك[٤] البَزَّاز المعروف بابن الأَخْضَر البغدادي المحدِّث المُكْثر الحافظ المُصَنِّف المحرِّر .

له كتب مفيدة متقنة ، وكان من الصالحين ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً رحمه الله .

الحافظ أبو الحسن علي بن الأنجب[٥] المفضل[٦] اللَّخْمي المَقْدِسي ، ثم الإِسْكَنْدَراني المالكي .

سمع السِّلَفي (وسمع منه)[٧] عبد العظيم[٨] المُنْذري وكان مدرساً للمالكية بالإِسكندرية ، ونائب الحكم بها . ومن شعره قوله : [من الطويل]

أيا نفسُ بالمأثورِ عن خيرِ مرسَلٍ وأصحـابـهِ والتـابعيـنَ تَمَسَّكـي

---

(١) أ ، ب : منهم . وهو مخالف لسياق العربية .
(٢) أ : ويقال لمثله .
(٣) أ : أن رأى .
(٤) ترجمة ـ ابن الأخضر ـ في معجم البلدان (٢/ ١٢١) وكامل ابن الأثير (٩/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) والتكملة للمنذري (٢/ ٣١٧) وذيل الروضتين (٨٨) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٢٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣١٦) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣١) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٧٩ ـ ٨٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢١١) وشذرات الذهب (٧/ ٨٥ ـ ٨٧) .
(٥) ترجمة ـ علي بن الأنجب ـ في التكملة للمنذري (٢/ ٣٠٦) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٢٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٦٦) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٩٠) والعبر (٥/ ٣٨) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢١٢) وحسن المحاضرة (١/ ١٦٥) وشذرات الذهب (٧/ ٨٧) ، وهو صاحب « وفيات النقلة » التي ذيّل عليها المنذري بكتابه « التكملة » .
(٦) ط : الحافظ أبو الحسن علي بن الأنجب بن أبي المكارم المفضل بن أبي الحسن بن علي بن أبي الغيث مفرج بن حاتم بن الحسن بن جعفر بن إبراهيم بن الحسن اللخمي المقدسي .
(٧) في أ ط : « سمع السلفي وعبد العظيم المنذري » ولا يصح البتة ، فالسلفي شيخه ، وعبد العظيم المنذري تلميذه ، وهو أمر معروف ، فأضفنا ما بين الحاصرتين ليستقيم النص ، ولعله سقط من النص شيء أكثر من هذا (بشار) .
(٨) ليست اللفظة في ب ، وهي في أ ط : عبد الرحيم . وهو خطأ ، والصحيح ما أثبتناه عن مصدر المؤلف وفيات الأعيان .

عَسَاكِ إذا بالغتِ في نشرِ دِينهِ بما طابَ من نَشْرٍ[١] له أن تَمَسَّكي
وخافي غداً يوم الحسابِ جهنَّماً إذا لفحت نيرانها أن تمسَّكي

توفي[٢] بالقاهرة في هذه السنة ؛ قاله ابن خلِّكان[٣] .

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وستمئة

فيها شُرع في بناء المدرسة العادلية الكبيرة بدمشق .

وفيها : عزل القاضي ابن الزَّكي[٤] وفوَّض الحكم إلى القاضي جمال الدين بن الحرستاني[٥] ، وهو ابن ثمانين أو تسعين سنة ، فحكم بالعدل وقضى بالحق ، ويقال : إنه كان يحكم (بالمدرسة المجاهدية[٦] قريباً من النورية[٧] عند باب) القواسين[٨] .

وفيها : أبطل العادل ضمان الخمر والقيان جزاه الله خيراً ، فزال بزوال ذلك عن الناس ومنهم شر[٩] كثير .

وفيها : حاصر الأمير قتادة[١٠] أمير مكة المدينة [النبوية] (ومن بها) وقطع نخلاً كثيراً ، فقاتله أهلها فكرَّ خائباً خاسراً حسيراً ، وكان صاحب المدينة بالشام في خدمة العادل فطلب منه النجدة[١١] على أمير مكة [قتادة] ، فأرسل معه جيشاً [كما ذكرنا] فأسرع في الأوبة فمات في أثناء الطريق ، فاجتمع الجيش على ابن أخيه جمَّاز فقصد مكة فالتقاه أميرها بالصفراء فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهرب المكِّيون وغنم منهم جماز[١٢] شيئاً كثيراً ، وهرب قتادة إلى الينبع فساروا إليه فحاصروه بها وضيقوا عليه .

وفيها : أغارت الفرنج على بلاد الإسماعيلية فقتلوا ونهبوا [وسَبَوْا] .

---

(١) ط : من عرف . وما هنا عن أ ، ب ، وهو يوافق ما في وفيات الأعيان مصدر المؤلف .
(٢) أ ، ب : وكانت وفاته .
(٣) وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢) .
(٤) سترد ترجمة لابن الزكي في سنة ٦٦٨ .
(٥) سترد ترجمة ابن الحرستاني في وفيات سنة ٦١٤ .
(٦) تنبيه الطالب (٧١) ، ومنادمة الأطلال (١٤٦) .
(٧) أ : بالمدرسة المجاهدية التي عند القواسين .
(٨) منادمة الأطلال (١٤٦) .
(٩) أ ، ب : فزال عن الناس شر كثير .
(١٠) تقدمت ترجمة قتادة قبل صفحات .
(١١) ط : فطلب من العادل نجدة .
(١٢) أ : قتالاً كبيراً وهزم المكيون وغنم منهم الأمير جماز .

وفيها : أخذ ملك الروم كيكاوس[(١)] مدينة أنطاكية من أيدي الفرنج ثم أخذها منه ابن لاون ملك الأرمن ، ثم [أخذها] منه إبرنس[(٢)] طرابلس .

وفيها : ملك [السلطان] خوارزم شاه محمد بن تكش مدينة غزنة بغير قتال .

وفيها : كانت وفاة ولي العهد أبي الحسن علي بن أمير المؤمنين الناصر[(٣)] لدين الله [الذي كان جعله ولي عهده من بعده وعزل عن ذلك أخاه الكبير] ، ولما توفي حزن الخليفة عليه حزناً عظيماً ، وكذلك الخاصة والعامة لكثرة صدقاته وإحسانه إلى الناس ، حتى قيل إنه لم يبق بيت[(٤)] ببغداد إلا حزنوا عليه ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، وناح أهل البلد عليه ليلاً ونهاراً ، ودفن عند جدته بالقرب من قبر معروف الكرخي ، وكانت وفاته[(٥)] يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة وصلِّي عليه بعد صلاة العصر[(٦)] .

وفي هذا اليوم قدم برأس منكلي[(٧)] الذي كان قد عصى على الخليفة وعلى أستاذه ، فطيف[(٨)] به ولم يتم فرحه ذلك اليوم لتنغيصها بموت ولده ولي العهد فالدنيا[(٩)] لا تسر بقدر ما تضر ، وترك ولدين أحدهما المؤيد أبو عبد الله الحسين ، والموفق أبو الفضل يحيى .

وممن توفي فيها من الأعيان[(١٠)] :

الحافظ عبد القادر الرُّهاوي[(١١)] عبد القادر[(١٢)] بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الحافظ

(١) هو كيكاوس بن كيخسرو بن قليج رسلان السلجوقي التركماني، وهو أخو السلطان كَيْقُباذ . كان جباراً سفاكاً للدماء . مات بالخوانيق سنة عشر وستمئة . مرآة الزمان (٨/ ٥٨٣) وذيل الروضتين (١٠٩) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٣٧).

(٢) ط : إبريس . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٥٠ من هذا الجزء .

(٣) أ ، ب : وفيها كانت وفاة الملك المعظم أبي الحسن علي بن الخليفة الناصر . ذيل الروضتين (٩١) .

(٤) أ ، ب : وإحسان إليهم فلم يبق بيت ببغداد .

(٥) ط : توفي .

(٦) أ ، ب : بعد الصلاة .

(٧) منكلي مملوك السلطان أزبك وصاحب همذان وأصفهان . الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٠٩) وذيل الروضتين (٩١) .

(٨) أ ، ب : وعلى أستاذه إلى بغداد فطيف به فيها .

(٩) ط : ولم يتم فرحه ذلك اليوم لموت ولده وولي عهده والدنيا .

(١٠) ط : وفيها توفي من الأعيان .

(١١) ترجمة ـ الحافظ الرُّهاوي ـ في معجم البلدان (رهاء : ٣/ ١٠٦) وفيه أَنَّ رُهاء مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، بينهما ستة فراسخ . وفي التكملة للمنذري (٢/ ٣٣٢) وذيل الروضتين (٩٠) والمستفاد من تاريخ بغداد (٣٠٧) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٤١) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٧١) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٨٧) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٥١ ـ ٢٥٢) ومرآة الجنان (٤/ ٢٣) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٨٢ ـ ٨٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢١٤) وشذرات الذهب (٧/ ٩٢) .

(١٢) ما : ابن عبد القادر ؛ وهو خطأ .

[الكبير] المُحَدِّث المُخَرِّج المُفيد المُحَرِّر المُتْقن البارع المصنِّف(١) .

كان مولى لبعض المواصلة ، وقيل لبعض الحرَّانيين(٢) ، اشتغل بدار الحديث بالموصل ، ثم انتقل إلى حَرَّان ، وقد رحل إلى بلدان شتى ، وسمع الكثير من المشايخ [شرقاً وغرباً] ، وأقام بحرَّان إلى أن توفي بها [في هذه السنة] ، وكان مولده في سنة ست وثلاثين وخمسمئة ، وكان ديِّناً صالحاً [خَيِّراً] رحمه الله .

الوَجيه الأَعْمى(٣) أبو بكر المُبارك بن المبارك(٤) بن سعيد بن الدَّهَّان النَّحْوي الواسطي الملقب بالوَجيه .

ولد بواسط ، وقدم بغداد ، فاشتغل بعلم العربية [والنحو] ، فأَتْقَنَ ذلك وحفظ شيئاً كثيراً من أشعار العرب ، وسمع الحديث ، وكان حنبلياً فانتقل(٥) إلى مذهب أبي حنيفةَ ، ثم صار شافعياً ، وولي تدريس النحو بالنظامية ، وفيه يقول الشاعر(٦) : [من الطويل]

فمـنْ مبلـغٌ عنّـي الـوجيـهَ رسـالـةً ... وإنْ كانَ لا تجدي(٧) إليهِ الرسائلُ
تمـذهبـتَ للنُّعمـانِ بعـدَ ابـنِ حنبـلٍ ... وذلـك لَمَّـا أَعْـوَزَتْـكَ المـآكـلُ
وما اخْتَرْتَ رأيَ الشافعيّ تَدَيُّناً(٨) ... ولكنَّمـا تَهْـوى الـذي هُـوَ حَـاصِـلُ
وعمـا قليـلٍ أنـتَ لا شـكَّ صـائـرٌ ... إلى مالكٍ فانظرْ إلى ما أنتَ قائلُ

وكان يحفظ شيئاً كثيراً من الحكايات والأمثال والمُلَح ، ويعرف العربيةَ والتركيةَ والعجميةَ والروميةَ

---

(١) أ ، ب : المصنف المفيد .
(٢) في الأصول : الجوابين ؛ وهو تحريف ، والتصحيح عن ذيل الروضتين .
(٣) ترجمة ـ الوجيه الأعمى ـ في معجم الأدباء (١٧/ ٥٨ ـ ٧١) والكامل لابن الأثير (٩/ ٣١١) وإنباه الرواة للقفطي (٣/ ٢٥٤) ومرآة الزمان (٨/ ٥٧٣) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٣٤٢) وذيل الروضتين (٩٠ ـ ٩١) ووفيات الأعيان (٤/ ١٥٢ ـ ١٥٣) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٢٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٥٣) وسير أعلام النبلاء (٢٥/ ٨٦) ونكت الهميان (٢٣٣ ـ ٢٣٤) وطبقات السبكي (٥/ ٢١٤٨) وغاية النهاية (٢/ ٤١) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢١٤) وبغية الوعاة (٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) وشذرات الذهب (٧/ ٩٧) .
(٤) سقط من ط .
(٥) ط : ثم انتقل .
(٦) الشاعر هو محمد بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن زيد التكريتي الأصل أبو البركات يعرف بالمؤيد المتوفى سنة ٥٩٩ . المحمدون من الشعراء ـ بتحقيقي (٥٠) والأبيات روتها أكثر المصادر التي ترجمت له ، وفي المحمدون نموذج لرواياتها المختلفة .
(٧) أ ، ب : ألا مبلغ . . لا يجدي إليه الرسائل .
(٨) ط : وما أخذت برأي الشافعي ديانة .

والحبشيةَ والزنجية[١] ، وكانت له يدٌ طُولى في نظم الشعر . فمن ذلك قوله[٢] : [من الطويل]

ولو وَقَعَتْ[٣] في لُجَّةِ البحرِ قَطْرةٌ من المُزْنِ يوماً ثم شاءَ لمازَها
ولو ملكَ الدُّنيا فأضحى ملوكُها عبيداً له في الشرقِ والغربِ ما زها

وقوله في التجنيس[٤] أيضاً[٥] : [من الطويل]

أطلتَ ملامي في اجتنابي لمعشرٍ طَغامٍ لِئامٍ جُودُهُمْ غَيْرُ مُرْتَجَى
تَرَى بابَهُمْ ـ لا باركَ اللهُ فيهمُ ـ على طالب المعروفِ إنْ جاءَ مُرْتَجَا[٦]
حمَوا مالهم والدِّينُ والعِرضُ منهمُ مباحٌ ، فما يخشونَ مِنْ هجوِ مَنْ هجا[٧]
إذا شرعَ الأجوادُ في الجودِ منهجاً لهم شرعوا في البخلِ سبعينَ منهجا

وله مدائحُ حسنةٌ وأشعارٌ رائقةٌ ومعاني فائقةٌ ، وربما عارضَ شعرَ البحتري بما يقاربه ويدانيه ، قالوا : وكان الوجيه لا يغضب قط ، فتراهن جماعة مع واحد أنه إن أغضبه كان له كذا وكذا[٨] ، فجاء إليه ، فسأله عن مسألة فأجابه فيها ، فقال له السائل : أخطأت أيها الشيخ ، فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى ، فقال : أخطأت أيضاً ، فأعاد ثالثة (بعبارة أخرى) فقال : كذبت وكأنك قد[٩] نسيت النحو ، فقال[١٠] الوجيه فلعلك لم تفهم ما أقول لك ، فقال : بلى ولكنك تخطىء [في الجواب] ، فقال له : فقل أنت ما عندك لنستفيد منك ، فأغلظ له السائل (في القول فتبسم ضاحكاً) وقال له[١١] : إن كنت راهنت فقد غُلبت ، وإنما مثلك [في هذا] كمثل البعوضة ـ يعني الناموسة ـ سقطت على ظهر الفيل ، فلما أرادت الطيران[١٢] قالت له استمسك . فإني أريد[١٣] أن أطير ، فقال لها الفيل : ما أحسست بك حين سقطتِ ، فما أحتاج أن أستمسك إذا طِرتِ . كانت وفاته رحمه الله في شعبان منها ودفن بالوزيرية .

---

(١) في معجم الأدباء : والحبشية والأرمنية .
(٢) الأبيات في معجم الأدباء (١٧/ ٦٠) .
(٣) ط : ولو وقفت . وما هنا عن الأصلين ، وهو يوافق ما في معجم الأدباء .
(٤) ط : وله في التجنيس .
(٥) الأبيات في معجم الأدباء (١٧/ ٦٧) .
(٦) لم يرد هذا البيت في ط . ومرتجاً أي مقفلاً ، والمعنى أنك تجد بابهم مغلقاً دون سائلهم لبخلهم .
(٧) ط : من عاب أو هجا .
(٨) أ : قالوا : وكان لا يغضب قط ، تراهن جماعة مع واحد أن يغضبه فجاء إليه .
(٩) ط : فأعاد الجواب بعبارة أخرى فقال كذبت وما أراك إلا .
(١٠) أ : فقال الوجيه الأعمى .
(١١) أ : فقال له الوجيه .
(١٢) ط : أن تطير .
(١٣) ط : أحب .

أبو محمد عبد العزيز بن معالي[(١)] بن غَنِيمة بن الحسن المعروف[(٢)] بابن مَنِينا .

ولد سنة خمس وعشرين[(٣)] وخمسمئة وسمع الكثير وأسمعه ، وكانت وفاته في ذي الحجة منها عن سبع وتسعين سنة .

الشيخ الفقيه كمال الدين مودود[(٤)] ابن الشاغوري الشافعي .

كان يُقْرِىء بالجامع الأموي الفقهَ وشرح « التنبيه » للطلبة ، ويتأنَّى عليهم حتى يفهموا[(٥)] احتساباً تجاه المقصورة . ودفن بمقابر باب الصغير شمالي قبور الشهداء وعلى قبره شعر ذكره أبو شامة[(٦)] والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمئة

قال أبو شامة[(٧)] : فيها أحضرت الأوتار[(٨)] الخشب الأربعة لأجل قبة النَّسر في الجامع بدمشق وعدتها أربعة[(٩)] ، طول كل واحد منها[(١٠)] اثنان وثلاثون ذراعاً بذراع النجارين[(١١)] .

وفيها : شرع في تحرير[(١٢)] خندق باب السر[(١٣)] المقابل لدار الطعم العتيقة إلى جانب نهر باناس[(١٤)] .

---

(١) ترجمة ـ ابن منينا ـ في التكملة لوفيات النقلة (٢/٣٥٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٤٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢١٥) وشذرات الذهب (١٠/ ٩٢) .

(٢) ط : من أبي المعالي بن غنيمة المعروف .

(٣) في ط : « خمس عشرة » وهو تحريف ، وما هنا من مصادر ترجمته (بشار) .

(٤) ترجمة ـ ابن الشاغوري ـ في ذيل الروضتين (٩٠) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٥٦) .

(٥) أ ، ب : في تفهمهم . وأصل العبارة في الذيل : ويطوِّل روحه على تعليمهم وتفهيمهم لله تعالىٰ .

(٦) أورد أبو شامة الأبيات في (ص٩٠) وهي : [من البسيط]

كم ضمّ قبرك يا مودود من دينٍ ... ومن عفافٍ ومن برٍّ ومن لينِ
ما كنت تقرب سلطاناً لتخدمه ... لكن غنيت بسلطان السلاطينِ
نبكي عليك وعنا أنت في شغل ... بردّ تسليم حور مفرد عينِ
سقى الإله ضريحاً أنت ساكنه ... حتى ترى منبتاً خضر الرياحينِ

(٧) ذيل الروضتين (٩٢) .

(٨) ط : « الأوتاد » وما هنا بخط الذهبي نقلاً من أبي شامة (بشار) .

(٩) ط : لأجل قبة النسر . وفي أ : لأجل نسر الجامع . وفي ب : لأجل نسر قبة الجامع . وما هنا عن الذيل .

(١٠) اللفظة عن الذيل .

(١١) في الأصول : ذراعاً بالنجار . وما هنا عن الذيل .

(١٢) ط : تجديد .

(١٣) أ : باب المنبر ، ب : باب القبر . وما هنا كما في الذيل .

(١٤) ط : « بانياس » ، وما هنا من خط الذهبي ، وهو الصواب (بشار) .

قلت[١] : هي التي يقال لها اليوم اصطبل السلطان .

وقد نقل السلطان بنفسه التراب ومماليكه تحمل بين يديه على قربوس السروج القفاف من التراب فيفرغونها[٢] في الميدان الأخضر ، وكذلك أخوه الصالح [إسماعيل] ومماليكه (يعمل هذا يوماً ، وهذا) يوماً .

وفيها : وقعت فتنة بين أهل الشاغور وأهل العقيبة فاقتتلوا بالرحبة والصيارف ، فركب الجيش إليهم ملبسين ، وجاء المعظم بنفسه فمسك رؤوسهم وحبسهم[٣] .

وفيها : رُتِّب بالمصلَّى خطيبٌ مستقل ، وأول من باشره الصدر[٤] معيد الفلكية[٥] ، ثم خطب به بعد بهاء[٦] الدين بن أبي اليسر[٧] ، ثم بنو حسان وإلى الآن .

وفيها : توفي [من الأعيان][٨] :

[صاحب حلب] الملك الظاهر [أبو منصور][٩] ، غازي بن [السلطان] صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وكان من خيار الملوك وأسدِّهم سيرةً ، (ولكن) كان فيه عسفٌ ، ويعاقِبُ على الذنب اليسير كثيراً[١٠] ، وكان يكرم العلماء والشعراء والفقراء ، أقام في الملك ثلاثين سنة وحضر كثيراً من الغزوات مع أبيه . وكان ذكياً ، له رأي جيد وعبارة سديدة وفطنة حسنة ، بلغ[١١] أربعاً وأربعين سنة ، [ولما حضرته

---

(١) القائل هو ابن كثير رحمه الله ، ولم يرد هذا الاستدراك في ب ، وروايته في أ : قلت هي اصطبل السلطان اليوم فنقل .

(٢) أ : تحمل بين يديه على القربوس القفة من التراب فيفرغها .

(٣) أ ، ب : والصيارف فركب الجيش ملبساً وجاء السلطان المعظم بنفسه فحبس رؤوسهم .

(٤) سترد ترجمة الصدر بن سني الدولة في وفيات سنة ٦٥٨ من هذا الجزء .

(٥) قال بدران في منادمة الأطلال (١٣٧ ـ ١٣٨) : اندرست الآن .

(٦) ط : ثم خطب به بعد بهاء الدين .

(٧) سترد ترجمة بهاء الدين بن أبي اليسر في وفيات ٦٧٢ .

(٨) ما بين الحاصرتين عن ط وحدها .

(٩) ترجمة ـ الملك الظاهر ـ في تاريخ ابن الأثير (٩/ ٣١٢) ومرآة الزمان (٨/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٣٦٨) وذيل الروضتين (٩٤) ووفيات الأعيان (٤/ ٦ ـ ١٠) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٧٧) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٣٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢١٨) وشذرات الذهب (٧/ ١٠٢) .

(١٠) أ وب : على الذنب شديداً .

(١١) أ ، ب : عُمّر .

الوفاة] جعل الملك من بعده لولده العزيز غياث الدين محمد[١] ، وكان حينئذ ابن ثلاث سنين ، وكان[٢] له أولاد كبار ولكنه عهد إلى هذا من بينهم لأنه[٣] كان[٤] من بنت عمه (العادل) وأخواله الأشرف والمعظم والكامل[٥] ، وجده وأخواله لا ينازعونه ، ولو عهد لغيره من أولاده لأخذوا الملك منه ، وهكذا وقع سواء بايع له جده العادل وأخواله[٦] ، وَهَمَّ المعظم بنقض ذلك (وبأخذ الملك منه) فلم يتفق له ذلك ، وقام بتدبير مملكته[٧] الطواشي شهاب الدين طغريل[٨] الرومي الأبيض ، وكان ديناً عاقلاً [عادلاً] .

وممن توفي فيها أيضاً من المشاهير والأعيان[٩]

الشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي، زيد بن الحسن[١٠] بن زيد بن الحسن (بن زيد بن الحسن)[١١] بن سعيد بن عصمة الشيخ الإمام[١٢] وحيد عصره ونسيج وحده تاج الدين أبو اليُمْنِ الكِنْدي .

ولد ببغداد ونشأ بها واشتغل وحصَّل ، ثم قدم دمشق (فأقام بها) وفاق أهل زمانه شرقاً وغرباً في (اللغة) والنحو وغير ذلك من فنون العلم ، وعلوِّ الإسناد وحسن الطريقة والسيرة وصحة[١٣] العقيدة ، وانتفع به علماء عصره[١٤] وأثنوا عليه وخضعوا له . وكان حنبلياً ثم صار حنفياً . وكان مولده في

---

(١) سترد ترجمة الملك العزيز في وفيات سنة ٦٣٤ .
(٢) أ ، ب : وكان وهو ابن ثلاث سنين وقد كان له .
(٣) ط : ولكن ابنه هذا الصغير الذي عهد إليه .
(٤) هذه اللفظة بداية انقطاع في النسخة أ وستعود بعد ورقة واحدة .
(٥) سترد ترجمة العادل في وفيات ٦١٧ ، و(الأشرف) في وفيات ٦٣٥ ، والمعظم في وفيات (٦٢٦) ، والكامل في وفيات (٦٣٥) أيضاً .
(٦) ب : جده العادل وخاله الأشرف صاحب حران والرها وخلاط .
(٧) ط : ملكه .
(٨) ب ، ط : طغر بك . وما هنا عن ابن الأثير وأبي شامة .
(٩) ط : وفيها توفي من الأعيان زيد بن الحسن .
(١٠) ترجمة ـ الكندي ـ في معجم الأدباء (١١/ ١٧١) وإنباه الرواة (٢/ ١٠ ـ ١٤) ومرآة الزمان (٨/ ٥٧٢ ـ ٥٧٧) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٣٨٣) وذيل الروضتين (٩٥ـ٩٩) ووفيات الأعيان (٢/ ٣١٩ ـ ٣٤٢) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٠٤) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٦٤) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٤ ـ ٤١) والمختصر المحتاج إليه (٢/ ٧١ ـ ٧٢) والجواهر المضية (١/ ٢٤٦) ومرآة الجنان (٤/ ٢٥ ـ ٢٧) وغاية النهاية (١/ ٢٩٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢١٦ ـ ٢١٧) وبغية الوعاة (١/ ٥٧٠ ـ ٥٧٧) وشذرات الذهب (٧/ ١٠٠ ـ ١٠١) .
(١١) ما بين الحاصرتين من مصادر ترجمته لا يصح النسب إلا به (بشار) .
(١٢) لفظة لا تتضح في ب .
(١٣) ط : وحسن العقيدة .
(١٤) ط : علماء زمانه .

اليوم[١] الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسمئة ، فقرأ القرآن بالروايات وله[٢] عشر سنين ، وسمع الكثير من الحديث العالي على الشيوخ الثقات ، وعني به وتعلم العربية واللغة واشتهر بذلك ، ثم صار إلى[٣] الشام في سنة ثلاث وستين وخمسمئة ، ثم سكن[٤] مصر واجتمع بالقاضي الفاضل ، ثم انتقل إلى دمشق فسكن بدرب[٥] العجم منها ، وحظي عند الملوك والوزراء والأمراء ، وتردد إليه العلماء [والكبراء] والملوك وأبناؤهم ، كان الأفضل[٦] ابن صلاح الدين وهو صاحب دمشق يتردد إليه إلى منزله ، وكذلك أخوه المحسن[٧] والمعظم ملك دمشق[٨] ، كان ينزل إليه درب العجم يقرأ عليه في المُفَصَّل (للزمخشري) ، وكان المعظم يعطي لمن حفظ « المفصل » ثلاثين ديناراً جائزة ، وكان يحضر مجلسه بدرب العجم جميع المصدَّرين بالجامع ، كالشيخ علم الدين السخاوي[٩] ويحيى بن معطي[١٠] والوجيه اللغوي[١١] ، والفخر التركي[١٢] وغيرهم ، وكان القاضي الفاضل [في أيامه] يثني عليه [كثيراً] . قال السخاوي : كان عنده من العلوم ما لا يوجد عند غيره ، وأخذت عنه كتاب سيبويه ، ومن العجب أن سيبويه كان اسمه عمرو ، واسم [الشيخ أبي اليُمْن][١٣] : زيد . فقلت في ذلك[١٤] : [من الرمل]

---

(١) ط : ولد في .

(٢) ط : وعمره .

(٣) ط : ثم دخل الشام .

(٤) ب : فسكن .

(٥) ط : فسكن بدار العجم . وفي ذيل الروضتين : درب العجمي ، وفي الأعلاق الخطيرة : حمام درب العجم الكبير وحمام درب العجم الصغير ، وقال الدكتور سامي الدهان محققه رحمه الله في الهامش : في حاشية الإربلي : هو داخل جيرون وهو ما يطلق عليه الآن بالنوفرة شرقي باب الجامع الأموي الشرقي .

(٦) سترد ترجمة الملك الأفضل في وفيات سنة ٦٢٢ .

(٧) الملك المحسن ظهير الدين أبو العباس أحمد بن صلاح الدين . توفي سنة ٦٣٣ وقيل ٦٣٤ ترويح القلوب (٩٨ ـ ٩٩) .

(٨) ب : وأخوه المحسن كذلك والمعظم في أيامه على ملك الشام .

(٩) سترد ترجمة السخاوي في وفيات سنة ٦٤٣ .

(١٠) سترد ترجمة ابن معطي في وفيات ٦٢٩ .

(١١) تقدمت وفاة الوجيه اللغوي في وفيات هذه السنة .

(١٢) الفخر التركي هو علي بن بكمش بن يزال البغدادي النحوي ، تلميذ أبي اليمن الكندي له شعر ، وصنّف في العروض تصنيفاً . توفي سنة ٦٢٦ . التكملة لوفيات النقلة (٢٤٨/٣ ـ ٢٤٩) وذيل الروضتين (١٥٧) وبغية الوعاة (١٥١/٢ ـ ١٥٢) .

(١٣) ط : واسمه .

(١٤) البيتان في ذيل الروضتين (٩٥) .

لم يكنْ في عهدِ[١] عمرٍو مثلُه وكذا الكِنْديُّ في آخرِ عصرِ[٢]
فهمـا[٣] زيـدٌ وعمـرو إنَّمـا بُني النحوُ على زيدٍ وعمرِو

قال أبو شامة : وهذا كما قال فيه ابن الدهان المذكور في سنة ثنتين وتسعين وخمسمئة : [من البسيط]

يـا زيـدُ زادَكَ ربّـي مـن مـواهبـه نِعَمـاً يقصِّـر عـن إدراكهـا الأمـلُ
النحـوُ أنـتَ أحـقُّ العـالميـنَ بـه أليسَ باسمك فيه يُضْرَبُ المثلُ

وقد مدحه السخاوي بقصيدة[٤] حسنة ، [وكذلك] أثنى عليه [غير واحدٍ منهم] أبو المظفر سبط ابن الجوزي[٥] ، فقال : قرأت (عليه) وكان حسنَ العقيدة ظريف الخلق لا يسأم الإنسانُ من مجالسته ، وله النوادرُ العجيبةُ والخطُّ المليحُ والشعرُ الرائقُ ، وله ديوان (شعر) كبير ، وكانت وفاته يوم الإثنين سادس شوال من هذه[٦] السنة وله ثلاث وتسعون سنة وشهر وستة[٧] عشر يوماً ، وصلِّي عليه بجامع دمشق ثم حمل إلى الصالحية فدفن بها رحمه الله ، وكان قد وقف كتباً نفيسة[٨] وهي سبعمئة وإحدى وستون مجلداً ، على معتقه نجيب الدين[٩] ياقوت ، [ثم على ولده من بعده] ، ثم على العلماء في الحديث والفقه واللغة وغير ذلك ، وجعلت في خزانة كبيرة في مقصورة ابن سنان[١٠] الحلبية[١١] المجاورة لمشهد علي زين العابدين ، ثم إن هذه الكتب تفرقت وبيع[١٢] كثير منها ولم يبق بالخزانة المشار إليها إلا القليل الرَّث ، وهي بمقصورة الحلبية ، وكانت قديماً يقال لها مقصورة ابن سنان ، وقد ترك [الشيخ تاج الدين رحمه الله] نعمة وافرة وأموالاً جزيلة ، ومماليك متعددة من الترك الحسان ، وقد كان رقيقَ الحاشية حسنَ الأخلاق يعامل الطلبة معاملةً حسنة [من القيام والتعظيم][١٣] ، فلما كبر ترك القيام لهم وأنشأ يقول [اعتذاراً][١٤] : [من الطويل]

---

(١) في ذيل الروضتين : في عصر عمرو .
(٢) البيت الثاني وحده في ذيل الروضتين (٩٦) .
(٣) في ب والذيل : وهما .
(٤) ب : وللسخاوي فيه قصيدة .
(٥) سترد ترجمة ـ سبط ابن الجوزي ـ في وفيات سنة (٦٥٤) .
(٦) في ط : منها . وبهذه اللفظة تعود النسخة أ للانضمام إلى باقي النسخ .
(٧) ط : وسبعة . وهو يوافق ما في ذيل الروضتين .
(٨) ط : وكان قد وقف كتبه ـ وكانت نفيسة ـ .
(٩) سترد ترجمة نجيب الدين ياقوت في وفيات سنة ٦٢٣ .
(١٠) أ ، ب : جعلت في خزانة كثيرة بمقصورة ابن سنان .
(١١) أ : الحنفية . الأعلاق الخطيرة (٨١) والجامع الأموي (٦٩) .
(١٢) أ ، ب : وأبيع .
(١٣) اللفظة عن ط وحدها .
(١٤) البيتان في ذيل الروضتين (٩٨) .

تَـرَكْـتُ قِيـامي للصَّـديـقِ يَـزُورُني ... ولا ذَنْبَ لي إلاَّ الإطالة في عمري
فإنْ بَلَغُوا مِنْ عَشْرِ تِسْعِينَ نصفها ... تَبَيَّـنَ فـي تَـرْكِ القيـامِ لهـم عُـذْرِي

[وقد أسلفنا شيئاً من قبله في قتل عمارة اليمني في الدولة الصلاحية في سنة تسع وتسعين وخمسمئة وهي في غاية القوة والفصاحة والجناس . وقد أورد ابن الساعي في ترجمته من « تاريخه » أشعاراً حسنة ، فمن ذلك قوله يمدح الملك المظفر[١] تقي الدين عمر بن شاهنشاه][٢] : [من الطويل]

وصالُ الغواني كان أروى وأروجا[٣] ... وعصـرُ التـدانـي كـانَ أبهـى وأبهجـا
ليـالـيَ كـانَ العمـرُ أحسـنَ شـافـعٍ ... تـولّـى وكـانَ اللهـوُ أوضـحَ منهجـا
بدا الشيبُ فانجابتْ طماعيةُ الصِّبا ... وقَبَّحَ لي ما كانَ يستحسنُ الحجا
بلهنيـة ولَّـت كـأنْ لـم أكـن بهـا ... أُجلِّـي بهـا وجـهَ[٤] النعيـمِ مسـرَّجـا
ولا اخْتَلْتُ في بُرْدِ الشبابِ مجرّراً ... ذيـولـيَ إعجـابـاً بـهِ وتبـرّجـا
أعـاركُ غيـداءَ المعـاطـفِ طفلـةً ... وأغيـدَ معسـولَ المـراشـفِ أدعجـا
تَقَضَّـتْ ليـاليهـا بطيـبٍ كـأَنَّـهُ ... لتقصيـرِهِ منهـنّ يختطـف[٥] الـدُّجـا
فإن أُمسِ مكروبَ الفؤادِ حزينَه[٦] ... أعـاقـرُ مـن درِّ الصبابـةِ منهجـا[٧]
وحيـداً علـى أنـي بفضلـي متيَّـمٌ[٨] ... مـروعـاً بـأعـداءِ الفضـائـلِ مزعجـا
فيا ربَّ ديني قد[٩] سررتُ وسرَّني ... وأبهجتـهُ بـالصـالحـاتِ وأبهجـا
ويـا ربَّ نـادٍ قـد شهـدتُ ومـاجـدٍ ... شهـدتُ وخصـمٍ رعتُـهُ فتلجلجـا[١٠]
صـدعـتُ بفضلـي نقصـهُ فتـركتـهُ ... وفـي قلبـهِ شجـو وفـي حلقـهِ شجـا
كـأَنَّ ثنـائـي فـي مسـامـعِ حُسَّـدي ... وقـد ضـمَّ أبكـارَ المعـانـي وأدرجـا
حسـامُ تقـي الـديـنِ فـي كـلِّ مـارقٍ ... يقـدُّ إلـى الأرضِ الكَمـيَّ المُـدَجَّجـا

---

(١) تقدمت ترجمة الملك المظفر في وفيات سنة ٥٨٧ .
(٢) ط : ومما مدح فيه الملك المظفر شاهنشاه ما ذكره ابن الساعي في تاريخه .
(٣) ط : أورى وأرجا . ولا يستقيم بهما المعنى ولا الوزن .
(٤) أ ، ب : اجتلى وجه النعيم . ولا يستقيم الوزن بها .
(٥) ط : منها مختطف الدجا .
(٦) أ : خزينة .
(٧) أ : دون الصبابة تنهجا . ب : من دن الصبابة تبهجا .
(٨) ب : أميم .
(٩) أ ، ب : فيا رب من دمي سررت .
(١٠) ط : شهدت دعوته فتلجلجا .

وقال يمدح أخاه معز الدين[١] فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، رحمهم الله : [من الكامل]

هَلْ أنتَ راحمُ عبرةٍ ومدلِّه ومجيرُ صبٍّ عندَ مأمنه وهي
هيهاتَ يرحمُ قاتلٌ مقتولَهُ وسنانُهُ في القلبِ غيرُ منهنهِ
مَنْ بَلَّ مِنْ داءِ الغرامِ فإنني[٢] مذ حلَّ بي مرضُ الهوى لم أنقهِ
إني بُليتُ بحبِّ أغيدَ ساحرٍ بلحاظهِ رخصَ البنانُ بزهوهِ
أبغي شفاءَ تدلّهي من دَلِّهِ[٣] ومتى يرقُّ مدللٌ لمدلهِ
كم آهة /لي/ في هواهُ وأنّة لو كانَ ينفعني عليهِ تأوُّهي
ومآربٌ في وصلهِ لو أنها تُقْضَى لكانت عندَ مبسمهِ الشهي
يا مفرداً بالحسنِ إنكَ منتهٍ فيهِ كما أنا في الصبابةِ منتهي
قد لام فيك معاشرٌ كي أنتهي[٤] باللومِ عن حبِّ الحياةِ وأنتَ هي
أبكي لديهِ فإنْ أحسَّ بلوعةٍ وتشهّق أومى بطرفٍ مقهقهِ
يا مَنْ محاسنهُ وحالي عندهُ حيرانُ بينَ تفكرٍ وتكفُّهِ
ضدانِ قد جُمعا بلفظٍ واحد لي في هواهُ بمعنيينِ موجهِ
أو لست ربَّ فضائلٍ لو حازَ أد ناها وما أزهى بها غيري زهي

والذي أنشده [الشيخ] تاج الدين الكندي[٥] في قتل عمارة اليمني حين كان مالأ الكفرة والملحدين على قتل الملك صلاح الدين ، وأرادوا [عودة][٦] دولة الفاطميين ، فظهر على أمره فصُلب مع مَنْ صُلب (في سنة تسع وتسعين وخمسمئة) : [من الطويل][٧]

عمارةُ في الإسلامِ أبدى جنايةً[٨] وحالفَ[٩] فيها بيعةً وصليبا
وأمسى شريكَ الشركِ في بغض أحمدٍ فأصبح[١٠] في جبِّ الصليبِ صليبا

---

(١) أ : عز الدين .
(٢) ط : مذ بل من ذاك الغرام ، وفي ب : قد بي .
(٣) ط : واله .
(٤) أ ، ب : قد لام منك معاشراً فانتهى .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) أ ، ب : صلاح الدين وعود .
(٧) الأبيات في الروضتين (٢٢٢) .
(٨) ط : خيانة .
(٩) في الروضتين : وبايع .
(١٠) ط : فأمسى . . وأصبح . .

وكان خبيثُ[١] الملتقى إن عجمتهُ ... تجد منهُ عوداً في النفاق صليبا
سيلقى غداً ما كان يسعى لأجله ... ويسقى صديداً في لظى وصليبا[٢]

وله [أيضاً] [من الوافر] :

صحبنا الدهرَ أياماً حساناً ... نعومُ بهن في اللذاتِ عَوما
وكانت بعدَ ما ولَّت كأني ... لدى نقصانها حلماً ونوما
أناخَ بيَ المشيبُ فلا براحٌ ... وإن أوسعته عتباً ولوما
نزيلٌ لا يزالُ على التنائي[٣] ... يسوقُ إلى الردى يوماً فيوما
وكنتُ أعدُّ لي عاماً فعاما ... فصرتُ أعدُّ لي يوماً فيوما[٤]

العز محمد بن الحافظ عبد الغني المقدسي[٥] .

ولد سنة ست وستين وخمسمئة ، وأسمعه والدهُ الكثيرَ ورحل بنفسه إلى بغداد وقرأ بها « مسند أحمد » وكانت له حلقةٌ بجامع دمشق ، وكان من أصحاب المُعَظَّم ، وكان صالحاً ديّناً ورعاً حافظاً رحمه الله ورحم أباه .

أبو الفتوح محمد بن علي بن المبارك[٦] ، **الجَلاجُلي**[٧] **البغدادي** ، سمع الكثير ، وكان

---

(١) ط : طبيب . وأ ـ ب : حبيب . وما هنا عن الروضتين .
(٢) لم يرد هذا البيت في ط . وبعده في الروضتين : قال أبو شامة . قلت : الصليب الأول النصارى ، والثاني بمعنى مصلوب ، والثالث من الصلابة ، والرابع ودك العظام ، وقيل هو الصديد ، أي يُسقى ما يسيل من أهل النار ، نعوذ بالله منها .
(٣) ط : التآني .
(٤) ليس البيت في ب .
(٥) ترجمة ـ العز المقدسي ـ في تكملة المنذري (٢/ ٣٨٥) وذيل الروضتين (٩٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٨٣) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٠١ ـ ١٤٠٢) وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢ ـ ٤٤) والمختصر المحتاج إليه (١/ ٨٢) والوافي بالوفيات (٣/ ٢٦٦) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٩٠ ـ ٩٢) والنجوم الزاهرة (٥/ ٥٦ ـ ٥٧) وشذرات الذهب (٧/ ١٠٤) .
(٦) ترجمة ـ ابن الجلاجلي ـ في تكملة المنذري (٢/ ٣٤٤) وذيل الروضتين (٩٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٥١) والمختصر المحتاج إليه (١/ ١٠٠ ـ ١٠١) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٥٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢١٥) وشذرات الذهب (٧/ ٩٧) . قال بشار : وإنما ذكره المؤلف في وفيات هذه السنة متابعة منه لأبي شامة في ذيل الروضتين ، ولم يصب في ذلك ، فالصحيح في وفاته سنة ٦١٢هـ الماضية كما ذكر ابن الدبيثي في تاريخه (الورقة ٩١) شهيد علي) والمنذري في التكملة (٢/ ٣٤٤) ، قال : وفي الرابع عشر من شهر رمضان توفي الشيخ الأجل أبوالفتوح محمد بن أبي الحسن علي . . ببيت المقدس ودفن هناك . وكذا ذكره الذهبي في كتبه ، وتبعه من نقل منه مثل ابن تغري بردي وابن العماد (بشار) .
(٧) في ط : الخلاخلي وهو تحريف . قال المنذري : وسمع منه شيخنا الحافظ أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي وسمعته يذكر أن جدّه كان حسن الصوت بالقرآن فعرف بالجلاجلي . ولا وجه لما قاله محققو النجوم الزاهرة من أنه منسوب إلى الجلاجل جبل من جبال الدهناء .

يتردد في الرسلية بين الخليفة والملك الأشرف ابن العادل وكان عاقلاً ديّناً ثقة صدوقاً .

الشريف أبو جعفر(١) يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن علي [بن أبي زيد] العلوي الحسيني .

نقيب الطالبيين بالبصرة بعد أبيه ، كان شيخاً أديباً فاضلاً عالماً بفنون كثيرة لاسيما علم الأنساب وأيام العرب وأشعارها ، يحفظ كثيراً منها ، وكان من جلساء الخليفة الناصر ، ومن لطيف شعره قوله : [من الطويل]

ليهنِكَ سمعٌ لا يلائمهُ العذلُ وقلبٌ قريحٌ لا يملُّ ولا يسلو
كأنَّ عليَّ الحب أمسى(٢) فريضةً فليس لقلبي غيرهُ أبداً شغلُ
وإني لأهوى الهجرَ ما كان أصلُه دلالاً ولولا الهجرُ ما عَذُبَ الوصلُ
وأما إذا كان الصدودُ ملالةً فأيسرُ ما همَّ الحبيبُ به القتلُ

أبو علي مَزْيَد بن علي(٣) بن مَزْيد المعروف بابن الخشكري الشاعر المشهور ، من أهل النعمانية(٤) .

جمع لنفسه ديواناً أورد له ابن الساعي قطعة من شعره ، فمن ذلك قوله : [من المتقارب]

(سألتكِ يومَ النوى نظرةً فلم تسمحي فغزالاً سلمْ(٥)
وأعجبُ كيفَ تقولينَ لا ووجهُكِ قد خُطَّ فيهِ نَعَمْ
أما النُّونُ يا هذهِ حاجبٌ أما العينُ عينٌ أما الميمُ فمْ

أبو الفضل رشوان بن منصور بن رشوان الكردي المعروف بالنقف ولد بإربل ، وخدم جندياً وكان أديباً شاعراً . خدم مع الملك العادل ، ومن شعره قوله :)[من الوافر]

سَلاَ عني الصوارمَ والرماحا وخيلاً تسبقُ الهوجَ الرِّياحا

---

(١) ترجمة ـ الشريف أبي جعفر ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٨١) وذيل الروضتين (١٠٠) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٣٧٩) .
(٢) ط : أضحى .
(٣) ترجمه الزكي المنذري في وفيات سنة ٦١١هـ من التكملة (٢/ ٣٢١) وتابعه الذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ٣٢٨) ، ثم أعاد الذهبي ترجمته في وفيات سنة ٦١٢هـ (١٣/ ٣٥٤) ، والظاهر أن المصنف نقل وفاته في هذه السنة من تاريخ ابن الساعي (بشار) .
(٤) بلدة معروفة عامرة إلى اليوم على شاطىء دجلة بين بغداد وواسط (بشار) .
(٥) أ : خفراً لا سلم . وفي ط : فغزالاً .

وأُسداً خِيسُها[١] سمرُ العوالي إذا ما الأُسْدُ حاولتِ الكفاحا
فإني ثابتٌ عقلاً ولُبّاً إذا ما صائحٌ في الحربِ صاحا
وأُوردُ مُهجتي لُججَ المنايا إذا ماجت ولم أَخَفِ الجراحا
وكمْ ليلٍ سهرتُ وبتُّ فيه أُراعي النجمَ أرتقبُ الصباحا
وكم في فدفدٍ فرسي ونضوي بقائلةِ الهجيرِ غدا وراحا
لعينكِ في العجاجةِ ما أُلاقي وأُثبتُ في الكريهةِ لا براحا

محمد بن يحيى[٢] بن هبة الله أبو نصر النَّخَاس[٣] الواسطي .

كتب إلى السبط من شعره[٤] : [من الطويل]

وقائلةٍ لمَّا عمرتُ وصارَ لي ثمانونَ عاماً عشْ كذا وابقَ واسلمِ
ودُمْ وانتشقْ روحَ الحياةِ فإنهُ لأَطيبُ من بيتٍ بِصَعْدَةَ مظلمِ
فقلتُ لها : عذري لديكِ ممهَّدٌ ببيتِ زهيرٍ فاعلمي وتعلَّمي
سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعش ثمانينَ حولاً لا محالةَ يسأَمِ[٥]

ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمئة

في ثالث المحرم منها[٦] كمل تبليط داخل الجامع الأموي وجاء المعتمدُ مبارز الدين إبراهيم[٧] المتولِّي بدمشق ، فوضع آخر بلاطة منه بيده وكانت عند باب الزيادة[٨] فرحاً بذلك .

---

(١) أ : حبشها . وفي ط : حبيسها . وما هنا عن ب وهو الأشبه لأن الخِيس بالكسر هو موضع الأسد كما في القاموس : خيس .
(٢) ترجمة ـ ابن النخاس ـ في تكملة المنذري (٢/ ٣٧١) وذيل الروضتين (٩٩ ـ ١٠٠) وقال المنذري : الغَرّافي الأصل الواسطي المولد العدل ، والغرَّافي نسبة إلى الغرّاف بلدة من نواحي البطائح ، وقيل نهر كبير بين واسط والبصرة . قال بشار : كلاهما صحيح ، فالنهر معروف إلى اليوم وكذلك بلدة الغراف القائمة عليه .
(٣) في الأصول : النحاس . وما هنا عن المنذري ففيه : المعروف بابن النَّخَّاس ـ بخاء معجمة .
(٤) الأبيات في ذيل الروضتين .
(٥) البيت من معلقة زهير . وهو في شرح ديوان زهير ـ صنعة ثعلب (٢٩) برواية : لا أبا لك يسأم .
(٦) ليست اللفظة في الأصلين وهي عن ط وحدها .
(٧) سترد ترجمة مبارز الدين في وفيات ٦٢٣ من هذا الجزء .
(٨) ط : بيده عند باب الزيارة . وهو تحريف . وباب الزيادة ، هو باب الساعات كما سبق الحديث عنه ، وانظر كتاب الجامع الأموي (٢٢) .

وفيها : زادت دجلة بغداد[١] زيادة عظيمة وارتفع الماء حتى ساوى السور[٢] إلا مقدار أصبعين ، ثم طفح الماء من فوقه وأيقن الناس بالهلكة ، واستمر ذلك سبعَ ليالٍ وثمانية أيام حسوماً ، ثم منَّ الله فتناقص الماء وذهبت الزيادة ، وقد بقيت بغداد تلولاً وتهدّمت أكثر البنايات فإنا لله وإنَّا إليه راجعون .

وفيها : درّس بالنظامية محمد بن يحيى بن فَضْلان وحضر عنده القضاة والأعيان .

وفيها : سار[٣] الصدر[٤] بن حمويه رسولاً من العادل إلى الخليفة[٥] .

وفيها : قدم ولده الفخر (رسولاً من) الكامل[٦] إلى [أخيه] المعظم يخطب منه ابنته على ابنه أقسيس[٧] صاحب اليمن ، فعقد العقد بدمشق على صداق هائل .

وفيها : قدم السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش[٨] من همذان قاصداً إلى بغداد في أربعمئة ألف مقاتل ، وقيل في ستمئة ألف ، فاستعدَّ[٩] له الخليفة ، واستخدم الجيوش [الكثيرة] وأرسل إلى الخليفة يطلب منه أن يكون بين يديه على قاعدة من تقدمه من الملوك السلاجقة ، وأن يخطب له ببغداد [على منابرها] فلم يجبه الخليفة إلى ذلك ، وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين السهروردي[١٠] ، فلما وصل [إليه] شاهد عنده من العظمة وكثرة الملوك بين يديه وهو جالس في خركاه[١١] من ذهب على سرير ساج ، وعليه قباء بخاري ما يساوي خمسة دراهم ، وعلى رأسه جلدةٌ ما تساوي درهماً ، فسلّم

---

(١) ط : زادت دجلة بغداد .

(٢) ط : « القبور » ، وهو تحريف ، والمصنف ينقل من ذيل الروضتين (١٠٠) الذي ينقل بدوره من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٨/ ٥٨٢) ، فالصواب ما أثبتنا ، ويعضده قوله فيما بعد : « ثم طفح الماء من فوقه » بصيغة المذكر المفرد ، وما نقله الذهبي عنهما بخطه ، ثم عقب الذهبي على هذا الخبر بقوله : « هذا من خسف أبي المظفر فهو مجازف » تاريخ الإسلام (١٣/ ٢٧٢) (بشار) .

(٣) ط : صدر الصدر .

(٤) سترد ترجمة صدر الدين بن حمويه الجويني في وفيات سنة ٦١٧ .

(٥) ب : الصدر بن حمويه في الرسلية من العادل والخليفة .

(٦) ط : « قدم ولده الفخر ابن الكامل » وهو تحريف قبيح ، ففخر الدين هو ابن صدر الدين ابن حمويه ، والخبر في ذيل الروضتين (١٠٠) ومنه اقتبسنا ما بين الحاصرتين ليستقيم النص (بشار) .

(٧) تقدم الحديث عنه .

(٨) توفي خوارزم شاه سنة ٦١٧ ذيل الروضتين (١٢٢) .

(٩) ب : واستعد .

(١٠) ب : شهاب الدين الشهرزوري ، ذيل الروضتين (١٠٠) وسترد ترجمة السهروردي في وفيات سنة ٦٣٠ ، وصفاً لرحلته إلى خوارزم شاه في ذيل الروضتين (١٠١) والعبر (٥/ ٤٨) .

(١١) ط : خركاه : وهي في أ وب أقرب إلى : خركاه ، ولكني رجحت ما أثبتّه لأن المصنف رحمه الله سيجمع اللفظة على الخراكي بعد أسطر . وأصل معناها : الخيمة الكبيرة . ثم أطلقت على سرادق الملوك والوزراء . معجم الألفاظ الفارسية (٥٣) .

عليه[١] فلم يردَّ عليه من الكِبْر ولم يأذن له في الجلوس ، فقام إلى جانب السرير وأخذ في خطبة هائلة ، فذكر فيها فضل بني العباس وشرفهم ، وأورد حديثاً في النهي عن أذاهم والترجمان يُعيد على الملك ، فقال الملك : أمَّا ما ذكرت من فضل الخليفة فإنه ليس كذلك ، ولكني إذا قدمت بغداد أقمت من يكون بهذه الصفة ، وأما ما ذكرت من النهي عن أذاهم فإني لم أؤذ منهم أحداً ولكن الخليفةَ في سجونه منهم طائفةٌ كثيرةٌ يتناسلون في السجون ، فهو الذي آذى بني العباس ، ثم تركه ولم يردّ عليه جواباً بعد ذلك ، وانصرف السهروردي[٢] راجعاً ، وأرسل الله تعالىٰ على الملك وجنده ثلجاً عظيماً ثلاثة أيام حتى طم الخراكي والخيام ، ووصل إلى قريب رؤوس الأعلام ، وتقطعت أيدي رجال وأرجلهم ، وعمَّهم من البلاء [العظيم] ما لا يُحدُّ ولا يُوصف ، فردَّهم الله خائبين ، والحمد لله رب العالمين .

وفيها : انقضت الهدنةُ التي كانت بين العادل والفرنج واتفق قدوم العادل من الديار المصرية فاجتمع هو وولده[٣] المعظم ببيسان ، فركب[٤] الفرنج من عكا وصحبتهم ملوك السواحل كلُّهم وساقوا كلهم قاصدين مغافصة[٥] العادل ، فلما أحسَّ بهم فرَّ منهم لكثرة جيوشهم وقلة من معه ، فقال ابنه المعظم : إلى أين يا أبة ؟ فشتمه [أبوه] بالعجمية ، وقال له : أقطعتَ الشام مماليكك وتركتَ أبناء الناس ، فتوجّه[٦] العادل إلى دمشق وكتب إلى واليها المعتمد[٧] ليحصِّنها من الفرنج وينقل إليها من الغلاّت من داريا إلى القلعة ، ويرسل الماء على أراضي داريا وقصر حجاج والشاغور ، ففزع الناس من ذلك وابتهلوا إلى الله بالدعاء وكثر ضجيجهم بالجامع ، وأقبل السلطان فنزل بمرج الصفر[٨] وأرسل إلى ملوك الشرق ليقدموا لقتال الفرنج ، فكان أول من ورد[٩] صاحب حمص أسد الدين [شيركوه] ، فتلقاه الناس فدخل من باب الفرج وجاء فسلم على ست الشام بدارها عند المارستان ، ثم عاد إلى داره ، ولما قدم أسد الدين [شيركوه] سُرّيَ عن الناس [وأمنوا] فلما أصبح توجه نحو العادل إلى مرج الصفر . وأما الفرنج فإنهم قدموا بيسان[١٠] فنهبوا ما كان بها من الغلات والدواب ، وقتلوا وسبوا شيئاً كثيراً ، ثم عاثوا في الأرض

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) أ ، ب : الشهرزوري . وتقدم التعليق .
(٣) ط : وابنه .
(٤) ط : فركبت .
(٥) ط : معافصة ، وأ : « يعاقصة » وكله تصحيف ، والصواب ما أثبتنا ، والمغافصة : المباغتة .
(٦) ط : ثم توجّه .
(٧) هو مبارز الدين ، وسترد ترجمته في وفيات ٦٢٣ .
(٨) ط : وكثر الضجيج وأقبل السلطان فنزل مرج الصفر .
(٩) ط : قدم .
(١٠) أ ، ب : ولما أصبح توجه نحو السلطان بمرج الصفر ، وأما الفرنج فإنهم وردوا إلى بيسان .

فساداً يقتلون وينهبون ويأسرون[١] ما بين بيسان إلى بانياس ، وخرجوا إلى أراضي الجولان إلى نوى وخسفين [وغير ذلك من الأراضي][٢] ، وسار الملك المعظم فنزل على عقبة اللبن بين القدس ونابلس خوفاً على القدس [الشريف] منهم ، فإنه هو الأهم الأكبر ، ثم حاصر[٣] الفرنج حصن الطور حصاراً هائلاً ومانع عنه الذين به من الأبطال ممانعة هائلة[٤] ، ثم كرَّ الفرنج راجعين إلى عكا ومعهم الأسارى من المسلمين ، وجاء الملك المعظَّم إلى الطور فخلع على الأمراء الذين به وَطَيَّب نفوسَهم ، ثم اتفق هو وأبوه على هدمه كما سيأتي .

وممن توفي فيها من الأعيان[٥] :

الشيخ[٦] العماد[٧] ، أخو الحافظ عبد الغني ، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور الشيخ عماد الدين المقدسي[٨] .

كان أصغرَ من أخيه الحافظ عبد الغني بسنتين ، وقدم معهم[٩] إلى دمشق سنة إحدى وخمسين وخمسمئة ، ورحل إلى[١٠] بغداد مرتين وسمع الحديث وكان عابداً زاهداً ورعاً كثيرَ الصيام ، يصومُ يوماً ويفطر يوماً ، وكان فقيهاً مفتياً ، له[١١] كتاب « الفروع » وصنَّف « أحكاماً » ولم يُتِمَّهُ ، وكان يَؤُمُّ بمحراب الحنابلة مع الشيخ الموفَّق ، وإنَّما كانوا يُصَلُّون بغير محراب ، ثم وضع المحراب في سنة سبع عشرة وستمئة ، وكان أيضاً يَؤُمُّ بالناس لقضاء الفوائت ، وهو أوَّلُ من فعل ذلك . صَلَّى المغربَ ذاتَ ليلةٍ وكان صائماً ثم رجعَ إلى بيته[١٢] بدمشق فأفطر ثم مات فجأةً ، فصلَّى عليه بالجامع الأموي

---

(١) أ ، ب : وقتلوا وأسروا شيئاً كثيراً وكذلك عاثوا في الأرض فساداً يقتلون وينهبون ويسبون .

(٢) مكان الحاصرتين في ط : وغيرها .

(٣) أ ، ب : حاصرت .

(٤) أ ، ب : ومانع به من الأبطال ممانعة عظيمة .

(٥) ط : وفيها توفي من الأعيان .

(٦) ط : الشيخ الإمام العلامة الشيخ العماد .

(٧) ترجمة ـ العماد المقدسي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٣٨٥ ـ ٣٨٧) وذيل الروضتين (١٠٤ ـ ١٠٥) والتكملة للمنذري (٢/ ٤١٣ ـ ٤١٤) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٩٥) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٤٧) والمختصر المحتاج إليه (١/ ٢٣١) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٩٣ ـ ١٠٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٢٠) وشذرات الذهب (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٨) .

(٨) ط : ابن سرور المقدسي الشيخ العمادي أصغر من أخيه .

(٩) ط : مع الجماعة .

(١٠) ط : دخل بغداد .

(١١) ط : وله .

(١٢) ط : منزله .

الشيخ[١] عند مُصَلّاهم ، ثم صعِدوا به إلى السفح ، وكان [يومُ موته][٢] يوماً مشهوداً من كثرة الخَلق[٣] .

قال سبط ابن الجوزي[٤] : كان الخلقُ من الكهفِ إلى مغارةِ الدمِ إلى الميطور[٥] ولو بُذِر السمسمُ ما وقعَ إلا على رؤوس الناس .

قال : ولما[٦] رجعتُ تلك الليلة فكَّرت فيه وفي جنازته وكثرة من شهدها وقلت : هذا كان رجلاً صالحاً ، ولعله أن يكون نظر[٧] إلى ربه حين وضع في لحده[٨] ، ومرَّ بذهني أبيات الثوري التي أنشدها بعد موته[٩] في المنام[١٠] : [من الطويل]

نظرتُ إلى ربّي كفاحاً فقال[١١] لي ... هنيئاً رضائي عنكَ يابنَ سعيدِ
فقد[١٢] كنتَ قوّاماً إذا أظلمَ[١٣] الدجى ... بعبرةِ مشتاقٍ وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصرٍ أردتَهُ ... وزرني فإني منك[١٤] غيرُ بعيدِ

ثم قلت : أرجو أن يكون العماد رأى ربَّه كما رآه الثوري ، فنمت فرأيت الشيخ العماد في المنام[١٥] وعليه حلة خضراء (وعمامة خضراء) ، وهو في مكان متسع كأنه روضةٌ ، وهو يرقى في درج متسعة ، فقلت : يا عماد الدين كيف بِتَّ فإني والله مُفكِّر فيك ؟ فنظر إليَّ وتبسَّم على عادته التي كنت أعرفه فيها في الدنيا ثم قال[١٦] : [من الطويل]

---

(١) ط : فصلّي عليه بالجامع الأموي ، صلّى عليه الشيخ الموفق .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ط : كثرة الناس .
(٤) يلاحظ أنه ينقل عن مرآة الزمان بالمعنى لا باللفظ ، والخبر فيه ٨/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩ .
(٥) ط : إلى المنظور ، وهو تحريف . والميطور في أرض الصالحية آخر حدودها تحت نهر يزيد .
(٦) ط : فلما .
(٧) أ ، ب : ربما أنه نظر .
(٨) ط : قبره .
(٩) أ ، ب : التي سمع ينشدها في المنام .
(١٠) البيت الأول في مرآة الزمان . والأبيات كاملة في ذيل الروضتين وذيل ابن رجب والشذرات .
(١١) في مرآة الزمان وذيل الروضتين : وقال لي .
(١٢) ط : لقد .
(١٣) في مصادر الأبيات : إذا أقبل الدجى .
(١٤) ط : وزرني فإني عنك غير بعيد .
(١٥) أ ، ب : كما رآه سفيان الثوري ونمت فرأيت الشيخ العماد في النوم .
(١٦) الأبيات في مرآة الزمان وذيل الروضتين وذيل الطبقات والشذرات .

رأيتُ إلهي حينَ أُنزلتُ حفرتي   وفارقتُ أصحابي وأهلي وجيرتي
وقال[١] جُزيتَ الخيرَ عنّي فإنّني   رضيتُ فها عفوي لديكَ ورحمتي
دأبْتَ[٢] زماناً تأمُلُ الفوْزَ[٣] والرضا   فوُقِّيْتَ نيراني ولُقّيتَ جنّتي

قال : فانتبهت وأنا مَذْعورٌ وكتبت[٤] الأبيات والله أعلم .

القاضي جمال الدين بن الحرستاني[٥] ، **عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل** ، **أبو القاسم الأنصاري** ، ابن الحرستاني قاضي القضاة بدمشق .

ولد سنة عشرين وخمسمئة ، وكان أبوهُ من أهل حَرَستا[٦] ، فنزل داخل باب تُوما وأمَّ بمسجد الزينبي ونشأ ولدُه هذا نشأةً حسنةً سمع الحديثَ الكثيرَ وشاركَ الحافظَ ابنَ عساكر[٧] في كثيرٍ من شيوخه ، وكان يجلسُ لإسماع الحديث[٨] بمقصورةِ الخضِر ، وعندها كان يُصَلّي دائماً لا تفوته الجماعة بالجامع ، وكان منزله بالحويرة[٩] ودرَّس بالمجاهدية وعُمّر دهراً طويلاً على هذا القدم الصالح والله أعلم . ونابَ في الحكم عن ابن أبي عَصْرون[١٠] ، ثم ترك ذلك ولزم بيته وصلاته بالجامع ، ثم عَزَل العادل القاضي ابن الزكي [الطاهر بن محيي الدين محمدبن علي القرشي] وألزم [القاضي جمال الدين بن الحرستاني بولاية القضاء][١١] وله ثنتان وتسعون سنة وأعطاه تدريس العزيزية ، وأخذ التقوية أيضاً من ابن الزكي وولاها فخر الدين ابن عساكر[١٢] .

---

(١) في المصادر : فقال .
(٢) في مرآة الزمان : فأنت .
(٣) ط والمرأة : العفو .
(٤) أ ، ب : فكتبت .
(٥) ترجمة ـ ابن الحرستاني ـ في معجم البلدان (٢/ ٢٤١) ومرآة الزمان (٨/ ٣٨٧) وفيه : الخرستاني ؛ وهو تحريف ، والتكملة للمنذري (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦) وذيل الروضتين (١٠٥ ـ ١٠٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤١١) والعبر (٥/ ٥٠ ـ ٥١) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٨٠ ـ ٨٤) وطبقات الإسنوي (١/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٢٠) والدارس (١/ ١١٠) وشذرات الذهب (٧/ ١٠٨ ـ ١٠٩) .
(٦) في ط : حرستان . وهي حرستا في كتب البلدانيات بالإضافة إلى أ ، ب ولذلك آثرتها . وتلفظ اليوم كما قيّدها ياقوت بالتحريك وسكون السين وتاء فوقها نقطتان . معجم البلدان (٢/ ٢٤١) والقاموس المحيط (حرس) وغوطة دمشق (١٦) .
(٧) المقصود هنا الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق . تقدمت ترجمته في وفيات ٥٧١ من الجزء السابق .
(٨) ط : للإسماع .
(٩) ط بالحورية . وفي ذيل الروضتين (١٠٦) : بالحويرة قبل الجامع .
(١٠) تقدمت ترجمة ابن أبي عصرون في وفيات ٥٨٥ .
(١١) مكان ما بين المعقوفتين في ط : هذا بالقضاء .
(١٢) سترد ترجمة فخر الدين ابن عساكر في وفيات ٦٢٠ .

قال ابن عبد السلام(١) ما رأيتُ أحداً أفقهَ من ابن الحرستاني ، كان يحفظُ « الوسيط » للغزالي . وذكر غير واحد أَنَّه كان من أعدل القضاةِ وأقومهم بالحق ، لا تأخذه في الله لومةُ لائمٍ ، وكان ابنه عماد الدين يخطب بجامع دمشق ، وولي مشيَخَة الأشرفية ينوب عنه ، وكان القاضي جمال الدين يجلسُ للحكم بمدرسته المجاهدية ، وأرسل إليه السلطان طراحة ومسندة(٢) لأجل أنه شيخ كبير ، وكان ابنه يجلس بين يديه ، فإذا قام(٣) أبوه جلس في مكانه ، ثم إنه عزل ابنه عن نيابته لشيء بلغه عنه ، واستناب شمس الدين بن الشيرازي(٤) ، وكان يجلس تجاهه في شرقي الإيوان ، واستناب [أيضاً] معه شمس الدين بن سنيّ(٥) الدولة ، [وثبّت له دكة في الزاوية الغربية القبلية من المدرسة](٦) واستناب شرف الدين بن الموصلي(٧) الحنفي ، فكان يجلس في محراب المدرسة ، واستمر حاكماً سنتين وسبعة أشهر ، ثم كانت وفاته(٨) يوم السبت رابع [ذي] الحجة [من هذه السنة] وله [من العمر](٩) خمس وتسعون سنة ، وصُلّي عليه بجامع دمشق ثم دفن بسفح قاسيون(١٠) .

الأمير [الكبير] بدر الدين(١١) محمد بن أبي القاسم [بن محمد] الهكاري باني المدرسة التي بالقدس .

وكان من خيار الأمراء ، وكان محمد يتمنى الشهادة دائماً فقتله(١٢) الفرنج بحصن الطور [هذه السنة ونقل إلى القدس الشريف] ، ودفن بتربته بماملا ، وتربته تزار إلى الآن(١٣) رحمه الله .

الشجاع محمود المعروف بابن الدِّماغ(١٤) .

---

(١) ترجمة ابن عبد السلام سترد في سنة ٦٦٠ .

(٢) أ ، ب : وكان السلطان قد أرسل إليه طراحة ومشبكاً .

(٣) أ ، ب : نهض .

(٤) سترد ترجمة الشيرازي في وفيات سنة ٦٣٧ .

(٥) سترد ترجمة ـ ابن سني الدولة ـ في وفيات ٦٣٥ .

(٦) أ : وثبت ذكره . وهو تحريف . ذيل الروضتين (١٠٧) .

(٧) سترد ترجمة ـ شرف الدين الموصلي ـ في وفيات سنة ٦٣٠ .

(٨) ط : واستمر حاكماً سنتين وأربعة أشهر ثم مات .

(٩) عن ط وحدها .

(١٠) ط : قايسون .

(١١) ترجمة ـ الأمير بدر الدين الهكاري ـ في مرآة الزمان (٨/ ٣٨٩) وذيل الروضتين (١٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٢٣) .

(١٢) أ : فقتلته الفرنج .

(١٣) ط : ودفن بالقدس بتربة عاملها وهو يزار إلى الآن رحمه الله .

(١٤) ترجمة ـ ابن الدماغ ـ في ذيل الروضتين (١٠٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٢٣) والدارس (١/ ٢٣٦) وشذرات الذهب (٧/ ١١٠) ومنادمة الأطلال (٩٨) .

كان من أصدقاء العادل يُضحكه ، فحصَّل أموالاً جزيلة منهم ، كانت داره داخل باب الفرج[١] فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية[٢] والحنفية ، ووقفت عليها أوقافاً دارَّةً ، رحمها الله .

الشيخة الصالحة العابدة[٣] الزاهدة ، شيخة العالمات بدمشق ، تلقب بدهن اللوز .

بنت نورنجان[٤] وهي آخر بناته وفاة وجعلت أموالها وقفاً على تربة أختها بنت العصبية[٥] المشهورة .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمئة

استهلت والعادل [نازل] بمرج الصفر لمناجزة الفرنج وأمر ولده المُعَظَّم بتخريب حصن الطور فأخربه[٦] ونقل ما فيه من آلات الحرب وغيرها إلى البلدان خوفاً من الفرنج .

وفي ربيع الأول نزلت الفرنج على دمياط وأخذوا برجَ السلسلة في [آخر] جمادى الأولى ، وكان حصناً منيعاً ، وهو قفل بلاد مصر [فإنَّا لله وإنا إليه راجعون] .

وفيها : التقى المُعظَّم ، والفرنجُ على القَيْمُون[٧] فكسرهم وقتل منهم خلقاً [كثيراً] وأسر من الداوية مئة فأدخلهم إلى القدس منكَّسة أعلامهم .

وفيها : جرت خطوب كثيرة ببلد الموصل بسبب موت ملوكها أولاد قرا أرسلان واحداً بعد واحد ، وتغلب غلام[٨] أبيهم بدر الدين لؤلؤ[٩] على الأمور [ويذكر أنه هو الذي كان يقتلهم في الباطن ليستحوذ هو على الأمور] والله أعلم .

وفيها أقبل ملك الروم كيكاوس بن كيخسرو[١٠] يريد أخذَ مملكة حلب ، وساعده على ذلك

---

(١) ط : باب الفرنج ؛ تحريف . ولا يزال هذا الباب قائماً إلى اليوم الحاضر .

(٢) الأعلاق الخطيرة (٢٦١ ، ٢٦٢) والدارس (١/ ٢٣٨ و٥١٨) ومختصره (٣٩ و٨٨) ومنادمة الأطلال (٩٧ ، ١٧١) .

(٣) ترجمة ـ دهن اللوز ـ في ذيل الروضتين (١٠٨) ، وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٠٥) .

(٤) ترجمة ـ بنت نورنجان ـ في ذيل الروضتين (١٠٨) وفيه : بنت بوريحان .

(٥) في ذيل الروضتين بنت صفية .

(٦) أ : فخرب . وليست اللفظة في ب .

(٧) قَيمون : بالفتح ، ثم السكون ، وآخره نون : حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين . معجم البلدان (٤/ ٤٢٤) .

(٨) ط : مملوك .

(٩) سترد ترجمة لؤلؤ في حوادث سنة ٦٥٦ .

(١٠) ط : كيكاريس سنجر . وهو عز الدين كيكاوس بن السلطان كيخسرو بن قليج رسلان السلجوقي التركماني صاحب=

الأفضلُ[١] بن صلاح الدين صاحب سُمَيْساط[٢] ، فصدَّه عن ذلك الملك الأشرف[٣] موسى بن العادل وقهر ملك الروم وكسر جيشه ورده خائباً .

وفيها تملَّك الأشرف مدينة سنجار مضافاً إلى ما بيده من الممالك .

وفيها : توفي (السلطان) الملك العادل[٤] أبو بكر بن أيوب ، وأخذت[٥] الفرنج [لعنهم الله ثغر[٦]] دمياط [وقد تقدم أنه لمَّا أراد الفرنج مغافصته[٧] وهو جاءٍ من الديار المصرية عند بيسان فرَّ منهم ونزل مرج الصفَّر وأرسل إلى العساكر من الجزيرة وغيرها لتقدم عليه حتى يناجز بهم الفرنج وذلك عند انقضاء الهدنة ، فركبت الفرنج من السواحل من عكا وانضاف إليهم من شاء الله من عساكرهم البحرية][٨] وقصدوا بلاد مصر من ثغر دمياط [فنزلوا عليه] فحاصروه مدة أربعة أشهر[٩] ، والملك[١٠] الكامل [مقابلهم يقاتلهم ويمانعهم ويصدهم عما يريدونه] ، فتملكوا[١١] برج السلسلة وهو كالقفل على ديار مصر ، وصفته في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر ، [ومن هذا البرج] إلى دمياط ، وهو[١٢] على شاطىء البحر وحافة [النيل] سلسلة منه إلى الجانب الآخر ، وعليه الجسر وسلسلة أخرى لتمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل ، فلا يمكن الدخول ، فلما ملكت الفرنج هذا البرج شَقَّ ذلك على المسلمين [بديار مصر وغيرها] ، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصُّفَّر تأوَّه لذلك تأوُّهاً شديداً ودقَّ بيده على صدره أسفاً وحزناً على المسلمين وبلادها ، ومرض من ساعته مرض الموت لأمر

= قونية وأقصرا وملطية ، وهو أخو السلطان كيقباذ مات بالخوانيق سنة ٦١٥هـ وقيل سنة ٦١٧هـ . كامل ابن الأثير (٩/ ٣٢٥ و٣٢٧) ومرآة الزمان (٨/ ٣٩٣) وذيل الروضتين (١٠٩) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٣٧) .

(١) سترد ترجمة ـ الأفضل ـ في وفيات سنة ٦٢٢ .

(٢) « سُمَيْساط » : بضم أوله ، وفتح ثانيه ، ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ، وسين أخرى ، ثم بعد الألف طاء مهملة : مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ، ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن ، ومالكها في هذا الزمن ـ زمن ياقوت ـ الملك الأفضل علي بن الناصر يوسف بن أيوب صلاح الدين . معجم البلدان (٣/ ٢٥٨) وبلدان الخلافة الشرقية (١٤٠) .

(٣) سترد ترجمة الأشرف في وفيات سنة ٦٣٥ .

(٤) ترجمة ـ العادل ـ في سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١١٥) وفيه مصادر ترجمته .

(٥) ط : فأخذت .

(٦) في بعض النسخ : « كفر » خطأ (بشار) .

(٧) في بعض النسخ : « معاقصته » ، وهو تصحيف . والمغافصة : المباغتة .

(٨) مكان ما بين الحاصرتين في ط : ثم ركبوا .

(٩) ط : أربعة شهور .

(١٠) عن ط وحدها .

(١١) أ ، ب : على المسلمين .

(١٢) ب : وهي على شاطىء الفرات .

يريده الله عز وجل ، فلما كان يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة توفي بقرية عالقين[(١)] ، فجاءه ولده المعظم مسرعاً[(٢)] فجمع حواصلَه وأرسلَه في محفَّةٍ ومعه خادم بصفة[(٣)] أن السلطان مريض ، (وكلما جاء أحد من الأمراء ليسلِّم عليه) بلَّغهم الطواشي عنه ، أي : أنه ضعيف ، عن الرد عليهم[(٤)] ، فلما انتهى به إلى القلعة دفن بها مدة ثم حول إلى تربته بمدرسته العادلية[(٥)] الكبيرة .

وقد كان الملك سيف الدين أبوبكر بن أيوب بن شاذي من خيار الملوك وأجودهم سيرة وأحسنهم سريرة] ، ديناً عاقلاً صبوراً وقوراً، أبطل المحرمات والخمور والمعازف[(٦)] من مملكته[(٧)] كلها وقد كانت ممتدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى همَذان كلها ، أخذها بعد أخيه صلاح الدين سوى حلب فإنه أقرها بيد ابن أخيه الظاهر غازي [بن صلاح الدين لأنه كان][(٨)] زوج ابنته صفية الست خاتون . وكان العادل حليماً صفوحاً صبوراً على الأذى كثير الجهاد حضر مع أخيه مواقفه[(٩)] كلها أو [أكثرها في مقاتلة الفرنج ، وكانت][(١٠)] له في ذلك اليد البيضاء ، [والراية العليا] وكان غير ماسك اليد وقد[(١١)] أنفق في عام الغلاء بمصر [أموالاً كثيرة على الفقراء وتصدق][(١٢)] على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئاً [كثيراً جداً ، ثم إنه كفن في العام الثاني من بعد عام الغلاء في الفناء ثلاثمئة ألف إنسان من الغرباء والفقراء، وكان كثير الصدقة في أيام مرضه حتى كان يخلع جميع ما عليه ويتصدق به وبمركوبه][(١٣)]، وكان كثير الأكل ممتعاً بصحته وعافيته[(١٤)] مع كثرة صيامه ، كان يأكل في اليوم الواحد أكلات جيدة ، ثم بعد هذا يأكل عند النوم[(١٥)] رطلاً بالدمشقي من الحلوى[(١٦)] السكرية اليابسة ، وكان

(١) ط : غالقين . تحريف ، وذكر أبو الفداء أن عالقين تقع عند عقبة أفيق المختصر (٣/ ١١٩) وقد أخلَّ بها ياقوت .
(٢) أ ، ب : فجاء ولده المعظم إليه مسرعاً .
(٣) أ ، ب : صفة .
(٤) أ ، ب : بلغه عنهم الطواشي يعني لضعف السلطان عن الرد عليهم فلما انتهى إلى القلعة المنصورة .
(٥) ط : بالعادلية .
(٦) ط : والمعارف . وهو تحريف يقلب المعنى .
(٧) أ ، ب : ممالكه .
(٨) مكان الحاصرتين في ط : لأنه .
(٩) ط : كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه حضر معه مواقفه كلها .
(١٠) مكانهما في أ ، ب : وأكثرها في تلك الأيام .
(١١) أ : ولكنه .
(١٢) مكانهما في أ ، ب : أموالاً عظيمة جداً وتصدّق .
(١٣) مكانهما في أ ، ب : كثيراً ثم في العام بعده كفن ثلثمائة ألف إنسان من الغرباء وكان كثير الصدقة وفي أيام مرضه يخلع جميع ما عليه ويتصدق به وبمركوبه وما تحته من أمواله .
(١٤) ط : بصحة وعافية .
(١٥) أ ، ب : ثم بعد كل حال يأكل وقت النوم رطلاً .
(١٦) أ ، ب : من الحلواء .

يعتريه مرض في أنفه في زمن[١] الورد ، وكان لا يقدر على الإقامة بدمشق حتى يفرغ زمن الورد ، فكان[٢] يُضْرَبُ له الوطاق بمرج الصُّفَّر ثم يدخل البلد بعد ذلك . توفي عن خمس وسبعين سنة رحمه الله .

وكان له من الأولاد جماعة : محمد الكامل[٣] صاحب مصر ، وعيسى المعظم[٤] صاحب دمشق ، وموسى الأشرف صاحب الجزيرة وخلاط وحران وغير ذلك ، والأوحد[٥] أيوب ومات قبله ، والفائز[٦] إبراهيم ، والمظفر[٧] غازي صاحب الرُّها ، والعزيز[٨] عثمان والأمجد[٩] حسن وهما شقيقا المعظم ، والمغيث[١٠] محمود ، والحافظ أرسلان[١١] صاحب جعبر ، والصالح[١٢] إسماعيل ، والقاهر[١٣] إسحاق ، ومجير الدين يعقوب[١٤] ، وقطب الدين أحمد[١٥] ، وخليل[١٦] وكان أصغرهم ، وتقي الدين عباس[١٧] وكان آخرهم وفاة ، بقي إلى سنة ستين[١٨] وستمئة ، وكان له بنات أشهرهن الست صفية[١٩] خاتون زوجة الظاهر[٢٠] غازي صاحب حلب وأم الملك العزيز[٢١] والد الناصر[٢٢] يوسف الذي ملك

---

(١) أ ، ب : زمان .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) سترد ترجمة الكامل في وفيات سنة ٦٣٥هـ .
(٤) سترد ترجمة المعظم في وفيات سنة ٦٢٦هـ .
(٥) تقدمت ترجمة الأوحدفي وفيات سنة ٦٠٩هـ .
(٦) ترجمة الفائز سترد في وفيات ٦١٧هـ .
(٧) ترجمة المظفر سترد في وفيات سنة ٦٤٥هـ .
(٨) ترجمة العزيز سترد في ٦٢٨ .
(٩) الأمجد سترد ترجمته في وفيات ٦٢٨هـ .
(١٠) ط : المقيت ؛ وهو تحريف . ترويح القلوب (٦١) .
(١١) أ ، ب : رسلان . ترويح القلوب (٦٠) .
(١٢) ترجمة الصالح إسماعيل في وفيات ٦٤٨ .
(١٣) ترجمة (القاهر إسحاق) في ترويح القلوب (٦٢) .
(١٤) الملك المعز يعقوب ترجمته في وفيات سنة ٦٥٤هـ وفي ترويح القلوب (٥٩) .
(١٥) الملك المفضل أحمد ترجمته في وفيات سنة ٦١٩ وترويح القلوب (٥٩) .
(١٦) ترجمة خليل في ترويح القلوب (٦٣) .
(١٧) تقي الدين عباس ترجمته في ترويح القلوب (٦٦٩) .
(١٨) سيورد ابن كثير تقي الدين عباس في وفيات سنة ٦٦٩هـ .
(١٩) كذا هي في مرآة الزمان (٣٩٢) . وهي حنيفة في ترويح القلوب (١٠٨) مستدركاً عن شفاء القلوب (٩٠/أ) .
(٢٠) تقدمت ترجمة الظاهر غازي في وفيات سنة ٦١٣هـ .
(٢١) سترد ترجمة الملك العزيز في وفيات سنة ٦٣٤هـ .
(٢٢) ترجمة الناصر يوسف ترويح القلوب (٩٢) .

دمشق ، وإليه تنسب الناصريتان إحداهما بدمشق والأخرى بالسفح ، وهو الذي قتله هولاكو كما سيأتي[١] .

صفة أخذ الفرنج دمياط

لما انتهى الخبر بموت العادل إلى ابنه محمد الكامل[٢] وهو بثغر دمياط مرابط الفرنج[٣] ، فَفَتَّ ذلك من أعضاد المسلمين وضعفوا ، ثم بلغه[٤] خبر آخر أن الأمير ابن المشطوب[٥] وكان أكبر أمير بمصر ، قد أراد أن يبايع للفائز عوضاً عن الكامل ، فساق وحده جريدة فدخل مصر ليستدرك هذا الخطب الجسيم ، فلما فقده[٦] الجيش من بينهم انحلَّ نظامُهم واعتقدوا أنه قد حدث أمر أكبر من موت العادل ، فركبوا وراءه فدخلت الفرنج [حينئذ] بأمان إلى الديار المصرية ، واستحوذوا على معسكر الكامل وأثقاله [وحواصل الجيش] ، فوقع خبط عظيم جداً ، وذلك تقدير العزيز العليم ، فلما دخل الكامل مصر لم يقع[٧] مما ظنه شيء ، وإنما هي خديعة من الفرنج ، وهرب منه ابن المشطوب إلى الشام ، ثم ركب من فوره في الجيش إلى الفرنج فإذا الأمر قد تزايد ، [وقد] تمكنوا من البلدان وقتلوا خلقاً وغنموا [شيئاً] كثيراً ، وعاثت الأعراب التي هنالك على أموال الناس ، فكانوا أضر عليهم من الفرنج[٨] ، [فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون] ، فنزل الكامل تجاههم[٩] يمانعهم عن دخولهم إلى القاهرة [ومصر] بعد أن كان يمانعهم عن دخول الثغر ، وكتب إلى إخوانه يستحثهم ويستنجدهم ويقول الوحاءَ الوحاءَ[١٠] العجلَ العجلَ ، أدركوا المسلمين قبل تملك الفرنج جميع أرض مصر[١١] فأقبلت العساكر الإسلامية [عند ذلك] إليه من كل مكان ، وكان أول

---

(١) سيأتي ووفاته سنة ٦٦٤هـ ، وثَمَّ ترجمته .

(٢) ط : لما اشتهر الخبربموت العادل إلى ابنه الكامل .

(٣) أ ، ب : وهو مما عر تجاه الفرنج بدمياط .

(٤) ط : أضعف ذلك أعضاء المسلمين وفشلوا ثم بلغ الكامل .

(٥) أ : أن الأمير أحمد بن علي المشطوب .

(٦) أ ، ب : جريدة من دمياط قاصداً إلى مصر لاستدراك هذا الخطب الجسيم ولما فقده .

(٧) أ ، ب : فوقع أمر عظيم جداً وذلك بتقدير العزيز العليم ودخل الكامل إلى مصر فلم يقع .

(٨) أ ، ب : على أموال الناس ببلاد دمياط فكانوا أضرَّ على المسلمين من الفرنج .

(٩) ط : تجاه الفرنج .

(١٠) الوحى : العجلة ، يقولون : الوحى الوحى ، والوحاء الوحاء ، يعني : البدار البدار ، والوحاء الوحاء يعني الإسراع . فيمدّونها ويقصرونها إذا جمعوا بينهما ، فإذا أفردوا مدّوه ولم يقصروه . وربما أدخلوا الكاف مع الألف واللام فقالوا : الوحاك الوحاك ، والعرب تقول : النجاء النجاء ، والنجى النجى ، والنجاك النجاك ، والنجاءك النجاءك . لسان العرب (وحى) .

(١١) أ ، ب : قبل أن تملك الفرنج جميع الديار المصرية .

من قدم عليه أخوه الأشرف [موسى صاحب الجزيرة] بَيَّضَ الله وَجْهَهُ ، ثم المُعَظَّم وكان من أمرهم مع الفرنج ما سنذكره بعد هذه السنة .

وفيها : ولي حسبة بغداد الصاحب محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي[١] ، وهو مع ذلك يعمل ميعاد الوعظ على قاعدة أبيه ، وشكرت مباشرته للحسبة[٢] .

وفيها : فوض إليّ[٣] المعظم النظر في التربة البدرية تجاه [مدرسة] الشبلية عند الجسر الذي على ثورا ، ويقال له جسر كحيل ، وهي منسوبة إلى [بدر الدين] حسن بن الداية[٤] ، كان هو وإخوته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكي .

[قلت :] وقد جعلت في حدود الأربعين وستمئة جامعاً يخطب فيه يوم الجمعة ولله الحمد .

وفيها : أرسل السلطان علاء الدين محمدبن تكش إلى الملك العادل وهو مخيم بمرج الصُّفَّر رسولاً[٥] ، فرد إليه مع الرسول خطيب دمشق[٦] جمال الدين محمد بن عبد الملك الدولعي[٧] ، واستنيب عنه في الخطابة الشيخ الموفق عمر بن يوسف[٨] خطيب بيت الأبار ، فأقام بالعزيزية يباشر عنه ، حتى قدم وقد مات العادل[٩] رحمه الله .

وفيها : توفي الملك القاهر صاحب الموصل . فأقيم ابنه الصغير[١٠] مكانه . ثم قُتل وتَشَتَّتَ شملُ البيت الأتابكي ، وتغلَّبَ على الأمور [الأمير] بدر الدين لؤلؤ[١١] غلام أبيهم [نور الدين أرسلان][١٢] .

وفيها : كان عود الوزير صفي الدين[١٣] عبد الله بن علي بن شكر من بلاد الشرق [من آمد إلى

---

(١) سترد ترجمة الصاحب محيي الدين ابن الجوزي في وفيات سنة ٦٥٦ .
(٢) أ ، ب : يذكر ميعاد الوعظ على قاعدة أبيه وشكرت مباشرته للحسبة .
(٣) ط : « إلى » ولا معنى لها ، والقائل ذلك هو سبط ابن الجوزي ، كما في ذيل الروضتين (١١٣) (بشار) .
(٤) ترجمة حسن بن الداية في ذيل الروضتين (١١٣) .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) أ ، ب : فردَّ إليه مع الرسل خطيب دمشق .
(٧) خطيب دمشق جمال الدين محمد بن أبي الفضل بن زيد بن ياسين التغلبي الأرقمي الدولعي . ولد بالدولعية من قرى الموصل وقدم دمشق تولى الخطابة في دمشق ، وكان فصيحاً مهيباً شديداً على الرافضة . ومنعه المعظم من الفتوى مدة ، مات سنة ٦٣٤ . ذيل الروضتين (١٦٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٤ ـ ٢٥) .
(٨) سترد ترجمة عمر بن يوسف في وفيات (٦١٨) .
(٩) أ ، ب : فأقام بيت (؟) في العزيزية فباشر عنه حتى موت العادل رحمه الله .
(١٠) في مرآة الزمان (٣٩٥) اسمه محمود .
(١١) سترد ترجمة لؤلؤ في وفيات سنة ٦٥٦ .
(١٢) مكانهما في ط : أبيه .
(١٣) أ : صفي الدين بن عبد الله ؛ تصحيف . وسترد ترجمة ابن شكر في وفيات سنة ٦٢٢ .

دمشق] بعد موت العادل ، فعمل فيه [الشيخ] علم الدين [السخاوي] مقامة بالغ في مدحه فيها[١] ، وقد ذكروا أنه كان متواضعاً يحب الفقراء والفقهاء ، ويسلِّم على الناس إذا اجتاز بهم وهو راكب في أُبَّهة وزارته ، ثم إنه نكب في هذه السنة ، وذلك أن الكامل هو الذي كان سبب طرده وإبعاده كتب إلى أخيه المعظم فيه ، فاحتاط على أمواله وحواصله ، وعزل ابنه عن النظر في الدواوين[٢] ، وقد كان ينوب عن أبيه في مدة غيبته .

وفي رجب من هذه السنة[٣] أعاد المعظم ضمان القيان والخمور والمغنيات وغير ذلك من الفواحش والمنكرات التي كان أبوه قد أبطلها ، بحيث إنه لم يكن أحد يتجاسر أن ينقل[٤] ملء كف خمر إلى دمشق إلا بالحيلة الخفية ، فجزى الله العادل خيراً ، ولا جزى المعظم خيراً على ما فعل ، واعتذر المعظم في ذلك بأنه إنما صنع هذا المنكر لقلة الأموال[٥] على الجند ، واحتياجهم إلى النفقات في قتال الفرنج . [وهذا من جهله وقلة دينه وعدم معرفته بالأمور ، فإن هذا الصنيع يديل عليهم الأعداء وينصرهم عليهم ، ويتمكن منهم الداء ويثبط الجند عن القتال ، فيولون بسببه الأدبار ، وهذا مما يدمِّر ويخرِّب الديار ويديل الدول ، كما في الأثر « إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني » . وهذا ظاهر لا يخفى على فطن][٦] .

وممن توفي فيها من [المشاهير و] الأعيان :

السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب كما تقدم][٧] .

القاضي شرف الدين[٨] أبو طالب عبد الله ابن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى بن علي القرشي الدمشقي من بني عم ابن الزكي .

وكان أول من درس بالشامية البرانية وبالرواحية أيضاً وناب في الحكم عن ابن عمه محيي الدين بن

---

(١) أ ب : مقامه يمدحه فيها ويبالغ في شكره .
(٢) ط : من الدواوين .
(٣) ط : منها .
(٤) أ ، ب : أن ينقل خمراً .
(٥) أ ، ب : واعتذر المعظم من صنيعه هذا المنكر بقلّة الأموال .
(٦) أ ، ب : وما استشعر أن هذا الصنيع يدل عليهم الأعداء ويمكن فيهم الداء ، ولم أر هذا الأثر بهذا اللفظ وإن كان مشهوراً .
(٧) تقدم ذكر مصادر الملك العادل قبل صفحات .
(٨) ترجمة ـ القاضي القرشي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٣٠٩) وذيل الروضتين (١١٠) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٣٧) وشذرات الذهب (٧/ ١١٤) .

الزكي[١] . وتوفي في شعبان من هذه السنة ودفن عند مسجد القدم .

أبو سليمان داود[٢] بن أبي الغنائم أحمد بن محيي المُلْهَمي][٣] الضرير البغدادي .

كان ينسب إلى علم الأوائل ، ولكنه كان يَتَسَتَّر بمذهب الظاهرية ، [ولهذا] قال فيه ابن الساعي : الداودي مذهباً[٤] ، المعري أدباً واعتقاداً ، ومن شعره قوله[٥] : [من الوافر]

إِلى الرحمنِ أَشْكُو ما أُلاقي غَداةَ غَدَوا[٦] على هُوجِ النِّياقِ
سألتكمُ[٧] بمنْ زمَّ المطايا أمرّ بكم أمرُّ من الفراقِ
وهلْ دار[٨] أشدّ من التَّنائي وهلْ عَيْشٌ ألذُّ من التلاقي ؟

قاضي قضاة بغداد عماد الدين أبو القاسم[٩] عبد الله بن الحسين بن الدامغاني الحنفي .

سمع الحديث وتفقه على مذهب أبي حنيفة ، وولي القضاء ببغداد مرتين / نحواً من أربع عشرة سنة/ وكان مشكور السيرة عارفاً بالحساب والفرائض وقسمة التركات .

أبو اليمن نجاح بن عبد الله الحبشي[١٠] الشَّرابي[١١] نجم الدين مولى الخليفة الناصر .

---

(١) محيي الدين ابن الزكي له ترجمة في سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٥٨) ووفاته فيه سنة ٥٩٨هـ ، وتقدمت ترجمته .
(٢) تختلط في ط الترجمتان (ترجمة أبي طالب وترجمة أبي سليمان) بحيث تبدوان ترجمة واحدة . وقد لاحظ الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله ذلك فقال : وفي تاريخ ابن كثير المطبوع هنا تخليط حيث جعل هذه الترجمة لغير صاحبها . ذيل الروضتين (١١٠) .
وأما ترجمة أبي سليمان داود بن أحمد ففي مرآة الزمان (٨/ ٣٩٠) والتكملة للمنذري (٢/ ٤٢٠) وذيل الروضتين (١١٠) والمختصر المحتاج إليه (٢/ ٦٤ ـ ٦٥) ونكت الهميان (١٥٠) وغاية النهاية (١/ ٢٧٨) ولسان الميزان (٢/ ٤٢٤) .
(٣) ط : اللخمي ؛ تحريف .
(٤) ط : المذهب .
(٥) الأبيات في مرآة الزمان (٨/ ٣٩٠) وذيل الروضتين (١١٠) ونكت الهميان (١٥٠) .
(٦) في المرآة والنكت : غداة غد ، وفي ط : غداة عدوا ؛ تحريف .
(٧) في المصادر السابقة : نشدتكم .
(٨) ط : وهل ذل أشدّ . وفي المرآة والذيل : وهل داء أضرّ . وفي النكت : وهل داء أمرّ .
(٩) ترجمة ـ ابن الدامغاني ـ في ذيل الروضتين (١١١ ـ ١١٢) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٤٤٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٣٦) والمختصر المحتاج إليه (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣) والجواهر المضية (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٢٣) والطبقات السنية (٤/ ١٦٣ ـ ١٦٤) وشذرات الذهب (٧/ ١١٤) .
(١٠) ترجمة ـ نجاح الشرابي ـ في الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٢٧) ومرآة الزمان (٨/ ٣٩٤) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٤٤٠) وذيل الروضتين (١١٣ ـ ١١٤) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٥٢) .
(١١) ط : السوداني ؛ وهو تحريف .

كان يسمى سلمان دار الخلافة ، وكان لا يفارق الخليفة ، فلما مات وجد عليه الخليفة[١] وجداً كثيراً ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، كان بين يدي نعشه مئة[٢] بقرة وألف شاة وأحمال من التمر والخبز والماورد ، وقد صلَّى عليه الخليفة بنفسه تحت التاج ، وتصدق عنه بعشرة آلاف دينار على المشاهد ، ومثلها على المجاورين بالحرمين ، وأعتق مماليكه ووقف عنه خمسمئة مجلد .

أبو المظفر محمد بن علوان[٣] بن مهاجر بن علي بن مهاجر الموصلي .

تفقه بالنظامية وسمع الحديث ، ثم عاد إلى الموصل فساد أهل زمانه بها[٤] ، وتقدم في الفتوى والتدريس بمدرسة بدر الدين لؤلؤ وغيرها ، وكان صالحاً ديِّناً ، رحمه الله .

أبو الطيب رزق الله بن يحيى بن رزق الله بن يحيى بن خليفة بن سليمان بن رزق الله بن غنام الماحوزي[٥] المحدث الجوال الرحال الثقة الحافظ .

الأديب الشاعر [أبو العباس][٦] أحمد بن يرنقش[٧] بن عبد الله العمادي .

كان من أمراء سنجار ، وكان أبوه من موالي الملك عماد الدين زنكي (صاحبها ، وكان أحمد هذا أديباً[٨] شاعراً ذا مال جزيل ، وأملاك كثيرة ، وقد احتاط[٩] على أمواله قطب الدين محمد[١٠] بن عماد الدين زنكي) وأودعه سجناً فنُسي فيه ومات كمداً ، ومن شعره : [من الطويل]

تقولُ و(قدْ) ودَّعتُها ودموعها … على خدها[١١] من خشية البينِ تلتقي[١٢]

---

(١) أ ، ب : وكان لا يفارق الخليفة وكان يسمى سلمان دار الخلافة وقد وجد عليه الخليفة .

(٢) أ ، ب : كان بين يدي النعش مئة .

(٣) ترجمة ـ ابن علوان ـ في الكامل (٩/ ٣٢٧) والتكملة لوفيات النقلة (٢/ ٤١٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٤٩) والمختصر المحتاج إليه (١/ ١٠٥) وطبقات الإسنوي (٢/ ٤٤٥) والوافي بالوفيات (٤/ ٩٨) وطبقات السبكي (٥/ ٣٢ـ ٣٣) .

(٤) أ ، ب : أهل وقته بها .

(٥) ط : التأخدري ؛ وهو تحريف . وفي اللباب لابن الأثير (٣/ ١٤١) الماحوزي : بفتح الميم ، وبعد الألف حاء مهملة مضمومة ، وواو ساكنة ، وزاي : هذه النسبة إلى الماحوز ، وهي من قرى الشام .

(٦) لم يرد ما بينهما في أ .

(٧) ط : برتكش .

(٨) ط : ديناً ؛ تحريف .

(٩) أ : حاط .

(١٠) ذيل الروضتين (١٢٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٣١) .

(١١) أ ، ب : على نحرها .

(١٢) ب : يلتقي .

مضى أكثرُ العُمْرِ الذي كانَ نافعاً   رويدكَ فاعملْ صالحاً في الذي بقي

ثم دخلت سنة ست عشرة وستمئة

فيها أمر الشيخ محيي الدين بن الجوزي محتسب بغداد بإزالة المنكر، وكسر الملاهي عكس ما أمر به المعظم، وكان أمره في ذلك في أول هذه السنة[١] ولله الحمد والمنة.

جنكيز خان [وعبور التتار][٢] نهر جيحون.

وفيها عبرت التتار نهر جيحون صحبة ملكهم جنكيز خان من بلادهم، وكانوا يسكنون جبال طمغاج من أرض الصين ولغتهم مخالفة للغة سائر التتار، وهم من أشجعهم وأصبرهم على القتال، وسبب دخولهم نهر [جيحون][٣] أن جنكيز خان بعث تجاراً له ومعهم أموال كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه يتبضَّعون[٤] ثياباً للكسوة، فكتب نائبها إلى خوارزم[٥] شاه يذكر له ما معهم من كثرة الأموال، فأرسل إليه بأن يقتلهم ويأخذ[٦] ما معهم، ففعل ذلك، فلما بلغ جنكيز خان خبرهم أرسل يتهدد خوارزم شاه، ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلاً جيداً، فلما تهدده أشار[٧] من أشار على خوارزم شاه بالمسير إليهم، فسار إليهم [فأقبل] وهم في شغل شاغل بقتال كشلي خان، فنهب خوارزم شاه أموالهم وسبى ذراريهم وأطفالَهم، فأقبلوا إليه محروبين، فاقتتلوا معه أربعةَ أيام قتالاً لم يُسمع بمثله، أولئك يقاتلون عن حريمهم والمسلمون عن أنفسهم، يعلمون أنهم متى وَلَّوا استأصلوهم، فقُتل من الفريقين خلقٌ كثيرٌ، حتى إن الخيول كانت تزلق في الدماء، وكان جملة من قتل من المسلمين نحواً من عشرين ألفاً، ومن التتار أضعاف ذلك، ثم تحاجز الفريقان وولَّى كل منهم إلى بلاده ولجأ خوارزم شاه وأصحابه إلى بخارى وسمرقند، فحصَّنَها وبالغ في كثرة مَنْ تركَ فيها من المقاتلة، ورجع [خوارزم شاه] إلى بلاده[٨] ليجهز الجيوش الكثيرة، فقصدتِ التتارُ بخارى وبها عشرون ألف مقاتل، فحاصرها جنكيز خان ثلاثة أيام، فطلب منه أهلها الأمان، فأمَّنهم ودخلها فأحسنَ السيرةَ فيهم مكراً وخديعة، وامتنعت عليه القلعةُ

---

(١) أ، ب: بإزالة المنكرات وكسر الملاهي ففعل ذلك في مستهل هذه السنة.
(٢) أ، ب: وعبورهم.
(٣) عن ط وحدها.
(٤) ط: يبتضعون.
(٥) أ، ب: السلطان خوارزم شاه.
(٦) أ: فأرسل بقتلهم وبأخذ. وفي ب: فأرسل إليه بقتلهم ويأخذ.
(٧) أ، ب: ففعل ذلك فغضب عند ذلك جنكز خان وأرسل يتهدد خوارزم شاه فأشار.
(٨) عن ط وحدها.

فحاصرها وأشغل[١] أهل البلد في طم خندقها فكانت[٢] التتار يأتون بالمنابر والربعات فيطرحونها في الخندق يطمُّونه بها ففتحوها قسراً في عشرة أيام ، فقتل من كان بها . ثم عاد إلى البلد فاصطفى أموال تجارها وأباحها[٣] لجنده فقتلوا من أهلها خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، وأسروا الذرية والنساء ، وفعلوا بهنّ[٤] الفواحش بحضرة أهليهن ، فمن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل ، ومنهم من أُسر فعذب بأنواع العذاب ، وكثر البكاء والضجيج بالبلد من النساء والأطفال والرجال ، ثم ألقت التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها فاحترقت حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها ، ثم كرُّوا راجعين عنها قاصدين سمرقند[٥] ، فكان من أمرهم فيها ما سيأتي ذِكره في السنة الآتية[٦] .

وفي مستهل هذه السنة خُرِّب سورُ بيتِ المقدس ، عمره الله بذكره ، وذلك عن أمر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل[٧] خوفاً من استيلاء الفرنج عليه بعد مشورة من أشار عليه بذلك منهم : أخوه العزيز عثمان بن العادل وأستاذ داره عز الدين أيبك أن يخرباه خوفاً من استيلاء الفرنج عليه في غيبته فيتمكَّنون فيه ويستقرون ويجعلون ذلك[٨] وسيلة إلى أخذ الشام جميعه ، فشُرع في تخريب السور في أول يوم من المحرم من هذه السنة[٩] فهرب منه أهله خوفاً من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلاً أو نهاراً ، وتركوا أموالهم وأثاثهم[١٠] وتمزَّقوا في البلاد كلَّ ممزق ، حتى قيل إنه أبيع[١١] القنطار [من] الزيت بعشرة دراهم والرطل[١٢] النحاس بنصف درهم . وضج الناس وابتهلوا إلى الله عند الصخرة وفي الأقصى ، وهي أيضاً فعلة شنعاء من المعظم ، مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضي ، وقال[١٣] بعضهم يهجو المعظم في ذلك[١٤] : [من الرجز]

---

(١) ط : واستعمل .
(٢) ط : وكانت .
(٣) ط : وأحلها .
(٤) ط : معهن .
(٥) أ ، ب : إلى سمرقند .
(٦) ط : وكان من أمرهم ما سنذكره .
(٧) ط : أمر بذلك المعظم .
(٨) أشار بذلك فإن الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه وسيلة إلى أخذ الشام جميعه .
(٩) ط : أول يوم المحرم .
(١٠) أ ، ب : وأثقالهم .
(١١) ط : بيع ، وهو الصواب .
(١٢) ط : والرطل .
(١٣) فقال بعضهم يهجو المعظم بذلك .
(١٤) البيت في ذيل الروضتين (١١٦) ومرآة الزمان (٣٥٩) وبعده في ذيل الروضتين أبيات لمجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي بالمعنى ذاته .

فـي رجـبٍ حَلَّـلَ المُحـرَّم[١]   وخـرَّب القُـدْسَ فـي المُحَـرَّم

وفيها : استحوذت الفرنج [ـ لعنهم الله ـ] على مدينة دمياط ودخلوها بالأمان فغدروا بأهلها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها ، وفجروا بالنساء ، وبعثوا بمنبر الجامع والربعات ورؤوس القَتْلى إلى الجزائر ، وجعلوا الجامعَ كنيسةً [ولو شاء ربك ما فعلوه] .

وفيها : غضب المُعَظَّم[٢] على القاضي زكي الدين بن [محيي الدين بن] [قاضي البلد] ، وسببه أن عمته ست الشام بنت أيوب [كانت قد] مرضت في دارها التي جعلتها بعدها مدرسة فأرسلت إلى القاضي لتوصي إليه ، فذهب إليها بشهود معه فكتب الوصيةَ كما قالت ، فقال المعظم[٣] يذهب إلى عَمَّتي بغير[٤] إذني ، ويسمع هو والشهود كلامها ؟ واتفق أن القاضي طلب من جابي العزيزية حسابها وضربه بين يديه بالمقارع ، وكان المعظم يبغض هذا القاضي من أيام أبيه [العادل] ، فعند ذلك أرسل المعظم إلى القاضي ببقجة فيها قباء وكلوتة ، القباء أبيض والكلوتة صفراء . وقيل بل كانا حمراوين مدرنين[٥] ، وحلف الرسول عن السلطان ليلبسنهما ويحكم بين الخصوم فيهما ، وكان من لطف الله[٦] أن جاءته الرسالة بهذا وهو في دهليز داره التي بباب البريد ، وهو منتصب للحكم ، فلم يستطع إلا أن يلبسهما[٧] وحكم فيهما ، ثم دخل داره واستقبل مرض (موته) ، وكانت [وفاته في صفر من السنة الآتية بعدها][٨] ، وكان الشرف بن عنين[٩] الزرعي الشاعر قد أظهر النسك والتعبد ، ويقال : إنه اعتكف بالجامع[١٠] أيضاً فأرسل إليه المعظم بخمر ونرد ليشتغل بهما . فكتب إليه ابن عُنَيْن[١١] : [من الكامل]

---

(١) في ط ومرآة الزمان وذيل الروضتين : الحميا وأخرب . .
(٢) أ ، ب : تغيظ السلطان .
(٣) أ ، ب : فقال السلطان .
(٤) ط : بدون إذني .
(٥) أ : مدرين ، ب : بديرين : وفي ذيل الروضتين : أحمر ملطي . ومن وصف أبي شامة يبدو أن القباء ثوب يلبسه المرء على جسمه ، وأن الكلوتة يلبسه على رأسه ، وهما لا يليقان بالقاضي لذلك أراده أن يلبسهما ويسير بهما في السوق ليثير سخرية الناس عليه ، ، لكن الله لطف به فلم يلبسهما إلا في مجلس الحكم وهو في داره في باب البريد ومع ذلك فقد أصاب منه مقتلاً .
(٦) أ ، ب : وكان الألطاف به .
(٧) أ ، ب : فلم يقدر إلا أن لبسهما .
(٨) أ ، ب : فكانت وفاته في صفر من السنة التي بعدها .
(٩) سترد ترجمة ابن عنين في وفيات سنة ٦٣٠ ، وقد طُبع ديوانه في مجمع اللغة العربية بتحقيق خليل مردم بك ، ثم صورت نسخة المحقق من هذه الطبعة وعليها زيادات بخطه .
(١٠) أ ، ب : التعبد والنسك ويقال إنه اعتكف في الجامع .
(١١) البيتان في ديوان ابن عنين (٩٣) وهما أيضاً في مرآة الزمان (٣٩٨) وذيل الروضتين (١١٨) .

يـا أيُّهـا الملـكُ المعظِّـمُ سنـة   أَحْـدَثْتَهـا تَبْقَـى علـى الآبـادِ
تجري الملوكُ على طريقِكَ بعدَها   خلـعُ القضـاةِ وتحفـةُ الـزُّهـادِ

[وهذا من أقبح ما يكون أيضاً][1] .

وقد كان نواب ابن الزكي أربعة :

شمس الدين بن الشيرازي[2] إمام مشهد علي ، كان يحكم به في الشباك[3] ، وربما برز إلى طرف الرواق تجاه البلاطة السوداء .

وشمس الدين ابن سَنّي الدولة[4] ، كان يحكم في الشباك الذي في الكلاسة تجاه تربة [الملك] صلاح الدين عند الغزالية .

وجمال الدين المصري[5] وكيل بيت المال كان يحكم في الشباك الكمالي بمشهد عثمان .

وشرف الدين الموصلي[6] الحنفي كان يحكم بالمدرسة الطرخانية[7] بجيرون والله تعالىٰ أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان[8] :

ستّ الشام[9] واقفة المدرستين البرانية[10] والجوانية .

الست الجليلة المصونة خاتون ست الشام[11] بنت أيوب بن شاذي ، أخت الملوك وعمة أولادهم ،

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) سترد ترجمة ابن الشيرازي في وفيات ٦٣٥هـ .
(٣) ط : وكان يحكم بالمشهد بالشباك .
(٤) سترد ترجمة ابن سني الدولة في وفيات سنة ٦٣٥هـ .
(٥) ط : كمال الدين ؛ وهو تحريف ، وسترد ترجمته سنة ٦٢٣هـ .
(٦) سترد ترجمة شرف الدين الموصلي في وفيات سنة ٦٣٠هـ .
(٧) كانت المدرسة الطرخانية قبلي البادرائية ثم درست وخربت . منادمة الأطلال (١٧٩) .
(٨) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(٩) منادمة الأطلال (١٦٧) .
(١٠) ترجمة ـ ست الشام ـ في مرآة الزمان (٨/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) والتكملة للمنذري (٢/ ٤٨٥) وذيل الروضتين (١١٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٦٩) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٧٨) والعبر (٥/ ٦١) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٤٦) وشذرات الذهب (٧/ ١٢٠ ـ ١٢١) .
(١١) أ : ست الشام الخاتون الجليلة المصونة ست الشام .

وأم الملوك ، كان لها[١] من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكاً ، منهم شقيقها [الملك] المعظم توران شاه بن أيوب[٢] صاحب اليمن ، وهو مدفون عندها في [تربتها في] القبر القبلي من الثلاثة ، وفي الأوسط منها زوجها وابن عمها ناصر الدين[٣] محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي صاحب حمص ، وكانت قد تزوجته بعد أبي ابنها حسام الدين عمر بن لاجين ، وهي وابنها حسام الدين [محمد بن][٤] عمر في القبر الثالث ، وهو الذي يلي مكان الدرس ، ويقال للتربة والمدرسة الحسامية[٥] نسبة إلى ابنها هذا حسام الدين [محمد بن] عمر بن لاجين ، وكان من أكابر العلماء عند خاله صلاح الدين ، وكانت ست الشام [رحمها الله] من أكثر النساء صدقةً وإحساناً إلى الفقراء والمحاويج ، و(كانت) تعمل في كل سنة في دارها بألوفٍ من الذهب أشربةً وأدويةً وعقاقيرَ وغير ذلك ، وتفرقه على الناس ، وكانت وفاتها يوم الجمعة آخر النهار السادس عشر من ذي القعدة من هذه السنة في دارها التي جعلتها مدرسة[٦] ، وهي [عند المارستان وهي][٧] الشامية الجوانية ، ونقلت منها إلى تربتها بالشامية البرانية ، وكانت جنازتها حافلة رحمها الله .

أبو البقاء[٨] صاحب « الإعراب » و« اللباب » عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، الشيخ أبو البقاء العُكْبَري[٩] الضَّرير النحوي الحنبلي .

صاحب « إعراب القرآن العزيز » وكتاب « اللباب » في النحو ، وله « حواشٍ » على المقامات ، و« مفصّل » الزّمخشري ، و« ديوان » المتنبي ، وغير ذلك ، وله في الحساب وغيره[١٠] ، وكان صالحاً

---

(١) ب : أخت الملوك وأولادهم كلها .
(٢) توفي توران شاه بن أيوب سنة ٥٧٢ . ترويح القلوب (٤٨) .
(٣) توفي ناصر الدين في سنة ٥٨١ . ترويح القلوب (٣٩) .
(٤) ما بين المعقوفتين مستدرك عن ترجمته في هذا الجزء الدارس (٢/ ١٤٣ ـ ١٤٤) .
(٥) الدارس (٢/ ١٤٣ ـ ١٤٤) .
(٦) ب : مدرستها .
(٧) ما بينهما عن ط وحدها .
(٨) ترجمة ـ العكبري ـ في معجم البلدان (٤/ ١٤٢) والكامل في التاريخ (٩/ ٣٢٨) وإنباه الرواة (٢/ ١١٦ ـ ١١٨) والتكملة للمنذري (٢/ ٤٦١) وذيل الروضتين (١١٩ ـ ١٢٠) ووفيات الأعيان (٣/ ١٠٠ ـ ١٠١) والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (٢٦٥) والمختصر من أخبار البشر لأبي الفداء (٣/ ١٣١) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩١ـ٩٣) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٥٣) والعبر (٥/ ٦١) والمختصر المحتاج إليه (٢/ ١٤٠) ونكت الهميان (١٧٨ ـ ١٨٠) ومرآة الجنان (٤/ ٣٢ ـ ٣٣) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٠٩ ـ ١٢٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٤٦) وشذرات الذهب (٧/ ١٢١) ولصديقي الدكتور يحيى مير علم حفظه الله كتيب عن العكبري طبع حديثاً .
(٩) أ ، ب : العكبراوي .
(١٠) ب : وغير ذلك .

ديناً ، مات وقد قارب الثمانين رحمه الله ، وكان إماماً في اللغة[١] [والحساب والنحو ،] فقيهاً مناظراً عارفاً بالأصلين والفقه .

وحكى القاضي ابن خلكان[٢] عنه أنه ذكر في شرح[٣] المقامات أن عنقاء مغرب كانت تأتي إلى جبل شاهق عند أصحاب الرسّ[٤] ، فربما اختطفت بعض أولادهم ، فشكوها إلى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فهلكت .

قال : وكان وجهها كوجه الإنسان ، وفيها شبه من كل طائر .

وذكر الزمخشري في كتابه « ربيع الأبرار » أنها كانت في زمن[٥] موسى لها أربعة أجنحة من كل جانب ، ووجه كوجه الإنسان ، وفيه شبه كثير من سائر الحيوانات[٦] ، وأنها تأخرت إلى زمن خالد بن سنان العبسي الذي كان في الفترة ، فدعا عليها فهلكت والله أعلم .

وذكر ابن خلكان أن المعز الفاطمي جيء إليه بطائر غريب الشكل من الصعيد[٧] يقال له عنقاء مغرب .

قلت : وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة ، وكان صالحاً ولم يكن نبيّاً ، لقول رسول الله ﷺ « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي »[٨] . وقد قدمنا الكلام على ذلك هنالك[٩] .

الحافظ عماد الدين أبو القاسم[١٠] علي بن الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي .

---

(١) أ : اللغات .
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ١٠١) برواية مختلفة .
(٣) ب : في ذكر المقامات .
(٤) أ ، ب : تأتي إلى جبل بأرض الرسّ شاهق .
(٥) ب : في زمان .
(٦) ط : الحيوان .
(٧) أ ، ب : بطائر من الصعيد غريب الشكل .
(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٤٢) ومسلم رقم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، باب فضائل عيسى عليه السلام .
(٩) ط : وقد تقدم ذلك الخبر في الجزء الأول (٢٣٧ ـ ٢٣٨) من كتاب ابن كثير هذا .
(١٠) ترجمة ـ العماد بن عساكر ـ في الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٢٨) والتكملة للمنذري (٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤) وذيل الروضتين (١٢٠ و١٢١) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١٣١) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٨٠) والعبر (٥/ ٦٢ ـ ٦٣) وطبقات السبكي (٥/ ١٢٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٤٦) وشذرات الذهب (٧/ ١٢٥) .

سمع الكثير ورحل فمات ببغداد في هذه السنة ، ومن لطيف شعره قوله في المروحة[(١)] : [من الوافر]

ومروحةٍ تروِّح كل هَمٍّ ثلاثةَ أشهرٍ لا بدّ منها
حزيرانٍ وتموزٍ وآبٍ وفي أيلولَ يُغني الله عَنْها

[وفيها توفي] ابن الدوامي[(٢)] الشاعر .

وقد أورد له ابن الساعي جملة[(٣)] صالحة من شعره .

ابن الرزاز[(٤)] وأبو [منصور] سعيد [محمد بن سعيد بن محمد بن عمر] بن الرزاز[(٥)] .

وكان أحد المعدلين ببغداد . وسمع البخاري من أبي الوقت[(٦)] .

أبو سعيد المروزي وأبو سعيد محمد بن محمود[(٧)] بن [محمد بن محمد بن] عبد الرحمن المروزي[(٨)] الأصل الهمذاني المولد البغدادي المنشأ (والوفاة) .

وكان حسن الشكل ، كامل الأوصاف ، له خط حسن ، ويعرف فنوناً كثيرة من العلوم ، شافعي المذهب ، ويتكلم في مسائل الخلاف ، حسن الأخلاق .

ومن شعره قوله[(٩)] : [من الطويل]

أرى قسمة[(١٠)] الأرزاق أعجبَ قسمةٍ لذي دَعةٍ ومكديةٍ لذي كدِ[(١١)]

---

(١) البيتان في ذيل الروضتين (١٢١) .
(٢) ب : ابن الدوابني . وط : ابن الدواي .
(٣) ب : جملة صالحة .
(٤) في الأصول جميعاً : أبو سعيد بن الرزاز واستكملت اسمه من مصادر ترجمته وهي : التكملة للمنذري (٢/ ٤٥٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٧٠) والمختصر المحتاج إليه (٢/ ٩٥ ـ ٩٦) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩٧) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٤٦) وشذرات الذهب (٧/ ١٢١) .
(٥) ط : أبو سعيد بن الوزان .
(٦) ترجمة أبي الوقت وردت في وفيات سنة ٥٥٣ من الجزء السابق .
(٧) ط : محمد بن محمود بن عبد الرحمن .
(٨) ب : محمود بن محمد بن محمود بن محمد بن عبد الرحمن ، قال بشار : وترجمه المنذري في التكملة (٢/ ٤٧٥) وأبو شامة في ذيل الروضتين (١٢٠) والذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٨٧) والصفدي في الوافي (١/ ٢١٢) والعيني في عقد الجمان (١٧/ الورقة ٣٩٩) .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) أ ، ط : أرى قسم . ما هنا عن ب .
(١١) أ ، ب : لذي دعة مترو مكذبة الكد .

وأحمقُ ذو مالٍ وأحمق معدمٌ وعقلٌ بلا حظٍّ وعقلٍ له حدُّ[١]
يعم الغنى والفقرُ ذا الجهلِ والحجا ولله ِمن قبلُ الأمورُ ومن بعدُ

أبو زكريا يحيى بن القاسم[٢] بن المفرج بن درع بن الخضر[٣] الشافعي الشيخ تاج الدين التِّكْريتي قاضيها ، ثم دَرَّسَ بنظامية بغداد .

وكان متقناً لعلوم كثيرة منها التفسير[٤] والفقه والأدب والنحو واللغة ، وله المصنفات في ذلك كله وجمع لنفسه تاريخاً حسناً . ومن شعره قوله[٥] : [من البسيط]

لا بُدَّ للمرءِ من ضِيقٍ ومن سَعةٍ ومن سُرورٍ يوافيهِ ومن حَزَنِ
واللهُ يطلبُ منهُ شُكرَ نعمتهِ ما دامَ فيها ويبغي الصَّبرَ في المحنِ
فكُنْ مَعَ اللهِ في الحالينِ مُعْتَنِقاً فرضيكَ هذين فِي سرٍّ[٦] وفي علنِ
فما على شدةٍ يبقى الزمانُ يكنْ ولا على نِعمةٍ تبقى على الزمنِ

ومن ذلك قوله[٧] : [من المنسرح]

لو كانَ قاضي الهوى عليَّ ولي ما جارَ في الحكم مَن عليَّ ولي
يا يوسفيَّ الجمالِ عَبْدُكَ لم تَبقَ له[٨] حيلةٌ من الحيلِ
إِنْ كانَ قُدَّ القميصُ من دُبُرٍ ففيكَ قُدَّ الفؤادُ من قُبُلِ

صاحب الجواهر[٩] الشيخ الإمام العلامة [جلال الدين][١٠] أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن

---

(١) أ : جد .
(٢) ترجمة ـ تاج الدين التكريتي ـ في معجم الأدباء (٢٠/ ٢٩ ـ ٣٠) ومرآة الزمان (٨/ ٤٠٠) والتكملة للمنذري (٢/ ٤٧٨) وذيل الروضتين (١٢٠) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٩٠) وطبقات الإسنوي (١/ ٣١٣) وطبقات السبكي (٥/ ١٤٩ ـ ١٥٠) وبغية الوعاة (٢/ ٣٣٩) .
(٣) في معجم الأدباء : يحيى بن القاسم بن مفرج بن وزع بن الخضر بن الحسن بن حامد . وفي التكملة : يحيى بن القاسم ابن المفرج بن درع بن الخضر بن الحسن ، وفي طبقات الإسنوي : يحيى بن القاسم بن مفرج .
(٤) ب : كثيرة من العلوم شافعي المذهب وله التفسير .
(٥) البيتان الأول والثاني في طبقات الإسنوي (١/ ٣١٤) .
(٦) أ : فرصتك هذين . ب : فرصتك في سر . وكلا الروايتين خطأ ، ولا يستقيم بهما الوزن .
(٧) ط : وله أيضاً : إن كان .
(٨) ط : عندك لم تبق لي .
(٩) ترجمة ـ ابن شأس ـ في التكملة للمنذري (٢/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩) ووفيات الأعيان (٣/ ٦١ ـ ٦٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٧٣) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩٨ ـ ٩٩) والديباج المذهب لابن فرحون (١/ ٤٣) وحسن المحاضرة (١/ ٢١٤) وشذرات الذهب (٧/ ١٢٣) وشأس : بالشين المعجمة والسين المهملة بينهما ألف كما قال ابن خلكان .
(١٠) ط : الشيخ الإمام جمال الدين .

نزار بن عشائر[١] بن عبد الله بن محمد بن شاس الجذامي السعدي الفقيه المالكي[٢] .

مصنف كتاب « الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة » ، وهو من أكثر الكتب فوائدَ في الفروعِ ، رتَّبه على طريقة الوجيز للغزالي .

قال ابن[٣] خلّكان : وفيه دلالة على غزارة علمه وفضله والطائفة المالكية بمصر عاكفة عليه لحسنه وكثرة فوائده ، وكان مدرساً بمصر وتوفي[٤] بدمياط رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمئة[٥]

في هذه السنة عم البلاء وعظم العزاء بِجِنْكِيْز خان المسمى تُمرجي[٦] لعنه الله تعالىٰ ، ومن معه من التتار قبحهم الله أجمعين ، واستفحل أمرهم وامتدّ[٧] إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها ، فملكوا في سنة واحدة وهي هذه السنة سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر ، وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي الخوارزمية والقفجاق والكرج واللان والخزر وغيرهم ، وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار[٨] ما لا يحد ولا يوصف ، وبالجملة فلم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال ، وكثيراً من النساء والأطفال[٩] ، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه ، وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه ، حتى أنهم كانوا يجمعون الحرير الكثير الذي يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار [فيحرق] وهم ينظرون إليه ، ويخربون المنازل وما عجزوا عن تخريبه أحرقوه[١٠] ، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع ، وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم ، وإن لم ينصحوا في القتال قتلوهم .

وقد بسط ابن الأثير في « كامله »[١١] خبرهم في هذه السنة بسطاً حسناً مفصّلاً ، وقدم على ذلك كلاماً

---

(١) ب : عساكر . تحريف .

(٢) ط : الجذامي المالكي الفقيه .

(٣) ب : القاضي ابن خلكان . والخبر في وفيات الأعيان (٣/ ٦١) بخلاف في الرواية .

(٤) ط : ومات .

(٥) تكررت هذه السنة في الجزء العاشر من نسخة الأحمدية .

(٦) ط : بتموجين . وفي سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٤٣) تُمرجين . وسترد ترجمة جنكز خان في وفيات سنة ٦٢٤هـ .

(٧) ط : واشتد .

(٨) أ ، ب : وقتلوا من هذه السنة من المسلمين في بلدان متعددة كبار . وفي ب وحدها : كبار وصغار .

(٩) أ : النساء والصبيان .

(١٠) ط : يحرقوه .

(١١) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٢٩ ـ ٣٤٤) .

هائلاً في تعظيم هذا الخطب العجيب ، قال فنقول : هذا الفصل[١] يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي[٢] عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله آدم وإلى الآن لم يُبْتَلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا [ما] يدانيها ، ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعل بُخْتَ نَصَّر ببني إسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس ، ومالبيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة أضعاف البيت المقدس وما[٣] بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا ، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ، ولعل الخلق[٤] لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج ، وأما الدجال فإنه يبقى على من اتّبعه ويهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يُبقوا على أحد ، بل قتلوا النساء والرجال[٥] والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم[٦] ضررها ، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح ، فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما ، فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره ، ثم تعبر[٧] طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ، ثم يتجاوزونها[٨] إلى الري وهمذان وبلد الجبل[٩] وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرّان[١٠] ويخربونها[١١] ويقتلون أكثر أهلها[١٢] ولم ينج منهم[١٣] إلا الشريد النادر في أقل من سنة ، هذا ما لم

---

(١) في الأصول : هذا فصل . وما هنا عن ابن الأثير .

(٢) ط : الليالي والأيام .

(٣) أ ، ب : إلى ما . وط : لما . وما هنا عن ابن الأثير .

(٤) في الأصول : ولعل الخلائق وما هنا رواية ابن الأثير مصدر المؤلف .

(٥) في الأصول : بل قتلوا الرجال والنساء . وما هنا عن ابن الأثير .

(٦) أ : وعظم ضررها .

(٧) أ ، ب : ثم يعبر .

(٨) من الأصول : يجاوزونها . وما هنا عن ابن الأثير .

(٩) ب : إلى بلاد الري وهمذان وبلاد الجبل .

(١٠) ط وابن الأثير : أرانيه ؛ وهو تصحيف . وأرّان : بالفتح وتشديد الراء ، وألف ، ونون : اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة إلى جانب أذربيجان ، وبينهما نهر يقال له الرس ، وكل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو من أرّان ، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان . معجم البلدان (١/ ١٣٦) .

(١١) في الأصول : ويخربونه . وما هنا عن ابن الأثير .

(١٢) أ ، ب : أهله .

(١٣) عن ط وابن الأثير .

يسمع بمثله ، ثم ساروا إلى دربند شروان(١) فملكوا مدنه [ولم يسلم غير قلعته التي بها ملكهم ، وعبروا عندها](٢) إلى بلد اللاَّن(٣) واللَّكْز(٤) ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة(٥) ، فأوسعوهم(٦) قتلاً ونهباً وتخريباً ، ثم قصدوا(٧) بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً فقتلوا كلَّ مَنْ وقفَ لهم ، وهربَ(٨) الباقون إلى الغياض [ورؤوس الجبال وفارقوا بلادهم](٩) واستولى هؤلاء التتر عليها ، فعلوا ذلك في أسرع زمان لم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير ومضى] طائفة أخرى إلى غَزْنَةَ وأعمالها وما يجاورُها من بلاد الهند وسجستان / وكرمان/ ففعلوا فيها مثل أفعال(١٠) هؤلاء وأشد ، هذا ما لم يطرق الأسماعَ مثلُه ، فإنَّ الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة(١١) ، وإنما ملكها في نحو عشر سنين ، ولم يقتل(١٢) أحداً بل رضي من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأطيبه(١٣) ، وأحسنه عمارة ، وأكثره أهلاً ، وأعدلهم أخلاقاً وسيرة في نحو سنة .

ولم يتفق لأحد من أهل البلاد التي لم يطرقوها بقاء إلا وهو خائف مترقب وصولهم [إليه .

ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيهم ، فإنهم معهم الأغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير ، وأما دوابهم التي يركبونها فإنها تحفر الأرض بحوافرها وتأكل

---

(١) شَرْوان ولاية قصبتها شماخي . وهي قرب بحر الخزر ، وبلاد شروان في طرف أران . معجم البلدان (٣/ ٣٣٩ و٣٦١) .

(٢) عن ط وابن الأثير .

(٣) اللان بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب دربند باب الأبواب مجاورون للخزر . معجم البلدان (٥/ ٨) .

(٤) أ ، ب : اللان والبلغر . واللكز ـ بالفتح ، ثم السكون ، وزاي : بليدة خلف الدَّرْبَنْد تتاخم خزران وقيل لكز والكز والخزر وصقلب وبلنجر . معجم البلدان (٥/ ٢٢) .

(٥) أ : المختلفة الألسن والألوان فأوسعهم .

(٦) أ ، ب : فأوسعهم .

(٧) أ ، ب : وقصدوا .

(٨) ابن الأثير : فهرب .

(٩) في الأصول : وملكوا عليهم بلادهم وسارت .

(١٠) أ : مثل ما فعلوا . وعند ابن الأثير : مثل فعل .

(١١) أ ، ب : في سنة . وط : في سنة واحدة .

(١٢) أ : ولم تقتل أحد . وعند ابن الأثير : ولم يقتل أحد .

(١٣) بدءاً من هذه اللفظة أصبحت خلافات الرواية بين ابن الأثير وابن كثير أكثر من أن ترصد وأطول من أن تسجل ولذلك آثرنا إبقاء رواية ابن كثير على حالها ، لاحتمال أن تكون النسخة التي نقل منها ابن كثير غير النسخة المعتمدة في المطبوع من ابن الأثير . والكتاب أولاً وأخيراً هو كتاب ابن كثير يحمل طابعه ويدل عليه . ولا يفوتنا ما طرأ في القرون المتأخرة من التوسع في مدلول الوجادة كإحدى طرق النقل والرواية .

عروق النبات لا تعرف الشعير . فهم إذا نزلوا منزلاً لا يحتاجون إلى شيء من خارجٍ][١] .

وأما [ديانتهم فإنهم][٢] يسجدون للشمس[٣] إذا طلعت . ولا يحرّمون شيئاً ، ويأكلون ما وجدوه من الحيوانات والميتات لعنهم الله تعالىٰ . قال : وإنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع لأن السلطان خوارزم شاه محمداً قد قتل الملوك من سائر الممالك واستقر في الأمور . فلما انهزم منهم في العام الماضي وضعف عنهم وساقوا وراءه (فهرب) ، فلا يُدرى أين ذهب ؟ وهلك في (بعض) جزائر البحر ، خلت البلاد ولم يبق لها من يحميها ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، وإلى الله تُرجع الأمور .

ثم شرع في تفصيل ما ذكره مجملاً : فذكر أولاً ما قدمنا ذكره في العام الماضي من بعث جنكيز خان أولئك التجار بمال له يأتونه[٤] بثمنه كسوة ولباساً ، وأخذ خوارزم شاه تلك الأموال فحنق عليه جنكيز خان وأرسل يتهدده[٥] فسار إليه خوارزم شاه بنفسه وجنوده فوجد التتار مشغولين بقتال كشلي خان ، فنهب أثقالهم ونساءهم وأطفالهم فرجعوا وقد انتصروا على عدوّهم ، وازدادوا حنقاً وغيظاً ، فتواقعوا هم وإياه وابن[٦] جنكيز خان ثلاثة أيامٍ فقُتل من الفريقين خلقٌ كثير ، ثم تحاجزوا ورجع خوارزم شاه إلى أطراف بلاده فحصَّنها ثم كرَّ راجعاً إلى مقرّ ملكه وهي مدينة[٧] خوارزم ، فأقبل جنكيز خان فحصر بخارى كما ذكرنا فافتتحها صلحاً وغدر بأهلها حين[٨] افتتح قلعتها قهراً وقتل الجميع ، وأخذ الأموال وسبى النساء والأطفال وخرَّب الدور والمحال ، وقد كان بها عشرون ألف مقاتل ، فلم يُغْنِ عنهم شيئاً ، ثم سار إلى سمرقند فحاصرها في أول المحرم من هذه السنة وبها خمسون ألف مقاتل من الجند فنكلوا ، وبرز إليهم سبعون ألفاً من العامة فقتل الجميع في ساعة واحدة وألقى إليه الخمسون ألفاً[٩] السلمَ فسلبهم سلاحهم وما يمتنعون به ، وقتلهم في ذلك اليوم واستباح البلد فقتل الجميع وأخذ الأموال وسبى الذرية وحرقه وتركه بلاقع ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وأقام لعنه الله هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان فأرسل[١٠] سرية إلى

---

(١) ما بين الحاصرتين مستدرك عن ابن الأثير .
(٢) في الأصول : وهم مع ذلك .
(٣) بعدها في أ : من دون الله تعالىٰ .
(٤) ط : ليأتونه . وهي خطأ نحوي .
(٥) ط : يهدده .
(٦) أ ، ب : مع ابن جنكز خان ، وذكر ابن الأثير أن التتار بعد أن انتصروا على كشلوخان عادوا إلى بلادهم فلقيهم في الطريق الخبر بما فعل خوارزم شاه بمخلفيهم فجدوا السير فأدركوه قبل أن يخرج عن بيوتهم وتصافّوا للحرب .
(٧) أ : مفكر ملكه ، وط : إلى مقره ومملكته بمدينة خوارزم شاه .
(٨) ط : حتى .
(٩) ط : ألف . وهي مخالفة للسياق النحوي .
(١٠) أ : فبعث .

بلاد خراسان وتسميها التتار المغربة[(١)] ، وأرسل أخرى وراء خوارزم شاه ، وكانوا عشرين ألفاً قال : اطلبوه فأدركوه ولو تعلَّق بالسماء فساروا وراءه فأدركوه[(٢)] وبينهم وبينه نهر جيحون وهو آمنٌ بسببه ، فلم يجدوا سفناً فعملوا لهم أحواضاً يحملون عليها[(٣)] الأسلحة ويرسل أحدهم فرسه ويأخذ بذنبها فتجره الفرس بالماء[(٤)] وهو يجر الحوض الذي فيه سلاحه ، حتى صاروا كلُّهم في الجانب الآخر ، فلم يشعر بهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه ، فهرب منهم إلى نيسابور ثم منها إلى غيرها وهم في أثره لا يمهلونه يجمع لهم[(٥)] فصار كلما أتى بلداً ليجتمع فيه عساكره له يدركونه فيهرب منهم ، حتى ركب في بحر طبرستان وسار إلى قلعة في جزيرة فيه فكانت[(٦)] فيها وفاته .

وقيل إنه لا يعرف بعد ركوبه في البحر ما كان من أمره بل ذهب فلا يُدْرى أين ذهب ، ولا إلى أي مَفَرٍّ هرب ، وملكت التتار[(٧)] حواصله فوجدوا في خزانته عشرة آلاف دينار ، وألف حمل من الأطلس وغيره[(٨)] وعشرون ألف فرس وبغل ، ومن الغلمان والجواري والخيام شيئاً كثيراً ، وكان له عشرة آلاف مملوك كلُّ واحدٍ مثلُ ملك ، فتمزَّقَ ذلك كله[(٩)] ، وقد كان خوارزم شاه فقيهاً حنفياً فاضلاً له مشاركات في فنونٍ من العلم ، يفهم جيداً ، و[قد] ملك بلاداً متسعة وممالك متعددة إحدى وعشرين سنة وشهوراً ، ولم يكن بعد ملوك بني سلجوق أكثر[(١٠)] حرمةً منه ولا أعظم مُلْكاً منه ، لأنه إنما كانت همته في الملك لا في اللذات والشهوات ، ولذلك[(١١)] قهر الملوك بتلك الأراضي وأحلَّ بالخطا بأساً شديداً ، حتى لم يبق ببلاد خراسان وما وراء النهر [وكذلك] عراق العجم وغيرها من الممالك سلطان سواه ، وجميع البلاد تحت أيدي[(١٢)] نوابه . ثم ساروا إلى مازندران[(١٣)] وقلاعها من أمنع القلاع ، بحيث إن المسلمين لم

---

(١) قال ابن الأثير (٩/ ٢٣٣) : لأنها سارت نحو غرب خراسان .
(٢) أ : فساقوا في طلبه فأدركوه .
(٣) أ : يحملون عليهم .
(٤) أ : في الماء .
(٥) ب : حتى يجمع لهم .
(٦) أ ، ب : وكانت .
(٧) أ ، ب : ولا أين سلك ولا إلى أي مقرن ـ ب : مغرب ـ إليه هرب وملكت التتر .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) بعدها في أ : في أقل من سنة .
(١٠) أ ، ب : أكبر حرمة .
(١١) أ ، ب : ولهذا .
(١٢) أ : يد .
(١٣) كانت منطقة الجبال العالية الممتدة في هذا الساحل الجنوبي لبحر قزوين تعرف لدى البلدانيين العرب الأولين بطبرستان ، ومعناها بلاد الجبل . وفي المئة السابعة بطل استعمال اسم طبرستان على ما يظهر وحلَّ محلَّه مازندران ، ومنذ ذلك الحين أصبح مازندران الاسم الشائع لهذا الإقليم . معجم البلدان (٥/ ٤١) وبلدان الخلافة (٤٠٩ ـ ٤١٠) .

يفتحوها[١] إلا في سنة تسعين من أيام سليمان بن عبد الملك ، ففتحها هؤلاء في أيسر[٢] مدة . ونهبوا ما فيها وقتلوا أهاليها كلهم وسبوا وأحرقوا ، ثم ترحلوا عنها نحو الري فوجدوا في الطريق أمَّ خوارزم شاه ومعها أموال عظيمة جداً ، فأخذوها وفيها كل غريب ونفيس مما لم يشاهد مثله من الجواهر وغيرها ، ثم قصدوا الري فدخلوها على حين غفلة من أهلها فقتلوهم وسبوا وأسروا[٣] ، ثم ساروا إلى همذان فملكوها ثم إلى زنجان[٤] فقتلوا وسبوا ، ثم قصدوا قزوين فنهبوها وقتلوا من أهلها نحواً من أربعين ألفاً ، ثم تيمموا بلاد أذربيجان فصالحهم ملكها أوزبك[٥] بن البهلوان على مال حمله[٦] إليهم لشغله بما هو فيه من السكر وارتكاب السيئات والانهماك على الشهوات ، فتركوه وساروا إلى موقان[٧] فقاتلهم الكرج في عشرة آلاف مقاتل فلم يقفوا بين أيديهم طرفة عين حتى انهزمت الكرج [وقتلت التتار منهم خلقاً كثيراً ثم قصدوا تفليس وهي أكبر مدن الكرج فاجتمعت عند ذلك الكرج وأقبلوا][٨] إليهم بحدّهم وحديدهم ، فكسرتهم التتار وقعة[٩] ثانية أقبح هزيمة وأشنعها .

وها هنا قال ابن الأثير[١٠] : ولقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يُسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه : طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم[١١] سنة حتى يصل بعضهم إلى حدود بلاد إرْمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان وتالله[١٢] لا أشك أَنَّ مَنْ يجيءُ بعدنا إذا بَعُدَ العهدُ ويرى هذه الحادثة مسطورة يُنْكرها ويستبعدها ، والحقُّ بيده ، فمتى استبعد ذلك فلينظر أننا سطرنا[١٣] نحن وكل مَنْ جمعَ

---

(١) أ : لم يفتحوها ، وب : لم يفتتحوا .

(٢) أ : ففتحها هو في أيسر ، وب : ففتحها وفي أيسر .

(٣) أ : فقتلوهم ونهبوهم وسبوهم وأسروهم ، وب : فقتلوهم ونهبوهم وسبوهم .

(٤) أبهر وزنجان مدينتان يقترن ذكرهما في الغالب على الطريق غرب قزوين . وزنجان على نحو خمسين ميلاً إلى غربي أبهر على نهر زنجان وعلى طريق أذربيجان معجم البلدان (٣/ ١٥٢) وبلدان الخلافة (٢٥٦ ـ ٢٥٧) .

(٥) سترد ترجمته .

(٦) ب : حملوا .

(٧) قال ياقوت : موقان : ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان ، وهي بأذربيجان يمرّ القاصد من أردبيل إلى تبريز في الجبال . معجم البلدان (٥/ ٢٢٥) .

(٨) ط : فأقبلوا .

(٩) أ ، ب : مرة ثانية .

(١٠) ابن الأثير (٩/ ٣٣٦) .

(١١) أ ، ب : لا يخرج عنه سنة .

(١٢) أ : والله .

(١٣) أ ، ب : فمتى استبعدها فلينظر أنا سطرناها .

التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم[١] هذه الحادثة ، قد استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها ، يَسَّرَ اللهُ للمسلمين والإسلام مَنْ يحفظهم ويحوطهم[٢] ، فلقد دفعوا من العدو إلى عظيم[٣] ، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى[٤] همتُه بطنَه وفرجَه ، [وقد عدم سلطان المسلمين خوارزم شاه][٥] .

قال[٦] : وانقضت هذه السنة وهم في بلاد الكرج ، فلما رأوا منهم ممانعة ومقاتلة يطول عليهم بها المطال عدلوا إلى غيرهم ، وكذلك كانت عادتهم فساروا إلى تبريز فصالحهم أهلها بمال . ثم ساروا إلى مراغة فحصروها ونصبوا عليها المجانيق وتترسوا بالأسارى من المسلمين ، وعلى البلد امرأة ـ ولن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ـ ففتحوا البلد بعد أيام وقتلوا من أهله خلقاً لا يعلم عدتهم إلاَّ الله عز وجل ، وغنموا منه شيئاً كثيراً ، وسَبَوْا وأسروا على عادتهم لعنهم الله لعنة تدخلهم نار جهنم ، وقد كان الناس يخافون منهم خوفاً عظيماً جداً حتى [قيل] إنه دخل رجل منهم[٧] إلى درب من هذه البلدة[٨] وبه مئة رجل لم يستطع واحد[٩] منهم أن يتقدم إليه ، وما زال يقتلهم واحداً بعد واحد حتى قتل الجميع ولم يرفع منهم أحد يده إليه ، ونهب ذلك الدرب وحده .

ودخلت امرأة منهم في زي رجل [بيتاً][١٠] فقتلت كل من في ذلك البيت وحدها ثم استشعر أسيرٌ معها أنها امرأةٌ فقتلها ، لعنها الله .

ثم قصدوا مدينة إربل فضاق المسلمون لذلك ذرعاً وقال [أهل تلك][١١] النواحي : هذا أمرٌ عصيبٌ ، وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف[١٢] صاحب الجزيرة يقول : إني قد جهزتُ

---

(١) أ ، ب : وقت يعلم كل من فيه .
(٢) أ ، ب : يسَّرَ الله للمسلمين .
(٣) ط : إلى أمر عظيم .
(٤) أ ، ب : ومن ملوك الإسلام إلى من لا يتعدى .
(٥) جاءت هذه العبارة برواية أخرى عند ابن الأثير وقبلها ستة أسطر ، حذفها ابن كثير من كلام ابن الأثير واكتفيت بهذه الإشارة .
(٦) ابن الأثير (٩/ ٣٣٧) بتغيير الألفاظ والمحافظة على المعنى العام للحدث .
(٧) أ ، ب : أنه دخل منهم رجل واحد إلى درب .
(٨) ط : هذه البلد .
(٩) أ : لم يستطع أحد .
(١٠) أ : إلى بيت . واللفظة مستدركة للسياق .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) أ ، ب : وكذلك الأشرف .

عسكراً فكونوا معه لقتال هؤلاء التتار[١] ، فأرسل الأشرف يعتذر إلى الخليفة بأنه متوجّه نحو أخيه الكامل إلى الديار المصرية بسبب ما قَدْ دَهَم المسلمين هناك من الفرنج ، وأخذهم دمياط التي[٢] قد أشرفوا بأخذها[٣] على أخذ الديار المصرية قاطبة ، وكان أخوه المعظم قد قدم عليه إلى[٤] حران يستنجده لأخيهما الكامل ليتحاجزوا الفرنج بدمياط ، وهو على أهبة المسير إلى الديار المصرية .

فكتب الخليفة إلى مظفر الدين صاحب إربل ليكون هو المقدم على العساكر التي يبعثها الخليفة وهي عشرة آلاف مقاتل ، فلم يقدم عليه منهم ثمانمئة فارس ثم تفرقوا قبل أن يجتمعوا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولكن الله سلم[٥] بأن صرفَ همةَ التتار إلى ناحية همذان فصالحهم أهلها وترك عندهم التتار[٦] شحنة ، ثم اتفقوا على قتل شحنتهم فرجعوا إليهم فحاصروهم حتى فتحوها قسراً وقتلوا أهلها عن آخرهم ، ثم ساروا إلى أَذْرَبيجان ففتحوا أَرْدَبيل[٧] ثم تِبْريز[٨] ثم إلى بيلقان[٩] فقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وجماً غفيراً ، وحرقوها وكانوا يفجرون بالنساء ثم يقتلونهن ويشقّون بطونهن عن الأجِنَّة .

ثم عادوا إلى بلاد الكُرْج وقد استعدت لهم الكُرْج فاقتتلوا معهم فكسروهم أيضاً كسرةً فظيعةً ، ثم فتحوا بلداناً كثيرة يقتلون أهلها ويسبون نساءها ويأسرون من الرجال ما يقاتلون بهم الحصون ، يجعلونهم بين أيديهم تُرْساً يتقون بهم الرمي وغيره ، ومن سلم منهم قتلوه بعد انقضاء الحرب ، ثم ساروا إلى بلاد اللان والقبجاق[١٠] فاقتتلوا معهم قتالاً عظيماً فكسروهم وقصدوا أكبر مدائن القبجاق[١١] وهي مدينة

---

(١) أ ، ب : التتر .

(٢) ط : الذي .

(٣) ط : بأخذهم لها .

(٤) ط : قدوم على والي حران .

(٥) أ ، ب : ولكن سلم الله .

(٦) أ ، ب : وترك التتر عندهم شحنة .

(٧) أردبيل : من أشهر مدن أذربيجان كانت قصبتها . معجم البلدان (١/ ١٤٥) وبلدان الخلافة (٢٠٢ ـ ٢٠٣) .

(٨) « تبريز » : بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، وهي من أشهر مدن أذربيجان وتقع على نحو ثلاثين ميلاً من شرق بحيرة أُرْمِيَة على نهر يصب فيها قرب جزيرة أو شبه جزيرة شاها . معجم البلدان (٢/ ١٣) وبلدان الخلافة (١٩٥ ـ ١٩٦) .

(٩) « البَيْلَقان » : وتقع على أربعة عشر فرسخاً من جنوب برذعة . وقد زالت الآن ، وتعرف بالأرمنية باسم قيداكران . بلدان الخلافة الشرقية (٢١٢) .

(١٠) أ ، ب : القفجاق . والروايتان بمعنًى ، ولعل المقصود بهم الذين يُسَمَّوْن اليوم بالقفقاس . بلدان الخلافة (٢١٦) .

(١١) كذا في ط . وهي في أ ، ب : قفجاق . وسوذاق هي القفجاق كما يقول الذهبي في العبر (٥/ ٦٥) وقد صحفت هناك إلى سوراق فلتصحح .

سوداق وفيها من الأمتعة والثياب والتجائر من البرطاسي والقندز والسِّنجاب شيء كثير جداً ، ولجأت القبجاق إلى بلاد الروس وكانوا نصارى فاتّفقوا معهم على قتال التتار[١] فالتقوا معهم فكسرتهم التتار كسرةً فظيعةً جداً[٢] .

ثم ساروا نحو بُلغار[٣] في حدود العشرين وستمئة ففرغوا من ذلك كله ثم عادوا إلى[٤] نحو ملكهم جنكيز خان لعنه الله وإياهم . هذا ما فعلته هذه السرية المغرّبة .

وكان جنكيز خان قد أرسل سرية في هذه السنة إلى ترمذ فأخذتها[٥] وأخرى إلى فرغانة فملكوها ، وجهز جيشاً آخر نحو خراسان فحاصروا بلخ فصالحهم أهلها ، وكذلك صالحوا مدناً كثيرة أخرى ، حتى انتهوا إلى الطالقان[٦] فأعجزتهم قلعتها وكانت حصينة فحاصروها ستة أشهر حتى عجزوا فكتبوا إلى جنكيز خان فقدم بنفسه فحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى فتحها قهراً ، ثم قتل كُلَّ مَنْ فيها وكل مَنْ في البلد بكماله خاصة وعامة[٧] ، ثم قصدوا مدينة مرو مع جنكيز خان وقد[٨] عسكر بظاهرها نحو من مئتي ألف مقاتل من العرب وغيرهم فاقتتلوا معهم[٩] قتالاً عظيماً حتى انكسر المسلمون فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، ثم حصروا البلدَ خمسةَ أيامٍ واستنزلوا نائبها خديعةً ثم غدروا به وبأهل البلد فقتلوهم وغنموهم وسبوهم[١٠] ، وعاقبوهم بأنواع العذاب[١١] ، حتى إنهم قتلوا في[١٢] يوم واحد سبعمئة ألف إنسان ، ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا فيها ما فعلوا بأهل مرو[١٣] ، ثم إلى طوس فقتلوا وخربوا مشهد علي بن موسى الرشيد[١٤]

---

(١) أ ، ب : التتر .

(٢) أ ، ب : كسرة فظيعة منكرة جداً .

(٣) ط : بلقار . وما هنا عن أ ، ب ، ويوافق ما في معجم البلدان (١/ ٤٨٥) وبلدان الخلافة (٥٠٢) .

(٤) ط : ورجعوا نحو .

(٥) ط : إلى كلانة وأخرى . وترمذ مدينة زاكية على نهر جيحون من جانبه الشرقي متصلة العمل بالصغانيان في شمال مضيق نهر جيحون وهوآتٍ من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل به . معجم البلدان (٢/ ٢٦) وبلدان الخلافة الشرقية (٤٨٤) .

(٦) الطالقان تقع على ثلاث مراحل من مرو الروذ من جهة بلخ ولم يبق لهذا الاسم ذكر في الخارطة غير أن المرتفعات وبقايا الآجر بالقرب من جاجكتو قد بقين موضعها . معجم البلدان (٤/ ٦) وبلدان الخلافة الشرقية (٤٦٥) .

(٧) أ ، ب : ثم قتلوا من فيها ومن في البلد من الخاصة والعامة .

(٨) ط : فقد .

(٩) ط : معه .

(١٠) ط : وسلبوهم .

(١١) أ ، ب : بأنواع المثلات .

(١٢) ب : قتلوا منهم في يوم واحد .

(١٣) أ : ففعلوا قريباً مما فعلوا بأهل مرو . وب : ففعلوا بأهل مرو .

(١٤) ط : الرضى سلام الله عليه وعلى آبائه وخربوا تربة الرشيد .

الخليفة[١] فتركوه[٢] خراباً ، [ثم ساروا إلى هراة فقتلوا خلقاً واستنابوا عليها] ثم ساروا إلى غزنة فقاتلهم جلال الدين (بن) خوارزم شاه فكسرهم [فعادوا إلى هراة فإذا أهلها قد نقضوا فقتلوهم عن آخرهم] ثم عادوا إلى ملكهم جنكيز خان لعنه الله وإياهم ، وأرسل جنكيز خان طائفة أخرى إلى مدينة خوارزم فحاصروها حتى فتحوها قهراً فقتلوا أهلها[٣] قتلاً ذريعاً ، ونهبوها وسبوا أهلها[٤] وأرسلوا الجسر الذي يمنع ماء جيحون منها [فغرقت دورها وهلك جميع أهلها ثم عادوا إلى جنكيز خان وهو مخيم على][٥] الطالقان ، فجهز منهم طائفة إلى غزنة فاقتتل معهم جلال الدين (بن) خوارزم شاه فكسرهم جلال الدين كسرة عظيمة ، واستنقذ منهم خلقاً من أسارى المسلمين ، ثم كتب إلى جنكيز خان يطلب منه أن يبرز بنفسه لقتاله ، فقصده جنكيز خان فتواجها وقد تفرق على جلال الدين بعض جيشه ولم يبق بد من القتال ، فاقتتلوا ثلاثةَ أيامٍ لم يُعْهد قبلها[٦] مثلها من قتالهم ، ثم ضعف[٧] أصحاب جلال الدين فذهبوا[٨] فركبوا بحر[٩] السند فسارت التتار إلى غزنة فأخذوها[١٠] بلا كلفة ولا ممانعة[١١] ، كل هذا أو أكثره وقع في هذه السنة .

وفي هذه السنة[١٢] ترك الأشرف موسى[١٣] بن العادل لأخيه شهاب الدين غازي[١٤] ملك خلاط وميافارقين وبلاد أرمينية [وحاني][١٥] واعتاض (عن ذلك) بالرُّها وسَرُوج ، وذلك لاشتغاله عن حفظ تلك النواحي بمساعدة أخيه الكامل ونصرته على الفرنج لعنهم الله تعالىٰ .

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) أ : وتركوه .
(٣) ط : حتى فتحوا البلد قهراً فقتلوا من فيها قتلاً ذريعاً .
(٤) أ : ونهبوا وأسروا أهلها ثم عادوا إلى ملكهم جنكز خان .
(٥) ب : عنها . . . إلى .
(٦) أ ، ب : لم يعهد مثلها قبلها .
(٧) ط : ثم ضعفت .
(٨) أ ، ب : أصحاب السلطان جلال الدين بن خورزم شاه فذهبوا .
(٩) أ ، ب : فركبوا في بحر الهند .
(١٠) ب : فأخذوا .
(١١) أ ، ب : فأخذوها بلا كلفة ولا مرافضة .
(١٢) ط : وفيها أيضاً .
(١٣) سترد ترجمة موسى الأشرف في وفيات ٦٣٥ .
(١٤) سترد ترجمة المظفر في وفيات سنة ٦٤٥ .
(١٥) ليست اللفظة في ط ، وهي في أ ، ب : « رجاي » محرفة ، وما هنا من تاريخ ابن الأثير ، وهي بوزن قاضي وغازي ، اسم مدينة معروفة بديار بكر ، نسب إليها عدد من العلماء ، كما في معجم البلدان (٢/ ٢٠٨ ط . صادر) (بشار) .

وفي المحرم منها هبت رياح ببغداد وجاءت بروق وسمعت رعود شديدة ، وسقطت صاعقة بالجانب الغربي على المنارة المجاورة لعون ومعين[١] فثلمتها ، ثم أصلحت ، وغارت الصاعقة في الأرض .

وفي هذه السنة نصب محراب الحنابلة في الرواق[٢] الثالث الغربي من جامع دمشق بعد ممانعة من بعض الناس لهم ، ولكن ساعدهم بعض الأمراء في نصبه لهم ، وهو الأمير ركن الدين المعظمي ، وصلّى فيه الشيخ موفق الدين بن قدامة[٣] . قلت : ثم رفع في حدود سنة ثلاثين وسبعمئة وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيادة ، كما عوض الحنفية عن محرابهم الذي كان في الجانب الغربي من الجامع بالمحراب المجدد لهم شرقي باب الزيادة ، حين جدّد الحائط الذي هو فيه في الأيام التنكزية ، على يدي ناظر الجامع تقي الدين بن مراجل أثابه الله تعالىٰ كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

وفيها : قتل صاحب سنجار أخاه فملكها مستقلاً بها الملك الأشرف بن العادل .

وفيها : نافق الأمير عماد الدين بن المشطوب[٤] على الملك الأشرف وكان قد آواه وحفظه من أذى أخيه الكامل حين أراد أن يبايع للفائز[٥] ، ثم إنه سعى في الأرض فساداً في بلاد الجزيرة فسجنه الأشرف حتى مات كمداً وذلاً وعذاباً .

وفيها : أوقع الكامل بالفرنج الذين على دمياط بأساً شديداً فقتل منهم عشرة آلاف ، وأخذ منهم خيولهم وأموالهم ولله الحمد .

وفيها : عزل المعظمُ المعتمدَ مبارز[٦] الدين إبراهيمَ عن ولاية دمشق وولاها للعزيز خليل ، ولما خرج الحاج إلى مكة شرفها الله تعالىٰ كان أميرهم المعتمد فحصل به خير كثير ، وذلك أنه كف عبيد مكة عن نهب الحجاج[٧] بعد قتلهم أمير حاج العراقيين[٨] آقباش الناصري[٩] ، وكان من أكبر الأمراء عند الخليفة الناصر وأخصّهم عنده ،وذلك لأنه قدم معه بخلع للأمير حسن[١٠] بن أبي عزيز قتادة بن إدريس بن

---

(١) أ : المنارة المجاورة لفرو معين . وب : المجاورة لفرو معين .
(٢) أ ، ب : بالرواق .
(٣) سترد ترجمة موفق الدين بن قدامة في وفيات سنة ٦٢٠هـ .
(٤) هو أحمد بن علي بن أحمد المشطوب ، عماد الدين . أخباره في مرآة الزمان (٨/ ٤٠٠) وذيل الروضتين (١٢١ ـ ١٢٢) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٢٥) .
(٥) سترد وفاته في هذه السنة إن شاء الله .
(٦) ط : مفاخر الدين تحريف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٢٣هـ .
(٧) أ ، ب : الحاج .
(٨) أ ، ب : العراق .
(٩) الخبر في مرآة الزمان(٨/ ٤٠١) وذيل الروضتين (١٢٣ ـ ١٢٤) .
(١٠) ط : حسين .

مطاعن بن عبد الكريم العلوي الحسني الزيدي بولايته لإمرة مكة [بعد أبيه][١] ، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة ، فنازع في ذلك راجح وهو أكبر أولاد قتادة ، وقال لا يتأمر عليها غيري ، فوقعت فتنة أفضى الحال إلى قتل آقباش غلطاً . وقد كان قتادة من أكابر الأشراف الحَسَنيّين الزيديين وكان عادلاً منصفاً منعماً ، نقمة على عبيد مكة والمفسدين بها ، ثم عكس هذا السير فظلم وجدد المكوس ونهب الحاج غير مرة ، فسلَّط الله عليه ولده حسناً فقتله وقتل عمَّه وأخاه أيضاً ، فلهذا لم يُمهل الله حسناً هذا[٢] ، بل سلبه الملك [وشرَّده في البلاد ، وقيل بل قتل كما ذكرنا][٣] ، وكان قتادة شيخاً طويلاً مهيباً لا يخاف من أحد من الخلفاء [ولا] الملوك ، ويرى أنه أحق بالأمر من كل أحد ، وكان الخليفة يود لو حضر عنده ليكرمه ، وكان يأبى من ذلك ويمتنع عنه أشدَّ الامتناع ، ولم يَفِدْ إلى أحدٍ قطُّ ولا ذلَّ لخليفةٍ ولا ملك ، و[قد] كتب إليه الخليفة مرة يستدعيه فكتب إليه[٤] : [من الطويل]

ولي كفُّ ضرغامٍ أذلُّ ببطشها … وأشري[٥] بها بينَ الورى وأبيعُ
وكلُّ[٦] ملوكِ الأرضِ تلثمُ[٧] ظَهْرَها … وفي وسطها للمجتبين[٨] ربيعُ
أأجعلُها تحتَ الرَّحَى ثم أبتغي … خلاصاً لها إنِّي إذاً لرقيعُ
وما أنا إلا المسكُ في كلِّ بقعةٍ … يضوعُ وأمَّا عندَكُمْ فَيَضِيعُ

وقد بلغ [قتادة] من السنين[٩] سبعين سنة ، وقد ذكر ابن الأثير[١٠] وفاته في سنة ثماني عشرة فالله أعلم .

وممن توفي فيها أيضاً[١١] :

الملك الفائز[١٢] غياث الدين إبراهيم بن العادل ، كان قد انتظم له الأمر في الملك بعد أبيه على الديار

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) ط : أيضاً .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) أ : يقول . والأبيات في ذيل الروضتين (١٢٣) .
(٥) ب : وأثري . . وفي ذيل الروضتين : فأشري .
(٦) ط : تطلّ .
(٧) أ ، ب : يلثم .
(٨) ط : وفي بطنها للمجدبين . وفي هامش أ : للممحلين .
(٩) أ : من السنّ .
(١٠) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٤٥) .
(١١) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(١٢) ترجمة ـ الملك الفائز ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٠١) وتكملة المنذري (٣/ ٢٩ ـ ٣٠) وذيل الروضتين (١٢٢ ـ ١٢٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٩٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٤٩) وترويح القلوب (٦١) .

المصرية على يَدَي الأمير عماد الدين بن المشطوب ، لولا أَنَّ الكاملَ تدارك ذلك سريعاً ، ثم أرسله أخوه في هذه السنة إلى أخيهما الأشرف موسى يستحثّه في سرعة المسير إليهم بسبب الفرنج ، فمات بين سنجار والموصل ، وقيل أنه سُمَّ فَرُدَّ إلى سنجار[١] فدفن بها ، رحمه الله تعالىٰ .

شيخ الشيوخ صدر الدين[٢] ، أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين عُمر[٣] بن حمويه الجُوَيْني[٤] .

من بيت رئاسة وإمرة عند بني أيوب ، وقد كان صدر الدين هذا فقيهاً فاضلاً ، درس بتربة الشافعي بمصر ، وبمشهد[٥] الحسين وولي مشيخة سعيد السعداء والنظر فيها ، وكانت له حرمةٌ وافرةٌ عند الملوك ، أرسله الكامل إلى الخليفة يستنصر على الفرنج فمات بالموصل بالإسهال ، ودفن بها عند قضيب البان عن ثلاث وسبعين سنة .

وصاحب حماة[٦] الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .

وكان فاضلاً ، له تاريخ في عشر مجلدات سماه « المضمار » ، وكان شجاعاً فارساً ، فقام بالملك[٧] بعده ولده الناصر قليج[٨] أرسلان ، ثم عزله عنها الكامل وحبسه حتى مات رحمه الله تعالىٰ ، وولّى أخاه المظفر[٩] بن المنصور .

---

(١) ط : فمات بين سنجاب والموصل ، وقد ذكر أنه سم فرد إلى سنجاب وفيها تحريفان . انظر ذيل الروضتين (١٢٣) .

(٢) ترجمة ـ صدر الدين الجويني ـ في الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٤٥) والتكملة لوفيات النقلة (٣/ ١٥ ـ ١٦) وذيل الروضتين (١٢٥) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١٣٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٢٧) والعبر (٥/ ٧٠ ـ ٧١) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٧٩ ـ ٨٠) والوافي بالوفيات (٤/ ١٥٩) وطبقات السبكي (٥/ ٤٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٥١) وحسن المحاضرة (١/ ١٩١) وشذرات الذهب (٧/ ١٣٧) .

(٣) ط : « محمود » وهو تحريف ظاهر ، وما أثبتناه يعضده ما في مصادر ترجمته (بشار) .

(٤) « الجويني » : نسبة إلى جُوَيْن : وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور التكملة (٣/ ١٦) .

(٥) أ ، ب : درس بالشافعي وبمشهد الحسين .

(٦) ترجمة ـ صاحب حماه ـ في التكملة للمنذري (٣/ ٣٠) وذيل الروضتين (١٢٤) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١٣٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٢٨) والعبر (٥/ ٧١) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧) والوافي بالوفيات (٤/ ٢٥٩) وفوات الوفيات (٢/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٥٠) وشذرات الذهب (٧/ ١٣٨) .

(٧) أ ، ب : فقام في الملك .

(٨) ط : قلج ، وهو الملك القاهر قلج أرسلان بن محمد بن عمر ملك حماة سنة ٦١٧هـ وتوفي سنة ٦٣٥هـ ترويح القلوب (٥٣) .

(٩) هو محمود بن محمد بن عمر الملك المظفر تقي الدين ملك حماة توفي سنة ٦٣٧ ترويح القلوب (٥٤) .

وصاحب آمد[١] **الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق**[٢] .

وكان شجاعاً محباً للعلماء ، وكان مصاحباً للأشرف موسى بن العادل يجيء إلى خدمته مراراً ، وملك بعده ولده المسعود[٣] ، وكان بخيلاً فاسقاً ، فأخذه منه[٤] الكامل [آمد] وحبسه بمصر ثم أطلقه فأخذ أمواله وسار إلى التتار ، فأخذته منه[٥] .

الشيخ عبد الله اليونيني[٦] **الملقب أسد الشام ، رحمه الله ورضي عنه [عبد الله بن عثمان بن جعفر]**[٧] **من قرية ببعلبك يقال لها يونين**[٨] .

وكانت له زاوية [ببعلبك] يقصد فيها للزيارة ، وكان من الصالحين الكبار المشهورين بالعبادة والرياضة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، له همة عالية في الزهد والورع ، بحيث إنه كان لا يقتني شيئاً ولا يملك مالاً ولا ثياباً ، بل يلبس عارية ، ولا يتجاوز قميصاً في الصيف وفروة فوقه في الشتاء ، وعلى رأسه قبعاً من جلود المعز ، شعرُهُ ظاهر ، وكان لا ينقطع عن غزاةٍ من الغزوات ، ويرمي عن قوسٍ زنتُهُ ثمانون رطلاً ، وكان يجاور في بعض الأحيان بجبل لبنان ، ويأتي في الشتاء إلى عيون الفاسريا التي[٩] في سفح الجبل المطلّ على قرية دومة شرقي دمشق ، لأجل سخونة الماء ، فيقصده الناس للزيارة هناك[١٠] ، ويجيء تارة إلى دمشق فينزل بسفح قاسيون عند المقادسة[١١] ، وكانت له أحوال ومكاشفات صالحة ، وكان يقال له أسد الشام .

---

(١) ترجمة ـ الملك الصالح ـ صاحب آمد في الكامل لابن الأثير (٩/ ١٥٣) وتكملة المنذري (٣/ ٩١) وذيل الروضتين (١٢٤) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٣٧) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٣١) .

(٢) أ ، ب : قرا رسلان بن أيوب .

(٣) أ ، ب : ولده الملك السعيد وهو خطأ ، انظر ذيل الروضتين (١٢٤) .

(٤) ط : « معه » خطأ ، وما هنا من أ ، ب وذيل الروضتين وتاريخ الإسلام (بشار) .

(٥) أ : فأحدث فتنة .

(٦) ترجمة ـ اليونيني ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٠٢ ـ ٤٠٦) وذيل الروضتين (١٢٥ ـ ١٢٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٤٩٨) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٠١ ـ ١٠٣) والقلائد الجوهرية (٣٥٤ ـ ٣٥٥) وشذرات الذهب (٧/ ١٣٢ ـ ١٣٥) .
أ ، ب : اليوناني . وما هنا عن مصادره .

(٧) لم يرد الاسم كله في ط وورد منه في أ ، ب : عبد الله بن . . .

(٨) ليس في معجم البلدان ولا في القاموس يونين وإنما يونان وهي بلدة ببعلبك ولكن المرتضى الزبيدي استدركها على المجد في تاجه ، ولذلك تصحّ النسبتان إليها فيقال : اليونيني ، ويقال : اليوناني .

(٩) ط : العاسريا في . وفاسريا ، عين ماء ، قريبة من دومة ، وماؤها ساخن .

(١٠) أ ، ب : فيقصد بالزيارة هنالك .

(١١) ط : عند القادسية . ولا معنى لها ، والصحيح ما أثبت لأن المقادسة جماعة من العلماء والزهاد أقاموا على سفح قاسيون في دير الحنابلة .

حكى الشيخ أبو المظفر سبط ابن الجوزي[١] عن القاضي جمال الدين يعقوب[٢] الحاكم بكرك[٣] البقاع أنه شاهد مرة الشيخَ عبد الله وهو يتوضَّأُ من ثورا عندالجسر الأبيض إذ مرَّ نصرانيٌّ ومعه حملُ بغل خمراً فعثرت الدابة عند الجسر فسقط الحمل فرأى الشيخ وقد فرغ من وضوئه ولا يعرفه ، واستعان[٤] به على رفع الحمل فاستدعاني الشيخ فقال : تعال يا فقيه ، فتساعدنا على تحميل ذلك الحمل على الدابة وذهب النصرانيُّ فتعجبتُ من ذلك وتبعتُ الحمل وأنا ذاهبٌ إلى المدينة ، فانتهى به إلى العقيبة[٥] فأورده إلى الخمار بها فإذا [هو] خلٌّ فقال له الخَمّارُ : ويحك هذا[٦] خل ، فقال النصراني أنا [والله] أعرف من أين أتيت ، ثم ربط الدابة في الخان ورجع إلى الصالحية فسأل عن الشيخ فعرفه فجاء إليه فأسلم على يديه ، وله أحوال وكرامات كثيرة جداً .

وكان لا يقوم لأحد[٧] دخل عليه ويقول : إنما يقوم الناس لرب العالمين ، وكان الأمجد[٨] إذا دخل عليه[٩] جلس بين يديه فيقول له : يا مُجَيْد[١٠] فعلت كذا وكذاويأمره بما يأمره ، وينهاه[١١] عما ينهاه عنه ، وهو يمتثل جميع ما يقوله له ، وما ذاك إلا لصدقه في زهده وورعه وطريقه ، وكان يقبل الفتوح ، وكان لا يدَّخر منه[١٢] شيئاً لغد ، وإذا اشتد جوعه أخذ من ورق اللوز ففركه واستفَّه وشرب[١٣] فوقه الماء البارد ، رحمه الله تعالىٰ وأكرم مثواه .

وذكروا أنه كان يحج في بعض السنين في الهواء ، وقد وقع هذا لطائفة كثيرة[١٤] من الزهاد وصالحي العُبَّاد ، ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء ، وأول من يذكر عنه هذا حبيب العجمي[١٥] ، وكان من

---

(١) مرآة الزمان (٨/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) .
(٢) وقع في بعض النسخ : « بن يعقوب » وهو خطأ ، وما هنا يعضده ما نقل الذهبي بخطه عن السبط .
(٣) الكرك : بسكون الراء ، وآخره كاف : قرية في أصل جبل لبنان . معجم البلدان (٤/ ٤٥٢) .
(٤) أ ، ب : فاستعان .
(٥) ط : العقبة . وهي في مرآة الزمان : العتيبة ، والعقيبة حي من أحياء دمشق القديمة داخل السور القديم .
(٦) أ ، ب : ويحك ذا خل .
(٧) ب : وكان لا يقوم لأخيه دخل إليه .
(٨) سترد ترجمة الملك الأمجد في وفيات سنة ٦٢٨هـ .
(٩) دخل إليه .
(١٠) أ ، ب : يا محمد . ط : يا أمجد ، وكله تحريف ، والصواب ما أثبتنا ، وهو كذلك بخط الذهبي في تاريخ الإسلام فيما نقل عن سبط ابن الجوزي ، وإنما يناديه كذلك تصغيراً لشأنه (بشار) .
(١١) أ : ويأمره به وينهاه .
(١٢) أ : وكان يقبل الفتوح ولا تدخر منه شيئاً لغد .
(١٣) ط : ويشرب .
(١٤) ط : لطائفة كبيرة ، وهذا من الكرامات بظن بعضهم ، وفيه مبالغات لا دليل عليها .
(١٥) حبيب بن محمد العجمي أبو محمد . ترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق ـ طبعة دار الفكر (١٢/ ٤٥ ـ ٦١) .

أصحاب الحسن البصري[١] ، ثم من بعده من الصالحين رحمهم[٢] الله أجمعين . فلما كان يوم الجمعة من عشر ذي الحجة من هذه السنة صلى الشيخ عبد الله اليونيني صلاة[٣] الجمعة بجامع بعلبك ، وكان قد دخل الحمام يومئذ قبل الصلاة وهو [سوي] صحيح ، فلما انصرف من الصلاة[٤] قال للشيخ داود المؤذن ، وكان يغسل الموتى ، انظر كيف تكون غداً[٥] ، ثم صعد الشيخ إلى زاويته فبات يذكر الله تعالىٰ تلك الليلة ويتذكر أصحابه ، ومن أحسن إليه ولو بأدنى شيء ويدعو لهم ، فلما دخل وقت الصُّبْح صلَّى بأصحابه ثم استند يذكر الله وفي يده سبحة[٦] ، فمات وهو كذلك جالس لم يسقط ، ولم تسقط السبحة من يده ، فلما انتهى الخبر إلى الملك الأمجد صاحب بعلبك جاء[٧] إليه فعاينه كذلك فقال : لوبنينا عليه بنياناً [وهو] هكذا لشاهَدَ الناس منه آيةً ، فقيل له : ليس هذا من[٨] السُّنَّة ، فنحي [وغُسِّل] وكُفِّن وصُلِّيَ عليه ودُفن تحتَ اللوزة التي كان يجلس تحتها يذكر الله تعالىٰ[٩] ، وكان الشيخ محمد الفقيه اليونيني[١٠] من جملة تلاميذه ، وممن يلوذ به وهو جدُّ هؤلاء المشايخ بمدينة بعلبك .

أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أبي بكر بن المُجَلِّي الموصلي ، ويعرف بابن الجهني .

شاب فاضل ولي كتابة الإنشاء لبدر الدين لؤلؤ زعيم الموصل ، ومن شعره : [من البسيط]

نفسي فداءُ الذي فكَّرتُ فيه وقدْ غدوتُ أغرقُ في بحرٍ من العجبِ
يبـدو بليـلٍ علـى صبحٍ علـى قمرٍ على قضيبٍ على وهمٍ على كثبِ

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمئة

فيها استولت التتر[١١] على كثير من البلدان كمراغة[١٢] وهمذان وأردبيل وتبريز وكنجة ، وقتلوا

---

(١) تقدمت ترجمة الحسن البصري في وفيات سنة ١١٠هـ من هذا السفر الضخم .
(٢) أ ، ب : رحمة الله عليهم أجمعين .
(٣) ط : صلى الصبح عبد الله اليونيني وصلاة الجمعة .
(٤) أ : فلما انصرف من الجمعة .
(٥) أ ، ب : غداً . على الحكاية .
(٦) أ ، ب : فسبحه .
(٧) ط : فجاء .
(٨) أ ، ب : ليس هذا هو السنة .
(٩) ب : سنة رحمه الله وأكرم مثواه .
(١٠) سترد ترجمة اليونيني .
(١١) أ ، ب : التتار .
(١٢) ط : بكلاذة .

أهاليها[١] ونهبوا ما فيها ، واستأسروا ذراريها ، واقتربوا من بغداد فانزعج الخليفة لذلك[٢] وحصَّن بغداد واستخدم الأجناد ، وقنت الناس في الصلوات والأوراد[٣] .

وفيها : قهروا الكُرْجَ واللاَّنَ ، ثم قاتلوا القفجاق[٤] فكسروهم ، وكذلك الروس ، وينهبون ما قدروا عليه من أموال هؤلاء ويسبون ذراريهم[٥] .

وفيها : سار المعظم إلى أخيه الأشرف فاستعطفه على أخيه الكامل ، وكان في نفسه موجدة عليه فأزالها وسارا جميعاً نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الفرنج الذين قد أخذوا ثغر دمياط واستحكم أمرهم هنالك من سنة أربع عشرة ، وعرض عليهم في بعض الأوقات أن يرد إليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الساحل[٦] ويتركوا دمياط ، فامتنعوا من ذلك ولم يفعلوا ، فقدر الله تعالىٰ أنهم ضاقت عليهم الأقوات فقدم عليهم مراكب فيها ميرة لهم فأخذها الأسطول البحري وأرسلت المياه على أراضي دمياط من كل ناحية ، فلم يمكنهم بعد ذلك أن يتصرفوا في أنفسهم[٧] ، وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى أضيق الأماكن ، فعند ذلك أنابوا إلى المصالحة بلا معاوضة ، فجاء مقدموهم إليه وعنده أخواه المعظم عيسى وموسى الأشرف ، وكانا قائمين بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً [وأمرا محموداً] ، فوقَّع الصلح على ما أراد الكامل محمد بَيَّضَ الله وجهه ، وملوك الفرنج والعساكر كلها واقفة بين يديه[٨] ، ومدّ سماطاً عظيماً ، فاجتمع عليه المؤمنُ والكافرُ والبَرُّ والفاجرُ ، وقام راجحُ الحلّي[٩] الشاعر فأنشد[١٠] : [من الطويل]

هنيئــاً فــإنَّ السعــدَ راحَ مخلــداً وقد أنجزَ الرحمنُ بالنصرِ موعدا

---

(١) أ ، ب : أهلها .
(٢) ب : من ذلك .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : القبجاق .
(٥) ط : ثم قاتلوهم وسبوا نساءهم وذراريهم .
(٦) ب : من بلاد السواحل .
(٧) ط : نفسهم .
(٨) أ ، ب : واقفة بحضرته .
(٩) هو أبو الوفاء راجح بن إسماعيل بن أبي القاسم الأسدي الحلّي الشاعر المنعوت بالشرف ، مدح جماعة من الملوك وغيرهم بمصر والشام والجزيرة ، وحدّث بشيء من شعره بحلب وحران وغيرهما . توفي سنة ٦٢٧ . مرآة الزمان (٨/ ٤٠٩ ـ ٤٤٠) وتكملة المنذري (٣/ ٢٦٨) وفوات الوفيات (١/ ٢١٨ ـ ٢١٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٧٥) وحسن المحاضرة (١/ ٢٧١) وشذرات الذهب (٧/ ٢١٧) .
(١٠) الأبيات في مرآة الزمان (٨/ ٤٠٩) وذيل الروضتين (١٢٩ ـ ١٣٠) وفوات الوفيات (٢م١٥) والبيتان السابع والثامن في العبر (٥/ ٧٣) والشذرات (٧/ ١٤١) .

حبـانـا إِلـهُ الخلـقِ فتحـاً بـدا لنـا مبينـاً[١] وإنعـامـاً وعِـزّاً مُـؤَبَّـدا[٢]
تهلَّـلَ وجـهُ الـدهـر بعـدَ قُطُـوبـهِ وأصبحَ وجهُ الشِّركِ بالظُّلْمِ أسودا
ولما طَغَى البحْرُ الخِضَمُّ بأهلهِ الطـ ـغـاةِ وأَضْحَـى بـالمـراكـبِ مُـزْبِـدا
أقامَ لهذا الدينِ مَنْ سَلَّ عَزْمَهُ[٣] صقيـلاً كمـا سُـلَّ الحسـامُ مُجَـرَّدا
فلـم ينـجُ[٤] إلا كـلُّ شِلْـوٍ مُجَـدَّلٍ ثَـوَى منهـمُ أو مَـنْ تـراهُ مُقَيَّـدا
ونادى لسانُ الكونِ في الأرضِ رافعاً عقيـرَتـهُ فـي الخـافِقَيْـنِ ومُنْشِـدا
أَعُبَّـادَ عِيسـى إنَّ عِيسـى وحـزبَـهُ وموسى جميعاً يخدمون[٥] محمدا

قال أبو شامة[٦] : وبلغني أنه أشار عند ذلك إلى المعظم عيسى والأشرف موسى والكامل محمد ، قال : وهذا من أحسن شيء اتفق .

وكان ذلك يوم الأربعاء التاسع عشر من رجب من هذه السنة .

وتراجعت الفرنج إلى عكا وغيرها [من البلدان] ، ورجع المعظم إلى الشام واصطلح الأشرف والكامل على[٧] أخيهما المعظم .

وفيها : وَلّى الملك المعظم قضاءَ دمشق لجمال[٨] الدين المصري الذي كان وكيل بيت المال بها ، وكان فاضلاً بارعاً يجلس في كل يوم جمعة قبل الصلاة بالعادلية بعد فراغها لإثبات المحاضر ، ويحضر عنده في المدرسة جميع الشهود من كل المراكز حتى يتيسر على الناس إثبات كتبهم في الساعة الواحدة ، جزاه الله خيراً .

ومممن توفي فيها من الأعيان :

ياقوت الكاتب الموصلي[٩] رحمه الله أمين الدين المشهور بطريقة ابن البواب .

---

(١) أ : فتحاً مؤبداً لنا منه إنعاماً .
(٢) أ ، ب وذيل الروضتين والفوات : مؤيداً .
(٣) فوات الوفيات : من سلّ سيفه .
(٤) ذيل الروضتين : فلم تر .
(٥) ب : بمحمد من وفي ذيل الروضتين : ينصران .
(٦) ذيل الروضتين (١٣٠) بخلاف في الرواية .
(٧) ب : مع .
(٨) ط/ : كمال الدين وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٢٣هـ .
(٩) ترجمة ـ ياقوت الموصلي الكاتب ـ في معجم الأدباء (٢٠/ ٣١٢ ـ ٣١٣) والكامل لابن الأثير (٩/ ٣٤٧) وتكملة المنذري (٣/ ٦٣) ووفيات الأعيان (٦/ ١١٩ ـ ١٢٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٦٦) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٤٩) والنجوم الزاهرة (٥/ ٢٨٣) أثناء ترجمة ياقوت الرومي ، والشذرات (٧/ ١٤٨) .

قال ابن الأثير(١) : لم يكن في زمانه من [يكتب ما](٢) يقاربه(٣) ، ولا من يؤدي طريقة ابن البواب ، وكانت لديه فضائل جمة والناس متفقون على الثناء عليه ، وكان نعم الرجل . وقد قال فيه نجيب الدين الحسين بن علي الواسطي قصيدة يمدحه بها(٤) : [من الخفيف]

جـامـع شـارد العلـوم ولـولا ه لكـانـتْ أمُّ الفضـائـلِ ثُكْلَـى
ذو يـراع تخـافُ ريقَتَـهُ(٥) الأُسْـ ـدُ ، وتعنـو لـهُ الكتـائـبُ ذُلاَّ
وإذا افْتَـرَّ ثَغْـرُهُ عَـن سَـوادٍ فِي بياض(٦) فالسُّمرُ والبيضُ خجلى
أنـتَ بـدرٌ والكـاتـبُ ابـنُ هـلالٍ كـأبيـهِ لا فَخْـرَ فيمـنْ تـوَلَّـى
إن يكـنْ أوَّلاً فـإنَّـكَ بـالتفـ ـضيلِ أَوْلَى فَقَدْ(٧) سَبَقْتَ وَصَلَّى(٨)

جلال الدين الحسن(٩) من أولاد الحسن بن الصباح مقدَّم الإسماعيلية .

وكان قد أظهر في قومه شعائر الإسلام ، وحفظ الحدود والمحرمات والقيام فيها بالزواجر الشرعية .

الشيخ الصالح(١٠) شهاب الدين محمد بن خَلَف بن راجِح المَقْدسي الحَنْبلي الزاهد العابد الناسك .

كان يقرأ على الناس يوم الجمعة الحديثَ النبويَّ وهو جالس على أسفل منبر الخطابة بالجامع المُظَفَّري ، وقد سمع الحديث الكثير ، ورحل ، وحفظ مقامات الحريري في خمسين ليلة ، وكانت له فنونٌ كثيرةٌ ، وكان ظريفاً مطبوعاً رحمه الله تعالىٰ .

---

(١) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٤٧) بخلاف في الرواية .
(٢) مستدرك عن ابن الأثير .
(٣) بعدها في أ : في خطه .
(٤) ليست في أ ولا في ب .
(٥) أ : زينته . وابن الأثير : سطوته .
(٦) ط : عند بياض في سواء .
(٧) عند ابن الأثير ، لقد .
(٨) صَلّى الفرسُ : تلا السابق . القاموس صلي .
(٩) أخبار ـ جلال الدين ـ في الكامل لابن الأثير (٩/٣٤٧) وتكملة المنذري (٣/٦٦) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٣٧) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٤١) وشذرات الذهب (٧/ ١٤٨) .
(١٠) ترجمة ـ ابن راجح الحنبلي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤١٠) وتكملة المنذري (٣/ ٣٦) وذيل الروضتين (١٣٠) وتارخ الإسلام (١٣/ ٥٥٥) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٥٦) والمختصر المحتاج إليه (١/ ٤٤ ـ ٤٥) والوافي بالوفيات (٣/ ٤٥ ـ ٤٦) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٥١) وشذرات الذهب (٧/ ١٢٥) .

والخطيب موفق الدين(١) أبو عبد الله عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل المقدسي ، خطيب بيت الآبار ، وقد ناب في دمشق(٢) عن الخطيب جمال(٣) الدين الدَّوْلَعي حين سار في الرسلية إلى خوارزم شاه ، حتى عاد .

المحدث [البارع] تقي الدين(٤) أبو طاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن الأنماطي .

قرأ الحديث ورحل وكتبه(٥) ، وكان حسن الخَطِّ متقناً في علوم الحديث ، حافظاً له ، وكان الشيخ تقي الدين بن الصلاح يثني عليه ويمدحه ، وكانت له كتب(٦) بالبيت الغربي من الكلاّسة الذي كان للملك المحسن(٧) بن صلاح الدين ، ثم أخذ من ابن الأنماطي وسلم إلى الشيخ عبد الصمد الدكالي(٨) ، واستمر بيد أصحابه بعد ذلك ، وكانت وفاته بدمشق ودفن بمقابر الصوفية وصلى عليه بالجامع الشيخ موفق الدين ، وبباب النصر الشيخ فخر الدين بن عساكر(٩) ، وبالمقبرة قاضي القضاة جمال الدين(١٠) المصري رحمه الله تعالى .

أبو الغيث شعيب بن أبي طاهر بن كليب(١١) بن مُقبل الضرير الفقيه الشافعي .

أقام ببغداد إلى أن توفي [بها] ، وكانت لديه فضائل وله رسائل ، ومن شعره قوله : [من الطويل]

إذا كُنْتُمُ للنَّاسِ أهلَ سياسةٍ فسُوسُوا كرامَ النَّاسِ بالجودِ والبَذْلِ
وسُوسُوا لِئامَ النَّاسِ بالذُّلِ يُصْلَحُوا عليهِ ، فإنَّ الذُّلَّ أصلحُ للنُّذْلِ

(١) ترجمة ـ موفق الدين المقدسي ـ في تكملة المنذري (٣/ ٥٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٥٢) .
(٢) أ ، ب : بدمشق .
(٣) أ ، ب : كمال الدين وهو تحريف . وسترد ترجمة جمال الدين الدولعي في وفيات ٦٣٥ من هذا الجزء .
(٤) ترجمة ـ ابن الأنماطي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) وتكملة المنذري (٣/ ٧٩) وذيل الروضتين (١٣٠ ـ ١٣٣) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٧٣) والعبر (٥/ ٧٦) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٠ ـ ١٤٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٥٤) وحسن المحاضرة (١/ ١٦٥ ـ ١٦٦) وشذرات الذهب (٧/ ١٤٩) والصحيح في وفاته سنة ٦١٩هـ .
(٥) أ ، ب : الكثير ورحل وكتب .
(٦) أ ، ب : كتبه .
(٧) الملك المحسن هو أبو العباس أحمد بن صلاح الدين . سمع الحديث في مصر وفي مكة وإربل . توفي بحلب سنة ٦٣٣هـ . ترويح القلوب (٩٨ ـ ٩٩) .
(٨) ط : الدكائي وما هنا غير أ ب ويوافق ما في ذيل الروضتين .
(٩) سترد ترجمة فخر الدين ابن عساكر في وفيات سنة ٦٢٠هـ من هذا الجزء .
(١٠) أ ، ب : كمال الدين وهو تحريف وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٢٣هـ .
(١١) ترجمة ـ ابن مقبل ـ في نكت الهميان في نُكَتِ العميان للصفدي (١٦٧ ـ ١٦٨) .

أبو العِزّ مُشَرَّف[١] بن علي[٢] بن أبي جعفر بن كامل الخالصي المقرئ الضرير الفقيه الشافعي[٣] .

تفقَّه بالنظامية وسمع الحديث ورواه ، وأنشد عن الحسن بن عمرو الحلبي : [من الطويل]

تَمَثَّلْتُـمُ لـي والـديـارُ بعيـدةٌ   فَخُيِّلَ لي أَنَّ الفؤادَ لكمْ مغنى[٤]
وناجاكُمُ قلبي على البُعْدِ بَيْنَنَا   فَـأَوْحَشْتُـمُ لفظـاً وآنَسْتُـمُ مَعْنـى

أبو سليمان داود بن إبراهيم[٥] بن بندار[٦] الجيلي .

أحد المعيدين بالمدرسة النظامية ، ومما أنشده : [من الطويل]

أيا جامعاً أَمْسِكْ عِنانكَ مُقْصِراً   فإنَّ مطايا الدَّهْرِ تَكْبو وتقصرُ
ستقـرعُ سِنّـاً أو تعـضُّ نـدامـةً   يَدَيْكَ إذا خانَ الزمانُ وتُبْصِرُ[٧]
ويلقاك رشدٌ بعد غِيِّكَ واعظٌ[٨]   ولكنَّـه يَلْقـاكَ والأمـرُ مُـدْبِـرُ

أبو المظفر عبد الودود بن محمود بن المبارك[٩] بن علي بن المبارك بن الحسن الواسطي الأصل ، البغدادي الدار والمولد ، كمال الدين المعروف والده بالمُجير[١٠] .

تَفَقَّه على أبيه وقرأ عليه علم الكلام ، ودرس بمدرسته[١١] عند باب الأزج ، ووكله الخليفة الناصر واشتهر بالديانة والأمانة ، وباشر مناصب كباراً ، وحجَّ مراراً عديدة ، وكان متواضعاً حسن الأخلاق وكان يقول : [من الطويل]

---

(١) في الأصول جميعاً : شرف . وهو تحريف . وما هنا عن المصادر والضبط عن نكت الهميان .
(٢) ترجمة ـ أبي العز ـ في تكملة المنذري (٣/ ٢٤٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٦٣) ونكت الهميان (٢٩٠) وطبقات السبكي (٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦) وغاية النهاية (٢/ ٢٩٩) .
(٣) ب : الشافعي الفقيه .
(٤) أ : معنا ، وط : معنى .
(٥) ترجمة ـ الجيلي ـ في تكملة المنذري (٣/ ٥٢ ـ ٥٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٤٢) والمختصر المحتاج إليه (٢/ ٦٤) وطبقات السبكي (٥/ ٥٥) قال المنذري : داود ويسمى أيضاً داور شاه بن بندار بن إبراهيم الجيلاني الشافعي المنعوت بالمُعين .
(٦) ط : مندار ، وفي أ وب : منذر . وما هنا من المصادر .
(٧) رواية الشطر في ط : إذا خان الزمان وأقصر . ولا يستقيم الوزن بها .
(٨) أ ، ب : واعظاً على الحال والمثبت على الصفة للرشد .
(٩) ترجمة ـ أبي المظفر الواسطي ـ في التكملة لوفيات النقلة (١/ ٥١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٤٩) وطبقات السبكي (٥/ ١٣٣) .
(١٠) ط : بالمجيد .
(١١) أ ، ب : بمدرسة .

وما تَرَكَتْ ستٌّ وستونَ حجةً لنا حجةً أنْ نركبَ اللهوَ مركبا

وكان ينشد [أيضاً] : من [مجزوء الكامل]

العلمُ يأتي كُلَّ ذي خَفْضٍ ويأبى[1] كلَّ آبي
كالماءِ ينزلُ في الوها دِ وليسَ يصعدُ في الروابي

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمئة

فيها نُقل تابوت العادل من القلعة إلى تربته بالعادلية الكبيرة ، فصُلي عليه أولاً تحت النسر بالجامع الأموي ، ثم جاؤوا به إلى التربة المذكورة فدفن فيها ، ولم تكن[2] المدرسة كملت بعد ، وقد تكامل بناؤها في هذه السنة[3] أيضاً ، وذكر المدرس[4] بها القاضي جمال الدين المصري ، وحضر عنده السلطان المعظم فجلس في الصدر وعن شماله[5] القاضي وعن يمينه جمال[6] الدين الحَصِيري شيخ الحنفية ، وكان في المجلس الشيخ تقي الدين بن الصلاح[7] إمام السلطان ، والشيخ سيف الدين الآمدي[8] (إلى جانب المدرس) ، وإلى جانبه شمس الدين بن سنى الدولة[9] ، ويليه النجم خليل[10] قاضي العسكر ، وتحت الحَصِيري شمس الدين بن الشيرازي[11] ، وتحته محيي الدين بن الزكي[12] ، وفيه خلق من الأعيان والأكابر ، وفيهم فخر الدين بن عساكر[13] .

---

(١) ط : خفض . ويأبى على كل آبي . ولا يستقيم الوزن بها .
(٢) أ ، ب : فدفن بها ولم يكن .
(٣) أ : في السنة الآتية .
(٤) ط : الدرس . ذيل الروضتين (١٣٢ ـ ١٣٣) .
(٥) أ : شمالي ، ب : سمال .
(٦) في الأصول : صدر ، وما هنا هو الصحيح ، ويوافق ما في ذيل الروضتين (١٣٢) وسترد ترجمة جمال الدين الحصيري في وفيات ٦٣٦هـ من هذا الجزء .
(٧) سترد ترجمة ابن الصلاح في وفيات سنة ٦٤٣هـ .
(٨) سترد ترجمة سيف الدين الآمدي في وفيات سنة ٦٣٥هـ .
(٩) سترد ترجمة ابن سنى الدولة في وفيات سنة ٦٣٥هـ .
(١٠) أ : ويليه الشيخ خليل قاضي العساكر .
(١١) سترد ترجمة الشيرازي في وفيات ٦٣٥ .
(١٢) سترد ترجمة محيي الدين بن الزكي في وفيات سنة ٦٦٨هـ .
(١٣) سترد ترجمة فخر الدين بن عساكر في وفيات سنة ٦٢٠هـ .

وفيها : أرسل الملك المعظم الصدر البكري[(١)] محتسب دمشق إلى جلال الدين بن خوارزم شاه يستعينه على أخويه الكامل والأشرف اللذين قد تمالأا عليه ، فأجابه إلى ذلك بالسمع والطاعة ، ولما عاد الصدر المذكور أضاف إليه مشيخة الشيوخ .

وحج في هذه السنة الملك المسعود[(٢)] أقسيس بن الكامل صاحب اليمن فبدت منه أفعال ناقصة بالحرم [الشريف] من سكر ورشق حمام المسجد بالبندق من أعلى قبة زمزم ، وكان إذا نام في دار الإمارة يُضرب الطائفون بالمسعى بأطراف السيوف لئلا يشوّشوا عليه وهو نائم[(٣)] نوم سكر قبَّحهُ الله، ولكنه[(٤)] كان مع هذا كلِّه مهيباً محترماً والبلاد به آمنة مطمئنة ، وقد كاد[(٥)] يرفع سنجقَ أبيه يومَ عرفة على سنجق الخليفة فيجري بسبب ذلك فتنةٌ عظيمةٌ ، وما مكَّن من طلوعه وصعوده إلى الجبل إلا في آخر النهار بعد جهد جهيد .

وفيها : كان بالشام جرادٌ[(٦)] كثيرٌ أكلَ الزرعَ والثمارَ والأشجار[(٧)] .

وفيها : وقعت حروبٌ كثيرةٌ بين القفجاق[(٨)] والكرج ، وقتالٌ كثيرٌ بسبب ضيق بلاد القفجاق عليهم .

وفيها : ولي قضاءَ القضاةِ ببغداد أبو عبد الله محمد بن فضلان[(٩)] . ولبس الخلعة في باب دار الوزارة مؤيّد الدين محمد بن محمد القمي[(١٠)] بحضرة الأعيان والكبراء ، وقُرىء تقليده بحضرتهم وساقه ابن الساعي بحروفه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد القادر بن داود[(١١)] أبو محمد الواسطي الفقيه الشافعي الملقب بالمُحبّ .

---

(١) أ ، ب : الصدر الكشميهني . والصدر البكري هو الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن عمروك أبو علي القرشي التيمي صدر الدين البكري ينتهي نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه . توفي سنة ٦٥٦هـ ذيل الروضتين (٢٠١) وذيل مرآة الزمان (١/ ١٢٤ ـ ١٢٥) .

(٢) ط : الملك مسعود بن أقسيس . وقد مضى تحقيق الاسم إلى أخسيس .

(٣) ليست في الأصول واستدركتها للسياق .

(٤) ط : ولكن .

(٥) ب : وقد كان .

(٦) ب : جراداً كثيراً وما هنا أشبه بالسياق .

(٧) أ : أكل الزروع والأثمار والأشجار .

(٨) أ : الفجاق .

(٩) ط : فلان .

(١٠) ط : « القيمق » وهو تحريف ، وما هنا من أ ، ب ، وهو مشهور . (بشار) .

(١١) ترجمة ـ المحب الواسطي ـ في التكملة للمنذري (٣/ ٧٤) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٧٨) وطبقات السبكي (٥/ ١١٨ ـ ١١٩) .

استقل بالنظامية دهراً ، واشتغل بها[١] ، وكان فاضلاً ديناً صالحاً ، ومما أنشده من الشعر قوله[٢] : [من الكامل]

الفـرقـدانِ كـلاهمـا شهـدا لـه والبـدرُ ليلـةَ تِمِّـهِ بسهـادهِ
دَنِفٌ إذا اعتبقَ الظلام تضرمت نـارُ الجـوى فـي صـدرهِ وفـؤادهِ
فجـرتْ مـدامعُ جفنـهِ فـي خـدّهِ مثلَ المسيلِ يسيلُ من أطوارهِ[٣]
شـوقـاً إلـى مضنيه لـم أرَ هكـذا مشتـاقَ مُضنَـىً جسمـهُ ببعـادهِ
ليتَ الذي أضناهُ سحرُ جفونِه قبـلَ الممـات يكـونُ مـن عُـوّادهِ

أبو طالب يحيى بن علي[٤] البعقوبي[٥] الفقيه الشافعي أحد المعيدين[٦] ببغداد .

كان شيخاً مليح الشيبة جميل الوجه ، كان يلي بعض الأوقاف ، ومما أنشده لبعض الفضلاء : [من الوافر]

لحمـلُ تِهـامـةٍ وجبـالِ أُحْـد ومـاءُ البحـرِ ينقـلُ بـالـزَّبيـلِ
ونقلُ الصخرِ فوقَ الظهر عُرياً[٧] لأهـونُ مـن مجـالسـةِ الثقيـلِ

ولبعضهم أيضاً ، [وهو مما أنشده المذكور][٨] :

وإذا مضـى للمـرءِ مـن أعـوامـهِ خمسونَ[٩] وهو إلى التقى لا يجنحُ
عكفتْ عليهِ المُخْزِياتُ بقَوْلها[١٠] حـالفتنـا ، فـأقـمْ كـذا لا تبـرحُ
وإذا رأى الشيطـانُ غـرَّةَ وجهـهِ حيّـاً ، وقـالَ فَـدَيْـتُ مَـنْ لا يُفْلِحُ

---

(١) أ : اشتغل بالنظامية واشتغل بها دهراً .
(٢) اللفظة عن أ وحدها .
(٣) أ : أطواره ، ب : أطياره .
(٤) ترجمة ـ البعقوبي ـ في التكملة للمنذري (٣/ ٧٧) .
(٥) البعقوبي نسبة إلى بعقوبا : بالفتح ، ثم السكون ، وضم القاف وسكون الواو ، والباء موحدة قرية كبيرة كالمدينة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ معجم البلدان (١/ ٤٥٣) .
(٦) أ ، ب : أحد المتعبدين .
(٧) أ ، ب : يوماً .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) أ : خمسون حجة وهو إلى التقى لا يجنح . ولا يستقيم بالوزن .
(١٠) أ ، ب : بقولها : خالفتنا ، وط : فقولها .

اتفق أنه طُولِبَ بشيء من المال فلم يقدر عليه ، فاستعمل شيئاً من الأفيون المصري فمات من يومه ودفن بالوردية .

وفيها توفي :

قطب الدين [بن] العادل(١) بالفيُّوم ونقل إلى القاهرة .

وفيها : توفي إمام الحنابلة بمكة الشيخ نصر بن أبي الفرج(٢) المعروف بابن الحُصْري ، جاور بمكة مدة لم يسافر ، ثم ساقَتْهُ المنيةُ إلى اليمن ، فمات بها في هذه السنة . وقد سمع الحديث من جماعة من المشايخ .

الشهاب الحنبلي(٣) وفيها : في ربيع الأول توفي بدمشق الشهاب عبد الكريم بن نجم الحنبلي أخو البهاء(٤) والناصح(٥) .

وكان فقيهاً مناظراً بصيراً بالمحاكمات . وهو الذي أخرج مسجد الوزير من يد الشيخ علَم الدين السخاوي(٦) رحمه الله تعالىٰ بمنه وكرمه .

ثم دخلت سنة عشرين وستمئة

فيها : عاد الأشرف موسى بن العادل من عند أخيه الكامل صاحب مصر [إلى الشام] . فتلقاه أخوه المعظم وقد فهم أنهما تمالأا عليه ، فبات ليلةً بدمشق وسار من آخر الليل ، ولم يشعر أخوه بذلك ، فسار إلى بلاده فوجد أخاه الشهاب غازي الذي استنابه على خلاط وميَّافارقين وقد قوَّوا رأسه، وكاتبه(٧) المعظم

---

(١) هو الملك المفضّل قطب الدين أحمد بن محمدبن شاذي . له ترجمة في ذيل الروضتين (١٣٣) ومفرج الكروب (٣/ ٢٧٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٥٤) وترويح القلوب (٥٩) .

(٢) ترجمة ـ ابن الحُصْري ـ في تكملة المنذري (٣/ ٦٩ ـ ٧٠) وذيل الروضتين (١٣٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٨٨) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٣) وذيل ابن رجب (٢/ ١٣٠ ـ ١٣٢) وغاية النهاية (٢/ ٣٣٨) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٥٣) وشذرات الذهب (٧/ ١٤٦) وفي وفيات سنة ٦١٨هـ . واسمه في هذه المصادر : برهان الدين أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج محمد بن علي بن أبي الفرج البغدادي الحنبلي بن الحُصْري .

(٣) ترجمة ـ الشهاب الحنبلي ـ في تكملة المنذري (٣/ ٧١) وذيل الروضتين (١٣٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٥٧٨) وذيل ابن رجب (٢/ ١٣٢ ـ ١٣٣) وشذرات الذهب (٧/ ١٥٠) .

(٤) البهاء الحنبلي هوأحمد بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي الأصل الدمشقي أبو العباس المعروف بالبهاء ابن الحنبلي . توفي سنة ٦٢٦ . ذيل الروضتين (١٥٨) وتكملة المنذري (٣/ ٢٥٣) وذيل ابن رجب (٢/ ١٧٤) .

(٥) ستردُ ترجمة الناصح سنة ٦٣٤هـ .

(٦) سترد ترجمة السخاوي في وفيات سنة ٦٤٣ .

(٧) أ ، ب : فكاتبه .

وصاحب[١] إربل وحسَّنوا له مخالفة الأشرف ، فكتب إليه الأشرف ينهاه عن ذلك فلم يقبل ، فجمع له العساكر ليقاتله .

وفيها : سار أقسيس الملك المسعود[٢] صاحب اليمن ابن الكامل من اليمن إلى مكة شرفها الله تعالىٰ فقاتله حسن بن قتادة ببطن مكة بين الصفا والمروة ، فهزمه أقسيس وشرده ، واستقل بملك مكة مع اليمن ، وجرت أمور فظيعة وتشرد حسن بن قتادة قاتل أبيه وعمه وأخيه في تلك الشعاب والأودية .

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي[٣] مصنّف « المغني » في الفقه .

عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة[٤] ، الشيخ موفق الدين أبو محمد المقدسي .

إمام عالم بارع . لم يكن في عصره ، بل ولا قبل دهره بمدة أفقه منه ، ولد بجَمَّاعيل[٥] في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمئة ، وقدم مع أهله إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين ، وقرأ القرآن وسمع الحديث الكثير ، ورحل مرتين إلى العراق ، إحداهما في سنة إحدى وستين مع ابن خالته[٦] الحافظ عبد الغني ، والأخرى سنة سبع وستين ، وحجَّ في سنة ثلاث وسبعين ، وتفقّه ببغداد على مذهب الإمام أحمد ، وبرع وأفتى وناظر وتبحَّر في فنونٍ كثيرة ، مع زُهْدٍ وعبادةٍ وورعٍ وتواضعٍ وحسن أخلاقٍ وجودٍ وحياءٍ وحسن سمتٍ ونورٍ وبهاءٍ وكثرةِ تلاوةٍ وصلاةٍ وصيام وقيامٍ وطريقةٍ حسنةٍ واتِّباعٍ للسلفِ الصالح ، وكانت له أحوالٌ ومكاشفاتٌ .

وقد قال الشافعي رحمه الله تعالىٰ : إن لم يكن العلماء[٧] العاملون أولياء الله فلا أعلم لله ولياً .

وكان يؤمُّ الناس في الصلاة بمحراب[٨] الحنابلة هو والشيخ العماد ، (فلما توفي العماد) استقل هو

---

(١) ط : صاحب . بلا واو .

(٢) ط : الملك مسعود . وقد تقدم تحقيق اسمه ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٢٦هـ .

(٣) ترجمة ـ الموفق المقدسي ـ في معجم البلدان (٣/ ١٦٠) ومرآة الزمان (٨/ ٤١٣) والتكملة للمنذري (٣/ ١٠٧) وذيل الروضتين (١٣٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٠١ ـ ٦١١) . وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥) والمختصر المحتاج إليه (٢/ ١٣٤ ـ ١٣٥) والعبر (٥/ ٧٨ ـ ٨٠) وفوات الوفيات (٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩) وذيل ابن رجب (٢/ ١٣٣ ـ ١٤٩) وشذرات الذهب (٥/ ١٥٥ ـ ١٦٣) .

(٤) بعدها في ط : بن مقدام بن نصر شيخ الإسلام مصنف المغني في المذهب أبو محمد المقدسي .

(٥) جَمَّاعيل بالفتح ، وتشديد الميم ، وألف ، وعين مهملة مكسورة ، وياء ساكنة ولام : قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين . معجم البلدان (٣/ ١٥٩) .

(٦) ط : « عمته » ولا يصح ، فهو ابن خالته (بشار) .

(٧) ط : إن لم تكن العلماء العاقلون .

(٨) ط : للصلاة في محراب .

بالوظيفة ، فإن غاب صلّى عنه أبو سليمان عبد الرحمن[١] بن الحافظ عبد الغني[٢] ، وكان يتنفّل بين العشاءين بالقرب من محرابه ، فإذا صلى العشاء انصرف إلى منزله بدرب الدولعي بالرَّصيف ، وأخذ معه من الفقراء من تيسَّر يأكلون معه من طعامه .

وكان منزله الأصلي بقاسيون فينصرف بعض الليالي بعد العشاء إلى الجبل ، فاتفق في بعض الليالي أن خَطَفَ رجلٌ عمامتَه وكان فيها كاغد[٣] فيه رمل ، فقال له الشيخ : خذ الكاغدَ وألقِ العمامةَ ، (فظنَّ الرجلُ أنَّ[٤] ذلك نفقة فأخذه وألقى العمامة) .

وهذا يدلُّ على ذكاءٍ مفرطٍ واستحضارٍ[٥] حسن في الساعةِ الراهنةِ ، حتى خلَّصَ عمامَتَهُ من يده بتلطُّفٍ .

وله مصنفاتٌ عديدةٌ مشهورةٌ، منها « المُغْني » في شرح مختصر الخرقي في عشرة مجلدات، و«الكافي»[٦] في مجلدين و« المقنع » للحفظ ، و« الروضة » في أصول الفقه ، وغير ذلك من التصانيف المفيدة .

وكانت (وفاته) في يوم عيد الفطر في هذه السنة ، وقد بلغ الثمانين ، وكان يوم سبت ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودُفن بتربته المشهورة ، ورؤيت له منامات صالحةٌ رحمه الله تعالىٰ .

وكان له أولاد ذكورٌ وإناثٌ ، ماتوا[٧] في حياته . ولم يعقب منهم سوى ابنه عيسى ولدين ثم ماتا وانقطع نسله .

قال أبو المظفر سبط[٨] ابن الجوزي[٩] : نقلت من خط الشيخ موفق [الدين] رحمه الله تعالىٰ[١٠] : [مجزوء الكامل]

لا تَجْلسَنَّ ببابِ مَنْ يَأْبى عليكَ دخولَ[١١] دارِهْ

---

(١) ط : « أبو سليمان ابن الحافظ عبد الرحمن » ، وهو تحريف قبيح ، فأبو سليمان هو عبد الرحمن (بشار) .
(٢) توفي أبو سليمان سنة ٦٤٣هـ ، وترجمته في ذيل الروضتين (١٧٦) .
(٣) بعدها في أ ، ب : فأخذها الموفق ثم ذهب .
(٤) أ : أن في الكاغد مالاً .
(٥) ط : واستحضار ، وهو تحريف .
(٦) ط : الشافي ، وقائمة كتبه عند ابن رجب (٢/ ١٣٩) والذهبي (٢٢/ ١٦٨) .
(٧) أ ، ب : وإناث فماتوا .
(٨) أ ، ب : أبو المظفر السبط .
(٩) مرآة الزمان(٤١٥) وليست الرواية هناك كما هنا تماماً ، فالأبيات الأولى التي رآها السبط بخط الموفق لم ترد عند السبط . فإما أنَّ ابن كثير ينقل عن كتاب غير مرآة الزمان أو أن ما بين أيدينا من مرآة الزمان هو مختصره وليس الكتاب الأصلي كما يقول الدكتور بشار عواد معروف في التكملة لوفيات النقلة (٣/ ٦٩) .
(١٠) الأبيات الهائية في ذيل الروضتين (١٤١ ـ ١٤٢) وذيل ابن رجب (٢/ ١٤٢) وشذرات الذهب (٧/ ١٦٢) .
(١١) في ط : وصول .

وتقولُ[١] حاجاتي إليـ ـهِ يعوقها إن لم أدارِهْ
فاتركه[٢] واقصدْ ربَّها تُقْضَى وربِ الدارِ كارِهْ

ومما أنشده الشيخ موفق الدين لنفسه رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه قوله[٣] : [من الطويل]

أَبَعْدَ بياضِ الشَّعْرِ أَعْمرُ مسكناً سوى القبر ، إنّي إن فَعَلْتُ لأَحْمَقُ
يخبّرني شيبي بأنيَ ميِّتٌ وشيكاً ، وينعاني إليَّ فيصدقُ[٤]
يُخَرِّقُ عُمْري كُلُّ يومٍ وليلةٍ فَهَلْ مُسْتَطِيعٌ رَفْوَ ما يتخرَّقُ[٥]
كأني بجسمي فوقَ نعشي ممدَّداً فمن ساكتٍ أو معولٍ يتحرقُ[٦]
إذا سُئِلوا عنّي أجابوا وأعولوا[٧] وأدمعهم تنهلُّ هذا المُوَفَّقُ
وغُيِّبْتُ في صدعٍ من الأرضِ ضَيِّقٍ وأُودِعْتُ لحداً فوقَه[٨] الصَّخْرُ مُطْبقُ
ويَحْثو عليَّ التُّرْبَ أوثقُ صاحبٍ ويُسْلِمُني للقبرِ مَنْ هُوَ مُشْفِقُ
فيا ربِّ كُنْ لي مؤنساً يومَ وحشتي فإني بماأنزلتَهُ لمصدِّقُ[٩]
وما ضَرَّني أنّي إلى الله صائرٌ ومَنْ هوَ منْ أهلي أبرُّ وأرفَقُ[١٠]

فَخْرُ الدِّين ابن عَسَاكِر[١١] ، عبد الرحمن بن [محمد بن] الحسن بن هِبَة الله بن عَساكر ، [فخر الدين ،] أبو منصور الدمشقي شيخ الشافعية بها .

---

(١) أ وب وذيل ابن رجب : ويقول .
(٢) ط وباقي مصادره : واتركه .
(٣) الأبيات القافية في مرآة الزمان (٤١٥) وذيل الروضتين (١٤١) وذيل ابن رجب (٢/ ١٤١) والشذرات (١٦١) .
(٤) ط : فينعاني إلي ويصدق .
(٥) ط : فهل مستطاع رقع ما يتخرق ، وقد حرفت لفظة (رفو) في ذيل ابن رجب إلى (رفق) ولتصحح هناك .
(٦) مكان البيت في أ :
كأني بقوم يتبعون جنازتي وأعينهم تذري الدموع وتدفق
ويصلح أن يكون بيتاً عاشراً في هذه القصيدة . ورواية البيت في المرآة : كأني بنفسي . وفي ذيل الروضتين : فوق نعشي ممدد .
(٧) ط ومرآة الزمان : . . . وعولوا .
(٨) في مرآة الزمان : وأودعت في لحد به الترب .
(٩) في ذيل الروضتين : مصدق . وفي ذيل ابن رجب والشذرات : لما أنزلته لمصدق .
(١٠) في ذيل الروضتين : أبرُّ وأوثق .
(١١) ترجمة ـ الفخر ابن عساكر ـ في الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٥٢) ومرآة الزمان (٨/ ٤١٥) وتكملة المنذري (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣) وذيل الروضتين (١٣٦ ـ ١٣٩) ووفيات الأعيان (٣/ ١٣٥) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦١٣) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٨٧) والعبر (٥/ ٨٠ ـ ٨١) وفوات الوفيات (٢/ ٢٩٨ ـ ٢٩٠) وطبقات السبكي (٥/ ٦٦ ـ ٧١) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٥٦) وشذرات الذهب (٧/ ١٦٣ ـ ١٦٤) .

وأُمُّه[١] أسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر القرشية[٢] المعروف والدها بأبي البركات بن الران[٣] ، وهو الذي جدد مسجد القدم في سنة سبع عشرة وخمسمئة وبه قبره وقبرها ، ودفن هناك طائفة كبيرة[٤] من العلماء ، وهي أخت آمنة[٥] والدة القاضي محيي الدين محمد بن علي بن الزكي[٦] .

اشتغل الشيخ فخر الدين من صغره بالعلم الشريف على شيخه قطب الدين مسعود النيسابوري[٧] ، فتزوج[٨] بابنته ودرَّسَ مكانَهُ بالجاروخية ، وبها كان يسكن في إحدى القاعتين اللتين أنشأهما وبها توفي غربي الإيوان ، ثم تولى تدريس الصلاحيَّة الناصرية بالقدس الشريف ، ثم ولاَّه العادل تدريس التقوية ، وكان عنده أعيانُ الفضلاء ، ثم تفرَّغ فلزم المجاورة في الجامع في البيت الصغير إلى جنب محراب الصحابة يخلو فيه للعبادة والمطالعة والفتاوى ، وكانت[٩] تفد إليه من الأقطار ، وكان كثير الذِّكر حسن السمت ، وكان يجلس تحت النّسر في كل إثنين وخميس مكانَ عمّه لإسماع الحديث بعد العصر ، فيقرأ عليه « دلائل النبوة » وغيره ، وكان يحضر مشيخة دار الحديث النورية ، ومشهد ابن عروة أول ما فتح ، وقد استدعاه الملك العادل بعد ما عزل قاضيه [زكي الدين][١٠] ابن الزكي فأجلسه إلى جانبه وقت السماط ، وسأل منه أن يلي القضاء بدمشق ، فقال حتى أستخير الله تعالىٰ ، ثم امتنع من ذلك فشقَّ[١١] على السلطان امتناعه ، وهمَّ أن يؤذيه فقيل له احمدِ الله الذي في بلادك[١٢] مثل هذا .

---

(١) ط : اسمها أسماء .

(٢) أسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر الدمشقية القرشية . توفيت سنة ٥٩٥هـ ، وعند المنذري ٥٩٤ . وقد تزوجت من ابن خالها محمد أخي الحافظ أبي القاسم ابن عساكر . التكملة للمنذري (١/ ٣١٤) وتاريخ دمشق ـ النساء ـ (٣١) والدارس (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) .

(٣) ط : ابن المران ، وفي أ ب والدارس : ابن المرار ، وفي التكملة (١/ ٣٣٣) : البزاز ، وكله تحريف .

(٤) أ ، ب : كثيرة .

(٥) آمنة بنت محمد بن الحسن بن طاهر القرشية المعروف والدها بأبي البركات بن الران ، تكنى أم محمد وهي ابنة خالة الحافظ أبي القاسم . توفيت سنة ٥٩٥هـ . تاريخ دمشق ـ النساء ـ (٤٩ ـ ٥٠) والتكملة للمنذري (١/ ٣٣٣) .

(٦) تقدمت ترجمته في وفيات ٥٩٨هـ في الجزء السابق .

(٧) هو أبو سعيد مسعود بن محمود بن مسعود بن حسان المنيعي النيسابوري توفي سنة ٦٠٦هـ . التكملة للمنذري (٢/ ١٨٥ ـ ١٨٦) .

(٨) أ ، ب : وتزوج .

(٩) هامش أ : وكانت الفتاوى .

(١٠) هو زكي الدين الطاهر بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز القرشي الأموي العثماني الدمشقي الشافعي . توفي سنة ٦١٧هـ . ذيل الروضتين (١٤٧) وفيات سنة ٦١٦هـ والتكملة (٣/ ٨) وطبقات السبكي (٥/ ٥٨) .

(١١) أ : فشق ذلك . وفيها زيادة .

(١٢) ط : فيه .

ولما توفي العادل وأعاد ابنه المعظم الخمورَ أنكر عليه الشيخ فخر الدين ، فبقي في نفسه منه ، فانتزع منه تدريس الصلاحية التي بالقدس وتدريس التقوية ، ولم يبق معه سوى الجاروخية ودار الحديث النُّورية ومشهد ابن عروة[١] ، وكانت وفاته يوم الأربعاء بعد العصر عاشر رجب من هذه السنة وله خمس وستون سنة ، وصُلِّي عليه بالجامع وكان يوماً مشهوداً ، وحُملت جنازته إلى مقابر الصوفية فدفن في أولها قريباً من قبر شيخه قطب الدين مسعود .

وابن عروة : شرف الدين محمد بن عروة الموصلي[٢] المنسوب إليه مشهد ابن عروة ـ ويقول الناس : مشهد عروة ـ بالجامع الأموي ، لأنه أول من فتحه ، وقد[٣] كان مشحوناً بالحواصل الجامعية وبنى فيه البِرْكَة ووقف فيه على الحديث درساً ، وأوقف[٤] خزائن كتب فيه ، وكان مقيماً بالقدس الشريف ولكنه كان من خواص أصحاب الملك المعظم ، فانتقل إلى دمشق حين خرب سور بيت المقدس إلى أن توفي بها ، وقبرُه عند قباب أتابك طغتكين قبلي المُصَلَّى رحمه الله تعالىٰ .

الشيخ أبو الحسن الروزبهاري[٥] ودفن بالمكان المنسوب إليه [بين السورين] عند باب الفراديس[٦] .

الشيخ عبد الرحمن اليمني[٧] [الذي] كان مقيماً بالمنارة الشرقية .

وكان صالحاً زاهداً ورعاً [وفيه مكارم أخلاق][٨] ، ودفن بمقابر الصوفية .

الرئيس عز الدين المظفر بن أسعد[٩] بن حمزة التميمي ابن القلانسي .

أحد رؤساء دمشق وكبرائها ، وجده أبو يعلى حمزة ، له تاريخ ذَيَّل به على ابنِ عساكر ، وقد سمع

---

(١) مشهد ابن عروة بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي وسمي بذلك لأن أول مَنْ فتحه ابن عروة الذي ستلي ترجمته ترجمة ابن عساكر إن شاء الله تعالىٰ . وخبره في مختصر تنبيه الطالب (١٥ ـ ١٦) .

(٢) ترجمة ـ ابن عروة ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤١٦) وذيل الروضتين (١٣٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٢٠) والدارس (١/ ٨٢) .

(٣) عن ط وحدها .

(٤) ط : ووقف .

(٥) ترجمته في ذيل الروضتين (١٣٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٢٦) وتنبيه الطالب (١٤٤) والدارس (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١) ومنادمة الأطلال (٢٧٦) وفيه : الروزنهاري ؛ وهو تصحيف .

(٦) قال بشار : هي الخانكاه الروزبهارية في البرج الذي عن يمين باب الفراديس ، كما في تاريخ الذهبي (١٣/ ٦٢٦) .

(٧) أ ، ب : عبد الرحمن الذي ، وله ترجمة في مرآة الزمان (٨/ ٤١٥ ـ ٤١٦) وذيل الروضتين (١٣٦) .

(٨) عن ط وحدها .

(٩) ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٨/ ٤١٦) وأبو شامة في ذيل الروضتين (١٣٥) والذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ٦٢٣) .

عزُّ الدين هذا الحديث من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر وغيره ، ولزم مجالسة الكندي وانتفع به .

الأمير الكبير[(١)] أحد حجاب الخليفة محمد بن سليمان بن قُتُلْمِش بن تُرْكانْشاه أبو[(٢)] منصور السَّمَرْقَنْدِي .

وكان من أولاد الأمراء ، وولي حاجب الحجّاب بالديوان العزيز الخليفتي ، وكان يكتب جيداً جداً . وله معرفة حسنة بعلوم كثيرة ، منها الأدب والعلوم الرياضية[(٣)] ، وعمر دهراً ، وله حظ من نظم الشعر الحسن[(٤)] ومن شعره قوله[(٥)] : [من المتقارب]

سئمتُ تكاليفَ هذي الحياة ... وكرّ[(٦)] الصباحِ بها والمساءْ
وقد كنتُ كالطِّفلِ في عقله[(٧)] ... قليلَ الصَّوابِ كثيرَ الهراء[(٨)]
أنامُ إذا كنتُ في مجلس ... وأسهرُ عندَ دخولِ الغناءْ
وقَصَّرَ خطويَ قيدُ المشيبِ ... وطالَ على ما عناني عناءْ[(٩)]
وغودرتُ كالفرخِ في عُشِّهِ ... وخَلَّفْتُ حلمي وراءَ وراءْ[(١٠)]
وما جَرَّ ذلكَ غيرُ البقاء ... فكيفَ بدا سوءُ فعلِ البقاءْ

وله أيضاً ، وهو من شعره الحسن رحمه الله : [من الوافر]

إلهي يا كثيرَ العفوِ غفراً[(١١)] ... لما أسلفتُ في زمنِ الشبابِ
فقد سَوَّدْتُ في الآثامِ وجهاً ... ذليلاً خاضعاً لكَ في التُّرابِ
فَبَيِّضْهُ بحسنِ العفوِ عنّي ... وسامحني وخفِّفْ من عذابي

---

(١) ترجمة ـ ابن قتلمش ـ في معجم الأدباء (١٨/ ٢٠٥) ومعجم البلدان (غدير) وتكملة المنذري (٣/ ٩٨) وذيل الروضتين (١٣٥) والمحمدون من الشعراء (٤٨٧ ـ ٤٨٩) والوافي بالوفيات (٣/ ١٢٥) وفوات الوفيات (٣/ ٣٦٩) وبغية الوعاة (١/ ١١٥) وشذرات الذهب (٧/ ١٦٤ ـ ١٦٥) قال بشار : ويقال فيه : قطرمش ، كما في معجم الأدباء ، وقترمش ، كما بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ٦١٩) ، وهو اسم أعجمي يحتمل مثل هذه الألفاظ .

(٢) ط : بن منصور . وهو تحريف .

(٣) ط : وعلوم الرياضة .

(٤) أ ، ب : وله شعر حسن .

(٥) الأبيات في ذيل الروضتين وفوات الوفيات .

(٦) ط : وكذا .

(٧) أ ، ب : غفلة .

(٨) أ : كثير الهزار . وفي فوات الوفيات : كثير الهذاء .

(٩) ذيل الروضتين : وطالما عناني عناء .

(١٠) لم يرد البيت في الفوات ، وروايته في ذيل الروضتين : في عيشه . . وروائي رواء .

(١١) ط : عفواً .

ولما توفي صُلِّي عليه بالنظامية ودفن بالشونيزية ، ورآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل بك ربك ؟ فقال : [من الوافر]

تحاشيتُ اللقاءَ لسوءِ فعلي … وخوفاً في المعادِ من الندامَهْ
فلمَّا أنْ قدمتُ على إلهي … وحاقَقَ في الحسابِ على قلامَهْ
وكانَ العدلُ أن أَصْلَى جحيماً … تعطَّفَ بالمكارمِ والكرامهْ
ونادانـي لسانُ العفو منه … ألا يا عبدُ يهنيكَ السلامهْ[١]

أبو علي الحسن بن أبي المحاسن زهرة (بن الحسن[٢] بن زهرة) العلوي الحسيني[٣] (الحلبي) ، نقيب الأشراف بها .

كان[٤] لديه فضل وعلم بالأدب والعربية وأخبار الناس[٥] والتواريخ والسير والحديث ، ضابطاً حافظاً للقرآن المجيد[٦] ، وله شعر جيد فمنه قوله : [من الخفيف]

لقد رأيتُ المعشوقَ وهو من الهجـ … ـرِ بحالٍ[٧] تَنْبو النَّواظرُ عَنْهُ
أثَّـرَ الدَّهْرُ فيهِ آثارَ سُوءٍ … وأدالتْ يدُ الحوادثِ منهُ
عاد مُسْتَبْذِلاً ومُسْتَبْدِلاً[٨] عز … اً بِذُلٍّ كأنَّهُ لم يَصُنْهُ

أبو علي يحيى بن المبارك[٩] بن الجَلاجُلي[١٠] .

من أبناء التجار ، سمع الحديث ، وكان جميلَ الهيئة يسكن بدار الخلافة ، وكان عنده علم وله شعر حسن ، فمنه قوله : [من الخفيف]

خيرُ إخوانكَ المشاركُ في المرِّ … وأينَ الشريكُ في المرِّ أينا

---

(١) ب : ونادى . . ألا يا عبد تهنيه السلامة ، وأ : تهنيك .
(٢) ط : « علي » ، وما هنا من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ٥٩٦) نقلاً من تاريخ ابن أبي طي ، ومن ترجمة ولده الشريف علي بن الحسن المتوفى سنة ٦٥٦ تاريخ الإسلام (١٤/ ٨٢٨) ومن خط عز الدين الحسيني في صلة التكملة لوفيات النقلة (الورقة ١١٨) (بشار) .
(٣) أ : الحسني .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ط : فضل وأدب وعلم بأخبار الناس .
(٦) أ : والحديث حافظ وله شعر .
(٧) ليست في ط ولا يستقيم الوزن بدونها .
(٨) ط : مستذلاً . . كأن لم يصنه .
(٩) ترجمة ـ ابن الجلاجلي ـ في تكملة المنذري (٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٢٤) واسمه فيهما أبو علي يحيى بن محمد بن علي بن المبارك بن محمد بن الجلاجلي البغدادي .
(١٠) أ : الخلاخلي .

الـذي إن شهـدتَ سـرَّكَ فـي القـو ... م وإن غبـتَ كـانَ أُذنـاً وعينـا
مثلُ [سرٍّ] العقيقِ[١] إنْ مَسَّهُ النَّا ... رُ جَـلاهُ الجـلاءُ فـازدادَ زينـا
وأخـو السـوءِ إن يغـبْ عنـكَ يشنئـ ... ـكَ وإن يحتضرْ[٢] يكُـنْ ذاكَ شينا
جيبُـهُ غيـرُ نـاصـحٍ ومنـاهُ ... أن يصـبَّ الخليـلُ إفكـاً ومينـا
فـاْصْـرِمَنْـهُ[٣] ولا تَلهَّـفْ عليـهِ ... إنَّ غُـرْمـاً لـه كَنَقْـدِكَ دَيْنـا[٤]

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمئة

فيها وصلت سريةٌ من جهة جنكيز خان غير الأوليين[٥] إلى الريِّ ، وكانت قد عمرت قليلاً فقتلوا أهلها أيضاً ، ثم ساروا إلى ساوة ، ثم إلى قم وقاشان ، ولم تكونا طرقتا إلا هذه المرة ، ففعلوا بها مثل ما تقدم من القتل والسبي، ثم ساروا إلى همذان فقتلوا أيضاً وسبوا ، ثم ساروا إلى خلف الخوارزمية إلى أذربيجان فكسروهم[٦] وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، فهربوا منهم إلى تبريز فلحقوهم وكتبوا إلى ابن البهلوان : إن كنت مصالحاً لنا فابعث لنا[٧] بالخوارزمية وإلا فأنت مثلهم ، فقتل منهم خلقاً وأرسل برؤوسهم إليهم ، مع تحفٍ وهدايا [كثيرة ، هذا كله وإنما كانت هذه السرية ثلاثة آلاف والخوارزمية وأصحاب [ابن] البهلوان][٨] أضعاف أضعافهم ، ولكن الله تعالىٰ ألقى عليهم[٩] الخذلان والفشل ، فإنا لله وإنَّا إليه راجعون .

وفيها : ملك غياث الدين بن خوارزم شاه بلاد فارس مع ما في يده[١٠] من مملكة أصفهان وهمذان .

وفيها : استعاد الملك الأشرف مدينة خلاط من أخيه شهاب الدين غازي ، وكان قد جعلها إليه مع جميع بلاد أرمينية وميافارقين وحاني[١١] وجبل جور[١٢] ، وجعله ولي عهده من بعده ، فلما عصى عليه

(١) أ ، ب : العقيان .
(٢) أ : يشرك إن لم يحتضر . وب : لسعل .
(٣) ط : فاخش منه .
(٤) أ : إن ضرماً عليه يكسبك دنياً ، وب : إن صرفاً .
(٥) ط : الأولتين .
(٦) أ ، ب : فكبسوهم .
(٧) ب : إلينا .
(٨) ليس ما بين الحاصرتين في أ .
(٩) في الأصلين : ولكن ألقى الله تعالىٰ عليهم .
(١٠) أ ، ب : مع ما بيده .
(١١) ط : « جاي » وهو تصحيف ، وقد تكلمنا عليها قبل قليل (بشار) .
(١٢) أ : جمل حول ، وط : وجبل حور . وما هنا عن ب . قال ياقوت : جبل جور ـ بالجيم المضمومة ، وسكون =

وتشعب دماغه بما كتب إلیه المعظم من تحسينه له مخالفته ، فركب إليه وحاصره[١] بخلاط فسلمت إليه وامتنع أخوه في القلعة ، فلما كان الليل نزل إلى أخيه معتذراً فقبل عذره ولم يعاقبه بل أقره على ميّافارقين وحدها ، وكان صاحب إربل والمعظم متفقين[٢] مع الشهاب غازي على الأشرف ، فكتب الكامل إلى [أخيه] المعظم يتهدده لئن ساعد على الأشرف ليأخذنه وبلاده ، وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مع الأشرف ، فركب إليه صاحب إربل فحاصره بسبب قلّة جنده لأنه أرسلهم إلى الأشرف حين نازل خلاط ، فلما انفصلت الأمور على ما ذكرنا ندم صاحب إربل ، والمعظم بدمشق أيضاً .

وفيها : أرسل المعظم ولده الناصر داود إلى صاحب إربل يقويه[٣] على مخالفة الأشرف ، وأرسل صوفياً من السميساطية يقال له الملّق إلى جلال الدين بن خوارزم شاه وكان قد أخذ أذربيجان في هذه السنة وقوي جأشه ـ يتفق معه على أخيه الأشرف ، فوعده النصر والرفادة .

وفيها : قدم الملك المسعود أقسيس ملك[٤] اليمن على أبيه الكامل بالديار المصرية ومعه شيء كثير من الهدايا والتحف ، من ذلك مئتا خادم وثلاثة أفيلة هائلة ، وأحمال عود وند ومسك وعنبر ، وخرج أبوه الكامل لتلقِّيه ومن نية أقسيس أن ينزع الشام من يد عمّه المعظم .

وفيها : كمل عمارة دار الحديث الكاملية بمصر ، وولي مشيختها الحافظ أبو الخطاب ابن دحية الكلبي ، وكان مكثاراً كثير الفنون ، وعنده فوائد وعجائب[٥] رحمه الله تعالىٰ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد[٦] بن علي القادسي[٧] الضرير الحنبلي[٨] ، والد صاحب الذيل على تاريخ ابن الجوزي .

= الواو ، وراء : اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي أرمينية ، أهلها نصارى أرمن ، وفيها قلاع وقرى . معجم البلدان (٢/ ١٢) .

(١) ب : فحاصره .

(٢) أ ، ب : متفقان . ولا يستقيم السياق اللغوي بها .

(٣) أ ، ب : تقوية .

(٤) أ ، ب : صاحب .

(٥) ب : وغرائب وعجائب .

(٦) ترجم له ياقوت في معجم البلدان (٤/ ٢٩٣) القادسية ، والمنذري في تكملته (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١) وأبو شامة في ذيله (١٤٣) والذهبي في تاريخه (١٣/ ٦٦١) وابن العماد في شذراته (٧/ ١٦٦ ـ ١٦٧) .

(٧) أ ، ب : الفارسي ؛ وهو تحريف . والقادسي نسبة إلى القادسية ، وهي قرية كبيرة من نواحي دجيل بين حَرْبَى وسامراء يُعمل بها الزجاج . معجم البلدان .

(٨) أخلّ به الصفدي في نكته رغم أنه كان ضريراً . كذلك أخلّ به ابن رجب في ذيله رغم أنه حنبلي .

وكان القادسي هذا يلازم حضور مجلس الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، ويزهره لما يسمعه من الغرائب ، ويقول والله إن ذا مليح ، فاستقرض منه الشيخ مرة عشرة دنانير فلم يعطه ، وصار يحضر ولا يتكلم ، فقال الشيخ مرة : هذا القادسي لا يقرضنا شيئاً ولا يقول والله إن ذا مليح ؟ رحمهم الله تعالىٰ ، وقد طُلب القادسي مرة إلى دار المستضيء ليصلي بالخليفة التراويحَ فقيل له والخليفة يسمع : ما مذهبُك ؟ فقال حنبلي ، فقال له لا تصلِّ بدار الخلافة وأنت حنبلي ، فقال أنا حنبلي ولا أصلي بكم ، فقال الخليفة : اتركوه لا يصلي بنا إلا هو ، فصلى بهم .

أبو الكرم المظفر بن المبارك[١] بن أحمد [بن محمد][٢] البغدادي الحنفي شيخ مشهد أبي حنيفة وغيره .

ولي الحسبة بالجانب الغربي من بغداد ، وكان فاضلاً ديّناً شاعراً فمن شعره[٣] قوله : [من الطويل]

فَصُنْ بجميلِ الصَّبْرِ نَفسَكَ واغتنمْ … شريفَ المَزايا لا يَفُتْكَ ثَوابُها
وعش[٤] سالماً والقولُ فيكَ مُهَذَّبٌ … كريماً وقد هانتْ عليكَ صِعابُها
وتندرجُ الأيامُ والكُلُّ ذاهِبٌ … يَمُرُّ[٥] ويَفْنَى عذْبُها وعَذابُها
وما[٦] الدهرُ إلا مرُّ يومٍ وليلةٍ … وما العمرُ إلا طيُّها وذهابُها
وما الحزمُ إلا في ادّخارِ[٧] عزيمةٍ … وفيكَ[٨] المَعالي صفْوُها ولبابها
ودع عنكَ أحلامَ[٩] الأماني فإنهُ … سيسفرُ يوماً غيُّها وصَوابُها

محمد بن أبي الفرج بن بركة[١٠] الشيخ فخر الدين أبو المعالي الموصلي .

---

(١) ترجمة ـ أبي الكرم الحنفي ـ في تكملة المنذري (٣/ ١٢١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٨٣) والجواهر المضية (٣/ ٤٨٨) وفيهما : أن والده المبارك عُرف : بحَرِّكْها .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ط : ومن شعره .
(٤) أ : تعش . ب : فعش .
(٥) ط : قليل .
(٦) أ ، ب : فما .
(٧) ط : إخاء .
(٨) أ ، ب : فنيل .
(٩) أ ، ب : فدع عنك إلمام الأماني .
(١٠) ترجمة الفخر الموصلي في تاريخ ابن الدبيثي (الورقة ١٨٢ من مجلد باريس ٥٩٢١) وتكملة المنذري (٣/ ١٢٨) وتلخيص مجمع الآداب (٤/ الترجمة ٢٤٠٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٨٢) والمختصر المحتاج إليه (١/ ١٦٨) والوافي بالوفيات (٤/ ٣١٩) وغاية النهاية (٢/ ٢٤٨) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٥٩) وشذرات الذهب (٥/ ٩٦) (بشار) .

قدم بغداد واشتغل بالنظامية وأعاد بها ، وكانت له معرفة بالقراءات ، وصنّف كتاباً في مخارج الحروف ، وأسند الحديث وله شعر لطيف .

أبو بكر بن حلبة الموازيني البغدادي كان فرداً في علم الهندسة وصناعة الموازين يخترع أشياء عجيبة ، من ذلك أنه ثقب حبة خشخاش سبعة ثقوب وجعل في كل ثقب شعرة ، وكان له حظوة عند الدولة .

أحمد بن جعفر بن أحمد(١) بن محمد أبو العباس الدُّبَيْثي(٢) البيِّع الواسطي .

شيخ أديب فاضل له نظم ونثر ، عارف بالأخبار والسير ، وعنده كتب جيدة كثيرة ، وله شرح قصيدة لأبي العلاء المعري في ثلاث مجلدات ، وقد أورد له ابن الساعي شعراً حسناً فصيحاً حلواً لذيذاً في السمع لطيفاً في القلب .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمئة

فيها : عاثت الخوارزميةُ حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد الهند مقهورين من التتار إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق ، فأفسدوا فيه وحاصروا مدنه ونهبوا قراه(٣) .

وفيها : استحوذ جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان وكثيراً من بلاد الكرج ، وكسر الكرج وهم في سبعين ألف مقاتل ، فقتل منهم عشرين ألفاً من المقاتلة ، واستفحل أمره جداً وعظم شأنه ، وفتح تفليس فقتل منها ثلاثين ألفاً . وزعم(٤) أبو شامة أنه قتل من الكرج سبعين ألفاً في المعركة ، وقتل من تفليس تمام المئة ألف ، وقد(٥) اشتغل بهذه الغزوة عن قصد بغداد ، وذلك أنه لما حاصر دقوقا سبه أهلها ففتحها قسراً(٦) وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وخرب سورها وعزم على قصد الخليفة ببغداد لأنه فيما زعم عمل على أبيه حتى هلك ، واستولت التتر(٧) على البلاد ، وكتب إلى المعظم بن العادل يستدعيه لقتال الخليفة ويحرضه على ذلك ، فامتنع المعظم من ذلك ، ولما علم الخليفة بقصد جلال الدين بن خوارزم

---

(١) ترجمة ـ الدبيثي ـ في تكملة المنذري (٣/ ١٢٠) وفوات الوفيات (١/ ٣٤) ولسان الميزان (١/ ١٤٤) .

(٢) أ ، ب : الزينبي ، وط : الدبيبي . وكلاهما تحريف وما هنا عن مصادره . وقال المنذري : وهو منسوب إلى دُبَيْثى : قرية من نواحي واسط ، وهي بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها ثاء مثلثة مفتوحة وألف مقصورة .

(٣) أ ، ب : ونهبوا قراياه .

(٤) ذيل الروضتين (١٤٤) .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) أ : قهراً .

(٧) ب : التتار .

شاه بغداد انزعج لذلك وحصَّن بغداد واستخدم الجيوش والأجناد ، وأنفق[١] في الناس ألف ألف دينار ، وكان جلال الدين قد بعث جيشاً إلى الكرج فكتبوا[٢] إليه أن أدركنا قبل أن نهلك عن آخرنا ، وبغداد ما تفوت ، فسار إليهم وكان من أمره ما ذكرنا .

وفيها : كان غلاء شديد بالعراق والشام بسبب قلة الأمطار وانتشار الجراد ، ثم أعقب[٣] ذلك فناء كثير[٤] بالعراق والشام أيضاً ، فمات بسببه خلق كثير في البلدان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفاة الخليفة الناصر لدين الله[٥] وخلافة ابنه الظاهر

لما كان يوم الأحد آخر يوم من شهر رمضان المعظم من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله (أبي محمد الحسن ابن المستنجد بالله)[٦] ، أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله ، أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، أبي العباس[٧] أحمد بن المقتدي بأمر الله ، أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد[٨] بن [القائم بأمر الله ، أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله ، أبي العباس أحمد[٩] بن إسحاق][١٠] بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق ، أبي أحمد محمد[١١] بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي ، أمير المؤمنين .

---

(١) ب : أنفق .
(٢) أ ، ب : فبعثوا إليه .
(٣) ب : ثم عقب ذلك .
(٤) أ : كثير .
(٥) ترجمة ـ الناصر لدين الله ـ في الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) ومرآة الزمان (٨/ ٤١٨ ـ ٤١٩) وتكملة المنذري (٣/ ١٦٠ ـ ١٦١) وتاريخ ابن العبري (٢٣٧) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣) والوافي بالوفيات (٦/ ٣١٠ ـ ٣١٦) ونكت الهميان (٩٣ ـ ٩٦) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٩٢ ـ ٢٤٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) وشذرات الذهب (٧/ ١٧٢ ـ ١٧٤) .
(٦) ما بين الحاصرتين ليست في ط ولا يصح عمود النسب من غيرها (بشار) .
(٧) ط : أبي عبد الله أحمد ؛ وهو تصحيف . وهو مترجم في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٩٦) .
(٨) أ ، ب : أحمد ؛ وهو تحريف .
(٩) بعد هذا في ط : « بن الموفق أبي أحمد بن محمد المتوكل أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد » ، وهو تكرار وتحريف لا يصح به عمود النسب ، والصواب ما أثبتنا (بشار) .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) ط : « بن محمد » ولا يصح فمحمد هو اسم الموفق ، ويقال : طلحة ، كما في ترجمته (بشار) .

ولد ببغداد عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة ، وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين ، وتوفي في هذه السنة وله من العمر تسع وستون سنة وشهران وعشرون يوماً ، وكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة إلا شهراً ، ولم يقم أحد من الخلفاء العباسيين قبله في الخلافة هذه المدة الطويلة ، ولم تطل مدة أحد من الخلفاء مطلقاً أكثر من المستنصر العبيدي ، أقام بمصر حاكماً ستين سنة ، وقد انتظم في نسبه أربعة عشر خليفة ، وولي[١] عهد على ما رأيت ، وبقية الخلفاء العباسيين كلّهم من أعمامه وبني عمه . وكان مرضه قد طال به وجمهوره[١] من عسار البول ، مع أنه كان يُجْلَب له الماء من مراحل عن بغداد ليكونَ أصفَى ، وشُقَّ ذَكَرُهُ مراتٍ بسبب ذلك ، ولم يُغْنِ عنه هذا الحذر شيئاً .

وكان الذي ولي غسله محيي الدين ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وصلَّى عليه ودُفن في دار الخلافة ، ثم نُقل إلى الترب من الرصافة في ثاني ذي الحجة من هذه السنة ، وكان يوماً مشهوداً .

قال ابن الساعي : وأما سيرته فقد تقدمت في الحوادث .

وأما ابن الأثير في « كامله »[٢] فإنه قال : وبقي الناصر لدين الله ثلاثَ سنين عاطلاً عن الحركة بالكليّة ، وقد ذهبت إحدى عينيه والأخرى يبصر بها إبصاراً ضعيفاً ، وآخر الأمر أصابه دوسنطارية عشرين يوماً ومات ، ووزر[٣] له عدةُ وزراء ، وقد تقدم ذكرهم ، ولم يطلق في أيام مرضه ما كان أحدثه من الرسوم الجائرة . وكان قبيحَ السيرة في رعيته ظالماً لهم ، فخرب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وكان يفعل الشيء وضدَّه ، فمن ذلك أنه عمل دُوراً[٤] للإفطار في رمضان ، ودوراً[٥] لضيافة الحجاج ، ثم أبطل ذلك ، وكان قد أسقط مكوساً ثم أعادها وجعل جلّ همّه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات[٦] الفتوة .

قال ابن الأثير : وإن كان ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتار في البلاد وراسلهم فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم .

قلت : وقد ذكر عنه أشياء غريبة ، من ذلك أنه كان يقول للرسل الوافدين عليه فعلتم في مكان كذا

---

(١) أ ، ب : ووليا عهد . وجمهوره : معظمه وأكثره .
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٩/ ٣٦١) بخلاف في الرواية .
(٣) أ ، ب : وزر ؛ بلا واو .
(٤) أ ، ب : دور الإفطار .
(٥) ب : ودور الضيافة .
(٦) قال ابن الأثير (٩/ ٣٦١) : فبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من يلبس منه سراويل يدعى إليه ، ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة وكذلك منع الطيور المناسيب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمي بالبندق إلا من ينتمي إليه .

كذا ، وفعلتم في الموضع الفلاني كذا ، حتى ظنَّ بعض الناس أو[١] أكثرهم أنه كان يكاشَفُ[٢] أو أن جنّياً يأتيه بذلك ، والله أعلم[٣] .

خلافة الظاهر بن الناصر[٤]

لما توفي الخليفةُ الناصرُ لدين الله كانَ قد عهد إلى ابنه أبي نصر محمد هذا ولقبه بالظاهر ، وخُطب له على المنابر ، ثم عزله عن ذلك بأخيه علي ، فتوفي في حياة أبيه سنة ثنتي عشرة ، فاحتاج إلى إعادة هذا لولاية[٥] العهد فخطب له ثانياً ، فحين توفي [أبوه] بويع [له] بالخلافة ، وعمره يومئذ ثنتان وخمسون سنة ، فلم يل الخلافة أحد[٦] بني العباس أسنّ منه ، وكان عاقلاً[٧] وقوراً ديناً عادلاً محسناً ، ردّ مظالم كثيرة وأسقط مكوساً كان قد أحدثها أبوه ، وسار في الناس سيرة حسنة[٨] ، حتى قيل : إنه لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز أعدلَ منه لو طالت مدّته ، لكنه لم يحل إلى الحول ، بل كانت مدته تسعة أشهر ، أسقط الخراج الماضي عن الأراضي التي قد تعطّلت ، ووضع عن أهل بلدة واحدة وهي بَعْقُوبا[٩] سبعين ألف دينار كان أبوه قد زادها عليهم في الخراج ، وكانت صنجة[١٠] المخزن تزيد على صنجة البلد نصف دينار في كل مئة إذا قبضوا وإذا أقبضوا دفعوا بصنجة البلد ، فكتب إلى الديوان ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ١ ـ ٦] . فكتب إليه بعض الكتاب يقول : يا أمير المؤمنين إن تفاوت هذا عن العام الماضي خمسة وثلاثون ألفاً ، فأرسل ينكر عليه ويقول : هذا يترك وإن كان تفاوته ثلاثمئة ألف وخمسين ألفاً ، رحمه الله .

---

(١) أ ، ب : أو كثير منهم وأكثرهم .
(٢) هذا من المبالغات .
(٣) هذا كلام تناقله المؤرخون ، وهو تفسير ساذج ، والمعروف عن الناصر أنه كان شديد العناية بجهاز المخابرات ، وكان يكثر من الجواسيس (بشار) .
(٤) ستر د ترجمة الظاهر في وفيات سنة ٦٢٣ .
(٥) ب : إلى ولاية العهد .
(٦) ط : أمن .
(٧) ب : كان عالماً عاقلاً .
(٨) أ ، ب : وسار في الناس حسناً .
(٩) ط : بعقوبا ؛ تحريف ، وهي كما يقول ياقوت : بعقوبا : قرية بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من أعمال طريق خراسان . معجم البلدان (٢ / ٤٥٢) وقد تقدم تعريفها .
(١٠) صنجة الميزان وسنجته فارسي معرب . وقال ابن السكيت : ولا يقال سنجة . المصباح المنير (سنج) واللسان (صنج) وقيل : بل السين أفصح وصنجة الميزان : معياره . مختار الصحاح (سنج) .

وأمر القاضي[١] أَنَّ كلَّ من ثبت[٢] له حق بطريقٍ شرعي يوصلُ إليه بلا مراجعة .

وأقام في النظر على الأموال الحشرية[٣] رجلاً صالحاً .

واستخلص على القضاء الشيخ العلامة عماد الدين أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي[٤] في يوم الأربعاء ثامن ذي الحجة ، فكان[٥] من خيار المسلمين[٦] ومن القضاة العادلين ، رحمهم الله أجمعين . ولما عُرض عليه القضاء لم يقبله إلا بشرط أن يورّث ذوي الأرحام ، فقال : أعط كلَّ ذي حقّ حقَّه واتّقِ اللهَ ولا تتق سواه .

وكان من عادة أبيه أن يرفع إليه حراسُ الدروب في كل صباح[٧] بما كان عندهم في المحال من الاجتماعات الصالحة والطالحة ، فلما ولي الظاهر أمر بتبطيل ذلك كلّه وقال : أي فائدة في كشف أحوال الناس وهتك أستارهم ؟ فقيل له : إن ترك ذلك يفسد الرعية ، فقال نحن ندعو الله لهم أن يصلحهم ، وأطلق من كان في السجون معتقلاً على الأموال الديوانية ، وردّ عليهم ما كان استخرج منهم قبل ذلك من المظالم وأرسل إلى القاضي بعشرة آلاف دينار يوفي بها ديون من في سجونه من المدينين[٨] الذين لا يجدون وفاءً ، وفرّق في العلماء بقية المئة ألف ، وقد لامه بعض الناس في هذه التّصرفات فقال : إنما فتحت الدكان بعد العصر ، فذروني أعمل صالحاً وأفعل الخير ، فكم مقدار ما بقيت أعيش ؟! ولم تزل هذه سيرته حتى توفي في العام الآتي كما سيأتي . ورخصت الأسعار في أيامه وقد كانت قبل ذلك في غاية[٩] الغلاء حتى أنه فيما حكى ابن الأثير[١٠] أُكلت الكلاب والسنانير[١١] ببلاد الجزيرة والموصل ، فزال ذلك والحمد لله . وكان [هذا الخليفة الظاهر][١٢] حسنَ الشكلِ مليحَ الوجهِ أبيضَ مُشْرباً حمرة[١٣] حلوَ الشمائلِ شديدَ القوى .

---

(١) ط : للقاضي .

(٢) عن ط وحدها .

(٣) ط : « الجردة » وهو تحريف ، والأموال الحشرية هي المتأتية عن إرث من لا وارث له . (بشار) .

(٤) أ ، ب : الجيلي الحنبلي . وقد توفي أبو صالح الجيلي سنة ٦٣٣ . سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٩٦) وفيه ذكر لمصادر أخرى .

(٥) أ ، ب : وكان .

(٦) أ ، ب : ومن خيار القضاة .

(٧) أ ، ب : صبيحة .

(٨) أ : من المديونين .

(٩) أ : الشدة والغلاء .

(١٠) ابن الأثير (٩/ ٣٦٢ و٣٦٤) .

(١١) ب : والميتات .

(١٢) عن ط وحدها .

(١٣) عن أ وحدها .

ومِمن توفي في هذه السنة[١] أيضاً من الأعيان :

أبو الحسن علي الملقب بالملك الأفضل[٢] نور الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف[٣] بن أيوب .

كان ولي عهد أبيه ، وقد ملك دمشق بعده مدة سنتين ثم أخذها منه عمه العادل ، ثم كاد أن يملك الديار المصرية بعد أخيه العزيز فأخذها منه عمه العادل أبو بكر ، ثم اقتصر على ملك صرخد فأخذها منه أيضاً عمه العادل ، ثم آل به الحال أن ملك سميساط[٤] وبها توفي في هذه السنة ، وكان فاضلاً شاعراً جيد الكتابة ، ونقل إلى مدينة حلب فدفن بها بظاهرها .

وقد ذكر ابن خلكان[٥] أنه كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله يشكو إليه عمه أبا بكر وأخاه عثمان وكان الناصر شيعياً مثله[٦] : [من البسيط]

مولاي إنَّ أبا بكرٍ وصاحبهُ عثمان قد غصبا بالسيفِ حقَّ عَلي
وهو الذي كانَ قد ولّاهُ والدهُ عليهما فاستقامَ الأمرُ حينَ وَلي
فخالفاهُ وحلاّ عقدَ بيعته والأمرُ بينهما والنصُّ فيه جَلي
فانظر إلى حظِّ هذا الاسم كيف لقي من الأواخرِ ما لاقى من الأُوَلِ[٧]

الأمير سيف الدين علي[٨] بن الأمير علم الدين سليمان[٩] بن جَنْدَر[١٠] .

---

(١) ط : وممن توفي فيها من الأعيان .
(٢) ترجمة ـ الملك الأفضل ـ في الكامل لابن الأثير (٣/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) ومرآة الزمان (٨/ ٤٢٠) والتكملة للمنذري (٣/ ١٤٠) وذيل الروضتين (١٤٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٤١٩ ـ ٤٢١) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٤٢) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٩٤) والعبر (٥/ ٩١) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٦٢) وشذرات الذهب (٧/ ١٧٨ ـ ١٧٩) .
(٣) ط : « صلاح الدين بن يوسف » وهو غلط جد ظاهر (بشار) .
(٤) قال ابن خلكان : وسميساط : بضم السين المهملة ، وفتح الميم ، وسكون الياء المثناة وفتح السين الثانية ، وبعد الألف طاء مهملة ، وهي قلعة في بر الشام على الفرات في ناحية بلاد الروم بين قلعة الروم وملطية . وفيات الأعيان (٣/ ٤٢١) ومعجم البلدان (٣/ ٢٥٨) .
(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٤٢٠) برواية مختلفة قليلاً .
(٦) للناصر لدين الله أبيات في الرد على هذه الأبيات في وفيات الأعيان (٣/ ٤٢١) .
(٧) البيتان الأول والأخير في مرآة الزمان (٨/ ٤٢٠) وقال بعدهما : وبلغني أنه كان ينكر هذا الشعر أنه له .
(٨) ترجمة ـ سيف الدين علي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) وذيل الروضتين (١٤٥ ـ ١٤٦) .
(٩) ط : « بن سليمان » وهو غلط واضح (بشار) .
(١٠) أ ، ب ، ومرآة الزمان : حيدر ، وهو تحريف ، وما هنا يعضده ما في مصادر ترجمته ومنها تاريخ الإسلام بخط الذهبي (١٣/ ٧١٣) .

كان من أكابر الأمراء[(١)] بحلب ، وله الصدقات الكثيرة ووقف بها مدرستين إحداهما على الشافعية والأخرى على الحنفية ، وبنى الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخيرات [وغزا] الغزوات رحمه الله .

الشيخ علي الكردي[(٢)] المُوَلَّه المقيم بظاهر باب الجابية .

قال أبو شامة[(٣)] : وقد اختلفوا فيه ، فبعض الدماشقة يزعم أنه كان صاحب[(٤)] كرامات ، وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا ما رآه أحد يصلي ولا يصوم ولا لبس مداساً ، بل كان يدوس النجاسات [ويدخل المسجد على حاله][(٥)] ، وقال آخرون كان له تابع من الجن يتحدث على لسانه ، وحكى السبط[(٦)] عن امرأة قالت جاء خبر بموت أمي باللاذقية أنها ماتت وقال لي بعضهم إنها لم تمت ، قالت فمررت به وهو قاعد عند المقابر فوقفت عنده فرفع رأسه وقال لي[(٧)] ماتت ماتت إيش تعملين ؟ فكان كما قال . وحكى[(٨)] لي عبد الله صاحبي قال جُعْتُ[(٩)] يوماً وما كان معي شيء فاجتزت به فدفع إلي نصف درهم وقال : يكفي هذا للخبز والفت بدبس ، وقال : مرَّ[(١٠)] يوماً على الخطيب جمال[(١١)] الدين الدولعي فقال[(١٢)] (له) : يا شيخ علي أكلت[(١٣)] اليوم كسيرات يابسة وشربت عليها الماء فكفتني ، فقال له الشيخ علي الكردي وما تطلب نفسك شيئاً آخر غير هذا ؟ قال لا ، فقال يا مسكين[(١٤)] من يقنع بكسرة يابسة يحبس نفسه في هذه المقصورة[(١٥)] ولا يقضي ما فرضه الله عليه من الحج .

---

(١) ب : العلماء .
(٢) ترجمة ـ علي الكردي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) وذيل الروضتين (١٤٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧١٨) .
(٣) ذيل الروضتين (١٤٦) .
(٤) أ ، ب : وله .
(٥) ليس ما بين الحاصرتين في أ ، ب ، وورد مكانه في أ : ويبول على ثيابه ، وما أثبتناه موافق لما في ذيل الروضتين الذي ينقل منه المؤلف .
(٦) مرآة الزمان (٤٢٠) بخلاف في الرواية .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) أ ، ب : قال : وحكى .
(٩) ط : صبحت .
(١٠) أ ، ب : ودخل يوماً .
(١١) أ ، ب : كمال الدين . وسترد ترجمة الدولعي في وفيات سنة ٦٣٥ .
(١٢) أ ، ب : قد أكلت .
(١٣) أ ، ب : ودخل يوماً .
(١٤) ط : يا مسلمين .
(١٥) أ : ويحصر نفسه هذا الحصر .

الفخر ابن تيمية[(١)] محمد بن أبي القاسم[(٢)] بن محمد الشيخ فخر الدين أبو عبد الله بن تيمية الحرَّاني ، عالمها[(٣)] وخطيبها وواعظها .

اشتغل على مذهب الإمام أحمد وبرع فيه وبرز وحصل وجمع تفسيراً حافلاً في مجلدات كثيرة ، وله الخطب المشهورة المنسوبة إليه ، وهم عم الشيخ مجد الدين صاحب « المنتقى في الأحكام » .

قال أبو المظفر[(٤)] سبط ابن الجوزي : سمعته يوم جمعة بعد الصلاة وهو يعظ الناس ، ينشد : [من السريع]

أحبابنا قد نَدَرتْ مقلَتي ... ما تَلْتَقي بالنومِ أو نَلْتقي
رِفقاً بقلبٍ مُغْرَمٍ واعطِفوا ... على سِقامِ الجسدِ المحرَقِ[(٥)]
كم تمطلوني بليالي اللّقا ... قد ذَهَبَ العمرُ ولم نَلْتَقِ

وقد ذكرنا أنه قدم بغداد حاجاً بعد وفاة شيخه أبي الفرج بن الجوزي ووعظ بها في مكان وعظه[(٦)] .

الوزير ابن شكر[(٧)] صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي (بن الحسين)[(٨)] بن عبد الخالق بن شكر ، ولد بالديار المصرية بدَمِيرَة[(٩)] بين مصر وإسكندرية سنة أربعين وخمسمئة ، ودفن بتربته عند مدرسته بمصر ، وقد وزر للملك العادل وعمل أشياء في أيامه ، منها تبليط جامع دمشق وأحاط سور المُصَلَّى عليه ،

(١) ترجمة ـ الفخر ابن تيمية ـ في تكملة المنذري (٣/ ١٣٨ ـ ١٣٩) وذيل الروضتين (١٤٦) ووفيات الأعيان (٤/ ٣٨٦ ـ ٣٨٨) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٢٣) والوافي بالوفيات (٣/ ٣٧ ـ ٣٨) وذيل ابن رجب (٢/ ١٥١ ـ ١٦٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) والمقصد الأرشد (٢/ ٤٠٦) وشذرات الذهب (٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠) .

(٢) واسمه الخضر .

(٣) أ : عالمها ومفتيها وخطيبها .

(٤) أ ، ب : أبو الفرج .

(٥) أ ، ب : المعرق .

(٦) أ ، ب : مكان شيخه .

(٧) ترجمة ـ الوزير ابن شكر ـ في معجم البلدان (٢/ ٤٧٢) وتكملة المنذري (٣/ ١٥٧) وذيل الروضتين (١٤٧) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٠٦) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٩٤) وفوات الوفيات ١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٦٣) وشذرات الذهب (٧/ ١٧٧) .

(٨) ما بين الحاصرتين سقطت من ط (بشار) .

(٩) أ ، ب : ولد بالدميرة من مصر . ودَميرة : بفتح أوله ، وكسر ثانيه ، وياء مثناة من تحت ساكنة وراء مهملة قرية كبيرة بمصر قرب دمياط . وهما دميرتان إحداهما تقابل الأخرى على شاطىء النيل في طريق من يريد دمياط . معجم البلدان (٢/ ٤٧٢) .

وعمل الفوارة ومسجدها وعمارة جامع المزة ، وقد نكب وعزل سنة خمس عشرة وستمئة وبقي معزولاً إلى هذه السنة فكانت (فيها) وفاته[١] ، وقد كان مشكور السيرة ، ومنهم من يقول كان ظالماً ، فالله أعلم .

أبو إسحاق إبراهيم بن المظفر[٢] بن إبراهيم بن علي المعروف بابن البَرْني[٣] الواعظ البغدادي .

أخذ الفنَّ عن شيخه أبي الفرج بن الجوزي وسمع الحديث الكثير ، ومن شعره قوله في الزهد[٤] :

مـا هـذِهِ الـدُّنْيـا بـدارِ مَسـرَّةٍ   فَتَخـوُّفـي[٥] مَكْـراً لهـا وخِـدَاعـا
بَيْنـا الفَتـى فيهـا يُسَـرُّ بِنَفْسِـهِ   وبِمـالِـهِ يَسْتَمْتِـعُ اسْتِمْتَـاعـا
حَتَّـى سَقَتْـهُ مِـنَ المَنِيَّـةِ شَـرْبَـةً   وَحَمَتْـهُ فيـهِ بعـدَ ذاكَ رِضـاعـا[٦]
فغـدا بمـا كسبـتْ يـداهُ رَهِينـةً   لاَ يستَطِيـعُ لمـا عَـرَتْـهُ[٧] دِفـاعـا
لَوْ كانَ يَنْطِقُ قالَ من تَحْتِ الثَّرَى   فَلْيُحْسِنِ العَمَلَ الفَتَى ما اسْطَاعا[٨]

البهاء السِّنجاري[٩] أبو السعادات أسعد بن يحيى[١٠] بن موسى الفقيه الشافعي الشاعر .

قال ابن خلّكان[١١] : كان فقيهاً ويتكلَّم في الخلاف ، إلا أنه غلب عليه الشعر ، وأجاد[١٢] فيه واشتهر بنظمه وخدم به الملوك ، وأخذ منهم الجوائز وطاف البلاد ، وله ديوان بالتربة الأشرفية بدمشق ، ومن رقيق شعره ورائقه قوله : [من الكامل]

---

(١) أ ، ب : وكانت .

(٢) ترجمة ـ ابن البَرْني ـ في تكملة المنذري (٣/ ١٣٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٩٩) والمختصر المحتاج إليه (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦) وذيل ابن رجب (٢/ ١٤٩ ـ ١٥١) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٦٢) وشذرات الذهب (٧/ ١٧٥) .

(٣) ط : البذي ؛ وهو تحريف ، وما هنا عن أ ب ، ومصادر الترجمة .

(٤) الأبيات في ذيل ابن رجب (٢/ ١٥٠) .

(٥) ذيل ابن رجب : فتخوفن .

(٦) في الذيل :

حتـى سقتـه فـي المنيـة شـربـة   وحمتـه فيـه بعـد ذاك رضـاعـا
لو كان ينطق . .

(٧) أ ، ب : لما عداه .

(٨) أ ، ب : ما استطاعا . ولا يستقيم الوزن بها .

(٩) ترجمة ـ البهاء السنجاري ـ في خريدة القصر ـ شعراء الشام ـ (٢/ ٤٠١) ومعجم البلدان (سنجار) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٠٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٠٢) ووفيات الأعيان (١/ ٢١٤ ـ ٢١٧) والوافي بالوفيات (٩/ ٣٢ ـ ٣٤) وشذرات الذهب (٧/ ١٨٢ ـ ١٨٣) .

(١٠) ط : « محمد » وهو تحريف : وما هنا هو الذي في مصادر ترجمته .

(١١) وفيات الأعيان (١/ ٢١٤) .

(١٢) ط : فأجاد .

وهـواكِ مـا خطـرَ السُّلـوُّ ببـالـهِ ... ولأنـتِ أعلـمُ فـي الغـرام بِحـالـهِ
ومتـى وشـى واشٍ إليـكِ بـأنـهُ ... سـالٍ هـواكِ فـذاكَ مـن عُـذّالـهِ
أو ليـسَ للكلـفِ المُعَنَّـى شـاهـدٌ ... مـن حـالـهِ يُغْنيـكِ عـن تسـآلـهِ
جددتِ ثوبَ سقامهِ وهتكتِ ستـ ... ـرَ غرامهِ وصرمتِ حبلَ وصالهِ

وهي قصيدة طويلة[١] امتدح فيها القاضي كمال الدين الشهرزوري .

وله[٢] : [من السريع]

للهِ أيـامـي علـى رامـةٍ ... وطيبِ أوقاتي على حاجرِ
تكـادُ للسـرعـةِ فـي مَـرِّهـا ... أولهـا يعثـرُ بـالآخِـرِ

وكانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة رحمه الله بمنه وفضله .

عثمان بن عيسى[٣] بن درباس بن فِيْر[٤] بن جَهْم[٥] بن عَبْدُوس[٦] الهَذَبَاني[٧] الماراني[٨] ضياء الدين أخو القاضي صدر الدين[٩] عبد الملك حاكم الديار المصرية في الدولة الصلاحية .

وضياء الدين هذا هو شارح « المهذب »[١٠] إلى كتاب الشهادات في نحو من عشرين مجلداً ، وشرح « اللمع » في أصول الفقه و« التنبيه »[١١] للشيرازي ، وكان[١٢] بارعاً عالماً بالمذهب رحمه الله .

---

(١) بعد هذا البيت في وفيات الأعيان ثمانية أبيات وكذا في شذرات الذهب .
(٢) البيتان في سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٠٢) ووفيات الأعيان (١/ ٢١٦) .
(٣) ترجمة ـ ابن درباس ـ في تكملة المنذري (٢/ ٩٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٩١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) وطبقات الإسنوي (١/ ١٢٨) وطبقات السبكي (٥/ ١٤٣) وشذرات الذهب (٧/ ١٤) وفي هذه المصادر أنه توفي سنة ٦٠٢ ، وانفرد ابن كثير بإيراده في وفيات سنة ٦٢٢ ، وهو وهم منه لا ريب فيه .
(٤) قيّدها ابن خلكان : فير : بكسر الفاء ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها راء .
(٥) قيّدها ابن خلكان : جهم : بفتح الجيم ، وسكون الهاء ، وبعدها ميم .
(٦) قيّدها ابن خلكان : بفتح العين المهملة ، وسكون الباء الموحدة ، وضم الدال المهملة وسكون الواو ، وبعدها سين مهملة .
(٧) قيّدها ابن خلكان في وفيات الأعيان (٧/ ١٣٩) : الهذبانية : بفتح الهاء والذال المعجمة وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء .
(٨) قيّدها ابن خلكان : الماراني : بفتح الميم ، وبعد الألف راء مفتوحة ، وبعد الألف الثانية نون هذه النسبة إلى بني مارن بالمروج تحت الموصل .
(٩) له ترجمة في سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩١) .
(١٠) بعد هذه اللفظة في أ : وصل فيه إلى .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) أ : كان عمه بارعاً .

أبو الحسن علي بن الحسن الرازي ثم البغدادي الواعظ ، عنده فضائل وله شعر حسن ، فمنه قوله في الزهد : [من الخفيف]

اِسْتَعدّي يا نَفْسُ للموتِ وَاسْعَيْ ... لِنَجَاةٍ فالحازِمُ الْمُسْتَعِدُّ
قد تبينتِ أَنَّه ليسَ للحي ... خلودٌ ولا مِنَ المَوْتِ بُدُّ
إِنَّما أَنْتِ مستعيرةٌ ما سو ... فَ تردِّينَ والعواري تُردُّ
أَنْتِ تَسْهَيْنَ والحوادِثُ لا ... تَسْهُو وَتَلهينَ والمنايا تَجِدُّ
لا ترجّي البقاءَ في معدنِ المو ... تِ ولا أرضاً بها لَكِ وِرْدُ[1]
أيُّ مُلْكٍ في الأرضِ أم أيُّ حَظٍّ ... لامرىءٍ حظُّهُ من الأرضِ لحدُ ؟
كيفَ يَهْوى امرؤٌ لذاذةَ أيا ... مٍ عليهِ الأنفاسُ فيها تعدُّ

أبو محمد عبد الله بن (علي بن)[2] أحمد[3] بن الزيتوني[4] ، البَوَازِيجي[5] ثم البغدادي .

شيخٌ فاضلٌ له روايةٌ ، ومما أنشده : [من الخفيف]

ضَيَّقَ العُذْرَ في الضَّراعةِ أَنَّا ... لو قَنِعْنا بقسمنا لَكَفانا
ما لنا نعبدُ العبادَ إذا كا ... نَ إلى اللهِ فقرُنا وغنانا

أبو الفضل عبد الرحيم بن نصر الله بن علي بن منصور بن الكَيّال الواسطي .

من بيت الفقه والقضاء[6] ، وكان أحد المعدّلين ببغداد ومن شعره[7] : [من الطويل]

فتبّاً لدنيا لا يدومُ نعيمُها ... تُسِرُّ يسيراً ثم تُبدي المساويا
تُريكَ رواءً[8] في النّقابِ وزخرفاً ... وتسفرُ عن شوهاء طحياء عاميا

---

(١) أ ، ب : معدن الموت ودوار حتوف هالك ورد .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من ط ولا يصح إلا به (بشار) .
(٣) ترجمة ـ البوازيجي في تكملة المنذري (٣/ ١٤٢) وذيل ابن رجب (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣) والمقصد الأرشد (٢/ ٢٠) وشذرات الذهب (٧/ ١٨١) .
(٤) ط : الرسوي ؛ تصحيف .
(٥) ط : البواريجي ، وأ : التواريخي ، وفي ذيل ابن رجب : البوازيحي . وكل ذلك تحريف فقد قيدها ابن العماد في شذراته بفتح الموحدة ، والواو وزاي وتحتية وجيم : نسبة إلى بوازيج : بلد قريب من تكريت .
(٦) أبوه القاضي أبو الفتح نصر الله ولي القضاء بالبصرة وواسط ، وأقرأ ، وحدث ودرّس ، وتوفي سنة ٥٨٦هـ تكملة المنذري (١/ ١٣٩) والتعليق عليها ، وأخوه القاضي أبو المحاسن عبد اللطيف بن نصر الله ولي قضاء واسط بعد أبيه ، ودرّس ، وتوفي سنة ٦٠٥ تكملة المنذري (٢/ ١٦٠) وتعليقنا عليه (بشار) .
(٧) البيتان في ذيل ابن رجب والشذرات .
(٨) أ : تريك جمالاً .

ومن ذلك قوله : [من الكامل]

إن كنتُ بعد الطاعتين تسامحتْ بالفحصِ أجفاني فما أجفاني
أو كنتُ من بعدِ الأحبَّةِ ناظراً حسناً بإنساني فما أنساني
الدهرُ مغفورٌ لهُ زلاتهُ إن عادَ أوطاني على أوطاني

أبو علي الحسن(١) بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمار بن فهر(٢) بن وقاح الياسري نسبة إلى عمار بن ياسر .

شيخ بغدادي فاضل ، له مصنفات في التفسير والفرائض ، وله خطب ورسائل وأشعار حسنة وكان مقبول الشهادة عند الحكام .

أبو بكر محمد بن يوسف بن الطباخ الواسطي البغدادي الصوفي ، باشر بعض الولايات ببغداد ، ومما أنشده : [من المنسرح]

ما وهبَ اللهُ لامرىءٍ هبة أحسنَ من عقلهِ ومن أدبهْ
نعما جمالُ الفتى فإن فقدا ففقدهُ للحياةِ أجمل بهْ

ابن يونس(٣) شارح « التنبيه » أبو الفضل أحمد بن الشيخ [العلامة] كمال الدين أبي الفتح موسى بن يونس بن محمد بن مَنَعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عابد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الإربلي الأصل ثم الموصلي .

من بيت العلم والرئاسة ، اشتغل على أبيه في فنونه وعلومه فبرع وتقدم . وقد درس وشرح « التنبيه » واختصر « إحياء علوم الدين » للغزالي مرتين صغيراً وكبيراً ، وكان يدرس منه .

قال ابن خلّكان(٤) : وقد ولي بإربل مدرسة الملك المظفر بعد موت والدي في سنة عشر وستمئة ، وكنت أحضر عنده وأنا صغير ولم أر أحداً يدرس مثله ، ثم صار إلى بلده سنة سبع عشرة ، ومات في يوم الإثنين الرابع والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة عن سبع وأربعين سنة رحمه الله تعالى .

---

(١) ترجمته في المختار من تاريخ ابن الجزري (١٢٥ ـ ١٢٦) وتاريخ الإسلام للذهبي (١٣/ ٧٠٢) (بشار) .
(٢) أ ، ب : فهد .
(٣) ترجمة ـ ابن يونس ـ في تكملة المنذري (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٩٦) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٤٨) ووفيات الأعيان (١/ ١٠٨) وطبقات الإسنوي (٢/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣) وطبقات السبكي (٥/ ١٧) ومرآة الجنان (٤/ ٥٠) وشذرات الذهب (٧/ ١٧٤) .
(٤) وفيات الأعيان (١/ ١٠٨) بخلاف في الرواية .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمئة

فيها : التقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكُرْج فكسرهم كسرة عظيمة ، وصمد إلى أكبر معاقلهم[١] تفليس ففتحها عنوة وقتل من فيها من الكفرة وسبى ذراريهم ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها ، واستقرّ ملكه عليها ، وقد كان الكُرْج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمئة ، وهي بأيديهم إلى الآن حتى استنقذها منهم جلال الدين هذا ، فكان[٢] فتحاً عظيماً ولله الحمد والمنة .

وفيها : سار إلى خلاط ليأخذها من نائب الملك الأشرف فلم يتمكن من أخذها وقاتله أهلها قتالاً عظيماً فرجع عنهم بسبب اشتغاله بعصيان نائبه بمدينة كرمان وخلافه له ، فسار إليهم وتركهم .

وفيها : اصطلح الملكُ الأشرفُ مع أخيه المعظم وسار إليه إلى دمشق ، وكان المعظّم ممالئاً[٣] عليه مع جلال الدين وصاحب إربل وصاحب ماردين وصاحب الروم ، وكان مع الأشرف أخوه الكامل وصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ ، ثم استمال أخاه المعظم إلى ناحيته فقوي[٤] جانبه .

وفيها : كان قتال كبير[٥] بينَ إبرنس[٦] إنطاكية وبين الأرمن ، وجرت خطوب كثيرة بينهم .

وفيها : أوقع الملك جلال الدين بالتركمان الإيوانية[٧] بأساً شديداً ، وكانوا يقطعون الطرق[٨] على المسلمين .

وفيها : قدم محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين بن الجوزي من بغداد في الرسلية إلى الملك المعظم بدمشق ، ومعه الخلع والتشاريف لأولاد العادل من الخليفة الظاهر بأمر الله ، ومضمون الرسالة نهيه عن موالاة جلال الدين بن خوارزم شاه ، فإنه خارجي من عزمه[٩] قتال الخليفة وأخذ بغداد منهم ،

---

(١) أ : أكثر معاقلتهم .
(٢) أ : وكان .
(٣) أ : ممالئاً عامل .
(٤) ط : يقوى .
(٥) أ ، ب : قتال كثير .
(٦) أ : افرنش ، ط : ابرنش .
(٧) أ ، ب : الإيوابية . ولعلها نسبة إلى (إيواني) ملك الكُرْج .
(٨) أ ، ب : الطريق .
(٩) أ : بأنه خارجي حين عزم على قتال الخليفة .

فأجابه إلى ذلك[١] وركب القاضي محيي الدين بن الجوزي إلى الملك الكامل بالديار المصرية ، وكان ذلك أول قدومه إلى الشام ومصر ، وحصل له جوائز كثيرة من الملوك ، منها كان بناء مدرسته[٢] الجوزية بالنشابين بدمشق .

وفيها : ولي تدريس الشبلية بالسفح شمس الدين [محمد بن][٣] قزغلي سبط ابن الجوزي بمرسوم الملك المعظم ، وحضر عنده أول يوم القضاة والأعيان .

وفاة الخليفة الظاهر [وخلافة ابنه المستنصر][٤]

كانت وفاة الخليفة[٥] رحمه الله يوم الجمعة ضحى الثالث عشر من رجب من هذه السنة ، أعني سنة ثلاث وعشرين وستمئة ، ولم يعلم الناس بموته إلا بعد الصلاة ، فدعا له الخطباء يومئذ على المنابر على عادتهم وكانت[٦] خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وعمره اثنتان وخمسون سنة ، وكان من أجود بني العباس سيرة وأحسنهم سريرة[٧] ، وأكثرهم عطاءً وأحسنهم منظراً ورواءً ، ولو طالت مدته لصلحت الأمة صلاحاً كثيراً على يديه ، ولكن أحب الله تقريبه وإزلافه لديه ، فاختار له ما عنده وأجزل له إحسانه[٨] ورفده ، وقد ذكرنا ما اعتمده في أول ولايته من إطلاق الأموال الديوانية ورد المظالم وإسقاط المكوس ، وتخفيف الخراج عن الناس ، وأداء الديون عَمَّن عجز عن أدائها[٩] ، والإحسان إلى العلماء والفقراء وتولية ذوي الديانة والأمانة[١٠] .

وقد كان كتب كتاباً لولاة الرعية فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلموا أنه ليس إمهالنا إهمالاً ، ولا إغضاؤنا إغفالاً ، ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملاً ، وقد غفرنا لكم ما سلف من إخراب[١١] البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح السمعة ، وإظهار

---

(١) ب : فأجابه إلى دمشق لك .
(٢) ب : المدرسة .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) أ ، ب : الحافظ بأمر الله .
(٥) أ ، ب : كانت وفاته .
(٦) ط : فكانت .
(٧) ط : كان أجود بني العباس وأحسنهم سيرة وسريرة .
(٨) ط : إحساناً .
(٩) أ ، ب : عن قضائها .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) أ : خراب .

الباطل الجلي في صورة الحق الخفي ، حيلةً ومكيدةً ، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاءً واستدراكاً لأغراض انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث باسل ، وأنياب أسد مهيب ، تتفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أمناؤه وثقاته فتميلون رأيه إلى هواكم[١] ، وتمزجون باطلكم[٢] بحقه ، فيطيعكم وأنتم له عاصون ، ويوافقكم وأنتم له مخالفون ، والآن قد بدل الله[٣] سبحانه بخوفكم أمناً ، وبفقركم غنى ، وبباطلكم حقاً ، ورزقكم سلطاناً يقيل[٤] العثرة ، ولا يؤاخذ إلا من أصر ، ولا ينتقم إلا ممن استمر ، يأمركم بالعدل وهو يريده منكم ، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم ، يخاف الله تعالىٰ فيخوِّفكم[٥] مكره ، ويرجو الله تعالىٰ ويرغبكم في طاعته ، فإن سلكتم مسالك نواب خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه ، وإلا هلكتم والسلام » .

ووجد في داره رقاع[٦] مختومة لم يفتحها ستراً للناس ورداً عن أعراضهم رحمه الله .

وقد خلف من الأولاد عشرة ذكوراً وإناثاً ، منهم ابنه الأكبر الذي بويع له بالخلافة من بعده أبو جعفر المنصور ، ولقب بالمستنصر بالله .

وغسله الشيخ محمد الخياط الواعظ ، ودفن في دار الخلافة ، ثم نقل إلى الترب من الرصافة .

خلافة المستنصر بالله العباسي[٧]

أمير المؤمنين أبي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد ، بويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم جمعة ثالث عشر رجب من هذه السنة ، سنة ثلاث وعشرين وستمئة ، استدعوا به من التاج[٨] فبايعه الخاصة والعامة من أهل الحل والعقد ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان عمره يومئذ خمساً وثلاثين سنة[٩] وخمسة أشهر وأحد عشر يوماً ، وكان من أحسن الناس شكلاً وأبهاهم منظراً ، وهو كما قال القائل : [من الطويل]

---

(١) أ : فتمثلون . وب : فتميلون راية إلى تقواكم .
(٢) أ ، ب : باطلهم .
(٣) ب : والآن فقد أبدل الله .
(٤) أ : فقيل .
(٥) أ ، ب : فلم يخاف الله تعالىٰ وهو يخوفكم .
(٦) أ ، ب : رقاعاً مختومة لم تفتح فيها سعايات إليه بسبب أناس كثيرة من الولاء وغيرهم .
(٧) ترجمة المستنصر بالله في ذيل الروضتين (٢١٣) وذيل مرآة الزمان (٨/ ٢٢٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٦٨ ـ ١٧١) والعبر (٥/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩) والنجوم الزاهرة (٧/ ١٠٩ ـ ١١٧) وتاريخ الخلفاء (٤٧٧ ـ ٤٧٨) .
(٨) أ ، ب : المناح .
(٩) أ ، ب : وكان عمره يومئذٍ خمس وثلاثون سنة ؛ وهي خطأ .

كَـأَنَّ الثُّـرَيـا عُلِّقَـتْ فِـي جَبينـهِ وفي خَدِّهِ الشِّعْرى وفي وَجْهِهِ القَمَرُ

وفي نسبه الشريف خمسة عشر خليفة ، منهم خمسة من آبائه وُلُّوا نسقاً ، وتلقى هو الخلافة عنهم وراثةً كابراً عن كابر ، وهذا شيء لم يتّفق لأحد من الخلفاء قبله ، وسار في الناس كسيرة أبيه الظاهر في الجود وحسن السيرة والإحسان إلى الرعية ، وبنى المدرسة الكبيرة المستنصرية التي لم تبن مدرسة في الدنيا مثلها ، وسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله ، واستمر أرباب الولايات الذين كانوا في عهد أبيه على ما كانوا عليه . ولما كان يوم الجمعة المقبلة خطب للإمام المستنصر بالله على المنابر ونثر الذهب والفضة عند ذكر اسمه[١] ، وكان يوماً مشهوداً ، وأنشد الشعراء المدائح والمراثي ، وأطلقت لهم الخلع والجوائز ، وقدم رسولٌ من صاحب الموصل يوم غرّة شعبان الوزير ضياء الدين أبو الفتح[٢] نصر الله بن الأثير ، (يحمل رسالة)[٣] فيها التهنئة والتعزية بعبارة فصيحة بليغة .

ثم إن المستنصر بالله كان يواظب على حضور الجمعة راكباً ظاهراً للناس ، وإنَّما معه خادمان وركبدار[٤] ، وخرج مرة وهو راكب فسمع ضجة عظيمة فقال : ما هذا ؟ فقيل له : التأذين ، فترجّل عن مركوبه[٥] وسعى ماشياً ، ثم صار يدمن المشي إلى الجمعة رغبة في التواضع والخشوع ، ويجلس قريباً من الإمام ويستمع الخطبة ، ثم أصلح له المطبق فكان يمشي فيه إلى الجمعة ، وركب في الثاني والعشرين[٦] من شعبان ركوباً ظاهراً للنّاس عامة ، ولما كانت أول ليلة من رمضان تصدّق بصدقات كثيرة من الدقيق والغنم والنفقات على العلماء والفقراء والمحاويج ، إعانة لهم على الصيام ، وتقوية لهم على القيام . وفي يوم السابع والعشرين من رمضان نقل تابوت الظاهر[٧] من دار الخلافة إلى التربة[٨] من الرصافة ، وكان يوماً مشهوداً ، وبعث الخليفة المستنصر يوم العيد صدقات كثيرة وإنعاماً جزيلاً إلى الفقهاء والصوفية وأئمة المساجد ، على يدي محيي الدين ابن الجوزي .

وذكر ابن الأثير[٩] أنه كانت زلزلة عظيمة في هذه السنة ، هدّمت شيئاً كثيراً من القرى والقلاع[١٠] ببلادهم .

---

(١) ب : عند ذكره .
(٢) ط : « من الوزير ضياء الدين أبي الفتح » ولا معنى لها ، وكأن شيئاً سقط (بشار) .
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة مني لا بد منها ليستقيم المعنى ، وساق الذهبي قطعة من هذه الرسالة في تاريخ الإسلام (١٣/ ٦٤٠) (بشار) .
(٤) ط : « راكب دار » وما هنا من أ ، ب ، وهو الأصح (بشار) .
(٥) ب : عن فرسه .
(٦) أ ، ب : الثامن والعشرين .
(٧) أ : تابوت أبيه الظاهر .
(٨) أ ، ب : إلى الترب .
(٩) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٧٣) بخلاف في الرواية .
(١٠) أ ، ب : من القلاع والقرى .

وذكر أنه ذبح شاة ببلدهم فوجد لحمها مُرّاً حتى رأسها وأكارعها .

ومن توفي فيها من الأعيان بعد الخليفة الظاهر كما تقدم :

الجمال المصري(١) يونس بن بَدْران بن فَيْروز جمال الدين المصري ، قاضي القضاة [بدمشق] في هذا الحين .

اشتغل وحصل وبرع ، واختصر كتاب « الأم » للإمام الشافعي ، وله « كتاب مطول في الفرائض » ، وولي تدريس الأمينية بعد التقي صالح الضرير(٢) الذي قتل نفسه ، ولّاه إياه الوزير صفي الدين بن شكر ، وكان معتنياً بأمره ثم ولي وكالة بيت المال بدمشق [، وترسل إلى الملوك والخلفاء عن صاحب دمشق ، ثم ولاه المعظم قضاء القضاة بدمشق](٣) بعد عزله الزكي ابن الزكي ، وولاه تدريس العادلية الكبيرة ، حين كمل بناؤها ، فكان أول من درس بها وحضره(٤) الأعيان كما ذكرنا . وكان يقول أولاً درساً في التفسير حتى أكمل التفسير إلى آخره ، ويقول درس الفقه بعد التفسير ، [ثم توفي عقب ذلك] وكان يعتمد في أمر إثبات السجلات اعتماداً حسناً ، وهو أنه كان يجلس في كل يوم جمعة بكرة ويوم الثلاثاء ويستحضر عنده في إيوان العادلية جميع شهود البلد ، ومن كان له كتاب يثبته حضر واستدعى شهوده فأدوا على الحاكم وثبت ذلك سريعاً ، وكان يجلس كل يوم جمعة بعد العصر إلى الشباك الكمالي بمشهد عثمان فيحكم حتى يصلي المغرب ، وربما مكث حتى يصلي العشاء أيضاً ، وكان كثير المذاكرة للعلم كثير الاشتغال حسن الطريقة ، لم ينقم عليه أنه أخذ شيئاً لأحد .

قال أبو شامة(٥) : وإنما كان ينقم عليه أنه كان يشير على بعض الورثة بمصالحة بيت المال ، وأنه استناب ولده التاج محمداً ولم يكن مَرضيَّ الطريقة ، وأما هو فكان عفيفاً في نفسه نزهاً مهيباً .

قال أبو شامة(٦) : وكان يدَّعي أنه قرشي شيبي فتكلَّم الناس فيه بسبب ذلك ، وتولَّى القضاء بعده شمس الدين أحمد بن الخليل الخوييّ(٧) .

---

(١) ترجمة ـ الجمال المصري ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٢٤) وتكملة المنذري (٣/ ١٧٣ ـ ١٧٤) وذيل الروضتين (١٤٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٥٦) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) وطبقات الإسنوي (٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) وطبقات السبكي (٨/ ٣٦٣) والدارس (١/ ١٨٦) وحسن المحاضرة (١/ ١٩١) وشذرات الذهب (٧/ ١٩٧) .

(٢) أ ، ب : بعد التقي الضرير .

(٣) ليس ما بين الحاصرتين في أ .

(٤) ب : وحصر عنده الأعيان .

(٥) ذيل الروضتين (١٤٨) .

(٦) ذيل الروضتين (١٤٨) .

(٧) سترد ترجمة الخليل الخويي في وفيات سنة ٦٣٧ .

قلت : وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بداره[١] التي في رأس درب الريحان من ناحية الجامع ، ولتربته شباك شرق المدرسة الصدرية اليوم ، وقد قال فيه ابن عنين وكان هجاءً[٢] :

ما قَصَّرَ[٣] المصريُّ في فعلهِ   إذ جعل التربة[٤] في داره
فَخَلَّصَ الأحياء[٥] من رجمهِ   وأبعدَ[٦] الأمواتَ من ناره

المعتمد والي دمشق[٧] المبارز إبراهيم المعروف بالمعتمد والي دمشق .

[كان] من خيار الولاة وأعفّهم وأحسنهم سيرة وأجودهم سريرة ، أصله من الموصل ، وقدم الشام فخدم فروخشاه بن شاهنشاه ابن أيوب ، ثم استنابه البدر مودود أخو فروخشاه ، وكان شحنة دمشق ، فَحُمِدَتْ سيرتُه في ذلك ، ثم صار هو شحنةَ دمشق أربعين سنة ، فجرت في أيامه عجائب وغرائب ، وكان كثير الستر على ذوي الهيئات ، ولا سيما من كان من أبناء الناس[٨] وأهل البيوتات .

واتفق في أيامه أَنَّ رجلاً حائكاً كان له ولد[٩] صغير في آذانه حلقٌ ، فعدا عليه رجلٌ من جيرانهم فقتله غيلةً وأخذ ما عليه من الحلي ودفنه في بعض المقابر ، فاشتكوا عليه[١٠] فلم يقر ، فبكت[١١] والدته من ذلك وسألتْ زوجَها أن يطلِّقها ، فطلَّقَها فذهبت إلى ذلك الرجل [الذي قتل ولدَها] وسألته أن يتزوجها وأظهرت له أنها أحبَّتْهُ فتزوَّجها ، ومكثتْ عنده حيناً ، ثم سألته في بعض الأوقات عن ولدها الذي اشتكوا عليه بسببه فقال : نعم أنا قتلته . فقالت : أشتهي[١٢] أن تريني قبره حتى أنظر إليه ، فذهب بها إلى قبر خشخاشة[١٣] ففتحه فنظرت إلى ولدها فاستعبرت وقد أخذت معها سكيناً أعدَّتها لهذا اليوم ، فضربته حتى قتلته ، ودفنته مع ولدها في ذلك القبر ، فجاء أهل المقبرة فحملوها

---

(١) أ ، ب : في داره .
(٢) البيتان في ديوان ابن عنين ـ دار صادر ـ (٢٣٨) .
(٣) ط : ما أقصر . وب : ما كان أقصر . وما هنا عن أ ، وهو يوافق ما في الديوان .
(٤) في الديوان : الحفرة . وأشار المحقق في الهامش إلى هذه الرواية .
(٥) ط : أراح للأحياء ، وفي أ ، ب : أراح الأحياء . وما هنا عن الديوان .
(٦) في الديوان : وخَلَّص .
(٧) ترجمة ـ المبارز ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) وذيل الروضتين (١٥٠) وفيه : المبارك وهو تحريف ، وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٣٣) .
(٨) أ ، ب : ولا سيما من كانت من بنات الناس .
(٩) أ ، ب : ابن .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) أ ، ب : فلم يقر بشيء فتألمت .
(١٢) ب : فأشتهي .
(١٣) ط : خشنكاشة .

إلى الوالي المعتمد هذا ، فسألها فذكرت له خبرها ، فاستحسن ذلك منها وأطلقها وأحسن أليها[١] .

وحكى عنه السبط[٢] ، قال : بينما[٣] أنا يوماً خارج من باب الفرج وإذا برجل يحمل طبلاً وهو سكران فأمرتُ به فضُرب الحدّ ، وأمرتهم فكسروا الطبلَ وإذا زُكْرة كبيرة خمراً[٤] فشقُّوها ، وكان العادل قد منع أن يُعْصَر خمر ويُحْمَل إلى دمشق شيء منه بالكلية ، فكان الناس يتحيّلون بأنواع الحيل ولطائف المكر . قال السبط[٥] : فسألته من أين علمت أَنَّ في الطبل شيئاً . قال : رأيته يمشي ترجف سيقانه[٦] فعرفت أنه يحمل شيئاً ثقيلاً في الطبل .

وله من هذا الجنس غرائب ، وقد عزله المُعَظَّم وكان في نفسه منه ، وسجنه في القلعة نحواً من خمس سنين ، ونادى عليه في البلد فلم يجيء أحدٌ ذكر أنه أخذ منه حبة خردل ، ولما مات رحمه الله دفن بتربته[٧] المجاورة لمدرسة أبي عمر من شامها قبلي السوق ، وله عند تربته مسجد يعرف به رحمه الله .

واقف الشبلية التي بطريق الصالحية[٨] ، شبل الدولة كافور الحسامي نسبة إلى حسام الدين محمد بن لاجين ، ولد[٩] ست الشام ، وهو الذي كان مُستَحثّاً على عمارة الشامية البرانية لمولاته ست الشام ، وهو الذي بنى الشبلية للحنفية والخانقاه على الصوفية إلى جانبها ، وكانت منزله ، وأوقف[١٠] القناة والمصنع والساباط ، وفتح للناس طريقاً من عند المقبرة غربي الشامية البرانية إلى طريق عين الكرش[١١] ، ولم يكن الناس لهم طريق إلى الجبل من هناك ، إنما كانوا يسلكون من عند مسجد الصفي بالعُقيبة ، وكانت وفاته

---

(١) أ : إليها ورجعت إلى زوجها الأول .
(٢) مرآة الزمان (٨/ ٤٢٢) .
(٣) أ : بينا .
(٤) ط : وإذا ذكره كبيرة جداً فشقوها [فإذا فيها خمر] . قال بشار : الصواب زُكْرة ، كما بخط الذهبي في تاريخ الإسلام فيما نقل من السبط ، والزكرة : وعاء من أدم ، وفي المحكم : زق يجعل فيه شراب أو خل .
(٥) مرآة الزمان (٨/ ٤٢٢) .
(٦) أ ، ب : ساقاه .
(٧) أ ، ب : في تربته .
(٨) ترجمة ـ شبل الدولة ـ في التاريخ المنصوري (١٢٨) ومرآة الزمان (٨/ ٤٢٣) وتكملة المنذري (٣/ ١٢٦) وفيات سنة ٦٢١ وذيل الروضتين (١٥٠) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٤٦) والدارس (١/ ٤٥٦) والقلائد الجوهرية (١/ ١٢٥ و١٢٦) والشذرات (٧/ ١٩٢) ومنادمة الأطلال (١٧٧) .
(٩) أ ، ب : حسام الدين عمر بن لاجين والد ست الشام . وهو خطأ ، وما أثبته موافق لما مرَّ في ترجمة ست الشام في وفيات ٦١٦هـ .
(١٠) ط : ووقف .
(١١) كانت هذه العين منذ خمسين سنة ثرة مدفقة تسقي بساتين كثيرة ، وليس لها الآن أثر ، إلا أن المنطقة التي كانت فيها ما تزال تسمى باسمها (بشار) .

في رجب ودفن في تربته إلى جانب مدرسته[١] ، وقد سمع الحديث على الكندي[٢] وغيره رحمه الله تعالىٰ .

واقف الرواحية بدمشق وحلب[٣] ، أبو القاسم هبة الله [بن محمد بن عبد الواحد بن أبي الوفاء] المعروف بابن رواحة .

كان أحد التجار ، وذوي[٤] الثروة المعدّلين بدمشق ، وكان في غاية الطول والعرض ، ولا لحية له ، وقد ابتنى المدرسة الرَّواحية داخل باب الفراديس ووقفها على الشافعية ، وفوَّض نظرها[٥] وتدريسها إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح[٦] الشهرزوري ، وله بحلب مدرسة أخرى مثلها . وقد انقطع في آخر عمره في المدرسة التي بدمشق وكان يسكن البيت الذي في إيوانها من الشرق ، ورغب فيما بعد أن يدفن فيه إذا مات ، فلم يمكن من ذلك ، بل دفن بمقابر الصوفية ، وبعد وفاته شهد محيي الدين بن عربي[٧] الطائي الصوفي ، وتقي الدين خزعل[٨] النحوي المصري ثم المقدسي إمام مشهد علي ، شهدا على ابن رواحة بأنه عزل الشيخ تقي الدين [بن الصلاح] عن هذه المدرسة ، فجرت خطوب طويلة ولم ينتظم ما راماه[٩] من الأمر ، ومات خَزْعل[١٠] في هذه السنة أيضاً فبطل ما سلكوه .

أبو محمد محمود[١١] بن مودود بن محمود [بن] بلدجي الحنفي المَوْصِلي ، وله بها مدرسة تعرف

---

(١) ط : ودفن إلى جانب مدرسته . قال بشار : وفي أ ، ب : « تربته التي كانت مدرسته » ولا يصح ، وما هنا يعضده ما في ذيل الروضتين الذي ينقل منه المؤلف .

(٢) تقدمت ترجمة الكندي في وفيات سنة ٦١٦ .

(٣) ترجمة ـ ابن رواحة ـ في تكملة المنذري (٣/ ١٥١) وذيل الروضتين (١٤٩) والدارس (١/ ٢٦٥) وشذرات الذهب (٧/ ١٨٢) ومنادمة الأطلال (١٠٢) وقد تابع أبا شامة في ذكر وفاته في هذه السنة ، والصواب أنه توفي في سابع رجب من سنة ٦٢٢هـ كما ذكرت بقية المصادر ، قال الذهبي : وغلط من قال إنه مات في سنة ثلاث . تاريخ الإسلام (١٣/ ٧٢٧) .

(٤) ط : وفيّ الثروة والمقدار ومن المعدلين .

(٥) أ ، ب : تدريسها ونظرها .

(٦) سترد ترجمة ابن الصلاح في وفيات سنة ٦٤٣هـ .

(٧) سترد ترجمة ابن عربي في وفيات سنة ٦٣٨هـ .

(٨) ط : خزعلي ، وسترد ترجمته بعد قليل .

(٩) أ ، ب : ما راموه .

(١٠) ترجمة ـ خزعل النحوي ـ في تكملة المنذري (٣/ ١٨٤) وذيل الروضتين (١٤٩) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٨١) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٦٦) وبغية الوعاة (١/ ٥٥٠) واسمه في هذه المصادر : تقي الدين أبو المجد خَزْعَل بن عسكر ابن خليل الشَّنائي المصري الشافعي المقرئ النحوي اللغوي نزيل دمشق .

(١١) ترجمة ـ ابن بلدجي الحنفي ـ في الجواهر المضية (٣/ ٤٥٢) وفيه : أبو الثناء التركي والد عبد الله مصنف « المختار » وعبد الدايم ، وعبد العزيز ، وعبد الكريم ، سمع ببغداد ابن الجوزي الكبير .

به ، وكان من أبناء الترك ، وصار من مشايخ العلماء [الحنفية] وله دين متين وشعر حسن جيد ، فمنه قوله : [من السريع]

مَـنِ ادَّعَـى أَنَّ لَـهُ حـالَـةً تُخرِجُهُ عن مَنْهَجِ الشَّرْعِ
فَـلاَ تَكـونَـنَّ لـه صَاحِباً فـإِنـهُ ضَـرٌّ[1] بـلا نفـعِ

كانت وفاته بالموصل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله نحو من ثمانين سنة .

ياقوت ويقال له يعقوب بن عبد الله[2] نجيب الدين متولي الشيخ تاج الدين الكندي .

وقد وقف عليه[3] الكتب التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق ، وكانت سبعمئة وأحد[4] وستين مجلداً ، ثم على ولده من بعده ثم على العلماء فتمحَّقت هذه الكتب وبيع[5] أكثرها ، وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشعر جيد ، وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب ، ودفن بمقبرة الخيزران بالقرب من مشهد أبي حنيفة .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمئة

فيها : استدعت عامة أهل تفليس الكُرْج ، فجاؤوا إليهم فدخلوها فقتلوا العامة والخاصة ، ونهبوا وسَبَوْا وخَرَّبوا وأحرقوا ، وخرجوا على حمية ، وبلغ ذلك جلال الدين فسار سريعاً ليدركهم فلم يدركهم .

وفيها : قتلت الإسماعيلية أميراً كبيراً من نُوَّاب جلال الدين بن خوارزم شاه ، فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وخرَّب مدينتهم وسَبَى ذراريهم ونهب أموالهم ، وقد كانوا ـ قبحهم الله ـ من أكبر العون على المسلمين لما قدم التتار إلى الناس ، وكانوا أضرَّ على الناس منهم .

وفيها : تواقع جلال الدين وطائفة كبيرة[6] من التتار فهزمهم وأوسعهم قتلاً وأسراً ، وساق وراءهم أياماً[7]

---

(١) ط : خرء .
(٢) ترجمة ـ ياقوت يعقوب ـ في تكملة المنذري (٣/ ١٨٠) وفيه : يعقوب بن عبيد الله .
(٣) ط : إليه .
(٤) ط : وإحدى . وما هنا هو الأشبه .
(٥) في بعض النسخ : وأبيع .
(٦) أ ، ب : كثيرة .
(٧) ب : وهزمهم وأسمعهم قتالاً وساق وراءهم يوماً .

يقتلهم[١] حتى وصل إلى الري فبلغه أن طائفة قد جاؤوا لقصده فأقام ينتظرهم ، فكان[٢] من أمره وأمرهم مما سيأتي في سنة خمسٍ وعشرين .

وفيها : دخلت عساكر الملك الأشرف بن العادل إلى أذربيجان فملكوا منها مدناً كثيرة وغنموا أموالاً جزيلةً ، وخرجوا معهم بزوجة جلال الدين بنت طغرل[٣] ، وكانت تبغضه وتعاديه ، فأنزلوها[٤] مدينة خلاط ، وسيأتي ما كان من خبرهم في السنة الآتية .

وفيها : قدم رسول الأنبرور[٥] ملك الفرنج في البحر إلى المعظم[٦] يطلب منه ما كان فتحه عمه السلطان[٧] الملك (الناصر) صلاح الدين من بلاد السواحل ، فأغلظ لهم المعظم في الجواب وقال له : قل لصاحبك ما عندي إلا السيف ، والله أعلم .

وفيها : جهز الأشرف أخاه شهاب الدين غازي إلى الحج في محملٍ عظيمٍ يحمل ثقله ستمئة جمل ، ومعه خمسون هجيناً ، على كل هجين مملوك ، فسار من ناحية العراق وجاءته هدايا الخليفة إلى أثناء الطريق ، وعاد على[٨] طريقه التي حج منها .

وفيها : ولي قضاء القضاة ببغداد نجم الدين أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي[٩] ، وخلع عليه كما هي عادة الحكام ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها : كان غلاء شديد ببلاد الجزيرة وقلَّ اللحمُ حتى حكى ابن الأثير[١٠] أنه لم يذبح بمدينة الموصل في بعض الأيام سوى خروف واحد في زمن الربيع .

قال : وسقط فيها عاشرَ آذار ثلجٌ كثيرٌ بالجزيرة والعراق مرتين ، فأهلك الأزهار وغيرها ، قال : وهذا شيء لم يُعْهَد مثله ، والعجب كل العجب من العراق مع كثرة حَرِّه كيف وقع فيه مثل هذا .

---

(١) ط : فقتلهم .
(٢) ط : فأقام يثبطهم وكان .
(٣) ب : بزوجة الملك جلال الدين بن طغرل .
(٤) ب : فأنزلها .
(٥) ابن الأثير وهو تصحيف وتحريف . وط : الأنبور . واللفظة اختصار لكلمة الامبراطور . التاريخ المنصوري (١٤٩) .
(٦) ب : الملك المعظم .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ب : وعاد إلى طريقه .
(٩) سترد ترجمة ابن مقبل في وفيات سنة ٦٣٩ .
(١٠) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٧٥) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جِنْكِيز خان[١] السلطان الأعظم عند التتار والد ملوكهم اليوم ، ينتسبون إليه ، ومن عظَّم القان إنما يريد هذا[٢] الملك وهو الذي وضع لهم الياسا[٣] التي يتحاكمون إليها ، ويحكمون بها ، وأكثرها مخالف لشرائع الله تعالىٰ وكتبه ، وهو شيء اقترحه من عند نفسه ، وتبعوه في ذلك ، وقد كانت أمه تزعم أنها حملت به[٤] من شعاع الشمس ، فلهذا لا يعرف له أب ، والظاهر أنه مجهول النسب ، وقد رأيت مجلداً جمعه الوزير ببغداد علاء الدين الجويني في ترجمته فذكر فيه سيرته ، وما كان يشتمل[٥] عليه من العقل[٦] السياسي والكرم والشجاعة والتدبير الجيد للملك والرعايا ، والحروب[٧] .

فذكر أنه كان في ابتداء أمره خصيصاً عند الملك أزبك خان ، وكان إذ ذاك شاباً حسناً وكان اسمه أولاً تمرجي[٨] ، ثم لما عظم سمَّى نفسه جنكيز خان ، وكان هذا الملك قد قرَّبه وأدناه ، فحسده عظماء الملك ووشوا به إليه حتى أخرجوه عليه ، ولم يقتله ولم يجد له طريقاً في ذنب يتسلط عليه به ، فهو في ذلك إذ تَغَضَّبَ الملكُ على مملوكين صغيرين فهربا منه ولجأا إلى جنكيز خان فأكرمهما[٩] وأحسن إليهما فأخبراه بما يضمره الملك أزبك خان من قتله[١٠] ، فأخذ حذره وتحيز منه ومن دولته فاتبعه[١١] طوائف من التتار

---

(١) ترجمة ـ جنكيز خان ـ في العبر (٥/ ٩٨) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٤٣) والوافي بالوفيات (١١/ ١٩٧ ـ ١٩٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٦٨) وتاريخ ابن العبري (٤٢٦) وشذرات الذهب (٧/ ١٩٩) ودائرة المعارف الإسلامية (١٢/ ٣٧٩) .

(٢) أ ، ب : ينتسبون إليه ويقبلون من عظم القان يريدون هذا .

(٣) ط : السياسا . وفي هامش ط : السياسا مركبة من (سي) بمعنى ثلاثة و(يسا) بمعنى الترتيب ، ثم حرفها العرب فقالوا سياسة . وفي أ : (الياساق) وما هنا عن ب . دائرة المعارف الإسلامية (١٢/ ٣٩٢) .

(٤) ط : وكانت تزعم أمه أنها حملته .

(٥) أ ، ب : في ترجمته فجمع فيه سيرته وما كان مشتملاً .

(٦) أ : الفعل .

(٧) هو عطا ملك بن محمد بن محمد ، علاء الدين الجويني الذي حكم العراق فكانت مدة حكمه إحدى وعشرون سنة وعشرة أشهر ، وتوفي في أواخر سنة ٦٨١هـ على الأصح ، كما في تاريخ الإسلام (١٥/ ٤٥٤) . ولا أعلم له كتاباً بالعربية في سيرة جنكيز خان ، ولكن له الكتاب المشهور في سيرته بالفارسية « جهان كشاي » أي : غازي العالم ، ترجم إلى الإنكليزية والعربية في عصرنا ، ولا أدري إن كان ابن كثير يشير إليه أو إلى غيره فلعله نقل هذا من ابن الساعي فقد كان معاصراً للجويني (بشار) .

(٨) في سير أعلام النبلاء والعبر والشذرات : تمرجين . وفي دائرة المعارف : تموجين .

(٩) ب : وكان هذا الملك قد أكرمهما .

(١٠) أ : من قتله والهم به .

(١١) ط : وتحير بدولة واتبعه . وما هنا عن أ .

وصار كثير[(١)] من أصحاب أزبك خان ينفرون إليه ويفدون عليه فيكرمهم ويعطيهم حتى قويت شوكته وكثرت جنوده[(٢)] ، ثم حارب بعد ذلك أزبك خان فظفر به وقتله واستحوذ على مملكته وملكه ، وانضاف إليه عَدده وعُدده ، وعظم أمره وبَعُدَ صيتُه وخضعت له قبائل الترك ببلاد طمغاج كلها حتى صار يركب في نحو ثمانمئة ألف مقاتل ، وأكثر[(٣)] القبائل قبيلته التي هو منها يقال لهم قيان[(٤)] ، ثم أقربُ القبائل إليه بعدهم قبيلتان كبيرتا العدد وهما أزان وقنقوران[(٥)] وكان يصطاد من السنة ثلاثة[(٦)] أشهر والباقي للحرب والحكم .

قال الجويني : وكان يضرب الحلقة يكون [بعد] ما بين طرفيها ثلاثة أشهر ثم تتضايق فيجتمع فيها من أنواع الحيوانات شيء كثير لا يحد كثرة ، ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك جلال[(٧)] الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وغير ذلك من الأقاليم والممالك[(٨)] ، فقهره جنكيز خان وكسره وغلبه وسلبه ، واستحوذ على سائر بلاده بنفسه وبأولاده في أيسر مدة كما ذكرنا ذلك في الحوادث ، وكان ابتداء ملك جنكيز خان سنة تسع وتسعين وخمسمئة ، وكان قتاله لخوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستمئة ، ومات خوارزم شاه في سنة سبع عشرة كما ذكرنا ، فاستحوذ حينئذ على الممالك بلا منازع ولا ممانع ، وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستمئة فجعلوه في تابوت من حديد وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك .

وأما كتابه الياسا[(٩)] فإنه يكتب في مجلدين بخط غليظ ، ويحمل على بعير [معظّم] عندهم ، وقد ذكر بعضهم[(١٠)] أنه كان يصعد جبلاً ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مراراً حتى يعيىٰ ويقع مغشياً عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه حينئذٍ ، فإن كان هذا هكذا فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها .

وذكر الجويني أن بعض عُبّادهم كان يصعد الجبال في البرد الشديد للعبادة فسمع قائلاً يقول له إنا قد

---

(١) أ : كبيراً .
(٢) ب : جيوشه .
(٣) أ ، ب : وأكبر .
(٤) أ : من أصلهم يقال لهم قباب .
(٥) أ : اوزت وقنقورات ، وب : اوبرات وفيفوزان .
(٦) أ ، ب : ستة .
(٧) ط : علاء الدين ، وأ : جمال الدين . وما هنا عرب . وهو الأشبه .
(٨) ط : وغير ذلك والأقاليم والملك .
(٩) أ : الياساق .
(١٠) أ : ذكر بعضهم عنه .

ملكنا جنكيز خان وذريته وجه الأرض ، قال الجويني : فمشايخ المغول يصدقون بهذا ويأخذونه مسلماً .

ثم ذكر الجويني شيئاً[(١)] من الياسا[(٢)] من ذلك : أنه من زنا قتل[(٣)] ، مُحْصَناً كان أو غير مُحْصَنٍ ، وكذلك من لاط قُتل ، ومن تعمَّد الكذبَ قُتل ، ومن سحر قُتل ، ومن تَجَسَّسَ قُتل ، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قُتل ، ومن بال في الماء الواقف قُتل ، ومن انغمس فيه قُتل ، ومن أطعم أسيراً أو سقاه أو كساه[(٤)] بغير إذن أهله قُتل ، ومن وجد هارباً[(٥)] ولم يردَّه قتل ، ومن [أطعم أسيراً][(٦)] أو رمى إلى أحد شيئاً من المأكول قُتل ، بل يناوله من يده إلى يده . ومن أطعم أحداً شيئاً فليأكل منه أولاً ولو كان المطعوم أميراً لا أسيراً . ومن أكل ولم يطعم من عنده قُتل . ومن ذبح حيواناً ذُبح مثله بل يُشَقُّ جوفُه ، ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولاً . وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المُنَزَّلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن ترك الشرعَ المُحْكَم المُنَزَّلَ على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا[(٧)] وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين . قال الله تعالىٰ : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] ، وقال [الله] تعالىٰ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] صدق الله العظيم .

ومن آدابهم : الطاعة لسلطانهم[(٨)] غايةَ الاستطاعة ، وأن يعرضوا عليه أبكارَهم الحسان ليختار لنفسه ومن شاء من حاشيته ما شاء منهن . ومن شأنهم أن يخاطبوا الملكَ باسمه . ومَنْ مَرَّ بقوم يأكلون فله أن يأكل معهم من غير استئذان ولا يَتَخَطَّى موقد النار ولا طبق الطعام ، ولا يقف على أسكفة الخركاه[(٩)] ولا يغسلون ثيابهم حتى يبدو وسخُها ، ولا يكلِّفون العلماء من كل ما ذكر شيئاً من الجنايات ، ولا يتعرّضون لمال ميت .

وقد ذكر علاء الدين الجويني طرفاً كبيراً[(١٠)] من أخبار جنكيز خان ومكارم كان يفعلها

---

(١) ط : نتفاً .
(٢) أ : الياساق .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) وكساه أو سقاه .
(٥) ب : فلم .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ : الياساق .
(٨) ط : للسلطان .
(٩) تقدم الحديث عن (الخركاه) وهي الخيمة الملكية .
(١٠) ب : طرفاً كثيراً .

بسجيته[١] وما أداه إليه عقله وإن كان مشركاً بالله كان يعبد معه غيره ، وقد قَتل من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم ، ولكن كان البداء[٢] من خوارزم شاه ، فإنه لما أرسل جنكيز خان تجاراً من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده فانتهوا إلى إيران فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شاه ، وهو والد زوجة كشلي خان ، وأخذ جميع ما كان معهم ، فأرسل جنكيز خان إلى خوارزم شاه يستعلمه[٣] هل وقع هذا الأمر عن رضىً منه أو أنه لا يعلم[٤] به ، فأنكره وقال له فيما أرسل إليه : من المعهود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الأقاليم ، وهم الذين يحملون إلى الملوك التحف[٥] والأشياء النفيسة ، ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم نائبك ، فإن كان أمراً أمرت به طلبنا[٦] بدمائهم ، وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك . فلما سمع خوارزم شاه من رسول جنكيز خان لم يكن له جوابٌ سوى أنه أمر بضرب عنقه[٧] فأساء التدبير ، وقد كان خرف وكبرت سنه ، وقد ورد الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم »[٨] فلما بلغ ذلك جنكيز خان تجهز لقتاله وأخذ بلاده ، فكان بقدر الله تعالىٰ ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أبشع .

فمما ذكره الجويني أنه قدم له بعض الفلاحين بالصيد[٩] ثلاث بطيخات فلم يتفق أن عند جنكيز خان أحد من الخزندارية ، فقال لزوجته الخاتون : أعطيه هذين القرطين الذين في أذنيك ، وكان فيهما جوهرتان نفيستان جداً ، فشحت المرأة بهما وقالت : أنظره إلى غد[١٠] ، فقال إنه يبيت هذه الليلة مقلقل الخاطر ، وربما لا يجعل[١١] له شيء بعد هذا ، وإن هذين لا يمكن أحداً إذا اشتراهما إلا جاء بهما إليك

---

(١) ط : لسجيته .
(٢) ط : كان البرابرة .
(٣) ب : يستعلم .
(٤) أ ، ب : لم يعلم .
(٥) ط : ما فيه التحف .
(٦) أ : فإن كان أمراً أنكرت إلا طلبنا بدمائهم . ب : أنكرته وإلا وما هنا من ط .
(٧) بعدها في أ ، ب : فضل .
(٨) ذكر الحديث الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥/ ٣٠٤) وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه مروان بن سالم ، وهو الجزري ، متروك ، وذكره أيضاً (٧/ ٣١٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه (عثمان بن يحيى القرقساني) ولم أعرفه ، والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات رقم (١٢٠٥) أقول : فالحديث ضعيف جداً على كل حال .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) أ : انظر إلى غده فإن هذا لا يدري ما هما فقال لها ادفعيهما إليه فإنهما لا يبيتان هذه الليلة إلا عندك وإن هذا الرجل لا يمكننا أن ندعه يذهب عنا .
(١١) ب : انظره إلى غده . وربما لا يحصل له شيء بعد هذا .

فانتزعتهما فدفعتهما إلى الفلاح فطار عقله بهما وذهب بهما فباعهما لأحد[١] التجار بألف دينار ، ولم يعرف قيمتهما ، فحملهما التاجر إلى الملك فردَّهما على زوجته ، ثم أنشد الجويني عند ذلك : [من الطويل]

ومن قال إن البحرَ والقطرَ أشبها يداهُ[٢] فقد اثنى على البحرِ والقطرِ

قالوا : واجتاز يوماً في سوق فرأى عند بقال عنّاباً فأعجبه لونه ومالت نفسه إليه فأمر الحاجب أن يشتري منه ببالس ، فاشترى الحاجب بربع بالس ، فلما وضعه بين يديه أعجبه وقال : هذا كله ببالس ؟ قال وبقي منه هذا ـ وأشار إلى ما بقي معه من المال ـ فغضب وقال : متى[٣] يجد من يشتري منه مثلي ؟ تمموا له عشرة بوالس .

قالوا[٤] : وأهدى له رجل جامَ زجاجٍ من معمول حلب ، فاستحسنه جنكيز خان فَوَهَّن أمرَهُ عنده بعضُ خواصه وقال : خوند هذا زجاج لا قيمةَ له ، فقال : أليس قد حمله من بلادٍ بعيدة حتى وصل إلينا سالماً ؟ أعطوه مئتي بالس . قال[٥] : وقيل له إنَّ في هذا المكان كنزاً عظيماً إن[٦] فتحته أخذت منه مالاً جزيلاً ، فقال : الذي في أيدينا يكفينا ، ودع هذا يفتحه الناس ويأكلونه فهم أحقُّ به منّا ، ولم يتعرض له .

قال : واشتهر عن رجل في بلاده يقول : أنا أعرف موضع كنز ولا أقول إلا للقان ، وألحّ عليه الأمراء أن يعلمهم فلم يفعل ، فذكروا ذلك للقان فأحضره على خيل الأولاق ـ يعني البريد ـ سريعاً ، فلما حضر إلى بين يديه سأله عن الكنز فقال : إنما[٧] كنتُ أقولُ ذلك حيلةً لأرى وجهك . فلما رأى تغيُّرَ كلامه غضب وقال له : قد حصل لك ما طلبت فارجع إلى موضعك وأمر برده سالماً[٨] ولم يعطه شيئاً .

[قال الجويني : وهذا غريب] قال : وأهدى له إنسان رمَّانةً فكسرها وفرّق حبَّها على الحاضرين وأمر[٩] له بعدد حبِّها بوالس ثم أنشد [عند ذلك] [من الكامل]

فلذاكَ تزدحمُ الوفودُ ببابهِ مثلَ ازدحامِ الحَبّ في الرُّمَّانِ

---

(١) ب : فباعهما لبعض التجار .
(٢) ط : نداه .
(٣) ط : وقال من يجد .
(٤) ب : فوال قال .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) أ ، ب : فلو منحته أخذت منه مالاً كثيراً فقال الذي في أيدينا يكفينا ودعيا .
(٧) ب : أنا كنت .
(٨) ط : قد حصل لك ما قلت وردّه إلى موضعه سالماً ولم يعطه شيئاً .
(٩) أ ، ب : ثم أمر .

قال : وقدم عليه رجلٌ كافرٌ يقول رأيت في النوم جنكيز خان يقول قل لابني يقتل[(١)] المسلمين ، فقال له هذا كذب ، وأمر بقتله[(٢)] .

قال: وأمر بقتل ثلاثةٍ قد قضت الياسا[(٣)] بقتلهم، فإذا امرأة تبكي وتلطم. فقال: ما هذه ؟ أحضروها، فقالت : هذا ابني ، وهذا أخي ، وهذا زوجي ، فقال اختاري واحداً منهم حتى أطلقَه لكِ ، فقالت : الزوج يجيء مثلهُ ، والابنُ كذلك ، والأخ لا عوضَ له ، فاستحسن[(٤)] ذلك منها وأطلق الثلاثةَ لها .

قال: وكان يحبُّ المصارعين وأهلَ الشطارة، وقد اجتمع عنده منهم جماعة، فذُكِرَ له إنسان بخراسان فأحضره فصرع جميع من عنده ، فأكرمه وأعطاه وأطلق له بنتاً من بنات الملوك[(٥)] حسناء . فمكثت عنده مدة لا يتعرض لها ، فاتفق مجيئها زائرةً بيت القان[(٦)] فجعل السلطان يمازحها ويقول : كيف رأيت المستعرب ؟ فذكرت له أنه لم يقربها ، فتعجب من ذلك وأحضره فسأله عن ذلك فقال : يا خوند أنا إنما حظيت عندك بالشطارة ومتى قربتها نقصت منزلتي عندك [، فقال : لا بأس عليك وأحضر ابن عم له وكان مثله ، فأراد أن يصارع الأول فقال السلطان : أنتما قرابة ولا يليق هذا بينكما وأمر له بمال جزيل][(٧)] .

قال : ولما احتضر أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق ، وضرب لهم في ذلك الأمثال ، وأحضر بين يديه نشاباً وأخذ سهماً أعطاه لواحد منهم فكسره ، ثم أحضر حزمة ودفعها إليهم مجموعة[(٨)] فلم يطيقوا كسرها ، فقال : هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتفقتم ، وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلفتم .

قال : وكان له عدة أولاد ذكور وإناث منهم أربعة هم عظماء أولاده[(٩)] أكبرهم تولي[(١٠)] وهريول وباتو[(١١)] وبركة وتركجار ، وكان كل منهم له وظيفة عنده .

---

(١) أ : وقيل لي مرة يقتل المسلمين .

(٢) في حاشية ط : « فيه تخليط ، والصحيح أن أعرابياً جاء إلى قان (ابن جنكيز خان) وقال له : رأيت في النوم أباك جنكيز خان فقال لي : قل لابني قان يقتل المسلمين ، وكان قان يميل إلى المسلمين مخالفاً لأهل بيته ، فسأل الرجل : هل تعرف اللغة المغولية ؟ فقال : لا . فقال الملك له : أنت كاذب لأن أبي ما كان يعرف من اللغات غير المغولية ، فأمر بضرب عنقه وأراح المسلمين من كيده » (بشار) .

(٣) أ : الياسق .

(٤) أ : واستحسن .

(٥) أ ، ب : من بنات المغول .

(٦) ط ب : فجئتها إلى الأردوا .

(٧) عن ط وحدها .

(٨) أ ، ب : وأخذ السهم فيعطيه لواحد منهم فيكسره ثم أحضر حزمة ودفعه مجموعة إليهم .

(٩) أ ، ب : الأولاد .

(١٠) ط : يوسي . وما هنا عن أ ب ، أما بقية أولاد جنكيز خان في دائرة المعارف الإسلامية (١٢/ ٣٩٣) فهم : (١) جوجي (٢) جغتاي (٣) أكداي .

(١١) أ : وهرتول وباقو .

ثم تكلم الجويني على ملك ذريته[١] إلى زمان هولاكو خان ، وهو يقول في اسمه بادشاه زاده هولاكو ، وذكر ما وقع في زمانه من الأوابد والأمور المعروفة المزعجة كما بسطناه في الحوادث والله أعلم .

السلطان الملك المعظم[٢] عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، ملك دمشق والشام .

وكانت وفاته يوم الجمعة سلخ ذي القعدة من هذه السنة ، وكان استقلاله بملك دمشق لما توفي أبوه سنة خمس عشرة ، وكان شجاعاً [عاقلاً] باسلاً عالماً فاضلاً .

اشتغل في الفقه على مذهب أبي حنيفة على الحَصِيري[٣] مدرس النورية ، وفي اللغة والنحو على التاج الكندي[٤] ، وكان محفوظه « مفصل » الزمخشري ، وكان يجيز[٥] من حفظه بثلاثين ديناراً وكان قد أمر أن يُجمع له كتابٌ في اللغة يشمل[٦] « صحاح الجوهري » و« الجمهرة » لابن دريد و« التهذيب » للأزهري وغير ذلك ، وأمر أن يُرتَّب له « مسند » الإمام أحمد .

وكان يحب العلماء ويكرمهم ، ويجتهد في متابعة الخير ويقول : أنا على عقيدة الطحاوي ، وأوصى[٧] عند وفاته أن لا يكفَّن إلا في البياض ، وأن يُلْحَدَ له ويُدفن في الصحراء ولا يُبنى عليه ، وكان يقول : واقعة دمياط ادّخرها عند الله تعالىٰ وأرجو أن يرحمني بها ـ يعني أنه أبلى بها بلاءً حسناً ـ رحمه الله تعالىٰ ، وقد جمع له بين الشجاعة [والسماحة] والبراعة والعلم ومحبة أهله .

وكان يجيء في كل جمعة إلى تربة والده فيجلس قليلاً ثم إذا ذكر المؤذنون ينطلق إلى تربة عمه صلاح الدين فيصلّي فيها الجمعة ، وكان قليل التعاظم ، يركب في بعض الأحيان وحده ، ثم يلحقه بعض غلمانه سوقاً . وقال فيه بعض أصحابه وهو محب الدين بن أبي السعود البغدادي[٨] : [من الطويل]

لئن غُودِرَتْ تلكَ المحاسنُ في الثَّرى بَـوَالٍ فما وجـدي عليـكَ ببـالِ

(١) أ ، ب : على ملكه وذريته .
(٢) ترجمة ـ الملك المعظم في الكامل في التاريخ (٩/ ٣٧٤) ومرآة الزمان (٨/ ٤٢٤ ـ ٤٣٠) وتكملة المنذري (٣/ ٢١٢) وذيل الروضتين (١٥٢) ومختصر ابن العبري (٢٤٣ ـ ٢٤٤) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٤٥) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٧٧) والعبر (٥/ ١٠٠) والجواهر المضية (١/ ٤٠٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) وحسن المحاضرة (١/ ٢١٩) وشذرات الذهب (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٣ وترويح القلوب (٤٢) .
(٣) سترد ترجمة الحصيري في وفيات سنة ٦٣٥هـ .
(٤) تقدمت ترجمة الكندي في وفيات سنة ٦١٣هـ .
(٥) أ ، ب : نعيل .
(٦) ب : يشتمل .
(٧) أ ، ب : وأمر .
(٨) البيتان في ذيل الروضتين (١٥٢) .

ومذ غبت[١] عنّي ما ظفرتُ بصاحبٍ أخــي ثقــة إلا خطــرتَ ببــالــي

وملك بعده دمشق[٢] ولده الناصر داود بن المعظم ، وبايعه الأمراء .

أبو المعالي أسعد بن يحيى[٣] بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب الفقيه الشافعي السِّنْجاري .

شيخ أديب فاضل خيّر ، له نظم ونثر ظريف ، وله نوادر حسنة وجاوز التسعين . وقد استوزره صاحب حماة في وقت ، وله شعر رائق أورد منه ابن الساعي قطعة جيدة . فمن ذلك قوله[٤] : [من الكامل]

وَهَــواكَ مــا خَطَـرَ السُّلُـوُّ ببـالـهِ ولأنـت[٥] أعلـمُ فـي الغـرامِ بحـالـهِ
فمتــى وشــى واشٍ إليــكَ بــأنــهُ ســالٍ هــواكَ فـذاكَ مـن عُـذّالـهِ[٦]
أو ليسَ للكَلِفِ[٧] المعنَّى شاهـدٌ مــن حــالـهِ يغنيـكَ عــن تســآلـهِ
جدَّدتِ ثوبَ سقامهِ ، وهتكتِ ستـ ـرَ غرامهِ ، وصرمتِ حبلَ وصالهِ
يــا للعجــائــب مــن أسيــرٍ دأبــهُ يفــدي الطليـقَ بنفسـهِ وبمـالـه[٨]

وله أيضاً : [من الكامل]

لامَ العـواذلُ فـي هـواكِ فـأكثـروا هيهــاتَ ميعــادُ السلــوّ المحشــرِ
جهلوا مكانكِ في القلوبِ وطَوَّلوا[٩] لـو أنهـم وجـدوا كـوجـدي أقصـروا

---

(١) أ ، ب : وإن كنت قد غبت عن ناظري مصاحب . ولا يستقيم بها الوزن ، وفي ذيل الروضتين : عبت ؛ تحريف فلتصحح .
(٢) أ ، ب : ملك دمشق بعده .
(٣) ترجمة ـ أبي المعالي السنجاري في خريدة القصر ـ شعراء الشام ـ (٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٤) ومعجم البلدان (سنجار) ووفيات الأعيان (١/ ٢١٤ ـ ٢١٧) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٦٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٠٢) والوافي بالوفيات (٩/ ٣٢ ـ ٣٤) وطبقات السبكي (٥/ ٥٠) وشذرات الذهب (٥/ ١٠٤) .
(٤) الأبيات في وفيات الأعيان (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥) بالمقدمة التالية : ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها القاضي كمال الدين الشهرزوري .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) رواية البيت في ط :
فمتى وشى واش إليه بشأنه سائل هواك فذاك من أعداه
(٧) ط : أو ليس للدنف .
(٨) قبل هذا البيت في الوفيات البيت التالي :
أفـزلَّـة سبقـت لـه أم خلَّـة مـألـوفـة مـن تيهـه ودلالـه
وبعده فيه ستة أبيات .
(٩) ط : وحاولوا .

صبراً على عذب الهوى وعذابهِ   وأخو الهوى أبداً يلامُ ويعذَرُ[١]

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حمدان[٢] الطببي المعروف بالصائن .

أحد المعيدين بالنظامية ، ودرس بالثقتية[٣] وكان عارفاً بالمذهب والفرائض والحساب ، صنف شرحاً « للتنبيه » . ذكره ابن الساعي .

أبو النجم محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتي[٤] الفقيه الشافعي .

تفقه على أبي القاسم بن فضلان[٥] ثم أعاد بالنظامية ودرس بغيرها[٦] ، وكان يشغل كلَّ يوم عشرين درساً ، ليس له دأب إلا الإشغال وتلاوة القرآن ليلاً ونهاراً ، وكان بارعاً كثير العلوم ، قد أتقن المذهب والخلاف ، وكان يفتي في مسألة الطلاق الثلاث بواحدة ، فتغيظ عليه قاضي القضاة أبو القاسم عبد الله بن الحسين الدامغاني[٧] ، فلم يسمع منه ، ثم أُخرج إلى تكريت فأقام بها ، ثم استدعي إلى بغداد ، فعاد إلى الإشغال وأعاده قاضي القضاة نصر بن عبد الرزاق[٨] إلى إعادته بالنظامية ، وعاد إلى ما كان عليه من الإشغال والفتوى والوجاهة إلى أن توفي في هذه السنة رحمه الله تعالىٰ .

وهذا ذكره ابن الساعي .

---

(١) ط : ونعذر .

(٢) أ ، ب : بن حمدون . قال بشار : وترجمته في تاريخ الإسلام (١٣/ ٧٧٢) .

(٣) ط : « الثقفية » وهو تحريف ، وهي المدرسة الثقتية ببغداد ، منسوبة إلى ثقة الدولة أبي الحسن علي بن محمد ابن الإبري الدريني المتوفى سنة ٥٤٩ ، وكان وكيلاً للخليفة المقتفي لأمر الله ، وكانت تحت دار الخلافة على دجلة ، وهو زوج العالمة المحدثة شهدة بنت الإبري (بشار) .

(٤) ترجمته في المختار من تاريخ ابن الجزري (١٣٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٧٨٣) .

(٥) هو يحيى الواثق بن علي بن الفضل بن هبة الله بن بركة البغدادي أبو القاسم بن فضلان ، شيخ الشافعية . سمع أبا غالب ابن البناء ، وإسماعيل بن السمرقندي . درَّس بمدرسة دار الذهب ، وتلا بالروايات ومات سنة ٥٩٥هـ . سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٥٧) وفيه قائمة طيبة بمصادر ترجمته .

(٦) أ ، ب : في غيرها . قال بشار : هي المدرسة القيصرية ، وكانت بالقرب من مدرسة الشيخ أبي النجيب السهروردي (انظر بحثنا في كتاب حضارة العراق ٨/ ١٠٠ ـ ١٠١) (بشار) .

(٧) تقدمت ترجمة الدامغاني في وفيات سنة ٦١٥هـ .

(٨) هو نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني الأزجي الحنبلي جمع الأربعين لنفسه ، درَّس بمدرسة جده ، وتكلَّم في الوعظ ، وألَّف في التصوف ، وولي القضاء . توفي سنة ٦٣٣هـ . سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٩٦ ـ ٣٩٩) وفيه قائمة بمصادره .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمئة

فيها : كانت حروبٌ كثيرةٌ بين جلال الدين والتتر(١) ، كسروهُ غيرَ مرةٍ ، ثم بعد ذلك كلّه كسرهم كسرةً عظيمةً ، وقتل منهم خلقاً وأُمماً لا يُحْصَوْن [كثرة] ، وكان هؤلاء التتر قد انفردوا وعَصَوْا على جنكيز خان فكتب جنكيز خان(٢) إلى جلال الدين يقول له : إن هؤلاء ليسوا منَّا ونحن أبعدناهم ، ولكن سترى منَّا ما لا قبل لك به .

وفيها : قدمت طائفةٌ كبيرةٌ من الفرنج من ناحية صقلية فنزلوا عكًّا وصُور وحملوا على مدينة صَيْدا فانتزعوها من أيدي المؤمنين ، وعبروها(٣) وقويت شوكتهم ، وجاء الانبرور فملك جزيرة قبرس(٤) ثم سار فنزل عكا فخاف المسلمون من شره وبالله المستعان .

وركب الملك الكامل محمد بن العادل صاحب مصر إلى بيت المقدس الشريف(٥) فدخله ، ثم سار إلى نابلس فخاف الناصر داود بن المعظم من عمه الكامل ، فكتب إلى عمه الأشرف فقدم عليه جريدة ، وكتب إلى أخيه الكامل يستعطفه ويكفُّه عن ابن أخيه ، فأجابه الكامل بأني إنما جئت لحفظ بيت المقدس وصونه عن الفرنج الذين يريدون أخذه ، وحاشا لله أن أحاصر أخي أو ابن أخي ، وبعد أن جئت أنت إلى الشام فأنت تحفظها وأنا راجع إلى الديار المصرية ، فخشي الأشرف وأهل دمشق(٦) إن رجع الكامل أن تمتد(٧) أطماع الفرنج إلى بيت المقدس ، فركب الأشرف إلى أخيه الكامل فثبَّطه عن الرجوع ، وأقاما جميعاً هنالك جزاهما الله خيراً ، يحفظان بيت المقدس(٨) عن الفرنج لعنهم الله . واجتمع إلى الملك [العادل] جماعة من ملوكهم ، كأخيه الأشرف وأخيهما الشهاب غازي بن العادل وأخيهم الصالح إسماعيل بن العادل ، وصاحب حمص أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين [محمد بن شيركوه] ،

(١) أ ، ب : التتار .
(٢) أ ، ب : ابن جنكيز خان .
(٣) أ ، ب : من أيدي المسلمين وغزوها .
(٤) في ط : « ملك » ولا يصح ، لأن الانبرور (الامبراطور) هو ملك الألمان ، وكان قبل مجيئه قد استولى على قبرس ، فلا يوصف بأنه ملك قبرس حسب ، ثم تأمل قوله بعد ذلك : « ثم سار فنزل عكا » ، وهو يدل على أنه ملك قبرس أولاً ، ثم ملك عكا ، وهو الصواب (بشار) .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ب : وأهل الشام .
(٧) أ : أن يميل . وب : أن ميل .
(٨) ط : يحوطان جناب القدس .

وغيرهم ، واتفقوا كلهم على نزع الناصر داود عن ملك دمشق وتسليمها إِلى الأشرف موسى لأجل حفظ الشام من الفرنج وسيأتي تنفيذ ذلك في السنة المستقبلة إِن شاء الله تعالىٰ .

وفيها : عزل الصدر البكري[١] عن حسبة دمشق ومشيخة الشيوخ وولي فيها اثنان غيره .

وقال [الشيخ شهاب الدين][٢] أبو شامة[٣] : وفي أوائل رجب توفي الشيخ الفقيه الصالح[٤] أبو الحسن علي بن المراكشي المقيم بالمدرسة المالكية ، ودفن بالمقبرة التي وقفها الرئيس[٥] خليل بن زويزان قبلي مقابر الصوفية ، وكان أول من دفن بها رحمه الله تعالىٰ .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمئة

استُهِلَّتْ هذه السنة وملوكُ بني أيوب مفترقون مختلفون ، قد صاروا أحزاباً وفرقاً ، وقد اجتمع ملوكُهم إِلى الكامل محمد صاحب مصر ، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف ، فقويت نفوس الفرنج لعنهم الله بكثرتهم بمن وفد إِليهم من البحر ، وبموت المعظم واختلاف مَنْ بعده من الملوك ، فطلبوا من المسلمين أن يردُّوا إِليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ منهم ، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك [على] أن يردُّوا لهم بيت المقدس وحده ، وتبقى بأيديهم بقية البلاد ، فتسلموا[٦] القدس الشريف ، وكان المعظم قد هدم أسواره ، فعظم ذلك على المسلمين جداً وحصل وهن شديد وإِرجاف عظيم ، فإِنَّا لله وإِنا إِليه راجعون .

ثم قدم الملك الكامل فحاصر دمشق وضيَّق على أهلها فقطع[٧] الأنهار ، ونهبت الحواصل[٨] وغلت الأسعار ، ولم يزل الجنود حولها حتى أخرج منها ابن أخيه صلاح الدين الملك الناصر داود بن المعظم ، على أن يقيم ملكاً بمدينة الكرك والشوبك ونابلس وقرايا من[٩] الغور والبلقاء ويكون الأمير عز الدين أيبك أستاذ دار المعظم صاحب صرخد ، ثم تقايض الأشرف وأخاه الكامل ، فأخذ الأشرف دمشق ، وأعطى

---

(١) ط : التكريتي ، خطأ ، وما هنا هو الموافق لما في ذيل الروضتين (١٥٤) الذي ينقل منه المؤلف .
(٢) ط : قال أبو شامة .
(٣) ذيل الروضتين (١٥٣) .
(٤) ط : الصالح الفقيه .
(٥) ط : الزين .
(٦) أ ، ب : أن يردوا عليهم بيت المقدس ويتسلموا القدس .
(٧) أ ، ب : وقطع .
(٨) أ ، ب : الحواضر .
(٩) ط : « براما » وهو تحريف بيِّن ، وما هنا من ب ، وهو الذي في ذيل الروضتين (١٥٥) (بشار) .

أخاه حران[١] والرُّها والرقة ورأس العين وسروج ، ثم سار الكامل فحاصر حماة وكان صاحبها الملك المنصور بن تقي الدين عمر[٢] قد توفي وعهد بالأمر من بعده إلى أكبر ولده المظفر محمد[٣] ، وهو زوج بنت الكامل ، فاستحوذ على حماة أخوه صلاح الدين قلج أرسلان فحاصره الكامل حتى أنزله من قلعتها وسلمها إلى أخيه المظفر محمد ، ثم سار فتسلم البلاد التي قايض بها عن دمشق من أخيه الملك الأشرف كما ذكرنا .

وكان الناس بدمشق قد اشتغلوا بعلم الأوائل في أيام الملك الناصر داود ، وكان يعاني ذلك وربما[٤] نسبه بعضهم إلى نوع من الانحلال فالله أعلم ، فنادى الملك الأشرف بالبلدان أن لا يشتغل الناس بذلك وأن يشتغلوا بعلم التفسير والحديث والفقه .

وكان سيف الدين الآمدي مدرساً بالعزيزية فعزله عنها وبقي ملازماً منزله حتى مات في سنة إحدى وثلاثين كما سيأتي .

وفيها : كان الناصر داود قد أضاف إلى قاضي القضاة شمس الدين بن الخُوَيّي[٥] القاضي محيي الدين[٦] يحيى بن محمد بن علي بن الزكي ، فحكم أياماً بالشباك ، شرقي باب الكلاسة ، ثم صار الحكم بداره ، مشاركاً لابن الخُويّي[٧] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الملك المسعود[٨] أقسيس بن الكامل صاحبُ اليمن .

وقد ملك مكةَ سنة تسعَ عشرةَ فأحسن بها المعدلة ، ونفى الزيدية منها ، وأمنت الطرقاتُ والحجاجُ ، ولكنّه كان مسرفاً على نفسه ، فيه عسف وظلم أيضاً . وكانت وفاته بمكةَ ودفن بباب المعلى .

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦١٧هـ .

(٣) في كل الأصول ، وسترد ترجمة الملك المظفر في وفيات سنة ٦٩١هـ ومرآة الزمان (٨/ ٤٣٤) .

(٤) ط : وقديماً .

(٥) ط : ابن الخولي . وهو تحريف ، وسترد ترجمة ابن الخويي في وفيات سنة ٦٩٣هـ .

(٦) بعدها في أ ، ب : أبا المعالي . وهي كنية جده ، أما محيي الدين فكنيته أبو الفضل ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٦٨هـ .

(٧) ب : ابن الجويني ، وط : ابن الخولي ؛ وكلاهما تحريف .

(٨) ترجمة ـ الملك المسعود ـ في الكامل لابن الأثير (٩/ ٣٥١) ومرآة الزمان (٨/ ٤٣٥) وذيل الروضتين (١٥٨) ووفيات الأعيان (٥/ ٨٢) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٢٨) والوافي بالوفيات (٩/ ٣١٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٦٢) وشذرات الذهب (٧/ ٢١٠) .

محمد السَّبْتي النَّجار[١] .

كان يعدُّهُ بعضهم من الأبدال ، قال أبو شامة[٢] : وهو الذي بنى المسجد غربي دار الركوة عن يسار المارّ في الشارع من ماله ، ودفن بالجبل . وكانت جنازته مشهودة رحمه الله تعالىٰ .

[العبادي الشاعر] أبو الحسن علي بن سالم بن يزبك بن محمد بن مقلد العبادي الشاعر من الحديثة ، قدِم بغدادمراراً وامتدح المستنصر[٣] وغيره ، وكان فاضلاً شاعراً يكثر التغزُّل .

أبو يوسف يعقوب بن صابر الحَرَّاني[٤] ثم البغدادي المَنْجَنيقي .

كان فاضلاً في فنه ، وشاعراً مطبقاً ، لطيف الشعر حسن المعاني ، وقد[٥] أورد له ابن الساعي قطعة صالحة ، ومن أحسن ما أورد له قصيدة فيها تعزية عظيمة لجميع الناس[٦] وهي : [قوله][من الخفيف]

هَلْ لمنْ يَرْتَجي البقاءَ خلودٌ ... وسوى اللهِ كلُّ شيءٍ يبيدُ
والذي كانَ من ترابٍ وإنْ ... عاشَ طويلاً للتراب[٧] يعودُ
فمصيرُ الأنامِ طُرّاً إلى ما ... صارَ فيه آباؤهمْ والجدودُ
أينَ حوّاءُ أينَ آدمُ إذ فا ... تَهمُ الخلدُ والثَّوَى والخُلودُ ؟
أينَ هابيلُ أينَ قابيلُ إذ عَـ ... ـدَا[٨] لهذا معاندٌ وحسودُ ؟
أينَ نوحٌ ومَنْ نَجا معهُ بالفُلْـ ... ـكِ والعالمونَ طُرّاً فقيدُ
أسلمتهُ الأيامُ كالطِّفْلِ للمو ... تِ ولم يغنِ عمرهُ[٩] الممدودُ
أينَ عادٌ ؟ بَلْ أينَ جَنَّةُ عادٍ ... أم تُرَى أينَ صالحٌ وثمودُ ؟
أينَ إبراهيمُ الذي شادَ بيـ ... ـتَ اللهِ فهو المُعَظَّمُ المقصودُ

---

(١) ذيل الروضتين (١٥٧) .
(٢) أ ، ب : دار الوكالة ؛ وما هنا كما في ذيل الروضتين .
(٣) ط : المستظهر ، خطأ ، لأنه توفي سنة ٥١٢ . ولا يمكن أن يكون قد اجتمع بهذا الشاعر .
(٤) ترجمة ـ المنجنيقي ـ في تكملة المنذري (٣/ ٢٤٢) ووفيات الأعيان (٧/ ٣٥ ـ ٣٨) والمستفاد من تاريخ بغداد (٤٤٠) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٢٦) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) وشذرات الذهب (٧/ ٢١١ ـ ٢١٢) .
(٥) ط : قد ، بلا واو .
(٦) أ ، ب : لجميع المسلمين .
(٧) أ ، ب : إلى التراب . ولا يستقيم بها الوزن .
(٨) أ : إذ عدا ، وط : إذا .
(٩) أ : عزه .

حسدوا يوسفاً أخاهمْ فكادو ... هُ وماتَ الحاسدُ[١] والمحسودُ
وسليمانُ في النبوَّةِ والملكِ ... قضى مثل ما قَضَى داودُ
فَغَدَوا بعدَ ما أُطيعَ له[٢] الخلـ ... ـق وهذا لهُ أُلينَ الحديدُ[٣]
وابنُ عمرانَ بعدَ آياتهِ التسـ ... ـعِ وشقّ الخضمّ فهو صَعيدُ
والمسيحُ ابنُ مريمَ وهو روح اللـ ... ـهِ كادتْ تَقْضي عليهِ اليهودُ
وقضى سيدُ النبيّينَ والهـا ... دي إلى الحقِّ أحمدُ المحمودُ
وبنوهُ وآلهُ الطاهرون الـ ... ـزّهرُ صَلَّى عليهمُ المعبودُ
ونجومُ السماءِ مُنْتَثِراتٌ ... بعدَ حينٍ وللهواءِ ركودُ
ولنارِ الدنيا التي توقد الصخـ ... ـرَ خمودٌ وللمياهِ[٤] جمودُ
وكذا للثَّرى غداةَ يؤمُّ النـ ... ـاسَ منها تزلزلٌ وهمودُ
هذه الأمَّهاتُ نارٌ وتربٌ ... وهواءٌ رطبٌ وماءٌ برودُ
سوفَ تفنى[٥] كما فنينا فلا ... يبقى من الخلقِ والدٌ ووليدُ
لا الشقيُّ الغويُّ من نُوَبِ الأيَّـ ... ـامِ ينجو ولا السعيدُ الرشيدُ
ومتى سَلَّتِ المنايا سيوفاً ... فالموالي حصيدُها والعبيدُ

وممن [توفي فيها][٦] :

أبو الفتوح نصر بن علي البغدادي الفقيه الشافعي ، ويلقب بثعلب ، اشتغل في المذهب والخلاف ومن شعره قوله : [من البسيط]

جِسْمي مَعي غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عندكمُ ... فالجِسْمُ في غُرْبَةٍ والرُّوحُ في وَطَنِ
فَليعجبِ النَّاسُ منّي أَنَّ لي بَدناً ... لا رُوحَ فيهِ ولي رُوحٌ بِلا بَدَنِ

أبو الفضل جبرائيل[٧] بن منصور بن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب بن يحيى بن موسى بن

---

(١) ب : فكادوهم ومات الحسود المحسود .
(٢) ط : أطيع لذا .
(٣) أ ، ب : وهذا ألين له الحديد .
(٤) ط : ولله . ولا يستوي بها الوزن .
(٥) ط : يفنى .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : جبريل . وترجمته في تاريخ الإسلام (١٣/ ٨١٠) نقلاً من ابن الساعي .

يحيى بن الحسن بن غالب بن الحسن بن عمرو بن الحسن بن النعمان بن المنذر المعروف بابن زطينا البغدادي كاتب الديوان بها .

أسلم ـ وكان نصرانياً ـ فحسن إسلامه ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم موعظة .

ومن ذلك قوله : خيرُ أوقاتك ساعةٌ صَفَتْ لله ، وخلصت(١) من الفكرة لغيره والرجاء لسواه(٢) . وما دمتَ في خدمة السلطانِ فلا تَغْتَرَّ بالزمان . اكفف كفَّكَ ، واصرف طرفكَ ، وأكثر صومكَ ، وأقلل نومكَ يُؤَمِّنْكَ . واشكر ربَّكَ يُحمدْ أمرُكَ .

وقال : زادُ المسافر مُقَدَّمٌ(٣) على رحيله ، فأعدَّ الزادَ تبلغْ بالمعاد المرادَ .

وقال : إلى متى تَتَمادَى في الغفلةِ كأنَّكَ قد أَمِنْتَ عواقبَ المهلة ، عُمْرُ اللَّهْوِ مضى ، وعمرُ الشبيبة انقضى ، وما حصلت من ربك على ثقة بالرضا ، وقد انتهى بك الأمرُ إلى سنِّ التخاذلِ وزمنِ التكاسلِ ، وما حظيت بطائل .

وقال : روحك تخضع ، وعينك لا تدمع ، وقلبك [لا] يخشع ، ونفسك تجشع ، وتظلم(٤) نفسك وأنت لها تتوجَّع ، وتظهر الزهد في الدنيا وفي المال(٥) تطمع ، وتطلب ما ليس لك بحق وما [قد] وجب عليك من الحق لا تدفع(٦) ، وترومُ فضلَ ربِّك وللماعون تمنع ، وتعيب(٧) نفسك الأمَّارَة وهي عن اللهوِ لا ترجع ، وتوقظ الغافلين بإنذارك وتتناوم عن سهمك(٨) وتهجع ، وتخصّ غيرَك بخيرك ونفسَكَ الفقيرةَ لا تنفع ، وتحومُ على الحقِّ وأنت بالباطل مولَع(٩) ، وتتعثَّر في المضائق وطرق(١٠) النجاة مهيع ، وتَتَهَجَّمُ على الذنوب وفي المجرمين تشفع [وتركن إلى دار السلامة وأنت بالعطب مُرَوَّع ـ وتحرص على زيادة الاكتساب وحسابك في كفّ غيرك يوضع] وتُظهر القناعة بالقليل وبالكثير لا تشبع ، وتعمر الدار الفانيةَ ودارُكَ الباقيةُ خرابٌ بلقع ، وتستوطنُ في منزلِ رحيلٍ كأَنَّك إلى ربك لا ترجع ، وتظنُّ أَنَّك بلا رقيبٍ وأعمالك إلى المراقِب تُرْفَع ، تُقْدم على الكبائر وعن الصغائر تتورَّع ، وتُؤَمِّل الغفرانَ وأنت عن

(١) أ : وجلت ، ب : فعلت .
(٢) ب : بسواه .
(٣) ط : يقدم .
(٤) أ ، ب : ونفسك لا تشبع وبظلم .
(٥) ط : الحال .
(٦) أ ، ب : يدفع بالياء وبدون لا .
(٧) أ : وتعتب ، ويعتب .
(٨) أ ، ب : فهمك .
(٩) أ ، ب : تتولع وتبعثر .
(١٠) أ ، ب : وطريق .

الذنوب لا تُقلع ، وترى الأهوالَ محيطةً بك وأنت في ميدان اللهو ترتع ، وتستقبحُ أفعال[١] الجُهَّال وبابَ الجهل تقرع ، وقد آن لك أن تأنف من التعنيف وعن الدنايا[٢] ترفع ، وقد سار المخِفُّون وتخلفت[٣] فماذا تتوقَّع .

وقد أورد[٤] ابن الساعي له شعراً حسناً ، فمنه [قوله] [من السريع]

إن سهرتْ عيناك[٥] في طاعةٍ فذاكَ خيرٌ لكَ من نومِ
أمسكَ قدْ فاتَ بعلاَّتهِ فاستدركِ الفائتَ في اليومِ

وقوله[٦] : [من الخفيف]

إن ربّاً هداكَ بعدَ ضَلالٍ سُبلَ الرشدِ مستحقٌّ للعبادَهْ
فتَعَبَّدْ لهُ تَجِدْ منهُ عتقا وَاسْتَدمْ فَضْلهُ بطولِ الزهادَهْ

وله [[من مخلع البسيط]

إذا تَعَفَّفْتَ عَنْ حَرامٍ عوَّضتَ بالطّيبِ الحلالْ
فاقنعْ تجدْ في الحرامِ حلاًّ فضلاً من اللهِ ذي الجلالْ][٧]

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمئة

فيها : كانت وقعةٌ عظيمةٌ بين الأشرف موسى بن العادل وبين جلال الدين بن خوارزم شاه[٨] ، وكان سببها أن جلال الدين كان قد أخذ مدينة خلاط في الماضي وخربها وشرَّد أهلها ، وحاربه علاء[٩] الدين كيقُباذ ملك الروم وأرسل إلى الأشرف يستحثه على القدوم عليه ولو جريدة وحده ، فقدم الأشرف في طائفة كبيرة من عسكر دمشق ، وانضاف إليهم عسكر بلاد الجزيرة ومن تَبَقى[١٠] من عسكر خلاط ،

(١) أ ، ب : مقال .
(٢) أ : من التعسف وعن الرزايا .
(٣) أ ، ب : وقد تخلفت .
(٤) أ ، ب : وقد أورد له ابن الساعي .
(٥) أ ، ب : عندك .
(٦) ط : وله .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) أ ، ب : خوارزم شاه الخوارزمي .
(٩) أ ، ب : عماد الدين ؛ خطأ . وسترد ترجمة كيقباذ في وفيات سنة ٦٣٤هـ وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٤) .
(١٠) أ ، ب : بقي .

فكانوا[١] خمسة آلاف مقاتل [صليبة] ، معهم العدَّة الكاملة ، والخيول الهائلة ، فالتقوا مع جلال الدين بأذربيجان وهو في عشرين ألف مقاتل ، فلم يقم لهم ساعة واحدة ، ولا صبر ، فتقهقر[٢] وانهزم واتبعوه[٣] على الأثر ، ولم يزالوا في طلبه إلى مدينة خُوَيْ ، وعاد الأشرف إلى مدينة خلاط فوجدها خاويةً على عروشها ، فمهّدها وأطَّدها ، ثم تصالح [هو] وجلال الدين وعاد إلى مستقر ملكه [بدمشق] حرسها الله [تعالىٰ وإياه] .

وفيها : تسلَّم الأشرفُ قلعةَ بعلبك من الملك الأمجد بهرام شاه بعد حصار طويل ، ثم استخلف على دمشق أخاه الصالح إسماعيل ، ثم سار إلى الشرق[٤] بسبب أن جلال الدين الخوارزمي استحوذ على بلاد خلاط وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ونهب أموالاً كثيرة ، فالتقى معه الأشرف[٥] واقتتلوا قتالاً عظيماً فهزمه الأشرف هزيمةً منكرةً ، وهلك من الخوارزمية خلقٌ كثيرٌ ، ودقَّتِ البشائر في البلاد فرحاً بنصرة الأشرف على الخوارزمية ، فإنَّهم كانوا لا يفتحون بلداً إلا قتلوا من فيه ونهبوا أموالهم[٦] ، فكسرهم الله تعالىٰ .

وقد كان الأشرف رأى النبي ﷺ ، في المنام قبل الوقعة وهو يقول له : يا موسى أنت منصور عليهم ولما فرغ[٧] من كسرتهم عاد إلى بلاد خلاط فرمم شعثها وأصلح ما كان فسد منها[٨] .

ولم يحجَّ أحد من أهل الشام في هذه السنة ولا في التي قبلها ، وكذا فيما قبلها أيضاً ، فهذه ثلاث سنين لم يَسِرْ من الشام أحد حاجٌّ إلى الحجاز[٩] .

وفيها : أخذتِ الفرنجُ جزيرة ميورقة وقتلوا بها خلقاً وأسروا آخرين ، فقدموا بهم إلى الساحل فاستقبلهم المسلمون فأخبروا بما جرى عليهم من الفرنج .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

زين الأمناء الشيخ الصالح[١٠] أبو البركات ، الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله

---

(١) أ : وكانوا .
(٢) أ ، ب : بل تقهقر .
(٣) أ ، ب : واتبعوه هم .
(٤) ب : المشرق . وط : الأشرف . والأخيرة محرفة .
(٥) أ ، ب : الأشرف رأساً هائلاً واقتتلوا .
(٦) أ ، ب : وأمواله .
(٧) أ ، ب : تفرغ .
(٨) قال بشار : هذه الفقرة وأكثر التي قبلها تكرار لما سبق .
(٩) ط : أحد إلى الحج .
(١٠) ترجمة ـ زين الأمناء ابن عساكر ـ في مرآة الزمان (٨/٤٣٨ ـ ٤٣٩) وتكملة المنذري (٣/٢٥٨ ـ ٢٥٩) وذيل الروضتين (١٥٨) والعبر (٥/١٠٨) وتاريخ الإسلام (١٣/٨٣٣) وسير أعلام النبلاء (٢٢/٢٨٤ ـ ٢٨٧) =

زين الأمناء[١] ، ابن عساكر الدمشقي الشافعي .

سمع على عَمَّيْه الحافظ أبي القاسم والصائن وغير واحد ، وعُمِّر وتَفَرَّدَ بالرواية وجاوزالثمانين بنحو من ثلاث سنين ، وأُقعد في آخر عمره فكان يُحمل في محفَّةٍ إلى الجامع وإلى دار الحديث النورية لإسماع الحديث ، وانتفع به الناس[٢] مدة طويلة ، ولما توفي حضر الناسُ جنازتَه ودُفن عند أخيه الشيخ فخر الدين بن عساكر[٣] بمقابر الصوفية رحمه الله تعالىٰ .

الشيخ بيرم[٤] المارديني .

كان صالحاً منقطعاً محباً للعزلة عن الناس ، وكان مقيماً بالزاوية الغربية من الجامع ، وهي التي يقال لها الغزالية ، وتعرف بزاوية الدولعي وبزاوية القطب النيسابوري ، وبزاوية الشيخ نصر[٥] المقدسي ، قاله الشيخ شهاب الدين أبو شامة[٦] ، وكان يوم جنازته مشهوداً[٧] ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالىٰ وعفا عنه بمنه وكرمه .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمئة

استهَلَّت هذه السنة والملك[٨] الأشرف موسى بن العادل مقيم بالجزيرة[٩] مشغول فيها بإصلاح ما كان جلال الدين الخوارزمي قد أفسده من بلاده .

وقد قدمت التتار في هذه السنة إلى الجزيرة[١٠] وديار بكر فعاثوا بالفساد يميناً وشمالاً ، فقتلوا ونهبوا وسَبَوْا على عادتهم خذلهم الله تعالىٰ .

= وطبقات السبكي (٥/ ٥٤ ـ ٥٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٧٣) وشذرات الذهب (٧/ ٢١٧) .

(١) ط : أبو البركات بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن زين الأمناء ؛ وهو خطأ .

(٢) أ ، ب : وانتفع الناس به .

(٣) تقدمت ترجمة فخر الدين ابن عساكر في وفيات سنة ٦٢٠هـ .

(٤) قيّده أبوشامة بقوله : بيرم : أوله باء معجمة بواحدة من تحتها ، وهي مفتوحة ، وبعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها ، وبعدها راء مفتوحة .

(٥) ط : أبي نصر . وهو نصر بن إبراهيم بن نصر المعروف بالفقيه نصر المقدسي توفي سنة ٤٩٠هـ . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٣٦) وفيه قائمة بمصادره .

(٦) ذيل الروضتين (١٥٩) .

(٧) أ : يوماً مشهوداً .

(٨) أ ، ب : استهلت والملك .

(٩) أ : مقيم ببلاد الجزيرة .

(١٠) أ : إلى الجزيرة فقتلوا .

وفيها : رتب إمام بمشهد أبي بكر من جامع دمشق ، وصُلِّيت فيه الصلواتُ الخمسُ .

وفيها : درس الشيخ تقي الدين بن الصلاح[١] الشهرزوري الشافعي في المدرسة [الشامية] الجوانية في جوار[٢] المارستان في جمادى الأولى منها .

وفيها : درس الناصح [ابن الحنبلي بالصاحبة][٣] بسفح قاسيون التي أنشأتها الخاتون ربيعة[٤] بنت أيوب أخت ست الشام .

وفيها : حبس الملك الأشرف الشيخ علي الحريري[٥] بقلعة عزتا .

وفيها : كان غلاء شديد بديار مصر وبلاد الشام وحلب والجزيرة بسبب قلة المياه السماوية والأرضية ، فكانت[٦] هذه السنة كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٦] .

وذكر ابن الأثير[٧] كلاماً طويلاً مضمونهُ خروجُ طائفةٍ من التتار مرةً أخرى من بلاد ما وراء النهر ، وكان سببُ قدومهم هذه السنة أَنَّ الإسماعيلية كتبوا إليهم يخبرونهم بضعف أمر جلال الدين بن خوارزم شاه ، وأنه قد عادى جميعَ الملوك حوله حتى الخليفة ، وأنه قد كسره الأشرف بن العادل مرتين ، وكان جلال الدين قد ظهرت منه أفعال ناقصة تدلُّ على قلَّةِ عقله ، وذلك أنه توفي له غلام خصيّ يقال له قلج ، وكان يحبّه ، فوجد عليه وجداً عظيماً بحيث إنه أمر الأمراء أن يمشوا بجنازته[٨] فمشوا فراسخ [إلى تربته] ، وأمر أهل البلد أن يخرجوا بحزنٍ وتعدادٍ عليه ، فتوانى بعضهم في ذلك ، فهمَّ بقتلهم حتى تشفَّع فيهم بعضُ الأمراء ثم لم يسمح بدفن قلج فكان يحمل معه بمحفةٍ ، وكلما أحضر بين يديه طعام يقول احملوا هذا إلى قلج ، فقال له بعضهم : أيها الملك إن قلج قد مات[٩] ، فأمر بقتله فقتل[١٠] ، فكانوا بعد ذلك يقولون : قبله وهو يقبل الأرض ، ويقول هو الآن أصلح مما كان ـ يعني أنه مريض وليس بميت ـ

---

(١) سترد ترجمة ابن الصلاح في وفيات سنة ٦٤٣هـ .
(٢) ط : المدرسة الجوانية في جانب . . مختصر تنبيه الطالب (٤٨) .
(٣) درس الناصر ابن الحنبلي بالصالحية ؛ وفيها تحريفان : تاريخ الصالحية (١٥٨) .
(٤) ط : الخاتون ربيعة خاتون .
(٥) سترد ترجمة علي الحريري في وفيات سنة ٦٤٤هـ .
(٦) أ : وكانت .
(٧) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٨٣) .
(٨) أ ، ب : في جنازته .
(٩) ب : قد مات قلج .
(١٠) أ ، ب : فأمر بضرب عنقه .

فيجد الملك بذلك راحة[١] من قلة عقله ودينه قبحه الله . فلما جاءت التتار اشتغل بهم وأمر بدفن قلج وهرب من بين أيديهم وامتلأ قلبه خوفاً منهم ، وكان[٢] كلما سار من قطر لحقوه إليه وخربوا ما اجتازوا به من الأقاليم والبلدان حتى انتهوا إلى الجزيرة وجاوزوها إلى سنجار وماردين وآمد ، يفسدون ما قدروا عليه قتلاً ونهباً وأسراً[٣] وتمزَّقَ شملُ جلال الدين وتفرَّق عنه جيشهُ ، فصاروا شَذَرَ مَذَرَ ، وبُدِّلوا بالأمن خوفاً ، وبالعزِّ ذلاًّ ، وبالاجتماع تفريقاً ، فسبحان من بيده الملك لا إله إلا هو . وانقطع خبر جلال الدين فلا يُدْرَى أين سلك ، ولا أين ذهب ، وتمكنت[٤] التتار من الناس في سائر البلاد لا يجدون من يمنعهم ولا من يردعهم ، وألقى الله تعالىٰ الوهنَ والضعفَ في قلوب الناس منهم ، كانوا كثيراً يقتلون الناس فيقول المسلم : لا بالله ، لا بالله ، فكانوا يلعبون على الخيل[٥] ويغنون ويحاكون الناس لا بالله لا بالله ، وهذه طامة عظمى وداهية كبرى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وحج الناس في هذه السنة من الشام وكان ممن حج[٦] فيها الشيخ تقي الدين أبو عمرو[٧] بن الصلاح ، ثم لم يحج الناس بعد هذه السنة أيضاً لكثرة الحروب والخوف من التتار[٨] والفرنج ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : تكامل بناء المدرسة التي بسوق العجم ببغداد المنسوبة إلى إقبال الشرابي[٩] ، وحضر الدرس بها ، وكان يوماً مشهوداً ، اجتمع[١٠] فيه جميع المدرسين والمفتين ببغداد ، وعُمل بصحنها قبابُ الحلوى فحُمل منها إلى جميع المدارس والربط ، ورُتِّبَ فيها خمسة وعشرون[١١] فقيهاً لهم الجوامك الدارّةُ في كل [شهر والطعام في كل] يوم ، والحلوى في أوقات المواسم ، والفواكه في زمانها ، وخلع على المدرِّس والمعيدين والفقهاء في ذلك اليوم[١٢] ، وكان وقتاً[١٣] حسناً تقبل الله تعالىٰ منه .

---

(١) أ ، ب : راحة بذلك .
(٢) أ ، ب : واملأ قلبه خوفاً منهم وجعل .
(٣) أ ، ب : قتلاً وأسراً ونهباً .
(٤) أ : فتمكنت .
(٥) ب : على الحبل .
(٦) أ : ممن خرج .
(٧) ط : أبو عمر ؛ وهو خطأ .
(٨) أ ، ب : التتر .
(٩) هي المدرسة الشرابية المشهورة ، ولعمي العلامة الدكتور ناجي معروف طيب الله ثراه كتاب عنها ، طبع ببغداد (بشار) .
(١٠) أ ، ب : واجتمع .
(١١) ط : خمسة وعشرين .
(١٢) أ ، ب : يومئذ .
(١٣) هكذا في الأصول ، ولعله الصواب : « وقفاً » (بشار) .

وفيها : سار الأشرف(١) أبو العباس أحمد بن القاضي الفاضل في الرسلية عن الكامل محمد صاحب مصر إلى الخليفة المستنصر بالله [ببغداد] ، فأكرم وأُعيد مُعَظَّماً .

وفيها : دخل الملك المظفر أبو سعيد كُوكْبُري(٢) بن زين الدين صاحب إربل إلى بغداد ولم يكن دخلها قطُّ ، فتلقاه الموكب وشافهه الخليفة بالسلام مرتين في وقتين ، وكان ذلك شرفاً له غبطه به سائر ملوك الآفاق ، وسألوا أن يهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك ، فلم يمكنوا لحفظ الثغور ، ورجع إلى مملكته مُعَظَّماً مُكَرَّماً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

ابن معطي(٣) النحوي ، يحيى بن [عبد](٤) المعطي بن عبد النور النحوي صاحب « الألفية »(٥) وغيرها من المصنفات النحوية المفيدة ، ويلقب زين الدين .

أخذ عن الكندي وغيره ، ثم سافر إلى مصر فكانت وفاته بالقاهرة في مستهل ذي الحجة من هذه السنة ، وشهد جنازته الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، وكان قد رحل إلى مصر في هذه السنة ، وحكي أن الملك الكامل شهد جنازته(٦) أيضاً ، وأنه دفن قريباً من قبر المزني بالقرافة في طريق الشافعي عن يسرة المار رحمه الله .

الدَّخْوَار الطَّبيب واقف الدَّخْوارية(٧) مُهَذَّب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد ، المعروف بالدَّخْوار .

---

(١) هو القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي المصري . مات سنة ٦٤٣هـ . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢١١) .

(٢) سترد ترجمة كوكبري في وفيات سنة ٦٣٠هـ .

(٣) ترجمة ـ ابن معطي ـ في معجم الأدباء (٢٠/ ٣٥ ـ ٣٦) وتكملة المنذري (٣/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) وذيل الروضتين (١٦٠) ووفيات الأعيان (٦/ ١٩٧) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٥٩) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٧٢) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٢٤) ومرآة الجنان (٤/ ٦٦) والجواهر المضية (٢/ ٢١٤) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٧٧) وبغية الوعاة (٢/ ٣٢٤) وحسن المحاضرة (١/ ٢٥٥) وشذرات الذهب (٧/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) وفي هذه المصادر أنه توفي سنة ٦٢٨هـ إلا أن ابن كثير سيعيد ترجمته في وفيات سنة ٦٣٩هـ .

(٤) ليست في كل الأصول ، واستدركتها عن مصادره .

(٥) اسمها : الدرة الألفية في علم العربية .

(٦) ب : شهد الجنازة أيضاً .

(٧) ترجمة ـ الدخوار ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥) وذيل الروضتين (١٥٩) وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٦) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٦٢) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣١٦) والعبر (٥/ ١١٢ ـ ١١٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٧٧) والقلائد الجوهرية (٢٣١) والدارس (٢/ ١٢٧) وتنبيه الطالب (١٣٦) وفيه : عبد المنعم ؛ وهو تحريف لا بد من تصحيحه ، وشذرات الذهب (٧/ ٢٢٤) .

شيخ الأطباء بدمشق ، وقد وقف دارَه بدربِ العميد بالقرب من الصاغة العتيقة على الأطباء بدمشق [المحروسة] مدرسة[(١)] لهم ، وكانت وفاته بصفر[(٢)] من هذه السنة ، ودفن بسفح قاسيون ، وعلى قبره قبة على أعمدة في أصل الجبل شرقي الركنية ، وقد ابتلي بستة أمراض متعاكسة ، منها ريح اللقوة[(٣)] ، وكان مولده سنة خمس وستين وخمسمئة وكان عمره ثلاثاً وستين سنة .

قال ابن الأثير[(٤)] : وفيها توفي :

القاضي أبو غنائم بن العديم[(٥)] الشيخ الصالح وكان من المجتهدين في العبادة والرياضة ، والعاملين بعلمهم ، ولو قال قائل إنه لم يكن في زمانه أعبد منه لكان صادقاً ، فرضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه ، فإنه من جماعة شيوخنا ، سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه .

قال : وفيها أيضاً في الثاني عشر من ربيع الأول توفي صديقنا :

أبو القاسم عبد المجيد[(٦)] بن العجمي الحلبي ، وهو وأهل[(٧)] بيته مقدمو السنة بحلب ، وكان رجلاً ذا مروءة غزيرة ، وخلق حسن ، وحلم وافر ، ورئاسة كثيرة ، يحبّ إطعام الطعام ، وأحب الناس إليه من يأكل من طعامه ويقبل برّه[(٨)] ، وكان يلقى أضيافه بوجه منبسط ، ولا يقعد عن إيصال راحة وقضاء حاجة ، فرحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة .

قلت : وهذا آخر ما وجد من « الكامل في التاريخ » للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير رحمه الله تعالىٰ[(٩)] .

---

(١) قال العلموي : المدرسة الدخوارية بالصاغة العتيقة قرب الخضراء بدرب العميد قبلي الجامع .
(٢) أ ، ب : في صفر .
(٣) قال الذهبي : ثم عرض له استرخاء وثقل اللسان ، فساس نفسه ، واستعمل المعاجين فعرضت له حمّى قوية زلزلت قواه وأسكت أشهراً وذهبت عينه ثم مات .
(٤) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٨٧) وفيه : ابن غنائم .
(٥) ترجمة ـ ابن العديم ـ في الكامل في التاريخ (٩/ ٣٨٧) وتكملة المنذري (٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) والجواهر المضية (٢/ ١٤٠) واسمه في هذه المصادر : أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة العقيلي الحلبي ابن العديم .
(٦) أ ، ب : عبد الحميد ؛ تحريف .
(٧) أ ، ب : هو وأخيه .
(٨) في الأصول : من أكل من طعامه ويقبل يده . وما هنا عن ابن الأثير مصدر المؤلف .
(٩) رحمك الله يابن الأثير وجمعني وإياك في مستقر رحمته وفرطنا على الحوض سيدنا محمد ﷺ فلقد رافقتني في هذا الكتاب هذه السنوات ، ثم فارقتني ، وهذه حال مَنْ يعمل بالحوليات يشعر أنه يفقد في كل فترة عالماً من الذين رافقوه مدة من الزمن ثم اختطفهم الموت ، وبقي وحيداً .

أبو إسحاق إبراهيم[١] بن عبد الكريم بن أبي السعادات[٢] بن كريم الموصلي[٣] ، أحد الفقهاء الحنفيين ، شرح قطعة كبيرة من القدوري ، وكتب الإنشاء لصاحبها بدر الدين لؤلؤ[٤] ، ثم استقال من ذلك ، وكان فاضلاً شاعراً ، ومن شعره : [من الطويل]

دَعُوهُ كما شاءَ الغَرامُ يكونُ ... فلستُ وإن خانَ العهودَ أخونُ
ولينوا له في قولكم ما استطعتمُ ... عسى قلبُهُ القاسي عليَّ يلينُ
وبُثُّوا صباباتي إليه وكَرِّروا ... حديثي عليه فالحديثُ شُجونُ
بنفسي الأُلى بانوا عن العين حصةً[٥] ... وحبهمُ في القلبِ ليسَ يبينُ
وسَلُّوا على العُشّاقِ يومَ تَحَمَّلوا ... سيوفاً لها وَطْفُ الجفونِ جفونُ

المجد البَهْنَسي[٦] ، وزير الملك الأشرف ثم عزله وصادره ، ولما توفي دفن بتربته[٧] التي أنشأها بسفح قاسيون وجعل كتبه بها وقفاً ، وأجرى عليها أوقافاً جيّدة دارَّة رحمه الله تعالىٰ .

جمال الدولة[٨] خليل بن زويزان رئيس قصر حجاج ، كان كيِّساً ذا مروءة ، له صدقات كثيرة ، وله زيارة في مقابر الصوفية من ناحية القبلة ، ودفن بتربته عند مسجد قلوس[٩] رحمه الله تعالىٰ .

الملك الأمجد[١٠] واقف المدرسة[١١] الأمجدية .

---

(١) أ ، ب : إبراهيم بن كرم ؛ تحريف .
(٢) في التاج والطبقات : إن أبي الغارات .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) سترد ترجمة لؤلؤ في سنة ٦٥٦هـ .
(٥) أ : خفية .
(٦) ترجمة ـ المجد البهنسي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٤٤) وتكملة المنذري (٣/ ٢٨٢) وذيل الروضتين (١٦٠) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٥٩) واسمه فيها الحارث بن مهلب بن حسن المهلبي .
(٧) الدارس (٢/ ٩٢٧) وتاريخ الصالحية (٩٥٣) وتنبيه الطالب (٩٨١) وقال دهمان رحمه الله في حاشية تاريخ الصالحية : مجهولة .
(٨) ترجمة ـ جمال الدولة ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٤٥) والدارس (٢/ ٢٤٧) وفيه نقل كامل لترجمته عن ابن كثير ، ومختصر تنبيه الطالب (١٩٥) ومنادمة الأطلال (٣٣٦) .
(٩) مسجد قلوس في ميدان الحصا .
(١٠) هكذا وردت في كل الأصول ترجمتين مع أنهما شخص واحد هو : الملك الأمجد بهرام شاه ؛ وله ترجمة في الأعلاق الخطيرة (٢٥٢) ومرآة الزمان (٨/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٥٣) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٣٠) والعبر (٥/ ١١٠) والوافي بالوفيات (١٠/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧) وفوات الوفيات (١/ ٢٢٦) ومرآة الجنان (٤/ ٦٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٧٥) وشذرات الذهب (٧/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) وترويح القلوب (٤٩) .
(١١) عن ط وحده .

وفيها : كانت وفاة :

[الأمجد] بهرام شاه بن فروخشاه بن شاهنشاه[١] بن أيوب صاحب بعلبك[٢] .

لم يزل بها حتى قدم الأشرف موسى بن العادل إلى دمشق فملكها في سنة ست وعشرين ، فانتزع من يده بعلبك في سنة سبع وعشرين ، وأسكنه عنده بدمشق بدار أبيه ، فلما كان شهر شوال من هذه السنة عدا عليه مملوك من مماليكه تركي فقتله ليلاً ، وكان قد اتهمه بحياصة[٣] له وحبسه ، فتغلب عليه في بعض الليالي فقتله وقُتل المملوكُ بعده ، ودفن الأمجد في تربته التي إلى جانب تربة أبيه في الشرف[٤] الشمالي رحمه الله تعالىٰ ، وقد كان شاعراً فاضلاً له ديوان شعر ، وقد أورد له ابن الساعي قطعة جيدة من شعره الرائق الفائق .

وترجمته في « طبقات الشافعية » .

ولم يذكره أبو شامة في « الذيل » . وهذا عجيب منه .

ومما أورد له ابن الساعي[٥] في شاب رآه يقطع قضبان بانٍ ، فأنشأ[٦] على البديهة يقول[٧] : [من الكامل]

مَنْ لِي بأهيفَ قالَ حينَ عتبتهُ ... في قطعِ[٨] كلِّ قضيبِ بانٍ رائقِ
تحكي شمائلهُ الرشاء[٩] إذا انثنى ... رَيّانَ بينَ جداولٍ وحدائقِ
سرقتْ غصونُ البانِ لينَ شمائلي ... فقطعتُها والقطعُ حدُّ السارقِ

ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالىٰ : [من الوافر]

يُؤَرِّقني حَنينٌ وادّكارُ ... وقد خَلَتِ المرابعُ والديارُ
تَناءى الظَّاعِنونُ ولي فُؤادٌ ... يسيرُ مع الهوادج حيثُ ساروا

---

(١) انظر ترجمة الأمجد واقف المدرسة الأمجدية رقم (١) .
(٢) بعدها في أ ب : بعده .
(٣) ط : في صاحبة . والحياصة ـ كما في اللسان ـ حيص ـ سيرٌ في الحزام .
(٤) ط : الشرق ؛ تحريف .
(٥) أ ، ب : قوله في شاب .
(٦) أ ، ب : وأنشأ .
(٧) الأبيات في الشذرات .
(٨) ب : في كل قطع .
(٩) في الشذرات : الرشاق .

حنينـي[١] مثلمـا شـاءَ التّنـائي وشــوقٌ كلَّمــا بَعُــدَ المــزارُ
وليلـي[٢] بَعْـدُ بينهـمُ طـويـلٌ فـأيـنَ مَضَـتْ ليـالـيَّ القصـارُ ؟
وقد حكمَ السهادُ على جُفوني تسـاوَى الليـلُ عنـدي والنهـارُ
سهـادي بعـد نـأيهـمُ كثيـرٌ ونَـوْمـي بعدَ مـا رحلـوا غـرارُ[٣]
فمـنْ ذا يستعيـرُ لنـا عيـونـاً تنـامُ وهـل[٤] تـرى عيناً[٥] تعـارُ
فـلا لَيْلـي لـهُ صُبْـحٌ منيـرٌ ولا وَجْـدي يُقـالُ لـه عِثـارُ[٦]
وكـمْ مـن قـائـلٍ والحـيُّ غـادٍ يحجـبُ ظعنَـهُ النقـعُ المثـارُ
وقوفكَ في الديارِ وأنتَ حيّ وقـدْ رَحَـلَ الخليـطُ عليـكَ عـارُ

وله دوبيت[٧] :

كم يذهب هذا العمر في الخسرانِ مـا أَغْفَلنـي فيـه[٨] ومـا أنسـانـي
ضيعـتُ زمـانـي كلـه فـي لعـبٍ يـا عُمْـرُ هـل بعـدكَ عمـر ثـانـي[٩]

وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله تعالىٰ بك ؟ فقال : [من المديد]

كنتُ من ذنبي[١٠] على وجلٍ زالَ عَنّـي ذلـكَ الـوجـلُ
أَمِنَـتْ نَفْسـي بـوائِقَهـا عشـتُ لمـا مـتّ يـا[١١] رجـلُ

رحمه الله وعفا عنه .

جلال الدين تكش[١٢] ، وقيل : محمود بن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش الخوارزمي ،

---

(١) ط : حنين .
(٢) ط : وليل .
(٣) أ ، ب : غزار . ولا تصح لأنها تقلب المعنى .
(٤) أ ، ب : ومن رأى .
(٥) ب : عيوناً ؛ ولا يستقيم الوزن بها .
(٦) رواية البيت في أ ، ب :
فـلا عينـي لهـا صبـح منيـر ولا وجـدي لـه سكـن عثـار
(٧) عن ط وحدها .
(٨) أ ، ب : ما أغفلني عنه .
(٩) أ ، ب : يا عمر فهل بعدك من عمر ثاني ، ولا يستقيم بها الوزن .
(١٠) ط : كنت من ديني .
(١١) أ ، ب : عشت بما مت يا رجل . وط : عشت لما مت لما رحل .
(١٢) ترجمة ـ تكش ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٤٢ ـ ٤٤٤) .

وهم من سلالة طاهر بن الحسين ، وتكش جدهم هو الذي أزال دولة السلجوقية . كانت التتار [قد] قهروا أباه حتى شردوه في البلاد فمات في بعض جزائر البحر ، ثم ساقوا وراء جلال الدين هذا حتى مَزَّقوا عساكره شَذَرَ مَذَرَ وتفرّقوا عنه أيدي سَبَأ ، وانفرد هو وَحْدَه فلقيه فلاح من قريةٍ بأرض مَيَّافارقين فأنكره لما عليه من الجواهر والذهب ، وعلى فرسه ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا ملك الخوارزمية ـ وكانوا قد قتلوا للفلاح أخا ـ فأنزله وأظهر إكرامه ، فلما نام قتله بفأس كانت عنده ، وأخذ ما عليه ، فبلغ الخبر إلى شهاب الدين غازي[١] بن العادل صاحب ميافارقين فاستدعى بالفلاح فأخذ ما كان عليه من الجواهر [والحلي] ، وأخذ الفرس أيضاً ، وكان [الملك] الأشرف يقول هو سدُّ ما بيننا وبين التتار ، كما أن السدَّ بيننا وبين يأجوج ومأجوج .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمئة

فيها : عُزل القاضيان بدمشق : شمس الدين بن الخُوَيي[٢] وشمس الدين بن سَنِي الدولة[٣] ، وولي قضاء القضاة عماد[٤] الدين ابن الحَرستاني ، ثم عُزل في سنة إحدى وثلاثين وأُعيد شمس الدين بن سَنيّ الدولة كما سيأتي .

وفي[٥] سابع عشر شوالها عَزل الخليفةُ المستنصرُ وزيرَه مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القُمّي[٦] ، وقُبض عليه وعلى أخيه حسن وابنه فخر الدين أحمد بن محمد القُمّي وأصحابهم وحُبسوا ، واستوزر الخليفة مكانه أستاذ الدار شمس الدين أبا الأزهر ، أحمد بن محمد بن الناقد[٧] ، وخَلَعَ عليه خلعةً سنيةً وفرح الناس بذلك .

وفيها[٨] أقبلت طائفةٌ من التتار فوصلوا إلى شهرزور فندب الخليفة صاحب إربل مُظَفّر الدين كوْكُبري[٩] بن زين الدين ، وأضاف إليه عساكر من عنده ، فساروا نحوهم فهربت منهم التتار وأقاموا في

---

(١) سترد ترجمة غازي بن العادل في وفيات سنة ٦٤٥هـ .
(٢) سترد ترجمة الخويي في وفيات سنة ٦٣٥هـ .
(٣) سترد ترجمة ابن سني الدولة في وفيات سنة ٦٦٢هـ .
(٤) أ ، ب : بعماد الدين .
(٥) ط : وفيها .
(٦) للقاضي مؤيد الدين القمي ترجمة في سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٤٦) .
(٧) سترد ترجمة ابن الناقد في وفيات سنة ٦٤٢هـ .
(٨) أ ، ب : وقد ، وط : وفيه . وما هنا للسياق .
(٩) سترد ترجمة كوبري في وفيات سنة ٦٣٠هـ .

مقابلتهم[١] مدة شهور ، ثم تمرَّض مظفر الدين وعاد إلى بلده إربل ، وتراجعت التتار[٢] إلى بلادها .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

ابن نقطة[٣] ، الحافظ محمد بن عبد الغني[٤] بن أبي بكر البغدادي ، أبو بكر بن نقطة الحافظ المحدّث الفاضل ، صاحب الكتاب النافع المسمى « بالتَّقييد في تراجم رواة الكتب والمشاهير من المحدثين »[٥] ، وكان أبوه فقيهاً فقيراً[٦] منقطعاً في بعض مساجد بغداد ، يُؤثر أصحابه بما يحصل له ، ونشأ ولده هذا فعُني[٧] بعلم الحديث وسماعه والرحلة فيه إلى الآفاق شرقاً وغرباً ، حتى برز فيه على الأقران ، وفاق أهل ذلك الزمان [والأوان] ، ولد سنة تسع[٨] وسبعين وخمسمئة ، وتوفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من صفر من هذه السنة ، رحمه[٩] الله سبحانه وتعالىٰ .

الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي[١٠] .

كان فاضلاً كريماً حيياً ، سمع الكثير ، ثم خالط الملوك وأبناء الدنيا ، فتغيرت أحواله ومات ببستان ابن شكر عند الصالح إسماعيل[١١] بن العادل ، وهو الذي كفَّنه ودفن بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالىٰ .

---

(١) أ ، ب : التتار ولله الحمد وأقاموا في مقابلهم .

(٢) أ ، ب : وتراجعت العساكر .

(٣) قيّدها الحافظ المنذري بالحروف ، وقال الذهبي في التذكرة . وسئل ابن نقطة عن نقطة فقال : هي جارية رَبَّتْ جَدَّ أبي .

(٤) ترجمة ـ ابن نقطة ـ في تكملة المنذري (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) ووفيات الأعيان (٤/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٩٠٥) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٤٧) والعبر (٥/ ١١٧) وتذكرة الحفاظ (٤/ ٤١٢ ـ ٤١٤) والوافي بالوفيات (٤/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) وذيل ابن رجب (٢/ ١٨٢ ـ ١٨٤) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٧٩) وشذرات الذهب (٧/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) .

(٥) هكذا سماه المؤلف ، وهو اسم غريب ، والصحيح فيه : « التقييد في معرفة رواة الكتب والمسانيد » ، كما ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام (١٣/ ٩٠٦) أو : « التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد » كما في مخطوطة الأزهر رقم ١٣٧ مصطلح الحديث . وقد طبع أخيراً (بشار) .

(٦) عن ط وحدها .

(٧) ط : معنى .

(٨) أ ، ب : ولد سنة سبع وسبعين وخمسمئة . وفي سير أعلام النبلاء : بعد السبعين وخمسمئة . وفي ذيل ابن رجب : سنة تسع وخمسمئة . وفي الشذرات : سنة ٥٨١هـ .

(٩) ط : رحمهم الله .

(١٠) ترجمة ـ الجمال المقدسي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٤٦) وتكملة المنذري (٣/ ٣١٩) وذيل الروضتين (١٦١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٨٢) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣١٧ ـ ٣٢٠) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٠٨ ـ ١٤١٠) والعبر (٥/ ١١٤ ـ ١١٥) وذيل ابن رجب (٢/ ١٨٥ ـ ١٨٧) .

(١١) سترد ترجمة الملك الصالح بن العادل في وفيات سنة ٦٤٨هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالىٰ .

أبو علي الحسين بن أبي بكر المبارك[(١)] بن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مُسْلم[(٢)] الزَّبيدي ثم البغدادي .

كان شيخاً صالحاً [وفقيهاً] حنفياً فاضلاً ذا فنون كثيرة ، ومن ذلك علم الفرائض والعروض ، وله فيه أرجوزةٌ حسنةٌ ، انتخب منها ابن الساعي من كل بحر بيتين ، وسرد ذلك في تاريخه .

أبو الفتح مسعود بن إسماعيل بن [أبي] علي[(٣)] بن موسى السَّلماني .

فقيه أديب شاعر ، له تصانيف ، وقد « شرح المقامات » و« الجُمل » في النحو ، وله خطب وأشعار حسنة رحمه الله تعالىٰ .

الفخر بن الشِّيرجي[(٤)] أبو بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله الأنصاري فخر الدين ابن الشِّيرجي الدمشقي ، أحد المُعَدِّلين بها ، ولد سنة تسع وأربعين وخمسمئة ، وسمع الحديث وكان يلي ديوان الخاتون ست الشام[(٥)] بنت أيوب ، وفوضت إليه أمر أوقافها .

قال السبط[(٦)] : وكان ثقة أميناً كيساً متواضعاً . قال : وقد وزر ولده شرف الدين للناصر داود مدة يسيرة .

وكانت وفاة فخر الدين في يوم عيد الأضحى ودفن بمقابر باب الصغير ، رحمه الله تعالىٰ وعفا عنه .

العماد المحلي الشاعر[(٧)] حسام بن غزي[(٨)] بن يونس عماد الدين أبو المناقب المحلي المصري ، ثم الدمشقي .

---

(١) ترجمة ـ ابن الزبيدي ـ في تكملة المنذري (٣/ ٣٦١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٧٩) ووقع فيه « الحسن » وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٩) والعبر (٥/ ١٢٤) والمختصر المحتاج إليه (٢/ ٤٤ ـ ٤٥) والجواهر المضية (٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٨٦) وشذرات الذهب (٧/ ٢٢٩) والطبقات السنية (٣/ ١٥٦) .

(٢) أ : سالم ؛ خطأ .

(٣) أ : ابن أبي علي بن مسعود بن علي .

(٤) ترجمة ـ الفخر بن الشيرجي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧) وتكملة المنذري (٣/ ٢٧٣) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٤٤) والعبر (٥/ ١٠٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٧٥) وشذرات الذهب (٥/ ١٢٥ ـ ١٢٦) . قال بشار : وقد تابع المؤلف سبط ابن الجوزي في ذكر وفاته في هذه السنة . أما المنذري والذهبي ومن تابعهما فقد ذكراه في وفيات سنة ٦٢٧هـ .

(٥) تقدمت ترجمة ست الشام في وفيات سنة ٦١٦هـ .

(٦) مرآة الزمان (٨/ ٤٤٧) .

(٧) ترجمة ـ العماد المحلي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٤٥) في وفيات سنة ٦٢٨هـ وتكملة المنذري (٣/ ٣٠٣) وذيل الروضتين (١٦٠) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٧٩) .

(٨) في هامش التكملة : هكذا وجده مقيداً بالقلم بخط الإمام الذهبي . قلت : وقد ضبطه في المتن بضم الغين ، وكسر الزاي المشددة ، وتشديد الياء .

كان شيخاً صالحاً فاضلاً فقيهاً شافعياً ، حسن المحاضرة وله أشعارٌ حسنة .

قال أبو شامة[١] : وله في معجم القوصي ترجمة حسنة ، وذكر أنه توفي عاشر ربيع الآخر ودفن بمقابر الصوفية .

قال السبط : وكان مقيماً بالمدرسة الأمينية ، وكان لا يأكل لأحد شيئاً ولا للسلطان ، بل إذا حضر طعاماً كان معه في كمِّه شيء يأكله ، وكان لا يزال معه ألف دينار على وسطه ، وحكى عنه قال : خلع عليّ الملك العادل ليلة طيلساناً فلما خرجت مشى بين يدي نفّاط[٢] [وبيده مشعل][٣] يحسبني القاضي ، فلما وصلت باب البريد عند دار سيف خلعت الطيلسان وجعلته في كمِّي وتباطأت في المشي ، فالتفتَ فلم يَرَ وراءه أحداً ، فقال لي : أين القاضي ؟ فأشرتُ إلى ناحية النُّورية وقلتُ : ذهب إلى داره ، فلما أسرع إلى ناحية النُّورية هرولتُ إلى المدرسة الأمينية واسترحتُ منه .

وقال ابن الساعي : كان مولده سنة ستين وخمسمئة ، وخلَّف أموالاً كثيرة ورثتها عصبته ، قال : وكانت له معرفةٌ حسنة بالأخبار والتواريخ وأيام الناس ، مع دينٍ وصلاحٍ وورعٍ ، وأورد له ابن الساعي قطعاً من شعره فمن ذلك قوله : [من الخفيف]

قيل لي مَنْ هويتَ قد عبثَ الشَّعْـ ـرُ بخدَّيْه[٤] قلتُ ما ذاكَ عارُهْ
حمرةُ الخدِّ أحرقتْ عنبرَ الخا لِ فمنْ ذلكَ[٥] الدخان عذارُهْ

وقوله[٦] [من السريع] :

شَوقي إليكُمْ دونَ أشواقكمْ لكنه[٧] لابدَّ أنْ[٨] يُشْرحُ
لأنَّني عن قلبكُمْ غائبٌ وأنتمُ في القلبِ لن تبرحوا[٩]

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الجارود الماراني[١٠] ، الفقيه الشافعي ، أحد الفضلاء .

---

(١) ذيل الروضتين (١٦٠) .
(٢) ط أ : تعاط ؛ تحريف .
(٣) زيادة عن مرآة الزمان حتى يتضح المعنى .
(٤) ط : في خديه ؛ ولا يستقيم الوزن بها .
(٥) ط : فمن ذاك ؛ ولا يستوي بها الوزن .
(٦) ط : وله .
(٧) ط : لكن ؛ ولا يستقيم الوزن بها .
(٨) ب : ما يشرح ؛ وما هنا أجود .
(٩) ب : جاء الصدر في ب مكان العجز وبالعكس .
(١٠) ترجمته في تاريخ الإسلام (١٣/٩٠٧) (بشار) .

ولي القضاء بإربل وكان ظريفاً خليعاً ، وكان من محاسن الأيام ، وله أشعار رائقة ومعان فائقة ، منها[١] قوله : [من المتقارب]

مشيبٌ أتى وشبابٌ رحل ... أحل[٢] العناية حيث حلْ
وعمري تَقضَّى بلا طاعة ... ويحكِ يا نفس ماذا الزلل[٣]
وذَنْبُكِ جَمٌّ ، ألا فارجعي ... وعودي فقد حانَ وقتُ الأَجل
وديني الإلهَ ولا تقصري ... ولا يَخْدَعَنَّكِ طولُ الأمل
فما لكِ غيرُ التُّقَى مُسعدٌ ... ولا صاحب غير حسن العمل[٤]

أبو الثناء محمود بن زاكي[٥] بن علي بن يحيى الطَّائي الرَّقِّي نزيل إرْبل ، وولي النظر بها للملك مُظَفَّر الدين ، وكان شيخاً أديباً فاضلاً ، ومن شعره قوله : [من الطويل]

وأهيفُ ما الخَطِيُّ إلا قوامُهُ ... وما الغُصْنُ إلا ما يثنيهِ لينُهُ
وما الدِّعْص إلا ما تحمَّلَ خَصْرُهُ ... وما النَّبْلُ إلا ما تَريش جُفُونُهُ
وما الخمرُ إلا ما يروقُ ثَغْرُهُ ... وما السِّحرُ إلا ما تكنُّ عُيُونُهُ
وما الحُسْنُ إلا كُله فمنِ الذي ... إذا ما رآهُ لا يزيدُ جُنُونُهُ

ابن معطي النَّحوي يحيى[٦] ترجمه أبو شامة في السنة الماضية ، وهو أضبط لأنه شهد جنازته[٧] بمصر .

وأما ابن الساعي فإنه ذكره في هذه السنة ، وقال : إنه كان حظياً عند الكامل محمد صاحب مصر ، وإنه كان قد نظم « أرجوزةً في القراءات السبع » و« نظم ألفاظ الجمهرة » وكان قد عزم على نظم « صحاح الجوهري » .

---

(١) أ ، ب : فمن شعره .
(٢) أ : شبت أنا وشبابي أحد ؛ وهي مختلة الوزن .
(٣) هذا البيت عن أ ، ب : وحدهما .
(٤) هذا البيت عن أ ، ب : وحدهما .
(٥) ط : بن رالي . وما هنا عن أ ، ب .
(٦) تقدمت ترجمة ـ ابن معطي ـ في وفيات سنة ثمان وعشرين وستمئة ، وقد ذيلتها هناك بمصادره فلتراجع ، وقد سقطت هذه الترجمة من أ وب .
(٧) قال أبو شامة في ذيل الروضتين (١٦٠) ـ في مستهل ذي الحجة ـ توفي الزين النحوي يحيى بن معطي الزواوي رحمه الله بالقاهرة ، وأنا بها ، وصلِّيَ عليه بجنب القلعة . . حضرتُ دفنه والصلاة عليه .

ثم دخلت سنة ثلاثين وستمئة

فيها : باشر خطابة بغداد ونقابة العباسيين العدل مجد الدين أبو القاسم هبة الله بن المنصوري[(١)] ، وخلعَ عليه خلعة سنية ، وكان فاضلاً قد صحب الفقراءَ والصوفيةَ وتزهَّدَ برهةً من الزمان ، فلما دُعي إلى هذا الأمر أجاب سريعاً وأقبلت عليه الدنيا بزهرتها ، وخَدَمَهُ الغلمانُ الأتراكُ ، ولبس لباس المُتْرَفين وقد عاتبه بعض تلامذته بقصيدة طويلة ، وعنَّفه على ما صار إليه ، و[قد] سردها ابن الساعي بطولها في « تاريخه »[(٢)] .

وفيها : سار القاضي محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج [بن الجوزي] في الرسلية من الخليفة إلى الكامل [محمد][(٣)] صاحب مصر ، ومعه كتاب هائل فيه تقليده الملك ، وفيه أوامر كثيرة مليحة من إنشاء الوزير نصير[(٤)] الدين أحمد بن الناقد ، سرده ابن الساعي أيضاً بكماله . وقد كان الكامل مخيِّماً بظاهر آمد من أعمال الجزيرة ، قد افتتحها بعد حصار طويل وهو مسرور بما نال من ملكها .

وفيها : فتحت دار الضيافة ببغداد للحجيج حين قدموا من حجهم ، وأجريت عليهم النفقات والكساوي والصلات ، ولله الحمد والمنة .

وفيها : سارت العساكر المستنصرية صحبة الأمير شرف[(٥)] الدين أبي الفضائل[(٦)] إقبال الخاص المستنصري إلى مدينة إربل وأعمالها ، وذلك لمرض مالكها مُظَفَّر الدين كُوْكُبُري[(٧)] بن زين الدين ، وأنه ليس له من بعده مَنْ يملك البلاد ، فحين وصلها الجيش منعه أهلُ البلد فحاصروه حتى افتتحوه عنوةً في السابع عشر من شوال في هذه السنة ، وجاءت البشائر بذلك فضُربت الطبولُ ببغداد بسبب ذلك ، وفرح

---

(١) أ : المعصوري ، وب : المقصودي ، وهو أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد بن هبة الله بن عبد القادر بن الحسين المعروف بابن المنصوري الخطيب العدل ببغداد . توفي سنة ٦٣٥هـ . التكملة لوفيات النقلة .

(٢) الشاعر هو موفق الدين عبد القاهر بن الفوطي ، وهو خال والد كمال الدين ابن الفوطي صاحب « تلخيص مجمع الآداب » ، وقد أوردها ابن الشعار في عقود الجمان ، ونقلها صاحب الكتاب المسمى بالحوادث من تاريخ ابن الساعي ، فراجعها في الكتاب المذكور وانظر تعليقنا عليها : ص٦٣ فما بعد (بشار) .

(٣) سترد ترجمة الكامل في وفيات سنة ٦٥٦هـ .

(٤) ط : نصر الدين . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٤٢هـ .

(٥) جمال الدولة أمير الجيوش شرف الدين أبو الفضائل الحبشي المستنصري الشرابي تسلم مقدم جيوش العراق سنة ٦٢٦هـ . أنشأ مدرستين بالعراق ورباطاً في مكة وهزم التتار سنة ٦٤٣هـ ، فعظم بذلك وارتفع قدره . ولكنه مرض ومات سنة ٦٥٣هـ . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٧٠) .

(٦) الكنية عن ط وحدها .

(٧) سترد ترجمة كوكبري في وفيات هذه السنة .

أهلُها ، وكُتب التقليد عليها لإقبال المذكور ، فرتب فيها المناصب وسار فيها سيرةً جيدةً ، وامتدح الشعراءُ هذا الفتح من حيث هو ، وكذلك مدحوا فاتحها إقبالاً[١] ، ومن أحسن ما قال بعضهم [في ذلك][٢] :

يا يومَ سابعَ عشرَ شوال الذي رُزِقَ السعـــادةَ أوَّلاً وأخيـــراً
هُنّيـت فيـه بفَتْـح إربـلَ مِثْلَمـا هُنّيـتَ فيـه وقـد جلسـتَ وزيـراً

يعني أن الوزير نصير الدين بن العلقمي[٣] ، قد كان وزر في مثل هذا اليوم من العام الماضي .

وفي مستهل رمضان من هذه السنة شُرع في عمارة دار الحديث الأشرفية بدمشق ، وكانت قبل ذلك داراً للأمير قايماز[٤] وبها حمَّامٌ فهدمت وبنيت[٥] عوضها .

وقد ذكر السبط[٦] في هذه السنة أن في ليلة النصف من شعبان فتحت دار الحديث الأشرفية المجاورة لقلعة دمشق ، وأملى بها الشيخ تقي الدين بن الصلاح الحديث ، ووقف عليها الأشرف الأوقاف ، وجعل بها نعل النبيّ ﷺ .

قال[٧] : وسمع الأشرف صحيح البخاري في هذه السنة على الزبيدي[٨] .

قلت : وكذا سمعوا عليه بالدار وبالصالحية .

قال[٩] وفيها : فتح الكامل آمد وحصن كيفا ، ووجد عند صاحبها خمسمئة حرة للفراش فعذّبه الأشرف عذاباً أليماً .

[قال] : وفيها : قصد صاحب ماردين وجيش بلاد الروم الجزيرة فقتلوا وسبوا وفعلوا ما لم يفعله التتار بالمسلمين .

---

(١) ط : إقبال . وهو خطأ نحوي .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ترجمة ابن العلقمي سترد في سنة ٦٥٦هـ .
(٤) هو قايماز بن عبد الله المعظمي الشمسي المعروف بابن فُصَد . توفي بالقاهرة سنة ٦٣٩هـ . وكان مشهوراً بالشجاعة والإقدام . تكملة المنذري (٣/ ٥٨٨) .
(٥) أ ، ب : وبنيت الدار عوضها . يقصد دار الحديث .
(٦) مرآة الزمان (٨/ ١٤٨) .
(٧) مرآة الزمان (٨/ ٤٤٧) .
(٨) تقدمت ترجمة الزبيدي في وفيات سنة ٦٢٩هـ .
(٩) مرآة الزمان (٨/ ٤٤٧) .

ومن توفي من الأعيان في هذه السنة من المشاهير :

أبو القاسم علي بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي(١) .

كان شيخاً [لطيفاً ظريفاً](٢) ، سمع الكثير وعمل صناعة الوعظ مدة ، ثم ترك ذلك ، وكان يحفظ شيئاً كثيراً من الأخبار والنوادر والأشعار ، ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمئة ، وكانت وفاته في هذه السنة وله تسع وسبعون سنة .

وقد ذكر السبط(٣) وفاة :

الوزير صَفيّ الدين [عبد الله بن علي] بن شُكْر(٤) ، في هذه السنة ، وأثنى عليه وعلى محبته(٥) للعلم وأهله ، وأن له مصنفاً سماه « البصائر » وأنه تغضَّب عليه العادل ثم ترضاه الكامل وأعاده إلى وزارته وحرمته ، ودفن بمدرسته المشهورة بمصر ، وذكر أن أصله من قرية يُقال لها دَمِيرَة(٦) بمصر .

الملك ناصر الدين محمود(٧) بن عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن قطب الدين مودود بن عماد الدين(٨) زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل .

كان مولده في سنة ثلاث عشرة وستمئة ، وقد أقامه بدر الدين لؤلؤ صورة حتى تَمَكَّنَ أمرُه وقويت شَوْكَتُه ، ثم حَجَرَ عليهِ فكان لا يصل إلى أحدٍ من الجواري ولا شيء من السراري ، حتى لا يعقب ، وضيّق عليه في الطعام والشراب ، فلما توفي جدّه لأمه مُظَفَّر الدين كُوْكبُري صاحب إربل منعه حينئذ من الطعام والشراب ثلاثةَ عشر(٩) يوماً حتى مات كمداً وجوعاً وعطشاً رحمه الله ، وكان من أحسن الناس صورة ، وهو آخر ملوك الموصل من بيت الأتابكي(١٠) .

---

(١) ترجمة ـ ابن الجوزي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٤٩) ورغم أنه خاله إلا أنه لم يثن عليه . وتكملة المنذري (٣/ ٣٥٠) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٩٢٥) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) والعبر (٥/ ١٢٠) وشذرات الذهب (٧/ ٢٤١).

(٢) ب : فاضلاً .

(٣) مرآة الزمان (٨/ ٤٤٩) .

(٤) ترجمة ـ ابن شكر ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٤٨) وتكملة المنذري (٣/ ١٥٧) وذيل الروضتين (١٤٧) والعبر (٥/ ٩٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥) وفوات الوفيات (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٦٣) .

(٥) أ : محبته العلم .

(٦) دَمِيرة : بفتح أوله ، وكسر ثانيه : قرية كبيرة بمصر قرب دمياط معجم البلدان (٢/ ٤٧٢) .

(٧) أ ، ب : محمد .

(٨) ط ، ب : عماد الدين بن زنكي .

(٩) ط : ثلاث عشرة ؛ خطأ .

(١٠) ب : الأتابك .

القاضي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم[١] أحد مشايخ الحنفيَّة .

وله مصنفات في الفرائض وغيرها ، وهو ابن خالة القاضي شمس الدين بن الشيرازي[٢] الشافعي ، وكلاهما كان ينوبُ عن ابن الزكي[٣] وابن الحرستاني[٤] ، وكان يدرس بالطرخانية[٥] . وفيها سكنه[٦] ، فلما أرسل إليه المعظم أن يفتي بإباحة نبيذ التمر وماء الرمان امتنع من ذلك وقال أنا على مذهب محمد بن الحسن في ذلك ، والرواية عن أبي حنيفة شاذة ، ولا يصحّ حديث ابن مسعود في ذلك ، ولا الأثر عن عمر[٧] أيضاً . فغضب عليه المعظم وعزله عن التدريس وولاه لتلميذه الزين بن العتال[٨] ، وأقام الشيخ بمنزله حتى مات ، رحمه الله تعالىٰ .

قال أبو شامة[٩] : وفي هذه السنة توفي[١٠] جماعةٌ من السلاطين منهم المغيث بن المغيث بن العادل ، والعزيز عثمان بن العادل ، ومظفر الدين صاحب إربل . قلت : أما صاحب إربل فهو :

---

(١) ترجمة ـ القاضي شرف الدين ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٤٦) وتكملة المنذري (٣/ ٣٠٩) وذيل الروضتين (١٦١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٨٧٩) والجواهر المضية (١/ ٣٨٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩) وتاج التراجم بتحقيق الصديق العزيز الأستاذ إبراهيم الصالح (٦١) والطبقات السنية (٢/ ١٧٣) وشذرات الذهب (٧/ ٢٢٨) وفي هذه المصادر أن القاضي شرف الدين عرف (بابن الموصلي) ووفاته في أكثرها سنة ٦٢٩هـ .

(٢) سترد ترجمة شمس الدين الشيرازي في وفيات سنة ٦٣٥هـ .

(٣) سترد ترجمة ابن الزكي في وفيات سنة ٦٦٨هـ .

(٤) سترد ترجمة ابن الحرستاني في وفيات سنة ٦٦٢هـ .

(٥) المدرسة الطرخانية تقع قبلي المدرسة البادرائية بجيرون أنشأها ناصر الدين ابن طرخان المتوفى سنة ٥٢٠هـ ، وهي من مدارس الحنفية في دمشق قال بدران : وقد عفت رسومها ومحيت أطلالها ، وأخنى عليها الزمان ، وأمست دوراً للسكنى تنتقل من يد إلى يد . الأعلاق الخطيرة (٢٠١) والدارس (١/ ٥٣٩) ومختصر تنبيه الطالب (٩٤ ـ ٩٥) ومنادمة الأطلال (١٧٩ ـ ١٨٠) .

(٦) أ ، ب : مسكنه .

(٧) أ ، ب : ابن عمر ، والحادثة في الجواهر المضية وقد جرت مع إسماعيل بن إبراهيم بن غازي . وفي مرآة الزمان وتاج التراجم ومنادمة الأطلال .

(٨) قال السبط : له تصانيف منها : مقدمة في الفرائض قرأتها عليه .
في المرآة : الزين بن العيال . وفي الجواهر المضية محمد بن العتال . وفي الهامش القتال في نسخة أخرى . وفي تنبيه الطالب : زين الدين الفتال ، وفي تعليقات العلموي عليه العتال والقتال . وفي منادمة الأطلال : محمد بن البقال . ولم أصل فيه إلى رأي . قال بشار : ترجم المنذري في التكملة لواحد من بيت العتال (٣/ ٧٢) ، فلعله قريبه . وينظر تاريخ الإسلام (١٣/ ٥٧٩) .

(٩) ذيل الروضتين (١٦١) .

(١٠) ط : ومات في هذه السنة .

الملك المظفر[١] أبو سعيد كُوْكُبُري[٢] [مظفر الدين] بن زين الدين علي بن بُكْتَكين[٣] .

أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأمجاد ، له آثارٌ حسنةٌ وقد عَمرَ الجامع المُظَفَّري[٤] بسفح قاسيون ، وكان قد همَّ بسياقة الماء إليه من ماء برزة[٥] فمنعه المعظم من ذلك ، واعتلَّ بأنه قد يمرّ على مقابر المسلمين بالسفوح ، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً . وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً رحمه الله وأكرم مثواه . وقد صنف الشيخ أبو الخَطّاب ابن دِحْيَة[٦] له مجلداً في المولد النبوي سماه « التنوير في مولد البشير النذير »، فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدّتُه في الملك في زمان الدولة الصَّلاحية، وقد كان محاصر عكا[٧] وإلى هذه السنة محمود السيرة والسريرة.

قال السبط[٨] : حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد كان يمد[٩] في ذلك السماط خمسة آلاف رأسٍ مشويّ ، وعشرةَ آلاف دجاجة ، ومئة ألف زبدية ، وثلاثين ألف صحن حلوى . قال : وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر ، ويرقص بنفسه معهم[١٠] ، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة ، وكانت صدقاته في جميع القرب والطاعات على الحرمين وغيرهما ، ويستفك[١١] من الفرنج في كل سنة خلقاً من الأسارى ، حتى قيل إن جملة من استفكه[١٢] من أيديهم ستون ألف أسير ، قالت زوجته[١٣] ربيعة

---

(١) ترجمة ـ كوكبري في مرآة الزمان (٨/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢) وتكملة المنذري (٣/ ٣٥٤) ووفيات الأعيان (٤/ ١١٣ ـ ١٢١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٩٣٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٧) والعبر (٥/ ١٢١ ـ ١٢٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٨٢) وشذرات الذهب (٧/ ٢٤٣ ـ ٢٤٦) .

(٢) قيّدها ابن خلكان بضم الكافين بينهما واو ساكنة ، ثم باء موحدة مضمومة ، ثم واو ساكنة وبعدها راء : وهو اسم تركي معناه بالعربية ذئب أزرق . وفي الدارس (٢/ ٤٣٥) : دب أزرق ، وهو خطأ .

(٣) قيّدها ابن خلكان بضم الباء ، وسكون الكاف ، وكسر التاء ، والكاف ، وسكون الباء ، وبعدها نون . الدارس (٢/ ٤٣٦) حيث قيدها بفتح الباء .

(٤) الأعلاق الخطيرة (٨٦) والدارس (٢/ ٤٣٥) جامع الجبل ، ومختصر تنبيه الطالب (٢٣٥ ـ ٢٣٨) جامع الجبل المشهور بجامع الحنابلة وبالمظفري . وكذا ورد اسمه في منادمة الأطلال (٣٧٣) .

(٥) ط : بذيرة ؛ تحريف .

(٦) سترد ترجمة ابن دحية في وفيات سنة ٦٣٣هـ .

(٧) أ ، ب : وهو محاصر مدينة عكا .

(٨) مرآة الزمان (٨/ ٤٥١) بخلاف في الرواية .

(٩) أ ، ب : في بعض المواليد أنه مد .

(١٠) أ ، ب : لغير قص معه بنفسه .

(١١) ط : وتيفك .

(١٢) أ ، ب : استفك .

(١٣) أ ، ب : قال وزوجته .

خاتون بنت أيوب ـ وكان قد[١] زوجه إياها أخوها صلاح الدين ، لمَّا كان معه على عكا ـ قالت : كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم[٢] فعاتبته بذلك فقال : أَلْبِس ثوباً بخمسة وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوباً مثمّناً وأدع الفقير المسكين ، وكان يصرف على المولدفي كل سنة ثلاثمئة ألف دينار ، وعلى دار الضيافة في كل سنة مئة ألف دينار . [وفي ثمن الأسارى في كل سنة مئتي[٣] ألف دينار] وعلى الحرمين والمياه بدرب الحجاز ثلاثين ألف دينار سوى صدقات السر ، رحمه الله تعالىٰ .

وكانت وفاته بقلعة إربل ، وأوصى أن يحمل إلى مكة فلم يتفق فدفن بمشهد عليّ .

والملك العزيز عثمان[٤] بن العادل .

وهو شقيق المُعَظَّم ، وكان صاحب بانياس وتملك الحصون التي هنالك ، وهو الذي بنى الصُّبَيْبَة . وكان عاقلاً قليل الكلام مطيعاً لأخيه المُعَظَّم ، ودُفن عنده وكانت وفاته يوم الإثنين عاشر رمضان ببستانه الناعمة من [بيت] لهيا رحمه الله وعفا عنه .

ابن عنين الشاعر[٥] أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن[٦] بن علي بن محمد بن غالب الأنصاري ، المعروف بابن عُنَيْن الشاعر .

قال ابن الساعي : أصله من الكوفة ، وولد بدمشق ونشأ بها ، وسافر عنها سنين[٧] ، فجاب الأقطار والبلاد شرقاً وغرباً ودخل الجزيرة وبلاد الروم والعراق وخراسان وما وراء النهر والهند واليمن والحجاز وبغداد ، ومدح أكثر أهل هذه البلاد ، وحصَّلَ أموالاً جزيلةً ، وكان ظريفاً شاعراً مطبقاً مشهوراً ، حسن الأخلاق جميل المعاشرة ، وقد رجع إلى بلده دمشق فكان بها حتى مات هذه السنة في قول ابن الساعي .

---

(١) أ : وقد زوجه . الترجمة في مرآة الزمان (٨/ ٤٥٢) .

(٢) أ ، ب : من فرش غليظ فعاتبه في ذلك فقال . وعبارة السبط : كان ثوبه يساوي خمسة دراهم من خاتم .

(٣) عند السبط : وعلى الأساري مئة ألف وعلى الخانكاه مئتي ألف .

(٤) ترجمة العزيز عثمان في تاريخ الإسلام (١٣/ ٩٢٤) (بشار) .

(٥) ترجمة ـ ابن عنين ـ في معجم الأدباء (١٩/ ٨١ ـ ٩٢) وتكملة المنذري (٣/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) ووفيات الأعيان (٥/ ١٤ ـ ١٩) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٢٨) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٩٣٩) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٣) والعبر (٥/ ١٢٢ ـ ١٢٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٨٢ و٩٣ ـ ٩٥) وشذرات الذهب (٧/ ٢٤٦ ـ ٢٥٠) وانظر المقدمة التي قدّم بها الأستاذ خليل مردم لديوانه الذي طُبع في مجمع اللغة العربية الطبعة الأولى في بيروت دار صادر الطبعة الثانية المنقحة بخط المحقق رحمه الله .

(٦) ط : نصر الدين بن نصر بن الحسين ، وأ ب : محمد بن منصور بن مكارم . وما هنا عن مصادره .

(٧) أ ، ب : وسافر بينهما ستتين .

وأما السبط[١] وغيره فأرَّخوا[٢] وفاته في سنة ثلاث وثلاثين ، وقد قيل إنه مات في سنة إحدى وثلاثين والله أعلم . والمشهور أن أصله من حوران من مدينة زرع، وكانت إقامته بدمشق في الجزيرة قبلي الجامع ، وكان هجّاءً له قدرةٌ على ذلك ، وصنَّف كتاباً سماه « مقراض الأعراض » ، يشتمل[٣] على نحو من خمسمئة بيت ، قلَّ من سلم من الدماشقة من شَرِّه، ولا الملك صلاح الدين ولا أخوه العادل ، وقد كان يُزَنُّ[٤] بترك الصلاة[٥] المكتوبة فالله أعلم . وقد نفاه الملك الناصر صلاح الدين إلى الهند فامتدح ملوكها وحصّل أموالاً جزيلة ، وصار إلى اليمن فيقال إنه وزر لبعض ملوكها ، ثم عاد في أيام العادل إلى دمشق ، ولما ملك المعظم استوزره فأساء السيرةَ واستقال هو من تلقاء نفسه فعزله ، وكان قد كتب إلى الدماشقة من بلاد الهند[٦] : [من الكامل]

فعـلامَ أبعـدتُـمْ أخـا ثقـةٍ   لـم يقترف[٧] ذنباً ولا سَـرَقا
أَنْفُـوا المُـؤَذّنَ مـن بـلادكـمُ   إن كانَ يُنْفَى كلُّ من صَدَقا

ومما هجا به الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى[٨] : [من المنسرح]

سلطـــانُنـــا أعــرجٌ وكـــاتبُـــهُ   ذُو عَمَشٍ والـوزيـرُ[٩] منحـدبُ[١٠]
والــدولعــيُّ الخطيـبُ معتكـفٌ   وهــو علـى قشـر بيضـةٍ يثـبُ[١١]
ولابنِ باقا[١٢] وعظٌ يعزُّ[١٣] به النـ   ـــاسَ وعبــد اللطيــفِ محتســبُ

---

(١) مرآة الزمان (٨/ ٤٦١) .
(٢) أ ، ب : فإنهم أرخوا .
(٣) ط : مشتمل .
(٤) أ ، ب : يُرمى . وزَنَّه بالخير زَنّاً وأَزَنَّهُ : ظنه به واتّهمه . اللسان (زنن) .
(٥) أ ، ب : بالصلوات .
(٦) البيتان في الديوان (٩٤) .
(٧) أ ، ب : والديوان : لم يجترم .
(٨) الأبيات في مقطعة مؤلفة من ثمانية أبيات في ديوان ابن عنين (٢١٠ ـ ٢١١) بالمطلع التالي :
فقـد أصبـح الـرزق مـالـه سبـب   فـي النـاس إلا البغـاء والكـذبُ
(٩) ط : ووزيره أحدب .
(١٠) بعده في الديوان (٢١١) ثلاثة أبيات فيها فحش .
(١١) رواية البيت أ ، ب :
والـدولعـيُّ الخطيـب منعكـف   وهـو علـى نشـر منضـد يثـب
والدولعي هو جمال الدين محمد بن زيد وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٣٥هـ من هذا الجزء .
(١٢) أ ، ب : ولابن لاقيء وهو تحريف . ابن باقا هو عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن سالم بن محمد بن باقا البغدادي الحنبلي التاجر . شهد عند القضاة ، وكان تالياً لكتاب الله صدوقاً جليلاً . توفي سنة ٦٣٠هـ . سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٥١) وذيل ابن رجب (٢/ ١٨٧) .
(١٣) ط : يغشّ .

وصاحبُ الأمر خلقهُ شرسٌ وعـارضُ الجيـش داؤهُ عجـبُ

وقال في السلطان[١] الملك العادل سيف الدين رحمه الله تعالىٰ وعفا عنه[٢] : [من الخفيف]

إن سلطـاننـا الـذي نـرتجيـه واسـعُ المـالِ ضيِّـقُ الإنفـاقِ
هـو سيفٌ كمـا يقـال ولكـن قـاطـعٌ للـرسـومِ والأرزاقِ

وقد حضر مرة مجلس الفخر الرازي[٣] بخراسان وهو على المنبر يعظ الناس ، فجاءت[٤] حمامة خلفها جارح فألقت نفسها على الفخر الرازي كالمستجيرة به ، فأنشأ ابن عنين يقول[٥] : [من الكامل]

جاءت سليمانَ الزمانِ حمامةٌ[٦] والموتُ يلمعُ من جناحي خاطفِ
قـرمٌ لَـواهُ الجـوعُ[٧] حتـى ظلُّـهُ بـإزائِـه يجـري بقلـبٍ واجـفِ[٨]
من أعْلَمَ[٩] الورقاءَ أن محلَّكمْ حـرمٌ وأنـكَ ملجـأٌ للخـائـفِ

الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي[١٠] ، صاحب « عوارف المعارف » عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عَمَّويه[١١] ، واسمه عبد الله البَكْري البغدادي ، شهاب الدين أبو حفص السُّهْرَوَرْدي ، شيخ الصوفية ببغداد .

كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين ، وتردد في الرسلية بين الخلفاء والملوك مراراً ،

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) البيتان في ديوانه (٢٣٩) في المستدرك من شعر ابن عنين .
(٣) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٠٦هـ .
(٤) أ ، ب : وجاءت .
(٥) الأبيات في مقطعة ديوان ابن عنين (٩٥) بالمطلع التالي :
يـابـن الكـرام المطعميـن إذا شتـوا في كل مخمصة وثلج خاشفِ
(٦) في الديوان : الزمان يشكوها .
(٧) في الديوان : لواه القوت .
(٨) الشطر الثاني مكسور في ط : بإزائه بقلب واجف . وقد صححته من الديوان ، ورواية الشطر في أ ب على النحو التالي : من سجنه يمشي بقلب خائف . وهو جيد .
(٩) في الديوان : من نبّأ ، وفي أ ، ب : من علّم . وكلا الروايتين جيدتان .
(١٠) ترجمة ـ السهروردي ـ في معجم البلدان (٤/ ٢٨٩) ومرآة الزمان (٨/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠) وتكملة المنذري (٣/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) وذيل الروضتين (١٦٣) في وفيات ٦٣٢ ، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٤٦ ـ ٤٤٨) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٨) والعبر (٥/ ١٢٩) وطبقات السبكي (٥/ ١٤٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥) وفيات ٦٣١هـ وشذرات الذهب (٧/ ٢٦٨) وفيات ٦٣٢هـ . قال بشار : الصحيح في وفاته ليلة مستهل المحرم سنة ٦٣٢هـ .
(١١) ط : بن محمد بن محمد بن حمويه ، وأ : بن محمد بن عرب . وما هنا عرب .

وحصلت له أموال جزيلة ففرّقها بين الفقراء والمحتاجين ، وقد حجَّ مرة وفي صحبته خلقٌ من الفقراء لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، وكانت فيه مروءة وإغاثة للملهوفين ، [وإعانة المحتاجين] ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وكان يعظ الناس وعليه ثياب البذلة[١] . قال[٢] مرة هذا البيت : [من البسيط]

ما في الصِّحاب أخو وجد نطارحه حـديـث نجـد ولا صـبٌّ نجـاريـه

وجعل يكرره ويتواجد ، فناداه شاب عليه قباء وكلوتة من الحاضرين فقال : يا شيخ نستطيع ونتقص بالقوم ، والله إن فيهم مَنْ لا يرضى أن يجاريك ولا يصل فهمك إلى ما يقول . هلاّ أنشدت : [من البسيط]

ما في الصِّحاب وقد سارت حمولهمُ إلا محـبٌّ لـه فـي الـركـب محبوبُ
كـأنمـا يـوسـف فـي كـل راحلـة والحي فـي كـل بيـت منه يعقـوبُ

فصاح الشيخ ونزل عن[٣] المنبر وقصد الشاب ليعتذر إليه فلم يجده ووجد مكانه حفرة فيها دم كثير من كثرة ما كان يفحص[٤] برجليه عند إنشاد الشيخ البيت . وذكر له ابن[٥] خلكان[٦] أشياء كثيرة من أناشيده وأثنى عليه خيراً ، وأنه توفي في هذه السنة وله ثلاث وتسعون سنة رحمه الله تعالىٰ .

ابن الأثير[٧] مصنف « أسد[٨] الغابة » و« الكامل » .

هو الإمام العلاّمة عزّ الدين أبو الحسن علي بن [أبي الكرم محمد بن محمد بن] عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيْباني الجَزَري المَوْصِلي المعروف بابن الأثير مصنف كتاب « أسد[٩] الغابة في أسماء

(١) البَذْلة والمِبْذَلة من الثياب : ما يُلْبَس ويُمْتَهن ولا يصان (اللسان : بذل) ومن هنا نعلم بأنَّ استعمال لفظة بذلة بمعنى الثوب المرتب الحسن خطأ ، والصحيح (بدلة) لأنه يستبدل بملابس البيت ملابس الخروج .
(٢) الخبر في ط مختلف عما هنا وفيه نقص وزيادة ، وآثرت رواية أ وب لأنها أتمّ من رواية ط .
(٣) أ ، ب : من .
(٤) يفحص : يبحث في التراب برجله ويحفره . اللسان (فحص) .
(٥) أ ، ب : وقد ذكر ابن خلكان .
(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٦ ـ ٤٤٨) .
(٧) ترجمة ـ ابن الأثير ـ في تكملة المنذري (٣/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) وذيل الروضتين (١٦٢) ووفيات الأعيان (٣/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٦١) وتاريخ الإسلام (١٣/ ٩٢٥) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٦) والعبر (٥/ ١٢٠ ـ ١٢١) وطبقات السبكي (٥/ ١٢٧) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) وشذرات الذهب (٧/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) عن ط وحدها .

الصحابة » ، وكتاب « الكامل في التاريخ » وهو من أحسنها حوادث ، ابتدأه من المبتدأ إلى سنة ثمانٍ وعشرين وستمئة ، وقد كان يتردد إلى بغداد ، [وكان] خصيصاً عند ملوك الموصل ، ووزر لبعضهم كما تقدّم بيانه ، وأقام بها في آخر عمره موقّراً معظّماً إلى أن توفي بها في شعبان في هذه السنة ، عن خمس وسبعين سنة رحمه الله .

وأما أخوه [مجد الدين] أبو السعادات المبارك(١) فهو مصنف كتاب « جامع الأصول » وغيره .

وأخوهما الوزير ضياء الدين أبو الفتح نصر الله(٢) كان(٣) وزيراً للملك الأفضل(٤) علي بن الناصر فاتح بيت المقدس ، صاحب دمشق كما تقدم .

وجزيرة ابن عمر ، قيل إنها منسوبة إلى رجل يقال له عبد العزيز(٥) بن عمر ، من أهل برقعيد(٦) ، وقيل بل هي منسوبة إلى ابني عمر ، وهما أوس وكامل ابنا عمر بن أوس [التغلبي فالله أعلم حرَّر ذلك القاضي ابن خلكان(٧) رحمه الله تعالىٰ] .

ابن المستوفي الإربلي(٨) مبارك بن أحمد بن مبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب العلامة شرف الدين أبو البركات اللَّخمي الإربلي .

كان إماماً في علوم كثيرة كالحديث وأسماء الرجال والأدب والحساب(٩) ، وله مصنفات كثيرة وفضائل غزيرة ، وقد بسط ترجمته القاضي شمس الدين بن خلكان في « الوفيات »(١٠) فأجاد وأفاد ، رحمهم الله تعالىٰ .

---

(١) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٠٦هـ .
(٢) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٣١هـ .
(٣) أ ، ب : وكان .
(٤) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٢٢هـ .
(٥) في معجم البلدان (٢/ ١٣٨) : الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي .
(٦) برقعيد : بفتح الباء ، وكسر العين ، وياء ساكنة ودال : بلدة كبيرة من أعمال الموصل بينهما أربعة أيام ، وبينها وبين نصيبين عشرة فراسخ ، وأصبحت في زمن ياقوت خراباً . معجم البلدان (١/ ٣٨٧) .
(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠) .
(٨) ترجمة ـ ابن المستوفي ـ في تكملة المنذري (٣/ ٥٢٢) ووفيات الأعيان (٤/ ١٤٧ ـ ١٥٢) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٥٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٩ ـ ٥٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣١٨) وبغية الوعاة (٢/ ٢٧٢) وشذرات الذهب (٧/ ٢٧٠) . قال بشار : ذكر المؤلف ترجمة ابن المستوفي في هذه السنة غريب ، فالمعروف أنه توفي في الخامس من محرم سنة ٦٣٧هـ ، كما ذكر المنذري وابن الشعار (قلائد الجمان ٦/ الورقة ١٨ فما بعدها) ، والذهبي وغيرهم . وتنظر بلا بد دراسة صديقنا الفاضل الدكتور سامي الصقار للمجلد الثاني من تاريخ إربل ، له .
(٩) ب : والحساب والأدب .
(١٠) وفيات الأعيان (٤/ ١٤٧) .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمئة

فيها[١] : كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد[٢] ولم تُبن[٣] مدرسةٌ قبلَها مثلها ، ووُقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً ، وأربعة معيدين ، ومدرِّسٌ لكل مَذْهب ، وشيخُ حديثٍ وقارئان وعشرةُ مستمعين[٤] ، وشيخُ طبٍّ ، وعشرةٌ من المسلمين يشتغلون بعلم[٥] الطب ، ومكتبٌ للأيتام وقدر[٦] للجميع من الخبز واللحم والحلوى[٧] والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد ، ولما كان يوم الخميس خامس رجب حُضِرت الدروسُ[٨] بها وحضر الخليفةُ المستنصرُ بالله بنفسه الكريمة وأهلُ دولته من الأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والصوفية والشعراء ، ولم يتخلف أحد من هؤلاء ، وعُمل سماطٌ عظيمٌ بها أكل منه الحاضرون ، وحُمل منه إلى سائر دور[٩] بغداد من بيوتات الخواص والعوام ، وخُلِعَ على جميع المدرسين بها والحاضرين فيها ، وعلى جميع رجال الدولة والفقهاء والمعيدين[١٠] ، وكان يوماً مشهوداً [وأمراً محموداً] ، وأنشدت الشعراء الخليفة المدائح الرائقة والقصائد الفائقة[١١] ، وقد ذكر ذلك[١٢] ابن الساعي في « تاريخه » مُطَوّلاً مبسوطاً شافياً كافياً ، [وافياً ، وقُرّر][١٣] لتدريس الشافعية بها [الشيخ] الإمام [العلامة] محيي الدين أبو عبد الله بن فضلان[١٤] ، وللحنفية الإمام العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد الفرغاني[١٥] ، وللحنابلة الإمام العالم محيي[١٦] الدين يوسف بن الشيخ أبي

---

(١) أ ، ب : وفيها . وقد ورد فيهما قبل هذا الخبر أخبار عدة سترد في آخر حوادث هذه السنة .
(٢) آثارها قائمة إلى يوم الناس هذا على نهر دجلة تحكي عز بغداد . وقد كتب عمي العلامة الدكتور ناجي معروف كتاباً نفيساً عنها وعن علمائها طبع في بغداد سنة ١٩٥٩م ثم طبع ثانية في مجلدين سنة ١٩٦٥م ، وطبع بالقاهرة سنة ١٩٧٥م (بشار) .
(٣) ط : لم يُبْنَ .
(٤) أ ، ب : يستمعون .
(٥) أ ، ب : بتعلم .
(٦) أ ، ب : وقرّر .
(٧) أ ، ب : والحلواء .
(٨) هذا هو المرجح في الضبط ، أو يكون الكلام لابن الساعي فيكون الضبط : « حضرتُ الدروسَ بها » (بشار) .
(٩) ط : دروب .
(١٠) أ ، ب : والفقهاء والمعتبرين .
(١١) أ ، ب : المدائح الفائقة والقصائد الرائقة .
(١٢) أ ، ب : وذكره .
(١٣) ط : وقدر .
(١٤) هو محيي الدين محمد بن يحيى بن فضلان الشافعي توفي سنة ٦٣١هـ . سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٧) .
(١٥) توفي الفرغاني أيضاً سنة ٦٣١هـ وهو أول من درس بالمستنصرية من الحنفية . الجواهر المضية (٢/ ٦٦٢) .
(١٦) ب : الرئيس محيي الدين .

الفرج بن الجوزي ، ودرّس عنه يومئذ ابنه عبد الرحمن نيابة[١] لغيبته في بعض الرسالات إلى الملوك ، ودرّس للمالكية يومئذ الشيخ الصالح العالم أبو الحسن المغربي المالكي نيابة أيضاً ، حتى يعين شيخ غيره ، ووقفت خزائن[٢] كتبٍ لم يُسمعْ بمثلها في كثرتها وحسنِ نَسْخِها وجودةِ الكتب الموقوفة بها .

وكان المتولّي لعمارة هذه المدرسة مؤيّد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي[٣] الذي وزر بعد ذلك ، وقد كان إذ ذاك أستاذ دار الخلافة ، وخلع عليه يومئذ وعلى الوزير نصير الدين[٤] .

ثم عزل مدرس الشافعية في رابع عشر ذي القعدة بقاضي القضاة أبي المعالي عبد الرحمن بن مقبل[٥] ، مضافاً إلى ما بيده من القضاء ، وذلك بعد وفاة محيي الدين بن فضلان ، وقد ولي القضاء [ببغداد] مدة ودرَّس بالنظامية وغيرها ، ثم عُزل ثم رضي عنه ثم دَرَّس [آخر الوقت][٦] بالمستنصرية كما ذكرنا ، فلما توفي وليها بعده ابن مقبل رحمهم الله تعالىٰ .

وفيها : عَمر الأشرفُ مسجدَ جراح[٧] ظاهر باب الصغير .

وفيها : قدم رسول الأنبرور ملك الفرنج إلى الأشرف ومعه هدايا منها دبٌّ أبيضُ شعرُهُ مثلُ شعر الأسد ، وذكروا[٨] أنه ينزل إلى البحر فيخرج السمك فيأكله . وفيها[٩] : طاووس أبيض أيضاً .

وفيها : كملت عمارة القيسارية التي هي قبل[١٠] النحاسين ، وحوّل إليها سوق الصاغة وشغر سوق اللؤلؤ الذي كان فيه الصاغة العتيقة عند الحدادين .

وفيها : جددت الدكاكين التي بالزيادة .

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) أ ، ب : ووقفت فيها خزانة .

(٣) سترد ترجمة ابن العلقمي في وفيات سنة ٦٥٦ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٤) أ ، ب : نصير الدين خلعه .

(٥) سترد ترجمة ابن مقبل في حوادث سنة ٦٣٩هـ .

(٦) من هذا الخبر إلى بداية تراجم هذه السنة جاء في أ ، ب : في أول السنة .

(٧) جامع جراح : يقع خارج باب الصغير بمحلة سوق الغنم . وكان مسجداً للجنائز كبيراً ، فخرب ، فجدده جراح المنيحي ، ثم أنشأه الملك الأشرف موسى جامعاً سنة ٦٣١هـ ، ثم احترق ، ثم جُدِّد ، ثم دُمِّر سنة ٩٧٤هـ بعد حريق قضى عليه فجُمع له مبلغ وافر فعمر على صورته الحالية . الدارس (٢/ ٤٢٠) وتنبيه الطالب (٢٢٦) ومنادمة الأطلال (٣٧١ ـ ٣٧٢) .

(٨) ب : فذكروا . أ : ذكروا .

(٩) أ ، ب : ومنها .

(١٠) أ ، ب : وفيها أكمل عمارة القيسارية التي هي قبلي النحاسين .

قلت : وقد جددت شرقي هذه الصاغة الجديدة قيساريتان في زماننا ، وسكنها الصياغ وتجار الذهب ، وهما حسنتان وجميعهما[١] وقف الجامع المعمور .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

السيف الآمدي[٢] أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التَّغْلبي[٣] ، الشيخ سيف الدين الآمدي ، ثم الحموي ثم الدمشقي .

صاحب المصنفات في الأصلين وغير ذلك ، من ذلك « أبكار الأفكار » في الكلام ، و« دقائق الحقائق »[٤] في الحكمة ، و« إحكام الأحكام » في أصول الفقه ، وكان حنبلي المذهب فصار شافعياً أصولياً منطقياً جدلياً خلافياً . وكان حسنَ الأخلاق ، سليمَ الصدر ، كثيرَ البكاء ، رقيقَ القلب ، وقد تكلّموا فيه بأشياء الله أعلم بصحتها ، والذي يغلب على الظن أنه ليس لغالبها صحة ، وقد كانت ملوك بني أيوب كالمعظم والكامل يكرمونه وإن كانوا لا يحبونه كثيراً ، وقد فوض إليه المعظم تدريس العزيزية[٥] ، فلما ولي الأشرف دمشق عزله عنها ونادى بالمدارس[٦] أن لا يشتغل أحد بغير التفسير والحديث والفقه ، ومن اشتغل بعلوم الأوائل نفيته ، فأقام الشيخ سيف الدين بمنزله إلى أن توفي بدمشق في هذه السنة في صفر[٧] ، ودفن بتربته بسفح قاسيون .

وذكر القاضي ابن خلكان[٨] أنه اشتغل ببغداد على أبي الفتح نصر بن فتيان بن المني[٩] الحنبلي ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي فأخذ عن ابن فضلان[١٠] وغيره ، وحرر طريقة الشريف في الخلاف[١١] وزوائد

---

(١) أ ، ب : وسكنها الصواغ وتجار الذهب وهما حسنتان والجميع وقف .

(٢) ترجمة ـ السيف الآمدي ـ في تاريخ الحكماء للقفطي (١٦١) ومرآة الزمان (٨/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) وتكملة المنذري (٣/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) وذيل الروضتين (١٦١) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٦٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٥٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٧) والعبر (٥/ ١٢٤ ـ ١٢٥) وطبقات الإسنوي (١٣٧ ـ ١٣٨) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٨٥) وحسن المحاضرة (١/ ٢٥٩) . وشذرات الذهب (٧/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) .

(٣) في الأصول : الثعلبي . وما هنا عن مصادره .

(٤) أ ، ب : دقائق الرقائق . والمثبت هو الأشبه .

(٥) ب : المعزية ، وهو تصحيف ، والمدرسة العزيزية في مختصر تنبيه الطالب (٦٠ ـ ٦١) .

(٦) أ ، ب : في المدارس .

(٧) أ ، ب : توفي بدمشق في صفر من هذه السنة .

(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٩٣) برواية مختلفة .

(٩) تقدمت ترجمة ابن المني في وفيات سنة ٥٨٣هـ .

(١٠) تقدم الحديث عنه في حواشي سنة ٦٣٠هـ .

(١١) ط : « وحفظ طريقة الخلاف للشريف » وما هنا من أ ، ب .

طريقة أسعد الميهني[(١)] ، ثم انتقل إلى الشام واشتغل بعلوم المعقول ، ثم إلى الديار[(٢)] المصرية فأعاد بمدرسة الشافعي[(٣)] بالقرافة الصغرى[(٤)] ، وتصدّر بالجامع الظافري ، واشتهر بها[(٥)] فضله وانتشرت فضائله ، فحسده أقوام فسعوا فيه وكتبوا خطوطهم باتِّهامه بمذهب الأوائل والتعطيل والانحلال ، فطلبوا من بعضهم أن يوافقهم فكتب : [من الكامل]

حَسَدُوا الفتى إِذْ لم يَنَالوا سَعْيَهُ فـالقـومُ[(٦)] أعـداءٌ لـهُ وخُصـومُ

فانتقل[(٧)] سيف الدين إلى حماه ثم تحوّل إلى دمشق فدرس بالعزيزية ، ثم عُزل عنها ولزم بيته إلى أن مات في هذه السنة ، وله ثمانون عاماً رحمه الله تعالىٰ وعفا عنه .

واقف الركنية[(٨)] [الحنفية] الأمير ركن الدين منكورس [الحنفي] الفلكي[(٩)] غلام فلك الدين[(١٠)] أخي الملك العادل لأُمّه[(١١)] .

وقف الفلكية كما تقدم ، وكان هذا الرجل من خيار الأمراء ، ينزل في كل ليلة وقت السحر إلى الجامع[(١٢)] وحده بطوّافة[(١٣)] ويواظب على حضور الصلوات فيه مع الجماعة ، وكان قليل الكلام كثير

---

(١) تقدمت ترجمة أسعد الميهني في حوادث سنة ٥٢٧هـ من الجزء السابق .

(٢) أ ، ب : ثم انتقل إلى دمشق ثم إلى الديار المصرية .

(٣) ط : بمدرسة الشافعية . وعبارة ابن خلكان . وتولى الإعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه .

(٤) عن ط وحدها .

(٥) مستدركة عن وفيات الأعيان .

(٦) أ ، ب : والناس .

(٧) أ ، ب : وانتقل الشيخ سيف الدين .

(٨) قال الشيخ دهمان رحمه الله في هامش تاريخ الصالحية (ص٥١) : (هذه المدرسة لا تزال موجودة معروفة في منتصف حي الأكراد . وهي تحتفظ بتخطيطها الأول وجبهتها الشمالية ترى من الطريق فيها خطوط كوفية تزيد في جمالها ، وتجعل لها رونقاً يلفت النظر إليها . قلت : تقع المدرسة الركنية اليوم خلف جامع أبي النور على مفترق طرق ثلاثة وبها وبصاحبها ركن الدين سمي حيّ الأكراد : بحي ركن الدين .

(٩) ترجمة ـ ركن الدين منكورس ـ في مرآة الزمان (٨/ ٦٩٢) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٦٠) والدارس (١/ ٢٥٣ و٥١٩ و٥٢٠) ومختصر تنبيه الطالب (٨٩) وتاريخ الصالحية (٤٩ ـ ٥٢) وشذرات الذهب (٧/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) ومنادمة الأطلال (١٧١) .

(١٠) فلك الدين سليمان بن شيروه بن حبذر . تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٩٩هـ من الجزء السابق .

(١١) ط : لأنه ؛ وهو تحريف .

(١٢) أ : الجوامع .

(١٣) الطَّوَّافة : مصباح أو سراج يحمله الإنسان في الليل . هامش تاريخ الصالحية (٤٩) .

الصدقات ، وقد بنى المدرسة الركنية بسفح قاسيون ، ووقف عليها أوقافاً كثيرة وعمل عندها تربة ، وحين توفي بقرية جَرُود[١] حمل إليها رحمه الله تعالىٰ .

الشيخ الإمام العالم رضي الدين[٢] أبو [داود] سليمان بن المُظَفَّر بن غَنَائم الجِيليّ الشافعي .

أحد فقهاء بغداد والمفتين بها والمشتغلين[٣] للطلبة مدة طويلة ، له كتاب[٤] في المذهب نحو من خمسة عشر مجلداً ، يحكي فيه الوجوه الغريبة والأقوال المستغربة . وكان لطيفاً ظريفاً ، توفي رحمه الله يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ببغداد[٥] .

الشيخ طي المصري[٦] .

أقام مدة بالشام في زاوية له بدمشق [عند الرحبة التي يباع منها الصناديق عند دار بني القلانسي شرقي حمام سامة] ، وكان لطيفاً[٧] كيساً زاهداً ، يتردد إليه الأكابر ودفن بزاويته المذكورة رحمه الله تعالىٰ .

الشيخ عبد الله الأرمني[٨] أحد العُبّاد الزُّهاد الذين جابوا البلاد وسكنوا البراري والجبال والوهاد ، واجتمعوا بالأقطاب والأبدال والأوتاد ، وممن كانت له الأحوال والمكاشفات والمجاهدات والسياحات في سائر النواحي والجهات ، وقد قرأ القرآن في بدايته وحفظ كتاب القدوري على مذهب أبي حنيفة ، ثم اشتغل بالمعاملات والرياضات ، ثم أقام آخر عمره[٩] بدمشق حتى مات بها ودفن بسفح قاسيون .

وقد حُكي عنه أشياءُ حسنةٌ .

منها : أنه قال : اجتزتُ مرةً في السياحة ببلدةٍ فطالبتني نفسي بدخولها فآليتُ أن لا أستطعم منها

---

(١) ط : حدود . وجرود ـ بالفتح : من إقليم معلولا ، من أعمال غوطة دمشق . معجم البلدان (٢/ ١٣٠) قلت : وتسمى في عصرنا جَيْرُود .

(٢) ترجمة ـ الرضي الجيلي ـ في تكملة المنذري (٣/ ٣٦٢) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٤) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٧٠) وطبقات السبكي (٥/ ٥٦) وطبقات الإسنوي (١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) .

(٣) ب : المشتغلين .

(٤) اسمه الإكمال . طبقات الإسنوي (١/ ٣٧٧) .

(٥) تأتي بعد هذا في بعض النسخ ترجمة مختصرة لابن الأثير صاحب الكامل ، وقد تقدمت في السنة الماضية ، وهو الصواب .

(٦) ترجمة ـ طي المصري ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٥٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٥) .

(٧) أ ، ب : ظريفاً ، وفي المرآة : وكان عابداً زاهداً كيساً .

(٨) ترجمة ـ عبد الله بن يونس المعروف بالأرمني أبي يونس ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٥٤ ـ ٤٥٧) وتكملة المنذري (٣/ ٣٧٣) وذيل الروضتين (١٦١) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٧) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٨٥) وشذرات الذهب (٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

(٩) أ : ثم أقام في آخر أمره بدمشق .

بطعامٍ ، ودخلتُها فمررتُ برجلٍ غَسّالٍ فنظر إِليَّ شزراً فخفتُ منه ، وخرجت من البلد هارباً ، فلحقني ومعه طعام فقال[١] : كُلْ فقد خرجتَ من البلد ، فقلتُ له : وأنت في هذا المقام وتغسل الثياب في الأسواق ؟ فقال : لا تَرْفَعْ رأسَكَ ولا تَنْظُر إلى شيءٍ من عملك ، وكُنْ عبداً لله ولو[٢] استعملك في الحش[٣] فارضَ به ، ثم قال رحمه الله [من الطويل]

ولو قيلَ[٤] لي مُتْ قلتُ سمعاً وطاعةً ... وقلتُ لداعي الموتِ أهلاً ومرحبا

وقال اجتزت مرة في سياحتي براهبٍ في صومعة فقال لي : يا مسلم ما أقربَ الطرق[٥] عندكم[٦] إلى الله عز وجل ؟ قلتُ : مخالفة النفس ، قال فرد رأسه إلى صومعته ، فلما كنت بمكة زمن الحج إذا رجلٌ يسلم علي عند الكعبة فقلت : من أنت ؟ فقال[٧] أنا الراهب ، قلت : بم وصلت إلى هاهنا ؟ قال : بالذي قلت [لي] . وفي رواية [أَنَّه قال :] عرضتُ الإسلام على نفسي فأبت[٨] ، فعلمتُ أنه حقٌّ فأسلمتُ وخالفتُها ، فأفلح وأنجح .

وقال بينا أنا ذات يوم بجبل لبنان[٩] إذ حرامية الفرنج فأخذوني فقيدوني وشدّوا وثاقي فكنت عندهم في أضيق حالٍ ، فلما كان النهارُ شربوا وناموا ، فبينا أنا موثوق إذ حرامية[١٠] المسلمين قد أقبلوا نحوهم فأنبهتهم فلجؤوا إلى مغارة هنالك فسلموا من أولئك المسلمين ، فقالوا : كيف فعلت هذا وقد كان خلاصك على أيديهم ؟ فقلتُ إنكم أطعمتموني فكان من حقّ الصحبة أن لا أغشَّكم ، فعرضوا علي شيئاً من متاعِ الدنيا فأبيت وأطلقوني[١١] .

وحكى السبط[١٢] قال : زرتُه مرةً ببيت المقدس وكنت قد أكلت سمكاً مالحاً ، فلما جلستُ عنده

---

(١) أ ، ب : وقال .
(٢) ط : فإن .
(٣) ط : في الجيش . وفي المرآة في الخش . وكلاهما تحريف .
(٤) في مرآة الزمان : ولو قلت لي .
(٥) أ ، ب : في صومعته فقال لي يا مسلم ما أقرب الطريق .
(٦) ب : الطريق عليكم إلى الله .
(٧) أ ، ب : قال .
(٨) أ ، ب : فأبته .
(٩) أ ، ب : قال : وبينا أنا ذات ليلة على جبل لبنان .
(١٠) أ ، ب : حراسة .
(١١) أ ، ب : فأطلقوني .
(١٢) مرآة الزمان (٨/ ٤٥٦) برواية أخرى مختلفة .

أخذني عطش شديد[١] وإلى جانبه إبريقٌ فيه ماءٌ باردٌ فجعلتُ أستحيي منه ، فمدَّ يدَهُ إلى الإبريقِ وقد احمرَّ وجهُهُ وناولني وقال خُذْ ، كم تكاسر ، فشربتُ .

وذكر أنه لما ارتحل من بيت المقدس كان سورُها بعد قائماً جديداً على عمارة الملك صلاح الدين قبل أن يخربه المعظم ، فوقف لأصحابه يودّعهم ونظر إلى السور ، وقال : كأني بالمعاول وهي تعمل في هذا السور عما قريب، فقيل له : معاول المسلمين أو الفرنج ؟ فقال : بل معاول المسلمين ، فكان[٢] كما قال.

وقد ذُكرت له أحوالٌ كثيرةٌ حسنةٌ ، ويقال إنَّ أصلَه أرمنيٌّ وأنه أسلم على يَدَي الشيخ عبد الله اليونيني[٣] ، وقيل بل أصلهُ روميٌّ من قونية[٤] ، وأنه قدم على الشيخ عبد الله اليونيني وعليه برنسٌ كبرانسِ الرهبانِ ، فقال له : أَسْلِم[٥] . فقال : أسلمتُ لربِّ العالمين . وقد كانت أمُّه داية امرأةِ الخليفةِ ، وقد جَرَتْ له كائنةٌ غريبةٌ[٦] فسلمه الله بسبب ذلك ، وعرفه الخليفة فأطلقه .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وستمئة

فيها : خرب الملك الأشرف [موسى] بن العادل خان ابن الزنجاري الذي كان بالعُقَيْبَة فيه خواطىء وخمور ومنكرات متعددة ، فهدمه وأمر بعمارة جامع مكانه سُمِّي[٧] جامع التوبة[٨] ، تقبل الله تعالىٰ منه .

[القاضي ابن شداد][٩] وفيها : توفي القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن شَدّاد الحلبي .

أحد رؤسائها من بيت العلم والسيادة ، له علم بالتواريخ وأيام الناس وغير ذلك ، وقد سمع الكثير وحدَّث .

---

(١) مط : جداً .
(٢) أ ، ب : وكان .
(٣) أ ، ب : اليوناني .
(٤) عن ط وحدها . قال بشار : وذكر الذهبي في ترجمة ابنه إبراهيم أنه يقال فيه الأرمني والأرموي تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٤٤) وستأتي ترجمة ولده إبراهيم في وفيات سنة ٦٩٢ من هذا المجلد وسينسبه هناك أرموياً .
(٥) ب : أسلمت .
(٦) الحادثة في مرآة الزمان (٨/ ٤٥٧) فهو صاحبه وصديقه وكانا يتزاوران ويسمعان من بعضهما .
(٧) أ ، ب : يسمى .
(٨) لا يزال هذا المسجد قائماً إلى اليوم في محلة العقيبة في دمشق .
(٩) ترجمة ابن شداد ـ في تكملة المنذري (٣/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) وذيل الروضتين (١٦٣) ووفيات الأعيان (٧/ ٨٤ ـ ١٠٠) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٩٥) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٨٤ ـ ٣٨٧) والعبر (٥/ ١٣٢) وطبقات السبكي (٥/ ١٥١ ـ ١٥٢) وطبقات الإسنوي (٢/ ١١٥ ـ ١١٧) وغاية النهاية (٢/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٩٣) وشذرات الذهب (٧/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) .

[ابن أبي عصرون][(١)] والشيخ[(٢)] شهاب الدين عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن أبي[(٣)] عصرون الحلبي أيضاً .

كان فقيهاً زاهداً عابداً كانت له نحوٌ من عشرين سرية ، وكان شيخاً يُكثر من الجماع ، فاعترته أمراضٌ مختلفة فأتلفته ومات بدمشق ودفن بقاسيون ، وهو والد قطب الدين وتاج الدين .

[صائن الدين الجيلي][(٤)] والشيخ الإمام العالم صائن الدين أبو محمد عبد العزيز الجيلي الشافعي .

أحد الفقهاء المفتين المشتغلين بالمدرسة النظامية ببغداد ، وله « شرح على التنبيه » للشيخ أبي إسحاق . توفي في ربيع الأول رحمه الله تعالىٰ .

[الأديب ابن مفتاح][(٥)] والشيخ الإمام العالم الخطيب الأديب أبو محمد حمد بن حميد بن محمود بن حميد بن أبي الحسن بن أبي الفرج بن مفتاح التميمي الدُّنَيْسري[(٦)] ، الخطيب بها والمفتي لأهلها ، الفقيه الشافعي .

تفقه ببغداد بالنظامية ، ثم عاد إلى بلده المشار[(٧)] إليها[(٨)] ، وقد صنف كتباً . وأنشد عنه ابن الساعي [سماعاً منه][(٩)] : [من الطويل]

رَوَتْ لـي أحـاديـثَ الغَـرامِ صَبَـابَتِـي ... بـإسـنـادِهـا عـن بـابـة[(١٠)] العلَـمِ الفـردِ
وحَـدَّثـنـي مـرُّ النسيـم عـن الحمـى ... عن الدَّوْح عن وادي الغَضَا عن ربا نجدِ
بـأَنَّ غـرامـي والأسـى قـد تـلازمـا ... فلـن يبـرحـا حتـى أُوَسَّـدَ فـي لحـدي

(١) ترجمة ـ ابن أبي عصرون ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩) وذيل الروضتين (١٦٢) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٨٧) وشذرات الذهب (٧/ ٢٦١) .
(٢) أ ، ب : والرئيس .
(٣) ليست في الأصول واستدركت على مصادره .
(٤) ترجمة ـ الصائن الجيلي ـ في طبقات السبكي (٥/ ١٠٧) : الحسينية ، وطبقات الإسنوي (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) ولسان الميزان (٤/ ٣٤) .
(٥) ترجم لابن مفتاح ابن اللمش في تاريخ دنيسر (١٣٤) ـ طبعة دار البشائر ـ بتحقيق الزميل الصديق إبراهيم الصالح ، وبغية الوعاة (١/ ٥٤٦) ونسبته إلى دُنَيْسِر وهي بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان ، ولها اسم آخر وهو قوج حصار . معجم البلدان (٢/ ٤٧٨) .
(٦) ط : الدينوري ؛ تحريف .
(٧) أ ، ب : وكان المشار .
(٨) ب : المشار لها .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ط : باته . وفي القاموس : بوب : وهذا بابته . أي يصلح له .

[الشهاب السهروردي] وقد أرَّخ الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الذيل[١] وفاة الشهاب[٢] السهروردي[٣] صاحب « عوارف المعارف » في هذه السنة ، وذكر أَنَّ مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمئة ، وأنه جاوز التسعين . وأما السبط[٤] فإنه[٥] أرَّخ وفاته في سنة ثلاثين كما تقدم .

قاضي القضاة بحلب[٦] أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي الموصلي الشافعي ، كان رجلاً فاضلاً أديباً مقرئاً ذا وجاهة عند الملوك ، أقام بحلب وولي القضاء [ونظر الأوقاف] بها ، وله تصانيف وشعر ، توفي في هذه السنة رحمه الله تعالىٰ .

ابن الفارض[٧] ناظم التائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد[٨] ، هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد[٩] بن علي ، الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة .

وكان أبوه يكتب فروض النساء والرجال ، وقد تكلَّم فيه غيرُ واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها ، وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في « ميزانه »[١٠] وحطَّ عليه . مات في هذه السنة وقد قارب السبعين[١١] .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمئة

فيها : قطع الكامل وأخوه الأشرف الفراتَ ، وأصلحا ما كان أفسده جيشُ الروم من بلادهما ، وخَرَّبَ الكاملُ قلعةَ الرُّها ، وأحلَّ بدنيسر بأساً شديداً ، وجاء كتاب بدر الدين صاحب الموصل بأَنَّ التتار أقبلوا بمئة طلب كل طلب بخمسمئة فارس ، فرجع الملكان إلى دمشق سريعاً وعاد جيش الروم إلى بلادهما

(١) تقدمت ترجمة السهروردي .
(٢) ذيل الروضتين (١٦٣) .
(٣) أ ، ب : شهاب الدين .
(٤) مرآة الزمان (٨/ ٤٤٩) .
(٥) ط : فإنما .
(٦) هو ابن شداد ، وتقدمت ترجمته قبل أسطر ، فالظاهر أنه تكرر عليه .
(٧) ترجمة ـ ابن الفارض ـ في تكملة المنذري (٣/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٥٤ ـ ٤٥٦) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٦٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٦) وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠) وحسن المحاضرة (١/ ٢٤٦) وشذرات الذهب (٧/ ٢٦١ ـ ٢٦٨) .
(٨) ب : إلى الإلحاد . وهو تحريف بيّن .
(٩) أ ، ب : الرشيد .
(١٠) ميزان الاعتدال (٢/ ٢٦٦) .
(١١) أ ، ب : التسعين . وكلا الروايتين خطأ لأنه عاش ستاً وخمسين سنة كما في جميع مصادره .

بالجزيرة وأعادوا الحصار كما كان ، ورجعت التتار عامهم ذلك إلى بلادهم والله تعالىٰ أعلم][١] .

وممن توفي فيها من الأعيان والمشاهير :

[ابن عنين][٢] ابن عنين الشاعر ، وقد تقدمت ترجمته في سنة ثلاثين .

الحاجري[٣] الشاعر[٤] صاحب « الديوان » المشهور ، وهو عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خمارتكين بن طاشتكين الإربلي .

شاعر مطبق ، ترجمه ابن خلكان[٥] وذكر أشياء من شعره كثيرة ، وذكر أنه كان صاحبهم وأنه كتب إلى أخيه[٦] ضياء الدين عيسى يستوحش منه : [من البسيط]

اللهُ يعلـمُ مـا أَبْقَـى سـوى رَمَـقٍ   منّي فِراقُكَ يا مَنْ قُربُهُ الأَملُ
فابعثْ كتابَكَ واستَوْدِعْهُ تَعْزِيةً   فربَّما مُتُّ شوقاً قبلَ ما يصلُ

وذكر له في الخال رحمه الله تعالىٰ : [من الكامل]

ومهفهـفٍ مـن شَعْـرِهِ وجَبينـهِ   أَمْسَـى الـوَرَى فـي ظُلْمـةٍ وضِيـاءِ
لاَ تُنْكِروا الخالَ الذي في خدِّهِ   كـلُّ الشَّقيـقِ بنُقْطَـةٍ سـوْداءِ

ابن دِحْيَة[٧] أبو الخطاب عُمَر بن الحَسَن بن علي بن محمد بن [الجُمَيِّل بن][٨] فَرْح[٩] بن خلف

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) تقدمت ترجمة ابن عنين ومصادرها في هوامش سنة ٦٣٠هـ .

(٣) ترجمة الحاجري في قلائد الجمان لابن الشعار (٥/ الورقة ٢٤٠ ـ ٢٤٤) ووفيات الأعيان (٣/ ٥٠١ ـ ٥٠٥) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٢) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) وشذرات الذهب (٧/ ٢٧٢ ـ ٢٧٥) وفيه أن الحاجري نسبة إلى حاجر بليدة بالحجاز لم يبق اليوم منها سوى الآثار ولم يكن الحاجري منها بل نسب إليها لكونه استعملها في شعره كثيراً ، ووفاته في أغلب المصادر سنة ٦٢٢هـ .

(٤) جاءت هذه الترجمة في أبعد ترجمة ابن دحية .

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣) .

(٦) يقصد أخا ابن خلكان كما في وفيات الأعيان .

(٧) ترجمة ـ ابن دحية ـ في مرآة الزمان (٨/ ٢٥٨) وذيل الروضتين (١٦٣) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٤٨ ـ ٤٥٠) وتاريخ الإسلام (١٤/ ١١٣) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٢٠ ـ ١٤٢٢) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩٥) وميزان الاعتدال (٢/ ٢٥٢) والعبر (٥/ ١٣٤ ـ ١٣٥) ولسان الميزان (٤/ ٢٩٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) وحسن المحاضرة (١/ ١٦٦) وبغية الوعاة (٢/ ٢١٨) وشذرات الذهب (٧/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) .

(٨) زيادة عن ابن خلكان الذي قيّده بضم الجيم وفتح الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وهو تصغير جميل .

(٩) ط : فرج ؛ وهو تحريف . وفرح : قيدها ابن خلكان بفتح الفاء وبسكون الراء بعدها حاء مهملة .

ابن قُومِس[١] بن مَرْزلال[٢] بن مَلّال[٣] بن بدر بن أحمد بن دِحْيَة[٤] بن خليفة الكلبي[٥] الحافظ ، شيخ الديار المصرية في الحديث ، وهو أول من باشر مشيخةَ دار الحديث الكاملية بها .

قال السبط : وقد كان كابن عنين في ثلب المسلمين والوقيعة فيهم ، ويتزيد في كلامه ، فترك الناس الرواية عنه وكذبوه ، وقد كان الكامل مقبلاً عليه ، فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانه ، وتوفي في ربيع الأول بالقاهرة ودفن بقرافة مصر .

وقد قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة[٦] : وللشيخ السخاوي فيه أبيات حسنة .

وقال القاضي ابن خلّكان بعد سياق نسبه كما تقدم ، وذكر أنه كتبه من خطه[٧] ، قال[٨] : وذكر أن أمه أمة الرحمن بنت أبي عبد الله بن [أبي] البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فلهذا كان يكتب بخطه « ذو النسبين : دحية والحسين »[٩] .

قال ابن خلكان[١٠] : وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقناً لعلم الحديث وما يتعلّق به ، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها ، اشتغل ببلاد المغرب ثم رحل إلى الشام ثم إلى العراق واجتاز بإربل سنة أربع وستمئة ، فوجد ملكها المُعَظَّم مظفّر الدين[١١] بن زين الدين يعتني بالمولد النبوي ، فعمل له كتاب « التنوير في مولد السِّراج المنير » ، وقرأه عليه بنفسه ، فأجازه بألف دينار . قال[١٢] وقد سمعناه على الملك[١٣] المعظم في ستة مجالس في سنة ست[١٤] وعشرين وستمئة .

---

(١) أ ، ب : قرمس ، وقد قيّدها ابن خلكان بضم القاف وفتحها وسكون الواو ، وكسر الميم وبعدها سين مهملة .

(٢) قيدها ابن خلكان بفتح الميم وسكون الزاي ، وبعد اللام ألف لام .

(٣) في الأصول : بلال ؛ وقيدها ابن خلكان بفتح الميم وتشديد اللام ألف وبعدها لام .

(٤) قيدها ابن خلكان بكسر الدال المهملة وفتحها ، وسكون الحاء المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها وهو دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ .

(٥) بعدها في أ ، ب : المغربي السبتي قاضيها كان ثم صار إلى مصر .

(٦) مرآة الزمان (٨/ ٤٦٢) برواية مختلفة .

(٧) لم أجده فيما طبع من ذيل الروضتين .

(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٨) .

(٩) ط : ابن دحية والحسن والحسين . وما هنا عن أ ب ، ويوافق ما في وفيات الأعيان .

(١٠) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٩) .

(١١) تقدمت ترجمة كوكبري في وفيات سنة ٦٣٠هـ .

(١٢) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٩) .

(١٣) أ ، ب : السلطان .

(١٤) في الوفيات : في سنة خمس وعشرين .

قلت[١] : وقد وقفت على هذا الكتاب ، وكتبتُ منه أشياء حسنة مفيدة .

قال ابن خلكان[٢] : وكان مولده في سنة أربع وأربعين وخمسمئة ، وقيل [ست أو تسع وأربعين وخمسمئة][٣] .

وتوفي في هذه السنة .

وكان أخوه أبو عمرو عثمان قد باشر بعده دار الحديث الكاملية بمصر ، وتوفي بعده بسنة .

قلت : وقد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ، ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب ، وكنت أود أن أقف على إسناده لنعلم[٤] كيف رجاله ، وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصر[٥] ، والله سبحانه وتعالىٰ يتجاوز عنا وعنه بمنه وكرمه .

[٦][وقد وقفت على جزء جمعه المحدث المتقن المفيد أبو صادق محمد بن الحافظ أبي الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي العطاري[٧] في ترجمة شيخه أبي الخطاب بن دحية هذا ، جمع فيه أقوال الناس في ثلبه والكلام في مرباه ومنشئه واشتغاله وطلبه . وذكر بعضهم أنه ولي القضاء بسببه فالله أعلم طعن الناس في ادعائه نسبه إلى دحية الكلبي أنه انقطع نسله من بعد ثلاثمئة .

وأنشد لابن عنين فيه[٨] تينك البيتين الشهيرين وهما قوله[٩] [من السريع]

دحية لم يُعقبْ فكم تفتري[١٠] إِليـــه بـــالبهتـــان والإِفـــكِ
ما صحَّ عند الناس شيء سوى أنـــك مـــن كلـــبٍ بـــلا شـــكّ

وإن من أقبح ما رأيت في هذا الجزء ما ذكره عن شيخه الحافظ ابن النجار[١١] عن الحافظ علي بن

---

(١) القائل هو ابن كثير رحمه الله تعالىٰ .
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٠) .
(٣) أ ، ب : وقيل ستة أو سبع وأربعين وخمسمئة ، ولم يرد ما بين القوسين فيما طبع من وفيات الأعيان في بيروت .
(٤) أ ، ب : ليُعلم .
(٥) أ ، ب : لا تقتصر .
(٦) من هنا إلى آخر الترجمة ليس في ط .
(٧) وقع في بعض النسخ : « العطاردي » ، وهو تحريف ، والتصويب من كتاب المقتفي للبرزالي (١/ الورقة ١٣١) وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٥/ ٥٨٢) وتوفي أبو صادق العطاري هذا سنة ٦٨٦هـ (بشار) .
(٨) ب : قائل البيتين ؛ وفي أ : تانك البيتين .
(٩) ديوان ابن عنين (٢٢٠) .
(١٠) ب : يُعْترى ، وفي الديوان : فكم تنتمي .
(١١) ابن النجار سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٤٣هـ .

المفضل[١] أنه قال : اجتمعت أنا وابن دحية في مجلس السلطان . فسألني السلطان عن حديث ، فأجبته فيه ، فقال لي : مَنْ رواه ؟ فلم يحضرني إسناده ، فلما خرجنا قال لي ابن دحية : لِمَ لَمْ تذكر له أي إسناد شئت فإنه ومن حضر مجلسه لا يدرون هل هو صحيح أم لا . فعظمت في أعينهم ، فعلمتُ أنه متهاون في أمور الدين جريء على الكذب . ثم قال : وحدثني الفقيه تقي الدين عبيد بن محمد بن عباس الإسعردي[٢] عن شيخنا[٣] الفقيه الإمام العالم أوحد الأنام مفتي المسلمين بهاء الدين أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم اللخمي[٤] يعني ابن الجُمَّيري أنه قال : كان السلطان الملك الكامل قد خرج إلى الشام فخرج أبو الخطاب عمر بن دحية معه وولد الشيخ معين الدين بن شيخ الشيوخ فحضر صلاة المغرب ، فقدَّم السلطان ابنَ دحية فصلَّى بهم المغرب ركعتين ، فلما أن فرغ من الصلاة ، قال ابن شيخ الشيوخ : ما أعلم أحداً من الأئمة يُجَوِّزُ قَصْرَ صلاة المغرب في السفر ؛ فقال ابن دحية : كيف لا ، وقد أخبرنا فلانٌ عن فلانٍ ، وسرد إسناده إلى رسول الله ﷺ أنه قصر المغربَ في السفر ؟! فلم يجبه ابن شيخ الشيوخ ، وسكت عن حاله .

قلت : هذا وضع فاحش مخالف لما أجمع عليه العلماء ، كما ذكره ابن المنذر وغيره . ومثل هذا الإسناد لا يحفظ لأن سامعه لم يضبطه ، وواصفه لا يقدر على إعادته ثانياً والله أعلم] .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمئة

فيها : حاصرت التتار إربل بالمجانيق ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة فقتلوا أهلها وسَبَوْا ذَراريهم ، وامتنعت عليهم القلعةُ مدة[٥] ، وفيها النائب من جهة الخليفة ، فدخل فصل الشتاء فأقلعوا عنها وانشمروا إلى بلادهم ، وقيل إن الخليفة جهَّز لهم جيشاً فانهزم التتار[٦] .

---

(١) هو علي بن المفضل المقدسي المالكي المتوفى سنة ٦١١هـ صاحب كتاب « وفيات النقلة » الذي ذيّل عليه المنذري (بشار) .

(٢) وقع في بعض النسخ : « الاسفردي » بالفاء ، وهو تحريف ، وهو منسوب إلى إسعرد ، توفي سنة (٦٩٢هـ) وترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ٧٥٢) (بشار) .

(٣) يعني شيخ أبي صادق العطاري (بشار) .

(٤) بهاءالدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المُسَلَّم اللخمي المصري الشافعي الخطيب المدرّس ابن بنت الشيخ أبي الفوارس الجُمَّيْزي . توفي سنة ٦٤٩هـ وهو مسدّد الفتاوى وافر الجلالة حسن التصوّن مسند زمانه . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) ب : جهز إليهم جيشاً فانهزموا .

وفيها : استخدم الصالح أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا الخوارزمية الذين تبقّوا من جيش جلال الدين وانفصلوا عن الرّومي ، فقوي جأشُ الصالح أيوب .

وفيها : طلب الأشرف موسى بن العادل من أخيه الكامل الرقة لتكون قوة له وعلفاً لدوابه إذا جاز الفرات مع أخيه في البواكير ، فقال الكامل : أما يكفيه أن معه دمشق مملكة بني أمية ؟ فأرسل الأشرف الأمير فلك الدين[١] بن المسيري إلى الكامل في ذلك ، فأغلظ له الجواب ، وقال : أيش يعمل بالملك ؟[٢] يكفيه عشرته للمغاني وتعلمه لصناعتهم . فغضب الأشرف لذلك[٣] وبدت الوحشة بينهما ، وأرسل الأشرف إلى حماة وحلب وبلاد الشرق فحالف أولئك الملوك على أخيه الكامل ، فلو طال عمر الأشرف لأفسد الملك على أخيه ، وذلك لكثرة مَيل الملوك[٤] إليه لكرمه وشجاعته وشح أخيه الكامل ، ولكنه[٥] أدركته منيته في أول السنة الداخلة رحمه الله تعالىٰ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الملك العزيز [بن] الظاهر[٦] صاحب حلب محمد بن السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف .

وهو وأبوه وابنه الناصر أصحاب ملك حلب من أيام الناصر ، وكانت أم العزيز الخاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وكان حسن الصورة كريماً عفيفاً ، توفي وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وكان مدبِّر دولته الطواشي شهاب الدين ، وكان من الأمراء[٧] رحمه الله تعالىٰ . وقام في الملك بعده ولده الناصر صلاح الدين يوسف ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

صاحب الروم[٨] كيقُباذ الملك علاء الدين صاحب بلاد الروم .

---

(١) فلك الدين بن المسيري توفي سنة ٦٤٣هـ . هامش التاريخ المنصوري ١١٩ .

(٢) أ ، ب : في الملك .

(٣) أ ، ب : عند ذلك وتنمر .

(٤) ب : ميل الملوك على أخيه الكامل .

(٥) أ ، ب : لكرامته وكرمه وشجاعة ، وشح أخوه الكامل ولكن أدركته .

(٦) ترجمة ـ الملك العزيز محمد ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٦٥) وذيل الروضتين (١٦٥) وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٥٧) والوافي بالوفيات (٤/ ٣٠٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٩٧) وشذرات الذهب (٧/ ٢٩٤) وترويح القلوب (٩٢) .

(٧) ب : من أعداد الأمراء .

(٨) ترجمة ـ صاحب الروم ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٦٥) وذيل الروضتين (١٦٥) وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٥٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٤) والعبر (٥/ ١٣٩) وشذرات الذهب (٧/ ٢٩٤) واسمه في هذه المصادر السلطان علاء الدين كيقُباذ بن السلطان كيخسرو بن السلطان قليج أرسلان بن السلطان مسعود بن السلطان قلج أرسلان بن السلطان سليمان بن قُتُلمش السلجوقي .

كان من أكابر[١] الملوك وأحسنهم سيرة ، وقد زوَّجَهُ العادلُ ابنتَه وأولدها ، وقد استولى على بلاد الجزيرة في وقتٍ وأخذ أكثرها من يد الكامل محمد ، وكسر الخوارزميةَ مع الأشرف موسى رحمهما الله .

الناصح الحنبلي[٢] في ثالث المحرم توفي الشيخ ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج الشيرازي ، وهم ينتسبون[٣] إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه .

ولد الناصحُ سنةَ أربع وخمسين وخمسمئة ، وقرأ القرآن وسمعَ الحديثَ ، وكان يعظُ في بعض الأحيان . وقد ذكرنا قبل[٤] أنه وعظَ في حياة الشيخ[٥] الحافظ عبد الغني ، وهو أولُ من درس بالصاحبة[٦] التي بالجبل ، وله بنيت ، وله مصنفات[٧] . وقد اشتغل على ابن المنّي البغدادي[٨] ، وكان فاضلاً صالحاً ، وكانت وفاته بالصالحية ودفن هناك رحمه الله .

الكمال بن المهاجر[٩] التاجر .

كان كثير الصدّقات والإحسان إلى الناس ، ماتَ فجأةً في جمادى الأولى بدمشق فدفن بقاسيون ، واستحوذ الأشرف على أمواله ، فبلغتِ التركةُ قريباً من ثلاثمئة ألف دينار ، من ذلك سبحة فيها مئة حبة لؤلؤ[، كل واحدة][١٠] مثل بيضة الحمامة .

الشيخ الحافظ أبو عمرو عثمان بن دحية[١١] أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحية .

---

(١) أ ، ب : من أعدل الملوك .

(٢) ترجمة ـ الناصح الحنبلي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤) وتكملة المنذري (٣/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) وذيل الروضتين (١٦٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٤٢) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٥ ـ ٧) والعبر (٥/ ١٣٨) وذيل ابن رجب (٢/ ١٩٣ ـ ٢٠١) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٩٨) وشذرات الذهب (٥/ ٢٨٨ ـ ٢٩١) .

(٣) أ ، ب : ينسبون .

(٤) عن ط وحدها .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) ط : بالصالحية .

(٧) أ ، ب : بالجبل وله تصانيف .

(٨) أ ، ب : ببغداد .

(٩) ترجمة ـ الكمال بن المهاجر ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٦٥) وتكملة المنذري (٣/ ٤٤٦) وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٥٦) والوافي بالوفيات (١٧٢ ـ ١٧٣) واسمه : أبو الكرم محمد بن علي بن مهاجر الموصلي المنعوت بالكمال .

(١٠) أ ، ب : كل واحد منها مثل بيضة الحمام .

(١١) ترجمة ـ أخي ابن دحية ـ في ذيل الروضتين (١٦٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٤٧) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٦ ـ ٢٧) والعبر (٥/ ١٣٩) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٢٢) وبغية الوعاة (٢/ ١٣٣) وحسن المحاضرة (٢/ ١٥٩) واسمه أبو عمرو عثمان بن حسن بن علي بن محمد بن فرح بن الجُميّل الكلبي .

كان قد ولي دار الحديث الكاملية حين عزل أخوه عنها ، حتى توفي في عامه هذا[1] ، وكان ندر[2] في صناعة الحديث أيضاً رحمه الله تعالىٰ .

القاضي عبد الرحمن التكريتي[3] الحاكم بالكرك ، ومدرس مدرسة الزبداني ، فلما أخذت أوقافها سار إلى القدس ثم إلى دمشق ، فكان[4] ينوب بها عن القضاة ، وكان فاضلاً نزهاً عفيفاً ديناً رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمئة

فيها : كانت وفاة الأشرف ثم أخوه الكامل ، أما الأشرف موسى بن العادل باني دار الحديث الأشرفية وجامع التوبة وجامع جراح ، فإنه توفي في يوم الخميس رابع المحرم من هذه السنة ، بالقلعة المنصورة ، ودفن بها حتى نجزت تربته التي بنيت له شمالي الكلاسة ، ثم حول إليها رحمه الله تعالىٰ ، في جمادى الأولى ، وقد كان ابتداء مرضه في رجب من السنة[5] الماضية ، واختلفت عليه الأدواء حتى كان الجرائحي يخرج العظام من رأسه وهو يسبح الله عز وجل ، فلما كان آخر السنة تزايد به المرض واعتراه إسهالٌ مفرطٌ فخارت قوته فشرعَ في التهيُّؤ للقاء الله عز وجل ، فأعتق مئتي غلام وجارية ، ووقف دار فروخشاه التي يُقال لها دار السعادة ، وبستانَه بالنيرب على ابنيه ، وتصدَّقَ بأموالٍ جزيلةٍ . وأحضر له كفناً كان قد أعدَّه من ملابس الفقراء والمشايخ الذين لقيهم من الصالحين .

وقد كان رحمه الله تعالىٰ شهماً شجاعاً كريماً جواداً محباً [للعلم وأهله][6] ، ولا سيَّما أهل الحديث[7] ، ومقادسة [الصالحية][8] ، وقد بنى لهم دارَ حديث بالسَّفْح ، وبالمدينة للشافعيّة أخرى ، وجعل فيها نعلَ النبي ﷺ الذي ما زال حريصاً على طلبه[9] من النظام ابن أبي الحديد التاجر ، وقد كان

(١) أ ، ب : منها حتى توفي عامه هذا .
(٢) أ ، ب : يدري .
(٣) ترجمة ـ التكريتي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٦٤) وتكملة المنذري (٣/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٤١) واسمه : أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان بن أحمد الكناني التكريتي .
(٤) أ : فلما أخذت أوقافها صار إلى القدس ثم إلى دمشق وكان ينوب . ب : فلما أوجدت أوقافها صار إلى القدس .
(٥) أ ، ب : من هذه السنة .
(٦) ط : جواداً لأهل العلم ولا سيما .
(٧) أ ، ب : ولاسيما لأهل الحديث .
(٨) ط : ومقار بيته الصالحة .
(٩) أ ، ب : على تحصيله .

النظام ضنيناً به فعزم الأشرف أن يأخذ منه قطعة[١] ، ثم ترك ذلك خوفاً من أن يذهب بالكلية ، فقدر الله موت ابن أبي الحديد بدمشق فأوصى للملك الأشرف به ، فجعله الأشرف بدار الحديث . ونقل إليها كتباً سنية نفيسة .

وبنى جامع التوبة بالعُقيبة ، وقد كان خاناً لابن الزنجاري فيه من المنكرات شيء كثير . وبنى مسجدَ القصب وجامعَ جرّاح ومسجدَ دارِ السعادة .

وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسمئة ، ونشأ بالقدس الشريف بكفالة[٢] الأمير فخر الدين عثمان الزنجاري ، وكان أبوه يحبه ، وكذلك أخوه المعظم ، ثم استنابه أبوه على مدن كثيرة بالجزيرة منها الرُّها وحرَّان ، ثم اتسعت مملكته حين[٣] ملك خلاط ، وكان من أعفِّ الناس وأحسنهم سيرةً وسريرةً ، لا يعرف غير نسائه وسراريه[٤] ، مع أنه قد كان يعاني الشراب ، وهذا من أعجب الأمور .

حكى السبط[٥] عنه قال : كنت يوماً بهذه المنظرة[٦] من خلاط إذ دخل الخادم فقال : بالباب امرأة تستأذنُ ، فدخلتْ فإذا صورةٌ لم أرَ أحسنَ منها ، وإذا هي ابنة الملك الذي كان بخلاط قبلي ، فذكرتْ أن الحاجبَ علي قد استحوذَ على قريةٍ لها ، وأنها قد احتاجت إلى بيوت الكرى ، وأنها إنما تتقوَّتُ من عمل النقوش للنساء ، فأمرتُ برد ضيعتها إليها وأمرتُ لها بدار تسكنها ، وقد كنتُ قمتُ لها حين دخلتْ وأجلستُها بين يدي وأمرتُها بستر وجهها حين أسفرت عنه ، ومعها عجوزٌ ، فحين قضت شغلَها قلتُ لها انهضي على اسم الله تعالىٰ ، فقالت العجوز : يا خوند إنما جاءتْ لتحظى بخدمتك هذه الليلة ، فقلتُ : معاذَ الله لا يكونُ هذا ، واستحضرتُ في ذهني ابنتي ربما يصيبها نظيرَ ما أصابَ هذه ، فقامت [وهي تقول بالأرمني : سترك الله مثل][٧] ما سترتني ، وقلت لها : مهما كان من حاجة فانهيها[٨] إليَّ أقضها لك ، فدعت لي وانصرفت ، فقالت لي نفسي : في[٩] الحلال مندوحة عن الحرام ، فتزوجها ، فقلت : لا والله لا كان هذا أبداً ، أين الحياء والكرم والمروءة ؟

---

(١) أ ، ب : فعزم الأشرف على أخذ قطعة منه خوفاً .
(٢) أ ، ب : في كفالة .
(٣) أ ، ب : حتى .
(٤) أ ، ب : وجواريه .
(٥) مرآة الزمان (٨/ ٤٧٠ ـ ٤٧١) برواية مختلفة .
(٦) في المرآة : في هذه الطيارة . سماها مرة خرى بالمنظرة .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) أ ، ب : انهيها .
(٩) أ ، ب : ففي الحلال .

قال : ومات مملوك من مماليكي وترك ولداً ليس يكون في الناس بتلك البلاد أحسن شباباً ، ولا أحلى شكلاً منه ، فأحببتُه وقرَّبتُه ، وكان من لا يفهم أمري يتهمني به ، فاتفق أنه عدا على إنسان فضربه حتى قتله ، فاشتكى عليه إليَّ أولياءُ المقتول ، فقلت أثبتوا أنه قتله ، فأثبتوا ذلك فجاحفت(١) عنه مماليكي وأرادوا إرضاءهم بعشر ديات فلم يقبلوا ، ووقفوا لي في الطريق وقالوا : قد أثبتنا أنه قتله ، فقلت : خذوه فتسلموه [فأخذوه] فقتلوه ، ولو طلبوا مني ملكي فداءً له لدفعته إليهم ، ولكنني استحييت(٢) من الله أن أعارض شرعه بحظ نفسي ، رحمه الله تعالىٰ وعفا عنه .

ولما ملك دمشق في سنة ست وعشرين وستمئة نادى مناديه فيها(٣) أن لا يشتغلَ أحدٌ من الفقهاء بشيء من العلوم سوى التفسير والحديث والفقه ، ومَن اشتغلَ بالمنطق وعلوم الأوائل نُفي من البلد . وكان البلد به في غاية الأمن والعدل ، وكثرة الصدقات والخيرات ، كانت القلعة لا تُغلق في ليالي رمضان كلها ، وصحون الحلاوات خارجة منها إلى الجامع والخوانق(٤) والرُّبُط ، والصالحية ، وإلى الصالحين والفقراء والرؤساء وغيرهم ، وكان أكثر جلوسه بمسجد أبي الدرداء الذي جدَّده وزخرفه بالقلعة [، وكان ميمون النقيبة](٥) ما كسرت(٦) له راية قط ، وقد استدعى الزَّبيدي(٧) من بغداد حتى سمع هو والناس عليه صحيح البخاري وغيره ، وكان له ميل [كثير] إلى الحديث وأهله ، ولما توفي رحمه الله رآه بعض الناس(٨) وعليه ثيابٌ خضرٌ وهو يطيرُ مع جماعةٍ من الصالحين ، فقال : ما هذا وقد كنت تعاني الشراب في الدنيا(٩) ؟ فقال : ذاك البَدَن الذي كنّا نفعلُ به ذاك عندكم [في الدنيا] ، وهذه الروح التي كنا نحبّ بها هؤلاء فهي معهم ، ولقد(١٠) صدق رحمه الله ، قال رسول الله ﷺ « المرءُ مَعَ مَنْ أَحبَّ » وقد كان أوصى بالملك من بعده لأخيه الصالح إسماعيل ، فلما توفي أخوه ركب في أُبّهة الملك ومشى الناس بين يديه ، وركب إلى جانبه صاحبُ حمص وعزّ الدين أيبك المعظمي(١١) حامل الغاشية على رأسه ، ثم إنه صادر جماعةً من

(١) جاحفت : زاحمت . القاموس : جحف .
(٢) ط : ولكن استحييت من الله .
(٣) أ ، ب : نادى مناديه بها .
(٤) أ ، ب : والخوانك .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) أ ، ب : ولم تكسر .
(٧) تقدمت ترجمة الزبيدي في وفيات سنة ٦٢٩ .
(٨) أ ، ب : بعضهم في المنام .
(٩) أ ، ب : فقال له ما هذا وقد كنت تعاني في الدنيا الشراب .
(١٠) أ ، ب : وقد .
(١١) سترد ترجمة أيبك المعظمي في وفيات سنة ٦٤٥هـ .

الدماشقة الذين قيل عنهم إِنَّهم مع الكامل ، منهم العالم تعاسيف[١] وأولاد ابن مزهر وحبسهم ببصرى ، وأطلق الحريري من قلعة عزاز[٢] ، وشرط عليه أن لا يدخل دمشق ، ثم قدم الكامل من مصر وانضاف إليه الناصر داود صاحب الكرك ونابلس والقدس ، فحاصروا دمشق حصاراً شديداً ، وقد حَصَّنَها الصالحُ إسماعيل ، وقطع[٣] المياه وردَّ الكامل ماءَ بردى إلى ثورا ، وأُحرقت العُقَيْبة وقصر حجاج ، فافتقر[٤] خلقٌ كثير واحترق آخرون ، وجرت خطوب طويلة[٥] ، ثم آل الحال في آخر جمادى الأولى إلى أن سلم الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه الكامل ، على أَنَّ له بعلبك وبصرى ، وسكن الأمر ، وكان الصلح بينهما على يدي القاضي محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، اتفق أنه كان بدمشق قد قدم في رسلية من جهة الخليفة إلى دمشق فجزاه الله تعالىٰ خيراً . ودخل الكامل دمشق وأطلق الفلك[٦] بن المسيري من سجن الحيّات بالقلعة الذي كان أودعه فيه الأشرف ، ونقل الأشرف إلى تربته ، وأمر الكامل في يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة أئمة[٧] الجامع أن لا يصلي أحدٌ منهم المغرب سوى الإمام الكبير ، لما كان يقع من التَّشويش والاختلاف بسبب اجتماعهم في وقت واحد ، ولنعم ما فعل رحمه الله . وقد فعل هذا في زماننا في صلاة التراويح ، اجتمع الناس على قارىء واحد وهو الإمام الكبير في المحراب المقدم عند المنبر ، ولم يبق به إمام يومئذ[٨] سوى الذي بالحلبية عند مشهد علي ولو تُرِكَ لكان حسناً ، والله أعلم .

ذكر وفاة الملك الكامل[٩] محمد بن العادل رحمه الله تعالىٰ . تملك الكامل [دمشق] مدة شهرين ثم أخذته[١٠] أمراض مختلفة ، من ذلك سعالٌ وإِسهالٌ ونزلةٌ في حلقه ، ونقرسٌ في رجليه ، فاتفق موته في

---

(١) أ ، ب : المعلم يعاسف .
(٢) أ ، ب : تمريا .
(٣) أ ، ب : قطعت .
(٤) أ ، ب : وافتقر .
(٥) أ ، ب : كثيرة .
(٦) فلك الدين بن المسيري . توفي سنة ٦٤٣ . التاريخ المنصوري (١١٩ هامش ٢) .
(٧) أ ، ب : لأئمة .
(٨) أ ، ب : حينئذ .
(٩) ترجمة ـ الملك الكامل ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٦٦ ـ ٤٦٩) وتكملة المنذري (٣/ ٤٨٥) وذيل الروضتين (١٦٦) ووفيات الأعيان (٥/ ٧٩ ـ ٩٢) وتاريخ ابن العبري (٢٠٥) ومختصر أبي الفداء (٣/ ١٦٨ ـ ١٦٩) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٢٧ ـ ١٣١) والعبر (٥/ ١٤٤) والوافي بالوفيات (١/ ١٩٣ ـ ١٩٧) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٢٧) وحسن المحاضرة (٢/ ٣٣ ـ ٣٨) وشذرات الذهب (٧/ ٣٠١ ـ ٣٠٤) .
(١٠) ط : أخذه أمراض .

بيت صغير من دار القصبة[١] ، وهو البيت الذي توفي فيه عمه الملك الناصر صلاح الدين ، ولم يكن عند الكامل أحد عند موته[٢] من شدة هيبته ، بل دخلوا فوجدوه ميتاً رحمه الله تعالىٰ ، وقد كان مولده في سنة ست[٣] وسبعين وخمسمئة ، وكان أكبر أولاد العادل بعد حمدود[٤] ، وإليه أوصى العادل لعلمه بشأنه وكمال عقله ، وتوفر[٥] معرفته ، وقد كان جيدَ الفهم يحبُّ العلماء ، ويسألهم أسئلةً مشكلةً ، وله كلامٌ جيدٌ على صحيح مسلم ، وكان ذكياً مهيباً ذا بأسٍ شديدٍ ، عادلٍ منصفٍ له حرمة وافرة ، وسطوة قوية ، ملك مصر ثلاثين سنة[٦] ، وكانت الطرقاتُ في زمانه آمنةً ، والرعايا متناصفة ، لا يتجاسر أحدٌ أن يظلم أحداً ، شَنَقَ جماعةً من الأجناد أخذوا شعيراً لبعض الفلاحين بأرض آمد ، واشتكى إليه بعض الركبدارية أن أستاذه استعمله ستةَ أشهرٍ بلا أجرةٍ ، فأحضر الجندي وألبسه ثياب[٧] الركبدارية ، وألبس الركبداري[٨] ثيابَ الجندي ، وأمر الجندي أن يخدم الركبدار ستةَ أشهر على هذه الهيئة ، ويحضر الركبدار الموكب والخدمة حتى ينقضي الأجل فتأدَّبَ الناسُ بذلك غاية الأدب .

وكانت له اليدُ البيضاءُ في ردِّ ثغرِ دمياط إلى المسلمين بعد أن استحوذ عليه الفرنج لعنهم الله ، فرابطهم أربعَ سنين حتى استنقذه منهم ، وكان يوم أخذه له واسترجاعه إياه يوماً مشهوداً ، كما ذكرنا مفصلاً رحمه الله تعالىٰ .

وكانت وفاته في ليلة الخميس الثاني والعشرين من رجب من هذه السنة ، ودُفن بالقلعة حتى كملت تربته التي بالحائط الشمالي من الجامع ذات الشباك الذي هناك قريباً من مقصورة ابن سنان ، وهي الكندية التي عند الحلبية ، نقل إليها ليلة الجمعة الحادي والعشرين من رمضان من هذه السنة .

ومن شعره يستحثّ أخاه [الملك] الأشرفَ من بلاد الجزيرة حين كان محاصراً بدمياط : [من الكامل]

يـا مُسعفي إنْ كنتَ حقاً مُسعفي ... فـارحـلْ بغيـرِ تقيّـدٍ وتـوقـفِ
واطْوِ[٩] المنازلَ والديارَ ولا تنخْ ... إلا علـى بـابِ المليـكِ الأشـرفِ

---

(١) أ : من دار وهو ، وب : من دار القصة .
(٢) أ ، ب : حال موته .
(٣) ثلث .
(٤) أ ، ب : مردود . ترويح القلوب (٨١) .
(٥) أ ، ب : وفور .
(٦) أ : سنة كاملة .
(٧) ط : قباب .
(٨) أ ، ب : الركبدار .
(٩) أ ، ب : واترك .

قبّلْ يـديـهِ لا عـدمـتَ وقُـلْ لـه ... عنّي بحسـنِ تَعطّـفٍ وتلطّـفِ
إن ماتَ صنوكَ عن قريبٍ تَلْقَهُ ... مـا بيــنَ حَـدِّ مُهَنّـدٍ ومُثَقَّـفِ
أو تُبْـطِ عــن إنجـادهِ فلقـاؤهُ ... يومَ القيامةِ في عراصِ الموقفِ

ذكر ما جرى بعده

كان قد عَهِدَ لولده العادلِ وكان صغيراً بالديار المصرية ، وبالبلاد الدمشقية ، ولولده الصالح أيوب ببلاد الجزيرة ، فأمضى الأمراءُ ذلك ، فأما دمشقُ فاختلف الأمراء بها في الملك الناصر داود بن المعظم ، والملك الجواد مظفّر الدين يونس بن مودود بن الملك (٢) العادل ، فكان ميلُ عماد الدين ابن الشيخ إلى الجواد ، وآخرون إلى الناصر ، وكان نازلاً بدار سامة ، فانتظم أمر الجواد وجاءت الرسالة إلى الناصر أن اخرج من البلد ، فركب من دار سامة والعامة وراءه (٣) إلى القلعة لا يشكون في ولايته الملك ، فسلك نحوَ القلعة فلما جاوز العمادية عطف برأس فرسه نحو باب الفرج ، فصرخت العامة : لا لا لا ، فسار حتى نزل القابون عند وطأة برزة . فعزم (٤) بعض الأمراء الأشرفية على مسكه ، فساق فبات بقصر أم حكيم ، وساقوا وراءه فتقدم إلى عجلون فتحصّن بها وأمن (٥) .

وأما الجواد (٦)

فإنه ركب في أُبّهة الملك وأنفق الأموال والخلع على الأمراء . قال السبط (٧) : فَرّقَ ستة آلاف ألف دينار وخمسة آلاف خلعة ، وأبطل المكوس والخمور ، ونفى الخواطىء واستقرّ ملكه بدمشق ، واجتمع عليه الأمراء الشاميون والمصريون ، ورحل الناصر داود من عجلون نحو غزة وبلاد الساحل (٨) فاستحوذ عليها ، فركب الجواد في طلبه ومعه العساكر الشامية والمصرية ، وقال للأشرفية كاتبوه وأطمعوه ، فلما وصلت إليه كتبهم طمع في موافقتهم ، فرجع في سبعمئة راكب إلى نابلس ، فقصده الجواد وهو نازل على

---

(١) ب : تلطف وتعطف .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) أ ، ب : والعامة من داره .
(٤) أ : يقوم .
(٥) ب : وأمس .
(٦) سترد ترجمة الملك الجواد في وفيات سنة ٦٤١هـ .
(٧) مرآة الزمان (٨/ ٤٦٨) .
(٨) أ ، ب : بلاد السواحل .

جِينين[(١)] ، والناصر على سبسطيه ، فهرب منه الناصر فاستحوذوا على حواصله وأثقاله ، فاستغنوا بها وافتقر بسببها فقراً مدقعاً ، ورجع الناصر إلى الكرك جريدة قد سلب أمواله وأثقاله ، وعاد الجواد إلى دمشق مؤيداً منصوراً .

وفيها : اختلفت الخوارزميةُ على الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب [حصن] كيفا ، وتلك النواحي ، وعزموا على القبض عليه ، فهرب منهم ونهبوا أمواله وأثقاله ، ولجأ إلى سنجار فقصده بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ليحاصره ويأخذه في قفص إلى الخليفة ، وكان أهل تلك الناحية يكرهون مجاورته لتكبّره وقوة سطوته ، فلم يبق إلى أخذه إلا القليل ، فكاتب الخوارزمية واستنجد بهم[(٢)] ووعدهم بأشياء كثيرة ، فقدموا إليه جرائد ليمنعوه من البدر لؤلؤ ، فلما أحس بهم لؤلؤ هرب منهم فاستحوذوا على أمواله وأثقاله ، فوجدوا فيها شيئاً كثيراً لا يحدّ ولا يوصف ، ورجع إلى بلده الموصل جريدة خائباً ، وسلم الصالح أيوب مما كان فيه من الشدة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخطيب الدولعي[(٣)] محمد بن زيد بن ياسين الخطيب جمال[(٤)] الدين الدولعي ، نسبة إلى قرية بأصل الموصل ، وقد ذكرنا ذلك عند ترجمة عمه عبد الملك بن ياسين الخطيب بدمشق أيضاً .

وكان مدرساً بالغزالية مع الخطابة ، وقد منعه المعظم في وقت عن الإفتاء[(٥)] ، فعاتبه السبط في ذلك ، فاعتذر بأن شيوخ بلده هم الذين أشاروا عليه بذلك[(٦)] ، لكثرة خطئه في فتاويه ، وقد كان شديد المواظبة على الوظيفة حتى كاد أن لا يفارق بيت الخطابة ، ولم يحجّ قطّ مع أنه كانت له أموالٌ جزيلةٌ ، وقف مدرسة[(٧)] بجيرون [وسبعاً في الجامع . ولما توفي ودُفن بمدرسته التي بجيرون][(٨)] ولي الخطابة

---

(١) ط : حيتين ، وما هنا عن أ ب . وجِينين : بليدة حسنة بين نابلس وبيسان من أرض الأردن . معجم البلدان (٢/ ٢٠٢) .

(٢) ب : فلم يبق من أخذه إلا القليل فكاتب الخوارزمية واستحوذ بهم وخضع لهم .

(٣) ترجمة ـ الخطيب الدولعي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠) وذيل الروضتين (١٦٦) وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٩٢) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٤ ـ ٢٥) والعبر (٥/ ١٤٦) والوافي بالوفيات (٤/ ٣٢٧) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٠٢) وشذرات الذهب (٧/ ٣٠٥) وفيه أن نسبته إلى الدَّوْلعية وهي قرية بالموصل ، كما ورد عند ابن كثير .

(٤) ب : كمال الدين .

(٥) ب : عن الأذى ، وأ : عن الفتوى .

(٦) أ ، ب : أشاروا بذلك عليه .

(٧) يقصد بها المدرسة الدولعية بجيرون التي تقع قبلي المدرسة البادرائية بغرب . الأعلاق الخطيرة (٢٣٤) والدارس (١/ ٢٤٢) ومختصر تنبيه الطالب (٤١٥) ومنادمة الأطلال (٩٨) .

(٨) مكان ما بين الرقمين في أ وب : وقد .

بعده أخ له وكان جاهلاً ، ولم[١] يستقرّ فيها وتولاّها الكمال بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن طلحة النَّصيبي[٢] ، وولي تدريس الغزالية الشيخ [عز الدين] عبد العزيز بن عبد السلام[٣] .

القاضي شمس الدين الشيرازي محمد بن هبة الله[٤] بن محمد بن هبة الله بن مَمِيل[٥] الشيخ أبو نصر بن الشيرازي .

ولد سنة تسع وأربعين وخمسمئة ، وسمع الكثير على الحافظ ابن عساكر[٦] وغيره ، واشتغل في الفقه وأفتى ودرّس بالشامية البرانية ، وناب في الحكم عدة[٧] سنين ، وكان فقيهاً عالماً فاضلاً ذكيّاً[٨] حسنَ الأخلاق عارفاً بالأخبار وأيام العرب والأشعار ، كريمَ الطباع حميدَ الآثار ، وكانت وفاته يوم الخميس الثالث من جمادى[٩] الآخرة ، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالىٰ .

القاضي شمس الدين [بن سَنِيّ الدولة ، أبو البركات][١٠] يحيى بن هبة الله[١١] بن الحسن الدمشقي قاضيها[١٢] .

كان عالماً عفيفاً فاضلاً عادلاً منصفاً نزهاً . كان الملك الأشرف يقول : ما ولي قضاء دمشق مثله ، وقد ولي الحكم ببلده [بيت] المقدس [مدة] وناب بدمشق[١٣] عن القضاة ، ثم استقل بالحكم ،

---

(١) أ ، ب : فلم .
(٢) سترد ترجمة النصيبي في وفيات سنة ٦٥٠ .
(٣) سترد ترجمة العز بن عبد السلام في وفيات سنة ٦٦٠ .
(٤) ترجمة الشيرازي في مرآة الزمان (٨/ ٤٦٩) وتكملة المنذري (٣/ ٤٨٠) وذيل الروضتين (١٦٦) وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٩٠) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣١) وطبقات السبكي (٥/ ٤٣ ـ ٤٤) وطبقات الإسنوي (٢/ ١١٧ ـ ١١٨) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٠٢) وشذرات الذهب (٧/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) .
(٥) ط : « جميل » ، ب : « قميل » وكله تحريف ، ومميل ـ بميمين ـ بالفارسية : محمد ، وقيده المنذري بالحروف (بشار) .
(٦) الحافظ ابن عساكر تقدمت ترجمته سنة ٦١٦هـ .
(٧) ب : مدة .
(٨) أ ، ب : كيّساً .
(٩) أ ، ب : وفاته ليلة الخميس ثالث جمادى .
(١٠) ترجمة ـ ابن سني الدولة ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٧٥) وتكملة المنذري (٣/ ٤٩١ ـ ٤٩٢) ، وذيل الروضتين (١٦٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٢٧) والعبر (٥/ ١٤٧) وطبقات السبكي (٥/ ١٠٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٠١) وشذرات الذهب (٧/ ٣١٠) .
(١١) ط : « يحيى بن بركات بن هبة الله » ولا يصح (بشار) .
(١٢) ط : قاضيها ابن سناء للدولة .
(١٣) عن ط وحدها .

وكانت وفاته يوم الأحد السادس من ذي القعدة ، وصُلّي عليه بالجامع ودفن بقاسيون ، وتأسف الناس عليه رحمه الله تعالىٰ .

وتوفي بعده :

الشيخ شمس الدين [illegible] بن الأستاذ القاضي زين الدين [illegible] عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي ، عُرف بابن الأُستاذ الحلبي قاضيها بعد بهاء الدين بن شداد .

وكان رئيساً عالماً عارفاً فاضلاً ، حسنَ الخلق والسَّمت ، وكان أبوه من الصالحين الكبار رحمهم الله تعالىٰ .

الشيخ الصالح المعمر أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز البغدادي .

ظهر سماعه من أبي الوقت في سنة خمس عشرة وستمئة فانثال الناس عليه يسمعون منه ، وتفرّد بالرواية عنه في الدنيا بعد الزَّبيدي وغيره ، توفي ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان رحمه الله تعالىٰ .

الأمير الكبير المجاهد المرابط عز الدين خطلبا بن عبد الله مملوك شركس ونائبه بعده مع ولده على تِبْنين وتلك الحصون .

وكان كثير الصدقات [والإحسان] ، ودُفن مع أستاذه بقباب شركس ، وهو الذي بناها بعد أستاذه ، وكان خيِّراً قليل الكلام كثيرَ الغزو مرابطاً مدة سنين رحمه الله تعالىٰ وعفا عنه بمنه وكرمه .

---

(١) أ ، ب : ليلة الأحد سادس ذي القعدة .

(٢) أ ، ب : وتولى بعده ؛ وهو تحريف .

(٣) ب ، ط : الحوبي ، وفي أ : الجوزي وكلاهما تحريف ، وما هنا عن مصادره .

(٤) ترجمة ـ ابن الأستاذ ـ في تكملة المنذري (٣/ ١٧٧) وفيات ٦٢٣ وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٧٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) والعبر (٥/ ٩٤) وشذرات الذهب (٧/ ٢٩٩) .

(٥) تقدمت ترجمة ابن شدد سنة ٦٣٢هـ .

(٦) لم ترد ترجمة ابن بهروز في أ ولا في ب .

(٧) ترجمة ـ ابن بهروز ـ في تكملة المنذري (٣/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩) وتاريخ الإسلام (١٤/ ١٨٩) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٠ ـ ٣١) والعبر (٥/ ١٤٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٠٢) وشذرات الذهب (٧/ ٣٠٤) .

(٨) قيّدها ابن ناصر الدين بضم أوله ، وسكون الهاء ، تليها راء مضمومة ثم واو ساكنة . توضيح المشتبه (١/ ٦١٩) .

(٩) قال الذهبي : تفرّد ببغداد بالسماع من أبي الوقت وقتاً . لكنه سمع بإفادة خاله يحيى بن الصدر من أبي الوقت ثلاثة كتب هي « مسند عبد » ، و« كتاب الدارمي » ، و« ذم الكلام » سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣١٠ ، و٢٣/ ٣٠) .

(١٠) تقدمت ترجمة الزبيدي في وفيات سنة ٦٢٩هـ .

(١١) ترجمة ـ خطلبا ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ١٧٣) والدارس (١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٨) وتاريخ الصالحية (١٣٥ ـ ١٣٦) .

(١٢) مط : تنين . تحريف ، وتبنين بلدة في جبال بني عامر المطلة على بانياس بين دمشق وصور . معجم البلدان (٢/ ١٤).

(١٣) تاريخ الصالحية (١٣٧) وقال دهمان رحمه الله : لا تزال موجودة بسوق الجركسية .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمئة

فيها : قضى الملك الجواد على الصفي بن مرزوق[١] وصادره بأربعمئة ألف دينار ، وحبسه بقلعة حمص، فمكثَ ثلاثَ سنين لا يرى الضوءَ . وكان ابن مرزوق محسناً[٢] إلى الجواد قبل ذلك إحساناً كثيراً. وسلَّطَ الجوادُ خادماً لزوجته يقال له الناصح فصادر الدماشقة وأخذ منهم نحواً من ستمئة ألف دينار ، ومسك الأمير عماد الدين بن الشيخ[٣] الذين كان سبب تمليكه دمشق ، ثم خاف من أخيه فخر الدين بن الشيخ[٤] الذي بديار مصر ، وقلق من ملك دمشق، وقال إيش أعمل بالملك؟ باز وكلب أحبّ إليّ من هذا. ثم خرج إلى الصيد وكاتب الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، فتقايضا من حصن كيفا وسنجار وما تبع ذلك إلى دمشق ، فملك الصالح[٥] دمشق ودخلها في مستهل جمادى الأولى من هذه السنة ، والجواد بين يديه بالغاشية[٦] ، [ثم حملها عنه المظفر صاحب حماة وكان يوماً مشهوداً ثم نزل الجواد بدار السعادة] وندم على ما كان منه ، فأراد أن يستدرك الفائت فلم يتفقْ له ، وخرجَ من دمشقَ والناسُ يلعنونه بوجهه[٧] ، بسبب ما أسداه إليهم من المصادرات ، وأرسل إليه الصالحُ أيوبُ ليردّ إلى الناس أموالهم فلم يلتفِتْ إليه ، وسار وبقيتْ في ذمّته . ولما استقرّ الصالحُ أيوب في ملك مصر كما سيأتي حبسَ الناصحَ الخادمَ ، فمات في أسوأ حالةٍ ، من القلّةِ والقَمْلِ ، جزاءً وفاقاً ﴿ وَمَارَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [illegible] .

وفيها : ركب الصالحُ أيوبُ من دمشق في رمضان قاصداً الديارَ المصرية ليأخذها من أخيه العادل لصغره ، فنزل بنابلس واستولى عليها وأخرجها من يد الناصر داود ، وأرسل إلى عمّه الصالح إسماعيل

---

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن هبة الله العسقلاني الكاتب صفي الدين بن مرزوق وزر مرة . وتوفي بمصر سنة ٦٥٩هـ . العبر (٥/٢٥٣) وشذرات الذهب (٧/ ٥١٥) .

(٢) أ : وكان ابن مرزوق يحسن إلى الجواد ، ب : وكان ابن مرزوق قبل ذلك يحسن .

(٣) هو شيخ الشيوخ أبو الفتح عمر بن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عماد الدين عمر بن حمّويه الجويني . سترد قصة موته بعد أسطر . وترجمته في مرآة الزمان (٨/ ٤٧٧) وتكملة المنذري (٣/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧) وذيل الروضتين (١٦٧ ـ ١٦٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢١٩) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٩٧ ـ ٩٩) والعبر (٥/ ١٥٠ ـ ١٥١) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣١٣ ـ ٣١٤) وشذرات الذهب (٧/ ٣١٦) .

(٤) فخر الدين بن شيخ الشيوخ هو يوسف بن محمد بن عمر بن علي . سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٤٧هـ .

(٥) أ ، ب : الصالح أيوب .

(٦) الغاشية هي الغطاء المزركش الذي يوضع فوق ظهر الفرس ، وكانت تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في أيام الأعياد وغيرها . التاريخ المنصوري (١٢/ هـ٣) عن صبح الأعشى (٤/ ٧) ودائرة المعارف الإسلامية (٢/ ١٥٠) .

(٧) أ ، ب : في وجهه .

(٨) ليست الآية في أ .

صاحب بعلبك ليقدمَ عليه ليكون في صحبته إلى الديار المصرية ، وكان قد جاء إليه إلى دمشق ليبايعه[١] فجعل يسوف به ويعمل عليه ويحالف[٢] الأمراء بدمشق ليكون ملكهم ، ولا يتجاسرُ أحدٌ من الصالح أيوب لجبروته أن يخبره بذلك ، وانقضت السنة وهو مقيمٌ بنابلس يستدعيه[٣] إليه وهو يماطله .

ومن توفي فيها من الأعيان :

جمال الدين الحَصِيري الحنفي[٤] ، محمود بن أحمد العلامة[٥] شيخ الحنفية بدمشق، ومدرّس النّورية .

أصله من قريةٍ يقال لها حصير من معاملة بُخارى[٦] ، تفقَّه بها وسمع الحديث الكثير ، وصار إلى دمشق فانتهت إليه رئاسة الحنفية بها ، ولا سيما في أيام المعظم ، كان يقرأ عليه « الجامع الكبير » ، وله عليه شرح ، وكان يحترمه ويعظمه ويكرمه . وكان رحمه الله غزيرَ الدمعة كثيرَ الصدقات[٧] ، عاقلاً نزهاً عفيفاً ، توفي يومَ الأحد ثامنَ صفر ودُفن بمقابر الصوفية تغمَّدَه الله برحمته . توفي وله تسعون سنة ، وأوّل درسه بالنّورية في سنة إحدى عشرة وستمئة ، بعد الشَّرف داود[٨] الذي تولاها بعد البُرْهان مسعود[٩] ، وأول مدرسيها[١٠] رحمهم الله تعالىٰ .

[عماد الدين بن شيخ الشيوخ] الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ صدر الدين (محمد ابن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن)[١١] علي بن حمويه .

كان سبباً في ولاية الجواد دمشق ثم سار[١٢] إلى مصر فلامه صاحبها العادل بن الكامل بن العادل ،

(١) أ ، ب : وبايعة .
(٢) أ ، ب : ويحلّف .
(٣) ط : يستدعي إليه الصالح إسماعيل .
(٤) ترجمة ـ جمال الدين الحَصِيري ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧) وتكملة المنذري (٣/ ٤٩٩) وذيل الروضتين (١٦١) وتكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني (١٢٧ ـ ١٢٩) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٢٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٥٣ ـ ٥٤) والعبر (٥/ ٥٢) والجواهر المضية (٢/ ١٥٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣١٣) وتاج التراجم (٢٤٤) وشذرات الذهب (٧/ ٣١٩) .
(٥) أ ، ب : العلامة جمال الدين الحصيري شيخ الحنفية .
(٦) في الجواهر المضية أنها محلة ببخارى يعمل فيها الحَصير كان ساكناً بها . ولم ترد في معجم البلدان .
(٧) ب : الصدقة .
(٨) هو داود بن أرسلان بن غازي أبو المظفر القاضي شرف الدين مات بدمشق ٦٣٩هـ . الجواهر المضية (٢/ ١٨٥) .
(٩) هو مسعود بن شجاع بن حسن بن محمد بن حسن الأموي الملقب برهان الدين الفقيه درس بالنورية والخاتونية . توفي سنة ٥٩٩هـ . الجواهر المضية (٣/ ٤٦٧) وتاج التراجم (٢٦٥ ـ ٢٦٦) .
(١٠) أ ، ب : أول تدريس .
(١١) ما بين الحاصرتين لا بد منه ليستقيم عمود النسب (بشار) .
(١٢) أ ، ب : صار .

فقال(١) : الآن أرجع إلى دمشق وآمر الجوادَ بالمسير إليك ، على أن تكون له إسكندريةُ عوضَ دمشق ، فإن امتنع عزلتُه عنها وكنتُ أنا نائبَك فيها ، فنهاه أخوه فخر الدين بن الشيخ عن تعاطي ذلك فلم يقبلْ ، ورجع إلى دمشق فتلقاه الجواد إلى المَصَلَّى وأنزله عنده بالقلعة بدار المسرة ، وخادعه عن نفسه ثم دسّ إليه من قتله جهرةً في صورة مستغيث به ، واستحوذ على أمواله وحواصله ، وكانت له جنازة حافلة ، ودفن بقاسيون .

الوزير جمال الدين(٢) علي بن جَرير(٣) .

وزر للأشرف واستوزره الصالح أيوب أياماً ، ثم مات عقب ذلك . كان أصله من الرّقَّة ، وكان له أملاكٌ يسيرةٌ يعيش منها ، ثم آل أمره [إلى] أن وزر للأشرف(٤) بدمشق ، وقد هجاه بعضُهم ، وكانت وفاته بالخوانيق(٥) في جمادى الآخرة ، ودفن بمقابر الصوفية .

جعفر بن علي(٦) بن أبي البركات (هبة الله) بن جعفر بن يحيى الهَمْداني ، راويةُ السِّلَفي .

قدم إلى دمشق صحبة الناصر داود ، وسمع عليه أهلُها ، وكانت وفاته بها ، ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله تعالىٰ ، وله تسعون سنة .

الحافظ الكبير زكي(٧) الدين(٨) أبو عبد الله(٩) محمد بن يوسف بن محمد البِرْزالي الإشْبيلي .

أحدُ من اعتنى بصناعةِ الحديث وبرَّزَ فيه ، وأفاد الطلبةَ ، وكان شيخَ الحديث بمشهد ابن عروة ، ثم سافر إلى حلب، فتوفي بحماة في رابع عشر رمضان من هذه السنة . وهو جد شيخنا الحافظ علَم الدين محمد بن القاسم(١٠)

---

(١) أ ، ب : فلامه العادل صاحبها فقال .

(٢) ترجمة ـ جمال الدين علي بن جرير ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٧٩) وتكملة المنذري (٣/ ٥١٠) وذيل الروضتين (١٦٨) واسمه فيه : علي بن سلامة بن البطين بن جرير الرقي ، وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢١٧) والعبر (٥/ ١٥٠) وشذرات الذهب (٧/ ٣١٦) .

(٣) ط : حديد . وهو تحريف صححته من الأصلين والمصادر .

(٤) عن ط وحدها .

(٥) ط : بالجواليق ؛ وهو تحريف .

(٦) ترجمة ـ الهمداني ـ في تكملة المنذري (٣/ ٥٠٠) وذيل الروضتين (١٦٧) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٠٧) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٦ ـ ٣٩) والعبر (٥/ ١٤٩) وتذكرة الحفاظ (١٤٢٤) والوافي بالوفيات (١١/ ١١٧) وغاية النهاية (١/ ١٩٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣١٦) وحسن المحاضرة (١/ ٢١٥) وشذرات الذهب (٧/ ٣١٤) .

(٧) ترجمة ـ الحافظ البرزالي ـ في تكملة المنذري (٣/ ٥١٤ ـ ٥١٥) وذيل الروضتين (١٦٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٢٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٥٥ ـ ٥٧) والعبر (٥/ ١٥١) وتذكرة الحفاظ (٢٣/ ١٤) والوافي بالوفيات (٢/ ٢٥٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣١٤) والدارس (١/ ٨٦) وشذرات الذهب (٧/ ٣١٨) .

(٨) أ ، ب : ولي الدين ؛ تحريف .

(٩) ط : أبو عبد الله بن محمد ؛ وهو خطأ .

(١٠) ط : « علم الدين بن القاسم » وهو تحريف ظاهر ، وتوفي علم الدين البرزالي سنة ٧٣٩هـ (بشار) .

ابن محمد البِرْزالي ، مؤرّخ دمشق الذي ذَيّل على الشيخ شهاب الدين أبي شامة[١] ، وقد ذيلتُ أنا على تاريخه بعون الله تعالىٰ [وقدرته] .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمئة

استُهِلَّتْ هذه السنة وسلطانُ دمشق نجمُ الدّين الصالح أيوب بن الكامل مُخَيِّمٌ عند نابلس ، يستدعي عَمَّه الصالح إسماعيل ليسير إلى الديار المصرية ، بسبب أخذها من صاحبها العادل بن الكامل ، وقد أرسل الصالح إسماعيل ولدَه وابن يَغْمور[٢] إلى صحبة الصالح أيوب [بنابلس] ، فهما يُنْفقان الأموالَ في الأمراء ويحلفانهم على الصالح[٣] أيوب للصالح إسماعيل ، فلما تمَّ الأمرُ وتمكَّن الصالحُ إسماعيل من مراده أرسل إلى الصالح أيوب يطلب منه ولده ليكون عوضه / ببعلبك/ ، ويسير هو إلى خدمته ، فأرسله إليه وهو لا يشعر[٤] بشيء مما وقع ، وكلُّ ذلك عن ترتيب أبي الحسن غزال[٥] المُتَطَبِّب وزير الصالح ـ وهو الأمين واقف أمينية بعلبك[٦] ؛ فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر هجم[٧] الملك الصالح إسماعيل وفي صحبته أسدُ الدين شيركوه صاحبُ حمص إلى دمشق ، فدخلاها بغتةً من باب الفراديس ، فنزل الصالحُ إسماعيلُ بداره من درب الشعارين[٨] ، ونزل صاحب حمص بداره ، وجاء نجم الدين بن سَلاَّم[٩] فَهَنَّأَ الصالح إسماعيل ورقص بين يديه وهو يقول : إلى بيتك جئت . وأصبحوا فحاصروا القلعةَ وبها المغيثُ عمرُ بن الصالح نجم الدين ، ونَقَبوا القلعة من ناحية باب الفَرَج ، وهتكوا حرمتها ودخلوها وتسلموها واعتقلوا المغيث في برجٍ هنالك .

قال أبو شامة[١٠] : واحترقت دار الحديث وما هنالك من الحوانيت والدور حول القلعة .

---

(١) سماه : « المقتفي لتاريخ أبي شامة » ابتدأ به من عام مولده سنة ٦٦٥هـ ووصل إلى سنة ٧٣٨هـ ، وقد درسه صديقنا الفاضل الدكتور معن سعدون العيفان فنال به رتبة الماجستير ، ثم حقق مجلداً منه فنال به رتبة الدكتوراه (بشار) .
(٢) سترد أخبار ابن يغمور في سنة ٦٤٨ .
(٣) أ ، ب : بن الصالح إسماعيل .
(٤) أ ، ب : لا يستقر الصالح أيوب .
(٥) سترد ترجمة غزال المتطبب في وفيات سنة ٦٤٨هـ .
(٦) أ ، ب : الأمينية ببعلبك .
(٧) ب : هجم الأمين .
(٨) داخل باب الجابية . الدارس (٢/ ٧) .
(٩) ط : ابن سلامة ؛ تحريف . وهو نجم الدين الحسن بن سالم بن سَلاّم الكاتب . كان ذا أموال وحشمة . توفي سنة ٦٤٢هـ . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١١١ ـ ١١٢) .
(١٠) ذيل الروضتين (١٦٩) .

ولما وصل الخبرُ بما وقع إلى الصالح أيوب[١] تفرق عنه أصحابه والأمراء خوفاً على أهاليهم من الصالح إسماعيل ، وبقي الصالح أيوب وحدَه بمماليكه وجاريته أم ولده خليل ، فطمع[٢] فيه الفلاحون والغوارنة[٣] .

وأرسل الناصر داود صاحب الكرك إليه مَنْ أخذه من نابلس مهاناً على بغلةٍ بلا مهمازٍ ولا مقرعة ، فاعتقله عنده سبعة أشهر ، وأرسل العادل من مصر إلى الناصر يطلب منه أخاه الصالح أيوب ويعطيه مئة ألف دينار ، فما أجابه[٤] إلى ذلك ، بل عكس ما طلب منه بإخراج الصالح من سجنه والإفراج عنه وإطلاقه من الحبس يركب وينزل .

فعند ذلك حاربت الملوك من دمشق ومصر وغيرهما الناصر داود ، وبرز العادل من الديار المصرية إلى بلبيس قاصداً قتال الناصر داود ، فاضطرب الجيش عليه واختلفت الأمراء ، وقَيَّدوا العادل واعتقلوه في خركاه[٥] ، وأرسلوا إلى الصالح أيوب يستدعونه إليهم ، فامتنع الناصر داود من إرساله حتى اشترط عليه أن يأخذ له دمشقَ وحمصَ وحلبَ وبلاد الجزيرة وبلاد ديار بكر ونصفَ مملكةِ مصر ، ونصفَ ما في الخزائن من الحواصل والأموال والجواهر .

قال الصالح أيوب : فأجبت إلى ذلك مكرهاً ، ولا تقدر على ما اشترط جميع ملوك الأرض[٦] ، وسرنا فأخذته معي خائفاً أن تكون هذه الكائنة[٧] من المصريين مكيدةً ، ولم يكن لي به حاجةٌ ، وذكر أنه كان يسكر ويخبط في الأمور ويخالف في الآراء السديدة .

فلما وصل الصالح إلى المصريين مَلَّكُوه عليهم ودخلَ الديارَ المصرية سالماً مؤيداً منصوراً مظفراً محبوراً مسروراً ، فأرسل إلى الناصر داود عشرين ألف دينار فردَّها عليه ولم يقبلها منه . واستقرَّ ملكهُ بمصر .

وأما الملك الجواد فإنه أساء السيرة في سنجار[٨] وصادر أهلها وعسفهم ، فكاتبوا[٩] بدرَ الدين لؤلؤاً

(١) عن ط وحدها .
(٢) ط : وطمع .
(٣) أ : العوارنة . ب : الفوارية ، وما هنا للسياق ، أثبته من عبارة السبط في مرآة الزمان (٨/ ٤٨٠) أهل الغور .
(٤) أ ، ب : فما أجاب .
(٥) تقدم الحديث عنها وأنها الخيمة الملكية .
(٦) أ ، ب : على ما اشترط على ملوك الأرض .
(٧) أ ، ب : خوفاً أن يكون هذا الكتاب .
(٨) أ ، ب : بسنجار .
(٩) أ ، ب : وكانوا .

صاحبَ الموصل فقصدهم ـ وقد خرج الجواد للصيد ـ فأخذ البلدَ بغير شيء وصار الجوادُ إلى غانة[١] ، ثم باعها من الخليفة بعد ذلك .

وفي ربيع الأول درس القاضي الرفيع[٢] عبد العزيز بن عبد الواحد الجيلي بالشامية البرانية . وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر ولي الشيخ عز الدين عبد العزيز[٣] بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي خطابةَ جامع دمشق، وخطب الصالح إسماعيل لصاحب الروم ببلد دمشق وغيرها، لأنه حالفه على الصالح أيوب .

قال أبو شامة[٤] : وفي حزيران أيام المشمش جاء مطرٌ عظيمٌ هدم كثيراً من الحيطان وغيرها ، وكنت يومئذ بالمزة .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

صاحب حمص الملك المجاهد[٥] أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي .

ولَّاه إياها الملك الناصر صلاح الدين بعد موت أبيه سنة إحدى وثمانين وخمسمئة ، فمكث فيها سبعاً وخمسين سنة ، وكان من أحسن الملوك سيرةً ، طهَّر بلاده من الخمور والمكوس والمنكرات ، وهي في غاية الأمن والعدل ، لا يتجاسر أحدٌ من الفرنج ولا العرب يدخل بلاده إلا أهانه غاية الإهانة ، وكانت ملوك بني أيوب يَتَّقُونه لأنه يرى أنه أحقُّ بالأمر منهم ، لأن جدَّه هو الذي فتح مصر ، وأوّل من ملكَ منهم ، وكانت وفاته رحمه الله بحمص ، وعمل عزاءه بجامع دمشق عفا الله عنه بمنه .

القاضي الخُوَيّي شمس الدين أحمد بن خليل[٦] بن سعادة بن جعفر الخُوَيّي[٧] قاضي القضاة بدمشق يومئذ .

---

(١) أ : عانه ، ب : غاية .

(٢) سترد ترجمة رفيع الدين قاضي القضاة في وفيات سنة ٦٤٢هـ .

(٣) سترد ترجمة العز بن عبد السلام في وفيات ٦٦٠هـ .

(٤) ذيل الروضتين (١٧٠) برواية مختلفة .

(٥) ترجمة ـ الملك المجاهد ـ في تكملة المنذري (٣/ ٥٣٥) ومرآة الزمان (٨/ ٤٨٣) وذيل الروضتين (١٦٩) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٣٩) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٩ ـ ٤١) والعبر (٥/ ١٥٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣١٦) وشذرات الذهب (٧/ ٣٢٢) .

(٦) ترجمة ـ القاضي الخويي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٨٥) وتكملة المنذري (٣/ ٥٣٧) وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢/ ١٧١) وذيل الروضتين (١٦٩) وتكملة ابن الصابوني (١٠٧ ـ ١٠٩) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٣١) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٦٤ ـ ٦٥) وتذكرة الحفاظ (١٤١٥) والعبر (٥/ ١٥٢ ـ ١٥٢) والوافي بالوفيات (٦/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) ومرآة الجنان (٤/ ٢٢٢) وطبقات السبكي (٨/ ١٦ ـ ١٧) وطبقات الإسنوي (١/ ٥٠٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣١٦) وشذرات الذهب (٧/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) .

(٧) قال ابن الصابوني : الخويي نسبة إلى (خُوَي) مدينة من إقليم أذربيجان تكملة المنذري وتكملة ابن الصابوني .

وكان عالماً بفنونٍ كثيرةٍ من الأصول والفروع وغير ذلك ، وكانت وفاتُه يومَ السبتِ بعدَ الظهر السابع من شعبان ، وله خمسٌ وخمسون سنةً بالمدرسة العادلية . وكان حسنَ الأخلاق جميلَ المعاشرة ، وكان يقول لا أقدر على إيصال المناصب إلى مستحقيها . له مصنفاتٌ منها « عروض » قال فيه أبو شامة(١) : [من الخفيف]

أحمـدُ بـنُ الخليـلِ أرشـدهُ الـ ـلهُ لمّا أرشدَ الخليلَ بن أحمد
ذاكَ مُسْتَخْـرَجُ العـروضِ وهـذا مَظْهَـرُ السرِّ منه والعَـودُ أحمـد

وقد ولي القضاء بعده رفيع الدين عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل بن عبد الهادي الجيلي مع تدريس العادلية ، وكان قاضياً ببعلبك . فأحضره إلى دمشق الوزير أمين الدين(٢) الذي كان سامرياً فأسلم ، وزر للصّالح إسماعيل، واتفق هو وهذا القاضي على أكل أموال الناس بالباطل. قال أبو شامة(٣) : ظهر منه سوءُ سيرة وعسفٌ وفسقٌ وجَورٌ ومصادرةٌ في الأموال .

قلت : وقد ذكر غيره عنه أنه ربما حضر يوم الجمعة في المشهد الكمالي بالشباك وهو سكران(٤) ، وأن قناني الخمر كانت تكون على بِرْكَةِ العادلية يوم السبت ، وكان يعتمد في التركات اعتماداً سيئاً جداً ، وقد عامله الله تعالىٰ بنقيض مقصوده ، وأهلكه الله على يَدَيْ مَنْ كان سبب سعادته ، كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالىٰ .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمئة

فيها : سلم الصالح إسماعيل صاحب دمشق حصن شقيف أرنون(٥) لصاحب صيدا الفرنجي ، فاشتد الإنكار عليه بسبب ذلك من الشيخ عز الدين(٦) بن عبد السلام خطيب البلد ، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب(٧) شيخ المالكية ، فاعتقلهما مدة ثم أطلقهما وألزمهما منازلهما ، وولي الخطابة وتدريس

(١) ذيل الروضتين (١٦٩) وفيه : وصنف تصانيف من جملتها عروض وهو عندي بخطه نقلت منه .
(٢) أ ، ب : الغزال ؛ والأصح أن يكون أمين الدولة .
(٣) ذيل الروضتين (١٦٩ ـ ١٧٠) .
(٤) أ ، ب : في المشهد بالشباك الكمالي وهو سكران بالخمر .
(٥) ط : سيف أدبون ؛ وهو تحريف . وفي معجم البلدان : الشقيف كالكهف أضيف إلى أرنون اسم رجل إما رومي وإما إفرنجي ، وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل . ياقوت (٣/ ٣٥٦) .
(٦) ستردُ ترجمة عز الدين بن عبد السلام في وفيات سنة ٦٦٠هـ من هذا الجزء .
(٧) ستردُ ترجمة ابن الحاجب في وفيات سنة ٦٤٦هـ من هذا الجزء إن شاء الله .

الغزالية لعماد الدين داود بن عمر بن يوسف المقدسي[١] خطيب بيت الآبار ، ثم خرج الشيخان من دمشق فقصد أبو عمرو الناصر داود بالكرك ، ودخل الشيخ عز الدين الديار المصرية ، فتلقاه صاحبها أيوب بالاحترام والإكرام ، وولّاه خطابة القاهرة وقضاء مصر ، واشتغل عليه أهلها فكان ممن أخذ عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمهما الله تعالىٰ .

وفيها : قدم رسول من ملك التتار تولي بن جنكيز خان إلى ملوك الإسلام يدعوهم إلى طاعته ويأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم . وعنوان الكتاب : من نائب رب السماء ماسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب قانقان[٢] . وكان الكتاب مع رجل مسلم من أهل أصبهان لطيف الأخلاق ، فأول ما ورد على شهاب الدين غازي بن العادل بميافارقين[٣] ، وقد أخبر[٤] بعجائب في أرضهم غريبة :

منها : أن في البلاد المتاخمة للسد أناساً أعينهم في مناكبهم ، وأفواههم في صدورهم ، يأكلون[٥] السمك وإذا رأوا أحداً من الناس هربوا[٦] .

وذكر أن عندهم بزراً ينبت الغنم ، يعيش الخروف منها شهرين وثلاثة ، ولا يتناسل .

ومن ذلك أن بمازندران عيناً يطلع فيها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة مثل المنارة ، فتقيم طول النهار فإذا غابت[٧] الشمس غابت[٨] في العين فلا ترى إلى مثل ذلك الوقت ، وأن بعض الملوك احتال ليمسكوها بسلاسل رُبطت فيها ، فغارت وقطعت تلك السلاسل ، ثم كانت إذا طلعت ترى فيها تلك السلاسل وهي إلى الآن كذلك[٩] .

قال أبو شامة[١٠] : وفيها قلَّتِ المياه من السماء[١١] والأرض ، وفسد كثير من الزرع[١٢] والثمار والله أعلم .

---

(١) سترد ترجمة عماد الدين المقدسي في وفيات سنة ٦٥٦هـ من هذا الجزء .
(٢) أ ، ب : قازان .
(٣) ب : صاحب ميافارقين .
(٤) أ ، ب : وقد أخبره .
(٥) أ ، ب : ويأكلون .
(٦) أ ، ب : ويأكلون .
(٧) ب : غربت .
(٨) أ ، ب : غاصت .
(٩) هذه خرافات كان يتعين على المؤلف تنزيه كتابه منها وهي من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ، وهو مجازف (بشار) .
(١٠) ذيل الروضتين (١٧١) بخلاف في الرواية .
(١١) أ ، ب : من الأرض والسماء .
(١٢) ب : الزروع .

وممن توفي فيها من الأعيان والمشاهير :

محيي الدين بن عربي[١] ، صاحب « الفصوص » وغيره ، محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو عبد الله الطائي الحاتمي[٢] الأندلسي ، طاف البلاد وأقام بمكة مدة ، وصنّف فيها كتابه المسمى « الفتوحات المكية » في نحو عشرين مجلداً ، فيها[٣] ما يُعقل وما لا يُعقل ، وما يُنكر وما لا يُنكر ، وما يُعرف وما لا يُعرف ، وله كتابه المسمى « فصوص الحكم »[٤] فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفرٌ صريحٌ ، وله كتاب « العبادلة » و« ديوان شعر » رائق ، وله مصنفات أخر كثيرة جداً ، وأقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته ، وكان بنو الزكي لهم عليه اشتمال وبه احتفال ولجميع ما يقوله احتمال .

قال أبو شامة[٥] : وله تصانيف كثيرة وعليه التصنيف[٦] سهل[٧] ، وله شعر حسن وكلام طويل على طريق التصوف ، وكانت له جنازة حسنة ، ودفن بمقبرة القاضي محيي الدين بن الزكي بقاسيون ، وكانت جنازته في الثاني والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة .

وقال ابن السبط[٨] : كان يقول إنه يحفظ الاسم الأعظم ويقول إنه يعرف الكيمياء بطريق المنازلة[٩] لا بطريق الكسب[١٠] ، وكان فاضلاً في علم التصوّف ، وله تصانيف كثيرة .

القاضي نجم الدين أبو العباس[١١] أحمد بن محمد بن خلف بن راجح المقدسي الحنبلي [ثم] الشافعي ، المعروف بابن الحنبلي .

---

(١) ترجمة ـ ابن عربي في تكملة المنذري (٣/ ٥٥٥) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٧٣) وهي ترجمة موسعة وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨ ـ ٤٩) وطبقات السبكي (٥/ ٤٩ ـ ٥٠) وشذرات الذهب (٧/ ٣٣٢ ـ ٣٤٨) وكنيته فيها : أبو بكر .

(٢) عن ب وحدها .

(٣) أ ، ب : فيه .

(٤) أ : الحكمة .

(٥) ذيل الروضتين (١٧٠) .

(٦) عن ط وحدها .

(٧) ب : سهلة . وعبارة أبي شامة : وكانت عليه سهلة .

(٨) مرآة الزمان (٨/ ٤٨٧) .

(٩) أ ، ب : المناولة .

(١٠) في المرآة : الكتب .

(١١) ترجمة ـ ابن الحنبلي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٨٧) وتكملة المنذري (٣/ ٥٦٣) وفيه : ابن راجع ؛ تحريف لابد من تصحيحه ، وذيل الروضتين (١٧١) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٦٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٧٥ ـ ٧٦) والعبر (٥/ ١٥٨) وطبقات الإسنوي (٨/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٤٠) وشذرات الذهب (٧/ ٣٣١ ـ ٣٣٢) .

كان شيخاً فاضلاً ديناً بارعاً في علم الخلاف ، ويحفظ « الجمع بين الصحيحين » للحميدي . وكان متواضعاً حسنَ الأخلاق ، قد طاف البلدان يطلب[١] العلم ثم استقرّ بدمشق ودرس بالعذراوية[٢] والصارمية والشامية الجوانية وأم الصالح ، وناب في الحكم عن جماعة من القضاة إلى أن توفي بها ، وهو نائب الرفيع[٣] الجيلي ، وكانت وفاته يوم الجمعة سادس شوال ودفن بقاسيون .

ياقوت بن عبد الله أمين الدين الرومي[٤] .

منسوب إلى بيت أتابك ، قدم بغداد مع رسول صاحب الموصل لؤلؤ . قال ابن الساعي : اجتمعت[٥] به وهو شاب أديب فاضل ، يكتب خطاً حسناً في غاية الجودة ، وينظم شعراً جيداً ، ثم روى عنه شيئاً من شعره . قال : وتوفي في جمادى الآخرة محبوساً .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمئة

فيها : قصد الملكُ الجوادُ أن يدخل مصر[٦] ليكون في خدمة الصالح أيوب ، فلما وصل إلى الرملة[٧] توهم منه الصالح أيوب وأرسل إليه كمال الدين ابن الشيخ ليقبض عليه ، فرجع الجواد فاستجار بالناصر داود ، وكان إذ ذاك بالقدس الشريف ، وبعث معه[٨] جيشاً فالتقوا مع ابن الشيخ فكسروه وأسروه فوبّخه الناصر داود ثم أطلقه ، وأقام الجواد في خدمة الناصر حتى توهم[٩] منه فقيّده وأرسله تحت الحوطة إلى بغداد ، فأطلقه بطن من العرب عرفوه[١٠] فلجأ إلى صاحب دمشق مدة ، ثم انتقل إلى الفرنج ، ثم عاد إلى دمشق فحبسه الصالح إسماعيل بعزتا إلى أن مات في سنة إحدى وأربعين كما سيأتي .

وفيها : شرع الصالح أيوب في بناء المدارس بمصر ، وبنى قلعة بالجزيرة غرم عليها شيئاً كثيراً من بيت المال ، وأخذ أملاكَ الناس وخرّبَ نيفاً وثلاثين مسجداً ، وقطعَ ألفَ نخلةٍ . ثم أخربها الترك في سنة

---

(١) أ ، ب : في طلب .
(٢) ط : بالفداوية . وهو تحريف . تنبيه الطالب (٩٦) ومنادمة الأطلال (١٨٢) .
(٣) تقدمت ترجمة القاضي الرفيع الجيلي قبل صفحات في وفيات سنة ٦٣٢ .
(٤) ترجمة ـ ياقوت ـ في وفيات الأعيان (٢/ ٢١٠) ومرآة الجنان (٤/ ٥٩ ـ ٦٣) والأعلام للزركلي (٨/ ١٣١) .
(٥) أ ، ب : فاجتمعت .
(٦) أ ، ب : أن يدخل إلى مصر .
(٧) ط : الرمل ؛ وهو تحريف .
(٨) ط : منه ؛ تحريف .
(٩) أ ، ب : توهمه .
(١٠) ط : عن قوة ؛ تحريف .

إحدى وخمسين كما سيأتي بيانه . وفيها ركب الملك المنصور[١] إبراهيم بن الملك المجاهد صاحب حمص ومعه الحلبيون ، فاقتتلوا مع الخوارزمية بأرض حَرّان ، فكسروهم ومزّقوهم كُلَّ مُمَزَّق ، وعادوا منصورين إلى بلادهم ، فاصطلح شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين مع الخوارزمية وآواهم إلى بلده ليكونوا من حزبه .

قال أبو شامة[٢] : وفيها كان دخول الشيخ عز الدين[٣] إلى الديار المصرية فأكرمه صاحبها وولّاه الخطابة بالقاهرة وقضاء القضاة بمصر ، بعد وفاة القاضي شرف الدين الموقع[٤] ثم عزل نفسه مرتين وانقطع في بيته رحمه الله تعالىٰ .

قال[٥] : وفيها توفي [بالموصل] الشمس بن الخباز النحوي الضرير في سابع رجب . والكمال بن يونس الفقيه في النصف من شعبان ، وكانا فاضلي بلدهما في فنهما .

قلت أما :

الشمس ابن الخَبَّاز[٦] فهو أبو عبد الله أحمد بن الحُسين بن أحمد بن مَعَالي بن منصور بن علي ، الضَّرير النحوي الموصلي المعروف بابن الخباز .

اشتغل بعلم العربية وحفظ « المفصل » و« الإيضاح » و« التكملة » والعروض والحساب ، وكان يحفظ « المجمل في اللغة » وغير ذلك ، وكان شافعيَّ المذهب كثيرَ النوادر والملح ، وله أشعارٌ جيدةٌ ، وكانت وفاته عاشر رجب[٧] وله من العمر خمسون سنة رحمه الله تعالىٰ .

وأما :

الكمال بن يُونُس[٨] فهو موسى بن يُونُس بن محمد بن مَنْعَة بن مالك العقيلي ، أبو الفتح المَوْصلي .

---

(١) ط : الملك المنصور بن إبراهيم ؛ وهو خطأ . ترويح القلوب (٤١) .

(٢) ذيل الروضتين (١٧١) .

(٣) سترد ترجمة العز بن عبد السلام في وفيات سنة ٦٦٠هـ من هذا الجزء .

(٤) ط : شرف الدين المرقع ، وفي أ : شرف الدين بن الموقع . ذيل الروضتين (١٧٢) .

(٥) ذيل الروضتين (١٧٢) .

(٦) ترجمة ـ ابن الخباز ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٢٨٥) والعبر (٥/ ١٥٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٤٢) وبغية الوعاة (١/ ٣٠٤) وشذرات الذهب (٧/ ٣٥٠) .

(٧) أ ، ب : وكانت وفاته في العاشر من رجب رحمه الله تعالىٰ .

(٨) ترجمة ـ الكمال ابن يونس ـ في تكملة المنذري (٣/ ٥٨٣) ووفيات الأعيان (٥/ ٣١١ ـ ٣١٨) والمختصر لأبي الفداء (٣/ ١٧٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٣٠٥) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٨٥ ـ ٨٧) والعبر (٥/ ١٦٢ ـ ١٦٣) ومرآة الجنان (٤/ ١٠١) وطبقات السبكي (٨/ ٣٧٨ ـ ٣٨٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤) وشذرات الذهب (٧/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) .

شيخ الشافعية بها ، ومدرّسٌ بعدَّة مدارس فيها ، وكانت له معرفة تامة بالأصول والفروع والمعقولات والمنطق والحكمة[١] ، ورحل إليه الطلبة من البلدان ، وبلغ ثمانياً وثمانين عاماً ، وله شعر حسن . فمن ذلك ما امتدح به البدر لؤلؤ صاحب الموصل وهو قوله : [من الطويل]

لئن زُينت الدنيا بمالكِ أمرها فمملكةُ الدنيا بكم تتشرفُ
بقيتَ بقاءَ الدهرِ أمركَ نافذٌ وسعيكُ مشكورٌ وحكمكُ ينصفُ[٢]

كان مولده سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وتوفي للنصف من شعبان هذه السنة ، رحمه الله تعالىٰ .

قال أبو شامة[٣] : وفيها توفي بدمشق :

عبد الواحد الصّوفي[٤] الذي كان قسّاً راهباً بكنيسة[٥] مريم سبعين سنة ، أسلم قبل موته بأيام ، ثم توفي شيخاً كبيراً بعد أن أقام بخانقاه السميساطية أياماً ، ودفن [بمقابر الصوفية ، وكانت له جنازة حافلة ، حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله تعالىٰ][٦] .

أبو الفضل أحمد بن اسفنديار[٧] بن الموفق بن أبي علي البوشنجي الواعظ ، شيخ رباط الأرجوانية .

قال ابن الساعي : كان جميلَ الصورة حسنَ الأخلاق كثيرَ التودّد والتواضع ، متكلماً متفوّهاً منطيقاً حسنَ العبارة جيدَ الوعظ طيبَ الإنشاد عذبَ الإيراد ، له نظم حسن ، ثم ساق عنه قصيدة يمدح بها الخليفة المستنصر .

أبو بكر محمد بن يحيى[٨] بن المُظَفَّر بن علي[٩] بن نعيم المعروف بابن الحُبَيْر[١٠] السلامي .

---

(١) أ ، ب : والحكم .
(٢) أ ، ب : تنصف .
(٣) ذيل الروضتين (١٧٢) .
(٤) وله ترجمة في تاريخ الإسلام (١٤/ ٢٩٧) .
(٥) ط : في كنيسة .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ترجمته في تكملة المنذري (٣/ ٥٩٠) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٨٥) .
(٨) ترجمة ـ ابن الحُبَيْر ـ في تكملة المنذري (٣/٥٨٧ ـ ٥٨٨) وتاريخ الإسلام (١٤/٣٠٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/١٠٧) والعبر (٥/ ١٦٢) والوافي (٥/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) وطبقات السبكي (٨/ ١٠٨ ـ ١٠٩) وطبقات الإسنوي (١/ ٤٤٩) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٦٣) .
(٩) ط : علم ؛ تحريف .
(١٠) ط : الحسر ؛ وهو تحريف .

شيخ [صالح] عالم فاضل ، كان حنبلياً ثم صار شافعياً ، ودرّس بعدة مدارس ببغداد للشافعية ، وكان أحد المُعَدّلين بها ، تولّى(١) مباشرات كثيرة . وكان فقيهاً أصولياً عالماً بالخلاف ، وتقدم ببلده وعظم كثيراً ، ثم استنابه(٢) ابن فضلان بدار الحريم ، ثم صار من أمره أن درس بالنظامية وخلع عليه ببغلة ، وحضر عنده الأعيان ، ومازال بها حتى توفي عن ثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

قاضي القضاة ببغداد أبو المعالي عبد الرحمن بن مُقْبِل(٣) بن الحُسين بن علي الواسطي الشافعي .

اشتغل ببغداد وحصل وأعاد في بعض المدارس ، ثم استنابه قاضي القضاة عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر(٤) في أيام الخليفة الظاهر بن الناصر ، ثم ولي قضاء القضاة مستقلاً ، ثم ولي تدريس المستنصرية بعد موت أول من درس بها محيي الدين محمد بن فضلان ، ثم عزل عن ذلك كله وعين لمشيخة(٥) بعض الربط . ثم كانت وفاته في هذا العام ، وكان فاضلاً ديّناً متواضعاً رحمه الله تعالىٰ وعفا عنه .

[ثم دخلت](٦) سنة أربعين وستمئة [من الهجرة النبوية]

فيها : توفي الخليفة المستنصر بالله وخلافة ولده المستعصم بالله ، فكانت(٧) وفاة الخليفة [المستنصر بالله](٨) أمير المؤمنين بكرةَ يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة ، وله من العمر إحدى وخمسون سنة ، وأربعة أشهر وسبعة أيام ، وكتم موته حتى كان الدعاء له على المنابر ذلك اليوم ، وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة وعشرين يوماً ، ودُفن بدار الخلافة ، ثم نُقل إلى التُّرَب من الرُّصافة .

---

(١) أ ، ب : وتولّى .
(٢) ب : واستنابه .
(٣) ترجمة ـ ابن مقبل ـ في التكملة للمنذري (٣/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٩٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥) وطبقات السبكي (٨/ ١٨٧) وطبقات الإسنوي (٢/ ٥٥٣) وشذرات الذهب (٧/ ٣٥٣) .
(٤) أ : نصر بن عبد القادر ، وب : نصر بن عبد الرزاق بن عبد القاهر ؛ وفي الرواية الثانية تحريف . ونصر بن عبد الرزاق عماد الدين كان قاضي القضاة . توفي سنة ٦٣٣هـ . تكملة المنذري (٣/ ٤١٩) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٩٦ ـ ٣٩٩) .
(٥) ط : وعن مشيخة .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : كانت .
(٨) ترجمة ـ المستنصر بالله ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٨٩) وتكملة المنذري (٣/ ٦٠٧) وذيل الروضتين (١٧٢) وتاريخ ابن العبري (٢٥٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٥٦ ـ ١٦٨) والعبر (٥/ ١٦٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) وشذرات الذهب (٧/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) .

وكان جميلَ الصورة حسنَ السريرة جيد[١] السيرة ، كثيرَ الصدقات والبرّ والصِّلات ، مُحْسناً إلى الرعية بكل ما يقدر عليه .

كان جدُّهُ الناصر قد جمع ما يتحصَّل من الذهب في بركة في دار[٢] الخلافة ، فكان يقف على حافتها ويقول : أترى أعيش حتى أملأها ، وكان المستنصر يقف على حافتها ويقول أترى أعيش حتى أنفقها كلها . وكان[٣] يبني الربط والخانات والقناطر في الطرقات من سائر الجهات ، وقد عمل بكل محلةٍ من محالِّ بغداد دارَ ضيافة للفقراء ، لاسيّما في شهر رمضان .

وكان يتقصَّد الجواري اللائي قد بلغن الأربعين فيُشْتَرَيْنَ له فيعتقهن ويجهّزهن ويزوّجهن .

وفي كل وقتٍ يبرز صِلاته ألوف متعددة من الذهب ، تُفَرَّق في المحالِّ ببغداد على ذوي الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم ، تقبل الله تعالىٰ منه وجزاه خيراً .

وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة ، وجعل فيها دار حديث ومرستاناً وحماماً ودار طبٍّ ، وجعل لمستحقّيها من الجوامك والأطعمة والحلاوات والفاكهة[٤] ما يحتاجون إليه في أوقاته ، ووقف[٥] عليها أوقافاً عظيمة حتى قيل إنَّ ثمنَ التبن[٦] من غلاّتِ ريعها يكفي المدرسة وأهلها[٧] . ووقف[٨] فيها كتباً نفيسةً ليس في الدنيا لها[٩] نظير ، فكانت هذه المدرسة جمالاً لبغداد بل لسائر[١٠] البلاد .

وقد احترق في أول هذه السنة المشهدُ الذي بسامرّاء المنسوب إلى عليّ الهادي والحسن العسكري ، وقد كان بناه أرسلان البساسيري[١١] في أيام تغلّبه على تلك النواحي ، في حدود سنة

---

(١) ب : جميل .
(٢) أ ، ب : بدار .
(٣) ط : فكان .
(٤) أ ، ب : والفواكه .
(٥) ب : وأوقف .
(٦) ب : ثمن التبن والفواكه .
(٧) وقف الذهبي على نسخة كتاب وقفها في خمسة كراريس ، وقال : « والوقف عليها عدة رباع وحوانيت ببغداد وعدة قرى كبار وصغار ما قيمته تسعمئة ألف دينار فيما يخال إليَّ ، ولا أعلم وقفاً في الدنيا يقارب وقفها أصلاً سوى أوقاف جامع دمشق ، وقد يكون وقفها أوسع » ثم ساق بعضاً من وقفها . تاريخ الإسلام (١٤/٨ ـ ١٠) .
(٨) أ ، ب : وأوقف .
(٩) أ ، ب : ليس لها في الدنيا نظير وكانت .
(١٠) ط : وسائر .
(١١) أبو الحارث الملقب بالمظفر ملك الأمراء أرسلان التركي البساسيري نسبة إلى تاجر باعه من أهل فسا ، والصواب فسوي فقيلت على غير قياس كعادة العجم . ترقت به الأحوال إلى أن نابذ الخليفة وخرج عليه وكاتب صاحب مصر فأمدّه بأموال وسلاح فأقبل في عسكر قليل وتوثّب على بغداد ففرّ منه القائم . قتل سنة ٤٥١هـ . سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٣٢ ـ ١٣٣) .

خمسين[١] وأربعمئة ، فأمر الخليفة المستنصر بإعادته إلى ما كان عليه ، وقد تكلمتِ الروافضُ في الاعتذار عن حريقِ هذا المشهدِ بكلامٍ طويلٍ باردٍ لا حاصل له ، وصنفوا فيه أجزاء[٢] وأنشدوا أشعاراً كثيرة لا معنى لها ، وهو المشهد الذي يزعمون أنه يخرج منه المنتظر الذي لا حقيقةَ له ، فلا[٣] عين ولا أثر ، ولو لم يبن لكان أجدر[٤] ، وهو الحسن بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر[٥] بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بكربلاء ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وقبح من يغلو فيهم ويبغض بسببهم من هو أفضل منهم .

وكان المستنصر رحمه الله كريماً حليماً رئيساً متودداً إلى الناس ، وكان جميلَ الصورة حسنَ الأخلاق بهيَّ المنظر ، عليه نورُ بيتِ النبوّة رضي الله عنه وأرضاه .

وحُكي[٦] أنه اجتاز راكباً في بعض أزقّة بغداد قبل غروب الشمس من رمضان ، فرأى شيخاً كبيراً ومعه إناءٌ فيه طعامٌ قد حمله من محلةٍ إلى محلةٍ أخرى . فقال : أيها الشيخ لم لا أخذت الطعام من محلّتك ؟ أو أنت محتاجٌ تأخذ[٧] من المحلَّتين ؟ فقال : لا والله يا سيدي ـ ولم يعرفْ أنه الخليفةُ ـ ولكنّي شيخٌ كبيرٌ ، وقد نزل بي الوقتُ ، وأنا[٨] أستحيي من أهل محلتي أن أزاحمهم وقت الطعام ، فيشمت بي من كان يبغضني ، فأنا أذهب إلى غير محلتي فآخذ الطعام وأتحين[٩] وقتَ كون الناس في صلاةِ المغربِ فأدخل بالطعام إلى منزلي بحيث[١٠] لا يراني أحدٌ . فبكى الخليفةُ رحمه الله وأمر له بألف دينار ، فلما دُفعت إليه فرح الشيخُ فرحاً شديداً حتّى قيل إنه انشقَّ قلبُه من شدّة الفرح ، ولم يعش بعد ذلك إلا عشرين يوماً ، ثم مات فحملت[١١] الألف دينار إلى الخليفة ، لأنه لم يترك[١٢] وارثاً . وقد أنفق منها ديناراً واحداً ، فتعجّب

---

(١) أ ، ب : في حدود خمس وأربعمئة .
(٢) ط : وصنفوا فيه أخباراً .
(٣) ب : ولا عين .
(٤) أ ، ب : أجود .
(٥) ط : « جعفر الصادق بن علي بن محمد بن الباقر » وهو تخليط قبيح (بشار) .
(٦) أ ، ب : حكي ؛ بلا واو .
(٧) ب : فتأخذ .
(٨) أ ، ب : فأنا .
(٩) ب : وأستحين وقت لهذا . وفي أ : وأتحين أكبر وقت .
(١٠) أ ، ب : حيث .
(١١) ط : فحلف .
(١٢) أ ، ب : لم يخلف .

الخليفةُ من ذلك وقال : شيءٌ قد خرجنا عنه[١] لا يعود إلينا ، تَصَدَّقوا بها على فقراء محلته ، فرحمه الله تعالىٰ .

وقد خلَّف من الأولاد ثلاثةً ، اثنان شقيقان وهما[٢] أمير المؤمنين المستعصم بالله الذي ولي الخلافة بعده[٣] أبو أحمد عبد الله ، والأمير أبو القاسم عبد العزيز وأختهما من أم أخرى كريمة صان الله حجابها .

وقد رثاه الناس بأشعار كثيرة أورد منها ابن الساعي قطعةً صالحةً ، ولم يستوزر أحداً بل أقرَّ أبا الحسن محمد بن محمد القمي[٤] على نيابة الوزارة ، ثم كان بعده نصير[٥] الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد الناقد الذي كان أستاذ دار الخلافة ، والله تعالىٰ أعلم بالصواب .

خلافة المستعصم بالله

أمير المؤمنين وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد ، وهو الخليفةُ الشهيدُ الذي قتله التتار بأمر هلاكو[٦] بن تولي ملك التتار بن جنكيز خان لعنهم[٧] الله ، في سنة ست وخمسين وستمئة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ ، وهو أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن أمير المؤمنين الظاهر بالله أبي نصر محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن أمير المؤمنين الخليفة المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن أمير المؤمنين الخليفة المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن الخليفة المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله وبقية نسبه إلى العباس في ترجمة جده الناصر ، وهؤلاء الذين ذكرناهم كلهم ولي الخلافة يتلو بعضهم بعضاً ، ولم يتفق هذا لأحد قبل المستعصم ، أن في نسبه ثمانية نسقاً ولوا الخلافة[٨] لم يتخللهم أحدٌ ، وهو التاسع رحمه الله تعالىٰ بمنه .

لما توفي أبوه بكرةَ الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة أربعين وستمئة استُدْعي هو من التاج

(١) ب : خرجنا عنه لله .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) ط : وأبو أحمد .
(٤) أ ، ب : أبا محمد الحسن بن محمد بن محمد القمي .
(٥) ط : نصر .
(٦) أ ، ب : هولاوو .
(٧) أ ، ب : لعنه .
(٨) أ ، ب : ولو الخلافة نسقاً .

يومئذ بعد الصلاة فبويع بالخلافة ، ولُقّب بالمستعصم ، وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وشهور .

وقد أتقن في شبيبته تلاوة القرآن حفظاً وتجويداً ، وأتقنَ العربيةَ والخطَّ الحسنَ وغير ذلك من الفضائل على الشيخ شمس الدين أبي المظفر علي بن محمد بن النيار(١) أحد أئمة الشافعية في زمانه ، وقد أكرمه(٢) وأحسن إليه في خلافته .

وكان المستعصم على ما ذكر كثيرَ التلاوة حسنَ الأداء طيّبَ الصوت ، يَظهر عليه خشوعٌ وإنابةٌ ، وقد نظر في شيء من التفسير(٣) وحل المشكلات ، وكان مشهوراً بالخير مشكوراً مقتدياً بأبيه المستنصر جهده وطاقته ، وقد مشتِ الأمور في أيامه على السَّداد والاستقامة بحمد الله ، وكان القائم بهذه البيعة المستعصمية شرف الدين أبو الفضائلِ إقْبال المُسْتَنْصِري(٤) ، فبايعه أولاً بنو عمه وأهلهُ من بني العباس ، ثم أعيانُ الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والفقهاء ومَنْ بعدهم من أولي الحلِّ والعقد والعامة وغيرهم ، وكان يوماً مشهوداً ومجمعاً محموداً ورأياً سعيداً ، وأمراً حميداً ، وجاءت البيعة من سائر الجهات والأقطار والبلدان(٥) والأمصار ، وخطب له في سائر البلدان ، والأقاليم والرساتيق ، وعلى سائر المنابر شرقاً وغرباً ، بُعداً وقُرباً ، كما كان أبوه وأجداده ، [من بني العباس] رحمهم الله أجمعين .

وفيها : وقع من الحوادث(٦) أنه كان بالعراق وباءٌ شديدٌ في آخر أيام المستنصر وغلا السكَّرُ والأدويةُ فتصدق الخليفة(٧) المستنصر بالله(٨) رحمه الله بسكر كثير على المرضى ، تقبل الله منه .

وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان أذن الخليفة المستعصم بالله لأبي الفرج عبد الرحمن بن محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ـ وكان شاباً ظريفاً فاضلاً(٩) ـ في الوعظ بباب البدرية ، فتكلم وأجاد وأفاد وامتدح الخليفة المستعصم بقصيدة مفيدة(١٠) طويلة جليلة(١١) فصيحة مليحة(١٢) ،

---

(١) سترد ترجمة ابن النيار في وفيات سنة ٦٦٣ .

(٢) عن ط وحدها .

(٣) أ ، ب : التفاسير .

(٤) هو جمال الدولة أمير الجيوش شرف الدين أبو الفضائل إقبال الحبشي المستنصري الشرابي مات سنة ٦٥٣هـ ، عين في سنة ٦٤٣هـ مقدم جيوش العراق وبنى عدة مدارس وربط . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٧٠) .

(٥) أ : والبلدان والقرى والأمصار .

(٦) بعدها في أ ، ب : في هذه السنة .

(٧) عن ط وحدها .

(٨) بعدها في ب : أمير المؤمنين .

(٩) أ : طرياً عاقلاً .

(١٠) عن ب وحدها .

(١١) عن ط وحدها .

(١٢) عن ط وحدها .

سردها ابن الساعي بكمالها ، ومن يشابه[١] أباه فما ظلم ، والشبل في المخبر[٢] مثل الأسد .

وفيها : كانت وقعة عظيمة بين الحلبيين وبين الخوارزمية ، و(مع الخوارزمية) شهاب الدين غازي صاحب ميّافارقين ، فكسرهم الحلبيون كسرة عظيمة منكرة ، وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً جداً ، ونُهبت نصيبين مرة أخرى ، وهذه سابع عشرة مرة نهبت في هذه السنين ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون . وعاد الغازي إلى ميافارقين وتفرقت الخوارزمية يفسدون في الأرض[٣] صحبة مقدمهم بركات خان ، لا بارك الله فيه .

وقدم على الشهاب غازي منشور بمدينة خلاط فتسلمها وما فيها من الحواصل .

وفيها : عزم الصالح أيوب صاحب مصر على دخول الشام فقيل له إن العساكر مختلفة فجهّز عسكراً إليها وأقام هو بمصر يدير مملكتها .

ومن توفي فيها من الأعيان :

المستنصر بالله[٤] أمير المؤمنين كما تقدم . والحرمة[٥] المصونة الجليلة :

تركان[٦] خاتون بنت عز الدين مسعود[٧] بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكية واقفة المدرسة الأتابكية[٨] بالصالحية ، وكانت زوجة السلطان الملك الأشرف رحمه الله وفي ليلة وفاتها كان وقف[٩] مدرستها وتربتها بالجبل قاله أبو شامة : ودفنت بها رحمها الله تعالىٰ وتقبل منها .

---

(١) ب : من شابه . والمثل في معجم الأمثال العربية من تأليفي (٢/٤٣٦) ومصادره فيه مجمع الأمثال (٢/٢٠٠) والفاخر (١٠٣ و٢٧٧) وجمهرة العسكري (٢/٢٤٤) والمستقصى للزمخشري (٢/٣٥٢) وفصل المقال (١٨٥) وكتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي (٦٧) والأمثال للقاسم بن سلام (١٤٥ و٢٦٠) ولسان العرب (ظلم) .

(٢) أ ، ب : الخير . ب : الخيرات ؛ والأخيرة خطأ .

(٣) أ ، ب : يعيثون في الأرض فساداً .

(٤) تقدم ذكر مصادره في الصفحة السابقة .

(٥) أ ، ب : والجهة .

(٦) ليست اللفظة في ط . وهي في ب وذيل الروضتين : بركات . وما هنا من أ وباقي المصادر .

(٧) ترجمة ـ تركان خاتون ـ في ذيل الروضتين (١٧٢) وتاريخ الإسلام (٣١٦/١٤) والعبر (٥/٦٤ ـ ٦٥) والدارس (١/١٢٩) وتاريخ الصالحية (١٠٢ ـ ١٠٣) وتنبيه الطالب (٢٦) وشذرات الذهب (٧/٣٥٩) ومنادمة الأطلال (٧٧) .

(٨) تقع المدرسة الأتابكية في الصالحية غربي دار الحديث الشرقية المقدسية وشرقي حمام العرائس . تاريخ الصالحية . وقال بدران : والناس الآن يسمونها جامع التابتية وتارة يقولون : الثابتية . الدارس (١/١٢٩) وتاريخ الصالحية (١٠٢) ومنادمة الأطلال ٧٧ .

(٩) ط : كانت وقفت . وما هنا موافق لما في ذيل الروضتين (١٧٢) .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمئة

فيها : ترددت الرسل بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق[١] ، على أن يرد إليه ولده المغيث عمر بن الصالح أيوب المعتقل في قلعة دمشق ، وتستقر دمشق في يد[٢] الصالح إسماعيل ، فوقع الصلح على ذلك ، وخطب للصالح أيوب بدمشق ، فخاف الوزير أمين الدولة أبو الحسن غزال المسلماني[٣] ، وزير الصالح إسماعيل من غائلة هذا الأمر ، فقال لمخدومه : لا ترد هذا الغلام لأبيه[٤] تخرج البلاد من يدك ، هذا خاتم سليمان بيدك[٥] للبلاد ، فعند ذلك أبطل ما كان وقع من الصلح ورد الغلام إلى القلعة ، وقُطعت الخطبةُ للصالح أيوب ، ووقعت الوحشة بين الملكين ، وأرسل الصالح أيوب إلى الخوارزمية يستحضرهم لحصار دمشق فإنا لله وإنّا إليه راجعون . وكانت الخوارزمية قد فتحوا في هذه السنة بلادَ الروم وأخذوها من أيدي ملكها ابن علاء الدين[٦] ، وكان قليل العقل يلعب بالكلاب والسباع ، ويسلِّطها على الناس ، فاتفق أنه عضَّه سبُعٌ فمات فتغلبوا على البلاد حينئذ .

وفيها : احتيط على أعوان القاضي الرفيع الجيلي[٧] ، وضُرب بعضهم بالمقارع ، وصُودروا ورُسم على القاضي الرفيع بالمدرسة المقدمية داخل باب الفراديس ، ثم أُخرج ليلاً وذهب به فسجن بمغارة أفقه من نواحي البقاع ، ثم انقطع خبره . وذكر أبو شامة[٨] أنه توفي ، ومنهم من قال إنه أُلقي من شاهقٍ ، ومنهم من قال خُنق ، وذلك كله بذي الحجة من هذه السنة .

وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين منه قرئ منشور ولاية القضاء بدمشق لمحيي الدين

---

(١) أ : فيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب وبين عمه صاحب دمشق الصالح إسماعيل صاحب دمشق . وفي ب : فيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب وبين عمه صاحب مصر الصالح إسماعيل صاحب دمشق وكلا الروايتين مضطربتان والصحيح ما أثبتنا فوق .

(٢) أ ، ب : بيد .

(٣) سترد ترجمة غزال المسلماني في وفيات سنة ٦٤٨هـ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٤) أ ، ب : إلى أبيه .

(٥) أ ، ب : في يدك .

(٦) اسمه كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان غياث الدين .

(٧) هو رفيع الدين قاضي القضاة أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل الجيلي الشافعي . ترجمته في مرآة الزمان (٨/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣) وذيل الروضتين (١٧٣ ـ ١٧٤) وعيون الأنباء (٢/ ١٧١) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٠٩ ـ ١١١) والعبر (٥/ ١٧٢) وفوات الوفيات (٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤) وطبقات الإسنوي (١/ ٥٩٢ ـ ٥٩٤) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) والدارس (١/ ١٨٨) وشذرات الذهب (٧/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) .

(٨) أ ، ب : قال أبو شامة وذكر .

[يحيى][(١)] بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي ، بالشباك الكمالي من الجامع ، كذا قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة[(٢)] . وزعم السبط[(٣)] أن عزله إنما كان في السنة الآتية ، وذكر أن سبب هلاكه أنه كتب إلى الملك الصالح يقول له : إنه قد أورد إلى خزانته من الأموال ألف ألف دينار من أموال الناس فأنكر الصالح ذلك ، ورد عليه[(٤)] الجواب أنه لم يرد سوى ألف ألف درهم ، فأرسل القاضي يقول فأنا أحاقق الوزير ، وكان الصالح لا يخالف الوزير[(٥)] ، فأشار حينئذ على الصالح فعزله لتبرأ ساحة السلطان من شناعات الناس ، فعزله وكان من أمره ما كان[(٦)] . وفوض أمر مدارسه إلى الشيخ تقي الدين ابن الصلاح[(٧)] فعين العادلية للكمال التفليسي[(٨)] ، والعذراوية لمحيي الدين بن الزكي الذي ولي القضاء بعده ، والأمينية لابن عبد الكافي[(٩)] ، والشامية البرانية للتقي الحموي[(١٠)] ، وغيب القاضي الرفيع وأسقطت[(١١)] عدالة شهوده .

قال السبط[(١٢)] : أرسله الأمين مع جماعة على بغل بإكاف[(١٣)] لبعض النصارى إلى مغارة أفقه في جبل لبنان من ناحية الساحل ، فأقام بها أياماً ثم أرسل إليه عَدْلَيْن من بعلبك ليشهدا[(١٤)] عليه ببيعِ أملاكه من أمين الدولة ، فذكرا أنهما شاهداه وعليه تخفيفة وقندورة[(١٥)] ، وأنه استطعمهما شيئاً من الزاد وذكر أن له ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً ، فأطعماه[(١٦)] من زوادتهما وشهدا[(١٧)] عليه وانصرفا ، ثم جاءه داود النصراني فقال له

---

(١) سترد ترجمة محيي الدين القرشي في وفيات سنة ٦٦٨هـ من هذا الجزء .
(٢) ذيل الروضتين (١٧٤) .
(٣) مرآة الزمان (٨/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣) .
(٤) أ ، ب : إليه .
(٥) ذكر السبط أن الوزير هو السامري .
(٦) أ ، ب : وكان ما كان من أمره .
(٧) سترد ترجمة ابن الصلاح في وفيات سنة ٦٤٣هـ .
(٨) الكمال التفليسي هو عمر بن بندار بن عمر ، سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٧٢هـ .
(٩) ابن عبد الكافي هو محمد بن عبد الكافي بن علي بن موسى الربعي شمس الدين . درّس بالكلاسة والأمينية وناب في القضاء مدة بدمشق وحمص . وتوفي سنة ٦٤٩هـ . ذيل الروضتين (٦٤٩) والدارس (١/ ١٧٩ و١٨٩ ، ٤٥٥) .
(١٠) سترد ترجمة ابن رزين في وفيات سنة ٦٨٠هـ .
(١١) ط : وأسقط . وهي مخالفة للسياق النحوي .
(١٢) مرآة الزمان (٨/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧) .
(١٣) الإكاف والأُكاف من المراكب شبه الرحال والأقتاب . اللسان (أكف) .
(١٤) أ ، ب : عدلان من بعلبك فشهدا . وهي صحيحة إذا كان فعل (أرسل) مبني للمجهول .
(١٥) في مرآة الزمان : وعليه قندورة صغيرة وعلى رأسه تخفيفة .
(١٦) أ ، ب : وأطعماه .
(١٧) أ : وأشهدا عليه .

قم فقد أمرنا(١) بحملك إلى بعلبك ، فأيقن بالهلاك حينئذ ، فقال دعوني أصلي ركعتين ، فقال له قم ، فقام يصلي(٢) فأطال الصلاة فرفسه النصراني فألقاه من رأس الجبل إلى أسفل الوادي الذي هناك ، فما وصل حتى تقطع ، وحكي أنه تعلّق ذيلُه بسنِّ الجبل فما زال داود يرميه بالحجارة حتى ألقاه إلى أسفل الوادي ، وذلك عند الشقيف(٣) المطلّ على نهر إبراهيم .

قال السبط(٤) : وقد كان فاسدَ العقيدة دهرياً مستهزئاً بأمور الشرع ، يخرج إلى المجلس سكراناً(٥) ويحضر إلى الجمعة كذلك ، وكانت داره كالحانات . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال(٦) : وأخذ الموفق الواسطي أحد أمنائه ـ وكان(٧) من أكبر البلايا ـ أخذ لنفسه من أموال الناس ستمئة ألف درهم ، فعُوقب عقوبةً عظيمةً حتى أُخذت منه ، وقد كُسرت ساقاه ومات تحت الضرب ، فألقي في مقابر اليهود والنصارى ، وأكلته(٨) الكلاب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ شمس الدين أبو الفتوح(٩) عمر بن أسعد بن المُنَجَّى التَّنوخي المَعَرّي الحنبلي .

قاضي حران قديماً ، ثم قدم دمشق ودرس بالسمسارية وتولى خدماً في الدولة المعظمية ، وكانت له رواية عن ابن صابر(١٠) والقاضيين الشهرزوري(١١) وابن أبي عصرون(١٢) ، وكانت وفاته في سابع ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله تعالىٰ .

---

(١) أ : فقال قم قد أمرنا .
(٢) ب : فصلى .
(٣) الشقيف كالكهف . معجم البلدان (٣/ ٣٥٦) .
(٤) مرآة الزمان (٨/ ٤٩٦) .
(٥) كذا وردت في الأصول مخالفة للقاعدة النحوية .
(٦) مرآة الزمان (٨/ ٤٩٧) .
(٧) أ : فكان .
(٨) أ ، ب : فأكلته .
(٩) ترجمة ـ عمر بن أسعد بن المُنَجّى ـ في ذيل الروضتين (١٧٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٣٩٠) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٨٠) والعبر (٥/ ١٧٠) وتذكرة الحفاظ (١٤٣٥) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٤٩) والدارس (٢/ ١١٦) والقلائد الجوهرية (٢/ ٥٠٠) وشذرات الذهب (٧/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) .
(١٠) أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن صابر السلمي الدمشقي ، ابن سيّدة . توفي سنة ٥٧٦هـ . سير أعلام النبلاء (٢١/ ٩٣) .
(١١) تقدمت ترجمة كمال الدين الشهرزوري في وفيات سنة ٥٧٢هـ من الجزء السابق .
(١٢) تقدمت ترجمة ابن أبي عصرون في وفيات سنة ٥٨٥هـ من الجزء السابق .

أخوه[١] عز الدين[٢] وتوفي أخوه العز بعده في ذي الحجة[٣] ودفن بمدرسته التي في الجبل .

الشيخ الحافظ الصالح[٤] تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصَّرِيفيني .

كان يدري الحديث وله به معرفةٌ جيدة ، أثنى عليه أبو شامة[٥] وصلي عليه بجامع دمشق ودفن بقاسيون رحمه الله .

واقف[٦] الكَرَوَّسِيَّة[٧] محمد بن عقيل[٨] بن كَرَوَّس[٩] ، جمال الدين محتسب دمشق .

كان كيِّساً متواضعاً ، توفي بدمشق في شوال ودفن بداره التي جعلها مدرسةً ، وله دار حديث رحمه الله تعالىٰ وعفا عنه .

الملك الجواد يونس بن مودود[١٠] ، ابن العادل أبي بكر بن أيوب الملك الجواد .

وكان أبوه أكبر أولاد العادل ، تقلّبت به الأحوال وملكَ دمشقَ بعد عمِّه الكامل محمد بن العادل ، وكان في نفسه جيداً محباً للصالحين ، ولكن كان في بابه من يظلم الناس وينسب ذلك إليه ، فأبغضته العامة وسبُّوه وألجؤوه إلى أن قايض بدمشق الملك الصالح أيوب بن الكامل إلى سنجار وحصن كيفا ، ثم

---

(١) لم ترد هذه الترجمة في ط ، واستدركتها عن أ ب .

(٢) ترجمة ـ العز بن المنجى ـ في ذيل الروضتين (١٧٣) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٢٦) والمقصد الأرشد (١٩٧) والدارس (٢/ ٨٧ ، ١١٦ ـ ١١٧) وشذرات الذهب (٧/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) .

(٣) ب : في ذي القعدة منها .

(٤) ترجمة ـ الصريفيني ـ في ذيل الروضتين (١٧٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٣٧٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٨٩ ـ ٩٠) والعبر (٥/ ١٦٧) وتذكرة الحفاظ (١٤٣٣) والوافي بالوفيات (٦/ ١٤١) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٢٧ ـ ٢٣٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠) والمقصد الأرشد (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) وشذرات الذهب (٧/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤) .

(٥) قال أبو شامة : وكان عالماً بالحديث ديناً متواضعاً رحمه الله . ذيل الروضتين (١٧٣) .

(٦) ترجمة ـ ابن كروس ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٩١ ـ ٤٩٢) والتكملة للمنذري (٣/ ٦٣٠) والوافي بالوفيات (٤/ ٩٨) والدارس (١/ ٩٨) ومختصر تنبيه الطالب (٧٠) وشذرات الذهب (٧/ ٣٦٩) ومنادمة الأطلال (٥٨) .

(٧) دار الحديث الكروسية : قال بدران : غربي مئذنة الشحم ، وهي بجانب المدرسة السامرية في زقاق السلمي . منادمة الأطلال (٥٧ ـ ٥٨) قلت : ويفهم من حديث بدران أنه لم يبق منها إلى اليوم إلا أطلال .

(٨) قيّدها المنذري : بفتح العين ، وكسر القاف . تكملة المنذري (٣/ ٦٣٠) .

(٩) قيّدها المنذري بفتح الكاف ، وبعدها راء مهملة مفتوحة ، وواو مشددة مفتوحة وسين مهملة . وتكملة المنذري (٣/ ٦٣٠) .

(١٠) ترجمة ـ الملك الجواد ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٩٢) وتاريخ أبي الفداء (٣/ ١٦٩) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٠٠) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥) والعبر (٥/ ١٧١) وفوات الوفيات (٤/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧) والمرآة (٤/ ١٤) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٤٨) والشذرات (٧/ ٣٦٨) .

لم يحفظهما بل خرجتا عن يده ، ثم آل به الحال إلى أن سجنه الصالح إسماعيل بحصن عزتا ، حتى كانت وفاته في هذه السنة ، ونقل في شوال إلى تربة المعظم بسفح[(١)] قاسيون ، وكان عنده ابن يغمور[(٢)] معتقلاً فحوله الصالح إسماعيل إلى قلعة دمشق ، فلما ملكها الصالح أيوب نقله إلى الديار المصرية وشنقه مع الأمين غزال[(٣)] وزير الصالح إسماعيل ، على قلعة القاهرة ، جزاءً على صنعهما في حق الصالح أيوب رحمه الله تعالىٰ . أما ابن يغمور فإنه عمل عليه حتى حول ملك دمشق إلى [الملك] الصالح إسماعيل ، وأما أمين الدولة فإنه منع الصالح من تسليم ولده عمر إلى أبيه فانتقم منهما بهذا ، وهو معذور بذلك[(٤)] .

مسعود بن أحمد بن مسعود بن مازه المحاربي .

أحد الفقهاء الحنفيّة الفضلاء ، وله علم بالتفسير وعلم الحديث ، ولديه فضلٌ غزيرٌ ، قدم بغداد صحبةَ رسول التتار للحج ، فحُبس مدة سنين ثم أُفرج عنه ، فحج[(٥)] ثم عاد ، فمات ببغداد في هذه السنة رحمه الله تعالىٰ .

أبو الحسن علي بن يحيى[(٦)] بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد البَطْريق بن نصر بن حَمدون ابن ثابت الأَسَدي الحِلّي ، ثم الواسطي ، ثم البغدادي ، الكاتب الشاعر الشيعي .

فقيه الشيعة ، أقام بدمشق مدة وامتدح كثيراً من الأمراء والملوك ، منهم الكامل صاحب مصر وغيره ، ثم عاد إلى بغداد فكان يشغل الشيعة في مذهبهم ، وكان فاضلاً ذكياً جيّدَ النظم والنثر ، لكنه مخذولٌ محجوبٌ عن الحق .

وقد أورد ابن الساعي قطعة جيدة من أشعاره [الدالة على غزارة مادته في العلم والذكاء رحمه الله وعفا عنه][(٧)] .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وستمئة

فيها : استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد [بن]

---

(١) أ ، ب : من سفح .
(٢) ابن يغمور : سترد أخباره في حوادث سنة ٦٤٨هـ من هذا الجزء .
(٣) سترد ترجمة غزال في وفيات سنة ٦٤٨ من هذا الجزء .
(٤) أ ، ب : في ذلك .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ترجمته في المختار من تاريخ ابن الجزري (١٨٨) وتاريخ الإسلام (٣٨٩/١٤) (بشار) .
(٧) مكان ما بين الحاصرتين في أ وب : في الكامل وغيره .

العلقمي[١] المشؤوم على نفسه، وعلى أهل بغداد، والذي[٢] لم يعصم المستعصم في وزارته، فإنه لم يكن وزير صدقٍ ولا مرضيَّ الطريقة، فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاكو[٣] وجنوده قبحه الله وإياهم، وقد كان ابن العلقمي قبل هذه الوزارة أستاذ دار الخلافة، فلما مات نصير[٤] الدين محمد[٥] بن الناقد استوزر ابن العلقمي وجعل مكانه في الاستادارية الشيخ محيي الدين يوسف بن أبي الفرج بن الجوزي، وكان من خيار الناس، وهو واقف الجوزية التي بالنشابين[٦] بدمشق تَقَبَّلَ الله منه.

وفيها: جعل الشيخ شمس الدين علي بن محمد بن الحسين بن النيار[٧] مؤدب الخليفة شيخ الشيوخ ببغداد، وخلع عليه، ووكل الخليفة عبد[٨] الوهاب ابن المطهر وكالة مطلقة، وخلع عليه.

وفيها: كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيوب صاحب مصر استقدمهم ليستنجد بهم على الصالح إسماعيل أبي الحسن صاحب دمشق، فنزلوا على غزة وأرسل إليهم الصالح أيوب الخلع والأموال[٩] والأقمشة والعساكر، فاتفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك، والمنصور صاحب حمص، مع الفرنج واقتتلوا مع الخوارزمية قتالاً شديداً، فهزمتهم الخوارزمية كسرةً منكرةً فظيعةً، هُزمت الفرنجُ بصلبانها وراياتها العالية، على رؤوس أطلاب المسلمين، وكانت كؤوس الخمر دائرة بين الجيوش فنابت[١٠] كؤوس المنون عن كؤوس الزَّرَجُون[١١]، فقتل من الفرنج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألفاً[١٢]، وأسروا جماعة من ملوكهم وقسوسهم وأساقفتهم[١٣]، وخلقاً من أمراء المسلمين، وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر، وكان يومئذ يوماً مشهوداً وأمراً محموداً، ولله الحمد. وقد قال بعض أمراء المسلمين: قد علمت أنّا لما وقفنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نفلح. وغنمت الخوارزمية من الفرنج ومن كان معهم شيئاً كثيراً، وأرسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرها، فحصنها الصالح

---

(١) سترد ترجمة ابن العلقمي في وفيات سنة ٦٥٦هـ من هذا الجزء.
(٢) ط: الذي. بلا واو.
(٣) ب: قصة هولاؤو.
(٤) ط: نصر الدين.
(٥) كذا في الأصول، وسترد ترجمة ابن الناقد في وفيات هذه السنة ٦٤٢هـ.
(٦) يسمى النشابون في عصرنا. (سوق الخياطين).
(٧) سترد ترجمة ابن النيار في وفيات سنة ٦٥٦هـ من هذا الجزء.
(٨) أ، ب: بهاء الدين عبد الوهاب.
(٩) أ، ب: الأموال والخلع.
(١٠) أ، ب: فصارت.
(١١) أ، ب: عن تلك الخمور والزّرجون: الخمر. اللسان (زرجن).
(١٢) ط: ألف، وما هنا موافق للسياق النحوي.
(١٣) أ، ب: من ملوكهم وأساقفتهم وقسوسهم.

إسماعيل وخرّب من حولها رباعاً كثيرة(١) ، وكسر جسر باب توما فسار النهر فتراجع الماء حتى صار بحيرة(٢) من باب توما وباب السلامة ، فغرق جميع ما كان بينهما من العمران ، وافتقر كثير من الناس ، فإنا لله وإنّا إليه راجعون .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الملك المغيث(٣) **عمر بن الصالح أيّوب** كان الصالح إسماعيل قد أسره وسجنه في برج قلعة دمشق ، حين أخذها في غيبة الصالح أيوب . فاجتهد أبوه بكلِّ ممكنٍ في خلاَصه فلم يقدر ، وعارضه فيه أمينُ الدولة غزالٌ المَسْلَماني(٤) ، واقف المدرسة الأمينية ببعلبك(٥) ، فلم يزل الشابُّ محبوساً في القلعة من سنةِ ثمانٍ وثلاثين إلى ليلةِ الجمعةِ ثاني عشر ربيع الآخر من هذه السنة ، فأصبح ميتاً في محبسه غماً وحزناً ، ويقال إنه قتل فالله أعلم . وكان من خيار أبناء الملوك ، وأحسنهم شكلاً ، وأكملهم عقلاً . ودفن عند جدِّه الكامل في تربته شمالي الجامع ، فاشتد حنق أبيه الصالح أيوب على صاحب دمشق(٦) .

شيخ الشيوخ بدمشق تاج الدين أبو محمد عبد الله بن(٧) **عمر بن محمد بن حمويه .**

أحدُ الفضلاءِ المؤرّخين المُصَنّفين ، له كتاب في ثماني مجلدات ، ذكر فيه أصول [الأشياء] ، وله « السياسة الملوكية » صنَّفها للكامل محمد وغير ذلك ، وسمع الحديث وحفظ القرآن ، وكان قد بلغ الثمانين ، وقيل إنه لم يبلغها ، وقد سافر إلى بلاد المغرب في سنة ثلاث وتسعين ، واتَّصل بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، فأقام هناك إلى سنة ستمئة ، فقدم إلى ديار مصر(٨) وولي مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه(٩) رحمه الله تعالىٰ .

---

(١) أ ، ب : كبيراً .
(٢) ب : بحرة .
(٣) ترجمة ـ الملك المغيث ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٨٧) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٢٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١٥) وشذرات الذهب (٧/ ٢٧٤) وترويح القلوب (٨٠) .
(٤) ستردِ ترجمة غزال المسلماني في وفيات سنة ٦٤٨هـ من هذا الجزء .
(٥) ط : التي ببعلبك .
(٦) بعدها في ط : وممن توفي فيها .
(٧) واسمه أيضاً عبد السلام . كذا في مصادره . قال بشار : ولذلك كتب الذهبي في أول ترجمته : عبد السلام عبد الله تاريخ الإسلام (١٤/ ٤١٣) ، وله ترجمة في صلة التكملة للحسيني (الورقة ١٣) .
(٨) أ ، ب : بلاد مصر .
(٩) تقدمت ترجمة صدر الدين ابن حمويه في وفيات سنة ٦٣٦هـ من هذا الجزء .

الوزير نصير الدين أبو الأزهر[١] أحمد بن محمد بن علي بن أحمد [بن] الناقد البغدادي وزير المستنصر ثم ابنه المستعصم .

كان من أبناء التّجار ، ثم توصَّل إلى أن وزر لهذين الخليفتين ، وكان فاضلاً بارعاً حافظاً للقرآن كثيرَ التلاوة ، نشأ في حشمةٍ باذخةٍ ، ثم كان في وجاهةٍ هائلةٍ ، وقد أُقعد في آخر عمره[٢] ، وهو مع هذا في غاية الاحترام والإكرام ، وله أشعار حسنة [كثيرة] أورد منها ابن الساعي قطعةً صالحةً ، توفي في هذه السنة وقد جاوز الخمسين رحمه الله تعالىٰ .

نقيب النقباء وخطيب الخطباء ووكيل الخلفاء ، أبو طالب الحسين[٣] بن أحمد بن علي بن أحمد بن هبة الله[٤] بن محمد بن علي بن الخليفة المُهْتَدي بالله العباسي .

كان من سادات العباسيّين وأئمة المسلمين ، وخطباء المؤمنين ، واستمرت أحواله على السَّداد والصلاح ، ولم ينقطع قط عن الخطابة ولم يمرض قطُّ حتى كانت ليلة السبت الثاني[٥] والعشرين من [رجب من] هذه السنة ، قام في أثناء الليل لبعض حاجاته فسقط على أم رأسه ، فسقط من فمه دم كثير وسكت[٦] فلم ينطق كلمةً واحدةً يومَه ذلك إلى الليل ، فمات وكانت له جنازةٌ حافلةٌ رحمه الله تعالىٰ وعفا عنه بمنه وكرمه .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمئة

وهي سنة الخوارزمية ، وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية ومعهم ملكهم بركات خان في صحبة معين الدين[٧] ابن الشيخ ، فأحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح [إسماعيل] أبا الخيش[٨] صاحب دمشق ، وأحرق[٩] قصرَ حجاج ، وحكرَ السُّمّاق ، وجامع جرّاح

---

(١) ترجمة ـ ابن الناقد ـ في مرآة الزمان (٨/ ٤٩٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٠٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٠٨) والوافي بالوفيات (٨/ ٦٤ ـ ٦٥) وفوات الوفيات (٣/ ٢٥٤) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٠) .
(٢) ط : أمره .
(٣) ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٠٨) (بشار) .
(٤) ط : « أحمد بن معين بن هبة الله » خطأ (بشار) .
(٥) ط : الثامن .
(٦) أ ، ب : وأسكت .
(٧) سترد ترجمة معين الدين بن الشيخ في وفيات سنة ٦٤٣هـ إن شاء الله .
(٨) ط : « الجيش » وهو تصحيف ، وسترد ترجمة الملك الصالح في وفيات سنة ٦٤٨هـ من هذا الجزء .
(٩) ط : وحرق .

خارج باب الصغير ، ومساجدَ كثيرةً ، ونصبَ المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية ، ونصب من داخل البلد منجنيقان أيضاً ، وترامى[(١)] الفريقان وأرسل الصالحُ إسماعيلُ إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجّادةٍ وعكّاز وإبريق ، وأرسل يقول : اشتغالُك بهذا أولى من اشتغالك بمحاصرةِ الملوك ، فأرسل إليه المعين بزَمْرٍ وَجْنكٍ وغلالةِ حريرٍ أحمر وأصفر ، وأرسل يقول له : أما السجّادة فإنها تصلحُ لي ، وأما أنت فهذا أولى بك . ثم أصبح ابنُ الشيخ فاشتدّ الحصارُ بدمشق ، وأرسل الصالحُ إسماعيل فأحرق جوسق[(٢)] والده العادل ، وامتد[(٣)] الحريق في زقاق الرمان[(٤)] إلى العُقَيْبة فأحرقت[(٥)] بأسرها ، وقطعت الأنهار وغلت الأسعار ، وأخيفت الطرق[(٦)] وجرى بدمشق أمور [شنيعة] بشعة جداً ، لم يتم[(٧)] عليها قط ، وامتد الحصار شهوراً من هذه السنة إلى جمادى الأولى ، فأرسل أمين الدولة[(٨)] يطلب من [الأمير معين الدين] ابن الشيخ شيئاً من ملابسه ، فأرسل إليه بفرجية وعمامة وقميص ومنديل ، فلبس ذلك الأمين وخرج إلى معين الدين ، فاجتمع به بعد العشاء طويلاً ، ثم عاد ثم خرج مرةً أخرى فاتّفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيل إلى بعلبك ويسلّم دمشق إلى الصالح أيوب ، [فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجاً إلى بعلبك][(٩)] ودخل معين الدين ابن الشيخ فنزل في دار سامة ، فولّى وعزل وقطعَ ووصل[(١٠)] ، وفوّض قضاءَ القضاةِ إلى صدر الدين بن سَنيّ الدولة[(١١)] ، وعزل القاضي محيي الدين بن الزَّكي[(١٢)] ، واستناب ابنُ سَنِيّ الدولة التفليسيَّ[(١٣)] الذي ناب لابن الزكي والبدر[(١٤)] السنجاري ، وأرسل معين الدين ابن الشيخ أمين الدولة غزال المسلماني وزير الصالح إسماعيل تحت الحوطة إلى الديار المصرية .

---

(١) ط : وترآأى . الدارس (٢/ ٢٨٢) .
(٢) الجَوْسَق : القصر . اللسان (جسق) .
(٣) أ ، ب : واشتد .
(٤) ب : الزمان .
(٥) أ ، ب : واحتوقت .
(٦) أ ، ب : وأخيف الطريق .
(٧) أ : تتم .
(٨) ب : الدين ، وسترد ترجمة أمين الدولة غزال في وفيات سنة ٦٤٨هـ من هذا الجزء .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) أ ، ب : وأوصل .
(١١) هو أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سني الدولة سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٥٨هـ .
(١٢) محيي الدين بن الزكي سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٦٨هـ .
(١٣) سترد ترجمة التفليسي في وفيات سنة ٦٧٢هـ من هذا الجزء .
(١٤) ط : « الغرز » وهو تحريف ، وستأتي ترجمته في وفيات سنة ٦٦٣هـ من هذا الكتاب (بشار) .

وأما الخوارزمية فإنهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح ، فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريا فنهبوها وساقوا[١] نحو بلاد الشرق ، وكاتبوا الصالح إسماعيل فحالفوه على الصالح أيوب ، ففرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه ، وعادت الخوارزمية فحاصروا دمشق ، وجاء إليهم الصالح إسماعيل من بعلبك فضاق الحالُ على الدماشقة ، فعدمت الأقوات[٢] وغلتِ الأسعارُ جداً ، حتى إنه بلغ ثمن الغرارة[٣] ألف وستمئة ، وقنطار الدقيق بسبعمئة[٤] ، والخبز كل أوقيتين إلا ربعاً بدرهم[٥] ، ورطل اللحم بسبعة وأُبيعت[٦] الأملاك بالدقيق ، وأُكلت القطاطُ والكلابُ والميتاتُ والجِيَفُ[٧] ، وتماوت الناس في الطرقات وعجزوا عن التغسيل والتكفين والإقبار[٨] ، فكانوا يلقون موتاهم في الآبار ، حتى أنتنت المدينة وضجر الناس ، فإنا لله وإنّا إليه راجعون .

وفي هذه الأيام توفي الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، شيخ دار الحديث وغيرها من المدارس ، فما أخرج من باب الفرج إلا بعد جهد جهيد ، ودفن بالصوفية رحمه الله[٩] .

قال السبط[١٠] : ومع هذا كانت الخمور دائرة والفسق ظاهراً ، والمكوس بحالها .

وذكر الشيخ شهاب الدين[١١] أَنَّ الأسعار غلت في هذه السنة جداً ، وهلك الصعاليك بالطرقات ، وكانوا يسألون[١٢] لقمةً ، ثم صاروا يسألون لبابة ، ثم تنازلوا إلى فلس يشترون به نخالة يبلُّونها ويأكلونها ، كالدجاج . قال : وأنا شاهدت ذلك . وذكر تفاصيل الأسعار وغلاءها في الأطعمة وغيرها ، ثم زال[١٣] هذا كله في آخر السنة بعد عيد الأضحى ولله الحمد والمنة .

ولما بلغ الصالح أيوب أن الخوارزمية قد مالؤوا عليه وصالحوا عمه الصالح إسماعيل ، كاتب الملك

---

(١) أ ، ب : وساروا .
(٢) ط : الأموال . الدارس (٢/ ٢٨٤) .
(٣) أ ، ب : حتى إنه بلغت الغرارة .
(٤) ط : تسعمئة . الدارس (٢/ ٢٨٤) .
(٥) في الأصول : وقيتين إلا ربع . وما هنا عن الدارس .
(٦) في الأصول : بيعت . وما هنا عن الدارس .
(٧) ط : والجيفات .
(٨) أ ، ب : ولا مقابر .
(٩) ط : من باب الفرج إلا بعد جهد جهيد ودفن بالصوفية .
(١٠) ط : ابن السبط . والخبر في مرآة الزمان (٨/ ٤٩٩) .
(١١) ذيل الروضتين (١٧٨) .
(١٢) في ذيل الروضتين : كانوا يطلبون لقمة ثم صاروا يطلبون حلساً .
(١٣) أ ، ب : ثم زال ذلك كله .

المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، فاستماله إليه وقوي جانب نائب دمشق معين الدين حسن ابن الشيخ ، ولكنه توفي في رمضان من هذه السنة كما سيأتي في الوفيات[١] . ولما رجع المنصور صاحب حمص عن موالاة الصالح إسماعيل شرع في جمع الجيوش من الحلبيين والتركمان والأعراب لاستنقاذ دمشق من الخوارزمية ، وحصارهم إياها ، فبلغ ذلك الخوارزمية فخافوا من ذلك وغائلته ، وقالوا دمشق ما تفوت ، والمصلحة قتاله عند بلده ، فساروا [إليه] إلى [عند] بحيرة حمص ، وأرسل الناصر داود جيشَه إلى الصالح إسماعيل مع الخوارزمية ، وساق جيش دمشق فانضافوا إلى صاحب حمص ، والتقوا مع الخوارزمية عند بحيرة حمص ، وكان[٢] يوماً مشهوداً ، قتل فيه عامة الخوارزمية ، وقتل ملكهم بركات خان ، وجيء برأسه على رمح ، فتفرق[٣] شملهم وتمزقوا شَذَرَ مذرَ ، وساق المنصور صاحب حمص إلى بعلبك فتسلَّمها الصالح أيوب ، وجاء إلى دمشق فنزل ببستان سامة خدمة للصالح أيوب ، ثم حدثته نفسه بأخذها فاتفق مرضه ، فمات رحمه الله في السنة الآتية ، ونقل إلى حمص ، فكانت[٤] مدة ملكه[٥] بعد أبيه عشر سنين ، وقام من بعده فيها ابنه الملك الأشرف مدة سنتين ، ثم أخذت منه على ما سيأتي ، وتسلم نواب الصالح أيوب بعلبك وبصرى ، ولم يبق بيد الصالح إسماعيل بلد يأوي إليه ولا أهل ولا ولد ولا مال ، بل أخذ[٦] جميع أمواله[٧] ونُقلت عياله تحت الحوطة إلى الديار المصرية ، وسار هو فاستجار بالملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي صاحب حلب ، فآواه وأكرمه واحترمه ، وقال الأتابك لؤلؤ الحلبي لابن أستاذه الناصر ، و/ كان/ شاباً صغيراً : انظر إلى عاقبة الظلم .

وأما الخوارزمية فإنهم ساروا إلى ناحية الكرك فأكرمهم الناصر داود صاحبها ، وأحسن إليهم وصاهرهم وأنزلهم بالصلت فأخذوا معها نابلس ، فأرسل إليهم الملك الصالح أيوب جيشاً مع فخر الدين ابن الشيخ[٨] فكسرهم على الصلت وأجلاهم عن تلك البلاد ، وحاصر الناصر بالكرك وأهانه غاية الإهانة ، وقدم الملك الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية فدخل دمشق في أُبَّهةٍ عظيمة ، وأحسن إلى أهلها ، وتصدق على الفقراء والمساكين ، وسار إلى بعلبك وإلى بصرى وإلى صرخد ، فتسلمها من صاحبها عز الدين أيبك

(١) أ : كما سيأتي بيانه في الوفيات .
(٢) ب : وكان .
(٣) ب : وتفرق .
(٤) أ ، ب : وكانت .
(٥) ب : ملكها لها .
(٦) ط : أخذت .
(٧) ب : ماله .
(٨) سترد ترجمة فخر الدين بن الشيخ في وفيات سنة ٦٤٧هـ من هذا الجزء .

المعظمي ، وعوضه عنها ثم عاد إلى مصر مؤيداً منصوراً . [مسروراً محبوراً] . وهذا كله في السنة[١] الآتية .

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار لعنهم الله ، فكسرهم المسلمون كسرةً عظيمةً وفرّقوا شملهم ، وهربوا[٢] من بين أيديهم ، فلم يلحقوهم ولم يتبعوهم ، خوفاً من غائلة مكرهم وعملاً بقوله ﷺ « اتركوا الترك ما تركوكم »[٣] .

وفي هذه السنة ظهر ببلاد خوزستان على شق جبل داخله[٤] من الأبنية الغريبة العجيبة ما يحار فيه الناظر ، وقد قيل إن ذلك من بناء الجن ، وأورد[٥] صفته ابن الساعي في « تاريخه » .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

الشيخ تَقِيّ الدين أبو [عمرو بن] الصَّلاح[٦] ، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان [الشيخ] الإمام العلاّمة ، مفتي الشام ومحدثها ، أبو عمرو بن الصلاح الشَّهْرزوري ثم الدمشقي .

سمع الحديث ببلاد الشرق وتفقَّه هنالك بالموصل وحلب وغيرها ، وكان أبوه مدرِّساً بالأسدية التي بحلب ، وواقفها أسد الدين شيركوه ابن شاذي ، وقدم هو[٧] الشام وهو في عداد الفضلاء الكبار . وأقام بالقدس الشريف[٨] مدة ودرس بالصلاحية ، ثم تحول منه إلى دمشق ، فدرس[٩] بالرواحية ثم بدار الحديث الأشرفية ، وهو أوّلُ من وليها من شيوخ الحديث ، وهو الذي صنَّف كتاب وقفها ، ثم بالشامية الجوانية[١٠] ، وقد صنف كتباً كثيرة مفيدة في علوم الحديث والفقه[١١] وتعاليق[١٢] حسنة على « الوسيط » وغيره من الفوائد التي يُرحل إليها .

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) ط : وهزموا .
(٣) تقدم تخريج الحديث صفحة (١٥٧) .
(٤) ب : على شق في جبل في داخله .
(٥) أ ، ب : وقد سرد صفته .
(٦) ترجمة ـ ابن الصلاح ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٠٢) وذيل الروضتين (١٧٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٥٥) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٤٠) والعبر (٥/ ١٧٧ ـ ١٧٨) وطبقات السبكي (٨/ ٣٢٦ ـ ٣٣٦) وطبقات الإسنوي (٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٤) والأنس الجليل (٢/ ١٠٤) وشذرات الذهب (٧/ ٣٨٣) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) عن أ وحدها .
(٩) ط : ودرس .
(١٠) أ ، ب : ثم درس بالشامية الجوانية ثم . وسترد بعدُ .
(١١) أ ، ب : وفي الفقه .
(١٢) ط : والفقه [وله] تعاليق .

وكان ديّناً زاهداً ورعاً[١] ناسكاً ، على طريق السَّلفِ الصالحِ ، كما هي[٢] طريقة متأخري أكثر المُحدّثين ، مع الفضيلة التامة في فنون كثيرة ، ولم يزل على طريقة جيدة حتى كانت وفاته بمنزله في دار الحديث الأشرفية ليلة[٣] الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر من سنة ثلاثٍ وأربعين وستمئة ، وصُلّي عليه بجامع دمشق وشَيَّعه الناسُ إلى داخل باب الفرج ، ولم يمكنهم البروز لظاهره[٤] لحصار الخوارزمية ، وما صحبه إلى جبّانة[٥] الصوفية إلا نحو العشرة رحمه الله وتغمده برحمته[٦] .

وقد أثنى عليه القاضي شمس الدين بن خلّكان[٧] ، وكان من شيوخه .

قال السبط[٨] أنشدني الشيخ تقي الدين[٩] من لفظه رحمه الله : [من مجزوء الكامل]

احذرْ من الواوات أر بعة فهنَّ من الحتوفْ
واو الوصيةِ والوديعةِ والوكالةِ[١٠] والوقوفْ

وحكى[١١] ابن خلكان عنه[١٢] أنه قال[١٣] : أُلهمتُ في المنام هؤلاء الكلمات : ادفع[١٤] المسألَةَ ما وجدت التحمُّلَ يمكنك فإنَّ لكل يومٍ رزقاً جديداً ، والإلحاحُ في الطّلب يُذْهبُ البهاءَ ، وما أقربَ[١٥] الصنيعَ من الملهوف ، وربما كان العسر نوعاً من آداب[١٦] الله ، والحظوظُ مراتبُ فلا تعجل على ثمرةٍ قبل

---

(١) ب : ورعاً حسناً ناسكاً .
(٢) ط : كما هو .
(٣) ب : من دار الحديث الأشرفية في ليلة الأربعاء .
(٤) ب : إلى ظاهره .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ط : برضوانه .
(٧) قال ابن خلكان : وهو أحد أشياخي الذين انتفعت بهم . ثم قال : وكان من العلم والدين على قدم حسن ، وقدمت عليه في أوائل شوال سنة اثنتين وثلاثين وستمئة وأقمت عنده بدمشق ملازم الاشتغال مدة سنة . وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) .
(٨) مرآة الزمان (٨/ ٥٠٢) .
(٩) ب : تقي الدين بن الصلاح .
(١٠) في مرآة الزمان : واو الوصية والوكالة والوديعة والوقوف .
(١١) أ : وقال .
(١٢) أ ، ب : عنه ابن خلكان .
(١٣) وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٥) بخلاف في الرواية .
(١٤) أ ، ب : أوقع .
(١٥) في وفيات الأعيان : وما أحسن .
(١٦) أ ، ب : وربما كان العزّ نوع من آداب الله تعالىٰ . وفي وفيات الأعيان : وربما كانت الغير .

أن تدرك فإنك ستنالها في أوانها[١] ، [ولا تعجل في حوائجك فتضيق بها ذرعاً ، ويغشاك القنوط][٢] .

ابن النجار[٣] الحافظ صاحب « التاريخ » محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن ابن النجار ، أبو عبد الله البغدادي الحافظ الكبير .

سمع الكثير ورحل شرقاً وغرباً ، ولد سنة ثمانٍ[٤] وسبعين وخمسمئة ، وشرع في كتابة التاريخ وعمره خمس عشرة سنة ، [وقرأ النحو والأدب] والقراءات وقرأ بنفسه على المشايخ كثيراً حتى حصَّل نحواً من ثلاثة آلاف شيخ ، من ذلك نحو من أربعمئة امرأة ، وتغرَّب ثمانياً وعشرين سنة ، ثم جاء[٥] إلى بغداد وقد جمع أشياء كثيرة ، من ذلك « القمر المنير في المسند الكبير » ، يذكر لكل صحابي ما روى . و« كنز الأيام في معرفة السنن والأحكام » ، و« المختلف والمؤتلف » ، و« السابق واللاحق » ، و« المتفق والمفترق » ، و« كتاب الألقاب » ، و« نهج الإصابة في معرفة الصحابة » ، و« الكمال[٦] في أسماء الرجال » ، وغير ذلك مما لم يتم أكثره وله « كتاب الذيل على تاريخ مدينة السلام » ، في ستة عشر مجلداً كاملاً[٧] ، وله « أخبار مكة والمدينة وبيت المقدس » ، و« غرر الفوائد » في خمس مجلدات ، وأشياء كثيرة جداً سردها ابن الساعي في ترجمته ، وذكر أنه لما عاد إلى بغداد عرض عليه الإقامة في المدارس فأبى وقال[٨] : معي ما أستغني به [عن ذلك][٩] فاشترى جارية وأولدها[١٠] وأقام برهة ينفق مدة على نفسه من كيسه ، ثم احتاج إلى أن نزل محدِّثاً في جماعة المحدثين بالمدرسة المستنصرية حين

---

(١) أ ، ب : أوقاتها .

(٢) ليس ما بين الحاصرتين في أ ولا في ب وأثبتُّه عن ط وعن وفيات الأعيان .

(٣) ترجمة ـ ابن النجار ـ في معجم الأدباء (١٩/ ٤٩ ـ ٥١) وفوات الوفيات (٤/ ٣٦ ـ ٣٧) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٧٨) والوافي بالوفيات (٥/ ٩ ـ ١١) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٣١ ـ ١٣٤) والعبر (٥/ ١٨٠) وطبقات السبكي (٨/ ٩٨ ـ ٩٩) وطبقات الإسنوي (٢/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٤) وشذرات الذهب (٧/ ٣٨٥) .

(٤) ط : ثلاث . وما هنا عن باقي الأصول . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٣١) .

(٥) أ ، ب : ثم عاد .

(٦) ط : والكافي .

(٧) أ ، ب : في ست عشرة مجلد كامل . قال بشار : هو « التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام » وصل إلينا مجلدان ، العاشر في الظاهرية ، والحادي عشر في باريس ، وطبع مجلد الظاهرية في الهند . ثم أعيد طبعه على هذه الطبعة في بيروت ، وهي طبعة رديئة .

(٨) أ ، ب : عرض عليه الإقامة في المدارس فقال .

(٩) عن ط وحدها .

(١٠) أ ، ب : وأولدها ولداً .

وضعت ، ثم مرض[١] شهرين وأوصى إلى ابن الساعي في أمر تركته ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الخامس من شعبان من هذه السنة ، وله من العمر خمس وسبعون سنة ، وصُلّي عليه بالمدرسة النظامية ، وشهد جنازته خلقٌ كثير ، وكان يُنادَى حول جنازته : هذا حافظ حديث رسول الله ﷺ ، الذي كان ينفي الكذب[٢] عنه . ولم يترك وارثاً ، وكانت تركته عشرين ديناراً وثيابَ بدنه ، وأوصى أن يُتصدّق بها ، ووقف خزانتين من الكتب بالنظامية تساوي ألف دينار ، فأمضى ذلك الخليفة المستعصم ، وقد أثنى عليه الناس ورثوه بمراثٍ[٣] كثيرة ، سردها ابن الساعي في آخر ترجمته .

الحافظ ضياء الدين المقدسي[٤] ، [صاحب « الأحكام »] محمد[٥] بن عبد الواحد بن [أحمد بن عبد الرحمن المقدسي] .

سمع الحديث الكثير وكتب كثيراً [ورحل] وطوف وجمع وصنف وألّف كتباً مفيدةً حسنةً كثيرة الفوائد ، من ذلك كتاب « الأحكام » ولم يتمّه ، وكتاب « المختارة » وفيه علوم حسنة حديثية ، وهي أجود من « مستدرك الحاكم » لو كمل ، وله فضائل الأعمال وغير ذلك من الكتب الحسنة الدالة على حفظه واطلاعه وتضلعه من علوم[٦] الحديث متناً وإسناداً . وكان رحمه الله في غاية العبادة والزهادة والورع والخير ، وقد وقف كتباً كثيرة عظيمة لخزانة[٧] المدرسة الضيائية التي وقفها على أصحابهم من المحدثين[٨] والفقهاء ، وقد وقفت عليها[٩] أوقاف أخر كثيرة بعد ذلك .

الشيخ علم الدين أبو الحسن[١٠] **السخاوي**[١١] ، علي بن محمد بن عبد الصمد بن

(١) أ ، ب : ثم مرض مدة شهرين .
(٢) أ ، ب : ينفي الكدر .
(٣) أ ، ب : ورثاه بمراثي .
(٤) ترجمة ـ الضياء المقدسي ـ في ذيل الروضتين (١٧٧) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٧٢ ـ ٤٧٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٢٦ ـ ١٣٠) وتذكرة الحفاظ (١٤٠٥ ـ ١٤٠٦) والعبر (٥/ ١٧٩) والوافي بالوفيات (٤/ ٦٥ ـ ٦٦) وفوات الوفيات (٣/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٢٣٦ ـ ٢٤٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٤) وشذرات الذهب (٧/ ٣٨٧ ـ ٣٩١) .
(٥) قبلها في ط : ابن الحافظ ؛ ولا لزوم لها .
(٦) أ ، ب : من علم الحديث .
(٧) أ ، ب : كتباً كثيرة بخطه بخزانة .
(٨) أ : أهل الحديث .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) ليست الكنية في أ ولا ب .
(١١) ترجمة ـ علم الدين السخاوي ـ في معجم الأدباء (١٥/ ٦٥ ـ ٦٦) وإنباه الرواة (٢/ ٣١١ ـ ٣١٢) ومرآة الزمان (٨/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣) ووفيات الأعيان (٣/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) ومختصر أبي الفداء (٤/ ١٧٤) وتاريخ الإسلام =

عبد الأحد[١] بن عبد الغالب الهمذاني المصري ، ثم الدمشقي شيخ القراء بدمشق .

ختم عليه ألوف من الناس ، وكان قد قرأ على الشاطبي وشرح قصيدته ، وله « شرح المفصل » وله تفاسير وتصانيف كثيرة ، ومدائح في رسول الله ﷺ ، وكانت له حلقة بجامع دمشق ، وولي مشيخة الإقراء بتربة أم الصالح ، وبها كان مسكنه[٢] وبه توفي ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة ، ودفن بقاسيون .
وذكر القاضي ابن خلكان[٣] أن مولده في سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمئة وذكر من شعره قوله : [من السريع]

قالوا غداً نأتي ديارَ الحمى ... وينـزلُ الركبُ بمَغْناهمُ
وكلُّ مَنْ كان مُطيعاً لهم ... أصبحَ مَسْروراً بلقياهمُ
قلتُ فلي ذنبٌ فما حِيلتي ... بأيِّ وجهٍ أَتَلَقّاهمُ
قالوا أليسَ العفوُ من شأنهمْ ... لا سيَّما عَمَّنْ تَرَجّاهمُ

الخاتون ربيعة[٤] خاتون واقفة الصاحبة بقاسيون ، ربيعة خاتون بنت أيوب أختُ السلطان صلاح الدين .

زوجها أخوها أولاً بالأمير سعد الدين مسعود بن معين الدين ، وتزوج هو بأخته عصمة الدين خاتون ، التي كانت زوجة الملك نور الدين واقفة[٥] الخاتونية الجوانية ، والخانقاه البرانية[٦] . ثم لما مات الأمير سعد الدين زوَّجها من الملك مظفر الدين[٧] صاحب إربل ، فأقامت عنده بإربل أزيد من أربعين سنة حتى مات ، ثم قدمت دمشق فسكنت بدار العقيقي[٨] حتى كانت وفاتها في هذه السنة وقد جاوزت الثمانين ،

= (١٤/ ٤٦٠) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٢٢) والعبر (٥/ ١٧٨) وطبقات السبكي (٨/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) وطبقات الإسنوي (٢/ ٦٨ ـ ٦٩) وغاية النهاية (١/ ٥٦٨ ـ ٥٧١) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٤) وبغية الوعاة (٢/ ١٩٢ ـ ١٩٤) وحسن المحاضرة (١٠/ ٤١٢ ـ ٤١٣) وشذرات الذهب (٧/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) وقد قيّده ابن خلكان بالحروف فقال : هذه النسبة إلى سخا وهي بليدة بالغربية من أعمال مصر ، وقياسه سخوي لكن الناس أطبقوا على النسبة الأولى .

(١) أ ، ب : عبد الواحد .
(٢) ب : وبها كان مسكنه وبها .
(٣) في وفيات الأعيان (٣/ ٣٤١) : ثم ظفرت بتاريخ مولده في سنة ثمان وخمسين وخمسمئة بسخا والله أعلم .
(٤) ترجمة ـ ربيعة خاتون ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٠١) وذيل الروضتين (١٧٧) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٤١) والعبر (٥/ ١٧٦) والمختصر في أخبار البشر (٣/ ١٧٤) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٣) والدارس (٢/ ٨٠) وشذرات الذهب (٧/ ٣٧٩) وترويح القلوب (١٠٥) .
(٥) أ ، ب : لها الخاتونية .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) تقدمت ترجمة مظفر الدين كوكبري . في وفيات سنة ٦٣٠هـ .
(٨) مكان دار الكتب الظاهرية بدمشق القديمة قرب الجامع الأموي .

ودفنت بقاسيون[١] ، وكانت في خدمتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف[٢] بنت الناصح الحنبلي ، وكانت فاضلة ، ولها تصانيف[٣] ، وهي التي أرشدتها إلى وقف المدرسة بسفح قاسيون على الحنابلة ، ووقفت[٤] أمة اللطيف على الحنابلة مدرسة أخرى[٥] وهي الآن شرقي الرباط الناصري ، ثم لما ماتت الخاتون وقعت العالمة بالمصادرات وحُبست مدة ثم أُفرج عنها وتزوجها الأشرفُ صاحب حمص ، وسافرت معه إلى الرحبة وتل باشر[٦] ، ثم توفيت في سنة ثلاث وخمسين ، ووجد لها بدمشق ذخائر كثيرة وجواهر ثمينة[٧] ، تقارب ستمئة ألف درهم ، غير الأملاك والأوقاف رحمها الله تعالىٰ .

مُعين الدين الحسن بن شَيْخ الشُّيوخ[٨] وزير الصالح نجم الدين أيوب ، أرسله[٩] إلى دمشق فحاصرها مع الخَوارزميَّة أولَ مرَّةٍ حتى أخذها من يد الصالح إسماعيل ، وأقام بها نائباً من جهة الصالح أيوب ، ثم تمالأ[١٠] الخوارزميةُ مع الصالح إسماعيل عليه فحصروه بدمشق ، ثم كانت وفاتُه في العشر الأخير[١١] من رمضان هذه السنة ، عن ستٍّ وخمسين سنةً ، فكانت مدةُ ولايته بدمشق أربعةَ أشهرٍ ونصف . وصُلِّي عليه بجامع دمشق ، ودُفن بقاسيون إلى جانب أخيه عماد الدين .

وفيها : كانت وفاةُ واقف القَليجية للحنفيّة . وهو الأمير :

سيف الدين بن قلج[١٢] ودُفن بتربته التي بمدرسته المذكورة ، التي كانت سكنه بدار فلوس تقبل الله تعالىٰ منه .

---

(١) ب : وقف مدرسة الصاحبة بقاسيون . وأ : وأوقفت .
(٢) أمة اللطيف توفيت سنة ٦٥٣هـ الدارس (٢/ ٨٠ ـ ٨١) وتاريخ الصالحية (١/ ١٥٧) ومنادمة الأطلال (٢٣٨) .
(٣) من جملتها كتاب « التسديد في شهادة التوحيد » وكتاب « بر الوالدين » منادمة الأطلال (٢٣٨) .
(٤) أ : وأوقفت . وب : وأوقف .
(٥) هي دار الحديث العالمة ، وتقع شرقي الرباط الناصري غربي سفح قاسيون ، قبلي جامع الأفرم بشرق . تاريخ الصالحية (٨٤) .
(٦) ط : تل باشر : قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب بينهما يومان . معجم البلدان (٢/ ٤٠) .
(٧) أ ، ب : نفيسة .
(٨) ترجمة ـ معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ (محمد بن عمر بن حمويه الجويني) في مرآة الزمان (٨/ ٥٠٠ ـ ٥٠١) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٣٩) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٠٠) والعبر (٥/ ١٧٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٢) وشذرات الذهب (٧/ ٣٧٩) .
(٩) أ ، ب : ثم أرسله .
(١٠) ط : ثم مالأ .
(١١) ط : الأحر .
(١٢) ترجمة ـ سيف الدين علي بن قليج بن عبد الله النوري الإسفهلار أبو الحسن ـ في الأعلاق الخطيرة (٢٠٧) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٤٣) والدارس (١/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠) وتنبيه الطالب (١٠٢) ومنادمة الأطلال (١٩٧) .

وخطيب [الجبل][١] شرف الدين عبد الله بن الشيخ أبي عمر رحمه الله .

والسيف أحمد بن عيسى[٢] بن الإمام موفق الدين بن قدامة .

وفيها : توفي إمام الكلاسة الشيخ تاج الدين أبو الحسن محمد[٣] بن أبي جعفر مسند وقته ، وشيخ الحديث في زمانه رواية وصلاحاً رحمه الله تعالىٰ .

والمحدثان الكبيران الحافظان المفيدان شرف الدين أحمد بن الجوهري[٤] .

وتاج الدين عبد الجليل الأبهري[٥] .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمئة

فيها : كَسَرَ المنصورُ الخوارزميةَ عند بحيرة حمص واستقرَّتْ يدُ نوابِ الصّالح أيوب على دمشق وبعلبك وبصرى ، ثم في جمادى الآخرة كسرَ فخرُ الدين بن الشيخ الخوارزميةَ على الصَّلْتِ كسرةً فرَّقَ[٦] بقية شملهم ، ثم حاصَر الناصر بالكرك ورجع عنه إلى دمشق . وقدم الصالحُ أيوب إلى دمشق في ذي القعدة فأحسنَ إلى أهلها وتسلَّم هذه المدن المذكورة[٧] ، وانتزعَ صرخدَ من يد عزِّ الدين أيبك ، وعوَّضه عنها ، وأخذ الصلتَ من الناصر داود بن المُعَظَّم وأخذ حصن الصُّبَيْبَة[٨] من السَّعيدِ بن العَزيز بن العادل ، وعَظُمَ شأنُه جداً ، وزار في رجوعه بيتَ المقدس وتفقَّد أحوالَه وأمر بإعادة أسوارِهِ أن تُعمرَ كما كانت في

---

(١) ترجمة ـ خطيب الجبل واسمه عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي الخطيب شرف الدين أبو محمد في تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٤٦) والعبر (٥/ ١٧٦) وذيل ابن رجب (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) والمقصد الأرشد (٢/ ٥٤ ـ ٥٥) والقلائد الجوهرية (٤٧٨) وشذرات الذهب (٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) .

(٢) ترجمة ـ سيف الدين بن قدامة ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٣٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١١٨ ـ ١١٩) والعبر (٥/ ١٧٤) وتذكرة الحفاظ (١٤٤٦ ـ ١٤٤٧) والوافي بالوفيات (٧/ ٢٧٣) وذيل ابن رجب (٢/ ٢٤١) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٣) والقلائد الجوهرية (٢/ ٤٣٥) وشذرات الذهب (٧/ ٣٧٧) .

(٣) ترجمة ـ ابن جعفر ـ واسمه : (محمد بن أحمد بن علي القرطبي ثم الدمشقي) في ذيل الروضتين (١/ ١٧٦) وتكملة ابن الصابوني (٣٢ ، ٢٩٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٦٧) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢١٧ ـ ٢١٨) والعبر (٥/ ١٧٩) والوافي بالوفيات (٢/ ١١٨) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٥) وشذرات الذهب (٧/ ٣٩١) .

(٤) ترجمة ـ ابن الجوهري ـ واسمه أبو العباس أحمد بن محمود بن إبراهيم بن نبهان الدمشقي شرف الدين ابن الجوهري ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٣٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٦٤) وتذكرة الحفاظ (١٤٥٩) والعبر (٥/ ١٧٥) والوافي بالوفيات (٨/ ١٦٧) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٤) والدارس (١/ ١١١) وشذرات الذهب (٧/ ٣٧٨) .

(٥) هو عبد الجليل بن عبد الجبار بن عبد الواسع ، تاج الدين الأبهري ، ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٤٨) (بشار) .

(٦) أب : فرّق عليه .

(٧) عن ط وحدها .

(٨) ط : الصبية ؛ تحريف .

الدولة الناصرية ، فاتح القدس ، وأن يُصْرَف[١] الخراجُ وما يتحصَّل من غلاَّتِ بيتِ المقدس في ذلك ، وإن عاز شيئاً صرفَه من عنده .

وفيها : قدمت الرسلُ من عند البابا[٢] الذي للنصارى تخبِّرُ بأنه قد أباحَ دم الأنبرور[٣] ملك الفرنج لتهاونه في قتال المسلمين ، وأرسل طائفةً من عنده ليقتلوه ، فلما انتهوا إليه كان استعدَّ لهم وأجلس مملوكاً له على السرير فاعتقدوه الملكَ فقتلوه ، فعند ذلك أخذهم الأنبرور فصلبهم على باب قصره بعدما ذبحهم وسلخهم وحَشَى جلودَهم تبناً ، فلما بلغ ذلك البابا[٤] أرسل إليه جيشاً كثيفاً لقتاله فأوقع الله الخلفَ بينهم بسبب ذلك ، وله الحمد والمنة[٥] .

وفيها : هبتْ رياحٌ عاصفةٌ[٦] شديدةٌ بمكة في يوم الثلاثاء من عشر ربيع الآخر ، فألقت ستارة الكعبة المشرفة[٧] ، وكانت قد عَتقت ، فإنَّها من سنة أربعين لم تُجَدَّد لعدم الحج في تلك السنين من ناحية الخليفة ، فما سكنت الريحُ إلا والكعبةُ عريانة وقد زال عنها شعارُ السَّوادِ ، وكان هذا فألاً على زوال دولة بني العبّاس ، ومنذراً بما سيقع بعدَ هذا من كائنة التتار لعنهم الله تعالىٰ . فاستأذن نائب اليمن عُمر بن رسول[٨] شيخَ الحرم العفيف[٩] بن منعة في أن يكسوَ الكعبة ، فقال لا يكون هذا إلا من مال الخليفة ، ولم يكن عنده مال فاقترض ثلاثمئة [ألف] دينار واشترى ثيابَ قطنٍ وصبغها سواداً وركب عليها طرازاتها العتيقة وكسى بها الكعبةَ ومكثت الكعبةُ ليس عليها كسوة إحدى وعشرين ليلة[١٠] .

وفيها : فتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد العلقمي[١١] بدار الوزارة ، وكانت[١٢] في نهاية الحسن ، ووضع فيها من الكتب النفيسة والنافعة[١٣] شيءٌ كثيرٌ ، وامتدحها الشعراء بأبيات وقصائد حساناً .

---

(١) أ ، ب : وأن يخرج الخراج .
(٢) أ ، ب : نحو الباب .
(٣) ط : الأبدور ، وقد سبق التعريف بها .
(٤) أ ، ب : الباب .
(٥) أ ، ب : فأوقع الله تعالىٰ الخلف بينهم الخلاف بسبب ذلك وله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة .
(٦) أ ، ب : ريح عاصف .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ط : عمر بن سول ؛ وهو تحريف .
(٩) في أ ، ب : العفيف منصور بن منعة . ولم أصل فيه إلى رأي .
(١٠) أ ، ب : أحد وعشرين يوماً .
(١١) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٥٦ من هذا الجزء .
(١٢) ب : وجاءت .
(١٣) أ ، ب : النفيسة النافعة .

وفي أواخر ذي الحجة طَهَّر الخليفة المستعصم بالله [أمير المؤمنين] ولديه الأميرين أبا العباس أحمد ، وأبا الفضائل عبد الرحمن ، وعملت ولائم فيها كل أفراح ومسرَّة[١] ، لا يسمع بمثلها من أزمان متطاولة ، وكان ذلك وداعاً لمسرَّات بغداد وأهلها في ذلك الزمان .

وفيها : احتاط الناصر داود صاحب الكرك على الأمير عماد الدين داود بن موسك بن جكر[٢] ، وكان من خيار الأمراء الأجواد[٣] ، واصطفى أمواله كلَّها وسجنه عنده في الكرك ، فشفع فيه فخر الدين ابن الشيخ[٤] لما كان محاصره في الكرك فأطلقه ، فخرجت في حلقه خرّاجة[٥] فَبَطَّها فمات ودُفن عند قبر جعفر والشهداء بمؤتة[٦] رحمه الله تعالىٰ .

وفيها : توفي ملك الخوارزمية قبلاً بركات خان لما كسرت أصحابه عند بحيرة حمص كما تقدم ذكره .

وفيها توفي :

الملك المنصور[٧] ناصر الدين إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص بدمشق ، بعد أن سلَّم بعلبك للصالح أيوب[٨] ، ونقل إلى حمص ، وكان نزوله أولاً ببستان سامة ، فلما مرض حمل إلى الدهشة بستان الأشرف بالنيرب فمات فيه[٩] .

وفيها توفي :

الصائن محمد بن حسان[١٠] بن رافع العامري الخطيب .

وكان كثير السماع مسنداً ، وكانت وفاته بقصر حجاج رحمه الله تعالىٰ .

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) ليست اللفظة في أ ولا في ب . وهي في ط : حسكو . والخبر في مختصر أبي الفداء (٣/ ١٧٦) والدارس (١/ ٥٨٥) .

(٣) أ : الأمراء والأجواد .

(٤) فخر الدين هو يوسف بن الشيخ بن حمويه سترد وفاته في وفيات سنة ٦٤٧هـ .

(٥) ط : جراحة ؛ وهو تحريف .

(٦) في ط : بحوته ؛ وهو تحريف .

(٧) ترجمة ـ الملك المنصور ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٠٧) وذيل الروضتين (١٧٨ ـ ١٧٩) ووفيات الأعيان (٢/ ٤٨١) والمختصر في أخبار البشر (٢/ ١٧٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٢١) والعبر (٥/ ١٨٣) والوافي (٦/ ٢٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٦) وشذرات الذهب (٧/ ٣٩٦) وترويح القلوب (٤١) .

(٨) أ ، ب : بعد أن تسلم بعلبك للملك الصالح .

(٩) أ ، ب : بتسان الأشرف بالنيرب فمات به .

(١٠) ترجمة ـ الصائن بن رافع ـ في ذيل الروضتين (١٧٩) ولقبه بالضياء وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٤٧ ـ ١٤٨) والعبر (٥/ ١٨٤) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٧) وشذرات الذهب (٧/ ٣٩٨) .

وفيها توفي :

الفقيه العلامة محمد بن محمود بن عبد المنعم[١] المراتبي الحنبلي .

وكان فاضلاً ذا فنون ، أثنى عليه أبو شامة وقال[٢] : صحبته قديماً ولم يترك بعده بدمشق مثله في الحنابلة ، وصُلِّي عليه بجامع دمشق ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

والضياء[٣] عبد الرحمن الغُماري[٤] المالكي الذي[٥] ولي وظائف الشيخ أبي عمرو بن الحاجب حين خرج من دمشق سنة ثمانٍ وثلاثين وجلس في حلقته ودرس مكانه بزاوية المالكية والفقيه تاج الدين إسماعيل بن جهبل[٦] بحلب ، وكان[٧] فاضلاً ديّناً سليمَ الصدر رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمئة

فيها : كان عود السلطان [الملك] الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل من الشام إلى الديار المصرية ، وزار في طريقه بيتَ المقدس وفرّق في أهله أموالاً كثيرة ، وأمر بإعادة سوره كما كان في أيام عمِّ أبيه الملك الناصر فاتح القدس . ونزَّل الجيوش لحصار الفرنج ففتحت طبرية في عاشر صفر ، وفتحت عسقلان في أواخر جمادى الآخرة .

وفي رجب عزل الخطيب عماد الدين داود بن خطيب بيت الآبار عن الخطابة بالجامع[٨] الأموي ، وتدريس الغزالية ، وولي ذلك للقاضي عماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني[٩] شيخ دار الحديث بعد ابن الصلاح .

---

(١) ترجمة ـ محمد بن محمود بن عبد المنعم ـ في ذيل الروضتين (١٧٩) والعبر (١٨٤) والوافي بالوفيات (٥/ ١١) وذيل ابن رجب (٢/ ٢٤٢) وشذرات الذهب (٧/ ٣٩٨) .

(٢) ط : قال ، والخبر في ذيل الروضتين (١٧٩) بخلاف في الرواية .

(٣) له ترجمة في تاريخ الإسلام (١٤/ ٥٠٢) والدارس (١/ ٥ ، ٨) وفيه : عبد الرحمن بن عبد الله العمادي المالكي الزواوي .

(٤) ط : « الغمار » وفي ذيل الروضتين والدارس : « العمادي » وكله تحريف ، وما هنا من خط الذهبي ، وهو الصواب ، والغماريون معروفون بالحديث والفقه إلى اليوم (بشار) .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) في ط : بن جميل .

(٧) من ط وحدها .

(٨) ط : بجامع الأموي .

(٩) في ط : عماد الدين بن عبد الكريم ؛ خطأ . وهو عبد الكريم بن عبد الصمد بن الحرستاني ، سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٦٢هـ من هذا الجزء .

وفيها : أرسل الصالح أيوب يطلب جماعةً من أعيان الدماشقة اتُّهموا بممالأة الصالح إسماعيل ، منهم القاضي محيي الدين بن الزكي[(١)] ، وبنو صَصْرَى وابن العماد الكاتب ، والحليمي مملوك الصالح إسماعيل ، والشهاب غازي والي بصرى ، فلما وصلوا إلى مصر لم يكن إليهم شيء من العقوبات والإهانة[(٢)] ، بل خُلع على بعضهم وتركوا باختيارهم مكرمين .

وممن توفي فيها من الأعيان[(٣)] :

الحسين بن الحسن[(٤)] بن علي[(٥)] بن حمزة العلوي الحُسَيْني ، أبو عبد الله الأَقساسي النَّقيب قطب الدين .

أصله من الكوفة وأقام ببغداد ، وولي النقابة ، ثم اعتقل بالكوفة ، وكان فاضلاً أديباً شاعراً مطبقاً ، أورد له ابن الساعي أشعاراً كثيرة رحمه الله .

الشَّلَوْبِين[(٦)] النحوي[(٧)] هو عُمر بن محمد بن عبد الله الأزدي ، أبو علي الأندلسي الإشبيلي ، المعروف بالشلوبين ، وهو بلغة الأندلسيين الأبيض الأشقر .

قال ابن خلكان[(٨)] : خُتم به أئمة النحو ، وكان فيه تَغَفُّلٌ ، وذكر له شعراً ومصنفات ، منها « شرح الجزولية » و« كتاب التوطئة » . وأرَّخ وفاته بهذه السنة . وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالىٰ وعفا عنه .

الشيخ علي بن [أبي الحسن بن منصور البُسْري][(٩)] المعروف بالحَرِيري[(١٠)] .

---

(١) سترد ترجمة ابن الزكي في وفيات سنة ٦٦٨هـ من هذا الجزء .
(٢) ب : ولا الإهانة .
(٣) أ ، ب : والمشاهير .
(٤) ط : « الحسين » وهو تحريف ، وما هنا من أ ، ب ، وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٤/ ٥١٤) .
(٥) جاءت هذه الترجمة في أ ، ب بعد التي تليها .
(٦) قال ابن خلكان : الشلوبيني : بفتح الشين المثلثة ، واللام ، وسكون الواو ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء المثناة من تحتها وبعده نون .
(٧) ترجمة ـ الشلوبين ـ في معجم البلدان (٢/ ٣٦٠) وإنباه الرواة (٢/ ٣٣٢) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٥٢٩) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٠٧) والعبر (٥/ ١٨٦) والديباج المذهب (٢/ ٧٨ ـ ٨٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٨) وبغية الوعاة (٢/ ٢٢٤) وشذرات الذهب (٧/ ٤٠٢) وفيه تقييد حرفي للشلوبين .
(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٤٥٣ و٤٥٢) بخلاف في الرواية .
(٩) عن أ وحدها ويوافق ما في مصادره وفي ب : على الحريري علي بن المعروف بالحريري .
(١٠) ترجمة ـ الحريري ـ في ذيل الروضتين (١٨٠) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧) والعبر (٥/ ١٨٥) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٩) والكواكب الدرية للمناوي (٢/ ١١٩) وجامع كرامات الأولياء (٢/ ٣٤٠) .

أصله من قرية بُسْر[١] شرقي زُرْع ، وأقام بدمشق مدةً يعمل صنعة الحرير ، ثم ترك ذلك وأقبل يعمل الفقير[٢] على يد الشيخ علي المغَرْبل[٣] ، وابتنى له زاويةً على الشرف القبلي ، وبدرتْ منه أفعالٌ أنكرها عليه الفقهاءُ، كالشَّيخ عز الدين بن عبد السلام[٤]، والشيخ تقي الدين بن الصلاح[٥]، والشيخ أبي عمرو[٦] بن الحاجب شيخ المالكية وغيرهم ، فلما كانت الدولة الأشرفية حبس في قلعة عزتا مدة سنين[٧] ثم أطلقه الصالح إسماعيل واشترط عليه أن لا يقيم بدمشق ، فلزم بلده بُسر مدةً حتى كانت وفاته في هذه السنة .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « الذيل »[٨] : وفي رمضان أيضاً توفي الشيخ علي المعروف بالحريري المقيم بقرية بُسر في زاويته ، وكان يتردَّدُ إلى دمشق ، وتبعه طائفةٌ من الفقراء وهم المعروفون بالحريرية[٩] أصحاب الزّيّ المُنافي للشريعة ، وباطنهم شرٌّ من ظاهرهم ، إلا من رجع إلى الله منهم ، وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشريعة والتهاون بها من إظهار شعار[١٠] أهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كثيرة[١١] من أولاد كبراء دمشق[١٢] وصاروا على زيّ أصحابه ، وتبعوه بسبب أنه كان خليع[١٣] العذار ، ويجمع مجلسه الغناء الدائم والرقصَ والمردان ، وترك الإنكار[١٤] على أحد فيما يفعله ، وتركَ الصلوات وكثرة[١٥] النفقات ، فأضلّ[١٦] خلقاً كثيراً وأفسد جماً

---

(١) بُسْر بالضم اسم قرية من أعمال حوران جنب زُرَّة التي يسميها العامة زُرْع . معجم البلدان (١/ ٤٢٠) قلت : وزُرع تسمى اليوم إزرع وهي منطقة من مناطق حوران . وبسر تسمى في بعض المصادر بسر الحرير .

(٢) في سير أعلام النبلاء : فتعلم نسج المَرْوَزي . وكان خاله صائغاً ثم عمل العتَّابي . وفي الكواكب الدرية : فعلمه عمه نسج الحرير . وفي العبر : وتعلّم بدمشق نسج العتّابي .

(٣) في أ ، ب : علي المغربل تلميذ الشيخ رسلان التركماني الجعبري فاتبعه طائفة من الناس يقال لهم الحريرية . وفي سير أعلام النبلاء : وصحب أبا علي المُغرْبل خادم الشيخ رسلان .

(٤) ستَرد ترجمة العز بن عبد السلام في وفيات سنة ٦٦٠هـ من هذا الجزء .

(٥) تقدمت ترجمة ابن الصلاح في وفيات سنة ٦٤٣هـ من هذا الجزء .

(٦) ستَرد ترجمة ابن الحاجب في وفيات سنة ٦٤٦هـ من هذا الجزء .

(٧) أ ، ب : سجن بقلعة عرتا سنتين .

(٨) ذيل الروضتين (١٨٠) .

(٩) ط : المعروفون بأصحاب الحريري أصحاب المنافي للشريعة .

(١٠) ط : والتهاون فيها من إظهار شعائر . وأ ب : والتهاون بها ومن شعار أهل الفسوق .

(١١) ط : كبيرة .

(١٢) أ ، ب : كبراء الدماشقة .

(١٣) أ ، ب : بسبب الدكان خلع الفدار .

(١٤) في ذيل الروضتين : وترك الاحتجار .

(١٥) ط : « كثرت » وما هنا من أ ، ب ، والذيل .

(١٦) أ ، ب : وأصل .

غفيراً ، ولقد أفتى في قتله مراراً جماعةٌ من علماء الشريعة ، ثم أراح الله تعالىٰ منه . هذا لفظه بحروفه[١] .

واقف[٢] العزّيّةِ الأمير عِزُّ الدين أيبك[٣] أستاذ دار المعظم .

كان من العقلاء الأجواد الأمجاد ، استنابه المعظمُ على صرخد[٤] وظهرت منه نهضة وكفاية وسداد[٥] ، ووقف[٦] العِزِّيتين الجُوَّانية والبَرَّانية ، ولما أخذ منه الصالحُ أيوبُ صرخدَ عوَّضه عنها وأقام بدمشق ثم وشى به[٧] بأنه يكاتب الصالح إسماعيل فاحتيط عليه وعلى أمواله وحواصله فمرض وسقط إلى الأرض ، وقال[٨] : هذا آخر عهدي . ولم يتكلم حتى مات ودفن بباب النصر بمصر رحمه الله تعالىٰ ، ثم نقل إلى تربته التي فوق الوراقة . وإنما أرَّخ السبط وفاته في سنة سبع[٩] وأربعين فالله أعلم .

الشهاب غازي بن العادل[١٠] صاحب ميافارقين وخلاط وغيرهما من البلدان .

كان من عقلاء بني أيوب وفضلائهم ، وأهل الديانة منهم ، ومما أنشد قوله[١١] : [من الطويل]

ومنْ عَجَبِ الأيامِ أَنَّكَ جالسٌ على الأرضِ في الدُّنيا وأنتَ تَسيرُ
فَسَيْـرُكَ يـا هـذا كَسَيْرِ سَفينـةٍ بقـومٍ جُلـوسٍ والقُلـوعُ تَطيـرُ

ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمئة

فيها : قدم السلطان الملك[١٢] الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية إلى دمشق وجهز الجيوش

---

(١) هذه العبارة لها دلالة هامة وهي أَنَّ النقل في العصور المتأخرة كثيراً ما كان يقوم على المعنى دون اللفظ إلا ذكر مثل هذه العبارة فهو سيلتزم بألفاظ مصدره ينقلها بحروفها .
(٢) ترتيب التراجم في أ ، ب : مختلف عما في ط فهناك تبدأ النسختان بالحريري ثم بعده الأقساسي ثم الشلوبين ثم واقف العزية . وآثرت ترتيب ط ، لانتشارها وشهرتها .
(٣) ترجمة ـ عز الدين أيبك ـ في الدارس (١/ ٤٧٨) وتنبيه الطالب (٩٦ ـ ٩٧) ومنادمة الأطلال (١٨٥) .
(٤) صرخد يسميها العامة اليوم صلخد وتقع في جنوب جبل العرب .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) أ ، ب : وواقف .
(٧) ظ : أوشى عليه . وفي اللسان وشى به لا وشى عليه .
(٨) الخبر في مرآة الزمان (٨/ ٥٠٩) .
(٩) كذا في كل الأصول ، وكذا وَرَّخه الذهبي في تاريخ الإسلام (١٤/ ٥٤٣) .
(١٠) ترجمة الشهاب في مرآة الزمان (٨/ ٥١٠ ـ ٥١١) وذيل الروضتين (١٥١) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٥٣٠) والعبر (٥/ ١٨٧) وشذرات الذهب (٧/ ٤٠٢) وترويح القلوب (٦٢) .
(١١) البيتان في مرآة الزمان (٨/ ٥١٠) .
(١٢) عن ب وحدها .

والمجانيق إلى حمص ، لأنه كان صاحبها الملك الأشرف[(١)] موسى بن المنصور بن أسد الدين شيركوه[(٢)] قد قايض بها إلى تل باشر لصاحب حلب الناصر يوسف بن العزيز ، ولما علمت الحلبيون بخروج الدماشقة برزوا أيضاً في جحفل عظيم[(٣)] ليمنعوا حمص منهم ، واتفق مجيء الشيخ نجم الدين الباذرائي[(٤)] مدرس النظامية ببغداد في رسالة فأصلح بين الفريقين ، وردَّ كلاً من الفئتين إلى مستقرها ولله الحمد .

وفيها : قتل مملوك تركيّ شاب صبي لسيّده على دفعه[(٥)] عنه لما أراد به من الفاحشة ، فصلب الغلامُ مُسَمَّراً ، وكان شاباً حسناً جداً فتأسَّفَ الناسُ له لكونه[(٦)] صغيراً ومظلوماً وحسناً ، ونظموا فيه قصائد ، وممن نظم فيه الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « الذيل »[(٧)] ، وقد أطال قصته جداً .

وفيها : سقطت قنطرة رومية قديمة البناء بسوق الدقيق[(٨)] من دمشق ، عند قصر أم حكيم ، فتهدَّم بسببها شيء كثير من الدور والدكاكين ، وكان سقوطها نهاراً .

وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع حريق بالمنارة الشرقية فأحرق[(٩)] جميع حشوها ، وكانت سلالمها سقالات من خشب ، وهلك للناس ودائع كثيرة كانت فيها ، وسلَّم الله الجامع وله الحمد . وقدم السلطان بعد أيام إلى دمشق فأمر بإعادتها كما كانت .

قلت : ثم احترقت وسقطت بالكلية بعد سنة أربعين وسبعمئة وأُعيدت عمارتها أحسن مما كانت ولله الحمد . وبقيت حينئذ المنارة البيضاء الشرقية بدمشق كما نطق به الحديث في نزول عيسى [ابن مريم] عليه السلام عليها[(١٠)] ، كما سيأتي بيانه وتقريره في موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) ط : الملك الأشرف بن موسى ؛ وهذا خطأ لأن موسى هو الأشرف نفسه ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٠هـ من هذا الجزء .
(٢) عن أوحدها .
(٣) ب : جحفل كثير .
(٤) الباذرائي هو عبد الله بن محمد بن حسن بن عبد الله بن عثمان . سترد ترجمته في حوادث سنة ٦٥٥هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالىٰ .
(٥) أ ، ب : علاى رفعه .
(٦) أ ، ب : ولكونه .
(٧) ذيل الروضتين (١٨١) ومن أبياته :

ومنفـردٍ مـن فـوق أعـواد حتفـه ... يجـود بنفـسٍ صـانهـا خـوف ربّـه
تسمّرت الأعضاء منه فلم يُطقْ ... سجـوداً فـأومـأ للسجـود بقلبـه

(٨) في ذيل الروضتين (١٨٢) بسوق الرقيق .
(٩) أ ، ب : فاحترق .
(١٠) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٩٣٧) (٢٢٥٢/٤) وأحمد في المسند رقم (١٧٥٦١) (١٨١/٤) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه .

ثم عاد السلطان الصالح أيوب مريضاً في محفة إلى الديار المصرية وهو ثقيل مدنف ، ما شغله مرضه وما هو فيه[(١)] عن أمره بقتل أخيه العادل أبي بكر بن الكامل الذي كان صاحبَ الديار المصرية بعد أبيه ، وقد كان سجنَه سنة استحوذ على مصر ، فلما كان في هذه السنة في شوَّالها أمر بخنقه ، فخنق [ودفن] بتربة شمس الدولة ، فما عُمر بعده إلا إلى النصف من شعبان في العام القابل في أسوأ حالٍ ، وأشدِّ مرضٍ ، فسبحان من له الخلق والأمر .

وفيها : كانت وفاة قاضي القضاة بالديار المصرية :

أفضل[(٢)] الدين[(٣)] الخُونَجي[(٤)] ، الحكيم المنطقي البارع في ذلك ، وكان مع ذلك جيد السيرة في أحكامه .

قال أبو شامة[(٥)] : أثنى عليه غير واحد .

ومم توفي فيها :

علي بن يحيى[(٦)] جمال[(٧)] الدين أبو الحسن [البغدادي] المُخَرِّمي[(٨)] ، كان شاباً فاضلاً أديباً شاعراً ماهراً ، صنف كتاباً مختصراً وجيزاً جامعاً لفنون كثيرة في الرياضة والعقل وذمّ الهوى ، وسماه « نتائج الأفكار » . قال فيه من الكلم المستفادة الحكمية :

السلطانُ إمامٌ متبوعٌ ، ودينٌ مشروعٌ ، فإن ظَلَمَ جارتِ الحكّامُ لظلمه ، وإن عدَلَ لم يَجُرْ أحدٌ في[(٩)]

---

(١) ط : شغله ما هو فيه .
(٢) في ط : فضل الدين ؛ وهو تحريف .
(٣) ترجمة ـ الخونجي ـ في ذيل الروضتين (١٨٢) وعيون الأنباء (٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٥٥٧) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٢٨) والعبر (٥/ ١٩١) والوافي بالوفيات (٥/ ١٠٨ ـ ١٠٩) وطبقات السبكي (٨/ ١٠٥ ـ ١٠٦) وطبقات الإسنوي (١/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣) وحسن المحاضرة (١/ ٥٤١) وشذرات الذهب (٧/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) .
(٤) في شذرات الذهب : وفيها أفضل الدين الخونجي ـ بخاء معجمة مضمومة ، ثم واو ، بعدها نون ، ثم جيم ـ محمد بن ناماور ـ بالنون في أوله ـ ابن عبد الملك ، قاضي القضاة أبو عبد الله .
(٥) ذيل الروضتين بخلاف في الرواية .
(٦) أ ، ب : بن جمال الدين ؛ خطأ .
(٧) ترجمة ـ جمال الدين المخرمي ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٥٥٣) والحوادث الجامعة (٢٣٦ ـ ٢٣٧) ومعجم المؤلفين (٧/ ٢٦١) .
(٨) أ ، ب : الحرمي ، ط : المحرمي ، ونسبته إلى المُخَرِّم وهي محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى . معجم البلدان (٥/ ٧١) .
(٩) عن ط وحدها .

حكمه ، منْ مَكَّنَهُ اللهُ في أرضِهِ وبلادِهِ وائْتَمَنَهُ على خلقِهِ وعبادِهِ ، وبسَطَ يَدَهُ وسلطانَهُ ، ورَفَعَ مَحَلَّهُ ومكانَهُ ، فحقيقٌ عليهِ أن يُؤَدِّيَ الأمانَةَ ، ويُخْلِصَ الديانَةَ ، ويُجْمِلَ السَّريرةَ ، ويُحْسِنَ السِّيرةَ ، ويَجْعَلَ العَدْلَ دَأْبَهُ المَعْهُود ، والأَجْرَ[1] غَرَضَهُ المَقْصود ، فالظُّلْمَ يُزِلُّ القَدَم ، ويُزِيلُ النِّعم ، ويجلبُ النِّقَم ، ويُهْلِكُ الأُمَم .

وقال أيضاً :

معارضَةُ الطَّبيب تُوجِبُ التَّعذيب .

رُبَّ حِيلَةٍ أنفعُ من قَبيلة .

الموتُ في طلب الثأر خيرٌ من الحياة في عار .

سَمينُ الغضب مَهْزُول ، ووالي الغَدْرِ مَعْزول .

قلوبُ الحكماءِ تَسْتَشِفُّ[2] الأَسْرار من لَمَحاتِ الأَبْصار .

اِرْضَ مِنْ أخيكَ في ولايتِهِ بعُشْرِ ما كُنْتَ تَعْهَدُهُ في مَوَدَّتِهِ .

التَّواضعُ من مَصَائِدِ الشَّرَفِ .

ما أَحْسَنَ حُسْنَ الظَّنِّ لولا أَنَّ فيهِ العَجْزَ .

ما أَقْبَحَ سُوءَ الظَّنِّ لولا أَنَّ فيهِ الحَزْمَ .

وذكر في غضون[3] كلامه أَنَّ خادماً لعبد الله بن عمر أذنبَ فأرادَ ابنُ عمر أن يعاقبَهُ على ذنبه فقال : يا سيدي أما لَكَ ذَنْبٌ تخافُ من الله فيه[4] ؟ قال : بلى ، قال : فبالذي[5] أمهلكَ لما أَمْهَلتني ، ثم أَذْنَبَ العبدُ ثانية[6] فأرادَ عقوبتَه فقال له مثلَ ذلك فعفا عنه ، ثم أذنبَ الثالثةَ فعاقبه وهو لا يتكلم فقال له ابن عمر : مالك لم تَقُلْ مِثل ما قلتَ في الأوليين[7] ؟ فقال : يا سيّدي حياءً من حلمك مع تكرار جُرْمي . فَبَكى ابن عمر وقال : أنا أحقُّ بالحياءِ من ربّي ، أنتَ حُرٌّ لوجه الله تعالىٰ .

ومن شعره يمدح الخليفة : [من الكامل]

---

(١) أ ، ب : والأمن بحر غرضه المقصود .

(٢) أ ، ب : يسفسف .

(٣) أ ، ب : في عيون .

(٤) أ ، ب : تخاف من الله منه .

(٥) ط : قال بالذي .

(٦) ط : ثانياً .

(٧) ط : الأولتين ؛ وهو خطأ .

يَا مَنْ إذا بخلَ السَّحابُ بمائهِ هَطَلَتْ يَدَاهُ عَلَى البريَّةِ عَسْجَدا
جَوَّدْتَ كِسْرَى يا مُبَخِّلَ حاتَمٍ فَغَدَتْ بَنو الآمالِ نَحْوَكَ سُجَّدا

وقد أورد له ابن السَّاعي أشعاراً كثيرةً حسنةً رحمه الله تعالىٰ .

الشيخ أبو عمرو بن الحاجب[١] المالكي عثمان بن عُمر بن أبي بكر بن يونس الدّويني[٢] ثم المصري ، العلامة أبو عمرو [ابن الحاجب] شيخ المالكية .

كان أبوه صاحباً للأمير عِزّ الدين موسك الصَّلاحي ، واشتغل هو بالعلم فقرأ القراءات وحرَّر النحو تحريراً بليغاً ، وتفقّه وساد أهلَ عصره[٣] ، ثم كان رأساً في علوم كثيرة ، منها الأصول والفروع والعربية [والنحو] والتصريف والعروض والتفسير وغير ذلك . وقد[٤] كان استوطن دمشق في سنة سبع عشرة وستمئة ، ودرس بها للمالكية بالجامع حتى كان خروجه بصحبة[٥] الشيخ عز الدين بن عبد السلام[٦] في سنة ثمانٍ وثلاثين ، فصارا إلى الديار المصرية حتى كانت وفاة الشيخ أبي عمرو في هذه السنة بالإسكندرية ، ودفن بالمقبرة التي بين المنارة والبلد .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة[٧] : وكان من أذكى الأُمَّة[٨] قريحةً ، وكان ثقةً حجةً متواضعاً عفيفاً كثيرَ الحياء منصفاً محبّاً للعلم وأهله ، ناشراً له محتملاً للأذى ، صبوراً على البلوى ، قدم دمشق مراراً آخرها سنة سبع عشرة ، فأقام بها مدرّساً للمالكية وشيخاً للمستفيدين عليه في عِلْمَي القراءات والعربية[٩] ، وكان ركناً من أركان الدين في العلم والعمل ، بارعاً في العلوم

---

(١) ترجمة ـ ابن الحاجب ـ في ذيل الروضتين (١٨٢) ووفيات الأعيان (٣/٢٤٨ ـ ٢٥٠) وتاريخ الإسلام (١٤/٥٥١) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦) والعبر (٥/١٨٩) والطالع السعيد للأدفوي (١٨٨) والديباج المذهب (٢/ ٨٦ ـ ٨٩) والبلغة (١٤٠) وغاية النهاية (١/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩) وبغية الوعاة (٢/ ١٣٤ ـ ١٣٥) وحسن المحاضرة (١/ ٤٥٦) وشذرات الذهب (٧/ ٤٠٥ ـ ٤٠٧) .

(٢) ط : الرويني ، وأ ، ب : الروني ؛ وكلاهما تحريف . وفي سير أعلام النبلاء : الدُّويني . وهو ضبط الذهبي رحمه الله . وقال ياقوت : دَوِين : ـ بفتح أوله ، وكسر ثانيه ، وياء مثناة من تحت ساكنة ، وآخره نون : بلدة من نواحي أرّان في آخر حدود أذربيجان بقرب تفليس منها ملوك الشام بنو أيّوب . معجم البلدان (٢/ ٤٩١) .

(٣) أ ، ب : وساد أهل مصره . كان رأساً .

(٤) عن ط وحدها .

(٥) أ ، ب : صحبة .

(٦) سترد ترجمة العز بن عبد السلام في وفيات سنة ٦٦٠هـ من هذا الجزء .

(٧) ذيل الروضتين (١٨٢) .

(٨) ط : أذكى الأئمة .

(٩) أ : في علم القراءات والعربية . وب : في علمي القرآن والعربية .

[الأصولية وتحقيق علم العربية][١] متقناً لمذهب مالك بن أنس رحمه الله تعالىٰ .

وقد أثنى عليه ابن خلكان[٢] ثناءً كثيراً ، وذكر أنه جاء إليه في أداء شهادة حين كان [ابن خلكان] نائباً في الحكم بمصر ، وسأله عن مسألة اعتراض[٣] الشرط على الشرط ، إذا قال : « إن أكلتِ ، إن شربتِ فأنت طالق » . لِمَ كان [لا] يقع الطلاق حين شربت أولاً ؟[٤] وذكر (أنه) أجاب عن ذلك في تُؤدةٍ وسكون .

قلت ومختصره[٥] في الفقه من أحسن المختصرات ، انتظم فيه جواهر[٦] ابن شاس[٧] ، ومختصره[٨] في أصول الفقه ، استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآمدي[٩] ، وقد منَّ الله تعالىٰ عليَّ بحفظه وجمعتُ كراريس في الكلام على ما أودعه فيه من الأحاديث النبوية ، ولله الحمد . وله « شرح المفصل » و« الأمالي » في العربية و« المقدمة » المشهورة في النحو ، اختصر فيها « مفصل الزمخشري » وشرحها ، وقد شرحها غيره أيضاً، وله التصريف وشرحه ، وله عروض[١٠] على وزن الشاطبية رحمه الله ورضي عنه .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمئة

فيها : كانت وفاة الملك الصالح أيوب ، وقتل ابنه[١١] توران شاه وتولية المعز عز الدين أيبك التركماني ، [على ما سيأتي] .

وفي[١٢] رابع المحرم يوم الإثنين توجه[١٣] الملك الصالح من دمشق إلى الديار المصرية في محفَّةٍ .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن ذيل الروضتين أصل المؤلف .
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٠) بخلاف في الرواية .
(٣) أ ، ب : مسألة دخول الشرط على الشرط كما إذا قال .
(٤) السؤال في الوفيات : لِمَ تعين تقديم الشرب على الأكل بسبب وقوع الطلاق حتى لو أكلت ثم شربت لا تطلق ، وفي أ ب : لم كان لا يقع الطلاق حين تشرب أولاً ؟ .
(٥) أ ، ب : وله مختصر في الفقه .
(٦) ط : فوائد ابن شاس ، وكتابه اسمه : « الجواهر الثمينة في المذهب » .
(٧) هو عبد الله بن نجم بن شاس ، تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦١٦هـ من هذا الجزء .
(٨) أ ، ب : ومختصر في أصول الفقه .
(٩) تقدمت ترجمة السيف الآمدي في سنة ٦٣١ من هذا الجزء .
(١٠) أ ، ب : وله في الروض على وزن الشاطبية .
(١١) ب : وقيل أبيه المعظم .
(١٢) ب : في ؛ بلا واو .
(١٣) أ ، ب : توجه السلطان الملك الصالح .

قاله السبط[١] . وكان قد نادى في دمشق : من له عندنا شيء فليأت ، فاجتمع خلق كثير بالقلعة ، فدفعت إليهم أموالهم .

وفي عاشر صفر دخل إلى دمشق نائبها الأمير جمال الدين بن يغمور من جهة الصالح أيوب فنزل بدرب الشعارين داخل باب الجابية .

وفي جمادى الآخرة أمر النائب بتخريب الدكاكين المحدَثة وسط باب البريد ، وأمر أن لا يبقى فيها دكان سوى ما في جانبيه إلى جانب الخياطين القبلي والشامي[٢] ، وما في الوسط يهدم[٣] . قال أبو شامة[٤] : وقد كان العادل هدم ذلك ثم أعيد ثم هدمه ابن يغمور ، والمرجو استمراره على هذه الصفة .

وفيها : توجَّهَ الناصر داود من الكرك إلى حلب فأرسل الصالح أيوب إلى نائبه بدمشق جمال الدين بن يغمور بخراب دار أسامة المنسوبة إلى الناصر بدمشق ، وبستانه الذي بالقابون ، وهو بستان القصر ، وأن تقلع أشجاره ويخرب القصر ، وتسلَّم الصالح[٥] أيوب الكرك من الأمجد حسن بن الناصر ، وأخرج من كان بها من بيت المعظم ، واستحوذ على حواصلها وأموالها ، فكان فيها من الذهب ألف ألف دينار ، وأقطع الصالح الأمجد هذا إقطاعاً جيداً .

وفيها : طغى الماء ببغداد حتى أتلف شيئاً كثيراً من المحال والدور الشهيرة ، وتعذّرت الجُمَع في أكثر الجوامع بسبب ذلك سوى ثلاثة[٦] جوامع ، ونقلت توابيت جماعة من الخلفاء إلى الترب من الرصافة خوفاً عليهم من أن تغرق محالهم ، منهم المعتضد[٧] بن الأمير أبي أحمد [بن] المتوكل ، وذلك بعد دفنه بنيّفٍ وخمسين سنة وثلاثمئة سنة ، وكذا نقل[٨] ولده المكتفي ، وكذا المُتَّقي[٩] بن المقتدر بالله رحمهم الله تعالىٰ .

وفيها : هجمت الفرنجُ على دمياط فهربَ مَنْ كانَ فيها من الجند والعامة واستحوذ الفرنجُ على الثغر وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، وذلك في ربيع الأول منها ، فنصب السلطانُ المخيّم تجاهَ العدوّ بجميع

---

(١) مرآة الزمان (٨/ ٥١٣) .
(٢) ب : القبلي والشمالي .
(٣) أ ، ب : فهذم .
(٤) ذيل الروضتين (١٨٣) .
(٥) أ ، ب : وأن يقلع أشجاره وتخريب القصر ويسلم الصلح .
(٦) ط : ثلاث .
(٧) ط : المقتصد ؛ تحريف .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) ط : المقتفي بن المقتدر بالله ؛ وهو خطأ .

الجيش ، وشنق خلقاً ممن هربَ من الفرنج ، ولامهم على ترك المصابرة قليلاً ليرهبوا عدوَّ الله وعدوَّهم ، وقوي المرضُ وتزايد بالسلطان جداً ، فلما كانت ليلة النصف من شعبان توفي إلى رحمة الله تعالىٰ بالمنصورة ، فأخفت جاريتُه أم [ولده] خليل المدعوَّة شجرةَ الدرِّ موتَه ، وأظهرت أَنَّهُ مريضٌ مُدْنفٌ لا يوصَل إليه ، وبقيتْ تعلِّم عنه بعلامته سواء . وأعلمت إلى أعيان الأمراء فأرسلوا إلى ابنه الملك المعظم تورانشاه وهو بحصن كيفا ، فأقدموه إليهم سريعاً ، وذلك بإشارة أكابر الأمراء منهم فخر الدين ابن الشيخ(١) ، فلما قدم عليهم مَلَّكُوه عليهم وبايعوه أجمعون(٢) ، فركبَ في عصائب الملك وقاتلَ الفرنجَ فكسرهم وقتل منهم ثلاثين ألفاً ولله الحمد .

وذلك في أول السنة الداخلة . ثم قتلوه بعد شهرين من ملكه ، ضربه بعض الأمراء وهو عز الدين أيبك التركماني ، [فضربه في يده فقطع بعض أصابعه](٣) فهرب إلى قصر من خشبٍ في المُخيم فحاصروه فيه وأحرقوه عليه ، فخرجَ من بابه مُسْتَجيراً برسولِ الخليفة فلم يقبلوا منه ، فهربَ إلى النّيل فانغمر فيه ثم خرج فقُتل سريعاً شَرَّ قِتْلَةٍ ، وداسوه بأرجلهم ودُفن كالجيفة ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . وكان فيمن ضَرَبَهُ البندقداري على كتفه فخرج السيف من تحت إبطه الآخر(٤) وهو يستغيث فلا يغاث .

ومن قتل في هذه السنة :

فخر الدين يوسف بن الشيخ بن حمويه(٥) .

وكان فاضلاً ديناً مهيباً وقوراً خليقاً بالملك ، كانت الأمراء تعظمه جداً ، ولو دعاهم إلى مبايعته بعد الصالح(٦) لما اختلف عليه اثنان ، ولكنه كان لا يرى ذلك حماية لجانب بني أيوب ، قتلته الداوية(٧) من الفرنج شهيداً قبلَ قدوم المُعَظَّم توران شاه إلى مصر ، في ذي القعدة ، ونهبت أمواله وحواصله وخيوله ،

---

(١) سترد ترجمته بعد أسطر في وفيات هذه السنة ٦٤٧هـ .

(٢) ط : أجمعين .

(٣) وكان ما بين الحاصرتين في أ ، ب : وهو جالسٌ على السماط وفي يده بالسيف وذلك أنه صاح . في أ : صالح . على أيبك التركماني فضربه في يده فانكاه ، في ب : فأفكاه .

(٤) في أ ، ب : الأخرى . والإبط يذكر ويؤنث والتذكير أعلى . واللسان (أبط) .

(٥) ترجمة ـ فخر الدين بن شيخ الشيوخ ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥١٥ ـ ٥١٧) وذيل الروضتين (١٨٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٥٨٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٠٠ ـ ١٠٢) والعبر (٥/ ١٩٤ ـ ١٩٥) وطبقات السبكي (٨/ ٩٧) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٦٣) وشذرات الذهب (٧/ ٤١٢) .

(٦) أ ، ب : إلى بيعته بعد الصالح ، وفي ب : بعد الصالح أيوب .

(٧) فرقة من فرسان الصليبيين مشهورة .

وخرَّبت دارَهُ ولم يتركوا شيئاً من الأفعال الشنيعة البشعة إلا صنعوه به ، مع أَنَّ الذين تعاطوا ذلك من الأمراء كانوا مُعَظِّمين له غايةَ التَّعظيم . ومن شعره : [من الطويل]

عصيتُ هَوَى نَفْسي صَغيراً فعندما   رَمَتْني اللَّيالي بالمَشِيبِ وبالكبرِ
أَطَعْتُ الهَوَى عَكْسَ القَضِيَّةِ لَيْتَني   خُلِقْتُ كبيراً ثُمَّ عُدْتُ[1] إلى الصِّغرِ

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمئة

في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كَسرُ المعظم توران شاه للفرنج على ثغر دمياط ، فقتل منهم ثلاثين ألفاً وقيل مئة ألف ، وغنموا شيئاً كثيراً ولله الحمد . ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا ، وكان فيمن أسر ملك الإفرنسيس[2] وأخوه ، وأُرسلت غفارةُ ملك الإفرنسيس إلى دمشق فلبسها نائبها في يوم الموكب ، وكانت من سَقِرْلاط[3] [أحمر] تحتها فرو سنجاب ، فأنشد في ذلك جماعة من الشعراء فرحاً بما وقع[4] ، ودخل الفقراءُ كنيسةَ مريمَ فأقاموا بها فرحاً بما[5] نصر الله تعالىٰ على النصارى ، وكادوا أن يخربوها ، وكانت النصارى ببعلبك فرحوا[6] حين أخذت النصارى دمياط ، فلمّا كانت هذه الكسرة عليهم سَخَّموا وجوه الصور[7] ، فأرسل نائب البلد[8] فجناهم وأمر اليهود فصفعوهم ، ثم لم يخرج شهر المحرم حتى قتل الأمراء ابن أستاذهم [المُعَظَّم] توران شاه ، ودفنوه إلى جانب النيل من الناحية الأخرى رحمه الله تعالىٰ ورحم أسلافه بمنه وكرمه .

---

(١) البيتان في مرآة الزمان (٨/ ٥١٦) .
(٢) ط : الفرنسيس .
(٣) في أ ، ب : شكر لاط ، وفي ذيل الروضتين : اسكر لاط . وفي هامشه : ملابس صوفية مدفئة ، والهامش ذاته في النجوم الزاهرة (٦/ ٣٦٨) بإضافة عن القاموس الفارسي الإنجليزي ، وبالرواية المثبتة هنا في الأعلى : سَقِرْلاط أحمر .
(٤) أورد أبو شامة ثلاثة مقطعات من هذا الشعر من نظم نجم الدين محمد بن إسرائيل بينما أورد ابن تغري بردي من هذه المقطعات الثالثة وهي قوله : [من الطويل]

أسيِّدَ أملاكِ الزمانِ بأسرهم   تنجَّزت من نصر الإله وُعودَهُ
فلا زال مولانا يبيحُ حمى العدا   ويُلبس أسلابَ الملوكِ عبيدَهُ

(٥) ط : لما .
(٦) أ ، ب : قد فرحوا .
(٧) أ ، ب : القبور ، وأثبت ما يوافق رواية ذيل الروضتين .
(٨) في أ ، ب : البلد إليهم فجناهم ، وفي ذيل الروضتين : فجناهم جناة شديدة .

تمليك الملك
المعز عز الدين أيبك التركماني بمصر(١) بعد بني أيوب وهذا أول دولة الأتراك

لما قتل الأمراء البحرية وغيرهم من الصالحية ابنَ أستاذهم المُعَظَّم غياث الدين توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل أبي بكر بن [نجم الدين](٢) أيوب ، وكان ملكه بعد أبيه بشهرين كما تقدم [شرحه و] بيانه ، ولما انفصل أمره(٣) بالقتل نادوا فيما بينهم لا بأس لا بأس ، واستدعوا من بينهم الأمير عز الدين أيبك التركماني ، فملكوه عليهم وبايعوه ولقبوه بالملك المعز ، وركبوا إلى القاهرة ، ثم بعد خمسة أيام أقاموا لهم صبياً من بني أيوب ابن عشر سنين وهو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف ابن المسعود(٤) أقسيس بن الكامل ، وجعلوا المعزَّ أتابكه فكانت السكة والخطبة(٥) بينهما ، وكاتبوا أمراء الشام بذلك ، فما تمَّ لهم الأمر بالشام ، بل خرج عن أيديهم ولم تستقر لهم المملكة(٦) إلا على الديار المصرية ، وكل(٧) ذلك عن أمر الخاتون شجرة الدر أم خليل حَظِيَّة الصالح أيوب ، فتزوجت بالمعز ، وكانت الخطبة والسكة لها(٨) ، يُدْعَى لها على المنابر أيامَ الجمع بمصر وأعمالها ، وكذا تضرب السكة باسمها أم خليل ، والعلامة على المناشير والتواقيع بخطها واسمها ، مدة ثلاثة أشهر [قبل المعز](٩) ، ثم آل أمرها إلى ما سنذكره من الهوان والقتل .

ذكر ملك
الناصر بن العزيز بن الظاهر(١٠) صاحب حلب لدمشق(١١)

لما وقع بالديار المصرية من قتل الأمراء للمعظم(١٢) توران شاه بن الصالح أيوب ركب الحلبيون معهم

(١) العنوان في ط : المعز عز الدين أيبك التركماني يملك مصر بعد بني أيوب .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) أ : ثم لما قتل وانفصل أمره نادوا ، وفي ب : ثم لم تم قتله وانفصل أمره نادوا .
(٤) في أ ب : المنصور ؛ وهو خطأ . ترويح القلوب (٧٩) .
(٥) أ ، ب : فكانت الخطبة والسكة بينهما .
(٦) أ ، ب : ولم يستقر لهم مملكة .
(٧) أ ، ب : وكان .
(٨) أ ، ب : باسمها .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) أ ، ب : ابن الناصر فاتح القدس .
(١١) ط : صاحب حلب يملك دمشق .
(١٢) أ ، ب : المعظم .

ابن أستاذهم الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر يوسف فاتح بيت المقدس[١]، ومن كان عندهم من ملوك بني أيوب منهم الصالح إسماعيل بن العادل ، وكان أحق الموجودين بالملك ، من حيث السن والتعدد والحرمة والرئاسة، ومنهم الناصر داود بن المعظم بن العادل، والأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه، الذي كان صاحب حمص وغيرهم، فجاؤوا إلى دمشق فحاصروها فملكوها سريعاً ، ونُهبت دار ابن يغمور وحُبس في القلعة وتسلّموا ما حولها كبعلبك وبصرى والصلت [وعجلون] وصرخد ، وامتنعت[٢] عليهم الكرك والشوبك بالملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل ، كان قد تغلب عليهما في هذه الفتنة[٣] حين قتل المعظم توران شاه ، فطلبه المصريون ليملّكوه عليهم ، فخاف مما حل بابن[٤] عمه ، فلم يذهب إليهم ولما استقرت يد الحلبيين على دمشق وما حولها جلس الناصر في القلعة وطيّبَ قلوبَ الناس ، ثم ركبوا إلى غزة ليتسلموا الديار المصرية ، فبرز إليهم الجيشُ المصري فاقتتلوا معهم أشدَّ القتال ، فكُسر المصريون أولاً بحيث إنه خُطب للناصر في ذلك بها[٥] ، ثم كانت الدائرة على الشاميين فانهزموا وأسروا من أعيانهم خلقاً كثيراً[٦] ، وعدم من الجيش[٧] الصالح إسماعيل رحمه الله تعالىٰ .

وقد أنشد هنا[٨] الشيخ أبو شامة لبعضهم :

ضيّعَ إسماعيلُ أموالنا وخرَّب المغنى بلا معنى
وراحَ من جلّقَ هذا جزاءُ من أفقرَ الناسَ وما استغنى

ذكر شيء من ترجمة الصالح أبي الخيش[٩] إسماعيل[١٠]

وهو واقف تربة أم الصالح ، وقد كان الصالح رحمه الله ملكاً عاقلاً حازماً تَقَلّبَتْ[١١] به الأحوال أطواراً كثيرة ، وقد كان الأشرف أوصى له بدمشق من بعده ، فملكها شهوراً ثم انتزعها منه أخوه الكامل ،

(١) أ ، ب : القدس .
(٢) ب : وامتنعت القلعة وتسلموا ما حولها الكوكب والشوبك .
(٣) ب : في هذه السنة .
(٤) ط : بابني .
(٥) أ ، ب : اليوم .
(٦) أ ، ب : وأسر من أعيان خلق كثير .
(٧) أ ، ب : من البين ، مهملة الحروف .
(٨) أ ، ب : ها هنا .
(٩) في ط : « الجيش » وهو تصحيف .
(١٠) ترجمة ـ الملك الصالح ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٥٩٣) والعبر (٥/ ١٩٨ ـ ١٩٩) والدارس (١/ ٣١٦) وتنبيه الطالب (٥٠) والشذرات (٧/ ٤١٦) وترويح القلوب (٦١) ومنادمة الأطلال (١١٠ ـ ١١١) .
(١١) ط : تتقلب .

ثم ملكها من يد الصالح أيوب خديعة ومكراً ، فاستمر فيها أزيد من أربع سنين ، ثم استعادها منه الصالح أيوب عام الخوارزمية سنة ثلاث وأربعين ، واستقرت بيده بلدتا[١] بعلبك وبصرى ، ثم أُخذتا منه كما ذكرنا ، ولم يَبْقَ له بلدٌ يأوي إليه ، فلجأ إلى المملكة الحلبية في جوار الناصر يوسف صاحبها[٢] ، فلما كان في هذه السنة ما[٣] ذكرنا عُدِمَ بالديار المصرية في المعركة فلا يُدْرى ما فُعل به والله تعالىٰ أعلم . وهو واقف التربة والمدرسة ودار الحديث والإقراء بدمشق رحمه الله بكرمه .

وممن توفي في هذه السنة[٤] من الأعيان والمشاهير :

الملك المعظم[٥] توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل ابن العادل .

كان أولاً صاحب حصن كيفا في حياة أبيه ، وكان أبوه يستدعيه [إليه] في أيامه فلا يجيبه ، فلما توفي أبوه كما ذكرنا استدعاه الأمراء فأجابهم وجاء إليهم فملَّكوه عليهم ، ثم قتلوه كما ذكرنا ، وذلك يوم الإثنين السابع والعشرين من المحرم ، وقد قيل إنه كان متخلِّفاً لا يصلح للملك ، وقد رئي أبوه في المنام بعد قتل ابنه وهو يقول : [من مجزوء الرمل]

قَتَلُوهُ شَرَّ قِتْلَهْ صَارَ للعالَمِ مُثْلَهْ
لَمْ يُراعُوا فيه إلاَّ لا ولا مَنْ كانَ قَبْلَهْ
سَتَراهم عَنْ قَريبٍ لأقلِّ الناسِ أُكْلَهْ

فكان كما ذكرنا[٦] من اقتتال المصريين والشاميين . وممن عدم فيما بين الصفين من أعيان الأمراء والمسلمين ، فمنهم الشمس لؤلؤ مُدَبِّر مماليك الحلبيين ، وكان من خيار عباد الله الصالحين الآمرين بالمعروف وعن المنكر ناهين[٧] .

وفيها : كانت وفاة [واقفة الحافظية]

---

(١) أ : بلدا ، وفي ط : بلداه .
(٢) أ ، ب : صاحب حلب .
(٣) أ ، ب : كما ذكرنا .
(٤) أ ، ب : وممن توفي فيها من .
(٥) ترجمة المعظم في ذيل الروضتين (٣٨٥) وتاريخ ابن العبري (٢٦٠) والمختصر في أخبار البشر (٣/ ١٨١) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٥٩٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٩٣ ـ ١٩٦) والعبر (٥/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) والوافي بالوفيات (١٠/ ٤٤١ ـ ٤٤٣) وفوات الوفيات (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥) وطبقات السبكي (٨/ ١٣٤ ـ ١٣٦) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٧٢) وحسن المحاضرة (٢/ ٣٥ ـ ٣٦) وشذرات الذهب (٧/ ٤١٧ ـ ٤١٨) .
(٦) أ : وكان ما ذكرنا ، ب : فكان ما ذكرنا .
(٧) أ ، ب : والناهين عن المنكر .

الخاتون[١] أرغوان[٢] الحافظية .

سميت الحافظية لخدمتها وتربيتها الحافظ ، صاحب قلعة جعبر ، وكانت امرأةً عاقلةً مُدَبِّرةً عُمِّرت دهراً ولها أموالٌ جزيلةٌ عظيمةٌ ، وهي التي كانت تصلح الأطعمة للمغيث عمر بن الصالح أيوب ، فصادرها الصالح إسماعيل وأخذ[٣] منها أربعمئة صندوقٍ من المال ، وقد وقفت دارها بدمشق على خدامها ، واشترت بستانَ النجيب ياقوت[٤] الذي كان خادم الشيخ تاج الدين الكندي[٥] ، وجعلت فيه تربة ومسجداً ، ووقفت فيه عليها أوقافاً كثيرة[٦] جيدة رحمها الله .

واقف الأمينية التي ببعلبك :

أمين الدولة أبو الحسن غزال المتطبب[٧] وزير الصالح إسماعيل أبي الخيش الذي كان مشؤوماً على نفسه ، وعلى سلطانه ، وسبباً في زوال النعمة عنه وعن مخدومه ، وهذا هو وزير السوء ، وقد اتهمه السبط[٨] بأنه كان متستراً[٩] بالدين ، وأنه لم يكن له في الحقيقة دين ، فأراح الله تعالىٰ منه عامة المسلمين ، وكان قتله في هذه السنة لما عدم الصالح إسماعيل بديار مصر ، عمد من عمد من الأمراء إليه وإلى ابن يغمور[١٠] فشنقوهما وصلبوهما على القلعة بمصر متناوحين[١١] . وقد وجد لأمين الدولة غزال هذا من الأموال والتحف والجواهر والأثاث ما يساوي ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، وعشرة آلاف مجلد بخط منسوب وغير ذلك من الخطوط النفيسة الفائقة .

---

(١) ترجمة ـ الخاتون الحافظية ـ في النجوم الزاهرة (٧/ ٢١) والدارس (٢/ ٢٤٣) وتاريخ الصالحية (٢١٧ ـ ٢١٨) والشذرات (٧/ ٤١٦) ومنادمة الأطلال (٣٣٢) .

(٢) ط : أرغوانية ؛ وأ ، ب : « أرغون » وما هنا من خط الذهبي ، وهو الصواب .

(٣) ط : فأخذ .

(٤) تقدمت ترجمة ياقوت في وفيات سنة ٦٢٣ من هذا الجزء .

(٥) تقدمت ترجمة الكندي في وفيات سنة ٦١٣ من هذا الجزء .

(٦) عن ط وحدها .

(٧) ترجمة غزال في مرآة الزمان (٨/ ٥٢١) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٥٩٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١ ـ ٢٢) والدارس (١/ ١٨٨) والشذرات (٧/ ٤١٧) .

(٨) مرآة الزمان (٨/ ٥٢١) .

(٩) في ط مستهتراً . وعبارة السبط : وما كان مسلماً ولا سامرياً . بل كان يتستر بالإسلام ويبالغ في هدم شريعة المصطفى ﷺ .

(١٠) بعده في أ ، ب : ناصر الدين .

(١١) عن ط وحدها .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمئة

فيها : عاد الملك الناصر صاحب حلب إلى دمشق وقدمت عساكر المصريين فحكموا على بلاد السواحل إلى حد الشريعة ، فجهز لهم الملك الناصر جيشاً فطردوهم حتى ردوهم إلى الديار المصرية ، وقصروهم عليها .

وتزوجت في هذه السنة أم خليل شَجَر الدرّ بالملك المُعزّ عز الدين أيبك التركماني ، مملوك زوجها الصالح أيوب .

وفيها : نقل تابوت الصالح أيوب إلى تربته بمدرسته ، ولبست الأتراك ثياب العزاء ، وتصدقت أم خليل عنه بأموال جزيلة [كثيرة] .

وفيها : خَرَّبتِ التركُ دمياط ونقلوا الأهالي(١) إلى مصر وأخْلَوا الجزيرةَ أيضاً خوفاً من عَود الفرنج .

وفيها : كمل « شرح الكتاب المسمى بنهج البلاغة » في عشرين مجلداً مما ألّفه عبد الحميد(٢) بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني ، الكاتب للوزير مؤيد الدين بن العلقمي(٣) ، فأطلق له الوزير مئة دينار وخلعة وفرساً(٤) ، وامتدحه عبد الحميد بقصيدة ، لأنه كان(٥) شيعياً معتزلياً .

وفي رمضان استدعي الشيخ سراج الدين عمر بن بركة النَّهرقُلِّي(٦) مدرس النظامية ببغداد(٧) فولى قضاء القضاة ببغداد مع التدريس المذكور ، وخلع عليه .

وفي شوال(٨) ولي تاج الدين عبد الكريم بن الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي حسبة بغداد بعد أخيه عبد الله(٩) الذي تركها تزهداً عنها ، وخلع عليه بطرحة ، ووضع(١٠) على رأسه غاشية ، وركب الحُجّاب في خدمته .

---

(١) أ ، ب : آلاتها .
(٢) في ط : عبد الحميد بن داود . وما هنا يوافق ما في ترجمته من وفيات سنة ٦٥٥ من هذا الجزء .
(٣) سترد ترجمة ابن العلقمي في وفيات سنة ٦٥٦ من هذا الجزء .
(٤) أ ، ب : وفرس . وهو مخالف للسياق النحوي .
(٥) ب : وكان .
(٦) في معجم البلدان : نهر قُلاّ بضم القاف وتشديد اللام مقصور من نواحي بغداد (٥/ ٣٢٢) .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) في ط : شعبان . وأثبت رواية الأصلين الآخرين لأنها توافق السياق .
(٩) سيرد قتله في سنة ٦٥٦هـ من هذا الجزء إن شاء الله .
(١٠) أ ، ب : ورفع .

وفي هذه السنة صُلِّيَتْ صلاةُ العيد يومَ الفطر بعد العصر ، وهذا اتفاقٌ غريبٌ .

وفيها : وصل إلى الخليفة كتاب من صاحب اليمن[١] صلاح الدين يوسف[٢] بن عمر بن رسول يذكر فيه أن رجلاً باليمن خرج فادّعى الخلافة ، وأنه أنفذ[٣] إليه جيشاً فكسروه وقتلوا خلقاً من أصحابه وأخذ منهم صنعاء وهرب هو بنفسه في شرذمة ممن بقي من أصحابه .

وفيها : أرسل الخليفة إليه بالخلع والتقليد .

وفيها : كانت وفاة :

بهاء الدين[٤] علي بن هبة الله بن سلامة [ابن] الجُمَّيْزي[٥] خطيب القاهرة .

رحل في[٦] صغره إلى العراق فسمع بها [شُهْدَة][٧] وغيرها ، وكان فاضلاً قد أتقن معرفة مذهب الشافعي رحمه الله تعالىٰ ، وكان ديناً حسن الأخلاق واسع الصدر كثير البر ، قلَّ أن يقدم[٨] عليه أحد إلا أَطعمه شيئاً ، وقد سمع الكثير على السِّلَفي وغيره ، وأسمع الناس شيئاً كثيراً من مروياته ، وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة ، وله تسعون سنة ، ودفن بالقرافة رحمه الله تعالىٰ .

ومن توفي فيها[٩] :

أقضى القضاة[١٠] أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام[١١] بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللَّمْغاني[١٢] الحنفي .

---

(١) أ ، ب : وصل كتاب إلى الخليفة من ملك اليمن صلاح الدين .

(٢) في ط : صلاح الدين بن يوسف خطأ . وسترد ترجمته في حوادث سنة ٦٩٤هـ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٣) أ ، ب : خرج يدّعي الخلافة وأنه نفذ إليه جيشاً .

(٤) ترجمة ـ ابن الجميزي في مرآة الزمان (٨/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) وذيل الروضتين (١٨٧) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٦٢٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥) والعبر (٥/ ٢٠٣) وغاية النهاية (١/ ٥٨٣) وحسن المحاضرة (١/ ٤١٣) وشذرات الذهب (٧/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦) .

(٥) ط : الحميري ، وفي ب : الجيري . وكلاهما تحريف .

(٦) أ ، ب : من صغره .

(٧) لم يرد الاسم في ط وهي شهدة بنت أحمد بن الفرج توفيت سنة ٥٧٤هـ . ترجمتها في سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٣٦) .

(٨) ب : قدم .

(٩) أ : وممن توفي فيها من الأعيان .

(١٠) ط : القاضي .

(١١) ترجمة ـ اللمغاني ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٦٢٠) والجواهر المضية(٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) وفيه أنه من أسرة كلهم قضاة وفقهاء حنفيون : جده إسماعيل ، وأبوه عبد الرحمن ، وأخوه محمد ، وأخوه الثاني عبد الملك .

(١٢) لَمْغَان أصلها لامغان من قرى غزنة ، وقيل لامغان كورة تشتمل على عدة قرى في جبال غزنة وربما سميت لَمْغان وقد=

من بيت العلم والقضاء ، دَرَّسَ بمشهد أبي حنيفة ، وناب عن قاضي القضاة ابن فضلان الشافعي ، ثم عن قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبد الرزاق[١] الحنبلي ، ثم عن قاضي القضاة[٢] عبد الرحمن بن مُقْبل الواسطي[٣] ، ثم بعد وفاته في سنة ثلاث وثلاثين استقل القاضي عبد الرحمن اللَّمْغَاني [المذكور][٤] بولاية الحكم ببغداد ، ولُقِّب أَقْضَى القضاة [ولم يخاطَب بقاضي القضاة][٥] ، ودرَّس للحنفية بالمستنصرية في سنة خمس وثلاثين ، وكان مشكورَ السيرة في أحكامه ونقضه وإبرامه . ولما توفي تَوَلَّى بعدَه قضاءَ القُضاة ببغداد شيخ النظامية سراج الدين النَّهْرقُلّي[٦] رحمهما الله تعالىٰ وتجاوز عنهما بمنه وكرمه آمين[٧] .

ثم دخلت سنة[٨] خمسين وستمئة هجرية

فيها : وصلتِ التتارُ إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما والى هذه البلاد ، فقتلوا وسَبَوْا ونهبوا وخَرَّبوا فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . ووقعوا بتُجّار[٩] يسيرون بين حَرّان ورأس العين ، فأخذوا منهم ستمئة حملِ سكر[١٠] ومعمول من الديار المصرية ، وستمئة ألف دينار ، وكان عدةُ من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحواً من عشرةِ آلاف قتيلٍ ، وأسروا من الوُلدانِ والنساء ما يقارب ذلك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال السبط[١١] : وفيها : حج الناس من بغداد ، وكان لهم عشرُ سنين لم يحجوا من زمن المستنصر .

= نسب إليها جماعة من فقهاء الحنفية ببغداد منهم عبد السلام بن إسماعيل توفي سنة ٦٠٥هـ معجم البلدان (٥/ ٨).

(١) هو نصر بن عبد الرزاق بن أبي صالح الجيلي الأصل عماد الدين أبو صالح الحنبلي فقيه مناظر محدث ، قاضي القضاة . توفي سنة ٦٣٣هـ . سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٩٦) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٨٩) والمقصدالأرشد (٣/ ٥٦ـ ٥٨) .

(٢) ط : قاضي القضاة .

(٣) تقدمت ترجمة ابن مقبل في حوادث سنة ٦٣٠هـ من هذا الجزء .

(٤) ما بين الرقمين عن ط وحدها .

(٥) أ ، ب : ولي .

(٦) تقدم الحديث عن هذه النسبة في الصفحة السابقة .

(٧) بعد هذه اللفظة في ب : تم الجزء التاسع ويتلوه في العاشر بعده سنة خمسين وستمئة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

(٨) يبدأ الجزء العاشر في ب بما يلي : بسم الله الرحمن الرحيم . رب أعن سنة خمسين وستمئة .

(٩) ط : بسنجار . وهو تحريف .

(١٠) أ ، ب : شعر . وهو تحريف ، والخبر في مرآة الزمان (٨/ ٣٢٣) .

(١١) مرآة الزمان (٣٢٣) .

وفيها : وقع حريق بحلب احترق بسببه ستمئة دار ، ويقال إنَّ الفرنج ـ لعنهم الله ـ ألقوهُ فيها[(١)] قصداً .

وفيها : أعاد قاضي القضاة عمر بن علي النَّهْرَقُلِّي أمر المدرسة التاجية[(٢)] التي كان[(٣)] قد استحوذَ عليها طائفة من العوام ، وجعلوها كالقيسارية يتبايعون[(٤)] فيها مدةً طويلةً ، وهي مدرسةٌ جيدةٌ حسنةٌ قريبةُ الشبه[(٥)] من النظامية ، وقد كان بانيها يقال له تاج الدين[(٦)] ، وزير ملك شاه السلجوقي ، وأول من درَّس بها الشيخ أبو بكر الشاشي[(٧)] .

وفيها : كانت وفاة :

جمال الدين بن مطروح[(٨)] وقد كان فاضلاً رئيساً كَيِّساً شاعراً من كبار[(٩)] المُتَعَمِّمين ، ثم استنابه الملك[(١٠)] الصالح أيوب في وقتٍ على دمشق فلبس[(١١)] لبسَ الجند .

قال السبط[(١٢)] : وكان لا يليقُ في ذلك . ومن شعره في الناصر داود صاحب الكرك لما استعاد القدسَ من الفرنجِ حين سُلِّمت إليهم في سنة ستٍ وثلاثين في الدولة الكاملية فقال هذا الشاعر ، وهو[(١٣)] ابن مطروح رحمه الله[(١٤)] : [من السريع]

---

(١) ط : فيه .
(٢) المدرسة التاجية : مختصر تنبيه الطالب (٨٠ ـ ٨١) ومنادمة الأطلال (١٥٦ ـ ١٥٧) .
(٣) ب : كانت .
(٤) ط : يبتاعون .
(٥) ب : الشكل .
(٦) ط : تاج الملك .
(٧) أبو بكر الشاشي هو محمد بن أحمد بن الحسين صاحب المستظهري توفي سنة ٥٠٧ . وقد تقدمت ترجمته في وفيات هذه السنة من هذا الكتاب في الجزء السابق لهذا الجزء .
(٨) ترجمة ـ ابن مطروح ـ واسمه يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح الصعيدي في مرآة الزمان (٨/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) وذيل الروضتين (١٨٧) ووفيات الأعيان (٦/٢٥٨ ـ ٢٦٦) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٦٢٩) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) والعبر (٥/ ٢٠٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٤ و٢٧) وحسن المحاضرة (١/ ٥٦٧) وشذرات الذهب (٧/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩) ، ومنهم من ذكر وفاته في سنة ٦٤٩هـ .
(٩) أ ، ب : من خيار المتعممين .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) أ ، ب : ولبس .
(١٢) مرآة الزمان (٨/ ٥٢٥ ثم ٥٢٤) .
(١٣) عن ط وحدها .
(١٤) الأبيات في النجوم الزاهرة (٧/ ٢٧) .

المسجد[١] الأقصى له عَادة   سارتْ فصارت مثلاً سائرا
إذا غدا للكفْرِ مستوطنا   أنْ يَبْعَثَ اللهُ لهُ ناصرا
فناصرٌ طَهَّرَهُ أوّلاً   وناصِرٌ طَهَّرهُ آخرا

ولمّا عزله الصالح من[٢] النيابة أقام خاملاً ، وكان كثيرَ البرّ بالفقراء والمساكين ، وكانت وفاته بمصر .

وفيها توفي :

شمس الدين محمد بن سعد المقدسي[٣] الكاتب الحسن الخط .

كان كثيرَ الأدب ، وسمع الحديث كثيراً ، وخدم السلطان الصالح[٤] إسماعيل والناصر داود ، وكان ديّناً فاضلاً شاعراً له قصيدة ينصح فيها السلطان[٥] الصالح إسماعيل وما يلقاه الناس من وزيره وقاضيه وغيرهما ، من حواشيه . [وكانت وفاته بدمشق ودفن بقاسيون][٦] .

وممن توفي فيها [من الأعيان][٧] :

عبد العزيز بن علي[٨] بن عبد الجبار المغربي[٩] أبوه .

ولد ببغداد ، وسمع بها الحديث ، وعُني بطلب العلم وصنّفَ كتاباً في مجلداتٍ على حروف المعجم في الحديث ، وحرر[١٠] فيه حكاية مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالىٰ .

الشيخ أبو عبد الله محمد بن غانم بن [عبد الـ] كريم الأصبهاني ، قدم بغداد وكان شاباً فاضلاً ،

---

(١) في مرآة الزمان : والمسجد .
(٢) ب : عن .
(٣) ترجمة ـ أبي عبد الله محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد بن مُفلح بن هبة الله بن نُمير المقدسي ثم الصالحي الحنبلي الكاتب . في مرآة الزمان (٨/ ٥٢٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٦٤١) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٤٩) والعبر (٥/ ٢٠٦) والوافي بالوفيات (٣/ ٩١ ـ ٩٢) وفوات الوفيات (٣/ ٣٥٨) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٦ ـ ٢٧) وشذرات الذهب (٧/ ٤٣٣) .
(٤) أ ، ب : سمع الكثير وخدم الصالح .
(٥) ب : فاضلاً له شاعراً مقيدة ينصح فيها سلطانه .
(٦) ما بين الحاصرتين عن هامش أ وحدها .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) لم أجد لعبد العزيز بن علي ترجمة إلا في معجم المؤلفين (٥/ ٢٥٣) نقلاً عما هنا .
(٩) أ ، ب : المقرىء ولد ببغداد .
(١٠) أ ، ب : وتحرر .

فتتلمذ للشيخ شهاب الدين السهروردي[١] ، وكان حسن الطريقة ، له يد في التفسير على طريقة[٢] التصوف ، وفيه لطافة ، ومن كلامه في الوعظ :

العالمُ كالذَّرَّةِ في فَضَاءِ عَظَمَتِهِ ، والذَّرةُ كالعالَمِ في كتابِ حكمته . الأصولُ فروعٌ إذا تَجَلَّى جمالُ أَوَّلِيَّته ، والفروعُ أصولٌ إذا طلعتْ من مغربِ نفي الوسائط شمس آخريّته ، أستارُ الليلِ مسدولةٌ ، وشموعُ الكواكب مشعولةٌ ، وأعينُ الرُّقباءِ عن المُشتاقين مَشْغولة ، وحجابُ الحُجُبِ عن أبوابِ الوصل [مَطْرودَةٌ] معزولة ، ما هذه الوقفة[٣] والحبيب قد فتحَ البابَ ؟ ما هذه الفترة والمولى قد صَرَفَ[٤] حاجب الحجّاب ؟ [من الطويل]

وقوفي بأَكْنافِ العَقيقِ عُقوقُ إذا لم أَرِدْ والدمعُ فيه عَقيقُ
إذا[٥] لم أَمُتْ شَوْقاً إلى ساكِنِ الحِمَى فما أنا فيما أدَّعيه صَدوقُ
أيا رَبْعَ لَيْلَى ما المُحِبّونَ في الهَوَى سواءٌ[٦] ، ولا كُلُّ الشَّرابِ رَحيقُ
ولا كُلُّ مَنْ تلقاهُ[٧] يلقاكَ قَلْبُهُ ولا كُلُّ مَنْ يَحْنو إِلَيْكَ مَشُوقُ
تكاثرت الدَّعْوَى على الحبِّ فاستوى أسيرُ صَباباتِ الهَوى وطَليقُ

أيها الآمنون ، هل فيكم من يصعدُ إلى السماء ؟ أيها المحبوسون في مطامير مسمياتهم ، هل فيكم سليماً في الفهم يفهم رموز الوحوش[٨] والأطيار ؟ هل فيكم مُوسَويّ الشوقِ يقولُ بلسان شوقهِ ؛ أرني أنظرْ إليك ، فقد طالَ الانتظار ؟ ولما استسقى الناس قال بعد الاستسقاء : لمّا صَعِدَتْ إلى الله عز وجل نفسُ المشتاقِ بَكَتْ آماقُ الآفاقِ ، وجادَتْ بالدرّ مُرْضعة السّحاب ، وامتص[٩] لبَن الرَّحمة رضيعُ الترابِ وخرجَ من أخلافِ الغمامِ نِطافُ الماءِ النَّمير ، فاهتزَّتْ به الهامدةُ ، وقرَّتْ عيونُ الغدير[١٠] ، وتزَيَّنَتِ الرياض بالسندس الأخضر ، فحَبَّرَ الصبغُ حِبرَها أحسن تَحْبير ، وانفتق[١١] بأنملة الصبا أكمام

---

(١) أ، ب : الشهزوري ؛ تحريف وقد تقدّمت ترجمة الشهاب السهروردي في وفيات سنة ٦٣٠هـ ووفيات سنة ٦٣٢هـ.
(٢) أ : شهاب الشهرزوري فانتفع به وتكلم بعده على الناس في التصوف . وقد سقطت العبارة الأخيرة من ب .
(٣) ط : ما هذه الوقعة .
(٤) ط : قد خرق .
(٥) ط : وإذ لم .
(٦) أ : سوى .
(٧) أ ، ب : يلقاك يلقاك قلبه .
(٨) أ : فيكم سليمان الفهم لفهم رموز الوحوش ، وط : هل فيكم سليم في الفهم يفهم رموز .
(٩) أ ، ب : فامتص .
(١٠) ط : عيون المدر .
(١١) ط : وانفلق .

الأنوار[١] ، وانْشقَّتْ بنفحاتِ أنفاسه جيوب الأزهار[٢] ، ونطقت أجزاءُ الكائناتِ بلغات صفاتها ، وعادات عِبَرِها : أيها النائمون[٣] تيقظوا ، أيها المبعدون[٤] تعرضوا ﴿ فَٱنظُرْ[٥] إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم : ٥٠] .

أبو الفتح نصر الله بن هبة الله[٦] بن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن بُزاقة[٧] الغِفاري الكِناني المصري ثم الدمشقي .

كان من أخِصّاءِ الملك المُعظَّم ، وولدِه الناصرِ داود ، وقد سافر معه إلى بغداد في سنة ثلاثٍ وثلاثين وستمئة ، وكان أديباً مليحَ المحاضرة رحمه الله تعالىٰ . ومن شعره قوله[٨] : [من الطويل]

وَلَمّا أَبيتُمْ سادتي عن زيارتي ... وعَوَّضْتُموني بالبعادِ عن القُرْبِ
ولم تَسْمحوا بالوصل في حال يَقْظتي ... ولم يصطبرْ عنكمْ لرقّتهِ قَلبي
نصبتُ لصَيْدِ الطَّيفِ جَفْني حبالةً[٩] ... فأدركتُ خَفْضَ العيشِ بالنَّوْمِ والنَّصْبِ[١٠]

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمئة

فيها : دخل الشيخُ نجمُ الدين البادَرائي[١١] رسولُ الخليفة بين[١٢] صاحب مصر وصاحب الشام ، وأصلح بين الجيشين ، وكانوا قد اشتدت[١٣] الحربُ بينهم ونشبت ، وقد مَالأَ الجيشُ المصري الفرنج ووعدوهم[١٤] أن يسلموا إليهم بيتَ المقدس إن نصروهم على الشاميّين ، وجرتْ خطوبٌ كثيرةٌ ، فاصلحَ

---

(١) ب : الأغوار ، تحريف والأنوار ـ هنا ـ جمع نَوْر وهو الزهر . اللسان (نور) .
(٢) أ ، ب : الأزاهير .
(٣) ب : أيها الهائمون .
(٤) أ ، ب : أيها المستعدّون .
(٥) أ ، ب : فانظروا .
(٦) ترجمة ـ ابن بصاقة ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٦٤٥) والطالع السعيد (٦٧٦) وفوات الوفيات (٤/ ١٨٧ ـ ١٩٢) والجواهر المضية (٣/ ٥٥٢) وحسن المحاضرة (١/ ٥٦٧) وشذرات الذهب (٧/ ٤٣٥) والأعلام (٨/ ٣٥٤) .
(٧) في ط : صاقعة ؛ تحريف . وفي مصادره : بُصاقة .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) أ : نومي حباله ، ب : نومي حياله .
(١٠) أ ، ب : بالنوم بالنصب .
(١١) ستِرد وفاته في حوادث سنة ٦٥٥هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالىٰ .
(١٢) أ ، ب : من .
(١٣) ط : قد اشتدّ الحرب .
(١٤) ط : ووعدهم .

بينهم وخلَّصَ جماعةً من بيوت الملوك من الديار المصرية ، منهم أولادُ الصالح إسماعيل ، وبيت[١] الأشرف وغيرهم من أولادِ صاحب حمص وغيرهم ، فجزاه[٢] الله خيراً .

وفيها : فيما ذكر ابن الساعي كان رجلٌ ببغداد على رأسه زبادي قاشاني[٣] فزلق فتكسّرت فوقف يبكي ، فتألم الناسُ له لفقره وحاجته ، وأنه لم يكن يملك غيرها ، فأعطاه رجل من الحاضرين ديناراً ، فلما أخذه نظر فيه طويلاً ثم قال : والله هذا الدينار أعرفه[٤] ، وقد ذهب مني في جملة دنانير عام أول ، فشتمه بعضُ الحاضرين فقال له ذلك الرجل : فما[٥] علامةُ ما قلت ؟ قال زِنةُ هذا كذا وكذا ، وكان معه ثلاثة وعشرون ديناراً ، فوزنوه فوجدوه [كما ذكر ، فأخرج له الرجل ثلاثة وعشرين ديناراً ، وكان قد وجدها][٦] كما قال حين سقطت منه ، فتعجَّبَ الناس من ذلك[٧] .

قال : ويقرب من هذا[٨] أن رجلاً بمكة نزعَ ثيابه ليغتسلَ من ماءِ زمزم وأخرج من عضده دملجاً زنته خمسون[٩] مثقالاً فوضعه مع ثيابه ، فلما فرغَ من اغتساله لبسَ ثيابه ونسي الدملجَ ومضى ، وصار إلى بغداد وبقي مدةَ سنتين بعد ذلك وأيس منه ، ولم يبقَ معه شيء إلا يسير[١٠] فاشترى به زجاجاً وقوارير[١١] ليبيعَها ويتكسب بها ، فبينما هو يطوفُ بها إذ زلق[١٢] فسقطت القواريرُ فتكَسَّرت فوقف يبكي واجتمع الناسُ عليه يتألّمون له ، فقال في جملة كلامه : والله يا جماعة لقد ذهب مني من مدة سنتين دملج من ذهب [عند بئر زمزم] زنته[١٣] خمسون مثقالاً ، ما تألمت لفقده كما تألمت لتكسّر[١٤] هذه القوارير ، وما ذاك إلا لأن هذه كانت جميعَ ما أملك ، فقال له رجلٌ من الجماعة : فأنا والله لقيت ذلك الدملج ، وأخرجه من

---

(١) ط : وبنت ؛ تحريف .
(٢) ط : جزاه .
(٣) ط : قابسي فزلق فتكسرت ووقف يبكي .
(٤) أ : عرفته .
(٥) أ ، ب : وما علامة .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ظ : لذلك .
(٨) ب : ذلك .
(٩) أ ، ب : بزنة خمسين .
(١٠) ب : ولم يبق معه سوى شيء يسير .
(١١) ب : من قوارير .
(١٢) أ ، ب : تعس ؛ تحريف .
(١٣) أ ، ب : زنة خمسين .
(١٤) ط : خمسون ديناراً . ما باليت لفقده كما باليت لتكسير هذه القوارير .

عضده [فدفعه إليه] فتعجب الناس والحاضرون [أيضاً من ذلك] . والله أعلم بالصواب(١) .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وستمئة

قال سبط ابن الجوزي في كتابه « مرآة الزمان »(٢) : فيها وردت الأخبار من مكة شرفها الله تعالىٰ بأن ناراً ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها بحيث إنه يطير شررُها إلى البحر في الليل ، ويصعد منها دخانٌ عظيمٌ في النهار(٣) ، فما شكُّوا أنها النار التي ذكر النبي ﷺ أنها تظهر في آخر الزمان(٤) ، فتاب الناس

---

(١) بعدها في ط : وممن توفي فيها من الأعيان . ولم ترد في الأصلين الآخرين لأن المصنف رحمه الله لم يذكر أياً ممن توفوا في هذا العام وهم :
١ ـ إبراهيم بن سليمان بن حمزة القرشي الدمشقي الجمال ابن النجار . الإعلام في وفيات الأعلام (٤٧٢) والعبر (٥/ ٢٠٧) وشذرات الذهب (٧/ ٤٣٧) .
٢ ـ أحمد بن غازي بن يوسف بن أيوب الملك الصالح صلاح الدين صاحب عين تاب . العبر (٥/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) والشذرات (٧/ ٤٣٧) .
٣ ـ صالح بن شجاع بن محمد بن سيّدهم أبو التّقي المدلجي المصري المالكي الخياط . الإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٢) والعبر (٥/ ٢٠٨) والنجوم الزاهرة (٣١) وشذرات الذهب (٧/ ٤٣٧) .
٤ ـ عبد الرحمن بن مكي بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي ثم الإسكندراني جمال الدين أبو القاسم سبط السلفي . الإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٢) والعبر (٥/ ٢٠٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣١) وشذرات الذهب (٧/ ٤٣٨) .
٥ ـ عبد القادر بن حسين بن محمد بن جميل البندنيجي البوّاب أبو محمد . النجوم الزاهرة (٧/ ٣١) نقلاً عن العبر ولم يرد في العبر .
٦ ـ عبد الواحد ابن خطيب زملكا أبي محمد عبد الكريم خلف الأنصاري السماكي الشافعي كمال الدين ابن الزملكاني . العبر (٥/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) وشذرات الذهب (٧/ ٤٣٨) .
٧ ـ عثمان شيخ دير ناعس بن محمد بن عبد الحميد البعلبكي الزاهد القدوة العدوي . العبر (٥/ ٢٠٩) .
٨ ـ علي بن عبد الرحمن البغدادي البابصري الفقيه الحنبلي أبو الحسن موفق الدين . الشذرات (٧/ ٤٣٩) .
٩ ـ علي بن عبد الله بن محمد الأنصاري القرطبي أبو الحسن بن قطرال . العبر (٥/ ٢٠٩) وشذرات الذهب (٧/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩) .
١٠ ـ محمد بن الشيخ الكبير عبد الله اليونيني . العبر (٥/ ٢١٠) وشذرات الذهب (٧/ ٤٣٩) .
١١ ـ محمد بن المؤيد بن عبد الله بن علي بن حمويه سعد الدين ابن عم شيخ الشيوخ صدر الدين . العبر (٥/ ٢٠٧) وفيات سنة ٦٥٠هـ ـ والنجوم (٧/ ٣١) .

(٢) مرآة الزمان (٨/ ٥٢٦) .

(٣) ط : في أثناء النهار . وهي زيادة عن رواية السبط .

(٤) أ ، ب : النار التي أخبر بها رسول الله ﷺ .

وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد[١] ، وشرعوا في أفعال الخير والصدقات[٢] .

وفيها : قدم الفارسي أقطاي[٣] من الصعيد ونهب[٤] أموال المسلمين وأسر بعضهم ، ومعه جماعةٌ من البحرية المفسدين في الأرض ، وقد بَغَوْا وَطَغوا وتَجَبَّروا ، ولا يلتفتون إلى الملك المُعز أيبك التركماني ، ولا إلى زوجته شجر الدر . فشاور المُعزُّ زوجتَه شجر الدر في قتل أقطاي ، فأذنت له ، فعمل عليه حتى قتله في هذه السنة بالقلعة المنصورة بمصر ، فاستراح المسلمون من شره [ولله الحمد والمنّة] .

وفيها : درَّس الشيخ عز الدين بن عبد السلام[٥] بمدرسة الصالح أيوب بين القصرين .

وفيها : قَدِمت بنتُ ملكِ الروم في تجمّل عظيمٍ وإقامات هائلة إلى دمشق زوجةً لصاحبها الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر ، وجرت أوقات حافلة بدمشق بسببها[٦] .

وممن توفي فيها من المشاهير :

[الخُسْرُوشاهي[٧] المتكلم][٨] عبد الحميد بن عيسى الشيخ شمس الدين الخُسْرُوشاهي .

أحد مشاهير المتكلمين ، وممن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها ، ثم قدم الشام فلزم الملكَ الناصرَ داودَ بن المُعَظَّم وحظي عنده .

قال أبو شامة[٩] : وكان شيخاً مهيباً[١٠] فاضلاً متواضعاً حسن الظاهر رحمه الله تعالىٰ .

وقال السبط[١١]: وكان متواضعاً كبير [القدر][١٢] كيساً محضر خير ، لم يُنقل عنه أنه آذى أحداً فإن[١٣]

---

(١) أ ، ب : والمفاسد .

(٢) لاشك أن أحد البراكين قد ثار في هذه المنطقة (بشار) .

(٣) أ ، ب : أقطايا .

(٤) أ ، ب : قد نهب .

(٥) ستردُ ترجمة العز بن عبد السلام في وفيات سنة ٦٦٠هـ .

(٦) أ ، ب : بسبب ذلك .

(٧) ترجمة ـ الخسروشاهي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٢٧) وذيل الروضتين (١٨٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٢٦) والعبر (٥/ ٢١١ ـ ٢١٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٢ و٣٣) وشذرات الذهب (٧/ ٤٤١) .

(٨) الخسروشاهي نسبة إلى خسروشاه بليدة بينها وبين تبريز ستة فراسخ . معجم البلدان (٢/ ٣٧١) وطبقات الإسنوي (١/ ٥٠٣) .

(٩) ذيل الروضتين (١٨٨) .

(١٠) في الذيل : نبيهاً .

(١١) مرآة الزمان (٨/ ٥٢٧) .

(١٢) عن مرآة الزمان .

(١٣) أ ، ب والمرآة : وإن .

قدر على نفع وإلا سكت ، توفي بدمشق ودفن بقاسيون على باب تربة الملك المعظم رحمه الله تعالىٰ .

[مجد الدين بن تيمية](١) الشيخ مجد الدين بن تيمية صاحب الأحكام(٢) .

الشيخ كمال الدين بن طلحة(٣) الذي ولي الخطابة بدمشق بعد الدَّوْلَعي(٤) ، ثم عُزل وصار إلى الجزيرة فولي قضاء نصيبين ، ثم صار إلى حلبَ فتوفي بها في هذه السنة . قال أبو شامة(٥) : وكان فاضلاً عالماً طُلِبَ أن يلي الوزارة فامتنع من ذلك ، وكان هذا من التأييد رحمه الله تعالىٰ .

السَّديد(٦) بن علان(٧) .

آخر من روى عن الحافظ ابن عساكر سماعاً بدمشق ، [رحمه الله] .

الناصح فرج بن عبد الله الحبشي(٨) .

كان كثيرَ السماع مسنداً خيراً صالحاً مواظباً على سماع الحديث وإسماعه إلى أن مات بدار الحديث النورية بدمشق رحمه الله .

---

(١) ترجمة ـ مجد الدين ابن تيمية ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٧٢٨) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩١) والعبر (٥/ ٢١٢) وفوات الوفيات (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٤) وغاية النهاية (١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٣) والمقصد الأرشد (٢/ ١٦٢) وشذرات الذهب (٧/ ٤٤٣ ـ ٤٤٦) .

(٢) كذا في كل الأصول ، وأضاف محقق ط المعلومات التالية نقلاً عن النجوم الزاهرة : عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن علي بن تيمية الحراني الحنبلي جدّ الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، ولد في حدود سنة تسعين وخمسمئة وتفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين ، وسمع الكثير ورحل إلى البلاد وبرع في الحديث والفقه وغيره ودرس وأفتى وانتفع به الطلبة ومات يوم الفطر بحران .

(٣) ترجمة ـ ابن طلحة ـ في ذيل الروضتين (١٨٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٣٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩٣) والعبر (٥/ ٢١٣) والوافي بالوفيات (٣/ ١٧٦) وطبقات السبكي (٨/ ٦٣) والنجوم الزاهرة (٣٣) وشذرات الذهب (٧/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) . واسمه فيها : محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن .

(٤) هو محمد بن زيد بن ياسين . تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٣٥هـ .

(٥) ذيل الروضتين (١٨٨) .

(٦) ط : السيد ؛ وهو تحريف .

(٧) ترجمة ـ السديد بن علان ـ وهو : أبو محمد مكي بن المسلم بن مكي بن خلف بن المُسَلَّم بن أحمد بن محمد بن حصن بن صقر بن عبد الواحد بن علي بن علاّن القيسي العلاّني الدمشقي المكي الطيبي ؛ في ذيل الروضتين (١٨٨) وتكملة ابن الصابوني (٣٠٥) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٣٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) والعبر (٥/ ٢١٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٣) وشذرات الذهب (٧/ ٤٤٨) .

(٨) ترجمة ـ الناصح ـ في ذيل الروضتين (١٨٨) وفيه الحسيني وهو تحريف . وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٣١) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) والعبر (٥/ ٢١٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٣) وشذرات الذهب (٧/ ٤٤٧) .

النصرة(١) بن [الملك] صلاح الدين يوسف بن أيوب(٢) توفي بحلب في هذه السنة . وآخرون رحمهم الله أجمعين .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمئة

قال السبط(٣) : فيها عاد الناصر داود من الأنبار إلى دمشق ، ثم عاد وحجَّ من العراق وأصلح بين العراقيين ، وأهل مكة ، ثم عاد معهم إلى الحلة .

قال أبو شامة(٤) :

وفيها : في ليلة الإثنين ثامن(٥) عشر صفر توفي بحلب الشيخ الفقيه :

ضياء الدين صقر(٦) بن يحيى بن صقر(٧) وكان فاضلاً ديناً ، ومن شعره [قوله رحمه الله تعالىٰ](٨) : [من السريع](٩)

مَنِ ادَّعَى أَنَّ لهُ حالةً(١٠) تُخْرِجُه عن مَنْهَجِ الشَّرْعِ
فلا تَكُونَنَّ له صاحباً فإنَّهُ ضَرٌّ بلا نَفْعِ

وواقف القوصية(١١) :

(١) ترجمة ـ نصرة ـ في ذيل الروضتين (١٨٨) والقاموس (نصر) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٣٦) وترويح القلوب (١٠٠) وفيه : نصرة الدين إبراهيم .
(٢) أ : النصر ؛ تحريف .
(٣) مرآة الزمان (٨/ ٥٢٧) .
(٤) ذيل الروضتين (١٨٨) .
(٥) أ ، ب : ثاني ؛ تحريف . ذيل الروضتين .
(٦) ترجمة ـ صقر ـ في ذيل الروضتين (١٨٨) وفيه سقر بالسين . وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٤٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٠٦) والعبر (٥/ ٢١٤ ـ ٢١٥) ونكت الهميان (١٧٤) وطبقات السبكي (٨/ ١٥٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٤) وشذرات الذهب (٧/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) .
(٧) ط : بن سالم ؛ وما هنا عن الأصلين وذيل الروضتين . قال بشار : وكلاهما صحيح ، فسالم هو جده ، وهو ابن يحيى بن عيسى بن صقر ، وفي الأصلين وذيل الروضتين ذكر جده الأعلى الذي به يُعرف ، وهو أمر معهود عند كتاب التراجم .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) البيتان في ذيل الروضتين .
(١٠) في ذيل الروضتين : أن له حاجة .
(١١) ط : وهو أوقف القوصي .

أبو العزب إسماعيل بن حامد[١] بن عبد الرحمن الأنصاري القوصي .

وقف داره بالقرب من الرحبة على أهل الحديث وبها قبره ، وكان مدرساً بحلقة جمال الإسلام تجاه برادة ، فعرفت به ، وكان ظريفاً مطبوعاً حسنَ المحاضرة ، وقد جمع له معجماً حكى فيه عن مشايخه أشياء كثيرة مفيدة .

قال أبو شامة[٢] : وقد طالعته بخطه فرأيت فيه أغاليطَ وأوهاماً في أسماء الرجال وغيرها ، فمن ذلك أنه انتسب إلى سعد بن عبادة بن دليم فقال سعد بن عبادة بن الصامت وهذا غلط [فاحش] ، وقال في سند[٣] خرقة التصوف فغلط وصحف حبيباً[٤] أبا محمد حسيناً . قال أبو شامة : رأيت ذلك بخطه ، توفي يوم الإثنين سابع عشر ربيع الأول من هذه السنة .

وفيها : توفي[٥] الشريف المرتضى نقيب الأشراف بحلب ، وكانت وفاته بها[٦] ، رحمه الله تعالىٰ .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمئة[٧]

فيها : كان ظهورُ النار من أرض الحجاز التي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى ، كما نطق بذلك[٨] الحديث المتفق عليه ، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الإمام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسي في كتابه « الذيل »[٩] وشرحه ، و[اختصره] واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من [أرض] الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معاينة ، وكيفية خروجها وأمرها ، وهذا محرر في كتاب : « دلائل النبوة من السيرة النبوية » في أوائل هذا الكتاب ولله الحمد والمنة . وملخص ما أورده أبو شامة أنه قال : وجاء إلى دمشق كتب من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة [ـ يعني ـ] من هذه السنة ،

---

(١) ترجمة ـ القوصي ـ في ذيل الروضتين (١٨٩) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٣٩) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٨٨) والعبر (٥/ ٢١٤) والوافي بالوفيات (٩٠/ ١٠٥ ـ ١٠٦) ومرآة الجنان (٤/ ١٢٩) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥) والدارس (١/ ٤٣٨) وشذرات الذهب (٧/ ٤٤٩) .

(٢) ذيل الروضتين (١٨٩) .

(٣) ط : في شدة . وانظر الروضتين (١٨٨) .

(٤) ط : حيياً ؛ تحريف .

(٥) ط : وقد توفي .

(٦) أ ، ب : وبها كانت وفاته .

(٧) في هامش : مطلب ظهور النار من أرض الحجاز .

(٨) أ ، ب : كما نطق به .

(٩) ذيل الروضتين (١٩٠ ـ ١٩٤) .

وكتبت الكتب في خامس رجب ، والنار بحالها ، ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد إلى مدينة دمشق [حرسها الله تعالى] في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمئة كتبٌ من مدينة رسول الله ﷺ ، فيها شرحُ أمرٍ عظيمٍ حدثَ بها فيه تصديقٌ لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتَّى تخرجَ نارٌ من أرضِ الحجازِ تُضيءُ أعناقَ الإبلِ بِبُصْرى »[١] فأخبرني [بعض] من أثق به ممن شاهدها [بالمدينة] أنه بلغه أنه كُتبَ بتيماء على ضوئها الكتبُ . قال : وكنا في بيوتنا تلك الليالي ، وكأنَّ في دار كلِّ واحدٍ منها سراج ، ولم يكن لها حر ولفح على عظمها ، إنما كانت آية من آيات الله عز وجل . قال أبو شامة[٢] : وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها .

لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمئة ظهر بالمدينة ـ يعني النبوية ـ دويٌ عظيم ، ثم زلزلةٌ عظيمةٌ رَجَفَتْ منها الأرضُ والحيطانُ والسقوفُ والأخشابُ والأبوابُ ، ساعةً بعدَ ساعةٍ إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ، ثم ظهرت نارٌ عظيمةٌ في الحرة قريبة من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وهي نارٌ عظيمةٌ إشعالُها أكثرُ من ثلاث منائر[٣] ، وقد سالت أودية [منها] بالنار إلى وادي شظاة مسيل الماء ، وقد مدت سيل شظا وما عاد يسيل[٤] ، والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيلُ نيراناً ، وقد سدَّتِ الحرةُ طريقَ الحاجّ العراقي ، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقفت بعدما أشفقنا أن تجيء إلينا ، ورجعت[٥] تسيل في الشرق فخرج[٦] من وسطها سهول[٧] وجبال نيران تأكل الحجارة ، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات : ٣٢ ـ ٣٣] وقد أكلت الأرض ، وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستمئة والنار في زيادة ما تغيرت ، وقد عادت إلى الحرار في قريظة طريقة عير الحاج[٨] العراقي إلى الحرة[٩] كلُّها نيرانٌ تشتعل نُبصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعلُ الحاج . وأما أمُّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧١١٨) في الفتن ، باب خروج النار ، ومسلم رقم (٢٩٠٢) في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) ذيل الروضتين (١٩٠) .
(٣) ط : منارات .
(٤) في ذيل الروضتين : إلى وداي شظا سيل الماء وقد سدت سبيل شظا وما عاد بسبيل .
(٥) أ ، ب : وجعلت .
(٦) أ ، ب : يخرج .
(٧) ط : سهود .
(٨) أ ، ب : العير للحجاج .
(٩) أ ، ب : بحيرة .

النار[١] الكبيرةُ فهي جبالُ نيرانٍ حمرٌ ، والأمُّ الكبيرة[٢] التي سالت النيرانُ منها من عند قريظة ، وقد زادَتْ وما عادَ الناسُ يدرون[٣] أي شيء يتمّ بعد ذلك ، والله يجعل العاقبة إلى خير ، فما أقدر أصف هذه النار .

قال أبو شامة[٤] : وفي كتاب آخر ظهر[٥] في أول جمعةٍ من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمئة[٦] في شرقي المدينة[٧] نارٌ عظيمة بينها وبين المدينة نصفُ يوم : انفجرت من الأرض وسال منها وادٍ من نار حتَّى حاذَى جبلَ أُحد ، ثم وقفت وعادت إلى الساعة ، ولا ندري[٨] ماذا نفعل ، ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة إلى نبيهم عليه الصلاة والسلام مستغفرين تائبين إلى ربهم تعالى ، وهذه دلائل القيامة .

قال وفي كتاب آخر : لمَّا كانَ يومُ الإثنين مستهلَّ جمادى الآخرة ، سنة أربع وخمسين وستمئة وقع بالمدينة صوتٌ يشبه صوت الرعدِ البعيد تارة وتارة ، أقام على هذه الحالة يومين ، فلما كانت[٩] ليلة الأربعاء ثالث الشهر المذكور تعقب الصوت الذي كنا نسمعه زلازل ، فتقيم[١٠] على هذه الحال[١١] ثلاثة أيام يقع في اليوم والليلة أربع عشرة زلزلة ، فلما كان يوم[١٢] الجمعة خامس الشهر المذكور انبجست[١٣] الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول الله ﷺ ، وهي برأي العين من المدينة ، نشاهدها وهي ترمي بشرر كالقصر[١٤] ، كما قال الله تعالى ، وهي بموضع يقال له أُحْيَلَيْن[١٥] وقد سال من هذه النار واد يكونُ مقدارُه أربعَ فراسخ ، وعرضُه أربعةُ أميالٍ ، وعمقُهُ قامةٌ ونصف ، وهي تجري على وجه الأرض

---

(١) أ : وأما النار .
(٢) أ ، ب : والأم الكبيرة النار التي .
(٣) في الذيل : يرون .
(٤) الحافظ (١٩٠) .
(٥) ط نظهر ؛ تحريف .
(٦) بعدها في أ ، ب : وقع . وفي ط : ووقع ؛ ولا لزوم لها ، ولذلك آثرت رواية ذيل الروضتين .
(٧) في ط : المشرفة ؛ ولم ترد في أ ولا في ب ولا في الذيل .
(٨) أ ، ب : ولا يُدرى .
(٩) أ : على هذه الحال يومين فلما كان .
(١٠) عن أوحدها .
(١١) ذيل الروضتين : الحالة .
(١٢) أ ، ب : فلا كان في يوم الجمعة .
(١٣) أ ، ب : انبخشت الأرض من الحرة .
(١٤) سبق الإشارة إليها .
(١٥) أ ، ب : أجلين . وفي ط : أجيلين . وفي ذيل الروضتين (١٩١) : أجلين . وللعلامة حمد الجاسر تعليق على ذلك في المغانم المطابة (٤٣١) .

ويخرج منها أمهاد وجبال صغار ، وتسير على وجه الأرض وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك . فإذا خمد صار أسود ، وقبل الخمود[١] لونه أحمر ، وقد حصل بطريق[٢] هذه النار إقلاع عن المعاصي ، والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات ، وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة إلى أهلها .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة[٣] ومن كتاب شمس[٤] الدين سنان[٥] عبد الوهاب بن نميلة الحسيني قاضي المدينة إلى بعض أصحابه : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث [شهر] جمادى الآخرة حدث بالمدينة بالثلث[٦] الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها ، وباتت باقي تلك الليلة تزلزل كل يوم وليلة قدر عشر نوبات ، والله لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة[٧] رسول الله ﷺ اضطرب لها المنبر إلى أن أوجسنا منه[٨] صوتاً للحديد الذي فيه ، واضطربت قناديل الحرم الشريف ، ونامت[٩] الزلزلة إلى يوم الجمعة ضحى ، ولها دوي مثل دوي الرعد القاصف ، ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة[١٠] في رأس أُحَيْلين نارٌ عظيمةٌ مثل المدينة العظيمة ، وما بانت إلا ليلةَ السبت وأشفقنا منها وخفنا خوفاً عظيماً ، وطلعتُ إلى الأمير كلمته وقلت[١١] له : قد أحاطَ بنا العذابُ ، ارجع إلى الله تعالى ، فأعتقَ كلَّ مماليكه وردَّ على جماعة أموالهم ، فلما فعل هذا[١٢] قلتُ اهبطِ الساعةَ معنا إلى النبي ﷺ ، فهبط وبتنا ليلة السبت والناسُ جميعُهم والنسوان[١٣] وأولادُهم ، ولا[١٤] بقي أحدٌ لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي [وأشفقنا منها وظهر ضوؤها إلى أن أبصرت من مكة ومن الفلاة جمها][١٥] ﷺ ، ثم سال منها نهرٌ من نار ، وأخذ في وادي أُحَيْلين وسدَّ الطريق ثم طلع إلى بحرةِ الحاج[١٦] وهو (بحر ناري) يجري ، وفوقه

---

(١) فإذا أجمد . . . . الجمود . وجمد الأولى يستدعي ب ، والباقي مهمل النقط في أ ، ب .
(٢) ط : بسبب .
(٣) ذيل الروضتين (١٩١) .
(٤) ب : الشيخ شمس الدين .
(٥) ط : شمس الدين بن سنان . وهو خطأ لم يرد في الذيل .
(٦) أ ، ب : في المدينة في الثلث . وفي الذيل : بالمدينة في الثلث .
(٧) الحجرة النبوية .
(٨) أ ، ب : إلى أن أحسسنا منه ، وفي ط : أو حبسنا منه [أن سمعنا] .
(٩) في الأصول : تمت . وما هنا عن ذيل الروضتين .
(١٠) في أ : البصرة . وليست اللفظة في ب .
(١١) أ ، ب : فقلت .
(١٢) ط : ذلك .
(١٣) أ ، ب : والنساء والصبيان .
(١٤) في ط : وما بقي .
(١٥) ما بين الحاصرتين عن ذيل الروضتين .
(١٦) في الذيل : الحجاج .

جمرٌ[١] يسيرُ إلى أن قَطَعَتِ الوادي وادي الشظاة[٢] وما عاد يجيء في الوادي سيلٌ قطُّ لأنها حرة[٣] نحو[٤] قامتين وثلث[٥] علوها ، وبالله[٦] يا أخي إن عيشَتَنا اليومَ مكدرةٌ والمدينةُ قد تابَ جميعُ أهلها ، ولا بقي يُسمع[٧] فيها ربابٌ ولا دفٌّ ولا شربٌ ، وتمَّتِ النارُ تسيلُ[٨] إلى أن سَدَّتْ بعضَ طريقِ الحاج وبعضَ بحرة الحاج ، وجاء في الوادي إلينا منها قتير[٩] وخفنا[١٠] أنها تجيئنا[١١] فاجتمع الناس ودخلوا على النبي ﷺ وباتوا[١٢] عنده جميعهم ليلة الجمعة ، وأما قتيرها الذي مما يلينا فقد طُفيء بقدرة الله سبحانه وتعالى وأنها إلى الساعة وما نقصت[١٣] إلا ترى مثل الجمال[١٤] حجارة [من نار] ولها دويٌّ ما يدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب ، وما أقدرُ أصفُ لك عظمها[١٥] ولا ما فيها من الأهوال ، وأبصرها أهل ينبع وندبوا قاضيهم ابن أسعد وجاء وعدا إليها ، وما صبح[١٦] يقدر يصفها من عظمها ، وكتب الكتاب يوم خامس رجب ، وهي على حالها ، والناس منها خائفون ، والشمس والقمر من يوم طلعت[١٧] ما يطلعان[١٨] إلا كاسفين ، فنسأل الله العافية .

قال أبو شامة[١٩] : وبان[٢٠] عندنا بدمشق أثرُ الكسوفِ من ضعف نورها[٢١] على الحيطان ، وكُنّا

(١) أ ، ب : حرة .
(٢) ط : الشظا .
(٣) ط : لأنها حضرته ؛ تصحيف .
(٤) أ ، ب والذيل : تجيء .
(٥) أ ، ب : وثلاث .
(٦) ط : والله .
(٧) في الذيل : تستمع .
(٨) أ ، ب : وتمت تسير إلى أن سدت ، وتمت هنا بمعنى ما زالت .
(٩) ط : يسير .
(١٠) ط : فخضنا .
(١١) ط : أنه يجيئنا .
(١٢) ط : وتابوا .
(١٣) في الذيل : ما نقصت . بلا واو .
(١٤) أ : مثل الجبال .
(١٥) أ ، ب : عظمتها .
(١٦) أ ، ب : يصبح .
(١٧) ط : يوم ما طلعت .
(١٨) في الذيل : ما تطلعان ؛ وما أثبتناه هو الأشبه .
(١٩) ذيل الروضتين (١٩٢) .
(٢٠) في الذيل : بان ؛ بلا واو .
(٢١) في الذيل : نورهما .

حيَارى من ذلك[١] إش هو ؟ إلى أن جاءنا[٢] الخبر عن هذه النار . قلت : وكانَ أبو شامة قد أرَّخ قبل مجيء الكتب بأمر هذه النار ، فقال[٣] : وفيها في ليلة الإثنين السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل ، وكان شديدَ الحُمْرة ثم انجلى ، وكُسفتِ الشمسُ في[٤] غده احمرَّت وقتَ طلوعها وغروبها وبقيت كذلك أياماً متغيرة اللون ضعيفة النورِ ، والله تعالى على كل شيء قدير[٥] .

ثم قال[٦] : واتَّضح بذلك ما صوَّرَهُ الشافعيُّ من اجتماع الكسوف والعيد ، واستبعده أهل النجابة .

ثم قال أبو شامة[٧] : ومن كتاب آخر من بعض بني الفاشاني بالمدينة يقول فيه : وصل إلينا في جمادى الآخرة نجابة من العراق وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرقٌ عظيمٌ حتى دخل الماء من أسوار بغداد إلى البلد ، وغرقَ كثيرٌ من البلد ، ودخلَ الماءُ دارَ الخليفة[٨] وسطَ البلد ، وانهدمتْ دارُ الوزير وثلاثمئة وثمانون داراً ، وانهدمَ مخزنُ الخليفةِ ، وهلكَ من خزانةِ السلاح شيءٌ كثيرٌ ، وأشرفَ الناسُ على الهلاكِ وعادتِ السفنُ تدخلُ إلى وسط البلد[٩] ، وتخترقُ أزقة بغداد[١٠] .

قال : وأما نحن فإنَّه جرى عندنا أمرٌ عظيمٌ : لما كان بتاريخ الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين ، عاد الناسُ يسمعون صوتاً[١١] مثل صوتِ الرعد ، [ساعة بعد ساعة وما في السماء غيم حتى نقول إنه من يومين إلى ليلة الأربعاء ثم ظهر الصوت حتى سمعه الناس ، وتزلزلت الأرض ورجفت بنا رجفة لها صوت كدويّ الرعد] فانزعج لها الناسُ كلهم ، وانتبهوا من مراقدهم وضجَّ الناسُ بالاستغفار إلى الله تعالى ، وفزعوا إلى المسجد وصلُّوا فيه ، وتمت[١٢] ترجف بالناس ساعةً بعد ساعةٍ إلى الصبح ، وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس كلها [ويوم الخميس] وليلة الجمعة ، وصبح يوم الجمعة

(١) في الذيل : من ذلك إلى أن جاءنا .
(٢) ط : إلى أن جاءنا هذا الخبر .
(٣) ذيل الروضتين (١٨٩) بدون لفظتي : ليلة الإثنين .
(٤) ط : وفي عزه .
(٥) ردَّ الذهبي قول أبي شامة في مسألة الكسوف وقال : « دعوى ما علمتُ أحداً وافقه عليها ولا ورَّخها غيره ، ثم بيّن مستنده باحمرار الشمس وضعف نورها ، وهذا لا يسمى كسوفاً أبداً » (تاريخ الإسلام ١٤/ ٦٦٤) (بشار) .
(٦) ذيل الروضتين (١٩٠) .
(٧) ذيل الروضتين (١٩٢) .
(٨) ط : حتى طفح الماء من أعلى أسوار بغداد إليها وغرق كثير منها ودخل الماء دار الخلافة .
(٩) في ط : البلدة .
(١٠) أ ، ب : وتخرب أزقة البلد .
(١١) أ : يسمون صيحة وصوتاً .
(١٢) في الذيل : ودامت . وهما بمعنى .

[الخامس من الشهر][(١)] ارتجَّت الأرض رجَّةً قويةً إلى أن اضطرب منار[(٢)] المسجد بعضه ببعض ، وسُمع لسقف المسجد صريرٌ عظيمٌ ، وأشفقَ الناسُ من ذنوبهم ، وسكنتِ الزلزلةُ بعد صبح يومِ الجمعة إلى قبل الظهر ، ثم ظهرت عندنا بالحرة وراء قريظة على طريق السوارقية بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نارٌ عظيمةٌ تنفجر من الأرض ، فارتاع الناس لها[(٣)] روعةً عظيمةً ، ثم ظهر لها دخانٌ عظيمٌ في السماء ينعقدُ حتى يبقى كالسحاب الأبيض ، فيصل إلى قبل مغيب الشمس[(٤)] من يوم الجمعة ، ثم ظهرت[(٥)] لها ألسن تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأنها القلعة ، وعظمت وفزع الناسُ إلى المسجد النبوي [وإلى الحجرة الشريفة ، واستجار الناس بها وأحاطوا بالحجرة وكشفوا رؤوسهم[(٦)] وأقرُّوا بذنوبهم وابتهلوا إلى الله تعالى واستجاروا بنبيّه عليه الصلاة والسلام[(٧)] ، وأتى الناسُ إلى المسجد من كلِّ فَجٍّ ومن النخل ، وخرج النساءُ من البيوت والصبيان ، واجتمعوا كلهم وأخلصوا إلى الله ، وغطت[(٨)] حمرة النار السماء كلها حتى بقي الناس في مثل ضوء القمر ، وبقيتِ السماءُ كالعَلَقة ، وأيقنَ الناسُ بالهلاك أو العذاب ، وباتَ الناسُ تلك الليلةَ بين مُصلٍّ وتالٍ للقرآن وراكعٍ وساجدٍ ، وداعٍ إلى الله عزَّ وجل ، ومُتَنَصِّلٍ من ذنوبه ومستغفرٍ وتائبٍ ، ولزمتِ النارُ مكانَها وتناقص تضاعفها ذلك ولهيبها ، وصعِد الفقيهُ والقاضي إلى الأمير يعظونه ، فطرحَ المَكْسَ وأعتقَ مماليكَه كلَّهم وعبيدَه ، وردَّ علينا كلَّ مالنا تحت يده ، وعلى غيرنا ، وبقيتْ تلك النارُ على حالها تلتهبُ التهاباً ، وهي كالجبل العظيم[(٩)] وكالمدينة ارتفاعاً[(١٠)] وعرضاً ، يخرج منها حصى يصعد في السماء ويهوي[(١١)] فيها ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمي[(١٢)] كالرعد . وبقيتْ كذلك أياماً ثم سالت سيلاناً إلى[(١٣)] وادي أُحَيلين تنحدرُ مع الوادي إلى الشظاة حتى لحق سيلانها بالبحرة بحرة الحاج ،

---

(١) ما بين الرقمين عن الذيل ولم يرد في أصولنا .

(٢) أ ، ب : اضطربت منام المسجد . وفي هامش أ : يعني الساري . وقد أراد ناسخ ب أن يدخلها في المتن فوضعها في غير مكانها فجاءت عبارته على الشكل التالي : اضطربت يعني السواري منام المسجد .

(٣) ط : لها الناس .

(٤) ليست اللفظة في الذيل . وهي في أ ، ب : متصل إلى قبل غروب الشمس .

(٥) أ ، ب ، ط : ثم ظهرت النار .

(٦) ليس في الذيل .

(٧) ينبغي أن تكون الاستجارة بالله تعالى وحده .

(٨) في الذيل : فأخلصوا لله وغطى ، وفي أ ، ب : وأخلصوا لله وغطى . وما هنا عن ط .

(٩) ط : وهي كالجبل العظيم [ارتفاعاً] كالمدينة .

(١٠) عن الذيل .

(١١) أ ، ب : يخرج منها حتى يصعد في السماء وتهوي . وفي الذيل : تخرج .

(١٢) ب : وترى .

(١٣) أ ، ب : في .

والحجارة معها تتحرك وتسير حتى كادت تقارب حرة العريض ، ثم سكنتْ ووقفتْ أياماً ، ثم عادت النار [تخرج][(١)] ترمي بحجارة خلفها وأمامها ، حتى بنت لها جبلين خلفها وأمامها وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان[(٢)] لها أياماً ، ثم إنها عظمت الآن ولسانها[(٣)] إلى الآن ، وهي تتقد كأعظم ما يكون ، ولها كلَّ يومٍ صوتٌ عظيم من[(٤)] آخر الليل إلى ضحوة ، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على الكمال ، وإنما هذا منها طرف كبير يكفي[(٥)] . والشمس والقمر كأنهما منكسفان إلى الآن . وكتب هذا الكتاب ولها شهر وهي في مكانها ما تتقدم ولا تتأخر . وقد[(٦)] قال فيها بعضهم أبياتاً[(٧)] : [من البسيط]

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفْحاً عن جرائمنا ... لقدْ أحاطتْ بنا يا ربّ بَأْساءُ
نَشْكُو إليكَ خطوباً لا نطيقُ لها ... حملاً ونحنُ بها حقاً أحقّاءُ
زلازلاً[(٨)] تخشع الصمُّ الصلابُ لها ... وكيف يقوى[(٩)] على الزّلزالِ شَمّاءُ
أقامَ سَبْعاً يرجّ[(١٠)] الأرضَ فانصدعتْ ... عن منظرٍ منه عينُ الشمسِ عَشْواءُ
بحر من النارِ تجري[(١١)] فوقَهُ سُفُنٌ ... من الهضابِ لها في الأرضِ إرْساءُ
كأنَّما فَوْقَهُ الأجبالُ طافيةٌ ... موجٌ عليه لفرط الهَيْجِ[(١٢)] وعثاءُ[(١٣)]
تَرْمِي لها شَرَراً[(١٤)] كالقَصْرِ طائشةً ... كأنها ديمةٌ تَنْصَبُّ هَطْلاءُ
تَنْشقُّ[(١٥)] منها قلوبُ الصَّخْرِ إن زَفَرَتْ ... رُعْباً وترعدُ مثل السَّعْفِ أضْواءُ
منها تَكَاثفَ في الجوِّ الدُّخانُ إلى ... أن عادتِ[(١٦)] الشمسُ منهُ وهي دَهْماءُ

(١) أ : عاد ويخرج من النار . ب : عاد يخرج من النار .
(٢) أ ، ب : لساناً .
(٣) ط : عظمت وسناءها . وفي الذيل : عظمت الآن وسناها .
(٤) ط : في .
(٥) ط : وإما هذا طرف يكفي .
(٦) في الذيل : حتى .
(٧) الأبيات في ذيل الروضتين (١٥٣) وذيل مرآة الزمان لليونيني (١/ ٩) .
(٨) ط : زلازل .
(٩) أ ، ب : تقوي .
(١٠) ب : يرفع . وفي ذيل الروضتين : ترج .
(١١) أبو شامة : يجري .
(١٢) ط : البهج تحريف .
(١٣) أ ، ب : عتاء ، ولم يرد هذا البيت في ذيل الروضتين ولا هو ولا الذي قبله في ذيل اليونيني .
(١٤) في ذيل أبو شامة : يُرى لها شرر ، وفي ذيل اليونيني : نرمي لها شرر ؛ وهو خطأ لا بد من تصحيحه .
(١٥) ذيل الروضتين : ينشق .
(١٦) أ ، ب : أن غارت .

قـد أثَّـرتْ سفعـةً فـي البـدرِ لفحتُهـا ... فلَيْلَـةُ التِّـمِّ بعـدَ النّـورِ ليـلاءُ
تُحـدِّثُ[١] النَّيِّـراتِ السَّبْـعِ ألسنُهـا ... بمـا يـلاقـي بهـا تحـتَ الثَّـرى المـاءُ
وقـد أحـاطَ[٢] لظـاهـا بـالبـروجِ إلـى ... أنْ كـادَ يلحقُهـا بـالأرضِ إهـواءُ
فيـا لهـا آيـةً مـن معجـزاتِ رسـو ... لِ اللهِ يعقلهـا القـومُ الألِبّـاءُ
فبـاسمـكِ الأعظـمِ المكنـونِ إن عظمـتْ ... منـا الـذنـوبُ وسـاءَ القلـبُ أسـواءُ
فاسْمَحْ وهَبْ وتفضَّلْ وامْحُ[٣] واعْفُ وجدْ ... واصْفَـحْ فكُـلٌّ لفـرطِ الجَهْـلِ[٤] خَطّـاءُ
فقـومُ يـونـسَ لمّـا آمنـوا كُشِـفَ الـ ... ـعـذابُ عنهـمْ وعـمَّ القـومَ نعمـاءُ
ونحـنُ أمـةُ هـذا المصطفـى ولنـا ... منـهُ إلـى عَفْـوِكَ المـرجـوِّ إرْعـاءُ[٥]
هـذا الـرسـولُ الـذي لـولاهُ مـا سلكـتْ ... محجَّـةٌ فـي سبيـلِ اللهِ بيضـاءُ
فـارحـمْ وصـلِّ علـى المختـارِ مـا خطبـتْ ... علـى عـلا[٦] منبـرِ الأوراقِ ورقـاءُ

قلت : والحديث الواردُ في أمر هذه النار مُخرَج في الصحيحين من طريق الزهري عن سعيد بن المُسَيّب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تخرجَ نارٌ من أرض الحجاز تُضيءُ أعناقُ الإبل ببُصْرى » وهذا لفظ البخاري[٧] .

وقد وقع هذا في هذه السنة ـ أعني سنة أربع وخمسين وستمئة ـ كما ذكرنا ، وقد أخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي القاسم التميمي الحنفي الحاكم بدمشق في بعض الأيام في المذاكرة ، وجرى ذِكر هذا الحديث وما كان من أمر هذه النار في هذه السنة فقال : سمعت رجلاً من الأعراب يخبر والدي ببصرى في تلك الليالي أنهم رأوا أعناقَ الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت في أرض الحجاز .

قلت : وكان[٨] مولدُه في سنة ثنتين وأربعين وستمئة ، وكان والده مدرساً للحنفية بمدينة بصرى[٩] وكذلك كان جده ، وهو قد درس بها أيضاً[١٠] ، ثم انتقل إلى دمشق ، فدرَّس بالصادرية

---

(١) في ذيل اليونيني : تحدت .
(٢) أ ، ب : أجاد ؛ تحريف .
(٣) ذيل اليونيني : وانج . وهو تحريف يصحح .
(٤) في ذيل اليونيني : الحلم .
(٥) ط والذيلان : دعاء ، أ ، ب : رعاء ، وما هنا للسياق .
(٦) أ ، ب : على أعلا . ولا يستقيم بها الوزن .
(٧) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (٢٩٠) .
(٨) أ ، ب : كان بلا واو .
(٩) ط : ببصرى .
(١٠) أ ، ب : وهو أيضاً قد درس .

وبالمقدَّمية[١] ، ثم ولي قضاء القضاة الحنفية ، وكان مشكورَ السيرة في الأحكام ، وقد كان عمره حين وقعت هذه النار بالحجاز ثنتي[٢] عشرة سنة ، ومثله ممن يضبط ما يسمع من الخبر أن الأعرابي أخبر والده في تلك الليالي ، فصلوات[٣] الله وسلامه على نبيه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

ومما نظمه بعض الشعراء في هذه النار الحجازية وغرق بغداد [العراقية] قوله[٤] : [من المنسرح]

سُبحانَ مَنْ أصبحتْ مَشيئَتُهُ جـاريـةً فـي الـوَرَى بمقـدارِ
أغـرقَ بغـدادَ بـالميـاهِ كمـا أحْـرقَ أرضَ الحجـازِ بـالنـارِ

قال أبو شامة : الصواب أن يُقال :

فـي سنـةٍ أغـرقَ العـراقَ وقَـدْ أحْـرَقَ أرضَ الحجـازِ بـالنـارِ

وقال ابن الساعي في تاريخ سنة أربع وخمسين وستمئة : في يوم الجمعة ثامن عشر رجب ـ يعني من هذه السنة ـ كنت جالساً[٥] بين يدي الوزير فورد عليه كتابٌ من مدينةِ الرسول[٦] ﷺ صحبةَ قاصدٍ يُعرفُ بقيماز العلوي الحسني المدني ، فناوله الكتاب[٧] فقرأه وهو يتضمن أن مدينة الرسول الله ﷺ زلزلت يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة حتى ارتجّ القبر[٨] الشريف النبوي ، وسُمع صرير الحديد ، وتحركت السلاسل ، وظهرت نارٌ على مسيرة أربع فراسخ من المدينة ، وكانت ترمي بشرر كأنه رؤوس[٩] الجبال ، ودامت خمسة عشر يوماً . قال القاصد : وجئت ولم تنقطع بعد ، بل كانت على حالها ، وسأله إلى أي الجهات ترمي ؟ فقال : إلى جهة الشرق ، واجتزتُ عليها أنا ونجابة اليمن ورمينا فيها سعفةً فلم تحرقْها ، بل كانت تحرق الحجارة وتذيبها . وأخرج قيماز المذكور شيئاً من الصخر المُحترق وهو كالفحم لوناً وخفةً . قال : وذكر في الكتاب وكان بخط قاضي المدينة أنهم لما زُلزل دخلوا الحرم وكشفوا رؤوسهم واستغفروا وأنّ نائب المدينة أعتق جميع مماليكه ، وخرج من جميع المظالم ، ولم يزالوا

(١) ط : وبالمعدمية ؛ تحريف .
(٢) في الأصول ثنياً وما هنا للسياق النحوي .
(٣) ط : وصلول .
(٤) ثلاثة الأبيات في ذيل الروضتين (١٩٣) .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ب : رسول الله .
(٧) أ ، ب : فناوله المكتوب .
(٨) أ ، ب : ارتج المنبر .
(٩) ط : ترمي بزبد كأنه رؤوس .

مستغفرين [متضرعين] حتى سكنت الزلزلة ، إلا أن النارَ التي ظهرت لم تنقطع . وجاء القاصد المذكور ولها خمسة عشر يوماً وإلى الآن .

قال ابن الساعي : وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف الأمعاني شيخ حرم المدينة النبوية(١) على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، يقول : إن هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة ، وإشارة صحيحة [مستقيمة](٢) دالَّة على اقتراب الساعة ، فالسعيد من انتهز الفرصةَ قبل الموت(٣) ، وتداركَ أمرَه بإصلاح حاله مع الله عزَّ وجلَّ قبل الموت . وهذه النار في أرضٍ ذاتِ حجرٍ لا شجر فيها ولا نبت(٤) ، وهي تأكلُ بعضها بعضاً إن لم تجد ما تأكله ، وهي تحرق الحجارة وتذيبها ، حتى تعود كالطين المبلول ، ثم يضربه الهواء حتى يعود(٥) كخبث الحديد الذي يخرج من الكير ، فالله يجعلها عبرةً للمسلمين ورحمة للعالمين ، بمحمد وآله الطاهرين(٦) .

قال أبو شامة(٧) : وفي ليلةِ الجمعة مستهلَّ رمضان من هذه السنة احترقَ مسجدُ المدينة على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ، ابتدأ حريقُهُ من زاويته الغربية من الشمال ، وكان دخل أحد القومة إلى خزانة ثَمَّ ومعه نار فعلقت في الأبواب(٨) ثمَّ اتَّصلت بالسقف بسرعة ، ثم دبت في السقوف ، آخذة(٩) قبلة فأعجزت الناس عن قطعها ، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد جميعها(١٠) ووقع بعض أساطينه وذاب رصاصُها(١١) ، وكلُّ ذلك قبل أن ينام الناسُ ، واحترق سقفُ الحجرة النبوية ووقع ما وقع منه في الحجرة ، وبقي على حاله لَمَّا(١٢) شُرع في عمارة سقفه وسقف المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة

---

(١) أ ، ب : شيخ حرم رسول الله ﷺ .
(٢) ب : صحيحة مستقيمة .
(٣) أ ، ب : قبل الفوت .
(٤) أ ، ب : ليس فيها نبت ولا حجر .
(٥) أ ، ب : يضربه الهواء فيعود .
(٦) قال بشار : مما تقدم يظهر أن أحد البراكين الخامدة في المدينة المنورة قد نشط فثار ، وحرار المدينة تدل على أنها منطقة براكين ، ولا علاقة لما حدث بقيام الساعة ولا بالحديث الوارد في الصحيحين ، والله أعلم .
(٧) ذيل الروضتين ١٩٤ .
(٨) في الذيل وأ ، ب : الآت ، وفي رواية ثانية في ذيل اليونيني : الآلات .
(٩) ط : وأخذت ، وفي أ ، ب : أحد . وما هنا عن ذيل الروضتين وذيل اليونيني .
(١٠) في ط : أجمع ووقعت .
(١١) أ ، ب : وذاب الرصاص .
(١٢) ط : حتى شرع .

والسلام ، وأصبح الناس فعَزَلوا موضعاً[١] للصلاة ، وعُدَّ ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات ، وكأنها كانت[٢] منذرةً بما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات على ما سنذكره . هذا كلام الشيخ شهاب الدين أبي شامة[٣] .

وقد قال أبو شامة : في الذي وقع في هذه السنة وما بعدها شعراً وهو قوله[٤] : [من الخفيف]

بعدَ ستٍّ من المئين وخمسيـ ـين[٥] لدى أربعٍ جرى في العامِ
نارُ أرضِ الحجازِ مع حرق المَسْـ ـجدِ معهُ تغريق[٦] دار السلامِ
ثم أخذ التتار[٧] بغدادَ في أو لِ عامٍ ، من بعد ذاكَ وعام[٨]
لم يُعِنْ[٩] أهلَها وللكفرِ أعوا نٌ عليهم ، يا ضيعةَ الإسلامِ
وانقضتْ دولةُ الخلافةِ منها صارَ مستعصمٌ بغيرِ اعتصامِ
فحناناً على الحجَازِ ومصرٍ وَسَلاماً على بلادِ الشآمِ
رَبِّ سلِّم وصُنْ وعافِ بقايا الـ ـمدْنِ ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ[١٠]

وفي هذه السنة كملت [عمارة] المدرسة الناصرية الجوانية[١١] داخل باب الفراديس ، وحضر فيها الدرسَ واقفُها الملكُ الناصرُ صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي فاتح بيت المقدس ، ودرَّس فيها قاضي البلد بن سَنِيِّ[١٢] الدولة ، وحضر عنده الأمراء . والدولةُ والعلماءُ وجمهورُ أهلِ الحلّ والعقد بدمشق .

وفيها : أمر بعمارة الرباط الناصري بسفح قاسيون .

---

(١) في ذيل الروضتين : فعزلوا مواضع للصلاة وعدوا .
(٢) ليست اللفظة في ذيل الروضتين .
(٣) ليست لفظتا : أبي شامة في أ .
(٤) الأبيات في ذيل الروضتين (١٩٤) . وذيل مرآة الزمان لليونيني (١/ ١٠)
(٥) ط : والخمسين .
(٦) ذيل الروضتين : غريق .
(٧) في ذيل الروضتين : التاتار .
(٨) في ذيل الروضتين : العام ، وفي ذيل اليونيني : بعام .
(٩) في ذيل الروضتين : لم يُغْنِ .
(١٠) جاء هذا البيت في ط بعد الذي يليه .
(١١) قال بدران : قد صارت الآن دوراً للسكنى ولم يبق من آثارها إلا جدارها الشمالي .
(١٢) ط : ابن سناء الدولة ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٥٨هـ .

ومِمن توفي في هذه السنة من الأعيان :

الشيخ عماد الدين عبد الله بن الحسن بن النحاس[١] ، ترك الخلائق[٢] وأقبل على الزهادة والتلاوة والعبادة والصيام المتتابع والانقطاع بمسجده[٣] بسفح قاسيون نحواً من ثلاثين سنةً ، وكان من خيار الناس . ولما توفي دُفن عند مسجده بتربة مشهورة به ، وحمامٍ ينسب إليه في مشارف[٤] الصالحية ، [وقد أثنى عليه السبط][٥] ، وأرَّخُوا وفاتَه كما ذكرت[٦] .

وقد توفي السبط في أواخر هذه السنة :

الشيخ شمس الدين سبط ابن الجوزي[٧] يوسف بن الأمير حسام الدين قُزْأوغلي بن عبد الله عتيق الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الحنبلي رحمه الله تعالى ، الشيخ شمس الدين ، أبو المظفر الحنفي البغدادي ثم الدمشقي ، سبط ابن الجوزي .

أمه رابعة بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ .

وقد كان حسنَ الصورة طيّب الصوت حسنَ الوعظ كثيرَ الفضائل والمصنفات ، وله « مرآة الزمان » في عشرين مجلداً من أحسن التواريخ ، انتظم فيها[٨] المنتظم لجده وزاد عليه وذيل إلى زمانه ، وهو من أحسن التواريخ وأنهجها ، قدم دمشق في حدود الستمئة وحظي عند ملوك بني أيوب ، وقَدَّموه وأحسنوا إليه ، وكان له مجلسُ وعظٍ كلَّ يومِ سبتٍ بكرةَ النهار عند السارية التي تقوم عندها الوُعّاظ اليوم عند باب مشهد علي بن الحسين زين العابدين ، وقد كان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون البساتين في

---

(١) ترجمة ـ ابن النحاس ـ في مرآة الزمان (٨/ ٥٢٨) وذيل الروضتين (١٨٩) وذيل مرآة الزمان (١/ ٢٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٥٥) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) والعبر (٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨) وفيه : أبو بكر بن عبد الله ؛ خطأ ، والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥ ، ٤٠) وشذرات الذهب (٧/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) .

(٢) أ ، ب : ترك الخدم .

(٣) أ : إلى مسجده ، وب : إلى المسجد .

(٤) ط : مساريق .

(٥) ليس ما بين الحاصرتين في ب والخبر في مرآة الزمان (٨/ ٥٢٨) .

(٦) أ ، ب : كما ذكرنا .

(٧) ترجمة ـ سبط ابن الجوزي ـ في ذيل الروضتين (١٩٥) ووفيات الأعيان (٣/ ١٤٢) وذيل مرآة الزمان (١/ ٣٩ ـ ٤٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٦٧) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) والعبر (٥/ ٢٢٠) وميزان الاعتدال (٤/ ٤٧١) وفوات الوفيات (٤/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) ومرآة الجنان (٤/ ١٣٦) والجواهر المضيّة (٢/ ١٣٠ ـ ١٣٢) ولسان الميزان (٦/ ٣٢٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٩) والدارس (١/ ٤٧٨) وشذرات الذهب (٧/ ٤٦٠ ـ ٤٦١) .

(٨) ط : نظم فيه .

الصيف حتى يسمعوا ميعاده ، ثم يسرعون إلى بساتينهم فيتذاكرون ما قاله من الفوائد والكلام الحسن ، على طريقة جده .

وقد كان الشيخ تاج الدين الكندي[١] ، وغيره من المشايخ ، يحضرون عنده تحت قبة يزيد ، التي عند باب المشهد ، ويستحسنون ما يقول . ودرس بالعزِّية[٢] البرانية التي بناها الأمير عز الدين أيبك المعظمي ، أستاذ دار المعظم ، وهو واقف العزية الجوانية التي بالكشك أيضاً ، وكانت قديماً تعرف بدرب[٣] ابن منقذ .

ودرس السبط أيضاً بالشبلية[٤] التي بالجبل عند جسر كحيل ، وفوض إليه البدرية[٥] التي قبالتها ، فكانت[٦] سكنه ، وبها توفي ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وحضر جنازته سلطان البلد الناصر[٧] ابن العزيز فمن دونه .

وقد أثنى عليه الشيخ شهاب الدين أبو شامة[٨] في علومه وفضائله ورئاسته وحسن وعظه وطيب صوته ونضارة وجهه ، وتواضعه وزهده وتودده ، لكنه قال : وقد كنت مريضاً ليلة وفاته فرأيت وفاته في المنام قبل اليقظة ، ورأيته في حالة منكرة[٩] ، ورآه غيري أيضاً ، فنسأل[١٠] الله العافية . ولم أقدر على حضور جنازته ، وكانت جنازته حافلة[١١] حضره خلق كثير السلطان فمن دونه[١٢] ، ودفن هناك .

وقد كان فاضلاً عالماً ظريفاً منقطعاً منكراً على أرباب الدول ما هم عليه من المنكرات ، وقد كان[١٣] مقتصداً في لباسه مواظباً على المطالعة والاشتغال والجمع والتصنيف ، منصفاً لأهل العلم والفضل ، مبايناً لأولي الجهل ، وتأتي الملوك وأرباب الدول[١٤] إليه زائرين وقاصدين ، ورُبّي في طول زمانه في

---

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٥٥هـ من هذا الجزء .
(٢) أ ، ب : بالغزالية ؛ وهو خطأ ، وقد ذكر بدران هذه المدرسة في منادمة الأطلال (١٨٥) .
(٣) ط : بدور .
(٤) لم يبق منها إلا آثار ومقام في ساحة الميسات على ضفة النهر .
(٥) ذكر المدرسة في منادمة الأطلال (١٥٣) .
(٦) أ ، ب : وكانت .
(٧) أ ، ب : الملك بن العزيز .
(٨) ذيل الروضتين (١٥٨) .
(٩) أ ، ب : نكرة .
(١٠) أ ، ب : لذلك نسأل .
(١١) أ ، ب : وكانت جنازته حفلة حصر وخلق .
(١٢) ط : حضره السلطان والناس .
(١٣) أ ، ب : وكان .
(١٤) ط : وأرباب المناصب .

[حياة طيبة][1] وجاه عريض عند الملوك والعوام نحو خمسين سنة ، وكان مجلس وعظه مطرباً ، وصوته فيما يورده حسناً طيباً ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

قلت : وهو ممن يُنْشَدُ له عند موته قول الشاعر : [من البسيط]

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتُك في التاريخ مكتوبا

وقد سُئل في يوم عاشوراء زمن الملك الناصر صاحب حلب أن يذكر للناس شيئاً من مقتل الحسين فصعد المنبر وجلس طويلاً لا يتكلم ، ثم وضع المنديل على وجهه وبكى شديداً[2] ثم أنشأ يقول وهو يبكي : [من الكامل]

وَيْلٌ لمنْ شُفَعاؤُهُ خُصَماؤُهُ والصُّورُ في نَشْرِ الخلائِقِ يَنْفُخُ
لا بُدَّ أن تردَ القيامةَ فاطمٌ وقميصُها بدمِ الحسينِ مُلَطَّخُ

ثم نزل عن المنبر وهو يبكي وصعد إلى الصالحية وهو كذلك[3] رحمه الله .

واقف[4] مرستان الصالحية الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن بن يوسف بن أبي الفوارس بن مُوسَك القيمري الكردي ، أكبر أمراء القيمرية ، كانوا يقفون بين يديه كما تعامل الملوك ، ومن أكبر حسناته وقفه المارستان[5] الذي بسفح قاسيون ، وكانت وفاته ودفنه بالسفح في القبة التي تجاه المارستان المذكور ، وكان ذا مال كثير وثروة رحمه الله تعالى .

مجير الدين[6] يعقوب بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب دفن عند والده بتربة العادلية .

الأمير مظفر الدين إبراهيم[7] ابن صاحب صرخد عز الدين أيبك أستاذ دار المعظم واقف المعزيتين البرانية والجوانية على الحنفية ، ودفن عند والده بالتربة تحت القبة عند الوراقة رحمهما الله تعالى .

---

(١) ليس ما بينهما في أ ، ب : ولا في ذيل الروضتين .
(٢) أ ، ب : وبكى ثم أنشأ يقول وهو يبكي شديداً .
(٣) أ ، ب : وهو يبكي كذلك .
(٤) ترجمة ـ ابن موسك ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٤٣ ـ ٤٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٤٣ و٧٦٨) والنجوم (٧/ ٣٩ ـ ٤٠) وتاريخ الصالحية (٢٢٨) ومنادمة الأطلال (٣٤٨) وضبط ـ موسك ـ عن اليونيني والنجوم .
(٥) وهو البيمارستان القيمري بالصالحية بدمشق بالقرب من جامع الشيخ محيي الدين ابن عربي وهو باق إلى الآن . منادمة الأطلال (٢٥٩) قلت : وقد كان أيام طفولتي في الخمسينات مستوصفاً حكومياً فيه طبيب من وزارة الصحة يداوي المرضى بلا مقابل ، وقد تداويت عنده أكثر من مرة . رياض .
(٦) ترجمة ـ مجير الدين ـ في ذيل الروضتين (١٩٤) وذيل اليونيني (١/ ٣٧ ـ ٣٩) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٦٦) والعبر (٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) والدارس (٢/ ٢٦٨) وشذرات الذهب (٧/ ٤٦٠) وترويح القلوب (٥٩) .
(٧) ترجمة ـ مظفر الدين إبراهيم ـ في ذيل الروضتين (١٨٩) وذيل مرآة الزمان (١/ ١٥ ـ ١٧) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٥٧٣) .

الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح[١] المقدسي الفقيه الشافعي مدرِّس الرواحية[٢] بعد شيخه تقي الدين ابن الصلاح[٣] ، ودفن بالصوفية أيضاً ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله .

قال أبو شامة[٤] : وكثر في هذه السنة موت الفجأة . فمات خلق كثير بسبب ذلك .

وممن توفي فيها :

زكي الدين بن الفُوَيْره أحد المعدلين بدمشق[٥] .

وبدر الدين بن السني[٦] أحد رؤسائها .

وعز الدين عبد العزيز بن أبي طالب بن عبد الغفار التغلبي[٧] [يعرف بابن النحوي][٨] وهو سبط القاضي جمال الدين بن الحرستاني[٩] رحمهم الله تعالى وعفا عنهم أجمعين .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمئة

فيها : أصبح الملك المُعزّ صاحب مصر عز الدين أيبك [التركماني] بداره ميّتاً وقد ولي الملكَ بعد أستاذه الملك الصالح [نجم الدين][١٠] أيوب بشهور . كان فيها ملك توران شاه المعظم بن الصالح ، ثم خلفته شجر[١١] الدُّرِّ أم خليل مدةَ ثلاثة أشهر ، ثم أقيم هو في الملك ، ومعه الملكُ الأشرفُ موسى بن الناصر يوسف بن أقسيس بن الكامل مدة ، ثم استقلّ بالملك بلا منازعة ، وكسر الناصر لما أراد أخذ

---

(١) ترجمة ـ ابن نوح ـ في ذيل الروضتين (١٨٩) وذيل مرآة الزمان (١/ ١٩) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٥٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٤٠) وشذرات الذهب (٧/ ٤٥٨) .

(٢) قال بدران : شاهدت موضع هذه المدرسة فرأيتها قد صارت داراً ـ منادمة الأطلال (١٠٠) .

(٣) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٤٣هـ .

(٤) ذيل الروضتين (١٨٩) .

(٥) ترجمة ـ ابن الفويرة ـ في ذيل الروضتين (١٨٩) وذيل مرآة الزمان (١/ ١٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٥٧) واسمه : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حفّاظ أبو محمد زكي الدين السلمي المعروف بابن الفُويرة .

(٦) في أ ، ب : وبدر الدين بن التيني أحد الرؤساء بها . ولم أصل إلى معرفة هذا الشخص ، ولم يذكر أبو شامة إلا : بدر الدين المراغي واحتمال أن تكون لفظة ـ السني ـ مصحفة عن المراغي بعيد .

(٧) ترجمة ـ التغلبي ـ في ذيل الروضتين (١٩٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٥٩) .

(٨) ما بين الرقمين كثير التحريف والتصحيف في الأصول وأثبت رواية أبي شامة مصدر المؤلف .

(٩) تقدمت ترجمة جمال الدين بن الحرستاني في وفيات سنة ٦١٤هـ .

(١٠) عن ط وحدها .

(١١) ط : « شجرة الدر » خطأ ، وما هنا من أ ، ب وهو الصواب (بشار) .

الديار المصرية ، وقتل الفارس أقطاي في سنة ثنتين وخمسين ، وخلع بعده الأشرف واستقل بالملك وحده ، ثم تزوج بشجر الدر أم خليل . وكان كريماً شجاعاً حليماً[١] ديناً ، ثم كان موته في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول ، وهو واقف المدرسة المعزية بمصر ومجازها من أحسن الأشياء[٢] ، وهي من داخل ليست بتلك الفائقة . وقد قال بعضهم [فيها] : هذه مجاز لا حقيقة له . ولما[٣] قتل رحمه الله فاتَّهم مماليكه زوجته أم خليل شجر الدر به ، وقد كان عزم على تزوج[٤] ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ[٥] ، فأمرت جواريها أن يمسكنه لها فما زالت تضربه بقباقيبها ، والجواري يعركن في معاريه[٦] ، حتى مات وهو كذلك ، ولما سمع[٧] مماليكه أقبلوا بصحبة[٨] مملوكه الأكبر سيف الدين قطز ، فقتلوها وألقوها على مزبلة غير مستورة العورة ، بعد الحجاب المنيع والمقام[٩] الرفيع ، وقد عَلَّمَتْ على المناشير والتواقيع ، وخطبَ الخطباءُ باسمها ، وضُربت السِّكةُ برسمها ، فذهبت فلا تعرف بعد ذلك بعينها ولا رسمها ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] وأقامت الأتراكُ بعدَ أستاذهم عزِّ الدين أيبك التركماني ، بإشارة أكبرِ مماليكه الأمير سيف الدين قطز[١٠] ، ولدَهُ نور الدين عليّاً ولقَّبوه الملكَ المنصور ، وخُطب له على المنابر وضربت السِّكةُ باسمه وجرت الأمورُ على ما يختاره برأيه ورسمه .

وفيها : كانت فتنةٌ عظيمةٌ ببغداد بين الرافضة وأهل السُّنة ، فنُهب الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي ، وكان ذلك من أقوى الأسباب في ممالأته للتتار .

وفيها : دخلت الفقراء الحيدريه[١١] الشام ، ومن شعارهم لبس الفراجي[١٢] والطراطير ويقصّون

---

(١) أ : حكيماً . ط : حيياً . وما هنا عن ب .
(٢) أ ، ب : التي بمصر ومحابرها من أحق الأشياء .
(٣) أ ، ب : فلما .
(٤) أ ، ب : فكان قد عزم على تزويج ابنة صاحب الموصل .
(٥) سترد ترجمته في حوادث سنة ٦٥٦هـ .
(٦) يعني : بيضه، وفي ط : « معاربه » وهو تصحيف ، وما هنا من أ ، ب وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٤/ ٧٧٥) .
(٧) ط : ولما سمعوا . وهي لغة مفضولة .
(٨) أ ، ب : صحب .
(٩) أ ، ب : والستر الرفيع .
(١٠) بعد هذه اللفظة في أ ، ب : وأقامت الأتراك بعد أستاذهم عز الدين أيبك التركماني . وقد تقدمت قبل سطر .
(١١) الحيدرية : طائفة من الصوفية مُجَرَّدون وهم أتباع الشيخ حيدر المولّه الزواحي الولي المشهور ، وصاحب هذه الطريقة المعروفة باسمه . معجم الفرق الإسلامية لشريف يحيى الأمين (١٠٥) .
(١٢) ط : الراحي ، والفراجي لعلها جمع فَرُّوج وهو قَباء فيه شَقٌّ من خلفه ، وفي الحديث صلّى بنا النبي ﷺ وعليه فَرّوجٌ من حرير (اللسان : فرج) .

لحاهم ، ويتركون شواربهم ، وهو خلافُ السُّنة ، تركوها لمتابعة شيخهم حَيْدَر حين أَسَرَهُ المَلَاحِدَةُ فَقَصُّوا لحيتَه وتركوا شواربه ، فاقتدوا به في ذلك ، وهو معذور مأجور . وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك[١] ، وليس لهم في شيخهم قدوة . وقد بنيت لهم زاوية بظاهر دمشق قريباً من العونية .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة من هذه السنة المباركة عُمل عزاءُ واقف البادرائية[٢] بها الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد البادرائي[٣] البغدادي مدرس النظامية ، ورسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة ، وإصلاح الأحوال المدلهمَّة ، وقد كان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً ، وقد ابتنى بدمشق مدرسةً حسنةً مكان دار الأمير سامة ، وشرط على المقيم بها العزوبة ، وأن لا يكون الفقيه في غيرها من المدارس ، وإنما أراد بذلك توفر خاطر الفقيه وجمعه على طلب العلم[٤] ، ولكن حصل بذلك خلل كثير وشر لبعضهم كبير[٥] وقد كان شيخنا الإمام العلامة شيخ الشافعية بالشام وغيرها برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ تاج الدين الفزاري[٦] مدرس هذه المدرسة وابن مدرِّسها ، يذكر أنه لما حضر الواقف في أول يوم درَّسَ بها وحضر عنده السلطان الناصر ، قُرِىء[٧] كتاب الوقف ، وفيه : ولا تدخلها امرأةٌ . فقال السلطان ولا صبيٌّ ؟ فقال الواقف : يا مولانا السلطان[٨] ربنا ما يَضْرِبُ بعصوين[٩] . فإذا ذكر هذه الحكاية تبسم عندها رحمه الله تعالى . وكان هو[١٠] أول من درَّس بها ثم ولده كمال الدين من بعده ، وجعل نظرها إلى وجيه الدين بن سويد ، ثم صار في ذريته إلى الآن . وقد نظر فيه بعض الأوقات القاضي شمس الدين ابن الصائغ ثم انتزع منه حيث أثبت لهم النظر ، وقد أوقف البادرائي على هذه

---

(١) أ ، ب : وهو معذور مأجور وليس لهم فيه قدوة وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقد بنيت لهم زاوية .

(٢) أو معظم الذين ترجموا له : الباذرائية بالذال . وفي هامش منادمة الأطلال : قال الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله : الصواب البادرائية لأن منشئها منسوب إلى بادرايا قرية من عمل واسط قلت : وبادرايا في معجم البلدان (١/ ٣١٦ ـ ٣١٧) والبادرائية في منادمة الأطلال (٨٧) .

(٣) ترجمة ـ البادرائي ـ في ذيل الروضتين (١٩٨) وذيل مرآة الزمان (١/ ٧٠ ـ ٧٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٣٢) والعبر (٥/ ٢٢٣) وطبقات السبكي (٨/ ١٥٩) وطبقات الإسنوي (١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٥٧) وشذرات الذهب (٧/ ٤٦٤) .

(٤) أ ، ب : وإنما أراد بذلك توفير الفقيه وجمعيته على طلب العلم .

(٥) أ : كثير .

(٦) سترد ترجمة ـ برهان الدين الفزاري ـ شيخ ابن كثير رحمهما الله في حوادث سنة ٧٢٩هـ في الجزء التالي إن شاء الله وترجمته أيضاً في الإعلام بوفيات الأعلام (٣٠٨) وذيل العبر (١٦٠) والدرر الكامنة (١/ ٣٤) .

(٧) ط : قرأ .

(٨) عن ط وحدها .

(٩) في الأصول : بعصاتين . وما هنا للسياق اللغوي .

(١٠) أ ، ب : وكان هذا أول .

المدرسة أوقافاً حسنةً دارَّةً ، وجعل فيها خزانةَ كتبٍ حسنةً نافعةً ، وقد عاد إلى بغداد في هذه السنة فولّي بها قضاء القضاة كرهاً منه ، فأقام فيه سبعة عشر يوماً ، ثمَّ توفي إلى رحمة الله تعالى في مستهل ذي الحجة من هذه السنة . ودفن بالشونيزية رحمه الله تعالى .

وفي ذي الحجة من هذه السنة بعد موت البادرائي بأيام قلائل نزلت التتار على بغداد مقدمة لملكهم هولاكو[١] بن تولي بن جنكيز خان عليهم لعائن الرحمن ، وكان افتتاحهم لها وجنايتهم عليها في أول السنة الآتية على ما سيأتي بيانه وتفصيله ـ وبالله المستعان .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

البادرائي واقف البادرائية التي بدمشق كما تقدم بيانه رحمه الله تعالى .

والشيخ تَقِيُّ الدين عبد الرَّحمن بن أبي الفَهْم[٢] اليَلْداني[٣] بها في ثامن ربيع الأول وفيها دفن[٤] ، وكان شيخاً صالحاً مشتغلاً بالحديث سَمَاعاً وكِتابةً وإسْماعاً ، إلى أن توفي وله نحو مئة سنة .

قلت : وأكثر كتبه ومجاميعه التي بخطّه موقوفة بخزانة الفاضلية من الكلاسة ، وقد رأى في المنام[٥] رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله ما أنا رجل جيد ؟ قال : بلى أنت رجل جيد . رحمه الله وأكرم مثواه .

الشيخ شرف الدين[٦] محمد بن أبي الفضل المُرْسي .

وكان شيخاً فاضلاً مُتْقناً محققاً[٧] للبحث كثير الحج ، له مكانة عند الأكابر ، وقد اقتنى كتباً كثيرة ،

---

(١) أ ، ب : هولاوو .

(٢) ترجمة ـ اليلداني ـ في ذيل الروضتين (١٩٥) وذيل مرآة الزمان (١/ ٧٠) والإعلام بوفيات الأعلام (٣٧٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٨٠) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣١١) والعبر (٥/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٥٩) والدارس (١/ ٩٣) وشذرات الذهب (٧/ ٤٦٥) .

(٣) اليلداني نسبة إلى يلدان قرية من قرى دمشق . ذكره ابن أبي العجائز في حديث ذي القرنين لما عمر دمشق أنه نزل من عقبة دُمَّر وسار حتى نزل في موضع القرية المعروفة بيَلْدا . من دمشق على ثلاثة أميال ، كذا هي في الحديث بغير نون لا أدري أهما واحد أم اثنان . معجم البلدان (٥/ ٤٤١) قلت : أهل دمشق اليوم يسمونها يَلْدا وهي على بعد بضعة كيلومترات جنوبي دمشق ، وهي كذلك بخط الذهبي .

(٤) ط : ودفن فيها .

(٥) أ ، ب : وقد رأى رسول الله ﷺ في النوم .

(٦) ترجمة ـ الشرف المرسي ـ في معجم الأدباء (١٨/ ٢٠٩ ـ ٢١٣) وذيل الروضتين (١٩٥ ـ ١٩٦) وذيل مرآة الزمان (١/ ٧٦ ـ ٧٩)وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٨٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣١٢ ـ ٣١٨) والعبر (٥/ ٢٢٤) والوافي بالوفيات (٣/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) وطبقات السبكي (٨/ ٦٩ ـ ٧٢) وطبقات الإسنوي (٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) ومرآة الجنان (٤/ ١٣٧) وبغية الوعاة (١/ ١٤٤ ـ ١٤٦) ونفح الطيب (٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) وشذرات الذهب (٧/ ٤٦٥) .

(٧) أ ، ب : محقق البحث .

وكان أكثر مقامه بالحجاز ، وحيث حلّ عظَّمه رؤساءُ تلك البلدة وكان مقتصداً في أموره ، وكانت وفاته رحمه الله بالزعقة بين العريش والداروم[١] في منتصف ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله .

المشد[٢] الشاعر الأمير سيف الدين[٣] علي بن عمر بن قزل مُشِدّ الديوان بدمشق .

وكان شاعراً مطبقاً له ديوانٌ مشهور ، وقد رآه بعضهم بعد موته فسأله عن حاله فأنشده : [من الطويل]

نُقلتُ إلى رمسِ القُبور وضِيقِها ... وخَوْفي ذنوبي أنَّه بيَ تَعْثُرُ
فصادفتُ رحماناً رؤوفاً وأنعُماً ... حباني بها سقياً لما كنتُ أحذرُ
ومَنْ كانَ حسنُ الظنِّ في حال موته ... جميلاً بعفوِ اللهِ فالعفوُ أجدرُ

بشارة بن عبد الله[٤] الأرْمَني الأصل ، بدر الدين الكاتب مولى شبل الدولة المعظمي .

سمع الكندي[٥] وغيره ، وكان يكتب خطّاً جيّداً ، وأسند إليه مولاه النظر في أوقافه وجعله في ذريته ، فهم إلى الآن ينظرون في الشبليتين ، وكانت وفاته في النصف من رمضان من هذه السنة .

القاضي تاج الدين[٦] أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة جمال الدين المصري ناب عن أبيه ودرَّس بالشامية ، وله شعرٌ ، فمنه قوله : [دوبيت]

صَيَّرْتُ فمي لفيهِ باللَّثْمِ لِثام ... عَمْداً ورشفتُ من ثناياهُ مدامْ
فازوَرَّ وقالَ أنتَ في الفقهِ إمام ... ريقي خمرٌ وعندكَ الخمر حرامْ

الملك الناصر[٧] داود بن المُعَظَّم عيسى بن العادل ، ملكَ دمشق بعد أبيه ، ثم انتُزعت من يده وأخذها

---

(١) الداروم : قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر بينها وبين البحر مقدار فرسخ خربها صلاح الدين لما ملك الساحل في سنة ٥٨٤ . معجم البلدان (٢/ ٤٢٤) .

(٢) ترجمة ـ المشد ـ في الروضتين (١٩٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٣٠) والعبر (٥/ ٢٣٣) وفوات الوفيات (١٣/ ٥١ ـ ٥٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٤) وشذرات الذهب (٧/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) وفيات سنة ٦٥٦هـ في النجوم الزاهرة أن المشدّ هو الذي يتولّى شدّ الدواوين .

(٣) جاءت الترجمات الثلاث السابقة في أ ب في آخر وفيات هذه السنة .

(٤) ترجمة ـ بشارة الأرمني ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ١٧) والدارس (١/ ٥٣١) والشذرات (٧/ ٤٥٧) .

(٥) تقدمت ترجمة الكندي في وفيات سنة ٦١٣ من هذا الجزء .

(٦) هو القاضي تاج الدين بن يونس بن بدران بن فيروز . الدارس (١/ ١٨٨ و٢٨٠) .

(٧) ترجمة ـ الملك الناصر ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ١٢٦ ـ ١٨٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٠٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٧٦ ـ ٣٨١) والعبر (٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) وفوات الوفيات (١/ ٤١٩ ـ ٤٢٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦١ ـ ٦٢) وشذرات الذهب (٧/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦) وترويح القلوب (٧٣) ، وأكثر هذه المصادر ذكرت وفاته في سنة ٦٥٦هـ .

عمُّه الأشرف واقتصر على الكرك ونابلس ، ثم تنقلت[١] به الأحوال وجرت له خطوب طوال حتى لم يبق معه شيء من المحال ، وأودع وديعة تقارب مئة ألف دينار عند الخليفة المستنصر[٢] فأنكره إياها ولم يردّها عليه ، وقد كان له فصاحة وشعرٌ جيد ، ولديه فضائل جمَّةٌ ، واشتغل في علم الكلام على الشمس الخسروشاهي[٣] تلميذ الفخر الرازي[٤] ، وكان يعرف علم الأوائل جيداً وقد حكوا عنه[٥] أشياء تدلّ إن صَحَّتْ على سوء عقيدته فالله أعلم . وذكر أنه حضر أولَ درس ذكر بالمستنصرية في سنة ثنتين وثلاثين وستمئة ، وأن الشعراء أنشدوا المستنصر مدائح كثيرة ، فقال بعضهم في جملة قصيدة له[٦] : [من الكامل]

لو كنتَ في يوم السقيفةِ شاهداً كنتَ المقدَّمَ والإمامَ الأعظما

فقال الناصر داود للشاعر : اسكت فقد أخطأت ، قد كان جدُّ أمير المؤمنين العباس شاهداً يومئذ ، ولم يكن المُقَدَّم ، وما الإمام الأعظم إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال الخليفة : صدقت فكان[٧] هذا من أحسن ما نُقل عنه رحمه الله ، وقد تقاصر أمره إلى أن رسم عليه الناصر بن العزيز بقرية البويضاء[٨] لعمه مجد الدين يعقوب حتى توفي بها في هذه السنة ، فاجتمع الناس بجنازته ، وحمل منها فصلي عليه ودفن عند والده بسفح قاسيون .

الملك المعز[٩] عزّ الدين أيْبَك التّركماني .

أول ملوك الأتراك ، كان من أكبر مماليك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، وكان ديّناً صيناً عفيفاً كريماً ، مكث في الملك نحواً من سبع سنين ثم قتلته زوجته شجر الدر أم خليل ، وقام في الملك من بعده ولده نور الدين علي ، ولقّب بالملك المنصور ، وكان مدير مملكته مملوك أبيه سيف الدين قطز ، ثم عزله

---

(١) أ ، ب : ثم نقلت .
(٢) أ : المستعصم ؛ خطأ .
(٣) تقدمت ترجمة الخسروشاهي في وفيات سنة ٦٥٢هـ من هذا الجزء .
(٤) تقدمت ترجمة الفخر الرازي في وفيات سنة ٦٠٦هـ من هذا الجزء .
(٥) ط : وكان يعرف علوم الأوائل جداً وحكوا عنه .
(٦) البيت في سير أعلام النبلاء برواية : والإمام الأورعا .
(٧) أ ، ب : صدق وكان .
(٨) البويضاء من قرى غوطة دمشق . وتسمى اليوم البويضة . غوطة دمشق لمحمد كرد علي .
(٩) ترجمة ـ الملك المعز عز الدين أيبك ـ في ذيل الروضتين (١٩٦) وذيل مرآة الزمان (١/ ٥٤ ـ ٦٠) وتاريخ أبي الفداء (٣/ ١٩٢) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٧٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٩٨ ـ ٢٠٠) والعبر للذهبي (٥/ ٢٢٢) والوافي بالوفيات (٩/ ٤٦٩ ـ ٤٧٤) وطبقات السبكي (٨/ ٢٦٩) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣ ـ ٤١) وحسن المحاضرة (٢/ ٣٨ ـ ٣٩) وشذرات الذهب (٧/ ٤٦٣) .

واستقلّ بالملك بعده نحواً من سنة وتلقّب بالمظفر ، فقدر الله كسرة[١] التتار على يديه بعين جالوت . وقد بسطنا هذا كله في الحوادث فيما تقدم وما سيأتي ، ولله الحمد .

شجر[٢] الدر[٣] بنت عبد الله أُمُّ خليل التركية ، كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان ولدها منه خليل[٤] من أحسن الصور ، فمات صغيراً ، وكانت تكون في خدمته لا تفارقه حَضَراً ولا سَفَراً من شدّة محبته لها ، وقد ملكت الديار المصرية بعد مقتل ابن زوجها المعظم توران شاه ، فكان يُخْطَبُ لها وتُضْرَبُ[٥] السكةُ باسمها وعَلَّمَتْ على المناشير مدةَ ثلاثة أشهر ، ثم تملَّكَ المُعِزّ كما ذكرنا ، ثم تزوجها بعد تملكه الديار المصرية بسنوات ، ثم غارت عليه لمَّا بلغها أنه يريد أن يتزوَّج بنت صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ[٦] فعملت عليه حتى قتلته كما تقدم ذكره ، فتمالأ عليها مماليكهُ المعزيةُ فقتلوها وألقَوْها على مزبلة ثلاثة أيام ، ثم نُقلت إلى تربةٍ لها بالقرب من قبرالسيدة نفيسة رحمها الله تعالى . وكانت قوية النفس ، لمَّا علمت أنه قد أحيط بها أتلفت شيئاً كثيراً من الجواهر النفيسة واللآلىء المثمنة ، كسرته في الهاون لا لها ولا لغيرها ، وكان وزيرها في دولتها الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم[٧] المعروف بابن حنا وهو أول مناصبه .

الشيخ الأسْعَد هِبةُ الله بن صاعِد[٨] بن شرف الدين الفائزي لخدمته قديماً الملك الفائز[٩] سابق الدين إبراهيم بن الملك العادل .

وكان نصرانياً فأسلم ، وكان كثير الصدقات والبر[١٠] والصِّلات ، استوزره المعز وكان حظياً عنده جداً ، لا يفعل شيئاً إلا بعد مراجعته ومشاورته ، وكان قبله في الوزارة[١١] القاضي تاج الدين ابن بنت

(١) أ ، ب : كسر التتار .
(٢) ط : « شجرة الدر » ، وهو تحريف ، وما هنا من أ ، ب (بشار) .
(٣) ترجمة ـ شجر الدر ـ في ذيل الروضتين (١٩٦) وذيل مرآة الزمان (١/ ٦١ ـ ٦٢) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٧٧) والعبر (٥/ ٢٢٢) وتاريخ أبي الفداء (٣/ ١٩٢) وشذرات الذهب (٧/ ٤٦٣) .
(٤) أ : وكان ولدها خليل منه .
(٥) أ ، ب : وضربت .
(٦) ستردُ ترجمة بدر الدين لؤلؤ في وفيات سنة ٦٥٦هـ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٧) في ط : بن سليمان . وهو تحريف . وسترد ترجمة ابن حنا في وفيات سنة ٦٧٧هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٨) ترجمة ـ الشيخ الأسعد ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٨٠ ـ ٨٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٩١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٥٨) وحسن المحاضرة (٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧) .
(٩) تقدمت ترجمة الملك الفائز في وفيات سنة ٦١٧هـ من هذا الجزء .
(١٠) أ ، ب : وكان كثير البر والصدقات والصلات .
(١١) ب : وكان في الوزارة قبله .

الأعزّ[١] ، وقبله القاضي بدر الدين السنجاري[٢] ، ثم صارت بعد ذلك كلّه إلى هذا الشيخ الأسعد المسلماني ، وقد كان الفائزي يكاتبُه المعزُّ بالمملوك ، ثم لما قُتل المُعز أُهين الأسعدُ حتى صار شقياً ، وأخذ الأمير سيف الدين قطز[٣] خطَّه بمئة ألف دينار ، وقد هجاه بهاء الدين زهير بن محمد بن علي ، فقال[٤] :

لَعَنَ اللهُ صاعداً وأباهُ ، فصاعدا
وبنيه فنازلاً واحداً ثم واحدا

ثم قتل بعد ذلك كله ودفن بالقرافة ، وقد رثاه القاضي ناصر الدين ابن المُنيِّر[٥] ، وله فيه مدائح وأشعار حسنة فصيحة رائقة[٦] .

ابن أبي الحديد[٧] **الشاعر العراقي**[٨] **عبد الحميد بن داود هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين** أبو حامد ابن أبي الحديد عز الدين المدائني .

الكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي ، له « شرح نهج البلاغة » في عشرين[٩] مجلداً ، ولد بالمدائن سنة ست وثمانين وخمسمئة ، ثم صار إلى بغداد فكان أحد الكُتّاب والشعراء بالديوان الخليفتي ، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي[١٠] ، لما بينهما من المناسبة والمقاربة[١١] والمشابهة في التشيع والأدب والفضيلة . وقد أورد له ابن الساعي أشياء كثيرة من مدائحه وأشعاره الفائقة الرائقة[١٢] ، وكان أكثر فضيلة وأدباً من أخيه أبي المعالي موفق الدين بن هبة الله[١٣] ، وإن كان

---

(١) سترد ترجمة القاضي ابن بنت الأعز في وفيات سنة ٦٦٥هـ من هذا الجزء .

(٢) سترد ترجمة بدر الدين السنجاري في وفيات سنة ٦٦٣هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٣) سترد ترجمة قطز في وفيات سنة ٦٥٨هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٤) أ ، ب : وقد هجاه بعضهم فقال . والبيتان في النجوم وحسن المحاضرة وديوانه (١٠٩) .

(٥) ناصر الدين بن المنيّر هو أحمد بن محمد بن منصور أبو العباس الجذامي الإسكندراني قاض له عدة تصانيف ، ومات سنة ٦٨٣هـ بالإسكندرية . حسن المحاضرة (١/ ٣١٦ـ ٣١٧) .

(٦) أ ، ب : بعرضه رائقة فصيحة .

(٧) أ ، ب : ابن أبي الحديد العراقي للشاعر .

(٨) ترجمة ـ ابن أبي الحديد ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٦٢ ـ ٧٠) ووفيات الأعيان (٥/ ٣٩٢) عرضاً وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٧٩) وفوات الوفيات (٢/ ٢٥٩ـ ٢٦٢) .

(٩) لشرح نهج البلاغة عدة طبعات آخرها الطبعة التي حققها الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في بضعة عشر جزءاً .

(١٠) سترد ترجمة ابن العلقمي في وفيات سنة ٦٥٦هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(١١) أ ، ب : المقارنة .

(١٢) أ ، ب : وأشعاره الرائقة الفائقة .

(١٣) موفق الدين بن هبة الله هو القاسم ، وقيل أحمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني ثم البغدادي . توفي سنة ٦٥٦هـ . قال الذهبي عن الأخوين : وكانا من كبار الفضلاء وأرباب الكلام والنظم والنثر والبلاغة ، =

الآخر فاضلاً بارعاً أيضاً ، وقد ماتا في هذه السنة رحمهما الله تعالى[١] .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمئة

فيها أخذت التتار بغداد وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة ، وانقضت دولة بني العباس منها .

استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللَّذين على مقدمة عساكر سلطان التتار ، هولاكوخان[٢] ، وجاءت [إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة وميرته وهداياه وتحفه ، وكل ذلك خوفاً على نفسه من التتار ، ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى][٣] ، وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق والعرادات وغيرها من آلات[٤] الممانعة التي لا ترد من قدر الله[٥] سبحانه وتعالى شيئاً ، كما ورد في الأثر « لن يغني حذر عن قدر »[٦] كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [نوح : ٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه ، وكانت من جملة حظاياه[٧] ، وكانت مولَّدة تُسمَّى عرفة ، جاءها سهمٌ من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقصُ بين يدي الخليفة ، فانزعج الخليفةُ من ذلك وفزع فزعاً شديداً ، وأحضر السهم الذي أصابها بين يَدَيْه فإذا عليه مكتوب إذا أراد إنفاذَ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولَهم ، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز ، وكثرت الستائر على دار الخلافة ـ وكان قدوم هلاكوخان بجنوده كلها ، وكانوا نحو مئتي[٨] ألف مقاتل ـ إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة ، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدّم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه ، وهو أن

= والموفق أحسنهما عقيدة ، فإن العزّ معتزلي أجارنا الله . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٧٥) .

(١) بعد هذه الترجمة في أ ، ب : ترجمتا المشد الشاعر وبشارة الأرمني .

(٢) أ ، ب : هولاكوقان .

(٣) ما بين الحاصرتين عن ط وحدها .

(٤) أ : الآلات .

(٥) أ : لا ترد من قدر الله شيئاً .

(٦) رواه أحمد في المسند رقم (٥/ ٢٣٤) والطبراني في الدعاء (٣٢) وفي الكبير (٢٠/ ٢٠١) وإسناده ضعيف من حديث معاذ مرفوعاً ورواه البزار (كما في كشف الأستار ٢١٦٥) والطبراني في الدعاء (٣٣) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٢) من حديث عائشة مرفوعاً وإسناده ضعيف (بشار) .

(٧) أ ، ب : الخطايا .

(٨) أ ، ب : وكانوا نحواً من مئتي .

هلاكو لمّا كان أول بروزه من همذان متوجهاً إلى العراق أشار الوزير مُؤَيَّد الدين محمد بن العَلْقَمي[١] على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنيّة ليكونَ مداراةً له عما يريدُه من قصد بلادهم ، فخذل الخليفة عن ذلك دُوَيْداره الصغيرُ أيْبك وغيره ، وقالوا إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال ، وأشاروا بأن يبعثَ بشيءٍ يسيرٍ ، فأرسل شيئاً من الهدايا فاحتقرها هلاكوخان ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويدارَهُ المذكور ، وسليمانَ شاه ، فلم يبعثهما إليه ولا بالى به حتى أزف قدومه ، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة ، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية ، وجنود[٢] بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس ، وهم [في غاية الضعف] . وبقية الجيش كلّهم قد صُرفوا عن إقطاعاتهم حتى استَعْطَى كثيرٌ منهم في الأسواق وأبواب المساجد ، وأنشد فيهم الشعراءُ قصائد[٣] يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله .

وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي ، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نُهبت فيها الكرخُ ومحلةُ الرافضة حتى نُهبت دور قرابات الوزير ، فاشتدَّ حنقُه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجَهُ على أن دَبّر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يُؤَرَّخْ أبشع منه منذ بُنيت بغداد ، وإلى هذه الأوقات ، ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو ، فخرج بأهله[٤] وأصحابه وخدمه وحشمه ، فاجتمع بالسلطان هلاكوخان[٥] لعنه الله ، ثم عاد .

فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحةُ على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة . فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمئة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤوس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكوخان حُجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر[٦] نفساً ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونُهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأُحضر الخليفة بين يدي هلاكو[٧] فسأله عن أشياء كثيرة فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هَوْلِ ما رأى من الإهانة والجبروت .

---

(١) سترد ترجمة ابن العلقمي في وفيات هذه السنة .
(٢) ط : وجيوش بغداد .
(٣) أ ، ب : القصائد .
(٤) أ ، ب : في أهله .
(٥) أ ، ب : هولاكوخان .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : بين يدي السلطان .

ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي[١] ، والوزير ابن العلقمي وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح .

وقال الوزير : متى وقع الصلحُ على المناصفة لا يستمرّ هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعودُ الأمرُ إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحَسَّنُوا له قتلَ الخليفة ، فلما عاد الخليفةُ إلى السلطان هولاكو[٢] أمر بقتله ، ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي ، والمولى نصير الدين الطوسي ، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لمَّا فتح قلاع الألموت ، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية ، وكان النصير وزيراً لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العُبيدي ، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هولاكو وتهيَّب من قتل الخليفة هَوَّنَ عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً ، وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه ، خافوا أن يُؤخذ بثأره فيما قيل لهم ، وقيل بل خُنق ، ويقال بل أُغرق ، فالله أعلم ، فباؤوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد ببلاده[٣] ـ وستأتي ترجمة الخليفة في الوفيات .

ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان ودخل كثيرٌ من الناس في الآبار وأماكن الحشوش ، وقنى الوسخ ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون ، وكان الجماعة[٤] من الناس يجتمعون إلى[٥] الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها[٦] التتار إما بالكسر وإما[٧] بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة[٨] ، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وكذلك في المساجد والجوامع والرُّبُط ، ولم ينجُ منهم أحدٌ سوى أهل الذمة من اليهود والنّصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً ، بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم . وعادت بغداد

(١) بعدها في أ ، ب : لعنة الله عليه .
(٢) .أ : هولاكوقان .
(٣) أ ، ب : ببلاد بغداد وسيأتي .
(٤) أ ، ب : وكان الفئام .
(٥) أ ، ب : يجتمعون في الخانات .
(٦) أ ، ب : فيفتحه .
(٧) أ ، ب : أو بالنار .
(٨) أ ، ب : أعالي المكان فيقتلونهم في الأسطحة .

بعدما كانت آنس المدن كلّها كأنها خرابٌ ليس فيها[(١)] إلا القليل من الناس ، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة ، وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان ، فكانت[(٢)] العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مئة ألف مقاتل ، منهم من الأمراء مَنْ هو كالملوك الأكابر[(٣)] ، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى[(٤)] عشرة آلاف ، ثم كاتب التتارَ وأطمعهم في أخذ البلاد ، وسهل عليهم ذلك ، وحكى لهم حقيقة الحالِ ، وكشف لهم ضعف الرجال ، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السُّنَّة بالكلية ، وأن يظهر البدعة الرافضةَ وأن يقيم خليفة من الفاطميين ، وأن يبيد العلماء والمُفْتين ، والله غالبٌ على أمره ، وقد ردَّ كيدَه في نحره ، وأذله بعد العزّة القَعْساء ، وجعله حوشكاشا[(٥)] للتتار[(٦)] بعدما كان وزيراً للخلفاء[(٧)] ، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال[(٨)] ، فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء .

وقد جرى على بني إسرائيل ببيت المقدس قريبٌ مما جرى على أهل بغداد كما قصَّ الله تعالى علينا ذلك[(٩)] في كتابه العزيز ، حيث يقول ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤] الآيات . وقد قُتل من بني إسرائيل خلقٌ من الصُّلحاء وأُسر جماعة من أولاد الأنبياء ، وخربَ بيت المقدس بعدما كان معموراً بالعبَّاد والزُّهَّاد والأحبار والأنبياء ، فصار خاوياً على عُروشه واهي البناء .

وقد اختلف الناس في كمية من قُتل ببغداد من المسلمين [في هذه الوقعة][(١٠)] . فقيل ثمانمئة ألف ، وقيل ألف ألف وثمان مئة ألف ، وقيل بلغت القتلى ألفي ألفي نفس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله [العزيز الحكيم] . وكان دخولهم بغداد في أواخر المحرم ، وما زال السيفُ يقتل أهلَها أربعين يوماً[(١١)] .

---

(١) أ ، ب : ليس فيها أحد إلا القليل .
(٢) أ ، ب : وإسقاط أسهمهم من الديوان وكانت العساكر .
(٣) ط : كالملوك الأكابر الأكاسر .
(٤) أ ، ب : لم يبق إلا عشرة .
(٥) في أ : (هو شكاش) .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : وزير الخلفاء .
(٨) أ ، ب : من قتل بمدينة بغداد من الرجال والأطفال والنساء .
(٩) أ ، ب : ذلك علينا .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) أ ، ب : أربعين صباحاً .

وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر وعُفِي قبره ، وكان عمره يومئذ ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر ، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام ، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد ، وله خمس وعشرون سنة ، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة ، وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت أخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم ، وأسر من دار الخلافة من الأبكار[١] ما يقارب ألف بكر فيما قيل والله[٢] أعلم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وكان عدو الوزير ، وقتل أولاده الثلاثة : عبد الله ، وعبد الرحمن[٣] ، وعبد الكريم ، وأكابر الدولة واحداً بعد واحد ، منهم الدويدار[٤] الصغير مجاهد الدين أيبك ، وشهاب الدين سليمان شاه ، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد . وكان الرجلُ يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه [وجواريه] فيذهب به إلى مقبرة الخلال ، تجاه المنظرة ، فيُذبح كما تُذبح الشاة ، ويُؤسر من يختارون[٥] من بناته وجواريه .

وقتل شيخ الشيوخ مؤدِّب الخليفة صدر الدين علي بن النيار ، وقتل الخطباء والأئمة ، وحملة القرآن ، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد ، وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه أن يعطِّل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمرّ بالمشاهد ومحالّ الرفض ، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعلَمهم بها وعليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك ، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة ، وأتبعه بولده فاجتمعا ـ والله أعلم ـ بالدرك[٦] الأسفل من النار .

ولما انقضى الأمرُ المقدّرُ[٧] وانقضتِ الأربعون يوماً بقيت بغدادُ خاويةً على عروشها ليس بها أحدٌ إلا الشاذّ من الناس ، والقتلى في الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغيرالهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدَّى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباءُ والفناءُ والطعنُ والطاعونُ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) أ ، ب : من الأكابر ؛ تحريف .
(٢) أ : فالله أعلم .
(٣) أ ، ب : عبد الرحمن وعبد الله .
(٤) ط : الديودار .
(٥) أ ، ب : يختار .
(٦) أ ، ب : في الدرك .
(٧) أ : الأمر المقدور .

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير(١) والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم(٢) ، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه ، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى ، واجتمعوا تحت الثرى(٣) بأمر الذي يعلم السرَّ وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى . وكان رحيل السلطان المسلط هولاكوخان(٤) عن بغداد في جمادى الآخرة من هذه السنة إلى مقرّ ملكه ، وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر ، فوض إليه الشحنكية بها وإلى الوزير ابن العلقمي فلم(٥) يمهله الله ولا أهمله ، بل أخذه أخذَ عزيزٍ مقتدر ، في مستهل جمادى الآخرة عن ثلاثة وستين سنة ، وكان عنده فضيلة في الإنشاء ولديه فضيلة في الأدب(٦) ، ولكنه كان شيعياً جلداً رافضياً خبيثاً ، فمات جهداً(٧) وغماً وحزناً وندماً :

إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم(٨)

فولي بعده الوزارة ولده عز الدين أبو الفضل محمد(٩) ، فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام ، ولله الحمد والمنة .

وذكر أبو شامة(١٠) وشيخنا أبو عبد الله الذهبي(١١) وقطب الدين اليونيني(١٢) أنه أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباءٌ شديد ، وذكروا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو(١٣) ، فسد من كثرة القتلى ببلاد العراق وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام فالله أعلم .

---

(١) أ ، ب : ولما نودي ببغداد الأمان خرج من كان تحت الأرض بالمطامير .
(٢) أ ، ب : القبور .
(٣) أ ، ب : فتفانوا ولحقوا ممن سلف من القتلى فاجتمعوا في البلى .
(٤) أ ، ب : هولاكوقان .
(٥) أ : لم يمهله ، ب : لا يمهله .
(٦) أ ، ب : فضيلة وأدب .
(٧) أ ، ب : ولكنه كان شيعياً جلداً خشياً رافضياً فمات كمداً وغماً .
(٨) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى وصدره :
فشدّ ولم يُفْزع بيوتاً كثيرة لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم
شرح ديوانه (٢٧) واللسان (قشعم) .
(٩) ط : عز الدين بن الفضل محمد . ولم أجد له ترجمة .
(١٠) ذيل الروضتين (٢٠٠) .
(١١) تاريخ الإسلام (١٤/ ٦٧٧) .
(١٢) ذيل مرآة الزمان (١/ ١٧٤) .
(١٣) أ ، ب : في الجو .

وفي هذه السنة اقتتل[١] المصريون مع صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل [بن أبي بكر العادل] الكبير[٢] ، وكان في جيشه[٣] جماعة من أمراء[٤] البحرية ، منهم ركن الدين بيبرس البندقداري ، فكسرهم المصريون ونهبوا ما كان معهم من الأثقال والأموال ، وأسروا[٥] جماعة من رؤوس الأمراء [فقتلوا صبراً][٦] ، وعادوا إلى الكرك في أسوأ حال وأشنعه[٧] ، وجعلوا يفسدون في الأرض ويعيثون في البلاد ، فأرسل الله[٨] الناصرَ صاحب دمشق فبعث جيشاً ليكفّهم عن ذلك ، فكسرهم البحرية واستنصروا فبرز إليهم الناصر بنفسه فلم يلتفتوا إليه وقطعوا أطناب خيمته التي هو فيها بإشارة ركن الدين بيبرس المذكور ، وجرت حروب وخطوب يطول بسطها وبالله المستعان .

ذكر من توفي في هذه السنة من المشاهير والأعيان[٩] :

خليفة الوقت المستعصم بالله[١٠] أمير المؤمنين آخر خلفاء بني العباس بالعراق رحمه الله ، وهو أبو أحمد عبد الله بن [أمير المؤمنين] المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن [أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن][١١] المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن [أمير المؤمنين] المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن [أمير المؤمنين] المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن [أمير المؤمنين] المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله[١٢] أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله [أبي جعفر] عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الأمير الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن

---

(١) أ ، ب : أقبل .
(٢) ترويح القلوب (٨٠) .
(٣) ط : حبسه ؛ وهو تحريف .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) أ ، ب : وأسروا منهم .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : في أسوأ حالة وأشنعها .
(٨) أ ، ب : فأرسل إليه الناصر .
(٩) ط : وممن توفي في هذه السنة من الأعيان .
(١٠) ترجمة ـ المستعصم بالله ـ وأخباره في ذيل مرآة الزمان (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٧) والمختصر في أخبار البشر (٣/ ١٩٤) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٧٤ ـ ١٨٢) والعبر (٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) وفوات الوفيات (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣٥) والنجوم (٧/ ٦٣ ـ ٦٤) والشذرات (٧/ ٤٦٧ ـ ٤٧٣) .
(١١) ليس ما بين الحاصرتين في أ .
(١٢) ط : المقتدي بالله .

الرشيد أبي محمد هارون بن المهدي أبي عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي العباسي .

ولد[١] سنةَ تسع وستمئة ، وبويع له بالخلافة في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين ، وكان مقتله في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ست وخمسين وستمئة ، فيكون عمره يوم قتل سبعاً وأربعين سنة رحمه الله تعالى .

وقد كان حسن الصورة جيد السريرة ، صحيح العقيدة[٢] مقتدياً بأبيه المستنصر في المعدلة وكثرة الصدقات وإكرام العلماء والعباد .

وقد استجاز له الحافظ ابن النجار[٣] من جماعة من مشايخ خراسان منهم المُؤَيَّد الطوسي[٤] ، وأبو روح عبد العزيز بن محمد الهروي[٥] وأبو بكر القاسم بن عبد الله بن الصفار[٦] وغيرهم ، وحدَّث عنه جماعة منهم مؤدّبه شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن النيّار[٧] ، وأجاز هو للإمام محيي الدين بن الجوزي[٨] ، وللشيخ نجم الدين البادرائي[٩] ، وحُدِّثا عنه بهذه الإجازة . وقد كان رحمه الله سنّياً على طريقة السلف واعتقاد الجماعة كما كان أبوه وجدُّه ، ولكن[١٠] كان فيه لينٌ وعدمُ تيقُّظٍ ومحبةٌ للمالِ وجمعهِ ، ومن جملة ذلك أنه استحلَّ الوديعة التي استودعه إياها الناصرُ داود بن المُعظَّم وكانت قيمتُها نحواً من مئة ألف دينار فاستُقْبِحَ هذا من مثل الخليفة ، وهو مُسْتَقْبَح ممّن هو دونه بكثير ، بل ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

قتله التتار مظلوماً مُضْطَهَداً في يوم الأربعاء رابع عشر صفر من هذه السنة ، وله من العمر ستةٌ وأربعون سنةً وأربعةُ أشهرٍ . وكانت مدةُ خلافته خمسةَ عشرَ سنةً وثمانيَة أشهر وأياماً ، فرحمه الله وأكرم

---

(١) ط : مولده .
(٢) أ ، ب : وقد كان رحمه الله حسن الصورة جيد السيرة صحيح السريرة .
(٣) هو محمد بن محمد بن الحسن المعروف بابن النجار . تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٤٣هـ .
(٤) هو المؤيد بن محمد بن علي الطوسي . توفي سنة ٦١٧هـ . سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٠٤) .
(٥) أبو روح الهروي قتلته الترك سنة ٦١٨ العبر (٥/ ٧٤) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١١٤ ـ ١١٥) والشذرات (٧/ ١٤٤) وفي هذه المصادر جميعاً اسمه عبد المعز .
(٦) ابن الصفار قتله الترك في نيسابور أيضاً سنة ٦١٨هـ . سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٠٩) .
(٧) سترد ترجمة ابن النيار ضمن وفيات هذه السنة من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٨) سترد ترجمة محيي الدين بن الجوزي ضمن وفيات هذه السنة من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٩) تقدمت ترجمة البادرائي وفيات سنة ٦٥٥ من هذا الجزء .
(١٠) أ ، ب : ولكنه .

مثواه ، وبلَّ بالرأفة ثراه . وقد قُتل بعده ولداه وأُسر الثالثُ مع بنات ثلاث[١] من صلبه ، وشغر منصب الخلافة بعده ، ولم يبق في بني العباس من سدَّ مسدَّه ، فكان آخر الخلفاء من بني العباس الحاكمين بالعدل بين الناس ، ومن يُرْتَجى منهم النوالُ ويُخشى البأسُ ، وخُتموا بعبد الله المستعصم كما افتتحوا[٢] بعبد الله السفاح ، [وكان عدة خلفاء بني العباس إلى المستعصم سبعة وثلاثين خليفة وكان أولهم عبد الله السفاح] بويع له بالخلافة وظهر ملكُه وأمرُه في سنة ثنتين وثلاثين ومئة ، بعد انقضاء دولة بني أمية كما تقدم بيانه ، وآخرهم عبد الله المستعصم وقد زال ملكهم وانقضت خلافتهم[٣] في هذا العام [أعني سنة ست وخمسين وستمئة][٤] فجملة أيامهم خمسمئة سنة وأربع وعشرون سنة ، وزال ملكهم[٥] عن العراق والحكم بالكلية مدة سنة وشهور في أيام البساسيري بعد الخمسين وأربعمئة ، ثم عادت كما كانت . وقد بسطنا ذلك في موضعه في أيام القائم بأمر الله ولله الحمد .

ولم تكن أيدي بني العباس حاكمةً على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرةً لجميع البلاد والأقطار والأمصار ، فإنه خرج عن بني العباس بلادُ المغرب ، ملكها في أوائل الأمر بعضُ بني أمية ممن بقي منهم من ذرية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ثم تغلّب عليه الملك بعد دهور متطاولة كما ذكرنا ، وقارن[٦] بني العباس دولة المدّعين أنهم من الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد المغرب ، وما هنالك ، وبلاد الشام في بعض الأحيان والحرمين في أزمان طويلة [وكذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر ، وتداولتها الملوك دولاً بعد دول ، حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق ، وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات ، كما ذكر ذلك مبسوطاً في الحوادث والوفيات][٧] .

واستمرت دولة الفاطميين قريباً من ثلاثمئة سنة حتى كان آخرهم العاضد الذي مات بعد الستين وخمسمئة في الدولة الصلاحية الناصرية القدسية [كما ذكرنا] ، وكانت عدةُ ملوك الفاطميين أربعة عشر خليفة [وإن شئت قلت][٨] متخلِّفاً ، ومدةُ ملكهم تحريراً من سنة سبع وتسعين ومئتين إلى أن توفي

---

(١) أ : بناته الثلاث .
(٢) ط : فتحوا .
(٣) ط : وقد زال ملكه وانقضت خلافته . وليست اللفظة الأخيرة في ب .
(٤) ما بين الحاصرتين في أ ، ب : دون ط .
(٥) أ ، ب : زالت يدهم عن العراق .
(٦) أ ، ب : بعدد دول متطاولة كما قارن .
(٧) ليس ما بين الحاصرتين في أ ، ب وقد جاءت في ط على هذا الشكل وفي هامشها أنها زيادة من نسخة أخرى بالآستانة .
(٨) مكان ما بين الحاصرتين في ط : ملكاً .

العاضدُ سنة بضع وستين وخمسمئة ، والعجب أن خلافة النبوة التالية لزمان رسول الله ﷺ ، كانت ثلاثين سنة كما نطق بها الحديث الصحيح[١] فكان فيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم ابنه الحسن بن علي ستة شهور حتى كملت [بها] الثلاثون كما قررنا ذلك في دلائل النبوة ، ثم كانت ملكاً فكان أول ملوك الإسلام من بني أبي سفيان معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، ثم ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ، وانقرض هذا البطن المفتتح بمعاوية المختتم بمعاوية ، ثم ملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، ثم ابنه عبد الملك ، ثم الوليد بن عبد الملك ، ثم أخوه سليمان ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد ، ثم يزيد بن الوليد الناقص ، ثم أخوه إبراهيم وهو ابن الوليد أيضاً ، ثم مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار ، وكان آخرهم ، فكان[٢] أولهم اسمه مروان وآخرهم اسمه مروان ، [ثم انقرضوا من أولهم إلى خاتمهم][٣] . وكان أول خلفاء بني العباس السفاح واسمه عبد الله ، وآخرهم المستعصم واسمه عبد الله[٤] . وكذلك أول خلفاء الفاطميين اسمه عبد الله المهدي[٥] ، وآخرهم عبد الله العاضد ، وهذا اتفاق غريب جداً قَلَّ مَنْ يَتَنَبَّهُ له ، والله سبحانه أعلم .

وهذه أرجوزة لبعض الفضلاء ذكر فيها جميعَ الخلفاء : [من الرجز]

الحمـدُ للهِ العظيـمِ عـرشُـهُ ... القـاهـرِ الفـردِ القـويّ بطشُـهُ
مُقَلِّـبِ الأيـامِ والـدُّهـورِ ... وجـامـعِ الأنـامِ للنشـورِ
ثـمَّ الصـلاةُ بـدوامِ الأبـدِ ... على النبيِّ المُصطفى محمدِ
وآلـه وصحبـهِ الكـرام ... السَّـادةِ الأئمـةِ الأعـلامِ
وبعـدُ فـإنَّ[٦] هـذهِ أرجـوزَهْ ... نظمتُهـا لطيفـةً وجيـزهْ
نظمتُ فيها الرَّاشدينَ الخُلفا ... مَنْ قَامَ بَعْدَ النبيِّ المُصْطَفَى[٧]
وَمَـنْ تـلاهُـمْ وهَلُـمَّ جـرّا ... جَعَلْتُهـا تَبْصِـرَةً وذِكْـرى
ليعلـمَ العـاقـلُ ذو التصـويـرِ ... كيـفَ جرتْ حـوادثُ الأمـورِ

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢١٨١٦) و(١٢٨٢٠) و(٢١٨٢٥) والترمذي رقم (٢٢٢٦) وأبو داود رقم (٤٦٤٦) من حديث سفينة رضي الله عنه ، وهو حديث حسن .

(٢) أ ، ب : وكان .

(٣) عن ط وحدها .

(٤) العبارة في ط : وكان أول خلفاء بني العباس عبد الله . السفاح وآخرهم عبد الله المستعصم .

(٥) ط : العاضد ؛ تصحيف وترجمته في وفيات الأعيان (٣/١١٦ ـ ١١٩) .

(٦) عن ط وحدها ، ولا يستقيم بها الوزن ، فلو قيل : وبعدَ هذا هذه أرجوزة ، لاستقام الوزن .

(٧) ولا يستقيم الوزن ، ولو قيل : ومنهمُ بعدَ النبيِّ المصطفى ، لاستقام الوزن .

وكـــلُّ ذي مقـــدرةٍ ومُلْـــكِ مُعَـــرَّضـــونَ للفنـــا والهلـــكِ
وفـي اختـلافِ اللَّيـلِ والنَّهـارِ تبصـــرةٌ لكـــلِّ ذي اعتبـــارِ
والملِـكُ الجبَّـارُ فـي بـلادهِ يـورثُـهُ مـن شـاء مـن عبـادهِ
وكـــلُّ مخلـــوقٍ فللفنـــاء وكـلُّ مُلـكٍ فـإلـى انتهـاءِ
ولايـدومُ غيـرُ مُلْـكِ البـاري سبحـانَـهُ مـن ملـكٍ قهّـارِ
منفـردٌ بـالعـزِّ والبقـاءِ ومـا سـواهُ فـإلـى انقضـاءِ
أولُ مَـنْ بُـويـعَ بـالخـلافـهْ بعـدَ النبـيِّ ابـنُ أبـي قُحـافـهْ[(١)]
أعنـي الإمـامَ الهـاديَ الصِّـدِّيقـا ثم ارتَضَى من بعده الفاروقا[(٢)]
ففتـــحَ البـــلادَ والأمصـــارا واستـأصَلَـتْ سيـوفُـهُ الكُفّـارا
وقـامَ بـالعـدلِ قيـامـاً يُـرْضـي بـذاكَ جبَّـارَ السمـا والأرضِ
ورَضِيَ النَّاسُ بذي النُّورين[(٣)] ثـمَّ علـيٌّ[(٤)] والـد السِّبْطَيْـنِ
ثُمَّ أتَتْ كتائبٌ مَعَ الحسنْ[(٥)] كـادوا بـأن يجـدّدُوا بهـا الفِتَـنْ
فـأصلـحَ الله علـى يَـدَيْـهِ كمـا عـزا نبيّنـا إليـهِ
وأجمعَ[(٦)] الناسُ على معاويَهْ[(٧)] ونَقَـلَ القِصَّـةَ كـلُّ راويَـهْ
فمهّـدَ المُلـكَ كمـا يُـريـدُ وقـامَ فيـهِ بعـدَهُ يَـزيـدُ[(٨)]
ثـم ابنُـهُ وكـانَ بَـرّاً راشـداً أعنـي أبـا ليلـى[(٩)] وكـانَ زاهِـدا

---

(١) بويع بالخلافة ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ ومدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً مروج الذهب (١/ ٥١٥) وزامباور (١) .

(٢) بويع عمر رضي الله عنه بالخلافة في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال ، مروج الذهب (١/ ٥٢١) .

(٣) بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة في ٢٩ ذي الحجة سنة ٢٣هـ وكانت خلافته رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة إلا ثمانية أيام . مروج الذهب (١/ ٥٤٣) وزامباور (١) .

(٤) بويع علي كرم الله وجهه في ١٧ ذي الحجة سنة ٣٥هـ وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام . مروج الذهب (١/ ٥٥٧) وزامباور (١) .

(٥) بويع الحسن رضي الله عنه في رمضان سنة أربعين .

(٦) ط : وأجمع .

(٧) بويع معاوية رضي الله عنه في شوال سنة ٤١هـ وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر . مروج الذهب (٢/ ٣) وزامباور (١) . وفيه : تولى معاوية الحكم في ربيع الأول .

(٨) بويع يزيد الأول في رجب سنة ٦٠هـ وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثماني ليال . مروج الذهب (٢/ ٤١) وزامباور (١) .

(٩) بويع معاوية الثاني بن يزيد في ١٥ ربيع الأول سنة ٦٤هـ وكانت أيامه أربعين يوماً وقيل شهرين وقيل غير ذلك . =

فتَـــرَكَ الإمْـــرَةَ لا عَـــنْ غَلَبَـــهْ ولـــم يكـــنْ إليهـــا منـــهُ طَلَبَـــهْ
وابـنُ الـزُّبيـرِ[١] بـالحجازِ يَـدأَبُ فـي طلـبِ المُلْـكِ وفيـه ينصَـبُ
وبـالشـآمِ بـايعـوا مـروانـا[٢] بحكـم مَـنْ يقـولُ كُـنْ فكَـانـا
ولـم يَـدُم فـي المُلْكِ غَيْـرَ عـام وعـاقَصَتْـهُ[٣] أسهـمُ الحمـامِ
واستوسقَ المُلْكُ لعبدِ المَلِك[٤] ونـارُ نَجْـمِ سعـدِهِ فـي الفُلْـكِ
وكـلُّ مَـنْ نـازَعَـهُ فـي المُلْـكِ خَـرَّ صـريعـاً بسيـوفِ الهُلْـكِ
فقتَـلَ[٥] المُصْعَـبَ بـالعـراقِ وسَيَّـرَ الحَجّـاجَ ذا الشِّقـاقِ
إلـى الحجـازِ بسُيـوفِ النِّقـمِ وابـنُ الـزُّبَيْـرِ لائـذٌ بـالحـرَمِ
فجـار[٦] بعـدَ قتلـه بصَلْبِـه ولـم يَخَـفْ فـي أمـرهِ مـن ربِّـهِ
وعِنْـدَمـا صَفَـتْ لـهُ الأُمـورُ تقَلَّبَـتْ مـن تحتـه[٧] الـدُّهُـورُ
ثُـمَّ أتـى مِـنْ بَعْـدِهِ الـوليـدُ[٨] ثُـمَّ سُليمـان[٩] الفَتـى الـرَّشيـدُ
ثُمَّ استفاضَ في الورى عَدْلُ عُمر[١٠] تـابَـعَ أمـرَ رَبِّـهِ كمـا أمَـرْ
وكـانَ يُـدْعَـى بـأشـجِّ القـومِ وذي الصـلاةِ والتُّقـى والصَّـومِ

= مروج الذهب (٢/ ٥٧) وزامباور (١) .
(١) عبد الله بن الزبير رضي الله عنه من ربيع الثاني ٦٤هـ إلى جمادى الأولى ٧٣هـ وكانت ولايته ٩ سنين مروج الذهب (٢/ ٧١) وزامباور (١) .
(٢) بويع مروان الأول بن الحكم في ٣ ذي القعدة إلى ٦٤هـ وكانت أيامه ستة أشهر وأياماً وقيل ثمانية أشهر وقيل غير ذلك مروج الذهب (٢/ ٦٩) وزامباور .
(٣) أ : عاصفته . وعقص أمره إذا لواه ولبّسه . اللسان (عقص) .
(٤) بويع عبد الملك بن مروان في غرة شهر رمضان وقيل في ٢٧ رمضان سنة ٦٥هـ وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً . مروج الذهب (٢/ ٧١) وزامباور .
(٥) ط : وقتل .
(٦) أ ، ب : فجا بعد قتله .
(٧) ط : تقلبت بجسمه . وجاء هذا البيت بعد الذي يليه في أ ، ب .
(٨) تولى الوليد الأول بن عبد الملك في النصف من جمادى الآخرة سنة ٨٦هـ وفي زامباور في ١٤ شوال مروج الذهب (٢/ ١٢١) .
(٩) تولى سليمان بن عبد الملك في النصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ وكانت أيامه سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال . مروج الذهب (٢/ ١٢٥) .
(١٠) تولى عمر بن عبد العزيز في ١٠ صفر سنة ٩٩هـ وكانت مدته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام . مروج الذهب (٢/ ١٤٣) وزامباور .

فجـاءَ بـالعَـدْلِ وبـالإحْسـانِ[١] وكـفَّ أهـلَ الظلـمِ والطُّغيـانِ
مُقْتَـديـاً بسُنَّـةِ الـرَّسـولِ والـرَّاشـديـنَ مـن ذَوِي العُقُـولِ
فَجَـرَعَ الإسـلامُ كـأسَ فَقْـدِه ولـم يَـرَوْا مِثْـلاً لـهُ مِـنْ بَعْـدِهِ
ثُـمَّ يَـزيـدُ[٢] بَعْـدَهُ هِشـامُ[٣] ثُـمَّ الـوليـدُ[٤] فُـتَّ منـه الهـامُ
ثُمَّ يـزيـد[٥] وهـو يُـدْعَى النَّـاقِصا فجـاءَهُ حِمـامُـهُ مغـافصـا[٦]
ولـم[٧] تَطُـلْ مُـدَّةُ إبـراهيمـا[٨] وكـانَ كـلُّ أمْـرِهِ سقيمـا
وأُسْنِـدَ المُلْـكُ إلـى مـرْوانـا[٩] فكـانَ مـن أُمـورهِ مـا كـانـا
وانقـرضَ المُلْـكُ علـى يَـدَيْـهِ وحـادثُ الـدَّهْـرِ سَطَـا عَلَيْـهِ
وقَتْلُـهُ قَـدْ كـانَ بـالصَّعيـدِ ولَـمْ تُفِـدْهُ[١٠] كثـرةُ العَـديـدِ
وكـانَ فيـهِ حَتْـفُ[١١] آلِ الحَكَـم وانْتُزِعَتْ[١٢] عنهم ضروبُ[١٣] النِّعَم
ثـم أتـى مُلْـكُ بنـي العَبَّـاسِ لا زالَ فينـا ثـابـتَ الأسـاسِ
وجـاءَت البيعـةُ مـن أرضِ العَجَـمْ وقَلَّـدتْ بَيْعَتَهُـمْ كُـلُّ الأُمَـمْ
وكـلُّ مَـنْ نـازعَهُـمْ مـن أُمَـمِ خَـرَّ صَـريعـاً لليَـدَيْـنِ والفَـمِ

(١) ط : والإحسان .
(٢) تولى يزيد الثاني بن عبد الملك في ٥ رجب سنة إحدى ومئة . مروج الذهب (٢/ ١٥٣) وزامباور وفيه : ٢٠ رجب .
(٣) تولى هشام بن عبد الملك لخمس بقين من شوال سنة ١٠٥هـ . مروج الذهب (٢/ ١٦١) وزامباور وفيه ٢٦ شعبان .
(٤) تولى الوليد الثاني بن يزيد لست خلون من ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ . مروج الذهب (٢/ ١٦٧) وزامباور (١) .
(٥) تولى يزيد الثالث بن الوليد في سبع بقين من جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ . مروج الذهب (٢/ ١٧٣) وزامباور (١) وفيه : ٢٧ جمادى الآخرة .
(٦) ط : معافضا . وأ : مغاصفا . والمغافصة : المباغتة .
(٧) أ ، ب : فلم .
(٨) تولى إبراهيم بن الوليد في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٦هـ وكانت مدته أربعة أشهر وقيل شهرين . مروج الذهب (٢/ ١٧٣) وزامباور (١) .
(٩) تولى مروان الثاني بن محمد الحمار في ١٤ صفر سنة ١٢٧هـ وكانت أيامه خمس سنين وعشرة أيام وقيل خمس سنين وثلاثة أشهر . مروج الذهب (٢/ ١٨٣) وزامباور (١) .
(١٠) أ : ولم يغيره .
(١١) أ : حيف .
(١٢) ط : واستنزعت .
(١٣) أ ، ب : صروف .

وقَـدْ ذَكَـرْتُ مَـنْ تَـوَلّـى مِنْهُـمُ حيـنَ تَـوَلّـى القـائـمُ المُسْتَعصِـمُ
أوَّلُهُـم يُنْعَـتُ بـالسَّفـاحِ[١] وبَعْـدَهُ المَنْصُـورُ[٢] ذو النَّجـاحِ[٣]
ثُـمَّ أتـى مـن بعـدهِ[٤] المهـديّ[٥] يَتْلُـوهُ مـوسـى[٦] الهـاديُ[٧] الصفيُّ
وجـاءَ هـارونُ الـرشيـدُ[٨] بَعْـدَهُ ثُـمَّ الأميـنُ[٩] حيـنَ ذاقَ فَقْـدَهُ
وقـامَ بعـدَ قَتْلـه المـأمـونُ[١٠] وبعـده المُعْتَصِـمُ[١١] المَكيـنُ
واستُخلِفَ الواثقُ[١٢] بعد المُعْتَصِم ثُـمَّ أخوهُ جعفرٌ[١٣] مُـوفي الـذِّمَـمْ
وأخْلَـصَ النيـةَ فـي المُتـوكِّـلِ للهِ ذي العَـرْشِ القَـديـمِ الأولِ[١٤]
فـأدْحَـضَ البـدعـة فـي زمـانـهِ وقـامـتِ السُّنَّـةُ فـي أوانـهِ

(١) تولى أبو العباس عبد الله السفاح بن محمد في ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢هـ وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوماً مروج الذهب (٢/ ١٩٩) وزامباور .

(٢) تولى أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد في ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦هـ وكانت خلافته ٢٢ سنة إلا تسعة أيام . مروج الذهب (٢/ ٢٢٣) وزامباور .

(٣) ط : ذو الجناح .

(٤) أ ، ب : ثم أتى محمد المهدي .

(٥) تولى أبو عبد الله محمد المهدي بن المنصور لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومئة وكانت خلافته عشر سنين وشهراً وخمسة عشر يوماً . مروج الذهب (٢/ ٢٤٥) وزامباور .

(٦) تولى موسى الهادي بن المهدي لسبع بقين من المحرم سنة ١٦٩هـ وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر . مروج الذهب (٢/ ٢٥٧) وزامباور (٣) .

(٧) كذا في الأصول ، ولا بد من ارتكاب ضرورة ظهور الضمة على الاسم المنقوص ليستقيم الوزن .

(٨) تولى هارون الرشيد الخلافة اثنتي عشرة بقين من ربيع الأول سنة سبعين ومئة وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر وقيل غير ذلك . مروج الذهب (٢/ ٢٦٧) وزامباور وفيه ١٦ ربيع الأول .

(٩) تولى محمد الأمين بن الرشيد الخلافة لأربع ليال خلون من جمادى الأولى سنة ١٩٣هـ وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وقيل تسعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وستة أيام . مروج الذهب (٢/ ٣٠٧) وزامباور (٣) .

(١٠) تولى عبد الله المأمون بن الرشيد ٢٦ محرم سنة ١٩٨هـ وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة . مروج الذهب (٢/ ٣٢٩) وزامباور (٣) .

(١١) تولى محمد المعتصم بالله بن الرشيد لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨هـ وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر . مروج الذهب (٢/ ٣٦١) وزامباور (٣) .

(١٢) تولى الواثق بالله هارون بن المعتصم الخلافة لثماني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً . مروج الذهب (٢/ ٣٧٥) وزامباور (٣) .

(١٣) تولى جعفر المتوكل على الله بن المعتصم لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢ وكانت مدته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال . مروج الذهب (٢/ ٢٩١) وزامباور (٣) .

(١٤) في أ ، ب : الأزلي .

ولـم يُبَـقِّ بِـدْعـةً مُضِلَّـهْ وألْبَـسَ المُعْتَـزلـيَّ ذِلَّـهْ[١]
فـرَحْمَـةُ اللهِ عليـهِ أبـدا مـا غـارَ نجـمٌ فـي السمـاءِ أو بَـدَا
وعنـدمـا اسْتُشهِـدَ قـامَ المُنْتَصِـرْ[٢] والمُسْتَعيـنُ[٣] بعـدَه كمـا ذُكِـرْ
وجـاءَ بعـدَ مـوتِـه المُعْتَـزُّ[٤] والمُهْتَـدي[٥] المُلْتَـزِمُ[٦] الأعَـزُّ
وبعـده استـولـى وقـامَ المعتمِـدْ[٧] ومَهَّـدَ الملـكَ وسـاسَ المُعْتَضِـدْ[٨]
والمكتفي[٩] في صُحفِ العليا سطِرْ[١٠] وبعـدَه سـاسَ الأمـورَ المقتـدرْ[١١]
واستـوثـقَ[١٢] الملـكُ بعزِّ القـاهـر[١٣] وبعـده الـراضـي[١٤] أخـو المفـاخـرِ

---

(١) رواية البيت في ط :

ولـم يبـق فيهـا بـدعـة مضلـة وألبـس المعتـزلـي ثـوب ذلـة

(٢) تولى محمد المنتصر بالله بن المتوكل لثلاث خلون من شوال سنة ٢٤٧هـ وكانت خلافته ستة أشهر . مروج الذهب (٢/ ٤٢٣) وزامباور (٣) .

(٣) تولى أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم الخلافة لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر . مروج الذهب (٢/ ٤٣٣) وزامباور (٣) .

(٤) تولى محمد المعتز بالله بن المتوكل ـ في المروج : الزبير بن المتوكل ـ الخلافة لليلتين خلتا من المحرم سنة ٢٥٢هـ ، وكانت مدته أربع سنين وستة أشهر . مروج الذهب (٢/ ٤٤٩) وزامباور (٣) .

(٥) وتولى محمد المهتدي بالله بن الواثق الخلافة لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥هـ ، وكانت خلافته أحد عشر شهراً . مروج الذهب (٢/ ٤٦١) وزامباور (٣) .

(٦) أ : الأكرم . وب : المكرم . والرواية الأولى تخل بالوزن .

(٧) تولى أحمد المعتمد على الله بن المتوكل الخلافة لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦هـ ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة . مروج الذهب (٢/ ٤٧٣) .

(٨) ط : المعتقد . وهو تحريف . وتولى أحمد المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل الخلافة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩هـ فكانت مدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين . مروج الذهب (٢/ ٤٩٥) وزامباور . وقد جاء هذا البيت في ط قبل بيتين وهو خطأ وما أثبته هو الأشبه .

(٩) تولى علي المكتفي بالله بن المعتضد الخلافة لثمان بقين من ربيع الآخر سنة ٢٨٩ هـ فكانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً وقيل غير ذلك . مروج الذهب (٢/ ٥٢٧) وزامباور (٣) .

(١٠) ط : في صحف العلا أسطر ولا يستقيم بها الوزن .

(١١) تولى جعفر المقتدر بالله بن المعتضد الخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ وكانت مدته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً . مروج الذهب (٢/ ٥٣٩) وزامباور(٣) .

(١٢) أ ، ب : واستوسق .

(١٣) تولى محمد القاهر بالله بن المعتضد الخلافة لليلتين بقيتا من شوال سنة ٣٢٠هـ وكانت مدته سنة وستة أشهر وستة أيام . مروج الذهب (٢/ ٥٥٣) وزامباور (٣) .

(١٤) تولى أحمد الراضي بالله بن المقتدر الخلافة لست خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ وكانت مدته ست سنين وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام . مروج الذهب (٢/ ٥٦١) وزامباور (٣) .

والمتقي[١] من بعد ذا المستكفي[٢] ثم المطيعُ[٣] ما بهِ من خُلْفِ
والطائعُ[٤] المطيع ثم القادر[٥] والقائمُ[٦] الزاهدُ وهو الشاكرُ
والمقتدي[٧] من بعدهِ المستظهرُ[٨] ثم أتى المسترشدُ[٩] الموقَّرُ
وبعدهُ الراشدُ[١٠] ثم المقتفي[١١] وحينَ ماتَ استنجدوا[١٢] بيوسفِ
والمُستضي[١٣] العادلُ في أفعالهِ الصادقُ الصدوقُ في أقوالهِ
والناصرُ[١٤] الشهمُ الشديدُ الباسِ ودامَ طول مكثهِ في الناسِ
ثم تلاهُ الظاهرُ[١٥] الكريمُ وعدلهُ كلٌّ بهِ عليمُ
ولم تَطُلْ أيامُهُ في المَمْلَكَهْ غيرَ شهورٍ واعترتْهُ الهَلَكَهْ
وعهدُهُ كانَ إلى المُسْتَنْصِرِ[١٦] العادلِ البرِّ الكريمِ العُنْصرِ
دامَ يسوسُ الناسَ سبعَ عَشْرهْ وأشهراً بعزماتٍ برّهْ[١٧]
ثمَّ توفي عامَ أربعينا وفي جُمادى صادفَ المنونا

---

(١) تولى إبراهيم المتقي لله بن المقتدر الخلافة لعشر خلون من ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ وكانت مدته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً وثلاثة وعشرين يوماً . مروج الذهب (٢/ ٥٧٣) وزامباور (٣) .
(٢) وتولى عبد الله المستكفي بالله بن المكتفي لثلاث خلون من صفر سنة ٣٣٣هـ وكانت مدة خلافته سنة وأربعة أشهر إلا أياماً .
(٣) تولى الفضل المطيع لله بن المقتدر الخلافة لسبع بقين من شعبان ـ عند زامباور ١٢ جمادى الآخرة ـ سنة ٣٣٤هـ . مروج الذهب (٢/ ٥٩٦) وزامباور (٣) .
(٤) تولى عبد الكريم الطائع لله بن المطيع الخلافة في ١٣ ذي القعدة سنة ٣٦٣هـ . زامباور (٣) ، في الأصل : والطائع الطائع ، ولا يستقيم الوزن .
(٥) تولى أحمد القادر بالله بن إسحاق بن المقتدر في ١٩ رجب سنة ٣٨١هـ . زامباور (٤) .
(٦) تولى عبد الله القائم بأمر الله بن القادر في ١١ ذي الحجة سنة ٤٢٢هـ . زامباور (٤) .
(٧) تولى عبد الله عدة الدين المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم في ١٣ شعبان سنة ٤٦٧هـ . زامباور (٤)
(٨) تولى أحمد المستظهر بالله بن المقتدي الخلافة في ١٥ المحرم سنة ٤٨٧هـ . زامباور (٤) .
(٩) تولى الفضل المسترشد بالله بن المستظهر في ١٦ ربيع الثاني سنة ٥١٢هـ . زامباور (٤) .
(١٠) تولى أبو جعفر المنصور الراشد بن المستظهر الخلافة سنة ١٧ ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ . زامباور .
(١١) تولى محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر الخلافة في ١٨ ذي القعدة سنة ٥٣٠هـ زامباور .
(١٢) تولى يوسف المستنجد بالله بن المقتفي الخلافة في ٢ ربيع الأول سنة ٥٥٥هـ . زامباور (٤) .
(١٣) تولى الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد في ٩ ربيع الثاني سنة ٥٦٦ . زامباور (٤) .
(١٤) تولى أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء الخلافة في ٢ ذي القعدة سنة ٥٧٥ . زامباور (٤) .
(١٥) تولى محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر الخلافة في ٣٠ رمضان سنة ٦٢٢ . زامباور (٤) .
(١٦) تولى أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر في ١٩ رجب سنة ٦٢٣ . زامباور (٤) .
(١٧) أ ، ب : وأشهر العزمات بره .

وبايع الخلائقُ المُسْتَعصِما[١] صلَّى عليه رَبُّنا وسلَّما
فأرسلَ الرسلَ إلى الآفاقِ يقضونَ بالبيعةِ والوفاقِ[٢]
وشرَّفوا بذكرهِ المنابرا ونشروا[٣] في جودهِ المفاخرا
وسارَ في الآفاقِ حسنُ سيرتهْ وعدلُهُ الزائدُ في رَعيَّتِهْ

(قال الشيخ[٤] عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى) : ثم[٥] قلت أنا بعد ذلك أبياتاً[٦] :

ثمَّ ابتلاهُ اللهُ بالتتارِ أتباع جَنْكيزِ خان الجبارِ
صحبتهُ ابنُ ابن له[٧] هولاكو فلم يكُنْ من أمْرِهِ فِكاكُ
فمزَّقُوا جنودَه وشملَهْ وقَتلوهُ نفسَهُ وأهلَهْ
ودمَّروا بغداد والبلادا وقتلوا الأحفادَ والأجدادا
وانتهبوا المالَ معَ الحريمِ ولم يخافوا سَطْوةَ العظيمِ
وغَرَّهُم نظارُهُ وحِلْمُهُ وما اقتضاهُ عَدْلُهُ وحُكْمُهُ
وشَغَرَتْ من بعدهِ الخلافهْ ولم يُؤرَّخْ مِثلها من آفهْ
ثم أقامَ الملكَ أعني الظّاهرا خليفةً أعني به المُسْتنصِرا[٨]
ثم ولي من بعد ذاكَ الحاكم[٩] مسيم بيبرسَ الإمامُ العالمُ
ثم ابنهُ الخليفةُ المستكفي[١٠] وبعضُ هذا للبيبِ يكفي
ثم ولي من بعدهِ جماعهْ[١١] ما عندَهم علمٌ ولا بضاعهْ

---

(١) تولى عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر في ١٠ جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ وقتله هولاكو في ١٤ صفر سنة ٦٥٦ وزامباور (٤)
(٢) رواية البيت في أ ب .
فبعث بحب الرسل في الآفاق يقضون بالبيعة وبالوفاق
(٣) أ ، ب : وبشروا .
(٤) أ ، ب : قال شيخ الإسلام عماد الدين .
(٥) ب : تمت ثم قلت بعد ذلك .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ط : ابن ابنه ؛ ولا يستقيم بها الوزن .
(٨) تولى أبو القاسم أحمد المستنصر بن الظاهر الخلافة في ١٣ رجب سنة ٦٥٩ . زامباور (٤) .
(٩) تولى أبو العباس أحمد الحاكم الأول بن الحسن القبي الخلافة في ٨ محرم سنة ٦٦١هـ زامباور (٤) .
(١٠) تولى أبو ربيعة المستكفي الأول بن الحاكم الخلافة في جمادى الآخرة من سنة ٧٠١هـ . زامباور (٤) .
(١١) أراد زامباور بعد المستكفي :
أ ـ أبو إسحاق إبراهيم الواثق الأول بن المستمسك بن الحاكم تولى في ٦ ذي القعدة سنة ٧٤٠هـ . =

خليفةُ الوقت الإمام[١] المعتضد[٢] ولا يكـــادُ الـــدهـــرُ مثلـــه يجـــدْ
فـــي حســـنِ خلـــقٍ واعتقـــادٍ وحلـــى وكيـــف لا وهـــو مـــن السِّيـــم[٣] الأُلـــى
ســـادوا البـــلادَ والعبـــاد[٤] فضـــلا وملـــؤوا الأقطـــارَ حكمـــاً عـــدلا
أولادُ عـــمِّ المُصْطفـــى محمـــدِ وأفضـــلُ الخلـــقِ بـــلا تـــردُّدِ
صلـــى عليـــهِ اللهُ ذو الجـــلالِ مـــا دامـــتِ الأيـــامُ واللَّيـــالـــي

فصـــل

والفاطِميُّـــونَ قليلـــو العِدَّهْ لكنَّهم مُدَّ لهم في المُدَّهْ
فملكُـــوا بضعـــاً وستيـــنَ سنَـــهْ من بعدِ مِيتَيْنِ وكانتْ كالسَّنَهْ[٥]
والعِـــدَّةُ أربـــع عشـــرةَ المهـــديُّ والقـــائـــمُ المنصـــورُ والمعـــديُّ[٦]
أعنـــي بـــه المُعـــزّ بـــانـــي القـــاهـــرهْ ثـــم العـــزيـــز الحـــاكـــمُ الكـــوافـــرهْ
والظـــاهـــرُ المستنصـــرُ المستعلـــي فالآمرُ الحافظُ عنه سوءُ الفعلِ[٧]
والظـــافـــرُ الفـــائـــزُ ثـــم العـــاضـــدُ آخـــرهـــمْ ومـــا لهـــذا جـــاحـــدُ
أُهْلِـــكَ بعـــدَ البضـــعِ والسِّتينـــا مـــن قبلهـــا خمسمئـــةْ سنينـــا
وقـــد رقمـــتُ العمـــرَ فـــوقَ الاســـمِ ومـــدة الـــدولـــةِ تحـــت الـــرســـم[٨]

= ب ـ أبو العباس أحمد الحاكم الثاني بن المستكفي تولى في ٢١ ذي الحجة سنة ٧٤٠هـ .

(١) أ : خليفة الوقت المعتضد . وفيها نقص ، وفي ط : ثم تولى وقتنا المعتضد .

(٢) هناك معتضدان .
ـ المعتضد الأول بن المستكفي تولى الخلافة في جمادى الآخرة سنة ٧٥٣ .
ـ والمعتضد الثاني بن المتوكل تولى الخلافة في ١٦ ذي الحجة سنة ٨١٦ .
وبينهما وبعدهما خلفاء آخرون ذكرهم زامباور في (ص٤ و٥) آخرهم المتوكل الثالث الذي تولى الخلافة في سنة ٩٢٣ .

(٣) في أ : من القسم الأولى .

(٤) أ ، ب : سادوا العباد والبلاد فضلاً .

(٥) رواية ب للشطر الثاني : من بعد سنين وكانت كالسنة ، ورواية ط : من بعده مئتين وكانت كالسنة . والأولى مخلة بالمعنى والثانية بالوزن .

(٦) فوق هذه اللفظة في أ : (٣٠) وكذا فوق كثير من ألفاظها ولم أصل إلى تفسير ذلك .

(٧) ولا يستقيم الوزن . فلو قيل : فالآمر الحافظ سوء الفعل ، لاستقام الوزن .

(٨) انتهت القصيدة في ط على الشكل التالي :
وأصلهم يهود ليسوا شرفا بـذاك أفتـى السـادة الأئمـة
أنصار دين الله من ذي الأمة

وقد بسطنا ذاك فيما سلفا   وأصلهم يهود ما هم شرفا
كذاك أفتى السادة الأئمَّهْ   أنصار دين الله من ذي الأُمَّهْ

فصل

وهكذا خُلفا بَني أمية   عِدَّتُهم كعدةِ الرفضية[(١)]
ولكن المُدَّةُ كانتْ ناقصهْ   عن مئةٍ من السِّنينَ خالصَهْ
وكُلُّهم قدْ كانَ ناصِبيّا   إلا الإمامَ عمرَ التَّقِيّا
مُعاويهْ ثمَّ ابنُه يزيدُ   وابنُ ابنِه معاويهْ السَّديدُ
مروانُ ثمَّ ابْنٌ لهَ عَبْدُ الملكْ   منَابذٌ لابن الزُّبيرِ حتى هُلِكْ
ثمَّ استقلَّ بعده بالملكِ   في سائرِ الأرضِ بغَيْرِ شَكِّ
ثمَّ الوليدُ النَّجْلُ باني الجامعِ   وليسَ مِثْلَ شَكْلِهِ من جامعِ[(٢)]
ثمَّ سُلَيْمانُ الجوادُ وعمرْ   ثم يَزيدُ وهشامُ وغُدَرْ[(٣)]
أعني الوليدَ بن يزيدَ الفاسقا   ثم يزيدَ بن الوليدِ فائقا
يُلقَّبُ الناقصَ وهو كاملُ   ثمَّت[(٤)] إبراهيمُ وهو عاقل[(٥)]
ثُمَّ مروانُ الحمارُ الجَعْدي   آخرهم فاظفرْ بذا من عندي[(٦)]
والحمدُ للهِ على التَّمامِ   كذا نحمدُهُ على الإنعامِ[(٧)]
ثُمَّ الصلاةُ معْ تمامِ العَدَدِ   على النبيِّ المُصْطَفى مُحَمَّدِ
وآلهِ وصَحْبِه الأخْيارِ   في سائرِ الأوقاتِ والأعصارِ
وهذه الأبياتُ نظمُ الكاتبِ   ثمانيهْ[(٨)] تتمَّةُ المناقبِ

---

(١) ط : الرافضيَّة .
(٢) ط : وليس مثله بشكله جامع . ولا يستقيم بها الوزن .
(٣) في أ : وعزر ، وفي ب : وغرر ؛ كلاهما تحريف . قال شمر : رجل غُدَرٌ أي غدّار اللسان (غدر) .
(٤) ط : ثم إبراهيم ؛ ولا يستوي فيها الوزن .
(٥) أ : صائل ، وفي ب : عامل .
(٦) أ ، ب : من بعدي .
(٧) هذا البيت وما بعده إلى آخر القصيدة لم ترد في أ ولا في ب ، وكان في الأصل : كذاك ، ولا يستقيم بها الوزن .
(٨) كذا في ط ولا وجه لها في الوزن ولا في المعنى .

وممن قتل مع الخليفة :

واقف الجوزية بدمشق[١] . وممن قتل مع الخليفة [واقف الجوزية بدمشق][٢] أستاذ دار الخلافة [الصاحب] محيي الدين يوسف[٣] بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن[٤] عبيد الله بن حُمّادَى[٥] بن أحمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر[٦] بن محمد بن أبي بكر الصديق القُرشي التَّيْمي البَكْري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجَوْزي[٧] ، ولد في ذي القعدة سنة ثمانين وخمسمئة ، ونشأ شاباً حسناً ، وحين توفي أبوه وعظ في موضعه فأحسن وأجاد وأفاد ، ثم تقدّم وولي[٨] حسبة بغداد مع الوعظ الفائق [الرائق] والأشعار

---

(١) ترجمة ـ ابن الجوزي ـ في مرآة الزمان (٨/ ٣٢٣) وذيل مرآة الزمان (١/ ٣٣٢ ـ ٣٤١) والمختصر في أخبار البشر (٣/ ١٩٧) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٥٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤) والعبر (٥/ ٢٣٧) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٤) وفوات الوفيات (٤/ ٣٥١ ـ ٣٥٣) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٥٨ ـ ٢٦١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٨) والمقصد الأرشد (٣/ ١٣٨) والدارس (٢/ ٢٩ ـ ٣١) ومختصر تنبيه الطالب (١٢٢) وشذرات الذهب (٧/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥) ومنادمة الأطلال (٢٢٧ ـ ٢٢٨) .

(٢) ليس ما بين الحاصرتين في أ .

(٣) ثمة خلاف كبير في نسب ابن الجوزي المتصل إلى أبي بكر رضي الله عنه وآثرت أن أذكر ما في أصولنا من خلاف دون ما في المصادر . مرآة الزمان (٨/ ٣٠٠) وذيل الروضتين (٢١) ووفيات الأعيان (٣/ ١٤٠) وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٩) والدارس (٢/ ٣١) .

(٤) أ : علي بن عبد الله بن عبد الله . وفي ب : بن علي بن عبيد الله بن عبد الله .

(٥) في أصولنا حماد . وقال ابن خلكان : حُمادى : بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الألف دال مهملة مفتوحة وياء مفتوحة .

(٦) في أ ، ب : النضر بن القاسم بن محمد .

(٧) في ذيل مرآة الزمان (٨/ ٣١٠) : ورأيت بخط دحية المغربي قال : وجعفر الجوزي منسوب إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة . وفي وفيات الأعيان الجوزي : بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها زاي هذه النسبة إلى فرضة الجوز وهو موضع مشهور ، ورأيت خطي في مسوداتي أن جده كان من مشرعة الجوز إحدى محال بغداد بالجانب الغربي والله أعلم .
وقال ابن رجب : واختلف في هذه النسبة فقيل إن جده جعفر نسب إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة . وفرضة النهر : ثلمته التي يستقى منها ، وفرضة البحر : محط السفن ، ذكر هذا غير واحد . قال المنذري : هو نسبة إلى موضع يقال له فرضة الجوز ، وذكر الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش : أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز . وقيل : بل كانت بداره في واسط جوزة لم يكن بواسط جوزة سواها . ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤٠٠) .
قال رياض : أرجح هذه الآراء ذلك الذي أورده سبطه لأنه أعرف من غيره بأصل جده .

(٨) ط : ثم لم يزل متقدماً في مناصب الدنيا فولي . وما هنا عن الأصلين الآخرين وعن الدارس الذي نقل ترجمة ابن الجوزي هذا نقلاً حرفياً عن ابن كثير .

الحسنة ، الرائقة[(١)] وولي تدريس الحنابلة بالمستنصرية سنة اثنتين وثلاثين وستمئة ، وكانت له تداريس[(٢)] أخر ، [ولما ولي مؤيد الدين ابن العلقمي الوزارة وشغر عنه الأستاذ دارية وليها عنه محيي الدين هذا][(٣)] وانتصب ابنه عبد الرحمن مكانه[(٤)] للحسبة والوعظ فأجاد [فيها وسار سيرة حسنة][(٥)] ، ثم كانت الحسبة تنتقل[(٦)] في بنيه الثلاثة [جمال الدين] عبد الرحمن ، [وشرف الدين] عبد الله ، و[تاج الدين] عبد الكريم . وقد قُتلوا معه في هذه السنة رحمهم الله . ولمحيي الدين هذا مُصنَّفٌ في مذهب أحمد ، وقد ذكر له ابن الساعي أشعاراً حسنة يُهنِّىء بها الخليفة في المواسم والأعياد ، تدلّ على فضيلة [تامة] وفصاحة [بالغة] ، وقد وقف [المدرسة] الجوزية بدمشق وهي من أحسن المدارس [وأوجهها] ، تقبَّل الله منه وأثابه الرحمة والجنة وإيانا وجميع المسلمين أجمعين آمين .

الصَّرْصَري[(٧)] المادح رحمه الله يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر عبد السلام الشيخ الإمام العلامة[(٨)] البارع الفاضل في أنواع من العلوم ، جمال الدين أبو زكريا الصرصري[(٩)] ، الشاعر[(١٠)] المادح الحنبلي الضرير البغدادي .

معظم شعره في مدح رسول الله ﷺ ، وديوانه في ذلك مشهورٌ معروفٌ غير[(١١)] منكر ، [ولد سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمئة . وسمع الحديث وحفظ الفقه واللغة] ، ويقال إنه كان يحفظ صحاحَ الجوهري

---

(١) في الدارس : الرائعة .
(٢) في الدارس : مدارس .
(٣) مكان ما بين الحاصرتين في ط : ولي أستاذ دار الخلافة وكان رسولاً للملوك من بني أيوب وغيرهم من جهة الخلفاء .
(٤) ليست في الدارس .
(٥) ما بين الحاصرتين في أ ، ب : فأجاد فيها وشعر أيضاً حسناً . وما هنا عن الدارس .
(٦) في الدارس : تنقل .
(٧) ترجمة ـ الصرصري ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٢٥٧ ـ ٣٣٢) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٥١) وفوات الوفيات (٤/ ٢٩٨ ـ ٣١٩) ونكت الهميان (٣٠٨) الإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٤) والعبر للذهبي (٥/ ٢٣٧) والنجوم الزاهرة (٣/ ٦٦ ـ ٦٧) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) والمقصد الأرشد (٣/ ١١٤ ـ ١١٥) وشذرات الذهب (٧ ـ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) .
(٨) ب : العالم .
(٩) قال ابن العماد : الصرصري : نسبة إلى صَرْصَر ـ بفتح الصادين المهملتين ـ قرية على فرسخين من بغداد . الشذرات (٧/ ٤٩٣) .
(١٠) ط : الفاضل .
(١١) أ ، ب : وشعره في مدائح رسول الله ﷺ وديوانه في ذلك مشهور معروف غير منكور .

[بتمامه في اللغة][١] . وصحب الشيخ علي بن إدريس[٢] تلميذ الشيخ عبد القادر[٣] ، وكان ذكياً [يتوقد نوراً ، وكان][٤] ينظم على البديهة سريعاً أشياءَ حسنةً فصيحةً بليغةً ، وقد نظم الكافي الذي ألفه[٥] موفق الدين بن قدامة][٦] ، ومختصر الخِرَقي ، وأما مدائحه في رسول الله ﷺ ، فيقال إنها تبلغ عشرين مجلداً ، [وما اشتهر عنه أنه مدح أحداً من المخلوقين من بني آدم إلا الأنبياء][٧] ، ولما دخل التتار بغداد دُعي إلى دارٍ بها[٨] كرمون[٩] بن هلاكو فأبى أن يجيبَ إليه ، وأعدَّ في داره حجارةً فحين دخلَ عليه التتار رماهُم بتلك الأحجار فهشَّم منهم جماعةً ، فلما خلصوا إليه قتلَ بعكازه أحدهم ، ثم قتلوه[١٠] شهيداً رحمه الله تعالى ، وله من العمر ثمانٍ وستّون سنةً . وقد أورد له [الشيخ] قطب الدين اليونيني من ديوانه قطعة صالحة في ترجمته في « الذيل »[١١] استوعب حروف المعجم ، وذكر [غير ذلك][١٢] قصائدَ طوالاً كثيرة حسنة ، رحمه الله تعالى .

البهاء زُهَير[١٣] صاحب الديوان[١٤] ، وهو زُهَير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسين[١٥] بن جعفر

---

(١) مكان ما بين الحاصرتين في أ ، ب : بكمالها .
(٢) علي بن إدريس اليعقوبي الزاهد صاحب الشيخ عبد القادر عابد ربّاني متألّه بعيد الصيت . العبر (٥/ ٧٧) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٥٥) .
(٣) توفي الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله سنة ٥٦١ . سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٣٩) .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) أ ، ب : الكافي للشيخ موفق الدين .
(٦) تقدمت ترجمة الموفق المقدسي في حوادث سنة ٥٢٠ من هذا الجزء .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ط : ذارئها ، وهو تحريف .
(٩) أ ، ب : قرمان . ولهولاكو سبعة عشر ذكراً ذكر بعضهم اليونيني في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٥٩) وابن شاكر الكتبي في فواته (٤/ ٢٤١) وابن تغري بردي في نحو من (٧/ ٢٢١) واستدرك محقق الفوات بقية الأسماء وليس بينهم قرمان أو كرمون المذكور أعلاه .
(١٠) أ ، ب : وقتلوه .
(١١) ذيل مرآة الزمان (١/ ٢٥٦ ـ ٣٣٢) .
(١٢) عن ط وحدها .
(١٣) ترجمة ـ البهاء زهير ـ في ذيل الروضتين (٢٠١) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٨) ، وذيل مرآة الزمان (١ ـ ١٨٤ ـ ١٩٧) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨١٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦) والعبر (٥/ ٣٣٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٢ ـ ٦٣) وحسن المحاضرة (١/ ٥٦٧) وشذرات الذهب (٧/ ٤٧٦ ـ ٤٧٨) والأعلام (٣/ ٥٢) ومعجم المؤلفين (٤/ ١٨٧) .
(١٤) طبع ديوانه في بيروت دار صادر سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م في ٤١٥ صفحة .
(١٥) كذا في أصولنا . وفي ذيل الروضتين ، ووفيات الأعيان ، والنجوم ، وحسن المحاضرة : الحسن ، وهو الصواب .

[بن منصور بن عاصم] المُهَلَّبي[١] العتكي المصري ، ولد بمكة ونشأ بقوص ، وأقام بالقاهرة ، الشاعر المطبق الجواد في حسن الخط ، له ديوان مشهور ، وقدم على[٢] السلطان [الملك] الصالح [نجم الدين] أيوب ، وكان غزيرَ المروءة حسنَ التوسُّط في الخير إلى الناس ، ودفعِ الشرِّ عنهم ، وقد أثنى عليه [القاضي شمس الدين] ابن خلِّكان[٣] وقال : أجاز لي رواية ديوانه [وهو مشهود] ، وقد بسط ترجمته [الشيخ] قطب [الدين] اليونيني .

الحافظ زكي الدين المنذري[٤] عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد ، الإمام العلاَّمة الحافظ أبو محمد زكي[٥] الدين المُنْذري الشافعي المصري ، أصله[٦] من الشام [ولكنه] ولد بمصر ، وكان شيخَ الحديث بها مدةً طويلةً ، إليه الوفادةُ والرحلةُ من سنين متطاولةٍ ، [وقيل إنه[٧] ولد بالشام سنة إحدى وثمانين وخمسمئة ، وسمع الكثير ورحل وطلب وعني بهذا الشأن ، حتى فاق أهل زمانه فيه ، وصنَّف وخرَّج ، واختصر « صحيح مسلم » ، و« سنن أبي داود » ، وهو أحسنُ اختصاراً من الأول ، وله اليدُ الطُّولى[٨] في اللغة والفقه والتاريخ ، وكان ثقةً حجةً متحرّياً زاهداً ، وتوفي يوم السبت رابع[٩] ذي القعدة من هذه السنة بدار الحديث الكاملية بمصر . ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

النور أبو بكر محمد[١٠] بن محمد بن عبد العزيز[١١] بن عبد الرحيم بن رستم الأسعردي[١٢] الشاعر

---

(١) ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) وفيات الأعيان (٢/ ٣٣٦) .
(٤) ترجمة ـ المنذري ـ في ذيل الروضتين (٢٠١) وذيل مرآة الزمان لليونيني (١/ ٢٤٨ ـ ٢٥٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٢٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣١٩) والعبر (٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) والوافي بالوفيات (٩/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) وطبقات السبكي (٨/ ١٣١) وطبقات الإسنوي (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) وشذرات الذهب (٧/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠) ، وللدكتور بشار عواد معروف كتاب عنه طبع بالنجف سنة ١٩٦٨ .
(٥) ط : العلامة محمد أبو زكي الدين ؛ وهو خطأ .
(٦) أ ، ب : وأصله .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) أ ، ب : وله يد طولى .
(٩) أ ، ب : الرابع من ذي القعدة .
(١٠) في أصولنا : أبو بكر بن محمد ، وما هنا عن مصادره ، وفي الفوات : محمد بن محمد . وقيل محمد بن عبد العزيز ابن عبد الصمد بن رستم الإسعردي ، وفي الشذرات : نور الدين محمد بن محمد بن رستم .
(١١) ترجمة ـ النور الإسعردي ـ في ذيل الروضتين (١٩٩) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٤١) والوافي (١/ ١٨٨) ونكت الهميان (٢٥٥) وفوات الوفيات (٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٦) وشذرات الذهب (٧/ ٤٩١) .
(١٢) في ط : الأشعري ؛ وهو تحريف . وأسعرد ذكرها كي لوسترنج في بلدان الخلافة (١٤٥) وقال إنها تقع فوق مصب نهر بدليس جنوب بحيرة وان كانت تعد من أعمال إرمينية .

المشهور الخليع ، كان القاضي صدر الدين بن سَنِيّ[(١)] الدولة قد أجلسه مع الشهود[(٢)] تحت الساعات ، ثم استدعاه الناصر صاحب البلد فجعله[(٣)] من جلسائه وندمائه ، وخلع عليه خلع[(٤)] الأجناد ، فانسلخ من هذا الفن إلى غيره ، وجمع كتاباً سماه « الزَّرَجُون في الخَلاعة والمُجُون » وذكر فيه أشياء كثيرة من النظم والنثر والخلاعة ، ومن شعره [الذي لا يحمد][(٥)] : [من الخفيف]

لـذَّةُ العُمـرِ خَمْسَـةٌ فـاقْتَنِيها مِـنْ خَليـعٍ غَـدا أديبـاً فَقيهـا

فـي نَـديـمٍ وقَيْنَـةٍ وحَبيـب ومُـدامٍ وسَـبِّ مَـنْ لام فيهـا

الوزير[(٦)] ابن العلقمي [الرافضي قبحه الله][(٧)] ، محمد بن أحمد[(٨)] بن محمد بن علي بن أبي طالب ، الوزير مُؤَيَّد الدين أبو طالب ابن العلقمي ، وزير المُسْتَعصم البغدادي .

وخدم في زمان المستنصر[(٩)] أستاذ دار الخلافة مدة طويلة ، ثم استوزره المستعصم [ولم يكن وزير صدق] بل[(١٠)] كان [وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين][(١١)] ، مع أنه من الفضلاء في الإنشاء والأدب، وكان[(١٢)] رافضياً خبيثاً رديء الطَّوية على الإسلام وأهله، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره[(١٣)] من الوزراء ، ثم مالأ على الإسلام وأهله للتتار أصحاب[(١٤)]

---

(١) ط : سناء الدولة ؛ تحريف . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٥٨هـ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٢) أ : قد أحبس . وفي ب : مع شهود .

(٣) أ ، ب : وجعله .

(٤) أ ، ب : خلقة الأجناد .

(٥) عن ط وحدها .

(٦) ترجمة ـ ابن العلقمي ـ في ذيل الروضتين (١٩٩) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٤١) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) والعبر (٥/ ٢٣٥) والوافي بالوفيات (٢/ ٣٤٥) وفوات الوفيات (٣/ ٢٥٢) ومرآة الجنان (٤/ ١٤٧) والجواهر المضيئة (٢/ ٤٥ ـ ٤٦) وغاية النهاية (٢/ ١٢٢ ـ ١٢٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٩) وشذرات الذهب (٧/ ٤٧٠ ـ ٤٧٣) .

(٧) عن ط وحدها .

(٨) قال الزركلي رحمه الله في الأعلام (٦/ ٢١٦ ـ ٢١٧) وقلت : والمصادر مختلفة في تسمية محمد بن أحمد أو محمد ابن محمد . ولعل الصواب الأول ، ومن سماه محمد بن محمد قد يلقبه بعز الدين . وعز الدين محمد ابنه ولي الوزارة للتتار بعده .

(٩) أ ، ب : وخدم في أيام المستنصر . وقد تقدمت ترجمة المستنصر في وفيات سنة ٦٤٠هـ من هذا الجزء .

(١٠) ليست « بل كان » في الأصول واستدركت للسياق .

(١١) عن ط وحدها .

(١٢) أ ، ب : فإنه كان من الفضلاء الأدباء لأنه كان .

(١٣) أ ، ب : عالم معين لكثير من قبله من الوزراء .

(١٤) ط : وأهله الكفار .

هولاكوخان[١] ، حتى فعل ما فعل بالإسلام وأهله مما تقدم ذكره[٢] ، ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة والذل على أيدي التتار الذين مالأهم وزال عنه ستر الله ، وذاق الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى[٣] ، وقد رأته امرأةٌ وهو في الذلّ والهوانِ وهو راكبٌ في أيام التتار برذوناً وهو مرسم عليه ، وسائقٌ يسوقُ به ويضرب فرسه ، فوقفتْ[٤] إلى جانبه وقالت له : يا بن العلقمي هكذا كان بنو العباس يعاملونك ؟ فوقعت كلمتها في قلبه وانقطع في داره إلى أن مات كمداً [وغبينة[٥] وضيقاً ، وقلة وذلة][٦] ، في مُستهلّ جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله من العمر ثلاثٌ وستون سنة ، ودُفن في قبور الرَّوافض ، وقد سمع بأُذنيه ، ورأى بعينيه من الإهانة من التتار والمسلمين ما لا يُحدّ ولا يُوصف . وتولَّى بعدَه ولدُه الخبيثُ الوزارةَ ، ثم أخذهُ الله أخذ القُرى وهي ظالمة سريعاً ، وقد هجاه بعض الشعراء فقال فيه : [من الكامل]

يا فرقةَ الإسلامِ نُوحوا واندبوا   أسفاً على ما حَلَّ بالمستعصمِ[٧]
دَسْتُ الوزارةِ كانَ قبلَ زمانهِ   لابنِ الفراتِ فصارَ لابنِ العَلْقَمي

محمد بن عبد الصَّمد بن عبد الله بن حَيْدرة[٨] فَتْحُ الدين أبو عبد الله العَدْل مُحْتَسِبُ دمشق .

كان مشكوراً[٩] حسن الطريقة ، وجدُّه العدل نجيب الدين أبو محمد عبد الله بن حيدرة[١٠] ، وهو واقف المدرسة التي بالزبداني في سنة تسعين وخمسمئة تقبَّل الله تعالى منه وجزاه خيراً .

القُرْطُبي[١١] صاحب « المفهم في شرح مسلم » أحمد بن عُمر بن إبراهيم بن عُمر أبو العباس الأنصاري القُرْطُبي المالكي الفقيه المُحَدِّث المُدَرِّس بالإسكندرية .

---

(١) أ ، ب : هولاكوقان .
(٢) أ ، ب : حتى جاؤوا فجاسوا خلال الديار وكان أمراً مفعولاً .
(٣) أ ، ب : ثم حصل له من الإهانة في أيامهم والقلة والذلة وزوال النعمة ما لا يحدّ ولا يوصف .
(٤) أ : رأته امرأة وهو راكب في أيام التتار برذوناً وسائق يضرب فرسه وبقيت إلى جانبه فقالت يا ابن هكذا كان بنو العباس يعاملونك .
(٥) الغبينة من الغَبْن كالشتيمة من الشتم . اللسان (غبن) .
(٦) ن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : أسفاً على ما حل المستعصم ، ولا يستقيم الوزن بها لأنها ناقصة .
(٨) ترجمة ـ فتح الدين بن العدل ـ في ذيل الروضتين (٢٠٠) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٤٠) والوافي بالوفيات (١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) وشذرات الذهب (٧/ ٤١١) .
(٩) أ ، ب : كان من الصدور المشكورين .
(١٠) الدارس (١/ ٢٧٥) .
(١١) ترجمة ـ القرطبي ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٩٥) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٧٩٥) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٤) والعبر (٥/ ٢٢٦) وحسن المحاضرة (١/ ٤٥٧) والشذرات (٧/ ٤٧٣) . ومقدمة «المفهم» المطبوع بدار ابن كثير ـ دمشق .

ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، وسمع الكثير هناك ، واختصر الصحيحين ، وشرح « صحيح مسلم » المسمى بـ« المفهم » ، وفيه أشياء حسنة مفيدة محرَّرة رحمه الله .

الكمال إسحاق بن أحمد بن عثمان(١) .

أحد مشايخ الشافعية ، أخذ عنه الشيخُ محيي الدين النَّووي(٢) ، وغيره ، وكان مُدَرِّساً بالرَّواحيّة(٣) ، توفي في ذي القعدة من هذه السنة(٤) .

العماد داود بن عمر بن يحيى بن عمر بن كامل(٥) أبو المعالي وأبو سليمان الزُّبَيْدي المَقدسي ثم الدمشقي خطيب بَيْت الآبار(٦) . وقد خطب بالأموي [بدمشق] ست سنين بعد [انفصال الشيخ عز الدين] بن عبد السلام [عنها] ، ودرَّس بالغزالية(٧) [ثم عزل عنها] ، ثم عاد إلى بيت الآبار فمات بها .

علي بن محمد الحسين(٨) صدر الدين أبو الحسن بن النيار شيخ الشيوخ ببغداد .

وكان أولاً مؤدباً للإمام المستعصم [بالله] ، فلما(٩) صارت الخلافة إليه نال الشيخ رفعة

---

(١) ترجمة ـ الكمال إسحاق ـ في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٨٠) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٦٣٥) والعبر (٥/ ٢٠٥) في وفيات سنة ٦٥٠ ، وكلاهما من شيوخ النووي وكلاهما مقدسي وزاد الأول عن الثاني بأنه مغربي ، وطبقات السبكي (٥/ ٥٠) ـ الحسينية ـ وطبقات الإسنوي (١/ ١٤١) والدارس (١/ ٢١ ، ٢٥ ثم٢٧٤) وشذرات الذهب (٧/ ٤٣٠) في وفيات ٦٥٠ .

(٢) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٧٦ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٣) قال ابن بدران : هي شرقي مسجد ابن عروة الذي هو بالجامع الأموي ولصيقه شمالي جيرون ، وغربي الزويلعية وقبلي السيفية الحنبلية . أقول : شاهدت موضع هذه المدرسة فرأيتها قد صارت داراً . منادمة الأطلال (١٠٠) .

(٤) أ ، ب : وكانت وفاته في ذي القعدة منها .

(٥) ترجمة ـ العماد الزبيدي ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ١٢٦) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٠٤) والعبر (٥/ ٢٢٩) وطبقات الإسنوي (١/ ١٤٢ ـ ١٤٣) والدارس (١/ ٤١٥) والشذرات (٧/ ٤٧٥) .

(٦) بيت الآبار : جمع بئر ، قرية يضاف إليها كورة في غوطة دمشق فيها عدة قرى ، وكان لها قاض ، وخرج منها غير واحد من رواة العلم ، وكانت تقع شرقي جرمانا . وظلت عامرة حتى القرن العاشر ثم خربت ، ويقال لخرائبها الآن تل أم الإبر ، وهي على نهر العقرباني بين المقسمين في طريق المليحة غربي دير خليل . معجم البلدان (١/ ٥١٩) وغوطة دمشق (١٢٠ و١٦٠) .

(٧) المدرسة الغزالية بالجامع الأموي ، شمالي مشهد عثمان . كانت أولاً تعرف بالشيخ نصر المقدسي ثم بالإمام أبي حامد الغزالي الذي أقام بها حين زار دمشق بعد أن منع من الإقامة في الخانقاه السميساطية ، وقد درّس بها عدد من العلماء منهم عماد الدين خطيب بيت الآبار . وتوقف التدريس بها من عهد تيمورلنك . الأعلاق الخطيرة (٢٤٦ ـ ٢٤٧) والدارس (١/ ٤١٣) ومختصره (٦٤ ـ ٦٥) ومنادمة الأطلال (١٣٤ ـ ١٣٥) .

(٨) ترجمة ابن النيار في تاريخ الإسلام (١٤/ ٨٣٢) وغيره (بشار) .

(٩) عن ط وحدها .

عظيمة ووجاهة هائلة ، وولي مشيخة الشيوخ ببغداد[(١)] رحمه الله تعالى .

وانضمت إليه[(٢)] أزمَّةُ الأمور ، ثم إنه ذُبح بدار الخلافة كما تُذبَحُ الشاةُ على أيدي التتار[(٣)] .

الشيخ العابد[(٤)] علي الخباز[(٥)] .

كان له أصحابٌ وأتباعٌ ببغداد ، وله زاوية يُزار فيها ، قَتَلَتْهُ التتارُ وأُلقي على مزبلة بباب زاويته ثلاثة أيام حتى أكلت الكلابُ من لحمه ، ويُقال إنه أخبر بذلك عن نفسه في حال حياته رحمه الله تعالى .

محمد بن إسماعيل[(٦)] بن أحمد بن أبي الفتح أبو عبد الله المقدسي[(٧)] خطيب مَرْدا[(٨)] .

سمع الكثيرَ ، وعاش تسعين سنةً ، وقدم[(٩)] في سنة ثلاث وخمسين فسمع الناس عليه الكثير بدمشق ، ثم عاد فمات ببلده [مَرْدا[(١٠)] في هذه السنة ، رحمه الله][(١١)] .

البدر لؤلؤ[(١٢)] صاحب الموصل ، الملقَّب بالملك الرَّحيم .

توفي[(١٣)] في شعبان [في هذه السنة] عن مئة سنة[(١٤)] وقد ملك الموصل نحواً من خمسين سنة ، وكان ذا عقل ودَهاء ومَكْر ، لم يزل يعمل على أولاد أستاذه حتى أبادهم ، وأزال الدولة الأتابكية عن

---

(١) ط : فلما صارت الخلافة إليه برهة من الدهور رفعه وعظمه وصارت له وجاهة عنده . وما هنا عن أ و ب .

(٢) أ ، ب : وانضمت عنده . وما هنا عن ط .

(٣) أ ، ب : كما تذبح الشاة في هذه السنة .

(٤) ط : الشيخ علي العابد الخباز ، وفي ب : الشيخ العابد عبد الجبار . وهو تحريف . وما هنا عن أ .

(٥) ترجمة ـ علي الخباز ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٨٣٣) والعبر (٥/ ٢٣٣) وشذرات الذهب (٧/ ٣٨٥) .

(٦) ترجمة ـ خطيب مردا ـ في سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٣٨) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٤) والعبر (٥/ ٢٣٥ والوافي بالوفيات (٢/ ٢١٩) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٩) والمقصد الأرشد (٢/ ٣٧٨) وشذرات الذهب (٧/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠) .

(٧) في أ ، ب : بن أحمد بن أبي عبد الله المقدسي . وفيها نقص . وفي جميع مصادر الترجمة : بن أبي الفتح .

(٨) في ط : (براد) تحريف . ومَرْدا ـ بالقصر ـ قرية قرب نابلس . معجم البلدان (٥/ ١٠٤) .

(٩) في ط : ولد وهو خطأ . لأنه ولد سنة ٥٦٦ كما قالت مصادره ، والمقصود زيارته لدمشق سنة ٦٥٣ ، أي قبل وفاته بثلاث سنين .

(١٠) في ط : برادا ؛ وهو تحريف تقدم التنويه عنه وتصحيحه .

(١١) عن ط وحدها .

(١٢) ترجمة ـ البدر لؤلؤ ـ في ذيل الروضتين (٢٠٣) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٦٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩) والعبر (٥/ ٢٤٠) ومرآة الجنان (٤/ ١٤٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٧٠) وشذرات الذهب (٧/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠) والصواب في وفاته سنة ٦٥٧ كما في مصادر ترجمته .

(١٣) أ ، ب : كانت وفاته .

(١٤) في هامش ط : في المصرية : عن ثمانين سنة . قال بشار : وهو الصواب .

الموصل ، ولما انفصل هولاكوخان[١] عن بغداد ـ بعد الوقعة الفظيعة العظيمة[٢] ـ سار إلى خدمته طاعةً له[٣] ، ومعه الهدايا والتحف ، فأكرمه واحترمه ، ورجع من عنده فمكث [بعد مرجعه[٤]] بالموصل أياماً يسيرة ، ثم مات ودفن بمدرسته البدرية ، وتأسف الناس عليه لحسن سيرته وجودة معدلته ، وقد جمع له الشيخ عز[٥] الدين [ابن الأثير] كتابه المسمى بـ« الكامل في التاريخ » فأجازه عليه وأحسن إليه ، وكان يعطي لبعض الشعراء ألف دينار [ونحوها وقد] قام في الملك بعده ولده الصالح إسماعيل . وقد كان بدر الدين لؤلؤ هذا[٦] أرمنيّاً اشتراه رجلٌ خيّاطٌ ، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقْسنقر الأتابكي صاحب الموصل ، وكان مليحَ الصورة ، فحظيَ عنده وتقدَّم في دولته إلى أن صارت الكلمةُ دائرةً عليه ، والوفود من سائر جهات ملكهم إليه . ثم إنه قتل أولاد أستاذه[٧] غيلةً واحداً بعد واحد إلى أن لم يبق معه أحدٌ منهم ، فاستقلَّ هو بالملك ، وَصَفَتْ له الأمور [وراقت] ، وكان يبعث في كل سنة إلى مشهد علي قنديلاً ذهباً[٨] زِنَتُهُ ألفُ دينار ، وقد بلغ من العمر قريباً من تسعين سنة[٩] ، وكأنه شاب[١٠] حسن الشباب من نضارة وجهه ، وحسن شكله ، وكانت العامة تلقبه قضيب الذهب ، وكان ذا همة عالية وداهية شديد المكر ، بعيد الغور[١١] .

الملك الناصر[١٢] داود [بن] المعظم ترجمه الشيخ قطب الدين اليونيني في « تذييله[١٣] على المرآة » في هذه السنة وبسط ترجمته جداً وما جرى[١٤] له من مبتدأ أمره إلى آخر زمانه . وأورد من أشعاره وأقواله شيئاً كثيراً وأفاد أشياء حسنة رحمه الله تعالى .

---

(١) أ ، ب : هولاكوقان .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) أ ، ب : متعاقباً له .
(٤) أ : بعد مرجوعه .
(٥) في أ : فخر الدين وتقدمت ترجمة ابن الأثير في وفيات سنة ٦٢٩ من هذا الجزء .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : ثم إنه أخنى على أولاد أستاذه فقتلهم غيلة .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) كذا قال ، ولم يكمل سوى ثمانين عاماً .
(١٠) ط : وكان شاباً ، ولا تستقيم ، وما هنا من أب .
(١١) بعدها في ط : وبعثه إلى مشهد علي بذلك القنديل في كل سنة دليل على قلة عقله وتشيّعه والله أعلم .
(١٢) ترجمة ـ الملك الناصر ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ١٢٦ـ١٨٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٧٦ ـ ٣٨١) والعبر (٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) وفوات الوفيات (١/ ٤١٩ ـ ٤٢٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦١ ـ ٦٢) وشذرات الذهب (٧/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦) .
(١٣) ذيل مرآة الزمان (١/ ١٢٦ ـ ١٨٤) .
(١٤) رواية ط لهذا الخبر : وما جرى له من أول أمره إلى آخره . وقد ذكرنا ترجمته في الحوادث وأنه أودع الخليفة المستعصم في سنة سبع وأربعين وديعة قيمتها مئة ألف دينار فجحدها الخليفة فتكرر وفوده إليه وتوسله بالناس في =

وقد ذكرنا ترجمته قبل ذلك والله أعلم .

وقد ملك بعد أبيه مدينة دمشق وأعمالها مدة ثم تمالأ[١] عليه عمّاه الكامل والأشرف وانتزعوها من يده وعوضاه منها الكرك والصلت وعجلون ونابلس ، ثم ذهب ذلك كله من يده وصار إلى العراق فاستودع الخليفة المستعصم في سنة سبع وأربعين وديعة قيمتها[٢] مئة ألف دينار فجحدها ولم يردها إليه ، وتكرر وفوده إليه وتوسله بالناس فلم يردها عليه ، ومن أحسن مقامات الناصر داود لما حضر الدرس بالمستنصرية في سنة ثلاث وثلاثين وست مئة والخليفة حاضر فقام الفقيه وجيه الدين الفزاري[٣] فامتدح الخليفة بقصيدة قال في بعضها : [من الكامل]

لَوْ كُنْتَ في يوم السقيفةِ حاضراً كنتَ المُقدَّمَ والإمامَ الأورعا[٤]

فقال له الناصر داود : أخطأت فقد كان جدُّ أمير المؤمنين العبّاس حاضراً يوم السَّقيفة ولم يكن المقدم ، وهو أفضل من أمير المؤمنين ، وإنما كان المُقَدَّم [والإمام الأورعا] أبو بكر الصديق ، فقال الخليفة : صدق وخلع عليه ، ونفى ذلك الشاعر ـ وهو الوجيه الفزاري ـ إلى مصر [فدرّس في مدرسة الوزير صفي الدين بن شكر] . وكانت وفاةُ الناصر بقرية البُوَيْضا مُرْسَماً عليه وشهد جنازته صاحب دمشق[٥] .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمئة

استُهِلَّت هذه السنة وليس للمسلمين خليفة ، وسلطانُ دمشق وحلب الملكُ الناصرُ صلاحُ الدين يوسفُ بن العزيز محمد بن[٦] الظاهر غازي بن الناصر [صلاح الدين][٧] [فاتح بيت المقدس] ، وهو واقع بينه وبين المصريين وقد ملكوا [عليهم بها ابن أستاذهم] نور الدين علي بن المُعِزّ أيبك التركماني ،

= ردها إليه فلم يفد من ذلك شيئاً وتقدم أنه قال لذلك الشاعر الذي مدح الخليفة بقوله .

(١) ب : مالي .

(٢) أ ، ب : قيمة .

(٣) لم ينسب البيت في ط إلى أحد ، وهو منسوب إلى وجيه الدين القيرواني ، في ذيل مرآة الزمان (١/ ١٣٦) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٧٩) وفوات الوفيات (١/ ٤٢٣) .

(٤) أ ، وذيل مرآة الزمان ، والفوات : الأروعا بتقديم الراء .

(٥) أ ، ب : صاحب حلب .

(٦) ط : بن أبي الظاهر .

(٧) عن ط وحدها .

ولقَّبوه بالمنصور ، وقد أرسل الملك الغاشم هولاكوخان[(١)] إلى الملك الناصر صاحب[(٢)] دمشق][(٣)] يستدعيه إليه ، فأرسل إليه ولده العزيزُ وهو صغيرٌ ومعه هدايا كثيرةٌ وتحفٌ ، فلم يحتفل به هولاكوخان بل غضب[(٤)] على أبيه إذ لم يقبل إليه ، وأخذ ابنه وقال : أنا أسيرُ إلى بلاده بنفسي ، فانزعج الناصرُ لذلك ، وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك ليحصّنهم بها وخاف أهلُ دمشق خوفاً شديداً ، [ولا سيما لمَّا][(٥)] بلغهم أنَّ التتار قد قطعوا الفرات ، سافر كثير منهم إلى مصر في زمن الشتاء ، فمات ناس كثير منهم ونهبوا[(٦)] ، فإنا لله وإنَّا إليه راجعون . وأقبل هولاكوخان فقصد الشام[(٧)] بجنوده وعساكره ، وقد امتنعت عليها ميافارقين[(٨)] مدة سنة ونصف ، فأرسل إليها ولده أشموط فافتتحها قسراً وأنزل ملكها[(٩)] الكامل ابن الشهاب غازي بن العادل فأرسله إلى أبيه وهو محاصرٌ حلب فقتله بين يديه ، واستناب عليها بعض مماليك الأشرف ، وطيف برأس الكامل في البلاد ، ودخلوا برأسه إلى دمشق ، فنُصب على باب الفراديس البرَّاني ، ثم دفن بمسجد الرأس [داخل باب الفراديس الجُوَّاني][(١٠)] ، فنظَمَ أبو شامة[(١١)] في ذلك قصيدةً يذكر فيها فضلَه وجهادَه ، وشبَّهه بالحسين في قتله مظلوماً ودُفِنَ رأسُه عند رأسِه[(١٢)] .

وفيها : عمل الخواجة نصير الدين الطُّوسي[(١٣)] الرَّصْد بمدينة مراغة[(١٤)] ، ونقل إليه شيئاً كثيراً من

---

(١) ب : القائم .
(٢) في أ : قان . وليست اللفظة في ب .
(٣) أ ، ب : بدمشق .
(٤) أ ، ب : هولاكو وغضب .
(٥) أ ، ب : حين .
(٦) أ ، ب : فصار كثير منهم إلى الديار المصرية في زمن الشتاء ومات كثير منهم ونهب آخرون .
(٧) أ ، ب : فقصد نحو الشام .
(٨) أ ، ب : وقد كان ميافارقين امتنعت على التتار .
(٩) أ ، ب : ففتحها قسراً واستنزل ملكها .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) ذيل الروضتين (٢٠٥) والقصيدة هي : [من الخفيف]

ابنُ غازٍ غزا وجاهد في الـ ـله قوماً أثخنوا في المشرقَيْنِ
لم يَشِنْهُ أنْ طِيفَ بالرأس منه فله أسوةٌ برأس الحسينِ
وافق السبطَ في الشهادة والحمـ ـل لقد حاز أجره مرَّتَيْنِ
ثم واروا في مشهد الرأس ذاك الـ ـرأس فاستعجبوا من الحالتَينِ
وارتجَوا أنه سيحيا لدى البعـ ـث رفيقَ الحسينِ في الحُسْنَيَيْنِ

(١٢) أ ، ب : ودفنه عنده .
(١٣) هو محمد بن عبد الله . النصير الطوسي سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٧٢ من هذا الجزء إن شاء الله .
(١٤) من مدن أذربيجان . معجم البلدان (٥/ ٩٣) .

كتب الأوقاف التي كانت ببغداد ، وعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ، ورتب لكل واحد في اليوم والليلة ثلاثة دراهم ، ودارَ طب فيها للطبيب[١] في اليوم درهمان ، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم ، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم .

وفيها : قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن أبي جرادة المعروف بابن العديم[٢] إلى الديار المصرية رسولاً من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار ، وأنهم[٣] قد اقترب قدومهم إلى الشام ، وقد استولوا على بلاد الجزيرة وحرَّان وغيرها [في هذه السنة] ، وقد جاز أشموط بن هولاكوخان الفرات وقرب من حلب ، فعند ذلك عقدوا مجلساً[٤] بين يدي المنصور بن المعزّ التركماني ، وحضر قاضي مصر[٥] بدر الدين السنجاري[٦] ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام[٧] ، وتفاوضوا[٨] الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال العامة لمساعدة الجند ، وكانت العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام ، وكان حاصل كلامه أنه قال إذا[٩] لم يبق في بيت المال شيء ثم أنفقتم[١٠] أموال الحوائص المذهبة وغيرها من الفضة والزينة ، وتساويتم أنتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب بحيث لم يبق للجندي سوى[١١] فرسه التي يركبها ، ساغ للحاكم حينئذ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء عنهم ، لأنه إذا دهم العدو البلاد[١٢] ، وجب على الناس كافة دفعهم[١٣] بأموالهم وأنفسهم .

ولاية الملك المظفر قطز [بمصر]

وفيها : قبضَ الأميرُ سيفُ الدين قطز على ابن أستاذه نور الدين علي الملقب بالمنصور ، وذلك في

(١) أ ، ب : للحكيم .
(٢) سترد ترجمة ابن العديم في وفيات سنة ٦٦٠ من هذا الجزء .
(٣) أ ، ب : بأنهم .
(٤) أ ، ب : واقترب من مدينة حلب فعقد عند ذلك مجلس بالديار المصرية .
(٥) أ ، ب : قاضي الديار المصرية .
(٦) سترد ترجمة بدر الدين السنجاري في وفيات سنة ٦٦٣هـ من هذا الجزء .
(٧) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٦٠ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٨) أ ، ب : وأفاضوا .
(٩) أ ، ب : وكان حاصله إذا لم يبق .
(١٠) وأنفقتم الحوائص الذهب وغيرها من الزينة . ولعلَّ المقصود (الخرائص) وهي جمع جمع للخُرْص وهو نوع من الحلي .
(١١) أ ، ب : لم يبق للجندي شيء سوى .
(١٢) عن ط وحدها .
(١٣) أ ، ب : وجب على الناس كافة أن يدفعوهم .

غيبة أكثر الأمراء من مماليك أبيه وغيرهم في الصيد ، فلما مسكه سيَّره[١] مع أمه وابنيه وإخوته إلى بلاد الأشكري[٢] ، وتسلطن هو وسمى نفسه بالملك المظفر ، وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين ، فإن الله جعل على يديه كسر التتار[٣] كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وبان عذره[٤] الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة وإلى ابن العديم ، فإنه قال : لا بدَّ للناس من سلطانٍ قاهرٍ يقاتل عن المسلمين عدوَّهم ، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة .

وفيها : برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطأة برزة[٥] في جحافل كثيرة من الجيش والمطَّوِّعة[٦] والأعراب وغيرهم ، ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول ارفضَّ ذلك الجمع ، ولم يسر[٧] لا هو ولا هم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : توفي من الأعيان[٨] :

واقف الصدرية [الرَّئيس][٩] صَدْرُ الدين أسْعَدُ بن المُنَجَّى[١٠] بن بركات بن مؤمل ، التَّنوخي المغربي ثم الدمشقي الحنبلي أحدُ المُعدّلين ، ذوي الأموال ، والمروءات والصدقات الدارَّة البارَّة ، وقف مدرسة[١١] للحنابلة ، وقبره بها إلى جانب تربة القاضي المصري[١٢] في رأس درب الرَّيْحان من ناحية

---

(١) أ ، ب : فأمسكه وسيره .

(٢) يبدو أنه استبدل بقتلهم هذا النفي ، ولكنه لو أنه قتلهم لكان أرحم بهم فقد تعرضوا لفتنة التنصّر في بلاد الأشكري فتنصّر منهم من تنصّر . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٠٠ ، ٣٨٢) .

(٣) أ ، ب : فإنه الذي يسر الله على يديه كسرة التتار .

(٤) أ ، ب : وهذا .

(٥) ط : إلى وطاء برز . وبرزة اليوم أحد أحياء دمشق امتدّ العمران إليها وصارت جزءاً من مدينة دمشق .

(٦) ط : المقطوعة .

(٧) أ ، ب : ولم يصبر .

(٨) أ ، ب : وممن توفي فيها من الأعيان .

(٩) ترجمة ـ أسعد بن المنجى ـ في ذيل الروضتين (٢٠٣) والأعلاق الخطيرة (٢٥٧) وفي تاريخ الإسلام (١٤/ ٨٦٠) والعبر (٥/ ٢٧٩) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٥) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٧٥) والوافي بالوفيات (٩/ ٤٣) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٧١) والمقصد الأرشد (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) والدارس (٢/ ٨٦) ومختصره (١٢٦) وشذرات الذهب (٧/ ٤٩٨) والحقيقة والمجاز (١/ ٧٨) ومنادمة الأطلال (٢٣٩) .

(١٠) ط : المنجاة ؛ تحريف .

(١١) قال ابن بدران : محيت آثارها وصارت دوراً . الأعلاق الخطيرة (٢٥٧) والدارس (٢/ ٨٦) ومختصره (١٢٦) ومنادمة الأطلال (٢٣٩) .

(١٢) الجمال المصري يونس بن بدران بن فيروز تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٢٣ من هذا الجزء

الجامع الأموي[١] ، وقد ولي نظرَ الجامع مدةً ، واستجدَّ أشياءَ كثيرةً منها سوق النحاسين قبلي الجامع ، ونقل الصاغة إلى مكانها الآن ، وقد كانت قبل ذلك في الصاغة العتيقة ، وجدَّد الدكاكين التي بين أعمدة الزيادة ، وثمَّرَ الجامع أموالاً جزيلة ، وكانت له صدقاتٌ كثيرةٌ ، وذكر عنه أنه كان يعرف صنعة الكيمياء وأنه صحَّ معه عمل الفضَّة ، وعندي أن هذا لا يصح ، ولا يصح عنه ، والله أعلم .

الشيخ يوسف[٢] الأقميني[٣] كان يعرف بالأقْميني لأنه كان يسكن قمين حمام نور الدين الشهيد ، وكان يلبس ثياباً طوالاً تحف[٤] على الأرض ، ويبول في ثيابه ، ورأسه مكشوف[٥] ، ويزعمون أن له أحوالاً وكشوفاً كثيرة[٦] ، وكان كثيرٌ من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحَه وولايته ، [وذلك لأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح ، ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، كالرهبان وغيرهم ، وكالدجال وابن صياد وغيرهم ، فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الإنسي ، ولا سيما من يكون مجنوناً أو غير نقي الثياب من النجاسة][٧] ، فلا بدَّ من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة ، فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله فهو رجل صالح سواء كاشف أو لم يكاشف[٨] ، ومن لم يوافق فليس برجل صالح سواء كاشف أم لا . قال الشافعي [رحمه الله] : إذا رأيتم الرجلَ يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة . ولما مات هذا [الرجل][٩]

---

(١) أ ، ب : الجامع المبرور وقد ولي نظر الجامع المبرور مدة وقد استجدّ أشياء .

(٢) ترجمة ـ يوسف القميني ـ في ذيل الروضتين (٢٠٢ ـ ٢٠٣) وذيل مرآة الزمان (١/ ٣٤٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٦٩) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) والعبر (٥/ ٢٤٠) وشذرات الذهب (٧/ ٥٠٠) وهو مدفون عند مقام ابن عربي ، وقد زاره الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته : « الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز » وتحدث عن ذلك فيها (١/ ٧٨) وذكر أنه وضع فيه وفي خادمه محمود رسالة سماها : « الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود » . قلت : ومن هذه الرسالة نسختان في ظاهرية دمشق برقم ٤٠٠٨ ورقم ٣٦٧١ . الحقيقة والمجاز (١/ ٢٧٥) .

(٣) في مصادره (القميني) وقال النابلسي القميني : بفتح القاف وكسر الميم مخففة والناس يشدِّدونها نسبة إلى قمين الحمام . وفي القاموس المحيط : قمين ـ كأمير ـ : أتون الحمام . قلت : وأهل دمشق ينطقونها : قَمّيم . وإلى ذلك أشار الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل (٤١٦) وقال : قميم : هو موقد نار ، ومن المشايخ يوسف القميمي ، سمي به لأنه كان يسكن في قميم حمام نور الدين الشهيد . الحقيقة والمجاز للنابلسي (١/ ٧٨) .

(٤) أ ، ب : تجحف . وفي مصادره : تكنس الأرض .

(٥) في ط : مكشوفة . والرأس مذكر . المذكر والمؤنث للأنباري (١/ ٣٠٢) .

(٦) أ ، ب : وله أحوال وكشوف كثيرة .

(٧) ما بين الحاصرتين في أ ، ب : وذلك أنهم لا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من المؤمن والكافر كما كان ابن صياد ومن البر والفاجر .

(٨) أ ، ب : فمن وافق حال الكتاب والسنة فهو حال صالح سواء كاشف أم لا .

(٩) عن ط وحدها .

دفن بتربة بسفح قاسيون وهي مشهورة به شرقي تربة أبي عمر المقدسي[١] ، وهي مزخرفة قد اعتنى بها [بعض العوام ممن كان يعتقده ، فزخرفها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة وهذا كله من البدع][٢] ، وكانت وفاته في سادس شعبان من هذه السنة ، وكان الشيخ إبراهيم بن سعيد جيعانة لا يتجاسر فيما يزعم[٣] أن يدخل البلد والقميني حي[٤] ، فيوم مات الأقميني دخلها [وكان بالشاغور] ، وكانت العوام معه فدخلوا وهم يصيحون ويصرخون أذن لنا في دخول البلد ، وهم أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ، فقيل لجيعانة : ما منعك من دخولها قبل اليوم ؟ فقال : كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجد هذا السبع رابضاً فيه فلا أستطيع الدخول ، وقد كان سكن الشاغور ، وهذا كذب واحتيال ومكر وشعبذة ، وقد دفن جيعانة عنده في تربته بالسفح والله أعلم بأحوال العباد][٥] .

الشمس[٦] علي بن [المُظَفَّر بن القاسم الرَّبَعي] النُّشْبِيُّ[٧] [الدمشقي العدل] المحدث ناب في الحسبة عن الصدر البكري [في أيامه][٨] ، وقرأ الكثير بنفسه ، وسمع وأسمع ، وكتب بخطه كثيراً رحمه الله تعالى .

أبو عبد الله الفاسي[٩] شارح « الشاطبية » اشتهر بالكنية ، وقيل إن اسمه القاسم[١٠] .

---

(١) ط : شرقي الرواحية . وهذا خطأ لأن الرواحية بجانب الجامع الأموي وهو بعيد عن مسجد الشيخ محيي الدين حيث دفن القميني . وأثبت رواية الأصلين الآخرين رغم أنّ منها في النفس شيئاً ذلك لأن تربة أبي عمر هي التي تقع شرقي جامع الشيخ محيي وليس العكس . فلعله دفن أولاً في تربة خاصة به شرقي تربة أبي عمر ثم نقل إلى جانب مقام الشيخ محيي الدين .

(٢) مكان ما بين الحاصرتين في أ ، ب : بعض من كان يعتقد فيه .

(٣) أ : وكان الشيخ إبراهيم الجيعانة لا يتجاسر أن يدخل . وفي ب : وكان الجيعانة لا يتجاسر أن يدخل . وسترد ترجمة الجيعانة في وفيات سنة ٦٨٠ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٤) أ ، ب : وهو حي .

(٥) وكان ما بين الحاصرتين في أ ، ب : ودخل القوام معه يصيحون ويصرخون وهم أتباع كل ناعق .

(٦) ترجمة ـ الشمس النشبي ـ في سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٢٦) والعبر (٥/ ٢٣٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٨) وشذرات الذهب (٧/ ٤٨٤/ ٤٨٥) وفي هذه المصادر أنه توفي سنة ٦٥٦ .

(٧) النُّشْبي نسبة إلى نشبة بطن من تيم الرباب . سير أعلام النبلاء .

(٨) الصدر البكري هو الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن عمروك ، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولي حسبة دمشق ، ومشيخة الخوانك توفي في ١١/ ١٢/ ٦٥٦ هـ بينما توفي النشبي ـ كما عند الذهبي ـ ؟/ ٣/ ٦٥٦ هـ سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٢٦ ـ ٣٢٨) .

(٩) ترجمة ـ أبي عبد الله الفاسي ـ في ذيل الروضتين (١٩٩) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٦١) والعبر (٥/ ٢٣٥) والوافي بالوفيات (٢٠/ ٣٥٤) والجواهر المضية (٢/ ٤٥ ـ ٤٦) وغاية النهاية (٢/ ١٢٢ ـ ١٢٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٩) وشذرات الذهب (٧/ ٤٩٠) .

(١٠) في السير والشذرات اسمه : جمال الدين أبو عبد الله . محمد بن حسن بن محمد بن يوسف الفاسي

مات[١] بحلب ، وكان عالماً فاضلاً في العربية والقراءات وغير ذلك ، وقد أجاد في شرحه للشاطبية وأفاد ، واستحسنه الشيخ شهاب الدين أبو شامة[٢] شارحها أيضاً .

النجم[٣] أخو البدر مفضل وكان شيخ الفاضلية[٤] بالكلاسة .

وكان له إجازة من السلفي خطيب العقيبة بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام[٥] ، ودفن بباب الصغير على جده ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

سعد الدين[٦] محمد[٧] بن الشيخ محيي الدين بن عربي [الحاتمي] .

ذكره أبو شامة[٨] وأثنى عليه في فضيلته وأدبه وشعره [وذكر مايدلّ على فضيلة وأدب وشعر فيه قوة] ، هذا إن لم يكن من أتباع أبيه .

(وقد ذكر أبو شامة[٩] وفاة الناصر داود في هذه السنة) [وقد قدمنا ترجمته في التي قبلها][١٠] .

سيف الدين بن صبرة[١١] متولي شرطة دمشق .

ذكر أبو شامة[١٢] أنه حين مات جاءت حية فنهشتْ أفخاذه ، وقيل[١٣] : إنها التفَّتْ في أكفانه ، وأعيى الناس دفعها . قال : إنه كان نُصَيْرِيًّا رافضيًّا خبيثاً مدمنَ خمرٍ ، نسأل الله الستر والعافية .

---

(١) في أ ، ب : وكانت وفاته .
(٢) ذيل الروضتين (١٩٩) .
(٣) ترجمة النجم أخو البدر في ذيل الروضتين (١٩٩) والدارس (١/ ٩٣) .
(٤) المدرسة الفاضلية بالكلاسة في محيط الجامع الأموي . قال بدران : وأما الآن فقد صارت بيوتاً للسكنى وقد شاهدت من آثارها الإيوان وقاعتين بجانبه والمطبخ من ضمنه . الدارس (١/ ٨٩) ومختصره (١٦) ومنادمة الأطلال (٤٨) .
(٥) الدارس (٢/ ٤٢٧) .
(٦) ترجمة ـ سعد الدين بن عربي ـ في ذيل الروضتين (٢٠٠) ـ وفيات ٦٥٦ ـ وفي الوافي (١/ ١٨٦) وفي فوات الوفيات (٣/ ٢٦٧ ـ ٢٨١) ونفح الطيب (٢/ ١٧٠) وشذرات الذهب (٧/ ٤٨٨) .
(٧) أ ، ب : سعد الدين بن محمد خطأ .
(٨) ذيل الروضتين (٢٠٠) .
(٩) ذيل الروضتين (٢٠٠) فقد أورد أبو شامة ترجمة الناصر داود في وفيات سنة ٦٥٦ لا في هذه السنة .
(١٠) عن أ وحدها .
(١١) ترجمة ـ ابن صبرة ـ في ذيل الروضتين (٢٠٠) .
(١٢) المصدر السابق (٢٠٠) .
(١٣) أ ، ب : ويقال .

النجيب بن شُقَيْشِقَة الدمشقي(١) أحد الشهود بها .

له سماع حديث ، ووقف داره بدرب البانياسي دار حديث ، وهي التي كان يسكنها شيخنا الحافظ المزي قبل انتقاله إلى دار الحديث الأشرفية ، قال أبو شامة : وكان ابن شُقَيْشِقَة وهو النَّجيب أبو الفتح نصر الله بن [أبي العز بن] أبي طالب الشَّيباني ، مشهوراً بالكذب ورقَّة الدين وغير ذلك ، وهو أحد الشهود المقدوح فيهم ، ولم يكن بأهل(٢) أن يُؤْخَذ عنه ، قال : وقد أجلسه أحمد بن يحيى [بن هبة الله] الملقب بالصدر ابن سَنيّ الدولة(٣) في حالة ولايته القضاء(٤) بدمشق ، فأنشد فيه بعض الشعراء(٥) : [من الكامل]

جلسَ الشُّقَيْشِقَةُ الشَّقيُّ ليشهدا … تبّاً لكم(٦) ماذا عدا فيما(٧) بدا ؟
هل زُلزل الزِّلزالُ ؟ أم قد أُخرجَ(٨) الدَّ … جّالُ أم عُدِمَ(٩) الرجالُ ذوو الهدى ؟
عجباً لمحلولِ العقيدةِ جاهلٍ … بالشَّرعِ قَدْ أذنوا له أن يَقْعُدَا

قال أبو شامة(١٠) : في سنة سبع وخمسين وستمئة توفي(١١) شخصٌ زنديقٌ يتعاطى الفلسفةَ والنظرَ في علم الأوائل ، وكان يسكن مدارس [فقهاء] المسلمين ، وقد أفسدَ عقائد جماعةٍ من الشُّبان المشتغلين فيما بلغني ، [وكان يتجاهر باستنقاص الأنبياء عليهم السلام ، وهو يعرف بالفخر بن البديع البندهي]

---

(١) ترجمة ـ ابن شقيشقة ـ في ذيل الروضتين (٢٠١) وفوات الوفيات (٤/ ١٨٥) والعبر (٥/ ٢٣٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٤) وميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٨) وشذرات الذهب (٧/ ٤٩٢) .
(٢) أ ، ب : بحال .
(٣) سترد ترجمته في وفيات السنة القادمة ٦٥٨ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٤) أ ، ب : قضاء القضاة . وفي مصادره : عاقداً تحت الساعات . أي : يعقد الأنكحة .
هو ابن الدجاجية محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله أبو عبد الله بهاء الدين القرشي الدمشقي الصالحي العدل الذي توفي سنة ٦٥٧هـ ، ذيل مرآة الزمان (١/ ٣٤٤) .
(٥) الأبيات في فوات الوفيات . والشذرات (٧/ ٤٩٢) وذيل الروضتين (٢٠١) .
(٦) أ ، ب : والفوات والشذرات . بأبيكما .
(٧) في ما عاد الفوات : فيما . وهو مثل عربي قد أوردته في كتاب معجم الأمثال العربية (١/ ١٤٤) و(٢/ ١٣٢) ومصادره القديمة الفاخر (٣٠١) ومجمع الأمثال (٢/ ٢٩٦) .
(٨) ط : قد خرج ؛ ولا يستقيم الوزن بهذه الرواية .
(٩) في الشذرات : أم عدموا الرجال أولي الهدى .
(١٠) ذيل الروضتين (٢٠٢) .
(١١) ط : مات . وما هنا عن الأصلين ويوافق ما في ذيل الروضتين .

كان[١] أبوه يزعم أنه من تلامذة [الفخر الرازي][٢] ابن خطيب الري[٣] صاحب المصنفات[٤] .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمئة

استُهلت هذه السنة بيوم الخميس وليس للناس خليفة .

ومُلْكُ العراقين وخراسان وغيرها[٥] من بلاد المشرق للسلطان هولاكوخان[٦] [بن تولي بن جنكيز خان] ملك التتار .

وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز ، مملوك المعز أيبك[٧] التركماني ، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر [غازي بن الناصر فاتح القدس] ، وبلاد الكرك والشوبك للملك المغيث بن العادل بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وهو حرب مع الناصر صاحب دمشق على المصريين ، ومعهما الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ، وقد عزموا[٨] على قتال المصريين وأخذ مصر[٩] منهم .

أخذ حلب ودمشق[١٠]

وبينما الناس على هذه الحال وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام إذ دخل جيش المغول صحبة ملكهم هولاكوخان ، وجازوا الفرات على جسور[١١] عملوها ، ووصلوا إلى حلب في ثاني صفر من هذه السنة ، فحاصروها سبعة أيام ثم افتتحوها بالأمان ، ثم غدروا بأهلها وقتلوا[١٢] منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ونهبوا الأموال ، وسَبَوا النساء والأطفال ، وجرى عليهم قريبٌ مما جرى على أهل بغداد ،

---

(١) ط : وكان ؛ واخترت رواية أ ب لموافقتها لما في ذيل الروضتين .
(٢) تقدمت ترجمة الفخر الرازي في وفيات سنة ٦٠٦ من هذا الجزء .
(٣) في ط : ابن خطيب الري الرازي .
(٤) بعد هذه اللفظة في ط : حية ولد حية . وفي ذيل الروضتين : وفي حياة والده مات .
(٥) أ ، ب : وغيرها .
(٦) أ ، ب : هولاكوقان .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) أ : وهو عزم . ب : وهم عزم .
(٩) أ ، ب : وأخذ البلد منهم .
(١٠) العنوان عن أ ، ب وحدهما .
(١١) أ ، ب : وجاوز الفرات على جسوره .
(١٢) أ ، ب : وغدروا فقتلوا من أهلها خلقاً .

فجاسوا خلال الديار وجعلوا أعزَّة أهلها أذلَّة[١] ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وامتنعت عليهم القلعة شهراً ثم استلموها[٢] بالأمان ، وخرب أسوار البلد وأسوار القلعة وبقيت حلب[٣] كأنها حمار أجرب ، وكان نائبها الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين وكان عاقلاً حازماً ، لكنه لم يوافقه الجيش على القتال[٤] ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وقد كان أرسل هولاكو يقول لأهل حلب[٥] : نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق ، فاجعلوا لنا عندكم شحنة[٦] ، فإن كانت النصرة لنا فالبلاد كلها في حكمنا ، وإن كانت علينا فإن شئتم قتلتم[٧] الشحنة وإن شئتم أطلقتموه . فأجابوه[٨] : مالك عندنا إلا السيف ، فتعجب من ضعفهم وجوابهم[٩] ، فزحف حينئذ إليهم وأحاط بالبلد ، وكان ما كان بقدر الله سبحانه[١٠] . ولما فتحت حلب أرسل صاحب حماه بمفاتيحها إلى هولاكو[١١] ، فاستناب عليها رجلاً من العجم يدَّعي أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له خسروشاه ، فخرَّب أسوارها كمدينة حلب[١٢] .

صفة أخذهم دمشق[١٣] وزوال ملكهم عنها سريعاً

أرسل هولاكو وهو نازل على حلب جيشاً مع أمير من كبار دولته يقال له كتبغانوين ، فوردوا دمشق في آخر صفر فأخذوها سريعاً من غير ممانعة ولا مدافعة[١٤] ، بل تلقّاهم كبارُها بالرحبِ والسَّعة ، وقد كتب هولاكو أماناً[١٥] لأهل البلد ، فقرئ بالميدان الأخضر ونودي به في البلد ، فأمن الناس على وجلٍ من الغدر[١٦] ، كما فعل بأهل حلب . هذا والقلعةُ ممتنعةٌ مستورةٌ ، وفي أعاليها المجانيقُ منصوبة والحال

---

(١) أ ، ب : فحبسهم وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون فإنا لله وإناإليه راجعون .
(٢) أ ، ب : قلعتها شهراً ثم تسلموها بالأمان .
(٣) أ ، ب : وكأنها حمار أجوف وكان النائب بها .
(٤) أ ، ب : على المصلحة ولكن سرعوا .
(٥) أ ، ب : وقد كان السلطان هولاكو أرسل إلى أهل البلد يقول لهم حين قدم بجحافله .
(٦) أ ، ب : ونحن نريد منكم أن تجعلوا لنا بالقلعة شحنة .
(٧) ط : قبلتم ؛ وهو تحريف .
(٨) أ ، ب : فأجابوا .
(٩) أ ، ب : وجوابهم بهذا .
(١٠) أ : وكان ما كان بقدر الله وقدره ، وب : وكان بقضاء الله وقدره .
(١١) أ ، ب : بمفاتيحها إليه .
(١٢) أ ، ب : كما فعل بمدينة حلب .
(١٣) أ ، ب : أخذهم لدمشق .
(١٤) : مدافع .
(١٥) أ ، ب : وقد كتب معهم السلطان هولاكو فرماناً لأهل البلد .
(١٦) أ ، ب : على وجل أن يغدروا .

شديدة ، فأحضرت التتار مجانيق تحمل[١] على عجل والخيول تجرُّها ، وهم راكبون على الخيل وأسلحتهم [تحمل] على أبقار كثيرة ، فنصبوا المجانيق[٢] على القلعة من غربيّها ، وخربوا حيطاناً كثيرة وأخذوا حجارتها ورموا بها القلعةَ رمياً متواتراً كالمطر المتدارك ، فهدموا كثيراً من أعاليها وشرفاتها وتداعت للسقوط ، فأجابهم متولّيها في آخر ذلك النهار للمصالحة[٣] ، ففتحوها وخرّبوا كل بدنة فيها ، وأعالي بروجها ، وذلك في المنتصف من[٤] جمادى الأولى من هذه السنة ، وقتلوا المتولي بها بدر الدين بن قراجا ، ونقيبها جمال الدين ابن الصيرفي الحلبي ، وسلموا البلد والقلعة إلى أمير منهم يقال له إبل سيان ، وكان لعنه الله معظّماً لدين النصارى ، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم ، فعظَّمهم جداً ، وزار كنائسهم ، فصارت لهم دولة [وجولة] وصولة بسببه ، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو وأخذوا معهم بهدايا وتحف ، وقدموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته ، ودخلوا من باب توما[٥] ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس الناس ، وهم ينادون بشعارهم ويقولون : ظهر الدين الصحيح دين المسيح . ويذمون دين الإسلام[٦] وأهله ، ومعهم أواني فيها خمرٌ لا يمرُّون على باب مسجد إلا رشّوا عنده خمراً ، وقماقم ملآنة خمراً يرشون منها على وجوه الناس[٧] وثيابهم ، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة[٨] والأسواق أن يقوم لصليبهم ، ودخلوا من درب الحجر فوقفوا عند رباط الشيخ أبي البيان[٩] ، ورشوا عنده[١٠] خمراً ، وكذلك على باب مسجد درب الحجر الصغير والكبير ، واجتازوا في السوق حتى وصلوا درب الريحان[١١] أو قريب منه ، فتكاثر عليهم المسلمون فردوهم إلى سوق كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم إلى دكة دكانٍ في عطفة السوق فمدح دينَ[١٢] النَّصارى وذمّ دين الإسلام وأهله ، فإنا لله وإنا إليه

---

(١) ط : منجنيقاً يحمل . وفي أ ، ب : مجانيقاً . وما هنا للسياق اللغوي .

(٢) ط : فنصب المنجانيق . والخبر في ذيل مرآة الزمان (١/ ٣٥١) .

(٣) أ ، ب : إلى المصالحة .

(٤) ط : في نصف .

(٥) أ ، ب : وذهبت طائفة إلى السلطان هولاكو بهدايا وتحف وقدموا منه معهم أمان فرمان من جهته ودخلوا البلد من باب توما .

(٦) أ ، ب : ويذمون من الإسلام وأهله .

(٧) أ ، ب : وقماقم خمر يرشون منها على وجوه الناس .

(٨) عن ط وحدها .

(٩) أبو البيان هو نَبَا بن محمد بن محفوظ القرشي الدمشقي شيخ طائفة منسوبة إليه ، وكان هو والشيخ أرسلان الدمشقي مجاورين في المسجد الذي في رأس درب الحجر . له نظم كثير وتصانيف مفيدة . توفي بدمشق سنة ٥٥١ هـ . زيارات الشام لابن الحوراني (٦١) والزيارات للعدوي (٥٣) .

(١٠) أ ، ب : ورشّوا هنالك خمراً .

(١١) أ ، ب : حتى وصلوا إلى درب الريحان .

(١٢) أ ، ب : في عطفة السوق هنالك فذكر في خطبته مدح دين النصارى .

راجعون . ثم دخلوا[١] بعد ذلك إلى كنيسة مريم وكانت عامرةً ولكن كان هذا سبب خرابها ولله الحمد . وحكى الشيخ قطب الدين في « ذيله[٢] على المرآة » أنهم ضربوا بالناقوس في كنيسة مريم فالله أعلم .

قال : وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بخمر ، وكان في[٣] نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخربوا كثيراً من المساجد وغيرها[٤] ، ولما وقع هذا في البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء فدخلوا القلعة يشكون هذا الحال إلى متسلِّمها إبل سيان[٥] فأهينوا وطردوا ، وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم فإنا لله وإنا إليه راجعون . وهذا كان في أول هذه السنة وسلطان الشام الناصر بن العزيز وهو مقيم في وطأة برزة ، ومعه جيوش كثيرة من الأمراء[٦] وأبناء الملوك ليناجزوا التتار إن قدموا عليهم ، وكان في جملة[٧] من معه الأمير [ركن الدين] بيبرس البندقداري في جماعة من البحرية ، ولكن الكلمة[٨] بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة ، لما يريده الله عز وجل . وقد عزمت طائفة من الأمراء على خلع [الملك] الناصر وسجنه ومبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر علي ، فلمّا عرف[٩] الناصر ذلك هرب إلى القلعة[١٠] وتفرقت العساكر شذر مذر[١١] وساق الأمير ركن الدين بيبرس [البندقداري] في أصحابه إلى ناحية غزة ، فاستدعاه الملك المظفر قطز إليه واستقدمه عليه ، وأقطعه قليوب ، وأنزله بدار الوزارة وعظم شأنه لديه ، وإنما كان حتفه على يديه .

وقعة عين جالوت

اتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة ، فما مضت سوى ثلاثة أيام[١٢] حتى

---

(١) أ ، ب : ثم ولجوا .
(٢) ذيل مرآة الزمان (١/ ٣٦٢ـ٣٦٣) .
(٣) ب : وكان من نيتهم .
(٤) بعدها في أ ، ب : فكفى الله شرهم .
(٥) عند اليونيني اسمه : إيلبان .
(٦) أ ، ب : وقد كان في أول هذه السنة سلطان الشام الناصر بن عبد العزيز وقد أقام بوطأة برزة ومعه خلق كثير من الجيوش والأمراء .
(٧) أ ، ب : وكان ممن معه الأمير ركن الدين بيبرس .
(٨) أ ، ب : والكلمة .
(٩) أ ، ب : فلما تنسم الناصر ذلك .
(١٠) أ ، ب : إلى القلعة المنصورة .
(١١) شذر مذر . مثل عربي قديم أوردته في كتابي معجم الأمثال العربية (٢/ ٤٥٠) و(٤/ ١٦٤) وهو أيضاً في مجمع الأمثال (١/ ٢٧٩) واللسان (مذر) .
(١٢) أ ، ب : فما مضت إلا ثلاثة أيام .

جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت ، ولله الحمد وذلك أن الملك المظفر [سيف الدين] قطز صاحب مصر[(١)] لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا ، وقد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة ، [وقد أسروا ملكها الناصر بن العزيز وكان قد هرب منهم حتى وصل إلى غزة][(٢)] ، وقد عزموا على الدخول إلى مصر[(٣)] ، وقد[(٤)] عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر ، وليته فعل ، وكان في صحبته الملك المنصور صاحب حماه وخلق من الأمراء وأبناء الملوك ، وقد وصل إلى قَطْيَة[(٥)] ، وفيها الملك المظفر للقائه فأرسل إليه وإلى المنصور مستحثِّين ، وأرسل إليه يقول تقدَّمْ حتى نكون كتفاً واحداً على التتار فتخيَّل من ذلك وخاف أن ينتصر عليه ، وأكرم الملك المظفر قطز صاحب حماة ووعده ببلده ووفاه له ، ولم يدخل الملك الناصر مصر بل كرَّ راجعاً إلى ناحية تيه بني إسرائيل ، ودخل عامةُ مَنْ كان معه إلى مصر ، ولو دخل كان أيسر عليه مما صار إليه ، ولكنه خاف منهم لأجل العداوة[(٦)] فعدل إلى ناحية الكرك فتحصن بها وليته استمر فيها ، ولكنه قلق فركب نحو البرية ـ وليته ذهب فيها ـ واستجار ببعض أمراء الأعراب ، فقصدته التتار وأتلفوا [ونهبوا ما هنالك] من الأموال [وخربوا الديار][(٧)] وقتلوا الكبار والصغار ، وهجموا على الأعراب التي بتلك النواحي فقتلوا منهم خلقاً [كثيراً] وسبوا من نسلهم ونسائهم ، وقد اقتص[(٨)] منهم العرب بعد ذلك ، فأغاروا على خيل حشارهم في نصف شعبان فساقوها بأسرها ، فساقت وراءهم التتار فلم يدركوا لهم الغابر ولا استردوا منهم فرساً ولا حماراً[(٩)] ، وما زال التتار وراء الناصر حتى أخذوه عند بركة زيزي[(١٠)] وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكوخان وهو نازل على حلب ، فما زالوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية كما سنذكره .

والمقصود أن المظفر قطز لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة[(١١)] وأنهم عازمون على

---

(١) أ ، ب : الديار المصرية .
(٢) عن ب وحدها .
(٣) أ ، ب : وعزم على الدخول إلى الديار المصرية .
(٤) من هذه اللفظة ولعدة سطور ثمة خلافات كبيرة بين النسخ لم أجد فائدة من إثباتها لأنها ذات مدلول واحد .
(٥) « قَطْيَة » : بالفتح ، ثم بالسكون ، وياء مفتوحة : قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفرما . معجم البلدان (٤/٣٧٨) .
(٦) أ ، ب : لعداوة ما بينه وبينهم .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) أ ، ب : من نسائهم وأبنائهم قد استقصى .
(٩) أ ، ب : ولا الحمار .
(١٠) أ ، ب : حتى أخذوه وأسروه من عند بركة زيزي .
(١١) عن ط وحدها .

الدخول إلى ديار مصر [بعد تمهيد ملكهم بالشام][(١)] ، بادرهم [هو] قبل أن يبادروه وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه ، فخرج في عساكره[(٢)] وقد اجتمعت الكلمة عليه ، حتى انتهى [بمن معه من العساكر المنصورة] إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغانوين ، وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص[(٣)] والمجير ابن الزكي[(٤)] ، فأشاروا عليه بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو ، فأبى إلا أن يناجزه سريعاً ، فساروا إليه وسار المظفر إليهم ، فكان[(٥)] اجتماعهم على عين جالوت[(٦)] يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، فكانت النصرة ولله الحمد للإسلام وأهله ، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل [أمير المغول][(٧)] كتبغانوين وجماعة من بيته[(٨)] ، وقد قيل إن الذي قتل كتبغانوين الأمير جمال الدين آقوش الشمسي ، واتبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع[(٩)] ، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماة مع الملك المظفر [في هذه الوقعة] قتالاً شديداً[(١٠)] ، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب ، وكان أتابك العسكر ، وقد أسر من جماعة كتبغانوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه ، واستأمن الأشرف صاحب حمص ، وكان مع التتار ، وقد جعله هولاكوخان نائباً على الشام كلِّه ، فأمَّنه الملكُ المظفر وردَّ إليه حمص ، وكذلك ردَّ حماة إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها ، وأطلق سلمية للأمير شرف الدين عيسى بن مُهَنّا بن مانع أمير العرب ، واتبع الأمير [ركن الدين] بيبرس البندقداري وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان ، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب ، وهرب مَنْ بدمشق منهم[(١١)] يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان[(١٢)] ، فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفِكُّون الأسارى من أيديهم ، وجاءت بذلك البشارة ولله الحمد على جبره إياهم بلطفه فجاوبتها دقُّ البشائر من القلعة وفرح المؤمنون

(١) أ ، ب : بعد تمهيد مملكتهم بالشام المحروس .

(٢) أ ، ب : بالعساكر المصرية .

(٣) أ ، ب : صاحب حمص والقاضي مجير الدين بن الزكي في لقاء المظفر فأشار بعضهم بأنه لا قبل لك به حتى .

(٤) سترد ترجمة ابن الزكي في وفيات سنة ٦٨٥ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٥) أ ، ب : (تلتقيه فأبى) إلا أن يناجزه فصمدوا إليه فكان اجتماعهم .

(٦) أ ، ب : وعين الجالوت ، وهي ترد هكذا في كل مرة . ولن أشير لها إلا هذه الإشارة .

(٧) عن ط وحدها .

(٨) أ : وجماعة من بنيه .

(٩) أ : فقتلهم في كل موضع وفي كل بارق ، ب : يقتلهم في كل موضع وفي كل مارق .

(١٠) أ ، ب : قتالاً عظيماً .

(١١) وكان هربهم منها .

(١٢) من هذه اللفظة ولعدة سطور بعد ذلك تختلف الروايات بشكل كثير ولكن المعنى بشكل عام واحد ، ولذلك لم أجد فائدة من إثباتها .

بنصر الله فرحاً شديداً ، وأيَّد الله الإسلام وأهله تأييداً وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين وظهر دينُ الله وهم كارهون .

فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب فانتهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيما حولها فاحترقت(١) دورٌ كثيرةٌ إلى النصارى ، وملأ الله بيوتَهم وقبورهم ناراً ، وأحرق(٢) بعض كنيسة اليعاقبة .

وهمَّتْ طائفةٌ بنهب اليهود ، فقيل لهم : إنه لم يكن منهم(٣) من الطغيان كما كان من عبدة الصلبان .

وقتلت العامةُ وسطَ الجامع شيخاً رافضيّاً كان مُصانعاً للتتار على أموال الناس يقال له الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجي ، كان خبيثَ الطويّة مشرقياً مُمالئاً لهم على أموال المسلمين قبّحه الله ، وقتلوا جماعة مثله من المنافقين [الممالئين على المسلمين] فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

وقد كان هولاكو(٤) أرسل تقليداً بولاية القضاء على جميع(٥) المدائن : الشام ، والجزيرة ، والموصل ، وماردين ، [وميافارقين] والأكراد وغير ذلك ، للقاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي(٦) . وقد كان نائب الحكم بدمشق عن القاضي صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سَنيّ الدولة(٧) من مدة خمس عشرة سنة ، فحين(٨) وصل التقليدُ في سادس عشرين ربيع الأول قُرئَ بالميدان الأخضر فاستقلّ بالحكم في دمشق وقد كان فاضلاً(٩) ، فسار القاضيان المعزولان(١٠) صدر الدين بن سني الدولة ومحيي الدين بن الزكي(١١) إلى خدمة هولاكوخان إلى حلب(١٢) ، فخدع ابن الزكي لابن سني الدولة وبذل له أموالاً جزيلة ، وتولى القضاء بدمشق ورجعا ، فمات ابن سني الدولة ببعلبك ، وقدم ابن

---

(١) ط : فاحترق .
(٢) أ ، ب : وأحرقت .
(٣) أ ، ب : لم يكن منهم فيما ظهر من الطغيان .
(٤) أ ، ب : السلطان هولاكو .
(٥) أ ، ب : لجميع مدائن الشام .
(٦) سترد ترجمة التفليسي في وفيات سنة ٦٧٢ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٧) سترد ترجمة ابن سني الدولة بعد صفحات من هذه السنة ٦٥٨ .
(٨) أ ، ب : وحين .
(٩) أ ، ب : وكان من الفضلاء .
(١٠) أ ، ب : (المعزول) .
(١١) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٦٨ من هذا الجزء .
(١٢) أ ، ب : إلى البلاد الحلبية .

الزكي على القضاء ومعه تقليده وخلعة مذهَّبة فلبسها وجلس في خدمة إبل سنان تحت قبة النسر عند الباب الكبير ، وبينهما الخاتون زوجة إبل سنان حاسرة عن وجهها ، وقرئ التقليد هناك والحالة كذلك[١] ، وحين ذكر اسم هولاكو نثر الذهب والفضة فوق رؤوس الناس[٢] ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قبح [الله ذلك القاضي والأمير والزوجة والسلطان][٣] .

وذكر أبو شامة[٤] أن ابن الزكي استحوذ[٥] على مدارس كثيرة في مدته هذه القصيرة ، فإنه عزل قبل رأس الحول ، فأخذ في هذه المدة العذراوية والسلطانية والفلكية والركنية والقيمرية والعزيزية مع المدرستين اللتين كانتا بيده التقوية والعزيزية ، وأخذ لولده عيسى تدريس الأمينية ومشيخة الشيوخ ، وأخذ أم الصالح لبعض أصحابه وهو العماد المصري ، وأخذ الشامية البرَّانية[٦] لصاحب له ، واستناب أخاه لأمه شهاب الدين إسماعيل بن أسعد بن حبيش في القضاء وولاه الرواحية والشامية البرانية . قال أبو شامة[٧] : مع أن شرط واقفها أن لا يجمع بينها وبين غيرها .

ولما رجعت دمشق وغيرها إلى المسلمين ، سعى في القضاء ، وبذل أموالاً ليستمر فيه وفيما بيديه من المدارس ، فلم يستمر بل عزل بالقاضي نجم الدين[٨] أبي بكر بن صدر الدين بن سنيّ الدولة ، فقرئ توقيعه بالقضاء يوم الجمعة بعد الصلاة في الحادي والعشرين من ذي القعدة عند الشباك الكمالي من مشهد عثمان من جامع دمشق . ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار[٩] بعين جالوت ساق وراءهم ودخل دمشق في أُبَّهة عظيمة وفرح به الناس[١٠] فرحاً شديداً وَدَعَوْا له دعاءً كثيراً ، وأقرَّ صاحب حمص الملكَ الأشرفَ عليها ، وكذلك المنصور صاحب حماة ، واسترد حلب من يد هولاكو[١١] ، وعاد الحق إلى نصابه ومهد القواعد ، وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ليطرد التتار عن حلب

---

(١) أ ، ب : هناك والحال كذلك .
(٢) أ ، ب : من فوق رؤوس الناس .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ذيل الروضتين (٢٠٥) .
(٥) أ ، ب : وذكر أبو شامة أيضاً أنه استحوذ .
(٦) أ ، ب : وكذا أخذ البرمانية .
(٧) ذيل الروضتين (٢٠٦) .
(٨) أ ، ب : ولما رجعت المملكة إلى المسلمين سعى القاضي محيي الدين وبذل أموالاً جزيلة ليستمر في القضاء والمدارس التي استولى عليها في مدة هذه الشهور فلم يستمر إلا قليلاً القضاء لنجم الدين .
(٩) أ ، ب : المغول .
(١٠) أ ، ب : فرح الناس به .
(١١) أ ، ب : من أيدي التتار .

ويتسلمها[١] ووعده بنيابتها ، فلما طردهم عنها وأخرجهم منها وتسلمها المسلمون استناب عليها غيره وهو علاء الدين ابن صاحب الموصل[٢] ، وكان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما واقتضت قتل الملك المظفر قطز سريعاً ، ولله الأمر من قبل ومن بعد . فلما فرغ المظفر من الشام عزم على الرجوع إلى مصر واستناب[٣] على دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي[٤] . الكبير والأمير مجير الدين بن الحسين بن آقشتمر ، وعزل القاضي ابن الزكي عن قضاء دمشق ، وولي ابن سني الدولة ثم رجع[٥] إلى الديار المصرية والعساكر الإسلامية في خدمته ، وعيون الأعيان تنظر إليه شزراً من شدة هيبته .

ذكر سلطنة الملك الظاهر[٦] بيبرس البندقداري

وهو الأسد الضاري ، وذلك أن السلطان الملك المظفر قطز لما عاد قاصداً مصر ، وصل إلى[٧] ما بين الغُرابيّ[٨] والصالحية ، عدا عليه الأمراء فقتلوه هنالك ، وقد كان رجلاً صالحاً كثير الصلاة في الجماعة ، ولا يتعاطى المسكر ولا شيئاً مما يتعاطاه الملوك[٩] ، وكانت مدة ملكه من حين عزل ابن أستاذه المنصور علي بن المُعِزّ التركماني إلى هذه المدة ، وهي أواخر ذي القعدة نحواً من سنة ، رحمه الله وجزاه عن الإسلام وأهله خيراً . وكان الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري قد اتفق مع جماعة من الأمراء على قتله ، فلما وصل إلى هذه المنزلة ضرب دهليزه وساق خلف أرنب ، وساق معه أولئك الأمراء فشفع عنده ركن الدين بيبرس[١٠] في شيء فشفعه ، فأخذ يده ليقبّلها فأمسكها وحمل عليه أولئك الأمراء بالسيوف [فضربوه بها][١١] ، ألقوه عن فرسه ورشقوه بالنشاب حتى قتلوه[١٢] رحمه الله ، ثم كَرُّوا راجعين إلى

---

(١) ويتسلم مدينة حلب .
(٢) أ ، ب : معابر البندقداري ذلك .
(٣) أ ، ب : التي اقتضت قتل المظفر سريعاً عاجلاً ولله الأمر وعزم المظفر على الذهاب إلى الديار المصرية فاستناب .
(٤) سترد ترجمة سنجر الحلبي في وفيات سنة ٦٩٢ إن شاء الله .
(٥) أ ، ب : وولي علاء الدين بن سني الدولة ثم عاد إلى الديار المصرية .
(٦) أ ، ب : ذكر سلطنة الملك الظاهرة وهو الأسد الضاري بيبرس البندقداري .
(٧) أ ، ب : لما عاد بالعساكر قاصداً الديار المصرية فوصل إلى .
(٨) ط : الغزالي ، والغُرابي : رمل معروف بطريق مصر بين قَطْية والصالحية صعب المسلك . معجم البلدان (٤/ ١٩٠) .
(٩) أ ، ب : لا يتعاطى الشراب ولا شيئاً مما يتعاناه الملوك .
(١٠) أ : ركن الدين بيبرس البندقداري . ب : ركن بيبرس .
(١١) عن ط وحدها .
(١٢) أ ، ب : حتى أجهزوا عليه .

المخيم وبأيديهم السيوف مصْلَـتَة ، فأخبروا من هناك[١] بالخبر ، فقال بعضهم من قتله ؟ فقالوا[٢] : ركن الدين بيبرس ، [فقالوا : أنت قَتَلْتَهُ ؟ فقال نعم ، فقالوا[٣] : أنت الملك إذاً ، وقيل لما قتل حار الأمراء بينهم فيمن يولُّون الملك ، وصار كل واحد منهم يخشى غائلة ذلك ، وأن يصيبه ما أصاب غيره سريعاً ، فاتفقت كلمتهم على أن بايعوا بيبرس البندقداري[٤] ، ولم يكن هو من أكابر المُقَدَّمين ، ولكن أرادوا أن يجرّبوا فيه ، ولقَّبوه الملك الظاهر ، فجلس على سرير المملكة وحكم ، ودقَّت البشائر وضُربت الطبول والبوقات وصفرت الشبابة[٥] ، وزعقت الشاوشية بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً وتَوَكَّلَ على الله واستعان به ، ثم دخل مصر والعساكر[٦] في خدمته ، فدخل قلعة الجبل وجلس على كرسيها ، فحكم وعدل وقطع ووصل وولَّى وعزل ، وكان[٧] شهماً شجاعاً أقامه الله للناس لشدة احتياجهم إليه[٨] في هذا الوقت الشديد والأمر العسير ، وكان أولاً لقَّب[٩] نفسه بالملك القاهر ، فقال له الوزير : إن هذا اللقب لم يفلح من تَلَقَّب[١٠] به : تَلَقَّبَ به القاهر بن المعتضد[١١] فلم تطل أيامه حتى خلع وسملت عيناه ، ولقب به القاهر[١٢] صاحب الموصل فسم فمات ، فعدل عنه حينئذ إلى الملك الظاهر ، ثم شرع في مسك من يرى في نفسه رئاسة من أكابر الأمراء حتى مهد الملك[١٣] . وقد كان هولاكوخان لمَّا بلغه ما جرى على جيشه من المسلمين بعين جالوت أرسل جماعة من جيشه الذين معه كثيرين ليستعيدوا الشام من أيدي المسلمين[١٤] ، فحيل بينهم وبين ما يشتهون فرجعوا إليه خائبين خاسرين ، وذلك أنه نهض إليهم الهزبر الكاسر والسيف البائر[١٥] الملك الظاهر ، فقدم دمشق وأرسل العساكر في كل وجه لحفظ الثغور والمعاقل

---

(١) أ ، ب : من هنالك .

(٢) أ ، ب : فقال .

(٣) أ ، ب : مكان الرقمين : فقيل له .

(٤) أ ، ب : وقيل لما قتله الأمراء حاروا فيما بينهم أن يملكوا عليهم وصار كل واحد منهم يخشى من غائلة ذلك وأنه يقتل سريعاً ثم اتفقت كلمتهم على أن بايعوا الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري .

(٥) ط : الشغابة وزعقت الشاووشية .

(٦) أ ، ب : ثم دخل بالعساكر الديار المصرية .

(٧) أ ، ب : وحكم وعزل وقطع ووصل مكانه .

(٨) أ ، ب : أقامه الله كفؤ محتاجاً إليه .

(٩) أ ، ب : في هذا الوقت الشديد والحال الضيق وكان أولاً قد لقب .

(١٠) ط : لا يفلح مَنْ يلقب به .

(١١) ط : المعتمد ؛ وهو تحريف . زامباور (٣) .

(١٢) أ ، ب : حتى خلع وسمل وتلقب به القاهر .

(١٣) أ ، ب : حتى مهد الملك كما يريد والله على كل شيء شهيد .

(١٤) أ ، ب : أرسل جماعة كثيرة من جيشه إلى بلاد الشام ليستعيدوه من أيدي جيش الإسلام .

(١٥) أ ، ب : ورجعوا وهم خائبون خاسرون وذلك أنه نهد إليهم الهزبر الكاسر والسيف الباتر السلطان الملك المؤيد الظاهر .

بالأسلحة[١] ، فلم يقدر التتار على الدنو إليه[٢] ، ووجدوا الدولة قد تغيرت ، والسواعد قد شمرت ، [والسيوف البواتر قد سلت ، والرماح الخطية قد اعتقلت ، والقسي قد وترت ، والنبال قد حصلت ، والخيول قد ضمرت ، والطبول قد حصلت ، وعناية الله بأهل الشام قد تنزّلت ، ورحمته به قد تداركت][٣] ، فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابهم ، وكروا راجعين[٤] القهقرى [على أذنابها] ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وقد كان الملك المظفر قطز رحمه الله استناب على دمشق الأمير علم الدين سنجر[٥] الحلبي أحد الأتراك ، فلما بلغه مقتل المظفر دخل القلعة ودعا إلى نفسه وتسمى بالملك المجاهد ، فلما جاءت البيعة للملك الظاهر خطب له يوم الجمعة السادس من ذي الحجة ، فدعا الخطيب أولاً للمجاهد ثم للظاهر ثانياً وضُربت السكةُ باسمهما معاً ، ثم ارتفع المجاهد هذا من البين كما سيأتي[٦] .

وقد اتفق في هذا العام أمورٌ عجيبةٌ ، وهي أن أول هذه السنة كانت[٧] الشام للسلطان الناصر ابن العزيز ، ثم في النصف[٨] من صفر صارت لهولاكو[٩] ملك التتار ، ثم في آخر رمضان صارت للمظفر قطز ثم في أواخر [ذي] القعدة صارت للظاهر بيبرس[١٠] ، وقد شركه في دمشق الملك المجاهد [علم الدين] سنجر [كما ذكرنا] ، وكذلك كان القضاء في أولها بالشام لابن سني الدولة صدر الدين[١١] ، ثم صار للكمال عمر التفليسي من جهة [هولاكو][١٢] ثم لابن الزكي[١٣] ثم لنجم الدين ابن سنيّ الدولة . وكذلك كان خطيب جامع دمشق عماد الدين بن الحرستاني[١٤] من سنين متطاولة ، فعزل في شوال

---

(١) أ ، ب : وأرسل الجيوش من كل جانب لحفظ الثغور والمعاقل بالأسلحة التامة والجحافل .

(٢) بعدها في أ : ولا القدوم عليه .

(٣) مكان ما بين الحاصرتين في ط : وعناية الله بالشام وأهله قد حصلت ورحمته بهم قد نزلت .

(٤) أ ، ب : فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابها وكرت راجعة القهقرى على أذنابها والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتكمل المسرات في هذه الحياة الدنيا وبعد الممات .

(٥) سترد ترجمة سنجر الحلبي في وفيات سنة ٦٩٢ من هذا الجزء .

(٦) أ ، ب : على ما سيأتي بيانه وتفصيله .

(٧) أ ، ب : وهو أن أولها كانت بالشام للناصر .

(٨) أ ، ب : في المنتصف .

(٩) أ ، ب : لهولاكوقان .

(١٠) أ ، ب : القعدة انتقلت إلى ممثلة السلطان الملك الظاهر .

(١١) أ ، ب : صدر الدين بن سني الدولة .

(١٢) عن ط وحدها .

(١٣) أ ، ب : ثم لمحيي الدين بن الزكي .

(١٤) سترد ترجمة ابن الحرستاني في وفيات سنة ٦٦٢ .

منها[١] بالعماد الأسعردي ، وكان صيّناً قارئاً مجيداً ، ثم أعيد العماد الحرستاني في أول ذي القعدة منها . فسبحان من بيده الأمور يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد[٢] .

وفيها : توفي من الأعيان[٣] :

قاضي القضاة صَدر الدين أبو العباس بن سَنيّ الدولة[٤] أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن[٥] بن يحيى بن محمد بن علي بن يحيى بن صَدَقة بن الخيَّاط ، قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس بن سنيّ الدولة التَّغْلبي الدمشقي الشافعي .

وسَنيّ الدولة هو الحسن[٦] بن يحيى المذكور كان قاضياً[٧] لبعض ملوك دمشق في حدود الخمسمئة ، وله أوقاف على ذريته .

وابن الخياط الشاعر صاحب الديوان وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي هو عم سَني الدولة .

ولد القاضي صدر الدين[٨] سنة تسع وخمسين وخمسمئة ، وسمع الخشوعي[٩] وابن طبرزد[١٠] ، والكندي[١١] وغيرهم ، وحدث ودرس في عدة مدارس وأفتى ، وكان [فاضلاً] عارفاً بالمذاهب مشكور السيرة ، ولكن الشيخ شهاب الدين أبا شامة[١٢] ينال منه ويذمه ، فالله أعلم .

---

(١) أ ، ب : من هذه السنة .

(٢) أ ، ب : بيده الأمر يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون .

(٣) أ ، ب : وممن توفي فيها من الأعيان .

(٤) ترجمة ـ صدر الدين بن سنيّ الدولة ـ في ذيل الروضتين (٢٠٦) وذيل مرآة الزمان (١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٧٣) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٥) والعبر (٥/ ٢٤٤) والإشارة إلى وفيات الأعلام (٣٥٥) وطبقات الإسنوي (١/ ٥٤٨) والدارس (١/ ١٦٠) وشذرات الذهب (٧/ ٤٠٥) .

(٥) في ط : الحسين ؛ وهو تحريف ، وما هنا عن الأصلين وهو موافق لما في مصادره .

(٦) ط : وسني الدولة الحسين ؛ تحريف .

(٧) أ ، ب : وكان كاتباً .

(٨) ط : سني الدولة .

(٩) الخشوعي هو زكي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي الدمشقي . سمع ابن عساكر وابن صابر وعدة فأكثر وله مشيخته انتقاها زكي الدين البرزالي . توفي سنة ٦٤٠ . وترجمته في ذيل الروضتين (١٧٢) والعبر (٥/ ١٦٤) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٠٢) .

(١٠) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٠٧ من هذا الجزء .

(١١) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦١٣ .

(١٢) ذيل الروضتين (٢٠٦) .

وقد ولي الحكم بدمشق استقلالاً سنة ثلاث وأربعين واستمر إلى هذه[١] السنة فسافر حين عزل بالكمال التفليسي هو والقاضي محيي الدين بن الزكي[٢] ، إلى هولاكو لما أخذ حلب فولى ابن الزكي القضاء ، واختار[٣] ابن سَنيّ الدولة بعلبك فقدمها وهو متمرض فمات بها ودفن عند الشيخ عبد الله اليونيني[٤] ، وقد كان الملك الناصر يثني عليه كما كان الملك الأشرف يثني على والده شمس الدين[٥] . ولما استقرَّ الملك الظاهر بيبرس ولَّى القضاء ولدَه نجم الدين[٦] أبا بكر بن قاضي القضاة صدر الدين القضاء بدمشق وعزل ابن الزكي ، ثم عزله بعد سنة وثنى بابن خلكان على ما سيأتي بيانه وبالله المستعان . والقاضي صدر الدين بن سَنيّ الدولة هذا هو الذي أحدث[٧] في زمن المشمش بطالة الدروس لأنه كان له بستان بأرض السَّهم ، فكان يشقُّ عليه النزول في ذلك الوقت إلى الدرس[٨] فبطل الناس هذه الأيام واتبعوه[٩] في ذلك ، والنفوس إنما تؤثر الراحة والبطالة ، ولا سيما أصحاب البساتين في أيام الفواكه وكثرة الشهوات في تلك الأيام ولا سيما القضاة .

وفيها توفي :

الملك السعيد[١٠] صاحب ماردين[١١] ، نجم الدين[١٢] إيلْ غازي بن المنصور أرْتُق بن أرْسلان بن إيلْ غازي بن ألْبي[١٣] بن تِمِرْتاش بن أيلْ غازي بن أرتق[١٤] .

وكان شجاعاً [معظَّماً] ملك يوماً ، وقد وقع في قلعته توران[١٥] شاه بن الملك صلاح الدين

(١) ط : إلى مدة . وليست اللفظة في ب .
(٢) بعده في ط : وقد سافر هو وابن الزكي .
(٣) أ ، ب : ثم عادا من عنده وقد تولى ابن الزكي فاختار .
(٤) تقدمت ترجمة ـ عبد الله اليونيني ـ في وفيات سنة ٦١٧ من هذا الجزء
(٥) أ ، ب : قاضي القضاة شمس الدين بن سني الدولة . طبقات الإسنوي (١/ ٥٤٧) .
(٦) أ ، ب : ولما استقر أمر السلطان الملك الظاهر ولّى ولده القاضي نجم الدين .
(٧) ط : (حدث) تحريف .
(٨) ط : يشقّ عليه مفارقة المشمش والنزول إلى المدارس .
(٩) أ ، ب : فبطل للناس هذه الأيام فاتبعوه في ذلك .
(١٠) أ ، ب : صاحب ماردين الملك السعيد .
(١١) ترجمة ـ إيل غازي ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٣٧٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٧٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٩٠ و٢٠٢) ، والإشارة إلى وفيات الأعيان (٣٥٦) والوافي بالوفيات (١٠/ ٢٧) .
(١٢) ط : نجم الدين بن إيل غازي .
(١٣) ط : السني .
(١٤) ط : ارتثى .
(١٥) أ : ملك يوماً في قلعته توران شاه .

[يوسف بن أيوب]كان نائباً للملك الناصر[(١)] بن العزيز بن الظاهر بن الناصر صاحب دمشق على حلب [حتى تملك دمشق] ، وقد حصن حلب من أيدي المغول مدة شهر ، ثم تسلمها بعد محاصرة شديدة صلحاً . [ثم] كانت وفاته في هذه السنة ودفن بدهليز داره .

وفيها قتل :

الملك السعيد[(٢)] حسن بن العزيز عثمان بن الملك العادل[(٣)] أبي بكر بن أيوب .

كان صاحب الصُّبَيْبَة وبانياس بعد أبيه ، ثم أُخذتا منه وحُبس بقلعة البيرة[(٤)] ، فلما جاءت التتار كان معهم وردوا عليه بلاده ، فلما كانت وقعة عين جالوت أُتي به أسيراً[(٥)] إلى بين يدي [الملك] المظفر قطز فضرب عنقه ، لأنه كان قد لبس سَراقوج[(٦)] التتار وناصحهم على المسلمين .

عبد الرحمن[(٧)] بن عبد الرحيم بن [عبد الرحمن] بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين بن علي أبو طالب[(٨)] ، شرف الدين ابن العَجَمي الحلبي الشافعي .

من بيت العلم والرئاسة بحلب ، درس بالظاهرية ووقف مدرسة بها ودفن بها ، توفي[(٩)] حين دخلت التتار حلب في صفر ، فعذبوه وصبوا عليه ماءً بارداً في الشتاء فَتَشَنَّجَ حتى مات رحمه الله .

الملك المظفر قُطُز[(١٠)] بن عبد الله سيف الدين التركي ، أَخَصُّ مماليك المعز [عز الدين أيبك] التركماني ، أحد مماليك الصالح[(١١)] أيوب بن الكامل . لما قتل أستاذه المعز قام في تولية ولده نور الدين

---

(١) ط : الظاهر وانظر سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٠٤) والنجوم (٧/ ٢٠٣) .

(٢) ترجمة ـ الملك السعيد ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) واسمه فيه : الحسين : تحريف . وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٧٨) والعبر (٥/ ٢٤٥) والإشارة (٣٥٦) والنجوم (٧/ ٩٢) والشذرات (٧/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦) .

(٣) ط : حسن بن عبد العزيز بن العادل .

(٤) ط : المنيرة ؛ وهو تحريف .

(٥) أ ، ب : جاء بعد الوقعة أسيراً .

(٦) ط : سرقوج . وفي العبر : سرقوس . وفي عقد الجمان (١/ ٢٧٧) . سراقوج : لباس الرأس عند التتار .

(٧) ترجمة ـ ابن العجمي ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٨٨٣) العبر (٥/ ٢٤٧) والإشارة (٣٥٥) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٤٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٩١) وشذرات الذهب (٧/ ٥٠٧) .

(٨) ط : بن أبي طالب .

(٩) أ ، ب : وكانت وفاته .

(١٠) ترجمة ـ قطز ـ في ذيل الروضتين (٢١٠) وذيل مرآة الزمان (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٤) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٨٧) والعبر (٥/ ٢٤٧) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) والإعلام في وفيات الأعلام (٢٧٥) والإشارة (٣٥٦) وفوات الوفيات، (٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٣) وطبقات السبكي (٨/ ٢٧٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٧٢ ـ ٨٩) وحسن المحاضرة (٢/ ٣٨ ـ ٣٩) وشذرات الذهب (٧/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) .

(١١) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل : ملك حران وسنجار وحصن كيفا ثم دمشق ثم مصر =

المنصور علي[(١)] ، فلما سمع بأمر التتار خاف أن تختلف الكلمة لصغر[(٢)] ابن أستاذه فعزله ودعا إلى نفسه ، فبويع في ذي القعدة سنة سبع وخمسين كما تقدم ، ثم سار إلى التتار فقدر[(٣)] الله على يديه نصرة الإسلام كما ذكرنا ، [بعين جالوت] ، وقد كان شجاعاً بطلاً كثير الخير ناصحاً[(٤)] للإسلام وأهله [وكان الناس يحبونه ويدعون له كثيراً][(٥)] .

ذكر عنه أنه لما كان يوم المعركة بعين جالوت قُتل جواده ولم يجد أحداً في الساعة الراهنة من الوشاقية الذين معهم النجائب ، فترجَّل وبقي واقفاً [كذلك] على الأرض ثابتاً ، والقتال عمَّال في المعركة ، وهو في موضع السلطان من القلب[(٦)] ، فلما رآه بعض الأمراء تَرَجَّلَ عن فرسه وحلفَ على السلطان ليركبنها فامتنع وقال لذلك الأمير[(٧)] : ما كنت لأحرم المسلمين نفعَكَ . ولم يزل كذلك حتى جاءته الوشاقية بالخيل فركب[(٨)] ، فلامه بعضُ الأمراء وقال : يا خوند لم لا ركبت فرسَ فلانٍ ؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك[(٩)] وهلك الإسلام بسببك ، فقال : أما أنا فكنتُ أروح إلى الجنة ، وأما الإسلام فله ربٌّ لا يضيّعه ، قد قُتل فلان وفلان وفلان حتى عدَّ خلقاً من الملوك ، فأقام للإسلام من يحفظه غيرهم ، ولم يضيّع الإسلام . رحمه الله .

وكان حين سار من مصر في خدمته[(١٠)] خلق من كبار الأمراء البحرية وغيرهم ، ومعه المنصور صاحب حماة وجماعة من أبناء الملوك . فأرسل إلى صاحب حماة يقول له لا تتعنّى في مد[(١١)] سماط في هذه الأيام ، وليكن مع الجندي لحمة يأكلها[(١٢)] ، والعجلَ العجلَ ، وكان اجتماعه مع عدوه[(١٣)] كما ذكرنا في العشر الأخير من رمضان يوم الجمعة ، وهذه بشارة عظيمة ، فإن وقعة بدر كانت يوم الجمعة في

= مات سنة ٦٤٧ . ذيل الروضتين (١٨٣) والنجوم (٦/ ٣٦٣) والشذرات (٧/ ٤١١) وترويح القلوب (٧٩) .

(١) أ ، ب : ثم إنه لما قتل أستاذه العز قام في تولية ابن أستاذه المنصور نور الدين علي .

(٢) أ ، ب : بسبب صخر ابن .

(٣) ط : فجعل .

(٤) أ ، ب : ممالئاً . وهما بمعنى .

(٥) ما بين الحاصرتين في أ ، ب : وهم يحبونه .

(٦) أ ، ب : ثابتاً في محل المعركة وموضع السلطنة من القلب .

(٧) أ ، ب : وحلف على السلطان ليركب فامتنع السلطان وقال ما كنت .

(٨) أ ، ب : حتى جاءت الوشاقية فركب .

(٩) أ ، ب : فلو كان رآك بعض الأعداء لقتلك .

(١٠) أ ، ب : فلم يضيع الله الإسلام وكان حين ساق من الديار المصرية في خدمته .

(١١) أ ، ب : لا تتعنى بمدّ سماط .

(١٢) أ ، ب : لمة في سولقة .

(١٣) أ ، ب : بعدوه .

رمضان(١) ، وكان فيها نصر الإسلام . ولما قدم دمشق في شوال أقام بها العدل ورتب الأمور ، وأرسل بيبرس خلف التتار ليخرجهم ويطردهم عن حلب(٢) ، ووعده بنيابتها فلم يف [لما رآه من المصلحة](٣) ، فوقعت الوحشة بينهما بسبب ذلك ، فلما عاد إلى مصر تمالأ عليه الأمراء مع بيبرس فقتلوه(٤) بين الغُرابي(٥) والصالحية ودفن بالقصر ، وكان قبره يزار ، فلما تمكن الظاهر من المُلك بعث إلى قبره فغيبه عن الناس ، وكان لا يعرف بعد ذلك ، قتل يوم السبت(٦) سادس عشر من ذي القعدة رحمه الله .

وحكى الشيخ قطب الدين اليونيني(٧) في الذيل على المرآة عن الشيخ علاء الدين بن غانم(٨) عن المولى تاج الدين أحمد بن الأثير كاتب السر في أيام الناصر صاحب دمشق ، قال : لما كنا مع [السلطان] الناصر بوطأة برزة جاءت البريدية بخبر أن قطز قد تولى الملك بمصر(٩) ، فقرأت ذلك على السلطان ، فقال : اذهب إلى فلان وفلان فأخبرهم بهذا ، قال : فلما خرجت عنه لقيني بعض الأجناد فقال لي جاءكم الخبر من مصر(١٠) بأن قطز قد تملَّكَ ؟ فقلت : ما عندي من هذا علم وما يدريك أنت بهذا ؟ فقال بلى والله سيلي المملكة ويكسر التتار ، فقلت من أين تعلم هذا ؟ فقال(١١) : كنت أخدمه وهو صغير وكان عليه قملٌ كثير فكنت أفلّيه وأهينه وأذمّه ، فقال لي يوماً : ويلك إيش تريد أعطيك إذا ملكت الديار المصرية(١٢) ؟ فقلت له أنت مجنون ؟ فقال : [والله] لقد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال لي : أنت تملك الديار المصرية وتكسر التتار(١٣) ، وقول رسول الله ﷺ حقٌّ لا شكَّ فيه ، فقلتُ له حينئذ ـ وكان صادقاً ـ أريدُ منك إمرة خمسين فارساً(١٤) ، فقال نعم أبشر . قال ابن الأثير : فلما قال لي هذا قلت هذه كتب المصريين

---

(١) أ : شهر رمضان ولهذا نصر الإسلام نصراً عزيزاً .
(٢) أ ، ب : ورتب الأمور كما ذكرنا وأرسل ركن الدين بيبرس البندقداري خلف التتار يطردهم ويخرجهم عن حلب .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) أ ، ب : ولما عاد المظفر قطز إلى مصر تمالأ عليه البندقداري وغيره من الأمراء .
(٥) تقدم التعريف بها قبل صفحات .
(٦) أ ، ب : فكان لا يعرف بعد ذلك وكان مقتله في يوم السبت .
(٧) ذيل مرآة الزمان (١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) .
(٨) في أ ، ب : غايم . وهو تحريف .
(٩) أ ، ب : جاءت البريدية يخبرون بأن المظفر قطز قد تولى السلطنة بالديار المصرية .
(١٠) أ ، ب : فلما خرجت من هذه لقيني بعض الأجناد فقال لي جاءكم الخبر من الديار المصرية .
(١١) أ ، ب : بلى والله إنه سيلي المملكة ويكسر التتر فقلت من أين تعلم هذا قال .
(١٢) أ ، ب : ويلك إيش تريد أن أعطيك إذا تملكت الديار المصرية .
(١٣) أ ، ب : التتر .
(١٤) أ : فارس : وهو يخالف السياق النحوي .

بأنه قد تولَّى السلطنة ، فقال والله ليكسرن التتار ، وكان كذلك[١] ، ولما رجع الناصر إلى ناحية الديار المصرية وأراد دخولها ورجع عنها ودخلها أكثر الجيوش الشامية كان هذا الأمير الحاكي في جملة من دخلها ، فأعطاه[٢] المظفر إمرة خمسين فارساً ، ووفى له بالوعد ، وهو الأمير جمال الدين البركخاني[٣] . قال ابن الأثير : فلقيني بمصر بعد أن تأمر فذكرني[٤] بما كان أخبرني عن المظفر ، فذكرته . ثم كانت وقعة التتار على إثر ذلك فكسرهم وطردهم عن البلاد . وقد روي عنه أنه لما رأى عصائب التتار قال للأمراء والجيوش الذين معه : لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس وتفيء الظلال وتهب الرياح ، ويدعو لنا الخطباء والناس في صلاتهم ، رحمه الله تعالى .

[كتبغانوين][٥] وفيها : هلك كَتْبُغانُوِين نائب هولاكو على بلاد الشام لعنه الله .

ومعنى نُوين يعني[٦] أمير عشرة آلاف ، وكان هذا الخبيث قد فتح لأستاذه هولاكو من أقصى بلاد العجم إلى الشام ، وقد أدرك جنكيز خان [الكبير] جد هولاكو ، و[قد] كان كَتْبُغا هذا يعتمد في حروبه للمسلمين أشياء لم يسبقه أحد إليها[٧] ، كان إذا فتح بلداً ساق مقاتلة هذا البلد إلى البلد الآخر الذي يليه ، ويطلب من أهل ذلك البلد أن يؤوا هؤلاء إليهم ، فإن فعلوا حصل مقصوده في تضييق الأطعمة والأشربة عليهم ، فتقصر مدة الحصار[٨] عليه[٩] لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم ، وإن امتنعوا من إيوائهم عندهم قاتلهم بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذي فتحه قبل ذلك ، فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك بهؤلاء حتى يفني تلك المقاتلة ، فإن حصل الفتح وإلا قاتلهم بجنده وأصحابه مع راحة أصحابه وتعب أهل البلد وضعفهم حتى يفتحهم سريعاً . وكان يبعث إلى الحصن يقول : إن ماءكم قد قل فنخشى أن نأخذكم عنوة فنقتلكم عن آخركم ونسبي نساءكم وأولادكم فما بقاؤكم بعد ذهاب مائكم ، فافتحوا صلحاً قبل أن نأخذكم قسراً ، فيقولون له : إن الماء عندنا كثير فلا نحتاج إلى ماءٍ. فيقول : لا أصدق حتى أبعث من عندي من يشرف عليه فإن كان كثيراً انصرفت عنكم ، فيقولون : ابعث

---

(١) أ ، ب : فكان كذلك كما قال .

(٢) أ ، ب : فأمره .

(٣) أ : التركخاني ، وب : البركة خاني ، وط : التركماني . وما هنا عن ذيل مرآة الزمان مصدر المؤلف .

(٤) أ ، ب : فلقيني بالديار المصرية بعد أن يأمر فذكرني .

(٥) ترجمة ـ كتبغانوين ـ في تاريخ الإسلام (١٤/ ٨٨٩) والعبر (٥/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) والإشارة (٣٥٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٩٠) .

(٦) أ ، ب : أي .

(٧) أ ، ب : للمسلمين وببلاد خراسان والعراق أشياء لم يسبقه أحد أبداً .

(٨) أ ، ب : بتقصير مدة حصارهم .

(٩) من هذه اللفظة إلى قول اليونيني مختلف كثيراً في الأصلين أ ، ب ولكن المؤدى واحد ، ولم أجد في إثبات الخلاف كبير فائدة .

من يشرف عليه ، فيرسل رجالاً من جيشه معهم رماح مجوفة محشوة سماً ، فإذا دخلوا الحصن الذي أعياه ساطوا ذلك الماء بتلك الرماح على أنهم يفتشونه ويعرفون قدره ، فينفتح ذلك السم ويستقر في ذلك الماء فيكون سبب هلاكهم وهم لا يشعرون لعنه الله لعنة تدخل معه قبره . وكان شيخاً كبيراً قد أسن وكان يميل إلى دين النصارى ولكن لا يمكنه الخروج من حكم جنكيزخان في الياساق .

قال الشيخ قطب الدين اليونيني : وقد رأيته ببعلبك حين حاصر قلعتها ، وكان شيخاً حسناً له لحيةٌ طويلةٌ مسترسلة [رقيقة] قد ضفرها مثل الدبوقة ، وتارة يعلّقها من خلفه بأُذنه ، وكان مهيباً شديد السطوة .

قال : وقد دخل الجامع فصعد(١) المنارة ليتأمل القلعةَ منها ، ثم خرج من الباب الغربي فدخل دكاناً خراباً فقضى حاجته والناسُ ينظرون إليه وهو مكشوفُ العورةِ ، فلما فرغ من حاجته مسحه بعض أصحابه بقطن ملبد مسحة واحدة(٢) .

قال : ولما بلغه خروج المظفر بالعساكر من مصر تلوم في أمره وحار ماذا يفعل ، ثم حملته نفسه الأبية على لقائه ، وظن أنه منصور على جاري عادته(٣) ، فحمل يومئذ على الميسرة فكسرها ثم أيد الله المسلمين وثبتهم في المعركة فحملوا حملة صادقة على التتار فهزموهم هزيمة لا تجبر أبداً ، وقتل أميرهم كتبغانوين(٤) في المعركة وأُسر ابنُه ، وكان شاباً حسناً ، فأُحضر بين يَدَي المُظَفَّر قطز فقال له : أهربَ أبوك ؟ قال إنه لا يهرب ، فطلبوه فوجدوه بين القتلى ، فلما رآه ابنه صرخ وبكى ، فلما تحققه المظفر سجد لله تعالى ثم قال : أنامُ طيباً . كان هذا سعادة التتار(٥) وبقتله ذهب سعدهم ، وهكذا كان كما قال ولم يفلحوا بعده أبداً ، وكان قتله يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، وكان الذي قتله الأمير آقوش الشمسي(٦) رحمه الله .

الشيخ محمد الفقيه اليونيني(٧) ، الحنبلي البعلبكي الحافظ ، هو محمد بن أحمد [بن عبد الله](٨) بن

---

(١) أ ، ب : فقصد .

(٢) أ ، ب : ولما فرغ مسحه بعضهم بقطن لبد مسحة واحدة .

(٣) أ ، ب : ولما بلغه بروز المظفر إليه بالعساكر المصرية تلوم في أمره ثم حملته نفسه الأبية على لقائهم وظن أنه يتنصر كما كانت عادته .

(٤) أ ، ب : وثبّتهم فحملوا حملة صادقة على التتر فهزموهم هزيمة لا تنجبر أبداً وقتل كتبغانوين .

(٥) أ ، ب : فلما تحققه المظفر قال : نام طيباً كان هذا سعادة التتر .

(٦) أ ، ب : من رمضان لعنه الله تعالى وكان الذي تولى قتل كتبغانوين في المعركة الأمير جمال الدين آقوش الشمسي .

(٧) ترجمة ـ محمد اليونيني ـ في ذيل الروضتين (٢٠٧) وذيل مرآة الزمان (١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٨٩) والعبر (٥/ ٢٤٨) والإشارة (٣٥٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٥) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٣٩) والوافي بالوفيات (٢/ ١٢١) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٩) والمقصد الأرشد (٢/ ٣٥٦) وشذرات الذهب (٧/ ٥٨ ـ ٥٩) .

(٨) عن ط وحدها .

عيسى بن أبي الرجال أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق، كذا نقل هذه النسبة الشيخ قطب الدين اليونيني[١] من خط أخيه الأكبر أبي الحسين علي وأخبره أن والده قال له : نحن من سلالة جعفر الصادق ، قال : وإنما ذكر له هذا عند الموت ليخرج من قبول الصدقة[٢] .

أبو عبد الله بن أبي الحسين اليُونيني الحنبلي تقي الدين الفقيه[٣] الحافظ المفيد البارع العابد الناسك ، ولد سنة ثنتين وسبعين وخمسمئة ، وسمع الخُشوعي[٤] وحنبلاً[٥] والكندي[٦] والحافظ عبد الغني[٧] [المقدسي] وكان يثني عليه ، وتفقه على [الشيخ] الموفق[٨] ، ولزم الشيخ عبد الله اليونيني[٩] فانتفع به ، وكان الشيخ عبد الله يُثْني عليه ويُقدمه ويَقتدي به في الفتاوى [الشرعية] ، وقد لبس الخرقة من شيخ شيخه عبد الله البطائحي ، وبرع في علم الحديث وحفظ الجمع بين الصحيحين بالفاء والواو ، وحفظ[١٠] قطعةً صالحةً من مسند [الإمام] أحمد ، وكان يعرف العربية ، أخذها[١١] عن التاج الكندي ، وكتب مليحاً حسناً ، وكان الناس ينتفعون بفنونه الكثيرة ، ويأخذون عنه الطرق[١٢] الحسنة ، وقد حصلت له وجاهة عظيمة عند الملوك .

توضَّأ مرةً عند الملك الأشرف بالقلعة[١٣] . حال سماع البخاري على الزبيدي ، فلما فرغ من الوضوء نفض السلطان تخفيفته[١٤] وبسطها على الأرض[١٥] ليطأ عليها ، وحلف السلطان[١٦] له أنَّها طاهرةٌ ولا بدّ أن يطأ برجلَيْهِ عليها ففعل ذلك[١٧] .

(١) ذيل مرآة الزمان (١/ ٤٢٩) وينتهي نسبة فيه إلى جده السادس (علي) .
(٢) ط : وإنما قال هذا عند الموت ليتحرج من قبول الصدقات .
(٣) ط : الفقيه الحنبلي . وهي مكررة .
(٤) تقدمت ترجمة الخشوعي قبل صفحات .
(٥) تقدمت ترجمة حنبل في وفيات سنة ٦٠٤ من هذا الجزء .
(٦) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٦١٣ من هذا الجزء .
(٧) تقدمت ترجمة عبد الغني المقدسي في وفيات سنة ٦٠٠ من الجزء الذي سبق هذا الجزء .
(٨) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٢٠ من هذا الجزء .
(٩) أ ، ب : ولزم صحبة الشيخ عبد الله اليونيني وانتفع به . تقدمت ترجمة عبد الله اليونيني في وفيات سنة ٦١٧ من هذا الجزء .
(١٠) عن ط وحدها .
(١١) أ ، ب : أخذ ذلك .
(١٢) أ ، ب : الطريقة .
(١٣) أ ، ب : وهو عنده بالقلعة .
(١٤) أ ، ب : تخفيفه .
(١٥) ب : على البلاط .
(١٦) عن ط وحدها .
(١٧) أ ، ب : أن يطأ رجله ففعل ذلك .

وقدم الكامل على أخيه الأشرف دمشق فأنزله القلعة وتحوَّل الأشرف لدار السعادة[١] وجعل يذكر للكامل محاسنَ الشيخ الفقيه ، فقال الكامل[٢] : أحب[٣] أن أراه ، فأرسل إليه إلى بعلبك بطاقة واستحضره[٤] فوصل إلى دار السعادة ، فنزل الكامل إليه وتحادثا وتذاكرا شيئاً من العلم ، فجرت[٥] مسألة القتل بالمُثَقَّل[٦] ، وجرى ذكرُ حديث الجارية التي قتلها اليهوديُّ ، فرضَّ رأسها بين حجرين فأمر رسول الله ﷺ بقتله[٧] ، فقال الكامل : إنه لم يعترف . فقال الشيخ الفقيه في صحيح مسلم « فاعترف » ، فقال الكامل أنا اختصرت صحيح مسلم [ولم أجد هذا فيه][٨] ، فأرسل الكامل فأحضر خمس مجلدات اختصاره لمسلم ، فأخذ الكامل مجلداً ، والأشرف آخر ، وعماد الدين بن موسك[٩] آخر ، وأخذ الشيخ الفقيه مجلداً ، فأول ما فتحه وجد الحديث كما قال الشيخ الفقيه ، فتعجب الكامل من استحضاره وسرعة كشفه ، وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية ، فأرسله الأشرف سريعاً إلى بعلبك ، وقال الكامل : إنه لا يُؤْثر ببعلبك شيئاً ، فأرسل له الكاملُ ذهباً كثيراً .

قال ولده قطبُ الدين : وكان والدي يقبلُ برَّ الملوك ويقول : أنا لي في بيت المال أكثرُ من هذا ، ولا يقبل من الأمراء ولا من الوزراء شيئاً إلا أن يكون هدية مأكولٍ ونحوه ، ويرسل إليهم [شيئاً] من ذلك فيقبلونه على سبيل التبرُّكِ والاستشفاء .

وذكر أنه كثر ماله وأثرى[١٠] ، وصار له سعة من المال كثيرة ، وذكر له أن الأشرف كتبَ له كتاباً بقرية يونين[١١] وأعطاه لمحيي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خطَّ الخليفة ، فلما شعر والدي بذلك أخذ الكتاب ومزَّقَه وقال : أنا في غنية عن ذلك .

وقال : كان والدي لا يقبل شيئاً من الصدقة ويزعم أنه من ذرية [علي بن أبي طالب][١٢]

---

(١) أ ، ب : ولما قدم الكامل على أخيه الأشرف دمشق أنزله القلعة وتحوّل الأشرف إلى دار السعادة .

(٢) عن ط وحدها .

(٣) أ ، ب : أشتهي .

(٤) أ ، ب : فاستحضره ووصل .

(٥) أ ، ب : فذكرت .

(٦) المثقَّل : ما ليس له حدّ كالعصا والحجر .

(٧) رواه البخاري في صحيحه رقم(٢٤١٣) في كتاب الخصومات ، ومسلم رقم (١٦٧٢) (١٧) في القسامة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٨) مكان ما بين الحاصرتين في ب : فاعترف فقال .

(٩) تقدم ذكر ابن موسك في أخبار سنة ٦٤٤ من هذا الجزء .

(١٠) أ ، ب : وذكر أنه أثرى وكثر ماله .

(١١) يونين أو يونان من قرى بعلبك . معجم البلدان (٥/ ٤٥٣) .

(١٢) أ ، ب : الباقر بن زين العابدين بن الحسين .

من جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي[١] بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

قال : وقد كان قبلَ ذلك فقيراً لا شيء له ، وكان[٢] للشيخ عبد الله زوجةٌ ولها ابنة جميلة ، وكان[٣] الشيخ يقول لها : زوِّجيها من الشيخ محمد ، فتقول إنه فقير وأنا أحبُّ أن تكون ابنتي سعيدةً ، فيقول الشيخ عبد الله كأني [أنظر إليهما][٤] إياه وإياها في دار وفيها بركةٌ وله رزقٌ كثيرٌ والملوكُ يتردَّدون إلى زيارته ، فزوَّجتها منه ، فكان الأمر كذلك ، وكانت أولى زوجاته رحمه الله تعالى .

و[قال] كانت الملوك كلهم يحترمونه ويعظمونه ويجيئون إلى مدينته[٥] ، بنو العادل وغيرهم ، وكذلك كان مشايخ الفقهاء كابن الصلاح[٦] ، وابن عبد السلام[٧] ، وابن الحاجب[٨] ، والحَصِيري[٩] ، وشمس الدين بن سَنيّ الدولة[١٠] ، وابن الجوزي ، وغيرهم يعظِّمونه ويرجعون إلى قوله لعلمه وعمله وديانته وأمانته . وقد ذكرت له أحوال ومكاشفات وكرامات كثيرة رحمه الله ، وزعم بعضهم أنه قُطْبٌ[١١] منذ ثنتي عشرة سنة فالله أعلم .

وذكر الشيخ الفقيه قال[١٢] عزمت مرة على الرحلة إلى حرَّان ، وكان قد بلغني أن رجلاً بها يعلم علم الفرائض جيداً ، فلما كانت الليلة التي أريد أن أسافر[١٣] في صبيحتها جاءتني رسالة الشيخ عبد الله اليونيني يعزم عليَّ إلى القدس الشريف ، وكأني كرهت ذلك وفتحت المصحف فطلع قوله : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس : ٢١] فخرجت معه إلى القدس [الشريف] فوجدت ذلك الرجل الحراني بالقدس الشريف ، فأخذت عنه علم الفرائض حتى خيِّل لي أني صرت[١٤] أبرع فيه منه .

(١) عن ط وحدها .
(٢) أ ، ب : وكانت .
(٣) أ ، ب : فكان .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) أ ، ب : كانت الملوك كلها يجيء مدينته ويعظمونه جداً .
(٦) تقدمت ترجمة ابن الصلاح في وفيات سنة ٦٤٣ من هذا الجزء .
(٧) سترد ترجمة العز بن عبد السلام في وفيات سنة ٦٦٠ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٨) تقدمت ترجمة ابن الحاجب في وفيات سنة ٦٤٦ من هذا الجزء .
(٩) تقدمت ترجمة الحَصيري في وفيات سنة ٦٣٦ من هذا الجزء .
(١٠) تقدمت ترجمة ابن سني الدولة في وفيات سنة ٦٣٥ من هذا الجزء .
(١١) هذا لقب للصوفية ، وليس عليه دليل .
(١٢) أ ، ب : قال كنت عزمت .
(١٣) أ ، ب : أريد في صحبتها : سافر .
(١٤) أ ، ب : خيل إلي أني قد صرت .

وقال الشيخ أبو شامة(١) كان الشيخ الفقيه رجلاً ضخماً ، وحصل له قبول من الأمراء(٢) وغيرهم ، وكان يلبس قبعاً صوفُه إلى خارج كما كان شيخه الشيخ عبد الله اليونيني(٣) .

قال : وقد صنَّف شيئاً في المعراج فرددت عليه في كتاب سميته « الواضح الجلي في الردّ على الحنبلي » ، وذكر ولده قطب الدين أنه مات في التاسع عشر من رمضان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله .

محمد بن خليل(٤) بن عبد الوهاب بن بدر ، أبو عبد الله البيطار الأكَّال .

أصله من جبل بني هلال ، وولد بقصر حجاج ، وكان مقيماً بالشاغور ، وكان فيه صلاح ودين وإيثار للفقراء والمحاويج والمحابيس ، وكانت له حال غريبة لا يأكل لأحد شيئاً إلا بأجرة ، وكان أهل البلد يترامون عليه ليأكل لهم الأشياء المفتخرة الطيبة فيمتنع إلا بأجرة جيدة ، وكلما امتنع(٥) من ذلك حلي عند الناس [وأحبوه ومالوا إليه ويأتونه](٦) بأشياء كثيرة من الحلاوات والشواء وغير ذلك ، فيرد عليهم عوض ذلك أجرة جيدة مع ذلك ، وهذا غريب جداً ، رحمه الله تعالى ورضي عنه بمنه وكرمه آمين .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمئة

استهلت بيوم الإثنين لأيام خلون من كانون الأول ، وليس للمسلمين خليفة وصاحب مكة أبو نُمي بن أبي سعيد بن علي بن قتادة الحسني ، وعمه إدريس بن علي شريكه ، وصاحب المدينة الأمير عز الدين جماز بن شيحة الحسيني .

وصاحب مصر والشام(٧) السلطان الملك الظاهر [ركن الدين] بيبرس البندقداري .

وشريكه في دمشق وبعلبك والصُّبَيْبة وبانياس علم الدين سنجر [الحلبي] الملقب بالملك المجاهد .

وشريكه في حلب الأمير حسام الدين لاشين(٨) الجوكنداري العزيزي .

---

(١) ذيل الروضتين (٢٠٧) .

(٢) أ ، ب : قبول كثير من الأعراب والأمراء .

(٣) أ ، ب : خارج يعني كما كان شيخه عبد الله اليونيني .

(٤) ترجمة ـ الأكَّال ـ في ذيل الروضتين (٢٠) وذيل مرآة الزمان (١/ ٣٨٩ ـ ٣٩٢) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٨٩٥) والعبر (٥/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) والنجوم الزاهرة (٧/ ٩٢) وشذرات الذهب (٧/ ٥٠٩) .

(٥) أ ، ب : تمنع .

(٦) أ ، ب : فيأتونه .

(٧) أ ، ب : الديار المصرية والشامية .

(٨) أ ، ب : لاجين . وانظر ذيل المرآة (١/ ٣٧٤ و٣٧٥) .

والكرك والشوبك للملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل[١] سيف الدين أبي بكر الكامل محمد بن العادل الكبير سيف الدين أبي بكر بن أيوب .

وحصنا صهيون وبرزنة[٢] في يد الأمير مظفر عثمان بن ناصر الدين منكورس[٣] .

وصاحب حماة الملك المنصور بن تقي الدين محمود .

وصاحب حمص الأشرف بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين الناصر .

وصاحب الموصل الملك الصالح[٤] [إسماعيل] بن البدر لؤلؤ .

وأخوه الملك المجاهد (صاحب جزيرة ابن عمر) .

وصاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين إيل غازي بن أرتق .

وصاحب بلاد الروم ركن الدين قلج[٥] أرسلان بن كيخسرو السلجوقي .

وشريكه في الملك أخوه كيكاوس والبلاد بينهما نصفين .

وسائر بلاد المشرق[٦] بأيدي التتار أصحاب هولاكو[٧] .

وبلاد اليمن تملكها[٨] غير واحد من الملوك .

وكذلك[٩] المغرب في كل قطر منها ملك .

وفي هذه السنة أغارت التتار على حلب[١٠] فلقيهم صاحبها حسام الدين [الجوكندار] العزيزي ، والمنصور صاحب حماة ، والأشرف صاحب حمص ، وكانت الوقعة شمالي[١١] . حمص قريباً من قبر خالد بن الوليد ، والتتار في ستة آلاف والمسلمون[١٢] في ألف وأربعمئة فهزمهم[١٣] الله عز وجل ، وقتل

---

(١) ط : العادل بن سيف الدين . والخبر في ترويح القلوب (٧٩ و٨٠) .
(٢) ط : وحصن جهيون وبازريا ؛ وهو تحريف .
(٣) أ ، ب : ناصر الدين عثمان بن ناصر الدين ، وفي ط : مكورس . والخبر في ذيل مرآة الزمان (٢/ ١٢٩) .
(٤) قتله التتار سنة ٦٦٠ ذيل مرآة الزمان (٢/ ١٥٩) .
(٥) أ ، ب : قليج ؛ وهما واحد .
(٦) أ ، ب : الشرق من خراسان والعراق .
(٧) أ ، ب : هولاكوقان لعنه الله تعالى .
(٨) أ : يملكها . وهي مهملة النقط في .
(٩) ط : وكذلك بلاد الجوكندي .
(١٠) أ ، ب : على بلاد حلب وانجفل الناس وحصل لهم رعب شديد والتقى التتر مع نائب حلب .
(١١) أ ، ب : عند حمص .
(١٢) أ ، ب : وإنما كان مع هؤلاء من المسلمين ألف وأربعمئة .
(١٣) ب : فهزموهم بإذن الله .

المسلمون[١] أكثرهم فرجع التتار إلى حلب فحصروها أربعة أشهر وضيقوا عليها الأقوات ، وقتلوا من الغرباء خلقاً [كثيراً] صبراً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والجيوش الذين كسروهم على حمص مقيمون[٢] لم يرجعوا إلى حلب بل ساقوا إلى مصر ، فتلقاهم الملك الظاهر في أُبَّهة السلطنة وأحسن إليهم[٣] ، وبقيت حلب محاصرة لا ناصر لها في هذه المدة ولكن سلم الله سبحانه وتعالى .

وفي يوم الإثنين سابع صفر ركب الظاهر في أبهة الملك[٤] ومشى الأمراء والأجناد بين يديه ، وكان ذلك أول ركوبه واستمر بعد ذلك يتابع الركوب واللعب بالكرة .

وفي حادي[٥] عشر صفر خرج الأمراء بدمشق على ملكها علم الدين سنجر فقاتلوه فهزموه ، فدخل القلعة فحاصروه فيها[٦] فهرب منها إلى قلعة بعلبك ، وتسلَّم قلعة دمشق الأمير علاء الدين[٧] أيدكين البندقداري ، وكان مملوكاً لجمال الدين يغمور ثم للصالح أيوب بن الكامل وإليه نسب الملك الظاهر ، فأرسله الظاهر ليتسلم دمشق من الحلبي علم الدين سنجر ، فأخذها وسكن قلعتها نيابة عن الظاهر[٨] ، ثم حاصروا الحلبي ببعلبك حتى أخذوه فأرسلوه إلى الظاهر على بغل إلى مصر[٩] ، فدخل عليه ليلاً فعاتبه ثم أطلق له أشياء وأكرمه .

وفي يوم الإثنين ثامن ربيع الأول استوزر الظاهر[١٠] بهاء الدين علي بن محمد المعروف بابن الحنا[١١] وفي ربيع الآخر قبض الظاهر على جماعة من الأمراء بلغه عنهم أنهم يريدون الوثوب عليه .

وفيه أرسل إلى الشوبك فتسلمها من أيدي نواب المغيث صاحب الكرك .

وفيها[١٢] : جهز الظاهر جيشاً إلى حلب ليطردوا التتار عنها[١٣] ، فلما وصل الجيش إلى غزة كتب

---

(١) أ ، ب : وقتلوا التتار ولله الحمد .
(٢) في ط وحدها .
(٣) أ ، ب : الديار المصرية فتلقاهم السلطان الملك الظاهر وأحسن إليهم .
(٤) أ ، ب : سابع عشر صفر ركب الملك الظاهر في أبهة السلطنة .
(٥) ط : سابع عشر .
(٦) أ ، ب : على الأمير علم الدين سنجر الحلبي فقاتلوه فهزموه وألجأوه إلى القلعة وحصروه فيها .
(٧) أ ، ب : علم الدين . والخبر في مرآة الزمان (١/٤٣٨) .
(٨) أ ، ب : فأرسل السلطان ليتسلم دمشق من الحلبي فأخذوها وسكن القلعة بها نيابة عن الملك الظاهر .
(٩) أ ، ب : ثم حاصروا الحلبي ببعلبك حتى أخرجوه منها على بغل وأرسلوه إلى خدمة السلطان الملك الظاهر .
(١٠) أ ، ب : استوزر الملك الظاهر .
(١١) سترد ترجمة ابن الحنا في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .
(١٢) عن ط وحدها .
(١٣) أ : ليطردوا عنها التتار ، وفي ب : ليطردوا عنهم التتار .

الفرنج إلى التتار ينذرونهم ، فرحلوا عنه مسرعين واستولى على حلب جماعة من أهلها ، فصادروا ونهبوا وبلغوا أغراضهم ، وقدم إليهم الجيش الظاهري فأزالوا ذلك كله ، وصادروا أهلها(١) بألف ألف وستمئة ألف ، ثم قدم الأمير شمس الدين آقوش البرلي(٢) من جهة الظاهر فاستلم البلد فقطع ووصل وحكم وعدل(٣) .

وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى باشر القضاء بمصر(٤) تاج الدين عبد الوهاب(٥) بن القاضي الأعز أبي القاسم خلف بن [القاضي] رشيد الدين بن أبي الثناء محمود بن بدر العلائي ، وذلك بعد شروط ذكرها للظّاهر شديدة ، فدخل تحتها الملكُ الظاهر ، وعُزل عن القضاء بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن علي السنجاري(٦) ، ورسم عليه أياماً ، ثم أفرج عنه .

ذكر البيعة [بالخلافة للمستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر](٧) بأمر الله(٨) أبي نصر محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي ، وهو عم المستعصم وكان معتقلاً ببغداد فأُطلق ، وكان مع جماعة الأعراب بأرض العراق ، ثم قصد [الملك] الظاهر حين بلغه ملكه ، فقدم مصر صحبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة(٩) ، منهم الأمير ناصر الدين مهنا [وكان دخوله إلى القاهرة] في ثامن رجب ، فخرج السلطان ومعه الوزير [والقاضي تاج الدين] والشهود والمؤمنون فتلقوه وكان يوماً مشهوداً ، وخرج أهل التوراة بتوراتهم ، والنصارى بإنجيلهم ، ودخل من باب النصر في أبَّهة عظيمة . فلما(١٠) كان يوم الإثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان والخليفة بالإيوان(١١) بقلعة الجبل ، والوزير والقاضي والأمراء على طبقاتهم ، وأثبت نسب الخليفة المذكور على الحاكم تاج الدين [عبد الوهاب] بن الأعزِّ .

---

(١) أ ، ب : وصادروا بعض أهلها .
(٢) ط : التركي ؛ وهو تحريف ويقال الآقوش البرلي البرنلي أو البرنلو . ترجمته في مرآة الزمان (١/ ٤٤٠) والمختصر في أخبار البشر (٣/ ٢١٠) .
(٣) أ ، ب : من جهة الظاهر فاستولى على البلد واستحوذ عليها فقطع ووصل وحكم ولكن ما عدل .
(٤) أ ، ب : بالديار المصرية .
(٥) سترد ترجمة القاضي عبد الوهاب بن خلف في وفيات سنة ٦٦٥ من هذا الجزء .
(٦) سترد ترجمة السنجاري في وفيات سنة ٦٦٣ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٧) ما بين الحاصرتين هو ما ورد في ط وباقي العنوان عن أ ، ب . والخبر في سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٦٦) .
(٨) ب : الظاهر بالله .
(٩) أ ، ب : فقدم عليه بالديار المصرية ولما دخل الديار المصرية في صحبة جماعة من الأعراب عشرة من الأعراب .
(١٠) أ ، ب : ولما .
(١١) أ ، ب : في الإيوان .

خلافة المستنصر أبي القاسم أحمد بن الظاهر بن الناصر العباسي بمصر

وهذا الخليفة هو أخو المستنصر باني المستنصرية(١) ، وعمّ المستعصم ، بويع بالخلافة بمصر ، بايعه الملك الظاهر والقاضي والوزير والأمراء ، وركب في دست الخلافة بديار مصر والأمراء بين يديه والناس حوله ، وشقّ القاهرة [وكان يوماً مشهوداً وذلك] في ثالث عشر رجب(٢) ، وهذا الخليفة هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس ، بينه وبين العباس أربعة وعشرون أباً ، وكان أول من بايعه القاضي تاج الدين لما ثبت نسبه(٣) ، ثم السلطان [الملك الظاهر] ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام(٤) ثم الأمراء(٥) والدولة ، وخطب له على المنابر وضُرب اسمه على السكة . وكان منصب الخلافة قد شغر منذ ثلاث(٦) سنين ونصفاً ، لأن المستعصم قُتل في أول سنة ست وخمسين وستمئة ، وبويع هذا في يوم الإثنين في ثالث عشر رجب من هذه السنة ـ أعني سنة تسع وخمسين وستمئة ـ وكان أسمر وسيماً شديد القوى عالي الهمة له شجاعة وإقدام ، وقد لقبوه(٧) بالمستنصر كما كان أخوه(٨) باني المدرسة [ببغداد تلقب] ، وهذا أمر لم يُسبق إليه أن خليفتين أخوين يلقب كل منهما بالآخر ، [وقد] ولي الخلافة أخوان(٩) كهذين السفاح وأخوه المنصور ، ابنا(١٠) محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، والهادي والرشيد [ابنا المهدي بن المنصور ، والواثق والمتوكل ابنا المعتصم بن الرشيد] ، والمسترشد والمقتفي ولدا المستظهر ، وأما ثلاثة فالأمين والمأمون والمعتصم أولاد الرشيد ، والمنتصر والمعتز [والمعتمد أولاد المتوكل ، والمُتَّقي والراضي](١١) والمطيع أولاد المقتدر ، وأما أربعة فأولاد عبد الملك بن مروان

(١) أ ، ب : باني المدرسة .
(٢) أ ، ب : في الثالث عشر من رجب من هذه السنة .
(٣) أ ، ب : عندما ثبت عنده نسبه .
(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٧٧ .
(٥) أ ، ب : والأمراء .
(٦) وكان منصب الخلافة شاغراً ثلاث سنين ونصف .
(٧) أ ، ب : وقد لقب هذا بالمستنصر .
(٨) ط : وكان أخاه ؛ خطأ .
(٩) ط : أخوين ؛ خطأ .
(١٠) في الأصلين وط : وكذا . وما هنا للسياق .
(١١) ما بين الحاصرتين ليس في الأصول ، وأضفته للسياق وفق الجدول التالي الذي وضعته اعتماداً على سير أعلام النبلاء وزامباور (٢ ـ ٤) . =

. . . .

=

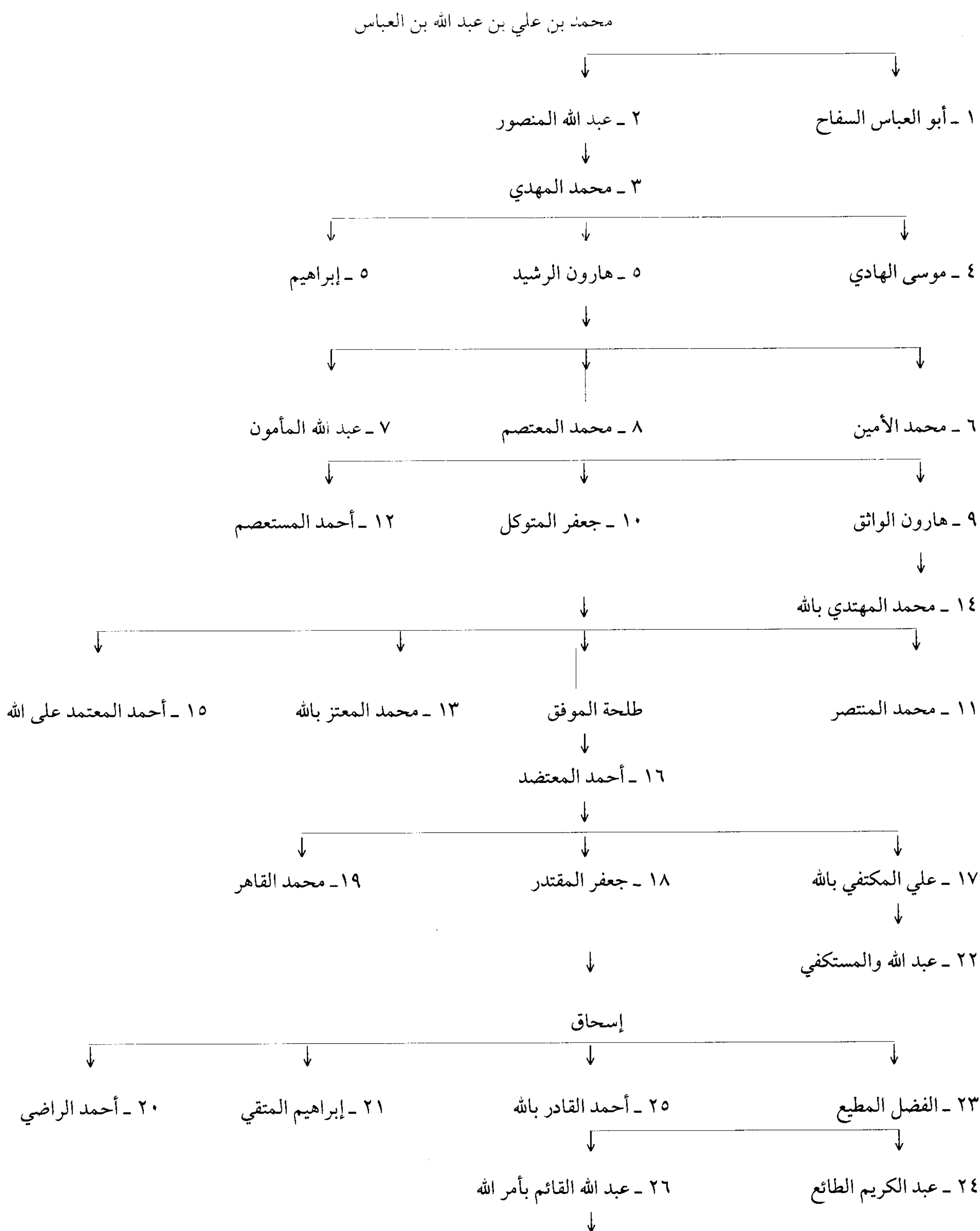
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
١ ـ أبو العباس السفاح
٢ ـ عبد الله المنصور
٣ ـ محمد المهدي
٤ ـ موسى الهادي
٥ ـ هارون الرشيد
٥ ـ إبراهيم
٦ ـ محمد الأمين
٨ ـ محمد المعتصم
٧ ـ عبد الله المأمون
٩ ـ هارون الواثق
١٠ ـ جعفر المتوكل
١٢ ـ أحمد المستعصم
١٤ ـ محمد المهتدي بالله
١١ ـ محمد المنتصر
طلحة الموفق
١٣ ـ محمد المعتز بالله
١٥ ـ أحمد المعتمد على الله
١٦ ـ أحمد المعتضد
١٧ ـ علي المكتفي بالله
١٨ ـ جعفر المقتدر
١٩ـ محمد القاهر
٢٢ ـ عبد الله والمستكفي
إسحاق
٢٣ ـ الفضل المطيع
٢٥ ـ أحمد القادر بالله
٢١ ـ إبراهيم المتقي
٢٠ ـ أحمد الراضي
٢٤ ـ عبد الكريم الطائع
٢٦ ـ عبد الله القائم بأمر الله

الوليد وسليمان ويزيد وهشام(١) .

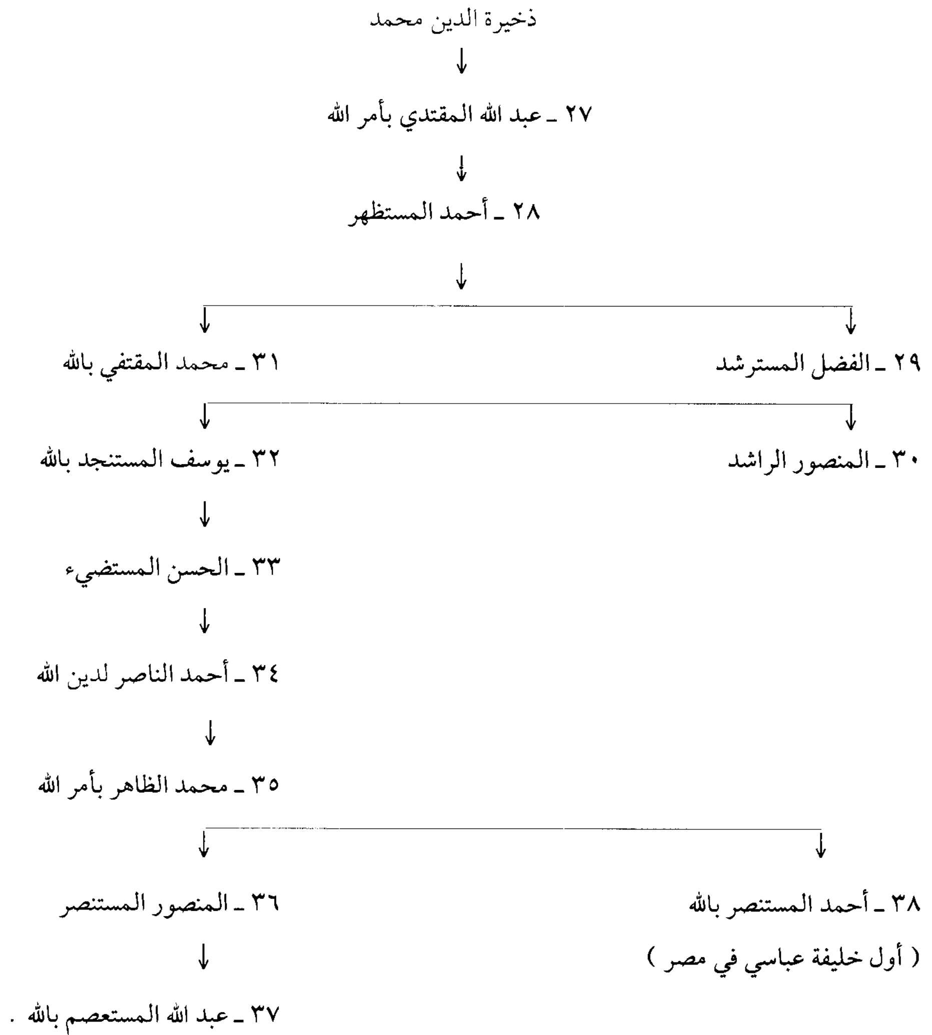

(١) الجدول التالي في خلفاء بني أمية وتسلسلهم :

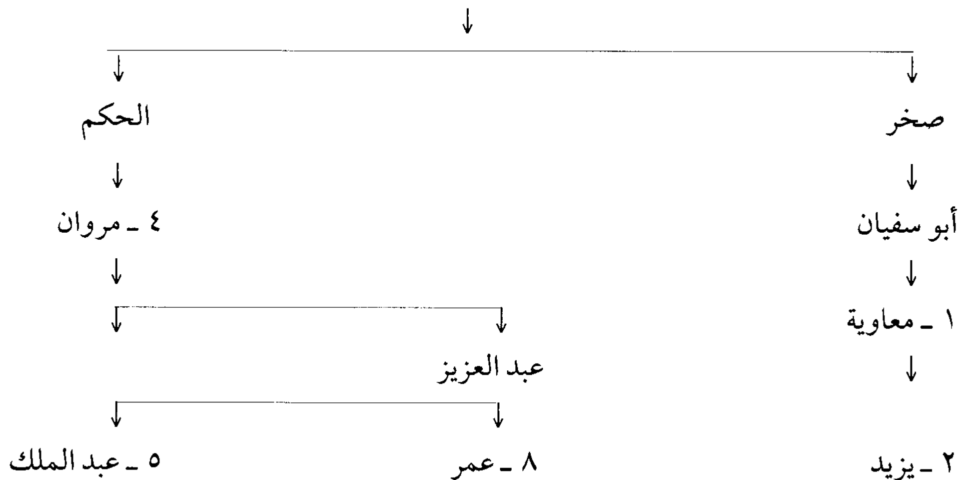

=

وقد ولي هذا الخلافة بعد أخيه المستعصم بن المستنصر . ولم يكن هذا قبله في خلافة المقتفي بن المستظهر فإنه وليها بعد أخيه الراشد بن المسترشد بن المستظهر والله أعلم] .

وكانت مدة خلافته إلى أن فقد كما سيأتي [بيانه] خمسة أشهر وعشرين يوماً ، [وكان] أقصرَ مدةٍ من جميع خلفاء بني العباس . وأما[١] بنو أمية فكانت مدة خلافة[٢] معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً ، وإبراهيم بن [الوليد] بن يزيد[٣] الناقص سبعين يوماً ، وأخوه يزيد بن الوليد خمسة أشهر[٤] . وكانت مدة خلافة الحسن بن علي بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشريوماً . وكانت مدة مروان بن الحكم تسعة أشهر[٥] وعشرة أيام .

وكان في خلفاء[٦] بني العباس من لم يستكمل سنة منهم المنتصر بن المتوكل ستة أشهر ، والمهتدي بن الواثق أحد عشر شهراً وأياماً[٧] .

وقد أنزل الخليفة [المستنصر] هذا بقلعة الجبل في برج هو وحشمه [وخدمه] فلما كان يوم سابع رجب ركب في [أُبَّهة] السواد وجاء إلى الجامع بالقلعة فصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ، ثم استفتح فقرأ صدراً من سورة الأنعام ثم صلى على النبي ﷺ ثم تَرَضَّى عن الصحابة ودعا للسلطان الظاهر ، ثم نزل فصلَّى بالناس فاستحسنوا ذلك منه ، وكان وقتاً حسناً ويوماً مشهوداً .

=

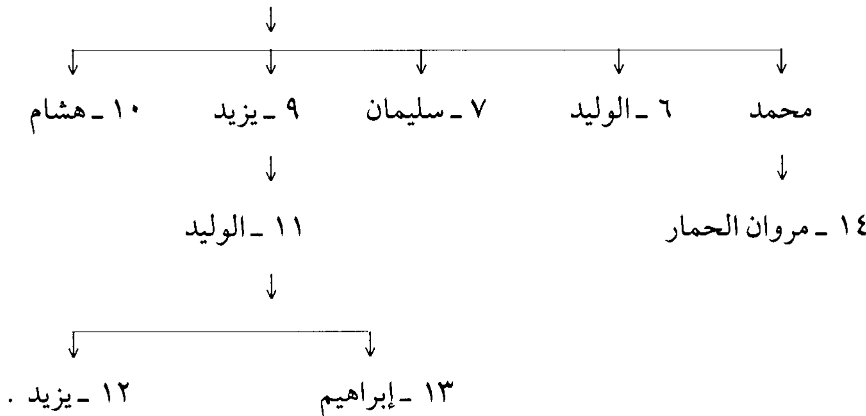

(١) أ ، ب : فأما .
(٢) أ ، ب : ولاية .
(٣) ط : إبراهيم بن يزيد الناقص ؛ وهو خطأ . سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٧٦) وزامباور (١) .
(٤) عند الذهبي : مدة خلافة يزيد بن الوليد ستة أشهر فقد تولى في ٢٧/ جمادى الآخرة ١٢٦ وتوفي ٧/ من ذي الحجة ١٢٦ فمدته بالدقة خمسة أشهر وعشرة أيام .
(٥) في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥) : ستة أشهر وأياماً .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : وأيام ؛ خطأ يخالف السياق النحوي .

تولية الخليفة المستنصر بالله للملك الظاهر السلطنة

لما كان يوم الإثنين الرابع من شعبان ، ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء وأهل الحَلّ والعَقْد إلى خيمة عظيمة قد ضُربت ظاهرَ القاهرة فجلسوا فيها ، فألبس الخليفة السلطان بيده خلعةً سوداءَ ، وطوقاً في عنقه ، وقيداً في رجليه وهما من ذهب ، وصعد فخر الدين إبراهيم بن لقمان وهو رئيس الكتاب منبراً فقرأ على الناس تقليد السلطان ، وهو من إنشائه وبخطّ نفسه ، ثم ركب السلطان بهذه الأُبّهة والقيد في رجليه ، والطوق في عنقه ، والوزير بين يديه ، وعلى رأسه التقليد والأمراء والدولة في خدمته مشاة سوى الوزير ، فشق القاهرة وقد زُيّنت له ، وكان يوماً مشهوداً ، [يقصراللسان عن وصفه] وقد ذكر الشيخ قطب الدين[١] هذا التقليد بتمامه ، وهو مطول والله أعلم .

ذكر تجهيز[٢] الخليفة قاصداً إلى بغداد

ثم إن الخليفة طلب من السلطان أن يجهزه إلى بغداد ، فرتب السلطان له جنداً هائلة[٣] وأقام له من كل ما ينبغي للملوك [والخلفاء من الحشم والخدم والطبلخاناه وغير ذلك][٤] ثم سار السلطان صحبته قاصدين دمشق المحروسة في أُبّهة عظيمة ، وكان سبب خروج السلطان من مصر إلى الشام أن البرلي[٥] كما تقدم كان قد استحوذ على حلب ، فأرسل إليه الأمير[٦] علم الدين سنجر الحلبي الذي كان قد تغلّب على دمشق[٧] فطرده عن حلب وتسلمها[٨] ، وأقام بها نائباً عن السلطان ، ثم لم يزل البرلي[٩] حتى استعادها منه وأخرجه منها هارباً ، فاستناب الظاهر على مصر عز الدين[١٠] أيدمر الحلبي وجعل تدبير المملكة إلى الوزير بهاء الدين بن الحنا ، وأخذ ولده فخر الدين[١١] معه وزيراً[١٢] وجعل تدبيرَ العساكر

(١) مرآة الزمان (١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٩) و(٢/ ٩٨ ـ ١٠٣) .
(٢) ط : ذهاب الخليفة إلى بغداد .
(٣) أ ، ب : ولما طلب من السلطان ذلك رتب له جنداً هائلاً .
(٤) مكان ما بين الحاصرتين في ط : للخلفاء والملوك .
(٥) ط ب : التركي ؛ وقد تقدم الحديث عنها .
(٦) أ ، ب : حلب المحروسة فأرسل إليه الظاهر الأمير .
(٧) ب : تغلب على حلب إلى دمشق .
(٨) أ ، ب : تسلمها منه .
(٩) ط ب : التركي ، وقد تقدم الحديث عنها .
(١٠) أ ، ب : وأخرجه منها هارباً واستولى عليه كما كان فاستناب السلطان على الديار المصرية عز الدين .
(١١) أ ، ب : وجعل تدبير الممالك إلى الوزير بهاء الدين الحنا واستصحب ولده فخر الدين ابن الحنا .
(١٢) أ ، ب : بن الحنا وزير الصحبة .

والجيوش إلى الأمير بدر الدين بِيليك[١] الخازندار ، ثم ساروا فدخلوا[٢] دمشق يوم الإثنين سابع ذي القعدة ، وكان يوماً مشهوداً ، وصلّيا الجمعة بجامع دمشق ، وكان دخول الخليفة من باب البريد[٣] ، ودخل السلطان من باب الزيادة[٤] . وكان يوماً مشهوداً أيضاً ، ثم جهز السلطانُ الخليفة إلى بغداد ومعه[٥] أولاد صاحب الموصل ، وأنفق عليه وعليهم وعلى من استقلّ معه من الجيش الذين يردون عنه ما لم يقدر الله من الذهب [العين ألف ألف دينار][٦] ، وأطلق له ، وزاده فجزاه الله خيراً ، وقدم إليه صاحب حمص الملك الأشرف فخلع عليه وأطلق له وزاده تل باشر ، وقدم صاحب حماة المنصور فخلع عليه وأطلق له وكتب له تقليداً[٧] ببلاده ، ثم جهز جيشاً صحبة الأمير علاء الدين البندقداري[٨] إلى حلب لمحاربة البرلي[٩] المتغلب عليها المفسد فيها[١٠] . وهذا كل ما بلغنا من وقائع هذه السنة ملخصاً .

ثم دخلت سنة ستين وستمئة

في أوائل هذه السنة في ثالث المحرم قتل الخليفة المستنصر بالله الذي بويع له في رجب في السنة الماضية بمصر ، وكان قتله بأرض العراق [كما ذكرنا] بعدما هُزم مَنْ كان معه من الجنود فإنا لله وإنا إليه راجعون ، واستقلّ الملكُ الظاهر بجميع الشام ومصر وصفت له الأمور ، ولم يبق له مُنازع سوى البرلي فإنه قد استحوذ على البيرة وعصى عليه هنالك .

وفي اليوم الثالث من المحرم من هذه السنة خَلَع السلطانُ الملكُ الظاهرُ ببلاد مصر على جميع الأمراء والحاشية وعلى الوزير وعلى القاضي تاج الدين[١١] ابن بنت الأعز وعزل عنها برهان الدين السنجاري[١٢] .

---

(١) سترد ترجمة بيليك في وفيات سنة ٦٧٦ من هذا الجزء .
(٢) أ ، ب : الخزبذار ثم كان دخول السلطان صحبة الخليفة إلى دمشق .
(٣) أ ، ب : وكان دخول الخليفة إليه من باب البريد .
(٤) ط : باب الزيارة . ذيل مرآة الزمان (١/ ٥٣) ومعجم البلدان (٣/ ٤٦٩) .
(٥) أ ، ب : وأصحبه .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : تقليده .
(٨) سترد ترجمة علاء الدين أيْدِكين البندقداري سنة ٦٨٤ من هذا الجزء .
(٩) في ط : التركي ؛ وقد تقدم الحديث عنه قبل صفحات .
(١٠) بعد هذه اللفظة في أ ورقة جاءت في ب ط بعد عدة ورقات . وسأشير إلى ذلك في مكانها .
(١١) سترد ترجمة ابن بنت الأعز في وفيات سنة ٦٧٨ من هذا الجزء إن شاء الله .
(١٢) سترد ترجمة برهان الدين السنجاري في وفيات سنة ٦٨٣ من هذا الجزء إن شاء الله .

وفي أواخر المحرم أعرس الأميرُ بدر الدين بيليك الخازندار(١) على بنت الأمير لؤلؤ(٢) صاحب الموصل ، واحتفل [الملك] الظاهر بهذا العرس احتفالاً بالغاً .

قال ابن خلكان(٣) : وفي هذه السنة اصطاد بعض أمراء الظاهر بحدود حماة(٤) حمار وحش فطبخوه فلم ينضج ولا أثر فيه كثرة الوقود ، ثم افتقدوا جلده فإذا هو مرسوم على أذنه بهرام جور(٥) ، قال : وقد أحضروه إليّ فقرأته كذلك ، وهو يقتضي أن لهذا الحمار قريباً من ثمانمئة سنة ، فإن بهرام جوركان قبل المبعث بمدة متطاولة ، وحمر الوحش تعيش دهراً طويلاً .

قلت : يحتمل أن يكون هذا بهرام شاه الملك الأمجد ، إذ يبعد بقاء مثل هذا بلا اصطياد هذه المدة الطويلة ، ويكون الكاتب قد أخطأ فأراد كتابة بهرام شاه(٦) فكتب بهرام جور فحصل اللَّبس من هذا(٧) والله أعلم .

ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسي

في السابع والعشرين من ربيع الآخر دخل الخليفة أبو العباس الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبي علي القُبِّي بن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد من بلاد الشرق وصحبته جماعة من رؤوس تلك البلاد ، وقد [كان] شهد الوقعة صحبة المستنصر ، وهرب هو في جماعة من المعركة فسلم ، فلما كان يوم دخوله تلقّاه السلطان الظاهر وأظهر السرور له والاحتفال به(٨) ، وأنزله في البرج الكبير من قلعة الجبل ، وأُجْرِيَتْ(٩) عليه الأرزاق الدارة والإحسان .

وفي ربيع الآخر عزل الملك الظاهر الأمير جمال الدين آقوش النجيبي(١٠) عن استداريته(١١)

---

(١) أ ، ب : الخزندار .
(٢) تقدمت ترجمة لؤلؤ في وفيات سنة ٦٥٦ من هذا الجزء .
(٣) وفيات الأعيان (٦/ ٣٥٤) .
(٤) أ ، ب : لبرود .
(٥) ترجمة بهرام جور في وفيات الأعيان (٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) .
(٦) تقدمت ترجمة بهرام شاه في وفيات سنة (٦٢٨) من هذا الجزء .
(٧) أ : من هذا هذا بعيد جداً .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) أ ، ب : أجري .
(١٠) سترد ترجمة آقوش النجيبي في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(١١) أ ، ب : استدارتيه .

واستبدل به غيره وبعد ذلك أرسله نائباً على الشام[١] كما سيأتي .

وفي يوم الثلاثاء تاسع رجب حضر السلطان [الملك] الظاهر إلى دار العدل في محاكمة في بئر إلى بين يدي [القاضي تاج الدين عبد الوهاب][٢] ابن بنت الأعز فقام الناس إلا القاضي فإنه أشار عليه أن لا يقوم . وتداعيا وكان[٣] الحق مع السلطان وله بينة عادلة ، فانتزعت البئر من يد الغريم وكان الغريم أحد الأمراء .

وفي شوال استناب [السلطان الملك] الظاهر على حلب الأمير علاء الدين أيدكين[٤] الشهابي وحينئذٍ أغار[٥] عسكر سيس[٦] على الفُوعَة[٧] من أرض حلب فركب إليهم الشهابي فكسرهم وأسر منهم جماعة فبعثهم إلى مصر فقتلوا[٨] .

وفيها : استناب السلطان على دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجيبي ، وكان من أكابر الأمراء وعزل عنها علاء الدين طيبرس[٩] الوزيري وحمل إلى القاهرة .

وفي ذي القعدة خرج مرسوم السلطان [الملك الظاهر] إلى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز أن يستنيب من كل مذهب من المذاهب الثلاثة نائباً فاستناب من الحنفية صدر الدين سليمان[١٠] الحنفي ، ومن الحنابلة شمس الدين محمد[١١] بن الشيخ العماد ، ومن المالكية شرف الدين عمر السبكي[١٢] المالكي .

وفي ذي الحجة قدمت وفود كثيرة من التتار على الملك الظاهر مستأمنين فأكرمهم وأحسن إليهم

---

(١) أ : الشام المحروس .

(٢) ط : إلى بيت القاضي ، وسترد ترجمة ابن بنت الأعز في وفيات سنة ٦٦٥ إن شاء الله تعالى .

(٣) ب : داعياً فكان .

(٤) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٥) ط : انحاز ؛ تحريف .

(٦) سِيسِيّة : وعامة أهلها يقولون سيس : بلد هو أعظم مدن الثغور الشامية ـ زمن ياقوت ـ بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة . معجم البلدان (٣/ ٢٩٧) .

(٧) ط : القلعة . وفي أ ، ب : الفرعة . والتصحيح عن ذيل مرآة الزمان (١/ ٤٩٦) والفوعة بالضم : قرية كبيرة من نواحي حلب . معجم البلدان (٤/ ٢٨٠) .

(٨) أ ، ب : فسيرهم إلى مصر فوسطوا .

(٩) سترد ترجمة طيبرس في وفيات سنة ٦٨٩ من هذا الجزء .

(١٠) سترد ترجمة سليمان الحنفي في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء إن شاء الله .

(١١) سترد ترجمة محمد بن العماد القاضي في وفيات سنة ٦٧٦ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(١٢) سترد ترجمة عمر السبكي القاضي في وفيات سنة ٦٦٩ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

وأقطعهم إقطاعات حسنة ، وكذلك فعل(١) بأولاد صاحب الموصل ورتب لهم(٢) رواتب كافية .

وفيها(٣) : أرسل هولاكو طائفة من جنده نحو(٤) عشرة آلاف فحاصروا الموصل ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقاً ، وضاقت بها الأقوات .

وفيها : أرسل الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ(٥) إلى البرلي(٦) . يستنجده فقدم عليه فهزمت التتار ثم ثبتوا والتقوا(٧) معه ، وإنما كان معه تسعمئة(٨) مقاتل فهزموه وجرحوه وعاد إلى البيرة(٩) وفارقه أكثر أصحابه فدخلوا الديار المصرية(١٠) ، ثم دخل هو إلى الملك(١١) الظاهر فأنعم عليه وأحسن إليه وأقطعه سبعين(١٢) فارساً ، وأما التتار فإنهم عادوا إلى الموصل ولم يزالوا حتى استنزلوا صاحبها الملك الصالح إليهم ونادوا في البلد بالأمان حتى اطمأن الناس ثم مالوا عليهم فقتلوهم تسعة أيام وقتلوا الملك الصالح إسماعيل وولده علاء الدين(١٣) وخربوا أسوار البلد وتركوها بلاقع ثم كرُّوا راجعين قبحهم الله أجمعين(١٤) .

وفيها : وقع الخلف بين هولاكو وبين السلطان بركة خان ابن عمه ، وأرسل إليه بركة يطلب منه نصيباً مما فتحه من البلاد ، على ما جرت به عادة(١٥) ملوكهم ، فقتل رسله ، فاشتد غضب بركة ، وكاتب الظاهر ليتفقا على هولاكو(١٦) .

---

(١) ط : قتل تحريف .
(٢) أ ، ب : رتب لإخوانهم رواتب .
(٣) أ ، ب : وفي هذه السنة .
(٤) أ ، ب : نحواً من عشرة آلاف .
(٥) ترجمة إسماعيل بن لؤلؤ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥) والوافي بالوفيات (٩/ ١٩٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٧) والمنهل الصافي (٥/ ٤١٧ ـ ٤٢٠) والدليل الشافي (١/ ١٢٧) وشذرات الذهب (٧/ ٦٥) .
(٦) ط : التركي ؛ تحريف وقد تقدم .
(٧) أ ، ب : فالتقوا .
(٨) ط : سبعمئة ، وما هنا عن أ ب والمنهل الصافي (٥/ ٤١٩) وذيل مرآة الزمان (٢/ ١٥٧) .
(٩) ذكر ياقوت بيرتين ، بيرة الشمال قرب سُمَيْساط بين حلب والثغور الرومية ، والثانية في الجنوب بين بيت المقدس ونابلس ولم أصل فيهما إلى رأي قاطع مع أني أميل إلى أنها التي في الجنوب لأنه دخل الديار المصرية بعدها .
(١٠) أ ، ب : فارقه أكثر أصحابه إلى الديار المصرية .
(١١) أ ، ب : إلى بين يدي السلطان الملك الظاهر .
(١٢) أ : تسعين فارساً .
(١٣) أ ، ب : علاء الدين الملك .
(١٤) أ : قبحهم الله تعالى . وما هنا عن ب .
(١٥) أ ، ب : على ما جرت به عادتهم .
(١٦) أ ، ب : على هولاوو .

وفيها : وقع غلاء شديد بالشام فبيع[(١)] القمح الغرارة بأربعمئة والشعير بمئتين وخمسين ، واللحم الرطل بستة أو سبعة[(٢)] .

وحصل في النصف من شعبان خوف شديد من التتار فتجهَّز كثيرٌ من الناس إلى مصر[(٣)] ، وبيعت الغلات حتى حواصل القلعة والأمراء ، ورسم أولياء الأمور[(٤)] على مَنْ له قدرةٌ أن يسافر من دمشق إلى بلاد[(٥)] مصر ، ووقعت رجفة عظيمة في الشام[(٦)] وفي بلاد الروم ، ويقال إنه حصل لبلاد التتر خوف شديد أيضاً ، فسبحان الفعال لما يريد وبيده الأمر . وكان الآمر لأهل دمشق بالتحول منها إلى مصر نائبها الأمير[(٧)] علاء الدين طَيْبَرس[(٨)] الوزيري ، فأرسل السلطان إليه في ذي القعدة فأمسكه وعزله واستناب عليها بهاء الدين عبد الله النجيبي ، واستوزر لدمشق عز الدين بن وداعة[(٩)] .

وفيها[(١٠)] : نزل [القاضي شمس الدين] ابن خلكان[(١١)] عن تدريس الركنية لأبي[(١٢)] شامة وحضر عنده حين درس وأخذ في أول « مختصر المزني » .

وممن توفي فيها من الأعيان[(١٣)] :

الخليفة المستنصر[(١٤)] بن الظاهر بأمر الله العباسي[(١٥)] الذي بايعه الظاهر بمصر [في رجب من السنة الماضية] كما ذكرنا ، وكان قتله في ثالث المحرم من هذه السنة ، وكان شهماً شجاعاً بطلاً فاتكاً ، وقد

---

(١) أ ، ب : فأبيع .
(٢) أ ، ب : بستة وبسبعة .
(٣) أ : إلى الديار المصرية وأبيعت . وفي ب : إلى الديار وأبيعت .
(٤) أ ، ب : حتى الأمراء حتى حواصل القلعة وتهيؤوا للهرب من الشام ورسم ولاة الأمور .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) أ ، ب : ووقعت الرجفة في الشام وفي بلاد الروم أيضاً .
(٧) أ ، ب : بالتحول إلى الديار المصرية نائبها الأمير علم الدين .
(٨) سترد ترجمة طيبرس في وفيات سنة ٦٨٩ من هذا اكتاب إن شاء الله تعالى .
(٩) هو عبد العزيز بن منصور بن محمد بن وداعة الدارس (٢/ ٢٥٧) .
(١٠) أ ، ب : وفي هذه السنة .
(١١) سترد ترجمة ابن خلكان في وفيات سنة ٦٨١ من هذا الجزء إن شاء الله .
(١٢) أ ، ب : للشيخ شهاب الدين ، وسترد ترجمة أبي شامة في وفيات سنة ٦٥٥ من هذا الجزء إن شاء الله .
(١٣) ط : وفيها توفي من الأعيان .
(١٤) أ ، ب : المستنصر بالله . واكتفى الذهبي بالمستنصر تمييزاً له من أخيه .
(١٥) ترجمة ـ المستنصر بالله ـ في ذيل الروضتين (٢١٣) وذيل مرآة الزمان (١/ ٤٤١ ـ ٤٥٢ و٥٠٠ ـ ٥٠١ و٢/ ١٦٣ ـ ١٧٠) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٩٢٥) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٦٨ ـ ١٧١) والعبر (٥/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩) والنجوم الزاهرة (٧/ ١٠٩ ـ ١١٧ و٢٠٦) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٤٧٧ ـ ٤٧٨) .

أنفق الظاهر عليه حتى أقام له جيشاً بألف ألف[١] دينار وأزيد ، وسار في خدمته ومعه خلق من أكابر الأمراء وأولاد صاحب الموصل ، وكان الملك الصالح إسماعيل من الوفد الذين قدموا على الظاهر فأرسله صحبة الخليفة ، فلما كانت الوقعة فقد المستنصر ورجع الصالح إلى بلاده[٢] فجاءته التتار فحاصروه كما ذكرنا ، وقتلوه وخربوا بلاده وقتلوا أهلها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

العز الضرير[٣] النحوي اللغوي اسمه الحسن بن محمد بن أحمد بن نَجا .

من أهل نَصيبين[٤] ونشأ بإربل فاشتغل[٥] بعلوم كثيرة من علوم الأوائل ، وكان يشتغل عليه أهل الذمة وغيرهم ، ونُسب إلى الانحلال وقلّة الدين ، وترك الصلوات ، وكان ذكياً ، وليس بذكي ، عالم اللسان جاهل القلب ، ذكي القول خبيث الفعل ، وله شعر أورد[٦] منه الشيخ قطب الدين[٧] قطعة في ترجمته ، وهو شبيه[٨] بأبي العلاء المعري قبّحهما الله .

ابن عبد السلام[٩] عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي[١٠] القاسم بن الحسن بن محمد المهذب ، الشيخ عز الدين [بن عبد السلام][١١] أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي .

---

(١) أ ، ب : وكان السلطان الظاهر أنفق عليه حتى أقام له جيشاً ألف ألف .

(٢) أ ، ب : فلما كانت الوقعة وفقد المستنصر عاد الصالح إلى بلاده .

(٣) ترجمة ـ العز الضرير ـ في ذيل الروضتين (٢١٦) وذيل مرآة الزمان (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٤ و٢/ ١٦٥) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٩٣٠) وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) والعبر (٥/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) وفوات الوفيات (١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) وبغية الوعاة (١/ ٥١٨ ـ ٥١٩) ونكت الهميان (١٤٣) وشذرات الذهب (٣/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) .

(٤) نَصيبين بالفتح ثم الكسر مدينة في بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبينها وبين الموصل ستة أيام ، وبين دنيسر يومان عشرة فراسخ . معجم البلدان (٥/ ٢٢٨) . وذكر اليونيني (٢/ ١٦٧) أن العز من قرية يقال لها (أفشا) من أعمال نصيبين .

(٥) أ ، ب : يشتغل بعلوم كثيرة .

(٦) أ ، ب : وكان ذكياً وليس بذكي له شعر جيد رائق وقد أورد .

(٧) ذيل مرآة الزمان (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢ و٢/ ١٦٦ ـ ١٧٠) .

(٨) أ ، ب : وهذا الضرير شبيه .

(٩) ترجمة ـ العز بن عبد السلام ـ في ذيل الروضتين (٢١٦) وذيل مرآة الزمان (١/ ٥٠٥ ـ ٥١٦) و(٢/ ١٧٢/ ١٧٦) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٩٣٣) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٦) والعبر (٥/ ٢٦٠) وفوات الوفيات (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢) وطبقات السبكي (٥/ ٨٠) وطبقات الإسنوي (٢/ ١٩٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٨) وحسن المحاضرة (١/ ٣١٤ و٢/ ١٦١) وشذرات الذهب (٧/ ٥٢٢ ـ ٥٢٤) .

(١٠) ليست في ط ، واستدركت عن أ ، وب وباقي مصادره .

(١١) عن ط وحدها .

شيخ المذهب ومفيد أهله ، وله مصنفات[١] حسان ، منها « التفسير » ، و« اختصار النهاية » ، و« القواعد الكبرى والصغرى » ، وكتاب « الصلاة » و« الفتاوى الموصلية » وغير ذلك .

ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمئة ، وسمع كثيراً واشتغل على [الشيخ] فخر الدين بن عساكر[٢] وغيره وبرع في المذهب ، وجمع علوماً كثيرة ، وأفاد الطلبة ودرَّس بعدة مدارس بدمشق ، وولي خطابتها ثم سافر إلى مصر ودرس[٣] بها وخطب وحكم ، وانتهت إليه رئاسة المذهب[٤] ، وقصد بالفتاوى من الآفاق ، وكان لطيفاً ظريفاً يستشهد بالأشعار ، وكان سبب خروجه من الشام إنكاره على الصالح[٥] إسماعيل تسليمه صفد والشقيف إلى الفرنج[٦] ، ووافقه الشيخ أبو عمرو ابن الحاجب[٧] المالكي ، فأخرجهما من بلده ، فسار أبو عمرو إلى الناصر داود صاحب الكرك فأكرمه ، وسار ابن عبد السلام[٨] إلى الملك الصالح أيوب [بن الكامل][٩] صاحب مصر فأكرمه[١٠] ، وولاه قضاء مصر وخطابة الجامع العتيق ، ثم انتزعهما منه وأقره على تدريس الصالحية ، فلما حضره الموت أوصى بها للقاضي تاج الدين ابن بنت الأعز[١١] ، وتوفي في عاشر جمادى الأولى[١٢] وقد نيَّفَ على الثمانين ، ودفن من الغد بسفح المُقَطَّم ، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير رحمه الله تعالى[١٣] .

كمال الدين بن العديم[١٤] الحنفي عُمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جَرادة عامر بن ربيعة بن خُويلد بن

(١) أ ، ب : وصاحب المصنفات .
(٢) تقدمت ترجمة الفخر بن عساكر في وفيات سنة ٦٢٠ من هذا الجزء .
(٣) أ ، ب : ثم انتقل إلى الديار المصرية فدرس بها .
(٤) ط : الشافية ، وهو تحريف .
(٥) أ ، ب : وقد كان خروجه من الشام بسبب ما كان أنكره على الصالح .
(٦) أ ، ب : من تسليمه صفد والثقيف إلى الفرنج وغير ذلك .
(٧) تقدمت ترجمة ابن الحاجب في وفيات سنة ٦٤٦ .
(٨) أ ، ب : عز الدين .
(٩) عن ط وحدها .
(١٠) أ ، ب : فأكرمه واحترمه .
(١١) سترد ترجمة ابن بنت الأعز في وفيات سنة ٦٨٠ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(١٢) أ ، ب : وكانت وفاته في العاشر من جمادى الأولى من هذه السنة .
(١٣) أ ، ب : السلطان الملك الظاهر وخلق من الأمم رحمه الله تعالى .
(١٤) ترجمة ـ ابن العديم ـ في ذيل الروضتين (٢١٧) وذيل مرآة الزمان (١/ ٥١٠ ـ ٥١١) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٩٣٧) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٦) والعبر (٥/ ٢٦١) وفوات الوفيات (٣/ ١٢٦) والجواهر المضيئة (١/ ٣٨٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٨) والشذرات (٧/ ٥٢٥) .

عوف[١] بن عامر بن عقيل [العُقيلي] الحلبي الحنفي [كمال الدين] أبو القاسم بن العَديم ، الأمير الوزير الرئيس الكبير .

ولد سنة ست وثمانين وخمسمئة ، وسمع الحديث وحدَّث وتفقَّه وأفتى ودرَّس وصنف ، وكان إماماً في فنون كثيرة ، وقد ترسّل إلى الخلفاء والملوك مراراً عديدة ، وكان يكتب حسناً طريقة مشهورة ، وصنف لحلب تاريخاً[٢] مفيداً قريباً في أربعين مجلداً ، وكان جيّد المعرفة بالحديث ، حسنَ الظنّ بالفقراء والصالحين كثيرَ الإحسان إليهم ، وقد أقام بدمشق في الدولة الناصرية المتأخرة ، توفي[٣] بمصر ودفن بسفح المُقَطَّم بعد ابن عبد السلام[٤] بعشرة أيام ، وقد أورد له قطب الدين[٥] أشعاراً حسنة .

يوسف بن يوسف بن [يوسف بن] سلامة[٦] بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن سليمان بن محمد الفَأْفاء[٧] الزَّينَبيّ بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، محيي الدين أبو العزّ[٨] ، ويقال أبو المحاسن الهاشمي العباسي المَوْصِلي[٩] المعروف بابن زِبْلاق[١٠] الشاعر ، قتلته التتار[١١] لما أخذوا الموصل في هذه السنة عن سبع وخمسين سنة ، ومن[١٢]

---

(١) أ : عون ؛ وهو تحريف . والخبر في ذيل مرآة الزمان (٢/ ١٧٦) .

(٢) اسمه « بغية الطلب في تاريخ حلب » وقد طبع في دمشق بتحقيق الدكتور سهيل زكار . قال بشار : وهي طبعة رديئة .

(٣) أ ، ب : وكانت وفاته .

(٤) أ ، ب : بعد الشيخ عز الدين .

(٥) الخبر في مرآة الزمان (١/ ٥١١ ـ ٥١٢) و(٢/ ١٧٩) .

(٦) ترجمة ـ ابن زبلاق ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٥١٣ ـ ٥٢٤) و(٢/ ١٨١ ـ ١٨٦) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٩٤٥) وفوات الوفيات (٤/ ٣٨٤ ـ ٣٩٥) وشذرات الذهب (٧/ ٥٢٧) .

(٧) في ط : الفاقاني . وما هنا عن الأصلين ومصادره .

(٨) ط : أبو المعز ؛ وما هنا عن الأصلين والمصادر .

(٩) ط : الحوصلي . تحريف .

(١٠) اختلفت المصادر في هذه التسمية التي عرف بها هذا الشاعر على ثلاثة وجوه .
١ ـ فهو : ابن ذبلاق في ذيل مرآة الزمان (١/ ٥١٤) .
٢ ـ وهو ابن زبلاق كما هنا وفي العبر وضبطت فيه بضم الزاي ، والصواب كسر الزاي كما بخط المؤلف في تاريخ الإسلام .
٣ ـ وهو ابن زيلاق في ذيل مرآة الزمان (٢/ ١٨١) والفوات والشذرات الذي ضبطه بفتح الزاي وتسكين الياء .
وأثبت ما في أصولنا الثلاثة ، وهو الصواب .

(١١) أ ، ب : التتر .

(١٢) أ ، ب : فمن .

شعره قوله [من بعض قصيدة من ديوانه][١] : [من الطويل]

بعثتِ لنا من سحرِ مقلتكِ الوَسْنى سهاداً يزود الكرى أن يألفَ الجفنا
وأبصرَ جسمي حسنَ خصركِ ناحلاً فحاكاهُ لكنْ زادَ في دقَّةِ المعنى[٢]
وأبرزتِ وجهاً أخجل[٣] الصبحَ طالعاً وملتِ[٤] بقدٍّ علَّم الهيفَ الغُصْنا[٥]
حكيتِ أخاكِ البدرَ ليلةَ[٦] تِمِّهِ سناً وسناءً إذ تشابهتما سِنّا[٧]

وقال أيضاً وقد دعي إلى موضع ، فبعث يعتذر بهذين البيتين :

أنا في منزلي وقد وهبَ اللـ ـهُ نديماً وقينةً وعقارا
فابسطوا العذرَ في التأخّرِ عنكم شغل الخلي أهله أن يعارا[٨]

قال أبو شامة[٩] : وفيها في ثاني عشر جمادى الآخرة توفي :

البَدْرُ المَرَاغي الخِلافي المعروف بالطويل ، وكان قليلَ الدين تاركاً للصلاة مغتبطاً بما كان فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين ، راضياً [بما لا يفيد][١٠] رحمنا الله وجميع المسلمين .

وفيها توفي :

[**ناصر الدين**][١١] **محمد بن داود بن ياقوت الصارمي**[١٢] المحدث . كتب كثيراً الطباقات[١٣]

---

(١) الأبيات ثمانية في ذيل المرآة (٢/ ١٨٥ ـ ١٨٦) وهي سبعة في فوات الوفيات (٤/٣٨٩ ـ ٣٩٠) وهي ثلاثة دون الأخير في الشذرات .
(٢) جاء هذا البيت بعد الذي يليه في الفوات والشذرات .
(٣) في الفوات : يخجل .
(٤) في الذيل : ومالت ، وفي الفوات والشذرات : ومست .
(٥) ط : الغصنا اللدنا ؛ وفيها زيادة .
(٦) في الذيل : في حال .
(٧) ليس البيت في الفوات ولا في الشذرات .
(٨) أ ، ب : شغل الخلي أهل بأن يعارا ؛ ولا يزال وزنه غير مستقيم .
(٩) ذيل الروضتين (٢١٧) .
(١٠) لم يرد ما بين الحاصرتين في ذيل الروضتين .
(١١) ترجمة ـ الصارمي ـ في ذيل الروضتين (٢١٧) وذيل مرآة الزمان (٢/١٧٩ ـ ١٨٠) ، وتاريخ الإسلام (١٤/ ٩٤٠) .
(١٢) في ذيل الروضتين الصارخي ؛ تحريف ، وفي أ : الضارمي ؛ وهو تحريف أيضاً .
(١٣) ط : الطبقات ، وفي أ ، ب : الطباق . وما هنا للسياق .

وغيرها ، وكان ديّناً خيراً يعير كتبه ويداوم[١] على الاشتغال بسماع[٢] الحديث رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمئة

استهلت وسلطان البلاد الشامية والمصرية بيبرس ، وعلى الشام نائبه [جمال الدين] آقوش النجيبي ، وقاضي دمشق [شمس الدين][٣] ابن خلكان ، والوزير بها عز الدين بن وداعة[٤] ، وليس للناس خليفة ، وإنما تضرب السكة باسم المستنصر الذي قتل في السنة الماضية .

ذكر خلافة الحاكم بأمر الله أبي العباس

أحمد بن الأمير أبي علي القبي ابن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين أبي منصور الفضل بن الإمام المتسظهر بالله [أبي العباس] أحمد العباسي الهاشمي .

لما كان ثامن[٥] المحرم وهو يوم الخميس ، جلس السلطان [الملك] الظاهر [ركن الدين بيبرس] والأمراء [وأهل الحلّ والعقد] في الإيوان الكبير بقلعة الجبل ، وجاء الخليفة الحاكم بأمر الله راكباً حتى نزل عند الإيوان ، وقد بسط له إلى جانب السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه ، [ثم قرئ نسبه على الناس ثم أقبل عليه الظاهر بيبرس فبايعه][٦] وبايعه الناس بعده ، وكان يوماً مشهوداً . فلما[٧] كان يوم الجمعة ثانيه[٨] خطب الخليفةُ بالناس فقال في خطبته :

«الحمدُ لله الذي أقام لآل العباس ركناً وظهيراً، وجعل لهم من لدنه سلطاناً نصيراً ، أحمده على السرّاء والضرّاء ، وأستعينه على شكر ما أسبغ من النعماء ، وأستنصره على دفع الأعداء ، وأشهد أن لا إله إلا الله

---

(١) أ ، ب : كتبه بدوام بلا واو .

(٢) أ ، ب : وسماع .

(٣) أ ، ب : ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمئة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية الظاهر بيبرس البندقداري ونائبه على الشام جمال الدين آقوش النجيبي وقاضيه شمس الدين .

(٤) ابن وداعة هو عبد العزيز بن منصور بن محمد بن محمد بن وداعة أبو محمد عز الدين المعروف بابن وداعة الحلبي ولاه الملك الناصر شد الدواوين بدمشق وأعمالها ثم ولاه الملك الظاهر ركن الدين وزارة الشام وتوفي في مصر سنة ٦٦٦ ودفن بالقرافة الصغرى . وبنى بجبل قاسيون بدمشق تربة ومسجداً وعمارة حسنة . ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢) والدارس (٢/ ٢٥٧) والقلائد الجوهرية (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) والشذرات (٧/ ٥٣٠) .

(٥) ط : ثاني . والخبر في ذيل مرآة الزمان (١/ ١٨٦) و(٢/ ٥٣٠) .

(٦) أ ، ب : فقرئ نسبه على الناس ثم أقبل عليه الملك فبايعه .

(٧) أ ، ب : ولما .

(٨) أي ثاني يوم مبايعته .

وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء ، الأربعة[١] [الخلفاء] ، وعلى العباس [عمّه و] كاشف غمه أبي السادة الخلفاء [الراشدين والأئمة المهديين] وعلى بقية الصحابة أجمعين[٢] والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أيها الناس اعلموا أن الإمامة فرضٌ من فروض الإسلام ، والجهاد محتوم على جميع الأنام ، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد ، ولا سبيت الحرم إلا بانتهاك المحارم ، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب الجرائم[٣] ، فلو شاهدتم أعداء الإسلام لما[٤] دخلوا دار السلام ، واستباحوا الدماء والأموال وقتلوا الرجال والأطفال[٥] ، وهتكوا حرم الخلافة والحريم ، [وأذاقوا من اسْتَبْقَوا العذابَ الأليم ، فارتفعت الأصوات بالبكاء] وعلَتْ الضَّجّات[٦] من هول ذلك اليوم الطويل ، فكم من شيخ خُضبت شيبته بدمائه ، وكم من طفل بكى فلم يُرحم لبكائه ، فشَمِّرُوا عباد [الله][٧] عن ساقِ الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦] فلم يبقَ معذرةٌ في القعود عن أعداء الدين ، والمحاماة عن المسلمين . وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الأجلّ العالم العادل المجاهد المؤيّد ركن الدنيا والدين ، قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار ، وشرَّد جيوشَ الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار ، فأصبحت البيعة باهتمامه[٨] منتظمة العقود ، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود ، فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة ، وأخلصوا نياتكم تنصروا ، وقاتلوا أولياء الشيطان تظفروا ، ولا يروعنّكم ما جرى ، فالحرب سجال والعاقبة للمتقين ، والدهر يومان والأجر[٩] للمؤمنين ، جمع اللهُ على الهدى[١٠] أمركم ، وأعز بالإيمان نصركم ، وأستغفر الله [العظيم] لي [ولكم] ولسائر المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم » .

ثم خطب الثانية[١١] ونزل فصلى[١٢] وكتب بيعته إلى الآفاق ليخطب له ، وضربت السكة باسمه .

---

(١) ط : لا سيما الخلفاء .
(٢) ليست في الأصلين ولا في ذيل الروضتين (١/ ١٨٨) .
(٣) في ذيل الروضتين : بارتكاب المآثم .
(٤) في ذيل الروضتين (حين) ولم ترد اللفظة في الأصلين .
(٥) بعده في ط : وسبوا الصبيان والبنات وأيتموهم من الآباء والأمهات .
(٦) ط : الصيحات .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) ط : وأصبحت البيعة بهمته .
(٩) في ذيل المرآة : والآخر ؛ وهو تحريف يجب تصحيحه .
(١٠) كذا في الأصلين وط . وهي في ذيل المرآة : على التقوى .
(١١) الخطبة الثانية في ذيل مرآة الزمان (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .
(١٢) ذيل الروضتين (٢٢١) .

قال أبو شامة : فخطب له بجامع دمشق وسائر[١] الجوامع يوم الجمعة سادس عشر المحرم من هذه السنة .

وهذا الخليفة هو التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس ، ولم يل الخلافة من بني العباس مَنْ ليس والده وجدُّه خليفة بعد السفّاح والمنصور سوى هذا ، فأما من ليس والده خليفة فكثير منهم ، المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم ، والمعتضد بن طلحة بن المتوكل ، والقادر بن إسحاق بن المقتدر ، والمقتدي بن الذخيرة بن القائم بأمر الله .

ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها

[وفيها] : ركب الظاهر من مصر[٢] في العساكر المنصورة قاصداً ناحية بلاد الكرك ، واستدعى صاحبها الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل[٣] ، فلما قدم عليه بعد جهد أرسله إلى مصر معتقلاً فكان[٤] آخر العهد به ، وذلك أنه كاتب هولاكو[٥] وحثَّه على القدوم إلى الشام مرة أخرى ، وجاءته كتب التتار بالثبات ونيابة البلاد ، وأنه سيقدم[٦] عليه عشرون ألفاً لفتح الديار المصرية ، وأخرج السلطان فتاوى الفقهاء بقتله وعرض ذلك على ابن خلكان[٧] ، وكان قد استدعاه من دمشق ، وعلى جماعة من الأمراء ، ثم سار فتسلم الكرك يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى ودخلها يومئذ في أُبَّهة الملك[٨] ، ثم عاد إلى مصر مؤيداً منصوراً .

وفيها : قدمت رسل بركة خان[٩] إلى الظاهر يقول له : قد علمت محبتي للإسلام[١٠] ، وعلمت ما فعل هولاكو بالمسلمين ، فاركب أنت من ناحية حتى آتيه من ناحية حتى نصطلمه أو نخرجه من البلاد وأعطيك جميع ما كان بيده من البلاد[١١] ، فاستصوب الظاهر هذا الرأي وشكره وخلع على رسله وأكرمهم .

---

(١) أ ، ب : وبسائر .
(٢) أ ، ب : الديار المصرية .
(٣) بعد هذه اللفظة في أ ، ب : بن العادل .
(٤) أ ، ب : وكان .
(٥) أ ، ب : هولاوو .
(٦) ط : وأنهم قادمون .
(٧) سترد ترجمة ابن خلكان في وفيات سنة ٦٨١ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٨) أ ، ب : أبهة عظيمة .
(٩) أ ، ب : بركة قان .
(١٠) أ ، ب : لدين الإسلام .
(١١) أ ، ب : وآتيه أنا من ناحية حتى نصطلمه ونخرجه من بلاده وأياً ما كان أعطيتك جميع ما في يده من البلاد .

وفيها : زلزلت الموصل زلزلة عظيمة وتهدَّمت أكثر دورها .

وفي رمضان جهز [الملك] الظاهر صناعاً وأخشاباً وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله ﷺ بعد حريقه فطيف بتلك الأخشاب والآلات بمصر فرحة وتعظيماً لشأنها(١) ، ثم ساروا بها إلى المدينة النبوية .

وفي شوال سار الظاهر إلى الإسكندرية فنظر في أحوالها وأمورها ، وعزل قاضيها وخطيبها ناصر الدين أحمد بن المنيِّر ووَلَّى غيره .

وفيها : التقى بركة خان وهولاكو ومع كل واحد جيوش كثيرة فاقتتلوا فهزم الله هولاكو(٢) هزيمة فظيعة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقي وهرب هو في شرذمة يسيرة(٣) ولله الحمد . ولما نظر بركة خان(٤) كثرة القتلى قال يعز عليَّ أن يقتل المغول بعضهم بعضاً ولكن كيف الحيلة فيمن غيَّر سنَّةَ جنكيزخان ثم غار بركة خان على بلاد القسطنطينية فصانعه(٥) صاحبها وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة خان(٦) .

وقد(٧) أقام البرلي(٨) بحلب خليفةً آخر لقبه بالحاكم ، فلما اجتاز به المستنصر سار معه إلى العراق واتفقا على المصلحة ، وانقاد الحاكم للمستنصر(٩) لكونه أكبر منه ولله الحمد ، ولكن خرج عليهما(١٠) طائفة من التتار ففرقوا شملهما وقتلوا خلقاً ممن كان معهما ، وعُدم المستنصر وهرب الحاكم مع الأعراب .

وقد كان المستنصر هذا فتح بلداناً كثيرة في مسيره [من الشام](١١) إلى العراق ، ولما قاتله بهادر علي شحنة بغداد كسره المستنصر وقتل أكثر أصحابه ، ولكن خرج كمين من التتار نجدة فهرب العربان والأكراد الذين كانوا مع المستنصر وثبت هو في طائفة ممن كان معه من الترك فقُتل أكثرهم . وفُقد هو من

---

(١) أ ، ب : بالديار المصرية فرحة بها وتعظيماً لها .
(٢) أ ، ب : جيوش عظيمة فاقتتلا فهزم هولاكو .
(٣) أ ، ب : في شرذمة قليلة من أصحابه ولله الحمد .
(٤) أ ، ب : ولما نظر بركة قان إلى كثرة القتلى .
(٥) أ ، ب : ثم أغار بركة قان على بلاد القسطنطينية وصانعه .
(٦) أ ، ب : إلى بركة وتحفاً كثيرة هائلة .
(٧) من هذه اللفظة وعلى مدى صفحتين جاء في أ في آخر سنة ٦٥٩ ، وآثرت إبقاءها كما وردت في ط ، وب لوقوعها في مكان تسلسلها التاريخي الصحيح .
(٨) ط : التركي ؛ تحريف .
(٩) ط : وإنقاذ الحاكم المستنصر .
(١٠) أ ، ب : في آخر السنة .
(١١) عن ط وحدها .

بينهم[١] ، ونجا الحاكم في طائفة ، وكانت الوقعة[٢] في أول المحرم من سنة ستين وستمئة .

وهذا هو الذي أشبه الحسين بن علي في توغّله في أرض العراق مع كثرة جنودها ، وكان الأوْلى له أن يستقر في بلاد الشام[٣] حتى تتمهد له الأمور ويصفو الحال[٤] ، ولكن قدَّر الله وما شاء فعل .

وجهز السلطان [الملك الظاهر] جيشاً آخر من دمشق إلى بلاد الفرنج فأغاروا وقتلوا وسَبَوْا ورجعوا سالمين ، وطلبت الفرنج منه المصالحة فصالحهم مدةً لاشتغاله بحلب وأعمالها .

وكان قد عزل في شوال قاضي مصر تاج الدين ابن بنت الأعز[٥] وولي عليها برهان الدين الخضر بن الحسين السنجاري[٦] ، وعزل قاضي دمشق نجم الدين أبا بكر بن صدر الدين أحمد بن شمس الدين بن هبة الله بن سَنيّ الدولة[٧] ، وولي عليها شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان[٨] ، وقد ناب في الحكم بالقاهرة مدةً طويلةً عن بدر الدين السنجاري[٩] ، وأضاف[١٠] إليه مع القضاء نظر الأوقاف ، والجامع والمارستان ، وتدريس سبع مدارس : العادلية ، والناصرية ، والعذراوية ، والفلكية ، والركنية ، والإقبالية ، والبهنسية ، وقرئ تقليده يوم عرفة يوم الجمعة بعد الصلاة بالشباك الكمالي من جامع دمشق .

وسافر القاضي المعزول مُرْسَماً عليه . وقد تكلم فيه الشيخ أبو شامة[١١] وذكر أنه خان في وديعة ذهب جعلها فلوساً فالله أعلم ، وكانت مدة ولايته سنةً وأشهراً .

وفي يوم العيد يوم السبت سافر السلطان إلى مصر[١٢] .

وقد كان رسول الإسماعيلية قدم على السلطان بدمشق يتهدَّدونه ويتوعدونه[١٣] ، ويطلبون منه

---

(١) أ ، ب : من البين .
(٢) أ ، ب : وكان هذا .
(٣) أ ، ب : وكان الأولى لهذا أن يستقر في بلاد الإسلام .
(٤) أ ، ب : وتصفو الأحوال .
(٥) سترد ترجمة ابن بنت الأعز في وفيات سنة ٦٦٥ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٦) سترد ترجمة برهان الدين السنجاري في وفيات سنة ٦٨٦ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٧) تقدمت ترجمة ابن سني الدولة في وفيات سنة ٦٥٨ من هذا الجزء .
(٨) سترد ترجمة ابن خلكان في وفيات سنة ٦٨١ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٩) سترد ترجمة بدر الدين السنجاري في وفيات سنة ٦٦٣ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(١٠) أ ، ب : فأضاف .
(١١) ذيل الروضتين (٢١٤) .
(١٢) أ ، ب : سافر السلطان بالعساكر المنصورة راجعاً إلى الديار المصرية .
(١٣) أ ، ب : يتهدده ويتوعده .

إقطاعات كثيرة ، فلم يزل السلطان(١) يوقع بينهم حتى استأصل شأفتهم واستولى على بلادهم(٢) .

[وفيها] : في السادس والعشرين من ربيع الأول عُمل عزاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن [العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف](٣) بن أيوب بن شاذي فاتح بيت المقدس وكان عمل هذا العزاء بقلعة الجبل بمصر(٤) ، بأمر السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس ، وذلك لما بلغهم أن هولاكو ملك التتار قتله ، وقد كان في قبضته منذ مدة(٥) فلما بلغ هولاكو أن أصحابه قد كسروا(٦) بعين جالوت طلبه إلى بين يديه وقال له : أنت أرسلت إلى الجيوش بمصر حتى جاؤوا فاقتتلوا مع المغول(٧) فكسروهم ثم أمر بقتله ، ويقال إنه اعتذر إليه(٨) وذكر له أن المصريين كانوا أعداءه وبينه وبينهم شنآن [وقتال] ، فأقاله ولكنه انحطت رتبته عنده ، وقد كان مكرماً في خدمته ، وقد وعده أنه إذا ملك مصر استنابه في الشام فلما كانت وقعة حمص في هذه السنة وقتل فيها أصحاب هولاكو مع مقدمهم(٩) بيدرة غضب وقال له [: هؤلاء] أصحابك من(١٠) العزيزية أمراء أبيك ، والناصرية من أصحابك قتلوا أصحابنا ، ثم أمر بقتله . [وذكروا في كيفية قتله أنه رماه](١١) بالنشاب ، وهو واقفٌ بين يديه يسأله العفوَ فلم يعفُ عنه حتى(١٢) قتله وقتل أخاه شقيقه [الملك] الظاهر عليًّا .

وأطلق ولديهما العزيز محمد بن الناصر وزبالة بن الظاهر ، وكانا صغيرين من أحسن أشكال بني آدم . فأما العزيز فإنه مات هناك في أسر التتار ، وأما زبالة فإنه سار إلى مصر وكان(١٣) أحسن مَنْ بها ، وكانت أمه أمَّ ولدٍ يقال لها وجه القمر ، فتزوجها بعض الأمراء بعد أستاذها [المذكور] .

ويقال : إن هولاكو لما أراد قتل الناصر أمر بأربع من الشجر متباعدات [بعضها عن بعض](١٤) ،

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) بعدها في أ ، ب : نصره الله ومكن به في البلاد ونصر به عباده المؤمنين آمين .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) أ ، ب : بقلعة الجبل من الديار المصرية .
(٥) أ ، ب : وقد كان في قبضته كما تقدم ذكره .
(٦) أ ، ب : فلما بلغه كسرة أصحابه بعين جالوت .
(٧) أ ، ب : أنت أرسلت الجيش إلى الديار المصرية حتى اقتتلوا مع المغول .
(٨) أ ، ب : اعتذر من هذه المرة وذكر له .
(٩) أ ، ب : فقتل فيها أصحابه مع مقدمهم .
(١٠) ط : في العزيزية .
(١١) أ ، ب : وقد ذكر أنه رماه .
(١٢) أ ، ب : يسأل العفو فلم يفعل حتى قتله .
(١٣) أ ، ب : إلى الديار المصرية فكان .
(١٤) عن ط وحدها .

فجُمعت رؤوسها بحبال(١) ثم رُبط الناصر في الأربع(٢) بأربعته ، ثم أطلقت الحبال ، فرجعت كلُّ واحدة إلى مركزها بعضوٍ من أعضائه(٣) رحمه الله .

وقد قيل إن ذلك كان في الخامس والعشرين من شوال في سنة ثمان وخمسين ، وكان مولده في سنة سبع وعشرين بحلب .

ولما توفي أبوه سنة أربع وثلاثين بُويع بالسلطنة بحلب وعُمره سبع سنين ، وقام بتدبير مملكته جماعةٌ من مماليك أبيه [العزيز] ، وكان الأمر كله عن رأي جدته أم [أبيه صفية] خاتون بنت العادل أبي بكر بن أيوب ، فلما توفيت في سنة أربعين وستمئة استقّل الناصر بالمُلْكِ ، وكان جيّد السيرة في الرعية محبباً إليهم ، كثير النفقات ، ولا سيما لما ملك دمشق مع حلب وأعمالها وبعلبك وحران وطائفة كبيرة من بلاد الجزيرة .

فيقال إن سماطه كان كل يوم يشتمل(٤) أربعمئة رأس غنم سوى الدجاج والأوز وأنواع الطير ، مطبوخاً(٥) بأنواع الأطعمة والقلوبات(٦) غير المشوي والمقلي ، وكان مجموع ما يعزم على السماط في كل يوم عشرين ألفاً وعامته يخرج من يديه كما هو كأنه لم يؤكل منه شيء ، فيُباع على باب القلعة بأرخص الأثمان حتى إنَّ كثيراً من أرباب البيوت كانوا لا يطبخون في بيوتهم شيئاً من الطرف والأطعمة بل يشترون(٧) برخصٍ ما لا يقدرون على مثله إلا بكلفة ونفقة كثيرة ، فيشتري أحدهم بنصف درهم أو بدرهم ما لا يقدر عليه إلا بخسارة كثيرة ، ولعله لا يقدر على مثله ، وكانت الأرزاق كثيرة دارَّةً في زمانه وأيامه .

وقد كان خليعاً ظريفاً حسن الشكل أديباً يقول الشعر المتوسط القوي بالنسبة إليه .

وقد أورد له الشيخ قطب الدين في الذيل(٨) قطعة صالحة من شعره وهي رائقة لائقة . قتل(٩) ببلاد المشرق ودفن هناك ، وقد كان(١٠) أعدَّ له تربةً برباطه الذي بناه بسفح قاسيون فلم يُقدَّر دفنه بها .

---

(١) أ ، ب : فجمعت رؤوسها الحبال .
(٢) ط : في الأربعة بأربعته ؛ وهو خطأ .
(٣) أ ، ب : من أعضاء الناصر .
(٤) أ ، ب : إن سماطه يشتمل كل يوم على أربعمئة .
(٥) أ ، ب : ممونا .
(٦) ط : القلويات ؛ تحريف .
(٧) أ ، ب : يشرون .
(٨) ذيل مرآة الزمان (١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٩) و(٢/ ١٤٣ ـ ١٤٤) .
(٩) أ ، ب : وكانت وفاته ببلاد المشرق .
(١٠) عن ط وحدها .

والناصرية البرانية[(١)] بالسفح من أغرب الأبنية[(٢)] وأحسنها بنياناً من المؤكد المحكم قبلي جامع الأفرم[(٣)]، وقد بنى بعدها بمدة طويلة، وكذلك الناصرية الجوانية[(٤)] التي بناها داخل باب الفراديس هي من أحسن المدارس، وبنى الخان الكبير تجاه الزنجاري وحولت إليه دار الطعم، وقد كانت قبل ذلك غربي القلعة في اصطبل السلطان اليوم رحمه الله.

وفيها توفي من الأعيان[(٥)]:

أحمد[(٦)] بن محمد بن عبد الله[(٧)] بن محمد بن يحيى بن سيِّد الناس أبو بكر اليَعْمري الأندلسي الحافظ.

ولد سنة سبع وتسعين وخمسمئة وسمع الكثير، وحصل كتباً عظيمة، وصنف أشياء حسنة، وختم به الحفاظ في تلك[(٨)] البلاد، وكانت وفاته بمدينة تونس في الرابع والعشرين[(٩)] من رجب من هذه السنة.

وممن توفي فيها أيضاً:

عبد الرزاق بن رزق الله[(١٠)] بن أبي بكر بن خلف عز الدين أبو محمد الرسعني[(١١)] المحدث المفسر.

---

(١) الدارس (٦/ ١١٥) والقلائد الجوهرية (١/ ٨٨٠).

(٢) أ، ب: أغرب الأمكنة.

(٣) الدارس (٦/ ١١٥) قلت: ولا يزال هذا الجامع قائماً إلى اليوم في طريق المهاجرين مقابل طلعة الباشكاتب.

(٤) الدارس (١/ ٤٥٩) ومنادمة الأطلال (١٤٩).

(٥) أ، ب: وممن توفي فيها.

(٦) هكذا وقع في الأصول وط، وهو غلط، فهو مقلوب، صوابه: محمد بن أحمد بن عبد الله، كما بخط الحسيني في صلة التكملة (الورقة ٢٠٩ من نسختي المصورة) وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٤/ ٩١٦)، وقال ابن الأبار في ترجمة والده أحمد بن عبد الله المتوفى سنة ٦١٨: «روى عنه صاحبنا ابنه أبو بكر محمد بن أحمد (التكملة لكتاب الصلة) (١/ ٩٨) من طبعة الهراس. وهو جد الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس صاحب «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» المتوفى سنة ٧٣٤ هـ (بشار).

(٧) ترجمة ـ ابن سيد الناس ـ في الشذرات (٧/ ٥٢٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٩١٦) وفيات سنة ٦٥٩.

(٨) أ: بتلك.

(٩) ط: توفي بمدينة تونس في سابع عشرين رجب، وهو خطأ، وما هنا يوافق ما في صلة الحسيني وتاريخ الإسلام للذهبي (بشار).

(١٠) ترجمة ـ الرسعني ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٥٤٥) و(٢/ ٢١٩) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٨) والعبر (٥/ ٢٦٤) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١١) وشذرات الذهب (٧/ ٥٢٩). وفي ط: عبد الله، خطأ.

(١١) الرسعني: بفتح الراء، والعين المهملة، وسكون السين المهملة: نسبة إلى رأس العين مدينة بالجزيرة. الشذرات (٧/ ٥٢٩).

سمع الكثير ، وحدث ، وكان من الفضلاء الأدباء ، له مكانةٌ عند البدر لؤلؤ[١] صاحب الموصل ، وكان له منزلة أيضاً عند صاحب سنجار ، وبها توفي في ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر وقد جاوز السبعين ، ومن شعره : [من الكامل]

نعـبَ الغـرابُ فـدلّنـا بنعيبـهِ أن الحبيـبَ دنـا أوانُ مغيبـهِ
يا سائلي عن طيبِ عَيْشي بعدهمْ جُـدْ لـي بعيشٍ ثـم سلْ عـن طيبـهِ

محمد بن أحمد بن عنتر السلمي[٢] الدمشقي محتسبها ، ومن[٣] عدولها وأعيانها ، وله بها أملاك وأوقاف[٤] ، توفي بالقاهرة ودفن بالمقطم .

علم الدين أبو [محمد] القاسم بن أحمد[٥] بن الموفق بن جعفر المُرْسي اللورقي اللغوي النحوي المقرئ .

شرح الشاطبية شرحاً مختصراً ، وشرح المفصل في عدة مجلدات ، وشرح الجزولية وقد اجتمع بمصنفها وسأله عن بعض مسائلها ، وكان ذا فنون عديدة[٦] حسن الشكل مليح الوجه له هيئة حسنة وبزة وجمال ، وقد سمع الكِنْدي[٧] وغيره .

الشيخ أبو بكر الدينوري[٨] وهو باني الزاوية بالصالحية ، وكان له فيها جماعة مريدون يذكرون الله بأصوات حسنة طيبة رحمه الله .

مولد الشيخ تقي الدين ابن تَيْمِيّة شيخ الإسلام[٩] قال الشيخ شمس الدين الذهبي[١٠] : وفي هذه السنة

---

(١) تقدمت ترجمة لؤلؤ في وفيات سنة ٦٥٦ من هذا الجزء .
(٢) ترجمة ـ ابن عنتر ـ في ذيل الروضتين (٢٢٦) وذيل مرآة الزمان (٢/ ٢٢٠ـ٢٢١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٥) .
(٣) أ ، ب : وكان من عدولها .
(٤) أ ، ب : أملاك وثروة وأوقاف وتوفي .
(٥) ترجمة ـ علم الدين بن الموفق ـ في معجم الأدباء (١٦/ ٣٣٤) وذيل الروضتين (٢٢٧) وذيل مرآة الزمان (٢/ ٢٢١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٤) والعبر (٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٦) وبغية الوعاة (٢/ ٢٥٠) والدارس (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) والشذرات (٧/ ٥٣٢) واسمه في ذيل المرآة : محمد بن أحمد بن الموفق بن جعفر . قال بشار : قال الذهبي : ومنهم من سماه « أبو القاسم محمد » والأول أصح .
(٦) أ ، ب : متعددة .
(٧) تقدمت ترجمة الكندي في وفيات سنة ٦١٣ من هذا الجزء .
(٨) ترجمة ـ أبي بكر الدينوري ـ في ذيل الروضتين (٢٢٨) ، وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٧) .
(٩) سترد ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية في وفيات سنة ٧٢٨ من هذا الكتاب .
(١٠) تاريخ الإسلام (١٥/ ٤٤) .

ولد شيخنا تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحليم بن أبي القاسم بن تَيْمِيّة الحَرّاني بحرّان يوم الإثنين عاشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وستمئة .

الأمير الكبير مجير الدين[(١)] أبو الهيجاء [بن] عيسى بن خُشْتَرين[(٢)] الأزْكُشي الكردي الأموي .

كان من أعيان الأمراء وشجعانهم ، وله يوم عين جالوت اليد البيضاء في كسر[(٣)] التتار ، ولما دخل الملك المظفر إلى دمشق بعد الوقعة جعله مع الأمير علم الدين سنجر[(٤)] الحلبي نائباً على دمشق مستشاراً ومشتركاً[(٥)] في الرأي والمراسيم والتدبير ، وكان يجلس معه في دار العدل وله الإقطاع الكامل والرزق الواسع ، إلى أن توفي في هذه السنة .

قال أبو شامة[(٦)] : ووالده الأمير حسام الدين توفي في جيش الملك الأشرف ببلاد الشرق هو والأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب[(٧)] .

قلت : وولده الأمير عز الدين تولى[(٨)] هذه المدينة أعني دمشق مدة ، وكان مشكور السيرة وإليه ينسب درب ابن سنون[(٩)] بالصاغة العتيقة ، فيقال درب ابن أبي الهيجاء لأنه كان يسكنه[(١٠)] وكان يعمل الولاية فيه فعُرف به ، وبعد موته بقليل كان فيه نزولنا حين قدمنا من حوران وأنا صغير فختمت فيه القرآن [العظيم] ، ولله الحمد والمنة ونسأله أن يتوفانا على الكتاب والسنة[(١١)] .

---

(١) ترجمة ـ أبي الهيجاء في ذيل الروضتين (٢٢٧) وذيل مرآة الزمان (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١٢) .

(٢) ط : أبو الهيجاء عيسى بن حيثر الأزكشي ؛ وفيها نقص وتحريف . وفي أ : بن حشير الأزكشي الكردي الأسدي . وفي ب مثل ما في أ إلى الأسدي التي أصبحت في : ب الأنثري . وما هنا عن مصادره . قال بشار : والضبط من خط الذهبي في تاريخ الإسلام .

(٣) أ ، ب : كسرة التتار .

(٤) عن ط وحدها .

(٥) أ ، ب : الحلبي نائب البلد مستشاراً ومشاركاً .

(٦) ذيل الروضتين (٢٢٧) .

(٧) لعماد الدين بن المشطوب ترجمة في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٢٢٤) .

(٨) أ ، ب : تولى ولاية .

(٩) أ : درب ابن سقور . وفي ب : درب ابن سقون .

(١٠) أ ، ب : كان يسكنه .

(١١) قلت : وأنا أيضاً أسأل الله أن يتوفاني على الكتاب والسنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وستمئة

استُهِلّت[١] والخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، والسلطان الظاهر بيبرس ، ونائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجيبي[٢] وقاضيه [شمس الدين] ابن خلكان[٣] .

وفيها : في أولها كملت المدرسة الظاهرية التي بين القصرين ، ورتب لتدريس الشافعية بها القاضي تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين[٤] ، ولتدريس الحنفية مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر ابن العديم[٥] ، ولمشيخة الحديث بها الشيخ شرف الدين عبد المؤمن[٦] بن خلف الحافظ الدمياطي[٧] .

وفيها : عمر الظاهر[٨] بالقدس خاناً ووقف عليه أوقافاً للنازلين به من إصلاح نعالهم وأكلهم وغير ذلك ، وبنى به طاحوناً وفرناً .

وفيها : قدمت رسل بركة خان إلى الملك الظاهر ومعهم الأشرف ابن الشهاب غازي بن العادل ، ومعهم من الكتب والمشافهات ما فيه سرور للإسلام وأهله مما حل بهولاكو وأهله .

وفي جمادى الآخرة منها درس الشيخ شهاب الدين أبو شامة[٩] عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي بدار الحديث الأشرفية ، بعد وفاة [القاضي] عماد الدين بن الحرستاني ، وحضر عنده القاضي [شمس الدين] بن خلكان وجماعة من القضاة[١٠] والأعيان ، وذكر خطبة كتابه « المبعث » ، وأورد الحديث بسنده ومتنه ، وذكر فوائد كثيرة مستحسنة ، ويقال إنه لم يراجع شيئاً حتى ولا درسه ومثله لا يستكثر ذلك عليه[١١] والله أعلم .

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) أ ، ب : الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي وسلطان الإسلام الذاب عن حوزته الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أيده الله وشد عضده ونائب الشام الأمير جمال الدين آقوش النجيبي .

(٣) سترد ترجمة ابن خلكان في وفيات سنة ٦٨١ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٤) سترد ترجمة ابن رزين في وفيات سنة ٦٨٠ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٥) سترد ترجمة ابن العديم في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٦) عن ط وحدها .

(٧) سترد ترجمة الدمياطي في وفيات سنة ٧٠٥ من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . وهي أيضاً في الدرر الكامنة (٢/ ٤١٧ـ ٤١٨) .

(٨) عن ط وحدها .

(٩) سترد ترجمة أبي شامة في وفيات سنة ٦٦٥ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(١٠) أ ، ب : من الفضلاء .

(١١) أ ، ب : لا يستكثر عليه ذلك .

وفيها : قدم نصير الدين الطوسي[(١)] إلى بغداد من جهة هولاكو[(٢)] ، فنظر في الأوقاف وأحوال البلد ، وأخذ كتباً كثيرة[(٣)] من سائر المدارس وحولها إلى رصده[(٤)] الذي بناه بمراغة ، ثم انحدر إلى واسط والبصرة .

وفيها كانت وفاة :

الملك الأشرف[(٥)] موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير .

[كانوا ملوك حمص كابراً عن كابر إلى هذا الحين ، وقد كان من الكرماء الموصوفين][(٦)] ، وكبراء الدماشقة المترفين ، ويعتني بالمآكل والمشارب[(٧)] ، والملابس والمراكب ، وقضاء الشهوات والمآرب ، وكثرة التنعم بالمغاني والحبائب ، ثم ذهب ذلك كأن لم يكن أو كأضغاث أحلام ، أو كظل زائل ، وبقيت تبعاته وعقوباته وحسابه وعاره . ولما توفي وجدت له حواصل من الجواهر النفيسة والأموال الكثيرة ، وصار[(٨)] ملكه إلى الدولة الظاهرية [، واستناب ببلاده من الممالك البحرية] .

حسام الدين لاجين[(٩)] وتوفي معه في هذه السنة الأمير حسام الجوكندار نائب حلب .

وفيها : كانت كسرة التتار على حمص وقتل مقدمهم بَيْدرة بقضاء الله وقدره الحسن الجميل .

الرشيد العطار[(١٠)] وفيها توفي الرشيد العطار المحدث بمصر .

---

(١) سترد ترجمة النصير الطوسي في وفيات سنة ٦٧٢ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٢) أ ، ب : من جهة السلطان هولاكوقان .
(٣) أ ، ب : كتباً عظيمة .
(٤) أ ، ب : إلى الرصد .
(٥) ترجمة ـ الملك الأشرف ـ في ذيل الروضتين (٢٢٩) ووفيات الأعيان (٥/ ٣٣٠ ـ ٣٣٦) وذيل مرآة الزمان (١/ ٥٥٥) (٣١٠ ـ ٣١٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٦٢) والعبر (٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) والإشارة (٣٦٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١٧ ـ ٢١٨) وشذرات الذهب (٧/ ٥٣٩) .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) أ ، ب : مقنياً بالمأكل والمشرب .
(٨) أ ، ب : وعاد .
(٩) ترجمة لاجين بن عبد الله الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي في ذيل الروضتين (٢٢٩) وذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠٣) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٦٤) والعبر (٥/ ٢٧١) والإشارة (٣٦٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١٦ ـ ٢١٨) وشذرات الذهب (٧/ ٥٤٠) .
(١٠) ترجمة ـ الرشيد العطار يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرح بن أبي الفتح أبو الحسين القرشي الأموي النابلسي الأصل المصري المالكي ـ في ذيل الروضتين (٢٢٩) وذيل مرآة الزمان (٢/ ٣١٤ ـ ٣١٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٦٥) وفوات الوفيات (٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) والعبر (٥/ ٢٧٢) والإشارة (٢٥٩) والنجوم (٧/ ٢١٧) والشذرات (٧/ ٢٤٠) .

والزين خضر[١] مسخرة الملك الأشرف موسى بن العادل .

نصر التاجر[٢] والتاجر المشهور[٣] الحاج نصر بن تَرْوس[٤] وكان ملازماً للصلوات بالجامع ، وكان من ذوي اليسار والخير .

الخطيب عماد الدين بن الحرستاني[٥] عبد الكريم بن [قاضي القضاة] جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن الحرستاني [عماد الدين الخطيب بدمشق] .

كان خطيباً بدمشق وناب في الحكم عن أبيه في الدولة الأشرفية ، بعد ابن الصلاح إلى أن توفي في دار[٦] الخطابة في تاسع عِشْري جمادى الأولى ، وصلي عليه بالجامع[٧] ودفن عند أبيه بقاسيون ، وكانت جنازته حافلة ، وقد جاوز الثمانين بخمس سنين ، وتولى[٨] بعده الخطابة والغزالية ولده محيي[٩] الدين ، وباشر [بعده] مشيخة دار الحديث الشيخ شهاب الدين أبو شامة[١٠] .

محيي الدين[١١] محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة الحافظ المحدث الأنصاري الشاطبي أبو بكر المغربي .

---

(١) ط : « والذي حضر » وهو تحريف قبيح ، وما أثبتناه هو الصواب ، قال أبو شامة في وفيات السنة : « توفي الزين خضر المعروف بالمسخرة » ذيل الروضتين (٢٢٩) (بشار) .

(٢) ترجمة ـ التاجر نصر ـ في ذيل الروضتين (٢٢٩) وفي ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣١٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٦٥) .

(٣) أ ، ب : الشهير .

(٤) أ ، ب : بروس ، وفي ذيل المرآة : بردس ، وفي ط : دس ، وكله تحريف والصواب ما أثبتنا من خط الذهبي .

(٥) ترجمة ـ ابن الحرستاني ـ في ذيل الروضتين (٢٢٩) وذيل مرآة الزمان (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٦) والإشارة (٣٥٩) والعبر (٥/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١٧) وشذرات الذهب (٧/ ٥٣٦) .

(٦) أ ، ب : بدار .

(٧) أ ، ب : في التاسع والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة وصلي عليه بجامع دمشق .

(٨) أ ، ب : وقد تولى .

(٩) ط : مجد الدين ، وأ ، ب : مجير الدين . وكلاهما تحريف والخبر في الدارس (١/ ٤٢١) وسترد ترجمة ابنه محيي الدين في وفيات سنة ٦٨٢ من هذا الجزء إن شاء الله .

(١٠) سترد ترجمة أبي شامة في وفيات سنة ٦٦٥ من هذا الجزء إن شاء الله .

(١١) ترجمة ـ ابن سراقة ـ في ذيل الروضتين ، وذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧) وتاريخ الإسلام (١٥ ـ ٦١) والعبر (٥/ ٢٧٠) والإشارة (٣٥٩) والإعلام (٢١٧) وفوات الوفيات (٣/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١٧ ـ ٢١٨) والشذرات (٧/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩) ونفح الطيب (٢/ ٦٣) .

عالم فاضل ديّن وأقام بحلب مدة ، ثم اجتاز بدمشق قاصداً مصر . وقد تولى[١] دار الحديث الكاملية بعد زكي الدين عبد العظيم المنذري[٢] ، وقد كان له سماعٌ جيدٌ ببغداد وغيرها من البلاد ، وقد جاوز السبعين[٣] .

القبّاري[٤] الشيخ الصالح محمد بن منصور بن يحيى الشيخ أبو القاسم القَبّاري الإسكندراني . كان مقيماً بغيط له يقتات منه ويعمل فيه ويبدره ، ويتورّع جداً ويطعم الناس من ثماره . توفي في سادس شعبان [من هذه السنة] بالإسكندرية وله خمس وسبعون سنة ، وكان يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ويردع الولاة عن الظلم فيسمعون منه ويطيعونه لزهده ، وإذا جاء الناس إلى زيارته إنما يكلمهم من طاقة المنزل وهم راضون منه بذلك .

ومن غريب ما حُكي عنه أنه باع دابةً له من رجل ، فلما كان بعد أيام جاء الرجل الذي اشتراها فقال : يا سيدي إن الدابة التي اشتريتها منك لا تأكل عندي شيئاً ، فنظر إليه الشيخ فقال له : ماذا تعاني من الأسباب[٥] ؟ فقال رَقّاصٌ عند الوالي ، فقال له : إن دابتنا لا تأكل الحرام ، ودخل منزله فأعطاه دراهم ومعها دراهم كثيرة قد اختلطت بها فلا تميز[٦] ، فاشترى الناس من الرقَّاص كلَّ درهمٍ بثلاثةٍ لأجل البركة ، وأخذ دابته ، ولما توفي ترك من الأثاث[٧] . ما يساوي خمسين درهماً فبيع[٨] بمبلغ عشرين ألفاً .

قال أبو شامة[٩] : وفي الثامن والعشرين من رمضان توفي :

محيي الدين عبد الله[١٠] بن صفي الدين إبراهيم بن مرزوق بداره بدمشق المجاورة للمدرسة النورية رحمه الله تعالى .

---

(١) أ ، ب : قاصداً الديار المصرية وقد ولي .

(٢) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٥٦ رحمه الله تعالى .

(٣) أ ، ب : التسعين . وهو تحريف لأنه ولد سنة ٥٩٢ .

(٤) ترجمة ـ القباري ـ في ذيل الروضتين (٣١) وذيل مرآة الزمان (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) وتاريخ الإسلام (١٥ ـ ٦٧) والعبر (٥/ ٢٧١) والإشارة (٣٥٩) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١٧) وشذرات الذهب (٣/ ٥٤٠) ـ العبّاري ـ وهو تحريف يصحح .

(٥) أ ، ب : الصنائع .

(٦) أ ، ب : فأعطاه دراهمه ومعها دراهم كثيرة قد خلط بها أيضاً فلا تمييز بينها .

(٧) ط : « الأساس » وهو تحريف من الناسخ أو الطابع الذي لا أشك أنه مصري ، فالمصريون يقلبون الثاء المثلثة سيناً عند النطق بها ، فيكتبها بعضهم كما يلفظونها ، وقد جربنا ذلك كثيراً في المخطوطات والمطبوعات (بشار) .

(٨) أ ، ب : البركة وترك ما يساوي خمسين ديناراً فأبيع .

(٩) ذيل الروضتين (٢٣١) .

(١٠) ط : وفي الرابع والعشرين من ربيع الآخر توفي ، وفي أ ، ب : وفي الثامن والعشرين توفي . وما هنا عن ذيل الروضتين مصدر المؤلف .

قلت : داره هذه هي التي جعلت مدرسة للشافعية وقفها الأمير جمال الدين[١] آقوش النجيبي [التي يقال لها النجيبية][٢] تقبل الله منه . وبها إقامتنا جعلها الله داراً تعقبها دار القرار في الفوز العظيم . قد كان أبو جمال الدين النجيبي وهوصفي الدين وزير الملك الأشرف ، وملك من الذهب ستمئة ألف دينار خارجاً عن الأملاك[٣] والأثاث والبضائع ، وكانت وفاة أبيه بمصر سنة تسع وخمسين ، ودفن بتربته عند المقطم .

عين غين قال أبو شامة[٤] : وجاء الخبر من مصر بوفاة عثمان المصري المعروف بعين غين .

الوتار الموصلي وفي ثامن عشر ذي الحجة توفي الشمس الوتّار[٥] الموصلي ، وكان قد حَصَّل شيئاً من علم الأدب ، وخطب بجامع المزة مدةً . فأنشدني لنفسه في الشيب وخضابه قوله : [من الطويل][٦]

وكنتُ وإيّاها مُذ اختطَّ عارضي ... كرُوحينِ[٧] في جسمٍ وما نَقَضَتْ عَهدا
فلمّا أتاني الشيبُ يقطعُ بيننا ... توهمتُهُ سيفاً فألبستُهُ غِمْدا

الزين الحافظي وفيها[٨] : استحضر الملك هولاكو خان [ملك التتار] الزين الحافظي وهو سليمان ابن [المؤيد بن] عامر العَقْرباني[٩] المعروف بالزين الحافظي ، وقال له قد ثبت عندي خيانتك ، وقد كان هذا المغتر لما قدم التتار سند هولاكو ومالأ[١٠] على المسلمين ودلَّ على عوراتهم ، حتى سلطهم الله عليه [فأهلكوه] بأنواع العقوبات والمثلات [قال الله تعالى] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ [الأنعام : ١٢٩]

---

(١) ترجمة آقوش النجيبي سترد في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) عن الأموال .
(٤) أ ، ب : قال : وجاء الخبر . الخبر في ذيل الروضتين (٢٢٣) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٧) .
(٥) ط : الوبّار ؛ تحريف وما هنا عن الأصلين ويوافق ما في الروضتين (٢٣٢) مصدر المؤلف . قال بشار : ترجمه عز الدين الحسيني في صلة التكملة (الورقة ١٤٧) واليونيني في ذيل المرآة (٢/ ٣١٠) والذهبي في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦١) وسموه : محمد بن أبي بكر بن سيف ، الفقيه شمس الدين التنوخي الموصلي ، ابن الوتار ، خطيب المزة (بشار) .
(٦) البيتان في ذيل الروضتين (٢٣٢) .
(٧) في ذيل الروضتين : كزوجين .
(٨) ترجمة ـ الزين الحافظي ـ في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠) وفي ذيل مرآة الزمان (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٩) وفوات الوفيات (٢/ ٧٧ ـ ٧٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٣) والعبر (٥/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) والشذرات (٧/ ٥٣٥) .
(٩) ويقال فيه : العقربائي وهو الأصح ، وهو منسوب إلى عقرباء ، بلفظ العقرب ، وهي اسم مدينة الجولان (بشار) .
(١٠) ط : لما قدم التتار مع هولاكو دمشق وغيرها مالأ على المسلمين وآذاهم .

و[في الجملة] « من أعانَ ظالماً سُلِّط عليه »[١] ، فإنّ الله ينتقم من الظالم بالظالم ثم ينتقم من الظالمين جميعاً ، نسأل الله العافية من انتقامه وغضبه وعقابه وشر عباده .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمئة

وفيها : جهز السلطان [الملك] الظاهر عسكراً جمّاً كثيفاً إلى ناحية الفرات لطرد التتار النازلين بالبيرة[٢] ، فلما سمعوا بالعساكر [الظاهرية] قد أقبلت ولوا مدبرين[٣] ، فطابت تلك الناحية وأمنت تلك المعاملة ، وقد كانت قبل ذلك لا تسكن من كثرة الفساد والخوف ، فعمرت وأمنت .

وفيها : خرج الملك الظاهر في عساكره فقصد بلاد الساحل لقتال الفرنج[٤] ففتح قيسارية في ثلاث ساعات من يوم الخميس ثامن جمادى الأولى يوم[٥] نزوله عليها ، وتَسَلَّم قلعتَها في يوم الخميس الآخر خامس عشرة فهدمها وانتقل إلى غيرها ، ثم جاء الخبر بأنه فتح مدينة أرسوف[٦] وقتل من بها من الفرنج وجاءت البريدية بذلك . فدقت البشائر في بلاد[٧] المسلمين وفرحوا بذلك فرحاً شديداً .

وفيها : ورد[٨] خبر من بلاد المغرب بأنهم انتصروا على الفرنج وقتلوا منهم خمسة وأربعين ألف مقاتل[٩] ، وأسروا عشرة آلاف ، واسترجعوا منهم ثنتين وأربعين[١٠] بلدة منها شريش[١١] وإشبيلية وقرطبة ومرسية ، وكانت النصرة في يوم الخميس رابع عشر رمضان[١٢] سنة ثنتين وستين .

وفي رمضان من هذه السنة شُرع في تبليط باب البريد من باب الجامع إلى القناة[١٣] التي عند الدرج

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، من رواية ابن عساكر عن ابن مسعود ، وهو ضعيف ، وكذلك رواه أبو حفص الكتاني في جزء من حديثه عن ابن مسعود مرفوعاً ، وهو ضعيف .
(٢) أ ، ب : تطرد التتار النازلين للبيرة .
(٣) أ ، ب : تولوا على أعقابهم منهزمين والحمد لله رب العالمين .
(٤) أ ، ب : في عساكر أخر عظيمة فقصد بلاد الساحل لحصار الفرنج .
(٥) أ ، ب : وهو يوم .
(٦) أرسوف : على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا . معجم البلدان (١/ ١٥١) .
(٧) أ ، ب : في قلاع المسلمين .
(٨) أ ، ب : أورد .
(٩) ط : ألفاً .
(١٠) أ : وثلاثين .
(١١) ط : برنس ؛ تحريف . وشريش : مدينة كبيرة من كورة شذونة ، وهي قاعدة هذه الكورة ، ويسمونها زمن ياقوت (شرش) . معجم البلدان (٣/ ٣٤٠) .
(١٢) أ ، ب : في يوم الخميس الرابع عشر من رمضان سنة .
(١٣) أ ، ب : القنى .

وعمل في الصف القبلي منها[١] بركة وشاذروان . وكان في مكانها[٢] قناة من القنوات ينتفع الناس بها[٣] عند انقطاع نهر بانياس[٤] فغيرت وعمل [هذا] الشاذروان .

[قلت] : ثم غُيِّرت[٥] وعمل مكانها دكاكين .

وفيها : استدعى الظاهر نائبه على دمشق الأمير آقوش ، فسار إليه سامعاً مطيعاً ، وناب عنه[٦] الأمير علم الدين الحصني حتى عاد مكرماً معزوزاً[٧] .

وفيها : ولى [الملك] الظاهر قضاة من بقية المذاهب في مصر[٨] مستقلين بالحكم يولون من جهتهم في البلدان أيضاً كما يولي الشافعي ، فتولَّى قضاء الشافعية التاج عبد الوهاب ابن بنت الأعز[٩] ، و[تولى قضاء] الحنفية شمس[١٠] الدين سليمان ، و[قضاء] المالكية شمس الدين السُّبْكي[١١] ، والحنابلة شمس الدين محمد المقدسي[١٢] ، وكان ذلك يوم الإثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة بدار العدل[١٣] ، وكان سبب ذلك كثرة توقف القاضي [تاج الدين] بن بنت الأعز في أمور تخالف مذهب الشافعي ، وتوافق غيره من المذاهب ، فأشار الأمير جمال الدين أيدغدي[١٤] العزيزي على السلطان بأن يولي من كل مذهب قاضياً[١٥] مستقلاً يحكم بمقتضى مذهبه ، فأجابه إلى ذلك ، وكان يحب رأيه ومشورته[١٦] .

---

(١) أ ، ب : منه .
(٢) أ ، ب : وكان في موضعها قناة .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ط : ماناس ؛ تحريف .
(٥) أ ، ب : ثم غيّر ذلك .
(٦) أ ، ب : الأمير جمال الدين آقوش النجيبي فسار إليه سمعاً وطاعة وقد ناب .
(٧) أ ، ب : معززاً .
(٨) أ ، ب : الديار المصرية .
(٩) سترد ترجمة لابن بنت الأعز في حوادث سنة ٦٨٠ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(١٠) كذا في الأصول ، وفي مصادره : صدر الدين . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء إن شاء الله .
(١١) سترد ترجمة السبكي في وفيات سنة ٦٦٩ من هذا الجزء .
(١٢) سترد ترجمة القاضي محمد المقدسي في وفيات سنة ٦٧٦ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(١٣) أ : بدار العقل ، وفي ب : بدار العزل ؛ وكلاهما تحريف .
(١٤) سترد ترجمة ايدغدي في وفيات سنة ٦٦٤ من هذا الجزء إن شاء الله .
(١٥) أ ، ب : قاضي قضاة .
(١٦) ينتهي هذا الخبر في أ ، ب بقوله : فأجابه إلى ذلك ففعل كما ذكرنا .

وبعث[١] بأخشاب ورصاص وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله ﷺ وأرسل منبراً فنصب هنالك .

وفيها : وقع حريق عظيم ببلاد مصر واتّهم النصارى فعاقبهم الملك الظاهر عقوبة عظيمة .

وفيها : جاءت الأخبار[٢] بأن سلطان التتار هولاكو هلك إلى لعنة الله وغضبه في سابع ربيع الآخر بمرض الصرع بمدينة مراغة ، ودفن بقلعة تلا وبنيت عليه قبة واجتمعت التتار على ولده أبغا ، فقصده الملك بركة خان فكسره وفرق جموعه ، ففرح الملك الظاهر بذلك ، [فرحاً شديداً] وعزم على جمع العساكر ليأخذ بلاد العراق فلم يتمكن من ذلك لتفرق العساكر في الإقطاعات .

وفيها : في ثاني عشر شوال سلطن الملك الظاهر ولده الملك السعيد محمد بركة خان[٣] ، وأخذ له البيعة من الأمراء وأركبه ومشى الأمراء بين يديه ، وحمل والده الظاهر[٤] الغاشية بنفسه والأمير بدر الدين بيسرى [الشمسي] حامل الجتر[٥] ، والقاضي تاج الدين [بن بنت الأعز] والوزير بهاء الدين ابن حنا راكبان وبين يديه ، وأعيان الأمراء ركبان وبقيتهم مشاة حتى شقوا القاهرة وهم كذلك ، وكان يوماً مشهوداً .

وفي ذي القعدة ختن الظاهر ولده الملك السيد المذكور ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء وكان يوماً مشهوداً[٦] .

وفيها توفي[٧] :

[الزين] خالد بن يوسف بن سعد النابلسي[٨] الشيخ زَينُ الدين ابن الحافظ شيخ دار الحديث النُّورية بدمشق .

كان عالماً بصناعة الحديث حافظاً لأسماء الرجال ، وقد اشتغل عليه في ذلك الشيخ محيي الدين النواوي[٩]

---

(١) لم يرد هذا الخبر في أ ، ولا في ب .
(٢) أ ، ب : ورد الخبر .
(٣) أ ، ب : بركة قان .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ط : الخبز ؛ تحريف والجتر هو المظلة . والخبر في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٢٣) .
(٦) أ ، ب : ختن السلطان ولده السعيد وختن معه جماعة من أولاد الأمراء وكان وقتاً هائلاً .
(٧) أ ، ب : وممن توفي فيها .
(٨) ترجمة ـ الزين خالد ـ في ذيل الروضتين (٢٣٣) وذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٢٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٨٤) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٧) والعبر (٥/ ٢٧٣) والإشارة (٣٦٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١٩) وشذرات الذهب (٧/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣) .
(٩) ستَرد ترجمة النووي في وفيات سنة ٦٧٦ من هذا الجزء إن شاء الله .

وغيره ، وتولى بعده مشيخة [دار الحديث][1] النورية الشيخ تاج الدين الفزاري[2] ، وكان الشيخ زين الدين حسنَ الأخلاق فكه النفس كثيرَ المزاح على طريقة المحدثين ، رحل[3] إلى بغداد واشتغل بها ، وسمع الحديث وكان فيه خير وصلاح وعبادة ، وكانت جنازته حافلة[4] ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

الشيخ أبو القاسم الحُوَّاري[5] هو أبو القاسم [بن] يوسف بن أبي القاسم بن عبد السلام الأموي[6] الشيخ المشهور صاحب الزاوية بحُوَّارى[7] .

توفي ببلده ، وكان خيّراً صالحاً ، له أتباعٌ وأصحابٌ يُحبّونه ، وله مُريدون كثير من قرايا حوران الجبل والبِثَنيَّة[8] وهم حنابلة لا يرون الضرب بالدف بل بالكف ، وهم أمثل من غيرهم .

القاضي بدر الدين الكردي السنجاري[9] الذي باشر القضاء بمصر مراراً توفي بالقاهرة[10] . قال أبو شامة[11] : و[كانت] سيرته معروفة في أخذ الرشا من قضاة الأطراف [والشهود] والمتحاكمين إليه ، إلا أنه كان جواداً كريماً صُودر هو وأهله .

ثم دخلت سنة أربع وستين وستمئة

استُهلّت والخليفة الحاكم العباسي والسلطان[12] الملك الظاهر وقضاة مصر أربعة . وفيها

---

(١) عن ط وحدها .

(٢) سترد ترجمة الفزاري في وفيات سنة ٦٩٠ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٣) أ ، ب : وكان قد رحل .

(٤) أ ، ب : حفلة .

(٥) ترجمة ـ أبي القاسم الحوّاري ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٣٦) وفيه : أبو القاسم بن . . . وتاريخ الإسلام (١٥/ ٩٥) والإشارة (٣٦٠) والعبر (٥/ ٢٧٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١٩) والمقصد الأرشد (٣/ ١٦٢) والشذرات (٧/ ٢٤٤) .

(٦) في كتب الذهبي والشذرات : العوفي .

(٧) في ذيل المرآة : حوارى من عمل السواد .

(٨) ط : الحلل والبثنية ؛ تحريف .

(٩) ترجمة ـ بدر الدين السنجاري وهو يوسف بن الحسن بن علي أبو المحاسن الزُّراري ـ في ذيل الروضتين (٢٣٤) وذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٧) والعبر (٥/ ٢٧٤) والإشارة (٣٦٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢١٩) والشذرات (٣/ ٥٤٤) وفيه : السنجاري الزُّراري بالضم ومهملتين نسبة إلى زرارة جد .

(١٠) أ ، ب : بالديار المصرية مراراً وكانت وفاته بالقاهرة .

(١١) ذيل الروضتين (٢٣٤) .

(١٢) أ ، ب : وسلطان المسلمين .

جعل[١] بدمشق أربعة قضاة من كل مذهب قاض كما فعل بمصر عام أول[٢] ، ونائب الشام آقوش النجيبي .

[وفيها : وردت الولايات لقضاء القضاة من المذاهب الأربعة فصار كل مذهب فيه قاضي قضاة فكان في منصب الشافعية شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم] ابن خلكان[٣] [البرمكي ، وصار على قضاء] الحنفية شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء[٤] ، والحنابلة شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر[٥] [محمد بن أحمد بن قدامة] ، والمالكية عبد السلام بن الزواوي[٦] ، وقد امتنع من الولاية فألزم بها حتى قبل ثم عزل نفسه ، ثم ألزم بها فقبل بشرط أن لا يباشر أوقافاً ولا يأخذ جامكية على [الحكم[٧] فأجيب إلى ذلك وكذلك قاضي الحنابلة لم يأخذ على] أحكامه [أجراً] . وقال : نحن في كفاية فأُعفي من ذلك أيضاً رحمهم الله . وقد كان هذا الصنيع الذي لم يسبق إلى مثله قد فُعل في العام الأول بمصر كما تقدم[٨] ، واستقرت الأحوال على هذا المنوال .

وفيها : كمل عمارة الحوض الذي شرقي قناة البريد وعمل له شاذروان وقبة وأنابيب[٩] يجري منها الماء إلى جانب الدرج الشمالي[١٠] .

وفيها : نازل الظاهر صفد[١١] واستدعى بالمجانيق من دمشق وأحاط بها ولم يزل حتى افتتحها ، ونزل أهلها على حكمه ، فتسلَّم البلد في يوم الجمعة ثامن عشر شوال [من هذه السنة] ، وقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وقد افتتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب[١٢] في شوال أيضاً في أربع وثمانين وخمسمئة ، ثم استعادها الفرنج[١٣] فانتزعها الظاهر منهم قهراً في هذه السنة ولله الحمد[١٤] ، وكان السلطان الظاهر في

---

(١) أ ، ب : استجد .
(٢) أ ، ب : كما فعل في العام الماضي بديار مصر وسيأتي تفصيله .
(٣) سترد ترجمة ابن خلكان في وفيات سنة ٦٨١ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٤) سترد ترجمة ابن عطاء في وفيات سنة ٦٧٣ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٥) سترد ترجمة محمد بن أبي عمر في وفيات سنة ٦٨٢ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٦) سترد ترجمة الزواوي في وفيات سنة ٦٨١ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٧) أ ، ب : الحاكم وما هنا عن السياق .
(٨) أ ، ب : بالديار المصرية أيضاً .
(٩) أ : وفيه أنابيب ، وفي ب : وقبة أنابيب .
(١٠) أ ، ب : وفيها الماء من القناة التي هي غربية إلى جانب .
(١١) أ ، ب : وفيها قدم السلطان الملك الظاهر بعساكره فنازل مدينة صفد .
(١٢) أ ، ب : وقدكان الملك صلاح الدين افتتحها في شوال أيضاً .
(١٣) أ ، ب : ثم استعادوها .
(١٤) أ ، ب : فانتزعها منهم قسراً الملك الظاهر رحمه الله تعالى في هذه السنة كما ذكرنا ولله الحمد والمنة .

نفسه منهم شيء كثير ، فلما توجه إلى[١] فتحها طلبوا الأمان [على أن يعطيهم السلطان الأمان] ، فأجلس على سرير مملكته الأمير سيف الدين كرمون التتري ، وجاءت رسلهم فخلعوه[٢] وانصرفوا ولا يشعرون أن الذي أعطاهم العهود بالأمان إنما هو الأمير الذي أجلسه على السرير والحرب خدعة ، فلماخرجت الاسبتارية[٣] والداوية من القلعة وقد فعلوا بالمسلمين الأفاعيل القبيحة ، فأمكن الله منهم فأمر السلطان بضرب رقابهم عن آخرهم[٤] ، وجاءت البريدية إلى البلاد بذلك ، فدقت البشائر وزينت البلاد ، ثم بث السرايا يميناً وشمالاً في بلاد الفرنج فاستولى المسلمون على حصون كثيرة تقارب عشرين حصناً ، وأسروا قريباً من ألف أسير ما بين امرأة وصبي ، وغنموا شيئاً كثيراً[٥] .

وفيها : قدم ولد الخليفة المستعصم بن المستنصر من الأسر واسمه علي[٦] فأُكرم وأُنزل بالدار الأسدية تجاه العزيزية ، وقد كان أسيراً في أيدي التتار ، فلما كسرهم بركة خان تخلص من أيديهم وسار إلى دمشق ، ولما فتح السلطان صفداً أخبره[٧] بعض مَنْ كان فيها من أسرى المسلمين أن سبب أسرهم أن أهل قرية قارة[٨] كانوا يأخذونهم فيحملونهم إلى الفرنج فيبيعونهم منهم ، فعند ذلك ركب السلطان[٩] قاصداً قارة فأوقع بهم بأساً شديداً وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر من أبنائهم ونسائهم أخذاً بثأر المسلمين جزاه الله خيراً . ثم أرسل السلطان [الملك الظاهر] جيشاً هائلاً إلى بلاد سيس ، فجاسوا خلال الديار[١٠] وفتحوا سيس عنوة وأسروا ابن ملكها وقتلوا أخاه ونهبوها ، وقتلوا أهلها وأخذوا بثأر الإسلام وأهله منهم ، وذلك أنهم كانوا أضرَّ شيء زمن التتار ، لما أخذوا مدينة حلب وغيرها أسروا[١١] من نساء المسلمين وأطفالهم خلقاً كثيراً ، [وجمّاً غفيراً] ثم كانوا بعد ذلك يغيرون على بلاد المسلمين في زمن

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) أ ، ب : فحلفوه وانصرفوا لا يشعرون والحرب خدعة .
(٣) ط : الاستنارية ؛ وهو تصحيف ظاهر .
(٤) بعدها في أ ، ب : والحرب خدعة وجاءت البشائر وزينت البلاد وفرح العباد ولله الحمد ثم بث .
(٥) بعدها في أ ، ب : ودقت البشائر في البلدان وفرح المسلمون بنصر الله وتأييده .
(٦) في أ ، ب : بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر العباسي واسمه علي .
(٧) أ ، ب : فلما كسر بركة خان لهؤلاء وتخلص منهم سار إلى هاهنا ولله الحمد ولما فتح السلطان صفداً خبره .
(٨) ط : فأرة ؛ وهي تحريف . وقال أبو الفداء في تاريخه (٤/ ٤) ؛ قارا بين دمشق وحمص أمر بنهب أهلها وقتل كبارهم لأنهم كانوا نصارى . والخبر في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٤٤) والنجوم (٧/ ١٤٠) ومعجم البلدان (٤/ ٢٩٥) .
(٩) أ ، ب : ركب السلطان وجاء إلى قارا .
(١٠) أ ، ب : خلال ديارها .
(١١) أ ، ب : أخذوا .

هولاكو فكبته الله [وأهانه على يدي أنصار الإسلام ، هو وأميره كتبغا ، وكان أخذ سيس يوم][١] الثلاثاء العشرين من ذي القعدة من هذه السنة ، وجاءت[٢] الأخبار بذلك إلى البلاد وضُربت البشائر .

وفي الخامس والعشرين من ذي الحجة دخل السلطان [الملك الظاهر دمشق المحروسة] وبين يديه ابن صاحب سيس وجماعة من ملوك الأرمن أسارى أذلّاء صغرة ، والعساكر صحبته وكان يوماً مشهوداً . ثم سار إلى مصر[٣] مؤيَّداً منصوراً ، [مسروراً محبوراً ولله الحمد] وطلب صاحب سيس أن يفادي ولده ، فقال السلطان[٤] لا نفاديه إلا بأسير لنا عند التتار يقال له سنقر الأشقر ، فذهب صاحب سيس إلى ملك التتر فتذلل له [وتمسكن وخضع له][٥] ، حتى أطلقه له ، فلما وصل سنقر الأشقر إلى السلطان أطلق ابن صاحب سيس[٦] .

وفيها : عمر الظاهر الجسر المشهور بين فراوى[٧] ودامية ، تولى عمارته الأمير جمال الدين محمد بن بهادر وبدر الدين محمد بن رحال والي نابلس والأغوار ، ولما تمَّ بناؤه اضطرب بعضُ أركانه فقلق السلطان من ذلك[٨] وأمر بتأكيده فلم يستطيعوا من قوة جري الماء حينئذ ، فاتفق بإذن الله أن انسالت على النهر أكمة من تلك الناحية ، فسكن الماء بمقدار أن أصلحوا[٩] ما يريدون ، ثم عاد الماء كما كان وذلك بتيسير الله وعونه وعنايته العظيمة .

وفيها توفي من الأعيان[١٠] :

أَيْدُغْدِي[١١] بن عبد الله الأمير جمال الدين العزيزي .

---

(١) أ ، ب : وأهانه وذله على يدي أنصار الإسلام ولله الحمد والمنة كثيراً ودائماً وكانت النصرة عليهم في يوم .
(٢) ب : ووردت الأخبار ، أ : وورد الأخبار .
(٣) أ ، ب : إلى الديار المصرية .
(٤) أ ، ب : أن يفادي ولده من السلطان فقال لا .
(٥) أ ، ب : وتخضع .
(٦) أ ، ب : الأشقر فأخلق السلطان ابن صاحب سيس ، وسمّى أبو الفداء اسم ابن صاحب سيس في تاريخه (٤ ـ ٣ و٤) : ليفون بن هيثوم .
(٧) ط : قرارا ، وفي أ ، ب : مرارا ، وفي ذيل المرآة : قراوا ، وما هنا عن النجوم الزاهرة (٧/ ١٤٠) ج٦ وهي حاشية مفيدة كأكثر حواشي هذا الكتاب .
(٨) أ ، ب : لذلك .
(٩) بمقدار ما أصلحوا .
(١٠) أ ، ب : وممن توفي فيها .
(١١) ترجمة ـ أيدغدي ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٠٠) والإشارة (٣٦١) والعبر (٥/ ٧٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢١) والدارس (١/ ١٢٢) وشذرات الذهب (٧/ ٥٤٩) .

كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملك الظاهر ، لا يكاد الظاهر يخرج عن رأيه ، وهو الذي أشار عليه بولاية القضاة من كل مذهب قاضٍ على سبيل الاستقلال ، وكان متواضعاً لا يلبس محرّماً ، كريماً وقوراً رئيساً معظماً في الدولة ، أصابته جراحةٌ في حصار صفد فلم يزل مريضاً منها حتى مات ليلة عرفة ، ودفن بالرباط الناصري بسفح قاسيون [من صلاحية دمشق][١] رحمه الله .

هولاكو[٢] خان بن تولي خان[٣] بن جنكيز خان ، ملك التتار ابن ملك التتار .

وهو والد ملوكهم ، والعامةُ يقولون هولاوون مثل قلاوون . وقد كان هولاكو ملكاً جباراً فاجراً كفاراً [عنيداً] لعنه الله ، قَتَلَ من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسيجازيه على ذلك شرَّ الجزاء ، كان لا يتقيَّد بدينٍ من الأديان ، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تَنَصَّرت وكانت[٤] تفضِّل النصارى على سائر الخلق ، وكان هو يَتَرامى على محبّة المعقولات ، ولا يتصوّر منها شيئاً ، وكان أهلُها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده[٥] وجاهةٌ ومكانةٌ ، وإنّما كانت همَّتُهُ في تدبير مملكته وتملّك البلاد شيئاً فشيئاً ، حتى أباده الله في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاث وستين ، ودفن في مدينة[٦] تلا[٧] ، لا رحمه الله ، وقام في الملك من بعده ولده أبغا خان[٨] وكان أبغا أحد إخوة عشرة[٩] ذكور . والله سبحانه أعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم دخلت سنة خمس وستين وستمئة

في يوم الأحد ثاني المحرم توجه [السلطان] الملك الظاهر من دمشق إلى الديار المصرية وصحبتُهُ

---

(١) عن ط وحدها .
(٢) أ ، ب : هولاكوقان بن قان بن .
(٣) ترجمة ـ هولاكو ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٥٧ ـ ٣٦٠) ومختصر أبي الفداء (٤/ ٢) حوادث سنة ٦٦٣هـ وفي الإشارة (٣٦١) وتاريخ الإسلام (١٥ ـ ١٠٥) والعبر (٥/ ٢٧٨) وفوات الوفيات (٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) وشذرات الذهب (٧/ ٥٠٠) .
(٤) أ ، ب : فكانت .
(٥) أ ، ب : عنده لهم وجاهة .
(٦) أ ، ب : بمدينة .
(٧) كانت تلا بحيرة تقع على ثلاثين ميلاً غربي مدينة تبريز وإلى جانبها قلعة تلا التي جدّدها هولاكو وجعل فيها أمواله مما نهبه من بغداد وأقاليم الخلافة ثم صارت هذه القلعة مدفناً له . بلدان الخلافة الشرقية ١٩٥ .
(٨) في أ ، ب : وقام من بعده ولده أبغا في المملكة .
(٩) تقدم الحديث عن أولاد هولاكو في سنة ٦٥٦ من هذا الجزء .

العساكرُ المنصورةُ ، وقداستولتِ الدولةُ الإسلاميةُ على بلاد سيس[١] بكمالها ، وعلى كثيرٍ من معاقل الفرنج في هذه السنة ، وقد أرسلَ العساكرَ بين يديه إلى غزة ، وعدل هو إلى ناحية الكرك لينظر في أحوالها ، فلما كان عند بركة زيزي[٢] تصيَّد هنالك فسقط عن فرسه فانكسرت فخذه ، فأقام هناك[٣] أياماً يَتَداوى حتى أمكنه أن يركب في المحفَّة ، وسار إلى مصر فبرأت رجله في أثناء الطريق فأمكنه الركوب وحده على الفرس . ودخل القاهرة في أُبَّهة عظيمةٍ ، وتجمُّلٍ هائلٍ ، وقد زُيِّنَتِ البلدُ ، واحتفل الناس له احتفالاً عظيماً ، وفرحوا بقدومه وعافيته فرحاً كثيراً .

ثم في رجب منها رجع من القاهرة إلى صفد وحفر خندقاً حول قلعتها وعمل فيه بنفسه وأمرائه وجيشه وأغار على ناحية عكا ، فقتل وأسر وغنم وسلم وضُربت لذلك البشائر بدمشق .

وفي ثاني[٤] عشر ربيع الأول صلى الظاهر بالجامع الأزهر الجمعة ، ولم تكن تقام فيه[٥] الجمعة من زمن العُبَيديين إلى هذا الحين ، مع أنه أول مسجد بني[٦] بالقاهرة ، بناه جوهرُ القائد[٧] وأقام فيه الجمعة ، فلما بنى الحاكم جامعه حَوَّل الجمعة منه إليه ، وتركَ الأزهر لا جمعة فيه فصار في حكم بقية المساجد وشعث حالُه وتغيَّرت أحواله ، فأمر السلطان بعمارته وبياضه وإقامة الجمعة ، وأمر بعمارة جامع الحسينية وكمل في سنة سبع وستين كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وفيها : أمر الظاهر أن لا يبيت أحدٌ من المجاورين بجامع دمشق فيه وأمر بإخراج الخزائن منه ، والمقاصير التي كانت فيه ، فكانت قريباً من ثلاثمئة[٨] ووجدوا فيها قوارير البول والفرش والسجاجيد الكثيرة ، فاستراح الناس والجامع من ذلك واتسع على المصلين .

وفيها : أمر السلطان بعمارة أسوار صفد وقلعتها ، وأن يكتب عليها ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

---

(١) سيس وسمّاها ياقوت سيسية وقال إن عامة أهلها يقولون سيس وهي من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة ، وهي قاعدة ملك أرمينية ، واتخذها ابن ليون مسكناً له . معجم البلدان (٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) وبلدان الخلافة الشرقية (١٧٣) .

(٢) زيزي أو زيزاء من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة معجم البلدان (٣/ ١٦٣) .

(٣) أ ، ب : هنالك .

(٤) في هامش أ : فطلب باني جامع أزهر في قاهرة المصر .

(٥) ط : لم يكن تقام به الجمعة .

(٦) أ ، ب : وضع .

(٧) تقدمت ترجمة جوهر القائد في وفيات سنة ٣٨١ من هذا الكتاب الضخم .

(٨) أ ، ب : ثلاثمئة خزانة ومقصورة .

وفيها : التقى أبغا ومنكوتمر الذي قام مقام بركة خان فكسره أبغا وغنم منه شيئاً كثيراً .

وحكى[١] ابن خلكان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونيني قال : بلغنا أن رجلاً بِدَيْرِ أبي سلامة من ناحية بصرى ، كان فيه مجون واستهتار ، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة ، فقال : والله لا أستاك إلا في المخرج ـ يعني دبره ـ فأخذ سواكاً فوضعه في مخرجه ثم أخرجه ، فمكث بعده تسعة أشهر [وهو يشكو من ألم البطن والمخرج ، ثم أصابه مثل طلق الحامل[٢]] فوضع ولداً على صفة الجرذان له أربع[٣] قوائم ، ورأسه كرأس السمكة ، [وله أربعة أنياب بارزة ، وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع] وله دُبُر كدُبُرِ الأرنب . ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات ، فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات ، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث ، وكان يقول : هذا الحيوان قتلني وقطَّع أمعائي ، وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان ، ومنهم من رأى الحيوان حياً ، ومنهم من رآه بعد موته .

وممن توفي من الأعيان :

السلطان بَرَكة خان[٤] بن تُوشي بن جِنْكِيزْ خان[٥] وهو ابن عم هولاكو ، وقد أسلم بَرَكة خان هذا ، وكان يحبُّ العلماءَ والصالحين ، ومن أكبر حسناته كسره لهولاكو وتفريق جنوده ، وكان يُناصحُ الملكَ الظاهر ويعظّمه ويكرم رسله إليه ، ويطلق لهم شيئاً كثيراً ، وقد قام في الملك بعده بعض أهل بيته وهو منكوتمر بن طغان بن بابو[٦] بن تولي بن جنكيز خان ، وكان على طريقته ومنواله ولله الحمد .

قاضي القضاة[٧] بالديار المصرية تاجُ الدين عبد الوهاب بن خَلَف بن محمود بن بدر بن بنت الأعزّ

---

(١) في هامش أ : غريبة وعجيبة .
(٢) لم أقف على هذا النقل في وفيات الأعيان ولا في ذيل مرآة الزمان . والقصة في شذرات الذهب (٧/ ٥٥١) والاستدراك عنه .
(٣) ط : أربعة ؛ وهو خطأ .
(٤) ترجمة ـ بركة خان ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥) ومختصر أبي الفداء (٤/ ٤) والإشارة (٣٦٢) والعبر (٥/ ٢٨٠) والوافي (١٠/ ١١٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٢) وشذرات الذهب (٥/ ٥٥٢) ووقع في بعض المصادر : « تولي » وما أثبتناه من خط الذهبي ، وتولي هو والد هولاكو .
(٥) بعده في أ : بن خاقان ، وفي ب : بن قازان .
(٦) في أ : بانو . وتحتمل الوجهين في ب .
(٧) ترجمة ـ ابن بنت الأعز ـ في ذيل الروضتين (٢٤٠) وهي الترجمة قبل الأخيرة في هذا الكتاب ، ثم يغيب عنا بوفاة أبي شامة في هذه السنة رحمه الله تعالى ، وبذلك يتوقف مصدر هام من مصادرنا ، وكذلك له ترجمة في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١١٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٨) والعبر (٥/ ٢٨١) والإشارة (٣٦١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٢ و٢٢٤) وشذرات الذهب (٧/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦) .

الشافعي ، كان ديّناً عفيفاً نزهاً لا تأخذه في الله لومةُ لائمٍ ، ولا يقبلُ شفاعةَ أحدٍ ، وجمع له قضاء الديار المصرية بكمالها ، والخطابة ، والحسبة ومشيخة الشيوخ ، ونظر الأجياش[(١)] ، وتدريس الشافعي والصالحية وإمامة الجامع ، وكان بيده خمس عشرة[(٢)] وظيفة ، وباشر الوزارة في بعض الأوقات ، وكان السلطان يعظمه ، والوزير ابن حنا[(٣)] يخاف منه كثيراً ، وكان يحب أن ينكبه عند السلطان ويضعه فلا يستطيع ذلك ، وكان يشتهي أن يأتي داره ولو عائداً ، فمرض في بعض الأحيان فجاء القاضي عائداً ، فقام إلى تلقيه لوسط الدار ، فقال له القاضي : إنما جئنا لعيادتك فإذا أنت سويٌّ صحيح ، سلام عليكم ، فرجع[(٤)] ولم يجلس عنده . وكان مولده في سنة أربع وستمئة ، وتولى بعده القضاء تقي الدين بن رزين[(٥)] .

واقف القَيْمُرِيَّة الأمير الكبير ناصر الدين[(٦)] **أبو المعالي الحسين بن العزيز**[(٧)] **بن أبي الفوارس القَيْمُرِي**[(٨)] **الكردي** .

كان من أعظم الأمراء مكانةً عند الملوك ، وهو الذي سَلَّمَ الشام إلى الملك الناصر صاحب حلب ، حين قتل توران شاه بن الصالح أيوب بمصر ، وهو واقفُ المدرسة القيمرية[(٩)] عند مأذنة فيروز ، وعمل على بابها الساعات التي لم يسبق إلى مثلها ، ولا عمل على شكلها ، يقال إنه غرم عليها أربعين ألف درهم .

الشيخ شهاب الدين أبو شامة[(١٠)] **عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس**

---

(١) أ : ونظر الجيش .
(٢) ط : خمسة عشر ؛ وهو خطأ .
(٣) سترد ترجمة الوزير ابن حنا في وفيات سنة ٦٧٧هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٤) أ ، ب : ورجع .
(٥) سترد ترجمة ابن رزين في وفيات سنة ٦٨٠هـ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٦) ترجمة ـ القيمري ـ في ذيل الروضتين (٢٣٩) والذيل (٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١١٣) والإشارة (٣٦٢) والعبر (٥/ ٢٨٠) والوافي بالوفيات (١٢/ ٤٢٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٢ و٢٢٤ والدارس في أخبار المدارس (١/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) ومختصره (٦٩) وشذرات الذهب (٧/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣) ومنادمة الأطلال (١٤١ ـ ١٤٢) .
(٧) في الوافي : عبد العزيز ، وفي الدارس : ناصر الدين الحسين بن علي . فتحرف في منادمة الأطلال إلى : ناصر بن الحسين بن علي . وأثبتّ ما في أصولنا وهي رواية أكثر مصادره كذيل المرآة والعبر والإشارة والنجوم والشذرات .
(٨) « القيمري » : نسبة إلى قيمر : بفتح القاف ، وياء ساكنة ، وضم الميم ، وراء ، وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط ينسب إليها جماعة من أعيان الأمراء بالموصل وخلاط وهم أكراد ويقال لصاحبها أبو الفوارس . معجم البلدان (٤/ ٤٢٤) قلت : وأبو الفوارس هو جدّ الأمير ناصر الدين القيمري .
(٩) الدارس (١/ ٤٤١) ومختصره (٦٩) ومنادمة الأطلال (١٤٠ ـ ١٤١) .
(١٠) ترجمة ـ أبي شامة ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) وتاريخ الإسلام (١٥ ـ ١١٤) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٨) والعبر (٥/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) والإشارة (٣٦١) والوافي (١٨/ ١١٣) والنجوم (٧/ ٢٢٤) والشذرات =

أبو محمد وأبو القاسم المقدسي الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة . شيخ دار الحديث الأشرفية ، ومدرس الركنية ، وصاحب المصنفات العديدة المفيدة ، له « اختصار تاريخ دمشق » في مجلدات كثيرة ، وله « شرح الشاطبية » ، وله « الرد إلى الأمر الأول » ، وله في « المبعث »[(١)] وفي « الإسراء » ، وكتاب « الروضتين في الدولتين النورية والصلاحية » ، وله « الذيل على ذلك » ، وله غير ذلك من الفوائد الحسان والغرائب[(٢)] التي هي كالعقيان . ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمئة ، وذكر لنفسه ترجمة في هذه السنة في الذيل[(٣)] ، وذكر مرباه ومنشأه ، وطلبه العلم ، وسماعه الحديث ، وتفقهه على الفخر بن عساكر[(٤)] وابن عبد السلام[(٥)] ، والسيف الآمدي[(٦)] ، والشيخ موفق الدين بن قدامة[(٧)] ، وما رُئي له من المنامات الحسنة . وكان ذا فنون كثيرة .

أخبرني [الشيخ] علَم الدين البرزالي[(٨)] الحافظ عن الشيخ تاج الدين الفزاري[(٩)] ، أنه كان يقول : بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رتبة الاجتهاد ، وقد كان ينظم أشعاراً في أوقات ، فمنها ما هو مستحلى ، ومنها ما لا يستحلى ، فالله يغفر لنا وله .

وبالجملة فلم يكن في وقته مثله في نفسه وديانته ، وعفته وأمانته ، وكانت وفاته بسبب محنة[(١٠)] ألَّبوا عليه ، وأرسلوا إليه من اغتاله وهو بمنزل له بطواحين الأشنان ، وقد كان اتُّهم برأي ، الظاهر براءته منه ، وقد قال جماعة من أهل الحديث وغيرهم : إنه كان مظلوماً ، ولم يزل يكتب في التاريخ حتى وصل إلى

= (٧/ ٥٥٣ ـ ٥٥٥) رحمك الله يا أبا شامة وأسكنك فسيح جناته فقد كنت عوناً لي على حل كل مشكلة على مدى خمس وستين سنة من هذا الكتاب الضخم وأسأله تعالى أن يثيبك كفاء ذلك وأن يجمعني معك في مستقرّ رحمته وفرطنا على الحوض محمد ﷺ .

(١) أ ، ب : البعث ؛ وهو تحريف . والخبر في ذيل مرآة الزمان .

(٢) أ ، ب : والفوائد .

(٣) لم أجد هذه الترجمة في الذيل في هذه السنة ولكن أبا شامة دأب أن يذكر في كل سنة ما يجدّ معه من الأحداث ، وكل ما ذكره في عام ٦٦٥ إشارة سريعة ومبهمة إلى حادثة طواحين الأشنان .

(٤) تقدمت ترجمة ابن عساكر في وفيات سنة ٦٢٠هـ من هذا الجزء .

(٥) تقدمت ترجمة العز بن عبد السلام في وفيات سنة ٦٦٠هـ من هذا الجزء .

(٦) تقدمت ترجمة السيف الآمدي في وفيات سنة ٦٣١ من هذا الجزء .

(٧) تقدمت ترجمة ابن قدامة في وفيات سنة ٦٢٠ من هذا الجزء .

(٨) سترد ترجمة علم الدين البرزالي في الجزء الأخير من هذا الكتاب في وفيات سنة ٧٣٩ إن شاء الله .

(٩) سترد ترجمة تاج الدين الفزاري في وفيات سنة ٦٩٠هـ من هذا الجزء إن شاء الله .

(١٠) أ ، ب : بسبب جماعة .

رجب[١] من هذه السنة ، فذكر أنه أصيب بمحنة في منزله بطواحين الأشنان ، وكان الذين قتلوه جاؤوه قبل فضربوه ليموت فلم يمت ، فقيل له : ألا تشتكي عليهم ، فلم يفعل ، وأنشأ يقول[٢] : [من السريع]

قلتُ لمنْ قالَ ألا تَشْتكي ... ما قَدْ جَرَى فهوَ عَظيمٌ جَلِيلْ
يُقَيِّضُ اللهُ تعالى لَنا ... مَنْ يأخُذ الحقَّ ويَشْفِي الغَليلْ
إذا تَوَكَّلْنَا عليهِ كَفَى ... فَحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلْ[٣]

وكأنّهم عادوا إليه مرةً ثانيةً وهو في المنزل المذكور فقتلوه بالكلية في ليلة الثلاثاء تاسع عشر رمضان[٤] رحمه الله . ودفن [من يومه بمقابر باب الفراديس][٥] ، وباشر بعده مشيخة دار الحديث الأشرفية الشيخ محيي الدين النووي[٦] .

[مولد القاسم بن محمد البرزالي]

في هذه السنة كان مولد الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي[٧] ، وقد ذيَّلَ على تاريخ أبي شامة لأنّ مولده في سنة وفاته ، فحذا حَذْوَه وسَلَكَ نحوَهُ ، ورتَّب ترتيبه ، وهذب تهذيبه . وهذا أيضاً ممن ينشد في ترجمته[٨] . [من البسيط]

ما زلتَ تَكْتُبُ في التاريخِ مُجْتَهِداً ... حتى رَأيتُكَ في التَّاريخِ مَكْتُوبا

ويناسب أن ينشد هنا [قول الشاعر] : [من الطويل]

إذا سَيِّدٌ منّا خَلاَ قامَ سَيِّدٌ ... قَؤُولٌ لما قالَ الكِرامُ فَعولُ

ثم دخلت سنة ست وستين وستمئة

استهلت هذه السنة والحاكم[٩] العباسي خليفة ، وسلطانُ البلاد الملكُ الظاهر ، وفي أول جمادى

---

(١) آخر وفياته في ثامن عشر شعبان لا في رجب . ذيل الروضتين (٢٤٠) .
(٢) الأبيات في ذيل الروضتين (٢٤٠) وفي أكثر مصادره كذيل المرآة والشذرات .
(٣) لم يرد هذا البيت في ب .
(٤) أ ، ب : في ليلة الثلاثاء التاسع عشر من رمضان .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ستردُ ترجمة النووي في وفيات سنة ٦٧٦ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٧) ستردُ ترجمة البرزالي في وفيات سنة ٧٣٩ من الجزء الأخير من هذا السفر العظيم إن شاء الله .
(٨) أ ، ب : وهذا ممن يقال فيه وفي أمثاله في تراجمهم .
(٩) ب : والخليفة الحاكم .

الآخرة(١) خرج السلطانُ من الديار المصرية بالعساكر المنصورة ، فنزل على مدينة يافا بغتةً فأخذها عنوةً ، وسلّم إليه أهلها قلعتَها صلحاً ، فأجلاهم منها إلى عكا وخرَّبَ القلعةَ والمدينة [أيضاً وكان الفرنج اعتنوا بعمارتها وتحصينها فجعلها بلقعاً لئلا يكون لهم إليها عودة] وسار منها في رجب قاصداً حصن الشقيف ، وفي بطن(٢) الطريق أخذ من بعض بريدية الفرنج كتاباً من أهل عكا إلى أهل الشّقيف يعلمونهم بقدوم(٣) السلطان عليهم ، ويأمرونهم بتحصين البلد ، والمبادرة إلى إصلاح أماكن يخشى على البلد منها . ففهم السلطان كيف يأخذ البلد وعرف من أين تؤكل الكتف ، واستدعى من فوره رجلاً من الفرنج فأمره أن يكتب بدله كتاباً على ألسنتهم إلى أهل الشقيف ، يحذّر الملك من الوزير ، والوزير من الملك ، ويرمي الخلفَ بين رجال الدولة ، فوصل إليهم فأوقع الله الخلفَ بينهم بحوله وقوته ، وجاء السلطان فحاصرهم ورماهم بالمنجنيق فسلموه الحصن في التاسع والعشرين من رجب وأجلاهم إلى صور ، وبعث بالأنفال(٤) إلى دمشق ، ثم ركب جريدة فيمن نشط من الجيش فشنَّ الغارةَ على طرابلس وأعمالها ، فنهبَ وقتلَ وكرّ راجعاً مؤيَّداً منصوراً ، فنزل على حصن الأكراد تحته في المرج ، فحمل إليه أهله من الفرنج الإقامات(٥) فأبى أن يقبلها وقال : أنتم قتلتم جندياً من جيشي وأريد ديته مئة ألف دينار ، ثم سار فنزل على حمص ، ثم منها إلى حماة ، ثم إلى فامية(٦) ثم سار منزلة أخرى ، ثم سار ليلاً وتقدم العسكر فلبسوا العدة وساق حتى أحاط بمدينة أنطاكية .

فتح(٧) أنطاكية على يد السلطان الملك الظاهر

وهي مدينة عظيمة كثيرة الخير ، يقال إن دور سورها اثنا عشر ميلاً ، وعدد بروجها مئة وستة وثلاثون برجاً ، وعددُ شُرُفاتها أربعةٌ وعشرون ألف شرافة ، كان(٨) نزوله عليها في مستهل شهر رمضان ، فخرج

(١) بعدها في أ : منها .
(٢) ب : ففي أثناء ، وفي أ : وفي أثناء .
(٣) ط : قدوم .
(٤) أ ، ب : الأثقال ، وكذا هي رواية ذيل المرآة (٢/ ٣٨٢) .
(٥) في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٨٢) فحضر إليه رسول بإقامة وضيافة . ومعنى الإقامات : ما يحتاجة المرء خلال إقامته .
(٦) أ ، ب : أفامية ، ويجوز الوجهان كما في معجم البلدان (١/ ٢٣٣) وهي مدينة كبيرة من سواحل حمص .
قلت : أفامية اليوم تقع على الضفة اليمنى من نهر العاصي على بعد ٥٥ كم شمال غرب حماة وهي تشرف على سهل الغاب وفيها آثار من العهدين الروماني والبيزنطي .
(٧) ب : كيفية فتح أنطاكية .
(٨) أ : وكان .

إليها أهلها يطلبون منه الأمان ، وشرطوا شروطاً له عليهم[١] فأبى أن يجيبهم وردَّهم خائبين وصمَّم على حصارها ، ففتحها يوم السبت رابع عشر رمضان[٢] بحول الله وقوته وتأييده ونصره ، وغنم منها شيئاً كثيراً ، وأطلق للأمراء أموالاً جزيلةً ، ووجد من أسارى المسلمين من الحلبيّين فيها خلقاً كثيراً ، كلّ هذا في مقدار أربعة أيام . وقد كان الإفرنس[٣] صاحبها وصاحب طرابلس ، من أشد الناس أذيةً للمسلمين ، حين ملك التتارُ حلب وفرّ الناسُ منها ، فانتقم الله سبحانه منه بمن أقامه للإسلام ناصراً وللصليب دامغاً وكاسراً ، ولله الحمد[٤] والمنة ، وجاءت البشارة بذلك مع البريدية ، فجاوبتها البشائرُ من القلعة المنصورة .

وأرسل أهلُ بَغْراس[٥] حين سمعوا بقصد السلطان إليهم يطلبون منه أن يبعث إليهم من يَتَسَلَّمها ، فأرسل إليهم أستاذ داره الأمير آقسنقر الفارقاني[٦] في ثالث عشر رمضان فتسلمها ، وتسلموا حصوناً كبيرة[٧] وقلاعاً كثيرة .

وعاد السلطان مؤيداً منصوراً ، فدخل دمشق في السابع والعشرين من رمضان من هذه السنة في أبَّهة عظيمة وهيبة هائلة ، وقد زُينت له البلد ودقَّت له البشائر فرحاً بنصرة الإسلام على الكفرة الطغام .

لكنه كان قد عزم على أخذ أراضي[٨] كثيرة من القرى والبساتين التي بأيدي ملاكها بزعم[٩] أنه قد كانت التتار استحوذوا عليها ثم استنقذها[١٠] منهم ، وقد أفتاه بعض الفقهاء من الحنفية [بذلك] تفريعاً على أن الكفار إذا أخذوا شيئاً من أموال المسلمين ملكوه ، فإذا استرجعت لم ترد إلى أصحابها ، وهذه المسألة مشهورة وللناس فيها قولان :

---

(١) أ : فاشترطوا شروطاً عليهم له فأبى . وفي ب : فاشترطوا شروطاً أي عليهم فأبى .

(٢) رابع شهر رمضان ، ب : رابع الشهر بعون الله .

(٣) ط : الأغريس ، وفي ذيل المرآة (٢/ ٣٨٢ و٤٤٩) : الإبرنس ، وفي مختصر أبي الفداء : البرنس . وما هنا عن أ ب . قال بشار : وهو الإبرنس ، والعرب تقلب الباء عند الفارسية إلى فاء في بعض الأحيان .

(٤) أ : فلله الحمد ، وفي ب : فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

(٥) « بَغْراس » : مدينة في لحف جبل اللعام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب من البلاد المطلَّة على نواحي طرسوس . معجم البلدان (١/ ٤٦٧) .

(٦) آقسنقر بن عبد الله النجمي الفارقاني الأمير شمس الدين . تقدّم عند الملك الظاهر حتى صار يستنيبه على البلاد الشامية ، وظل مركزه متقدماً حتى بعد وفاة الملك الظاهر وتولي ابنه الملك السعيد ، ولكن حاشيته اعتقلته حتى مات في السجن سنة ٦٧٧ . العبر (٥/ ٣١٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٨٠) والمنهل الصافي (٢/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦) .

(٧) أ ، ب : كثيرة .

(٨) أ : عزم أراضي ، وفي ب : عزم على ابتياع أراضي .

(٩) أ : يزعم .

(١٠) أ : فاستنقذها .

(أصحهما) قول الجمهور أنه يجب ردها إلى أصحابها لحديث العضباء ناقة رسول الله ﷺ ، حين استرجعها رسول الله ﷺ ، وقد كان أخذها المشركون ، استدلّوا بهذا وأمثاله على أبي حنيفة .

وقال بعض العلماء : إذا أخذ الكفار أموال المسلمين وأسلموا وهي في أيديهم استقرّت على أملاكهم ، واستدل على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام « وهَلْ ترَكَ لنا عقيلٌ من رباعٍ »[١] وقد كان استحوذ على أملاك المسلمين الذين هاجروا وأسلم عقيل وهي في يده ، فلم تنتزع من يده ، وأما إذا انتزعت من أيديهم قبل ، فإنها ترد إلى أربابها لحديث العضباء .

والمقصود أن الظاهر عقد مجلساً اجتمع فيه القضاة من سائر المذاهب وتكلموا في ذلك وصمَّم السلطان على ذلك اعتماداً على ما بيده من الفتاوى ، وخاف الناسُ من غائلة ذلك فتوسَّط الصاحب فخر الدين بن الوزير بهاء الدين بن الحنا[٢] ، وكان قد درَّس بالشافعي بعد ابن بنت الأعز ، فقال : يا خوند أهل البلد يصالحونك عن ذلك كله بألف ألف درهم ، تقسط كل سنة مئتي[٣] ألف درهم ، فأبى إلا أن تكون معجلة بعد أيام ، وخرج متوجهاً إلى الديار المصرية ، وقد أجاب[٤] إلى تقسيطها ، وجاءت البشارة بذلك ، [فقرئت على المنبر ففرح الناس بذلك] ورسم أن يعجّلوا من ذلك أربعمئة ألف درهم ، وأن تعاد إليهم[٥] الغلّات التي كانوا قد احتاطوا عليها في زمن القسم والثمار ، وكانت هذه الفعلة مما شعثت خواطر الناس على السلطان .

ولما استقر أمر أبغا على التتار أمر باستمرار وزيره نصير الدين الطوسي[٦] ، واستناب على بلاد الروم[٧] البرواناه[٨] وارتفع قدره عنده جداً واستقلّ بتدبير تلك البلاد وعظم شأنه فيها .

وفيها : كتب صاحبُ اليمن إلى الظاهر بالخضوع والانتماء إلى جانبه وأن يخطب له ببلاد اليمن ، وأرسل إليه بهدايا وتحفاً كثيرة ، فأرسل إليه السلطان هدايا وخلعاً وسنجقاً وتقليداً .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٥٨٨) في الحج ، ومسلم رقم (١٣٥١) في الحج ، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه .
(٢) سترد ترجمة ابن الحنا بهاء الدين في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٣) أ ، ب : مئتا .
(٤) أ ، ب : ثم بعد أيام وقد خرج متوجهاً إلى الديار المصرية أجاب .
(٥) ط : إليه .
(٦) سترد ترجمة الطوسي في وفيات سنة ٦٧٢ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٧) أ ، ب : استمر بوزيره ـ في ب : بوزارة ـ نصير الدين الطوسي فاستناب على سلطنة بلاد الروم .
(٨) البرواناه : كلمة فارسية معناها في الأصل الحاجب ثم أطلق في دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى على الوزير الكبير . هامش ط . وقد سمّاه أبو الفدء (٤/ ٥) واليونيني (٢/ ٤٠٤) : معين الدين سليمان .

وفيها : رافع ضياء الدين بن الفقاعي[١] للصاحب بهاء الدين بن الحنا عند الظاهر واستظهر عليه ابن الحنا ، فسلَّمه الظاهر إليه ، فلم يزل يضربه بالمقارع ويستخلص أمواله إلى أن مات ، فيقال إنه ضربه قبل أن يموت سبعة عشر ألف مقرعة وسبعمئة فالله أعلم .

وفيها : عمل البرواناه على قتل الملك علاء الدين[٢] صاحب قونية وأقام ولده غياث الدين[٣] مكانه وهو ابن عشر سنين ، وتمكن البرواناه في البلاد والعباد وأطاعه جيش الروم .

وفيها : قتل الصاحب علاءُ الدين صاحبُ الديوان ببغداد ابنَ الخشكري النعماني الشاعر ، وذلك أنه اشتهر عنه أشياء عظيمة ، منها أنه يعتقد فضل شِعْرِه على القرآن المجيد ، واتفق أن الصاحب انحدر إلى واسط فلما كان بالنعمانية حضر ابن الخشكري عنده وأنشده قصيدة قد قالها فيه ، فبينما هو ينشدها بين يديه إذ أذَّن المُؤَذِّنُ فاستنصته الصاحب ، فقال ابن الخشكري : يا مولانا اسمع شيئاً جديداً ، وأعرض عن شيء له سنين ، فثبت عند الصاحب ما كان يقال عنده عنه ، ثم باسطه وأظهر أنه لا ينكر عليه شيئاً مما قال حتى استعلم ما عنده ، فإذا هو زنديق ، فلما ركب قال لإنسان معه : استفرده في أثناء الطريق واقتله ، فسايره ذلك الرجل حتى إذا انقطع عن الناس قال لجماعة معه : أنزلوه عن فرسه كالمداعب له ، فأنزلوه وهو يشتمهم ويلعنهم ، ثم قال انزعوا عنه ثيابه فسلبوها وهو يخاصمهم ، ويقول إنكم أجلافٌ ، وإن هذا لعب بارد ، ثم قال : اضربوا عنقه ، فتقدم أحدهم فضربه بسيفه فأبان رأسه .

وفيها توفي :

الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال[٤] شيخ رباط المرزبانية .

كان صالحاً ورعاً زاهداً حكى عن نفسه قال : كنتُ بمصر فبلغني ما وقع من القتل الذريع ببغداد في فتنة التتار ، فأنكرت في قلبي[٥] وقلت : يا ربِّ كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ؟ فرأيتُ في المنام رجلاً وفي يده كتاب فأخذته فقرأتُه فإذا فيه هذه الأبيات فيها الإنكار عليّ : [المتقارب]

دعِ الاعتراضَ فما الأمرُ لكْ   ولا الحكمُ في حَركاتِ الفَلَكْ
ولا تسألِ اللهَ عن فعلهِ   فمنْ خاضَ لجَّةَ بحْرٍ هَلَكْ

---

(١) ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٧٤) .
(٢) في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٠٣) ومختصر أبي الفداء (٤/ ٥) : ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو . وفي العبر (٥/ ٢٨٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٦) ركن الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان . وفيه ضبط للاسمين .
(٣) في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣٨٧) و(٤٠٦) : غياث الدين كيخسرو .
(٤) ترجمته في الكتاب المسمى بالحوادث في وفيات هذه السنة .
(٥) أ ، ب : بقلبي .

إليــهِ تصيــرُ أُمــورُ العبــادِ دعِ الاعتــراضَ فمــا أجْهَلَـكْ

وممن توفي فيها من الأعيان(١) .

الحافظ أبو إبراهيم إسحاق بن عبد الله بن عمر بن عبد الله(٢) المعروف بابن قاضي اليمن ، عن ثمان وستين سنة ، ودفن بالشَّرف الأعلى ، وكان قد تفرَّد بروايات جيدة وانتفع الناس به .

[مولد الشرف ابن تيمية(٣) والقزويني(٤)]

وفيها : ولد الشيخ شرف الدين عبد الله بن تيمية أخو الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، والخطيب القزويني .

ثم دخلت سنة سبع وستين وستمئة

في صفر منها جدَّد السلطانُ الظاهرُ البيعةَ لولده من بعده الملك السعيد محمد بركة خان ، وأحضر الأمراء كلهم والقضاة والأعيان وأركبه ومشى بين يديه ، وكتب له ابن لقمان(٥) تقليداً هائلاً بالملك من بعد أبيه ، وأن يحكم عنه أيضاً في حال حياته ، ثم ركب السلطان في عساكره في جمادى الآخرة قاصداً الشام ، فلما دخل دمشق جاءته رسل من أبغا ملك التتار(٦) معهم مكاتبات ومشافهات ، فمن جملة المشافهات : أنتَ مملوكٌ أُبِعتَ(٧) بسيواس فكيف يصلحُ لكَ أن تخالفَ ملوكَ الأرض ؟ واعلم أنك لو صعدتَ إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصتَ منّي فاعمل لنفسكَ على مصالحةِ السلطان أبغا ، فلم يلتفت إلى ذلك ولا عده شيئاً بل أجاب عنه أتمَّ جواب ، وقال لرسله : أعلموه أني من ورائه بالمطالبة ولا أزال حتى أنتزع منه(٨) جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة ، وسائر أقطار الأرض .

وفي جمادى الآخرة رسم السلطان الملك الظاهر بإراقة الخمور وتبطيل المفسدات والخواطىء بالبلاد

(١) أ : وفيها توفي .
(٢) ترجمته في صلة الحسيني الورقة (١٦٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٣٠) .
(٣) هو عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني الدمشقي شرف الدين ، أخو تقي الدين . توفي سنة ٧٢٧هـ . المقصد الأرشد (٢/ ٤١) والدرر الكامنة (٢/ ٣٧١) .
(٤) سترد ترجمة القزويني في وفيات سنة ٧٣٩ من الجزء الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله .
(٥) في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٢١٣) : فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب الإنشاء .
(٦) أ ، ب : التتر .
(٧) ط : بعت .
(٨) أ ، ب : أنتزع من يده .

كلها ، فنهبت الخواطىء وسلبن جميع ما كان معهن حتى يتزوجن[١] ، وكتب إلى جميع البلاد بذلك ، وأسقط[٢] المكوس التي كانت مرتبةً على ذلك ، وعُوّض من كان محالاً على ذلك بغيرها ولله الحمد والمنة .

ثم عاد السلطان بعساكره إلى مصر ، فلما كان في أثناء الطريق عند خربة اللصوص تعرضت له امرأة فذكرت له أن ولدها دخل إلى مدينة صور ، وأن صاحبها الفرنجي غدر به وقتله وأخذ ماله ، فركب السلطان وشنّ الغارة على صور فأخذ منها شيئاً كثيراً ، وقتل خلقاً ، فأرسل إليه ملكها ما سبب هذا ؟ فذكر له غدره ومكره بالتجار ، ثم قال السلطان لمقدم الجيوش : أوهم الناس : أني مريض وأني بالمحفة[٣] وأحضرِ الأطباء واستوصفْ لي منهم ما يصلحُ لمريضٍ به كذا وكذا ، وإذا وصفوا لك فأحضر الأشربةَ إلى المحفة وأنتم سائرون . ثم ركب السلطان على البريد وساق مسرعاً [حتى دخل الديار المصرية] فكشف أحوال ولده وكيف الأمر بالديار المصرية بعده ، ثم عاد مسرعاً إلى الجيش فجلس في المحفة وأظهروا عافيته وتباشروا بذلك . وهذه جرأة عظيمة ، وإقدام هائل .

وفيها : حج السلطان الملك الظاهر وفي صحبته الأمير بدر الدين الخزندار ، وقاضي القضاة صدر الدين سليمان الحنفي[٤] ، وفخر الدين بن لقمان ، وتاج الدين بن الأثير ونحو من ثلاثمئة مملوك ، وأجناد من الخلقة[٥] المنصورة ، فسار على طريق الكرك ونظر في أحوالها ثم منها إلى المدينة النبوية ، فأحسن إلى أهلها ونظر في أحوالها ، ثم منها إلى مكة فتصدق على المجاورين ثم وقف بعرفة وطاف طواف الإفاضة وفتحت له الكعبة فغسلها بماء الورد وطيّبها بيده ، ثم وقف بباب الكعبة فتناول أيدي الناس ليدخلوا الكعبة وهو بينهم ، ثم رجع فرمى الجمرات ثم تعجل النفر فعاد على المدينة المنورة فزار القبر الشريف مرة ثانية [على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى آله وأهل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الكرام أجمعين إلى يوم الدين][٦] ثم سار إلى الكرك فدخلها في التاسع والعشرين من ذي الحجة ، وأرسلَ البشيرَ إلى دمشق بقدومه سالماً ، فخرج الأميرُ جمال الدين آقوش النجيبي[٧] نائبها ليتلقّى البشيرَ في ثاني المحرم ، فإذا هو السلطان نفسه يسيرُ في الميدان الأخضر ، وقد سبقَ الجميعَ ،

---

(١) أ : حتى تزوجه .
(٢) أ ، ب : وأسقطت .
(٣) أ ، ب : في المحفة .
(٤) ستردد ترجمة صدر الدين سليمان في وفيات سنة ٦٧٧هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٥) أ ، ب وذيل مرآة الزمان (٢/٤٠٩) : الحلقة .
(٦) عن ط وحدها .
(٧) ستردترجمة آقوش النجيبي في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء .

فتعجَّبَ الناس من سرعةِ سيره وصبره وجلده ، ثم ساق[١] من فوره حتى دخلَ حلبَ في سادس المحرم ليتفقَّدَ أحوالها ، ثم عاد إلى حماة ثم رجع إلى دمشق ثم سار إلى مصر فدخلها يوم الثلاثاء ثالث صفر من السنة المقبلة رحمه الله تعالى .

وفي أواخر ذي الحجة هبت ريح شديدة أغرقت[٢] مئتي مركب في النيل ، وهلك فيها خلقٌ كثيرٌ ، ووقع هناك مطرٌ شديدٌ جداً ، وأصاب الشامَ من ذلك صقعة[٣] أهلكتِ الثمار ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : أوقع الله تعالى الخلف بين التتار من أصحاب أبغا[٤] وأصحاب ابن منكوتمر ابن عمه وتفرقوا واشتغلوا ببعضهم بعضاً ، ولله الحمد .

وفيها : خرج أهل حرَّان منها وقدموا الشام ، وكان فيهم شيخُنا العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية[٥] صحبة أبيه وعمره ست سنين ، وأخوه زين الدين عبد الرحمن وشرف الدين عبد الله[٦] ، وهما أصغر منه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الأمير عز الدين أَيْدَمُر بن عبد الله[٧] الحلبي الصالحي .

كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر ، كان يستنيبُه إذا غابَ ، فلما كانت هذه السنة أخذه معه وكانت وفاته بقلعةِ دمشق ، ودفن بتربة بالقرب من اليَغْمورية ، وخلَّفَ أموالاً جزيلة ، وأوصى إلى السلطان في أولاده ، وحضر السلطان عزاءه بجامع دمشق .

شرف الدين أبو الطاهر[٨] محمد بن الحافظ أبي الخطّاب عُمر بن دِحْية المصري .

ولد سنة عشر وستمئة ، وسمع أباه وجماعة ، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية ، وحدّث وكان فاضلاً .

---

(١) أ : ساق .
(٢) في أ ، ب : غرّقت .
(٣) ط : (صاعقة) وما هنا عن أ وب ويوافق السياق .
(٤) سترد ترجمة أبغا في حوادث سنة ٦٨٠هـ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٥) سترد ترجمة أحمد بن تيمية في وفيات سنة ٧٢٨هـ من الجزء الأخير من هذا الكتاب .
(٦) تقدم الحديث عنه قبل صفحات ووفاته سنة ٧٢٧هـ .
(٧) ترجمة ـ أيدمر ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٣١٤) والنجوم(٧/ ٢٢٧) والدارس (٢/ ٢٢٤) .
(٨) ترجمة ـ شرف الدين أبي الطاهر ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٢٨) وتاريخ الإسلام (١٤٧/١٥) والوافي بالوفيات (٥/ ١٧٣) والجواهر المضيئة (٣/ ٣٨٩) والدارس (١/ ٥٦٥) .

القاضي تاج الدين أبو عبد الله[١] محمد بن وَثّاب بن رافع النُّخَيْلي[٢] الحنفي ، دَرَّس وأفتى عن ابن عطاء بدمشق ، ومات بعد خروجه من الحمّام على مساطب الحمام فجأةً ودفن بقاسيون .

الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن[٣] علي بن يوسف بن حَيْدَرة الرَّحْبي شيخ الأطباء بدمشق ، ومدرّس الدخورية عن وصية واقفها بذلك وله التقدمة في هذه الصناعة على أقرانه من أهل زمانه ، ومن شعره قوله[٤] : [من الطويل]

يساقُ بنو الدّنْيا إلى الحَتْفِ عُنْوَةً ... ولا يَشْعر الباقي بحالة مَنْ يَمضي

كـأنهـمُ الأنعـامُ فـي جهْـلِ بَعْضهـا ... بما تَمَّ مِنْ سَفْكِ الدِّماءِ على بَعْضِ

الشيخ نصير الدين[٥] المُبارك بن يحيى بن أبي الحسن أبو[٦] البركات بن الطَّبّاخ[٧] الشافعي ، العلاَّمة في الفقه والحديث ، درَّس وأفتى وصنَّفَ وانتفع به[٨] ، وعُمر ثمانين سنة ، وكانت وفاته في حادي عشر جمادى الآخرة[٩] من [هذه السنة ، رحمه الله تعالى][١٠] .

الشيخ أبو الحسن[١١] علي بن عبد الله بن إبراهيم الكوفي المقرئ[١٢] النَّحوي المُلَقَّب بسيبويه .

وكان فاضلاً بارعاً في صناعة النحو ، توفي بمارستان القاهرة [في هذه السنة][١٣] عن سبع وستين سنة رحمه الله . ومن شعره : [من البسيط]

عَذَّبْتَ قَلْبِي بهَجْرٍ منكَ مُتّصلِ ... يا مَنْ هواهُ ضَميرٌ غَيْرُ مُنْفَصلِ

---

(١) ترجمة القاضي تاج الدين في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٢٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٤٨) والوافي بالوفيات (٥/ ١٧٣) والجواهر المضيئة (٣/ ٣٨٩) والدارس (١/ ٥٦٥) .

(٢) ط : البجيلي ، وفي الدارس : النجيلي ، وكله تصحيف ، وما هنا من ذيل المرآة وخط الذهبي .

(٣) ترجمة ـ الطبيب الرحبي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ١٤٥) والدارس (٢/ ١٣٠) وفيه : الرضي ، والشذرات (٧/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠) في وفيات سنة ٦٦٨هـ .

(٤) البيتان في الدارس .

(٥) ترجمة ـ النصير ابن الطباخ ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ١٤٨) وفي طبقات السبكي (٤/ ٦٥) الحسينية ، وطبقات الإسنوي (١/ ١٧٨) وحسن المحاضرة (١/ ٤١٦) .

(٦) ط : أبي .

(٧) ط : الصباغ ؛ وهو تحريف .

(٨) أ : وانتفع الناس به .

(٩) ط : حادي عشر جمادى الأولى .

(١٠) بدل الحاصرتين في أ : منها .

(١١) ترجمة ـ سيبويه ـ في بغية الوعاة (٢/ ١٧٠) .

(١٢) في بغية الوعاة : المغربي المالكي .

(١٣) ما بين الحاصرتين في أ : منها .

ما زادني غَيْرَ تأكيدٍ صدُودُكمُ[١] فمـا عـدولـكَ مـن عطـفٍ إلـى بـدلِ

[ولادة ابن الزملكاني]

وفيها : ولد شيخنا العلامة كمال الدين محمد بن علي الأنصاري بن الزملكاني[٢] شيخ الشافعية .

ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمئة

في ثاني[٣] المحرم منها دخلَ السلطانُ من الحجاز [الشريف على الهجن فلم يرع الناس إلا وهو في الميدان الأخضر يسير ، ففرح الناس بذلك ، وأراح الناس][٤] من تلقيه بالهدايا والتحف ، وهذه كانت عادته ، وقد عجب الناس][٥] من سرعة مسيره وعلوِّ همته ، ثم سار إلى حلب ، [ثم سار إلى مصر][٦] فدخلها في سادس الشهر مع الركب المصري ، وكانت زوجتُه أمّ الملك السعيد في الحجاز هذه السنة ، ثم خرج في ثالث عشر صفر هو وولده والأمراء إلى الإسكندرية فتصيَّد هنالك ، وأطلق للأمراء الأموال الكثيرة والخلع ، ورجع[٧] مؤيداً منصوراً .

وفي المحرّم منها[٨] قُتل صاحب مراكش أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف الملقب بالواثق ، قتله بنو مَرين في حرب كانت بينه وبينهم بالقرب من مراكش .

وفي ثالث عشر ربيع الآخر (منها) وصل السلطان إلى دمشق في طائفة من جيشه ، وقد لقوا في الطريق مَشَقَّةً كثيرةً من البرد والوحلِ ، فخيم على الزنبقية وبلغه أنَّ ابن أخت زيتون خرج من عكا يقصدُ جيشَ المسلمين ، فركب إليه سريعاً فوجده قريباً من عكا فدخلها خوفاً منه .

(١) ب : ما زاد في غير تأكيد صدودك لي . وفي ط : فما زادني غير تأكيد صدك لي . والرواية الثانية مضطربة .
(٢) سترد ترجمة ابن الزملكاني في وفيات سنة ٧٢٧ من الجزء التالي من هذا الكتاب .
(٣) أ ، ب : في ثامن .
(٤) ليس في أ .
(٥) مكان ما بين الحاصرتين : وعجبوا .
(٦) ليس في ب .
(٧) ب : ثم عاد .
(٨) ب : نواب الملك الظاهر .

وفي رجب تسلم نواب السلطان مصياف[(١)] من الإسماعيلية ، وهرب[(٢)] منها أميرهم الصارم مبارك بن الرضى ، فتحيل عليه صاحب حماة حتى أسره وأرسله إلى السلطان فحبسه في بعض الأبرجة في القاهرة .

وفيها : أرسل السلطان الدرابزينات إلى الحجرة النبوية ، وأمر أن تقام حول القبر صيانة له ، وعمل لها أبواباً تُفتح وتُغلق من الديار المصرية ، فركّب ذلك عليها .

وفيها : استفاضت الأخبارُ بقصد الفرنج بلاد الشام ، فجهّز السلطان العساكر لقتالهم ، وهو مع ذلك مهتم بالإسكندرية خوفاً عليها ، وقد حَصَّنها وعمل جسوره إليها إن دهمها العدو ، وأمر بقتل الكلاب منها .

وفيها : انقرضت دولة بني عبد المؤمن من بلاد المغرب ، وكان آخرهم إدريس بن عبد الله بن محمد ابن يوسف صاحب مراكش ، قتله بنو مرين في هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الصاحب زين الدين[(٣)] يعقوب بن عبد الرفيع[(٤)] بن زيد بن مالك المصري المعروف بابن الزبيري[(٥)] .

كان فاضلاً رئيساً ، وَزَرَ للملك المظفر قطز ثم للظاهر بيبرس في أول دولته ، ثم عزله وولى بهاء الدين بن الحنا[(٦)] ، فلزم منزله حتى أدركته منيته في الرابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة ، وله نظم جيد[(٧)] .

الشيخ موفق الدين[(٨)] أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي الطبيب ، المعروف[(٩)] بابن أبي أُصَيْبِعَة ، له « تاريخ الأطباء »[(١٠)] في عشر مجلدات لطاف ، وهو وقف بمشهد ابن عروة

(١) أ : مصيات ، وفي ب : مصياب . وقال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٤٤) : مصياب حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس وبعضهم يقول مصياف . وقال النابلسي في رحلته الكبرى في اليوم الثالث عشر : مصياف ويقال مصياط .

(٢) فهرب .

(٣) ترجمة ـ الرفيع ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٦٢) .

(٤) في ط : عبد الله الرفيع .

(٥) أ : المعروف بابن الزين ؛ وهو تحريف وفي ب : بابن الزبير .

(٦) سترد ترجمة ابن الحنا في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٧) أورد اليونيني نموذجاً منه . في ذيله (٢/ ٤٤٢) .

(٨) ترجمة ـ ابن أبي أصيبعة ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٣٧) والنجوم الزاهرة (٢٢٩) والدارس (٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧) والشذرات (٧/ ٥٦٩) ومعجم المؤلفين (٢/ ٤٨) .

(٩) أ : عرف .

(١٠) اسمه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ، وطبع في مجلدين كبيرين .

بالأموي ، توفي بصرخد[١] وقد جاوز التسعين[٢] .

الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم[٣] بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير ، أبو العباس المقدسي النابلسي .

تفرَّد بالرواية عن جماعةٍ من المشايخ ، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمئة ، وقد سمع ورحل إلى بلدان شتى ، وكان فاضلاً يكتبُ سريعاً ، حكى الشيخ علَم الدين أنه كتبَ « مختصر الخرقي » في ليلة واحدة ، وخطه حسن قوي ، وقد كتب « تاريخ ابن عساكر » مرتين ، واختصره لنفسه أيضاً ، وأضر في آخر عمره أربع سنين ، وله شعر أورد منه قطب الدين في تذييله[٤] ، توفي بسفح قاسيون وبه دفن في بكرة الثلاثاء عاشر رجب ، وقد جاوز التسعين رحمه الله تعالى .

القاضي محيي الدين ابن الزكي[٥] أبو الفضل يحيى بن قاضي القضاة بهاء الدين أبي المعالي محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين[٦] بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشي الأموي بـن الزكي[٧] .

تولَّى قضاء دمشق غير مرة ، وكذلك آباؤه من قبله ، كل قد وليها ، وقد سمع الحديث من حَنْبل وابن طَبَرْزَذْ والكِندي وابن الحرستاني وجماعة ، وحدّث في مدارس كثيرة ، وقد ولي قضاء الشام في الهلاوونية[٨] فلم يحمد على ما ذكره أبو شامة ، توفي[٩] بمصر في الرابع عشر من رجب ، ودفن بالمُقَطَّم

---

(١) صرخد : قال ياقوت : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . معجم البلدان (٣/ ٤٠١) قلت : وتقع اليوم في محافظة السويداء في جبل العرب وتسمى : صلخد .

(٢) أ : السبعين .

(٣) ترجمة ـ زين الدين أحمد بن عبد الدائم ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٥١) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٩) والعبر (٥/ ٢٨٨) والإشارة (٣٦٣) والوافي بالوفيات (٧/ ٣٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٠) والشذرات (٧/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨) .

(٤) لم أجده في ذيل مرآة الزمان في ترجمته (٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) .

(٥) ترجمة ـ ابن الزكي ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٦٠) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٥) والعبر (٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) والإشارة (٣٦٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٠) وشذرات الذهب (٧/ ٥٧٠ ـ ٥٧١) .

(٦) في أ : الحسن ، تحريف .

(٧) طعن الإمام الذهبي في هذا النسب ، وذكر كلاماً جيداً في هذا فراجعه في تاريخه (١٥/ ١٦١) .

(٨) يقصد زمن هولاكو . وفي الشذرات : وسار إلى خدمة هولاكو فأكرمه وولاه قضاء الشام وخلع عليه خلعة سوداء مذهبة .

(٩) ب : وكانت وفاته .

وقد جاوز السبعين . وله[١] شعر جيد قوي ، وحكى الشيخ قطب الدين في ذلك بعد ما نسبه كما ذكرنا عن والده القاضي بهاء الدين أنه كان يذهب إلى تفضيل علي على عثمان موافقة لشيخه محيي الدين بن عربي ، ولمنام رآه بجامع دمشق معرضاً عنه بسبب[٢] ما كان من بني أمية إليه في أيام صفين ، فأصبح فنظم في ذلك قصيدة (يذكر فيها ميله إلى علي ، وإن كان هو أموي)[٣] : [من الطويل]

أدينُ بما دانَ الوَصِيُّ ولا أرى ... سواهُ وإنْ كانتْ أُميَّةُ مَحْتدي
ولو شهدتْ صفِّين خَيْلي لأعذرتْ ... وساء بني[٤] حرب هنالكَ مَشْهدي
لكنتُ أسُنُّ البيضَ عنهُم تراضياً ... وأمنعهم نيلَ الخلافةِ باليدِ[٥]

ومن شعره : [من السريع]

قالوا أما في جلَّقٍ نُزهةٌ ... تُسليكَ عمّن أنتَ بهِ مُغْرى
يا عاذلي دُونَكَ في لَحْظِهِ ... سَهْماً وقد عارضَهُ سَطْرا

الصاحب فخر الدين[٦] محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن محمد بن سليم بن الحنا المصري ، كان وزير الصحة ، وقد كان فاضلاً ، بنى رباطاً بالقرافة الكبرى ، ودرس بمدرسة والده بمصر ، وبالشافعي بعد ابن بنت الأعز ، توفي بشعبان ودفن بسفح المقطّم ، وفوض السلطان وزارة الصحبة لولده تاج الدين .

الشيخ أبو نصر بن أبي الحسن بن الخراز[٧] الصوفي البغدادي الشاعر .

له ديوان حسن ، وكان جميل المعاشرة حسن المذاكرة ، دخل عليه بعض أصحابه فلم يقم له فأنشده قوله : [من الخفيف]

نَهضَ القلبُ حين أقبلتَ إجلا ... لاً لما فيه من صحيحِ الودادِ
ونهوضُ القلوبِ بالودِّ أولى ... من نهوض الأجساد للأجسادِ

---

(١) ب : وقد جاوز التسعين وقد كان فاضلاً له .
(٢) أ : معرضاً فيه يعني بسبب . وفي ب : بجامع دمشق كان علياً موضأ يعني بسبب ما كان .
(٣) الأبيات اثنين في الشذرات وأربعة في ذيل المرآة .
(٤) أ ، ب : وشاهدتني .
(٥) رواية ذيل المرآة :

لكنت أسن البيض عنهم مواضيا ... وأروي أرماحي ولما تقصدِ
وأجلبها خيلاً ورجلاً عليهُم ... وأمنعهم نيل الخلافة باليدِ

(٦) ترجمة ـ الصاحب فخر الدين ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٥٩) .
(٧) أ ، ب : الجزار .

ثم دخلت سنة تسع وستين وستمئة

في مستهل صفر منها ركب السلطان من الديار المصرية في طائفة من العسكر إلى عسقلان فهدم ما بقي من سورها مما كان أهمل في الدولة الصلاحية ، ووجد فيما هدم كوزَين فيهما ألفا دينار ففرَّقهما على الأمراء . وجاءته البشارة وهو هناك بأن منكوتمر كسر جيش أبغا ففرح بذلك ، ثم عاد إلى القاهرة .

وفي ربيع الأول بلغ السلطان أن أهل عكا ضربوا رقاب مَنْ في أيديهم من أسرى المسلمين صبراً بظاهر عكا ، فأمر بمن كان في يده من أسرى أهل عكا فضربت رقابهم في صبيحة واحدة ، وكانوا قريباً من مئة[١] أسير .

وفيها : كمل جامع المنشية[٢] وأقيمت فيه الجمعة في الثاني والعشرين من ربيع الآخر .

وفيها : جرت حروب يطول ذكرها بين أهل تونس والفرنج ، ثم تصالحوا بعد ذلك على الهدنة ووضع الحرب ، بعد ما قُتل من الفريقين خلقٌ لا يحصون .

وفي يوم الخميس ثامن رجب دخل الظاهرُ دمشقَ ، وفي صحبته ولدُه الملكُ السعيدُ وابن الحِنا الوزير وجمهورُ الجيش ثم خرجوا متفرقين وتواعدوا أن يلتقوا بالساحل ليشنّوا الغارة على جَبلة واللاذقية ومرقب وعرقا[٣] وما هنالك من البلاد ، فلما اجتمعوا فتحوا صافيتا[٤] والمَجْدَل ، ثم ساروا فنزلوا على حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب ، وله ثلاثة أسوار ، فنصبوا المنجنيقات ففتحها قسراً[٥] يوم نصف شعبان ، فدخل الجيش ، وكان الذي يحاصره ولد السلطان الملك السعيد ، فأطلق السلطان أهله ومنّ عليهم وأجلاهم إلى طرابلس ، وتسلم القلعة بعد عشرة أيام من الفتح ، فأجلى أهلها أيضاً وجعل كنيسة البلد جامعاً ، وأقام فيه الجمعة ، وولّى فيها نائباً وقاضياً وأمر بعمارة البلد ، وبعث صاحب أنطرسوس[٦] بمفاتيح بلده يطلب منه الصلحَ على أن يكون نصف مغلّ بلاده للسلطان ، وأن يكون له بها نائباً ، فأجابه إلى ذلك ، وكذلك فعل صاحبُ المرقب فصالحه أيضاً على المناصفة ووضع الحرب عشر سنين .

---

(١) ط : مائتي ؛ وهو تحريف . والخبر في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٤٣) .

(٢) أ : المزة . والخبر في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٤٣) .

(٣) في ذيل المرآة : عرقة ، وهي في معجم البلدان (٤/ ١٠٩ و١١٠) .

(٤) ط : صافينا ، وذيل المرآة : صافيثا ، وهي كما أثبتنا عن الأصلين . وهي إحدى مدن شمالي سورية وتسمى اليوم صافيتا .

(٥) أ : قحصراً .

(٦) ط : طرسوس ؛ وما هنا عن الأصلين وذيل المرآة (٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) .

وبلغ السلطان وهو مخيم على حصن الأكراد أن صاحب جزيرة قبرص قد ركب بجيشه إلى عكا لينصر أهلها خوفاً من السلطان ، فأراد السلطان أن يغتنم هذه الفرصة فبعث جيشاً كثيفاً في سبعة عشر[(١)] شينياً ليأخذوا جزيرةَ قبرص في غيبةِ صاحبها عنها ، فسارتِ المراكبُ مسرعةً فلما قاربت الجزيرة[(٢)] جاءتها ريحٌ قاصف فصدم بعضُها بعضاً فانكسر فيها أربعة عشرَ مركباً بإذن الله فغرقَ خلقٌ وأسرَ الفرنجُ من الصناع والرجال قريباً من ألفِ وثمانمئة إنسان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم سار السلطان فنصبَ المجانيقَ[(٣)] على حصن عكا فسأله أهلُها الأمانَ على أن يخليهم فأجابهم إلى ذلك ، ودخلَ البلدَ يوم عيد الفطرِ فتسلَّمه ، وكانَ الحصنُ شديدَ الضَّرر على المسلمين ، وهو وادٍ بين جبلين .

ثم سار السلطانُ نحو طرابلس فأرسل إليه صاحبها يقول : ما مرادُ السلطانِ في هذه الأرض ؟ فقال : جئتُ لأرعى زروعَكم وأخرّب بلادَكم ، ثم أعودُ إلى حصاركم في العام الآتي . فأرسلَ يستعطفُه ويطلبُ منه المصالحة ووَضْعَ الحرب بينهم عشرَ سنين فأجابه إلى ذلك .

وأرسل إليه الإسماعيليةُ يستعطفونه على والدهم ، وكان مسجوناً بالقاهرة ، فقال : سلموا إليَّ العليقة وانزلوا فخذوا إقطاعاتٍ بالقاهرة ، وتسلّموا أباكم . فلما نزلوا أمرَ بحبسهم بالقاهرة واستناب بحصن العليقة .

وفي يوم الأحد الثاني عشر من شوال جاء سيلٌ[(٤)] عَظيمٌ إلى دمشق فأتلفَ شيئاً كثيراً ، وغرق بسببه ناسٌ كثير ، لا سيما الحجاج من الروم الذي كانوا نزولاً بين النهرين ، أخذهم السيل وجمالهم وأحمالهم ، فهلكوا وغُلِّقت أبوابُ البلد ، ودخل الماء إلى البلد من مراقي السُّور ، ومن باب الفراديس فغرق خان ابن المقدم وأتلف شيئاً كثيراً ، وكان ذلك في زمن الصيف في أيام المشمش ، ودخل السلطان إلى دمشق يوم الأربعاء خامس عشر شوال فعزل القاضي ابن خلكان[(٥)] ، وكان له في القضاء عشر سنين ، وولى القاضي عز الدين بن الصائغ[(٦)] ، وخلع عليه ، وكان تقليده قد كتب بظاهر طرابلس بسفارة الوزير ابن الحنا ، فسار ابن خلكان في ذي القعدة إلى مصر .

---

(١) ط : اثني عشرة شبني .

(٢) ط : المدينة .

(٣) أ : المناجنيق .

(٤) الخبر في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٥١) .

(٥) سترد ترجمة ابن خلكان في حوادث سنة ٦٨١ من هذا الجزء .

(٦) هو عبد العزيز بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ عز الدين سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٧٤ من هذا الجزء .

وفي ثاني[١] عشر شوال دخل خضر[٢] الكردي شيخ السلطان الملك الظاهر وأصحابه إلى كنيسة اليهود فصلوا فيها وأزالوا ما فيها من شعائر اليهود ، ومدّوا فيها سماطاً وعملوا سماعاً ، وبقُوا على ذلك أياماً ، ثم أُعيدت إلى اليهود ، ثم خرج السلطانُ إلى السواحل فافتتحَ بعضَها وأشرفَ على عكا وتأمَّلها ثم سار إلى الديار المصرية ، وكان مقدار [ما] غرمه في هذه المدة وفي الغزوات قريباً من ثمانمئة ألف دينار ، وأخلفَها اللهُ عليه ، وكان وصولُه إلى القاهرة يوم الخميس ثالثَ عشرَ ذي الحجة . وفي اليوم السابعَ عشرَ من وصوله أمسك على جماعةٍ من الأمراء منهم الحلبي[٣] وغيره بلغه أنهم أرادوا مسكه على الشقيف .

وفي اليوم السابع عشر من ذي الحجة أمر بإراقة الخمور من سائر بلاده وتهدَّد مَنْ يعصرها أو يعتصرها بالقتل ، وأسقطَ ضمانَ ذلك ، وكان ذلك بالقاهرة وحدها (كل يوم[٤] ضمانه) ألف دينار ، ثم سارت البُرُدُ بذلك إلى الآفاق .

وفيها : قبض السلطان على العزيز بن المغيث صاحب الكرك ، وعلى جماعة من أصحابه كانوا عزموا على سلطنته .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الملك تقي الدين عبّاس بن الملك العادل[٥] أبي بكر بن أيوب بن شاذي .

وهو آخر من بقي من أولاد العادل ، وقد سمع الحديثَ من الكِنْدي وابن الحرستاني ، وكان محترماً عند الملوك لا يرفع عليه أحد في المجالس والمواكب ، وكان لينَ الأخلاق حسنَ العشرة ، لا تملّ مجالسته . توفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة بدرب الريحان ، ودفن بتربته بسفح قاسيون .

قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص[٦] عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى السُّبْكي[٧] المالكي .

---

(١) أ ، ب : وفي حادي عشر .
(٢) ط : حصن الكردي ، ب : الشيخ الكردي .
(٣) هو علم الدين سنجر الحلبي الكبير وغيره . والخبر في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٥٣) .
(٤) أ : كل شهر .
(٥) ترجمة ـ عباس بن الملك العادل ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٦٠) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٦٧) والوافي بالوفيات (٢/ ٢٣٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٢) والدارس (٢/ ٦٦٨) وترويح القلوب (٦٠ و٦٧) .
(٦) ترجمة ـ شرف الدين السبكي ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٧٣) .
(٧) قال اليونيني : والسبكي نسبة إلى سبك من أعمال الديار المصرية . وقال ياقوت : سُبْك بضم أوله وسكون ثانيه وآخره كاف . معجم البلدان (٣/ ١٨٥) .

ولد سنة خمس وثمانين وخمسمئة ، وسمع الحديثَ وتفقه وأفتى بالصالحية[١] ، وولي حسبة القاهرة ثم ولي القضاء سنة ثلاث[٢] وستين ، لما ولوا من كل مذهب قاضياً ، وقد امتنع أشدَّ الامتناع ثم أجاب بعد إكراه بشرط أن لا يأخذ على القضاء جامكيةً ، وكان مشهوراً بالعلم والدين ، روى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة[٣] وغيره . توفي لخمسٍ بقين من ذي القعدة .

الطواشي شجاع الدين مُرشِد المُظَفَّري الحموي[٤] .

كان شجاعاً بطلاً من الأبطال الشجعان ، وكان له رأيٌ سديدٌ ، كان أستاذه لا يخالفه ، وكذلك الملك الظاهر ، توفي بحماة ودفن بتربته بالقرب من مدرسته بحماة .

ابن سبعين[٥] : **عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد قطب الدين أبو محمد المُرْسي[٦] الرُّقوطي[٧]** ، نسبة إلى رُقوطة بلدة قريبة من مرسية[٨] .

ولد سنة أربع عشرة وستمئة ، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة ، فتولد له من ذلك نوع من الاتّحاد[٩] ، وصنف فيه ، وكان يعرف السيمياء ، وكان يلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء ، ويزعم أنه حال من أحوال القوم، وله من المصنفات كتاب « البدء »[١٠] ، و« كتاب الهو »، وقد أقام بمكة واستحوذ على

---

(١) ط : بالصلاحية .

(٢) أ : سنة ست ؛ وهو تحريف .

(٣) سترد ترجمة بدر الدين بن جماعة محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي في وفيات سنة ٧٣٣ من الجزء الأخير من هذا السفر الضخم .

(٤) ترجمة ـ الطواشي شجاع الدين ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء (٤/ ٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٧٧) .

(٥) ترجمة ـ ابن سبعين ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٦٠) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٦٨) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٩) والعبر (٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢) والإشارة (٣٦٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ و٢٣٥) والوافي بالوفيات (١٨/ ٦٠) وفوات الوفيات (٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥) وطبقات الشعراني (١/ ٢٠٣) والكواكب الدرية للمناوي (١/ ١٠٥) وشذرات الذهب (٧/ ٥٧٣ ـ ٥٧٥) ونفح الطيب (٢/ ١٩٦) ونيل الابتهاج (١٨٤) .

(٦) في أصولنا : المقدسي ؛ وهو تحريف وما هنا عن مصادره .

(٧) تحرّفت اللفظة في ذيل المرآة إلى : الزّقوطي . ورقوطة إلى زقوطة .

(٨) العقد الثمين للفاسي (٥/ ٣٢٦) والنجوم (٧/ ٢٣٣) .

(٩) ب وط : الإلحاد ، وما هنا عن أ ويوافق ما في مصادره من أنه كان يقول هو وجماعته المسمَّيْن السبعينية بالوحدة المطلقة .

(١٠) الند ، وفي ب : اليد ؛ وفي ط : البدو . وفي الشذرات : كتاب البُدّان . وفي هامشه التعليقة التالية : في الإحاطة والعقد الثمين : البُدّ ؛ مفرداً ، وعلق الأستاذ فؤاد سيد رحمه الله على العقد الثمين ما يلي : المعروف أن اسمه : بدّ العارف ، أو بدء العارف . ومنه نسخة مكتوبة سنة ٦٧٩ ومحفوظة بمكتبة جار الله باستانبول برقم (١٢٧٣) وأخرى في برلين برقم (١٧٤٤) .

عقل صاحبها ابن نُمَي(١) ، وجاور في بعض الأوقات بغار حراء يرتجي فيما ينقل عنه أن يأتيه فيه وحيٌ كما أتى النبي ﷺ ، بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوةَ مكتسبةٌ ، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا ، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة ، إن كان مات على ذلك ، وقد كان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم : كأنهم نُقِلَتْ عنه عظائم من الأقوال والأفعال ، توفي في الثامن والعشرين من شوال بمكة .

ثم دخلت سنة سبعين وستمئة من الهجرة(٢)

استهلت وخليفةُ الوقت الحاكمُ بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي ، وسلطان الإسلام الملك الظاهر .

وفي يوم الأحد الرابع عشر من المحرم ركب السلطان إلى البحر لالتقاء الشّواني التي عملت عوضاً عمّا غرق بجزيرة قبرص ، وهي [أربعون شينياً](٣) ، فركب في شيني منها ومعه الأمير بدر الدين(٤) ، فمالت بهم فسقط الخزندار في البحر فغاص في الماء فألقى إنسان نفسه وراءه فأخذ بشعره وأنقذه من الغرق ، فخلع السلطان على ذلك الرجل وأحسن إليه .

وفي أواخر المحرم ركب السلطان في نفر يسير من الخاصكية ، والأمراء من الديار المصرية حتى قدم الكرك ، واستصحب نائبها معه إلى دمشق ، فدخلها في ثاني عشر صفر ، ومعه الأمير عز الدين أيدمر(٥) نائب الكرك ، فولاه نيابة دمشق وعزل عنها جمال الدين آقوش النجيبي(٦) في رابع عشر صفر ، ثم خرج إلى حماة وعاد بعد عشرة أيام .

وفي ربيع الأول وصلت الجفال(٧) من حلب وحماة وحمص إلى دمشق بسبب الخوف من التتار ، وجفل خلق كثير من أهل دمشق .

وفي ربيع الآخر وصلت العساكر المصرية إلى حضرة السلطان إلى دمشق فسار بهم منها في سابع

---

(١) أ ، ط : ابن سمي ، وهو تحريف .
(٢) أ ، ب : سنة سبعين وستمئة .
(٣) عن ط وحدها . وسبق أن قال إنها سبعة عشر شينياً . والخبر في ذيل المرآة (٢/ ٤٦٩) .
(٤) أ ، ب : بدر الدين الخزندار . وهو بيليك بن عبد الله . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٧٦ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٥) تقدمت ترجمة أيدمر في وفيات سنة ٦٦٣هـ .
(٦) سترد ترجمة آقوش النجيبي في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٧) أ : الجفاله . ومعناها الجماعة ، وأثبت الرواية الأخرى لأن المؤلف يقصد جمع جافل وهو الهارب .

الشهر ، فاجتاز بحماة واستصحب ملكها المنصور ، ثم سار إلى حلب فخيم بالميدان الأخضر بها ، وكان سبب ذلك أن عساكر التتار جمعوا نحواً من عشرة آلاف فارس وبعثوا طائفة منهم فأغاروا على عين تاب[١] ، ووصلوا إلى قَسْطُون[٢] ووقعوا على طائفة من التركمان بين حارم وأنطاكية فاستأصلوهم فلما سمع التتار بوصول السلطان ومعه العساكر المنصورة ارتدوا على أعقابهم راجعين[٣] ، وكان بلغه أن الفرنج أغاروا على بلاد قاقون[٤] ونهبوا طائفة من التركمان ، فقبض[٥] على الأمراء الذين هناك حيث لم يهتموا بحفظ البلاد وعادوا إلى الديار المصرية .

وفي ثالث شعبان أمسك[٦] السلطان قاضي الحنابلة بمصر شمس الدين أحمد بن العماد المقدسي ، وأخذ ما عنده من الودائع فأخذ زكاتها ورد بعضها إلى أربابها ، واعتقله إلى شعبان من سنة ثنتين وسبعين ، وكان الذي وشى به رجل من أهل حران يقال له شبيب ، ثم تبين للسلطان نزاهة القاضي وبراءته فأعاده إلى منصبه في سنة ثنتين وسبعين، وجاء السلطان في شعبان إلى أراضي عكا فأغار عليها فسأله صاحبها المهادنة فأجابه إلى ذلك فهادنه عشر[٧] سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر[٨] ساعات ، وعاد إلى دمشق فقُرىء بدار السعادة كتابُ الصلح ، واستمرّ الحال على ذلك ثم عاد السلطان إلى بلاد الإسماعيلية فأخذ عامتها .

قال قطب الدين[٩] : وفي جمادى الآخرة وُلدت زرافةٌ بقلعة الجبل ، وأُرضعت من بقرة . قال : وهذا شيء لم يُعْهد مثله .

وفيها توفي :

الشيخ كمال الدين[١٠] سَلَّار[١١] بن حسن بن عمر بن سعيد الإربلي الشافعي .

---

(١) عين تاب : قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية وهي الآن من أعمال حلب . معجم البلدان (٤/ ١٧٦) .

(٢) أ : بسطون ، ط : نسطون ، وقسطون : حصن كان بالروج من أعمال حلب . معجم البلدان (٤/ ٣٤٨) .

(٣) أ : ورجعوا على أعقابهم .

(٤) في ذيل المرآة : قافون . وقاقون : حصن بفلسطين قرب الرملة . وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام . معجم البلدان (٤/ ٢٩٩) .

(٥) أ ، ب : وقبض .

(٦) أ : مسك .

(٧) عشرة سنين ؛ خطأ .

(٨) ط : عشرة ساعات ؛ خطأ .

(٩) ذيل المرآة (٢/ ٤٦٩) .

(١٠) ترجمة ـ سلار ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٧٩) وتاريخ الإسلام (١٥ ـ ١٨٢) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٧٩) والعبر (٥/ ٢٩٣) والإشارة (٣٦٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٣٧) وشذرات الذهب (٧/ ٥٧٨) .

(١١) أ : رسلان ؛ تحريف .

أحد مشايخ المذهب ، وقد اشتغل عليه الشيخ محيي الدين النووي[١] ، وقد اختصر « البحر » للروياني في مجلدات عديدة هي عندي بخط يده ، وكانت الفتيا تدور عليه بدمشق ، توفي في عشر السبعين ، ودفن بباب الصغير ، وكان مُعيداً[٢] بالبادرائية من أيام الواقف ، لم يطلب زيادة على ذلك إلى أن توفي في هذه السنة .

وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب[٣] ابن سُوَيْد (التكريتي التاجر الكبير بين التجار[٤]) ذو الأموال الكثيرة .

وكان معظمّاً عند الدولة ، ولا سيما عند الملك الظاهر ، كان يُجلّه ويُكرمه لأنه كان قد أسدى إليه جميلاً في حال إمرته قبل أن يلي السلطنةَ ، ودفن برباطه وتربته بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون ، وكانت كتب الخليفة ترد إليه في كل وقت ، وكانت مكاتباته مقبولةً عند جميع الملوك ، حتى ملوك الفرنج في السواحل وفي أيام التتار في أيام هولاكو[٥] ، وكان كثير الصدقات والبر .

نجم الدين يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن اللبودي[٦] ، واقف اللبودية[٧] التي عند حمام الفلك المبرر على الأطباء .

ولديه فضيلة بمعرفة الطب ، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق ، ودفن بتربته عند اللبودية .

الشيخ علي البكاء[٨] ، صاحب الزاوية بالقرب من بلد الخليل عليه السلام .

كان مشهوراً بالصلاح والعبادة والإطعام لمن اجتاز به من المارَّةِ والزُّوَّار ، وكان الملك المنصور قلاوون[٩] يُثْني عليه ويذكر أنه اجتمع[١٠] به وهو أمير ، وأنه كاشفه[١١] في أشياء وقعت جميعُها ، ومن

---

(١) سترد ترجمة النووي في وفيات سنة ٦٧٦ من هذا الجزء .
(٢) ط : مفيداً ؛ تحريف .
(٣) ترجمة ـ ابن سويد ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ٤٨٧ ـ ٤٨٩) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٨٦) والعبر (٥/ ٢٩٤) والإشارة (٣٦٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٣٨) وشذرات الذهب (٧/ ٥٨٠) .
(٤) أ : التاجر الكبير بن التاجر بن سويد .
(٥) أ ، ب : هولاوو .
(٦) ترجمة ـ اللبودي ـ في طبقات الأطباء (٢/ ١٨٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ١٩٠) والدارس (٢/ ١٣٥) ومنادمة الأطلال (٢٥٧) .
(٧) اللبودية مجهولة . وقال الأمير صفر في حاشية الدارس : وفي أراضي باب السريجة بستان يعرف ببستان اللبودي .
(٨) ترجمة ـ علي البكاء ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ١٨٤) والكواكب الدرية للمناوي (٢/ ١٤٤) .
(٩) سترد ترجمة الملك المنصور قلاوون في وفيات سنة ٦٨٩ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(١٠) ط : ويثني عليه ويقول : اجتمعت به .
(١١) لا يعلم الكشف إلا الله تعالى .

جملتها أنه سيملكُ . نقل ذلك قطب الدين اليونيني[١] ، وذكر أن سبب بكائه الكثير أنه صحب رجلاً كانت له أحوال وكرامات ، وأنه خرج معه من بغداد فانتهوا في ساعة واحدة إلى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة ، وأن ذلك الرجل قال له إني سأموت في الوقت الفلاني ، فأشهدني في ذلك الوقت في البلد الفلاني . قال الشيخ علي[٢] : فلما كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السياق ، وقد استدار (جهة) الشرق فحَوّلتُهُ إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فحوّلتُه (أيضاً ففتح عينيه) وقال : لا تتعب فإني لا أموتُ إلاَّ على هذه الجهة ، وجعلَ يتكلم بكلامِ الرهبان حتى مات فحملناه فجئنا به إلى دير هناك فوجدناهم في حزن عظيم ، فقلنا لهم : ما شأنكم ؟ فقالوا كان عندنا شيخٌ كبير ابن مئة سنة ، فلما كان اليوم مات على الإسلام ، فقلنا لهم : خذوا هذا بدله وسلمونا[٣] صاحبنا ، قال فوليناه فغسلناه وكفّناه وصلَّينا عليه ودفناه[٤] مع المسلمين ، وَوَلوْا هم ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصارى ، نسأل الله حسن الخاتمة[٥] . مات الشيخ علي في رجب من هذه السنة .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستمئة

في خامس المحرم وصل الظاهر دمشق من بلاد السواحل التي فتحها وقد مهدها[٦] ، وركب في أواخر المحرم إلى القاهرة فأقام بها سنة ثم عاد فدخل دمشق في رابع صفر[٧] .

وفي المحرم منها وصل النوبة إلى عيذاب[٨] فنهب تجارها[٩] وقتل خلقاً من أهلها ، منهم الوالي والقاضي ، فسار إليه الأمير علاء الدين أيدغدي[١٠] الخزندار فقتل خلقاً من بلاده ونهب وحرق وهدم ودوخ البلاد ، وأخذ بالثأر ولله الحمد والمنة .

---

(١) لم أجد هذا الكلام فيما طبع من ذيل مرآة الزمان بأجزائه الأربعة .
(٢) أ : ذلك الوقت قال فلما ، ط : ذلك الوقت في البلد الفلاني قال فلما ، ب : ذلك الوقت الفلاني قال الشيخ علي .
(٣) أ : وسلموا إلينا صاحبنا ، ب : وسلموه إلينا فوليناه فصلينا عليه ودفناه .
(٤) في ب : ودفناه ثم دخلت سنة إحدى وسبعين .
(٥) في أ : حسن الخاتمة ومردا غير مخز ولا فاضح ثم دخلت .
(٦) ب : . . . . دخل الظاهر . . . وقد مهد أمورها .
(٧) بعدها في ب : أيده الله بنصره .
(٨) عيذاب : بالفتح ثم السكون وذال معجمة وآخره باء موحدة : بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد . معجم البلدان (٤/ ١٧١) .
(٩) ب : فنهب التجار .
(١٠) ب : أيدغدي الخزندار إلى بلادهم فقتل خلقاً ونهب .

وفي ربيع الأول توفي الأمير سيف[١] الدين محمد بن مُظَفَّر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس[٢] صاحب صهيون ، ودُفن في تربة والده في عشر السبعين ، وكان له في ملك صهيون وبَرْزَيَه إحدى عشرة سنة ، وتسلمها بعده ولده سابق الدين ، وأرسل إلى الملك الظاهر يستأذنه في الحضور (فأذن له) ، فلما حضر أقطعه خيزا وبعث إلى البلدين نواباً من جهته .

وفي خامس جمادى الآخرة وصلَ السلطان بعسكره إلى الفرات لأنه بلغه أن طائفةً من التتار هنالك فخاض إليهم الفرات بنفسه وجنده ، وقتل من أولئك مقتلة كبيرة وخلقاً كثيراً[٣] ، وكان أول (من) اقتحم الفرات يومئذ[٤] الأمير سيف الدين قلاوون[٥] وبدر الدين بَيْسَري[٦] وتبعهما السلطان ، ثم فعل[٧] بالتتار ما فعل ، ثم ساق إلى ناحية البيرة[٨] وقد كانت محاصرة بطائفة من التتار أخرى ، فلما سمعوا بقدومه هربوا وتركوا أموالهم وأثقالهم ، ودخل السلطان إلى البيرة في أُبَّهة عظيمة وفرَّق في أهلها أموالاً كثيرة ، ثم عاد إلى دمشق في ثالث جمادى الآخرة ومعه الأسرى . وخرج منها في سابعه إلى الديار المصرية ، وخرج ولده الملك السعيد لتلقّيه ودخلا إلى القاهرة ، وكان يوماً مشهوداً .

ومما قاله القاضي شهاب الدين محمود الكاتب[٩] ، (وأولاده يقال لهم بنو الشهاب محمود ،) في خوض (السلطان) الفرات (بالجيش :)[١٠] [من الكامل]

سِرْ حَيْثُ شِئْتَ لكَ المُهَيْمِنُ جارُ ... واحكُمْ فطَوعُ مرادِكَ الأقْدارُ[١١]
لم يبقَ للدّينِ الذي أظهرتَهُ ... يا ركنَهُ (عندَ) الأعادي ثار
لما تراقصتِ الرؤوسُ تحرّكت[١٢] ... من مطرباتِ قِسيِّكَ الأوتارُ

---

(١) ترجمة ـ الأمير سيف الدين ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٥ ـ ٢٦) والمختصر من أخبار البشر لأبي الفداء (٤/ ٧) وفيه : أحمد بن عثمان وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣١) والعبر (٥/ ٢٩٦) وشذرات الذهب (٧/ ٥٨٥) .
(٢) ب : منكورس بن بدر الدين جردكين .
(٣) ب : وقتل خلقاً .
(٤) أ : فخاض إليهم الفرات يومئذ الأمير .
(٥) سترد ترجمة قلاوون في وفيات سنة ٦٨٩ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٦) سترد ترجمة بيسري في وفيات سنة ٦٩٨ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٧) ب : وفعل بالتتار .
(٨) البيرة : بلد قرب سُمَيْساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة . معجم البلدان (١/ ٥٢٦) .
(٩) سترد ترجمة الشهاب محمود في وفيات سنة ٧٢٥هـ من الجزء الأخير من هذا الكتاب .
(١٠) الأبيات في ذيل المرآة (٣/ ٣) والنجوم (٧/ ١٥٩) .
(١١) بعده في ذيل المرآة : ومنها .
(١٢) ب : وحركت وهي رواية ذيل المرآة والنجوم .

خُضْتَ الفرات بعسكرٍ أفضى به موجُ الفراتِ كما أتى الآثارُ[١]
حَمَلَتْكَ أمواجُ الفراتِ ومَنْ رأى بحراً سواكَ تُقِلُّهُ الأنهارُ[٢]
وتقَطَّعَتْ فرقاً ولم يكُ طودها إذ ذاكَ إلا جَيْشُكَ الجَرّارُ[٣]

وقال بعض مَنْ شاهد ذلك[٤] : [من الطويل]

ولمّا تَرَاءَيْنا الفراتَ بخيلنا سَكَرناهُ منّا بالقَنا والصوارمِ[٥]
فأوقَفَتِ التَّيارَ عن جَرَيانهِ[٦] إلى حين عدنا بالغنى والغنائمِ

وقال آخر ولا [بأس به][٧] : [من السريع][٨]

الملكُ الظاهرُ سُلْطانُنا نَفْديهِ بالأموالِ والأهلِ
اقتحمَ الماءَ ليُطْفي به حَرارَةَ القَلْبِ من المغلِ[٩]

وفي يوم الثلاثاء ثالث رجب خلع على جميع الأمراء (من حاشيته) ومقدمي الحلقة وأرباب الدولة وأعطى كلَّ إنسان ما يليقُ به من الخيل والذهب والحوائص[١٠] ، وكان مبلغ ما أنفق بذلك نحو ثلاثمئة ألف دينار[١١] .

وفي شعبان أرسل السلطان إلى منكوتمر هدايا عظيمة[١٢] .

---

(١) رواية البيت في ب وذيل المرآة والنجوم :
خضت الورى بسابح أقصى منى هوج الصبا من فعله الآثار
ورواية أ للبيت على النحو التالي :
خضت الفرات بسابح أفضى به موج الصبا من فعله الآثار
(٢) جاء هذا البيت في أ : بَعْد الذي يليه .
(٣) بعدها في ذيل المرآة أربعة أبيات مصدرة بقوله : ومنها . وأربعة الأبيات في النجوم (٧/ ١٦٠) متصلة مع ما قبلها .
(٤) البيتان منسوبان إلى ناصر الدين حسن بن النقيب الكناني في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٤) والنجوم (٧/ ١٦٠) .
(٥) ب : وذيل المرآة : بالقوى والقوادم ، وفي النجوم : بالقوى والقوائم .
(٦) أ : ولجنا ولدا وقف التيار عن جريانه . وما هنا عن ذيل مرآة الزمان والنجوم .
(٧) عن ط وحدها .
(٨) البيتان في ذيل المرآة والنجوم الزاهرة (٧/ ١٦٠) منسوبين إلى الموفق عبد الله بن عمر الأنصاري في النجوم .
(٩) أ : من الغل . والمغل يقصد بهم : المغول أو التتار .
(١٠) الحوائص : كان من عادة السلطان أنه إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض الأمراء المقدمين . عن حاشية النجوم (٧/ ٧٣) .
(١١) ب : والحوائص والثياب فكان مبلغ ما صرفت بذلك نحواً من ثلاثمئة ألف دينار .
(١٢) ب : عظيمة وتحفاً كثيرة .

وفي يوم الإثنين ثاني عشر شوال استدعى السلطان شيخه الشيخ خضر الكردي[(١)] إلى بين يديه إلى القلعة وحوقق على أشياء كثيرة [رُمي بها وعلى منكرات كثيرة] ارتكبها ، فأمر السلطان عند ذلك باعتقاله وحبسه ، ثم أمر باغتياله وكان[(٢)] آخر العهد به .

وفي ذي القعدة سلّمت الإسماعيلية ما كان بقي بأيديهم من الحصون وهي الكهف والقدموس والمنطقة[(٣)] ، وعوضوا[(٤)] عن ذلك بإقطاعات ، ولم يبقَ بالشام شيء لهم من القلاع ، واستناب السلطان فيها .

وفيها : أمر السلطان بعمارة جسوره في السواحل ، وغرم عليها مالاً كثيراً[(٥)] ، وحصل للناس بذلك رفق كبير[(٦)] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ تاج الدين أبو المظفر (محمد) بن أحمد بن حمزة بن علي بن هبة الله بن الْحوي[(٧)] ، التغلبي الدمشقي .

كان من أعيان أهل دمشق ، ولي نظر الأيتام والحسبة ، ثم وكالة بيت المال ، وسمع الكثير ، وخرَّج له ابن بلبان[(٨)] مشيخة قرأها عليه الشيخ شرف الدين الفزاري[(٩)] بالجامع ، فسمعها جماعة من الأعيان والفضلاء رحمه الله تعالى .

الخطيب فخر الدين أبو الفرج[(١٠)] عبد القاهر[(١١)] بن عبد الغني بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن

---

(١) سترد ترجمة خضر في وفيات سنة ٦٨٦ من هذا الجزء .
(٢) أ ، ب : فكان .
(٣) في ب : المنقعة ، وفي ذيل المرآة : المنيقة . وفي مختصر أبي الفداء : المينقة . ولم أصل فيها إلى رأي .
(٤) أ : من الحصون وعوضوا .
(٥) أ ، ب : وغرم عليها له مال كثير جزيل . واللفظة الأخيرة عن ط وحدها .
(٦) أ ، ب : في كثير .
(٧) ب : الحنبلي ، وط : الحوى .
(٨) سترد ترجمة علي بن بلبان في وفيات سنة ٦٨٤ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٩) ط : الغراري ؛ تحريف . وهو أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري . سترد ترجمته في وفيات سنة ٧٠٥ من الجزء الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله .
(١٠) ط : أبو محمد ، وما هنا من خط الحسيني في صلة التكملة (الورقة ١٨٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٢٧) .
(١١) ترجمة ـ فخر الدين بن تيمية ـ في ذيل مرآة الزمان (٢/ ١٦ ـ ١٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٢٧) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٨٢) والدارس في أخبار المدارس (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨) وشذرات الذهب (٧/ ٥٨٣) .

تَيْمِيَّة الحرَّاني الخطيب بها ، وبيته معروف[١] بالعلم والخطابة والرئاسة ، ودفن بمقبرة الصوفية[٢] وقد قارب الستين رحمه الله . وقد سمع الحديث من جده [الخطيب] فخر الدين[٣] صاحب ديوان الخطب المشهورة ، توفي[٤] بخانقاه القصر[٥] ظاهر دمشق .

الشيخ خضر[٦] بن أبي بكر[٧] المهراني العدوي [الكردي] .

شيخ الملك الظاهر بيبرس ، كان حظيّاً عنده مكرّماً لديه ، له عنده المكانة الرفيعة ، كان السلطانُ ينزل بنفسه إلى زاويته التي بناها له في الحسينية ، في كل أسبوع مرة أو مرتين ، وبنى له عندها جامعاً يخطب فيه للجمعة ، وكان يعطيه مالاً كثيراً[٨] ، ويطلق له ما أراد ، ووقف على زاويته شيئاً كثيراً جداً ، وكان معظَّماً عند الخاص والعام بسبب حبّ السلطان وتعظيمه له ، وكانَ يمازحه إذا جلس عنده ، وكان فيه خيرٌ ودينٌ وصلاحٌ ، وقد كاشف[٩] السلطانَ بأشياء كثيرة ، وقد دخل مرة كنيسةَ القمامة بالمقدس[١٠] فذبح قسيسها بيده ، ووهب ما فيها لأصحابه ، وكذلك فعل بالكنيسة التي بالإسكندرية وهي من أعظم كنائسهم ، نهبها وحوَّلها مسجداً ومدرسة أنفق عليها أموالاً كثيرة من بيت المال ، وسمّاها المدرسة الخضراء ، وكذلك فعل بكنيسة اليهود بدمشق ، دخلها ونهب ما فيها من الآلات والأمتعة ، ومدَّ فيها سماطاً ، [وعمل فيها سماعاً] واتخذها مسجداً مدة ثم سعوا إليه في ردها إليهم [وإبقائها عليهم][١١] ، ثم اتفق في هذه السنة أنه وقعت منه أشياء أنكرت عليه وحوقق عليها عند السلطان الملك الظاهر فظهر له

(١) ب : وكان بيته معروف بالعلم .
(٢) أ ، ب : ودفن بمقابر الصوفية .
(٣) تقدمت ترجمة الفخر ابن تيمية في وفيات سنة ٦٢٢هـ من هذا الجزء .
(٤) أ ، ب : وكانت وفاته .
(٥) خانقاه القصر . قال ابن بدران : كانت مطلة على الميدان الأخضر المعروف الآن بالمرجة ، وهي ظاهر دمشق ، انمحت آثارها . أنشأتها شمس الملوك . قاله ابن شداد . الدارس (٢/ ١٦٧) ومنادمة الأطلال (٢٨٤) .
(٦) ترجمة ـ الشيخ خضر الكردي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٥ و٢٦٤ ـ ٢٦٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٠٩) في وفيات سنة ٦٧٦هـ والنجوم (٧/ ٢٧٧) والخطط للمقريزي (١/ ٤٣١) وطبقات الشعراني (٢/ ٢) والكواكب الدرية (٣/ ٢٠) وجامع كرامات الأولياء (٢/ ٣) .
(٧) أ : الشيخ خضر بن أبي بكر الكردي ، وفي ب : الشيخ خضر بن الكردي . وثمة صعوبة في قراءة هذه الورقة من ب .
(٨) أ : المال الكثير .
(٩) الكشف لله وحده .
(١٠) أ : بالقدس .
(١١) عن ط وحدها .

منه ما أوجب سجنه ، ثم أمر بإعدامه وهلاكه[١] وكانت وفاته في هذه السنة ، ودفن بزاويته سامحه الله ، وقد كان السلطان يُحبُّه محبةً عظيمةً حتى إنه سمَّى بعض أولاده خضراً موافقة لاسمه ، وإليه تنسب القبة التي على الجبل غربي الربوة التي يقال لها قبة الشيخ خضر .

مصنف[٢] **التعجيز العلامة تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس بن محمد بن سعد بن مالك أبو القاسم الموصلي** .

من بيت الفقه والرئاسة والتدريس ، ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ، وسمع واشتغل وحصَّل وصنَّف واختصر « الوجيز » في كتابه « التعجيز » واختصر « المحصول » ، وله طريقة في الخلاف أخذها عن ركن الدين الطاووسي[٣] ، وكان جدّه عماد الدين بن يونس[٤] شيخ المذهب في وقته كما تقدم .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وستمئة

في صفر منها قدم الظاهر إلى دمشق وقد بلغه أن أبغا وصل بغداد فتصيَّد بتلك الناحية ، فأرسل إلى العساكر المصرية أن يتأهبوا للحضور ، واستعد السلطان لذلك .

وفي جمادى الآخرة أحضر ملك الكرج لبين يديه بدمشق ، وكان قد جاء متنكراً لزيارة بيت المقدس فظهر عليه فحمل إلى بين يديه فسجنه بالقلعة .

وفيها : كمل بناء جامع دير الطين ظاهر القاهرة ، وصلي فيه الجمعة .

وفيها : سار السلطان إلى القاهرة فدخلها في سابع رجب .

وفي أواخر رمضان دخل الملك السعيد ابن الظاهر إلى دمشق في طائفة من الجيش ، فأقام بها شهراً ثم عاد .

وفي يوم عيد الفطر ختن السلطان ولده خضراً الذي سمّاه باسم شيخه ، وخَتَنَ معه جماعةً من أولاد الأمراء ، وكان وقتاً هائلاً .

وفيها : فوض ملك التتار إلى علاء الدين صاحب الديوان ببغداد النظر في تستر وأعمالها ، فسار إليها

---

(١) ط : وهلاكه ، وما هنا عن أ ، وليست اللفظة في ب .

(٢) ترجمة ـ تاج الدين الموصلي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ١٤ ـ ١٦) الإشارة (٣٦٥) والوافي (١٨/ ٣٩١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٤٠) وكشف الظنون (١/ ٤١٧) والشذرات (٧/ ٥٨٩) .

(٣) العراقي بن محمد بن العراقي ركن الدين المعروف بالطاووسي . تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٠٠هـ في الجزء السابق لهذا الجزء .

(٤) تقدمت ترجمة عماد الدين محمد بن يونس في وفيات سنة ٦٠٨هـ من هذا الجزء .

ليتصفح أحوالها فوجد بها شاباً من أولاد التجار يقال له « لي » قد قرأ القرآن وشيئاً من الفقه والإشارات لابن سينا ، ونظر في النجوم ، ثم ادّعى أنه عيسى ابن مريم ، وصدقه على ذلك جماعة من جهلة تلك الناحية ، وقد أسقط لهم من الفرائض صلاةَ العصر وعشاء الآخرة ، فاستحضره وسأله عن ذلك فرآه ذكياً ، إنما يفعل ذلك عن قصد ، فأمر به فقتل بين يديه جزاه الله خيراً ، وأمر العوام فنهبوا أمتعة أتباعه وأمتعة العوام ممن كان اتبعه(١) .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

مؤيَّد الدين أبو المعالي الصدر الرئيس(٢) أسعد بن غالب المُظَفَّري ابن الوزير مُؤَيَّد الدين أسعد بن حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي بن القَلاَنِسي ، جاوز التسعين وكان رئيساً كبيراً واسعَ النعمة ، لا يغفل أن يباشر شيئاً من الوظائف وقد ألزموه بعد ابن سويد(٣) بمباشرة مصالح السلطان فباشرها بلا جامكية ، وكانت وفاته ببستانه ، ودفن بسفح قاسيون يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم .

[وهو] والد الصدر عز الدين حمزة رئيس البلدين دمشق والقاهرة .

وجدُّهم مؤيد الدين(٤) أسعد بن حمزة الكبير كانَ وزيراً للملك الأفضل علي بن الناصر فاتح القدس ، كان رئيساً فاضلاً له كتاب « الوصية في الأخلاق المرضية »(٥) وغير ذلك ، وكانت له يد جيدة في النظم ، فمن ذلك قوله(٦) : [من البسيط]

يا ربُّ جُدْ لي إذا ما ضمَّني جَدَثي ... بـرحمـةٍ منـكَ تُنْجينـي مـن النـار
أحسنْ جواري إذا أمسيتُ(٧) جارَكَ في ... لحـدي فـإنـكَ قـد أوصيـتَ بـالجـارِ

وأما والد حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي فهو العميد ، وكان يكتب جيداً وصنف تاريخاً فيما بعد سنة أربعين وأربعمئة إلى سنة وفاته في خمس و[خمسين] وخمسمئة .

---

(١) أ : فأمر به فقتل بين يديه وأمر العوام فنهبوا أتباعه .

(٢) ترجمة ـ ابن القلانسي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ١٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣٧) وفي العبر (٥/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) والإشارة (٣٦٥) والوافي (٩/ ٧١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٤١ و٢٤٤) وفي شذرات الذهب (٧/ ٥٨٦) واسمه في هذه المصادر : أسعد بن المظفر بن حمزة بن علي ، وغالب هو المظفر .

(٣) تقدمت ترجمة ابن سويد في وفيات سنة ٦٧٠ من هذا الجزء واسمه : محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي وجيه الدين .

(٤) في ذيل المرآة (٣/ ٣٧) أنه توفي سنة ثمان وتسعين وخمسمئة .

(٥) في أ : الوصية في الأخلاق الرضية . وفي ذيل المرآة : الوضية في الأخلاق المرضية .

(٦) البيتان في ذيل المرآة (٣/ ٣٧) .

(٧) ذيل المرآة : إذا أصبحت .

الأمير الكبير فارس[١] الدين أقطاي[٢] المُسْتَعْرِب أتابك الديار المصرية .

كان أولاً مملوكاً لابن يمن[٣] ، ثم صار مملوكاً للصالح أيوب فأمره ، ثم عظم شأنه في دولة المظفر وصار أتابك العساكر ، فلما قتل امتدت أطماع الأمراء إلى المملكة فبايع أقطاي الملك الظاهر فتبعه الجيش على ذلك ، وكان الظاهر يعرفها له ولا ينساها ، ثم قبل وفاته بقليل انهضم عند الظاهر ، ومات في هذه السنة بالقاهرة .

الشيخ عبد الله بن غانم[٤] بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسي .

له زاوية بنابلس ، وله أشعار رائقة ، وكلام قوي في علم التصوف ، وقد طوّل اليونيني ترجمته وأورد من أشعاره شيئاً كثيراً[٥] .

قاضي القضاة كمال الدين[٦] أبو الفتح عمر بن بُنْدار[٧] بن عمر بن علي التفليسي الشافعي .

ولد بتفليس[٨] سنة إحدى وستمئة ، وكان فاضلاً أصولياً مناظراً ، ولي نيابة الحكم مدة ثم استقلّ بالقضاء في دولة هلاوون ـ هولاكو ـ وكان عفيفاً نزهاً لم يرد منصباً ولا تدريساً مع كثرة عياله وقلّة ماله ، ولما انقضت أيامهم تَغَضَّبَ عليه بعضُ الناس ثم أُلزم بالمسير إلى القاهرة ، فأقام بها يُفيد الناس إلى أن توفي في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بالقرافة الصغرى .

إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر[٩] بن عبد الله التَّنوخي ، وتَنوخُ من قُضاعة .

---

(١) ترجمة ـ أقطاي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٥٤ ـ ٤٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣٦) والعبر (٥/ ٢٩٧) والإشارة (٣٦٦) والوافي بالوفيات (٩/ ٣١٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٤٢) وشذرات الذهب (٧/ ٥٨٦) .

(٢) أ : الأمير فارس عبد الله أقطاي المستعرب أتابك العساكر المصرية ، وفي ط : المستعربي .

(٣) في ذيل المرآة (٣/ ٤٧ ـ ٤٨) : نجم الدين محمد بن يمن .

(٤) ترجمة ـ عبد الله بن غانم ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٥١ ـ ٦٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٤١) .

(٥) أورد له في ترجمته نماذج من ثلاث مقطعات من شعره في (٣/ ٥٢ ـ ٥٦) .

(٦) ترجمة ـ كمال الدين التفليسي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٦٤ ـ ٦٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٤٦) والعبر (٥/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) والإشارة (٣٦٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٤٤) وطبقات الإسنوي (١/ ٣١٧) والدارس (١/ ٣٦٣) وشذرات الذهب (٧/ ٥٨٩) .

(٧) بندار ـ بباء موحدة مضمومة بعدها نون ساكنة . طبقات الإسنوي (١/ ٣١٧) .

(٨) تفليس : بفتح أوله ويكسر بلد بأرمينية . افتتحها المسلمون في زمن عثمان بن عفان صلحاً . معجم البلدان (٢/ ٣٥ ـ ٣٧) قلت : وهي اليوم عاصمة جمهورية جورجيا ويسمونها تبليسي .

(٩) ترجمة ـ التنوخي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٣٨ ـ ٤٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٣٨) والإعلام (٢٨٠) والعبر (٥/ ٢٩٩) والنجوم (٧/ ٢٤٤) والإشارة (٣٦٥) والوافي (٩/ ٧١) وشذرات الذهب (٧/ ٥٩٠) .

كان صدراً كبيراً ، وكتب الإنشاء للناصر داود بن المعظم ، وتولّى نظرَ المارستان النُّوري[١] وغيره ، وكان مشكورَ السيرة ، وقد أثنى عليه غيرُ واحدٍ ، وقد جاوز الثمانين ، ومن شعره قوله[٢] : [من المنسرح]

خـابَ رجـاءُ امـرىءٍ لـه أمـلٌ ... بغيـرِ ربِّ السَّمـاءِ قـدْ وَصَلَـهُ
أيَبْتَغِـي غَيْـرَهُ أخـو ثقـةٍ ... وهـو ببطـنِ الأحشاءِ قـد كَفلـه

وله أيضاً[٣] : [من الكامل]

خرِسَ اللسانُ وكَلَّ عَنْ أوصافِكُمْ ... مـاذا يقـولُ[٤] وأنتـمُ مـا أنتـمُ
الأمـرُ أعظـمُ مـن مقـالـةِ قـائـلٍ ... قـد تـاهَ عقـلٌ أن[٥] يعبِّـر عنكـمُ
العَجـزُ والتَّقْصيـرُ وَصْفـي دائمـاً ... والبِـرُّوالإحسـانُ يُعْـرَفُ منكُـمُ

ابن مالك[٦] صاحب الألفية الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطَّائي الجيَّاني[٧] النحوي .

صاحب التصانيف المشهورة المُفيدة ، منها « الكافية الشافية » وشرحها ، و« التسهيل » وشرحه ، و« الألفية » التي شرحها ولده بدر الدين شرحاً مفيداً . ولد بجَيّان[٨] سنة ستمئة وأقام بحلب مدة ، ثم

---

(١) لم يزل المارستان النوري قائماً إلى وقتنا الحاضر بين العصرونية والصاغة وقد أقيم فيه مؤخراً متحف العلوم عند العرب .

(٢) البيتان ثلاثة في ذيل المرآة (٣/ ٣٩) .

(٣) ثلاثة الأبيات في ذيل المرآة (٣/ ٤٥) .

(٤) في ذيل المرآة : ماذا أقول .

(٥) في ذيل المرآة : قد تاه فيكم أن .

(٦) في هامش أ : الترجمة التالية التي لم ترد في باقي النسخ ، ولا في حوليات هذه السنة . وهي : الشيخ صدر الدين القنوي . وله تصانيف عديدة من جملتها « مفتاح الغيب » و« شرح الأسماء » و« شرح سورة الفاتحة » . وكان عالماً عظيم الشأن . وكان من أبناء الملوك ، ورباه الشيخ محيي الدين ابن العربي ، ودفن في قونية رحمه الله رحمة واسعة .
قلت : واسمه : محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي صدر الدين . ووفاته في هذه السنة أي ٦٧٢ وله ترجمة في تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٤٠ و٢٦٦) والأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٤) ومعجم المؤلفين (٩/ ٤٣) .

(٧) ترجمة ـ ابن مالك ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٧٦ ـ ٧٩) ومختصر أبي الفداء (٤/ ٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٤٩) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٠) والعبر (٥/ ٣٠٠) والإشارة (٣٦٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٤٤) والوافي بالوفيات (٣/ ٣٥٩) وبغية الوعاة (١/ ١٣٠ ـ ١٧٧) وشذرات الذهب (٧/ ٥٩٠) .

(٨) في ط : الحياني . . ولد بحيّان بالحاء المهملة في اللفظتين ؛ وهو تحريف . قال ياقوت : جَيّان بالفتح ثم =

بدمشق . وكان كثيرَ الاجتماع بابن خلكان[١] وأثنى عليه غير واحد ، وروى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة[٢] ، وأجاز لشيخنا علم الدين البرزالي[٣] . توفي ابن مالك بدمشق ليلة الأربعاء ثاني عشر رمضان ، ودفن بتربة[٤] القاضي عز الدين بن الصائغ[٥] بقاسيون .

النَّصير الطُّوسي[٦] محمد بن عبد الله الطُّوسي[٧] ، كان يُقال له المَوْلى نصير الدين ، ويقال الخواجا نصير الدين ، اشتغل في شبيبته وحصَّلَ علم الأوائل جيداً ، وصنَّف في ذلك في علم الكلام ، وشرح « الإشارات لابن سينا » ، ووزر لأصحاب قلاع الألموت من الإسماعيلية ، ثم وزر لهولاكو ، وكان معه في واقعة بغداد ، ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولاكوخان بقتل الخليفة فالله أعلم ، وعندي أن هذا لا يصدر من عاقل ولا فاضل[٨] . وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه ، وقال : كان عاقلاً فاضلاً كريم الأخلاق ودفن في مشهد موسى بن جعفر في سرداب كان قد أُعِدَّ للخليفة الناصر لدين الله ، وهو الذي كان بَنَى الرصد بمراغة ، ورتَّب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء ، وبنى له فيه قبة عظيمة ، وجعل فيه كتباً كثيرة جداً ، توفي في بغداد[٩] في ثاني عشر ذي الحجة من هذه السنة ، وله خمس وسبعون سنة ، وله شعرٌ جيدٌ قويٌّ وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدران[١٠] بن علي المصري المعتزلي المتشيّع ، فنزع فيه عروق كثيرة منه ، حتى أفسد[١١] اعتقاده .

= التشديد ، وآخره نون : مدينة لها كورة واسعة بالأندلس . معجم البلدان (٢/ ١٩٥) .

(١) سترد ترجمة ابن خلكان في وفيات سنة ٦٨١ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٢) بدر الدين بن جماعة هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله . سترد ترجمته في وفيات سنة ٧٣٣ من الجزء التالي إن شاء الله .

(٣) علَم الدين البرزالي هو القاسم بن محمد البرزالي . سترد ترجمته إن شاء الله في وفيات سنة ٧٣٩ من الجزء التالي من هذا الكتاب .

(٤) تاريخ الصالحية (٢٤٠) .

(٥) سترد ترجمة عز الدين بن الصائغ في وفيات سنة ٦٨٣ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٦) ترجمة ـ النصير الطوسي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٧٩ ـ ٨١) وتاريخ أبي الفداء (٤/ ٨) والعبر (٥/ ٣٠٠) والإشارة (٣٦٦) والوافي بالوفيات (٣/ ١٧٩) وشذرات الذهب (٥٩١ ـ ٥٩٢) .

(٧) هكذا في الأصول ، ولا يصح إلا أن يكون : محمد أبو عبد الله ، فاسمه هو محمد بن محمد بن حسن ، وكنيته أبو عبد الله ، كما في تاريخ الإسلام الذي ينقل عن تاريخ الظهير الكازروني المتوفى سنة ٦٩٧ وغيره (بشار) .

(٨) أ : من فاضل ولا عاقل .

(٩) أ : ببغداد .

(١٠) أ ، ط : بدار . وما هنا عن ب ، ومعجم المؤلفين (٤/ ٢٠٢) .

(١١) أ : حتى فسد .

الشيخ سالم البرقي [البدوي] صاحب الرباط بالقرافة الصغرى ، كان صالحاً متعبداً يُقْصَد للزيارة والتبرك بدعائه ، وله اليوم أصحابٌ معروفون على طريقته[١] .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمئة

فيها : اطلع السلطان على ثلاثة عشر أميراً [من المصريين] ، منهم قجقار[٢] الحموي ، وقد كانوا[٣] كاتبوا التتر يدعونهم إلى بلاد المسلمين ، وأنهم معهم على السلطان ، فأخذوا فأقروا بذلك ، وجاءت كتبهم مع البريدية وكان[٤] آخر العهد بهم . وفيها أقبل السلطان بالعساكر فدخل بلاد سيس[٥] يوم الإثنين الحادي والعشرين من رمضان ، فقتلوا خلقاً لا يعلمهم إلا الله وغنموا شيئاً كثيراً من الأبقار والأغنام والأثقال والدواب والأنعام ، فبيع[٦] ذلك بأرخص ثمن ، ثم عاد فدخل دمشق مؤيداً منصوراً في شهر ذي الحجة فأقام بها حتى دخلت[٧] السنة .

وفيها : ثار على أهل الموصل رملٌ حتى عمَّ الأفق وخرجوا من دورهم يبتهلون إلى الله حتى كشف ذلك عنهم ، والله تعالى أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان :

ابن عطاء الحنفي[٨] قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عطاء بن حسن بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهيب الأذرعي الحنفي ، ولد سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، سمع الحديث وتفقه على مذهب أبي حنيفة ، وناب في الحكم عن الشافعي مدةً ، ثم استقل بقضاء الحنفية أول ما ولي القضاة[٩] من المذاهب الأربعة ، ولما وقعت الحوطة على أملاك الناس أراد

---

(١) ط : على طريقة .
(٢) ذيل المرآة (٩/ ٨٧) .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) أ ، ب : فكان .
(٥) بعدها في أ ، ب : من ناحية الدربندات فملكها وملك إياس والمصيصة وأذنة وكان دخوله سيس .
(٦) أ ، ب : فأبيع .
(٧) أ : حتى انقضت السنة ، وفي ب : حتى مضت .
(٨) ترجمة ـ ابن عطاء الحنفي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٩٥ ـ ٩٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨١) والعبر (٥/ ٣٠١) والإشارة (٣٦٦) والوافي بالوفيات (١٨/ ٥٨٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) ومرآة الجنان (٤/ ١٧٣) والجواهر المضية (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٩) والدارس (١/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣ و٥١٢) وتاريخ الصالحية (١٥١) وشذرات الذهب (٧/ ٥٩٢) .
(٩) أ ، ب : أول ما وليت القضاة .

السلطان منه أن يحكم بها بمقتضى مذهبه ، فغضب من ذلك فقال : هذه أملاك بيد أصحابها[١] وما يحلُّ لمسلم أن يتعرَّض لها ، ثم نهض من المجلس فذهب ، فغضب السلطان من ذلك غضباً شديداً ، ثم سكن غضبه فكان يُثْني عليه بعد ذلك ويمدحه ، ويقول : لا تثبتوا كتبنا إلا عنده . كان ابن عطاء من العلماء الأخيار كثير التواضع قليل الرغبة في الدنيا ، روى عنه ابن جماعة[٢] وأجاز للبرزالي[٣] . توفي يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى ، ودفن بالقرب من المعظمية[٤] بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

بيمند بن بيمند بن بيمند[٥] أبرنس طرابلس الفرنجي .

كان جدُّه نائباً لبنت صنجيل[٦] الذي تملَّك طرابلس من ابن عمار في حدود الخمسمئة ، وكانت يتيمة تسكن بعض جزائر البحر ، فتغلَّب هذا على البلد لبعدها عنه ، ثم استقل بها ولده ثم حفيده هذا ، وكان شكلاً مليحاً[٧] .

قال قطب الدين اليونيني[٨] : رأيتُه في بعلبك في سنة ثمانٍ وخمسين وستمئة حين جاء مُسَلِّماً على كتبغانوين ، ورام أن يطلب منه بعلبك ، فشق ذلك على المسلمين . ولما توفي دفن في كنيسة[٩] طرابلس ، ولما فتحها المسلمون في سنة ثمان وثمانين وستمئة نبش الناس قبرَه وأخرجوه منه وألقوا عظامه على المزابل للكلاب .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمئة

لما كان يوم الخميس ثامن جمادى الأولى نزل التتار على البيرة في ثلاثين ألف مقاتل ، خمسة عشر[١٠] ألفاً من المغول ، وخمسة عشر ألفاً من الروم ، والمقدم على الجميع البَرْواناه[١١] بأمر أبغا ملك

---

(١) أ ، ب : بأيدي أربابها .
(٢) بدر الدين بن جماعة محمد بن إبراهيم بن سعد الله . سترد ترجمته في وفيات سنة ٧٣٣ من الجزء التالي إن شاء الله .
(٣) علم الدين البرزالي القاسم بن محمد . سترد ترجمته في وفيات سنة ٧٣٣ من الجزء التالي إن شاء الله تعالى .
(٤) تاريخ الصالحية (١٥١) الدارس (١/ ٥٧٩) .
(٥) ترجمة ـ بيمند ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٩٢ ـ ٩٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٦٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٤٦) .
(٦) ب : صيحك ، وما هنا من ذيل المرآة (٣/ ٩٣) وهو الصواب .
(٧) في ذيل المرآة : كان حسن الشكل مليح الصورة .
(٨) ذيل المرآة (٣/ ٩٢) بتصرف .
(٩) أ ، ب : بكنيسة .
(١٠) أ ، ب : خمسة آلاف من المغول .
(١١) البرواناه : الحاجب بالفارسية . وأطلقه السلاجقة على الوزير الأكبر وهو معين الدين سليمان بن علي بن محمد بن حسن الصاحب . سترد أخبار قتله في حوادث سنة ٦٧٦ من هذا الجزء .

التتار ومعهم جيش الموصل وجيش ماردين والأكراد ، ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً ، فخرج أهل البيرة في الليل[١] فكبسوا عسكرَ التتار وأحرقوا المنجنيقات ونهبوا شيئاً كثيراً ، ورجعوا إلى بيوتهم سالمين ، فأقام عليها الجيشُ مدةً إلى تاسع عشر الشهر المذكور ، ثم رجعوا عنها بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . ولما بلغ السلطان نزول التتار على البيرة أنفق في الجيش ستمئة ألف دينار ، ثم ركب سريعاً وفي صحبته ولده السعيد ، فلما كان في أثناء الطريق بلغه رحيل التتار[٢] عنها فعاد إلى دمشق ، ثم ركب في رجب إلى القاهرة فدخلها في ثامن عشر فوجد بها خمسة وعشرين رسولاً من جهة ملوك الأرض ينتظرونه فتلقوه وحدثوه وقبّلوا الأرض بين يديه ودخل القلعة في أُبّهة عظيمة . ولما عاد البَرْواناه إلى بلاد الروم حلف الأمراء الكبار منهم شرف الدين مسعود وضياء الدين محمود ابنا الخطير[٣] ، وأمين الدين ميكائيل ، وحسام الدين بيجار[٤] ، وولده بهاء الدين[٥] ، على أن يكونوا من جهة السلطان الملك الظاهر وينابذوا أبغا ، فحلفوا له على ذلك ، وكتب إلى الظاهر بذلك ، وأن يرسل إليه جيشاً ويحمل له ما كان يحمله إلى التتار ، ويكون غياث الدين كنجري[٦] على ما هو عليه ، يجلس على تخت الروم .

وفي هذه السنة استسقى أهل دمشق ثلاثة أيام فلم يسقوا .

وفيها : في رمضان منها وجد رجل وامرأة في نهار رمضان على فاحشة الزنا ، فأمر علاء الدين صاحب الديوان برجمهما فرجما ، ولم يُرْجَم بدمشق قبْلهما قطُّ أحدٌ منذ بنيت . وهذا غريب جداً .

وفيها : استسقى أهل دمشق أيضاً مرتين . في أواخر رجب وأوائل شعبان ـ وكان ذلك في آخر كانون الثاني ـ فلم يسقوا أيضاً .

وفيها : أرسل السلطان جيشاً إلى دنقلة فكسر جيش السودان وقتلوا منهم خلقاً وأسروا شيئاً كثيراً من السودان بحيث بيع[٧] الرقيق الرأس منها بثلاثة دراهم ، وهرب ملكهم داوداه[٨] إلى صاحب النوبة فأرسله

---

(١) أ : بالليل فكسروا ، ب : بالليل فكبسوا .

(٢) أ : التتر .

(٣) ط : الخطيري ، وما هنا عن الأصلين والخبر في ذيل المرآة (٣/ ١١٦) والنجوم (٧/ ١٦٩) .

(٤) أ ، ب : منجار ، وفي ط : ميجار . وسيرد الاسم صحيحاً في حوادث سنة ٦٧٥ . وقد ترجم له قطب الدين اليونيني في ذيل المرآة في وفيات سنة ٦٨١ واسمه الكامل : بيجار بن بختيار الأمير حسام الدين اللاوي الرومي .

(٥) هو بهادر بن بيجار بن بختيار الأمير بهاء الدين . توفي بغزة سنة ٦٨٠ في حياة أبيه . ترجمته في ذيل مرآة الزمان (٣/ ١٠٧) .

(٦) ب : كيجري ، وفي أ : كنجرو .

(٧) أ ، ب : أبيع .

(٨) ط : داوداه . والخبر في ذيل المرآة .

إلى الملك الظاهر محتاطاً عليه ، وقرر الملك الظاهر على أهل دنقلة [جزية] تحمل إليه في كل سنة . كل ذلك في شعبان من هذه السنة .

وفيها : عُقِدَ عَقْدُ الملكِ السعيد بن الظاهر على بنتِ الأمير سيف الدين قلاوون الألفي ، في الإيوان بحضرة السلطان والدولة على صَداق خمسةِ آلاف دينار ، يُعَجَّلُ[١] منها ألفا دينار ، وكان الذي كتبه وقرأه محيي الدين بن عبد الظاهر[٢] ، فأُعطي مئة دينار ، وخُلع عليه .

ثم ركب السلطان مسرعاً فوصل إلى حصن الكرك فجمع القيمرية[٣] الذين به فإذا هم ستمئة نفر ، فأمر بشنقهم فشُفع فيهم عنده فأطلقهم وأجلاهم منه إلى مصر ، وكان قد بلغه عنهم أنهم يريدون قتل مَنْ فيه ويقيموا ملكاً عليهم ، وسلم الحصن إلى الطواشي شمس الدين رضوان السهيلي ، ثم عاد في بقية الشهر إلى دمشق فدخلها يوم الجمعة ثامن عشر الشهر .

وفيها : كانت زلزلة بخلاط واتصلت ببلاد ديار بكر .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الإمام العلامة[٤] الأديب تاج الدين أبو الثَّناء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد بن علي التَّميمي الصَّرْخَدي الحنفي .

كان مشهوراً بالفقه والأدب ، والعفّة والصلاح ، ونزاهة النفس ومكارم الأخلاق . ولد سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمئة ، وسمع الحديث وروى ، ودُفن بمقابر الصوفية في ربيع الآخر منها ، وله ست وتسعون سنة رحمه الله .

الشيخ الإمام عماد الدين[٥] عبد العزيز بن محمد بن عبد القادر بن عبد الله بن خليل بن مُقَلِّد الأنصاري الدمشقي ، المعروف بابن الصائغ ، كان مدرساً بالعذراوية وشاهداً بالخزانة بالقلعة يعرف الحساب جيداً ، وله سماع ورواية ، ودُفن بقاسيون .

ابن الساعي[٦] المؤرخ تاج الدين بن المُحْتَسِب المعروف بابن السَّاعي البغدادي .

---

(١) ط : تعجل . وذيل المرآة (٣/ ١١٩) : المعجل .

(٢) سترد ترجمة محيي الدين بن عبد الظاهر في وفيات سنة ٦٩٢ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٣) في ذيل المرآة (٣/ ١٢٢) الخرخية والجندارية والخراسانية والأسبا سلارية .

(٤) ترجمة ـ محمود بن عابد ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ١٥٤ ـ ١٦١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٨٢) والعبر (٣٢٠) والإشارة (٣٦٧) والنجوم الزاهرة (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) وشذرات الذهب (٧/ ٦٠٠) .

(٥) ترجمة ـ عماد الدين بن الصائغ ـ في الدارس (١/ ٢٧٦ و٣٧٦) .

(٦) ترجمة ـ ابن الساعي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ١٤٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٧٨) وتذكرة الحفاظ (٤/ ٢٥٠) وطبقات الإسنوي (٢/ ٧٠ ـ ٧١) وشذرات الذهب (٧/ ٥٩٩ ـ ٦٠٠) ومعجم المؤلفين (٧/ ٤١ ـ ٤٢) واسمه في=

ولد سنة ثلاث وتسعين وسمع الحديث واعتنى بالتاريخ ، وجمع وصنّف ، ولم يكن بالحافظ ولا الضابط المتقن . وقد أوصى إليه ابن النّجّار[١] حين توفي ، وله « تاريخ كبير » عندي أكثره[٢] ، ومصنفات أُخر[٣] مفيدة ، وآخر ما صنف كتابٌ في الزهاد[٤] ، كتب في حاشيته زكي الدين عبد الله بن حبيب الكاتب : [من السريع]

ما زالَ تاجُ الدينِ طولَ المدى ... من عمرِهِ يعتقُ في السَّيْرِ
في طلبِ العلمِ وتدوينهِ ... وفعله نفعٌ بلا ضَيْرِ
علا عَلِيٌّ بتصانيفهِ ... وهذه خاتمةُ الخَيْرِ

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستمئة

في ثالث عشر المحرم منها دخل السلطان إلى دمشق وسبق العساكر إلى بلاد حلب ، فلما توافت إليه أرسل بين يدي بدر الدين الأتابكي[٥] بألف فارس إلى البلستين[٦] ، فصادف بها جماعة من عسكر الروم فركبوا إليه وحملوا إليه الإقامات ، وطلب جماعة منهم أن يدخلوا بلاد الإسلام فأذن لهم ، فدخل طائفة منهم بيجار[٧] وابن الخطير ، فرسم لهم أن يدخلوا القاهرة فتلقاهم الملك السعيد ، ثم عاد السلطان من حلب إلى القاهرة فدخلها في ثاني عشر ربيع الآخر .

وفي خامس[٨] جمادى الأولى عمل السلطان عرس ولده الملك السعيد على بنت قلاوون ، واحتفل السلطان به احتفالاً عظيماً ، وركب الجيش في الميدان خمسة أيام يلعبون ويتطاردون ، ويحمل بعضهم

= هذه المصادر : علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله بن عبيد الله بن عبد الرحيم البغدادي الخازن الشافعي المعروف بابن الساعي أبو طالب تاج الدين .

(١) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٢٣ من هذا المجلد .

(٢) وقد شحن كتابه هذا من النقل عنه مع أنه قال فيه ما قال . قد أثنى عليه الظهير الكازروني ، كما نقل الذهبي في تاريخ الإسلام (بشار) .

(٣) اسمه : « الجامع المختصر » نشر منه الجزء التاسع في بغداد ١٩٣٤ م بتحقيق الدكتور مصطفى فؤاد .

(٤) وقفت على نسخة منه مخرومة الأول في دار الكتب المصرية ، ونشرت عنه بحثاً في مجلة المورد العراقية « العثور على أثر مفقود لمؤرخ العراق ابن الساعي » (السنة الثالثة) العدد الثالث ، بغداد ١٩٧٤ (بشار) .

(٥) في ذيل المرآة (٣/ ١٦٥ و١٦٦) أن اسمه : بكتوت الأتاكلي بدر الدين .

(٦) أبلستين : بالفتح ، ثم الضم ، ولام مضمومة أيضاً ، والسين المهملة ساكنة ، وتاء فوقها نقطتان مفتوحة ، وياء ساكنة ونون وهي مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من أبْسَسَ مدينة أصحاب الكهف . معجم البلدان (١/ ٧٥) .

(٧) تقدم التعريف به .

(٨) أ : وخامس جمادى .

على بعض ، ثم خلع على الأمراء وأرباب المناصب ، وكان مبلغ ما خلع ألفاً وثلاثمئة خلعة بمصر ، وجاءت مراسيمه إلى الشام بالخلع على أهلها ، ومدّ السلطان سماطاً عظيماً حضره الخاص والعام ، والشارد والوارد ، وحبس فيه رسل التتار ورسل الفرنج وعليهم كلهم الخلع الهائلة ، وكان وقتاً مشهوداً ، وحمل صاحب حماة هدايا عظيمة وركب إلى مصر للتهنئة .

وفي حادي عشر شوال طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة ، وكان يوماً مشهوداً .

وقعة البلستين وفتح قيسارية

ركب السلطان من مصر في العساكر فدخل دمشق في سابع عشر شوال ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم سار حتى دخل حلب في مستهل ذي القعدة ، فأقام بها يوماً ورسم لنائب حلب أن يقيم بعسكر حلب على الفرات لحفظ المناثر ، وسار السلطان فقطع الدربند[١] في نصف يوم ، ووقع سنقر الأشقر في أثناء الطريق بثلاثة آلاف من المغول فهزمهم يوم الخميس تاسع ذي القعدة وصعد العسكر على الجبال فأشرفوا على وطأة البلستين فرأوا التتار قد رتَّبوا عسكرهم وكانوا أحدَ عشرَ ألف مقاتلٍ ، وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفاً من مخامرتهم ، فلما تراءى الجمعان حملت ميسرة التتار فصدمت سناجق السلطان ، ودخلت طائفة منهم بينهم فشقوها ، وساقت إلى الميمنة ، فلما رأى السلطان ذلك أردف المسلمين بنفسه ومن معه ، ثم لاحت منه التفاتة فرأى الميسرة قد كادت أن تتحطم فأمر جماعة من الأمراء بإردافها ، ثم حمل بالعسكر[٢] جميعه حملةً واحدةً على التتار فترجلوا إلى الأرض عن آخرهم ، وقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً ، وصبر المسلمون صبراً عظيماً ، فأنزل الله نصره على المسلمين ، فأحاطت بالتتار العساكر من كل جانب ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وقتل من المسلمين أيضاً جماعة ، وكان في جملة من قتل من سادات المسلمين الأمير الكبير ضياء الدين ابن الخطير ، وسيف الدين قيران العلائي[٣] ، وسيف الدين قَفْجاق[٤] الجاشْنكير ، وعز الدين أيْبَك الشَّقيفي[٥] ، وأسر جماعة من أمراء المغول ، ومن أمراء الروم ، وهرب البَرْواناه[٦] فنجا بنفسه ، ودخل قيسارية في بكرة الأحد ثاني عشر ذي القعدة ، وأعلم أمراء ملكهم بكسرة التتار[٧] على البلستين ، وأشار عليهم بالهزيمة فانهزموا منها وأخلوها ، فدخلها الملك الظاهر وصلَّى بها الجمعة سابعَ

---

(١) في صبح الأعشى (١٤/ ١٤٤) : أقجا دربند : قرية على فم الطريق الجبلي بين نهر كرصو وأبُلُسْتَيْن .

(٢) ط : العسكر .

(٣) أ وط : قيماز ؛ وهو تحريف ، وترجمته في النجوم (٧/ ١٦٩) .

(٤) أ : تنجو ، وفي ب : قفجق . وما هنا عن النجوم .

(٥) ط : والأصلان : الثقفي . وما هنا عن النجوم .

(٦) ط : الرواناه ؛ تحريف . وتقدم الكلام عليها .

(٧) أ ، ب : التتر .

ذي القعدة ، وخطب له بها ، ثم كرّ راجعاً مؤيداً منصوراً . وسارت البشائر إلى البلدان ففرح المؤمنون يومئذ بنصر الله . ولما بلغ خبر هذه الوقعة أبغا جاء حتى وقف بنفسه وجيشه ، وشاهد مكان المعركة ومَنْ فيها من قَتْلى المغول ، فغاظه ذلك وأعظمه وحنق على البَرْواناه إذ لم يعلمه بجلية الحال ، وكان يظن أمر الملك الظاهر دون هذا كله ، واشتدّ غضبه على أهل قيسارية[١] وأهل تلك الناحية ، فقتل منهم قريباً من مئتي ألف ، وقيل قتل منهم خمسمئة ألف من قيسارية وأرزن[٢] الروم ، وكان في جملة من قتل القاضي جلال الدين حبيب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ أبو الفضل [عيسى] بن الشيخ عبيد[٣] بن عبد الخالق الدمشقي ودُفن بالقرب من الشيخ أرسلان.

قال الشيخ علم الدين : وكان يذكر أن مولده كان سنة أربع وستين وخمسمئة .

الطواشي يمن الحبشي[٤] شيخ الخدم[٥] بالحرم الشريف [النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام].

كان ديِّناً عاقلاً عدلاً صادق اللهجة ، مات في عشر السبعين رحمه الله .

الشيخ المُحَدِّث شمس الدين أبو العباس أحمد[٦] بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الموصلي ، ثم الدمشقي الصوفي .

سمع الكثير وكتب الكتبَ الكبارَ بخطٍّ رفيعٍ جيِّد واضحٍ ، جاوز السبعين ودُفن بباب الفراديس .

الشاعر شهاب الدين أبو المكارم[٧] محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله الشَّيْباني التَّلَّعْفَري[٨] ، صاحب ديوان الشعر .

---

(١) قيسارية : مدينة كبيرة عظيمة من بلاد الروم ، وهي كرسي ملك بني سلجوق ملوك الروم ، وفي شرقها مدينة سيواس وبينها وبين أقصر أربعة مراحل . معجم البلدان (٤/ ٤٢١) وتقويم البلدان (٣٨٢) .

(٢) أرزن الروم بلدة من بلاد أرمينية أهلها أرمن . معجم البلدان (١/ ١٥٠) .

(٣) أ : عبيد الله . قال بشار : وترجمته في تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٩٣) .

(٤) ترجمة ـ الطواشي يمن الحبشي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٣١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٠٢) والدليل الشافي (٢/ ٧٩٦) .

(٥) أ ، ب : الحذام .

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٨٧) (بشار) .

(٧) ترجمة ـ التلعفري ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٢١٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٩٩) والإشارة (٣٦٧) والعبر (٥/ ٣٠٦) والوافي (٥/ ٣٥٥) وفوات الوفيات (٤/ ٦٢ ـ ٦٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧ و٢٥٨) والدليل الشافي (٢/ ٣١٤) وشذرات الذهب (٧/ ٦٠٩) .

(٨) التَّلَّعْفَري : بفتح أوله ، واللام المشدّدة والفاء ، وسكون المهملة وراء نسبة إلى التل الأعفر ؛ موضع بنواحي الموصل الشذرات (٧/ ٦٠٩) .

جاوز الثمانين ، مات[١] بحماة ، وكان الشعراء (مُقِرِّين له) معترفين بفضله وتقدمه في هذا الفن . ومن شعره (قوله) : [من الطويل]

لساني طريٌّ منكِ يا غايةَ المُنَى ومِـن وَلَهـي أنّـي خَطيـبٌ وشـاعـرُ
فهـذا لمعنـى حُسْنِ وَجْهكِ نـاظـمٌ وهذا لدمعي في تَجَنِّبكِ ناشرُ[٢]

القاضي شمس الدين[٣] علي بن محمود بن علي بن عاصم الشُّهْرَزُوري الدمشقي .

مدرس القَيْمَرية بشرط واقفها له ولذريته من بعده [التدريس من تأهل منهم ، فدرّس بها إلى أن توفي في هذه السنة ، ودَرَّس بعده ولده][٤] [صلاح الدين ، ثم ابن ابنه بعد ابن جماعة ، وطالت مدة حفيده . وقد ولي شمس الدين على نيابة ابن خلكان في الولاية الأولى ، وكان فقيهاً جيداً نقالاً للمذهب ، رحمه الله][٥] وقد سافر مع ابن العديم لبغداد فسمع بها ودفن بمقابر الصوفية بالقرب من ابن الصلاح .

الشيخ الصالح العالم الزاهد[٦] أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم ابن صخر[٧] الكناني الحموي .

له معرفة بالفقه والحديث ، ولد سنة ست وتسعين بحماة ، وتوفي بالقدس الشريف ودفن بماملاً ، وسمع من الفخر ابن عساكر[٨] ، وروى عنه ولده قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة[٩] .

الشيخ الصالح جندل[١٠] بن محمد المنيني .

كانت له عبادةٌ وزهادةٌ وأعمالٌ صالحةٌ ، وكان الناس يتردَّدون إلى زيارته [زاره الملك الظاهر مرات

---

(١) أ : توفي بحماة ، ب : وكانت وفاته بحماة .
(٢) أ : محبتك ناثر ، وفي ب : ناثر ؛ ولا يستقيم الوزن والمعنى بهما .
(٣) ترجمة ـ الشهرزوري ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ١٩٢ ـ ١٩٣) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٩٢) والإشارة (٣٦٧) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨١) والوافي بالوفيات (٢١/ ١٨٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٥٧) والدليل الشافي (١/ ٤٨٢) .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) عن ط وحدها .
(٦) ترجمة ـ ابن جماعة ـ في ذيل المرآة (٣/ ١٨٧ ـ ١٨٩) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٨٧) والوافي بالوفيات (٥/ ٣٥٣) وطبقات السبكي (٨/ ١١٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٥١) والدليل الشافي (١/ ١٢) .
(٧) ط : سنجر ؛ وهو تحريف .
(٨) تقدمت ترجمته سنة ٦٢٠هـ من هذا الجزء .
(٩) سترد ترجمة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة في حوادث سنة ٧٣٣هـ من الجزء التالي .
(١٠) ترجمة ـ الشيخ جندل ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ١٩٣ ـ ١٩٢) والدليل الشافي (١/ ٢٥١) وشذرات الذهب (٧/ ٦٠٥) .

وكذلك الأمراء][١] بمنين [قال الشيخ برهان الدين الفزاري : وقد زرته ، وصحبه والدي ، وكان أبي يجلس بين يديه][٢] ، وكان يتكلم بكلام كثيرٍ لا يفهمه أحد من الحاضرين ، بألفاظٍ غريبةٍ . وحكى عنه الشيخ تاج الدين أنه سمعه يقول : ما تَقَرَّبَ أحدٌ إلى الله بمثل الذلّ والتضرُّع إليه . وسمعه يقول : المُوَلَّهُ مَنْفي من طريق الله يعتقد أنه واصلٌ ولو علم أنه مَنْفي لرجع عما هو فيه ، لأن طريق القوم من أهل السلوك لا يثبت عليها إلا ذوو العقول الثابتة . وكان يقول : السماعُ وظيفةُ أهلِ البطالة . قال الشيخ تاج الدين : وكان الشيخ جندل من أهل الطريق وعلماء التحقيق . قال : وأخبرني في سنة إحدى وستين وستمئة أنه قد بلغ من العمر خمساً وتسعين سنة . قلت : فعلى هذا فيكون قد جاوز المئة ، لأنه توفي في رمضان من هذه السنة ، ودفن في زاويته المشهورة بقرية منين[٣] ، وتردد الناس لقبره يصلون عليه من دمشق وأعمالها أياماً كثيرة رحمه الله .

محمد بن عبد الرحمن[٤] بن محمد[٥] ، الحافظ بدر الدين أبو عبد الله بن الفُوَيره[٦] السلمي الحنفي .

اشتغل على الصدر سليمان وابن عطاء ، وفي النحو على ابن مالك ، وحَصَّل وبرع ونظمَ ونثر ، ودرَّس في الشبلية والقصاعين ، وطُلب لنيابة القضاء فامتنع ، وكتب الكتابة المنسوبة . رآه بعض أصحابه في المنام بعد وفاته فقال : ما فعل الله بك ؟ فأنشأ يقول : [من السريع]

ما كان لي من شافع عنده غيــر اعتقــادي أنَّــه واحــدُ

وكانت وفاته في جمادى الآخرة ودُفن بظاهرِ دمشق رحمه الله .

محمد بن عبد الوهاب بن منصور[٧] شمس الدين أبو عبد الله الحراني الحنبلي تلميذ الشيخ مجد الدين ابن تيمية .

---

(١) ما بين المعقوفتين عن أ : وحدها .

(٢) ما بين المعقوفتين عن ب : وحدها .

(٣) مَنين : بالفتح ثم الكسر ثم ياء مثناة ونون أخرى : من مصايف دمشق إلى الشمال منها على بعد ثمانية عشر كيلو متراً . ويلفظها أهل دمشق اليوم بتسكين الميم . وهي في معجم البلدان (٥/ ٢١٨)

(٤) ترجمة ـ ابن الفويره ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٩٥) والعبر (٥/ ٣٠٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٣٨١) والجواهر المضية (٣/ ٢١٩ ـ ٢٢١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٥٣) والدليل الشافي (٢/ ٦٣٣) والدارس (١/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) وشذرات الذهب (٧/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧) .

(٥) تكرر ـ عبد الرحمن بن محمد ـ في ب .

(٦) ط : النويرة ، تحريف . وقال القرشي : الفويره : بكسر الراء المهملة واشتهر بين الناس بفتح الراء كذا قال لي شيخنا قطب الدين . قال بشار : آخره هاء ، وهو من الفراهة .

(٧) ترجمة ـ محمد بن عبد الوهاب ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٢٩٦) والإشارة (٣٦٧) والعبر (٥/ ٣٠٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٣٨١) والوافي بالوفيات (٤/ ٧٥) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٨٧) والمقصد الأرشد (٢/ ٤٥٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ و٢٥٨) والدليل الشافي (٢/ ٦٥١) والدارس (٢/ ١٢٤) وشذرات الذهب (٧/ ٦٠٧) .

وهو أول من حكم بالديار المصرية من الحنابلة نيابةً عن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز ، ثم ولي شمس الدين ابن الشيخ العماد القضاء مستقلاً فاستناب[١] به ، ثم ترك ذلك ورجع إلى الشام يشتغل ويفتي إلى أن توفي وقد نيف على الستين رحمه الله تعالىٰ .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمئة

فيها : كانت وفاةُ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، صاحب البلاد المصرية والشامية والحلبية وغير ذلك ، وأقام ولده ناصر الدين أبا المعالي محمد بركة خان الملقب [بالملك] السعيد من بعده .

ووفاة الشيخ محيي الدين النّووي[٢] إمام الشافعية فيها في اليوم السابع من المحرم منها .

ودخل السلطان الملك الظاهر من بلاد الروم وقد كسر التتار على البُلُسْتَين ، ورجع مُؤَيَّداً مَنْصوراً فدخل دمشق وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ، فنزل بالقصر الأبلق الذي بناه غربي دمشق بين الميدانين الأخضرين ، وتواترت الأخبار إليه[٣] بأن أبغا جاء إلى المعركة ونظر إليها[٤] وتأسف على مَنْ قُتل من المغول وأمر بقتل البَرواناه ، وذكروا أنه قد عزم على قصد الشام ، فأمر السلطان بجمع[٥] الأمراء وضرب مشورة فاتفق مع الأمراء على ملاقاته حيث كان ، وتقدم بضرب الدهليز على القصر ، ثم جاء الخبر بأن أبغا قد رجع إلى بلاده فأمر[٦] برد الدهليز وأقام بالقصر الأبلق يجتمع عنده الأعيان والأمراء والدولة في أَسَرِّ حالٍ ، وأنعم بالٍ . وأما أبغا فإنه أمر[٧] بقتل البَرْواناه[٨] ـ وكان نائبه على بلاد الروم ـ وكان اسمه معين الدين سليمان بن علي بن محمد بن حسن ، وإنما قتله لأنه اتهمه بممالأته للملك الظاهر ، وزعم أنه هو الذي حسَّن له دخول بلاد الروم ، وكان البَرْواناه شجاعاً حازماً كريماً جواداً ، وله ميلٌ إلى الملك الظاهر ، وكان قد جاوز الخمسين لما قتل .

ثم[٩] لما كان يوم السبت خامس عشر المحرم توفي الملك القاهر[١٠] بهاء الدين عبد الملك بن

---

(١) ب : فاستنابه .
(٢) ب : النواوي .
(٣) ب : عليه .
(٤) ب : جاء إلى المعركة فأشرف بنفسه عليها وتأسف .
(٥) ب : الشام المحروس فأمر عند ذلك بجمع .
(٦) أ ، ب : فرسم برّ .
(٧) ب : وفي العشر الأول من المحرم رسم السلطان أبغا بقتل .
(٨) ط : الرواناه ؛ تحريف .
(٩) وقتل وقد جاوز الخمسين فلما كان .
(١٠) الخبر في النجوم الزاهرة (٧/ ٢٧٨) وترويح القلوب (٧٤) .

السلطان المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، عن أربع وستين سنة ، وكان رجلاً جيداً سليم الصدر كريم الأخلاق ، ليّن الكلمة كثيرَ التواضع ، يعاني ملابس العرب ومراكبهم ، وكان معظماً في الدولة شجاعاً مقداماً[١] ، وقد روى عن ابن اللتي وأجاز للبرزالي . قال البرزالي : ويقال إنه سُمَّ ، وذكر غيره أن السلطان الملك الظاهر سَمَّه في كأس قِمِّزٍ ناوله إياه فشربه وقام السلطان إلى المرتفق ثم عاد وأخذ الساقي الكأس من يد القاهر فملأه وناوله السلطان الظاهر والساقي لا يشعر بشيء مما[٢] جرى ، وأنسى الله السلطان ذلك الكأس ، أو ظن أنه غيره[٣] لأمر يريده الله ويقضيه ، وكان قد بقي في الكأس بقية كثيرة من ذلك السم ، فشرب الظاهر ما في الكأس[٤] ولم يشعر حتى شربه فاشتكى بطنه من ساعته ، ووجد الوهج والحر والكرب الشديد من فوره .

وأما القاهر فإنه حُمل إلى منزله وهو مغلوب فمات من ليلته . وتمرض [السلطان الملك] الظاهر من ذلك أياماً حتى كانت وفاته يوم الخميس بعد الظهر في السابع والعشرين من المحرم بالقصر الأبلق ، وكان ذلك يوماً عظيماً على الأمراء ، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيدمر وكبار الأمراء والدولة ، فصلوا عليه وجعلوه في تابوت ورفعوه إلى القلعة من القصر وجعلوه في بيت من بيوت البحرية إلى أن نقل إلى تربته التي بناها ولده له بعد موته ، وهي دار العقيقي تجاه العادلية الكبيرة ، ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة ، وكتم موته فلم يعلم جمهور الناس به حتى إذا كان العشر الأخير من ربيع الأول وجاءت البيعة لولده السعيد من مصر فحزن الناس عليه حزناً شديداً ، وترحَّموا عليه ترحماً كثيراً ، وجُددت البيعةُ أيضاً بدمشق وجاء تقليد النيابة بالشام مجدداً إلى عز الدين أيدمر نائبها[٥] .

وقد كان الملك الظاهر شهماً شجاعاً عالي الهمة بعيد الغور مقداماً جسوراً معتنياً بأمر السلطنة ، يشفق[٦] على الإسلام ، متحلياً بالملك[٧] ، له قصد صالح في نصرة الإسلام وأهله ، وإقامة شعار الملك ، واستمرت أيامه[٨] من يوم الأحد سابعَ عشرَ ذي القعدة سنةَ ثمانٍ وخمسين إلى هذا الحين ، ففتح في هذه المدة فتوحات كثيرة قيسارية وأرْسُوف ويافا والشَّقيف وأنطاكية وبَغْراس وطبرية والقُصَيْر وحصن الأكراد وحصن عَكّا والقُرَيْن وصافيتا وغير ذلك من الحصون المنيعة التي كانت بأيدي الفرنج ، ولم

(١) ب : وهو معظم في الدولة وكان كريماً شجاعاً .
(٢) ب : بما جرى .
(٣) ب : أو ظن أن هذا الكأس غير ذلك . والقِمِّز : شرابٌ يُصنع من لبن الخيل .
(٤) ب : ما في ذلك الكأس .
(٥) ب : أيدمر الذي كان بها وقد كان رحمه الله شهماً . . .
(٦) أ : مشفقاً .
(٧) ب : متحلياً بها .
(٨) ب : أيامه في الملك .

يدع[١] مع الإسماعيلية شيئاً من الحصون ، وناصف الفرنج على المرقب ، وبانياس وبلاد أنطرسوس ، وسائر ما بقي بأيديهم من البلاد والحصون ، وولى في نصيبه مما ناصفهم عليه النواب والعمال وفتح قيسارية[٢] من بلاد الروم ، وأوقع بالروم[٣] والمغول على البلستين بأساً لم يسمع بمثله من دهور متطاولة ، واستعاد من صاحب سيس بلاداً كثيرة[٤] ، وجاس خلال ديارهم وحصونهم[٥] ، واسترد من أيدي المتغلبين من المسلمين بعلبك وبصرى وصرخد وحمص وعجلون والصلت وتدمر والرحبة وتل باشر وغيرها ، والكرك والشوبك ، وفتح بلاد النوبة بكمالها من بلاد السودان ، وانتزع[٦] بلاداً من التتار كثيرة ، منها شَيْزَر والبِيرَة ، واتسعت مملكته من الفرات إلى أقصى بلاد النوبة ، وعمر شيئاً كثيراً من الحصون والمعاقل والجسور على الأنهار الكبار ، وبنى دار الذهب بقلعة الجبل ، وبنى قبة على اثني عشر عموداً ملونة مذهبة ، وصور فيها صور خاصكيته وأشكالهم ، وحفر أنهاراً كثيرة[٧] وخلجانات ببلاد مصر ، منها نهر السَّرْداس[٨] ، وبنى جوامع كثيرة ومساجد عديدة ، وجدد بناء مسجد رسول الله ﷺ حين احترق ، ووضع الدرابزينات حول الحجرة الشريفة ، وعمل فيه منبراً وسقفه بالذهب ، وجدد المارستان بالمدينة ، وجدد قبر الخليل عليه السلام ، وزاد في زاويته وما يصرف إلى المقيمين ، وبنى على المكان المنسوب إلى قبر موسى عليه السلام قبة قبلي أريحا ، وجدد بالقدس أشياء حسنةً من ذلك قبة السلسلة ، ورمم سقف الصخرة وغيرها ، وبنى بالقدس خاناً هائلاً بماملاّ ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين من مصر ، وعمل فيه طاحوناً وفرناً وبستاناً ، وجعل للواردين إليه أشياء تصرف إليهم في نفقة وإصلاح أمتعتهم[٩] رحمه الله . وبنى على قبر أبي عبيدة بالقرب من عَمْتا[١٠] مشهداً ، ووقف عليه أشياء[١١] للواردين إليه ، وعمر جسر دامية ، وجدد قبر جعفر الطيار بناحية الكرك ، ووقف على الزائرين له شيئاً

---

(١) ب : ولم يبق .

(٢) ب : العمال والنواب وفتح قيصرية .

(٣) ب : وأوقع بها .

(٤) ب : كثيرة أيضاً .

(٥) ب : حصونهم ومعاقلهم .

(٦) ب : وأخذ .

(٧) أ : كثاراً .

(٨) قال ابن عبد الحكم : كانت خلجان مصر سبعة على جوانبها الجنات منها خليج سَرْدوس . معجم البلدان (٣/ ٢٦٠) .

(٩) أ : الأمتعة .

(١٠) « عمتا » : قرية بالأردن بها قبر أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ويقال هو بطبرية ومنها إلى مدينة طبرية اثنا عشر فرسخاً . معجم البلدان (٤/ ١٥٣) .

(١١) ب : شيئاً .

كثيراً ، وجدد قلعة صَفَد[١] وجامعها ، وجدَّد جامعَ الرملة وغيرها في كثير من البلاد التي كانت الفرنج [قد أخذتها وخرَّبت جوامعها ومساجدها][٢] ، وبنى بحلب داراً هائلة ، وبدمشق القصر الأبلق والمدرسة الظاهرية وغيرها ، [وضرب الدراهم والدنانير الجيدة الخالصة على النصح والمعاملة الجيدة الجارية بين الناس ، فرحمه الله][٣] .

وله من الآثار الحسنة والأماكن ما لم يبن في زمن الخلفاء وملوك بني أيوب ، مع اشتغاله في الجهاد[٤] في سبيل الله واستخدم من الجيوش شيئاً كثيراً[٥] ، ورد إليه نحواً من ثلاثة آلاف من المغول فأقطعهم وأمَّر كثيراً منهم .

وكان مقتصداً في ملبسه ومطعمه وكذلك جيشه .

وهو الذي أنشأ الدولة العباسية بعد دثورها ، وبقي الناس بلا خليفة نحواً من ثلاث[٦] سنين .

وهو الذي أقام[٧] من كل مذهب قاضياً مستقلاً قاضي قضاة . وكان رحمه الله متيقظاً شهماً شجاعاً لا يفتر عن الأعداء ليلاً ولا نهاراً ، بل هو مناجز لأعداء الإسلام وأهله ، ولم شعثه[٨] واجتماع شمله . وبالجملة أقامه الله في هذا الوقت المتأخر عوناً ونصراً للإسلام وأهله[٩] ، وشجاً في حلوق المارقين من الفرنج والتتار ، والمشركين .

وأبطل الخمور ونفى الفُسّاق من البلاد ، وكان[١٠] لا يرى شيئاً من الفساد والمفاسد إلا سعى في إزالته بجهده وطاقته .

وقد ذكرنا في سيرته ما أرشد إلى حسن طويته وسريرته .

وقد جمع له كاتبه ابن عبد الظاهر سيرة مطولة[١١] ، وكذلك ابن شداد أيضاً .

---

(١) أ ، ط : ضفت .
(٢) مكانهما في ب : قد عدت عليها .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) أ : بالجهاد .
(٥) ب : استخدم جيوشاً كثيرة .
(٦) ب : بعد بقاء الناس بلا خليفة نحو من ثلاث سنين .
(٧) ب : وهو الذي جدد من مذهب قاضي قضاة مستقلاً .
(٨) ب : ولا نهاراً عن مناجزة الأعداء ونصرة الإسلام ولمّ .
(٩) ب : في هذا الوقت لنصرة الإسلام وأهله وشجا .
(١٠) مكان اللفظة في ب : لا يألوا جهداً في نصح الإسلام وأهله .
(١١) اسم هذا الكتاب : « الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر » تأليف القاضي محيي الدين بن الظاهر وتحقيق عبد العزيز الخويطر . الرياض ١٣٩٦ ـ ١٩٧٦م .

وقد ترك من الأولاد عشرة ثلاثة ذكور وسبع[١] إناث ، ومات وعمره ما بين الخمسين إلى الستين .

وله أوقاف وصلات وصدقات ، تَقَبَّلَ اللهُ منه الحسنات ، وتجاوز له عن السيئات ، والله سبحانه أعلم .

وقام في الملك بعده ولده [الملك] السعيد بمبايعة أبيه له في حال حياته ، وكان عمر السعيد يومئذ دون العشرين سنة ، وهو من أحسن الأشكال وأتم الرجال .

وفي صفر وصلت الهدايا من الفنس[٢] مع رسله إلى الديار المصرية فوجدوا السلطان قد مات ، وقد أقيم[٣] الملك السعيد ولده مكانه والدولة لم تتغير ، والمعرفة بعده ما تنكرت ، ولكن البلاد قد فقدت أسدها بل أسدّها وأشدها ، بل الذي بلغ أشدها ، وإذا انفتحت ثغرة من سور الإسلام سدها ، وكلما انحلت عقدة من عرى العزائم شدها ، وكلما رامت فرقة مارقة من طوائف الطغام أن تلج إلى حومة الإسلام صدَّها وردَّها ، فسامحه الله ، وبلَّ بالرحمة ثراه ، وجعل الجنة متقلَّبه ومثواه .

وكانت العساكر الشامية قد سارت إلى الديار المصرية ومعهم محفَّة يُظهرون أنَّ السلطان بها[٤] مريض ، حتى وصلوا إلى القاهرة فجددوا البيعة لسعيد بعدما أظهروا موت الملك السديد[٥] الذي هو إن شاء الله شهيد .

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر خُطب في جميع الجوامع بالديار المصرية للملك السعيد ، وصُلِّي على والده الملك الظاهر واستهلَّتْ عيناه بالدموع[٦] .

وفي منتصف ربيع الأول ركب الملك السعيد بالعصائب على عادته وبين يديه الجيش بكماله المصري والشامي ، حتى وصل إلى الجبل الأحمر وفرح الناس به فرحاً شديداً ، وعمره يومئذ تسع عشرة سنة ، وعليه أُبَّهة الملك ورئاسة السلطنة .

وفي يوم الإثنين رابع جمادى الأولى فُتحت مدرسة الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني بالقاهرة ، بحارة الوزيرية على مذهب أبي حنيفة[٧] . وعمل فيها مشيخة حديث وقارىء . وبعده بيوم عقد عقد ابن

---

(١) ط : سبعة ؛ خطأ .
(٢) أ وب والروض الزاهر (٣٣٧) : الغنش ، وفي الهامش : ALPHONSO Sesille .
(٣) ب : فوجدوا السلطان قد توفي ولكن وجدوا ولده الملك السعيد قد أقيم مقامه والدولة ما تغيرت .
(٤) ب : منها .
(٥) ب : الملك الشديد .
(٦) ب : واستهلت عليه بالدموع الآماق والحناجر .
(٧) أ ، ب : مذهب الحنفية .

الخليفة المستمسك بالله ابن الحاكم بأمر الله ، على ابنة الخليفة المستنصر ابن الظاهر ، وحضر والده والسلطان ووجوه الناس[١] .

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى شُرع في بناء الدار التي تعرف بدار العقيقي ، تجاه العادلية لتجعل مدرسة وتربة [للسلطان] الملك الظاهر ، ولم تكن قبل ذلك إلا داراً للعقيقي ، وهي المجاورة لحمام العقيقي ، وأُسس أساس التربة في خامس جمادى الآخرة [وأسست المدرسة أيضاً][٢] .

وفي رمضان طلعت سحابةٌ عظيمةٌ بمدينة صفد[٣] لمع منها برقٌ شديدٌ ، وسطع منها لسان نار ، وسمع منها صوت شديد هائل ، ووقع منها على منارة صفد[٤] صاعقة شقتها من أعلاهاإلى أسفلها شقّاً يدخل الكف فيه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

البرواناه[٥] في العشر الأول من المحرم .

والملك الظاهر[٦] في العشر الأخير منه ، وقد تقدم شيء من ترجمتهما[٧] .

الأمير الكبير بدر الدين بيلبك بن عبد الله[٨] الخزندار نائب الديار المصرية للملك الظاهر .

كان جواداً ممدَّحاً ، له إلمام ومعرفة بأيام الناس ، والتواريخ ، وقد وقف درساً بالجامع الأزهر على

---

(١) ب : ووجوه المملكة وكان يوماً مشهوداً .

(٢) مكان القوسين : الظاهرية .

(٣) أ ، ط : صفت .

(٤) أ ، ط : صفت .

(٥) البَرْواناه وقد تقدم اسمه : سليمان بن علي بن حسن بن محمد بن حسن معين الدين ؛ ترجمته في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٦٨ ـ ٢٧١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣١٢) والإشارة (٣٦٨) والعبر (٥/ ٣١٠) والوافي بالوفيات (١٥/ ٤٧) وفوات الوفيات (٢/ ٧١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٧٩) والدليل الشافي (٨/ ٣١٩) وشذرات الذهب (٧/ ٦١٤) .

(٦) الملك الظاهر ـ بيبرس بن عبد الله . ـ ترجمته في ذيل المرآة (٣/ ٢٣٩ ـ ٢٦٢) والمختصر لأبي الفداء (٤/ ١٠ ـ ١١) ووفيات الأعيان (٤/ ١٥٢ ـ ١٥٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٠٦) والإشارة (٣٦٧) والعبر (٥/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٢) وفوات الوفيات (١/ ٢٣٥ ـ ٢٤٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٧٨) والدليل الشافي (١٠/ ٢٠٣) وحسن المحاضرة (٢/ ٩٥ ـ ١٠٥) والدارس (١/ ٣٤٩ ـ ٣٥١) وشذرات الذهب (٧/ ٦١٠ ـ ٦١١) وترويح القلوب (٧٤) .

(٧) ب : من ذكر ترجمتهما .

(٨) ترجمة ـ بيلبك بن عبد الله ـ في ذيل المرآة (٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٠٨) والإشارة (٣٦٨) والعبر (٥/ ٣٠٩) والوافي بالوفيات (١٠/ ٣٦٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٧٦) والدليل الشافي (١/ ٢١١) وشذرات الذهب (٧/ ٦١٣) .

الشافعية ، ويقال إنه سُمَّ فمات ، (فلما مات) انتقض بعده حبل الملك السعيد ، واضطربت أموره .

قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي[(١)] محمد ابن الشيخ العماد أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي .

أول من ولي قضاء الحنابلة بالديار المصرية ، سمع الحديث حضوراً[(٢)] على ابن طبرزذ وغيره ، ورحل إلى بغداد واشتغل بالفقه ، وتفنَّن في علوم كثيرة ، وولي مشيخة سعيد السعداء . وكان شيخاً مهيباً حسن الشيبة كثير التواضع والبر والصدقة ، وقد اشترط في قبول الولاية أن لا يكون له عليها جامكية ليقوم في الناس بالحق في حكمه ، وقد عزله الظاهر عن القضاء[(٣)] سنة سبعين واعتقله بسبب الودائع التي كانت عنده ، ثم أطلقه بعد سنتين فلزم منزله واستقر بتدريس الصالحية إلى أن توفي في أواخر المحرم ، ودفن عند عمه[(٤)] الحافظ عبد الغني بسفح جبل المُقَطَّم ، وقد أجاز للبرزالي .

قال الحافظ البرزالي : وفي يوم[(٥)] السبت ثاني عشر ربيع الأول ورد الخبر بموت ستة أمراء من الديار المصرية : سنْقُر البغدادي ، وبسطا[(٦)] البلدي التتري ، وبدر الدين الوزيري ، وسُنْقُر الرومي[(٧)] ، وآق سنقر الفارقاني[(٨)] رحمهم الله تعالىٰ .

الشيخ خضر الكردي[(٩)] شيخ الملك الظاهر خضر بن أبي بكر بن موسى الكردي النهراوني العدوي ، ويقال إن أصله من قرية المحمدية من جزيرة ابن عمر ، كان يُنسب إليه أحوالٌ ومكاشفاتٌ ، ولكنّه لما خالط الناس افتُتن ببعض بنات الأمراء ، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير إنه سيلي المُلْك ، فلهذا كان الملك الظاهر يعتقده ويبالغ في إكرامه بعد أن ولي المملكة ، ويعظمه تعظيماً زائداً ، وينزل عنده[(١٠)]

---

(١) ترجمة ـ شمس الدين الحنبلي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٢٠) والإشارة (٣٦٨) والعبر (٥/ ٣١١ ـ ٣١٢) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٢) والوافي بالوفيات (٢/ ٩) والمقصد الأرشد (٢/ ٣٣٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٧٩) والدليل الشافي (٢/ ٥٧٩) وشذرات الذهب (٧/ ٦١٦ ـ ٦١٧) .

(٢) ط : خصوصاً .

(٣) ب : وقد عزله السلطان عن القضاء قبل موته .

(٤) ط : عم .

(٥) يبدأ الخبر في أ : بقوله : وفي يوم السبت .

(٦) أ : بطا ، ولا تتضح في : ب ، ولم أصل فيها إلى رأي .

(٧) الخبر في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٧١) .

(٨) الخبر في ذيل المرآة (٣/ ٢٩٨) والنجوم (٧/ ٢٨٠) .

(٩) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٧١ ، وقد أخلت ب بهذه الترجمة ، وقد ترجمه الذهبي في وفيات هذه السنة . ويلاحظ أن هذه الترجمة تختلف في فحواها عن سابقتها .

(١٠) أ : وينزل إلى عنده .

إلى زاويته في الأسبوع مرةً أو مرتين ، ويستصحبه معه في كثير من أسفاره ، ويلزمه[(١)] ويحترمه ويستشيره فيشير عليه برأيه ومكاشفاتٍ صحيحةٍ مطابقةٍ ، إما رحمانية أو شيطانية ، أو حال استعادة[(٢)] ، لكنه افتتن لما خالط الناس ببعض بنات الأمراء ، وكن لا يحتجبن منه ، فوقع في الفتنة . وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة ، ولا سيَّما مخالطة النساء مع ترك الاحتجاب[(٣)] ، فلا يسلم العبدُ ألبتة منهم . فلما وقع فيما[(٤)] وقع فيه حوقق عند السلطان وبَيْسَري وقلاوون والفارس أقطاي الأتابك ، فاعترف ، فهم بقتله فقال له : إنما بيني وبينك أيام قلائل ، فأمر بسجنه فسُجن سنين عديدة من سنة إحدى وسبعين إلى سنة ست وسبعين ، وقد هدم بالقدس كنيسة[(٥)] وذبح قسيسها وعملها زاوية ، وقد قدمنا ترجمته قبل ذلك فيما تقدم ، ثم لم يزل مسجوناً حتى مات في يوم الخميس سادس المحرم من هذه السنة ، فأخرج من القلعة وسلم إلى قرابته فدُفن في تربةٍ أنشأها في زاويته . مات وهو في عشر الستين ، وقد كان يكاشف السلطان في أشياء ، وإليه تنسب قبة الشيخ خضر التي على الجبل غربي الربوة ، وله زاوية بالقدس الشريف .

الشيخ محيي الدين النَّووي[(٦)] ، يحيى بن شَرَف بن [مري][(٧)] بن حسن بن حسين بن جمعة بن حِزام الحِزامي[(٨)] العالم ، محيي الدين أبو زكريا النَّوَوي[(٩)] ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في زمانه .

ولد بنوَى سنة إحدى وثلاثين وستمئة ، ونَوى قرية من قرى حوران ، وقد قدم دمشق سنة تسع

---

(١) أ : ويكرمه .

(٢) أ : أو حال استعادة .

(٣) ط : الأصحاب .

(٤) أ : وقع ما وقع .

(٥) أ : كنيسة عظيمة .

(٦) ترجمة ـ النووي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٨٣ ـ ٢٩٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٢٤ ـ ٣٣٢) والعبر (٥/ ٣١٢ ـ ٣١٣) والإشارة (٢٨٢) وتذكرة الحفاظ (١٤٧٠ ـ ١٤٧١) وفوات الوفيات (٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٨) وطبقات الإسنوي (٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧) وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٩٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٧٨) والدليل الشافي (٢/ ٧٧٥) والدارس (١/ ٢٤) وشذرات الذهب (٧/ ٦١٨ ـ ٦٥١) .

(٧) ليست في الأصول واستدركت عن مصادره ، والضبط في تاج العروس : مِرَى ، والنجوم الزاهرة ، وهي في الشذرات : مُرِّي . وقال الزركلي رحمه الله : مُري بضم الميم وكسر الراء كذا وجد مضبوطاً بخطه . الأعلام (٩/ ١٨٥) .

(٨) في ط : الحازمي ؛ تحريف . والحزامي : بحاء مهملة مكسورة بعدها زاي معجمة . طبقات الإسنوي (٢/ ٤٧٦) .

(٩) النواوي يجوز إثبات الألف وحذفها كما في الدارس والشذرات . وقال الزركلي رحمه الله : كان يكتبها هو بغير الألف . وقد أثبت نموذجاً من خطه . الأعلام (٩/ ١٨٥) .

وأربعين ، وقد حفظ القرآن فشرع في قراءة « التنبيه » ، فيقال إنه قرأه في أربعة أشهر ونصف ، وقرأ ربع العبادات من المُهذَّب في بقية السنة ، ثم لزم المشايخ تصحيحاً وشرحاً ، فكان[١] يقرأ في كل يوم اثنا عشر درساً على المشايخ ، ثم اعتنى بالتصنيف فجمع شيئاً كثيراً ، منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله ، فمما كمل « شرح مسلم » و« الروضة »[٢] و« المنهاج »[٣] و« الرياض »[٤] و« الأذكار »[٥] و« التبيان »[٦] و« تحرير التنبيه وتصحيحه »[٧] ، و« تهذيب الأسماء واللغات »[٨] ، و« طبقات الفقهاء »[٩] وغير ذلك . ومما لم يتممه ولو كمل لم يكن له نظير في بابه : « شرح المهذب » الذي سماه المجموع ، وصل فيه إلى كتاب الربا ، فأبدع فيه وأجاد وأفاد ، وأحسن الانتقاد ، وحرر الفقه فيه في المذهب وغيره ، وحرَّر الحديث على ما ينبغي ، والغريب واللغة[١٠] وأشياء مهمة لا توجد إلا فيه ، وقد جعله نخبة على ما عن له[١١] ولا أعرف في كتب الفقه أحسن منه ، على أنه محتاج إلى أشياء كثيرة تزاد فيه وتضاف إليه .

وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتحري والانجماح[١٢] عن الناس على جانب كبير ، لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره ، وكان يصوم الدهر[١٣] ولا يجمع بين إدامين ، وكان غالب قوته مما يحمله إليه

---

(١) أ : حتى كان يقرأ .
(٢) اسمه : « روضة الطالبين في عمدة المفتين » طبع في دمشق في المكتب الإسلامي في (١٢) مجلداً .
(٣) اسمه « منهاج الطالبين » .
(٤) اسمه : « رياض الصالحين » وقد طبع طبعات كثيرة آخرها طبعتان : الأولى بتحقيق الأستاذ عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ومراجعة الشيخ شعيب الأرناؤوط . طبع دار المأمون للتراث ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م . والثانية طبعة دار الفكر بتحقيق الدكتور أحمد راتب حموش ، وصدرت طبعة عن دار ابن كثير حققها يوسف بديوي واعتنى بشرح غريبها ودراسته محقق هذا الجزء رياض عبد الحميد مراد .
(٥) اسمه : « تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار المعروف بالأذكار النووية » طبع في دمشق بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط وطبع دار الملاح سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م . ثم حققه مرة أخرى وزاد عليه ، طبع دار الهدى في الرياض .
(٦) اسمه : « التبيان في آداب حملة القرآن » له عدة طبعات . منها طبعة مكتبة دار العروبة بالكويت بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م وقد كان لي شرف وضع فهارسها ولله الحمد والمنة .
(٧) طبع في دار القلم بدمشق بتحقيق الأستاذ الشيخ عبد الغني الدقر .
(٨) طبع بمصر بمطبعة المنيرية وصورته دار الكتب العلمية في بيروت .
(٩) طبع بدمشق وصدر عن دار الفكر بدمشق كتاب آخر للنووي وهو « فتاوى الإمام النووي » رتبها علاء الدين علي بن إبراهيم بن العطار الدمشقي وحققها وخرّج أحاديثها وقدم لها وعلّق عليها الأستاذ الزميل محمود الأرناؤوط حفظه الله .
(١٠) ب : واللغة والغريب .
(١١) أ ، ب : عضله .
(١٢) أ ، ب : والتحري والورع والانجماع .
(١٣) صيام الدهر ، غير مشروع ، ولا مستحب ، بل هو مكروه وربما كان يصوم كثيراً . وأفضل الصيام ، صيام داود ، كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً .

أبوه من نوى ، وقد باشر تدريس الإقبالية نيابة عن ابن خلكان ، وكذلك ناب في الفلكية والركنية ، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية ، وكان لا يضيع شيئاً من أوقاته ، وحجَّ في مدة إقامته بدمشق ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم . توفي في ليلة أربع وعشرين من رجب من هذه السنة بنوى ، ودفن هناك رحمه الله وعفا عنا وعنه .

علي بن علي بن أسفنديار[١] نجم الدين .

الواعظ بجامع دمشق أيام السبوت في الأشهر الثلاثة ، وكان شيخ الخانقاه المجاهدية وبها توفي في هذه السنة ، وكان فاضلاً بارعاً ، وكان جده يكتب الإنشاء للخليفة الناصر ، وأصلهم من بوشنج . ومن شعر نجم الدين هذا قوله[٢] : [من الطويل]

إذا زارَ بالجثمانِ غيري فإنني   أزورُ معَ الساعاتِ ربعَكَ بالقَلْبِ
وما كلُّ ناءٍ عن ديارٍ بنازحٍ   ولا كلُّ دانٍ في الحقيقةِ ذو قُرْبِ

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمئة

كان أولها يوم الأربعاء وكان الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد شاماً ومصراً وحلباً[٣] الملك السعيد .

وفي أوائل المحرم اشتهر بدمشق ولاية ابن خلكان[٤] قضاء دمشق عوداً على بدءٍ في أواخر ذي الحجة ، بعد عزل سبع سنين ، فامتنع القاضي عز الدين بن الصائغ من الحكم في سادس المحرم وخرج الناس لتلقي ابن خلكان ، فمنهم من وصل إلى الرملة وكان دخوله في يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم ، فخرج نائب السلطنة عز الدين أيدمر بجميع الأمراء والمواكب لتلقيه ، وفرح الناس بذلك ، ومدحه الشعراء ، وأنشد الفقيه شمس الدين محمد بن جعوان[٥] : [من البسيط][٦]

---

(١) ترجمة ـ ابن أسفنديار ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣١٨) والإشارة (٣٦٨) والعبر (٥/ ٣١١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٧٩) والدارس (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠) وشذرات الذهب (٧/ ٦١٦) .

(٢) البيتان في الدارس (٢/ ١٧٠) .

(٣) ب : البلاد المصرية والبلاد الشامية والحلبية الملك الظاهر ؛ وفيه خطأ .

(٤) ب : ولاية القاضي شمس الدين ابن خلكان .

(٥) أ ، ب : محمد بن جعفر ؛ تحريف . وهو محمد بن محمد بن عباس بن أبي بكر بن جعوان شمس الدين الأنصاري الشافعي النحوي . ستردُ ترجمته في وفيات سنة ٦٨٢ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٦) البيتان في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٩٣) والبيت الأول منهما ثاني قصيدة وردت في ذيل المرآة (٤/ ١٩٨) .

لمـا تَـولَّـى قضـاء الشـام حـاكمـهُ قاضي القضاة أبو العباسِ ذو الكرمِ[١]
مـن بعـدِ سبـعٍ شـدادٍ قـال خـادمـهُ ذا العـام فيـه يُغـاثُ النـاسُ بـالنّعـمِ

وقال سعد الدين[٢] بن مروان الفارقي[٣] : [من الوافر]

أذَقْتَ الشامَ سَبْعَ سنين جَدْباً غـداةَ هَجَـرْتَـهُ هَجْـراً جميـلا
فلمَّـا زُرْتَـهُ مـن أرضِ مصـرٍ مَـدَدْتَ عليـهِ مـن كَفَّيْكَ نيـلا

وقال آخر[٤] : [من مخلع البسيط]

رأيـتُ أهْـلَ الشَّـامِ طُـرّاً مـا فيهـمُ قَـطُّ غَيْـرُ راضِ
نـالَهُـم الخَيْـرَ بَعْـدَ شَـرٍّ فـالـوقـتُ بَسْـطٌ بـلا انقبـاضِ
وعُـوِّضُـوا فَـرْحَـةً بحُـزنٍ قد أنصفَ الدهرُ في التَّقاضي
وسَـرَّهُـم بعـدَ طُـولِ غَـمٍّ قـدوم قـاضـي وعـزل قـاضـي
وكلُّهـم شـاكـرٌ وشـاكٍ لحـالِ مُسْتَقبِـلٍ ومـاض

قال اليونيني[٥] : وفي يوم الأربعاء ثالث عشر صفر ذكر[٦] الدرس بالظاهري[٧] وحضر نائب السلطنة أيدمر الظاهرية (وكان درساً حافلاً) حضره القضاة ، وكان مدرس الشافعية ـ الشيخ رشيد الدين عمر[٨] بن إسماعيل[٩] الفارقي ، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي[١٠] ، ولم يكن بناء المدرسة كمل[١١] .

وفي جمادى الأولى باشر قضاءَ الحنفية صدرُ الدين سليمان المذكور عوضاً عن مجد الدين ابن العديم[١٢] ،

---

(١) رواية البيت في ذيل المرآة (٤/ ١٩٨) :
أبو المفاخر فخر الشام حاكمهُ قاضي القضاة حليف الجود والكرمِ
(٢) ط : سعد الله ، وما هنا من أ ، وكذلك ورد في ذيل المرآة (٣/ ٢٩٤ و٣٨٦) و(٤/ ٢٦١) .
(٣) البيتان في ذيل المرآة (٣/ ٢٩٤) .
(٤) الأبيات في ذيل المرآة (٣/ ٢٩٤) ، والقائل هو نور الدين ابن مصعب .
(٥) ذيل المرآة (٣/ ٢٩٤) بتصرف .
(٦) ب : ذكر الشيخ الدرس .
(٧) في الذيل : بالمدرسة الظاهرية بدمشق قبالة العادلية الكبيرة وهي على فرقتين شافعية وحنفية .
(٨) في الأصلين وط : محمود ؛ وهو تحريف . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٩ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٩) ليست اللفظة في ط . واستدركت عن الأصلين .
(١٠) سترد ترجمته في وفيات هذه السنة إن شاء الله تعالى .
(١١) ب : ولم تكن عمارة المدرسة تكاملت بعد .
(١٢) ابن العديم هو عمر بن أحمد بن هبة الله ، تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٦٠ .

بحكم وفاته ، ثم توفي صدرُ الدين سليمانُ المذكور في رمضان وتولَّى بعده القضاء حسامُ الدين أبو الفضائل الحسن بن أنو شروان الرازي الحنفي[١] ، الذي كان قاضياً بملطية قبل ذلك[٢] .

وفي العشر الأول من ذي القعدة فتحت المدرسة النجيبية وحضر تدريسها ابن خلكان[٣] بنفسه ، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى ، وفتحت الخانقاه النجيبية ، وقد كانتا وأوقافهما تحت الحيطة إلى الآن .

وفي يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة دخل السلطان السعيد إلى دمشق وقد زُينت له[٤] وعملت له قباب ظاهرة وخرج أهل البلد لتلقيه وفرحوا به فرحاً عظيماً لمحبتهم والده ، وصلى عيد النحر بالميدان[٥] ، وعمل العيد بالقلعة المنصورة . واستوزر بدمشق الصاحب فتح الدين عبد الله بن القيسراني ، وبالديار المصرية بعد موت بهاء الدين بن الحِنّا الصاحب برهان الدين الخضر بن الحسن النيجاري .

وفي العشر الأخير من ذي الحجة جهَّز السلطان العساكر إلى بلاد سيس صحبة الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي ، وأقام[٦] السلطان بدمشق في طائفة يسيرة من الأمراء والخاصكية والخواصّ ، وجعل يكثر التردد إلى الزنبقية[٧] .

وفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة جلس السلطان[٨] بدار العدل داخل باب النصر ، وأسقط ما كان جَدَّدَه والده على بساتين أهل دمشق ، فتضاعفت له منهم الأدعية وأحبوه لذلك حباً شديداً[٩] ، فإنه كان قد أجحف بكثير من أصحاب[١٠] الأملاك ، وودَّ كثير منهم لو تخلص من ملكه جملة بسبب ما عليه .

وفيها : طُلب من أهل دمشق[١١] خمسون[١٢] ألف دينار ضربت أجرة على أملاكهم مدى شهرين ، وجبيت منهم على القهر والعسف[١٣] .

---

(١) سترد ترجمة الحسن بن أحمد أنو شروان الرازي في وفيات سنة ٦٩٩ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٢) ب : قبل هذا .
(٣) ب : قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان .
(٤) ب : زينت له الليلة وعملت له .
(٥) ب : بالميدان الأخضر .
(٦) ب : ومكث السلطان .
(٧) في ذيل المرآة : الزنبقية من قرى المرج .
(٨) ب : السلطان الملك السعيد .
(٩) ب : فتضاعفت الأدعية له وأجلوه لذلك حباً كثيراً .
(١٠) ب : أرباب .
(١١) ب : من أهل بغداد .
(١٢) ط : خمسين ألف .
(١٣) ب : والسيف .

ومن توفي فيها من الأعيان :

آقوش[١] بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النَّجيبي ، أبو سعيد الصالحي .

أعتقه الملك نجم الدين أيوب بن الكامل ، وجعله من أكابر الأمراء ، وولاه أستاذ داريته ، وكان يثق به[٢] ويعتمد عليه ، وكان مولده في سنة تسع أو عشرٍ وستمئة ، وولاه الملك الظاهر أيضاً أستاذ داريته ، ثم استنابه بالشام تسع سنين ، فاتّخذ فيها المدرسة النَّجيبية ووقف علها أوقافاً دارَّة واسعةً ، لكن لم يقرر[٣] للمستحقين قدراً يناسب ما وقفه عليه ، ثم عزله السلطان واستدعاه لمصر[٤] فأقام بها مدة بطَّالاً ، ثم مرض بالفالج أربع سنين ، وقد عاده في بعضها الملك الظاهر ، ولم يزل به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بالقاهرة بداره بدرب الملوخية ، ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بتربته التي أنشأها بالقرافة الصغرى ، وقد كان بنى لنفسه تربة بالنجيبية[٥] ، وفتح لها شُبّاكَيْن إلى الطريق ، فلم يُقَدَّر دفنه بها .

وكان كثيرَ الصدقةِ محباً للعلماءِ مُحْسناً إليهم ، حسن الاعتقاد ، شافعي المذهب ، متغالياً في السنة ومحبّةِ الصحابة وبغض الروافض ، ومن جملة أوقافه الحسان البستان والأراضي التي[٦] أوقفها على الجسورة التي قبلي جامع كريم الدين اليوم ، وعلى ذلك أوقاف كثيرة ، وجعل النظر في أوقافه لابن خلكان[٧] .

أيدكين بن عبد الله[٨] الأمير الكبير علاء الدين الشهابي ، واقف الخانقاه الشهابية ، داخل باب الفرج .

كان[٩] من كبار الأمراء بدمشق ، وقد ولاه[١٠] الظاهر [النيابة] بحلب مدة ، وكان من خيار الأمراء

---

(١) ترجمة ـ آقوش ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٣٦) والإشارة (٣٦٩) والعبر (٥/ ٣١٤) والوافي (٩/ ٣٢٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٨٥) : التجيبي ، وهو تصحيف ، والدليل الشافي (١/ ١٤٥) وشذرات الذهب (٧/ ٦٢٢ ـ ٦٢٣) .

(٢) في الأصول : يثق إليه ـ والتصحيح عن ذيل المرآة .

(٣) ب : لم يقدر .

(٤) ب : إلى الديار المصرية .

(٥) ب : بالمدرسة النجيبية .

(٦) ب : الخان الذي في طريق الجسورة .

(٧) ب : وعليه أوقاف كثيرة وجعل النظر في أوقافه للقاضي شمس الدين ابن خلكان .

(٨) ترجمة أيدكين ـ في ذيل مرآة الزمان (١/ ٣٠١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٣٦) والدليل الشافي (١/ ١٦٥) والدارس (٢/ ١٦١ ـ ١٦٢) .

(٩) ب : الشهابية وقد كان .

(١٠) ب : وقد ولي النيابة .

وشجعانهم ، وله حسن ظن بالفقراء والإحسان إليهم ، ودفن بتربة الشيخ عمار الرومي بسفح قاسيون ، في خامس عشر ربيع الأول ، وهو في عشر الخمسين ، وخانقاه داخل باب الفرج ، وكان لها شُبّاك إلى الطريق .

والشهابي نسبة إلى الطواشي شهاب الدين رشيد الكبير الصالحي .

قاضي القضاة[١] صدر الدين سليمان بن أبي العِزّ[٢] وهيب[٣] أبو الربيع الحنفي .

شيخُ الحنفية في زمانه ، وعالمهم شرقاً وغرباً ، أقام بدمشق مدة يفتي ويدرّس ، ثم انتقل إلى الديار المصرية يدرّس بالصالحية ، ثم عاد إلى دمشق فدرّس بالظاهرية ، وولي القضاء بعد مجد الدين بن العديم ثلاثة أشهر ، ثم كانت وفاته ليلة الجمعة سادس شعبان ، ودفن في الغد[٤] بعد الصلاة بداره بسفح قاسيون ، وله ثلاثٌ وثمانون سنة ، ومن لطيف شعره في مملوك تزوج جاريةً للملك المعظم[٥] : [من البسيط]

يا صاحبَيّ قِفا لي وانْظُرا[٦] عَجَباً ... أتى بهِ الدَّهرُ فينا من عَجائبهِ
البَدْرُ أصبح فوقَ الشَّمْسِ مَنْزلةً[٧] ... وما العُلُوُّ عليها مِنْ مَراتبهِ
أضْحى يُماثِلُها حُسْناً وشاركها[٨] ... كُفْواً وسارَ إليها في مَواكبهِ
فأشْكَلَ الفَرْقُ لولا وَشْيُ نَمْنَمَةٍ[٩] ... بصدغهِ واخضرارٍ فوق شاربهِ

---

(١) ترجمة ـ صدر الدين الحنفي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٣٠٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٣٨) والإشارة (٣٦٩) والعبر (٥/ ٣١٥) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٢) والوافي (١٥/ ٤٠٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٨٥) والدليل الشافي (١/ ٣٢١) وحسن المحاضرة (١/ ٤٦٦) و(٢/ ١٨٤) والدارس (١/ ٤٧٥ و٥٤٣) والطبقات السنية (٤/ ٤٨ ـ ٥٠) وشذرات الذهب (٧/ ٦٢٣) .

(٢) أ ، ب : بن أبي العرب .

(٣) ط : ابن وهيب ؛ وهو خطأ لأن أبا العز هو وُهيْب ، وهذا الخطأ وقعت فيه طبعات الكتب التالية : حسن المحاضرة ، والدارس ، والنجوم الزاهرة ، وشذرات الذهب . وانفرد الدليل الشافي بتسمية أبيه وهب لا وهيب .
قال بشار : وجدته بخط الذهبي : ابن وهيب ، فيحرر ، وليس بين يدي الآن موارد كافية ، لبعدي عن خزانة كتبي .

(٤) أ ، ب : من الغد .

(٥) الأبيات في ذيل المرآة (٣/ ٣٠٢) .

(٦) ذيل المرآة : فانظرا .

(٧) أو الذيل : منزله .

(٨) ب : ومنازلها . ولعلها محرفة عن : وصار لها . وهي رواية ذيل المرآة .

(٩) في الذيل : يمنته ؛ وهو تحريف .

طه[1] بن إبراهيم بن أبي بكر كمال الدين الهمداني[2] الإربلي الشافعي .

كان أديباً فاضلاً شاعراً ، له قدرة في تصنيف دوبيت[3] ، وقد أقام بالقاهرة حتى توفي[4] [بها] في جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد اجتمع مرة بالملك الصالح أيوب ، فجعل يتكلّم في علم النجوم[5] فأنشده على البديهة (هذين البيتين)[6] : [من البسيط]

دَعِ النجـومَ لِطُـرْقِـيٍّ يعيـشُ بهـا   وبـالعـزيمـة فـانهـضْ أيُّهـا المَلِـكُ[7]
إنَّ النبـيَّ وأصحـابَ النبـيِّ نَهَـوْا   عنِ النُّجومِ وقد أبصرتَ[8] ما ملكوا

وكتب إلى صاحب له اسمه شمس الدين يستزيره بعد رمد أصابه فبرأ منه[9] : [من الطويل]

يقولُ ليَ الكحّالُ عينُكَ قد هدتْ   فـلا تَشْغَلَـنْ قَلْبـاً وطِـبْ نفسـا
وَلـي مُـدَّةٌ يـا شمـسُ لـم أركـم بهـا   وآية برءِ العينِ أن تبصرَ الشمسا[10]

عبد الرحمن بن عبد الله[11] بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن عثمان[12] جمال الدين ابن الشيخ نجم الدين البادَرائي[13] البغدادي ثم الدمشقي .

درَّس بمدرسة أبيه من بعده حتى[14] حين وفاته يوم الأبعاء سادس رجب ، ودُفن بسفح قاسيون ، وكان رئيساً حسنَ الأخلاق جاوز خمسين سنة ، رحمه الله .

---

(١) ترجمة ـ طه بن إبراهيم ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٣٠٣ـ٣٠٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٣٨) وفوات الوفيات (٢/ ١٣٠) وطبقات الإسنوي (١/ ١٥٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٨١) والدليل الشافي (١/ ٣٧٠) وشذرات الذهب (٧/ ٦٢٣) .
(٢) كذا في الأصول : الهمداني ، وهو : الهذباني في النجوم الزاهرة وذيل المرآة ، وهو الصواب . وهو الهيدباني في الدليل الشافي .
(٣) أ : ذوبيت ، وفي ط : روبيت .
(٤) ب : كانت وفاته .
(٥) ب : علوم النحو ؛ وهو خطأ .
(٦) البيتان في ذيل المرآة والفوات والنجوم والدليل الشافي .
(٧) في الفوات : وانهض بعزم صحيح أيها الملك .
(٨) في الفوات : قد عاينت .
(٩) البيتان في ذيل المرآة .
(١٠) ب : رامد العين لم يبصر إن يبصر الشمسا .
(١١) ترجمة ـ البادرائي ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٣٠٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٤١) والدارس (١/ ٢٠٧) .
(١٢) ط : عفان ؛ وهو تحريف .
(١٣) أ : البارزاني . والبادرائي نسبة إلى بادَرَايا من نواحي النهروان بقرب باكسايا بين البندنيجين ونواحي واسط . وكانت تقع جنوب الطريق المتجه إلى خراسان . الدليل الشافي (١/ ٣١٦) وبلدان الخلافة (٨٨ و١٠٧) .
(١٤) ب : إلى حين .

قاضي القضاة مجد الدين[١] عبد الرحمن بن كمال الدين[٢] عمر بن أحمد بن العَديم ، الحلبي ، ثم الدمشقي الحنفي[٣] .

ولي قضاء الحنفية بعد ابن عطاء[٤] بدمشق ، وكان رئيساً ابنَ رئيس ، له إحسان وكرم[٥] أخلاق ، وقد ولي الخطابةَ بجامع القاهرة الكبير ، وهو أول حنفيّ وليه ، توفي[٦] . بجوسقه بدمشق في ربيع الآخر[٧] من هذه السنة ، ودفن بالتربة التي أنشأها عند زاوية الحريري على الشرف القبلي غربي الزيتون .

الوزير ابن الحِنّا[٨] علي بن محمد بن سليم[٩] بن عبد الله الصاحب بهاء الدين أبو الحسن بن الحِنّا الوزير المصري .

وزير الملك الظاهر وولده[١٠] السعيد إلى أن توفي في سلخ ذي القعدة ، وهو جد جد ، وكان ذا رأي وعزم وتدبير ذا تمكُّن في الدول الظاهرية ، لا تمضي الأمور إلا عن رأيه وأمره ، وله مكارم على الأمراء وغيرهم ، وقد امتدحه الشعراء ، وكان ابنه تاج الدين وزير الصحبة ، وقد صودر في الدولة السعيدية .

الشيخ مجد الدين[١١] ابن الظَّهير اللغوي[١٢] محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر مجد الدين أبو عبد الله الإربلي الحنفي المعروف بابن الظهير .

---

(١) ترجمة ـ ابن العديم ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/٣٠٦) وتاريخ الإسلام (١٥/٣٤١) والإشارة (٣٦٩) والعبر (٥/٣١٥) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٢) والوافي (١٨/٢٠١) والجواهر المضية (٢/٣٨٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ و٢٨٥) والدليل الشافي (١/٤٠٣) والدارس (٢/ ٢٥٩) وحسن المحاضرة (١/ ٤٦٦) والطبقات السنية (٤/ ٤٩٣ ـ ٢٩٤) وشذرات الذهب (٧/ ٦٢٤) .

(٢) ط : جمال الدين ؛ خطأ . تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٦٠ .

(٣) أ : ثم الحنفي .

(٤) ابن عطاء هو عبد الله بن محمد وتقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٧٣ من هذا الجزء .

(٥) أ : له كرم أخلاق .

(٦) ب : بحر ستة في ربيع الأول .

(٧) ب : وكانت وفاته .

(٨) ترجمة ـ ابن حنا ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٤٤) والإشارة (٣٦٩) والعبر (٥/ ٣١٥ ـ ٣١٦) والوافي (٢١/ ٣٠) وفوات الوفيات (٣/ ٧٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٨٥) والدليل الشافي (٧/ ٤٩٦) وحسن المحاضرة (٢/ ٢١٦) وشذرات الذهب (٧/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) .

(٩) أ : سليمان ؛ وهو تصحيف ، وقد قيده الذهبي بخطه بفتح السين وكسر اللام .

(١٠) ب : وزر للملك الظاهر ثم ولده .

(١١) ط : محمد .

(١٢) ترجمة ـ ابن الظهير ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٣٨٦ ـ ٤٠٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٤٥) والإشارة (٣٦٨) والعبر (٥/ ٣١٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٢) والجواهر المضية (٣/ ٥٢ ـ ٥٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥) والدليل الشافي (٢/ ٥٨٧) وبغية الوعاة (١/ ٣٧) وشذرات الذهب (٧/ ٦٢٦) .

ولد بإربل سنة ثنتين وستمئة ، ثم أقام بدمشق ودرس بالقايمازية[١] وأقام بها حتى توفي بها ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان بارعاً في النحو واللغة ، وكانت له يد طولى[٢] في النظم وله ديوان مشهور ، وشعر رائق ، فمن شعره قوله[٣] : [من الخفيف]

كُلُّ حيٍّ إلى المماتِ مآبُهْ ومَدَى عُمْرِهِ سَريعٌ ذَهابُهْ
ثم من قبره سيُحْشَرُ فرداً واقفاً وحده يُوفَّى حسابه[٤]
معه سائقٌ له وشهيدٌ وعلى الحرص - ويحه - انكبابُهْ[٥]
يُخْربُ الدارَ وهي دارُ بقاءٍ ثمَّ يَبْني ما عن قريب خرابهْ[٦]
عَجَباً وهو في التُّرابِ غَريقٌ كيفَ يلْهيهِ طِيبُه ومَلابُهْ[٧]
كلَّ يوم يَزيدُ نَقْصاً وإن عُمِّـ ـرَ حلَّتْ أوصالُه أوصابُهْ[٨]
والورى في مراحل[٩] الدَّهرِ رَكْبٌ دائمُ السَّيْرِ لا يُرَجى إيابُهْ
فتزوَّدْ إنَّ التُّقى خَيْرُ زادٍ ونصيبُ اللبيبِ منه لُبابُهْ[١٠]
وأخُو العَقْلِ مَنْ يَقْضي بصدقٍ شيْبُهُ في صَلاحهِ وشَبَابُهْ[١١]
وأخو الجَهْلِ يَسْتَلِذُّ هَوى النَّفْـ ـسِ فيغدو شهداً لديهِ مصابهْ[١٢]

(١) أ ، ب : القيمازية . وتكتب اللفظة بالشكلين . وقد بناها صارم الدين قيماز النجمي المتوفى سنة ٥٩٦ وكان متولياً أعمال صلاح الدين . وكانت تقع شرقي القلعة ولكنها درست وضاعت معالمها . أخبارها في الدارس (١/ ٥٧٢) ومختصر تنبيه الطالب (١٠٤) ومنادمة الأطلال (١٦٨) .

(٢) ب : وكانت له اليد الطُّولى .

(٣) الأبيات في ذيل المرآة (٣٠/ ٣٨٨ - ٣٩٤) ضمن قصيدة تتألف من (١١٤) بيتاً .

(٤) البيت عن أ : وحدها . ولم يرد في ذيل المرآة .

(٥) هذا البيت هو الثاني في قصيدة الذيل ، ولم يرد في ط .

(٦) أ : ثم يبنى عما قليل ، وب : وهي يبنى عما قليل ، وط : ثم يبني ما عما قريب ، وفي الذيل : وهو يثني ما عن قليل خرابه ؛ وفيها تحريف يجب أن يصحح .

(٧) في ب : طيبه وسلابه ، وفي ط : طيبه وعلابه ، وفي أ : طيبه وطلابه ، ورواية البيت في الذيل :
هو ضرب من الطيب كالخلوق كيف يلهيه طيبه وملابه
وهو مختل الوزن . ويبدو أن البيت اختلط بشرحه لأن الملاب - كسحاب - عطر . القاموس (ملب) .

(٨) في الذيل : خلت أوصاله أوصابه .

(٩) أ : والورى براجل ؛ ولا يستقيم الوزن بها .

(١٠) في الذيل : ويصيب اللبيب في لبابه .

(١١) أ : عمره في مشيبه وشبابه ، ط : شيبته في صلاحه وشبابه ، وهو مختل الوزن .

(١٢) أ : فيغدو سهلاً عليه مصابه ، وفي الذيل : فيغدو شهداً لديه إصابه ، وهو تحريف حاول المحقق أن يصلحه في الهامش فقال : الظاهر : صابه . ولم يتنبّه للوزن .

وهي طويلة جدًّا قريبة[(١)] من مئة وخمسين بيتاً ، وقد أورد الشيخ قطب الدين[(٢)] شيئاً كثيراً من شعره الحسن الفائق الرائق .

ابن إسرائيل الحَريري[(٣)] محمد بن سَوَّار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين نجم الدين أبو المعالي الشَّيْباني الدمشقي .

ولد في [ضحى] يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاث وستمئة ، وصحب الشيخ علي بن أبي الحسن بن منصور البُسْري[(٤)] الحريري ، في سنة ثماني عشرة ، وكان قد لبس الخرقة قبله من الشيخ شهاب الدين السَّهروردي[(٥)] ، وزعم أنه أجلسه في ثلاث خلوات . وكان ابن إسرائيل يزعم أن أهله قدموا الشام مع خالد بن الوليد فاستوطنوا دمشق ، وكان أديباً فاضلاً في صناعة الشعر ، بارعاً في النظم ، ولكن في كلامه ونظمه ما يشير به إلى نوع من الحلول والاتحاد على طريقة ابن عربي[(٦)] وابن الفارض[(٧)] وشيخه الحريري ، والله أعلم بحاله وحقيقة أمره . توفي بدمشق ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر هذه السنة ، عن أربع وسبعين سنة ، ودفن بتربة الشيخ رسلان معه داخل القبة ، وكان الشيخ رسلان شيخ الشيخ علي المغربل[(٨)] الذي تخرّج على يديه الشيخ علي الحريري شيخ ابن إسرائيل ، فمن شعره قوله[(٩)] : [من الطويل]

لَقَدْ عادَني من لاعجِ الشَّوْقِ عائِدُ ... فهَلْ عَهدُ ذاتِ الخالِ بالسَّفحِ عائدُ ؟
وهل نارُها بالأجرعِ الفَرْدِ تَعتلي ... لِمُنْفَرِدٍ شابَ الدُّجى وهُوَ شاهِدُ ؟
نَديميَّ من سُعْدَى أديرا حَديثَها ... فَذِكري هَواها والمُدامَةُ واحدُ
مُنعَّمَةُ الأطرافِ رَقَّتْ مَحاسناً ... كمَا جَلَّ في حُبّي لها ما أُكابدُ[(١٠)]

---

(١) ب : قريب .
(٢) الخبر في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٣٨٨ ـ ٤٠٥) .
(٣) ترجمة ـ ابن سوار ـ في ذيل مرآة الزمان (٣/ ٤٠٥ ـ ٤٣٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٤٧) والإشارة إلى وفيات الأعيان للذهبي (٣٦٨) والعبر (٥/ ٣١٦ ـ ٣١٧) والإعلام بوفيات الأعلام (٥/ ٢٨٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ و٢٨٥) والدليل الشافي (٢/ ٦٢٦) وشذرات الذهب (٧/ ٦٢٦) .
(٤) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٤٥ من هذا الجزء .
(٥) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٣٠ و٦٣٢ من هذا الجزء .
(٦) تقدمت ترجمة ابن عربي في وفيات سنة ٦٣٨ من هذا الجزء .
(٧) تقدمت ترجمة ابن الفارض في وفيات سنة ٦٣٢ من هذا الجزء .
(٨) هو شيخ الحريري تقدم ذكره في ترجمته سنة ٦٤٥ من هذا الجزء .
(٩) الأبيات سبعة في ذيل المرآة (٣/ ٤٠٦) .
(١٠) في أ : حلى لي في حبي لها ما أكابد ، وفي ط : حلى لي في حبها ما أكابد . والرواية الأخيرة مختلة الوزن ، وأثبت رواية ب ، وهي : توافق ما في ذيل المرآة .

فللبَدْرِ ما لاثَتْ[(١)] عليه خِمارَها ... وللشَّمْسِ ما جالَتْ[(٢)] عليه القَلائِدُ

وله[(٣)] : [من الرمل]

أيُّهـا المُعْتـاضُ بـالنَّـوْمِ السَّهَـرْ ... ذاهِـلاً يَسْبَـحُ فـي بَحْـرِ الفِكَـرْ
سَلِّـم الأمـرَ إلـى مـالِكِـه ... واصْطَبِـرْ فـالصَّبْـرُ عُقْباهُ الظَّفَـرْ
لا تَكُـونَـنْ آيِسـاً مـن فَـرَجٍ ... إنَّمـا الأيـامُ تـأتـي بـالعِبَـرْ[(٤)]
كَـدَرٌ يَحْـدُثُ فـي وَقـتِ الصَّفـا ... وَصَفـاً يَحْـدُثُ فـي وَقْـتِ الكَـدَرْ
وإذا مـا سَـاءَ[(٥)] دَهْـرٌ مـرَّةً ... سَـرَّ أَهْلِيـه وَمَهْمـا سَـاءَ سَـر
فَـارْضَ عَـنْ رَبِّـكَ فـي أقـدارِهِ ... إنَّمـا أنْـتَ أسيـرٌ للقَـدَرْ

وله قصيدة في مدح النبي ﷺ طويلة حسنة سمعها الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني[(٦)] وأصحابه على الشيخ أحمد الأعفف عنه .

وأورد له الشيخ قطب الدين اليونيني[(٧)] أشعاراً كثيرة . فمنها قصيدته الدالية المطولة التي أولها : [من الطويل]

وَفَى[(٨)] لِيَ مَنْ أهْواهُ جَهْراً بمَوعدي[(٩)] ... وأرْغَـم عُـذَّالِـي عليـهِ وَحُسَّـدي
وزارَ على شَطٍّ[(١٠)] المَزَارِ مُطَوَّلاً[(١١)] ... علـى مُغْـرَم بـالـوصـلِ لـم يَتَعَـوَّدِ
فَيـا حُسْـنَ مـا أهْـدى لعينـي جمـالُهُ ... ويـا بَـرْدَ مـا أهْـدى إلى قَلْبي الصَّـدي
ويـا صِـدْقَ أحْـلامـي ببُشْـرى وصـالـهِ ... ويـا نَيْـلَ آمـالـي ويـا نُجْـحَ مقْصـدي

---

(١) اللَّوْثُ : عَصْبُ العَمامة . القاموس (لوث) .
(٢) في ذيل المرآة : فللبدر ما لانت . . . وللشمس ما حالت . . ؛ وكلاهما تحريف .
(٣) الأبيات في ذيل المرآة (٣/ ٤١٤) .
(٤) في أ ، ب ، وذيل المرآة : بالغير . وما هان عن ب .
(٥) في ذيل المرآة : إذ ما شاء . . . مهما شاء سر ؛ وكلاهما تحريف .
(٦) كمال الدين بن الزملكاني محمد بن علي بن عبد الواحد خطيب زملكا . سترد ترجمته في وفيات سنة ٧٢٧ من الجزء التالي من هذا الكتاب .
(٧) ذيل المرآة (٣/ ٤٠٦ ـ ٤٣٢) .
(٨) ط : وافي ؛ ولا يستقيم بها الوزن .
(٩) في الأصول : لموعدي . وما هنا عن ذيل المرآة .
(١٠) ب والذيل : شحط .
(١١) ذيل المرآة : تطولاً .

تَجلَّى[١] وُجودي إذْ تَجَلَّى لباطني   بجـدٍّ سَعيـدٍ أو بِسَعـدٍ[٢] مُجَـدَّدِ
لقد حقَّ لي عِشْقُ الوجودِ وأهلهِ   وقد عَلِقَتْ كَفَّايَ جَمْعًا بموجدي[٣]

ثم [تغزل فأطال إلى أن قال][٤] :

فلما[٥] تجلَّى لي على كلِّ شاهدٍ   وسَامَرَني[٦] بالرَّمْزِ في كُلّ مَشْهَدِ
تَجَنَّبْـتُ تَقْييـدَ الجمـالِ تَـرَفُّعـاً   وطـالَعْـتُ أسْـرارَ الجمـالِ المُبَـدَّدِ
وصـارَ سَمـاعي مُطْلَقاً منهُ بَـدْؤهُ   وحـاشـا لمثلـي مِـنْ سَمـاعٍ مُقَيَّـدِ
ففـي كُـلِّ مَشْهـودٍ لقَلْبـي شـاهـدٌ   وفـي كُـلِّ مَسْمـوعٍ لـه لحـنُ معبـدِ

وصل في مشاهد الجمال

ثم قال :

أراهُ بـأوصـافِ الجَمـالِ جَميعهـا   بغيـرِ اعتقـادٍ للحُلـولِ المُبَعِّـدِ
ففـي كُـلِّ هَيْفـاءِ المَعـاطِـفِ غـادة   وفـي كُـلِّ مَصْقـولِ السَّـوالِـفِ أغْيَـدِ
وفـي كُـلِّ بَـدْرٍ لاحَ فـي لَيْـلِ شعـرهِ   على كُلِّ غُصْـن مـائِسِ العِطْفِ أمْلَـدِ
وعِنْـدَ اعْتنـاقـي كُـلَّ قَـدِّ مُهَفْهَـفٍ   ورَشفـي رضـابـاً كـالـرَّحيـقِ المُبـرَّدِ
وفي الدُّرِّ والياقوتِ والطِّيبِ والحلا   على كُلّ ساجي[٧] الطَّرفِ لَدْنِ المُقَلَّدِ
وفـي حُلَـلِ الأثـوابِ راقَـتْ لنـاظِـري   بِـزبْـرجهـا مـن مُـذْهَـبٍ ومَـورَّدِ[٨]
وفي الراحِ والرَّيْحانِ والسَّمع والغِنا   وفـي سَجْـعِ تَـرْجيـعِ الحَمـامِ المُغَـرِّدِ
وفي الدوحِ والأنهارِ والزهرِ والندى[٩]   وفـي كـلِّ بُسْتـانٍ وقَصْـرٍ مُشَيَّـدِ

---

(١) أ : تخلى .
(٢) في الذيل : وبسعد ؛ ولا يستقيم الوزن .
(٣) رواية البيت مختلة الوزن في ذيل المرآة وهي على النحو التالي :
لقد حق لي عشق وأهله وقد   علقت بكفي جميعاً بموجدتي
(٤) عن ط : وحدها .
(٥) قبل هذا البيت في ذيل المرآة (٢٨) بيتاً .
(٦) في الذيل : سامَرني ؛ ولا يستقيم بها الوزن .
(٧) في ذيل المرآة : شاجي .
(٨) ب ، وذيل المرآة : ومعمد .
(٩) ب ، وذيل المرآة : والروح والندوى .

وفي الرَّوْضةِ الفَيْحاءِ تَحْتَ سَمائِها[١] يُضاحِكُ[٢] نُورَ الشَّمْسِ نُوّارُها النَّدي
وفي صَفْوِ رَقراقِ الغَديرِ إذا حكى وقد جَعَّدَتْهُ[٣] الرِّيحُ صَفْحَةَ مِبْرَدِ
وفي اللَّهْوِ والأفْراحِ والغَفْلَةِ التي تُمَكِّنُ أهلَ الفرقِ من كُلِّ مَقْصَدِ
وعندَ انْتِشاءِ[٤] الشَّرْبِ في كُلِّ مَجْلسٍ بهيجٍ بأنواعِ الثمارِ المُنَضَّدِ[٥]
وعِنْدَ اجتماعِ (الناسِ) في كُلِّ جمْعَةٍ وعيدٍ وإظْهارِ الرِّياشِ المُجَدَّدِ
وفي لَمَعانِ المَشْرفياتِ بالوَغى وفي مثلِ أعْطافِ القَنا[٦] المُتأوِّدِ
وفي الأعْوَجِيَّاتِ العِتاقِ إذا انْبَرَتْ تسابقَ وَفْدَ الرِّيحِ في كلِّ مطرِدِ

المظاهر العلوية[٧]

وفي الشَّمْسِ تَحْكي وهي في بُرْجِ نُورها[٨] لَدَى الأُفُقِ الشَّرْقي مرآةَ عَسْجَدِ
وفي البَدْرِ بَدْرِ الأُفْقِ لَيْلَةَ تِمِّهِ جَلَتْهُ سَماءٌ مِثْلَ صَرْحٍ مُمَرَّدِ
وفي أنجمٍ زَانَتْ دُجاها كأنَّها نِثارُ لآلٍ في بساطِ زَبرجَدِ
وفي الغَيْثِ روّى الأرض بعدَ هُمودِها قبالَ[٩] نداهُ مُتْهِمٌ بَعْدَ مُنْجِدِ
وفي البَرْقِ يَبْدُو[١٠] مَوهِناً في سَحابهِ كباسمِ ثَغْرٍ أو حُسامٍ مُجَرَّدِ[١١]

المظاهر المعنوية[١٢]

ثم قال :

---

(١) في الذيل : غب سمائها .
(٢) في أ ، ب : ، والذيل : تضاحك .
(٣) في الذيل : وقد جعلته .
(٤) ط : انتشار .
(٥) في أ ، ب والذيل : منضد .
(٦) في ذيل المرآة : الفتى المتأود .
(٧) سقط العنوان من النسخة أ .
(٨) في ذيل المرآة : وفي الشمس تجلي في تبرج نورها .
(٩) أ : قتال .
(١٠) أ : يغدو .
(١١) في الذيل : كباسم ثغراً أو حسام محدد .
(١٢) الأبيات متصلة في أ بدون عناوين صغيرة .

وفي حُسْنِ تَنْميقِ الخطابِ وسرعةِ الـ ـجَوابِ وفي الخَطِّ الأنيقِ المُجَوَّدِ[١]
وفي رِقَّةِ الأشْعارِ راقَتْ لسامعٍ بدائِعُها من مُقْصرٍ ومُقَصَّدِ
وفي عودِ عيدِ الوصلِ من بَعْدِ جَفْوةٍ وفي أَمْنِ أحْشاءِ الطَّريدِ المُشَرَّدِ
وفي رَحْمةِ المَعْشُوقِ شَكْوى مُحِبِّهِ وفي رقَّةِ الألفاظِ عِنْدَ التوَدُّدِ
وفي أريحيَّات الكريم إلى الندى وفي عاطفات العفو من كلِّ سيِّد
وحَالَةِ بَسْطِ العارفينَ وأُنْسِهِمْ وتَحْرِيكِهم عِنْدَ السَّماعِ المُقَيَّدِ
وفي لُطْفِ آياتِ الكتابِ (التي) بها تَنَسَّمَ[٢] روحَ الوَعْدِ بَعْدَ التَّوَعُّدِ

ثم قال :

المظاهر الجلالية

كذلكَ أوصافُ الجَلالِ مَظَاهرٌ أُشاهِدُهُ فيها بغيرِ تَرَدُّدِ
ففي سطوةِ القاضي الجليلِ وسَمْتِه وفي سَطْوةِ الملكِ الشَّديدِ التَّمَرُّدِ[٣]
وفي حِدَّةِ[٤] الغَضْبانِ حَالَةَ طَيْشِهِ وفي نَخْوَةِ القَرْمِ المهيبِ المُسَوَّدِ
وفي صَوْلَةِ[٥] الصَّهْباءِ جازَ[٦] مديرها وفي بُؤْسِ[٧] أخلاقِ النَّديمِ المُعَرْبِدِ
وفي الحرِّ والبَرْدِ اللَّذَيْنِ تقسَّما الـ ـزَّمانَ وفي إيلامِ كلِّ محسدِ[٨]
وفي سرِّ تَسْليطِ النُّفوسِ بشرِّها[٩] عَلَيَّ وتَحْسينِ التَّعَدّي لمُعْتَدي
وفي عيثرِ الغَاراتِ يستغرق الفضا وتكحيلِ[١٠] (عينِ الشمسِ) منهُ بإثمدِ

(١) في ب والذيل : المجرد ؛ وهو تحريف .
(٢) في أ : تقسم ، وفي الذيل : تبسم ؛ وكلاهما تحريف .
(٣) ط : الممرد .
(٤) في ذيل المرآة : وفي جلدة . . .
(٥) ب والذيل : في سورة .
(٦) أ : حاز .
(٧) في الذيل : وفي يبس .
(٨) أ والذيل : مجسد .
(٩) في ذيل المرآة : ونشرها .
(١٠) ط : وفي عسر العادات يشعر بالقضا وتكحيل . وفي أ : وفي عسر العادات يستعرف القضا وتكحل . وفي ذيل المرآة : وفي عثر الغارات يستعرف الفضا ويكحل .

وعندَ اصطدامِ الخَيْلِ في كلِّ موقفٍ[١] تَعَثَّرَ[٢] فيهِ بالوَشِيجِ المُنَضَّدِ
وفي شِدَّةِ اللَّيْثِ الصَّؤولِ[٣] وبأْسِهِ وشدَّةِ عَيْشٍ بالسَّقَامِ مُنَكَّدِ[٤]
وفي جَفْوةِ المَحْبوبِ بَعْدَ وِصالِهِ وفي غدرِهِ[٥] من بعدِ وعدٍ[٦] مؤكَّدِ
وفي رَوْعَةِ البَيْنِ المُشِتِّ[٧] وموقفِ الـ ـوداعِ لحرَّانِ[٨] الجوانحِ مُكْمِدِ
وفي فرقةِ الألَّافِ بَعْد اجْتماعِهم وفي كلِّ تَشْتيتٍ وشَمْلٍ مُبَدَّدِ
وفي كلِّ دارٍ أقْفَرَتْ بَعْدَ أُنْسِها وفي طَلَلٍ بالٍ ودارٍ مُشْهِدِ[٩]
وفي هَوْلِ أمْواجِ البِحارِ وَوَحْشَةِ الـ ـقفارِ وسيلٍ بالمزاييبِ[١٠] مُزْبِدِ
وعندَ قيامي بالفرائضِ كلِّها وحالةِ تَسْليمٍ لسرِّ التعبُّدِ
وعندَ خُشوعي في الصَّلاةِ لعزَّةِ الـ ـمُناجى وفي الإطراقِ[١١] عندَ التَّهجُّدِ
وحالةِ إهْلالِ الحَجيجِ بحجِّهمْ وإعْمالهمْ للعيسِ[١٢] في كلِّ فَدْفَدِ[١٣]
وفي عُسْرِ تَخْليصِ الحَلالِ وفترةِ الـ ـملالِ لقَلْبِ النَّاسِكِ المُتَعَبِّدِ

المظاهر الكمالية

وفي ذِكْرِ آياتِ[١٤] العَذابِ وظلمةِ الـ ـحجابِ وقَبْضِ النَّاسِكِ المُتَزَهِّدِ
ويَبْدُو[١٥] بأوْصافِ الكَمالِ فَلاَ أرى بِرُؤْيَتِهِ شَيئاً قَبيحاً ولا رَدي

---

(١) ب وذيل المرآة : مأزق .
(٢) ط وذيل المرآة : يعثر ؛ ولا يستقيم بها الوزن .
(٣) ب وذيل المرآة : الهصور .
(٤) أ : مبلد .
(٥) ب وذيل المرآة : عذره ؛ وهو تحريف .
(٦) أ ، ب والذيل : عهد .
(٧) ط : المسيء ، وفي ب : المسيب ، وفي ذيل المرآة : المشيب .
(٨) ب : لحراق .
(٩) ط : معمد ، وفي الذيل : وفي ليل ناد أو دارس معهد ؛ وفيها تحريفات .
(١٠) في ذيل مرآة الزمان : بالمذاهب ؛ تحريف .
(١١) في ذيل المرآة : الأطواف .
(١٢) ط : وأعمالهم للعيش ؛ تحريفان .
(١٣) في أ : في كل فرقد ؛ تحريف .
(١٤) ط : وفي ذكريات . ولم يرد البيت في ذيل المرآة .
(١٥) أ : وتبدو .

فكُـلُّ مُسـيءٍ لـي إلـيَّ كَمُحْسِـنٍ وكلُّ مُضِلّ (لي) إليَّ كَمُرْشِدِ[١]
فلا[٢] فرقَ عندي بَيْن أُنْسٍ ووحشةٍ ونـورٍ وإظـلامٍ ومُـدْنٍ ومُبْعـدِ
وسيّانَ إفْطاري وصَوْمي وفَتْرتي وجهدي ونومي وادِّعاء تَهَجُّدِي[٣]
أُرَى تارةً في حانةِ الخَمْرِ خالعاً عِـذاري وطَـوْراً فـي حنيَّـةِ مسجدِ[٤]
تَجَلَّـى لسـرّي بـالحقيقـةِ مشـربٌ فـوقتـي مَمْـزوج بكَشْـفٍ مُسَـرمَـدِ
تَعَمَّرتِ الأوطانُ (بي) وتحققت مظـاهـرُهـا عنـدي بعينـي ومَشْهَـدِي
وقلبـي علـى الأشيـاءِ أجمع قلـبٍ وسـرِّي[٥] مقسـوم علـى كـلِّ مـورد
فهيكـل أوثـانٍ وديـرٌ لـراهـبٍ وبيـتٌ لنيـرانٍ وقبلـةُ معبـدي[٦]
ومَسْـرَحُ غـزلانٍ[٧] وحـانـةُ[٨] قَهْـوةٍ ورَوْضَـةُ أزْهـارٍ ومَطْلَـعُ أسْعـدِ
وأسْـرارُ عِـرْفـانٍ ومِفْتـاحُ حِكمـةٍ[٩] وأنفـاسُ وجـدانٍ وفَيْـضُ[١٠] تَبَلُّـدِ
وجيشٌ لِضِرغامٍ وخِدْرٌ[١١] لِكاعِبٍ وظُلْمَـةُ حَيْـرانٍ[١٢] ونُـورٌ لمُهْتَـدِي
تَقَـابَلَـتِ الأضْـدادُ عِنْـدي جَميعُهـا كمحنـةٍ[١٣] مَجْهـودٍ ومنْحَـةِ مُجْتـدي
وأحْكَمْـتُ تَقْـريـرَ المَـراتـبِ صُـورةً ومَعْنـىً ومـن عَيْـنِ التَّفَـرُّدِ مَـوْردي
فما مَوْطِنٌ إلاّ ولي فيهِ مَوْقف[١٤] علـى قَـدَمٍ قـامَـتْ بِحَـقِّ التَّفَـرُّدِ

---

(١) في ذيل المرآة :
فكل مسيء بي إليَّ كمحسن وكـل مضـلٍّ إلـيَّ كمـرشـد
ولا يستقيم الوزن بهذه الرواية .
(٢) في ذيل المرآة : ولا فرق .
(٣) وفي الذيل : وادعاً وتهجدي .
(٤) أ ، ب : ، والذيل : معبد .
(٥) أ ، ب : وقلبي مع الأشياء جمع مقلب . وفي ط : وشربي .
(٦) أ ، ب والذيل : مسجدي .
(٧) أ ، ب والذيل : ومرج لغزلان .
(٨) في ذيل المرآة : وخانة قهوة .
(٩) ب : ومنبع عرفان وأسرار حكمة ، وفي ذيل المرآة : ومنبع عرفان وإسراج حكمة .
(١٠) في ذيل المرآة : وقيظ تبلد .
(١١) في ذيل المرآة : وحذر لكاتب ؛ وهو تحريف .
(١٢) ط : جيران ؛ وهو تحريف .
(١٣) في ذيل المرآة : كمحبة ؛ ولا يستقيم الوزن بها .
(١٤) في ذيل المرآة : فيه مقصد .

فَلاَ غَرْوَ إنْ فُتُّ الأنَامَ بها وقد عَلِقْتُ[١] بحبلٍ من حِبالِ محمَّد
عَلَيْـه صَـلاةُ اللهِ تُشْفَـعُ دائمـاً بـروحِ تحيـاتِ السَّـلامِ المُـرَدَّدِ

ابن العود الرافضي[٢] أبو القاسم(بن)[٣] الحُسَين بن العود نجيب الدين الأسَدي الحِلّي . شيخُ الشِّيعة وإمامهُم وعالمهم في أنفسهم ، كانت له فضيلةٌ ومشاركةٌ في علوم كثيرة ، وكان حسن المحاضرةِ والمعاشرة ، لطيفَ النادرة ، وكان كثيرَ التَّعبُّدِ بالليل ، وله شعرٌ جيد . ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمئة ، وتوفي في رمضان من هذه السنة عن ست وتسعين سنة ، والله أعلم بأحوال عباده وسرائرهم ونياتهم .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستمئة

كان أولها يوم الأحد والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها .

وقد اتفق في هذه السنة أمور عجيبة ، وذلك أنه وقع الخُلْفُ بين الممالكِ كلِّها :

اختلفت التتار فيما بينهم واقتتلوا فقُتل منهم خلقٌ كثير .

واختلفت الفرنجُ في[٤] السواحل ، وصالَ بعضُهم على بعض ، وقَتَلَ بعضُهم بعضاً ، وكذلك الفرنجُ الذين في داخل البحور وجزائرها ، فاختلفوا واقتتلوا .

وقتلت[٥] قبائل الأعراب بعضها في بعض قتالاً شديداً .

وكذلك وقعَ الخُلْف بين العشير من الحوارنة[٦] وقامت الحرب بينهم على ساق .

وكذلك[٧] وقع الخُلْفُ بين الأمراء الظاهرية بسبب أن السلطان الملك السعيد بن الظاهر لمّا بعثَ الجيش إلى سيس أقام بعده بدمشق وأخذ في اللهو واللعب والانبساط مع الخاصكية ، وتمكنوا من

---

(١) ب : بها علا وقد علقت ؛ وفي ط : جميعهم وقد غلقت . وفي ذيل المرآة : (ولا غرو . . غلاّ وقد علقت) والرواية الثانية مختلة الوزن .
(٢) ترجمته في : ذيل مرآة الزمان (٣/ ٤٣٤) والذهبي في وفيات سنة ٦٧٩ من تاريخ الإسلام (١٥/ ٣٨١) (بشار) .
(٣) ما بين الحاصرتين من مصادر ترجمته (بشار) .
(٤) ب : الذين في السواحل .
(٥) أ ، ب : واقتتلت قبائل .
(٦) ب : العشير في الحوارنة بعضهم على بعض .
(٧) ب : وهكذا وقع .

الأمور ، وبَعُدَ عنه الأمراءُ الكبارُ ، فغضبت طائفةٌ منهم ونابذوه وفارقوه وأقاموا بطريق العساكر[١] الذين توجهوا إلى سيس وغيرهم ، فرجعتِ العساكرُ إليهم فلما اجتمعوا شعثوا قلوبهم على الملك السعيد ، ووحشوا خواطر الجيش عليه ، وقالوا : الملك لا ينبغي له أن يلعب ويلهو[٢] ، وإنما همّةُ الملوك في العدل ومصالح الآخرة والذبّ عن حوزتهم ، كما كان أبوه . وصدقوا فيما قالوا ، فإنَّ لعبَ الملوك والأمراء وغيرهم دليل على زوال النعم وخراب المُلْك ، وفساد الرعية . ثم راسله الجيش في إبعاد الخاصكية عنه ودنوِّ ذوي الأحلام والنهى إليه كما كان أبوه ، فلم يفعل[٣] ، وذلك أنه كان لا يمكنه ذلك لقوة شوكة الخاصكية وكثرتهم ، فركب الجيش وساروا قاصدين مرج الصفر ، ولم [يمكنهم العبور[٤] على دمشق بل أخذوا من شرقها ، فلما اجتمعوا كلهم بمرج الصفر][٥] أرسل السلطان أمه إليهم فتلقوها وقبّلوا الأرض بين يديها ، فأخذت تتألفهم[٦] وتصلح الأمور ، فأجابوها واشترطوا شروطاً على ولدها السلطان ، فلما رجعت إليه لم يلتزم بها ولم تمكنه الخاصكية من ذلك ، فسارت العساكر إلى الديار المصرية ، فساق السلطان خلفهم ليتلافى الأمور قبل تفاقمها[٧] وانفراطها ، فلم يلحقهم وسبقوه إلى القاهرة ، وقد كان أرسل أولاده وأهله[٨] وثقله إلى الكرك فحصنهم فيها ، وركب في طائفة من الجيش الذين بقوا[٩] معه والخاصكية إلى الديار[١٠] المصرية ، فلما اقترب منها صدوه عنها وقاتلوه فقتل من الفريقين نفر يسير ، فأخذه بعض الأمراء فشق به الصفوف وأدخله في قلعة الجبل ليسكن الأمر[١١] ، فما زادهم ذلك إلا نفوراً ، فحاصروا حينئذ القلعة وقطعوا عنها الماءَ ، وجرت خطوبٌ طويلةٌ وأحوالٌ صعبةٌ . ثم اتفق الحالُ بعد ذلك مع الأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي ـ وهو المشار إليه حينئذ ـ

---

(١) ب : وسبب ذلك أن السلطان الملك السعيد أقام بدمشق حين بعث الحبيس إلى سيس وأخذ في اللعب واللهو والانبساط من الخاصكية وتمكنوا من الأمور وبعد غنة الأمراء الكبار فغضبت .

(٢) ب : فارجعوا إليهم فلما اجتمعت العساكر الراجعين من سيس بهم شعثوا على الملك السعيد ووحشوا خواجها الحبس عليه فراسله الجيش في إبعاد الخاصكية عنه فلم يقبل وكان لا يمكنه ذلك هفوة شوكتهم وكثرتهم .

(٣) أ : ذوي الاحتلام والنهي إليه كما كان أبوه يفعل فلم يقبل وذلك .

(٤) ب : ولم يعبروا . وقد وقعت ب في : خلافات من هذا النوع لم أذكر معه إلا ما فيه الفائدة وما اتفقت فيه مع أ .

(٥) لم يرد ما بين الحاصرتين في أ .

(٦) ب : تتلاقهم .

(٧) قبل تفاقمه .

(٨) أ : أهله وأولاده وثقله ، ب : أهله وثقله .

(٩) ب : الذين سبقوا معه فلما اقترب .

(١٠) أ : قاصد الديار .

(١١) ب : ليسكن الأمر له .

أن[١] يترك الملكُ السعيدُ المُلْكَ ويتعوض بالكرك والشوبك ، ويكون في صحبته أخوه نجم الدين خضر ، وتكون المملكة إلى أخيه[٢] الصغير بدر الدين سلامش ، ويكون الأمير سيف الدين قلاوون أتابكه .

خلع الملك السعيد وتولية أخيه الملك العادل سَلامُش

لما اتفق الحال على ما ذكرنا نزل السلطان الملك السعيد من القلعة إلى دار العدل في سابع عشر الشهر[٣] ، وهو ربيع الآخر ، وحضر القضاة والدولة من أولي الحل والعقد ، فخلع السعيد نفسه من السلطنة وأشهدهم على نفسه بذلك ، وبايعوا أخاه بدر الدين سلامش ولقب بالملك العادل ، وعمره يومئذ سبع سنين ، وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي ، وخطبَ له الخطباءُ ورُسمت السكة باسمهما ، وجعل لأخيه[٤] الكرك ، ولأخيه خضر الشوبك ، وكتبت[٥] بذلك مكاتيب ، ووضع القضاة والمفتون خطوطهم بذلك[٦] ، وجاءت البريدية إلى الشام بالتحليف لهم على ما حلف عليه المصريون . ومُسك الأمير أيدمر[٧] نائب الشام الظاهري واعتُقل بالقلعة عند نائبها ، و(كان نائبها) إذ ذاك علم الدين سنجر الدواداري ، وأحيط على أموال نائب الشام[٨] وحواصله ، وجاء على نيابة الشام الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في أُبَّهة عظيمة ، وتحكُّم مكين ، فنزل بدار السادة وعظمه الناس وعاملوه معاملة الملوك ، وعزل السلطان قضاة مصر الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي ، وولَّوا القضاء صدر الدين عمر بن القاضي تاج الدين[٩] بن بنت الأعزّ عوضاً عن الشافعي ، وهو تقي الدين بن رزين[١٠] وكأنهم إنما عزلوه لأنه توقف[١١] في خلع الملك السعيد والله أعلم .

---

(١) ب : على أن يترك .
(٢) أ ، ب : إلى أخيهما .
(٣) ب : الشهر المذكور .
(٤) أ ، ب : للسعيد .
(٥) ب : وكتب .
(٦) ب : بذلك يصفون ما كان من الأمر .
(٧) ب : الأمير عز الدين أيدمر .
(٨) ب : وأحيط على أمواله وحواصله .
(٩) ب : تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز .
(١٠) ابن رزين هو محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامري الحموي . سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٠ من هذا الجزء إن شاء الله .
(١١) أ : لكونه توقف ، ب : لكونهم توقفوا في قضية الملك السعيد .

[ذكر] بيعة الملك[1] المنصور قلاوون الصالحي

لما كان يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رجب اجتمع الأمراء بقلعة الجبل من مصر وخلعوا الملك العادل[2] سَلامُش ابن الظاهر ، وأخرجوه من التبن[3] ، وإنما كانوا قد بايعوه صورةً ليسكن الشر عند خلع الملك السعيد ، ثم اتفقوا على بيعة الملك المنصور قلاوون[4] الصالحي ، ولقَّبوه الملكَ المنصور ، وجاءت البيعةُ إلى دمشق فوافقَ الأمراءُ وحلفوا ، وذكر أن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر لم يحلف مع الناس ولم يرضَ بما وقع ، وكأنه داخله حسدٌ من المنصور ، لأنه كان يرى أنه أعظم منه عند الظاهر . وخُطب للمنصور على المنابر [في الديار][5] المصرية والشامية ، وضربت السكة باسمه ، وجرت الأمور [في البلاد] بمقتضى رأيه[6] فعزل وولَّى ونفذت مراسيمه في سائر البلاد بذلك ، فعزل عن الوزارة برهان الدين السنجاري[7] وولَّى مكانه فخر الدين بن لقمان[8] كاتب السِّر ، وصاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية .

وفي يوم الخميس الحادي عشر من ذي القعدة من هذه السنة توفي الملك السعيد ابن الملك الظاهر بالكرك ، وسيأتي ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى . وفيها حمل الأمير أيْدَمر الذي كان نائب الشام في محفَّة لمرضٍ لحقه إلى الديار المصرية ، فدخلها في أواخر ذي القعدة ، واعتقل بقلعة مصر[9] .

[ذكر] سلطنة سُنْقُر الأشْقَر بدمشق

لما كان يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة ركب الأمير شمس الدين سُنْقُر الأشْقَر من[10] دار

---

(١) ب : ذكر البيعة للملك المنصور قلاوون لما كان .
(٢) ب : العادل بدر الدين سلامش .
(٣) في الأصول : البين ؛ وهو تحريف ومسجد التبن يقع خارج القاهرة قريباً من المطرية . خطط المقريزي (٢/ ٤١٣) والنجوم (٧/ ١٩٦) .
(٤) ب : ليسكنوا الأمر عند خلع الملك السعيد ثم بايعوا سيف الدين قلاوون .
(٥) من ط : وحدها .
(٦) ب : رأيه وحكمه .
(٧) هو الخضر بن الحسن بن علي السنجاري برهان الدين قاضي القضاة . سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٦ من هذا الجزء .
(٨) هو إبراهيم بن لقمان بن أحمد فخر الدين ، سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٩٣ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٩) ب : واعتقل بالقلعة .
(١٠) ب : من داره دار السعادة .

السعادة بعد صلاة العصر[١] وبين يديه جماعة من الأمراء والجند مشاة[٢] ، وقصد باب القلعة الذي يلي المدينة ، فهجم منه ودخل القلعة واستدعى الأمراء فبايعوه[٣] على السلطنة ، ولُقّب بالملك الكامل ، وأقام بالقلعة[٤] ونادت المنادية بدمشق بذلك ، فلما أصبح يوم السبت استدعى بالقضاة والعلماء والأعيان ورؤساء البلد إلى مسجد أبي الدرداء[٥] بالقلعة ، وحلَّفهم وحلَف له بقية الأمراء والعسكر ، وأرسل العساكر إلى غزة لحفظ الأطراف وأخذ الغلات ، وأرسل الملك المنصور إلى الشوبك فتسلمها نوابه ولم يمانعهم نجم الدين خَضِر .

وفيها[٦] : جددت خمسة[٧] أضلاع في قبة النسر من الناحية[٨] الغربية .

وفيها : عزل فتح الدين بن القيسراني[٩] من الوزارة بدمشق ووليها تقي الدين توبة التكريتي[١٠] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

عز الدين بن غانم الواعظ[١١] عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين عز الدين أبو محمد[١٢] الأنصاري المقدسي .

الواعظ المطبق المفلق الشاعر الفصيح ، الذي نسج على منوال ابن الجوزي وأمثاله ، وقد أورد له قطب الدين[١٣] أشياء حسنة كثيرة مليحة ، وكان له قبول عند الناس ، تكلّم مرة تجاه الكعبة المعظمة ،

---

(١) أ : بعد العصر .

(٢) ب : والجند مساء .

(٣) ب : فهجم منه فدخلها واستدعى الأمراء فبايعوهم .

(٤) ب : وأقام بها .

(٥) يقع اليوم مسجد أبي الدرداء على الطريق الذي شق حديثاً في شمال القلعة ويصل بين العصرونية والسنجقدارية أو الزرابلية . وهو مغلق الآن ، وكان لفترة طويلة مفتوحاً للمصلين .

(٦) ب : وفي هذه السنة .

(٧) ط : أربعة ، والخبر في مرآة الزمان (٤/ ١١) .

(٨) ب : في ناحيتها الغربية .

(٩) الوزير فتح الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صقر القرشي المخزومي ابن القيسراني . سترد ترجمته في وفيات سنة ٧٠٣ من الجزء التالي والأخير .

(١٠) تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة التكريتي . سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٩٨ من هذا الجزء إن شاء الله .

(١١) ترجمة ـ عز الدين بن غانم الواعظ ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٣) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٦٣) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٣) والعبر (٥/ ٣٢١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٣٢) والدليل الشافي (١/ ٤١٢) .

(١٢) ط : أحمد ؛ وفيها نقص وتحريف .

(١٣) الخطبة التي ألقاها في دمشق أوردها قطب الدين في ذيل المرآة (٤/ ١٤ ـ ١٥) وخطبته في الحرم الشريف أورداه في=

وكان في الحضرة الشيخ تاج الدين[١] الفزاري[٢] والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وابن العجيل من اليمن وغيرهم من العلماء والعباد[٣] ، فأجاد وأفاد وخطب فأبلغ وأحسن . نقل هذا المجلس الشيخ شرف الدين الفزاري[٤] ، وأنه كان في سنة خمس وسبعين[٥] .

الملك السعيد[٦] بن الملك الظَّاهر : ناصر الدين محمد بركة[٧] خان أبو المعالي ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البُنْدُقْداري .

بايع له أبوه الأمراء في حياته ، فلما توفي أبوه بويع له بالملك ، وله تسع عشرة سنة ، ومشت[٨] له الأمور في أول الأمر على السعادة ، ثم إنه غلبت عليه الخاصكية[٩] فجعل يلعبُ معهم في الميدان الأخضر فيما قيل أول هوى ، فربما جاءت النوبة عليه فينزل لهم ، فأنكرت الأمراء الكبار ذلك[١٠] وأنفوا أن يكون ملكُهم يلعب مع الغلمان ، ويجعل نفسه كأحدهم ، فراسلوه في ذلك ليرجع عمّا هو عليه فلم يقبل ، فخلعوه كما ذكرنا ، وولّوا السلطانَ الملكَ المنصورَ قلاوون في أواخر رجب كما تقدم . ثم كانت وفاته في هذه السنة بالكرك في يوم الجمعة الحادي عشر من ذي القعدة ، يقال إنه سُمَّ ، فالله أعلم ، وقد دفن أولاً عند قبر جعفر وأصحابه الذين قتلوا بمؤتة ، ثم نقل إلى دمشق فدفن في تربة أبيه سنة ثمانين وستمئة ،

= (٤/ ٢٠) ، كما أورد له في (٤/ ٢٣) مقالاً أنشأه قبل موته .

(١) سترد ترجمة تاج الدين الفزاري وهو عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع في وفيات سنة ٦٩٠ من هذا الجزء .

(٢) ط : بن الفزاري . ولا ضرورة للفظة : بن .

(٣) ب : من العباد والعلماء .

(٤) أ : تقي الدين ، وفي ط : تاج الدين ؛ وكلاهما تحريف . وسترد ترجمة شرف الدين الفزاري ـ أحمد بن إبراهيم بن سباع ـ في وفيات سنة ٧٠٥ في الجزء التالي والأخير من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٥) قال قطب الدين : وحكى الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري ـ رحمه الله ـ قال : حججت في سنة خمس وسبعين وستمئة واجتمع في الحج من علماء الأقطار ابن العجيل . . . الخ .

(٦) ترجمة ـ الملك السعيد ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٣٣ ـ ٣٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٦٦) والعبر (٥/ ٣٢١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٥٩) والشذرات (٧/ ٦٣٢) .

(٧) ط : الملك السعيد بن الملك الظاهر بركة خان ناصر الدين ، محمد بن بركة خان ، ولا ضرورة للفظة : بن ، كما أن « بركة خان » الأولى لا معنى لها هنا ، والصواب ما أثبتنا . وقال ابن تغري بردي في النجوم ، سمي بركة خان على اسم جده لأمّه بركة خان بن دولة خان الخوارزمي .

(٨) ط : ومشيت .

(٩) الخاصَّكِية : وهم الذين يدخلون على الملك بغير إذن في خلواته وفراغه وينالون من ذلك ما لا يناله غيرهم ويحضرون طرفي النهار في خدمة القصر والإسطبل ويركبون مع الملك بالليل والنهار وهم يحملون سيوفهم وبلباسهم الكامل . هامش النجوم (٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠) .

(١٠) بعد هذه اللفظة في أ : وحموا ، وفي ب : وحموا من ذلك وأنفوا .

وتملك الكرك بعده أخوه نجم الدين خَضِر[١] وتلقَّبَ بالملك المسعود ، فانتزعها المنصور من يده كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمئة

كان أولها يوم الخميس ثالث أيّار ، والخليفة الحاكم بأمر الله [العباسي وملك مصر الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي ، وبعض بلاد الشام أيضاً] .

وأما دمشق وأعمالها فقد ملكها سنقر الأشقر[٢] .

وصاحب الكرك الملك المسعود[٣] بن الظاهر .

وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود ، والعراق وبلاد الجزيرة وخراسان والموصل وإرْبل وأذْربيجان وبلاد بكر وخلاط وما والاها وغير ذلك من البلاد بأيدي التتار ، وكذلك بلاد الروم في أيديهم أيضاً ، ولكن فيها غياث الدين بن ركن الدين ، ولا حكم له سوى الاسم .

وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر .

وصاحب مكة[٤] الشريف نجم الدين أبي نُمَيّ الحسني[٥] .

وصاحب المدينة عز الدين جَمّاز بن شِيحَة الحُسيني[٦] .

ففي مستهلّ السنة المذكورة ركب السلطان الملك الكامل سُنْقُر الأشقر من القلعة إلى الميدان[٧] وبين

(١) خضر بن بيبرس السلطان الملك المسعود بن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري ملك الديار المصرية بعد أخيه الملك السعيد ثم خُلع ووقع له أمور إلى أن توفي سنة ثمانٍ وسبعمئة . الدليل الشافي (١/ ٢٨٨) .

(٢) ب : فقداستحوذ عليها الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر .

(٣) ب : الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر .

(٤) ط : وصاحب الحرم الشريف .

(٥) في ط : نجم الدين بن أبي نمي ، وهو محمد بن حسن بن قتادة بن إدريس الشريف نجم الدين أبو نُمي وأبو مهدي المكي الحسني . ستردترجمته في وفيات سنة ٧٠١ في الجزء التالي من هذا الكتاب .

(٦) جَمّاز بن شِيحَة بن هاشم بن قاسم بن مهنّا الشريف عز الدين الحسيني أمير المدينة النبوية ثم أمير مكة أخذها من أبي نُمَيّ محمد ، ثم رحل عنهابعد ما حكمها في سنة سبع وثمانين وستمئة وعاد إلى المدينة واستمر بها إلى أن توفي سنة أربع وسبعمئة . الدليل الشافي (١/ ٢٥٠) والنجوم (٨/ ٢١٤) والدرر الكامنة (٢/ ٧٥) .

(٧) ب : الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر من القلعة المنصورة إلى الميدان الأخضر .

يديه الأمراء ومقدمة الحلقة [يحملون] الغاشية[١] ، وعليهم الخلع ، والقضاة والأعيان ركاب معه ، فسير في الميدان ساعة ثم رجع إلى القلعة[٢] ، وجاء إلى خدمته الأمير شرف الدين عيسى بن مُهنّا[٣] ملك العرب ، فقبّل الأرضَ بين يديه ، وجلس إلى جانبه وهو على السِّماط ، وقام له الكامل ، وكذلك جاء إلى خدمته ملك الأعراب بالحجاز ، وأمر الكامل سُنْقُر أن تضاف البلاد الحلبية إلى ولاية القاضي شمس الدين بن خلكان[٤] ، وولاه تدريس الأمينية[٥] وانتزعها من ابن سني الدولة[٦] .

ولما بلغ الملك المنصور بالديار المصرية ما كان من أمر سُنْقر الأشقر بالشام أرسل إليه جيشاً كثيفاً فهزموا عسكر سُنْقُر الأشقر الذي كان قد أرسله إلى غزة ، وساقوهم بين أيديهم حتى وصل جيش[٧] المصريين إلى قريب دمشق ، فأمر الملك الكامل[٨] أن يضرب دهليزه بالجسورة ، وذلك في يوم الأربعاء ثاني عشر صفر ، ونهض بنفسه وبمن معه فنزل هنالك واستخدم خلقاً كثيراً وأنفق أموالاً جزيلة ، وانضاف إليه عرب الأمير شرف الدين عيسى بن مُهَنّا ، وشهاب الدين أحمد بن حجّي[٩] ، / وجاءته/ نجدة حلب ونجدة حماة ورجال كثيرة من رجال بعلبك ، فلما كان يوم الأحد السادس عشر من صفر أقبل الجيش المصري صحبة الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، (فلما) تراءى الجمعان وتقابل الفريقان تقاتلوا إلى الرابعة في النهار ، فقتل نفر كثير ، وثبت الملك الكامل سنقر الأشقر ثباتاً جيداً ، ولكن خامر عليه الجيش[١٠] فمنهم من صار إلى المصري ومنهم من انهزم في كل وجه[١١] ، وتفرق عنه أصحابه فلم يسعه إلا الانهزام على طريق المرج في طائفة يسيرة ، في صحبة[١٢] عيسى بن مهنا ، فسار بهم إلى برية الرحبة

---

(١) ط : ومقدموا الحلقة الفاشية . وفيها نقص وتحريف . والغاشية قطعة من الجلد المبطن على شكل وسادة تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب والأعياد . صبح الأعشى (٤/ ٧) وحاشية النجوم (٧/ ٤) .

(٢) ب : القلعة المنصورة .

(٣) عيسى بن مُهَنّا بن مانع بن حُدَيثَة بن عضَيَّة بن فضل بن ربيعة الأمير شرف الدين أمير آل فضل ملك العرب . توفي سنة ٦٨٣ وولي بعده ابنه حسام الدين مُهَنّا . الدليل الشافي (١/ ٥١٠) .

(٤) سترد ترجمة ابن خلكان في وفيات سنة ٦٨١ من هذا الجزء .

(٥) الأمينية بناها أمين الدولة كمشتكين بن عبد الله الطغتكيني المتوفى سنة ٥٤١هـ . الدارس (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨) وفي خطط المنجد رقم ٦٧ : تقع في سوق الحرير اليوم وقد تحوّلت بعد ترميمها إلى مدرسة أهلية . وقد اختلس بعضها. قلت : ويطلق اليوم هذا الاسم على المعهد الشرعي الذي يقوم تحت جامع الزهراء في المزة مقابل الإسكان.

(٦) بعدها في ب : فدرس بعده ابن خلكان . وسترد ترجمة ابن سني الدولة في وفيات سنة ٦٨٠ من هذا الجزء .

(٧) ب : حتى قدم الجيش المصري قريباً من دمشق .

(٨) ب : الكامل سنقر الأشقر .

(٩) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٢ من هذا الجزء إن شاء الله .

(١٠) ب : خامر الجيش عليه .

(١١) أ ، ب : وجهة .

(١٢) ب : في صحبة الأمير الدين عيسى .

فأنزلهم في بيوت من شعر ، وأقام بهم وبدوابهم مدة مقامهم عنده ، ثم [بعث الأمراء الذين انهزموا عنه فأخذوا لهم أماناً من الأمير سنجر ، وقد نزل في ظاهر دمشق وهي مغلوقة][١] ، فراسل نائب القلعة ولم يزل به حتى فتح باب الفرج من آخر النهار ، وفتحت القلعة من داخل البلد فتسلمها المنصور وأفرج عن الأمير ركن الدين بيبرس العجمي المعروف بالجالق[٢] ، والأمير لاجين حسام الدين[٣] المنصوري وغيرهم من الأمراء الذين كان قد اعتقلهم الأمير سُنْقُر الأشْقَر ، وأرسل سنجر البريدية[٤] ، إلى الملك المنصور يعلمونه بصورة الحال ، وأرسل سنجر[٥] بثلاثة آلاف في طلب سنقر الأشقر .

وفي هذا اليوم جاء ابن[٦] خلكان ليسلّم على الأمير سنجر الحلبي فاعتقله في علو الخانقاه النجيبية[٧] ، وعزله في يوم الخميس العشرين من صفر ، ورسم للقاضي نجم الدين بن سَني الدولة[٨] بالقضاء فباشره ، ثم جاءت البريديَّة معهم كتاب من الملك المنصور قلاوون[٩] بالعتب على طوائف الناس ، والعفو عنهم[١٠] كلهم ، فتضاعفت له الأدعية[١١] ، وجاء تقليدُ النيابة بالشام للأمير حسام الدين لاجين السلحدار[١٢] المنصوري ، فدخل معه علم الدين سنجر الحلبي فرتبه في دار[١٣] السعادة ، وأمر سنجر القاضي ابن خلكان أن يتحول من المدرسة العادلية الكبيرة ليسكنها نجم الدين بن سَني الدولة ، وألحَّ عليه في ذلك ، فاستدعى جِمالاً لينقل أهلَه وثقلَه عليها إلى الصالحية فجاء البريد بكتاب من السلطان فيه تقرير ابن خلكان على القضاء والعفو عنه وشكره والثناء عليه ، وذكر خدمته المتقدمة ، و(معه) خلعة

---

(١) ب : وبعث الأمراء المنهزمون فأخذوا لهم الأمان من الأمير علم الدين سنجر الحلبي ونزل الحلبي في ظاهر البلد ، والبلد مغلوق .

(٢) ط : بالحالق ؛ وهو تحريف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٧٠٧ من الجزء التالي والأخير من هذا الكتاب ، وانظر الدليل الشافي (١/ ٢٠٤) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٢٧) وفيه الجالق باللغة التركية : اسم للفرس الحاد المزاج الكثير اللعب . وفيه (٨/ ٢٢٨) : وجالق : بفتح الجيم وبعد الألف لام مكسورة وقاف ساكنة .

(٣) ب : والأمير حسام الدين لاجين .

(٤) ب : وركبت البريدية إلى المنصور .

(٥) ب : وأرسل الأمير علم الدين الحلبي سنجر الحلبي .

(٦) ب : جاء القاضي ابن خلكان .

(٧) درست هذه الخانقاه ولم يبق لها عين كما في الدارس (١/ ١٧١) .

(٨) سترد ترجمة نجم الدين ابن سني الدولة في وفيات سنة ٦٨٠ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٩) عن ط وحدها .

(١٠) ط : عنه ؛ تحريف .

(١١) ب : فتضاعفت الأدعية للسلطان .

(١٢) ط : السلحداري .

(١٣) ب : بدار السعادة ورسم الحلبي للقاضي شمس الدين بن خلكان .

سنيةٌ له ، فلبسها وصلى بها الجمعة وسلم على الأمراء فأكرموه[١] وعظموه ، وفرح الناس به وبما وقع من الصفح عنهم .

وأما سُنْقُر الأشقر فإنه لما خرجت العساكر في طلبه فارق الأمير عيسى بن مهنا[٢] وسار إلى السواحل فاستحوذ منها على حصون كثيرة ، منها صِهْيُون ، وقد كان بها أولاده وحواصله ، وحصن بَلَاطُنُس[٣] وبُرْزَية وعَكا وجَبَلَة واللاّذقية ، والشُّغْر[٤] بَكَاس[٥] وشَيْزر ، واستناب فيها الأمير عز الدين ازْدَمُر[٦] الحاج . فأرسل السلطان المنصور لحصار شيزر طائفة من الجيش ، فبينما هم كذلك إذ أقبلت التتار[٧] لما سمعوا بتفريق كلمة المسلمين[٨] ، فانجفل الناس من بين أيديهم[٩] من سائر البلاد إلى الشام ، ومن الشام إلى مصر ، فوصلت التتار إلى حلب فقتلوا خلقاً (كثيراً) ، ونهبوا شيئاً[١٠] كبيراً ، وظنوا أن جيش سنقر الأشقر يكون معهم على المنصور ، فوجدوا الأمر بخلاف ذلك ، وذلك أن المنصور كتب إلى سنقر أنَّ التتار قد أقبلوا إلى المسلمين ، والمصلحة أن[١١] نتفق عليهم لئلا يهلك المسلمون بيننا وبينهم ، وإذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا أحداً . فكتب إليه سنقر بالسمع والطاعة وبرز من حصنه فخيم بجيشه ليكون على أهبة متى طلب أجاب ، ونزلت نوابه من حصونهم[١٢] وبقوا مستعدين لقتال التتار ، وخرج الملك المنصور من مصر في أواخر[١٣] جمادى الآخرة ومعه العساكر .

---

(١) ب : فأكرمه وعظموه وفرح الناس مما وقع من الصفح عنهم وإقامتهم في أوطانهم ولله الحمد .

(٢) ب : وأما سنقر الأشقر فإنه لما خرجت البريدية في طلبه فارق الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا .

(٣) ط : بلاطس ؛ وهو تحريف . وبلاطُنُس - بضم الطاء والنون والسين مهملة حصن منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية . معجم البلدان (١/ ٤٧٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٩٨) .

(٤) الشُّغْرُ بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره راء قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بَكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق وهما قرب أنطاكية . معجم البلدان (٣/ ٣٥٢ و١/ ٤٧٤) .

(٥) كذا في الأصول جميعاً : الشغر بكاس . بدون عطف وكأنه اسم مركب . قال بشار : الصواب : الشغر وَبكاس ، قال ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع (١/ ٢١٣) « بكاس بتخفيف الكاف ، قلعة من نواحي حلب . تقابلها قلعة أخرى يقال لها الشُّغر ، بينهما واد كالخندق يقال له الشُّغر وَبكَاس معطوف ، لا يكادون يفردون واحدة منهما » .

(٦) سيرد شيء من أخباره ووفاته في أخبار سنة ٦٨٠ من هذا الجزء .

(٧) أ : التتار من كل فج لما سمعوا .

(٨) ب : فيما بينهم فانجفل الناس .

(٩) أ : من أيديهم ، ب : الناس بين أيديهم .

(١٠) ط : ونهبوا جيشاً كبيراً .

(١١) أ ، ب : أننا نتفق .

(١٢) ب : حصونهم لذلك .

(١٣) ب : وخرج للسلطان في أواخر جمادى الآخرة من ديار مصر ومعه العساكر .

وفي يوم الجمعة الثالث[١] من جمادى الآخرة قُرئ على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان أنه قد عهد إلى ولده علي[٢]، ولُقّب بالملك الصالح ، فلما فرغ من قراءة الكتاب جاءت البريديَّةُ فأخبروا برجوع التتار من حلب إلى بلادهم ، وذلك لما بلغهم من اتفاق كلمة المسلمين ، ففرح المسلمون بذلك[٣] ولله الحمد ، وعاد المنصور إلى مصر وكان قد وصل إلى غزة[٤] ، أراد بذلك تخفيف الوطأة عن الشام فوصل إلى مصر في نصف شعبان .

وفي جمادى الآخرة أعيد برهان الدين السنجاري[٥] إلى وزارة مصر[٦] ورجع فخر الدين بن لقمان[٧] إلى كتابة الإنشاء .

وفي أواخر رمضان أعيد إلى القضاء ابن رزين[٨] وعزل ابن بنت الأعز[٩] ، وأعيد القاضي نفيس الدين بن شكر المالكي ، ومعين الدين الحنفي ، وتولى قضاء الحنابلة عز الدين المقدسي .

وفي ذي الحجة جاء تقليد ابن خلكان بإضافة المعاملة الحلبية إليه يستنيب فيها من شاء[١٠] من نوابه .

وفي مستهل ذي الحجة خرج الملك المنصور من بلاد مصر بالعساكر[١١] قاصداً الشام ، واستناب على مصر ولده الملك الصالح علياً[١٢] بن المنصور إلى حين رجوعه[١٣] .

قال الشيخ قطب الدين[١٤] : وفي يوم عرفة وقع بمصر[١٥] بَرَدٌ كبار أتلف شيئاً كثيراً من

(١) ب : الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، وفي ذيل مرآة الزمان (٤/ ٤٦) : الثامن والعشرين .
(٢) علي بن قلاوون الملك الصالح بن الملك المنصور مات في حياة والده في شعبان سنة سبع وثمانين وستمئة وخلف ولداً يسمى موسى . الدليل الشافي (١/ ٤٦٨) .
(٣) ب : ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ولله الحمد .
(٤) ب : إلى غزة لما تحقق رجوع التتار إلى بلادهم وأراد تخفيف الوطأة عن الشام وأهله وكان وروده إليها في النصف من شعبان .
(٥) سترد ترجمة السنجاري في وفيات سنة ٦٨٦هـ .
(٦) ب : وزارة الديار المصرية .
(٧) سترد ترجمة ابن لقمان في وفيات سنة ٦٩٣هـ .
(٨) ابن رزين سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٠هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٩) ب : وصدر الدين ابن بنت الأعز ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٠ من هذا الجزء .
(١٠) ب : من يشاء .
(١١) ب : بالعساكر المنصورة .
(١٢) أ ، ط : علي بن المنصور .
(١٣) ب : علياً يباشر عنه الملك إلى حين عوده .
(١٤) ذيل مرآة الزمان (٤/ ٥٣) .
(١٥) أ ، ب : وقع ببلاد مصر .

الغلات[١] ، ووقعت صاعقة بالإسكندرية وأخرى في يومها تحت الجبل الأحمر على صخرة فأحرقتها ، فأخذ ذلك الحديد فسبك فخرج منه[٢] أواقي بالرطل المصري .

وجاء السلطان[٣] فنزل بعساكره تجاه عكا ، فخافت الفرنج منه خوفاً شديداً وراسلوه في طلب تجديد الهدنة . [فإنه قد كان انتهى أمد ما كان قبلها فأقام بهذه المنزلة إلى أول سنة ثمانين فكانت فيها الهدنة على ما سيأتي بيانه] .

وجاء الأمير[٤] عيسى بن مُهَنّا من بلاد العراق إلى خدمة المنصور[٥] ، وهو بهذه المنزلة فتلقاه السلطان بجيشه وأكرمه واحترمه وعامله بالصفح والعفو والإحسان .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الأمير الكبير جمال الدين[٦] آقوش الشَّمْسي[٧] .

أحد أمراء الإسلام ، وهو الذي باشر قتلَ كَتْبُغَانُوين أحد مقدمي التتار ، وهو المطاع فيه يوم عين جالوت ، وهو الذي مسك أيْدَمُر الظاهري في حلب من السنة الماضية[٨] ، وكانت وفاته بها رحمه الله .

الشيخ الصالح داود بن حاتم[٩] بن عمر الحَبّال .

كان حنبليَّ[١٠] المذهب له كرامات وأحوال صالحة ومكاشفات صادقة ، وأصل آبائه من حَرّان ، وكانت إقامته ببعلبك ، وتوفي فيها رحمه الله عن ست وتسعين سنة ، وقد أثنى عليه الشيخ قطب الدين ابن الشيخ الفقيه اليونيني[١١] .

---

(١) ب : من الغلال . وأ ، وط : المغلات .

(٢) ب : فخرج منه الحديد أواقي .

(٣) ب : فجاء السلطان الملك المنصور فنزل بعساكره تجاه مدينة عكا .

(٤) ب : الأمير شرف الدين عيسى .

(٥) ب : السلطان الملك المنصور وهو بهذه المنزلة فتلقاه الملك المنصور بجيشه .

(٦) ترجمة ـ آقوش الشمسي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٥٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٧١) والوافي (٩/ ٣٢٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٤٤) والدليل الشافي (١/ ١٤٤ ـ ١٤٥) في وفيات ٦٧٨ . وفي بعض هذه المصادر اسمه : آقوش بن عبد الله الأمير جمال الدين الشمسي .

(٧) في ذيل المرآة (٤/ ٥٥) : والشمسي نسبة إلى الأمير بدر الدين بَيْسَري وغيره من الشمسية رحمهم الله .

(٨) ب : وهو باشر قتل كتبغانوين مقدم التتار يوم عين جالوت هو الذي أمسك عز الدين أيدمر الظاهري وقد ناب في السنة الماضية .

(٩) ترجمة ـ داود الحبال ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٥٥ ـ ٥٦) والدليل الشافي (١/ ٢٩٥) .

(١٠) لم أعثر عليه في كتب الحنابلة لا بذيل طبقات الحنابلة ولا في المقصد الأرشد ولا في الشذرات .

(١١) ذيل مرآة الزمان (٤/ ٥٥ ـ ٥٦) وفيه : وكان شيخاً صالحاً وله كرامات وأحوال وأخبار صادقة .

الأمير الكبير[(١)] نور الدين عليُّ بن عمر أبو الحسن الطوري[(٢)] .

كان من أكابر الأمراء ، [وله السَّعْيُ المشكورُ في قتال الفرنج ، وله عندهم ذكرٌ عظيمٌ ، وموقع كبيرٌ . مات] وقد نيَّفَ على تسعين سنة وكانت وفاته بسبب أنه وقع يوم مصافّ سُنْقُر الأشقر تحت سنابك الخيل فمكث بعد ذلك متمرضاً إلى أن مات بعد شهرين ودفن بسفح قاسيون ، رحمه الله .

الجَزَّار الشاعر[(٣)] يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد[(٤)] بن علي جمال الدين أبو الحسين المصري ، الشاعر الماجن ، المعروف بالجَزّار .

مدح الملوك والوزراء والأمراء[(٥)] ، وكان ماجناً ظريفاً حلو المناظرة[(٦)] ، ولد في حدود ستمئة بعدها بسنة أو سنتين ، وتوفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شوَّال من هذه السنة . ومن شعره[(٧)] : [من الخفيف]

أدْرِكُونِي فبي مِنَ البَرْدِ هَمٌّ ... ليسَ يُنْسَى وفي حَشَايَ[(٨)] التهابُ
ألْبَسَتْنِي الأطماع وهماً فهاجـ ... ـسْمِيَ عَارٍ ولي فِراً وثيابُ
كُلَّما ازْرَقَّ لونُ جسمي من البَرْ ... دِ تَخَيَّلْتُ أنه[(٩)] سنجاب

وقال وقد تزوج[(١٠)] أبوه بعجوز[(١١)] [من السريع][(١٢)] .

تزوجَ الشيخُ أبي شيخةً ... ليسَ لها عقلٌ ولا ذهنُ
كأنَّها في فرشها رمَّةٌ ... وشَعْرُها من حولها قُطْنُ

(١) ترجمة ـ الطوري ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٥٦ ـ ٥٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٧٥) والدليل الشافي (١/ ٤٦٦) وفيات سنة ٦٧٨هـ .
(٢) أ : الطيوري ؛ تحريف .
(٣) ترجمة ـ الجزار الشاعر ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٦١ ـ ٧٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٧٨) والعبر (٥/ ٣٢٤) والإشارة (٣٧٠) وفوات الوفيات (٤/ ٢٧٧ ـ ٢٩٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦ و٣٤٧) والدليل الشافي (٢/ ٧٧٨) وحسن المحاضرة (١/ ٥٦٨) وشذرات الذهب (٧/ ٦٣٦ ـ ٦٣٧) .
(٤) ب : عبد العظيم بن يحيى بن عمر ؛ خطأ .
(٥) أ : مدح الملوك والوزراء والكبراء ، وفي ب : مدح الملوك والأمراء والوزراء والكبار .
(٦) ب : حلو المحاضرة سمح الحديث وكان مولده .
(٧) الأبيات في ذيل المرآة (٤/ ٦٣) وفوات الوفيات (٤/ ٢٨٨) .
(٨) أ : وفي حياتي التهاب .
(٩) أ : تخيلت لغة سنجاب .
(١٠) أ : وقد تزوج بعجوزة أبوه .
(١١) أ ، ب : بعجوزة ، وما هنا عن ب ، ومقدمة الأبيات في الفوات : وقال في زوجة أبيه وكانت طرشاء .
(١٢) الأبيات في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٦٤) وفوات الوفيات (٤/ ٢٩٢) .

و[قائلٍ :] قُلْ لِي ما سِنُّها فقلتُ ما في فمها سنٌّ[١]
لو سفرت[٢] غرّتها في الدُّجى ما جَسَرَتْ[٣] تُبْصِرها الجِنُّ

ثم دخلت سنة ثمانين وستمئة [من الهجرة][٤]

استهلت والخليفة الحاكم وسلطان البلاد الملك المنصور قلاوون[٥] .

وفي عاشر المحرم انعقدت الهدنة بين أهل عكا والمرقب والسلطان[٦] ، وكان نازلاً على الروحاء وقد قبض على جماعة من الأمراء ممن كان معه[٧] ، وهرب آخرون إلى قلعة صهيون إلى خدمة سنقر[٨] الأشقر ، ودخل المنصور إلى دمشق في التاسع عشر من المحرم فنزل القلعة وقد زُيِّنت له البلد .

وفي التاسع والعشرين من المحرم أعاد القضاء إلى عز الدين بن الصائغ[٩] وعزل ابن خلكان[١٠] .

وفي أول صفر باشر قضاء الحنابلة نجم الدين ابن الشيخ شمس [الدين] بن أبي عمر ، وقد كان المنصب شاغراً منذ عزل والده نفسه عن القضاء ، وتولى[١١] قضاء حلب في هذا الشهر تاج الدين يحيى بن محمد بن إسماعيل الكردي ، وجلس الملك المنصور في دار[١٢] العدل في هذا الشهر فحكم وأنصف المظلوم من

(١) رواية البيت في ط :
وقال لي كم سنها قلت ليس في فمها سنّ
ومن رواية في أ :
قائل لي قال لي كم سنها فقلت ما في فمها سن
وروايته في ب والذيل :
وقائل قال لي كم سنها فقلت ما في فمها سن
وما هنا عن الفوات .
(٢) ط : لو أسفرت ، وفي الفوات : لو برزت صورتها . وقد جاء فيه بعد البيت الأول .
(٣) في الذيل : ما حسرت ؛ وهو تحريف يصحح .
(٤) عن ط وحدها .
(٥) ب : قلاوون الصالحي .
(٦) ب : والسلطان الملك المنصور على الروحاء . وقبض السلطان على جماعة .
(٧) أ ، ب : على جماعة ممن كان معه من الأمراء .
(٨) ب : وهرب منه آخرون إلى قلعة صهيون إلى خدمة الملك الكامل سنقر .
(٩) عز الدين بن الصائغ هو محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق . سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٣هـ .
(١٠) سترد ترجمة ابن خلكان في وفيات سنة ٦٨١هـ من هذا الجزء إن شاء الله .
(١١) ب : أيضاً وتولّى .
(١٢) أ ، ب : وجلس المنصور بدار العدل .

الظالم ، وقدم عليه صاحب حماة فتلقاه المنصور بنفسه في موكبه ، ونزل بداره بباب الفراديس[١] .

وفي ربيع الأول وقع الصلح بين الملك المنصور قلاوون وبين سنقر الأشقر الملك على الكامل أن يسلم[٢] للسلطان شَيْزَر ويعوّضه عنها بأنطاكية وكفرطاب وشُغْرَ بكَاس وغير ذلك ، وعلى أن يقيم على ما بيده ستمئة فارس ، وتحالفا على ذلك ، ودقت البشائر لذلك ، وكذلك تصالح صاحب الكرك الملك المسعود[٣] خضر بن الظاهر على تقريره على ما بيده[٤] ونودي بذلك في البلاد .

وفي العشر الأول من هذا الشهر ضمن الخمر والزّنى بدمشق ، وجعل عليه ديوان ومشد ، فقام في إبطال ذلك جماعة من العلماء والصلحاء والعباد ، فأبطل بعد عشرين يوماً ، وأريقت الخمور وأقيمت الحدود ولله الحمد والمنة .

وعُزل [برهان الدين السنجاري[٥] عن الوزارة بمصر وصودر وأهين][٦] .

وفي تاسع عشر ربيع الأول[٧] وصلت الخاتون بنت[٨] بركة خان زوجة الملك الظاهر ، ومعها ولدها السعيد[٩] قد نقلته من قرية المساجد بالقرب من الكرك لتدفنه عند أبيه بالتربة الظاهرية ، فرفع بحبال من السور ودفن عند والده الظاهر[١٠] ، ونزلت أمه بدار صاحب حمص ، وهيئت لها الإقامات ، وعُمل عزاءُ ولدها يوم[١١] الحادي والعشرين من ربيع الآخر بالتربة المذكورة ، وحضر السلطان المنصور وأرباب الدولة والقراء والوعاظ .

وفي أواخر ربيع الآخر عُزل التَّقي بن توبة التكريتي[١٢] من الوزارة بدمشق وباشرها بعده تاج الدين السَّنْهوري[١٣] .

---

(١) ب : وأنصف المظلوم وقدم صاحب حماة فتلقاه السلطان الملك المنصور نفسه في موكبه ونزل بداره داخل باب الفراديس .
(٢) ب : وقع الصلح بين الملك المنصور وسنقر الأشقر على أن يسلم .
(٣) ط : صاحب الكرك والملك المنصور خضر بن الظاهر . والخبر في الدليل الشافي (١/ ٢٨٨) .
(٤) أ ، ب : على تقديره ما بيده .
(٥) برهان الدين السنجاري الخضر بن الحسن سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٦ .
(٦) ما بين الحاصرتين عن : ب وحدها .
(٧) وفي تاسع ربيع الآخر ، وفي ذيل المرآة (٤/ ٩٠) وفي يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الآخر .
(٨) ليست اللفظة في أ ، ولا في ط ، واستدركت عن ب .
(٩) ب : ولدها الملك السعيد .
(١٠) ب : والده قاضي القضاة عز الدين بن الصائغ ونزلت أمه .
(١١) ب : يوم الجمعة الحادي والعشرين . والخبر في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٩٠) .
(١٢) ترجمة ـ التقي بن توبة التكريتي ـ واسمه : توبة بن علي بن مهاجر في وفيات سنة ٦٩٨ .
(١٣) أ : السنهوري ، وفي الهامش : السهنوري ، وفي ب : السنهودي .

وكتب السلطان المنصور إلى مصر وغيرها من البلاد يستدعي الجيوش لأجل اقتراب مجيء التتار ، فدخل أحمد بن حجي[(١)] ومعه بشرٌ كثيرٌ من الأعراب ، وجاء صاحب الكرك الملك المسعود نجدةً للسلطان[(٢)] يوم السبت الثاني عشر من جمادى الآخرة ، وقدم الناس عليه ووفدوا إليه من كل مكان ، وجاءته التركمان والأعراب وغيرهم[(٣)] ، وكثرت الأراجيف بدمشق ، وكثرت العساكر بها وجفل[(٤)] الناس من بلاد حلب وتلك النواحي ، وتركوا الغلات والأموال خوفاً من أن يدهمهم العدو من التتار ، ووصلت التتر[(٥)] صحبة منكوتمر[(٦)] بن هولاكو إلى عين تاب[(٧)] ، وسارت[(٨)] العساكر المنصورة إلى نواحي حلب يتبع بعضها بعضاً ، ونازلت التتار بالرحبة في أواخر جمادى الآخرة جماعة من الأعراب[(٩)] ، وكان فيهم ملك التتار أبغا مختفياً[(١٠)] ينظر ماذا يفعل أصحابه ، وكيف يقاتلون أعداءه ، ثم خرج المنصور من دمشق وكان خروجه منها في أواخر[(١١)] جمادى ، وقنت الخطباء والأئمة بالجوامع والمساجد في الصلوات وغيرها[(١٢)] .

وجاء مرسوم من السلطان باستسلام[(١٣)] أهل الذمة من الدواوين والكتبة[(١٤)] ، ومن لا يسلم يصلب ، فأسلموا كرهاً ، وكانوا يقولون[(١٥)] آمنا وحكم الحاكم بإسلامنا بعد أن عُرض من امتنع منهم على الصلب بسوق الخيل ، وجعلت الحبال في أعناقهم[(١٦)] ، فأجابوا والحالة هذه .

ولما انتهى [السلطان] الملك المنصور إلى حمص كتب إلى الملك الكامل سُنْقُر الأشقر يطلبه إليه

---

(١) سترد ترجمة أحمد بن حجي في وفيات سنة ٦٨٢هـ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٢) ب : وقد أحب الكرك الملك المسعود حضر نجدة للسلطان .
(٣) ب : من كل جانب من الترك والتركمان والأعراب وغيرهم .
(٤) أ ، ب : وانجفل .
(٥) ب : التتار .
(٦) ترجمة ـ منكوتمر بن هولاكو ـ في ذيل مرآة الزمان (٧/ ١٧٧ ـ ١٧٨) والدليل الشافي (٢/ ٧٤٦) .
(٧) ط : عنتاب ، وب : عينتاب ؛ بلا نقط ، وما هنا عن أ . وفي معجم البلدان (٤/ ١٧٦) : عين تاب قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدُلوك ودُلوك رستاقها وهي الآن من أعمال حلب .
(٨) ب : وبرزت .
(٩) أ : جمادى الآخرة طائفة ، وفي ب : في طائفة منهم .
(١٠) ب : وفيهم أبغا ملك التتار مختفياً .
(١١) ب : أعداءه وكان خروج المنصور من دمشق في أواخر .
(١٢) ب : والأئمة بالجامع وغيره في الصلوات كلها .
(١٣) كذا في الأصول ولعل المقصود (بإسلام) وانظر ذيل المرآة (٤/ ٩٢) .
(١٤) ب : وجاء مرسوم السلطان باستسلام أهل المدينة من الكتبة .
(١٥) أ ، ب : وكانوا يقولون .
(١٦) ب : وحكم القاضي بإسلامهم بعد أن عرض من امتنع على الصلب وجعلت الحبال في رقابهم .

نجدة فجاء إلى خدمته فأكرمه السلطان واحترمه ورتب له الإقامات ، وتكاملت الجيوش كلُّها في صحبة الملك المنصور عازمين على لقاء العدو لا محالة مخلصين في ذلك ، واجتمع الناس بعد خروج الملك(١) في جامع دمشق ووضعوا المصحف العثماني بين أيديهم(٢) ، وجعلوا يبتهلون إلى الله تعالىٰ في نصرة الإسلام وأهله على الأعداء ، وخرجوا كذلك والمصحفُ على رؤوسهم إلى المُصَلّى يدعون ويبتهلون ويبكون(٣) ، وأقبلت التتار قليلاً قليلاً فلما وصلوا حماة(٤) أحرقوا بستان الملك وقصره وما هنالك من المساكن ، والسلطان المنصور مخيمٌ بحمص في عساكر(٥) من الأتراك والتركمان وغيرهم جحفل(٦) كثير جداً ، وأقبلت التتار في مئة ألف مقاتل أو يزيدون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقعة حمص

لما كان يوم الخميس رابع عشر رجب التقى الجمعان وتواجه الخصمان عند طلوع الشمس وعسكر التتر(٧) في مئة ألف فارس ، وعسكر المسلمين على النصف من ذلك أو يزيد قليلاً ، والجميع فيما بين مشهد خالد بن الوليد إلى الرستن ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً لم يُرَ مثله من أعصار متطاولة ، فاستظهر التتار أول النهار ، وكسروا الميسرة واضطربت الميمنة أيضاً وبالله المستعان .

وكسر(٨) جناح القلب الأيسر وثبت السلطان(٩) ثباتاً عظيماً جداً في جماعة قليلة ، وقد انهزم كثير من عسكر المسلمين ، والتتار في آثارهم حتى وصلوا وراءهم إلى بحيرة حمص ووصلوا حمص(١٠) وهي مغلقة الأبواب ، فقتلوا خلقاً من العامة وغيرهم ، وأشرف المسلمون على خطة عظيمة من الهلاك(١١) ، ثم إن أعيان الأمراء من الشجعان والفرسان تآمروا فيما بينهم مثل سُنْقُر الأشقر وبَيْسَرى(١٢) وطَيْبَرس(١٣)

---

(١) أ : بعد خروج السلطان .
(٢) ب : ووضع المصحف العثماني بين أيدي الناس .
(٣) ب : يدعون ويبكون ويبتهلون .
(٤) ب : فلما وصلوا إلى حماة .
(٥) ب : في عساكره من الأتراك والعربان والتركمان وغيرهم .
(٦) أ ، ب : في جحفل .
(٧) ب : التتار .
(٨) أ ، ب : وانكسر .
(٩) ب : السلطان الملك المنصور .
(١٠) أ ، ب : إلىٰ حمص .
(١١) ب : عظيمة صعبة ثم .
(١٢) سترد ترجمة بَيْسَري في وفيات سنة ٦٩٨ من هذا الجزء .
(١٣) سترد ترجمة طبرس في وفيات سنة ٦٨٩ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

الوزيري وبدر الدين[١] [بِيليك[٢] أمير سلاح وأيْتَمُش السَّعدي وحسام الدين لاجين وحسام الدين طُرُنْطاي[٣] والدُّويداري[٤] وأمثالهم ، لما رأوا ثبات السلطان ردّوا على التتار[٥] وحملوا حملات متعددةً صادقةً ، ولم يزالوا يتابعون الحملة بعد الحملة حتى كسرَ الله بحوله وقوته التتر[٦] ، وجرح منكوتمر ، وجاءهم الأمير[٧] عيسى بن مهنا من ناحية العُرْض[٨] فصدم التتر فاضطربت الجيوش[٩] لصدمته ، وتمت الهزيمة ولله الحمد ، وقتلوا من التتار[١٠] مقتلة عظيمة جداً ، ورجعت من التتار[١١] ، الذين اتبعوا المنهزمين من المسلمين[١٢] ، فوجدوا أصحابهم قد كسروا ، والعساكر في آثارهم يقتلون ويأسرون ، والسلطان ثابت في مكانه تحت السناجق[١٣] ، والكوسات[١٤] تضرب خلفه[١٥] وما معه إلا ألف فارس ، فطمعوا فيه فقاتلوه فثبت لهم ثباتاً عظيماً فانهزموا من بين يديه فلحقهم فقتل أكثرهم ، وكان ذلك تمام النصر ، وكان انهزام التتار قبل الغروب ، وافترقوا فرقتين أخذت فرقة منهم إلى ناحية سلمية والبرية ، والأخرى إلى ناحية حلب والفرات ، فأرسل السلطان في آثارهم من يتبعهم وجاءت البطاقة بالبشارة[١٦] بما وقع من النصر إلى دمشق يوم الجمعة خامس عشر رجب ، فدقت البشائر وزينت البلد[١٧] ، وأُوقدت الشموع وفرح الناس . فلما أصبح الناس يوم السبت أقبلت طائفة من المنهزمين منهم بِيليك الناصري

---

(١) عن ب وحدها .

(٢) ليست في الأصول واستدركت عن النجوم الزاهرة (٧/ ٣٠٤) .

(٣) سترد ترجمة طُرُنطاي في وفيات سنة ٦٨٩ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

(٤) هو علم الدين سَنْجَر الدُّيْداري كما في النجوم الزاهرة (٧/ ٣٠٤) .

(٥) أوط : ردوا إلى السلطان ، وهو خطأ ذيل مرآة الزمان (٤/ ٦٤) .

(٦) ب : التتار .

(٧) ب : الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير العرب .

(٨) العرض : بلد في برية الشام من أعمال حلب بين تدمر والرصافة ، وهذه المنطقة هي من مساكن أمير العرب عيسى بن مهنا وقومه البواسل ، وهو جد عشائر البوعيسى المنتشرة اليوم في العراق ، ومنطقة الفلوجة خاصة ، ومن شيوخها صديقنا الشيخ بركات سعدون العِيفان حفظه الله ، وهي منتشرة إلى اليوم في بلاد الشام (بشار) .

(٩) ب : الجيش .

(١٠) ب : وقتلوا منهم .

(١١) أ ، ب : ورجعت الطائفة من التتار .

(١٢) أ : الذين اتبعوا المسلمين المنهزمين ، وب : الذين كانوا خلف من انهزم من المسلمين .

(١٣) أ : الصناجق .

(١٤) الكوسات : جمع كُوسى وهو الطبل ، معرّب . القاموس (كوسى) .

(١٥) ب : وراءه .

(١٦) ب : وجاءت البشارة بالبطاقة .

(١٧) ب : والقلعة والبلد .

والجالق[١] وغيرهم ، فأخبروا الناس بما شاهدوه من الهزيمة في أول الأمر ، ولم يكونوا شاهدوا [ما] بعد ذلك ، فبقي الناس في قلق عظيم ، وخوف شديد ، وتهيأ ناس كثير للهرب[٢] ، فبينما الناس في ذلك إذ أقبلت[٣] البريدية فأخبروا الناس بصورة ما وقع في أول الأمر وآخره ، فتراجع الناس وفرحوا فرحاً شديداً[٤]] ولله الحمد والمنة .

ثم دخل[٥] السلطان إلى دمشق الثاني والعشرين من رجب ، وبين يديه الأسارى بأيديهم الرماح عليها شعف[٦] رؤوس القتلى[٧] ، وكان يوماً مشهوداً ، ومع السلطان طائفةٌ من أصحاب سنقر الأشقر منهم علم الدين الدُّوَيْداري فنزل السلطان بالقلعة مؤيداً منصوراً[٨] ، وقد كثرت له المحبة والأدعية وكان سنقر الأشقر ودَّع السلطان من حمص ورجع إلى صهيون، وأما التتر فإنهم انهزموا في أسوأ حال وأتعسه يُتَخَطَّفون من كل جانب، ويُقْتَلون من كل فج، حتى وصلوا إلى الفرات فغرق أكثرهم ، ونزل إليهم أهل البيرة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا آخرين[٩] ، والجيوش في آثارهم يطردونهم عن البلاد حتى أراح الله منهم الناس .

وقد استشهد في هذه الوقعة جماعةٌ من سادات الأمراء منهم الأمير الكبير الحاج عز الدين أَزْدَمُر الجَمَدار ، وهو الذي جرحَ ملكَ التتار يومئذ منكوتمر ، فإنه خاطر بنفسه وأوهم أنه مقفز إليه وقلب رمحه حتى وصل إليه فطعنه فجرحه فقتلوه رحمه الله ، ودفن بالقرب من مشهد خالد[١٠] .

وخرج السلطانُ من دمشق قاصداً للديار المصرية يوم الأحد ثاني شعبان والناس يدعون له[١١] ، وخرج معه علم الدين الدُّوَيْداري ، ثم عاد من غزة وقد ولاه الشَّدَّ[١٢] في الشام والنظر في المصالح ، ودخل السلطان إلى مصر في ثاني عشر شعبان[١٣] .

---

(١) الجالق هو بيبرس العجمي تقدم التعريف به . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٧٠٧هـ من الجزء التالي .
(٢) ب : للهزيمة .
(٣) ب : إذا جاءت .
(٤) ب : وتمت الفرحة ولله الحمد .
(٥) ب : ودخل السلطان الملك المنصور أيده الله تعالىٰ إلى دمشق يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب .
(٦) في ط : الشقف . والشعف : جمع شعفة وهي خصلة في الرأس . القاموس (شعف) .
(٧) ب : القتلى من التتار .
(٨) ب : بالقلعة المنصورة مؤيداً منصوراً مسروراً محبوراً .
(٩) ب : وأسروا منهم آخرون : وفيها خطأ نحوي .
(١٠) ب : خالد بن الوليد .
(١١) ب : إلى الديار المصرية . . والناس يدعون له ويستوحشون منه .
(١٢) شدّ الدواوين موضوعها أن يكون صاحبها رفيقاً للوزير متحدثاً في استخلاص الأموال وما في معنى ذلك . صبح الأعشى (٤/ ٢٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٤) .
(١٣) ودخل السلطان إلى الديار المصرية في عشرين شعبان ولي قضاء القاهرة ومصر القاضي .

وفي سلخ شعبان ولي قضاء مصر والقاهرة للقاضي وجيه الدين البَهْنَسي الشافعي .

وفي يوم الأحد سابع رمضان فُتحت المدرسة الجوهرية بدمشق في حياة منشئها وواقفها الشيخ نجم الدين محمد بن عباس بن أبي المكارم التميمي الجوهري[١] ، ودرَّس بها قاضي الحنفية حسام الدين الرازي[٢] .

وفي بكرة يوم السبت التاسع والعشرين من شعبان وقعت[٣] مأذنة مدرسة أبي عمر بقاسيون على المسجد العتيق فمات شخص واحد ، وسلَّم الله تعالىٰ بقية الجماعة .

وفي عاشر رمضان وقع بدمشق ثلجٌ عظيم وبَرَدٌ كثير مع هواءٍ شديد ، بحيث إنه ارتفع عن الأرض نحواً من ذراع ، وفسدت الخضراوات ، وتعطَّلت على الناس معايش كثيرة .

وفي شوال وصل صاحب سنجار إلى دمشق مقفراً من التتار داخلاً في طاعة السلطان[٤] بأهله وماله ، فتلقاه نائب البلد وأكرمه وسيره إلى مصر معززاً مكرماً[٥] .

وفي شوال عقد مجلس بسبب أهل الذمة من الكتاب الذي كانوا قد أسلموا كرهاً وقد[٦] كتب لهم جماعة من المفتين بأنهم كانوا مكرهين فلهم الرجوع إلى دينهم ، وأُثبت الإكراه بين يدي القاضي جمال الدين بن أبي[٧] يعقوب المالكي ، فعاد أكثرهم إلى دينهم وضُربت عليهم الجزية كما كانوا ، سوَّد الله وجوههم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . وقيل : إنهم غُرِّموا مالاً جزيلاً جملة مستكثرة على ذلك[٨] ، قبحهم الله .

وفي ذي القعدة قبض السلطان على أَيْتَمُش السَّعدي وسجنه بقلعة الجبل ، وقبض نائبه بدمشق على سيف الدين بَلَبَان الهاروني[٩] وسجنه بقلعتها .

وفي بكرة الخميس التاسع والعشرين من ذي القعدة ، وهو العاشر من آذار ، استسقى الناس بالمُصَلَّى بدمشق فسُقُوا بعد عشرة أيام .

---

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٩٤ من هذا الجزء .

(٢) سترد ترجمة حسام الدين الرازي في وفيات سنة ٦٩٩هـ من هذا الجزء .

(٣) ب : سقطت .

(٤) ب : طاعة الملك المنصور .

(٥) ب : وسيره إلى الديار المصرية معززاً مكرماً ومعظماً ، وفي أ : معزوزاً .

(٦) ب : أهل الذمة من الكتبة الذين كانوا أكرهوا على الدخول في دين الإسلام وقد كتب لهم .

(٧) أ ، ط : ابن أبي يعقوب . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٣هـ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٨) ب : وغرموا جملة كثيرة على هذا قبحهم الله .

(٩) ذيل المرآة (٤/٩٩) .

وفي هذه السنة أخرج الملك المنصور[١] جميع آل الملك الظاهر من النساء والولدان والخُدَّام من الديار المصرية إلى الكرك ليكونوا في كنف الملك المسعود خضر بن الظاهر .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أبغا[٢] ملك التتار بن هولاكوخان[٣] بن تولي بن جنكيز خان ، كان عاليَ الهمّة بعيدَ الغور له رأي وتدبير ، وبلغ من العمر خمسين سنةً ، ومدةُ ملكهِ ثماني عشرة سنةً ، ولم يكن بعد والده في التدبير والحزم مثله ، ولم تكن وقعة حمص هذه برأيه ولا عن مشورته ، ولكنْ أخوه منكوتمر أحب ذلك فلم يخالفه . ورأيت في بعض تواريخ[٤] البغاددة أن قدوم منكوتمر إلى الشام إنما كان عن مكاتبة سُنْقر الأشقر إليه فالله أعلم . وقد جاء أبغا هذا بنفسه فنزل قريباً من الفرات ليرى ماذا يكون من الأمر[٥] ، فلما جرى عليهم ما جرى ساءه ذلك ومات غماً وحزناً . توفي بين العيدين من هذه السنة ، وقام بالملك بعده ولده السلطان أحمد .

قاضي القضاة[٦] نجم الدين أبو بكر [محمد][٧] بن قاضي القضاة صدر الدين أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن محمد بن علي الشافعي ابن سني الدولة .

ولد سنة ست عشرة وستمئة ، وسمع الحديث وبرع في المذهب ، وناب عن أبيه فشُكرت سيرتُه ، واستقلَّ بالقضاء في الدولة المظفرية فحُمِد أيضاً . وكان الشيخ شهاب الدين ينال منه ومن أبيه .

وقال البرزالي : كان شديداً في الأحكام متحرّياً ، وقد أُلزم بالمقام بمصر فدرَّس بجامع مصر ، ثم عاد إلى دمشق فدرس يالأمينية والركنية ، وباشر قضاء حلب ، وعاد[٨] إلى دمشق ، وولاه سَنْجَر قضاء

---

(١) ب : وفي هذا الشهر أخرج السلطان الملك المنصور .

(٢) ترجمة ـ أبغا بن هولاكو ـ في تاريخ أبي الفداء (٤/ ١٦ ـ ١٧) وذيل مرآة الزمان (٤/ ١٠٠ ـ ١٠١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٨٧) والعبر (٥/ ٣٢٨) والإشارة (٣٧١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٤٨ ، ٣٥٣) والدليل الشافي (١/ ٣٣) وشذرات الذهب (٧/ ٦٣٩) .

(٣) أ ، ب : هولاكوقان .

(٤) ط : تاريخ ، تحريف .

(٥) ب : وقد جاءنا بنفسه فنزل قريباً من الفرات لينظر ما يكون من الأمر ، وفي أ : لينظر .

(٦) ترجمة ـ ابن سني الدولة ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٩٨) والعبر (٥/ ٣٣٠) والإشارة (٣٧٠) والوافي (٢/ ١٢٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٢) والدليل الشافي (٢/ ٥٩١) وشذرات الذهب (٧/ ٦٤١) .

(٧) ليست اللفظة في الأصول واستدركت عن المصادر .

(٨) ب : ثم عاد .

دمشق ، ثم عُزل بابن خلكان كما تقدم[١] ، ثم كانت وفاته يوم الثلاثاء ثامن المحرم[٢] ، ودفن من الغد يوم تاسوعاء بتربة جده بقاسيون[٣] .

وفي عاشر المحرم توفي :

قاضي القضاة صدر الدين عمر[٤] ابن القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم العَلاَمي[٥] ابن بنت الأعز المصري .

كان فاضلاً بارعاً عارفاً بالمذهب ، متحرّياً في الأحكام كأبيه ، ودفن بالقرافة[٦] .

الشيخ إبراهيم بن سعيد الشَّاغُوري[٧] المُوَلَّه المعروف بالجَيْعَانَة .

كان مشهوراً بدمشق[٨] ، ويذكر له أحوال ومكاشفات على ألسنة العوام ومن لا يعقل ، ولم يكن ممن يحافظُ على الصلوات ولا يصوم مع الناس ، ومع هذا كان كثيرٌ من العوام وغيرهم يعتقدونه . توفي[٩] يوم الأحد سابع جمادى الأولى[١٠] ودفن بتربة المولَّهين بسفح قاسيون[١١] عند الشيخ يوسف القميني[١٢] ، وقد توفي الشيخ يوسف قبله بمدة ، وكان الشيخ يوسف يسكن أقمين حمام نور الدين الشهيد بالبزوريين[١٣] ، وكان يجلس على النجاسات والقذر ، وكان يلبس ثياباً بدَّاوية تجحف على النجاسات في الأزقة ، وكان له قبول من الناس ومحبة وطاعة ، وكان العوام يغالون في محبته واعتقاده ، وكان لا يُصلي ولا يتقي نجاسة ، ومن جاءه زائراً جلس عند باب الأقمين[١٤] على النجاسة ، وكان العوام يذكرون له

---

(١) ب : في قضية الأشقر كما تقدم .

(٢) أ : الثلاثاء ثامن من المحرم ، وما أثبتناه هو الصواب .

(٣) ب : بسفح قاسيون .

(٤) ترجمة ـ قاضي القضاة ابن بنت الأعز ـ في ذيل المرآة (٤/١١٩ ـ ١٢٠) وتاريخ الإسلام (١٥/٣٩٦) والعبر (٥/٣٢٩ ـ ٣٣٠) والدليل الشافي (١/٥٠١) والشذرات (٧/٦٤٠ ـ ٦٤١) وحسن المحاضرة (١/٤١٥) .

(٥) ط : الغلابي ، وفي حسن المحاضرة : العلائي ؛ وكلاهما تحريف .

(٦) أ : ودفن في القرافة .

(٧) ترجمة ـ الشاغوري ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/١٠٠ ـ ١٠١) وتاريخ الإسلام (١٥/٣٨٧) والعبر (٥/٣٢٨) والنجوم (٧/٣٤٨) وشذرات الذهب (٧/٦٣٩) .

(٨) ب : شهوراً بالبلد ويذكر له أحوال ومكاشفات ولم يكن .

(٩) ب : وكانت وفاته .

(١٠) ب : الآخرة ؛ وهو خطأ لأنه مخالف لما جاء في مصادره .

(١١) بعد هذه اللفظة وإلى آخر ترجمة الشاغوري لم يرد في ب .

(١٢) ط : القيميني ، وهو تحريف . وقد تقدمت ترجمته والتعليق على نسبته في وفيات سنة ٦٥٧هـ من هذا المجلد .

(١٣) يسمى اليوم سوق البزورية . ولا يزال حمام نور الدين الشهيد قائماً يعمل إلى يومنا الحاضر .

(١٤) سبق أن علقت على هذه اللفظة ولاحظت أن الوارد في اللغة : (قمين ـ كأمير) وليس فيها أقمين .

مكاشفات وكرامات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام وأهل الهذيان كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولّهين . ولما مات الشيخ يوسف القميني خرج خلق في جنازته[١] من العوام وغيرهم ، وكانت جنازته حافلة بهم ، وحمل على أعناق الرجال إلى سفح قاسيون ، وبين يديه غوغاء وغوش كثير وتهليل وأمور لا تجوز من فعل العوام ، حتى جاؤوا به إلى تربة المولهين بقاسيون فدفنوه بها ، وقد اعتنى بعض العوام بقبره فعمل عليه حجارة منقوشة وعمل على قبره سقفاً مقرنصاً بالدهان وأنواعه ، وعمل عليه مقصورة وأبواباً ، وغالى فيه مغالاة زائدة ، ومكث هو وجماعة مجاورون عنده مدة في قراءة وتهليل ، ويطبخ لهم الطبيخ[٢] فيأكلون ويشربون هناك .

والمقصود أن الشيخ إبراهيم الجَيْعانة لما مات الشيخ يوسف الأقميني جاء من الشاغور إلى باب الصغير في جماعة من أتباعه ، وهم في صراخ وضجة وغوش[٣] كثير ، وهم يقولون : أذن لنا في دخول البلد ، أذن لنا في دخول البلد ، يكررون ذلك ، فقيل له في ذلك فقال : لي عشرون سنة ما دخلت داخل سور[٤] دمشق ، لأني كنت كلما أتيت باباً من أبوابها أجد هذا السبع رابضاً بالباب فلا أستطيع الدخول خوفاً منه ، فلما مات أُذِن لنا في الدخول ، وهذا كله ترويجٌ على الطَّغام والعوام من الهمج الرعاع ، الذي هم أتباع كل ناعق . وقيل إن الشيخ يوسف كان يرسل إلى الجَيْعانة مما يأتيه من الفتوح والله سبحانه أعلم بأحوال العباد[٥] ، وإليه المنقلب والمآب ، وعليه الحساب .

[أزدمر][٦] السلحداري] وقد ذكرنا أنه استشهد في وقعة حمص جماعة من الأمراء منهم الأمير عز الدين أزْدُمَر السلحداري عن نحو من ستين سنة ، وكان من خيار الأمراء وله همة عالية ينبغي أن ينال بها مكاناً عالياً في الجنة[٧] .

قاضي القضاة[٨] تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رَزِين بن موسى[٩] العامري الحموي الشافعي .

---

(١) أ : خرج في جنازته خلق من العوام .

(٢) أ : عند قبره مدة في قراءة وتهليل وتطبخ لهم الطبائخ .

(٣) أ : وغواش . ومرت قبل أسطر : وغوش . ولعلها لفظ عامي بمعنى الصياح والصراخ .

(٤) أ : لي عشرين سنة ما دخلت داخل صور دمشق لأني .

(٥) أ : بأحوال عباده .

(٦) ترجمة ـ أزدمر ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٠٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٨٨) والعبر (٨/ ٣٢٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٤٩) والدليل الشافي (١/ ١١٤) وشذرات الذهب (٧/ ٦٣٩) .

(٧) ب : وكان من الناس وله همة عالية أن يناله مكاناً رحيماً لما له إن شاء الله تعالى .

(٨) ترجمة ـ القاضي ابن رزين ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٢٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٩٩) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٣) والعبر (٥/ ٣٣١) والإشارة (٣٧٠) والوافي (٣/ ١٨) وطبقات الإسنوي (١/ ٥٩٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٣) والدليل الشافي (٢/ ٦١٦) والدارس (١/ ٢١) وشذرات الذهب (٧/ ٦٤٢ ـ ٦٤٣) .

(٩) ب : بن رزين بن موسى بن عيسى بن موسى العامري .

ولد سنة[(١)] ثلاث وستمئة ، وقد سمع الحديث وانتفع بالشيخ تقي الدين بن الصلاح[(٢)] ، وأمَّ بدار الحديث مدة ، ودرَّس بالشامية ، وولي وكالة بيت المال بدمشق ، ثم سار[(٣)] إلى مصر فدرس بها بعدة مدارس ، وولي الحكم بها ، وكان مشكوراً ، توفي ليلة الأحد ثالث رجب منها ، ودفن بالمقطم[(٤)] .

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة توفي :

الملك الأشرف[(٥)] مُظَفَّر الدين موسى بن الملك الزاهر[(٦)] محيي الدين داود المجاهد بن أسد الدين شيركوه بن الناصر[(٧)] ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي ابن صاحب حمص ، ودفن بتربتهم بقاسيون .

وفي ذي القعدة توفي :

الشيخ جمال الدين الإسْكَنْدري الحاسِبُ بدمشق ، وكان له مكتب تحت منارة فيروز[(٨)] ، وقد انتفع به خلقٌ كثيرٌ ، وكان شيخ الحساب في وقته رحمه الله .

الشيخ علم الدين أبو الحسن[(٩)] محمد[(١٠)] بن الإمام أبي علي الحسين بن عيسى بن عبد الله بن رَشيق[(١١)] الربعي المالكي المصري ، ودفن بالقرافة ، وكانت له جنازة حافلة ، وقد كان فقيهاً مفتياً ، سمع الحديث وبلغ خمساً وثمانين سنة .

وفي يوم الإثنين الخامس والعشرين من ذي الحجة توفي :

الصدر الكبير [شمس الدين] أبو الغنائم المُسَلَّم[(١٢)] [بن] محمد بن المُسَلَّم [بن] مكي بن

---

(١) ب : ولد في شعبان سنة ثلاث وستمئة وسمع الحديث . وفي أ : وقد جمع الحديث .
(٢) ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان تقدمت ترجمته في سنة ٦٤٣هـ من هذا الكتاب .
(٣) أ ، ب : صار .
(٤) ب : وكان مشكوراً أيضاً وكانت وفاته ليلة الأحد ثالث رجب من هذه السنة رحمه الله ودفن بسفح المقطم .
(٥) ترجمة ـ الملك الأشرف ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٢٨ ـ ١٣١) .
(٦) ب : الملك الزاهد مجير الدين .
(٧) ب : بن الملك الناصر .
(٨) ب : منارة فيروز ، وط : منارة كيروز . والخبر في الدارس (٢/ ٣٢٥) .
(٩) هكذا كناه ، وكنيته بخط الذهبي : « أبو عبد الله » علماً أنه والد شيخه زين الدين محمد (بشار) .
(١٠) ترجمة ـ ابن رشيق الربعي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٤٠٠) والوافي بالوفيات (٣/ ١٩) وفي الدليل الشافي (١/ ٦١٦).
(١١) في تاريخ الإسلام محمد بن الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق (بشار) .
(١٢) ترجمة ـ المسلم ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٢٥ ـ ١٣١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٠٤) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٣) والعبر (٥/ ٣٣٠) والإشارة (٣٧٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٣) والدليل الشافي (٢/ ٧٣٤) وشذرات الذهب (٧/ ٦٤٤) .

خلف بن عَلَّان[١] ، القيسي الدمشقي .

مولده سنة أربع وتسعين ، وكان من الرؤساء الكبار ، وأهل البيوتات ، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق وغير ذلك ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وكتابة الحديث ، وكان يكتب سريعاً ، يكتب في اليوم الواحد ثلاث كراريس وقد أسمع « مسند الإمام أحمد »[٢] ثلاث مرات ، وحدَّث بـ« صحيح مسلم » و« جامع الترمذي » وغير ذلك ، وسمع منه البرزالي والمزي وابن تيمية ، ودُفن من يومه بسفح قاسيون عن ست وثمانين سنة رحمهم الله جميعاً .

الشيخ صفي الدين[٣] أبو القاسم محمد بن عثمان بن محمد التميمي الحنفي .

شيخ الحنفية ببُصرى ، ومدرس الأمينية بها مدةً سنين كثيرة ، كان بارعاً فاضلاً عالماً عابداً مُنْقطعاً عن الناس ، وهو والد قاضي القضاة صدر الدين علي[٤] ، وقد عمر دهراً طويلاً ، فإنه ولد في سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة ، وتوفي ليلة نصف شعبان من هذه السنة عن سبع[٥] وتسعين سنة رحمه الله .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمئة

استهلّت والخليفة الحاكم بأمر الله والسلطان[٦] الملك المنصور قلاوون. وفيها أرسل ملك التتار أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقن الدماء فيما بينهم ، وجاء[٧] في الرسلية الشيخ قطب الدين الشيرازي أحد تلامذة النَّصير[٨] الطوسي ، فأجاب المنصور إلى ذلك وكتب[٩] المكاتبات إلى ملك التتر[١٠] بذلك .

[وحضر تدريس الأمينية القاضي شمس الدين ابن خلكان في سابع عشر صفر وحضر عنده القاضي عز الدين بن الصائغ وجماعة][١١] .

---

(١) ط : غيلانِ ، خطأ .

(٢) ب : أحمد بن حنبل .

(٣) ترجمة ـ صفي الدين الحنفي ـ لم ترد في ب ، وله ترجمة في تاريخ الإسلام (١٥/ ٤٠٩) وذيل مرآة الزمان (٤/ ١٢٠) وفيه القاسم بن محمد ، خطأ .

(٤) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٢٧ من الجزء الأخير من هذا الكتاب . وترجمته في الدليل الشافي (١/ ٤٤٧) .

(٥) ط : « تسع » خطأ ظاهر لا يستقيم به الحساب (بشار) .

(٦) ب : الحاكم بأمر الله العباسي وسلطان المسلمين .

(٧) ب : وورد .

(٨) تقدمت ترجمة النصير الطوسي في وفيات سنة ٦٧٢ من هذا الجزء .

(٩) ب : وكتبت .

(١٠) ب : التتار .

(١١) عن ط وحدها .

وفي مستهلِّ صفر قبض السلطان على الأمير الكبير بدر الدين بَيْسَرِي الشَّمْسي[(١)]، وعلى الأمير علاء الدين السَّعدي الشَّمسي[(٢)] أيضاً .

وفيها : درَّس القاضي بدر الدين بن جماعة[(٣)] بالقيمرية ، والشيخ[(٤)] شمس الدين ابن الصفي الحريري الفرخشاهية[(٥)] ، وعلاء الدين بن الزَّمَلْكاني بالأمينية .

وفي يوم الإثنين[(٦)] الحادي عشر من رمضان وقع حريق باللبادين عظيم ، وحضر نائب السلطنة إذ ذاك الأمير حسام الدين لاجين السلحدار وجماعة كثيرة من الأمراء ، وكانت ليلة هائلة جداً وقى الله شرَّها ، واستدرك بعد ذلك أمرها القاضي محيي الدين بن النحاس[(٧)] ناظر الجامع ، فأصلح الأمر وسد[(٨)] وأعاد البناء أحسن مما كان ولله الحمد والمنة

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الصالح بقية السلف[(٩)] برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم[(١٠)] الشيخ صفي الدين أبي الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن عَلَوِي بن الدَّرَجي[(١١)] الحنفي إمام العِزِّيَّة بالكشك[(١٢)] .

سمع الكثير[(١٣)] من جماعة منهم الكِنْدي وابن الحَرَستاني ولكن لم يظهر سماعه منهما إلا بعد وفاته ،

(١) أ وط : السعدي ، وما هنا عن ب . وسترد ترجمة بيسري في حوادث سنة ٦٩٨ من هذا المجلد إن شاء الله .
(٢) هو كَشْتُغْدِي بن عبد الله السعدي الشمسي توفي سنة ٦٩٠ ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٤١) والدليل الشافي (٢/ ٥٥٩) .
(٣) سترد ترجمة محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة في وفيات سنة ٧٣٣ من الجزء التالي والأخير .
(٤) ب : والقاضي . وسترد ترجمة ابن الحريري في وفيات سنة ٧٢٨ من الجزء التالي والأخير .
(٥) ط : بالسرحانية ، والفرخشاهية في زقاق الصخر لم يبق منها سوى قبة التربة . الدارس (١/ ٥٦١) وهامشه .
(٦) ب : وفي ليلة الأحد .
(٧) ط : نجم الدين ؛ تحريف وهو محمد بن يعقوب بن إبراهيم . سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٩٥ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٨) ب : وسدد .
(٩) ترجمة ـ ابن الدرجي ـ في ذيل المرآة (٤/ ١٤٨) وتاريخ الإسلام (١٤/ ٤٤٥) والعبر (٥/ ٣٣٥) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٤) والوافي (٥/ ٣٢٧) والجواهر المضية (١/ ٧٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٦) والمنهل الصافي (١/ ٣٧ ـ ٣٩) والدليل الشافي (١/ ٩) والدارس (١/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧) والطبقات السنية (١/ ١٨٤ ـ ١٨٥) وشذرات الذهب (٧/ ٦٥٠) .
(١٠) ليست في الأصلين واستدركته عن ب ومصادره .
(١١) أ : ابن الرضي ؛ تحريف . وما هنا عن ب والمصادر .
(١٢) أ : بالكجك ، والخبر في الدارس (١/ ٥٥٥) والأعلاق الخطيرة (٢١٥) . قال بشار : وكلاهما صحيح ، ووجدته بالجيم بخط الذهبي .
(١٣) ط : وأسمع من جماعة .

وقد أجاز له أبو جعفر[١] الصَّيْدَلاني وعَفِيفة الفَارْفَانية[٢] وابن اللَّفْتواني[٣] ، وكان رجلاً صالحاً مُحباً لإسماع الحديث ، كثيرَ البرّ بالطلبة له ، وقد قرأ عليه الحافظ جمال الدين المزي « معجم الطبراني الكبير » ، وسمعه منه بقراءة الحافظ البرزالي[٤] ، وجماعة كثيرون . وكان مولده في سنة تسع وتسعين وخمسمئة[٥] وتوفي يوم الأحد سابع صفر ، وهو اليوم الذي قدم فيه الحجاج إلى دمشق من الحجاز ، وكان هو معهم فمات بعد استقراره بدمشق .

القاضي أمين الدين الأَشْتَري[٦] أبو العباس أحمد بن شمس الدين أبي[٧] بكر عبد الله بن محمد بن عبد الجبار[٨] بن طلحة الحلبي المعروف بالأشتري الشافعي ، المحدث .

سمع الكثير وحصل ووقف أجزاء بدار الحديث الأشرفية [توفي[٩] بالخانقاه الأندلسية[١٠] يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الأول عن ست وستين سنة] وكان الشيخ محيي الدين النَّووي يُثْني عليه ويُرسل إليه الصبيان ليقرؤوا عليه في بيته لأمانته عنده ، وصيانته وديانته .

الشيخ برهان الدين أبو الثناء[١١] محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن المراغي الشافعي ، مدرس الفلكية[١٢] .

---

(١) ط : أبو نصر . وترجمة الصيدلاني ومصادرها في سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٣٠) .
(٢) ط : الفارقانية ؛ تحريف ، وترجمتها في سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨١) .
(٣) في ط و ب : الميداني ، وأما في آ : المناوي ، وهي في الدارس : ابن المغازي ، قال بشار : وكله تحريف ، والصواب ما أثبتنا من خط الذهبي في تاريخ الإسلام وهو عبيد الله بن محمد بن أبي نصر أبو زرعة اللفتواني الأصبهاني ، وقال الذهبي في وفيات سنة ٦٠٢ من تاريخ الإسلام (١٣/ ٦٤) : « ولا أعلم متى توفي إلا أنه أجاز في هذه السنة للبرهان ابن الدرجي ، وأجاز . . . إلخ » . ولفتوان : إحدى قرى أصبهان ، والحمد لله على نعمه .
(٤) وذكره البرزالي في تاريخه المقتفي (١/ الورقة ١٠٥ ـ ١٠٦ من نسختي المصورة) (بشار) .
(٥) ليست اللفظة في أ ب وهي مما أقحمته ط على النص الأصلي فتركتها لفائدتها .
(٦) ترجمة ـ الأشتري ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٦٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٤٣) والإعلام (٢٨٤) والعبر (٥/ ٣٣٤) والإشارة (٣٧٢) والوافي بالوفيات (٧/ ١٢٤) وطبقات الإسنوي (١/ ٤٥٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) والدليل الشافي (١/ ٥٥) والدارس (٢/ ١٤١) وشذرات الذهب (٧/ ٦٤٧) .
(٧) في الأصول : أبو وما هنا للسياق .
(٨) ب : عبدالله ، بدل عبد الجبار ؛ وهو تحريف .
(٩) ب : وكانت وفاته .
(١٠) الدارس (٢/ ١٤١) .
(١١) ترجمة ـ المراغي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٧٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٥٨) والعبر (٣٣٦) والإشارة (٣٧٢) وطبقات الإسنوي (٢/ ٤٥٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٦) والدارس (١/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) وشذرات الذهب (٧/ ٦٥٣) .
(١٢) الدارس (١/ ٤٣١) .

كان[١] فاضلاً بارعاً، عرض عليه القضاء فلم يقبل، توفي[٢] يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر عن ست وسبعين سنة ، وسمع الحديث وأسمعه ، ودرس بعده بالفلكية القاضي بهاء الدين بن الزكي .

القاضي الإمام العلّامة شيخ القُرّاء زين الدين[٣] أبو محمد عبد السلام[٤] بن علي بن عمر الزّواوي المالكي .

قاضي قضاة المالكية بدمشق ، وهو أول من باشر القضاء بها ، وعزل[٥] نفسه عنها تورعاً وزهادة ، واستمر بلا ولاية ثمان سنين ، ثم كانت وفاته ليلة الثلاثاء ثامن رجب منها[٦] عن ثلاث وثمانين سنة ، وقد سمع الحديث واشتغل على السخاوي[٧] وابن الحاجب .

الشيخ صلاح الدين[٨] محمد بن القاضي شمس الدين علي بن محمود بن علي الشَّهْرزوري ، مُدَرِّس القيمرية[٩] وابن مدرسها .

توفي في أواخر رجب ، وتوفي أخوه شرف الدين[١٠] بعده بشهر ، ودرس بالقيمرية بعد الصلاح المذكور القاضي بدر الدين ابن جماعة[١١] .

ابن خلكان قاضي القضاة[١٢] شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خَلِّكان الإربلي الشافعي .

---

(١) ب : وكان .
(٢) ب : وكانت وفاته .
(٣) ترجمة ـ الزواوي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٧٣ ـ ١٧٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٥١) والإعلام (٢٨٤) والعبر (٥/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) ومعرفة القراء الكبار (٢/ ٦٧٦) وغاية النهاية (١/ ٣٨٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٦) والدليل الشافي (١/ ٤١٣) والدارس (١/ ٣٢٢ و٢/ ١٢) وشذرات الذهب (٧/ ٦٥٢ ـ ٦٥٣) .
(٤) ط : أبو محمد بن عبد السلام ؛ خطأ .
(٥) ب : ثم عزل نفسه عنه .
(٦) ب : من هذه السنة .
(٧) ط : السنجاري ؛ وهو تحريف ، وقد تقدمت ترجمة السخاوي في وفيات سنة ٦٤٣ من هذا الجزء .
(٨) ترجمة ـ صلاح الدين الشهرزوري ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٧٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٥٧) والعبر (٥/ ٣٣٢) والإشارة (٣٧٠) والنجوم (٧/ ٣٥٣) .
(٩) المدرسة القيمرية بالحريميين وهو حي القيمرية اليوم . الدارس (١/ ٤٤١) .
(١٠) الدارس (١/ ٤٤١) .
(١١) سترد ترجمة ابن جماعة في وفيات سنة ٧٣٣ من الجزء الأخير .
(١٢) ترجمة ـ ابن خلكان ـ في المختصر لأبي الفداء (٤/ ٧) وذيل مرآة الزمان (٤/ ١٤٩ ـ ١٦٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٤٤) والإعلام (٢٨٤) والعبر (٥/ ٣٣٤) والإشارة (٣٧١) والوافي بالوفيات (٧/ ٣٠٨) وفوات الوفيات (١/ ١١٠) وطبقات الإسنوي (١/ ٤٩٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٣ ـ ٣٥٥) و٢٥٦ والدليل الشافي =

أحد الأئمة الفضلاء ، والسادة العلماء ، والصدور الرؤساء ، وهو أول من جَدَّد في أيامه قضاء القضاة من سائر[١] المذاهب ، فَٱسْتَقَلُّوا[٢] بالأحكام بعد [ما كانوا نواباً له ، وقد كان المنصب بينه وبين ابن الصائغ دولاً ، يُعزل هذا تارة ويُوَلَّى هذا ، ويُعزلُ هذا ويُولَّى هذا ، وقد دَرَّسَ ابنُ خلكان في عدة مدارس لم تجتمع[٣] لغيره ، ولم يبق معه في آخر وقت سوى الأمينية ، وبيد ابنه كمال الدين موسى النجيبية[٤] . توفي ابن خلكان بالمدرسة النجيبية المذكورة بإيوانها يوم السبت آخر النهار ، في السادس والعشرين من رجب ، ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة . وقد كان ينظم نظماً حسناً رائقاً ، وقد كانت محاضرته[٥] في غاية الحسن ، وله التاريخ المفيد الذي رسمه[٦] « بوفيات الأعيان »[٧] من أبدع المصنفات ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وستمئة

فيها : قدم الملك المنصور إلى دمشق في يوم الجمعة سابع رجب في أُبَّهة عظيمة ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها : ولي الخطابة بدمشق الشيخ عبد الكافي[٨] بن عبد الملك بن عبد الكافي عوضاً عن محيي الدين[٩] ابن الحرستاني الذي[١٠] توفي فيها كما سيأتي ، وخطب يوم الجمعة الحادي والعشرين من رجب من هذه السنة .

= (٢/ ٧٤٨) الدارس (١/ ١٩١) وشذرات الذهب (٧/ ٦٤٧ ـ ٦٥٠) .

(١) ب : من بقية المذاهب .

(٢) فاشتغلوا ؛ تحريف .

(٣) ب : بعد ماكانوا يكونون من نوابه وقد عزل بابن الصائغ ثم أعيد إلى الحكم بعد سنين ثم أعيد ابن الصائغ كما تقدم بيانه وقد كان المنصب بينهما دولاً ودرس بعدة مدارس لم يجتمع لغيره .

(٤) ب : تدريس النجيبية وكانت وفاته ؛ وخبر المدرسة في الدارس (١/ ٤٦٨) وقال الأمير جعفر الحسني رحمه الله : تحوّلت إلى دور سكن .

(٥) ب : وقد كان له نظم حسن رائق ومحاضرته .

(٦) ط : رسم .

(٧) اسمه : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان .
وللدكتور إحسان عباس ـ محققه ـ مقدمة هامة . (١/ ٢١ حتى ص١٦٧) .

(٨) ب : جمال الدين عبد الكافي . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٨٩ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٩) ترجمة يحيى بن عبد الكريم بن الحرستاني سترد في سنة ٦٨٢ من هذا الجزء إن شاء الله .

(١٠) عن ط وحدها .

وفي هذا اليوم قبل الصلاة احتيط على القاضي عز الدين بن الصائغ[١] وسجن[٢] بالقلعة وأثبت ابن الحصيري[٣] نائب الحنفي محضراً يتضمن أن عنده وديعةً بمقدار ثمانية آلاف دينار ، من جهة ابن الإسكاف ، وكان الذي أثار ذلك شخص قدم من حلب يقال له تاج الدين بن السنجاري ، وولي القضاء بعدها بهاء الدين يوسف بن محيي الدين ابن الزكي[٤] ، وحكم يوم الأحد ثالث وعشرين رجب ومنع الناس من زيارة ابن الصائغ ، وسعى[٥] بمحضر آخر أن عنده وديعة بقيمة خمس وعشرين ألف دينار للصالح إسماعيل بن أسد الدين ، وقام في ذلك ابن الشاكري[٦] والجمال بن الحموي وآخرون ، وتكلموا في قضية ثالثة ، ثم عقد له مجلس ناله[٧] فيه شدة شديدة ، وتَعَصَّبوا عليه ثم أُعيد إلى اعتقاله ، وقام في صفه نائب السلطنة حسام الدين لاجين ، وجماعة من الأمراء ، فكلموا فيه السلطان فأطلقه وخرج إلى منزله ، وجاء الناس إلى تهنئته يوم[٨] الإثنين الثالث والعشرين من شعبان ، وانتقل من العادلية إلى داره بدرب النقاشة[٩] ، وكان عامة جلوسه في المسجد تجاه داره .

وفي رجب باشر حسبة دمشق جمال الدين بن صَصْرى .

وفي شعبان دَرَّسَ الخطيب جمال الدين بن عبد الكافي[١٠] بالغزالية[١١] عوضاً عن الخطيب ابن الحرستاني[١٢] ، وأخذ منه الدولعية[١٣] لكمال الدين بن النجار[١٤] ، الذي كان وكيل بيت

(١) سترد ترجمة ابن الصائغ في وفيات ٦٨٣ من هذا الجزء إن شاء الله تعالى .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) أ ـ ط : الحصري ، وسترد ترجمته ومصادرها في وفيات سنة ٦٩٨ إن شاء الله .
(٤) سترد ترجمة بهاء الدين بن الزكي في حوادث سنة ٦٨٥ من هذا الجزء إن شاء الله .
(٥) ب : يوسف بن قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي القرشي وحكم يوم الأحد الثالث والعشرين من رجب ـ في أ : الثالث عشر من رجب ـ ومنع الناس من زيارة القاضي عز الدين بن الصائغ وسعى في إثبات محضر آخر .
(٦) ب : ابن السكاكري ، وفي ذيل المرآة : الشهاب زكي الأميني والعز التبان .
(٧) ب : مجلس ثالث ، وفي ط : مجلس تاله ، وما هنا عن أ .
(٨) ب : وذلك يوم .
(٩) درب النقاشة ويسمى اليوم حارة النقاشات وهي الحارة الآخذة من القباقبية إلى الجنوب الشرقي منها ومن الجامع الأموي . وقد ورد حديث عنها في كتاب معالم دمشق التاريخية لأحمد الإيبش ود . قتيبة الشهابي . طبعة وزارة الثقافة ١٩٩٦م .
(١٠) سترد ترجمة ابن عبد الكافي في وفيات سنة ٦٨٩ من هذا الجزء إن شاء الله .
(١١) من مدارس الجامع الأموي . الدارس (١/ ٤١٣) .
(١٢) ب : محيي الدين بن الحرستاني وسترد ترجمته بعد قليل في وفيات هذه السنة .
(١٣) المدرسة الدولعية بجيرون قبلي المدرسة البادرائية بغرب ، وقال ابن بدران : وقد صارت الآن دوراً للسكنى . الدارس (١/ ٢٤٢) ومنادمة الأطلال (٩٨) ومعالم دمشق التاريخية في (٢٢٢ ـ ٢٢٣) .
(١٤) هو محمد بن أحمد بن علي الدمشقي الشافعي مدرس الدولعية توفي سنة ٦٨٨ الدارس (١/ ٢٤٤) .

المال ، ثم أخذ شمس الدين الأيكي[١] تدريس الغزالية من ابن عبد الكافي المذكور .

وفي آخر شعبان باشر نيابة الحكم عن ابن الزكي شرف الدين أحمدبن نعمة[٢] المقدسي أحد الأئمة[٣] الفضلاء ، وسادات العلماء المُصَنِّفين . ولما توفي أخوه شمس الدين محمد في شوال ولي مكانه تدريس الشامية البرانية ، وأخذت منه العادلية الصغيرة ، فدرَّس فيها القاضي نجم الدين أحمد بن صَصْرَى[٤] التغلبي في ذي القعدة[٥] ، وأخذت من شرف الدين أيضاً الرواحية فدرس فيها نجم الدين البياني[٦] نائب الحكم رحمهم الله أجمعين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل[٧] محمد بن القاضي شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله الشيرازي .

صاحب الطريقة المنسوبة في الكتابة ، سمع الحديث وكان من رؤساء دمشق وأعيانها توفي في صفر منها .

شيخ الجبل[٨] الشيخ العلامة شيخ الإسلام شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي .

---

(١) أ وط : الإربلي ؛ وهوتحريف . صححته عن ب والدارس (١/ ٢٢٤) وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٩٧ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٢) ب : عن بهاء الدين بن الزكي الشيخ شرف الدين أحمد بن أحمد بن نعمة . وسترد ترجمة أحمد بن نعمة في وفيات سنة ٦٩٣ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٣) أط : أئمة الفضلاء .

(٤) سترد ترجمة أحمد بن محمد بن سالم بن صصرى في وفيات سنة ٧٢٣ من الجزء التالي إن شاء الله .

(٥) ب : ذي القعدة منها .

(٦) سترد ترجمة البياني في وفيات سنة ٦٨٣ من هذا الكتاب .

(٧) ترجمة ـ عماد الدين بن الشيرازي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٩٨ ـ ١٩٩) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٨٣) والعبر (٥/ ٣٤٦) والإشارة (٣٧٣) والوافي (١/ ٢٠١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٩) والدليل الشافي (٢/ ٦٨٥) وشذرات الذهب (٧/ ٦٦٤) .

(٨) ترجمة ـ شيخ الجبل ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٨٦ ـ ١٩١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٦٩) والعبر (٥/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٤) والإشارة (٣٧٢) والوافي بالوفيات (٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢) وفوات الوفيات (١٨/ ٢٤٠) وذيل ابن رجب (٢/ ٣٠٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠) والدليل الشافي (١/ ٤٠٤) والمقصد الأرشد (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٩) وشذرات الذهب (٧/ ٦٥٧ ـ ٦٦١) .

أوَّل من ولي قضاء الحنابلة بدمشق ، ثم تركه وتولاه ابنه نجم الدين[١] ، وتدريس الأشرفية[٢] بالجبل ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان من علماء الناس وأكثرهم ديانة وأمانة في عصره ، مع هدي وسمت صالح حسن ، وخشوع ووقار . توفي ليلة الثلاثاء سلخ ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ، ودفن بمقبرة والده رحمهم الله .

ابن جَعْوان[٣] العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباس بن جَعْوان الأَنْصاري الدِّمشقي المُحَدِّث الفقيه الشافعي البارع في النحو واللغة .

سمعت شيخنا تقي الدين[٤] ابن تيمية وشيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي[٥] يقول كل منهما للآخر : هذا الرجل قرأ مسند الإمام أحمد[٦] وهما يسمعان فلم يضبط عليه لحنة متفقاً عليها ، وناهيك بهذين ثناءً على هذا وهما هما[٧] .

الخطيب محيي الدين[٨] يحيى بن الخطيب قاضي القضاة عماد الدين عبد الكريم بن قاضي القضاة جمال الدين بن الحَرَستاني الشافعي خطيب دمشق ومدرس الغزالية ، كان فاضلاً بارعاً أفتى ودرس وولي الخطابة والغزالية بعد أبيه ، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير ، توفي[٩] في جمادى الآخرة عن ثمان وستين سنة ، ودفن بقاسيون .

---

(١) ب : نجم الدين القضاء . سترد ترجمة ـ أحمد بن عبد الرحمن بن أبي عمر ـ نجم الدين في وفيات سنة ٦٨٩ من هذا الجزء إن شاء الله .

(٢) ب : وكان من علماء المسلمين وأكثرهم ديانة في عصره وإنابة مع هدى صالح وسمت حسن وخشوع ووقار وكانت وفاته ليلة .

(٣) ترجمة ـ ابن جعوان ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٩٧ ـ ١٩٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٨٣) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٥) والإشارة (٣٧٢) والعبر (٥/ ٣٩٤) والوافي (١/ ٢٠٣) وطبقات الإسنوي (١/ ٣٨٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٦٠) والدليل الشافي (٢/ ٦٨٧) وشذرات الذهب (٧/ ٦٦٤) . وورد في ط : ابن أبي جفوان ؛ تحريف صححته من أ وب ومصادره .

(٤) ب : شيخنا الشيخ تقي الدين .

(٥) ب : المزني . وسترد ترجمة الحافظ المزي في وفيات سنة ٧٤٢ من الجزء التالي والأخير .

(٦) ب : إن هذا الرجل قرأ مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(٧) ب : وناهيك بهاذين ثناءً بهذا وهماهما . قال بشار : « وقال الذهبي : وقرأ المسند على ابن علان قراءة لم يسمع الناس مثلها في الفصاحة والصحة ، وحضر جماعة من الأئمة فما أمكنهم يحفظون عليه لحنة واحدة » .

(٨) ترجمة ـ ابن الحرستاني ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٩٦ ـ ١٩٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٨١) والعبر (٥/ ٣٤٠) وطبقات الإسنوي (١/ ٤٤٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٦٠) والدليل الشافي (٢/ ٧٧٦) والدارس (١/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) وشذرات الذهب (٧/ ٦٦٣) وفي هذه المصادر جميعاً عدا الدليل الشافي اسمه فيها محمد لا يحيى .

(٩) ب : وكانت وفاته .

وفي خامس رجب توفي :

الأمير الكبير ملك عرب آل مِرَى[١] أحمد بن حجي بمدينة بُصرى ، وصُلِّي عليه بدمشق صلاة الغائب .

الشيخ الإمام العالم شهاب الدين[٢] عبد الحليم بن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السَّلام[٣] بن عبدالله بن أبي القاسم ابن تَيْمِيَّة الحَرَّاني ، والد شيخنا العلاَّمة العلم تَقّي الدين ابن تَيْميَّة ، مُفْتي الفِرَق ، الفارق بين الفِرَق .

كان له فضيلة حسنة ، ولديه فضائل[٤] كثيرة ، وكان له كرسيٌّ بجامع دمشق يتكلَّم عليه عن ظاهر قلبه ، وولي مشيخةَ دار الحديث السُّكَّرية[٥] بالقَصّاعين ، وبها كان سكنه ، ثم درَّس ولده الشيخ تقي الدين بها[٦] بعده في السنة الآتية كما سيأتي ، ودفن بمقابر الصُّوفية رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستمئة

في يوم الإثنين ثاني[٧] المحرم منها دَرَّس الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين[٨] أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تَيْميَّة الحَرّاني بدار الحديث السكرية التي بالقَصّاعين ، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ابن الزَّكي الشافعي[٩] ، والشيخ تاج الدين الفزاري[١٠] شيخ الشافعية ، والشيخ زين الدين ابن المرحل[١١] ، وزين الدين بن المُنَجّا الحنبلي[١٢] ، وكان درساً هائلاً ، وقد كتبه

---

(١) ترجمة ـ أحمد بن حجي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٤٦٢) والوافي بالوفيات (٦/ ٣٠٤) والنجوم (٧/ ٢٩٦ ، ٣٥٧ ـ ٣٥٨) و(٨/ ٧٤) والدليل الشافي (١/ ٤٢) والشذرات (٧/ ٦٥٦ ـ ٦٥٧) وهو في ط : آل مثرى ؛ تحريف .

(٢) ترجمة ـ ابن تيمية ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٨٥ ـ ١٨٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٦٨) والإعلام (٢٨٤) والعبر (٥/ ٣٣٨) والإشارة (٣٧٢) والوافي بالوفيات (١٨/ ٦٩) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٣٠٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) والدليل الشافي (١/ ٣٩٤ ـ ٥٩٥) والمقصد الأرشد (٢/ ١٦٦) والقلائد الجوهرية (٢/ ٤٢٦) وشذرات الذهب (٧/ ٦٥٦ ـ ٦٥٧) .

(٣) أ ـ ط : عبد الله ؛ تحريف . صححته عن ب وعن مصادره .

(٤) ب : مفتي الفرق كان الشيخ شهاب الدين له فضيلة حسنة ولديه فوائد كثيرة .

(٥) الدارس (١/ ٧٤) وفيه : داخل باب الجابية . وقال ابن بدران : ونحن لم نقف لها على أثر . منادمة الأطلال (٤٥) .

(٦) أ : ولده الشيخ بها .

(٧) ب : ثامن محرم .

(٨) سترد ترجمة تقي الدين بن تيمية في وفيات سنة ٧٢٨ من الجزء التالي والأخير من هذا الكتاب .

(٩) سترد ترجمة بهاء الدين بن الزكي في وفيات سنة ٦٨٥ .

(١٠) ترجمة تاج الدين الفزاري في وفيات سنة ٦٩٠ .

(١١) ترجمة زين الدين بن المرحل في وفيات سنة ٦٩١ .

(١٢) ترجمة زين الدين بن المنجا في وفيات ٦٩٥ .

الشيخ تاج الدين الفزاري [بخطه لكثرة فوائده ، وكثرة ما استحسنه الحاضرون . وقد أطنب الحاضرون في شكره على حداثة سنه وصغره ، فإنه كان عمره إذ ذاك عشرين سنة وسنتين . ثم جلس الشيخ تقي الدين المذكور أيضاً][١] يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموي [بعد صلاة الجمعة على منبر قد هُيِّيء له لتفسير القرآن العزيز ، فابتدأ من أوله في تفسيره ، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير][٢] من كثرة ما كان يورد من العلوم المتنوعة المحررة مع الديانة والزهادة والعبادة سارت بذكره الركبان في سائر الأقاليم والبلدان ، واستمر على ذلك مدة سنين متطاولة .

وفيها : قدم السلطان إلى دمشق من مصر[٣] يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة ، فجاء صاحب حماة الملك المنصور إلى خدمته[٤] فتلقاه السلطان في موكبه وأكرمه ، فلما كان ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان وقع مطر عظيم بدمشق ، ورعد وبرق ، وجاء سيل عظيم[٥] جداً حتى كسر أقفال باب الفراديس ، وارتفع الماء ارتفاعاً كثيراً ، بحيث أغرق خلقاً كثيراً ، وأخذ جِمال[٦] الجيش المصري وأثقالهم ، فخرج السلطان إلى الديار المصرية بعد ثلاثة أيام .

وتولى شد[٧] الدواوين الأمير شمس الدين سُنْقُر عوضاً عن الدُّوَيْداري علم الدين سَنْجَر .

تمليك أرغون بن أبغا على التتار[٨]

وفيها[٩] : اختلفت التتار فيما بينهم على ملكهم السلطان أحمد فعزلوه عنهم وقتلوه ، وملكوا عليهم السلطان أرغون بن أبغا[١٠] ، ونادوا بذلك في جيشهم ، وتأطدت أحوالهم[١١] ، ومشت أمورهم على ذلك ، وبادت دولة السلطان أحمد . وقامت دولة أرغون بن أبغا .

---

(١) ب : بخطه من كثرة ما استحسنه وشكره الحاضرون على حداثة سنه وجلس الشيخ تقي الدين أيضاً .
(٢) ب : بعد الصلاة على منبر هيىء له لتفسير القرآن فابتدأ من أوله فكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجمع الغفير .
(٣) ب : متطاولة على هذا المنوال قدم السلطان الملك المنصور إلى دمشق من الديار المصرية .
(٤) ب : فخرج السلطان .
(٥) ب : بدمشق ورعدت وبرقت وجاء السيل عظيماً جداً .
(٦) ب : كثيراً ولاسيما من جمال .
(٧) أ ط : مشد الدواوين ، وتقدم شرح اللفظة .
(٨) العنوان عن ب وحدها .
(٩) ب : وفي هذه السنة .
(١٠) في ب : أبغا على التتار ، وسترد ترجمة أرغون بن أبغا في وفيات سنة ٦٩٠ من هذا المجلد إن شاء الله .
(١١) ب : الأحوال .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ طالب الرفاعي[١] بقصر حجاج[٢] وله زاوية مشهورة به ، وكان يزوره بعض المريدين فمات .

وفيها مات :

القاضي الإمام عز الدين أبو المفاخر[٣] محمد بن شرف الدين عبد القادر بن عفيف الدين عبد الخالق ابن خليل الأنصاري الدمشقي [المعروف بابن الصائغ][٤] .

ولي القضاء بدمشق مرتين ، عُزِل بابن خلكان ، ثم عُزل ابنُ خلكان به ثانية ، ثم عُزل وسُجن[٥] وولي بعده بهاء الدين ابن الزكي ، وبقي معزولًا إلى أن توفي ببستانه في تاسع ربيع الأول ، وصُلِّي عليه بسوق الخيل[٦] ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان مولده سنة ثمانٍ وعشرين وستمئة . وكان مشكور السيرة ، له عقل وتدبير واعتقاد كثير في الصالحين ، وقد سمع الحديث وروى ، وخرَّج له ابن بلبان[٧] مشيخة قرأها ابن جَعْوان[٨] عليه ، ودرس بعده بالعَذْراوية[٩] الشيخ زين الدين عمر بن مكي بن المرحل[١٠] ، وكيل بيت المال ، ودرس ابنه محيي الدين أحمد بالعمادية وزاوية الكلاسة من جامع دمشق ، ثم توفي ابنه أحمد[١١] هذا بعده في يوم الأربعاء ثامن رجب ، فدرس بالعمادية والدماغية[١٢] الشيخ زين الدين بن الفارقي[١٣]

---

(١) ترجمة ـ الرفاعي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢١٤ ـ ٢١٥) واسمه فيه : طالب بن عبد الله بن فضائل الرفاعي ، وتاريخ الإسلام (١٥/ ٤٩٥) .

(٢) قصر الحجاج محلة خارج باب الجابية بينه وبين السويقة سميت بذلك نسبة إلى قصر كان بها بناه الحجاج بن يوسف الثقفي . غوطة دمشق (٢/ ٢٥٣) ومعالم دمشق التاريخية (٤٥٠) .

(٣) ترجمة ـ ابن الصائغ ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٣٢ ـ ٢٣٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٠٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٥) والعبر (٥/ ٣٤٤) والإشارة (٣٧٣) والوافي بالوفيات (٣/ ٢٦٩) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٦٤) والدليل الشافي (٢/ ٦٣٨) وتاريخ الصالحية (٢٤٠ ـ ٢٤١) وشذرات الذهب (٧/ ٦٦٩ ـ ٦٧٠) .

(٤) ليس ما بين الحاصرتين في الأصول جميعاً واستدركته عن مصادره .

(٥) ب : ابن خلكان ثانية ثم عزل به وسجن .

(٦) سوق الخيل شمال غرب قلعة دمشق بقرب سوق التبن ولازال سوق التبن موجوداً إلى اليوم تباع فيه الأعلاف والطيور أما سوق الخيل فقد زال لكن مكانه يدعى سوق الخيل رغم أن ساحته تحولت إلى بيع الخضار والفواكه . معالم دمشق التاريخية (٣٠٦) .

(٧) ط : « وقد سمع الحديث له ابن بلبان » ولا يصح ، وما هنا من ب (بشار) .

(٨) ط : ابن جفوان ؛ وهو تحريف تقدم مثله .

(٩) ط : بالعزروية ؛ تحريف . وقد درست وضاعت . الدارس (١/ ٣٧٣) .

(١٠) ترجمة ابن المرحل في وفيات ٦٩١ .

(١١) لمحيي الدين بن الصائغ أحمد بن محمد بن عبد القادر ترجمة في ذيل المرآة (٤/ ٢١٠) .

(١٢) أ : بالدماغية والعمارية .

(١٣) هو زين الدين أبو محمد عبد الله بن مروان بن عبد الله الفارقي الشافعي خطيب دمشق وشيخ دار الحديث . توفي سنة =

شيخ دار الحديث نيابة عن أولاد القاضي عز الدين بن الصائغ : بدر الدين[١] وعلاء الدين .

وفيها توفي :

الملك السعيد فتح الدين[٢] عبد الملك بن الملك الصالح أبي الحسن إسماعيل ابن الملك العادل ، وهو والد الملك الكامل ناصر الدين محمد ، في (ليلة الإثنين) ثالث رمضان ، ودُفن من الغد بتربة أم الصالح ، وكان من خيار الأمراء محترماً كبيراً رئيساً ، روى « الموطأ » عن يحيى بن بكير[٣] عن مكرم بن أبي الصقر ، وسمع ابن اللتي[٤] وغيره .

القاضي نجم الدين عمر بن نصر بن منصور[٥] البَيْساني[٦] الشافعي .

توفي في شوال منها ، وكان فاضلاً ، ولي قضاء زرع ثم قضاء حلب ، ثم ناب في دمشق ودرَّس بالرواحية وباشرها بعده شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي[٧] ، يوم عاشر شوال .

وفي هذا اليوم توفي بحماة ملكها :

الملك المنصور[٨] ناصر الدين محمد بن محمود بن عمر بن شاهنشاه[٩] بن أيوب .

ولد سنة ثلاثين وستمئة ، وتملك حماة سنة ثنتين وأربعين ، وله عشر سنين ، فمكث في الملك أزيد من أربعين سنة ، وكان له بر وصدقات ، وقد أعتق في مرض[١٠] موته خلقاً من الأرقّاء ،

= ثلاث وسبعمئة . الشذرات (٨/ ١٦ ـ ١٧) .

(١) محمد بن محمد بن عبد القادر بدر الدين بن عز الدين الأنصاري المعروف بابن الصائغ . مدرس الدماغية توفي سنة ٧٣٩ . الدليل الشافي (٢/ ٦٩٤ ـ ٦٩٥) والشذرات (٧/ ٢١٦) .

(٢) ترجمة ـ الملك السعيد ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٢٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٠١) والدليل الشافي (١/ ٤٣٠) والدارس (١/ ٣٢ ، ٣١٧) وترويح القلوب (٦٨) .

(٣) يعني : الذي برواية يحيى بن بكير عن مالك (بشار) .

(٤) ط : ابن الليثي ؛ تحريف . وهو عبد الله بن عمر بن علي بن زيد بن اللتي الحريمي توفي سنة ٦٣٥ . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٥ ـ ١٧) .

(٥) ترجمة ـ البيساني ـ في الدارس (١/ ٢٦٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٠٢) .

(٦) ط : « البياني » وهو تحريف ، وهو منسوب إلى بيسان المدينة المشهورة ، وهو موجود في نسخة المقتفي المتقنة (١/ الورقة ١١٨) وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (بشار) .

(٧) تقدمت ترجمة ابن نوح المقدسي في حوادث سنة ٦٥٤ من هذا الجزء .

(٨) ترجمة ـ الملك المنصور ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٣٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥١١) والعبر (٥/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) والإشارة (٣٧٣) والنجوم (٧/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤) والشذرات (٧/ ٦٧٠) وترويح القلوب (٥٤) .

(٩) في ط : ملكشاه ؛ وهو تحريف . وورد اسمه كما أثبتناه في ترويح القلوب (٥٣) .

(١٠) ط : « بعض » ولا معنى لها ، لأن الموت لا يتبعض ، وما أثبتناه هو الصواب بغير ارتياب (بشار) .

وقام في الملك بعده ولده الملك المظفر بتقليد الملك المنصور[١] له بذلك .

القاضي جمال الدين أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن عمر الزَّواوي[٢] .

قاضي قضاة المالكية ، ومدرسهم بعد القاضي زين [الدين] الزَّواوي الذي عزل نفسه ، وقد كان ينوب عنه فاستقلّ بعده بالحكم . توفي[٣] في الخامس من ذي القعدة وهو في طريق الحجاز ، وكان عالماً فاضلاً قليل التكليف والتكلف ، وقد شغر المنصب بعده ثلاث سنين ودرَّس بعده للمالكية الشيخ جمال الدين الشَّريشي[٤] ، وبعده أبو إسحاق اللَّوْري[٥] ، وبعده مجد الدين أبو بكر التونسي[٦] ثم لما وصل القاضي جمال الدين بن سليمان[٧] حاكماً درَّس بالمدارس والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستمئة

في أواخر المحرم قدم الملك المنصور إلى دمشق ومعه الجيوش ، وجاء إلى خدمته صاحب حماة الملك المظفر بن المنصور فتلقّاه[٨] بجميع الجيوش ، وخلع عليه خلعةَ الملوك ، ثم سافر السلطان بالعساكر[٩] المصرية والشامية فنزل المرقب ففتحه الله عليهم في يوم الجمعة ثامن عشر صفر ، وجاءت البشارةُ بذلك إلى دمشق[١٠] فدقَّت البشائر وزُيِّنت البلد وفرح المسلمون بذلك[١١] ، لأن هذا الحصن كان مضرة على المسلمين ، ولم يتفق فتحه لأحد من ملوك الإسلام[١٢] لا للملك صلاح الدين ، ولا للملك

---

(١) ب : المنصور قلاوون .
(٢) أ ط : الرازاي ، وهو تحريف . قال بشار : وترجمته في ذيل المرآة (٤/ ٢٣٩) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥١٤) .
(٣) ب : وكانت وفاته .
(٤) ترجمة الشريشي في وفيات ٦٨٥ .
(٥) أبو إسحاق اللَّوْري هو إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى الرعيني الأندلسي المالكي المحدث سكن دمشق وناب في القضاء ثم ولي مشيخة دار الحديث الظاهرية توفي سنة ٦٨٧ (نص مستدرك على العبر ١٠) .
(٦) أ : بدر الدين أبو بكر التونسي . ب : بدر الدين أبو بكر البسري . وفي ط : بدر الدين أبو بكر البريسي . وكل ذلك تحريفات . ومجد الدين أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسي الشافعي . توفي سنة ٧١٨هـ وانظر شذرات الذهب (٨/ ٨٦) وذيول العبر (٩٩) .
(٧) انظر الدارس (٢/ ٥) .
(٨) ب : فتلقاه السلطان بجميع .
(٩) ب : فاخر بالعساكر الشامية أيضاً وأزال المرقب .
(١٠) أ : وجاءت البشارة إلى دمشق بذلك وفي ب : وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق وقرئ كتاب السلطان بدمشق قرأه على منبر الوعاظ القاضي نجم الدين بن أبي الطبيب ودقت البشائر وزين البلد .
(١١) ب : بذلك فرحاً شديداً .
(١٢) ب : من الملوك .

الظاهر ركن الدين بيبرس البُنْدُقْداري ، وفتح[١] حوله بُلُنْياس[٢] مَرقِيَّة وهي بلدة صغيرة إلى جانب البحر عند حصن منيع جداً لا يصل إليه سهم ولا حجر منجنيق ، فأرسل إلى صاحب طرابلس فهدمه تقرباً إلى السلطان الملك المنصور ، واستنقذ المنصور خلقاً كثيراً من أسارى المسلمين ، الذين كانوا عند الفرنج ، ولله الحمد . ثم عاد المنصور إلى دمشق ، ثم سافر بالعساكر المصرية إلى القاهرة[٣] .

وفي أواخر جماى الآخرة ولد[٤] للمنصور ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وفيها : عُزِل محيي الدين ابن النَّحَّاس[٥] عن نظر الجامع ووليه عز الدين بن محيي الدين بن الزكي .

وباشر ابن النحاس الوزارة عوضاً عن التَّقِي تَوْبَة التكريتي[٦] ، وطلب التَّقي توبة إلى الديار المصرية واحتيط[٧] على أمواله وأملاكه .

وعُزل سيف الدين طوغان[٨] عن ولاية المدينة ، وباشرها عز الدين بن أبي الهيجاء[٩] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ عزّ الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شَدَّاد[١٠] ، توفي في صفر ، وكان فاضلاً مشهوراً ، له كتاب « سيرة الملك الظاهر » ، وكان معتنياً بالتاريخ[١١] . رحمه الله .

البُنْدقدار[١٢] أستاذ الملك الظاهر بيبرس ، وهو الأمير الكبير علاء الدين أَيْدكين[١٣] البندقداري الصّالحي .

---

(١) أ : لأحد من الملوك لا لصلاح الدين ولا لظاهر وفتح حوله .
(٢) أ ، ب : بلساس ومرقبة وانظر في بُلُنْياس معجم البلدان (١/ ٤٨٩) وفي مرقية معجم البلدان (٥/ ١٠٩) وقد صحفت في ط إلى مرقب .
(٣) ب : ثم عاد السلطان إلى دمشق وسافر بالعسكر المصرية إلى القاهرة في أواخر جمادى الآخرة .
(٤) وفي هذا الحين ولد ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون .
(٥) تقدم ابن النحاس في وفيات سنة ٦٨٣ .
(٦) ترجمة توبة في وفيات سنة ٦٩٨ .
(٧) ط : « وأحيط » ، وما هنا من ب ، وهو أحسن (بشار) .
(٨) توفي سنة نيف وعشرين وسبعمئة الدرر الكامنة (٢/ ٢٢٨) .
(٩) ترجمة ـ ابن أبي الهيجاء ـ في وفيات سنة ٧٠٠ .
(١٠) ترجمة ابن شداد في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) ، وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٢٦ و٥٣٠) (بشار) .
(١١) ب : بالتواريخ .
(١٢) ط : « البندقداري » وما أثبتناه أحسن لأنه كان بندقداراً بنفسه (بشار) .
(١٣) ترجمة ـ أيدكين ـ في ذيل المرآة (٤/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) والعبر (٥/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩) والوافي (٩/ ٤٩٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) والدليل الشافي (١/ ١٦٥) وتبدأ الترجمة في أ : البندقداري الصالحي .

كان من خيار الأمراء سامحه الله . توفي في ربيع الآخر منها ، وقد كان الصالح نجم الدين صادر[١] البُنْدُقدار هذا ، وأخذ منه مملوكه بيبرس فأضافه[٢] إليه لشهامته ونهضته ، فتقدم عنده على[٣] أستاذه وغيره .

الشيخ الصالح العابد الزاهد[٤] شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إسماعيل الإخميمي[٥] . كانت له جنازةٌ هائلةٌ ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

ابن عامر المقرئ[٦] الذي ينسب إليه الميعاد الكبير ، الشيخ الصالح المقرئ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عامر بن أبي بكر الغَسُولي[٧] الحنبلي[٨] .

سمع الحديث من الشيخ موفق الدين بن قدامة وغيره ، وكان يعمل[٩] الميعاد ليلة الأحد ، فإذا فرغوا من ذلك دعا بهم ثم وعظهم . توفي يوم الأربعاء حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بالقرب من تربة الشيخ عبد الله الأرمني ، رحمه الله .

القاضي عماد الدين[١٠] داود بن يحيى بن كامل القرشي البُصروي[١١] الحنفي .

---

(١) أ : وقد كان الصالح صادر .

(٢) أ ، ب : وأضافه .

(٣) ب : فتقدم على .

(٤) ترجمة ـ الإخميمي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٢٧) والإعلام (٢٨٥) والعبر (٥/ ٣٥٠) والإشارة (٣٧٤) والوافي بالوفيات (٢/ ٣٥٣) والنجوم (٧/ ٣٦٨) .

(٥) الإخميمي : نسبة إلى إخْميم بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد . معجم البلدان (١/ ١٢٣) .

(٦) ترجمة ـ ابن عامر المقرئ ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٥٢٩) والعبر (٥/ ٣٥٠) وشذرات الذهب (٦٧٩) وقد أخلت به كتب الحنابلة الأخرى كطبقات الحنابلة وذيلها والمقصد الأرشد والدر المنضد قال بشار : وسبب ذلك أن الذهبي ـ وهو مصدر الكتب المذكورة ـ لم ينسبه حنبلياً بل ذكر أنه كان مقرئاً صالحياً .

(٧) ط : « الغسولي » ولا معنى لها وما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٥/ ٥٢٩) .

(٨) هكذا في الأصول وط ، وهو جائز ، وفي تاريخ الإسلام : « الغسولي الصالحي » وهو الأصح ، ولعل المصنف نسبه حنبلياً لكونه من أهل الصالحية ، وهم حنابلة في الأغلب الأعم ؛ ولأنه روى عن حنابلة ، والترجمة ، فيما أرى ، منقولة من تاريخ الشيخ تاج الدين الفزاري كما صرّح الذهبي ، وهو مما لم يصل إلينا ، فلا ندري إن كان نسبه حنبلياً ، ولكنه نسبه صالحياً بلا شك ، فالله أعلم (بشار) .

(٩) وكان شيخ الميعاد ليلة الأحد . في ب .

(١٠) ترجمة ـ عماد الدين ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٥١٩) والجواهر المضية (٢/ ١٩٧) والدليل الشافي (١/ ٢٩٧) والدارس (١/ ٥٥٦) والطبقات السنية (٣/ ٢٤٠) .

(١١) ط : النصروي ؛ تحريف صححته عن أ وب والدارس .

مدرس العِزّية[١] بالكشك ، وناب في الحكم عن مجد الدين بن العديم[٢] ، وسمع الحديث وتوفي[٣] ليلة النصف من شعبان ، وهو والد الشيخ نجم الدين القَحْفازي[٤] ، شيخ الحنفية ، وخطيب جامع تنكز[٥] .

الشيخ حسن الرومي[٦] شيخ سعيد السعداء بالقاهرة . وقد وليها بعده شمس الدين الأيكي[٧] .

[رشيد الدين الحنفي][٨] الرشيد سعيد بن علي بن سعيد ، الشيخ رشيد الدين الحنفي مدرس الشبلية ، وله تصانيف مفيدة كثيرة ، ونظم حسن ، فمن ذلك قوله[٩] : [رمل]

قُلْ لمنْ يحذَرُ أن تُدْرِكَهُ ... نَكباتُ الدَّهْرِ لا يُغْني الحَذَرْ[١٠]
أذْهَبَ الحُزْنَ اعْتقادي أنَّهُ ... كلُّ شيءٍ بقَضاءٍ وَقَدَرْ[١١]

ومن شعره قوله[١٢] [من الطويل] :

إلٰهي لَكَ الحَمْدُ الذي أَنْتَ أَهْلُهُ ... على نِعَم منها الهِدايَة للحَمْدِ
صحيحاً خلقتَ الجسمَ منّي مُسَلَّماً ... ولطفكَ بي ما زالَ مُذْ كُنْتُ في المَهْدِ
وكنتُ يتيماً قد أحاطَ بيَ الرّدَى ... فآويتَ واستنقذتَ من كلِّ ما يُرْدي
وهبت ليَ العقلَ الذي بضيائِهِ[١٣] ... إلى كلِّ خيرٍ يَهْتدي طالبُ الرشْدِ
ووفقتَ للإسلامِ قَلْبي ومَنْطقي ... فيا نعمةً قد حلَّ موقعُها[١٤] عندي

---

(١) الدارس (١/ ٥٥٥) .
(٢) مجد الدين بن العديم في وفيات ٦٧٧ .
(٣) ب : وكانت وفاته .
(٤) القحفازي في وفيات ٧٤٥ من الجزء التالي . وترجمته أيضاً في : فوات الوفيات (٣/ ٢٣) والجواهر المضية (٤/ ٢٨٣) والدرر الكامنة (٣/ ١١٦ ـ ١١٨) وبغية الوعاة (٢/ ١٦٦) .
(٥) ط : تنكر ، وهو تحريف . وجامع تنكز لا يزال قائماً إلى عصرنا الحاضر بين المرجة وشارع النصر .
(٦) ترجمة حسن الرومي في تاريخ الإسلام (١٥/ ٥١٨) (بشار) .
(٧) شمس الدين الأيكي في وفيات سنة ٦٩٦ .
(٨) ترجمة ـ رشيد الدين الحنفي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٦٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥١٩) والعبر (٧/ ٣٤٧) والإشارة (٣٧٤) والدليل الشافي (١/ ٣١٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٦٦) وبغية الوعاة (١/ ٥٨٥) والدارس (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣) والقلائد الجوهرية (١٢٧) والطبقات السنية (٤/ ٢٣٧) ، والشذرات (٧/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣) .
(٩) البيتان كما هنا في الدليل والدارس والطبقات السنية ، وهو أربعة في ذيل المرآة .
(١٠) في ذيل المرآة : بكتاب الدهر لا يغني عن الحذر ؛ وهو تحريف لا بد من تصحيحه ليستقيم معنى البيت .
(١١) بعده في ذيل المرآة بيتان .
(١٢) في ب : وله . والأبيات تسعة في ذيل المرآة (٤/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) .
(١٣) في الذيل : يُصبى له .
(١٤) ب : موضعها .

ولو رمتُ جُهْدي أنْ أجازي[١] فضيلةً ... فضلتُ بها لم يجزِ أطرافها[٢] جهدي[٣]
ألستَ الذي أرجو جنابَك[٤] عندما ... يُخَلّفني[٥] الأَهلون وَحْديَ في لَحْدي[٦]
فجُد لي بلطفٍ منكَ يهدي سريرتي ... وقلبـي ويـدنيني[٧] إليـكَ بـلا بعـدِ[٨]

توفي[٩] يوم السبت ثالث رمضان ، وصُلّي عليه العصر بالجامع المظفري[١٠] ، ودفن بالسفح[١١] .

أبو القاسم علي بن بَلَبَان بن عبد الله[١٢] النّاصري المُحَدِّث المُفيد الماهر ، توفي يوم[١٣] الخميس مستهلَّ رمضان .

الأديب مُجِير الدين[١٤] محمد بن يعقوب بن علي المعروف بابن تميم الحموي الشاعر ، صاحب « الديوان » في الشعر ، فمن شعره قوله[١٥] :

عاينتُ وردَ الرَّوْضِ يلطُمُ[١٦] خَدَّهُ ... ويَقُولُ قَوْلًا في البَنَفْسَجِ يحنقُ[١٧]

---

(١) أ : أجر ؛ ب : أحد والذيل : أحل .
(٢) أ ب والذيل : لم يحو أطرافها .
(٣) أ : حدي ، ب : جدي .
(٤) ط : حنانك ، وما هنا عن أ ب والذيل .
(٥) في الذيل : حيثما تخلفني .
(٦) قبل هذا البيت في الذيل البيت التالي :
ألست الذي أدعوك في كل كربة ... ففرجتها لولاك طارت بها كبدي
(٧) ب : تهدي . . وتدنيني إليك .
(٨) أ ، ب : من البعد .
(٩) ب : وكان وفاته .
(١٠) لا يزال هذا الجامع قائماً إلى اليوم في سفح قاسيون في طلعة الحنابلة المتفرعة من شارع أبي جرش الواصل إلى حي الشيخ محيي الدين . ويسميه الناس في عصرنا : جامع الحنابلة . الدارس (٢/ ٤٣٥) .
(١١) ب : بسفح قاسيون .
(١٢) ترجمة ـ ابن بَلَبَان ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٦٩) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٢٣) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٥) والعبر (٥/ ٣٤٨) والإشارة (٣٧٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٦٨) وبغية الوعاة (٢/ ١٥٢) وحسن المحاضرة (١/ ٤٦٨) وشذرات الذهب (٧/ ٦٧٦) .
(١٣) ب : توفي في يوم .
(١٤) ترجمة ـ ابن تميم الحموي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٧٧ـ٢٨٠) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٣١) والعبر (٥/ ٣٥١) والوافي (٥/ ٢٢٨) وفوات الوفيات (٤/ ٥٤) والدليل الشافي (٢/ ٧١٢) وشذرات الذهب (٧/ ٦٧٩ـ٦٨٠) .
(١٥) البيتان في ذيل المرآة (٤/ ٢٨٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٦٨) والشذرات (٧/ ٦٨٠) .
(١٦) ذيل المرآة : يضم هذه ؛ ولا يستقيم بها الوزن .
(١٧) ب : ويقول إن على البنفسج محنق . وفيها خطأ لغوي ، وفي ذيل المرآة والنجوم والشذرات : ويقول وهو على البنفسج محنق .

لا تَقْـرَبُـوهُ وإنْ تَضَـوَّعَ نَشْـرُهُ ‏ ‏ ‏ مـا بينكُـمْ فهـو العَـدُوُّ الأَزْرَقُ

الشيخ العارف شرف الدين[١] أبو عبد الله محمد بن الشيخ عثمان بن علي الرومي ، ودُفن بتربتهم بسفح قاسيون ، ومن عندهم خرج الشيخ جمال الدين محمد الساوجي وخلق . ودخل في زي[٢] الجَوالِقيّة[٣] وصار شيخهم ومقدمهم .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمئة

استهلت والخليفة الحاكم أبو العباس أحمد ، والسلطان الملك المنصور[٤] قلاوون ، ونائبه بالشام الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري ، والأمير بدر الدين الصَّوابي مُحاصِرٌ مدينة الكرك في أواخر السنة الماضية ، وقدم عليه من مصر[٥] عسكر صحبة الأمير حسام الدين طُرُنْطاي[٦] فاجتمعوا على حصار الكرك حتى أنزلوا منها صاحبها الملك المسعود خضر[٧] بن الملك الظاهر ، في مستهلِّ صفر ، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق ، فدقت البشائر[٨] ثلاثة أيام ، وعاد طُرُنطاي بالملك خضر وأهل بيته[٩] إلى الديار المصرية ، كما فعل الملك الظاهر أبوه بالملك المغيث عمر بن العادل ، كما تقدم ذلك[١٠] . واستناب في الكرك نائباً عن أمر المنصور ، ورَتَّبَ أمورَها وأَجْلَوْا منها خلقاً من الكَرَكِيّين ، واستُخْدِموا بقلعة دمشق . ولما اقترب دخول آل الظاهر إلى القاهرة تلقّاهم المنصور فأكرم لقياهم وأحسن[١١] إلى الأخوين نجم الدين خضر ، وبدر الدين سُلامش ، وجعلهما يركبان مع ابنيه عليٍّ والأشرفِ خليلٍ ، وجعل

---

(١) ترجمة ـ شرف الدين الرومي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٣٠) والعبر (٥/ ٣٥٠) والإشارة (٣٧٤) والوافي بالوفيات (٤/ ٨٦) والدارس (٢/ ١٩٧) والقلائد الجوهرية (١٩٣) وشذرات الذهب (٧/ ٦٧٩) .

(٢) ط : محمد الساوجي وخلق ودخل في ذي الجوالقية .

(٣) أ ، ب : الجواليقية . والجَوْلَقيَّة . أتباع أبي محمد هشام بن سالم الجواليقي المتوفى سنة ١٩٩ الذي كان في أول أمره على مذهب الجهمية ثم انتقل إلى القول بإمامة جعفر الصادق ، ويقال للجولقية الهشامية أيضاً . معجم الفرق الإسلامية (٨٨) .

(٤) ب : وستمئة والخليفة الحاكم أبو العباس أحمد وسلطان البلاد الملك المنصور .

(٥) ب : بالديار المصرية .

(٦) ط : طرقطاي ؛ تحريف . وسترد ترجمته في وفيات ٦٨٩ .

(٧) ب : نجم الدين خضر .

(٨) ب : البشائر وطبلخانات الأمراء ثلاثة أيام .

(٩) أ ، ب : وأهل بيتهم .

(١٠) ب : فقد ذكر ذلك واستناب في الكرك عن أمر .

(١١) أ ، ب : فأكرم وأحسن .

عليهما عيوناً يرصدون ما يفعلان[١] ، وأنزلا الدور بالقلعة وأجرى عليهم من الرواتب والنفقات ما يكفيهم وزيادة كثيرة ، وكتب الأمير بدر الدين بكتوت العلائي وهو مجرد بحمص إلى نائب دمشق لاجين[٢] ، أنه قد انعقدت زوبعة في يوم الخميس سابع صفر بأرض حمص ثم ارتفعت في السماء كهيئة العمود والحية العظيمة ، وجعلت تختطف الحجارة الكبار ، ثم تصعد[٣] بها في الجو كأنها سهامُ النشّاب ، وحملت شيئاً كثيراً من الجِمال بأحمالها ، والأثاث والخيام والدواب ، ففقد الناس من ذلك شيئاً كثيراً[٤] ، فإنا لله وإنّا إليه راجعون .

وفي هذا اليوم وقع مطر عظيم في دمشق[٥] وجاء سيلٌ كثيرٌ ولا سيّما في الصالحية[٦] .

وفيها : أعيد علم الدين الدُّوَيْداري إلى شدّ الدواوين بدمشق ، والصاحب تقي الدين توبة[٧] إلى الوزارة بدمشق[٨] .

وفيها تولى قضاء المالكية بمصر زين الدين بن أبي مخلوف البريدي[٩] عوضاً عن القاضي تقي الدين بن شاس[١٠] الذي توفي بها .

وفيها : درس بالغزالية بدر الدين[١١] بن جماعة انتزعها من يد شمس الدين إمام الكلاسة ، الذي كان ينوب عن شمس الدين[١٢] الأيكي ، والأيكي شيخ سعيد السعداء بمصر[١٣] ، باشرها[١٤] شهراً ثم جاء

---

(١) أ ، ب : ما يقولان وأنزلهم .

(٢) ب : الأمير لاجين .

(٣) ب : فيصعد .

(٤) ب : كثيراً من رجالهم وأمتعتهم .

(٥) ب : مطر كثير بدمشق وسيل كثير .

(٦) ب : بالصالحية .

(٧) تقي الدين توبة له ترجمة في وفيات سنة ٦٩٨ .

(٨) ب : بالشام المحروس .

(٩) أ ، ب : البربري .

(١٠) ب : بن ساس ، ط : « برساس » وكله تحريف وتصحيف ، والصواب ما أثبتنا ، وهو تقي الدين الحسين بن عبد الرحمن بن شاس المتوفى في مستهل ذي الحجة من هذا العام كما في تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ٥٤٠) (بشار) .

(١١) ب : القاضي بدر الدين وسترد ترجمة ابن جماعة في وفيات سنة ٧٣٣ .

(١٢) شمس الدين الأيكي ترجمته في وفيات سنة ٦٩٦ .

(١٣) اللفظة عن ب وحدها .

(١٤) يعني ابن جماعة .

مرسوم بإعادتها إلى الأيكي ، وأنه قد استناب عنه جمال الدين الباجُرْبقي[١] ، فباشر الباجُرْبقي في ثالث رجب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[أحمد بن شيبان[٢] بن تَغْلِب الشَّيباني أحد مشايخ الحديث المسندين المعمرين بدمشق ، توفي بصفر[٣] عن ثمان][٤] وثمانين سنة ، ودفن بقاسيون .

الشيخ الإمام العالم البارع[٥] جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سُجْمان[٦] البكري الشَّرِيشي المالكي .

ولد بشَرِيش[٧] سنة إحدى وستمئة ، ورحل إلى العراق فسمع بها (الحديث) من المشايخ كالقطيعي[٨] وابن روزبة[٩] وابن اللَّتِي[١٠] وغيرهم ، واشتغل وَحَصَّلَ وساد أهلَ زمانه[١١] ، ثم عاد إلى مصر فدرس بالفاضلية ، ثم أقام بالقدس شيخ الحرم ، ثم جاء إلى دمشق فولي مشيخة الحديث بتربة أم الصالح ، ومشيخة الرباط الناصري (بالسفح) ، ومشيخة المالكية ، وعُرِض عليه القضاء فلم يقبل .

---

(١) الباجربقي سترد ترجمته في وفيات سنة ٦٩٩ .

(٢) ترجمة ـ أحمد بن شيبان ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٣٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٦) والعبر (٥/ ٣٥١) والإشارة (٣٧٤) والوافي (٦/ ٤١٧) والدليل (١/ ٤٩) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٠) والشذرات (٧/ ٦٨١) .

(٣) أ : المسندين بدمشق توفي في صفر .

(٤) مسند في هامش أ .

(٥) ترجمة ـ الشريشي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٢٩٢ ـ ٣٠٠) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٤٩) والإشارة (٣٧٤ ـ ٣٧٥) والعبر (٥/ ٣٥٤) والوافي (٢/ ١٣١) والدليل الشافي (٢/ ٥٩٠) والدرر الكامنة (٣/ ٣٥١ ـ ٣٥٢) وشذرات الذهب (٧/ ٦٨٥) والديباج المذهب (٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) .

(٦) في أ ـ ط : بحمان وهو في ب : سحبان ، وفي مصادره : سُجْمان ، وهو الصواب .

(٧) قال ياقوت أوله مثل آخره ، بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت : مدينة كبيرة من كورة شَذُونَة وهي قاعدة هذه الكورة واليوم يسمونها شرش . معجم البلدان (٣/ ٣٤٠) .

(٨) القطيعي : محمد بن أحمد بن عمر البغدادي المحدث المؤرخ توفي سنة ٦٣٤ . العبر (٥/ ١٢٩) .

(٩) ابن رَوْزَبة أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغدادي القلانسي العطار الصوفي . حدّث بالصحيح عن أبي الوقت ببغداد وبغيرها من المدن خوفاً من حصار دمشق على الناصر داود . توفي سنة ٦٣٣ . العبر (٥/ ١٣٤) .

(١٠) ط : ابن الليثي ؛ تحريف . وابن اللتي مسندُ الوقت أبو المُنَجّا عبد الله بن عمر بن علي بن عمر بن زيد الحريمي القزاز . رجل مبارك خيّر وكان آخر من روى حديث البغوي بعلوّ نشر حديثه بالشام توفي ببغداد سنة ٦٣٤ . العبر (٥/ ١٤٣) .

(١١) بعدها في ب : وبني أقرانه .

توفي[١] يوم الإثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري بقاسيون[٢] ، (ودفن بسفح قاسيون تجاه الناصرية ، وكانت جنازته حافلة جداً) .

قاضي القضاة[٣] **بهاء الدين**[٤] **أبو الفضل**[٥] **يوسف** ابن قاضي القضاة محيي الدين أبي الفضل يحيى بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز ـ [زاد الجزري وغيره :][٦] ـ بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان ، القرشي الدمشقي المعروف بابن الزكي الشافعي .

كان فاضلاً مبرزاً[٧] ، وهو آخر من ولي[٨] القضاء من بني الزكي إلى يومنا هذا ، ولد في سنة أربعين[٩] وسمع الحديث ، توفي[١٠] ليلة الإثنين حادي عشر ذي الحجة ، ودفن بقاسيون ، وتولى بعده ابن الخُوَيِّي شهاب الدين[١١] .

الشيخ مجد الدين[١٢] **يوسف بن محمد بن عبد الله المصري** ثم الدمشقي الشافعي الكاتب المعروف بابن المِهْتَار .

كان فاضلاً في الحديث والأدب ، يكتب كتابةً حسنةً جداً ، وتولَّى مشيخةَ دار الحديث النورية ، وقد سمع الكثير وانتفع الناس به وبكتابته ، توفي عاشر ذي الحجة[١٣] ودفن بباب الفراديس .

الشاعر الأديب[١٤] **شِهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم** بن محمد المعروف بابن الخِيَمي .

---

(١) ب : وكانت وفاته .
(٢) بعدها في ب : ومشيخة المالكية .
(٣) ترجمة ـ ابن الزكي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٣٠٧ ـ ٣١٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٦٤) والإعلام (٢٨٦) والعبر (٥/ ٣٦٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٠) وشذرات الذهب (٧/ ٦٨٨ ـ ٦٨٩) .
(٤) اللقب عن ب وحدها والكنية عن أ ب .
(٥) في ذيل المرآة : أبو الفضائل .
(٦) أ : زيادة الجزري .
(٧) ب : كان أحد الفاضلين البارزين والعلماء المبرزين .
(٨) ب : تولَّى .
(٩) ب : وكان مولده في سنة أربعين وستمئة .
(١٠) ب : وتوفي .
(١١) ترجمة ـ شهاب الدين الخويي ـ في وفيات ٦٩٣ من هذا الجزء .
(١٢) ترجمة ـ ابن المهتار ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٣٠٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٦٣) والإعلام (٢٨٦) والعبر (٥/ ٣٥٦) والإشارة (٣٧٥) والدارس (١/ ٤٦) وشذرات الذهب (٧/ ٦٨٧ ـ ٦٨٨) .
(١٣) ب : وتوفي في تاسع عشر ذي الحجة ، وفي أ : عاشر الحجة ، وفي جميع مصادره : تاسع ذي القعدة .
(١٤) ترجمة ـ ابن الخيمي ـ في وفيات الأعيان (٢/ ١٠٦) وذيل مرآة الزمان (٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠٦) وتاريخ الإسلام =

كانت له مشاركةٌ في علومٍ كثيرةٍ ، ويدٌ طُولَى في النَّظْمِ الرّائِقِ الفائق جاوز الثمانين وقد تنازع هو ونجم الدين بن إسرائيل[(١)] في قصيدة بائية[(٢)] فتحاكما إلى ابن الفارض[(٣)] فأمرهما بنظم أبيات على وزنها فنظم كل منهما فأحسن ، ولكن لابن الخِيمي[(٤)] يدٌ طُولَى عليه ، وكذلك فعل ابن خلكان[(٥)] ، وامتدحه على وزنها[(٦)] بأبيات حسان ، وقد أطال ترجمته الجزري في كتابه[(٧)] .

وفيها كانت وفاة[(٨)] :

الحاج شرف[(٩)] بن مِرَى[(١٠)] ، والد الشيخ مُحيي الدين النَّوَوي رحمه الله تعالى .

يعقوب بن عبد الحق[(١١)] أبو[(١٢)] يوسف المرّيني[(١٣)] سلطان بلاد المغرب ، خرج على الواثق بالله أبي دبوس فسلبه الملك بظاهر مراكش ، واستحوذ على بلاد الأندلس والجزيرة الخضراء ، في سنة ثمان وستين وستمئة ، واستمرت أيامه إلى محرم هذه السنة ، وزالت على يديه دولة المُوحّدين بها .

= (١٥/ ٥٥٣) والعبر (٥/ ٣٥٢) والإشارة (٣٧٥) والوافي بالوفيات (٤/ ٥٠) وفوات الوفيات (٣/ ٤١٣ ـ ٤٢٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) والدليل الشافي (٢/ ٦٤٩) وحسن المحاضرة (١/ ٥٦٩) وشذرات الذهب (٧/ ٦٨٦ ـ ٦٨٧) .

(١) تقدمت ترجمة ـ نجم الدين بن إسرائيل ـ في وفيات سنة ٦٧٧ من هذا الجزء .

(٢) ب : تائية ؛ وهو تحريف لأن مطلع القصيدة :

يا مطلباً ليس لي في غيره أربُ إليك آل التَّقَصّي وانتهى الطلبُ

والقصيدة في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٣٠٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٠) وفوات الوفيات (٣/ ٤١٤) .

(٣) تقدمت ترجمة ابن الفارض في وفيات ٦٣٢ من هذا الجزء .

(٤) ب : ولكن حكم لابن الخيمي وكذلك فعل .

(٥) ترجمة ابن خلكان في وفيات سنة ٦٨١ .

(٦) ب : على رويّها .

(٧) هو « حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه » ، ولم يصل إلينا هذا القسم من تاريخه ، وتوفي شمس الدين الجزري سنة ٧٣٩ (بشار) .

(٨) ليست هذه الجملة في أ .

(٩) ترجمة ـ شرف بن مرى ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١٨٤ ـ ١٨٥) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٤٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٥٨) والدليل الشافي (١/ ٣٤٣) وفي هذه المصادر اسمه : شرف بن مِرَى بن حسن بن حسين بن محمد النواوي أو النووي وزاد الذيل : الجذامي وفيه وفي النجوم : توفي سنة ٦٨٢ ، وفي الدليل الشافي توفي سنة ٦٨٥ .

(١٠) أ ، ط : شرف الدين ، وب : شرف بن موسى . وما هنا عن مصادره .

(١١) ترجمة ـ يعقوب بن عبد الحق ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٥٦٣) والدليل الشافي (٢/ ٧٩٠) .

(١٢) ب والدليل الشافي بن يوسف .

(١٣) أ ، ب ، ط : المديني وما هنا عن الدليل الشافي .

البَيْضَاوِي[١] صاحب التصانيف[٢] هو القاضي الإمام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر الشّيرازي ، قاضيها وعالمها وعالم أذربيجان وتلك النواحي ، مات بتبريز سنة خمس وثمانين وستمئة . ومن مصنفاته « المنهاج في أصول الفقه » ، وهو مشهور ، وقد شرحه غيرُ واحدٍ[٣] ، وله « شرح التنبيه » في أربع مجلدات ، وله « الغاية القُصْوى في دراية الفَتْوى » ، و« شرح[٤] المنتخب » و« الكافية » في المنطق ، وله « الطوالع » و« شرح المحصول » أيضاً ، وله غير ذلك من التصانيف المفيدة ، وقد أوصى إلى القطب الشيرازي أن يدفن بجانبه[٥] بتبريز ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمئة

في أول[٦] المحرم ركبت العساكر صحبة نائب الشام حسام الدين لاجين إلى محاصرة[٧] صهيون وحصن برزية ، فمانعهم الأمير شمس[٨] الدين سنقر الأشقر ، فلم يزالوا به حتى استنزلوه وسلَّمهم البلاد ، وسار إلى خدمة السلطان الملك المنصور[٩] ، فتلقاه بالإكرام والاحترام ، وأعطاه تقدمةً ألفَ فارسٍ ، ولم يزل مُعَظَّماً في الدولة المنصورية إلى آخرها ، وانقضت تلك الأحوال .

وفي النصف[١٠] من المحرم حكم القاضي جلال الدين الحنفي نيابةً عن أبيه حسام الدين الرازي .

وفي الثالث عشر من ربيع الأول قدم القاضي شهاب الدين محمد بن القاضي شمس الدين بن الخليل الخُوَيّي من القاهرة على قضاء قضاة دمشق[١١] ، وقُرئ تقليده يوم الجمعة مستهل ربيع الآخر ، واستمرّ بنيابة القضاء شرف الدين المقدسي وفي يوم الأحد ثالث شوال[١٢] درَّسَ بالرواحية الشيخ صفي الدين

---

(١) ترجمة ـ البيضاوي ـ في طبقات الإسنوي (٨/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) وفيه وفاته سنة ٦٩١ ، والدليل الشافي (١/ ٣٨٨) وبغية الوعاة (٢/ ٥٠) وشذرات الذهب (٧/ ٦٨٥ ـ ٦٨٦) .

(٢) في الشذرات : البَيْضاوي بفتح الباء نسبة إلى البيضاء من بلاد فارس معجم البلدان (١/ ٥٢٩) .

(٣) بعدها في ب : وله منهاج النعم في أصول الدين ، ومنهاج آخر في الفروع ، وشرحه هو .

(٤) ب : وله شرح المنتخب .

(٥) ب : إلى جانبه .

(٦) ب : في أوائل وقبله خبر سيرد بعده إن شاء الله .

(٧) ب : محاصرو .

(٨) أ ، ط : سيف الدين . وما هنا عن ب وفي : ذيل مرآة الزمان : القدس .

(٩) بعدها في ب : إلى الديار المصرية .

(١٠) يأتي هذا الخبر في ب بعد الذي يليه .

(١١) ب : قضاء القضاة بدمشق وحكم في هذا اليوم .

(١٢) ب : شعبان .

الهندي ، وحضر عنده القضاة والشيخ تاج الدين الفزاري ، وعلم الدين الدويداري[١] ، وتولى قضاء قضاة القاهرة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز ، عوضاً عن برهان الدين الخضر[٢] السنجاري ، وقد كان وليها شهراً بعد ابن الخُوَيّي فاجتمع حينئذٍ إلى ابن بنت الأعز[٣] بين القضاء كله بالديار المصرية ، وذلك في أوائل صفر منها .

وفيها[٤] : استدعي سيف الدين السامري[٥] من دمشق إلى الديار المصرية ليشتري منه ربع حزرما[٦] الذي اشتراه من بنت الملك الأشرف موسى ، فذكر لهم أنه وقفه[٧] ، وكان المتكلم في ذلك علم الدين الشّجاعي ، وكان ظالماً ، وكان[٨] قد استنابه الملك المنصور بديار مصر ، وجعل يتقرَّبُ إليه بتحصيل الأموال ، ففتق لهم ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المقدسي أن السامري اشترى هذا من بنت الأشرف ، وهي غير رشيدة ، وأثبت سفهها على زين الدين بن مخلوف[٩] الجائر الجاهل ، وأبطل البيع[١٠] من أصله ، واسترجع على السامري بمغل مدة[١١] عشرين سنة مئتي ألف درهم ، وأخذوا منه حصةً من الزنبقية سبعين[١٢] ألفاً وعشرة آلاف مكملة ، وتركوه فقيراً على برد الديار[١٣] ، ثم أثبتوا رشدها واشتروا منها تلك الحصص بما أرادوه ، ثم أرادوا أن يستدعوا بالدماشقة واحداً بعد واحد ، ويصادرونهم[١٤] ، وذلك أنه بلغهم أن من ظلم بالشام لا يفلح ، وأن من ظلم بمصر أفلح ، وطالت

---

(١) أ ، ب : الدواداري ، وفي ب : وولي قضاء قضاة القاهرة قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز بين القضاء كله .

(٢) أ : الخضر بن الحسن .

(٣) أ : لابن بنت الأعز .

(٤) ب : وفي هذه السنة .

(٥) ورد مع وفيات سنة ٦٩٦ .

(٦) أ : خررما ، وب : جرزما ، وط : جزر ماء . وما هنا عن ذيل مرآة الزمان (٤/٣١٦) وقد ذكرها محمد كردعلي في غوطة دمشق (١٧) على أنها من قرى دمشق لا من غوطتها ، وذكر الأمير جعفر الحسني رحمه الله أنها من قرى المرج العامرة . الدارس (٢/٣٦٧) .

(٧) ب : وقف ذلك وكان . وفي أ : وقفه وقد كان .

(٨) أ : الشجاعي وكان قد .

(٩) ستردُ ترجمته في وفيات سنة ٧١٨ من الجزء التالي .

(١٠) أ : مخلوف وأبطل البيع .

(١١) عن ط وحدها .

(١٢) أ ـ ط : قيمتها سبعين ألفاً ، وما هنا عن ب .

(١٣) ب : ألفاً ومئة وعشرة آلاف مكملة ذلك . وتركوه على برد الديار .

(١٤) ب : بما أرادوا ثم شرعوا يستدعون واحداً بعد واحد ويصادروهم .

مدته ، وكانوا[(١)] يطلبونهم إلى مصر أرض الفراعنة والظلم ، فيفعلون[(٢)] معهم ما أرادوا .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الإمام العلامة[(٣)] قطب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله أحمد بن ميمون القيسي التَّوزري[(٤)] ثم المصري ، ثم المكي[(٥)] الشافعي المعروف بالقَسْطَلَّاني ، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة .

ولد سنة أربع عشرة وستمئة ، ورحل إلى بغداد وغيرها وسمع[(٦)] الكثير وحصل علوماً ، وكان يفتي على مذهب الشافعي ، وأقام بمكة مدةً طويلةً ثم صار إلى مصر فولي مشيخة دار الحديث ، وكان[(٧)] حسنَ الأخلاق محبباً إلى الناس ، توفي في آخر المحرم[(٨)] ودفن بالقرافة الكبرى ، وله شعر حسن أورد منه ابن الجزري قطعة صالحة .

عماد الدين[(٩)] محمد بن عَبّاس الدُّنَيْسِرِي الطبيب الماهر ، والحاذق الشاعر .

خدم الأكابر والوزراء وعُمّر ثمانين سنَـةً وتوفي في صفر من هذه السنة بدمشق .

---

(١) ب : فكانوا .
(٢) أ : ويفعلون .
(٣) ترجمة ـ القسطلاني ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٧٨) والإعلام (٢٨٦) ونص مستدرك على العبر ص٦ ، والوافي بالوفيات (٢/ ١٣٢) وفوات الوفيات (٣/ ٣١٠) ومرآة الجنان (٤/ ٢٠٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٣) والدليل الشافي (٢/ ٥٨٨) والعقد الثمين (١/ ٣٢١) وطبقات الإسنوي (٢/ ٣٢٦) وحسن المحاضرة (١/ ٤١٩) وشذرات الذهب (٧/ ٦٩٤ ـ ٦٩٥) .
(٤) ط : « النوري » وهو تحريف ، وهو منسوب إلى توزر مدينة في أقصى إفريقية (معجم البلدان وغيره) (بشار) .
(٥) ط : الميموني القيسي النوري المصري ثم المالكي .
(٦) ط : بغداد فسمع .
(٧) أ ، ب : فكان .
(٨) ب : وكانت وفاته في أواخر المحرم .
(٩) ترجمة ـ الدنيسري ـ في طبقات الأطباء (٢/ ٣٦٧) وذيل مرآة الزمان (٤/ ٣٢٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٨٠) ونص مستدرك على العبر ص ٧ ، والإشارة (٣٧٦) والوافي بالوفيات (٣/ ٢٠٠) وفوات الوفيات (٣/ ٣٩٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٣) والدارس (١/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩) وشذرات الذهب (٧/ ٧٤٧) قلت : وقد أخلّ به ابن اللمش مؤلف كتاب تاريخ دُنيْسر لأنه ـ كما يُعْتَقَدُ ـ مات قبله . وفيه تحديد وتعريف لمدينة دُنَيْسر في ص١٩ من المقدمة التي كتبها المحقق الأستاذ إبراهيم الصالح حفظه الله وقال إنها مدينة مشهورة بالجزيرة الفراتية بين نصيبين ورأس عين وبينها وبين ماردين فرسخان . واسمها لفظ مركب عجمي وأصلها : دنياس ، ومعناه : رأس الدنيا . ولها اسم آخر يقال لها : قوج حصار ، وبها تشتهر اليوم . وتقع ضمن الحدود التركية .

قاضي القضاة[(١)] برهان الدين الخضر بن الحسن بن علي السِّنْجاري ، تولى[(٢)] الحكم بديار مصر[(٣)] غير مرة ، وولي الوزارة أيضاً ، وكان رئيساً وقوراً مهيباً ، وقد باشر القضاء[(٤)] بعده تقي الدين بن بنت الأعز .

شرف الدين[(٥)] سليمان بن بُليمان[(٦)] الشاعر المشهور ، له ديوان شعر رائق توفي[(٧)] في صفر منها .

الشيخ الصالح عز الدين[(٨)] عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصَّيْقَل[(٩)] الحَرَّاني .

ولد سنة أربع وتسعين وخمسمئة ، وسمع الكثير ، ثم استوطن مصر حتى توفي بها في رابع[(١٠)] عشر رجب ، وقد جاوز التسعين ، وقد سمع منه الحافظ علَم الدين البرزالي لما رحل إلى مصر في سنة أربع وثمانين[(١١)] .

وحُكي عنه أنه شهد جنازة (في) بغداد فتبعهم نَبَّاشٌ ، فلما كان الليلُ جاء إلى ذلك القبر ففتح عن الميت ، وكان (الميت) شاباً قد أصابته سكتةٌ ، فلما فتح القبر نهض ذلك الشاب (الميت جالساً) فسقط النبّاش ميتاً في القبر ، وخرج الشاب من قبره ، [ودفن فيه النباش][(١٢)] .

---

(١) ترجمة ـ السنجاري ـ في ذيل المرآة (٤/ ٣١٩ ـ ٣٢١) والإشارة (٣٧٦) والإعلام (٢٨٦) ونص مستدرك على العبر (٢ ـ ٣) والوافي بالوفيات (١٣/ ١٣٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٣) والدليل الشافي (١/ ٢٨٨) وحسن المحاضرة (٢/ ١١١) وشذرات الذهب (٧/ ٦٩٠) .

(٢) ب : ولي الحكم .

(٣) أ : بالديار المصرية .

(٤) أ : وقد باشر بعده القضاء .

(٥) ترجمة ـ ابن بليمان ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٣٢٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٧٠) ، ونص مستدرك العبر (٣) وفي الإشارة (٣٧٦) والوافي بالوفيات (٨/ ١٦٥) وفوات الوفيات (٢/ ٥٧ـ٥٩) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٢) والدليل الشافي (١/ ٣١٧) وشذرات الذهب (٧/ ٦٩٠) .

(٦) أ ط : بن عثمان ؛ تحريف ، وما هنا من خط الذهبي في تاريخ الإسلام الذي نقله من قلائد الجمان لابن الشعار (بشار) .

(٧) أـط : له ديوان مات في صفر .

(٨) ترجمة ـ عز الدين الحراني ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ٣٢٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٧٤) والإعلام (٢٨٦) ونص مستدرك على العبر (٤ ـ ٥) والإشارة (٣٧٦) والوافي بالوفيات (١٩/ ٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٣) والدليل الشافي (١/ ٤١٥) وحسن المحاضرة (١/ ٣٨٤) وشذرات الذهب (٧/ ٦٩٢) .

(٩) ب : الصقيل ؛ تحريف .

(١٠) ب : وكانت وفاته بها في أربع عشر .

(١١) وترجمه في كتابه المقتفي (١/ الورقة ١٣٤ ـ ١٣٥) (بشار) .

(١٢) عن ط وحدها .

وحكي عنه قال : كنتُ مرة بقَلْيوب وبين يدي صُبْرَة[١] قمح ، فجاء زنبورٌ فأخذ واحدة ثم ذهب بها ، ثم جاء فأخذ أخرى (ثم ذهب بها) ، ثم جاء فأخذ أخرى أربع مراتٍ ، قال[٢] فاتبعته فإذا هو يضع الحبة في فم عصفور أعمى بين تلك الأشجار التي هناك .

قال : وحكى لي الشيخ[٣] عبد الكافي أنه شهد مرة جنازة فإذا عبد[٤] أسود معنا ، فلما صلى الناس عليها لم يصل[٥] ، فلما حضرنا الدفن نظر إليَّ وقال : أنا عمله ، ثم ألقى نفسه في قبر[٦] ذلك الميت ، قال فنظرتُ فلم أر شيئاً[٧] .

الحافظ أبو اليمن[٨] أمين الدين عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد (بن الحسن) ابن عساكر الدمشقي .

ترك الرئاسة والأملاك ، وجاور بمكة ثلاثين سنة ، مقبلاً على العبادة والزهادة ، وقد حصل له قبول من الناس شاميِّهم ومصريِّهم وغيرهم ، توفي بالمدينة النبوية[٩] في ثاني رجب منها[١٠] .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمئة

فيها : قدم الشّجاعي من مصر إلى الشام بنيَّة المصادرة لأرباب الأموال (من أهل الشام) .

وفي أواخر ربيع الآخر قدم الشيخ ناصر الدين [بن الشيخ شمس الدين][١١] عبد الرحمن المَقْدِسي

(١) الصُّبْرَة بالضم : ما جمع من الطعام بلا كيل ووزن . القاموس (صبر) .
(٢) ب : فذهبت فاتبعته .
(٣) ب : الشيخ الصالح .
(٤) ب : فإذا بعبد .
(٥) ب : الناس لم يصلّ معنا فلما .
(٦) ب : في القبر قال .
(٧) قال الذهبي : « وكان العز الحراني شيخاً مطبوعاً حسن المحاضرة ، إلا أنه كان كثير الخسف » (تاريخ الإسلام ١٥/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥) ولا شك أنه يشير إلى مثل هذه الحكايات المروية عنه (بشار) .
(٨) ترجمة ـ أبي اليمن ابن عساكر ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٥٧٢) ونص مستدرك على العبر (٤) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٦) والإشارة (٣٧٦) وفوات الوفيات (٢/ ٣٢٨) ومرآة الجنان (٤/ ٢٢) والدليل الشافي (١/ ٤١٣) وشذرات الذهب (٧/ ٦٩٢) .
(٩) ب : قول عام من الشاميين والمصريين وغيرهم . ثم كانت وفاته بالمدينة النبوية .
(١٠) ذكر الذهبي أنه توفي في وسط جمادى الأولى ، وقيل في مستهله (بشار) .
(١١) عن ب وحدها ، ترجمة ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن نوح المقدسي في الدارس (١/ ٢٦٩) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٧) .

من القاهرة ، على وكالة بيت المال (ونظر الأوقاف) ، ونظر الخاص ، ومعه تقاليد وخلع فتردَّد الناس إلى بابه وتكلم في الأمور وآذى الناس[١] ، وكانت ولايته بسفارة الأمير علم الدين الشجاعي المُتَكلّم في الديار المصرية ، توسل إليه بالشيخ شمس الدين الأيكي[٢] وبابن الوحيد[٣] الكاتب ، وكانا عنده لهما صورةٌ ، وقد طلب جماعةً من أعيان الدماشقة في أول هذه السنة إلى الديار المصرية فطولبوا بأموالٍ كثيرة ، فدافع بعضهم بعضاً ، (وهذا مما يخفّف عقوبة من ظلمهم ، وإلا فلو صبروا لعوجل الظالم بالعقوبة ، ولزال عنهم ما يكرهون سريعاً) ولما قدم ابن المَقْدِسي إلى دمشق كان حكم بتربة أم الصالح ، والناس يتردّدون إليه ويخافون شرّه ، وقد استجدّ باشورةً[٤] بباب الفراديس ومساطبَ باب الساعات للشهود ، وجدَّد باب الجابية الشمالي ورفعه ، وكان متواطئاً ، وأصلح الجسرَ الذي تحته ، وكذلك أصلح جسرَ باب الفراديس تحت السُّوَيْقة التي جددها عليه من الجانبين . وهذا من أحسن ما عمله ابن المَقْدسي ، وقد كان مع ذلك كثير[٥] الأذيّة للناس ظلوماً غشوماً ، ويفتح على الناس أبواباً (من الظلم) لا حاجة إليها .

وفي عاشر جمادى الأولى قدم من الديار المصرية أيضاً قاضي القضاة حسام الدين الحنفي ، والصاحب تقي الدين توبة التكريتي[٦] ، وقاضي القضاة جمال الدين محمد بن سليمان الزواوي[٧] المالكي على قضاء المالكية بعد شغوره عن حاكم بدمشق ثلاث سنين ونصف ، فأقام شعار المنصب[٨] ودرس ونشر المذهب وكان له سؤدد ورئاسة .

وفي ليلة الجمعة رابع شعبان توفي الملك[٩] الصالح علاء الدين[١٠] بن الملك المنصور قلاوون بالسنطارية فوجد عليه (أبوه) وجداً شديداً ، وقد كان عهد إليه بالأمر من بعده وخطب له معه[١١] على المنابر من مدة سنين ، فدفنه في تربته وجعل ولاية العهد (من) بعده إلى ابنه الأشرف خليل [وكتب بذلك

---

(١) ب : وآذى كثيراً من الناس .
(٢) ترجمة : شمس الدين الأيكي في وفيات سننة ٦٩٦ .
(٣) ب : بابن الوجيه ؛ تحريف . وابن الوحيد الكاتب هو محمد بن شريف بن يوسف الكاتب شرف الدين بن الوحيد . توفي سنة ٧١١ وسترد ترجمته في وفيات هذه السنة من الجزء التالي . فوات الوفيات (٣/ ٣٩٠) .
(٤) للتعريف بها ، انظر « تكملة المعاجم » (١/ ٣٥٠) .
(٥) ب : حسن الأذية .
(٦) ليست التكريتي في ب . وسترد ترجمته في وفيات ٦٩٨ .
(٧) ترجمة الزواوي في وفيات سنة ٧١٧ من الجزء التالي .
(٨) ب : شعار المذهب .
(٩) ب : السلطان الملك .
(١٠) واسمه علي ، وترجمته في تاريخ الإسلام (١٥/ ٥٩٧) (بشار) .
(١١) عن ط وحدها .

إلى الآفاق [والمسالح على هذا والأستاذ الأمير سيف الدين سلار الذي ولي نيابة السلطنة في أيام الناصر بن محمد قلاوون ، وكان من أمره ما سنذكره][١] ولما جاءت البريدية في شوال بولاية الأشرف خليل] من بعد أبيه ، وخُطب له[٢] على المنابر (من بعد ذكر أبيه) يوم الجمعة ، ودُقَّت البشائر وزيِّن[٣] البلد سبعةَ أيام ، ولبس الجيش الخلعَ وركبوا[٤] ، وأظهر الناس سروراً[٥] لشهامته ، مع ما في قلوبهم على أبيه لأجل ظلم الشجاعي .

وفي رمضان باشر حسبةَ دمشق شمس الدين بن السَّلْعُوس[٦] عوضاً عن شرف الدين ابن الشيزري[٧] .

وفيه توجَّهَ الشيخُ بدر الدين بن جماعة[٨] إلى خطابة القدس بعد موت خطيبه قطب الدين ، فباشر بعده تدريس القيمرية علاء[٩] الدين أحمد[١٠] بن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز [أخو قاضي مصر ، ثم بعد ثلاث سنين أخذ ابن جماعة قضاء الديار المصرية عوضاً عن ابن بنت الأعز إلى ما سيأتي بيانه] .

وفي شهر رمضان كُبس نصرانيٌّ وعنده مسلمةٌ وهما يشربان الخمر في نهار رمضان ، فأمر نائب السلطنة (حسام الدين لاجين) بتحريق النصراني فبذل في نفسه أموالاً جزيلة فلم يُقْبل منه ، وأحرق بسوق الخيل ، وعمل الشهاب محمود في ذلك أبياتاً في قصيدة مليحة ، [وأما المرأة فجلدت الحد][١١] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخطيب الإمام قطب الدين[١٢] أبو الذكاء[١٣] عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر بن

---

(١) عن أ وحدها .

(٢) ب : وخطب له بعد أبيه .

(٣) أ : وزينت .

(٤) ب : وركبوا فيها .

(٥) ب : سروراً لشهامته وصرامته .

(٦) السلعوسي ؛ وهو تحريف ، وسترد ترجمته في وفيات ٦٩٣ .

(٧) أ : ابن الشيرازي . وفي ب : ابن الشيرجي .

(٨) ترجمة بدر الدين بن جماعة في وفيات سنة ٧٣٣ من الجزء التالي .

(٩) ب : فباشر تدريس القيمرية بعده علاء الدين .

(١٠) أحمد بن عبد الوهاب بن خلف علاء القاضي المعروف بابن بنت الأعز أخو القاضي صدر الدين محمد وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن . توفي سنة ٦٩٩هـ الدليل الشافي (١/ ٥٨) .

(١١) عن ط وحدها .

(١٢) ترجمة ـ قطب الدين الزهري ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٥٩٥) ونص مستدرك على العبر (١٢) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٧) والإشارة (٣٧٦) والوافي (١٩/ ١١٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٨) والدليل الشافي (١/ ٤٣٠) وشذرات الذهب (٧/ ٧٠١) .

(١٣) في الأصول : أبو الزكا وفي النجوم : أبو الزَّكاء ، وهو تحريف من النساخ الذين يتلفظون الذال المعجمة زاياً ، =

عبد الله بن محمد بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، القرشي ، الزهري .

خطيب بيت المقدس أربعين[١] سنة ، وكان من الصلحاء الكبار محبوباً[٢] عند الناس ، حسنَ الهيئة مهيباً عزيزَ النفس ، يُفتي الناس ويذكر التفسير من حفظه في المحراب بعد صلاة الصبح ، وقد سمع الكثير وكان من الأخيار ، ولد سنة ثلاث وستمئة ، وتوفي ليلة الثلاثاء سابع رمضان عن أربع وثمانين سنة ، رحمه الله .

الشيخ الصالح العابد[٣] إبراهيم بن مِعْضَاد بن شَدّاد بن ماجد الجَعْبَري ، تقي الدين أبو إسحاق . أصله من قلعة جَعْبَر ، ثم أقام بالقاهرة ، وكان[٤] يعظ الناس وكان الناس ينتفعون بكلامه كثيراً . توفي بالقاهرة يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم ، ودفن في تربته[٥] بالحسينية ، وله نظمٌ حسنٌ ، وكان من الصلحاء المشهورين رحمه الله .

وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول توفي[٦] :

الشيخ الصالح[٧] ياسين بن عبد الله المغربي[٨] الحَجَّام[٩] ، شيخ الشيخ محيي الدين النووي[١٠] ، وقد حجَّ عشرين حجةً ، وكانت له أحوال وكرامات .

الخونده غازية خاتون بنت الملك المنصور قلاوون ، زوجة الملك السعيد[١١] .

= فيكتبونها كما يتلفظونها من غير أن يشعروا ، ومثل هذا كثير في المخطوطات ، وما هنا مجود بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (بشار) .

(١) ب : خطيب القدس الشريف أربعون سنة .

(٢) أ ، ب : مجموعاً عن الناس .

(٣) ترجمة ـ الجعبري ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٥٨٩) ونص مستدرك على العبر (١١) والإعلام بوفيات الأعلام (٣٨٧) والإشارة (٣٧٦) والوافي بالوفيات (٦/ ١٤٧) وفوات الوفيات (١/ ٤٩ ـ ٥٠) ومرآة الجنان (٤/ ٢٠٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٤ و٣٧٧) والدليل الشافي (١/ ٢٩) وحسن المحاضرة (١/ ٥٢٣) وشذرات الذهب (٧/ ٦٩٨ ـ ٦٩٩) .

(٤) أ ، ب : وكان .

(٥) ب : ودفن من يومه .

(٦) هذا السطر مستدرك عن ب وحدها .

(٧) ترجمة ـ ياسين المغربي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٠١) ونص مستدرك على العبر (١٥) ومرآة الجنان (٤/ ٢٠٦) وشذرات الذهب (٧/ ٧٠٤) .

(٨) ط : « المقرئ » محرف (بشار) .

(٩) في نص مستدرك والشذرات : وكان جرائحياً على باب الجابية .

(١٠) ط : شيخ الشيوخ محيي الدين النواوي .

(١١) ذكرها الذهبي مع ترجمة أخيها علاء الدين علي (تاريخ الإسلام ١٥/ ٥٩٧) .

الحكيم الرئيس[١] علاء الدين علي[٢] بن أبي الحَزْم بن نَفِيس ، شرح « القانون »[٣] وصنف « الموجز » وغيره من الفوائد وكان يكتب من حفظه ، وكان اشتغاله على ابن الدخوار[٤] وتوفي بمصر في ذي القعدة .

الشيخ بدر[٥] الدين [أبو] عبد الله [محمد][٦] بن الشيخ جمال الدين بن مالك النَّحْوي ، شارح « الألفية »[٧] التي عملها أبوه[٨] ، وهو من أحسن الشروح وأكثرها فوائد ، وكان لطيفاً ظريفاً فاضلاً ، توفي في يوم الأحد الثامن من المحرم ، ودفن من الغد بباب الصغير . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمئة

فيها : كان فتح مدينة طرابلس : وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيوش المنصورة المصرية صحبته إلى دمشق، فدخلها في الثالث عشر من صفر، ثم سار بهم وبجيش دمشق وصحبته خلق كثير من المتطوعة، منهم القاضي نجم الدين الحنبلي ، قاضي الحنابلة ، وخلق من المقادسة وغيرهم ، فنازل طرابلس[٩] يوم الجمعة مستهل ربيع الأول ، وحاصرها بالمجانيق حصاراً شديداً ، وضيَّقوا على أهلها تضييقاً[١٠] عظيماً ، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقاً ، فلما كان يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة فُتِحَت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوةً، وشمل القتل والأسر جميع مَنْ فيها ، وغرق كثير من أهل الميناء[١١] وسُبيت النساءُ والأطفالُ ،

(١) ترجمة ـ ابن النفيس ـ في طبقات الأطباء (٢/ ٢٤٩) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٥٩٧) ونص مستدرك على العبر (١٣) والإعلام بوفيات الأعلام (٧٧٥) والوافي بالوفيات (١٢/ ٢١) ومرآة الجنان (٤/ ٢٠٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٧) والدليل الشافي (١/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧) وطبقات الإسنوي (٢/ ٥٠٦) والدارس (٢/ ١٣١) وحسن المحاضرة (١/ ٣١٣) وشذرات الذهب (٧/ ٧٠١ ـ ٧٠٢) .

(٢) ليست في ط واستدركت عن أ وب ومصادره .

(٣) توفي ابن سينا ٤٢٨هـ ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣١) .

(٤) ط : ابن الدخواري . وقد تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٢٨ .

(٥) أ : نذير الدين ؛ تحريف .

(٦) ط : عبد الله بن الشيخ جمال الدين ؛ خطأ صححته عن الأصلين ومصادره .

(٧) كتاب « شرح ألفية ابن مالك » لابن الناظم طبع بتحقيق الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد في بيروت دار الجيل .

(٨) ب : التي لأبيه .

(٩) ب : قدم بالجيوش المصرية المنصورة إلى دمشق وما حولها إلى طرابلس وصحبته حلق من المطوعة منهم قاضي الحنابلة نجم الدين بن الشيخ وخلق من المقادسة وغيرهم فنازلها يوم الجمعة .

(١٠) ب : وضايقوها عظيماً ، وفي أ : على أهلها عظيماً .

(١١) ب : وغرق من في الميناء ونهبت الأموال وسبيت .

وأُخذت الذخائرُ والحواصل ، وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمئة إلى هذا التاريخ[١] ، وقد كانت قبل ذلك في أيدي[٢] المسلمين من زمان معاوية ، فقد[٣] فتحها سفيان بن مُجيب[٤] لمعاوية ، فأسكنها معاويةُ اليهودَ ، ثم كان عبد الملك بن مروان جدَّدَ عمارتها وحصَّنَها وأسكنها المسلمين ، وصارت آمنةً (عامرةً مطمئنة) ، وبها ثمارُ الشام ومصر ، فإن بها الجوز والموز والثلج والقصب ، والمياه جارية فيها تصعد إلى أماكن عالية[٥] ، وقد كانت قبل ذلك ثلاثَ[٦] مدنٍ متقاربة ، ثم صارت بلداً واحداً ، ثم حُوّلت من موضعها كما سيأتي الآن . ولما وصلت البشارة إلى دمشق دقت البشائر وزينت البلاد[٧] وفرح الناس فرحاً شديداً ولله الحمد والمنة .

ثم أمر السلطان الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلد[٨] بما فيها من العمائر والدور والأسوار (الحصينة التي كانت عليها) ، وأن يبني على ميلٍ منها بلدةً غيرها أمكنَ منها وأحسنَ ، ففعل ذلك ، فهي هذه (البلدة) التي يُقال لها طرابلس الآن جعلها الله تعالى دار أمان وإيمان . ولما فرغ السلطان من فتح طرابلس ، عاد[٩] إلى دمشق مؤيَّداً منصوراً مسروراً محبوراً ، فدخلها يوم النصف من جمادى الآخرة ، ولكنّه فوَّض الأمور والكلام في الأموال (فيها إلى) علم الدين الشّجاعي ، فصادر جماعة وجمع أموالاً كثيرة ، وحصَّل بسبب ذلك أذى الخلق[١٠] ، وبئس[١١] هذا الصنيع (فإنَّ ذلك تعجيلٌ لدمار الظالم وهلاكه ، فلم يُغْن عن المنصور ما جمع له الشجاعي من الأموال شيئاً ، فإنه لم يعش بعد ذلك إلا اليسير حتى أخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة ، كما سيأتي) . ثم سافر السلطان في ثاني شعبان بجيشه إلى الديار المصرية ، فدخلها في أواخر شعبان .

وفيها : فُتحت قلاعٌ كثيرةٌ بناحية حلب وكركر[١٢] ، وتلك النواحي ، وكسرت طائفة من التتر

---

(١) بعدها في أ ب : وقد كان الملك صحيل (كذا) حاصرها سبع سنين حتى ظفر بها كما ذكرنا .
(٢) ب : بأيدي .
(٣) أ : فإن فتحها .
(٤) ط : « نجيب » وهو تحريف ، وهو سفيان بن مجيب الأزدي ، وكان ذلك في خلافة عثمان رضي الله عنه (بشار) .
(٥) ب : وبها ثمار الشام ومصر فإنه يجتمع فيها الجوز واللوز والثلج والقصب وقد كانت قبل ذلك كله ثلاث . وفي هامش : صوابه والموز .
(٦) أ : تصعد فيها إلى أمكنة عالية .
(٧) ب : إلى دمشق على جناح الطير ثم البريدية وبذلك دقت البشائر وزين البلد .
(٨) ب : ثم أمر السلطان أن يهدم هذه البلدة .
(٩) ط : ثم عاد .
(١٠) ب : أذى بخلق من الناس .
(١١) أ : وهذا بئس الصنيع .
(١٢) أ ، ب : حلب : كركر ، وكركر : حصون بين سميساط وحصن زيادة وهو قلعة وقد خربت زمن ياقوت . معجم البلدان (٤/ ٤٥٣) .

هناك ، وقتل ملكهم خربندا نائب التتر[١] على مَلَطْية[٢] .

وفيها : تولَّى الحسبة بدمشق جمال الدين يوسف بن التقيّ توبة التكريتي[٣] ثم أخذها بعد شهور تاج الدين الشيرازي .

وفيها : وُضع منبرٌ عند محراب الصحابة بسبب عمارةٍ كانت في المقصورة ، فصلَّى برهان الدين الإسكندري[٤] نائب الخطيب بالناس هناك مدة شهر ، الجماعات والجمعات ، ابتدؤوا[٥] ذلك من يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخة فاطمة بنت الشيخ إبراهيم الزِّعْبي[٦] زوجة النجم ابن إسرائيل .

كانت من بيت الفقر ، لها سلطنة وإقدام وترجمة وكلام في طريقة الحريرية وغيرهم[٧] ، وحضر جنازتها خلق كثير ، ودفنت عند (الشيخ) رسلان .

العالم ابن الصاحب[٨] الشيخ[٩] الماجن ، هو الشيخ الفاضل[١٠] عَلم الدّين أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شُكْر ، كان من بيت علم ورئاسة ، وقد دَرَّسَ في بعض المدارس ، وكانت له وجاهةٌ ورئاسة ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على الحرفشة وصحبة الحرافيش والتشبه بهم في اللباس والطريقة ، وأكل الحشيش واستعمله ، كان من[١١] الفهم في الخلاعة والمجون والزوائد (الرائقة) الفائقة التي لا يلحق في كثير

---

(١) ب : وكسرت طائفة من التتار هناك وقتل مقدمهم خربندا نائب التتار .

(٢) مَلَطْية : بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين . معجم البلدان (٥/ ١٩٢ ـ ١٩٣) .

(٣) وفاة ابن توبة في سنة ٦٩٨ وترجمته في وفيات هذه السنة .

(٤) إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم برهان الدين الإسكندري . سترد ترجمته في وفيات سنة ٧٠٢ في الجزء التالي .

(٥) ب : ابتدؤوه .

(٦) أ : إبراهيم بنت الرعيني ، وفي ب : الذهبي . قال بشار : وكله تحريف ، وما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦١٣) (بشار) .

(٧) قال الذهبي في تاريخ الإسلام : « كانت مليحة تتعانى الرجولية ، وتحلق رؤوس الفقراء ، وتشتلق ، ولها أخبار » (بشار) .

(٨) ترجمة ـ ابن الصاحب ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٠٣) والعبر (٥/ ٣٥٧) والوافي (٨/ ٢٩٢) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٨ ـ ٣٨٢) والدليل الشافي (١/ ٩٩) وشذرات الذهب (٧/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦) .

(٩) عن ط وحدها .

(١٠) هكذا قال ، ومن أين يأتيه الفضل ؟ قال الذهبي : « كان قليل الخير عِزَّة » (بشار) .

(١١) ب : وأقبل صحبة الحرافشة والتشبه بهم في اللباس والطريقة وأكل الحشيش واستعمل ما كان عنده من الفهم .

منها ، وقد كان له أولاد فضلاء ينهونه عن ذلك فلم يلتفت إليهم ، ولم يزل ذلك دأبه حتى توفي ليلة الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الأول . ولما وُلّي القضاة[١] الأربعة كان ابن خالته تاج الدين ابن بنت الأعز مستقلاً في القضاء قبل ذلك ، فقال له ابن الصاحب المذكور : ما متُّ حتى رأيتك صاحب ربع ، فقال له : تسكت وإلا خليتهم يسقونك السم[٢] ، فقال له : في قلة دينك تفعل ، وفي قلة عقولهم يسمعوا (منك) ، وقال يمدح الحشيشة الخسيسة[٣] : [من الخفيف]

في خمارِ الحشيشِ معنى مرامي يـا أُهيـلَ[٤] العقـولِ والأفهـامِ
حرموها عن غير عقلٍ ونقلٍ وحـرامٌ تحـريـمُ غيـرِ الحـرامِ

وله أيضاً[٥] : [مخلع البسيط]

يـا نفسُ ميلـي إلـى التَّصـابـي فـاللهـوُ منـه الفَتَـى يَعيـشُ
ولا تَملّـي مـن سُكْـرِ يَـوْمٍ إنْ أَعْـوزَ الخَمْـرُ فـالحشيـشُ

وله أيضاً : [من المنسرح]

جمعتُ بينَ الحشيشِ والخمرِ فـرحـتُ لا أَهْتـدي مـن السُّكْـرِ
يا مَنْ يُريني لباب مدرستي يـربـحُ واللهِ غـايـةَ الأجـرِ

وقال يهجو الصاحب بهاء الدين[٦] بن الحِنّا[٧] : [من المجتث]

اقْعُـدْ بهـا وَتَهنَّـا[٨] لا بُـدَّ أن تَتَعَنَّـى
تكتبْ عليَّ بن بحرٍ[٩] من أينَ لكْ يابنَ حِنَّا

فاستدعاه فضربه ثم أمر به إلى المارستان فمكث فيه سنة ثم أُطْلِق .

شمس الدين الأصبهاني[١٠] شارح « المحصول » : محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلماني العلاَّمة .

---

(١) ب : من ربيع الآخر ولما ولوا القضاة .
(٢) عن ط وحدها .
(٣) البيتان في النجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٠) والشذرات (٧/ ٧٠٦) .
(٤) ب : لي خمار الحشيش معنى من أبي * يا أهل .
(٥) البيتان في النجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٠) .
(٦) بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن عبد الله بهاء الدين بن الحِنّا . تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٦٧٧ .
(٧) البيتان في النجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٩) .
(٨) في النجوم : اشرب وكل وتهنا .
(٩) ط : تكتب علي بن محمد . وفي النجوم : محمد وعلي .
(١٠) ترجمة ـ شمس الدين الأصبهاني ـ في العبر (٥/ ٣٥٩) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٦١٩) والإشارة (٣٧٧) والوافي =

قدم دمشق[١] بعد الخمسين وستمئة ، وناظر الفقهاء واشتهرت فضائله ، وسمع الحديث وشرح « المحصول » للرازي ، وصنّف « القواعد » في أربعة فنون : أصول الفقه ، وأصول الدين ، والمنطق ، والخلاف . وله معرفة جيدة في المنطق والنحو والأدب ، وقد رحل إلى مصر فدرس بمشهد الحسين والشافعي وغيرهما ، ورحل إليه الطلبة ، توفي في العشرين من رجب في القاهرة عن ثنتين وسبعين سنة .

الشمس محمد بن العفيف[٢] سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التِّلْمِساني ، الشاعر المطبق .

كانت وفاته في حياة أبيه فتألم له ووجد عليه وجداً شديداً ، ورثاه بأشعار كثيرة ، توفي يوم الأربعاء الرابع عشر من رجب ، وصُلّي عليه بالجامع ، ودفن بالصوفية . فمن رائق شعره قوله[٣] : [من الطويل]

وإنَّ ثَنـايـاهُ نُجـومٌ لبَـدْرِهِ ... وَهُـنَّ لعقـدِ الحُسْنِ فيـهِ فَـرائـدُ

وكم يَتَجَافى خَصْرُهُ وهو ناحِلٌ ... وكـمْ يَتَعَلَّـى ثَغْـرُه وهـو بـاردُ

وله يذم الحشيشة : [من البسيط]

مـا للحَشيشـةِ فضـلٌ عنـدَ آكلهـا ... لكنّـهُ غيـرُ مَصْـروفٍ إلـى رشـدهْ

صَفْراءُ فِي وجهه خَضْراءُ في فمهِ ... حَمْراء في عينهِ سوداءُ في كبده[٤]

ومن شعره أيضاً[٥] : [من الطويل]

بـدا وجهـهُ مـن فـوقِ ذابـلِ خَـدِّهِ ... وقد لاحَ من سود الذوائب في جنحِ

فقلتُ عجيبٌ كيفَ لم يذهبِ الدُّجا ... وَقَدْ طلعتْ شمسُ النهارِ على رُمْحِ

وله من جملة أبيات . [من مجزوء الكامل]

مـا أَنْـتَ عنـدي والقَضيـ ... ـبُ اللَّـدنُ فـي حـدٍّ سـوى

= بالوفيات (٥/ ١٢) وفوات الوفيات (٢/ ٥٢٣) وطقبات الإسنوي (١/ ١٥٥ ـ ١٥٧) ومرآة الجنان (٤/ ٢٠٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٢) وبغية الوعاة (١/ ٣١٣) وحسن المحاضرة (١/ ٣١٣) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٠) .

(١) ب : الكافي العلامة شمس الدين الأصبهاني قدم دمشق .

(٢) ترجمة ـ ابن العفيف التلمساني ـ في العبر (٥/ ٣٦٧) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٦١٥) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٨) والإشارة (٣٧٨) والوافي (١٥/ ٤٠٨) وفوات الوفيات (٢/ ٧٢ ـ ٧٦) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٩ و٣٣) والدليل الشافي (١/ ٣١٣) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٩ ـ ٧٢١) .

(٣) في هامش ب بيتان لم أتبين ألفاظهما .

(٤) ب : سوداء في جسده .

(٥) ب : وله .

هٰــذاكَ حــرَّكَــهُ الهــوا ءُ وأنــتَ حــرّكـتَ[١] الهـوى

الملك المنصور شهاب الدين[٢] محمود بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل .

توفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان ، وصُلّي عليه بالجامع ، ودُفن من يومه بتربة جدّه ، وكان ناظرها ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان يحب أهله ، وكان فيه لطف وتواضع .

الشيخ فخر الدين[٣] أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف بن محمد[٤] البعلبكي الحنبلي .

شيخ دار الحديث النورية ومشهد ابن عروة ، وشيخ الصدرية ، كان يفتي ويفيد الناس مع ديانة وصلاح وزهادة وعبادة ، ولد سنة إحدى عشرة وستمئة ، وتوفي في رجب منها[٥] .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمئة

فيها : كانت وفاة الملك المنصور قلاوون ، وكان الخليفة الحاكم العباسي[٦] ، ونائب مصر حسام الدين طُرُنْطاي[٧] ، ونائب الشام حسام الدين لاجين ، وقضاة الشام شهاب الدين بن الخُوَيّي[٨] الشافعي ، وحسام الدين الحنفي[٩] ، ونجم الدين بن شيخ الجبل[١٠] ، وجمال الدين الزواوي[١١] المالكي .

---

(١) ب : وأنت حركه الهوى ، وما هذا يعضده ما في تاريخ الإسلام .

(٢) ترجمة ـ الملك المنصور ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٢١) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٧) وشذرات الذهب (٧/ ٧١١) وترويح القلوب (١١٠) .

(٣) ترجمة ـ فخر الدين البعلبكي ـ في ذيل مرآة الزمان (٤/ ١١١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٦٠٨) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٧) والعبر (٥/ ٣٥٨) والإشارة (٣٧٧) والوافي بالوفيات (١٨/ ٢١١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٢) وذيل ابن رجب (٢/ ٣١٩) والمقصد الأرشد (٢/ ١١٥ ـ ١١٦) والدارس (٢/ ٨٨) والقلائد الجوهرية (٢/ ٣٩٦) وشذرات الذهب (٧/ ٧٠٦ ـ ٧٠٩) .

(٤) زيادة عن ب توافق ما في المصادر .

(٥) ب : من هذه السنة رحمه الله .

(٦) بعدها في ب : وسلطان البلاد الملك المنصور قلاوون .

(٧) ط : طرقطاي ؛ تحريف . وسترد ترجمته في وفيات هذه السنة ٦٨٩ .

(٨) ترجمة ـ ابن الخويّي ـ في وفيات سنة ٦٩٣ .

(٩) ترجمة ـ حسام الدين الحنفي ـ في وفيات سنة ٦٩٩ .

(١٠) ب : الحنبلي .

(١١) تقدمت ترجمة الزواوي في وفيات سنة ٦٨٣ .

(وجاء) البريد بطلب[١] شمس الدين سنقر الأشقر[٢] إلى الديار المصرية ، فأكرمه السلطان وقواه وشَدَّ يَدَهُ وأمره باستخلاص الأموال ، وزاده شد[٣] الجيوش ، والكلام على الحصون إلى البيرة وكختا[٤] وغير ذلك ، فقويت نفسه وزاد تجبُّره ولكن كان يرجع إلى مروءة وستر وينفع[٥] مَنْ ينتمي إليه ، (وذلك مودة في الدنيا في أيام قلائل) .

وفي جمادى الآخرة جاء البريد بالكشف على ناصر الدين المقدسي[٦] وكيل بيت المال ، وناظر الخاص[٧] ، فظهرت عليه مخازٍ من أكلِ الأوقاف وغيرها ، فرُسِمَ عليه بالعَذْراوية وطُولبَ بتلك الأموال وضُيِّق عليه ، وعمل فيه سيف الدين أبو العباس السامرِّي[٨] قصيدة[٩] يَتَشفَّى فيها لما كان أسدى إليه من الظلم والإيذاء مع[١٠] أنه راح إليه وتغمم له وتمازحا هنالك ، ثم جاء البريد بطلبه إلى الديار المصرية فخاف النواب[١١] من ذهابه [إليها وفضوله وشره][١٢] ، فأصبح يوم الجمعة [ثالث شعبان] وهو مشنوق بالمدرسة العَذْراوية ، فطُلبت القضاةُ والشهود فشاهدوه كذلك ، ثم جُهِّز[١٣] وصُلِّي عليه بعد الجمعة ودُفن[١٤] بمقابر الصوفية عند أبيه ، وكان مدرساً بالرواحية وتربة أم الصالح ، مع الوكالتين والنظر .

وجاء البريد بعمل مجانيق لحصارِ عَكّا فركب الأعسرُ إلى أراضي بعلبك لما هنالك من الأخشاب العظيمة التي لا يوجد مثلُها بدمشق ، وهي تصلحُ لذلك ، فكثرت الجناياتُ والجباياتُ والسخر ، وكلفوا

---

(١) ط : يطلب .
(٢) أ : سنقر الأعسر ، وب : سنقر الأشقر الأعز .
(٣) ط : مشد ؛ تحريف .
(٤) ب : كختار . ولم أصل فيها إلى رأي .
(٥) ب : ومنع .
(٦) ب : بن المقدسي ؛ وهو ناصر الدين محمد بن شمس الدين عبد الرحمن بن نوح الدمشقي ابن المقدسي ترجمته في العبر (٥/ ٣٦٤) والدارس (١/ ٢٧١) .
(٧) ب : بيت المال والخاص وناظر الأوقاف فظهرت .
(٨) هو أحمد بن محمد بن علي بن جعفر السامري ـ بفتح الميم وتشديد الراء ـ نسبة إلى مدينة سرّ مَنْ رأى وهي بلدة على الدجلة . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٩٦ من هذا الجزء ووردت ترجمته في الدارس (١/ ٧٢) .
(٩) أورد ابن شاكر الكتبي في فواته شيئاً من هذه القصيدة ومطلعها :
ورد البشيـرُ بمـا أقـرَّ الأعينـا فشفى الصدور وبلَّغ الناسَ المُنَى
(١٠) أ : أسدى به من الظلم وآذاه ، وب : أسدى إليه مع أنه راح .
(١١) في الدارس : البواب ؛ تحريف لا بد من تصحيحه هناك .
(١٢) عن أ وحدها ، ونقل النعيمي هذا النص نقلاً حرفياً على عادته . الدارس (١/ ٢٦٩) .
(١٣) أ : وجهزه .
(١٤) ب : الجمعة ثم نقل إلى مقابر الصوفية ودفن عند أبيه .

الناس تكليفاً كثيراً ، وأخذوا أخشاب الناس ، وحُملت إلى دمشق[١] بكلفة عظيمة وشدة كثيرة ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

وفاة الملك المنصور قلاوون

بينما الناس في هذا الهم والمصادرات وأمثال ذلك إذ وردت بريديّة فأُخبروا بوفاة الملك المنصور يوم السبت سادس ذي القعدة من هذه السنة ، بالمخيم[٢] ظاهر القاهرة ، ثم حمل إلى قلعة الجبل ليلاً وجلس بعده ولده الملك الأشرف خليل بولاية العهد له ، وحلف له جميع الأمراء ، وخُطب له على المنابر ، وركب في أُبَّهة المُلْك ، والعساكر[٣] كلُّهم في خدمته مشاة من قلعة الجبل إلى الميدان الأسود الذي هو سوق الخيل ، وعلى الأمراء والمقدمين[٤] الخلع ، وعلى القضاة والأعيان ، ولما جاءت الأخبار بذلك حلفَ له الأمراء بالشام ، وقبض[٥] على حسام الدين طُرُنْطاي نائب أبيه وأخذ منه أموالاً جزيلة أنفق منها على العساكر[٦] .

وفيها : ولي خطابة دمشق زين الدين عمر بن مكي بن المُرَحّل[٧] عوضاً عن جمال الدين بن عبد الكافي[٨] وكان ذلك بمساعدة الأعسر . (وتولى نظر الجامع الرئيس وجيه الدين بن المنجى الحنبلي ، عوضاً عن ناصر الدين بن المقدسي ، وثمر وقفه وعمره وزاد مئة وخمسين ألفاً) .

وفيها احترقت دار صاحب حماة ، وذلك أنه وقع فيها نار في غيبته فلم يتجاسر أحد يدخلها ، فعملت النار فيها يومين (فاحترقت) واحترق كل ما فيها .

وفي شوال دَرَّسَ بتربة[٩] أم الصالح بعد ابن المقدسيّ القاضي إمام الدين القونوي .

---

(١) ب : وركب الأعسر إلى أراضي بعلبك لما هناك من أخشاب عظيمة لا يوجد مثلها يصلح لذلك فكثرت الجنايات والسخر وحملت تلك الأخشاب إلى دمشق .
(٢) ب : وفاة الملك المنصور . بينما الناس في هذا ومثله إذ وردت البريدية فأخبروا بوفاة الملك المنصور قلاوون في يوم السبت سادس ذي القعدة بالمخيم .
(٣) ب : والعسكر .
(٤) والمقدمين كلهم .
(٥) ب : وقد قبض .
(٦) ب : فأنفق منها على العسكر .
(٧) ترجمة ابن المرحل في وفيات سنة ٦٩١ . وفي « أ » ابن الوكيل .
(٨) سترد ترجمة ابن عبد الكافي في وفيات هذه السنة .
(٩) عن ط وحدها .

وفيها : باشر الشرف حسن[١] بن الشيخ أبي عمر قضاء الحنابلة عوضاً عن ابن عمه نجم الدين بن شيخ الجبل ، عن مرسوم الملك المنصور قبل وفاته[٢] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة من الشام الأمير بدر الدين بَكْتُوت الدوباسي[٣] ، وحجّ قاضي القضاة شهاب الدين بن الخُوَيّي[٤] ، وشمس الدين بن السَّلْعُوس[٥] ومُقَدَّم الرَّكْبِ الأمير عتبة ، فتوهم منه أبو نُمَي ، وكان بينهما عداوة ، فأغلق أبوابَ مكةَ ومنع الناس من دخولها فأَحرق البابَ وقتلَ جماعةً ونهب بعض الأماكن ، وجرت خطوبٌ فظيعةٌ ، ثم أرسلوا القاضي ابن الخُوَيِّي ليصلح بين الفريقين ، ولما استقر عند أبي نُمي رحل الركوب وبقي هو في الحرم وحده وأرسل معه أبو نُمي من ألحقه بهم سالماً مُعَظَّماً . وجاء الخبر بموت المنصور إلى الناس وهم بعرفات وهذا شيء عجيب . وجاء كتاب يستحثّ الوزير ابن السَّلْعُوس في المسير إلى الديار المصرية ، وبين الأسطر بخط الملك الأشرف : يا شقير يا وجه الخير احضر لتستلم الوزارة . فساق إلى القاهرة فوصلها يوم الثلاثاء عاشر المحرم ، فتسلَّم الوزارة كما قال السلطان .

ومن توفي فيها من الأعيان :

السلطان الملك المنصور قلاوون[٦] بن عبد الله التركي الصالحي الألفي .

اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن (الملك) الكامل محمد بن العادل (أبي بكر بن أيوب) ، بألف[٧] دينار ، وكان من أكابر الأمراء عنده وبعده ، ولما تزوَّج (الملك) السعيد بن الظاهر بابنته غازية خاتون ، عظم شأنه جداً (عند الظاهر) ، وما زال يترقَّع في الدولة حتى صار أتابك سُلامش (بن الظاهر) ، ثم رفعه من البين واستقلّ بالملك في [سنة ثمان وسبعين وكسر التتار على حمص سنة ثمانين فأحبّه الناس ، وفتح المرقب] سنة أربعٍ وثمانين ، وفتح طرابلس سنة ثمانٍ وثمانين ، وعزم على فتح عكا وبرز إليها فعاجلته المنية في السادس والعشرين من ذي القعدة ، ودُفن بتربته بمدرسته الهائلة التي أنشأها بين القصرين ، التي ليس بديار مصر ولا بالشام مثلها ، وفيها دار حديث ومارستان ، وعليها أوقاف (دارَّة

---

(١) أ ـ ط : حسين بن أحمد ؛ وهو خطأ . وسترد ترجمته في وفيات هذه السنة .
(٢) ب : بمرسوم المنصور قبل أن يموت .
(٣) أ ـ ب : الروباسي . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٩٤ .
(٤) ترجمة ابن الخويي في وفيات سنة ٦٩٣ .
(٥) ترجمة ابن السلعوس في وفيات سنة ٦٩٣ .
(٦) ترجمة ـ الملك المنصور قلاوون ـ في مختصر أبي الفداء (٤/ ٢٣ ـ ٢٤) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٦٤٠) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٨) والعبر (٥/ ٣٦٣) وفوات الوفيات (٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥) والدليل الشافي (١/ ٥٤٨) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٥) .
(٧) ط : « ألفي » خطأ ، وما هنا من ب ، وهو الذي بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (بشار) .

كثيرة) عظيمة ، مات عن قريب[١] من ستين سنة[٢] وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة ، وكان حسن الصورة مهيباً ، عليه أُبَّهة السلطنة ومهابة الملك ، تام القامة حسن اللحية عالي الهمة شجاعاً وقوراً سامحه الله .

الأمير حسام الدين طُرُنْطاي[٣] نائب السلطنة المنصور(ية بمصر) أخذه الأشرف فسجنه في قلعة الجبل ، ثم قتله وبقي ثمانية أيام لا يُدْرَى به ، ثم لُفَّ في حصير وألقي على مزبلة ، وحَزن عليه بعضُ الناس ، فكُفِّن كآحادِ الفقراء بعد النعيم الكثير ، والدنيا المتسعة ، والكلمة النافذة ، وقد أخذ[٤] السلطان من حواصله ستمئة ألف دينار وسبعين قنطاراً بالمصري فضة ، ومن الجواهر شيئاً كثيراً ، سوى الخيل والبغال والجمال والأمتعة والبسط الجياد ، والأسلحة المثمنة ، وغير ذلك من الحواصل[٥] والأملاك بمصر والشام ، وترك[٦] ولدين أحدهما أعمى ، وقد دخل هذا الأَعمى على الأشرف فوضع المنديل على وجهه[٧] وقال : شيء لله ، وذكر له أن لهم أياماً لا يجدون شيئاً يأكلونه[٨] ، فرقّ له وأطلق لهم الأملاك يأكلون من ريعها ، فسبحان الله المتصرف[٩] في خلقه بما يشاء ، (يعز من يشاء ويذل من يشاء) .

الشيخ الإمام العلامة[١٠] رشيد الدين عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي الشافعي ، مدرس الظاهرية .

---

(١) ب : وعمره قريباً من ستين .

(٢) بعد هذا في ب : « وقال بعضهم ثمانين سنة » ، ولا معنى لها ولا تستقيم البتة ، فقد قال الذهبي في تاريخ الإسلام : « رأيته مرات آخرها منصرفه من فتح طرابلس ، وكان من أبناء الستين » . قلت : وكان فتح طرابلس قبل وفاته بسنة .

(٣) ترجمة ـ طرنطاي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٣٢) وهو مقيد بخطه بضم الطاء المهملة والراء ، والعبر (٥/ ٣٦١) وضبط بفتح الطاء ضبط قلم ولا يصح ، والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٣ ـ ٣٨٥) والدليل الشافي (١/ ٣٦١) وقد تحرفت في ط إلى : طرقطاي .

(٤) ب : فسجنه فمات بقلعة الجبل وبقي ثمانية أيام لا يدرى به فلف في حصير وكفن كآحاد الفقراء وقد أخذ .

(٥) ب : دينار وماية واحد وسبعين قنطار بالمصري فضة سوى الخيل والبغال والأمتعة والأسلحة وغير ذلك من الحواصل .

(٦) ب : وترك .

(٧) بعده في ب : ومدّ يده وقال .

(٨) ب : لا يجدون ما يأكلونه .

(٩) ب : فسبحان من تصرّف في خلقه بما يشاء .

(١٠) ترجمة ـ رشيد الدين الفارقي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٣٧) والإعلام (٢٨٨) والعبر (٥/ ٣٦٣) والإشارة (٣٧٧) والوافي بالوفيات (٢٢/ ٤٣١) وفوات الوفيات (٣/ ١٢٩ ـ ١٣١) وطبقات الإسنوي (٢/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٥) والدليل الشافي (١/ ٤٩٦) والدارس (١/ ٣٥١) وبغية الوعاة (٢/ ٢١٦) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٥) .

(توفي بها) وقد جاوز التسعين ، وُجد مخنوقاً في المحرم ، ودُفن بالصوفية ، وقد سمع الحديثَ وكان منفرداً[١] في فنون من العلوم كثيرة ، منها علم النحو ، والأدب ، وحل المترجم ، والكتابة ، والإنشاء ، وعلم الفلك ، والنجوم ، وضرب الرمل ، والحساب ، وغير ذلك ، وله نظم حسن[٢] .

الخطيب جمال الدين أبو محمد[٣] عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي الربعي

توفي بدار الخطابة وحضر الناس الصلاة عليه يوم السبت سلخ جمادى الأولى ، وحمل إلى السفح فدفن إلى جانب الشيخ يوسف الفُقَّاعي[٤] .

فخر الدين أبو الطاهر[٥] إسماعيل[٦] ابن عز القضاة أبي الحسن علي (بن محمد) بن عبد الواحد بن أبي اليمن[٧] ، الشيخ الزاهد المُتَقَلِّل من متاع الدنيا .

توفي في العشرين من رمضان ، وصلي[٨] عليه في الجامع ، ودفن بتربة بني الزكي بقاسيون محبة في محيي الدين بن عربي ، فإنه كان يكتب من كلامه كلَّ يوم ورقتين ، ومن الحديث ورقتين وكان مع هذا يحسن الظن به ، وكان يصلّي مع الأئمة (كلهم) بالجامع ، وقد أخبر عنه بعض العلماء أنه رأى بخطه : [متقارب]

وفـي كُـلّ شـيء لـه آيـةٌ   تَـدلُّ علـى أنَّـه عينُـه

وقد صحح على « عينه » وإنما الصحيح المروي عمَّن أنشد هذا الشعر[٩] .

تدلَّ على أنّه واحدُ[١٠]

وله شعر فمنه : [من المنسرح]

---

(١) ب : وكان من الأفراد في فنون كثيرة منها النحو والعربية .
(٢) ب : وله النظم الحسن .
(٣) ترجمة ـ ابن عبد الكافي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٣٥) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٨) والعبر (٥/ ٣٦٢) والإشارة (٣٧٨) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٦) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٤) .
(٤) الدارس (٢/ ٢٠٦) وشذرات الذهب (٧/ ٦٣٧) .
(٥) هكذا كناه ، وفي كتب الذهبي ومن نقل منه : أبو الفداء .
(٦) ترجمة ـ فخر الدين أبو الطاهر ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٢٨) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٨) والعبر (٥/ ٣٦١) والإشارة (٣٧٨) والوافي (٩/ ١٦٦) والنجوم (٧/ ٣٨٦) والدليل الشافي (١/ ١٢٥) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٣) .
(٧) هكذا في النسخ ، وفي تاريخ الذهبي : النَّمِر (بشار) .
(٨) ب : فصلي عليه بالجامع .
(٩) ب : وإنما الصحيح المروي عن شاعره وإنما الصحيح : واحد
(١٠) ديوان أبي العتاهية ـ صنعة الدكتور شكري فيصل رحمه الله ـ (ص١٠٤) .

والنهرُ مُذْ جنَّ في الغُصونِ هَوىً فَـــراحَ[١] فـــي قَلْبِـــهِ يُمَثِّلُهـــا
فَغـــارَ منـــهُ النَّسيـــمُ عـــاشِقُهـــا فَجـــاءَ عَـــنْ وَصْلِـــهِ يُمَيِّلُهـــا

وله أيضاً : [من البسيط]

لَمَّـا تحقَّـقَ بـالإمكـانِ فَـوْقَكـمُ[٢] وَقَـدْ بـدا حُكْمُـهُ في عـالـمِ الصُّـوَرِ
فَمَيَّـزَ الجَمْـعَ عنـهُ وهـوَ مُتَّحـدٌ[٣] فَـلاحَ فَـرْقُكُـمُ فـي عـالـم الصُّـوَرِ

وله : [مخلع البسيط]

لـــي ســـادَةٌ لا أَرَى ســـواهـــمْ هُـمْ عيـنُ مَعْنَـاي حيـنَ[٤] جَـوْفـي
لقـــد أحـــاطـــوا بكـــلِّ جـــزءٍ منـــي وعـــزوا عـــن دَرْكِ طَـــرْفـــي
هُـــمْ نَظَـــرُوا فـــي عُمـــومِ فَقْـــري وطـــولِ ذُلّـــي وفَـــرْطِ ضَعْفـــي
فعـــامـلـــونـــي ببحـــتِ جُـــودِ وصَـــرْفِ بـــرٍّ ومَحْـــضِ لُطْـــفِ
فـــلا تَلُـــمْ إن جَـــرَرْتُ ذَيْلـــي فَخْـــراً بِهـــمْ أو ثَنَيْـــتُ عِطْفـــي

وله أيضاً ولا بأس به[٥] : [من الوافر]

مواهبُ ذي الجلالِ لديَّ تَتْرَى[٦] فَقَـدْ أَخْـرَسْتَنـي وَنَطَقْـنَ شُكْـراً
فنُعْمَـى إِثْـرَ نُعْمَـى إِثْـرَ نُعْمَـى وبُشْـرى بَعْـدَ بُشْـرَى بَعْـدَ بُشْـرَى[٧]
لهـا بَـدْءٌ وليـسَ لهـا انْتِهَـاءٌ يَعـمُّ مـزيـدهـا دُنْيـا وأُخْـرى

الحاج طَيْبَرْس بن عبد الله[٨] علاء الدين الوزير ، صِهر الملكِ الظاهر .

كان من أكابر الأمراء[٩] ذوي الحل والعقد ، وكان ديناً كثيرَ الصدقات ، له خانٌ بدمشق أوقفه[١٠] ،

---

(١) ب : فصار تراباً من قلة .
(٢) ب : فرقكم وقد بدا حكمه .
(٣) ب : فميز الجمع عنه فيه متحداً وفي ط : متخد . وفي أ : تميز الجمع .
(٤) ب : هم عين معناي وعين جوفي ، وأ : غير جوفي .
(٥) أ ط : وله والباقي عن ب وحدها .
(٦) ب : الذي يسري .
(٧) أ : له يسراً بعد يسرا بعد يسرا .
(٨) ترجمة ـ طيبرس ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٣٣) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٥) والدليل الشافي (١/ ٣٧٥) .
(٩) ب : من أكابر الأمراء في الدولة .
(١٠) ب : كان له بدمشق أوقفه صدقة .

وله في فكاك الأسرى وغير ذلك ، وأوصى عند موته بثلاثمئة ألف تصرف على[1] الجند بالشام ومصر ، فحصل لكل جندي خمسون درهماً، وكانت وفاته في ذي الحجة ، ودفن بتربته بسفح المقطم . رحمه الله.

قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد[2] بن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي.

توفي ثاني عشر رجب[3] وحضر[4] جنازته خلق كثير[5] ونائب السلطنة ودفن بقاسيون وله من العمر أربعون سنة[6] سواء ، وكان فاضلاً بارعاً خطيباً مدرساً بأكثر المدارس ، (وهو) شيخ الحنابلة وابن شيخهم ، وتولى بعده القضاء الشيخ شرف الدين حَسَن[7] بن عبد الله بن أبي عمر ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسعين وستمئة (من الهجرة)[8]

فيها : فتحت عكا وبقية السواحل التي كانت بأيدي الفرنج (من مدد متطاولة) ، ولم يبق لهم فيها[9] حجر واحد ولله الحمد والمنة .

استهلت هذه السنة والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس العباسي[10] ، وسلطان البلاد الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون[11] ، ونائبه بمصر وأعمالها بدر الدين بيدرا ، ووزيره ابن السلعوس الصاحب شمس الدين[12] ، ونائبه بالشام حسام الدين لاجين السلحدار[13] المنصوري ، وقضاة الشام هم المذكورون (في التي) قبلها .

---

(١) أ ، ب : إلى الجند وفي ب : فحصل لكل واحد .
(٢) ليست في ط ، واستدركت عن أ ب واسمه في مصدره : أحمد بن عبد الرحمن بن أبي عمر . وترجمته في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٢٥) .
(٣) ليست اللفظة في أ وهي في مصادره .
(٤) ب : وحضر جنازته الناس .
(٥) قال النعيمي في الدارس (٢/ ٣٤) : وقول ابن كثير رحمه الله تعالى عاش أربعين سنة سهو ووهم فتأمله . قال بشار : ذكر الذهبي أن مولده في سنة ٦٥١ ، فيكون عمره (٣٨) سنة ، وقد نص على ذلك أيضاً .
(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من ط .
(٧) أ ط : حسين . وما أثبت من ب والدارس (٢/ ٣٤) : وليس في أولاد عبد الله بن أبي عمر حسين . مشجرات الأسر الحنبلية في المنهج الأحمد في مقدمة الجزء الثاني .
(٨) عن ط وحدها .
(٩) ب : ولم يبق بها حجر .
(١٠) ب : أبو العباس أحمد العباسي .
(١١) ب : صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون .
(١٢) ب : ووزيره الصاحب شمس الدين بن السلعوس .
(١٣) ط : السلحداري ، وما هنا عن الأصلين .

وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول .

وصاحب مكة نجم الدين أبو نُميّ محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحَسَني[١] .

وصاحب المدينة عز الدين جَمَّاز بن شيحة الحسيني .

وصاحب الروم غياث الدين كِيْخِسرو[٢] [وهو ابن ركن الدين قَلج أرسلان السلجوقي][٣] .

وصاحب حماة[٤] تقي الدين محمود[٥] بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمد[٦] وخراسان وتلك النواحي أرغون بن أبغا بن هولاكو[٧] بن تولي بن جنكزخان .

وكان أول هذه السنة يوم الخميس وفيه تصدق عن الملك المنصور بأموال كثيرة جداً من الذهب والفضة ، وأنزل السلطان إلى تربته في ليلة الجمعة فدفن بها تحت القبة ، ونزل في قبره بدر الدين بيدرا ، وعلم الدين الشجاعي ، وفرقت صدقات كثيرة حينئذ ، ولما قدم الصاحب شمس الدين بن السَّلعوس من الحجاز خلع عليه للوزارة ، وكَتبَ تقليده بها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر[٨] كاتب الإنشاء بيده ، وركب الوزير في أُبهة الوزارة إلى داره ، وحكم .

ولما كان يوم الجمعة قُبض على شمس الدين سُنْقُر الأَشْقَر وسيف الدين بن جرمك الناصري ، وأُفرج عن الأمير زين الدين كَتْبُغا وكان قد قبض عليه[٩] مع طُرُنْطاي[١٠] ، ورد عليه إقطاعه ، وأُعيد التقي توبة إلى وزارة دمشق مرة أخرى . وفيها أثبت ابن الخُوَيّي محضراً يتضمَّن أن يكون تدريس الناصرية للقاضي الشافعي وانتزعها من زين الدين[١١] الفارقي .

---

(١) ط : « الحسيني » خطأ ظاهر ، فأبو نمي حسني معروف (بشار) .
(٢) ط : كنجسر ؛ وهو تحريف ، انظر الدليل الشافي (٢/ ٥٦٣) .
(٣) عن ط وحدها .
(٤) ب أ : صاحب حماة الملك المظفر تقي الدين .
(٥) أ : محمد بن محمود .
(٦) ب : محمد الأيوبي وملك بلاد العراق .
(٧) ب : هولاكو قان .
(٨) ترجمة ـ محيي الدين بن عبد الظاهر ـ في وفيات سنة ٦٩٢ .
(٩) ب : وكان مسك مع طرنطاي ورد عليه أقطاعه بعد خروجه من البحر .
(١٠) ط : طرقطاي ؛ تحريف . وقد تقدمت ترجمته في السنة السابقة .
(١١) ب : وجاء البريد .

[ذكر] فتح عكا وبقية السواحل

وفيها : جاء البريد[١] إلى دمشق في مُستهلّ ربيع الأول لتجهيز آلات الحصار لعكا[٢] ، ونودي في دمشق : الغزاة في سبيل الله إلى عكا ، وقد كان أهل عكا[٣] في هذا الحين عدواً على من عندهم من تجار المسلمين ، فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأبرزت[٤] المجانيق[٥] إلى ناحية الجسورة ، وخرجت العامة المطوعة[٦] يجرون في العجل حتى الفقهاء والمدرسية والصلحاء ، وتولى سياقتها[٧] الأمير علم الدين الدَّوَيْداري[٨] ، وخرجت العساكر بين يدي نائب الشام ، وخرج هو في آخرهم ، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر[٩] وخرج الناس من كلّ صوب ، واتّصل بهم عسكر طرابلس ، وركب الأشرف من الديار المصرية بعساكره قاصداً عكا ، (فتوافت) الجيوش هنالك ، فنازلها[١٠] يوم الخميس رابع ربيع الآخر ونصبت عليها المجانيق من كلّ ناحية يُمكن نصبها عليها ، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاصرتها[١١] والتضييق على أهلها ، واجتمع الناس بالجوامع[١٢] لقراءة « صحيح البخاري » ، فقرأه الشيخ شرف الدين الفزاري[١٣] ، فحضر[١٤] القضاة والفضلاء والأعيان . وفي أثناء محاصرة عكا وقع تخبيط من نائب الشام[١٥] حسام الدين لاجين ، فتوهَّم أن السلطانَ يُريد مسكَه ، وكان قد أخبره بذلك الأمير الذي يقال له

---

(١) ب : من يد زين الدين . وسترد ترجمة الفارقي في وفيات سنة ٧٠٣ في الجزء التالي .
(٢) ب : بسبب حصار عكا نودي بدمشق .
(٣) ب : وقد كانوا في هذا الحين .
(٤) ب : فقتلوهم وبرزت المجانيق .
(٥) أ ط : المناجنيق ، ويجمع المنجنيق على منجنيقات ومجانق ومجانيق . القاموس جنق .
(٦) أ ط : المتطوعة ؛ تحريف . والمطوّعة جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور وقصدوا جهاد العدو في بلادهم لا إذا قصد بلاد الإسلام . اللباب في تهذيب الأنساب (٣/ ٢٢٦) .
(٧) ط : ساقها ، وب : ساقتها . وما هنا عن أ . وساق سوقاً وسياقة ومساقاً ، وساقة الجيش : مُؤَخّره . القاموس (سوق) .
(٨) أ : الدواداري .
(٩) ب : وخرج في آخرهم النائب حسام الدين لاجين السلحدار ولحقه صاحب حماة المظفر .
(١٠) أ : فنازلهم .
(١١) أ وط : فحاربتها ، والمثبت عن ب وهو الأشبه .
(١٢) أ : في الجامع . ب : بالجامع .
(١٣) ترجمة ـ شرف الدين الفزاري ـ في وفيات سنة ٧٠٥ من الجزء التالي .
(١٤) أ : وحضر القضاة .
(١٥) ب : نائب دمشق .

أبو خُرْص[١] ، فركب هارباً فردَّه علم الدين الدويداري بالمسألة[٢] وجاء به إلى السلطان فطيَّبَ قلبَه وخلعَ عليه ثم أمسكه بعد ثلاثة (أيام) وبعثه إلى قلعة صفد واحتاط على حواصله ، ورسم على أستاذ داره[٣] بدر الدين بكداش[٤] ، وجرى ما لا يليق وقوعه هنالك ، إذ الوقت وقت عسر وضيق وحصار . وصمم[٥] السلطان على الحصار فرتَّب الكوسات ثلاثمئة حمل ، ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر جمادى[٦] الأولى ودُقَّت الكوسات جملة واحدة عند طلوع الشمس ، وطلع المسلمون على الأسوار مع طلوع الشمس ، ونُصبت السناجق[٧] الإسلامية فوق أسوار البلد[٨] ، فولَّت الفرنج عند ذلك الأدبار ، وركبوا هاربين في مراكب التجار ، وقُتل منهم عددٌ لا يعلمه إلا الله تعالى ، وغنموا من الأمتعة والرقيق والبضائع شيئاً كثيراً جداً ، وأمر السلطان بهدمها وتخريبها ، بحيث لا ينتفع بها بعد ذلك ، فيسر الله فتحها نهار جمعة ، كما أخذتها الفرنج من المسلمين في يوم الجمعة، وسلَّمت صور وصيدا قيادتهما إلى الأشرف[٩]، فاستوسق[١٠] الساحل للمسلمين ، وتنظف من الكافرين ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

وجاءت البطاقة إلى دمشق بذلك ففرح المسلمون ، ودَقَّتِ البشائر في سائر الحصون[١١] ، وزُيِّنت البلاد ليتنزه فيها الناظرون والمتفرجون ، وأرسل السلطان إلى صور[١٢] أميراً فهدم أسوارها وعَفَّى آثارها . وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثماني عشرة وخمسمئة .

وأما عكا فقد كان الملك الناصر يوسف بن أيوب أخذها من أيدي الفرنج ، ثم إن الفرنج جاؤوا

---

(١) أ ـ ب : أبو خوص والمثبت عن المصادر التاريخية كالنجوم الزاهرة (٨/ ٩) ومختصر أبي الفداء (٤/ ٢٦) .
(٢) ا ، ط : « بالمسابة » ، وما هنا من ب ، فكأنه سأله أن يرجع ، كما يفهم من مصادر الخبر ومنها تاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ٤٣٣) .
(٣) أ : استداره ، وب : استاد .
(٤) أ : بكاس ، وفي ب : بكتاش . وما أثبت موافق ل ـ النجوم الزاهرة (٨/ ٢٢٤) .
(٥) ب : وقوعه هناك والوقت وقت عسر وضيق ثم صمم .
(٦) ب : ثم زحف عصر يوم الجمعة سابع جمادى الأولى .
(٧) أ : الصناجق ، وب : المناجق ؛ تحريف والسناجق هي الأعلام .
(٨) ب : فوق الأسوار .
(٩) ب : أخذتها الفرنج في نهار جمعة جزاء قصاصاً وسلمت صور وصيدا أيضاً قيادهما إلى الأشرف . وتأخذ أ من رواية ب هذه لفظة : قيادهما . فقط والباقي كالمثبت أعلاه .
(١٠) ط : « فاستوثق » خطأ ، وما هنا من أ ، ب .
(١١) ب : ففرح المؤمنون ودقت البشائر في جميع الحصون .
(١٢) ب : وأرسل إلى مدينة صور أميراً .

فأحاطوا بها بجيوش كثيرة ، ثم جاء صلاح الدين[١] ليمانعهم[٢] عنها مدة سبعة وثلاثين شهراً ، ثم آخر ذلك استملكوها وقتلوا مَنْ كان فيها من المسلمين ، كما تقدَّم ذلك[٣] .

ثم إن السلطان الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سار من عكا قاصداً دمشق في أُبَّهة الملك وحرمة وافرة ، وفي صحبته وزيره ابن السَّلْعُوس[٤] والجيوش المنصورة ، وفي هذا اليوم استناب بالشام الأمير علم الدين سَنْجَر الشّجاعي ، وسكن بدار السعادة ، وزيد في إقطاعه حرستا ولم تقطع لغيره ، وإنما كانت لمصالح حواصل القلعة ، وجعل له في كل يوم ثلاثمئة على دار الطعام[٥] ، وفَوَّضَ إليه أن يُطْلق من الخزانة ما يريد من غير مشاورة ولا مراجعة ، وأرسله السلطان إلى صيدا لأنه كان قد بقي بها برج عصى[٦] ففتحه ودَقَّتِ البشائر بسببه ، ثم عاد سريعاً إلى السلطان فودَّعَه ، وسار السلطان نحو الديار المصرية في أواخر رجب[٧] ، وبعثه إلى بيروت ليفتحها فسار إليها ففتحها في أقرب وقت[٨] ، [في ثلاثة أيام ودقت البشارة أيضاً] وسلمت عَثْلِيث[٩] وأَنْطَرْطوس وجُبَيْل . ولم يبق بالسواحل ولله الحمد معقلٌ للفرنج إلا بأيدي المسلمين ، وأراح الله منهم البلاد والعباد ، ودخل السلطان إلى القاهرة[١٠] في تاسع شعبان في أُبَّهة عظيمة جداً ، وكان يوماً مشهوداً . وأفرج عن بدر الدين بَيْسَري بعد سجن سبع سنين [وردّ عليه إقطاعه] . ورجع علم الدين سنجر الشجاعي نائب دمشق إلى دمشق في سابع عشري الشهر[١١] المذكور ، وقد نَظَّفَ السواحلَ من الفرنج بالكلية ، ولم يبق لهم بها حجرٌ . وفي رابع رمضان أفرج عن حسام الدين

---

(١) ب : ثم إنهم أحاطوا يحاصرون من فيها من المسلمين فجاء بجيوشه فأحاط بهم ليمانعهم .

(٢) أ : ثم جاء صلاح الدين بالجيوش ليمانعهم .

(٣) ب : ثم في آخر ذلك استملكوها وقتل من كان فيها من المسلمين . وقد بسطنا ذلك في موضعه كما تقدم وبالله المستعان .

(٤) ب : ووصل السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل دمشق ضحى يوم الإثنين ثاني جمادى الآخرة في أبهة عظيمة وفي صحبته وزيره شمس الدين السلعوس .

(٥) أ ، ب : دار الطعم .

(٦) ب : بقي فيها برج عاص .

(٧) ب : رجب نحو الديار المصرية .

(٨) ب : في أقرب مدة .

(٩) عَثْليث : اسم حصن بسواحل الشام يعرف بالحصن الأحمر فتحه الملك الناصر يوسف بن أيوب سنة ٥٨٣ معجم البلدان (٤/ ٨٥) وتقع تحديداً بين حيفا وطنطورة النجوم الزاهرة (٨/ ١٠) وفي الحاشية كتب المحقق تعليقاً على هذا الحصن .

(١٠) ب : منهم تلك البلاد وأولئك العباد ودخل السلطان الملك الأشرف إلى القاهرة .

(١١) أ : ورجع علم الدين سنجر نائب دمشق إلى دمشق في سابع عشرين من الشهر وب : ورجع نائب الشام علم الدين سنجر الشجاعي إلى دمشق .

لاجين من قلعة صفد ومعه جماعة أمراء ، ورد (عليهم) إقطاعاتهم[١] ، وأحسن إليهم وأكرمهم .

وفي أوائل رمضان طلب القاضي بدر الدين ابن جماعة من القدس الشريف وهو حاكم به ، وخطيب فيه ، على البريد إلى الديار المصرية فدخلها في رابع[٢] عشره ، وأفطر ليلتئذ[٣] عند الوزير السَّلْعوس وأكرمه جداً واحترمه ، وكانت ليلة الجمعة ، فصرح الوزير بعزل تقي الدين ابن بنت الأعز وتولية ابن جماعة[٤] بالديار المصرية قضاء القضاة ، وجاء القضاة إلى تهنئته وأصبح الشهود بخدمته[٥] ، ومع القضاء خطابة الجامع الأزهر ، وتدريس الصالحية ، وركب في الخلعة والطرحة ورسم لبقية القضاة أن يستمروا بلبس الطرحات ، وذهب فخطب بالجامع الأزهر ، وانتقل إلى [المدرسة] الصالحية ودَرَّسَ بها في الجمعة الأخرى وكان درساً حافلاً[٦] ، ولمَّا كان يوم الجمعة رسم[٧] السلطان للحاكم بأمر الله أن يخطب هو بنفسه الناس يومئذ وأن يذكر في خطبته أنه قد ولي السلطنة للأشرف خليل بن المنصور ، فلبس خلعة سوداء وخطب الناس بالخطبة[٨] التي كان خطب بها في الدولة الظاهرية ، وكانت من إنشاء الشيخ شرف الدين المقدسي في سنة ستين وستمئة ، فيكون بين الخطبتين أزيدُ من ثلاثين سنة ، وذلك بجامع قلعة الجبل ، ثم استمر ابن جماعة يخطب بالقلعة عند السلطان ، وكان يستنيب في الجامع الأزهر[٩] .

وأما ابن بنت الأعزّ فناله من الوزير إخراق[١٠] ومصادرة وإهانة بالغة ، ولم يترك له من مناصبه شيئاً ، وكان بيده سبعة عشر منصباً ، منها القضاء والخطابة ونظر الأحباس ومشيخة الشيوخ ، ونظر الخزانة وتداريس كبار ، وصادره بنحو من أربعين ألف ، غير مراكبه وأشياء كثيرة ، ولم يظهر منه استكانة له ولا خضوع ، ثم عاد فرضي عنه وولاه تدريس الشافعي ، وعملت ختمة عند قبر المنصور في ليلة الإثنين رابع ذي القعدة وحضرها القضاة والأمراء[١١] ، ونزل السلطان ومعه الخليفة إليهم وقت السحر ، وخطب الخليفة بعد الختمة خطبةً بليغةً ، حرَّض الناسَ على غزو بلاد العراق واستنقاذها من أيدي

---

(١) أ : إقطاعاتهم إليهم .
(٢) أ ، ب ، ط : رابع عشرة . وما هنا للسياق .
(٣) أ : وأفطر ليلتين .
(٤) ب : ابن جماعة قضاء القضاة بالديار .
(٥) ب : في خدمته .
(٦) أ : وكان رئيساً حافلاً . وفي ب : وكان درساً حفلاً اجتمع الناس فيه الحفلاء .
(٧) ب : ولما كان يوم الجمعة رابع عشر شوال رسم السلطان للخليفة الحاكم .
(٨) ب : وخطب الناس الخطبة .
(٩) ب : بجامع القلعة عند السلطان بعد الجمعة التي خطب بها الخليفة ويستنيب في جامع الأزهر بعض الفضلاء وأما القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز .
(١٠) أ : إحراق .
(١١) ب : والأمراء والأعيان .

التتر[١] ، وقد كان الخليفة قبل ذلك محتجباً فرآه الناس جهرةً وركب في الأسواق بعد ذلك . وعمل أهل دمشق ختمةً عظيمةً بالميدان الأخضر إلى جانب القصر الأبلق[٢] ، فقُرئت ختماتٌ كثيرةٌ ثم خطب الناس بعدها الشيخ عز الدين الفاروثي[٣] ، ثم ابن البزوري ، ثم تكلَّم مَنْ له عادة بالكلام ، وجاءت البريدية بالتهيؤ لغزو العراق ، ونودي في الناس بذلك ، وعُملت سلاسلُ عظامٌ بسبب الجسورة على دجلة بغداد ، وحصلت الأجور على المقصود وإن لم يقع المقصود ، وحصل لبعض الناس أذى بسبب ذلك[٤] .

وفيها : نادى نائب الشام الشُّجاعي أن لا تلبس امرأة عمامةً كبيرةً ، وخرَّبَ الأبنية التي على نهر بانياس والجداول كلها والمسالح[٥] والسقايات التي على الأنهار كلها ، وأخرب جسر الزلابية وما عليه من الدكاكين ، ونادى أن لا يمشي أحدٌ بعد العشاء الآخرة ، ثم أطلق لهم هذه فقط ، وأخرب الحمام الذي كان بناه الملكُ السعيدُ ظاهرَ باب النصر ، ولم يكن بدمشق أحسن منه ، ووسَّع الميدان الأخضر من ناحية الشمال مقدار سدسه ، ولم يترك بينه وبين النهر إلا مقداراً يسيراً ، وعمل هو بنفسه والأمراء بحيطانه[٦] .

وفيها : حبس [الأمير] جمال الدين آقوش الأفرم المنصوري وأميراً آخر معه في القلعة .

وفيها : حُمل الأمير علم الدين الدويداري إلى الديار المصرية مُقَيَّداً . وقد نظم الشيخ شهاب الدين محمود[٧] قصيدةً في فتح عكا[٨] : [من البسيط]

الحمدُ للهِ زالت[٩] دولةُ الصُّلُبِ وعَزَّ بالتُّركِ دِينُ المُصْطَفى العَرَبي
هذا الذي كانت الآمالُ[١٠] لو طَلَبَتْ رُؤْياهُ في النَّومِ لاسْتَحْيَتْ من الطَّلَبِ
ما بعدَ عكا وقد هُدَّتْ قواعِدُها في البَحْرِ للشِّرْكِ[١١] عند البَرِّ من أَرَبِ

---

(١) ب : التتار قبحهم الله .
(٢) القصر الأبلق بناه الظاهر سنة ٦٦٨ ، وعلى أنقاضه بنيت التكية السليمانية سنة ٩٧٤هـ التي ما زالت قائمة إلى اليوم قرب متحف دمشق الوطني . خطط الشام (٤/ ١٢٢) النجوم الزاهرة (٧/ ٢٧٨) .
(٣) ط : القاروني ؛ تحريف ، وستَرد ترجمته في وفياته ٦٩١ من هذا الجزء .
(٤) أ : وحصل أذى لبعض الناس بسبب ذلك .
(٥) أ ب : المسابح ، ولم أصل فيها إلى رأي قاطع .
(٦) أ ، ب : في حيطانه .
(٧) ستَرد ترجمته في أخبار ٧٢٦ من الجزء التالي وانظر فوات الوفيات (٤/ ٨) والدرر الكامنة (٥/ ٩٢) .
(٨) الأبيات في فوات الوفيات (١/ ٤١٠ ـ ٤١٣) ضمن قصيدة مؤلفة من ٦٣ بيتاً هي منها : (١ + ٢ + ٣ + ٥ + ٧ + ٢٢ + ٢٣ + ٢٥ + ٢٧ + ٢٨ + ٢٩) .
(٩) في الفوات : ذلت .
(١٠) ب : الإملال ؛ تحريف .
(١١) أ ـ ط : للترك ؛ تحريف وما هنا عن ب والفوات .

لـم يبـقَ مـن بعـدهـا للكفـرِ إذ[١] خَـرِبَـتْ ... في البحرِ[٢] والبرِّ ما يُنْجي سوى الهربِ
أمّ الحــروب[٣] فكـم قـد أنشـأتْ فتنـاً ... شـابَ الـوليـدُ بهـا هـولاً ولـم تَشـبِ
يـا يَـوْمَ[٤] عكّـا لَقَـدْ أَنسَيْـتَ مـا سَبَقَـتْ ... بـه الفُتـوحُ ومـا قـد خُـطَّ فـي الكُتُـبِ
لـم يبلـغِ النُّطـقُ حـدَّ الشكـرِ فيـكَ فمـا ... عَسَـى يقـومُ بـه ذُو الشعـرِ والأَدَبِ[٥]
أَغْضَبْـتَ عُبَّـادَ عيسـى إذ أبـدتهـمُ ... للهِ أيَّ رضـىً فـي ذلـك الغضـب
وأشرفَ المصطفى الهادي[٦] البشيرُ على ... مـا أسلـفَ الأشـرفُ السلطـانُ مـن قُـرُبِ
فقـرَّ عَيْنـاً لهـذا الفتـحِ وابتَهَجَـتْ ... ببشـره[٧] الكَعْبـةُ الغَـرّاءُ فـي الحجـب
وسارَ في الأرضِ سيراً قد سمعتُ بهِ[٨] ... فـالبَـرّ فـي طـربٍ ، والبحـرُ فـي حَـرَبِ

وهي طويلة جداً ، وله ولغيره في فتح عكا[٩] أشعارٌ كثيرةٌ .

ولمّا رجعَ البريدُ أخبرَ بأنَّ السلطان[١٠] لما عاد إلى مصر خلع على وزيره ابن السلعوس جميع ملابسه التي كانت عليه ، ومركوبه الذي كان تحته ، فركبه[١١] ورسم له بثمانيةٍ وسبعين ألفاً من خزانة دمشق ، ليشتري له بها قرية قرحتا[١٢] من بيت المال .

وفي هذه السنة انتهت عمارة قلعة حلب بعد الخراب[١٣] الذي أصابها من هولاكو وأصحابه عام ثمانٍ وخمسين .

---

(١) في الفوات : مذ خربت .
(٢) أ والفوات : في البر والبحر ، وقد سقط هذا البيت من ب .
(٣) في الفوات : أما الحروب .
(٤) ب : يا قوم عكا .
(٥) في الفوات : والخطب .
(٦) ط : وأشرف الهادي المصطفى .
(٧) في الفوات : بهذا الفتح وابتهجت بفتحه .
(٨) ب : وسار في الأرض مسرى الريح سمعته ، وفي الفوات : وسار في الأرض سير الريح سمعته .
(٩) ب : في ذلك أشعار .
(١٠) ب : السلطان الملك الأشرف .
(١١) ب : الذي بالرتبة فركب به ورسم .
(١٢) قال ياقوت : قرحتاء من قرى دمشق . وقال كردعلي قرحتا : على بضعة كيلومترات من دمشق . معجم البلدان (٤/ ٣٢٠) وغوطة دمشق (١٧٦) .
(١٣) ب : من خرابها .

وفيها : في شوال[١] شرع في عمارة[٢] قلعة دمشق وبناء الدّور[٣] السلطانية والطارمة[٤] . والقبة الزرقاء ، حسب ما رسم به السلطان الأشرف خليل بن قلاوون لنائبه علم الدين سَنْجَر الشُّجاعي .

وفيها : في رمضان أُعيد إلى نيابة القلعة الأميرُ أرجواش وأعطي إقطاعات سنية[٥] .

وفيها : أُرسل الشيخُ الرجيحي[٦] من ذرية الشيخ يونس مُضَيَّقاً عليه محصوراً إلى القاهرة[٧] .

وفيها دَرّس عز الدين الفاروثي[٨] [بدار الحديث الظاهرية عوضاً عن فخر الدين بن الكَرَجي[٩] وكان الفاروثي قد قدم مع الحاج من مكة إلى الشام هذه السنة . وفي رجب منها درس الفاروثي أيضاً][١٠] بالمدرسة النجيبية عوضاً عن كمال الدين ابن خَلِّكان[١١] .

وفي ذلك اليوم دَرَّسَ نجم الدين [بن] مكي[١٢] بالرواحية عوضاً عن ناصر الدين ابن المقدسي[١٣]

وفيه دَرَّس كمال الدين[١٤] (الطبيب) بالمدرسة الدخوارية الطبية .

وفي هذا الشهر دَرَّس الشيخ جلال الدين الخبازي[١٥] بالخاتونية البرانية .

---

(١) أ : وفي شوال منها .
(٢) أ : في بناء .
(٣) أ ، ب : الآدر . وهو أحد جموع لفظة دار . القاموس المحيط .
(٤) الطارمة بيت من خشب له شكل قبة . واللفظة فارسية معربة . معجم الألفاظ الفارسية (١١٢) ومعجم الألفاظ والتراكيب المولدة في شفاء الغليل (٣٣٧) .
(٥) ب : الأمير علم الدين أرجواش وأعطي إقطاعاً سنياً .
(٦) الرجيحي عيسى بن سابق بن هلال بن يونس سيف الدين . ستردّ ترجمته في وفيات سنة ٧٠٦ من الجزء التالي .
(٧) ب : مضيقاً عليه إلى القاهرة في هذه السنة .
(٨) ط ب : القاروني ؛ تحريف . وستردّ ترجمة عز الدين الفاروثي في وفيات ٦٩٤ إن شاء الله .
(٩) ط : « الكرخي » مصحف ، وهو فخر الدين عمر بن يحيى الكرجي الآتية ترجمته في وفيات هذه السنة (بشار) .
(١٠) ما بين الحاصرتين مستدرك عن ب وحدها .
(١١) هو موسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان كمال الدين أبو الفتح ابن القاضي شمس الدين صاحب وفيات الأعيان درّس بالنجيبية في حياة أبيه وبعده وولي نظر الدواوين الحكمية ولم يكن حسن السيرة ويقال إنه كان السبب في عزل أبيه لسوء سيرته وطواعية أبيه له . توفي سنة ٧١٧ . الدرر الكامنة (٤/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) .
(١٢) الدارس (١/ ٢٧١) .
(١٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن نوح ناصر الدين المقدسي توفي سنة ٦٨٩ الدارس (١/ ٢٦٩) .
(١٤) هو كمال الدين بن عبد الرحيم بن مسلم الطبيب توفي سنة ٦٩٧ .
(١٥) ترجمة ـ جلال الدين الخبازي ـ في وفيات سنة ٦٩١ من هذا الجزء .

وجمال الدين بن الباجُربقي[١] بالفتحية[٢] .

وبرهان الدين الإسكندري[٣] بالقوصية التي بالجامع .

والشيخ نجم الدين الدمشقي بالشريفية[٤] عند حارة الغرباء .

وفيها : أعيدت الناصرية إلى الفارقي[٥] .

وفيه درس بالأمينية القاضي نجم الدين ابن صَصْرَى[٦] بعد ابن الزَّمَلْكاني[٧] ، وأخذت منه العادلية الصغيرة[٨] لكمال الدين ابن الزملكاني .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أرغون[٩] بن أبغا ملك التتار[١٠] كان شهماً شجاعاً سفّاكاً للدماء ، قتل عمه السلطان أحمد بن هولاكو ، فعظم في أعين المغول[١١] فلما كان في هذه السنة مات من شراب شربه فيه سم ، فاتهمت المغول اليهود به ـ وكان وزيره سعد الدولة بن الصفي يهودياً ـ فقتلوا من اليهود خلقاً كثيراً ، ونهبوا منهم أموالاً عظيمة جداً في جميع مدائن العراق ، ثم اختلفوا فيمن يقيمونه بعده ، فمالت طائفة إلى كيختو فأجلسوه على سرير المملكة ، فبقي مدة ، قيل سنة وقيل أقل من ذلك ، ثم قتلوه وملَّكوا بعده بَيْدَرا[١٢] . وجاء الخبر بوفاة أرغون إلى الملك الأشرف وهو محاصِرٌ عَكّا ففرح بذلك كثيراً ، وكانت مدة ملك أرغون ثماني سنين ، وقد وصفه بعضُ مؤرِّخي العراق بالعدل والسياسة الجيدة[١٣] .

---

(١) جمال الدين الباجربقي عبد الرحيم بن عمر بن عثمان ، ستَرِد ترجمته في وفيات سنة ٦٩٩ من هذا الجزء .

(٢) الدارس (١/ ٤٢٩) .

(٣) برهان الدين الإسكندري إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم ، ستَرِد ترجمته في وفيات سنة ٧٠٢ من الجزء التالي . وترجمته في الدارس (١/ ٤٣٨) أيضاً .

(٤) الدارس (١/ ٣١٦) .

(٥) الدارس (١/ ٤٦٠) .

(٦) نجم الدين بن صصرى أبو العباس أحمد بن محمد بن سالم توفي سنة ٧٢٣ وستَرِد ترجمته في وفيات هذه السنة في الجزء التالي لهذا الجزء إن شاء الله تعالى . وترجمته في الدارس (١/ ١٧٧) أيضاً .

(٧) ستَرِد ترجمة ابن الزملكاني في وفيات سنة ٧٢٧ من الجزء التالي إن شاء الله .

(٨) الدارس (١/ ٣٦٨) .

(٩) ترجمة ـ أرغون ـ في مختصر أبي الفداء (٤/ ١٧ و٢٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٦٥١) والعبر (٥/ ٣٦٦) والوافي (٨/ ٣٥٠) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٩) والدليل الشافي (١/ ١٠٦) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٩) .

(١٠) أ : أرغون بن بغا ملك التتار .

(١١) ب : وعظم شأنه .

(١٢) ب : فقتلوا منهم خلقاً .

(١٣) لعله يشير إلى الظهير الكازروني المتوفى سنة ٦٩٧هـ (بشار) .

المُسْند[١] المُعَمَّر الرِّحْلَة[٢] فخر الدين بن البُخَاري[٣] وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المعروف بابن البُخاري .

ولد في سلخ سنة [خمس][٤] أو مستهل سنة ستٍ وتسعين وخمسمئة ، وسمع الكثيرَ ورحل مع أهله ، وكان رجلاً صالحاً عابداً زاهداً ورعاً ناسكاً ، تفرّد بروايات كثيرةٍ لطول عمره ، وخُرِّجَتْ له مشيخاتٌ وسمع منه الخلقُ الكثيرُ والجَمُّ الغفير ، وكان منصوباً لذلك حتى كبر وأسنّ وضعف عن الحركة . وله شعر حسن ، منه قوله[٥] : [من الوافر][٦]

تكررتِ السِّنونُ عليَّ حَتَّى ... بليتُ وصرتُ من سَقَطِ المَتاعِ
وقَلَّ النَّفْعُ عندي غيرَ أنّي ... أُعلّلُ بالرّوايةِ والسَّماعِ
فإنْ يكُ خالصاً فله جزاءٌ ... وإنْ يكُ مالقاً[٧] فإلى ضياعِ

وله أيضاً[٨] : [من الطويل]

إليكَ ٱعتذاري من صَلاتي قاعِداً ... وَعَجْزِيَ عن سعيٍ إلى الجُمُعاتِ
وتركي صَلاةَ الفرضِ في كلِّ مَسْجِدٍ ... تجمَّعَ فيه النّاسُ للصَّلَواتِ
فيا ربِّ لا تَمْقُتْ صَلاتي وَنَجّني ... من النّارِ واصفحْ لي عن الهَفَواتِ

توفي[٩] ضُحى نهار الأربعاء ثاني ربيع الآخر من هذه السنة ، عن خمسٍ وتسعين سنةً ، وحضر جنازتَه خلقٌ كثير ، ودُفن عند والده الشيخ شمس الدين أحمد بن عبد الواحد[١٠] بسفح قاسيون .

---

(١) ب : الشيخ المسند المعمر .
(٢) ط : الرحالة ، ومن هنا عن أ وب .
(٣) ترجمة ـ ابن البخاري ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٦٥) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٨) والإشارة (٣٧٨) والعبر (٥/ ٣٦٨) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٢٥) والنجوم الزاهرة (٨/ ٣٢) والدليل الشافي (١/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠) والمقصد الأرشد (٢/ ٢١٠ ـ ٢١٣) والقلائد الجوهرية (٢٧٧) .
(٤) عن ب وحدها .
(٥) ليست اللفظة في أ .
(٦) الأبيات في ذيل طبقات الحنابلة .
(٧) أ ، ب وذيل طبقات الحنابلة : مانعاً .
(٨) أورد له ابن رجب نماذج أخرى في طبقاته (٢/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) .
(٩) ب : وكانت وفاته .
(١٠) أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي المقدسي ثم الدمشقي المعروف بالبخاري أبو العباس شمس الدين أخو الحافظ ضياء الدين المقدسي ووالد الفخر علي توفي سنة ٦٢٣ ودفن إلى جوار خاله الشيخ الموفق بالروضة . ذيل ابن رجب (٢/ ١٦٨ ـ ١٧٠) والمقصد الأرشد (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠) .

الشيخ تاج الدين الفَزَارِي[(١)] عبد الرحمن بن إبراهيم[(٢)] سِبَاع بن ضياء[(٣)] أبو محمد الفَزَاري ، الإمام[(٤)] العلامة العَلَم ، شيخ الشافعية في زمانه .

حازَ قَصْبَ السَّبْق دون أقرانه ، وهو والد شيخنا العلامة برهان الدين . كان مولد الشيخ تاج الدين في سنة ثلاثين وستمئة[(٥)] ، وتوفي ضُحى الإثنين خامس جمادى الآخرة ، بالمدرسة البادرائية وصُلّي عليه بعد الظهر بالأموي ، تقدم للصلاة[(٦)] عليه قاضي القضاة شهاب الدين بن الخُوَيّي[(٧)] ، ثم صلّى عليه عند جامع جَرّاح (الشيخ زين الدين الفارقي)[(٨)] ، ودُفن عند والده بباب[(٩)] الصغير ، وكان يوماً شديد الزّحام .

وقد كان ممن اجتمع[(١٠)] فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة ، والأخلاق اللطيفة[(١١)] ، وفصاحة المنطق ، وحسن التصنيف ، وعلو الهمة ، وفقه النفس ، وكتابه « الإقليد » الذي جمعه[(١٢)] على أبواب التنبيه وصل[(١٣)] فيه إلى باب الغصب ، دليل على فقه نفسه وعلوّ قدره ، وقوّة همته ونفوذ نظره ، واتّصافه بالاجتهاد الصحيح في غالب ما سطره ، وقد انتفع به الناس ، وهو شيخ أكابر مشايخنا هو ومحيي الدين[(١٤)] النووي[(١٥)] ، وله « اختصار الموضوعات » لابن الجوزي ، وهو عندي

---

(١) ترجمة ـ تاج الدين الفزاري ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٦٠) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٨) والعبر (٥/ ٣٦٧) والإشارة (٣٧٨) والوافي بالوفيات (١٨/ ٩٦) وفوات الوفيات (٢/ ٢٦٣) وطبقات الإسنوي (٢/ ٢٨٧) والنجوم الزاهرة (٨/ ٣١ و٣٣) والدليل الشافي (١/ ٣٩٦) والدارس (١/ ١٠٨) وشذرات الذهب (٧/ ٧٢١ ـ ٧٢٢) .

(٢) ليست في أصولنا واستدركتها عن مصادر الترجمة وخط الذهبي في تاريخ الإسلام .

(٣) ط : ضياء الدين .

(٤) ب : الإمام شيخ الإسلام .

(٥) هكذا قال ، وذكر البرزالي في المقتفي (١/ الورقة ١٧١) ، والذهبي في تاريخ الإسلام أنه ولد في ربيع الأول سنة ٦٢٤ . وذكر الذهبي في آخر الترجمة أنه عاش ستاً وستين سنة وثلاثة أشهر ، وهو الصواب لأن الزبيدي كان بدمشق سنة ثلاثين ثم عاد إلى بلده بغداد وتوفي بها في صفر سنة ٦٣١ . (بشار) .

(٦) أ : تقدّم بالصلاة عليه .

(٧) ترجمة ابن الخويي في وفيات سنة ٦٩٣ .

(٨) ترجمة ـ زين الدين الفارقي ـ في وفيات سنة ٧٠٣ .

(٩) ب : بمقابر باب الصغير .

(١٠) ب : اجتمعت .

(١١) ب : اللطيفة الرائقة وفصاحة الكلام .

(١٢) ط : جمع .

(١٣) ب : فوصل .

(١٤) ب : هو والشيخ محيي الدين .

(١٥) أ ، ب : النواوي . وبعدها في ب : قدس الله روحهما ونوّر ضريحهما .

بخطِّه[١] ، وقد سمع الحديث الكثير وحضر عند[٢] ابن الزَّبيدي « صحيح البخاري » ، وسمع من ابن اللتي[٣] وابن الصلاح واشتغل عليه ، وعلى ابن عبد السلام وانتفع بهما[٤] ، وخرَّج له الحافظ علَم الدين البرزالي[٥] أحد تلاميذه « مشيخة » في عشرة أجزاء عن مئة شيخ فسمعها عليه الأعيان[٦] : وله شعر جيد فمنه قوله : [من البسيط]

للهِ أيامُ جَمْعِ الشَّمْلِ ما بَرِحَت ... بها الحوادثُ حتَّى أَصْبَحَتْ سَمَرا
ومُبْتَدا الحُزْنِ من تاريخِ مَسْأَلتي ... عنكم ، فلم أَلْقَ لا عَيْنا[٧] ولا أَثَرَا
يا راحلِينَ قَدَرْتُمْ فالنجاة[٨] لكم ... ونحنُ للعَجْزِ لا نَسْتَعْجِزُ القَدَرا

وقد ولي الدرس بعده بالبادرائية والحلقة والفتيا بالجامع ولده شيخنا برهان الدين ، فمشى على طريقة والده وهديه وسمته[٩] رحمه الله .

وفي ثالث شعبان توفي :

الطبيبُ الماهرُ عزُّ الدين إبراهيم بن محمد بن طرْخان[١٠] السُّوَيْدي الأَنْصاري ، ودُفن بالسفح عن تسعين سنة ، وروى شيئاً من الحديث ، وفاق أهل زمانه في صناعة الطب ، وصنَّفَ كتباً في ذلك ، وكان يُرْمى[١١] بقلَّة الدين وتركِ الصّلوات وانحلال في العقيدة[١٢] ، وإنكار أمورٍ كثيرةٍ مما يتعلق باليوم الآخر ،

---

(١) ب : بخطّ يده .
(٢) ب : علي الزَّبيدي ؛ وهو الحسين بن المبارك بن محمد يروي الصحيح وتوفي سنة ٦٣١ . سير أعلام النبلاء (٣٥٧/٢٢) .
(٣) ط : ابن الليثي ؛ وهو تحريف دأبت النسخة ط على الوقوع فيه ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك وهو عبد الله بن عمر ابن علي بن زيد ابن اللتي البغدادي الحريمي الطاهري القزاز . توفي سنة ٦٣٥ . سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٥ - ١٧) .
(٤) ب : وانتفع به وبابن عبد السلام .
(٥) ب : الحافظ ابن البرزالي .
(٦) ب : فسمعها على الأعيان .
(٧) ب : لا هماً ولا أثراً .
(٨) ب : قدرتكم فالنجاء لكم .
(٩) أ ، ب : وهديه ودله وسمته .
(١٠) ترجمة ـ الطبيب ابن طرخان ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٤٩) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٨٨) والعبر (٥/ ٣٦٦) والوافي (٦/ ١٣٣) وفوات الوفيات (١/ ٤٨ ـ ٤٩) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٨ و٣٣) والدليل الشافي (١/ ٢٥) والدارس (٢/ ٤٣٠) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٨ ـ ٧١٩) .
(١١) أ : وكان يوصف .
(١٢) أ : وانحلال العقيدة ، ب : والعقيدة والله يحكم فيه .

والله يحكم فيه وفي أمثاله بأمره العدل الذي لا يجور ولا يظلم . وفي شعره ما يدل على قلّة عقله ودينه وعدم إيمانه ، واعتراضه على تحريم الخمر ، وأنه قد طال رمضان عليه في تركها وغير ذلك[١] .

الشيخ الإمام العلامة[٢] علاء الدين أبو الحسن علي بن الإمام العلامة[٣] كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأَنصاري الزَّمْلَكاني[٤] [مدرس الأمينية .

وهو والد شيخنا الإمام العلامة كمال الدين بن أبي المعالي محمد بن علي الزَّمْلَكاني[٥]] ، وقد درَّس بعد أبيه المذكور بالأمينية ، وكانت وفاة والده هذا ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الآخر بالأمينية ، ودفن بمقابر الصوفية عند والده .

[بدر الدين الناصري][٦] الأمير الكبير بدر الدين بمكت بن عبيد الله الناصري ، ناظر الرباط بالصالحية ، عن (وصية) أستاذه ، وهو الذي وَلَّى الشيخ شرف الدين[٧] الفزاري مشيخةَ الرباط بعد ابن الشَّرِيشي جمال الدين ، وقد دُفن بالتربة الكبيرة داخل[٨] الرباط المذكور .

الشيخ الإمام [فخر الدين][٩] أبو حفص[١٠] عمر بن يحيى بن عمر الكَرَجي[١١] صهر الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، وأحد تلاميذه ، ولد سنة تسع وتسعين وخمسمئة ، ومات يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر من هذه السنة ، ودُفن إلى جانب ابن الصلاح .

---

(١) ب : وطول تركه لها في رمضان . قال بشار : لكن ترجمة الذهبي له جيدة ، وليس فيها مثل هذا الهجوم .

(٢) ترجمة ـ ابن الزملكاني ـ في العبر (٥/ ٣٦٩) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٦٦٨) وطبقات الإسنوي (٢/ ١٣) والدليل الشافي (١/ ٤٦١) والدارس (١/ ١٩١ و١٩٣ ـ ١٩٤) وشذرات الذهب (٧/ ٧٢٦ ـ ٧٢٧) .

(٣) أ : علي بن الحسن الإمام العلامة كمال الدين عبد الواحد . وفي ب : علي بن الشيخ الإمام .

(٤) « الزملكاني » : نسبة إلى زَمْلَكان أو زَمْلُكا ـ كما كان أهل الشام ينطقونها زمن ياقوت ، وأما اليوم فإنهم يلفظونها (زَمَلْكا) وهي إحدى قرى دمشق وقد اتصل العمار بها حتى أصبحت إحدى ضواحي دمشق . وهي في معجم البلدان (٣/ ١٥٠) وغوطة دمشق (١٧٢) .

(٥) سترد ترجمة كمال الدين بن الزملكاني في وفيات سنة ٧٢٧ من الجزء التالي .

(٦) بمكت ذكر في الدارس (١/ ١١٩) واسمه فيه علي وفي هامشه إشارة إلى الرواية الثانية ، وذكر أيضاً في تاريخ الصالحية (٩٢) ووردت الترجمة في ط موصولة بترجمة ابن الزملكاني ، وكأنهما ترجمة واحدة ، واسمه فيه : علي أيضاً .

(٧) عن ب وحدها ، وسترد ترجمة شرف الدين الفزاري في وفيات سنة ٧٠٥ من الجزء التالي .

(٨) ب : داخله .

(٩) ترجمة ـ فخر الدين الكرجي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٦٩ ـ ٦٧٠) والعبر (٥/ ٣٦٩) والإشارة (٣٧٨) والنجوم (٨/ ٣٣) وشذرات الذهب (٧/ ٧٢٧) .

(١٠) في ب : أبو جعفر ؛ تحريف .

(١١) ط : « الكرخي » وهو تصحيف ، وما هنا من ب ، وكذا هي في مصادر ترجمته ، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام ـ وهو بخطه ـ : « ولد بالكرج سنة تسع وتسعين وخمس مئة ، وقدم دمشق . . . وأجاز لي مروياته » وذكره في معجم شيوخه الكبير (٢/ ١٨١) (بشار) .

الملك العادل بدر الدين سُلامُش(١) بن الظاهر(٢) الذي كان قد بُويع بالملك بعد أخيه الملك السعيد ، وجعل الملك المنصور قلاوون أتابكه ، ثم استقلَّ قلاوون بالملك ، وأرسلهم إلى الكرك ثم أعادهم إلى القاهرة ثم سفَّرهم الأشرف خليل في أول دولته إلى بلاد الأشكري(٣) من ناحية اصطنبول ، فمات سلامش هنالك(٤) وبقي أخوه نجم الدين خضر وأهلوهم بتلك الناحية ، وقد كان سلامش من أحسن الناس(٥) شكلاً وأبهاهم منظراً ، وقد افتُتن به خلقٌ كثير ، [واللُّوطية الذين يُحبّون المُرْدان](٦) ، وشَبَّبَ به الشعراءُ وكان عاقلاً رئيساً مهيباً وقوراً ، رحمه الله .

العفيف التِّلْمِساني(٧) أبو الرَّبيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ياسين العابِدي(٨) الكُومي(٩) ثم التِّلْمِساني .

الشاعر المتقن في علوم(١٠) منها النحو والأدب والفقه والأصول ، وله في ذلك مصنفات ، وله « شرح مواقف النِّفَّري »(١١) و« شرح أسماء الله الحسنى »(١٢) ، وله « ديوان »(١٣) مشهور ، ولولده محمد « ديوان » آخر ، وقد نسب هذا الرجل إلى عظائم في الأقوال(١٤) والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة

---

(١) الضبط من خط الذهبي في تاريخ الإسلام ، وفي النجوم والدليل : سَلاَمُش ، وفي العبر وشذرات الذهب : سُلامِش . وترجمة ـ سلامش ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٥٣) والعبر (٥/ ٣٦٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٨٦ ـ ٢٨٩) والدليل الشافي (١/ ٣١٥) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٩) .

(٢) أ : الملك العادل الظاهر ، وفي ب : الملك بدر الدين سلامش بن الملك الظاهر . وما هنا عن ط .

(٣) المقصود ببلاد الأشكري الأمبراطورية البيزنطية .

(٤) ط : هناك .

(٥) أ ، ب : أحسن الشباب .

(٦) عن ط وحدها .

(٧) ترجمة ـ العفيف التلمساني ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٥٤) والعبر (٥/ ٣٦٧) والإشارة (٣٧٨) والوافي بالوفيات (١٥/ ٤٠٨) وفوات الوفيات (٢/ ٧٢ ـ ٧٦) ومرآة الجنان (٤/ ٢١٦) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٩ ـ ٣١) والدليل الشافي (١/ ٣١٩) والكواكب الدرية للمناوي (٢/ ٨٩ ـ ٩٦) وشذرات الذهب (٧/ ٧١٩ ـ ٧٢١) وجامع كرامات الأولياء (٢/ ٢٠) والأعلام (٣/ ١٩٣) ومعجم المؤلفين (٤/ ٢٧٠) .

(٨) في الدليل الشافي : العائدي ؛ ولعله تحريف .

(٩) ب : الكوفي ، وفي أ : الكركي ، والصحيح ما أثبتّه عن ط وخط الذهبي في تاريخ الإسلام وقد رجحه العلاّمة الزركلي رحمه الله في أعلامه لأنه من قبيلة كومية .

(١٠) أ : المتقن في علوم منها النحو ، وفي ب : الشاعر المتفنن في علوم كثيرة أيضاً منها النحو .

(١١) ط : النفر . وب : النقوي ، وما هنا عن أ . وهو محمد بن عبد الجبار بن الحسن النِّفَّري أبو عبد الله متصوف نسبت إلى النِّفَّر من أعمال الكوفة من كتبه المواقف مطبوع ، توفي سنة ٣٥٤هـ . معجم البلدان (٥/ ٣٥٧) والأعلام (٧/ ٥٥) ومعجم المؤلفين (١٠/ ١٥٥) .

(١٢) ب : شرح الأسماء الحسنى .

(١٣) عن ط وحدها .

(١٤) ب : في الأقوال والأفعال والاعتقاد وشهرته تغني .

والكفر المحض ، وشهرته تغني عن الإطناب في ترجمته ، توفي[١] يوم الأربعاء خامس رجب ودفن بالصوفية ، ويذكر عنه أنه عمل أربعين خلوة كل خلوة أربعون يوماً[٢] متتابعة فالله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمئة

فيها : فُتحت قلعة الروم[٣] . وسلطان البلاد من دنقلة إلى مصر[٤] إلى أقصى بلاد الشام بكماله وسواحله وبلاد حلب وغير ذلك الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور[٥] قلاوون .

ووزيره شمس الدين بن السلعوس .

وقضاته بالشام[٦] ومصرهم المذكورون في التي قبلها[٧] .

ونائب مصر بدر الدين بَيْدَرا[٨] .

ونائب الشام علم الدين سَنْجَر الشُّجَاعي ، وسلطان التتر[٩] بَيْدُو[١٠] بن أرغون بن أبغا ، والعمارة [في الطارمة[١١] ، وفي الدور السلطانية بالقلعة .

وفي الرابع والعشرين[١٢] من المحرم وقع حريقٍ عظيم بقلعة الجبل ببعض] الخزائن أتلف شيئاً كثيراً من الذخائر والنفائس والكتب .

---

(١) ب : وكانت وفاته .

(٢) أ : أربعين خلوة أربعين يوماً ، وط : عمل أربعين خلوة كل خلوة أربعين يوماً متتابعة . قال بشار : هذا الكلام عن عمل الخلوات ذكره شمس الدين الجزري في تاريخه (الورقة ٤٢ من مجلد باريس) ونقله الذهبي عنه ثم عقب عليه فقال : « وهذا الكلام فيه مجازفة ظاهرة ، فإن مجموع ذلك ألف وست مئة يوم ، ولا أدري عمن نقل شمس الدين هذا »! (تاريخ الإسلام ١٥/ ٦٥٥) .

(٣) بعدها في ب : والخليفة الحاكم بأمر الله العباسي أحمد .

(٤) ب : إلى الديار المصرية إلى أقصى بلاد الشام بكماله وسواحله كلها .

(٥) أ : الملك الأشرف بن الملك المنصور .

(٦) أوب : وقضاة الشام .

(٧) ب : في السالفة .

(٨) ط : بندار ؛ تحريف . والترجمة في مختصر أبي الفداء (٤/ ٣٠) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٦ ـ ٢١) .

(٩) ب : وسلطان البلاد .

(١٠) ط : بيدار ؛ تحريف . النجوم الزاهرة (٨/ ٢٩) .

(١١) الطارمة : الحصن المتين في جانبي القلعة .

(١٢) أ : في رابع عشري المحرم .

وفي التاسع والعشرين من ربيع الأول خطب الخليفة الحاكم وحثَّ في خطبته على الجهاد (والنفير) ، وصلّى بهم الجمعة وجهر بالبسملة .

وفي ليلة السبت ثالث عشر صفر جيء بهذا الجُرْن[١] الأحمر الذي بباب البرادة من عكا ، فوضع في مكانه [هنا والمؤذنون والقراء بين يديه والصبيان يعجبون حتى قرر وسقاه وأُجري إليه الماء ، وكان قبله دستاً من نحاس واطيء ، هذا كان جرناً لماء المعمودية تبركاً والله أعلم][٢] .

وفي ربيع الأول[٣] كمل بناء الطارمة وما عندها من الدور[٤] والقبّة الزّرقاء ، وجاءت في غاية الحسن والكمال والارتفاع .

وفي يوم الإثنين ثاني جمادى الأولى ذكر الدرس بالظاهرية الشيخ[٥] صفيّ الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي ، عوضاً عن علاء الدين بن بنت الأعز .

وفي هذا اليوم درس بالدولعية كمال الدين ابن الزكي .

وفي يوم الإثنين سابع جمادى الآخرة دَرَّس بالنجيبية الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الطوسي ، بمقتضى نزول الفاروثي[٦] له عنها . والله أعلم بالصواب .

فتح قلعة الروم

وفي ربيع الأول[٧] منها[٨] توجّه السلطان الأشرف بالعساكر[٩] نحو الشام فقدم دمشق ومعه وزيره ابن

---

(١) ط : الجرز . ما هنا عن أ وب . وفي هذا الخبر ألفاظ وأمور غير مفهومة . قال بشار : الجُرن : الكأس . وقد ذكر الذهبي هذه الحادثة بتفصيل ووضوح ، والظاهر أن هذا الكأس كان من غنائم عكا ، وكان النصارى هناك يستعملونه لحفظ الماء الذي يعمدون به الأطفال ، فاحتفظ به في قلعة دمشق ثم نصب في الجامع الأموي في مكان البرادة التي كانت من نحاس ، قال : « وفي صفر أمر نائب دمشق ، وهو الشجاعي بإنزال الكأس السماقي البراق من القلعة إلى الجامع . . . وقلعت البرادة . . . وهو كأس كأنه هناب مرحرح (أي واسع قصير الجدار) يسع نحو عشرة أرطال ماء أو أقل . وحجره من جنس اللوحين اللذين عن جنبي محراب جامع دمشق ، حجر أملس بَصّاص مانع قليل الوقوع . ثم أجري فيه الماء وسُمرت المغرفتان مع الركن وشربنا منه . ثم أخذوه إلى القلعة ، وعمل في دار السلطنة بعد أيام » (تاريخ الإسلام ١٥/ ٦٧٩) .

(٢) عن ب وحدها .

(٣) ب : الآخر .

(٤) أ ، ب : الآدر السلطانية .

(٥) أ : للشيخ .

(٦) ط : الفارقي ؛ تحريف وستأتي ترجمته في وفيات سنة ٦٩٤ .

(٧) أ : ربيع الآخر .

(٨) عن ط وحدها .

(٩) أ : بالعساكر المنصورة .

السلعوس فاستعرض الجيوش وأنفق فيهم أموالاً جزيلة ، ثم سار بهم نحو بلاد حلب ، ثم إلى قلعة الروم فافتتحها بالسيف قهراً في يوم السبت حادي عشر رجب ، وجاءت البشارة بذلك إلى[١] دمشق ، وزُيّنت البلد سبعة أيام وبارك الله لجيش[٢] المسلمين في سعيهم ، وكان يوم السبت إلباً على أهل يوم الأحد ، وكان الفتح بعد حصار عظيم جداً ، مدة ثلاثين يوماً ، وكانت المنجنيقات تزيد على ثلاثين منجنيقاً ، واستشهد من الأمراء شرف الدين بن الخطير ، وقد قتل من أهل البلد خلق كثير وغنم المسلمون منها شيئاً كثيراً ، ثم عاد السلطان إلى دمشق وترك الشُّجاعي بقلعة الروم[٣] يعمرون ما وَهَى من قلعتها بسبب رمي المنجنيقات عليها وقت الحصار[٤] ، وكان دخوله إلى دمشق بكرةَ يوم الثلاثاء تاسع عشر شعبان ، فاحتفل الناس لدخوله ودعوا له وأحبوه ، وكان يوماً مشهوداً بسط له كما يبسط له إذا قدم من الديار المصرية ، وإنما كان ذلك بإشارة ابن السلعوس ، (فهو أول من بسط له) ، وقد كسر أبوه التتر على حمص ولم[٥] يبسط له ، وكذلك الملك الظاهر كسر التتر والروم على البلستين[٦] ، وفي غير موطن ولم يبسط له ، وهذه بدعة شنعاء قد أحدثها هذا الوزير للملوك ، وفيها إسراف وضياع مال وَأَشَر وَبَطَر ورياءٌ وتكليف للناس ، وأخذُ أموالٍ ووضعُها في غير مواضعها ، والله سبحانه سائله عنها ، وقد ذهب وتركها يتوارثها الملوك والناس عنه ، وقد حصل للناس بسبب ذلك ظلمٌ عظيم ، فليتَّقِ العبدُ رَبَّه ولا يُحْدِث في الإسلام بسبب هواه ومراد نفسه ما يكون سببَ مقتِ اللهِ له ، وإعراضه عنه ، فإن الدنيا لا تدوم لأحد ، ولا يدوم أحد فيها والله سبحانه أعلم .

وكان ملك قلعة الروم مع السلطان أسيراً ، وكذلك رؤوس أصحابه ، فدخل بهم دمشق وهم يحملون رؤوس أصحابهم على رؤوس الرماح[٧] ، وجهَّز السلطان طائفةً من الجيش نحو جبل كسروان والجرد بسبب ممالأتهم للفرنج[٨] قديماً على المسلمين ، وكان مقدم العساكر بَيْدَرا[٩] وفي صحبته سُنْقُر الأَشْقَر ، وَقَرَا[١٠] سُنْقُر المَنْصوري الذي كان نائب حلب فعزله عنها السلطان وولي مكانه سيف الدين بَلَبَان

---

(١) ب : وجاءت البطائق والبريدية إلى دمشق فدقت البشائر وزين البلد .

(٢) أ : وبارك الله لخميس المسلمين .

(٣) ب : وترك الشجاعي في طائفة من الجيش .

(٤) ب : ما وهي من القلعة بسبب ما كان ينالها من المنجنيقات وكان دخلوه .

(٥) ب : ولما عاد ولم يبسط له وكذلك الملك الظاهر لما .

(٦) ب : على البلستين في سنة خمس وسبعين لم يبسطوا له أيضاً وكان ملك قلعة الروم وهو خليفة الأرمن منه أسيراً .

(٧) ب : وكذلك رؤوس أصحابه معه يحملون رؤوس أصحابهم على رؤوس الرماح ولله الحمد .

(٨) أ : للإفرنج .

(٩) ط : بندار .

(١٠) أ ط : واقر ؛ والتصحيح عن الأصلين .

الطَّبَّاخي[١] المنصوري ، وجماعة آخرون من الأمراء الكبار[٢] فلما أحاطوا بالجبل ، ولم يبق إلا دمار أهليه[٣] حملوا في الليل إلى بَيْدرا حملاً كثيراً ففتر في قضيتهم ، ثم انصرف الجيوش عنهم وعادوا إلى السلطان[٤] ، فتلقاهم السلطان وترجل السلطان إلى الأمير[٥] بَيْدرا وهو نائبه على مصر ، وثم ابن السلعوس نبه السلطان على فعل بَيْدرا فلامه وعنفه ، فمرض من ذلك مرضاً شديداً أشفى به على الموت حتى قيل إنه مات[٦] ثم عُوفي فعمل ختمة عظيمة بجامع دمشق حضرها القضاة والأعيان ، وأُشعل[٧] الجامع نظير ليلة النصف من شعبان ، وكان ذلك ليلة العشر الأول من رمضان ، وأطلق السلطان على أهل الحبوس[٨] وترك بقية الضمان عن أرباب الجهات السلطانية ، وتصدَّق عنه بشيء كثير ، ونزل هو عن ضمانات كثيرة كان قد حاف[٩] فيها على أربابها ، وقد امتدح الشهاب محمود[١٠] الملك الأشرف خليل على فتحه قلعة الروم بقصيدة هائلة فاضلة أولها[١١] : [من الطويل]

لَكَ الرَّايَةُ الصَّفْراءُ يقدمُها النصرُ ... فمن كَيْقَبَاذ إنْ رآها وكيخسرو
إذا خَفَقَتْ في الأُفْقِ هدّتْ بنورها[١٢] ... هَوَى الشِّركُ واستعلى الهُدى وانْجَلَى الثَّغْرُ
وإن نشرت مثل الأصائلِ في وغى[١٣] ... جَلَى النَّقْعَ مِنْ لألاءِ طَلْعَتِها البَدْرُ
وإن يَمَّمَتْ زُرْقَ العِدَى سارَ تحتها ... كتائبُ خُضْرٌ دَوْحُها البِيضُ والسُّمرُ[١٤]

(١) أ ط : البطاجي ، والخبر في الدليل الشافي (١/ ١٩٨) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٩٤) .
(٢) ب : من كبار الأمراء .
(٣) أ ، ب : دمار أهله .
(٤) ب : عادوا إلى دمشق .
(٥) أ : للأمير .
(٦) ب : بدر الدين بيدرا وهو نائبه على الديار المصرية ثم إن الوزير ابن السلعوس نبه السلطان على ما فعل بيدرا فلامه وعنفه فمرض من ذلك مرضاً أشرف منه على الموت حتى قيل إنه سقي .
(٧) ط : وأشغل . وما هنا عن الأصلين .
(٨) ب : أطلق السلطان أهل الجيوش ؛ وفي هذه الرواية نقص وتحريف .
(٩) أ ، ب : خاف ؛ تحريف .
(١٠) هو محمود بن سلمان بن فهد شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي الدمشقي الحنبلي توفي سنة ٧٢٥ . فوات الوفيات (٤/ ٨٢ ـ ٩٦) والأبيات في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٥٤ ـ ٣٥٥) ، وأكثرها في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٨٤ ـ ٦٨٥) .
(١١) ب : وقد امتدح الشهاب محمود الأشرف على فتحه قلعة الروم بقصيدة هائلة فاضلة طائلة أولها : .
(١٢) أ : هدّت بنودها .
(١٣) ط : مثل الأصائيل في الوغى ، وما هنا عن أ و ب .
(١٤) أ : زرق الهدى . . . خضر درجها البعض بالسمر .

كَـأَنَّ مُثَـارَ النَّقْـعِ ليـلٌ وَخفقهَـا ... بُـرُوقٌ وأَنْـتَ البَـدْرُ والفَلَـكُ الحَتْـرُ(١)
وفَتْـحٌ أَتَـى فـي إِثْـرِ فَتْـحٍ كَـأَنَّمـا ... سَمـاءٌ بَـدَتْ تَتْـرى كـواكبُهـا الـزُّهْـرُ
فكم وطئت(٢) طَوْعاً وكَرْهاً مَعاقِلاً ... مَضَى الدَّهْرُ عَنْها وَهْيَ عَانِسَةٌ بِكرُ(٣)
بَـذَلْـتَ لهـا عَـزْمـاً فَلَـوْلا مَهَـابـةٌ ... كَسَاهَا الحَيَا جاءَتْكَ تَسْعَى وَلاَ مَهْرُ
قَصَدْتَ حِمىً مِنْ قَلْعَةِ الرُّومِ لم يُبَحْ(٤) ... لِغَيْـرِكَ إذْ غَـرَّتْهـمُ المَغْـلُ فَـاغْتَـرُّوا
وَوَالَـوهـمُ سِـرَّاً ليُخْفُـوا أذاهـمُ ... وفي آخِرِ الأَمْرِ اسْتَوَى السِّرُّ والجَهْرُ
صَـرَفْـتَ إِلَيْهِـمْ هِمَّـةً لَـوْ صَـرَفْتَهَـا ... إلى البَحْرِ لاسْتَوْلَى عَلَى مَدِّهِ الجَزْرُ
وَمَـا قَلْعـةُ الـرُّومِ الَّتـي حُـزْتَ فَتْحَهـا ... وإِنْ عَظُمَـتْ إلاّ إلـى غَيْـرِهـا جِسْـرُ
طَلِيعَـةُ ما يَـأْتي مِـنَ الفَتْـحِ بَعْـدَهَـا(٥) ... كما لاَحَ قَبْلَ الشَّمْسِ في الأُفُقِ الفَجْرُ
فَصبَّحْتَهـا بـالجَيْـشِ كـالـرَّوْضِ بَهْجَـةً ... صَـوَارِمُـهُ أَنْهَـارُهُ والقَنَـا الـزُّهْـرُ
وَأَبْعـدْتَ بـل كـالبَحْـرِ والبيضُ مَـوْجُهُ ... وجُـرْدُ المَـزاكـي السُّفـنُ والخُـوَذُ الـدُّرُّ
وأَغْـرَبْـتَ بَـلْ كـاللَّيْـلِ عـوج سُيـوفُـهُ ... أهِلَّتُـهُ والنَّبْـلُ أَنْجُمُـهُ الـزُّهْـرُ
وأخطـأت(٦) لا بَـلْ كـالنَّهـارِ شُمُـوسُـهُ ... مُحَيَّـاكَ والآصـالُ رايـاتُـكَ الصُّفْـرُ
لُيُـوثٌ مـن الأَتْـراكِ آجـامُهـا القنـا ... لهـا كُـلَّ يَـوْمٍ فـي ذُرى ظَفَـرٍ ظُفْـرُ
فَلاَ الرِّيحُ يَجْري(٧) بَيْنَهمْ لاشْتباكِها ... عَلَيْهـم ولا يَنْهَـلُّ مِـنْ فَـوْقِهِـمْ قَطْـرُ
عُيونٌ(٨) إذا الحَرْبُ العوانُ تَعَرَّضَتْ ... لخُطَّـابهـا(٩) بـالنَّفْـسِ لـم يَغْلُهـا مَهْـرُ
تَـرَى المَـوْتَ مَعْقُـوداً بهُـدْبِ نِبـالِهِـمْ ... إذا ما رَمَاها القَوْس(١٠) والنَّظَرُ الشَّزْرُ
فَفي كُلِّ سَرْجٍ(١١) غُصْنُ بانٍ مُهَفْهَفٌ ... وَفـي كُـلِّ قَـوْسٍ مَـدَّهُ سـاعِـدٌ بَـدْرُ

---

(١) أ : الفلك الحَتْر ، والحَتْر ما ارتفع من الأرض . القاموس (حتر) والمقصود هنا الفلك العالي .
(٢) ط : فكم فطمت ، وأ : فكم قطمت .
(٣) أ : وهي عابسة نكر ؛ تحريف .
(٤) ط : لم يتح ؛ وهو تحريف .
(٥) ب : بعده * كما لاح .
(٦) في الأصول : ولحظات . وما هنا عن المختار من تاريخ ابن الجزري وفيه : فشمسه .
(٧) المختار : تسري .
(٨) أ : غيوث .
(٩) المختار : لخطبها ؛ ولا يستقيم الوزن بها فلتصحح .
(١٠) المختار : القوى ؛ ولا يستقم الوزن بها فلتصحح .
(١١) ط : كل سرحٍ ؛ تحريف .

إِذَا صَـدَمُـوا شُـمَّ الجِبـالِ تَـزَلْـزَلَـتْ وَأَصْبَحَ سَهْلاً تَحْتَ خَيْلِهِم الوَعْرُ(١)
وَلَوْ(٢) وَرَدَتْ ماءَ الفُراتِ خُيولُهُمْ لَقِيـلَ هُنـا قَـدْ كـانَ فيما مَضَـى نَهْـرُ
أَدارُوا بها سُوراً فَأَضْحَتْ كخاتمٍ لدى(٣) خِنْصِرٍ أَوْ تَحْتَ مِنْطَقَةٍ خَصْرُ
وَأَرْخَـوْا إِلَيْهـا مِـنْ أَكُـفِّ بِحـارِهِـمْ سَحَابَ رَدىً لم يَخْلُ من قَطْرِهِ قَطْرُ
كَأَنَّ المجانيقَ التي قُمن(٤) حَوْلَها رَوَاعِـدُ سُخْطٍ وَبْلُها النّارُ والصَّخْـرُ
أقامَتْ صَلَاةَ الحَرْبِ لَيْلاً صُخُورُها فـأَكْثَـرُهـا شَفْـعٌ وَأَكْبَـرُهـا وِتْـرُ
وَدارَتْ بها تِلْكَ النُّقُوبُ فأَسْرفتْ(٥) وَلَيْسَ عَلَيْها في الذي فَعَلَتْ حَجْرُ
فَأَضْحَتْ بها كالصَّبِّ يُخْفي غَرامَهُ حَـذَارَ أَعـادِيـهِ وفـي قَلْبِـهِ جَمْـرُ
وَشَبَّـتْ بهـا النِّيـرانُ حَتَّـى تَمَـزَّقَـتْ وَبـاحَـتْ بمـا أَخْفَتْهُ وانْهَتَكَ السِّتْـرُ
فَلاذُوا بِذَيلِ العَفْوِ مِنْكَ فَلَمْ تُجِبْ(٦) رَجاءَهُمُ لَوْ لَمْ يشب قَصْدَهُم مَكْرُ
وَمَـا كَـرِهَ المُغْـلُ اشْتِغـالَـكَ عَنْهُـمُ بهـا عِنْـدَمـا فَـرُّوا ولكِنَّهـم سُـرُّوا
فَأَحْرَزْتَها بالسَّيْفِ قَهْراً(٧) وهٰكذا فُتُـوحُـكَ فيمـا قَـدْ مَضَـى كُلُّـهُ قَسْـرُ
وَأَضْحَـتْ بِحَمْـدِ اللهِ ثَغـراً مُمَنَّعـاً تبيـدُ اللَّيـالـي والعِـدَى وَهْـو مُفْتَـرُّ
فَيـا أَشْـرَفَ الأَمْـلاكِ فُـزْتَ بغَـزْوَةٍ تَحَصَّلَ منها الفَتْحُ والذِّكْرُ والأَجْرُ
لِيَهْنِيـكَ عِنْـدَ المُصْطَفَـى أَنَّ دِينَـهُ تَـوالَـى لـه فـي يُمْـن دَوْلَتِـكَ النَّصْـرُ
وَبُشْراكَ(٨) أَرضَيْتَ المَسِيحَ وَأَحْمَداً وإن غَضِبَ اليَعفُورُ(٩) من ذاكَ والكُفْرُ
فَسِرْ حَيْثُ ما تَخْتارُ فالأَرْضُ كُلُّها تطيعكَ(١٠) والأَمْصارُ أَجْمَعُها مِصْرُ
وَدُمْ وَابْقَ للدُّنْيا لِيَحْيا بكَ الهُدَى ويَزْهَى على مَاضِي العُصُورِ بكَ العَصْرُ

حذفت منها أشياء كثيرة .

---

(١) أ : وعر .
(٢) المختار : فلو .
(٣) المختار : كخنصر لدى خاتم ، وفي أ ، ب : لذي .
(٤) ب : ترم حولها .
(٥) أ : فأشرفت .
(٦) أ : فلم يخب * رجاهم ولو .
(٧) أ : قسراً .
(٨) في المختار : فبشرك . . .
(٩) وإن غضب التكفور .
(١٠) أ والمختار : بحكمك ، وفي ب : بملكك .

وفيها : تَوَلَّى خطابة دمشق الشيخ عز الدين (أحمد) الفاروثي الواسطي بعد وفاة زين الدين بن المُرحّل وخطب واستسقى بالناس فلم يُسْقَوْا ، ثم خطب مرة ثانية بعد ذلك بأيام عند مسجد القدم ، فلم يُسْقَوا[١] ثم ابتهل الناس (من غير دعاية واستسقاية) فسقوا ، ثم عزل الفاروثي بعد أيام بالخطيب موفق الدين أبي المعالي محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم بن حسن المهراني الحموي ، كان خطيب[٢] حماة ثم نقل[٣] إلى دمشق في هذه السنة ، فقام[٤] وخطب وتألم الفاروثي لذلك ودخل على السلطان واعتقد أن الوزير عزله من غير علمه ، فإذا هو قد شعر لذلك واعتذر بأنه إنما عزله لضعفه ، فذكر له أنه يُصلّي ليلةَ النصف مئة ركعة بمئة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فلم يقبلوا واستمروا بالحموي . (وهذه دناءة[٥] وقلة عقل وعدم إخلاص من الفاروثي ، وأصاب السلطان في عزله) .

وفي هذا اليوم قبض السلطان على الأمير سُنْقُر الأشقر[٦] وغيره فهرب هو والأمير حسام الدين لاجين (السلحدار) ، فنادت عليه المنادية بدمشق من أحضره فله ألف دينار ، ومن أخفاه شُنق ، وركب السلطان ومماليكه في طلبه ، فلم [يقعوا له على خبر ودخل يوم العيد والسلطان والمماليك في طلبه][٧] ، وصلى الخطيب بالناس في الميدان الأخضر ، وعلى الناس كآبةٌ بسبب تفرّق الكلمة ، واضطراب الجيش ، واختبط الناس ، فلما كان سادس شوال أمسكت العرب سُنْقُر الأَشْقَر فردُّوه على السلطان فأرسله مقيداً إلى مصر[٨] .

وفي هذا اليوم ولى السلطان نيابةَ دمشق لعز الدين أيبك الحموي ، عوضاً عن الشّجاعي ، وقدم الشجاعي من الروم ثاني يوم عزله[٩] فتلقّاه الفاروثي فقال[١٠] : قد عزلنامن الخطابة ، فقال ونحن من النيابة ، فقال الفاروثي ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٩] فلما بلغ ذلك ابن السَّلْعُوس تَغضَّبَ عليه وكان قد عَيّنَ له القيمرية فترك ذلك ، وسافر

---

(١) أ : عند مسجد فلم يسقوا .
(٢) ب : كان خطيبها .
(٣) أ : ثم انتقل إلى دمشق .
(٤) ب : في هذه الأيام قام وخطب .
(٥) أ : فلم تصلوا ذلك واستمروا بالحموي وهذه دناءة بشعة وقلة .
(٦) ب : الأمير سيف الدين سنقر الأشقر .
(٧) ما بين الحاصرتين عن ب وحدها .
(٨) ب : إلى الديار المصرية .
(٩) ب : في هذا اليوم الثاني من عزله .
(١٠) أ : وقال .

السلطان عاشر شوال إلى مصر(١) فدخلها في أُبَّهة الملك ، وفي يوم دخوله أقطع قرا سُنْقُر مئة فارس بمصر عوضاً عن نيابة حلب .

وفي هذه السنة اشترى الأمير سيف الدين طُغْجي الأَشْرفي(٢) قيسارية القطن المعروفة بإنشاء الملك المعظم بن العادل من بيت المال ، بمرسوم من السلطان ، وكان حظياً عنده ، ونقل سوق الحريريين تلك المدة إليها(٣) ، وكان السلطان قد أفرج عن علم الدين الدويداري(٤) بعد رجوعه من قلعة الروم واستحضره إلى دمشق وخلع عليه واستصحبه معه إلى القاهرة(٥) ، وأقطعه مئة فارس ، وولاه شد الدواوين مُكْرهاً .

وفي ذي(٦) القعدة استحضر السلطان سُنْقُر الأشقر وطُقْصُو فعاقبهما فاعترفا بأنهما أرادا قتله ، فسألهما عن لاجين فقالا : لم يكن معنا ولا علم (له) بهذا ، فخنقهما وأطلقه بعد ما جعل(٧) الوتر في حلقه ، وكان قد بقي له مدة لا بد أن يبلغها(٨) ، وقد ملك بعد ذلك كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفي ذي الحجة عقد الشيخ برهان الدين بن الشيخ تاج الدين عقده على بنت(٩) قاضي القضاة شهاب الدين الخُويّي بالبادرائية ، وكان حافلاً .

وفيها : دخل الأمير سُنْقُر الأعسر على بنت الوزير شمس الدين بن السَّلْعوس على صَدَاقِ ألفِ دينارٍ ، وعَجَّلَ لها خمسمئة .

وفيها : قفز جماعة من التتر نحواً من(١٠) ثلاثمئة إلى(١١) الديار المصرية فأكرموا .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخطيب الإمام العالم زين الدين أبو حفص(١٢) عُمر بن مَكّي بن عبد الصمد الشافعي المعروف بابن

---

(١) أ : إلى الديار المصرية .
(٢) ط : طغاي الأشقري ، والمثبت عن أ وب هو موافق لما في النجوم الزاهرة (٨/١٨٣) والدليل الشافي (١/٣٦٥) .
(٣) ب : إليها تلك المدة . وفي أ : تلك المدة وكان السلطان .
(٤) أ : الدواداري ، وب : علم الدواداري .
(٥) ب : إلى الديار المصرية .
(٦) ب : وفي أواخر ذي القعدة .
(٧) ب : بعد ما كان الوتر في حلقه .
(٨) ب : وكان قدر له مدة لا بد منها أن يبلغها .
(٩) ب : عقِدَ عَقْدُ الشيخ برهان الدين بن الشيخ تاج الدين على بنت .
(١٠) أ ، ب : من التتر نحو ثلاثمائة .
(١١) ب : نحو الديار المصرية .
(١٢) ترجمة ـ ابن المرحل ـ في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٥٧) وفيه : أحمد بن أبي بكر بن مكي . والإعلام =

المُرَحِّل ، وهو والد الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، سمع الحديث وبرع في الفقه وفي علوم شتى ، منها علم الهيئة وله فيه مصنف ، تولى خطابة دمشق ودرس وأفتى ، توفي[١] ليلة السبت الثالث والعشرين[٢] من ربيع الأول ، وصَلَّى عليه من الغد بباب الصغير[٣] الشيخ عز الدين الفاروثي[٤] ؛ وولي الخطابة قليلاً ثم عزل ثم مات[٥] ، ودفن بباب الصغير عفا الله عنا وعنه[٦] .

الصَّاحِب فَتْحُ الدِّين أبو عبد الله[٧] محمد بن مُحيي الدين عبد[٨] الله بن عبد الظَّاهر .

كاتبُ الأسرار في الدولة المَنْصورية بعد ابن[٩] لقمان حين تولّى الوزارة . وكان ماهراً في هذه الصناعة ، وحظيَ عند المنصور وكذا عند ابنه الأشرف ، وقد طلب منه ابن السَّلْعوس أن يقرأ عليه كل ما يكتبه ، فقال : هذا لا يمكن فإن أسرار[١٠] الملوك لا يطلع عليها غيرهم ، وأبصروا لكم غيري يكون معكم بهذه المثابة ، فلما بلغ ذلك الأشرف أعجبه[١١] منه وازدادت عنده منزلته ، توفي يوم السبت نصف رمضان ، وأخرجت في تركته قصيدة[١٢] قد رثا بها تاج الدين ابن الأثير وكان قد شوش[١٣] فاعتقد أنه يموت فعوفي فبقيت بعده[١٤] ، وتولى ابن الأثير بعده ورثاه تاج الدين كما رثاه وتوفي[١٥] ابن الأثير بعده بشهر وأربعة أيام رحمهما الله .

= بوفيات الأعلام (٢٨٩) والعبر (٥/ ٣٧٣) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٧٩) والنجوم الزاهرة (٨/ ٣٦) والدليل الشافي (١/ ٥٠٧) وطبقات الإسنوي (٢/ ٤٥٩) والدارس (١/ ٢٣٨) وشذرات الذهب (٧/ ٧٣١) .

(١) ب : وله فيه تصانيف تولى خطابة جامع دمشق ودرس وأفتى وكانت وفاته .

(٢) أ : ثالث عشر ربيع الأول .

(٣) ب وط : بباب الخطابة . وما هنا عن أ .

(٤) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٦٩٤ من هذ الجزء .

(٥) ب : وولي الخطابة قليلاً ثم عزل ثم أعيد .

(٦) ظن طابعو (ط) أن هذه ترجمة جديدة لعز الدين الفاروثي ، فأفردوها عن سائر الترجمة ، وهو تخليط قبيح ، وإنما ذكر المؤلف أن الفاروثي صلَّى على ابن المرحل ، وستأتي ترجمة عز الدين الفاروثي في وفيات سنة ٦٩٤ من هذا الجزء ، على أن في العبارة اضطراب (بشار) .

(٧) ترجمة ـ الصاحب بن عبد الظاهر ـ في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٥٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٣٦) والنجوم (٨/ ٣٥ و٣٦) والدليل الشافي (٢/ ٦٢٢) وشذرات الذهب (٧/ ٧٣١) .

(٨) ط : محمد بن محيي الدين بن عبد الله ، وفيها زيادة .

(٩) ترجمة ـ ابن لقمان ـ في وفيات سنة ٦٩٣ .

(١٠) أ : سرار .

(١١) ب : وابصروا لكم غيري بهذه المثابة فلما بلغ الملك الأشرف ذلك أعجبه منه .

(١٢) ب : وكانت وفاته يوم السبت المنتصف من رمضان ووجد في تركته قصيدة .

(١٣) أ : قد رثاه بها تاج الدين بن الأثير قد تشوّش .

(١٤) أ ، ب : عنده .

(١٥) أ ، ب : ثم توفي .

يونس بن علي[١] بن رضوان بن قرسق[٢] الأمير عماد الدين .

كان أحد الأمراء بطبلخانة[٣] في الدولة الناصرية ، ثم حمل وبطل الجندية بالكلية في الدولة المظفرية وهَلمَّ جَرّا إلى هذه السنة ، وكان الظاهر يكرمه ، توفي[٤] في شوال ودُفن عند والده بتربة الخريميين[٥] ، رحمهم الله .

جلال الدين الخَبَّازي[٦] عمر بن محمد بن عمر أبو محمد الخُجَنْدي .

أحد مشايخ الحنفية الكبار ، أصله من بلاد ما وراء النهر (من بلد يقال لها خُجَنْدَة)[٧] ، واشتغل هناك ودرَّس بخوارزم ، وأعاد ببغداد ، ثم قدم دمشق فدرس بالعزية البرّانية والخاتونية البرانية ، وكان فاضلاً بارعاً[٨] مُنْصِفاً مُصَنِّفاً في فنون كثيرة ، توفي[٩] لخمس بقين من ذي الحجة منها[١٠] ، وله ثنتان وستون سنة ، ودفن بالصوفية[١١] ، رحمه الله .

الملك المظفر[١٢] قرا أرسلان الأَرْتُقي[١٣] ، صاحب ماردين .

توفي وله ثمانون سنة وقام بعده ولده شمس (الدين) داود ولقب[١٤] بالملك السعيد والله سبحانه أعلم .

---

(١) ترجمة ـ الأمير عماد الدين يونس ـ في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٥٦) ، وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٤٠) .
(٢) ط : « برقش » وهو تحريف ، وما هنا من تاريخ ابن الجزري (١/الورقة ٨٤ من مجلد باريس) والمختار منه (٣٥٦) ، وخط الذهب في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٤٠) (بشار) .
(٣) أ ، ب : الطبلخانة .
(٤) ب : إلى هذا الحين وكان الظاهر يكرمه وتوفي .
(٥) في ط : الخزيميين ، وما هنا من خط الذهبي .
(٦) ترجمة ـ جلال الدين الخبازي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٢٦) والجواهر المضية (٢/ ٦٦٨ ـ ٦٦٩) والدليل الشافي (١/ ٥٠٥) وتاج التراجم (١٦٤) والدارس (١/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥) وشذرات الذهب (٧/ ٧٣٠ ـ ٧٣١) .
(٧) خُجَنْدة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطىء سيحون بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً . معجم البلدان (٣/ ٣٤٧) وقال كي لسترنج : أول مدن فرغانة من الغرب إذا جئت من سمرقند تقوم على ضفة سيحون اليسرى وعلى فراسخ من جنوبها كغد وهي ربضها . بلدان الخلافة (٥٢٢) .
(٨) ب : بارعاً فاضلاً .
(٩) ب : وكانت وفاته .
(١٠) ب : من هذه السنة .
(١١) ب : ودفن بمقابر الصوفية .
(١٢) ترجمة ـ الملك المظفر ـ في تلخيص مجمع الآداب (٤/ الترجمة ٢٢٩٠) ، وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٣٥) والدليل الشافي (١/ ٥٣٦) .
(١٣) ط : الإفريقي ، تحريف .
(١٤) ب : توفي في هذه السنة وله ثمانون سنة وقام بعده ولده شمس الدين داود وتلقب بالملك .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمئة

في تاريخ ظهير الدين الكازَرُوني[١] : ظهرت[٢] نار بأرض المدينة النبوية في هذه السنة نظير ما كان في سنة أربع وخمسين على صفتها ، إلا أن هذه النار كان يعلو لهيبها كثيراً[٣] ، وكانت تحرق الصخر ولا تحرق السعف ، واستمرت ثلاثة أيام .

[استُهِلَّتْ هذه السنة والخليفةُ الحاكم العباسيُّ وسلطانُ البلاد الملكُ الأشرفُ بن المنصور ونائبُه بمصر بدر الدين بَيْدَرا ، وبالشام عزّ الدين أَيْبَك الحموي ، وقضاة مصر والشام هم الذين كانوا في التي قبلها ، والوزير شمس الدين بن السَّلْعوس][٤] .

وفي جمادى الآخرة قدم الأشرف دمشق فنزل في القصر الأبلق والميدان الأخضر ، وجَهَّز الجيوش وتهيَّأ لغزو بلاد سيس ، وقدم في غضون ذلك[٥] رسل صاحب بلاد سيس يطلبون الصلح ، فشفع[٦] الأمراء فيهم فسلموا بَهَسْنَا[٧] وتلَّ حَمْدُون[٨] ومَرْعَش[٩] ، وهي أكبرُ بلادهم وأحسنها وأحصنُها ، وهي في فم الدَّرَبَنْد[١٠] ، ثم ركب السلطان في ثاني رجب نحو سلمية بأكثر الجيش صورة أنه يريد أن يصيب الأمير حسام الدين لاجين ، فأضافه الأميرُ مُهنّا بن عيسى ، فلما انقضت الضيافةُ أمسكَ له حسام الدين لاجين ، وكان عنده ، فجاء به فسجنه في قلعة دمشق وأمسك مهنا بن عيسى وولى مكانه محمد بن علي بن حُذَيْفة[١١] ، ثم أرسل السلطان جمهور الجيش بين يديه إلى الديار المصرية صحبة نائبه بَيْدَرا ، ووزيره ابن السَّلْعوس ، وتأخر هو في خاصكيته ثم لحقهم .

---

(١) الكازروني علي بن محمد بن محمود المتوفي سنة سبع وتسعين وستمئة . الدليل الشافي (١/ ٤٧٤) .

(٢) ب : أنه ظهرت .

(٣) ب : إلا أن هذه يعلو لهبها كثيراً .

(٤) أ : استهلت هذه السنة والدولة المذكورين هم الذين كانوا في التي قبلها .

(٥) أ ، ب : في عيون ذلك .

(٦) ب : فشفعت .

(٧) بَهَسْنا : قلعة في شمال حلب على نحو أربع مراحل منها ، بقرب مرعش وسميساط . معجم البلدان (١/ ٥١٦) وصبح الأعشى (٤/ ١٢١) .

(٨) تل حمدون : قلعة حصينة ببلاد الأرمن وبينها وبين سيس نحو مرحلتين . صبح الأعشى (٤/ ١٣٦) . والنجوم الزاهرة (٨/ ١٤) .

(٩) مَرْعَش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم . معجم البلدان (٥/ ١٠٧) .

(١٠) دَرَبَنْد : هو باب الأبواب . معجم البلدان (٣/ ٤٤٩) و(١/ ٣٠٣) .

(١١) ب : لاجين وجاء به فسجن في قلعة دمشق وإلى السلطان من بني عمه محمد بن علي بن حذيفة .

وفي المحرم (منها) حكم القاضي حسام الدين الرازي الحنفي بالتشريك[١] بين العلويين والجعفريين في الدباغة التي كانوا يتنازعونها من مدة مئتي سنة ، وكان ذلك يوم[٢] الثلاثاء سادس عِشْري المحرم ، بدار العدل ، ولم يوافقه ابن الخُوَيّي ولا غيره ، وحكم للاعناكيين[٣] بصحة نسبهم إلى جعفر الطيار .

وفيها : رسم الأشرف بتخريب قلعة الشوبك فهدمت[٤] ، وكانت من أحصن القلاع وأمنعها وأنفعها ، وإنما خربها عن رأي[٥] عتبة العقبي ، ولم ينصح للسلطان فيها ولا للمسلمين[٦] ، لأنها كانت شجًى في حلوق الأعراب الذين هناك .

وفيها : أرسل السلطان الأمير علم الدين الدويداري[٧] إلى صاحب القسطنطينية وإلى أولاد بركة ومع الرسول تحفاً كثيرة[٨] جداً ، فلم يتفق خروجه حتى قتل السلطان فعاد إلى دمشق[٩] .

وفي عاشر جمادى الأولى درَّس القاضي إمام الدين القزويني بالظاهرية البرانية . وحضر عنده القضاة والأعيان .

وفي الثاني[١٠] والعشرين من ذي الحجة يوم الإثنين طَهَّر (الملك) الأشرف أخاه الملك الناصر محمد وابن أخيه الملك المعظم مظفر الدين موسى بن الصالح علي بن المنصور ، وعمل مهم عظيم ، ولعب الأشرف بالقبق وتمت (لهم) فرحة هائلة ، كانت كالوداع لسلطنته[١١] من الدنيا .

وفي أول المحرم دَرَّس[١٢] الشيخ [شمس الدين بن غانم بالعصرونية .

وفي مستهل صفر درس الشيخ][١٣] كمال الدين ابن الزَّمْلَكاني بالرَّواحية عوضاً عن نجم الدين بن مكي بحكم انتقاله إلى حلب وإعراضه عن المدرسة المذكورة .

---

(١) أ : الحنفي بالشركة بين العلويين .
(٢) ب : كانوا يتنازعون فيها من مدة مئتي سنة وكان حكم الحنفي يوم الثلاثاء .
(٣) اللاعنة فرقة من الرافضة وهم الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير وأبا موسى الأشعري وعائشة . معجم الفرق الإسلامية (٢٠٥) .
(٤) ب : فحربت .
(٥) أ ، ب : عن أبي عتبة .
(٦) أ ، ب : ولا المسلمين من ذلك .
(٧) أ : الدواداري .
(٨) أ ، ب : ومعه تحف كثيرة .
(٩) ب : فعاد إلى دمشق مكرماً .
(١٠) ب : وفيها في الثاني .
(١١) ب : لسلطنة الأشرف من الدنيا .
(١٢) ب : درّس بالعصرونية .
(١٣) مستدرك في هامش أ .

ودخل الركب الشامي في آخر[١] صفر .

وكان ممن حجَّ في هذه السنة :

الشيخ تقيّ الدين بن تَيْمِيَّة رحمه الله ، وكان أميرهم الباسطي ونالهم في معان ريحٌ شديدة جداً مات بسببها جماعة ، وحملت الريح جمالاً عن أماكنها ، وطارت العمائم (عن الرؤوس) ، واشتغل كل أحد بنفسه .

وفي صفر (منها) وقع بدمشق بردٌ عظيمٌ أفسد شيئاً كثيراً من المغلات بحيث بيع القمح كل عشرة[٢] أواق بدرهم ، ومات شيء كثير من الدواب .

وفيه زلزلت ناحية الكرك وسقط من تلفيتا أماكن كثيرة[٣] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الأُرْمَوي[٤] الشيخ الصالح القدوة العارف أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله بن يوسف[٥] بن يونس بن إبراهيم بن سُليمان[٦] الأرموي ، المقيم بزاويته بسفح قاسيون ، كان فيه عبادة وانقطاع وله أوراد وأذكار ، وكان مُحَبّباً إلى الناس ، توفي بالمحرم ودفن عند والده بالسفح .

ابن الأعمى صاحب المقامة الشيخ ظَهير الدين محمد بن المبارك بن سالم بن أبي الغنائم الدمشقي المعروف بابن الأعمى ، ولد سنة عشرة وستمئة ، وسمع الحديث وكان فاضلاً بارعاً ، له قصائد يمتدح بها رسول الله ﷺ ، سَمَّاها « الشفعية »[٧] ، عدد كل قصيدة اثنان وعشرون بيتاً . قال البرزالي : سمعته وله المقامة المجردية[٨] المشهورة[٩] ، توفي في المحرم ودفن بالصوفية[١٠] .

---

(١) أ ، ب : في خامس .

(٢) ب : وفي صفر وقع برد عظيم شديد بدمشق بحيث أبيع الفحم كل عشر أواق بدرهم .

(٣) ب : الكرك فسقط أماكن كثيرة .

(٤) ترجمة ـ الأرموي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٤٤) والوافي بالوفيات (٦/ ٣٦) وفوات الوفيات (١/ ٢٣١) والعبر (٥/ ٣٧٥) والنجوم الزاهرة (٨/ ٣٨ و٤٠) والدارس (٢/ ١٩٦) وشذرات الذهب (٧/ ٧٣٤) .

(٥) هكذا في الأصول ، وهو وهم ، فعبد الله هو يوسف ، له اسمان ، ولذلك كتب الذهبي بخطه في ترجمته من تاريخ الإسلام : « عبد الله يوسف » وصحح عليها ، دلالة على أنه يُعرف بالاسمين . وقد تقدمت ترجمة والده في وفيات سنة (٦٣١) من هذا المجلد ونسبه هناك أرمنياً ، وانظر تعليقنا هناك (بشار) .

(٦) ب : إبراهيم بن أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يونس بن إبراهيم بن سليمان السكر الأرموي . وفي أ : السكن .

(٧) أ ، ب : سَمّاها : الشفيع .

(٨) ط : « البحرية » ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

(٩) ب : سمعت عليه المقامة المشهورة .

(١٠) قال بشار : هكذا جاءت هذه الترجمة وفيها نظر إما من النساخ ، وهو المرجح ، وإما من المؤلف رحمه الله ، وهو=

الملك الزاهر مُجير الدين[(١)] أبو سليمان داود بن الملك المُجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص ابن ناصر الدين محمد بن الملك المُعَظَّم (أسد الدين شيركوه بن شاذي)[(٢)] .

توفي ببستانه عن ثمانين سنة ، وصُلّي عليه بالجامع المُظفَّري ، ودُفن بتربته بالسفح ، وكان ديّناً كثيرَ الصلاة في الجامع ، وله إجازة من المؤيّد الطُّوسي وزينب الشعرية وأبي روح وغيرهم . توفي[(٣)] في جمادى الآخرة .

الشيخ تقي الدين الواسطي[(٤)] أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي .

شيخ الحديث بالظَّاهرية بدمشق ، توفي يوم الجمعة آخر النهار رابع عِشْري جمادى الآخرة عن تسعين سنة . وكان رجلاً صالحاً عابداً ، تفرَّد[(٥)] بعلوّ الرواية ، ولم يخلف بعده مثله ، وقد تفقَّه ببغداد ثم رحل إلى الشام ودرَّس بالصالحية مدة عشرين سنة ، وبمدرسة أبي عمر ، وولي في آخر عمره مشيخةَ الحديث بالظَّاهرية[(٦)] بعد سفر الفاروثي . وكان داعيةً إلى مذهب السَّلَف والصدر الأول ، و(كان) يعود المَرْضَى ، ويشهد الجنائزَ ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وكان من خيار عباد الله تعالى رحمه

= بعيد ، فابن الأعمى ليس هو ظهير الدين محمد ، بل الظهير والده ، وابن الأعمى صاحب « المقامة » اسمه علي ولقبه كمال الدين ، فلعل الصواب في النص أن يكون كما يأتي :
« ابن الأعمى ، صاحب المقامة ، كمال الدين علي ابن الشيخ ظهير الدين محمد . . . الخ » فبهذا يستقيم النص ، وهذا الرجل مترجم في تاريخ البرزالي ، وتاريخ ابن الجزري (١/ الورقة ٩٥ ـ ٩٧ من مجلد باريس) وتاريخ الإسلام للذهبي ، وهو هنا بخطه ، قال : « علي بن محمد بن المبارك ، الأديب كمال الدين ابن الأعمى الشاعر ، صاحب « المقامة » التي في الفقراء المجرَّدين . روى عن ابن اللتي وغيره . وتوفي في ثالث عشر المحرم . وكان شيخاً كبيراً من بقايا شعراء الدولة الناصرية . انقطع في أواخر عمره بالقليجية ، وكان مقرئاً بالتربة الأشرفية وغيرها . والأعمى هو نعتٌ لوالده الشيخ ظهير الدين النحوي الضرير الذي كان خطيب بيت المقدس مرة » (١٥/ ٧٥٤) ، والله أعلم بالصواب ، إليه المرجع والمآب .

(١) ترجمة الملك الزاهر في تاريخ ابن الجزري (١/ الورقة ١٠١ من مجلد باريس) ، تاريخ الإسلام (١٥/٧٤٧ ـ ٧٤٨) (بشار) .

(٢) ما بين الحاصرتين من ب ، وتاريخ الإسلام ، ولا بد منها دفعاً لأي لبس (بشار) .

(٣) ب : وكانت وفاته .

(٤) ترجمة ـ تقي الدين الواسطي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٤٥) والإعلام بوفيات الأعلام (٦/ ٢٨٩) وفي الإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨٠) والعبر (٥/ ٣٧٥) والوافي بالوفيات (٦/ ٦٦) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٢٩) والنجوم الزاهرة (٨/ ٤٠) والدليل الشافي (١/ ٢٣) والمقصد الأرشد (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) وشذرات الذهب (٧/ ٧٣٣ ـ ٧٣٤) والدارس (١/ ٣٥٧ و٢/ ٨٢ ـ ٨٣) .

(٥) أ : رجلاً صالحاً بعلو الرواية . وفي ب : رجلاً صالحاً عابداً انفرد بعلوّ الرواية .

(٦) ب : بالمدرسة الظاهرية .

الله . وقد درَّس بعده بالصاحبية[١] الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القوي المرداوي ، وبدار الحديث الظاهرية شرف الدين عمر بن خواجا إمام (الجامع) المعروف بالناصح .

ابن صاحب حماة الملك الأَفْضل[٢] نُور الدين علي بن الملك المُظَفَّر تَقيّ الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن (الملك) المظفر تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، توفي بدمشق وصُلّي عليه بجامعها ، وخرج به من باب الفراديس محمولاً إلى (مدينة) أبيه وتربتهم بها ، وهو والد الأميرين (الكبيرين) بدر الدين حسن ، وعماد الدين إسماعيل الذي تَمَلَّك حماة بعد مدة[٣] .

ابن عبد الظاهر[٤] (محيي الدين عبد[٥] الله بن رشيد الدين عبد الظاهر) بن نَشْوان بن عبد الظَّاهر بن علي بن نَجْدة السَّعْدي .

كاتب الإنشاء بالديار المصرية ، وآخر من برز في هذا الفن على أهل زمانه ، وسبقَ سائرَ أقرانه ، وهو والد الصاحب فتح الدين النديم ، وقد تقدَّم ذكر وفاته قبل والده[٦] ، وقد كانت له مصنَّفات ، منها سيرة الملك الظاهر ، وكان ذا مروءة[٧] ، وله النظمُ الفائقُ والنثرُ الرائق . توفي[٨] يوم الثلاثاء رابع رجب وقد جاوز السبعين ، ودفن بتربته التي أنشأها بالقرافة .

الأمير عَلَمُ الدين سَنْجَر الحلبي[٩] .

الذي كان نائب قطز على دمشق فلما جاءته بيعة الظاهر دعا لنفسه[١٠] فبُويع وَتَسَمَّى بالملك المجاهد

---

(١) ط : بالصالحية ؛ وهو تحريف ، الدارس (٢/ ٨٣) .
(٢) ترجمة ـ الملك الأفضل ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٥٤) والدليل الشافي (١/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣) .
(٣) أ : بعد جده كما سيأتي .
(٤) ترجمة ـ محيي الدين بن عبد الظاهر ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٤٩) وفوات الوفيات (٣/ ١٧٩ ـ ١٩١) والنجوم الزاهرة (٨/ ٣١) وحسن المحاضرة (١/ ٥٧٠) وشذرات الذهب (٥/ ٤٢١) والأعلام للزركلي (٤/ ٢٣٢) ومن كتب ابن عبد الظاهر المحققة كتابان هما :
١ ـ « الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر » طبع في الرياض سنة ١٣٩٦/ ١٩٧٦ بتحقيق عبد العزيز الخويطر .
٢ ـ « وتشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور » طبع في مصر سنة ١٩٦١ ، بعناية مراد كامل .
وفي مقدمة كل منهما ترجمة طيبة لابن عبد الظاهر .
(٥) ط أ : محيي الدين بن عبد الله . وليست (بن) في مصادره .
(٦) ب : فتح الدين المتقدم ذكر وفاته .
(٧) ب : ذا مروءة تامة .
(٨) ب : كانت وفاته .
(٩) ترجمة ـ سنجر الحلبي ـ في مختصر أبي الفداء (٤/ ٣١) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٤٨) والنجوم الزاهرة (٨/ ٣٩) والدليل الشافي (١/ ٣٢٥) .
(١٠) ب : دعا إلى نفسه .

ثم حوصر وهرب إلى بعلبك فحوصر فأجاب إلى خدمة الظاهر(١) فسجنه مدة وأطلقه وسجنه المنصور مدة وأطلقه الأشرف ، واحترمه وأكرمه ، بلغ الثمانين سنة ، وتوفي في هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمئة

في أولها كان مقتل(٢) الأشرف ، وذلك أنه خرج إلى الصيد في ثالث المحرم ، فلما كان بأرض تَرُوجَة(٣) بالقرب من الإسكندرية ثاني عشر المحرم ، حمل عليه جماعة من الأمراء الذين اتفقوا على قتله حين انفرد عن جمهور الجيش ، فأول من صوبه نائبه بَيْدَرا(٤) ، وتَمّم عليه لاجين المنصوري ، ثم اختفى إلى رمضان ، ثم ظهر يوم العيد ، وكان ممن اشترك في قتل الأشرف بدر الدين بَيْسَري(٥) وشمس الدين قراسنقر المنصوري ، فلما قتل الأشرف اتفق الأمراء على تمليك بَيْدَرا ، وسَمّوه الملك القاهر أو الأوحد ، فلم يتم له ذلك ، فقتل(٦) في اليوم الثاني بأمر كتبغا ، ثم اتفق زين الدين كتبغا ، وعلم الدين سنجر الشجاعي على أن يملّكوا أخاه محمداً الملك الناصر بن قلاوون(٧) ، وكان عمره إذ ذاك ثماني سنين وشهوراً ، فأجلسوه على سرير المملكة يوم الرابع عشر من المحرم ، وكان الوزير ابن السَّلْعُوس بالإسكندرية ، (وكان قد خرج في صحبة السلطان وتقدم هو إلى الإسكندرية) فلم يشعر إلا وقد أحاط(٨) به البلاء ، وجاءه العذاب من كل ناحية ، وذلك أنه كان يعامل الأمراء الكبار معاملة الصغار ، فأخذوه وتولّى عقوبته من بينهم الشّجاعي فضرب ضرباً عظيماً ، وقرّر على الأموال ولم يزالوا يعاقبونه حتى كانت وفاته في عاشر صفر بعد أن احتيط على حواصله(٩) كلها . وأُحضر جسد الأشرف فدُفن بتربته ، وتألّم

(١) ب : خدمة السلطان .

(٢) ب : الملك الأشرف .

(٣) ط : بروجة ؛ وهو تحريف . وتَرُوجَة بالفتح ، ثم الضم ، وسكون الواو وجيم : قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية وقيل اسمها تُرُنْجة . معجم البلدان (٢/ ٢٧) وفي النجوم الزاهرة (٤/ ٣٠) هـ ٣ : تروجه هذه القرية كانت موجودة لغاية القرن التاسع الهجري حيث وردت في كتاب التحفة السنية لابن الجيعان ص١٢٤ طبع بولاق ، وقد درست مساكنها . ومحلها كوم تروجه بحوض تروجة أراضي ناحية زاوية صفر بمركز أبي المطامير بمديرية البحيرة .

(٤) ب : قد اتفقوا على قتله قبل ذلك حين استفردوا به عن جمهور الجيش فأول من ضربه نائبه بدر الدين بيدرا .

(٥) ب : وظهرت يوم العيد فقبل به الملك الناصر واختار منها الأمر المعددة وخلع عليه وسيأتي وكان ممن شرك في قتله بدر الدين بيسري وشمس الدين قراسنقر المنصور ، والمقصود أن الأمر له لما قتلوا الملك الأشرف وهم بالصيد اتفقوا على تمليك بيدرا .

(٦) ب : وقتل .

(٧) ب : أخاه الملك الناصر محمد بن القلاوون .

(٨) ب : وقد أحيط به .

(٩) ب : ولم يزالوا يضربونه حتى كانت وفاته في عاشر صفر بعدما احتيط على حواصله .

الناسُ لفقده وأعظموا قتلَه ، وقد كان شهماً شجاعاً عالي الهمة حسن المنظر ، (كان) قد عزم على غزو العراق واسترجاع تلك البلاد من أيدي التتار ، واستعدّ لذلك ونادى (به) في بلاده ، وقد فتح في مدة ملكه ـ وكانت ثلاث سنين عكا ـ وسائر[١] السواحل ، ولم يترك للفرنج فيها معلماً ولا حجراً ، وفتح قلعة الروم وبَهَسْنا وغيرها .

فلما جاءت بيعة الناصر[٢] إلى دمشق خطب له بها على المنابر ، واستقر الحال على ذلك ، وجعل الأمير كتبغا أتابكه ، والشجاعي مشاوراً كبيراً ، ثم قتل[٣] بعد أيام بقلعة الجبل ، وحمل رأسه إلى كتبغا فأمر أن يطاف به في البلد ، ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً وأعطوا الذين حملوا رأسه (مالاً) ولم يبق لكتبغا منازع ، ومع هذا كان يشاور الأمراء[٤] تطييباً لقلوبهم .

وفي صفر[٥] بعد موت ابن السَّلْعوس عُزِلَ بدر الدين بن جماعة عن القضاء ، وأُعيد تقيُّ الدين ابن بنت الأَعَزّ واستمرابن جماعة مدرساً بمصر في كفاية ورئاسة .

وتولّى الوزارة بمصر الصاحب تاج الدين[٦] ابن الحِنّا .

وفي ظهر يوم الأربعاء الحادي والعشرين من صفر رُتِّب إمام بمحراب الصحابة ، وهو كمال الدين عبد الرحمن بن القاضي محيي الدين بن الزكي ، وصَلّى بعدئذ بعد الخطيب ، ورُتب بالمكتب[٧] الذي بباب الناطفانيين إمام أيضاً ، وهو ضياء الدين بن برهان الدين الإسكندري ، وباشر نظر الجامع الشريف زين الدين حسين بن محمد بن عدنان ، وعاد سوق الحريريين إلى سوقه ، وأخلوا قيسارية القطن الذي[٨] كان نواب طغجي ألزموهم بسُكناها ، وولي خطابة دمشق الشيخ العلامة شرف الدين أحمد بن جمال[٩] الدين أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسي ، بعد عزل موفق الدين الحموي[١٠] دعوه إلى حماة فخطب المقدسي يوم الجمعة نصف رجب ، وقُرِئَ تقليده وكانت ولايته بإشارة تاج الدين ابن الحِنّا الوزير بمصر ، وكان فصيحاً بليغاً عالماً بارعاً .

---

(١) أ : وكانت ثلاث سنين وسائر السواحل .
(٢) ب : ولم يبق للفرنج بها معلم ولا حد قلعة الروم وبها جاءت بقية الملك الناصر .
(٣) ب : كتبغا أتابك العساكر المنصورة والشجاعي مشاوراً كبيراً رئيساً ثم قتل .
(٤) أ ، ب : كان مشاوراً أكابر الأمراء .
(٥) ب : وبعد موت .
(٦) ب : تاج الدين فخر الدين بن بهاء الدين .
(٧) ب : وصلّى بعدئذ بعد الخطيب واستمر كذلك في المكتب .
(٨) ب : إلى سوقهم وأخلوا قيسارية القطن الذين كان نواب .
(٩) ب : الشيخ الإمام العلامة أقضى القضاة وشرف الدين أحمد بن كمال الدين أحمد .
(١٠) ب : موفق الدين بن الحموي .

وفي أواخر رجب حلف الأمراء للأمير زين الدين كَتْبغا مع الملك الناصر محمد بن قلاوون وسارت البيعة بذلك في سائر المدن والمعامل[(١)] .

واقعة عساف النصراني

كان[(٢)] هذا الرجل من أهل السُّوَيْداء قد شهد عليه جماعة أنه سبَّ النبي ﷺ ، وقد استجار عساف هذا بابن أحمد بن حجي أمير آل مِرَى ، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث[(٣)] ، فدخلا على الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب السلطنة فكلماه في أمره فأجابهما إلى ذلك ، وأرسل ليحضره فخرجا[(٤)] من عنده ومعهما خلق كثير من الناس ، فرأى الناس عسافاً حين قدم ومعه رجلٌ من العرب فسبُّوه وشتموه ، فقال ذلك الرجل البدوي : هو خير منكم - يعني النصراني - فرجمهما[(٥)] الناس بالحجارة ، وأصابت عسافاً ووقعت خبطة قوية فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقي[(٦)] فضربهما بين يَدَيْه ، ورسم عليهما في العذراوية ، وقدم النصراني فأسلم وعقد مجلس بسببه ، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة ، فحقن دمه[(٧)] ، ثم استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما ، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز[(٨)] ، فاتفق قتله قريباً من مدينة رسول الله ﷺ ، قتله ابن أخيه هنالك .

وصنف الشيخ تقي الدين ابن تيمية في هذه الواقعة كتابه « الصارم المسلول على ساب الرسول »[(٩)] .

وفي شعبان منها ركب الملك الناصر في أُبَّهة الملك وشقَّ[(١٠)] القاهرة ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان هذا أول ركوبه ، ودقت البشائر بالشام[(١١)] وجاء المرسوم من جهته ، فقُرِئَ على المنبر

---

(١) أ : والمقاحل ، وفي ب : والمعاقل .
(٢) ب : وكان .
(٣) ب : وقد استجار بعساف بن أحمد بن حجي فاجتمع الشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث والشيخ تقي الدين ابن تيمية .
(٤) ب : وأرسل للحضر فرحاً .
(٥) ب : فرأى الناس عسافاً ومعه رجل من العرب فقال ذاك الرجل هو خير منكم يعني النصراني فرجمه .
(٦) ب : الفارقي وابن تيمية .
(٧) ب : وحقن دمه .
(٨) ب : بالشيخين فاسترضاهما وأطلقهما ولحق النصراني بعد ذلك ببلاده وسافر عساف إلى الحجاز فاتفق قتله .
(٩) ب : على شاتم الرسول ، وفي هامش أ : مطلب مؤلف كتاب الصارم المسلول على من سب الرسول .
(١٠) ب : فشق القاهرة .
(١١) ب : ودقت البشائر لذلك وجاء المرسوم .

بالجامع فيه الأمر بنشر العدل وطيّ الظلم ، وإبطال ضمان الأوقاف والأملاك إلا برضى أصحابها .

وفي اليوم الثاني[١] والعشرين من شعبان درَّس بالمسرورية القاضي جلال[٢] الدين القزويني ، أخو إمام الدين ، وحضر أخوه وقاضي القضاة شهاب الدين بن الخُوَيّي ، والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان درساً حافلاً .

قال البرزالي : وفي شعبان اشتهر أن في الغَيْضة[٣] بجسرين تِنِّيناً عظيماً ابتلع رأساً من المعز كبيراً صحيحاً .

وفي أواخر رمضان ظهر الأمير حسام الدين لاجين ، وكان مختفياً منذ قتل الأشرف فاعتذر له عند السلطان فقبله وخلع عليه وأكرمه ، ولم يكن قتله باختياره .

وفي[٤] شوال منها اشتهر أن مُهَنّا بن عيسى خرج عن طاعة السلطان الناصر ، وانحاز إلى التتر[٥] .

وفي يوم الأربعاء ثامن ذي القعدة دَرَّس بالغزالية الخطيب شرف الدين المقدسي عوضاً عن قاضي القضاة شهاب الدين ابن الخُوَيّي ، الذي توفي وترك الشامية البرانية ، وقدم على قضاء الشام القاضي بدر الدين[٦] بن جماعة يوم الخميس الرابع عشر من ذي الحجة ، ونزل العادلية وخرج نائب السلطنة والجيش بكماله لتلقّيه[٧] ، وامتدحه الشعراء واستناب تاج الدين الجَعْبَري نائب الخطابة[٨] وباشر تدريس الشامية البرانية ، عوضاً عن شرف الدين المقدسي ، الشيخ زين الدين الفارِقي[٩] ، وانتزعت من يده الناصرية فدرّس بها ابن جماعة[١٠] ، وفي العادلية في العشرين من ذي الحجة .

وفي هذا الشهر أخرجوا الكلاب من دمشق إلى الفلاة بأمر[١١] واليها جمال الدين أَقْباي[١٢] ، وشدد على الناس والبوابين ذلك .

---

(١) ب : وفي يوم الأحد الثاني والعشرين .

(٢) ط : جمال الدين ؛ وهو تحريف . وسترد ترجمته في وفيات سنة ٧٣٩ في الجزء التالي .

(٣) ط : الغيطة ، ب : الغيضة التي ، والغيضة بالفتح الأجمة ومجتمع الشجر في مغيض ماء . القاموس (غيض) .

(٤) ب : ففي .

(٥) ب : إلى التتار .

(٦) ط : بدر الدين أحمد بن جماعة ؛ وهو خطأ لأن اسمه محمد لا أحمد . الدليل الشافي (٢/٥٧٨) .

(٧) ب : ونزل بالعادلية وقد خرج نائب السلطنة والجيش بكماله إلى لقائه .

(٨) ب : الجعبري نائب الخطابة أيضاً وباشر .

(٩) ط : الفاروثي ؛ تحريف . وسترد ترجمة زين الدين الفارقي عبد الله بن مروان بن عبد الله في وفيات سنة ٧٠٣ من الجزء التالي .

(١٠) ب : قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة فدرس فيها وفي العادلية .

(١١) ب : فأمر واليها جمال الدين النشّابي وشدد على البوابين في منع الكلاب من دخولها . وفي أ : جمال الدين أقباي وشدد على الناس والبوابين في ذلك . وفي ط : أقياي .

(١٢) ستأتي ترجمته بعد قليل .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الملك الأشرف خليل[(١)] بن قلاوون المنصور .

وبيدرا[(٢)] والشجاعي[(٣)] .

وشمس الدين بن السلعوس .

الشيخ الإمام العلامة[(٤)] تاج الدين موسى بن محمد بن مسعود المَرَاغي ، المعروف بابن الحيوان[(٥)] الشافعي .

درَّس بالإقبالية وغيرها وكان من فضلاء الشافعية ، له يدٌ في الفقه والأصول والنحو وفهم جيد [قوي] ، توفي فجأة يوم السبت ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وقد جاوز السبعين[(٦)] .

الخاتون مُؤْنسة[(٧)] بنت السلطان[(٨)] الملك[(٩)] العادل أبي بكر بن أيوب وتعرف بالدار القطبية[(١٠)] ، وبدار إقبال .

ولدت سنة ثلاث وستمئة ، وروت بالإجازة[(١١)] عن عفيفة الفارِفانية[(١٢)] ، وعن عَيْن الشَّمس

---

(١) ترجمة ـ الملك المنصور ـ في مختصر أبي الفداء (٤/ ٢٩ ـ ٣٠) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٦٤) والعبر (٥/ ٣٧٨) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨٠) والوافي بالوفيات (١٣/ ٣٩٩) والنجوم الزاهرة (٨/ ٣ ـ ٣٧) والدليل الشافي (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) وشذرات الذهب (٧/ ٧٣٨ ـ ٧٣٩) .

(٢) ترجمة ـ بيدرا ـ في مختصر أبي الفداء (٤/ ٣٠) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٦٣) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٠) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٠٨) والعبر (٥/ ٣٧٧) والوافي بالوفيات (١٠/ ٣٦٠) والنجوم الزاهرة (٨/ ٣ ـ ٢٧ و٥٤) .

(٣) ترجمة ـ الشجاعي ، علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعي المنصوري ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٦٧) والدليل الشافي (١/ ٣٢٥) والنجوم الزاهرة (٨/ ٥١) .

(٤) ترجمة ـ ابن الحيوان ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٦٣) والدليل الشافي (٢/ ٧٥٢) والدارس (١/ ١٦١) .

(٥) ط : « بأبي الجواب » ، وهو تحريف ظاهر ، وما هنا يعضده ما في مصادر ترجمته ، ومنها خط الذهبي في تاريخ الإسلام ، والنسخة المتقنة من تاريخ ابن الجزري (١/ الورقة ١٣٦ من مجلد باريس) (بشار) .

(٦) ب : جاوز السبعين سنة رحمه الله .

(٧) ط : مؤنس ؛ تحريف .

(٨) ترجمة ـ الخاتون مؤنسة ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٧٩) والدليل الشافي (٢/ ٧٥٥) والدارس (٢/ ١٨٨) وترويح القلوب (٦٤ و٨١) .

(٩) عن ب وحدها .

(١٠) أ : وتعرف بالدار القطبية بدار إقبال وفي ب : بالدار المعظمية ، وكله تحريف .

(١١) أ ، ط : روت الإجازة .

(١٢) في أصولنا جميعاً : الفارقانية ؛ وهو تحريف وقد توفيت سنة ٦٠٦ . ترجمتها ومصادرها في سير أعلام النبلاء =

بنت أحمد بن أبي الفرج[١] الثَّقَفية ، توفيت في ربيع الآخر بالقاهرة ، ودفنت بباب زَوِيلَة .

الصاحب[٢] **الوزير**[٣] **فخر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن لُقْمان بن أحمد بن محمد الشيباني**[٤] المصري رأس المُوَقِّعين ، وأستاذ الوزراء المشهورين .

ولد سنة ثنتي عشرة وستمئة ، وروى الحديث ، توفي في آخر جمادى الآخرة في القاهرة[٥] .

الملك الحافظ[٦] **غياث الدين**[٧] **محمد [بن] الملك السَّعيد معين الدين بن الملك الأمجد بهرام** شاه بن المُعِزّ عزّ الدين فَرُّوخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وكان فاضلاً بارعاً ، سمع الحديث وروى « البخاري » ، وكان يحبُّ العلماء والفقراءَ ، وتوفي[٨] يوم الجمعة سادس شعبان ، ودُفن عند جدّه لأمه ابن المقدم ، ظاهر باب الفراديس .

قاضي القضاة شهاب الدين[٩] **بن الخُوَيّي أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس** أحمد بن خَليل بن سَعادة بن جَعفر بن عيسى بن محمد الشافعي .

أصلهم من خُوَيّ[١٠] ، اشتغل وحَصَّل علوماً كثيرة ، وصَنَّفَ كتباً كثيرة منها كتاب فيه عشرون فناً ، وله نظم « علوم الحديث » و« كفاية المتحفظ » وغير ذلك ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان محباً له

= (٢١/ ٤٨١ ـ ٤٨٣) ونسبتها إلى فارِفان من قرى أصبهان . معجم البلدان (٤/ ٢٢٨) .

(١) ب : أحمد بن أبي الفريح ؛ وهو تحريف . ترجمتها مع المصادر في سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٣) .

(٢) ب : الصاحب الكبير الوزير .

(٣) ترجمة ـ ابن لقمان ـ في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٦٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٧٠) والوافي بالوفيات (٦/ ٩٧) وفوات الوفيات (١/ ٤٣) والنجوم الزاهرة (٨/ ٥٠ ـ ٥١) والدليل الشافي (١/ ٢٤) وحسن المحاضرة (٢/ ٢٣٣) .

(٤) أ ، ط : البناني ؛ تحريف وما هنا عن ب ومصادره .

(٥) أ ، ب : بالقاهرة .

(٦) ترجمة ـ الملك الحافظ ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٧٤) وتاريخ ابن الجزري (١/ الورقة ١٤٠ من مجلد باريس) وترويح القلوب (٥٠) .

(٧) ط : غياث الدين بن محمد بن الملك السعيد ، ولا بد في هذه الرواية من نقل لفظة (بن) من قبل محمد إلى ما بعده ليستقيم اسمه .

(٨) ب : ودفن يوم الجمعة سادس شعبان عند جده لأمه .

(٩) ترجمة ـ ابن الخويي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٧١) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٠) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨٠) والعبر (٥/ ٣٧٩) والوافي بالوفيات (٢/ ١٣٧) وفوات الوفيات (٢/ ١٨٢) والنجوم الزاهرة (٨/ ٥٤) والدليل الشافي (١/ ٥٩١) وطبقات الإسنوي (١/ ٥٠١) وبغية الوعاة (١/ ٢٣) وحسن المحاضرة (١/ ٣١٣) والأنس الجليل (٤٦٦) .

(١٠) خوي ـ بلفظ تصغير خوّ : بلد مشهور من أعمال أذربيجان . معجم البلدان (٣/ ٤٠٨) وفي بلدان الخلافة : أنها تقع إلى شمال شرقي سلماس على نهر يجري شمالاً فيصب في نهر ارس . بلدان الخلافة (٢٠٠ ـ ٢٠١) .

ولأهله ، وقد درس وهو صغير بالدماغية ، ثم ولي قضاء القدس ، ثم بَهَسْنا[١] ، ثم ولي قضاء حلب ، ثم عاد إلى المحلة ، ثم ولّي قضاء القاهرة ، ثم قدم على قضاء الشام مع تدريس العادلية والغزالية وغيرهما ، وكان من حسنات الزمان وأكابر العلماء الأعلام ، عفيفاً نزهاً بارعاً محباً للحديث وعلمه وعلمائه[٢] ، وقد خرَّجَ له شيخُنا الحافظُ المِزِّي أربعين حديثاً متباينة الإسناد ، وخرَّج له تقي الدين عُبيد بن عتبة الاسعردي[٣] مشيخةً على (حروف) المعجم ، اشتملت على مئتين وستة وثلاثين شيخاً .

قال البرزالي : وله نحو ثلاثمئة شيخ لم يُذْكَروا في هذا المعجم ، توفي[٤] يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان ، عن سبع وستين سنة ، وصُلّي عليه ودُفن من يومه بتربة والده بسفح قاسيون . رحمه الله تعالى .

الأمير علاء الدين الأَعْمى[٥] .

(ناظر القدس وباني كثيراً من معالمه اليوم ، وهو الأمير الكبير علاء الدين) أَيْدَكِين بن عبد الله الصالحي النَّجْمي ، كان من أكابر الأمراء ، فلما أضرَّ أقام بالقدس الشريف وولي نظره معمره ومثمره[٦] وكان مهيباً لا تخالف مراسيمه ، وهو الذي بنى المطهرة قريباً من مسجد النبي[٧] ﷺ ، فانتفع الناس بها[٨] بالوضوء وغيره ، ووجد بها الناس[٩] تيسيراً ، وابتنى بالقدس[١٠] رُبطاً كثيرة ، وآثاراً حسنة ، وكان يباشر الأمور بنفسه ، وله حرمة وافرة ، توفي في شوال منها[١١] .

الوزير[١٢] شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجاء التَّنوخي[١٣] ، المعروف بابن السَّلْعوس[١٤] ، وزير الملك الأشرف .

---

(١) بعدها في ب : من ، ثم لفظة : لاتبين .

(٢) أ : وعلمه وعلمائهم ؛ وفي ب : وعلومه وعلمائه .

(٣) أ : ابن عتبة الإسعردي ، وفي ب : ابن عبيد الإسعردي . وسعرت أو سعرد أو اسعرت : من أعمال إرمينية تقع فوق مصب نهر بدليس . بلدان الخلافة (١٤٥ ـ ١٤٦) .

(٤) ب : وكانت وفاته .

(٥) ترجمة ـ علاء الدين الأعمى ـ في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٦٧) واسمه فيه : طبرس . وفي تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٧٠) والدليل الشافي (١/ ١٦٦) والأنس الجليل (٢٧٠) واسمه في المصادر الثلاثة الأخيرة : ايدغُدي .

(٦) أ ، ب : فعمره وثمره .

(٧) ب : بالمسجد النبوي .

(٨) أ ، ب : بها في الوضوء .

(٩) أ : ووجد الناس بها .

(١٠) ب : ويسره أثابه الله وأنشأ بالقدس .

(١١) ب : من هذه السنة .

(١٢) ب : الوزير الكبير .

(١٣) أ وط : الرجال ، وما هنا عن ب ومصادره .

(١٤) ترجمة ـ ابن السلعوس ـ في مختصر أبي الفداء (٤/ ٣١) وتاريخ ابن الجزري (٣٦٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٧٧) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٠) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨١) والعبر (٥/ ٣٨٠)=

مات تحت الضرب الذي جاوز ألف مقرعة ، في عاشر صفر من هذه السنة ، ودُفن بالقرافة ، وقيل إنه نقل إلى الشام بعد ذلك . (وكان) ابتداء أمره تاجراً ، ثم ولي الحسبة بدمشق بسفارة تقي الدين بن توبة(١) ، ثم كان يُعامل الملك الأشرف قبل السلطنة فظهر منه على عدل وصدق ، فلما ملك بعد أبيه المنصور استدعاه من الحج فولّاه(٢) الوزارةَ ، وكان يتعاظم على أكابر الأمراء ويسميهم بأسمائهم ، ولا يقوم لهم ، فلما قتل أستاذه الأشرف(٣) تسلموه بالضرب والإهانة وأخذ الأموال ، حتى أعدموه حياته ، وصبروه(٤) وأسكنوه الثَّرى ، بعد أن كان عند نفسه قد بلغ الثُّريا ، ولكن حقاً على الله أنه ما رفع شيئاً إلا وضعه(٥) .

= والوافي بالوفيات (٤/ ٨٦) والنجوم الزاهرة (٨/ ٥٣ و٥٤) والدليل الشافي (١/ ٦٥٢) بن أبي الرجاء ، وشذرات الذهب (٧/ ٧٤١) .

(١) ب : بسفارة الصاحب تقي الدين توبة . وسترد ترجمته في وفيات ٦٩٨هـ .

(٢) ب : قبل السلطنة فلما تملك بعد أبيه من الحج وولاه .

(٣) ب : قتلوا الأشرف .

(٤) ب : وصبره .

(٥) بعدها في ب الحاشية التالية :
حاشية : نكتة وفضيحة على المنجمين .
وذلك أن يعقوب بن إسحاق الكندي رئيس صناعتهم في زمانه زعم أنّ انقضاء مدة هذه الأمة تكون في سنة ثلاث وتسعين وستمئة . وادَّعى كما ذكره من الجُمَّل أن ذلك مقتضى ما تستحقه الحروف المقطعة المذكورة في أوائل سور القرآن من الجُمَّل الكبيرة ، وهي أربعة عشر حرفاً بعد حذف المكرر فذاك ستمئة وثلاثة وتسعون من العدد ، وقد وافقه غيره ممن يدّعي علم الحرف فكذبوا وافتروا وفضحوا أنفسهم وصناعتهم ، وبرهنوا على جهلهم وقلة عقلهم ، كما زعم هذا وأصحابه من المنجمين أن نجم هذه الأمة بالزهرة ، وأن نجم النصارى بالمشتري ، وهذا في غاية ما يمكن أن يكون من الجهل البليغ فإن صناعتهم تقتضي أنَّ من نجمه بالزهرة يكون في غاية اللعب واللهو ولا يعرف في الطوائف كلها من سائر أجناس بني آدم أنه أكمل من هذه الأمة في علومها وعبارتها وصحة فهومها وتضامنها وتحريرها إلى معاينة سائر العلوم العقلية والنقلية وغير ذلك كما هو مشاهد معروف . وأما من نجمه المشتري فهو عندهم يدل على العلم والعمل ولا يعرف أنه أجهل من النصارى ، وإن كان في بعضهم عبادة ودأب ، فهم كما قال بعض الفضلاء من العقلاء : لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا عن أحد عشر قولاً . وهم إما يقلدون من سلف من جهالهم وضلالهم فيما أضلوه لهم من التثليث وجعل الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ولهذا قال أبو نصر الفارابي في صناعة النجم : لو حيل النحس سعداً والسعد نحساً وعكست عليهم جميع أوضاعهم لمست صناعتهم على ذلك فدل ذلك على أن صناعتهم إنما هي مبنية على الظن والتخمين والجهل والافتراء والله أعلم .
وقد رأيت في كلام شيخنا العلامة أبي العباس أحمد بن تيميّة في كلام له على المنجمين أن الكلام في النجوم مقسم أقساماً : فمنه ما ذكره الله في القرآن أنه تعالى جعلها زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يُهْتَدى بها في ظلمات البر والبحر .
قال قتادة وغيره : فمن رام منها غير ذلك فقد تكلف وقال مالا علم له به . =

دخلت سنة أربع وتسعين وستمئة

استُهِلَّت والخليفةُ الحاكم بأمر الله وسلطانُ البلاد الملكُ الناصر محمد بن قلاوون وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة[١] سنة وأشهراً ، ومدبّر الممالك وأتابك العساكر الأمير زين الدين كَتْبُغا ، ونائب الشام الأمير عز الدين أَيْبَك الحَمْوي ، والوزير بدمشق تقي الدين تَوْبَة التّكْريتي ، وشادّ الدواوين شمس الدين الأَعْسَر ، وقاضي الشافعية ابن جماعة ، والحنفية حسام الدين الرازي ، والمالكية جمال الدين الزّواوي ، والحنابلة شرف الدين حسن ، والمحتسب شهاب الدين الحنفي ، ونقيب الأشراف زين الدين بن عدنان ، ووكيل بيت المال وناظر الجامع تاج الدين الشيرازي ، وخطيب البلد شرف الدين المقدسي .

فلما كان يوم عاشوراء نهض جماعة من مماليك الأشرف وخرقوا حرمةَ السلطان وأرادوا الخروج عليه ، وجاؤوا إلى سوق السلاح فأخذوا ما فيه ، ثم احتيط عليهم[٢] ، فمنهم من صُلب ، ومنهم من شُنق ، وقُطع أيدي آخرين منهم وألسنتهم ، وجرت خبطة عظيمة جداً ، وكانوا قريباً من ثلاثمئة أو يزيدون .

ذكر[٣] سلطنة الملك العادل كَتْبُغا

وأصبح الأمير[٤] في الحادي عشر من المحرم فجلس على سرير المملكة ، وخلع (الملك) الناصر محمد بن المنصور ، وألزمه بيت أهله ، وأن لا يخرج منه ، وبايعه الأمراء على ذلك ، وهنؤوه ومدّ سماطاً حافلاً ، وسارت البريديةُ بذلك إلى الأقاليم ، فبُويع له وخطب له مُسْتَقِلاً وضُربت السكةُ باسمه ، وتَمَّ الأمر وزُيّنت البلادُ ، ودقت البشائر ، ولُقِّبَ بالملك العادل ، وكان عمره إذ ذاك نحواً من خمسين سنة ، فإنه من سبي وقعة حمص الأولى التي كانت في أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين جالوت ، وكان من

= ومن ذلك ما يتعلق بعلم التسيير وغالبه صحيح ولكنه لا فائدة كثيرة تحته .
من ذلك ما يتكلمون عليه من علم الأحكام وغالبه باطل .
ومن ذلك عملي وهو ما يزعمون استعمالاً قوياً للأفلاك الفعالة في القوى الأرضية المنفعلة .
قال : وهو السحر الذي ذمه الله في كتابه ورسوله .

(١) ب : بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي وسلطان البلاد الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون وهو ابن ثنتي عشرة .وثنتي في أ : أيضاً .

(٢) ب : وأرادوا الخروج وجاؤوا إلى سوق السلاح فأخذوا ما فيه فاحتيط عليهم .

(٣) عن أ وحدها .

(٤) ب : الأمير زين الدين كتبغا .

العويرانية[١] ، وهم طائفة من التتر ، واستناب في مصر الأمير[٢] حسام الدين لاجين السلحدار[٣] المنصوري ، وكان بين يديه مدير المماليك[٤] .

وقد ذكر الجزري[٥] في « تاريخه » عن بعض الأمراء أنه شهد هولاكوخان[٦] قد سأل منجمه أن يستخرج له من هؤلاء المقدمين في عسكره الذي يملك الديار المصرية ، فضرب وحسب وقال له : أجد رجلاً يملكها اسمه كتبغا[٧] فظنه كتبغانوين ، وهو صهر هولاكو ، فقدمه على العساكر فلم يكن هو ، فقتل في عين جالوت كما ذكرنا ، وأن الذي ملك مصر هذا الرجل وهو من خيار الأمراء وأجودهم[٨] سيرةً ومعدلةً ، وقصداً في نصرة الإسلام .

وفي يوم الأربعاء مُسْتَهلّ ربيع الأول ركب[٩] كتبغا في أبهة الملك ، وشق القاهرة ودعا له الناس وعزل الصاحب تاج الدين بن الحِنّا عن الوزارة وولّى فخر الدين بن الخليل [وزارة الديار المصرية][١٠] .

واستسقى الناس بدمشق عند مسجد القدم ، وخطب بهم تاج الدين صالح الجَعْبَري نيابة عن مستخلفه[١١] شرف الدين المقدسي ، وكان مريضاً فعزل نفسه عن القضاء ، وخطب الناس بعد ذلك ، وذلك يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى ، فلم يُسْقَوا ثم استسقَوْا مرةً أخرى[١٢] يوم السبت سابع جمادى الآخرة بالمكان المذكور ، وخطب بهم شرف الدين المقدسي ، وكان الجمع أكثر من أول ، فلم يُسْقوا .

وفي رجب[١٣] حكم جمال[١٤] الدين ابن الشريشي نيابة عن القاضي بدر الدين بن جماعة .

وفيه درس بالمعظمية القاضي شمس الدين بن [أبي][١٥] العز ، وانتزعها من علاء الدين بن الدقاق .

---

(١) أ ، ب : العوايداتية ، وفي ط : الغوبرانية . وما هنا عن أبي الفداء (٤/ ٣٣٠) .
(٢) ب : وهم طائفة من التتار واستناب في الديار المصرية الأمير .
(٣) ط : السلحداري .
(٤) أ ، ب : الممالك .
(٥) ب : ابن الجوزي ؛ وهو تحريف . الخبر في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٦٩) .
(٦) أ ، ب : هولاكوقان .
(٧) أ : أجده رجلاً يملكها اسمه كتبغا ، وفي ب : أجد يملكها رجل اسمه كتبغا .
(٨) ب : فلم يكن ربّاه فقتل بعين جالوت كما ذكرنا وإذا هو هذا الرجل من خيار الأمراء وأجود الناس سيرة .
(٩) ب : ركب الملك العادل كتبغا .
(١٠) عن ب وحدها .
(١١) ب : فخطب بهم تاج الدين صالح الجعبري نيابة عن مستخلفه الشيخ شرف الدين .
(١٢) ب : جمادى الأولى عند مسجد القدم ثم استسقوا مرة ثانية .
(١٣) ب : أكثر من الأول وفي رجب .
(١٤) أ : كمال الدين ؛ وهو تحريف . وتقدمت ترجمة الشريشي في وفيات سنة ٦٨٥ .
(١٥) ب : الرضى شمس الدين بن المعز ؛ وهو تحريف . وما بين حاصرتين عن الدارس (١/ ٥٤٧) .

وفيه ولى القدس[١] والخليل الملك الأوحد ابن الملك الناصر داود بن المعظم .

وفي رمضان رسم للحنابلة أن يصلُّوا قبل الإمام الكبير وذلك أنهم كانوا يصلُّون بعده فلما أُحدث لمحراب الصحابة إمام كانوا يصلون جميعاً في وقت واحد ، فحصل تشويش[٢] بسبب ذلك[٣] ، فاستقرت القاعدة على أن يصلوا قبل الإمام الكبير ، في وقت صلاة مشهد علي بالصحن عند محرابهم في الرواق الثالث الغربي .

قلت : وقد تغيرت هذه القاعدة بعد العشرين وسبعمئة كما سيأتي[٤] .

وفي أواخر رمضان قدم القاضي نجم الدين بن صَصْرَى من الديار المصرية على قضاء العساكر بالشام[٥] .

وفي ظهر يوم الخميس خامس شوال صَلَّى القاضي بدر الدين بن جماعة بمحراب الجامع إماماً وخطيباً عوضاً عن الخطيب المدرس[٦] شرف الدين المقدسي ، ثم خطب من الغد وشكرت خطبته وقراءته ، وذلك مضاف إلى ما بيده من القضاء (وغيره) .

وفي أوائل[٧] شوال قدمت من الديار المصرية تواقيع شتَّى منها تدريس الغزالية لابن صَصْرَى عوضاً عن الخطيب المقدسي ، وتوقيع بتدريس الأمينية لإمام الدين القزويني عوضاً عن نجم الدين بن صَصْرى ، ورسم لأخيه جلال الدين بتدريس الظاهرية البرانية عوضاً عنه .

وفي شوال كملت عمارة الحمَّام الذي أنشأه عز الدين الحموي بمسجد القصب ، وهو من أحسن الحمامات ، وباشر مشيخة دار الحديث النورية الشيخ علاء الدين بن العطار عوضاً عن شرف الدين المقدسي .

وحج فيها[٨] الملك المجاهد أنس[٩] بن الملك العادل كتبغا[١٠] ، وتصدقوا بصدقات كثيرة من

---

(١) ب : ولي نظر القدس .

(٢) أ : فلما أحدث محراب الصحابة كانوا يصلون بعده ب : فلما أحدث محراب الصحابة كانوا يصلون جميعاً في وقت واحد فكان يحصل تشويش بسبب ذلك .

(٣) ب : كانوا يصلّون بعده جميعاً في وقت واحد فيحصل تشويش بسبب ذلك .

(٤) ب : هذه القواعد بعد العشرين وسبع مئة كما سيأتي بيانه .

(٥) ب : على قضاء العسكر المنصورة الشامية .

(٦) ب : قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بمحراب الجامع الكبير إماماً وخطيباً عوضاً عن الشيخ الإمام الخطيب القاضي المدرس شرف الدين . وليست لفظة الخطيب في أ .

(٧) ب : وفي أواخر شوال .

(٨) ب : وحجّ في هذه السنة .

(٩) ب : انص . الخبر في النجوم الزاهرة (٨/ ٥٧) .

(١٠) ب : كتبغا وأهل بيتهم .

الحرمين وغيرهما ونودي بدمشق في يوم عرفة أن لا يركبَ[١] أحدٌ من أهل الذمة خيلاً ولا بغالاً ، ومن رأى من المسلمين أحداً من أهل الذمة قد خالف[٢] ذلك فله سلبه .

وفي أواخر هذه السنة والتي[٣] تليها حصل بديار مصر غلاءٌ شديد هلك بسببه خلق كثير ، هلك في شهر ذي الحجة نحو من عشرين ألفاً .

وفيها : ملك[٤] التتار قازان ابن أُرْغون بن أَبْغا بن تُولي بن جَنْكِزْخان فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير نوروز[٥] رحمه الله ، ودخلت التتار أو أكثرهم في الإسلام ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ (على رؤوس الناس) يوم إسلامه ، وَتَسَمَّى بمحمود ، وشهد الجمعة والخطبة ، وخَرَّبَ كنائس كثيرة ، وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد ، وظهرت السبح والهياكل مع التتار[٦] والحمد لله وحده .

وفيها توفي من الأعيان[٧] :

الشيخ أبو الرِّجال المَنِيني[٨] الشيخ الصالح الزاهد العابد[٩] أبو الرجال بن مِرى بن بحتر المَنيني[١٠] ، كانت له أحوال ومكاشفات وكان أهل دمشق والبلاد يزورونه في قرية منين ، وربما قدم هو بنفسه إلى دمشق فيُكْرَم ويضاف وكانت[١١] له زاوية ببلده ، وكان بريئاً من هذه السماعات الشيطانية ، وكان تلميذَ الشيخ جَنْدَل ، وكان شيخُه الشيخُ جَنْدَل من كبار الصالحين سالكاً طريق السَّلَف أيضاً ، وقد بلغ الشيخ أبو الرجال ثمانين سنة ، وتوفي بمنين في منزله في عاشر المحرم ، وخرج الناس من دمشق إلى جنازته

---

(١) ب : ونودي يوم عرفة بدمشق أن لا يركب .

(٢) ب : قد خالف في ذلك .

(٣) ب : وأول التي تليها .

(٤) ب : وفي هذه السنة تملك على التتار قازان ، وفي هامش أ : مطلب إسلام قازان خان ملك التتر . وقازان وقيل غازان وقيل محمود ولي الملك في هذه السنة وتوفي سنة ثلاث وسبعمئة . أنظر الدليل الشافي (٢/ ٥١٧) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢١٢) والدرر الكامنة (٣/ ٢٩٢) .

(٥) ط : توزون . وما هنا عن أ وب ، والدليل الشافي (٢/ ٧٦٢) وسترد ترجمته في وفيات سنة ٦٩٦ .

(٦) ب : مع التتر .

(٧) ب : ذكر من توفي فيها من الأعيان .

(٨) ترجمة ـ أبي الرجال المنيني ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٠١) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٠) والعبر (٥/ ٣٨٥) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨١) والدليل الشافي (٢/ ٨٢٨) والنجوم الزاهرة (٨/ ٧٦) وشذرات الذهب (٧/ ٧٤٧) .

(٩) ب : الشيخ الصالح العابد الزاهد .

(١٠) ط : بن مرعي بن بحتر المنين وما هنا عن أ ب ومصادره ، ونسبته إلى منين وهي إحدى قرى دمشق .

(١١) ب : فيكرم ويضيف وكان له زاوية ببلده وكان شيخه الشيخ جندل من كبار الصالحين وقد بلغ .

فمنهم من أدركها ومن الناس من لم يدرك[١] فصلى على القبر ودفن بزاويته رحمه الله .

وفيها : في أواخر ربيع الأول جاء الخبر بأن عسَّاف بن أحمد بن حجّي[٢] الذي كان قد أجار ذلك النصراني الذي سبَّ الرسول قُتل ففرح الناس بذلك[٣] .

الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع[٤] بقيَّةُ السَّلَف جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد[٥] بن قاضي القضاة وخطيب الخطباء عماد الدين عبد الكريم بن قاضي القضاة جمال الدين عبد الصمد ابن الحَرَسْتاني .

سمع الحديث وناب عن أبيه في الإمامة[٦] وتدريس الغزالية ، ثم ترك المناصب والدنيا ، وأقبل على العبادة ، وللناس[٧] فيه اعتقاد حسن صالح ، يقبّلون يده ويسألونه الدعاء ، وقد جاوز الثمانين ، ودفن[٨] بالسفح عند أهله في أواخر ربيع الآخر .

الشيخ محب الدين الطبري[٩] (المكي) [هو الإمام العلامة العالم الحافظ مفتي بلاد الحجاز في زمانه ، محب الدين ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي][١٠] الشافعي .

سمع الكثير وصنف في فنون كثيرة ، من ذلك كتاب « الأحكام » في مجلدات كثيرة مفيدة ، وله كتاب على « ترتيب جامع المسانيد » أسمعه لصاحب اليمن . وكان مولده يوم الخميس السابع والعشرين من

---

(١) ب : وكانت وفاته بمنين بمنزله في عاشر المحرم وخرج الناس إلى جنازته فمنهم من أدرك ومنهم من لم يدرك .

(٢) ب : وجاء الخبر في ربيع الآخر بأن عساف بن حجي . قال بشار : وترجمته في تاريخ ابن الجزري (٢/ الورقة ١٥ - ١٦ باريس) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٩١) .

(٣) ب : سب رسول الله ﷺ قتله ابن أخيه جماز بن سليمان بن حجي بالقرب من مدينة رسول الله ﷺ ففرح الناس بذلك .

(٤) ترجمة - ابن الحرستاني - في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٨٩) والعبر (٥/ ٣٨٢) ومعجم شيوخ الذهبي (٣١٣ - ٣١٤) وشذرات الذهب (٧/ ٧٤٥) .

(٥) أ وط : عبد الصمد ابن الحرستاني ، وما هنا عن ب وموافق لما في مصادره .

(٦) ب : في الانه .

(٧) ب : ثم ترك المناصب وأقبل على العبادة وكان الناس لهم فيه اعتقاد حسن يقبّلون يده .

(٨) ب : وتوفي في أواخر ربيع الآخر ودفن بالسفح عند أهله رحمه الله .

(٩) ترجمة - محب الدين الطبري - في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٨٤) والعبر (٣/ ٢٩٠) وميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٤) والإشارة (٣٨١) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٠) والوافي بالوفيات (٧/ ١٣٥) وطبقات الإسنوي (٢/ ١٦٥) والعقد الثمين (٥/ ٤٧٥) ولسان الميزان (٤/ ٤٩) والنجوم الزاهرة (٨/ ٨٤) والشذرات (٧/ ٧٤٣ - ٧٤٤) .

(١٠) عن ب وحدها .

جمادى الآخرة سنة عشر وستمئة وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة[١] ، ودفن بمكة ، وله شعر جيد فمنه قصيدته في المنازل (التي) بين مكة والمدينة تزيد على ثلاثمئة بيت ، كتبها عنه الحافظ شرف الدين الدمياطي في معجمه .

الملك المُظَفَّر[٢] صاحب اليمن يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رَسُول .

أقام في مملكة اليمن بعد أبيه سبعاً وأربعين سنة ، وعُمِّر ثمانين سنة ، وكان أبوه قد ولي أزيد من مدة عشرين سنة بعد الملك أقسيس[٣] ابن الكامل محمد ، وكان عمر بن علي بن رسول مُقَدَّمَ عساكر أقسيس ، فلما مات أقسيس وثب[٤] على الملك فتم له الأمر وتَسَمَّى بالملك المنصور ، واستمرَّ أزيدَ[٥] من عشرين سنة ، ثم ابنه المظفر سبعاً وأربعين سنة ، ثم قام من بعده في الملك ولده الملك الأشرف[٦] ممهدُ الدين فلم يمكث سنةً حتى مات ، ثم قام أخوه المؤيد عز الدين داود بن المظفر فاستمر في الملك مدة ، وكانت[٧] وفاة الملك المظفر المذكور في رجب من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين[٨] ، وكان يحب الحديث وسماعه ، وقد جمع[٩] لنفسه أربعين حديثاً .

شَرَفُ الدين المَقْدِسي[١٠] الشيخ الإمام الخطيب[١١] المدرس المُفْتي ، شرف الدين أبو العباس

---

(١) أ وط : منها .

(٢) ترجمة ـ الملك المظفر ـ في مختصر أبي الفداء (٤/ ٣٢ ـ ٣٣) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٩٩) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٠) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨١) والعبر (٥/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) والنجوم الزاهرة (٨/ ١ ـ ٧٣ و٧٧) والدليل الشافي (٢/ ٨٠٤) ووفاته فيه ٦٩٥ ، وشذرات الذهب (٧/ ٧٤٦ ـ ٧٤٧) وغاية الأماني (١/ ٤٧٥) .

(٣) ب : الملك المسعود أقسيس بن الكامل بن العادل وكان عمر .

(٤) ب : أقسيس بن الكامل بن العادل فلما مات وثب .

(٥) ب : واستمر فيه أزيد .

(٦) أ : ثم أقام من بعده في الملك ولده الأشرف ، وفي ب : من بعده ولده الملك الأشرف .

(٧) ب : عزيز الدين داود بن الملك المظفر فاستمر في المملكة وكانت وفاة .

(٨) هكذا قال ، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٠٠) : « وضبط القاضي تاج الدين عبد الباقي اليمني عمره أربعاً وسبعين سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام » . قلت : وتاج الدين هذا هو صاحب كتاب بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، والنص المذكور فيه (ص٩٩ ـ ١٠٠) (بشار) .

(٩) أ : يحب الحديث ويسمعه وجمع ، ب : يحب الحديث وسمعه وقد جمع .

(١٠) ترجمة ـ شرف الدين المقدسي في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٧٢) ، وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٨١) والعبر (٥/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) ومعجم شيوخ الذهبي (٢٤ ـ ٢٥) والوافي بالوفيات (٦/ ٢٣١) وفوات الوفيات (١/ ٥٧) وطبقات الإسنوي (٢/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٧) والدليل الشافي (١/ ٣٨) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣١٨ ـ ٣١٩) والدارس (١/ ١١١) وبغية الوعاة (١/ ٢٩٤) وشذرات الذهب (٧/ ٧٤٢ ـ ٧٤٣) .

(١١) ب : الشيخ الإمام العابد الخطيب .

أحمد بن الشيخ كمال[١] الدين أحمد بن نِعْمة بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حَمّاد المَقْدِسي الشافعي .

ولد سنة ثنتين وعشرين وستمئة ، وسمع الكثير وكتب (خطاً) حسناً وصنَّفَ فأجاد وأفاد ، وولي القضاء نيابة بدمشق والتدريس والخطابة بدمشق ، وكان مدرس الغزالية ودار الحديث النورية مع الخطابة ، ودرَّس في وقت بالشامية البرانية وأذن في الإفتاء لجماعة من الفضلاء منهم الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو العباس بن تَيْمِيَّة ، وكان يفتخر بذلك ويفرح به ويقول[٢] : أنا أذنت لابن تيمية بالإفتاء ، وكان يتقن فنوناً كثيرة من العلوم ، وله شعر حسن[٣] ، وصنف كتاباً في أصول الفقه جمع فيه شيئاً كثيراً ، وهو عندي بخطه الحسن ، توفي يوم الأحد سابع عشر رمضان وقد جاوز السبعين ، ودُفن بمقابر[٤] باب كيسان عند والده رحمه الله ورحم أباه . وقد خطب بعده يوم العيد الشيخ شرف الدين الفزاري خطيب جامع جراح ، ثم جاء المرسوم لابن جماعة بالخطابة . ومن شعر الخطيب شرف الدين بن المقدسي[٥] : [من السريع][٦]

احججْ إلى الزَّهْرِ لِتَحْظَى بهِ[٧] وارم جِمَارَ الهَمِّ مُسْتَنْفِرا
مَنْ لم يَطُفْ بالزَّهْرِ في وَقْتِهِ من قبل أن يَخْلِقَ قد قَصَّرا

واقف الجَوْهَرِيّة[٨] الصدر [الكبير العدل][٩] نجم الدين ، أبو بكر محمد بن عَبّاس[١٠] بن أبي المكارم التميمي الجَوْهَري .

واقف الجوهرية على الحنفية بدمشق . توفي ليلة الثلاثاء سابع[١١] عشر شوال[١٢] ، ودفن بمدرسته

---

(١) ب : جمال الدين .
(٢) ب : الفضلاء الأمناء منهم الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية وكان يفتخر بذلك ويقول .
(٣) ب : أنا أذنت لابن تيمية في الإفتاء وكان يتقن فنوناً من العلوم وله شعر جيد .
(٤) ب : وكانت وفاته يوم الأحد السابع عشر من رمضان من هذه السنة وقد جاوز السبعين ودفن في مقابر .
(٥) ب : ابن جماعة في الخطابة ومن شعر شرف الدين بن نعمة المقدسي .
(٦) البيتان في شذرات الذهب (٧/ ٧٤٢) .
(٧) في الشذرات . احجج إلى الزهر واسع به .
(٨) ترجمة ـ الجوهري ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٠١) والعبر (٥/ ٣٨٥) والدارس (١/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩) وشذرات الذهب (٧/ ٧٤٧) .
(٩) عن ب وحدها .
(١٠) أ وط : عياش ، وما هنا عن ب ، وشذرات الذهب ، وقد رجحت هذا الوجه لأنه المكتوب على عتبة باب المدرسة الجوهرية كما أثبت ذلك الأمير جعفر الحسني في الدارس ، وابن بدران في منادمة الأطلال (١٦٤ ـ ١٦٥) . قال بشار : وهو الذي بخط الذهبي في تاريخ الإسلام .
(١١) ط : « تاسع » خطأ ، وما هنا من ب وخط الذهبي في تاريخ الإسلام .
(١٢) ب : واقف المدرسة الجوهرية على الحنفية بدمشق وكانت وفاته ليلة الثلاثاء سابع عشر شوال .

وقد جاوز الثمانين ، وكانت له خدم على الملوك ، فمن دونهم[(١)] .

الشيخ الإمام العالم المفتي[(٢)] الخطيب الطبيب ، مجد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح سُحْنُون[(٣)] التنوخي الحنفي ، خطيب النيرب[(٤)] ومدرس الدماغية للحنفية .

وكان طبيباً (ماهراً حاذقاً ، توفي بالنيرب وصلي عليه) بجامع الصالحية ، وكان فاضلاً وله شعر حسن ، وروى شيئاً من الحديث ، توفي ليلة السبت خامس ذي القعدة عن خمس وسبعين سنة .

الفاروثي[(٥)] الشيخ الإمام العالم[(٦)] العابد الزاهد الخطيب عزُّ الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ مُحيي الدين إبراهيم بن عمر بن الْفَرَج بن سابور بن علي بن غَنِيمة الفارُوثي[(٧)] الواسطي .

ولد سنة أربع عشرة وستمئة ، وسمع الحديث ورحل فيه ، وكانت له فيه يدٌ جيدةٌ ، وفي التفسير والفقه والوعظ والبلاغة ، وكان ديّناً عالماً ورعاً زاهداً ، قدم إلى دمشق في دولة الظاهر[(٨)] فأُعطي تدريس الجاروخية[(٩)] وإمام مسجد ابن هشام ، ورتِّب له فيه شيء على المصالح ، وكان فيه برٌّ وإيثار[(١٠)] وله أحوال صالحة ، ومكاشفات كثيرة ، تقدم يوماً في محراب مسجد ابن هشام ليصلي بالناس فقال ـ قبل أن يكبِّر للإحرام والتفت[(١١)] عن يمينه ـ فقال : اخرج فاغتسل ، فلم يخرج أحد ، ثم كرر ذلك ثانيةً وثالثةً ،

---

(١) ب : وغيرهم رحمه الله .

(٢) ترجمة ـ ابن سحْنون ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٩٠) والعبر (٥/ ٢٨٢) وفوات الوفيات (٢/ ٤١٧ ـ ٤١٩) ، وذيل ابن فهد على تذكرة الحفاظ (٨٤) والدليل الشافي (١/ ٤٣٢) والدارس (١/ ٥١٩) وشذرات الذهب (٧/ ٧٤٥) والطبقات السنية (٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٧) .

(٣) ضبطت هكذا في العبر والشذرات والدليل الشافي ، وضبطت بفتح السين في الطبقات السنية . قال بشار : وكلاهما وارد .

(٤) النيرب منطقة جميلة تقع قرب الربوة إحدى مصايف دمشق .

(٥) ترجمة ـ الفاروثي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٨٢) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٠) والعبر (٥/ ٣٨١) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨١) والوافي بالوفيات (٦/ ٢١٩) وفوات الوفيات (١/ ٥٥) وطبقات الإسنوي (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) وذيل تذكرة الحفاظ لابن فهد (٨٥ ـ ٨٩) والنجوم الزاهرة (٨/ ٧٦) والدارس (١/ ٣٥٥) وشذرات الذهب (٧/ ٣٤٣) .

(٦) عن ب وحدها .

(٧) الفاروثي : نسبة إلى فاروث . وهي قرية كبيرة ذات سوق على شاطىء دجلة بين واسط والمذار . معجم البلدان (٤/ ٢٢٩) .

(٨) ب : الدولة الظاهرية .

(٩) ط : الجاروضية ؛ تحريف . ونسبتها إلى جاروخ التركماني بانيها ، وتقع اليوم في جادة السبعة طوالع وقد حولت إلى دور للسكن كما ذكر الأمير جعفر في الدارس (١/ ٢٢٥) .

(١٠) ط : إيثار ؛ تحريف .

(١١) ب : صالحة وذكر أنه تقدم يوماً إلى محراب مسجد ابن هشام بعقد النية فالتفت .

فلم يخرج أحدٌ ، فقال : يا عثمانُ اخرج فاغتسل ، فخرج رجل (من الصف) فاغتسل ثم عاد وجاء إلى الشيخ يعتذرُ إليه ، وكان الرجل صالحاً (في نفسه) ، ذكر أنه أصابه فيض من غير أن يرى شخصاً ، فاعتقد أنه لا يلزمه غُسْلٌ ، فلما قال الشيخ ما قال اعتقد أنه يخاطب غيره ، فلما عيَّنه (باسمه) على أنه المراد[١] .

ثم قدم الفاروثي مرةً أخرى في أواخر أيام المنصور قلاوون فخطب[٢] بجامع دمشق مدة شهور ، ثم عزل بموفق الدين الحموي ، وتقدم ذكر ذلك ، وكان قد درس بالنجيبية وبدار الحديث الظاهرية ، فترك ذلك كله وسافر إلى وطنه ، فمات بكرة يوم الأربعاء مستهلَّ ذي الحجة ، وكان (يوم موته) يوماً مشهوداً بواسط ، وصُلّي عليه بدمشق وغيرها رحمه الله .

وكان قد لبس خرقة التصوف من السهروردي ، وقرأ القراءات العشر وخلَّف ألفي مجلد ومئتي[٣] مجلد ، وحدَّث بالكثير ، وسمع منه البرزالي كثيراً : « صحيح البخاري » و« جامع الترمذي » و« سنن ابن ماجه » ، و« مسند الشافعي » ، و« مسند عبد (ابن حميد) » ، و« معجم الطبراني الصغير » ، و« مسند الدارمي » و« فضائل القرآن » لأبي عبيد ، وثمانين جزءاً وغير ذلك .

الجمال المُحقّق[٤] أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي .

اشتغل بالفقه على مذهب الشافعي ، وبرع فيه وأفتى وأعاد ، وكان فاضلاً في الطب ، وقد وُلِّيَ مشيخة الدخوارية لتقدمه في صناعة الطب على غيره ، وعاد المرضى بالمارستان النوري على قاعدة الأطباء ، وكان مدرساً للشافعية بالفرخشاهية ومعيداً بعدة مدارس ، وكان جيد الذهن مشاركاً في فنون كثيرة سامحه الله .

الست خاتون[٥] بنت الملك الأشرف موسى بن العادل زوجة ابن عمها المنصور بن الصالح إسماعيل بن العادل .

وهي التي أثبت سفهها زمن المنصور[٦] قلاوون حتى اشترى منها حزرما وأخذت الزنبقية من زين الدين السامري .

---

(١) ب : علم ذلك .
(٢) ب : خطب بجامع دمشق .
(٣) ط : مئتي مجلداً ؛ خطأ .
(٤) ترجمة ـ الجمال المحقق ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٨٥) والعبر (٥/ ٣٨٢) وذيل تذكرة الحفاظ لابن فهد (٨٤) وشذرات الذهب (٧/ ٧٤٤) .
(٥) ترجمة ـ الخاتون ـ في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٧٣) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٧٨٧) .
(٦) ب : وزمن الملك قلاوون .

الصدر جمال الدين[١] يوسف بن علي بن مهاجر التّكْريتي أخو الصاحب تَقيّ الدين تَوْبة التكريتي .

[وكان قد][٢] ولي حسبة دمشق في وقت ودفن بتربة أخيه بالسفح ، وكانت جنازته حافلةً ، وكان له عقل وافر وتواضع وثروة ومروءة ، وخلف ثلاثة[٣] بنين : شمس الدين محمد ، وعلاء الدين علي ، وبدر الدين[٤] حسن .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمئة

استُهلَّتْ وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي .

وسلطان البلاد الملك العادل (زين الدين) كَتْبُغا .

ونائبه بمصر الأمير حسام الدين لاجين السلحدار[٥] المنصوري .

ووزيره[٦] فخر الدين بن الخليلي .

وقضاة مصر والشام هم المذكورون[٧] في التي قبلها .

ونائب الشام عز الدين الحموي .

ووزيره تقي الدين توبة .

وشادُّ الدواوين الأَعْسَر .

وخطيب البلد وقاضيها ابن جماعة[٨] .

وفي المحرم وُلّي نظر الأيتام برهان الدين[٩] بن هلال عوضاً عن شرف الدين بن الشيرجي .

وفي مستهل هذه السنة كان الغلاء والفناء بديار مصر شديداً جداً ، وقد تفانى الناس إلا القليل ،

---

(١) ترجمة ـ جمال الدين التكريتي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧٩٩) والدليل الشافي (٢/ ٨٠٤) وفيات ٦٩٥ والنجوم الزاهرة (٨/ ١٨٨) وفيه نقص لفظة (وأخو) فلتثبت قبل اسم أخيه توبة .

(٢) عن ب وحدها .

(٣) ب : وخلف له بنين ، وفي أ ط : ثلاث بنين . وما هنا للسياق النحوي .

(٤) ب : ونور الدين .

(٥) ط : السلحداري ، تحريف .

(٦) ب : والوزير فخر الدين .

(٧) ب : هم الذين كانوا في التي قبلها .

(٨) ب : وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة .

(٩) ب : الصدر نجم الدين بن هلال .

وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها الفئام من الناس ، والأسعار في غاية الغلاء ، والأقوات في غاية القِلَّة والغلاء ، والموت[(١)] عمال ، فمات بها في شهر صفر مئة ألف ونحو من ثلاثين ألفاً .

ووقع غلاء بالشام فبلغت الغرارة إلى مئتين .

وقدمت طائفة من التتر[(٢)] العويرانية[(٣)] لما بلغهم سلطنة كَتْبُغا إلى الشام لأنه منهم ، فتلقاهم الجيش بالرَّحْب والسّعة ، ثم سافروا إلى الديار المصرية مع الأمير[(٤)] قراسنقر المنصوري .

وجاء الخبر باشتداد الغلاء والفناء بمصر حتى قيل إنه بيع الفرُّوج بالإسكندرية بستة وثلاثين درهماً ، وبالقاهرة بتسعة عشر درهماً ، والبيض كل ثلاثة بدرهم ، وأُفنيت الحُمُر والخَيْل والبِغال والكلاب (مِن أكل الناس لها) ، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه .

وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى ولي قضاء القضاة بمصر الشيخ العلامة[(٥)] تقي الدين بن دقيق العيد عوضاً عن تقي الدين بن بنت الأعز ، ثم وقع الرخص بالديار المصرية وزال الضرّ والجوع في جمادى الآخرة[(٦)] ولله الحمد .

وفي يوم الأربعاء ثاني شهر رجب درَّس القاضي إمام الدين بالقيمرية عوضاً عن صدر الدين ابن رزين (الذي) توفي .

قال البرزالي : وفيها وقعت صاعقة على قبة زمزم فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن المسجد الحرام ، كان يؤذن على سطح القبة المذكورة ، وكان قد روى شيئاً من الحديث .

و(فيها) : قدمت امرأة الملك الظاهر أم سلامش من بلاد الأشكري إلى دمشق في أواخر رمضان فبعث إليها نائب البلد بالهدايا والتحف ورتبت لها الرواتب والإقامات[(٧)] ، وكان قد نفاهم خليل بن المنصور لما ولي[(٨)] .

---

(١) ب : كان الفناء بديار مصر شديد وقد تفانى الناس والأسعار والأقوات في غاية القلة فمات . وأ : في غاية القلة والموت .

(٢) ب : بالشام أيضاً فبلغت الغرارة إلى قريب من مئتين وقدمت طائفة من التتر .

(٣) تقدمت اللفظة في سنة ٦٩٤ .

(٤) ب : إلى الشام فتلقاهم الجيش بالرحب والسعة وأكرموا وأحسن إليهم وسافر بأعيانهم إلى الديار المصرية الأمير .

(٥) ب : قضاء القضاة بالديار المصرية الشيخ الإمام العلامة .

(٦) ب : ثم أرخص الناس بالديار المصرية وزال الضر والجوع في شهر جمادى الآخرة .

(٧) ب : فبعث إليها نائب السلطنة الهدايا والتحف ورتب لها الإقامات والرواتب قال الجزري .

(٨) أ : لما تولّى السلطنة .

قال الجزري[(١)] : وفي رجب دَرَّس كمال[(٢)] الدين بن القلانسي [بالظاهرية البرانية] عوضاً عن جلال الدين القزويني .

وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان درَّس الشيخ الإمام العلاّمة شيخ الإسلام تقي الدين بن تَيْمِية الحراني بالمدرسة الحنبلية عوضاً عن الشيخ زين الدين بن المُنَجَّى الذي توفي إلى رحمة الله ، ونزل (ابن تَيْمِيَّة) عن حلقة العماد بن المنجَّى لشمس الدين بن الفخر البعلبكي .

وفي آخر شوال ناب القاضي جمال الدين الزرعي الذي كان حاكماً بزرع ، وهو سليمان بن عمر بن سالم الزرعي عن ابن جماعة بدمشق ، فشُكرت سيرتُه .

فيها : خرج السلطان كتبغا من مصر قاصداً الشام[(٣)] في أواخر شوال ، ولما جاء البريد[(٤)] بذلك ضربت البشائر بالقلعة [المنصورة وعلى أبواب الأمراء أياماً معدودات ، وكان قد وجه إلى دمشق يوم السبت نصف ذي القعدة وقد زُيّن البلد ، وتلقّاه أهلها ، وفرحوا به ، ودعوا له ونزل بالقلعة المنصورة][(٥)] السلطان ونائبه لاجين ووزيره ابن الخليلي .

وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة ولي قضاء الحنابلة الشيخ تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي عوضاً عن شرف الدين ، الذي مات رحمه الله ، وخلع عليه وعلى بقية الحكام وأرباب الولايات الكبار وأكابر الأمراء ، وولي نجم[(٦)] الدين بن أبي الطيب وكالة بيت المال عوضاً عن ابن الشيرازي وخلع عليه مع الجماعة ، ورسم على الأعسر وجماعة من أصحابه وخلق من الكتبة والولاة وصودروا بمال كثير ، واحتيط على أموالهم وحواصلهم ، وعلى بيت[(٧)] ابن السلعوس وابن عدنان وخلق ، وجرت[(٨)] خبطة عظيمة .

وقدم ابنا الشيخ علي الحريري حسن وشيث من بسر لزيارة السلطان فحصل لهما منه رفد وإسعاف وعادا إلى بلادهما[(٩)] .

وضيفت القلندرية السلطان بسفح جبل المزة، فأعطاهم نحواً من عشرة آلاف، وقدم صاحب حماة إلى

(١) جزء من هذا الخبر في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٧٦) .
(٢) ب : قال الجزري : في رجب درس الصدر كمال الدين .
(٣) ب : وخرج السلطان الملك العادل كتبغا من الديار المصرية قاصداً إلى الشام .
(٤) أ : شوال وجاء البريد .
(٥) عن ب وحدها . ومكانه في أ وط : ونزلوا .
(٦) ب : شمس الدين .
(٧) ط : بنت .
(٨) ب : واحتيط على أموالهم وعلى بيت السلعوس وزين الدين بن عدنان [٤٦٢/ ب] وخلق وجرت بدمشق .
(٩) ب : فحصل لهما منه رزق وإسعاف وعادا إلى بلادهما بحوران .

خدمة[١] السلطان ولعب معه الكرة بالميدان ، واشتكت الأشراف من نقيبهم زين الدين بن عدنان ، فرفع الصاحب يده عنهم وجعل أمرهم إلى القاضي الشافعي .

فلما كان يوم الجمعة الثاني[٢] والعشرين من ذي القعدة صلَّى السلطان الملك العادل كتبغا بمقصورة الخطابة ، وعن يمينه صاحب حماة ، وتحته بدر الدين أمير سلاح ، وعن يساره أولاد الحريري حسن وأخواه ، وتحتهم نائب المملكة حسام الدين لاجين وإلى جانبه نائب الشام عز الدين الحموي ، وتحته بدر الدين بَيْسَرِي ، وتحته قرا سنقر وإلى جانبه الحاج بهادر ، وخلفهم أمراء كبار ، وخلع على الخطيب بدر الدين بن جماعة خلعة سنية . ولما قُضيت الصلاة[٣] سلَّم على السلطان وزار السلطان المصحف العثماني . ثم أصبح يوم السبت فلعب الكرة بالميدان .

وفي يوم الإثنين ثاني ذي الحجة عزل الأمير عز الدين الحموي عن نيابة الشام وعاتبه السلطان عتاباً كثيراً على أشياء صدرت منه ، ثم عفا عنه وأمره بالمسير معه إلى مصر[٤] ، واستناب بالشام الأمير سيف الدين غرلو العادلي ، وخلع على المُوَلَّى وعلى المعزول ، وحضر السلطان دار العدل وحضر عنده الوزير والقضاة والأمراء ، وكان عادلاً كما سمي .

[وفيه تولّى الوزارة شهاب الدين الحنفي عوضاً عن التقيّ البَيِّع التكريتي وولي تقي الدين شهاب الدين الجدة عوضاً عن أبيه وخلع عليهما][٥] ، ثم سافر السلطان في ثاني عشر ذي الحجة نحو بلاد حلب فاجتاز على حرستا[٦] ثم أقام بالبريَّة أياماً ، ثم عاد فنزل حمص ، وجاء إليه نواب البلاد وجلس الأمير غرلو نائب دمشق[٧] بدار العدل فحكم وعدل ، وكان محمود السيرة سديد الحكم رحمه الله تعالى .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ زين الدين بن مُنَجَّى[٨] الإمام العالم العلّامة مفتي المسلمين ، الصدر الكامل ، زين الدين

---

(١) ب : وأعطاهم السلطان نحواً من عشرة آلاف وقدم صاحب حماة الملك المظفر إلى خدمة .

(٢) ب : الثامن .

(٣) ب : وخلع على الخطيب خلعة سنية قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ولما قضى الصلاة .

(٤) ب : إلى الديار المصرية .

(٥) عن ب : وحدها .

(٦) ب: ذي الحجة واجتاز على حرسته، ونرسمها اليوم هكذا (حرستا) وقد كانت قرية بباب دمشق ـ كما قال الفيروزآبادي في القاموس (حرس) ـ ولكنها أصبحت الآن حياً من أحياء دمشق بسبب التوسع العمراني الذي أخذ يلتهم ما تبقى من الغوطتين الغربية والشرقية . معجم البلدان (٢/ ٢٤١) وغوطة دمشق (١٦) وقال كردعلي : وأهلها الآن يلفظونها هكذا على لغة تميم بالإمالة ، والنسبة إليها حرستاني وحرستاوي ، ويقولون اليوم حرستاني ويجمعونها على حراستة .

(٧) ب : وجلس نائب دمشق سيف الدين الأمير غرلو بدار العدل .

(٨) ط : أبو البركات بن المنجى ، ولفظة (بن) زائدة وفي ب : المنجا بن عز الدين أبي عمرو بن أسعد .

أبو البركات المُنَجَّى[١] بن الصدر عز الدين أبي عمر عثمان بن أسعد بن المُنَجَّى بن بركات بن المؤَمَّل[٢] التَّنوخي .

شيخ الحنابلة وعالمهم . ولد سنة إحدى وثلاثين وستمئة ، وسمع الحديث وتفقه ، فبرع في فنون (من العلم) كثيرة من الأصول والفروع والعربية (والتفسير وغير ذلك) ، وانتهت إليه رئاسة المذهب ، وصنَّفَ في الأصول ، وشرح « المقنع » ، وله « تعاليق في التفسير » ، وكان قد جُمع له بين حسن السَّمْت[٣] والديانة والعلم والوجاهة وصحة الذهن والعقيدة والمناظرة و كثرة الصدقة ، ولم يزل يواظب على الجامع للإشغال[٤] متبرِّعاً[٥] حتى توفي في يوم الخميس رابع شعبان ، وتوفيت معه زوجته أم محمد ست البهاء بنت صدر الدين الخجندي ، وصُلِّي عليهما بعد الجمعة بجامع دمشق ، وحملا جميعاً إلى سفح قاسيون شمالي الجامع المظفري[٦] تحت الروضة فدفنا في تربة واحدة رحمهما الله تعالى .

وهو والد قاضي القضاة علاء الدين ، وكان شيخ المسمارية ثم وليها[٧] بعده ولداه شرف الدين وعلاء الدين[٨] ، وكان شيخ الحنبلية فدرَّس بها بعده الشيخ تقي الدين بن تيمية كما ذكرنا ذلك في الحوادث .

المسعودي صاحب الحمام بالمزة[٩] (أحد كبار الأمراء) .

هو الأمير الكبير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي ، أحد الأمراء[١٠] المشهورين بخدمة الملوك ، توفي ببستانه بالمزة يوم السبت سابع عِشْري شعبان ، ودفن صبح[١١] يوم الأحد بتربته بالمزة ، وحضر نائب السلطنة جنازته ، وعُمل عزاؤه تحت النسر بجامع دمشق .

---

(١) ترجمة ـ زين الدين بن المنجَّى ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٢٦) والنجوم الزاهرة (٨/ ٧٧ ـ ٧٨) والدليل الشافي (٢/ ٧٤٣) وذيل ابن رجب (٢/ ٣٣٢) والمقصد الأرشد (٣/ ٤١ ـ ٤٢) والدارس (٢/ ٨٧) وشذرات الذهب (٧/ ٧٥٦) .

(٢) ط : المتوكل ؛ تحريف . شجرات الحنابلة في مقدمة المنهج الأحمد (بنو المجن) .

(٣) بعدها في ب : فانتهت إليه رئاسة المذهب وجمع له بين الشكل والسمت .

(٤) ط : « الاشتغال » خطأ ، فالاشتغال : طلب العلم ، والإشغال : بث العلم من تحديث وتدريس وغيرهما (بشار) .

(٥) ب : وصحة الدين وحسن المناظرة وكثرة الصدعة ولم يزل مواظب الجامع للاشتغال تبرعاً .

(٦) ب : المظفري ودفنا .

(٧) ب : فوليها .

(٨) أ : وولده علاء الدين .

(٩) ترجمة ـ لؤلؤ المسعودي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٢١) والدليل الشافي (١/ ٥٦٨) .

(١٠) ب : أحد كبار الأمراء .

(١١) ب : صبيحة يوم الأحد .

الشيخ الخالدي[١] (هو) الشيخ الصالح إسرائيل بن علي بن حسين الخالدي .

له زاوية خارج باب السلامة ، (كان) يُقْصَد فيها للزيارة ، وكان مشتملاً على عبادة وزهادة ، وكان لا يقوم لأحد[٢] ، ولو كان مَنْ كان ، وعنده سكون وخشوع ومعرفة بالطريق ، وكان لا يخرج من منزله إلا إلى الجمعة ، حتى كانت وفاته بنصف رمضان ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

الشرف الحسن المقدسي[٣] هو قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسن بن الشيخ[٤] الإمام الخطيب شرف الدين أبي بكر عبد الله ابن الشيخ أبي عمر المقدسي .

سمع الحديث وتفقه وبرع في الفروع والنحو[٥] واللغة ، وفيه أدب وحسن محاضرة ، مليح (الشكل) ، تولّى القضاء بعد نجم الدين بن الشيخ شمس الدين في أواخر سنة سبع وثمانين ، ودرَّسَ بدار الحديث الأشرفية بالسفح ، توفي[٦] ليلة الخميس الثاني والعشرين من شَوّال ، وقد قارب الستين ، ودُفن من الغد بمقبرة جَدِّه (بالسَّفْح) ، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان جنازته[٧] ، وعُمل من الغد عزاؤه بالجامع المُظَفَّري[٨] ، وباشر القضاء بعده تقي الدين سليمان بن حمزة[٩] ، وكذا مشيخة دار الحديث الأشرفية بالسفح ، وقد وليها[١٠] شهاب الدين العابر الحنبلي النابلسي مدة شهور ، ثم صرف عنها واستقرت بيد التقي سليمان المقدسي .

---

(١) ترجمة ـ إسرائيل الخالدي ـ في الدليل الشافي (١/ ١١٨) .
(٢) ب : لأحد من الناس .
(٣) ترجمة ـ الحسن المقدسي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨١٠) الوافي بالوفيات (١٢/ ٩٣) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣٤) والدليل الشافي (١/ ٢٦٤) والمقصد الأرشد (١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) والدارس (١/ ٥١ ـ ٥٢) و(٢/ ٣٤) والقلائد الجوهرية (١/ ١٥٨) وشذرات الذهب (٧/ ٧٥١) واسمه في هذه المصادر جميعاً : الحسن لا الحسين كما ورد في ط وأ ؛ وهو تحريف . لأنّ أبا عمر رحمه الله خلّف ستة ذكور هم : إبراهيم وأحمد وعبد الرحمن وعمر وعلي وعبد الله . وابنه الأخير عبد الله خلف أربعة ذكور هم : عمر وإبراهيم وأحمد والحسن ، وليس بين أولاده (الحسين) أبداً . وقد أوضحت ذلك في مشجرات الأسر الحنبلية التي ألحقتها بمقدمة تحقيق المنهج الأحمد . وحققت منه الجزء الثاني وشاركت في إعداد فهارسه .
هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ النعيمي نقل ترجمته في كتابه الدارس (١/ ١٥) عن ابن كثير بحذافيرها كعادته وفيه : الحسن ، كما أنها كذلك بخط الذهبي في تاريخ الإسلام .
(٤) عن ب وحدها .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) ب : وكانت وفاته .
(٧) ب : في جنازته .
(٨) يسميه أهل دمشق جامع الحنابلة وهو لا يزال قائماً في سوق أبي جرش في صالحية دمشق .
(٩) سترد ترجمته في وفيات سنة ٧١٥ من الجزء التالي .
(١٠) ب : الأشرفية ووليها شهاب الدين ، وفي ط : شرف الدين الغابر . والخبر في الدارس (٢/ ٩١) .

الشيخ الإمام العالم الناسك أبو محمد بن أبي جَمْرة[١] المغربي المالكي .

توفي بالديار المصرية في ذي القعدة ، وكان قَوَّالًا بالحق ، أَمّاراً بالمعروف ، ونَهَّاءً عن المنكر ، رحمه الله .

الصاحب محيي الدين بن النَّحّاس[٢] أبو عبد الله محمد بن بدر الدين يعقوب بن إبراهيم بن عبد الله بن طارق بن سالم بن النَّحَّاس الأسدي الحلبي الحنفي .

ولد سنة أربع عشرة وستمئة بحلب ، واشتغل وبرع وسمع الحديث وأقام بدمشق مدةً ، ودرَّس بها بمدارس كبار ، منها الظاهرية والريحانية[٣] ، وولي القضاء بحلب والوزارة بدمشق ، (ونظر الخزانة) ونظر الدواوين والأوقاف[٤] ، ولم يزل مكرماً معظماً معروفاً بالفضيلة والإنصاف في المناظرة ، محباً للحديث وأهله على طريقة السلف ، وكان يحبّ الشيخ عبد القادر وطائفته . توفي[٥] ببستانه بالمزة عشية الإثنين سلخ ذي الحجة ، وقد جاوز الثمانين ، ودُفن يوم الثلاثاء مُسْتَهَلَّ سنة ست وتسعين بمقبرةٍ له بالمزة ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة .

قاضي القضاة[٦] تقيّ الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن قاضي القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب بن القاضي الأعَزّ أبي القاسم خلف بن بدر العلائي الشافعي .

توفي في جمادى الأولى ودُفن بالقرافة بتربتهم .

---

(١) « حمزة » ، وما هنا من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٣١) ، وله ترجمة في تاريخ ابن الجزري (٢/ الورقة ٣٦ باريس) .

(٢) ترجمة ـ ابن النحاس ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٢٥) ، ومعجم شيوخ الذهبي الكبير (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨٢) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩١) والعبر (٥/ ٣٩٨) والوافي بالوفيات (٥/ ٢٢٤) وطبقات الإسنوي (٢/ ٥٠٧) وفوات الوفيات (٢/ ٣٥٠) والنجوم الزاهرة (٨/ ٧٨) والدليل الشافي (٢/ ٧٥٥) والدارس (١/ ٥٢٤) والجواهر المضية (٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٢) وشذرات الذهب (٧/ ٧٥٥) .

(٣) أ ، ب : منها الزنجارية والظاهرية وولي ، وفي ط : الظاهرية والزنجانية ، وما أثبت عن ب وهو الصحيح كما في الدارس (٢/ ٥٢٢ ـ ٥٢٥) .

(٤) ب : بدمشق ونظر الدواوين ، ونظر الأوقاف .

(٥) ب : وكانت وفاته .

(٦) ترجمة ـ ابن بنت الأعز ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨١٦) ونص مستدرك العبر (٢١) وفوات الوفيات (١٨/ ٦٤) والوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٢) ومرآة الجنان (٤/ ٢٢٨) وطبقات الإسنوي (١/ ١٥١) والنجوم الزاهرة (٨/ ٨٢) والدليل الشافي (١/ ٤٩) وحسن المحاضرة (١/ ٤١٥) و(٢/ ١٦٨) وشذرات الذهب (٧٥٢) .

ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمئة

استُهلت والخليفةُ والسلطان ونائب مصر ونائب الشام والقضاة هم المذكورون في التي قبلها والسلطان[١] الملك العادل كتبغا في نواحي حمص يَتَصيَّد ، ومعه نائب مصر لاجين[٢] وأكابر الأمراء ، ونائب الشام بدمشق (وهو) الأمير سيف الدين غرلو[٣] العادلي .

[وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها غير الحنبلي فإنه تقي الدين سليمان بن حمزة ، والوزير شهاب الدين الحنفي ، وابنه المحتسب[٤] ، وخطيب البلد قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي][٥] .

فلما كان يوم الأربعاء ثاني المحرم دخل السلطان كتبغا ضحى إلى دمشق من نواحي حمص وصلَّى الجمعةَ بالمقصورة وزار قبر هود وصلى عنده ، وأخذ من الناس قصصهم بيده ، وجلس بدار العدل في يوم السبت ووقع على القصص هو ووزيره فخر الدين الخليلي .

وفي هذا الشهر حضر شهاب الدين بن محيي الدين بن النحاس في مدرستي أبيه الريحانية[٦] والظاهرية وحضر الناس عنده .

ثم حضر السلطان دار العدل يوم الثلاثاء وجاء يوم الجمعة فصلَّى الجمعة بالمقصورة[٧] ثم صعد في هذا اليوم إلى مغارة الدَّم لزيارتها[٨] ، ودعا هنالك وتصدَّق بجملةٍ من المال ، وحضر الوزير الخليلي ليلة الأحد ثالث عشر المحرم إلى الجامع بعد العشاء فجلس عند شباك الكاملية وقرأ القراء[٩] بين يديه ، ورسم بأن يكمّل داخل الجامع بالفرش ففعلوا ذلك ، واستمر ذلك نحواً من شهرين[١٠] ثم عاد إلى ما كان عليه .

---

(١) ب : وستماية الخليفة العباسي وسلطان البلاد الملك العادل كتبغا وهو في نواحي حمص .
(٢) ب : ومعه نائب الديار المصرية حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري .
(٣) ب : عزلوا . وهو غرلو بن عبد الله العادلي سيف الدين . سترد ترجمته في وفيات سنة ٧١٩ من الجزء التالي . بعده في ب : وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها .
(٤) هكذا في الأصول ، وهو خطأ وقال الذهبي ـ كما بخطه ـ : « وولي حسبة دمشق الزين عمر أخو الصاحب شهاب الدين الحنفي » (تاريخ الإسلام ١٥/ ٦٩٤) وسيأتي في حوادث السنة أن المحتسب هو زين الدين (بشار) .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) ب : الزنجانية .
(٧) أ ، ب : وجاء إلى صلاة الجمعة فصلَّى بالمقصورة .
(٨) ب : إلى مغارة الدم وزارها ودعا هنالك وتصدّق بجملة من المال وحضر الوزير فخر الدين بن الخليلي .
(٩) ب : وقرى بين يديه . وفي ط : وقرأ القراؤن . وما هنا عن أ .
(١٠) ب : ففعل ذلك فاستمر لذلك نحواً من شهرين . وفي أ : ففعلوا كذلك واستمر نحو من شهرين .

وفي صبيحة هذا اليوم دَرَّسَ القاضي شمس الدين بن الحريري بالقيمازية عوضاً عن شهاب الدين[١] النحاس باتفاق بينهم ، وحضر عنده جماعةٌ ، ثم صَلَّى السلطان الجمعة الأخرى بالمقصورة ومعه وزيره ابن الخليلي وهو ضعيف من مرض أصابه .

وفي سابع عشر المحرم أمر للملك الكامل بن الملك السعيد بن الصالح إسماعيل بن العادل بطبلخانة ولبس الشربوش ، ودخل القلعة ودقت[٢] له الكوسات على بابه ، ثم خرج[٣] السلطان العادل كَتْبُغا بالعساكر من دمشق بكرة الثلاثاء ثاني عِشْري المحرم ، وخرج بعده الوزير فاجتاز بدار الحديث ، وزار الأثر النبوي ، وخرج إليه الشيخ زين الدين الفارقي وشافهه بتدريس الناصرية ، وترك زين الدين تدريس الشامية البرانية فوليها القاضي كمال الدين بن الشَّريشي ، وذكر أن الوزير أعطى الشيخ شيئاً من حطام الدنيا فقبله ، وكذلك أعطى خادم الأثر (وهو) المعين خطاب . وخرج الأعيان والقضاة[٤] مع الوزير لتوديعه .

ووقع في هذا اليوم مطرٌ جيدٌ استشفى الناس به ، وغسل آثار العساكر من الأوساخ وغيرها .

وعاد التقيُّ توبةُ من توديع الوزير وقد فوض إليه نظر الخزانة ، وعُزل عنها شهاب الدين بن النحاس .

ودرَّس الشيخُ ناصر الدين بالناصرية الجوانية[٥] عوضاً عن القاضي بدر الدين بن جماعة في يوم الأربعاء آخر يوم من المحرم .

وفي هذا اليوم تحدث الناس فيما بينهم بوقوع تخبيط بين العساكر[٦] ، وخلف وتشويش ، فغلق باب القلعة الذي يلي المدينة[٧] ، ودخل الصاحب شهاب الدين إليها من باب[٨] الخوخة ، وتهيأ النائب والأمراء وركب طائفة من الجيش على باب النصر وقوفاً هنالك[٩] ، فلما كان وقت العصر وصل السلطان الملك العادل كتبغا إلى القلعة[١٠] في خمسة أنفس أو ستة من مماليكه ، (فدخل القلعة) فجاء إليه الأمراء

---

(١) عن ب وحدها .

(٢) ب : وضربت الكوسات ، والكوسات : الطبول الصغار ـ فارسية معربة ـ صبح الأعشى (٤/ ٩ و١٣) وهامش النجوم الزاهرة (٨/ ٤٤) .

(٣) ب : وخرج السلطان الملك العادل كتبغا بالعساكر المنصورة بكرة يوم الثلاثاء فاجتاز . وفي أ : بكرة الثلاثاء ثاني عشر المحرم .

(٤) ب : وخرج القضاة والأعيان .

(٥) ب : الناصرية البرانية ؛ وهو تحريف . والخبر في الدارس (١/ ٤٦١) .

(٦) ب : العسكر .

(٧) ب : الذي من المدينة .

(٨) ط : من ناحية الخوخة .

(٩) عن ب وحدها .

(١٠) إلى دمشق في خمسة أنفس .

وأحضر ابن جماعة وحسام الدين الحنفي ، وجددوا الحلف للأمراء ثانية فحلفوا[١] ، وخلع عليهم ، وأمر بالاحتياط على نواب الأمير حسام الدين لاجين وحواصله ، وأقام العادل بالقلعة هذه الأيام ، وكان الخلف الذي وقع بينهم بوادي فحمة يوم الإثنين الثامن[٢] من المحرم ، وذلك أن الأمير حسام الدين لاجين كان قد واطأ جماعةً من الأمراء في الباطن على العادل ، وتوثق منهم ، وأشار على العادل حين خرجوا من دمشق أن يستصحب معه الخزانة ، وذلك لئلا يبقى بدمشق شيء من المال يتقوّى به (العادل) إن (فاتهم و) رجع إلى دمشق[٣] ، ويكون قوة له (هو) في الطريق على ما عزم[٤] عليه من الغدر ، فلما كانوا بالمكان المذكور قتل لاجين الأمير سيف الدين بَتُخَاص[٥] وبكتوت الأزرق العادليين ، وأخذ الخزانة من بين يديه والعسكر ، وقصدوا الديار المصرية ، فلما سمع العادل بذلك خرج في الدهليز وساق جريدة[٦] فدخلها كما ذكرنا ، وتراجع (إليه) بعض مماليكه كزين الدين غُلْبُك وغيره ، ولزم شهاب الدين الحنفي القلعة لتدبير المملكة .

ودرّس [الشيخ كمال الدين][٧] بن الشريشي بالشامية البرانية بكرة يوم الخميس مُسْتَهلّ صفر ، وتقلّبَتْ أمورٌ كثيرة في هذه الأيام ، ولزم السلطان القلعة لا يخرج[٨] منها ، وأطلق كثيراً من المكوس ، وكُتب بذلك تواقيع وقُرئت على الناس ، وغلا السعر جداً فبلغت[٩] الغرارة مئتين ، واشتدّ الحال وتفاقم الأمر ، فإنا لله وإنّا إليه راجعون .

ذكر[١٠] سلطنة الملك المنصور لاجين السلحدار[١١]

وذلك أنه لما استاق الخزانة وذهب بالجيوش إلى الديار المصرية دخلها في أُبَّهة عظيمة ، وقد اتفق معه جمهور الأمراء الكبار وبايعوه وملكوه عليهم ، وجلس على سرير الملك يوم الجمعة عاشر صفر ،

---

(١) ب : الحنفي وتجدد تحليف الأمراء ثانية فحلفوا له فخلع عليهم .
(٢) ب : التاسع والعشرون .
(٣) ب : يتقوّى إن رجع إليها .
(٤) ب : ويكون قوة له في الطريق على ما قد عزم عليه من الغدر .
(٥) ط : بيحاص ؛ تحريف ، وما أثبته موافق لما في الدليل الشافي (١/ ١٨٢) .
(٦) ب : وساق بجريدة إلى دمشق .
(٧) عن ب وحدها .
(٨) ب : لا يريم منها .
(٩) ب : وبلغت .
(١٠) عن أ وحدها .
(١١) ب : السلحداري .

ودُقَّت بمصر البشائر، وزُيِّنت البلد، وخُطب له على المنابر، وبالقدس والخليل، ولُقِّب بالملك المنصور، وكذلك دقت له البشائر بالكرك[١] ونابلس وصفد، وذهبت إليه طائفة من أمراء دمشق، وقدمت التجريدة من جهة الرحبة صحبة الأمير سيف الدين كجكن[٢] فلم يدخلوا البلد بل نزلوا بميدان الحصى[٣]، وأظهروا[٤] مخالفة العادل وطاعة المنصور [لاجين صاحب مصر، وركب إليه الأمراء طائفةً بعد طائفة، وفوجاً بعد فوج][٥]، تقوّى أمر المنصور وضعف[٦] أمر العادل (جداً)، فلما رأى انحلال أمره قال للأمراء: هو خشداشي[٧] أنا وهو شيء واحد، وأنا سامعٌ له مطيعٌ، وأنا أجلس في أي مكان من القلعة[٨] أراد، حتى تكاتبوه وتنظروا ما يقول. وجاءت البريدية بالمكاتبات بالأمر بالاحتياط[٩] على القلعة وعلى العادل وبقي الناس في هرج وأقوال[١٠] ذات ألوان مختلفة، وأبواب القلعة مغلقة، وأبواب البلد سوى باب النصر إلا الخوخة، والعامة حول القلعة قد ازدحموا حتى سقطت طائفة منهم بالخندق[١١] فمات بعضهم، وأمسى الناس عشية السبت وقد أعلن باسم الملك المنصور لاجين، ودُقَّت البشائر بذلك بعد العصر ودعا له المؤذنون في سحر ليلة الأحد بجامع دمشق، وتَلَوْا قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأصبح الناس يوم الأحد فاجتمع القضاة والأمراء وفيهم غرلو العادلي بدار السعادة فحلفوا للمنصور لاجين، ونودي بذلك في البلد، وأن يفتح الناس دكاكينهم، واختفى الصاحب شهاب الدين وأخوه زين الدين المحتسب، فعمل الوالي ابن النشابي حسبة البلد، ثم ظهر زين الدين فباشرها على عادته. وكذلك ظهر أخوه شهاب الدين، وسافر نائب البلد غرلو والأمير جاغان[١٢] إلى الديار المصرية يعلمان السلطان

---

(١) كجكن؛ في الدرر الكامنة (٣/ ٢٦٥).
(٢) أ: وكذلك بالكرك، وفي ب: وكذلك دقت البشائر بالكرك.
(٣) ط: بميدان الحصن.
(٤) ب: وأظهروا مملكة المنصور لاجين.
(٥) ليس ما بينها في أ.
(٦) ط وأ: فضعف.
(٧) خشداش وهو معرب اللفظ الفارسي (خوجاتاش) أي الزميل في الخدمة والخشداشية ـ في اصطلاح عصر المماليك بمصر ـ: الأمراء الذين نشؤوا مماليك عند سيد واحد فبقيت بينهم رابطة الزمالة القديمة. هامش النجوم الزاهرة (٧/ ١٠).
(٨) ب: من أي مكان كان قلعة حتى تكاتبوه.
(٩) ب: بأمر الاحتياط على القلعة وعلى الملك العادل.
(١٠) ب: وأقوال مختلفة وأبواب القلعة مغلقة سوى باب النصر وباب القلعة أيضاً وإنما الخوخة.
(١١) ب: حتى سقط منهم طائفة في الخندق فمات.
(١٢) ب: جاعان، وما هنا من أوخط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٩٦).

بوقوع التحليف على ما رسم به ، وجاء كتاب السلطان أنه جلس على السرير يوم[(١)] الجمعة عاشر صفر ، وشق القاهرة في سادس عشرة في أُبَّهة المملكة ، وعليه الخلعة الخليفية والأمراء بين يديه [مشاة] ، وأنه قد استناب[(٢)] بمصر الأمير شمس[(٣)] الدين سنقر المنصوري ، وخطب للمنصور لاجين بدمشق أول يوم ربيع الأول ، وحضر المقصورة القضاة وشمس الدين الأعسر وكجكن ، واسندمر وجماعة من أمراء دمشق ، وتوجه القاضي إمام الدين القزويني وحسام الدين الحنفي وجمال الدين المالكي إلى الديارالمصرية مطلوبين ، وقدم الأمير حسام الدين أستاذ دار[(٤)] السلطان ، وسيف الدين جاغان[(٥)] من جهة السلطان فحلفت[(٦)] الأمراء ثانية ودخلوا على العادل القلعة[(٧)] ومعهم القاضي بدر الدين ابن جماعة وكجكن فحلَّفوه أيماناً مؤكدةً بعدما طال بينهم الكلام بالتركي ، وذكروا له بالتركي[(٨)] في مبايعته أنه راض من البلدان أي بلد كان ، فوقع التعيين بعد اليمين على قلعة صرخد ، وجاءت المراسيم بالوزارة لتقي الدين توبة ، وعُزل شهاب الدين الحنفي ، وبالحسبة لأمين الدين يوسف (الأرمني) الرومي صاحب شمس الدين الأيكي ، عوضاً عن زين الدين الحنفي[(٩)] ، ودخل الأمير سيف الدين قبجق المنصوري على نيابة الشام إلى دمشق بكرة السبت السادس عشر من ربيع الأول ، ونزل بدار[(١٠)] السعادة عوضاً عن سيف الدين غرلو[(١١)] العادلي ، وقد خرج الجيش بكماله لتَلَقّيه ، وحضر يوم الجمعة إلى المقصورة فصلّى بها وقرئ بعد الجمعة كتاب سلطاني حسامي[(١٢)] بإبطال الضمانات من الأوقاف والأملاك بغير رضى أصحابها[(١٣)] ، قرأه القاضي محيي الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء ، ونودي في البلد مَن له مظلمة فليأت يوم الثلاثاء إلى دار العدل ، وخلع على الأمراء والمقدمين وأرباب

---

(١) ب : في يوم الجمعة .

(٢) ب : قد استناب بالديار المصرية .

(٣) أ ، وط : سيف الدين ؛ تحريف . وهو شمس الدين سنقر بن عبد الله الأعسر . ولاه لاجين الوزارة سنة ٦٩٦ وتوفي سنة ٧٠٩ . الدليل الشافي (١/ ٣٢٧) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٧٨) والدرر الكامنة (٢/ ١٧٧) .

(٤) أ : استادار ، وفي ب : استاد دار .

(٥) ب ، ط : « جاعان » ، مصحف .

(٦) أ ، وط : فحلفوا الأمراء . وهي لغة مفضولة وما هنا عن ب .

(٧) ب : ودخلوا على العادل إلى القلعة .

(٨) ب : وذكر في حلفه أنه راض بما يعينه عن البلدان أي بلد كان .

(٩) ب : الحنفي أخو شهاب الدين الذي كان وزيراً ودخل .

(١٠) ط : نزلوا دار .

(١١) أ : ربيع الأول عوضاً عن غرلو .

(١٢) ب : قرأ بعد الجمعة كتاب سلطان حسامي .

(١٣) أ : الضمانات من الأملاك والأوقاف بغير رضى أصحابها .

المناصب من القضاة والكتبة ، وخلع على ابن جماعة خلعتين واحدة للقضاء والأخرى للخطابة .

ولما كان في شهر جمادى الآخرة وصل البريد فأخبر بولاية إمام الدين القزويني القضاء[١] بالشام عوضاً عن بدر الدين بن جماعة ، وإبقاء ابن جماعة على الخطابة ، وتدريس القيمرية التي كانت بيد إمام الدين ، وجاء كتاب السلطان بذلك وفيه احترام وإكرام له ، فدرَّس بالقيمرية يوم الخميس ثاني رجب ، ودخل إمام الدين[٢] إلى دمشق عقيب صلاة الظهر يوم الأربعاء الثامن من رجب فجلس بالعادلية وحكم بين الناس[٣] وامتدحه الشعراء بقصائد ، منها[٤] قصيدة لبعضهم يقول في أولها : [من الطويل]

تَبَدَّلَتِ الأَيّامُ مِنْ بَعْدِ عُسْرِها يُسْرا   فَأَضْحَتْ ثُغُورُ الشَّامِ تَفْتَرُّ بالبُشْرَى

وكان حال دخوله عليه خلعة السلطان ومعه القاضي جمال الدين الزواوي ، قاضي قضاة المالكية وعليه خلعة أيضاً ، وقد شكرت سيرة إمام الدين في السفر ، وذُكر من حسن أخلاقه ورياضته (ما هو حسن جميل) ، ودرَّس بالعادلية بكرةَ الأربعاء منتصفَ رجب ، وأشهد (عليه) بعد الدرس بولاية[٥] أخيه جلال الدين نيابة الحكم ، وجلس في الديوان الصغير وعليه الخلعة[٦] ، وجاء الناس يهنئونه وقرئ تقليده يوم الجمعة بالشباك الكمالي بعد الصلاة[٧] بحضرة نائب السلطنة وبقية القضاة ، قرأه شرف الدين الفزاري .

وفي شعبان وصل الخبر بأن شمس الدين الأعسر تولّى بالديار المصرية شَدَّ الدواوين والوزارة ، وباشر المنصبين جميعاً ، وباشر نظر الدواوين بدمشق فخر الدين بن الشيرجي عوضاً عن زين الدين بن صَصْرَى ، ثم عزل بعد قليل بشهر أو أقل[٨] بأمين الدين بن هلال ، وأعيدت الشامية البرانية إلى الشيخ زين الدين الفارقي مع الناصرية بسبب غيبة كمال الدين بن الشَّريشي بالقاهرة ، [ودرّس فيها في شهر رمضان يوم إثنين بعد العصر][٩] .

وفي الرابع عشر من ذي القعدة أمسك[١٠] الأميرُ شمس الدين قراسنقر المنصوري نائب الديار المصرية

---

(١) ب : فأخبر بتولية القاضي إمام الدين القزويني قضاء القضاة بالشام عوضاً عن بدر الدين بن جماعة على الخطابة وأضيف إليه تدريس .
(٢) ب : ودخل قاضي القضاة إمام الدين إلى دمشق .
(٣) ب : بين الخصوم .
(٤) أ ، ب : وامتدحه الشعراء منها قصيدة .
(٥) أ ، ب : بتولية أخيه .
(٦) ب : الصغير وحكم وألبسه أجود خلعة وجاء الناس لتهنئته .
(٧) ب : يوم الجمعة بعد الصلاة بالشباك الكمالي .
(٨) ب : ثم عزل بعد قليل بشهر أو أزيد .
(٩) عن ب : وحدها .
(١٠) أ ، ب : مسك .

لاجين[١] هو وجماعة من الأمراء معه ، واحتيط على حواصلهم وأموالهم بمصر والشام ، وولى السلطان نيابة مصر للأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي ، (وهؤلاء الأمراء الذين مسكهم هم الذين كانوا قد أعانوه وبايعوه على العادل كتبغا) ، وقدم الشيخ كمال الدين الشريشي من الديار المصرية ومعه توقيع بتدريس الناصرية عوضاً عن الشامية البرانية ودرّس فيها يوم السبت يوم عرفة ، وأمسك الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وزير مصر وشادّ الدواوين[٢] يوم السبت الثالث والعشرين من ذي الحجة ، واحتيط على أمواله وحواصله بمصر والشام أيضاً .

ونودي بمصر في ذي الحجة أن لا يركب أحد من أهل الذِّمة فرساً ولا بغلاً ، ومن وُجد منهم راكباً ذلك أخذ منه[٣] .

وفيها : ملك اليمن السلطان الملك المؤيد هِزَبْر الدين[٤] داود بن الملك المظفر المتقدم ذكره في التي قبلها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

قاضي قضاة الحنابلة بمصر[٥] عز الدين عمر بن عبد الله بن عوض المقدسي الحنبلي .

سمع الحديث وبرع في المذهب وحكم بمصر ، وكان مشكوراً في سيرته وحكمه[٦] ، تُوفي في صفر ودُفن بالمقطم ، وتولى بعده شرف الدين عبد الغني[٧] بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر الحَرَّاني بديار مصر .

الشيخ الإمام الحافظ القدوة[٨] عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عزاز المصري الحنبلي .

---

(١) ب : المصرية الملك المنصور حسام الدين لاجين .
(٢) ب : وزير الديار المصرية وشادّ دواوينها .
(٣) ب : ومن وجد منهم كذلك أخذ منه .
(٤) أ : الملك المؤيد هو زين الدين ، وفي الدليل الشافي (١/ ٢٩٧) : عزيز الدين ، وفي تاريخ ابن الجزري (٣٨٤) هزير الدين ، وكل ذلك تحريف . وورد اسمه صحيحاً في فوات الوفيات (١/ ٤٢٨) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٥٣) والدرر الكامنة (٢/ ٩٩) ووفاته في هذه المصادر جميعاً سنة ٧٢١ .
(٥) ترجمة ـ عز الدين المقدسي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٤٣) الإعلام بوفيات الأعلام (٢٩١) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨٣) وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٨١) ونص مستدرك من العبر (٢٥) والوافي بالوفيات (٢٢/ ١٨٩) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣٥) والنجوم الزاهرة (٨/ ١١١) والدليل الشافي (١/ ٤٩٨) والمقصد الأرشد (٢/ ٣٠١) وحسن المحاضرة (١/ ٤٨٠) و(٢/ ١٩١) .
(٦) ب : وكان مشكور السيرة توفي في صفر ودفن بسفح المقطم وحكم بعده .
(٧) ب : عبد الله ؛ وهو تحريف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٧٠٩ من الجزء التالي . الدليل الشافي (١/ ٤٢١) .
(٨) ترجمة ـ عبد السلام بن مزروع ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٤٠) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩١) وذيل ابن رجب (٢/ ٣٣٤) والعقد الثمين (٥/ ٤٢٩) والمقصد الأرشد (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١) وشذرات الذهب (٧/ ٧٦٠ ـ ٧٦١) .

توفي بالمدينة النبوية في أواخر صفر ، ولد[١] سنة خمس وعشرين وستمئة ، وسمّع الحديث الكثير[٢] ، وجاور بالمدينة النبوية خمسين سنة ، وحج فيها أربعين حجة متوالية ، وصُلِّيَ عليه بجامع دمشق[٣] صلاة الغائب رحمه الله .

الشيخ شَيْث بن الشيخ علي الحريري توفي بقرية بُسْر من حوران يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر وتوجَّه أخوه حسن والفقراء من دمشق إلى هناك لتعزية أخيهم حسن الأكبر[٤] فيه .

الشيخ الصالح المقرئ جمال الدين عبد الواحد[٥] بن كَثير بن ضِرْغام المصري ، ثم الدمشقي ، نقيب السُبع[٦] الكبير والغزالية .

كان قد قرأ على السَّخَاوي وسمع الحديث ، توفي في أواخر رجب وصُلِّيَ عليه بالجامع الأموي ودفن بالقرب من قبة الشيخ رسلان .

واقف السَّامَرِّية [الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السّامَرِّي[٧]

واقف السَّامَرِّية][٨] التي إلى جانب الكروسية بدمشق ، وكانت داره التي يسكن بها ، ودفن بها

---

(١) ب : وقد كان مولده في سنة .

(٢) أ : وسمع الكثير ، وفي ب : وصنف الكثير .

(٣) أ ، ط : وصلي عليه بدمشق .

(٤) ب : بقرية توفي يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر توجه أخوه حسن من دمشق والفقراء إلى هنالك لتعزية أخيهم الأكبر منه .

(٥) ترجمة ـ عبد الواحد بن كثير ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٤١) ، ومعجم شيوخ الذهبي (١/ ٤٢٦) وغاية النهاية (١/ ٤٧٧) وفيه كنيته أبو محمد ووفاته سنة ٦٩٠هـ .

(٦) الدارس (٢/ ٣٩٣) .

(٧) ترجمة ـ السامري ـ في تاريخ ابن الجزري (٣٨٥ ـ ٣٨٦) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٨٣٥) والوافي بالوفيات (٨/ ٦٦) والوافي بالوفيات (١/ ١٣٤ ـ ١٤٠) والدارس (١/ ٧٢ ـ ٧٣) والدليل الشافي (١/ ٨١) .

(٨) أ ، ب : السرمري .السامري : بفتح الميم وكسر الراء مشددة نسبة إلى سر من رأى بلدة على الدجلة وينسب إليها أيضاً علي السرمري . الدارس (١/ ٧٢) ومنادمة الأطلال (٤٤) ، ودار الحديث السامريّة بالقرب من محلة مئذنة الشحم بدمشق بزقاق الدسوقي . مختصر الدارس (١٤) .
وقال ابن بدران : هذا الزقاق مشهور الآن بزقاق السلمي وهو مقابل الزقاق الذي وراء سوق البزورية من جهة الشرق وقد صارت الآن دوراً للسكن فانمحى أثرها واندرست أطلالها ولم يبق منها سوى أحجار في أساس جدار تشير إليها . منادمة الأطلال (٤٤) .

ووقفها دار حديث وخانقاه ، وكان[(١)] قد انتقل إلى دمشق وأقام بها بهذه الدار مدة ، وكانت قديماً تعرف بدار ابن قوام ، بناها من حجارة منحوتة كلها ، وكان السَّامَرِّي كثيرَ الأموال حسنَ الأخلاق معظماً عند الدولة ، جميلَ المعاشرة ، له أشعار رائقة ومبتكرات فائقة ، توفي[(٢)] يوم الإثنين ثامن عشر شعبان [بداره وصُلِّي عليه العصر بالجامع الأموي ثم أُعيد إلى داره فدفن بها رحمه الله][(٣)] ، وقد كان ببغداد له حظوة عند الوزير ابن العلقمي ، وامتدح المستعصم[(٤)] وخلع عليه خلعة سوداء سنية ، ثم قدم دمشق في أيام الناصر صاحب حلب فحظي عنده أيضاً فسعى فيه أهل الدولة فصنف فيهم أرجوزة فتح عليهم بسببها باباً فصادرهم[(٥)] الملك[(٦)] بعشرين ألف دينار ، فعظَّموه جداً وتوسَّلوا به إلى أغراضهم ، وله قصيدة في مدح[(٧)] النبي ﷺ ، وقد كتب عنه الحافظ الدمياطي شيئاً من شعره .

واقف النفيسية[(٨)] التي بالرصيف الرئيس نفيس الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلامة[(٩)] بن علي بن صدقة الحراني ثم الدمشقي .

كان أحد شهود القيمة[(١٠)] بدمشق ، وولي نظر الأيتام في وقت ، وكان ذا ثروة من المال ، ولد سنة ثمانٍ وعشرين وستمئة ، وسمع الحديث ووقف داره دار حديث ، توفي[(١١)] يوم السبت بعد الظهر الرابع من ذي القعدة ، ودفن بسفح قاسيون بُكرة يوم الأحد بعد ما صُلّي عليه بالأموي[(١٢)] .

---

(١) أ ، ب : وقد كان .

(٢) ب : وله جميل المعاشرة له أشعار رائقة ومبتكرات فائقة وكانت وفاته .

(٣) عن ب : وحدها .

(٤) أ ، ط : المعتصم ؛ وهو تحريف ، والمستعصم هو آخر خليفة عباسي قتله هولاكو في بغداد في سنة ٦٥٦هـ ترجمته وكيفية قتله في وفيات تلك السنة في هذا الجزء .

(٥) أ : باب مصادرة .

(٦) ب : الملك الناصر .

(٧) ب : قصيدة يمتدح فيها رسول الله ﷺ .

(٨) ترجمة ـ النفيس بن صدقة ـ في نص مستدرك على العبر (٢٤) والوافي بالوفيات (٩/ ٢١٢) والدليل الشافي (١/ ١٣٠) والدارس (١/ ١١٥) وشذرات الذهب (٧/ ٧٥٩) ومنادمة الأطلال (٦١) .
قال ابن بدران : هذه المدرسة مع البيمارستان دُرسا وأُدخلا في غيرهما فصارا دوراً للسكنى وبيان موضعهما يعسر جداً الآن . وكان بجانبها حمام يقال له حمام القيشاني فصار سوقاً واتصل بزقاق الإقيم وفيه كانت المدرسة المذكورة . الدارس (١١٤) ومختصره (٢٠) ومنادمة الأطلال (٦٠) .

(٩) ط : سلامة ، وما هنا عن أ وب ، ومصادره .

(١٠) عند ابن بدران : القسمة ، خطأ .

(١١) ب : وكانت وفاته يوم السبت .

(١٢) ب : بالجامع رحمه الله .

الشيخ أبو [علي] الحسن المعروف بالساروب[١] الدمشقي يلقب بنجم الدين .

ترجمه الجزري[٢] فأطنب ، وذكر له كرامات وأشياء في علم الحروف وغيرها والله أعلم بحاله .

نوروز[٣] وفيها : قتل قازان الأمير نوروز الذي كان إسلامه على يديه ، كان نوروز هذا هو الذي استسلمه ودعاه للإسلام[٤] فأسلم وأسلم معه أكثر التتر ، فإن التتر شَوَّشُوا خاطر قازان عليه واستمالوه منه وعنه[٥] ، فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع من ينسب إليه ، وكان نوروز هذا من خيار أمراء التتر عند قازان ، وكان ذا عبادة وصدق في إسلامه وأذكاره وتطوعاته[٦] رحمه الله وعفا عنه ، ولقد أسلم على يديه منهم خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، واتخذوا السبح والهياكل وحضروا الجمع والجماعات وقرؤوا القرآن والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمئة

استُهِلَّت والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس وسلطان البلاد الملك المنصور حسام الدين لاجين ونائب[٧] مصر منكوتمر ونائب دمشق قَبْجَق .

وقاضي الشافعية إمام الدين القزويني وقاضي الحنفية حسام الدين الرازي .

وفي عاشر صفر تَوَلَّى[٨] جلال الدين بن حسام الدين القضاء مكان أبيه بدمشق ، وركب بالخلعة والطرحة وهنَّأه الناس وكتب في الإسجالات قاضي القضاة . وقاضي المالكية جمال الدين الرازي . وقاضي الحنابلة تقي الدين سليمان بن حمزة بن الشيخ أبي عمر المقدسي . وخطيب البلد بدر الدين بن جماعة .

وطلب قاضي [القضاة حسام الدين الرازي إلى الديار المصرية][٩] فأقام عند السلطان لاجين وولّاهُ

(١) ب : بالساروت .
(٢) أ ، ط : الحريري ؛ وهو تحريف ، وما أثبت موافق لما في المختار من تاريخ ابن الجزري (٣٨٧) .
(٣) ترجمة - نوروز - في مختصر أبي الفداء (٤/١٨) : نورود ، وتاريخ الإسلام (١٥/٨٤٧) والدليل الشافي (٢/٧٦٢) .
(٤) أ : إلى الإسلام .
(٥) ب : الذي كان دعاه إلى الإسلام وأفلح به شوشوا خاطره عليه واستمالوه منه فلم يزل .
(٦) ب : عنده عبادة وصدق في إسلامه وأذكاره وتطوعه وقصده الجيد .
(٧) ب : ونائبه بمصر منكوتمر وبدمشق سيف الدين قفجق ، والخبر في الدليل الشافي (٢/ ٥٣٣) .
(٨) ب : ثم ولي ابنه جلال الدين مكانه بدمشق في عاشر صفر .
(٩) عن ب وحدها .

قضاء قضاة مصر للحَنفيَّة(١) عوضاً عن شمس الدين السّروجي ، واستقر ولده بدمشق قاضي قضاة(٢) الحنفية ، ودرَّس بمدرستي أبيه الخاتونية والمقدمية ، وترك مدرسة القصاعين والشبلية ، وجاء الخبر على يدي(٣) البريد بعافية السلطان من الوقعة التي كان وقعها ، فدُقَّت البشائر وزُينت البلد ، فإنه سقط عن فرسه(٤) وهو يلعب بالكرة ، فكان كما قال الشاعر : [من البسيط]

حَـوَيْـتَ بَطْشـاً وإحْسـانـاً ومَعْـرِفَـةً وليـسَ يحمـلُ هـذا كُلّـه الفَـرَسُ

وجاء على يديه(٥) تقليد وخلعة لنائب السلطنة ، فقرأ(٦) التقليدَ وباسَ العتبة وكان يوماً هائلاً .

وفي ربيع الأول دَرَّس بالجوزية عز الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين سليمان وحضر عنده إمام الدين الشافعي وأخوه جلال الدين وجماعة من الفضلاء ، وبعد التدريس جلس وحكم نيابة عن أبيه بإذنه [له] في ذلك .

وفي ربيع الأول(٧) غضب قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وترك الحكم بمصر أياماً(٨) ، ثم استُرْضِيَ وعاد وشرطوا عليه أن لا يستنيب ولده المحب .

وفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر أقيمت الجمعة بالمدرسة المعظمية وخطب فيها مدرسُها القاضي شمس الدين بن العز(٩) الحنفي .

واشتهر في هذا الحين القبضُ على بدر الدين بَيْسَري(١٠) واحتيط على أمواله بديار مصر ، وأرسل السلطان بجريدة صحبة علم الدين الدويداري(١١) إلى تَلِّ حَمْدُون ففتحه(١٢) بحمد الله ومنه ، وجاء الخبر بذلك إلى دمشق في الثاني(١٣) عشر من رمضان(١٤) ، وخربت(١٥) به الخليلية وأُذّن بها الظهر ، وكان

---

(١) ب : ولاه قاضي القضاة بالديار المصرية ، وفي ط : قضاء قضاة مصر .
(٢) ب : ولده جلال الدين القضاء في الشام . وفي أ : قاضي قضاء الحنفية .
(٣) ب : وجاء الخبر مع البريد .
(٤) ب : وكان سقوطه عن فرسه .
(٥) أ : وجاء على يديه تقليد ، وفي ب : وجاء تقليد .
(٦) أ ، ب : فقرئ ؛ خطأ .
(٧) ب : وفي ربيع الآخر .
(٨) ب : بالديار المصرية وترك الحكم أياماً ثم استرضي وعاد وشرط .
(٩) ط : المعز ؛ وهو تحريف . والخبر في الدارس (١/ ٥٨٦) .
(١٠) ب : بيسري الديار المصرية واحتيط على أمواله بديار مصر والشام .
(١١) أ : الدواداري .
(١٢) أ ، ب : ففتحت .
(١٣) ب : في ثاني عشر .
(١٤) بعدها في ب : فدقت البشائر وكان أحدها يوم الأربعاء سابع رمضان .
(١٥) أ ، ب : ضربت .

أخذها يوم الأربعاء سابع رمضان ، ثم فتحت مرعش بعدها ، فدُقَّت البشائر[١] ، ثم انتقل الجيش إلى قلعة حموص[٢] فأصيب جماعة من الجيش منهم الأمير علم الدين سنجر طَقْصُبا[٣] أصابه زِيار[٤] في فخذه ، وأصاب الأمير علم الدين الدويداري حجر في رجله .

ولما كان يوم الجمعة سابع[٥] عشر شوال عمل الشيخ تقي الدين بن تيمية ميعاداً في الجهاد ، وحَرَّضَ فيه وبالغ في أجور المجاهدين ، وكان ميعاداً حافلاً جليلاً[٦] .

وفي هذا الشهر عاد الملك المسعود نجم الدين خضر بن السلطان الملك الظاهر[٧] بيبرس من بلاد الأشكري إلى ديار مصر[٨] بعد أن مكث هناك من زمن الأشرف بن المنصور ، وتلقّاه السلطان بالموكب وأكرمه[٩] وعظمه .

وحج الأمير خضر (بن الظاهر) في هذه السنة مع المصريين وكان فيهم الخليفة الحاكم بأمر[١٠] الله العباسي .

وفي شهر شوال جلس المدرسون بالمدرسة التي أنشأها نائب السلطنة بمصر[١١] وهي المنكوتمرية داخل باب القنطرة .

وفيها : دقت البشائر لأجل أخذ قلعتي حميمص ونجم من بلاد سيس .

وفيها : [١٢] وصلت الجريدة من بلاد مصر قاصدين بلاد سيس مدداً لأصحابهم ، وهي[١٣] نحو ثلاثة آلاف مقاتل .

---

(١) ب : الظهر يومئذ ولله الحمد ثم أخذت في أواخره وعشر فضربت البشائر أيضاً .
(٢) أ : قلعة حمص .
(٣) الخبر في الدليل الشافي (١/ ٣٢٥) وقد حرف في تاريخ ابن الجزري إلى صنبغا فليصحح .
(٤) زيار ـ ككتاب ـ حبل . القاموس (زور) .
(٥) ب : ثامن .
(٦) ب : وبالغ في إمداء المجاهدين وكان وقتاً مشهوداً وميعاداً جليلاً .
(٧) أ : الملك المسعود خضر بن الملك الظاهر . وفي ط : المسعود بن خضر بن الظاهر .
(٨) ب : إلى الديار المصرية وكان هناك من أيام الأشرف .
(٩) ب : واحترمه وعظمه .
(١٠) ب : وكان فيهم أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله .
(١١) ب : بالديار المصرية منكودمر وهي المنكوتمرية داخل باب القنطرة ودقت البشائر عصر يوم الثلاثاء ثالث ذي القعدة لأخذ قلعتي حميص ونجيمة . واسم القلعتين كذا في أ .
(١٢) ب : وفيه .
(١٣) ب : وهم .

وفي منتصف ذي الحجة أمسك الأمير عز الدين أيبك الحموي الذي كان نائب الشام هو وجماعة من أهله وأصحابه من الأمراء .

وفيها : قلَّت المياه بدمشق جداً حتى بقي ثورا في (بعض) الأماكن لا يصل إلى ركبة الإنسان ، وأما بردى فإنه لم يبق فيه مسكة[١] ماءٍ ولا يصل إلى جسر جسرين ، وغلا سعر الثلج بالبلد . وأما نيل مصر فإنه كان في غاية الزيادة والكثرة[٢] .

وممن توفي فيها (من الأعيان) :

الشيخ حسن[٣] بن الشيخ علي الحريري في[٤] ربيع الأول بقرية بُسر ، وكان من كبار الطائفة ، وللناس إليه ميل لحسن أخلاقه وجودة معاشرته ، ولد[٥] سنة إحدى وعشرين وستمئة .

الصدر الكبير شهاب الدين[٦] أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي الرجاء بن أبي الزهر التنوخي المعروف بابن السَّلْعوس ، أخو الوزير شمس [الدين][٧] .

قرأ الحديث وسمع الكثير ، وكان من خيار عباد الله ، كثير الصدقة والبر ، توفي بداره[٨] في جمادى الأولى ، وصُلّي عليه بالجامع ودُفن بباب الصغير ، وعُمل عزاؤه بمسجد ابن هشام ، وقد ولي في وقت نظر الجامع وشُكرت سيرته ، وحصل له وجاهة عظيمة عريضة أيام وزارة أخيه ، ثم عاد إلى ما كان عليه قبل ذلك حتى توفي ، وشهد جنازته خلق كثير من الناس وجم غفير .

الشيخ شمس الدين[٩] الأيكي[١٠] محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي ، المعروف بالأيكي .

---

(١) أ : مسكبة ، وفي ب : سليه .
(٢) أ : فكان في غاية ، وفي ب : كان في هذه السنة في غاية .
(٣) ترجمته في تاريخ ابن الجزري (٢/ الورقة ٩٩ باريس) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٨٥٤) (بشار) .
(٤) أ : توفي فيها من الشيخ .
(٥) ب : فعاشره وكان مولده سنة إحدى .
(٦) تقدمت ترجمة أخيه الوزير محمد بن عثمان في وفيات سنة ٦٩١ ، قال بشار : وترجمته في تاريخ ابن الجزري (٢/ الورقة ٩٩ ـ ١٠٠ باريس) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٨٥٢) .
(٧) عن ب وحدها .
(٨) ب : في داره .
(٩) ترجمة ـ شمس الدين الأيكي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٦٥) وفيه : الأيجي نص مستدرك من العبر (٣٤) وطبقات الإسنوي (١/ ١٥٨) والنجوم الزاهرة (٨/ ١١٣) (الأيجي) والدارس (٢/ ١٦٨) وحسن المحاضرة (١/ ٥٤٣) وشذرات الذهب (٧/ ٧٦٧) .
(١٠) ب : الأيكي الشيخ شمس الدين .

أحد الفضلاء الحلاَّلين للمشكلات ، الميسِّرين المعضلات[١] ، لا سيما في علم الأصلين والمنطق ، وعلم الأوائل ، باشر في وقت مشيخة الشيوخ بمصر ، وأقام مدرس[٢] الغزالية قبل ذلك ، توفي بقرية المزة يوم جمعة ، ودفن يوم السبت بعدما صُلّي عليه بجامع المزة ومشى الناس في جنازته ، منهم قاضي القضاة إمام الدين القزويني ، وذلك في الرابع من رمضان ودُفن بمقابر الصوفية إلى جانب الشيخ شملة وعُمل عزاؤه بخانقاه السميساطية ، وحضر جنازته خلق كثير[٣] ، وكان معظماً في نفوس كثير من العلماء وغيرهم .

الصدر ابن عقبة[٤] إبراهيم بن أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء البُصْراوي[٥] الحنفي .

درَّس وأعاد ، وولي في وقت قضاء حلب ، ثم سافر قبل وفاته إلى مصر فجاء بتوقيع فيه قضاء (قضاة) حلب ، فلما اجتاز بدمشق توفي بها في رمضان من هذه السنة ، وله سبع وثمانون سنة (يشيب المرء وتشب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل)[٦] .

الشهاب العابر[٧] أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي الحنبلي الشيخ شهاب الدين عابر الرؤيا .

سمع الكثير وروى الحديث . وكان عجباً في تفسير المنامات ، وله فيه اليد الطولى ، وله تصنيف فيه ليس كالذي يؤثر عنه من الغرائب والعجائب . ولد سنة ثمان وعشرين وستمئة ، وتوفي في آخر ذي القعدة من هذه السنة ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

---

(١) ب : حالين المشكلات مفسرين المعضلات .

(٢) ب : بدار مصر وأقام مدة مدرس .

(٣) أ : السميساطية وكان معظماً ، وفي ب : وحضر خلق كثير وكان معظماً .

(٤) ترجمة ـ الصدر ابن عقبة ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٥٢) نص مستدرك على العبر (٣٠) والوافي بالوفيات (٥/ ٣١١) والجواهر المضية (١/ ٦٧ ـ ٦٨) والنجوم الزاهرة (٨/ ١١٣) والدليل الشافي (١/ ٥) والدارس (١/ ٥١٢) وشذرات الذهب (٧/ ٧٦٤ ـ ٧٦٥) .

(٥) منسوب إلى بُصرى ، فقد ذكر الذهبي أنه ولد بها سنة ٦٠٩ (بشار) .

(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٤٢١) بلفظ « يكبرُ ابن آدم ، ويكبر معه اثنتان : حب المال ، وطول العمر » ورواه مسلم رقم (١٠٤٧) (٢/ ٧٢٤) بلفظ « يهرم ابن آدم ، وتشب منه اثنتان : الحرص على المال ، والحرص على العمر » كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه ورواه أيضاً مسلم رقم (١٠٤٦) من حديث أبي هريرة بلفظ « قلب الشيخ شاب على حب اثنتين : طول الحياة ، وحب المال » ورواه بعضهم باللفظ الذي ذكره المؤلف انظر « ميزان الاعتدال » رقم (٨٦٩١) .

(٧) ترجمة ـ الشهاب العابر ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٥٠) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩١) ونص مستدرك على العبر (٣٠) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨٣) والوافي بالوفيات (٧/ ٤٨) وفوات الوفيات (١/ ٨٦ ـ ٨٨) وذيل ابن رجب (٢/ ٣٣٦) والنجوم الزاهرة (٨/ ١١٣) وشذرات الذهب (٧/ ٧٦٤) .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وتسعين وستمئة

[استهلت والخليفة الحاكم العباسي ، وسلطان البلاد الملك المنصور لاجين ونائبه بمصر مملوكه سيف الدين منكوتمر ، وقاضي الشافعية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والحنفي حسام الدين الرازي ، والمالكي (والحنبلي كما تقدم) . ونائب الشام سيف الدين قَبْجَق[١] المنصوري ، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها ، والوزير تقي[٢] الدين توبة ، والخطيب بدر الدين بن جماعة][٣] .

ولما كان في أثناء المحرم رجعت طائفة من الجيش[٤] من بلاد سيس بسبب المرض الذي أصاب بعضهم ، فجاء كتاب السلطان بالعتب الأكيد والوعيد الشديد (لهم) ، وأن الجيش يخرج (جميعه) صحبة نائب السلطنة قبجق إلى هناك ، ونصب مشانق لمن تأخر[٥] بعذر (أو غيره) ، فخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين قبجق وصحبته الجيوش وخرج أهل البلد للفرجة على الأطلاب على ما جرت به العادة ، فبرز نائب السلطنة في أُبَّهة عظيمة وتجمّل هائل فدعت له العامة وكانوا يحبونه ، واستمر الجيش سائرين قاصدين بلاد سيس ، فلما وصلوا إلى حمص بلغ الأمير سيف الدين قَبْجَق وجماعة من الأمراء معه أنَّ السلطان قد تفلت[٦] خاطره بسبب سعي منكوتمر فيهم ، وعلموا أن السلطان لا يخالفه لمحبته له ، فاتفق جماعة منهم على الدخول إلى بلاد التتر والنجاة بأنفسهم ، فساقوا من حمص فيمن أطاعهم ، وهم قَبْجَق وبزلي[٧] وبَكْتَمُر السلحدار والألْبَكي ، واستمروا ذاهبين فرجع كثير من الجيش إلى دمشق ، وتخبَّطَتِ الأمورُ وتأسَّفَتِ العوامُ على قَبْجَق لحُسْنِ سيرته ، وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى[٨] محمد بن قلاوون

ولما كان يوم السبت التاسع عشر ربيع الآخر وصل جماعة من البريديّة وأخبروا بمقتل[٩] السلطان

(١) ب : قفجق ، وقد تقدم الحديث عنه .
(٢) ب : التقي توبة .
(٣) بدل الفقرة في أ : فيها كان الحكام المذكورون في التي قبلها .
(٤) ب : الجيش الذين هم مجردون في بلاد سيس بسبب مرض أصاب بعضهم .
(٥) ب : لمن تأخر بعد ذلك بغير عذر .
(٦) أ : نعلت ، ب : تنغلب .
(٧) ب : بُزْلار .
(٨) ب : إلى الناصر محمد .
(٩) ط : وأخبروا بقتل .

الملك المنصور لاجين ونائبه سيف الدين مَنْكُوتَمُر ، وأن ذلك كان ليلة الجمعة حَادي عشره ، على يد الأمير سيف الدين كُرْجي الأشرفي ومن وافقه (من الأمراء) ، وذلك بحضور القاضي حسام الدين الحنفي وهو جالسٌ في خدمته يتحدثان ، وقيل كانا يلعبان بالشطرنج ، فلم يشعرا إلا وقد دخلوا عليهم[١] فبادروا إلى السلطان بسرعةٍ جهرةً ليلةَ الجمعة فقتلوه وقتل نائبه صبراً صبيحةَ يوم الجمعة وأُلقي على مزبلةٍ ، واتفق الأمراء على إعادة ابن أستاذهم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فأرسلوا وراءه ، وكان بالكرك ونادَوْا له بالقاهرة ، وخُطب له على المنابر قبل قدومه ، وجاءت الكتب إلى نائب الشام قَبْجَق فوجدوه قد فرّ[٢] خوفاً من غائلة لاجين ، فسارت (إليه) البريدية فلم يدركوه إلا وقد لحق بالمغول[٣] عند رأس العين ، (من أعمال ماردين) ، وتفارط الحال ولا قوة إلا بالله .

وكان الذي شمَّر العزم وراءهم وساق ليردّهم الأمير سيف الدين بَلَبَان[٤] ، وقام بأعباء البلد نائب القلعة علم الدين أَرْجَوَاش[٥] ، والأمير سيف الدين جاغان[٦] ، واحتاطوا على ما كان[٧] له اختصاص بتلك الدولة ، وكان[٨] منهم جمال الدين يوسف الرومي محتسب البلد ، وناظر المارستان[٩] ، ثم أطلق بعد مدة وأُعيد[١٠] إلى وظائفه ، واحتيط أيضاً على سيف الدين جاغان وحسام الدين لاجين والي البر ، وأدخلا القلعة ، وقتل بمصر الأمير سيف الدين طُغْجي[١١] ، وكان قد ناب عن الناصر أربعة أيام ، وكُرْجي الذي تَوَلّى قَتْلَ لاجين فقتلا وألقيا[١٢] على المزابل ، وجعل الناس من العامة وغيرهم يتأملون صورة[١٣] طُغْجي ، وكان جميل الصورة [جداً][١٤] ، ثم بعد الدلال والمال والملك وارتهم هناك قبور ، فدُفن السلطان لاجين وعند رجليه نائبه [ومملوكه] مَنْكُوتَمُر ، ودفن الباقون في مضاجعهم هنالك .

---

(١) أ ، ب : فلم يشعر إلا وقد دخل عليهما فبادروا .
(٢) ب : قد قفز .
(٣) ب : وقد استكمل بالمغول .
(٤) ب : سيف الدين بلقاق ؛ تحريف ، وما أثبت موافق الدليل الشافي (١ / ١٩٧) .
(٥) ب : لعتبة النائب نائب القلعة الأمير . والخبر في الدليل الشافي (١ / ١٠٣) .
(٦) أ ، ب : جاعلان ؛ تحريف ، وقد تقدم .
(٧) أ : على كل من كان ، ب : على من كان .
(٨) أ ، ب : فكان .
(٩) ب : المرستان .
(١٠) ب : ثم أطلق بعد مديدة ، أ : ثم أعيد بعد مدة .
(١١) ب : طغجاجي .
(١٢) ب : لاجين فألقيا على المزابل .
(١٣) ب : خلقة طغجي .
(١٤) بعدها في ب : ويقولون ثم بعد الفلاح والإمرة وتملك وارتهم هناك قبور .

وجاءت البشائر[١] بدخول الملك الناصر إلى مصر يوم السبت رابع جمادى الأولى ، وكان يوماً مشهوداً ، ودقت[٢] البشائر ودخل القضاة وأكابر الدولة إلى القلعة[٣] ، وبويع بحضرة علم الدين أَرْجَوَاش ، وخطب له على المنابر (بدمشق وغيرها) بحضرة أكابر العلماء والقضاة[٤] والأمراء ، وجاء الخبر بأنه قد ركب وشق القاهرة وعليه خلعة الخليفة ، والجيش معه مشاة[٥] ، فضربت البشائر أيضاً . وجاءت مراسيمه فقرئت على السدة وفيها الرفق بالرعايا والأمر بالإحسان إليهم ، فدعوا له[٦] ، وقدم الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائباً على دمشق ، فدخلها يوم الأربعاء قبل العصر ثاني عِشْري جمادى الأولى ، فنزل بدار السعادة (على العادة) ، وفرح الناس بقدومه ، وأشعلوا له الشموع ، (وكذلك يوم الجمعة أشعلوا له) لما[٧] جاء إلى صلاة الجمعة بالمقصورة ، وبعد أيام أفرج عن جاغان ولاجين (والي) البر ، وعادا إلى ما كانا عليه[٨] ، واستقر الأمير حسام الدين الأستادار[٩] أتابكاً للعساكر المصرية ، والأمير سيف الدين سلار نائباً بمصر[١٠] ، وأخرج الأعسر في رمضان من الحبس وولي الوزارة بمصر ، وأخرج قراسنقر المنصوري من الحبس وأعطي نيابة الصُّبَيْبَة ، ثم لما مات صاحب حماة الملك المُظَفَّر نقل قراسنقر إليها .

محنة الشيخ تقي الدين بن تيمية

وكانت قد وقعت في أواخر دولة لاجين بعد خروج قَبْجَق من البلد .

قام[١١] عليه جماعةٌ من الفقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي ، فلم يحضر فنودي في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها أهل حماة المسماة بالحموية[١٢] ، فانتصر له الأمير سيف

---

(١) ب : وجاءت البشارة بدخول الملك الناصر إلى الديار المصرية والقاهرة المعزية .
(٢) أ : وضربت ، ب : وضربت البشائر وطبلخاناة الأمراء .
(٣) ب : إلى القلعة المنصورة فبويع الناصر .
(٤) ب : العلماء والفضلاء والقضاة والأمراء ثم جاء الخبر براوية بأبهة الملك وشقه القاهرة وعليه .
(٥) ب : مشاة بين يديه وكان يوماً مشهوداً وضربت البشائر .
(٦) ب : فكثرت الأدعية له .
(٧) ب : وأشغلوا له الشموع لما قدم ولما جاء .
(٨) ب : ولاجين البر وعادا إلى منازلهما واستقر .
(٩) في بعض النسخ : « الأستاذ دار » وما هنا من ب ، والمصريون والشاميون هكذا كانوا يلفظونها اختصاراً بحيث صارت مصطلحاً ، وأصلها : الأستاذ دار (بشار) .
(١٠) ب : نائباً بديار مصر .
(١١) ب : فقام .
(١٢) ب : القصيدة التي كان يضعها بالحموية .

الدين جاغان[١] ، وأرسل يطلب الذين[٢] عنده فاختفى كثير منهم ، وضُرب جماعةٌ ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون[٣] . فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته[٤] ، وفسر في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين القزويني[٥] يوم السبت واجتمع عنده جماعة من الفضلاء وبحثوا في الحموية[٦] وناقشوه في أماكن منها[٧] ، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير[٨] ، ثم ذهب الشيخ تقي الدين ، وقد تمهدت الأمور ، وسكنت الأحوال ، وكان القاضي إمام الدين معتقده حسناً ومقصده صالحاً[٩] .

وفيها وقف [الأمير] علم الدين سنجر الدويدار[١٠] رواقه داخل باب الفرج مدرسة ودار حديث ، وولي مشيخته الشيخ علاء الدين بن العطار وحضر عنده القضاة والأعيان ، وعمل لهم ضيافة[١١] ، (وأفرج عن قراسنقر) .

وفي يوم السبت حادي عشر شَوَّال فتح مشهد عثمان الذي جدده ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع ، وأضاف إليه مقصورة الخدم[١٢] من شماليه ، وجعل له إماماً راتباً ، وحاكى به مشهد علي بن الحسين زين العابدين .

وفي العشر الأول[١٣] من ذي الحجة عاد القاضي حسام الدين الرازي الحنفي إلى قضاء الشام ، وعزل عن قضاء مصر[١٤] ، وعزل ولده عن قضاء الشام .

وفيها : في ذي القعدة كثرت الأراجيف بقصد التتر بلاد الشام وبالله المستعان .

---

(١) ب : جاعلان .
(٢) ب : وأرسل إلى الذي قاموا .
(٣) ب : فسكت البقية ولما كان .
(٤) ب : الميعاد على العادة وفسّر .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) ب : في المسألة الحموية .
(٧) ط : منها .
(٨) ب : فأجاب عنها وتكلموا كثيراً ثم خرج ، وفي أ : ثم قام .
(٩) ب : إمام الدين مقصده حسناً . ووقف الأمر .
(١٠) أ : الدوادار .
(١١) ب : حسنة وكان يوماً بهيجاً .
(١٢) ب : الخدام .
(١٣) ط : الأولى .
(١٤) ب : وعزل عن الديار المصرية وعزل به ابنه جلال الدين واستقر على عادته وقاعدته وكثرت الأراجيف في ذي الحجة بقصد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ نظام الدين[(١)] **أحمد بن الشيخ جمال (الدين) محمود بن أحمد بن عبد السلام الحَصِيري**[(٢)] **الحنفي** ، مدرس النّورية .

توفي ثامن المحرم ، ودفن تاسعه يوم الجمعة في مقابر الصوفية[(٣)] . كان [مفتياً] فاضلاً ، ناب في الحكم في وقت ، ودرَّس بالنورية بعد أبيه ، ثم درَّس بعده الشيخ شمس الدين بن الصدر سليمان في يوم الأربعاء رابع عشر المحرم .

ابن النقيب المفسر الشيخ العالم الزاهد[(٤)] **جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان**[(٥)] **بن حسن بن الحسين البَلْخي ، ثم المَقْدِسي الحنفي** .

ولد في النصف من شعبان سنة إحدى عشرة وستمئة بالقدس ، واشتغل بالقاهرة وأقام مدة بالجامع الأزهر ودرَّس في بعض المدارس هناك ، ثم انتقل إلى القدس الشريف فاستوطنه إلى أن مات في المحرم[(٦)] منها . وكان شيخاً فاضلاً في التفسير ، وله فيه مصنفٌ حافلٌ كبيرٌ جمع فيه خمسين مصنفاً من التفسير ، وكان الناس يقصدون زيارته بالقدس الشريف ويتبركون به[(٧)] .

الشيخ أبو يَعْقوب المَغْرِبي[(٨)] المُقيم بالقُدس الشريف كان الناس يجتمعون به ، وهو منقطع بالمسجد الأقصى ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول فيه : هو على طريقة ابن عربي وابن سبعين ، توفي[(٩)] في المحرم من هذه السنة .

---

(١) ترجمة ـ الشيخ نظام الدين ـ في وفيات الأعيان (٤/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٨٨٥) والعبر (٥/ ٣٨٧) والوافي بالوفيات (٨/ ١٦٥ ـ ١٦٦) ، والجواهر المضية (١/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٨٢) والدليل الشافي (١/ ٨٨) والدارس (١/ ٦١٩ـ٦٢١ و٦٢١) وشذرات الذهب (٧/ ٧٦٩ ـ ٧٧٠) والطبقات السنية (٢/ ١٠٢).

(٢) في أصولنا جميعاً : الحصري ؛ وهو تحريف صححته من مصادر الترجمة .

(٣) ب : توفي ثامن المحرم ودفن صبيحة يوم الجمعة تاسعه بمقابر الصوفية .

(٤) ترجمة ـ ابن النقيب ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٨١) والعبر (٥/ ٣٨٩) والوافي بالوفيات (٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧) والجواهر المضية (٤/ ١٦٥ ـ ١٦٦) وفوات الوفيات (٢/ ٤٣٠ ـ ٤٣١) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٨٨) والدليل الشافي (٢/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦) والأنس الجليل (٢/ ٢١٧) وحسن المحاضرة (١/ ٦٤٧) وشذرات الذهب (٧/ ٧٧٠) ، وقد ورد الاسم في أ ، ط : جمال الدين عبد الله بن محمد . وفيها خطآن صححتهما من ب ومصادر الترجمة .

(٥) أ : سلمان ؛ تحريف .

(٦) أ : بالمحرم .

(٧) ب : ويتبركون بدعائه رحمه الله .

(٨) ترجمة أبي يعقوب المغربي في المقتفي للبرزالي (١/ الورقة ٢٧٦) ، وتاريخ ابن الجزري (٢/ الورقة ١٤٦ باريس) ، وتاريخ الإسلام (١٥/ ٨٩١) (بشار) .

(٩) ب : يقول فيه : إنه على طريقة ابن عربي وابن سبعين وكانت وفاته في المحرم .

التَّقِيُّ تَوْبَة الوزير[١] الصاحب الكبير الصدر الوزير تَقِيّ الدين تَوْبَة بن عليّ بن مهاجر بن شُجاع بن تَوْبَة الرّبعي التّكريتي .

ولد سنة عشرين وستمئة يوم عرفة بعرفة[٢] ، وتنقل بالخدم إلى أن صار وزيراً بدمشق مرات عديدة ، حتى توفي ليلة الخميس ثاني جمادى الآخرة ، وصلي عليه غدوةً بالجامع وسوق الخيل ، ودفن بتربته تجاه دار الحديث الأشرفية بالسفح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان ، وباشر بعده نظر الدواوين فخر الدين بن الشيرجي ، وأخذ أمين الدين بن هلال نظر الخزانة .

الأمير الكبير[٣] شمس الدين بَيْسَري[٤] .

كان من أكابر الأمراء المُقَدَّمين[٥] في خدمة الملوك ، من زمن قلاوون وهلم جرًا ، توفي في السجن بقلعة مصر[٦] ، وعُمل له عزاءٌ بالجامع الأموي ، وحضره نائب السلطنة الأفرم والقضاة والأعيان .

السلطان الملك المُظَفَّر[٧] تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ، وابن ملوكها كابراً عن كابر .

توفي[٨] يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي القعدة ، ودفن ليلة الجمعة ، رحمه الله .

الملك الأوحد[٩] نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن المعظم .

---

(١) ترجمة ـ توبة ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٧١) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٢) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨٤) والعبر (٥/ ٣٨٧) والوافي بالوفيات (١٠/ ٤٣٨) وفوات الوفيات (١/ ٢٦١) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٨٥ و١٨٨ ـ ١٨٩) والدليل الشافي (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) والدارس (٢/ ٣٣٧) وشذرات الذهب (٧/ ٧٧٠ ـ ٧٧١) .

(٢) ب : يوم عرفة وتنقّل في الخدم إلى أن وزر بدمشق مرات عديدة حتى كانت وفاته .

(٣) ترجمة ـ بيسري ـ في مختصر أبي الفداء (٤/ ٤٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٨٧٠) والإعلام (٢٩٢) والعبر (٥/ ٣٨٧) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٨٥ ـ ١٨٧) والدليل الشافي (١/ ٢٠٩) .

(٤) بَيْسَري : اسم مركب من لفظين : تركية وعجمية وصوابه في الكتابة (باي سري) فباي في اللغة التركية بالتفخيم هو السعيد ، وسَرِي بالعجمي الرأس ، فمعنى الاسم : سعيد الرأس . النجوم الزاهرة (٨/ ١٨٦) .

(٥) ط : المتقدمين ؛ تحريف .

(٦) ب : في الخدمة من زمن المنصور وهلم جرًا وكانت وفاته في السجن رحمه الله بقلعة القاهرة .

(٧) ترجمة ـ الملك المظفر ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٨٤) والإعلام (٢٩٢) والعبر (٥/ ٣٨٩) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨٤) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٨٩) والدليل الشافي (٢/ ٧٢٨) وشذرات الذهب (٧/ ٧٧٣) وترويح القلوب (٥٥) .

(٨) ب : وكانت وفاته .

(٩) ترجمة ـ الملك الأوحد ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٨٩) والعبر (٥/ ٣٩٠) والإشارة (٣٨٤) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٨٩) والدليل الشافي (٢/ ٨٠١) وترويح القلوب (٧٤) .

ناظر القدس الشريف ، توفي به ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة[(١)] ودفن برباطه عند باب حطة عن سبعين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير ، وكان من خيار أبناء الملوك ديناً وفضيلة وإحساناً إلى الضعفاء ، رحمه الله .

القاضي شهاب الدين[(٢)] يوسف بن الصاحب محيي الدين[(٣)] بن النحاس .

أحد رؤساء الحنفية ، ومدرس الريحانية[(٤)] والظاهرية وقد ولي نظر الخزانة ونظر الجامع في وقت وكان صدراً كبيراً كافياً ، توفي ببستانه بالمزّة ثالث عشر ذي الحجة ، ودرس بعده بالريحانية القاضي جلال الدين بن حسام الدين .

الصدر الكبير الرئيس الصاحب[(٥)] أمين[(٦)] الدين أبو الغنائم سالم بن محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى التَّغْلبي .

كان أحسن حالاً من أخيه[(٧)] القاضي نجم الدين ، وقد سمع الحديث وأسمعه ، وكان صدراً معظماً ، ولي نظر الدواوين ونظر الخزانة ، ثم ترك المناصب وحجَّ وجاور بمكة ، ثم قدم دمشق فأقام بها دون السنة ومات ، توفي يوم الجمعة ثامن وعشرين ذي الحجة ، وصُلّي عليه بعد الجمعة بالجامع ، ودُفن بتربتهم بسفح قاسيون ، وعُمل عزاؤه بالصاحبية[(٨)] .

ياقوت بن عبد الله[(٩)] أبو الدُّرّ المستعصمي الكاتب ، لقبه جمال الدين ، وأصله رومي .

كان فاضلاً مليح الخطّ مشهوراً بذلك ، كتب خِتَماً حساناً ، وكتب الناس عليه ببغداد ، وتوفي[(١٠)] بها

---

(١) ب : الرابع من ذي الحجة .

(٢) ترجمة ـ شهاب الدين بن النحاس ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٩٠) والدليل الشافي (٢/ ٨٠٦) والدارس (١/ ٥٢٨) .

(٣) ط : ابن الصالح محب الدين .

(٤) ط : الزنجارية ، وخبر المدرسة المذكورة في الدارس (١/ ٥٢٢ ـ ٥٢٦) .

(٥) ترجمة ـ ابن صصرى ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٧٢) والدليل الشافي (١/ ٣١١) .

(٦) أ : نصير ، وط : نصر ، وما هنا عن ب والدليل الشافي .

(٧) ب : كان أسن من أخيه ، أ : أخيه وقد سمع الحديث .

(٨) ب : ثم قدم إلى دمشق فأقام دون السنة وكانت وفاته يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذي الحجة وصلى عليه بعد الصلاة بالجامع ودفن بتربتهم بالسفح وعمل عزاؤه بالمدرسة الصاحبية .

(٩) ترجمة ـ ياقوت المستعصمي ـ في وفيات الأعيان (٦/ ١١٨) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٨٨٨) والعبر (٥/ ٣٩٠) وفوات الوفيات (٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٨٧) والدليل الشافي (٢/ ٧٧٣) .

(١٠) ب : وكانت وفاته .

في هذه السنة ، وله شعر رائق ، فمنه ما أورده البرزالي في « تاريخه » عنه[١] : [من البسيط]

تُجَدِّدُ الشَّمْسُ شَوْقي كُلَّما طَلَعَتْ ... إلى مُحَيّاكَ يا سَمْعي ويا بَصَري
وأَسْهَرُ الليلَ ذا أُنْسٍ بوحْشَتِهِ ... إذ طيب ذِكْرِكِ في ظَلْمائه سَمَري[٢]
وكلَّ يوم مَضَى لي[٣] لا أراكَ به ... فلستُ مُحْتَسِباً ماضِيهِ[٤] منْ عُمُري
لَيْلي نَهارٌ إذا ما دُرْتَ في خَلَدي ... لأنَّ ذِكْرَك نُورُ القَلْبِ والبَصَرِ

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمئة

فيها : كانت وقعة قازان ، وذلك أنَّ هذه السنة استهلّت والخليفةُ والسلطان هما المذكوران[٥] في التي قبلها ، ونائب مصر سَلَّار ، ونائب الشام آقوش الأفرم[٦] ، وسائر الحكام هم المذكورون في التي قبلها .

وقد تواترتِ الأخبارُ بقصد التتار[٧] بلاد الشام ، وقد خاف[٨] الناس من ذلك خوفاً شديداً ، وجفل الناس من بلاد حلب وحماة ، وبلغ كرى الخيل من حماة إلى دمشق نحو المئتي درهم ، فلما كان يوم الثلاثاء ثاني المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر[٩] قاصداً الشام ، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل (السلطان) إلى دمشق في مطر شديد ووحل كثير ، ومع هذا خرج الناس لتلقيه ، وكان قد أقام بغزة[١٠] قريباً من شهرين ، وذلك لمّا بلغه قدوم التتار إلى الشام[١١] ، فتهيأ لذلك وجاء فدخل دمشق فنزل[١٢] بالطارمة ، وزُينت له البلد[١٣] ، وكثرت له الأدعية وكان وقتاً شديداً ، وحالاً

---

(١) الأبيات في النجوم الزاهرة (٨/ ١٨٨) وهامش وفيات الأعيان (٦/١١٨ ـ ١١٩) .
(٢) ط : وأسهر الليل في أنس بلا ونس إذ طيب ذكراك في ظلماته يسري
(٣) عن ب وحدها .
(٤) في حاشية وفيات الأعيان : باقية .
(٥) ب : استهلت هذه السنة والخليفة الحاكم العباسي وسلطان البلاد الشامية والمصرية وما يتبعها من الممالك الناصر محمد بن قلاوون ونائب مصر .
(٦) ب : وبالشام جمال الدين آقوش الأقدم والقضاة بالديار المصرية والبلاد الشامية هم المذكورون في التي قبلها .
(٧) أ : التتر .
(٨) ب : وقد تخوّف الناس من ذلك بأساً شديداً وجعل أهل بلاد حلب وحماة يجفلون إلى بلاد دمشق واستكري الجمل من حماة إلى دمشق بنحوٍ من مئتي درهم .
(٩) ب : من الديار المصرية .
(١٠) ب : دخل إلى دمشق وقد قام بغزة .
(١١) ب : لما بلغه عن عزم التتار على قدوم الشام ، وفي أ : التتر إلى الشام تهيأ لذلك .
(١٢) ب : فدخل دمشق في اليوم الذي ذكرنا في مطر شديد ووحل كثير ومع هذا خرج الناس لتلقيه والدعاء له .
(١٣) ب : وزينت البلد وضربت البشائر وكان موفقاً .

صعباً ، وامتلأ البلد من الجافلين النازحين عن بلادهم ، وجلس[١] الأعسر وزير الدولة وطالب العمال واقترضوا[٢] أموال الأيتام وأموال الأسرى (لأجل) تقوية الجيش ، وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ولم يتخلف أحد من الجيوش وخرج معهم خلقٌ كثير من المُطَّوِّعة[٣] ، وأخذ الناس في الدعاء والقنوت في الصلوات بالجامع وغيره ، وتضرَّعوا واستغاثوا وابتهلوا إلى الله بالأدعية[٤] .

وقعة قازان

لما وصل السلطان إلى وادي الخزندار عند (وادي) سلمية ، فالتقى التتر هناك[٥] يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول فالتقوا معهم فكسروا المسلمين وولّى السلطان هارباً فإنّا لله وإنا إليه راجعون[٦] ، وقُتل جماعةٌ من الأمراء وغيرهم ومن العوام خلق كثير ، وفقد في المعركة قاضي (قضاة) الحنفية ، وقد صبروا وأَبْلَوْا بلاءً حسناً ، ولكن كان أمر الله قَدَراً مقدوراً ، فَوَلَّى المسلمون[٧] لا يَلْوي أحدٌ على أحد ، ثم كانت العاقبة بعد ذلك للمتقين ، غير أنه رجعت العساكر على أعقابها للديار[٨] المصرية واجتاز كثير منهم على دمشق ، وأهل دمشق في خوف شديد على أنفسهم وأهليهم وأموالهم[٩] ، ثم إنهم استكانوا واستسلموا للقضاء والقدر ، وماذا يجدي الحذر إذا نزل القدر ، ورجع السلطان في طائفة من الجيش على ناحية بعلبك والبقاع ، وأبواب دمشق مغلقة ، والقلعة محصنة[١٠] والغلاء شديد والحال ضيق وفرج الله قريب ، وقد هرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى مصر[١١] ، كالقاضي إمام الدين الشافعي ، وقاضي المالكية الزواوي[١٢] ، وتاج الدين الشيرازي ، وعلم الدين الصوابي والي البر ، وجمال الدين بن

---

(١) ب : وامتلأ البلد من الجفال وجلس الأعسار وزير الدولة .

(٢) ب : واقترضت .

(٣) ط : المتطوعة .

(٤) ب : وابتهلوا وتضرعوا واستغاثوا ذكر وقعة قادان .

(٥) ب : التقى التتار هنالك .

(٦) ب : من ربيع الأول فكسر هنالك المسلمون فإنّا لله راجعون .

(٧) ب : فولي المسلمين المسلمين مدين لا يلوي أحد ثم كانت . واستدرك في الهامش : على أحد .

(٨) ب : إلى الديار المصرية .

(٩) ب : على دمشق وأهلها في خوف شديد على أنفسهم وعلى أهاليهم وأموالهم فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن واستكانوا واستسلموا .

(١٠) ب : على ناحية بعلبك وأبواب البلد مغلقة والقلعة المنصورة محصنة ممنعة .

(١١) ب : وسافر جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى الديار المصرية .

(١٢) ب : وقاضي المالكية جمال الدين الزواوي .

النحاس والي المدينة ، والمحتسب وغيرهم من التجار والعوام ، وبقي البلد شاغراً ليس فيهم حاكم سوى نائب القلعة[١] [علم الدين أرجواش وهو مشغول عن البلد بالقلعة][٢] .

وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول كسر المحبوسون بحبس باب الصغير [باب] الحبس[٣] وخرجوا منه على حمية ، وتفرقوا في البلد ، وكانوا قريباً من مئتي رجل ، فنهبوا ما قدروا عليه ، وجاؤوا إلى باب الجابية فكسروا أقفال الباب البراني[٤] وخرجوا منه إلى بر البلد ، فتفرقوا حيث شاؤوا لا يقدر أحد على ردهم ، ولا[٥] صدهم ، وعاثت الحرافشة في ظاهر البلد فكسروا أبواب البساتين وقلعوا من الأبواب والشبابيك شيئاً كثيراً ، وباعوا ذلك[٦] بأرخص الأثمان .

هذا وسلطان التتار[٧] قد قصد دمشق بعد الوقعة ، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين بن تيمية (في مشهد علي واتفقوا على المسير إلى قازان لتلقيه ، وأخذ الأمان منه لأهل دمشق) ، فتوجهوا يوم الإثنين ثالث ربيع الآخر فاجتمعوا به عند النبك ، وكلمه الشيخ تقي الدين كلاماً قوياً شديداً[٨] فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين ولله الحمد .

ودخل المسلمون ليلتئذ من جهة قازان[٩] فنزلوا بالبادرائية[١٠] وغلقت أبواب البلد سوى باب توما ، وخطب الخطيب بالجامع يوم الجمعة ، ولم يذكر سلطاناً في خطبته[١١] ، وبعد الصلاة قدم الأمير إسماعيل ومعه جماعة من الرسل فنزلوا ببستان الظاهر عند الطرن . وحضر الفرمان بالأمان وطيف به في البلد ، وقرئ يوم السبت ثامن[١٢] الشهر بمقصورة الخطابة ، ونثر شيء من الذهب والفضة .

وفي ثاني يوم من[١٣] المناداة بالأمان طلبت الخيول والسلاح والأموال المخبأة عند الناس من

---

(١) ب : والمحتسب وغيرهم وبقي الدين شاغراً ليس فيه حاكم ولا زاجر ولا رادع سوى نائب القلعة .
(٢) عن ب وحدها .
(٣) ب : باب السجن وخرجوا منه قريباً من مئتي رجل .
(٤) ب : الباب الجواني وأخذوا من الباشورة ما شاؤوا وكسروا أقفال الباب البراني وخرجوا منه على حميه .
(٥) عن ب وحدها .
(٦) ب : وباعوه بأرخص الأثمان .
(٧) أ : التتر ، وفي ب : التتار قد قصد ورود دمشق .
(٨) ب : الشيخ تقي الدين بن تيمية كلاماً قوياً فيه مصلحة .
(٩) ب : ودخل المتسلمون للبلد من جهة قازان .
(١٠) أ ، ب : بالباذرائية ، في ط : بالبدرائية ، وتقدم تعريفها .
(١١) ب : وخطب الخطيب يوم الجمعة فلم يذكر سلطاناً .
(١٢) أ : ثاني الشهر .
(١٣) أ ، ب : وفي اليوم الثاني من .

جهة الدولة ، وجلس[١] ديوان الاستخلاص إذ ذاك بالمدرسة القيمرية .

وفي يوم الإثنين عاشر الشهر قدم سيف الدين قَبْجَق[٢] المنصوري فنزل في الميدان واقترب جيش التتر[٣] وكثر العيث في ظاهر البلد ، وقتل جماعة وغلت الأسعار بالبلد جداً ، وضاق الحال عليهم وأرسل قَبْجَق إلى نائب القلعة ليسلمها إلى التتر فامتنع أَرْجَواش من ذلك أشدَّ الامتناع ، فجمع له قبجق[٤] أعيان البلد فكلَّموه أيضاً فلم يجبهم إلى ذلك ، وصمم على ترك تسليمها[٥] إليهم وبها عيْن تطرفُ ، فإن الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلعة يقول له ذلك ، (لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمه ذلك إن استطعت) ، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام فإن الله حفظ لهم هذا الحصن[٦] والمعقل الذي جعله الله حرزاً لأهل الشام[٧] التي لا تزال دار إيمان وسنة ، حتى ينزل بها عيسى ابن مريم عليه السلام .
وفي يوم دخول قبجق إلى دمشق دخل السلطان ونائبه سلار إلى مصر كما جاءت البطاقة بذلك إلى القلعة ، ودقت البشائر[٨] بها فقوي جأش الناس بعضَ قوةٍ ، ولكن الأمر كما يقال : [كامل]

كَيْفَ السَّبيلُ إلى سُعادَ وَدُونَها ... قُللُ الجِبَالِ ودُونَهُنَّ حُتُوفُ
الرِّجْلُ حافِيَةٌ ومالي مَرْكَبٌ ... والكَفُّ صِفْرٌ والطريقُ مَخُوفُ

وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خُطب لقازان على منبر دمشق بحضور المغول بالمقصورة ودُعي له على السدة بعد الصلاة وقُرئ عليها مرسوم بنيابة قبجق[٩] على الشام ، وذهب إليه الأعيان فهنَّؤوه بذلك ، فأظهر الكراهة[١٠] وأنه في تعب عظيم مع التتر[١١] ، [ثم شرع في طلب الخيول التي عند

---

(١) ب : طلبت الخيول المخبأة عند الناس والسلام والأموال وجلس .
(٢) ب : قدم الأمير سيف الدين قفجق المنصوري منزل بالميدان واقترب جيش التتار ، وفي أ : قدم الأمير سيف الدين قبجق المنصوري فنزل بالميدان .
(٣) ب : التتار .
(٤) ب : قفجق .
(٥) ب : وصمم على أنه لا يسلمها إليهم وفيها عين تطرف ويذكر أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان قد أرسل إليه يقول له ذلك ـ وبعدها في أ : فاشتد عزمه على ذلك وقال له .
(٦) ب : هذا المعقل العظيم الذي جعله الله .
(٧) ب : أهل الشام فأهل دمشق التي لا تزال دار أمن وإيمان وسنة .
(٨) ب : قفجق إلى دمشق دخل الملك الناصر ونائبه سلار إلى الديار المصرية ولما جاءت البطائق بذلك إلى القلعة المنصورة دقت بها البشائر فقوي جأش سائر الناس بعض الشيء ولكن كما يقال . وفي أ : جاءت البطائق بذلك إلى القلعة ودقت بها البشائر .
(٩) ب : قفجق .
(١٠) ط : الكرامة ، تحريف .
(١١) ب : التتار .

الناس والأموال لأجل النفقة على التتار][١] ونزل شيخ المشايخ نظام الدين محمود بن علي الشيباني بالمدرسة العادلية الكبيرة .

وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب سيس في نهب الصالحية [فوجدوا بها شيئاً كثيراً من الغلات وقلعوا الأبواب والشبابيك وأخربوا أماكن كثيرة كالرباط الناصري وغيره من الأماكن المستحسنة كالمدرسة الصاحبية والمرستانة بالصلحية] ومسجد الأَسدية ومسجد خاتون ودار الحديث الأشرفية بها واحترق جامع التوبة بالعقيبة[٢] ، وكان هذا من جهة الكرج والأرمن (من) النصارى الذين هم مع التتار قبحهم الله . وسبوا من أهلها خلقاً كثيراً وجماً غفيراً ، وجاء (أكثر) الناس إلى رباط الحنابلة فاحتاطت به التتار[٣] فحماه منهم شيخ الشيوخ المذكور ، وأعطى في الساكن مال له صورة ثم أقحموا عليه[٤] فسبوا منه خلقاً كثيراً من بنات المشايخ وأولادهم فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

(ولما نكب دير الحنابلة في ثاني جمادى الأولى قتلوا خلقاً من الرجال وأسروا[٥] من النساء كثيراً ، ونال قاضي القضاة تقي الدين أذى كثير ، ويقال إنهم قتلوا من أهل الصالحية قريباً من أربعمئة ، وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير ، ونُهبت كتبٌ كثيرةٌ من الرباط الناصري والضيائية ، وخزانة ابن البزوري ، وكانت تباع وهي مكتوب عليها الوقفية[٦]) ، وفعلوا بالمزة مثلَ ما فعلوا بالصالحية ، وكذلك بداريا (وبغيرها) ، وتحصن الناس (منهم) في الجامع بداريا ففتحوه قسراً وقتلوا منهم خلقاً وسبوا نساءهم وأولادهم ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون[٧] .

وخرج الشيخ ابن تيمية في جماعة من أصحابه يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر إلى ملك التتر وعاد بعد يومين ولم يتفق اجتماعه به[٨] ، وحجبه عنه الوزير سعد الدين والرشيد مشير[٩] الدولة المسلماني ابن يهودي ، والتزما له بقضاء الشغل ، (وذكرا له) أن التتر لم يحصل لكثير منهم شيء إلى الآن ، ولا بدَّ (لهم) من شيء ، واشتهر بالبلد أن التتر يريدون دخول دمشق فانزعج الناس لذلك وخافوا

---

(١) عن ب وحدها .
(٢) ب : جامع العقيبة أيضاً .
(٣) أ : فاحتاط به التتر .
(٤) أ : وأعطي في المساكن مال له صورة ثم قحموا عليه ، وفي ب : وأعطي في الساكن شيئاً له صورة ثم قحموا عليه .
(٥) أ : وسبوا من النساء .
(٦) أ : بالوقفية .
(٧) ب : وقتلوا منهم أمماً وسبوا نساء كثيراً وولداناً فلا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .
(٨) ب : اجتماعه بقازان حجبه عنه .
(٩) ب : سيد الدولة .

خوفاً شديداً ، وأرادوا الخروج منها والهرب على وجوههم ، وأين الفرار ولات[١] حين مناص ، وقد أخذ من البلد فوق العشرة آلاف فرس ، ثم فرضت[٢] أموال كثيرة على البلد موزعة على أهل الأسواق كل سوق بحسبه من المال ، فلا قوة إلا بالله . وشرع التتر[٣] في عمل مجانيق بالجامع ليرموا بها القلعة من صحن الجامع ، وغلقت[٤] أبوابه ونزل التتار في مشاهده يحرسون أخشاب المجانيق[٥] ، وينهبون ما حوله من الأسواق [كباب البريد وغيره][٦] ، وأحرق أرجواش[٧] ما حول القلعة من الأبنية ، كدار الحديث الأشرفية وغير ذلك ، إلى حد العادلية الكبيرة ، وأحرق دار السعادة[٨] لئلا يتمكنوا من محاصرة القلعة من أعاليها ، ولزم الناس منازلهم لئلا يُسَخَّروا في طم الخندق ، وكانت الطرقات لا يرى بها أحد إلا القليل ، والجامع لا يصلي فيه أحد إلا اليسير ، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول وما بعده إلا بجهد جهيد ، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بثياب زيِّهم[٩] ثم يعود سريعاً ، ويظنّ أنه لا يعود إلى أهله ، (وأهل البلد) قد أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

والمصادرات والتراسيم والعقوبات عمّالة في أكابر أهل البلد ليلاً ونهاراً ، حتى أخذ منهم شيء كثير من الأموال والأوقاف ، كالجامع وغيره[١٠] ، ثم جاء مرسوم بصيانة الجامع وتوفير أوقافه وصرف ما كان يؤخذ بخزائن السلاح وإلى الحجاز[١١] ، وقرئ ذلك المرسوم بعد صلاة الجمعة بالجامع في تاسع عشر جمادى الأولى ، وفي ذلك اليوم توجَّهَ السلطان قازان وترك نوابه بالشام[١٢] في ستين ألف مقاتل (نحو بلاد العراق ، وجاء كتابه : إنا قد تركنا نوابنا بالشام في ستين ألف مقاتل ، وفي عزمنا العود إليها في زمن

---

(١) ب : والهرب وأين ولات ، وفي أ : والهرب على وجوههم وأين ولات .
(٢) ب : وقررت .
(٣) ب : التتار .
(٤) ب : في عمل مناجيق بالجامع لتُرمى بها القلعة من الصحن وغلقت .
(٥) أ : ونزل التتر في مشاهده يحرسون أخشاب المنجنيق ، ب : ونزل التتار في مشاهده يحرسون أخشاب المنجنيقات .
(٦) عن ب وحدها .
(٧) ط : أرجوان ؛ تحريف .
(٨) ب : وما عندها إلى حد العادلية الكبيرة ودار السعادة أيضاً لئلا .
(٩) ب : يخرج بثياب رثة .
(١٠) ب : والمصادرات والتراسيم على أكابر البلد ليلاً ونهاراً وأخذوا منهم شيئاً كثيراً من أموال الأوقاف بالجامع والمدارس.
(١١) ب : وصرف ما كان يوجد بخزائن السلاح منه في الحجاز الشريف .
(١٢) ب : قرئ ذلك في مرسوم يوم الجمعة بعد الصلاة بالجامع وذلك في التاسع عشر من جمادى الأولى وفي هذا اليوم توجه السلطان قازان إلى بلاده وترك نوابه ، وفي أ : وقرئ ذلك المرسوم يوم الجمعة بعد الصلاة بالجامع .

الخريف ، والدخول إلى الديار المصرية وفتحها)[١] ، وقد أعجزتهم القلعة أن يصلوا إلى حجر منها ، وخرج سيف الدين قبجق لتوديع قطلو شاه نائب قازان وسار وراءه وضربت البشائر بالقلعة فرحاً لرحيلهم ، ولم تفتح القلعة ، وأرسل أرجواش ثاني يوم من خروج قبجق القلعة إلى الجامع فكسروا أخشاب المنجنيقات المنصوبة به ، وعادوا إلى القلعة سريعاً سالمين ، واستصحبوا معهم جماعة ممن كانوا يلوذون بالتتر قهراً إلى القلعة ، منهم الشريف القمي ، وهو شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم المرتضى العلوي ، وجاءت الرسل من قبجق إلى دمشق فنادوا بها : طيبوا نفوسكم[٢] وافتحوا دكاكينكم وتهيّؤوا غداً لتلقي سلطان الشام سيف الدين قبجق ، فخرج الناس إلى أماكنهم فأشرفوا عليها فرأوا ما بها من الفساد والدمار ، وانفك رؤساء البلد من التراسيم بعد ما ذاقوا شيئاً كثيراً .

قال الشيخ علَم الدين البرزالي : ذكر لي الشيخ وجيه الدين بن المُنَجّى أنه حمل إلى خزانة قازان ثلاثة آلاف (ألف) وستمئة ألف درهم ، سوى ما تمحق من التراسيم والبراطيل وما أخذ غيره من الأمراء والوزراء ، وأن شيخ المشايخ حصل له نحو من ستمئة ألف درهم ، والأصيل بن النصير الطوسي مئة ألف ، والصفي السخاوي[٣] ثمانون ألفاً .

وعاد سيف الدين قبجق إلى دمشق يوم الخميس بعد الظهر خامس عِشْري جمادى الأولى ومعه الألبكي وجماعة ، وبين يديه السيوف مسلَّلة وعلى رأسه عصابة فنزل بالقصر ونُودي بالبلد[٤] نائبكم قبجق قد جاء فافتحوا دكاكينكم[٥] واعملوا معاشكم[٦] ولا يغرر أحد بنفسه هذا الزمان والأسعار في غاية الغلاء والقلة ، قد بلغت[٧] الغرارة إلى أربعمئة واللحم الرطل بنحو العشرة ، والخبز كل رطل بدرهمين ونصف ، والعشرة الدقيق[٨] بنحو الأربعين ، والجبن الأوقية[٩] بدرهم ، والبيض كل خمسة بدرهم ،] ثم فرج عنهم في أواخر الشهر .

ولما كان في أواخر الشهر نادى قَبْجَق بالبلد أن يخرج الناس إلى قراهم وأمر جماعة وانضاف إليه خلق من الأجناد ، وكثرت الأراجيف على بابه ، وعظم شأنه ودقت البشائر بالقلعة وعلى باب قبجق يوم الجمعة

---

(١) سيرد ما بين القوسين في ب : بعد السطر التالي . مع بعض خلافات في الرواية لم أجد ضرورة لإثباتها .
(٢) أ ، ب : طيبوا قلوبكم .
(٣) ب : الصفي السنجاري ثمانون ألف وعاد الأمير سيف الدين إلى دمشق .
(٤) أ ، ب : ونودي بالبلدان .
(٥) ب : نائبكم سيف الدين قبجق وافتحوا دكاكينكم .
(٦) أ ، ب : معايشكم .
(٧) ب : فبلغت .
(٨) ب : والدقيق العشرة .
(٩) ب : والجبن الوقية .

رابع جمادى الآخرة ، وركب قبجق بالعصائب في البلد][١] والشاويشية بين يديه ، وجهز نحواً[٢] من ألف فارس نحو خربة اللصوص ، ومشى مشيَ الملوك في الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة ، وصار كما قال الشاعر[٣] : [من الرجز]

يَــالــكِ مــن قبــرة[٤] بمَعْمــرِ خَـلاَ لَـكِ الجـو فَبِيضـي وٱصْفِـرِي
وَنَقّري ما شئتِ أن تُنَقِّري

ثم إنه ضمن الخمارات[٥] ومواضع الزنا من الحانات وغيرها ، وجعلت دار ابن جرادة خارج من باب توما خمارة وحانة أيضاً ، وصار له على ذلك في كل يوم ألف درهم ، وهي التي دمَّرته[٦] ومحقت آثاره ، وأخذ أموالًا أخرى من أوقاف المدارس وغيرها .

ورجع بولاي من جهة الأغوار وقد عاث في الأرض فساداً ، ونهب البلاد وخرب ومعه طائفة من التتر كثيرة ، وقد خرّبوا قرى كثيرة ، وقتلوا من أهلها وسبوا خلقاً من أطفالها ، وجبي لبولاي من دمشق أيضاً جباية أخرى ، وخرج طائفة من القلعة فقتلوا طائفة من التتر ونهبوهم ، وقتل جماعة من المسلمين في غبون ذلك ، وأخذوا طائفة ممن كان يلوذ بالتتر ، ورسم قَبْجَق لخطيب البلد وجماعة من الأعيان أن يدخلوا القلعة فيتكلموا مع نائبها في المصالحة فدخلوا عليه يوم الإثنين ثاني عشر جمادى الآخرة ، فكلّموه وبالغوا معه فلم يجب إلى ذلك وقد أجاد وأحسن وأرجل في ذلك بيَّض الله وجهه .

وفي ثامن[٧] رجب طلب قبجق القضاة والأعيان فحلّفهم على المناصحة للدولة المحمودية ـ يعني قازان ـ فحلفوا له .

وفي هذا اليوم وهو[٨] يوم الإثنين خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مخيم بولاي فاجتمع به في فِكاك مَنْ كان معه[٩] من أسارى المسلمين ، فاستنقذ كثيراً منهم من أيديهم[١٠] ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم عاد ،

---

(١) رواية ما بين الحاصرتين مختلف بعض الاختلاف في ب لم أجده .
(٢) أ ، ب : نحو من ألف فارس .
(٣) الأشطر ستة في ديوان طرفة ١٥٧ ـ ١٥٨ وخمسة أشطر في اللسان (قبر) ونسبتها فيه لطرفة أو لكليب بن ربيعة التغلبي ، وقد ذكرها مُحَقِّقَا ديوان طرفة في صلة الديوان وأوردا مصادرها في باب تخريج الشعر .
(٤) أ : يا لك من قبّرة ؛ وهي رواية الديوان واللسان .
(٥) ب : ثم إنه ضمن الحمامات والخانات وجعلت دار .
(٦) ب : وصار له على ذلك خراج في كل يوم ألف درهم وهي التي دمرت ومحقت آثاره ومحت أخباره .
(٧) ب : وفي ثاني رجب .
(٨) عن ب وحدها .
(٩) أ ، ب : مَنْ معه .
(١٠) ب : فاستنقذوا كثيراً منهم منه وأقام .

ثم راح إليه جماعة من أعيان[١] دمشق ثم عادوا من عنده فشُلِّحوا عند باب شرقي وأخذ ثيابهم وعمائمهم ورجعوا في شر حالة ، ثم بعث في طلبهم فاختفى أكثرهم وتغيبوا عنه ، ونودي بالجامع بعد الصلاة ثالث رجب من جهة نائب القلعة بأن العساكر المصرية قادمة إلى الشام[٢] ، وفي عشيَّة يوم السبت رحل بولاي وأصحابه من التتر[٣] وانشمروا عن دمشق وقد أراح الله منهم ، وساروا من على عقبة دُمَّر[٤] فعاثوا في تلك النواحي فساداً ، ولم يأت سابع الشهر وفي حواشي البلد منهم أحد ، وقد أزاح الله عز وجل شرهم عن العباد والبلاد ، ونادى قَبْجَق في الناس قد أمنت الطرقات ولم يبق بالشام من التتر[٥] أحد ، وصَلَّى قَبْجَق يوم الجمعة عاشر رجب بالمقصورة[٦] ، ومعه جماعة عليهم[٧] لأْمَةُ الحرب من السيوف والقِسيّ والتراكيش فيها النشّاب ، وأمنت البلاد ، وخرج الناس للفرجة في غيض السفرجل على عادتهم فعاثت عليهم طائفة من التتر ، فلما رأوهم رجعوا إلى البلد هاربين مسرعين ، ونهب بعض الناس بعضاً ومنهم من ألقى نفسه في النهر ، وإنما كانت هذه الطائفة مجتازين ليس لهم قرار ، وتقلق قَبْجَق من البلد ثم إنه خرج منها في جماعة من رؤسائها وأعيانها منهم عزّ الدين ابن القلانسي ليتلقوا الجيش المصري ، وذلك أن جيش مصر خرج إلى الشام في تاسع رجب وجاءت البريدية بذلك ، وبقي البلد ليس به أحد ، ونادى أرجواش في البلد احفظوا الأسوار وأخرجوا ما كان عندكم من الأسلحة ولا تهملوا الأسوار والأبواب ، ولا يبيتنَّ أحدٌ إلا على السور ، ومن بات في داره شنق[٨] ، فاجتمع الناس على الأسوار لحفظ البلاد . وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يدور كلَّ ليلة على[٩] الأسوار يحرّض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط ، [ويذكر لهم الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في فضل الجهاد والرباط والحرس ويحثهم على ذلك][١٠] .

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أُعيدت الخطبة بدمشق[١١] لصاحب مصر السلطان الملك الناصر

---

(١) ب : جماعة من الأعيان فعادوا من عنده فشلحوا عند باب شرقي وأخذت ثيابهم .
(٢) ب : قادمة واصلة إليكم .
(٣) ب : ترحل بولاي وأصحابه وانشمروا عن البلد قد أراح الله منهم .
(٤) ب : على عقبة دمشق . ودمر اليوم إحدى مصايف دمشق تقع على ارتفاع ١٦٠٠م في الغوطة الغربية .
(٥) ب : التتار .
(٦) أ : في المقصورة .
(٧) ب : ومعه جماعة من أصحابه عليهم لأمة الحرب .
(٨) عن ب وحدها .
(٩) أ : فوق ، ب : إلى فوق الأسوار .
(١٠) ما بين الحاصرتين فيه خلاف بسيط في ب ، ولم أجد فائدة من إثباته .
(١١) أ : لصاحب مصر بدمشق ، وفي ب : بجامع دمشق لصاحب مصر .

محمد بن قلاوون ففرح الناس بذلك ، وارتفعت أصواتهم بالدعاء له وقد كان يخطب لقازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مئة يوم سواء .

وفي بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور[١] وشققوا الظروف وأراقوا الخمور ، وعزَّروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ، ففرح الناس بذلك .

ونودي يوم السبت ثامن عشر رجب بأن تزين البلد لقدوم العساكر المصرية ، وفتح[٢] باب الفرج مضافاً إلى باب النصر[٣] يوم الأحد تاسع عشر رجب ، ففرح الناس بذلك وانفرجوا لأنهم لم يكونوا يدخلون[٤] إلا من باب النصر ، وقدم الجيش الشامي صحبة نائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم يوم السبت عاشر شعبان ، وثاني يوم دخل بقية العساكر وفيهم الأميران شمس الدين قراسنقر المنصوري وسيف الدين قطلبك في تجمُّل .

وفي هذا اليوم فتح باب الفراديس .

وفيه درّس القاضي جلال الدين القزويني بالأمينية عوضاً عن أخيه قاضي القضاة إمام الدين الذي توفي بمصر[٥] .

وفي يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول العساكر صحبة نائب مصر[٦] سيف الدين سلار ، وفي خدمته الملك العادل كتبغا ، وسيف الدين الطباخي[٧] في تجمّل باهر ، ونزلوا في المرج[٨] ، وكان السلطان قد خرج (عازماً على المجيء فوصل) إلى الصالحية ثم عاد إلى مصر .

وفي يوم الخميس النصف من شعبان أُعيد القاضي بدر الدين بن جماعة إلى قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بعد إمام الدين ، ولبس الخلعة ولبس معه في هذا اليوم أمين الدين العجمي خلعة الحسبة أيضاً .

وفي يوم سابع عشره لبس خلعة نظر الدواوين تاج الدين الشيرازي عوضاً عن فخر الدين بن

---

(١) أ : فكسروا آنية الخمر ، في ب : فكسروا الجرار .
(٢) أ : العساكر وفتح .
(٣) مستدرك في هامش أ .
(٤) أ : لم يكونوا يدخلوا ، وهي تخالف السياق النحوي .
(٥) ب : بالمدرسة الأمينية . . . توفي بالديار المصرية كما سيأتي بيانه .
(٦) ب : العساكر المصرية صحبة النائب سيف الدين سلار .
(٧) ط : الطراخي . وترجمته في العبر (٥/ ٤١٠) .
(٨) أ : فنزلوا بالمرج ، وب : ونزلوا بالمرج .

الشيرجي ، ولبس أقبجا خلعة[١] شَدّ الدواوين في باب [الأمير] الوزير شمس الدين سنقر الأعسر ، وباشر الأمير عز الدين أيبك الدويدار النجيبي[٢] ولاية البر ، بعدما جعل من أمراء الطبلخانة[٣] .

ودرّس الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلكاني بأم الصالح عوضاً عن جلال الدين القزويني يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان .

وفي هذا اليوم ولي قضاء الحنفية شمس الدين بن الصفي الحريري عوضاً عن حسام الدين الرومي ، فُقد يوم[٤] المعركة [وجاء بعد ذلك تدريس الخانق منه عوضاً عن حسام الدين الرازي][٥] في ثاني رمضان .

ورفعت الستائر عن القلعة في ثالث رمضان .

وفي مستهلّ رمضان جلس الأمير سيف الدين سلار بدار العدل في الميدان الأخضر وعنده القضاة والأمراء يوم السبت[٦] ، وفي السبت الآخر خلع على الصدر عز الدين القلانسي خلعة سنية وجعل ولده عماد الدين [عبد العزيز] شاهداً في الخزانة العالية .

وفي هذا اليوم رجع سيف الدين سلار بالعساكر إلى مصر وانصرفت[٧] العساكر الشامية إلى مواضعها وبلدانها .

وفي يوم الإثنين عاشر رمضان درس [صدر الدين] علي بن الصفي بن أبي القاسم البصراوي الحنفي بالمدرسة[٨] المقدمية .

وفي شوال فيها[٩] عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتتر[١٠] ويؤذي المسلمين ، وشنق منهم طائفة وسُمّر آخرون وكحّل بعضهم وقطعت ألسن وجرت أمور كثيرة .

---

(١) أ : أقجبا شد الدواوين ، وب : أفخيعا خلعة شد الدواوين . والدليل الشافي (١/ ١٤١) .
(٢) أ : الدوادار ، وفي ب : النجيبي الدويدار .
(٣) أ ، ب : الطبلخاناه .
(٤) ب : حسام الدين الرازي فقد في المعركة .
(٥) عن ب : وحدها .
(٦) ب : وكان ذلك اليوم السبت وإلى مثله من السبت الآخر .
(٧) ب : وقد تفرقت العساكر الشامية إلى أماكنها وبلدانها في شعبان .
(٨) ط : بالمدرسة ، وما هنا عن الأصلين أ ، وب .
(٩) ب : وفي شوال منها ، وفي ب : وفي شوال عرفت .
(١٠) ب : بالتتار .

وفي منتصف شوال دَرَّس بالدولعية قاضي القضاة[١] جمال الدين الزرعي نائب الحكم عوضاً عن جمال الدين بن الباجربَقي .

وفي يوم الجمعة العشرين منه[٢] ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان ، وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه[٣] خلق كثير من المُطَوِّعة الحوارنة لقتال أهل تلك الناحية ، بسبب (فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم ، و) ما [كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا حين اجتازوا ببلادهم ، وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم ، وقتلوا كثيراً منهم ، فلما وصلوا إلى بلادهم][٤] جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير ، وانتصار كبير[٥] على أولئك المفسدين ، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش ، وقرر عليهم أموالاً[٦] كثيرة يحملونها إلى بيت المال ، وأقطعت أراضيهم وضياعهم[٧] ، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة ، ولا يدينون دين الحق ، ولا يحرِّمون ما حرم الله ورسوله .

وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذي القعدة وتلقاه الناس بالشموع إلى [طريق بعلبك وسط النهار .

وفي يوم الأربعاء سادس عَشرِه نودي في البلد أن يعلق الناس الأسلحة بالدكاكين ، وأن يتعلم الناس الرمي فعملت الإماجات في أماكن كثيرة من البلد ، وعلقت الأسلحة بالأسواق ، ورسم قاضي القضاة بعمل الإماجات في المدارس ، وأن يتعلم الفقهاء الرمي ويستعدوا لقتال العدوِّ إن حضر ، وبالله المستعان][٨] .

(وفي الحادي والعشرين من ذي القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه وجعل على كلّ سوقٍ مقدَّماً وحوله أهل سوقه) .

---

(١) ب : القاضي جمال الدين .
(٢) ب : العشرين في شوال .
(٣) ب : في خلق كثير .
(٤) ب : عاملوا به الجيش المصري والشامي حين اجتازوا ببلادهم هاربين من الوقعة فثاروا على من استفردوه ونهبوا أسلحتهم وما قدروا عليه من خيولهم وأمتعتهم وقتلوا خلقاً كثيراً أيضاً هذا مع ماهم مشتملون عليه من العقائد الفاسدة المخالفة لدين الإسلام فلما حصلوا ببلادهم .
(٥) أ : خير كثير على أولئك ، ب : وانتصار عظيم على أولئك .
(٦) ب : أموال كثيرة .
(٧) أ : أراضيهم وأموالهم .
(٨) ما بين الحاصرتين في ب : مختلف عما هنا بعض الخلاف الذي لا فائدة من إثباته .

وفي الخميس رابع عشرينه[١] عرضت الأشراف مع نقيبهم نظام الملك الحسيني بالعُدد والتجمُّل الحسن ، وكان يوماً مشهوداً .

ومما كان من الحوادث في هذه السنة أن جدد إمام راتب عند رأس قبر زكريا ، وهو الفقيه شرف الدين أبو بكر الحموي، وحضر عنده يوم[٢] عاشوراء القاضي إمام الدين الشافعي، وحسام الدين الحنفي وجماعة ، ولم تطل[٣] مدته إلا شهوراً ثم عاد الحموي إلى بلده وبطلت[٤] هذه الوظيفة إلى الآن ولله الحمد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

القاضي حُسام الدّين أبو الفضائل[٥] الحسن بن القاضي تاج الدين أبي المفاخر أحمد بن الحسن أَنُو شَرْوَان الرّازي الحنفي .

ولي قضاء مَلَطْيَة[٦] مدة عشرين سنة ، ثم قدم دمشق فوليها مدةً ، ثم انتقل إلى مصر[٧] فوليها مدةً ، وولده جلال الدين بالشام ثم صار إلى الشام فعاد إلى الحكم بها ، ثم لما خرج الجيش إلى لقاء قازان بوادي الخزندار عند وادي سلمية[٨] خرج معهم ففقد من الصف ولم يدر ما خبره ، وقد قارب السبعين ، وكان فاضلاً بارعاً رئيساً ، له نظم حسن ، ومولده بأقسرا[٩] من بلاد الروم في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمئة ، فُقد يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول منها [وهو يوم الوقعة][١٠] ، وقد قُتل يومئذ

---

(١) ب : وفي يوم الخميس الرابع والعشرين عرضت السادة الأشراف .

(٢) ب : الظهر يوم الأربعاء .

(٣) ب : ولكنه لم تطل مدته حتى عاد .

(٤) ب : وسفرت هذه الوظيفة إلى الآن .

(٥) ترجمة ـ حسام الدين الحنفي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٩٠٣) وأعيان العصر للصفدي (١/ ٣٠٨) والعبر (٥/ ٣٩٧) ومعجم شيوخ الذهبي (١٦٨) والجواهر المضية (٢/ ٣٩) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٩٠) والدليل الشافي (١/ ٢٥٩) والدرر الكامنة (٢/ ٩١) وحسن المحاضرة (١/ ٢٦٨) و(٢/ ١٨٤) والطبقات السنية (٣/ ٣٨ ـ ٤٢) وشذرات الذهب (٧/ ٧٧٩) والدارس (١/ ٥١٤) .

(٦) معجم البلدان (٥/ ١٩٢) وقد ضبطها بفتح أولها وثانيها ، وسكون الطاء ، وتخفيف الباء وهي بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام .

(٧) ب : إلى الديار المصرية .

(٨) أ ، ب : عند سلمية .

(٩) أ ، ط : بأقسيس ، وفي أعيان العصر : بانصرا ؛ وهو تحريف ، وفي الدرر الكامنة : باقصرا ، وفي الدارس : بآق سراي ، وفي الطبقات السنية : بأَقْسَراي ، وما هنا عن ب . وقد أخلّ بها ياقوت في معجمه .

(١٠) ب : وكان فقده يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول وهو يوم .

عدة من مشاهير[(١)] (الأمراء) ثم ولي بعده القضاء شمس الدين الحريري [كما ذكرنا][(٢)] .

القاضي الإمام[(٣)] العالم[(٤)] إمام الدين أبو المعالي عمر بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن محمد القزويني الشافعي .

قدم دمشق هو وأخوه جلال الدين ، فقررا في مدارس ، ثم انتزع إمام الدين قضاء القضاة بدمشق من بدر الدين بن جماعة كما تقدم في سنة سبع وسبعين[(٥)] ، وناب عنه أخوه ، وكان جميل الأخلاق كثير الإحسان (رئيساً) ، قليل الأذى . ولما أزف قدوم التتار سافر إلى مصر[(٦)] ، فلما وصل إليها لم يقم بها سوى أسبوع وتوفي ودفن بالقرب من (قُبَّة) الشافعي عن ست وأربعين سنة ، وصار المنصب إلى بدر الدين بن جماعة ، مضافاً إلى (ما بيده من) الخطابة (وغيرها) ، ودرس أخوه بعده بالأمينية ، كما ذكرنا .

المُسْنِد (المُعَمَّر) الرِّحْلَة[(٧)] شرف الدين أحمد بن هبة الله (بن أحمد بن محمد)[(٨)] بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن عساكر الدمشقي .

ولد سنة أربع عشرة وستمئة ، وسمع الحديث وروى ، توفي خامس عشر[(٩)] جمادى الأولى من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة .

الخطيب الإمام العالم الرئيس[(١٠)] موفق الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن المفضَّل البَهْراني[(١١)]

---

(١) ب : عدة من سادات الأمراء .

(٢) عن ب : وحدها .

(٣) ترجمة ـ القزويني ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٩٠٠) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٢) والعبر (٥/ ٤٠٢) وطبقات الإسنوي (٢/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٨٥) والدليل الشافي (١/ ٤٩٩) وشذرات الذهب (٧/ ٧٨٧).

(٤) ط : العالي ؛ وهو تحريف .

(٥) ب : في السنة السابعة والسبعين .

(٦) ب : إلى الديار المصرية فلما وصلها لم يقم بها .

(٧) ترجمة ـ ابن عساكر ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٩٧) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٢) والعبر (٥/ ٣٩٥) والإشارة المنتقى من تاريخ الإسلام (٣٨٧) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٩٠ و١٩٢) والدليل الشافي (١/ ٩٥) وشذرات الذهب (٧/ ٧٧٨) .

(٨) ما بين الحاصرتين من تاريخ الإسلام . (بشار) .

(٩) ب : سمع الكثير وروى وكانت وفاته في خامس وعشرين .

(١٠) ترجمة ـ البهراني ـ في الإعلام (٢٩٢) وتاريخ الإسلام (١٥/ ٩٣٩) والعبر (٥/ ٤٠٤) وشذرات الذهب (٧/ ٧٩٠ ـ ٧٩١) .

(١١) ط : « الفضل النهرواني » ، وب : « الفضل المهراني » وكله تحريف ، وما أثبتناه من خط الذهبي في تاريخ الإسلام ، وهو الصواب الذي ليس فيه ارتياب فبهراء من قضاعة .

القُضاعي الحموي ، خطيب حماة[(١)] ، ثم خطب بدمشق عوضاً عن الفاروثي ، كما ذكرنا ودرس بالغزالية ثم عزل بابن جماعة ، وعاد إلى بلده ، ثم قدم دمشق عام[(٢)] قازان فمات بها .

الصَّدْر شمس الدين[(٣)] محمد بن سلمان[(٤)] بن حمائل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم .

وكان من أعيان الناس وأكثرهم مروءةً ، ودرَّس بالعصرونية ، (توفي وقد) جاوز الثمانين ، وكان من الكتاب المشهورين[(٥)] المشكورين ، وهو والد الصدر علاء الدين بن غانم .

الشيخ جمال الدين أبو محمد[(٦)] عبد الرحيم بن عمر بن عثمان البَاجُرْبَقي[(٧)] الشافعي .

أقام مدةً بالموصل يشتغل ويفتي ، ثم قدم دمشق (عام قازان فمات بها ، وكان قد) أقام بها مدة كذلك ، ودرس بالقليجية والدولعية ، وناب في الخطابة ودرس بالغزالية نيابة عن الشمس الأَيْكي ، وكان قليلَ الكلام مجموعاً عن الناس ، وهو والد الشمس محمد المنسوب إلى الزندقة والانحلال ، وله أتباع (ينسبون إلى) ما ينسب إليه ، ويعكفون على ما كان يعكف عليه ، وقد حدث جمال الدين المذكور « بجامع الأصول » عن بعض أصحاب مصنفه[(٨)] ابن الأثير ، وله نظم حسن ، والله سبحانه أعلم .

[ثم دخلت][(٩)] سنة سبعمئة من الهجرة النبوية

[استُهلت والخليفةُ والسلطانُ ونوابُ البلاد والحكام بها هم المذكورون في التي قبلها ، غير الشافعي

---

(١) ب : الحموي خطيبها ثم .
(٢) وهو العام الذي وقعت فيه معركة قازان في وادي الخزندار عند وادي السلمية سنة ٦٩٩ وقد مرت ترجمة حسام الدين الرازي قبل ترجمتين .
(٣) ترجمة ـ ابن غانم ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٩٣٠) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٣) والعبر (٥/ ٤٠٢) والإشارة (٣٨٦) والنجوم (٨/ ١٩٣) وشذرات الذهب (٧/ ٧٨٨) .
(٤) في الأصول : « سليمان » وهو خطأ بيّن ، والتصحيح من مصادر ترجمته .
(٥) أ : من الكتاب المشاهير المشكورين .
(٦) ترجمة ـ الباجربقي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٩١٦) والإعلام بوفيات الأعلام (٢٩٣) والعبر (٥/ ٤٠٠) وطبقات الإسنوي (١/ ٢٨٤) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٩٤) والدارس (١/ ٢٤٤) و(٢/ ١٣٤) وشذرات الذهب (٧/ ٧٨٤) . وورد في ب : جمال الدين ؛ تحريف .
(٧) الباجربقي : نسبة إلى باجُرْبَق : بضم الجيم ، وسكون الراء ، وفتح الباء الموحدة ، وقاف ، كورة بين البقعاء ونصيبين . معجم البلدان (١/ ٣١٣) .
(٨) ط : « مصنفات » ولا معنى لها ، وما هنا من أ ، ب .
(٩) عن ط : وحدها .

والحنفي][(١)] ، ولما كان ثالث المحرم جلس[(٢)] المستخرج لاستخلاص أجرة أربعة أشهر عن جميع أملاك الناس وأوقافهم بدمشق ، فهرب أكثر الناس من البلد ، وجرت خبطة عظيمة[(٣)] قوية وشق ذلك على الناس جدًّا[(٤)] .

وفي مستهل صفر وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر ، فانزعج الناس لذلك وازدادوا ضعفاً على ضعفهم ، وطاشت عقولهم وألبابهم ، وشرع الناس في الهرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة ، فبلغت الحمارة إلى مصر خمسمئة ، وبيع[(٥)] الجمل بألف ، والحمار بخمسمئة ، وبيعت[(٦)] الأمتعة والثياب والغلات بأرخص الأثمان ، وجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية في ثاني صفر بمجلسه في الجامع وحرَّض الناس على القتال ، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك ، ونهى عن الإسراع في الفرار ، ورغب في إنفاق الأموال في الذبِّ عن المسلمين وبلادهم وأموالهم ، وأن ما ينفق في أجرة الهرب إذا أنفق في سبيل الله كان خيراً ، وأوجب جهاد التتر حتماً في هذه الكرة ، وتابع المجالس في ذلك ، ونودي في البلاد لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة ، فتوقف الناس عن السير وسكن جأشهم ، وتحدث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالعساكر ودقت البشائر لخروجه ، لكن كان قد خرج جماعة من بيوتات دمشق كبيت ابن صصرى وبيت ابن فضل الله وابن منجا وابن سويد وابن الزملكاني وابن جماعة[(٧)] .

وفي أول ربيع الآخر قوي الإرجاف بأمر التتر ، وجاء الخبر بأنهم قد وصلوا إلى البيرَة ونودي في البلد[(٨)] أن تخرج العامة مع العسكر ، وجاء مرسوم النائب من المرج بذلك ، فاستعرضوا في أثناء الشهر فعرض نحو خمسة آلاف من العامة بالعدة والأسلحة على قدر طاقتهم ، وقنت الخطيب ابن جماعة في

(١) ب : استهلت والخليفة الحاكم العباسي وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ونائب مصر الأمير سيف الإسلام سلار وقضاة مصر القاضي تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي الحنفي ونائب الشام الأمير جمال الدين آقوش الأفرم ، وقاضي الشافعية بها بدر الدين بن جماعة وقاضي الحنفية شمس الدين بن الحريري ، وقاضي المالكية جمال الدين الزواوي ، وقاضي الحنابلة تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي ، والخطيب بدر الدين بن جماعة ، والوزير شمس الدين سنقر الأعسر .

(٢) أ : جلس الدين ، ب : حضر الدين .

(٣) عن ب : وحدها .

(٤) ب : مشقة عظيمة .

(٥) أ ، ب : وأبيع .

(٦) أ ، ب : وأبيعت .

(٧) من قوله : وفي مستهل صفر وردت . . . إلى هنا اختلاف في الرواية بين ب ، وأ ، وبقية النسخ آثرت حذف هذه الخلافات .

(٨) ب : في البلدان .

الصلوات كلها ، وتبعه[١] أئمة المساجد ، وأشاع المرجفون بأن التتر[٢] قد وصلوا إلى حلب وأن نائب حلب تقهقر إلى حماة ، ونودي في البلد بتطييب قلوب الناس وإقبالهم على معايشهم ، وأن السلطان والعساكر واصلة ، وأبطل ديوان المستخرج وأقيموا ، ولكن كانوا قد استخرجوا أكثر مما أمروا به وبقيت بواقي على الناس[٣] الذين قد اختفوا فعفى عما بقي ، ولم يرد ما سلف ، لا جرم أن عواقب هذه الأفعال خسر ونكر ، وأن أصحابها لا يفلحون ، ثم جاءت[٤] الأخبار بأن سلطان مصر رجع عائداً إلى مصر[٥] بعد أن خرج منها قاصداً الشام ، فكثر الخوفُ واشتدّ الحالُ ، وكثرتِ الأمطارُ جداً ، وصار بالطرقات من الأوحال والسيول ما يحول بين المرء وبين ما يريده من الانتشار في الأرض والذهاب فيها ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون[٦] .

وخرج كثير من الناس خفافاً وثقالاً يتحمَّلون بأهاليهم وأولادهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وجعلوا يحملون الصغار في الوحل الشديد والمشقة على الدواب والرِّقاب ، وقد ضعفت الدواب من قلة العلف مع كثرة الأمطار والزلق والبرد الشديد والجوع وقلة الشيء فلا حول ولا قوة إلا بالله .

واستهلّ جمادى الأولى والناس على خطة صعبة من الخوف ، وتأخر السلطان واقترب العدو .

وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله في مُسْتَهلّ هذا الشهر ، وكان يوم السبت إلى نائب الشام في المرج فثبَّتهم وقوّى جأشهم وطَيَّبَ[٧] قلوبهم ووعدهم النصر والظفر على الأعداء ، وتلا قوله تعالى ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [الحج : ٦٠] وبات عند العسكر ليلة الأحد ثم عاد إلى دمشق وقد سأله النائب والأمراء أن يركب على البرد إلى مصر يستحث السلطان على المجيء فساق وراء السلطان ، وكان السلطان قد وصل إلى الساحل فلم يدركه إلا وقد دخل القاهرة وتفارط الحال ، ولكنه استحثهم على تجهيز العساكر إلى الشام إن كان لهم به حاجة ، وقال لهم فيما قال : إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن ، ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام ، ثم قال لهم : لو قدِّر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه

(١) ط : واتبعه ، وفي ب : وتبعه الأئمة في المساجد .
(٢) ب : التتار .
(٣) ب : على أناس وآخرون قد اختفوا .
(٤) ب : ما سلف وجاءت أخبار بأن السلطان صاحب مصر قد رجع .
(٥) ب : عائداً إلى مصر من الزلزلة التي كان بها في نواحي السواحل بعد أن خرج .
(٦) من هذه اللفظة إلى آخر حوادث هذه السنة فيه خلافات بسيطة من الأصول لم أجد في إثباتها فائدة .
(٧) ب : إلى نائب الشام وعساكره فثبّتهم وقواهم وطيّب .

واستنصركم أهله وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم ، وقوّى جأشهم وضمن لهم النصر في هذه الكرة ، فخرجوا إلى الشام ، فلما تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحاً شديداً بعد أن كانوا قد يئسوا من أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ثم قويت الأراجيف بوصول التتر ، وتحقق عود السلطان إلى مصر ، ونادى ابن النحاس متولي البلد في الناس من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق ، فتصايح النساء والولدان ، ورهق الناس ذلة عظيمة وخمدة ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وغُلقت الأسواق وتيقنوا أن لا ناصر لهم إلا الله عز وجل ، وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقو على التقاء جيش التتر فكيف به الآن وقد عزم على الهرب ؟ ويقولون : ما بقي أهل دمشق إلا طعمة العدو ، ودخل كثير من الناس [القلعة وامتنع الناس من النوم والقرار وخرج كثير من الناس] إلى البراري والقفار والمفر بأهليهم من الكبار والصغار ، ونُودي في الناس مَنْ كانت نيته الجهاد فليلحق بالجيش فقد اقترب وصول التتر ، ولم يبق بدمشق من أكابرها إلا القليل ، وسافر ابن جماعة والحريري وابن صَصْرَى وابن مُنَجّى ، وقد سبقهم بيوتهم إلى مصر ، وجاءت الأخبار بوصول التتر إلى سَرْمين[١] وخرج الشيخ زين الدين الفارقي والشيخ إبراهيم الرقي وابن قوام وشرف الدين بن تَيْميّة وابن جُبارة[٢] إلى نائب السلطنة الأفرم فقوَّوا عزمه على ملاقاة العدو ، واجتمعوا بِمُهنَّا أمير العرب فحرَّضوه على قتال العدو فأجابهم بالسمع والطاعة ، وقويت نياتهم على ذلك ، وخرج طلب سلار من دمشق إلى ناحية المرج ، واستعدوا للحرب والقتال بنيات صادقة .

ورجع[٣] الشيخ تقيّ الدين بن تَيْميّة من الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادى الأولى على البريد ، وأقام بقلعة مصر ثمانية أيام يحثّهم على الجهاد والخروج إلى العدو ، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج ، وقد غلت الأسعار بدمشق جدًّا ، حتى بيع خروفان[٤] بخمسمئة درهم ، واشتد الحال ، ثم جاءت الأخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات راجعاً عامه ذلك لضعف جيشه وقلة عددهم ، فطابت النفوس لذلك وسكن الناس ، وعادوا إلى منازلهم منشرحين آمنين مستبشرين . ولما جاءت الأخبار بعدم وصول التتار إلى الشام في جمادى الآخرة تراجعت أنفس الناس إليهم وعاد نائب السلطنة إلى دمشق ، وكان مخيماً في المرج من مدة أربعة أشهر متتابعة ، وهو من أعظم الرباط ، وتراجع الناس إلى أوطانهم .

---

(١) أ ، ط : سرقين ؛ وهي بلدة مشهورة من أعمال حلب معجم البلدان (٣/ ٢١٥) .

(٢) ط : خبارة ، وفي أ : وابن حيارة ، وفي ب : خيارة ، وكله تصحيف ، وماهنا من خط الذهبي في تاريخ الإسلام (١٥/ ٧١٩) (بشار) .

(٣) أ : وخرج الشيخ تقي الدين .

(٤) أ ، ب : حتى إنه أبيع خروفات .

وكان الشيخ زين الدين الفارقي قد درس بالناصرية لغيبة مدرسها كمال الدين بن الشريشي بالكرك هارباً ، ثم عاد إليها في رمضان .

وفي أواخر الشهر درس ابن الزكي بالدولعية عوضاً عن جمال الدين الزرعي لغيبته .

وفي يوم الإثنين قرئت شروط الذمة على أهل الذمة وألزموا بها واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهات ، وأخذوا بالصغار ، ونودي بذلك في البلد وألزم النصارى بالعمائم الزرق ، واليهود بالصفر ، والسامرة بالحمر ، فحصل بذلك خير كثير وتميزوا عن المسلمين .

وفي عاشر رمضان جاء المرسوم بالمشاركة بين أرجواش والأمير سيف الدين أقبجا في نيابة القلعة ، وأن يركب كل واحد منهما يوماً ، ويكون الآخر بالقلعة يوماً ، فامتنع أرجواش من ذلك .

وفي شوال درّس بالإقبالية الشيخ شهاب الدين بن المجد عوضاً عن علاء الدين القونوي[(١)] بحكم إقامته بالقاهرة .

وفي يوم الجمعة الثالث عشر[(٢)] من ذي القعدة عزل شمس الدين بن الحريري عن قضاء الحنفية بالقاضي جلال الدين بن حسام الدين على قاعدته وقاعدة أبيه ، وذلك باتفاق من الوزير شمس الدين سنقر الأعسر ونائب السلطان الأفرم .

وفيها : وصلت رسل ملك التتار إلى دمشق ، فأنزلوا بالقلعة ثم ساروا إلى مصر .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ حسن الكردي[(٣)] .

المقيم بالشاغور في بستان له يأكل من غلّته ويطعم من ورد عليه ، وكان يزار ، فلما احتضر اغتسل وأخذ من شعره واستقبل القبلة وركع ركعات[(٤)] ، ثم توفي رحمه الله يوم الإثنين الرابع من جمادى الأولى ، وقد جاوز المئة سنة .

الطواشي صفيّ الدين جَوْهَر التَّفْلِيسي[(٥)] المحدّث .

---

(١) أ : علاء الدين القزويني ، وهو تحريف . وترجمته في الدليل الشافي (١/ ٤٥١) .
(٢) أ : الثالث عشرين من ذي القعدة ، وفي ب : الثالث والعشرين .
(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام (١٥/ ٩٥٠) . (بشار) .
(٤) أ : وركع ركعتان ؛ وهي خطأ ، وفي ب : وتركع ركعات .
(٥) ترجمة ـ جوهر التفليسي ـ في تاريخ الإسلام (١٥/ ٩٤٩) ومعجم شيوخ الذهبي (٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) والدليل الشافي (١/ ٢٥٥) .

اعتنى بسماع الحديث وتحصيل الأجزاء وكان حسن الخلق لين الجانب رجلاً جيداً مباركاً صالحاً ، ووقف أجزاءه التي ملكها على المحدثين .

الأمير عز الدين محمد بن أبي الهيجاء[1] بن محمد الهذباني[2] الإربلي مُتَوَلّي دمشق .

كان لديه فضائلُ كثيرةٌ في التواريخ والشعر وربما جمع شيئاً في ذلك ، وكان يسكن بدرب سعور[3] يعرف به ، فيقال درب ابن أبي الهيجاء ، وهو أول منزل نزلناه حين قدمنا دمشق في سنة ست وسبعمئة ، ختم الله لي بخير في عافية آمين ، توفي ابن أبي الهيجاء في طريق مصر وله ثمانون سنة ، وكان مشكور السيرة حسن المحاضرة .

الأمير جمال الدين آقوش الشريفي والي الولاة بالبلاد القبلية ، توفي في شوال وكانت له هيبة وسطوة وحرمة .

انتهى الجزء الخامس عشر من كتاب البداية والنهاية ـ حسب تقسيمنا ـ ،

ويتلوه الجزء السادس عشر ، وهو الأخير

●●●

(١) ترجمة ـ ابن أبي الهيجاء ـ في ذيل المرآة (٣/ ٢٠٤) و(٤/ ٣٢٣) وثمة شعر له . وتاريخ الإسلام (١٥/ ٩٥٦) والوافي (٥/ ١٧٠) والدليل الشافي (٣/ ٧١٠) والدرر الكامنة (٥/ ٤٩) .

(٢) ط : الهيدباني .

(٣) تقدم في ترجمة والده مجير الدين المتوفى سنة ٦٦٢ فسماه هناك « درب ابن سنون » ، فالله أعلم . (بشار) .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعمئة

استهِلّت والحُكّام هم المذكورون في التي قبلها ، والأمير سيف الدين سلّار[(١)] بالشام ، والأفرم نائب دمشق[(٢)] .

وفي أولها عُزل الأمير قَطْلُبَك[(٣)] عن نيابة البلاد السّاحلية ، وتولّاها الأمير سيف الدين أسَنْدَمُر[(٤)] .

وعزل عن وزارة مصر شمس الدين الأعسر[(٥)] .

وتولّى سيف الدين أقبجا المنصوري[(٦)] نيابة غزّة ، وجعل عوضه بالقلعة الأمير سيف الدين بهادر السَّنُجري[(٧)] ، وهو من الرَّحبة .

وفي صفر : رجعت رسل ملك التتر من مصرَ إلى دمشقَ فتلقّاهم نائبُ السلطنة والجيشُ والعامة .

وفي نصف صفر ولي تدريس النورية[(٨)] الشيخ صدر الدين علي البُصراوي الحنفي عوضاً عن الشيخ ولي الدين السمرقندي ، وإنما كان وَلِيَها ستةَ أيام ، ودرَّس بها أربعة دروس بعد بني الصدر سليمان ، الذي توفي وكان من كبار الصالحين ، يصلّي كل يوم مئة ركعة .

وفي يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول جلس قاضي القضاة وخطيب الخطباء بدر الدين بن جَماعة بالخانقاه السُّميساطية[(٩)] شيخ الشيوخ بها عن طلب الصوفية له في ذلك[(١٠)] ، ورغبتهم فيه ، وذلك بعد وفاة الشيخ يوسف بن حمويه الحموي[(١١)] . وفرحت الصوفية به وجلسوا حوله ، ولم تجتمع هذه المناصب

---

(١) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧١٠هـ .

(٢) في ب ، وط : ونائب دمشق الأفرم . وهو جمال الدين آقوش ، وستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧١٩هـ .

(٣) أحد مماليك المنصور ، ولي عدّة مناصب ، ثم سُجنَ بأَخَرة وقتل سنة ٧١٦هـ ترجمته في الدرر الكامنة : (٣/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) .

(٤) سيأتي في وفيات سنة ٧١١هـ .

(٥) هو سنقر المنصوري ، أحد الأمراء المماليك ، وستأتي ترجمته في وفيات ٧٠٩هـ .

(٦) ولي غزة نقلاً من الأستادارية بدمشق ، توفي سنة ٧١٠هـ الدُّرر الكامنة (١/ ٣٩٣) .

(٧) في ط ، السيجري ، وفي الدرر الكامنة (١/ ٤٩٨) : الشجري ، وهو تصحيف ، توفي سنة ٧٣٣هـ . والرّحبة : قرية من قرى دمشق خربت . معجم البلدان (رحبة) .

(٨) « النورية » : هي المدرسة النورية الكبرى ، أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، ولا تزال عامرة إلى أيامنا في سوق الخياطين في دمشق . الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٦٥١) .

(٩) « السُّمَيْسَاطيَّة » : بمهملات مصغرة ، نسبة للسُّمَيْساطي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبشي . الدارس (٢/ ١٥٦) .

(١٠) في ط : بذلك .

(١١) هو : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن عثمان . الدرر (٤/ ٤٨٢) .

قبله لغيره[١] ، ولا بلغنا أنّها اجتمعت لأحد بعده إلى زماننا هذا : القضاءُ والخَطابةُ ومَشْيَخَةُ الشُّيوخ[٢] .

وفي يوم الإثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول قُتِلَ الفَتْحُ أحمد بن البَقَقِي[٣] بالدِّيار المصرية ، حكم فيه القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي بما ثبت عنده من تنقُّصه[٤] للشريعة واستهزائه بالآيات المحكمات ، ومعارضة المشتبهات بعضها ببعض . يُذكر عنه أنّه كان يُحِلُّ المحرّمات من اللواط والخمر وغير ذلك ، لمن كان يجتمع به[٥] من الفَسَقة من التُّرك وغيرهم من الجهلة . هذا وقد كان له فضيلة وله اشتغال وهيئة جميلة في الظاهر ، وبِزَّته ولبسته جيدة ، ولما أوقف عند شباك دار الحديث الكامِلية[٦] بين القَصْرَيْن استعان[٧] بالقاضي تقي الدين بن دقيق العيد وقال : ما تعرف مني؟ فقال : [إنما][٨] أعرف منك الفضيلة ، ولكن حكمك إلى القاضي زين الدين ، فأمر القاضي للوالي أن يضرب عنقَه . فضُرِب عُنقُه وطِيف برأسه في البلد ، ونوديَ عليه : هذا جزاء من طعن في الله ورسوله .

قال البرزالي في « تاريخه »[٩] : وفي وسط شهر ربيع الأول ورد كتابٌ من بلاد حماةَ من جهة قاضيها يخبر فيه أنّه وقع في هذه الأيام ببارِيْن[١٠] من عمل حماة بَرَدٌ كِبار على صُور حيوانات مختلفة شتّى ؛ سباعٍ وحَيّاتٍ وعقاربَ وطيورٍ ومَعَزٍ ونساءٍ ، ورجالٍ في أوساطهم حَوَائص[١١] ، وأن ذلك ثبت بمحضر عند قاضي الناحية ، ثم نُقل ثبوتُه إلى قاضي حماة .

---

(١) في ط : لغيره قبله .

(٢) زاد الناسخ في المتن هنا قوله :
قلت : قد اجتمعت بعد موت المؤلف لجماعة منهم برهان الدين بن جماعة ، وبعده شرف الدين وعلاء الدين بن أبي البقاء ، وشهاب الدين الباعوني ، وقبله ابن القرشي شهاب الدين وشمس الدين الإخنائي ، وشهاب الدين بن حجي ، وغير هؤلاء تولّوا هذه الوظائف على قاعدة بدر الدين بن جماعة . وكذلك في الدارس (٢/ ١٥٦) .

(٣) في ط : « الثقفي » ، محرف ، وما أثبتناه هو الصواب ، قيده الذهبي في المشتبه فقال : « الثقفي كثير ، بالموحدة وقافين : مجد الدين . . . ابن البققي الحموي . . . ونسيبه فتح الدين أحمد بن البققي الذي قتل على الزندقة سنة ٧٠١ » وينظر تبصير المنتبه لابن حجر ١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، وتوضيح ابن ناصر الدين ١/ (بشار) .

(٤) في ط : تنقيصه .

(٥) في ط : فيه .

(٦) « الكاملية » : دار حديث في مصر بناها الملك الكامل الأيوبي ، أبو المعالي مات سنة ٦٣٥هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان (٥/ ٨١) .

(٧) في ط : استغاث . وابن دقيق العيد ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧٠٢هـ .

(٨) سقطت من ط .

(٩) علم الدين البرزالي ، هو القاسم بن محمد ، نقل ابن كثير عنه تاريخه الذي ذيل به على تاريخ أبي شامة . وستأتي ترجمته في وفيات ٧٣٩هـ ، وتاريخه مخطوط ، منه نسخة في إستانبول ، وحقق القسم الثاني منه الدكتور معن سعدون العيفان ، نال به رتبة الدكتوراه .

(١٠) قال ياقوت : والعامّةُ تقول : بعرين . مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب .

(١١) « الحوائص » : ج حِيَاصة بالكسر ، سَيْرٌ يشدُّ به حزام السَّرج ، وقد استعمل في كل ما يَشُدُّ به الإنسان حَقْوَه . =

وفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر شُنِقَ الشيخُ علي الحوراني[١] بوّاب الظاهرية على بابها ، وذلك أنه اعترف بقتل الشيخ زين الدّين السَّمرقندي .

وفي النصف منه حضر القاضي بدر الدين بن جَماعة تدريس الناصرية الجوّانية عوضاً عن كمال الدين ابن الشُّريشي[٢] ، وذلك أنّه ثبت محضر أنّها لقاضي الشافعية بدمشق ، فانتزعها من يد ابن الشريشي .

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم الصدر علاء الدين بن شرف الدين بن القلانسي[٣] على أهله من بلاد التتر بعد الأسر[٤] سنتين وأياماً ، وقد حبس مدَّةً ثم لطف الله به وتلطَّف حتى تخلَّص منهم ورجع إلى أهله ، ففرحوا به .

وفي سادس جمادى الآخرة قَدِم البريدُ من القاهرة ، وأخبر بوفاة أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، وأن ولده ولِيَ الخلافةَ من بعده ، وهو أبو الربيع سليمان ، ولقب بالمستكفي بالله ، وأنه حضر جنازته الناسُ كلُّهُم مُشاةً ، ودُفن بالقرب من الست نفيسة ، وله أربعون سنة في الخلافة .

وقدم مع البريد تقليد بالقضاء لشمس الدين [بن][٥] الحريري الحنفي ، ونظر الدواوين لشرف الدين بن مزهر[٦] .

واستمرت الخاتونية الجوانية[٧] بيد القاضي جلال الدين بن حسام الدين بإذن نائب السلْطنة .

وفي يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خُطب للخليفة المستكفي بالله وتُرُحِّم على والده بجامع دمشق ، وأعيدت الناصرية إلى ابن الشريشي . [وعزل عنها ابن جَماعة][٨] ودرَّس بها يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة .

وفي شوال قدم إلى الشام جَرادٌ عظيم أكل الزرع والثمار ، وجرّد الأشجار حتى صارت مثل العِصِي ، ولم يُعهَد مثل هذا .

وفي هذا الشهر عُقد مجلس لليهود الخيابرة وأُلزِموا بأداء الجزية أُسْوةَ أمثالِهم من اليهود ، فأحضروا كتاباً معهم يزعمون أنّه من رسول الله ﷺ بوضع الجزية عنهم ، فلما وقف عليه الفقهاء تبيَّنوا أنّه مكذوبٌ

= شاميّة . التاج (حوص) .

(١) في ط : الحويزالي ، وكذلك هو في الدارس : (١/ ٤٥٩) .

(٢) سيأتي في وفيات سنة ٧١٨هـ .

(٣) هو علي بن محمد بن محمد بن نصر الله . سيأتي ترجمته في وفيات سنة ٧٣٦هـ .

(٤) في ط : من التتر بعد أسر .

(٥) هو : قاضي القضاة شمس الدين محمد بن عثمان ، وسيأتي في وفيات سنة ٧٢٨هـ .

(٦) هو : يعقوب بن مظفر بن مزهر ، وسيأتي في وفيات سنة ٧١٤هـ .

(٧) مدرسة أنشأتها خاتون بنت معين الدين أنر ، زوج نور الدين محمود بن زنكي . الدارس (١/ ٣٨٨) وما بعدها .

(٨) زيادة في ط .

مفتعل لِمَا فيه من الألفاظ الركيكة ، والتواريخ المخبطة ، واللّحن الفاحش ، وحاقَقَهُم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وبيَّنَ لهم خطأهم وكذبهم ، وأنه مزوَّر مَكْذوب ، فأنابوا إلى أداء الجزية ، وخافوا من أن تُستعاد منهم السِنُونَ[١] الماضية .

قلت : وقد وقفت أنا على هذا الكتاب فرأيت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خيبر ، وقد توفي سعدٌ قبل ذلك ، وشهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم إذ ذاك ، وإنما أسلم بعد ذلك[٢] بنحوٍ من سنتين : وفيه : (وكتب علي بن أبو طالب) وفيه لحن لا يصدر عن أمير المؤمنين علي ، لأن علم النحو إنما أُسند إليه من طريق أبي الأسود الدؤلي عنه ، وقد جمعت فيه جزءاً مفرداً ، وذكرت ما جرى فيه أيام القاضي الماورْدي[٣] ، وكبار أصحابنا في ذلك العصر ، وقد ذكره في « الحاوي » وصاحب « الشامل »[٤] في كتابه ، وغير واحد ، وبيَّنوا خطأه ولله الحمدُ والمِنَّةُ .

وفي هذا الشهر ثار جماعة من الحَسَدة على الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وشَكَوا منه أنه يقيم الحدود ويُعزِّر ، ويَحلق رؤوس الصبيان ، وتكلّم هو أيضاً فيمن يشكو منه ذلك ، وبيَّن خطأهم ، ثم سكنت الأمور .

وفي ذي القعدة ضربت البشائر بقلعة دمشق أياماً بسبب فتح أماكن من بلاد سِيْس[٥] عَنْوة ، فتحها المسلمون ، ولله الحمد .

وفيه قدم عِزُّ الدين بن مبشر[٦] على نظر الدواوين عوضاً عن ابن مزهر .

وفي يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة حضر عبد السيد بن المهذب ديَّان اليهود إلى دار العدل ومعه أولاده فأسلموا كلهم ، فأكرمهم نائب السلطنة ، وأمر أن يركب بخِلْعة وخلفه الدَّبَادِب[٧] تضرب والبوقات إلى داره ، وعمل ليلتئذ خَتْمة عظيمة حضرها القضاةُ والعلماء ، وأسلم على يديه جماعة كبيرة من اليهود ، وخرجوا يوم العيد كلّهم يكبّرون مع المسلمين ، وأكرمهم الناس إكراماً زائداً .

---

(١) في ط : الشئون . وهو تصحيف .
(٢) سقطت من ط .
(٣) هو القاضي علي بن محمد بن حبيب البصري توفي سنة (٤٥٠هـ) في بغداد ، ونسبته إلى بيع الماورد ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٢) .
(٤) الحاوي للقاضي الماوردي المذكور ، والشَّامل لأبي نصر عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصبَّاغ ، مات سنة (٤٧٧هـ) . انظر الوفيات (٣/ ٢١٧) وكشف الظنون (٢/ ١٠٢٥) .
(٥) « سيس » : أعظم مدن الثغور بين إنطاكية وطرسوس ، ياقوت (سيس) .
(٦) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧١٦هـ . وهو في الدرر الميسر .
(٧) « الدبادب » : الطبول .

وقدمت رُسُلُ مِلِك التتار في سابع عشر ذي الحجّة ، فنزلوا بالقلعة ، وسافروا إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام . وبعد مسيرهم بيومين مات أرجواش[(١)] ، وبعد موته بيومين قَدِم الجيشُ من بلاد سِيْس وقد فتحوا جانباً منها ، فخرج نائب السلطنة والجيشُ لتلقِّيهم ، وخرج الناس للفُرْجة على العادة ، وفرحوا بقدومهم ونصرهم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله : أبو العباس أحمد بن (بن أبي علي بن أبي بكر ابن)[(٢)] المسترشد بالله الهاشمي العباسي البغدادي المصري[(٣)] ، بويع بالخلافة في الدولة الظاهرية في أول سنة إحدى وستين وستمئة ، فاستكمل أربعين سنة في الخلافة . وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى . وصُلّي عليه وقت صلاة العصر بسوق الخيل بمصر ، وحضر جنازته الأعيان ورجال الدولة كلّهم مشاةً . وكان قد عهد بالخلافة إلى ولده المذكور أبي الربيع سليمان .

خلافة المستكفي بالله[(٤)]
أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي

لما عهد إليه أبوه كُتب تقليده بذلك وقُرئ بحضرة السلطان ورجال الدولة يوم الأحد العشرين من ذي الحجّة من هذه السنة ، وخُطب له على المنابر بالديار المصرية والشامية ، وسارت بذلك البريدية إلى جميع البلاد الإسلامية .

وتوفي فيها :

الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله النجيبي الدوادار[(٥)] : والي دمشق ، وأحد أمراء الطبلخانة[(٦)] بها ، وكان مشكور السيرة ، ولم تطل مدته ، ودفن بقاسيون .

---

(١) في ط : أرجواس ، بالسّين المهملة ، انظر « العبر » (٥/ ٣٩٢) والدرر : (١/ ٣٤٩) .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من مصادر ترجمته لا يصح إلا به (بشار) .

(٣) ترجمته في فوات الوفيات (١/ ٦٨) والدرر الكامنة (١/ ١١٩) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٧٦٠) وبدائع الزهور (١/ ٤١٠) والشذرات (٦/ ٢) .

(٤) النجوم الزاهرة (١٠/ ١٦٩) وتاريخ الخلفاء (٧٦٩) .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٢٣) .
والدويدار والدوادار ، اسم فارسيّ مركب من لفظين ، أحدهما عربي وهو الدواة ، والثاني دار ومعناه ممسك . ومعناه : الذي يمسك الدواة بين يدي السُّلطان ، ويتولّى أمرها ، وما يلحق ذلك ، نحو تبليغ الرسائل ، وتقديم القصص ، والمشورة والبريد للسلطان . التعريف بمصطلحات صبح الأعشى (ص١٣٩) .

(٦) « الطبلخانة » : فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية ، أو بيت الطّبل .

توفي يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول .

الشيخُ الإمام العالم شرف الدين أبو الحسين ، علي[١] : ابن الشيخ الإمام العالم العلاّمة الحافظ الفقيه تقي الدين ، أبي عبد الله ، محمد بن الشيخ أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد اليُوْنِيني البَعْلَبَكّي ، وكان أكبر من أخيه الشيخ قطب الدين[٢] بن الشيخ الفقيه .

ولد شرف الدين سنة إحدى وعشرين وستمئة فأسمعه أبوه الكثير ، وتفقّه واشتغل ، وكان عابداً عاملاً كثير الخشوع ، دخل عليه إنسان وهو بخزانة الكتب ، فجعل يضربه بعصا في رأسه ثم بسكين ، فبقي متمرّضاً أياماً ، ثم توفي إلى رحمة الله يوم الخميس حادي عشر رمضان ببعْلَبَك ، ودفن بباب بطحا ، وتأسف الناس عليه لعلمه ، وعمله ، وحفظه الأحاديث ، وتودُّدِه إلى الناس ، وتواضعه ، وحسن سَمْته ، ومروءته . تغمده الله برحمته .

الصدر ضياء الدين أحمد بن الحسين[٣] **ابن شيخ السلامية** : والد القاضي قطب الدين موسى[٤] الذي تولى فيما بعد نظر الجيش بالشام وبمصر أيضاً ، توفي يوم الثلاثاء عشرين ذي القعدة ، ودفن بقاسيون ، وعمل عزاؤه بالرواحية .

الأمير الكبير المرابط المجاهد علم الدين أَرْجَوَاش بن عبد الله المنصوري[٥] : نائب القلعة بالشام ، كان ذا هيبة وهمة وشهامة وقصد صالح ، قدَّر الله على يديه حفظ معقل المسلمين لما ملكت التتار الشام أيام قازان ، وعصت عليهم القلعة ، ومَنَعَها الله منهم على يدَي هذا الرجل ، فإنه التزم أن لا يسلمها إليها ما دام به عين تطرف ، واقتدت بها بقية القلاع الشامية[٦] .

وكانت وفاته بالقلعة ليلة السبت الثاني والعشرين من ذي الحجّة ، وأُخرِج منها ضحوةَ يوم السبت ، فصُليّ عليه ، وحضر نائبُ السلطنة فمَن دونه جنازتَه ، ثم حُمل إلى سفح قاسيون ، ودفن بتربته . رحمه الله .

الأَبَرْقُوْهِي المُسْند المعمَّر المصري : هو الشيخ الجليل المسند الرحلة ، بقيةُ السلَف شهاب الدين

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٩٨) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٩٨) والشذرات (٦/ ٣) .
« واليونيني » : نسبة إلى قرية في بعلبك ، يقال لها يُوْنان . القاموس المحيط (يون) .

(٢) هو : موسى بن محمد بن أبي الحسين أحمد اليونيني البعلبكي وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ١٢٤) وفيه : أحمد بن الحسين بن بدر بن أحمد بن شيخ السّلامية .

(٤) هو : موسى بن أحمد . سيأتي في وفيات سنة ٧٢٣هـ .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٤٩) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٩٨) . وهو : سَنْجَر ويعرف بأرجواش .

(٦) الخبر في النجوم الزاهرة (٨/ ١٩٨) .

أبو المعالي أحمد بن إسحاق[١] بن محمد بن المؤيد بن علي بن إسماعيل بن أبي طالب ، الأَبَرْقُوْهي الهَمْداني ثم المصري . وُلِد بأَبَرْقُوه من بلاد شيراز في رجب أو شعبان سنة خمس عشرة وستمئة ، وسمع الكثير من الحديث على المشايخ الكثيرين ، وخرجت له مشيخات ، وكان شيخاً حسناً لطيفاً مطيقاً ، توفي بمكة بعد أن خرج الحجيج بأربعة أيام رحمه الله .

وفيها توفي صاحب مكة الشريف أبو نُمَي محمد[٢] ابن الأمير أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني : صاحب مكة منذ أربعين سنة . وكان حليماً وقوراً ، ذا رأي وسياسة وعقل ومروءة .

وفيها ولد كاتبه[٣] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي[٤] الشافعي عفا الله عنه ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعمئة من الهجرة

استهلت[٥] والحُكَّام هم المذكورون في التي قبلها .

وفي يوم الأربعاء ثاني صفر فُتحت جزيرة أرواد بالقرب من أنطرسوس[٦] ، وكانت من أضر الأماكن على أهل السواحل ، فجاءتها المراكب من الديار المصرية في البحر وأردفها جيوش طرابلس ، ففُتحت ولله الحمد إلى نصف النهار ، وقتلوا من أهلها قريباً من ألفين ، وكانت الأسرى قريباً من خمسمئة[٧] ، وكان فتحها من تمام فتح السواحل ، وأراح الله المسلمين من شر أهلها .

وفي يوم الخميس السابع عشر من شهر صفر وصل البريد [من الديار المصرية][٨] إلى دمشق ، فأخبر بوفاة قاضي القضاة ابن دَقِيْق العِيْد ، ومعه كتابٌ من السلطان إلى قاضي القضاة ابن جَماعة[٩] ، فيه تعظيم له واحترام وإكرام ، يستدعيه إلى قربه ليباشر وظيفَة القضاة بمصر على عادته ، فتهيأ لذلك ، ولما خرج ،

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ١٠٣) وشذرات الذهب (٦/ ٤) والأعلام (١/ ٩٦) .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣) وشذرات الذهب (٦/ ٢) والنجوم الزاهرة (٨/ ١٩٩) والأعلام (٦/ ٨٦) .

(٣) أي كاتب هذا الكتاب ـ رحمه الله ـ .

(٤) في ط : المصري ، وهو سهو .

(٥) زاد في ب : استهلت والخليفة المستكفي بالله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد العباس ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالح ، ونائب مصر سيف الدين سلار ، ونائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم ، وقضاة مصر والشام هم المتقدم ذكرهم كما سلف ، والله أعلم .

(٦) « أنطرسوس » : هي طرَطوس اليوم ، وأرواد : جزيرة قبالة ساحل طرَطوس في سورية .

(٧) في ط : وأسروا قريباً . وزاد في ب : ودقّت البشائر بدمشق ثلاثة أيام سروراً وفرحاً .

(٨) زيادة في ب .

(٩) في ب : قاضي القضاة بالشام بدر الدين بن جماعة .

خرج معه نائب السلطنة [الأفْرم][(١)] وأهل الحَلّ والعقد ، وأعيان الناس ليودِّعوه . وستأتي ترجمة ابن دقيق العيد في الوفيات .

ولما وصل ابن جَماعة إلى مصر أكرمه السلطان إكراماً زائداً[(٢)] ، وخلع عليه خلعة صوف وبغلةً تساوي ثلاثة آلاف درهم ، وباشر الحكم بمصر يوم السبت رابع ربيع الأول .

ووصلت رسل التتار في أواخر ربيع الأول قاصدين بلاد مصر ، وباشر الشيخ[(٣)] شرف الدين الفزاري مشيخة دار الحديث الظاهرية[(٤)] يوم الخميس ثامن ربيع الآخر عوضاً عن الشيخ[(٥)] شرف الدين الناسخ ، وهو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا إمام ، الفارسي ، توفي بها عن سبعين سنة ، وكان فيه بِرٌّ ومعروف وأخلاق حسنة . رحمه الله تعالى .

وذكر الشيخ شرف الدين المذكور درساً مفيداً ، وحضر عنده جماعة من الأعيان .

وفي يوم الجمعة حادي عشر[(٦)] جمادى الأولى خلع على قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرَى[(٧)] بقضاء الشام عوضاً عن ابن جَمَاعة . وعلى الفارقي[(٨)] بالخطابة . وعلى الأمير ركن الدين بيبرس التِلَاوي[(٩)] بشدِّ الدواوين وهنّأهم الناس . وحضر نائب السلطنة والأعيان المقصورة لسماع الخطبة . وقُرئ تقليد ابن صَصْرَى بعد الصلاة ، ثم جلس في الشباك الكمالي وقُرئ تقليدُه مرةً ثانية .

وفي جمادى الأولى وقع بيد نائب السلطنة كتابٌ مزوَّر فيه أن الشيخ تقي الدين بن تيمية[(١٠)] والقاضي شمس الدين بن الحريري[(١١)] وجماعة من الأمراء والخواص بباب السلطنة يناصحون التتر[(١٢)] ، ويريدون تولية قبجق[(١٣)] على الشام ، وأن الشيخ كمال الدين بن

---

(١) زيادة في ط .
(٢) في ب : كبيراً وستأتي ترجمة ابن جماعة في وفيات سنة ٧٣٣هـ .
(٣) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧٠٥هـ .
(٤) هي المدرسة الظاهرية الجوانية . الدارس (١/ ٣٥٧) .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٨٩) والدارس (١/ ٣٥٧ و ٢/ ٨٣) .
(٦) في ب : الحادي والعشرين .
(٧) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧٢٣هـ .
(٨) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧٠٣هـ .
(٩) في ط : العلائي . وهو وهم ، فالعلائي غيره ، ناب بغزّة ، ثم بحمص ، وتوفي سنة ٧١٢هـ أما التلاوي فهو الذي كان شادّ الدواوين بدمشق وتوفي سنة ٧٠٣هـ . الدرر الكامنة (١/ ٥٠٨) .
(١٠) سيأتي في وفيات سنة ٧٢٨هـ .
(١١) سبق ذكره في أول أخبار سنة ٧٠١هـ .
(١٢) زاد في ط : ويكاتبوهم .
(١٣) قبجق نائب حلب .

الزَّمْلَكَاني[١] يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين الأفرم، وكذلك كمال الدين بن العطار[٢]. فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أن هذا مفتعل ، ففحص عن واضعه فإذا هو فقيرٌ كان مجاوراً بالبيت الذي كان مجاور محراب الصحابة[٣]، يقال له: اليعفوري، وآخر معه يقال له: أحمد الغناري، وكانا معروفين بالشرِّ والفضول، ووجد معهما مسوَّدَة هذا الكتاب ، فتحقق نائب السلطنة ذلك ، فَعُزِّرا تعزيراً عنيفاً ، ثم وسطا بعد ذلك . [في مستهل جمادى الآخرة][٤] وقطعت يد الكاتب الذي كتب لهما هذا الكتاب ، وهو التاج المناديلي .

وفي أواخر جمادى الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري إلى نيابة القلعة عوضاً عن أرجواش .

عجيبة من عجائب البحر[٥]

قال الشيخ علم الدين البِرْزالي في (تاريخه) : قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ظهرت دابة ، عجيبة الخِلْقة ، من بحر النيل إلى أرض المنوفية ، بين بلاد منية مسعود واصطباري والراهب ، وهذه صفتها : لونها لون الجاموس بلا شعر ، وآذانها كآذان الجمل ، وعيناها وفرجها مثل الناقة ، يغطي فرجَها ذنبٌ طوله شبر ونصف كذنب[٦] السمكة ، ورقبتها مثل غلظ الكيس المحشو تبناً ، وفمها وشفتاها مثل الكِرْبال[٧] ، ولها أربعة أنياب ، اثنان من فوق واثنان من أسفل ، طول كل واحد دون الشبر في عرض إصبعين ، وفي فمها ثمانية وأربعون ضرساً وسنًّا مثل بيادق الشطرنج ، وطول يدها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ، ومن ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان ، أصفر مجعَّد ، ودور حافرها مثل السُّكُرُّجَة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل ، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف ، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدماً وفي بطنها ثلاثة كروش ، ولحمها أحمر له زفرة مثل السمك ، وطعمه كلحم الجمل ، وغلظ جلدها أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف ، وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل ، وأحضروه إلى بين يدي السلطان بالقلعة وحشوه تبناً وأقاموه بين يديه ، والله أعلم .

---

(١) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٧٢٧هـ) .
(٢) ستأتي ترجمته في وفيات هذه السنة .
(٣) محراب الصحابة في جامع بني أمية .
(٤) ليست في ط .
(٥) ذكرها ابن إياس في بدائع الزهور (١/ ٤١٠) وفيه : سابع جمادى الآخرة من سنة ٧٠١هـ . وكذلك ذكرها صَاحبُ النجوم الزاهرة (٨/ ٢٠٠) وفيه : رابع جمادى الآخرة .
(٦) في ب : طرفه كذنب .
(٧) « الكِرْبال » : مندف القطن . القاموس المحيط (كربل) .

وفي شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام ، فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جداً ، وقَنَتَ الخطيب في الصلوات ، وقُرِئَ البخاري ، وشرع الناس في الجَفَل(١) إلى الديار المصرية والكَرَك والحصون المنيعة ، وتأخر مجيء العساكر المصرية عن إبّانها ، فاشتد لذلك الخوف .

وفي شهر رجب باشر نجم الدين بن أبي الطيب نظر الخزانة عوضاً عن أمين الدين سليمان .

وفي يوم السبت ثالث شعبان باشر مشيخة الشيوخ بعد ابن جماعة القاضي ناصر الدين عبد السلام(٢) ، وكان جمال الدين الزرعي(٣) يسد الوظيفة إلى هذا التاريخ .

وفي يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة وعلى أبواب الأمراء بخروج السلطان بالعساكر من مصر لمناجزة التتار [المخذولين](٤) .

وفي هذا اليوم بعينه كانت وقعة عُرض(٥) وذلك أنّه التقى جماعة من أمراء الإسلام فيهم أَسَنْدَمُر(٦) وبَهَادُر آص(٧) وكجكن وغرلو العادلي(٨) ، وكلٌّ منهم سيف من سيوف الدين(٩) في ألف وخمسمئة فارس ، وكان التتار في سبعة آلاف مقاتل(١٠) ، فاقتتلوا ، وصبر المسلمون صبراً جيداً ، فنصرهم الله وخذل التتر ، فقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، وولوا عند ذلك مدبرين ، وغنم المسلمون منهم غنائم ، وعادوا سالمين لم يفقد منهم إلا القليل ممن أكرمه الله بالشهادة ، ووقعت البطاقة بذلك ، ثم قدمت الأسارى يوم الخميس نصف شعبان ، وكان يوم خميس النصارى .

أوائل وقعة شقحب(١١)

وفي ثامن عشر قدمت طائفة من جيش المصريين ، فيهم الأمير ركن الدين بِيْبَرس

(١) « الجَفَلُ » : الهربُ .
(٢) سيأتي في وفيات سنة ٧٠٩هـ .
(٣) سيأتي في وفيات سنة ٧٣٤هـ .
(٤) زيادة من ب وط والخبر في تاريخ ابن خلدون (٥/ ٤١٨) والبدائع (١/ ٤١٣) .
(٥) عُرْض بعين مهملة مضمومة ، بليد في بريّة الشام وهو بين تدمر والرّصافة . انظر ياقوت .
(٦) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧١١هـ .
(٧) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧٣٠هـ .
(٨) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧١٩هـ .
(٩) كذا في ب وط وفي أ : الملّة .
(١٠) ليست في ب وط .
(١١) «شَقْحَبُ»: موضع قرب دمشق، نسب إليه جماعة من المحدِّثين، انظر « التاج » (شقحب) وذكرها ابن خلدون في تاريخه (٥/ ٤١٨) وقال: هي مرج الصُفَّر، وفي « بدائع الزهور » (١/ ٤١٣)، هي: مرج راهط تحت جبل غباغب ، وكلاهما من نواحي دمشق . وما تزال قائمة إلى يومنا هذا ، تبعد عن زاكية ٧ كم وهي بين النافور وكناكر والزريقيّة .

الجَاشَنْكير[١] ، والأمير حسام الدين لاجين المعروف بالإستادار[٢] المنصوري ، والأمير سيف الدين كراي المنصوري[٣] ، ثم قدمت بعدهم طائفة أخرى فيهم بدر الدين أمير سلاح ، وأيبك الخزندار ، فقويت القلوب ، واطمأن كثير من الناس ، ولكن الناس في جَفَل عظيم من بلاد حلب وحماة وحمص وتلك النواحي ، وتقهقر الجيش الحلبي والحموي إلى حمص ، ثم خافوا أن يدهمهم التتر ، فجاؤوا ، فنزلوا المرج يوم الأحد خامس[٤] شعبان ، ووصل التتار إلى حمص وبعلبك ، وعاثوا في تلك الأراضي فساداً ، وقلق الناس قلقاً عظيماً ، وخافوا خوفاً شديداً ، واختبط البلد لتأخُّر قدوم السلطان ببقية الجيش ، وقال الناس : لا طاقة لجيش الشّام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتار لكثرتهم ، وإنما سبيلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة . وتحدث الناس بالأراجيف ، فاجتمع الأمراء يوم الأحد المذكور بالميدان ، وتحالفوا على لقاء العدو ، وشجَّعوا أنفسهم ، ونودي بالبلد أن لا يرحل أحدٌ منه ، فسكن الناس وجلس القضاة بالجامع وحلَّفوا جماعة من الفقهاء والعامة على القتال ، وتوجّه الشيخُ تقي الدين بن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة ، فاجتمع بهم في القُطَيِّفة[٥] فأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو ، فأجابوا إلى ذلك وحلفوا معهم ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يحلف للأمراء والناس إنكم في هذه الكرة منصورون ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول : إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً . وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾ [الحج : ٦٠] .

وقد تكلَّم النّاسُ في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو ، فإنهم يُظهِرون الإسلام وليسوا بغاةً على الإمام ، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه . فقال الشيخ تقي الدين : هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ ومعاويةَ ، ورأَوا أنهم أحق بالأمر منهما ، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبِّسون به من المعاصي والظلم ، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، فتفطن العلماء والناس لذلك ، وكان يقول للناس : إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني ، فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم ونياتهم ، ولله الحمد .

ولما كان يوم الرابع والعشرين من شعبان خرجت العساكر الشَّامية فخيَّمت على الجسور من ناحية

---

(١) سيأتي في وفيات سنة ٧٠٧هـ .
(٢) سيأتي في وفيات سنة ٧٢٩هـ . « والإستادار » : وظيفة عسكرية يتولّى صاحبها قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه .
(٣) توفي سنة ٧١٩هـ . ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٦٦) والدارس (٢/ ٢٩٧) .
(٤) في أ : خامس عشر من .
(٥) في ط : القطيعة . والقُطَيِّفة بالفاء : قرية تبعد عن دمشق نحو (٤٥ كم) إلى الشمال على يمين الذاهب إلى حمص . ياقوت .

الكُسْوَة[١] ، ومعهم القضاة ، فصار الناس فيهم فريقين : فريق يقولون : إنما ساروا ليختاروا موضعاً للقتال ، فإن المرج فيه مياه كثيرة فلا يستطيعون معها القتال ، وقال فريق : إنّما ساروا إلى تلك الجهة ليهربوا وليلحقوا بالسلطان . فلما كانت ليلة الخميس ساروا إلى ناحية الكُسْوَة فقويت ظنون الناس في هربهم ، وقد وصلت التتار إلى قَارَةَ[٢] ، وقيل : إنهم وصلوا إلى القُطَيِّفة ، فانزعج الناس لذلك انزعاجاً[٣] شديداً ، ولم يبق حول القرى والحواضر أحد ، وامتلأت القلعة والبلد ، وازدحمت المنازل والطرقات ، واضطرب الناس ، وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية صبيحة يوم الخميس من الشهر المذكور من باب النصر بمَشَقَّةٍ كبيرة ، وصحِبته جماعة ليشهد القتالَ بنفسه ومن معه ، فظنُّوا أنَّه إنَّما خرج هارباً فحصل اللَّومُ من بعض الناس ، وقالوا : أنت منعتنا من الجَفَل ، وها أنت هارب من البلد ؟ فلم يرد عليهم ، وبقي البلد ليس فيه حاكم ، وعاثت[٤] اللُّصوص والحرافيش[٥] فيه وفي بساتين الناس يخربون وينتهبون ما قدروا عليه، ويقطعون المشمش قبل أوانه والباقلاء والقمح وسائر الخضراوات، وحيل بين الناس وبين خبر الجيش وانقطعت الطرق إلى الكُسْوة ، وظهرت الوحشة على البلد والحواضر ، وليس للناس شغل غير الصعود إلى المآذن ينظرون يميناً وشمالاً ، وإلى ناحية الكُسْوة فتارة يقولون: رأينا غبرةً فيخافون أن تكون من التتر، ويتعجبون من الجيش مع كثرتهم وجودة عدتهم وعددهم ، أين ذهبوا ؟ فلا يدرون ما فعل الله بهم ، فانقطعت الآمال وألح الناس في الدعاء والابتهال وفي الصّلوات وفي كل حال ، وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان ، وكان الناس في خوف ورعب لا يعبَّر عنه ، لكن كان الفرج من ذلك قريباً ، ولكن أكثرهم لا يعلمون[٦] ، كما جاء في حديث أبي رزين[٧] : « عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قُنُوْطِ عبادِهِ وقُرْبِ غِيَرِهِ ينظر إليكم أَزِلين قنطينَ ، فيظَلُّ يضحَكُ يعلم أن فَرَجَكُم قَرِيْبٌ »[٨] .

فلما كان آخر هذا اليوم وصل الأمير فخر الدين إياس[٩] المرقبي أحد أمراء دمشق ، فبشَّرَ الناس

(١) « الكُسْوة » : بلدة معروفة على طريق دمشق درعا ، تبعد عن دمشق نحو (٢٠ كم) جنوباً . وقيل : سميت لذلك لأن غسَّان قتلت بها رسُل ملك الروم لما أتوا إليهم لأخذ الجزية ، واقتسمت كسوتهم . ياقوت .

(٢) قارة : بلدة على طريق دمشق حمص تبعد نحو (١٠٠ كم) إلى الشمال من دمشق .

(٣) ليست في ب ، ط .

(٤) في ب ، ط : جاس .

(٥) الحرافيش : هم سفلة الناس وأراذلهم .

(٦) في ب ، ط : لا يفلحون .

(٧) هو أبو رزين العقيلي .

(٨) أخرجه أحمد (٤/١١) رقم (١٦١٤٥) ، وابن ماجه رقم (١٨١) في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية ولفظه فيه : « ضحك ربنا . . . غيره » . وله تتمة غير التي أوردها المؤلف هاهنا وفي إسناده ضعف . وفي النهاية لابن الأثير (١/٤٦) : « عجب ربكم من أَزْلكم وقنوطكم ، هكذا يروى في بعض الطّرق ، والمعروف من « إلِّكم » . وهو مافي قنعة الأريب في تفسير الغريب لابن قدامة المقدسي ، تحقيق . صديقنا الفاضل د . علي حسين البواب (ص٤٤) « وإلِّكُم » : رفع أصواتكم بالدعاء قلت : وهو الأنسب للمعنى هنا .

(٩) ويقال له : إياز ، قتل سنة ٧٥٠هـ وسيأتي في أخبارها .

بخير ، هو أن السلطان قد وصل وقت اجتمعت العساكر المصرية والشامية(١) ، وقد أرسلني أكشف هل طَرَقَ البلدَ أحدٌ من التتر ، فوجد الأمر كما يُحب [لم يطرقها أحد منهم](٢) ، وذلك أن التتار عرجوا من دمشق إلى ناحية العساكر المصرية ، ولم يشتغلوا بالبلد ، وقد قالوا : إن غَلَبنا ، فالبلد لنا ، وإن غُلبنا فلا حاجة لنا به ، ونودي بالبلد بتطييب الخواطر ، وأن السلطان قد وصل ، فاطمأن الناس وسكنت قلوبهم(٣) ، وأثبت الشهر ليلة الجمعة القاضي تقي الدين الحنبلي ، فإن السماء كانت مغيمة ، فعلقت القناديل ، وصليت التراويح ، واستبشر الناس بشهر رمضان وبركته ، وأصبح الناس يوم الجمعة في هَمٍّ شديد وخوف أكيد ، لأنهم لا يعلمون ما خبر الناس . فبينما هم كذلك إذ جاء الأمير سيف الدين غرلو العادلي ، فاجتمع بنائب القلعة ، ثم عاد سريعاً إلى العسكر ، ولم يدر أحد ما أخبر به ، ووقع الناس في الأراجيف والخوض .

صفة وقعة شَقْحَب

أصبح النّاسُ يومَ السبت على ما كانوا عليه من شدة الخوف وضيق الأمر ، فرأوا من المآذن سواداً وغبرة من ناحية العسكر والعدوّ ، فغلب على الظنون أن الوقعة في هذا اليوم ، فابتهلوا إلى الله عز وجل بالدعاء في المساجد والبلد ، وطلع النساء والصغار على الأسطحة وكشفوا رؤوسهم ، وضج البلد ضجة عظيمة ، ووقع في ذلك الوقت مطر عظيم غزير ، ثم سكن الناس ، فلما كان بعد الظهر قُرِئت بطاقةٌ بالجامع تتضمن أن في الساعة الثانية من نهار السبت هذا اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية مع السلطان في مرج الصُّفَّر(٤) ، وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ القلعة . والتحرُّز على الأسوار . فدعا الناس في الجامع والبلد ، وانقضى النهار ، وكان يوماً مزعجاً هائلاً ، وأصبح الناس يوم الأحد يتحدَّثون بكسر التتر ، وخرج الناس إلى ناحية الكُسْوة ، فرجعوا ومعهم شيء من المكاسب ، [ومعهم رؤوس من رؤوس التتر](٥)، وصارت أدلة كسرة التتار تقوى وتتزايد قليلاً قليلاً حتى اتضحت جملة ، ولكن الناس لِمَا عندهم من شدة الخوف وكثرة التتر لا يصدِّقون ، فلما كان بعد الظهر قُرِئَ كتابُ السلطان إلى متولّي القلعة يخبر فيه باجتماع الجيش ظهر يوم السبت بشَقْحَب وبالكُسْوة ، ثم جاءت بطاقةٌ بعد العصر من نائب السلطان جمال الدين آقوش الأفرم إلى نائب القلعة مضمونها أن الوقعة كانت من العصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد ، وأن السيف كان يعمل في رقاب التتر ليلاً ونهاراً وأنّهم هربوا وفرُّوا

(١) في ب : وهذا هو المقصود وقد أرسلني ليكشف .
(٢) ليست في ب .
(٣) زاد في ب : سكنت قلوب الناس مع وجوفها ، وخوفها ، وبالله المستعان .
(٤) « مرج الصُّفَّر » : قرب دمشق . ياقوت .
(٥) ليست في ب .

واعتصموا بالجبال والتلال ، وأنّه لم يسلم منهم إلا القليل ، فأمسى الناس وقد استقرت خواطرهم ، وتباشروا لهذا الفتح العظيم والنّصر المبارك ، ودقّت البشائر بالقلعة من أول النهار المذكور ، ونُودي بعد الظهر بإخراج الجُفَّال[١] من القلعة لأجل نزول السُّلطان بها ، وشرعوا في الخروج .

وفي يوم الإثنين رابع الشهر رجع الناس من الكُسْوة إلى دمشق ، فبشَّروا النَّاس بالنَّصر . وفيه دخل الشيخ تقي الدين بن تيمية البلد ومعه أصحابه من الجهاد ، ففرح النّاس به ودعَوْا له وهنّؤوه بما يسر الله على يديه من الخير ، وذلك أنّه ندبه العسكر الشامي أن يسير إلى السلطان يستحثه على السير إلى دمشق ، فسار إليه فحثَّه على المجيء إلى دمشق بعد أن كاد يرجع إلى مصر ، فجاء هو وإياه جميعاً ، فسأله السُّلطان أن يقف معه في معركة القتال ، فقال له الشيخ : السُّنَّةُ أن يقف الرجل تحت راية قومه ، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم ، وحرض السلطان على القتال ، وبشَّره بالنصر ، وجعل يحلف له بالله الذي لا إلّه إلا هو إنكم منصورون عليهم في هذه المرة ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول : إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً . وأفتى الناسَ بالفطر مدَّة قتالهم ، وأفطر هو أيضاً ، وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل من شيء معه في يده ليعلمهم أن إفطارهم ليتقوَّوا على القتال أفضل ، [فيأكل الناس][٢] ، وكان يتأوَّل في الشاميين قوله ﷺ : « إنكُم مُلاقُو العدوِّ غداً ، والفِطْر أقْوى لَكُم » فعزم عليهم في الفطر عام الفتح كما في حديث أبي سعيد الخُدري[٣] .

وكان الخليفة أبو الربيع سليمان في صحبة السلطان ، ولما اصطفت العساكر والتحم القتال ثبت السلطان ثباتاً عظيماً ، وأمر بجواده فقيِّد حتى لا يهرب ، وبايع الله تعالى في ذلك الموقف ، وجرت خُطوب عظيمة ، وقُتل جماعة من سادات الأمراء يومئذ ، منهم الأمير حسام الدين لاجين الرُّومي أستاذ دار السلطان ، وثمانية من الأمراء المقدَّمين معه ، وصلاح الدين بن الملك السعيد الكامل بن السعيد بن الصالح إسماعيل[٤] ، وخلق من كبار الأمراء ، ثم نزل النصر على المسلمين قريب العصر يومئذ ، واستظهر المسلمون عليهم . ولله الحمد والمنة .

فلما جاء الليلُ لجأ التتر إلى اقتحام التُّلول والجبال والآكام ، فأحاط بهم المسلمون يحرسونهم من الهرب ، ويرمونهم عن قوس واحدة إلى وقت الفجر ، فقتلوا منهم ما لا يعلم عدده إلا الله عز وجل ، وجعلوا يجيؤون بهم في الحبال فتضرب أعناقهم ، ثم اقتحم منهم جماعة الهزيمة فنجا منهم القليل ، ثم كانوا يتساقطون في الأودية والمهالك ، ثم بعد ذلك غرق منهم جماعة في

---

(١) « الجفّال » : الهاربون .

(٢) زيادة من ط .

(٣) هكذا رواه المؤلف ـ رحمه الله ـ بالمعنى ، وهو في صحيح مسلم رقم (١١٢٠) في الصِّيام ، باب : أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل ، وأبو داود أيضاً رقم (٢٤٠٦) في الصّوم ، باب : الصوم في السفر ، وفي لفظه اختلاف .

(٤) النجوم الزاهرة (٨/ ٢٠٦) وبدائع الزهور (١/ ٤١٤) ، وفيهما ذكر لمن استشهد معهم في ذلك اليوم .

الفرات[١] بسبب الظلام ، وكشف الله بذلك عن المسلمين غمّة عظيمة شديدة ، ولله الحمد والمنّة .

ودخل السلطان إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رمضان وبين يديه الخليفة ، وزُيِّنت البلد ، وفرح كل واحد من أهل الجمعة والسبت والأحد[٢] ، فنزل السطان في القصر الأَبْلق[٣] والميدان ، ثم تحوّل إلى القلعة يوم الخميس ، وصلّى بها الجمعة ، وخلع على نوّاب البلاد وأَمَرَهم بالرجوع إلى بلادهم ، واستقرت الخواطر ، وذهب اليأس وطابت قلوب الناس .

وعزل السلطان ابن النحّاس عن ولاية المدينة وجعل مكانه الأمير علاء الدين أَيْدغدي[٤] أمير علم ، وعزل صارم الدين إبراهيم[٥] والي الخاص عن ولاية البر ، وجعل مكانه الأمير حسام الدين لاجين الصغير[٦] ، ثم عاد السطان إلى الديار المصرية[٧] يوم الثلاثاء ثالث شوال بعد أن صام رمضان وَعيَّد بدمشق .

وطلب الصوفيَّةُ من نائب دمشق الأَفرم أن يولّي عليهم مشيخة الشيوخ للشيخ صفي الدين الهندي ، فأذن له في المباشرة يوم الجمعة سادس شوال عوضاً عن ناصر الدين بن عبد السلام[٨] ، ودخل السلطان القاهرة[٩] يوم الثلاثاء ثالث عِشري شوال ، وكان يوماً مشهوداً ، وزُيِّنت القاهرة .

وفيها جاءت زلزلة[١٠] عظيمة يوم الخميس بكرة الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وكان جمهورها بالديار المصرية ، تلاطمت بسببها البحار ، فكُسِرت المراكب ، وتَهدَّمت الدور ، ومات خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وشقِّقت الحيطان ، ولم يُرَ مثلُها في هذه الأعصار ، وكان منها بالشام طائفة ، لكن كان ذلك أخف [من سائر البلاد غيرها][١١] .

وفي ذي الحجة باشر الشيخ أبو الوليد ابن الحاج الإشبيلي المالكي إمام[١٢] محراب المالكية بجامع دمشق بعد وفاة الشيخ شمس الدين محمد الصّنْهاجي .

---

(١) في ب : ثم بعد كل أمر غرق منهم في الفرات أمة بئست الأمة .
(٢) يعني من المسلمين واليهود والنصارىٰ .
(٣) « الأَبْلَق » : قصر بناه في الميدان في دمشق ، الملك الظاهر بيبرس . فوات الوفيات (١/ ٢٤٤) .
(٤) ويعرف بالزَّرَّاق . النجوم الزاهرة (٩/ ١٢) .
(٥) سيأتي ذكره في وفيات سنة ٧٢٣هـ .
(٦) سيأتي ذكره في وفيات سنة ٧٢٩هـ .
(٧) ابن خلدون (٥/ ٤١٨) .
(٨) الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ١٥٦) .
(٩) في ب : وكان دخول السلطان والعساكر إلى القاهرة . . .
(١٠) في ب : وزلزلت الشام . وكذلك النجوم الزاهرة (٨/ ٢١٠) .
(١١) ليست في ب .
(١٢) في ب : إمامة . والإشبيلي وفاته سنة ٧٢٨هـ . الدارس (٢/ ٦) وما بعدها .

ومِمّن توفي فيها من الأعيان :

ابن دَقِيْق العِيْد : الشيخ الإمام العالم العلاّمة الحافظ قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد[(١)] القُشَيري المصري .

ولد يوم السبت الخامس والعشرين[(٢)] من شعبان سنة خمس وعشرين وستمئة بساحل مدينة يَنْبُع من أرض الحجاز .

سمع الكثير ، ورحل في طلب الحديث ، وخرَّج ، وصنّف فيه إسناداً ومتناً مصنفات عديدةً ، فريدة مفيدة ، وانتهت إليه رياسة العلم في زمانه ، وفاق أقرانه ، ورحل إليه الطلبة[(٣)] ودرّس في أماكن كثيرة ، ثم ولّي قضاء الديار المصرية في سنة خمس وتسعين[(٤)] وستمئة ، ومشيخة دار الحديث الكاملية[(٥)] .

[وقد اجتمع به الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فقال له تقي الدين بن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه : ما أظن بقي يخلق مثلك][(٦)] . وكان وقوراً قليل الكلام غزير الفوائد كثير العلوم في ديانة ونزاهة ، وله شعر رائق .

توفي يوم الجمعة حادي عشر شهر صفر ، وصلّي عليه يوم الجمعة المذكور بسوق الخيل ، وحضر جنازته نائب السلطنة والأمراء ، ودفن بالقَرَافة الصُّغرى ، رحمه الله .

الشيخ برهان الدين الإسكندري إبراهيم بن فلاح[(٧)] بن محمد بن حاتم : سمع الحديث[(٨)] وكان ديّناً فاضلاً .

وُلد سنة ست وثلاثين وستمئة . وتوفي يوم الثلاثاء رابع وعشرين شوال عن خمس وستين سنة[(٩)] .

---

(١) ترجمته في : الدرر الكامنة (٤/ ٩١ ـ ٩٦) وفيه : محمد بن علي بن وهيب بن مطيع ، والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٠٦) وبدائع الزهور (١/ ٤١١ ـ ٤١٢) وشذرات الذهب (٦/ ٥) والطالع السعيد (ص٣١٧) وفيه : أن جدّ أبيه كان عليه طيلسان شديد البياض في يوم عيد ، فقيل : كأنه دقيق العيد فلقب به .

(٢) في النجوم الزاهرة : مولده في العشرين من شعبان .

(٣) زاد في ب : وحثّت إلى فوائده الركاب .

(٤) كذا في ط و ب ، وفي أ : وسبعين وهو سهو .

(٥) التي في القاهرة .

(٦) زيادة من ط .

(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٥٣) والدارس (١/ ٢٦) .

(٨) زاد في ب وتفقّه ودرَّس بالقوصيّة ، وأعاد ، وأفتى ، وناب في الخطابة مدةً ، وفي الحكم عن ابن جماعة وهي كذلك في الدرر والدارس (١/ ٤٣٩) .

(٩) زاد في ب : ودفن بالقرب من الفندلاوي .
والفندلاوي هو أبو الحجاج يوسف بن درباس المغربي شيخ المالكية ، قُتل في حصار الفرنج لدمشق سنة ٥٤٣هـ . الدارس (٢/ ١١) .

وبعد شهر[١] بسواء كانت وفاة :

الصدر كمال[٢] الدين بن العطار : كاتب الدرج منذ أربعين سنة ، أبو العباس أحمد بن أبي الفتح محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن سلمان[٣] بن فتيان الشيباني ، كان من خيار الناس وأحسنهم نقيبة[٤] ، ودفن بتربة لهم تحت الكهف بسفح قاسيون ، وتأسف الناس عليه لإحسانه إليهم ، رحمه الله تعالى .

الملك العادل زين الدين كَتْبُغا[٥] : توفي بحماة نائباً عليها بعد صَرْخَد[٦] يوم الجمعة يوم عيد الأضحى ، ونقل إلى تربته بسفح قاسيون غربي الرباط الناصري ، [يقال لها : العادلية ، وهي تربة مليحة ذات شبابيك وبوابة ومئذنة][٧] ، وله عليها أوقاف دارة على وظائف [من قراءة وأذان وإمامة][٧] وغير ذلك ، وكان من كبار الأمراء المنصورية ، وقد ملك البلاد بعد مقتل الأشرف خليل بن المنصور[٨] ، ثم انتزع الملك منه لاجين[٩] وجلس في قلعة دمشق ، ثم تحول إلى صَرْخد وكان بها إلى أن قتل لاجين وأخذ الملك الناصر بن قلاوون ، فاستنابه بحماة حتى كانت وفاته كما ذكرنا .

وكان من خيار الملوك وأعدلهم وأكثرهم بِرّاً ، وكان من خيار الأمراء والنوّاب ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعمئة

استهلت والحكام[١٠] هم المذكورون في التي قبلها .

---

(١) كذا في ب وهو الصّواب ، لأنّ وفاة ابن العطّار كانت في ١٤ ذي القعدة . وفي أ وط : شهور .

(٢) في ط : جمال وهو تحريف . ترجمته في النجوم الزاهرة (٨/ ٢٠٣) . وفيه : أحد كتاب الدرج في دمشق . وذكره صاحب الفوات (١/ ١٥٨) عرضاً في ترجمة شهاب الدين بن فضل الله في عداد الكتاب المجيدين ، وسماه : كمال الدين بن العطار .

(٣) سقطت من ط ، وفي النجوم الزاهرة (سليمان) .

(٤) في ط : « تقية » ولا معنى لها وفي ب : هيئة . وهو معقول ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

(٥) ترجمته في فوات الوفيات (٣/ ٢١٨) وفيه : رسم له أن يقيم في صرخد ، ثم أحسن إليه الناصر فأعطاه حماة . والدرر الكامنة (٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٠٦) وشذرات الذهب (٦/ ٥) .

(٦) « صَرْخَد » : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، وهي قلعة حصينة . ياقوت .

(٧) ليست في ب . وهو في الدارس (٢/ ٢٦١) .

(٨) سبقت ترجمته في الجزء السابق من الكتاب .

(٩) في ب : ثم عزل عنها لاجين . وهو الأمير حسام الدّين لاجين .

(١٠) زاد في ب : وخليفة الوقت المستكفي بالله ابن الحاكم ، وسلطان البلاد الملك الناصر عمرو بن قلاوون ونائبه بمصر سيف الدين سلّار ، وقاضي الشافعية بدر الدين بن جماعة ، ونائب الشام جمال الدين آقوش الأفرم ، وقاضي المالكية جمال الدين الزّواوي ، وقاضي الحنابلة تقي الدين سليمان المقدسي ، وخطيب البلد زين الدين الفارقي .

وفي صفر تولى الشيخ كمال الدين بن الشُّرَيْشي[(١)] نظارة الجامع الأموي ، وخلع عليه ، وباشره مباشرة مشكورة ، وساوى بين الناس ، وعزل نفسه في رجب منها .

وفي شهر صفر تولَّى الشيخ شمس الدين الذهبي[(٢)] خطابة كَفْرَ بَطْنا[(٣)] وأقام بها . ولما توفي الشيخ زين الدين الفارقي في[(٤)] هذه السنة ـ كما سيأتي في الوفيات ـ كان نائب السلطنة في نواحي البَلْقاء[(٥)] يكشف بعض الأمور ، فلما قدِم تكلموا معه في وظائف الفارِقي فعيّن الخطابة لشرف الدين الفَزَاري[(٦)] ، وعَيَّن الشامية البرّانية ودار الحديث[(٧)] للشيخ كمال الدين بن الشَّرِيْشِي[(٨)] ، وذلك بإشارة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأخذ منه الناصرية[(٩)] للشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكَاني ، ورسم بكتابة التواقيع بذلك ، وباشر الشيخ شرف الدين الإمامة والخَطابة ، وفرح الناس به لِحُسْن قراءته وطيب صوته وجودة سيرته .

فلما كان بكرة يوم الإثنين ثاني عِشْري ربيع الأول ، وصل البريد من مصر صحبةَ الشيخ صدر الدين بن الوكيل[(١٠)] ، وقد سبقه مرسوم السلطان له بجميع جهات الفارقي مضافاً إلى ما بيده من التدريس ، فاجتمع بنائب السلطنة بالقصر ، وخرج من عنده إلى الجامع ، ففتح له باب دار الخطابة ، فنزلها وجاءه الناس يهنِّئونه ، وحضر عنده القُرّاء والمؤذنون ، وصَلّى بالناس العصر ، وباشر الإمامة يومين ، فأظهر الناسُ التألُّمَ من صلاته وخطابته ، وسَعَوا فيه إلى نائب السلطنة ، فمنعه من الخطابة ، وأقَرّه على التدريس ودار الحديث ، فباشر[(١١)] وجاء توقيعٌ سلطاني للشّيخ شرف الدين الفزاري بالخطابة ، فخطب يوم الجمعة

---

(١) الفوات (١/ ١٢٠ ـ ١٢١) وسيأتي في وفيات سنة (٧١٨هـ) .
* هنا حدث انتقال في الأرقام ، إذ كررت مجموعة أوراق في (أ) لأحداث وسنوات ماضية ، ثم تابع الأحداث في الورقة (٢٦٧) كما أشرت في الهامش .
(٢) وهو : محمد بن أحمد ، العلامة المعروف ، سيأتي في وفيات (٧٤٨هـ) .
(٣) « كَفْرَ بطْنَا » : من قرى غوطة دمشق ، ذكرها ياقوت في معجمه .
(٤) في ب : صغر من وقوله : كما سيأتي في الوفيات سقط من ط . وهو في ب .
(٥) « البَلْقاء » : من مناطق الأردن اليوم ، ذكرها ياقوت في معجمه .
(٦) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٧٢٩هـ) .
(٧) « الشاميّة البرانية » : بالعُقَيْبة من أحياء دمشق القديمة ، بنتها والدة الملك الصالح إسماعيل . الدارس (١/ ٢٧٩) .
ودار الحديث الأشرفية الدمشقية ، جوار باب القلعة الشرقي غربي العصرونية . الدارس (١/ ١٩) .
(٨) سيأتي في وفيات (٧١٨هـ) .
(٩) دار الحديث ، الدارس (١/ ٢٧) وكمال الدين بن الزملكاني محمد بن علي ، ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٧٢٧هـ) .
(١٠) سيأتي في وفيات سنة (٧١٦هـ) .
(١١) ليست في ط .

سابع عشر جمادى الأولى ، وخلع عليه بطرحة ، وفرح الناس به ، وأخذ الشيخ كمال الدين ابن الزمْلَكاني تدريس الشامية البرانية من يد ابن الوكيل ، وباشرها في مستهل جمادى الأولى واستقرت دار الحديث بيد ابن الوكيل مع مدرستيه الأوليين ، وأظنهما العذراوية والشامية الجوانية(١) .

ووصل البريد في ثاني عشر جمادى الأولى بإعادة السَّنْجَري إلى نيابة القلعة وتولية نائبها الأمير سيف الدين الجوكنداري(٢) نيابة حمص عوضاً عن عز الدين الحموي الذي توفي .

وفي يوم السبت ثاني عشر رمضان(٣) قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر ، وأُضيف إليها ألفان من دمشق ، وساروا وأخذوا معهم نائب حمص الجوكنداراني ، ووصلوا إلى حماة ، فصحبهم نائبها الأمير سيف الدين قبجق(٤) ، وجاء إليهم أسَنْدمر(٥) نائب طرابلس ، وانضاف إليهم قَرَاسُنْقر(٦) نائب حلب ، وانفصلوا كلهم عنها ، وافترقوا فرقتين ، طائفة(٧) سارت صحبة قبجق إلى ناحية مَلَطْية ، وقلعة الروم(٨) ، والفرقة الأخرى صحبة قَرَاسُنْقُر [حتى](٩) دخلوا الدَّرْبَنْدات ، وحاصروا تلّ حمدون ، فتسلموه عنوة في ثالث(١٠) ذي القعدة بعد حصار طويل ، فدقت البشائر بدمشق لذلك ، ووقع الاتفاق(١١) مع صاحب سِيْس على أن يكون للمسلمين من نهر جيحان إلى حلب ، وبلاد ما وراء النهر(١٢) إلى ناحيتهم لهم ، وأن يعجّلوا حمل سنتين ، ووقعت الهدنة على ذلك ، وذلك بعد أن قتل خلق من أمراء الأرمن ورؤسائهم ، وعادت العساكر إلى دمشق مؤيَّدين منصورين ، ثم توجهت العساكر المصرية [صحبة مقدَّمهم أمير سلاح](١٣) إلى مصر .

---

(١) « العذراويّة » : بحارة الغرباء ، داخل باب النّصر ، وهي وقف على الشّافعية ، والحنفية . الدارس (١/ ٢٧ ، ١/ ٣٧٦) .
والشامية الجوانية : تقع قبلي المارستان النوري . الدارس (١/ ٢٧١ ، و١/ ٣٠٥) .
(٢) الجوكندار هو الذي يحمل الجوكان للسُّلطان، وهو المحجن الذي يلعب به ويضرب الكرة. صبح الأعشى (٥/ ٤٥٨).
(٣) انظر الشذرات (٦/ ٧) ، ابن خلدون (٥/ ٤٢٠) .
(٤) سيأتي في وفيات سنة (٧١٠هـ) .
(٥) سيأتي في وفيات سنة (٧١١هـ) .
(٦) هو المنصوري ، سيأتي في وفيات سنة (٧٢٨هـ) .
(٧) في ط : فرقة .
(٨) « مَلَطْية » : بفتح أوّله وثانيه وسكون الطّاء ، وتخفيف الياء ، وهي من بناء الاسكندر ، وجامعها من بناء الصحابة وهي بلدة مَشْهُورة من بلاد الرّوم مذكورة تتاخم بلاد الشّام . ياقوت .
وقلعة الروم : قلعة حصينة غربيّ الفرات ، مقابل البيرة ، بينها وبين سُمَيْسَاط : ياقوت .
(٩) زيادة في ط . والدَّرْبَنْد : هي باب الأبواب ، وينسب إليها بعض الرجال . ياقوت . والتاج (دربد) .
(١٠) في ب : ثالث عشر .
(١١) ليست في ط .
(١٢) في ب : وللأرض من النهر إلى ناحيتهم .
(١٣) زيادة في ط .

وفي أواخر السنة كان موت غازان[١] وتولية أخيه خربندا . وهو ملك التتار قازان ، واسمه محمود بن أرغون بن أبغا ، وذلك في رابع عشر شوال أو حادي عشر أو ثالث عشر ، بالقرب من هَمَذان ، ونقل إلى تربته بتبريز[٢] بمكان يسمى الشام ، ويقال : إنه مات مسموماً .

وقام في الملك بعده أخوه خَرَبَنْدَا[٣] محمد بن أَرْغُون ، ولقَّبوه الملك غياث الدين ، وخُطب له على منابر العراق وخراسان وتلك النواحي[٤] .

وحج في هذه السنة الأمير سيف الدين سَلّار نائب مصر[٥] وفي صحبته أربعون أميراً ، وجميع أولاد الأمراء ، وحج معهم وزير مصر الأمير عز الدين البغدادي ، وتولى مكانه بالبِرْكة[٦] ناصر الدين محمد الشيخي . وخرج سَلَّار في أُبَّهة عظيمة جداً ، وأميرُ ركب المصريين الحاج إباق الحسامي ، وترك الشيخ صفي الدين[٧] مشيخة الشيوخ ، فوليها القاضي تقي الدين[٨] عبد الكريم ابن قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي ، وحضر الخانقاه يوم الجمعة الحادي والعشرين[٩] من ذي القعدة ، وحضر عنده ابن صَصْرَىٰ وعز الدين القلانِسي ، والصاحب ابن مُيَسَّر ، والمحتسِب ، وجماعة .

وفي ذي القعدة وصل من التتر مقدَّمُ كبير قد هرب منهم إلى بلاد الإسلام وهو الأمير بدر الدين جَنْكَلي بن البابا[١٠] ، وفي صحبته نحو من عشرة ، فحضروا الجمعة في الجامع ، وتوجهوا إلى مصر ، فأُكرم وأُعطي إمْرة ألف ، وكان مقامه ببلاد آمد ، وكان يناصح السلطان ويكاتبه ويطلعه على عورات التتر[١١] ، فلهذا عَظُم شأنُه في الدولة الناصرية .

---

(١) في ب : وفي شوال من هذه السّنة كانت وفاة قازان ملك التتر .
واسمه : غازان ، والعامّة تقول : قازان ، بالقاف .
ذيل العبر (ص٢٦) وفوات الوفيات (٤/ ٩٧) والدرر الكامنة (٣/ ٢١٢) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢١٢) .

(٢) في ط : بيبرين وهو تصحيف . فيبرين من قرى حلب ، ومستبعد جداً أن ينقل من همذان إليها ، والأولى أن ينقل إلى تبريز من بلاد فارس . ياقوت .

(٣) الفوات (٤/ ٩٧) . قال بشار : أصلها « خُدُابندا » ، أي : عبد الله .

(٤) في ط : البلاد .

(٥) في ب : نائب السلطنة في الديار المصريّة . وذكر صاحب الدرر الكامنة (٢/ ٢٧٦) خروج سلَّار سنة (٧٠٤هـ) .

(٦) « بِرْكة » : وتسمى بِرْكَةُ الحَبَش وهي خاصة بالأشراف ، خلف القَرَافة ، مشرفة على نيل مصر انظر ياقوت .
وناصر محمد الشّيخي الأمير الوزير ، ويقال له : ذبيان ، مات تحت العقوبة سنة (٧٠٣هـ) .
انظر النجوم الزاهرة (٨/ ٢١٤) أما الدرر الكامنة (١/ ١٠٤) فذكر وفاته في سنة (٧٠٤هـ) .

(٧) سيأتي في وفيات سنة (٧١٥هـ) .

(٨) ليست في ب ، ط . وعبد الكريم بن محيي الدين بن الزكي ، توفي سنة (٧٠٣هـ) الدارس (٢/ ١٥٧) .

(٩) كذا في ب وفي أ : حادي عشرين وفي ط : الحادي عشر . وفي الدارس (٢/ ١٥٧) سادس عشرين .

(١٠) الدرر الكامنة (١/ ٥٤) والدليل الشافي (١/ ٢٥١) .

(١١) في ب : وينبهه على عورات المغول .

وممن توفي فيها من الأعيان : ملك الترغازان[١] .

والشيخ القدوة العابد أبو إسحاق : إبراهيم بن أحمد[٢] بن محمد [بن معالي بن محمد][٣] بن عبد الكريم الرَّقِّي الحنبلي . كان أصله من بلاد الشرق ، ومولده بالرقة من سنة سبع وأربعين وستمئة . واشتغل ، وحصَّل ، وسمع شيئاً من الحديث ، وقَدِم دمشق ، فسكن بالمئذنة الشرقية في أسفلها بأهله إلى جانب الطهارة بالجامع ، وكان معظَّماً عند الخاص والعام ، فصيحَ العبارة ، كثير العبادة ، خَشِن العيش ، حسن المجالسة ، لطيف الكلام ، كثير التلاوة ، قويّ التوجه ، من أفراد العالم ، عارفاً بالتفسير والحديث والفقه والأصلين ، وله مصنفات وخُطب ، وله شعر حسن .

توفي بمنزله ليلة الجمعة خامس عشر المحرم ، وصُلّي عليه عقيب الجمعة ، ونقل إلى تربة الشيخ أبي عمر بالسفح[٤] ، وكانت جنازته حافلة ، رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي هذا الشهر توفي الأمير زين الدين قراجا : أستاذ دار الأفرم ، ودفن بتربته بميدان الحصا[٥] عند النهر .

والشَّيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام : عرف بابن الحُبْلى ، كان من خيار الناس ، يتردّد إلى عكّا أياماً حينما كانت في أيدي الفرنج ، في فِكاك أَسارىٰ المسلمين ، جزاه الله خيراً وعتقه من النار وأدخله الجنة برحمته .

الخطيب ضياء الدين : أبو محمد عبد الرحمن[٦] ابن الخطيب جمال الدين أبي الفرج عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السُّلميّ ، خطيب بَعلبَكّ نحواً من ستين سنة ، هو ووالده .

وُلد سنة أربع عشرة وستمئة وسمع الكثير وتفرّد عن القزويني . وكان رجلاً جيداً حسن القراءة[٧] من كبار العُدُول .

توفي ليلة الإثنين ثالث صفر ، ودفن بباب سَطحا .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢١٢) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٢٢) وبدائع الزهور (١/ ٤١٧) وشذرات الذهب (٦/ ٩) .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ١٤ ـ ١٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٤٩) وشذرات الذهب (٦/ ٧) .

(٣) زيادة في ط وب .

(٤) أي : سفح جبل قاسيون .

(٥) وهي المسمّاة بالتربة القراجيّة . انظر الدارس (٢/ ٢٧١) .

(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٣٥) ، وشذرات الذهب (٦/ ٩) .

(٧) في ب : والخطبة .

الشيخ زين الدين الفَارقي : عبد الله بن مروان[1] بن عبد الله بن فهر بن الحسن ، أبو محمد الفارقي ، شيخ الشافعية .

ولد سنة ثلاث وثلاثين وستمئة ، وسمع الحديث الكثير ، واشتغل ودرَّس في[2] عدة مدارس ، وأفتى مدةً طويلةً ، وكانت له همّة وشهامة وصرامة ، وكان يباشر الأوقاف جيداً . وهو الذي عمر دار الحديث بعد خرابها زمن قازان[3] ، وقد باشرها سبعاً وعشرين سنة من بعد النواوي إلى حين وفاته . وكانت معه الشامية البرانية وخطابة الجامع الأموي تسعة أشهر ، باشر به الخطابة قبل وفاته ، وقد انتقل إلى دار الخطابة وتوفي بها يوم الجمعة بعد العصر ، وصُلّي عليه ضحى السبت ، صلىٰ عليه ابن صَصْرَى عند باب الخطابة ، وبسوق الخيل قاضي الحنفية شمس الدين بن الحريري[4] ، وعند جامع الصالحية قاضي الحنابلة تقي الدين سليمان[5] ، ودفن بتربة أهله شمالي تربة الشيخ أبي عمر رحمه الله .

وباشر بعده الخطابة شرف الدين الفزاري[6] ومشيخة دار الحديث ابن الوكيل[7] ، والشامية البرانية ابن الزَّمْلَكَاني ، وقد تقدَّم ذلك .

الأمير الكبير عز الدين أَيْبَك الحموي[8] : ناب بدمشق مدة ، ثم عزل عنها إلى صرخد ، ثم نقل قبل موته بشهر إلى نيابة حمص ، وتوفي بها يوم العشرين من ربيع الآخر ، ونقل إلى تربته بالسفح غربي زاوية ابن قوام ، وإليه ينسب الحمام بمسجد القصب[9] الذي يقال له : حمام الحموي ، عمره في أيام نيابته .

الوزير فتح الدين : أبو محمد عبد الله بن محمد[10] بن أحمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صغير[11] القرشي المخزومي ابن القَيْسراني .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) وطبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٢٩٢) وشذرات الذهب (٦/ ٨) والدارس (١/ ٢٦) وفيها جميعاً : فيروز . بدلاً من فهر .
(٢) في ط : بعدة . وفي الشذرات : في فتنة .
(٣) في ط : بيد قازان .
(٤) سيأتي في وفيات سنة (٧٢٨هـ) .
(٥) سيأتي في وفيات سنة (٧١٥هـ) .
(٦) شرف الدين الفزاري . جاء ذكره في فوات الوفيات (١/ ٣٣) لدى ذكر ابن أخيه إبراهيم وفيه : أنه كان خطيب الجامع الأموي .
(٧) سيأتي في وفيات سنة (٧١٦هـ) .
(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٢٢) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢١٢) وفيه : ولي نيابة صرخد ثمّ حمص ، ومات في تاسع عشر ربيع الآخر . والدارس (٢/ ٢٥٨) .
(٩) ويعرف بمسجد الأقصاب وما زال قائماً ويعرف اليوم بجامع السادات . الدارس (٢/ ٤٢٩) .
(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٢٨٤) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢١٣) وشذرات الذهب (٦/ ٩) والأعلام (٤/ ١٢٥).
(١١) في ط : صقر .

كان شيخاً جليلاً أديباً شاعراً مجوِّداً من بيت رياسة ووزارة . ولي وزارة دمشق مدة ، ثم أقام بمصر موقعاً مدة ، وكان له اعتناء بعلوم الحديث وسماعه وإسماعه[١] ، وله مصنف في أسماء الصحابة الذين خرَّج لهم في الصحيحين ، وأورد شيئاً من أحاديثهم في مجلدين كبيرين موقوفين بالمدرسة الناصرية بدمشق ، وكان له مذاكرة جيدة محررة باللفظ والمعنى ، وقد خرَّج عنه الحافظ الدمياطي ، وهو آخر من توفي من شيوخه .

توفي بالقاهرة في يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الآخر ، وأصلهم من قيسارية[٢] .

وكان جدُّه موفق الدين أبو البقاء خالد[٣] وزيراً لنور الدين الشهيد ، وكان من الكتَّاب المجيدين المتقنين ، له كتابة جيدة محررة جداً ، توفي في أيام صلاح الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمئة .

وأبوه محمد بن نصر بن صغير[٤] ولد بعكا قبل أخذ الفرنج لها سنة ثمان وسبعين وأربعمئة ، فلما أخذت بعد التسعين[٥] وأربعمئة انتقل أهلهم إلى حلب وكانوا بها ، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور ، وكان له معرفة جيدة بالنجوم وعلم الهيئة وغير ذلك .

[ترجمة الوالد رحمه الله][٦]

وفيها توفي الوالد ، وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء ابن درع القرشي ، من بني خُصَيْلة[٧] ، وهم ينتسبون إلى الشرف ، وبأيديهم نسب ، وقف على بعضها شيخنا المِزّي فأعجبه ذلك وابتهج به ، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك : القرشي . من قرية يقال لها : الشركوين[٨] غربي بصرى ، بينها وبين أذرعات ، ولد بها في حدود سنة أربعين وستمئة ، واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى ، فقرأ (البداية)[٩] في مذهب أبي حنيفة ، وحفظ (جمل) الزَّجّاجي ،

---

(١) ليست في ط .
(٢) « قَيْساريّة » : بلد على ساحل بحر الشام تعدُّ في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . ياقوت .
(٣) ذكره صاحب الأعلام (٢/ ٢٩٨) نقلاً عن المؤلف هنا .
(٤) ترجمته في وفيات الأعيان (٤/ ٤٥٨) والدارس (٢/ ٣٨٨) وفي ط : صقر .
(٥) كذا في ب ، وهو الصواب ، وفي أ ، ط : السبعين . وهو خطأ . إذ إن سقوط عكا كان سنة (٤٩٧هـ) كما ذكر ابن كثير في أخبار هذه السنة ، وكذلك ابن خلدون (٤/ ١٨٨) وشذرات الذهب (٣/ ٤٠٤) .
(٦) زيادة في ب ، وفي ط : ترجمة والد ابن كثير مؤلف هذا التاريخ .
ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٨٥) والدليل الشافي (١/ ٥٠٣) وشذرات الذهب (٦/ ٩) .
(٧) في ب : حصلة . وفي القاموس (بنو خُصَيْلة : بُطَين) . وهو : خُصيلة واسمه عمرو بن مرَّةَ بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض . جمهرة النسب لابن الكلبي . تحقيق محمود فردوس العظم (٢/ ١٠٩) .
(٨) في الدليل الشافي (السرلوين) .
(٩) هو : بداية المبتدي في الفروع لعلي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي، توفي سنة (٥٩٣هـ) كشف الظنون (١/ ٢٢٧) .

وعني بالنحو والعربية واللغة[١] ، وحفظ أشعار العرب حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمراثي وقليل من الهجاء ، وقرّر بمدارس بصرى بمبرك[٢] الناقة شمالي البلد حيث يزار . [وهو المبرك المشهور عند الناس ، والله أعلم بصحة ذلك][٣] .

ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى ، وتمذهب للشافعي ، وأخذ عن النواوي ، والشيخ[٤] تاج الدين الفزاري ، [وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزَّمْلَكاني][٥] ، فأقام بها نحواً من اثنتي عشرة سنة ، ثم تحول إلى خطابة مُجَيْدل ، القُرَيَّة التي منها الوالدة رحمها الله ، فأقام[٦] بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة . وكان يخطب جيداً ، وله قبول[٧] عند الناس ، ولكلامه عند الناس موقع ، ولديانته وفصاحته ، وحلاوة محاورته ومجالسته[٨] ، وكان يؤثر الإقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعياله[٩] .

وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها ، أكبرهم إسماعيل ثم يونس وإدريس ، ثم من الوالدة عبد الوهاب وعبد العزيز ومحمد وأخوات عدة ، ثم أنا أصغرهم ، وسُمّيت باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده وقرأ[١٠] مقدمة في النحو ، وحفظ (التنبيه)[١١] وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري ، وحصّل (المنتخب) في أصول الفقه ، قاله لي شيخنا ابن الزَّمْلَكاني ، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية فمكث أياماً ومات ، فوَجَدَ الوالد عليه وَجْداً كثيراً ، ورثاه بأبيات كثيرة ، فلما وُلِدْتُ له أنا بعد ذلك سمَّاني باسمه ، فأكبر أولاده إسماعيل وآخرهم وأصغرهم إسماعيل[١٢] ، فرحم الله من سلف وختم بخير لمن بقي .

---

(١) ليست في ب .

(٢) في ط : بمنزل .

(٣) ليست في ب .

(٤) كذا في ب ، والدرر الكامنة (٣/ ١٨٥) وكذلك سيذكره المؤلف بعد قليل . وفي آ ، و ط : تقي الدين .
والنّواوي : هو العلامة الفقيه الحافظ أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، توفي سنة (٦٧٦هـ) . ترجمته في تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٧٠ ـ ١٤٧٤) وطبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٤٧٦) .

(٥) ليست في ب .

(٦) في ط : فأقاما .

(٧) في ط : مقول وهو خطأ .

(٨) هذه العبارة من ب .

(٩) في ب : من الرفق به وبعياله .

(١٠) في ب : وقرأ عليه .

(١١) التنبيه في فروع الشافعية : لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفّى سنة (٤٧٦هـ) وله شروح كثيرة . كشف الظنون (١/ ٤٨٩) .

(١٢) في ب : فأول أولاده إسماعيل وأصغرهم إسماعيل .

توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمئة ، بقرية مُجَيدل القرية[(١)] ، ودفن بمقبرتها الشّمالية عند الزيتونة ، وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها ، لا أُدركه إلا كالحُلُم ، ثم تحوّلنا من بعده في سنة سبع وسبعمئة إلى دمشق صحبة الأخ[(٢)] كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقاً ، وبنا رفيقاً شفوقاً ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين ، فاشتغلت على يديه في العلم ، فيسر الله تعالى منه ما يسّر ، وسهّل منه ما تعسر . والله أعلم[(٣)] .

---

(١) في ط : في قرية ، وفي الدارس (١/ ٣٠١) وفيه : سميت كذلك لتمييزها عن مجيدل السويداء .

(٢) ليست في ط .

(٣) زاد في المطبوع خبراً عن البرزالي في ترجمة والد ابن كثير ، ليس في الأصول الخطِّيَّة . وقال : إنه زيادة من نسخة أخرى ، لم أهتد إليها .
وهو :
وقد قال شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في معجمه فيما أخبرني عنه شمس الدين محمد بن سعد المقدسي مخرجه له ، ومن خط المحدّث شمس الدين بن سعد هذا نقلت ، وكذلك وقفت على خط الحافظ البرزالي مثله في السّفينة الثانية من السّفن الكبار .
قال : عمر بن كثير القرشي خطيب القرية وهي قرية من أعمال بُصرى ، رجل فاضل له نظم جيد ويحفظ كثيراً من اللُّغْز ، وله همة وقوة ، كتبت عنه من شعره بحضور شيخنا تاج الدين الفزاري ، وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمئة بمجيدل القرية من عمل بُصرى .
أنشدنا الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير القرشي خطيب القرية بها لنفسه في منتصف شعبان من سنة سبع وثمانين وستمئة :

نأى النومُ عن جَفني فبتُّ مسهَّدا ... أخا كَلَفٍ حِلْفَ الصبابة موجدا
سمير الثُّريَّا والنجوم مدلَّهاً ... فمِن وَلَهي خِلت الكواكب رُكَّدا
طريحاً على فُرُشِ الصبابة والأسى ... فما ضركم لو كنتمُ ليَ عُوَّدا
تقلِّبني أيدي الغرام بلوعةٍ ... أرى النَّار من تلقائها ليَ أبردا
ومزّقَ صبري بعد جيرانِ حاجرٍ ... سعيرُ غرام باتَ في القلب موقدا
فأمطرته دمعي لعلَّ زفيره ... يقلُّ ، فزادته الدموع توقُّدا
فبتُّ بليلٍ نابغيّ ولا أرى ... على النأي من بعد الأحبّة صُعّدا
فيا لك من ليلٍ تباعد فجره ... عليَّ إلى أن خِلته قد تخلّدا
غراماً ووجداً لا يحدّ أقله ... بأهيف معسولِ المراشف أغيدا
له طلعة كالبدر زان جمالها ... بطرّةِ شَعر حالك اللون أسودا
يهزُّ من القدِّ الرشيق مثقَّفاً ... ويشهرُ من جفنيه سيفاً مهنَّدا
وفي وَردِ خديه وآس عذاره ... وضوء ثناياه فنيت تجلُّدا
غدا كلُّ حُسنٍ دونَهُ متقاصراً ... وأضحى له ربُّ الجمال موحّدا
إذا ما رنا واهتزَّ عند لقائه ... سباك ، فلم تملك لساناً ولا يدا
وتسجد إجلالاً له وكرامةً ... وتقسمُ قد أمسيتَ في الحسن أوحدا
وربّ أخي كفرٍ تأمّلَ حسنه ... فأسلم من إجلاله وتشهّدا

=

ثم دخلت سنة أربع وسبعمئة

استُهِلَّت والخليفة والسلطان والحكام والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها .

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول دارت[(١)] الدروس والوظائف التي أنشأها الأمير بِيْبَرْسُ الجَاشَنْكِير المنصوري بجامع الحاكم بعد أن جدّده من خرابه بالزلزلة التي طرقت ديار[(٢)] مصر في آخر سنة ثنتين وسبعمئة ، وجَعَلَ القُضاةَ الأربعة هم المدرسين للمذاهب ، وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي ، وشيخ النحو أثير الدين أبا حيان[(٣)] ، وشيخ القراءات السبع الشيخ نور الدين الشَّطَّنَوْفي[(٤)] ، وشيخ إفادة العلوم الشيخ علاء الدين القونوي[(٥)] .

وفي جُمادى الآخرة باشر الأمير ركن الدين بِيْبَرْس الحجوبية مع الأمير سيف الدين بَكْتَمُر[(٦)] ، وصارا حاجبين كبيرين في دمشق .

وفي رجب أُحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً متَّسعاً جداً يسمى المجاهد إبراهيم القطان ، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق ، [فتناهبه الناس من كل جانب وقطّعوه حتى لم يَدَعوا فيه

= وأنكر عيسى والصَّليبَ ومريماً(*) ... وأصبح يهوىٰ بعد بغضٍ محمدا
أيا كعبة الحُسن التي طاف حولها ... فؤادي ، أما للصدِّ عندكَ من فدا
قنِعتُ بطيفٍ من خيالك طارق ... وقد كنت لا أرضىٰ بوصلك سرمدا
فقد شفّني شوقٌ تجاوز حدّهُ ... وحسبكَ من شوقٍ تجاوز واعتدا
سألتك إلّا ما مررتَ بحيِّنا ... بفضلك يا ربَّ الملاحةِ والنَّدا
لعلَّ جفوني أن تغيض دموعها ... ويسكن قلبٌ مذ هجرتَ فما هدا
غلطتَ بهجراني ولو كنتَ صابياً ... لما صدّكَ الواشون عنّي ولا العِدَا

وعدَّتها ثلاثة وعشرون بيتاً ، والله يغفرُ له ما صنع من الشعر .

(*) أراد بإنكار عيسى ومريم ، إنكار الألوهيّة التي يدّعيها بعض أهل الكتاب ، وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [المائدة : ١١٦] .
لا إنكار نُبوّة : لأنَّ ذلك مستبعدٌ من عالمٍ مثله ـ رحمه الله ـ .

(١) في ب ، ط : حضرت .

(٢) في ب : كانت في أواخر سنة ثنتين وسبعمئة ، وفي ط : طرأت على دياره .

(٣) هو : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف . سيأتي في وفيات سنة (٧٤٥هـ) .

(٤) هو : علي بن يوسف بن حريز اللخمي ، عالم بالقراءات ، من علماء الشافعية ، توفي سنة (٧١٣هـ) والشَّطَّنَوفي ، بتشديد الطاء ، نسبة إلى شَطَّنَوف ، بلد بمصر ، غاية النهاية (١/ ٥٨٥) والدرر (٣/ ١٤١) وياقوت (شطنوف) .

(٥) هو : علي بن محمود بن حميد بن موسى ، توفي سنة (٧٤٩هـ) . الدرر الكامنة (٣/ ١٢٦) .

(٦) سيأتي في وفيات سنة (٧٢٤هـ) .

شيئاً][١] ، وأمر بحلق رأسه ، وكان ذا شعر ، وقلم أظفاره ، وكانوا طوالاً جداً ، وحَفّ شاربه المسبل على فمه المخالف للسُّنة ، واستتابه من كلام الفحش وأكْلِ ما يغيِّر العقل من الحشيشة وما لا يجوز من المحرَّمات وغيرها .

وبعده استحضر الشيخ محمد الخبَّاز البلاسي فاستتابه أيضاً عن أكل المحرمات ومخالطة أهل الذمة ، وكتب عليه مكتوباً أن لا يتكلم في تعبير المنامات[٢] ولا في غيرها بما لا علم له به .

وفي هذا الشهر بعينه راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد النارنج[٣] وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت بنهر قلوط تُزَار ويُنْذَر لها[٤] ، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها ، [فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً . وبهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة ، وكذلك بكلامه بابن عربي وأتباعه ، فحسد على ذلك وعودي ، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم ، ولا بالى ، ولم يصلوا إليه بمكروه ، وأكثر ما نالوا منه الحبس مع أنه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ، ولم يتوجه لهم عليه ما يشين ، وإنما أخذوه وحبسوه بالجاه ، كما سيأتي ، وإلى الله إياب الخلق وعليه حسابهم][٥] .

وفي رجب جلس قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرَى بالمدرسة العادلية الكبيرة ، وعملت التخوت بعد ما جددت عمارة المدرسة ، ولم يكن أحد يحكم بها بعد وقعة قازان بسبب خرابها[٦] ، وجاء المرسوم للشيخ برهان[٧] الدين الفزاري بوكالة بيت المال فلم يقبل . وللشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكاني بنظر الخزانة فقبل وخلع عليه بطَرحه[٨] ، وحضر بها يوم الجمعة ، وهاتان الوظيفتان كانتا مع نجم الدين بن أبي الطيب[٩] ، توفي إلى رحمة الله .

وفي شعبان سعى جماعة في تبطيل الوقيد ليلة النصف ، وأخذوا خطوط العلماء في ذلك ، وتكلموا مع نائب السلطنة ، فلم يتفق ذلك ، بل أشعلوا ، وصُليت صلاة ليلة النصف أيضاً .

---

(١) ليست في ب .
(٢) في ب : المنامات . وهي الأفصح .
(٣) في ط : التاريخ . وهو تصحيف ، ويعرف بمسجد الحجر أيضاً . الدارس (٢/ ٣٦١) وشذرات الذهب : (٦/ ٩) .
(٤) في ب : وينذر لها بعض الجهلة من الناس .
(٥) ليست في ب .
(٦) تقع العادلية الكبرى شمالي الجامع تجاه باب الظاهرية ، يفصل بينهما الطريق ، أنشأها نور الدين زنكي . انظر الدارس (١/ ٣٦٣) .
(٧) كذا في ط ، وهو الصواب ، كما سيأتي ذكره في وفيات سنة (٧٢٩هـ) ، وفي أ : جمال الدين ، وفي ب : تاج الدين .
(٨) الفوات (٤/ ٨) .
(٩) سيأتي في وفيات هذه السنة .

وفي خامس رمضان وصل الشيخ كمال الدين بن الشَّرِيْشي من مصر بوكالة بيت المال ، ولبس الخلعة يوم الجمعة[١] سابع رمضان ، وحضر عند ابن صَصْرَى بالشباك الكمالي[٢] .

وفي سابع شوال عُزل وزيرُ مصر ناصر الدين بن الشيخي ، وقطع إقطاعه ورسم عليه وعوقب إلى أن مات في ذي القعدة . وتولى الوزارة سعد الدين محمد بن محمد بن عطاء وخلع عليه .

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي القعدة حكم قاضي القضاة جمال الدين الزواوي بقتل الشمس محمد بن جمال الدين عبد الرحيم الباجربقي[٣] ، وإراقة دمه وإن تاب وإن أسلم ، بعد إثبات محضر عليه يتضمن كفر الباجربقي المذكور ، وكان ممّن شهد عليه فيه الشيخ مجد الدين التونسي النحوي الشافعي ، فهرب الباجربقي إلى بلاد الشرق ، فمكث بها مدة سنين ثم جاء بعد موت الحاكم المذكور ، كما سيأتي .

وفي ذي القعدة كان نائب السّلطنة في الصيد ، فقصدهم في الليل طائفةٌ من الأعراب ، فقاتلهم الأمراء ، فقتلوا من العرب نحو النّصف ، وتوغَّل في العرب أمير يقال له سيف الدين بهادرسَمِز[٤] احتقاراً بالعرب ، فضربه واحدٌ منهم برمح فقتله ، فكرَّت الأمراء عليهم فقتلوا منهم خلقاً أيضاً ، وأخذوا واحداً منهم زعموا أنّه هو الذي قتله ، فصُلب تحت القلعة ، ودفن الأمير المذكور بقبر الست .

وفي ذي القعدة تكلّم الشيخ شمس الدين بن النقيب[٥] وجماعة من العلماء في الفتاوى الصادرة من الشيخ علاء الدين بن العطار[٦] شيخ دار الحديث النورية والقوصيّة ، وأنها مخالفة لمذهب الشافعي ، وفيها تخبيط كثير ، فتوهَّم من ذلك وراح إلى الحنفي فحقن دمه وأبقاه على وظائفه ، ثم بلغ ذلك نائب السلطنة فأنكر على المنكرين عليه ، ورسم عليهم ، ثم اصطلحوا ، ورسم نائب السلطنة أن لا تثار الفتن بين الفقهاء[٧] .

---

(١) ليست في ط . وأحمد محمد الشريشي ، سيأتي في وفيات سنة (٧١٨هـ) .

(٢) « الشباك الكمالي » : بجامع دمشق ، ويصلي فيه نواب السلطان ، والذي أحدثه قاضي القضاة كمال الدين الشَّهرزوري ، ولاّه نور الدين الشهيد قضاء دمشق ، توفي سنة (٥٧٢هـ) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٤) والدارس (٢/ ٢٨٧) .

(٣) « الباجربقي » : نسبة إلى قرية (باجربق) من قرى بين النهرين ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٤هـ) . الدارس (٢/ ١٣) .

(٤) في ط : تمر . وفي أ : تمراز وأثبتنا ما في الدرر (١/ ٤٩٧) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢١٨) وفيه : سَمِز بفتح السين وكسر الميم . معناها : (السمين) .

(٥) هو : محمد بن أبي بكر بن إبراهيم ، قاضي قضاة الشافعية ، توفي سنة (٧٤٥هـ) ، وسيذكره المؤلف في أحداثها .

(٦) هو : علي بن إبراهيم بن داود ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٤هـ) . الدارس (١/ ٤٣٩) والقوصيّة : هي الحلقة بالجامع الأموي .

(٧) الخبر في الدرر (٣/ ٦) .

وفي مستهل ذي الحجة ركب الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه جماعة من أصحابه إلى جبل الجرد والكسروانيين[١] ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان[٢] ، فاستتابوا خلقاً منهم وألزموهم بشرائع الإسلام ، ورجَع مُؤَيداً منصوراً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ تاج الدين بن شمس الدين بن الرفاعي : شيخ الأحمدية بأم عَبِيْدة[٣] من مدة مديدة ، وعنه تكتب إجازات الفقراء ، ودفن هناك عند سلفه بالبطائح .

الصدر نجم الدين عمر[٤] : ابن أبي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن أبي الكتائب بن محمد بن أبي الطيب ، وكيل بيت المال وناظر الخزانة ، وقد ولّي في وقت نظر المارستان النوري[٥] وغير ذلك . وكان مشكور السيرة رجلاً جيداً ، وقد سمع الحديث وروى أيضاً .

توفي ليلة الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الآخرة ، ودفن بتربتهم بباب الصغير[٦] .

ثم دخلت سنة خمس وسبعمئة

استهلت والخليفة المستكفي والسلطان الملك الناصر ، والمباشرون هم المذكورون[٧] فيما مضى .

وجاء الخبر أن جماعة من التتر كمنوا لجيش حلب وقتلوا منهم خلقاً من الأعيان وغيرهم ، وكثر النوح ببلاد حلب بسبب ذلك .

وفي مستهل المحرم حكم جلال الدين القزويني[٨] أخو قاضي القضاة إمام الدين نيابة عن ابن صَصْرَى .

وفي ثانيه خرج نائب السلطنة بمن بقي من الجيوش الشامية ، وقد كان تقدم بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تيمية في ثاني المحرم ، فساروا إلى بلاد الجُرد والرُّفَّض والتيامنة ، فخرج نائب السلطنة الأفرم

---

(١) جبال شمال غرب دمشق على حدود سورية مع لبنان . الدارس (٢/ ٢٤٨) .
(٢) سيأتي في وفيات سنة (٧٠٨هـ) .
(٣) أمُّ عَبِيْدَة : بفتح العين وكسر الباء وسكون الياء بلد في العراق ، والبطائح موضع ما بين البصرة والأهواز ، قاله صاحب « التاج » في (بطح) . وفي وفيات الأعيان (١/ ١٧٢) : هي قرى مجتمعة بين واسط والبصرة .
(٤) في الأصل : ابن عمر ، وهو سهو .
وترجمته في : الدرر الكامنة (٣/ ١٨٢) والدارس (١/ ٤٤٧) .
(٥) وهو اليوم متحف للعلوم الطبية عند العرب .
(٦) ما زالت قائمة إلى اليوم وتعرف بهذا الاسم .
(٧) كذا في ب ، ط ، وفي أ : استهلت والحكام هم المذكورون .
(٨) سيأتي في وفيات سنة (٧٣٩هـ) .

بنفسه بعد خروج الشيخ لغزوهم ، فنصرهم الله عليهم وأبادوا خلقاً كثيراً منهم ومن فرقتهم الضَّالة ، ووطئوا أراضيَ كثيرة من منيع[١] بلادهم ، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق في صحبته الشيخ ابن تيمية والجيش ، وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خيرٌ كثير ، وأبان الشيخ علماً وشجاعة في هذه الغزوة ، [وقد امتلأت قلوب أعدائه حسداً له وغمًّا][٢] .

وفي مستهل جمادى الأولى قدم القاضي أمين الدين أبو بكر ابن القاضي وجيه الدين عبد العظيم بن الرقاقي[٣] المصري من القاهرة على نظر الدواوين بدمشق ، عوضاً عن عز الدين بن مبشر .

[ما جرى للشيخ تقي الدين بن تَيْمِيَّـة مع الأحمدية وكيف عقدت له المجالس الثلاثة][٤]

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمدية[٥] إلى نائب السلطنة بالقصر الأبلق وحضر الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فسألوا من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكفَّ الشيخ تقي الدين إنكاره عليهم[٦] ، وأن يسلم لهم حالهم ، فقال لهم الشيخ : هذا ما لا يمكن[٧] ، ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة ، قولاً وفعلاً ، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه . فأرادوا أن يفعلوا شيئاً من أحوالهم الشيطانية التي يتعاطونها في سماعاتهم ، فقال[٨] الشيخ : تلك أحوال شيطانية باطلة ، وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان ، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولا إلى الحمام وليغسل جسده غسلاً جيداً ويدلكه بالخل والإشنان ، ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقاً ، ولو فرض أن أحداً من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل فإن ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته ، بل حاله من أحوال الدجاجلة المخالفة للشريعة إذا كان صاحبها على السنة ، فما الظن بخلاف ذلك . فابتدر شيخ المنيبع الشيخ صالح وقال : نحن أحوالنا إنما تنفُق عند التتر ليست تنفق عند الشرع . فضبط الحاضرون[٩] عليه تلك الكلمة ، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد ، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون

---

(١) في ط : صنع ، وهو تحريف .
(٢) ليست في ب .
(٣) في ط : الرفاقي بفاء ثم ألف وقاف ، وهو تصحيف . ترجمته في الفوات (١/ ١٢١) .
(٤) زيادة من ط .
(٥) هم أتباع طريقة الشيخ أحمد الرفاعي .
(٦) في ط : إمارته عنهم .
(٧) كذا في ب ، وهو الصواب . وفي أ ، ط : ما يمكن .
(٨) في ب : فذكر الشيخ أن هذا أكثره من باب الحيل والبهتان .
(٩) في ب : الأمراء .

الأطواق الحديد من رقابهم ، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضُربت عنقه . وصنَّف الشيخ جزءاً في طريقة الأحمدية ، وبيّنَ فيه أحوالهم ومسالكهم وتخيُّلاتهم ، وما في طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب ، وأظهر الله السنة على يديه ، وأخمد بدعتهم . ولله الحمد والمِنَّة .

وفي العشر الأوسط من هذا الشهر خلع على جلال الدين بن معبد ، وعز الدين خطاب(١) ، وسيف الدين بَكْتَمر(٢) مملوك بَكْتَاش الحُسامي بالإمرة ولبس التشاريف ، وركبوا بها ، وسلموا لهم جبل الجرد والكسروان والبقاع .

وفي يوم الخميس ثالث رجب خرج الناس للاستسقاء إلى سطح المزة ، ونصبوا هناك منبراً وخرج نائب السلطنة وجميع الناس من القضاة والعلماء والفقراء ، وكان مشهداً هائلاً وخطبة عظيمة بليغة ، فاستسقوا فلم يُسْقَوْا يومهم ذلك(٣) .

(٤)وفي يوم الإثنين ثامن رجب حضر القضاة والعلماء وفيهم الشيخ تقي الدين بن تيمية عند نائب السلطنة بالقصر ، وقُرئت عقيدة الشيخ تقي الدين الواسطية ، [وحصل بحث في أماكن منها](٥) ، وأُخّرت مواضع إلى المجلس الثاني .

فاجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر الشهر المذكور ، وحضر الشيخ صفي الدين الهندي(٦) ، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً ، [ولكن ساقيته لاطمَتْ بحْرًا](٧) ، ثم اصطلحوا على أن يكون الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكاني(٨) هو الذي يحاقِقُه من غير مسامحة ، فتناظرا في ذلك ، وشكر الناس من فضائل الشيخ كمال الدين بن الزملَكاني وجودة ذهنه وحسن بحثه ، حيث [قاوم ابن تيمية في البحث ، وتكلَّم معه ، ثم انفصل الحال على قبول العقيدة](٩) ، وعاد الشيخ إلى منزله معظّماً مكرماً . وبلغني أن العامة حملوا له الشمع من باب القصر إلى القصّاعين على جاري عادتهم في أمثال هذه الأشياء .

---

(١) هو خطّاب بن محمود بن مرتعش ، سيأتي في وفيات سنة (٧٢٥هـ) .

(٢) هو بكتمر الحسامي كان حاجباً بدمشق ثم ولي ثغر الإسكندرية . توفي سنة (٧٢٤هـ) . كما سيأتي .

(٣) في النجوم الزاهرة (٨/ ٢١٧) تفصيل لأحداث سنة (٧٠٥هـ) .

(٤) زاد في ط عنواناً للفقرة التالية : وهو : أول المجالس الثلاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٥) ليست في ب .
والعقيدة الواسطيّة : كتاب ألّفه ابن تيمية ـ رحمه الله ـ .
أما عن سبب التسمية ، فقيل : إنه اعتبر السلف أهل السنّة وسطاً بين فرق الزّيغ والضلال من هذه الأمة .
وقيل : إن رجلاً من أهل واسط ، سأله أن يكتب له عقيدة تكون عدةً له ولأهل بيته وبلده .

(٦) سيأتي في وفيات سنة (٧١٥هـ) .

(٧) ليست في ب .

(٨) سيأتي في وفيات سنة (٧٢٧هـ) .

(٩) ليست في ب .

وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان في ذلك ، كان الباعث على إرساله قاضي المالكية ابن مخلوف[١] ، والشيخ نصر المَنْبِجي[٢] شيخ الجاشَنْكير[٣] وغيرهما من أعدائه . وذلك أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان يتكلم في المَنْبِجي وينسبه إلى اعتقاد ابن عربي ، [وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه لتقدُّمه عند الدولة ، وانفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وطاعة الناس له ، ومحبتهم له ، وكثرة أتباعه ، وقيامه في الحق ، وعلمه وعمله][٤] .

ثم وقع بدمشق خبط كثير وتشويش بسبب غيبة نائب السلطنة[٥] . وطلب القاضي جماعة من أصحاب الشيخ ، وعزّر بعضهم ، ثم اتفق أن الشيخ جمال الدين المِزّي[٦] الحافظ قرأ فصلاً في الرد على الجهمية[٧] من كتاب (أفعال العباد) للبخاري تحت قبة النسر[٨] بعد قراءة ميعاد البخاري بسبب الاستسقاء ، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين ، وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن صَصْرَى ، وكان عدو الشيخ ، فسُجِن المِزّي ، فبلغ الشيخ تقي الدين ، فتألم لذلك ، وذهب إلى السجن ، فأخرجه منه بنفسه ، وراح إلى القصر فوجد القاضي هنالك ، فتقاولا بسبب الشيخ جمال الدين المِزّي ، فحلف ابن صَصْرَى لا بد أن يعيده إلى السجن وإلا عَزَل نفسه ، فأمر النَّائب بإعادته تطييباً لقلب القاضي ، فحبسه عنده في القُوصيّة أياماً ثم أطلقه .

ولما قدم نائب السلطنة ذكر له الشيخ تقي الدين ما جرى في حقه وحق أصحابه في غيبته ، فتألم النائب لذلك ، ونادى في البلد أن لا يتكلم أحد في العقائد ، ومن عاد إلى تلك حلَّ مالُه ودمُه ونهبت[٩] داره وحانوته . فسكنت الأمور .

وقد رأيت فصلاً من كلام الشيخ تقي الدين في كيفية ما وقع في هذه المجالس الثلاثة من المناظرات .

ثم عقد المجلس الثالث في يوم سابع شعبان بالقصر ، واجتمع الجماعة على الرضى بالعقيدة المذكورة . وفي هذا اليوم عزل ابن صَصْرَى نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من بعض الحاضرين في

---

(١) سيأتي في وفيات سنة (٧١٨هـ) .

(٢) سيأتي في وفيات سنة (٧١٩هـ) .

(٣) الملك المظفّر بِيبَرْس الجاشَنكير . سيأتي في وفيات سنة (٧٠٩هـ) .

(٤) ليست في ب .

(٥) هو الأفرم وكان في حصار جبل الكسروان .

(٦) سيأتي في وفيات سنة (٧٤٢هـ) .

(٧) هي فرقة تقول : إن الإيمان مجرّدُ المعرفة والأعمال ليست من الإيمان ، ونسبتُها إلى جَهْم بن صَفْوان السّمَرْقندي قتل سنة (١٢٨هـ) . ميزان الاعتدال (١/ ١٩٧) .

(٨) « قُبّة النّسر » : قبّة الجامع الأموي ، سميّت بذلك لعلوّها آنذاك عما حولها .

(٩) في ط : ورتّبت .

المجلس المذكور، وهو من الشيخ كمال الدين بن الزمْلَكاني، ثم جاء كتاب السلطان في السادس والعشرين من شعبان فيه إعادةُ ابن صَصْرَى إلى القضاء، وذلك بإشارة المَنْبِجي، وفي الكتاب: إنا كنا رسمنا[١] بعقد مجلس للشيخ تقي الدين بن تيمية، وقد بَلَغنا ما عُقِد له من المجالس، وأنه على مذهب السلف، وإنما أردنا بذلك براءة ساحته مما نُسب إليه. ثم جاء كتاب آخر في خامس رمضان يوم الإثنين، وفيه الكشف عما كان وقع للشيخ تقي الدين بن تيمية في أيام قازان[٢] والقاضي إمام الدين القزويني، وأن يحمل هو والقاضي ابن صَصْرَى إلى مصر، فتوجها على البريد نحو مصر، وخرج مع الشيخ خلق من أصحابه وبكوا وخافوا عليه من أعدائه، وأشار عليه نائب السلطنة الأفرم[٣] بترك الذهاب إلى مصر، وقال له: أنا أُكاتب السلطان في ذلك وأصلح القضايا، فامتنع الشيخ من ذلك، وذكر له أن في توجهه لمصر مصلحةً كبيرةً، ومصالح كثيرة. فلما توجه لمصر ازدحم الناس لوداعه ورؤيته، حتى انتشروا من باب داره إلى قرب الجسورة، فيما بين دمشق والكسوة، وهم فيما بين باك وحزين ومتفرج ومتنزِّه ومزاحم متغالٍ فيه.

فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقي الدين غَزّة، فعمل في جامعها مجلساً عظيماً، ثم رحلا معاً إلى القاهرة، والقلوب معه، وبه متعلقة، فدخلا مصر يوم الإثنين الثاني والعشرين من رمضان، وقيل: إنهما دخلاها يوم الخميس.

فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ مجلس بالقلعة اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة، وأراد أن يتكلم على عادته، فلم يتمكن من البحث والكلام، وانتُدِب له الشمس ابن عدنان خَصْماً احتساباً، وادّعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنه يقول: إنّ الله فوق العرش حقيقة، وأنَّ الله يتكلم بحرف وصوت. فسأله القاضي جوابه، فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه، فقيل له: أجب ما جئنا بك لتخطب. فقال: ومن الحاكم فيَّ؟ فقيل له: القاضي المالكي. فقال له الشيخ: كيف تحكم فيَّ وأنت خصمي؟! فغضب غضباً شديداً وانزعج، وأقيم مرسماً عليه وحبس في برج أياماً، ثم انتقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجُبّ[٤]، هو وأَخَواه[٥] شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن.

---

(١) في ط: سمعنا. وفي الدرر (١/ ١٤٥) إشارة إلى المرسوم.

(٢) كذا في ب، وفي أ وط: جاغان.
وكان ذلك عام (٦٩٨هـ) عندما اجتمعوا في مشهد علي بعد انهزام جيش السلطان أمام قازان لأخذ الأمان للبلد منه. النجوم الزاهرة (٨/ ١٢٣).

(٣) في ط: ابن الأفرم.

(٤) الدرر الكامنة (١/ ١٤٦) والدارس (١/ ٩٨) والجب في قلعة جبل المقطم بالقاهرة التي بناها صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٦هـ).

(٥) في ط: وأخوه.

وأما ابن صَصْرَى فإنه جُدِّد له توقيعٌ بالقضاء[١] بإشارة المَنْبجي شيخ الجاشنكير حاكم مصر ، وعاد إلى دمشق يوم الجمعة سادس ذي القعدة والقلوب له ماقتة ، والنفوس منه نافرة ، وقُرئ تقليدُه بالجامع ، وبعده قرئ كتاب فيه الحطُّ على الشيخ تقي الدين ومخالفته في العقيدة ، وأن ينادى بذلك في البلاد الشامية ، وأُلزم أهل مذهبه بمخالفته ، وكذلك وقع بمصر ، قام عليه جاشنكير وشيخه نصر المَنْبجي ، وساعدهم جماعة كثيرة من الفقهاء والفقراء[٢] ، وجرت فتن كثيرة منتشرة ، نعوذ بالله من الفتن . وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة ، وذلك أن قاضيهم كان قليل العلم مزجي[٣] البضاعة ، وهو شرف الدين الحرّاني[٤] ، فلذلك نال أصحابهم ما نالهم ، وصارت حالهم حالهم .

وفي شهر رمضان جاء كتاب من مقدّم الخدّام بالحرم النبوي يستأذن السلطان في بيع طائفة من قناديل الحرم النبوي لينفق ذلك ببناء مئذنةٍ عند باب السلام الذي عند المطهرة ، فرسم له بذلك ، وكان في جملة القناديل قنديلان من ذهب زنتهما ألف دينار ، فباع ذلك وشرع في بنائها وولي سراجُ الدين عمر[٥] قضاءها مع الخطابة ، فشق ذلك على الروافض .

وفي يوم الخميس ثاني عشر ذي القعدة وصل البريد من مصر بتولية القضاء لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن داود الأذرعي[٦] الحنفي قضاء الحنفية عوضاً عن [شمس الدين] بن الحريري[٧] [معزولاً][٨] وبتولية [الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين][٩] الفزاري خطابة دمشق عوضاً عن عمه الشيخ شرف الدين ، توفي إلى رحمة الله[١٠] ، وخلع عليهما بذلك ، وباشرا في يوم الجمعة ثالث عشر الشهر ، وخطب الشيخ برهان الدين خطبة حسنة حضرها الناس والأعيان . ثم بعد خمسة أيام عزل نفسه عن الخطابة وآثر بقاءه على تدريس البادرائية[١١] حين بلغه أنها طُلبت لتؤخذ منه ، فبقي منصب الخطابة

---

(١) الدرر الكامنة (١/١٤٦) .

(٢) الفقراء هنا هم المتصوِّفة .

(٣) « مزجيّ البضاعة » : قليل البضاعة .

(٤) هو : عبد الغني بن يحيىٰ أبو محمد الحرّاني توفي سنة (٧٠٩هـ) كما سيأتي .

(٥) هو : عمر بن أحمد بن الخضر بن ظافر بن طرد أبو الفتوح الأنصاري المصري ، الخطيب ، سراج الدين توفي سنة (٧٢٦هـ) في السويس ، وهو في طريقه إلى القاهرة للتداوي . الدرر الكامنة (٣/ ١٥٠) .

(٦) سيأتي في وفيات سنة (٧١٢هـ) .

(٧) في ط : ابن الحسيني . وهو سهو . وما أثبتاه موافق لما في الدرر (٣/ ٢٧٨) .

(٨) زيادة من ب ، وط .

(٩) زيادة من ب ، وط .

(١٠) زيادة من ب . كما سيأتي في ترجمته في الوفيات .

(١١) الدرر (١/ ٣٤) شذرات الذهب (٦/ ٨٨) .

« والبادرائية » : مدرسة داخل باب الفراديس ، وتعرف سابقاً بدار أسامة . الدارس (١/ ٢٠٥) .

شاغراً ، ونائب الخطيب يصلّي بالناس ويخطب ، ودخل عيد الأضحى وليس للناس خطيب ، وقد كاتب نائب السلطنة في ذلك ، فجاء المرسوم بإلزامه بذلك ، وفيه : لعلمنا بأهليته وكفايته واستمراره على ما بيده من تدريس البادرائية ، فباشرها معها مرة ثانية ، ثم إن كمال الدين بن الشيرازي سعى في البادرائية[١] فأخذها ، وباشرها في صفر من السنة الآتية بتوقيع سلطاني ، فَعَزَلَ الفَزَاري نفسه عن الخطابة ولزم بيته ، فراسله نائب السلطنة بذلك ، فصمم على الترك[٢] وأنّه لا يعود إليها أبداً ، وذكر أنّه عجز عنها ، فلما تحقّق نائبُ السَّلطنة ذلك أعاد إليه مدرسته وكتبَ له بها توقيعاً بالعشر الأول من ذي الحجة .

وخلع على شمس الدين بن الخَطِيري[٣] بنظر الخزانة عوضاً عن ابن الزمْلكاني .

وحج بالنَّاس الأمير شرف الدين حسن بن حيدر .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

الشَّيخ عيسى بن الشيخ سيف الدين الرّجيحي[٤] : ابن سابق بن الشّيخ يُونُس القَيْسي ، ودفن بزاويتهم[٥] التي بالشّرف الشّمالي بدمشق غربي الوراقة والعزية يوم الثلاثاء سابع المحرم[٦] .

الملك الأوحد[٧] : تقيّ الدين شاذي ابن الملك الزاهر مجير الدين داود ابن الملك المجاهد أسد الدين شِيْركُوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شِيْرِكوه بن شاذي .

توفي بجبل الجُرد في آخر نهار الأربعاء ثاني صفر ، وله من العمر[٨] سبع وخمسون سنة فنقل إلى تربتهم بالسَّفح[٩] .

كان من خيار الملوك والدولة ، معظَّماً عند الملوك والأمراء ، وكان يحفظ القرآن وله معرفة بعلوم ، ولديه فضائل .

---

(١) ليست في ط ، والتصويب من ب ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٦هـ) .
(٢) في ط : العزل .
(٣) هو عبد القادر بن يوسف . توفي سنة (٧١٦هـ) . ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٩٣) وشذرات الذهب (٦/ ٣٨) .
(٤) في ط : الرحبي وهو سهو . ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٠١) . ومنادمة الأطلال لعبد القادر بدران : (ص٣١٦) . نقلاً عن ابن كثير .
(٥) الزاوية اليونسية . ذكرها النعيمي في الدارس (٢/ ٢١٣) وبدران في منادمة الأطلال (ص٣١٦) .
(٦) في ب : التاسع عشر . وفي الدرر الكامنة (سابع عشر) .
(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤) ووفاته فيه سنة (٧٥٠هـ) وهو توهم . والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٢٠) وفيها : ثالث صفر ، الدارس (٢/ ٢٤٨) .
(٨) زيادة من ط .
(٩) هي : التربة الزاهرية ، نسبة إلى الملك الزاهر مجير الدين داود الذي بناها . الدارس (٢/ ٢٤٨) ومنادمة الأطلال (ص٣٣٥ ـ ٣٣٦) .

الصَّدر عـلاء الدين : علي بن معالي الأنصاري الحراني[١] الحاسب ، يُعرف بابن الرُّزَيْز . وكان فاضلاً بارعاً في صناعة الحساب انتفع به جماعة ، توفي في آخر هذه السنة فجأة ودفن بقاسيون . وقد أخذت الحساب عن الحاضري عن علاء الدين الطيوري عنه .

الخطيب شرف الدّين أبو العبّاس : أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفَزَاري[٢] ، الشيخ الإمام العلّامة أخو العلّامة شيخ الشافعية تاج الدين عبد الرحمن ، ولد سنة ثلاثين ، وسمع الحديث الكثير ، وانتفع على المشايخ في ذلك العصر كابن الصَّـلاح والسَّخاوي[٣] وغيرهما ، وتفقّه وأَفتى وناظر وبرع وساد أقرانه ، وكان أستاذاً في العربية واللُّغة والقراءات وإيراد الأحاديث النبوية ، والتردد إلى المشايخ للقراءة عليهم ، وكان فصيح العبارة ، حلـو المحـاضرة ، لا تُمَلُّ مجالسته ، وقد درس بالطّيبة[٤] ، وبالرّباط النّاصري[٥] مدة ، ثم تحوّل عنه إلى خطابة جامع جرّاح[٦] ، ثم انتقل إلى خطابة جامع دمشق بعد الفارقي في سنة ثلاث ولم يزل به حتى توفي يوم الأربعاء عشية التَّاسع[٧] من شوَّال ، عن خمس وسبعين سنة .

وصلّي عليه صبيحة يوم الخميس على باب الخطابة ، ودفن عند أبيه وأخيه بباب الصَّغير رحمهم الله ، ووليَ الخطابة[٨] ابنُ أخيه ، شيخنا العلامة برهان الدين .

الحافظ الكبير الدّمياطي : وهو الشيخ الإمام العالم الحافظ شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خَلَف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي[٩] .

حامل لواء هذا الفن ـ أعني صناعة الحديث وعلم اللغة ـ في زمانه مع كبر السن والقدر ، وعلو الإسناد وكثرة الرواية ، وجودة الدراية ، وحسن التآليف وانتشار التصانيف ، وتردد الطلبة إليه من سائر الآفاق[١٠] .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٣٣) وفيه : ابن الوزير .
(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٨٩) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢١٧) والدارس (١/ ٢٧) وشذرات الذهب (٦/ ١٢) .
(٣) في أ وط : انه السخاوي وأثبتنا ما في ب ، وبقية مصادر ترجمته .
(٤) في ط : الطبية ، بتقديم الباء . والصَّواب ما أثبتناه ، وكذلك في الدارس (١/ ٣٣٧) ومنادمة الأطلال (ص١١٥) . وهي قبلي النورية الحنفية ، وتعرف بالشُّومانية .
(٥) يقع داخل دار الحديث الناصرية .
(٦) يقع خارج الباب الصغير بمحلة سوق الغنم . الدارس (٢/ ٤٢٠) منادمة الأطلال (ص٣٧١ ـ ٣٧٢) .
(٧) في ب : التاسع عشر .
(٨) في ب : بعده . وهو : إبراهيم بن عبد الرحمن برهان الدين ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٩هـ) .
(٩) ترجمته في : فوات الوفيات (٢/ ٤٠٩) والدرر الكامنة (٢/ ٤١٧) وطبقات السبكي (٦/ ١٣٢) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢١٢) وحسن المحاضرة (١/ ٣٥٧) وشذرات الذهب (٦/ ١٢) والدارس (١/ ٢٢) .
(١٠) في ب : والجهات والأقطار .

ومولده في آخر سنة ثلاث عشرة وستمئة ، وقد كان أول سماعه في سنة ثنتين وثلاثين بالإسكندرية ، سمع الكثير على المشايخ ورحل ، وطاف ، وحصَّل ، وجمع فأوعى ، ولكن ما منع ولا بخل ، بل بذلَ وصنّف ونشر العلم ، ووَلِّي المناصب بالديار المصرية ، وانتفع الناس به كثيراً ، وجمع « معجماً لمشايخه » الذين لقيهم بالشَّام والحجاز والجزيرة والعراق وديار مصر يزيدون على ألف وثلاثمئة شيخ ، وهو مجلدان[١] ، وله « الأربعون المتباينة الإسناد » وغيرها ، وله كتاب في « الصلاة الوسطى » مفيد جداً ، ومصنف في « صيام ستة أيام من شوال » أفاد فيه وأجاد ، وجمع ما لم يسبق إليه ، وله كتاب « الذكر والتسبيح عقيب الصلوات » ، وكتاب « التسلِّي والاغتباط بثواب من يقدِّم من الأفراط »[٢] وغير ذلك من الفوائد الحسان ، ولم يزل في إسماع الحديث إلى أن أدركته وفاته وهو صائم في مجلس الإملاء[٣] غشي عليه فحمل إلى منزله ، فمات من ساعته يوم الأحد عاشر[٤] ذي القعدة بالقاهرة .

ودفن من الغد بمقابر باب النَّصر وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست وسبعمئة

استهلت[٥] والحكام هم المذكورون في التي قبلها والشيخ تقي الدين بن تيمية مسجون بالجُب من قلعة الجبل ، [وخطيب دمشق برهان الدين الفزاري بعد عمه الشيخ شرف الدين ـ رحمه الله ـ كما تقدّم بيانه ، في أنه ألزم بها مرة ثانية ، فلما كان صفر أخذ مدرسة البادرائية الشيخ كمال الدين الشيرازي ، فعزل الشيخ برهان الدين نفسه عن الخطابة ، فأعيدت إليه مدرسته][٦] .

وفي يوم الأربعاء جاء البريد بتولية الخطابة للشيخ شمس الدين إمام الكلّاسة[٧] ، وذلك في ربيع الأول ، وهنِّئ بذلك ، فأظهر التكرُّه لذلك والضعف عنه ، ولم يحصل له مباشرة لغيبة نائب السلطنة في الصَّيد ، فلما حضر أذن له فباشر يوم الجمعة العشرين من الشهر ، فأوّلُ صلاةٍ صلَّاها الصبح يوم الجمعة ، ثم خُلع عليه وخَطَب بها يومئذ .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول باشر نيابة الحكم عن القاضي نجم الدين أحمد بن

(١) وهو أربع مجلدات في الدرر . قال بشار : نشر الأستاذ جورج فايدا مختصره باللغة الفرنسية ، ونسخه موجودة .
(٢) ذكر صاحب الوفيات جميع هذه المصنّفات وغيرها .
(٣) في ط : الأمراء . وهو تصحيف .
(٤) في ب والدرر : خامس عشر .
(٥) في ب : استهلت والخليفة بالله بن الحاكم العباسي ، وسلطان البلاد الملك الناصر وقضاتهما هم المذكورون في التي قبلها والشيخ . . .
(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من ب .
(٧) هو : محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطي . سيأتي ذكره في وفيات هذه السنة .

عبد المحسن بن حسن المعروف بالدمشقي[١] عوضاً عن تاج الدين صالح بن تامر بن حَامد الجَعْبري[٢] ، وكان معمراً قديم الهجرة كثير الفضائل ، ديّناً ورعاً ، جَيدَ المباشرة ، وكان قد ولي نيابة الحكم في سنة سبع وخمسين وستمئة ، فلما ولّي ابن صَصْرَى كره نيابته .

وفي يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر قدم البريد من القاهرة ومعه تجديد توقيع للقاضي شمس الدين الأذرعي الحنفي[٣] ، فظنَّ النَّاسُ أنه بولاية القضاء لابن الحريري فذهبوا ليهنئوه مع البريديّ[٤] إلى الظاهرية ، واجتمعَ النَّاس لقراءة التقليد على العادة ، فشرع الشيخ علم الدين البِرْزالي في قراءته ، فلما وصل إلى الاسم تبين له أنه ليس له ، وأنه للأذرعي ، فبطل القارئ ، وقام الناس مع البريدي إلى الأذرعي ، وحصلت كسرةٌ وخمدةٌ على الحريريّ والحاضرين .

ووصل مع البريدي أيضاً كتاب فيه طلب الشيخ كمال الدين بن الزمْلَكاني إلى القاهرة[٥] ، فتوهَّم من ذلك ، وخاف أصحابه عليه بسبب انتسابه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فتلطّف به نائبُ السّلطنة ، وداري عنه حتى أُعفي من الحضور إلى مصر ، ولله الحمد .

وفي يوم الخميس تاسع جمادى الأولى دخل الشيخ براق[٦] إلى دمشق وبصحبته مئة فقير كلّهم محلِّقي ذقونهم ، موفري شواربهم ، عكس ما وردت به السنَّة ، وعلى رؤوسهم قرون لبابيد . ومعهم أجراس وكعاب وجواكينُ خشبٍ ، فنزلوا بالمُنَيْبع وحضروا الجمعة برواق الحنابلة ، ثم توجهوا نحو القدس فزاروا ، ثم استأذنوا في الدخول إلى الديار المصرية فلم يؤذن لهم ، فعادوا إلى دمشقَ ، فصاموا بها رمضان ثمَّ انشمروا راجعين إلى بلاد الشرق ، إذ لم يجدوا بدمشق قَبُولاً ، وقد كان شيخهم براق رومياً من بعض قرى دوقات من أبناء الأربعين ، وقد كانت له منزلة عند قازان ومكانة ، وذلك أنه سلَّط عليه نَمِراً فزجره فهرب منه وتركه ، فحظيَ عنده وأعطاه في يوم واحد ثلاثين ألفاً ففرّقها كلَّها فأحبه ، ومن طريقة أصحابه أنهم لا يقطعون لهم صلاةً ، ومن ترك صلاةً ضربوه أربعين جَلْدة ، وكان يزعم أن طريقه الذي سلكه إنما سلكه ليخرِّب على نفسه ، ويرى أنه زي المسخرة ، وأن هذا هو الذي يليق بالدنيا ، والمقصود إنما هو الباطن والقلب وعمارة ذلك ، ونحن إنّما نحكُم بالظَّاهر ، والله أعلم بالسرائر .

---

(١) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .
(٢) في ط : تاج الدين بن صالح بن تامر بن خان الجعبري ، وستأتي ترجمته في وفيات هذه السنة .
(٣) هو : محمد بن إبراهيم . وسيأتي في وفيات سنة (٧١٢هـ) .
(٤) في ط : البريد .
(٥) في ب : إلى الديار المصرية . وكثيراً ما سيرد هذا الفرق بين القاهرة ، ومصر ، والديار المصرية ، لذلك تجاوزته .
(٦) في ط : ابن .
وهو : براق القِرمي من قرية من قرى الدوقات ، أبوه صاحب إمرة ، عمُّه من الكتاب ، تمرَّد هو وصحب الفقراء ، قتل مسلوقاً في دست سنة (٧٠٧هـ) . ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٧٤) والدارس (٢/ ٢٥٠) .

وفي يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة حضر تدريس[١] النَّجيبية[٢] بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن عبد العزيز العجمي الحلبي ، عوضاً عن الشيخ ضياء الدين الطوسي ، توفي وحضر عنده ابن صَصْرَى وجماعةٌ من الفضلاء .

وفي هذه السنة صُلِّيت صلاة الرَّغائب[٣] في النصف[٤] بجامع دمشق بعد أن كانت قد أبطلها ابن تيمية منذ أربع سنين ، ولما كانت ليلةُ النصف حضر الحاجب ركن الدين بِيْبَرْسُ العلائي ، ومَنع الناس من الوصول إلى الجامع ليلتئذ ، وغلّقت أبوابه فبات كثير من الناس في الطرقات وحَصَل للنّاس أذىً كثير ، وإنما أراد صيانة الجامع من اللّغو والرفث والتخليط .

وفي سابع عشر رمضان حكم القاضي تقي الدين الحنبلي بحقن دم محمد الباجَرْبَقي[٥] ، وأثبت عنده محضراً بعداوة مَا بينه وبين الشُّهود الستَّة الذين شهدوا عليه عند المالكي ، حين حكم بإراقة دمه ، وممَّن شهد بهذه العداوة ناصر الدين بن عبد السلام[٦] وزين الدّين بن الشريف عدنان[٧] ، وقطب الدين ابن شيخ السلامية[٨] وغيرهم .

وفيها باشر كمال الدين بن الزَّمْلكاني نظر ديوان ملك الأمراء[٩] عوضاً عن شهاب الدين الحنفي ، وذلك في آخر رمضان ، وخلع عليه بطَيْلسانَ وخلعةٍ ، وحضر بها دار العدل .

وفي ليلة عيد الفطر أَحْضَرَ الأميرُ سيف الدين سلّار نائب مصر القضاة الثلاثة وجماعة من الفقهاء فالقضاة الشافعي والمالكي والحنفي ، والفقهاء التاجي[١٠] والجزري[١١] والنمراوي[١٢] ، وتكلَّموا في إخراج الشيخ تقي الدين بن تيمية من الحبس ، فاشترط بعض الحاضرين عليه شروطاً بذلك ، [منها أنه

---

(١) في ط : مدرس .

(٢) يقال لها أيضاً : خانقاه القصر ، وهي مطلّة على الميدان ، أنشأها النجيبي جمال الدين آقوش . الدارس (٢/ ١٧١) وفي منادمة الأطلال (ص٢٨٦) يقول بدران رحمه الله : قلت : أراد بالميدان المرجة ، وكان ذلك القصر قصراً للملك الظاهر ، ولما عمرت التكية السليمانية خُرِّب وأقيمت مكانه ، ولم يبق أثر للنجيبية ولا للقصر .

(٣) سقطت من ط .

(٤) في النصف من شعبان ، وهي صلاة غير ثابتة في الشرع ، لذلك أبطلها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(٥) في ط الباجريقي بالياء .

(٦) ابن شرف الدين المالكي قاضي القضاة .

(٧) هو : الحسين بن محمد . سيأتي في وفيات سنة (٧٠٨هـ) .

(٨) هو : موسى بن أحمد بن الحسين ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٧هـ) .

(٩) هو الأفرم ، وهو لقب كان يطلق على نائب الشام .

(١٠) في ط : الباجي بالباء .

(١١) هو : ثابت بن عمر بن المشيّع المقصاتي سيأتي في وفيات (٧١٣هـ) .

(١٢) هو : عز الدين عبد الجليل ، سيأتي في وفيات سنة (٧١٠هـ) .

يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة][1] وأرسلوا إليه ليحضر ليتكلّموا معه في ذلك ، فامتنع من الحضور وصمَّم ، وتكرَّرت الرُّسلُ إليه ستَّ مراتٍ ، فصمم على عدم الحضور ، ولم يلتفت إليهم ، ولم يعدهم شيئاً ، فطال عليهم المجلس فتفرّقوا وانصرفوا غير مأجورين .

وفي يوم الأربعاء ثاني شوال أذن نائب السلطنة الأفرم للقاضي جلال الدين القزويني[2] أن يصلي بالناس ويخطب بجامع دمشق عوضاً عن الشيخ شمس الدين إمام الكلاسة ، توفي ، فصلّى الظهر يومئذ وخطب الجمعة ، واستمر بالإمامة والخطابة حتى وصل توقيعه بذلك من القاهرة .

وفي مستهل ذي القعدة حضر نائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان وشكرت خطبته .

وفي مستهل ذي القعدة كمل بناء الجامع[3] الذي ابتناه وعَمره الأمير جمال الدين نائب السلطنة الأفرم عند الرباط الناصري بالصالحية ، ورتب فيه خطيباً يخطب يوم الجمعة ، وهو القاضي شمس الدين محمد بن العز الحنفي[4] ، وحضر نائب السلطنة والقضاة وشكرت خطبة الخطيب به ، ومد الصاحب شهاب الدين الحنفي سماطاً بعد الصلاة بالجامع المذكور ، وهو الذي كان الساعي في عمارته ، والمستحث عليها ، فجاء في غاية الإتقان والحسن ، تقبل الله منهم .

وفي ثالث ذي القعدة استناب ابن صَصْرَى القاضي صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل الجعفري[5] خطيب داريا في الحكم عوضاً عن جلال الدين القزويني ، بسبب اشتغاله بالخطابة عن الحكم .

وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذي القعدة قدم قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن علي بن الشيخ صفي الدين الحنفي البُصْراوي[6] إلى دمشق من القاهرة متولياً قضاء الحنفية عوضاً عن الأذرعي ، مع ما بيده من تدريس النُّورية والمقدميّة[7] وخرج الناس لتلقيه وهنَّؤوه ، وحكم بالنُّورية ، وقُرئَ تقليدُه بالمقصورة الكِنْديَّة [في الزاوية الشرقية ، من جامع بني أمية][8] .

---

(١) ليست في ب .

(٢) هو : محمد بن عبد الرحمن بن عمر ، سيأتي في وفيات سنة (٧٣٩هـ) .

(٣) هو جامع الأفرم . الدارس (٢/ ٤٣٥) .

(٤) سيأتي في وفيات سنة (٧٢٢هـ) .

(٥) في ط : الجعبري . سيأتي في وفيات سنة (٧٢٥هـ) .

(٦) علي بن الشيخ صفي الدين الحنفي البصراوي توفي سنة (٧٢٧هـ) . ترجمته في الدرر الكامنة (٦/ ٧٨) والنجوم الزاهرة (٢٦٨) والدرر (٣/ ٩٦) وفيها : ابن أبي القاسم .

(٧) النُّورية الكبرى ، كان موضعها داراً لمعاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ بناها الملك نور الدين وفيه نظر ، إنما الذي أنشأها الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين .
والمقدميّة : داخل باب الفراديس . الدارس (١/ ٦٠٠ و ٦٢١) ومنادمة الأطلال (ص٢٠٦ و ٢١٢) .

(٨) ليست في ب .

وفي ذي الحجة ولي الأمير عز الدين بن صبرة على البلاد القبلية والي الولاة ، عوضاً عن الأمير جمال الدين آقوش الرُّستمي ، بحكم ولايته شد الدّواوين بدمشق ، وجاء كتاب من السلطان بولاية وكالته للرئيس عز الدين بن حمزة القلانسي[١] عوضاً عن ابن عمه شرف الدين ، فكره ذلك .

[وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة أخبر نائب السلطنة بوصول كتاب من الشيخ تقي الدين من الحبس الذي يقال له : الجُب ، فأرسل في طلبه فجيء به فقرئ على الناس فجعل يشكر الشيخ ويثني عليه وعلى علمه وديانته وشجاعته وزهده ، وقال : ما رأيت مثله ، وإذا هو كتاب مشتمل على ما هو عليه في السجن من التوجه إلى الله ، وأنه لم يقبل من أحد شيئاً لا من النفقات السلطانية ولا من الكسوة ولا من الإدارات ولا غيرها ، ولا تدنّس بشيء من ذلك][٢] .

[وفي هذا الشهر يوم الخميس السابع والعشرين منه طُلب أَخَوَا الشيخ تقي الدين : شرف الدين وزينُ الدّين من الحبس إلى مجلس نائب السلطان سلّار ، وحضر ابن مخلوف المالكي ، وطال بينهم كلام كثير فظهر شرفُ الدِّين بالحُجَّة على القاضي المالكي بالنقل والدليل والمعرفة ، و خطَّأه في مواضع ادعى فيها دعاوى باطلة ، وكان الكلام في مسألة العرش ، ومسألة الكلام ، وفي مسألة النزول][٣] .

[وفي يوم الجمعة أحضر شرف الدين أخو الشيخ تقي الدين وحده في مجلس نائب السلطنة سلّار وحضر ابن عدنان ، وتحكم معه الشيخ شرف الدين وناظره ، وبحث معه وظهر عليه][٤] .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر[٥] ذي الحجة وصل على البريد من مصر نجم[٦] الدين محمد بن الشيخ فخر الدين ابن أخي قاضي القضاة البصراوي[٧] وزوج ابنته على الحِسْبة بدمشقَ عوضاً عن جمال الدين يوسف العجمي ، وخلع عليه بطيلسانَ ، ولبس الخِلعة ودار بها في البلد في مستهلّ سنة سبع وسبعمئة .

وفي هذه السَّنة عُمر في حرم مكة بنحو مئة ألف .

وحج بالنَّاس من الشام الأمير ركن الدين بِيْبَرْس المجنون[٨] .

---

(١) سيأتي في وفيات سنة (٧٢٩هـ) .

(٢) في ب : ووصل كتاب من الشيخ تقي الدين بن تيمية وهو في الجبّ إلى نائب الشام الأفرم ، فقرأه على الناس ، وجعل يشكر من ديانته وعلمه وشجاعته ، ويثني عليه بما هو مشتمل عليه في السجن .

(٣) ليست في ب .

(٤) ليست في ط وب .

(٥) في ط : ثاني عشرين .

(٦) في ط : نصر الدين . انظر الدرر الكامنة (٤/ ٤٦) .

(٧) في ب : قاضي القضاة صدر الدين علي الحنفي البصراوي .

(٨) سيأتي في وفيات سنة (٧١٥هـ) .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

القاضي تاج الدين : صالح بن تامر[١] بن حامد بن علي الجَعْبري[٢] الشافعي[٣] ، نائب الحكم بدمشق ، ومُعِيْدُ[٤] النَّاصرية ، كان ثقة ديناً عدلاً مرضياً زاهداً ، حكم في سنة سبع وخمسين وستمئة ، له فضائل وعلوم ، وكان حسَن الشَّكل والهيئة ، توفي في ربيع الأول عن ست وسبعين سنة ، ودفن بالسَّفح وناب في الحكم بعده نجم الدِّين الدمشقي[٥] .

الشيخ ضياء الدين الطُّوسيّ : أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن علي الشافعي[٦] مدرس النَّجيبية . شارح (الحاوي)[٧] و (مختصر ابن الحاجب)[٨] كان شيخاً فاضلاً بارعاً ، وأعاد في الناصرية أيضاً ، توفي يوم الأربعاء بعد مرجعه من الحمام تاسع عِشْري[٩] جمادى الأولى ، وصُلِّي عليه يوم الخميس ظاهر باب النصر ، وحضر نائب السَّلطنة وجماعةٌ من الأمراء والأعيان ، ودفن بالصُّوفية ، ودرَّس بعده بالمدرسة بهاء الدِّين بن العَجَميّ[١٠] .

الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمَّد بن سعد الطِّيْبيّ[١١] : المعروف بابن السواملي[١٢] ، والسوامِل الطَّاسات . كان معظَّماً ببلاد الشرق جداً ، كان تاجراً كبيراً توفي في هذا الشهر المذكور .

الشيخ الجليل سيف الدين الرجيحي[١٣] : سيف[١٤] بن سابق بن هلال بن يونس شيخ اليُونسيَّة بمقامهم ، صلّي عليه سادسَ رجبٍ بالجامع ، ثم أعيد إلى داره التي سكنها داخل باب تـوما ، وتعرف بدار أمين الدولة فدفن بها ، وحضر جنازته خلقٌ كثير من الأعيان والقضاة والأمراء ، وكانت له حرمة

---

(١) في ط : أحمد .
(٢) في ط : الجعدي .
(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٢٠٠) والدليل الشافي (١/ ٣٥٠) وفيه : أبو الفضل ، والدارس (١/ ٤٦٦) .
(٤) في ط : مفيد بالفاء .
(٥) هو : أحمد بن عبد المحسن بن حسن بن معالي . وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .
(٦) ترجمته في النجوم (٨/ ٢٢٥) وطبقات الشافعية للسبكي (٦/ ١٢٥) والدليل الشافي (١/ ٤١٨) وشذرات الذهب (٦/ ١٤) والدارس (١/ ٤٧٠) .
(٧) لأبي الحسن الماوردي . توفي سنة (٤٥٠هـ) .
(٨) هو مختصر لكتاب منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل لجمال الدين بن الحاجب المتوفى سنة (٦٤٦هـ).
(٩) في ط : تاسع عشر .
(١٠) هو : يوسف بن أحمد بن عبد العزيز ، سبط الكمال بن العديم ، سيأتي في وفيات سنة (٧١٦هـ) .
(١١) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٥٩ ـ ٦٠) وشذرات الذهب (٦/ ١٣) .
(١٢) في ط : السوابلي بالباء . والسَّوامل : ج سَوْمَلة وهي الفِنْجانةُ الصغيرة . التاج (سمل) .
(١٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ١٨٢) والدليل الشافي (١/ ٣٣٨) والدارس (٢/ ٢١٦) .
(١٤) زيادة من المصادر السابقة .

كبيرة عند الدولة وعند طائفته ، وكان ضخم الهامة جداً محلوقَ الشَّعر ، وخلَّف أموالاً وأولاداً .

الأمير فارس الدين الروادي[١] : توفي في العشر الأخير من رمضان ، وكان قد رأى النبي ﷺ قبل وفاته بأيام وهو يقول له : أنت مغفور لك . أو نحو هذا ، وهو من أمراءِ حسام الدِّين لاجين .

الشيخ القدوة العابد أبو عبد الله بن مطرف : توفي بمكة في شهر رمضان وقد كان مجاوراً بمكة ستين سنة وكان يطوف كل يوم وليلة خمسين أسبوعاً . وتوفي عن تسعين سنة رحمه الله[٢] .

الشيخ العابد خطيب دمشق شمس الدين[٣] : محمد بن الشيخ أحمد بن عثمان الخلاطي إمام الكلَّاسة[٤] ، كان شيخا حسناً بهيَّ المنظر كثير العبادة ، عليه سكونٌ ووقار ، باشر إمامة الكلاسة قريباً من أربعين سنة ، ثم طلب إلى أن يكون خطيباً بدمشق بالجامع من غير سؤال منه ولا طلب ، فباشرها ستة أشهر ونصف أحسن مباشرة ، وكان حسنَ الصوت طيّب النغمة عارفاً بصناعة الموسيقا ، مع ديانة وعبادة ، وقد سمع الحديث .

توفي فجأة بدار الخطابة يوم الأربعاء ثامن شوال عن ثنتين وستين سنة ، وصُلّي عليه بالجامع وقد امتلأ بالناس ، ثم صلّي عليه بسوق الخيل ، وحضر نائب السَّلطنة والأمراء والعامة ، وقد غلقت الأسواق ثم حمل إلى سفح قاسيون رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وسبعمئة

[استهلت وخليفة الوقت المستكفي بالله بن الحاكم العباسي ، وسُلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ونوابه وقضاته بالديار المصرية والبلاد الشامية هم المذكورون ، ولكن خطيب الشام جلال الدين القزويني][٥] ، والشيخ تقي الدين بن تيمية معتقل في الحَبْس من[٦] قلعة الجبل بمصر ، وفي أوائل المحرم أظهر السلطان الملك الناصر الغضب على الأمير سلَّار[٧] والجاشَنْكير[٨] وامتنع من العلامة ، وأغلق القلعة ، وتحصَّن فيها ، ولزم الأميران بيوتَهما ، واجتمع عليهما جماعةٌ من الأمراء وحُوصرت

---

(١) لم أقع له على ترجمة فيما بين يديَّ من الكتب .

(٢) ليس في ط . وترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٠) وفيها الأندلسي وفاته في جمادى الأولى ، والشذرات (٦/ ١٦) وفيها وفاته في رمضان .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٣٧٥) والشذرات (٦/ ١٤) وذكر في الدارس (١/ ٤٤٨) أنه استلمها بعد وفاة أبيه .

(٤) لصيقة الجامع الأموي من شمال ، ولها باب إليه ، عمَّرها نور الدين الشهيد . الدارس (١/ ٤٤٧) .

(٥) في ب .

(٦) ليس في ط .

(٧) في ط : ابن سلّار .

(٨) يريد : بيبرس .

القلعةُ وجرت خبطة عظيمة ، وغلِّقت الأسواق ، ثم راسلوا السلطان فتوطَّدت الأمور وسكنت الشرور [على دَخَنٍ ، وتنافرِ قلوبٍ][١] . وقوي الأميران أكثر ممّا كانا قبل ذلك وركب السلطان ووقع الصُّلح على دخن .

وفي المحرم وقعت الحرب بين التتر وبين أهل كيلان[٢] ، وذلك أن ملك التّتر طلب منهم أن يجعلوا ببلادهم طريقاً لعساكره[٣] فامتنعوا من ذلك ، فأرسل ملك التتر خَرْبَنْدا جيشاً كثيفاً ستين ألفاً من المقاتلة ، أربعين ألفاً مع قَطْلُوشَاه وعشرين ألفاً مع جُوْبان ، فأمهلهم أهل كيلان حتى توسَّطوا بلادهم ، ثم أرسلوا عليهم خليجاً من البحر ، ورَمَوْهم بالنِّفط فغرق كثير منهم واحترق آخرون ، وقَتَلوا بأيديهم طائفة كثيرة ، فلم يُفلت منهم إلا القليل[٤] ، وكان فيمن قتل أمير التتر الكبير قَطْلُوشَاه ، [فاشتدَّ غضب خَرْبَنْدا على أهل كيلان ، ولكنه فرح بقتل قُطْلُوشاه][٥] فإنه كان يريد قتله فكُفي أمره عنهم ، ثم قتل بعده بولاي ، ثم إن ملك التتر أرسل الشيخ بُراق الذي قدم الشام فيما تقدَّم إلى أهل كيلان يبلِّغهم عنه رسالةً ، فقتلوه وأراحوا النَّاس منه[٦] . [وبلادهم من أحصن البلاد وأطيبها لا تُستطاع ، وهم أهل سُنَّة وأكثرهم حنابلة لا يستطيع مبتدع أن يسكن بين أظهرهم][٧] .

وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر اجتمع قاضي القضاة بدرُ الدين بن جماعة[٨] بالشيخ تقي الدين ابن تيمية في دار الأوحدي من قلعة الجبل ، وطال بينهما الكلام ثم تفرَّقا قبل الصلاة ، والشيخ تقي الدين مصمِّمٌ على عدم الخروج من السِّجن ، فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين مُهَنَّا بن عيسى[٩] ملك العرب إلى السجن بنفسه وأقسم على الشيخ تقي الدين ليخرجنَّ إليه ، فلما خرج أقسم عليه ليأتينَّ معه إلى دار سلَّار ، فاجتمع به بعض الفقهاء بدار سلَّار وجرت بينهم بحوث كثيرة ، ثم فرَّقت بينهم الصَّلاةُ ، ثم اجتمعوا إلى المغرب ، وبات الشيخ تقي الدين عند سلَّار ، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان جميعَ النَّهار ، ولم يحضر أحد من القضاة ، بل اجتمع من الفقهاء

---

(١) ليس في ب . و (على دَخَنٍ) : أي سكون لغلَبَةٍ لا لصلح . القاموس (دخن) .

(٢) « أهل كيلان » : هم قرى متفرقة في مروج بين جبال وراء بلاد طبرستان والعجم ، يقولون عنها : كيلان بالكاف ، وذكرها ياقوت بالجيم (جِيْلان) . ياقوت والدارس (٢/ ٢٤٦) .

(٣) في ط : في بلادهم طريقاً إلى عسكره .

(٤) الدرر الكامنة (٣/ ٢٥٤) .

(٥) ليست في ب .

(٦) ذكر صاحب الدرر (٢/ ٥) : أنه أرسله غازان صحبة قليجا إلى جبال كيلان ليحاربهم ، فأسروا الشيخ ، وقالوا له : أنت شيخ الفقراء ، كيف تجيء صحبة أعداء الدين لقتال المسلمين ، وسلقوه في دست ، وذلك في سنة (٧٠٧هـ) . انتهى .

(٧) ليست في ب .

(٨) هو : محمد بن إبراهيم . سيأتي في وفيات سنة (٧٣٣هـ) .

(٩) سيأتي في وفيات سنة (٧٣٥هـ) .

خلقٌ كثيرٌ ، أكثر من كل يوم ، منهم الفقيه نجم الدين بن الرِّفعة[١] وعلاء الدين التاجي ، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد ، وعز الدين النَّمْراوي ، وشمس الدين بن عَدْنان وجماعةٌ من الفقهاء ، وطلبوا القضاةَ فاعتذروا بأعذار ، بعضهم بالمرض ، وبعضهم بغيره ، لمعرفتهم بما ابن تيمية منطوٍ عليه من العُلُوم والأدلَّة ، وأن أحداً من الحاضرين لا يُطيقه ، فقبل عذرَهم نائب السلطنة ولم يكلِّفهم الحضور بعد أن رسم السلطان بحضورهم أو بفَصْل المجلس على خيرٍ ، وبات الشيخُ عند نائب السَّلطنة ، وجاء الأمير حسام الدين مُهَنَّا يريد أن يستصحب الشيخ تقي الدين معه إلى دمشق ، فأشار سلَّار بإقامة الشيخ[٢] بمصرَ عنده ليرى النَّاسُ فضلَه وعلْمَه ، وينتفع الناس به ويشتغلوا عليه .

وكتب الشَّيخ كتاباً إلى الشام يتضمَّنُ ما وقع له من الأمور[٣] .

---

(١) في ط : نجم الدين بن الرفع . وهو أحمد بن محمد بن علي بن الرِّفعة . وسيأتي في وفيات سنة (٧١٠هـ) .

(٢) في ب : مدَّةً بمصر .

(٣) في (أ) زيادة يبدو جلياً أنها ليست من كتابة المصنف رحمه الله ، ولكن أوردناها هنا لاعتمادنا على هذه النسخة الخطية في عملنا أولًا ، ولفائدتها ثانياً .

قال ابن عبد الهادي : وكان مدَّة مقامه في الجبّ ثمانية عشر شهراً ، فلما خرج خرجَ خلق كثير بخروجه ، وسرّوا سروراً عظيماً ، وحزن لخروجه آخرون ، وضاقت صدورهم ، وامتدحه الشيخ الإمام نجم الدّين سليمان بن عبد القوي بقصيدة منها :

فاصبر ففي الغيب ما يُغنيك عن حيل ... وكلُّ صعب إذا صابرتَه هانا
ولست تعدم من خطب رميت به ... إحدى اثنتين فأيقن ذاك إيقانا
تمحيصِ ذنبٍ لتَلْقى الله خالصَه ... أو امتحانٍ به تزداد قربانا
يا سعد إنا لنرجو أن يكون لنا ... سعداً ومرعاك للأعداء سعدانا
وأن يضرّ بك الرحمن طائفة ... آذت وينفع [من] بالودِّ والانا
يا آل تيمية العالين مرتبةً ... ومَنْصباً قرَع الأفلاك تبيانا
جواهر الكون أنتم ، غير أنّكمُ ... في معشر أُشربوا في العقل نقصانا
لا يعرفون لكم فضلاً ولو عقلوا ... لصيَّروا لكم الأجفان أوطانا
يا من حوى من علوم الخلق ما قصرت ... عنه الأوائل مذ كانوا إلى الآنا
إن تُبتلىٰ بلئام الناس يرفعهم ... عليك جهل لأهل الفضل قد حانا
أو جاه ظالم ، او قاض قد افتتنوا ... بحب دنياهمُ يبدون بهتانا
لا يدّعون أقلّ الله خيرهمُ ... ولا يخافون يوم العرض نيرانا
إني لأُقسم والإسلام معتقدي ... وإنني من ذوي الإيمان إيمانا
لم ألق قبلك إنساناً أُسرُّ به ... فلا برحت لعين المجد إنسانا

في أبيات كثيرة ، يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه .

وقال ابن عبد الهادي وغيره : وفي يوم الجمعة صلّى الشيخ تقي الدّين في جامع الحاكم ، وجلس فاجتمع عليه خلق عظيم ، فسأله بعض الحاضرين أن يتكلّم بشيء يسمعونه منه ، فلم يتكلم بل تبسَّم ، فقال له رجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] فنهض قائماً ، وابتدأ خطبة =

. . . .

= الحاجة ، ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ فاتحة الكتاب ، ثم تكلّم على تفسير قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] . فتكلّم عن معنى العبادة والاستعانة إلى أن أذّن مؤذن العصر ، بكلام يُسبي العقول وإنما قام قائماً لأن الجمع كان كثيراً ، فانصرف الخلق عن ذلك المجلس ، وقد امتلأت قلوبهم إيماناً ويقيناً ، وكل أحد يقول : لم نسمع بمثل هذا الكلام ، وامتلأت القلوب له محبة ، ومصرُ له ذِكراً .

وفي يوم الخميس السادس من شهر ربيع الآخر منها عقد مجلس آخر بالمدرسة الصالحية بالقاهرة واجتمع فيه القضاة وغيرهم ، وكان مما جرى في هذا المجلس أنه قيل له : تستغفر الله العظيم وتتوب إليه . فقال الشيخ : كلنا نستغفر الله ونتوب إليه ، ثم التفت الشيخ إلى رجل منهم ، فقال له : استغفر الله العظيم وتب إليه ، فقال الرجل : أستغفر الله العظيم وأتوب إليه ، وكذلك قال لآخر ولآخر ، وكلهم يقول كذلك ، فقيل له : تب إليَّ من كذا وكذا ، وذكر له كلاماً ، فقال له : إن كنت قلت كلاماً يستوجب التوبة فأنا تائب منه . فقال له قائل منهم : هذه ليست توبة ، وكان من أعيانهم ، فردّ عليه الشيخ وجهله ، ووقع كلام يطول ذكره .

قال : ووصل كتاب من الشيخ مؤرخ بليلة الجمعة رابع عشر من الشهر المذكور ، ويذكر له أنه عقد له مجلس بالصالحية ثالث ، بعد خروج مُهَنّا في يوم الخميس ، وأنه حصل فيه خير كثير ، وأنّ في إقامته بمصرَ مصالح وفوائد للناس ، وكتب كتاباً إلى والدته يقول فيه : من أحمد بن تيمية إلى الوالدة ، أَقَرَّ الله عينها بنِعمِه ، وأسبغ عليها جزيل كرمه ، وجعلها من خيار إمائه وخدمه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو ، وهو للحمد أهل وعلى كل شيء قدير ، وأسأله أن يُصلّي على خاتم النبيين ، وإمام المتقين ، محمد عبده ورسوله ، ويسلّم تسليماً كثيراً .

كتابي إليكم عن نعم عظيمة ، ومِنَنٍ كريمة ، وآلاء جسيمة ، نشكر الله عليها ، ونسأله المزيد من فضله ، ونعم الله كلما شكرت في نمو وازدياد ، وأياديه جلّت عن التعداد ، وتعلمون أن مقامنا في هذه البلاد إنما هو لأمور ضرورية ، متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا .

لسنا والله مختارين البعد عنكم ، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم ، ولكن الغائب عذره معه ، متى قدم ابتدأه أو كتمه ، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور ، فإنكم ولله الحمد لا تختارون إلا ذلك ، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهراً واحداً ، بل كل يوم أستخير الله تعالى في السفر إليكم ، واستخيروا الله لنا ولكم وادعوا لنا بالخيرة ، فنسأل الله العظيم أن يقدِّر لنا ولكم وللمسلمين ما فيه الخير ، في خير وعافية ، وحسن عاقبة ، ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والهداية والبركة ما لم يكن يخطر بالبال ، ونحن في كل وقت في ازدياد من الخير ، وفي الاهتمام بالسفر مستخيرون الله ، فلا يظنُّ الظَّانُّ أنا نؤثر على قربكم شيئاً من أمور الدنيا ، بل ولا نؤثر من أمور الدين ما يكون قربكم أرجحَ منه ، ولكن ثمَّ أمور كبار نخاف الضرر العام من إهمالها ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، والمطلوب كثرة الدعاء بالخيرة ، فإن الله سبحانه يعلم ولا نعلم ، ويقدر ولا نقدر ، وهو علّام الغيوب .

وقد قال النبي ﷺ : « من سعادة ابن آدم استخارته لله ، ورضاه بما يقسم الله ، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارته لله ، وسخطُه بما يقسم الله له » .

والتاجر يكون مسافراً فيخاف ضياع بعض ماله ، فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيَهُ ، وما نحن فيه أمر يجلُّ عن الوصف ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله [العلي] العظيم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته كثيراً ، وعلى سائر من في البيت من الكبار والصغار ، وسائر الجيران والأهل والأصحاب واحداً واحداً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً .

وكتب إلى أخيه لأمه : =

. . . .

= من أحمد بن تيمية إلى الأخ الشيخ العالم بدر الدين تولّاه الله في جميع الأمور ، وصرف عنه كل محذور ، وأصّل له أمر الدنيا وأمر الآخرة ، وأسبغ عليه نعمه باطنة وظاهرة . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإنّا نحمَدُ إليكم الله ، ثم قال :

أما بعد : فقد وصل كتابكم المبشّر بوصول الكتاب إليكم ، فحمدنا الله على ما أنعم به عليكم من وصول أخبار السرور إليكم ، ومن حين خرجنا لم نزل في آلاء مترادفة ، ونِعَم متزايدة ، ومنن جازت حدَّ الأماني ، بحيث يقصر الخطاب والكتاب عن تفصيل معشارها ، ونِعَمٍ في زيادة ، والله هو المسؤول أن يوزعَنا وسائرَ إخواننا المؤمنين شكرها ، ويزيدنا من فضله ، وفي مقامنا بمصر من حصول الخير والفوائد لأهل هذه البلاد وتلك ، ولكم ولسائر المسلمين ما أوجب التأخر عن التعجيل إليكم ، فستعلمون أن ذلك من تمام نعم الله سبحانه ، فإنّ في ذلك من الخير ما لم يمكن وصفه .

وقد كان عقد مجلس بالمدرسة المنصورية يوم الخميس ، وكان يوماً مشهوداً ، كان من رحمة الله ولطفه ومنّته ، وانتشار الدعاء المستجاب ، والثناء المستطاب ، واجتماع القلوب على ماتحبونه ، وتختارونه ، فوق ما كان بالشام وأعظم منه ، بحيث صار عند أهل مصر من البشرى والسرور ، ورجوع جماعة كثيرة من الفقهاء وغيرهم إلى الحق . وعرفوا من نعم الله علينا ما لا يُحَدُّ ولا يوصف ، وظهر الحق للعامة والخاصة ، ووصل الجماعة القادمون عقيب بيان ذلك يوم الجمعة ، فجمع الله الشمل على أحسن حال ، فالحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات ، والحمد لله الذي جمع قلوب المؤمنين ، فأكثروا الشكر لله ، والثناء عليه . وعليكم بما يجمع قلوب المؤمنين ، ويُؤلف بين قلوبهم وإياكم والبطر والتفريق بين المؤمنين ، فالأصل الذي يبنى عليه الاعتصام بالسنة والجماعة هو اجتماع قلوب المؤمنين بحيث لا يوجد التفريق بينهم والاختلاف بحسب الإمكان ، فإن الذي صنعه الله ويصنعه في هذه القضية أمر جازَ حدَّ الأوْهام ، وفات قويَّ العقول ، وهو من حكم الله تعالى ، والحمد لله ربّ العالمين ، حمداً كثيراً طيباً ، مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربُّنا ويرضى ، ثم ذكر السلام على الإخوان ، والأخوات والأصحاب .

ومنها كتاب كتب فيه بعد حمد الله والصلاة على نبيه ﷺ أما بعد :

فإن الله ـ وله الحمد ـ قد أنعم عليَّ من نعمه العظيمة ، ومننه الجسيمة وآلائه الكريمة وعن المحذور على المقدور ، والعبد مأمور بالصبر في السراء أعظم من الصبر في الضرّاء .

قال تعالى :

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود : ٩ ـ ١١] .

وتعلمون أن الله سبحانه في هذه القضية منَّ المنن التي فيها من أسباب نصر دينه ، وعلو كلمته ونصر جنده وعزّة أوليائه وقوة أهل السنّة والجماعة ، وذل أهل البدعة والفُرقة وتقرير ما قررناه عندكم من السنَّة وزيادات على ذلك بانفتاح أبواب الهدىٰ والنصر ، والدلائل وظهور الحق لأمم لا يُحصَوْن ، وإقبال الخلائق إلى سبيل السنّة والجماعة ، وغير ذلك ، مع سدِّ أبوابٍ من الضلال ، وبدع ، وطموس سبيل الشيطان ، وغير ذلك من المنن ما لا بدَّ معه من عظيم الشكر .

وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين تأليف القلوب واجتماعها وصلاح ذات البين .

قال الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال : ١] .

ويقول : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ويقول : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

. . . .

= وأمثال هذا من النصوص التي يأمر الله فيها بالجماعة والائتلاف ، وينهىٰ عن التفرق والاختلاف ، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة ، كما أنّ الخارجين عنهم هم أهل الفرقة والاختلاف ، وجماع ذلك طاعة الله ورسوله .

وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ، وأن تُناصِحُوا من ولّاه الله أموركم » .

وفي « السُّنن » من حديث زيد بن ثابت وابن مسعود ـ فقيهي الصحابة ـ عن النبي ﷺ قال :

« نَضَّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلَّغه إلى من لم يسمعه ، فربَّ حامل فقهٍ غيرُ فقيه ، وربَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه ، ثلاثٌ لا يغلُّ عليهن قلبُ مسلم : إخلاصُ العمل لله ، ومناصحةُ ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم » .

قوله : لا يغل : أي لا يحقد عليهن ، فلا يبغض هذه الخصال قلب مسلم أَلبَتَّةَ ، بل يحبُّهنّ ويرضاهنّ .

وأوّلُ ما يبدأ به من هذا الفضل وما يتعلق بي .

فتعلمون رضي الله عنكم أني لا أحبُّ أن يؤذى أحدٌ من عموم المسلمين بسببي ، فضلاً عن أصحابي ، لا باطناً ولا ظاهراً ، ولا عندي عتب على أحد منهم ولا لوم أصلاً . بل هم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف أضعاف ما كلٌّ يحسبه . ولا يخلو الرجل من أن يكون مجتهداً مصيباً أو مجتهداً مخطئاً أو مذنباً . فالأول مأجور مشكور ، والثاني مأجور على اجتهاده معفوٌّ عن خطئه ، والثالث : المذنب ، فالله يغفر لنا وله ، فيطوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل . كقول القائل : فلان قصّر ، فلان ما عمل جيداً ، فلان أوذي الشيخ بسببه ، فلان كان بسبب هذه ، فلان كان يتكلم في كذا ، ونحو ذلك فيما فيه مذمّة لبعض الأصحاب . فإني لا أسامح من آذاهم في مثل هذا الباب ، بل مثل هذا نعود على قائله بالملام ، إلّا أن تكون له نيّةٌ حسنة ، فيكون ممن يغفر الله له إن شاء الله . وقد عفا الله عما سلف .

وتعلمون أيضاً أنَّ ما كان يجري مني من نوع تغليظ وتخشين لبعض الأصحاب بدمشق وما جرى الآن بمصر ، ومما هو جار ، فليس ذلك بغضاضة ولا نقص من حقّ صاحبه ، ولا حصل بسبب ذلك تغيُّر منا عليه ، بل هو بعد ما عومل به من التغليظ والتخشين أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، وأحبُّ وأعظم عندنا ، وإنما هذه الأمور هي من مصالح المؤمنين التي يصلح الله بها بعضهم ببعض ، فإن المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وقد لا ينقطع الوسخ إلّا بنوع من الخشونة ، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما يحمد معه ذلك التخشين .

وتعلمون أنا جميع متعاونون على البر والتقوى ، واجب علينا نصر بعضنا بعضاً ، أعظم ما كان وأشدّ ، فمن رام أن يؤذيَ بعض الأصحاب لما قد يظنّه من نوع تخشين عومل به بدمشق أو بمصر الساعةَ أو غير ذلك فهو الغالط ، وكذلك من ظن أن المؤمنين يتخلَّون عما أُمروا به من التعارف والتناصر ، فقد ظن ظنَّ سوء ، وإن الظنَّ لا يغني من الحق شيئاً .

وما غاب أحد عنّا من الجماعة أو قدم إلينا الساعة أو قبل ذلك إلّا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت وأجلُّ وأرفع وتعلمون ـ رضي الله عنكم ـ أن ما دون هذه القضية من الحوادث يقع من اجتهاد الآراء ، واختلاف الأهواء ، وتنوع أحوال أهل الإيمان وما لا بد منه من نزغات الشيطان ، ما لا يُتصوّر أن يعرى عنه نوع الإنسان ، ولا سيما وقد وصف الله الإنسان بالظلم والجهل فقال :

﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢ ـ ٧٣] بل أنا أقول تنبيهاً بالأدنى على الأعلى وبالأقصى على الأدنى :

. . . .

= تعلمون كثرة ما وقع في هذه القضية من الأكاذيب المفتراة ، والأغاليط المظنونة ، والأهواء الفاسدة ، وإن ذلك أمرٌ يجلُّ عن الوصف ، وكل ما قيل من كذب وزور فهو في حقنا خير ونعمة . قال تعالى :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النور : ١١] .
وقد أظهر الله بسبب هذه القضية من نور الحق وبرهانه ، ما ردَّ به إفك الكاذب وبهتانه ، وأنا لا أحب أن يُقتصَّ لي من أحد بسبب كذبه عليّ ، أو ظلمه لي وعدوانه ، فإني قد حاللت كل مسلم ، وأنا أحبُّ الخير لكل مؤمن ، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبّه لنفسي ، والذين كذبوا وظلموا فهم في حلٍّ من جهتي ، وأما ما يتعلق بحقوق الله ورسوله ، فإن تابوا تاب الله عليهم ، وإلّا فحكم الله نافذ فيهم ، ولو كان الرجل مشكوراً على سوء عمله لكنت أشكر كلَّ من كان سبباً في هذه القضية لِمَا ترتّب لنا عليها وعلى يديه من خير الدنيا والآخرة ، لكنّ الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه وأياديه ، الذي لا يقضي للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له ، وأهل القصد الصالح يشكرون على قصدهم ، وأهل العمل الصالح يشكرون على عملهم ، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم .
وأنتم تعلمون هذا من خلقي ، والأمر أزيد مما كان ، لكن حقوق الناس بعضهم مع بعض ، وحقوق الله عليهم هم فيها تحت حكم الله .
وأنتم تعلمون أن الصدِّيق الأكبر في قضية الإفك أنه حلف لا يصل مِسْطَح بن أُثَاثة ، لأنه كان من الخائضين في الإفك فأنزل الله تعالى :
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] .
فلما نزلت قال أبو بكر : بلى والله أحبُّ أن يغفر الله لي ، ثم رجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه .
واعلموا أن الله سبحانه وتعالى مع ما ذكر من الصّفح والإحسان والعفو وأمثال ذلك وأضعافه ، فالجهاد لا بدَّ منه ، وهو الجهاد على ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة أمر لا بد منه . ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآيات [المائدة : ٥٤ ـ ٥٥] .
والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
ونزل الشيخ في دار الأوحدي ، وقيل : في دار ابن سنقر ، وأكبَّ الناس على الاجتماع والقراءة عليه في جميع العلوم ليلاً ونهاراً ، فكان يعلّم الناس ويفتيهم ، ويذكُر اللهَ ويدعو إليه ، ويتكلّم في الجوامع بمصر على المنابر بتفسير القرآن ، ويوم الجمعة من بعد الصّلاة إلى أذان العصر إلى أن ضاق منه صدور خلق من أعدائه ، وانحصروا منه ، وضاقت عليهم الأرض بما رحُبت .
وفي العشر الأول من شوّال اجتمع خمسمئة من الصُّوفية وفيهم شيخ شيوخهم كريم الآملي وابن المنبجي واتفقوا على الشكوى على الشيخ تقي الدين إلى السلطان ، فطلع منهم خلق إلى القلعة فكانت لهم ضجّة شديدة ، فقال السلطان : ما لهؤلاء ؟!
فقيل له : يشكون على ابن تيمية ، فقال : وما يشكون منه؟
فقالوا : إنهم يزعمون أنّه يسبُّ مشايخهم ، ويضع من قدرهم عند الناس .
واستغاثوا ، وجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم ، ودخلوا على الأمراء ، ولم يبقوا ممكناً .
فقال بعض أصحابه له : إنّ الناس قد جمعوا لك جمعاً كثيراً ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكان قد تكلم في ابن عربي وبيَّن طريقه ، وطريق أتباعه من أهل الحلول والاتحاد .

قال البِرْزالي : وفي شَوَّال منها شكى الصُّوفية بالقاهرة على الشّيخ تقي الدين وكلامه في ابن عربي وغيره إلى الدولة ، فردُّوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي ، فعُقد له مجلس وادّعى عليه ابن عطاء[١] بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء ، لكنه قال : لا يُسْتَغَاثُ إلا بالله ، لا يستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبارة ، ولكن يُتَوسَّل به ويُشَفَّع به إلى الله ، فبعض الحاضرين قال ليس عليه في هذا شيء ، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلَّة أدب ، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة ، فقال القاضي : قد قلت له ما يقال لمثله .

ثم إنّ الدولةَ خيّروه بين أشياء : إمّا أن يسير إلى دمشق أو الإسكندرية بشروطه[٢] أو الحبس ، فاختار الحبس ، فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزماً ما شَرَطَ ، فأجاب أصحابَه إلى ما اختاروا جبراً لخواطرهم .

فركب خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال ، ثم أرسلوا خلفه من الغد بريداً آخر ، فرَدُّوه ، وحضر

= فأمر أن يعقد مجلس بدار العدل ، فعقد له مجلس كان يحبُّه ويتمنّاه ، واجتمع فيه القضاة والفقهاء ، فظهر من هذا المجلس من علم الشيخ ، وشجاعته ، وقوة قلبه ، وصدق توكله ، وبيان حجته ما يتجاوز وصف الواصفين مع أنه وحده ، وكلهم عليه ، وكان وقتاً مشهوداً ، وقد قال له كثير من الفقهاء المخالفين له : من أين لك هذا العلم .
فقال لهم الشيخ : من أين لا تعلمونه .
وذكر جماعة ممّن حضر هذا المجلس أن الناس لمّا تفرقوا منه ، قام الشيخ ومعه جماعة من أصحابه ، فجاء إلى موضع في دار العدل ، فاستلقى على ظهره ، وأخذ حجراً ، فوضعه تحت رأسه فاضطجع قليلاً . ثم جلس قليلاً ، فقال له إنسان من الحاضرين : يا سيدي قد أكثر الناس عليك!
فقال : إن هم إلّا كالذباب ، ورفع كفه إلى فيه ونفخ ، وقام وقمنا معه حتى خرجنا من دار العدل ، فأُتي بحصان فركبه ، وتحنّك بذؤابته ، فلم أر أحداً أقوى قلباً منه ، ولا أشجع ، ولا أشد بأساً .
ولما أكثروا الشكاية فيه ، والحطّ عليه ، رسم بتسفيره إلى الشّام . فخرج للسفر ليلة الخميس ثامن عشر الشهر ، ثم ردَّ في يوم الخميس المذكور ، وحُبس بسجن الحاكم في حارة الدَّيلم ليلة الجمعة تاسع شوال ، ولما دخل الحبس وجد المحابيس في غفلة عظيمة مشتغلين بأنواع من اللَّعب يلتهون بها عمّا هم فيه كالشّطرنج والنّرد وغير ذلك ، من تضييع الصلوات ، فأنكر عليهم أشد الإنكار ، وأمرهم بملازمة الصلاة ، والتوجُّه إلى الله بالأعمال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء ، وعلَّمهم من السُّنَّة ما يحتاجون إليه ، ورغَّبهم في أعمال البر وحضهم على ذلك ، حتى صار الحبس مما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيراً من كثير من الزوايا والرُّبط والخوانق والمدارس ، حتى صار خلق من المحابيس إذا طلعوا يختارون الإقامة عنده ، وبعضهم لا يريد الخروج من الحبس لما حصل له فيه من الخير . وكثر المتردِّدُون إليه حتى كان الحبس يمتلئ منهم ، فلما كثر اجتماع الناس به في الحبس ساء ذلك أعداءه وحَصِرت صدورهم ، فسألوا نقله إلى الإسكندرية ، وأرادوا أن يصرفوا قلوب الناس عنه ، وينقطع أثره ، ويأبى الله إلّا أن يرفع ذكره ويجمع قلوب الخلق عليه .

(١) هو : أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري المالكي الصوفي . توفي سنة (٧٠٩هـ) . ترجمته في الدليل الشافي (١/ ٧٨) .

(٢) في ط : بشروط .

عند قاضي القضاة ابن جماعة وعنده جماعة من الفقهاء ، فقال له بعضهم : إنَّ الدولة ما ترضى إلا بالحَبْس ، فقال القاضي : وفيه مصلحة له ، واستناب شمس الدين التُّونسي المالكي وأُذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع ، وقال : ما ثبت عليه شيء ، فأذن لنور الدِّين الزَّواوي المالكي فتحيَّر ، فلمَّا رأى الشَّيخُ توقُّفَهم في حبسه قال : أنا أمضي إلى الحبس وأتَّبع ما تقتضيه المصلحة ، فقال نور الدّين الزَّواوي : يكون في موضع يصلح لمثله . فقيل له : الدولة ما ترضى إلا بمسمَّى الحبس ، فأُرسل إلى حبس القضاة في المكان الذي كان فيه تقي الدِّين ابن بنت الأعز[١] حين سجن ، وأُذن له أن يكون عندَه من يخدمه ، وكان ذلك كله بإشارة نصر المَنْبجي لوجاهته في الدولة ، فإنّه كان قد استحوذ على عقل الجَاشْنكير الذي تسلطَنَ فيما بعد ، وغيره من رجال الدولة ، والسُّلطان مقهور معه ، واستمرَّ الشيخ في الحبس يستفتى ويقصده الناس ويزورونه ، وتأتيه الفتاوى المشكلة التي لا يستطيعها الفقهاء من الأمراء وأعيان الناس ، فيكتب عليها بما يحيِّر العقول من الكتاب والسُّنَّة . ثم عقد للشيخ مجلس بالصالحية بعد ذلك كله ، ونزل الشيخ بالقاهرة بدار ابن شقير ، وأكب الناس على الاجتماع به ليلاً ونهاراً .

وفي سادس رجب باشر الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكاني نظر ديوان المارستان[٢] عوضاً عن يوسف العجمي توفّي ، وكان محتسباً بدمشق مدة فأخذها منه نجم الدين بن البُصْراوي[٣] قبل هذا بستَّة أشهر ، وكان العجمي موصوفاً بالأمانة .

وفي ليلة النصف من شعبان أُبطلت صلاة ليلة النصف لكونها بِدعة ، وصين الجامع من الغوغاء والرّعاع ، وحصل بذلك خير كثير ولله الحمد والمنة .

وفي رمضان قدم الصدر نجم الدين البصراوي ومعه توقيع بنظر الخِزَانة عوضاً عن شمس الدين الخطيري[٤] مضافاً إلى ما بيده من الحِسْبة .

ووقع في أواخر رمضان مطر قويٌّ شديدٌ ، وكان الناس لهم مدّة لم يُمطروا ، فاستبشروا بذلك ، ورَخُصت الأسعارُ ، ولم يمكن الناس الخروج إلى المصلّى من كثرة المطر ، فصلَّوْا بالجامع ، وحضر نائبُ السلطنة فصلَّىٰ بالمقصورة .

وخرج المحمل[٥] ، وأمير الحج عامَئذٍ سيفُ الدّين بَلَبَانُ البَدريُّ التَّتريّ[٦] .

(١) هو : أبو القاسم عبد الرحمن بن قاضي القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب ، ولي الوزارة مع القضاء ثم استعفى من الوزارة ، امتحن على يد شمس الدين بن السلعوس ، ثمّ نجّاه الله . مات سنة (٦٩٥هـ) انظر ترجمته في « فوات الوفيات » (٢/ ٢٧٩) و « النجوم الزاهرة » (٨/ ٨٢) .

(٢) في ب : البيمارستان النوري .

(٣) هو : محمد بن عثمان البصراوي ، سيأتي في وفيات سنة (٧٢٣هـ) .

(٤) هو : عبد القادر بن يوسف . سيأتي في وفيات سنة (٧١٦هـ) .

(٥) في ب : المحمل السلطاني .

(٦) هو : أحد مقدمي الألوف بدمشق ، حجَّ سنة (٧٠٧هـ) وتوفي يوم عيد الفطر سنة (٧٢٧هـ) .

وفيها حج القاضي شرف الدين البَارزيُّ(١) من حماة .

[وفي ذي الحجة وقع حريقٌ عظيمٌ بالقرب من الظَّاهرية مبدؤه من الفُرن تجاهها الذي يقال له : فرن الصُّوفية(٢) ثم لطف الله وكف شرها وشررها](٣) .

قلت : وفي هذه السنة كان قدومنا من بصرى إلى دمشق بعد وفاة الوالد ، وكان أول ما سكنَّا بدرب سَقُّون(٤) الذي يقال له : درب ابن أبي الهيجاء بالصاغة العتيقة عند الطُّيوريين(٥) ، ونسأل الله حسن العاقبة والخاتمة آمين .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

الأمير رُكن الدين بِيْبَرْس : العَجَميّ الصالحيّ(٦) ، المعروف بالجَالِق ، كان رأس نوبة(٧) الجِمْداريّة في أيام الملك الصالح نجم الدين أَيّوب وأمَّره الملك الظاهر . وكان من أكابر الدولة كثير الأموال ، توفي بالرَّملة لأنّه كان في قسم إقطاعه في نصف جمادى الأولى ، ونقل إلى القُدْس فدُفن به .

الشَّيخ صالح الأَحمدي الرفاعي(٨) : شيخ المُنَيْبع(٩) ، وكان التَّتر يكرمونه لمّا قدموا دمشق ، ولما جاء قُطْلُوشاه نائب التَّتر نزل عنده ، وهو الذي قال للشيخ تقي الدين بن تيمية حين تناظروا(١٠) بالقصر : نحنُ ما ينفُق حالنا إلا عند التتر ، وأمّا عند الشرع فلا .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعمئة

استهلّت [والخليفة المستكفي وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، ونوابه وقضاته بالديار المصرية والبلاد الشامية هم المذكورون في السنة التي قبلها] ، والشيخ تقيُّ الدين قد أُخرج من الحَبْس ، والنَّاس قد عكفوا عليه زيارة وتعلُّماً واستفتاءً وغير ذلك .

---

(١) هو : هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٧هـ) .

(٢) في ط : العَوتيّة ، وهو توهم .

(٣) ليست في ب .

(٤) في ط : سَعُّور . وهو عند الصَّاغة العتيقة ، وسيذكره المؤلف مرة ثانية في أحداث سنة (٧١٠هـ) .

(٥) في ط : الطوريين ، وهو تصحيف . وما أثبتناه موافق لما في الدارس (٢/ ٧) .

(٦) ترجمته في : الدرر الكامنة (١/ ٥٠٨) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٢٧) .
وفيه : (الجَالِقُ : لفظٌ تركي ، اسمٌ للفرس الحادِّ المزاج ، الكثير اللعب) .

(٧) ليست في ط .

(٨) ترجمته في : الدرر الكامنة (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) والدليل الشافي (١/ ٣٥٢) . وفيهما : صالح بن عبد الله البطائحي .

(٩) في ط : المينبع .

(١٠) زيادة في ب .

وفي مستهل ربيع الأول أُفرج عن الأمير نجم الدّين خَضِر بن الملك الظّاهر(١) ، فأخرج من البرج(٢) وسكن دار الأَفْرَم(٣) بالقاهرة ، ثم كانت وفاتُه في خامس رجب من هذه السَّنة .

وفي أواخر جُمادى الأولى تولَّى نظر ديوان ملك الأمراء زينُ الدِّين الشَّريف ابن عدنان عوضاً عن ابن الزملكاني ، ثم أُضيف إليه نظرُ الجَامع أيضاً عوضاً عن ابن الخطيري ، وتولَّى نجمُ الدّين الدمشقي(٤) نظرَ الأيتام عوضاً عن نجم الدين بن هلال(٥) .

وفي رمضانَ عُزِل الصَّاحبُ أمين الدين الدقاقي(٦) عن نظر الدّواوين بدمشقَ وسافر إلى مصرَ .

وفيها عَزَل كمالُ الدّين بن الشَّرَيْشي(٧) نفسَه عن وكالة بيت المال ، وصمَّم على الاستمرار على العزل ، وعُرض عليه العَودُ فلم يقبل ، وحُمِلت إليه الخِلعة لمّا خُلع على المباشرين فلم يلبسها ، واستمرَّ معزولاً إلى يوم عاشوراء من السَّنة الآتية ، فجُدِّد تقليدُه وخُلع عليه في الدَّولة الجديدة .

وفيها خرج السُّلطان(٨) الناصر محمّد بن قلاوون من الديار المصرية قاصداً الحج ، وذلك في السادس والعشرين من رمضانَ ، وخرج معه جماعةٌ من الأمراء لتوديعه فردَّهم ، ولما اجتاز بالكَرَك عَدَل إليها فنُصب له الجسرُ ، فلما توسَّطه كُسر به ، فسلم من كان أمامه وقفز به الفرسُ فسلم ، وسقط من كان وراءه وكانوا خمسينَ ، فمات منهم أربعة ، وتهشَّم أكثرهم في الوادي الذي تحته(٩) ، وبقي نائبُ الكَرَك الأمير جمالُ الدين آقوش(١٠) خَجِلاً يتوهَّم أن يكون هذا يظنُّه السلطان عن قصد ، وكان قد عمل للسُّلطان ضيافةً غرِم عليها أربعةَ عشرَ ألفاً ، فلم يقع الموقع لاشتغال السلطان بهم وما جرى له ولأصحابه ، ثم خلع على النّائب ، وأذن له في الانصراف إلى مصرَ فسافر ، واشتغل السلطان بتدبير المملكة في الكَرَك وحدَها ، وكان يحضر دارَ العدل ويباشر الأمورَ بنفسه ،

---

(١) كان الناصر سجنه سنة (٦٩٨هـ) عوده من الحج . الدرر الكامنة (٢/ ٨٣) النجوم الزاهرة (٨/ ٢٢٩) .
(٢) هو : برج القلعة .
(٣) دار عز الدين أيبك بن عبد الله الأفرم ، أمير جاندار الملك الظاهر والملك السعيد والملك المنصور قلاوون النجوم الزاهرة (٨/ ٨٠) .
(٤) في ط : ابن الدمشقي . وسيأتي ذكره في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .
(٥) هو : علي بن محمد بن هلال الأزدي ، توفي سنة (٧٢٩هـ) . الدارس (١/ ١٦٨) شذرات الذهب (٦/ ٩١) .
(٦) في ط وب : الرفاقي . وهو أبو بكر بن عبد العظيم أمين الدين الدقاقي المصري الكاتب سيأتي في وفيات سنة (٧١٠هـ) .
(٧) هو : أحمد بن محمد بن أحمد الشريشي الوائلي . وسيأتي في وفيات سنة (٧١٨هـ) .
(٨) في ط : الملك .
(٩) في ط : تحت الجسر .
(١٠) هو : آقُش الأشرفي ، جمال الدين البرناق ، المعروف بنائب الكرك . مات سنة (٧٣٦هـ) في الاسكندرية معزولاً محبوساً . الدرر الكامنة (١/ ٣٩٥) النجوم الزاهرة (٩/ ٣١٠) .

وقدمت عليه زوجُه[١] من مصرَ ، فذكرت له ما كانوا فيه من ضيق الحال وقلَّة النفقات[٢] .

ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير[٣]

لما استقر الملك النَّاصرُ بالكَرَك وعزم على الإقامة بها كتب كتاباً إلى الديار المصريّة يتضمَّنُ عَزلَ نفسه عن المملكة ، فأُثبت ذلك على القضاة بمصر ، ثم نُفِّذَ على قضاة الشام ، وبويع الأمير ركن الدين بِيْبَرْس الجَاشْنكير ، بالسّلطنة[٤] في الثالث والعشرين من شوال يوم السبت بعد العصر ، بدار الأمير سيف الدين سلَّار ، اجتمع بها أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم وبايعوه وخاطبوه بالملك المظفر ، ثمَّ ركب إلى القلعة ومَشَوْا بين يديه ، وجلس على سرير المملكة بالقلعة ، ودُقّت البشائر وسارت البريدية بذلك إلى سائر البلدان[٥] .

وفي مستهل ذي القعدة وصل الأمير عز الدّين البغدادي[٦] إلى دمشق فاجتمع بنائب السَّلطنة والقضاة والأمراء والأعيان بالقصر الأَبْلق ، فقرأ عليهم كتاب الناصر إلى أهل مصر ، وأنَّه قد نزل عن الملك وأعرض عنه ، فأثبته القُضَاة وامتنع الحنبلي[٧] من إثباته وقال : ليس أحد يتركُ الملك مختاراً ، ولولا أنه مضطهد ما تركه ، فعُزِل وأُقيم غيرُه[٨] ، ثم استحلفهم للسلطان الملك المظفَّر ، وكتبت العلامة على القلعة ، وألقابه على محالّ المملكة ، ودُقت البشائر ، وزُيِّنت البلد ، ولما قرئ كتاب الملك الناصر على الأمراء بالقصر ، وفيه : إني قد صحبت الناس عشر سنين ثم اخترت المقَام بالكَرَك ، تباكَىٰ جماعةٌ من الأمراء وبايعوا كالمُكرهين .

وتولى مكان الأمير ركن الدين بِيْبَرْس الجاشنكير الأمير سيف الدين ترغلي[٩] ، ومكان ترغلي[١٠]

---

(١) في ط ، وب ، وأ : زوجته . والصّواب لغةً ما أثبتناه .
(٢) الخبر في النجوم الزاهرة (٨/ ٢٢٩) وبدائع الزهور (١/ ٤٢٢) وشذرات الذهب . أحداث سنة (٧٠٩هـ) .
(٣) في ط : بشيخ المنبجي عدو ابن تيمية . ولا معنى لها في هذا الموضع .
(٤) في ط : في السلطنة .
(٥) الخبر في النجوم الزاهرة (٨/ ٢٣٢) وبدائع الزهور (١/ ٤٥٣) .
(٦) عز الدين أيبك البغدادي المنصوري . النجوم الزاهرة (٨/ ٢٣٥) أما في الدرر فقد ذكر وفاته سنة (٧٠٣هـ) . ولعلّ ذلك توهم . فليحرر .
(٧) هو : سليمان المقدسي . سبق ذكره .
(٨) عزاءً بالقاضي شهاب الدين بن الحافظ . الدرر الكامنة (١/ ١٢٠) الدارس (٢/ ٣٧) .
(٩) في ط : بن علي .
(١٠) في ط : ترعكي . وهو السابق نفسه .

سيف الدين بتْخَاص[١] ، ومكان بِتْخَاص الأمير جمال الدين آقوش[٢] الذي كان نائب الكَرَك ، وخُطب للمظفر يوم الجمعة على المنابر بدمشق وغيرها ، [وحضر نائب السلطنة الأفرم والقضاة ، وجاءت الخلع وتقليد نائب السلطنة في تاسع عشر ذي القعدة][٣] .

وقرأ تقليدَ النائب كاتبُ السرّ القاضي محيي الدين بن فضل الله[٤] بالقصر بحضرة الأمراء ، وعليهم الخلعُ كلّهم . وركب المظفَّر بالخِلعة السوداء الخليفيَّة ، والعِمَامة المدوَّرة ورجال الدَّولة بين يديه ، عليهم الخِلعُ يوم السبت سابع ذي القعدة ، والصَّاحب ضياء الدين النشاي[٥] حامل تقليد السُّلطان من جهة الخليفة في كيس أطلس أسود .

وأوّله ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل : ٣٠] .

ويقال : إنّه خلع في القاهرة قريب ألف خِلعة ومِئتي خِلعة ، وكان يوماً مشهوداً ، [وفرح بنفسه أياماً يسيرة ، وكذا شيخُه والمَنْبجيّ ، ثمَّ أزالَ الله عنهما نعمتَه سريعاً][٦] .

وفيها خطب ابنُ جماعة[٧] بالقلعة ، وباشر الشيخ علاء الدين القُونوي[٨] تدريس الشَّريفية[٩] .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الشَّيخ الصَّالح عثمان الحلبوني[١٠] : أصلُه من صعيد مصرَ ، فأقام مدة بقرية حلبون وغيرها من

---

(١) في ط : بنخاص ، وكذلك في الدرر الكامنة (١/ ٤٧٢) . والذي في النجوم الزاهرة (٨/ ٢٣٢) : بتخاص موافق لما في أ .
وهو : بتخاص المنصوري ، كان من الرّحبة ، ثم كان من أمراء دمشق ، ثم ولّي صفد سنة ٦٧٩هـ وعاد إلى القاهرة وولّي بها إمرةً في أول سلطنة بيبرس ، وسجن بعد أن قام على الناصر ، ومات في الكرك مسجوناً سنة (٧١١هـ) .

(٢) جمال الدين آقوش الرُّومي المنصوري ، كان من أمراء التقدمة في أيام الناصر ، فلما تسلطن المظفر بيبرس كان في خدمته ، غدر به مماليكه فقتلوه غيلة سنة (٧٠٩هـ) ، وهو غير المذكور قريباً ، وسيذكر في وفيات سنة (٧٠٩هـ) .

(٣) ليست في ب .

(٤) هو : يحيى بن فضل الله ، تقلّب في كتابة السرّ بين دمشق والقاهرة ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٨هـ) .

(٥) في ط ، وأ : النساي . وأثبتنا ما في ب ، بدائع الزهور (١/ ٤٢٣) .

(٦) ليست في ب .

(٧) هو : محمد بن إبراهيم بن سعد .

(٨) هو : علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٩هـ) .

(٩) تقع عند حارة الغرباء ، ذكرها النعيمي في الدارس (١/ ٣١٦) وقال بدران في منادمة الأطلال (ص١٠٩) : لم يبق لهذه المدرسة عين ولا أثر .

(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٤٤٢) وفيها وفاته في بعلبك ، والشذرات (٦/ ١٦) وما فيه موافق لما هاهنا .
أقول : وفي برزة قبر يعرف بقبر الشيخ عثمان ، وفي معربا : مقام بهذا الاسم ، لعلّه كان يلجأ إليه للراحة في طريقه من حلبون إلى دمشق وبالعكس .

تلك الناحية ، ومكثَ مدة لا يأكل الخبز ، واجتمع عليه جماعةٌ من المريدين وتوفي بقرية برزةَ[١] في أواخر المحرَّم ، ودُفن بها ، وحضر جنازَته نائبُ الشّام والقضاة وجماعة من الأعيان .

الشَّيخ الصَّالح : أبو الحسن علي بن محمد بن كثير الحرّاني[٢] الحَنْبلي إمام مسجد عطيَّة ، ويعرف بابن المقرئ ، روَى الحديثَ ، وكان فقيهاً بمدارس الحنابلة .

ولد بحران سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وتوفي بدمشقَ في العشر الأخير من رمضان ، ودُفن بسفح قاسيون .

وتوفي قبله الشيخ زين الدين الحرَّاني[٣] بغزَّة ، وعَمل عزاؤُه بدمشقَ . رحمهما الله .

السَّيد الشَّريف زَيْن الدّين : أبو علي الحُسَين[٤] بن محمد بن عدنان الحُسَيني[٥] نقيب الأشراف ، كان فاضلًا بارعاً فصيحاً متكلماً ، يعرف طريقة الاعتزال ويباحث الإمامية ، ويناظر على ذلك بحضرة القضاة وغيرهم ، وقد باشر قبل وفاته بقليل نظر الجامع ونظر ديوان الأَفْرم ، توفي يوم الخامس من ذي القعدة عن خمسٍ وخمسينَ سنةً ، ودُفن بتربتهم بباب الصغير .

الشَّيخ الجليل ظهير الدين : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الفضل بن مَنْعَةَ البغدادي[٦] ، شيخُ الحَرَم الشَّريف بمكَّة بعد عمه عفيف الدّين منصور بن منعة ، وقد سمع الحديث ، وأقام ببغداد مدة طويلة ، ثم سار إلى مكَّة ، بعد وفاة عمه ، فتولَّى مشيخة الحرم إلى أن توفي بها[٧] .

ثم دخلت سنة تسع وسبعمئة

استهلّت وخليفةُ الوقت المستكفي أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد الملك المظفَّر ركن الدين بِيْبَرْس الجَاشْنَكِير ، ونائبُه بمصرَ الأمير سيف الدين سلَّار ، وبالشام[٨] آقوش الأَفْرم ، وقضاةُ مصرَ والشَّام هم المذكورون في التي قبلها .

---

(١) في ط : برارة .
(٢) لم أقع له على ترجمة فيما بين يديّ من الكتب .
(٣) في ب : أمين الدين بن سقر الحراني . لم أقع له على ترجمة .
(٤) في ط ، أ الحسن ، وأثبتنا ما في ب والدرر الكامنة (٢/ ٦٩) وكذلك في الدارس (١/ ٤٩٥) .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٦٩) والدارس (١/ ٤٩٥) ومواضع متفرقة منه .
(٦) ترجمته في شذرات الذهب (٦/ ١٧) وفيها : توفي بالمَهْجَم من نواحي اليمن ، عن بضع وسبعين سنة .
« والمَهْجَمُ » : بلد وولاية من أعمال زَبِيد باليمن . انظر « ياقوت » .
(٧) ليست في ط ، ولا في ب . ولعلّه أراد بها ، أي في المشيخة .
(٨) في ب . جمال الدين .

وفي ليلة سلخ صفر توجه الشيخ تقي الدين بن تيمية من القاهرة إلى الإسكندرية صحبةَ أمير مُقَدَّم ، فأدخله دار السلطان وأنزله في برج منها فسيح متسّع الأكناف ، فكان الناس يدخلون عليه [ويشتغلون في سائر العلوم](١) ، ثم كان بعد ذلك يحضر الجُمُعَات ، ويعمل المواعيد على عادته في الجامع ، [وكان دخوله إلى الاسكندرية يوم الأحد ، وبعد عَشْرةِ أيَّام وصل خبره إلى دمشقَ ، فحصل عليه تألُّم وخافوا عليه غائلة الجاشْنكير وشيخه المَنْبجي ، فتضاعف له الدُّعاء ، وذلك أنهم لم يمكِّنوا أحداً من أصحابه أن يخرج معه إلى الإسكندرية ، فضاقت له الصُّدور ، وذلك أنّه تمكَّن منه عدوُّه نصرُ المنَبْجي](٢) . وكان سبب عداوته له أنَّ الشيخ تقي الدّين كان ينال من الجاشْنكير ومن شيخه نَصْر المَنْبجي ، ويقول : زالت أيامه وانتهت رياسته ، وقَرُب انقضاءُ أجله ، ويتكلم فيهما وفي ابن عربي وأتباعه ، فأرادوا أن يسيروه إلى الإسكندرية كهيئة المنفي ، لعل أحداً من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غِيْلَةً(٣) ، فما زاد ذلك الناس إلا محبة فيه وقرباً منه ، وانتفاعاً به ، واشتغالاً عليه ، وحُنُوّاً وكرامةً له .

[وجاء كتابٌ من أخيه(٤) يقول فيه : إنَّ الأخَ الكريم قد نزل بالثّغر المحروس على نيّة الرِّباط ، فإنّ أعداءَ الله قصدوا بذلك أموراً يكيدونه بها ويكيدون الإسلام وأهله ، وكانت تلك كرامةً في حقّنا ، وظنوا أنَّ ذلك يؤدي إلى هلاك الشيخ ، فانقلبت عليهم مقاصدُهم الخبيثة ، وانعكست من كل الوجوه ، وأَصبَحُوا وأَمْسَوْا وما زالوا عند الله وعند النّاس العارفين سودَ الوُجوه ، يتقطَّعون حسراتٍ وندماً على ما فعلوا ، وانقلبَ أهل الثغر أجمعين إلى الأخ مقبلينَ عليه ، مُكرمين له ، وفي كل وقت ينشرُ من كتاب الله وسنَّة رسوله ما تَقَرُّ بِهِ أعينُ المؤمنين ، وذلك شجىً(٥) في حلوق الأعداء ، واتّفق أنّه وجد بالإسكندرية إبليسَ قد باضَ فيها وفرَّخَ ، وأضلَّ بها فرق السَّبْعينيَّة(٦) والعربيَّة(٧) ، فمزق الله بقدومه عليهم شملَهم ، وشتَّت جموعَهم شَذَرَ مَذَرَ ، وهتكَ أستارهم وفَضَحهم ، واستتاب جماعةً كثيرةً منهم ، وتوَّبَ رئيساً من رؤسائهم ، واستقر عند عامة المؤمنين وخواصِّهم من أمير وقاض وفقيه ، ومفتي وشيخ وجماعة المجتهدين ، إلا من شَذَّ من الأغْمَار الجُهَّال ، مع الذِّلّة والصَّغار ـ محبةُ الشَّيخ وتعظيمُه وقَبولُ كلامه

---

(١) ليست في ب . بل فيها : ويبحثون معه .

(٢) ليست في ب .

(٣) في ب : فيستريحوا منه .

(٤) يعني : شرف الدّين عبد الله بن عبد الحليم .

(٥) « الشَّجَى » : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه . القاموس .

(٦) نسبة إلى عبد الحق بن إبراهيم أبي محمد قطب الدين المعروف بابن سبعين . مات سنة (٦٦٩هـ) وقيل (٦٦٨هـ) في مكة المكرمة بعد أن فصد يديه وترك الدم يخرج حتّى تصفّى ، قال الذهبي ـ رحمه الله ـ واشتهر عنه أنه قال : لقد تحجَّر ابن آمنة واسعاً بقوله : « لا نبيَّ بعدي » . فإن كان قال هذا ، فقد خرج به من الإسلام . العبر (٥/ ٢٩١) وفيه وفاته سنة (٦٦٩هـ) ، وفوات الوفيات (٢/ ٢٥٣) وفيه وفاته سنة (٦٦٨هـ) .

(٧) « العربيّة » : نسبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي .

والرُّجوعُ إلى أمره ونهيه ، فعلَتْ كلمةُ الله بها على أعداء الله ورسوله ، ولُعِنوا سراً وجهراً وباطناً وظاهراً ، في مجامع الناس بأسمائهم الخاصّة بهم ، وصار ذلك عند نصر المَنْبجي القيمَ المُقيم ، ونزل به من الخوف والذُّلِّ ما لا يعبَّر عنه ، وذكر كلاماً كثيراً][1] .

والمقصودُ أنَّ الشَّيخَ تقي الدين أقامَ بثغر الإسكندرية ثمانيةَ أشهر مقيماً ببُرجٍ متَّسعٍ مليح نظيفٍ ، له شبّاكان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة ، وكان يدخل عليه من شاء ، ويتردد إليه الأكابرُ والأعيانُ والفقهاءُ ، يقرؤون عليه ويستفيدون منه ، وهو في أطيب عيش وأشرح صدر .

وفي آخر ربيع الأول عزل الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلكاني عن نظر المارستان[2] [بسبب انتمائه إلى ابن تيمية بإشارة المنبجي][3] ، وباشره شمس الدين عبد القادر بن الخطيري .

وفي يوم الثلاثاء ثالث ربيع الآخر ولّى قضاء الحنابلة بمصر الشيخ الإمام الحافظ سعد الدين أبو محمود[4] مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد[5] الحارثي ، شيخ الحديث بمصر ، بعد وفاة القاضي شرف الدين أبي محمد عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحرّاني .

وفي جُمادى الأولى برزت المراسيم السلطانية المظفَّرية إلى نوّاب البلاد السَّاحلية[6] بإبطال الخمور ، وتخريب الحانات ، ونفي أهلها ، ففُعل ذلك ، وفرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً .

وفي مستهل جُمادى الآخرة وصل بريد بتولية قضاء الحنابلة بدمشق للشيخ شهاب الدين أحمد بن شرف[7] الدين حسن بن الحافظ جمال الدين أبي موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي ، عوضاً عن التَّقي سُليمان بن حمزة بسبب تكلُّمه في نزول الملك النّاصر عن الملك ، وأنّه إنّما نزل عنه مضطهداً بذلك ، ليس بمختار ، وقد صدق فيما قال .

وفي عشرين جُمادى الآخرة وصل البريد بولاية شدِّ الدواوين للأمير سيف الدين بَكْتَمُر الحاجب[8] ، عوضاً عن الرُّسْتُميّ[9] فلم يقبل ، وبنظر الخِزَانة للأمير عزّ الدين أحمد بن الزَّين[10] محمد بن أحمد بن

---

(١) ليست في ب .
(٢) كان تولّاه سنة (٧٠٧هـ) كما تقدَّم .
(٣) ليست في ب .
(٤) في ب : أبو محمد ، وكذلك هو في الشذرات (٦/ ٢٩) .
(٥) في ط وأ : زين الدين . والتصويب من ب والنجوم الزاهرة (٧/ ١٣٥ و ٩/ ٢٢١) .
(٦) في ط : إلى البلاد السواحلية .
(٧) في ط : شريف .
(٨) سيأتي في وفيات سنة (٧٢٩هـ) . وهو : بكتمر بن عبد الله الحسامي .
(٩) هو : جمال الدين آقوش الرستمي . وسيأتي في وفيات هذه السَّنة .
(١٠) في ط : زين الدّين . وكلها بمعنى واحد . وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٦هـ) .

محمود المعروف بابن القَلَانسي ، فباشرها[١] وعزل عنها البصراوي محتسب البلد .

وفي هذا الشهر باشر قاضي القضاة[٢] ابن جماعة مشيخة سعيد السُّعداء بالقاهرة بطلب الصُّوفية له ، ورَضُوا منه بالحضور عندهم في الجمعة مرةً واحدة ، وعُزل عنها الشيخ كريم الدين الآمُلي[٣] لأنَّه عزل منها الشُّهود ، فثاروا عليه ، وكتبوا في حقه محاضرَ بأشياء قادحة في الدّين ، فرُسم بصرفه عنهم ، وعُومل بنظير ما كان يعامل به النّاس ، [ومن جملة ذلك قيامه على شيخ الإسلام ابن تيمية وافتراؤه عليه الكذبَ ، مع جهله وقلة ورعه ، فعجَّل الله له هذا الخزي على يدي أصحابه وأصدقائه جزاءً وفاقاً][٤] .

وفي شهر رجبٍ كَثُر الخوفُ بدمشقَ وانتقل الناس من ظاهرها إلى داخلها ، وسبب ذلك أنَّ السلطانَ الملك الناصر محمد بن قلاوون ركب من الكَرَك قاصداً دمشقَ يطلب عودَه إلى الملك ، وقد مالأَهُ جماعةٌ من الأمراء وكاتبوه في الباطن وناصحوه ، وقفز إليه جماعة من أمراء المصريين ، وتحدَّث النَّاسُ بسفر نائب دمشق الأَفْرم إلى القاهرة ، وأن يكون مع الجمِّ الغفير ، فاضطرب النّاسُ ولم تفتح أبوابُ البلد إلى ارتفاع النهار ، وتخبَّطت الأمور ، فاجتمع القضاة وكثيرٌ من الأمراء بالقصر وجددوا البيعة للملك المظفَّر[٥] ، وفي آخر نهار السبت غلِّقت أبوابُ البلد بعد العصر وازدحم الناس بباب النصر وحصَلَ لهم تعبٌ عظيم ، وازدحم البلد بأهل القرى وكثر الناس بالبلد ، وجاء البريد بوصول الملك الناصر إلى الخمَّانِ[٦] ، فانزعجَ نائبُ الشّام لذلك ، وأظهر أنه يريد قتاله ومنعه من دخول البلد ، وقفز إليه الأميران ركن الدين بِيْبَرس المجنون[٧] ، وبِيْبَرْس العلميّ[٨] ، وركب إليه الأمير سيف الدين بَكْتَمُر حاجب الحجّاب يشير عليه بالرجوع ، ويخبره بأنه لا طاقَةَ له بقتال المصريين ، ولحقه الأمير سيفُ الدّين بَهَادُر[٩] آص يشير عليه بمثل ذلك ، ثم عاد إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رجب وأُخْبر أن السلطان الملك الناصر قد عاد إلى الكَرَك، فسكن الناس ورجع نائبُ السلطنة إلى القصر، وتراجَعَ بعض الناس إلى مساكنهم ، واستقروا بها .

---

(١) في ط : فباشرهما .
(٢) في ب : بدر الدين .
(٣) في ط و أ : الأيكي وقد سبق الحديث عن ذلك . وسيأتي في وفيات سنة (٧١٠هـ) .
(٤) ليست في ب .
(٥) في ب : لصاحب الملك المظفّر .
(٦) « الخَمَّان » : من نواحي البثَنَيه من أرض الشّام ، وهي بين دمشق وأذرعات . ياقوت .
(٧) هو أحد الأمراء بدمشق مات سنة (٧١٥هـ) .
(٨) وفي الدرر الكامنة (١/ ٥٠٩) : العلائي ، وفاته سنة (٧١٢هـ) بالكَرَك .
(٩) في ط : بهادر . وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٠هـ) .

صفة عود المُلْكِ إلى المَلِكِ الناصر بن الملك المنصور قلاوون(١)

[وزوال دولة الملك المظفّر الجاشْنكير بيبرس وخذلان شيخه نصر المنبجي الاتحادي الحلولي(٢)

لما كان ثالثَ عشَر شعبان جاء الخبر بقدوم الملك الناصر إلى دمشق ، فساق إليه الأميران سيف الدين قُطْلُوبَك والحاج بَهَادُر إلى الكَرَك ، وحضّاه على المجيء إليها ، واضطرب نائبُ دمشق وركبَ في جماعةٍ من أتباعه على الهِجْن في سادسَ عشرَ شعبان ومعه ابن صُبْح صاحب(٣) شَقِيْفِ(٤) أَرْنُونَ ، وهُيِّئت بدمشقَ أُبَّهةُ السَّلطنة والإقامات اللائقة به ، والعصائب(٥) والكوسات ، وركب من الكَرَك في أُبَّهة عظيمة ، وأرسل الأمان إلى الأَفْرم ، ودعا له المؤذِّنون في المئذنة ليلة الإثنين سابع عشر شعبان وضجَّ الناس(٦) بالدعاء له والسرور بذكره ، ونُودي في الناس بالأمان ، وأن يفتحوا دكاكينهم ويأمنوا في أوطانهم ، وشرع النّاسُ في الزينة ، ودقت البشائر ، ونام الناس في الأسطحة ليلةَ الثلاثاء ليتفرَّجوا على السلطان حين يدخل البلد ، وخرج القضاة ، والأمراء والأعيان لتلقيه .

قال كاتبه ابن كثير : وكنت فيمن شاهد دخوله يوم الثلاثاء وسط النهار في أُبَّهة عظيمة وبُسط له من عند المصلّى(٧) وعليه أُبَّهة الملك ، وبسطت الشِّقاق الحرير تحت أقدام فرسه ، كلما جاوز شقة طويت من ورائه ، والجَتر(٨) على رأسه والأمراء السِّلَحْدارية عن يمينه وشماله ، وبين يديه ، والناس يدعون له ويضجُّون بذلك ضجيجاً عالياً ، وكان يوماً مشهوداً .

قال الشيخ علم الدين البِرْزالي : وكان على السلطان يومئذٍ عمامة بيضاءُ ، وكلوتة(٩) حمراء ، وكان الذي حمل الغاشية على رأس السُّلطان الحاج بَهَادُر ، وعليه خِلعةٌ معظَّمة مذهَّبة بفرو فاخم . ولما وصل إلى القلعة نصب له الجسر ونزل إليه نائبها الأمير سيف الدين السنجري، فقبّل الأرض بين يديه، فأشار إليه

---

(١) الخبر في: فوات الوفيات (٤/ ٣٥) والدرر الكامنة (٤/ ١٤٦) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٤٥) وبدائع الزهور (١/ ٤٣١).
(٢) ليست في ب .
(٣) هكذا في ط وب وأ : « ابن صبح » وكذا هو في السلوك وعقد الجمان للعيني ، ووقع في النجوم الزاهرة ٨/ ٢٦٥ : صبيح بزيادة ياء ، وما أثبتناه هو الأصوب إن شاء الله .
(٤) « الشّقيف » : كأمير : وهو كالكهف ، أضيف إلى رجل رومي أو إفرنجي ، وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل . ياقوت والتاج (شقف) .
(٥) في النجوم الزاهرة (٨/ ٢٦٥) : الجَتْر .
(٦) في ط : وصبح بالدعاء .
(٧) في ب إلى القلعة . والمصلّى : هو مُصَلّى العيد خارج باب الجابية .
(٨) في ط : الجد .
(٩) في ط : كاوثة .

إني الآن لا أنزل هاهنا ، وسار بفرسه إلى جهة القَصْر الأبلق والأمراء بين يديه ، فخُطب له يوم الجمعة[١] .

وفي بكرة يوم السبت الثاني والعشرين من الشهر وصل الأمير جمال الدين آقوش الأَفْرم نائب دمشق مطيعاً للسُّلطان ، فقبّل الأرض بين يديه ، فترجَّل له السلطان وأكرمه ، وأذن له في مباشرة النيابة على عادته ، وفرح الناسُ بطاعة الأَفْرم له ، ووصل إليه أيضاً الأمير سيف الدين قَبْجَق[٢] نائب حماة ، والأمير سيف الدِّين أَسَنْدَمُر[٣] نائب طرابُلُس يوم الإثنين الرابع والعشرين من شعبانَ ، وخرج الناس لتلقِّيهما ، وتلقاهما السلطان كما تلقى الأَفْرم .

وفي هذا اليوم رسم السلطان بتقليد قضاء الحنابلة وعوده إلى تقي الدين سليمان[٤] ، وهنَّأَهَ الناس وجاء إلى السلطان إلى القصر فسلَّم عليه ومضى إلى الجَوْزيّة[٥] فحكم بها ثلاثة أشهر .

وأقيمت الجمعة الثانية بالمَيْدان[٦] وحضر السُّلطان والقضاة إلى جانبه ، وأكابرُ الأمراء والدولة ، وكثير من العامة .

وفي هذا اليوم[٧] وصل إلى السلطان الأمير قَرَاسُنْقر المنصوري نائبُ حلب .

وخرج دهليز السلطان يوم الخميس رابعَ رمضانَ ومعه القضاة والقرّاء وقت العصر ، وأقيمت الجمعة خامس رمضان بالميدان أيضاً ، ثم خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء تاسع رمضان ، وفي صحبته ابن صَصْرَىٰ وصدرُ الدين الحنفي قاضي العساكر ، والخطيب جلال الدين ، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، والموقِّعون وديوان الجيش وجيشُ الشام بكماله قد اجتمعوا عليه من سائر مدنه وأقاليمه بِنُوَّابِه وأمرائه ، فلما انتهى السلطان إلى غَزَّة دخلها في أبهة عظيمة ، وتلقاه الأمير سيف الدين بَهَادُر هو وجماعةٌ من أمراء المصريين ، فأخبروه أن الملك المظفَّر قد خلع نفسه من المملكة ، ثم تواتر قدوم الأمراء من مصر إلى السلطان وأخبروه بذلك ، فطابت قلوبُ الشَّاميين واستبشروا بذلك ودقت البشائر[٨] وتأخَّر مجيء البريد بصورة ما جرى[٩] ، واتّفق في يوم هذا العيد أنّه خرجَ نائبُ الخطيب الشيخ تقي الدين الجزري[١٠]

---

(١) في ب : ودعا له الناس .
(٢) سيأتي في وفيات سنة (٧١٠هـ) .
(٣) في ط : أستدمر .
(٤) في ب : وخلع عليه .
(٥) تقع في سوق القمح، بالقرب من الجامع، أنشأها محيي الدين بن الجوزي. المتوفَّى سنة (٦٥٦هـ) الدارس (٢/ ٢٩) .
(٦) في ب : الأخضر . ويعرف بالميدان الكبير ، وميدان القصر الأعلى ، وميدان المرج الأخضر .
(٧) في ب : بعد العصر .
(٨) ليست في ب .
(٩) في ط : الناصري .
(١٠) هو : ثابت بن عمر بن الشيخ الجزري ، سيأتي في وفيات سنة (٧١٣هـ) .

المعروف بالمقصَّاتي[١] في السناجق إلى المصلّى على العادة ، واستناب في البلد الشيخ مجد الدين التُّونُسي[٢] ، فلمّا وصلوا إلى المصلّى وجدوا خطيبَ المُصلّى قد شرع في الصَّلاة فنُصبت السناجق في صحن المصلّى وصلّى بينهما تقي الدين المقصَّاتي ثمَّ خطب ، وكذلك فعل ابن حسَّان[٣] داخل المُصلَّى ، فعقد فيه صلاتان وخطبتان يومئذ ، ولم يتفق مثل هذا فيما نعلم .

وكان دخولُ السُّلطان الملك الناصر إلى قلعة الجبل آخرَ يوم عيد الفطر من هذه السنة ، ورسم لسلَّار[٤] أن يسافرَ إلى الشَّوْبَك[٥] ، واستنابَ بمصرَ الأميرَ سيف الدين بَكْتَمُر الجَوْكَنْدار[٦] الذي كان نائبَ صَفَدٍ .

وبالشّام الأمير قَرَاسُنْقر المنصوري[٧] ، وذلك في العشرين من شوال ، واستوزر الصّاحب فخر الدين ابن الخليلي بعدها بيومين[٨] ، وباشر القاضي فخر الدين[٩] كاتب الممالك نظر الجيوش بمصر بعد بهاء الدّين عبد الله بن أحمد بن علي بن المظفَّر الحِلِّي[١٠] ، توفي ليلة الجمعة عاشر شـوال ، وكان من صدور المصريين وكبار الأعيان[١١] ، وقد روى شيئاً من الحديث ، وصُـرف الأميرُ جمـالُ الدّين آقوش الأَفْرم إلى نيابة صَرْخَد ، وقدم إلى دمشق الأميـرُ زَين الدّين كَتْبُـغَا رأس نوبة الجمدارية [في عشرين شوال على][١٢] شد الدواوين ، وأستاذ دار الأستادارية عوضاً عن سيف الدين أَقْبَجَا[١٣] ، وتغيَّرت الدولة ، وانقلبت قلبة عظيمة .

قال الشيخ علم الدين البِرْزالي : ولمّا دخل السلطان إلى مصر يومَ عيد الفطر لم يكن له دَأب إلا طلب الشيخ تقي الدين بن تيمية من الإسكندرية معزَّزاً مكرماً مبجّلاً ، فوجّه إليه في ثاني[١٤] يوم من شوال بعد

---

(١) في ط : المقضاي . وهو تصحيف .
(٢) هو : أبو بكر بن محمد بن قاسم المرسي النحوي الشافعي . مات تحت الضرب سنة (٧١٨هـ) .
(٣) هو : إمام المصلَّى ، حيثُ الخطابة فيهم منذ مدّة . الدارس (٢/ ٤١٩) .
(٤) في ب : لسيف الدين سلّار .
(٥) هي قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والبحر الأحمر ، قرب الكَرَك . ياقوت .
(٦) هو أمير جندار المنصوري ، قتل في الكرك سنة (٧١٦هـ) . الدرر الكامنة (١/ ٤٨٤) .
(٧) في ب : الأمير شمس الدين . وهو : قراسنقر الجوكندار الجركسي المنصوري ، سيأتي في أحداث سنة (٧٢٨هـ) . سنة وفاته ببلاد التتار .
(٨) هو : عمر بن عبد العزيز بن الحسين ، سيأتي في وفيات سنة (٧١١هـ) .
(٩) هو : صاحب ديوان الجيش . النجوم الزاهرة (٨/ ٢٨١) .
(١٠) ترجمته : الدرر الكامنة (٢/ ٢٤٥) .
(١١) في ط وأ : وأعيان الكبار . وأثبتنا ما في : ب .
(١٢) زيادة من ب .
(١٣) توفي سنة (٧١٠هـ) . الدرر الكامنة (١/ ٣٩٣) .
(١٤) في ب : ثامن .

وصوله بيوم أو يومين ، فقدم الشيخ تقي الدين على السلطان في يوم ثامن الشهر وخرج مع الشيخ خلق من الإسكندرية يودِّعُونه ، واجتمع بالسلطان يوم الجمعة فأكرمه وتلقّاه ومشى إليه في مجلس حافل[١] ، فيه قضاة المصريين والشاميين ، وأصلح بينه وبينهم ، ونزل الشيخ إلى القاهرة ، وسكن بالقرب من مشهد الحُسين رضي الله عنه ، والناس يتردَّدُون إليه ، والأمراء والجند وكثير من الفقهاء والقضاة منهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع منه ، [فقال : أنا حالَلْتُ كل من آذاني][٢] .

قلت : وقد أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي بتفاصيل هذا المجلس ، وما وقع فيه من تعظيمه وإكرامه ممّا حصل له من الشّكر والمدح من السلطان والحاضرين من الأمراء ، وكذلك أخبرني بذلك قاضي القضاة منصور الدين الحنفي ، ولكن أخبار ابن القلانسي أكثر تفصيلاً ، [وذلك أنه كان إذ ذاك قاضي العساكر ، وكلاهما كان حاضراً هذا المجلس][٣] ، ذكر لي أنَّ السلطان [لما قدم عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية][٤] نهض قائماً للشيخ أوّل ما رآه ، ومشى له إلى طرف الإيوان واعتنقا هناك هنيهة ، ثم أخذ بيده فذهب به إلى صُفَّة[٥] فيها شباك إلى بستان فجلسا ساعة يتحدّثان ، ثم جاءا ويد الشيخ في يد السلطان ، فجلس السلطان وعن يمينه ابن جماعة قاضي مصر ، وعن يساره ابن الخليلي الوزير ، وتحته ابن صَصْرَىٰ ، ثم صدر الدين علي الحنفي ، وجلس الشيخ تقي الدين بين يدي السُّلطان على طرف طرَّاحته ، وتكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم البيض بالعلائم ، وأنّهم قد التزموا للدِّيوان بسبعمئة ألف في كل سنة ، زيادة على الحالية ، فسكت الناس وكان فيهم قضاة مصر والشام وأكابر العلماء من أهل مصرَ والشَّام من جملتهم ابن الزَّمْلَكاني .

قال ابن القلانسي : وأنا في مجلس السلطان إلى جنب ابن الزَمْلَكاني ، فلم يتكلم أحد من العلماء ولا من القضاة ، فقال لهم السلطان : ما تقولون ؟ يستفتيهم في ذلك ، فلم يتكلَّم أحدٌ ، فجثا الشيخ تقي الدين على ركبتيه ، وتكلَّم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ ، وردَّ على الوزير ما قاله رداً عنيفاً ، وجعل يرفع صوتَه والسلطان يتلافاه ويُسْكتُه بِرِفْقٍ وتُؤَدة وتوقير . [وبالغ الشيخ في الكلام وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله ، ولا بقريب منه][٦] ، وبالغ في التشنيع على من يوافق في ذلك . وقال للسلطان : حاشاك أن يكونَ أَوَّلُ مجلس جلسته في أُبّهة الملك تَنصُرُ فيه أهلَ الذمة [لأجل حُطام الدنيا الفانية ، فاذكر نعمة الله عليك إذ ردَّ ملكك إليك ، وكبت عدوَّك ، ونصرك على أعدائك][٧] فذكر أن

---

(١) في ط : حفل .
(٢) ليست في ب .
(٣) ليست في ب .
(٤) ليست في ب .
(٥) في ط : ثم أخذ معه ساعة إلى طبقة .
(٦) ليست في ب .
(٧) ليست في ب .

الجاشْنكير هو الذي جدَّد عليهم ذلك ، فقال : والذي فعله الجاشْنكير كان من مراسيمك لأنه إنما كان نائباً لك ، فأعجب السلطان ذلك واستمر بهم على ذلك ، وجرت فصول يطول ذكرها . [وقد كان السلطان أعلم بالشيخ من جميع الحاضرين ، بعلمه ودينه وقيامه][١] بالحق وشجاعته ، وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لمَّا انفردا في ذلك الشُّبَّاك الذي جلسا فيه ، وأن السلطان استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلَّموا فيه ، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشْنكير ، وأنَّهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضاً ، وأخذ يحثُّه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم ، وإنَّما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سَعَوْا فيه من عزله ومبايعة الجاشْنكير ، ففهم الشيخ مرادَ السُّلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء ، وينكرُ أن يُنالَ أحدٌ منهم بسوءٍ وقال له : إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم ، فقال له : إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مراراً ، فقال الشيخ : من آذاني فهو في حِلٍّ ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، وأنا لا أنتصر لنفسي ، وما زال به حتّى حلُمَ عنهم السلطان وصفح .

قال : فكان[٢] قاضي المالكيَّة ابن مَخْلُوف يقول : ما رأينا مثل ابن تيمية ، حَرَّضنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفَحَ عنَّا وحاجَجَ عنَّا ، [ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة وعاد إلى بث العلم ونشره ، وأقبلت الخلق عليه ورحلوا إليه يشتغلون عليه ويستفتونه ويجيبهم بالكتابة والقول ، وجاء الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقه فقال : قد جعلت الكل في حل ، وبعث الشيخ كتاباً إلى أهله يذكر ما هو فيه من نعم الله وخيره الكثير ، ويطلب منهم جملة من كتب العلم التي له ويستعينوا على ذلك بجمال الدين المزي ، فإنه يدري كيف يستخرج له ما يريده من الكتب التي أشار إليها ، وقال في هذا الكتاب : والحق كل ما له في علو وازدياد وانتصار ، والباطل في انخفاض وسفول واضمحلال ، وقد أذلَّ الله رقاب الخصوم ، وطلب أكابرهم من السلم ما يطول وصفه ، وقد اشترطنا عليهم من الشروط ما فيه عز الإسلام والسنة ، وما فيه قمع الباطل والبدعة ، وقد دخلوا تحت ذلك كله ، وامتنعنا من قبول ذلك منهم ، حتى يظهر إلى الفعل ، فلم نثق لهم بقول ولا عهد ، ولم نجبْهم إلى مطلوبهم حتى يصير المشروط معمولاً ، والمذكور مفعولاً ، ويظهر من عز الإسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التي تمحو سيئاتهم ، وذكر كلاماً طويلاً يتضمن ما جرى له مع السلطان في قَمع اليهود والنّصارى وذلهم ، وتركهم على ما هم عليه من الذِّلة والصَّغار والله سبحانه أعلم][٣] .

وفي شوال أمسك السُّلطان جماعةً من الأمراء قريباً من عشرين أميراً[٤] .

وفي سادسَ عشرَ شوّال وقع بين أهل حوران من قَيْس ويمن ، فقتل منهم مقتلةً عظيمة جداً ، قُتِلَ من

---

(١) في ط : ودينه وزينته .
(٢) في ط : وكان .
(٣) ليست في ب .
(٤) النجوم الزاهرة (٩/ ١٣) وقد ذكر أنهم اثنان وعشرون ، وأورد ثبتاً بأسمائهم .

الفريقين نحو من ألف نفس بالقرب من السُّوَيْداء ، وهم يسمُّونها يوم[١] السويداء ، [ووقعة السُّوَيداء][٢] ، وكانت الكَسْرة على يمن ، فهربوا من قيس حتى دخل كثير منهم إلى دمشقَ في أسوأ حال وأضعفه ، وهربت قيس خوفاً من الدولة ، وبقيت القرى خالية والزروع سائبة . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الأربعاء سادس ذي القعدة قدم الأمير سيف الدين قَبْجَقُ المنصوري [نائباً على حلب][٣] فنزل القصر ومعه جماعةٌ من أمراء المصريين ، ثم سافر إلى حلب بمن معه من الأمراء والأجناد ، واجتاز الأمير سيف الدين بَهَادُر بدمشقَ ذاهباً إلى نيابة طرابُلُس[٤] والفتوحات السواحلية عوضاً عن الأمير سيف الدين أَسَنْدَمر[٥] ، ووصل جماعةٌ ممَّن كان قد سافر مع السلطان إلى مصرَ في ذي القعدة منهم قاضي قضاة الحنفيَّة صدر الدين الحنفي ومحيي الدِّين بن فضل الله وغيرهما .

قلت : وجلست يوماً إلى القاضي صدر الدين الحنفي بعد مجيئه من مصرَ ، فقال لي : أتحبُّ ابن تيمية؟ قلت : نعم ، فقال لي وهو يضحك : والله لقد أحببتَ شيئاً مليحاً ، وذكر لي قريباً ممّا ذكر ابن القلانسي ، لكن سياق ابن القلانسي أتمّ .

مقتل الجَاشْنكيري[٦] : كان قد فر الخبيث[٧] في جماعة من أصحابه ، فلما خرج الأميرُ سيف الدين قَرَاسُنْقُر المنصوري من مصرَ متوجهاً إلى نيابة الشام عوضاً عن الأَفْرم ، فلما كان بغزَّةَ في سابعِ ذي القعدة ضرب حلقة لأجل الصيد ، فوقع في وسطها الجاشْنكير في ثلاثمئة من أصحابه ، فأُحيط بهم ، وتفرّق عنه أصحابه فأمسكوه ، ورجع مع قَرَاسُنْقُر وسيف الدين بَهَادُر على الهِجْن ، فلما كانوابالخَطَّارة[٨] تلقاهم أَسَنْدَمُر فتسلَّمه منهم ، ورجعا إلى عسكرهم ، ودخل به أَسَنْدَمُر على السلطان فعاتبه ولامه ، وكان آخر العهد به ، وقتل ودفن بالقَرَافة ، [ولم ينفعه شيخه المَنْبجي ولا أمواله ، بل قتل شر قتلة][٩] .

ودخل قَرَاسُنْقُر دمشقَ يوم الإثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة فنزل بالقصر ، وكان في صحبته ابن صَصْرَى وابن الزَّمْلَكاني وابن القلانسي ، وعلاء الدين بن غانم ، وخلق من الأمراء المصريين

---

(١) ليست في ط .
(٢) ليست في ب .
(٣) ليست في ب .
(٤) في ط : طرابلس نائباً .
(٥) في ط : أستدمر .
(٦) « الجاشْنكير » : هو لفظ فارسيٌّ ومعناه : التحدثُ في أمر السِّماط مع الأستادار . صبح الأعشى (٤/ ٢١) .
وترجمته في : الدرر الكامنة (١/ ٥٠٢) وابن خلدون (٥/ ٤٢٢) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٣٢) وبدائع الزهور (١/ ٤٣٥) وشذرات الذهب (٦/ ١٩) .
(٧) ليست في ب .
(٨) في ط : كان . والخطّارة : موضع قرب القاهرة من أعمال الشرقية . التاج (خطر) .
(٩) ليست في ب .

والشاميين ، وكان الخطيب جلال الدين القزويني قد وصل قبلهم يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر ، وخطب يوم الجمعة على عادته ، فلمّا كان يوم الجمعة الأُخرى وهو التاسع والعشرون من الشهر خطب بجامع دمشق القاضي بدر الدين محمد بن عثمان بن يوسف بن حدَّاد الحنبلي(١) عن إذن نائب السَّلطنة ، وقرئ تقليدُه على المنبر بعد الصَّلاة بحضرة القضاة والأكابر والأعيان ، وخلع عليه عقيب ذلك خِلعة سنية ، واستمر يباشر الإمامة والخطابة اثنين وأربعين يوماً .

ثم أُعيد الخطيب جلال الدّين(٢) بمرسوم سلطاني ، وباشر يوم الخميس ثاني عشر المحرم من السنة الآتية .

وفي ذي الحجّة درّس كمالُ الدين بن الشِّيرازي(٣) بالمدرسة الشّامية البرانية ، انتزعها من يد الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وذلك أن أَسَنْدَمُر ساعده على ذلك .

وفيها أظهر ملك التتر خَرْبَنْدا(٤) الرّفض في بلاده ، وأمر الخطباء(٥) أن لا يذكروا في خطبتهم إلا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته ، ولما وصل خطيبُ باب الأَزَج(٦) إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاءً شديداً ، وبكى الناس معه ونزل ولم يتمكن من إتمام الخطبة ، فأُقيم من أتمَّها عنه ، وصلّى بالناس وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهلُ البدعة فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولم يحج فيها أحد من أهل الشام بسبب تخبيط الدولة وكثرة الاختلاف(٧) .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الخَطيبُ ناصرُ الدّين أبو الهدى : أحمد بن الخطيب بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام(٨) خطيب العُقَيْبة(٩) بداره بها وقد باشر نظر الجامع الأموي وغير ذلك ، توفي يوم

---

(١) سيأتي في وفيات سنة (٧٢٤هـ) .
(٢) سيأتي في أحداث السنّة القادمة .
(٣) هو : أحمد بن محمد بن هبة الله سيأتي في وفيات سنة (٧٣٦هـ) .
(٤) هو : ابن أرغون بن أبغا بن هولاكو . مات سنة (٧١٦هـ) ، كما هو مذكور في أحداث تلك السنة .
(٥) في ط : وأمر الخطباء أولاً أن لا ، ولا معنى له .
(٦) في ط وأ : بلاد الأزج ، وأثبتنا ما في ب .
وباب الأزج . محلة كبيرة في بغداد ذات محالّ كثيرة ، تشبه كل واحدة أن تكون مدينة وينسب إليها الأَزجي . التاج (أزج) . قَال بشار : هي المعروفة اليوم بباب الشيخ ، نسبة إلى الشيخ الشهير عبد القادر الكيلاني ، دفينها ، وأهل باب الأزج يومذاك حنابلة .
(٧) وكذلك قال في النجوم الزاهرة (٨/ ٢٧٨) .
(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٣١) والدارس في الجزء الثاني في مواضع متفرقة .
(٩) « جامع العقيبة » : هو جامع التوبة اليوم ، بناه الملك الأشرف سنة (٦٣٢هـ) وكان يعرف بخان الزنجاوني وكان فيه قبلُ كل مكروه . وهو غير جامع العقيبة المذكور في الدارس (٢/ ٤٢٦) .

الأربعاء النصف من المحرم ، وصُلّي عليه بجامع العُقَيْبة ، ودفن عند والده بباب الصَّغير .

وقد روى الحديث وباشر الخطابة بعد والده بدر الدين وحضر عنده نائبُ السلطنة والقضاةُ والأعيان .

قاضي الحنابلة بمصر[١] : شرفُ الدين أبو محمد عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحرّاني ولد بحرّان سنة خمسٍ وأربعين وستمئة ، وسمع الحديث وقدم مصرَ فباشر نظرَ الخِزانة وتدريسَ الصالحيّة ثم أُضيف إليه القضاء ، وكان مشكورَ السيرة ، كثيرَ المكارم ، توفي ليلة الجمعة رابعَ عشرَ ربيع الأول ، دفن بالقَرَافة ، ووُلّي بعده سعد الدِّين الحارثي كما تقدّم .

الشَّيخ نجم الدين[٢] : أيُّوب بن سليمان بن مظفَّر المُقْرئ[٣] المعروف بمؤذِّن النَّجيبي ، كان رئيسَ المؤذنين بجامع دمشقَ ونقيبَ الخطباء ، وكان حسنَ الشكل رفيعَ الصوت ، واستمرَّ بذلك نحواً من خمسين سنة إلى أن توفي مستهلّ جُمادى الأولى .

وفي هذا الشهر توفي :

الأمير شمس الدين سُنْقُر الأَعْسر المنصوري[٤] : تولى الوزارة بمصرَ مع شدِّ الدواوين معاً ، وباشر شدَّ الدواوين بالشام مرَّات ، وله دارٌ وبستان بدمشقَ مشهوران به ، وكان فيه نهضةٌ وله همةٌ عالية وأموال كثيرة ، توفِّي بمصرَ .

الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الرُّستُميّ[٥] : شادُّ الدواوين بدمشق ، وكان قبل ذلك والي الولاة بالجهة القبلية بعد الشّريفي ، وكانت له سطوة .

توفي يوم الأحد تاسعَ جُمادى الأولى ، ودفن ضحوةً بالقبة التي بناها تجاه قبة الشيخ رسلان ، وكان فيه كفاية وخبرة[٦] . وباشر بعده شدّ الدواوين أَقْجِبَا[٧] .

وفي شعبانَ أو في رجبٍ توفّي :

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٨٩) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٨) ووفاته فيه : في الرابع والعشرين .

(٢) ترجمته في : الدرر الكامنة (١/ ٤٣٤) والدليل الشافي (١/ ١٧٨) .

(٣) في ط ، وأ ، وب : المصري . وأثبتنا ما في الدرر والدليل .

(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ١٧٧) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٨٧) والدارس (١/ ٤٩٥ و ٥١٦) وشذرات الذهب (٦/ ٢٠) .

(٥) في ط : الرسيمي .
ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٩٨) والدارس (١/ ٤٣٥) .

(٦) في ب زيادة : وإنّما ولّي الشدَّ بدمشق مدة يسيرة .

(٧) أقبجا ، في ط . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (١/ ٣٩٣) وفيه : وهو شاد الدواوين بدمشق ، مات سنة (٧١٠هـ) .

التَّاجُ ابن سعيد الدولة[١] : وكان مُسلمانياً[٢] وكان مشير[٣] الدولة ، وكانت له مكانة عند الجاشنكير بسبب صحبته[٤] لنصر المَنْبجي [شيخ الجاشْنكير][٥] ، وقد عرضت عليه الوزارة فلم يقبل ، ولما توفى تولّى وظيفته ابن أخته كريم الدّين الكبير[٦] .

الشيخ شهاب الدين[٧] : أحمد بن محمد بن أبي المكارم بن نصر الأصْبهاني ، رئيس المؤذنين بالجامع الأموي ، ولد سنة اثنتين وستمئة ، وسمع الحديث وباشر وظيفة الأذان من سنة خمس وأربعين إلى أن توفي ليلة الثلاثاء خامس ذي القعدة[٨] ، وكان رجلاً جيداً والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة عشر وسبعمئة

استهلّت وخليفة الوقت المستكفي بالله أبو الربيع سليمان العباسي[٩] ، وسُلطانُ البلاد الملك النّاصر محمد بن المنصور قلاوون[١٠] ، ونائب مصر الأمير سيف الدين بَكْتَمُر أمير جُنْدار[١١] ، وقضاتُه هم المذكورون في التي قبلها ، سوى الحنبلي فإنّه مسعود[١٢] الحارثي ، والوزير بمصر الخليلي[١٣] ،[١٤] ونائبُ الشام قَرَا سُنْقر المنصوري ، وقضاة دمشق هم هم ، ونائبُ حلبَ قَبْجَق ، ونائب طرابُلُس الحاج بَهَادُر ، والأَفْرم بصرخدَ .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٥١٥ ـ ٥١٦) وفيه : يقال له : أحمد الكاتب ، والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٧٩) وفيه : التاج أبو الفرج . ووفاته فيه : يوم السبت ثاني رجب .

(٢) « مسلمانياً » : أي أسلم فيما بعدُ . إذ كان قِبطياً .

(٣) في ط : سفير ، وفي أ : شقيّ . وأثبتنا ما في ب والدرر والنجوم .

(٤) في ب : للشيخ نصر .

(٥) ليست في ب .

(٦) هو : عبد الكريم بن هبة الله السديد المصري ، سيأتي في وفيات سنة (٧٢٤هـ) .

(٧) لم أقع له على ترجمة .

(٨) في ب : ودفن بباب الصغير .

(٩) في ب : ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن العباسي .

(١٠) في ط : والشيخ تقي الدين بن تيمية مقيم بمصر معظماً مكرماً .

(١١) في ط و أ : خازندار وأثبتنا ما في ب والدرر الكامنة (١/ ٤٨٤) . حيث قال : كان من قبل جوكندار ، ثم صار أمير جندار ، وقتل بالكرك سنة (٧١٦هـ) .

(١٢) في ط : سعد الدين .

(١٣) في ط : فخر الدين الخليلي .

(١٤) في ط و ب : وناظر الجيوش فخر الدين كاتب المماليك .

وفي محرَّم منها باشـرَ الشَّيخ أمينُ الدين سالم بن أَبي الدَّر[١] وكيل بيت المال إمام مسجد ابن هشام[٢] تدريـس الشَّامية الجوَّانيّـة ، والشـيخ صدر الدين سـليمان بن موسـى الكردي تدريس العَذْراوية ، كلاهما انتزعها من ابن الوكيل بسبب إقامته بمصرَ ، وكان قد وَفَدَ إلى المظفَّر فأكرمه ورتَّبَ له رواتب[٣] [لانتمائه إلى نصرٍ المَنْبِجي][٤] ، ثم عاد بتوقيع سلطاني إلى مدرستيه ، فأقام بهما شهراً أو سبعةً وعشرينَ يوماً ، ثُمَّ استعاداهما منه ، ورجعتا إلى المدرِّسَين الأوّلين : الأمين سالم ، والصَّدر الكردي[٥] .

ورجع الخطيب جلال الدين[٦] إلى الخطابة في ثاني[٧] عشرَ المحرم ، وعُزل عنها البدرُ بن الحداد .

وباشر الصاحب شمس الدين[٨] نظر الجامع والأسرى والأوقاف قاطبةً يوم الإثنين ، ثم خُلع عليه وأضيف إليه شرف الدين بن صَصْرَى في نظر الجامع ، وكان ناظره مستقلاً به قَبْلَهما .

وفي يوم عاشوراء قدم أَسَنْدَمُر إلى دمشق متولياً نيابة حماة[٩] ، وسافر إليها بعد سبعة أيام .

وفي المحرم باشر بدر الدّين بن الحدّاد نظر المارستان عوضاً عن شمس الدين بن الخطيري ووقعت منازعة بين صدر الدين بن الوكيل[١٠] وبين الصدر سليمان الكردي بسبب العذراوية ، [وكتبوا في ابن الوكيل[١١] محضراً يتضمّن من القبائح والفضائح والكفريات على ابن الوكيل][١٢] ، فبادر ابنُ الوكيل إلى القاضي تقي الدين بن سليمان الحنبلي ، فحكم بإسلامه وحَقَن دَمَه ، وحَكَم بإسقاط التَّعزير عنه والحكم بعدالته واستحقاقه للمناصب [وأشهد عليه بذلك في شهر المحرم المذكور][١٣] ، ولكن خرجت عنه

(١) في أ : بن أبي الذرين وفي ط : الدرين . وأثبتنا في الدرر الكامنة (٢/ ١٣٢) والدارس (١/ ٣٧٧) وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .

(٢) في ط : مسجد هشام .

(٣) في ط : وألزمه رواتب . وهو تحريف .

(٤) ليست في ب .

(٥) الدارس (١/ ٣٠٥ و ٣٧٧) .

(٦) يعني القزويني .

(٧) في ط : سابع عشر . وفي أ : ثامن عشر ، وأثبتنا ما في ب وهو الصواب ، وقد مر ذكره في آخر الأحداث السنة الماضية .

(٨) في ب : شمس الدين غبريال .

(٩) النجوم الزاهرة (٩/ ١١) وفيه : عوضاً عن قبجق حيث نقل إلى نيابة حلب .

(١٠) في أ وط : المرحل ، وأثبتنا ما في ب والدارس (١/ ٣٧٧) .

(١١) في ط : إلى الوكيل .

(١٢) ليست في ب والذي فيه : وهمُّوا بكتابة محضر يتضمّن أشياء على ابن الوكيل . وهو أشبه .

(١٣) في ط : وكانت هذه هفوة من الحنبلي .

المدرستان العَذْراوية لسليمان الكردي ، والشَّامية الجوانية للأمين سالم ، ولم يبق معه سوى دار الحديث الأشرفية .

وفي ليلة الإثنين السابع من صفر وصل النَّجم محمد بن عثمان البصراوي من مصرَ متولِّياً الوزارة بالشَّام ، ومعه توقيع بالحِسْبَة لأخيه فخر الدين سليمان ، فباشرا المنصبين بالجامع ، ونزلا بدرب سقُّون الذي يقال له : درب ابن أبي الهيجاء ، ثم انتقل الوزير إلى دار الأعسر عند باب البريد ، واستمر نظر الخزانة لعز الدين أحمد بن القلانسي أخي الشيخ جلال الدين .

وفي مستهل ربيع الأول باشر القاضي جمال الدين الزُّرَعي[١] قضاءَ القضاة بمصرَ عوضاً عن ابن جماعة ، وكان قد أخذ منه قبل ذلك في ذي الحجة مشيخة الشيوخ ، وأُعيدت إلى الكريم الآملي ، وأُخذت منه الخطابة أيضاً .

وجاء البريد إلى الشام بطلب القاضي شمس الدين بن الحريري[٢] لقضاء الدّيار المصرية ، فسار في العشرين من ربيع الأول وخرج معه جماعة لتوديعه ، فلما قدم على السلطان أكرمه وعظَّمه وولَّاه قضاء الحنفيّة وتدريس النّاصرية والصالحيّة ، وجامع الحاكم ، وعزل عن ذلك القاضي شمس الدين السروجي فمكث أياماً ثم مات .

وفي نصف هذا الشهر مُسِكَ من دمشقَ سبعةُ أمراء ، ومن القاهرة أربعةَ عشر أميراً[٣] .

وفي ربيع الآخر اهتَّم السلطان بطلب الأمير سيف الدين سَلَّار فحضر هو بنفسه إليه فعاتبه، ثم استخلصت منه أموالُه وحواصلُه في مدَّة شهر ، ثم قُتِلَ بعد ذلك ، فوَجَدَ معه من الأموال والحيوان[٤] والأملاك والأسلحة والمماليك والبغال [والجمال][٥] والحمير أيضاً والرّباع شيئاً كثيراً ، وأما الجواهر والذَّهب والفضَّة ، فشيء لا يحدُّ ولا يوصف في كثرته ، وحاصل الأمر أنه قد استأثر[٦] لنفسه طائفةً كبيرة من بيت المال وأموال المسلمين تجري إليه ، ويقال : إنه كان مع ذلك كثير العطاء كريماً محبباً إلى الدولة والرعية والله أعلم .

وقد باشر نيابة السلطنة بمصر من سنة ثمانٍ وتسعينَ إلى أن قتل يوم الأربعاء رابع عشرين هذا الشهر ، ودُفن بتربته ليلةَ الخميس بالقَرَافة[٧] ، سامحه الله .

---

(١) هو : سليمان بن عمر بن سالم الزرعي . سيأتي في وفيات سنة (٧٣٤هـ) .
(٢) هو : محمد بن عثمان بن عبد الوهاب الأنصاري . سيأتي في وفيات سنة (٧٢٨هـ) .
(٣) أيضاً النجوم الزاهرة (٩/ ١٣) .
(٤) ليست في ب ، وهو الأَشبه ، لأنَّ الحيوانات ذكرت مفصلة بعد قليل .
(٥) سقطت من أ وط وأثبتناها من ب .
(٦) في ب : استاق .
(٧) في النجوم الزاهرة (٩/ ١٨ ـ ١٩) : دفن في تربة علم الدين سنجر الجاولي بجانب مدرسته بالقرب من جامع ابن طولون .

وفي ربيع الآخر درَّس القاضي شمس الدين ابن المعز الحنفي[١] بالظَّاهرية عوضاً عن شمس الدين بن الحريري ، وحضر عنده خالُه الصَّدر علي قاضي قضاة الحنفية وبقيَّة القُضاة والأعيان .

وفي هذا الشهر كان الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر قد قدم دمشق لبعض أشغاله ، وكان له حنوٌّ على الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، فاستنجز له مرسوماً بنظر دار الحديث وتدريس العَذْراوية ، فلم يباشر ذلك حتى سافر أَسَنْدَمُر ، فاتفق أنه وقعت له بعد يومين كائنة بدار ابن درباس بالصالحية ، وذكر أنّه وُجد عنده شيء من المنكرات واجتمع عليه جماعةٌ من أهل الصالحيَّة مع الحنابلة وغيرهم ، وبلغ ذلك نائبَ السَّلطنة فكاتب فيه ، فورد الجوابُ بعزله عن المناصب الدِّينية ، فخرجت عنه دارُ الحديث الأشرفية وبقي بدمشقَ وليس بيده وظيفة لذلك .

فلما كان في آخر رمضانَ سافر إلى حلب فقرّر له نائبُها أَسَنْدَمُر شيئاً على الجامع ، ثم ولّاه تدريساً هناك وأحسن إليه ، وكان الأمير أَسَنْدَمُر قد انتقل إلى نيابة حلبَ في جُمادى الآخرة عوضاً عن سيف الدين قَبْجَق ، توفي ، وباشر مملكة حماة بعدَهُ الأميرُ عماد الدين إسماعيل بن الأفضل علي بن محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أَيُّوب .

وانتقل جمال الدين آقوش الأَفْرم من صَرْخَد إلى نيابة طرابُلُس عوضاً عن الحاج بَهَادُر .

وفي يوم الخميس سادس عشر شعبان باشر الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكاني مشيخة دار الحديث الأشرفية عوضاً عن ابن الوكيل[٢] ، وأخذ في التَّفسير والحديث والفقه ، فذكر من ذلك دروساً حسنة ، ثم لم يستمرَّ بها سوى خمسةَ عشرَ يوماً حتى انتزعها منه كمال الدين بن الشُّرَيْشي ، فباشرها يوم الأحد ثالث شهر رمضانَ .

وفي شعبان رسم قَرَاسُنْقُر نائب الشام بتوسعة المقصورة ، فأُخِّرت سدّةُ المؤذنين إلى الركنين المؤخرين تحت قبة النسر ، ومنعت الجنائز من دخول الجامع أياماً ثم أُذن في دخولها .

وفي خامس رمضان قدم فخر الدين إياس[٣] الذي كان نائباً في قلعة الروم[٤] إلى دمشق شاد الدواوين عوضاً عن زين الدين كَتْبُغَا المنصوري[٥] .

وفي شوّال باشر الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي مشيخة الشيوخ بالديار المصرية عوضاً

---

(١) هو : محمد بن محمد بن الشيخ أبي العز الحنفي الأذرعي ، سيأتي في وفيات (٧٢٢هـ) .

(٢) الدارس (١/ ٣١) .

(٣) ويقال له : إياز بالزاي . سيأتي في وفيات سنة (٧٥٠هـ) .

(٤) هي قلعة حصينة غربي الفرات ، مقابل البيرة ، بينها وبين سميساط . ياقوت .

(٥) هذه الزيادة من ب :
وولي وزارة مصر سيف الدين بكتمر الحاجب ، عوضاً عن فخر الدين بن الخليلي ، وخرج الركب الشامي في شوّال ، وأميرهم الأمير زين الدين كَتْبُغا المنصوري الذي كان شاد الدواوين . وهذا موافق لما في النجوم الزاهرة (٩/ ٣٤) .

عن الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الآملي(١) الذي توفي ، وكان له تجريدٌ وهمَّة ، وخُلع على القونوي خِلعة سنيّة ، وحضر سعيد السُّعَداء بها(٢) .

وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة خُلع على الصاحب عز الدين القلانسي(٣) خِلعة الوزراء بالشَّام عوضاً عن النجم البصراوي بحكم إقطاعه إمرة عشرة وإعراضه عن الوزارة .

وفي يوم الأربعاء سادسَ عشَر ذي القعدة عاد الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكاني إلى تدريس الشامية البرّانية(٤) .

وفي هذا اليوم لبس تقي الدين ابن الصاحب شمس الدين بن السلعوس(٥) خِلعة النَّظر على الجامع الأموي .

ومُسك الأميرُ سيف الدين أَسَنْدَمُر نائب حلب في ثاني عشر ذي الحجة ودخل إلى مصر(٦) .

وكذلك مُسِك نائبُ البيرة(٧) سيف الدين طُوْغَان(٨) بعده بليال .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

قاضي القضاة الإمام العلَّامة(٩) شمس الدين أبو العبَّاس : أحمدُ بن إبراهيم بن عبد الغني السَّرُوجي الحنفي ، شارح « الهداية »(١٠) ، كان بارعاً في علوم شتى ، ووَلّي الحكم بمصرَ مدةً وعزل قبل موته بأيام ، توفي يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر ، ودُفن بقرب الشافعي ، وله اعتراضات على الشيخ تقي الدين بن تيمية في علم الكلام(١١) ، وقد رد عليه الشيخ تقي الدين في مجلدات ، وأبطل حجّته .

---

(١) في ط : الأيكي .

(٢) يعني : مشيخة الشيوخ .

(٣) هو : حمزة بن أسعد وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٩هـ) .

(٤) الدارس (١/ ٢٨٢) .

(٥) هو : عمر بن محمد بن عثمان ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٣١هـ) .

(٦) في ط : ثاني ذي الحجة . وفي النجوم الزاهرة (٩/ ٢٧) : ثم حمل إلى السلطان صحبة الأمير بينجار وأيبك الرومي .

(٧) « البيرة » : هذه غير تلك القريبة من الفرات ، وهي بين المقدس ونابلس ، من أرض فلسطين العزيزة ـ أعادها الله للمسلمين سالمة ـ آمين . ياقوت .

(٨) في ط : ضرغام . وهو تحريف . النجوم الزاهرة (٩/ ٣٤) .

(٩) ليست في ط .
وترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٩١ ـ ٩٢) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢١٢) وفيه : وفاته في الثاني والعشرين وبدائع الزهور (١/ ٤٣٩) وشذرات الذهب (٦/ ٢٣) .

(١٠) شرح الهداية وسماه : الغاية ، ولم يكمله . النجوم الزاهرة (٩/ ٢١٣) .

(١١) بعد هذا في ط : « أضحك فيها على نفسه » وليست في ب ، ولعلها من زيادات النساخ فليس هذا من أسلوب ابن كثير رحمه الله .

وفيها توفّى سَلّار مقتولاً كما تقدَّم[١] .

الصَّاحب أمين الدِّين[٢] : أبو بكر بن الوجيه عبد العظيم بن يوسف المعروف بابن الدقَّاقي[٣] .

والحاج بَهَادُر[٤] : نائب طَرابُلُس مات بها .

والأمير سيف الدين قَبْجَق[٥] : نائب حلبَ ، مات بها ، ودفن بتربته بحماةَ ، ثاني جُمادى الآخرة وكان شهماً شجاعاً ، وقد ولّي نيابة دمشق في أيّام لَاجِيْن[٦] ، ثم قفز إلى التَّتر خوفاً من لَاجين ، ثم جاء مع التَّتر . وكان على يديه فرج المسلمين كما ذكرنا عام قازان ، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن مات بحلب ، ثم وليها بعده أَسَنْدَمُر ، ومات أيضاً في آخر السنة[٧] .

الشيخ كريم الدين [أبو القاسم عبد الكريم][٨] **بن الحسين الآملي**[٩] : شيخ الشيوخ بمصر[١٠] ، كان له صلة بالأمراء ، وقد عُزل مرَّة عن المشيخة بابن جماعة[١١] .

توفي ليلة السبت سابع شوال بخانقاه سعيد السعداء ، وتولاها بعده الشيخ علاء الدين القونوي كما تقدم .

---

(١) هو : سَلَّار البيرمي المنصوري ، نائب الجاشْنكير بمصر .
وترجمته في فوات الوفيات (٢/ ٨٦ ـ ٨٩) والدرر الكامنة (٢/ ١٧٩ ـ ١٨٢) والنجوم الزاهرة (٩/ ١٧ ـ ٢٣ و ٢١٧) وبدائع الزهور (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٨) .

(٢) في ط : الدولة ، وهو توهم .
وترجمته في : الدرر الكامنة (١/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧) وفيه : ابن الدقاقي .

(٣) في ط : الرقاقي ، بالراء ، وهو كذلك في الفوات فقد ذكره في معرض حديثه عن كمال الدين بن الشريشي ، وفيه : وكان ابن الرقاقي ناظر النظّار بدمشق . الفوات (١/ ١٢١ ـ ١٢٢) .

(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٥٠٠) وفيه : بهادر المنصوري الحلبي ، والنجوم الزاهرة (٩/ ٢١٦) وفيه : وفرح الناصر بموته ، لأنه أكبر أمراء المنصورية .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٤١ ـ ٢٤٣) . وفيه وفاته في جمادى الأولى ، والنجوم الزاهرة (٩/ ٢١٦) والدارس (١/ ٣٠٤) .

(٦) في سنة (٦٩٦هـ) . وهرب في العام نفسه ، وفي سنة (٦٩٩هـ) كان عام غازان .

(٧) أسندمر ، وفاته في سنة (٧١١هـ) كما سيذكر .

(٨) ليست في ط .

(٩) في ط و أ : الأيكي وفي ب : الآملي . وهي نسبة لآمل أكبر مدن طبرستان السهل ياقوت .

(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٩٧) والدليل الشافي (١/ ٤٢٤) وفيه : « عبد الكريم بن حسن ، الشيخ كريم الدين الآملي » .

(١١) في الدرر الكامنة (٢/ ٣٩٧) ثم أُعيد .

الفقيه الكبير عز الدّين عبد العزيز بن[١] **عبد الجليل** : النَّمراوي[٢] الشافعيّ ، كان فاضلاً بارعاً ، وقد صحب سلّار نائبَ مصر ، وارتفع في الدنيا بسببه .

ابن الرفعة[٣] : هو الإمام العلامة نجم الدين أحمد بن محمد [شارح (التنبيه)[٤] ، وله غير ذلك[٥] ، وكان فقيهاً فاضلاً وإماماً في علوم كثيرة رحمهم الله][٦] .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمئة

استهلت (والخليفة والسلطان والمباشرون)[٧] هم المذكورون في التي قبلها ، غيرَ الوزير[٨] بمصر فإنَّه عُزل ووُلّي سيف الدين بَكْتَمُر وزيراً .

والنَّجم البصراوي عزل أيضاً بعز الدين بن القلانسي[٩] .

وقد انتقل الأَفْرَم من صرخد[١٠] إلى نيابة طرابُلُس [بإشارة ابن تيمية على السُّلطان بذلك][١١] .

ومُلِّك[١٢] حماةَ الملك المؤيَّد عماد الدين على قاعدة أسلافه .

وقد مات نائب حلب أَسَنْدَمُر وهي شاغرة عن نائب فيها ، وأَرْغُون الدَّوادار الناصري قد وصل إلى دمشق لتسفير قَرَاسُنْقُر منها إلى حلَبَ ، وإحضار سيف الدين كَرَاي إلى نيابة دمشق[١٣] ، وغالب العساكر

---

(١) في ط و أ : الفقيه عز الدين عبد الجليل . وأثبتنا ما في مصادر ترجمته .
وترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٧١) وشذرات الذهب (٦/ ٢٥ ـ ٢٦) .

(٢) « النَّمراوي » : نسبة إلى (نَمْرى) من أعمال الغربية من نواحي مصر . هكذا في الشذرات ياقوت .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٢٨٤) وفيه : أحمد بن علي بن مُرْتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس .
وطبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٧٧) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢١٣) والبدائع (١/ ٤٤٠) وفيه : وفاته سنة (٧١١هـ) . وشذرات الذهب (٦/ ٢٢) .

(٤) هو : كفاية النبيه في شرح التنبيه في شرح فقه الشافعي .

(٥) وذكر صاحب النجوم ، وكذلك صاحب الشذرات أيضاً : الطلب في شرح الوسيط وشرح الوسيط في الفقه أربعين مجلداً .

(٦) ليست في ب .

(٧) من ب .

(٨) هو : فخر الدين الخليلي .

(٩) بن ، ليست في ط . وهو حمزة بن أسعد بن المظفّر .

(١٠) من صرخد ، ليست في ط ولا أ .

(١١) ليست في ب .

(١٢) في ط : ونائب حماة الملك المؤيّد وأثبتنا ما في ب .

(١٣) النجوم الزاهرة (٩/ ٢٧) .

بحلبَ والأَعرابُ محدقةٌ بأطراف البلاد ، فخرج قَرَاسُنْقُر المنصوري من دمشقَ في ثالث المحرم في جميع حواصله وحاشيته وأتباعه ، وخرج الجيش لتوديعه ، وسار معه أَرْغون لتقريره بحلب ، وجاء المرسوم إلى نائب القلعة الأمير سيف الدين بَهادُر السّنْجري[١] أن يتكلم في أمور دمشق إلى أن يأتيه نائب ، فحضر عنده الوزير والموقعون وباشر النيابة ، [وقويت شوكته][٢] وقويت شوكة الوزير إلى أن ولّى ولاياتٍ عديدة ، منها لابن أخيه عماد الدين نظر الأسرىٰ[٣] ، واستمرّ في يده .

وقَدِم نائبُ السَّلطنة سيف الدين كَرَاي المنصوري إلى دمشقَ نائباً عليها في يوم الخميس الحادي والعشرين من المحرّم وخرج الناس لتلقّيه ، وأوقدوا الشموع .

وأُعيدت مقصورة الخطابة إلى مكانها يوم الأحد[٤] رابع عِشْرين المحرم ، وانفرج الناس ، ولبس النجم البصراوي خِلعة الإمرة يوم الخميس ثالثَ عشرَ صفر على قاعدة الوزراء بالطرحة ، وركب مع المقدّمين الكبار وهو أمير عشرة بإقطاع يضاهي إقطاع كبار الطبلخانات .

وفي يوم الأربعاء سابعَ عشرَ ربيع الأول جلس القضاة الأربعة بالجامع لإنفاذ أمر الشهود بسبب تزويرٍ وقع من بعضهم، فاطلع عليه نائبُ السلطنة فغضب وأمر بذلك ، فلم يكن منه كبير شيء ، ولم يتغير حال .

وفي هذا اليوم ولّي الشريف نقيب الأشراف أمين الدين جعفر بن[٥] محيي الدين عدنان نظر الدواوين عوضاً عن شهاب الدين الواسطيّ ، وأُعيد تقي الدّين بن الزَّكي[٦] إلى مشيخة الشُّيوخ .

وفيه ولّي ابنُ جماعة تدريس الناصرية بالقاهرة ، وضياء الدين النشائي[٧] تدريس الشافعي ، والميعاد العام بجامع ابن طولون ، ونظرَ الأحباس أيضاً .

وولي الوزارة بمصر أمين الملك أبو سعيد عوضاً عن الأمير سيف الدين بَكْتَمُر الحاجب في ربيع الآخر[٨] .

وفي هذا الشهر احتيط على الوزير عز الدين بن القلانسي بدمشق ، ورسم عليه مدة شهرين ، وكان نائب السلطنة كثير الحَنَق عليه ، ثم أُفرج عنه .

وأُعيد بدر الدين بن جماعة إلى الحكم بديار مصر في حادي عشرَ ربيع الآخر ، مع تدريس دار

---

(١) في الدرر الكامنة (١/ ٤٩٨) ولّي نيابة القلعة ، وسقطت من ط . وفيه : بهادر الشجري توفي في سنة (٧٣٣هـ) .
(٢) ليست في ب .
(٣) في ط : الأسرار . وهو تصحيف .
(٤) ليست في ط .
(٥) في ط : جعفر بن محمد بن محيي الدين ، وكذلك هو في الدرر الكامنة (١/ ٥١٧) . وقد توفي سنة (٧١٤هـ) .
(٦) هو : عبد الكريم بن يحيى بن محمد بن الزكي . توفي سنة (٧٤٧هـ) .
(٧) في آ و ط : النسائي . وأثبتنا ما في ب .
(٨) في سابع عشر جُمادى الأولى في النجوم الزاهرة (٩/ ٢٨) .

الحديث الكاملية ، وجامع ابن طولون والصَّالحية والناصرية ، وحصل[(١)] له إقبال كثير من السلطان .

واستقرّ جمال الدين الزَّرعي على قضاء العسكر وتدريس جامع الحاكم ، ورسم له أن يجلس مع القضاة بين الحنفي والحنبلي بدار العدل عند السلطان[(٢)] .

وفي مستهلّ جُمادى الأولى أشهد القاضي نجمُ الدّين الدمشقي[(٣)] نائب ابن صَصْرَى على نفسه بالحكم ببطلان البيع في الملك الذي اشتراه[(٤)] ابن القلانسي من تَرِكَةِ المنصوري في الرَّمثا[(٥)] والثُّوجَة[(٦)] والفضالية[(٧)] لكونه بدون ثمن المثل ، ونفذه بقية الحكام ، وأحضر ابن القلانسي إلى دار السعادة وادَّعى عليه بريع ذلك ، ورُسم عليه بها ، ثم حكم قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي بصحة هذا البيع وبنقض ما حكم به الدّمشقي ، ثم نَفَّذَ بقيةُ الحكام ما حكم به الحنبلي .

وفي هذا الشهر قُرِّر على أهل دمشقَ ألف وخمسمئة فارس لكل فارس خمسمئة درهم ، وضربت على الأملاك والأوقاف ، فتألّم الناس من ذلك تألُّماً عظيماً ، وسُعِيَ إلى الخطيب جلال الدين فسعىٰ إلى القضاة واجتمع النَّاس بكرةَ يوم الإثنين ثالث عشر الشهر واحتفلوا[(٨)] بالاجتماع وأخرجوا معهم المصحف العثماني والأثرَ النبوي والسَّناجق الخليفية ، ووقفوا في الموكب ، فلما رآهم كَرَاي تغيَّظ عليهم ، وشتم القاضي[(٩)] والخطيب[(١٠)] ، وضربَ مجد الدين التُّونسي[(١١)] ورسم عليهم ثم أطلقهم بضمانٍ وكفالة ، فتألم الناس من ذلك كثيراً، فلم يمهله الله إلا عشرة أيام فجاءه الأمرُ فجأةً فعُزِلَ وحُبِس، ففرح النّاسُ بذلك فرحاً شديداً[(١٢)] ،[ويقال : إن الشيخ تقي الدين بلغه ذلك الخبر عن أهل الشام فأخبر السلطان بذلك فبعثَ من فوره فمسكه شر مسكة][(١٣)] .

وصفة مسكه أن تقدَّم الأمير سيف الدين أَرْغُون الدَّوادار فنزل في القصر ، فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من جُمادى الأولى خلع على الأمير سيف الدين كَرَاي خِلعة سنية ، فلبسها وقبَّل العتبة ،

(١) في ط : جعل . وهو تحريف .
(٢) الدرر الكامنة (٢/ ١٦٠) .
(٣) هو : أحمد بن عبد المحسن بن معالي ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .
(٤) في ب : الرئيس عز الدين .
(٥) بلدة معروفة ، على الحدود السورية الأردنية ، من بلاد الشام .
(٦) الثُّوجة وتعرف اليوم بالصّوجة بالصّاد . وهي مزرعة تابعة لقطنا ، في سورية .
(٧) في ط : الفصالية بالصاد ، وهي مزرعة معروفة في أول المرج . الدارس (٢/ ٣٦٧) .
(٨) في أ : اختلفوا . وأثبتنا ما في ب و ط وهو الأشبه .
(٩) يعني : ابن صَصْرَى .
(١٠) يعني : جلال الدين القزويني .
(١١) هو : أبو بكر بن محمد بن قاسم ، ذكر من قبل ، وسيأتي في وفيات سنة (٧١٨هـ) .
(١٢) الدارس (٢/ ٢٩٧) .
(١٣) ليست في ب .

وحضر الموكب ومدَّ السِّماط ، فقُيِّدَ بحضرة الأمراء وحُمِل على البريد إلى الكَرَك صُحْبَة غرلو العادليّ ، وبِيبَرس المجنون[(١)] .

وخرج عزُّ الدِّين بن القلانسي من التَّرسيم من دار السعادة ، فصلى في الجامع الظهر ثم عاد إلى داره ، وقد أُوقدت له الشموع ، ودعا له الناس ، ثم رجع إلى دار الحديث الأشرفية فجلس فيها نحواً من عشرين يوماً ، حتى قدم الأمير جمال الدين نائبُ الكَرَك . .

وفي هذا الشهر مسك نائب صفد[(٢)] الأمير سيف الدين قُطْلُوبَك وقُيِّد وحمل إلى الكَرَك ، ومسك نائب مصر الأمير سيف الدين بكتمر أمير خازندار وعوض عنه بالأمير ركن الدين[(٣)] بَيْبَرْس الدَّوادار المنصوري .

ومسك نائب غزة ، وعوض عنه بالجاولي[(٤)] ، فاجتمع في حبس الكَرَك أَسَنْدَمُر نائبُ حلب ، وبَكْتَمُر نائب مصر ، وكَرَاي نائبُ دمشق ، وقُطْلُوبك نائب صفد ، وقُلْطَتُمر[(٥)] نائب غزة وبَتْخَاص[(٦)] .

وقدم جمال الدين آقوش المنصوري الذي كان نائب الكَرَك على نيابة دمشق إليها في يوم الأربعاء رابعَ عشرَ ربيع الآخر ، وتلقّاه الناسُ وأُشعلت له الشموع ، وفي صحبته الخطيري[(٧)] لتقريره في النِّيابة ، وقد باشر الكرك من سنة تسعين وستمئة إلى سنة تسع وسبعمئة وله بها آثار حسنة ، وخرج عز الدين بن القلانسي لتلقّي النائب .

وقُرئَ يومَ الجمعة كتابُ السُّلطان على السدة بحضرة النائب والقضاة والأعيان ، وفيه الأمر بالإحسان إلى الرعية وإطلاق البواقي التي كانت قد فرضت عليهم أيام كَرَاي ، فكثرت الأدعية للسلطان وفرح الناس .

وفي يوم الإثنين التاسعَ عشرَ خلع على الأمير سيف الدين بَهَادُرآص بنيابة صفد[(٨)] فقبّل العَتَبَةَ ، وسار إليها يوم الثلاثاء .

وفيه لبس الصدر بدر الدين بن أبي الفوارس خِلعة نظر الدواوين بدمشقَ ، مشاركاً للشريف ابن عدنان

---

(١) الدرر الكامنة (٣/ ٢٦٧) وبدائع الزهور (١/ ٤٤٠) . وكان مسكه في الثالث والعشرين من جمادى الأولى . وغرلو : هو نائب دمشق لكتبغا كما سيأتي في وفيات سنة (٧١٩هـ) .

(٢) في ط : صفت وهو توهُّم . لأن صَفَت : هي قرية في جوف مصر قرب بلبيس يقال : بها بيعت البقرة التي أُمر بنو إسرائيل بذبحها . ياقوت . والأشبه ما أثبتناه .

(٣) العبارة في ط مضطربة وهي فيها : الأمير سيف الدين بكتمر وعوض عنه بالكرك بيبرس الدوادار المنصوري . حيث سقط سطر كامل . وما أثبتناه موافق لما في : النجوم الزاهرة (٩/ ٣٠) وبدائع الزهور (١/ ٤٤٠) .

(٤) هو : علم الدين سَنْجر الجاولي . وسيأتي في وفيات سنة (٧٤٥هـ) .

(٥) في ط : قطلتمز بالزاي ، وهو تحريف .

(٦) في ط : بنحاص . وما في الدرر الكامنة (١/ ٤٧٢) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٥) موافق لما أثبتناه . وقد توفي مع أسندمر في السجن سنة (٧١١هـ) .

(٧) هو : الأمير أيدَمُر الخطيري .

(٨) عوضاً عن قُطْلُوبك . وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٠هـ) .

وبعد ذلك بيومين قَدمَ تقليدُ عز الدين بن القلانسي وكالة السُّلطان على ما كان عليه ، وأنه أُعفيَ عن الوزارة لكراهته لذلك .

وفي رجب باشر ابن السّلعُوس نظر الأوقاف عوضاً عن شمس الدين بن عدنان[١] .

وفي شعبانَ ركب نائبُ السَّلطنة[٢] بنفسه إلى أبواب السُّجون ، فأطلقَ المحبوسين بنفسه ، فتضاعَفَتْ له الأدعيةُ في الأسواق وغيرها .

وفي هذا اليوم قدم الصّاحب عز الدين بن القلانسي من مصرَ فاجتمع بالنائب وخلع عليه ومعه كتاب يتضمَّن احترامه ، وإكرامه ، واستمرارَه على وكالة السُّلطان ، ونظر الخاص ، والإنكار لما ثَبَتَ عليه بدمشقَ ، وأنَّ السلطان لم يعلم بذلك ولا وَكَّل فيه ، وكان المساعد له على ذلك كريم الدّين ناظر الخاص السلطاني ، والأمير سيف الدين أَرْغُون الدَّوادار[٣] .

وفي شعبانَ منع ابن صَصْرَى الشهود والعقاد [من جهته ، وامتنع غيرهم أيضاً وردهم المالكي][٤] .
وفي رمضان جاء البريد بتولية زين الدين كَتْبُغَا المنصوري حجوبيّة الحُجّاب ، والأمير بدر الدين بَكْتُوت[٥] القَرَمانيّ شدَّ الدّواوين عوضاً عن طُوْغَان[٦] ، وخلع عليهما معاً .

وفيها ركب بهَادُر السِّنْجَري نائبُ قلعة دمشق على البريد إلى مصرَ وتولاَّها سيفُ الدّين بَلَبَان البدري ، ثم عاد السِّنْجَري في آخر الشهر[٧] على نيابة البِيْرَة ، فسار إليها .

وجاء الخبر في آخر رمضان[٨] بأنّه قد احتيط على جماعة من قُصَّاد المسلمين ببغدادَ ، فقتل منهم ابن العقاب وابن البدري[٩] ، وتخلّص عُبيدةُ وجاء سالماً .

وخرج المحْمَلُ في شوال وأمير الحاج الأمير علاء الدين طَيْبُغَا أخو بَهَادُرآص .

وفي عاشر[١٠] ذي القعدة جاء الخبر بأن الأمير قَرَاسُنْقُر رجع من طريق الحجاز بعد أن وصل إلى بركة

(١) ليست في ط .
(٢) في ب : جمال الدين الأَفرم .
(٣) الدرر الكامنة (٢/ ٧٥) .
(٤) ليست في ب .
(٥) في ط : ملتوبات وهو تصحيف .
(٦) هو : طوغان المنصوري ، وممَّن مسك هذا العام . الدرر الكامنة (٢/ ٢٢٨) .
(٧) في ط : النَّهار .
(٨) سقط من ط .
(٩) في ط : ابن البدر .
(١٠) في أ وط : آخر ، وفي ب : عاشر ، وهو الصّواب ، لأن التسلسل الزمني يقتضيه ، وخروجه من حلبَ كان في منتصف شوّال متجهاً إلى مهنّا .

زيزاء[١] ، وأنه لحق بمهَنَّا بن عيسى ، فاستجارَ به خائفاً على نفسه ومعه جماعةٌ من خواصه ، ثم سار من هناك إلى التَّتَر بعد ذلك كله ، وصحبَهُ الأَفْرَمُ[٢] والزَّرَدْكَاشُ[٣] .

وفي العشرين من ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين أَرْغُون في خمسة آلاف إلى دمشق وتوجَّهوا إلى ناحية حمصَ ، وتلك النواحي .

وفي سابع ذي الحجّة وصل الشيخ كمال الدين بن الشُّريشي من مصرَ مستمراً على وكالته[٤] ، ومعه توقيعٌ بقضاء العسكر الشامي ، وخُلِعَ عليه في يوم عَرَفَةَ[٥] .

وفي هذا اليوم وصلت ثلاثةُ آلاف عليهم سيف الدين ملِّي[٦] من الديار المصرية فتوجَّهوا وراء أصحابهم إلى البلاد الشمالية .

وفي آخر الشهر وصل الشيخ[٧] شهاب الدين الكاشغري[٨] من القاهرة ومعه توقيعٌ بمشيخة الشُّيوخ ، فنزل في الخانْقَاه ، وباشرها بحضرة القُضاة والأعيان ، وانفصل ابنُ الزَّكي عنها .

وفيه باشر الصَّدْرُ علاء الدين بن تاج الدين بن الأَثير[٩] كتابةَ السرِّ بمصرَ ، وعزل عنها شرف الدين بن فضل الله إلى كتابة السرّ بدمشقَ ، عوضاً عن أخيه محيي الدّين ، واستمرَّ محيي الدين على كتابة الدست بمعلومه أيضاً . والله أعلم .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الرئيس بدر الدين : محمد بن رئيس الأطباء أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري[١٠] ـ من سلالة سعد بن معاذ ـ السُّويدي ، من سُوَيْداء حَوْران ، سمعَ الحديثَ وبرع في الطبّ .

---

(١) في ط : زيرا بالراء والقصر ، وهي من قرى البلقاء ، يطؤها الحجاج ، ويقام لهم بها أسواق ، وفيها بركة عظيمة . ياقوت ، وكذلك في النجوم الزاهرة (٩/ ٣١) .

(٢) هو : جمال الدين آقوش .

(٣) هو : الأمير عز الدين أَزْدَمُر الزَّرَدْكاش . وسيأتي في أحداث سنة (٧١٢هـ) .

(٤) في ب : على وكالة بيت المال .

(٥) في ب : بذلك وهنّأه النّاس في خلعته .

(٦) لم أهتد لمعرفته ، ولعلّه : سيف الدّين منكلي ، وكان أعظم خاصية الناصر محمد بن قلاوون توفي في القاهرة في حدود سنة ثلاثين وسبعمئة . الدرر الكامنة (٥/ ١٣٦) والدليل الشافي (٢/ ٧٤٤) .

(٧) ليست في ط .

(٨) في ط : الكاشنغري ، وهو تحريف ، وسيأتي في وفيات سنة (٧١٦هـ) .

(٩) هو : علي بن أحمد بن سعيد . وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٠هـ) . قال ابن حجر في الدرر الكامنة (٣/ ١٤) : عن موعدة وعدها لابن الأثير عندما كان الناصر في الكَرَك .

(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٩٤) والدارس (٢/ ١٣٢) .

توفي في ربيع الأول ببستانه بقرب الشِّبليّة[١] ، ودفن في تربة له في قبة فيها عن سبعين[٢] سنة .

الشَّيخ شعبانُ بن أبي بكر بن عمر الأرْبلي[٣] : شيخ الحلبيّة بجامع بني أمية ، كان صالحاً مباركاً فيه خيرٌ كثيرٌ ، كان كثير العبادة وإيجاد الراحة للفقراء ، وكانت جنازته حافلة جداً ، صلّي عليه بالجامع بعد ظهر يوم السبت تاسع عشرين رجب ودُفن بالصُّوفية ، وله سبع وثمانون سنة ، وروى شيئاً من الحديث وخرَّجْتُ له مشيخةً حضرها الأكابر رحمه الله .

[وقبله بيوم واحدٍ توفي نائب الإسكندرية بَكْتُوت أمير شِكَار][٤] .

الشيخ ناصرُ الدِّين[٥] **يحيى بن إبراهيم**[٦] : بن محمد بن عبد العزيز العُثْماني ، خادم المُصحف العثماني نحواً من ثلاثين سنة ، وصُلِّي عليه بعد الجمعة سابع رمضانَ ودفن بالصوفية ، وكان لنائب السَّلطنة الأَفرم فيه اعتقاد ووصله منه افتقاد ، وبلغ خمساً وستين سنة .

الشَّيخ الصالح الجليل القدوة : أبو عبد الله محمد ابن الشيخ القدوة إبراهيم بن الشيخ عبد الله الأرموي[٧] ، توفي في العشرين من رمضان بسفح قاسيون ، وحضر الأمراء والقضاة والصدور جنازته وصلّي عليه بالجامع المظفَّري[٨] ، ثم دفن عند والده ، وغلق يومئذ سوق الصالحية له ، وكانت له وجاهة عند الناس وشفاعة مقبولة ، وكان عنده فضيلة وفيه تودد ، وجمع أجزاءً في أخبار جَدِّهِ[٩] ، وسمع الحديث وقارب السبعين رحمه الله .

---

(١) هي : المدرسة الشبلية الحسامية البرانية . الدارس (٢/ ١٣٢) .

(٢) في ط : ستين ، وما أثبتناه الصّواب ، وهو كذلك في الدرر والدارس .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ١٨٩) وشذرات الذهب (٦/ ٢٦) .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من ب .
وترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٨٩) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢١٧) وفيها :
كان خازندار ثم أمير شكار ، ثم نائب السلطنة بثغر الإسكندرية ، ومات بعد عزله عنها في ثامن رجب ، وفيه نظر .
أقول : لعلَّه ثامن عشرين رجب ، لأنَّ الشَّيخ شعبان الذي مات بعده وسَبقت ترجمته مات في تاسع عشرين أو العكس ، أي : تكون وفاة الشيخ شعبان في تاسع رجب فقط . فليحرر .

(٥) في ب : الشيخ ناصر الدين محمد بن يحيى بن إبراهيم .

(٦) لم أقع على ترجمة له .

(٧) في ط الأموي . وترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٨٣) والدارس (٢/ ١٩٦) .

(٨) ويعرف بجامع الحنابلة ، ويقع في سفح قاسيون . ويعرف كذلك بجامع الجبل . الدارس (٢/ ٤٣٥) .

(٩) في ط : جيدة وهو تحريف .
وجدُّه هو : عبد الله بن يونس الأموي ، صاحب الزاوية الأرموية ، والمتوفَّىٰ سنة (٦٣١هـ) الدارس (٢/ ١٩٦) ومنادمة الأطلال ص(٢٩٩) .

ابن الوحيد الكاتب(١) : هو الصّدر شرفُ الدّين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الزُّرَعي المعروف بابن الوحيد ، كان موقّعاً بالقاهرة ، وله معرفة بالإنشاء ، وبلغ الغاية في الكتابة في زمانه ، وانتفع الناس به ، وكان فاضلاً مقداماً شجاعاً ، توفي بالمَارِسْتان المنصوري بمصر يوم الثلاثاء(٢) سادسَ عشرَ شعبان(٣) .

الأميرُ ناصر الدين(٤) : محمد بن عماد الدين حسن بن النسابي(٥) أَحدُ أمراء الطَّبْلَخَانات ، وهو حاكم البُنْدق ، ولّي ذلك بعد سيف الدِّين بَلَبَان .

توفي في العشر(٦) الآخر من رمضان .

التّميمي الدّاري(٧) : توفي يوم عيد الفطر ودفن بالقرافة الصغرى ، وقد ولّي الوزارة بمصر ، وكان خبيراً كافياً ، مات معزولاً ، وقد سمع الحديث وسمع عليه بعض الطلبة .

وفي ذي القعدة جاء الخبر إلى دمشق بوفاة الأمير الكبير أَسَنْدَمُر(٨) .

وبَنْخَاص(٩) في السجن بقلعة الكَرَك .

القاضي الإمام العلّامة الحافظ : سعد الدين مسعود الحارثي(١٠) الحَنْبلي الحاكم بمصرَ ، سمعَ الحديثَ ، وجمَع وخرَّج وصنّف ، وكانت له يدٌ طُولَىٰ في هذه الصِّناعة والأَسانيد والمُتُون ، وشرح قطعة من « سنن أبي داود » فأجاد وأفاد ، وأحسن الانتقاد(١١) ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم(١٢) .

---

(١) ترجمته في فوات الوفيات (٣/ ٣٩٠) والدرر الكامنة (٣/ ٤٥٣ ـ ٤٥٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٢٠) وشذرات الذهب (٦/ ٢٧) .

(٢) ليست في ط .

(٣) في أ وط : شوال ، والتصحيح من ب ومصادر ترجمته .

(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٤٢٥) . وفيه النسابي .

(٥) في ط : النسائي .

(٦) في ط : العشرين .

(٧) في ب : الصاحب الكبير الوزير فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الحسن الخليلي التميمي الداري ، وترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٧٠) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٢٠) والدارس (١/ ٢٨١) وشذرات الذهب (٦/ ٢٨) .

(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٨٧) وفيها وفاته سنة (٧٢١هـ) وأشير في الحاشية إلى أنه سنة (٧١١هـ) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٠) وفيها : أَسَنْدَمُر الكُرْجي والدارس (١/ ٣٠) . وفيه : أَسَنْدَمَر الكوفي ، وهو تصحيف .

(٩) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٧٢) وفيها : بنخاص ، والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٤) وما فيها موافق لما في أ .

(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٣٤٧) وفيه : منسوب إلى قرية الحارثيّة من قرى بغداد والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٢١) وشذرات الذهب (٦/ ٢٨) .

(١١) في ط : وحسن الإسناد . وهو تصحيف .

(١٢) ورد في أ هذه الزيادة :

. . . .

ـ فصل ـ

قال الشيخ الإمام العلاّمة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي في كتابه الذي جمعه في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية .

لمّا كان في شهر رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمئة جاء رجل من أعيان أهل مصر إلى أخي الشيخ شرف الدّين ، وهو في مسكنه بالقاهرة فقال : إنّ جماعة بالجامع قد تعصّبوا على الشيخ وتفرّدوا به ، وضربوه . فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان بعض أصحاب الشيخ حاضراً عنده ، فقام وأتى مصر .

يقول : فوجدت خلقاً من أهل الحسينية ، وغيرها رجالاً وفرساناً يسألون عن الشيخ ، فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب المماليك على البحر ، وقد اجتمع عنده جماعة كثيرة ، وتتابع الناس في المجيء إليه ، فقال له بعضهم : يا سيدي قد جاء خلق من الحسينية لو أمرتهم أن يهدموا مصر كلّها لفعلوا ، فقال : لأي شيء ؟

قالوا : نصرة لك وقياماً لحقك .

فقال لهم : هذا ما لا يجوز .

قالوا : فنحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوْك ، فنقتلهم ونخربُ بيوتهم .

فقال : هذا لا يحل .

قالوا : فهذا الذي فعلوه معك يحل ؟! هذا شيء لا نصبر عليه ، ولا بد أن نؤذي من آذاك .

فجعل الشيخ ينهاهم ويسليهم ، وهم مصمّمون على ذلك .

فقال لهم : إما أن يكون الحقُّ إليَّ أو إليكم ، أو لله ، فإن كان الحق لي فهم في حلٍّ منه ، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني وافعلوا ما شئتم ، وإن كان الحق لله ، فالله يأخذ حقه كما يشاء ، وكيف يشاء ممّن يشاء إن شاء .

قالوا : فهذا الذي فعلوه معك هو حلال ؟! .

قال : فهذا الذي فعلوه معي قد يكونون مثابين عليه مأجورين فيه .

قالوا : فتكون أنت على الباطل وهم على الحق إذا قلت : إنهم مأجورون فيه ، فاسمع منه وخذ بقولهم ، ووافقهم على قولهم .

فقال لهم : ما الأمر على ما تزعمون ، فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين ، ففعلوا ذلك الذي فعلوه باجتهادهم ، والمجتهد المخطئ له أجر اجتهاده ، فلما قال لهم ذلك ، قالوا له : اركب معنا حتى ندخل القاهرة ، فقال : لا ، ثم سأل عن وقت العصر ، فقيل له : إنه قريب . فقام قاصداً إلى الجامع لصلاة العصر ، فقيل له : إن أعداءك قد تواصَوْا عليك أن يقتلوك في الجامع ، فإنهم يتمكنون منك حينئذ ، فصلِّ حيث كان ، فأبىٰ إلّا الذهاب إلى الجامع والصلاة فيه .

فخرج وتبعه خلق كثير من محبيه ، لا يرجعون عنه ، فأراد ردّهم عنه ، فأبوا ، فامتلأ الطريق بالناس ، فقال له من كان قريباً منه : ادخل إلى هذا المسجد ، وإذا مسجد في الطريق ، واقعد فيه حتى يخفّ عنك الناس لئلا يموت أحد من الزحام ، فدخل المسجد ولم يجلس فيه ، بل وقف وأنا معه ، فلمّا خف الناس خرج منه طالباً للجامع العتيق ، فمرّ على طريقه بقوم يلعبون بالشّطرنج على مصطبة بعض حوانيت الحدادين ، فقبض الرُّقعة ، وقلبها ، فبهت الذي يلعب بها والناس من فعله ذلك .

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وسبعمئة

استهلّت والذي فيه هو : الخليفة والسلطان هما هما ، ونائب مصر ركن الدين بيبرس ، والوزير أمين الملك والقضاة هم ، ونائب الشام جمال الدين آقوش نائب الكرك ، وليس به وزير ، والقضاة لم يتغيروا ، والخطيب جلال الدين القزويني ، ومحتسب البلد فخر الدين سليمان أخو الصاحب نجم الدين البصراوي ، وكاتب السرّ شرف الدين فضل الله ، وناظر الخزانة عز الدين بن القلانسي .

وفي خامس المُحرّم توجَّه الأميرُ عز الدين أَزْدَمُر الزَّرَدْكَاش وأميران معه إلى الأَفْرم ، وساروا

= ثم مضى إلى الجامع فلما دخله قيل : الآن يغلقون عليه وعلى أصحابه أبواب الجامع ويقتلونهم ، فصلّى ركعتين ، فلمّا سلَّم منهما أُذِّن للعصر ، فصلى ، ثم افتتح كلامه بحمد الربّ تعالى ، ثم تكلّم في المسألة التي كانت الفتنة بسببها إلى أذان المغرب ، فخرج أتباع خصومه وهم يقولون : والله لقد كنا غالطين في هذا الرجل ظالمين له بقيامنا عليه ، والله إنّ الذي يقوله هذا هو الحق ، ولو تكلَّم بغير الحق لم نمهله إلى أن يسكت ، بل كنا نبادر إلى الإنكار عليه ، وإلى قتله ، ولو كان هذا يبطن خلاف ما يظهر لم يخف علينا ، فإن لكلامه وقعاً في القلوب وحلاوة ، وعليه طلاوة ، وصاروا فريقين يخاصم بعضهم بعضاً .

قال : ورحنا معه إلى بيت ابن عمه على البحر ، فبتنا عنده .

وقال الشيخ علم الدين البِرزالي : وفي العشر الأوسط من رجب سنة إحدى عشرة وقع أذى في حقّ الشيخ بمصر ، وذلك أنّه ظفر به بعض أعدائه ومبغضيه في مكان خالٍ فأساء عليه الأدب ، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ لأجل الانتصار له ، فلم يجب إلى ذلك ، ولو علم السلطان بذلك لأهان من آذاه إهانة بالغة ، ولكن كتب إلى المقاتلين يذكر أن ذلك وقع من فقيه بمصر يعرف بالبَكْري حصل منه إساءة أدب وأمره أن لا يُعلم السلطان بذلك ، ثم إنّ البكري طُلبَ فهرب واختفى .

ثم مضى إلى بعض الأمراء الكبار ، فشفع فيه مع جماعة آخرين من الأمراء ، مع أنّ الشيخ ما تكلم فيه ولا اشتكى ، ولو حصل منه شكوى لوقع لذلك المؤذي عظيم .

بل قال الشيخ : أنا لا أنتصر لنفسي .

قال : وقد توفي في غيبة الشيخ عن دمشق جماعة من أصحابه وساداتهم منهم :

الشيخ الإمام القدوة العابد العارف المسلك عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميّة .

توفي يوم السبت سادسَ عشرَ شهر ربيع الآخر من سنة إحدى عشرة وسبعمئة ، وكان رجلاً صالحاً ورعاً كبير الشأن ، منقطعاً إلى الله ، متوفراً على العبادة والسلوك ، وله تصانيف كثيرة في أعمال القلوب وغيرها وقد شرح : « منازل السائرين » في ثلاث مجلدات شرحاً جيداً ، وله رسائل وكتب إلى أصحابه تتضمّن علوماً وفوائد جمَّة ، وله رسالة إلى أصحاب الشيخ تقي الدين فيها الوصاة بملازمة الشيخ ، والحث على اتباع طريقة الشيخ ، وفيها الثناء على علوم الشيخ وأعماله ، وذكر فيها : أنَّه قد خالط جميع الطرائق من الفقهاء والفقراء وغيرهم ، وسافرت بلاداً كثيرة غرباً وشرقاً ويمناً ومصر وشاماً ، فلم أَرَ تَحْتَ أديم السّماء مثل شيخكم وشيخنا الشيخ الإمام العالم العلاّمة تقي الدين بن تيمية ، وسأذكر هذه الرسالة إن شاء الله تعالى عند وفاة الشيخ إذا انتهينا إلى ذلك في سنة ثمان وعشرين وسبعمئة ـ وهذا الفصل لم يذكره المؤلف رحمه الله تعالى .

بأجمعهم حتّى لحقوا بَقَراسُنْقُر وهو عند مهنَّا ، وكاتبوا السُّلطان ثمّ ساروا نحو التتر[١] وكانوا كالمستجيرين من الرَّمضاء بالنَّار .

وجاء البريد في صفر[٢] بالاحتياط على حواصل الأَفْرم وَقَارسُنْقُر والزَّرَدْكَاش وجميع ما يتعلّق بهم ، وقُطعَ خبرُ مهنّا ، وجُعل مكانه في الإمْرة أخوه فضلٌ[٣] ، وعادت العساكر صحبة أَرْغون من البلاد الشمالية ، وقد حصل عند الناس من قَرَاسُنْقُر وأصحابه هَمٌّ وغَمٌّ وحُزْنٌ .

وقدم سُودِي من مصرَ على نيابة حلبَ ، فاجتاز بدمشقَ [فخرج الناس والجيش لتلقيه][٤] ، وحضر السماط ، وقرئَ مرسوم السلطان[٥] بطلب جمال الدّين نائب دمشقَ إلى مصرَ ، فركب من ساعته على البريد إلى مصر وتكلّم في نيابته لغيبة قرالاجين[٦] .

وطُلب في هذا اليوم قطب الدّين موسى بن شيخ السّلامية ناظر الجيش إلى مصر ، فركب في آخر النّهار إليها فتولّى بها نظر الجيش عوضاً عن فخر الدين الكاتب كاتب المماليك بحكم عزله ومصادرته وأخذ أمواله الكثيرة منه في عاشر ربيع الأول .

وفي الحادي عشر منه باشر الحكم للحنابلة بمصر القاضي تقي الدين أحمد بن العز[٧] عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي ، وهو ابن بنت الشيخ شمس الدّين بن العماد[٨] أول قضاة الحنابلة .

وقدم الأميرُ سيف الدّين تَمُر[٩] علىٰ نيابة طرابُلُس عوضاً عن الأَفْرم بحكم هربه إلى التَّتر .

وفي ربيع الآخر مُسك بيْبَرس العلائي نائبَ حمص وبِيْبَرس المجنون وطُوْغَان وجماعةٌ آخرون من الأمراء ستّةٌ في نهار واحد[١٠] ، وسُيِّرُوا إلى الكَرَك معتقلين بها .

وفيه مُسك نائبُ مصرَ الأمير ركن الدين بِيْبَرس الدَّوادار المنصوري[١١] ، وولي بعده أَرْغُون الدَّوادار .

---

(١) ليست في ط . وهي في ب أيضاً .

(٢) في ب : من مصر . بدلاً من صفر . وهو غير بعيد أيضاً .

(٣) في أ وط : محمداً بالنصب وفي ب : محمدٌ بالرفع نائب فاعل لجُعلِ ، وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٣/ ٢٣١) وابن خلدون (٥/ ٤٣٩) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٤) فليحرَّر .

(٤) ليست في ب والذي في ب : فركب الجيش صحبة القائد لتلقّيه .

(٥) في ط : المنشور .

(٦) في ط : لاجين . وهو : حسام الدين قرالاجين بن عبد الله المنصوري توفي في سنة (٧١٥هـ) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٣٣٢) وفيه : قراجين المنصوري . والدليل الشافي (٢/ ٥٤٠) .

(٧) في ط : المعز .

(٨) هو : شمس الدين أبو بكر وأبو عبد الله محمد بن العماد إبراهيم . مات سنة (٦٧٦هـ) النجوم الزاهرة (٧/ ١٣٤) .

(٩) هو : تَمُر السّاقي المنصوري مات سنة (٧٤٣هـ) . الدرر الكامنة (١/ ٥١٩) .

(١٠) ومنهم : سنجر البرداني ، وبيبرس التاجي . النجوم الزاهرة (٩/ ٣٤) .

(١١) هو صاحب التاريخ المشهور .

ومسك نائبُ الشام جمال الدين نائبُ الكَرَك ، وشمس الدين سُنْقُر الكمالي حاجب الحجَّاب بمصر ، وخمسةُ أمراء آخرون[١] ، وحبسوا كلهم بقلعة الكَرَك ، في برج هناك .

وفيه وقع حريقٌ داخل باب السَّلامة[٢] احترق فيه دورٌ كثيرة منها دار ابن أبي الفوارس ، ودار الشريف القباني .

نيابةُ تَنكِز على الشّام[٣]

في يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر دخل الأمير سيف الدين تَنْكِز بن عبد الله الحسامي الناصري نائباً على دمشق بعد مسك نائب الكرك[٤] ومعه جماعة من مماليك السلطان منهم الحاج أَرُقْطَاي[٥] على خبز بِيْبَرْس العلائي ، وخرجَ النَّاس لتلقيّه وفرحوا به كثيراً ، ونزل بدار السعادة ، ووقع عند قدومه مطرٌ[٦] عظيمٌ ، وكان ذلك اليوم يومَ الرابع والعشرين من آب ، وحضر يوم الجمعة الخطبة بالمَقْصورة وأُشعلت له الشُّموع في طريقه ، وجاء توقيع لابن صَصْرَى بإعادة قضاء العسكر إليه ، وأن يَنْظُر الأوقاف فلا يشاركه أحدٌ في الاستنابة في البلاد الشامية على عادة من تقدَّمه من قضاة الشّافعية .

وجاء مرسوم لشمس الدين أبي طالب بن حُمَيد[٧] بنظر الجيش عوضاً عن ابن شيخ السلامية بحكم إقامته بمصر .

ثم بعد أيام وصل الصَّدر معين الدين[٨] هبة الله بن حشيش[٩] ناظر الجيش وجعل ابن حميد بوظيفة ابن البدر ، وسافر ابن البدر على نظر جيش طرابُلُس .

[وتولى أَرْغُون نيابة مصر][١٠] .

---

(١) ومنهم : لاجين الجاشْنكير ، بينجار ، وألدُكُز الأشرفي ، ومغلطاي . النجوم الزاهرة (٩/ ٣٤) .
(٢) في ط : السّلامية . وهو باب السّلام ، المعروف في دمشق .
(٣) الخبر في : فوات الوفيات (١/ ٢٥١) والدرر الكامنة (١/ ٥٢٥) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٤) والبدائع (١/ ٤٤١) .
(٤) أي : جمال الدين آقوش .
(٥) أَرُقْطاي القفجي المشهور بالحاج ، ولي بعد ذلك نيابات عديدة إلى أن توفي سنة (٧٥٠هـ) الدرر الكامنة (١/ ٣٥٤) .
(٦) في ط : من مصر فرح .
(٧) هو : أبو طالب بن عباس بن أبي طالب بن أحمد بن حميد شمس الدين ، توفي سنة (٧٤١هـ) الدرر الكامنة (٢/ ٢١٥) .
(٨) في أ : شمس الدين . وأثبتنا ما في الدرر (٤/ ٤٠٣) وكذلك في الشذرات (٦/ ٩٢) .
(٩) في ط : خشيش بالخاء .
(١٠) ليست في ب ، والذي فيها : في جمادى الأولى وصل البريد بمباشرة الأمير سيف الدين أرغون .

وعاد فخر الدين كاتب المماليك إلى وظيفته مع استمرار قطب الدين ابن شيخ السلامية أيضاً مباشراً معه .

وفي هذا الشَّهر قام الشَّيخ محمد بن قَوَّام[١] وجماعةٌ من الصَّالحين على ابن نهرة[٢] المغربي الذي كان يتكلَّم بالكلَّاسة ، وكتبوا عليه محضراً يتضمَّن استهانته بالمُصْحف ، [وأنّه يتكلَّم في أهل العلم ، فأُحضر إلى دار العدل فاستسلم وحُقِن دمه][٣] وعُزِّر تعزيراً بليغاً عنيفاً وطِيفَ به في البلد باطنِه وظاهِره ، وهو مكشوفُ الرأسِ ووجهُه مقلوبٌ وظهره مضروب ، يُنادى عليه : هذا جزاء من يتكلَّم في العلم بغير معرفة ، ثم حُبس وأُطلق فهرب إلى القاهرة ، ثم عاد على البريد في شعبان ورجع إلى ما كان عليه .

وفيه قدم بَهَادُرآص من نيابة صفد إلى دمشقَ وهنَّأه الناس .

وفيه قدمَ كتابٌ من السلطان إلى دمشق يتضمَّنُ[٤] أن لا يولّى أحدٌ بمال ولا برِشْوة ، فإنَّ ذلك يُفْضي إلى ولاية من لا يستحق الولاية ، [وإلى ولاية غير الأهل][٥] ، فقرأه ابن الزَّمْلَكاني على السُّدَّة وبلغه عنه ابن صَبِيح[٦] المؤذّن ، وكان سبب ذلك الشَّيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله .

وفي رجبٍ وشعبانَ حصل للنّاس خوفٌ بدمشق[٧] بسبب أن التَّتَر قد تحرَّكوا [للمجيء إلى الشام][٨] ، فانزعجَ النّاسُ من ذلك وخافوا ، وتحول كثير منهم إلى البلد ، وازدحموا في الأبواب ، وذلك في شهر رمضان ، وكثُرت الأَراجيفُ بأنهم قد وصلوا إلى الرَّحْبَة[٩] ، وكذلك جرى واشتُهر بأنَّ ذلك بإشارة قَرَاسُنْقُر وذَويه فالله أعلم .

وفي رمضانَ جاء كتابُ السلطان أنَّ من قَتَلَ لا يجني أحدٌ عليه ، بل يتبع القاتلُ حتى يقتصَّ منه بحكم الشرع الشريف ، فقرأه ابن الزَّمْلكاني على السُّدَّة بحضرة نائب السَّلطنة[١٠] تنكِز [وسببه ابن تيمية ، هو أمر بذلك وبالكتاب الأول قبله][١١] .

---

(١) سيأتي في وفيات سنة (٧١٨هـ) .
(٢) في ط : ابن زهرة .
(٣) ليست في ب .
(٤) ليست في ط .
(٥) ليست في ب .
(٦) في ط : ابن حبيب . وهو توهُّم . وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٥هـ) .
(٧) ابن خلدون (٥/ ٤٢٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٤) وبدائع الزهور (١/ ٤٤٢) .
(٨) ليست في ب ، والذي فيها : يريدون قصد البلاد .
(٩) « الرَّحْبَةُ » : قرية من قرى دمشق خربت الآن وهي على مسيرة يوم منها . ياقوت .
(١٠) في ط : ابن .
(١١) ليست في ب .

وفي أوّل رمضانَ وصل التتر إلى الرَّحبَة فحاصروها عِشرينَ يوماً ، وقاتلهم نائبُها الأميرُ بدر الدين موسى الأزدكشي(١) خمسة أيام قتالاً عظيماً ، ومنعهم منها ، فأشار رشيدُ الدَّولة بأن ينزلوا إلى خدمة السُّلطان خَرْبَنْدا ويهدوا له هدية ويطلبون منه العفو ، فنزل القاضي نجم الدِّين إسحاق ، وأدوا له خمسة رؤوس خيلٍ ، وعَشْرَةَ أباليجَ سُكَّرٍ ، فقبل ذلك ورجع إلى بلاده .

وكانت بلاد حلب وحماة وحمص قد أُخْلُوْا منها وخرب أكثرها ، ثم رجعوا إليها لما تحقّقوا رجوع التَّتر عن الرَّحبة ، وطابت الأخبار وسكنت النفوس ودقت البشائر وتركت الأئمة القُنُوتَ ، وخطب الخطيبُ يومَ العيد وذكّر الناس بهذه النعمة . وكان سبب رجوع التتر قلةُ العلف وغلاء الأسعار وموت كثير(٢) ، وأشار على سُلطانهم بالرُّجوع الرَّشيدُ وجُوْبانُ(٣) .

وفي ثامن شوَّال دُقّت البشائر بدمشقَ [بسبب خروج السُّلطان من مصرَ لأجل ملاقاة التَّتر](٤) ، وخرج الرَّكبُ في نصفِ شوَّال وأميرُهم حسام الدين لاجين الصَّغير ، الذي كان واليَ البر ، وقدمت العساكر المصرية أرسالاً(٥) ، وكان قدوم السُّلطان ودخوله دمشق يوم الثلاثاء(٦) ثالث عشرين شوال ، واحتفل الناس لدخوله ونزل القلعة وزُيّنت البلد ودُقَّت(٧) البشائر ، ثم انتقل بعدَ لَيْلَتينِ(٨) إلى القصر وصلّى الجمعة بالجامع بالمقصورة وخَلع على الخطيب ، وجلس في دار العدل يوم الإثنين ، وقدم وزيره أَمينُ الملك يوم الثُّلاثاء عشرين الشهر .

وقدم صحبةَ السُّلطان الشيخ الامام العالم العلَّامة تقيُّ الدين أبو العبَّاس أحمد بن تيميَّة إلى دمشقَ يوم الأربعاء مُسْتهلّ ذي القعدة ، وكانت غيبتُه عنها سبعَ سنين ، ومعه أخواه وجماعةٌ من أصحابه ، وخرج خلقٌ كثير لتلقّيه وسرُّوا بقدومه وعافيته ورؤيته ، [واستبشروا به حتى خرج خلقٌ من النِّساء أيضاً لرؤيته](٩) ، وقد كان السُّلطان صحبه معه من مصرَ ، فخرج معه بنيَّة الغَزَاة ، فلمَّا تحقَّق عدمُ الغزاة [وأن التتر رجعوا إلى بلادهم](١٠) فارق الجيشَ من غزَّة وزار القدس وأقام به أياماً ، ثم سافر على عَجْلُون

---

(١) هو : موسى بن أبي بكر الأزدكشي : كانت له اليد البيضاء في قتال التتر ، مات سنة (٧١٥هـ) بدمشق . الدرر الكامنة (٤/ ٣٨٤) .
(٢) في ط : منهم . وفي ب : من التتار ونزول القاضي ومن معه يطلبون العفو في شهر رمضان .
(٣) هما من أعوان خَرْبَنْدا .
(٤) ليست في ب ، والذي : لمجيء الخبر بخروج السلطان إلى الشام .
(٥) « الأرسال » : ج رَسَل ، وهو الجماعة والقطيع من كل شيء .
(٦) ليست في ط .
(٧) في ط : وضربت .
(٨) في ط : ليلتئذٍ .
(٩) ليست في ب .
(١٠) ليست في ب .

وبلاد السَّواد وَزَرع ، ووصل دمشقَ في أول يوم من ذي القعدة ، فدخلَها فوجد السُّلطان قد توجَّه إلى الحجاز الشريف في أربعين أميراً من خواصِّه يوم الخميس ثاني ذي القعدة ، [ثم إنَّ الشيخ بعد وصوله إلى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازماً لاشتغال النَّاس في سائر العلوم ، ونشر العلم ، وتصنيف الكتب ، وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطوَّلة والاجتهاد في الأحكام الشرعية ، ففي بعض الأحكام يفتي بما أدَّى إليه اجتهادُه من موافقة أئمة المذاهب الأربعة ، وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور في مذاهبهم .

وله اختيارات كثيرة مجلدات عديدة أفتى فيها بما أدى إليه اجتهاده ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف][(١)] .

فلمَّا سارَ السُّلطان إلى الحجِّ فرَّق العساكر والجيوش بالشَّام وترك أَرْغُون بدمشقَ .

وفي يوم الجمعة لبس الشيخ كمال الدين بن الزملكاني خلعة وكالة بيت المَال[(٢)] عوضاً عن ابن الشُّرَيْشي ، وحضر بها الشُّبَّاك .

وتكلَّم وزيرُ السُّلطان[(٣)] في البَلَد ، وطلب من الناس[(٤)] أموالاً كثيرة وصادر وضرب بالمقارع ، وأهان جماعة من الرُّؤساء منهم ابن فضل الله محيي الدِّين .

وفيه عُيِّن شهاب الدين بن جهبل[(٥)] لتدريس الصَّلاحية بالقُدس ، عوضاً عن نجم الدين داود الكردي توفي[(٦)] ، وقد كان مدرساً بها من نحو ثلاثين سنة ، فسافر ابنُ جهبل إلى القدس بعد عيد الأضحى .

وفيها مات ملك القفجاق المسمى طُقْطَاي[(٧)] خان ، وكان له في الملك ثلاث وعشرون سنة ، وكان عمره يوم مات[(٨)] ثلاثين سنة ، وكان شهماً شجاعاً على دين التَّتر في عبادة الأصنام والكواكب ، يعظِّم المجسِّمة والحكماء والأطباء ، ويكرِمُ المسلمين أكثر من جميع الطَّوائف ، كان جيشه هائلاً لا يجسر أحد على قتاله لكثرة جيشه وقوتهم وعددهم وعُدَدهم ، ويقال : إنَّه جرَّد مرةً تجريدةً من كل عشرة من جيشه واحداً فبلغت التجريدةُ مائة ألفٍ وخمسين ألفاً .

---

(١) ليست في ب .
(٢) في ط : بيت الملك .
(٣) يعني : أمين الملك . وهو أبو سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنام . مات سنة (٧٤١هـ) .
(٤) ليست في ط .
(٥) هو : أحمد بن يحيىٰ بن إسماعيل . مات سنة (٧٣٣هـ) وسيأتي في الوفيات من تلك السنة .
(٦) في ب : إلى رحمة الله .
(٧) في ط : طغطاي ، وهو تحريف .
ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٢٦٦) والدليل الشافي (١/ ٣٦٧) وفيه : توفي سنة ست عشرة وسبعمئة ، وشذرات الذهب (٦/ ٣١) .
(٨) في ط : ثمانياً وثلاثين . وهو توهُّم ، لقوله : له في الملك ثلاثٌ وعشرون سنة وجاء في الدليل الشافي : أنه تسلطن وعمره سبعُ سنين .

توفي في رمضان منها وقام في المُلْك من بعده ابن[١] أخيه أُزْبَك خَان ، وكان مسلماً فأظهر دينَ الإسلام ببلاده ، وقتل خلقاً من أمراء الكفرة وعلت الشَّريعة[٢] المحمَّدية على سائر الشرائع هناك ولله الحمد والمنة على الإسلام والسنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الملك المنصور صاحب ماردين[٣] : وهو نجمُ الدين أبو الفتح غازي بن الملك المظفّر قَرَا أَرْسلان بن الملك السعيد نجم الدين غازي بن الملك المنصور ناصر الدين أُرْتُق بن غازي [بن المنى بن تمرتاش بن غازي][٤] بن أُرْتُق الأُرْتُقي . أصحاب ماردين من عدة سنين ، كان شيخاً حسناً مهيباً كامل الخلقة بديناً سميناً إذا ركب يكون خلفه محفّة . خوفاً من أن يمسه لغوب فيركب فيها .

توفي في تاسع ربيع الآخر ودفن بمدرسته تحت القلعة ، وقد بلغ من العمر فوق السَّبعين ، ومكث في الملك قريباً من عشرين سنة ، وقام من بعده في الملك ولده العادلُ فمكث سبعةَ عشرَ يوماً ، ثم ملَكَ أخوه المنصوري[٥] .

وفيها مات .

الأمير سيف الدين قُطْلُوبَك الشَّيخي[٦] : كان من أمراء دمشقَ الكبار .

الشَّيخ الصَّالح[٧] : نورُ الدين أبو الحسن علي بن محمد بن هارون بن محمد بن هارون بن علي بن حميد[٨] التغلبي[٩] الدمشقي ، قارئُ الحديث بالقاهرة ومُسنِدُها .

روى عن ابن الزبير[١٠] وابن اللَّتِّي[١١] وجعفر الهمداني وابن الشيرازي وخلق ، وقد خرج له الإمام

---

(١) في الدليل الشافي : أخوه أُزْبَك خان .
(٢) في ط : الشرائع ، وهو غلط فاحش ، فالشريعة واحدة .
(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢١٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٢٤) وشذرات الذهب (٦/ ٣١) .
(٤) ليست في ب .
(٥) في ب والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٢٤) أخوه صالح .
(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٥٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٢٤) .
(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢) وفيه : ابن أحمد التغلبي . والشذرات (٦/ ٣٠ ـ ٣١) وفيه : التغلبي وبدائع الزهور (١/ ٤٤٢) وفيه : التغلبي .
(٨) في ب والدرر : أحمد .
(٩) في ط : الثعلبي .
(١٠) في ط : الزبيدي .
(١١) في ط : الليثي .

العلامة تقي الدين السُّبكي مشيخةً . وكان رجلاً صالحاً توفي بكرة الثلاثاء تاسعَ عشرَ ربيع الآخر ، وكانت جنازته حافلة .

الأمير الكبير الملك المُظَفَّر(١) : شهابُ الدّين غازي بن الملك النّاصر داود بن المعظَّم . سمع الحديث(٢) ، وكان رجلاً متواضعاً توفي بمصرَ ثانيْ عشرَ رجب ، ودفن بالقاهرة .

قاضي القضاة(٣) : شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن داود بن حازم(٤) الأذرعي الحنفي ، كان فاضلاً درَّس وأفتى ، وولي قضاء الحنفية بدمشق سنةً ثم عُزل واستمر على تدريس الشِّبليَّة مدَّةً ، ثم سافر إلى مصر ، فأقام بسعيد السُّعداء خمسة أيام ، وتوفي يوم الأربعاء ثاني عشرين رجب فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعمئة

استهلت [والحكام هم هم](٥) ، والسُّلطان في الحجاز لم يقدَم بعدُ ، وقد قدم الأمير سيف الدين قَجْلِيْسُ(٦) يوم السبت مستهلّ المحرّم من الحجاز وأخبر بسلامةِ السُّلطان ، وأنه فارقه من المدينة النبوية ، وأنه قد قارب البلاد ، فدُقَّت البشائرُ فرحاً بسلامته .

ثم جاء البريد فأخبر بدخوله إلى الكرك ثاني المحرم يوم الأحد ، فلما كان يوم الثلاثاء حاديْ عَشَرَ المحرَّم دخل دمشقَ ، وقد خرج الناس لتلقّيه على العادة ، وقد رأيته مرجعَه من هذه الحِجَّة على شفته ورقةٌ قد ألصقها عليها ، فنزل بالقصر وصلّى الجمعة رابعَ عشرَ المحرَّم بمقصورة الخطابة بالأموي(٧) ،

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢١٥) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٢٤) والشذرات (٦/ ٣١) .

(٢) سمعه عن خطيب مردا ، والصّدر البكري . الدرر .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٧٨) وفيه : ابن حازم الأذرعي والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٢٣) وفيه كذلك .

(٤) في ط : خازم بالخاء ، وهو تصحيف .

(٥) ليست في ب ، والذي فيه :
والخليفة المستكفي بالله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، ونائب الديار المصرية الأمير سيف الدين أَرْغون . وقضاته بمصر : بدر الدين بن جماعة الشافعي ، وشمس الدين الحريري الحنفي ، وزين الدين بن مخلوف المالكي ، وتقي الدين الحنبلي . ووزير المماليك أمين الملك وهو بالشّام ، وبالشام : سيف الدين تَنْكز ، وقاضي الشافعية نجم الدين بن صَصْرَى ، وقاضي الحنفية صدر الدين علي البصراوي ، وقاضي المالكية جمال الدين الزّواوي ، وقاضي الحنابلة تقي الدين سليمان الحنفي وخطيب دمشق جلال الدين القزويني ، والمحتسب فخر الدين سليمان البصراوي ومتولّي البر ووالي المدينة جمال الدين آقوش الرحبي ، وناظر الجيوش معين الدين بن حشيش ووكيل بيت المال الشيخ كمال الدين بن الشريشي . انتهت الزيادة من ب .

(٦) في ط : تجليس بالتاء . وهو أمير سلاح ، توفي سنة (٧٣١هـ) كما سيأتي .

(٧) ليست في ط .

وكذلك الجمعة التي تليها ، ولعب في المَيْدان بالكرة يوم السبت النصف من المحرم ، ووَلَّىٰ نظر الدواوين للصَّاحب شمس الدين بن غِبْريَال[١] يوم الأحد سادسَ عَشَرَ[٢] المحرَّم ، وشدّ الدّواوين لفخر الدين إياس الأعسري[٣] عوضاً عن القَرَمانيّ ، وسَافر القَرَمانيّ إلى نيابة الرَّحْبَة وخلع عليهما وعلى وزيره[٤] ، وخلع على ابن صَصْرَىٰ وعلى الفخر كاتب المماليك ، وكان مع السلطان في الحج وولي شرف بن صصرى حجابَة الديوان[٥] وباشر فخر الدّين ابن شيخ السَّلامية نظر الجامع[٦] ، وباشر بهاء الدّين بن عليم نظر الأوقاف ، والمنكورسي شد الأوقاف .

وتوجه السُّلطان راجعاً إلى الديار المصرية بكرة الخميس السابعَ والعشرين من المحرم ، وتقدَّمت الجيوش بين يديه ومعه[٧] .

وفي أواخر صفر اجتاز على البريد في الرسلية إلى مهنّا الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وموسى بن مهنا ، والأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغَا[٨] فاجتمعوا به في تَدْمُرَ ، ثمَّ عاد أَلْطَنْبُغَا وابنُ الوكيل إلى القاهرة[٩] .

وفي أَوَاخر[١٠] جُمادى الآخرة مُسك أمينُ المُلْك وجماعةٌ من الكبار معه ، وصودروا بأموال كثيرة ، وأقيم عوضه بدر الدين بن التُّركماني الذي كان والي الخزانة .

وفي رجب كَمُلَت[١١] أربعةُ مجانيق ، واحد لقلعة دمشق وثلاثةٌ تحمل إلى الكَرَك ، ورُمي باثنين على باب الميدان وحضر نائب السلطنة تَنْكِزُ والعامَّةُ[١٢] .

وفي شعبان تكامل حَفْرُ النَّهر الذي عمله سُودي نائبُ حلب بها ، وكان طولُه من نهر السَّاجور إلى نهر قُوَيق أربَعين ألف ذراع في عرض ذراعين وعمق ذراعين ، وغرم عليه ثلثمئة ألف درهم[١٣] ، وعُمِلَ بالعدل ولم يُظلم فيه أحد .

---

(١) هو : عبد الله بن صنيعة القبطي الوزير .
(٢) في أ وط : حادي عشر ، وهو توهُّم . لأن السبت النصف من المحرم ، فالأحد السادس عشر .
(٣) سيأتي في وفيات سنة (٧٥٠هـ) .
(٤) في ب : الوزير أمين الملك .
(٥) في ب : وخلع عليهما أيضاً .
(٦) في ب : بدل الصّدر سليمان .
(٧) النجوم الزاهرة (٩/ ٣٥) وفيه : دخل مصر ثاني عشر صفر .
(٨) سيأتي في وفيات سنة (٧٤٢هـ) .
(٩) وبعده في ب : ثم عاد صدر الدين إلى مهنّا ورجع من عنده في رجب إلى القاهرة .
(١٠) في ط : وفي جُمادى .
(١١) في ب : عُمِلت .
(١٢) في ب : للفرجة على ذلك .
(١٣) الدرر الكامنة (١/ ١٧٩) وفيه : غرم أربعمئة ألف دينار .

وفي يوم السبت ثامنِ شوّال خرج الرَّكبُ من دمشقَ وأميرُه سيف الدين بَلَبَان[١] التَّتري ، وحجَّ صاحبُ حماةَ[٢] في هذه السنة وخلقٌ من الرُّوم والعُرْبان[٣] .

وفي يوم السبت السادس والعشرين من ذي الحجة وصل القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية من مصر على نظر الجيوش الشامية كما كان قبل ذلك ، وراح معين الدين بن الحشيش إلى مصر في رمضان صحبة الصاحب شمس الدين بن غبريال ، وبعد وصول ناظر الجيوش بيومين وصلت البشائر[٤] بمقتضى إزالة الإقطاعات الشامية[٥] لما رآه السلطان بعد نَظَره في ذلك[٦] أربعة أشهر .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الإمام المحدث[٧] : فخر الدين أبو عمرو عثمان[٨] بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد ابن داود التَّوزَري[٩] بمكَّة يوم الأحد حادي عشر[١٠] ربيع الآخر ، وقد سمع الكثيرَ ، وأجازه خلقٌ يزيدون على ألف شيخ ، وقرأ الكتب الكِبار وغيرها ، وقرأ « صحيحَ البخاري » أكثر من ثلاثين مرة رحمه الله .

عز الدِّين محمد بن العدل[١١] شهاب الدين أحمد بن عمر بن إلياس الرهاوي ، كان يباشر استيفاء الأوقاف وغير ذلك ، وكان من أخصّاء أمين المُلك ، فلما مُسكَ بمصرَ أُرسل إلى هذا وهو معتقل بالعَذْراويّة[١٢] ليحضُرَ على البريد ، فمرض فمات بالمدرسة العَذْراويّة ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة ، وله من العمر خمسٌ وثلاثونَ سنة .

وكان قد سمع من ابن طبرزد[١٣] ، والكندي ، ودفن من الغد بباب الصغير ، وترك من بعده ولدين ذكرين جمالَ الدين محمداً ، وعزَّ الدين .

---

(١) في ط : بلباي وهو تصحيف . وهو من أمراء المنصورية ، ولي إمرة الركب سنة (٧١٣هـ) وتوفي سنة (٧٢٥هـ) الدرر الكامنة (١/ ٤٩٣) .

(٢) هو : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل .

(٣) في ط : الغرباء .

(٤) في ب : المناشير .

(٥) ليست في ط .

(٦) في ب : بنفسه .

(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٤٤٩) وشذرات الذهب (٢/ ٣٢) .

(٨) في ط : عفان .

(٩) في ط : التوزي . والتوزري نسبة إلى توزر بلد بأفريقية . ياقوت .

(١٠) ليست في ط .

(١١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٣٤٤) .

(١٢) « العذراوية » : مدرسة بحارة الغرباء ، داخل باب النصر ، الدارس (١/ ٣٧٢) .

(١٣) ليست في ط .

الشَّيخُ الكبيرُ المقرئ[١] شمس الدين المقصَّاتي[٢] : هو أبو بكر بن عمر بن المشيع الجَزَري المعروف بالمقصاتي نائب الخطيب ، وكان يُقرِئ النَّاس بالقراءات السَّبع[٣] وغيرها من الشّواذ ، وله إلمامٌ بالنَّحو ، وفيه ورع واجتهاد .

توفي ليلة السبت حادي عشرين جمادى الآخرة ودفن من الغد بسفح قاسيون تجاه الرباط الناصري[٤] ، وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمئة

استهلت [والحكام هم هم][٥] في التي قبلها إلَّا الوزير[٦] أمينُ المُلْك ، فمكانه بدر الدين[٧] التُّركماني .

وفي رابع المحرم عاد الصّاحبُ شمس الدين بن غبريال من مصر على نظر الدواوين وتلقّاه أصحابه .

وفي عاشر المحرم يوم الجمعة قُرئَ كتابُ السلطان على السُّدَّة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمراء يتضمن بإطلاق البواقي من سنة ثمان وتسعين وستمئة إلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمئة ، فتضاعفت الأدعية للسلطان ، وكان القارئُ جمال الدين[٨] بن القلانسي ومبلِّغُه صدر الدين[٩] بن صَبِيح المؤذّن ، ثم قرئ في الجمعة الأخرى مرسوم آخر فيه الإفراج عن المسجونين وأن لا تؤخذ من كل واحد سوى نصف درهم ، ومرسومٌ آخر فيه إطلاق السُّخَر في الغَصْب وغيره عن الفلاحين ، قرأه ابن الزَّمْلَكاني وبلَّغه عنه أمين الدين محمد بن مؤذن النَّجيبي .

وفي المحرّم استحضر السلطان إلى بين يديه الفقيه نور الدين علي البكري ، وهمَّ بقتله وشَفَع فيه الأمراء ، فنفاه ، ومنعه من الكلام في الفتوى والعلم ، [وكان قد هرب لمَّا طُلب من جهة الشيخ تقي الدين بن تيمية فهرب واختفى ، وشَفَع فيه أيضاً ، ثم لما ظَفِر به السلطان الآن وأراد قَتْله شَفَعَ فيه الأمراء ،

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٥٣) ، والشذرات (٦/ ٣٢) والدارس (١/ ١٢١) .

(٢) في ط : المقصاي . وهو تحريف .

(٣) في ب : نحوا من خمسين سنة .

(٤) وقد كان أمَّ مدة فيه . الشذرات .

(٥) ليست في ب ، وفيه : والخليفة والسلطان والنواب والقضاة هم المذكورون .

(٦) في ب وقد عزل .

(٧) في ب : نور الدين بن .

(٨) في ب : عماد الدين وفي الدرر الكامنة (٢/ ١٢٢) أمين الدين وهو سالم بن عبد الرحمن .

(٩) في ب : بدر الدين .

فنفاه ومنعه من الكلام والفتوى ، وذلك لاجترائه وتسرُّعه على التكفير والقتل والجهل الحامل له على هذا وغيره][١] .

وفي يوم الجمعة مستهلّ صفر قرأ ابنُ الزَّمْلكاني كتاباً سلطانياً على السُّدَّة بحضرة نائب السلطان والقاضي ، وفيه الأمر بإبطال ضمان القواسين وضمان الشدّ[٢] وغير ذلك ، فدعا النَّاس للسُّلْطان .

وفي أواخر ربيع الأول اجتمع القضاة بالجامع للنّظر في أمر الشهود ، ونَهَوهُم عن الجلوس في المساجد ، وأن لا يكون أحد منهم في مركزين ، وأن لا يتولَّوْا إثبات[٣] الكتب ولا يأخذوا أجرةً على أداء الشهادة ، وأن لا يغتابوا أحداً وأن يتناصفوا في المعيشة ، ثم جلسوا مرة ثانية لذلك وتواعدوا ثالثة فلم يتّفق اجتماعهم ، ولم يقطع أحد من مركزه .

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه عُقد مجلس في دار ابن صَصْرَى لبدر الدين بن بصخان[٤] ، وأُنكر عليه شيء من القراءات ، فالتزم بترك الإقراء بالكليّة ، ثمَّ استأذن بعد أيام في الإقراء فأذن له فجلس بين الظُّهر والعصر بالجامع وصارت له حلقة على العادة .

وفي منتصف رجب توفي نائبُ حلبَ الأمير سيف الدين سُودي ودفن بتربته ، ووُلّي مكانه علاء الدين أَلْطُنْبُغَا الصَّالحي الحاجب بمصرَ ، قبل هذه النيابة[٥] .

وفي تاسع شعبانَ خُلع على الشريف شرف الدين بن عدنان بنقابة الأَشراف بعد والده أمين الدين جعفر [توفي في الشهر الماضي][٦] .

وفي خامس شوال دفن الملكُ شمس الدين ذُوباج[٧] بن مَلِكْشاه بن رُسْتم صاحب كِيْلان بتربته المشهورة به بسفح قاسيون[٨] ، وكان قد قصَدَ الحجَّ في هذا العام ، فلما كان بقُبَاقِبَ[٩] أدركته منيَّتُه يوم السبت سادسِ عِشْري رمضانَ فحمل إلى دمشق ، وصلّي عليه ودُفن في هذه التربة ، اشتريت له وتُمِّمَت

(١) ليست في ب . والذي فيه : وذلك لاجترائه وتسرعه على التكفير والقتل .
(٢) في ط : ضمان القواسير وضمان النبيذ . وهو تحريف .
(٣) في أ وط : ثبات . وأثبتنا ما في ب .
(٤) في ط : بضيان .
(٥) الدرر الكامنة (٢/ ١٧٩) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٢٩) ، وسيأتي ذكره في الوفيات .
(٦) ليست في ب : وفيه : جعفر بن محمد بن عدنان الحسيني بحكم وفاة أبيه في الشهر الماضي وقد كان رئيساً كبيراً .
(٧) في ط : دوباح بدال وحاء مهملتين .
(٨) هي : التربة الذوباجية الجيلانية . منادمة الأطلال (ص٣٣٤ ـ ٣٣٥) .
(٩) في ط و أ : غباغب القرية المشهورة في أول حوران مما يلي دمشق .
والصواب ما أثبتناه عن الدارس (٢/ ٢٤٥) ومن منادمة الأطلال (ص٣٣٥) . ففيه : « مات بقباقب من ناحية تدمر » .
وفي ياقوت : هو ماء لبني تغلب خلف البشر من أرض الجزيرة ، أما في الدرر فهي منزلة من الرحبة إلى جهة دمشق .
أقول : ولو كانت غباغب لقال : ورجعوا به إلى دمشق ، أما قوله : فحمل إلى دمشق يؤيد ما أثبتناه .

وجاءت حسنة وهي مشهورةٌ عند المكاريَّة شرقي الجامع المظفري ، وكان له في مملكة كِيْلان خمسةٌ وعشرون سنة ، وعمّر أربعاً وخمسينَ سنة ، وأوصى أن يحُجَّ عنه جماعةٌ ، ففعل ذلك .

وخرج الرَّكبُ في ثالث شوال وأميره شمس[١] الدين سُنْقُر الإبراهيمي ، وقاضيه محيي الدين قاضي الزَّبداني[٢] .

وفي يوم الخميس سابع ذي القعدة قدم القاضي بدر الدين بن الحدَّاد من القاهرة متولِّياً حِسْبة دمشقَ ، فخُلع عليه عوضاً عن فخر الدين سُليمان البُصْراوي ، عُزل فسافر سريعاً إلى البرِّيّة ليشتري خيلاً للسُّلطان يقدِّمها [رُشْوةً على المنصب المذكور][٣] ، فاتَّفق موتُه في البرِّيّة في سابعَ عشرَ الشّهر المذكور ، وحمل إلى بُصْرى فدفن بها عند أجداده في الثامن عشر من ذي القعدة[٤] وكان شاباً حسناً كريمَ الأخلاق حسنَ الشكل .

وفي أواخره مسك نائب صَفَد بَلَبَان طُرْنا[٥] المنصوري وسُجن وتولّى مكانه سيف الدين بَلَبَان[٦] البدري .

وفي سادس ذي الحجة تولَّى ولاية البر الأمير علاء الدين علي بن محمود بن معبد البعلبكي[٧] عوضاً عن شرف الدين عيسى بن البرطاسي[٨] .

وفي يوم عيد الأضحى وصل الأمير علاء الدين بن صُبْح[٩] من مصر وقد أفرج عنه فسلّم عليه الأمراء .

وفي هذا الشهر أُعيد أمين المُلْك إلى نظر النُّظّار بمصر وخلع على الصَّاحب بهاء الدين النّسَّابي[١٠] بنظر الخزانة عوضاً عن سعد الدين حسن بن الأقفهسي[١١] .

وفيه وردت البريدية بأمر السلطان للجيوش الشامية بالمسير إلى حلب وأن يكونَ مقدَّمَ العساكر

---

(١) في ط : سيف .

(٢) هو الحسن بن محمد بن عمار . سيأتي في وفيات سنة (٧٢٥هـ) .

(٣) ليست في ب .

(٤) في ط : ثامن ذي القعدة وفي أ : ذي القعدة ثامنه . وأثبتنا ما في ب ، لأنه الصواب ، إذ كيف يموت في السابع عشر كما ذكر ويدفن في الثامن .

(٥) في ط : بلبان طوباي . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٨) وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٤هـ) .

(٦) في ط : بلباي وهو تحريف .

(٧) سيأتي في وفيات سنة (٧٢٣هـ) .

(٨) في ط : البركاسي وهو تحريف ، مات سنة (٧٢٥هـ) . الدرر الكامنة (٣/ ٢٠٨) .

(٩) هو : علي بن حسن بن صبح الدمشقي ، سجنه الناصر في كائنة الأفرم بالإسكندرية ، وأفرج عنه سنة (٧١٤هـ) واستمر على إمرته بدمشق إلى أن مات سنة (٧٢٤هـ) الدرر الكامنة (٣/ ٣٨) .

(١٠) في ط : النسائي وسبق الكلام فيه .

(١١) هو : حسن بن عبد الرحمن الأقفهسي ، سعد الدين ، ناظر الخزانة بمصر ، توفي سنة (٧١٥هـ) الدرر (٢/ ١٧) والأقفهسي نسبة إلى : أقفهس ، بلد بصعيد مصر وتلفظه العامة أقفاص . ياقوت .

كلّها تَنْكِزُ نائبُ الشَّـام ، وقدم من مصر سـتةُ آلاف مقاتل عليهـم الأمير سـيف الدين بَكْتَمُر الأبو بكري[١] ، وفيهم قجليس[٢] وبدر الدين الوزيري[٣] ، وقُلّي[٤] وابن طُبْرس[٥] وشَاطِي[٦] ، وابن سلَّار وغيرهم ، فتقدموا إلى البلاد الحلبيّة بين يدي نائب الشّام تَنْكِز .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

سَوْدِي نائبُ[٧] **حلب** : في رجب ودفن بتربته ، وهو الذي [كان السبب في إجراء نهرٍ إليها][٨] ، غرم عليه ثلثمئة ألف درهم ، وكان مشكورَ السّيرة حميدَ الطَّريقة رحمه الله .

وفي شَعْبَانَ توفي :

الصّاحبُ شَرَفُ الدّين : **يَعقُوبُ بنُ مُزْهِر**[٩] وكان بارّاً بأهله وقرابته رحمه الله .

والشَّيخ رشيد الدين[١٠] **أبو الفداء إسماعيل** : ابن محمد القرشي[١١] الحنفي المعروف بابن المعلِّم ، كان من أعلام الفقهاء والمفتين ، ولديه علوم شتى وفوائد وفرائد ، وعنده زهد وانقطاع عن الناس ، وقد درَّس بالبَلْخيَّة[١٢] مدة ، ثم تركها لولده وسار إلى مصر فأقام بها ، وعُرض عليه قضاءُ دمشق فلم يقبل ، وقد جاوز السبعين من العمر .

توفي سحرَ يوم الأربعاء خامس رجب ودفن بالقَرَافة رحمه الله تعالى .

وفي شَوّال توفي :

---

(١) مات سنة (٧٢٨هـ) مسجوناً بالقلعة في مصر الدرر الكامنة (١/ ٤٨٢) .
(٢) في ط : تجليس ، وقد سبق الكلام فيه .
(٣) هو : محمد بن الوزيري ، سيأتي في وفيات سنة (٧١٦هـ) .
(٤) في ط : كتشلي وفي أ : كشلي . وأثبتنا ما في النجوم الزاهرة وهو : سيف الدين قلي أمير سلاح .
(٥) في ط: طيبرس وأثبتنا ما في ب الدرر الكامنة (٣/ ٢٥٥) وفيه: قلبوس بن طبرس الوزيري مات سنة (٧٣٠هـ)، بدمشق .
(٦) هو الأمير سيف الدين شاطي السلاح دار . النجوم الزاهرة (٩/ ٤) .
(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ١٧٩) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٢٩) .
(٨) ليست في ب . وفيه : أجرى نهرا .
(٩) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٤٣٦) وفيه : يعقوب بن مظفر بن مزهر ، النجوم الزاهرة (٩/ ٢٢٧) وفيه : القاضي شرف الدين يعقوب بن مجد الدين مظفر بن شرف الدين أحمد بن مزهر بحلب وهو ناظرها .
(١٠) ليست في ط .
(١١) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٦٩) وفيه : إسماعيل بن عثمان والدارس (١/ ٤٨٢) والشذرات (٦/ ٣٣) وكذلك فيهما .
(١٢) تعرف بخربة الكنيسة ، وتعرف أيضا بدار أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أنشأها الأمير كلر الدقاقي وفي الدارس : ككز . الدارس (١/ ٤٨١) ومنادمة الأطلال (١٥٦) .

الشَّيخ سليمانُ التُّركماني(١) : المولَّه الذي كان يجلس على مصطبته بالعُلَبيِّينَ ، وكان قبل ذلك مقيماً بطَهَارة باب البريد ، وكان لا يتحاشىٰ من النَّجاسات ولا يتَّقيها ، ولا يصلّي الصلوات ولا يأتيها ، [وكان بعضُ النَّاس من الهَمَج له فيه عقيدة](٢) ، قاعدةَ الهمَج الرّعاع الذين هم أتباع كل ناعق من المُوَلَّهين والمجانين ، ويزعمون أنَّه يكاشف ، وأنَّه رجلٌ صالح ، ودُفن بباب الصَّغير في يوم كثير الثلج .

وفي يوم عَرَفةَ توفيت :

الشَّيخة الصالحة العابدة الناسكة(٣) : أُمُّ زينب فاطمة بنت عَبَّاس(٤) بن أبي الفتح بن محمد البغدادية بظاهر القاهرة ، وشهدها خلق كثير ، وكانت من العالمات الفاضلات ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقوم على الأَحْمديَّة في مؤاخاتهم النِّساء [والمردان ، وتنكر أَحوالهم وأُصولَ أهل البدع وغيرهم](٥) ، وتفعل من ذلك ما لا تقدر عليه الرجال ، وقد كانت تحضُر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره ، وقد سمعتُ الشيخ تقي الدين يُثْني عليها ويَصفُها بالفضيلة والعلم ، ويذكر عنها أنَّها كانت تستحضر كثيراً من « المُغْني » أو أكثره ، وأنه كان يستعدُّ لها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها ، وهي التي ختَّمت نساءً كثيراً القرآن ، منهُنَّ أمُّ عائشة بنتُ صُدَيق ، زوجة الشيخ جمال الدين المِزِّي ، وهي التي أقرأت ابنتها زوجتي أَمَةَ الرَّحيم زَيْنب ، رحمهنَّ الله وأكرمهن برحمته وجنته آمين .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمئة

استهلَّت [والحكام في البلاد هم المذكورون في التي قبلها](٦) .

فتحُ مَلَطْيَةَ(٧)

في يوم الإثنين(٨) مستهلّ المُحَرّم خرج سيف الدين تَنْكِز بالجيوش قاصداً مَلَطْيَةَ ، وخرجت

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب (٦/ ٣٣) .
(٢) ليست في ب .
(٣) ترجمتها في الدرر الكامنة (٣/ ٢٢٦) وشذرات الذهب (٦/ ٣٤) .
(٤) في الدرر الكامنة بنت عياش .
(٥) ليست في ب .
(٦) ليست في ب والذي فيه : استهلت والخليفة والسُّلطان والنوّاب والقضاة والمباشرون هم هم ، وقد أُعيد أمينُ المُلك إلى الوزارة في أواخر السنة الخارجة ، ومحتسب دمشق بدر الدين بن الحدّاد ، ونائب حلب علاء الدين أَلْطُنْبُغا .
(٧) « مَلَطْيةُ » : والعامة تقول بتشديد الياء وكسر الطاء (ملطيّة) . من بناء الإسكندر ، وجامعها من بناء الصحابة ، بلدة من بلاد الرّوم مشهورة مذكورة تتاخم الشام . ياقوت : وأطلس تاريخ الإسلام (الخريطة ١١٨ ص٢٢٧) و(الخريطة ١٤٣ ص٣٠٣) .
(٨) فوات الوفيات (١/ ٢٥٢) والدرر الكامنة (١/ ٥٢١) وابن خلدون (٥/ ٤٢٧) وبدائع الزهور (١/ ٤٤٦) .

الأطلاب[١] على راياتها ، وأبرزوا ما عندهم من العُدَد وآلات الحرب ، وكان يوماً مشهوداً ، وخرج مع الجيش ابنُ صَصْرَى ، لأنّه قاضي العساكر وقاضي قضاة الشامية ، فساروا حتّى دخلوا حَلَبَ في الحَادِيْ عَشَرَ من الشَّهر ، ومنها وَصَلوا[٢] في السادسَ عشرَ إلى بلاد الروم إلى مَلَطْيَةَ ، فشرعوا في محاصرتها في الحاديْ والعشرينَ من المحرَّم ، وقد حُصِّنَت ومُنِعَتْ وغُلِّقَتْ أبوابُها ، فلما رأوا كثرةَ الجيش نزلَ متولِّيْها وقاضيها ، وطلَبُوا الأمان ، فأَمَّنُوا المسلمين ودخلوها ، فقتلوا من الأَرْمن خلقاً ومن النَّصارى ، وأسروا ذريةً كثيرةً ، وتعدَّى ذلك إلى بعض المسلمين وغَنِمُوا شيئاً كثيراً، وأخذت أموال كثير من المسلمين ورجعوا عنها بعد ثَلاَثة أيَّام، يوم الأربعاء رابع عشرينَ المحرَّم إلى عَيْن تَاب[٣] إلى مرج دابق[٤]، وزُيِّنت[٥] دمشقُ ودُقَّت البشائر.

وفي أول صفر دَخل[٦] نائب مَلَطيةَ متوجهاً إلى السلطان .

وفي نصف الشهر وصل قاضيها الشَّريف شمسُ الدّين ومعه خلق من المسلمين من أهلها .

وفي بكرة نهار الجمعة سادس عشر ربيع الأول دخل تَنْكِز دمشق وفي خدمته الجيوشُ الشَّامية والمصرية[٧] ، وخرج النَّاسُ للفُرجة عليهم على العادة ، وأقام المصريون قليلاً ثمَّ ترَحَّلُوا إلى القاهرة .

وقد كانت مَلَطْيَةُ إقطاعاً للجُوْبَان[٨] أطلقها له ملك التَّتر ، فاستناب بها رجلاً كرديّاً فتعدَّى وأساء وظلم ، وكاتب أهلُها السُّلطانَ الناصرَ وأحبُّوا أن يكونوا من رعيَّته ، فلما ساروا إليها وأخذوها وفعلوا ما فعلوا فيها ، جاءها بعد ذلك الجُوبان فعَمَرَها وردَّ إليها خلقاً من الأَرْمن وغيرهم .

وفي التاسعَ عشَر من هذا الشهر وصل إلينا الخبر بمَسْك بَكْتَمُر الحاجب وأَيْدُغْدِي شُقَيْر وغيرهما[٩] ، وكان ذلك يوم الخميس مستهل هذا الشهر ، وذلك أنّهم اتَّفقوا على السُّلطان فبلغه الخبرُ فمسكَهُم ، واحتيط على أموالهم وحواصلهم ، وظهر لبَكْتَمُر أموالٌ كثيرةٌ وأمتعةٌ وأخشابٌ وحواصلُ كثيرةٌ .

---

(١) الأطلاب : الكتائب .

(٢) في ب : ومنها توجّه الجيش .

(٣) هي قلعة حصينة بين حلب وإنطاكية ، وهي الآن من أعمال حلب . ياقوت .

(٤) هي : بلدة شمالي حلب ، وفيها كانت الوقعة الفاصلة بين الأتراك بقيادة السلطان سليم والمماليك سنة ١٥١٦م . انظر « أطلس تاريخ الإسلام » (ص٣٥٩) والخريطة رقم (١٦٤) .

(٥) في ب : ولما وصلت الأخبار بفتح ملطية زينت دمشق . وهو الأنسب .

(٦) في ط : رحل .

(٧) في ب : الجيوش المنصورة من الشاميين والمصريين .

(٨) هو : جوبان النوين الكبير ، نائب المملكة القانية ، قتل سنة (٧٢٨هـ) في المدينة المنورة ودفن بالبقيع . الدرر الكامنة (١/ ٥٤٢) .

(٩) مسك معهم : الأمير طُفاي والأمير تمُر الساقي كما سيأتي .

وقدم قَجْليس من القاهرة فاجتاز بدمشقَ إلى ناحية طرابُلُس ، ثم عاد[١] سريعاً ومعه الأَميرُ سيفُ الدّين تَمُر[٢] نائبُ طرابُلُس تحت الحوطة .

ومُسك بدمشقَ الأمير سيف الدين بَهادُرآص المنصوري فحُمل الأَوّل إلى القاهرة ، وجُعل مكانَهُ في نيابة طَرَابُلُس كُسْتاي[٣] ، وحُمل الثاني إلى الكَرَك[٤] وحزِن النَّاسُ عليه ودَعَوْا له .

وفي يوم الخميس الحاديْ والعشرينَ من ربيع الآخر قدم عزُّ الدين بن مبشّر دمشقَ محتسباً وناظر الأوقاف وانصرفَ ابنُ الحداد عن الحِسْبَة ، وبهاء الدين[٥] عن نظر الأوقاف .

وفي ليلة الإثنين ثالثَ عشَر جُمادى الأولى وقع حريقٌ قُبالة مسجد الشنباشي داخلَ باب الصغير ، احترق فيه دكاكين ودور وأموال وأمتعة .

وفي يوم الأربعاء سادسَ عشرَ جُمادى الآخرة درَّس قاضي مَلَطْيَة الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية[٦] عوضاً[٧] عن قاضي القضاة الحنفي البصروي ، وحضر عنده الأعيان ، وهو رجلٌ له فضيلة وخلقٌ حسن ، كان قاضياً بملطية وخطيباً بها نحواً من عشرين سنة .

وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة أُعيد ابنُ الحدَّاد إلى الحِسْبة واستمر ابن مُبَشِّر ناظر الأوقاف .

وفي يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخرة درَّس ابن صَصْرَىٰ بالأَتَابَكية[٨] عوضاً عن الشيخ صفيّ الدين الهندي .

وفي يوم الأربعاء الآخر حَضَر ابن الزَّمْلَكاني دَرْسَ الظَّاهرية الجوَّانية عوضاً عن الهندي أيضاً بحكم وفاته كما ستأتي ترجمته .

وفي أواخر رجب أُخرج الأمير آقوشُ نائبُ الكَرَك من سِجْن القاهرة وأُعيد إلى الإمرة .

وفي شعبان توجَّه خمسةُ آلاف من بلاد حلبَ فأغاروا على بلاد آمد ، وفتحوا بلداناً كثيرة ،

---

(١) في ط و أ : قدم وأثبتنا ما في ب .

(٢) في ط : تمير .

(٣) كُسْتاي الناصري مات سنة (٧١٦هـ) الدرر (٣/ ٢٦٨) .

(٤) ليست في ط .

(٥) في ب : ابن عليمة . وهو : بهاء الدين إبراهيم بن جمال الدين يحيى الحنفي المعروف بابن عليمة ، وسيأتي في أحداث جمادى الآخرة من السنة القادمة ، سنة (٧١٦هـ) .

(٦) الخاتونية البرانية : هي مسجد خاتون على الشرف القبلي ، على القنوات ، بصنعاء الشام . الدارس (١/ ٥٠٢) . ويعرف مكانها الذي هي فيه بتل الثعالب . وانظر كلاماً طويلاً جميلاً فيها في منادمة الأطلال (ص١٦٧ ـ ١٦٨) .

(٧) في ب : انتزعت له من .

(٨) الأتابكية بصالحية دمشق . الدارس (١/ ١٣١) .

وقتلوا وسَبَوْا وعادوا سالمين ، وخَمسُوا ما سَبَوْا فبلغ سهمُ الخُمُس أربعةَ آلاف رأسٍ وكُسُور[١] .

وفي أواخر رمضان وصل قَرَاسُنْقُر المنصوري إلى بغداد ومعه زوجته الخاتون بنت أَبْغَا ملك التتر[٢] ، وجاء في خدمته خَرْبَنْدَا واستأذنه في الغارة على أطراف بلاد المسلمين فلم يأذن له ، ووثَبَ عليه رجل فداوي من جهة صاحب مصرَ فلم يقدر عليه وقُتِل الفداوي .

وفي يوم الأربعاء سادسَ عشرَ رمضانَ درَّس بالعادليَّة الصغيرة[٣] الفقيه الإمام فخر الدين محمَّد بن علي المصري المعروف بابن كاتب قُطْلُوبَك[٤] ، بمقتضى نزول مدرِّسها كمال الدين بن الزَّمْلَكاني له عنها ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، والخَطيبُ وابنُ الزَّمْلَكاني أيضاً .

وفي هذا الشهر كَمُلَت عمارة القَيْسَاريَّة المعروفة بالدَّهْشة عند الورَّاقين واللبَّادين وسكنها التُّجَّار ، فتميزت بذلك أوقاف الجامع ، [وذلك بمباشرة الصَّاحب شمس الدين][٥] .

وفي ثامن شوال قتل أحمد الزّويني[٦] شهد عليه بالعظائم من ترك الواجبات واستحلال المحرّمات واستهانته وتنقيصه بالكتاب والسُّنَّة ، فحكم المالكيُّ بإراقة دمه وإن أسلم ، فاعتقل ثم قتل .

وفي هذا اليوم كان خروج الركب الشّامي وأميره سيف الدين طَقْتَمُر وقاضيه قاضي مَلَطْيَةَ .

وحج فيه قاضي حماةَ وحلبَ وماردينَ ومحيي الدين كاتب ملك الأُمراء تَنْكِز وصهره فخر الدين المصري . وتقيّ الدين الفاضلي .

[وفي ثامنِ ذي الحِجّة ولد للسُّلطان ولدٌ ذكرٌ فزُيِّنَتِ البلادُ له][٧] .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

شرف الدين أبو عبد الله : محمد بن العدل عماد الدين[٨] بن أبي الفضل محمد بن أبي الفتح

---

(١) ذكره ابن خلدون (٥/ ٤٢٧) . وقال : إنهم توجهوا إلى عرقية ، والاعتقاد أنها عَرْقة من أعمال حلب . وقد ذكرها ياقوت .

(٢) هو أَبْغَا بن هُولاكو مات سنة (٦٨٠هـ) . الدليل الشافي (١/ ٣٣) والذي في الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٧) : قُطْلُوشَاه التتري .

(٣) وفي الدارس (١/ ٣٦٩) الصُّغرىٰ : وهي داخل باب الفرج شرقي باب القلعة .

(٤) محمد بن علي بن إبراهيم المصري ، المعروف بالفخر المصري ابن كاتب قطلوبك . مات سنة (٧٥١هـ) الدارس (١/ ٢٤٥) .

(٥) ليست في ب وفيه : وذلك بإشارة الصاحب شمس الدين ومباشرته . وهو أنسب .

(٦) في ط : الروسي وفي (أ) : الدَّوسي . وأثبتنا ما في الدارس (٢/ ١٣) وشذرات الذهب (٦/ ٣٥) . وهو : أحمد الزويني الإقباعي .

(٧) ليست في ط .

(٨) في ط : محمود الدين بن أبي الفضل . وليس محمد في أ أو ب .

نصر الله بن المظفَّر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد التَّميمي الدمشقي ابن القَلانسي[١] ، ولد سنة ست وأربعين وستمئة وباشر نظر الخاص . وقد شهد قبل ذلك في القيمة ثمَّ تركها ، وقد ترك أولاداً وأموالاً جمَّة ، توفي ليلة السبت ثانيْ عشرَ صفر ، ودفن بقاسيون .

الشَّيخ صفيّ الدّين الهِنْدي : أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرْمويّ[٢] الشافعي المتكلم .

ولد بالهِنْد سنة أربع وأربعين وستمئة ، واشتغل على جده لأمّه ، وكان فاضلاً ، وخرج من دِهْلي[٣] في رجب سنة سبع وستين ، فحج وجاور بمكة ثلاثة[٤] أشهرٍ ، ثم دخل اليمن فأعطاه ملكُها المظفَّرُ أربعمئة دينار ، ثم دخل مصرَ فأقام بها أربعَ سنين ، ثم سافر إلى الرُّوم على طريق أنطاكية فأقام إحدى عَشْرَةَ سنةً ، بقُونيةَ خمساً[٥] وبسيواسَ خمساً ، وبقيسارية[٦] سنةً ، واجتمع بالقاضي سراج الدين فأكرمه ، ثم قدم إلى دمشقَ في سنة خمس وثمانين فأقام بها واستوطنها ، ودرَّس بالرّواحية والدّولعية والظّاهريّة والأتَابكية ، وصنّف في الأصول والكلام[٧] ، وتَصَدَّر[٨] للاشتغال والإفتاء ، ووقف كتبَه بدار الحديث الأشرفية ، وكان فيه برٌّ وصلة .

توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشرين صفر ودفن بمقابر الصوفية ، ولم يكن معه وقتَ موته سوى الظَّاهريةِ وبها مات .

فدرَّس بعده فيها ابنُ الزَّمْلَكاني ، وأخذ ابنُ صَصْرَى الأتَابَكية .

القاضي المُسنِد المُعمَّر الرِّحْلَةُ : تقيُّ الدين سُلَيمان بن حمزَة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي[٩] الحنبلي الحاكم بدمشق .

ولد في نصف رجب سنة ثمان وعشرين وستمئة ، وسمع الحديثَ الكثير ، وقرأ بنفسه ، وتفقه وبرع ، وولّي الحكم وحدّث ، وكان من خيار الناس وأحسنهم خلقاً وأكثرهم مروءة ، توفي فجأة بعد

---

(١) ترجمته في : الدرر الكامنة (٤/ ٢٤١) .
(٢) ترجمته في : الدرر الكامنة (٤/ ١٤ ـ ١٥) والدارس (١/ ١٣٠ ـ ١٣١) والشذرات (٦/ ٣٧) .
(٣) هي حاضرة الهند ، وتعرف اليوم بدلهي ، وهي العاصمة . ياقوت ، وأطلس تاريخ الإسلام الخريطة رقم (١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦) .
(٤) ليست في ط .
(٥) ليست في ط .
(٦) وهي : قيصرية أيضاً .
(٧) من مصنفاته : الفائق في أصول الدين . والنهاية في الفقه . الدرر الكامنة (٤/ ١٥) .
(٨) في ط : تصدَّى .
(٩) ترجمته في : فوات الوفيات (٢/ ٨٣) والدرر الكامنة (٢/ ١٤٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٣١) والدارس (٢/ ٣٥) والشذرات (٦/ ٣٦) والأعلام (٣/ ١٢٤) .

مرجعه من البلد وحُكْمه بالجَوْزيّة ، فلما صار إلى منزله بالدير(١) تغيّرت حاله ومات عَقِيب صلاة المغرب ليلة الإثنين حادي عِشْري ذي القعدة ، ودفن من الغد بتربة جده(٢) ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير رحمه الله .

الشَّيْخُ عليُّ بن الشيخ علي الحريري(٣) : كان مقدَّماً في طائفته(٤) ، مات أبوه وعمره سنتان ، توفي في قرية بُسر(٥) في جُمادى الأولى .

الحكيمُ الفاضل البارع : بهاءُ الدّين عبدُ السّيد بن المهذَّب إسحاق بن يحيى الطبيب الكحَّال(٦) المتشرِّفُ بالإسلام ، ثم قرأ القرآن جميعه لأنّه أَسلم على بصيرة ، وأسلم على يديه خلقٌ كثيرٌ من قومه وغيرهم ، وكان مباركاً على نفسه وعليهم ، وكان قبل ذلك ديَّان اليَهُود ، فهداه الله تعالى .

وتوفي يوم الأحد سادسِ جُمادى الآخرة ودفن من يومه بسفح قاسيون ، [أسلمَ على يدي شيخ الإسلام ابن تيميَّة لمَّا بيّن له بُطْلان دينهم وما هم عليه وما بدَّلوه من كتابهم وحَرَّفوه من الكَلِم عن مواضعه رحمه الله](٧) .

ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمئة

استهلت [وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها](٨) غير الحنبلي بدمشق فإنه توفي في أواخر(٩) السنة الماضية .

وفي المحرَّم تكمَّلت تفرقة المثالات(١٠) السلطانية بمصر بمقتضى إزالة الأجناد ، وعُرِض الجيشُ على السلطان ، وأَبطل السلطان المَكْسَ بسائر البلاد القبليّة والشَّامية .

---

(١) يسمى أيضاً بدير الحنابلة ، والدير المبارك هي دار بناها أبو عمر أحمد بن قدامة المقدسي . الدارس (٢/ ١٠١) .

(٢) تربة أبي عمر في سفح قاسيون .

(٣) ترجمته في : الدرر الكامنة (٣/ ٨٧) وفيه : الجريري : وهو تحريف ، والنجوم الزاهرة : (٩/ ٢٣٢) .

(٤) الفقراء الحريريّة .

(٥) في ط : نسر . وهي قرية من أعمال حوران بموضع يقال له : اللّجا ، صعب المسلك إلى جانب زُرَّه التي تسميها العامة زُرْع .

(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) . وفيه أسلم سنة (٧٠١هـ) .

(٧) ليست في ب .

(٨) ليست في ب ، والذي فيه : وخليفة الوقت المستكفي بالله ، وسلطان الملك الناصر بن المنصور قلاوون ، ونوابُه وقضاته بمصر والشام المذكورون .

(٩) ليست في ط .

(١٠) « المثالات » : هي وثيقة رسمية تصدر من ديوان الجيش فيها استحقاق كل جندي . النجوم الزاهرة (٩/ ٥١) .

وفيه وقعت فتنة بين الحنابلة والشّافعية ببَعْلَبَكّ[١] بسبب العقائد ، وترافعوا إلى دمشقَ فحضروا بدار السّعادة عند نائب السلطنة تَنْكِز فأصلح بينهم ، وانفصل الحالُ على خير من غير محاققة ولا تشويش على أحد من الفريقين ، وذلك يوم الثلاثاء سادسَ عَشَر المحَرَّم .

وفي يوم الأحد سادسَ عَشَرَ صفر قُرئ تقليد قاضي القضاة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مَزْروع الحنْبلي[٢] ، بقضاء الحنابلة والنَّظر بأوقافهم عوضاً عن تقي الدين سُلَيمان بحكم وفاته رحمه الله ، وتاريخ التقليد من سادس ذي الحجة ، وقُرئ بالجامع الأموي بحضور القضاة والصّاحب والأعيان ، ثم مَشَوْا معه وعليه الخِلْعة إلى دار السعادة ، فسلَّم على النَّائب وراح إلى الصَّالحية ، ثم نزل من الغَد إلى الجَوْزيّة فحكم بها على عادة من تقدَّمه ، واستناب بعد أيام[٣] الشيخ شرف الدين بن الحافظ[٤] .

وفي يوم الإثنين سابع صفر وصل الشيخ كمال الدين بن الشُّريشي من مصرَ على البريد ومعه توقيع بعود الوَكَالة إليه ، فخُلع عليه وسلَّم على النَّائب والخِلعةُ عليه .

وفي هذا الشهر مُسِك الوزير عز الدين بن القلانسي واعتقل بالعَذْراوية وصُودر بخمسين ألفاً ، ثم أُطلق له ما كان أُخذ منه وانفصل من ديوان نظر الخاص[٥] .

وفي ربيع الآخر وصل من مصر الأمير[٦] فَضْلُ بن عيسى[٧] ، وأُجري له ولابن أخيه موسى بن مهنَّا إقطاعات جيدة[٨] ، وذلك بسبب دخول مهنَّا إلى بلاد التَّتر واجتماعه[٩] بملكهم خَرْبَنْدا .

وفي يوم الإثنين سادس عِشْري[١٠] جُمادى الأولى باشر ابن صَصْرَىٰ مشيخة الشُّيوخ بالسُّمَيْساطيّة بسؤال الصُّوفية وطلبهم له من نائب السّلطنة ، فحضرها وحضر عنده الأعيان في هذا اليوم عوضاً عن الشَّريف شهاب الدين أبي القاسم محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد الكريم بن

---

(١) ليست في ط .
(٢) سيأتي في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .
(٣) في ب : أيام يسيرة .
(٤) هو : القاضي شرف الدين عبد الله بن شرف الدين حسن بن الحافظ أبي موسى ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٢هـ) .
(٥) الدرر الكامنة (٢/ ٧٥) .
(٦) ليست في ط .
(٧) في ب : ومعه تقليد بإمرة العرب عوضاً عن أخيه مهنا .
(٨) في ط : صيدا ، وهو تحريف .
(٩) في ط : اجتماعهم .
(١٠) في ط : سادس عشر . وفي الدارس (٢/ ١٥٧) أيضاً سادس عشرين .

محمد بن علي بن الحسن بن الحسين بن يحيى بن موسى بن جعفر الصادق ، وهو الكاشغري[(١)] توفي عن ثلاثٍ وستّين سنة ودُفن بالصوفية .

وفي جمادى الآخرة باشر بهاء الدين إبراهيم بن جمال الدين يحيى الحنفي المعروف بابن عليمة[(٢)] هو ناظر ديوان النّائب بالشّام نظر الدواوين عوضاً عن شمس الدين محمد بن عبد القادر الخطيري الحاسب الكاتب[(٣)] توفي ، وقد كان مباشراً عدةً من الجهات الكبار ، مثل نظر الخِزانة ، ونظر الجامع ، ونظر المارستان وغير ذلك ، واستمرّ نظرُ المارستان من يومئذ بأيدي ديوان نائب السلطنة من كان ، وصارت عادة مستمرة .

وفي رجب نقل نائب[(٤)] حمص الأمير شهاب الدين قَرَاطاي[(٥)] إلى نيابة طرابُلُس عوضاً عن الأمير سيف الدين التُّركُسْتاي بحكم وفاته ، وولّي الأمير سيف الدين إرقْطاي نيابة حمص ، وتولّى نيابة الكَرَكِ سيفُ الدين طَقْطَاي النّاصري عوضاً عن سيف الدين بَيْبُغَا[(٦)] .

وفي يوم الأربعاء عاشر رجب درَّس بالنَّجيبية القاضي نجم[(٧)] الدين الدمشقي عوضاً عن بهاء الدين يوسف بن جمال الدين أحمد[(٨)] بن ظافر[(٩)] العجميّ الحلبيّ ، سبط الصَّاحب كمال الدين بن العديم ، توفي ودُفن عند خاله ووالده بتربة العديم[(١٠)] .

وفي أواخر شعبَانَ وصل القاضي شمس الدين بن عز الدين يحيى الحراني[(١١)] أخو قاضي قضاة الحنابلة بمصر شرف الدين عبد الغني[(١٢)] ، إلى دمشقَ متولياً نظر الأوقاف بها عوضاً عن الصّاحب عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن مبشر[(١٣)] ، توفي في مستهلِّ رجب بدمشقَ ، وقد باشر نظر الدَّواوين

(١) في ط : الكاشنغر .
(٢) في ط : علية وسبق الكلام فيه .
(٣) في ط : الكاسب بالسين ، وهو تحريف .
(٤) في ط : صاحب .
(٥) في ط : قرطاي . وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٤هـ) .
(٦) في ط : تيبغا . وهو تحريف .
(٧) في ط و أ : شمس الدين . وأثبتنا ما في الدارس (١/ ٤٧١) وسوف يأتي في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .
(٨) في الدرر الكامنة (٤/ ٤٤٦) أحمد بن عبد العزيز بن ظافر العجمي .
(٩) في ط : الظاهري .
(١٠) هي : التربة العديمية عند زاوية الحريري غربي الزيتون على الشرف القبلي . الدارس (١/ ٤٧١) و (٢/ ٢٥٨) .
(١١) هو : محمد بن يحيى بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن نصر الحراني . كما في ب .
(١٢) مضى في وفيات سنة (٧٠٩هـ) .
(١٣) في ب الدرر الكامنة (١/ ٢٨٧) : مُيَسَّر .

بها وبِمصرَ ، والحِسبة ، وبالإسكندرية وغير ذلك ، ولم يكن بقي معه في آخر وقتٍ سوى نظرِ الأوقاف بدمشقَ ، مات[١] وقد قارب الثمانين ودفن بقاسيون .

وفي تاسع[٢] شوال خرج الركب الشامي وأميرهم سيف الدين أَرْغُون السِّلَحْدار النّاصري الساكن عند دار الطِّراز بدمشقَ ، وحجَّ من مصرَ سيفُ الدّين الدَّوادار وقاضي القضاة ابن جماعة ، وقد زار القدسَ الشّريفَ في هذه السنة بعد وفاة ولده الخطيب جمال الدّين عبد الله ، وكان قد رأَسَ وعَظُم شأنُه .

وفي ذي القعدة سارَ الأميرُ سيف الدين تَنْكِز إلى زيارة القُدْس فغاب عشرين يوماً .

وفيه وصل الأمير سيف الدين بَكْتَمُر الحاجب إلى دمشقَ من مصرَ وقد كان معتقلاً في السِّجن فأُطلق وأُكرم وولّي نيابَةَ صَفَد ، فسار إليها بعدما قضى أشغاله بدمشقَ .

ونقل القاضي حسام الدين القزويني من قضاء صفد إلى قضاء طرابُلُس ، وأُعيدت ولاية قضاء صفَد إلى قاضي دمشق ، فولّى فيها ابنُ صَصْرَىٰ شرفَ الدين النَّهاوندي[٣] ، وكان متولياً قضاء طرابُلُسَ قبل ذلك ، ووصل مع بَكْتَمُر الحاجب الطواشي ظهيرُ الدّين مختارٌ المعروف بالزَّرْعي ، متولّياً الخِزانة بالقلعة عوضاً عن الطَّواشي ظهير الدِّين مختار البِلْبيسي[٤] توفي .

وفي هذا الشهر أعني ذا القعدة وصلت الأخبار بموت ملك التَّتر خَرْبَنْدا محمد[٥] بن أَرْغُون بن أَبْغَا بن هولاكوقان ملك العراق وخُراسان وعراق العجم والروم وأَذْربيجان والبلاد الأَرْمينية وديار بكر .

توفي في السابع والعشرين من رمضان ودفن بتربته بالمدينة التي أنشأها ، التي يقال لها : السلطانية وقد جاوز الثلاثين من العمر ، وكان موصوفاً بالكرم ومحباً للهو واللعب والعمائر ، وأظهر الرَّفض في بلاده[٦] ، أقام سنة على السنَّة ثم تحوَّل إلى الرَّفض ، أقام شعائره في بلاده وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مُطَهَّر الحِلِّي[٧] ، تلميذ نَصير الدّين الطُّوسي ، وأقطعه عدة بلاد ، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة .

وقد جرت في أيّامه فتن كبار ومصائبُ عظام ، فأراح الله منه العباد والبلاد .

---

(١) ليست في ط .
(٢) في ط : آخر .
(٣) في ط : الهاوندي .
(٤) في ط و أ : البلستيني . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٤/ ٣٤٤) .
(٥) ترجمته في الذيل للذهبي (ص٨٨) والدرر الكامنة (١/ ٥٠١) والدليل الشافي (١/ ٢٨٤ و ٢/ ٥١٧) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢١٢) و (٩/ ٢٣٨) .
(٦) ليست في ط .
(٧) سيأتي في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .

وقام في الملك بعده ولده بُوسَعيد[١] وله إحدى عشرة سنة ، ومدبر الجيوش والممالك له الأمير جُوبان ، واستمرَّ في الوزارة علي شاه التبريزي ، وأخذ أهل دولته بالمصادرة وقتل الأعيان ممن اتَّهمهم بقتل أبيه مسموماً ، وتعب[٢] كثيرٌ من النّاس به في أوّل دولته ثم عَدَل إلى العدْل وإقامة السُّنَّة ، فأمر بإقامة الخطبة بالتَّرضِّي عن الشيخين أولاً ، ثُمَّ عُثْمان ثم علي رضي الله عنهم ، ففرح النَّاسُ بذلك وسكَنَتْ بذلك الفتَنُ والشُّرور والقتال الذي كان بين أهل تلك البلاد وبهَراةَ وأَصْبَهان وبغداد وإربل وسَاوَة وغير ذلك .

وكان صاحبُ مكّة الأميرُ خميصةُ بن أبي نُميّ الحسنيّ ، قد قصدَ ملك التَّتر خرْبَنْدَا لينصرَه على أهل مكّة ، فساعده الرَّوافض هناك وجهَّزُوا معه جيشاً كثيفاً من خراسان ، فلمَّا مات خَرْبَنْدَا بطَلَ ذلك بالكلِّية ، وعاد خُمَيْصَةُ خائباً خاسئاً ، وفي صحبته أميرٌ من كبار الرَّوافض من التَّتر يقال له الدُّلْقَنْديّ ، وقد جمع لخُمَيْصَةَ أموالاً كثيرة ليقيم بها الرَّفض في بلاد الحجاز ، فوقع بهما الأمير محمَّدُ بن عيسى أخو مهنّا ، وقد كان مهنَّا[٣] في بلاد التَّتر أيضاً ومعه جماعةٌ من العرب فكسرهما[٤] ومن كان معهما ، ونهبَ ما كان معهما من الأموال ، وتفرَّق[٥] الرجال .

وبلغت أخبارُ ذلك إلى الدَّولة الإسلامية ، فرضيَ عنه الملك النَّاصر وأهل دولته ، وغَسَلَ ذلك ذنبَه عندَهُ ، فاستدعى به السُّلطان إلى حضرته فحضر سامعاً مطيعاً ، فأكرمه نائب الشام ، فلمَّا وصل إلى السُّلطان[٦] أكرمه أيضاً ، ثم إنَّه استُفْتِيَ الشَّيخُ تقي الدين بن تيمية ، [وكذلك أرسل إليه السُّلطان يسأله][٧] في الأموال التي أُخذت من الدُّلْقَنْدِي ، فأفتاهم أنَّها تُصرف في المصالح التي يعود نفعُها على المسلمين ، لأنَّها كانت معدَّة لعناد الحق ونُصرة أهل البدعة على السنَّة .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

عز الدين المبشر[٨]

والشهاب الكاشغري شيخ الشيوخ[٩]

---

(١) في ط و أ : أبو سعيد . وأثبتنا ما في الدرر (١/ ٥٠١) والنجوم (٩/ ٥٥) .
(٢) في ط : ولعب . وهو تصحيف .
(٣) ليست في ط .
(٤) في ط : فقهرهما .
(٥) في ط : وحضرت .
(٦) في ب : فلما استقر عند السلطان .
(٧) ليست في ب وهو الأصوب .
(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٢٨٧) وفيه : أحمد بن محمد بن علي بن يوسف بن ميسر عز الدين المصري .
(٩) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٤٩٩) والدارس (٢/ ١٥٧) .

[وشمس الدين الخطيري][1]

والبهاء العجمي مدرِّس النجيبية[2]

وفيها قُتل خطيبُ المِزَّة[3] ، قتله رجل جَبَليّ ، ضربَهُ بفأس اللَّحام في رأسه في السوق فبقي أياماً ومات ، وأُخذ القاتل فشُنق في السُّوق الذي قتل فيه ، وذلك يوم الأحد ثالثَ عشرَ ربيع الآخر ، ودفن هناك وقد جاوَزَ السِّتِّين .

الشَّرفُ صالح بن محمد بن عَرَبْشَاه : ابن أبي بكر الهمداني[4] ، مات في جُمادى الآخرة ، ودفن بمقابر النَّيْرب ، وكان مشهوراً بطيب القراءة وحُسنِ السّيرة ، وقد سمعَ الحديثَ وروى « جُزْءَ ابنِ عرفة»[5] .

صاحبُ التَّذكرة الكنديَّة[6] : الشيخ الإمام المقرئ المحدِّث النحوي الأديب علاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد بن هبة الله الكندي الاسكندراني ، ثم الدمشقي ، سمع الحديث على أزيد من مئتي شيخ ، وقرأ القراءات السبع ، وحصّل علوماً جيدة ، ونظم الشعر الحسن الرائق الفائق ، وجمع كتاباً في نحو من خمسين مجلداً ، فيه علوم جمة أكثرها أدبيات سمّاها « التذكرة الكندية »[7] ، وقفها بالسُّمَيْسَاطيّة وكتب حسناً وحَسَب جيداً ، وخدم في عدَّة خدم ، ووَلّي مشيخة دار الحديث النَّفِيسية في مدَّة عشر سنين ، وقرأ « صحيح البخاري » مرات عديدة ، وأسمع الحديث ، [وكان يلوذ بشيخ الإسلام ابن تيمية][8] ، وتوفي ببستانه[9] عند قبة المَسْجف[10] ليلة الأربعاء سابعَ عشرَ رجب ، ودُفن بالمِزَّة عن ست وسبعين سنة .

---

(١) ليست في ط و أ ، واستدركناه من ب . وترجمته في : الدرر الكامنة (٢/ ٣٩٣) وشذرات الذهب (٦/ ٣٨) .

(٢) هو : يوسف بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم بهاء الدين أبو المحاسن بن كمال الدين العجمي . ترجمته في : الدرر الكامنة (٤/ ٤٤٦) والدارس (١/ ٤٧١) .

(٣) في ب : شمس الدين محمد بن عبد الرحيم بن داود بن فارس المنبجي وقد كان مدَّة متطاولة خطيب المِزَّة ، قتله رجل صورةٌ مولَّهٌ .

(٤) ترجمته في : الدرر الكامنة (٢/ ٢٠٣) .

(٥) في ط : ورویٰ جزءاً ، ثم جعل ابن عرفة هو صاحب التذكرة الكندية وهذا توهُّم . والصَّواب ما أثبتناه .

(٦) ترجمته في : الفوات (٣/ ٩٨ ـ ١٠٣) والدرر الكامنة (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٣٥) والبدائع (١/ ٤٤٧) والدارس (١/ ١٥١) وشذرات الذهب (٦/ ٣٩) .

(٧) وتسمّى التذكرة العلائية . لعلاء الدين علي بن المظفر بن هدية الكندي المتوفّى سنة (٧١٦هـ) ويقال لها : التذكرة الكندية . كشف الظنون (١/ ٣٨٩) .

(٨) ليست في ب .

(٩) في ط : بستان .

(١٠) في ط : المسجد . وهو تحريف ، وما أثبتناه الصّواب ، وكذلك هو في الدرر والفوات والدارس .

الطَّواشي ظهيرُ الدِّين مختار[(١)] : البِلْبِيْسيّ[(٢)] الخَزِنْدار بالقلعة وأحد أمراء الطَّبْلخانات بدمشقَ .

كان زاكياً خبيراً فاضلاً ، يحفظ القرآن ويؤدّيه بصوت طيّب ، ووقف مكتباً للأيتام على باب قلعة دمشقَ ، ورتَّب لهم الكُسْوة والجامكيَّـة ، وكان يمتحنهم بنفسه ويفرح بهم ، وعمل تربةً خارجَ باب الجَابية ، ووقف عليها القَرْيَتَيْن[(٣)] ، وبنى عندها مسجداً حسناً ووقفه بإمام وهي من أوائل ما عُمل من التُّرَب بذلك الخط . ودفن بها في يوم الخميس عاشر شعبانَ رحمه الله ، وقد كان حسنَ الشكل والأخلاق ، عليه سكينة ووقار وهيبة ، وله وجاهة في الدَّولة سامحه الله ، وولي بعده الخِزانة سميُّه ظهيرُ الدّين مختار الزَّرْعي .

الأمير بدر الدين[(٤)] : محمَّد بن الوَزيري ، كان من الأُمراء المقدّمين ، ولديه فضيلة ومعرفة وخبرة ، وقد ناب عن السُّلطان بدار العدل مرَّة بمصرَ ، وكان حاجب الميسرة ، وتكلم في الأوقاف وفيما يتعلق بالقضاة والمدرِّسين ، ثم نقل إلى دمشق ، فماتَ بها في سادسَ عشرَ شعبان ، ودفن بمَيْدان الحصَىٰ فوق خان النَّجيبي ، وخلَّف تركةً عظيمةً .

الشيخة الصالحة[(٥)] : ست الوُزَراء بنت عمر بن أسعد بن المُنَجَّى ، راوية « صحيح البخاري » وغيره ، جاوزت التِّسعين سنة ، وكانت من الصالحات ، توفيت ليلة الخميس ثامنَ عشرَ شعبانَ ، ودفنت بتربتهم فوق جامع المظفَّري بقاسيون .

القاضي محب الدين[(٦)] : أبو الحسن ابن قاضي القضاة تقي الدين بن دَقيق العيد ، استنابَهُ أبوه[(٧)] في أيّامه وزوَّجه بابنة الحاكم بأمر الله ، ودرَّس بالكُهارية[(٨)] ورأس بعد أبيه ، وكانت وفاته يوم الإثنين تاسع عشر رمضان ، وقد قارب الستين ، ودفن عند أبيه بالقرافة .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٣٤٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٣٧) .

(٢) في أ : البلستيني وفي ط : البكنسي وفي ب : التفليسي . وأثبتنا ما في الدرر والنجوم ، وكذلك هو في الدارس (٢/ ٢٨٧) .

(٣) هي مدينة عامرة بين دمشق وتدمر .

(٤) ترجمته في الدارس (٢/ ٢٣٣) .

(٥) ترجمتها في : الدرر الكامنة (٢/ ١٢٩) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٣٧) والدارس (١/ ٢٩٨) و (٢/ ٤٢ ، ١١٧) وشذرات الذهب (٦/ ٤٠) . وتعرف بوزيرة .

(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١١٣) . وهو علي بن محمد .

(٧) محمد بن علي بن وهيب . مضى في وفيات سنة (٧٠٢هـ) .

(٨) في ط ، أ : اللهارية ، وأثبتنا ما في ب . وكذلك هي في الوافي بالوفيات (١/ ١٠٦) . بضم الكاف .

الشيخة الصالحة[(١)] : ستُّ النِّعم[(٢)] بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرَّانية ، والدة الشيخ تقي الدين بن تيمية عُمِّرت فوقَ السبعين[(٣)] سنة ، [(٤)]ولم تُرزق بنتاً قط .

توفيت يوم الأربعاء العشرين من شوال ودفنت بالصُّوفية وحضرَ جنازتها خلقٌ كثير وجَمٌّ غفير . رحمها الله .

الشيخ نجم الدين موسى بن علي بن محمد[(٥)] : الحَلَبي[(٦)] ثم الدمشقيّ ، الكاتب الفاضل المعروف بالبُصْبُص ، شيخ صناعة الكتابة في زمانه لا سيما في المُزَوَّج والمُثَلَّث ، وقد أقام يكتبُ النَّاسَ خمسينَ سنةً . وأنا ممَّن كتب عليه أثابه الله . وكان شيخاً حسناً بهي المنظر يُشعر جيداً[(٧)] .

توفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة ودفن بمقابر الباب الصَّغير وله خمسٌ وستُّون سنةً .

الشيخ تقي الدين الموصلي[(٨)] : أبو بكر بن محمد[(٩)] بن أبي بكر بن أبي الكرم شيخ القراءة عند محراب الصحابة ، وشيخ ميعاد ابن عامر مدّة طويلة ، وقد انتفع الناس به نحواً من خمسين سنةً في التَّلقين والقراءات ، وختَّم خلقاً كثيراً ، وكان يقصد لذلك ويجمع تصديقات يقولُها الصبيان ليالي ختمهم ، وقد سمع الحديث وكان خيراً ديناً .

توفي ليلة الثلاثاء سابعَ عشَر ذي القعدة ، ودفن بباب الصّغير رحمه الله .

الشيخ الصالح الزاهد المقرئ[(١٠)] : أبو عبد الله محمّد بن الخطيب سلامة بن سالم بن الحسن بن يَنْبُوب المالِيني ، أحدُ الصُّلحاء المشهورين بجامع دمشقَ .

سمع الحديثَ ، وأقرأَ النَّاسَ نحواً من خمسين سنة ، وكان يفصِّح الأولاد في الحروف الصَّعبة ، وكان مبتلئ في فمه يحمل طاسة تحت فمه من كثرة ما يسيل منه من الرِّيال وغيره وقد جاوزَ الثَّمانين بأربع سنينَ .

---

(١) ترجمتها في : العقود اللؤلؤية . لابن عبد الهادي .
(٢) في ط : المنعم .
(٣) في ب : التسعين .
(٤) في ب : ولدت تسع بنين .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٣٧٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٣٣) .
(٦) في ط : الجيلي وهو تحريف .
(٧) قال في الدرر : كان ينظم نظماً سافلاً عرياً عن الإعراب على طريقة الصُّوفية ، وكان مأموناً عفيفاً .
(٨) لم أقع على ترجمة له .
(٩) ليست في ط .
(١٠) ترجمته في الدراس (١/ ٣٣٠) .

توفيّ بالمدرسة الصَّارميَّة[١] يوم الأحد ثانيْ عِشْري[٢] ذي القعدة ودفن بباب الصغير بالقرب من القَنْدَلاوي ، وحضر جنازته خلق كثير جداً نحواً من عشرة آلاف رحمه الله تعالى .

الشيخ الصَّدر بن الوكيل[٣] : هو العلاَّمة أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام مفتي المسلمين زين الدين عمر بن مكّي بن عبد الصَّمد المعروف بابن المُرَحِّل وبابن الوكيل شيخ الشَّافعيَّة في زمانه ، وأشهرهم في وقته بالفضيلة وكثرة الاشتغال والمطالعة والتَّحصيل والافتنان بالعلوم العديدة ، وقد أجاد معرفة المذهب والأَصْلين ، ولم يكن بالنحو بذاك القويّ ، [وكان يقع منه اللَّحنُ الكثيرُ][٤] ، مع أنه قرأ فيه « المفصَّل » للزَّمخشري ، وكانت له محفوظات كثيرة .

ولد في شوال سنة خمس وستين وستمئة ، وسمع الحديث على المشايخ من ذلك « مسند أحمد » على ابن عـلاّن ، والكتب السّتَّة ، وقُرئ عليه قطعة كبيرة من « صحيح مسلم » بدار الحديث عن الأمين[٥] الإربلي والعامريّ والمِـزِّي ، وكان يتكلَّم على الحديث بكلام مجموع من علوم كثيرة ، من الطب والفلسفة وعلم الكلام ـ [وليس ذلك بعلم][٦] ـ وعلـوم الأَوائل ، وكان يكثر من ذلك ، وكان يقول الشِّعر جيداً ، وله ديوان مجموع [مشتمل على أشياء لطيفة][٧] ، وكان له أصحابٌ يحسدونه ويحبُّونه ، وآخرون يحسُدونه ويبغضُونَه ، وكانوا يتكلَّمون فيه بأشياء ويـرمونه بالعظائم ، [وقد كان مسرفاً على نفسه قد ألقى جِلْبابَ الحياء فيما يتعاطاه من القاذورات والفواحش][٨] ، وكان ينصب العداوة للشَّيخ ابن تيمية ويناظره في كثير من المحافل والمجالس ، وكان يعترف للشّيخ تقي الدين بالعلوم الباهرة ويُثني عليه ، ولكنه كان يجاحف[٩] عن مذهبه وناحيته وهواه ، وينافـحُ عن طائفته . وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يُثني عليه وعلى علومه وفضائله، ويشهد له بالإسلام إذا قيل له عن أفعاله وأعماله القبيحة، وكان يقول: كان مخلِّطاً على نفسه [متَّبعاً مُراد الشيطان منه][١٠] ، يميل إلى الشُّهرة[١١] والمحاضرة ، ولم يكن كما يقول فيه بعض أصحابه ممَّن يحسده ويتكلّم فيه هذا أو ما هو في معناه .

---

(١) هي : داخل باب النصر والجابية ، قبلي العذراوية ، بانيها هو صارم الدين أزبك . الدارس (١/ ٣٢٦) .
(٢) في ط : عشر .
(٣) ترجمته في : فوات الوفيات (٤/ ١٣) والدرر الكامنة (٤/ ١١٥ ـ ١٢٣) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٣٣) والدارس (١/ ٢٧) وشذرات الذهب (٦/ ٤٠) .
(٤) ليست في ب .
(٥) في ط : الأمير .
(٦) ليست في ب .
(٧) ليست في ب .
(٨) ليست في ب .
(٩) « يجاحف » : يدافع ، من جحفه برجله : رفسه بها حتى يرميَ به . القاموس (جحف) .
(١٠) ليست في ب .
(١١) في ط : « الشهوة » .

وقد درَّس بعدَّة مدارس بمصر والشام ، ودرَّس بدمشق بالشَّاميتَيْن والعَذْراوية ودار الحديث الأشرفية ، ووَلّي في وقت الخطابة [أياماً يسيرة كما تقدَّم ، ثم قام الخلق عليه وأخرجوها من يده ، ولم يرقَ منبرها][١] ، ثمّ خالطَ نائب السلطنة الأَفْرم فجرت له أمورٌ لا يمكن ذكرها ولا يُحسبْنَ [من القبائح][٢] ثم آل به الحال على أن عزم على الانتقال من دمشق إلى حلبَ لاستحواذه على قلب نائبها ، فأقامَ بها ودرَّس ، ثم تردَّد في الرسلية بين السُّلطان ومهنًّا صحبةَ أرْغُون وَأَلْطَنْبُغَا ، ثم استقرَّ به المنزل بمصرَ ودرَّس فيها بمشهد الحُسَين إلى أن توفي بها بكرة نهار الأربعاء رابع عشري ذي الحجة بداره قريباً من جامع الحاكم ، ودفن من يومه قريباً من الشيخ محمد بن أبي حمزة بتربة القاضي ناظر الجيش بالقَرَافة ، ولما بلغت وفاتُه دمشقَ صُلِّي عليه بجامعها صلاة الغائب بعد الجمعة ثالث المحرَّم من السنة الآتية ، ورثاهُ جماعة ، منهم ابن غانم علاء الدين ، والقَحْفازي[٣] والصَّفدي لأنَّهم كانوا من عُشَرائه .

وفي يوم عرفة توفي :

الشَّيخُ عماد الدين إسماعيل الفوغي[٤] : وكيل قَجْليس ، وهو الذي بنى له البَاشُورة على باب الصَّغير بالبرَّانية الغربيَّة ، وكانت فيه نهضة وكفاية ، وكان من بيت الرَّفض ، اتفق أنَّه استحضره نائبُ السَّلطنة فضربَه بين يديه ، وقام النائبُ إليه بنفسه فجعل يضربه بالمهاميز[٥] في وجهه فرُفع من بين يديه وهو تالفٌ فمات في يوم عرفة ، ودفن من يومِهِ بسفح قاسيون وله دار ظاهرَ باب الفراديس .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمئة

استهلَّت والحكام[٦] هم المذكورُون في التي قبلها .

وفي صفر شُرع في عمارة الجامع الذي أنشأَهُ ملك الأمراء تَنْكِز نائبُ الشَّام ظاهرَ باب النَّصر تجاه حِكْر السماق ، على نهر بانياس بدمشقَ ، وتردَّدَ القُضَاةُ والعلماء في تحرير قبلته ، فاستقرَّ الحال في أمرها على ما قاله الشَّيخ تقي الدين بن تيمية في يوم الأحد الخامس والعشرين منه ، وشرعوا في بنائه بأمر السُّلطان ، ومساعدته لنائبه في ذلك[٧] .

---

(١) ليست في ب .

(٢) ليست في ب .

(٣) في ط : القجقازي . وهو تحريف .

(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٨٢) . والفوعي بالعين في أ و ط ، وأثبتنا ما في الدرر .

(٥) المهاميز : جمع مهمزة ، وهي عصا في رأسها حديدة ينخس بها الحمار ، انظر اللسان .

(٦) ليست في ب . وفيه : والخليفة المستكفي بالله ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ونوابه وقضاته . . .

(٧) الدرر (١/ ٥٢٢) والنجوم الزاهرة (٩/ ٥٧) والدارس (٢/ ٤٢٥) ومنادمة الأطلال (ص٣٦٩) وما زال قائماً عامراً إلى الآن ، وفيه الثانوية الشرعية التي تديرها وزارة الأوقاف .

وفي صفرٍ هذا جاء سيل عظيم بمدينة بَعْلَبَك أهلك خلقاً كثيراً من النَّاس ، وخرَّب دوراً وعمائر كثيرة ، وذلك في يوم الثلاثاء سابع وعشرين صفر .

وملخَّص ذلك أنَّه قبل ذلك جاءَهم رعدٌ وبرقٌ عظيم معهما بَرَدٌ ومطَر ، فسالت الأودية ، ثم جاءهم بعده سيلٌ هائلٌ خسف من سور البلد من جهة الشّمال شرق مقدار أربعين ذراعاً ، مع أن سمك الحائط خمسةُ أذرع ، وحمل برجاً صحيحاً ومعه من جانبيه بدنتين[١] ، فحمله كما هو حتى مرَّ وحفر في الأرض نحو خمسمئة ذراع سعةَ ثلاثين ذراعاً ، وحمل السَّيل ذلك إلى غربيّ البلد ، لا يمر على شيء إلا أتلفه ، ودخل المدينة على حين غَفْلَةٍ من أهلها ، فأتلف ما يزيد على ثلثها ، ودخل الجامع فارتفع فيه على قامة ونصف ، ثم قوي على حائطه الغربي فأخربه وأتلف جميع ما فيه من[٢] الحواصل والكتب والمصاحف وأَتلف شيئاً كثيراً من رباع[٣] الجامع ، وهلك تحت الهدم خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وغرق في الجامع الشَّيخ علي بن محمد بن الشيخ علي الحريري[٤] هو وجماعة معه من الفقراء ، ويقال : كان من جملة من هلك في هذه الكائنة من أهل بعلبك مئة وأربعة وأربعون نفساً سوى الغرباء ، وجملة الدور التي خرَّبها والحوانيت التي أَتلفها نحوٌ من ستمئة دار وحانوت ، وجملة البساتين التي جرف أشجارها عشرون بستاناً ، ومن الطَّواحين ثمانية سوى الجامع والأَمْينيَّة[٥] وأَما الأماكن التي دخلها وأتلف ما فيها ولم تخرب فكثير جداً .

وفي هذه السنة زادَ النِّيل زيادة عظيمة لم يسمع بمثلها من مُدَد ، وغرَّق بلاداً كثيرة ، وهلك فيها ناسٌ كثير أيضاً ، وغَرَّق مُنْيَةَ الشِّيْرج[٦] فهلك للناس فيها شيء كثير ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون .

وفي مستهلّ ربيع الآخر جلس السُّلطان بوسعيد بن خَرْبَنْدا على تخت الملك بالمدينة السلطانية[٧] .

وفي ربيع الآخر منها أغار جيش حلب على مدينة آمد فنهبوا وسَبَوْا وعادوا سالمين .

---

(١) في ط : مدينتين .
(٢) ليست في ط .
(٣) في ط : رباغ بالغين المعجمة . والرباع : الدُّور .
(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١١٤) وفيه : كان هو وأخوه يدخلان في أذيَّة الناس سنة قازان .
(٥) مدرسة بعلبك .
(٦) في أ وط : السيرج بالسين ، وأثبتنا ما في ياقوت ، وهي : بلدة كبيرة طويلة ذات سوق بينها وبين القاهرة فرسخ أو أكثر . على طريق القاصد إلى الإسكندرية .
(٧) ليست في ط . البدائع (١/ ٤٤٨) .

وفي يوم السبت تاسع وعشرين منه قدم قاضي المالكيَّة إلى الشَّام من مصرَ وهو الإمام العلامة فخر الدين أبو العباس أحمد بن سلامة بن[١] أحمد بن سلامة الإسكندري المالكي ، على قضاء دمشقَ عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين الزَّواوي لضعفه واشتداد مرضه ، فالتقاه القُضاةُ والأعيان ، وقُرئ تقليده بالجامع ثاني يوم وصوله ، وهو مؤرخ بثانيْ عشرَ الشهر ، وقدم نائبه الفقيه نور الدين السخاوي ودرَّس بالجامع في مستهلّ[٢] جُمادى الأولى ، وحضر عنده الأعيان ، وشُكرت فضائله وعلومُه ونزاهته وصرامته وديانته ، وبعد ذلك بتسعة أيام توفي الزَّواوي المعزول ، وقد باشر القضاءَ بدمشق ثلاثينَ سنة .

وفيها أفرج عن الأمير سيف الدين بَهَادُرآص من سِجْن الكَرَك ، وحُمل إلى القاهرة ، وأكرمه السلطان ، وكان سَجْنُه بها مطاوعةً لإشارةِ نائب الشّام بسبب ما كان وقع بينهما بمَلَطْيَةَ .

وخرج المَحْمَلُ في يوم الخميس تاسع شوال ، وأمير الحج سيف الدين كُجْكُن[٣] المنصوري .

وممَّن حجَّ[٤] قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرىٰ وابن أخيه شرف الدين ، وكمال الدين بن الشِّيرازي ، والقاضي جلال الدين الحنفي ، والشيخ شرف الدين بن تيمية ، وخلق .

وفي سادس هذا الشهر درَّس بالجَاروخية[٥] القاضي جمال[٦] الدين محمد بن الشيخ كمال الدين بن الشُّريشي بعد وفاة الشَّيخ شرف الدين بن سلام[٧] وحضر عنده الأعيان .

وفي التاسعَ عشرَ منه درَّس ابن الزَّمْلَكاني بالعَذْراويّة عوضاً عن ابن سَلاَم .

وفيه درَّس الشيخ شرف الدِّين بن تيمية بالحَنْبلية[٨] عن إذن أخيه له بذلك بعد وفاة أخيهما لأُمِّهما بدر الدِّين قاسم بن محمد بن خالد ، ثم سافر الشَّيخ شرفُ الدين إلى الحجّ ، وحضر الشيخ تقي الدّين الدَّرْس بنفسه ، وحضر عنده خلقٌ كثير من الأعيان وغيرهم حتى عاد أخوه ، وبعد عوده أيضاً .

وجاءت الأخبارُ بأنّه قد أُبطلت الخمور والفواحش كلُّها من بلاد السَّواحل وطرابُلُس وغيرها ، ووضعت مُكُوسٌ كثيرةٌ عن النَّاس هنالك ، وبنيت بقرى النُّصَيريّة في كل قرية مسجد ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) في ط : أحمد بن سلامة بن أحمد بن أحمد بن سلامة . بزيادة أحمد وسيأتي في وفيات سنة (٧١٨هـ) .

(٢) ليست في ط ، وهي كذلك في الدارس (٢/ ٦٦) نقلاً عن ابن كثير .

(٣) في ط : كجكني وهو تحريف . وهو أحد الأمراء الكبار بدمشق . مات سنة (٧٣٩هـ) الدرر الكامنة (٣/ ٢٦٥) .

(٤) في ب : في هذه السنة .

(٥) في ط : الجاروضية بالضاد . وهي : مدرسة داخل باب الفرج والفراديس ، لصيقة الإقبالية الحنفية ، شمالي الأموي والظاهرية الجوانية . الدارس (١/ ٢٢٥) .

(٦) في ط : جلال .

(٧) في ط : ابن أبي سلام . وهو توهم ، وسيأتي صحيحاً في الوفيات .

(٨) المدرسة الحنبلية الشريفية عند القباقبية العتيقة . الدارس (٢/ ٦٤) .

وفي بُكْرة نهار الثُّلاثاء الثامن والعشرين من شوّال وصل الشّيخ الإمام العلاّمة شيخ الكتّاب شهابُ الدّين محمود بن سليمان الحلبي على البريد من مصرَ إلى دمشقَ متولِّياً كتابةَ السرِّ بها ، عوضاً عن شرف الدين عبد الوهّاب بن فضل الله توفي إلى رحمة الله[١] .

وفي ذي القعدة يوم الأحد دُرِّسَ بالصَّمْصاميّة[٢] التي جُددت للمالكية ، وقد وقف عليها الصاحب شمس الدين بن غبريال درساً ، ودرَّس بها فقهاً[٣] ، وعيَّن تدريسها لنائب الحكم الفقيه نور الدين عليّ بن عبد النَّصير[٤] المالكي ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وممَّن حضَر عنده الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان يعرفه من إسكندريَّة .

وفيه درس بالدّخْواريَّة[٥] الشيخ جمال الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد الكحّال ، ورُتِّب في رياسة الطبّ عوضاً عن أَمين الدين سُليمان الطبيب ، بمرسوم نائب السَّلطنة تَنْكِز ، واختاره لذلك .

واتّفق أنّه في هذا الشهر تجمَّع جماعةٌ من التجار بماردين وانضاف إليهم خَلقٌ من الجُفَّال من الغَلاء قاصدين بلاد الشام ، حتى إذا كانوا بمرحلَتَيْن من رأس العين لحقهم ستون فارساً من التَّتار فمالوا عليهم بالنَّشَاب وقتلوهم عن آخرهم ، ولم يبق منهم سوى صبيانهم نحو سبعين صبيّاً ، فقالوا من يقتل هؤلاء؟ فقال واحد منهم : أنا بشرط أن تنفِّلوني بمال من الغنيمة ، فقتلهم كلهم عن آخرهم ، وكان جملة من قتل من التُّجَّار ستمئة ، ومن الجفلان ثلثمئة من المسلمين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وردموا بهم خمس صهاريج هناك حتى امتلأت بهم رحمهم الله ، ولم يسلم من الجميع سوى رجلٍ واحدٍ تُرْكُماني ، هرب وجاء إلى رأس العين فأخبر الناس بما رأى وشاهد من هذا الأمر الفظيع المؤلم الوجيع ، فاجتهد مُتَسَلِّمُ ديار بكر سُوتاي[٦] في طلب أولئك التَّتر حتىٰ أهلكهم عن آخرهم، ولم يبق سوى رجلين، لا جمعَ الله بهم شملاً ، ولا لقَّاهم مرحباً وسهلا ، ولا ردَّ عليهم يوم القيامة مالاً ولا أهلاً[٧] . آمين يا رب العالمين .

---

(١) الدرر الكامنة (٤/ ٣٢٤) وفوات الوفيات (٤/ ٨٢) وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٥هـ) .

(٢) بمحلة حجر الذهب ، شرقي دار القرآن الوجيهية وبالقرب من المارستان النوري . وقد درست وصارت دوراً مع غيرها . منادمة الأطلال (ص٢٢٦) .

(٣) في ط : فقهاء .

(٤) في ط : البصير . وهو تحريف .

(٥) وهي مدرسة بالصاغة العتيقة بقرب الخضراء ، قبلي جامع الأموي ، أنشأها المهذب والدخوار ووقفها على الأطباء . انظر الدارس (٢/ ١٢٧) ومنادمة الأطلال (ص٢٥٢) .

(٦) في ط وأ : سوياي . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٢/ ١٧٨) وفيه : سوتاي التتري النوين الحاكم على ديار بكر . مات سنة (٧٣٢هـ) ، وكذلك في الدليل الشافي (١/ ٣٢٨) .

(٧) في ط وأ العبارة مضطربة : ولم يبق منهم سوى رجلين ، لا جمع الله بهم شملاً ، ولا بهم مرحباً ولا أهلاً . وأثبتنا ما في ب .

صفة خروج المهدي الضال بأرض جبلة[١]

وفي هذه السنة خرجت النُّصيريَّة عن الطَّاعة فأقاموا[٢] من بينهم رجلاً سَمَّوْهُ محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله ، [وتارة يدَّعي أنه عليُّ بنُ أبي طالب فاطرُ السموات والأرض ، تعالى الله عمّا يقولُون علوًّا كبيراً][٣] وتارةً يدّعي أنّه محمدٌ بن عبد الله صاحب البلاد، وصرّح بكفْر[٤] المسلمين ، وأنَّ النُّصيريّة على الحقِّ، واحتوى هذا الرجلُ على عقول كثير من كبار النُّصيرية الضُّلّال، وعيَّن لكل إنسان منهم تقدمةَ ألف، وبلاداً كثيرة ونيابات ، وحَمَلوا على مدينة جَبَلة فدخلوها وقتلوا خلقاً من أهلها ، وخرَجُوا منها يقولون : لا إلٰه إلاّ علي ، ولا حجاب إلاّ محمد ، ولا باب إلاّ سلمان . وسَبُّوا الشَّيْخين ، فصاح أهل البلد وا إسلاماه ، وا سلطاناه ، وا أميراه ، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد ، وجعلوا يبكون ويتضرَّعون إلى الله عز وجل ، فجمع هذا الضَّالُّ تلك الأموال فقسمها على أصحابه وأتباعه قبّحهم الله أجمعين . وقال لهم : لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة ، ولو لم يبق معي سوى عشرة نفر لملكنا البلاد كلَّها .

ونادى في تلك البلاد : إنَّ المقاسمة[٥] بالعُشْر لا غير ، ليرغِّب الفلاحين[٦] فيه ، وأمر أصحابه بخراب المساجد واتّخاذها خَمَّارات ، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين . قل لا إله إلا علي ، واسجد لإلٰهك المهدي ، الذي يُحيي ويُميت حتَّى يُحقن دَمُك ، ويكتب لك فرمان ، وتجهَّزوا وعملوا أمراً عظيماً جداً ، فجُرّدت إليهم العساكر فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وجماً غفيراً ، وقُتِلَ المهديُّ الذي أضلَّهم ، وهو يكون يوم القيامة مقدَّمَهم إلى عذاب السَّعير ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٧] [الحج : ٣ ـ ٤] .

وفيها حجَّ الأمير حسام الدين مُهَنَّا وولده سليمان في ستة آلاف، وأخوه محمد بن عيسى في أربعة آلاف، ولم يجتمع مُهَنَّا بأحدٍ من المصريين ولا الشَّاميين[٨] ، وقد كان في المصريين قَجْليس وغيره والله أعلم .

---

(١) الشذرات (٦/ ٤٣) وجبلة مدينة مشهورة على الساحل السُّوري . ويقال : فيها قبر إبراهيم بن أدهم .

(٢) في ط : وكان .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من ط و ب . وليست في أ .

(٤) في ط : وخرج يكفر وهو تحريف .

(٥) في ط : بالمقاسمة .

(٦) ليست في ط .

(٧) وفي (أ ، ط) : ذلك بما قدَّمت يداك الآية ، حيث جعل هذا الكلام جزءاً من الآيتين السابقتين . وهذا توهم .

(٨) إذ كان مهنا لا يزال عند التتر .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الصالح(١) : أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله(٢) كان فاضلاً ، وكتب حسناً ، نسخ « التنبيه »(٣) و « العمدة »(٤) وغير ذلك ، وكان النّاس ينتفعون به ويقابلون عليه ذلك ويصحِّحون عليه ، ويجلسون إليه عند صندوق كان له في الجامع ، توفّي ليلة الإثنين سادسِ محرّم ودُفن بالصُّوفية ، وقد صحّحْتُ عليه في « العُمْدة » وغيره .

الشيخ شهاب الدين الرومي(٥) : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن المراغي ، درَّس بالمُعِيْنيّة(٦) ، وأمَّ بمحراب الحنفيَّة بمَقْصورتهم الغربية إذ كان محرابهم هناك ، وتولّىٰ مشيخة الخاتُونيّة ، وكان يؤُمّ بنائب السلطان الأَفْرم ، وكان يقرأ حسناً بصوت مليح ، وكانت له مكانةٌ عنده ، وربما راح إليه الأَفْرم ماشياً حتى يدخل عليه زاويته التي أنشأَها بالشرف(٧) الشمالي على الميدان الكبير ، ولما توفي بالمحرم ودفن بالصّوفية قام ولداه عماد الدين وشرف الدين بوظائفه .

الشيخ الصَّالح العَدْل(٨) : فخر الدين عثمان بن أبي الوفاء بن نعمة الله الأعزازي ، كان ذا ثروة من المال ، كثيرَ المروءة والتلاوة ، أدّى الأمانة في ستِّين ألف دينار وجواهر لا يعلمُ بها إلا الله عزَّ وجَلَّ ، بعد ما مات صاحبُها مجرّداً في الغَزَاة وهو عز الدين الجرَّاحي نائبُ غَزَّة ، أودعه إياها فأَدَّاها إلى أهلها أثابَهُ الله . ولهذا لما مات يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر حضر جنازته خلقٌ لا يعلمهم إلا الله تعالى ، حتى قيل : إنَّهم لم يجتمعوا في مثلها قبل ذلك ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

قاضي القضاة(٩) : جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن يوسف الزّواوي قاضي المالكية بدمشق ، من سنة سبع وثمانين وستمئة ، قدم مصر من المغرب واشتغل بها ، وأخذ عن مشايخها ، منهم

---

(١) لم أقع على ترجمة له .
(٢) في ط : المنتزه .
(٣) التنبيه في معرفة الأحكام ، لشرف الدين بن أبي عصرون ، عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن أبي عصرون مات سنة (٥٨٥هـ) . وفيات الأعيان (٣/ ٥٣ ـ ٥٧) الدارس (١/ ٣٩٩) .
(٤) العمدة في الفقه لوجيه الدين بن المنجا .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٢٤٢) والدارس (١/ ٥٩٠) و (٢/ ١٤٥) .
(٦) في ط : العينية ، والمعينية مدرسة للأحناف مقابل باب الفرج في الطريق الآخذ إلى باب المدرسة العصرونية الشافعية . منادمة الأطلال (ص٢٠٣) .
(٧) في ط : الشرق .
(٨) لم أقع على ترجمة له .
(٩) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٤٤٨) وفيه محمد بن سليمان بن سومر . والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٣٩) وفيه : ابن سويد ، ونقله عن عقد الجمان والسلوك ، والدارس (٢/ ١٢) وفيه : ابن سوير .

الشيخ عز الدين بن عبد السّلام ، ثم قدم دمشقَ قاضياً في سنة سبع وثمانين وستمئة ، وكان مولده تقريباً في سنة تسع وعشرين وستمئة . وأقام شعار مذهب مالك وعمر الصَّمْصَامِيَّة في أيامه وجدَّد عمارة النُّورِيَّة(١) ، وحدَّث « بصحيح مسلم » و « موطأ مالك » عن يَحْيَى بن يَحْيَى(٢) عن مالك ، وكتاب « الشِّفَا »(٣) للقاضي عِيَاض(٤) ، وعزل قبل وفاته بعشرين يوماً عن القضاء ، وهذا من خيره حيث لم يمُت قاضياً ، توفي بالمدرسة الصَّمْصَامية يوم الخميس التاسع من جمادى الآخرة . وصُلِّي عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر باب الصغير تجاه مسجد النارنج(٥) ، وحضر الناس جنازته وأثنَوْا عليه خيراً ، وقد جاوز الثمانين كمالك رحمه الله . ولم يبلغ(٦) إلى سبعةَ عشرَ من عمره على مقتضى مذهبه أيضاً .

القاضي الصَّدر الرَّئيس(٧) : رئيسُ الكتَّاب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله بن مُجَلِّي(٨) القرشي العدويّ العُمَرِيُّ(٩) .

ولد سنة تسع(١٠) وعشرين وستمئة، وسمع الحديث وخدم وارتفعت منزلته حتى كتب الإنشاء بمصرَ، ثم نقل إلى كتابة السرّ بدمشق إلى أن توفي في ثامن رمضان ، ودفن بقاسيون ، وقد قارب التِّسعين ، وهو متمتع بحواسه وقواه ، وكانت له عقيدة حسنة في العلماء ولا سيّما في ابن تيمية وفي الصُّلحاء رحمه الله . وقد رثاه الشّهاب محمودُ كاتب السر بعده بدمشق(١١) ، وعلاء الدين بن غانم ، وجمال الدين بن نباتة .

---

(١) موضعها كان يسمى بالخواصين ، وكان موضعها قديماً داراً لمعاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ أنشأها نور الدين محمود بن زنكي . منادمة الأطلال (ص٢١٢) .

(٢) هو يحيى بن يحيى بن كثير بن دسلاس ، فقيه الأندلس ، أبو محمد الليثي ، الأندلسي ، القرطبي ، راوي الموطأ ، توفي رحمه الله سنة (٢٣٤)هـ .

(٣) الشّفا بتعريف حقوق المصطفى . مطبوع . عدة طبعات ، وهو كتاب عظيم .

(٤) القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل ، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته . توفي بمراكش مسموماً سنة (٥٤٤هـ) . قيل : سمّه يهودي . الأعلام (٥/ ٩٩) وثمة مصادر ترجمته .

(٥) في ط : التاريخ . وسبق الكلام عليه .

(٦) أي لم يدخل في سن البلوغ .

(٧) ترجمته في فوات الوفيات (٢/ ٤٢١) والدرر الكامنة (٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٤٠) وشذرات الذهب (٦/ ٤٦) .

(٨) في ط وأ : الحلي ، وأثبتنا ما في ب والمصادر السابقة .

(٩) في ط : المعمري . وهو تحريف .

(١٠) في المصادر السابقة : ثلاث وعشرون .

(١١) القصيدة طويلة مطلعها :

لتبكِ المعالي والنُّهى الشرف الأعلى وتبكي الورى الإحسانَ والحلم والفضلا

الفوات (٢/ ٤٢٢) .

الفقيه الإمام العالم المُناظر(١) : شرف الدين أبو عبد الله الحُسين بن الإمام كمال الدين علي بن إسحاق بن سلام الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ثلاث وسبعين وستمئة ، واشتغل وبرع وحصل ودرس بالجاروخية(٢) والعَذْراوية ، وأعاد بالظَّاهرية وأفتى بدار العدل .

وكان واسع الصّدر كثيرَ الهمة كريمَ النفس مشكوراً في فهمه وخطِّه(٣) وفصاحته ومناظرته .

توفي في رابع عشرين رمضان وترك أولاداً ودَيْناً كثيراً ، فوفته عنه زوجته بنت زُوَيْزَان تقبّل الله منها وأحسن إليها .

الصاحب أنيس الملوك(٤) : بدر الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الإربلي ، ولد سنة أربعين(٥) وستمئة ، واشتغل بالأدب فحصل على جانبٍ جيّد منه وارتزق عند الملوك به ، [فمن رقيق شعره ما أورده الشيخ علم الدين في ترجمته قوله :

ومـدامـةُ خمـرٍ تشبـهُ خـدَّ مـنْ ... أَهـوى ودمعـي يسقـي بهـا قمـرا
أعزّ عليَّ من سمعي ومن بصري ... [. . . ..]

وقوله في مغنية :

وعـزيـزةٍ هيفـاءَ نـاعمـةِ الصّبـا ... طـوعِ العنـاقِ مـريضـةِ الأجفـان(٦)
غنَّـتْ ومـاسَ قـوامُهـا فكـأنّهـا الـ ... ورقـاءُ تسجـعُ فـوقَ غصـنِ البـانِ]

الصّدر الرئيس شرف الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم(٧) : ابن شرف الدين عبد الرحمن ابن أمين الدين سالم بن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَىٰ ، بَاشر عدة جهات ، وخرج مع خاله قاضي القضاة ابن صَصْرَىٰ إلى الحج(٨) ، فلمَّا كانوا بِبدرٍ(٩) اعتراه مرض، ولم يزل به حتى مات ، توفي بمكة وهو محرمٌ مُلَبٍّ ، فشهد النَّاسُ جنازتَه وغَبطُوه بهذه الموتة ، وكانت وفاته يوم الجمعة

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٥٩) والدارس (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) وشذرات الذهب (٦/ ٤٤) .
(٢) في ط : الجاروضية .
(٣) في ب وط : وخطّه وحفظه وفصاحته . . .
(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٢١) ومجلة المجمع العلمي العربي (١٨/ ٥٥٠) والأعلام (٣/ ٢٩٣) .
(٥) في ط وأ : ثمان وثلاثون . وما أثبتناه الصّواب ـ إن شاء الله ـ لأن وفاته سنة (٧١٧هـ) وله من العمر سبع وسبعون سنة كما في الدُّرر . وهو المذكور أيضاً في الأعلام .
(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من ب و ط . وهي في الدّرر .
(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٩) وفيه : محمد بن عبد الرحيم بن سالم بن أبي المواهب بن صَصْرَى التغلبي الدمشقي .
(٨) في ط : ذهب إلى الحجاز الشريف .
(٩) في ط : ببردى وهو تحريف .

آخر النهار سابع ذي الحجة ، ودفن ضحى يوم السبت بمقبرة الحجون[١] رحمه الله تعالى وأكرم مثواه .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمئة

[الخليفة والسلطان هما هما ، وكذلك النواب والقضاة سوى المالكي بدمشق فإنه العلامة فخر الدين بن سلامة بعد القاضي جمال الدين الزواوي رحمه الله][٢] . ووصلت[٣] الأخبار في المحرّم من بلاد الجزيرة وبلاد الشرق وسِنجار والمَوْصل ومارِدين وتلك النواحي بغلاءٍ عظيم وفناءٍ شديد ، وقلة الأمطار ، وجَوْر[٤] التتار ، وعدم الأقوات وغلاء الأسعار ، وقلة النفقات ، وزوال النّعم ، وحلول النّقم ، بحيث إنّهم أكَلوا ما وجدوه من الجمادات والحيوانات والنباتات[٥] ، وباعُوا حتَّى أولادهم ، وأهاليهم ، فبيع الولد بخمسين درهماً وأقلَّ من ذلك ، حتى إن كثيراً من الناس[٦] كانوا لا يشترون من أولاد المسلمين تأثُّماً[٧] ، وكانت المرأة تصرِّحُ بأنَّها نصرانية ليُشْتَرىٰ منها ولدُها لتنتفع بثمنه ويحصُلَ له من يطعمه فيعيش ، وتأمن عليه من الهلاك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ووقعت أحوال صعبة يطول ذكرها ، وتنْبو الأسماعُ عن وصفها ، وقد ترحَّلت منهم فرقة قريبَ الأربعمئة إلى ناحية مَراغة[٨] فسقط عليهم ثلجٌ أهلكهم عن آخرهم ، وصحبت طائفة منهم فرقة من التتار ، فلما انتهوا إلى عقبةٍ ، صعِدها التَّتار ثم منعوهم أن يصعدوها لئلا يتكلَّفوا بهم فماتوا عن آخرهم . فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وفي بُكرة الإثنين السابع[٩] من صفر قدم القاضي كريمُ الدّين عبدُ الكريم بن العلَم هبة الله وكيل الخاص السلطاني بالبلاد جميعها ، قدم إلى دمشق فنزل بدار السعادة وأقام بها أربعة أيام ، وأمر ببناء جامع القُبَيْبَات[١٠] ، الذي يقال له : جامع كريم الدين[١١] ، وراح لزيارة بيت المَقْدس ، وتصدَّق بصدقات كثيرة وافرة ، وشرع ببناء جامعه بعد سفره .

---

(١) في ط : باب الحجون وهو توهم .
(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من ب و ط .
(٣) من هنا أول أحداث السنة في أ وفيه : وفيها وصلت الأخبار . . .
(٤) في ط : خوف .
(٥) في ط : والميتات .
(٦) ليست في ط .
(٧) ليست في ط .
(٨) هي بلدة عظيمة مشهورة ، أعظم بلاد أذربيجان . ياقوت .
(٩) في الدارس (٢/ ٤١٦) في التاسع .
(١٠) هي محلَّة جليلة بظاهر دمشق . ياقوت . النجوم الزاهرة (٩/ ٥٧) الدارس (٢/ ٤١٦) .
(١١) ويقال له الآن : جامع الدقاق في الميدان .

وفي ثاني صفر جاءت ريحٌ شديدةٌ ببلاد طَرَابُلس على ذوق تركمان ، فأهلكت لهم كثيراً من الأَمتعة ، وقتلت أميراً منهم يقال له طرالي وزوجته وابنتيه وابني ابنيه وجاريته وأحدَ عشرَ نفساً ، وقتلت جِمالاً كثيرة وغيرها ، وكسرت الأمتعة والأثاث وكانت ترفع البَعير في الهواء مقدارَ عَشْرة أَرماح ثم تلقيه مقطعاً ، ثم سقط بعد ذلك مطر شديد وبرَدٌ عظيم بحيث أتلف زروعاً كثيرة في قرى عديدة نحواً من أربع وعشرين قرية ، حتى إنَّها لا ترد بدارها(١) .

وفي صفر أخرج الأمير سيف الدين طُغَاي النَّاصري(٢) إلى نيابة صفد فأقام(٣) بها شهرين ثم مسك .

والصاحب أمين الدين إلى نظر الدواوين(٤) بطرابُلُس على معلوم وافر .

قال الشيخ علَم الدين : وفي يوم الخميس منتصف ربيع الأول اجتمع قاضي القضاة شمسُ الدين بن مسلم(٥) بالشيخ الإمام العلامة تقي الدين بن تيمية وأشار عليه في ترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطَّلاق ، فقبل الشيخ نصيحته وأجاب إلى ما أشار به ، رعاية لخاطره وخواطر الجماعة المُفتين .

ثم ورد البريد في مستهل جُمادى الأولى بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ تقي الدّين من الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق ، وانعقد بذلك مجلس ، وانفصل الحال على ما رسم به السلطان ، ونُودي به في البلد ، [وكان قبل قدوم المرسوم قد اجتمع بالقاضي ابن مسلم الحنبلي جماعةٌ من المفتين الكبار ، وقالوا له : أن ينصح الشيخ في ترك الإفتاء في مسألة الطلاق ، فعلم الشيخ نصيحته ، وأنه إنّما قصد بذلك ترك ثوران فتنة وشر](٦) .

وفي عاشره جاء البريد إلى صفد(٧) بمسك سيف الدين طُغَاي(٨) ، وتَوْلية بدر الدين القَرْمَانيّ نيابةَ حمصَ .

وفي هذا الشهر وصل(٩) مقتل رشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير بن علي(١٠) الهَمْداني ، كان أصله

---

(١) شذرات الذهب (٦/ ٤٧) .

(٢) في ط : الحاصلي وأ : الخاصلي . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٢/ ٢٢١) والدليل الشافي (١/ ٣٦٤) .

(٣) في ط : فأقيم .

(٤) في ط : الأوقاف .

(٥) محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع قاضي الحنابلة ، سيأتي في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .

(٦) ليست في ب .

(٧) في ط وأ : صفت .

(٨) في ب : وحمله إلى الديار المصرية فَفُعل ذلك وحُوِّل أَرُقطاي من حمص إلى صفد . انتهى . وأرقطاي : هو القفجقي الحاج ، توفي سنة (٧٥٠هـ) . الدرر الكامنة (١/ ٣٥٤) .

(٩) في ط : « كان » وما أثبتناه من ب ، وهو الصواب ، لأن مقتله كان في سنة (٧١٧هـ) كما في الشذرات (٦/ ٤٦) وقيل كان سنة (٧١٦هـ) كما في الدرر الكامنة (٣/ ٢٣٢) .

(١٠) في ط : عالي . وفي الدرر الكامنة (٣/ ٢٣٢) : غالي .

يهوديًا عطّاراً ، فتقدَّم بالطب وشملته السعادة حتى كان عند خَرْبَنْدَا الجزءَ الذي لا يتجزأ ، وعلت رتبته وكلمتُه ، وتولّى مناصبَ الوُزراء ، وحَصَل له من الأموال والأملاك والسعادة ما لا يُحدُّ ولا يُوصف ، وكان قد أظهر الإسلام ، وكانت لديه فضائل جمّة ، وقد فسر القرآن وصنّف كتباً كثيرة ، وكان له أولاد وثروة عظيمة ، وبلغ الثمانين[١] من العمر ، وكانت له يد جيّدة يوم الرَّحْبَة[٢] ، فإنه صانَع عن المسلمين [وأتقن القضية في رجوع ملك التتار عن البلاد الشامية][٣] ، سنة ثنتي عشرة كما تقدَّم ، وكان يناصح الإسلام ، ولكن قد نال منه خلقٌ كثير من النَّاس واتَّهموه على الدِّين وتكلموا في تفسيره هذا ، ولا شكَّ أنه كان مخبَّطاً مخلِّطاً ، وليس لديه علم نافع ، [ولا عمل صالح][٤] . ولما تولى أبو سعيد المملكةَ عزله وبقي مدَّةً خاملاً ، ثم استدعاه جُوْبَان وقال له : أنت سقيت السلطان خَرْبَنْدا سُمّاً ؟ فقال له : أنا كنت[٥] في غاية العظمة والعزة ، فكيف أعمَد إلى سقيه والحالة هذه؟ فأحضرت الأطبّاء فذكروا صورة مرض خَرْبَنْدا وصفته ، وأن الرشيد أشار بإسهاله لما عنده في باطنه من الحواصل ، فانطلق باطنه نحواً من سبعين مجلساً ، فمات [فاعترف][٦] بذلك على وجه أنَّه أخطأ في الطب . فقال : فأنت إذاً قتلته ، فقتله وولده إبراهيمَ ، واحتيط على حواصله وأمواله ، فبلغت شيئاً كثيراً ، وقُطعت أَعضاؤه وحُمل كل جزء منها إلى بلدة ، ونودي على رأسه بتبْريز : هذا رأسُ اليهودي الذي بدل كلام الله لعنه الله ، ثم أُحرقت جثته ، وكان القائم عليه علي شَاه[٧] .

وفي هذا الشَّهر ـ أَعْني جُمادى الأولى ـ تولَّى قضاء المالكية بمصرَ تقي الدين الإخنائي[٨] عوضاً عن زين الدين بن مخلوف توفي عن أربعٍ وثمانين سنة ، وله في الحكم ثلاث وثلاثون سنة .

وفي يوم الخميس عاشر رجب لبس صلاح الدين يوسف بن الملك الأوحد خلعة الإمرة بمرسوم السلطان[٩] .

وفي آخر رجب جاء سيلٌ عظيمٌ بظاهر حمصَ خرَّب شيئاً كثيراً ، وجاء إلى البلد ليدخلها فمنعه الخندق .

---

(١) في الدرر والشذرات : عاش بضعاً وسبعين سنة .
(٢) مرَّ ذكره .
(٣) ليست في ب .
(٤) ليست في ب .
(٥) في ط : في غاية الحقارة والذِّلّة فصرت في أيامه وأيام أبيه .
(٦) زيادة من ب .
(٧) هو : علي شاه الوزير . الدرر الكامنة (٣/ ٢٣٢) وفيه الخبر .
(٨) هو محمد بن أبي بكر الإخنائي بن بدران . مات سنة (٧٥٠هـ) .
(٩) هو : يوسف بن شادي بن داود ، مات سنة (٧٤١هـ) الدرر الكامنة (٤/ ٤٥٦) .

وفي شعبانَ تكامل بناءُ الجامع الذي عمره تَنْكِز ظاهرَ باب النَّصر ، وأقيمت الجمعة فيه يوم عاشر شعبان ، وخطب فيه الشيخ نجم الدِّين علي بن داود بن يحيى الحنفي المعروف بالقَحْفازي[١] ، من مشاهير الفضلاء ذوي الفنون المتعدّدة ، وحضر نائبُ السَّلطنة والقضاة والأعيان والقراء والمنشدون ، وكان يوماً مشهوداً .

وفي يوم الجمعة التي يليها خُطب بجامع القُبَيْبَات الذي أنشأه كريم الدين وكيل السلطان ، وحضر فيه القضاةُ والأعيان ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن الرزين[٢] الحراني الآمدي[٣] الحنبلي ، وهو من الصَّالحين الكبار ، ذوي الزّهادة والعبادة والنّسك والتوجُّه وطيب الصوت وحسن السَّمت .

وفي حادي عشر رمضان خرج الشيخ شمس الدين ابن النقيب[٤] إلى حمص حاكماً بها مطلوباً مولّى مرغوباً فيه ، وخرج النَّاس لتوديعه .

وفي هذا الشهر حصل سيل عظيم بسلميَّة ومثلُه بالشُّوبك ، وخرج المحمل في تاسع[٥] شوال وأمير الركب الأمير علاء الدين بن سعد[٦] والي البر ، وقاضيه زين الدين ابن قاضي الخليل الحاكم بحلب .

وممَّن حج في هذه السنة من الأعيان : الشيخ برهان الدين الفزاري وكمال الدين بن الشريشي وولده وبدر الدين بن العطار .

وفي الحادي والعشرين من ذي الحجة انتقل الأمير فخر الدين إِياس[٧] الأَعْسري من شد الدواوين بدمشق إلى طَرَابُلُس أميراً .

وفي يوم الجمعة السابع عشر من[٨] ذي الحجة أقيمت الجمعة في الجامع الذي أنشأه الصاحب شمس الدين بن غِبْرِيال ناظرُ الدواوين بدمشقَ خارج باب شرقي[٩] ، إلى جانب ضِرار بن الأَزور [رضي الله عنه][١٠] بالقرب من محلة القعاطلة ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن التَّدمري المعروف

---

(١) في ط : الفقجازي . وسيأتي في وفيات سنة (٧٤٥هـ) .
(٢) في الدرر الكامنة (٤/ ٣٥) الرزيز . وفي الدارس (٢/ ٤١٨) الوزير .
(٣) في أ وط : الأسدي وأثبتنا ما في الدرر .
(٤) هو : محمد بن أبي بكر بن إبراهيم . . . بن حمدان الدمشقي القاضي . مات سنة (٧٤٥هـ) الدرر (٣/ ٣٩٩) .
(٥) ليست في ط .
(٦) في ط وأ : معبد . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٣/ ١٢٥) .
(٧) ويقال له : إياز ، قتل سنة (٧٥٠هـ) كما سيأتي .
(٨) ليست في ط .
(٩) ويعرف بجامع الملاّح ، الدارس (٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) .
(١٠) زيادة في ب .

بالنَّيرباني ، وهو من كبار الصَّالحين ذوي العبادة والزهادة ، وهو من أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وحضره الصَّاحبُ المذكور وجماعةٌ من القضاة والأعيان .

وفي يوم الاثنين ، العشرين[١] من ذي الحجة باشر الشيخ شمس الدين محمد بن عُثْمان الذّهبي[٢] المحدِّث الحافظ بتربة أمِّ الصالح[٣] عوضاً عن كمال الدين بن الشُّريشي ، توفي بطريق الحج[٤] في شوّال ، وقد كان له في مشيختها ثلاثٌ وثلاثون سنة ، وحضر عند الذهبي جماعة من القضاة .

وفي يوم الثلاثاء صبيحة هذا الدَّرس أُحضر الفقيه زين الدين بن عُبَيْدان الحنبلي من بعلبك وحوقق على منام رآه زعم أنه رآه بين النائم واليقظان ، وفيه تخليط وتخبيط وكلام كثير لا يصدر عن مستقيم المزاج ، كان كتبه بخطه وبعثه لي بعضُ أصحابه ، فاستسلمه القاضي الشّافعي وحقَنَ دمَهُ وعزَّرَه ، ونُودي عليه في البلد ومُنع من الفتوى وعقود الأنكحة ، ثم أُطلق .

وفي يوم الأربعاء بُكْرةً باشر بدر الدين محمد بن بصخان[٥] مشيخة الإقراء بتربة أم الصالح عوضاً عن الشيخ مجد الدين التونسي توفي ، وحضر عنده الأعيان الفضلاء ، قد حضرته يومئذ ، وقبل ذلك باشر مشيخة الإقراء بالأشرفية عوضاً عنه أيضاً الشيخ محمد بن خروف المَوصلي .

وفي يوم الخميس ثالث عِشْري ذي الحجة باشر الشيخ الإمام العلاّمة الحافظ الحجّة شيخُنا ومفيدنا أبو الحَجَّاج يوسُف بن الزَّكي عبد الرحمن بن يوسف المِزِّي مشيخةَ دار الحديث الأشرفية عوضاً عن كمال الدين بن الشريشي ، ولم يحضُر عنده كبير أحد ، لما في نفوس بعض الناس من ولايته لذلك ، مع أنه لم يتولَّها أحدٌ قبله أحقُّ بها منه ، ولا أحفظ منه ، [وما عليه منهم ؟ إذ لم يحضروا عنده فإنه لا يوحشه إلا حضورهم عنده ، وبعدهم عنه أنس ، والله أعلم][٦] .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الشّيخ الصّالح العابد الناسك : الـورع الزاهد القدوة بقية السَّلف وقدوةُ الخلف أبو عبد الله محمد بن الشّيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام

---

(١) في ط ، الاثنين والعشرين ، وهو توهم : لأن الحدث القادم يوم الخميس ثالث عشري .
(٢) سيأتي في وفيات سنة (٧٤٨هـ) .
(٣) هي المدرسة الصّالحية . الدارس (١/ ٣١٦) .
(٤) في ط : الحجاز .
(٥) في ط : بضحان .
(٦) ليست في ب ، وهي كذلك في الدارس (١/ ٣٢) نقلاً عن ابن كثير .

البالسي[١]، ولد سنة خمسين وستمئة ببَالِسَ[٢]، وسمع من أصحاب ابن طبرزد، وكان شيخاً جليلاً بشوش الوجه حسنَ السَّمت، مقصداً لكل أحد، كثير الوقار، عليه سيما العبادة والخير، [وكان يوم قازان في جملة من كان مع الشيخ تقي الدين بن تيمية لما تكلم مع قازان، فحكى عن كلام شيخ الإسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجرأته عليه، وأنه قال لترجمانه قل للقان: أنت تزعم أنّك مسلم ومعك مؤذِّنون وقاضٍ وإمام وشيخ على ما بلغنا فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك هولاكو كانا كافرين وما غَزَوا بلاد الإسلام، بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت! قال: وجرت له مع قازان وقُطْلوشاه وبُولاي أمورٌ ونُوَبٌ، قام ابن تيمية فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله عز وجل. قال وقرّب إلى الجماعة طعاماً فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله ممّا نهبتم من أغنام النَّاس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس، قال: ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه: « اللَّهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملِّكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياءً وسمعةً وطلباً للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذلَّ الإسلامَ وأهلَه فاخذُلْه وزلزله ودمِّرْه واقطع دابره » . قال: وقازان يؤمن على دعائه، ويرفع يديه.

قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفاً من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله. قال: فلما خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرَى وغيره: كدت أن تهلكَنا وتهلكَ نفسك، والله لا نصحبُك من هنا، فقال: وأنا والله لا أصحبكم. قال فانطلقنا عصبة وتأخر هو في خاصَّة نفسه ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخوَّاقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه يتبرَّكون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلثمئة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبَوْا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التَّتر فشلحوهم عن آخرهم، هذا الكلام أو نحوه، وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره، وقد تقدم ذلك][٣].

توفي الشيخ محمد بن قَوام ليلة الإثنين الثاني والعشرين من صفر بالزَّاوية[٤] المعروفة بهم غربيّ الصالحية والناصرية والعادلية، وصُلّي عليه بها ودُفن بها، وحضر جنازته ودفنه خلق كثير وجم غفير، وكان في جملة الجمع الشيخ تقي الدين بن تيمية، لأنه كان يحبه كثيراً، ولم يكن للشيخ محمّد مرتب على

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ١٢٤) والدارس (٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) والشذرات (٦/ ٤٩).

(٢) « بالس »: بلدة بين حلب والرّقة، كانت على ضفة الفرات الغربية، فلم يزل الفرات يشرق عنها حتى صارت بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال. ياقوت.

(٣) ما بين الحاصرتين ليس في ب.

(٤) القوامية البالسيّة، الدارس (٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) منادمة الأطلال (ص٣١١).

الدولة ولا غيرهم ، ولا لزاويته مرتَّب ولا وقف ، وقد عرض عليه ذلك غير مرة فلم يقبل ، وكان يُزار ، وكان لديه علم وفضائل جمة ، وكان فهمه صحيحاً ، وكانت له معرفة تامة ، وكان حسنَ العقيدة وطويتُه صحيحة ، محباً للحديث وآثار السلف ، كثير التلاوة [والجمعية على الله عز وجل][(١)] ، وقد صنف جزءاً فيه أخبار جَدِّهِ[(٢)] ، رحمه الله وبلّ ثراه بوابل الرحمة آمين .

الشيخ الصالح الأديب البارع الشاعر المجيد : تقي الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ أحمد بن تمام بن حسان التلي[(٣)] ثم الصالحي الحنبلي[(٤)] ، أخو الشيخ محمد بن تمّام ، ولد سنة خمس وثلاثين وستمئة ، وسمع الحديث ، وصحبَ الفُضَلاء ، وكان حسنَ الشَّكل والخُلُق ، طيِّب النفس مليح المجاورة والمجالسة ، كثيرَ المفاكهة ، أقام مدَّةً بالحجاز واجتمع بابن سبعين[(٥)] وبالتَّقي الحورانيّ ، وأخذ النَّحوَ عن ابن مالك[(٦)] وابنه بدر الدين وصحبَه مدَّة ، وقد صحبه الشّهاب محمود مدَّةَ خمسين سنةً ، وكان يثني عليه بالزهد والفراغ من الدنيا ، توفي ليلة السبت الثالث من ربيع الآخر ودفن بالسَّفح .

وقد أورد الشيخ علَم الدين البِرْزالي في ترجمته قطعة من شعره : فمن ذلك قوله :

أَسُكَّانَ المعاهدِ من فُؤادي ... لكُم في خافقٍ منهُ[(٧)] سكونُ
أكرِّرُ فيكمُ أبداً حديثي ... فيحلو والحديثُ له[(٨)] شجونُ
وأنظمهُ عقيقاً[(٩)] من دموعي ... فتنثرهُ المحاجرُ والجفونُ
وأبتكرُ المعاني في هواكُم ... وفيكُم كلّ قافيةٍ تهونُ
وأسألُ عنكُمُ البكّاءَ[(١٠)] سرّاً ... وسرُّ هواكمُ سرٌّ[(١١)] مصونُ

---

(١) ليست في ب . والذي فيه : يحبُّ الخلوه . وليس ببعيد .
(٢) في أ وط جيدة . وأثبتنا ما في ب وهو الصواب فقد ذكر صاحب منادمة الأطلال (ص٣١٢) نقلاً عن العدوي في الزيادات قوله : وألف حفيده الشيخ محمد بن عمر بن أبي بكر في مناقبه مؤلفاً حسناً . انتهى .
(٣) في ط : البلي .
(٤) ترجمته في فوات الوفيات (٢/ ١٦١) والدرر الكامنة (٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٣) والشذرات (٦/ ٤٨) والأعلام (٤/ ٦٨) .
(٥) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد الشيخ الصوفي . من القائلين بوحدة الوجود توفي سنة (٦٦٩)هـ .
(٦) هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك . مات سنة (٦٧٢هـ) بغية الوعاة (١/ ١٣٠) .
(٧) في فوات الوفيات (٢/ ١٦٤) في كل جارحة .
(٨) فيه : بكم .
(٩) فيه : عقوداً .
(١٠) فيه : النكباء .
(١١) فيه : عندي .

وأغتبـقُ[١] النسيـم لأنَّ فيـه شمـائـلَ مـنْ معـاطفكُـمْ تبيـنُ
فكـمْ لـي فـي محبَّتكـمْ غـرامٌ وكمْ لي في الغرامِ بكم فنونُ ؟

قاضي القضاة زين الدين : علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويري المالكي[٢] الحاكم بالدّيار المصرية ، ولد[٣] سنة أربع وثلاثين وستمئة ، وسمع الحديث واشتغل وحصل ، وولي الحكم بعد ابن شاس[٤] سنة خمس وثمانين ، وطالت أيّامه إلى هذا العام ، وكان غزير المروءة والاحتمال والإحسان إلى الفقهاء والشُّهود ، ومن يقصِدُه .

توفي ليلة الأربعاء حاديْ عشرَ جمادى الآخرة ودفن بسفح المقطَّم بمصرَ ، وتولّى الحكم بعده بمصر تقي الدين الأخنائي المالكي .

الشيخ[٥] إبراهيم بن أبي العلاء[٦] : المقرئ الصيّت المشهور المعروف بابن شَعْلان ، وكان رجلاً جيداً في شهود المسمارية[٧] ، ويقصد للختمات لِطِيْبِ[٨] صَوْته .

توفي يوم الجمعة وهو كهل ثالثَ عشَر جُمادى الآخرة ، ودفن بسفح قاسيون .

الشيخ الإمام العالم الزاهد : أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي جعفر أحمد بن خلف بن إبراهيم بن أبي عيسى بن الحاج التُّجيبي[٩] القرطبي ثم الإشبيلي[١٠] ، ولد بإشبيلية سنة ثمان وثلاثين وستمئة ، وقد كان أهله بيت العلم والخطابة والقضاء بمدينة قُرطبة ، فلمّا أخذها الفرنج انتقلوا إلى إشبيلية وتمحقت أموالهم وكتبهم ، وصادر ابن الأحمر جده القاضي بعشرين ألف دينار ، ومات أبوه وجدُّه في سنة إحدى وأربعين وستمئة ، ونشأ يتيماً ثم حجَّ وأقبل إلى الشام ، فاستقام

---

(١) فيه : وأعتنق ، والاغتباق : الشرب عند المساء .
(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٤٢) وبدائع الزهور (١/ ٤٤٩) والشذرات (٦/ ٤٩) .
(٣) ليست في ط .
(٤) في ط : شاش .
(٥) في ب : برهان الدين .
(٦) لم أقع على ترجمة له .
(٧) هي قبلي القيمرية الكبرى داخل السور بالقرب من المئذنة الفيروزيّة . الدارس (٢/ ١١٤) .
(٨) في ط : لصيت .
(٩) في ط : النجيبي ، وهو تصحيف ، وما هنا في الشذرات والدرر . نسبة إلى : تُجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج وهي أم عدي وسعد ابني أشر بن شبب بن السكون نسب ولدها إليها . الوفيات (٤/ ٤٣١) . وهو مجود بخط الذهبي في ترجمة جده من تاريخ الإسلام (١٤/ ٣٩٤ من طبعة الدكتور بشار) .
(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) والشذرات (٦/ ٥١) .

بدمشقَ من سنة أربع وثمانين ، وسمع من ابن البخاري وغيره ، وكتب بيده نحواً من مئة مجلد ، إعانةً لولديه أبي عَمْرو وأبي عبد الله على الاشتغال .

ثم كانت وفاته بالمدرسة الصلاحية[١] يوم الجمعة وقت الأذان ثامنَ عشرَ رجب ، وصُلِّي عليه بعد العصر ودفن عند الفندلاوي[٢] ، بباب الصغير بدمشق ، وحضر جنازته خلق كثير .

الشيخ كمال الدين بن الشَّرَيشي : أحمد ابن الإمام العلامة جمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن[٣] سُجْمان[٤] البكري الوائلي الشريشي[٥] ، كان أبوه مالكياً كما تقدَّم ، واشتغل هو في مذهب الشافعي فبرع وحصل علوماً كثيرة ، وكان خبيراً بالكتابة[٦] مع ذلك ، وسمع الحديث وكتب الطِّباق بنفسه ، وأفتى ودرس وناظَرَ وباشَرَ بعدّة مدارسَ ومناصبَ كبار ، أَول ما باشر مشيخة دار الحديث بتربة أم الصالح بعد والده من سنة خمس وثمانين وستمئة إلى أن توفي[٧] ، وناب في الحكم عن ابن جماعة ، ثم ترك ذلك وولي وَكالة بيت المال وقضاء العسكر ونظر الجامع مرات ، ودرَّس بالشَّامية البرَّانية ودرَّس بالناصرية عشرين سنة ، ثم انتزعها من يده ابنُ جماعة وزينُ الدين الفارقي ، فاستعادها منهما وباشر مشيخة الرِّباط النّاصري بقاسيون مدَّةً ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ثمان سنين ، وكان مشكور السيرة فيما يولَّى من الجهات كلِّها ، وقد عزم في هذه السنة على الحجّ فخرج بأهله فأدركته منيته بالحَسَا[٨] في سَلخ شوّال من هذه السنة ، ودفن هناك رحمه الله ، وتولى بعده الوكالة جمال الدين بن القلانسي ، ودرَّس بالناصرية كمال الدين بن الشيرازي ، وبدار الحديث الأشرفية الحافظ جمال الدين المِزِّي ، وبأم الصالح الشيخ شمس الدين الذهبي ، وبالرباط الناصري ولده جمال الدين .

الشّهاب المقرئ : أحمد بن أبي بكر بن أحمد البغدادي[٩] نقيب[١٠] المتعمِّمين ، كان عنده فضائل جمة نثراً ونظماً ممّا يناسب الوقائع وما يحضر فيه من التّهاني والتّعازي ، ويعرفُ الموسيقى والشَّعْبَذَةَ ،

---

(١) هي الصلاحية المالكية أنشأها الملك الناصر صلاح الدين أيوب . منادمة الأطلال (ص٢٢٦) .

(٢) في أ وط : القندلاوي . بالقاف ، وأثبتنا ما في ب والدارس (٢/ ١٠ ـ ١١) وهو : الشيخ يوسف الفندلاوي شيخ المالكية قُتِل على يد الفرنجة شهيداً وقبره بباب الصغير .

(٣) ليست في ط .

(٤) في ط : سحمان ، وما هنا من أ وهو الصواب ، كما في التاج وغيره .

(٥) ترجمته في الفوات (١/ ١٢٠) والوافي بالوفيات (٧/ ٣٣٧) والدرر الكامنة (١/ ٢٥٢) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٤٣) والدارس (١/ ٣٣ ـ ٣٤) والشذرات (٦/ ٤٧) .

(٦) في ب : بالكتابة والنظم . وقد أورد له صاحب الفوات مقطوعات لطيفة .

(٧) الدارس (٣٤) .

(٨) قال ياقوت : هو موضع . والذي في الوافي بالوفيات وفوات الوفيات : وتوفي بدرب الحجاز بالكَرَك .

(٩) ترجمته في الشذرات (٦/ ٤٧) .

(١٠) في ط : الأشراف والمتعممين وهو توهُّم .

وضَرْبَ الرَّمل ، ويحضر المجالس المشتملة على اللَّهو والمُسْكر واللَّعب والبسط ، ثم انقطع عن ذلك كله لكبر سنه [وهو ممَّا يقال فيه وفي أمثاله :

ذهبتُ عنْ توبتهِ سائلاً وجدتها توبة إفلاسِ][١]

وكان مولده بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمئة ، وتوفي ليلة السبت خامس ذي القعدة ودفن بمقابر باب الصغير في قبر أعدَّه لنفسه عن خمس وثمانين سنة ، سامحه الله .

قاضي القضاة فخر الدين : أبو العباس أحمد بن تاج الدين أبي الخير سلامة بن زين الدّين أبي العباس أحمد بن سلامة[٢] الإسكندري المالكيّ[٣] ، ولد سنة إحدى وسبعين وستمئة ، وبرع في علوم كثيرة ، وولي نيابة الحكم في الإسكندرية فحُمدت سيرته وديانته وصرامته ، ثم قدم على قضاء الشام للمالكية في السنة الماضية فباشرها أحسن مباشرةٍ سنةً ونصفاً ، إلى أن توفي بالصَّمْصَاميّة[٤] بُكرة الأربعاء مستهل ذي الحجة ، ودفن إلى جانب الفَنْدَلاوي بباب الصغير ، وحضر جنازته خلق كثير ، وشكره الناس وأَثْنَوا عليه . رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعمئة

استهلَّت [والحكام هم المذكورون في التي قبلها][٥] .

وفي ليلة مستهلّ محرَّم هبَّت ريحٌ شديدة بدمشقَ سقط بسببها شيء كثيرٌ[٦] من الجدران ، واقتلَعَتْ أشجاراً كثيرة .

وفي يوم الثلاثاء سادس عِشْري المحرّم خُلع على جمال الدين بن القلانسي بوكالة بيت المال عوضاً عن ابن الشَّريشي .

وفي يوم الأربعاء الخامس من صفر درَّس بالنَّاصرية الجوانية ابن صَصْرَى عوضاً عن ابن الشَّريشي[٧] أيضاً ، وحضر عنده النَّاس على العادة .

---

(١) ليست في ب .
(٢) في ط : سلام .
(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ١٤٠) والدارس (٢/ ١٤ ـ ١٥) والشذرات (٦/ ٤٧) .
(٤) المدرسة الصمصامية . الدارس (٢/ ١٤) .
(٥) ليست في ب ، والذي فيه : والخليفة والسلطان والنواب والقضاة في البلاد المصرية والشامية هم هم ، غير أنّ القاضي المالكي في دمشق قد توفي إلى رحمة الله تعالى ، ولم يأت غيره بعده .
(٦) ليست في ط .
(٧) توفي في السنة الماضية .

وفي عاشره باشر شدَّ الدواوين جمال الدين آقوش الرحبي عوضاً عن فخر الدين إيَاس ، وكان آقوش متولّي دمشقَ من سنة سبع وسبعمئة ، ووليّ مكانه الأميرُ علم الدين طرقشي السّاكن بالعُقَيْبة .

وفي هذا اليوم نُودي بالبلد بصوم النَّاس لأجل الخروج إلى الاستسقاء ، وشُرع في قراءة « البخاري » ، وتهيّأ الناس ودَعَوْا عُقَيْب الصلوات وبعد الخطب ، وابتهلوا إلى الله في الاستسقاء ، فلمَّا كان يومُ السبت منتصفُ صفر ، وكان سابعَ نيسان ، خرج أهل البلد برُمَّتهم إلى عند مسجد القدم ، وخرج نائبُ السَّلطنة والأمراءُ مشاةً يبكون ويتضرَّعون ، واجتمع الناس هنالك وكان مشهداً عظيماً ، وخطب بالناس القاضي صدر الدين سليمان الجعفري[١] وأمَّن النَّاسُ على دعائه ، فلمَّا أصبح النَّاسُ من اليوم الثاني جاءهم الغيثُ بإذن الله [ورحمته ورأفته لا بحولهم ولا بقوتهم][٢] ، ففرحَ النَّاسُ فرحاً شديداً وعمَّ البلادَ كلَّها ولله الحمد والمنة ، [وحده لا شريك له][٣] .

وفي أواخر الشهر شرعوا بإصلاح رُخام الجامع وترميمه وجَلْي[٤] أبوابه وتحسين ما فيه .

وفي رابعَ عشرَ ربيع الآخر درَّس بالناصرية الجوانية ابن الشيرازي[٥] بتوقيع سلطاني ، وأخذها[٦] من ابن صَصْرَى وباشرها إلى أن مات .

وفي يوم الخميس سادسَ عشرَ جُمادى الأولى باشر[٧] ابن شيخ السَّلامية فخر الدين أخو ناظر الجيش الحِسْبة بدمشق عوضاً عن ابن الحداد ، وباشر ابن الحداد نظر الجامع بدلاً عن ابن شيخ السلامية ، وخلع على كل منهما .

وفي بُكرة الثّلاثاء خامس جُمادى الآخرة قدم من مصر إلى دمشق قاضي القضاة شرف الدين أبو عبد الله محمّد ابن قاضي القضاة معين الدين أبي بكر بن الشيخ زكي الدين ظافر الهمداني المالكي ، على قضاء المالكيّة بالشَّام ، عوضاً عن ابن سلامة الذي توفي ، [فكان بينهما ستة أشهر][٨] ، ولكن تقليد هذا مؤرخ بآخر ربيع الأول ، ولبس الخلعة وقُرئ تقليده بالجامع[٩] .

---

(١) سليمان بن هلال بن شبل . سيأتي في وفيات (٧٢٥هـ) . والخبر في الدرر الكامنة (٢/ ١٦٥) .
(٢) ليست في ب .
(٣) ليست في ب .
(٤) في ط : حلي .
(٥) في ب : القاضي كمال الدين . وهو : أحمد بن محمد بن هبة الله . وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٦هـ) .
(٦) في ب : وانتزعها من يد .
(٧) في ب : القاضي فخر الدين . وهو : أخو قطب الدين مُوسى بن أحمد .
(٨) ليست في ب ، والذي فيه : فكان بين وفاته ووصول هذا إلى دمشق ستة أشهر .
(٩) الدارس (٢/ ١٦) .

وفي هذا الشهر درَّس بالخاتونية البرَّانية القاضي بدر الدين بن الفُوَيْرة[١] الحنفي ، وعمره خمسٌ وعشرون سنة ، عوضاً عن القاضي شمس الدين محمد قاضي مَلَطْيَةَ الذي توفي[٢] .

وفي يوم السبت خامس رمضان وصل إلى دمشق سيلٌ عظيم أتلف شيئاً كثيراً ، وارتفع حتى دخل من باب الفرج ، ووصل إلى العُقَيْبة ، وانزعج النَّاسُ له ، وانتقلوا من أماكنهم ، ولم تطل مدته لأنَّ أصلَه كان مطراً وقع بأرض آبل السوق[٣] والحُسَيْنيّة[٤] . وفي هذا اليوم باشر طرقشي شدَّ الدواوين بعد موت جمال الدين الرحبي ، وباشر ولاية المدينة صَارم الدين الجُوكَنْدَار[٥] ، وخُلع عليهما .

ولمّا كان يومُ الثُّلاثاء التاسع والعشرين من رمضانَ اجتمع القضاةُ وأعيان الفقهاء عند نائب السَّلطنة بدار السعادة وقُرئ عليهم كتابٌ من السلطان يتضمّن منعَ الشيخ تقي الدين بن تيمية من الفُتْيا بمسألة الطلاق ، وانفصل المجلس على تأكيد المنع من ذلك .

وفي يوم الجمعة تاسع شوال خطب القاضي صدر الدين الدَّاراني[٦] عِوَضاً عن بدر الدين بن ناصر الدين بن عبد السلام[٧] ، بجامع جَرَّاح ، وكان فيه خطيباً قبله فتولَّاه بدرُ الدين حسن العَقْرَباني واستمر ولدُه في خطابة داريا التي كانت بيد أبيه من بعده .

وفي يوم السبت عاشره خرج الرَّكب وأميرُهم عز الدين أَيْبَكُ المنصوري أمير علم .

وحجَّ فيها صدر الدين قاضي القضاة الحنفي ، وبرهانُ الدين بن عبد الحق ، وشرف الدين ابن تيمية ، ونجم الدين الدمشقي وهو قاضي الركب ، ورضي الدين المنطيقي ، وشمس الدين بن الزرير[٨] خطيب جامع القُبَيْبَات ، وعبد الله بن رشيق المالكي وغيرهم .

وفيها حج سُلطان الإسلام الملك الناصر محمد بن قلاوون ومعه جمع كثير من الأمراء ، ووكيله كريم الدين وفخر الدين كاتب المماليك[٩] ، وكاتب السر ابن الأثير ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وصاحب

---

(١) في أ وط : نويره وأثبتنا ما في ب وهو كذلك في الدارس (١/ ٥٠٦) وقيده ابن ناصر الدين في ترجمة والده من توضيح المشتبه (٧/ ١٣١) . توفّي سنة (٧٣٥هـ) . الدرر الكامنة (٤/ ٢٨٣) .

(٢) سقط من أ وط وهو في ب قوله : وكان قد أخذت له من قاضي القضاة صدر الدين علي البصروي .

(٣) في ط : وابل السوق وهو تحريف . وهي قرية ذكرها ياقوت أنها من قرى غوطة دمشق من ناحية الوادي .

(٤) قرية معروفة في سوق وادي بردىٰ .

(٥) هو إبراهيم بن قراسنقر الجوكندار . توفي سنة (٧٢٣هـ) كما سيأتي .

(٦) في ب : بجامع العقيبة . ويسمى جامع التوبة .

(٧) في ب : وكان قبله يخطب بجامع جراح . وجامع جراح بمحلة سوق الغنم . الدارس (٢/ ٤٢٠) .

(٨) في أ : الوزير وقد سبق الكلام فيه .

(٩) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ٦٣٢ من هذا الكتاب .

حماة الملك عماد الدين، والصاحب شمس الدين غبريال، في خدمة السُّلطان وكان في خدمته خلقٌ كثير من الأعيان.

وفيها كانت وقعة عظيمةٌ بين التَّتار بسبب أنّ ملكهم بُوسعيد[١] كان قد ضاق ذرعاً بجُوْبَان وعجز عن مسكه، فانتدب له جماعةً من الأمراء عن أمره، منهم أبو يحيى خال أبيه، ودُقْمَاق وقرمشي[٢]، وغيرهم من أكابر الدولة، وأرادوا كبسَ جُوْبان، فهرب وجاء إلى السلطان فأنهى إليه ما كان منهم، وفي صحبته الوزير علي شاه، ولم يزل بالسُّلطان حتى رضي عن جُوْبان وأمدَّه بجيش كثيف، وركب السلطان معه أيضاً والتقوا مع أولئك فكسروهم وأسروهم، وتحكم فيهم جوبان فقتل منهم إلى آخر هذه السنة نحواً من أربعين أميراً[٣].

الشيخ المقرئ شهاب الدين[٤]: أبو عبد الله الحسين[٥] بن سليمان بن فزارة[٦] بن بدر الكَفْري الحنفي، ولد تقريباً في سنة سبع وثلاثين وستمئة. وسمع الحديث وقرأ بنفسه كتاب «الترمذي»، وقرأ القراءات، وتفرَّد بها مدَّةً يشتغل الناسُ عليه، وجمع عليه السَّبعَ أكثرُ من عشرين طالباً، وكان يعرف النَّحو والأدبَ وفنوناً كثيرة وكانت مجالسته حسنة، وله فوائد كثيرة، درَّس بالطَّرْخَانيَّة[٧] أكثر من أربعين سنة، وناب في الحكم عن الأذرعي مدَّة ولايته، وكان خيّراً مباركاً أضرَّ في آخر عمره، وانقطع في بيته، مواظباً على التّلاوة والذّكر وإقراء القرآن إلى أن توفي ثالثَ عشَر جمادى الأولى، وصُلّي عليه بعد الظهر يومئذ بجامع دمشق، ودفن بقاسيون[٨] رحمه الله.

وفي هذا الشهر جاء الخبرُ بموت[٩]:

الشيخ الإمام تاج الدّين[١٠]: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حامد التبريزي الشّافعي المعروف بالأَفْضَلي، بعد رجوعه من الحج ببغدادَ في العشر الأول من صفر، وكان صالحاً فقيهاً مباركاً، وكان

---

(١) في أ، ط: أبا سعيد، وقد صحح من قبل.
(٢) في أ، ط، ب: قرشي. وهو تحريف. وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٨).
(٣) الدرر الكامنة (١/ ٥٤١).
(٤) ترجمته في معجم شيوخ الذهبي ١/ ٢١٥، والوافي ١٢/ ٣٧٧، الدرر الكامنة (٢/ ٥٦) والشذرات (٦/ ٥١).
(٥) في ط: الحسن.
(٦) في ط: خزارة و أ: قرارة.
(٧) تعرف بدار طرخان وهي قبلي المدرسة الباذرائية. الدارس (١/ ٥٤٢).
(٨) في ب: عند والده.
(٩) في ب: بوفاة.
(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) والشذرات (٦/ ٤٩) وفيه: وفاته في شهر رمضان.

ينكر على رشيد الدولة(١) ويحطّ عليه ، ولما قُتل قال : كان قَتْلُه أنفعَ من قتل مئة ألف نصراني ، وكان رشيد الدولة يريد أن يترضّاه فلا يقبل ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، ولما توفي دفن بتربة الشونيزية(٢) ، وكان قد قارب الستّين رحمه الله .

محيي الدّين محمد بن مفضّل بن فضل الله المصري(٣) : كاتبُ ملك الأمراء(٤) ، ومستوفي الأوقاف ، كان مشكورَ السّيرة محبباً للعلماء والصلحاء ، فيه كرم وخدمة كثيرة للناس ، توفي في رابعِ عِشْرين من جُمادى الأولى ودفن بتربة بني هلال(٥) بسفح قاسيون وله ستٌّ وأربعونَ سنة ، وباشر بعده في وظيفته أمينُ الدِّين بن النحاس .

الأمير الكبير غرلُو بن عبد الله العادلي(٦) : كان من أكابر الدَّولة ومن الأمراء المقدَّمين الألوف ، وقد نابَ بدمشقَ عن أستاذه الملك العادل كَتْبُغَا نحواً من ثلاثة أشهر في سنة خمس وتسعين(٧) وستمئة ، وأول سنة ست وتسعين ، واستمر أميراً كبيراً إلى أن توفي في سابع جُمادى الأولى يوم الخميس ، ودفن بتربته(٨) بشمالي جامع المظفَّري بقاسيون ، وكان شهماً شجاعاً ناصحاً للإسلام وأهله ، مات في عَشْر الستين .

الأمير جمال الدين أَقُوش(٩) : الرحبي(١٠) المنصوري(١١) ، والي دمشق مدة طويلة ، كان أصله من قرى إِرْبل(١٢) ، وكان نصرانياً فسبي وبيع من نائب الرحبة ، ثم انتقل إلى الملك المنصور فأعتقه وأمَّره ،

---

(١) وزير التتر . وقد سبق الكلام عليه .

(٢) هي مقبرة ببغداد بالجانب الغربي . ياقوت . قلت : هي المعروفة اليوم بمقبرة الشيخ معروف نسبة إلى دفينها الشيخ معروف الكرخي .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٢٦١) .

(٤) يعني : تنكز .

(٥) في ط : ابن هلال .

(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢١٨) وفيه : غرلو ، بالغين ثم الراء ، والنجوم الزاهرة : (٩/ ٢٤٥) وفيه : إغزلو . والدارس (٢/ ٢٧٠) وفيه : غرلو . وشذرات الذهب (٦/ ٥٢) وفيه : عزلو بالعين ثم الزاي .

(٧) في ط : سبعين .

(٨) يعني : التربة الغرلية . الدارس (٢/ ٢٧٠) أما في منادمة الأطلال (ص٣٤٤) و (ص٣٤٦) فقد وردت مرتين الأولى التربة العزلية ، والثانية التربة الغزلية .

(٩) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٠٠) وفيه : آقش المنصوري الرحبي .

(١٠) الرحبي نسبة إلى الرَّحبة لأنه بيع لنائبها .

(١١) المنصوري نسبة إلى الملك المنصور قلاوون لأنه كان من مماليكه .

(١٢) في ب : من قرية من قرى إربل ، وهي المعروفة اليوم بأربيل في شمال العراق .

وتولَّى الولاية بدمشقَ نحواً من إحدى عَشْرَةَ سنةً ثم انتقل إلى شدّ الدواوين [مدة][١] أربعة أشهر قبل وفاته ، وكانت وفاته ليلة الخميس حادي عِشْري جمادى الآخرة ودفن بمقابر الصوفية[٢] ، وكان محبوباً إلى العامة مدة ولايته .

الخطيبُ صلاح الدين[٣] **يوسف بن محمد بن عبد اللطيف بن المُغيزل**[٤] **الحموي** : ، له تصانيفُ وفوائدُ ، وكان خطيب جامع السُّوق الأسفل بحماة ، وسمع من ابن طَبَرْزَد ، توفي في جمادى الآخرة .

العلَّامة فخر الدين أبو عَمْرو : **عثمانُ**[٥] بن علي بن يحيى بن هبة الله بن إبراهيم بن المسلم بن علي الأنصاري الشافعي المعروف بابن بنت أبي سَعْد المصريّ ، سمع الحديثَ وكان من بقايا العلماء ، وناب في الحكم بالقاهرة ، ووليَ مكانَه في ميعاد جامع طولون الشيخ علاء الدين القُونوي شيخ الشيوخ ، وفي ميعاد الجامع الأزهر شمس الدين بن علاَّن .

كانت وفاته ليلةَ الأحد الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ، ودفن بمصر وله من العمر تسعون[٦] سنة .

الشَّيخ الصَّالح العابد[٧] : **أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجي**[٨] له زاوية بالحُسَينيّة[٩] يزارُ فيها ، ولا يخرج منها إلا إلى الجمعة ، سمع الحديث[١٠] ، توفي يوم الثلاثاء بعد العصر السادس والعشرين من جمادى الآخرة ودفن من الغد بزاويته المذكورة رحمه الله .

الشيخ الصَّالح المعمَّر الرّحلة : **عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد بن إسماعيل بن عطّاف بن مبارك بن علي بن أبي الجيش المقدسي الصالح المطعِّم**[١١] ، راوي « صحيح البخاري »

---

(١) زيادة من ط .

(٢) ليست في ط .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠) .

(٤) في ط : المعتزل .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٤٤٦) وفيه وفاته سنة (٧١٧هـ) النجوم الزاهرة (٩/ ٢٤٧) .

(٦) في ط : سبعون .

(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٣٩٢) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٤٤) والدارس (١/ ٣٠٥) وشذرات الذهب (٦/ ٥٢) .

(٨) في ط : الكبجي .

(٩) ذكرها المقريزي في الخطط (٢/ ٤٣٢) وقال : هي زاوية خارج باب النصر من القاهرة .

(١٠) سمعه بحلب أولاً على إبراهيم بن خليل ، ثم في مصر على الكمال الضرير والكمال بن فارس .

(١١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٠٤) وفيه وفاته سنة (٧١٧هـ) والدارس (١/ ٥٤ ـ ٥٥) وفيه : الدلاّل والشذرات (٦/ ٥٢) . « والمطعِّم » : لأنه كان يطعِّمُ الأشجار ، وذهب إلى بغداد وطعَّم بستان المستعصم ، أمّا الدلاّل فلأنه كان يُسَمْسِرُ في الدُّور .

وغيره ، وقد سمع الكثير عن مشايخ عدَّة ، وترجمه الشيخ علَم الدين البِرْزالي في « تاريخه » .

توفي ليلة السبت رابعَ عَشَرَ ذي الحجَّة ، وصُلّي عليه بعد الظهر من اليوم المذكور بالجامع المظفّري ، ودفن بالساحة بالقُرب من تربة المُوَلَّهين ، وله أربعٌ وتسعونَ[١] سنةً . رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة عشرين وسبعمئة

استهلّت [وحكام البلاد][٢] هم المذكورون في التي قبلها ، وكان السُّلطان في هذه السنة في الحجّ ، وعاد إلى القاهرة يوم السبت ثانيْ عَشَرَ المحرّم ، ودُقت البشائر .

ورجع الصاحب شمس الدين[٣] على طريق الشام وصحبتُه الأمير ناصر الدين الخازِنْدار[٤] .

وعاد صاحبُ حماة مع السلطان إلى القاهرة ، وأنعم عليه السلطان ولُقِّب بالملك المُؤَيّد ، ورُسم أن يُخطب له على منابرها وأعمالها ، وأن يخاطب[٥] بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي المؤيدي ، على ما كان عليه عمُّه المنصور[٦] .

وفيها عمر ابن المرجاني شهاب الدين[٧] مسجدَ الخَيْف[٨] ، وأنفقَ عليه نحواً من عشرين ألفاً .

وفي المحرَّم استقال أمين الملك[٩] من نظر طرابُلُس وأقام بالقدس .

وفي آخر صفر باشر نيابة الحكم المالكي القاضي شمس الدين محمد بن أحمد القَفْصيّ ، وكان قد قدم مع قاضي القضاة شرف الدين[١٠] من مصر .

---

(١) في أ : أربع وستون . وفي ط : أربع وسبعون . وهو تحريف . وأثبتنا ما في ب ومصادر ترجمته . لأنّ ولادته في سنة (٦٢٦هـ) . كما جاء فيها .

(٢) ليست في ب والذي فيه : والخليفة المستكفي وسلطان الإسلام الملك الناصر بن المنصور قلاوون والنواب والقضاة والمباشرون .

(٣) شمس الدين غبريال عبد الله بن صنيعة ناظر دواوين دمشق .

(٤) في ب : وكان قد وصل المدينة النبويّة ليلقى السلطان .

(٥) في ط : يخطب . وهو تحريف .

(٦) الدرر الكامنة (١/ ٣٧١) .

(٧) محمد بن أحمد بن عمر المرجاني ، سيأتي في وفيات سنة (٧٥٩هـ) .

(٨) الذي في منىً ، الدارس (٢/ ٤٤٢) .

(٩) في أ وط : الدين . وأثبتنا ما في ب . وقد مضى الكلام فيه .

(١٠) هو : محمد بن قاضي القضاة معين الدين أبي بكر بن ظاهر الهمذاني النويري ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٤٨هـ) وقد قدم معه القفصي المذكور سنة (٧١٩هـ) نائباً له . الدارس (٢/ ١٦) .

وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول ضُربت عنقُ شخص يقال له : عبد الله الرُّومي[(١)] وكان غلاماً لبعض التجّار ، وكان قد لزم الجامع ، ثم ادّعى النبوة واستُتيب فلم يرجع فضربت عنقه ، وكان أشقَر أزرقَ العينين جاهلاً ، وكان قد خالطه شيطانٌ حسَّن له ذلك ، واضطرب عقله في نفس الأمر وهو في نفسه شيطان إنسي .

وفي يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر عُقِدَ عَقْدُ السلطان على المرأة التي قدمت من بلاد القبجاق ، وهي من بنات الملوك[(٢)] .

وخلع على القاضي بدر الدين ابن جماعة وكاتب السر وكريم الدّين وجماعة الأمراء .

ووصلت العساكر في هذا الشهر إلى بلاد سيس وغرق في نهر جاهان[(٣)] من عساكر طرابُلُس نحو من ألف فارس .

وجاءت مراسيم السلطان في هذا الشهر[(٤)] إلى الشَّام في الاحتياط على أخبار آل مهنا وإخراجهم من بلاد الإسلام ، وذلك لغضب السلطان عليهم لعدم قدوم والدهم مهنًّا على السُّلطان .

وفي يوم الأربعاء رابع عِشْري جمادى الأولى درَّس بالرُّكنية[(٥)] الشيخ محيي الدين الأسمر الحنفي[(٦)] وأُخذت منه الجَوْهرية[(٧)] لشمس الدين الرَّقِّي الأعرج[(٨)] ، وتدريس جامع القلعة لعماد الدين بن محيي الدين الطرَسوسي[(٩)] ، الذي ولي قضاء الحنفية بعد هذا ، وأخذ من الرَّقي إمامة مسجد نور الدين بحارة اليهود لعماد الدين بن الكيَّال[(١٠)] ، وإمامة الربوة الشيخ محمد النَّصيبي[(١١)] .

وفي جمادى الآخرة اجتمعت الجيوش الإسلامية بأرض حلبَ نحواً من عشرين ألفاً ، عليهم كلهم

---

(١) ويقال له : الأزرق ، وهو مولى التاجي . ذيول العبر : (ص١٠٩) ومرآة الجنان (٤/ ٢٥٩) .
(٢) هي أخت أزبك . ذيول العبر (ص١٠٩) .
(٣) هو نهر جيحان . تقويم البلدان (ص٥٠) .
(٤) في ط : اليوم .
(٥) المدرسة الركنية الحنفية البرانية : بناها ركن الدين منكورس المتوفي سنة (٦٣١هـ) . الدارس (١/ ٤٩٩ ، ٥٢٠) .
(٦) هو : يحيى بن سليمان الرومي . مات سنة (٧٢٨هـ) . الدرر الكامنة (٤/ ٤١٦) . والدارس (١/ ٤٩٩) .
(٧) شرقي تربة أم الصالح ، داخل دمشق بحارة بلاطة . الدارس (١/ ٤٩٨) .
(٨) في ط : البرقي . وهو تحريف . وهو محمد بن أحمد علي الرقي الأعرج . مات سنة (٧٤٢هـ) . الدرر الكامنة (٣/ ٣٤١) والدارس (١/ ٥٢٠) و (٢/ ٢٩٨) .
(٩) هو : علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم الطرسوسي . مات سنة (٧٤٨هـ) . الدارس (١/ ٥٢١) .
(١٠) الدارس (١/ ٥٢١) .
(١١) في أ وط : الصبيبي . وأثبتنا ما في الدارس .

نائبُ حلب أَلْطَنْبُغَا وفيهم نائب طرابُلُس شهاب الدين قَرَطَاي[١] فدخلوا بلاد الأَرْمن من إسكندرية ففتحوا الثَّغر ثم تل حمدان ثم خاضوا جاهان فغرق منهم جماعة ثمَّ سلَّم الله ، ثمَّ وصلوا إلى سيس فحاصروها وضيَّقوا على أهلها وأحرقوا دار المُلْك التي في البلد ، وقطعوا أشجار البساتين وساقوا الأبقار والجواميس والأغنام وكذلك فعلوا بطَرَسُوس ، وخرَّبوا الضياع والأماكن وأحرقوا الزُّروع ثم رجعوا فخاضوا النهر المذكور فلم يغرق منهم أحد ، وأخرجوا بعد رجوعهم مهنًّا وأولاده من بلاده ، وساقوا خلفه إلى عانة[٢] وحديثة[٣] ثم بلغ الجيشَ موتُ صاحب سيس وقيام ولده من بعده ، فشنُّوا الغارات على بلاده وتابعوها وغنموا وأسروا إلاَّ في المرة الرابعة فإنه قُتِل منهم جماعة .

وفي هذه[٤] السنة كانت وقعة عظيمة ببلاد المغرب بين المسلمين والفرنج فنصر الله المسلمين على أعدائهم فقتلوا منهم خمسين ألفاً وأسروا خمسة آلاف ، وكان من جملة القتلى خمسة وعشرون ملكاً من ملوك الإفرنج ، وغنموا شيئاً كثيراً من الأموال ، يقال : كان من جملة ما غنموا سبعون قنطاراً من الذَّهب والفضة ، وإنما كان جيش الإسلام يومئذ ألفين وخمسمئة فارس غير الرُّماة ، ولم يُقْتل منهم سوى أحَدَ عشرَ قتيلاً ، وهذا من غريب ما وقع وعجيب ما سُمع[٥] .

وفي يوم الخميس ثاني عِشْري رجب عقد مجلس بدار السعادة للشيخ تقي الدين بن تيمية بحضرة نائب السلطنة ، واجتمع[٦] فيه القضاة والمفتون من المذاهب ، وحضر الشيخ وعاتبوه على العَوْدِ إلى الإفتاء بمسألة الطَّلاق ، ثم حبس في القلعة [فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم ورد مرسوم من السلطان بإخراجه يوم الإثنين يوم عاشوراء من سنة إحدى وعشرين كما سيأتي إن شاء الله تعالى][٧] .

وبعد ذلك بأربعة أيام أضيف شدُّ الأوقاف إلى الأمير علاء الدين بن سعد[٨] إلى ما بيده من ولاية البر وعُزل بدر الدِّين المنكورسي عن الشَّدّ[٩] .

---

(١) في أ : قرطية . وفي ط : قرطبة وأثبتنا ما في ب ، وكذلك هو في الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٨) وهو قراطاي الأشرفي الجوكنداري ، عمل حاجباً في حلب ، ثم ناب في طرابلس وكان من الأبطال مات سنة (٧٣٧هـ) .

(٢) في ط : « غانة » بالنون ، وهو : بلد مشهور بين الرَّقة وهيت قائمة إلى اليوم على الفرات غربي العراق .

(٣) حديثة النورة وبها قلعة حصينة ، وهي قرب عانة . ياقوت .

(٤) في ب : أوائل . وقد ذكر الذهبيُّ في الذيول (ص١٠٤) وتاريخ دول الإسلام : (٢/ ١٧٣) أنها وقعت في سنة (٧١٩هـ) .

(٥) الإحاطة في أخبار غرناطة (١/ ٣٩٧) .

(٦) في ط : حضر .

(٧) ليست في ب .

(٨) في أ وط وب معبد . وهو تحريف . وهو علي بن محمود بن إسماعيل بن سعد البعلبكي . وقد مضى الكلام فيه في أحداث سنة (٧١٨هـ) .

(٩) في ط : الشام .

وفي آخر شعبان مسك الأمير علم الدّين الجَاوْلي نائبُ غزّة وحُمل إلى الإسكندرية لأنه اتّهم أنه يريد الدخول إلى بلاد[1] اليمن ، واحتيط على حواصله وأمواله ، وكان له بر وإحسان وأوقاف ، وقد بنىٰ بغزَّة جامعاً حسناً مليحاً .

وفي هذا الشهر أراق ملك التتر أبو سعيد الخُمورَ وأبطل الحانات ، وأظهر العدل والإحسان إلى الرعايا ، وذلك أنّه أَصابَهم بردٌ عظيم وجاءهم سيل هائل فلجؤوا إلى الله عزّ وجلّ ، وابتهلوا إليه فسلِمُوا فتابوا وأنابوا وعملوا الخير عَقِيْب ذلك .

وفي العشر الأول من شوال جرى الماء بالنَّهر الكريمي الذي اشتراه كريم الدّين بخمسة وأربعين ألفاً وأجراه في جدول إلى جامعه بالقُبَيْبَات فعاش به الناس ، وحصل به أُنسٌ إلى أهل تلك الناحية ، ونصبت عليه الأشجار والبساتين ، وعمل حوضٌ كبير تجاه الجامع من الغرب يشربُ منه الناس والدواب ، وهو حوض كبير وعُمل مطهرة ، وحصل بذلك نفع كثير ، ورفق زائد أثابه الله .

وخرج الرَّكب في حاديْ عشرَ شوال وأميره الملك صلاح الدين بن الأَوْحد ، وفيه زين الدين كَتْبُغَا الحاجب[2] ، وكمال الدين الزَّمْلَكاني والقاضي شمس الدين بن العز[3] ، وقاضي حماة شرف الدين البارزي[4] ، وقطب الدين ابن شيخ السلامية ، وبدر الدين بن العطار ، وعلاء الدين بن غانم ، ونور الدين السَّخاوي ، وهو قاضي الرَّكب . ومن المصريين قاضي الحنفية ابن الحريري ، وقاضي الحنابلة ومجد الدين حرمي والشرف عيسى المالكي ، وهو قاضي الركب .

وفيه كَمُلَت عِمارة الحمَّام الذي عَمَرَهُ أَلْجِيْبُغَا[5] غربي دار المطعم ودخله النَّاس .

وفي أواخر ذي الحِجَّة وصل إلى دمشقَ من عند ملك التتر الخواجه مجد الدين إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامي[6] ، وفي صحبته هدايا وتُحف لصاحب مصرَ من ملك التتر ، وَاشْتُهِرَ أنّه إنّما جاء ليُصلح بين المسلمين والتتر ، فتلقاه الجند والدولة ، ونزل بدار السعادة يوماً واحداً ، ثم سار إلى مصر .

وفيها وقف النَّاسُ بعرفات موقفاً عظيماً لم يعهد مثله ، أتوه من جميع أقطار الأرض ، وكان من العراقيين محامل كثيرة منها محملٌ قُوِّم ما عليه من الذّهب واللآلئ بألف ألف دينار مصرية ، وهذا أمر عجيب .

---

(١) في ط : دار .
(٢) سيأتي في وفيات (٧٢١هـ) .
(٣) في ط : ابن المعز . وهو تحريف . وسيأتي في وفيات سنة (٧٢٢هـ) .
(٤) في ط : « البازري » تصحيف ، وما أثبتناه هو الصواب ، وستأتي ترجمته في وفيات سنة ٧٣٨ من هذا الكتاب .
(٥) سيأتي في وفيات سنة (٧٥٤هـ) .
(٦) هو ابن تاجر الخاص في الرقيق مات سنة (٧٤٣هـ) . الدرر الكامنة (١/ ٣٨١) .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

الشَّيخ إبراهيم الدِّهستاني[١] : وكان قد أسنَّ وعُمِّرَ ، وكان يذكر أن عمره حين أخذت التتر بغداد أربعين سنة ، وكان يحضر الجمعة هو وأصحابه تحت قبة النَّسر ، إلى أن توفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ربيع الآخر بزاويته[٢] التي عند سوق الخيل بدمشقَ ، ودفن بها وله من العمر مئة وأربع سنين ، كما قال ، فالله أعلم .

الشيخ محمَّد بن محمود بن علي : الشحَّام المقرئ شيخ ميعاد ابن عامر[٣] ، كان شيخاً حسناً بهياً مواظباً على تلاوة القرآن إلى أن توفي في ليلة توفي الدهستاني المذكور أو قبله بليلة رحمهما الله .

الشيخ شمس الدين ابن الصَّائغ اللُّغوي[٤] : هو أبو عبد الله محمد بن حسن[٥] بن سِبَاع بن أبي بكر الجُذَامي المصري الأصل ، ثم انتقل إلى دمشق ، ولد تقريباً سنة خمس وأربعين وستمئة بمصرَ ، وسمع الحديث وكان أديباً فاضلاً بارعاً بالنظم والنثر ، وعلم العروض والبديع والنّحو واللغة ، وقد اختصر « صحاح الجوهري » ، وشرح « مقصورة ابن دريد » ، وله قصيدة تائية تشتمل على ألفي بيت فأكثر ، ذكر فيها العلوم والصنائع ، وكان حسنَ الأخلاق لطيفَ المحاورة والمحاضرة ، وكان يسكن بين درب الحبالين والفرَّاش عند بستان القط توفي بداره يوم الإثنين ثالث شعبان ودفن بباب الصغير .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمئة

استهلَّت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، وفي أوّل يوم منها فُتح حمَّامُ الزَّيت الذي في رأس درب الحجر ، جدَّد عمارته رجلٌ سامري[٦] بعد ما كان قد درس ودثر من زمان الخُوارزمية من نحو ثمانين سنة ، وهو حمام جيد متسع .

وفي سادس المحرَّم وصلت هديَّةٌ من ملك التتار أبي سعيد إلى السلطان ، صناديق وتُحف ورقيق[٧] .

---

(١) ترجمته في : الدارس (١/ ٢٠٠) . هو منسوب إلى دِهِسْتان . بلد معروف قرب خوارزم وجرجان ، ياقوت .
(٢) الزاوية الدِّهِسْتانية . الدارس (٢/ ٢٠٠) ومنادمة الأطلال (ص٣٠٤) .
(٣) هو عبد الله بن عامر أبو عمران ويقال أبو عامر اليحصبي ، قارىء أهل الشام توفي سنة (١١٨هـ) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٢/ ٢٩١) .
(٤) ترجمته في فوات الوفيات (٣/ ٣٢٦) وفيه وفاته سنة (٧٢٢هـ) . والذيول (ص١١٤) وبغية الوعاه (١/ ٨٤) وفيه وفاته سنة (٧٢٥هـ) في شهر شعبان وهو توهم .
(٥) في ط : حسين .
(٦) في ط : ساوي .
(٧) في أ : « دقيق » ولا معنى لها ، وما هنا من ط .

وفي يوم عاشوراء خرج الشيخ تقيُّ الدين بن تيمية من القلعة بمرسوم السُّلطان وتوجه إلى داره ، وكانت مدة إقامته خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً رحمه الله .

وفي رابع ربيع الآخر وصل إلى دمشق القاضي كريم الدين وكيل السلطان فنزل بدار السعادة ، وقدم قاضي القضاة تقيُّ الدين بنُ عوض الحاكم الحنبلي بمصرَ وهو ناظر الخزانة أيضاً ، فنزل بالعادلية الكبيرة[١] التي للشافعية ، فأقام بها أياماً ، ثم توجه إلى مصر : جاء في بعض أشغال السلطان وزار القدس .

وفي هذا الشهر كان السلطان قد حفر بركة قريباً من المَيْدان ، وكان في جوارها كنيسة فأمر الوالي بهدمها ، فلما هدمت تسلَّط الحرافيشُ وغيرهم على الكنائس بمصرَ يهدمون ما قدروا عليه ، فانزعج السلطان من ذلك[٢] وسأل القضاةَ : ماذا يجب على من تعاطىٰ ذلك منهم؟ فقالوا : يعزَّرُ ، فأخرج جماعة من السجون ممَّن وجبَ عليه قتل[٣] فقطع وصلب وحرم وخزم وعاقب ، موهماً أنه إنّما عاقب من تَعَاطى تخريب ذلك ، فسكن الناس وأمنت النصارى وظهروا بعد ما كانوا قد اختفوا أياماً .

وفيه ثارت الحرامية ببغداد ونهبوا سوقَ الثُّلاثاء وقت الظهر ، فثار النَّاس وراءهم وقتلوا منهم قريباً من مئة وأسروا آخرين .

قال الشيخ علَم الدين البِرْزالي ومن خطِّه نقلتُ : وفي يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى خرج القضاة والأعيان والمفتون إلى القابون ، ووقفوا على قِبلة الجامع الذي أمر ببنائه القاضي كريم الدين وكيل السلطان بالمكان المذكور ، وحرَّروا قِبلَته ، واتَّفقوا على أن تكون مثل قِبلة جامع دمشق .

وفيه وقعت مراجعة بين[٤] الأمير جُوبان[٥] أحد المقدَّمين الكبار بدمشق ، وبين نائب السلطنة تَنْكِز ، فمسك جوبان ورفع إلى القلعة ليلتين ، ثم حُوّل إلى القاهرة فعوتب في ذلك ، ثم أعطي خبزاً يليق به .

وذكر علم الدين أن في هذا اليوم وقع حريق عظيم في القاهرة في الدور الحسنة والأماكن المليحة المرتفعة ، وبعض المساجد ، وحصل للناس مشقة عظيمة من ذلك ، وقنتوا في الصلوات، ثم كشفوا عن القضية فإذا هو من قبل النصارى بسبب ما كان أُخرب[٦] من كنائسهم وهدم ، فقتل السُّلطان بعضَهم وألزم النصارى أن يلبسوا الزُّرقة على رؤوسهم وثيابهم كلها ، وأن يحملوا الأجراس في

---

(١) داخل دمشق ، شمالي الجامع بغرب ، وتجاه باب الظاهرية يفصل بينهما الطريق ، الدارس (١/ ٣٥٩) قلت : وكانت تتخذ مبنى للمجمع العلمي العربي إلى عهد قريب .

(٢) في ط : لذلك .

(٣) في ط : قتله .

(٤) في ط : من .

(٥) هو : جوبان المنصوري . ومات سنة (٧٢٨هـ) .

(٦) في ط : أحرق . وأثبتنا ما في ب لأنه الأصوب .

الحمامات ، وأن لا يُستخدموا في شيء من الجهات ، فسكن الأمر وبَطَل الحريق[(١)] .

وفي جُمادى الآخرة خرَّب ملك التتار أبو سعيد البَازَار[(٢)] وزوَّج الخواطئ وأراق الخمور ، وعاقب في ذلك أشد العقوبة ، وفرح المسلمون بذلك ودعَوا له رحمه الله وسامحه .

وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة أُقيمت الجمعة بمسجد القصب[(٣)] وخطب به الشّيخ علي المناخي .

وفي يوم الخميس تاسعَ عشرَ جُمادى الآخرة فُتح الحمّام الذي أنشأه تَنكِز تجاه جامعه ، وأُكري في كل يوم بأربعين درهماً لحسنه وكثرة ضوئه ورخامه .

وفي يوم السبت تاسعَ عشرَ رجب خربت كنيسة القرائيين التي تجاه حارة اليهود بعد إثبات كونها محدثة [عند الحكام][(٤)] وجاءت المراسيم السلطانية بذلك .

وفي أواخر رجب نفذت الهدايا من السلطان إلى أبي سعيد ملك التتار ، صحبة الخواجا مجد الدين السلامي ، وفيها خمسون جملاً وخيول وحمار عتابي .

وفي منتصف رمضانَ أُقيمت الجمعة بالجامع الكريمي بالقابون [وخطب فيه الفقيه جمال الدين عبد الوهاب التركماني الحنفي إمام القابون][(٥)] وشهدها يومئذ القُضَاة والصَّاحب وجماعةٌ من الأعيان .

قال الشيخ علَم الدين : وقدم دمشق الإمام قوام الدين كاتب ابن الأمير عمر بن العميد القازاني[(٦)] ، مدرّس مشهد الإمام أبي حنيفة ببغداد ، في أول رمضان وقد حج في هذه السنة وتوجه إلى مصر وأقام بها أشهراً ثم مر بدمشق متوجهاً إلى بغداد فنزل بالخاتونية الحنفية ، وهو ذو فنون وبحث وأدب وفقه .

وخرج الرَّكب الشامي يوم الإثنين عاشر شوال وأميره شمس الدين حمزة التركماني[(٧)] ، وقاضيه نجم الدين الدمشقي[(٨)] . وفيها حجَّ تَنكِزُ نائب الشام وفي صحبته جماعةٌ من أهله ، وقدم من مصر

---

(١) الذيول (ص١١٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٦٣) .
(٢) يعني : بازار الفاحشة . الذيول (ص١١٦) .
(٣) ويعرف بمسجد السادات . الدارس (٢/ ٤٣٠) .
(٤) زيادة من ب .
(٥) زيادة من ب ، الدارس (١/ ٥٠٦) .
(٦) في ط : الشيخ قوام الدين أمير كاتب ابن الأمير العميد عمر الأكفاني القازاني .
والأتقاني : نسبة إلى بلدة اتقان . الدرر الكامنة (١/ ٤١٤) . مات سنة (٧٥٨هـ) .
(٧) هو حمزة بن شريك التركماني ، مات سنة (٧٣٣هـ) الدرر الكامنة (٢/ ٧٦) .
(٨) هو : أحمد بن عبد المحسن بن حسن بن معالي . سيأتي في وفيات (٧٢٦هـ) .

الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب لينوب عنه إلى أن يرجع ، فنزل بالنَّجيبية البرَّانية[١] .

وممَّن حج فيها الخطيب جلال الدين القَزْويني ، وعز الدين حمزة بن القلانسي ، وابن العز شمس الدين الحنفي ، وجلال الدين بن حسام الدين الحنفي ، وبهاء الدين بن عليمة[٢] ، وعلم الدين البِرْزالي .

ودرَّس ابنُ جماعة بزاوية الشّافعي يوم الأربعاء ثامنَ عشرَ شوال عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن محمد الأنصاري[٣] لسوء تصرفه ، وخُلع على ابن جماعة ، وحضر عنده من الأعيان والعامة ما يُشَابهُ جميعُه الجُمُعة[٤] ، وأُشعلت له شموع كثيرة وفرح الناس بزوال المعزول .

قال البِرْزالي ومن خطِّه نقلت : وفي يوم الأحد سادسَ عشرَ شوال ذكر الدَّرس الإمامُ العلاَّمة تقي الدين السبكي المحدث بالمدرسة الهَكَّاريَّة[٥] عوضاً عن ابن الأنصاري أيضاً ، وحضر عنده جماعة منهم القُونوي ، وروى في الدَّرس حديث المتبايعين بالخِيَار[٦] ، عن قاضي القضاة ابن جماعة .

وفي شوال عزل علاء الدين بن سعد عن ولاية البرّ ، وشدّ الأوقاف ، وتولّى ولاية الولاة بالبلاد القِبلية بحوران عوضاً عن بَكْتَمُر لسفره إلى الحجاز ، وباشر أخوه بدر الدّين شدَّ الأوقاف ، والأمير علم الدين الطرقشي ولاية البر مع شد الدواوين ، وتوجَّه ابنُ الأنصاري إلى حلب متولياً وكالة بيت المال عوضاً عن تاج[٧] الدين أخي شرف الدين يعقوب[٨] ناظر حلب ، بحكم ولاية التَّاج المذكور نظر الكَرَك .

وفي يوم عيد الفطر ركب الأمير تَمُرتاش بن جُوبان[٩] نائب أبي سعيد على بلاد الروم قيسارية في جيش كثيف من التَّتار والتُّركمان والقرمان ، فدخل بلادَ سيس فقتل وسبى وحرق وخرب ، وكان قد أرسل لنائب حلب أَلْطَنْبُغَا ليجهِّزَ ليكونَ عوناً له على ذلك ، فلم يمْكِنْه [أن يرسل إليه][١٠] ذلك بغير مرسوم السُّلطان .

---

(١) لصيق المدرسة النورية وضريح نور الدين الشهيد من جهة الشمال . الدارس (١/٤٦٨) .
(٢) في ط : علية .
(٣) سيأتي في وفيات سنة (٧٤٩هـ) .
(٤) في ط : ما نشأ به جمعية الجمعة . وهو تحريف .
(٥) بمصر .
(٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ، ما لم يتفرّقا وكانا جميعاً . . . » الحديث . رواه البخاري رقم (٢١١٢) في البيوع ، باب : إذا خَيّر أحدهما صاحبه بعد البيع فقد وجب البيع . ومسلم أيضاً رقم (١٥٣١) (٤٤) في البيوع ، باب : ثبوت خيار المجلس للمتبايعين . ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٢١٨١) في التجارات ، باب : البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا .
(٧) في ط : ناصر . وهو توهم .
(٨) يعقوب بن عبد الكريم ، سيأتي في وفيات سنة (٧٢٩هـ) .
(٩) ناب عن أبي سعيد في الحكم في بلاد الروم . وقتل سنة (٧٢٨هـ) كما سيأتي .
(١٠) زيادة من ب .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الصالح المقرئ[١] : بقية السَّلف عفيفُ الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الأحد[٢] بن علي القرشي المخزومي الدِّلاصِيّ[٣] شيخُ الحرم بمكَّة ، أقام فيه أزيد من ستِّين سنة ، يُقرئ النَّاسَ القرآن احتساباً ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع عشر من محرم بمكة ، وله أزيد من تسعين سنة رحمه الله .

الشيخ الفاضل شمس الدين أبو عبد الله[٤] : محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمداني ، أبوه الصَّالحي المعروف بالسَّكاكيني ، ولد سنة خمس وثلاثين وستمئة بالصالحية ، وقرأ بالروايات ، واشتغل في مقدمة في النحو ، ونظم قوياً ، وسمع الحديث ، وخرَّج له ابن الفخر[٥] البعلبكي جزءاً عن شيوخه ، ثم دخل في التشيُّع فقرأ على أبي صالح الحلبي[٦] شيخ الشيعة ، وصحب [ابن][٧] عدنان وقرَّأ عليه أولاده ، وطلبه أمير المدينة النبوية الأمير منصور بن جماز[٨] فأقام عنده نحواً من سبع سنين ، ثم عاد إلى دمشق وقد ضَعُف وثقل سمعه ، وله سؤال في الخبر أجابه به الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكل فيه عنه غيره ، وظهر له بعد موته كتاب فيه انتصارٌ لليهود وأهل الأديان الفاسدة[٩] فغسله تقي الدين السُّبكي لما قدم دمشق قاضياً ، وكان بخطه ، ولمَّا مات لم يشهد جنازته القاضي شمس الدين بن مسلم[١٠] .

توفي يوم الجمعة سادس عشر صفر ، ودفن بسفح قاسيون ، وقُتل ابنه فيما بعد[١١] على قذفه أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضي الله عنهنَّ وقبّح قاذفهُنّ .

وفي يوم الجُمعة مستهل رمضان صلّي بدمشق على غائبين وهم :

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٢٦٥ ـ ٥٦٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٥١) والدليل الشافي (١/ ٣٨٦) .
(٢) في أ و ط : الواحد . وأثبتنا ما في ب والمصادر السابقة .
(٣) « الدِّلاصي » : نسبة إلى دِلاص وهي كورة بصعيد مصر على غربي النيل . ياقوت .
(٤) ترجمته في الوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٥) والذيل للذهبي (ص١١٧) والدرر الكامنة (٣/ ٤١٠) والشذرات (٦/ ٥٥) .
(٥) في ط : الفخر ابن ، وهو توهم ، وابن الفخر هو : محمد بن عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي مات سنة (٦٩٩هـ) .
(٦) في أو ط : الحلي وهو تحريف ، وينظر ذيل الذهبي ١١٧ ، والوافي ٢/ ٢٦٦ .
(٧) زيادة في ب .
(٨) في ط : حماد .
(٩) هو : الطرائف في معرفة الطوائف . الدرر الكامنة (٣/ ٤١٠) .
(١٠) هو محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع المِزّي قاضي الحنابلة ، سيأتي في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .
(١١) في أ : ابنه فيها وفي ط : ابنه قيماز ، وكلاهما توهم ، وأثبتنا ما في ب . وسيأتي في سنة (٧٤٤هـ) .

الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد الأَصْبهاني[١] : توفي بمكة .

وعلى جماعة توفوا بالمدينة النَّبويَّة ، منهم :

أبو[٢] **عبد الله بن أبي القاسم بن فرحون** : مدرس المالكية بها .

والشيخ يحيى الكردي[٣] .

والشيخ حُسَيْن المغربي السقا[٤] .

الشيخ الإمام العالم علاء الدين[٥] : علي بن سعيد بن سالم الأنصاري ، إمام مشهد علي من جامع دمشق ، كان بشوشَ الوجه متواضعاً حسنَ الصَّوت بالقراءة ملازماً لإقراء الكتاب العزيز بالجامع ، وكان يَؤُمُّ نائبَ السَّلطنة ، وهو والد العلامة بهاء الدين محمد بن علي[٦] مدرّس الأمينية ، ومحْتَسِب دمشقَ .

توفي ليلة الإثنين رابع رمضانَ ودفن بسفح قاسيون .

الأميرُ حاجب الحجاب[٧] : زين الدين كَتْبُغَا المنصوريّ ، حاجبُ دمشق ، كان من خيار الأمراء وأكثرهم براً للفقراء والمساكين[٨] يحب الختم والمواعيد والموالد ، وسماع الحديث ، ويلزم أهلَه ويُحسن إليهم ، [وكان ملازماً لشيخنا أبي العباس بن تيمية كثيرًا][٩] ، وكان يحجُّ ويتصدَّق ، توفي يوم الجمعة آخر النهار ثامن عِشري[١٠] شوال ، ودُفن من الغد بتربته قبلي القُبَيْبَات ، وشهده خلقٌ كثير وأَثْنَوْا عليه . رحمه الله .

---

(١) ترجمته في الذيل (ص١١٨ ـ ١١٩) والدرر الكامنة (٢/ ٣٠٢) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٥١) والشذرات (٦/ ٥٥) وفيها جميعاً ما معناه : تعانى التصوف ، و صحب المرسي تلميذ الشاذلي ، رحل إلى مكة فأقام بضعاً وعشرين سنة ولم يتفق له زيارة المدينة .

(٢) ليست في ط . وهو والد الشيخ عبد الله بن أبي القاسم بن فرحون المتوفّى سنة (٧٦٩هـ) في المدينة المنورة . الدرر الكامنة (٢/ ٣٠٠) .

(٣) لم أقع على ترجمة له .

(٤) لم أقع على ترجمة له .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٥١) والدارس (٢/ ٣٩٨) .

(٦) المعروف بابن إمام المشهد . توفي سنة (٧٥٢هـ) الدرر الكامنة (٤/ ٦٥) .

(٧) ترجمته في الذيل : (ص١٢٠) والدرر الكامنة (٣/ ٢٦٤) والدارس (٢/ ٢٦١) .

(٨) ليست في ط .

(٩) ليست في ب .

(١٠) في ط : عشر .

[وفيها كانت وفاة][١] :

الشيخ بهاء الدين بن المقدسي[٢] .

الشيخ سعد الدّين أبو زكريا يحيى المقدسي[٣] : والد الشيخ شمس الدين محمد بن سعد المحدِّث المشهور[٤] .

وسيف الدّين النَّاسخ[٥] : المُنادي على الكتب .

والشيخ أحمد الحَزام[٦] : المقرئ على الجنائز ، وكان يكرر على « التنبيه » ، ويسأل عن أشياء منها ما هو حسن ومنها ما ليس بحسن .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة

استهلَّت وأرباب الولايات هم المذكورون في التي قبلها ، سوى والي البر بدمشقَ فإنه علم الدين طرقشي ، وقد صرف ابن سعد إلى ولاية حَوْران لشهامته وصرامته وديانته وأمانته .

وفي المحرَّم حصلت زلزلة عظيمة بدمشق ، وقى الله شرَّها .

وقدم تَنْكِزُ من الحجاز ليلة الثلاثاء حاديْ عَشَرَ المحرَّم ، وكانت مدة غيبته ثلاثةَ أشهر ، وقدم ليلاً لئلاَّ يتكلَّف أحدٌ لقدومه ، وسافر نائبُ الغيبة[٧] عنه قبله بيومين لئلا يكلِّفه بهدية ولا غيرها .

وقدم مُغْلَطَاي عبد الواحد الجمدار أحد الأمراء بمصرَ بخلعة سنيّة من السُّلطان لِتَنْكِزَ فلبسها وقبّلَ العتبة على العادة .

وفي يوم الأربعاء سادس صفر درَّس الشيخ نجم الدين القَحْفازيّ[٨] بالظَّاهرية للحنفية[٩] ، وهو

(١) زيادة في ب .
(٢) لم أقع على ترجمة له .
(٣) ترجمته في الذيل (ص١٢١) وفيه : مات بالصالحية عن تسعين سنة وتسعة أشهر والدرر الكامنة (٤/ ٤٢٦) .
(٤) هو محمد بن يحيى بن سعد . سيأتي في وفيات سنة (٧٥٩هـ) .
(٥) لم أقع على ترجمة له .
(٦) لم أقع على ترجمة له .
(٧) هو ركن الدين بيبرس الحاجب .
(٨) في ط : القفجازي . وهو تحريف سبق الكلام فيه .
(٩) هي الظاهرية الجوانيّة البيبرسية . وهي نفسها التي للشافعية . منادمة الأطلال (ص١٨١) .

خطيب جامع تَنْكِز ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، ودرَّس في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] .

وذلك بعد وفاة القاضي شمس الدين بن العز الحنفي ، توفي مرجعَه من الحجاز ، وتولّى بعده نيابة القضاء عماد الدّين الطَّرَسُوسي[١] ، وهو زوج ابنته ، وكان ينوب عنه في حال غيبته ، فاستمرَّ بعده ، ثم ولّي الحكم بعده ، مستنيبه فيها .

وفيه قدم الخُوارزمي حاجباً عوضاً عن كَتْبُغَا .

وفي ربيع الأول قدم إلى دمشق الشيخ قوام الدين مسعود بن الشيخ برهان الدين محمد ابن الشيخ شرف الدين محمد الكرماني الحنفي، فنزل بالقصَّاعين، وتردَّد إليه الطلبة ودخل إلى نائب السَّلطنة واجتمع به وهو شاب مولده سنة إحدى وسبعمئة[٢] وقد اجتمعت به ، وكان عنده مشاركة في الفروع والأصول ودعواه أوسع من محصوله، وكانت لأبيه وجدِّه مصنَّفات، ثم صار بعد مدة إلى مصر ومات بها كما سيأتي.

وفي ربيع الأول تكامل فتحُ آياس[٣] ومعاملتها وانتزاعُها من أيدي الأرمن ، وأخذ البرج الأطلس ، بينه وبينها في البحر رميةٌ ونصف ، فأخذه المسلمون بإذن الله وخَرَّبوه ، [وكانت أبوابه مطليَّةٌ بالحديد والرصاص][٤] ، وعرضُ سوره ثلاثةَ عشرَ ذراعاً بالنجار ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة جداً ، وحاصروا كواره[٥] فقوي عليهم الحرُّ والذُّباب ، فرسم السُّلطان بعودهم ، فحرقوا ما كان معهم من المجانيق وأخذوا حديدَها وأقبلوا سالمين غانمين ، وكان معهم خلق كثير من المتطوّعين .

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى كَمُل بسطُ داخل الجامع فاتَّسع على الناس ، ولكن حصل حرج بحمل الأمتعة على خلاف العادة ، فإن الناس كانوا يمرون وسط الرواقات ويخرجون من باب البرادة ، ومن شاء استمرَّ يمشي إلى الباب الآخر بنعليه ، ولم يكن مَمْنوعاً سوى المقصورة لا يمكن أحد الدخول إليها بالمداسات ، بخلاف باقي الرواقات ، فأمر نائب السَّلطنة بتكميل بسطه بإشارة ناظره ابن مراجل[٦] .

---

(١) هو : علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم . مات سنة (٧٤٨هـ) . الدرر الكامنة (٣/ ١٨) .

(٢) في ط : وسبعين . وهو توهم ، وفي الدرر الكامنة (٤/ ٣٥١) مولده سنة (٦٦٤هـ) وهذا بعيد .

(٣) أياس وآياس . بلد للأرمن وهي فرضة تلك البلاد . التاج (أيس) .

(٤) ليست في ب ، وفيه : فإذا حجارته مكلبة بالحديد والرصاص . وهو أنسب .

(٥) لعلّه أراد سفن المُؤن . قال في التاج (كور) : الكار : سفن منحدرةٌ فيها طعام في موضع واحد . قال بشار : أو هو اسم موضع .

(٦) جاء الخبر في الدارس (٢/ ٣٩٦) وفيه حدوثه سنة (٧٣٢هـ) وهو توهم .

وفي جُمادى الآخرة رجعت العساكر من بلاد سيس ومقدّمهم أقوش نائب الكَرَك .

وفي آخر رجب باشر القاضي محيي الدين[١] إسماعيل بن جهبل نيابة الحكم عن ابن صَصْرَى عوضاً عن الداراني الجعفري ، واستغنى الداراني بخطبة جامع العُقَيبة عنها .

وفي ثالث رجب ركب نائب السلطنة إلى خدمة السلطان فأكرمه وخلع عليه ، وعاد في أول شعبان ففرح به الناس .

وفي رجب كمُلت عمارة الحمام الذي بناه الأمير علاء الدين بن صُبح جوار داره شمالي الشامية البرَّانية .

وفي يوم الإثنين تاسع شعبانَ عقد الأمير سيف الدين أبو بكر بن أَرْغُون نائب السَّلطنة عقده على ابنة الناصر ، وختن في هذا اليوم جماعة من أولاد الأمراء بين يديه ، ومَدَّ سماطاً عظيماً ، ونُثرت الفضةُ على رؤوس المطهَّرين ، وكان يوماً مشهوداً ، ورسم السلطان في هذا اليوم وضع المَكْسَ عن المأكولات بمكة ، وعوَّض صاحبها عن ذلك بإقطاع في بلد الصعيد[٢] .

وفي أواخر رمضان كَمُلت عمارة الحمَّام الذي بناه بهاء الدين بن عليمة[٣] بزقاق الماصية[٤] من قاسيون بالقرب من سكنه ، وانتفع به أهل تلك الناحية ومن جاورهم .

وخرج الركب الشامي يوم الخميس ثامن شوال وأميره سيف الدين بلبطي نائبُ الرَّحبة ، وكان سكنه داخل باب الجابية بدرب ابن صَبْرة ، وقاضيه شمس الدين بن النقيب[٥] قاضي حمص .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

القاضي شمس الدين بن العز الحنفي[٦] : أبو عبد الله محمد بن الشيخ شرف الدين أبي البركات محمد بن الشيخ عز الدين أبي العز صالح بن أبي العز بن وهيب[٧] بن عطاء بن جبير بن كاين بن وهيب الأذرعي الحنفي ، أحد مشايخ الحنفية وأئمتهم وفضلائهم في فنون من العلوم متعددة .

حكم نيابة نحواً من عشرين سنة ، وكان سديد الأحكام محمود السيرة جيد الطريقة كريم الأخلاق ،

---

(١) في ط : محي الدين بن إسماعيل . وهو غلط .
(٢) النجوم الزاهرة (٩/ ٧٤) .
(٣) في ط : عليم .
(٤) في ط : الماجية . وهو توهم .
(٥) هو : محمد بن أبي بكر بن إبراهيم ولي قضاء حمص سنة (٧١٨هـ) . مات سنة (٧٤٥هـ) . كما سيأتي .
(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٢٤٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٥٤) والدارس (١/ ٥٤٧) والشذرات (٦/ ٥٨) .
(٧) في الدرر : وهب .

كثير البر والصلة والإحسان إلى أصحابه وغيرهم ، وخطب في جامع الأفْرم مدّةً ، وهو أول من خطب به ، ودرَّس بالمُعظَّمية[١] واليَغْموريّة[٢] والقَلِيْجيّة[٣] والظاهرية ، وكان ناظر أوقافها ، وأذن للنّاس بالإفتاء ، وكان كبيراً معظّماً مهيباً .

توفي بعد مرجعه من الحجِّ بأيام قلائل ، يوم الخميس سلخ المحرم ، وصُلّي عليه يومئذ بعد الظهر بجامع الأَفْرم ودُفن عند المُعَظَّمية عند أقاربه ، وكانت جنازته حافلةً ، وشهد له النَّاسُ بالخير وغبطوه لهذه الموتة رحمه الله .

ودرس بعده في الظاهرية نجم الدين القحفازي[٤] ، وفي المُعَظّمية والقَلِيْجية والخطابة بالأفرم ابنه علاء الدين[٥] ، وباشر بعده نيابةَ الحكم القاضي عماد الدين الطَّرَسُوسي ، مدرِّسُ القلعة .

الشيخ الامام[٦] العالم أَبو إسحاق[٧] : بقية السَّلف رضي الدين أبو إِسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطَّبَري المكّيّ الشافعي ، إمام المقام أكثر من خمسين سنة ، سمع الحديث من شيوخ بلده والواردين إليها ولم يكن له رحلة ، وكان يفتي الناس من مدة طويلة ، ويذكر أنه اختصر « شرح السنة » للبغوي .

توفي يوم السبت بعد الظهر ثامن ربيع الأول بمكَّة ، ودُفن من الغد ، وكان من أئمة المشايخ .

شيخنا الزاهد الورع[٨] : بقية السَّلف ركن الدين[٩] أبو يحيى زكريا بن يوسف بن سليمان بن حمّاد البَجَليّ الشافعي ، نائب الخطابة ، ومدرّس الطِّيبيّة[١٠] والأَسَديّة[١١] ، وله حلقة للإشغال[١٢] بالجامع ، يحضر بها عنده الطلبة ، كان يشغل في الفرائض وغيرها ، مواظباً على ذلك .

---

(١) الدارس (١/ ٥٧٩) وهي بالصالحية بسفح قاسيون الغربي .
(٢) المصدر السابق . (١/ ٦٥٠) وهي الحنفية بالصالحية .
(٣) المصدر السابق (١/ ٥٧١) وهي قبلي الجامع الأموي .
(٤) في ط : القفجازي .
(٥) هو علي بن محمد ، مات سنة (٧٤٦هـ) .
(٦) في ب : الزاهد الورع .
(٧) ترجمته في الذيل (ص١٢٤) والدرر الكامنة (١/ ٥٤ ـ ٥٥) والعقد الثمين (٣/ ٢٤٠) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٥٥) والشذرات (٦/ ٥٦) .
(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ١١٥) والدارس (١/ ١٥٤ و ٣٣٧) .
(٩) في ب ، والدرر : زكي الدين .
(١٠) الدارس (١/ ٣٧٧) وهي مدرسة قبلي النورية الحنفية وشرقي تربة زوجة تنكز .
(١١) المصدر السابق (١/ ١٥٢) وهي مدرسة بالشرف القبلي ظاهر دمشق مطلّة على الميدان الأخضر .
(١٢) وقع في بعض النسخ : « الاشتغال » وهو خطأ ، فالإشغال هو التدريس ، والاشتغال : طلب العلم .

توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى عن سبع وستين سنة[١] ودفن قريباً من شيخه تاج الدّين الفزاري[٢] رحمهما الله .

نصير الدّين[٣] : أبو محمد عبد الله بن وجيه الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن[٤] علي بن محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد بن معالي بن محمد بن أبي بكر الربعي التغلبي التكريتي أحد صدور دمشق ، قدم أبوه[٥] قبله إليها وعظُم في أيام الظّاهر وقبله ، وكان مولده في حدود خمسين وستمئة ، ولهم الأموال الكثيرة والنعمة الباذخة .

توفي يوم الخميس عشرين رجب ، ودفن بتربتهم[٦] بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي يوم الأحد حادي عشر شوال توفي : شمس الدين محمد بن المغربي[٧] : التاجر السفَّار ، باني خان الصَّنَمَيْن[٨] الذي على جادة الطريق للسَّبيل ـ رحمه الله وتقبّل منه ـ ، وهو في أحسن الأماكن وأنفعها .

الشيخ الجليل الزاهد[٩] نجم الدين[١٠] : أبو عبد الله الحسين بن محمد بن إسماعيل القرشي[١١] المعروف بابن عبود[١٢] المصري ، كانت له وجاهة وإقدام على الدولة .

توفي بكْرة الجمعة ثالث عشري شوال ، ودفن بزاويته ، وقام بعده فيها ابن أخيه [شمس الدين محمد بن الحسن][١٣] .

الشيخ الفقيه محيي الدين أبو الهدى[١٤] : أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي

---

(١) في ط : سبعين ، وفي الدرر : عن اثنتين وسبعين ، وهو الأرجح لأن ولادته كما جاء فيه سنة (٦٥٠هـ) .
(٢) هو : عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفركاح الفزاري . مات سنة (٦٩٠هـ) . فوات الوفيات (٢/ ٢٦٣) .
(٣) ترجمته في الذيل (ص١٢٥) والدرر الكامنة (٢/ ٣٠٠) والشذرات (٦/ ٥٧) .
(٤) ليست في ط .
(٥) وجيه الدين محمد بن علي . ذكره ابن كثير في وفيات سنة (٦٧٠هـ) . والدارس (٢/ ١٩٣) .
(٦) في الرباط التكريتي بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون . الدارس (٢/ ١٩٣) .
(٧) لم أقع على ترجمة له .
(٨) بلد معروف من حوران . ياقوت .
(٩) ليست في ط .
(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٦٥ ـ ٦٦) .
(١١) في ب : القدسي .
(١٢) في ط : عنقود . وهو تحريف .
(١٣) ليست في ط .
(١٤) لم أقع على ترجمة له .

شامة[١] ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمئة فأسمعه أبوه على المشايخ وقرأ القرآن واشتغل بالفقه وكان ينسخ ، ويكثر التلاوة ، ويحضر المدارس والسّبع الكبير[٢] .

توفي في سابع عِشْري شوال ، ودفن عند والده بمقابر باب الفراديس[٣] .

الشيخ الصالح العابد : جلال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود بن محمد العقيلي المعروف بابن القلانسي[٤] ، ولد سنة أربع وخمسين وستمئة ، وسمع على ابن عبد الدائم جزء ابن عرفة ، ورواه غير مرة ، وسمع على غيره أيضاً ، واشتغل بصناعة الكتابة والإنشاء ثم انقطع ، وترك ذلك كلَّه ، وأقبل على العبادة والزهادة ، وبنى له الأمراء بمصرَ زاويةً وتردَّدُوا إليه ، وكان فيه بشاشة وفصاحة ، وكان ثقيل السَّمع ، ثم انتقل إلى القدس وقدم دمشقَ مرَّةً فاجتمع به الناس وأكرموه ، وحدَّث بها ثم عاد إلى القدس ، وتوفي بها ليلة الأحد ثالث ذي القعدة ، ودفن بمقابر ماملي رحمه الله ، وهو أخُ[٥] المحتسب عز الدين بن القلانسي ، وهذا خال الصَّاحب تقي الدين بن مراجل[٦] .

الشيخ الإمام قطب الدين : محمّد بن عبد الصّمد بن عبد القادر السُّنْباطي المصري[٧] ، اختصر « الروضة »[٨] وصنف كتاب « تصحيح التعجيز » ، ودرَّس بالفاضلية ونابَ في الحكم بمصرَ ، وكان من أعيان الفقهاء .

توفي يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة عن سبعين سنة ، وحضر بعده تدريس الفاضلية ضياء الدينالمُنَاوي[٩] ، نائب الحكم بالقاهرة وحضر عنده ابن جماعة ، والأعيان والله أعلم .

---

(١) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان ، الإمام العلامة ذو الفنون شهاب الدين ـ وأبو شامة ـ لشامة كبيرة على حاجبه . مات في دمشق سنة (٦٦٥هـ) . الفوات (٢/ ٢٦٩) .
(٢) السبع الكبير : كان في مسجد بني أميّة يجتمع إليه (٣٥٤) نفراً . والسّبع : توظيف من يقرأ القرآن كل سبعة ليال . الدارس (٢/ ٤١٠) والتاج (سبع) .
(٣) وقيل : بباب كيسان . الفوات (٢/ ٢٦٩) .
(٤) ترجمته في الذيل (ص١٢٥) والدرر الكامنة (١/ ٥٧) والشذرات (٦/ ٥٦) .
(٥) في أ وط : خال . وأثبتنا ما في ب والمصادر السابقة .
(٦) ناظر الجامع وقد سبق ذكره .
(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ١٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٥٧) والشذرات (٦/ ٥٧) .
« والسنباطي » : نسبة إلى سنباط قرية في جزيرة قُوسَنِيّا من نواحي مصر . ياقوت .
(٨) للإمام النووي رحمه الله .
(٩) في ط : المنادي بالدال .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة

استهلَّت بيوم الأحد في كانون الأصمّ ، والحكَّام هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن والي البرِّ بدمشق هو الأمير علاء الدين علي بن الحسن المرواني[١] ، باشرها في صفر من السنة الماضية .

وفي صفر من هذه السنة باشر ولاية المدينة الأمير شهاب الدين بن برق[٢] عوضاً عن صارم الدين الجوكنداري .

وفي صفر عوفي القاضي كريم الدين وكيل السُّلطان من مرض كان قد أصابه ، فزُيِّنت القاهرة وأُشْعِلت الشموع وجُمع الفقراء بالمارستان المنصوري ليأخذوا من صدقته ، فمات بعضهم من الزِّحام[٣] .

وفي سلخ ربيع الأول درّس الإمام العلامة المحدث تقي الدين السُّبكي الشافعي بالمنصورية بالقاهرة عوضاً عن القاضي جمال الدين الزرعي ، بمقتضى انتقاله إلى دمشقَ ، وحضر عنده علاء الدين شيخ الشيوخ القونوي الشافعي ودرّس بعده بجامع الحاكم شمس الدين محمد بن أحمد بن عدلان بالعزّية .

وكانت ولاية[٤] القاضي جمال الدين الزرعي لقضاء الشام عوضاً عن النجم ابن صَصْرى ، في يوم الجمعة رابع جمادى الأولى ، فنزل العادلية وقد قدم على قضاء القضاة ومشيخة الشيوخ وقضاء العساكر وتدريس العادلية والغزالية والأتابكية[٥] .

وفي يوم الأحد[٦] مسك القاضي كريم الدين[٧] عبد الكريم بن هبة الله بن السَّديد وكيل السلطان وكان قد بلغ من المنزلة والمكانة عند السلطان مالم يصل إليه غيره من الوزراء الكبار ، واحتيط على أمواله وحواصله ، ورسم عليه عند نائب السَّلطنة ، ثم رُسم له أن يكون بتربته التي بالقَرَافة ، ثم نفي إلى الشَّوْبك[٨] وأُنعم عليه بشيء من المال ، ثم أُذن له بالإقامة بالقدس الشريف برباطه .

---

(١) وُلّي مناصب عديدة ومات قبل الأربعين ، الدرر الكامنة (٣/ ٤١) .
(٢) في ط : يرق . وهو أحمد بن أبي بكر بن برق . وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٦هـ) .
(٣) النجوم الزاهرة (٩/ ٧٥) .
(٤) ليست في ط .
(٥) الدارس (١/ ١٣٥) .
(٦) في النجوم الزاهرة (٩/ ٧٥) في يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر .
(٧) في أ وط : كريم الدين بن عبد الكريم . وهو توهم .
(٨) قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة قرب الكَرَك . ياقوت .

ومسك ابن أخيه كريم الدين الصغير ناظر الدواوين ، وأخذت أمواله وحبس في البرج ، وفرحت العامة بذلك ودَعْوا للسلطان بسبب مسكهما ، ثم أخرج إلى صفت[١] .

وطلب من القدس أمين الملك عبد الله فولّي الوزارة بمصر ، وخلع عليه عَوداً على بَدءٍ ، وفرح العامة بذلك وأشعلوا له الشموع ، وطلب الصاحب شمس الدين غبريال من دمشق فركب ومعه أموال كثيرة ، من حواصل كريم الدين الكبير ، وعاد إلى دمشق مكرماً ، وقدم القاضي معين الدين بن الحشيشي على نظر الجيوش الشامية عوضاً عن القطب ابن شيخ السلامية عزل عنها ، ورسم عليه في العذراوية نحواً من عشرين يوماً ثم أذن له في الانصراف إلى منزله مصروفاً عنها .

وفي جُمادى الأولى عُزل طُرُقْشي عن شد الدواوين وتولاَّها الأمير بَكْتَمُر[٢] .

وفي ثاني جُمادى الآخرة باشر ابنُ جهبل نيابة الحكم عن الزَّرعي ، وكان قد باشر قبلها بأيام نظر الأيتام عوضاً عن ابن هلال .

وفي شعبان أعيد الطُّرُقْشي إلى الشدّ وسافر بَكْتَمُر إلى نيابة الإسكندرية ، وكان بها إلى أن توفي .

وفي رمضانَ قدم جماعةٌ من حجَّاج الشرق وفيهم بنت الملك أبغا بن هولاكو ، وأخت أَرْغون وعمَّة قازان وخَرْبَنْدا ، فأُكرمت وأُنزلت بالقصر الأبلق ، وأُجريت عليها الإقامات والنفقات إلى أوان الحجّ[٣] .

وخرج الركب يوم الإثنين ثامن شوّال وأميره قُطْليجا[٤] الأبوبكري ، الذي بالقصَّاعين ، وقاضي الركب شمس الدين قاضي القضاة ابن مسلم الحنبلي[٥] .

وحج معهم جمال الدين المِزِّي ، وعماد الدين ابن الشيرجي ، وأمين الدين الواني ، وفخر الدين البعلبكي ، وجماعة ، وفُوّض الكلام في ذلك إلى شرف الدين بن سعد الدين بن نُجَيح ، كذا أخبرني شهاب الدين الظاهري .

ومن المصريين قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وولده عز الدين ، وفخر الدين كاتب المماليك ، وشمس الدين الحارثي ، وشهاب الدين الأذرعي ، وعلاء الدّين الفارسي .

وفي شوّال باشر تقي الدين السُّبكي مشيخة دار الحديث الظاهرية بالقاهرة بعد وفاة[٦] زكي الدين

---

(١) صفت . هي قرية في جوف مصر قرب بلبيس ، ياقوت . وهي ليست تصحيف صفد كما قد يخطر ، وكما مرت من قبل .

(٢) في ب سيف الدين بكتمر والي الولاة .

(٣) خطط الشام (٥/ ٢٨٥) .

(٤) في ط : « قطلجا » . الدرر الكامنة (٣/ ٢٥٥) .

(٥) محمد بن مسلم بن مالك ، سيأتي في وفيات سنة (٧٢٦هـ) .

(٦) ليست في ط .

المنادي ، ويقال له : عبد العظيم بن الحافظ شرف الدين الدمياطي ، ثم انتزعت من السُّبكي لفتح الدين بن سيد الناس اليَعْمُري ، باشرها في ذي القعدة .

وفي يوم الخميس مستهل ذي الحجة خلع على قطب الدين ابن شيخ السلامية وأعيد إلى نظر الجيش مصاحباً لمعين الدين بن الحُشَيْش(١) ، ثم بعد مُدَيْدةٍ(٢) استقلَّ قطبُ الدين بالنَّظر وحده وعزل ابن حُشَيْش .

ومِمَّن توفي فيها من الأعيان :

الإمام المؤرخ كمال الدين الفُوَطي(٣) : أبو الفضل عبد الرزاق بن(٤) أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي المعالي الشَّيباني البغدادي ، المعروف بابن الفُوَطي ، وهو جده لأمّه .

ولد سنة اثنتين وأربعين وستمئة ببغداد ، وأُسر في واقعة التّتار ، ثمّ تخلَّص من الأسر ، فكان مشارفاً على الكتب بالمستنصرية ، وقد صنّف تاريخاً في خمسة وخمسين مجلداً(٥) ، وآخر في نحو عشرين(٦) ، وله مصنفات كثيرة ، وشعر حسن ، وقد سمع الحديث(٧) من محيي الدين بن الجوزي .

توفي ثالث المحرم ودفن بالشُّونيزية .

قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرَىٰ(٨) : أبو العباس أحمد بن العدل عماد الدين بن محمد بن العدل أمين الدين سالم بن الحافظ المحدّث بهاء الدين أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن صَصْرى التَّغْلبيّ الربَعي الشافعي قاضي القضاة بالشام .

ولد في ذي القعدة سنة خمس وخمسين وستمئة ، وسمع الحديث ، واشتغل وحصّل وكتب عن القاضي شمس الدين بن خلكان « وفيات الأعيان » ، وسمعها عليه ، وتفقَّه بالشيخ تاج الدين الفزاري ، وعلى أخيه شرف الدين في النّحو ، وكان له يد في الإنشاء وحسن العبارة ، ودرَّس بالعادليَّة الصغيرة سنة

---

(١) في ط : الحشيشي .
(٢) في ط : مدة مديدة ، وهو توهم ، ومُدَيدة كذلك في الذيل (ص١٢٧) .
(٣) ترجمته في الذيل (ص١٢٨) وفوات الوفيات (٢/ ٣١٩) والدرر الكامنة (٢/ ٣٦٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦٠) والشذرات (٦/ ٦٠) .
(٤) ليست في ط .
(٥) هو المعروف بجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب ، كما نص عليه الذهبي في كتبه .
(٦) هو المعروف بدرر الأصداف في غرر الأوصاف .
(٧) في أ وط : الحسن . وهو توهم .
(٨) ترجمته في الذيل (ص١٢٨) وفوات الوفيات (١/ ١٢٥) والدرر الكامنة (١/ ٢٦٣) وقضاة دمشق (ص٨٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٥٨) وشذرات الذهب (٦/ ٥٩) .

ثنتين وثمانين ، وبالأمينية سنة تسعين ، وبالغزالية سنة أربع وتسعين[(١)] ، وتولى قضاء العساكر في دولة العادل كَتْبُغَا، ثم تولى قضاء الشام سنة ثنتين وسبعمئة بعد ابن جماعة حين طُلب لقضاء مصر، بعد ابن دقيق العيد. ثم أُضيف إليه مشيخة الشيوخ مع تدريس العادلية والغزالية والأتابكية، [وكلها مناصب دنيوية انسلخ منها وانسلخت منه ، ومضى عنها وتركها لغيره ، وأكبر أُمنيته بعد وفاته أنه لم يكن تولاّها وهي متاع قليل من حبيب مفارق][(٢)] ، وقد كان رئيساً محتشماً وقوراً كريماً جميل الأخلاق ، معظَّماً عند السلطان والدولة .

توفي فجأة ببستانه بالسَّهْم[(٣)] ليلة الخميس سادس عشر ربيع الأول وصلّي عليه بالجامع المظفَّري ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان ، وكانت جنازته حافلةً ودفن بتربتهم[(٤)] عند الرُّكنيَّة .

علاء الدين علي[(٥)] بن محمد[(٦)] : بن عثمان بن أحمد بن أبي المنى بن محمد بن نحلة الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ثمان وخمسين وستمئة وقرأ « المحرَّر » ، ولازم الشيخ زين الدين الفارقي ودرَّس بالدّولعية والرّكنية ، وكان[(٧)] ناظر بيت المال ، وابتنى داراً حسنةً إلى جانب الرّكنية ، ومات وتركها في ربيع الأول ، ودرّس بعده بالدّولعية القاضي جمال الدين بن جملة[(٨)] ، وبالركنية القاضي ركن الدين الخراساني[(٩)] .

وفي ربيع الأوّل قُتل :

الشَّيخُ ضياء الدين[(١٠)] : عبد الله الدَّرَبنْديّ[(١١)] النَّحوي ، كان قد اضطرب عقله ، فسافر من دمشقَ إلى القاهرة ، فأشار شيخ الشيوخ القونوي أنْ يُودع[(١٢)] بالمارستان فلم يوافق ، ثم دخل إلى

(١) الدارس (١/ ١٣٢) .
(٢) ليست في ب .
(٣) هو بستان بين نهري يزيد وتورا في الصالحية ، شرقي الجسر الأبيض . الدارس (١/ ١٣٢) حاشية المحقق .
(٤) التربة الصَّصْرية . في سفح قاسيون . الدارس (٢/ ٢٥٤) ومنادمة الأطلال (ص٣٤١) .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٣٧) والدارس (١/ ٢٤٥) .
(٦) في ب والدرر : يحيىٰ .
(٧) ليست في ط .
(٨) هو محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة المحجي توفي سنة (٧٦٤هـ) . الدارس (١/ ٣٤٦) .
(٩) في الدارس : زكي الدين الحرستاني .
(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣١١) .
(١١) في أ : الزرنيدي . وفي ط : الزرنبدي . وأثبتنا ما في ب والدرر . وهي نسبة إلى دَرَبَنْد مدينة عظيمة على بحر الخزر ، وتسمّى باب الأبواب . ياقوت .
(١٢) في ط : فأودع .

القلعة وبيده سيفٌ مسلول فقتل نصرانياً ، فحمل إلى السلطان ، وظنُّوه جاسوساً فأمر بشنقه فشنق .

وكنتُ ممَّن اشتغل عليه في النَّحو .

الشَّيخ الصالح المقرئ الفاضل[١] : شهاب الدين أحمد بن الطيب بن عبد[٢] الله الحلبي[٣] العزيزي الفوارسي ، المعروف بابن الحلبيَّة ، سمع من خطيب مَرْدَا[٤] وابن عبد الدائم[٥] ، واشتغل وحصَّل وأقرأ النَّاسَ .

وكانت وفاته في ربيع الأول عن ثمانٍ وسبعينَ سنة ، ودُفن بالسَّفح .

شهاب الدين أحمد بن محمد[٦] : ابن قُطَينَة[٧] الزرعي التّاجر المشهور بكثرة الأموال والبضائع والمتاجر ، قيل : بلغت زكاةُ ماله في سنة قازان خمسةً وعشرين ألفَ دينار .

وتوفي في ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بتربته[٨] التي بباب بستانه المسمى بالموقع[٩] عند ثُورا ، في طريق القابون ، وهي تربة هائلة ، وكانت له أملاك .

القاضي الإمام جمال الدين[١٠] : أبو بكر بن عيّاش[١١] بن عبد الله الخابوري ، قاضي بعلبك ، وأكبر أصحاب الشيخ تاج الدين الفزاري[١٢] ، قدم من بعلبك ليلتقي بالقاضي الزرعي فمات بالمدرسة البادرائية[١٣] ليلة السبت سابع جُمادى الأولى ودفن بقاسيون ، وله من العمر سبعون سنة . أَضْغاثُ حُلم[١٤] .

---

(١) لم أقع على ترجمة له .
(٢) في ط : عبيد .
(٣) في ط : الحلِّي ، وهو تحريف .
(٤) هو : محمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسي النابلسي . مات سنة (٦٥٦هـ) .
(٥) هو : أحمد بن عبد الدائم بن نعمة زين الدين أبو العباس مات سنة (٦٦٨هـ) .
(٦) ترجمته في الذيل (ص١٢٩) والدرر الكامنة (١/ ٢٩٤) الدارس (٢/ ٢٧٢) والشذرات (٦/ ٥٩ ـ ٦٠) .
(٧) في ط : قطنيه . بتقديم النون وهو تحريف .
(٨) التربة القطينية . الدارس (٢/ ٢٧٣) منادمة الأطلال (ص٣٤٧) .
(٩) في أ وط : المرفع . وهو تحريف .
(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٤٤ و٤٥٤) . حيث ذكره مرة ابن عبّاس ومرة ابن عياش . ويظهر لنا أنه توهم .
(١١) في ط : عباس . وأثبتنا ما في الدرر والدارس (١/ ٢٧٣) فقد ورد ذكره مع ابنه صدر الدين محمد بن أبي بكر بن عياش بن عسكر الخابوري .
(١٢) في ب : الفركاح . مدرّس البادرائية منذ (٦٧٦هـ) . الدارس (١/ ٢٠٨) .
(١٣) في ط : البادرانية . داخل باب الفراديس والسلامة وشمالي جيرون وشرقي الناصرية الجوانية وكانت قديماً تعرف بدار أسامة . المصدر السابق نفسه .
(١٤) ليست في ب . وفيها : رحمه الله .

الشَّيخ المعمَّر المسن جمال الدين[1] : عمر بن إلياس بن الرّشيد البعلبكي التاجر ، ولد سنة ثنتين[2] وستمئة وتوفي في ثانيْ عشرَ جُمادى الأولى عن مئة وعشرين[3] سنة، ودُفن بمسطحا[4] رحمه الله .

الشيخ الإمام المحدّث اللغوي المفيد : صفيّ الدين أبو الثَّناء محمود بن أبي بكر محمد[5] ابن حامد بن يحيى بن الحسين الأُرْمَوي[6] الصُّوفي[7] ، ولد سنة ست وأربعين وستمئة ، وسمع الكثير ، ورحل ، وطلب ، وكتب الكثير ، وذيّل على « النِّهاية » لابن الأثير ، وكان قد قرأ التنبيه واشتغل في اللغة فحصّل منها طرفاً جيداً ، ثم اضطرب عقله في سنة سبع وسبعين وغلبت عليه السَّوداء ، وكان يفيق منها في بعض الأحيان فيذاكر صحيحاً ثم يعترضه المرضُ المذكور ، ولم يزل كذلك حتى توفي في جُمادى الآخرة من هذه السنة في المارستان النُّوري ، ودفن بباب الصغير .

الخاتون المصونة : خَاتُون[8] بنت الملك الصّالح إسماعيل بن العادل بن أبي بكر بن أيّوب بن شاذي بدارها . وتُعرف بدار كافور .

وكانت رئيسةً محترمةً ، ولم تتزوّج قطُّ ، وليس في طبقتها من بني أيوب غيرها في هذا الحين .

توفيت يوم الخميس الحادي والعشرين من شعبانَ ، ودفنت بتربة أم الصالح رحمها الله .

شيخنا الجليل المسند[9] **المعمر الرُّحلة** : بهاء الدّين[10] أبو القاسم[11] بنُ الشيخ بدر الدين أبي غالب المظفر بن نجم الدين أبي الثناء محمود ابن الإمام تاج الأمناء أبي الفضل أحمد بن محمد بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقي الطبيب المعمَّر ، ولد سنة تسع وعشرين وستمئة ،

---

(١) ترجمته في الذيل (ص١٢٩) . وفيه : وله مئة سنة وسنة .

(٢) في ب : سنة ثنتين وعشرين وستمئة . وهذا هو الصّواب .

(٣) في ب : عن مئة سنة وسنة . وهذا موافق لما جاء في الذيل .

(٤) في ط : بمطحا . ومسطحا . موضع قرب بعلبك .

(٥) في ط : « بن محمد » خطأ ، وما أثبتناه هو الموافق لما في مصادر ترجمته ، وينظر معجم شيوخ الذهبي ٢/ ٣٣٥ ، ومن ذيول العبر ١٣٠ وغيرهما (بشار) .

(٦) في ط : محمد الحسني بن يحيى بن الحسين الأرموي .

(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) والشذرات (٦/ ٦٢) . والأُرْموي نسبة إلى أُرْمَيَة وهي مدينة عظيمة في أذربيجان ، وهي فيما يزعمون مدينة زرادشت نبي المجوس . ياقوت . ويقال : الأرمني .

(٨) ترجمتها في الدارس (١/ ٣١٨) .

(٩) ليست في ط .

(١٠) في ط : ابن .

(١١) ترجمته في الذيل (ص١٣٠) والدرر الكامنة (٣/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) والشذرات (٦/ ٦١) .

سمع حضوراً وسماعاً على الكثير من المشايخ ، وقد خرَّج له الحافظ علَم الدين البِرزالي مشيخةً سمعناها عليه في سنة وفاته، وكذلك خرَّج له الحافظ صلاح الدين العَلاَئي[١] عوالي من حديثه ، وكتب له المحدِّثُ المفيد ناصر الدين بن طغريل مشيخة في سبعة مجلدات تشتمل على خمسمئة وسبعين شيخاً ، سماعاً وإجازة ، وقرئت عليه فسمعها الحفَّاظ وغيرهم . قال البرزالي : وقد قرأت عليه ثلاثة وعشرين مجلداً بحذف المكررات . ومن الأجزاء خمسمئة وخمسين جزءا بالمكررات . قال : وكان قد اشتغل بالطب ، وكان يعالج النَّاسَ بغير أجرة ، وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث والحكايات والأشعار ، وله نظم ، وخدم من عدة جهات الكتابة ، ثم ترك ذلك ، ولزم بيته وإسماعَ الحديث ، وتفرَّد في آخر عمره في أشياء كثيرة ، وكان سهلاً في التسميع ؛ ووقف آخر عمره داره دار حديث[٢] ، وخصَّ الحافظ البِرزالي والمِزِّي بشيء من بِرِّهِ ، وكانت وفاتُه يوم الإثنين وقت الظهر خامس وعشرين شعبان ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

الوزير ثم الأمير نجم الدين : محمد[٣] بن الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي القاسم البُصروي الحنفي .

درَّس ببُصرىٰ بعد عمه القاضي صدر الدين الحنفي[٤] ، ثم ولِّي الحِسبة بدمشقَ ونظر الخزانة ، ثم ولِّيَ الوزارة ، ثم سأل الإقالة منها فعُوِّض بإمرة عشرة عنها بإقطاع هائل ، وعومل في ذلك معاملة الوزراء في حرمته ولبسته ، حتى كانت وفاته ببُصرى يوم الخميس ثاني[٥] عشرين شعبانَ ، ودفن هناك ، وكان كريماً ممدَّحاً وهَّاباً نهَّاباً كثير الصدقة والإحسان إلى الناس ، ترك أموالاً وأولاداً ثم تفانوا كلُّهم بعده وتفرقت أمواله ، [ونكحت نساؤه وسكنت منازله][٦] .

الأمير صارم الدين إبراهيم[٧] **بن قراسنقر الجوكندار**[٨] : مشد الخاص ، ثم ولِّي دمشق ولاية ، ثم عُزل عنها قبل موته بستة أشهر ، توفي تاسع رمضان ودفن بتربته[٩] المشرفة المبيضة شرقي مسجد النارنج[١٠] كان قد أعدها لنفسه .

---

(١) الكيكلدي ، وسيأتي في وفيات سنة (٧٦١هـ) .
(٢) دار الحديث البهائية داخل باب توما الدارس (١/ ٥٥) ومنادمة الأطلال (ص٣٤) .
(٣) ترجمته في الذيل (ص١٣١) والدرر الكامنة (٤/ ٤٦) والشذرات (٦/ ٦٢) وفي ط : حمد .
(٤) هو : علي بن محمد أبي القاسم بن عثمان البصروي ، سيأتي في وفيات سنة(٧٢٧هـ) .
(٥) في ط : ثامن عشرين .
(٦) ليست في ب .
(٧) ليست في ط .
(٨) ترجمته في الدارس (١/ ٢٤٢) ومنادمة الأطلال (ص٣٣١) .
(٩) في التربة الجوكندارية ، الدارس ومنادمة الأطلال .
(١٠) في ط : التاريخ .

الشيخ أحمد الأَعْقَف الحريري[١] : شهاب الدين أحمد بن حامد بن سعيد التنوخي الحريري .

ولد سنة أربع وأربعين وستمئة ، واشتغل في صباه على الشَّيخ تاج الدين الفزاري في « التنبيه » ، ثم صحب الحريرية وخدمهم . ولزم مصاحبة الشيخ نجم الدين بن إسرائيل[٢] ، وسمع الحديث ، وحجَّ غير مرة ، وكان مليح الشكل كثير التودُّد إلى الناس ، حسن الأخلاق ، توفي يوم الأحد ثالث عِشْري رمضان بزاويته بالمزة ، ودفن بمقبرة المزة ، وكانت جنازته حافلة .

وفي يوم الجمعة ثامن عشري رمضان صُلّي بدمشقَ على غائب وهو الشَّيخ هارون المقدسي[٣] توفي ببعلَبَكّ في العشر الأُخر من رمضان ، وكان صالحاً مشهوراً عند الفقراء .

وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة توفي :

الشيخ المقرئ أبو عبد الله[٤] : محمد بن إبراهيم بن يوسف بن غصن[٥] الأنصاري القَصْري ثمّ السَّبْتي بالقدس[٦] ، ودفن بما ملي ، وكانت له جنازة حافلة حضرها كريم الدّين والنَّاسُ مشاة ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمئة ، وكان شيخاً مهيباً ، أحمر اللحية من الحناء ، اجتمعت به وبحثت معه في هذه السنة حين زرت القدس الشريف ، وهي أول زيارة زرته ، وكان مالكيَّ المذهب ، وقد قرأ « الموطَّأ » في ثمانية أشهر ، وأخذ النَّحو عن الأستاذ[٧] أبي الربيع شارح « الجمل »[٨] للزجَّاجي من طريق شُرَيْح .

شيخنا الأصيل [المعمَّر الرُّحلة][٩] : شمس الدين أبو النصر محمد[١٠] بن عماد الدين أبي الفضل محمد بن شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار بن مميل الشيرازي .

مولده في شوال سنة تسع وعشرين وستمئة ، وسمع الكثير ، وأسمع وأفاد في علَّته شيخَنا المزِّي تغمده الله برحمته ، قرأ عليه عدة أجزاء بنفسه أثابه الله ، وكان شيخاً حسناً خيّراً مباركاً متواضعاً ، يذهِّب الربعات والمصاحف ، له في ذلك يد طولى ، ولم يتدنَّس بشيء من الولايات ، ولا تدنَّس بشيء من

---

(١) ترجمته في الدارس (٢/ ١٩٩) ومنادمة الأطلال (ص٣٠١) نقلاً عن ابن كثير .
(٢) هو : محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر . مات سنة (٦٧٧هـ) .
(٣) لم أقع على ترجمة له .
(٤) هذه الترجمة ليست في ب .
(٥) في ط : عصر .
(٦) ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٤٧ ـ ٤٨ (بشار) .
(٧) ليست في ط .
(٨) في ط : المجمل وهو تحريف .
(٩) ليست في ط .
(١٠) ترجمته في الذيل (ص١٣١) والدرر الكامنة (٤/ ٢٣٣) والشذرات (٦/ ٦٢) .

وظائف المدارس ولا الشَّهادات ، إلى أن توفي في يوم عَرَفة ببستانه من المِزَّة[١] ، وصُلّي عليه بجامعها ودفن بتربتها رحمه الله .

الشيخ الصالح [العابد الناسك][٢] : أبو بكر بن أيُّوب بن سعد الزُّرَعي[٣] الحنبلي[٤] ، قيِّم الجَوْزيّة[٥] ، كان رجلاً صالحاً متعبِّداً قليل التكلف ، وكان فاضلاً ، وقد سمع شيئاً من « دلائل النبوة » عن الرَّشيد العامري .

توفي فجأة ليلة الأحد تاسعَ عَشَرَ ذي الحجَّة بالمدرسة الجَوْزيَّة ، وصُلّي عليه بعد الظهر بالجامع ، ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، وأثنى عليه الناسُ خيراً رحمه الله ، وهو والد العلامة شمس الدين محمَّد بن قيم الجوزية صاحب المصنَّفات الكثيرة [النافعة الكافية][٦] .

الأمير علاء الدين [علي][٧] بن شرف الدين : محمود[٨] بن إسماعيل بن سعد[٩] البعلبكي أحد أمراء الطبلخانات ، كان والده تاجراً ببعْلَبَكّ ، فنشأ ولده هذا واتَّصل بالدولة ، وعلت منزلته ، حتى أُعطي طبلخانة وباشر ولاية البرّ[١٠] بدمشق مع شدّ الأوقاف ، ثم صُرف إلى ولاية بحَوْران ، فاعتراه[١١] مرض ، [وكان سَبْطَ البدَنِ عَبْلَهُ][١٢] ، وصُلّي عليه هناك ، ودُفن بمقبرة المِزَّة ، وكان من خيار الأمراء وأحسنهم ، مع ديانة وخير سامحه الله .

وفي هذا اليوم توفي :

---

(١) كانت قرية قريبة من دمشق في الغوطة . ياقوت وأيضاً في غوطة دمشق لمحمد كردعلي . أقول : وهي متصلة اليوم بدمشق وتشكل حيّاً من أحيائها الجديدة العامرة .

(٢) ليست في ط .

(٣) قيده الحافظ ابن ناصر الدين فقال : « بضم أوله وفتح الراء وكسر العين المهملة ، نسبة إلى بلد زُرع من أعمال دمشق (توضيح المشتبه ٤/ ٢٨٧) .

(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٤٢) ومنادمة الأطلال (ص٢٤٠) في معرض ذكر ولده محمد .

(٥) مدرسة للحنابلة ، في سوق القمح بالقرب من الجامع . الدارس (٢/ ٢٩) .

(٦) ليست في ب . وولده محمد سيأتي في وفيات سنة (٧٥١هـ) .

(٧) ليست في أ و ط ، وهي زيادة من ب . والدرر الكامنة (٣/ ١٢٥) .

(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٢٥) .

(٩) في ط : معبد وقد سبق الكلام فيه ، والتصويب من الدرر .

(١٠) في ط : البريد وهو تحريف .

(١١) في ط : فاعترضه وهو تحريف .

(١٢) ليست في ب . وسَبْطُ البدن عَبْلُه : أي مستو ضخم .

الفقيه العابد[١] **الناسك شرف الدين** : أبو عبد الله محمد[٢] بن سعد الله بن عبد الأحد[٣] بن سعد الله ابن عبد القاهر بن عبد الواحد[٤] بن عمر الحرّاني ، المعروف بابن النُّجَيْح .

توفي في وادي بني سالم ، فحُمِل إلى المدينة فغُسِّل وصُلّي عليه في الرَّوضة ، ودفن بالبقيع شرقي قبر عقيل ، فغبطه النَّاس بهذه الموتة وهذا القبر ، رحمه الله .

وكان ممَّن غبطه الشيخ شمس الدين بن مسلم قاضي الحنابلة ، فمات بعده ودفن عنده وذلك بعده بثلاث سنين رحمهما الله .

وقد[٥] حضر جنازة الشيخ شرف الدّين محمد المذكور شمس[٦] الدين بن أبي العز الحنفي قبل ذلك بجمعة ، مرجعَه من الحج بعد انفصاله عن مكّة بمرحلتين فغبط الميت المذكور بتلك الموتة فرُزق مثلها بالمدينة، وقد كان شـرف الدين بن نُجَيح هذا قد صحب شيخنا العلاَّمة تقي الدين بن تيمية، وكان معه في مواطن كبار صعبة [لا يستطيع الإقدام عليها إلا الأبطال الخُلَّص الخواص][٧] ، وسُجن معه ، وكان من أكابر خدَّامه وخواص أصحابه ، [ينال فيه الأذى وأُوذي بسببه مرات ، وهو في ازدياد محبة فيه وصبراً على أذى أعدائه][٨] ، وقد كان هذا الرجل في نفسه وعند الناس جيداً مشكور السيرة جيد العقل والفهم ، عظيم الديانة والزهد ، [ولهذا كانت عاقبته هذه الموتة عقيب الحج ، وصلّي عليه بروضة مسجد رسول الله ﷺ ، ودفن بالبقيع بقيع الغرقد بالمدينة النبوية ، فختم له بصالح عمله ، وقد كان كثير من السلف يتمنى أن يموت عقيب عمل صالح يعمله ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى ، والله سبحانه أعلم][٩] .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمئة

استهلَّت والحكام هم المذكورون في التي قبلها : الخليفة المُستكفي بالله أبو الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد الملك الناصر ، ونائبُه بمصرَ سيف الدين أَرْغُون ووزيره أمين المُلك ، وقضاته بمصرَ هم المذكورون في التي قبلها .

---

(١) ليست في ط .
(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) والدارس (٢/ ٣٩) والشذرات (٦/ ٦١) .
(٣) في الدرر : الواحد .
(٤) في الدرر : الأحد .
(٥) في ط : وجاء يوم وهو توهم .
(٦) في ط : شرف الدين . وهو : محمد بن محمد أبي العز الأذرعي . سبق في وفيات سنة (٧٢٢هـ) .
(٧) ليست في ب .
(٨) ليست في ب .
(٩) ليست في ب .

ونائبه بالشّام تَنْكِز ، وقضاة الشام الشّافعي جمال الدين الزُّرَعي[١] ، والحنفي الصَّدر علي البُصراوي، والمالكي شرف الدين الهمداني[٢] ، والحَنْبلي شمس الدين بن مسلم ، وخطيب الجامع الأموي جلال الدين القزويني ، ووكيل بيت المال جمال الدين بن القلانسي ، ومحتسب البلد فخر الدين بن شيخ السلامية ، وناظر الدواوين شمس الدين غبريال ، ومشد الدواوين علم الدين طرقشي ، وناظر الجيش قطب الدين ابن شيخ السلامية ، ومعين الدين بن حُشَيْش ، وكاتب السرِّ شهاب الدين محمود ، ونقيب الأشراف شرف الدين عدنان ، وناظر الجامع بدر الدين بن الحداد ، وناظر الخزانة عز الدين بن القلانسي ، ووالي البر علاء الدين بن المرواني ، ووالي دمشق شهاب الدين بن[٣] برق .

وفي خامسَ عشرَ ربيع الأول باشر عز الدين بن القلانسي الحسبة عوضاً عن ابن شيخ السلامية مع نظر الخزانة .

وفي هذا الشهر حُمِلَ كريمُ الدين وكيل السلطان من القدس إلى الديار المصرية ، فاعتُقل ثم أُخذت منه أموالٌ وذخائر كثيرة ، ثم نُفي إلى الصعيد وأجري عليه نفقات سلطانية له ولمن معه من عياله ، وطُلب كريم الدين الصغير وصُودر بأموال جمة ، وحبس ثم أطلق[٤] .

وفي يوم الجمعة الحاديْ عشرَ من ربيع الآخر قرئ كتاب السلطان بالمقصورة من الجامع الأموي بحضرة نائب السلطنة والقضاة ، يتضمّن إطلاق مَكْس الغلَّة بالشَّام المحروس جميعه ، فكثرت الأدعية للسلطان[٥] .

وقدم البريد إلى نائب الشام يوم الجمعة خامس عِشْري ربيع الآخر بعزل قاضي الشافعية الزُّرعي ، فبلغه ذلك فامتنع بنفسه من الحكم ، وأقام بالعادلية بعد العزل خمسةَ عشرَ يوماً ثم انتقل منها إلى الأتابكية[٦] ، واستمرّت بيده مشيخةُ الشيوخ وتدريس الأتابكية .

واستدعىٰ نائبُ السّلطان شيخَنا الإمام الزاهد برهان الدين الفزاري ، فعرض عليه القضاء فامتنع ، فألحَّ عليه بكل ممكن فأبى وخرج من عنده فأرسل في أثره الأعيان إلى مدرسته فدخلوا عليه بكل حيلة فامتنع من قبول الولاية ، وصمَّم أشد التصميم ، جزاه الله خيراً عن مروءته ، فلمَّا كان يوم الجمعة جاء

---

(١) هو : سليمان بن عمر بن سالم سيأتي في وفيات سنة (٧٣٧هـ) .
(٢) هو : أبو عبد الله محمد . سيأتي في وفيات سنة (٧٤٨هـ) .
(٣) ليست في ط .
(٤) ليست في ط .
(٥) الذيل (ص١٣٢) .
(٦) الدارس (١/ ١٣٣) .

البريد [من الديار المصرية يطلب الخطيب جلال الدين القزويني إلى الديار المصرية](١) فأخبر بتوليته قضاء الشام .

وفي هذا اليوم خلع على تقي الدين سليمان بن مراجل بنظر الجامع عوضاً عن بدر الدين بن الحداد الذي توفي ، وأخذ من ابن مراجل نظر المارستان الصغير لبدر الدين بن العطار .

وخُسف القمر ليلة الخميس للنصف من جُمادى الآخرة بعد العشاء ، فصلى الخطيب صلاة الكسوف بأربع سور : ق ، واقتربت ، والواقعة ، والقيامة ، [ثمّ صلَّى العشاء ثم خطب بعدها](٢) ثم أصبح بالنَّاس الصُّبح ثم ركب على البريد إلى مصرَ فرزق من السلطان قَبُولاً(٣) وولاّه بعد أيام القضاء ثم كرَّ راجعاً إلى الشام ، فدخل دمشقَ في خامس رجب على القضاء مع الخطابة وتدريس العادلية والغزالية ، فباشر ذلك كلَّه ، وأُخذت منه الأَمينية فدرَّس فيها جمال الدين بن القلانسي ، مع وكالة بيت المال ، وأضيف إليه قضاء العساكر وخوطب بقاضي القضاة جلال الدين القزويني(٤) . [ودرس بالمسرورية الشيخ كمال الدين بن الزملكاني عوضاً عن الخطيب قاضي القضاة جلال الدين](٥) .

وفيها قدم ملك التَّكْرور(٦) إلى القاهرة بسبب الحج في خامس عِشْري رجب ، فنزل بالقَرَافة ومعه من المغاربة والخدم نحو من عشرين ألفاً ، ومعهم ذهب كثير بحيث إنه نزل سعر الذهب درهمين(٧) ، ويقال له : الملك الأشرف موسى بن أبي بكر ، وهو شاب جميل الصورة ، له مملكة متسعة مسيرة ثلاث سنين ، ويذكر أن تحت يده أربعة وعشرين ملكاً ، [كل ملك تحت يده خلق وعساكر](٨) ، ولمّا دخل قلعة الجبل ليسلِّمَ على السلطان أُمر بتقبيل الأرض فامتنع من ذلك ، [فأكرمه السلطان](٩) ، ولم يمكَّن من الجلوس(١٠) أيضاً حتى خرج من بين يدي السلطان وأحضر له حصان أشهب بزُنَّارَيْ أطلسٍ أصفرَ ، وهيِّئَت له هجن وآلات كثيرة تليق بمثله ، وأرسل هو إلى السلطان أيضاً بهدايا كثيرة من جملتها أربعون ألف دينار ، وإلى النائب بنحو عشرة آلاف دينار ، وتحف كثيرة .

---

(١) مابين الحاصرتين زيادة من ب .

(٢) ليست في ب .

(٣) في ط : فتولاه . وهو تصحيف .

(٤) الدارس (١/ ١٩٦ و ٣٦٥) .

(٥) ليست في أ وط وهو زيادة من ب . والدارس (١/ ٤٥٧) .

(٦) هو: موسى بن أبي بكر الأسود . الذيل (ص١٣٣) والدرر الكامنة (٤/ ٣٨٣) وفيه : موسى بن أبي بكر سالم التكروري .

(٧) في ب والدرر : نزل سعر الدينار درهمين في كل مثقال .

(٨) ليست في ب .

(٩) ليست في ب .

(١٠) الذي في الذيل : ولم يجلس وهو أنسب ، لما فيه من الاختيار لاالقسر .

وفي شعبانَ ورمضانَ زاد النّيل بمصرَ زيادة عظيمة ، لم يُر مثلها من نحو مئة سنة أو أزيد منها ومكث على الأراضي نحو ثلاثة أشهر ونصف ، وغرّق أقصاباً كثيرة ، ولكن كان نفعه أعظم من ضره[١] .

وفي يوم الخميس ثامنَ عشرَ شعبانَ استناب القاضي جلال الدين القزويني نائبين في الحكم ، وهما : يوسف بن إبراهيم بن جملة المحجّي الصّالحي ، وقد ولّي القضاء فيما بعد ذلك كما سيأتي ، ومحمد بن علي بن إبراهيم المصري ، وحكما يومئذ بالعادلية[٢] .

ومن الغد جاء البريد ومعه تقليد قضاء حلب للشيخ كمال الدين بن الزَّمْلكاني ، فاستدعاه نائب السلطنة وفاوضه في ذلك فامتنع ، فراجعه النائب ثم راجع السلطان فجاء البريد في ثانيْ عشرَ رمضانَ بإمضاء الولاية فشرع للتأهُّب لبلاد حلب ، وتمادى في ذلك حتى كان خروجه إليها في بكرة يوم الخميس رابعَ عشرَ شوال[٣] ، ودخل حلب يوم الثلاثاء سادس عِشْري شوال فأُكرم إكراماً زائداً ، ودرَّس بها وألقى علوماً أكبر من تلك البلاد ، وحصل لهم الشرف بفنونه وفوائده ، وحصل لأهل الشام الأسف على دروسه الأنيقة الفائقة ، وما أحسن ما قال الشاعر ، وهو شمس الدين محمد الخياط[٤] في قصيدة له مطوَّلة ، أولها قوله :

أَسِفتْ لِفَقْدِكَ جِلَّقُ الفيحاءُ وتباشَرَتْ لِقُدُومِكَ[٥] الشهباءُ

وفي ثانيْ عشرَ رمضانَ عزل أمين الملك عن وزارة مصر وأضيفت الوزارة إلى الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي ، أستاذ دار السلطان[٦] .

وفي أواخر رمضان طلب الصاحب شمس الدين غبريال إلى القاهرة فولّي بها نظر الدواوين عوضاً عن كريم الدين الصّغير[٧] ، وقدم كريم الدين المذكور إلى دمشق في شوال ، فنزل بدار العدل من القصّاعين . وولّي سيف الدين قديدار[٨] ولاية مصرَ، وهو شهم سفاك للدماء، فأراق الخمور وأحرق الحشيشة وأمسك

---

(١) النجوم الزاهرة (٩/ ٢٦١) .
(٢) ليست في ط . وفي ب زيادة : وحضر الناس عندهما في مجلس الحكم وهنؤوهما بذلك .
(٣) في ب : فودّعه الناس وتأسّفُوا عليه .
(٤) في ط : الحناط . وهو تحريف ، وهو محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقي الحنفي ، شمس الدين الخياط الشاعر المشهور . مات سنة (٧٥٦هـ) . مترجم في الذيل للحسيني (ص٣٠٦) .
(٥) في ط : بقدومك .
(٦) الدرر الكامنة (٤/ ٣٥٤) .
(٧) هو أكرم بن خطيرة القبطي كريم الدين الصغير ، وتسمى لما أسلم عبد الكريم ، وهو ابن أخت عبد الكريم الكبير ، كان ظالماً متعسفاً ، أُغرق في البحر سنة (٧٢٦هـ) الدرر (١/ ٤٠٠) .
(٨) في أ : فديدار وفي النجوم (٩/ ٢٨٣) : قدارار .

الشطّار ، واستقامت به أحوال القاهرة ومصرَ ، [وكان هذا الرجل ملازماً لابن تيمية مدَّة مقامه بمصر][(١)] .

وفي رمضانَ قدم إلى دمشقَ[(٢)] الشّيخ نجمُ الدين عبد الرحيم بن الشحَّام الموصلي[(٣)] من بلاد السلطان أُزْبَك[(٤)] ، وعنده فنون من علم الطب وغيره ، ومعه كتابٌ بالوصية به فأُعطي تدريس الظاهرية البرَّانية نزل له عنها جمال الدين بن القلانسي ، فباشرها في مستهلّ ذي الحجة ، ثمَّ درَّس بالجاروخية .

ثم خرج الركب في تاسع شوال وأميره كوكنجيار[(٥)] المحمدي ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري[(٦)] .

وممَّن خرج إلى الحج برهان الدين الفزاري ، وشهاب الدين قَرَاطَاي الناصري نائب طرابُلُس ، وصَارُوجا[(٧)] وشِهْري وغيرهم .

وفي نصف شوال زاد السلطان في عدة الفقهاء بمدرسته الناصرية ، كان فيها من كل مذهب ثلاثون ثلاثون ، فزادهم إلى أربعة وخمسين من كل مذهب ، وزادهم في الجوامك أيضاً .

وفي الثالث والعشرين منه وجد كريم الدين الكبير وكيل السلطان قد شَنَق نفسه داخل خِزانة له قد أغلقها عليه من داخل : ربط حلقه في حبل وكان تحت رجليه قفص فدفع القفص برجليه فمات في مدينة أسوان ، وستأتي ترجمته .

وفي سابعَ عشرَ ذي القعدة زُيِّنت دمشق بسبب عافية السلطان من مرض كان قد أشرف منه على الموت .

وفي ذي القعدة درَّس جمال الدين بن القلانسي بالظاهرية الجوانية عوضاً عن ابن الزملكاني ، سافر على قضاء حلب ، وحضر عنده القاضي القزويني .

وجاء كتاب صادق من بغداد إلى المولى شمس الدين[(٨)] بن حسّان يذكر فيه أن الأمير جوبان أعطى

---

(١) ليست في ب .

(٢) في ط : مصر وهو توهم .

(٣) سيأتي في وفيات سنة (٧٣٠هـ) .

(٤) أُزْبَك بن طُقْطاي القان ، صاحب بلاد المشرق وملك التتار ، كان صحيح الإسلام مات سنة (٧٤٢هـ) الدليل الشافي (١/ ١١٣) .

(٥) في النجوم الزاهرة (٩/ ٧٨) كَوْكَاي ، وفي الدرر الكامنة (٣/ ٢٧٠) كَوكي ، وفي الحاشية : كوكاني . ولعلّ مافي النجوم هو الصواب . فليحرر .

(٦) هو : أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقي . مات سنة (٧٥٥هـ) الدرر الكامنة (١/ ١٦٧) والدارس (١/ ١٧٣) .

(٧) والعامة تلفظه بالسّين ، وهو المظفري صارم الدين . مشهور بدمشق ، ومات في القدس سنة (٧٤٣هـ) . كما سيأتي .

(٨) ليست في ط .

الأمير محمد حسيناه قدحاً فيه خمر ليشربه ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، فألح عليه وأقسم فأبى أشد الإباء ، فقال له إن لم تشربها كلفتك أن تحمل ثلاثين توماناً ، فقال نعم أحملُ ولا أشربها ، فكتب عليه حجَّة بذلك ، وخرج من عنده إلى أمير آخر يقال له بكتي ، فاستقرض منه ذلك المال ثلاثين توماناً فأبى أن يقرضه إلا بربح عشرة توامين ، فاتفقا على ذلك ، فبعث بكتي إلى جوبان يقول له : المال الذي طلبته من حسيناه عندي فإن رسمت حملته إلى الخزانة الشَّريفة ، وإن رسمت تفرقه على الجيش . فأرسل جوبان إلى محمد حسيناه فأحضره عنده فقال له : تزن أربعين توماناً ولا تشرب قدحاً من خمر؟ قال نعم ، فأعجبه ذلك منه ومزَّق الحجَّة المكتوبة عليه ، وحظي عنده وحكَّمه في أموره كلها ، وولَّاه ولايات كبار[١] ، [وحصل لجوبان إقلاع ورجوع عن كثير ممّا كان يتعاطاه ، رحم الله حُسَيْناه][٢] .

وفي هذه السنة كانت فتنة بأَصْبَهان قتل بسببها ألوف من أهلها ، واستمرت الحرب بينهم شهوراً .

وفيها كان غلاء مفرط بدمشق ، بلغت الغرارة مئتين وعشرين ، وقلَّت الأقوات . ولولا أن الله أقام للناس من يحمل لهم الغلة من مصرَ لاشتدَّ الغلاء وزاد أضعاف ذلك ، فكان مات أكثر الناس ، واستمر ذلك مدة شهور من هذه السنة ، وإلى أثناء سنة خمس وعشرين ، حتى قدمت الغلات ورخصت الأسعار ولله الحمد والمنة[٣] .

وممّن توفي فيها من الأعيان ؛ توفي في مستهل المحرم :

بدر الدين محمد[٤] بن ممدود[٥] بن أحمد الحنفي[٦] : قاضي قلعة الروم بالحجاز الشريف ، وقد كان عبداً صالحاً ، حج مرات عديدة ، وربما أحرم من قلعة الروم أو أحرم من[٧] بيت المقدس ، وصُلّي عليه بدمشقَ صلاة الغائب ، وعلى شرف الدين بن العز ، وعلى شرف الدين بن نجيح ، توفُّوا في أقل من نصف شهر ، كلهم بطريق الحجاز ، بعد فراغهم من الحج ، وذلك أنهم غبطوا ابن نجيح صاحب الشيخ تقي الدين بن تيمية بتلك الموتة كما تقدم ، فرزقوها فماتوا عَقِيب عملهم الصالح بعد الحج[٨] .

---

(١) في ط : كتابة .
(٢) ليست في ب .
(٣) الذيل (ص١٣٢) .
(٤) ليست في ط .
(٥) في ط : ممدوح .
(٦) لم أقع على ترجمة له .
(٧) في ط : أو حرم بيت المقدس .
(٨) انظر خبر وفاة ابن النُجَيْح في سنة (٧٢٣هـ) .

الحجة الكبيرة خَوَنْدَا بنت مَكِّيَّة[(١)] : زَوْج السلطان[(٢)] الملك النّاصر ، وقد كانت زوجة أخيه الملك الأشرف ثم هجرها الناصر وأخرجها من القلعة ، وكانت جنازتها حافلة ، ودفنت بتربتها التي أنشأتها .

الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش[(٣)] : ويقال له اللَّباد ويعرف بالمُوَلَّه ، كان يقرئ الناس بالجامع نحواً من أربعين سنة ، وقد قرأت عليه شيئاً من القرآن[(٤)] ، وكان يعلّم الصّغار الْحُرُوف الْمُشِقَّة ، كالرّاء ونحوها ، وكان متقلّلاً من الدنيا لا يقتني شيئاً ، وليس له بيت ولا خزانة ، إنما كان يأكل في السُّوق ، وينام في الجامع .

توفي في مستهلّ صفر وقد جاوز السبعين ، ودفن في باب الفراديس رحمه الله .

وفي هذا اليوم توفي بمصرَ :

الشّيخ أَيّوبُ السّعودي[(٥)] : وقد قارب المئة ، أدرك الشّيخ أبا السعود[(٦)] وكانت جنازته مشهودة . ودفن بتربة شيخه[(٧)] بالقَرَافة وكتب عنه قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي في حياته ، وذكر الشيخ أبو بكر الرحبي أنّه لم ير مثل جنازته بالقاهرة منذ سكنها رحمه الله .

الشيخ الإمام الزاهد نور الدين : أبو الحسن علي[(٨)] بن يعقوب بن جبريل البكري المصري الشافعي ، له تصانيف ، وقرأ « مسند الشافعي » على وَزيرة بنت المُنَجَّى ، ثم إنه أقام بمصرَ ، وقد كان في جملة من ينكر على شيخ الإسلام ابن تيمية [فأراد بعض رجال الدولة قتله فهرب واختفى كما تقدم لما كان ابن تيمية مقيماً بمصر ، وما مثاله إلا مثال ساقية ضعيفة كدرة لاطمت بحراً عظيماً صافياً ، أو رملة أرادت زوال جبل ، وقد أضحك العقلاء عليه ، وقد أراد السلطان قتله فشفع فيه بعض الأمراء][(٩)] ، ثم أنكر مرة شيئاً على الدولة فنفي من القاهرة إلى بلدة يقال لها دَهْرُوط[(١٠)] ، فكان بها حتى توفي يوم الإثنين

---

(١) لم أقع على ترجمة لها .
(٢) ليست في ط .
(٣) لم أقع على ترجمة له .
(٤) في ط : القراءات .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٣٥) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦١) .
(٦) هو : عمر بن أبي العشائر . مات سنة (٦٤٢هـ) . طبقات الأولياء (ص٥٤٩) .
(٧) زاوية الشيخ عمر السعودي .
(٨) ترجمته في الذيل (ص١٣٣) وطبقات الشافعية للسبكي (٦/ ٢٤٢) والدرر الكامنة (٣/ ١٣٩) والشذرات (٦/ ٦٤) .
(٩) ليست في ب .
(١٠) في ط : ديروط . ودَهْروط : بليد على شاطئ غربي النيل من ناحية الصعيد فوق البَهْنَسا . ياقوت .
أقول : وقد ذكر ابن حجر في الدرر الكامنة (٣/ ١٤٠) سبب نفيه ، أورده باختصار ، لقد أنكر تواطؤ كريم الدين الكبير وكريم الدين الصغير مع النصارى على استعارة قناديل من جامع عمرو بن العاص وتعليقها في كنيستهم ، ثم=

سابع ربيع الآخر ، ودفن بالقَرَافة ، وكانت جنازته مشهورة [غير مشهودة ، وكان شيخه ينكر عليه إنكاره على ابن تيمية ، ويقول له أنت لا تحسن أن تتكلم][١] .

الشيخ محمد البَاجُرْبَقيّ[٢] : الذي تنسب إليه الفرقة الضالّة البَاجُرْبقيّة ، والمشهور عنهم إنكار الصانع جلّ جلاله ، وتقدست أسماؤه ، وقد كان والده جمال الدين بن عبد الرحيم بن عمر الموصلي رجلاً صالحاً من علماء الشافعية ، ودرَّس في أماكن بدمشقَ ، ونشأ ولده هذا بين الفقهاء واشتغل بعض شيء ثم أقبل على السلوك ولازمه جماعة يعتقدون فيه ويزورونه ويرزقونه ممّن هو على طريقه، وآخرون لا يفهمونه، ثم حكم القاضي المالكي بإراقة دمه فهرَب إلى الشّرق ، ثم إنَّه أثبتَ عداوةً بينه وبين الشهود فحكم الحنبليُّ بحقن دمه فأقام بالقابون مدَّة سنين حتى كانت وفاته ليلة الأربعاء سادسَ عشرَ ربيع الآخر ، ودفن بالقرب من مغارة الدم بسفح قاسيون [في قبة في أعلى ذيل الجبل تحت المغارة][٣] ، وله من العمر ستون سنة .

شيخنا القاضي المعمَّر الفقيه[٤] : محيي الدين أبو زكريا يحيى[٥] بن الفاضل جمال الدين إِسْحاق بن خليل بن فارس الشَّيباني الشَّافعي اشتغل على النَّواوي ولازم ابن المقدسي ، ووَلِيَ الحكم بزرع وغيرها ، ثم أقام بدمشق يشتغل في الجامع ، ودرَّس في الصَّارميّة[٦] ، وأعاد في مدارس عدّة إلى أن توفي في سلخ ربيع الآخر ودفن بقاسيون ، وقد قارب الثمانين رحمه الله .

وسمع كثيراً وخرج له الذهبي شيئاً .

وسمعنا عليه « الدَّارَقُطْني » وغيره .

الفقيه الكبير الصّدر الإمام العالم الخطيب بالجامع : بدر الدين أبو عبد الله محمد بن[٧] عثمان بن يوسف بن محمد بن الحداد الآمدي الحنبلي ، سمع الحديث واشتغل وحفظ « المحرر » في مذهب

= استدعاه السلطان فذكر له الحديث : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » وهو يعرض بالسلطان الناصر ، فأمر بقطع لسانه ، ثم خفف ذلك إلى النفي إلى دهروط .

(١) ليست في ب .

(٢) ترجمته في الذيل (ص١٣٤) وفوات الوفيات (٣/ ٣٩٧) والدرر الكامنة (٤/ ١٢) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦٢) والدارس (٢/ ١٣ و٢٩٧) والشذرات (٦/ ٦٤) .

(٣) ليست في ب .

(٤) في ط : شيخنا القاضي أبو زكريا .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٤١٤) والدارس (١/ ٣٢٧) .

(٦) هي مدرسة داخل باب النصر والجابية ، قبلي العذراوية بشرق ، بانيها صارم الدين أُزْبك الدارس (١/ ٣٢٧) .

(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٤٦) والشذرات (٦/ ٦٥) . وفي أ أبو محمد عبد الله . وأثبتنا مافي ط و ب والمصادر المذكورة .

أحمد، وبرع على ابن حمدان وشرحه عليه في مدة سنين، وقد كان ابن حمدان يثني عليه كثيراً [وعلى ذهنه وذكائه][(١)] ، ثم اشتغل بالكتابة ولزم خدمة الأمير قَرَاسُنْقُر بحلبَ ، فولاّه نظر الأوقاف وخطابة [حلب بجامعها الأعظم][(١)] ، ثم لما صار إلى دمشق ولاّه [خطابة الأموي][(١)] فاستمر خطيباً فيها اثنين وأربعين يوماً ، ثم أعيد إليه جلال الدين القزويني ، ثم ولّي نظر المارستان والحِسبة ونظرَ الجامع الأموي ، وعين لقضاء الحنابلة في وقت ، ثم توفي ليلة الأربعاء سابع جمادى الآخرة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

الكاتب المفيد قطب الدين : أحمد[(٢)] بن مفضل بن فضل الله المصري ، أخو محيي الدين كاتب تَنْكِز ، والد الصاحب علم الدين كان خبيراً بالكتابة وقد ولّي استيفاء الأوقاف بعد أخيه ، وكان أسنَّ من أخيه ، وهو الذي علّمه صناعة الكتابة وغيرها .

توفي ليلة الإثنين ثاني رجب وعُمل عزاؤه بالسُّمَيْسَاطية[(٣)] ، وكان مباشر أوقافها .

الأمير الكبير ملك العرب : محمد[(٤)] بن عيسى بن مُهنّا أخو مهنا ، توفي بسَلَمْيَة[(٥)] يوم السبت سابع رجب ، وقد جاوز الستّين كان مليح الشّكل ، حسنَ السّيرة ، عاملاً عارفاً . رحمه الله .

وفي هذا الشهر وصل الخبر إلى دمشقَ بموت :

الوزير الكبير تاج الدين[(٦)] علي شاه بن أبي بكر التبريزي[(٧)] : وزير أبي سعيد بعد قتل سعد الدين الساوي ، وكان شيخاً جليلاً فيه دين وخير ، وحمل إلى تِبْريز فدفن بها في الشهر الماضي رحمه الله .

الأَمير سيف الدين بَكْتَمُر[(٨)] : والي الولاة صاحبُ الأوقاف في بلدان شتّى : من ذلك مدرسةٌ بالصَّلْت[(٩)] ، وله درس بمدرسة أبي عُمَرَ[(١٠)] وغير ذلك ، توفي بالإسكندريّة ، وهو نائبها خامسَ رمضانَ . رحمه الله .

---

(١) ليست في ب .
(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣١٨) .
(٣) في أ : الشُّميساطية . الدارس (١/ ١٥١) .
(٤) ترجمته في الذيل (ص١٣٤) والدرر الكامنة (٤/ ١٣١) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦١) وفيه : شمس الدين ، والشذرات (٦/ ٦٦) .
(٥) « سَلَمْيَةُ » : بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة ، وكانت تعدُّ من أعمال حمص . ياقوت ، وأهل الشام يقولون سَلَمِيَّة .
(٦) ليست في ط .
(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٣٤) والشذرات (٦/ ٦٣) .
(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٨٧) والدارس (٢/ ١٠٤) .
(٩) في ط : الصلب . وهو تحريف ، والصلت : من أعمال الأردن معروف .
(١٠) مدرسة أبي عمر : هي المدرسة العمرية الشيخية بالجبل ، الدارس (٢/ ١٠٠) .

شرف الدين أبو عبد الله : محمد[١] بن الشيخ الإمام العلاّمة زين الدين بن المُنَجَّى بن عثمان بن أسعد بن المُنَجَّا التَّنوخيّ الحنبلي ، أخو قاضي القضاة علاء الدين[٢] ، سمع الحديث ودرَّس[٣] وأفتى ، وصحب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان فيه دين ومودة وكرم وقضاءُ حقوق كثيرة .

توفي ليلة الإثنين رابع شوال ، وكان مولده في سنة خمس وسبعين وستمئة ، ودفن بتربتهم بالصالحية .

الشيخ حُسَين[٤] **الكردي المُوَلَّه**[٥] : كان يخالطُ النَّجاسات والقاذورات ، ويمشي حافياً ، وربما تكلم بشيء من الهُذَيانات التي تشبه علم المُغَيَّبات ، وللناس فيه اعتقاد [كما هو المعروف من أهل العمى والضلالات][٦] ، مات في شوال .

كريم الدين الذي كان وكيل السلطان : عبد الكريم[٧] بن العلَم هبة الله المسلماني ، حَصَل له من الأموال والتقدُّم [والمكانة الخطيرة عند السلطان][٨] ما لم يحصل لغيره في دولة الأتراك ، وقد وقف الجامعين بدمشق أحدهما جامع القُبَيْبات [والحوض الكبير الذي تجاه باب الجامع ، واشترى له نهرَ ماءٍ بخمسين ألفاً ، فانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً ، ووجدوا رفقاً][٩] . والثاني الجامع الذي بالقابون .

وله صدقات كثيرة تقبّل الله منه وعفا عنه ، وقد مُسك في آخر عمره ثم صُودر ونفي إلى الشَّوْبك ، ثم إلى القدس ، ثم الصَّعيد فخنق نفسه كما قيل بعمامته بمدينة أسوان ، وذلك في الثالث والعشرين من شوال ، وقد كان حسن الشَّكل ، تامَّ القامة ، ووُجد له بعد موته ذخائر كثيرة[١٠] سامحه الله .

الشيخ الإمام العالم علاء الدين : علي[١١] بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن العطار ، شيخ دار

(١) ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٧٧) والدرر الكامنة (٤/ ٢٦٦) والدارس (٢/ ٧٣ و١٩٩) والشذرات (٦/ ٦٥) .

(٢) هو علي بن المنجّا بن عثمان سيأتي في وفيات سنة (٧٥٠هـ) .

(٣) درّس بالمسمارية . الدارس (٢/ ١١٤) .

(٤) في أ وط : حسن . وأثبتنا مافي ب والدرر .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٧٣) .

(٦) ليست في ب .

(٧) ترجمته في الفوات (٢/ ٣٧٨ وما بعدها) والدرر الكامنة (٢/ ٤٠١) والنجوم الزاهرة (٩/ ٧٥) وبدائع الزهور (١/ ٤٥٣) والشذرات (٦/ ٦٣) .

(٨) ليست في ب .

(٩) ليست في ب .

(١٠) تفصيل ذلك في « الفوات » .

(١١) ترجمته في الذيل (ص١٣٦) وطبقات الشافعية للسبكي (٦/ ١٤٣) والدرر الكامنة (٣/ ٥ ـ ٧) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦١) والشذرات (٦/ ٦٣) .

الحديث النُّورية ، ومدرِّسُ القوصيّة[١] بالجامع ، ولد يوم عيد الفطر سنة أربع وخمسين وستمئة ، وسمع الحديث واشتغل على الشيخ محيي الدين النواوي ولازمه حتى كان يقال له : مختصر النواوي ، وله مصنَّفات وفوائدُ ومجاميعُ وتخاريجُ ، وباشر مشيخة النُّورية من سنة أربع وتسعين إلى هذه السنة ، مدَّة ثلاثين سنة .

توفي يوم الاثنين منها مستهلّ ذي الحجة فولي بعده النُّورية علم الدين البِرْزالي ، وتولى القوصيّة شهاب الدين ابن حرز الله . وصُلّي عليه بالجامع ودفن بقاسيون رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمئة

استهلَّت [وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، وأولها يوم الأربعاء][٢] .

وفي خامس صفر منها قدم إلى دمشق الشَّيخ شمس الدين محمود الأَصْبَهاني[٣] بعد مرجعه من الحج وزيارة القدس الشريف وهو رجل فاضل له مصنَّفات منها « شرح مختصر ابن الحاجب » ، و« شرح التجريد »[٤] وغير ذلك[٥] ، ثم إنه « شرح الحاجبية » أيضاً وجمع له تفسيراً بعد صيرورته إلى مصر ، ولما قدم إلى دمشق أكرم واشتغل عليه الطلبة ، وكان حظياً عند القاضي جلال الدّين القَزْويني ، [ثمّ إنّه ترك الكل][٦] وصار يتردّد إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وسمع عليه من مصنفاته وردِّه على أهل الكلام ، [ولازمه مدة فلمَّا ماتَ الشيخ تقي الدّين تحول إلى مصر ، وجمع التَّفْسير][٧] .

وفي ربيع الأول جرّد السُّلطان تجريدة نحو خمسة آلاف[٨] إلى اليمن لخروج ابن عمه عليه ، وصحبتهم خلق كثيرٌ من الحُجّاج ، منهم الشيخ فخر الدين النويري .

---

(١) في ط : الغوصية بالغين ، وهو تحريف . وهي زاوية بالجامع . الدارس (١/ ٤٣٨) .
(٢) ليست في ب ، والذي فيه : والخليفة والسلطان والنواب والمباشرون هم المذكورون غير أنّ وزير الديار المصرية الأمير الكبير علاء الدين مُغلطاي الجمالي ، والقاضي الشافعي بدمشق هو خطيبها جلال الدين القزويني ، ووكيل بيت المال وقاضي العسكر جمال الدين بن القلانسي والمحتسب عز الدين بن القلانسي ، وهو ناظر الخزانة أيضاً ، وناظر الجامع تقي الدين بن مراجل .
(٣) هو : محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي ، شمس الدين . مات سنة (٧٤٩هـ) الدرر الكامنة (٤/ ٣٢٧) والشذرات (٦/ ١٦٥) .
(٤) في ط : الجويد . وهو تحريف . والتجريد كتاب لنصير الطوسي .
(٥) تفصيل مصنفاته في الدرر .
(٦) ليست في ب .
(٧) ليست في ب .
(٨) في الذيل (ص١٣٧) وسار من مصر نحو ألفي فارس نجدة لصاحب اليمن .

وفيها مُنع شهابُ الدين بن مرّي البعلبكي من الكلام على الناس بمصرَ ، على طريقة الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وعزَّرَهُ القاضي المالكي بسبب مسألة[١] الاستغاثة ، وحضر المذكور بين يدي السلطان وأثنى عليه جماعة من الأمراء ، ثم سُفِّر إلى الشام بأهله فنزل ببلاد الخليل ، ثم انتزح إلى بلاد الشَّرق وأقام بسنجار ومارِدِين ومعاملتهما [يتكلّم ويعظُ النّاس][٢] إلى أَنْ مات رحمه الله كما سنذكره .

وفي ربيع الآخر عاد نائب الشّام من مصرَ وقد أكرمه السُّلطان والأمراء[٣] .

وفي جُمادى الأولى وقع بمصرَ مطرٌ لم يُسمع بمثله بحيث زاد النيلُ بسببه أربع[٤] أصابعَ ، وتغيَّر أياماً .

وفيه زادت دجلة ببغداد حتى غرقت ما حول بغداد وانحصر الناس بها ستّةَ أيام لم تفتح أبوابها ، وبقيت مثل السفينة في وسط البحر ، وغرق خلقٌ من الفلاحين وغيرهم ، وتلف للنّاس مالا يعلمه إلا الله ، وودَّع أهلُ البلد بعضُهم بعضاً ، ولجؤوا إلى الله تعالى ، وحملوا المصاحف على رؤوسهم في سُدّة السُّوق[٥] بأنفسهم حتّى القضاة والأعيان ، وكان وقتاً عجيباً ، ثم لطف الله بهم فغيض الماء وتناقص ، وتراجع النَّاسُ إلى ما كانوا عليه من أمورهم الجائزة وغير الجائزة ، وذكر بعضهم أنَّه غرق بالجانب الغربي نحو من ستة آلاف وستمئة بيت ، وإلى عشر سنين لا يرجع ما غرق[٦] .

وفي أوائل جُمادى الآخرة فتح السلطان خانقاه سِرْ يَاقُوس التي أنشأها وساق إليها خليجاً وبنى عندها محلَّةً ، وحضر السُّلطان بها ومعه القضاة والأعيان والأمراء وغيرهم ، ووليها مجد الدين الأَقصرائي[٧] ، وعمل السلطان بها وليمة كبيرة ، وسمع على قاضي القضاة ابن جماعة عشرينَ حديثاً بقراءة ولده عزّ الدين بحضرة الدولة ، منهم أَرْغُون النائب ، وشيخ الشُّيوخ القونوي وغيرهم ، وخلع على القارئ عز الدين وأَثْنَوْا عليه ثناءً زائداً ، وأُجلس مكرّماً ، وخلع أيضاً على والده ابن جماعة وعلى المالكي وشيخ الشيوخ ، وعلى مجد الدين الأَقْصَرائي شيخ الخانقاه المذكورة وغيرهم .

---

(١) ليست في ط .

(٢) ليست في ب . مرآة الجنان (٤/ ٢٧٣) . فالخبر بتمامه فيه .

(٣) في ب : إكراماً زائداً وحصلت له تقادم وتحف كبيرة .

(٤) في ط : أربعة ، وهو غلط .

(٥) في ط : شدة الشوق .

(٦) الخبر في الذيل (ص١٣٦ ـ ١٣٧) . يقول الذهبي : ومن الآيات أن مقبرة أحمد بن حنبل غرقت سوى البيت الذي فيه ضريحه فإن الماء دخل في الدهليز ، علو ذراع ووقف بإذن الله ، وبقيت البواري عليها غبار حول القبر . صحّ هذا عندنا . أ . هـ . ونقله عنه ابن العماد في الشذرات (٦/ ٦٦) .

(٧) هو : الشيخ أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأَقْصُرائي أو الأَقْصُري . مات سنة (٧٤٠هـ) . النجوم (٩/ ٨٤) .

وفي يوم الأربعاء رابعَ عشَر رجب درَّس بقبة المنصورية(١) في الحديث الشيخ زين الدين بن الكتاني الدمشقي ، بإشارة نائب الكَرَك وأَرْغُون ، وحضر عنده الناس ، وكان فقيهاً جيداً ، وأما الحديث فليس من فنّه ولا من شغله .

وفي أَواخر رجب قدم الشيخ زين الدين محمد(٢) بن عبد الله بن المرحّل من مصرَ على تدريس الشَّامية البرَّانية ، وكانت بيد ابن الزملكاني فانتقل إلى قضاء حلبَ ، فدرَّس بها في خامس شعبان وحضر القاضي الشافعي وجماعة .

وفي سلخ رجب قدم القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة من مصرَ ومعه ولده ، وفي صحبته الشيخ جمال الدين الدّمياطي وجماعةٌ من الطلبة بسبب سماع الحديث ، فقرأ بنفسه وقرَأَ الناسُ له واعتنوا بأمره ، وسمعنا معهم وبقراءته شيئاً كثيراً ، نفعهم الله بما قرأوا وبما سمعوا ، ونفع بهم .

وفي يوم الأربعاء ثانيْ عشرَ شعبان درَّس الشيخ شمس الدين بن الأصبهاني(٣) ، بالرّواحية بعد ذهاب ابن الزَّمْلكاني إلى حلبَ ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، وجرى يومئذ بحثٌ في العامِّ إذا خصَّ ، وفي الاستثناء بعد النفي ، ووقع انتشار ، وطال الكلام [في ذلك المجلس ، وتكلم الشيخ تقي الدين كلاماً أبهت الحاضرين](٤) .

وتأخر ثبوت عيد الفطر إلى قريب الظُّهر يوم العيد ، فلمَّا ثبت دقت البشائر وصلى الخطيب العيد من الغد بالجامع ، ولم يخرج النَّاس إلى المُصلَّىٰ ، وتغضَّب الناس على المؤذِّنين وسُجن بعضهم .

وخرج الركب في عاشره وأميره صلاح الدين ابن أَيْبَك الطويل ، وفي الركب صلاح الدين بن الأوحد ، والمنكورسي ، وقاضيه شهاب الدين الظاهر .

وفي سابع عشره درَّس بالرباط الناصري بقاسيون حسام الدين القزويني الذي كان قاضي طرابُلُس ، قايضه بها جمال الدين بن الشريشي(٥) إلى تدريس المسرورية ، وكان قد جاء توقيعه بالعذراوية والظاهرية فوقف في طريقه قاضي القضاة جلال(٦) الدين ونائباه ابن جملة والفخر المصري ، وعقد له ولكمال الدين بن الشيرازي مجلساً ، ومعه توقيع بالشَّامية البرانية ، فعُطِّل الأمرُ عليهما لأنّهما لم يُظهرا

---

(١) هي حلقة حديث في جامع بني أمية . الدارس (١/ ١٣٥) .
(٢) ليست في ط .
(٣) الشيخ محمود المذكور في أولها .
(٤) ليست في ب .
(٥) في ط : الشريشني . وهو تحريف .
(٦) في ط : جمال الدين وهو تحريف . والمراد : جلال الدين القزويني .

استحقاقهما في ذلك المجلس ، فصارت المدرستان العذراوية والشامية لابن المرحِّل كما ذكرنا[١] ، وعُوِّض[٢] القزويني بالمسرورية فقايض منها لابن الشريشي إلى الرباط الناصري ، فدرس به في هذا اليوم وحضر عنده القاضي جلال الدين ، ودرس بعده ابن الشريشي بالمسرورية[٣] وحضر عنده الناس أيضاً .

وفيه عادت التجريدة اليمنية وقد فُقد منهم خلق كثير من الغلمان وغيرهم ، فحبس مقدَّمُهم الكبير ركن الدين بِيْبَرس لسوء سيرته فيهم[٤] .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ إبراهيم الصباح[٥] : وهو إبراهيم بن منير البعلبكي ، كان مشهوراً بالصلاح مقيماً بالمئذنة الشرقية ، توفي ليلة الأربعاء مستهل المحرم ودفن بالباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، حمله الناس على رؤوس الأصابع ، [وكان ملازماً لمجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية][٦] .

إبراهيم المُوَلَّهُ[٧] : الذي يقال له : القُمَيْني لإقامته بالقمّامين خارج باب شرقي ، وربما كاشفَ بعضَ العوام، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة، وقد استتابه الشيخ تقي الدين بن تيمية وضربه على ترك الصلوات ومخالطة القاذورات، وجمع النّساء والرجال حوله في الأماكن النجسة . توفي كهلاً من هذا الشهر .

الشيخ شهاب[٨] **الدين** : [أحمد بن العفيف][٩] محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصِّقلِّي ثم الدمشقي ، إمام مسجد الرأس[١٠] ، آخر من حدَّث عن ابن الصَّلاح[١١] ببعض « سنن البيهقي » . سمعنا عليه شيئاً منها ، توفّي في صَفَر .

---

(١) الدارس (١/ ٣٠٥) .
(٢) في ط : وعظم وهو تصحيف .
(٣) في ب : بأربعة أيام .
(٤) النجوم الزاهرة (٩/ ٨٧) .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٧٣) . وفيها : الصيّاح بياء ، وصححت في الحاشية .
(٦) ليست في ب .
(٧) لعلّه مما انفرد ابن كثير بترجمته .
(٨) في ط : عفيف وهو تحريف .
(٩) ما بين حاصرتين زيادة من ب وكذلك هو في الذيل (ص١٣٩) . ترجمته في الذيل (ص١٣٩) . والدارس (١/ ٢٢) والشذرات (٦/ ٦٧) .
(١٠) عند باب المسجد الجامع ، فيه قناة الدارس (٢/ ٣٣٠) . أقول : وهو مضاف اليوم إلى الجامع الأموي .
(١١) هو : عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن الصلاح ، كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال . مات بدمشق سنة (٦٤٣هـ) الوفيات (٣/ ٢٤٤) .

الشيخ الصّالح العابد الزّاهد النّاسك : عبد الله[(١)] بن موسى بن أحمد الجَزَري ، الذي كان مقيماً بمشهد[(٢)] أبي بكر من جامع دمشقَ ، كان من الصَّالحين الكبار مباركاً خيّراً ، عليه سكينة ووقار ، وكانت له مطالعة كثيرة ، وله فهم [جيد وعقل جيد][(٣)] ، وكان من الملازمين لمجالس الشيخ تقي الدين بن تيمية ، [وكان ينقل من كلامه أشياء كثيرة ويفهمها ، يعجز عنها كبار الفقهاء][(٣)] .

توفي يوم الإثنين سادس عشري صفر ، وصُلّي عليه بالجامع ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة محمودة .

الشّيخ الصالح الكبير المعمَّر : الرجل الصالح تقي الدين[(٤)] ابن الصائغ المقرئ المصري ، الشافعي ، آخر من بقي من مشايخ القراء وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي .

توفي في صفر ودفن بالقَرَافة وكانت جنازته حافلة ، قارب التِّسعين ولم يبقَ له منها سوى سنة واحدة ، وقد قرأ عليه غير واحد وهو ممّن طال عمُره وحَسُنَ عَمَلُه .

الشَّيخ الإمام [صدر الدين][(٥)] : أبو زكريا يحيى[(٦)] بن علي بن تمّام بن موسى الأنصاري السُّبكي الشافعي ، سمع الحديث وبرع في الأصول والفقه ، ودرَّس بالسَّيفيَّة[(٧)] وباشرها بعده ابن أخيه تقي الدين السُّبكي الذي تولّى قضاء الشَّام فيما بعدُ .

الشِّهاب محمود[(٨)] : هو الصدر الكبير الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ صناعة الإنشاء الذي لم يكن بعد القاضي الفاضل[(٩)] مثله في صنعة الإنشاء ، وله خصائص ليست للفاضل من كثرة النظم والقصائد المطوّلة الحسنة البليغة .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٠٧) والدارس (٢/ ٣٩٩) .
(٢) ليست في ط .
(٣) ليست في ب .
(٤) ترجمته في الذيل (ص١٣٩) وغاية النهاية لابن الجزري (٢/ ٦٥) والدرر الكامنة (٣/ ٣٢٠) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦٦) والشذرات (٦/ ٦٩) .
(٥) زيادة من ط و ب .
(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٤٢٢) والدارس (١/ ٢٣) .
(٧) هي مدرسة في القاهرة .
(٨) ترجمته في الذيل (ص١٤٠) وفوات الوفيات (٤/ ٨٢) والدرر الكامنة (٤/ ٣٢٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦٤) والدارس (٢/ ٢٣٦) والشذرات (٦/ ٦٩) .
(٩) هو أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين عسقلاني المولد ، مصري الدار ، وزر للسلطان صلاح الدين الأيوبي رحمهما الله . برز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين . مات سنة (٥٩٦هـ) . الوفيات (٣/ ١٥٨) .

فهو شهاب الدين أبو الثنا : محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي ، ولد سنة أربع وأربعين وستمئة بحلب(١) ، وسمع الحديث وعُني باللغة والأدب والشعر ، وكان كثير الفضائل بارعاً في علم الإنشاء نظماً ونثراً ، وله في ذلك كتب(٢) ومصنّفات حسنة فائقة ، وقد مكث في ديوان الإنشاء نحواً من خمسين سنة ، ثم ولّيَ كتابة السرّ بدمشقَ نحواً من ثمان سنين إلى أن توفي ليلة السبت ثاني عشري شعبانَ في منزله قرب باب الناطفيين وهي دار القاضي الفاضل وصلّي عليه بالجامع ودفن بتربة(٣) له أنشأها بالقرب من اليغمورية وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

شيخنا المسند المعمَّر الرّحلة(٤) عفيف الدين الآمدي(٥) : عفيف الدين إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الآمدي ثم الدمشقي الحنفي شيخ دار الحديث الظاهرية ، ولد في حدود الأربعين وستمئة ، وسمع الحديث على جماعة كثيرين ، منهم يوسُف بن خليل ومجد الدين بن تيمية ، وكان شيخاً حسناً بهيّ المنظر سهل الإسماع يحب الرواية ولديه فضيلة ، توفّي ليلةَ الإثنين ثاني عشري رمضان ، ودُفن بقاسيون ، وهو والد فخر الدين ناظر الجيوش والجامع .

وقبله بيوم :

الصدر : معين الدين يوسف بن زُغيب الرّحبي(٦) أحد كبار التجار الأمناء .

وفي رمضان **توفّي البدرُ العوّام** : وهو محمد(٧) بن علي البابا الحلبي ، وكان فرداً في العوم ، وطيب الأخلاق ، انتفع به جماعة من التجار في بحر اليمن ، كان معهم فغرق بهم المركب ، فلجأوا إلى صخرة في البحر فكانوا عليها ، فخلصهم الله على يديه واحداً واحداً إلى الساحل(٨) ، وكانوا ثلاثةَ عشرَ ، ثمَّ إنه غَطَس فاستخرج لهم أموالاً من قرار البحر بعد أن أفلسوا وكادوا أن يهلكوا ، وكان فيه ديانة وصيانة ، وقد قرأ القرآن وحجَّ عشر مرات ، وعاش ثمانياً وثمانين سنة رحمه الله ، [وكان يسمع الشيخ تقي الدين بن تيمية كثيراً](٩) .

---

(١) في الفوات : ولد بدمشق .
(٢) له كتاب : حسن التوسُّل في صناعة الترسُّل .
(٣) التربة البهائية . الدارس (٢/ ٢٣٥) .
(٤) ليست في ط .
(٥) ترجمته في الذيل (ص١٤١) والدرر الكامنة (١/ ٣٥٨) والدارس (١/ ٥٤٨) والشذرات (٦/ ٦٦) .
(٦) لعلّه مما انفرد به ابن كثير .
(٧) لم أقع له على ترجمة .
(٨) ليست في ط .
(٩) ليست في ب .

وفيه توفي :

الشّهابُ أحمد بن عثمان الأمشاطي[١] : الأديب في الأزجال والموشحات والمواليا والدُّوبيت والبَلاليق ، [وكان أستاذ أهل هذه الصناعة][٢] مات في عشر الستين .

القاضي الإمام العالم الزاهد : صَدْر الدّين سُليمان[٣] بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب الجعفريُّ الشافعي المعروف بخطيب داريا ، ولد سنة ثنتين وأربعين وستمئة ، بقرية بصرى[٤] من عمل السَّواد[٥] ، وقدم مع والده فقرأ بالصّالحية القرآن على الشيخ نصر بن عبيد ، وسمع الحديث وتفقه على الشيخ محيي الدين النَّووي ، والشيخ تاج الدين الفزاري ، وتولّى خطابة داريًا وأعاد بالناصرية ، وتولى نيابة القضاء لابن صَصْرَىٰ مدة ، وكان متزهّداً لا يتنعَّمُ بحمَّام ولا كَتّان ولا غيره ، ولم يغير ما اعتاده في البرِّ ، وكان متواضعاً ، وهو الذي استسقى بالناس في سنة تسعَ عَشْرَة فسُقوا كما ذكرنا ، وكان يذكر له نسباً إلى جعفر الطيار ، بينه وبينه ثلاثة عشر أباً[٦] ثم ولّي خطابة العُقَيْبة فترك نيابة الحكم ، وقال : هذه تكفي إلى أن توفي ليلة الخميس ثامن ذي القعدة ، ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته مشهودة رحمه الله ، وتولّى بعده الخطابة ولده شهاب الدين أحمد .

ابن صَبِيح المؤذِّن[٧] : الرئيس بالعروس[٨] بجامع دمشق مع البرهان وهو[٩] بدر الدين أبو عبد الله محمد بن صبيح بن عبد الله التفليسي مولاهم المقرئ المؤذن ، كان من أحسن الناس صوتاً في زمانه ، وأطيبهم نغمة ، ولد سنة اثنتين وخمسين وستمئة تقريباً وسمع الحديث في سنة سبع وخمسين ، وممن سمع عليه ابن عبد الدائم وغيره من المشايخ ، وحدّث ، وكان رجلاً حسناً ، أبوه مولى لامرأة اسمها شامة بنت كامل الدين التفليسي ، امرأة فخر الدين الكَرْخي ، وباشر مشارفة الجامع وقراءة المصحف ، وأَذَّنَ

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٢٠١) والشذرات (٦/ ٦٦) .

(٢) ليست في ب .

(٣) ترجمته في الذيل (ص١٤٢) وطبقات الشافعية للسبكي : (٦/ ١٠٦) والفوات (٢/ ٨٢) والدرر الكامنة (١/ ٢٠١) والدارس (١/ ٤٦٥) والشذرات (٦/ ٦٦) .

(٤) في ط : بسرا وفي ب : بشرا . وأثبتنا مافي الفوات . وفي معجم ياقوت : بُشرى بوزن حبلى قرية ، ولم يحدد موضعها ، ومما يؤكد بصرى قول الذهبي في الذيل : الجعفري الحوراني .

(٥) « السَّواد » : موضع من نواحي البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها . ياقوت .

(٦) في أ وط : عشرة آباء . وأثبتنا ما في ب والدارس والدرر . وهو : سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب بن حسن بن محمد بن أحمد بن داوود بن علي بن حسن بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر .

(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٤٥٨) .

(٨) يعني المئذنة .

(٩) ليست في ط .

عند نائب السلطنة مدة ، وتوفي في ذي الحجة بالطواويس ، وصُلّي عليه بجامع العقيبة ، ودفن بمقابر باب الفراديس .

خَطَّاب ، باني « خان خطاب » ، الذي بين الكسوة وغباغب . الأمير الكبير عز الدين خطّاب[١] بن محمود بن رنقش[٢] العراقي ، كان شيخاً كبيراً له ثروة من المال كبيرة ، وأملاك وأموال ، وله حمَّام بحكر السمّاق[٣] ، وقد عمَّر الخان المشهور به بعد موته إلى ناحية الكتف المصري ، مما يلي غباغب ، وهو بمرج الصُّفَّر ، وقد حصل لكثير من المسافرين به رفق ، توفي ليلة تاسع[٤] عَشَر ربيع الآخر ودفن بتربته بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى .

وفي ذي القعدة منها توفي رجل آخر اسمه :

ركن الدين خطَّاب[٥] بن الصاحب كمال الدين : أحمد بن أحمد[٦] بن خطاب الرُّومي السّيواسي ، له خانقاه ببلده سيواس[٧] ، عليها أوقاف كثيرة وبر وصدقة ، توفي وهو ذاهب إلى الحجاز الشريف بالكَرَك ، ودفن بالقرب من جعفرٍ وأصحابه بمؤتة رحمه الله .

وفي العشر الأخير من ذي القعدة توفي :

بدر الدين أبو عبد الله : محمد[٨] بن كمال الدين أحمد بن أبي الفتح بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن سليمان بن فتيان الشيباني المعروف بابن العطار ، ولد سنة سبعين ، وسمع الحديث الكثير ، وكتب الخط المنسوب واشتغل « بالتنبيه » ونظم الشعر ، ووَلّي كتابة الدرج ، ثم نظر الجيش ونظر الأشراف ، وكانت له حظوة في أيام الأَفْرم[٩] ، ثم حصل له خمول قليل ، وكان مُترفاً مُنعَّماً له ثروة ورياسة وتواضُع وحسن سيرة ، ودفن بسفح قاسيون بتربتهم رحمه الله .

القاضي محيي الدين : أبو محمد الحسن[١٠] بن محمد بن عمار بن فتوح الحارثي ، قاضي الزبداني

---

(١) ترجمته في الذيل (ص١٤٠) والدرر الكامنة (٢/ ٨٥) والدارس (٢/ ٢٤٤) .
(٢) في ط : تقش . وفي الدرر : رتعس . وفي الدارس : مرتعش .
(٣) مقابل جامع تنكز .
(٤) في ط : سبع عشرة .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٨٤ ـ ٨٥) .
(٦) في ط : ابن أخت وهو تحريف . وأثبتنا ما في الدرر وفي ب : رجب .
(٧) هي : مدينة في بلاد الروم بين قيصرية وتوقات . أطلس تاريخ الإسلام (ص٢١٦) الخريطة رقم (١٠٩) .
(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) .
(٩) هو جمال الدين آقوش . سبق الكلام فيه .
(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٨) والدارس (٢/ ٢٤٦) .

مدة طويلة ، ثم ولي قضاء الكرك وبها مات في العشرين من ذي الحجة ، وكان مولده سنة خمس وأربعين وستمئة ، وقد سمع الحديث واشتغل ، وكان حسنَ الأخلاق متواضعاً ، وهو والد الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني[١] مدرِّس الظاهرية رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمئة

استهلَّت [والحكام][٢] هم المذكورون في التي قبلها ، سوى كاتب سر دمشق شهاب الدين محمود فإنه توفّي ، ووليَ المنصبَ من بعده ولدُه الصَّدر شمس الدين[٣] .

وفيها تحوّل التُّجَّار في قماش النّساء المخيط من الدَّهْشة التي للجامع إلى دهشة سوق علي[٤] .

وفي يوم الأَحَد[٥] ثامن المحرم باشر مشيخة الحديث بالظّاهرية الشيخ شهاب الدين بن جهبل بعد وفاة العفيف إسحاق[٦] وترك تدريس الصلاحية بالقدس الشريف ، واختار دمشق ، وحضر عنده القضاة والأعيان .

وفي أولها فتح الحمَّام الذي بناه الأَمير سيف الدين جُوْبان بجوار داره بالقرب من دار الجالق ، وله بابان أحدهما إلى جهة مسجد الوزير ، وحصل به نفع .

وفي يوم الإثنين ثاني صفر قدم الصاحب غِبْريال من مصرَ على البريد متولياً نظر الدواوين بدمشقَ على عادته[٧] ، وانفصل عنها الكريم الصغير ، وفرح الناس به .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشري ربيع الأول بُكرةً ضُربت عُنق ناصر بن الشَّرف أبي الفضل بن إسماعيل بن الهيتي[٨] بسوق الخيل على كفره واستهانته واستهتاره بآيات الله ، وصحبته الزنادقة كالنجم بن خلكان، والشمس محمد الباجربقي ، وابن المعمار البغدادي ، وكل منهم فيه انحلال وزندقة مشهورٌ بها بين الناس[٩] .

---

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن عمار . مات سنة (٧٧٦هـ) . الدارس (١/ ٣١١) والشذرات (٦/ ٢٤٤) .

(٢) ليست في ب . وفيه : والخليفة والسلطان والنواب والقضاة والمباشرون .

(٣) محمد بن محمود ، سيأتي في وفيات سنة (٧٢٧هـ) .

(٤) الذيل (ص١٤٤) .

(٥) في ب : الإثنين . و ط : الأربعاء .

(٦) إسحاق بن يحيى . مضى في وفيات السنة الماضية .

(٧) وكان قد عزل عنها سنة (٧٢٤هـ) أياماً قلائل ، الدرر (٢/ ٢٦٢) .

(٨) الدرر الكامنة (٤/ ٣٨٦) ودول الإسلام (٢/ ١٧٧) والشذرات (٦/ ٧٤) .

(٩) تفصيل الخبر في المصادر السابقة .

قال الشيخ علم الدين البِرْزالي : وربّما زاد هذا المذكور المضروب العنق عليهم بالكفر والتّلاعب بدين الإسلام ، والاستهانة بالنبوَّة والقرآن . قال : وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة .

قال : وكان هذا الرجل في أوّل أمره قد حفظ « التنبيه » ، وكان يقرأُ في الختم بصوت حسن . وعنده نباهة وفَهْم ، وكان مرتَّباً[١] في المدارس والترب ، ثم إنّه انسلخ من ذلك جميعه ، وكان قتله عزاً للاسلام وذلاً للزّنادقة وأهل البدع .

قلت : وقد شهدتُ قتلَه ، وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية حاضراً يومئذ ، وقد أتاه وقرّعه على ما كان يصدر منه قبل قتله ، ثم ضُربت عنقه وأنا شاهد ذلك .

وفي شهر ربيع الأول رسم في إخراج الكلاب من مدينة دمشق فجُعلوا في الخندق ظاهر باب الصغير من ناحية باب شرقي ، الذكور على حدة والإناث على حدة ، وألزم أصحاب الدكاكين بذلك ، وشدَّدُوا في أمرهم أياماً .

وفي ربيع الأول ولي الشيخ علاء الدين المقدسي معيد البادرائية[٢] مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف ، وسافر إليها .

وفي جُمادى الآخرة عزل قَرَطَاي عن نيابة[٣] طرابُلُس ووليها طَيْنال[٤] وأُقرَّ قَرَطَاي على خبز القَرَماني بدمشق بحكم سجن القَرَماني بقلعة دمشق .

قال البرزالي : وفي يوم الإثنين عند العصر سادس عشر[٥] شعبان اعتُقِل الشّيخ الإمام العالم العلاَّمة تقي الدين بن تيمية بقلعة دمشقَ ، حضر إليه من جهة نائب السلطنة تَنْكِز مشد الأوقاف وابن الخَطيري أحدُ الحجاب بدمشق ، وأخبراه أن مرسوم السلطان ورد بذلك ، وأحضرا معهما مركوباً ليركبه ، وأظهر السرور والفرح بذلك ، وقال : أنا كنت منتظراً لذلك ، وهذا فيه خيرٌ كثيرٌ ومصلحة كبيرة ، وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأخليت له قاعة وأُجري إليها الماء ورُسم له بالإقامة فيها ، وأقام معه أخوه زين الدّين[٦] يخدمه بإذن السلطان ، ورُسم له مايقوم بكفايته .

قال البرزالي : وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد

---

(١) في أوط : منزلاً . وأثبتنا مافي ب .
(٢) البادرائية في ط . الدارس (١/ ٢٠٥) .
(٣) في ط : ولاية .
(٤) طَيْنال الأشرفي الحاجب . الدرر الكامنة (٢/ ٢٣٢) .
(٥) في ب : السادس من شعبان .
(٦) هو : عبد الرحمن .

باعتقاله ومنعه من الفُتيا ، وهذه الواقعة سببُها فُتيا وجدت بخطه في المنع من[١] السفر وإعمال المطيّ إلى زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقبور الصّالحين .

قال : وفي يوم الأربعاء منتصف شعبانَ أمر قاضي القضاة الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين في سجن الحكم ، وذلك بمرسوم نائب السّلطنة وإذنه له فيه ، فيما تقتضيه الشّريعة في أمرهم ، وعُزّر جماعة منهم على دواب ونُودي عليهم ثُمّ أُطلقوا ، سوى شمس الدين محمد بن قيّم الجَوْزية فإنه حُبس بالقلعة ، وسكتت القضية .

قال : وفي أول رمضانَ وصلت الأخبار إلى دمشقَ أنه أُجريت عين ماء إلى مكة شرّفها الله وانتفع الناس بها انتفاعاً عظيماً ، وهذه العين تُعرف قديماً بعين باذان ، أجراها جُوْبان من بلاد بعيدة حتى دخلت إلى نفس مكة ، ووصلت إلى عند الصَّفَا وباب إبراهيم ، واستقى النّاسُ منها فقيرُهم وغنيُّهم وضعيفهم وشريفهم ، كلهم فيها سواء ، وارتفق أهلُ مكة بذلك رفقاً كثيراً ولله الحمد والمنة . وكانوا قد شرعوا في حفرها وتجديدها في أوائل هذه السنة إلى العشر الأخير من جُمادى الأولى ، واتفق أن في هذه السنة كانت الآبار التي بمكة قد يبست وقلَّ ماؤها ، وقلَّ ماء زمزم أيضاً ، فلولا أن الله تعالى لطف بالناس بإجراء هذه القناة لنزح عن مكَّة أهلُها ، أو هَلَك كثيرٌ ممّن يُقيم فيها[٢] . وأما الحجيج في أيام الموسم فحصل لهم بها رفق عظيم زائد عن الوصف ، كما شاهدنا ذلك في سنة إحدى وثلاثين عام حَجَجْنَا[٣] .

وجاء كتاب السلطان إلى نائبه بمكة بإخراج الزَّيديين من المسجد الحرام ، وأن لا يكون لهم فيه إمام ولا مجتمع ، ففعل ذلك .

وفي يوم الثلاثاء رابع شعبانَ درَّس بالشَّامية الجوّانية شهابُ الدين أحمد بن جهبل ، وحضر عنده القاضي القزويني الشافعي وجماعة ، عوضاً عن الشيخ أمين الدين سالم بن أبي الدُّر إمام مسجد ابن هشام[٤] ، توفي .

ثم بعد أيام جاء توقيع بولاية القاضي الشافعي فباشرها في عشرين رمضانَ .

وفي عاشر شوال خرج الركب الشامي وأميره سيف الدين جوبان[٥] .

وحجَّ عامئذٍ القاضي شمس الدين بن مسلم قاضي قضاة الحنابلة ، وبدر الدين ابن قاضي القضاة جلال

---

(١) ليست في ط .
(٢) في ط : مما يقيم بها .
(٣) الدرر الكامنة (١/ ٥٤١) فالخبر مذكور في ترجمة جوبان النوين الكبير نائب المملكة القانية . الذي جرّ هذا الماء .
(٤) في سوق الفسقار بناه القاضي بدر الدين بن مزهر . الدارس (١/ ٣٠٦) .
(٥) هو : جوبان المنصوري من مماليك الأشرف . مات سنة (٧٢٨هـ) .

الدين القزويني ، ومعه تحفٌ وهدايا وأمورٌ تتعلق بالأمير سيف الدين أَرْغون نائبِ مصرَ ، فإنَّه حجَّ في هذه السنة ومعه أولاده وزوج[١] ابنه بنت السلطان .

وحج[٢] فخر الدين ابن شيخ السلامية ، وصدر الدين المالكي ، وفخر الدين البعلبكي وغيرهم .

وفي يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة درّس بالحنبلية[٣] برهان الدين أحمد بن هلال الزُّرعي الحنبلي ، بدلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وحضر عنده القاضي الشافعي وجماعة من الفقهاء وشقَّ ذلك على كثير من أصحاب الشيخ تقي الدين ، وكان ابن الخطيري الحاجب قد دخل على الشيخ تقي الدين قبل هذا اليوم فاجتمع به وسأله عن أشياءَ بأمر نائب السلطنة .

ثم يوم الخميس دخل القاضي جمال الدين بن جملة وناصر الدين مشد الأوقاف ، وسألاه عن مضمون قوله في مسألة الزيارة ، فكتب ذلك في درج[٤] [وكتب تحته قاضي الشافعية بدمشق : قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية فصحَّ[٥] إلى أن قال : وإنما المحز جَعْلُه زيارة قبر النبي ﷺ ، وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالإجماع مقطوعاً [بها] ، فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الإسلام ، فإن جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصَّالحين ، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرَّحل والسَّفر إلى مجرد زيارة القبور ، وزيارة القبور من غير شدِّ رحل إليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شدِّ رحل ، بل يستحبها ويندب إليها ، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض إلى هذا الزيارة في هذه الوجه في الفتيا ، ولا قال إنها معصية ، ولا حكى الإجماع على المنع منها ، ولا هو جاهل قول الرسول ﷺ : « زُورُوا القبورَ فإنَّها تذكِّركُم الآخرة »[٦] والله سبحانه لا يخفى عليه شيء ، ولا يخفى عليه خافية ، ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٧][٧] .

وفي يوم الأحد رابعَ عشرَ[٨] ذي القعدة فُتحت المدرسة الحمصيّة[٩] تجاه الشامية الجوانية ، ودرّس

---

(١) في ط : وزوجته وهو توهم ، لأن زوج بنت السلطان هو أبو بكر بن أَرْغون . النجوم الزاهرة (٩/ ٨٨) .

(٢) في ب : وممّن حجّ من الشاميين .

(٣) المدرسة الحنبلية الشريفة عند القباقبية العتيقة . الدارس (٢/ ٦٤) .

(٤) في ب : ونفذت مع البريد إلى الديار المصرية إلى السلطان في جواب سؤاله . وقد سقطت من أ وط .

(٥) ليست في ب .

(٦) رواه مسلم رقم (٩٧٧) في الجنائز : وأحمد في المسند (٥/ ٣٥٧) وأبو داود رقم (٢٢٣٥) من حديث بريدة رضي الله عنه .

(٧) ما بين قوله : وكتب تحته حتى . . . أي منقلب ينقلبون . ليست في ب .

(٨) ليست في ط .

(٩) الدارس (١/ ٢٣٢) .

بها محيي الدين الطرابلسي قاضي حصن عكار وتلقب[١] بأبي رباح ، وحضر عنده القاضي الشافعي .

وفي ذي القعدة سافر القاضي جمال الدين الزُّرَعي من الأتابكية إلى مصر ، ونزل عن تدريسها لمحيي الدين بن جهبل .

وفي ثاني عشر ذي الحجة درَّس بالنَّجيبية ابن قاضي الزبداني عوضاً عن الدمشقي[٢] نائب الحكم ، مات بالمدرسة المذكورة .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

ابن المُطَهَّر الشيعي جمال الدين[٣] : أبو منصور حُسَيْن[٤] بن يوسف بن مطهر الحِلِّي[٥] العراقي الشِّيعي ، شيخ الروافض بتلك النواحي ، وله التصانيف الكثيرة ، يقال : تزيد على مئة وعشرين مجلداً ، وعدّتها خمسةٌ وخمسون مصنفاً ، في الفقه والأصول والنّحو[٦] والفلسفة والرَّفض[٧] وغير ذلك من كبار وصغار ، وأشهرها بين الطلبة «شرح ابن الحاجب» في أصول الفقه ، وليس بذاك الفائق ، ورأيت له مجلدين في أصول الفقه على طريقة المحصول والأحكام ، فلا بأس بها فإنها مشتملة على نقل كثير وتوجيه جيد ، وله كتاب « منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة » ، خبَّط فيه في المعقول والمنقول ، ولم يدر كيف يتوجه ، إذ خرج عن الاستقامة . وقد انتدب في الردّ عليه الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلَّدات أتى فيها بما يبهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة ، وهو كتاب حافل[٨] .

وولد ابن المطهَّر [الذي لم تطهُر خلائقه ولم يتطهَّر من دنس الرفض][٩] ليلة الجمعة سابع عشري رمضان سنة ثمان وأربعين وستمئة ، وتوفِّي ليلة الجمعة عشرين محرم من هذه السنة ، وكان اشتغاله ببغداد وغيرها من البلاد ، واشتغل على نصير الطُّوسي ، وعلى غيره ، ولما تَرفَّض الملكُ خَرْبَنْدا حظي عنده ابن المطهّر وسادَ جداً وأقطعه بلاداً كثيرة .

الشمس الكاتب[١٠] : محمد بن أسد الحرّاني المعروف بالنَّجّار ، [كان يجلس ليكتب الناس

---

(١) في ط : هكار وتقلّب .
(٢) هو : نجم الدين .
(٣) ترجمته في الذيل (ص١٤٧) الدرر الكامنة (٢/ ٧١) والنجوم الزاهرة (٢/ ٢٦٧) والدليل الشافي (١/ ٢٧٧) .
(٤) في أ وط والدرر الكامنة : حسن . وأثبتنا ما في ب والنجوم والدليل .
(٥) في ط : الحلبي .
(٦) في أ وط : في اللغة والنحو والأصول والفلسفة . وأثبتنا مافي ب .
(٧) « الرفض » : ليست في ب .
(٨) هو المعروف بمنهاج السنة مطبوع منتشر مشهور .
(٩) ليست في ب .
(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٨٢) والدارس (١/ ٤٣٦) .

عليه][1] بالمدرسة القَلِيجية[2] ، توفي في ربيع الآخر ودفن بباب الصغير .

العزّ حسن بن أحمد بن زُفَر[3] : الأربلي ثم الدمشقي ، كان يعرف طرفاً صالحاً من [النَّحو والحديث][4] والتاريخ ، وكان مقيماً بدويرة حمد[5] صوفيًّا بها ، وكان حسن المجالسة أثنى عليه البِرزالي في نقله وحُسن معرفته .

مات بالمارستان الصغير في جُمادى الآخرة ودفن بباب الصغير عن ثلاث وستين[6] سنة .

الشّيخ الإمام أمين الدِّين سالم[7] **بن أبي الدر** : عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقي الشافعيّ مدرّس الشاميّة الجوّانية ، أخذها من ابن الوكيل قهراً وهو إمام مسجد ابن هشام ، ومحدّث الكرسيّ به ، كان مولده في سنة خمس وأربعين وستمئة ، اشتغل وحصل وأثنى عليه النّوري وغيره ، وأعاد وأفتى ودرَّس ، وكان خبيراً بالمحاكمات ، وكان فيه مروءة وعصبية لمن يقصده ، توفي في شعبانَ ، ودفن بباب الصغير .

الشيخ حمَّاد[8] : وهو الشيخ الصّالح العابد الزاهد حمَّاد الحلبي[9] القَطَّان ، كان كثير التلاوة والصلوات ، مواظباً على الإقامة بجامع التّوبة بالعُقَيْبة بالزَّاوية الغربية الشمالية ، يقرئ القرآن ويكثر الصّيام ويتردّد الناس إلى زيارته ، مات [وقد جاوزَ التسعين[10] سنة على هذا القدم ، توفي ليلة الإثنين عشرين شعبان][11] ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة . رحمه الله .

الشيخ قطب الدين اليُونينيّ : وهو الشيخ الإمام العالم بقية السلف ، قطب الدين أبو الفتح

---

(١) ليست في ب .

(٢) المدرسة القليجية الحنفية داخل البابين الشرقي وباب توما ، شرقي المسمارية ، بناها مجد الدين ابن قليج . الدارس (١/ ٤٣٤) .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ١١) والدارس (٢/ ١٥٠) والشذرات (٦/ ٧٢) .

(٤) ليست في ب . وفيه : الطب .

(٥) الخانقاه الدويرية المعروفة بدويرة حمد ، بدرب السلسلة بباب البريد . الدارس (٢/ ١٤٦) .

(٦) في ب : وسبعين .

(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤) وفيه القلانسي ، والدارس : (١/ ٣٠٦) ومواضع أخرى .

(٨) ترجمته في الذيل (ص١٤٧) والدرر الكامنة (٢/ ٧٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦٧) والشذرات (٦/ ٧٢) .

(٩) في ب : التلعفراني .
قلت : وهو نسبة لـ تل أعْفُر وهو اسم قلعة بين الموصل وسنجار وهي على جبل منفرد حصينة محكمة وفي ماء نهرها عذوبة . وهو أيضاً : بليدة قرب حصن مسلمة بن عبد الملك ، بينه وبين الرّقة من نواحي الجزيرة . ياقوت .

(١٠) في ط : السبعين . وما أثبتناه من المصادر السابقة .

(١١) زيادة من ط .

موسى[١] ابن الشيخ الفقيه الحافظ الكبير شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد البعلبكي اليونيني الحَنْبلي .

ولد سنة أربعين وستمئة بدار الفاضل[٢] بدمشقَ ، وسمع الكثير وأحضرَه والدُه المشايخ واستجاز[٣] له وبحث واختصر « مرآة الزمان » للسِّبط[٤] ، وذيّل عليها ذيلاً حسناً[٥] مرتباً أفاد فيه وأجاد بعبارة حسنة سهلة ، بإنصاف وستر ، وأتى فيه بأشياء حسنة وأشياءَ فائقة رائقة ، وكان كثير التلاوة حسن الهيئة متقلّلاً في ملبسه ومأكله .

توفي ليلة الخميس ثالثَ عشرَ شوال ودُفن بباب سطحا[٦] عند أخيه الشيخ شرف الدين رحمهما الله .

قاضي القضاة ابن مُسَلَّم : شمسُ الدّين أبو عبد الله محمد[٧] بن مُسَلَّم بن مالك بن مزروع بن جعفر الصّالحي الحنبلي ، ولد سنة ثنتين[٨] وستين وستمئة ، ومات أبوه ـ وكان من الصّالحين ـ سنة ثمان وستين ، فنشأ يتيماً فقيراً لا مال له ، ثم اشتغل وحصّل وسمع الكثير وانتصب للإفادة والاشتغال ، فطار ذكره ، فلمّا مات التقيُّ سُليمان[٩] سنة خمس عشرة ولّي قضاء الحنابلة ، فباشره أتم مباشرة .

وخرجت له تخاريج كثيرة .

فلمّا كانت هذه السنة خرج للحجّ فمرض في الطريق فورد المدينة النبوية على ساكنها رسول الله أفضل الصلاة والسلام ، يوم الإثنين الثالث والعشرين من ذي القعدة فزار قبر رسول الله ﷺ وصلى في مسجده وكان بالأشواق إلى ذلك ، [وكان قد تمنى ذلك لما مات ابن نُجَيح][١٠] ، فمات في عشية ذلك اليوم يوم الثُلاثاء وصُلّي عليه في مسجد رسول الله ﷺ بالرَّوضة ، ودفن بالبقيع إلى جانب قبر شرف الدين بن

---

(١) ترجمته في الذيل (ص١٤٥) والدرر الكامنة (٤/ ٣٨٢) والشذرات (٦/ ٧٣) .
(٢) في ط : الفضل .
(٣) في الشذرات : وأجاز له ابن رواج والشيرازي .
(٤) هو : شمس الدين أبو المظفر قَزُغلي بن عبد الله وخزعلي بالتركية معناه السبط . مات سنة (٦٥٤هـ) الفوات (٤/ ٣٥٦) .
(٥) سمّاه : ذيل مرآة الزمان .
(٦) في بعلبك .
(٧) ترجمته في الذيل (ص١٤٩) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٠) والدرر الكامنة (٤/ ٢٥٨) والدارس (٢/ ٣٨) وفيها : الزيني ، والشذرات (٦/ ٧٣) .
(٨) ليست في ط .
(٩) هو سليمان بن حمزة بن أحمد . مرّ ذكره في وفيات (٧١٥هـ) .
(١٠) ليست في ب .ح

نُجَيح ، [الذي كان قد غبطه بموته هناك سنة حج هو وهو قبل هذه الحجة][(١)] شرقي قبر عقيل رحمهم الله ، ووَلّي بعده القضاء عز الدين بن التقي سليمان [الدمشقي][(١)] .

القاضي نجم الدين : أحمد[(٢)] بن عبد المحسن بن حسن بن معالي الدمشقي الشّافعي .

ولد سنة تسع وأربعين واشتغل على تاج الدين الفزاري ، وحصّل وبرع ووَلّي الإعادة ثم الحكم بالقدس ، ثم عاد إلى دمشق فدرّس بالنَّجيبيّة ، وناب في الحكم عن ابن صَصْرَى مدة .

توفّي بالنَّجيبيَّة المذكورة يوم الأحد ثامن عشري ذي القعدة ، وصُلّي عليه العصر بالجامع ، ودُفن بباب الصغير .

ابن قاضي شهبة : الشيخ الإمام شيخ الطّلبة ومفيدهم كمال الدين أبو محمد عبد الوهاب[(٣)][بن] [محمد][(٤)] بن ذؤيب الأسدي الشُّهْبي الشافعيّ ، ولد بحَوْران في سنة ثلاث وخمسين وستمئة ، وقدم دمشق واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، ولازمه وانتفع به ، وأعاد بحلقته ، وتخرّج به ، وكذلك لازم أخاه الشيخ شرف الدين ، وأخذ عنه النّحو واللُّغة ، وكان بارعاً في الفقه والنَّحو ، له حلقة يشتغل فيها تجاه محراب الحنابلة ، وكان يعتكف جميعَ شهر رمضان ، ولم يتزوج قطُّ ، وكان حسن الهيئة والشيبة ، حسن العيش والملبس متقلِّلاً من الدنيا ، له معلومٌ يقوم بكفايته من إعادات وفقاهات وتصدير بالجامع ، ولم يدرِّس قطُّ ولا أفتى ، مع أنّه كان ممَّن يصلح أن يأذن في الإفتاء ، ولكنه كان يتورع عن ذلك ، وقد سمع الكثير : سمع « المسند » للإمام أحمد وغير ذلك .

توفي بالمدرسة المُجَاهديّة[(٥)] وبها كانت إقامته ـ ليلة الثلاثاء حادي عشرين ذي الحجة ، وصُلّي عليه بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقابر باب الصغير .

وفيها كانت وفاة :

الشَّرف يعقوب بن فارس الجَعْبَريّ[(٦)] : التَّاجر بفرجة ابن عمود ، وكان يحفظُ القرآن ويَؤُمُّ بمسجد القَصَب[(٧)] ، ويصحب الشيخ تقي الدين بن تيمية والقاضي نجم الدّين الدمشقي ، وقد حصَّل أموالاً

---

(١) زيادة في ب .
(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ١٩٠) والدارس (١/ ٤٧١) .
(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٤٣١) والدليل الشافي (١/ ٤٣٥) وفيه : عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب .
(٤) زيادة من ب .
(٥) بالقرب من باب الخوّاصين . الدارس (١/ ٤٥١) .
(٦) لم أقع على ترجمة له .
(٧) ويقال له : الأقصاب ، وهو المعروف الآن بجامع السادات . الدارس (٢/ ٤٢٩) .

وأملاكاً وثروة ، وهو والد صاحبنا الشيخ الفقيه المشتغل[١] المحصّل الذكي بدر الدين محمد ، خال الولد عُمَر إن شاء الله .

وفيها توفي :

الحاج أبو بكر[٢] **بن تيمراز الصَّيرفي** : كانت له أموالٌ كثيرةٌ ودائرةٌ ومكارم وبرٌّ وصدقات ، ولكن انكسر في آخر عمره ، وكاد أن ينكشف ، فجبرَهُ الله بالوفاة رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعمئة

استهلَّت بيوم الجمعة والحكام والخليفة والسلطان والنواب والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها [سوى الحنبلي كما تقدم][٣] .

وفي العاشر من المحرّم دخل مصرَ أَرْغُون نائب مصر فمُسك في حاديْ عشره وحبس ، ثم أطلق أياماً وبعثه السُّلطان إلى حلب نائباً عليها[٤] ، فاجتاز بدمشقَ بُكرة الجمعة ثاني عشري المحرّم ، فأنزله نائبُ السَّلطنة بداره المجاورة لجامعه ، فبات بها ليلة[٥] ثم سافر إلى حلبَ .

وقد كان قبله بيوم قد سافر من دمشق آلجاي الدَّوادار إلى مصرَ ، وفي صحبته نائبُ حلب علاء الدين أَلْطَنْبُغَا معزولاً عنها إلى حجُوبية الحُجَّاب بمصر[٦] .

وفي يوم الجمعة تاسعَ عشرَ ربيع الأول قُرئ تقليد قاضي الحنابلة عز الدين محمّد بن التقي سُليمان بن حمزة المقدسي ، عوضاً عن ابن مُسلَّم بمقصورة الخطابة بحضرة القضاة والأعيان ، وحكَم ، وقُرِئ قبلَ ذلك بالصَّالحية .

وفي أواخر هذا الشهر وصلَ البريدُ بتولية ابن النَّقيب[٧] الحاكم بحمصَ قضاء القضاة بطرابُلُس ،

---

(١) في ط : المفضل وهو توهم .
(٢) لم أقع على ترجمة له غير هذه .
(٣) ليست في ب . وفيه : غير أن القاضي الحنبلي ابن مسلَّم توفي في المدينة المنورة أواخر ذي القعدة وهو بالحجاز الشريف . وكان الأمير أَرْغون نائب السلطان للديار المصرية في هذه السنة قد حج ، فأُرسل إليه أن يسرع العودة إلى السلطان .
(٤) في ط : وإلى نائب حلب .
(٥) ليست في ط .
(٦) النجوم الزاهرة (٩/ ٨٨) .
(٧) في ب : القاضي شمس الدين . وهو محمد بن أبي بكر بن إبراهيم .

ونُقل الذي بها إلى حمصَ نائباً عن قاضي دمشقَ ، وهو ناصر [الدين][١] بن محمود الزُّرعي .

وفي سادس عشري[٢] ربيع الآخر عاد تَنْكِزُ من مصرَ إلى الشَّام ، وقد حصل له تكريمٌ من السلطان .

وفي ربيع الأول حصلت زلزلةٌ بالشام وقى الله شرّها .

وفي يوم الخميس مستهل جمادى الأولى باشر نيابةَ الحنبلي القاضي برهان الدين الزُّرَعي ، وحضر عنده جماعة من القضاة .

وفي يوم الجمعة منتصف جُمادى الآخرة جاء البريد بطلب القاضي القزويني الشافعي الخطيب[٣] إلى مصر ، فدخلها في مستهلّ رجب ، فخُلع عليه بقضاء قضاة مصرَ مع تدريس النَّاصرية والصّالحية ودار الحديث الكاملية ، عوضاً عن بدر الدين بن جماعة لأجل كِبَر سنِّهِ ، وضَعْف نفسه ، وضرر عينيه ، فجبروا خاطره ، فرُتِّبَ له ألفُ درهم وعشرةُ أرادب قمح في الشَّهر ، مع تدريس زاوية الشافعي ، وأرسل[٤] ولده بدر الدين[٥] إلى دمشق خطيباً بالأموي ، وعلى تدريس الشامية البرّانية ، على قاعدة والده جلال الدين القزويني في ذلك ، فخُلع عليه في أواخر رجب ثامن عشرينه وحضر عنده الأعيان .

وفي رجب كان عرس الأمير سيف الدين قَوْصُون السّاقي الناصري ، على بنت السلطان ، وكان وقتاً مشهوداً ، خلع عليه[٦] الأمراء والأكابر .

وفي صبيحة هذه اللّيلة عُقد عَقْدُ الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير سيف الدين[٧] بَكْتَمُر السّاقي ، على بنت تَنكِز نائب الشام ، وكان السلطان وكيل أبيها تَنْكِز والعاقد ابنُ الحريري[٨] . وخُلع عليه وأُدخلت في ذي الحجة من هذه السنة في كلفة كثيرة[٩] .

وفي رجب جرتْ فتنةٌ كبيرةٌ بالإسكندرية في سابع رجب ، وذلك أنَّ رجلاً من المسلمين قد تخاصم مع[١٠] رجل من الفِرَنج ، على باب البحر ، فضرب أحدُهما الآخر بنعل ، فرُفع الأمر إلى الوالي فأمر بغلق

(١) زيادة في ب .
(٢) في ط : سادس عشر .
(٣) ليست في ط .
(٤) في ب : وعاد . ولا بأس به لأنه ذهب مع أبيه إلى مصر .
(٥) في ب : القزويني .
(٦) في أ و ط : وخلع على . وأثبتنا ما في ب . النجوم الزاهرة (٩/ ٨٩) .
(٧) ليست في ط .
(٨) هو : قاضي القضاة شمس الدين محمد بن الحريري الحنفي .
(٩) الدرر الكامنة (١/ ١١٤ ـ ١١٥) .
(١٠) في أوط : هو ورجل .

باب البلد بعد العصر[١] ، فقال له الناس : إن لنا أموالاً وعبيداً ظاهر البلد وقد أَغْلقت الباب قبل وقته . ففتحه ، فخرج الناس في زحمة عظيمة ، فقُتل منهم نحو عَشَرةٍ ، ونُهبت عمائم وثياب وغير ذلك ، وكان ذلك ليلة الجمعة ، فلمّا أصبح الناس ذهبوا إلى دار الوالي فأحرقوها وثلاث دور لبعض الظَّلمة ، وجرت أحوالٌ صعبة ، ونهبت أماكن[٢] ، وكسرت العامة بابَ سجن الوالي فخرج منه من فيه ، فبلغ نائب السَّلطنة[٣] فاعتقد النائب أنَّه السِّجنُ الذي فيه الأمراء ، فأمر بوضع السيف في البلد وتخريبه ، ثم إنَّ الخبر بلغ السُّلطان فأرسل الوزير مُغْلَطَاي[٤] الجمالي سريعاً فضرب وصادر ، وضرب القاضي ونائبَه وعزلَهُم ، وأهان خلقاً من الأكابر وصادرهم بأموال كثيرة جداً ، وعزل المتولِّي ثم أُعيد ، ثم تولّى القضاء بها[٥] علم الدين الأَخْنائي[٦] الشافعي الذي تولَّى دمشقَ فيما بعدُ ، وعزل قضاة الإسكندرية المالكي ونائباه ، ووضعت السَّلاسل في أعناقهم وأُهينوا ، وضرب ابن التّنيسي[٧] غير مرة[٨] .

وفي يوم السبت عشري شعبان وصل إلى دمشقَ قاضي قضاة حلبَ كمال الدين[٩] بنُ الزَّمْلَكاني على البريد فأقام بدمشقَ أربعةَ أيام ثم سار إلى مصرَ ليتولى قضاء قضاة الشام بحضرة السُّلطان ، فاتَّفق موتُه قبل وصوله إلى القاهرة[١٠] : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ [سبأ : ٥٤] .

وفي يوم الجمعة سادس عشري شعبان باشر صدر الدين المالكي[١١] مشيخة الشيوخ مضافاً إلى قضاء قضاة المالكية ، وحضَر الناس عنده ، وقُرئ تقليده بذلك بعد انفصال الزُّرعي عنها إلى مصر .

---

(١) في ب : قبل وقته .
(٢) في ط : أموال .
(٣) أرْغون .
(٤) في أ : طبنغا وفي ط : طيبغا . وهو توهم ، والصواب ماأثبتنا من ب وهو كذلك في الدرر الكامنة (٤/ ٣٥٤) والدليل الشافي (٢/ ٧٣٨) وهو مغلطاي بن عبد الله الجمالي المعروف بخزر ، مات عائداً من الحجاز سنة (٧٣٢هـ) .
(٥) في ط : بهاء الدين ، وهو توهم .
(٦) وهو : محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة الأخنائي السعدي الشافعي علم الدين ، مات سنة (٧٣٢هـ) .
(٧) في ط : السنيّ ، والتنيسي هو نائب القاضي .
(٨) الذيل (ص١٥٠ ـ ١٥١) .
(٩) ليست في ط .
(١٠) مات ببلبيس كما في الذيل (ص١٥١) والدرر الكامنة (٤/ ٧٥) .
(١١) هو : سليمان بن عبد الحليم الغُمَاري . وقيل ابن عبد الحكيم . الدرر الكامنة (٢/ ٢٤٨) الوفيات لابن رافع (٢/ ٧٨) . مات سنة (٧٤٩هـ) .

وفي نصف رمضانَ وصل [تقليدُ][(١)] قاضي الحنفية بدمشق لقاضي[(٢)] القضاة عماد الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد الطَّرسوسي ، الذي كان نائباً لقاضي القضاة صدر الدين علي البُصروي ، فخلفه بعده بالمنصب ، وقُرئ تقليده بالجامع ، وخلع عليه وباشر الحكم ، واستناب القاضي عماد الدين بن العز[(٣)] ، ودرس بالنورية مع القضاء ، وشكرت سيرته .

وفي رمضانَ قدم جماعةٌ من الأسارى مع تجّار الفرنج فأُنزلوا بالمدرسة العادلية الكبيرة واستفكوا من ديوان الأسرى بنحو من ستين ألفاً ، وكثرت الأدعية لمن كان السبب في ذلك .

وفي ثامن شوّال خرج الرَّكبُ الشامي إلى الحجاز وأميره سيف الدين بَلَبَان[(٤)] المحمدي ، وقاضيه بدر الدين محمد بن محمد ابن[(٥)] قاضي حرّان .

وفي شوال وصل تقليدُ قضاء الشافعية بدمشق لبدر الدين ابن قاضي القضاة ابن عز الدين بن الصائغ[(٦)] والخلعة معه ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، وصمّم وألحّ عليه الدَّولة فلم يقبل وكَثُر بكاؤه وتغير مزاجه واغتاظَ ، فلما أصرَّ على ذلك راجع تَنْكِزُ نائب السُّلطان في ذلك[(٧)] .

فلما كان شهر ذي القعدة اشتهر تولية علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي قضاء الشام ، فسار إليها من مصرَ وزار القُدسَ ، ودخل دمشقَ يوم الاثنين سابعَ عشرَ ذي القعدة ، فاجتمع بنائب السلطنة ولبس الخِلعة وركب مع الحُجَّاب والدَّولة إلى العادلية ، فقُرئ تقليدُه بها وحكم بها على العادة ، وفرح النَّاس به وبحُسْن سمته وطيب لفظه وملاحة شمائله وتودُّده ، ووَلّيَ بعده مشيخة الشيوخ بمصرَ مجد الدين الأَقْصرائي[(٨)] الصُّوفي شيخ سِرْيَاقُوس[(٩)] .

وفي يوم السبت ثالث عشري ذي القعدة لبس القاضي محيي الدين بن فضل الله الخلعة بكتابة السر عوضاً عن شمس الدين[(١٠)] ابن الشهاب محمود ، واستمرّ ولده شرف الدين في كتابة الدست[(١١)] .

---

(١) زيادة من ب .
(٢) في ط : لقضاء .
(٣) هو : إسماعيل بن محمد بن أبي العز مات سنة (٧٨٣هـ) . وقد جاوز التسعين . الدرر الكامنة (١/ ٣٧٩) .
(٤) في ط : بالبان وهو تحريف .
(٥) ليست في ط .
(٦) هو : أبو اليسر محمد بن محمد بن عبد القادر . مات سنة (٧٢٩هـ) . الدارس (١/ ٢٣٨) .
(٧) الذيل (ص١٥١) وفيه : فأُعفي مكرّماً .
(٨) هو مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأَقْصَرائي . مات سنة (٧٤٠هـ) وفي الدرر (٤/ ٣٧٣) الأقصري ، نسبة إلى أقصرا ببلاد الروم .
(٩) الخانقاه الناصرية ، بناها الملك الناصر سنة (٧٢٥هـ) . النجوم الزاهرة (٩/ ٨٤) .
(١٠) ليست في ط .
(١١) كتابة المجلس .

وفي هذه السنة تولّى قضاء حلب عوضاً عن ابن الزَّمْلكاني القاضي فخر الدين البارزي .

وفي العشر الأول من ذي الحجة كَمُل ترخيمُ الجامع الأموي أعني حائطَهُ الشّمالي وجاء تَنْكِز حتى نظر إليه فأعجبه ذلك ، وشكر ناظره تقي الدين بن مراجل[١] .

وفي يوم الأضحى جاء سيل عظيم إلى مدينة بلبيس فهرب أهلها منها وتعطلت الصَّلاة والأضاحي فيها ، ولم يُر مثلُه من مدة سنين متطاولة ، وخرَّب شيئاً كثيراً من حواضرها وبساتينها[٢] . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الأمير أبو يحيى : زكريا[٣] بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن[٤] أبي حفص الهنتاني [اللِّحياني][٥] المغربي ، أمير بلاد المغرب .

ولد بتونس قبل سنة خمسين وستمئة ، وقرأ الفقه والعربية ، وكان ملوك تونس تعظّمه وتكرمه ، لأنّه من بيت المُلْك والإمرة والوزارة ، ثم بايعه أهلُ تونس على الملك في سنة إحدى عشرة وسبعمئة ، وكان شجاعاً مقداماً ، وهو أوّلُ من أبطل ذكر ابن التُّومرت[٦] من الخُطبة ، مع أن جدَّه أبا حفص الهنتاتي كان من أخصّ أصحاب ابن التُّومرَت .

توفي في المحرم من هذه السنة بمدينة الإسكندرية[٧] ، رحمه الله .

الشيخ الصالح الناسك [: ضياء الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر][٨] رضي الدين أبي الفضل المسلم بن الحسن بن نصر الدمشقي، المعروف بابن الحمـوي، كان هو وأبوه وجده من الكتاب المشهورين المشكورين ، وكان هو كثيرَ التّلاوة والصّلاة والصّيام والبر والصّدقة والإحسان إلى الفقراء والأغنياء .

---

(١) الدارس (٢/ ٣٩٤) .
(٢) الذيل (ص١٥١) .
(٣) ترجمته في الذيل (ص١٥٢) والدرر الكامنة (٢/ ١١٣) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦٨) . وفيه : اللّحياني نسبة إلى لحيان بن مدركة بن إلياس بن مضر . وشذرات الذهب (٦/ ٧٦) .
(٤) ليست في ط .
(٥) في ط : الجياني . وأثبتنا مافي المصادر السابقة . وهو زيادة في ط .
(٦) هو : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت . المنعوت بالمهدي الهَرْغي . وكذلك المعصوم . ترجمته في الوفيات (٥/ ٤٥) والذيل (ص١٥٢) .
(٧) جاء إليها بعد أخذ تونس منه سنة (٧٢١هـ) .
(٨) ليست في ط .

ولد سنة خمس وثلاثين وستمئة ، وسمع الحديث الكثير ، وخرَّج له البِرْزالي مشيخةً سمعناها عليه ، وكان من صدور أهل دمشق .

توفي يوم الجمعة رابعَ عشرَ صفر ، وصَلّي عليه ضحوة يوم السبت ، ودفن بباب الصغير ، وحجَّ وجاور وأقامَ بالقدس مدَّة . [مات وله ثنتان وتسعون][١] سنة رحمه الله ، وقد ذكر والده أنّه حين وُلد له فتح المصحفَ يتفاءَلُ فإذا قوله :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [إبراهيم : ٣٩] فسمّاه إسماعيل .

ثم ولد له آخر فسمّاه إسحاق ، وهذا من الاتّفاق الحسن . رحمهم الله تعالى][٢] .

الشّيخ عليٌّ المجارفيّ : علي[٣] بن أحمد بن هوس الهلالي، أصل جده من قرية آبل السُّوق[٤]، وأقام والده بالقدس، وحجَّ هو مرّة وجاورَ بمكة سنةً ثم حجّ ، وكان رجلاً صالحاً مشهوراً، ويُعرف بالمجارفيّ، لأنه كان يَجْرِف الأزقَّة ويُصلح الرُّصفان لله تعالى، وكان يكثر التهليل والذِّكر جهرةً، وكان عليه هيبةٌ ووقارٌ، ويتكلَّم كلاماً فيه تخويف وتحذير من النار ، وعواقب الرَّدى ، [وكان ملازماً لمجالس ابن تيمية][٥] .

وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث عشري ربيع الأول ، ودفن بتربة الشّيخ موفق الدّين بالسفح ، وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله .

الملك الكامل ناصر الدين : أبو المعالي محمد[٦] بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك بن السلطان الملك الصالح إسماعيل أبي الخيش[٧] ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب أحد أكابر الأمراء وأبناء الملوك ، كان من محاسن البلد ذكاءً وفِطنة وحُسنَ عشرة ولطافةَ كلام ، بحيث يَسردُ كثيراً من الكلام بمنزلة الأَمثال من قوّة ذهنه وحذاقة فهمه ، وكان رئيساً من أجود الناس .

توفي عشيّةَ الأربعاء عشرين جُمادى الأولى وصُلّي عليه ظهر الخميس بصحن الجامع تحت النَّسر[٨] ، ثم أرادوا دفنه عند جدّه لأمّه الملك الكامل فلم يتيّسر ذلك ، فدُفن بتربة أمِّ الصَّالح سامحه الله .

---

(١) في ط : وسبعون .
(٢) ليست في ب .
(٣) لم أقع له على ترجمة .
(٤) في ط : إيل البسوق . وهو تصحيف ، وآبل السوق قرية كبيرة في غوطة دمشق . سبق ذكرها . ياقوت (آبل) .
(٥) ليست في ب .
(٦) ترجمته في الذيل (ص١٥٣) والدرر الكامنة (٤/ ٣١ ـ ٣٢) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦٩) والدارس (٢/ ٢٨٦) .
(٧) ينظر تاريخ الإسلام للذهبي ١٤/ ٥٩٣ (تحقيق الدكتور بشار) .
(٨) يريد : قبة النَّسر في جامع بني أمية .

وكان له سماع كثير سمعنا عليه منه ، وكان يحفظ تاريخاً جيداً ، وقام ولده الأمير صلاح الدّين مكانه في إمرة الطَّبْلخانه ، وجُعِل أَخُوه في عَشْرَته ولبسا الخلع السلطانية بذلك .

الشيخ الإمام نجم الدين : أحمد(١) بن محمد بن أبي الحزم القرشي المخزومي [القَمُّولي](٢) ، كان من أعيان الشافعية ، وشرح « الوسيط »(٣) وشرح « الحاجبية » في مجلدين ، ودرَّس وحكم بمصرَ ، وكان محتسباً بها أيضاً ، وكان مشكورَ السِّيرة فيها ، وقد ولّي بعده الحكم نجم الدين بن عقيل ، والحِسبة ناصر الدين بن فار السّقوف(٤) .

توفي في رجب وقد جاوز الثَّمانين ، ودُفن بالقَرَافة رحمه الله .

الشّيخ الصّالح أبو القاسم : عبد الرحمن(٥) بن موسى بن خلف الحزامي ، أحد مشاهير الصَّالحين بمصرَ ، توفي بالرَّوضة في منتصف رجب(٦) وحُمل إلى شاطئ النيل ، وصُلّي عليه وحُمل على الرؤوس والأصابع ، ودفن عند ابن أبي حمزة ، وقد قارب الثمانين ، وكان ممّن يُقصد للزيارة رحمه الله .

القاضي عز الدين : عبد العزيز(٧) بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن عثمان(٨) بن عيسى بن عمر بن الخضر الهكاري الشافعي ، قاضي المحلَّة .

كان من خيار القُضاة، وله تصنيف على حديث المُجَامع في رمضان، يقال: إنه استنبط فيه ألف حُكم.

توفي في رمضانَ ، وقد كان حصَّل كتباً جيدة منها « التَّهذيب » لشيخنا المِزِّي .

الشيخ كمال الدين بن الزملكاني(٩) : شيخنا الإمام العلاّمة كمال الدين أبو المعالي بن الشيخ علاء الدين علي بن عبد الواحد بن خطيب زملكا عبد الكريم بن خلف بن نبهان الأنصاري الشافعي ابن الزملكاني(١٠) ، شيخ الشّافعية بالشام وغيرها ، انتهت إليه رياسةُ المذهب تدريساً وإفتاءً ومناظرةً ،

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٠٤) والشذرات (٦/ ٧٥) .
(٢) زيادة من ب وهي في المصادر السابقة ، والقَمُّولي نسبة إلى قمولة بلد في الصّعيد .
(٣) لزين الدين الغزالي ، وسماه : البحر المحيط في شرح الوسيط .
(٤) في ط : قار السبقوق . وهو تصحيف . وهو لقب .
(٥) لم أقع له على ترجمة .
(٦) ليست في ط .
(٧) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٦٨) وفيه : الكردي . والشذرات (٦/ ٧٧) .
(٨) ليست في ط .
(٩) ترجمته في الذيل (ص١٥٤) وطبقات الشافعية (٥/ ٢٥١) وفوات الوفيات (٤/ ٧ ـ ١١) والدرر الكامنة (٤/ ٧٤ ـ ٧٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٠) والدارس (١/ ٣١ ـ ٣٢) والشذرات (٦/ ٧٨) .
(١٠) ليست في ط . وهي في أ و ب .

ويُقال في نسبه : السِّماكيّ ، نسبةً إلى أبي دُجانة سِمَاك بن خَرَشة[١] والله أعلم .

ولد ليلة الإثنين ثامن شوال سنة ست وستين وستمئة ، وسمع الكثير واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري [في الفقه][٢] ، وفي الأصول على القاضي بهاء الدين بن الزكي ، وفي النحو على بدر الدين بن مالك[٣] وغيرهم ، وبرَع وحصّل وساد أقرانه من أهل مذهبه ، وحاز قَصَب السَّبْق عليهم بذهنه الوقّاد في تحصيل العلم الذي أسهره ومنعه الرُّقاد وعبارته التي هي أشهى من كل شيء معتاد ، وخطه الذي هو أنضر من أزاهير الوهاد ، وقد درَّس بعدَّةِ مدارس بدمشق[٤] ، وباشر عدة جهات كبار ، كنظر الخِزانة ، ونظر المارستان النُّوري ، وديوان الملك السعيد ، ووكالة بيت المال .

وله تعاليق مفيدة واختيارات حميدة سديدة ، ومناظرات سعيدة .

ومما علَّقه قطعةٌ كبيرةٌ من « شرح المنهاج » للنووي ، ومجلد في الرد على الشيخ تقي الدين بن تيمية في مسألة الطلاق وغير ذلك ، وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درَّس أحسنَ منها ولا أحلى من عبارته ، وحسن تقريره ، وجودة احترازاته ، وصحة ذهنه وقوة قريحته وحسن نظمه ، وقد درَّس بالشَّامية البرَّانية والعذراوية والظَّاهرية الجوانية والرَّواحيَّة والمسروريّة ، فكان يعطي كل واحدة منهنَّ حقَّها بحيث كان يكاد ينسخ بكل واحد من تلك الدروس ما قبله من حسنه وفصاحته ، ولا يُهيلُه[٥] تعدادُ الدروس وكثرة الفقهاء والفضلاء ، بل كلَّما كان الجمع أكثر والفضلاء أكبر كان الدَّرس أنضر وأبهر وأحلى وأنصح وأفصح .

ثم لما انتقل إلى قضاء حلب وما معه من المدارس العديدة عامله معاملة مثلها ، وأوسعَ بالفضيلة جميع أهلها ، وسمعُوا من العلوم مالم يسمعوا هم ولا آباؤهم .

ثم طلب إلى الدّيار المصرية ليولّى البلاد[٦] الشامية دار السنة النبوية فعاجلته المنية قبل وصوله إليها ، فمرض وهو سائر على البريد تسعة أيام ، ثم عقب المرض بحرّاق الحمام[٧] ، فتوفي في سحر يوم الأربعاء

---

(١) سِمَاكُ بن خَرَشة الخزرجي البياضي الأنصاري المعروف بأبي دجانة ، صحابي ، كان بطلاً شجاعاً ، شهد بدراً ، وثبت يوم أحد وأصيب بجراحات كثيرة ، استشهد باليمامة سنة (١١هـ) . الأعلام (٣/ ١٣٩) وثمة مصادر ترجمته .

(٢) زيادة من ب .

(٣) في ط : ملك .

(٤) الدارس (١/ ٣٢) .

(٥) « يهيلُهُ » : يفزعه .

(٦) ليست في ط .

(٧) وقيل : مات مسموماً . الفوات والدرر ؛ ويأتي بعد هذا في ب : « فقبضه هاذم اللَّذات ، وحال بينه وبين سائر الشهوات والإرادات ، والأعمال بالنيات . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها فهجرتُه إلى ما هاجر إليه ، وكان من نيته الخبيثة إذا رجع إلى الشام متولّياً أن يؤذي شيخ الإسلام ابن تيمية فدعا عليه فلم يبلغ أمله ومراده » ولا أظن أن ابن كثير كتب هذا لأنه يتناقض مع الثناء العاطر الحسن الذي أثنى عليه المؤلف (بشار) .

سادسَ عشرَ شهر رمضانَ بمدينة بِلْبيس[١] ، وحمل إلى القاهرة ودفن بالقُرَافة ليلة الخميس جوار قبة الشّافعي تغمدهما الله برحمته .

الحاج علي المؤذن المشهور بالجامع الأموي : الحاجُّ عليُّ بن[٢] فرج[٣] بن أبي الفضل الكَتَّاني ، كان أَبوه من خيار المؤذنين ، فيه صلاح ودين وله قبول عند الناس ، وكان حسنَ الصّوت جَهْوَرَه ، وفيه تودُّد وخدمة[٤] وكرم ، وحجَّ غير مرة وسمع من أبي عمر وغيره .

توفي ليلة الأربعاء ثالث ذي القعدة وصُلّي عليه غَدْوة ، ودفن بباب الصغير .

وفي ذي القعدة :

الشيخ فضل[٥] ابن الشيخ الرّجيحي اليُونُسيّ[٦] : وأُجلس أخوه يوسف مكانه بالزاوية[٧] .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمئة

[في ذي القعدة منها كانت وفاة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه كما ستأتي ترجمة وفاته في الوفيات إن شاء الله تعالى][٨] .

استهلت هذه السنة [وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها سوى نائب مصر وقاضي حلب][٩] .

---

(١) « بِلْبيس » : مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام . فتحها عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ سنة (١٨ أو ١٩هـ) . ياقوت .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٣٦) .

(٣) في الدرر (نوح) .

(٤) في ط : خدم .

(٥) ترجمته في الدارس (٢/ ٢١٦) .

(٦) في ط : التونسي ، وهو تحريف ، نسبة إلى يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي القِنّي ، نسبة إلى القنية من نواحي ماردين . وهو شيخ الطائفة اليونسية . منادمة الأطلال (ص٣١٣) .

(٧) الزاوية اليونسية . سبق الحديث عنها . الدارس (٢/ ٢١٣) .

(٨) ليست في ب .

(٩) ليست في ب . وفيه :

والخليفة المستكفي بالله ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ولا نائب له بالديار المصرية .

وقاضي الشافعية بها جلال الدين القزويني ، وقاضي الحنفية شمس الدين الحريري ، وقاضي المالكية تقي الدين الأخنائي ، وقاضي الحنابلة [بياض في الأصل] . ووزير مصر علاء الدين مغلطاي الجمالي وهو الأستاذ ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين تنكز ، وقضاته هم في التي قبلها سوى الشافعي فإنه علاء الدين القونوي ، والحنبلي فإنه=

وفي يوم الأربعاء ثاني المحرّم درّس بحلقة صاحب حمص الشّيخ الحافظ صلاح الدين العلائي[١]، نزل له عنها شيخنا الحافظ المِزِّي، وحضر عنده الفقهاء والأعيان، وذكر درساً حسناً مفيداً.

وفي يوم الجمعة رابع المحرم حضر قاضي القضاة علاء الدين القونوي[٢] مشيخة الشيوخ بالسُّمَيْسَاطية عوضاً عن القاضي المالكي شرف الدين[٣]، وحضر عنده الفقهاء والصّوفية على العادة.

وفي يوم الأحد ثامنَ عشرَ صفر درَّس بالمَسْرُوريّة تقي الدين عبد الرحمن بن الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكاني عوضاً عن جمال الدين بن الشَّرِيشي بحكم انتقاله إلى قضاء حمصَ، وحضر الناس عنده وترحَّموا على والده[٤].

وفي يوم الأحد خامس عشري صفر وصل إلى دمشق الأمير الكبير صاحب بلاد الروم تَمُرْتَاش بن جُوبان، قاصداً إلى مصرَ، فخرج نائبُ السّلطنة والجيش لتلقِّيه، وهو شابٌّ حسنُ الصُّورة تامُّ الشكل مليحُ الوجه، ولمّا انتهى إلى السلطان بمصرَ أكرمه وأعطاه تقدمة ألف، وفُرِّق أصحابُه على الأمراء وأُكرموا إكراماً زائداً، وكان سبب قدومه إلى مصر[٥] أن صاحب العراق الملك أبا سعيد كان قد قتل أخاه خَواجَا دِمَشْق[٦] في شوّال من السنة الماضية، فهمّ والده جوبان بمحاربة السُّلطان أبي سعيد فلم يتمكَّن من ذلك، وكان جُوبان إذ ذاك مدبر الممالك، فخاف تَمُرْتَاش هذا عند ذلك من السلطان ففر هارباً بدمه إلى السطان الناصر بمصر.

وفي ربيع الأول توجه نائب الشام سيف الدين تَنْكِز إلى الدّيار المصرية لزيارة السلطان فأكرمه واحترمه واشترى في هذه السَّفرة دار الفلوس التي بالقرب من[٧] البزوريين والجَوْزية، وهي شرقيها، وقد كان سوق البزوريّة اليوم يسمّى سوق القمح، فاشترى هذه الدار وعمرها داراً هائلة ليس بدمشقَ دارٌ أحسنُ منها، وسمّاها دار الذهب، وهدم حمّام سُوَيْد تلقاءها وجعله دار قرآن وحديث وجاءت[٨] في غاية

= عز الدين بن التقي سليمان المقدسي، والمباشرون هم هم سوى كاتب السر فإنه القاضي محيي الدين بن فضل الله، عوضاً عن شمس الدين بن الشهاب محمود توفي بالسنة الماضية، وليس بدمشق شادّ الدواوين، ثم ولي في المحرّم شد الدواوين الأمير سيف الدين. اهـ.

(١) هو: خليل بن كَيْكَلْدي العلائي، سيأتي في وفيات سنة (٧٦١هـ).

(٢) في ب: الحريري. وهو غلط، والقونوي: هو علي بن محمود بن حميد بن موسى سيأتي في وفيات سنة (٧٤٩هـ). الدارس (٢/ ١٥٥).

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن طاهر الهمداني النويري. مات سنة (٧٤٨هـ) الدارس (٢/ ١٥٨).

(٤) الدارس (١/ ٤٥٧) والمسرورية: مدرسة كانت بباب البريد.

(٥) في ب: إلى السلطان الناصر.

(٦) في ط: جواجا رمشتق، وهو تحريف، وفي الدرر الكامنة (١/ ٥١٨): (دشتى) ولعلّه توهم، وفي النجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٣): (دِمَشْق حَجَا).

(٧) في ب: بالقرب من حمام نور الدين بسوق القمح.

(٨) ليست في ط.

الحسن أيضاً ، ووقف عليها أماكنَ ورتّب فيها المشايخ والطلبة كما سيأتي تفصيله في موضعه[١] ، واجتاز برجوعه من مصرَ بالقدس الشريف وزاره وأمر ببناء حمَّام ومدرسة ودار[٢] حديث أيضاً به ، وخانقاه كما يأتي بيانه .

وفي آخر ربيع الأول وصلت القناة إلى القدس التي أمر بعمارتها وتجديدها سيف الدين تَنْكِز قُطْلُبَك ، فقام بعمارتها مع ولاة تلك النواحي ، وفرح المسلمون بها ودخلت حتى إلى وسط[٣] المسجد الأقصى ، وعمل به بركة هائلة ، وهي مرخَّمة ما بين الصخرة والأقصى ، وكان ابتداء عملها من شوال من السنة الماضية . وفي هذه المدة عمر سقوف ورواقات[٤] المسجد الحرام وأبوابه[٥] ، وعمرت بمكَّة طَهارة ممّا يلي باب بني شَيْبَة .

قال البرزالي : وفي هذا الشهر كَمُلَت عِمارة الحَمَّام الذي بسوق باب توما ، وله بابان .

وفي ربيع الآخر نقض التّرخيمُ الذي بحائط جامع دمشق القبلي من جهة الغرب مما يلي باب الزِّيادة ، فوجدوا الحائط متجافياً[٦] فخيف من أمره ، وحضر تَنْكِز بنفسه ومعه القضاة وأرباب الخبرة ، فاتّفق رأيهم على نقضه وإصلاحه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشري ربيع الآخر ، وكتب نائب السلطنة إلى السلطان يعلمه بذلك ويستأذنه في عمارته ، فجاء المرسوم بالإذن بذلك ، فشُرع في نقضه يوم الجمعة خامس عشري جُمادى الأولى ، وشرعوا في عمارته يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة ، وعمل محرابٌ فيما بين باب[٧] الزِّيادة ومقصورة الخطابة يضاهي محراب الصَّحابة ، ثم جدُّوا ولازموا في عمارته ، وتبرّع كثيرٌ من الناس بالعمل فيه من سائر الناس ، فكان يعمل فيه كل يوم أزيد من مئة رجل ، حتى كَمُلت عمارةُ الجدار وأُعيدت طاقاته وسقوفه في العشرين من رجب ، وذلك بهمَّة تقي الدين بن مراجل ، وهذا من العجب فإنه نُقِضَ الجدار وما يسامتُه من السّقف ، وأُعيد في مدة لا يتخيّل إلى أحد أن عمله يفرغ في[٨] هذه المدة جزماً ، وساعدهم على سرعة الإعادة حجارةٌ وجدوها في أَساس الصَّومعة الغربية التي عند الغَزَالية ، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبد صومعة كما في الغربية والشرقية والقبليَّتين[٩] منه فأُبيدت

---

(١) الدارس (١/ ١٢٣) .
(٢) في ط : به وبناء . وأثبتنا مافي ب .
(٣) في ط : حتى إلى شط وهو تحريف .
(٤) في ط : شرافات .
(٥) في ط : وإيوانه .
(٦) في الذيل (ص١٥٥) : (منحدباً) .
(٧) ليست في ط .
(٨) في ط : فيما يقارب .
(٩) في ط : القبلتين . وهو تحريف .

الشماليتين قديماً ولم يبق منهما من مدة ألوف من السنين سوى أس هذه المئذنة الغربية الشمالية ، فكانت من أكبر العون على إعادة هذا الجدار سريعاً . ومن العجب أن ناظر الجامع ابن مراجل لم ينقص أحداً من أرباب المرتبات على الجامع شيئاً مع هذه العمارة(١) .

وفي ليلة السبت خامس جمادى الأولى وقع حريق عظيم بالفرَّائين(٢) واتصل بالرمَّاحين ، واحترقت القيسارية والمسجد الذي هناك ، وهلك للنّاس شيء كثير من الفِراء والجوخ والأقمشة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون(٣) .

وفي يوم الجمعة عاشره بعد الصّلاة صُلِّي على القاضي شمس الدين بن الحريري قاضي قضاة الحنفية بمصرَ ، وصُلّي عليه صَلاةُ الغائب بدمشقَ .

وفي هذا اليوم قدم البريدُ يطلب برهان الدين بن عبد الحق الحنفي(٤) إلى مصر ليلي القضاء بها بعد ابن الحريري ، فخرج مسافراً إليها ، ودخل مصر في خامس عشري جُمادى الأولى ، واجتمع بالسلطان فولّاه القضاء وأكرمه وخَلَع عليه وأَعطاه بغلة(٥) بِزناري ، وحكم بالمدرسة الصَّلاحية بحضرة القضاة والحجاب ، ورسم له بجميع جهات ابن الحريري .

وفي يوم الإثنين تاسع جمادى الآخرة أُخرج ما كان عند الشيخ تقي الدين بن تيمية من الكتب والأوراق والدّواة والقلم ، ومُنع من الكتب والمطالعة ، وحُملت كتُبه في مستهل رجب إلى خزانة الكتب بالعادلية الكبيرة .

[قال البرزالي : وكانت نحو ستين مجلداً ، وأربعَ عَشْرةَ ربطة كراريس ، فنظر القضاة والفقهاء فيها وتفرَّقوها بينهم](٦) ، وكان سبب ذلك أنه أجاب لما كان رد عليه التقي بن الأخنائي المالكي في مسألة الزيارة [فرد عليه الشيخ تقي الدين واستجهله وأعلمه أنه قليل البضاعة في العلم](٦) ، فطلع الأخنائي إلى السُّلطان وشكاه ، [فرسم السطان عند ذلك بإخراج ما عنده من ذلك وكان ما كان ، كما ذكرنا](٦) .

وفي أواخره رسم لعلاء الدين بن القلانسي(٧) في الدست ، مكان أخيه جمال الدين(٨) توقيراً

(١) الدارس (٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) الشذرات (٦/ ٨٠) .
(٢) في ط : القرايين . وجاء محرفاً في كثير من المصادر . وهو نسبة لصنع الفراء .
(٣) الذيل (ص١٥٦) .
(٤) هو : إبراهيم بن علي بن محمد . وسيأتي في وفيات سنة (٧٤٤هـ) .
(٥) في ط : بلغة .
(٦) جميعها ليست في ب .
(٧) هو : علي بن محمد بن محمد بن نصر الله . . . سيأتي في وفيات سنة (٧٣٦هـ) .
(٨) هو : أحمد بن محمد . . . . سيأتي في وفيات سنة (٧٣١هـ) .

لخاطره عن المباشرة ، وأن يكون معلومه على قضاء العساكر والوكالة ، وخلع عليهما بذلك .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشري رجب رُسم للأئمة الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي بالصّلاة في الحائط القبلي من الأموي ، فعُيّن المحراب الجديد الذي بين باب[١] الزيادة والمقصورة للإمام الحنفي ، وعُيّن محراب الصحابة للمالكي ، وعين محراب مقصورة الخَضِر الذي كان يصلِّي فيه المالكي للحنبلي ، وعوِّض إمام محراب الصَّحابة بالكلَّاسة ، وكان قبل ذلك في حال العمارة قد بلغ محراب الحنفية من المقصورة المعروفة بهم ، ومحراب الحنابلة من خلفهم في الرواق الثالث الغربي وكانا بين الأعمدة ، فَقُلِعت[٢] تلك المحاريب ، وعوّضوا بالمحاريب المستقرة بالحائط القبلي واستقر الأمر كذلك .

وفي العشرين من شعبان مسك الأمير تَمُرْتَاش بن جُوبان [الذي أتى هارباً إلى السلطان الناصر بمصر وجماعة من أصحابه][٣] ، وحُبسوا بقلعة مصر[٤] ، فلما كان ثاني شوال أُظهر موتُه ، يقال : إنّه قتله السلطان وأرسل رأسَه إلى أبي سعيد صاحب العراق ابن خَرْبَنْدا ملك التتار .

وفي يوم الإثنين ثاني شوال خرج الركب الشامي وأميره فخر الدين عثمان بن الأمير[٥] شمس الدين لؤلؤ الحلبي أحد أمراء دمشق ، وقاضيه قاضي قضاة الحنابلة عز الدين بن التقي سُلَيمان .

وممّن حج فيها الأمير حسام الدين الشُّبْمقدار ، والأمير قَبْجَق والأمير حسام الدين بن النجيبي وتقي الدين بن السَّلْعُوس وبدر الدين بن الصّائغ وابنا جهبل والفخر المصري ، والشيخ علم الدين البِرْزالي ، وشهاب الدين الظَّاهري .

وقبل ذلك بيوم حكم القاضي جمال الدين[٦] المنفلوطي الذي كان حاكماً ببعلَبَكَّ بدمشقَ نيابة عن شيخه قاضي القضاة علاء الدين القُونوي ، وكان مشكورَ السيرة ، تألَّم أهلُ بعلَبَكَّ لفقده ، فحكم بدمشقَ عوضاً عن القونوي بسبب عزمه على الحجّ ، ثم لما رجع الفخر من الحج عاد إلى الحكم واستمر المَنْفلوطيّ يحكم أيضاً ، فصاروا ثلاثةَ نوّاب : ابن جملة والفخر المصري وجمال الدين[٧] المنفلوطي .

وسافر القاضي معين الدين[٧] بن الحشيشي في ثاني عشري شوال إلى القاهرة لينوب عن القاضي فخر الدين كاتب المماليك إلى حين رجوعه من الحجاز ، فلما وَصَل وُلّيَ حجابة ديوان الجيش ،

---

(١) ليست في ط .
(٢) في ط : نقلت .
(٣) ليست في ب .
(٤) في ب القاهرة .
(٥) ليست في ط . الدرر الكامنة (٢/ ٤٥٠) .
(٦) ليست في ط .
(٧) ليست في ط .

واستمرّ هناك ، واستقل قطبُ الدين ابن شيخ السلامية بنظر الجيش بدمشق على عادته .

وفي شوّال خُلع على أمين الملك بالديار المصرية، ووُلّيَ نظر الدَّواوين فباشره شهراً ويومين وعُزل عنه .

ذكر وفاة الشيخ تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه

قال الشيخ علم الدين البِرْزالي في تاريخه : وفي ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة توفي الشيخ الإمام العلامة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الإمام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن تيمية الحرّاني ثم الدمشقي ، بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً فيها ، وحضر جمع كثير إلى القلعة ، فأذن لهم في الدخول عليه ، وجلس جماعة عنده قبل الغُسْل وقرؤوا القرآن وتبرّكوا برؤيته وتقبيله ، ثم انصرفوا ، ثم حضر جماعةٌ من النِّساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتُصِرَ على من يُغَسِّله ، فلما فرغ من غسله أُخرج وقد[١] اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع وامتلأ الجامع أيضاً وصحنه والكلاّسة وبابُ البريد وبابُ السّاعات إلى باب اللبَّادين والفَوَّارة ، وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع ، والجند [قد احتاطوا بها][٢]) يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصُلّي عليه أولاً بالقلعة ، تقدَّم في الصلاة عليه أولاً الشيخ محمد بن تمَّام[٣] ، ثم صُلّي عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر ، وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره ، ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرِّحاب والأزقَّة والأسواق بأهلها ومن فيها ، ثم حمل بعد أن صُلّي عليه على الرؤوس ، والأصابع ، وخرج النَّعش به من باب البريد واشتدَّ الزحام وعلتِ الأصوات بالبكاء والنحيب والتَّرحُّم عليه والثناء والدعاء له ، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم ، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة ، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر ، وتارة يقف حتى تمر الناس ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها ، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة : باب الفرج الذي أُخرجت منه الجنازة ، وباب الفراديس ، وباب النصر ، وباب الجابية . وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر الناس ، ووضعت الجنازة هناك وتقدم للصّلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن ، فلمّا قُضيت الصَّلاة حُمل

---

(١) في ط : ثمَّ .
(٢) ليست في أ و ب .
(٣) في ط : محد .

إلى مقبرة الصُّوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمهما الله ، وكان دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتي ويصلي عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم ، وأغلق النَّاسُ حوانيتهم ولم يتخلّف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحُّم والدعاء له ، وأنَّه لو قَدَرَ ما تخلَّفَ ، وحضر نساء كثيرات بحيث حُزِرْنَ بخمسة عشر ألف امرأة ، غير اللاتي كنَّ على الأسطحة وغيرهن ، الجميع يترحَّمن ويبكين عليه فيما قيل . وأما الرجال فحُزِروا بستين ألفاً إلى مئة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مئتي ألف ، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله ، واقتسم جماعة بقية السِّدر الذي غُسِّل به ، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مئة وخمسون درهماً ، وقيل : إن الطَّاقيَّة التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمئة درهم . وحصل في الجنازة ضجيج وبكاءٌ كثير ، وتضرُّع وخُتمت له ختمات كثيرة بالصَّالحية وبالبلد ، وتردَّد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويُصبحون ، ورُؤيت له مناماتٌ صالحةٌ كثيرة ، ورثاه جماعة بقصائد جمة .

وكان مولده يوم الإثنين عاشر ربيع الأول بحرَّان سنة إحدى وستين وستمئة ، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير ، فسمع الحديثَ من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وابن عبدان والشيخ شمس الدين الحنبلي ، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفي ، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي ، ومجد الدين ابن عساكر ، والشيخ جمال الدين البغدادي ، والنجيب بن المقداد ، وابن أبي الخير ، وابن علان ، وابن أبي بكر الهروي[(١)] ، والكمال عبد الرحيم، والفخر علي، وابن شيبان، والشرف بن القواس ، وزينب بنت مكي ، وخلق كثير سمع منهم الحديث ، وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطباق والأثبات ولازم السّماع بنفسه مدة سنين ، وقلَّ أن سمع شيئاً إلا حفظه ، ثم اشتغل بالعلوم ، وكان ذكياً كثير المحفوظ ، فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به عارفاً بالفقه ، [فيقال إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره][(٢)] ، وكان عالماً باختلاف العلماء ، عالماً في الأصول والفروع والنحو واللغة ، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ، وما قطع في مجلس ولا تكلَّم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفنَّ فنُّه ، ورآه عارفاً به متقناً له ، وأما الحديث فكان [حامل رايته][(٢)] حافظاً له متناً وإسناداً[(٣)] مميِّزاً بين صحيحه وسقيمه ، عارفاً برجاله متضلِّعاً من ذلك ، وله تصانيف كثيرة وتعاليقُ مفيدة في الأصول والفروع ، كَمُل منها جملةٌ وبُيِّضت وكُتبت عنه وقُرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يُكملها ، وجملة كمَّلها ولم تبيَّض إلى الآن .

---

(١) في ط : اليهودي وهو تحريف . وهو أبو بكر بن محمد بن أبي بكر الهروي مات سنة (٧٣٠هـ) الدرر الكامنة (٤٥٧/١) .

(٢) ليست في ب .

(٣) ليست في ط .

وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره ، مثل القاضي الخُويي[١] ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، والقاضي الحنفي قاضي مصر ابن الحريري، وابن الزملكاني، وغيرهم ، ووجدت بخط ابن الزملكاني أنه قال : اجتمعت فيه شروطُ الاجتهاد على وجهها ، وأنَّ له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتَّبيين[٢] ، وكتب على تصنيف له هذه الأبيات :

ماذا يقولُ الواصفونَ لهُ وصفاتهُ جلَّتْ عن الحصرِ
هو حجةٌ للهِ قاهرةٌ هو بيننا أُعجُوبةُ الدّهرِ
هو آيةٌ في الخَلْقِ ظاهرةٌ أنوارُها أربَتْ على الفَجْرِ[٣]

وهذا الثناء عليه ، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة ، وكان بيني وبينه مودة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب من نحو خمسين[٤] سنة ، وله فضائل كثيرة ، وأسماء مصنفاته وسيرته وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحبسه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها في[٥] هذا الموضع .

ولما مات كنت غائباً عن دمشقَ بطريق الحجاز ، ثم بلغنا خبرُ موته بعد وفاته بأكثر من خمسين يوماً لمّا وصَلْنا إلى تبوكَ ، وحصل التأسُّف لفقده رحمه الله تعالى . هذا لفظه في هذا الموضع من « تاريخه » .

ثم ذكر الشيخ علَم الدِّين بعد إيراد هذه الترجمة جنازة أبي بكر بن أبي داود وعظمها ، وجنازة الإمام أحمد ببغداد وشهرتَها ، وقال الإمام أبو عثمان الصابوني : سمعت أبا عبد الرحمن السيوفي يقول : حضرت جنازة أبي الفتح القوَّاس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن الدَّارَقُطني فلمّا بلَغ إلى ذلك الجمع العظيم أقبل علينا[٦] وقال : سمعت أبا سهل بن زياد القطَّان يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع بينَنَا وبينَكُم الجنائز .

قال : ولا شك أن جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة ، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك ، وتعظيمهم له ، وأن الدولة كانت تحبُّه ، والشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله توفي ببلدة دمشق ، وأهلها لا يعشرون[٧] أهل بغداد حينئذ كثرة ، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعاً لو جمعهم سلطان قاهر ، وديوان حاصر ، لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته ، وانتهوا إليها .

---

(١) هو القاضي شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخليل الخويي الشافعي المتوفى سنة ٦٩٣ .
(٢) في ط : التديُّن وهو تحريف .
(٣) « أربت » : فاقت .
(٤) ليست في ط .
(٥) ليست في ط .
(٦) أي : أبو الحسن الدارقطني .
(٧) أي : لا يبلغون عشرهم .

هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوساً من جهة السلطان ، وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة ، ممّا ينفِّر منها طباعَ أهل الأديان ، فضلاً عن أهل الإسلام . وهذه كانت جنازته .

قال : وقد اتفق موتُه في سحر ليلة الإثنين المذكور ، فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنارة بها وتكلم به الحرَّاس على الأبرجة ، فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخَطْب العظيم والأمر الجسيم ، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه ، حتى من الغوطة والمرج ، ولم يطبخ أهلُ الأسواق شيئاً ، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النَّهار على العادة ، وكان نائب السَّلطنة تَنْكز قد ذهب يتصيَّدُ في بعض الأمكنة ، فحارت الدولة ماذا يصنعون ، وجاء الصاحب شمس الدين غبريال نائبُ القلعة فعزَّاه فيه ، وجلس عنده ، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب ، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخِصَّاء أصحابه ومن رجال الدولة وغيرهم من أهل البلد والصّالحية ، فجلسوا عنده يبكون ويثنُّون .

[عَلَىٰ مِثْلِ لَيْلَىٰ يَقْتُلُ المَرْءُ نَفْسَهُ][(١)] .

وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المِزّي رحمه الله ، وكشفتُ عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبَّلته ، وعلى رأسه عمامةٌ بعَذَبَةٍ مغروزة وقد علاه الشَّيب أكثر مما فارقناه . وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين خَتْمة ، وشرعا في الحادية والثَّمانين ، فانتهينا فيها إلى آخر اقتربت الساعة :

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر : ٥٤ ـ ٥٥] .

فشرع عند ذلك الشّيخان الصّالحان الخيِّران عبد الله بن المحب وعبد الله الزُّرعي الضرير ـ وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما ـ فابتدآ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضرٌ أسمعُ وأَرَىٰ .

ثم شرعوا في غسل الشيخ وخرجتُ إلى مسجد هناكَ ولم يمكث[(٢)] عنده إلا من ساعد في غسله، منهم شيخنا الحافظ المزي وجماعة من كبار الصّالحين [الأخيار ، أهل العلم والإيمان][(٣)] ، فما فُرِغ منه حتى امتلأت القلعة وضجَّ الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحُّم ، ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق

---

(١) زيادة في ط .
وهو صدر بيت لقيس بن الملوّح المعروف بمجنون ليلى ، والبيت بتمامه :
على مثل ليلى يقتل المرء نفسه   وإن بات من ليلى على اليأس طاويا
ديوانه (ص٢٩٦) .

(٢) في ط : يدعوا .

(٣) ليست في أ وب .

العماديّة على العادلية الكبيرة، ثم عطفوا على ثلث الناطفانيين، وذلك أن سُوَيقة باب البريد كانت قد هدمت لتُصْلح ، ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي ، والخلائق فيه بين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها ما لا يُحصي عدَّتهم إلا الله تعالى ، فصرخ صارخٌ وصاح صائح : هكذا تكون جنائز أئمة السنَّة فتباكى الناسُ وضجُّوا عند سماع هذا الصارخ، ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف ، بل مرصوصين رصاً لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة [جو الجامع وبرّي الأزقة والأسواق، وذلك قبل أذان الظهر بقليل ، وجاء الناس من كل مكان][1] ، ينوي خلق الصيام لأنهم لا يتفرَّغون في هذا اليوم لأكل ولا لشرب ، وكثر الناس كثرة لا تُحدُّ ولا تُوصف، فلما فُرغ من أذان الظهر أُقيمت الصّلاة عقبه على السدّة خلاف العادة ، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلى عليه إماماً ، وهو الشيخ علاء الدين الخراط ، ثم خرج الناس من كل مكان من سائر[2] أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا ، واجتمعوا بسوق الخيل ، ومن الناس من تعجّل بعد أن صلّى في الجامع إلى مقابر الصوفية ، والناس في بكاءٍ وتهليل في مخافتة ، كل واحد بنفسه ، وفي ثناءٍ وتأسُّفٍ ، والنّساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين ويدعين ويقلن : هذا العالم .

وبالجملة كان يوماً مشهوداً لم يعهد مثله بدمشق ، اللّهم[3] إلا أن يكون في زمن بني أمية حين كان الناس كثيرين ، وكانت دار الخلافة ، ثم دفن عند أخيه قريباً من أذان العصر على التحديد ، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة ، وتقريب ذلك أنه عبارة عمّن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والمخدَّرات ، وما علمتُ أحداً من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلَّف عن الحضور في جنازته ، [وهم ثلاثة أنفس : وهم ابن جملة ، والصدر ، والقحفازي ، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فاختفوا من الناس خوفاً على أنفسهم ، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكهم الناس][4] ، وتردَّد شيخُنا الإمام العلامة برهان الدين الفزاري إلى قبره في الأيَّام الثلاثة ، وكذلك جماعةٌ من علماء الشَّافعية ، وكان برهان الدين الفزاري يأتي راكباً على حماره وعليه الجلالة والوقار رحمه الله .

وعُملت له ختمات كثيرة، ورؤيت له منامات باهرة[5] صالحة عجيبة ، ورثي بأشعار كثيرة [وقصائد مطوّلة][6] جداً . وقد أُفردت له تراجم كثيرة ، وصنَّف في ذلك جماعةٌ من الفضلاء وغيرهم ، وسأُلخِّص

---

(١) ليست في أ وب .
(٢) ليست في ط .
(٣) ليست في ط .
(٤) زيادة من ط .
(٥) ليست في ط .
(٦) ليست في أ وب .

من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه وفضائله وشجاعته وكرمه ونصحه وزهادته وعبادته وعلومه المتنوعة الكثيرة المحرّرة[١] ومُصَنَّفاته[٢] الكبار والصغار ، في العلوم كلِّها[٣] ، ومفرداته في الاختيارات التي نصرها بالكتاب والسُّنَّة ، وأفتى بها .

وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء، وممن يُخطئ ويُصيب، ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لُجِّي ، وخطؤه أيضاً مغفور له كما في « صحيح البخاري » : « إذا اجتهَدَ الحاكمُ فأَصَابَ فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »[٤] فهو مأجور .

وقال الإمام مالك بن أَنس : « كل أحد يؤخذ من قوله ويُتْرك إلا صاحب هذا القبر »[٥] .

وفي السادس والعشرين من ذي القعدة نقل نائب السلطنة سيف الدين[٦] تَنْكِز حواصله وأموالَه من دار الذَّهب داخل باب الفراديس إلى الدَّار التي أنشأها ، وتُعرف بدار فلوس ، فسميت دار الذهب ، وعزل خَزِنْداره ناصر الدين محمد بن عيسى ، وولي مملوكه أَبَاجي .

وفي ثاني عشري ذي القعدة جاء إلى مدينة عجلون سيل عظيم من أول النهار إلى وقت العصر ، فهدم من جامعها وأسواقها ورباعها ودورها شيئاً كثيراً ، وغرقَ سبعةُ نفر ، وهلَكَ للنَّاس شيء كثير من الأموال والغلّات والأمتعة والمواشي ما يقارب قيمته ألف ألف درهم والله أعلم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الأحد ثامن عشر ذي الحجة أَلزم القاضي الشافعي الشّيخُ علاءُ الدين القونوي جماعةَ الشُّهود بسائر المراكز أن يُرسلوا في عمائمهم العَذَبات[٧] ليتميّزوا بذلك عن عوامِّ الناس ، ففعلوا ذلك أياماً ثم تضرَّرُوا من ذلك ، فأرخص لهم في تركها ، ومنهم من استمر بها .

وفي يوم الثلاثاء عشرين ذي الحجة أُفرج عن الشيخ الإمام العالم العلامة أبي عبد الله شمس الدين

---

(١) في ط : المجودة .
(٢) في ط : وصفاته وهو تحريف .
(٣) في ط : التي احتوت على غالب العلوم .
(٤) رواه البخاري رقم (٦٩١٩) في الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ . وهو من حديث عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ ولفظه فيه : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثمَّ أخطأَ فله أجر واحد » ومسلم أيضاً رقم (١٧١٦) في الأقضية ، باب : بيان أجر الحاكم إذا اجتهد ، فأصاب أو أخطأ .
(٥) هذا أثر ، ذكر السُّيوطي في الدُّرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص١٠٨) تحقيق الأستاذ محمود الأرناؤوط : أن عبد الله بن الإمام أحمد ذكره في زوائد الزهد من طريق عكرمة عن ابن عبّاس قال : « مامن أحدٍ من الناس إلّا يؤخذ من قوله ويُدَعُ غير النبي ﷺ » .
(٦) ليست في ط .
(٧) « العَذَبة » : هو ما يسدل من العمامة بين الكتفين .

محمد[١] ابن قيّم الجوزية ، وكان معتقلاً بالقلعة أيضاً ، من بعد اعتقال الشيخ تقي الدين بأيامٍ من شعبان سنة ستٍّ وعشرين إلى هذا الحين ، وجاء الخبر بأن السلطان أَفرج عن الجاولي[٢] والأمير فرج بن قراسنقر[٣] ، ولاجين المنصوري[٤] ، وأُحضروا بعد العيد بين يديه ، وخلع عليهم .

وفيه وصل الخبر بموت الأمير الكبير جُوْبان[٥] نائب السلطان أبي سعيد على تلك البلاد .

ووفاة قراسنقر المنصوري[٦] أيضاً كلاهما في ذي القعدة من هذه السنة .

وجوبان هذا هو الذي ساق القناة الواصلة إلى المسجد الحرام[٧] ، [وقد غرم عليها أموالًا جزيلة كثيرة][٨] ، وله تربة بالمدينة النبوية ، ومدرسة مشهورة ، وله آثار حسنة ، وكان جيد الإسلام ، له همَّة عالية وقد دبَّر الممالك في أيام أبي سعيد مدَّة طويلة على السداد ، ثم أراد أبو سعيد مسكَه فتخلَّص من ذلك كما ذكرنا ، ثم إن أبا سعيد قتل ابنه خَواجَا دِمَشْق في السَّنة الماضية ففر ابنه الآخر تَمُرْتَاش هارباً إلى سلطان مصر ، فآواه شهراً ثم تردَّدت الرسل بين الملكين في قتله ، فقتله صاحبُ مصر فيما قيل وأرسل برأسه إليه ، ثم توفي أبوه بعده بقليل ، والله أعلم بالسرائر[٩] .

وأما قَرَاسُنْقُر المنصوري فهو من جملة كبار أمراء مصر والشام ، وكان من جملة من [شارك في][١٠] قتل الأشرف خليل بن المنصور كما تقدم ، ثم ولي نيابة مصر مدة ، ثم صار إلى نيابة دمشق ثم إلى نيابة حلب ، ثم فر إلى التتر هو والأَفْرم والزَّرْدَكاشي فآواهم ملك التتار خَرْبَنْدا وأكرمهم وأقطعهم بلاداً كثيرة ، وتزوَّج قَرَاسُنْقُر بنت هولاكو ثم كانت وفاته بَمَراغَةَ[١١] بلدِهِ التي كان حاكماً بها في هذه السنة ، وله نحو تسعين سنة والله أعلم .

---

(١) ليست في ط .
(٢) هو علم الدين سنجر الجاولي بعد اعتقال ثماني سنين وثلاثة أشهر . النجوم الزاهرة (٩/ ٩٠) .
(٣) توفي سنة (٧٣٤هـ) الدرر الكامنة (٣/ ٢٣٠) .
(٤) حبسه الناصر بعد عودته من الكرك ، فأقام سبعة عشر عاماً ، ثم أفرج عنه ليلة عرفة . مات سنة (٧٣١هـ) . الدرر الكامنة (٣/ ٢٧٠) .
(٥) الدرر الكامنة (١/ ٥٤٢) النجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٢) .
(٦) وهو الذي مرَّ خبر فراره في سنة (٧١٢هـ) إلى التتار . الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٧) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٣) وفيه : وفاته كانت في شوال . والدارس (١/ ٣٠٤) .
(٧) سنة (٧٢٦هـ) .
(٨) ليست في ب .
(٩) النجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٣) .
(١٠) زيادة من ب .
(١١) بلدة عظيمة ومشهورة ، وهي أعظم بلاد أَذْرَبيجان . ياقوت .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

شيخ الإسلام العلامة تقي الدين بن تيمية[١] : كما تقدم ذكر ذلك في الحوادث وسنفرد له ترجمة على حدة إن شاء الله تعالى .

الشريف العالم الزاهد المحدث[٢] : عز الدين أبو إسحاق إبراهيم[٣] بن أحمد بن عبد المحسن العلوي الحسيني الغَرَّافي[٤] الإسكندري الشافعي ، سمع الكثير وحفظ « الوجيز في الفقه »[٥] ، و « الإيضاح »[٦] في النحو ، وكان زاهداً متقللاً من الدُّنيا وبلغ تسعين سنةً ، وعقله وعلمه وذهنه ثابت متيقِّظ ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمئة ، وتوفِّي يومَ الجمعة خامس المحرم ، ودُفن بالإسكندريّة بين المادين رحمه الله .

الشمس محمد[٧] بن عيسى البكري[٨] : كانت فيه شهامة وصَرَامة ، وكان يكون بين يدي الشيخ تقي الدين بن تيمية كالمُنَفِّذ لما يأمر به وينهى عنه ، ويرسله الأمراء وغيرهم في الأمور المهمة ، وله معرفة ومروءة [يبلِّغ رسالته على أتم الوجوه][٩] .

توفي في الخامس من صفر بالقُبَيْبَات ودُفن عند الجامع الكريمي . رحمه الله تعالى .

الشيخ الصّالح[١٠] : أبو بكر[١١] بن شرف بن محسن بن معن بن عمّار[١٢] الصّالحيّ .

ولد سنة ثلاث وخمسين وستمئة ، وسمع الكثير صحبة الشيخ تقي الدين بن تيمية والمِزِّي[١٣] ، وكان

---

(١) ترجمته في الذيل (ص١٥٨) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٧) وفوات الوفيات (١/ ٣٥) والدرر الكامنة (١/ ١٤٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٧١) والدارس (١/ ٧٥) والشذرات (٦/ ٨٠) .

(٢) ليست في ط .

(٣) ترجمته في الذيل (ص١٥٦) ودول الإسلام (٢/ ١٨٠) والدرر الكامنة (١/ ١٠) والشذرات (٦/ ٨٠) .

(٤) في ط والشذرات : العراقي بالعين المهملة . وأثبتنا ما في الذيل . قال بشار : وهو منسوب إلى الغَرَّاف البلد والنهر المشهور في جنوب العراق .

(٥) للإمام الغزالي .

(٦) لأبي علي الفارسي .

(٧) ترجمته في الدارس (٢/ ٤١٩) .

(٨) في ب : التدمري وفي ط : التكريدي .

(٩) بعد هذا في بعض النسخ : «وكان ممن يحب الشيخ تقي الدين» وليست في ب ، والظاهر أنها من زيادات بعض القراء .

(١٠) في ط : الشيخ أبو بكر الصالحالي .

(١١) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٤٣) .

(١٢) في أ : عثمان ، وفي ط : عمان وأثبتنا مافي الدرر .

(١٣) ليست في ب .

معهما كالخادم لهما ، وكان فقيراً ذا عيال يتناول من الزّكاة والصَّدقات ما يقوم بأَوَده ، وأقام في آخر عمره بحمصَ ، وكان فصيحاً مفوّهاً ، له تعاليق وتصانيف في الأصول وغيرها ، وكان له عبادة وفيه خير وصلاح ، وكان يتكلّم على الناس بعد صلاة الجُمُعة إلى العصر من حفظه ، وقد اجتمعتُ به مرة صحبةَ شيخنا المِزِّي حين قدم من حمصَ ، فكان قويَّ العبارة فصيحها متوسطاً بالعلم ، له ميل إلى التصوُّف والكلام في الأحوال [والأعمال والقلوب وغير ذلك ، وكان يكثر ذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية] .

توفي بحمصَ في الثاني والعشرين من صفر من هذه السنة ، [وقد كان الشيخُ يحضُّ النّاسَ على الإحسان إليه ، وكان يعطيه ويرفده] .

ابن الدّواليبي البغدادي : الشيخ الصالح العالم العابد الرّحلة المُسْند المعمَّر عفيف الدين أبو عبد الله محمد[(١)] بن عبد المحسن بن أبي الحسين بن عبد الغفار البغدادي الأزجي الحَنْبلي المعروف بابن الدواليبي ، شيخ دار الحديث المُسْتَنْصرية[(٢)] ، ولد في ربيع الأول سنة ثمان[(٣)] وثلاثين وستمئة ، وسمع الكثير ، وله إجازات عالية ، واشتغل بحفظ « الخِرَقيّ »[(٤)] ، وكان فاضلاً في النحو وغيره ، وله شعر حسن ، وكان رجلاً صالحاً جاوز التسعين وصار رُحْلَةَ العراق .

وتوفي يوم الخميس رابع عشري[(٥)] جمادى الأولى ودفن بمقبرة الإمام أحمد في[(٦)] مقابر الشهداء رحمه الله .

وقد أجازني فيمن أجازَ من مشايخ بغداد ولله الحمد .

قاضي القضاة شمس الدين ابن الحريري : أبو عبد الله محمد[(٧)] بن صفي الدين أبي عمرو عثمان بن أبي الحسن عبد الوهاب الأنصاري الحنفي .

ولد سنة ثلاث وخمسين ، وسمع الحديث واشتغل وقرأ « الهداية »[(٨)] ، وكان فقيهاً جيداً ،

---

(١) ترجمته في الذيل (ص١٥٦) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٤) والدرر الكامنة (٤/ ٢٧) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٤) وفيه : المعروف بابن الخراط الدواليبي البغدادي . والشذرات (٦/ ٨٨) وكذلك فيه .

(٢) مدرسة في بغداد عمرها المستنصر بالله في (٦٢٥هـ) وانتهت سنة (٦٣١هـ) على دجلة .

(٣) في ب : ثلاث وثلاثين . وفي الدرر : سبع وثلاثين ـ أو ثمان وثلاثين ـ أو تسع وثلاثين .

(٤) مختصر الخرقي في فقه الحنابلة لأبي القاسم عمر بن الحسين الخِرَقي الفقيه الحنبلي . مات سنة (٣٣٤هـ) الوفيات (٣/ ٤٤١) .

(٥) ليست في ط .

(٦) ليست في ط .

(٧) ترجمته في الذيل (ص١٥٧) والدرر الكامنة (٤/ ٣٩) والدارس (١/ ٥٦٣) ومنادمة الأطلال (ص١٨٢) وفيه : الجوبري نقلاً عن الوافي بالوفيات للصفدي (٤/ ٩٠) .

(٨) الهداية كتاب في الفقه الشافعي ، والذي في ط : الهدايا وهو تحريف .

ودرَّس(١) بأماكن كثيرةٍ بدمشقَ ، ثم ولّي القضاء بها ، ثم خُطِبَ(٢) إلى قضاء الديار المصرية فاستمرّ بها مدَّة طويلة محفوظ العرض ، لا يقبل من أحد هدية ، ولا تأخذه في الحكم لومة لائم ، [وكان يقول : إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن؟ وقال لبعض أصحابه : أتحبُّ الشيخ تقي الدين؟ قال : نعم ، قال : والله لقد أحببتَ شيئاً مليحاً](٣) .

توفي رحمه الله يوم السبت رابع جمادى الآخرة ودفن بالقَرَافة ، وكان قد عَيَّن لمنصبه القاضي برهان الدين بن عبد الحق(٤) فنُفِّذت وصيتُه بذلك ، وأُرسل إليه إلى دمشقَ فأُحضر فباشر الحكم بعده وجميعَ جهاته .

الشيخ الإمام العالم المقرئ : شهاب الدين أبو العباس أحمد(٥) بن الشيخ الإمام تقي الدين محمد بن جبارة بن عبد الولي بن جبارة المقدسي المَرداوي الحنبلي ، شارح « الشاطبية »(٦) .

ولد سنة تسع وأربعين وستمئة ، وسمع الكثير وعُنيَ بفن القراءات فبرز فيه ، وانتفع النَّاسُ به ، وقد أقام بمصر مدَّة واشتغل بها على القَرَافي(٧) في أصول الفقه .

وتوفي بالقدس رابع رجب رحمه الله ، كان يعد من الصُّلحاء الأخيار ، سمع من خطيب مردا وغيره .

ابن العاقولي البغدادي : الشيخ الإمام العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله(٨) بن محمد بن علي بن حماد بن ثابت(٩) الواسطي العاقولي ثم البغدادي الشافعي ، مدرِّس المُسْتَنصريّة مدّةً طويلة نحواً من أربعين سنةً ، وباشر نظر الأوقاف وعين لقضاء القضاة في وقت .

ولد ليلة الأحد عاشر رجب سنة ثمان وثلاثين وستمئة ، وسمع الحديث وبرع واشتغل وأفتى من سنة سبع وخمسين إلى أن مات ، وذلك مدة إحدى وسبعين سنة ، وهذا شيء غريب جداً ، وكان قويَّ النفس له وَجاهة في الدولة ، فكم كشف كُرْبة عن الناس بسعيه وقَصْده .

---

(١) الدارس (١/ ٥٦٣) .
(٢) في الدرر : طلب .
(٣) ليست في ب .
(٤) هو إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الحق برهان الدين ، سيأتي في وفيات (٧٤٤هـ) .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٢٥٩) والشذرات (٦/ ٨٧) .
(٦) قصيدة في القراءات مشهورة ، للشيخ أبي محمد القاسم بن فِيُّرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرُّعيني الشاطبي الضرير المقرئ ، واسم القصيدة : حرز الأماني ووجه التهاني . وعدّة أبياتها (١١٧٣) بيتاً . غاية النهاية (٢/ ٢٠) الوفيات (٤/ ٧١) .
(٧) في ط : الفزاري وهو تحريف .
(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٢٩٩) والشذرات (٦/ ٨٧) .
(٩) في ط : تائب وهو تحريف .

توفي ليلة الأربعاء رابع عشري شوال ، وقد جاوز التسعين سنة ، ودُفن بداره ، وكان قد وقفها على شيخ وعشرة صبيان يسمعون القرآن ويحفظونه ، ووقف عليها أملاكه كلَّها ، تقبَّل الله منه ورحمه .

ودرَّس بعده بالمستنصرية قاضي القضاة قُطْب الدِّين .

الشَّيخ الصالح العالم التاجر البار : شمس الدين محمد[١] بن داود بن محمد بن يَسَاب[٢] ، السلامي البغدادي، أحد ذوي اليسار، وله برٌّ تام بأهل العلم ، [ولاسيما أصحاب الشيخ تقي الدين][٣] ، وقد وقف كتباً كثيرة ، وحجَّ مرات ، وتوفي ليلة الجمعة[٤] رابع عشري ذي القعدة بعد وفاة الشيخ تقي الدين بأربعة أيام ، وصلّي عليه بعد صلاة الجمعة ودفن بباب الصغير رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي هذه الليلة توفيت الوالدة مَرْيم[٥] بنت فرج بن مفرج بن علي من قرية كان الوالد خطيبَها ، وهي مُجَيْدل القرية سنة ثلاث وسبعين وستمئة ، وصُلّي عليها بعد الجمعة ودُفنت بالصُّوفية شرقي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهما الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمئة

استهلت والخليفة والحكام هم المباشرون في التي قبلها ، غير أن قطب الدين ابن شيخ السلامية استقلّ[٦] بنظر الجيش[٧] .

وفي المحرم طلب القاضي محيي الدين بن فضل الله كاتب السر بدمشق وولده الصّدر[٨] شهاب الدين، وشرف الدين بن شمس الدين بن الشِّهاب محمود إلى مصرَ على البريد ، فباشر القاضي الصّدر الكبير محيي الدين المذكور كتابة السرِّ بها عوضاً عن علاء الدين بن الأثير لمرض اعتراه ، وأقام عنده ولده شهاب الدين ، وأقبل شرف الدين بن[٩] الشهاب محمود إلى دمشق على كتابة السرِّ عوضاً عن ابن فضل الله[١٠] .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٤٣٧) .
(٢) في ط : ساب وفي الدرر : منتاب فليحرر .
(٣) ليست في ب .
(٤) في أ وط : الأحد وهو توهم . إذ كيف يموت ليلة الأحد ويُصلّى عليه بعد صلاة الجمعة .
(٥) لم أقع لها على ترجمة .
(٦) في ط : اشتغل .
(٧) في ب : لطلب صاحبه إلى مصر . وهو معين الدين بن الحشيش .
(٨) ليست في ط .
(٩) ليست في ط .
(١٠) في ب : وكانت غيبته عنها سبعة وعشرين يوماً .

وفيه ذهب ناصر الدّين مشد الأوقاف ناظراً على القدس والخليل ، فعمر هنالك عمارات كثيرة لملك الأمراء تَنْكِز ، وفتح في الأقصى شُبَّاكين عن يمين المحراب وشماله .

وجاء الأمير نجم الدين داود بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن الزيبق من شد الدواوين بحمصَ إلى شدِّها بدمشقَ .

وفي يوم الخميس السادس والعشرين[١] من صفر كمل ترخيم الحائط القبلي من جامع دمشق وبُسط الجامع جميعه ، وصَلّى النَّاسُ الجُمُعَةَ به من الغد ، وفتح باب الزِّيادة ، وكان له أياماً مغلقاً[٢] وذلك في مباشرة تقي الدين بن مراجل[٣] .

وفي ربيع الآخر قدم من مصرَ أولادُ الأمير شمس الدين قَرَاسُنْقُر إلى دمشقَ فسكنوا في دار أبيهم داخل باب الفراديس ، في دهليز المقدَّميَّة ، وأُعيدت عليهم أملاكهم المخلَّفة عن أبيهم ، وكانت تحت الحوطة ، فلما مات في تلك البلاد أفرج عنها أو أكثرها .

وفي يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر أُنزل الأمير جُوبان وولدُه من قلعة المدينة النبويّة وهما ميّتان مصبَّران في توابيتهما[٤] ، فصُلّي عليهما بالمسجد النبوي[٥] ، ثم دُفنا بالبقيع عن مرسومِ السُّلطان ، كان مُرَاد جُوْبان أن يُدفن في مدرسته ، فلم يمكَّنْ من ذلك[٦] .

وفي هذا اليوم صُلّي بالمدينة النبويّة على الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وعلى القاضي نجم الدين البالسي المصري ، صلاةَ الغائب .

وفي يوم الاثنين منتصف جمادى الآخرة درّس القاضي شهاب الدين أحمد بن جهبل بالمدرسة البادرائية عوضاً عن شيخنا برهان الدين الفزاري توفي إلى رحمة الله تعالى ، وأخذ مشيخة دار الحديث منه الحافظ شمس الدين الذهبي ، وحضرها في يوم الأربعاء سابع عشره ، ونزل عن خطابة كفر[٧] بطنا للشيخ جمال الدين المسلاتي المالكي[٨] فخطب بها يوم الجمعة تاسع عشره .

وفي أواخر هذا الشهر قدم نائبُ حلب الأمير سيف الدين أَرْغُون إلى دمشقَ قاصداً باب السلطان ،

---

(١) من ب ، وفي ط : « وفي الحادي والعشرين » ولا يصح بموجب الحساب الفلكي .

(٢) في ب : بسبب الترخيم ، وجاء الترخيم في غاية الحسن والبهجة وصرف عليه أموال كثيرة .

(٣) الدارس (٢/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) .

(٤) ذُكر من قبل : إنه قتل في بلاده . والظاهر أنه نقل إلى تربة له بالمدينة النبوية .

(٥) في النجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٣) بعد أن طيف بهما في الحرم المكي مع الركب العراقي .

(٦) منعه السلطان بمرسوم .

(٧) ليست في ط . وهي قرية مشهورة من قرى غوطة دمشق .

(٨) هو : محمد بن عبد الرحيم بن علي السلمي المسلاتي . مات سنة (٧٧١هـ) الدارس (١/ ٣٥٨) .

فتلقّاه نائبُ دمشقَ وأنزله بداره التي عند جامعه ، ثمّ سار نحو مصرَ فغاب نحواً من أربعين يوماً ، ثم عاد راجعاً إلى نيابة حلب .

وفي عاشر رجب طلب الصاحب تقي الدين عمر[١] بن الوزير شمس الدين بن السّلعُوس[٢] إلى مصرَ فولي نظر الدواوين بها حتى مات عن قريب[٣] .

وخرج الركب يوم السبت تاسع شوال وأميره سيف الدين بلطي ، وقاضيه شهاب الدين القيمري، وفي الحجّاج زوجة ملك الأمراء تَنْكِز ، وفي خدمتها الطّواشي شبل الدولة كافور[٤] وصدر الدّين المالكي ، وصلاح الدّين ابن أخي الصاحب تقي الدّين توبة[٥] ، وأخوه شرف الدّين ، والشيخ علي المغربي ، والشيخ عبد الله الضرير وجماعة .

وفي بُكْرَة الأربعاء ثالث عشر[٦] شوال ، جلس القاضي ضياء الدين علي بن سليم بن ربيعة[٧] للحكم بالعادليّة الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة القُونوي ، وعوضاً عن الفخر المصري بحكم نزوله عن ذلك وإعراضه عنه تاسع عشر رمضان من هذه السنة .

وفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصرَ شخصٌ من مماليك الجَاوْلي يقال له أَرَصَىٰ ، فادّعى أنه المَهديُّ وسجَع سَجَعاتٍ يسيرة على رأي الكهّان ، فأُنزل في شرِّ خَيْبةٍ ، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع المذكور .

وفي ذي القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وُسِّعت الطُّرقات والأسواق داخل دمشقَ وخارجها ، مثل سوق السّلاح والرصيف والسوق الكبير وباب البريد ومسجد القصب إلى الزنجبيلية ، وخارج باب الجابية إلى مسجد الذُّبان[٨] ، وغير ذلك من الأماكن التي كانت تضيق عن سلوك الناس[٩] ، وذلك بأمر تَنْكز ، وأمر بإصلاح القنوات ، واستراح الناس من ترشيش[١٠] الماء عليهم بالنجاسات .

---

(١) في ط : بن عمر ولعله تطبيع .
(٢) وهو : عمر بن محمد بن عثمان بن أبي رجاء بن أبي الزهراء الصاحب شمس الدين بن السلعوس .
(٣) سيأتي في وفيات سنة (٧٣١هـ) .
(٤) ليست في ط .
(٥) « توبة » : هو توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع التكريتي . مات سنة (٦٩٨هـ) الدارس (٢/ ٢٣٧) .
(٦) ليست في أ وط . وأثبتناها من ب .
(٧) مات في الرملة سنة (٧٣١هـ) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٥٣) .
(٨) مسجد خارج باب الجابية وهو شرقي التربة الركنية المنجكية . الدارس (٢/ ٢٣٢) .
(٩) في ب : في المدارس والمساجد والأملاك العامة .
(١٠) في ط : ترتش وهو تحريف .

ثم في العشر الأخير من ذي الحجة رُسم بقتل الكلاب فقُتل منها شيء كثير جداً ، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كَيْسان[١] في الخندق ، وفُرِّق بين الذكور منهم والإناث ليموتوا سريعاً ، ولا يتوالدوا ، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم ، فاستراح النّاس من النَّجاسة من الماء والكلاب ، وتوسعت لهم الطرقات[٢] .

وفي يوم الجمعة ثانيْ عشرَ ذي الحجة حضر مشيخة الشيوخ بالسُّمَيْساطية قاضي القضاة شرف الدين المالكي بعد وفاة قاضي القضاة القونوي الشافعي ، وقُرئ تقليده بالمشيخة بها ، وحضره الأعيان وأعيد إلى ما كان عليه .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الإمام العالم الزاهد مفتي المسلمين[٣] : نجم الدين أبو عبد الله محمد[٤] بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالسي الشافعي ، شارح « التنبيه » .

ولد سنة ستين وستمئة ، وسمع الحديث واشتغل بالفقه وغيره من فنون العلم ، فبرع فيها ، ولازم ابنَ دقيق العيد ونابَ عنه في الحكم ، ودرَّس بالمَغْربيّة والطَّيبرسية وجامع مصر ، وكان مشهوراً بالفضيلة والديانة وملازمة الاشتغال .

توفي ليلة الخميس رابعَ عشرَ المحرم ودفن بالقَرَافة ، وكانت جنازته حافلة ، رحمه الله .

الأمير سيف الدين قُطْلُوبَك الشَّشْنكير[٥] **الرُّومي**[٦] : كان من أكابر الأمراء وولي الحُجُوبيّة في وقت ، وهو الذي عمر القناة بالقدس ، توفي يوم الإثنين سابع ربيع الأول ودفن بتربته شمال باب الفراديس[٧] ، وهي مشهورةٌ حسنة ، وحضر جنازته بسوق الخيل النائبُ والأمراءُ .

محدِّثُ اليَمن : شرف الدين أحمد[٨] بن فقيه زبيد أبي الخير[٩] بن منصور الشّماخيّ المَذْحِجيّ .

---

(١) باب من أبواب دمشق من الجنوب وقد فتح عام (٧٦٥هـ) بعد غلقه مايزيد عن مئتي سنة ، كما سيأتي ومن ثمّ هُدم وبُنيَ مكانه كنيسة القديس بولص . الدارس (٢/ ٣١٨) دمشق القديمة للمنجد .

(٢) الذيل (ص١٥٩) .

(٣) ليست في ط .

(٤) ترجمته في الذيل (ص١٥٩ ـ ١٦٠) وطبقات الشافعية للسُّبكي (٦/ ٢٣) والدرر الكامنة (٤/ ٥٠) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٠) والشذرات (٦/ ٩١) .

(٥) في ط : التشنكير وهو تصحيف .

(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٥٤) والدارس (٢/ ٢٧٢) .

(٧) التُّربة القُطْلُوبَكيّة ، شمالي باب الفراديس . الدارس (٢/ ٢٧٢) ومنادمة الأطلال (ص٣٤٧) .

(٨) ترجمته في طبقات صلحاء اليمن للسكسلي : (ص٢٧) .

(٩) في أ وط (أبي الحسين) والتصويب من (ب) وطبقات صلحاء اليمن .

روى عن المكّيين وغيرهم ، وبلغت شيوخه خمسمئة أو أزيد ، وكان رحلة تلك البلاد ومفيدها الخير ، وكان فاضلاً في صناعة الحديث والفقه وغير ذلك .

توفي في ربيع الأوّل من هذه السنة .

نجم الدين أبو الحسن : علي[١] بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد أبو محمد بن المسلم .

أحد رؤساء دمشق المشهورين ، له بيتٌ كبيرٌ ونسبٌ عريق ، ورياسةٌ باذخة وكرم زائد ، باشر نظر الأيتام مدَّة ، وسَمع الكثير وحدَّث ، وكانت له فضائل وفوائد ، وله الثروة الكثيرة .

ولد سنة تسع وأربعين وستمئة ، ومات يوم الإثنين ضَحْوة خامس ربيع الآخر ، وصُلّي عليه بعد الظهر بالأموي ، ودُفن بسفح قاسيون بتربة أعدها لنفسه ، وقبران عنده ، وكَتب على قبره ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ الآية [الزمر : ٥٣] .

وسمعنا عليه « الموطّأ » وغيره .

الأمير بَكْتَمُر الحاجب[٢] : صاحب الحمَّام المشهور خارج باب النّصر في طريق مقابر الصُّوفية من ناحية الميدان ، كانت وفاته بالقاهرة في عشرين ربيع الآخر ، ودُفن بمدرسته التي أنشأها إلى جانب داره هناك .

الشَّيخ شرف الدين عيسى بن محمد[٣] بن قراجا بن سليمان : السُّهْرَوَرْدي[٤] الصُّوفي الواعظ ، له شعر ومعرفة بالألحان والأنغام ، ومن شعره قوله :

بُشْراكَ يا سَعْدُ هٰذَا الحيُّ قَدْ بَانَا ... فخلِّهـا تَسْتَطيـلُ الأيْـكَ والبَـانَـا
منازِلٌ ما ورَدْنَا طِيْبَ مَوْرِدِهَا ... حَتَّى شَرِبْنَا كؤوسَ الموت ألوانا[٥]
مِتنا غراماً وشوقاً في المسير فمذْ ... وافىٰ نسيمُ اللقا والقُربِ أَحْيانا[٦]

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١١٤) وفيه : علي بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن هلال نجم الدين الأزدي . والشذا (٦/ ٩١) والدارس (١/ ١٦٨) .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٨٣) ووفاته فيه سنة (٧٢٨هـ) النجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٧) .

(٣) في ب : ابن محمد مرة ثانية ، وكذلك في الدرر الكامنة (٣/ ٢٠٩) .

(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) . والسُّهْرَوردي : نسبة إلى أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عَمُّويه ، ولد في سُهْرَورد سنة (٥٣٩هـ) وتوفي في بغداد سنة (٦٣٢هـ) .
قال في الدرر : (وكان سُهْرَوَرديّ الخِرقة) .

(٥) في ب : شهدنا كؤوس .

(٦) وقع في الأبيات تصحيفات وتحريفات أفسدت المعنى .

توفّي في ربيع الآخر .

شيخُنَا العلَّامة برهان الدين الفزاري : هو الشيخ الإمام العالم شيخ المذهب وعلَمه ومفيد أهله ، شيخ الإسلام مفتي الفِرَق بقية السَّلف برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم[١] ابن الشيخ العلامة تاج الدين أبي محمد عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المقرئ المفتي برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري المصري الشافعي ، ولد في ربيع الأول سنة ستين وستمئة ، وسمع الحديث واشتغل على أبيه ، وأعاد في حلقته وبرعَ وساد أقرانَه ، وسائرَ أهل زمانه من أهل مذهبه في دراية المذهب ونقله وتحريره ، ثم كان في منصب أبيه في التدريس بالبادرائية ، وأشغل الطلبة بالجامع الأموي فانتفع به المسلمون ، وقد عُرضت عليه المناصب الكبار فأباها ، فمن ذلك أنه باشر الخطابة بعد عمه العلامة شرف الدين مدة ثم تركها وعاد إلى البادرائية ، وعرض عليه قضاء قضاة الشام بعد ابن صَصْرَى وألحّ نائبُ الشام عليه بنفسه وأعوانه من الدَّولة فلم يقبل ، وصمّم وامتنع أشد الامتناع ، وكان مقبلاً على شأنه عارفاً بزمانه مستغرقاً أوقاته في الاشتغال والعبادة ليلاً ونهاراً ، كثير المطالعة وإسماع الحديث ، وقد سمعنا عليه « صحيح مسلم » وغيره ، وكان يدرّس بالمدرسة المذكورة ، وله تعليق كثير على « التنبيه » ، فيه من الفوائد ما ليس يوجد في غيره ، وله تعليق على « مختصر ابن الحاجب » في أصول الفقه ، وله مصنفات في غير ذلك كبار . وبالجملة فلم أرَ شافعيّاً من مشايخنا مثلَه ، وكان حسَن الشّكل عليه البهاء والجلالة والوقار ، حسنَ الأخلاق ، فيه حِدَّةٌ ثمَّ يعودُ قريباً ، وكرمُه زائد وإحسانه إلى الطلبة كثير ، وكان لا يقتني شيئاً بل[٢] يصرف مرتّبه وجامكيَّة مدرسته في مصالحه ، وقد درّس بالبادرائية من سنة تسعين[٣] وستمئة إلى عامه هذا .

توفي بُكرة يوم الجمعة سابع جمادى الأُولى بالمدرسة المذكورة ، وصُلّي عليه عقب الجمعة بالجامع وحُملت جنازته على الرؤوس وأطراف الأَنامل ، وكانت حافلةً ، ودفن عند أبيه وعمِّه وذويه بباب الصَّغير رحمه الله تعالى .

الشَّيخ الإمام العالم الزّاهد الوَرِع : مجد الدين إسماعيل[٤] الحرَّاني[٥] الحنبلي ، ولد سنة ثمان وأربعين وستمئة ، وقرأ القرآن[٦] وسمع الحديث في دمشق ، حين انتقل [مع أهله إليها سنة إحدى

---

(١) ترجمته في الذيل (ص١٦٠) وطبقات الشافعية (٦/ ٤٥) والفوات (١/ ٣٢) والدرر الكامنة (١/ ٣٤) والشذرات (٦/ ٨٨) والدارس (١/ ٢٠٨) ووفاته فيه بسنة (٧٢٨هـ) .

(٢) في ط : و .

(٣) في ط : سبعين وهو توهم ، لأن ولادته سنة (٦٦٠هـ) .

(٤) ترجمته في الذيل (ص١٦١) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٠٨) والدرر الكامنة (١/ ٣٧٧) والشذرات (٦/ ٨٩) .

(٥) في ب : إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ، وكذلك في الدليل ، وزاد في الذيل والدرر والشذرات الفرّاء الحراني .

(٦) في ط : القراءات .

وسبعين][١] ، واشتغل على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، ولازمه وانتفع به ، وبَرَع في الفقه وصحَّة النقل وكَثرة الصَّمت عمَّا لا يعنيه ، ولم يزل مواظباً على جهاته ووظائفه لا ينقطع عنها إلا من عذر شرعي ، إلى أن توفي ليلة الأحد تاسع جُمادى الأولى ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى .

وفي هذا الحين توفّي الصّاحب شرف الدّين يعقوب[٢] بن عبد الكريم[٣] : الذي كان ناظر الدواوين بحلبَ ، ثم انتقل إلى نظرها بطرابُلُس . توفي بحماة ، وكان محباً للعلماء وأهل الخير ، وفيه كرم وإحسان ، وهو والد القاضي ناصر الدّين[٤] كاتب السرِّ بدمشق ، وقاضي العساكر الحلبية ومشيخة الشيوخ بالسُّمَيْساطية ، ومدرّس الأَسدية بحلب ، والناصرية والشَّامية الجوانية بدمشق[٥] .

القاضي معين الدين : هبة الله بن علم الدين مسعود[٦] بن أبي المعالي عبد الله بن أبي الفضل ابن الحَشيش[٧] الكاتب وناظر الجيش بمصر في بعض الأحيان ، ثم بدمشقَ مدَّةً طويلة مستقلاً ومشاركاً لقطب الدين ابن شيخ السلامية ، وكان خبيراً بذلك يحفظه على ذهنه ، وكانت له يدٌ جيدة في العربية والأدب والحساب وله نظم جيد ، وفيه تودُّد وتواضُع .

توفّي بمصرَ في نصف جمادى الآخرة ، ودفن بتربة الفخر كاتب المماليك[٨] .

قاضي القضاة وشيخ الشيوخ[٩] علاء الدين القُونَوِيّ : أبو الحسن عليّ[١٠] بن إسماعيل بن يوسف القُونَوي التبريزي الشّافعي ، ولد بمدينة قونية[١١] في سنة ثمان وستين وستمئة تقريباً واشتغل هناك ، وقدمَ دمشقَ سنة ثلاث وتسعين ، وهو معدود [من] الفُضَلاء فازداد بها اشتغالاً ، وسمع الحديث وتصدَّر للإشغال بجامعها ودرَّس بالإقبالية ، ثم سافرَ إلى مصرَ فدرَّس بها في عدَّة مدارس كبار ، وولي مشيخة الشيوخ بها وبدمشق ، ولم يزل يشغل بها وينفع الطلبة إلى أن قدم دمشق قاضياً عليها في سنة سبع وعشرين ، وله

---

(١) ليست في أ و ب .
(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٤٣٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٠) .
(٣) في ط : عبد الله .
(٤) هو : محمد بن يعقوب وسيأتي في وفيات سنة (٧٦٣هـ) .
(٥) الدارس (٢/ ١٥٩) .
(٦) ترجمته في الذيل (ص١٦٢) والدرر الكامنة (٤/ ٤٠٣) . والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٠) والشذرات (٦/ ٩٢) .
(٧) في ط : ابن الخشيشي وهو تحريف .
(٨) هو : فخر الدين المصري .
(٩) ليست في ط .
(١٠) ترجمته في الذيل (ص١٦٢) وطبقات الشافعية (٦/ ١٤٤) والدرر الكامنة (٣/ ٢٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٧٩) والدارس (١/ ١٦٢) وبغية الوعَاة (٢/ ١٤٩) والشذرات (٦/ ٩٠) .
(١١) هي أعظم مدن الإسلام في بلاد الروم . ياقوت .

تصانيف في الفقه وغيره، وكان يحرز علوماً كثيرة منها النَّحو والتَّصريف والأَصلان والفقه، وله معرفة جيدة بـ« كشَّاف » الزمخشري، وفهم في[1] الحديث ، وفيه إنصاف كثير وأوصاف حسنة ، وتعظيم لأهل العلم.

وخرِّجتْ له مشيخة سمعناها عليه ، وكان يتواضع لشيخنا المزي كثيراً .

توفي ببستانه بالسَّهم[2] يوم السبت بعد العصر رابعَ عشرَ ذي القعدة ، وصُلّي عليه من الغد ، ودُفن بسفح قاسيون سامحه الله .

الأمير حسام الدين لاجين[3] المنصور الحُسَامي : ويُعرف بلاجين الصَّغير ولي البريد بدمشقَ مدَّةً ، ثم نيابة غزّة ثم نيابة البِيْرَة ، وبها مات في ذي القعدة ، ودفن هناك[4] .

وكان ابتنى تربة لزوجته ظاهر باب شرقي فلم يتفق دفنه بها . ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

الصاحب عز الدين أبو يعلى : حمزة[5] بن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن عز الدين أبي غالب المظفّر ابن الوزير مؤيّد الدّين أبي المعالي بن أسعد بن العميد أبي يعلى[6] حمزة بن أسد بن علي بن محمد التَّميمي الدمشقي بن القلانسي ، أحد رؤساء دمشق الكبار .

ولد سنة تسع وأربعين وستمئة ، وسمع الحديث من جماعة ، ورواه ، وسمعْنا عليه ، وله رياسة باذخة وأصالة كثيرة وأملاك هائلة كافية لما يحتاج إليه من أمور الدنيا ولم يزل مُعْرِضاً عن[7] الوظائف إلى أن أُلزم بوكالة بيت السُّلطان ثم الوزارة في سنة عَشْرٍ كما تقدَّم ثم عزل ، وقد صودر في بعض الأحيان ، وكانت له مكارم على الخواص والكبار ، وله إحسان إلى الفقراء والمحتاجين .

ولم يزل معظَّماً وجيهاً عند رجال الدولة من النواب والملوك والأمراء وغيرهم إلى أن توفي ببستانه ليلةَ السبت سادس ذي الحجة ، وصُلّي عليه من الغد ودُفن بتربته بسفح قاسيون ، وله في الصَّالحية رِباطٌ حسنٌ[8] وفيه دار حديث وبِرٌّ وصدقة . رحمه الله .

---

(١) ليست في ط .
(٢) بستان خارج دمشق مقابل جسر تورا . الدارس (١/ ١٣٢) .
(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٧٠) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٠) .
(٤) ثم نقل سنة (٧٣٢هـ) إلى دمشق . الدرر الكامنة (٣/ ٢٧٠) .
(٥) ترجمته في الذيل (ص١٦٣) والدرر الكامنة (٢/ ٧٥) والنجوم (٩/ ٢٨٠) والدارس (١/ ٩٦) والشذرات (٦/ ٨٩) .
(٦) في ط : أبو يعلى بن حمزة وهو غلط .
(٧) في ط : معه صناعة وهو تحريف .
(٨) في ط : رباط حسن بمئذنة .

ثم دخلت سنة ثلاثين وسبعمئة

استهلَّت بالأربعاء والحكام بالبلاد هم المذكورون بالتي قبلها سوى الشَّافعي فإنه توفي ووُلّي مكانه في رابع المحرم منها علَم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران[١] الأخنائي الشافعي وقدم دمشق في الرابع والعشرين منه صُحبَة نائب السَّلطنة تَنْكِز ، وقد زار القُدس وحضر معه تدريس التَّنْكِزية التي أنشأها بها ، ولما قدم دمشق نزل بالعادليّة الكبيرة على العادة ، ودرَّس بها وبالغزالية ، واستمرَّ بنيابة المنفلوطي ، ثم استناب زين الدين بن المرحِّل[٢] .

وفي صفر باشر شرف الدين محمود بن الخطير[٣] شد الأوقاف وانفصل عنها نجم الدين بن الزيبق إلى ولاية نابلُس .

وفي ربيع الآخر شرع بترخيم الجانب الشرقي من الأموي نسبة الجانب الغربي ، وشاور ابن مراجل النائب والقاضي على جمع الفُصوص من سائر الجامع في الحائط القبلي ، فرسما له بذلك .

وفي يوم الجمعة أقيمت الجمعة في إيوان الشّافعية بالمدرسة الصّالحية بمصرَ ، وكان الذي أنشأ ذلك الأمير جمال الدين نائب الكرك[٤] ، بعد أن استفتى العلماء في ذلك .

وفي ربيع الآخر تولى القضاء بحلب شمس الدين بن النقيب[٥] عوضاً عن فخر الدين بن البارزي[٦] ، توفي .

ووُلِّي شمس الدين بن مجد البعلبكي قضاء طرابُلُس عوضاً عن ابن النقيب .

وفي آخر جمادى الأولى باشر [القاضي محيي الدين بن جهبل][٧] نيابة الحكم عن الأخنائي عوضاً عن المنفلوطي ، توفي .

وفي هذا الشهر وَقَفَ الأمير علاءُ الدّين مُغْلَطَاي الناصري مدرسة على الحنفيّة وفيها صوفية أيضاً ، ودرَّس بها القاضي علاء الدين بن التركماني ، وسكنها الفقهاء[٨] .

---

(١) في أ وط : السُّبكي الأخنائي . وليست السبكي في ب أو الذيل والمصادر الأخرى .
(٢) الذيل (ص١٦٣) .
(٣) في ط : الخطيري . وهو : محمود بن أوحد بن الخطير شرف الدين مات سنة (٧٤٨هـ) مطعوناً .
(٤) هو : جمال الدين آقش البرناق ، عمر جامعاً بالحسينية .
(٥) هو : محمد بن أبي بكر بن إبراهيم .
(٦) هو : عثمان بن محمد بن عبد الرحيم مات فجأة في حلب سنة (٧٣٠هـ) .
(٧) العبارة فيها اضطراب ، واستدركناها بالزيادة من ب .
(٨) النجوم الزاهرة (٩/ ٩٦) وفيه : الجمالي بدلاً من الناصري وهو نفسه .

وفي جمادى الآخرة زُيّنت البلاد المصرية والشّامية ودُقّت البشائر بسبب عافية السلطان من وقعة[١] انصدعت منها يده ، وخلع على الأمراء والأطباء بمصرَ ، وأُطلقت الحبوس[٢] .

وفي جُمادى الآخرة قدم على السُّلطان رسلٌ من الفرنج يطلبون منه بعض البلاد الساحلية فقال لهم : لولا أنَّ الرُّسل لا تُقتل لقتلتكم ، ثم سيَّرهم إلى بلادهم خاسئين .

وفي يوم الأحد سادس رجب حضر الدَّرس الذي أنشأه القاضي فخر الدين كاتب المماليك على الحنفيَّة بمحرابهم بجامع دمشق ، ودرَّس به الشيخ شهاب الدين ابن قاضي الحِصْن[٣] ، أخو قاضي القضاة برهان الدين بن عبد الحق[٤] بالديار المصرية ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وانصرفوا من عنده إلى عند ابن أخيه صلاح الدّين بالجَوْهريَّة[٥] ، درَّس بها عوضاً عن حَميه[٦] شمس الدين بن الزكي نزل له عنها .

وفي آخر رجب خُطب بالجامع الذي أنشأه الأمير سيف الدّين أُلْمَاسُ[٧] الحاجب ظاهر القاهرة بالشارع[٨] .

وخُطب بالجامع الذي أنشأَه قَوْصُون بين جامع طولون والصالحية[٩] ، يوم الجمعة حاديْ عشرَ رمضانَ وحضر السُّلطان وأعيانُ الأمراء الخُطبة . خَطبَ به يومئذ قاضي القضاة جلال الدين القزويني الشافعي [عوضاً عن أمين الدين بن العَسَّال ، ورجع ابن العَسّال إلى حجابة الديوان الكبير][١٠] وخُلع عليه خِلعة سنيّة ، واستقلَّ في خطابته بدر الدين بن شكر[١١] .

وخرج الرَّكبُ الشّامي يوم السبت حاديْ عشرَ شوّال وأميرُه سيف الدين المُوْسَاويّ[١٢] صهر بَلَبَان

---

(١) في ب والنجوم : (سقطة) .
(٢) النجوم الزاهرة (٩/ ٦٣) .
(٣) في ط : الحُصين .
(٤) في ب : قاضي الحنفية . وقد ذكر من قبلُ .
(٥) الدارس (١/ ٤٩٨) .
(٦) في أ وط : حموه وهو غلط .
(٧) في ط : الماشي . وهو تحريف .
« وأُلْمَاسُ » : هو ابن عبد الله الناصري محمد بن قلاوون ، ولي الحجوبية الكبرىٰ . مات سنة (٧٣٢هـ) كما في الدرر الكامنة (١/ ٤١٠) أما في الدليل الشافي (١/ ١٥٤) فقد توفي قتيلاً في ثاني صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمئة .
(٨) في خدْرة البقر .
(٩) في دار اشتراها تعرف بدار الأمير آقوش المَوْصلي الحاجب من أربابها ، وسماه جامع التوبة . النجوم (٩/ ٩٤) .
(١٠) زيادة من ب .
(١١) في ط : شكري .
(١٢) في ط : المرساوي بالراء .

إلْبيري[١] ، وقاضيه شهاب الدين ابن المجد عبد الله مدرس الإقبالية[٢] ، ثم تولى قضاء القضاة كما سيأتي .

وممَّن حج في هذه السنة رضي الدّين بن المنطيقي ، والشمس الأردبيلي شيخ الجَّاروخيّة ، وصفي الدين بن الحريري ، وشمس الدين ابن خطيب يَبْرُود[٣] ، والشيخ محمد النَّيرباني وغيرهم ، فلمَّا قَضَوْا مناسكهم رجعوا إلى مكَّة لطواف الوداع ، فبينما هم في سماع الخُطبة إذ سمعوا جلبة الخيل من بني حَسَن وعبيدهم ، قد حَطَمُوا على النَّاس في المسجد الحرام ، فثار إلى قتالهم الأَتراك فاقتتلوا ، فقتل أمير من الطبلخانات بمصر ، يقال له : سيف الدين أَيْدَمُر أمير جمدار وابنه خليل ومملوكه[٤] وأمير عَشَرةٍ يقال له ابن التاجي[٥] ، وجماعةٌ من الرِّجال والنِّساء ونُهبت أموالٌ كثيرة ، ووقعت خبطة عظيمة في المسجد ، وتهارَبَ النَّاسُ إلى منازلهم بأَبْيَار الزَّاهر ، وما كادوا يصِلُون إليها وما أُكملت الجمعة إلا بعد جهد ، فإنا لله وإنّا إليه راجعون .

واجتمعت الأمراء كلُّهم على الرَّجعة إلى مكَّة للأخذ بالثَّأر منهم ، ثم كرُّوا راجعين وتبعهم العبيد حتى وصلوا إلى مخيَّم الحجيج ، وكادوا ينهبون الناس عامة جَهْرةً ، وصار أهل البيت في آخر الزمان يصدُّون النَّاس عن المسجد الحرام ، وبنو الأتراك هم الذين ينصرون الإسلام وأهلَه ويكفُّون الأذيَّة عنهم بأنفسهم وأموالهم ، كما قال تعالى : ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[٦] [الأنفال : ٣٤] .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

علاء الدين بن الأثير : كاتب السرّ بمصرَ ، علي[٧] بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الحلبي الأصل ، ثمَّ المصري ، كانت له حرمة ووجاهة وأموال وثروة ومكانة عند السُّلطان ، حتى ضربه الفالج في آخر عمره فانعزل عن الوظيفة وباشرها ابنُ فضل الله في حياته .

الوزير العالم أبو القاسم : محمد[٨] بن محمد بن سهل بن محمد[٩] بن سهل الأزدي الغرناطي الأندلسي ، من بيت الرياسة والحشمة ببلاد المغرب ، قدم علينا إلى دمشق في جمادى الأولى سنة أربع

(١) في الدرر الكامنة (١/ ٤٩٢) : (بَلَبَان البدري) .
(٢) الدارس (١/ ١٦٢) .
(٣) في ط : بيروذ وهو تصحيف .
(٤) في ط : سيف الدين خجدار . وهو تحريف .
(٥) في ط : الباجي . وهو أحد أولاد الأمير ركن الدين بيبرس التاجي والي القاهرة سابقاً .
(٦) سورة الأنفال (٣٤) . والآية : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .
(٧) ترجمته في الذيل (ص١٦٤) والدرر الكامنة (٣/ ١٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٣) .
(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ١٧٨) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٤) والأعلام (٧/ ٣٤) وثمة مصادر ترجمته .
(٩) في النجوم (ابن أحمد) .

وعشرين[١] ، وهو بعزم الحج ، فسمعت بقراءته « صحيح مسلم » في تسعة مجالس على الشيخ نجم الدين بن العسقلاني . قراءة صحيحة .

ثم كانت وفاته في القاهرة في ثاني عشري المحرم ، وكانت له فضائل كثيرة في الفقه والنَّحو والتاريخ والأصول ، وكان عاليَ الهمّة شريف النفس محترماً ببلاده جداً ، بحيث إنَّه يولِّي الملوك ويعزلهم ، ولم يلِ هو مباشرةَ شيء ولا أهلُ بيته ، وإنما كان يلقب بالوزير مجازاً .

شيخُنا الصَّالح العابد النَّاسك الخاشع : شمس الدين أبو عبد الله محمد[٢] بن الشيخ الصالح العابد شرف الدين أبي الحسن بن حُسَين بن غيلان البعلَبَكيِّ الحنبلي ، إمام مسجد السلّالين[٣] بدار البطيخ العتيقة ، سمع الحديث وأسمعه ، وكان يُقرئ القرآن طرفي النهار ، وعليه ختمتُ القرآن في سنة إحدى عشرة وسبعمئة ، وكان من الصَّالحين الكبار ، والعبَّاد الأخيار .

توفِّي يوم السبت سادس صفر وصُليَ عليه بالجامع ودُفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة .

وفي هذا الشَّهر ـ أعني صفر ـ كانت وفاة والي القاهرة القَدَادَار[٤] وله آثار غريبة ومشهورة[٥] .

بَهادُرآص[٦] الأمير الكبير : رأسُ ميمنة الشّام ، سيف الدين بَهَادُرآص المنصوري أكبر أمراء دمشق ، وممّن طال عمره في الحشمة والثّروة ، وهو ممَّن اجتمعت فيه الآية الكريمة ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[٧] الآية [آل عمران : ١٤] .

وقد كان محبَّباً إلى العامة ، وله برٌّ وصدقة وإحسان .

توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر بداره داخل باب توما المشهورة وحضر نائب السلطنة والأمراء جنازته[٨] ودُفن بتربته خارج باب الجابية[٩] ، وهي مشهورة أيضاً .

---

(١) في الدرر : (عشرين) .
(٢) ترجمته في حاشية الدارس (٢/ ٣١٥) .
(٣) عند رأس درب التبان . الدارس (٢/ ٣١٥) .
(٤) في ط : القديدار . وترجمته في النجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٣) . وفيه : قَدَادار بن عبد الله ، والي القاهرة .
(٥) صاحب القنطرة على خليج الناصري .
(٦) ترجمته في الذيل (ص١٦٤) والدرر الكامنة (١/ ٤٩٧) والنجوم (٩/ ٢٨١) والدارس (٢/ ٢٢٨) والشذرات (٦/ ٩٣) .
(٧) وتمامها : ﴿ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ .
(٨) ليست في ط .
(٩) التربة البَهادُرْآصية غرب مقبرة باب الصغير . الدارس (٢/ ٢٢٧) .

الحَجَّارُ ابن الشُّحنة : الشيخ الكبير المُسنِد المُعمَّر الرُّحلة شهاب الدين أبو العباس أحمد[(١)] بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي بن بيان الدَّيْرمقرني ثم الصّالحي الحجَّار المعروف بابن الشُّحْنة ، سمع « البخاري » على الزبيدي سنة ثلاثين وستمئة بقاسيون ، وإنما ظهر سماعه سنة ست وسبعمئة ، ففرح بذلك المحدِّثون وأكثروا السماع عليه ، فقُرِئَ « البخاري » عليه نحواً من ستّين مرَّة وغيره .

وسمعنا عليه بدار الحديث الأشرفية في أيَّام الشتويات نحواً من خمسمئة جزءٍ بالإجازات والسماع ، وسماعه من الزبيدي وابن اللتيِّ ، وله إجازة من بغداد فيها مئة وثمانية وثلاثون شيخاً من العوالي المُسنِدين، وقد مكث مدة مقدَّم الحجَّارين نحواً من خمسٍ وعشرين سنة ، ثم كان يخبط في آخر عمره ، واستقرت عليه جامكيته لما اشتغل بإسماع الحديث ، وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر ، وخلع عليه وألبسه الخلعة بيده ، وسمع عليه من أهل الديار المصرية والشامية أمم لا يحصون كثرة ، وانتفع الناس بذلك ، وكان شيخاً حسناً بهي المنظر سليم الصدر ممتعاً بحواسه وقواه ، فإنه عاش مئة سنة محقّقاً ، وزاد عليها ، لأنه سمع البخاري من الزبيدي في سنة ثلاثين وستمئة، وأسمعه هو في سنة ثلاثين وسبعمئة في تاسع صفر بجامع دمشق ، وسمعنا عليه يومئذ ولله الحمد ، ويقال إنّه أَدركَ موتَ المعظَّم عيسى بن العادل لمَّا توفي ، والنَّاس يسمعهم يقولون : مات المعظَّم ، وقد كانت وفاة المعظَّم في سنة أربع وعشرين وستمئة .

وتوفي الحجَّار يوم الإثنين خامس عشري صفر من هذه السنة ، وصُلِّي عليه بالمُظَفَّري يوم الثلاثاء ودفن بتربة له عند زاوية الرُّومي[(٢)] ، بجوار جامع الأفرم[(٣)] . وكانت جنازته حافلةً رحمه الله .

الشيخ نجم الدين[(٤)] عبد الرحيم[(٥)] بن عبد الرحمن : بن[(٦)] نصر الموصلي[(٧)] المعروف بابن الشَّحَّام ، اشتغل ببلده ثم سافر وأقام بمدينة سراو[(٨)] من مملكة أردبيل[(٩)] ثم قدم دمشق في سنة أربع وعشرين فدرَّس بالظَّاهرية البرانية ثم بالجاروخية ، وأُضيف إليه مشيخة رباط القصر[(١٠)] ، ثم نزل

---

(١) ترجمته في الذيل (ص١٦٤) والدرر الكامنة (١/ ١٤٢) والنجوم (٩/ ٢٨١) وبدائع الزهور (١/ ٤٦٦) وفيه وفاته (٧٣٣هـ) والشذرات (٦/ ٩٣) .

(٢) في ط : الدومي . وهو محمد بن عثمان بن علي شرف الدين الرومي مات سنة (٦٨٤هـ) منادمة الأطلال (ص٣٠٥) .

(٣) غربي الصالحية . الدارس (٢/ ٤٣٥) .

(٤) في ط : بن عبد الرحيم . وهو توهم .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٥٦) والدارس (١/ ٢٢٩) .

(٦) في ط : أبي .

(٧) في ط : المحصل .

(٨) في ط : سراي .

(٩) في ط : إربل .

(١٠) الدارس (١/ ٢٢٩) .

عن ذلك لزوج ابنته نور الدين الأردبيلي ، توفي في ربيع الأول وكان يَعرفُ طرفاً من الفقه والطّب .

الشَّيخ إبراهيم[١] الهدمة : أصله كرديّ من بلاد المشرق ، فقدم الشَّام ، وأَقام بين القُدس والخليل ، في أرض كانت مواتاً[٢] فأحياها وغرسَها وزَرَع فيها أنواعاً ، وكان يُقصَدُ للزّيارة ، ويَحكي النَّاسُ عنه كرامات صالحة ، وقد بلغ مئةَ سنة ، وتزوَّج في آخر عمره ورزق أولاداً صالحين ، توفّي في جُمادى الآخرة رحمه الله .

الستّ صاحبة التربة بباب الخَوَّاصين : الخَوَنْدَةُ المعظّمة المحجّبة المحترمة :

ستيتة[٣] بنت الأمير سيف الدين : كوكباي[٤] المنصوري ، زوجة نائب الشام تَنْكِز ، توفيت بدار الذهب وصلّي عليها بالجامع ثالث رجب ، ودفنت بالتُّربة التي أمرت بإنشائها بباب الخَوَّاصين[٥] ، وفيها مسجد وإلى جانبها رباط للنساء ومكتب للأيتام ، وفيها صدقات وبِرٌّ وصلات ، [وقرأ عليها ، كل ذلك أمرت به][٦] ، وكانت قد حَجَّت في العام الماضي رحمها الله .

قاضي قضاة طَرَابُلُس : شمس الدين [أبو عبد الله][٧] محمد[٨] بن عيسى بن محمود البعلبكيّ المعروف بابن المجد الشافعي ، اشتغل ببلده وبرعَ في فنون كثيرة ، وأقام بدمشق مدة يدرِّسُ بالقُوصيّة وبالجامع ، ويَؤُمُّ بمدرسة أم الصّالح ، ثم انتقل إلى قضاء طرابُلُس فأقام بها أربعة أشهر .

ثم توفي في سادس رمضان ، وتولّاها بعده ولده تقي الدين وهو أحد الفُضَلاء المشهورين ، ولم تَطُل مدَّته حتى عُزل عنها وأُخرج منها .

الشيخ الصالح : عبد الله[٩] بن أبي القاسم بن يوسف بن أبي القاسم الحَوْراني ، شيخُ طائفتهم وإليه مرجع زاويتهم بحوران ، كان عنده تفقه بعض شيء ، وزهادة ويُزار ، وله أصحاب يخدمونه ، وبلغ

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٢) .
(٢) ليست في ب .
(٣) ترجمتها في الدارس (٢/ ٢٧٤) .
(٤) في أ وط : كركاي وفي الدرر الكامنة (٤/ ١٢٥) : كوكاي وفي الحاشية كوكاني . أما في الدارس (٢/ ٢٧٤) : كوكباي ، وكذلك في منادمة الأطلال (ص٣٥٠) وهو ماأثبتناه .
(٥) التربة الكوكبائية . الدارس . منادمة الأطلال (ص٣٥٠) وفيه : (والناس يسمونها زاوية النحلاوي وهو خطأ) .
(٦) ليست في ب .
(٧) زيادة في ب .
(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ١٣١) والدارس (١/ ٤٣٩) .
(٩) لم أقع له على ترجمة غير هذه .

السّبعين[(١)] سنة ، وخرج لتوديع بعض أهله إلى ناحية الكَرَك من ناحية الحجاز فأدركه الموت هناك ، فمَاتَ في أوَّل ذي القعدة .

الشّيخ حسن[(٢)] بن علي : بن أحمد الأنصاري الضرير كان [بفرد عين أولًا][(٣)] ، ثمَّ عَمي جُمْلةً ، وكان يقرأُ القرآنَ ويُكثر التّلاوة، ثم انقطع إلى المنارة الشرقية، وكان يحضر السَّماعات ويستمعُ ويتواجَدُ، ولكثير من الناس فيه اعتقاد على ذلك ، ولمجاورته في الجامع وكثرة تلاوته وصلاته والله يُسامحه .توفي يوم السبت في العشر الأول من ذي الحجة بالمئذنة وصُلِّي عليه بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

محيي الدين أبو الثَّناء محمود[(٤)] : ابن الصدر شرف الدين بن[(٥)] القلانسي ، توفي في ذي الحجة ببستانه ، ودُفن بتربتهم بسفح قاسيون ، وهو أخو[(٦)] الصَّدر جمال[(٧)] الدين بن القلانسي ، وأخيه علاء[(٨)] ، وهم ثلاثتهم رؤساء[(٩)] .

الشّاب الرئيس : صلاح الدّين يوسُف[(١٠)] بن القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ، ناظر الجيش أبوه ، [وكان قد][(١١)] نشأ هذا الشاب[(١٢)] في نعمة وحشمة وترفُّه وعِشْرة واجتماع بالأصحاب .

توفي يوم السبت تاسع عشري ذي الحجة فاستراح من حشمته وعشرته إن لم تكن وبالًا عليه ، ودُفن بتربتهم[(١٣)] تجاه الناصرية بالسَّفح ، وتأسَّف عليه أبواه ومعارفه وأصحابُه سامحه الله .

---

(١) في ب : التسعين .
(٢) لم أقع له على ترجمة غير هذه .
(٣) ليست في ب . وفيه : « محلّى » .
(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٣٣٨) .
(٥) ليست في ط .
(٦) في ط : جد . وهو توهم .
(٧) في ط : جلال ، وأثبتنا مافي الدارس والدرر ، وهو جمال الدين أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن المظفر مات سنة (٧٣١هـ) . الدرر (١/ ٣٠٧) .
(٨) وهو : علي بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المظفر . مات سنة (٧٣٦هـ) الدرر (٣/ ١١٨) .
(٩) فقد باشر محمود هذا نظر البيوت ، وأوقاف الحرمين .
(١٠) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٤٧٨) .
(١١) زيادة من ب .
(١٢) ليست في ب .
(١٣) التربة السّلامية ، وهي تربة والده ناظر الجيش قطب الدين . الدارس (٢/ ٢٥٠) .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة

استهلّت [والحكام هم المذكورون في التي قبلها][١] وقد ذكرنا ما كان من عبيد مكة إلى الحجّاج[٢] ، وأنه قُتل من المصريين أميران ، فلمّا بلغ الخبرُ السلطانَ عَظُم عليه ذلك ، وامتنع من الأكل على السّماط فيما يقال أيّاماً ، ثم جرّد ستمئة فارس وقيل ألفاً ، والأول أصح ، وأرسل إلى الشّام أن يجرد مقدماً آخر ، فجُرّد الأمير سيف الدين أُلْجِيْبُغا العادلي[٣] . وخرجَ من دمشقَ يوم دخلها الرّكب في سادس عشري المحرّم ، وأُمرَ أن يسير إلى أَيْلَةَ ليجتمع مع المصريين ، وأن يسيروا جميعاً إلى الحجاز .

وفي يوم الأربعاء تاسع صفر وصل نهرُ السّاجُور إلى مدينة حلبَ ، وخرج نائبُ حلب أَرْغُون ومعه الأُمَراء مشاةً إليه في تهليل وتكبير وتحميد ، يتلقَّوْن هذا النّهر ، ولم يكن أحد من المعالي ولا غيرهم أن يتكلّم بغير ذكر الله تعالى ، [وفرح النَّاس بوصوله إليهم فرحاً شديداً ، وكانوا قد سَعَوْا في تخليصه[٤] من أماكن بعيدة احتاجوا فيها إلى نقب الجبال ، وفيها صخورٌ ضِخَام ، وعقدوا له قناطر على الأودية ، وما وصل إلا بعد جهد جهيد ، وأمر شديد ، فللّه الحمد وحده لا شريك له][٥] . وحين رجع نائب حلب أَرْغُون مرض مرضاً شديداً ومات رحمه الله .

وفي سابع [عشر][٦] صفر وسَّع تَنْكِز الطرقات بالشّام ظاهرَ باب الجابية ، وخرَّب كلَّ ما يضيِّقُ الطرقات .

---

(١) ليست في ب . والذي فيه :
[والخليفة المستكفي بالله ، والسلطان الملك الناصر ولا نائب له بمصر ، ونائب الشام سيف الدين تنكز ، وقاضي الشافعية علم الدين الأخنائي ، والحنفية عماد الدين الطرسوسي ، والمالكية شرف الدين الهمذاني ، والحنابلة عز الدين بن التقي سليمان .
وخطيب البلد بدر الدين بن القاضي جلال الدين ، ووكيل بيت المال جمال الدين بن القلانسي ، وهو قاضي العساكر أيضاً ، ومحتسب البلد عز الدين بن القلانسي ، وهو ناظر الخزانة أيضاً ، وناظر الجيش قطب الدين بن شيخ السلامية ، وناظر الأوقاف شمس الدين الحراني ، وناظر الجامع تقي الدين بن مراجل ، ونقيب الأشراف شمس الدين عدنان الحسيني ، ووالي البلد شهاب الدين بن برق ، ووالي البر علاء الدين بن المرواني ، ومشد الأوقاف شرف الدين محمود بن الخطير ومشدّ الدواوين سيف الدين أرغون] .

(٢) في المسجد الحرام .

(٣) توفي سنة (٧٥٤هـ) . كما سيأتي .

(٤) في ط : وَسَّعُوا في تحصيله . وهو تحريف .

(٥) ليست في ب .

(٦) زيادة من ب .

وفي ثاني ربيع الأول لبس علاء الدين بن[١] القلانسي خلعة سنّية لمباشرة نظر الدواوين[٢] ديوان ملك الأُمراء، وديوان نظر المارستان ، عوضاً عن أمين الدين بن العسَّال[٣] ، ورجع ابن العسال إلى حجابة الديوان الكبير .

وفي يوم الخميس[٤] ثاني ربيع الأَول لبس عماد الدين بن الشيرازي خلعة نظر الأموي عوضاً عن ابن مراجل عُزل عنه لا إلى بدل عنه ، وباشر جمال الدين بن الفُوَيْرة[٥] نظر الأسرى بدلاً عن ابن الشيرازي .

وفي يوم الخميس آخر ربيع الأول لبس القاضي شرف الدين[٦] عبد الله بن شرف الدين حسن ابن الحافظ أبي موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الغني المقدسي خلعة قضاء الحنابلة عوضاً عن عز الدين بن التقي سليمان ، توفي رحمه الله ، وركب من دار السعادة إلى الجامع ، فقرئ تقليده تحت النَّسر بحضرة القضاة والأعيان ، ثم ذهب إلى الجَوْزية فحكم بها ، ثم إلى الصَّالحية وهو لابس الخلعة ، واستناب يومئذ ابن أخيه عبد الله بن شهاب الدين أحمد[٧] .

وفي سلخ ربيع الآخر اجتاز الأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغَا[٨] بدمشق وهو ذاهب إلى بلاد حلب نائباً عليها ، عوضاً عن أَرْغون توفي إلى رحمة الله ، وقد تلقّاه النَّائبُ والجَيْشُ .

وفي مستهل جُمادى الأولى حضر الأمير الشَّريف رميثة بن أبي نُمي إلى مكّة ، فقُرئَ تقليدهُ بإمرة مكّة من جهة السلطان ، صُحبةَ التَّجريدة ، وخُلع عليه ، وبايعه الأمراء المجرَّدون من مِصرَ والشَّام داخل الكعبة ، وقد كان وصول التجاريد إلى مكَّة في سابع ربيع الأول ، فأقاموا بباب المُعَلَّى ، وحصل لهم خير كثير من الصَّلاةِ والطَّوافِ ، وكانت الأسعار رخيصة معهم .

وفي يوم السبت سابع ربيع الآخر[٩] خُلع على القاضي عزّ الدين بن بدر الدِّين بن جماعة بوكالة السُّلطان ونظر جامع ابن طولون ونظر الناصرية ، وهنأه النَّاس عوضاً عن التاج[١٠] إسحاق عبد الوهاب ، توفّي ودُفن بالقَرَافة .

---

(١) ليست في ط .
(٢) ليست في ب .
(٣) ليست في ط . والذي في ط : ابن العادل . وهو تحريف .
(٤) ليست في ط .
(٥) في ط : القويره . والذيل (ص١٦٦) .
(٦) في ط : شرف الدين بن عبد الله .
(٧) الدارس (٢/ ٤٠) .
(٨) ألطنبغا الصالحي ، الحاجب الناصري . مات سنة (٧٤٢هـ) كما سيأتي .
(٩) في ب : جمادى الآخرة .
(١٠) في ط : ابن . وفي أ و ب : أبي . وأسقطناها لأنه كان قبطياً اسمه إسحاق وتسمّى بعبد الوهاب بن عبد الكريم . الدرر الكامنة (١/ ٣٥٧) و (٢/ ٤٣٢) . النجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٩) .

وفي هذا الشهر تولّى عماد الدين ابن قاضي القضاة الأخنائي تدريس الصَّارميَّة وهو صغير بعد وفاة النجم هاشم بن عبد الله البَعْلَبَكي الشافعي ، وحضرها في رجب وحضر عنده النَّاس خدمة لأبيه(١) .

وفي حادي عشري جُمادى الآخرة رجعت التَّجريدة من الحجاز صحبة الأمير سيف الدين أُلْجِي بُغَا ، وكانت غيبتهم خمسةَ أشهرٍ وأياماً وأقاموا بمكَّة شهراً واحداً ويوماً واحداً ، وحصَل للعرب منهم رعبٌ شديدٌ ، وخوفٌ أكيدٌ ، وعزلوا عن مكَّة عطيفةَ ، ووَلَّوْا أخاه رُمَيْثَةَ وصَلّوا وطَافُوا واعتمروا ، ومنهم من أقام هناك ليَحُجَّ .

وفي ثاني رجب خلع على ابن أبي الطيب بنظر ديوان بيت المال عوضاً عن ابن الصاين توفي .

وفي أوائل شعبانَ حصلَ بدمشقَ هواءٌ شديدٌ مزعج كسَّر كثيراً من الأشجار والأغصان ، وألقى بعضَ الحيطان والجدران ، وسكن بعد ساعة بإذن الله ، فلما كان يومُ تاسعه سقط بردٌ كِبَار مقدار بيض الحمام ، وكسَّر بعض جامات الحمَّام(٢) .

وفي شهر شعبان هذا خُطب بالمدرسة المعزيَّة على شاطئ النيل ، أنشأها الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر(٣) ، أمير مجلس الناصري ، وكان الخطيب عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفي(٤) .

وفي نصف رمضانَ قدم الشّيخ تاج الدين عمر بن علي بن سالم اللَّخمي ابن الفاكهاني المالكي(٥) ، نزل عند القاضي الشافعي ، وسمع عليه شيئاً من مصنَّفاته ، وخرج إلى الحج عامئذٍ مع الشَّاميين ، وزار القُدْسَ قبل وصوله إلى دمشق .

وفي هذا الشهر وُطِّئ سوق الخيل ورُكِّبت فيه حَصَبات كثيرة ، وعمل فيه نحو من أربعمئة نفس في أربعة أيام حتى ساوَوْه وأصلحوه ، وقد كان قبل ذلك يكون فيه مياه كثيرة ، ومَلَقاتٌ(٦) .

وفيه أُصلح سوقُ الدّقيق ظاهر(٧) باب الجابية إلى الثابتيّة وسقف عليه السقوف .

وخرج الرّكب الشَّامي يوم الإثنين ثامن شوّال وأميره عز الدين أَيْبَك ، أمير علم ، وقاضيه شهاب

---

(١) الدارس (١/ ٣٢٨) .
(٢) الفتحات الزجاجية التي تنير الحمّام في القباب .
(٣) في ط : طغزدمر . مات سنة (٧٤٧هـ) . الدليل الشافي (١/ ٣٦٦) .
(٤) هو : عبد الرحيم بن علي بن حسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات . مات سنة (٧٤١هـ) . الدرر الكامنة (٢/ ٣٥٨) النجوم الزاهرة (٩/ ٣٢٦) .
(٥) في ط : الملخي . وهو تصحيف ، وفي أ : البلخي . وأثبتنا ما في ب وبغية الوعاة (٢/ ٢٢١) .
(٦) « المَلَقات » : ج مَلَقة وهي الصخرة الملساء .
(٧) في ط : داخل .

الدين الظاهري[١] ، وممّن حج فيه : شهاب الدين بن جهبل ، وأبو اليسر ، وابن جملة ، والفخر المصري ، والصَّدر المالكي ، وشرف الدين الكفري الحنفي ، والبهاء ابن إمام المشهد ، وجلال الدين الأعيالي ناظر الأيتام ، وشمس الدين الكردي ، وفخر الدين البعلبكي ، ومجد الدين بن أبي المجد ، وشمس الدين ابن قيم الجوزية ، وشمس الدين ابن خطيب يبرود[٢] ، وشرف الدين قاسم العجلوني ، وتاج الدين ابن الفاكهاني ، والشيخ عمر السلامي[٣] ، وكاتبه إسماعيل بن كثير ، وآخرون من سائر المذاهب ، حتى كان الشيخ بدر الدين يقول : اجتمع في ركبنا هذا أربعمئة فقيه وأربع مدارس وخانقاه ، ودار حديث ، وقد كان معنا من المفتين ثلاثة عشر نفساً .

وكان من المصريين جماعةٌ من الفقهاء منهم قاضي المالكية تقي الدين الأخنائي ، وفخر الدين النُّويري ، وشمس الدين بن الحارثي ، ومجد الدين الأقصرائي ، وشيخ الشيوخ الشيخ محمد المرشدي .

وفي ركب العراق الشيخ أحمد المَراوحي[٤] وكان من المشاهير .

وفي الشاميين الشيخ علي الواسطي صحبة ابن المَرْجاني ، وأمير المصريين مُغَلْطَاي الجَمَالي الذي كان وزيراً في وقت ، وكان إذ ذاك مريضاً ، ومررنا بعين تبوك وقد أُصلحت في هذه السنة ، وصِيْنت من دَوْس الجمال والجمّالين ، وصار ماؤها في غاية الحُسْن والصَّفاء والطِّيب ، وكانت وقفة الجمعة ومُطرنا بالطَّواف ، وكانت سنةً مرخصة آمنة .

وفي نصف ذي الحجة رجع تَنْكِز من ناحية قلعة جَعْبَر ، وكان في خدمته أكثر الجيش الشامي ، وأظهَر أُبَّهةً عظيمة في تلك النواحي .

وفي سادس عشري[٥] ذي الحجة وصل توقيع القاضي علاء الدين ابن القلانسي بجميع جهات أخيه جمال الدين بحكم وفاته مضافاً إلى جهاته ، فاجتمع له من المناصب الكبار مالم يجتمع لغيره من الرُّؤساء في هذه الأَعْصار ، فمن ذلك : وكالة بيت المال ، وقضاء العسكر ، وكتابة الدست ، ووكالة ملك الأمراء ، ونظر البيمارستان ، ونظر الحرمين ، ونظر ديوان السعيد ، وتدريس الأمينيّة والظاهريّة والعصرونيّة وغير ذلك انتهى .

---

(١) هو : أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله شهاب الدين بن فارس الغراء الظاهري ، ولي قضاء الركب الشامي مراراً ومات سنة (٧٥٥هـ) . الدرر الكامنة (١/ ١٦٧) .

(٢) في ط : بيره .

(٣) في ط : السلاوي .

(٤) في ط : أحمد السروجي .

(٥) في ط : عشر .

وممَّن توفّي فيها من الأعيان :

قاضي القضاة عزّ الدين المقدسي : عز الدين أبو عبد الله محمد(١) ابن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي ، ولد سنة خمس وستين وستمئة ، وسمع الحديث واشتغل على والده واستنابه في أيام ولايته ، فلمّا وُلِّيَ ابن مُسَلَّم لزم بيته يحضُر دَرْس الجَوْزيّة ودار الحديث الأشرفية بالجبل ويأوي إلى بيته ، فلما توفي ابن مُسَلَّم وُلِّي قضاء الحنابلة بعده نحواً من أربع سنين ، وكان فيه تواضُعٌ وتودُّدٌ وقضاءٌ لحوائج الناس .

وكانت وفاته يوم الأربعاء تاسع صفر ، وكان يوماً مطيراً ، ومع هذا شهد النَّاسُ جنازته ، ودفن بتربتهم(٢) رحمهم الله ، ووَلِّيَ بعد نائبه شرف الدين ابن الحافظ(٣) ، وقد قارب الثمانين .

وفي نصف صفر توفي : **الأمير سيف الدين قَجْلِيس**(٤) . سيف النِّقْمة(٥)، وقد كان سمع على الحجَّار ووزيرة بالقُدْس الشَّريف .

الأمير(٦) **الكبير سيف الدين أَرْغُون**(٧) : بن عبد الله الدّويدار الناصري ، وقد عمل [على](٨) نيابة مصرّ مدَّة طويلة ، ثم غضب عليه السلطان فأرسله إلى نيابة حلبَ ، فمكث بها مدّة ثم توفي بها في سابعَ عشرَ ربيع الأول ، ودفن بتربة اشتراها بحلب ، وقد كان عنده فهم وفقه ، وفيه ديانة واتّباع للشريعة ، وقد سمع « البخاري » بالحجاز وكتبه جميعَه بخطِّه ، وأذن له بعضُ العلماء في الإفتاء ، [وكان يميل إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية وهو بمصرَ](٩) ، توفّي ولم يُكمل الخمسين سنة ، [وكان يكره اللَّهو رحمه الله . ولمّا خرج يلتقي نهرَ السَّاجور خرج في ذلٍّ ومسكنةٍ ، وخرج معه الأُمراء كذلك مشاة في تكبير وتهليل وتحميد ، ومنع المغاني واللّهو واللعبَ في ذلك رحمه الله](٩) .

---

(١) ترجمته في الذيل (ص١٦٦) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤١٥) والدرر الكامنة (٣/ ٤٤٨) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٦) والدارس (٢/ ٣٩) الشذرات (٦/ ٩٦) .

(٢) تربة جدّه أبي عمر .

(٣) هو : عبد الله بن شرف الدين حسين وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٢هـ) .

(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٣) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٧) والدليل الشافي (٢/ ٥٣٥) وفيه : قجليس بن عبد الله أمير سلاح .

(٥) في ط : النعمة وليس كذلك ، لأنه كان معدّاً للأمور العظيمة يُقذف بها ، ويعتمد عليه السلطان فيما يرومه . كما جاء في الدُّرر .

(٦) في ط : وفي منتصف صفر توفي . وليست بشيء .

(٧) ترجمته في الذيل (ص١٦٧) والدرر الكامنة (١/ ٣٥١) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٨) والشذرات (٦/ ٩٥) إعلام النبلاء (٢/ ٣٨٣) .

(٨) ليست في أ ، ب .

(٩) ليست في ب .

القاضي ضياء الدين : أبو الحسن علي[١] بن سليم بن ربيعة[٢] بن سُليمان الأذرعي الشافعي ، تنقَّل في ولاية الأقضية بمدارسَ كثيرة ، مدة ستِّين سنة ، وحكم بطرابُلُس وعَجْلُون وحمص و[٣] زرع وغيرها ، وحكم بدمشقَ نيابةً عن القُونوي نحواً من شهر ، وكان عنده فضيلة وله نظم كثير ، نظم « التنبيه » في نحو ستةَ عشرَ ألف بيت ، وتصحيحها في ألف وثلثمئة بيت ، وله مدائح ومواليا وأَزْجال وغير ذلك .

ثم كانت وفاته بالرَّملة يوم الجمعة ثالث عشري ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة رحمه الله ، وله عدة أولاد منهم عبد الرزاق أحد الفضلاء ، وهو ممَّن جمع بين علمي الشريعة والطبيعة .

أبو رويس عثمان بن معيد المغربي[٤] : تملَّك في وقت بلادَ قابس ، ثمَّ تغلَّب عليه جماعةٌ فانتزعوها منه فقصدَ مصرَ فأقام بها وأُقطع إقطاعاً ، وكان يركب مع الجُند في زيّ المغاربة متقلِّداً سيفاً ، وكان حسنَ الهيئة ، يواظبُ على الخدمة إلى أن توفي في جُمادى الأولىٰ .

الإمام العلامة ضياء الدّين أبو العباس : أحمد[٥] بن قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي الشافعي ، مدرِّسُ الحُسَامية ونائبُ الحكم بمصرَ ، وأعاد في أماكنَ كثيرة ، وتفقَّه على والده .

توفي في جُمادى الآخرة ، وتولَّى الحسَاميّة بعده ناصرُ الدِّين البريديّ[٦] .

[الصدر الكبير][٧] تاج الدّين الكارمي[٨] : المعروف بابن الدّماميني[٩] ، كان أكبر تجار دمشق الكارميَّة[١٠] وبمصرَ . توفي في جُمادى الآخرة ، يُقال : إنّه خلف مئة ألف دينار غير [البضائع والأثاث والأملاك][١١] .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٥٣) والشذرات (٦/ ٩٦) والأعلام (٤/ ٢٩١) .
(٢) في ط : ربيع .
(٣) ليست في ط .
(٤) في ط : دبوس عثمان بن سعيد . وهو تحريف . ولم يرد له مع ضياء الدين الذي قبله ذكر في ب . ولم أقع على ترجمة له .
(٥) لم أقع على ترجمة له .
(٦) في ط : التبريزي .
(٧) زيادة من ب و ط .
(٨) ترجمته في النجوم الزاهرة (٩/ ٢٨٩) .
(٩) في ط : الرهايلي . وأثبتنا مافي ب والنجوم .
(١٠) هم فرقة من السّودان كانوا مقيمين بمصر يتجرون في البهارات بأنواعها .
(١١) ليست في ب .

الإمام العلامة فخر الدين : عثمان[١] بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان بن الماrديني التّركماني الحنفي ، شرح فخر الدين هذا « الجامع الكبير »[٢] وألقاه دروساً في مئة كراس ، توفي في رجب وله إحدى وسبعون سنة ، كان شجاعاً عالماً فاضلاً ، وقوراً فصيحاً حسنَ المفاكهة ، وله نظم حسن . ووليَ بعده المنصورية ولده تاج الدين[٣] .

تقي الدين عمر[٤] **ابن الوزير شمس الدين** : محمد بن عثمان بن السلعوس ، كان [صغيراً] لما ماتَ أبوه[٥] تحت العقوبة ، ثمَّ نشأ في الخدم ، ثم طلبه السلطان في آخر وقت فولّاه نظر الدّواوين بمصر ، فباشر يوماً واحداً . وحضر بين يدي السُّلطان يوم الخميس ، ثم خرج من عنده وقد اضطرب حاله فما وَصَل إلى منزله إلّا في محفّة ، ومات بُكرةَ يوم السبت سادس عشري ذي القعدة ، وصُلّيَ عليه بجامع عمرو بن العاص ، ودُفن عند والده بالقَرَافة . وكانت جنازته حافلة .

جمال الدين أبو العباس : أحمد[٦] بن شرف الدين بن جمال الدين محمد بن أبي الفتح نصر الله ابن أسد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد التّميمي الدمشقي ابن القلانسي ، قاضي العساكر ووكيل بيت المال ومدرّس الأمينية[٧] وغيرها حفظ « التنبيه » ثم « المحرر » للرّافعي ، وكان يستحضره ، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، وتقدَّم لطلب العلم والرئاسة ، وباشر جهات كباراً ، ودرَّس بأماكنَ وتفرَّد في وقته بالرياسة والبيت والمناصب الدينية والدنيوية ، وكان فيه تواضعٌ وحسنُ سَمْت وتودُّد وإحسان وبر بأهل العلم والفقراء والصّالحين ، وهو ممَّن أُذن له في الإفتاء وكتب إنشاء ذلك وأنا حاضر على البديهة ، فأفاد وأجاد ، وأحسنَ التعبير وعَظُم في عيني .

توفي يوم الإثنين ثامن عشري ذي القعدة ، ودفن بتربتهم بالسفح ، وقد سمع الحديث على جماعة من المشايخ وخرَّج له فخر الدين البعلبكي مشيخة سمعناها عليه رحمه الله .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٤٣٥) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٩٠) والأعلام (٤/ ٢٠٢) .
(٢) كتاب في الفقه الحنفي للإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة .
(٣) تاج الدين أحمد بن عثمان . مات سنة (٧٤٤هـ) الدرر (١/ ١٩٨) .
(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٨٨) .
(٥) هو محمد بن عثمان ، الوزير الصاحب التاجر . قتل تحت العقوبة سنة (٦٩٣هـ) النجوم (٨/ ٥٤) .
(٦) ترجمته في الذيل (ص١٦٨ ـ ١٦٩) والدرر الكامنة (١/ ٣٠٠) والدارس (١/ ١٩٧) والشذرات (٦/ ٩٥) .
(٧) الظاهرية والعصرونية . الدارس (١/ ١٧٧) و (١/ ٣٤٠) .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة

استهلَّت [وحكام البلاد هم هم][١] وفي أولها فتحت القيسارية التي كانت مَسْبَكَ الفُولاذ جُوَّاباب الصّغير حوّلَها تَنْكِز قيسارية[٢] ببركة .

وفي يوم الأربعاء[٣] ذكر الدَّرس بالأمينية والظَّاهرية علاء الدين بن القلانسي عوضاً عن أخيه جمال الدين ، وذكر ابن أخيه أمين الدين محمد بن جمال الدين الدرس في العصرونية ، تركها له عمه ، وحضر عندهما جماعة من الأعيان[٤] .

وفي تاسع المحرّم جاء إلى حمصَ سيلٌ عظيم غرق بسببه خلقٌ كثير وجمٌّ غفير، وهلك للنَّاس أشياءُ كثيرة. وممَّن مات فيه نحو مئتي امرأة بحمام النّائب[٥] ، كن مجتمعات على عروس أو عروسين فهلكن جميعاً[٦] .

وفي صفر أمر تَنْكِز ببياض الجدران المقابلة لسوق الخيل إلى باب الفراديس ، وأمر بتجديد خان الظَّاهر ، فغرم عليه نحواً من سبعين ألفاً .

وفي هذا الشهر وصل تابوت لاجين الصَّغير من البيرة فدُفن بتربته خارج باب شرقي[٧] . وفي تاسع ربيع الآخر حضر الدرس بالقيمازيّة[٨] عماد الدين الطَّرَسُوسي[٩] الحنفي عوضاً عن الشيخ رضي الدين المنطيقي ، توفي ، وحضر عنده القضاة والأعيان .

وفي أول ربيع الآخر خُلع على الملك الأفضل علي بن الملك المؤيد صاحب حماة وولّاه السلطان الملك الناصر مكانَ أبيه بحكم وفاته ، وركب بمصر بالعصائب والنشابة والغَاشية أمامه[١٠] .

---

(١) ليست في ب . وفيه : والخليفة المستكفي والسلطان الملك الناصر ولا نائب له بديار مصر . وأما في الشام فنائبه بها الأمير سيف الدين تنكز الناصري . وقضاة الشام . والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها سوى الحنبلي ، فإنه شرف الدين بن الحافظ ، وسوى وكيل بيت المال ، وقاضي العسكر علاء الدين أخو جمال الدين بن القلانسي وناظر الجامع عماد الدين بن الشيرازي .

(٢) في ب : للعُبي والصُّوف .

(٣) سادس المحرّم .

(٤) الدارس (١/ ١٩٨) .

(٥) حمام النائب سيف الدين تنكز الذي بحمص . الفوات (١/ ٢٥٧) .

(٦) الشذرات (٦/ ٩٧) .

(٧) الدرر الكامنة (٣/ ٢٧٠) .

(٨) داخل باب النصر والفرج . الدارس (١/ ٥٧٢) .

(٩) علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم . مات سنة (٧٤٨هـ) . الدرر الكامنة (٣/ ١٨) .

(١٠) النجوم الزاهرة (٩/ ١٠٠) .

وفي نصف هذا الشهر سافر الشيخ شمس الدين الأصفهاني شارح « المختصر » ومدرِّس الرّواحية إلى الديار المصرية على خيل البريد ، وفارق دمشقَ وأهلَها واستوطن القاهرة .

وفي يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى[١] خُطب بالجامع الذي أنشأه الأمير سيف الدين آل ملك[٢] واستقر فيه خطيباً نور الدين علي بن شبيب الحنبلي[٣] .

وفيه أرسل السلطان جماعة من الأمراء إلى الصّعيد فأحاطوا على نحو من خمسمئة[٤] رجل ممن كان يقطع الطريق فأتلف بعضهم .

وفي جمادى الآخرة تولّى شدَّ الدواوين بدمشقَ نور الدين بن الخشاب عوضاً عن الطّرقشي .

وفي يوم الأربعاء حاديْ عشرَ رجب خُلع على قاضي القضاة علاء الدين بن الشيخ زين الدين بن المُنَجَّا بقضاء الحنابلة عوضاً عن شرف الدين بن الحافظ ، وقُرئ تقليده بالجامع ، وحضر القضاة والأعيان وفي اليوم الثاني استناب برهان الدين الزُّرعي[٥] .

وفي رجبٍ باشر شمسُ الدين موسى بن التاج إسحاق[٦] نظرَ الجيوش بمصرَ عوضاً عن فخر الدين كاتب المماليك توفي ، وباشر النَّشو[٧] مكانَه في نظر الخاص ، وخُلع عليه بطرحة ، فلما كان في شعبان عُزل هو وأخوه العلم ناظر الدواوين ، وصُودرا وضُربا ضرباً عظيماً ، وتَولَّى نظر الجيش المكين بن قُرْوينة ، ونظر الدواوين أخوه شمس الدين بن قُرْوينة .

وفي شعبان كان عرس أَنُوك ، ويقال : كان اسمه محمد ابن السلطان الملك الناصر ، على بنت الأمير سيف الدين بَكْتَمُر السَّاقي ، وكان جهازها بألف ألف دينار ، وذُبح في هذا العرس من الأغنام والدَّجاج والإوز والخيل والبقر نحو من عشرين ألفاً ، وعملت[٨] حلوى بنحو ثمانية عشر ألف قنطار ، وحمل له من الشمع ثلاثة آلاف قنطار ، قاله الشّيخ أبو بكر الرّحبي[٩] ، وكان هذا العرس ليلة الجمعة حادي عشرَ شعبانَ .

---

(١) في ط : الآخرة .
(٢) مات مقتولاً بالإسكندرية سنة (٧٤٧هـ) أيام الملك الكامل شعبان ونقل إلى القاهرة ميتاً . الدرر (١/ ٤١١) النجوم (١٠/ ١٧٥) .
(٣) مات سنة (٧٤٧هـ) . الدرر (٣/ ٥٩) .
(٤) في ط : ستمئة .
(٥) الدارس (٢/ ٤١) .
(٦) موسى بن إسحاق ويدعى عبد الوهاب . مات سنة (٧٧١هـ) .
(٧) هو : شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله المعروف بالنَّشْو .
(٨) في ط : حملت .
(٩) ليست في ط .

وفي شعبان هذا حُوِّلَ القاضي محيي الدين بن فضل الله من كتابة السرِّ بمصرَ إلى كتابة السرِّ بالشام ، ونقل شرف بن شمس الدين بن الشهاب محمود إلى كتابة السر بمصر .

وأُقيمت الجمعة بالشّامية البرَّانية في خامس عشرين(١) شعبان ، وحضرها القُضاة والأمراء ، وخطب بها الشيخ زين الدّين عبد النُّور المغربي(٢) وذلك بإشارة الأمير حسام الدين اليُشْمَقْدَار الحاجب بالشّام ، ثمَّ خَطب عنه كمال الدين بن الزكي(٣) .

[وفيه أمر نائب السلطنة بتبييض البيوت من سوق الخيل إلى ميدان الحصا ، ففعل ذلك](٤) .

وفيه زادت الفراتُ زيادةً عظيمةً لم يُسمع بمثلها ، واستمرّت نحواً من اثني عشرَ يوماً فأتلفت بالرَّحبة أموالًا كثيرة ، وكسرت الجسر الذي عند دير بسر ، وغلت الأسْعار هناك فشرعوا في إصلاح الجسر ، ثم انكسر مرة ثانية .

وفي يوم السَّبت تاسع شوال خرج الرَّكبُ الشَّامي وأميره سيف الدين أُورَان(٥) ، وقاضيه جمال الدين بن الشريشي(٦) ، وهو قاضي حمصَ الآن .

وحج السُّلطان في هذه السنة وفي صحبته قاضي القضاة القزويني ، وعز الدين بن جماعة ، وموفق الدين الحنبلي ، وسبعون أميراً .

وفي ليلة الخميس حادي عشري شوال رُسم على الصَّاحب عز الدين غبريال بالمدرسة النَّجيبية الجوّانية ، وصُودر وأُخذت منه أموالٌ كثيرة ، وأُفرج عنه في المحرم من السنة الآتية .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ عبد الرحمن(٧) بن أبي محمد بن محمد : ابن سلطان القرامزي(٨) ، أحدُ المشاهير بالعبادة

---

(١) في ط : عشر .
(٢) عبد النور بن علي المغربي المكناسي ، زين الدين وقطب الدين . مات سنة (٧٦٣هـ) . الدارس (١/ ٢٩٨) .
(٣) هو : محمد بن يحيى بن محمد القرشي . مات سنة (٧٤٤هـ) الدرر (٤/ ٢٨٠) والدارس (١/ ٢٩٨) .
(٤) ليست في ب .
(٥) في ط : أوزان وهو تطبيع . وهو أُورَان بن عبد الله الحاجب بدمشق . مات سنة (٧٣٣هـ) الدرر الكامنة (١/ ٤١٩) والدليل الشافي (١/ ١٥٧) .
(٦) جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سحمان أبو بكر بن الشريشي الأصل نزيل دمشق مات سنة (٧٦٩هـ) . الدرر الكامنة (٣/ ٣٥١) .
(٧) ترجمته في الذيل (ص١٧٠) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤١٦) والدرر الكامنة (٢/ ٣٤٦) والشذرات (٦/ ١٠٠) .
(٨) في ط : القرامذي .

والزهادة وملازمة الجامع الأموي ، وكثرة التّلاوة والذّكر ، وله أصحاب يجلسون إليه ، وله مع هذا ثروة وأملاك .

توفي في مستهلّ المحرم عن خمس أو ست وثمانين سنة[١] ، ودفن بباب الصغير ، وكان قد سمع الحديث واشتغل بالعلم ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة إلى أن مات .

الملك المؤَيّد صاحبُ حماةَ : عماد الدين إسماعيل[٢] بن الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفّر تقي الدين عمر بن شَاهِنْشاه بن أيُّوب ، كانت له فضائل كثيرة في علوم متعددة في الفقه والهيئة والطبّ وغير ذلك ، وله مصنفات عديدة ، منها « تاريخ » حافل حسن مختصر[٣] في مجلدين كبيرين « وله العُروض والأطوال والكلام على البلدان » في مجلد كبير[٤] ، وله « نظم الحاوي » وغير ذلك ، وكان يحبُّ العلماءَ ، ويشاركهم في فنون كثيرة ، وكان من فُضَلاء بني أيوب ، وَلِيَ مُلكَ حماة من سنة إحدى وعشرين إلى هذا الحين ، وكان الملك النّاصر يكرمُه ويعظِّمه ، ووَلِيَ بعده ولده الأَفضل عليّ[٥] .

توفي في سَحَر يوم الخميس ثامن عشرين المحرم ، ودُفن ضَحْوةً عند والديه بظاهر حماة .

القاضي الإمام العالم المحدث[٦] تاج الدين السَّعْدي : تاج الدين أبو القاسم عبد الغفّار[٧] بن محمد بن عبد الكافي بن عوض بن سِنَان بن عبد الله السَّعْدي الفقيه الشافعي ، سمع الكثيرَ وخرَّج لنفسه معجَماً في ثلاثة مجلدات ، وقرأ بنفسه الكثير ، وكتب الخطَّ الجيد ، وكان متقناً عارفاً بهذا الفن ، يقال : إنَّه كتب بخطه نحواً من خمسمئة مجلد ، وقد كان شافعياً مُفْتياً ، ومع هذا ناب في وقتٍ عن القاضي الحنبلي ، ووليَ مشيخة الحديث بالمدرسة الصاحبية ، وتوفي بمصرَ في مستهل ربيع الأول عن ثنتين وثمانين سنة ، رحمه الله .

الشيخ رضي الدين إبراهيم[٨] بن سليمان : المنطيقي الحنفي ، أصله من أَبْ كَرْم ، من بلاد

---

(١) في الذيل (بَجْوبَر) .

(٢) ترجمته في الذيل (ص١٧٠) وطبقات الشافعية (٦/ ٨٤) وفوات الوفيات (١/ ١٨٣) والدرر الكامنة (١/ ٣٧١) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٩٢) والبدائع (١/ ٤٦٦) وفيه وفاته سنة (٧٣٣هـ) .

(٣) ليست في ط ، وهو مطبوع مشهور .

(٤) ليست في ط . وهو المطبوع تحت اسم تقويم البلدان . مطبوع في باريس عام ١٨٤٠م .

(٥) وهم ممدوحو ابن نباتة الشاعر المعروف .

(٦) ليست في ط .

(٧) ترجمته في الذيل (ص١٧١) وطبقات الشافعية (٦/ ١٢٥) والدرر الكامنة (٢/ ٣٨٦) والشذرات (٦/ ١٠٢) والدارس (٢/ ٨٥) .

(٨) ليست في ط . وترجمته في الذيل (ص١٧٢) والجواهر المضيّة (١/ ١٣٩) والدرر الكامنة (١/ ٢٧) وفيه : الأبكرمي ، والشذرات (٦/ ٩٧) والدارس (١/ ٥٧٥) .

قوبِيَة ، وأقام بحماة ثم بدمشق . ودرّس بالقَيْمازيَّة[١] ، وكان فاضلاً في المنطق والجدل ، واشتغل عليه جماعةٌ في ذلك ، وبلغ من العمر ستاً وثمانين سنة ، وحجَّ سبعَ مرات .

توفي ليلة الجمعة سادس عشري ربيع الأول ، وصُلّيَ عليه بعد الصَّلاة ودُفن بالصوفية .

وفي ربيع الأول توفي : **الأمير علاءُ الدّين طَيْبُغَا**[٢] : ودفن بتربته بالصّالحية .

وكذلك **الأَمير سَيْفُ الدّين زُولاق**[٣] : ودُفن بتربته أيضاً .

قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد : عبد الله[٤] بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي ، ولد سنة ست وأربعين وستمئة ، وباشر نيابة ابن مسلَّم مدة ، ثم ولّي القضاء في السنة الماضية، ثم كانت وفاته فجأة[٥] في مستهل جُمادى الأولىٰ ليلةَ الخميس، ودُفن من الغد بتربة الشيخ أبي عمر .

الشَّيخ ياقُوت[٦] **الحَبَشيّ** : الشّاذلي الإسكندرانيّ بلغ الثّمانين ، وكان له أتباع ، وأصحاب منهم شمس الدين بن اللَّبّان الفقيه الشافعي، وكان يعظِّمُه ويُطْريه ويُنْسبُ إليه مبالغات [الله أعلم بصحتها وكذبها][٧] .

توفي في جُمادى وكانت جنازته حافلة جداً .

النَّقيب ناصح الدين : محمد[٨] بن عبد الرحيم بن قاسم بن إسماعيل الدِّمشقي ، نقيب المُتَعَمِّمين ، تتلمذ أولاً للشِّهاب المقرئ ، ثم كان بعده من المحافل للعَزَاء والهَنَاء ، وكان يعرِف هذا الفن جيداً ، وكان كثير الطَّلب من الناس ، ويطلُبه النَّاس لذلك ، ومع هذا مات وعليه ديونٌ كثيرة ، توفي في أواخر رجب .

القاضي فَخْر الدّين كاتبُ المماليك : وهو محمد[٩] بن فضل الله ناظر الجيوش بمصرَ ، أَصْله

---

(١) من مدارس الحنفية بدمشق . الدارس (١/ ٥٧٥) .
(٢) الدرر الكامنة (٢/ ٢٣١) .
(٣) لم أقع على ترجمة له .
(٤) ترجمته في الذيل (ص١٧٢) والدرر الكامنة (٢/ ٢٥٥) وفيه : الحسين . والدارس (٢/ ٤٠) والشذرات (٦/ ١٠٠) .
(٥) وهو يتوضأ لصلاة المغرب .
(٦) ترجمته في الذيل (ص١٧٢) والدرر الكامنة (٤/ ٤٠٨) وفيه : ياقوت بن عبد الله الحبشي ، والنجوم (٩/ ٢٩٥) والدارس (١/ ٣٢٥) وفيه : ياقوت الملثم والشذرات (٦/ ١٠٣) .
(٧) ليست في ب .
(٨) لم أقع على ترجمة له .
(٩) ترجمته في الذيل (ص١٧٣) والدرر الكامنة (٤/ ١٣٨) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٩٥) والدارس (١/ ٤٣١) .

قبطيٌّ ، فأسلمَ وحَسُن إسلامه ، وكانت له أوقاف كثيرة[١] ، وبر وإحسان إلى أهل العلم ، وكان صدراً معظَّماً ، حصل له من السلطان حظ وافر ، وقد جاوز السبعين وإليه تُنسب الفخريّة بالقُدس الشريف .

توفّي في نصف رجب واحتيط على أمواله وأملاكه بعد وفاته رحمه الله .

الأَمير سيف الدين أُلْجَاي[٢] الدّويدار الملكي الناصري : كان فقيهاً حنفياً فاضلاً ، كتب بخطه ربعة ، وحصَّل كتباً كثيرة معتبرة ، وكان كثيرَ الإحسان إلى أهل العلم ، توفّي في سلخ رجب رحمه الله .

الطّبيب الماهر الحاذق الفاضل : أمين الدين سليمان[٣] بن داود بن سليمان ، كان رئيسَ الأطبّاء بدمشقَ ومدرِّسَهم مدَّة[٤] ، ثم عزل بجمال الدين بن الشهاب الكحال[٥] مدة قبل موته لأمرٍ تعصَّب عليه فيه نائبُ السَّلطنة .

توفي يوم السبت سادس عشرين شوّال ودفن بالقُبَيْبَات .

الشّيخ الإمام العالم المقرئ شيخ القراء : برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم[٦] بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجَعْبريّ ، ثم الخليلي الشافعي ، صاحب المصنَّفات الكثيرة في القراءات وغيرها[٧] ، ولد سنة أربعين وستمئة بقلعة جَعْبر ، واشتغل ببغداد ، ثم قدم دمشقَ ، وأقام ببلد الخليل نحو أربعينَ سنةً يقرِئُ النَّاس ، وشَرح الشَّاطبية وسمع الحديث ، وكانت له إجازة من يوسف بن خليل الحافظ ، وصنّف في العربيّة والعَرُوض والقراءات نظماً ونثراً ، وكان من المشايخ المشهورين بالفضائل والرّياسة والخير والدّيانة والعفَّة والصّيانة .

توفّي يوم الأحد خامس شهر رمضان ، ودفن ببلد الخليل تحت الزيتونة ، وله ثنتان وتسعون سنة رحمه الله .

قاضي القضاة علم الدين : أبو عبد الله بن محمد[٨] بن القاضي شمس الدين أبي بكر بن عيسى بن

---

(١) بنىٰ مساجد كثيرة في القاهرة ، وعمر أحواضاً كثيرة في الطرقات ، وبنى بنابلُس مدرسة وبالرملة بيمارستاناً . النجوم الزاهرة (٩/ ٢٩٦) .

(٢) ترجمته في الذيل (ص١٧٤) وفيه : أُلْجَيْه . والدرر الكامنة (١/ ٤٠٥) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٩٧) .

(٣) ترجمته في الذيل (ص١٧٤) . والدرر الكامنة (٢/ ١٥١) والدارس (٢/ ١٣٢) والشذرات (٦/ ١٠٠) .

(٤) درّس بالدّخوارية . وهي مدرسة طبيّة بالصاغة العتيقة قبلي الجامع . الدارس (٢/ ١٢٧) .

(٥) هو : محمد بن أحمد الكحال رأس المدرسة الدّخوارية سنة (٧١٧هـ) عوضاً عن أمين الدين .

(٦) ترجمته في الذيل (ص١٧٤ ـ ١٧٥) وغاية النهاية (١/ ٢١) والدرر الكامنة (١/ ٥٠) والفوات (١/ ٣٨) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٩٦) والشذرات (٦/ ٩٧) .

(٧) ألف شرحاً للشاطبية كبيراً ، وشرحاً للرائية ، ونظم في الرسم روضة الطرائف . واختصر مختصر ابن الحاجب ومقدمة ابن الحاجب في النحو ، وكمّل شرح التعجيز .

(٨) ترجمته في الذيل (ص١٧٥) وطبقات الشافعية (٦/ ٤٥) والدرر الكامنة (٣/ ٤٠٧) والدارس (٢/ ٢٦٩) والشذرات (٦/ ١٠٣) .

بدران بن رحمة الإِخْنَائي السَّعْدي المصري الشافعي الحاكم بدمشقَ وأعمالها ، كان عفيفاً نزهاً ذكياً سادَّ العبارة محبّاً للفضائل ، معظّماً لأهلها ، كثيراً لإسماع الحديث في العادلية الكبيرة ، توفي يوم الجمعة ثالثَ عشرَ ذي القعدة ودُفن بسفح قاسيون عند زوجته تجاه تربة العادل كَتْبُغَا[١] من ناحية الجبل .

قُطب الدّين موسى[٢] : ابن أحمد بن الحسين ابن شيخ السلامية ناظر الجيوش الشامية ، كانت له ثروة وأموال كثيرة ، وله فضائل وإفضال وكرم وإحسان إلى أهل الخير ، وكان مَقْصَداً في المُهمّات .

توفّي يوم الثلاثاء ثاني الحجة وقد جاوزَ السَّبعين ، ودُفن بتربته[٣] تجاه النَّاصرية بقاسيون ، وهو والد الشيخ الإمام العلامة عزّ الدين حمزة[٤] مدرِّس الحنبلية[٥] .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة

استهلّت يوم الأربعاء [والحكام هم المذكورون في التي قبلها][٦] وليس للشافعية قاض ، وقاضي الحنفية عماد الدين الطرَسوسي ، وقاضي المالكية شرف الدين الهمداني ، وقاضي الحنابلة علاء الدين بن المُنَجَّا[٧] ، وكاتبُ السرّ محيي الدين بن فضل الله[٨] ، وناظرُ الجَامع عمادُ الدِّين بنُ الشِّيرازي[٩] .

(١) غربي دار الحديث الناصرية البرانية بسفح قاسيون . الدارس (٢/ ٢٦٠) .
(٢) ترجمته في الذيل (ص١٧٦) والدرر الكامنة (٤/ ٣٧٢) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٩٨) وذكره في وفيات سنة (٧٣٣هـ) والشذرات (٦/ ١٠٣) .
(٣) التربة السلامية . الدارس (٢/ ٢٥٠) .
(٤) حمزة بن موسى مات سنة (٧٦٩هـ) ترجمته في الوفيات لابن رافع (٢/ ٣٣٨) .
(٥) المدرسة الحنبلية الشريفة عند القباقبية . مرّ ذكرها .
(٦) ليست في ب ، والذي فيه :
والخليفة المستكفي بالله والسلطان الملك الناصر بن قلاوون .
(٧) زيادة من ب :
ولا ناظر للديوان السلطاني ، والصاحب شمس الدين غبريال تحت الحوطة ، وقد توفي ناظر الجيش قطب الدين بن شيخ السلامية ، والخطيبُ بدر الدين بن جلال الدين ، والمحتسب عز الدين بن القلانسي ، وهو ناظر الخزانة .
(٨) زيادة من ب :
وشادّ الدواوين بدر الدين بن الخشاب ، ووكيل بيت المال علاء الدين بن القلانسي ، وهو قاضي العساكر ، ومتولي البر والبلد هما المذكوران في التي مضت .
(٩) زيادة من ب :
وناظر الأوقاف شمس الدين بن الحريري ، ونقيب الأشراف عدنان الحسيني .

وفي ثاني[١] المحرَّم قدم البشيرُ بسلامة السُّلطان من الحجاز وباقتراب وصوله إلى البلاد ، فدُقّت البشائر وزُيّنت البلد . وأَخبر البشير بوفاة الأمير سيف الدين بَكْتَمُر الساقي[٢] وولدُه شهاب الدين أحمد وهما راجعان في الطريق ، بعد أن حجَّا قريباً من مصرَ : الولدُ أوّلاً ، ثمَّ من بعده أبوه بثلاثة أيام بعيون القَصَب[٣] ، ثمّ نقلاً إلى تربتهما بالقَرَافة ، ووُجدَ لبَكْتَمُر من الأَموال والجواهر واللآلئ والقماش والأمتعة والحواصل شيءٌ كثيرٌ ، لا يكاد ينحصر ولا ينضبط[٤] .

وأفرج عن الصاحب شمس الدين غبريال في المحرَّم ، وطُلب في صفر إلى مصرَ فتوجّه على خيل البريد ، واحتيط على أهله بعد مسيره وأخذت منهم أموال كثيرة لبيت المال[٥] .

وفي أواخر صفر قدم الصّاحب أمين المُلك على نظر الدّواوين بدمشقَ عوضاً عن غبريال .

وبعده بأربعة أيام قدم القاضي فخر الدين بن الحليّ[٦] على نظر الجيش بعد وفاة قطب الدين ابن شيخ السلامية .

وفي نصف ربيع الأول لبس ابنُ جملة خِلعة القضاء للشَّافعية بدمشقَ بدار السعادة ، ثم جاء إلى الجامع وهي عليه ، وذهب إلى العادليّة وقُرئ تقليدُه بها بحضرة الأعيان ، ودرَّس بالعادلية والغزالية يوم الأربعاء ثاني عشري الشَّهر المذكور[٧] .

وفي يوم الإثنين رابع عشريه حضر ابن أخيه جمال الدين محمود[٨] إعادة القيمرية نزَل له عنها ، ثم استنابه بعد ذلك في المجلس ، وخرج إلى العادلية فحكم بها ، ثم لم يستمر بعد ذلك ، عُزل عن النّيابة بيومه ، واستناب بعده جمال الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن يوسُف الحسباني[٩] ، وله همّة وعنده نزاهةٌ وخبرةٌ بالأحكام .

---

(١) في ب والنجوم الزاهرة (٩/ ١٠٧) .
(٢) ترجمته في الذيل (ص١٧٦) والدرر الكامنة (١/ ٤٨٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٠٠) وجاء في النجوم : البشير هو تُلُك المظفّري الجمدار .
(٣) هي منزلة في طريق الحج المصري ببلاد الحجاز ، وهي عين ماء ينبت حولها القصب الفارسي ، فعرفت به .
(٤) الدرر (١/ ٤٨٦) والشذرات (٦/ ١٠٥) .
(٥) الدارس (٢/ ٩) .
(٦) الذيل (ص١٧٧) .
(٧) في أ : ثاني الشهر . وفي ط : ثاني عشر . وأثبتنا مافي الدارس (١/ ٤٢٤) : وهو الصواب .
(٨) هو : محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة المحجّي . مات سنة (٧٦٤هـ) كما سيأتي .
(٩) مات سنة (٧٥٥هـ) الدرر الكامنة (١/ ٧٠) والدارس (١/ ٣٦٦) . والحسباني : نسبة إلى حسبان البلدة التي كان قاضياً فيها .

وفي ربيع الأول ولّيَ شهاب الدين[١] قَراطَاي نيابةَ طرابُلُس ، وعُزل عنها طِيْنَال[٢] إلى نيابة غزّة وتولّى نائب غزَّةَ حمصَ ، وحصل للذي جاء بتقاليدهم مئة ألف درهم منهم .

وفي ربيع الآخرة أعيد القاضي محيي الدين بن فضل الله وولده إلى كتابة سرّ مصرَ ، ورجع شرف الدين ابن الشّهاب محمود إلى كتابة سرّ الشام كما كان .

وفي منتصف هذا الشهر وُلِّيَ نِقابة الأشراف عماد الدين موسى الحُسَيْني عوضاً عن أخيه شرف الدين عدنان توفي في الشهر الماضي ودُفن بتربتهم عند مسجد الذُّبَّان[٣] .

وفيه درَّس الفخر المصري بالدّولعية عوضاً عن ابن جملة بحكم ولايته القضاء[٤] .

وفي خامس عشري رجب درَّس بالبادرائية القاضي علاء الدين علي بن شريف ويُعرف بابن الوحيد[٥] ، عوضاً عن ابن جهبل توفي في الشَّهر الماضي ، وحضر عنده القضاة والأَعيان ، وكنتُ إذ ذاك بالقدس أنا والشيخ شمس الدين بن عبد الهادي وآخرون .

وفيه رسم السلطان الملك الناصر بالمنع من رمي البندق ، وأن لاتُباعَ قِسيُّها ولا تُعمل ، وذلك لإفساد رماة البندق أولادَ النّاس ، [وأن الغالب على من تعاناه اللواط والفسق وقلة الدين ، ونُودي بذلك في البلاد المصرية والشامية][٦] .

قال البِرْزالي : وفي نصف شعبان أمر السُّلطان بتسليم المنجِّمين إلى والي القاهرة فضُربوا وحُبِسُوا لإفسادهم حالَ النِّساء ، فمات منهم أربعةٌ تحت العقوبة ، ثلاثةٌ من المسلمين ونصراني ، وكتب إليَّ بذلك الشيخ أبو بكر الرحبي .

وفي أوّل رمضانَ وصل البريد بتولية الأمير فخر الدين [عثمان بن محمد][٧] الشمس لؤلؤ ولاية البر بدمشق بعد وفاة شهاب الدين بن المرواني .

ووصل كتاب من مكَّةَ إلى دمشق في رمضانَ يُذكر فيه أنّها وقعت صواعقُ ببلاد الحجاز فقتلت جماعة متفرِّقين في أماكن شتَّى ، وأمطار كثيرة جداً .

---

(١) ليست في ط . وقَرَطاي في أ و ط .
(٢) في ط : طبلان وهو تحريف . مات سنة (٧٤٣هـ) . الدرر الكامنة (٢/ ٢٣٢) .
(٣) الذيل (ص١٧٨) .
(٤) الدارس (١/ ٢١١) .
(٥) سيأتي في وفيات سنة (٧٤٤هـ) .
(٦) ليست في ب .
(٧) زيادة من ب . وسيأتي في وفيات سنة (٧٣٦هـ) .

وجاء البريدُ في رابع رمضانَ بتولية القاضي محيي الدين بن جهبل[١] قضاء طرابُلُس فذهب إليها .

ودرَّس ابن المجد عبد الله[٢] بالرّواحية عوضاً عن الأَصْبَهاني بحكم إقامته بمصر .

وفي آخر رمضان أفرج عن الصّاحب علاء الدين وأخيه شمس الدين موسى بن التاج إسحاق بعد سَجْنهما سنةً ونصفاً[٣] .

وخرج الرَّكبُ الشّامي يوم الخميس عاشر شوّال وأميره بدر الدين بن مَعْبد وقاضيه علاء الدين بن منصور مدرِّس الحنفية بالقدس بمدرسة تَنْكِز ، وفي الحُجّاج صدر الدين المالكي ، وشهاب الدين الظهيري ، ومحيي الدين ابن الأعقف وآخرون .

وفي يوم الأحد ثالث عشره درَّس بالأَتابكيَّة ابن جملة عوضاً عن ابن جهبل الذي تولّى قضاء طرابُلُس[٤] .

وفي يوم الأحد عشرينه حكم القاضي شمس الدين محمد بن كامل التَّدمري[٥] ، الذي كان في خطابة الخليل بدمشقَ نيابةً عن ابن جملة ، وفرح الناس بدينه وفضيلته .

وفي ذي القعدة مَسَك تَنْكِزُ دواداره ناصرَ الدِّين محمّد ، وكان عندَه بمكانةٍ عظيمة جداً ، وضربه بين يديه ضَرْباً مُبْرحاً ، واستخلص منه أموالاً كثيرة ، ثم حبسه بالقلعة ثم نفاه إلى القدس ، وضُرب جماعةٌ من أصحابه منهم علاء الدين بن مقلّد حاجب العرب ، وقطع لسانه مرتين ، ومات ، وتغيرت الدولة وجاءت دولة أخرى مقدَّمُها عنده حمزةُ الذي كان سميره وعشيرَه في هذه المدة الأخيرة ، وانزاحت النِّعمة عن الدوادار ناصر الدين وذويه ومن يليه .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشري ذي القعدة ركِّب على الكعبة بابٌ جديد أرسله السلطان مرصَّعاً من السِّنط[٦] الأحمر كأنه آبنوس ، مركَّب عليه صفائح من فضة زنتها خمسةٌ وثلاثون ألفاً وثلثمئة وكسر ، وقلع الباب العتيق ، وهو من خشب السّاج ، وعليه صفائح تسلَّمها بنو شَيْبَةَ ، وكان زِنتها ستين رطلاً فباعوها كل درهم بدرهمين ، لأجل التَّبرُّك . وهذا خطأ وهو رِباً ـ وكان ينبغي أن يبيعوها بالذهب لئلا يحصل رِباً بذلك ـ وتُرك خشبُ الباب العتيق داخل الكعبة ، وعليه اسم صاحب اليمن في الفَرْدَتَيْن ، سَطْرٌ واحدٌ[٧] :

---

(١) في ط : جميل . وهو : إسماعيل بن يحيىٰ ، مات سنة (٧٤٠هـ) . الدرر (١/ ٣٨٤) .

(٢) هو : أحمد بن عبد الله ، الشافعي . الدارس (١/ ٢٧٢) .

(٣) الدرر (٤/ ٣٧٤) .

(٤) الدارس (١/ ١٣٣) .

(٥) خطيب تدمر ، ثم القدس ، مات سنة (٧٤١هـ) الدرر الكامنة (٤/ ١٥٠) .

(٦) في ط : مرضعاً من السبط وهو تحريف .

(٧) في أ وط : واحدة عليها . وأثبتنا مافي ب ، وهو الأشبه .

اللَّهم يا وليُّ يا عليّ يا عليّ اغفر ليوسُفَ بن عمرَ بن عَلِيّ[١] .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ العالم تقي الدين محمود بن[٢] علي : ابن محمود بن مقبل الدَّقوقي أبو الثناء البغدادي محدّث بغداد منذ خمسينَ سنةً ، يقرأ لهم الحديث وقد وُلّي مشيخة الحديث بالمُسْتَنصريّة[٣] ، وكان ضابطاً محصِّلاً بارعاً ، وكان يعظُ ويتكلَّمُ في الأَعْزيَة والأَهْنيَة ، وكان فرداً في زمانه وبلاده رحمه الله .

توفي في المحرَّم وله قريب السبعين سنة ، وشهد جنازته خلق كثير ، ودفن بتربة الإمام أحمد ، ولم يخلّف درهماً واحداً ، وله قصيدتان رَثَىٰ بهما الشيخ تقي الدين بن تيمية ، كتب بهما إلى الشيخ الحافظ البرزالي رحمه الله تعالى .

الشَّيخُ الإمام العالم عزُّ القضاة : فخر الدين أبو محمد عبد الواحد[٤] بن منصور بن محمد بن المُنَيِّر المالكيّ الإسكندري ، أحد الفضلاء المشهورين ، له تفسير في ستَّة مجلدات ، وقصائد في رسول الله ﷺ حسنة ، [وله [نظم][٥] في كان وكان ، وقد سمعَ الكثيرَ ورَوى][٦] .

توفي في جُمادى الأولى عن ثنتين وثمانين سنة ، ودفن بالإسكندرية . رحمه الله .

ابن جماعة قاضي القضاة : العالم شيخ الإسلام بدر الدين أبو عبد الله محمد[٧] ابن الشيخ الإمام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني الحموي الأصل [الشافعي][٨] ، ولد ليلة السبت رابع ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمئة بحماة ، وسمع الحديث واشتغل بالعلم ، وحصّل علوماً متعددة ، وتقدَّم وسادَ أقرانه ، وباشر تدريس القيمرية ، ثم وُلِّي الحكمَ والخطابةَ بالقدس الشّريف ، ثم نُقل منه إلى قضاء مصرَ في الأيام الأشرفية ، ثم باشر تداريسَ كبارٍ

---

(١) وهو : يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، الملك المظفر أبو منصور . توفي في اليمن في شهر رجب النجوم الزاهرة (٨/ ٧١) والشذرات (٥/ ٤٢٧) .

(٢) ليست في ط . وترجمته في الذيل (ص١٧٧) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٢١) والدرر الكامنة (٤/ ٣٣٠) والشذرات (٦/ ١٠٦) .

(٣) مدرسة في بغداد مرّ ذكرها .

(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٢) والأعلام (٤/ ١٧٧) وثمة مصادر ترجمة له .

(٥) زيادة من ب والأعلام .

(٦) ليست في ب .

(٧) ترجمته في الذيل (ص١٧٨) وطبقات الشافعية (٥/ ١٨١) وفوات الوفيات (٣/ ٢٩٧) والدرر الكامنة (٣/ ٢٨٠) والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٩٨) والشذرات (٦/ ١٠٥) .

(٨) زيادة من ب .

بها[١] في ذلك الوقت ، ثم وُلِّي قضاء الشّام وجُمع له معه الخطابة ومشيخة الشيوخ وتدريس العادلية وغيرها مدة طويلة ، كل هذا مع الريّاسة والديانة والصيانة والورع ، وكف الأذى ، وله التّصانيف الفائقة النافعة ، وجمع له خطباً كان يخطب بها في طيب صوت فيها وفي قراءته في المحراب وغيره ، ثم نُقل إلى قضاء الديار المصريّة بعد وفاة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، فلم يزل حاكماً بها إلى أن أَضَرَّ وكَبِرَ وضعُفَت أحواله ، فاستقال فأقيل وتولّى مكانه القزويني ، وبقيت معه بعض الجهات ورُتّبت له الرواتب الكثيرة الدارَّة إلى أن توفي ليلة الإثنين بعد عشاء الآخرة حادي عشري جُمادى الأولى ، وقد أكمل أربعاً وتسعين سنةً وشهراً وأياماً ، وصُلِّيَ عليه من الغد قبل الظهر بالجامع الناصري بمصر ، ودفن بالقَرَافة ، وكانت جنازته حافلة هائلة رحمه الله .

الشّيخ الإمام الفاضل مفتي المسلمين : شهاب الدّين أبو العباس أحمد[٢] بن محيي الدين يحيى بن تاج الدين إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جَهْبَل الحلبيّ الأصل ثمّ الدمشقي الشافعي ، كان من أعيان الفقهاء .

ولد سنة سبعين وستمئة ، واشتغل بالعلم ، ولزم المشايخ ، ولازم الشَّيخ الصَّدر بن الوكيل[٣] ، ودرّس بالصلاحية بالقدس ، ثم تركها وتحوَّل إلى دمشق فباشر مشيخة دار الحديث الظاهرية مدة[٤] ، ثم ولي مشيخة البادرائية فترك الظَّاهرية وأقام بتدريس البادرائية إلى أن مات[٥] ، ولم يأخذ معلوماً من واحدة منهما .

توفي يوم الخميس بعد العصر تاسع جُمادى الآخرة وصُلِّيَ عليه بعد الصّلاة ودفن بالصُّوفية وكانت جنازته حافلة .

تاج الدين عبد الرحمن[٦] **بن أيوب** : مُغَسّلُ الموتى في سنة ستين وستمئة ، يقال : إنّه غَسّل ستين ألف ميِّت .

وتوفّي في رجب وقد جاوز الثّمانين .

---

(١) في ط : كباريها وهو تحريف .

(٢) ترجمته في الذيل (ص١٧٨) وطبقات الشافعية (٥/ ١٨١) والدرر الكامنة (١/ ٣٢٩) والدارس (١/ ٢١٠) والشذرات (٦/ ١٠٤) .

(٣) محمد بن عمر بن مكي العثماني . مات سنة (٧١٦هـ) . كما ذكر .

(٤) الدارس (١/ ٢١٠) .

(٥) الدارس (١/ ٣٥٨) .

(٦) لعلّه ممّن انفرد به ابن كثير .

الشيخ فخر الدين أبو محمد : عبد الله[١] بن محمد بن عبد العظيم ابن السَّقَطي الشَّافعي ، كان مباشراً شهادةَ الخِزَانة ، وناب في الحكم عند باب النصر[٢] ودُفن بالقَرَافة .

الإمام الفاضل مجموع الفضائل : شهاب الدين أبو العباس أحمد[٣] بن عبد الوهاب البكري ، نسبةً إلى أبي بكر الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ كان لطيف المعاني ناسخاً مُطيقاً يكتب في اليوم ثلاثة كراريس ، وكتب « البخاري » ثماني مرات ويقابله ويجلِّده ويبيع النسخة من ذلك بألف ونحوه ، وقد جمع « تاريخاً » في ثلاثين مجلداً ، وكان ينسخه ويبيعه أيضاً بأزيد من ألف ، وذكر أن له كتاباً سمّاه « منتهى الأرب في علم الأدب »[٤] في ثلاثين مجلداً أيضاً ، وبالجملة كان نادراً في وقته .

توفي يوم الجمعة عشرين رمضان رحمه الله .

الشيخ الصالح الزاهد الناسك : الكثيرُ الحَجّ عليٌّ[٥] بن الحسن بن أحمد الواسطي ، المشهور بالخير والصّلاح ، وكَثرة العبادة والتلاوة والحج ، يقال : إنّه حج أزيد من أربعين حَجَّة ، وكانت عليه مهابة ولديه فضيلة .

توفّي وهو محرم يوم الثلاثاء ثامن عشري ذي القَعدة وقد قارب الثمانين رحمه الله .

الأمير عز الدين إبراهيم[٦] بن عبد الرحمن : بن محمد بن[٧] أحمد بن القوّاس ، كان مباشراً الشدّ في بعض الجهات السلطانية ، وله دار حسنة بالعُقَيْبة الصّغيرة ، فلمّا حضرته[٨] الوفاة أوصى أن تُجعل مدرسة[٩] ، ووقف عليها أوقافاً ، وجعل تدريسها للشيخ عماد الدين الكردي الشافعي[١٠] .

توفي يوم الأربعاء عشرين ذي الحجة .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٢٩٥) .

(٢) في ب زيادة هي : بمصرَ ، وجمع مسكاً كبيراً ، ويقال : إنه شرح التنبيه أيضاً ، وكانت وفاته في رمضان .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ١٩٧) وفيه : النويري . النجوم الزاهرة (٩/ ٢٩٩) وبدائع الزهور (١/ ٤٦٦) والأعلام (١/ ١٦٣) .

« والنُّويري » : نسبة إلى النُّويرة إحدى قرى بني سويف بمديرية بني سويف بمصر .

(٤) الكتاب مطبوع مشهور ويعرف بنهاية الأرب في فنون الأدب . طبع دار الكتب المصرية .

(٥) ترجمته في الذيل (ص١٧٩) وفيه : ومات ببدر محرماً ، والدرر الكامنة (٣/ ٣٧) والشذرات (٦/ ١٠٥) .

(٦) ترجمته في الدارس (١/ ٤٣٦) .

(٧) ليست في ط .

(٨) في ط : جاءته .

(٩) هي المدرسة القوّاسية بالعقيبة الصغرى بالقرب من مسجد الزيتونة ، الدارس (١/ ٤٣٦) وجاء في منادمة الأطلال (ص١٣٩) . ولقد تأملت هناك فلم أجد لها أثراً ، فقد صارت دوراً .

(١٠) هو : إسماعيل بن إبراهيم الكردي .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وسبعمئة

استهلّت بيوم الأحد [وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها][(١)] . وفي يوم الجمعة ثاني ربيع الأول أُقيمت الجمعة بالخاتونية البرانية[(٢)] ، وخطب بها شمسُ الدين النَّجّار المؤذن المؤقت بالأموي ، وترك خطابة جامع القابون[(٣)] .

وفي مستهلّ هذا الشهر سافر الأمير شمس الدين محمد التَّدْمري إلى القدس حاكماً به ، وعُزِلَ عن نيابة الحكم بدمشق .

وفي ثالثه قدم من مصر زين الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بخطابة القدس ، فخُلع عليه من دمشقَ [فلبسها][(٤)] ثم سافر إليها .

وفي آخر ربيع الأوَّل باشر الأمير ناصر الدين بن بكتاش الحسامي شد الأوقاف عوضاً عن شرف الدين محمود بن الخطيري[(٥)] ، سافر بأهله إلى مصر أميراً نيابة بها عن أخيه بدر الدّين مسعود[(٦)] .

وعُزل القاضي علاء الدين بن القلانسي ، وسائر الدّواوين والمباشرين الذين في باب ملك الأمراء تَنْكِز وصُودروا بمئتي ألف درهم ، واستدعي من غزة ناظرها جمال الدين يوسف صهر السني المستوفي ، فباشر نظر ديوان النائب ونظر المارستان النوري أيضاً على العادة .

وفي شهر ربيع الأول أمر تَنْكِز بإصلاح باب تُوما فشُرع فيه فرُفع بابُه عشرةَ أذرعٍ ، وجُدّدت حجارتُه وحديدُه في أسرع وقت .

وفي هذا الوقت حصل بدمشقَ سيلٌ خرَّب بعض الجُدران ثمّ تناقص .

---

(١) ليست في ب . والذي فيه :
والخليفة المستكفي بالله ، وسلطان البلاد الملك الناصر بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون ونائبه بالشام الأمير سيف الدين تنكز الناصري ، والقضاة والمباشرون فخر الدين بن الحلبي وكاتب السر شرف الدين بن الشهاب محمود ، ووالي البر فخر الدين بن الشمس لؤلؤ ، ونقيب الأشراف عماد الدين موسى أخو عدنان المتوفّى في السنة الماضية .

(٢) في مسجد خاتون على الشرف القبلي . الدارس (١/٥٠٦) .

(٣) الدارس (١/٥٠٦) .

(٤) زيادة من ب .

(٥) هو محمود بن أوحد بن خطير شرف الدين . مات سنة (٧٤٩هـ) .

(٦) هو مسعود بن أوحد مات سنة (٧٥٤هـ) . الدرر الكامنة (٤/٣٤٨) .

وفي أوائل ربيع الآخر قدم من مصرَ جمال الدين آقوش نائبُ الكَرَك مجتازاً إلى طرابُلُس نائباً بها عوضاً عن قَرَاطاي[(١)] توفي .

وفي جُمادى الأُولى طُلب القاضي شهاب الدين ابن المجد عبد الله إلى دار السّعادة فوُلّي وكالة بيت المال عوضاً عن ابن القلانسي ، ووصل تقليده من مصر بذلك ، وهنّأَهُ النّاسُ[(٢)] .

وفيه طُلب الأمير نجم الدين ابن الزّيبق من ولاية نابلس فوُلّي شدَّ الدواوين بدمشق ، [وقد شغر منصبُه شهوراً بعد ابن الخشاب][(٣)] .

وفي رمضان خطب الشيخ بدر الدين أبو اليسر ابن الصائغ[(٤)] بالقدس عوضاً عن زين الدين بن جماعة لِإعراضه عنها واختياره العَوْدَ إلى بلده .

قضيّةُ القاضي ابن جملة[(٥)]

لمَّا كان في العَشْر الأخير من رمضان وقع بين القاضي ابن جملة وبين الشيخ الظَّهير شيخ ملك الأُمراء ـ وكان هو السفير في تولية ابن جملة القضاء ـ فوقع بينهما منافسةٌ ومخانقةٌ[(٦)] في أمورٍ كانت بينه وبين الدَّوادار المتقدِّم ذِكرُه ناصر الدين ، فحلف كل واحد منهما على خلاف ماحلف به الآخر عليه ، وتفاصلا من دار السَّعادة في المسجد ، فلما رجع القاضي إلى منزله بالعادليّة أَرسل إليه الشيخ الظَّهير ليحكم فيه بما فيه المصلحة ، وذلك عن مرسوم النَّائب ، وكأنه كان خديعة في الباطن وإظهاراً لنصرة القاضي عليه في الظَّاهر ، فبدر به القاضي باديَ الرَّأي فعزَّره بين يديه ، ثم خرج من عنده فتسلمه أَعوانُ ابن جملة فطافوا به البلد على حمارٍ يوم الأربعاء سابع عشري رمضان ، وضربوه ضرباً عنيفاً ، ونادَوْا عليه : هذا جزاء من يكذب ويفتات على الشرع ، فتألَّم الناس له لكونه في الصيام . وفي العَشْر الأخير من رمضانَ ، ويوم سبع وعشرين ، وهو شيخٌ كبيرٌ صائمٌ ، فيقال : إنه ضُرب يومئذ ألفين ومئة وإحدى وسبعين دِرَّة والله أعلم ، فما أَمسى حتى استفتى على القاضي المذكور وداروا على المشايخ بسبب ذلك عن مرسوم النائب ، فلمَّا كان يوم تاسع عشري رمضان عَقَد نائبُ السَّلطنة بين يديه بدار السعادة مجلساً حافلاً بالقضاة وأعيان المفتين

---

(١) في ط : قرطا . وفي ب : الأمير سيف الدين قراطاي . النجوم (٩/ ١٠٨) .
(٢) الدارس (١/ ٢٧٢) .
(٣) في ب : وقد كان المنصب شاغراً بعد عزل ابن الخشاب .
(٤) هو محمد بن محمد بن عبد القادر الأنصاري ابن الصايغ الدمشقي ، ولي خطابة القدس ثم تركها . مات سنة (٧٣٩هـ) . الدارس (٦/ ١٢١) .
(٥) الذيل (ص١٨٣) والدرر الكامنة (٤/ ٤٤٣) وقضاة دمشق (ص٩٨) والدارس (١/ ٢٤٦) والشذرات (٦/ ١١٩) .
(٦) في ط : محاققه .

من سائر المذاهب ، وأُحضر ابنُ جملة قاضي الشَّافعية والمجلس قد احتفل بأهله ، [ولم يَأْذنوا لابن جملـة في الجلوس ، بل قامَ قائماً][(١)] ثم أُجلس بعد ساعة جيدة في طرف الحَلْقة ، إلى جانب المحفَّة التي فيها الشيخ الظَّهير ، وادَّعى عليه عند بقية القضاة أنَّه حكم فيه لنفسه ، واعتَدىٰ عليه في العقوبة ، وأفاض الحاضرون في ذلك ، وانتشر الكلام وفهموا من نفس النّائب الحطَّ على ابن جملة ، والميل عنه[(٢)] بعد أن كان إليه ، فما انفصل المجلسُ حتى حَكَم القاضي شرف الدين المالكي بفسقه وعزله وسَجنه ، فانفض المجلس على ذلك ، ورُسم على ابن جملة بالعَذْراويّة ثم نُقل إلى القلعة [جزاءً وفاقاً والحمدُ لله وحده][(٣)] ، وكان له في القضاء سنةٌ ونصفٌ إلا أياماً ، وكان يباشرُ الأحكام جيداً ، وكذا الأوقاف المتعلقة به ، وفيه نزاهةٌ وتمييز الأوقاف بين الفقهاء والفقراء ، وفيه صَرامةٌ وشَهامة وإقدام ، لكنَّه أخطأ في هذه الواقعة ، وتعدى فيها ، فآل أمره إلى هذا .

وخرجَ الرَّكبُ يوم الإثنين عاشرِ شوّال وأميره أُلْجِي بُغَا ، وقاضيه مجد الدين بن حيَّان المصري .

وفي يوم الإثنين رابع عشريه درَّس بالاقبالية الحنفية نجم الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين الطَّرَسوسي الحنفي عوضاً عن شمس الدين محمد بن عثمان بن محمد الأَصْبهاني ابن العجمي الحبطي ، ويُعرف بابن الحنبلي ، وكان فاضلاً ديناً متقشفاً كثير الوَسْوَسَة في الماء جداً ،[(٤)] وأما المدرّس مكانه وهو نجم الدين بن الحنفي[(٥)] فإنَّه ابن خمسَ عَشْرَةَ سنة ، وهو في النباهة والفهم ، وحسن الاشتغال والشكل والوقار ، بحيث غبط الحاضرون كلُّهم أباه على ذلك ، ولهذا آل أمره أن تولى قضاء القضاة في حياة أبيه ، نَزَلَ له عنه وحُمِدَت سيرتُه وأحكامُه .

وفي هذا الشهر أُثبت محضرٌ في حقِّ الصاحب شمس الدين غبريال المتوفّى في هذه السنة أنه كان يشتري أملاكاً من بيت المال ويوقفها ويتصرّف فيها تصرُّف الملَّاك لنفسه ، وشهد بذلك كمال الدين بن[(٦)] الشيرازي وابن أخيه عماد الدين وعلاء الدين القلانسي وابن خاله عماد الدين القلانسي ، وعز الدين بن المُنَجَّا ، وتقي الدين بن مراجل ، وكمال الدين بن الفويرة ، وأُثبت على القاضي برهان الدين الزُّرعي الحنبلي ونفذه بقيَّةُ القضاة ، وامتنع المحتسب عز الدين بن القلانسي من الشَّهادة فرُسم

---

(١) ليست في ب .
(٢) في ب : عليه .
(٣) ليست في ب .
(٤) الدرر الكامنة (٤/٤٣) . وفيه : كان موسوساً في الطَّهارة .
(٥) هو إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد الحنفي ، ولد سنة (٧٢١هـ) ومات سنة (٧٥٨هـ) الدرر الكامنة (١/٥٣) .
(٦) ليست في ط .

عليه بالعذراوية قريباً من شهر ، ثم أُفرج عنه وعُزل عن الحِسبة ، واستمرَّ على نظر الخزانة[١] .

وفي يوم الأحد ثامن عشري ذي القعدة حُملت خلعة القضاءِ إلى الشيخ شهاب الدين ابن المجد وكيل بيت المال يومئذ ، فلبسها وركب إلى دار السعادة وقُرئ تقليده بحضرة نائب السلطنة والقضاة ثم رجع إلى مدرسته الإقبالية فقُرئ بها أيضاً وحَكَم بين خَصْمين ، وكتب على أوراق السّائلين[٢] ، ودرَّس بالعادلية والغَزَاليَّة والأتابكيَّة[٣] مع تدريس الإقبالية عوضاً عن ابن جملة .

وفي يوم الجمعة حضر الأمير حسام الدين مُهَنّا بن عيسى وفي صحبته صاحبُ حماة الأَفْضَل ، فتلقاهما تَنْكِز وأكرمهما ، وصَلَّيَا الجُمُعَة عند النائب ثم توجَّها إلى مصرَ ، فتلقَّاهما أعيانُ الأمراء وأَكرمَ السُّلطان مُهَنَّا بن عيسى وأطلق له أموالاً جزيلة كثيرة ، من الذَّهب والفِضَّة والقماش ، وأقطعه عدَّةَ قرى ورَسم له بالعَوْد إلى أهله ، ففرح النَّاسُ بذلك .

قالوا : وكان جميعُ ماأنعم به عليه السلطان قيمة مئة ألف درهم[٤] ، وخلع عليه وعلى أصحابه مئة وسبعين خلعةً .

وفي يوم الأحد سادس ذي الحجة حضر درس الرّواحية الفخرُ المصري عوضاً عن قاضي القضاة ابن المجد وحضر عنده القضاة الأربعة وأعيان الفضلاء[٥] .

وفي يوم عرفة خُلع على نجم الدين بن أبي الطيِّب بوكالة بيت المال ، عوضاً عن ابن المنجد ، وعلى عماد الدِّين بن الشيرازي بالحسبة عوضاً عن عز الدين بن القلانسي وخرج الثّلاثةُ من دار السعادة بالطَّرْحات.

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الأجل التاجر الصَّدوق[٦] بدر الدين : لُؤلُؤ[٧] بن عبد الله عتيق النَّقيب شُجاع الدِّين إدريس ، وكان رجلاً حسناً يتَّجرُ في الجُوخ .

مات فجأةً عصر يوم الخميس خامس محرم وخلَّف أولاداً وثروة ، ودفن بباب الصغير ، وله بر وصدقة ومعروف ، وسُبْعٌ بمسجد ابن هشام[٨] .

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٦٣) .
(٢) في ب : وجاء الناس للتهنئة .
(٣) في أ وط : الأتابكيتين . وأثبتنا ما في ب والدارس .
(٤) في ط : دينار . وفي ب : سبعون ألف درهم .
(٥) في ب : أعيان الفقهاء الفضلاء .
(٦) ليست في ط .
(٧) لم أقع له على ترجمة .
(٨) الدارس (٢/ ٣٠٥) .

الصدر أمين الدين : محمد[١] بن فخر الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن أبي العيش الأَنْصاري الدمشقي باني المسجد المشهور بالربوة ، على حافة بردى والطَّهارة والحجارة إلى جانبه ، والسُّوق الذي هناك ، وله بجامع النَّيرب ميعاد .

ولد سنة ثمان وخمسين وستمئة ، وسمع « البخاري » وحدَّث به ، وكان من أكابر التجّار ذوي اليسار ، توفي بُكْرة الجمعة سادس المحرم ودفن بتربته[٢] بقاسيون رحمه الله .

الخطيب الإمام العالم : عماد الدين أبو حفص[٣] [عمر بن الخطيب ظهير الدين عبد الرحيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر][٤] بن عبد الله بن الحسن القرشي الزُّهري النابلسي ، خطيب القدس ، وقاضي نابلس مدة طويلة ، ثم جمع له بين خطابة القدس وقضائها ، وله اشتغال وفيه فضيلة ، وشرح « صحيح مسلم » في مجلدات ، وكان سريع الحفظ سريع الكتابة .

توفي ليلة الثلاثاء عاشر المحرم ودفن بماملا رحمه الله .

الصدر شمس الدين : محمد[٥] بن إسماعيل بن حمَّاد التاجر بقيساريّة الشرب ، كتب المنسوب وانتفع به الناس ، وولي سمسرة[٦] التجّار لأمانته وديانته ، وكانت له معرفة ومطالعة في الكتب .

توفي تاسع صفر عن نحو ستين سنة . ودفن بقاسيون رحمه الله .

جمال الدين قاضي القضاة الزُّرَعيّ : هو أبو الربيع سُليمان[٧] ابن الخطيب مجد الدين عمر بن سليمان[٨] بن عمرو بن عثمان الأَذْرَعي الشّافعي ولد سنة خمس وأربعين وستمئة بأذرعات ، واشتغل بدمشقَ فحصَّل ، وناب في الحكم بزُرَع مدة فعرف بالزُّرَعي لذلك ، وإنما هو من أذرعات وأصله من بلاد المغرب ، ثم نابَ بدمشقَ ثم انتقل إلى مصرَ فناب في الحكم بها ، ثم استقلَّ بولاية القضاء بها نحواً من سنة ، ولِّيَ قضاء الشام مدة مع مشيخة الشيوخ نحواً من سنة ، ثم عُزل وبقي على مشيخة الشيوخ نحواً من

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٣٠٧) والدارس (٢/ ٢٩٨ و ٤٣٨) .
(٢) التربة المحمّدية الأمينية العيسيَّة الأنصارية شمالي الجامع المظفري بسفح قاسيون الدارس (٢/ ٢٩٨) .
(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٦٩) والشذرات (٦/ ١٠٨) .
(٤) زيادة في ط . وهي في الدرر والشذرات عدا قوله : (ابن الخطيب ظهير الدين) .
(٥) لم أقع على ترجمة له .
(٦) ليست في ط .
(٧) ترجمته في الذيل (ص١٨١) والدرر الكامنة (٢/ ١٥٩) وطبقات الشافعية (٦/ ١٠٥) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٠٤) ورفع الإصر لابن حجر (٢/ ٢٥٠) وشذرات الذهب (٦/ ١٠٧) .
(٨) في ط : سالم بن عمر .

سنة من تدريس الأتابكية ، ثم تحوَّل إلى مصرَ فوُلِّي بها التَّدريس وقضاءَ العسكر ، ثمَّ تُوفِّي بها يوم الأحد سادس صفر وقد قاربَ التسعين[١] رحمه الله .

وقد خرَّج له البِرْزاليُّ مشيخةً سمعناها عليه وهو بدمشقَ عن اثنين وعشرينَ شيخاً .

الشيخ الإمام العالم الزاهد: زين الدين أبو محمد عبد الرحمن[٢] بن محمود بن عبيدان البعلبكي الحنبلي، أحد فضلاء الحنابلة، وممَّن صنَّف في الحديث والفقه والتصوّف وأعمال القلوب وغير ذلك ، كان فاضلاً له أعمال كثيرة، وقد وقعت له كائنة في أيام الظَّاهر أنه أُصيب في عقله أو زوال فكره، أو قد عمل على الرياضة فاحترقَ باطنُه من الجوع، فرأى خيالات لا حقيقة لها فاعتقد أنَّها أمرٌ خارجي، وإنما هو خيال فكري فاسد.

وكانت وفاته في نصف صفر ببعلبك ، ودفن بباب سطحا ولم يكمل الستين ، وصلّي عليه بدمشق صلاة الغائب ، وعلى القاضي الزُّرَعي معاً .

الأمير شهاب الدين قَرَطاي[٣] : نائبُ طرابُلُس له أوقاف وصدقات ، [وبرٌّ وصلات ، توفي بطرابُلُس يوم الجمعة ثامنَ عشرَ صفر][٤] ودفن هناك رحمه الله .

الشيخ عبد الله[٥] **بن يوسف بن أبي بكر الأَسْعرديّ المؤقِّت** : كان فاضلاً في صناعة المِيْقات وعلم الاصطرْلاب وما جرى مجراه ، بارعاً في ذلك ، غير أنه لا يُنْتَفَعُ[٦] به لسوءِ أَخلاقه وشراستها ، ثم إنَّه ضَعُفَ بصرُه فسقط من قيساريَّة بحسى فمات[٧] عشية السبت عاشر ربيع الأول ، ودُفن بباب الصغير .

الأمير سيف الدين بَلَبَانُ[٨] : طُرْنَا بن[٩] عبد الله الناصري ، كان من المقدمين بدمشق ، وجرت له فصول يطول ذكرها ، ثمَّ توفي بداره عند مئذنة فيروز ليلة الأربعاء حادي عشري ربيع الأول ، ودفن بتربة اتخذها إلى جانب داره ، ووقف عليها مقرئين ، ورتّب[١٠] عندها مسجداً بإمام ومؤذن .

---

(١) في أ وب السبعين . وأثبتنا ما في ب ، وهو الأشبه ، لأن ولادتهُ سنة (٦٤٥هـ) وفي الذيل والشذرات : توفي في صفر عن تسع وثمانين سنة .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٤٧) والشذرات (٦/ ١٠٧) وقد جاء في ب : أنّه أبو الفرج ، وكذلك في الشذرات .

(٣) ترجمته في الذيل (ص١٨١) والدرر الكامنة (٣/ ٢٤٨) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٠٤) .

(٤) ليست في ب .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٠٨) .

(٦) في ط : لاينفع .

(٧) ليست في ط .

(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٩٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٠٤) والدارس (٢/ ٣٢٥) وفيه : (طرناه) وفي الدليل الشافي (١/ ١٩٨) توفي في نيابة صفد .

(٩) في أ : طوفان ، وفي ط : طوفا .

(١٠) في ط : وبنى .

شمس الدين محمّد[١] بن يحيى بن محمد بن قاضي حرَّان : ناظرُ الأَوقاف بدمشقَ ، مات الليلة التي مات فيها الذي قبله ، ودُفن بقاسيون ، وتولَّى مكانه عماد الدين بن[٢] الشيرازي .

الشيخ الإمام ذو الفنون : تاج الدين أبو حفص عمر[٣] بن علي بن سالم بن عبد الله اللَّخمي الإسكندراني ، المعروف بابن الفاكهاني ، ولد سنة أربع وخمسين وستمئة ، وسمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك ، وبرع وتقدَّم بمعرفة النحو وغيره ، وله مصنَّفات في أشياءَ متفرقة ، قدم دمشقَ في سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة في أيام الأخنائي[٤] ، فأنزله في العادليّة[٥] ، وسمعنا عليه ومعه ، وحجَّ من دمشقَ عامئذٍ ، وسُمع عليه في الطريق ، ورجع إلى بلاده .

توفي ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى ، وصُلّيَ عليه بدمشقَ حين بلغهم خبرُ موته .

الشيخ الصَّالح العابد الناسك : أمين الدين أيمن[٦] بن محمد ، وكان يذكر أنَّ اسمَه محمدُ بن محمد إلى سبعةَ عشرَ نفساً كلهم اسمه محمد[٧] ، وقد جاوَرَ بالمدينة مدَّة سنينَ إلى أن توفّي ليلةَ الخميس ثامن ربيع الأول بالمدينة[٨] ، ودفن بالبقيع وصُلّيَ عليه بدمشقَ صلاةَ الغائب .

الشَّيخ نجم الدّين القِبَابيّ الحموي : عبد الرحمن[٩] بن الحسن بن يحيى اللخمي القِبَابيّ[١٠] ، قرية من قرى أَشْمون الرُّمَّان[١١] ، أَقامَ بحماة في زاوية يُزَار ويُلتمس دعاؤه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، حسنَ الطريقة إلى أن توفّي بها آخر نهار الإثنين رابعَ عشرَ رجب ، عن ست وستين سنة ، وكانت جنازته حافلة هائلة جداً ، ودفن شماليّ حماة ، وكان عنده فضيلة ، واشتغل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وله كلام حسنٌ يؤثر عنه رحمه الله .

الشيخ فتح الدين بن سيد الناس : الحافظ العلامة البارع ، فتح الدين أبو الفتح

---

(١) لم أقع على ترجمة له .
(٢) ليست في ط .
(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٧٨) وبدائع الزهور (١/ ٤٦٩) والشذرات (٦/ ٩٦) وفيه وفاته سنة (٧٣١هـ) .
(٤) مرّ ذكرهُ في سنة (٧٣٢هـ) .
(٥) في ط : دار السعادة وهو توهم .
(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٣١) .
(٧) ذكر سلسلة هذه الأسماء المباركة ابن حجر في الدرر في معرض ترجمته .
(٨) ليست في ط .
(٩) ترجمته في الذيل (ص١٨٢) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٢٥) والدرر الكامنة (٢/ ٣٢٧) والشذرات (٦/ ١٠٧) .
(١٠) في ط : القباني وهو تحريف . التحفة السنيّة لابن الجيعان .
(١١) من قرى الصّعيد . ياقوت . الشذرات .

محمد[١] بن الإمام أبي عمرو محمد بن الإمام الحافظ الخطيب أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الربعي اليَعْمريّ الأندلسي الإشبيلي ثم المصري .

ولد في العشر الأول من ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وستمئة ، وسمع الكثير وأجازَ له الرّواية عنهم جماعاتٌ من المشايخ ، ودخل دمشق سنة تسعين فسمع من الكندي وغيره ، واشتغل بالعلم فبرع وساد أقرانه في علوم شتّى من الحديث والفقه والنحو والعربية ، وعلم السّير والتّواريخ وغير ذلك من الفنون ، وقد جمع سيرةً حسنةً في مجلدين[٢] ، وشرح قطعة حسنةً من أول « جامع الترمذي » ، رأيت منها مجلداً بخطّه الحسن ، وقد حرّر وحبّر وأفادَ وأجاد ، ولم يسلم من بعض الانتقاد ، وله الشِّعر الرائقُ الفائقُ ، والنَّثر الموافق ، والبلاغة التامة ، وحسنُ التَّرصيف والتَّصنيف ، وجودة البديهة ، وحسن الطوِيَّة ، وله العقيدة السَّلفية الموضوعة على الآي والأخبار والآثار والاقتفاء بالآثار النبوية ، ويذكر عنه شؤون أُخَرُ يَتولّاه[٣] الله فيها ، وله مدائح في رسول الله ﷺ حسان[٤] ، وكان شيخ الحديث بالظّاهرية بمصرَ ، وخطب بجامع الخندق ، ولم يكن في مصرَ في مجموعه مثله في حفظ الأسانيد والمتون والعلل والفقه والمُلَح والأشعار والحكايات .

توفي فجأة يوم السبت حاديْ عشرَ شعبان ، وصُلِّيَ عليه من الغد ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن عند ابن أبي جمرة[٥] رحمه الله .

القاضي مجد الدين[٦] حرمي[٧] : ابن قاسم بن يوسف العامري الفَاقُوسي الشّافعي ، وكيل بيت المال ، ومدرِّس الشّافعي[٨] وغيره ، كان له همة ونهضة ، وعلت سنُّه وهو مع ذلك يحفظ ويشغل ويشتغل ، ويلقي الدُّروس من حفظه إلى أن توفي ثاني ذي الحجة ، ووليَ تدريس الشافعي بعده شمس

---

(١) ترجمته في الذيل (ص١٨٢) وفوات الوفيات (٣/ ٢٨٧) والدرر الكامنة (٤/ ٢٠٨) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٠٣) وبدائع الزهور (١/ ٤٦٩) والشذرات (٦/ ١٠٨) . قال بشار : ولصديقنا الدكتور محمد الرواندي الغربي دراسة نفيسة عنه طبعت في مجلدين .

(٢) هي المعروفة بعيون الأثر ، مطبوعة مشهورة .

(٣) في ط : ويذكر عنه سوء أدب في شؤون أُخر سامحه الله وهو تحريف .

(٤) ذكر الكتبي شيئاً منها في الفوات .

(٥) في أ : حمزة . وابن أبي جمرة هو : عبد الله بن أبي جمرة . مات سنة (٧١٠هـ) . الشذرات (٦/ ٢١) .

(٦) في أ وط : ابن حرمي وهو تحريف .

(٧) ترجمته في الذيل (ص١٨٣) والدرر الكامنة (٢/ ٨) وفيه : حرمي بن هاشم . والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٠٥) وفيه : حرمي بن قاسم . والفَاقُوسي : نسبة إلى مدينة فاقوس في مديرية الشرقية . ياقوت . التحفة السنيّة .

(٨) أي : قبة الشافعي .

الدين بن القمَّاح ، والقُطبيَّة[١] بهاء الدين بن عقيل ، والوكالة نجم الدين الأسْعَرْدي المحتسب ، وهو كان وكيل بيت الظَّاهر .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمئة

استهلَّت [وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها][٢] وناظر الجامع عز الدين بن المُنَجَّا ، والمحتسب عماد الدين بن[٣] الشيرازي وغيرهم .

وفي مُستهلّ المحرَّم يوم الخميس درَّس بأم الصالح الشيخ [شمس الدين ابن][٤] خطيب يبرود[٥] عوضاً عن قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد ، وحضر عنده القضاة والأعيان .

وفي سادس المحرم رجع مُهَنَّا بن عيسى من عند السُّلطان فتلقَّاه النَّائبُ والجيش ، وعاد إلى أهله في عزٍّ وعافية .

وفيه أمر السلطان بعمارة جامع القلعة وتوسيعه ، وعمارة جامع مصر العتيق .

وقدم إلى دمشق القاضي جمال الدين [عبد الله بن كمال الدين][٦] محمد بن عماد الدين ابن الأثير كاتب سرٍّ بها عوضاً عن ابن الشهاب محمود .

ووقع في هذا الشهر والذي بعده موت كثير من الناس بالخانوق .

وفي ربيع الأول مُسك الأمير نجم الدين بن الزّبيق مشدّ الدواوين ، وصُودر وبيعت خيوله وحواصله وتولّاه بعده سيف الدين تَمُر مملوك بَكْتَمُر الحاجب ، وهو مشد الزكاة .

وفيه كملت عمارة حمَّام الأمير شمس الدين حمزة الذي تمكَّن عند تَنْكِز بعد ناصر الدين الدَّوادار ، ثم وقعت الشَّناعة عليه بسبب ظلمه في عمارة هذا الحمام فقابله النائب على ذلك وانتصف للنَّاس منه ، وضربه بين يديه ورماه بالبندق بيده في وجهه ، وسائر جسده ، ثم أودعه القلعة ثم نقله إلى بحيرة طبرية فغرَّقه فيها[٧] .

---

(١) في ب : المعظمية .
(٢) ليست في ب . والذي فيه : والخليفة والسلطان والمباشرون هم المذكورون سوى وكيل بيت المال فإنه نجم الدين بن أبي الطيب .
(٣) ليست في ط .
(٤) زيادة من ب . وهو : محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان . مات سنة (٧٧٧هـ) . الدارس (١/ ٢٤٠) .
(٥) في ط : تبرور . وهو تحريف .
(٦) زيادة من ب ، وكذلك هو في الذيل (ص١٨٣) . مات سنة (٧٧٨هـ) . الشذرات (٦/ ٢٥٧) .
(٧) الذيل (ص١٨٤) .

وعُزل الأمير جمالُ الدّين(١) نائبُ الكَرَك عن نيابة طَرَابُلُس حسبَ سؤاله في ذلك ، وراح إليها طِيْفَال وقدم نائبُ الكَرَك إلى دمشقَ وقد رُسم له بالإقامة في صَرْخد(٢) ، فلمَّا تلقاه نائب السّلطنة والجيش نزل في دار السعادة وأخذ سيفه بها ونقل إلى القلعة ، ثم نقل إلى صفت(٣) ثم إلى الإسْكندريّة ، ثم كانَ آخرُ العهد به .

وفي جمادى الأولى احتيط على دار الأمير بَكْتَمُر الحاجب الحسامي(٤) بالقاهرة ، ونُبشت وأُخذ منها شيء كثير جداً ، وكان جدَّ أولادِه نائبُ الكَرَك المذكور .

وفي يوم السبت تاسع جمادى الآخرة باشر حسام الدين أبو بكر ابن الأمير عز الدين أيبك التجيبي شد الأوقاف عوضاً عن ابن بكتاش ، اعتقل ، وخلع على المتولي وهنَّأهُ النّاس .

وفي منتصف هذا الشهر عُلِّق السِّتر الجديد على خزانة المصحف العثماني ، وهو من خزٍّ طوله ثمانية أذرع وعرضه أربعة أذرع ونصف ، [غرم عليه أربعة آلاف وخمسمئة ، وعمل في مدة سنة ونصف](٥) .

وخرج الركب الشّامي يوم الخميس تاسع شوال وأميره علاء الدين المُرْسي ، وقاضيه شهاب الدين الظّاهري(٦) .

وفيه رجع جيشُ حلب إليها وكانوا عشرة آلاف سوى من تبعهم من التُّركمان ، وكانوا في بلاد أذنة وطرَسوس وإياس ، وقد خربوا وقتلوا وسبوا وأسروا(٧) خلقاً كثيراً ، ولم يعدم منهم سوى رجل واحد غرق بنهر جاهان ، ولكن كان قتل الكفار من كان عندهم من المسلمين نحواً من ألف رجل ، يوم عيد الفطر من التجار وغيرهم(٨) فإنا لله وإنا إليه راجعون(٩) .

وفيه وقع حريق عظيم بحماة فاحترق منه أسواق كثيرة ، وأملاك وأوقاف ، وهلكت أموال لا تُحصر ، وكذلك احترق أكثر مدينة أَنْطاكية ، فتألَّم المسلمون لذلك .

---

(١) جمال الدين آقوش الأشرفي المعروف بنائب الكرك .
(٢) في ط : سلخد . وهو تحريف .
(٣) في الدرر الكامنة (١/ ٣٩٦) : صفد والنجوم الزاهرة (٩/ ١١٢) : صرفد ، والصواب : صفت . وقد سبق ذكرها ، وأنها في مصر قرب بلبيس .
(٤) مات سنة (٧٢٤هـ) كما سلف .
(٥) زيادة من ط .
(٦) هو أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقي . مات سنة (٧٥٥هـ) الدرر الكامنة (١/ ١٦٧) .
(٧) ليست في ط .
(٨) ليست في ط .
(٩) الذيل (ص١٨٤) وفيه : فوثب الملاعينُ على التجار والعربان فقتلوا ألفي مسلم .

وفي ذي الحجة خرب المسجد الذي كان في وسط[١] الطريق بين باب النصر وباب الجابية ، عن حكم القضاة بأمر نائب السلطنة ، وبُني غربيَّه مسجدٌ حسنٌ ؛ أحسنُ وأنفعُ من الأوَّل .

وتوفّي فيها من الأعيان :

الشّيخ الصّالح المعمَّر رئيسُ المؤذِّنين بجامع دمشق : برهان الدين إبراهيم[٢] بن محمد بن أحمد بن محمد الواني .

ولد سنة ثلاث وأربعين وستمئة ، وسمع الحديث ، وروَىٰ ، وكان حسنَ الصَّوت والشكل ، محبَّباً إلى العوام .

توفي يوم الخميس سادس صفر ودفن بباب الصغير .

وقام من بعده في الرِّياسة ولده أمين الدين محمد الواني[٣] المحدث المفيد ، وتوفّي بعده ببضعةٍ وأربعين يوماً رحمهما الله .

الكاتب المطبّق المجوّد المحرّر : بهاء الدين محمود[٤] ابن خطيب بعلبك محيي الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب السّلمي .

ولد سنة ثمان وثمانين وستمئة ، واعتنى بهذه الصناعة فبرع فيها ، وتقدَّم على أهل زمانه قاطبةً في النَّسخ وبقية الأقلام ، وكان حسنَ الشكل طيبَ الأخلاق ، طيبَ الصّوت حسنَ التودُّد ، توفي في سلخ ربيع الأول ودفن بتربة الشيخ أبي عمر رحمه الله .

علاء الدين السّنجاري : واقف دار القرآن عند باب الناطفانيين شمالي الأموي بدمشق ، علي[٥] بن إسماعيل بن محمود كان أحد التجار الصدق الأخيار ، ذوي اليسار المسارعين إلى الخيرات .

توفي بالقاهرة ليلة الخميس ثالثَ عشرَ جُمادى الآخرة، ودفن عند قبر القاضي شمس الدين بن الحريري[٦] .

---

(١) ليست في ط .
(٢) ترجمته في الذيل (ص١٨٥) والدرر الكامنة (١/ ٥٦) والشذرات (٦/ ١٠٩) .
(٣) الذيل (ص١٨٥) والدرر الكامنة (٣/ ٢٩٣) .
(٤) ترجمته في الذيل (ص١٨٦) والدرر الكامنة (٤/ ٣٣٥) والنجوم (٩/ ٣٠٨) والشذرات (٦/ ١١٢) وفيه : المسلمي . وهو غلط .
(٥) ترجمته في الدارس (١/ ١٢ ـ ١٣) ووقف دار القرآن السنجارية تجاه باب الجامع الشمالي المسمى بالناطفانيين . الدارس .
(٦) محمد بن عثمان . مات سنة (٧٢٨هـ) ودفن بالقرافة كما سلف .

العدل نجم الدين التاجر : عبد الرحيم[١] بن أبي القاسم عبد الرحمن الرحبي باني التربة المشهورة[٢] بالمِزّة ، وقد جعل فيها مسجداً وأوقف عليها أوقافاً دارّة ، وصدقات هناك ، وكان من خيار أبناء جنسه ، عدلٌ مرضيٌّ عند جميع الحكام ، وترك أولاداً وأموالاً جمة ، وداراً هائلة ، وبساتين بالمزة .

وكانت وفاته يوم الأربعاء سابع عشرين جمادى الآخرة ودفن بتربته المذكورة بالمزة رحمه الله .

الشيخ الإمام الحافظ قطب الدين : أبو محمد عبد الكريم[٣] بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم بن علي بن عبد الحق بن عبد الصَّمد بن عبد النُّور الحلبيّ الأصل ثمَّ المصري ، أحد مشاهير المحدثين بها ، والقائمين بحفظ الحديث وروايته وتدوينه وشرحه والكلام عليه .

ولد سنة أربع وستين وستمئة بحلب ، وقرأ القرآن بالرّوايات ، وسمع الحديث وقرأ « الشاطبية » و« الألفية » ، وبرع في فن الحديث ، وكان حنفيَّ المذهب وكتب كثيراً وصنف شرحاً لأكثر « البخاري » ، وجمع تاريخاً لمصر ولم يكملهما ، وتكلَّم على السيرة التي جمعها الحافظ عبد الغني وخرَّج لنفسه أربعين حديثاً متباينة الإسناد ، وكان حسن الأخلاق مطَّرحاً للكلفة طاهرَ اللسان كثيرَ المطالعة والاشتغال ، إلى أن توفي يوم الأحد سلخ رجب ، ودفن من الغد مستهلّ شعبان عند خاله نصر المَنْبجي[٤] ، وخلَّف تسعة أولاد رحمه الله .

القاضي الإمام زين الدين أبو محمد : عبد الكافي[٥] بن علي بن تمّام بن يوسف السُّبكي ، قاضي المحلة[٦] ، ووالد العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي . سمع من ابن الأنماطي وابن خطيب المزة ، وحدَّث وتوفي تاسع شعبان .

وتبعته زوجته ناصرية[٧] بنت القاضي جمال الدين إبراهيم بن الحسين السبكي ، ودفنت بالقَرَافة ، وقد سمعَتْ من ابن الصابوني شيئاً من « سنن النسائي » .

وكذلك ابنتها محمَّدية ، وقد توفِّيت قبلها .

---

(١) ترجمته في الدارس (٢/٢٤٦) .
(٢) هي التربة الرحبية . الدارس .
(٣) ترجمته في الذيل (ص١٨٦) ، وغاية النهاية (١/٤٠٢) والدرر الكامنة (٢/٣٩٨) والنجوم الزاهرة (٩/٣٠٦) والدارس (١/ ٩٤) والشذرات (٦/ ١١٠) وأعلام النبلاء (٤/ ٥٦٤) .
(٤) المتوفي سنة (٧١٩هـ) كما سلف .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٣٩٦) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٠٧) والشذرات (٦/ ١١٠) .
(٦) هي : المحلة الكبرى . مدينة مشهورة في مصر .
(٧) ترجمتها في الدرر الكامنة (٤/ ٣٨٨) .

تاجُ الدّين علي[١] بن إبراهيم : بن عبد الكريم المصري ، ويعرف بكاتب قُطْلُبَك ، وهو والد العلامة فخر الدين[٢] شيخ الشّافعية ومدرّسهم في عدَّة مدارس ، ووالده هذا لم يزل في الخدمة والكتابة إلى أن توفي عنده بالعادليّة الصغيرة ليلة الثلاثاء ثالثَ عشرين[٣] شعبان ، وصُلِّيَ عليه من الغد بالجامع ، ودُفن بباب الصغير .

الشّيخ الصالح عبد الكافي[٤] : ويُعرف بعُبَيْد ابن أبي الرجال بن حسين بن سلطان بن خليفة المَنِيْنيّ ، ويعرف بابن أبي الأزرق ، مولده في سنة أربع وأربعين وستمئة بقريته من بلاد بَعْلبك ، ثم أقام بقرية مَنِيْنَ[٥] ، وكان مشهوراً بالصلاح وقرئ عليه شيء من الحديث وجاوز التسعين .

الشيخ محمد بن عبد الحق[٦] : ابن شعبان بن علي الأنصاري ، المعروف بالشيّاح[٧] ، له زاوية بسفح قاسيون بالوادي الشمالي مشهورة به[٨] ، وكان قد بلغ التسعين ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكانت له معرفة بالأمور وعنده بعض مكاشفة ، وهو رجل حسن ، توفي أواخر شَوّال من هذه السنة .

الأمير سلطان العرب : حسام الدين مهنا[٩] بن عيسى بن مهنا ، أمير العرب بالشام ، وهم يزعمون أنهم من سلالة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من ذرية الولد[١٠] الذي جاء من العباسة أخت الرشيد فالله أعلم .

وقد كان كبير القدر محترماً عند الملوك كلِّهم ، بالشّام ومصرَ والعراق ، وكان ديّناً خيِّراً متحيِّزاً للحق ، وخلَّف أولاداً وذرية[١١] وأموالاً كثيرة ، وقد بلغ سناً عالية ، [وكان يحب الشيخ تقي الدين بن

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٧) والدارس (١/ ٣٧٣) .
(٢) هو : محمد بن علي . مات سنة (٧٥١) . الدرر الكامنة (٤/ ٥١) والنجوم (١٠/ ٢٥٠) .
(٣) في ط : ثالث عشر .
(٤) لم أقع على ترجمة له .
(٥) هي قرية من أعمال دمشق . ياقوت . أقول : وهي بلدة عامرة مشهورة بجمال طبيعتها ولطف هوائها ونشاط أهلها وتبعد عن دمشق حوالي (١٨كم) .
(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٤٩١) .
(٧) في ط : السيّاح . وهو تطبيع . وفي الدرر الكامنة (الشيّاخ) .
(٨) في المهاجرين من دمشق ، وتعرف المنطقة به إلى الآن .
(٩) ترجمته في الذيل (ص١٨٧) والدرر الكامنة (٤/ ٣٦٨) وابن خلدون (٥/ ٤٣٩) والنجوم (٩/ ٣٠٢) وفيهما : وفاته سنة (٧٣٤هـ) . والشذرات (٦/ ١١٢) .
(١٠) قال ابن خلدون : هو سميع الذي ولدته العبّاسة . ثم قال : وحاشا لله من هذه المقالة في الرشيد وأخته وفي انتساب كبراء العرب من طيء إلى موالي العجم من بني برمك وأنسابهم (٥/ ٤٣٦) . قال بشار : وقول ابن خلدون هو الصواب فآل عيسى من آل فضل وهم من طيء ، وهم إلى اليوم أهل نخوة مساكنهم في بلاد الشام والعراق .
(١١) في ط : وورثة .

تيمية حباً زائداً ، هو وذريته وعربه ، وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام ، يسمعون قوله ويمتثلونه ، وهو الذي نهاهم أن يُغير بعضُهم على بعض ، وعرَّفهم أن ذلك حرام ، وله في ذلك مصنَّف جليل ، وكانت وفاة مهنا هذا ببلاد سَلَمْيَة في ثامنَ عشرَ ذي القعدة ، ودفن هناك رحمه الله][١] .

الشَّيخ الزَّاهد : فضلُ[٢] بن عيسى بن قنديل العجلونيّ الحنبليّ المقيم بالمِسْماريّة[٣] ، أصله من بلاد حبرا ، كان متقللاً من الدنيا يلبَسُ ثياباً طوالاً وعمامة هائلة ، وهي بأرخص الأثمان ، وكان يعرف تعبيرَ الرُّؤيا ويُقصد لذلك ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، وقد عُرضت عليه وظائف بجوامك كثيرة فلم يقبلها ، بل رضي بالرَّغيد الهنيّ من العيش الخشن إلى أن توفي في ذي الحجة ، وله نحو تسعين سنة ، ودفن بالقرب من قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية [رحمهما الله ، وكانت جنازته حافلة جداً][٤] .

ثم دخلت سنةُ ست وثلاثين وسبعمئة

[استهلّت بيوم الجمعة والحكام هم المذكورون في التي قبلها][٥] .

وفي أوَّل يوم منها ركب تَنْكِز إلى قلعة جَعْبَر ومعه الجيش والمجانيق فغابوا شهراً وخمسة أيام وعادوا سالمين[٦] .

وفي ثامن صفر فُتحت الخانقاه التي أنشأها سيف الدين قَوْصُون الناصري خارج باب القَرَافة[٧] ، وتولّىٰ مشيختها الشيخ شمس الدين الأَصْبَهاني[٨] المتكلِّم .

وفي عاشر صفر خرج ابن جُمْلة من السِّجن بالقلعة[٩] . وجاءت الأخبار بموت ملك التتار أبي سعيد بن خَرْبَنْدا بن أَرْغون بن أبغا بن هولاكو [بن][١٠] تُولي بن جنكزخان ، في يوم الخميس ثانيْ عشرَ

---

(١) ليست في ب . قال بشار : وغالب أحفادهم إلى اليوم من محبي شيخ الإسلام ، ومن أتباعه .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٣١) .

(٣) المسمارية مدرسة قبلي القيمرية الكبرى داخل دمشق . الدارس (٢/ ١١٤) .

(٤) ليست في ب .

(٥) ليست في ب . والذي فيه : استهلّت بيوم الإثنين والخليفة المستكفي ونائبه بالشام والقضاة والمباشرون هم المذكورون ، سوى شدّ الأوقاف فإنه سيف الدين تمَرُ مشد الزكاة وكاتب السر جمال الدين بن الأثير ، ومشد الأوقاف فإنه الأمير حسام الدين .

(٦) بدائع الزهور (١/ ٤٧٣) .

(٧) وهي خانقاه سرياقوس .

(٨) هو محمود بن عبد الرحمن . مات سنة (٧٤٩هـ) بالطاعون . الدرر الكامنة (٤/ ٣٢٧) .

(٩) الدرر (٤/ ٤٤٤) .

(١٠) زيادة في ط .

ربيع الآخر بدار السَّلطنة بقَرَاباغ ، وهي منزلهم في الشتاء ، ثم نُقل إلى تربته بمدينته التي أنشأها قريباً من السُّلطانية مدينة أبيه ، وقد كان من خيار ملوك التتار وأحسنهم طريقة وأثبتهم على السنة وأقومهم بها ، وقد عز أهلُ السُّنَّة بزمانه وذلت الرّافضة ، بخلاف دولة أبيه ، ثم من بعده لم يقم للتتار قائمة ، بل اختلفوا فتفرَّقوا شذَرَ مذَرَ إلى زماننا هذا ، وكان القائم من بعده بالأمر أَرْبَكاوُون(١) من ذرية أبغا ، ولم يستمرَّ له الأمر إلا قليلاً .

وفي يوم الأربعاء عاشر جُمادى الأولى درَّس بالناصرية الجوانية نور(٢) الدين الأردبيلي عوضاً عن كمال الدين بن الشّيرازي توفي ، وحضر عنده القضاة .

وفيه درَّس بالظاهرية البرانية الشيخ الإمام المقرئ سيف الدين أبو بكر الحريري عوضاً عن نور الدين الأردبيلي ، تركها لما حصلت له الناصرية الجوانية .

وبعده بيوم درَّس بالنَّجيبية كاتبُه إسماعيل بن كثير عوضاً عن الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني تركها حين تعيَّن له تدريس الظاهرية الجوانية ، وحضر عنده القضـاة والأعيان . وكان درساً حافلاً أثنى عليه الحاضرون وتعجبوا من جمعه وترتيبه ، وكان ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] . وانساق الكلام إلى مسألة ربا الفَضْل .

وفي يوم الأحد رابعِ عشرهِ ذَكَر الدَّرس بالظَّاهرية المذكورة ابن قاضي الزبداني عوضاً عن علاء الدين بن القلانسي توفي ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان يوماً مطيراً(٣) .

وفي أوّل جُمادى الآخرة وقع غلاءٌ شديدٌ بديار مصرَ ، واشتدَّ ذلك إلى شهر رمضانَ ، وتوجه خلق كثيرٌ في رجب إلى مكَّة نحواً من ألفين وخمسمئة ، منهم عز الدين بن جماعة ، وفخر الدين النُّويري وحسن السلامي ، وأبو الفتح السلامي ، وخلق .

وفي رجب كَمُلَت عمارة جسر باب الفرج وعمل عليه باسورة ورُسم باستمرار فتحه إلى بعد العشاء الآخرة كبقية الأبواب ، وكان قبل ذلك يغلق من المغرب .

وفي سلخ رجب أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه نجم الدين بن خُلَيْخَان(٤) تجاه باب كَيْسان من القبلة ، وخطب فيه الشيخ الإمام العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية .

---

(١) في ط : أرتكاوون . وهو تحريف . وفي الدليل الشافي (١/ ١٠٢) : أَرْبكون المغلي صاحب العراق وأذربيجان والروم وهو من ذرية جَنْكِزخان ، توفي مقتولاً سنة (٧٣٦) وقيل : كان نصرانياً . اهـ .

(٢) في أ وط : بدر الدين . وأثبتنا مافي الدرر (٣/ ٢٣٠) والدارس (١/ ٢٣٠) .

(٣) الدارس (١/ ٣٥٣) .

(٤) في ط : خيلخان .

وفي ثاني شعبانَ باشر كتابة السر بدمشق القاضي علَم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن مفضل[١] ، عوضاً عن كمال الدين بن الأثير ، عزل وراح إلى مصر .

وفي يوم الأربعاء رابع رمضان ذَكر الدَّرس بالأمينية الشيخ بهاء الدين ابن إمام المشهد[٢] عوضاً عن علاء الدين بن القلانسي .

وفي العشرين منه خُلع على الصدر نجم الدين[٣] بن أبي الطيب بنظر الخزانة مضافاً إلى ما بيده من وكالة بيت المال ، بعد وفاة ابن القلانسي بشهور .

وخَرَجَ الرَّكبُ الشّامي يوم الإثنين ثامن شوال وأميره قُطْلُوتَمُر[٤] الخليلي .

وممَّن حجَّ فيه قاضي طرابُلُس محيي الدين بن جهبل ، والفخر المصري ، وابن قاضي الزبداني ، وابن العز الحنفي ، وابن غانم والسخاوي وابن قيّم الجوزيّة ، وناصر الدين بن الربوة[٥] الحنفي .

وجاءت الأخبار بوقعة جرت بين التتار قُتل فيها خلقٌ كثير منهم ، وانتصر علي باشا وسلطانه الذي كان قد أقامه ، وهو موسى كاوون على أزبَا كاوُون وأصحابه ، فقتل هو ووزيره ابن رشيد الدولة ، وجرت خطوبٌ كثيرة طويلة ، وضُربت البشائرُ بدمشقَ[٦] .

وفي ذي القعدة خُلع على ناظر الجامع الشيخ عز الدين بن المُنَجَّا[٧] بسبب إكماله البطائن في الرّواق الشمالي والغربي والشرقي ، ولم يكن قبل ذلك له بطائن .

وفي يوم الأربعاء سابع ذي الحجة ذَكَر الدَّرس بالشِّبلية القاضي نجم الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين الطَّرَسُوسي الحنفي ، وهو ابن سبعَ عَشْرَةَ سنةً ، وحضر عند القضاة والأعيان ، وشكروا من فضله ونباهته ، وفرحوا لأبيه فيه . وفيها عُزل ابنُ النقيب[٨] عن قضاء حلب ووليها ابن خطيب جسرين .

وولي الحسبة بالقاهرة ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد خطيب بيت الآبار[٩] ، خلع عليه السلطان .

---

(١) مات سنة (٧٦٠هـ) الدرر (٣/ ٣٦٨) .
(٢) محمد بن علي بن سعيد . مات سنة (٧٥٢هـ) . الدرر (٤/ ٦٥) .
(٣) هو : محمد بن عمر مات سنة (٧٤٢هـ) الدارس (١/ ٤٤٦) .
(٤) في ط : قطلودمر . الدرر (٣/ ٢٥٤) .
(٥) في ط : البربوة ، وهو تصحيف .
(٦) ابن خلدون (٥/ ٤٤٠) .
(٧) هو : محمد بن أحمد بن المنجّا التنوخي الحنبلي مات سنة (٧٤٦هـ) . الدارس (٢/ ٧٤) .
(٨) وهو : محمد بن أبي بكر بن إبراهيم سيأتي في وفيات سنة (٧٤٥هـ) .
(٩) مات سنة (٧٦١هـ) . الدرر (٤/ ٤٨٢) .

وفي ذي القعدة رَسَم السلطان باعتقال الخليفة المستكفي وأهلِهِ ، وأن يُمنعوا من الاجتماع ، فآل أمرهم كما كان أيام الظَّاهر[١] والمَنْصُور[٢] .

وممَّن توفّي فيها من الأعيان :

السُّلطان أبو سعيد[٣] **بن خَرْبَنْدا** : وكان آخرَ من اجتمع شَمْلُ التَّتار عليه ، ثم تفرَّقُوا من بعده .

الشيخ المعمّر الرّحلة[٤] : شمس الدّين علي[٥] بن محمد بن ممدود[٦] بن عيسى البَنْدَنِيْجي الصُّوفي ، قدم علينا من بغدادَ شيخاً كبيراً راوياً لأشياءَ كثيرة ، فيها « صحيح مسلم » « والترمذي » وغير ذلك ، وعنده فوائد .

ولد سنة أربع وأربعين وستمئة ، وكان والده محدّثاً فأسمعه أشياء كثيرة على مشايخ عدة ، وكان موته بدمشقَ رابعَ المحرم .

قاضي قضاة بغداد : قطب الدين أبو الفضائل محمد[٧] بن عمر بن الفضل التبريزي الشافعي المعروف بالأَخَوَيْن[٨] ، سمع شيئاً من الحديث واشتغل بالفقه والأُصول والمنطق والعربيّة والمعاني والبيَان ، وكان بارعاً في فنون كثيرة ودرَّس بالمُسْتَنْصريَّة بعد العَاقُولي . وفي مدارسَ كبار ، وكان حسن الخلق كثير الحُنوِّ[٩] على الفقراء والضعفاء ، متواضعاً يكتب حسناً أيضاً .

توفي في آخر المحرم ودُفن بتربة له عند داره ببغدادَ رحمه الله .

الأَمير صارم الدين : إبراهيم[١٠] بن محمّد بن أبي القاسم بن أبي الزهر ، المعروف بالغزال[١١] ، كانت له مطالعة وعنده شيء من التاريخ ، ويحاضرُ جيداً .

---

(١) هو : بيبرس بن عبد الله . مات سنة (٦٧٦هـ) . الفوات (١/ ٢٤٠) .
(٢) هو : قلاوون والد السلطان الناصر . مات سنة (٦٨٩هـ) .
(٣) ترجمته في الذيل (ص١٩١) والدرر الكامنة (١/ ٥٠١) و (٢/ ١٣٧) وابن خلدون (٥/ ٤٤٠) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٠٩) وبدائع الزهور (١/ ٤٧٣) . وقد اختلفت المصادر السابقة في الاسم ، فمنهم من جعله : أبو سعيد وأعربه ومنهم من ركّبه على هيئة واحدة : بوسعيد بغير همزة .
(٤) ليست في ط .
(٥) ترجمته في الذيل (ص١٨٩) والدرر الكامنة (٣/ ١١٩) والشذرات (٦/ ١١٤) .
(٦) في أ : محمود .
(٧) ترجمته في تلخيص مجمع الآداب ٤ /الترجمة ٢٨٩٧ من الملقبين بقطب الدين ، وفي الذيل (ص١٨٩) والوافي (٤/ ٢٨٧) والدرر الكامنة (٤/ ١١٠) والشذرات (٦/ ١١٤) .
(٨) في أ : الأخرس ، و ط : الأحوص وهو تحريف .
(٩) في أ وط : الخير . وأثبتنا مافي ب .
(١٠) لم أقع على ترجمة له .
(١١) في ط : المغزال .

ولما توفي يوم الجمعة وقت الصلاة السادس والعشرين من المحرم دفن بتربة له عند حمَّام العديم .

الأمير علاء الدين مُغْلَطَاي[(١)] الخازن : نائب القلعة وصاحب التربة تجاه الجامع المظفري من الغرب ، كان رجلًا جيداً ، له أوقاف وبر وصدقات ، توفي يوم الجمعة بكرة عاشر صفر ، ودفن بتربته المذكورة .

القاضي كمال الدين : أحمد[(٢)] بن محمّد بن محمَّد بن عبد الله بن هبة الله بن الشّيرازي الدمشقي .

ولد سنة سبعين ، وسمع الحديث وتفقه على الشيخ تاج الدين الفزاري ، والشيخ زين الدين الفارقي ، وحفظ « مختصر المزني »[(٣)] ودرَّس في وقت بالبادرائية ، وفي وقت بالشَّامية البرَّانية ، ثم ولِّيَ تدريس الناصرية الجوانية مدَّة سنين إلى حين وفاته ، وكان صدراً كبيراً ، ذُكر لقضاء قضاة دمشقَ غيرَ مرَّة ، وكان حسنَ المباشرة والشكل .

توفي في ثالث صفر ودُفن بتربتهم بسفح قاسيون رحمه الله .

الأمير ناصر الدين : محمد[(٤)] ابن الملك المسعود جلال الدين عبد الله بن الملك الصَّالح إسماعيل بن العادل .

كان شيخاً مسنّاً ، قد اعتنى بـ « صحيح البخاري » يختصره ، وله فهمٌ جيِّدٌ ولديه فضيلة ، وكان يسكن المِزَّةَ وبها توفي ليلة السبت خامس عشرين صفر ، وله أربعٌ وسبعون سنةً ، ودفن بتربتهم بالمزة رحمه الله .

علاء الدين : علي[(٥)] بن شرف الدين محمد بن القلانسي قاضي العسكر ووكيل بيت المال ، وموقع الدست ، ومدرس الأمينية والظاهرية وغير ذلك من المناصب ، ثمّ سُلبَها كلَّها سوى التَّدريسين ، وبقي معزولاً إلى حين أن توفي بكرة السبت خامس وعشرين صفر ، ودُفن بتربتهم .

عز الدين أحمد[(٦)] بن الشيخ زين الدين محمد بن أحمد بن محمود العقيلي ، ويعرف بابن

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٣٥٥) والدليل الشافي (٢/ ٧٣٨) مع اختلاف في تاريخ الوفاة بين هذه المصادر ومابين أيدينا .

(٢) ترجمته في الذيل (ص١٩٠) والدرر الكامنة (١/ ٣٠١) والدارس (١/ ٢٠٩) والشذرات (٦/ ١١٢) .

(٣) مختصر المزني في الفقه الشافعي ، لأبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني صاحب الإمام الشافعي ـ رحمهما الله ـ مات في مصر سنة (٢٦٤هـ) . الوفيات (١/ ٢١٧) .

(٤) لم أقع على ترجمة له .

(٥) ترجمته في الذيل (ص١٩٠) والدرر الكامنة (٣/ ١١٨) وفيه : علي بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المظفر . . . والدارس (١/ ١٩٨) .

(٦) ترجمته في الذيل (ص١٩١) والدرر الكامنة (٣/ ٣٦٤) والشذرات (٦/ ١١٢) .

القلانسي ، مُحتَسِبُ دمشقَ وناظرُ الخِزَانة ، وكان محمودَ المباشرة ، ثم عُزل عن الحسبة واستمر بالخزانة إلى أن توفي يوم الإثنين تاسعَ عشرَ جُمادى الأولى ودفن بقاسيون .

الشّيخ علي[١] **بن أبي المجد بن شرف بن أحمد بن أحمد**[٢] **الحمصي** ثمَّ الدِّمشقيّ مؤذِّن الرَّبوة خمساً وأربعين سنة ، وله ديوان شعر وتعاليق وأشياء كثيرة ممَّا يُنْكَرُ أمرها ، وكان محلولاً في دينه ، توفي في جُمادى الأولى أيضاً .

الأمير شهاب الدين بن برق[٣] : متولِّي دمشقَ ، شهد جنازَتهُ خلقٌ كثير ، توفي ثاني شعبان ودفن بالصالحية وأَثْنَى عليه الناس .

الأمير فخر الدين[٤] **ابن الشمس لؤلؤ** ، متولي البر . كان مشكوراً أيضاً ، توفِّي رابع شعبان ، وكان شيخاً كبيراً ، توفي ببُسْتانه ببيت لَهْيَا[٥] ودفن بتربته هناك وترك ذرِّيةً كثيرة رحمه الله .

عمادُ الدين إسماعيل[٦] : ابن شرف الدين محمد بن الوزير فتح الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن صَغير بن القَيْسَراني ، أحد كتاب الدّست ، وكان من خيار النّاس ، محبّاً[٧] للفقراء والصّالحين ، وفيه مروءة كثيرة ، وكتب بمصرَ ثم صار إلى حلبَ كاتبَ سرِّها ، ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها إلى أن مات ليلةَ الأحد ثالثَ عَشَرَ ذي القعدة ، وصُلِّيَ عليه من الغد بجامع دمشق ، ودُفن بالصّوفية عن خمس وستين سنة ، وقد سمع شيئاً من الحديث على الأَبْرَقُوهي وغيره .

وفي ذي القعدة توفِّي شهاب الدين[٨] ابن العُدَيْسة[٩] المحدِّث بطريق الحجاز الشريف[١٠] .

---

(١) لم أقع على ترجمة له .

(٢) ليست في ط .

(٣) ترجمته في الذيل (ص١٩٢) والدرر الكامنة (١/ ١٠٩) والشذرات (٦/ ١١٣) وهو : أحمد بن سيف الدين أبي بكر بن برق الدمشقيّ .

(٤) ترجمته في الذيل (ص١٩٢) والدرر الكامنة (٢/ ٤٥٠) والشذرات (٦/ ١١٣) وهو : فخر الدين عثمان بن محمد بن ملك الأمراء شمس الدين لؤلؤ .

(٥) هي قرية مشهورة بغوطة دمشق ، وكانت بيتاً للآلهة . ياقوت .

(٦) ترجمته في الذيل (ص١٦٣) والدرر الكامنة (١/ ٣٧٨) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١١) والشذرات (٦/ ١١٣) .

(٧) في ط : محبباً إلى الفقراء .

(٨) ترجمته في معجم شيوخ الذهبي ٢ / ٢٥٠ الدرر الكامنة (٤/ ٦٠) والدارس (٢/ ١٧٠) . وهو : شهاب الدين محمد بن تاج الدين علي بن أبي بكر الرّقي ، وكان شيخ الخانقاه المجاهدية . بدمشقَ .

(٩) في ط : القديسة ، وفي الدرر : العدسية ، وفي الدارس : القدسية . وكله تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، وهو الموافق لما في معجم شيوخ الذهبي .

(١٠) في مكان يقال له : وادي الأخضر . وهو منزل قرب تبوك . ياقوت .

وفي ذي الحجة توفي الشَّمس محمَّد[١] المؤذِّن المعروف بالنجار ويعرف بالبتي ، وكان يتكلَّم ويُنشد في المحافل والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبعمئة

استهلَّت بيوم الجمعة والخليفة المستكفي بالله قد اعتقله السلطانُ الملك النَّاصر ، ومنعه من الاجتماع بالنَّاس ، ونائبُ الشام تَنْكِز بن عبد الله النَّاصري ، والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها ، سوى كتاب السرّ فإنَّه علم الدين بن القُطْب ، ووالي البر الأمير بدر الدين بن قُطْلُوبَك بن شَشْنكير ، ووالي المدينة حسام الدين طُرُنْطَاي[٢] الجُوكَنْدار .

وفي أوّل يوم منها يوم الجمعة وصلت الأخبار بأنَّ علي باشا كُسر جيشه ، وقيل إنه قُتل[٣] ، ووصلت كتبُ الحُجَّاج في الثاني والعشرين من المحرَّم تصف مشقةً كثيرة حصلت للحُجَّاج من موت الجمال وإلقاء الأحمال ومشي كثيرٍ من النساء والرجال ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله على كل حال .

وفي آخر المحرَّم قدم إلى دمشقَ القاضي حسام الدين حسن بن محمد الغوري قاضي بغداد ، والوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروان[٤] الكردي ، وشرف الدين عثمان بن حسن البلدي فأقاموا ثلاثةَ أيام ثم توجهوا إلى مصر فحصل لهم قبول تام من السلطان ، فاستقضى الأول على الحنفيَّة كما سيأتي ، واستوزَرَ الثاني ، وأمَّر الثالثَ .

وفي يوم عاشوراء أُحضر شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد[٥] بن اللبّان الفقيه الشافعي إلى مجلس الحكم الجلالي[٦] ، وحضر معه شهاب الدين بن فضل الله مجد الدين الأقصرائي شيخ الشيوخ ، وشمس الدين[٧] الأصْبَهاني ، فادَّعى عليه بأشياء منكرة من الحلول والاتحاد والغُلُوّ في القَرْمطة وغير ذلك ، فأقرّ ببعضها فحُكم عليه بحقن دمه ، ثم توسَّط في أمره وأبقيت عليه جهاته ، ومُنع من الكلام على الناس ، وقام في صفِّه جماعة من الأمراء والأعيان[٨] .

---

(١) لم أقع على ترجمة له .
(٢) في ط : طرقطاي .
(٣) الذيل ص(١٩٤) ابن خلدون (٥/ ٥٤٩) .
(٤) في الدرر الكامنة (٢/ ٤٢) و(٤/ ٣٣١) . شروين .
(٥) ليست في ط .
(٦) يريد : مجلس القاضي جلال الدين القزويني .
(٧) في أ وط : شهاب الدين . وهو تحريف .
(٨) تفصيل الواقعة في الدرر الكامنة (٣/ ٣٣٠) .

وفي صفر احترق بقصر حَجَّاج حريق عظيم أتلف دوراً ودكاكين عديدة .

وفي ربيعٍ الأوَّل وُلد للسُّلطان ولدٌ فدُقَّت البشائر بدمشقَ[١] وزُينت البلد أياماً .

وفي منتصف ربيع الآخر أُمِّر الأميرُ صارم الدين إبراهيم الحاجب الساكن تجاه جامع كريم الدين طبلخاناه ، وهو من كبار أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية[٢] رحمه الله ، وله مقاصد حسنة صالحة ، وهو في نفسه رجل جيد[٣] .

وفيه أُفرج عن الخليفة المستكفي وأُطلق من البرج في حادي عِشْري ربيع الآخر ولزم بيته[٤] .

وفي يوم الجمعة عشرين جُمادى الآخرة أُقيمت الجمعة في جامعين بمصر ، أحدهما أنشأه الأمير عز الدين أيْدَمُر بن عبد الله الخطيري ، ومات بعد ذلك باثني عشر يوماً رحمه الله[٥] ، والثاني أنشأته امرأة يقال لها : الست حدق داية[٦] السلطان الناصر عن قَنْطَرة السّباع[٧] .

وفي شعبان سافر القاضي شهاب الدين أحمد بن شرف بن منصور النّائب في الحكم بدمشقَ إلى قضاء طرابُلُس ، وناب بعده الشيخ شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكي .

وفيه خلع على عز الدين بن جماعة بوكالة بيت المال بمصر ، وعلى ضياء الدين بن خطيب بيت الآبار[٨] بالحسبة بالقاهرة ، مع ما بيده من نظر الأوقاف وغيره .

وفيه أُمِّر الأمير ناظر القدس بطبلخاناه ثم عاد إلى القدس .

وفي عاشر رمضان قدمت من مصرَ مقدِّمتان ألفان إلى دمشق سائرةً إلى بلاد سيس ، وفيهم علاء الدين [الفارسي][٩] فاجتمع به أهلُ العلم وهو من أفاضل الحنفيَّة ، وله مصنفاتٌ في الحديث وغيره .

وخرجَ الرَّكب الشامي يوم الإثنين عاشر شوال وأميره بهادرُ قَبْجَق ، وقاضيه محيي الدين الطَّرابلسي مدرِّس الحمصيّة ، وفي الركب تقي الدين شيخ الشيوخ وعماد الدين بن الشيرازي ، ونجم الدين الطَّرسوسي ، وجمال الدين المرداوي ، وصاحبه شمس الدين بن مفلح ، والصدر المالكي والشرف بن

---

(١) ليست في ط .
(٢) ليست في ط .
(٣) الدارس (٢/ ٤١٨) .
(٤) الدرر الكامنة (٢/ ١٤٢) .
(٥) النجوم الزاهرة (٩/ ٣١٢) .
(٦) في ط : دادة .
(٧) يقال له : جامع ست مسكة . الدرر الكامنة (٢/ ٧) .
(٨) هو : يوسف بن أبي بكر بن خطيب بيت الآبار ، ذكر في أحداث سنة (٧٣٦)هـ . الدرر (٤/ ٤٨٢) .
(٩) زيادة من ب .

القيسراني ، والشيخ خالد المقيم عند دار الطُّعم ، وجمال الدين بن الشهاب محمود .

وفي ذي القعدة وصلت الأخبار بأنَّ الجيش تسلموا من بلاد سيس سبعَ قلاعٍ ، وحصل لهم خير كثير ولله الحمد ، وفرح المسلمون بذلك[١] .

وفيه كانت وقعة هائلة بين التتار انتصر فيها الشيخ [حسن][٢] وذووه .

وفيها نَفَى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليفة وأهله وذويه ، وكانوا قريباً من مئة نفس إلى بلاد قوص[٣] ، ورتَّب لهم هناك ما يقوم بمصالحهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ علاء الدين بن غانم : أبو الحسن علي[٤] بن محمد بن سلمان[٥] بن حمائل بن علي المُنْشي[٦] أحد الكبار المشهورين بالفضائل وحسن الترسُّل ، وكثرة الأدب والأشعار والمروءة التامة ، مولده سنة إحدى وخمسين وستمئة ، وسمع الحديث الكثير ، وحفظ القرآن « والتنبيه » ، وباشر الجهات ، وقصده الناس في الأمور المهمّات وكان كثير الإحسان إلى الخاص والعام .

توفي مرجعه من الحج في منزلة تَبُوك يوم الخميس ثالثَ عشرَ المحرم ، ودُفن هناك رحمه الله .

ثم تبعه أخوه شهاب الدين أحمد[٧] : في شهر رمضان ، وكان أصغر منه سناً بسنة ، وكان فاضلاً أيضاً بارعاً كثير الدعابة .

الشّرف محمود[٨] **الحريري** : المؤذِّن بالجامع الأموي ، بنى حمَّاماً بالنَّيرب ، ومات في آخر المحرم .

---

(١) الذيل ص(١٩٤ـ١٩٥) والقلاع هي : آياس ، وكواره ، ونجيمة ، وسِوْكَنْدار والهارونيّة ، وقلعة البحر ، وميناء آياس .

(٢) زيادة من ب . وهو حسن بن حسين بن بيبغا بن أملكان ، وهو ابن عمة السلطان أبي سعيد ترجمته في ابن خلدون (٥/ ٤٤٠ـ٥١٥) والشذرات (٦/ ١١٦) .

(٣) مدينة كبيرة في صعيد مصر ياقوت .

(٤) ترجمته في الذيل ص(١٩٥) ومعجم شيوخ الذهبي (٢/ ٤١)، وفوات الوفيات (٣/ ٧٨) والوفيات لابن رافع (١/ ١٢٨) والدرر الكامنة (٣/ ١٠٣) والشذرات (٦/ ١١٤) .

(٥) في أ وط : سليمان .

(٦) في أ وط : المقدسي وهو تحريف ، وفي الدرر : الدمشقي . وأثبتنا ما في الذيل والمنشئ نسبة إلى الإنشاء الذي باشره ستين سنة . وفي الوفيات لابن رافع : المقدسي ثم الدمشقي .

(٧) ترجمته في الوفيات لابن رافع (١/ ١٧١ـ١٧٢) والذيل ص(١٩٦)، والدرر الكامنة (٣/ ١٠٣) والشذرات (٦/ ١١٤) .

(٨) لعلّه ممّن انفرد ابن كثير بذكره .

الشّيخ الصّالح العابد : ناصر الدين محمد[١] بن الشيخ إبراهيم بن مِعْضَاد بن شدّاد بن ماجد بن مالك الجَعْبَري[٢] ثم المصري . ولد سنة خمسين وستمئة بقلعة جَعْبَر ، وسمع « صحيح مسلم » وغيره ، وكان يتكلّم على الناس ويعظهم ويستحضر أشياء كثيرة من التفسير وغيره ، وكان فيه صلاح وعبادة .

توفي في الرابع والعشرين من المحرّم ، ودفن بزاويتهم[٣] عند والده خارج باب النصر .

الشيخ شهاب الدين بن[٤] عبد الحق الحنفي : أحمد[٥] بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن قاضي الحنفيين[٦] ويعرف بابن عبد الحق الحنفي ، شيخ المذهب ومدرس الحنفية وغيرها ، وكان بارعاً فاضلاً ديناً ، توفي في ربيع الأول .

الشيخ عماد الدين : إبراهيم[٧] بن علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي الحنبلي الإمام العالم العابد شيخ الحنابلة بها ومُفتيهم[٨] من مدة طويلة ، توفّي في ربيع الأول .

الشيخ الإمام العابد الناسك : **محب الدين عبد الله**[٩] بن أحمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الحنبلي .

سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكتب الطّباق وانتفع الناس به ، وكانت له مجالس وعظ من الكتاب والسُّنَّة في الجامع الأموي وغيره ، وله صوت طيب بالقراءة جداً ، وعليه روح وسكينة ووقار ، وكانت مواعيده مفيدة ينتفع بها الناس ، وكان شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية يحبُّه ويحبُّ قراءته .

توفي يوم الإثنين سابع ربيع الأول ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن بقاسيون وشهد الناس له بخير ، رحمه الله تعالى ، وبلغ خمساً وخمسين سنة .

---

(١) ليست في ط وترجمته في : الوفيات لابن رافع (١/ ١٣١ ـ ١٣٣) والدرر الكامنة (٣/ ٢٩٧) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١٣) وطبقات الأولياء ص(٥٦٧) .

(٢) نسبة إلى جعبر ، قلعة على الفرات بين بالس والرّقة قرب صفين . ياقوت .

(٣) بزاوية والده الجعبري خارج باب النصر من القاهرة .

(٤) ليست في ط .

(٥) ترجمته في : الوفيات لابن رافع (١/ ١٩٧ ـ ١٩٨) والدرر الكامنة (١/ ٢٠٤) ووفاته فيهما في ربيع الأول سنة (٧٣٨)هـ ، والدارس (١/ ٦٠٦) ووفاته فيه سنة (٧٣٧)هـ .

(٦) ويعرف أيضاً بابن قاضي الحصن .

(٧) ترجمته في الوفيات لابن رافع (٢/ ١٩٧) ، والذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٢٨) ، والشذرات (٦/ ١١٥) .

(٨) في ط : وفقيههم وفي ب : رئيسهم .

(٩) ترجمته في : الذيل ص(١٩٦) والوفيات لابن رافع (١/ ١٣٩) والقلائد الجوهرية ص(٢/ ٢٧٩) والدرر الكامنة (٢/ ٢٤٤) والشذرات (٦/ ١١٤) .

المحدِّث البارع المحصّل المفيد المُخرج المجيد : ناصر الدين محمد[١] بن طُغْريل[٢] بن عبد الله ، الصَّيْرَفيّ أبوه ، الخُوارِزْميّ الأصل .

سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكان سريعَ القراءة ، وقرأ الكتب الكبار والصغار ، وجمع وخرّج شيئاً كثيراً ، وكان بارعاً في هذا الشأن .

رحل فأدركته منيَّتُه بحماةَ يوم السبت ثاني عشر[٣] ربيع الأول ، ودُفن من الغد بمقابر طيبة رحمه الله .

شيخنا الإمام العالم العابد : **شمس الدين أبو محمد عبد الله**[٤] بن العفيف محمد بن الشيخ تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمةَ المقدسي النابلسي الحنبليّ ، إمام مسجد الحنابلة بها . ولد سنة تسع[٥] وأربعين وستمئة ، وسمع الكثير وكان كثيرَ العبادة حسنَ الصّوت ، عليه البهاء والوقار وحسن الشكل والسّمت ، قرأت عليه عام ثلاثة وثلاثين وسبعمئة مرجعَنا من القدس كثيراً من الأجزاء والفوائد ، وهو والد صاحبنا الشيخ جمال الدين يوسف أحد مفتية الحنابلة وغيرهم ، والمشهورين بالخير والصلاح .

توفي يوم الخميس ثاني عِشْري ربيع الآخر ودُفن[٦] هناك رحمه الله .

الشيخ محمد بن عبد الله بن المجد إبراهيم المُرْشدي[٧] المقيم بمُنْية مُرْشِد[٨] ، يقصده النَّاس للزِّيارة ، ويضيِّفُ النّاسَ على حسب مراتبهم وينفق نفقات كثيرة جداً ، ولم يكن يأخذ من أحد شيئاً فيما يبدو للناس ، والله أعلم بحاله ، وأصله من قرية دَهْرُوط[٩] ، وأقام بالقاهرة مدّة واشتغل بها ، ويقال إنه قرأ « التنبيه » في الفقه ، ثم انقطع بمنية مُرْشد واشتهر أمره في الناس وحجَّ مرات ، وكان إذا دخل القاهرة

(١) ترجمته في الذيل ص(١٩٦) والوفيات لابن رافع (١/ ١٤٢) والدرر الكامنة (٣/ ٤٦٠) والشذرات (٦/ ١١٦) .
(٢) في ط : طغربل وفي الشذرات : (طغر بك) .
(٣) ليست في ط ، وهي في أ وب .
(٤) ترجمته في الذيل ص(١٩٧) والوفيات لابن رافع (١/ ١٤٤) وذيل طبقات الحنابلة : (٢/ ٤٢٨) والدرر الكامنة (٢/ ٣٠٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١١) والشذرات (٦/ ١١٥) .
(٥) في ط : سبع وهو تحريف .
(٦) بمقبرة الزّاهريّة . الوفيات (١/ ١٤٤) .
(٧) ترجمته في الذيل ص(١٩٨) والوفيات لابن رافع (١/ ١٧٣ ـ ١٧٤) . وطبقات الشافعية (٥/ ٢٣٧) والدرر الكامنة (٣/ ٤٦٢) ووفاته فيه : (٧٣٨)هـ وهو غلط ، والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١٣) وطبقات الأولياء ص(٥٦٨) .
(٨) منية مرشد إحدى قرى مركز فوّه بمديرية الغربية بمصر . التحفة السنية والذيل ص(١٩٨) الهامش (٤) .
(٩) « دَهْرُوط » : بليد على شاطئ غربي النيل من ناحية الصعيد قرب البَهْنَسا . ياقوت .

يزدحم عليه الناس ، ثم كانت وفاته يوم الخميس ثامن رمضان ودُفن بزاويته ، وصُلّيَ عليه بالقاهرة ودمشقَ وغيرها .

الأميـر أسد الدين : عبد القـادر[(١)] بن المغيث عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن العادل ، ولـد سنة اثنتين وأربعين وستمئة ، وسمع الكثير وأسمع ، وكان يـأتي كلَّ سنة من مصرَ إلى دمشقَ ، ويُكرمُ أهل الحديث ، ولم يبق من بعده من بني أيُّوب أعلى سناً منه ، توفّي بالرَّملة في سلخ رمضانَ رحمه الله .

الشيخ الصالح الفاضل : حسن[(٢)] بن إبراهيم بن حسن الجَاكي[(٣)] الحَكَريّ[(٤)] إمام مسجد هناك ، ومذكِّر الناس في كل جمعة ، ولديه فضائل ، وفي كلامه نفع كثير إلى أن توفي في العشرين من شوَّال ، ولم يرَ الناس مثلَ جنازته بديار مصر رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة

استهلَّت بيوم الأربعاء والخليفة المستكفي منفيٌّ ببلاد قُوص ، ومعه أهله وذووه ، ومن يلوذ به ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن الملك المنصور ، ولا نائب بديار مصر ولا وزير ، ونائبه بدمشق تَنْكِز ، وقضاةُ البلاد ونوابُها ومباشروها هم المذكورون في التي قبلها .

وفي ثالث ربيع الأول رسم السلطان بتسفير علي ومحمد ابني داود بن سليمان بن داود بن العاضد آخر خلفاء الفاطميين إلى الفيُّوم يقيمون به ، وفي ليلة الأحد ثالث عشرين ربيع الأول بعد المغرب هبَّت ريحٌ شديدة بمصرَ وأعقبها رعد وبرق وبرَد بقدر الجَوْز ، وهذا شيءٌ لم يشاهدوا مثلَه من أعصار متطاولة بتلك البلاد .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر عزل القاضي علم الدين بن القطب عن كتابة السرِّ وضرب ، وصودر ، ونُكب بسببه القاضي فخر الدين المصري ، وعزل عن مدرسته الرواحية[(٥)] وأخذها ابن جملة ، والعادليَّة الصغيرة باشرها ابن النقيب ، ورُسِمَ عليه بالعذراوية مئةَ يوم ، وأخذ شيء من ماله .

وفي عاشر جُمادى الأولى استهل الغيثُ بمكة من أول الليل ، فلما انتصف اللَّيل جاء سيلٌ عظيم هائل

---

(١) ترجمته في الذيل ص(١٩٩) والوفيات لابن رافع (١/ ١٧٩ـ١٨٠) والدرر الكامنة (٢/ ٣٩٠) والشذرات (٦/ ١١٥) .
(٢) ترجمته في الوفيات لابن رافع (١/ ١٨١) . وطبقات الشافعية (٢/ ٢) .
(٣) في ط : الحاكي .
(٤) « الحكَري » : نسبه إلى الحَكَر وهو المكان المعروف بظاهر القاهرة . الوفيات الهامش (٥) .
(٥) في ط : الدولعية وأثبتنا ما في الدارس(١/ ٢٤٦) .

لم يرَ مثله من دهر طويل ، فخرَّب دوراً كثيرة نحواً من ذراع أو أكثر ، وغرَّق جماعة وكسر أبواب المسجد ، ودخل الكعبة وارتفع فيها نحواً من ذراع أو أكثر ، وجرى أمرٌ عظيم حكاه الشيخ عفيف الدين الطبري .

وفي سابع عِشْرين من جُمادى الأولى عُزل القاضي جلال الدين عن قضاء مصرَ ، واتّفق وصولُ خبر موت قاضي الشام ابن المجد بعد أن عزل بيسير ، فولاه السلطان قضاءَ الشام فسار إليها راجعاً عَوداً على بدءٍ ، ثم عزل السُّلطان برهان الدين بن عبد الحق قاضي الحنفية ، وعزل قاضي الحنابلة تقي الدين ، ورُسم على ولده صدر الدين بأداء ديون النَّاس إليهم ، وكانت قريباً من ثلثمئة ألف ، فلمّا كان يوم الإثنين تاسعَ عشرَ جُمادى الآخرة بعد سفر جلال الدين بخمسة أيام ، طلب السُّلطانُ أعيانَ الفقهاء إلى بين يديه فسألهم عمَّن يصلح للقضاء بمصرَ ، فوقع الاختيار على القاضي عز الدين بن جماعة ، فولاه في الساعة الراهنة[١] ، وولَّى قضاء الحنفية لحسام الدين حسن بن محمد الغوري قاضي بغداد ، وخرجا من بين يديه إلى المدرسة الصَّالحيَّة ، وعليهما الخِلَعُ ، ونزل عز الدين بن جماعة عن دار الحديث الكاملية لصاحبه الشيخ كمال الدين[٢] الدِّمياطي ، فدرَّس فيها وأورد حديثَ « إنما الأعمال بالنيات »[٣] . بسنده ، وتكلَّم عليه .

وعزل أكثر نواب الحكم[٤] واستمرّ بعضهم واستمر بالمُنَاوي[٥] الذي أشار بتوليته .

ولما كان يوم خامس عشرين منه ولي قضاء الحنابلة الإمام العالم موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسي عوضاً عن المعزول ، ولم يبقَ من القضاة سوى الأَخْنائي المالكي .

وفي رمضان فتحت الصَّبابيَّة التي أنشأهَا شمس الدين بن تقي الدين بن الصباب التاجر دار قرآن ودار حديث ، وقد كانت خربةً شنيعةً قبل ذلك[٦] .

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٣٨٠) .
(٢) في ط : عماد الدين .
(٣) رواه البخاري رقم (١) في بدء الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ورقم (٥٠٧٠) ومسلم أيضاً رقم (١٩٠٧) في الإمارة ، باب : قوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنية » . وأبو داود رقم (٢٢٠١) في الطلاق ، و« الترمذي » (١٦٤٧) في فضائل الجهاد « والنَّسائي » (١/ ٥٨ـ٦٠) في الطَّهارة و« ابن ماجه » رقم (٤٢٢٧) في الزهد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
والحديث بتمامه : « إنما الأعمال بالنِّيَّات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .
(٤) لأنهم كانوا يتولّون بالمال ، خصوصاً في البلاد . الدرر الكامنة (٢/ ٣٨٠) .
(٥) في أ وط : المنادي وهو تصحيف . وهو : ضياء الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن المناوي الشافعي مات سنة (٧٤٦)هـ . الدرر (٣/ ٢٨٥) والشذرات (٦/ ١٥٠) .
(٦) الدارس (١/ ١٢٨) وهي : قبلي العادلية الكبرىٰ .

وفي رمضان باشر علاء الدين علي بن القاضي محيي الدين بن فضل الله كتابة السر بمصرَ بعد وفاة أبيه كما ستأتي ترجمته ، وخلع عليه وعلى أخيه بدر الدين ، ورُسم لهما أن يحضُرا مجلس السلطان ، وذهب أخوه شهاب الدّين إلى الحج .

وفي هذا الشهر سقط بالجانب الغربي من مصرَ بَرَد كالبيض وكالرمّان ، فأتلف شيئاً كثيراً ، ذكر ذلك البرزالي ، ونقله من كتاب الشِّهاب الدّمياطي .

وفي ثالث عشري رمضان درس بالقبة المنصورية بمشيخة الحديث شهاب الدين العسجدي عوضاً عن زين الدين الكتاني توفي ، فأورد حديثاً من « مسند الشافعي » بروايته عن الجاولي بسنده ، ثم صرف عنها في الحجَّة بالشيخ أثير الدين أبي حيان ، فساق حديثاً عن شيخه ابن الزبير ودعا للسلطان وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان مجلساً حافلاً .

وفي ذي القعدة حضر تدريس الشَّامية البرانية قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب عوضاً عن القاضي جمال الدين بن جملة توفي ، وحضر خلق كثير من الفقهاء والأعيان[١] ، وكان مجلساً حافلاً .

وفي ثاني ذي الحجة درَّس بالعادلية الصغيرة تاج الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني عوضاً عن الشيخ شمس الدين بن النقيب بحكم ولايته الشامية البرّانية ، وحضر عنده القضاة والأعيان[٢] .

وفي هذا الشهر درّس القاضي صدر الدين بن القاضي جلال الدين بالأتَابكية ، وأخوهما[٣] الخطيب بدر الدين بالغزالية والعادلية نيابة عن أبيه . انتهى والله أعلم .

وممّن توفي فيها من الأعيان :

الأمير الكبير بدر الدين محمد[٤] بن فخر الدين عيسى بن التركماني : باني جامع المِقْياس[٥] بديار مصر في أيام وزارته بها ، ثم عزل عنها[٦] أميراً إلى الشام ، ثم رجع إلى مصر إلى أن توفي بها في خامس ربيع الآخر ، وتوفي بالحُسَيْنيّة ، وكان مشكوراً .

---

(١) الدارس (١/ ٢٨٥) .

(٢) الدارس (١/ ٣٧٠) .

(٣) في ط : أخوه .

(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ١٣٢) وفيه وفاته سنة (٧٢٦)هـ وهذا وهم ، إذ خلط بينه وبين ابنه . والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٦٩) .

(٥) ويعرف بجامع التركماني . قال المقريزي في خططه : إنه من الجوامع المليحة أنشأه الأمير بدر الدين محمد التركماني في المقس ومات عن سعادة طائلة بالمقس في ربيع الأول سنة (٧٣٨)هـ النجوم الهامش ٣ .

(٦) ليست في ط .

الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أحمد[١] : بن البرهان شيخ الحنفية بحلب شرح « الجامع الكبير » وكان رجلاً صالحاً منقطعاً عن الناس ، وانتفع به الناس وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن عشري رجب وكانت له معرفة بالقرآن والقراءات والعربية ومشاركاً في علوم أخر رحمه الله .

قاضي القضاة شهاب الدين محمد[٢] **بن المجد** : عبد الله بن الحسين بن علي الزِّرْزاري[٣] الإربليّ الأصل ، ثم الدمشقي الشافعي ، قاضي الشافعية بدمشق ، ولد سنة اثنتين وستين وستمئة ، واشتغل وبرع وحصَّل وأفتى سنة ثلاث وتسعين ، ودرَّس بالإقبالية ثم الرّواحية وتربة أم الصالح ، ووُلِّيَ وكالة بيت المال ، ثم صار قاضي قضاة الشَّام إلى أن توفي بمستهلّ جمادى الأولى بالمدرسة العادلية ، ودُفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

الشيخ الإمام العالم ابن المُرَحِّل : زين الدين محمد[٤] بن عبد الله بن الشيخ زين الدين عمر بن مكي بن عبد الصمد بن المُرَحِّل مدرِّسُ الشامية البرانية والعَذْراويّة بدمشقَ ، وكان قبل ذلك بمشهد الحسين ، ولد بدمشق[٥] ، وكان فاضلاً بارعاً فقيهاً أصولياً مناظراً ، حسنَ الشكل طيّبَ الأخلاق حسن التدريس[٦] ديّناً صيّناً ، ونابَ في وقت بدمشق عن علم الدين الأخنائي فحمدت سيرته ، وكانت وفاتُه ليلةَ الأربعاء تاسعَ عشرَ رجب ، ودُفن من الغد عند مسجد الذُّبّان في تربة لهم هناك ، وحضر جنازته القاضي جلال الدين ، وكان قد قدم من الديار المصرية له يومان فقط ، وقدم بعده القاضي برهان الدين بن[٧] عبد الحق بخمسة أيام ، هو وأهله وأولاده أيضاً ، وباشر بعده تدريس الشامية البرانية قاضي القضاة جمال الدين بن جملة ، ثم كانت وفاته بعده بشهور ، وذلك يوم الخميس رابعَ عشرَ ذي القعدة . وهذه ترجمته في تاريخ الشيخ علَم الدين البرزالي .

تُوُفِّيَ الشَّيْخُ الإِمَامُ الْعَالِمُ قاضي القضاة جمال الدّين الصّالحي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف[٨] بن إبراهيم بن جملة بن مسلم بن . . . .

---

(١) هذه الترجمة في ط جاءت بعد ابن البارزي وترجمته في الجواهر المضية (١/ ٦١ ـ ٦٢) .
(٢) ترجمته في : الذيل ص(٢٠١) والوفيات لابن رافع (١/ ٢٠٦) والدرر الكامنة (٣/ ٤٦٧) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١٤) والدارس (١/ ١٦٢) والشذرات (٦/ ١١٨) .
(٣) في ط : « الرازي » ، وما هنا يعضده ما في الوفيات والدرر الكامنة والنجوم الزاهرة وغيرها . وفاته في مستهل جمادى الأولى في جميع المصادر السابقة عدا الوفيات ففيه مستهل جمادى الآخرة وفي الذيل والشذرات: آخر جمادى الأولى .
(٤) ترجمته في الذيل ص (٢٠٣) والوفيات لابن رافع (١/ ٢٠٩ـ٢١٠) وطبقات الشافعية (٥/ ٢٣٨) والدرر الكامنة (٣/ ٤٧٩) والدارس (١/ ٢٨٣) والشذرات (٦/ ١١٨) .
(٥) ليست في ط .
(٦) ليست في ط .
(٧) ليست في ط .
(٨) ترجمته في : الذيل ص(٢٠٢) والوفيات لابن رافع (١/ ٢٢٥) وطبقات الشافعية (٦/ ٢٤٨) والدرر الكامنة =

تمام[١] بن حسين بن يوسف الصالحي الشافعي المحجِّي والده ، بالمدرسة المسروريَّة[٢] وصلِّيَ عليه عُقَيب الظُّهر يوم الخميس رابعَ عشرَ ذي الحجة ، ودُفن بسفح قاسيون ، ومولده في أوائل سنة اثنتين وثمانين وستمئة ، وسمع من ابن البخاري[٣] وغيره ، وحدث . وكان رجلاً فاضلاً في فنون ، اشتغل وحصَّل وأفتى وأعاد ودرَّس ، وله فضائل جمة ومباحث وفوائد وهمة عالية وحُرمة وافرة ، وفيه تودُّد وإحسان وقضاء للحقوق ، ووَلِّي القضاء بدمشقَ نيابةً واستقلالاً ، ودرَّس بمدارسَ كبار ، ومات وهو مدرس الشامية البرانية ، وحضر جنازته خلقٌ كثير من الأعيان رحمه الله .

شيخ الإسلام قاضي القضاة ابن البارِزِيّ : شرف الدين أبو القاسم هبة الله[٤] ابن قاضي نجم الدين عبد الرحيم بن القاضي شمس الدين أبي الطاهر إبراهيم بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله الجُهَنيّ الحمويّ[٥] ، المعروف بابن البارِزِيّ قاضي القضاة بحماة .

صاحب التَّصانيف الكثيرة المفيدة في الفنون العديدة ، ولد في خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمئة ، وسمع الكثير وحصَّل فنوناً كثيرة ، وصنَّف كتباً جمّة كثيرة ، وكان حسنَ الأخلاق ، كثيرَ المحاضرة ، حسنَ الاعتقاد في الصّالحين ، وكان معظَّماً عند الناس ، وأذن لجماعة من البلد في الإفتاء ، وعَمِيَ في آخر عمره وهو يحكم مع ذلك مدة ، ثم نزل عن المنصب لحفيده نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم[٦] ، وهو في ذلك لا يقطع نظرَه عن المنصب ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء العشرين من ذي القعدة بعد أن صلَّى العشاء والوِتْر ، فلم تفته فريضة ولا نافلة ، وصُلِّيَ عليه من الغد ودُفن بعقبة نَقيرين ، وله من العمر ثلاثٌ وتسعون سنةً .

القاضي محيي الدين بن فضل الله كاتب السر : هو أبو المعالي يحيى[٧] بن فضل الله بن مُجلِّي[٨] بن دَعْجان بن خَلَف العَدَويّ العُمَريّ .

= (٤/ ٤٤٣) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١٧) والدارس (١/ ٢٨٤) والشذرات (٦/ ١١٩) .

(١) في ط : همام . وهو تحريف .

(٢) في ط : السرورية .

(٣) علي بن أحمد بن عبد الواحد فخر الدين الشهير بابن البخاري . مات سنة (٦٩٠)هـ . الدليل الشافي (١/ ٤٤٩ - ٤٥٠) والشذرات (٥/ ٤١٤) .

(٤) ترجمته في الذيل ص(٢٠٢) والوفيات لابن رافع (١/ ٢٢٦) وطبقات الشافعية (٦/ ٢٤٨) والدرر الكامنة (٤/ ٤٠١) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١٥) والشذرات (٦/ ١١٩) .

(٥) في ط : الجهيني وهو تحريف .

(٦) توفي في سنة (٧٦٤)هـ الدرر الكامنة (٢/ ٣٥٢) .

(٧) ترجمته في الذيل ص(٢٠١) والوفيات لابن رافع (١/ ٢١٦) والدرر الكامنة (٤/ ٤٢٤) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١٦) والدارس (١/ ٤٤٦) وبدائع الزهور (١/ ٤٧٥) .

(٨) في ط : المحلّي وهو تحريف .

ولد في حادي عَشَرشوّال سنة خمس وأربعين وستمئة بالكَرَك ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان صدراً كبيراً معظَّماً في الدولة في حياة أخيه شرف الدين وبعده ، وكتب السرَّ بالشَّام وبالديار المصرية ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع رمضانَ بديار مصرَ ، ودُفن من الغد بالقَرَافة وتولَّى المنصب بعده ولده القاضي[١] علاء الدين ، وهو أصغر أولاده الثلاثة المعينين لهذا المنصب .

الشَّيخ الإمام العلامة ابن الكتَّاني : زين الدين ابن الكَتَّاني ، شيخ الشَّافعية بديار مصر ، وهو أبو حفص عمر[٢] بن أبي الحَرَم[٣] بن عبد الرحمن بن يونس الدّمشقي الأصل .

ولد بالقاهرة في حدود سنة ثلاث وخمسين وستمئة ، واشتغل بدمشقَ ثمَّ رحل إلى مصرَ واستوطنها وتولَّى بها بعض الأقضية بالحَكَر ، ثم ناب عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد فحُمدت سيرتُه ، ودرَّس بمدارس كبار ، وُلِّي مشيخة دار الحديث بالقُبّة المنصوريّة ، وكان بارعاً فاضلاً ، عنده فوائد كثيرة جداً ، غير أنَّه كان سيءَ الأخلاق منقبضاً عن الناس ، لم يتزوَّج قطُّ ، وكان حسن الشكل بهيَّ المنظر ، يأكل الطيبات ويلبس اللَّيِّن من الثياب ، وله فوائد وفرائد وزوائد على « الروضة » وغيرها ، وكان فيه استهتار لبعض العلماء فالله يسامحُه ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء المنتصف من رمضان ، ودُفن بالقَرَافة رحمه الله . انتهى .

الشيخ الإمام العلامة ابن القَوْبَع : ركن الدين بن القَوْبَع ، أبو عبد الله محمد[٤] بن محمد بن[٥] عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل القرشي[٦] الجَعْفريّ[٧] التُّونسي المالكيّ ، المعروف بابن القَوْبَع[٨] ، كان من أعيان الفُضَلاء وسادة الأذكياء ، ممَّن جمع الفنون الكثيرة والعلوم الغزيرة[٩] الدِّينية الشَّرعية الطَّيِّبة ، وكان مدرساً بالمَنْكُوتَمُرِيَّة[١٠] ، وله وظيفة في المارستان المنصوري ،

---

(١) ليست في ط . وهو علي بن يحيى بن فضل الله ، مات سنة (٧٦٩)هـ . الدرر الكامنة (٣/ ١٣٩) .

(٢) ترجمته في الذيل ص(٢٠٣) والوفيات لابن رافع (١/ ٢١٩ ـ ٢٢١) وطبقات الشافعية (٦/ ٢٤٥) والدرر الكامنة (٣/ ١٦١ ـ ١٦٤) والشذرات (٦/ ١١٧) .

(٣) في ط : « الحزم » بالزاي ، مصحف ، وما هنا يعضده ما في الوفيات لابن رافع وطبقات ابن الجزري ، وفوات الوفيات لابن شاكر ، والوافي للصفدي وغيرهم . وهو الأصل في ضبط الاسم حيث لم تذكره كتب المشتبه بالزاي .

(٤) ترجمته في الوفيات لابن رافع (١/ ٢٣٤) والديباج المذهب (ص٣٢٩) والدرر الكامنة (٤/ ١٨١) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١٥) وبدائع الزهور (١/ ٤٧٦) .

(٥) ليست في ط .

(٦) في ط : الوسي وهو تحريف .

(٧) نسبة إلى جعفر الطيار ، ابن أبي طالب رضي الله عنه . اللباب (١/ ٢٣٠) .

(٨) نسبةً إلى طير معروف عند المغاربة .

(٩) في ط : الأخروية .

(١٠) في ط : المنكودمرية ، وهو تحريف وقد سبق ذكرها .

وبها توفي في بكرة السابعَ عشرَ من ذي الحجة ، وترك مالاً وأثاثاً ورثه بيتُ المال والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل[(١)] .

قلت : وهذا آخر ما أرّخ شيخُنا الحافظ علَم الدين البِرْزالي في كتابه الذي ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة المقدسي[(٢)] وقد كانت وفاة البرزالي في العام القابل وهو محرم بمنزلة خليص[(٣)] وقد ذيّلت على تاريخه إلى زماننا هذا ، وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جُمادى الآخرة من سنة إحدى وخمسين وسبعمئة ، أحسن الله خاتمتها آمين[(٤)] .

وإلى هنا انتهى ما كتبتُه من لَدُنْ خلق آدم إلى زماننا هذا .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين[(٥)] .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمئة[(٦)]

استهلّت وسلطان الإسلام والمسلمين بالدّيار المصرية وما والاها والديار الشّامية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، ولا نائب له ، ولا وزير أيضاً بمصر .

وقضاةُ مصر : أمّا الشافعي فقاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة بدر[(٧)] الدين محمد بن

---

(١) ليست في ط .

(٢) هو : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ، مات سنة (٦٦٥)هـ . وكتابه هو الذيل على كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية . وأما تاريخ البرزالي ، فهو « المقتفي لتاريخ أبي شامة » وصل إلينا مخطوطاً ، وعندي نسخة مصورة منه إلى سنة ٧٢٠ (بشار) .

(٣) ليست في ط .

(٤) من المعلوم أن المادة التي ساقها الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » اعتباراً من سنة ٦٦٥هـ ، مختصرة من كتاب « المقتفي لتاريخ أبي شامة » للبرزالي ، كما نص عليه هنا ، وكما ثبت من المقابلات بين التاريخين ثم أضاف له بعد هذه السنة ، أعني سنة ٧٥١هـ تتمة الكتاب إلى قبيل وفاته (بشار) .

(٥) في ب : ولله الحمد والمنّة ، كتبه إسماعيل بن كثير بن ضوء القرشي الشافعي عفا الله تعالى عنه آمين ، وكتبه لنفسه أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمة ربّه محبُّ أهل السنة وخادمهم محمد بن سلطان بن سعيد البعلي الحنبلي عفا الله عنه بمنّه وكرمه .
وفي ط : زيادة : وما أحسن مقال الحريري :
وإنْ تجِدْ عيباً فسدَّ الخللا فجلَّ مَنْ لا عيب فيه وعلا

(٦) إلى هنا انتهى المخطوطان (أ وب) ، واعتمدنا في تحقيق القسم المتبقي على المصادر التي نقل عنها ابن كثير أو نقلت عنه ، وكذلك مصادر الترجمة وكتب الوفيات .

(٧) في ط : صدر الدين .

إبراهيم بن جماعة ، وأمّا الحنفي فقاضي القضاة حسام الدين الغوري ، حسن بن محمد ، وأمّا المالكي فتقي الدين الأخْنائي ، وأمّا الحنبلي فموفق الدين بن محمد[١] المقدسي .

ونائب الشام الأمير سيف الدين تَنْكز ، وقضاته جلال الدين القزويني الشافعي المعزول عن الديار المصرية ، والحنفي عماد الدين الطَّرسوسي ، والمالكي شرف الدين الهمداني ، والحنبلي علاء الدين بن المُنَجَّا التَّنوخي .

وممَّا حدث في هذه السنة إكمالُ دار الحديث السُّكَّرِيَّة[٢] وباشر مشيخة الحديث بها الشيخ الإمام الحافظ مؤرّخُ الإسلام شمس الدّين محمد بن أحمد الذهبي[٣] ، وقُرِّر فيها ثلاثون محدِّثاً لكل منهم جراية وجامكية كل شهر سبعة دراهم ونصف رطل خبز ، وقُرِّر للشيخ ثلاثون ورطل خبز ، وقُرّر فيها ثلاثون نفراً يقرؤون القرآن لكل عشرة شيخ ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدّثين ، ورُتِّب لها إمامٌ وقارئُ حديث ونوّاب ، ولقارئ الحديث عشرون درهماً وثمان أواقِ خبز ، وجاءت في غاية الحسن في شكلها[٤] وبنائها ، وهي تجاه دار الذَّهب التي أنشأها الواقف الأمير تَنْكِز ، ووقف عليها عدة أماكن : منها سوق القشَّاشيين بباب الفرج ، طوله عشرون ذراعاً شرقاً وغرباً ، سمّاه في كتاب الوقف ، وبيدر زبدين[٥] ، وحمَّام بحمص وهو الحمام القديم ، ووقف عليها حصصاً في قرايا أُخر ، ولكنه تغلَّب على ما عدا القشَّاشيين وبيدر زبدين ، وحمام حمص .

وفيها قدم القاضي تقي الدّين علي بن عبد الكافي السُّبكي الشافعي من الديار المصرية حاكماً على دمشق وأعمالها ، وفرح النّاس به ، ودَخَل النَّاسُ يسلّمون عليه لعلمه وديانته وأمانته ، ونزل بالعادليَّة الكبيرة على عادة من تقدَّمه ، ودرَّس بالغزالية والأتابكية[٦] ، واستناب ابنَ عمِّه القاضي بهاء الدين أبا البقاء[٧] ، ثم استناب ابن عمه أبا الفتح[٨] ، وكانت ولايتُه الشَّام بعد وفاة قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحيم القزويني الشافعي ، على ما سيأتي بيانه في الوفيات من هذه السنة .

---

(١) في ط : نجا ولا وجه له ، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقي الحجاوي الحنبلي . مات سنة (٧٦٩)هـ الدرر الكامنة (٢/ ٢٩٧) والشذرات (٦/ ٢١٥) .

(٢) بالقصّاعين داخل باب الجابية . الدارس (١/ ٧٧) .

(٣) في ط : محمد بن شمس الدين محمد بن أحمد وهو توهم . وسيأتي في وفيات سنة (٧٤٨)هـ .

(٤) في ط : شكالاتها .

(٥) في ط : بندر زيدين وهو تحريف . الدارس (١/ ١٢٧) والفوات (١/ ٢٥٧) .
قلت : وزبدين قرية عامرة في غوطة دمشق .

(٦) الذيل ص(٢٠٤) .

(٧) هو : محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي . مات سنة (٧٧٧)هـ . الدرر الكامنة (٣/ ٤٩٠) .

(٨) هو : محمد بن عبد اللطيف بن يحيى بن علي مات سنة (٧٤٤)هـ الدرر الكامنة (٤/ ٢٦) .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

في المحرم **العلامَّة قاضي القضاة فخر الدين : عثمان**[١] بن الزّين علي بن عثمان الحلبي ، ابن خطيب جَبْرين[٢] الشافعي ، ولي قضاء حلب وكان إماماً صنَّف « شرح مختصر ابن الحاجب » في الفقه ، وشرح « البديع » لابن الساعاتي ، وله فوائد غزيرة ومصنَّفات جليلة ، تولَّى حلبَ بعد عزل الشيخ ابن النقيب ، ثم طلبه السلطانُ فمات هو وولده الكمال وله بضع وسبعون سنة[٣] .

وممن توفي فيها **قاضي القضاة جلال الدّين محمد**[٤] **بن عبد الرحمن : القَزوينيّ**[٥] الشافعي ، قـدم هو وأخوه أيّام التتر من بلادهم إلى دمشقَ ، وهما فاضلان ، بعد التِّسعين وستمئة فدرَّس إمام الدين[٦] في تربة أم الصَّالح ، وأعاد جلال الدين بالبادرائية عند الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين شيخ الشَّافعية ، ثم تقلبت بهم الأحوال إلى أن وُلِّيَ إمام الدين قضاء الشافعية بدمشق ، انتزع له من يد القاضي بدر الدين بن جماعة ، ثم هرب سنةَ قازان إلى الديار المصريّة مع الناس فمات هنالك ، وأعيد ابن جماعة إلى القضاء ، وخلت خطابة البلد سنة ثلاث وسبعمئة ، فوليها جلال الدين المذكور ، ثم وُلّيَ القضاء بدمشقَ سنة خمس وعشرين مع الخطابة ، ثم انتقل إلى الديار المصرية سنة سبع وعشرين بعد أن عجز قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بسبب الضَّرر في عينيه ، فلما كان في سنة ثمان وثلاثين تعصَّب عليه السُّلطان الملك الناصر بسبب أمور يطول شرحها ، ونفاه إلى الشام ، واتفق موت قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد عبد الله كما تقدم، فولاه السلطان قضاء الشام عَوداً على بدءٍ، فاستناب ولده بدر الدين على نيابة القضاء الذي هو خطيب دمشق ، كانت وفاته في أواخر هذه السنة[٧] ، ودُفن بالصُّوفية .

وكانت له يد طولى في المعاني والبيان ، ويفتي كثيراً ، وله مصنفات في المعاني ، مصنَّف مشهور

---

(١) ترجمته في الذيل ص(٢٠٥) والوفيات لابن رافع (١/ ٢٤٢) وطبقات الشافعية (٦/ ١٤٢) والدرر الكامنة (٢/ ٤٤٣) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٢٠) والشذرات (٦/ ١٢٢) .

(٢) في ط : جسرين . وهو تحريف . جَبْرين : وهي من قرى حلب ناحية عَزَاز ، وهي كذلك حصن بين بيت المقدس وعسقلان .

(٣) في المدرسة المنصورية بالقاهرة . الوفيات لابن رافع .

(٤) ترجمته في الذيل ص(٢٠٥) والوفيات لابن رافع (١/ ٢٥٨ ـ ٢٦٠) وطبقات الشافعية (٥/ ٢٣٨) والدرر الكامنة (٤/ ٣) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١٨) والدارس (١/ ١٩٦) وبُغية الوعاة (١/ ١٥٦) والشذرات (٦/ ١٢٣) .

(٥) نسبة إلى قزوين إحدى المدن المعروفة بأصبهان . اللباب (٢/ ٢٦١) . وفي بقية المصادر ورد في نسبه العِجْليّ : نسبة إلى أبي دلف العجلي ، وهذا منسوب إلى عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . اللباب (٢/ ١٢٤) .

(٦) هو عمر بن عبد الرحمن . مات سنة (٦٩٩)هـ . الدارس (١/ ١٩٥) .

(٧) في جميع المصادر السابقة وفاته في جمادى الأولى .

اسمه (التلخيص في علوم البلاغة)[١] اختصر فيه « المفتاح » للسَّكَّاكيِّ[٢] ، وكان مجموع الفضائل ، مات وكان عمره قريباً من السَّبعين أو جاوزها[٣] .

وممن توفي فيها رابع الحجة يوم الأحد :

الشيخ الإمام الحافظ ابن البرْزالي : علم الدين أبو محمد القَاسِمُ[٤] بن محمد بن البِرْزالي مؤرِّخ الشّام الشافعي .

ولد سنة وفاة الشيخ أبي شامة سنة خمس وستين وستمئة ، وقد كتب تاريخاً ذيَّل به على الشيخ شهاب الدين ، من حين وفاته ومولد البرْزالي إلى أن توفي في هذه السنة ، وهو مُحْرِمٌ[٥] ، فغُسِّل ، وكُفِّن ولم يستر رأسه ، وحمله النَّاس على نعشه وهم يبكون حولَه ، وكان يوماً مشهوداً ، وسمع الكثير أزيد من ألف شيخ ، وخرَّج له المحدّث شمس الدين بن سعد مشيخة لم يُكْملها ، وقرأ شيئاً كثيراً ، وأسمع شيئاً كثيراً ، وكان له خطٌّ حسن ، وخلقٌ حسنٌ ، وهو مشكور عند القضاة ومشايخه أهل العلم .

سمعت العلامة ابن تيمية يقول : نقلُ البِرْزالي نقرٌ في حَجَر .

وكان أصحابه من كل الطوائف يحبُّونه ويكرمونه، وكان له أولاد ماتوا قبله، وكتبت ابنته فاطمة «البخاري» في ثلاثةَ عشرَ مجلداً فقابله لها ، وكان يقرأ فيه على الحافظ المزي تحت القُبَّة ، حتى صارت نسختها أصلاً معتمداً يكتب منها النَّاس ، وكان شيخ حديث بالنُّورية وفيها وقف كتبه بدار الحديث السَّيْفيَّة[٦] وبدار الحديث القُوصيّة وفي الجامع وغيره وعلى كراسي الحديث ، وكان متواضعاً محبَّباً إلى الناس ، متودّداً إليهم .

توفي عن أربع وسبعين سنةً رحمه الله .

---

(١) كتاب في البلاغة قيم مشهور ، شرحه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي رحمه الله .

(٢) هو : مفتاح العلوم ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبي يعقوب مات سنة (٦٢٦)هـ . بغية الوعاة (٢/ ٣٦٤) .

(٣) في الذيل : وله ثلاث وسبعون سنة .

(٤) ترجمته في الذيل ص(٢٠٩) وطبقات الشافعية (٦/ ٢٤٦) والوفيات لابن رافع : (١/ ٢٨٩) وفوات الوفيات (٢/ ١٩٦) والدرر الكامنة (٣/ ٢٣٧) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣١٩) والدارس (١/ ١١٢) والشذرات (٦/ ١٢٢) .
« والبِرْزالِيُّ » : نسبةً إلى بِرْزالة قبيلة قليلة العدد جداً .

(٥) بمنزلة خُلَيْص وهي حصن بين مكّة والمدينة ياقوت .

(٦) في ط : السُّنيَّة وهو تحريف . الدارس (١/ ٢٧٥) الهامش (١) .

المؤرِّخ شمس الدين : محمد[١] بن إبراهيم الجَزريّ[٢] ، جمع تاريخاً حافلاً[٣] ، كتب فيه أشياءَ [حسنةً][٤] استفاد[٥] منها الحافظ المزيّ والذَّهبي والبِرْزالي يكتبون عنه ويعتمدون على نقله[٦] ، وكان شيخاً قد جاوز الثمانين ، وثقُل سمعه وضعُف خطُّه ، وهو والد الشيخ نصير الدِّين[٧] محمَّد وأخوه مجد الدين .

ثم دخلت سنة أربعين وسبعمئة

استهلَّت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك النَّاصر ، وولاتُه وقضاته المذكورون في التي قبلها إلا الشافعي بالشام فتوفي القزويني وتولى العلاَّمة السُّبكي .

وممّا وقع من الحوادث العظيمة الهائلة أنَّ جماعة من رؤوس النَّصارى اجتمعوا في كنيستهم وجمعوا من بينهم مالاً جزيلاً فدفعوه إلى راهبين قدما عليها من بلاد الروم ، يحسنان صنْعَة النِّفْط ، اسم أحدهما ملاني والآخر عازَر ، فعملا كحطا من نفط ، وتلطفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك ، فوضعا في شقوق دكاكين التُّجَّار في سوق الرجال عند الدَّهشة في عدة دكاكين من آخر النهار ، بحيث لا يشعر أحدٌ بهما ، وهما في زيِّ المسلمين ، فلمَّا كان في أثناء اللَّيل لم يشعر النَّاسُ إلا والنار قد عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في درابزينات المئذنة الشرقية المتَّجهة للسوق المذكور ، وأحرقت الدَّرابزينات ، وجاء نائب السَّلطنة تَنكز والأمراء أمراء الألوف ، وصعدوا المنارة وهي تشتعل ناراً ، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيءٌ من الحريق ولله الحمد والمنة ، وأما المئذنة فإنها تفجرت أحجارها واحترقت السّقالات التي تدل السلالم فهُدمت وأعيد بناؤها بحجارة جدد ، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث[٨] أنَّه ينزلُ عليها عيسى ابن مريم كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى عليه السلام والبلدُ محاصرٌ بالدَّجال .

---

(١) ترجمته في الذيل ص(٢٠٨) والوفيات لابن رافع (١/ ٢٥١) والدرر الكامنة (٣/ ٣٠١) وشذرات الذهب (٦/ ١٢٤) .

(٢) في ط : الجوزي وفي بعض المصادر الحريري . وهو تصحيف .

(٣) هو التاريخ الكبير والمسمّى حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، ويقال له : تاريخ ابن الجزري . الأعلام (٥/ ٢٩٨) . قال بشار : اختصر الإمام الذهبي قطعة منه . وتوجد قطعة مخطوطة منه في باريس فيها من ٦٨٩ ـ ٦٩٨ رقمها ٦٧٣٩ ، وفي استانبول قطعة نفيسة بخطه فيها من سنة ٧٢٤ إلى سنة ٧٣٦ ، منها صورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي .

(٤) زيادة من الشذرات .

(٥) في ط : يستفيد .

(٦) قال بشار : في هذا القول شيء من التساهل ، فكثيراً ما أشار الذهبي إلى أن في تاريخه مجازفات .

(٧) في ط : ناصر الدين وهو تحريف . مات سنة (٧٧٨)هـ . الدرر (٤/ ١٥٧) والشذرات (٦/ ٢٥٨) .

(٨) انظر « صحيح مسلم » رقم (٢٩٣٧) (٤/ ٢٢٥٣) في الفتن وأشراط الساعة . من حديث النَّواس بن سمعان رضي الله عنه .

والمقصود أن النصارى بعد ليال عَمَدوا إلى ناحية الجامع من المغرب إلى القيسارية بكمالها ، وبما فيها من الأقواس والعُدَد ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وتطاير شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدُّور والمساكن والمدارس ، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة ، وما كان مقصودهم إلا وصول النار إلى معبد المسلمين ، فحال الله بينهم وبين ما يرومون ، وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين الحريق والمسجد . جزاهم الله خيراً . ولما تحقق نائب السلطنة أنَّ هذا من فعلهم أمر بمسك رؤوس النصارى ، فأمسك منهم نحواً من ستين رجلاً ، فأُخذوا بالمصادرات والضرب والعقوبات وأنواع المُثُلات ، ثم بعد ذلك صُلب منهم أزيدُ من عشرة على الجمال ، وطيف بهم في أرجاء البلاد وجعلوا يتماوتون واحداً بعد واحد ، ثم أُحرقوا بالنار حتى صاروا رماداً لعنهم الله ، انتهى[١] . والله أعلم .

سبب مسك تَنكِز[٢] : لما كان يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي الحجَّة جاء الأمير طَشْتَمُر[٣] من صفدٍ مسرعاً وركب جيش دمشق ملبساً ، ودخل نائبُ السَّلطنة من قصره مسرعاً إلى دار السعادة ، وجاء الجيش فوقفوا على باب النصر ، وكان أراد أن يلبس ويقاتل[٤] فعذلوه في ذلك ، وقالوا : المصلحة الخروج إلى السُّلطان سامعاً مطيعاً ، فخرج بلا سلاح ، فلمّا برز إلى ظاهر البلد التفَّ عليه الفَخْريُّ[٥] وغيره ، وأخذوه وذهبوا به إلى ناحية الكسوة ، فلمّا كان عند قبة يَلبُغَا نزلوا وقيَّدوه وخصاياه من قصره ، ثم ركب البريد وهو مقيّد وساروا به إلى السُّلطان ، فلمَّا وصل[٦] أمر بمسيره إلى الإسكندرية ، وسألوا عن ودائعه فأقرَّ ببعض ، ثم عُوقب حتى أقرَّ بالباقي ، ثم قتلوه ودفنوه بالإسكندرية[٧] ، ثم نقلوه إلى تربته بدمشقَ[٨] رحمه الله ، وقد جاوز السِّتين ، وكان عادلاً مهيباً ، عفيف الفرج واليد ، والنَّاسُ في أيامه في غاية الرخص والأمن والصيانة ، فرحمه الله ، وبلّ بالرحمة ثراه .

وله أوقاف كثيرة من ذلك مرستان بصفدٍ ، وجامع بنابلس وعجلون ، وجامع بدمشق ، ودار حديث بالقدس ودمشق ، ومدرسة وخانقاه بالقدس ، ورباط وسوق موقوف على المسجد الأقصى ، وفتح شباكاً في المسجد انتهى والله تعالى أعلم .

---

(١) الذيل ص(٢١٣ ـ ٢١٤) الدارس (٢/ ٤٠٠) الشذرات (٦/ ١٢٦) .
(٢) الذيل للحسيني ص(٢١٩) . فوات الوفيات (٢/ ٢٥٣) الدرر الكامنة (١/ ٥٢٠) النجوم الزاهرة (٩/ ٣٢٧) الدارس (١/ ١٢٣) ابن خلدون (٥/ ٤٤٢) بدائع الزهور (١/ ٤٧٧) .
(٣) هو طَشْتَمُر السّاقي المعروف بحمِّص أخضر ، وسَّطَهُ الملك الناصر أحمد سنة (٧٤٣)هـ النجوم (١٠/ ١٠١) .
(٤) في ط : ويقابل .
(٥) الأمير قُطْلُو بغا الفخري .
(٦) كان وصوله الثلاثاء ثامن المحرّم سنة (٧٤١هـ) .
(٧) في يوم الثلاثاء منتصف المحرم . المصادر السابقة .
(٨) نقل في أوائل رجب سنة (٧٤٤)هـ إلى تربته جوار جامعه . الفوات (١/ ٢٥٨) .

وممَّن توفي فيها من الأعيان :

أمير المؤمنين المستكفي بالله : أبو الربيع سليمان[١] بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن علي ابن أمير المؤمنين المسترشد بالله الهاشمي العبَّاسي ، البغدادي الأصل المصري المولد ، مولده سنة ثلاث وثمانين وستمئة أو في التي قبلها ، وقرأ واشتغل قليلاً ، وعهد إليه أبوه بالأمر وخُطب له عند وفاة والده سنة إحدى وسبعمئة ، وفوَّض جميع ما يتعلق به من الحل والعقد إلى السلطان الملك الناصر ، وسار إلى غزو التتر فشهد مصافَّ شَقْحَب[٢] ، ودخل دمشق في شعبان سنة اثنتين وسبعمئة وهو راكب مع السلطان ، وجميع كبراء الجيش مشاة ، ولما أعرض السلطان عن الأمر وانعزل بالكَرَك ، التمس الأمراء من المستكفي أن يُسلطن من ينهض بالملك ، فقلد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وعقدَ له اللِّواء وألبسه خلعة السلطنة ، ثم عاد الناصر إلى مصر وعزَّر الخليفة في فعله ، ثم غضب عليه وسيَّره إلى قوص فتُوفِّي في هذه السنة في قُوص في مستهلّ شعبانَ .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وسبعمئة

استهلّت يوم الأربعاء وسلطان المسلمين الملك الناصر محمّد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بمصرَ هم المذكورون في التي قبلها ، وليس في دمشقَ نائب سلطنة ، وإنما الذي يسدُّ الأمور الأمير سيف الدين طَشْتَمُر الملقب بالحمّص الأخضر ، الذي جاء بالقبض على الأمير سيف الدين تَنْكز ، ثم جاء المرسوم بالرجوع إلى صفد فركب من آخر النهار وتوجَّه إلى بلده ، وحواصل الأمير تَنْكز تحت الحُوطة كما هي .

وفي صبيحة يوم السبت رابع المحرم من السنة المذكورة قدم من الدّيار المصرية خمسة أمراء ، الأمير سيف الدين بَشْتَاك[٣] الناصري ومعه بَرْسبُغَا[٤] الحاجب ، وطاجار[٥] الدويدار وبَيْغر[٦] وبَطَا[٧] ، فنزل بَشْتاك بالقصر الأبلق والميادين ، وليس معه من مماليكه إلا القليل ، وإنما جاء لتجديد البيعة إلى السلطان

---

(١) ترجمته في الذيل ص(٢١٤) والدرر الكامنة (٢/ ١٤١) وابن خلدون (٥/ ٤٤١) والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٢٢) والشذرات (٦/ ١٢٦) .

(٢) مرت في أحداث سنة (٧٠٢هـ) .

(٣) مات سنة (٧٤٢)هـ كما سيأتي في هذا الكتاب ، ويكتب « بَشْتَك » من غير ألف بعد التاء ثالث الحروف .

(٤) في ط : برصبغا وهو تحريف . مات سنة (٧٤٢)هـ الدرر (١/ ٤٧٤) .

(٥) في ط : طاشار وهو تحريف . مات سنة (٧٤٢هـ) الدرر (٢/ ٢١٣) .

(٦) في ط : بيعرا وأثبتنا ما في النجوم (١٠/ ٥) .

(٧) بطا الدويدار مات بدمشق سنة (٧٦٤هـ) الدرر (١/ ٤٠٦) .

لما توهموا من ممالأة بعض الأمراء لنائب الشام المنفصل ، وللحوطة على حواصل الأمير سيف الدين تَنْكِز المنفصل عن نيابة الشام وتجهيزها للديار المصرية .

وفي صبيحة يوم الاثنين سادسه دخل الأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغَا إلى دمشقَ نائباً ، وتلقاه الناس وبُشْتاك والأمراء المصريون ، ونزلوا إلى عتبته فقبلوا العتبة الشريفة ، ورجعوا معه إلى دار السعادة ، وقُرئ تقليده .

وفي يوم الاثنين ثالث عشره مُسك من الأمراء المقدَّمين أميران كبيران أَلْجيبُغَا العادلي[١] ، وطَيْبُغَا حاجي[٢] ، ورفعا إلى القلعة المنصورة واحتيط على حواصلهما .

وفي يوم الثلاثاء تحمّلوا بيت ملك الأُمراء سيف الدين تَنْكِز وأهله وأولاده إلى الديار المصرية .

وفي يوم الأربعاء خامس عشره ركب نائب السلطنة الأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغَا ومعه الأمير سيف الدين بَشْتاك الناصري ، والحاجة رقطية ، وسيف الدين قُطْلُوبُغَا الفخري وجماعة من الأمراء المقدمين واجتمعوا بسوق الخيل واستدعوا بمملوكي الأمير سيف الدين تنكز وهما جُنْغَاي[٣] وطُغَاي . فأُمِرَ بتوسيطهما ، فوسّطا وعُلّقا على الخشب ونُودي عليهما : هذا جزاء من تجاسرعلى السلطان الناصر .

وفاة تَنكِز[٤] : وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من هذا الشهر كانت وفاة الأمير سيف الدين تَنْكز نائب الشام بقلعة إسكندرية، قيل: مخنوقاً، وقيل: مسموماً وهو الأصح، وقيل غير ذلك . وتأسّف الناس عليه كثيراً ، وطال حزنهم عليه ، وفي كل وقت يتذكّرون ما كان منه من الهيبة والصيانة والغيرة على حريم المسلمين ومحارم الإسلام ، ومن إقامته على ذوي الحاجات وغيرهم ، ويشتدُّ تأسُّفهم عليه رحمه الله .

وقد أخبرنا القاضي أمين الدين بن القلانسي أن الأمير[٥] سيف الدين تنكز مسك يوم الثلاثاء ودخل مصر يوم الثلاثاء ودخل الإسكندرية يوم الثلاثاء وتوفي يوم الثلاثاء وصُلِّي عليه بالإسكندرية ودفن بمقبرتها في الثالث والعشرين من المحرم بالقرب من قبر القباري ، وكانت له جنازة جيدة .

وفي[٦] يوم الخميس سابع شهر صفر قدم الأمير سيف الدين طَشْتَمُر الذي مسك تَنْكز إلى دمشق فنزل

---

(١) أمسك بعد تنكز ، ثم أفرج عنه بعد موت السلطان . الدرر (١/ ٤٠٦) .

(٢) في ط : طنبغا الحجي وهو تحريف . اعتقل بعد إمساك تنكز ثم أُفرج عنه سنة (٧٤٣هـ) .

(٣) في ط : جغاي . وأثبتنا ما في الدرر (١/ ٥٣٩) .

(٤) ذكرنا مصادر ترجمته وخبره لدى ذكر مسكه .

(٥) في ط : « وقد أخبر القاضي أمين الدين بن القلانسي رحمه الله شيخنا الحافظ العلامة عماد الدين بن كثير رحمه الله أن الأمير » . ولا يشك عاقل أن هذا من إضافة أحد تلامذة المصنف ، ولعل ما أثبتناه أقرب إلى الصواب (بشار) .

(٦) قبل هذا في ط : « طشتمر نائب حلب » ، ولا معنى لهذه العبارة ، لأن الموجود هنا هو خبر وليس ترجمة له ، فإنه توفي سنة ٧٤٣هـ كما في الدرر وغيره .

بوطأة بَرْزَة بجيشه ومن معه ثم توجَّه إلى حلب المحروسة نائباً بها عوضاً عن أَلْطَنْبُغَا المنفصل عنها(١) .

وفاة محمد(٢) بن تمَّام : وفي صبيحة يوم الخميس ثالث عشر ربيع الأول نودي في البلد بجنازة الشيخ الصالح العابد الناسك القدوة الشيخ محمد [بن أحمد بن تمام بن حسان التَّلِّي الصالحي](٣) توفي بالصّالحية ، فذهب الناس إلى جنازته إلى الجامع المظفري ، واجتمع الناس على صلاة الظهر فضاق الجامع المذكور عن أن يسعهم ، وصلَّى النَّاسُ في الطرقات وأرجاء الصالحية ، وكان الجمع كثيراً لم يشهد الناس جنازة بعد جنازة الشيخ تقي الدين بن تيمية مثلها ، لكثرة من حضرها من الناس رجالاً ونساء ، وفيهم القضاة والأعيان والأمراء وجمهور الناس يقاربون عشرين ألفاً ، وانتظر النَّاس نائب السلطنة فاشتغل بكتابٍ ورد عليه من الديار المصرية ، فصلّى عليه الشيخ بعد صلاة الظهر بالجامع المظفَّري ، ودفن عند أخيه في تربة بين تربة الموفَّق وبين تربة الشيخ أبي عمر(٤) رحمهم الله وإيانا .

وفاة عائشة(٥) زَوْج(٦) الشيخ المِزِّي(٧) : وفي أول شهر جمادى الأولى توفّيت الشيخة العابدة الصالحة العالمة قارئة القرآن أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق زوج شيخنا الحافظ جمال الدين المزِّي عشية يوم الثلاثاء مستهل هذا الشهر، وصُلِّي عليها بالجامع صبيحة يوم الأربعاء ودفنت بمقابر الصوفية غربي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله . كانت عديمة النظير في نساء زمانها لكثرة عبادتها وتلاوتها وإقرائها القرآن العظيم بفصاحة وبلاغة وأداء صحيح ، يعجز كثير من الرجال عن تجويده ، وختَّمت نساءً كثيراً ، وقرأ عليها من النّساء خلقٌ وانتفعنَ بها وبصلاحها ودينها وزهدها في الدنيا ، وتقللها منها، مع طول العمر بلغت ثمانين سنة أنفقتها في طاعة الله صلاة وتلاوة ، وكان الشيخ محسناً إليها مطيعاً، لا يكاد يخالفها لحبّه لها طبعاً وشرعاً ، فرحمها الله وقدّس روحها ، ونوّر مضجعها بالرحمة آمين .

وفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين منه درّس بمدرسة الشيخ أبي عمر بسفح قاسيون الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، في التدريس البَكْتَمُري عوضاً عن القاضي

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٢١٩) .

(٢) ترجمته في : ذيل العبر للحسيني ص(٢٢٠) والفوات (٣/ ٣١٤) والوفيات لابن رافع (١/ ٣٥٣) والدرر الكامنة (٣/ ٣١١) والشذرات (٦/ ١٣١) .

(٣) زيادة من مصادر ترجمته . والتَّلِّي نسبة إلى تل منين .
قلت : وهي الآن مدينة عامرة شمال غرب دمشق على بعد ١٦كم منها .

(٤) في الوفيات لابن رافع : ودفن بتربة المرداويين بسفح قاسيون .

(٥) ترجمتها في : الوفيات لابن رافع (١/ ٣٥٩) والدرر الكامنة (٢/ ٢٣٥) وأعلام النساء (٣/ ٤) . وهي أم زوج ابن كثير رحمهم الله أجمعين .

(٦) في ط : زوجة .

(٧) أبو الحجاج يوسف المزِّي . سيأتي في وفيات سنة (٧٤٢هـ) .

برهان الدين الزُّرعي ، وحضر عنده المقادسة وكبار الحنابلة ، ولم يتمكن أهل المدينة من الحضور لكثرة المطر والوحل يومئذ .

وتكاملت عمارة المنارة الشرقية في الجامع الأموي في العشر الأخير من رمضان ، واستَحْسَنَ النّاسُ بناءها وإتقانها ، وذكر بعضهم أنه لم يبن في الإسلام منارة مثلها ولله الحمد .

ووقع لكثير من الناس في غالب ظنونهم أنهاالمنارة البيضاء الشَّرقية التي ذكرت في حديث النَّواس بن سَمْعان في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام على المنارة البيضاء في شرقي دمشق[١] ، فلعل لفظ الحديث انقلب على بعض الرُّواة ، وإنَّما كان على المنارة الشرقية بدمشق ، وهذه المنارة مشهورة بالشرقية لمقابلتها أختها الغربية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

إعدام الدَّكَّالِي[٢] : وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر شوال عقد مجلس في دار العدل بدار السعادة وحضرتُه يومئذ ، واجتمع القضاة والأعيان على العادة وأحضر يومئذ عثمان الدَّكَّالي قبّحه الله تعالى ، وادُّعي عليه بعظائم من القول لم يؤثر مثلها عن الحلاج[٣] ولا عن ابن أبي العزاقر الشَّلْمَغَانيّ[٤] ، وقامت عليه البينة بدعوى الإلّهية لعنه الله ، وأشياء أخر من التنقيص بالأنبياء ومخالطته أرباب الرِّيبِ من البَاجَرْبَقيَّة[٥] وغيرهم من الاتّحادية عليهم لعائن الله ،ووقع منه في المجلس من إساءة الأدب على القاضي الحنبلي، وتضمَّن ذلك تكفيره من المالكية أيضاً ، وادَّعى أن له دوافع وقوادح في بعض الشهود ، فرُدَّ إلى السجن مقيداً مغلولاً مقبوحاً ، أمكن الله منه بقوته وتأييده ، ثم لما كان يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي القعدة أُحضر عثمان الدَّكَّالي المذكور إلى دار السعادة وأقيم إلى بين يدي الأمراء والقضاة وسئل عن القوادح في الشهود فعجز فلم يقدر ، وعجز عن ذلك ، فتوجه عليه الحكم ، فسئل القاضي المالكي الحكم عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم حكم بإراقة دمه وإن تاب ، فأُخذ المذكور فضربت رقبته بدمشق بسوق الخيل ، ونودي عليه : هذا جزاء من يكون على مذهب الاتحادية ، وكان يوماً مشهوداً بدار السعادة ، حضر خلق من الأعيان والمشايخ ، وحضر شيخنا جمال الدين المزِّي الحافظ ، وشيخنا الحافظ شمس الدين الذَّهبي ، وتكلَّما وحرَّضا في القضية جداً ، وشهدا بزندقة المذكور بالاستفاضة ، وكذا الشيخ

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٣٧) في الفتن وأشراط الساعة ، باب : ذكر الدجال وصفته وما معه . من حديث طويل عن النواس بن سمعان رضي الله عنه .

(٢) في ط : الدكاكي . وفي الدرر ٢/ ٤٤١ : « الدوكاكي » وكله تحريف ، والصواب ما أثبتنا وهو منسوب إلى دكالة ، بلد بالمغرب .

(٣) هو : الحسين بن منصور الحلاج قتل سنة (٣٠٩)هـ . وفيات الأعيان (٢/ ١٤٥) .

(٤) في ط : أبو الغدافر السلقماني . وأثبتنا ما في الوفيات الأعيان (٢/ ١٥٥) وهو : محمد بن علي الشَّلْمَغاني أبو جعفر ، المعروف بابن أبي العزاقر ، قتل حرقاً لادّعائه الألوهية سنة (٣٢٢)هـ .

(٥) نسبة إلى محمد الباجربقي المتوفي سنة (٧٢٤)هـ .

زين الدين أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وخرج القضاة الثلاثة المالكي والحنفي والحنبلي ، وهم نفَّذوا حكمه في المجلس فحضروا قتل المذكور وكنتُ مباشراً لجميع ذلك من أوله إلى آخره[١] .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذي القعدة أُفرج عن الأميرين المعتقلين بالقلعة وهما طَيْبُغا حاجي وأَلْجِيْبُغَا[٢] ، وكذلك أُفرج عن خزاندارية تَنْكز الذين تأخروا بالقلعة ، وفرح الناس بذلك .

ذكر وفاة الملك الناصر محمد[٣] بن قلاوون : في صبيحة يوم الأربعاء السابع والعشرين[٤] من ذي الحجة قدم إلى دمشق الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري فخرج نائب السلطنة وعامة الأمراء لتلقيه ، وكان قدومه على خيل البريد ، فأخبر بوفاة السلطان الملك الناصر ، كانت وفاته يوم الأربعاء آخره . وأنه صليّ عليه ليلة الجمعة بعد العشاء ودفن مع أبيه الملك المنصور على ولده آنوك ، وكان قبل موته أخذ العهد لابنه سيف الدين أبي بكر ولقَّبه بالملك المنصور، فلمّا دفن السلطان ليلة الجمعة حضره من الأمراء قليل ، وكان قد ولّىٰ عليه الأمير علم الدين الجاولي[٥] ، ورجل آخر منسوب إلى الصلاح يقال له الشيخ عمر بن محمد بن إبراهيم الجعبري ، وشخص آخر من الجبابرية ، ودفن كما ذكرنا ، ولم يحضر ولده ولي عهده دفنه ، ولم يخرج من القلعة ليلتئذ عن مشورة الأمراء لئلا يتخبَّط الناس ، وصلى عليه القاضي عز الدين بن جماعة إماماً ، والجاولي وأَيْدُغْمُش وأمير آخور[٦] والقاضي بهاء الدين بن حامد ابن قاضي دمشق السُّبْكي .

وجلس الملك المنصور سيفُ الدُّنيا والدِّين أبو المعالي أبو بكر على سرير المملكة .

وفي صبيحة يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجَّة سنة إحدى وأربعين وسبعمئة ، بايعه الجيش المصري[٧] ، وقدم الفَخْر[٨] لأخذ البيعة من الشّاميين ، ونزل بالقصر الأبلق وبايع الناس للملك المنصور بن الناصر بن المنصور ، ودُقَّت البشائر بالقلعة المنصورة بدمشقَ صبيحةَ يوم الخميس الثامن والعشرين منه ، وفرح الناس بالملك الجديد ، وترحّموا على الملك ودَعَوْا له وتأسَّفوا عليه رحمه الله .

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٤٤١) .
(٢) في ط : طنبغا حجي وألجي بغا ، ومضى الكلام فيهما .
(٣) ترجمته في : ذيل العبر للحسيني ص(٢٢٣ـ٢٢٥) وفوات الوفيات (٤/ ٣٤) والدرر الكامنة (٤/ ١٤٤) والنجوم الزاهرة (٨/ ٤١ و١١٥) و(٩/ ١٦١) وبدائع الزهور (١/ ٤٨٢) وكتاب أخبار الأول للإسحاقي ص(١٣٠ـ١٣١) .
(٤) في أخبار الأول : سابع عشر . وفي الذيل : عشرينه .
(٥) هو علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي ، يتولى دفنه .
(٦) في ط : أخر .
(٧) بدائع الزهور (١/ ٤٨٧) .
(٨) هو : قطلوبغا الفخري .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة

استهلَّت بيوم الأحد وسلطان الإسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية وما والاها الملك المنصور سيف الدين أبو بكر بن الملك السلطان الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي .

ونائب الشام الأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغَا(١) وقضاة الشام ومصرهم المذكورون في التي قبلها ، وكذا المباشرون سوى الولاة .

وفي هذا اليوم بويع بالخلافة أمير المؤمنين أبو القاسم أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان العباسي ، ولبس السواد وجلس مع الملك المنصور على سرير المملكة ، وألبسه خلعة سوداء أيضاً ، فجلسا وعليهما السَّواد ، وخطب الخليفةُ يومئذ خُطبةً بليغةً فصيحةً مشتملةً على أشياء من المواعظ والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وخُلِعَ يومئذٍ على جماعة من الأمراء والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان أبو القاسم هذا قد عَهِدَ إليه أبوه بالخلافة ، ولكن لم يمكِّنْهُ النَّاصر من ذلك ، وولى أبا إسحاق إبراهيم ابن أخي أبي الربيع ، ولقبه الواثق بالله ، وخُطِبَ له بالقاهرة جمعة واحدة ، فعزله المنصور وقرَّر أبا القاسم هذا ، وأمضى العهدَ ولقَّبه المستنصر بالله كما ذكرنا(٢) .

وفي يوم الأحد ثامن المحرَّم مُسك الأمير سيف الدين بَشْتَك النّاصري آخر النهار(٣) ، وكان قد كُتب تقليدُه بنيابة الشَّام وخُلع عليه بذلك وبرز ثِقْلُه ثم دخل على الملك المنصور ليودعه فرحب به وأجلسه وأحضر طعاماً وأكلا ، وتأسَّف الملك على فراقه ، وقال : تذهب وتتركني وحدي ، ثم قام لتوديعه وذهب بَشْتَك من بين يديه ثماني خطوات أو نحوها ، ثم تقدَّم إليه ثلاثةُ نفر(٤) فقطع أحدهما سيفه من وسطه بسكين ، ووضع الآخر يده على فمه ، وكتَّفه الآخر ، وقيَّدُوه ، وذلك كله بحضرة السلطان ، ثم غُيِّبَ ولم يدر أحدٌ إلى أين صار ، ثم قالوا لمماليكه : اذهبوا أنتم فائتوا بمركوب الأمير غداً ، فهو بائت عند السلطان . وأصبح السلطان وجلس على سرير المملكة وأمر بمسك جماعة من الأمراء وتسعةٍ من الكبار(٥) ، واحتاطوا على حواصله وأمواله وأملاكه ، فيقال إنه وجد عنده من الذهب ألف ألف دينار ، وسبعمئة ألف دينار .

---

(١) في ط : طنبغا ، وأثبتنا ما في النجوم (١٠/٨) .

(٢) ذيل العبر للحسيني ص(٢٢٦) والدرر الكامنة (١/ ١٣٧) وابن خلدون (٥/ ٤٤٢) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٤) وبدائع الزهور (١/ ٤٨٧) .

(٣) ذيل العبر للحسيني ص(٢٢٦) الدرر الكامنة (١/ ٤٧٧) النجوم (١٠/ ٧٤) .

(٤) منهم : الأمير قطلوبغا الفخري والأمير طُقُزدَمُر النجوم (١٠/٨) .

(٥) وقيّدوا جميعاً وسُفّروا إلى الإسكندرية في الليل . المصدر السابق نفسه .

وفاة شيخنا الحافظ أبي الحجَّاج المزِّي(١) : تمرَّض أياماً يسيرة مرضاً لا يشغَلُه عن شهود الجماعة ، وحضور الدروس ، وإسماع الحديث ، فلما كان يوم الجمعة حادي عشَرَ صفر أسمع الحديث إلى قريب وقت الصّلاة ، ثم دخل منزله ليتوضّأ ويذهبَ للصَّلاة، فاعترضه في باطنه مغص عظيم ، ظن أنَّه قُولنج ، وما كان إلا طاعون ، فلم يقدر على حضور الصَّلاة ، فلما فرغنا من الصلاة أُخبرتُ بأنَّه منقطع ، فذهبت إليه فدخلت عليه فإذا هو يرتعدُ رعدةً شديدة من قوة الألم الذي هو فيه ، فسألته عن حاله فجعل يكرر الحمد لله ، ثم أخبرني بما حصل له من المرض الشديد ، وصلى الظهر بنفسه ، ودخل إلى الطهارة وتوضأ على البركة ، وهو في قوة الوجع، ثم اتصل به هذا الحال إلى الغد من يوم السبت ، فلما كان وقت الظهر لم أكن حاضره إذ ذاك ، لكن أخبرتنا بنته زينب زوجتي أنه لما أذن الظهر تغير ذهنه قليلاً ، فقالت : يا أبة أذن الظهر ، فذكر الله وقال : أريد أن أصلي فتيمم وصلى ثم اضطجع فجعل يقرأ آية الكرسي حتى جعل لا يفيض بها لسانه ثم قُبضَتْ روحُه بين الصَّلاتين ، رحمه الله يوم السبت ثاني عَشَرَ صفرٍ ، فلم يمكنْ تجهيزه تلك الليلة ، فلمّا كان من الغد يوم الأحد ثالثَ عشرَ صفر صبيحة ذلك اليوم ، غُسّل وكُفّن وصُلّي عليه بالجامع الأموي ، وحضر القضاة والأعيان وخلائق لا يحصون كثرة ، وخُرج بجنازته من باب النصر ، وخرج نائبُ السَّلطنة الأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغَا ومعه ديوان السلطان ، والصاحب وكاتب السر وغيرهم من الأمراء ، فصلوا عليه خارج باب النصر ، أمّهم عليه القاضي تقي الدين السُّبكي الشافعي ، وهو الذي صلَّى عليه بالجامع الأموي ، ثم ذُهب به إلى مقابر الصوفية فدُفن هناك إلى جانب زوجته المرأة الصالحة الحافظة لكتاب الله ، عائشة بنت إبراهيم بن صُدَيْق ، غربي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله أجمعين .

كائنة غريبة جداً

قدم يوم الأربعاء الثلاثين من صفر أمير من الديار المصرية ومعه البيعة للملك الأشرف علاء الدين كُجُك(٢) بن الملك الناصر ، وذلك بعد أخيه المنصور ، لما صدرَ عنه من الأفعال التي ذُكر أنَّه تعاطاها من شرب المسكر وغشيان المنكرات ، وتعاطي ما لا يليق به ، ومعاشرة الخاصكية من المردان وغيرهم ،

---

(١) هو جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف القضاعي ثم الكلبي الحلبي ثم الدمشقي المزِّي .
ترجمته في الذيل ص(٢٢٩) والوفيات لابن رافع (١/ ٣٩٥ ـ ٣٩٨) وطبقات الشافعية (٦/ ٢٥١) والفوات (٤/ ٣٥٣) والدرر الكامنة (٤/ ٤٥٧) والنجوم (١٠/ ٧٦) والدارس (١/ ٣٥) والشذرات (٦/ ١٣٦) ، ومقدمة الدكتور بشار عواد معروف لكتاب « تهذيب الكمال » .

(٢) في ط : كحك بالحاء المهملة ولعلّه تطبيع ، وأثبتنا ما في الذيل ص(٢٢٦) والنجوم (١٠/ ٢١) وهي كلمة أعجمية معناها الصغيّر ، وكان له من العمر خمس سنوات ، وقيل : دون السّبع .

فتمالأ على خلعه كبارُ الأمراء لمَّا رأوا الأمر تفاقم إلى الفساد العريض ، فأحضروا الخليفة الحاكم بأمر الله ابن أبي الربيع سليمان فأثبت بين يديه ما نُسب إلى الملك المنصور من الأمور فحينئذ خلعه الأمراءالكبار وغيرهم ، واستبدلوا مكانه أخاه هذا المذكور ، وسيَّرُوه إذ ذاك إلى قُوص مضيَّقاً عليه ومعه إخوةٌ له ثلاثة ، وقيل أكثر ، وأجلسوا الملك الأشرف هذا على السرير وناب له الأمير سيف الدين قُوصُون النَّاصريّ ، واستمرت الأمور على السداد وجاءت إلى الشام فبايعه الأمراء يوم الأربعاء ، وضُربت البشائر عشيَّة الخميس مستهل ربيع الأول وخُطب له بدمشقَ يوم الجمعة بحضرة نائب السَّلطنة والقضاة والأمراء .

وفي يوم الأربعاء سابعَ عشرَ ربيع الأول حضر بدار الحديث الأشرفية قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي عوضاً عن شيخنا الحافظ جمال الدين المزِّي ، ومشيخة دار الحديث النُّورية عوضاً عن ابنه رحمه الله[١] .

وفي شهر جمادى الأولى اشتهر أنّ نائب حلبَ الأمير سيف الدين طَشْتَمُر الملقّب بالحمّص الأخضر قائم في نُصرة ابن السلطان الأمير أحمد الذي بالكَرَك ، وأنّه يستخدم لذلك ويجمع الجموع فالله أعلم[٢] .

وفي العشر الثاني منه وصلت الجيوش صحبة الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري إلى الكَرَك في طلب ابن السلطان الأمير أحمد . وفي هذا الشهر كثر الكلام في أمر الأمير أحمد بن الناصر الذي بالكَرَك ، بسبب محاصرة الجيش الذي صحبه الفخري له ، واشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طَشْتَمُر الملقب بالحمّص الأخضر قائم بجنب أولاد السلطان الذين أُخرجوا من الديار المصرية إلى الصَّعيد ، وفي القيام بالمدافعة عن الأمير أحمد ، ليصرفَ عنه الجيش ، وترك حصاره وعزم بالذهاب إلى الكَرَك لنصرة أحمد ابن أستاذه ، وتهيَّأ له نائب الشَّام بدمشقَ ، ونادى في الجيش لملتقاه ومدافعته عمّا يريد من إقامة الفتنة وشقّ العصا ، واهتم الجند لذلك ، وتأهَّبُوا واستعدُّوا ، ولحقهم في ذلك كلفة كثيرة ، وانزعج الناس بسبب ذلك وتخوَّفوا أن تكون فتنة ، وحَسِبُوا إن وقع قتال بينهم أن تقوم العَشِيرات في الجبال وحوران ، وتتعطل مصالح الزراعات وغير ذلك ، ثم قدم من حلب صاحبُ السلطان في الرسلية إلى نائب دمشقَ الأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغَا ومعه مشافهة ، فاستمع لها فبعث معه صاحب الميسرة أيان السَّاقي[٣] ، فذهبا إلى حلب ، ثم رجعا في أواخر جُمادى الآخرة ، وتوجَّها إلى الديار المصرية ، واشتهر أن الأمر على ما هو عليه حتى توافق على ما ذكر من رجوع أولاد الملك الناصر إلى مصر ، ما عدا المنصور ، وأن يخلّي عن محاصرة الكرك[٤] .

---

(١) الدارس (١/ ٣٦) .
(٢) النجوم الزاهرة (١٠/ ٣١) .
(٣) في ط : أمان وهو تصحيف . وأثبتنا ما في الدليل الشافي (١/ ١٦٠) .
وهو : أيَان بن عبد الله الساقي الناصري . مات سنة (٧٤٦)هـ .
(٤) النجوم (١٠/ ٣٤) .

وفي العشر الأخير من جُمادى الأولى توفّي مظفَّر الدين مُوسى[١] بن مُهَنّا ملك العرب ودفن بتَدْمُر .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء ثاني جُمادى الآخرة عند طلوع الشمس توفي الخطيب بدر الدين محمد[٢] بن القاضي جلال الدين القَزْويني بدار الخطابة بعد رجوعه من الديار المصرية كما قدَّمنا ، فخطب جمعةً واحدةً ، وصلَّى بالناس إلى ليلة الجمعة الأخرى ، ثمَّ مرضَ فخطب عنه أخوه تاج الدين عبدُ الرحيم على العادة ثلاث جمع ، وهو مريض إلى أن توفي يومئذ ، وتأسَّف الناس عليه لحُسن شكله وصَبَاحة وجهه ، وحسن ملتقاه وتواضعه ، واجتمع النَّاسُ للصَّلاة عليه للظُّهر فتأخر تجهيزه إلى العصر فصلَّىٰ عليه بالجامع قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي ، وخَرَج به النَّاس إلى الصُّوفية ، وكانت جنازته حافلة جداً ، فدفن عند أبيه بالتربة التي أنشأها الخطيب بدر الدِّين هناك رحمه الله .

وفي يوم الجمعة خامس الشهر بعد الصلاة خرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغَا وجميع الجيش قاصدين للبلاد الحلبية للقَبْض على نائب حلب الأمير سيف الدين طَشْتَمُر ، لأجل ما أظْهر من القيام مع ابن السلطان الأمير أحمد الذي في الكَرَك ، وخرج الناس في يوم شديد المطر كثير الوَحْل ، وكان يوماً مشهوداً عصيباً ، أحسن الله العاقبة .

وأمر القاضي تقي الدين السُّبكي الخطيب المؤذنّين بزيادة أذْكار على الذي كان سنَّه فيهم الخطيب بدر الدين من التَّسبيح والتَّحميد والتَّهليل الكثير ثلاثة وثلاثين ، فزادهم السُّبكي قبل ذلك « أستغفرُ الله العظيمَ ثلاثاً ، اللَّهمَّ أنت السَّلامُ ومنك السَّلامُ تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام »[٣] . ثم أثبت ما في « صحيح مسلم » بعد صلاتي الصبح والمغرب : « اللهم أجِرْنا من النَّار سبعاً »[٤] ، « أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شرِّ ما خَلَقَ ثلاثاً »[٥] .

---

(١) ترجمته في الذيل ص(٢٣٠) والدرر الكامنة (٤/ ٣٨٢) والنجوم (١٠/ ٧٦) .

(٢) ترجمته في الذيل ص(٢٢٨) والوفيات لابن رافع (١/ ٤٠٣) والدرر الكامنة (٤/ ١٨٥) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٧٧) .

(٣) رواه مسلم رقم (٥٩١) في المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته .
ولفظه فيه : عن ثوبان ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته ، استغفر الله ثلاثاً وقال : « اللهمّ أنت السلام ومنك السَّلام ، تباركت ذا الجلال والإكرام » . وفي رواية « يا ذا الجلال والإكرام » .

(٤) هذا الدعاء بعد صلاتي الصبح والمغرب ، ليس في صحيح مسلم ، بل هو في سنن أبي داود ، رقم (٥٠٧٩) و(٥٠٨٠) من حديث مسلم بن الحارث التميمي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا انصرفت من صلاة المغرب ، فقل : اللهم أجرني من النار ، سبع مرات ، فإنك إذا قلت ذلك ، ثم مت في ليلتك ، كُتِبَ لك جِوَارٌ منها ، وإذا صليت الصبح فقل كذلك ، فإنك إن مِتَّ في ليلتك ، كتب لك جِوار منها) وهو حديث ضعيف .

(٥) رواه مسلم رقم (٢٧٠٩) في الذكر والدعاء ، باب : في التعوّذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره .
ولفظه فيه : عن أبي هريرة ، أنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة ! قال : « أما لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شرّ ما خلق ، لم تضُرَّكَ » .

وكانوا قبل تلك السنوات قد زادوا بعد التَّأذين الآية[١] ليلة الجُمْعة والتَّسليم على رسول الله ﷺ ، يبتدئ الرئيس منفرداً ثم يُعيد عليه الجماعة بطريقة حسنة[٢] ، وصار ذلك سبباً لاجتماع الناس في صحن الجامع لاستماع ذلك ، وكلَّما كان المبتدئ حسنَ الصَّوت كانت الجماعة أكثر اجتماعاً ، ولكن طال بسبب ذلك الفصل ، وتأخَّرت الصَّلاة عن أول وقتها . انتهى .

كائنة غريبة جداً

وفي ليلة الأحد عشيَّة السبت نزل الأمير سيف الدين قُطْلُوبُغَا الفخري بظاهر دمشقَ بين الجسورة وميدان الحصى بالأطلاب الذين جاؤوا معه من البلاد المصرية لمحاصرة الكَرَك للقبض على ابن السلطان الأمير أحمد بن الناصر ، فمكثوا على الثنيَّة محاصرين مضيِّقين عليه إلى أن توجه نائبُ الشَّام إلى حلب ، ومضت هذه الأيام المذكورة ، فما درى النّاسُ إلا وقد جاء الفخري وجموعه ، وقد بايعوا الأمير أحمد وسمَّوهُ النّاصرَ بن النّاصر ، وخلعوا بيعة أخيه الملك الأشرف علاء الدين كُجُك واعتلُّوا بصغره ، وذكروا أنَّ أتابكه الأمير سيف الدين قَوْصُون الناصري قد عدى على ابني السلطان فقتلهما خنقاً ببلاد الصَّعيد ، جهز إليهما من تولّى ذلك ، وهما الملك المنصور أبو بكر ورمضان ، فتنكَّر الأمير بسبب ذلك ، وقالوا : هذا يريد أن يجتاح هذا البيت ليتمكن هو من أخذ المملكة ، فحموا لذلك وبايعوا ابن أستاذهم وجاؤوا في الذهاب خلف الجيش ليكونوا عوناً للأمير سيف الدين طَشْتَمُر نائب حلب ومن معه ، وقد كتبوا إلى الأمراء يستميلونهم إلى هذا، ولمّا نزلوا بظاهر دمشق خرج إليهم مَن بدمشق من الأكابر والقضاة والمباشرين ، مثل والي البر ووالي المدينة وابن سَمِنْدار وغيرهم ، فلمَّا كان الصباح خرج أهالي دمشق عن بكرة أبيهم ، على عادتهم في قدوم السلاطين، ودخول الحُجّاج، بل أكثر من ذلك من بعض الوجوه، وخرج القضاة والصاحب والأعيان والولاة وغيرهم ، ودخل الأمير سيف الدين قُطْلُوبَغا في دست نيابة السَّلطنة التي فوَّضها إليه الملك الناصر الجديد وعن يمينه الشافعي ، وعن شماله الحنفي على العادة ، والجيش كلُّه محدقٌ به في الحديد ، والعقارات والبوقات والنشابة السلطانية والسناجق الخليفية والسلطانية تخفق ، والناس في الدُّعاء والثَّناء للفخري ، وهم في غاية الاستبشار والفرح ، وربما نال بعض جهلة الناس من النائب الآخر الذي ذهبَ إلى حلبَ ، ودخلت الأطلاب بعده على ترتيبهم ، وكان يوماً مشهوداً ، فنزل شرقي دمشق قريباً من خان لاجين ، وبعث في هذا اليوم ، فرسم على القضاة والصاحب ، وأخذ من أموال الأيتام وغيرها خمسمئة ألف ، وعوضهم عن ذلك بقرية من بيت المال ، وكتب بذلك سجلات ، واستخدم جيداً ، وانضاف إليه من الأمراء

(١) يريد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .
(٢) وهذا ما يسمى بأذان الجوق ، وهو مخالف للسنة ، ولم يكن من هدي السلف الصالح .

الذين كانوا قد تخلَّفوا بدمشقَ جماعةٌ ، منهم تَمُر الساقي مقدم ، وابن قَرَاسُنْقُر وابن الكامل وابن المعظم وابن البلدي وغيرهم ، وبايع هؤلاء كلهم مع مباشري دمشق للملك الناصر بن الناصر ، وأقام الفخري على خان لاجين ، وخرج المتعيِّشُون بالبضائع إلى عندهم وضُربت البشائر بالقلعة صبيحة يوم الثلاثاء سادسَ عشر الشهر ، ونُودي بالبلد : إنَّ سلطانكم الملك الناصر أحمدُ بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبكم سيفُ الدين قُطْلُوبُغَا الفخري ، وفرح كثير من الناس بذلك ، وانضاف إليه نائب صفد[١] وبايعه نائبُ بَعْلَبَك ، واستخدموا له رجالاً وجنداً ، ورجع إليه الأمير سيف الدين سِنْجَر الجَمَقْدَار رأس الميمنة بدمشق ، وكان قد تأخر في السفر عن نائب دمشق علاء الدين أَلْطَنْبُغَا ، بسبب مرض عرض له، فلما قدم الفخري رجع إليه وبايع الناصر بن الناصر ، ثم كاتب نائب حماة تَغْرُدَمُر الذي ناب بمصرَ للملك المنصور ، فأجابه إلى ذلك وقدم على العسكر يوم السبت السابع والعشرين من الشهر المذكور ، في تجمُّل عظيم وخزائن كثيرة، وثقل هائل[٢] .

وفي صبيحة يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور كسفت الشمس قبل الظهر .

وفي صبيحة يوم الإثنين التاسع والعشرين من جمادى الآخرة ، قدم نائب غزة الأمير آقْ سُنْقُر[٣] في جيش غزَّة ، وهو قريب من ألفين ، فدخلوا دمشق وقت الفجر وغدوا إلى معسكر الفخري ، فانضافوا إليهم ففرحوا بهم كثيراً ، وصار في قريبٍ من خمسة آلاف مقاتل أو يزيدون .

استهلّ شهرُ رجب الفرد ، والجماعة من أكابر التجّار مطلوبون بسبب أموال طلبها منهم الفخري ، يقوّي بها جيشه الذي معه ، ومبلغ ذلك الذي أراده منهم ألفُ ألفِ درهم ، ومعه مرسوم الناصر بن الناصر ببيع أملاك الأمير سيف الدين قَوْصُون ، أتابك الملك الأشرف علاء الدين كُجُك ، ابن الناصر التي بالشّام ، بسبب إبائه عن مبايعة أحمد بن النّاصر ، فأشار على الفخري مَن أشار بأن يباع للتُّجَّار من أملاك الخاص ، ويجعل مال قَوْصُون من الخاص ، فرسم بذلك ، وأن يباع للتجار قرية دُوْمَةَ[٤] قوّمت بألف ألف وخمسمئة ألف ، ثم لطف الله وأَفرج عنهم بعد ليلتين أو ثلاث ، وتعوّضوا عن ذلك بحواصل قَوْصُون ، واستمرّ الفخري بمن معه ومن أضيف إليه من الأمراء والأجناد مقيمين بثنيَّةِ العُقَاب ، واستخدم من رجال البقاع جماعةً كثيرة أكثر من ألف رام ، وأميرهم يحفظ أفواه الطرق ، وأزِفَ قدوم الأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغَا بمن معه من عساكر دمشق ، وجمهور الحلبيين وطائفة الطرابُلُسيين ، وتأهَّب هؤلاء لهم ،

---

(١) في ط : صفد .

(٢) الذيل (٢٢٦ ـ ٢٢٧) النجوم الزاهرة (١٠/ ٣٣ ـ ٤٠) البدائع (١/ ٤٩٤) .

(٣) آق سنقر بن عبد الله الناصر محمد بن قلاوون الأمير شكار ، نائب غزة ، ثم طرابُلُس قتل في وقعة كانت بالقاهرة سنة (٧٤٨)هـ الدليل الشافي (١/ ١٤٢) .

(٤) في ط : دوية . ودُوْمَةُ : مدينة عامرة قرب دمشق . ياقوت .

فلما كان الحادي من الشهر اشتهر أن أَلْطَنْبُغا وصل إلى القَسْطل[١] وبعث طلائعه فالتقت بطلائع الفخري ، ولم يكن بينهم قتال ولله الحمد والمنّة ، وأرسل الفخري إلى القضاة ونوابهم وجماعة من الفقهاء فخرجوا ورجع الشّافعي من أثناء الطريق ، فلمَّا وصلوا أمرهم بالسعي بينه وبين أَلْطَنْبُغَا في الصُّلح ، وأن يوافقَ الفخريَّ في أمره ، وأن يبايعَ الناصرَ بن الناصر ، فأبىٰ فردَّهم إليه غير مرَّة ، وكل ذلك يمتنع عليهم .

فلما كان يوم الإثنين رابع عشره عند العصر جاء بريد إلى متولي البلد عند العصر من جهة الفخري يأمره بغلق أبواب البلد، فغلِّقت الأبوابُ، وذلك لأنَّ العساكر توجهوا وتوافقوا للقتال، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

وذلك أن أَلْطَنْبُغَا لمَّا علم أن جماعة قُطْلُوبُغا على ثنيَّة العُقَاب دار الذُرْوَةَ من ناحية المُعَيْصرة ، وجاء بالجيوش من هناك، فاستدارَ له الأمير سيف الدين قُطْلُوبُغَا الفخري بجماعته إلى ناحيته، ووقف له في طريقه، وحال بينه وبين الوصول إلى البلد ، وانزعج النَّاس انزعاجاً عظيماً ، وغلِّقت القَيَاسر والأسواق ، وخاف الناس بعضهم من بعض أن يكون نهبٌ ، فركب متولّي البلد الأمير ناصر الدين بن بكباشي ومعه أولاده ونوابه والرجَّالة، فسار في البلد وسكن الناس ودعوا له، فلمَّا كان قريب المغرب فتح لهم باب الجابية ليدخل من هو من أهل البلد، فجرت في الباب على ما قيل زحمة عظيمة، وتسخَّط الجند على الناس في هذه الليلة ، واتَّفق أنها ليلةُ الميلاد ، وبات المسلمون مهمومين[٢] بسبب العسكر واختلافهم فأصبحت أبواب البلد مغلقةً في يوم الثلاثاء سوى باب الجابية ، والأمر على ما هو عليه ، فلمَّا كان عشيَّة هذا اليوم تقارب الجيشان واجتمع أَلْطَنْبُغا وأمراؤه ، واتّفق أمراءُ دمشقَ وجمهورهم الذين هم معه على أن لا يقاتلوا مسلماً ولا يسلُّوْا في وجه الفخري وأصحابه سيفاً ، وكان قضاة الشام قد ذهبوا إليه مراراً للصُّلح ، فيأبى عليهم إلا الاستمرار على ما هو عليه ، وقويت نفسه عليه انتهى . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

عجيبة من عجائب الدهر

فباتَ النَّاسُ متقابلين في هذه الليلة وليس بين الجيشين إلا مقدار ميلين أو ثلاثة ، وكانت ليلة مطيرة ، فما أصبح الصُّبح إلا وقد ذهب من جماعة أَلْطَنْبُغَا إلى الفخري خلقٌ كثير من أجناد الحلفاء ومن الأمراء والأعيان ، وطلعت الشمس وارتفعت قليلاً فنفذ أَلْطَنْبُغَا القضاة وبعض الأمراء إلى الفخري يتهدَّده ويتوعَّدُه ويقوِّي نفسه عليه . فما ساروا عنه قليلاً إلا ساقت العساكر من الميمنة والميسرة ومن القلب ، ومن كل جانب مقفرين إلى الفخري ، وذلك لما هم فيه من ضيق العيش وقلَّة ما بأيديهم من الأطعمة وعلف الدواب ، وكثرة ما معهم من الكُلَف ، فرأوا أن هذا حال يطول عليهم ، ومقتوا أمرهم غاية المَقْت ، وتطايبت قلوبُهم وقلوبُ أولئك مع أهل البلد على كراهته لقوة نفسه فيما لا يجدي عليه ولا عليهم شيئاً ،

(١) « القَسْطَل » : قرية بين حمص ودمشق . ياقوت .

(٢) في ط : مهمومون .

فبايعوا على المخامرة عليه ، فلم يبقَ معه سوى حاشيته في أقل من ساعة واحدة ، فلما رأى الحال على هذه الصفة كرَّ راجعاً هارباً من حيث جاء وصحبتُه الأمير سيف الدين أَرُقْطَاي(١) نائب طرابُلُس ، وأميران آخران(٢) ، والتقت العساكر والأمراء ، وجاءت البشارة إلى دمشقَ قبل الظهر ففرح الناس فرحاً شديداً جداً ، الرجال والنّساء والوِلْدان ، حتى من لا نوبة له ، ودقت البشائر بالقلعة المنصورة ، فأرسلوا في طلب من هرب ، وجلس الفخري هنالك بقية اليوم يحلِّفُ الأمراء على أمره الذي جاء له ، فحلفوا له ، ودخل دمشقَ عشية يوم الخميس في أُبّهة عظيمة ، وحرمة وافرة ، فنزل القصر الأبلق ونزل الأمير تَغْرُدَمُر بالميدان الكبير ، ونزل عمَّاري بدار السعادة وأخرجوا المَوْسَويّ(٣) الذي كان معتقلاً بالقلعة ، وجعلوه مشدّاً على حوطات حواصل أَلْطَنْبُغَا ، وكان قد تغضَّب الفخري على جماعة من الأمراء منهم الأمير حسام الدين الجُمَقْدَار ، أمير حاجب بسبب أنه صاحب لعلاء الدين أَلْطَنْبُغَا ، فلما وقع ما وقع هرب فيمن هرب ، ولكن لم يأت الفخري ، بل دخل البلد فتوسَّط في الأمر ، لم يذهب في ذاك ولا جاء مع هذا ، ثم إنَّه استدرك ما فاته فرجع من البار إلى الفخري ، وقيل بل رسم عليه حين جاء وهو مهموم جداً ، ثمَّ إنه أعطي منديل الأمان ، وكان معهم كاتب السر القاضي شهاب الدين بن فضل الله(٤) ، ثم أُفرج عنهم ، ومنهم الأمير سيف الدين حفطية وكان شديدَ الحنق عليه ، فأطلقه من يومه وأعاده إلى الحجوبية ، وأظهر مكارم أخلاق عظيمة ، ورياسة كبيرة ، وكان للقاضي علاء الدين بن المُنَجَّى(٥) قاضي قضاة الحنابلة في هذه الكائنة سعي مشكور ، ومراجعة كبيرة للأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغا ، حتى خيف عليه منه ، وخاطر بنفسه معه ، فأنجح الله مقصده وسلَّمه منه ، وكبت عدوَّه ولله الحمد والمنَّة .

وفي يوم السبت السادس والعشرين منه قُلِّد قضاء العساكر المنصورة الشيخ فخر الدين بن الصائغ عوضاً عن القاضي الحنفي(٦) ، الذي كان مع النَّائب المنفصل ، وذلك أنهم نقموا عليه إفتاءه أَلْطَنْبُغَا بقتال الفخري ، وفرح بولايته أصحابُ الشَّيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وذلك لأنه من أخص من صحبه قديماً ، وأخذ عنه فوائد كثيرة وعلوماً .

وفي يوم الأربعاء سلخ رجب آخر النَّهار قدم الأمير قُمَاري(٧) من عند الملك الناصر بن الناصر من

---

(١) في ط : رقطبة .
(٢) هما : أَسَنْبُغَا بن بكتمر البوبكري ، وأَيْدَمُر المَرْقَبيّ . النجوم (١٠/ ٣٦) .
(٣) في ط : الموساوي . وهو : تمر الموسوي . الدرر الكامنة (١/ ٥١٩) .
(٤) هو أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري . مات سنة (٧٤٩)هـ كما سيأتي .
(٥) علي بن مُنَجّا بن عثمان بن أسعد بن المُنَجَّا التنوخي . مات سنة (٧٥٠)هـ الوفيات لابن رافع (٢/ ١٢٥) .
(٦) هو : حسام الدين الغوري البغدادي ، الحسن بن محمد ، قاضي القضاة بمصر ، النجوم (٧/ ١٢٩) و(١٠/ ٦٠) .
(٧) هو : قماري الحسني أمير شكار مات سنة (٧٤٦)هـ الدرر الكامنة (٣/ ٢٥٦) .

الكرك وأخبره بما جرى من أمرهم وأمر أَلْطَنْبُغا ، ففرح بذلك وأخبر قُمَاري بقدوم السلطان ففرح الناس بذلك واستعدُّوا له بآلات المملكة وكثرت مطالبتُه أربابَ الأموال والذِّمَّة بالجزية .

وفي مستهلّ رجب من هذه السنة ركب الفخري في دست النيابة بالموكب المنصور ، وهو أول ركوبه فيه ، وإلى جانبه قُمَاري وعلى قُماري خلعةٌ هائلة ، وكثر دعاء الناس للفخري يومئذ ، وكان يوماً مشهوداً .

وفي هذا اليوم خرج جماعة من المقدّمين الألوف إلى الكَرَك بإخبار ابن السلطان بما جرى : منهم تَغْرُدَمُر وآقْبُغَا عبد الواحد وهو السَّاقي[1] ، ومَنْكُلي بُغَا[2] وغيرهم .

وفي يوم السبت ثالثه استدعى الفخري القاضيَ الشافعيَّ وألحَّ عليه في إحضار الكتب في سدّة[3] الحكم التي كانت أُخذت من عند الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله من القلعة المنصورة في أيام جلال الدين القَزْويني ، فأحضرها القاضي بعد جهد ومُدافعة ، وخاف على نفسه منه ، فقبضها منه الفخري بالقصر وأذن له في الانصراف من عنده ، وهو متغضّب عليه ، وربما همَّ بعزله لممانعته إياها ، وربما قال قائل : هذه فيها كلام يتعلَّق بمسألة الزيارة ، فقال الفخري : كان الشيخ أعلم بالله وبرسوله منكم . واستبشر الفخري بإحضارها إليه واستدعى بأخي الشيخ زين الدين عبد الرحمن ، وبالشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن قيّم الجوزيّة وكان له سعي مشكور فيها ، فهنَّأَهُما بإحضاره الكتب ، وبيَّت الكتب تلك الليلة في خزانته للتَّبَرُّك ، وصلَّىٰ به الشَّيخ زين الدين أخو الشيخ صلاة المغرب بالقصر ، وأكرمه الفخري إكراماً زائداً لمحبَّته الشيخ رحمه الله .

وفي يوم الأحد رابعه دقّت البشائر بالقلعة وفي باب الميدان لقدوم بشير بالقبض على قَوْصُون بالدّيار المصريّة ، واجتمع النَّاسُ لذلك واستبشر كثير منهم بذلك ، وأقبل جماعة من الأمراء إلى الكَرَك لطاعة النَّاصر بن النَّاصر ، واجتمعوا مع الأمراء الشاميين عند الكَرَك ، وطلبوا منه أن ينزل إليهم فأبىٰ ، وتوهَّم أن هذه الأمور كلها مكيدة ليقبضوه ويسلموه إلى قوصون ، وطلب منهم أن ينظر في أمره وردهم إلى دمشق .

وفي هذه الأيام وما قبلها وما بعدها أخذ الفخري من جماعة التجار بالأسواق وغيرها زكاة أموالهم سنة ، فتحصل من ذلك زيادة على مئة ألف وسبعة آلاف ، وصُودر أهلُ الذّمة بقريب من ذلك زيادة على الجزية التي أُخذت منهم عن ثلاث سنين سلفاً وتعجيلاً ، ثمَّ نُودي في البلد يوم الإثنين الحادي والعشرين من الشهر مناداةً صادرة من الفخري برفع الظُّلامات والطلبات وإسقاط ما تبقى من الزكاة والمصادرة ، غير

---

(١) الدرر الكامنة (١/ ٣٩١) .
(٢) في ط : ميكلي .
(٣) في ط : سلة .

أنهم احتاطوا على جماعة من المشاة المكثرين ليشتروا منهم بعض أملاك الخاص[١] ، والبرهان بن بشارة الحنفي تحت المُصادرة والعقوبة على طلب المال الذي وجده في طَميرة وجدها فيما ذكر عنه والله أعلم .

وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين منه بعد الصَّلاة دخل الأمراء السِّتَّة الذين توجهوا نحو الكَرَك لطلب السلطان أن يقدَمَ إلى دمشقَ فأبى عليهم في هذا الشهر ، ووعدهم وقتاً آخر فرجعوا ، وخرج الفخريُّ لتلقِّيهم ، فاجتمعوا قبلي جامع القُبَيْبات الكريمي ، ودخلوا كلُّهم إلى دمشقَ في جمع كثير من الأتراك الأمراء والجند ، وعليهم خَمْدَةٌ لعدم قدوم السلطان أيده الله . وفي يوم الأحد قدم البريد خلفَ قُماري وغيره من الأمراء يطلبهم إلى الكرك ، واشتهر أنَّ السُّلطان رأى النبي ﷺ في المنام وهو يأمره بالنُّزول من الكَرَك وقبول المملكة ، فانشرح الناس لذلك .

وتوفي الشيخ عمر[٢] بن أبي بكر بن المِيْهنيّ[٣] البسطي يوم الأربعاء التاسع والعشرين ، وكان رجلاً صالحاً كثير التّلاوة والصَّلاة والصَّدقة ، وحضور مجالس الذّكر والحديث ، له همَّة وصَوْلة على الفقراء المتشبِّهين بالصَّالحين وليسوا منهم ، سمع الحديث من الشيخ فخر الدين بن البخاري وغيره . وقرأت عليه عن ابن البخاري مُخْتَصر المشيخة ، ولازم مجالسَ الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وانتفع به ، ودُفن بمقابر باب الصغير .

وفي شهر رمضانَ المعظَّم أوله يوم الجمعة ، كان قد نودي في الجيش : أنَّ الرَّحيل لملتقى السُّلطان في سابع الشهر ، ثم تأخّر ذلك إلى بعد العشر ، ثم جاء كتاب من السلطان بتأخُّر ذلك إلى بعد العيد .

وقدم في عاشر الشهر علاء الدين بن تقي الدين الحنفي ، ومعه ولاية من السلطان الناصر بنظر البيمارستان النوري ، ومشيخة الرَّبوة ومرتَّب على الجهات السُّلطانية ، وكان قد قدم قبله القاضي شهاب الدين بن البَارزيّ بقضاء حمصَ من السلطان أيده الله تعالى ، ففرح الناس بذلك حيث تكلم السُّلطان في المملكة وباشر وأمر وولَّى ، ووقَّع ، ولله الحمد .

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره دخل الأمير سيف الدين طَشْتَمُر الملقّب بالحمّص الأخضر من البلاد الحلبية إلى دمشقَ المحروسة ، وتلقَّاه الفخري والأمراء والجيشُ بكماله ، ودخل في أُبَّهة حسنة ، ودعا له الناس وفرحوا بقدومه بعد شتاته في البلاد وهربه من بين يدي أَلْطَنْبُغَا حين قصده إلى حلبَ كما تقدَّم ذكره[٤] .

وفي يوم الخميس رابع عشره خرجت الجيوش من دمشق قاصدين إلى غزَّة لنظرة السلطان حين يخرج

---

(١) النجوم الزاهرة (١٠/ ٥٩) .
(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ١٥٧) .
(٣) في ط : الثيمي ، وأثبتنا ما في الدرر .
(٤) الدرر الكامنة (٢/ ٢١٩) .

من الكرك السعيد ، فخرج يومئذ مقدمان : تَغْرُدَمُر وآقْبُغا عبد الواحد ، فبرزا إلى الكُسْوَةِ ، فلما كان يوم السبت خرج الفخريُّ ومعه طَشْتَمُر وجمهورُ الأمراء ، ولم يقم بعدَهُ بدمشقَ إلا من احتيج لمقامهم لمهمات المملكة ، وخرج معه القضاةُ الأربعة ، وقاضي العساكر والموقّعون[١] والصّاحبُ[٢] وكاتب الجيش وخلق كثير .

وتوفي الشيخ الصالح العابد الناسك أحمد[٣] الملقب بالعصيدة ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان ، وصُلِّيَ عليه بجامع تَنْكِز[٤] ، ودُفن بالصُّوفية قريباً من قبر الشيخ جمال الدين المِزِّي ، تغمدَّهما الله برحمته .

وكان فيه صلاح كثير ، ومواظبة على الصَّلاة في جماعة ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، مشكوراً عند الناس بالخير ، وكان يكثر من خدمة المرضى بالمارستان وغيره ، وفيه إيثار وقناعة وتزهُّد كثير ، وله أحوال مشهورة رحمه الله وإيانا .

واشتهر في أواخر الشهر المذكور أنَّ السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد خرج من الكَرَك المحروس صحبةَ جماعة من العرب والأتراك قاصداً إلى الديار المصرية ، ثم تحرَّر خروجه منها في يوم الإثنين ثامنَ عشرَ الشهر المذكور ، فدخل الديار المصرية بعد أيام[٥] ، هذا والجيش صامدون إليه ، فلمَّا تحقق دخوله مصر حَثُّوا في السَّير إلى الديار المصرية ، وبعث يستحثهم أيضاً ، واشتُهر أنَّه لم يجلس على سرير الملك حتى يقدَمَ الأمراء الشَّاميون صحبةَ نائبة الأمير سيف الدين قُطْلُوبُغَا الفخري ، ولهذا لم تُدقَّ البشائر بالقلاع الشامية ولا غيرها فيما بلغنا .

وجاءتِ الكتبُ والأخبارُ من الديار المصرية بأن يوم الإثنين عاشر شوال كان إجلاس السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد على سرير المملكة ، صَعِدَ هو والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستكفي فوق المنبر ، وهما لابسان السواد ، والقضاةُ تحتهما على درج المنبر بحسب منازلهم ، فخطب الخليفةُ ، وخلع الأشرفَ كُجُكَ ، وولّىٰ هذا الناصر ، وكان يوماً مشهوداً ، وأظهر ولايته لطَشْتَمُر نيابة مصر ، والفخري دمشق ، وأَيْدُغْمُش حلب فالله أعلم[٦] .

ودقَّت البشائر بدمشق ليلة الجمعة الحادي والعشرين من الشهر المذكور ، واستمرَّت إلى

---

(١) في ط : « الموقعين » وهو غلط .
(٢) في ط : « المصاحب » وهو تحريف .
(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٤٤) وفيه : (أحمد العصيدة والد الشيخة زينب) .
(٤) في ط شكر وهو تحريف .
(٥) النجوم الزاهرة (١٠/ ٥٨) .
(٦) النجوم (١٠/ ٦٠) والبدائع (١/ ٤٩٥) .

يوم الإثنين مستهلّ ذي القعدة ، وزُيِّنت البلد يوم الأحد ثالث عشرين منه ، واحتفل النَّاس بالزينة .

وفي يوم الخميس المذكور دخل الأمير سيف الدين آل مَلَك[١] أحد الرّؤوس المشهورة بمصر إلى دمشقَ في طلب نيابة حماة حرسها الله تعالى .

فلما كان يوم الجمعة بعد الصَّلاة ورد البريد من الديار المصرية فأخبر أن طَشْتَمُر الحمّص الأخضر مسك ، فتعجَّب النَّاسُ من هذه الكائنة كثيراً[٢] فخرجَ مَنْ بدمشقَ من أعيان الأمراء أمير الحجِّ وغيره وخَيَّم بوطأَةِ بَرْزَةَ ، وخرجَ إلى الحجِّ أميرٌ فأخبره بذلك وأَمَّروه عن مرسوم السلطان أن ينوبَ بدمشقَ حتى يأتي المرسوم بما يعتمد أمير الحَجِّ فأجاب إلى ذلك وركب في الموكب يوم السبت السادس منه .

وأمّا الفخري فإنه لما تَنَسَّم هذا الخبر وتحقَّقَهُ وهو بالزَّعْقة[٣] فرَّ في طائفةٍ من مماليكه قريبٍ من ستين أو أكثر ، فاخترق[٤] ، وساق سوقاً حثيثاً ، وجاءه الطلب من ورائه من الدّيار المصرية في نحوٍ من ألف فارس ، صحبةَ الأميرين : أَلطَنْبُغَا المارِدَاني[٥] ، ويَلْبُغَا اليَحْيَاوي[٦] ، ففاتَهما وسَبَق ، واعترض له نائب غزَّة في جُنْده فلم يقدر عليه ، فسلَّطوا عليه العشيرات ينهبوه ، فلم يقدروا عليه إلا في شيء يسير ، وقَتَل منهم خلقاً ، وقصد نحو صاحبه فيما يزعم الأمير سيف الدين أَيْدُغْمُش نائب حلب راجياً منه أن ينصره ، وأن يوافقه على ما قام بنفسه ، فلمَّا وصل أكرمه وأنزلَهُ ، وبات عنده ، فلمَّا أصبح قبض عليه وقيَّده وردَّه على البريد إلى الديار المصرية ، ومعه التَّراسيم من الأمراء وغيرهم[٧] .

ولمَّا كان يوم الإثنين[٨] سلخ ذي القعدة خرجَ السُّلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن المنصور من الديار المصرية في طائفةٍ من الجيش قاصداً إلى الكَرَك المحروس ، ومعه أموالٌ جزيلة ، وحواصلُ وأشياءُ كثيرة ، فدخلها يوم الثلاثاء من ذي الحِجَّة وصحبتُه طَشْتَمُر في محفة ممرّضاً ، والفَخْريُّ مقيّداً ، فاعتُقِلا بالكَرَك المحروس ، وطلب السلطان آلات من أخشاب ونحوها وحدادين وصُنَّاع ونحوها لإصلاح مهمات بالكرك ، وطلب أشياء كثيرة من دمشق ، فحُملت إليه[٩] .

---

(١) في ط : الملك وهو تحريف . النجوم الزاهرة (١٠/ ٦٢) .
(٢) الذيل ص(٢٢٧) .
(٣) « الزَّعقة » : مركز من مراكز البريد ما بين العريش ورفح . صبح الأعشى (١٤/ ٣٧٨) .
(٤) في ط : احترق وهو تطبيع ، والمراد : اخترق صفوف آق سنقر الذي كان ينتظره هناك النجوم (١٠/ ٦٥) .
(٥) من خواص الناصر وزوج ابنته ، ناب في حلب بعد طُقُزْدَمُر ومات فيها سنة (٧٤٤) هـ . الدليل الشافي (١/ ١٥١) .
(٦) في ط : يبلغا التحناوي وهو تصحيف .
وهو : يَلْبُغَا بن عبد الله اليَحْيَاوي نائب حماة ثم حلب ثم الشام ، قتل سنة (٧٤٨هـ) الدليل الشافي (٢/ ٧٩٣) .
(٧) الدرر الكامنة (١/ ٤٢٦) .
(٨) في النجوم الزاهرة (الأربعاء) .
(٩) النجوم (١٠/ ٥٦٦) .

ولمّا كان يوم الأحد السابع والعشرين من ذي الحجّة ورد الخبر بأن الأمير ركن الدين بِيْبَرْس الأحمدي[١] النائب بصفد ركب في ممـاليكه وخدمه ومن أطاعه ، وخرج منهـا فارّاً بنفسه من القبض عليه .

وذُكر أنَّ نائب غزة قَصدَهُ ليقبِضَ عليه بمرسوم السلطان ورَدَ عليه من الكرَكَ ، فهرب الأحمديُّ بسبب ذلك ، ولما وصل الخبرُ إلى دمشقَ وليس بها نائب انزعجَ الأمراء لذلك ، واجتمعوا بدار السَّعادة ، وضربوا في ذلك مشورة ثم جرَّدوا إلى ناحية بعْلَبَكّ أميراً ليصدوه عن الذهاب إلى البرية .

فلمّا أصبح الصباح من يوم الإثنين جاء الخبر بأنه في نواحي الكُسْوة ، ولا مانع من خلاصه ، فركبوا كلهم ونادى المنادي : من تأخَّر من الجند عن هذا النَّفير شُنِقَ ، واستوثقوا في الخروج وقصدوا ناحية الكُسْوة وبعثوا الرسل إليه ، فذكر اعتذاراً في خروجه وتخلَّص منهم ، وذهب يوم ذلك ، وَرَجعُوا وقد كانوا ملبسين في يوم حار ، وليس معهم من الأزواد ما يكفيهم سوى يومهم ذلك .

فلما كانت ليلة الثلاثاء ركب الأمراء في طلبه من ناحية ثنيَّة العُقاب ، فرجعوا في اليوم الثاني وهو في صحبتهم ، ونزل في القصور التي بناها تَنْكِز رحمه الله ، في طريق داريّا ، فأقام بها ، وأَجْرَوْا عليه مرتباً كاملاً من الشعير والغنم وما يحتاج إليه مثله ، ومعه مماليكه وخدمه[٢] .

فلما كان يوم الثلاثاء سادس المحرم ورد كتاب من جهة السلطان فقرئ على الأمراء بدار السعادة يتضمن إكرامه واحترامه والصَّفح عنه لتقدُّم خَدَمِهِ على السلطان الملك الناصر وابنه الملك المنصور .

ولما كان يوم الأربعاء سابع المحرم [جاء كتاب][٣] إلى الأمير ركن الدين بِيْبرس نائبِ الغيبة ابنِ الحاجب أُلْمَاس[٤] بالقبض على الأَحمديّ ، فركب الجيشُ ملبسين يوم الخميس وأوكبوا بسوق الخيل وراسلوه ـ وقد ركب في مماليكه بالعدد وأظهر الامتناع ـ فكان جوابه أن لا أسمع ولا أطيع إلا لمن هو ملك الديار المصرية ، فأما من هو مقيم بالكَرَك ويصدُرُ عنه ما يقال عنه من الأفاعيل التي قد سارت بها الركبان ، فلا ، فلما بلغ الأمراء هذا توقَّفوا في أمره ، وسكنوا ، ورجعوا إلى منازلهم ، ورجع هو إلى قصره[٥] .

---

(١) مات سنة (٧٤٦هـ) الدليل الشافي (١/ ٥٠٥) .

(٢) الدرر الكامنة (١/ ٥٠٢) .

(٣) زيادة يقتضيها السّياق .

(٤) في ط : أَلْمَش . وهو تصحيف .
وهو أُلْماس بن عبد الله الناصري محمد . ولي الحجوبية الكبرى . مات قتيلاً سنة (٧٣٤)هـ الدرر (١/ ٤١٠) الدليل الشافي (١/ ١٥٤) .

(٥) الدرر (١/ ٥٠٢) .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة المباركة وسلطان المسلمين الملك [أحمد بن][١] ناصر الدين محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وهو مقيم بالكَرَك ، قد حاز الحواصل السلطانية من قلعة الجبل إلى قلعة الكَرَك .

ونائبُه في الديار المصرية الأمير سيف الدين آقْسُنْقُر السَّلَّاري[٢] ، الذي كان نائباً بغزّة .

وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في السنة الماضية ، سوى القاضي الحنفي[٣] .

وأما دمشق فليس لها نائب إلى حينئذ ، غير أن الأمير ركن الدين بيْبرس الحاجب كان استنابه الفخري بدمشقَ نائبَ غيبته ، فهو الذي يسدُّ الأمور مع الحاجب أَلْلَّمش[٤] ، وتَمُر المهمندار ، والأمير سيف الدين الملقب بحلاوة ، والي البر ، والأمير ناصر الدين ابن ركباس متولي البلد ، هؤلاء الذين يسدون الأشغال والأمور السلطانية ، والقضاة هم الذين ذكرناهم في السنة الخالية .

وخطيب البلد تاج الدين عبد الرحيم بن القاضي جلال الدين القزويني ، وكاتب السر القاضي شهاب الدين بن فضل الله .

واستهلّت هذه السنة والأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي نازلٌ بقصر تَنْكِز بطريق داريَّا ، وكتبُ السُّلطان واردة في كل وقت بالاحتياط عليه والقبض ، وأن يُمْسَك ويُرسل إلى الكَرَك ، هذا والأمراء يتوانَوْن في أمره ويسوِّفون المراسيم ، وقتاً بعد وقت ، وحيناً بعد حين ، ويحملهم على ذلك أن الأحمدي لا ذنب له ، ومتى مسَكَه تطرَّف إلى غيره ، مع أنّ السلطان يبلُغُهم عنه أحوال لا تُرضيهم من اللَّعب والاجتماع مع الأراذل والأطراف ببلد الكَرَك ، مع قتله الفخري وطَشْتَمُر قتلاً فظيعاً ، وسلبه أهلهما لما على الحريم من الثياب والحلي ، وإخراجهم في أسوأ حال من الكَرَك ، وتقريبه النَّصارىٰ وحضورهم عنده . فحمل الأمراء هذه الصفات على أن بعثوا أحدهم يكشف أمره ، فلم يصل إليه ، ورجع هارباً خائفاً ، فلمَّا رجع وأخبر الأمراء انزعجوا وتشوشوا كثيراً ، واجتمعوا بسوق الخيل مراراً وضربوا مشورة بينهم ، فاتفقوا على أن يخلعوه ، فكتبوا إلى المصريين بذلك ، وأعلموا نائب حلب أَيْدغْمُش ونواب

---

(١) زيادة يقتضيها السّياق . الذيل ص (٢٣١) .

(٢) قتل سنة (٧٤٤)هـ الدليل الشافي (١/ ١٤٢) .

(٣) هو قاضي القضاة زين الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر البسْطامي . مات سنة (٧٧١) هـ . الوفيات لابن رافع (٢/ ٣٥٥) .

(٤) في ط : ألمش بلام واحدة . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (١/ ٤١٠) فقد قيده الحافظ ابن حجر بالحروف فقال : بلامين الأولى مشددة والميم ساكنة ثم معجمة ، والدليل الشافي (١/ ١٥٣) مات سنة (٧٤٦)هـ .

البلاد ، وبقوا متوهمين من هذه الحال كثيراً ومتردِّدين ، ومنهم من يصانع في الظَّاهر وليس معهم في الباطن ، وقالوا لا سمع ولا طاعة حتى يرجع إلى الديار المصرية ، ويجلس على سرير المملكة ، وجاء كتابه إليهم يعيبهم ويعنِّفهم في ذلك ، فلم يُفد ، وركب الأحمدي في الموكب وركبوا عن يمينه وشماله وراحوا إليه إلى القصر ، فسلَّمُوا عليه وخدموه ، وتفاقم الأمر وعَظُم الخطب ، وحملوا هموماً عظيمة خوفاً من أن يذهب إلى الديار المصرية فيلف عليه المصريون فيتلف الشاميين ، فحمل الناس همهم ، فالله هو المسؤول أن يحسن العاقبة .

فلما كان يوم الأحد السادس والعشرين من المحرم ورد مقدَّمُ البريدية ومعه كتب المصريين بأنه لما بلغهم خبر الشاميين كان عندهم من أمر السلطان أضعاف ما حصل عند الشاميين ، فبادروا إلى ما كانوا عزموا عليه ، ولكن تردَّدُوا خوفاً من الشّاميين أن يخالفوهم فيه ويتقدَّموا في صحبة السلطان لقتالهم ، فلما اطمأنُّوا من جهة الشَّاميين صمَّموا على عزمهم فخلعوا الناصر أحمد وملّكوا عليهم أخاه الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن المنصور ، جعله الله مباركاً على المسلمين ، وأجلسوه على السرير يوم الثلاثاء العشرين من المحرم المذكور ، وجاء كتابه مسَلِّماً على أمراء الشام ومقدَّميه ، وجاءت كتبُ الأمراء على الأمراء بالسَّلام والأخبار بذلك ، ففرح المسلمون وأمراء الشام والخاصة والعامة بذلك فرحاً شديداً ، ودُقَّت البشائر بالقلعة المنصورة يومئذ ، ورُسم بتزيين البلد ، فزَيَّنَ النَّاسُ صبيحة الثلاثاء السابع والعشرين منه .

ولما كان يوم الجمعة سلخ المحرم خُطب بدمشقَ للملك الصالح عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور[١] .

وفي يوم الخميس سادس صفر درَّس بالصَّدريَّة[٢] صاحبنا الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي إمام الجَوْزية ، وحضر عنده الشيخ عز الدين بن المُنَجَّى[٣] الذي نزل له عنها ، وجماعة من الفضلاء .

وفي يوم الإثنين سادس عشر صفر دخل الأمير سيف الدين طَقْزدَمُر[٤] من الديار المصرية ، إلى دمشق ذاهباً إلى نيابة حلب المحروسة ، فنزل بالقابون .

وفي يوم الثلاثاء ثامنَ عشرَ صفر توفي الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد عبد الله[٥] بن أبي الوليد

---

(١) الدرر الكامنة (١/ ٣٨٠) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٧٤ ـ ٧٨) وبدائع الزهور (١/ ٤٩٨) .

(٢) « الحنبلية » : الدارس (٢/ ٨٦) وهي جنوبي قصر العظم .

(٣) هو : محرر بن أحمد بن المُنجَّا . مات سنة (٧٤٦هـ) الدارس (٢/ ٧٤) .

(٤) في ط : تغردمر وفي الدرر الكامنة (طقزتمر) وأثبتنا ما في النجوم الزاهرة (١٠/ ٨٠) .

(٥) ترجمته في : الذيل ص(٢٣٤) والوفيات لابن رافع (١ / ٤٢٢) والدرر الكامنة (٢/ ٢٨٦) والدارس (٢/ ٦) والزيادة منها .

[محمد بن أحمد] المقرئ المالكي ، إمام المالكية[(١)] ، هو وأخوه أبو عمرو[(٢)] . بالجامع الأموي بمحراب الصحابة . توفي ببستان بقُبَّة السحف[(٣)] ، وصُلِّي عليه بالمصلَّى ، ودُفن عند أبيه رحمهما الله بمقابر باب الصغير ، وحضر جنازته الأعيان والفقهاء والقضاة ، وكان رجلاً صالحاً مُجمَعاً على ديانته وجلالته رحمه الله .

وفي يوم الخميس العشرين من صفر دخل الأمير أَيْدَغْمُش نائبُ السَّلطنة بدمشقَ ودخل إليها من ناحية القابون قادماً من حلبَ ، وتلقاه الجيش بكماله ، وعليه خلعة النيابة ، واحتفل الناس له وأشعلوا الشموع ، وخرج أهل الذمة من اليهود والنَّصارى يدعون له ومعهم الشموع ، وكان يوماً مشهوداً ، وصلَّى يوم الجمعة بالمقصورة ، من الجامع الأموي ، ومعه الأمراء والقضاة ، وقُرئَ تقليده هناك على السُّدَّة وعليه خلعته ، ومعه الأمير سيف الدين مَلَكْتَمُر السَّرْجَواني[(٤)] وعليه خلعة أيضاً .

وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر دخل الأمير علم الدين الجاولي[(٥)] دمشقَ المحروسة ذاهباً إلى نيابة حماة المحروسة ، وتلقَّاه نائبُ السلطنة والأمراء إلى مسجد القدم ، وراح فنزل بالقابون ، وخرج القضاة والأعيان إليه ، وسمع عليه من « مسند الشافعي » فإنَّه يرويه ، وله فيه عملٌ ، ورتَّبه ترتيباً حسناً ورأيْتُهُ ، وشرحه أيضاً ، وله أوقاف على الشافعية وغيرهم .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين منه عقد مجلس بعد الصَّلاة بالشُّبَّاك الكمالي من مشهد عثمان بسبب القاضي فخر الدين المصري ، وصدر الدين عبد الكريم بن القاضي جلال الدين القزويني ، بسبب العادليَّة الصغيرة، فاتّفق الحال على أن نزل صدر الدين عن تدريسها، ونزل فخرالدين عن مئة وخمسين على الجامع .

وفي يوم الأحد سلخ الشهر المذكور حضر القاضي فخر الدين المصري ودرَّس بالعادلية الصغيرة وحضر النَّاسُ عنده على العادة ، وأخذ في قوله تعالى : ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ ﴾ [يوسف : ٦٥] .

وفي آخر شهر ربيع الأول جاء المرسوم من الدّيار المصرية بأن تخرج تجريدة من دمشق بصحبة الأمير حسام الدين البَشْمَقْدَار[(٦)] لحصار الكرك الذي تحصن فيه السلطانُ[(٧)] أحمد ، واستحوذ على ما عنده من الأموال التي أخذها من الخزائن من ديار مصر ، وبرز المنجنيق من القلعة إلى قبل جامع

---

(١) هو المعروف بابن الحاج .

(٢) يعني في إمامة المالكية لا في الوفاة . فقد توفي أبو عمرو ـ أحمد بن محمد بن أحمد ـ سنة (٧٤٥)هـ الدرر الكامنة (١/ ٢٤٧) . وسيأتي في الوفيات منها .

(٣) بظاهر دمشق ، وفي الوفيات لابن رافع : بالمزة ، فلعلها من المزة .

(٤) في ط : ملكتم الرحولي . وأثبتنا ما في النجوم الزاهرة (١٠/ ٨٨) مات سنة (٧٤٧)هـ .

(٥) هو : سنجر بن عبد الله . الدرر الكامنة (٢/ ١٧١) .

(٦) في ط : السمقدار وهو تحريف . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٢/ ٣١٧) وهو : طُرُنْطاي البَشْمَقْدار مات سنة (٧٤٨هـ) وقد جاوز السبعين . وفي الدليل الشافي (١/ ٣٦١) : البَجْمَقْدَار .

(٧) في ط : ابن السلطان .

القُبَيْبَات ، فنُصب هناك وخرج الناس للتفرج عليه ورُمي به ومن نيتهم أن يستصحبوه معهم للحصار .

وفي يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين ألطَنْبُغا المارداني من الديار المصرية على قاعدته وعادته[(١)] .

وفي يوم الخميس عاشره دخل إلى دمشقَ الأميران الكبيران ركن الدين بيبرس الأحمدي من طرابُلُس ، وعلم الدين الجاولي من حماة سَحَراً ، وحضرا الموكب ووقفا مكتّفين لنائب السلطنة : الأحمديُّ عن يمينه والجاولي عن يساره ، ونزلا ظاهرَ البلد ، ثم بعد أيام يسيرة توجَّه الأحمديُّ إلى الديار المصرية على عادته وقاعدته رأس مشورة ، وتوجَّه الجاولي إلى غَزَّة المحروسة نائباً عليها ، وكان الأمير بدر الدين مسعود بن خَطِير على إمرة الطبلخانات بدمشق .

وفي يوم الخميس رابع عشره خرجت التجريدة من دمشقَ سحراً إلى مدينة الكَرَك ، والأمير شهاب الدين بن صُبْح والي الولاة بحوران مشد المجانيق ، وخرج الأمير سيف الدين بهادر الأَوْجاقي[(٢)] الملقب بحلاوة والي البر بدمشق إلى ولاية الولاة بحوران .

وفي يوم الجمعة ثامن عشره وقع بين النائب والقاضي الشافعي بسبب كتاب ورد من الديار المصرية فيه الوَصَاةُ بالقاضي السُّبكي المذكور ومعه التوقيع بالخطابة له مضافاً إلى القضاء وخلعة من الديار المصرية ، فتغيَّظَ[(٣)] عليه النائب لأجل أولاد الجلال ، لأنّهم عندهم عائلة كثيرة وهم فقراء ، وقد نهاه عن السَّعي في ذلك ، فتقدَّم إليه يومئذ أن لا يُصلِّي عنده في الشُّبَّاك الكَمَالي ، فنهض من هناك وصلَّى في الغزالية .

وفي يوم الأحد العشرين منه دخل دمشق الأمير سيف الدين أُرُنْبُغا[(٤)] زوج ابنة السلطان الملك الناصر مجتازاً ذاهباً إلى طرابُلُس نائباً بها ، في تجمُّل وأُبَّهة ونجائب وجنائب ، وعدة ، وسرك كامل .

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه دخل الأمير بدر الدين بن الخطيري معزولاً عن نيابة غزة المحروسة فأصبح يوم الخميس فركب في الموكب وسيِّر مع نائب السلطنة ، ونزل في داره وراح الناس للسّلام عليه .

وفي يوم الثلاثاء ثالثَ عشرَ صفر زُيّنت البلد لعافية السلطان الملك الصالح لمرض أصابه ، ثم شفي منه[(٥)] . وفي يوم الجمعة السادس عَشَر منه قبل العصر ورد البريد من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة

---

(١) النجوم (١٠/ ٨٢) .

(٢) في ط : بهادر الشمس . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (١/ ٤٩٧) وهو غير بهادر الشمسي . المتوفى سنة (٧١٨) هـ .

(٣) في ط : فتغبط .

(٤) في ط : أربغا . وأثبتنا ما في النجوم (١٠/ ٩٩) وغيره .
وهو : أُرُنْبُغَا بن عبد الله الناصري . مات سنة (٧٤٣) هـ .

(٥) النجوم (١٠/ ٨١) .

تقي الدين السُّبكي إليها حاكماً بها[١] ، فذهبَ النَّاسُ للسلام عليه ولتوديعه ، وذلك بعدما أرجفَ الناس به كثيراً ، واشتُهر أنَّه سينعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الأيتام إلى أَلْطَنْبُغا وإلى الفخري ، وكُتبت فتوى عليه بذلك في تغريمه ، وداروا بها على المفتين فلم يكتب لهم أحدٌ فيها غير القاضي جلال الدين بن حسام الدين الحنفي ، رأيت خطه عليها وحده بعد الصَّلاة ، وسئلتُ في الإفتاء عليها فامتنعتُ ، لما فيها من التَّشويش على الحكام ، وفي أول مرسوم نائب السلطان أن يتأمل المُفْتون هذا السؤال ويفتوا بما يقتضيه حكم الشرع الشريف ، وكانوا له في نيّةٍ عجيبة ، ففرَّج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية ، فسار إليها صحبةَ البريد ليلة الأحد ، وخرج الكُبَراء والأعيان لتوديعه ، وفي خدمته[٢] .

استهلّ جُمادى الآخرة والتَّجريدة عمالة إلى الكَرَك والجيش المجرَّدون من الحلقة قريب من ألف ويزيدون .

ولمّا كان يوم الثلاثاء رابعه بعد الظهر مات الأمير علاء الدين أَيْدَغْمُش[٣] نائب السلطنة بالشَّام المحروس في دارٍ وحده في دار السعادة ، فدخلوا عليه وكشفوا أمره وأُحصروا ، وَخَشَوْا أن يكونَ اعتراه سكتةٌ ، ويقال إنه شفي فالله أعلم ، فانتظروا به إلى الغد احتياطاً ، فلما أصبح الناس اجتمعوا للصّلاة عليه فصُلّيَ عليه خارجَ باب النصر حيث يصلى على الجنائز ، وذهبوا به إلى نحو القبلة ، ورام بعض أهله أن يدفن في تربة غِبْريال إلى جانب جامع القُبَيْبَات ، فلم يمكن ذلك ، فدفن قبلي الجامع على حافة الطريق ، ولم يتهيأ دفنه إلا إلى بعد الظهر من يومئذ ، وعملوا عنده ختمة ليلةَ الجُمعة رحمه الله وسامحه .

واشتُهر في أوائل هذا الشهر أن الحصار عمَّال على الكَرَك ، وأنَّ أهل الكَرَك خرجت طائفة منهم فقُتل منهم خلقٌ كثير ، وقُتل من الجيش واحد في الحصار ، فنزل القاضي وجماعةٌ ومعهم شيء من الجَوْهر ، وتراضَوْا على أن يسلِّموا البلد ، فلمَّا أصبح أهلُ الحِصْن تحصَّنوا ونصَبُوا المجانيق ، واستعدُّوا ، فلما كان بعد أيَّام رَمَوْا منجنيق الجيش فكسروا السَّهم الذي له ، وعجزوا عن نقله فحرَّقوه برأي أمراء المقدمين ، وجرت أمورٌ فظيعة ، فالله يحسن العاقبة .

ثم وقعت في أواخر هذا الشهر بين الجيش وأهل الكَرَك وقعة أخرى ، وذلك أن جماعة من رجال الكَرَك خرجوا إلى الجيش ورَمَوْهم بالنُّشَّاب فخرج الجيش لهم من الخيام ورجعوا مشاة ملبسين بالسلاح فقتلوا من أهل الكرك جماعةً من النصارى وغيرهم ، وجُرح من العسكر خلق ، وقتل واحدٌ أو اثنان ، وأُسر الأمير سيف الدين أبو بكر بن بَهَادُرآص[٤] ، وقُتل أَميرُ العرب[٥] ، وأُسر آخرون فاعتقلوا

---

(١) في ط : حاكمها وهو تحريف .
(٢) الدرر الكامنة (٣/ ٦٨) .
(٣) الذيل ص (٢٣١) الدرر الكامنة (١/ ٤٢٦) النجوم الزاهرة (١٠/ ٩٩) .
(٤) أمير طبلخاناه ، تقي الدين ، أحد أبناء بهادر آص الذكور الخمسة الذين خلَّفهم . الدارس (٢/ ٢٢٩) .
(٥) هو سليمان بن مُهَنّا بن عيسى بن مُهَنّا . النجوم الزاهرة (١٠/ ١٠٣) .

بالكَرَك ، وجرت أمور منكرة ، ثم بعدها تعرَّض العسكر راجعين إلى بلادهم لم ينالوا مرادهم منها ، وذلك أنهم دقهم البرد الشديد وقلة الزاد ، وحاصروا أولئك شديداً بلا فائدة ، فإن البلد يُريد[(١)] [مُدَداً][(٢)] متطاولة ومجانيق ، ويشقُّ على الجيش الإقامة هناك في كوانين ، والمنجنيق الذي حملوه معهم كُسر ، فرجعوا ليتأهَّبوا لذلك .

ولما كان في يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه قدم من الديار المصرية على البريد القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتباً على السر عوضاً عن أخيه القاضي شهاب الدين ، ومعه كتاب الاحتياط على حواصل أخيه شهاب الدين[(٣)] ، وعلى حواصل القاضي عماد الدين بن الشيرازي المحتسب ، فاحتيط على أموالهما ، وأُخرج من في ديارهما من الحُرَم ، وضُربت الأخشاب على الأبواب ، ورسم على المحتسب بالعَذْراوية ، فسأل أن يحول إلى دار الحديث الأشرفية فحُوِّل إليها . وأما القاضي شهاب الدين ، فكان قد خرج ليلتقي الأمير سيف الدين طَقْزدَمُر[(٤)] الحموي ، الذي جاء تقليده بنيابة الشام بدمشقَ وكان بحلب ، وجاء هذا الأمر وهو في أثناء الطريق ، فرسم برجعته ليصادر هو والمحتسب ، ولم يدر الناس ما ذنبهما .

وفي يوم الأحد ثامن شهر رجب آخر النَّهار رجع قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي إلى دمشق على القضاء ، ومعه تقليد بالخطابة أيضاً ، وذهب الناس إليه للسلام عليه[(٥)] .

ودخل نائب السلطنة الأمير سيف الدين طقُزْدمُر الحموي بعد العصر الخامس عشر منه حلب ، فتلقاه الأمراء إلى طريق القابون ، ودعا له الناس دعاءً كثيراً ، وأحبُّوه لبغضهم النائب الذي كان قبله ، وهو علاء الدين أَيْدغْمُش سامحه الله تعالى ، فنزل بدار السعادة وحضر الموكب صبيحة يوم الإثنين ، واجتمع طائفة من العامة ، وسألوه أن لا يغيِّر عليهم خطيبهم تاج الدين عبد الرحيم بن جلال الدين ، فلم يلتفت إليهم ، بل عمل على تقليد القاضي تقي الدين السُّبكي الخطابة ولبس الخلعة، وأكثر العوام لما سمعوا بذلك الغوغاء، وصاروا يجتمعون حلقاً حلقاً بعد الصلوات ويكثرون الفرحة في ذلك، لما منع ابن الجلال، ولكن بقي هذا لم يباشر السُّبكي في المحراب ، واشتهر عن العوام كلام كثير ، وتوعَّدوا السُّبكي بالسَّفاهة عليه إنْ خطب ، وضاق بذلك ذَرْعاً ، ونُهُوا عن ذلك فلم ينتهوا ، وقيل لهم ولكثير منهم : الواجب عليكم السمع والطاعة لأولي الأمر ، ولو أُمِّر عليكم عبدٌ حبشي . فلم يرعَوُوا ، فلما كان يوم الجمعة العشرين منه اشتهر بين العامة بأن القاضي نزل عن الخطابة لابن الجلال ، ففرح العوام بذلك وحشدوا في الجامع،

---

(١) في ط : بريد وهو غلط .
(٢) زيادة يقتضيها السّياق .
(٣) الدرر الكامنة (١/ ٣٣٣) .
(٤) في ط : تغردمر وهو تحريف وأثبتنا ما في النجوم (١٠/ ٨٢) .
(٥) الدرر (٣/ ٩٤) .

وجاء نائب السلطنة إلى المقصورة والأمراء معه ، وخطب ابن الجلال على العادة ، وفرح الناس بذلك ، وأكثروا من الكلام والهرج ، ولمَّا سلَّم عليهم الخطيب حين صعد ردُّوا عليه رداً بليغاً ، وتكلّفوا في ذلك وأظهروا بُغضةَ القاضي السُّبكي ، وتجاهروا بذلك ، وأسمعوه كلاماً كثيراً ، ولما قُضيت الصَّلاة قرئ تقليد النيابة على السدة ، وخرج الناس فرحين بخطيبهم ، لكونه استمرَّ عليهم ، واجتمعوا عليه يسلِّمون ويدعون له[١] .

وفي يوم الأربعاء ثالث شعبان درَّس القاضي برهان الدين بن عبد الحق[٢] بالمدرسة العذراوية بمرسوم سلطاني بتوليته وعزل القَحْفَازي[٣] ، وعقد لهما مجلس يوم الثلاثاء بدار العدل ، فرجح جانب القاضي برهان الدين لحاجته وكونه لا وظيفة له .

وفي يوم الجمعة خامسه توفي الشَّيخ الصالح شهاب الدين أحمد[٤] بن [علي بن الحسن بن داود] الجَزَري أحد المُسْنِدين المكثرين الصَّالحين ، مات عن خمس وتسعين سنة رحمه الله ، وصُلِّي عليه يوم الجمعة بالجامع المظفَّري ودُفن بالرّواحية .

وفي يوم الأربعاء السابع عشر منه توفي الشيخ الإمام العالم العابد الناسك الصالح الشيخ شمس الدين محمد[٥] بن [عبد الأحد بن يوسف الآمدي المعروف بابن] الوزير[٦] خطيب الجامع الكريمي بالقُبيبات ، وصُلِّيَ عليه بعد الظهر يومئذ بالجامع المذكور ، ودُفن قبلي الجامع المذكور ، إلى جانب الطريق من الشرق رحمه الله .

واشتهر في أوائل رمضان أن مولوداً ولد له رأسان وأربع أيد ، وأُحضر إلى بين يدي نائب السلطنة ، وذهب الناس للنَّظر إليه في محلَّةٍ ظاهـرَ باب الفراديس ، يقال لها : حكر الوزير[٧] ، وكنت فيمن ذهب إليه في جماعة من الفقهاء يوم الخميس ثالث الشهر المذكور بعد العصـر ، فأحضره أبوه ـ واسم أبيه سعادة ـ وهو رجل من أهل الجبل ، فنظرت إليه فإذا هما ولدان مستقلان قد اشتبكت أفخاذُهما بعضهما ببعض ، وركب كل واحد منهما ودخل في الآخر والتحمت فصارت جثة واحدة وهما

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٣٦١) والدارس (١/ ١٣٥) .

(٢) هو : إبراهيم بن علي بن أحمد ، الآتية ترجمته في وفيات السنة الآتية .

(٣) في ط : القفجاري ، وهو تصحيف .

(٤) ترجمته في : الذيل ص (٢٣٢) والوفيات لابن رافع (١/ ٤٣٣) والدرر الكامنة (١/ ٢٠٧) والدارس (١/ ٤٠) وفيها : أبو العباس ، والزيادة منها .

(٥) ترجمته في الذيل ص (٢٣٤) والدرر الكامنة (٣/ ٤٨٩) والدارس (٢/ ٤١٨) .
والزّيادة من الدرر .

(٦) في ط : الزرير وهو تحريف .

(٧) في ط : حكي الوزير وهو تحريف .

ميتان[١] ، فقالوا : أحدهما ذكر والآخر أنثى ، وهما ميتان حال رؤيتي إليهما . وقالوا : إنه تأخر موت أحدهما عن الآخر بيومين أو نحوهما ، وكتب بذلك محضر جماعة من الشهود .

وفي هذا اليوم احتيط على أربعة من الأمراء وهم أبناء الكامل[٢] صلاح الدين محمد ، أمير طبلخاناة ، وغياث الدين محمد أمير عشرة ، وعلاء الدين علي ، وابن أَيْبَك الطويل طبلخاناة أيضاً ، وصلاح الدين خليل بن بَلبان طرنا طبلخاناة أيضاً . وذلك بسبب أنهم اتُّهموا على ممالأة الملك أحمد بن الناصر الذي في الكَرَك ، ومكاتبته ، والله أعلم بحالهم ، فقيّدوا وحملوا إلى القلعة المنصورة من باب السرّ[٣] مقابل باب دار السعادة الثلاث الطبلخانات والغياث من بابها الكبير وفرق بينهم في الأماكن .

وخرج المحمل يوم الخميس خامس عشره ولبس الخطيب ابن الجلال خلعة استقرار الخطابة في هذا اليوم ، وركب بها مع القضاة على عادة الخطباء .

وفي هذا الشهر نُصب المنجنيق الكبير على باب الميدان الأَخْضر وطول أكتافه ثمانيةَ عشرَ ذراعاً ، وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعاً ، وخرج النَّاس للفُرجة عليه ، ورمى به في يوم السبت حجراً زنته ستين رطلاً ، فبلغ إلى مقابلة القصر من الميدان الكبير ، وذكر معلِّم المجانيق أنه ليس في حصون الإسلام مثله ، وأنه عمله الحاج محمد الصالحي ليكون بالكَرَك ، فقدَّر الله أنه خرج ليحاصر به الكرك ، فالله يحسن العاقبة .

وفي أواخره أيضاً مُسك أربعة أمراء ، وهم آقْبُغَا عبد الواحد الذي كان مباشراً الاستدارية للملك الناصر الكبير ، فصُودر في أيّام ابنه المنصور ، وأُخرج إلى الشام فناب بحمصَ فسار سيرةً غيرَ مرضية . وذمَّه الناس وعُزل عنها وأُعطي تقْدمةَ ألف بدمشق ، وجُعل رأس الميمنة ، فلما كان في هذه الأيام اتّهم بممالأة السلطان أحمد بن الناصر الذي بالكَرَك ، فمسك وحمل إلى القلعة ومعه الأمير سيف الدين بلك[٤] ، والأمير سيف الدين سَلَامُشْ ، وكلهم بطبلخانات فرُفعوا إلى القلعة المنصورة ، فالله يحسن العاقبة .

وفي هذا الشهر خرج قضاء حمص عن نيابة دمشق بمرسوم سلطاني مجدد للقاضي شهاب الدين البارزي ، وذلك بعد مناقشة كثيرة وقعت بينه وبين قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي ، وانتصر له بعض الدولة ، واستخرج له المرسوم المذكور .

---

(١) الذيل ص (٢٣٢) للحسيني وفيه : فحكىٰ لي شيخنا عماد الدين بن كثير .
(٢) هو سُنْقُر الأشقر الصالحي النجمي نائب دمشق . تلقب بالملك الكامل وأخذ البيعة للسلطنة في قلعة دمشق سنة (٦٧٨)هـ . الدليل الشافي (١/ ٣٢٧) .
(٣) في ط : اليسر .
(٤) في ط : بلو . وأثبتنا ما في النجوم الزاهرة (٩/ ٨٦) والدليل الشافي (١/ ١٩٩) .

وفيه أيضاً أُفرد قضاء القدس الشريف أيضاً باسم القاضي شمس الدين بن سالم الذي كان مباشرها مدة طويلة قبل ذلك نيابة ، ثم عزل عنها وبقي مقيماً ببلده غزة ، ثم أُعيد إليها مستقلاً بها في هذا الوقت .

وفي هذا الشهر رجع القاضي شهاب الدين بن فضل الله من الديار المصرية ومعه توقيع بالمرتَّب الذي كان له أول كل شهر ألف درهم[١] ، وأقام بعمارته التي أنشأها بسفح قاسيون شرقيَّ الصّالحية بقرب حمّام النحاس .

وفي صبيحة مستهلّ ذي القعدة خرج المنجنيق قاصداً إلى الكَرَك على الجمال والعَجَل[٢] ، وصحبته الأمير صارم الدين إبراهيم اليوسفي[٣] ، أمير حاجب ، كان في الدولة التنكِزية[٤] ، وهو المقدَّم عليه يحوطه ويحفظه ويتولّى تسييره بطلبه وأصحابه .

وتجهز الجيش للذهاب إلى الكَرَك ، وتأهبوا أتمَّ الجهاز ، وبرزت أثقالهم إلى ظاهر البلد وضُربت الخيام فالله يحسن العاقبة .

وفي يوم الإثنين رابعه توفي الطواشيُّ شِبْل الدولة كافور[٥] التَّنكِزي[٦] ، ودفن صبيحة يوم الثلاثاء خامسه في تربته التي أنشأها قديماً ظاهر باب الجابية تجاه تربة الطَّواشي ظهير الدّين الخازن[٧] بالقلعة ، كان قبيل مسجد الذُّبّان رحمه الله .

وكان قديماً للصّاحب تقي الدين تَوْبة التكريتي[٨] ، ثم اشتراه تَنْكِز بعد مدة طويلة من ابني أخيه صلاح الدين وشرف الدين بمبلغ جيد وعوّضهما إقطاعاً بزيادة على ما كان بأيديهما ، وذلك رغبةً في أمواله التي حصَّلها من أبواب السلطنة ، وقد تعصَّب عليه أستاذه تَنْكز رحمه الله في وقت وصُودر وجرت عليه فصول ، ثم سَلِم بعد ذلك ، ولما مات ترك أموالاً جزيلة وأوقافاً رحمه الله .

وخرجت التجريدة يوم الأربعاء سادسه والمقدم عليها الأمير بدر الدين بن الخطير[٩] ومعه مقدم آخر وهو الأمير علاء الدين قَرَاسُنْقُر[١٠] .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٣٣) .
(٢) النجوم الزاهرة (١٠/ ٨٤) .
(٣) في ط : المسبقي وأثبتنا ما في الدارس (٢/ ٤٤٤) .
وهو : صارم الدين إبراهيم بن سيف الدين منجك اليوسفي الناصري .
(٤) في ط : « السُّكّرية » ولا معنى لها (بشار) .
(٥) لعلّه ممّن انفرد ابن كثير بذكره .
(٦) في ط : « السُّكّري » ، ولا معنى لها ، والصواب ما أثبتناه ، يدل عليه ما في الترجمة من قوله : « ثم اشتراه تنكز » .
(٧) مضى ذكره في وفيات سنة (٧١٦)هـ .
(٨) تَوبة بن علي بن مهاجر بن شجاع التكريتي . مات سنة (٦٩٨)هـ الدارس (٢/ ٢٣٧) .
(٩) هو : مسعود بن أوحد بن الخطير . تقدَّم ذكره .
(١٠) أُخرج من القاهرة بعد وفاة أبيه في بلاد التتر إلى دمشق أمير طبلخاناة . مات سنة (٧٤٨)هـ الدرر الكامنة (٣/ ٩٥) .

وفي يوم السبت سلخ هذا الشهر توفي الشَّاب الحسن شهاب الدين أَحمد[١] بن فَرَج المُؤَذِّن بمئذنة العروس ، وكان شهيراً بحسن الصوت ذا حظوة عظيمة عند أهل البلد ، وكان رحمه الله كما في النفس وزيادة في حسن الصوت الرخيم المطرب ، وليس في القُرَّاء ولا في المؤذنين قريب منه ولا من يدانيه في وقته ، وكان في آخر وقته على طريقة حسنة ، وعمل صالح ، وانقطاع عن الناس ، وإقبال على شأن نفسه فرحمه الله ، وأكرم مثواه ، وصُلِّيَ عليه بعد الظهر يومئذ ودفن عند أخيه بمقبرة الصُّوفية .

وفي يوم الخميس خامس ذي الحجة توفي الشيخ بدر الدين أحمد بن بَصْخَان[٢] شيخ القرَّاء السَّبْعة في البلد ، الشهير بذلك ، وصُلِّي عليه بالجامع بعد الظهر يومئذ ، ودفن بباب الفراديس رحمه الله .

وفي يوم الأحد تاسعه وهو يوم عرفة حضر الإقراء بتربة أمّ الصَّالح عوضاً عن الشيخ بدر الدين بن بَصْخَان القاضي شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكي[٣] ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء ، وبعض القضاة ، وكان حضوره بغتة ، وكان متمرِّضاً ، فألقى شيئاً من القراءات والإعراب عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ ﴾ [آل عمران : ١٧٨] .

وفي أواخر هذا الشهر غلا السعر جداً وقلَّ الخبز ، وازدحم الناس على الأفران زحمة عظيمة ، وبيع خبز الشعير المخلوط بالزيوان والنَّقَاوة[٤] ، وبلغت الغرارة بمئة وستة وثمانين درهماً ، وتقلّص السعر جداً حتى بيع الخبز كل رطل بدرهم ، وفوق ذلك بيسير ، ودونه بحسب طيبه ورداءته ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكثر السؤال وجاع العيال ، وضعف كثير من الأسباب والأحوال ، ولكنَّ لطف الله عظيم فإن الناس مترقِّبون مغلًّا هائلاً لم يسمع بمثله من مدة سنين عديدة ، وقد اقترب أوانه ، وشرع كثير من البلاد في حصاد الشعير وبعض القمح مع كثرة الفول وبوادر التُّوت ، فلولا ذلك لكان غير ذلك ، ولكن لطف الله بعباده ، وهو الحاكم المتصرّف الفعّال لما يريد لا إله إلا هو .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر عماد الدُّنيا والدّين إسماعيل بن الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي .

---

(١) لم أقع على ترجمة له .
(٢) في ط : نصحان وهو تحريف . وأثبتنا ما في مصادر ترجمته .
ترجمته في الذيل ص (٢٣٥) والوفيات لابن رافع (١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠) والدرر الكامنة (٣/ ٣٠٩) وغاية النهاية (٢/ ٥٧) وفيه : بضحان ، مصحف .
وهو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بَصْخَان .
(٣) مات سنة (٧٦٤)هـ . ترجمته في غاية النهاية (١/ ٤١ و٧٣) والدرر الكامنة (١/ ١١٥) والدارس (١/ ٣٢٤) .
(٤) في ط : النقارة بالراء وهو تحريف .

ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين آقْسُنْقر السَّلَّاري[(١)] . وقضاته هم المتقدِّم ذِكرهم في العام الماضي .

ونائبه بدمشق الأمير سيف الدين طُقُزدَمُر الحموي ، وقضاته هم المتقدم ذكرهم ، وكذلك الصاحب والخطيب وناظر الجامع والخزانة . ومشد الأوقاف وولاية المدينة .

استهلّت والجيوش المصرية والشّامية محيطةٌ بحصن الكَرَك محاصرون ويبالغون في أمره ، والمنجنيق منصوب وأنواع آلات الحصار كثيرة ، وقد رسم بتجريدة من مصر والشام أيضاً تخرج إليها .

وفي يوم الخميس عاشر صفر دخلت التجريدة من الكَرَك إلى دمشق واستمرت التجريدة الجديدة على الكَرَك ألفان من مصر وألفان من الشام ، والمنجنيق منقوض موضوع عند الجيش خارج الكرك ، والأمور متوقِّفة ، وبرد[(٢)] الحصار بعد رجوع الأحمديّ إلى مصرَ .

وفي يوم السبت ثاني ربيع الأول توفي السيّد الشّريف عماد الدين الخَشَّاب[(٣)] بالكوشك في درب الشّيْرَجي[(٤)] جوار المدرسة العزِّية ، وصُلِّيَ عليه ضحىً بالجامع الأموي ، ودُفن بمقابر باب الصغير ، وكان رجلاً شهماً كثير العبادة والمحبّة للسُّنَّة وأهلها ، ممَّن واظب [على][(٥)] الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وانتفع به ، وكان من جملة أنصاره وأعوانه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو الذي بعثه إلى صيدنايا[(٦)] مع بعض القسيسين ، فلوّث يده بالعُذْرة وضرب اللحمة التي يعظّمونها هنالك ، وأهانها غاية الإهانة لقوة إيمانه وشجاعته رحمه الله وإيانا .

وفي يوم الخميس سابعه اجتمع الصاحب ومشد الدواوين ووكيل بيت المال، ومشد الأوقاف ومباشرو الجامع ومعهم العمَّال بالفؤوس[(٧)] والمعاول ، يحفرون إلى جانب السارية عند باب مشهد علي تحت تلك الصخرة التي كانت هناك ، وذلك عن قول رجل جاهل ، زعم أنّ هناك مالاً مدفوناً ، فشاوروا نائب السَّلطنة فأمرهم بالحفر، واجتمع الناس والعامَّةُ، فأمرهم فأُخرجوا وأُغلقت أبواب الجامع كلها ليتمكَّنُوا من الحفر، ثم حفروا ثانياً وثالثاً فلم يجدوا شيئاً إلا التراب المحض ، واشتهر هذا الحفير في البلد وقصده

---

(١) النجوم (١٠/ ٨٦) وفيه : مسك في هذه السنة في العاشر من المحرّم .

(٢) « بَرَد » : فتَر .

(٣) ترجمته في الوفيات لابن رافع (١/ ٤٥٠) . وفيه : الشيخ الصالح العابد عماد الدين إسماعيل بن ناهض بن أبي الوحش بن حاتم الحسيني الدمشقي .

(٤) في ط : السيرجي بالسين وهو خطأ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) قرية مشهورة شمال غرب دمشق تبعد عنها حوالي ٢٨ كم .

(٧) في ط : العمالين بالفول وهو تحريف .

الناس للنَّظر إليه والتعجُّب من أمره ، وانفصل الحال على أن حُبس هذا الزاعم لهذا المحال ، وطُمَّ الحفير كما كان .

وفي يوم الإثنين ثامنَ عشرَ ربيع الأول قدم قاضي حلب ناصر الدين بن الخشاب(١) على البريد مجتازاً إلى دمشق فنزل بالعادلية الكبيرة .

وأخبر أنه صلَّى على المحدِّث البارع الفاضل الحافظ شمس الدين محمد(٢) بن علي بن أَيْبك السَّرُوجي المصْري يوم الجمعة ثامن هذا الشهر بحلب رحمه الله ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة ، وكان قد أتقن طرفاً جيداً في علم الحديث ، وحفظ أسماء الرجال ، وجمعَ وخرَّج .

وفي مستهلّ ربيع الآخر وقع حريق عظيم بسفح قاسيون احترق به سوق الصالحية الذي بالقرب من جامع المظفَّري ، وكانت جملة الدكاكين التي احترقت قريباً من مئة وعشرين دكاناً ، ولم يُرَ حريق من زمان أكبر منه ولا أعظم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون(٣) .

وفي يوم الجمعة سادسه رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مآذن البلد كما يذكر في مآذن الجامع ففعل ذلك .

وفي يوم الثلاثاء عاشره طلب من القاضي تقي الدين السُّبكي قاضي قضاة الشافعية أن يقرض ديوان السلطان شيئاً من أموال الغُيَّاب التي تحت يده ، فامتنع من ذلك امتناعاً كثيراً ، فجاء شاد الدواوين وبعض حاشية نائب السلطنة ، ففتحوا مخزن الأيتام وأخذوا منه خمسين ألف درهم قهراً ، ودفعوها إلى بعض العرب عما كان تأخر له في الديوان السلطاني ، ووقع أمر كثير لم يُعهد مثله .

وفي يوم الأربعاء عاشر جُمادى الأولى توفي صاحبُنا الشيخ الإمام العالم العلامة الناقد البارع في فنون العلوم شمس الدين محمَّد(٤) بن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ، مرض قريباً من ثلاثة أشهر بقرحة وحُمَّى سل ، ثم تفاقم أمره وأفرط به إسهال ، وتزايد ضَعفه إلى أن توفي يومئذ قبل أذان العصر ، فأخبرني والده أن آخر كلامه أن قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، اللهمَّ اجعلني من التَّوابين واجعلني من المتطهرين .

---

(١) الدارس (١/ ٥٥٢) .

(٢) ترجمته في : الذيل ص (٢٣٨) والوفيات لابن رافع (١/ ٤٥١) والنجوم الزاهرة (١٠/ ١٠٨) وشذرات الذهب (٦/ ١٤١) ، وهو منسوب إلى سَرُوج مدينة بنواحي حران .

(٣) الذيل ص(٢٣٦) .

(٤) ترجمته في الذيل ص(٢٣٨) والوفيات لابن رافع (١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) والدرر الكامنة (٣/ ٣٣١) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٣٦) والشذرات (٦/ ١٤١) .

فصُلِّي عليه يوم الخميس بالجامع المظفريّ وحضر جنازته قضاة البلد وأعيان الناس من العلماء والأمراء والتجار والعامة ، وكانت جنازته حافلة مليحة ، عليها ضوء ونور ، ودفن بالروضة إلى جانب قبر السيف بن المجد رحمهما الله تعالى ، وكان مولده في رجب سنة خمس وسبعمئة[(١)] فلم يبلغ الأربعين ، وحصَّل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار ، وتفنَّن في الحديث والنَّحو والتَّصريف والفقه والتفسير والأصلين والتاريخ والقراءات وله مجاميع وتعاليق مفيدة كثيرة ، وكان حافظاً جيداً لأسماء الرجال ، وطرق الحديث ، عارفاً بالجرح والتعديل، بصيراً بعلل الحديث، حسن الفهم له، جيد المذاكرة، صحيح الذهن ، مستقيماً على طريقة السلف ، واتباع الكتاب والسنة ، مثابراً على فعل الخيرات .

وفي يوم الثلاثاء سلخه درَّس بمحراب الحنابلة صاحبُنا الشيخ الإمام العلامة شرف الدين بن القاضي شرف الدين الحنبلي[(٢)] في حلقة الثلاثاء عوضاً عن القاضي تقي الدين بن الحافظ رحمه الله ، وحضر عنده القضاة والفضلاء ، وكان درساً حسناً ، أخذ في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠].

وخرج إلى مسألة تفضيل بعض الأولاد .

وفي يوم الخميس ثاني شهر جمادى الأولى خرجت التَّجريدة إلى الكَرَك [وعليها][(٣)] مقدَّمان من الأمراء ، وهما الأمير شهاب الدين بن صُبْح ، والأمير سيف الدين قَلاوُون ، في أُبَّهة عظيمة وتجمُّل وجيوش وبقارات وإزعاج كثيرة .

وفي صبيحة يوم الإثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن بن[(٤)] الشيخ السَّكَاكيني على ما ظهر منه من الرَّفض الدال على الكفر المحض ، شُهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدل على كفره ، وأنَّه رافضي جَلْدٌ ، فمن ذلك تكفير الشيخين رضي الله عنهما ، وقذفه أمّي المؤمنين عائشةَ وحَفْصَة رضي الله عنهما ، وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد ، وإنما كان مرسَلاً إلى علي ، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة قبَّحه الله ، وقد فعل .

وكان والده الشيخ محمد السكاكيني[(٥)] يعرف مذهب الرافضة والشيعة جيداً ، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الخير ، ونظم في ذلك قصيدة أجابه فيها شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه

---

(١) في ذيل طبقات الحنابلة والشذرات مولده سنة (٧٠٤)هـ .

(٢) هو : أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الحنبلي . مات سنة (٧٧١)هـ الدرر الكامنة (١/ ١٢١) والدارس (٢/ ١٠٢) .

(٣) زيادة يقتضيها السّياق .

(٤) ترجمته في : الدرر الكامنة (٢/ ٣٤) والشذرات (٦/ ١٤٠) وفيهما : حسن بن الشيخ محمد أبي بكر السّكاكيني .

(٥) سبق ذكره في وفيات سنة (٧٢١)هـ .

الله ، وذكر غير واحد من أصحاب الشيخ أن السكاكيني ما مات حتى رجع عن مذهبه ، وصار إلى قول أهل السنة فالله أعلم . وأُخبرت أنَّ ولده حسناً هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لما أظهر السنة .

وفي ليلة الإثنين خامس شهر رجب وصلَ بَدَنُ الأمير سيف الدين تَنكِز نائب الشام إلى تربته التي إلى جانب جامعه الذي أنشأه ظاهر باب النَّصر بدمشقَ ، نُقل من الإسكندرية بعد ثلاث سنين ونصف أو أكثر ، بشفاعة ابنته زوجة الناصر عند ولده السُّلطان الملك الصالح ، فأذن في ذلك وأرادوا أن يُدفن بمدرسته بالقدس الشريف ، فلم يمكن ، فجيء به إلى تربته بدمشق وعُملت له الختم وحضر القضاة والأعيان ، رحمه الله(١) .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر شعبان المبارك توفي صاحبنا الأمير صلاح الدين يوسف التَّكريتي(٢) ابن أخي الصاحب تقي الدين(٣) توبة الوزير ، بمنزله بالقصاعين ، وكان شاباً من أبناء الأربعين ، ذا ذكاء وفطنة وكلام ، وبصيرة جيدة ، وكان كثير المحبة إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، ولأصحابه خصوصاً ، ولكل من يراه من أهل العلم عموماً ، وكان فيه إيثار وإحسان ومحبة الفقراء والصالحين ، ودفن بتربتهم(٤) بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي يوم السبت الخامس عشر منه جاءت زلزلة بدمشقَ لم يشعر بها كثير من الناس لخفَّتها ولله الحمد والمنة ، ثم تواترت الأخبار بأنها شعَّثتْ في بلاد حلب شيئاً كثيراً من العمران حتى سقط بعض الأبراج بقلعة حلب ، وكثير من دورها ومساجدها ومشاهدها وجدرانها ، وأما في القلاع حولها فكثير جداً ، وذكروا أن مدينة مَنْبج لم يبق منها إلا القليل ، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الرَّدم رحمهم الله(٥) .

وفي أواخر شهر شوال خرجت التجاريد إلى الكَرَك وهما أميران مقدَّمان الأمير علاء الدين قَراسُنْقُر ، والأمير الحاج بَيْدَمُر ، واشتهر في هذه الأيام أنَّ أمرَ الكَرَك قد ضعف وتفاقم عليهم الأمر وضاقت الأرزاق عندهم جداً ، ونزل منها جماعات من رؤسائها وخاصكية الأمير أحمد بن الناصر مخامرين عليه ، فَسُيِّروا من الصُّبْح إلى قلاوون وصحبتهم مقدَّمون من الحلقة إلى الديار المصرية ، وأخبروا أنَّ الحواصل عند أحمدَ قد قلَّت جداً فالله المسؤول أن يُحسن العاقبة .

وفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة توفي القاضي الإمام العلامة برهان الدين(٦) بن

---

(١) الذيل ص (٢٣٥) وفوات الوفيات (١/ ٢٥٨) وفيه شعر طريف للصلاح الصفدي بهذه المناسبة .
(٢) لعلّه ممّن انفرد ابن كثير بذكره .
(٣) في ط : ابن توبة ، وهو غلط . وهو : توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع التكريتي . مرّ ذكره عما قريب .
(٤) التربة التكريتية ، بسوق الصالحية بسفح قاسيون . الدارس (٢/ ٢٣٧) .
(٥) الذيل ص (٢٣٥) وإعلام النبلاء (٢/ ٤٠٧) .
(٦) ترجمته في : الذيل ص (٢٣٧) والوفيات لابن رافع (١/ ٤٧٨) والدرر الكامنة (١/ ٤٦) والنجوم الزاهرة (١٠/ ١٠٤) . وهو : برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن يوسف الحنفي سبط ابن عبد الحق .

عبد الحق شيخ الحنفية وقاضي القضاة بالديار المصرية مدَّة طويلة ، بعد ابن الحريري ، ثم عُزل وأَقام بدمشقَ ودرَّس في أيام طُقُزْدَمُر بالعذراوية لولده القاضي أمين الدين ، فذكر بها الدَّرس يوم الأحد قبل وفاة والده بثلاثة أيام ، وكان موت برهان الدين رحمه الله ببستانه من أراضي الأَرْزة بطريق الصالحية ، ودُفن من الغد بسفح قاسيون بمقبرة الشيخ أبي عمر رحمه الله ، وصُلِّيَ عليه بالجامع المظفري ، وحضر جنازته القضاة والأعيان والأكابر رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمئة

استهلَّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والديار الشامية وما يتعلق بذلك الملك الصالح إسماعيل(١) بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون .

وقضاته بالديار المصرية والشامية هم المذكورون في السنة المتقدمة ، ونائبه بمصر الحاج سيف الدين(٢) ووزيره المتقدم ذكره ، وناظر الخاص القاضي مكين الدين ، وناظر الجيوش القاضي علم الدين بن القطب ، والمحتسب المتقدّم ، وشاد الدواوين علم الدين الناصري ، وشاد الأوقاف الأمير حسام الدين النَّجيبي ، ووكيل بيت المال القاضي علاءالدين شرنوخ ، وناظر الخزانة القاضي تقي الدين بن أبي الطيب ، وبقية المباشرين والنظَّار هم المتقدم ذكرهم ، وكاتب الدست القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر ، والقاضي أمين الدين بن القلانسي والقاضي شهاب الدين بن القيسراني ، والقاضي شرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب محمود ، والقاضي علاء الدين شرنوخ .

شهر المحرم أوله السبت استهل والحصار واقع بقلعة الكَرَك ، وأما البلد فقد(٣) استنيب فيه الأمير سيف الدين قُبْلاي(٤) قدم إليها من الديار المصرية ، والتجاريد من الديار المصرية ومن دمشق محيطون بالقلعة ، والناصر أحمد بن الناصر ممتنع من التسليم ، ومن الإجابة إلى الإنابة . ومن الدخول في طاعة أخيه ، وقد تفاقمت الأمور وطالت الحروب ، وقُتل خلق كثير بسبب ذلك ، من الجيوش ومن أهل الكَرَك ، وقد توجَّهت القضية إلى خير إن شاء الله(٥) .

---

(١) في ط : ابن إسماعيل وهو توهم .

(٢) سيف الدين آل مَلَك .

(٣) في ط : فأخذوا .

(٤) في ط : قبلية وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٣) والذيل التام على تاريخ دول الإسلام للسخاوي (١/ ١٤٦) وفيه : قُبلاي الناصري ، ذكره في وفيات سنة (٧٥٦)هـ .

(٥) النجوم الزاهرة (١٠/ ٩١) وفيه : وهي التجريدة الثامنة .

وقبل ذلك بأيام يسيرة هرب من قلعة الكَرَك الأمير سيف الدين[١] أبو بكر بن بَهَادُر آص الذي كان أسر في أوائل حصار الكَرَك ، وجماعة من مماليك الناصر أحمد ، كان اتَّهمهم بقتل الشُّهَيْب أحمد ، الذي كان يعتني به ويحبُّه ، واستبشر الجيوش بنزول أبي بكر من عنده وسلامته من يده ، وجُهِّز إلى الديار المصرية معظَّماً ، هذا والمجانيق الثلاثة مُسلَّطة على القلعة من البلد تضرب عليها ليلاً ونهاراً ، وتدمِّر في بنائها من داخل ، فإنَّ سورها لا يؤثر فيه شيء بالكليّة ، ثم ذُكر أنّ الحصار فتر ولكن مع الاحتياط على أن لا يدخل إلى القلعة ميرةٌ ولا شيء مما يستعينون به على المقام فيها ، فالله المسؤول أن يحسن العاقبة .

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من صفر قدم البريد مسرعاً من الكَرَك ، فأخبر بفتح القلعة ، وأن بابها أُحرق ، وأن جماعة الأمير أحمد بن الناصر استغاثوا بالأمان ، وخرج أحمد مُقيّداً وسُيِّر على البريد إلى الديار المصرية ، وذلك يوم الإثنين بعد الظهر الثالث والعشرين من هذا الشهر[٢] ، ولله عاقبة الأمور .

وفي صبيحة يوم الجمعة رابع ربيع الأول دقت البشائر بالقلعة ، وزُيّنت البلد عن مرسوم السلطان الملك الصالح سُروراً بفتح البلد ، واجتماع الكلمة عليه ، واستمرَّت الزينة إلى يوم الإثنين سابعه ، فرُسم برفعها بعد الظهر ، فتشوش كثير من العوام ، وأرجف بعض الناس بأن أحمد قد ظهر أمره وبايعه الأمراء الذين هم عنده ، وليس لذلك حقيقة ، ودخلت الأطلاب من الكَرَك صبيحة يوم الأحد ثالثَ عشرَ ربيع الأول بالطبلخانات والجيوش .

واشتهر إعدام أحمد بن الناصر[٣] .

وفي يوم الجمعة حادي عشر ربيع الأول صُلِّي بالجامع الأموي على الشيخ أثير[٤] الدين أبي حيّان النَّحوي ، شيخ البلاد المصرية من مدة طويلة ، وكانت وفاتُه بمصرَ عن تسعين سنة وخمسة أشهر[٥] .

ثم اشتهر في ربيع الآخر قَتْلُ السُّلطانِ أحمدَ ، وحَزُّ رأسه ، وقطعُ يديه ، ودَفْنُ جثتِهِ بالكَرَك ، وحَمْلُ رأسه إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل ، وحضر بين يديه في الرابع والعشرين من هذا الشهر . ففرح النَّاسُ بذلك .

---

(١) في الدارس (٢/ ٢٢٩) : تقي الدين .

(٢) النجوم الزاهرة (١٠/ ٩٢) .

(٣) ترجمته في الذيل ص(٢٤٢) والدرر الكامنة (١/ ٢٩٤) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٩٣) والذيل التام للسخاوي (١/ ٦٥) .

(٤) في ط : أمين الدين وهو تحريف . وهو : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النَّفزي .
ترجمته في الذيل ص(٢٤٣) والوفيات لابن رافع (١/ ٤٨٢) والدرر الكامنة (٤/ ٣٠٢) وفوات الوفيات (٤/ ٧١) وبغية الوعاة (١/ ٢٨٠) والذيل التام للسخاوي (١/ ٦٨ ـ ٧٠) .

(٥) في الثامن والعشرين من صفر .

ودخل الشيخ أحمد الزُّرَعي[(١)] على السلطان الملك الصالح فطلب منه أشياء كثيرة، من تبطيل المظالم ومكوسات وإطلاق طبلخانات للأمير ناصر الدين بن بكتاش ، وإطلاق أمراء محبوسين بقلعة دمشق وغير ذلك ، فأجابه إلى جميع ذلك ، وكان جملة المراسيم التي أجيب فيها بضعة وثلاثين مرسوماً .

فلما كان آخر شهر ربيع الآخر قدمت المراسيم التي سألها الشيخ أحمد من الملك الصالح ، فأُمضيت كلُّها ، أو كثير منها ، وأُفرج عن صلاح الدين بن الملك الكامل ، والأمير سيف الدين بُلُك[(٢)] في يوم الخميس سلخ هذا الشهر ، ثم روجع في كثير منها وتوقف حالها .

وفي هذا الشهر عُملت منارة خارج باب الفرج ، وفُتحت مدرسة كانت داراً قديمة ، فجعلت مدرسة للحنفية ومسجداً ، وعملت طَهَارة عامة ، ومصلًّى للناس ، وكل ذلك منسوب إلى الأمير سيف الدين طُقْتَمُر[(٣)] الخليلي أمير حاجب كان ، وهو الذي جدَّد الدَّار المعروفة به اليوم بالقصَّاعين .

وفي ليلة الإثنين عاشر جُمادى الآخرة توفي صاحبُنا المحدث تقي الدين محمد بن صدر الدين سليمان الجَعْبَري[(٤)] زوج بنت الشيخ جمال الدين المِزّي ، والد شرف الدين عبد الله ، وجمال الدين إبراهيم وغيرهم ، وكان فقيهاً بالمدارس ، وشاهداً تحت السَّاعات وغيرها ، وعنده فضيلة جيدة في قراءة الحديث وشيء من العربية ، وله نظمٌ مستحسن ، انقطع يومين وبعض الثالث وتوفي في الليلة المذكورة في وسط الليل ، وكنت عنده وقت العشاء الآخرة ليلتئذ ، وحدَّثني وضاحكني ، وكان خفيف الرُّوح رحمه الله ، ثم توفي في بقية ليلته رحمه الله ، وكان أشهدني عليه بالتوبة من جميع ما يُسْخط الله عز وجل ، وأنَّه عازم على ترك الشهود أيضاً رحمه الله ، صُلِّي عليه ظهر يوم الإثنين ، ودُفن بمقابر باب الصغير عند أبويه رحمهم الله .

وفي يوم الجمعة ثاني عشري شهر رجب خطب القاضي عماد الدين بن العز الحنفي بجامع تَنْكِز خارج باب النصر عن نزول الشيخ نجم الدين علي بن داود القَحْفَازي[(٥)] له عن ذلك ، وأيضاً نائب السلطنة الأمير سيف الدين طُقُزْدَمِر وحضوره عنده في الجامع المذكور يومئذ[(٦)] .

وفي يوم الجمعة تاسع عشري رجب توفي القاضي الإمام العالم جلال الدين أبو العباس أحمد بن[(٧)]

---

(١) هو : أحمد بن موسى الزُّرَعي الشيخ الصالح مات سنة (٧٦١)هـ الدرر الكامنة (١/ ٣٢٤) .

(٢) في ط : بلو وهو تحريف . وهو بلك الجمدار الناصري . الدليل الشافي (١/ ١٩٩) .

(٣) في ط : تقطم وهو تحريف . وهو طُقْتَمُر الخليلي صاحب المدرسة الخليليّة بدمشق . الذيل ص (٢٥١) . وسيأتي في وفيات سنة (٧٤٦)هـ .

(٤) ترجمته في الوفيات لابن رافع (١/ ٤٩٠) وفيه وفاته : ليلة الإثنين سادس عشر جمادى ، والدرر الكامنة (٣/ ٤٤٩) وفيه : محمد بن سليمان بن عبد الله بن سليمان الجعفري وفي الهامش الجعبري .

(٥) في ط : القفجاري وهو تحريف . وسيأتي عما قريب .

(٦) الدارس (١/ ٥٤٨) .

(٧) ترجمته في الذيل ص (٢٤٤) وفيه : أبو المفاخر ، والوفيات لابن رافع (١/ ٤٩٢) وفيه : أبو العباس ، والدرر=

قاضي القضاة حسام الدين الرومي الحنفي ، وصُلِّيَ عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد دمشق ، وحضره القضـاة والأعيان، ودفن بالمدرسة[١] التي أنشأها إلى جانب الزُّرْدَكَاش قريباً من الخاتونية الجوانية ، وكان قد وَلِيَ قضاء قضاة الحنفية في أيام ولاية أبيه الديار المصرية ، وكان مولده سنة إحدى وخمسين وستمئة ، وقدم الشام مع أبيه ، فأقاموا بها ، ثم لما وَلِيَ الملك المنصور لاجين ولَّىٰ أباه قضاء الديار المصرية ، وولده هذا قضاء الشام ، ثم إنه عزل بعد ذلك واستمرَّ على ثلاث مدارس من خيار مدارس الحنفية ثم حصل له صَمَمٌ في آخرعمره ، وكان ممتعاً بحواسه سواه وقواه ، وكان يذاكر في العلم وغير ذلك .

وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان توفّي الشيخ نجم الدين علي بن[٢] داود القَحْفازي[٣] خطيب جامع تَنْكِز ، ومدرِّس الظاهرية ، وقد نزل عنها قبل وفاته بقليل للقاضي عماد الدين بن العز الحنفي ، وصلِّيَ عليه بالجامع المذكور بعد صلاة الظهر يومئذ ، وعند باب النصر وعند جامع جراح ودفن بمقبرة ابن الشيرجي عند والده ، وحضره القضاة والأعيان ، وكان أستاذاً في النَّحو وله علوم أخر ، لكن كان نهايةً في النحو والتَّصريف .

وفي هذا اليوم توفي الشيخ الصالح العابد الناسك الشيخ عبد الله[٤] الضرير الزُّرَعي ، وصُلِّيَ عليه بعد الظهر بالجامع الأموي وبباب النصر وعند مقابر الصوفية ، ودفن بها قريباً من الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وكان كثير التلاوة حسنها وصحيحها ، كثير العبادة ، يُقرئُ الناس من دهر طويل ويقوم بهم العشر الأخير من رمضانَ ، في محراب الحنابلة بالجامع الأموي رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان المعظَّم توفي الشيخ الإمام العالم العامل العابد الزّاهد الورع أبو عمر [أحمد][٥] بن أبي الوليد المالكي إمام محراب الصَّحابة الذي للمالكية، وصُلِّيَ عليه بعد الصلاة، وحضر جنازته خلق كثير ، وجم غفير ، وتأسَّف النَّاسُ عليه وعلى صلاحه وفتاويه النافعة الكثيرة، ودفن إلى جانب قبر أبيه وأخيه ، إلى جانب قبر أبي الحجاج الفَنْدلاوي[٦] المالكي قريباً من مسجد

= الكامنة (١/ ١١٧) والفوائد البهية ص(١٦ ـ ١٧) والذيل التام للسخاوي (١/ ٧٠) وفيه : أبو المفاخر .

(١) هي المدرسة الجلالية . الذيل التام (١/ ٧١) وهي مدرسة للحنفية ذكرها النعيمي في الدارس (١/ ٥١٧) .

(٢) ترجمته في : الذيل ص (٢٤٥) والوفيات لابن رافع (١/ ٤٩٣) وفيه وفاته في رابع عشري رجب وفوات الوفيات (٣/ ٢٣) وفيه وفاته سنة (٧٤٤)هـ والذيل التام للسخاوي (١/ ٧١) وبغية الوعاة (٢/ ١٦٦) وفيه وفاته في رجب .

(٣) هذه النسبة وردت في الذيل بفتح القاف ، وفي الوفيات لابن رافع بكسر القاف وفي بغية الوعَاة : بضم القاف . والقَحْفَزة : سُرعة نقل القدم . التاج (قَحْفَزَ) .

(٤) لم أقع على ترجمة له .

(٥) ترجمته في الذيل ص(٢٤٦) والوفيات لابن رافع (١/ ٤٩٧) والدرر الكامنة (١/ ٢٤٧) والدارس (٢/ ٦) والذيل التام للسخاوي (١/ ٧١) .
والزيادة من مصادر ترجمته .

(٦) في ط : الغندلاوي بالغين . وأثبتنا ما في الدارس (٢/ ١١) وهو أبو الحجاج يوسف بن دوناس بن عيسى (تاريخ =

النارنج[١] رحمه الله ، ووَلِّي مكانه في المحراب ولده ، وهو طفل صغير ، فاستنيب له إلى حين صلاحيته ، جبره الله ورحم أباه .

وفي صبيحة ليلة الثُّلاثاء سادس رمضانَ وقع ثلجٌ عظيم لم يُرَ مثله بدمشق من مدة طويلة ، وكان الناس محتاجين إلى مطر ، فلله الحمد والمنة ، وتكاثف الثلج على الأسطحة ، وتراكم حتى أعيى النَّاس أمره ونقلوه عن الأسطحة إلى الأزقَّة بحمل[٢] ، ثم نُودي بالأمر بإزالته من الطرقات فإنّه سَدَّها وتعطّلت معايشُ كثير من النَّاس ، فعوَّض الله الضُّعفاء بعملهم في الثلج ، ولحق الناس كلفة كبيرة وغرامة كثيرة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[٣] .

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان صُلِّيَ بالجامع الأموي على غائب[٤] وهو الأمير علم الدين[٥] الجاولي ، وقد تقدَّم شيء من ترجمته رحمه الله .

وفي أوّل شوّال يوم عيد الفطر وقع فيه ثلج عظيم بحيث لم يمكن الخطيب من الوصول إلى المصلَّى ، ولا خرج نائب السلطنة ، بل اجتمع الأمراء والقضاة بدار السعادة ، وحضر الخطيب فصلَّىٰ بهم العيد بها ، وكثير من الناس صَلَّوا العيد في البيوت .

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة دَرَّس قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي الشافعي بالشامية البرانية عن الشيخ شمس الدين بن النقيب[٦] رحمه الله ، وحضر عنده القضاة والأعيان والأمراء وخلق من الفضلاء ، وأخذ في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] وما بعدها[٧] .

وفي ذي الحجة استفتي في قتل كلاب البلد ، فكتب جماعة من أهل البلد في ذلك ، فرسم بإخراجهم

= الإسلام ١١ / ٨٤١) ووفاته سنة (٥٤٣)هـ .

(١) في ط : التاريخ وهو تصحيف .

(٢) في ط : يحمل بالياء ، وأثبتنا ما في الذيل التام (١/ ٦٩) .

(٣) الذيل للحسيني ص(٢٤٣) والذيل التام للسخاوي (١/ ٦٩) .

(٤) في ط : نائب وهو تحريف .

(٥) في ط : علاء الدين وهو تحريف .
وترجمته في الوفيات لابن رافع (١/ ٤٨٩) والدرر الكامنة (٢/ ١٧٠) والذيل التام (١/ ٧٢) وهو : أبو سعيد سَنْجَر الجاولي ، نسبة لجاول أمير في سلطنة الظاهر بيبرس .

(٦) هو : قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن النقيب الشافعي . ترجمته في الذيل ص(٢٤٨) والدرر الكامنة (٣/ ٣٩٨) وطبقات الشافعية (٦/ ٤٤) والوفيات لابن رافع (١/ ٥٠٤) ووفاته في ليلة الجمعة الثاني عشر من ذي القعدة .

(٧) الدارس (١/ ١٣٥) .

يوم الجمعة من البلد الخامس والعشرين منه ، لكن إلى الخندق ظاهر باب الصغير ، وكان الأولى قتلهم بالكلية وإحراقهم لئلا تنتن الناس بريحهم على ما أفتى به الإمام مالك بن أنس من جواز قتل الكلاب ببلدة معينة للمصلحة ، إذا رأى الإمام ذلك ، ولا يعارض ذلك النهي عن قتل (أمة) الكلاب[١] ، ولهذا كان عثمان بن عفان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام[٢] .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمئة

استهلَّت هذه السنة وسلطان المسلمين بالديار المصرية والشامية والحرمين والبلاد الحلبية وأعمال ذلك الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور ، وقضاته بالديار المصرية والشامية هم المذكورون أيضاً .

وفي يوم الجمعة سادس عشر محرم كَمُلَت عمارة الجامع الذي بالمِزَّة الفوقانية الذي جدَّده وأنشأه الأمير بهاء الدين المرجاني[٣] ، الذي بنى والدُه[٤] مسجد الخَيف بمنى ، وهو جامع حسن متسع ، فيه روح وانشراح تقبّل الله من بانيه ، وعقدت فيه الجمعة بجمع كثير وجم غفير من أهل المِزَّة ، ومن حضر من أهل البلد ، وكنتُ أنا الخطيب[٥] ولله الحمد والمنة .

ووقع كلام وبحث في اشتراط المحلِّل في المسابقة ، وكان سببه أنَّ الشيخ شمس الدين بن قيّم الجوزية[٦] صنَّف فيه مصنَّفاً من قبل ذلك ، ونصر فيه ما ذهب إليه الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك ، ثم صار يفتي به جماعة من الترك ولا يعزوه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فاعتقد من اعتقد أنَّه قوله وهو مخالف للأئمة الأربعة ، فحصل عليه إنكار في ذلك ، وطلبه القاضي الشافعي ، وحصل كلام في ذلك ، وانفصل الحال على أن أظهر الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الموافقة للجمهور[٧] .

---

(١) الوارد في حديث جابر بن عبد الله والذي رواه مسلم رقم (١٥٧٢) في المساقاة باب الأمر بقتل الكلاب . قال : أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فنقتله ، ثم نهى النبي ﷺ عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين فإنه شيطان » .

(٢) الحيوان للجاحظ (١/ ٢٩٣) وفيه : عن الحسن قال : سمعت عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يقول : اقتلوا الكلاب واذبحوا الحمام .

(٣) هو : محمد بن أحمد بن عمر بن المرجاني . مات سنة (٧٥٩)هـ الدرر (٣/ ٣٤٥) .

(٤) شهاب الدين بن المرجاني . مرَّ في أحداث سنة (٧٢٠)هـ .

(٥) كتب أحدهم بعد ذلك : « يعني الشيخ عماد الدين المصنف تغمده الله برحمته ، فهذا من النساخ أو أحد القراء .

(٦) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزّرعي . مات سنة (٧٥١)هـ كما سيأتي .

(٧) الدرر الكامنة (٣/ ٤٠٣) .

وفاة الملك الصالح إسماعيل[(١)]

في يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر من هذه السنة أُظهر موت السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور آخر النهار ، وكان قد عهد بالأمر إلى أخيه لأبويه الملك الكامل سيف الدين أبي الفتوح شعبان ، فجلس على سرير المملكة يوم الخميس رابعه[(٢)] ، وكان يوماً مشهوداً ، ثم قدم الخبر إلى دمشق عشية الخميس ليلة الجمعة الثاني عشر منه ، وكان البريد قد انقطع عن الشام نحو عشرين يوماً للشُّغل بمرض السلطان ، فقدم الأمير سيف الدين بَيْغَرا[(٣)] للبَيْعة للملك الكامل ، فركب عِلْيَةُ الجيش لتلقِّيه ، فلما كان صبيحة الجمعة أُخذت البيعة من النائب والمقدَّمين وبقية الأمراء والجند للسلطان الملك الكامل بدار السعادة ، ودُقت البشائر وزُيِّن البلد وخطب الخطباء يومئذ للملك الكامل ، جعله الله وجهاً مباركاً على المسلمين .

وفي صبيحة يوم الإثنين الثاني والعشرين من ربيع الآخر درَّس القاضي جمال الدين حسين بن قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي الشافعي بالمدرسة الشّامية البرانية ، نزل له أبوه عنها ، واستخرج له مرسوماً سُلطانياً بذلك ، فحضر عنده القضاة والأعيان وجماعة من الأمراء والفقهاء وجلس بين أبيه والقاضي الحنفي ، وأخذ في الدَّرس في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل : ١٥] الآيات .

وتكلم الشَّريف مجد الدين المتكلِّم في الدرس بكلام فيه نَكارة وبَشاعة ، فشنَّع عليه الحاضرون فاستُتيبَ[(٤)] بعد انقضاء الدَّرس وحُكم بإسلامه[(٥)] .

وقد طلب إلى الديار المصرية نائب دمشق الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر وهو متمرّض ، انقطع عن الجمعة بسبب المرض مرات .

والبريد يذهب إلى حلب لمجيء نائبها الأمير سيف الدين يَلبُغَا لنيابة دمشق ، وذكر أن الحاج أَرُقْطاي[(٦)] تعين لنيابة حلب .

---

(١) ترجمته في الذيل ص(٢٨٤) والدرر الكامنة (١/ ٣٨٠) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٧٨) والذيل التام للسخاوي (١/ ٧٣) والشذرات (٦/ ١٤٨) .

(٢) الذيل التام (١/ ٧٤) .

(٣) في ط : معزا وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (١/ ٥١٤) والنجوم (١٠/ ١١٦) .

(٤) في ط : فاستتبّ . وهو تحريف .

(٥) الدارس (١/ ٢٨٥) .

(٦) في ط أرقطة ، وهو تحريف . وهو : أرقطاي القفجقي الشهير بالحاج النجوم (١٠/ ١١٨) .

وفي يوم الجمعة رابع جمادى الأولى خرجت أثقال الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر النائب وخيوله وهجنه ومواليه وحواصله وطبلخاناته وأولاده في تجمُّل عظيم ، وأُبَّهة هائلة جداً ، وخرجت المحافل والكحارات والمحفات لنسائه وبناته وأهله في هيبة عجيبة ، هذا كله وهو بدار السعادة ، فلمَّا كان من وقت السحر في يوم السبت خامسه خرج الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر بنفسه إلى الكُسْوة في محفة لمرضه مصحوباً بالسلامة ، فلما طلعت الشمس من يومئذ قدم من حلب أستاذ دار الأمير سيف الدين يَلْبُغا اليَحْيَاوي[1] فتسلّم دار السعادة ، وفرح الناس بهم ، وذهب الناس للتهنئة والتودُّد إليهم .

ولما كان يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى خرج الجيش بكماله لتلقي نائب السلطنة الأمير سيف الدين يَلْبُغَا فدخل في تجمُّلٍ عظيم ، ثم جاء فنزل عند باب السر ، وقبَّل العتبة على العادة ثم مشى إلى دار السعادة .

وفي عشية يوم الإثنين رابع عشره قطع نائب السلطنة ممَّن وجب قطعه في الحبس ثلاثةَ عشرَ رَجُلاً وأضاف إلى قطع اليد قطع الرجل من كل منهم ، لما بلغه أنه تكرر من جناياتهم ، وصَلَبَ ثلاثةً بالمسامير ممَّن وجب قتلُه ، ففرح الناس بذلك لقمعه المفسدين وأهل الشرور ، والعيث والفساد .

واشتهر في العشر الأوسط من جمادى الآخرة وفاة الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُرَ[2] بعد وصوله إلى الديار المصرية بأيام ، وكان ذلك ليلة الخميس مستهل هذا الشهر ، وذكر أنّه رُسم على ولده وأستاذ داره ، وطلب منهم مالٌ جزيل ، فالله أعلم .

وفي يوم الإثنين ثاني عشره توفي القاضي علاءُ الدّين[3] بن العز الحنفي ، نائب الحكم ، ببستانه بالصالحية ودُفن بها ، وذلك بعد عود المدرسة الظاهريّة إليه ، وأَخْذه إياها من عمه القاضي عماد الدين إسماعيل ، كما قدمنا ، ولم يدرِّس فيها إلا يوماً واحداً ، وهو متمرِّض ، ثم عاد إلى الصَّالحية فتمادىٰ به مرضُه إلى أن مات رحمه الله .

وخرج الرَّكب إلى الحجاز الشَّريف يوم السبت حادي عشر شوال ، وخرج ناس كثير من البلد ، ووقع مطر عظيم جداً ، ففرح النَّاسُ به من جهة أن المطر كان قليلاً جداً في شهر رمضانَ ، وهو كانون الأصم ،

---

(١) في ط : البحناوي وهو تحريف .

(٢) ترجمته في الذيل ص(٢٥١) وفيه : (طُقُزْتَمُر) والدرر الكامنة (٢/ ٢٢٥) وكذلك فيه والنجوم الزاهرة (١٠/ ١٤٢) وفيه : (طقزدمر) وكذلك هو في البدائع (١/ ٥٠٧) .

(٣) ترجمته في الذيل ص(٢٥١) ، والوفيات لابن رافع : (٢/ ١٢) وفيه : توفي في العشرين من جُمادى الآخرة . والدرر الكامنة (٣/ ١١٨) والذيل التام (١/ ٧٦) .
وهو : علي بن محمد بن محمد بن أبي العزّ الحنفي .

فلمَّا وقع هذا استبشروا به وخافوا على الحُجَّاج ضرره ، ثم تداول[١] المطر وتتابع ولله الحمد والمنة ، لكن ترحَّل الحجاج في أوحال كثيرة وزلق كثير ، والله المسلِّم والمعين والحامي . ولما استقل الحجيج ذاهبين وقع عليهم مطر شديد بين الصنمين[٢] [وزُرَع][٣] فعوَّقهم أياماً بها ، ثم تحاملوا إلى زُرَع فلم يصلوها إلا بعد جهد جهيد وأمر شديد ، ورجع كثير منهم وأكثرهم ، وذكروا أشياء عظيمة حصلت لهم من الشدة وقوة الأمطار وكثرة الأوحال ، ومنهم من كان تقدَّم إلى أرض بُصرىٰ ، فحصل لهم رفق بذلك والله المستعان .

وقيل : إن نساءً كثيرة من المخدَّرات[٤] مَشَيْنَ حفاةً فيما بين زُرَع والصَّنَمين وبعد ذلك ، وكان أمير الحاج سيف الدين مَلَك آص[٥] وقاضيه شهاب الدين بن الشجرة الحاكم بمدينة بعلَبَك يومئذ والله المستعان ، انتهى .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وليس له بمصر نائب .

وقضاة مصرَ هم المذكورون في التي قبلها .

ونائب دمشق الأمير سيف الدين يَلْبُغَا اليحياوي .

وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها ، إلا أنّ قاضي القضاة عماد الدين إسماعيل الحنفي نزل عن القضاء لولده قاضي القضاة نجم الدين ، واستقلَّ بالولاية وتدريس النُّورية ، وبقي والدُه على تدريس الرَّيْحانيَّة[٦] .

وفي يوم الجمعة سادسَ عِشْرَي[٧] المحرَّم من هذه السنة توفي الشيخ الصالح تقي الدين محمد[٨] بن

---

(١) تتابع وتعاقب .
(٢) في ط : الصمين . وهو تحريف . وهي بلدة من أعمال دمَشْقَ على طريق الحاج في أوائل حَوْران ياقوت .
أقول : وهي اليوم تابعة لمحافظة حوران .
(٣) زيادة يقتضيها السّياق .
(٤) ربّات الحجاب من النساء .
(٥) مات سنة (٧٥٦)هـ . الذيل للحسيني ص (٣٠٧) الدرر الكامنة (٤/ ٣٥٧) .
(٦) جوار المدرسة النُّورية لغرب . الدارس (١/ ٥٢٢) .
(٧) في ط : السادس عشر من المحرم ، وهو غلط ، لأن مستهلَّ الشهر كان يوم الإثنين .
(٨) ترجمته في : الوفيات لابن رافع (٢/ ٢٤) والدرر الكامنة (٤/ ٢٠٥) . وفي مصادر ترجمته : (البالسي) .

الشيخ محمد بن قوام بزاويتهم[١] بالسفح ، وصُلِّيَ عليه الجمعة بجامع الأَفْرم ، ثم دُفن بالزّاوية وحضره القضاة والأعيان وخلق كثير ، وكان بينه وبين أخيه ستة أشهر وعشرون يوماً ، وهذا أشد من ذلك .

وفتحت في أول السنة القيسارية التي أنشأها الأمير سيف الدين يَلْبُغا نائب السلطنة ظاهر باب الفرج ، وضُمِّنت ضماناً باهراً بنحو من سبعة آلاف كل شهر ، وداخلها قيسارية تجارة في وسطها بركة ومسجد ، وظاهرها دكاكين وأعاليها بيوت للسّكن .

وفي صبيحة يوم الإثنين ثانيْ عشرَ ربيع الأول عُقد مجلسٌ بمشهد عثمان للنور الخراساني ، وكان يقرأ القرآن في جامع تَنْكِز ، ويعلّم الناس أشياء من فرائض الوضوء والصلاة ، ادُّعي عليه فيه أنه تكلم في بعض الأئمة الأربعة وأنَّه تكلَّم في شيء من العقائد ويطلق عبارات زائدة على ما ورد به الحديث ، وشهد عليه ببعض أشياء متعددة ، فاقتضى الحال أن عُزِّر في هذا اليوم ، وطيف به في البلد ، ثم رُدَّ إلى السجن معتقلاً . فلما كان يوم الخميس الثاني والعشرون منه شفع فيه الأمير أحمد بن مُهَّنا[٢] ملك العرب عند نائب السلطنة فاستحضره بين يديه وأطلقه إلى أهله وعياله .

ولما كان تاريخ يوم الجمعة ثالثَ عشرَ جمادى الأولى صلّى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يَلْبُغا اليَحْيَاوي الناصري بجامع تَنْكِز ظاهر دمشق برا[٣] باب النصر ، وصلّى عنده القاضي الشافعي والمالكي وكبار الأمراء ، ولمَّا أُقيمت الصلاة صلَّى ، وقعد بعض مماليكه عن الصلاة ومعهم السلاح حراسة له ، ثم لما انصرف من الصلاة اجتمع بالأمراء المذكورين وتشاوروا طويلاً ، ثم نهض النائب إلى دار السعادة ، فلما كان آخر النهار برز بخدمه ومماليكه وحشمه ووطاقه وسلاحه وحواصله ، ونزل قبلي مسجد القدم وخرج الجند والأمراء في آخرالنهار وانزعج الناس واتفق طلوع القمر خاسفاً ، ثم خرج الجيش ملبساً تحت الثياب وعليه التراكيس بالنشاب والخيول والجنابات ، ولا يدري النَّاسُ ما الخبر ، وكان سبب ذلك أن نائب السلطنة بلغه أن نائب صفد[٤] قد ركب إليه ليقبض عليه ، فانزعج لذلك وقال : لا أموت إلا على ظهر أفراسي ، لا على فراشي ، وخرج الجند والأمراء خوفاً من أن يفوتهم بالفرار ، فنزلوا يمنة ويسرة ، فلم يذهب من تلك المنزلة بل استمر بها يعمل النيابة ويجتمع بالأمراء جماعة وفرادى ، ويستميلهم إلى ما هو فيه من الرأي ، وهو خلع الملك الكامل شعبان لأنه يكثر من مسك الأمراء بغير سبب ، ويفعل أفعالاً لا تليق بمثله ، وذكروا أموراً كثيرة ، وأن يولُّوا أخاه أمير حاجي بن الناصر لحسن شكالته وجميل فعله ،

---

(١) هي الزاوية القوامية البَالسيّة سبق ذكرها لدى ذكر وفاة أبيه أبي بكر سنة (٧١٨)هـ .

(٢) أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا . مات سنة (٧٤٩)هـ الدرر الكامنة (١/ ٣٢٢) .

(٣) لفظة شبه عامية يراد بها « خارج » .

(٤) في ط : صغد بالغين .

ولم يزل يفتلهم في الذِّروة والغارب[١] حتى أجابوه إلى ذلك ، ووافقوه عليه ، وسلَّموا ما يدَّعيه ، وتابعوا على ما أشار إليه وبايعوه ، ثم شرع في البعث إلى نواب البلاد يستميلهم إلى ما مالأ عليه الدمشقيون وكثير من المصريين ، وشرع أيضاً في التصرُّف في الأمور العامة الكلية ، وأخرج بعض من كان الملك الكامل اعتقله بالقلعة المنصورة ، ورد إليه إقطاعه بعد ما بعث الملك الكامل إلى من أقطعه منشوره ، وعزل وولّى وأخذَ وأَعطىٰ ، وطلب التُّجار يوم الأربعاء ثامن عشره ليباع عليهم غلال الحواصل السلطانية فيدفعوا أثمانها في الحال ، ثم يذهبوا فيتسلَّمُوها من البلاد البرانية ، وحضر عنده القضاة على العادة والأمراء والسادة ، وهذا كله وهو مخيِّم بالمكان المذكور ، لا يحصره بلد ولا يحويه سور[٢] .

وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة خرجت تجريدة نحو عشرة طليعة لتلقِّي من يقدم من الديار المصرية من الأمراء وغيرهم ، ببقاء الأمر على ما كان عليه ، فلم يصدقهم النائب ، وربما عاقب بعضهم ، ثم رفعهم إلى القلعة ، وأهل دمشق ما بين مصدِّق باختلاف المصريين وما بين قائل السلطان الكامل قائم الصورة مستمر على ما كان عليه ، والتَّجاريد المصرية واصلة قريباً ، ولابد من وقوع خبطة عظيمة . وتشَوشَتْ أذهان النَّاسِ وأحوالهم بسبب ذلك ، والله المسؤول أن يحسن العاقبة .

وحاصل القضية أن العامَّة ما بين تصديق وتكذيب ، ونائبُ السلطنة وخواصُّه من كبار الأمراء على ثقة من أنفسهم ، وأن الأمراء على خُلْف شديد في الديار المصرية بين السلطان الكامل شعبان وبين أخيه أمير حاجي ، والجمهور مع أخيه أمير حاجي ، ثم جاءت الأخبار إلى النائب بأن التجاريد المصرية خرجت تقصد الشام ومن فيه من الجند لتوطِّد الأمر ، ثم إنَّه تراجعت رؤوس الأمراء في الليل إلى مصر واجتمعوا إلى إخوانهم ممَّن هو ممالئ لهم على السلطان ، فاجتمعوا ودعوا إلى سلطنة أمير حاجي وضُربت الطبلخانات ، وصارت باقي النفوس متجاهرة على نيَّة تأييده ، ونابذوا السلطان الكامل ، وعَدُّوا عليه مساويه ، وقَتْل بعض الأمراء .

وفرَّ الكامل وأنصارُه فاحتيط عليه، وخرج أَرْغُون العلائي زوج أُمِّه[٣] واستظهر أيضاً أمير حاجي فأجلسوه على السرير ولقبوه بالملك المظفر ، وجاءت الأخبار إلى النائب بذلك ، فضربت البشائر عنده ، وبعث إلى نائب القلعة فامتنع من ضربها ، وكان قد طلب إلى الوطاق[٤] فامتنع من الحضور ، وأغلق باب القلعة ، فانزعج الناس واختبط البلد ، وتقلّص وجود الخير ، وحصنت القلعة ودعوا للكامل بكرة وعشية على العادة،

---

(١) أي : يدور من وراء خديعته حتى يغيِّر رأيهم . القاموس (فتل) .
(٢) النجوم الزاهرة (١٠/ ١٣٤) الذيل التام (١/ ٨١ ـ ٨٢) .
(٣) في ط : ابنة وهو توهم . النجوم الزاهرة (١٠/ ١٣٨) .
(٤) إلى خيمة النائب .

وأرجف[١] العامة بالجيش على عادتهم في كثرة فصولهم ، فحصل لبعضهم أذيَّةٌ . فلما كان يوم الإثنين ثامن الشهر قدم نائب حماة إلى دمشق مطيعاً لنائب السلطنة في تجمُّل وأُبَّهة ، ثم أجريت له عادة أمثاله .

وفي هذا اليوم وقعت بطاقة بقدوم الأمير سيف الدين بَيْغَرَا حاجب الحجَّاب بالديار المصرية لأجل البيعة للسُّلطان الملك المظفر ، فدُقّت البشائر بالوطاق ، وأُمر بتزيين البلد ، فزين الناس وليسوا منشرحين ، وأكثرهم يظن أن هذا مكر وخديعة ، وأن التجاريد المصرية واصلة قريباً . وامتنع نائب القلعة من دق البشائر وبالغ في تحصين القلعة ، وغلَّق بابها ، فلا يفتح إلا الخوخة[٢] البرانية والجوانية ، وهذا الصنيع هو الذي يشوش خواطر العامة ، يقولون : لو كان تم شيء له صحة ، كان نائب القلعة يطَّلع على هذا قبل الوطاق . فلما كان يوم الثلاثاء بعد الزوال قدم الأمير سيف الدين بَيْغَرَا إلى الوطاق ، وقد تلقَّوه وعظَّمُوه ، ومعه تقليد النيابة من المظفَّر إلى الأمير سيف الدين يَلْبُغَا نائب السلطنة ، وكتاب إلى الأمراء بالسَّلام . ففرحوا بذلك وبايعوه وانضمت الكلمة ولله الحمد .

وركب بَيْغَرَا إلى القلعة فترجَّل وسلَّ سيفه ودخل إلى نائب القلعة فبايعه سريعاً ودُقَّت البشائر في القلعة بعد المغرب ، حين بلغه الخبر ، وطابت أنفس الناس ثم أصبحت القلعة في الزينة وزادت الزينة في البلد وفرح الناس .

فلمَّا كان يوم الخميس حاديْ عَشَر الشهر دخل نائب السلطنة من الوطاق إلى البلد والأطلاب بين يديه في تجمُّل وطبلخانات على عادة العَرْض ، وقد خرج أهل البلد إلى الفرجة ، وخرج أهل الذمة بالتَّوراة ، وأُشعلت الشموع ، وكان يوماً مشهوداً[٣] .

وقد صلَّى في شهر رمضان من هذه السنة بالشامية البرانية صبي عمره ست سنين ، وقد رأيته وامتحنته فإذا هو يجيد الحفظ والأداء ، وهذا من أغرب ما يكون .

وفي العشر الأوائل من هذا الشهر فرغ من بناء الحمّامين اللَّذَيْن بناهما نائب السلطنة بالقرب من الثابتية في خان السلطان العتيق ، وما حولها من الرباع والقرب وغير ذلك .

وفي يوم الأحد حادي عشره اجتمع نائب السلطنة والقضاة الأربعة ووكيل بيت المال والدولة عند تل المستقين[٤] ، من أجل أن نائب السلطنة قد عزم على بناء هذه البقعة جامعاً بقدر جامع تَنْكِز . فاشْتَوَرُوا هنالك ، ثم انفصل[٥] الحال على أن يُعمل ، والله ولي التوفيق .

---

(١) « أرجف » : خاض في أخبار الفتن ونحوها ، والمُرْجفون : الذين يشيعون الأخبار السيئة .
(٢) « الخوخة » : باب صغير وسط الكبير .
(٣) الذيل ص (٢٥٥) النجوم الزاهرة (١٠/ ١٤١ وما بعدها) .
(٤) موضع جامع يلبغا على شاطئ بردى ، وفي الدارس (٣/ ٤٢٣) : (كان موضع جامع يلبغا تلاَّ يشنق عليه) .
(٥) تفرق المجلس .

وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة صُلِّي على الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن[١] تيمية ، أخو الشيخ تقي الدين رحمهما الله تعالى .

وفي يوم السبت ثاني عشره توفّي الشيخ علي[٢] القَطَنَانيّ بقَطَنَا[٣] ، وكان قد اشتهر أمره في هذه السنين ، واتّبعه جماعةٌ من الفلاحين والشباب المنتمين إلى طريقة أحمد بن الرفاعي ، وعظُم أمره وسار ذِكره ، وقصده الأكابر للزيارة مرات ، وكان يقيم السماعات على عادة أمثاله ، وله أصحابٌ يُظْهرون إشارةً باطلة ، وأحوالاً مفتعلة ، وهذا ممّا كان يُنْقَمُ عليه بسببه ، فإنه إن لم يكن يعلم بحالهم فجاهل ، وإن كان يُقرُّهم على ذلك فهو مثلهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفي أواخر هذا الشهر ـ أعني ذي الحجة من العيد وما بعده ـ اهتم ملك الأمراء في بناء الجامع الذيبناه تحت القلعة مَكان[٤] تلِّ المُستقين ، وهدم ما كان هناك من أبنية ، وعملت العجل ، وأخذت أحجار كثيرة من أرجاء البلد ، وأكثر ما أُخذت الأحجار من الرحبة التي للمصريين ، من تحت المئذنة التي في رأس عقبة الكَتَّان[٥] ، وتيسَّر منها أحجار كثيرة، والأحجار أيضاً من جبل قاسيون وحمل على الجمال وغيرها .

وكان سلخ هذه السنة ـ أعني سنة سبع وأربعين وسبعمئة ـ قد بلغت غرارة القمح إلى مئتين فما دونها ، وربما بيعت بأكثر من ذلك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وأربعين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك المظفر أمير حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين أَرُقْطَاي[٦] وقضاة مصر هم الذين كانوا في الماضية بأعيانهم .

---

(١) ترجمته في :الذيل ص (٢٥٩) والوفيات لابن رافع (٢/ ٣٧) والدرر الكامنة (٢/ ٣٢٩) . هو : عبد الرحمن بن شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام .

(٢) ترجمته في : الذيل ص (٢٦٠) والوفيات لابن رافع (٢/ ٣٨) والدرر الكامنة (٣/ ٧٧) وفيه : علي بن عبد الله القطباني . فذكر اسم أبيه وغلط في نسبته .

(٣) هي من قرى دمشق العامرة تبعد عنها حوالي ٢٥كم . وقد ذكرها ياقوت في معجمه .

(٤) في ط : وكان .

(٥) في ط : « الكتاب » وهو تحريف ، وهو موضع معروف بدمشق ، ينظر تاريخ الإسلام ٢/ ٧٩٥ و١٤/ ٤٥ و١٥٦ و١٥/ ٣١٥ و٩٥٣ و٩٥٤ (بشار) .

(٦) في ط : أرقطية .

ونائبه بالشام المحروسة سيف الدين يَلْبُغا الناصري[١] ، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها بأعيانهم ، غيرأن القاضي عماد الدين الحنفي نزل لولده قاضي القضاة نجم الدين ، فباشر في حياة أبيه ، وحاجب الحجاب فخر الدين إياس .

واستهلت هذه السنة ونائب السلطنة في همَّة عالية في عمارة الجامع الذي قد شرع في بنائه غربي سوق الخيل ، بالمكان الذي كان يعرف بتل[٢] المُستقين .

وفي ثالث المحرم توفي قاضي القضاة شرف الدين محمد بن[٣] أبي بكر الهَمْدَاني المالكي ، وصُلِّي عليه بالجامع ، ودفن بتربته بميدان الحصا ، وتأسَّف الناس عليه لرياسته وديانته وأخلاقه وإحسانه إلى كثير من الناس رحمه الله .

وفي يوم الأحد الرابع والعشرين من المحرم وصل تقليد قضاء للقاضي جمال الدين المسلَّاتي[٤] الذي كان نائباً للقاضي شرف الدين قبله ، وخلع عليه من آخر النهار .

وفي شهر ربيع الأول أخذوا لبناء الجامع المجدَّد بسوق الخيل ، أعمدة كثيرة من البلد ، فظاهر البلد يعلِّقون ما فوقه من البناء ثم يأخذونه ويقيمون بدله دعامة ، وأخذوا من درب الصيقل ، وأَخَذوا العمود الذي كان بسوق العُلبيِّين الذي في تلك الدخلة على رأسه مثل الكرة فيها حديد ، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر أنه كان فيه طِلَّسْمٌ لعسر بَوْل الحيوان إذا دَارُوا بالدَّابة ينحلُّ أراقيها[٥] .

فلمَّا كان يوم الأحد السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة قلعوه من موضعه بعد ما كان له في هذاالموضع نحواً من أربعة آلاف سنة واللهأعلم . وقد رأيته في هذا اليوم وهو ممدود في سوق العلبيين على الأخشاب ليجروه إلى الجامع المذكور من السوق الكبير ، ويخرجوا به من باب الجابية الكبير فلا إلَه إلا الله . وفي أواخر شهر ربيع الآخر ارتفع بناء الجامع الذي أنشأه النّائب ، وجفت العين التي كانت تحت جداره حين أسسوه ولله الحمد .

وفي سلخ ربيع الآخر وردت الأخبار من الديار المصرية بمَسْك جماعة من أعيان الأمراء كالحجازي وآقسُنْقُر الناصري[٦] ، ومن لفَّ لفهما ، فتحرّك الجند بالشام ووقعت خبطة .

---

(١) هو اليحياوي .

(٢) في ط : بالتل .

(٣) ترجمته في : الذيل ص(٢٦٣) والوفيات لابن رافع (٢/ ٤١) وفيه : الثاني من المحرّم . والدرر الكامنة (٣/ ٤٠٤) والنجوم الزاهرة (١٠/ ١٨٢) والدارس (٢/ ١٦) والذيل التام (١/ ٩٣) .

(٤) هو : محمد بن عبد الرحيم . مات سنة (٧٧١)هـ .

(٥) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر لابن منظور (١/ ٢٧٢) ، ولا شك أن هذا من الخرافات .

(٦) النجوم الزاهرة (١٠/ ١٥٩) وفيه : كان مسكهما في يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر وقطّعا بالسّيوف قطعاً .

ثم استهل شهر جمادى الأولى والجند في حركة شديدة ، ونائب السلطنة يستدعي الأمراء إلى دار السعادة بسبب ما وقع بالديارالمصرية ، وتعاهد هؤلاء على أن لا يُؤذىٰ أحدٌ ، وأن يكونوا يداً واحدة ، وفي هذا اليوم تحول ملك الأمراء من دار السعادة إلى القصر الأبلق واحترز لنفسه ، وكذلك حاشيته .

وفي يوم الأربعاء(١) الرابع عشر منه قدم أمير(٢) من الديار المصرية على البريد ومعه كتاب من السلطان فيه التّصريح بعزل ملك الأمراء يَلْبُغا نائب الشام ، فقرئ عليه بحضرة الأمراء بالقصر الأبلق ، فتغمَّم لذلك وساءه ، وفيه طلبُه إلى الديار المصرية على البريد ليولَّى نيابة الديار المصرية ، والظاهر أن ذلك خديعة له فأظهر(٣) الامتناع ، وأنه لا يذهب إلى الديار المصرية أبداً ، وقال : إن كان السلطان قد استكثر عليَّ ولاية دمشق فيولِّيني أيَّ البلاد شاء ، فأنا راض بها . وردَّ الجواب بذلك ، ولما أصبح من الغد وهو يوم الخميس وهو خامس عشره ، ركب فخيَّم قريباً من الجسورة في الموضع الذي خيم فيه عام أول ، وفي الشهر أيضاً كما تقدم ، فبات ليلة الجمعة وأمر الأمراء بنصب الخيام هنالك على عادتهم عام أول .

فلما كان يوم الجمعة سادس عشره بعد الصلاة ، ما شعر الناس إلا والأمراء قد اجتمعوا تحت القلعة وأحضروا من القلعة سنجقين سلطانيين أصفرين ، وضربوا الطبول حربياً ، فاجتمعوا كلهم تحت السنجق السلطاني ، ولم يتأخر منهم سوى النائب وذويه كابنيه وإخوته وحاشيته ، والأمير سيف الدين قَلاوُوْن أحد مقدَّمي الألوف، وخبره أكبر أخبار الأمراء بعد النيابة، فبعث إليه الأمراء أن هلمَّ إلى السمع والطاعة للسلطان، فامتنع من ذلك وتكرَّرت الرسل بينهم وبينه فلم يقبل ، فساروا إليه في الطبلخانات والبوقات ملبسين لأمَةَ الحرب ، فلما انتهوا إليه وجدوه قد ركب خيوله ملبساً واستعدَّ للهرب ، فلما واجههم هرب هو ومن معه وفروا فرار رجل واحد ، وساق الجند وراءه فلم يكتنفوا له غباراً ، وأقبل العامة وتركمان القُبَيْبات ، فانتهبوا ما بقي في معسكره من الشعير والأغنام والخيام ، حتى جعلوا يقطعون الخيام والأطناب قطعاً قطعاً ، فعدم له ولأصحابه من الأمتعة ما يساوي ألف ألف درهم ، وانتدب لطلبه والمسير وراءه الحاجب الكبير الذي قدم من الديار المصرية قريباً شهاب الدين بن صبح ، أحد مقدمي الألوف ، فسار على طريق الأشرفية ثم عدل إلى ناحية القَرْيَتين .

ولما كان يوم الأحد قدم الأمير فخر الدين إياس نائب صفد فيها ، فتلقَّاه الأمراء والمقدَّمون ، ثم جاء فنزل القصر وركب من آخر النهار في الجحافل ، ولم يترك أحداً من الجند بدمشق إلا ركب معه وساق وراء يَلْبُغا فانبرىٰ نحو البرية ، فجعلت الأعراب يعترضونه من كل جانب ، وما زالوا يكفُّونه حتى سار نحو

---

(١) الذيل للحسيني ص (٢٦٠ ـ ٢٦١) .
(٢) هو : أراي أمير أخور .
(٣) في ط : أظهر .

حماة ، فخرج نائبُها وقد ضعف أمره جداً ، هو وكلٌّ[١] من معه من كثرة السوق ومصاولة الأعداء من كل جانب ، فألقىٰ بيده ، وأُخذ سيفُه وسيوف من معه واعتقلوا بحماة وبعث بالسيوف إلى الديار المصرية ، وجاء الخبر إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء رابعَ عشرَ هذا الشهر ، فضربت البشائر بالقلعة وعلى باب الميادين على العادة ، وأحدقت العساكر بحماة من كل جانب ينتظرون ما رسم به السلطان من شأنه ، وقام إياس بجيش دمشقَ على حمصَ ، وكذلك جيش طرابُلُس ، ثم دخلت العساكر راجعة إلى دمشق يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر ، وقدم يَلْبُغَا وهو مقيد على كديش هو وأبوه وحوله الأمراء الموكَّلون به ومن معه من الجنود ، فدخلوا به بعد عشاء الآخرة فاجتازوا به فم السبعة بعدما غلِّقت الأسواق ، وأطفئت السرج ، وغلقت الطاقات ، ثم مروا على الشيخ رسلان والباب الشرقي على باب الصغير ، ثم من عند مسجد الذِّبَّان على المصلَّى ، واستمروا ذاهبين نحو الديار المصرية ، وتواترت البريدية من السلطان بما رسم به في أمره وأصحابه الذين خرجوا معه من الاحتياط على حواصلهم وأموالهم وأملاكهم وغير ذلك .

وقدم البريد من الديار المصرية يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة فأخبر بقتل يلبغا فيما بين قاقون[٢] وغزّة[٣] ، وأخذت رأسه[٤] إلى السلطان ، وكذلك قتل بغزة الأمراء الثلاثة الذين خرجوا من مصر ، وهم : نجم الدين[٥] الوزير بن شروين[٦] البغدادي ، والدّوادار طُغَيْتَمُر ، وَبَيْدَمُر البدري[٧] ، أحد المقدمين ، كان قد نقم عليه السلطان ممالأة يَلْبُغا ، فأخرجهم من مصر مسلوبين جميع أموالهم، وسيَّرهم إلى الشام ، فلما كانوا بغزة لحقهم البريد بقتلهم حيث وجدهم ،وكذلك رسم بقتل يلبغا حيث التقاه من الطريق ، فلما انفصل البريد من غزة التقى يَلْبُغا في طريق وادي فحمة فخنقه ثم احتز رأسه وذهب به إلى السلطان ، وقدم أميران من الديار المصرية بالحوطة على حواصل يَلْبُغَا وطواشي من بيت المملكة ، فتسلم مصاغاً وجواهر نفيسة جداً ، ورسم ببيع أملاكه وما كان وقفه على الجامع الذي كان قد شرع بعمارته بسوق الخيل ، وكان قد اشتهر أنه وقف عليه القيسارية التي كان أنشأها ظاهر باب الفرج ، والحمامين المتجاورين ظاهر باب الجابية غربي خان السلطان العتيق ، وحِصَصاً[٨] في قرايا أخرى كان قد استشهد على نفسه بذلك قبل ذلك فالله أعلم . ثم طلب

(١) في ط : وكل هو ومن معه .
(٢) « قاقون » : حصن بفلسطين قرب الرّملة ، وقيل : هو من عمل قيسارية ياقوت .
(٣) في ط : غبرة وهو تصحيف .
(٤) في ط : رؤوسهما . الذيل ص(٢٦١) والدرر الكامنة (٣/ ٤٣٦) والذيل التام (١/ ٨٨) .
(٥) في ط : وحاكم الوزير .
(٦) في ط : سردا وهو تصحيف . وهو : محمود بن علي بن شروين البغدادي نجم الدين ذكر من قبل مع رفيقه القاضي حسام الدين الغوري الذيل التام (١/ ٨٩) .
(٧) الدرر الكامنة (٢/ ٤) والنجوم الزاهرة (١٠/ ١٦٣) .
(٨) في ط : خصصاً بالخاء .

بقية أصحابه من حماة فحملوا إلى الديار المصرية وعُدِمَ خبرهم ، فلا يدرى على أي صفةٍ هلكوا .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء الثامنَ عشرَ من جمادى الآخرة من هذه السنة دخل الأمير سيف الدين أَرْغُون شاه دمشقَ المحروسة نائباً عليها ، وكان قدومه من حلبَ ، انفصل عنها وتوجه إليها الأمير فخر الدين إياس الحاجب ، فدخلها أَرْغُون شاه في أبهة وعليه خلعة وعمامة بطرفين ، وهو قريب الشكل من تَنْكِز رحمه الله فنزل دار السعادة وحكم بها ، وفيه صرامة وشهامة(١) .

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين منه صُلِّي على الأمير قَرَاسنْقُر(٢) بالجامع الأموي وظاهر باب النصر ، وحضر القضاة والأعيان والأمراء ، ودُفن بتربته بميدان الحصا بالقرب من جامع الكريمي .

وعملت ليلةُ النصف على العادة من إشعال القناديل ، ولم يشعلِ النَّاس لما هم فيه من الغلاء وتأخُّر المطر وقلّة الغلة ، كل رطل إلا أوقية بدرهم ، وهو متغير ، وسائر الأشياء غالية ، والزيت كل رطل بأربعة ونصف ، ومثله السِّيرج(٣) والصابون والأرز ، والعنبريس كل رطل بثلاثة ، وسائر الأطعمات على هذا النحو ، وليس شيء قريب الحال سوى اللحم بدرهمين وربع ، ونحو ذلك ، وغالب أهل حَوْران يردون من الأماكن البعيدة ويجلبون القمح للمُؤْنة والبذار من دمشق ، وبيع عندهم القمح المغربل كل مد بأربعة دراهم ، وهم في جهد شديد ، والله هو المأمول المسؤول ، وإذا سافر أحد يشقُّ عليه تحصيل الماء لنفسه ولفرسه ودابته ، لأن المياه التي في الدرب كلها نفدت ، وأما القدس فأشد حالاً وأبلغ في ذلك .

ولما كان العشر الأخير من شعبان من هذه السنة منَّ الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنَّة على عباده بإرسال الغيث المتدارك الذي أحيى العباد والبلاد ، وتراجع الناس إلى أوطانهم لوجود الماء في الأودية والغدران ، وامتلأت بركة زُرَع بعد أن لم يكن فيها قطرة ، وجاءت بذلك البشائر إلى نائب السلطنة ، وذُكر أنَّ الماء عم البلاد كلها ، وأنَّ الثلج على جبل بني هِلال كثير(٤) ، وأما الجبال التي حول دمشق فعليها ثلوج كثيرة جداً ، واطمأنّت القلوب وحصل فرج شديد ولله الحمد والمنَّة ، وذلك في آخر يوم بقي من تشرين الثاني .

وفي يوم الثُّلاثاء الحادي والعشرين من رمضان توفّي الشيخ عز الدين محمد(٥) الحنبلي بالصَّالحية وهو خطيب الجامع المظفري ، وكان من الصالحين المشهورين رحمه الله ، وكان كثيراً ما يلقِّنُ الأموات بعد دفنهم ، فلقّنه الله حجّته وثبّته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

---

(١) الدرر الكامنة (١/ ٣٥٠) والنجوم الزاهرة (١٠/ ١٦١) .

(٢) لم أقع له على ترجمة ، والذي قتل في هذه السنة آقسنقر قتل في القلعة الدرر (١/ ٣٩٤) .

(٣) في ط : الشيرج بالشين .

(٤) في حوران من أرض دمشق ، تحته قرى كثيرة ، منها قرية تعرف بالمالكية ياقوت .

(٥) ترجمته في الذيل ص(٢٦٦) والوفيات لابن رافع (٢/ ٥٢) والدرر الكامنة (٣/ ٢٨٧) والذيل التام (١/ ٩٣) وفيها : محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر الصالحي الحنبلي أبو عبد الله .

مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر

وفي العشر الأخير من رمضانَ جاء البريد من نائب غزة إلى نائب دمشق بقتل السلطان الملك المظفَّر حاجي بن الناصر محمد ، وقع بينه وبين الأمراء فتحيَّزوا عنه إلى قبة النصر فخرج إليهم في طائفة قليلة فقُتل في الحال وسُحب إلى مقبرة هناك ، ويقال قُطِّع قطعاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[١] .

ولما كان يوم الجمعة آخر النهار ورد من الدّيار المصرية أميرٌ للبيعة لأخيه السلطان الناصر حسن بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فدُقّت البشائر في القلعة المنصورة ، وزُيّن البلد بكماله ولله الحمد في الساعة الراهنة من أمكن من الناس ، وما أصبح صباح يوم السبت إلا زُيّن البلد بكماله ولله الحمد على انتظام الكلمة ، واجتماع الألفة .

وفي يوم الثلاثاء العشرين من شوال قدم الأمير فخر الدين إياس نائب حلب محتاطاً عليه ، فاجتمع بالنائب في دارالسعادة ، ثم أُدخل القلعة مضيَّقاً عليه ، ويقال إنه قد فوّض أمره إلى نائب دمشق ، فمهما فعل فيه فقد أمضى له ، فأقام بالقلعة المنصورة نحواً من جمعة ، ثم أركب على البريد ليسار به إلى الديار المصرية ، فلم يُدرَ ما فعل به[٢] .

وفي ليلة الإثنين ثالثِ شهر ذي القعدة توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرّخ الإسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن[٣] [أحمد بن][٤] عثمان الذهبي بتربة أم الصالح وصُلّيَ عليه يوم الإثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ودفن بباب الصغير ، وقد خُتم به شيوخُ الحديث وحفّاظُه . رحمه الله .

وفي يوم الأحد سادسَ عشرَ ذي القعدة حضرتُ تربة أمِّ الصالح[٥] رحم الله واقفها عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبي ، وحضر جماعةٌ من أعيان الفقهاء وبعض القضاة ، وكان درساً مشهوداً ولله الحمد والمنة ، أوردت فيه حديثَ أحمد عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّما نسمةُ المؤمن طائرٌ يَعْلُقُ[٦] في شجر الجنّة حتَّى يُرجعَه إلى جسده يوم يَبْعَثُه [الله] »[٧] .

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٣ ـ ٥) الذيل التام (١/ ٨٩ ـ ٩٠) .

(٢) حبس في الإسكندرية النجوم الزاهرة (١٠/ ١٨٩) .

(٣) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٢٦٧ ـ ٢٦٩) والوفيات لابن رافع (٢/ ٥٥) وطبقات الشافعية (٥/ ٢١٦) والدرر الكامنة (٣/ ٣٣٦) والذيل التام (١/ ٩١) ومصادر ترجمته من الكثرة بقدر يصعب حصرها .

(٤) زيادة من مصادر ترجمته .

(٥) يعني الدَّرس .

(٦) في الأصول : معلق ، والتصحيح من كتب السنة .

(٧) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٥٥) وابن ماجه رقم (٤٢٧١) والنسائي (٤/ ١٠٨) من حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره أمر نائب السلطنة بجماعة انتهبوا شيئاً من الباعة فقطعوا أحدَ عشرَ منهم ، وسُمِّر عشرةٌ تسميراً تعزيراً وتأديباً انتهى . والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبع مئة

استهلَّت وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر ناصر الدين حسن بن الملك المنصور ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين بَيْبُغَا(١) ، ووزيره مَنْجَك(٢) .

وقضاته عز الدين بن جماعة الشافعي وتقي الدين الإخنائي المالكي ، وعلاء الدين بن التركماني الحنفي ، وموفق الدين المقدسي الحنبلي . وكاتب سره القاضي علاء الدين بن محيي الدين بن فضل الله العمري . ونائب الشام المحروس بدمشقَ الأمير سيف الدين أَرْغُون شاه الناصري ، وحاجب الحجاب الأمير طَيْدَمُر(٣) الإسماعيلي .

والقضاة بدمشق ، قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي الشافعي ، وقاضي القضاة نجم الدين الحنفي ، وقاضي القضاة جلال الدين المسلَّاتي المالكي ، وقاضي القضاة علاء الدين بن مُنَجَّى الحنبلي .

وكاتب سرّه القاضي ناصر الدين الحلبي الشافعي ، وهو قاضي العساكر بحلب ، ومدِّرس الأسدية بها أيضاً ، مع إقامته بدمشق المحروسة .

وتواترت الأخبار بوقوع البلاء في أطراف البلاد . فذكر عن بلاد القرم أمر هائل ، وموتان فيهم كثير ، ثم ذكر أنَّه انتقل إلى بلاد الفرنج حتى قيل : إنَّ أهل قبرص مات أكثرهم أو يقارب ذلك ، وكذلك وقع بغزة أمر عظيم ، وقد جاءت مطالعة نائب غزة إلى نائب دمشق أنه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعةَ عشرَ ألفاً ، وقرئ « البخاري » في يوم الجمعة بعد الصلاة سابع ربيع الأول في هذه السنة ، وحضر القضاة وجماعة من الناس ، وقرأت بعد ذلك المقرئون ، ودعا الناس برفع الوباء عن البلاد ، وذلك أن الناس لما بلغهم من حلول هذا المرض في السواحل وغيرها من أرجاء البلاد يتوهمون ويخافون وقوعه بمدينة دمشق ، حماها الله وسلمها مع أنه قد مات جماعة من أهلها بهذا الداء .

---

(١) في ط : يلبغا وهو تحريف . والتصويب من النجوم (١٠/ ١٨٨) والذيل التام للسخاوي (١/ ٩٤) وسيأتي في أحداث سنة (٧٥٤)هـ .

(٢) الأمير منجك اليوسفي السلاح دار أخو بيبغا أروس .

(٣) في ط : طير دمر وهو تحريف . والتصويب من الدرر الكامنة (٢/ ٢٣٢) وفيه : طيدمر الحاجب الإسماعيلي اعتقل ومات بعد سنة (٧٥٩)هـ .

وفي صبيحة يوم تاسعه اجتمع الناس بمحراب الصحابة وقرؤوا متوزعين « سورة نوح » ثلاثة آلاف مرة وثلثمئة وثلاثة وستين مرة ، عن رؤيا رجل أنه رأى رسول الله ﷺ وأرشده إلى قراءة ذلك كذلك[١] .

وفي هذا الشهر أيضاً كثر الموت في الناس بأمراض الطواعين ، وزاد الأموات كل يوم على المئة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموتَ أكثرهم ، ولكنه بالنظر إلى كثرة أهل البلـد قليل ، وقد توفي في هذه الأيام من هذا الشهر خلق كثير وجم غفير ، ولا سيَّما من النّساء ، فإن الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير، وشرع الخطيب في القنوت بسائر الصلوات والدعاء برفع الوباء من المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وتضرُّع وإنابة ، وكَثُرت الأموات في هذا الشهر جداً ، وزادوا على المئتين في كل يوم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وتضاعف عدد الموتى منهم ، وتعطلت مصالح الناس ، وتأخرت الموتى عن إخراجهم ، وزاد ضمان الموتى جداً فتضرَّر النَّاس ولا سيما الصَّعاليك ، فإنه يؤخذ على الميت شيء كثير جداً ، فرسم نائب السلطنة بإبطال ضمان النُّعوش والمغسّلين والحمّالين ، ونودي بإبطال ذلك في يوم الإثنين سادسَ عشرَ ربيع الآخر ، ووقف نعوش كثيرة في أرجاء البلد واتسع الناس بذلك ، ولكن كثرت الموتى فالله المستعان[٢] .

وفي يوم الإثنين الثالث والعشرين منه نودي في البلد أن يصوم الناس ثلاثة أيام ، وأن يخرجوا في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة إلى عند مسجد القدم يتضرَّعون إلى الله ويسألونه في رفع الوباء عنهم ، فصام أكثرُ الناس ونامَ الناس في الجامع وأحيوا الليل كما يفعلون في شهر رمضان ، فلما أصبح الناس يوم الجمعة السابع والعشرين منه خرج الناس يوم الجمعة من كل فج عميق ، واليهود والنصارى والسَّامرة ، والشيوخ والعجائز والصبيان ، والفقراء والأمراء والكبراء والقضاة من بعد صلاة الصبح ، فما زالوا هنالك يدعون الله تعالى حتى تعالى النهار جداً ، وكان يوماً مشهوداً .

وفي يوم الخميس عاشر جمادى الأولى صَلَّى الخطيب بعد صلاة الظهر على ستة عشر ميتاً جملة واحدة ، فتهوَّل النَّاسُ من ذلك واندعروا ، وكان الوباء يومئذ كثيراً ربما يقارب الثلثمئة بالبلد وحواضره فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وصُلِّيَ بعد الصلاة على خمسةَ عشرَ ميتاً بجامع دمشق ، وصُلِّيَ بجامع الخيل على إحدَى عَشَرَةَ نفساً رحمهم الله .

وفي يوم الإثنين الحادي والعشرين منه رسم نائب السلطنة بقتل الكلاب من البلد ، وقد كانت كثيرة

---

(١) لم يرد مثل هذا في السنة ، والمنامات لا تؤخذ منها الأحكام الشرعية .
(٢) النجوم الزاهرة (١٠/ ١٩٥) والذيل التام للسخاوي (١/ ٩٤ ـ ٩٥) .

بأرجاء البلد ، وربما ضَرَّت النَّاسَ وقطعت عليهم الطرقات في أثناء الليل ، أما تنجيسها الأماكن فكثير قد عمَّ الابتلاء به وشق الاحتراز منه ، وقد جمعتُ جُزْءاً في الأحاديث الواردة في قتلهم ، واختلاف الأئمة في نسخ ذلك ، وقد كان عثمان[١] رضي الله عنه يأمر في خطبته بذبح الحمام وقتل الكلاب ، ونصَّ مالكٌ في رواية ابن وهب على جواز قتل كلاب بلدة بعينها ، إذا أذن الإمام في ذلك للمصلحة .

وفي يوم الإثنين الثامن والعشرين منه توفي زين الدين عبد الرحمن[٢] ابن شيخنا الحافظ المِزِّي ، بدار الحديث النُّوريَّة وهو شيخها ، ودفن بمقابر الصوفية مع والده .

وفي منتصف شهر جمادى الآخرة قوي الموت وتزايد وبالله المستعان ، ومات خلائق من الخاصَّة والعامَّة ممَّن نعرفهم وغيرهم رحمهم الله وأدخلهم جنته ، وبالله المستعان .

وكان يُصلَّى في أكثر الأيام في الجامع على أَزْيَدَ من مئة ميت فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وبعض الموتى لا يُؤتىٰ بهم إلى الجامع ، وأما حول البلد وأرجائها فلا يعلم عددَ من يموت بها إلا الله عز وجل رحمهم الله آمين .

وفي يوم الإثنين السابع والعشرين منه توفي الصدر شمس الدين[٣] بن الصَّبَّاب[٤] التاجرُ السفَّارُ ، باني المدرسة الصبابية ، التي هي دار قرآن بالقرب من الظاهرية ، وهي قبلي العادلية الكبيرة ، وكانت هذه البقعة برهة من الزمان خربة شنيعة ، فعمرها هذا الرجل وجعلها دار قرآن ودار حديث للحنابلة ، ووقف هو وغيره عليها أوقافاً جيدة رحمه الله تعالى .

وفي يوم الجمعة ثامن شهر رجب صلي بعد الجمعة بالجامع الأموي على غائب : على القاضي علاء الدين بن قاضي شُهْبَة[٥] .

ثم صُلي على إحدى وأربعين نفساً جملة واحدة ، فلم يتّسع داخل الجامع لصفِّهم بل خرجوا ببعض الموتى إلى ظاهر باب السر ، وخرج الخطيب والنَّقيب فصلَّىٰ عليهم كلهم هناك ، وكان وقتاً مشهوداً ، وعبرة عظيمة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) في ط : عمر وهو توهم . وقد مر الكلام فيه في سنة (٧٤٥)هـ مفصلاً .
فقد روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطب عثمان خطبة إلا أمر بقتل الكلاب وذبح الحمام . الحيوان (١/ ٢٩٢).

(٢) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٢٧٥) والوفيات لابن رافع (٢/ ٧٧) والدرر الكامنة (٢/ ٣٥١) .

(٣) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٢٧٦) والدررالكامنة (٣/ ٣٧٥) وذيول تذكرة الحفاظ ص(١٢١) ومنادمة الأطلال ص(٦٩) وقد وهم الشيخ بدران فجعل وفاته سنة (٧٤٠) نقلاً عن الذيل .

(٤) في الدارس (١/ ١٢٨) ابن الصَّبَّان . وهو : محمد بن أحمد بن محمد بن أبي العزّ ابن الصبّاب الحراني التاجر .

(٥) لعلّه ممن انفرد ابن كثير بذكره .

وفي هذا اليوم توفي التاجر المسمى بأَفْرِيْدُون[١] الذي بنى المدرسة التي بظاهر باب الجابية[٢] تجاه تربة بهادرآص ، حائطها من حجارة ملونة ، وجعلها داراً للقرآن العظيم ووقف عليها أوقافاً جيدة ، وكان مشهوراً مشكوراً رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم السبت ثالث رجب صُلِّيَ على الشيخ علي[٣] الغَزِّي[٤] أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية بالجامع الأَفرمي بسفح قاسيون ، ودفن بالسفح رحمه الله .

وكانت له عبادة وزهادة وتقشف وورع ولم يتولَّ في هذه الدنيا وظيفة بالكلية، ولم يكن له مال، بل كان يأتي بشيء من الفتوح يستنفقه قليلاً قليلاً، وكان يعاني التصوُّف ، وترك زوجة وثلاثة أولاد رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع رجب صُلِّي على القاضي زين الدين[٥] بن النُّجَيْح نائب القاضي الحنبلي ، بالجامع المظفَّري ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان مشكوراً في القضاء ، لديه فضائل كثيرة ، وديانة وعبادة ، وكان من أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان قد وقع بينه وبين القاضي الشافعي مشاجرات بسبب أمور ، ثم اصطلحا فيما بعد ذلك .

وفي يوم الإثنين ثاني عشره بعد أذان الظهر حصل بدمشقَ وما حولها ريح شديدة أثارت غباراً شديداً اصفرّ الجو منه ثم اسودّ حتى أظلمت الدنيا ، وبقي الناس في ذلك نحواً من ربع ساعة يستجيرون الله ويستغفرون ويبكون ، مع ما هم فيه من شدة الموت الذريع ، ورجا الناس أن هذا الحال يكون ختام ما هم فيه من الطاعون ، فلم يزدد الأمر إلا شدة ، وبالله المستعان .

وبلغ المصلَّى عليهم في الجامع الأموي إلى نحو المئة وخمسين ، وأكثر من ذلك ، خارجاً عمَّن لا يؤتى بهم إليه من أرجاء البلد وممّن يموت من أهل الذمة ، وأما حواضر البلد وما حولها فأمر كثير ، يقال : إنه بلغ ألفاً في كثير من الأيام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وصلّيَ بعد الظهر من هذا اليوم بالجامع المظفري على الشيخ إبراهيم[٦] بن المُحبّ ، الذي كان

---

(١) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٢٧٧) والدرر الكامنة (١/ ٣٩١) والدارس (٢/ ٢٥٣) والذيل التام (١/ ١٠٢) .

(٢) الدارس (٢/٢٥٣) .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٤٥) وفيه : علي الغزي نزيل الصالحية في كلام طويل .

(٤) في ط : المغربي . وأثبتنا ما في الدرر .

(٥) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٢٧٣) وفيه : زين الدين عمر بن سعدالله بن النُّجَيْح الحراني . وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٣) والدرر الكامنة (٣/١٦٦) . وفي الوفيات لابن رافع (٢/ ٨٥ ـ ٨٦) وفيه : عمر بن سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن بُخَيْخ . نقلاً عن المشتبه في الرجال (١/ ٥١) فليحرر .

(٦) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٢٧٨) والوفيات لابن رافع (٢/ ٩١) والدرر الكامنة (١/ ٩) وفيه : إبراهيم بن أحمد . وذيول تذكرة الحفاظ ص(٥٧) .

يحدث في الجامع الأموي وجامع تَنْكز ، وكان مجلسه كثير الجمع لصلاحه وحسن ما كان يؤديه من المواعيد النافعة ، ودفن بسفح قاسيون ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

وعملت المواعيد بالجامع الأموي ليلة سبع وعشرين من رجب يقولون ليلة المعراج ، ولم يجتمع الناس فيه على العادة لكثرة من مات منهم ، ولشغل كثير من الناس بمرضاهم وموتاهم ، واتفق في هذه الليلة أنه تأخر جماعة من الناس في الخيم ظاهر البلد ، فجاؤوا ليدخلوا من باب النصر على عادتهم في ذلك ، فكأنه اجتمع خلق منهم بين البابين فهلك كثير منهم كنحو ما يهلك الناس في هذا الحين على الجنائز ، فانزعج نائب السلطنة فخرج فوجدهم فأمر بجمعهم ، فلما أصبح الناس أمر بتسميرهم ثم عفا عنهم ، وضُرب متولِّي البلد ضرباً شديداً ، وسُمّر نائبه في الليل ، وسُمّر البواب بباب النصر ، وأمر أن لا يمشي أحد بعد عشاء الآخرة ، ثم تسمَّح لهم في ذلك .

واستهلّ شهر شعبان والفناء في الناس كثير جداً ، وربما أنتنت البلد ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وتوفي الشيخ شمس الدين[١] بن الصَّلاح مدرِّسُ القَيْمريّة الكبيرة بالمطرزيين ، يوم الخميس ثالث عشر شعبان .

وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان صُلِّي بعد الصلاة على جماعة كثيرة ، منهم القاضي عماد الدين بن الشِّيرازي[٢] . محتسب البلد ، وكان من أكابر رؤساء دمشق ، وولي نظر الجامع مدة ، وفي بعض الأوقات نظر الأوقاف ، وجمع له في وقت بينهما ، ودفن بسفح قاسيون .

وفي العشر الأخير من شهر شوال توفي الأمير قَرَابُغَا[٣] دوادار النائب[٤] ، بداره غربي حكر السماق ، وقد أنشأ له إلى جانبها تربة ومسجداً ، وهو الذي أنشأ السُّوَيقة المجدَّدة عند داره ، وعمل لها بابين شرقياً وغربياً ، وضمِّنت بقيمة كثيرة بسبب جاهه ، ثم بارت وهجرت لقلة الحاجة إليها ، وحضر الأمراء والقضاة والأكابر جنازته ، ودفن بتربته هناك ، وترك أموالاً جزيلة وحواصل كثيرة جداً ، أخذه مخدومه نائبُ السَّلطنة .

---

(١) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٢٧٢) وفيه : محمد بن الصلاح . والوفيات لابن رافع : (٢/ ٩٣) وفيه : شمس الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمود بن علي بن عاصم الشَّهْرُزُوري الدمشقي الشافعي . والدارس (١/ ٤٤١) ، وقد نقل نصّ الحسيني .

(٢) ترجمته في : الذيل للحسيني ص(٢٧٤) وفيه : عماد الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى ، أبو المعالي بن الشيرازي الدمشقي . والوفيات لابن رافع (٢/ ٩٤ ـ ٩٥) وفيه : بن جميل بدلاً من يحيى . والدرر الكامنة (٣/ ٣٦٥) والدارس (٢/ ٧٤) .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٤) .

(٤) يعني : أرغون شاه . نائب دمشق .

وفي يوم الثلاثاء سابع شهر ذي القعدة توفّي خطيبُ الجامع ، الخطيب تاج الدين عبد الرحيم[(١)] بن القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن[(٢)] القزويني ، بدار الخطابة ، مرض يومين وأصابه ما أصاب الناس من الطاعون ، وكذلك عامة أهل بيته من جواريه وأولاده .

وتبعه أخوه بعد يومين صدر الدين عبد الكريم[(٣)] ، وصُلِّي على الخطيب تاج الدين بعد الظهر يومئذ عند باب الخطابة ودفن بتربتهم بالصوفية عند أبيه وأخويه بدر الدين محمد[(٤)] ، وجمال الدين عبد الله[(٥)] رحمهم الله .

وفي يوم الخميس تاسعه اجتمع القضاة وكثير من الفقهاء المفتين عند نائب السلطنة بسبب الخطابة ، فطلب إلى المجلس الشيخ جمال الدين[(٦)] محمود بن جملة . فولَّاه إياها نائب السلطنة ، وانتزعت من يده وظائف كان يباشرها ، ففرِّقت على الناس ، فولي القاضي بهاء الدين أبو البقاء تدريس الظاهرية البرانية ، وتوزع الناس بقية جهاته ، ولم يبق بيده سوى الخطابة ، وصلّى بالناس يومئذ الظهر ، ثم خُلع عليه في بكرة نهار الجمعة ، وصلَّى بالناس يومئذ وخطبهم على قاعدة الخطباء .

وفي يوم عرفة ، وكان يوم السبت ، توفي القاضي شهاب الدين[(٧)] بن فضل الله كاتب الأسرار الشريفة بالديار المصرية ، والبلاد الشامية ، ثم عزل عن ذلك ومات ، وليس يباشر شيئاً من ذلك من رياسة وسعادة وأموال جزيلة ، وأملاك ومرتَّبات كثيرة ، وعمر داراً هائلة بسفح قاسيون بالقرب من الركنية[(٨)] شرقيها ليس بالسفح مثلها .

وقد انتهت إليه رياسة الإنشاء ، وكان يشبَّه بالقاضي الفاضل[(٩)] في زمانه ، وله مصنَّفات عديدة

---

(١) ترجمته في : الذيل للحسيني ص(٢٧٢ ـ ٢٧٣) والدرر الكامنة (٢/ ٣٦١) والدارس (١/ ٣٤٧ ـ ٣٧٠) .

(٢) في ط : الرحيم .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٤٠١) وفيه ذكر لاسمه فقط ، وأشير في الهامش إلى أن في ترجمته بياضاً قدره ثلاثة أسطر .

(٤) توفي سنة (٧٤٢) هـ كما سلف .

(٥) توفي سنة (٧٤٣)هـ الدرر الكامنة (٢/ ٢٩٤) .

(٦) في ط : جمال الدين بن محمود وهو توهم . الذيل ص(٢٧٣) والدارس (١/ ٣٤٦) .

(٧) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٢٧٥) والوفيات لابن رافع (٢/ ١١٢ ـ ١١٣) . والفوات (١/ ١٥٧) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٢٣٤) والذيل التام للسخاوي (١/ ١٠٢) .
وهو : أحمد بن يحيى بن فضل الله العُمَري .

(٨) الركنية البرّانية الحنفية بسفح قاسيون . الدارس (١/ ٥١٩) .

(٩) أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني . وزر لصلاح الدين رحمه الله تعالى مات فجأة بالقاهرة سنة (٥٩٦)هـ . وفيات الأعيان (٣/ ١٥٨) .

بعبارات سعيدة[١] ، وكان حسن المذاكرة سريع الاستحضار جيد الحفظ فصيح اللسان جميل الأخلاق ، يحب العلماء والفقراء ، ولم يجاوز الخمسين ، توفي بدارهم داخل باب الفراديس ، وصُلّي عليه بالجامع الأموي ، ودُفن بالسَّفح مع أبيه وأخيه بالقرب من اليغمورية[٢] سامحه الله وغفر له .

وفي هذا اليوم توفي الشيخ عبد الله[٣] بن رشيق المغربي ، كاتبُ مصنَّفات شيخنا العلامة ابن تيمية ، كان أبصرَ بخط الشيخ منه ، إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله[٤] هذا ، وكان سريع الكتابة لا بأس به ديناً عابداً كثير التلاوة حسن الصلاة ، له عيال وعليه ديون رحمه الله وغفر له آمين .

ثم دخلت سنة خمسين وسبعمئة

استهلَّت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك من البلاد الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون .

ونائب الديار المصرية ومُدَبِّر[٥] ممالكه والأَتابك سيف الدين بَيْبُغَا[٦] .

وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في التي قبلها .

ونائب الشام الأمير سيف الدين أَرْغون شاه الناصري .

وقضاة دمشقَ هم المذكورون في التي قبلها ، وكذلك أرباب الوظائف سوى الخطيب وسوى المحتسب[٧] .

وفي هذه السنة ولله الحمد تقاصر أمرُ الطَّاعون جداً ، نزل ديوان المواريث إلى العشرين وما حولها بعد أن بلغ الخمسمئة في أثناء سنة تسع وأربعين ، ثم تقدَّم ولكن لم يرتفع بالكلية .

فإنَّه في[٨] يوم الأربعاء رابع شهر المحرَّم توفي الفقيه شهاب الدين أحمد[٩] بن الثِّقة هو وابنه وأخوه في ساعة واحدة بهذا المرض ، وصُلّيَ عليهم جميعاً ، ودُفنوا في قبر واحد رحمهم الله تعالى .

---

(١) منها كتابه المشهور : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .
(٢) مدرسة بالصالحية . الدارس (١/ ٦٤٩) .
(٣) لعلَّه ممن انفرد ابن كثير بذكره .
(٤) لعلّ أبو زيادة ، لأنه ذكره عبد الله .
(٥) في ط : مدير .
(٦) في ط : يلبغا وسبق الكلام فيه .
(٧) فقد توفاهما الله في السنة الماضية .
(٨) في ط : فإنّ .
(٩) لعلّه ممن انفرد ابن كثير بذكره .

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم توفي صاحبنا الشيخ الإمام العالم العابد الزاهد الناسك الخاشع نور الدين[1] محمد بن[2] محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعي ، مدرِّس العمادية ، كان رحمه الله لديه فضائل كثيرة على طريقة السلف الصالح ، وفيه عبادة كثيرة وتلاوة وقيام ليل وسكون حسن ، وخلق حسن ، جاوز الأربعين بنحو من ثلاث سنين ، رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم الأربعاء ثالث صفر باشر تقي الدين بن رافع[3] المحدِّث مشيخة دار الحديث النورية ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء والقضاة والأعيان ، انتهى والله تعالى أعلم .

مسك نائب السلطنة أَرْغُون شاه

وفي ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول مُسك نائب السلطنة بدمشق الأمير سيف الدين أَرْغُون شاه ، وكان قد انتقل إلى القصر الأبلق بأهله ، فما شعر بوسط الليل إلا ونائب طرابُلُس الأمير سيف الدين أُلْجي بُغَا المظفَّري الناصري ، ركب إليه في طائفة من الأمراء الألوف وغيرهم ، فأحاطوا به ودخل عليه من دخل وهو مع جواريه نائم ، فخرج إليهم فقبضوا عليه وقيَّدوه ورسموا عليه ، وأصبح الناس أكثرُهم لا يشعر بشيء ممَّا وقع ، فتحدَّث الناس بذلك ، واجتمعت الأتراك إلى الأمير سيف الدين أُلْجيبُغَا المذكور ، ونزل بظاهر البلد ، واحتيط على حواصل أَرْغُون شاه ، فبات عزيزاً وأصبح ذليلاً ، وأمسى غنياً[4] نائب السَّلطنة ، فأصبح وقد أحاط به الفقر والمسكنة ، فسبحان من بيده الأمر مالك الملك ، يؤتي الملك من يشاء وينزع المُلك ممن يشاء ، ويعزُّ من يشاءُ ويذلُّ من يشاء[5] ، وهذا كما قال الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٧ ـ ٩٩] ثم لما كان ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول أصبح مذبوحاً فأُثبت محضرٌ بأنه ذبح نفسه[6] فالله تعالى أعلم .

---

(١) في ط : ناصر الدين وأثبتنا ما في الدرر الكامنة والدارس .

(٢) ترجمته في الذيل للحسيني ص (٢٧٢) وذكره في وفيات سنة (٧٤٩)هـ وكذلك هو في الوفيات لابن رافع (٢/ ١٠٦) ففيه وفاته في ليلة الأربعاء مستهلِّ ذي القعدة . وكذلك في الدارس (١/ ٢٣٩) . أما الدرر الكامنة (٤/ ٢٢٦) فوفاته فيها سنة (٧٥٠) غير أنه جعل ولادته سنة (٦٩٦) فيكون بذلك قد جاوز الرابعة والخمسين من العمر .

(٣) هو : أبو المعالي محمد بن رافع السَّلامي صاحب كتاب الوفيات . مات سنة ٧٧٤هـ .

(٤) في ط : علينا . والتصويب من الذيل التام للسخاوي (١/ ١٠٦) نقلاً عن ابن كثير .

(٥) هذا تمثُّل من ابن كثير رحمه الله بمعنى الآية .

(٦) الذيل ص(٢٧٩) الدرر الكامنة (١/ ٣٥٠) ابن خلدون (٥/ ٤٤٨) النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٤٣) الذيل التام للسخاوي (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦) .

كائنة عجيبة غريبة جداً

ثمَّ لمَّا كان يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمسين وسبعمئة وقع اختلاف بين جيش دمشق وبين الأمير سيف الدين أُلْجِيبُغَا ، نائب طرابُلُس ، الذي جاء فأمسك نائب دمشق الأمير سيف الدين أَرْغُون شاه الناصري ، ليلة الخميس وقتله ليلة الجمعة كما تقدَّم ، وأقام بالميدان الأخضر يستخلص أموالَه وحواصلَه ، ويجمعُها عنده ، فأنكر عليه الأمراء الكبار ، وأمروه أن يحمل الأموال إلى قلعة السلطان، فلم يقبل منهم ، فاتَّهموه في أمره ، وشكُّوا في الكتاب على يده من الأمر بمسكه وقتله ، وركبوا ملبسين تحت القلعة وأبواب الميادين ، وركب هو في أصحابه وهم في دون المئة ، وقائل يقول : هم ما بين السبعين إلى الثمانين والتسعين ، جعلوا يحملون على الجيش حمل المستقتلين ، إنما يدافعهم مدافعة المتبرِّئين ، وليس معهم مرسوم بقتلهم ولا قتالهم ، فلهذا ولّىٰ أكثرهم منهزمين ، فخرج جماعة من الجيش حتى بعض الأمراء المقدّمين ، وهو الأمير الكبير سيف الدين أُلْجِيبُغَا العادلي ، فقُطعت يدُه اليمنى ، وقد قارب التِّسْعين ، وقتل آخرون من أجناد الحلقة والمستخدمين ، ثم انفصل الحال على أن أخذ أُلْجِيبُغَا المظفّري من خيول أَرْغُون شاه المرتبطة في إسطبله ما أراد ، ثم انصرف من ناحية المِزَّة صاغراً على عقبيه ، ومعه الأموال التي جمعها من حواصل أَرْغون شاه ، واستمرَّ ذاهباً ، ولم يتبعه أحد من الجيش ، وصحبته الأمير فخر الدين إيَاس ، الذي كان حاجباً ، وناب في حلب في العام الماضي ، فذهبا بمن معهما إلى طرابُلُس ، وكتب أمراء الشام إلى السُّلطان يعلمونه بما وقع ، فجاء البريد بأنه ليس عند السلطان علم بما وقع بالكلية ، وأن الكتاب الذي جاء على يديه مفتعل ، وجاء الأمر لأربعة آلاف من الجيش الشامي أن يسيروا وراءه ليمسكوه ثم أضيف نائب صفد مقدَّماً على الجميع ، فخرجوا في العشر الأول من ربيع الآخر .

وفي يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر خرجت العساكر في طلب سيف الدين أُلْجِيبُغَا العادلي في المعركة ، وهو أحد أمراء الألوف المقدمين ، ولما كانت ليلة الخميس سابعه نودي بالبلد على من يقربها من الأجناد أن لا يتأخر أحد عن الخروج بالغد ، فأصبحوا في سرعة عظيمة واستنيب في البلد نيابة عن النائب الراتب الأمير بدر الدين بن خطير[1] فحكم بدار السعادة على عادة النواب .

وفي ليلة السبت بين العشاءين ، سادس عشره دخل الجيش الذين خرجوا في طلب أُلْجِيبُغَا المظفري ، وهو معهم أسير ذليل حقير ، وكذلك الفخر إياس الحاجب مأسور معهم ، فأُودعا في القلعة مهانين من جسر باب النصر الذي تجاه دار السعادة ، وذلك بحضور الأمير بدر الدين بن خطير نائب الغيبة ، ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) في ط : بدر الدين الخطير . والتصويب من الذيل التام وفيه : بدر الدين مسعود بن خطير نائب الغيبة .

فلما كان يوم الإثنين الثامنَ عشرَ منه خرجا من القلعة إلى سوق الخيل فوسّطا بحضرة الجيش ، وعلقت جُثَّتهما على الخشب ليراهما النَّاس ، فمكثا أياماً ثم أُنزلا فدفنا بمقابر[١] المسلمين .

وفي أوائل شهر جُمادى الآخرة جاء الخبر بموت نائب حلب سيف الدين قُطْلِيجا[٢] ففرح كثير من الناس بموته وذلك لسوء أعماله في مدينة حماة في زمن الطاعون ، وذُكر أنَّه كان يحتاط على التَّركَةِ وإن كان فيها ولد ذكر أو غيره ، ويأخذ من أموال الناس جَهْرةً ، حتَّى حصَل له منها شيء كثير ، ثم نقل إلى حلب بعد نائبها الأمير سيف الدين أَرُقْطاي[٣] الذي كان عُيّن لنيابة دمشقَ بعد موت أَرْغُون شاه ، وخرج النَّاس لتلقّيه فما هو إلا أن برز منزلةً واحدةً من حلبَ فمات بتلك المنزلة[٤] .

فلمّا صار قُطْلِيجا إلى حلب لم يقم بها إلا يسيراً حتى مات ، ولم ينتفع بتلك الأموال التي جمعها لا في دنياه ولا في أخراه .

ولما كان يوم الخميس الحادي عشر من جمادى الآخرة دخل الأمير سيف الدين أَيْتَمُش الناصري[٥] من الديار المصرية إلى دمشقَ نائباً عليها ، وبين يديه الجيش على العادة ، فقبّل العتبة ولبس الحياصة والسيّف ، وأُعطي تقليدَه ومنشورَه هنالك ، ثم وقف في الموكب على عادة النواب ، ورجع إلى دار السعادة وحكم ، وفرح النّاس به ، وهو حسن الشكل تام الخلقة ، وكان الشام بلا نائب مستقل قريباً من شهرين ونصف . وفي يوم دخوله حبس أربعة أمراء من الطبلخانات ، وهم القاسمي وأولاد الأبوبكري ، اعتقلهم في القلعة لممالأتهم أُلْجِيبُغَا المظفري ، على أَرْغون شاه نائب الشام .

وفي يوم الإثنين خامسَ عشرَ جمادى الآخرة حكم القاضي نجم الدين[٦] بن القاضي عماد الدين الطرسوسي الحنفي ، وذلك بتوقيع سلطاني وخلعة من الديار المصرية .

وفي يوم الثلاثاء سادسَ عشرَ جُمادى الآخرة حصل الصُّلح بين قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي وبين

---

(١) الذيل للحسيني ص(٢٨٠) وفيه : فقتلا في حادي عشرين ربيع الآخر . والذيل التام للسخاوي (١/ ١٠٧) نقلاً عن ابن كثير .

(٢) في ط : قطلبشاه وهو تحريف .
ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٥٥) والذيل التام للسخاوي (١/ ١١٠) .

(٣) في ط : أرقطية وأثبتنا ما في النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٤٤) .
وترجمته في النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٤٤) والدليل الشافي (١/ ١٠٩) وفيه : أرقطاي بن عبد الله الأمير سيف الدين .

(٤) مات بظاهر حلب في خامس جمادى الأولى . الدليل الشافي .

(٥) الذيل للحسيني ص(٢٨٠) .

(٦) هو : إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد الحنفي مات سنة (٧٥٨)هـ الدرر الكامنة (١/ ٤٣) الدارس (١/ ٤٧٦) .

الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ، على يدي الأمير سيف الدين بن فضل ملك العرب ، في بستان قاضي القضاة ، وكان قد نقم عليه إكثارَه من الفُتيا بمسألة الطَّلاق .

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين منه نقلت جُثَّة الأمير سيف الدين أَرْغُون شاه من مقابر الصُّوفية إلى تربته التي أنشأها تحت الطَّارمة ، وشرع في تكميل التربة والمسجد الذي قبلها ، وذلك أنه عاجلته المنية على يد أُلْجِيبُغَا المظفري قبل إتمامهما ، وحين قتلوه ذبحاً ودفنوه ليلاً في مقابر الصوفية ، قريباً من قبر الشيخ تقي الدين بن الصَّلاح ، ثم حُوِّل إلى تربته في الليلة المذكورة .

وفي يوم السبت تاسع عشر رجب أذن المؤذنون للفجر قبل الوقت بقريب من ساعة ، فصلَّى الناس في الجامع الأموي على عادتهم في ترتيب الأئمة ، ثم رأَوا الوقت باقياً ، فأعاد الخطيب الفجر بعد صلاة الأئمة كلهم وأقيمت الصَّلاة ثانياً ، وهذا شيء لم يتفق مثله .

وفي يوم الخميس ثامن شهر شعبان توفي قاضي القضاة علاء الدين[١] بن مُنَجَّى الحَنْبلي بالمسمارية ، وصُلِّيَ عليه الظُّهر بالجامع الأموي ، ثم بظاهر باب النصر ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي يوم الإثنين (ثالث)[٢] رمضان بكرة النهار استدعي الشيخ جمال الدين المَرْداوي[٣] من الصّالحية إلى دار السعادة ، وكان تقليد القضاء لمذهبه قد وصل إليه قبل ذلك بأيام ، فأحضرت الخلعة بين يدي النائب والقضاة الباقين ، أُريد على لبسها وقبول الولاية فامتنع ، فألحُّوا عليه فصمَّم وبالغ في الامتناع ، وخرج وهو مغضب فراح إلى الصالحية فبالغ الناس في تعظيمه ، وبقي القضاة يوم ذلك في دار السعادة ، ثم بعثوا إليه بعد الظهر فحضر من الصَّالحية فلم يزالوا به حتى قبل ولبس الخلعة وخرج إلى الجامع ، فقرئ تقليده بعد العصر ، واجتمع معه القضاة وهنَّأه الناس ، وفرحوا به لديانته وصيانته وفضيلته وأمانته .

وبعد هذا اليوم بأيام حكم الفقيه شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي[٤] نيابة عن قاضي القضاة جمال الدين المرداوي المقدسي ، وابن مفلح زوج ابنته .

وفي العشر الأخير من ذي القعدة حضر الفقيه الإمام المحدث المفيد أمين الدين الإيجي المالكي

---

(١) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٢٨١) وذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٧) والدرر الكامنة (٣/١٣٤) والدارس (٢/٤١) .
وهو : أبو الحسن علي بن المُنَجَّا بن عثمان بن أسعد بن المنجَّا التنوخي .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة لابد منها ليستقيم بها النص .

(٣) هو : يوسف بن محمد بن التقي عبد الله بن محمد بن محمود المرداوي . مات سنة ٧٦٩هـ الدارس (٢/٤٢) .

(٤) مات سنة (٧٦٣) هـ الدارس (٢/٤٣) .

مشيخة دار الحديث بالمدرسة الناصرية الجوانية ، نزل له عنها الصدر أمين الدين بن القلانسي ، وكيل بيت المال ، وحضر عنده الأكابر والأعيان[(١)] .

وفي أواخر هذه السنة تكامل بناء التربة التي تحت الطارمة المنسوبة إلى الأمير سيف الدين أَرْغُون شاه ، الذي كان نائب السلطنة بدمشق ، وكذلك القبلي منها ، وصلَّىٰ فيها الناس ، وكان قبل ذلك مسجداً صغيراً فعمره وكبَّره ، وجاء كأنه جامع ، تقبَّل الله منه . انتهى .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمئة

استهلَّت وسلطان الشام ومصر الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون . ونائبه بمصر الأمير سيف الدين بَيْبُغَا[(٢)] وأخوه سيف الدين منجك الوزير ، والمشارون جماعة من المقدمين بديار مصر . وقضاة مصر وكاتب السر هم الذين كانوا في السنة الماضية . ونائب الشام الأمير سيف الدين أَيْتَمُش[(٣)] الناصري . والقضاة هم القضاة سوى الحنبلي فإنَّه الشيخ جمال الدين يوسف المَرْداوي ، وكاتب السر ، وشيخ الشيوخ تاج الدِّين ، وكاتب الدست هم المتقدِّمون ، وأضيف إليهم شرف الدين عبد الوهاب بن القاضي علاء الدين بن شَرْنُوخ[(٤)] ، والمحتسب القاضي عماد الدين بن العزفور ، وشاد الأوقاف الشَّريف ، وناظر الجامع فخر الدين بن العفيف ، وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة رحمه الله .

وفي يوم السبت عاشر المحرم نودي بالبلد من جهة نائب السلطان عن كتاب جاءه من الديار المصرية أن لا تلبس النِّسَاءُ الأكمامَ الطِّوالَ العِراضَ ، ولا البُرُد الحرير ، ولا شيئاً من اللباسات والثياب الثمينة ، ولا الأقمشة القصار ، وبلغنا أنهم بالديارالمصرية شدَّدُوا في ذلك جداً ، حتى قيل إنهم غرَّقوا بعض النساء بسبب ذلك فالله أعلم[(٥)] .

وجُدِّدت وأُكملت في أول هذه السّنة دار قرآن قبلي تربة امرأة تَنْكِز[(٦)] ، بمحلَّة باب الخَوّاصين حوَّلها وكانت قاعة صورة مدرسة الطَّواشي صفي الدين عَنْبر ، مولى ابن حمزة ، وهو أحد الكبار الأجواد ، تقبَّل الله منه .

---

(١) الدارس (١/ ٤٦٢) .
(٢) في ط : يلبغا .
(٣) في ط : اريتمش وهو تحريف .
(٤) هو : علي بن عثمان . مات سنة (٧٧٦)هـ . الدرر الكامنة (٣/ ٨١) .
(٥) بدائع الزهور (١/ ٥٣٦) .
(٦) هي : الست ستيتة . ماتت سنة (٧٣٠)هـ والتربة هي التربة الكوكبائية شرقي الأكزية ، وغربي الطيبة ، وقبلي النورية الكبرى . الدارس (٢/ ٢٧٤) .

وفي يوم الأحد خامس شهر جمادى الأولى فتحت المدرسة الطيبانية[١] التي كانت داراً للأمير سيف الدين طيبان بالقرب من الشامية الجوانية ، بينها وبين أم الصالح ، اشتريت من ثلثه الذي وصَّى به ، وفتحت مدرسة وحُوِّل لها شباك إلى الطريق في ضفتها القبلية منها ، وحضر الدَّرس بها في هذا اليوم الشيخ عماد الدين بن شرف الدين ابن عم الشيخ كمال الدين بن الزملكاني بوصية الواقف له بذلك ، وحضر عنده قاضي القضاة السُّبكي والمالكي وجماعةٌ من الأعيان ، وأخذ في قوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر : ٢] الآية .

واتفق في ليلة الأحد السادس والعشرين من جمادى الأولى أنه لم يحضر أحد من المؤذنين على السُّدَّة في جامع دمشق وقت إقامة الصلاة للمغرب سوى مؤذن واحد ، فانتظر من يقيم معه الصلاة فلم يجئ أحد غيره مقدار درجة أو أزيد منها ، فأقام هو الصلاة وحدَه ، فلمَّا أحرمَ الإمام بالصَّلاة تلاحق المؤذنون في أثناء الصَّلاة حتى بلغوا دون العشرة ، وهذا أمر غريب من عدة ثلاثين مؤذناً أو أكثر ، لم يحضر سوى مؤذن واحد ، وقد أخبر خلق من المشايخ أنهم لم يَرَوْا نظير هذه الكائنة .

وفي يوم الإثنين سابعَ عشرَ جُمادى الآخرة اجتمع القضاة بمشهد عثمان ، وكان القاضي[٢] الحنبلي قد حكم في دار المعتمد الملاصقة لمدرسة الشيخ أبي عمر يلبغا ، وكانت وقفاً ، لتُضافَ إلى دار القرآن ، ووُقف عليها أوقافٌ للفقراء ، فمنعه الشافعي من ذلك ، من أجل أنَّه يؤول أمرها أن تكون دار حديث ثم فتحوا باباً آخر وقالوا : هذه الدار لم يستهدم جميعها ، وما صادف الحكم محلاً لأن مذهب الإمام أحمد أنَّ الوقف يباع إذا استهدم بالكلية ولم يبق ما ينتفع به ، فحكم القاضي الحنفي بإثباتها وقفاً كما كانت ، ونفَّذه الشافعي والمالكي ، وانفصل الحال على ذلك ، وجرت أمور طويلة ، وأشياءُ عجيبة .

وفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة أصبح بوَّاب المدرسة المستجدة التي يقال لها الطيبانية إلى جانب أم الصَّالح مقتولاً مذبوحاً ، وقد أُخذت من عنده أموال من المدرسة المذكورة ولم يطلع على فاعل ذلك ، وكان البواب رجلاً صالحاً مشكوراً رحمه الله[٣] .

ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية :

وفي ليلة الخميس ثالثَ عشرَ رجب وقت أذان العشاء توفي صاحبُنا الشَّيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد[٤] بن أبي بكر بن أَيُّوب الزُّرَعي ، إمام الجوزية ، وابن قيمها ، وصُلِّي عليه بعد صلاة الظهر

---

(١) في الدارس (١/ ٣٣٧) المدرسة الطيبة .

(٢) في ط : الفاضل .

(٣) الدارس (١/ ٣٣٧) وفيه : الطيبة .

(٤) ترجمته في الذيل ص(٢٨٢) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٧) والدرر الكامنة (٣/ ٤٠٠) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٢٤٩) =

من الغد بالجامع الأموي ، ودُفن عند والدته بمقابر الباب الصغير رحمه الله .

ولد في سنة إحدى وتسعين وستمئة وسمع الحديث واشتغل بالعلم . وبرع في علوم متعددة ، ولاسيما علم التفسير والحديث والأصلين ، ولما عاد الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمئة لازمه إلى أن مات الشيخ ، فأخذ عنه علماً جماً ، مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً ، وكثرة الابتهال . وكان حسن القراءة والخلُق ، كثير التودُّد ، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ، ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد ، وكنت من أصحب الناس له وأحبِّ الناس إليه ، ولا أعرف في زماننا من أهل[١] العلم أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً ، ويمدُّ ركوعها وسجودها ، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان ، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله ، وله من التَّصانيف الكِبَار والصِّغار شيء كثير ، وكتب بخطِّه الحسن شيئاً كثيراً ، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشْره من كتب السَّلف والخَلف ، وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله ، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة ، سامحه الله ورحمه ، وقد كان متصدياً للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وجرت بسببها فصول يطولُ بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي وغيره[٢] ، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله ، شهدها القضاة والأعيان والصَّالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم النَّاسُ على حمل نعشه ، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله .

وفي يوم الإثنين ثاني عشر شعبان ذكر الدَّرس بالصَّدرية شرف الدين عبد الله بن الشيخ الإمام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية عوضاً عن أبيه رحمه الله فأفادَ وأجادَ ، وسرد طرفاً صالحاً في فضل العلم وأَهْلِهِ[٣] ، انتهى والله تعالى أعلم .

ومن العجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ولم يقع من نحو مئتي سنة وأكثر ، أنه بَطل الوقيدُ بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان ، فلم يُزَد في وقيده قنديلٌ واحد على عادة لياليه في سائر السنة ولله الحمد والمنة . وفرح أهل العلم بذلك ، وأهل الديانة ، وشكروا الله تعالى على تبطيل هذه البِدْعة الشَّنْعاء ، التي كان يتولَّد بسببها شرور كثيرة بالبلد ، ولا سيَّما[٤] بالجامع الأموي ، وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلَّد الله ملكه ، وشيَّد أركانه ، وكان الساعي لذلك

= والذيل التام (١/ ١١٣) وفيه نقل عن ابن كثير .

(١) في ط : ولا أعرف في هذا العالم في زماننا . وأثبتت العبارة من الذيل التام . وهو الأصوب .

(٢) االدرر الكامنة (٣/ ٤٠٢) .

(٣) الدارس (٢/ ٩٠) وقد مات رحمه الله تعالى سنة (٧٥٩)هـ .

(٤) في ط : والاستيجار وهوتحريف ، والتصويب من الذيل التام (١/ ١١١) .

بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النَّجِيْبيّ بيّض الله وجهه ، وقد كان مقيماً في هذا الحين بالديار المصرية ، وقد كنت رأيت عنده فُتْيا عليها خطُّ الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ كمال الدين بن الزَّمْلكاني ، وغيرهما في إبطال هذه البدعة ، فأنفذ الله ذلك ولله الحمد والمنة . وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أَظْهر الناس من نحو سنة خمسين وأربعمئة وإلى زماننا هذا ، وكم سعىٰ فيها من فقيه وقاضٍ ومفتٍ وعالم وعابد وأمير وزاهد ونائب سلطنة وغيرهم ، ولم ييسر الله ذلك إلا في عامنا هذا ، والمسؤول من الله إطالة عمر هذا السلطان ، ليعلمَ الجَهَلةُ الذين استقرَّ في أذهانهم [أنّه][1] إذا أُبطل هذا الوقيد في عام يموت سلطان الوقت ، وكان هذا لا حقيقة له ولا دليل عليه إلا مجرَّد الوهم والخيال .

وفي مستهل شهر رمضان اتّفق أمرٌ غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة ، فيما يتعلّق بالفقهاء والمدارس ، وهو أنه كان قد توفّي ابنُ النَّاصح[2] الحنبلي بالصَّالحية ، وكان بيده نصف تدريس الصَّاحبة[3] التي للحنابلة بالصالحية ، والنصف الآخر للشيخ شرف الدين[4] ابن القاضي شرف الدين الحنبلي شيخ الحنابلة بدمشقَ ، فاستنجز مرسوماً بالنصف الآخر ، وكانت بيده ولاية متقدّمة من القاضي علاء الدين بن المُنَجَّى الحنبلي ، فعارضه في ذلك قاضي القضاة جمال الدين المَرْدَاوي الحنبلي ، وولَّى فيها نائبه شمس الدين بن مفلح ، ودرَّس بها قاضي القضاة في صدر هذا اليوم ، فدخل القضاة الثلاثة الباقون ومعهم الشيخ شرف الدين المذكور إلى نائب السلطنة ، وأنهَوْا إليه صورة الحال ، فرسم له بالتدريس ، فركب القضاة المذكورون وبعضُ الحجَّاب في خدمته إلى المدرسة المذكورة ، واجتمع الفضلاء والأعيان ، ودرَّس الشيخ شرف الدين المذكور ، وبث فضائل كثيرة ، وفرح الناس .

وفي شوال كان في جملة من توجه إلى الحجّ في هذا العام نائب الديار المصرية ومدبِّر ممالكها الأمير سيف الدين بَيْبُغَا[5] الناصري ، ومعه جماعة من الأمراء ، فلمَّا استقلَّ النَّاسُ ذاهبين نهض جماعة من الأمراء على أخيه الأمير سيف الدين مَنْجك ، وهو وزير المملكة ، وأستاذ دار الأستادارية ، وهو باب الحوائج في دولتهم ، وإليه يرحل ذوو الحاجات بالذَّهب والهدايا ، فأمسكوه وجاءت البريدية إلى الشام في أواخر هذا الشهر بذلك[6] .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) هو : يوسف بن يحيى بن الناصح . ترجمته في الذيل (١/ ٢٨٣) والدرر الكامنة (٤/ ٤٨٠) .
(٣) في ط : الضّاحية وهو تحريف . الدارس (٢/ ٧٩) ويقال لها : الصاحبية أيضاً .
(٤) هو : أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الحنبلي بن قاضي الجبل . مات سنة ٧٧١هـ الوفيات لابن رافع (٢/ ٣٥٤) .
(٥) في ط : يلبغا .
(٦) الدرر الكامنة (٤/ ٣٦١) النجوم الزاهرة (١٠/ ٢١٨) الذيل التام (١/ ١١٢) .

وبعد أيام يسيرة وصل الأمير سيف الدين شَيْخُون[١] ، وهو من أكابر الدولة المصرية تحت التَّرسيم ، فأدخل إلى قلعة دمشق ، ثم أخذ منها بعد ليلة فذهب به إلى الإسكندرية فالله أعلم[٢] . وجاء البريد بالاحتياط على ديوانه وديوان مَنْجك بالشام وأُيسَ من سلامتهما .

وكذلك وردت الأخبار بمسك بَيْبُغا في أثناء الطريق ، وأرسل سيفُه إلى السلطان ، وقدم أمير من الديار المصرية فحلَّف الأمراء بالطاعة إلى السُّلطان ، وكذلك سار إلى حلبَ فحلف من بها من الأمراء ثم عادَ إلى دمشقَ ثم عاد راجعاً إلى الديار المصرية ، وحصل له من الأموال شيء كثير من النواب والأمراء .

وفي يوم الخميس العشرين من ذي القعدة مُسك الأميران الكبيران الشّاميان المقدَّمان شهاب الدين أحمد بن صُبْح ، وملك آص[٣] ، من دار السعادة بحضرة نائب السلطنة والأمراء ورُفعا إلى القلعة المنصورة ، سِيْر بهما ماشيين من دار السعادة إلى باب القلعة من ناحية دار الحديث ، وقُيِّدا وسُجنا بها .

وجاء الخبر بأن السلطان استوزر بالدِّيار المصرية القاضي علم الدين بن زَنْبُور[٤] ، وخلع عليه خلعة سنية ، لم يسمع بمثلها من أعصار متقادمة ، باشر وخلع على الأمراء والمقدمين ، وكذلك خلع على الأمير سيف الدين طَشْبُغَا[٥] وأُعيد إلى مباشرة الدويدارية بالديار المصرية ، وجعل مقدماً .

وفي أوائل شهر ذي الحجّة اشتهر أن نائب صفد شهاب الدين أحمد بن مشد الشُّرْبخاناة طُلب إلى الديار المصرية فامتنع من إجابة الداعي ، ونقَضَ العهد ، وحصَّن قلعتها ، وحصَّل فيها عدداً ومدداً وادّخر أشياء كثيرة بسبب الإقامة بها والامتناع فيها ، فجاءت البريدية إلى نائب دمشق بأن يركب هو وجميع جيش دمشق إليه ، فتجهَّز الجيش لذلك وتأهَّبُوا ، ثم خرجت الأطلاب على راياتها ، فلما برز منها بعضٌ ، بدا لنائب السَّلطنة فردَّهم ، وكان له خبرة عظيمة ، ثم استقر الحال على تجريد أربعة مقدمين بأربعة آلاف إليه[٦] .

وفي يوم الخميس ثاني عشره وقعت كائنة غريبة بمنىً ، وذلك أنه اختلف الأمراء المصريون والشاميون مع صاحب اليمن الملك المجاهد[٧] ، فاقتتلوا قتالاً قريباً من وادي محسّر ، ثم انجلت الوقعة عن أسر

---

(١) في الدرر الكامنة (٢/ ١٩٦) : شَيْخُو .
(٢) النجوم الزاهرة (١٠/ ٢١٨) .
(٣) مات ملك آص سنة (٧٥٦)هـ . الدرر الكامنة (٤/ ٣٥٧) .
(٤) في ط : علم الدين زينور وهو توهّم وتحريف . والتصويب من الدرر الكامنة (٢/ ٢٦١) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٢٢٥) . وفيهما : عبد الله بن سعيد الدولة القبطي الوزير موفق الدين .
(٥) في ط : طسبغا بسين مهملة . وأثبتنا ما في النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٢١) .
(٦) النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٢٢) .
(٧) هو : علي بن داود بن المظفر يوسف بن المنصور . النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٢٨) وبدائع الزهور (١/ ٥٣٦) .

صاحب اليمن الملك المجاهد فحُمل مقيّداً إلى مصر ، كذلك جاءت بها كتب الحجّاج وهم أخبروا بذلك .

واشتُهر في أواخر ذي الحجة أن نائب حلب الأمير سيف الدين أَرْغون الكاملي قد خرج عنها بمماليكه وأصحابه فرام الجيشُ الحلبي ردَّه فلم يستطيعوا ذلك ، وجرحَ منهم جراحاتٍ كثيرةً ، وقتل جماعة فإنا لله وإنّا إليه راجعون ، واستمر ذاهباً وكان في أمله فيما ذكر أن يتلقى سيف الدين بَيْبُغَا في أثناء طريق الحجاز فيتقدّم معه إلى دمشقَ ، وإن كان نائب دمشق قد اشتغل في حصار صفد أن يهجم عليه بغتة فيأخذها ، فلمّا سار بمن معه وأخذته القُطَّاع من كل جانب ونهبت حواصله وبقي تجريدة في نفر يسير من مماليكه ، فاجتاز بحماةَ ليهرِّبَه نائبُها فأبىٰ عليه ، فلما اجتاز بحمصَ وطَّنَ نفسه على المسير إلى السلطان بنفسه ، فقدم به نائبُ حمصَ وتلقَّاه بعض الحجاب وبعض مُقَدَّمي الألوف ، ودخل يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشري الشهر ، وهو في أُبَّهة ، فنزل بدار السعادة في بعض قاعات الدويدارية . انتهى .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وسبعمئة

استهلَّت هذه السنة [والخليفة المعتضد بالله أبو بكر وأبو الفتح ابن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان و][1] وسلطان البلاد الشامية والديار المصرية والحرمين الشريفين وما يلحق بذلك من الأقاليم والبلدان ، الملك الناصر حسن بن السلطان الملك محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي .

ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين بَيْبُغَا[2] الملقب بحارس الطير ، وهو عوضاً عن الأمير سيف الدين بَيْبُغَا أَرُوس[3] الذي راح إلى بلاد الحجاز ، ومعه جماعة من الأمراء بقصد الحج الشريف ، فعزله السلطان في غيبته وأَمسك[4] شَيْخُون واعتقله ، وأخذ مَنجك الوزير ، وهو أستاذ دار ومقدّم ألف ، اصطفى أمواله ، واعتاض عنه ، ووَلَّى مكانه في الوزارة القاضي علم الدين بن زَنْبور ، واسترجع إلى وظيفة الدويدارية الأمير سيف الدين طَشْبُغا الناصري ، وكان أميراً بالشام مقيماً منذ عزل إلى أن أُعيد في أواخر السنة كما تقدم . وأما كاتب السر بمصر وقضاتها فهم المذكورون في التي قبلها .

واستهلَّت هذه السنة ونائب صفد[5] قد حصن القلعة وأعدَّ فيها عدتها وما ينبغي لها من الأطعمات والذخائر والعُدَد والرِّجال ، وقد نابذ المملكة وحارب ، وقد قصدته العساكر من كل جانب من الديار

---

(١) ما بين الحاصرتين نقله السخاوي من ابن كثير (١/ ١١٢) .

(٢) في ط : يلبغا . وهو : بَيْبُغَاطَطَر حارس الطَّير . النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٢٠) والذيل التام (١/ ١١٩) .

(٣) في ط : يلبغا أروس وهو تحريف . أشرنا إليه من قبل .

(٤) في ط : أمسك على .

(٥) أحمد السّاقي ، ذُكر في أحداث السنة الماضية خروجه عن الطاعة واستعداؤهُ .

المصرية ودمشقَ وطرابُلُس وغيرها ، والأخبار قد كتمتْ عن بَيْبُغا ومن معه ببلاد الحجاز ما يكون من أمره ، ونائب دمشق في احتراز وخوف من أن يأتي إلى بلاد الشام فيدهمها بمن معه ، والقلوب وجلة من ذلك ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها ورد الخبر أن صاحب اليمن حجَّ في هذه السنة فوقع بينه وبين صاحب مكة عَجْلان بسبب أنَّه أراد أن يولِّي عليها أخاه ثَقْبَة[١] ، فاشتكى عَجْلان ذلك إلى أمراء المصريين ، وكبيرهم إذ ذاك الأمير سيف الدين بُزْلار ومعهم طائفة كثيرة ، وقد أمسكوا أخاهم[٢] بَيْبُغا وقيَّدُوه ، فقويَ رأسُه عليهم واستخفَّ بهم ، فصبروا حتى قُضي الحجُّ وفرغ الناس من المناسك ، فلمّا كان يوم النفر الأول يوم الخميس تواقفوا هم وهو ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، والأكثر من اليمنيين ، وكانت الوقعة قريبة من وادي محسِّر ، وبقي الحجيج خائفين أن تكون الدائرة على الأتراك فتنهبُ الأعرابُ أموالهم وربَّما قتلوهم ، ففرَّج الله ونصر الأتراك على أهل اليمن ، ولجأ الملك المجاهد إلى جبل فلم يعصِمْهُ من الأتراك ، بل أسروه ذليلاً حقيراً ، وأخذوه مقيداً أسيراً ، وجاءت عوامُّ الناس إلى اليمنيين فنهبوا شيئاً كثيراً ، ولم يتركوا لهم جليلاً ولا حقيراً ، ولا قليلاً ولا كثيراً ، واحتاط الأمراء على حواصل الملك وأمواله وأمتعته وأثقاله ، وساروا بخيله وجماله ، وأدلوا على صنديد[٣] من رحله ورجاله ، واستحضروا معهم طُفَيْلاً[٤] الذي كان حاصر المدينة النبوية في العام الماضي وقيَّدوه أيضاً ،وجعلوا الغُلَّ في عنقه ، واستاقوه كما يُستاق الأسير في وِثاقه مصحوباً بهمِّه وحتفه ، وانشمروا عن تلك البلاد إلى ديارهم راجعين ، وقد فعلوا فعلةً تذكر بعدهم إلى حين .

ودخل الركب الشامي إلى دمشقَ يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من المحرم على العادة المستمرة والقاعدة المستقرة .

وفي هذا اليوم قدمت البريدية من تلقاء مدينة صفد مخبرةً بأنَّ الأمير شهاب الدين أحمد بن مشد الشّربخاناة[٥] ، الذي كان قد تمرّد بها وطغىٰ وبغىٰ حتّى استحوزَ عليها وقطع سبلها[٦] وقتل الفرسان والرجَّالة ، وملأها أطعمة وأسلحة ، ومماليكه ورجاله ، فعندما تحقَّق مسكُ بَيْبُغا أُرُوس خضعت تلك

(١) في ط : بُعيثه وهو تحريف . وأثبتنا ما في النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٢٦) وهو : ثقبة بن رميثة بن أبي نميّ . مات سنة (٧٦٢) بمكة .

(٢) يعني الأتراك .

(٣) العبارة مضطربة . وقد تكون : وأَتَوْا على العديد من رحله ورجاله .

(٤) هو الشريف طُفَيْل بن منصور بن جمّاز . نهبَ المدينة سنة (٧٥١)هـ ثم عزل بابن عمّه سعد بن ثابت بن جماز . ومات سنة (٧٥٢)هـ . الدرر الكامنة (٢/ ٢٢٤) .

(٥) في ط : الشر نجاتاه وهو تحريف .

(٦) في ط : سببها .

النفوس ، وخمدت ناره وسكن شراره وحار بثاره ، ووضح قراره ، وأناب إلى النوبة والإقلاع ، ورغب إلى السَّلامة والخلاص ، وخشع ولات حين مناص ، وأرسل سيفه إلى السلطان ، ثم توجَّه بنفسه على البريد إلى حضرة الملك الناصر والله المسؤول أن يُحسن عليه وأن يُقبل بقلبه إليه(١) .

وفي يوم الأحد خامس صفر قدم من الديارالمصرية الأمير سيف الدين أَرْغُون الكاملي معاداً إلى نيابة حلب ، وفي صحبته الأمير سيف الدين طَشْبُغَا الدوادار بالديار المصرية ، وهو زوج ابنة نائب الشام ، فتلقَّاه نائبُ الشام وأعيان الأمراء ، ونزل طَشْبُغَا الدوادار عند زوجته بدار منجى في محلَّة مسجد القَصَب التي كانت تعرف بدار حنين بن حندر ، وقد جُدِّدَتْ في السنة الماضية ، وتوجَّها في اللَّيلة الثانية من قدومهما إلى حلب .

وفي يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول اجتمع القضاة الثلاثة وطلبوا الحنبلي ليتكلَّموا معه فيما يتعلق بدار المعتمد التي بجوار مدرسة الشيخ أبي عمر ، التي حكم بنقض وقفها وهدم بابها وإضافتها إلى دار القرآن المذكور ، وجاء مرسوم السلطان يوافق ذلك ، وكان القاضي الشافعي قد أراد منعه من ذلك ، فلما جاء مرسوم السلطان اجتمعوا لذلك ، فلم يحضر القاضي الحنبلي ، قال حتى يجيء نائب السلطنة .

ولما كان يوم الخميس خامسَ عشرَ ربيع الأول حضر القاضي حُسَين(٢) ولد قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي عن أبيه مشيخة دار الحديث الأشرفية وقرئ عليه شيء كان قد خرَّجه له بعض المحدِّثين ، وشاع في البلد أنه نزل له عنها ، وتكلَّموا في ذلك كلاماً كثيراً ، وانتشر القولُ في ذلك ، وذكر بعضهم أنَّه نزل له عن الغزالية والعادلية ، واستخلفه في ذلك فالله أعلم .

وفي سحر ليلة الخميس خامس شهر جُمادى الآخرة وقع حريق عظيم بالجوَّانيين في السوق الكبير واحترقت دكاكين الفواخرة والمناجليين وفرجة الغرابيل ، وإلى درب القلى ، ثم إلى قريب درب العميد ، وصارت تلك الناحية دكاً بلقعاً ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . وجاء نائب السلطنة بعد الأذان إلى هناك ورسم بطفي النار ، وجاء المتولّي والقاضي الشافعي والحُجّاب ، وشرع الناس في طفي النار ، ولو تركوها لأحرقت شيئاً كثيراً ، ولم يفقد فيما بلغنا أحدٌ من الناس ، ولكن هلك للناس شيء كثير من المتاع والأثاث والأملاك وغير ذلك ، واحترق للجامع من الرباع في هذا الحريق ما يساوي مئة ألف درهم . انتهى والله أعلم .

---

(١) النجوم (١٠/ ٢٢٥) .

(٢) هو : حسين بن علي بن عبد الكافي . مات سنة (٧٥٥)هـ كما سيأتي .

كائنة غريبة جداً :

وفي يوم الأحد خامسَ عشرَ جُمادى الأولى استسلم القاضي الحنبلي(١) جماعة من اليهود كان قد صَدَر منهم نوع استهزاء بالإسلام وأهله ، فإنَّهم حملوا رجلاً منهم صفَة ميّت على نعش ويهلّلون كتهليل المسلمين أمام الميت ويقرؤون ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١ ـ ٤] .

فسمع بهم مَن بِجَارَتِهِم من المسلمين ، فأخذوهم إلى ولي الأمر نائب السلطنة فدفعهم إلى الحنبلي ، فاقتضى الحال استسلامهم ، فأسلم يومئذ منهم ثلاثة وتبع أحدَهم ثلاثةُ أطفال ، وأسلم في اليوم الثاني ثمانيةٌ آخرون ، فأخذهم المسلمون وطافوا بهم في الأسواق يهللون ويكبِّرون ، وأعطاهم أهل الأسواق شيئاً كثيراً وراحوا بهم إلى الجامع فصَلَّوا ، ثم أخذوهم إلى دار السعادة فاستطلقوا لهم شيئاً ، ورجعوا وهم في ضجيج وتهليل وتقديس ، وكان يوماً مشهوداً ولله الحمد والمنَّة . انتهى والله أعلم .

مملكة السُّلطان الملك الصَّالح

صلاح الدين صالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي : في العشر الأوسط من شهر رجب الفرد وردت البريدية من الديارالمصرية بعزل السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر بن قلاوون لاختلاف الأمراء عليه ، واجتماعهم على أخيه الملك الصالح ، وأُمُّه صالحة بنت ملك الأمراء تَنْكِز الذي كان نائب الشام مدة طويلة ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، وجاءت الأمراء للحَلْف ، فدقّت البشائر وزيّن البلد على العادة ، وقيل : إنَّ الملك الناصر حسن خُنق ورجعت الأمراء الذين كانوا بإسكندرية مثل شَيْخُون ومَنْجك وغيرهما ، وأرسلوا إلى بَيْبُغا فجيء به من الكَرَك ، وكان مسجوناً بها من مرجعه من الحج ، فلما عاد إلى الديار المصرية شَفَعَ في صاحب اليمن الملك المجاهد الذي كان مسجوناً في الكَرَك فأُخرج وعاد إلى الديار الحجازيّة . وأما الأمراء الذين كانوا من ناحية السُّلطان حين مُسك معارضه أمير أخور(٢) ومنكُلي بُغَا(٣) الفخري وغيرهما ، فاحتيط عليهم وأُرسلوا إلى الإسكندرية ، وخُطب للملك الصالح بجامع دمشقَ يوم الجمعة السابعَ عشرَ من شهر رجب وحضر نائبُ السلطنة والأمراء والقضاة للدعاء له بالمقصورة على العادة .

وفي أثناء العشر الأخير من رجب عُزل نائبُ السّلطنة سيف الدين أَيْتَمُش عن دمشقَ مطلوباً إلى الديار المصرية فسار إليها يوم الخميس .

---

(١) القاضي جمال الدين يوسف المرداوي .

(٢) هو أيدغدي أمير أخور . النجوم الزاهرة (١٠/٢٥٦) .

(٣) في ط : ميكلي ، وهو تحريف .

وفي يوم الإثنين حاديْ عشرَ شعبان قدم الأمير سيف الدين أَرْغُون الكاملي الذي كان نائباً على الديار الحلبية من هناك ، فدخل دمشق في هذا اليوم في أُبَّهة عظيمة ، وخرج الأمراء والمقدّمون وأرباب الوظائف لتلقِّيه إلى أثناء الطريق ، منهم من وصل إلى حلبَ وحماة وحمص ، وجرى في هذا اليوم عجائب لم تُرَ من دهور ، واستبشر الناس به لصرامته وشهامته وحِدَّته ، وما كان من لين الذي قبله ورخاوته ، فنزل دار السعادة على العادة . وفي يوم السبت وقف في موكب هائل قيل إنَّه لم يُرَ مثلُه من مدة طويلة ، ولما سير إلى ناحية باب الفرج اشتكى إليه ثلاثُ نسوة على أمير كبير يقال له : طُرْغاي[1] ، فأمر بإنزاله عن فرسه فأُنزل وأُوقف معهن في الحكومة .

واستمرَّ بطلان الوقيد في الجامع الأموي في هذا العام أيضاً كالذي قبله ، حسب مرسوم السلطان الناصر حسن رحمه الله ، ففرح أهل الخير بذلك فرحاً شديداً ، وهذا شيء لم يعهد مثله من نحو ثلثمئة سنة ولله الحمد والمنة .

ونودي في البلد في هذا اليوم والذي بعده عن النائب : من وجد جندياً سكراناً فلينزله عن فرسه وليأخذ ثيابه ، ومن أحضره من الجند إلى دار السعادة فله خبزه ، ففرح الناس بذلك ، واحتجر على الخمّارين والعصّارين ، ورخصت الأَعْنَاب وجادت الأخباز واللَّحم بعد أن كان بلغ كل رطل أربعةً ونصفاً ، فصار بدرهمين ونصف ، وأقل ، وأُصلحت المعايش من هيبة النائب ، وصار له صيتٌ حسنٌ ، وذكر جميل في النَّاس بالعدل وجودة القصد وصحَّة الفهم وقوَّة العدل والإدراك .

وفي يوم الإثنين ثامنَ عشرَ شعبان وصل الأمير أحمد بن شاد الشربخاناه الذي كان قد عصى في صفد ، وكان من أمره ما كان ، فاعتُقل بالإسكندرية ،ثم أُخرج في هذه الدَّولة وأُعطي نيابة حماة فدخل دمشقَ في هذا اليوم سائراً إلى حماة ، فركب مع النائب مع الموكب وسير عن يمينه ونزل في خدمته إلى دارالسعادة ، ورحل بين يديه ، وفي يوم الخميس الحادي والعشرين منه دخل الأمير سيف الدين بَيْبُغا الذي كان نائباً بالديار المصرية ، ثمَّ مسك بالحجاز وأودع الكَرَك ، ثم أُخرج في هذه الدولة وأُعطي نيابةَ حلب ، فتلقَّاه نائبُ السلطنة ، وأُنزل دار السعادة حين أضافه . ونزل وطاقُه بوطأة برزة ، وضُربت له خيمة بالمَيْدان الأَخْضر .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك الملك الصالح صلاح الدين ، صالح بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون .

---

(١) في ط : الطرخاين ، وهو تحريف .

والخليفة الذي يدعى له المعتضد بأمر الله ، ونائب الديار المصرية الأمير سيف الدين قُبْلاي .

وقضاة مصر هم المذكورون في التي قبلها ، والوزير القاضي ابن زنبور ، وأُولو الأمر الذين يدبّرون المملكة فلا تصدر الأمور إلا عن آرائهم لصغر السلطان المذكور جماعة من أعيانهم ثلاثة سيف الدين شَيْخُون ، وطَاز[١] وصَرْغَتْمُش[٢] .

ونائب دمشق الأمير سيف الدين أَرْغُون الكاملي ، وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب البلاد الحلبية سيف الدين بَيْبُغَا أُرُوس[٣] ، ونائب طرابُلُس الأمير سيف الدين بَكْلَمُش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد بن مشد الشربخاناه[٤] .

ووصل بعض الحجاج إلى دمشق في تاسع الشهر ـ وهذا نادر ـ وأُخبروا بموت المؤذن شمس الدين بن[٥] سعيد بعد منزلة العُلا[٦] في المدابغ .

وفي ليلة الإثنين سادسَ عشرَ صفر في هذه السنة وقع حريق عظيم عند باب جيرون شرقيه فاحترق به دكان القفاعي الكبيرة المزخرفة وما حولها ، واتسع اتساعاً فظيعاً ، واتصل الحريق بالباب الأَصْفر من النُّحاس ، فبادر ديوان الجامع إليه فكشطوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل ، بمقصورة الحلبية ، بمشهد علي ، ثم عَدَوْا عليه يكسِّرُون خشبه بالفؤوس الحداد ، والسواعد الشداد ، وإذا هو من خشب الصنوبر الذي في غاية ما يكون من القوة والثبات ، وتأسَّفَ الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد ومعالمه . وله في الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة . انتهى والله أعلم .

ترجمةُ باب جَيْرون المشهور بدمشق[٧]

الذي كان هلاكه وذهابه وكسره في هذه السنة ، وهو باب شرقي جامع دمشق لم يُرَ بابٌ أوسع

---

(١) في ط : طار بالراء .

(٢) في ط : حرعيمش .

(٣) في ط : يلبغا أروش .

(٤) في ط : الشريخانة .

(٥) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٢٨٧) وفيه : المقرئ المجيد شمس الدين محمد بن شيخنا سعيد بن فلاح بن أبي الوحش النابلسي الأصل ، الدمشقي ، رئيس المؤذنين بالجامع الأموي ، توفي بدرب الحجّاج وصار قبره منزلة للحاجّ معروفة ا .هـ .
وذكر وفاته في سنة (٧٥٢)هـ .

(٦) في ط : العلاء . والصواب ما أثبتناه معجم البلدان .

(٧) معجم البلدان ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١/ ٤٤ ، ٤٦) ودمشق تاريخ وصور للدكتور قتيبة الشهابي ص(٢٥٠) .

ولا أعلى منه ، فيما يعرف من الأبنية في الدنيا ، وله غلقان[١] من نحاس أصفر بمسامير نحاس أصفر أيضاً بارزة ، من عجائب الدنيا ، ومحاسن دمشق ومعالمها ، وقد تم بناؤها . وقد ذكرته العرب في أشعارها والناس [في أمثالها][٢] .

وهو منسوب إلى ملك يقال له : جَيْرون بن سعد[٣] بن عاد بن عوص بن أدم بن سام بن نوح ، وهو الذي بناه ، وكان بناؤه له قبل الخليل عليه السلام ، بل قبل ثمود وهود أيضاً ، على ما ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » وغيره ، وكان فوقه حصن عظيم ، وقصر منيف .

ويقال بل هو منسوب إلى اسم المارد الذي بناه لسليمان عليه السلام ، وكان اسم ذلك المارد جَيْرون ، والأول أظهر وأشهر ، فعلى الأول يكون لهذا الباب من المدد المتطاولة ما يقارب خمسةَ آلاف سنة ، ثم كان انجعاف[٤] هذا الباب لا من تلقاء نفسه ، بل بالأيدي العادية عليه ، بسبب ما ناله من شوط حريق اتصل إليه حريق وقع من جانبه في صبيحة ليلة الإثنين السادسَ عشر من صفر ، سنة ثلاث وخمسين وسبعمئة . فتبادر ديوان الجامعية ففرّقوا شَمْلَهُ وقَضَعُوا ثَمْله[٥] . وعَرَّوْا جلده النحاس عن بدنه الذي هو من خشب الصنوبر ، الذي كأن الصانع قد فرغ منه يومئذ ، وقد شاهدت الفؤوس تعمل فيه ولا تكاد تحيل فيه إلا بمشقة ، فسبحان الذي خلق الذين بنوه أولاً ، ثم قدَّر أهل هذا الزمان على أن هدموه بعد هذه المدد المتطاولة ، والأمم المتداولة ، ولكن لكل أجل كتاب ، ولا إلّه إلا رب العباد .

بيان تقدّم مدة هذا الباب وزيادتها على مدة أربعة آلاف سنة بل يقارب الخمسة

ذكر الحافظ ابن عساكر[٦] في أوّل « تاريخه » باب بناء دمشقَ بسنده عن القاضي يحيى بن حمزة[٧] البتلهيّ[٨] الحاكم بها في الزّمن المتقدم ـ وقد كان هذا القاضي من تلاميذ أبي عمروٍ[٩] الأوزاعيِّ ـ قال :

---

(١) في ط : « علمان » ، ولا معنى لها ، وما هنا يعضده ما جاء في وجيز الكلام ١/ ٦٠ (بشار) .
(٢) ما بين الحاصرتين استدركناه من الذيل التام للسخاوي (١/ ١٢١) نقلاً عن ابن كثير .
(٣) في مختصر تاريخ دمشق : جيرون بن سعد بن لقمان بن عاد . . .
(٤) « انجعاف » : من جعف الشجر قلعها . القاموس المحيط .
(٥) جاؤوا على البقية الباقية منه .
(٦) تاريخ ابن عساكر (١/ ١٣) .
(٧) هو : يحيى بن حمزة الحضرمي البتلهي أبو عبد الرحمن ، قاضي دمشق في عصره وعالمها ، كان من حفاظ الحديث ، تولّى القضاء نحواً من ثلاثين سنة وحديثه في الكتب الستّة مات سنة (١٨٣)هـ تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٤) الأعلام (٨/ ١٤٣) .
(٨) في ط : التبلهي ، بتقديم التاء على الباء . وهو تصحيف ، والبتلهي نسبة إلى بيت لها قرية قرب دمشق .
(٩) في ط : ابن عمر والأوزاعي . وهو توهم .

لمَّا فتح عبد الله بن عليّ دمشقَ بعد حصارها ـ يعني وانتزاعها من أيدي بني أمية وسلبهم ملكهم ـ هدموا سورَ دمشق فوجدوا حجراً مكتوباً عليه باليونانية ، فجاء راهب فقرأه لهم ، فإذا هو مكتوب عليه : « ويكِ إرَم الجبابرة ، من رَامَكَ[(١)] بسوء قصمه الله ، إذا وهىٰ منك جيرونُ الغربي من باب البريد وَيْلكِ[(٢)] من خمسة أعين نَقْضُ سورك على يديه ، بعد أربعة آلاف سنة تعيشين رَغَداً ، فإذا وهىٰ منك جَيْرُونُ الشرقي أُديل[(٣)] لك ممّن تعرّض[(٤)] لك » .

قال : فوجدنا الخمسة أعين عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب[(٥)] ، عين بن عين بن عين بن عين بن عين .

فهذا يقتضي أنه كان بسورها سنيناً إلى حين إخراجه على يد عبد الله بن علي أربعة آلاف سنة، وقد كان إخراجه له في سنة ثنتين وثلاثين ومئة كما ذكرنا في التاريخ الكبير ، فعلى هذا يكون لهذا الباب إلى يوم خرب من هذه السنة ـ أعني سنة ثنتين وثلاثين ومئة ـ أربعة آلاف وستمئة وإحدى وعشرين سنة، والله أعلم .

وقد ذكر ابن عساكر عن بعضهم أن نوحاً عليه السلام هو الذي أسس دمشقَ بعد حرَّانَ وذلك بعد مضي الطوفان .

وقيل بناها دمسقس[(٦)] غلام ذي القرنين عن إشارته ، وقيل : عاد الملقب بدمشيق وهو غلام الخليل ، وقيل : غير ذلك من الأقوال ، وأظهرها أنها من بناء اليونان ، لأن محاريب معابدها كانت موجهة إلى القطب الشمالي ، ثم كان بعدهم النصارى فصلَّوا فيها إلى الشرق ، ثم كان فيها بعدهم أجمعين أمة المسلمين فصلَّوا إلى الكعبة المشرَّفة . وذكر ابن عساكر وغيره أن أبوابها كانت سبعة ، كل منها يتخذ عنده عيد لهيكل من الهياكل السبعة ، فباب القمر باب السلامة ، وكانوا يسمونه باب الفراديس الصغير ، ولعطارد باب الفراديس الكبير ، وللزُّهرة باب توما ، وللشَّمس الباب الشرقي ، وللمرّيخ بابُ الجابية ، وللمُشْتري باب الجابية الصغير ، ولزُحل باب كيسان .

وفي أوائل شهر رجب الفرد اشتُهر أن نائب حلب بَيْبُغا أُرُوس اتّفق مع نائب طرابُلُس بَكْلَمُش ، ونائب

= وهو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمر بن يُحمِد الأوزاعي . مات سنة (١٥٧)هـ ببيروت .

(١) في ط : راسك . وهو تحريف .

(٢) في ط : وتلك . وهو تحريف .

(٣) في ط : أؤمل وهو تحريف .

(٤) في ط : يعوض . وهو تحريف .

(٥) الخبر في : قرة العيون في أخبار باب جيرون : ص(٨) .

(٦) في ط : دمسغس بالغين . وهو تحريف .

حلب أمير أحمد بن مشد الشربخاناه على الخروج عن طاعة السلطان حتى يمسك شَيْخُون وطَاز ، وهما عضدا الدولة بالديار المصرية ، وبعثوا إلى نائب دمشق وهو الأمير سيف الدين أَرْغُون الكاملي فأبىٰ عليهم ذلك ، وكاتب إلى الديار المصرية بما وقع من الأمر ، وانزعج الناس لذلك ، وخافوا من غائلة هذا الأمر وبالله المستعان(١) .

ولما كان يوم الإثنين ثامن الشهر جمع نائب السلطنة الأمراء عنده بالقصر الأبلق واستحلفهم بيعة أخرى لنائب السلطنة الملك الصالح ، فحلفوا واتفقوا على السمع والطاعة والاستمرار على ذلك .

وفي ليلة الأربعاء سابعَ عشرَ رجب جاءت الجبلية الذين جمعوهم من البقاع لأجل حفظ ثنيّة العُقَاب من قدوم العساكر الحلبية ، ومن معهم من أهل طرابُلُس وحماة ، وكان هؤلاء الجبلية قريباً من أربعة آلاف ، فحصل بسببهم ضرر كثير على أهل برزة وما جاورهم من الثِّمار وغيرها .

وفي يوم السبت العشرين منه ركب نائب السلطنة سيف الدين أَرْغُون ومعه الجيوش الدمشقية قاصدين ناحية الكُسْوة لئلاَّ يقاتلوا(٢) المسلمين ، ولم يبق في البلد من الجند أحد ، وأصبح الناس وليس لهم نائب ولا عسكر ، وخلت الديار منهم ، ونائب الغيبة الأمير سيف الدين أُلْجي بُغَا العادلي ، وانتقل النَّاسُ من البساتين ومن طرف العُقَيْبة وغيرها إلى المدينة ، وأكثر الأمراء نقلت حواصلهم وأهاليهم إلى القلعة المنصورة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما اقترب دخول الأمير بَيْبُغَا بمن معه انزعج الناس وانتقل أهل القرى الذين في طريقه ، وسَرَىٰ ذلك إلى أطراف الصّالحية والبساتين وحواضر البلد ، وغُلّقت أبواب البلد إلى ما يلي القلعة ، كباب النصر وباب الفرج ، وكذا باب الفراديس ، ودخلت أكثر المحال من أهاليهم ، ونقلوا حوائجهم وحواصلهم وأنعامهم إلى البلد على الدواب والحمَّالين ، وبلغهم أن أطراف الجيش انتهبوا ما في القرايا في طريقهم من الشعير والتبن وبعض الأنعام للأكل . وربما وقع فساد غير هذا من بعض الجهلة ، فخاف النَّاسُ كثيراً وتشوشت خواطرهم انتهى .

دخول بَيْبُغَا أُرُوس(٣) إلى دمشق(٤)

ولما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب دخل الأمير سيف الدين بَيْبُغَا أُرُوس نائب حلب إلى

---

(١) النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٧٠) الذيل التام للسخاوي (١/ ١٢١ ـ ١٢٢) .

(٢) في ط : ليلاً يقاتلون وهو تحريف .

(٣) في ط : يلبغا أروش .

(٤) النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٧٢ وما بعدها) . الذيل التام (١/ ١٢٢) .

دمشق المحروسة بمن معه من العساكر الحلبية وغيرهم وفي صحبته نائب طرابُلُس الأمير سيف الدين بَكْلَمُش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد ، ونائب صفد الأمير علاء الدين أَلْطَنْبُغَا ، الملقب بُرْنَاق[١] ، وكان قد توجه قبله ، قيل بيوم ، ومعه نواب قلاع كثيرة من بلاد حلب وغيرها ، في عدد كثير من الأتراك والتركمان ، فوقف في سوق الخيل مكان نواب السلطان تحت القلعة واستعرض الجيوش الذين وفدوا معه هنالك ، فدخلوا في تجمُّل كثير ، ملبسين ، وكان عدَّة من كان معه من أمراء الطبلخانات قريباً من ستين أميراً أو يزيدون أو ينقصون ، على ما استفاض عن غير واحد ممَّن شاهد ذلك ، ثم سار قريباً من الزوال للمخيم الذي ضُرب له قبل مسجد القدم عند قبة يَلْبُغا ، عند الجدول الذي هنالك ، وكان يوماً مشهوداً هائلاً ، لمَا عايَن النَّاسُ من كثرة الجيوش والعدد ، وعذَرَ كثيرٌ من الناس صاحبَ دمشقَ في ذهابه بمن معه لئلا يقابل هؤلاء . فنسأل الله أن يجمعَ قلوبهم على ما فيه صلاح المسلمين .

وقد أرسل إلى نائب القلعة وهو الأمير سيف الدين إيَاجي[٢] يطلب منه حواصل أَرْغُون التي عنده ، فامتنع عليه أيضاً ، وقد حصَّن القلعة وسترها وأرصد فيها الرجال والرماة والعُدَد ، وَهيأ بها بعض المجانيق ليبعد بها فوق الأبرجة ، وأمر أهل البلد أن لا يفتحوا الدكاكين ويغلقوا الأسواق ، وجعل يغلق أبواب البلد إلا باباً أو بابين منها ، واشتدّ حنق العسكر عليه ، وهمُّوا بأشياء كثيرة من الشر ، ثم يرعوون عن الناس والله المسلِّم ، غير أن إقبال العسكر وأطرافه قد عاثوا فيما جاوروه من القرايا والبساتين والكروم والزروع فيأخذون ما يأكلون وتأكل دوابهم ، وأكثر من ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونُهبت قرايا كثيرة وفجروا بنساءٍ وبنات ، وعَظُم الخطب ، وأمّا التجار ومن يذكر بكثرة مال فأكثرهم مختف لا يظهر لما يخشى من المصادرة ، نسأل الله أن يحسن عاقبتهم .

واستهلّ شهر شعبان وأهل البلد في خوف شديد ، وأهل القرايا والحواضر في نقلة أثاثهم وأبقارهم ودوابهم وأبنائهم ونسائهم ، وأكثر أبواب البلد مغلقة سوى بابي الفراديس والجابية ، وفي كل يوم نسمع بأمور كثيرة من النهب للقرايا والحواضر ، حتى انتقل كثير من أهل الصالحية أو أكثرهم ، وكذلك من أهل العُقَيْبة[٣] وسائر حواضر البلد ، فنزلوا عند معارفهم وأصحابهم ، ومنهم من نزل على قارعة الطريق بنسائهم وأولادهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقال كثيرٌ من المشايخ الذين أدركوا زمن قَازَان : إن هذا الوقت كان أصعب من ذلك لمَا ترك الناس من ورائهم من الغلات والثمار التي هي عمدة قوتهم في سنتهم ، وأما أهل البلد ففي قلق شديد أيضاً لما

---

(١) في ط : طيبغا ملقب برتاق وهوتحريف . والتصويب من الذيل التام (١/ ١٢٢) . وفيه : أَلْطَنْبُغا الجاشنكير الملقب بُرْناق .

(٢) في ط : إباجي بالباء وهو تحريف .

(٣) في ط : العقيبة .

يبلغهم عنهم من الفجور بالنساء ، ويجعلون يدعون عَقِيْب الصلوات عليهم يصرِّحون بأسمائهم ويعنون بأسماء أمرائهم وأتباعهم .

ونائب القلعة الأمير سيف الدين إياجي في كل وقت يسكِّن جأش الناس ويقوِّي عزمهم ويبشِّرهم بخروج العساكر المنصورة من الديار المصرية صحبة السلطان إلى بلاد غزة حيث الجيش الدمشقي ، ليجيئوا كلُّهم في خدمته وبين يديه ، وتدق البشائر فيفرحُ النّاس ، ثم تسكن الأخبار وتبطل الروايات ، فتقلق ، ويخرجون في كل يوم وساعة في تجمُّل عظيم ووعد وهيآت حسنة ، ثم جاء السلطان أيده الله تعالى وقد ترجَّل الأمراء بين يديه من حين بسط له عند مسجد الذُّبَّان إلى داخل القلعة المنصورة ، وهو لابس قباءً أحمر له قيمته على فرس أصيلة مؤدّبة معلّمة المشي على القوس لا تحيد عنه ، وهو حسن الصُّورة مقبول الطلعة ، عليه بهاء المملكة والرياسة ، والجتر فوق رَأسه يحمله بعض الأمراء الأكابر ، وكلّما عاينه من الناس يبتهلون بالدعاء بأصوات عالية ، والنساء بالزغرطة ، وفرح الناس فرحاً شديداً ، وكان يوماً مشهوداً ، وأمراً حميداً ، جعله الله مباركاً على المسلمين .

فنزل بالقلعة المنصورة ، وقد قدم معه الخليفة المعتضد أبو الفتح أبو بكر(١) بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وكان راكباً إلى جانبه من ناحية اليسار ، ونزل بالمدرسة الدِّماغية(٢) .

[ثم](٣) في أواخر هذا اليوم سار(٤) الأمراء مع نائب الشام ، وتقدَّمهم طاز وشَيْخُون في طلب بَيْبُغا ومن معه من البغاة المفسدين .

وفي يوم الجمعة ثانيه حضر السلطان أيَّده الله إلى الجامع الأموي وصَلَّىٰ فيه الجمعة بالمشهد الذي يصلِّي فيه نواب السلطان أيده الله ، فكثُر الدعاء والمحبة له ذاهباً وآيباً تقبّل الله منه ، وكذلك فعل الجمعة الأخرى وهي تاسع الشهر .

وفي يوم السبت عاشره اجتمعنا(٥) ـ بالخليفة المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وسلَّمنا عليه وهو نازل بالمدرسة الدِّماغية ، داخل باب الفرج ، وقرأتُ عنده جزءاً فيه ما رواه أحمدُ بن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعي في « مسنده » ، وذلك عن الشيخ عز الدِّين بن الضِّياء الحموي بسماعه من ابن البُخَاري وزينب بنت مكي ،

---

(١) في ط : أبو الفتح بن أبي بكر وهو غلط . فهو أبو الفتح وأبو بكر أيضاً .
(٢) داخل باب الفرج وشمالي العمادية . الدارس (١/ ٢٣٦) .
(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من الذيل التام (١/ ١٢٣) .
(٤) في ط : سائر وهوتحريف .
(٥) بعد هذا في ط : « يقول الشيخ عماد الدين بن كثير المصنف رحمه الله » ، ولا شك أن هذا من الناسخ .

عن أحمد بن الحُصَين ، عن ابن المذهب ، عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه فذكرهما .
و المقصود أنَّه شابٌّ حسنُ الشكل مليحُ الكلام متواضعٌ ، جيدُ الفهم حلوُ العبارة رحم الله سَلَفَهُ(١) .

وفي رابع عشره قدم البريد من بلاد حلب بسيوف الأمراء الممسوكين من أصحاب بَيْبُغَا .

وفي يوم الخميس خامس عشره نزل السلطان الملك الصالح من الطّارمة إلى القصر الأبلق في أُبَّهة المملكة ، ولم يحضر يوم الجمعة إلى الصلاة ، بل اقتصر على الصلاة بالقصر المذكور . وفي يوم الجمعة باكر النهار دخل الأمير سيف الدين شَيْخُون وطاز بمن معهما من العساكر من بلاد حلب ، وقد فات تدارك بَيْبُغا وأصحابه لدخولهم بلاد دُلْغَادر(٢) التركماني بمن بقي معهم ، وهم القليل ، وقد أُسر جماعةٌ من الأمراء الذين كانوا معه ، وهم في القيود والسلاسل صحبة الأميرين المذكورين ، فدخلا على السلطان وهو بالقصر الأبلق فسلّما عليه وقبّلا الأرض وهنَّآه بالعيد ، ونزل طاز بدار أَيْتَمُش بالشرف(٣) الشمالي ، ونزل شَيْخُون بدار إياس الحاجب بالقرب من الظاهرية البرانية ، ونزل بقية الجيش في أرجاء البلد ، وأما الأمير سيف الدين أَرْغون فأقام بحلب نائباً عن سؤاله إلى ما ذكر ، وخُوطب في تقليده بألقاب هائلة ، ولبس خلعة سنية ، وعُظِّم تعظيماً زائداً ، ليكون هناك إلْباً(٤) على بَيْبُغَا وأصحابه لشدة ما بينهما من العداوة . ثم صلَّى السلطان بمن معه من المصريين ومن انضاف إليهم من الشاميين صلاةَ عيد الفطر بالمَيْدان الأخضر ، وخطب بهم القاضي تاج الدين(٥) المُنَاوي المصري قاضي العسكر المصري بمرسوم السلطان وذويه ، وخلع عليه . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

قتل الأمراء السَّبعة من أصحاب بَيْبُغَا(٦)

وفي يوم الإثنين ثالث شوال قبل العصر ركب السلطان من القصر إلى الطّارمة وعلى رأسه القبة والطَّيْر يحملهما الأمير بدر الدين بن الخطير(٧) ، فجلس في الطارمة ووقف الجيش بين يديه تحت القلعة وأَحضروا الأمراء الذين قدموا بهم من بلاد حلب، فجعلوا يوقفون الأمير منهم ثم يشاورون عليه، فمنهم

---

(١) الذيل التام (١/ ١٢٤) نقلاً عن ابن كثير .

(٢) في ط : زلغادر وهوتحريف . وهو : قَراجا بن دُلغادر بن خليل التركماني قتل في القاهرة سنة (٧٥٤)هـ . الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٥) .

(٣) في ط : الشرق وهو تحريف .

(٤) « الإلْبُ » : القوم يجتمعون على عداوة إنسان واحد . القاموس المحيط .

(٥) هو : محمد بن إسحاق المناوي . مات سنة (٧٦٤)هـ . الوفيات لابن رافع (٢/ ٢٨٣) الذيل التام (١/ ١٢٣) .

(٦) في ط : يلبغا . وأسماء الأمراء وتفصيل الخبر في النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٧٦) .

(٧) مسعود بن أوحد .

من يُشفع فيه ، ومنهم يُؤمر بتوسيطه ، فوُسِّط سبعةٌ : خمس طبلخانات ومقدَّما ألفٍ ، منهم نائب صفد بُرْناق وشُفع في الباقين فردُّوا إلى السِّجن ، وكانوا خمسة آخرين . وفي يوم الأربعاء خامسه مُسك جماعةٌ من أمراء دمشق سبعة وتحولت دول كثيرة ، وتأمَّر جماعة من الأجناد وغيرهم[١] انتهى .

خروج السُّلطان من دمشقَ متوجهاً إلى بلاد مصر

وفي يوم الجمعة سابع شوّال ركب السلطان في جيشه من القصر الأبلق قاصداً لصلاة الجمعة بالجامع الأموي ، فلما انتهى إلى باب النصر ترجَّل الجيش بكماله بين يديه مشاة ، وذلك في يوم شاتٍ كثير الوحل ، فصلَّىٰ بالمقصورة إلى جانب المصحف العثماني ، وليس معه في الصف الأول أحد ، بل بقية الأمـراء خلفه صفوف ، فسمع خطبة الخطيب ، ولما فرغ من الصَّلاة قُرِئَ كتابٌ بإطلاق أعشار الأوقاف .

وخرج السلطان بمن معه من باب النصر ، فركب الجيش واستقل ذاهباً نحو الكُسْوة بمن معه من العساكر المنصورة ، مصحوبين بالسلامة والعافية المستمرة ، وخرج السلطان وليس بدمشقَ نائبُ سلطنةٍ ، وبها الأمير بدر الدين بن الخطير هو الذي يتكلم في الأمور نائبَ غيبةٍ ، حتى يقدم إليها نائبها ويتعين لها ، وجاءت الأخبار بوصول السلطان إلى الديار المصرية سالماً ، ودخلها في أُبَّهة عظيمة في أواخر ذي القعدة ، وكان يوماً مشهوداً ، وخلع على الأمراء كلهم ولبس خلعة نيابة الشام الأمير علاء الدين المارِدَاني ، ومُسِكَ الأمير علم الدين بن زَنْبُور[٢] وتولَّى[٣] الوزارة الصاحب موفق الدين[٤] .

وفي صبيحة يوم السبت خامس [ذي] الحجة دخل الأمير علاء الدين على الجَمدار من الديار المصرية إلى دمشق المحروسة في أبهة هائلة ، وموكب حافل متولياً نيابة بها ، وبين يديه الأمراء على العادة ، فوقف عند تربة بَهَادُر آص حتّى استعرض عليه الجيش فلحقهم ، فدخل دار السعادة فنزلها على عادة النواب قبله ، جعله الله وجهاً مباركاً على المسلمين .

وفي يوم السبت ثاني[٥] عشره قدم دوا دار السلطان الأمير عزُّ الدين طُقْطَاي[٦] من الديار المصرية فنزل

---

(١) تفاصيل الخبر في النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٧٦) .

(٢) الذيل التام (١/ ١٢٤) . وكان وصوله يوم الثلاثاء خامس عشرين شوَّال كما في النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٧٧) .

(٣) في ط : « وتولية » ولا معنى لها .

(٤) هو هبة الله بن إبراهيم ، وتسمّى لما أسلم عبد الله . وكان يقال له : الأسعد القبطي الوزير موفق الدين . مات سنة (٧٥٥)هـ . الدرر الكامنة (٤/ ٤٠٠) .

(٥) في ط : « ثالث » ولا يصح فإن السبت الذي قبله هو الخامس منه (بشار) .

(٦) في ط : مغلطاي . وأثبتنا ما في الذيل التام (١/ ١٢٩) وفيه : في محرمها توجه الأمير عز الدين طُقطاي الناصري الدوادار .

القصر الأبلق ، ومن عزمه الذهاب إلى البلاد الحلبية ليجهز الجيوش نحو بَيْبُغا وأصحابه انتهى والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان الإسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية والمملكة الحلبية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي .

ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قَبْلاي ، والمشار إليهم في تدبير المملكة الأمراء سيف الدين شَيْخُون ، وسيف الدين طاز ، وسيف الدين صَرْغَتْمُش الناصري .

وقضاة القضاة وكاتب السر هناك هم المذكورون في السنة الماضية .

ونائب حلب الأمير سيف الدين أَرْغُون الكاملي ، لأجل مقاتلة أولئك الأمراء الثلاثة بَيْبُغا وأمير أحمد وبَكْلَمُش الذين فعلوا ما ذكرنا في رجب من السنة الماضية ، ثم لجأوا إلى بلاد الأَبُلُسْتَيْن[١] في خفارة دُلْغَادر[٢] التركماني ، ثم إنه احتال عليهم من خوفه من صاحب مصر وأسلمهم إلى قبضة نائب حلب المذكور ، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، ولله الحمد والمنة ، ونائب طرابُلُس الأمير سيف الدين أَيْتَمُش الذي كان نائب دمشق كما ذكرنا ، تقلبت به الأحوال حتى استنيب في طرابُلُس حين كان السلطان بدمشق كما تقدم .

واستهلّت هذه السنة وقد تواترت الأخبار بأن الأمراء الثلاثة بَيْبُغَا وبَكْلَمُش وأمير أحمد قد حصلوا في قبضة نائب حلب الأمير سيف الدين أَرْغُون ، وهم مسجونون بالقلعة بها ، ينتظر ما يرسم به فيهم ، وقد فرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً .

وفي يوم السبت سابع عشر المحرم وصل إلى دمشق الأمير عز الدين طُقْطَاي[٣] الدويدار عائداً من البلاد الحلبية ، وفي صحبته رأس بَيْبُغا الباغي أمكن الله منه بعد وصول صاحبيه بَكْلَمُش الذي كان نائباً بطرابُلُس ، وأمير أحمد الذي كان نائب حماة ، فقطعت رؤوسهما بحلب بين يدي نائبها سيف الدين أَرْغُون الكاملي ، وسُيّرت إلى مصر ، ولما وصل بَيْبُغَا بعدهما فُعل به كفعلهما جهرة بعد العصر بسوق

---

(١) في ط : البلبيسين وهو تحريف . والأبلستين مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من أبسُس وهي في أرض تركية اليوم . معجم البلدان أطلس تاريخ الإسلام (الخريطة ١٢٨) .

(٢) في ط : زلغادر .

(٣) في ط : مغلطاي .

الخيل بين يدي نائب السلطنة والجيش برمته والعامة على الأحاجير يتفرجون بمصرعه ، وسُرَّ المسلمون كلهم ولله الحمد والمنة[(١)] .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول أُقيمت جمعة جديدة بمحلة الشاغور بمسجد هناك يقال له مسجد المَزَّاز[(٢)] ، وخطب فيه جمال الدين عبد الله بن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية[(٣)] ، ثم وقع في ذلك كلام فأفضى الحال أن أهل المحلة ذهبوا إلى سوق الخيل يوم موكبه ، وحملوا سناجق خليفية من جامعهم ومصاحف واشتملوا إلى نائب السلطنة وسألوا منه أن تستمر الخطبة عندهم ، فأجابهم إلى ذلك في الساعة الراهنة ، ثم وقع نزاع في جواز ذلك ، ثم حكم القاضي الحنبلي لهم بالاستمرار ، وجرت خطوب طويلة بعد ذلك .

وفي يوم الأحد سابع ربيع الآخر توفِّي الأمير الكبير سيف الدين أُلْجيبُغا[(٤)] العادلي ، ودفن بتربته[(٥)] التي كان أنشأَهَا قديماً ظاهرَ باب الجابية ، وهي مشهورة تعرف به ، وكان له في الإمرة قريباً من ستين سنة ، وقد كان أصابه في نوبة أَرْغون شاه وقضيته ضربة أصابت يدَهُ اليمنى ، واستمرَّ مع ذلك على إمرته وتقدمته محترماً معظَّماً إلى أن توفي رحمة الله تعالى عليه .

ذكر أمر غريب جداً

لما ذهبتُ لتهنئة الأمير ناصر الدين بن لاقوش[(٦)] بنيابة بعلبك ، وجدتُ هنالك شاباً فذكر لي من حضر أن هذا هو الذي كان أنثى ثم ظهر له ذكر ، وقد كان أمره اشتهر ببلاد طرابُلُس ، وشاع بين الناس بدمشق وغير ذلك ، وتحدَّث الناس به ، فلما رأيته وعليه قبعة تركية استدعيته إليّ وسألته بحضرة من حضر ، فقلت له : كيف كان أمرك ؟ فاستحيى وعلاه خجل يشبه النِّساء ، فقال : كنت امرأة مدة خمس عشرة سنة ، وزوجوني بثلاثة أزواج لا يقدرون عليَّ ، وكلهم يطلِّق ، ثم اعترضني حال غريب فغارت ثدياي وصَغُرت ، وجعل النوم يعتريني ليلاً ونهاراً ، ثم جعل يخرج من محل الفرج شيء قليل قليلاً ، ويتزايد حتى برز شبه ذكر وأنثيان ، فسألته أهو كبير أم صغير ؟ فاستحيى ثم ذكر أنه صغير بقدر الأُصْبع ،

---

(١) النجوم الزاهرة (١٠/ ٢٨٤) .
(٢) في ط : المزار بالراء المهملة . وأثبتنا ما في الدارس (٢/ ٤٢١) .
(٣) هو : جمال الدين عبد الله بن محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي . مات سنة (٧٥٦)هـ .
(٤) ترجمته في : الدرر الكامنة (١/ ٤٠٦) والدارس (٢/ ٢٢٧) والذيل التام (١/ ١٣٣) .
(٥) التربة الجيبغائية ، شمالي تربة مختار الطواشي خارج باب الجابية يمنة الذاهب في الطريق السلطاني . انظره الدارس (٢/ ٢٢٧) .
(٦) في ط : ابن الأقوس وهوتحريف .
وهو : الأمير ناصر الدين كجكن بن لاقوش . مات سنة (٧٦١)هـ .

فسألته هل احتلم ؟ فقال احتلم مرتين منذ حصل له ذلك ، وكان له قريباً من ستة أشهر إلى حين أخبرني ، وذكر أنه يُحسن صَنْعَة النِّساء كلِّها من الغزل والتطريز والزركاش وغير ذلك ، فقلت له : ما كان اسمك وأنت على صفة النساء ؟ فقال : نفيسة ، فقلت : واليوم ؟ فقال عبد الله ، وذكر أنه لما حصل له هذا الحال كتمه عن أهله حتى عن أبيه ، ثم عزموا على تزويجه على رابع ، فقال لأمّه إن الأمر ما صفته كيت وكيت ، فلما اطّلع أهله على ذلك أعلموا به نائب السلطنة هناك ، وكتب بذلك محضراً واشتُهر أمره ، فقدم دمشقَ ووقف بين يدي نائب السلطنة بدمشق ، فسأله فأخبره كما أخبرني ، فأخذه الحاجب سيف الدين كجكن بن لاقوش[١] عنده وألبسه ثياب الأجناد ، وهو شاب حسن ، على وجهه وسمته ومشيته وحديثه أنوثةُ النساء ، فسبحان الفعال لما يشاء ، فهذا أمر لم يقع مثله في العالم إلا قليلاً جداً ، وعندي أن ذكره كان غائراً في جورة ظنوها فرجاً ثم لمّا بلغ ظهر قليلاً قليلاً ، حتى تكامل ظهوره فتبينوا أنه كان ذكراً ، وذكر لي أن ذكره برز مختوناً فسمي ختان القمر ، فهذا يوجد كثيراً والله أعلم .

وفي يوم الثلاثاء خامس شهر رجب قدم الأمير عز الدين طُقْطَاي[٢] الدويدار من الديار الحلبية وخبر عما اتفق عليه العساكر الحلبية من ذهابهم مع نائبهم ونواب تلك الحصون وعساكر خلف دُلْغَادر التركماني ، الذي كان أعان بَيْبُغا وذويه على خروجه على السلطان ، وقدم معه إلى دمشق وكان من أمره ما تقدم بسطه في السنة الماضية ، وأنّهم نهبوا أمواله وحواصله ، وأسروا خلقاً من بنيه وذويه وحريمه ، وأن الجيش أخذ شيئاً كثيراً من الأغنام والأبقار والرّقيق والدواب والأمتعة وغير ذلك ، وأنه لجأ إلى ابن أَرْتَنا[٣] فاحتاط عليه واعتقله عنده ، وراسل السلطان بأمره ففرح الناس براحة الجيش الحلبي وسلامته بعدما قاسوا شديداً وتعباً كثيراً .

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره كان قدوم الأمراء الذين كانوا مسجونين بالإسكندرية من لَدُن عَود السُّلطان إلى الديارالمصرية ، ممَّن كان اتُّهم بممالأة بَيْبُغَا أو خدمته ، كالأمير سيف الدين مَلَكَ آص[٤] ، وعلاء الدين علي البَشْمُقْدَار[٥] ، وساطلمس الجلالي ومن معهم .

وفي أول شهر رمضان اتفق أنَّ جماعة من المفتين أفتوا بأحد قولي العلماء، وهما وجهان لأصحابنا الشافعية، وهو جواز استعادة ما استهدم من الكنائس، فتعصَّب عليهم قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي

---

(١) في ط : كحلن ابن الأقوس .
(٢) في ط : بقطية وهو تحريف . ومرَّ ذكره .
(٣) في ط : أرطنا وأثبتنا ما في الدرر (٣٤٨/١) . وهو صاحب الرُّوم من جهة أبي سعيد . مات سنة (٧٥٣)هـ .
(٤) في ط : ملك أجي وهو تحريف .
(٥) في ط : السيمقدار .

فقرّعهم في ذلك ومنعهم من الإفتاء ، وصنّف في ذلك مصنَّفاً يتضمن المنع من ذلك سمَّاه « الدسائس في الكنائس »[١] .

وفي خامس شهر رمضان قدم بالأمير دُلْغَادر[٢] التركماني الذي كان مؤازراً لبَيْبُغَا في العام الماضي على تلك الأفاعيل القبيحة ، وهو مضيَّق عليه ، فأُحضر بين يدي النائب ، ثم أُودع القلعة المنصورة في هذا اليوم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وما يتبع ذلك والحرمين الشريفين وما والاهما من بلاد الحجاز وغيرها الملك الصالح صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي ، وهو ابن بنت تَنْكِز نائب الشام ، وكان في الدولة الناصرية .

ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قَبْلاي الناصري ، ووزيره القاضي موفق الدين ، وقضاة مصرهم المذكورون في العام الماضي ، ومنهم قاضي القضاة عزّ الدين بن جماعة الشافعي ، وقد جاور في هذه السنة في الحجاز الشريف ، والقاضي تاج الدين المُنَاوي يسدُّ المنصب عنه ، وكاتب السر القاضي علاء الدين بن فضل الله العدوي ، ومدبرو المملكة الأمراء الثلاثة سيف الدين شَيْخُون ، وصَرْغَتْمُش الناصري ، والأمير الكبير الدوادار عز الدين طُقْطَاي الناصري .

ودخلت هذه السنة والأمير سيف الدين شَيْخُون في الأحداث من مدة شهر أو قريب .

ونائب دمشق الأمير علاء الدين على المارداني ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها ، وناظر الدواوين الصاحب شمس الدين موسى بن التاج أبي إسحاق[٣] ، وكاتب السر القاضي ناصر الدين بن الشرف يعقوب ، وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة ، ومحتسبه الشيخ علاء الدين الأنصاري ، قريب الشيخ بهاء الدين ابن[٤] إمام المشهد ، وهو مدرّس الأمينية[٥] مكانه أيضاً .

وفي شهر ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين مُغْلَطاي الذي كان مسجوناً بالإسكندرية ثم أُفرج عنه ، وقد كان قبل ذلك هو الدولة ، وأمر بالمسير إلى الشام ليكون عند أَيْتَمُش[٦] نائب طرابُلُس ، وأمّا مَنْجك

---

(١) الذيل التام (١/ ١٣١) .

(٢) في ط : أبو الغادر وهو تحريف .

(٣) هو : موسى بن أبي إسحاق ، ويدعى عبد الوهاب بن عبد الكريم المصري القبطي . مات سنة (٧٧١)هـ والزيادة من الوفيات لابن رافع (٢/ ٣٦١) .

(٤) بهاء الدين هو : محمد بن علي بن سعيد بن سالم الأنصاري مات سنة (٧٥٢)هـ الدارس (١/ ١٩٩) .

(٥) مدرسة قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي . الدارس (١/ ١٩٩) .

(٦) في ط : حمزة أيتمش وهذه ليست في جميع مصادر ترجمته .

الذي كان وزيره بالدّيار المصرية وكان معتقلاً بالإسكندرية مع مُغْلَطاي[١] ، فإنه صار إلى صفد مقيماً بها بطالاً ، كما أن مُغْلَطاي أُمر بالمقام بطرابُلُس بطالاً إلى حين يحكم الله عز وجل . انتهى والله أعلم .

نادرة من الغرائب

في يوم الإثنين السادسَ عشرَ من جُمادى الأولى اجتاز رجل من الرّوافض من أهل الحِلَّةِ[٢] بجامع دمشق وهو يسبُّ أول من ظلم آل محمد ، ويكرّر ذلك لا يفتر ، ولم يصلِّ مع الناس ولا صلَّى على الجنازة الحاضرة ، على أن النَّاس في الصَّلاة ، وهو يكرّر ذلك ويرفع صوته به ، فلمَّا فرغنا من الصَّلاة نبَّهْتُ عليه الناس ، فأخذوه ، وإذا قاضي القضاة الشافعي في تلك الجنازة حاضر مع الناس . فجئت إليه واستنطقته : مَن الذي ظلم آل محمد؟ فقال : أبو بكر الصديق ، ثم قال جهرة والناس يسمعون : لعن الله أبا بكر وعمرَ وعثمانَ ومعاويةَ ويزيدَ ، فأعاد ذلك مرتين ، فأمر به الحاكم إلى السِّجن ، ثم استحضره المالكي وجلده بالسّياط ، وهو مع ذلك يصرُخُ بالسبّ واللّعن والكلام الذي لا يصدرُ إلا عن شقي ، واسم هذا اللعين علي بن أبي الفضل بن محمد بن حسين بن كثير قبَّحه الله وأخزاه ، ثم لما كان يوم الخميس سابع عشره عقد له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطُلب إلى هنالك ، فقدَّر الله أن حكم نائب المالكي بقتله ، فأُخذ سريعاً فضرب عنقه تحت القلعة وحرقه العامة وطافوا برأسه البلد ، ونادوا عليه : هذا جزاء من سبَّ أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضي المالكي وإذا عنده شيء ممَّا يقوله الرَّافضةُ الغُلاة ، وقد تلقَّى عن أصحاب ابن مطهَّر أشياء في الكُفْر والزَّندقة ، قبّحه الله وإياهم .

وورد الكتاب بإلزام أهل الذمة بالشروط العمرية[٣] . وفي يوم الجمعة ثامن عشرَ رجب الفرد قُرِئَ بجامع دمشق بالمقصورة بحضرة نائب السلطنة وأمراء الأعراب ، وكبار الأمراء ، وأهل الحل والعقد والعامة ، كتاب السلطان بإلزام أهل الذمة بالشّروط العُمَرية وزيادات أخر : منها أن لا يستخدموا في شيء من الدواوين السلطانية والأمراء ولا في شيء من الأشياء ، وأن لا تزيد عمامةُ أحدهم عن عشرة أَذْرُع و[أن][٤] لا يركبوا الخيل ولا البغال ، ولكن الحمير بالأكف عرضاً ، وأن لا يدخلوا (الحَمَّام) إلا بالعلامات من جرس أو خاتم نحاس أصفر أو رصاص ، ولا تدخل نساؤهم مع المسلمات الحمَّامات ، وليكن لهن حمَّامات تَخْتَصُّ بهن ، وأن يكون إزار النصرانية من كتان أزرق ، واليهودية من كتان أصفر ،

= وهو : أَيْتَمُش الجمدار الناصري ، ولي نيابة طرابُلُس سنة (٧٥٣)هـ ومات بها سنة (٧٥٥)هـ الدرر (١/ ٤٢٤) .

(١) علاء الدين مُغْلطَاي النوري رأس نوبة مات سنة (٧٥٥)هـ الذيل للحسيني ص(٢٩٥) .

(٢) « الحلَّة » : مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، وكانت تسمّى الجامعين . معجم البلدان .

(٣) الدرر الكامنة (٣/ ٩٥) .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

وأن يكون أحد خفيها أسود ، والآخر أبيض[١] ، وأن يُحْمَل[٢] حكمُ مواريثهم على الأحكام الشرعية .

واحترقت باسورة باب الجابية في ليلة الأحد العشرين من جُمادى الآخرة ، وعدم المسلمون تلك الأطعمات والحواصل النافعة من الباب الجوّاني إلى الباب البرّاني .

وفي مستهل شهر رمضان عمل الشيخ الإمام العالم البارع شمس الدين بن النَّقَّاش[٣] المصري الشّافعي ـ وَرَدَ دمشق[٤] ـ بالجامع الأموي تجاه محراب الصَّحابة ، ميعاداً للوعظ واجتمع عنده خلق من الأعيان والفضلاء والعامة ، وشكروا كلامه وطلاقة عبارته ، من غير تَلَعْثُم ولا تخليط ولا توقُّف ، وطال ذلك إلى قريب العصر .

وفي صبيحة يوم الأحد ثالثه صُلِّي بجامع دمشق بالصَّحن تحت النَّسر على القاضي جمال الدّين[٥] حُسَين[٦] ابن قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي الشّافعي ، ونائبُه[٧] ، وحضر نائب السّلطنة الأمير علاء الدين علي ، وقضاة البلد والأعيان والدولة وكثير من العامة ، وكانت جنازته محسودة ، وحضر والده قاضي القضاة وهو يتهادى[٨] بين رجلين ، فظهر عليه الحزن والكآبة ، فصلَّىٰ عليه إماماً ، وتأسَّفَ النَّاس عليه لسماحة أخلاقه وانجماعه على نفسه ، لا يتعدَّىٰ شرُّه إلى غيره ، وكان يحكم جيداً نظيفَ العرض في ذلك ، وكان قد درَّس في عدَّة مدارس ، منها الشَّامية البرّانية والعَذْراوية[٩] ، وأفتى وتصدَّر ، وكانت لديه فضيلة جيدة بالنَّحو والفقه والفرائض وغير ذلك .

ودفن بسفح قاسيون في تربة معروفة لهم رحمهم الله .

عودة الملك النَّاصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون

وذلك يوم الإثنين ثاني شهر شوال اتفق جمهور الأمراء مع الأمير شَيْخُون وصَرْغَتْمُش في غيبة طَاز في

---

(١) وفي الذيل التام (١/ ١٣٥) : وإذا مرّ بمسلم جالسٍ نزل وأظهر المسكنة ، ولا يكرموا في المجالس ألبتّة .
(٢) في ط : يحكم وأثبتنا ما في الذيل التام .
(٣) هو : شمس الدين أبو أمامة محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى الدُّكَالِيّ المصري الشافعي المعروف بابن النَّقَّاش . مات سنة (٧٦٣)هـ كما سيأتي . الوفيات لابن رافع (٢/ ٢٤٨) .
(٤) قال ابن رافع : قدم علينا دمشق ، وتكلَّم على الناس بجامع دمشق .
(٥) في ط : كمال الدين وأثبتنا ما في مصادر ترجمته .
(٦) ترجمته في : الذيل للحسيني ص(٢٩٦) وطبقات الشافعية (٦/ ٨٧) والوفيات لابن رافع (٢/ ١٧٣) والدرر الكامنة (٢/ ٦١) والدارس (١/ ٢٣٩) والذيل التام (١/ ١٣٧) . وهو : حسين بن علي بن عبد الكافي السُّبكي أبو الطَّيب .
(٧) أي نائب أبيه قاضي القضاة .
(٨) في ط : يهادي .
(٩) الدارس (١/ ٢٣٩) .

الصيد على خلع الملك الصّالح صالح بن الناصر ، وأمُّه بنت تَنْكز ، وإعادة أخيه الملك الناصر حسن ، وكان ذلك يومئذ وألزم الصالح بيته مضيَّقاً عليه ، وسُلِّم إلى أمه خوندة بنت الأمير سيف الدين تَنْكز نائب الشام ، كان ، فطلبوا طاز[١] ، وأُمسك أخوه جَنْتَمُر[٢] وأخو السُّلطان لأمه عمر بن أحمد بن بَكْتَمُر السَّاقي ، ووقعت خبطة عظيمة بالدّيار المصرية ، ومع هذا فلم يقبل البريد إلى الشام وخبر البيعة إلا يوم الخميس الثالث عشر من هذا الشهر ، قدم بسببها الأمير عز الدين أَيْدَمُر الشّمسي ، وبايع النائب بعد ما خلع عليه خِلْعة سنيّة ، والأمراءُ بدار السعادة على العادة ،ودقت البشائر ، وزين البلد ، وخطب له الخطيب يوم الجمعة على المنبر بحضرة نائب السلطنة والقضاة والدولة .

وفي صبيحة يوم الإثنين تاسع عشر شوال دخل دمشق الأمير سيف الدين مَنْجَك على نيابة طرابُلُس ونزل القصر الأبلق مع الأمير عز الدين أَيْدَمُر فأَقام أيَّاماً عديدة ثم سار إلى بلده بعد أيام[٣] . وفي صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين منه دخل الأمير سيف الدين طَاز من الديار المصرية في جماعة من أصحابه مجتازاً إلى نيابة حلب المحروسة ، فتلقَّاه نائب السلطنة إلى قريب من جامع كريم الدين بالقُبَيْبات ، وشيَّعه إلى قريب من باب الفراديس ، فسار ونزل بوطأة برزة فبات هنالك ، ثم أصبح غادياً وقد كان نظير الأمير شَيْخون ولكن قوي عليه فسيَّره إلى بلاد حلب ، وهو محبَّب إلى العامَّة لما له من السَّعي المشكور في أمورٍ كبار كما تقدَّم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعمئة

استهلَّت هذه السنة وسُلطان الإسلام والمسلمين السَّلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي ، وليس بالدّيار المصريّة نائبٌ ولا وزير ، وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها .

ونائب دمشق الأمير علي المارِدَاني ، والقضاة والحاجب والخطيب وكاتب السرّ هم المذكورون في التي قبلها .

ونائب حلب الأمير سيف الدين طَاز ، ونائب طرابُلُس مَنْجَك ، ونائب حماة أَسَنْدَمُر[٤] العمري ،

---

(١) في ط : وقطلبوطار . وهو تحريف .
(٢) في ط : سنتمر . النجوم (١٠/ ٣٠٢) الذيل التام (١/ ١٣٦) .
(٣) الدرر الكامنة (٤/ ٣٦١) .
(٤) في ط : استدمر .

ونائب صفد الأمير شهاب الدين بن صُبْح ، ونائب حمص الأمير ناصر الدين بن لاقوش[١] ، ونائب بعلَبَكّ الحاج كامل .

وفي يوم الإثنين تاسع صفر مُسك الأمير أَرْغون الكاملي الذي ناب بدمشقَ مدَّة ثم بعدها بحلبَ ثم طلب إلى الديار المصرية حين وليها طازُ ، فقبض عليه وأُرسل إلى الإسكندرية معتقلاً[٢] .

وفي يوم السبت من شهر صفر قُدِّم تقليد قضاء الشافعية بدمشقَ وأعمالها لقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهّاب بن قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي ، على قاعدة والده ، وذلك في حياة أبيه ، وذهبتِ الناس للسّلام عليه[٣] .

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من ربيع الآخر توجه قاضي القضاة تقي الدين السبكي بعد استقلال ولده تاج الدين عبد الوهاب في قضاء القضاة ومشيخة دار الحديث الأشرفية مسافراً نحو الديار المصرية في محفة ، ومعه جماعة من أهله وذويه ، منهم سبطه القاضي بدر الدين بن أبي الفتح وآخرون ، وقد كان الناس ودَّعوه قبلَ ذلك وعنده ضَعْفٌ ، ومن النَّاس من يخاف عليه وَعْثاء السفر مع الكبر والضَّعف .

ولما كان يوم الجمعة سادس شهر جمادى الآخرة صُلِّيَ بعد الظهر على قاضي القضاة تقي الدين[٤] علي[٥] بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي المصري الشافعي ، توفي بمصر ليلة الإثنين ودفن من صبيحة ذلك اليوم وقد أكمل ثلاثاً وتسعين سنة ، ودخل في الرابعة أشهراً ، ووَلِيَ الحكم بدمشق نحواً من سبعَ عَشْرة سنة ، ثم نزل عن ذلك لولده قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ، ثم رحل في محفَّة إلى الديار المصرية كما ذكرنا ، ولما وصل مصر أقام دون الشهر ثم توفي كما ذكرنا .

وجاءت التعزية ومرسومٌ باستقرار ولده في مدرسته التقوية[٦] والقيمرية ، وبتشريف ، تطيباً لقلبه ، وذهب الناس إلى تعزيته على العادة .

وقد سمع قاضي القضاة السُّبكي الحديثَ في شبيبته بديار مصر ، ورحل إلى الشام وقرأ بنفسه وكتب

---

(١) في ط : ابن الأقوس .
(٢) الدرر الكامنة (١/ ٣٥٣) والذيل التام (١/ ١٤١) .
(٣) الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٦) .
(٤) في ط : تقي الدين بن علي وهو توهم .
(٥) ترجمته في : الذيل للحسيني ص(٣٠٤) وطبقات الشافعية (٦/ ١٤٦) والوفيات لابن رافع (٢/ ١٨٥) والدرر الكامنة (٣/ ٦٣) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٣١٨) والذيل التام (١/ ١٤٣) وبغية الوعاة (٢/ ١٧٦) وفيه وفاته سنة (٧٥٥)هـ .
(٦) في ط : اليعقوبية وهو تصحيف وأثبتنا ما في الدارس (١/ ٢٢٣ ، ٤٤٥) وهي مدرسة داخل باب الفراديس ، بسوق العمارة ، وهي شمالي الجامع ، شرقي الظاهرية .

وخرَّج ، وله تصانيف كثيرة منتشرة كثيرة الفائدة ، وما زال في مدة القضاء يصنِّفُ ويكتبُ إلى حين وفاته ، وكان كثير التلاوة ، وذكر لي أنه كان يقوم من اللَّيل رحمه الله .

وفي شهر جُمادى الأولى من هذه السنة اشتهر أخذ الفرنج المخذولين لمدينة طرابُلُس الغرب[١] . وقرأت من كتاب لقاضي قضاة أنَّ أخذهم إيَّاها كان ليلة الجمعة مستهل ربيع الأول من هذه السنة ، ثم بعد خمسةَ عشرَ يوماً استعادها المسلمون وقتلوا منهم أضعاف ما قتلوا أولاً من المسلمين ولله الحمد والمنة . وأرسل [أهل][٢] الدولة إلى الشام يطلبون من أموال أوقاف الأسارى ما يَسْتَنقذون به من بقي في أيديهم من المسلمين .

وفي يوم الأربعاء حاديْ عشرَ رجب الفرد من هذه السنة حكم القاضي المالكي وهو قاضي القُضاة جمال الدين المسلَّاتي بقتل نَصْراني من قرية الرأس من معاملة بعلَبَكّ ، اسمه داود بن سالم ، ثبت عليه بمجلس الحكم في بعلَبَكَّ أنَّه اعترف بما شهد عليه أحمد بن نور الدين علي بن غازي من قرية اللَّبْوة من الكلام السيئ الذي نال به من رسول الله ﷺ ، وسبّه وقذفه بكلام لا يليق ذكره ، فقتل لعنه الله يومئذ بعد أذان العصر بسوق الخيل وحرقه الناس وشفى الله صُدورَ قومٍ مؤمنين ولله الحمد والمنة .

وفي صبيحة يوم الأحد رابعَ عشرَ شعبان درَّس القاضي بهاء الدين أبو البقاء السُّبكي بالمدرسة القيمرية[٣] نزل له عنها ابن عمه قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخذ في قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

وصُلِّيَ في هذا اليوم بعد الظهر على الشيخ الشاب الفاضل المحصِّل جمال الدين عبد الله بن[٤] العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلي ، ودُفن عند أبيه بمقابر باب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، وكانت لديه علوم جيدة ، وذهنه حاضر خارق ، أفتى ودرَّس وأعاد وناظر وحجَّ مراتٍ عديدة رحمه الله وبلّ بالرحمة ثراه .

وفي يوم الإثنين تاسعَ عشرَ شوال وقع حريق هائل في سوق القطَّانين بالنهار ، وذهب إليه نائب السّلطنة والحجبة والقضاة حتى اجتهد الفعول[٥] والمتبرِّعون في إخماده وطَفْيِهِ ، حتى سكن شرُّه وذهب بسببه دكاكين ودور كثيرة جداً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقد رأيته من الغد والنَّارُ كما هي عمَّالةٌ والدُّخانُ

---

(١) الذيل التام (١/ ١٤٢) .
(٢) زيادة من الذيل التام .
(٣) الدارس (١/ ٤٤٥) .
(٤) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٢٩٠) والدارس (٢/ ٩٠) والشذرات (٦/ ١٨٠) وهو : عبد الله بن محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي . وفيها جميعها : شرف الدين .
(٥) « الفعول » : جمع فاعل وهو العامل . وتجمع أيضاً على فَعَلَة .

صاعد ، والناس يُطفونه بالماء الكثير الغمر والنار لا تخمد ، لكن هدمت الجدران وخربت المساكن وانتقل السكان انتهى والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشّامية والحرمين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي ، ولا نائب ولا وزير بمصرَ ، وإنما يرجع تدبير المملكة إلى الأمير سيف الدين شَيْخُون ، ثم الأمير سيف الدين صَرْغَتْمُش ، ثم الأمير عز الدين طُقْطَاي[١] الدوايدار ، وقضاة مصرهم المذكورون في التي قبلها سوى الشافعي فإنّه ابن المتوفى قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السُّبكي .

ونائب حلب الأمير سيف الدين طَاز ، وطرابُلُس الأمير سيف الدين مَنْجك ، وبصفد الأمير شهاب الدين بن صُبْح ، وبحماة أَسَنْدَمُر[٢] ، وبحمص علاء الدين بن المعظَّم ، وببعلبك الأمير ناصر الدين [بن][٣] لاقُوش[٤] .

وفي العشر الأول من ربيع الأول تكاملَ إصلاح بلاط الجامع الأموي وغسل فصوص المقصورة والقبّة ، وبُسط بسطاً حسناً ، وبُيّضت أطباق القناديل ، وأضاء حاله جداً ، وكان المستحثّ على ذلك الأمير علاء الدين أَيْدَغْمُش أحد أمراء الطبلخانات ، بمرسوم نائب السّلطنة له في ذلك .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة صُلّيَ على الأمير سيف الدين بُرَاق[٥] أمير آخور بجامع تَنْكِز ، ودُفن بمقابر الصُّوفية ، وكان مشكور السيرة كثير الصَّلاة والصَّدقة محباً للخير وأهله ، من أكابر أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، رحمه الله تعالى . وقد رُسم لولديه ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر ، كل منهما بعشرة أرماح ، ولناصر[٦] الدين بمكان أبيه في الوظيفة بإصطبل السلطان .

وفي يوم الخميس رابع شهر جمادى الأولى خلع على الأميرين الأخوين ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر ولدي الأمير سيف الدين بُراق رحمه الله تعالى ، بأميرين عشرتين .

---

(١) في ط : مغلطاي وسبق الحديث فيه .
(٢) في ط : استدمر .
(٣) زيادة يقتضيها الكلام .
(٤) في ط : الأقوس .
(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٤٧٤) . والذيل التام (١/ ١٥٢ ـ ١٥٣) وفيهما وفاته في شهر ربيع الأول .
(٦) في ط : والناصر .

ووقع في هذا الشهر نزاع بين الحنابلة في مسألة المناقلة ، وكان ابن قاضي الجبل[١] الحنبلي يحكم بالمناقلة في قرار دار الأمير سيف الدين طَيْدَمُر الإسماعيلي[٢] حاجب الحجّاب إلى أرض أخرى يجعلها وقفاً على ما كانت قرار داره عليه، ففعل ذلك بطريقه، ونقضه القضاة الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي ، فغضب القاضي الحنبلي وهو قاضي القضاة جمال الدين المَرْداوي المقدسي من ذلك ، وعقد بسبب ذلك مجالس ، وتطاول الكلام فيه ، وادّعى كثيرٌ منهم أنّ مذهب الإمام أحمد في المناقلة إنّما هو في حال الضّرورة ، وحيث لا يمكن الانتفاع بالموقوف ، فأما المناقلة لمجرد المصلحة والمنفعة الراجحة فلا ، وامتنعوا من قبول ما قرّره الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك ، ونقله عن الإمام أحمد من وجوه كثيرة من طريق ابنيه صالح[٣] وحَرْب وأبي داود وغيرهم ، أنها تجوز للمصلحة الراجحة ، وصنّف في ذلك مسألة مفردة وقفتُ عليها فرأيتها في غاية الحسن والإفادة ، بحيث لا يتخالج من اطلع عليها ممّن يذوق طعم الفقه أنها مذهب الإمام أحمد رحمه الله ، فقد احتجَّ أحمدُ في ذلك في رواية ابنه صالح بما رواه عن يزيد بن عوف عن المسعودي عن القاسم بن محمد : أنَّ عمرَ كتب إلى ابن مسعود أن يُحوِّلَ المسجد الجامع بالكوفة إلى موضع سوق التمّارين ، ويجعل السوق في مكان المسجد الجامع العتيق[٤] ، ففعل ذلك ، فهذا فيه أوضح دلالة على ما استدل به فيها من النقل بمجرد المصلحة فإنّه لا ضرورة إلى جعل المسجد العتيق سوقاً ، على أن الإسناد فيه انقطاع بين القاسم وبين عمر وبين القاسم وابن مسعود ، ولكن قد جزم به صاحب المذهب ، واحتج به ، وهو ظاهر واضح في ذلك ، فعقد المجلس في يوم الإثنين الثامن والعشرين من الشهر .

وفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى وقع حريق عظيم ظاهر باب الفرج احترق فيه بسببه قياسير كثيرة لطاز ويلبغا ، وقيسرية الطواشي لبنت تَنْكِز ، وأُخر كثيرة ودور ودكاكين وذهب للناس شيء كثير من الأمتعة والنحاس والبضائع وغير ذلك ، مما يقاوم ألف ألف وأكثر خارجاً عن الأموال ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقد ذكر كثير من الناس أنه كان في هذه القياسير شر كثير من الفسق والرّبا والزّغل وغير ذلك[٥] .

وفي السابع والعشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بأن الفرنج لعنهم الله استحوذوا على مدينة

---

(١) هو : شرف الدين أحمد بن قاضي القضاة حسن مات سنة (٧٧١)هـ . الوفيات لابن رافع (٢/ ٣٥٤) .

(٢) طَيْدَمُر الإسماعيلي الحاجب ، أُمِّر بدمشق ثم قبض عليه ، ومات سنة (٧٣٩)هـ .

(٣) صالح وحرب ابنا الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله ، فأما الأول فكان قاضي أصبهان مات سنة (٢٦٦)هـ . وفيات الأعيان (١/ ٦٥) أما حرب فلم أقع له على ترجمة فيما بين يديّ من المصادر ، ولم أعلم لابن حنبل أولاداً غير صالح وعبد الله وبالأخير كان يكنىٰ .

(٤) الذي بناه سعد بن أبي وقاص بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنهم . معجم ياقوت .

(٥) الذيل للحسيني ص(٣١٠) والذيل التام (١/ ١٤٨) والزغَل : الغِشُّ .

صَيْدا[١] ، قدموا في سبعة مراكب وقتلوا طائفة من أهلها ونهبوا شيئاً كثيراً وأسروا أيضاً ، وهجموا على الناس وقت الفجر يوم الجمعة ، وقد قتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً وكسروا مركباً من مراكبهم ، وجاء الفرنج في عشية السبت قبل العصر وقدم الوالي وهو جريح مثقل ، وأمر نائب السلطنة عند ذلك بتجهيز الجيش إلى تلك الناحية فساروا تلك الليلة ولله الحمد ، وتقدَّمهم حاجب الحجاب وتحدَّر إليهم نائب صفد الأمير شهاب الدين بن صبح ، فسبق الجيش الدمشقي ، ووجد الفرنجَ قد برزوا بما غنموا من الأمتعة والأسارى إلى جزيرة تلقاء صَيْدا في البحر ، وقد أسر المسلمون منهم في المعركة شيخاً وشاباً من أبناء أشرافهم ، وهو الذي عاقهم عن الذهاب ، فراسلهم الجيش في انفكاك الأسارى من أيديهم فبادرهم عن كل رأس بخمسمئة فأخذوا من ديوان الأسارى مبلغ ثلاثين ألفاً ، ولم يبق معهم ولله الحمد أحد .

واستمر الصبي من الفرنج مع المسلمين ، وأسلم ودفع إليهم الشيخ الجريح ، وعطش الفرنج عطشاً شديداً ، وأرادوا أن يروَوْا من نهر هناك فبادرهم الجيش إليه فمنعوهم أن ينالوا منه قطرة واحدة ، فرحلوا ليلة الثلاثاء منشمرين بما معهم من الغنائم ، وبُعِثَت رؤوس جماعةٍ من الفرنج ممّن قتل في المعركة فنصبت على القلعة بدمشق ، وجاء الخبر في هذا الوقت بأن إيَاس[٢] قد أحاط بها الفرنج ، وقد أخذوا الربيض[٣] وهم محاصرون القلعة ، وفيها نائب البلد ، وذكروا أنهم قتلوا خلقاً كثيراً من أهلها فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وذهب صاحب حلب في جيش كثيف نحوهم والله المسؤول أن يظفّرهم بهم بحوله وقوته ، وشاع بين العامة أيضاً أن الإسكندريّة محاصرة ولم يتحقق ذلك إلى الآن ، وبالله المستعان . وفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة قدم رؤوس من قتلى الفرنج على صَيْدا ، وهي بضعة وثلاثون رأساً ، فنصبت على شرافات القلعة ففرح المسلمون بذلك ولله الحمد .

وفي ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة وقع حريق عظيم داخل باب الصغير[٤] من مطبخ السُّكَّر الذي عند السُّويقة الملاصقة لمسجد الشناشين ، فاحترق المطبخ وما حوله إلى حمام أبي نصر ، واتَّصل بالسويقة المذكورة وما هنالك من الأماكن ، فكان قريباً أو أكثر من الحريق ظاهر باب الفرج فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحضر نائب السلطنة ، وذلك أنه كان وقت صلاة العشاء ، ولكن كان الريح قوياً ، وذلك بتقدير العزيز العليم .

وتوفي الشيخ عز الدين محمد[٥] بن إسماعيل بن عمر الحَمَويّ أحد مشايخ الرُّواة في ليلة الثلاثاء

---

(١) في ط : صفد وهو تحريف ، وأين صفد من الساحل . وأثبتنا ما في الذيل التام (١/ ١٤٩) .

(٢) في ط : إيناس والتصويب من الذيل التام .

(٣) « الربيض والربض » : سور المدينة ، ولعلّه أراد الأغنام والمواشي حول المدينة خارج السّور .

(٤) الذيل التام (١/ ١٤٨) .

(٥) ترجمته في : الذيل ص(٣١٢) والوفيات لابن رافع (٢/ ١٩٢) والدرر الكامنة (٣/ ٣٨٩) .

الثامن والعشرين من جُمادى الآخرة ، وصُلِّيَ عليه من الغد بالجامع الأموي بعد الظهر ، ودفن بمقابر باب الصغير . وكان مولده في ثاني ربيع الأول سنة ثمانين وستمئة ، فجمع الكثير وتفرَّد بالرواية عن جماعة في آخر عمره ، وانقطع بموته سماعُ « السُّنَن الكبير » للبَيْهقيّ ، رحمه الله .

ووقع حريقٌ عظيم ليلة الجمعة خامس عشر رجب بمحلَّة الصالحية من سفح قاسيون ، فاحترق السُّوق القبلي من جامع الحنابلة بكماله شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة خامس شهر رمضان خطب بالجامع الذي أنشأه سيف الدين يَلْبُغا الناصري(١) غربي سوق الخيل وفتح في هذا اليوم ، وجاء في غاية الحسن والبَهاء ، وخطب الشّيخ ناصر الدين(٢) بن الرَّبوة الحنفي ، وكان قد نازعه فيه الشَّيخ شمس الدين الشَّافعي المَوْصلي(٣) ، وأظهر ولايةً مِن واقفه يَلْبُغا المذكور ، ومراسيم شريفة سلطانية ، ولكن قد قوي عليه ابن الربوة بسبب أنَّه نائب عن الشيخ قوام الدين الاتقاني الحنفي ، وهو مقيم بمصر ، ومعه ولاية من السُّلطان متأخرة عن ولاية الموصلّي ، فرسم لابن الرَّبْوة ، فلبس يومئذ الخلعة السوداءَ من دار السعادة وجاؤوا بين يديه بالسناجق السود الخليفية ، والمؤذِّنون يكبِّرون على العادة ، وخَطَب يومئذٍ خُطْبَةً حسنة أكثرها في فضائل القرآن ، وقرأ في المحراب بأول (سورة طه) ، وحضر كثير من الأُمراء والعامة والخاصة ، وبعض القضاة ، وكان يوماً مشهوداً ، وكنت ممَّن حضر قريباً منه .

والعجب أني وقفت في شهر ذي القعدة على كتاب أرسله بعض الناس إلى صاحبٍ له من بلاد طرابلس وفيه : والمخدوم يعرف الشيخ عماد الدين بما جرى في بلاد السَّواحل من الحريق من بلاد طرابُلس إلى آخر معاملة بيروت إلى جميع كسروان ، أحرق الجبال كلها ومات الوحوش كلها مثل النمور والدب والثعلب والخنزير(٤) من الحريق ، ما بقي للوحوش موضع يهربون فيه ، وبقي الحريق عليه أياماً وهرب الناس إلى جانب البحر من خوف النار واحترق زيتون كثير ، فلما نزل المطر أطفأه بإذن الله تعالى ـ يعني الذي وقع في تشرين وذلك في ذي القعدة من هذه السنة ـ قال ومن العجب أن ورقة من شجرة وقعت في بيت من مدخنته فأحرقت جميع ما فيه من الأثاث والثياب وغير ذلك ومن حلية حرير كثير، وغالب هذه البلاد

(١) الذي بدأ بناءه يَلْبُغَا نائب السلطنة في الشام .

(٢) هو : محمد بن أحمد بن عبد العزيز الحنفي الشهير بابن الرَّبوة مدرس المقدّمية بدمشق وخطيب جامع يلبغا . مات سنة (٧٦٤)هـ الذيل ص(٣٧٠) والدارس (١/ ٥٩٤) .

(٣) هو : محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز المَوْصلي ، البعلي المولد ، تصدّر للخطابة في الأموي ، وكان استوطن دمشق وحصل فيها وظائف عوند فيها ، فأعرض عنها ، واتَّجر بالكتب ، فحصّل أموالاً طائلة . مات في طرابُلس سنة (٧٧٤)هـ . الدرر الكامنة (٤/ ١٨٨) الدارس (١/ ٩٥) .

(٤) ليست الخنزير في الذيل التام (١/ ١٤٨) وقد نقل الخبر بحروفه .

للدُّرزية والرَّافضة . نقلته من خط كاتبه محمد بن بَلَبَان[١] إلى صاحبه ، وهما عندي بقبَّان[٢] فيالله العجب .

وفي هذا الشهر ـ يعني ذي القعدة ـ وقع بين الشيخ إسماعيل بن العز الحنفي وبين أصحابه من الحنفية مناقشة بسبب اعتدائه على بعض الناس في محاكمة فاقتضى ذلك إحضاره إلى مجلس الحكم ثلاثة أيام كمثل المتمرِّد عندهم ، فلمَّا لم يحضر فيها حكم عليه القاضي شهاب الدين[٣] الكَفْري نائب الحنفي بإسقاط عدالته ، ثم ظهر خبره بأنَّه قصد بلاد مصر ، فأرسل النائب في أثره من يردُّه فعنَّفه ، ثم أطلقه إلى منزله ، وشفع فيه قاضي القضاة الحنفي فاستحسن ذلك ولله الحمد والمنَّة .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة والخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان العباسي .

وسلطان الإسلام بالديار المصرية وما يتبعها وبالبلاد الشامية وما والاها والحرمين الشّريفين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي وليس له بمصرَ نائبٌ ولا وزير ، وإنما ترجع الأمور إصداراً وإيراداً إلى الأميرين الكبيرين سيف الدين شَيْخُون وصَرْغَتْمُش الناصريين ، وقضاة مصرَهُم المذكورون في التي قبلها .

ونائب الشام بدمشق علاء الدين علي المارداني ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها انتهى .

كائنة غريبة جداً

لما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة ، نهدت جماعة من مجاوري الجامع بدمشق من مشهد علي وغيره ، واتبعهم جماعة من الفقراء والمغاربة ، وجاؤوا إلى أماكن متَّهمة بالخمر وبيع الحشيش فكسروا أشياء كثيرة من أواني الخمر ، وأراقوا ما فيها وأتلفوا شيئاً كثيراً من الحشيش

---

(١) هو : الأمير ناصر الدين بن الأمير سيف الدين الحنفي ، المعروف بابن المِهْمَنْدَار أحد الأمراء المقدَّمِين . قتل سنة (٧٩٢)هـ . الدليل الشافي (٢/ ٦٠٩) .

(٢) من حيث الثقة والنَّقل .

(٣) هو : أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة ، شهاب الدين بن شهاب الدين ، ناب في الحكم مدَّة ثم ولي القضاء استقلالاً ، ثم نزل لابنه جمال الدين يوسف ، غير أن ابنه مات قبله سنة (٧٦٦)هـ ومات المذكور سنة (٧٧٦)هـ . الدرر الكامنة (١/ ١٢٥) .

وغيره ، ثم انتقلوا إلى حِكْر السمّاق وغيرهم فثار عليهم من البَازْدَاريّة[١] والكِلَابزيّة[٢] وغيرهم من الرّعاع فتناوشوا ، وضُربت عليهم ضربات بالأيدي وغيرهم ، وربما سل بعض الفساق السيوف عليهم كما ذكر ، وقد رَسَم ملك الأمراء لوالي المدينة ووالي البر أن يكونوا عضداً لهم وعوناً على الخَمّارين والحشّاشة ، فنصروهم عليهم ، غير أنه كثر معهم الضجيج ونصبوا راية واجتمع عليهم خلق كثير ، ولما كان في أواخر النهار تقدم جماعةٌ من النقباء والخزّاندارية ومعهم جنازير فأخذوا جماعة من مجاوري الجامع وضُربوا بالمقارع ، وطيف بهم في البلد ونادوا عليهم : هذا جزاء من يتعرض لما لا يعنيه تحت علم السلطان ، فتعجَّب الناس من ذلك وأَنكروه حتى أنه أنكر اثنان من العامة على المنادية فضربَ بعضُ الجند أحدهم بدبُّوس فقتله ، وضرب الآخر ، فيقال : إنه مات أيضاً فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي شعبان من هذه السنة حكي عن جارية من عتيقات الأمير سيف الدين تَمُر المِهْمَنْدار أنها حملت قريباً من تسعين يوماً ، ثم شرعت تطرح ما في بطنها فوضعت في قرب من أربعين يوماً في أيام متتالية ومتفرقة أربعَ عَشْرة بنتاً وصبياً بعدَهُنَّ قل من يعرف شكل الذكر من الأنثى[٣] .

وجاء الخبر بأنّ الأمير سيف الدين شَيْخُون مدبر الممالك بالديار المصرية والشامية قفز[٤] عليه مملوك[٥] من مماليك السلطان ، فضربه بالسّيف ضربات فجرحه في أماكن في جسده ، منها ما هو في وجهه ومنها ما هو في يده ، فحُمل إلى منزله صريعاً طريحاً جريحاً ، وغضب لذلك طوائف من الأمراء حتى قيل : إنَّهم ركبوا ودعَوْا إلى المبارزة فلم يجئ إليهم ، وعظم الخطب بذلك جداً ، واتَّهموا به الأمير سيف الدين صَرْغَتْمُش وغيره ، وأن هذا إنّما فُعل عن ممالأة منهم فالله أعلم .

وفاة أَرْغُون[٦] الكاملي باني البِيمَارستان بحلب :

كانت وفاتُه بالقدس الشّريف في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من هذه السنة ، ودفن بتربة أنشأها غربيّ المسجد بشماله ، وقد ناب بدمشقَ مدة بعد حلب ، ثم جرت الكائنة التي أصلها

---

(١) في ط : البارذادية وهو تحريف .
والبازداريّة بتقديم الزاي على الدال ، هم المهتمُّون بتربية الطيور وتدريبها على الصّيد .

(٢) في ط : الكلابرية بالراء وهو تحريف أيضاً .
وبالزاي هم الذين يهتمون بتربية الكلاب ، وتدريبها على الصّيد .

(٣) الخبر في النجوم الزاهرة (١٠/ ٣٠٦) نقلاً عن ابن كثير . ووقع في ط : « سبعين » بدلاً من تسعين ، وما هنا يوافق ما نقله صاحب النجوم وهو الأصوب إن شاء الله .

(٤) في ط : ظفر وهو تحريف . وفي النجوم الزاهرة (١٠/ ٣٠٥) والذيل التام (١/ ١٥٤) : (وثب) .

(٥) هو : قُطْلوخَجَا السلاح دار النجوم (١٠/ ٣٢٤) وفي الدرر الكامنة (٢/ ١٩٦) وشذرات الذهب (٦/ ١٨٣) : (آي قَجَا) وكذلك في الذيل التام (١/ ١٥٤) .

(٦) ترجمته في : الذيل للحسيني ص(٣١٦) والدرر (١/ ٣٥٢) والنجوم (١٠/ ٣٢٦) والذيل التام (١/ ١٥٨) .

بَيْبُغا[١] قبحه الله في أيامه ، ثم صار إلى نيابة حلب ثم سجن بالإسكندرية مدَّة ، ثم أُفرج عنه فأقام بالقدس الشريف إلى أن كانت وفاته كما ذكرنا في التاريخ المذكور ، عزَّره الشَّريف ابن رُزَيك[٢] والله أعلم .

وفاة الأمير شَيْخُون[٣] :

ورد الخبر من الديار المصرية بوفاة الأمير شَيْخُون ليلةَ الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة ودفن من الغد بتربته ، وقد ابتنى مدرسةً هائلة[٤] وجعل فيها المذاهب الأربعة وداراً للحديث وخانقاه للصُّوفية ، ووقف عليها شيئاً كثيراً ، وقرّر فيها معاليم وقراءة دارَّة ، وترك أموالاً جزيلة وحواصل كثيرة ودواوين في سائر البلاد المصرية والشّامية ، وخلف بناتٍ وزوجةً ، وورث البقية أولاد السُّلطان المذكور بالولاء .

ومسك بعد وفاته أمراء كثيرون بمصر كانوا من حزبه ، من أشهرهم عز الدين طُقْطَاي[٥] الدوادار وابن قَوْصُون وأمه أخت السلطان خلف عليها شَيْخُون بعد قَوْصُون انتهى والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبعمئة

استهلَّت هذه السنة وسلطان الإسلام بالبلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحي ، وقد قوي جانبُه وحاشيتُه بموت الأمير شيخون كما ذكرنا في سادس عشري ذي القعدة من السنة الماضية و [قد][٦] صار إليه من ميراثه من زهرة الحياة [الدنيا][٦] شيء كثير من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، وكذلك من المماليك والأسلحة والعُدّة والبِرَك والمتاجر ما يشق حصره ويتعذر إحصاؤه هاهنا .

وليس في الديار المصرية فيما بلغنا إلى الآن نائب ولا وزير ، والقضاة هم المذكورون في التي قبلها .

وأمّا دمشقُ فنائبها وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها سوى الحنفي فإنَّه قاضي القضاة شهاب

---

(١) في ط : يلبغا . والمراد : بَيْبُغا أُرُوس .

(٢) في ط : زريك بتقديم الزاي . والتصويب من الدارس (١/ ٩٠) .

(٣) ترجمته في الذيل ص(٣١٤) والدرر الكامنة (٢/ ١٩٦) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٣٢٤) وفيهما : شَيْخُو وكذلك هو في الذيل التام (١/ ١٥٤) .

(٤) بخط صليبة أحمد بن طولون .

(٥) في ط : بقطاي وهو تحريف . وقد ذكر من قبل .

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من الذيل التام (١/ ١٥٩) وفيه النص بحروفه .

الدين[١] الكفري ، عوضاً عن نجم الدين الطَّرَسُوسي[٢] توفِّي في شعبان من السنة الماضية ، ونائبُ حلب سيف الدين طَاز ، وطرابُلس مَنْجَك ، وحماة أَسَنْدَمُر[٣] العمري ، وصفد شهاب الدين بن صبح ، وبحمص صلاح الدين خليل بن حاجي ترك[٤] ، وببعلبك ناصر الدين [بن] الآقُوش[٥] .

وفي صبيحة يوم الإثنين رابعَ عشرَ المحرم خرجت أربعةُ آلاف مع أربعة مقدمين إلى ناحية حلب نصرةً لجيش حلب على مسك طاز إن امتنع من السلطنة كما أمر ، ولما كان يوم الحادي والعشرين من المحرم نادى المنادي من جهة نائب السلطنة أن يركبَ من بقي من الجند في الحديد ويوافوه إلى سوق الخيل ، فركب معهم قاصداً ناحية ثَنِيَّةِ العُقَاب ليمنع الأمير طاز من دخول البلد ، لمَّا تحقق مجيئُه في جيشه قاصداً إلى الديار المصرية ، فانزعج الناس لذلك وأُخليت دار السعادة من الحواصل والحريم إلى القلعة ، وتحصَّن كثير من الأمراء بدورهم داخل البلد ، وأُغلق باب النصر ، فاستوحش الناس من ذلك بعض الشيء ، ثم غلّقت أبواب البلد كلها إلا باب الفراديس والفرج ، وباب الجابية أيضاً لأجل دخول الحجّاج ودخل المحمل صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرّم ولم يشعر به كثير من الناس لشغلهم بما هم فيه من أمر طاز ، وأمر العشير بحَوْران[٦] ، وجاء الخبر بمسك الأمير سيف الدين طَيْدَمُر الحاجب الكبير بأرض حَوْران وسجنه بقلعة صَرْخَد ، وجاء سيفُه صحبةَ الأمير جمال الدين الحاجب ، فذهب به إلى الوطاق عند الثَّنِيَّة .

وقد وصل طاز بجنوده إلى باب القطيفة وتلاقى شاليشُه بشاليش[٧] نائب الشام ، ولم يكن منهم قتال ولله الحمد ، ثم تراسل هو والنّائب في الصُّلح على أن يسلِّم طازُ نفسه ويركب في عشرة سروج إلى السلطان وينسلخ مما هو فيه ، ويكاتب فيه النائب ، وتلطّفوا بأمره عند السلطان وبكل ما يقدر عليه ، فأجاب إلى ذلك وأرسل يطلب من يُشْهده على وصيَّته ، فأرسل إليه نائب السَّلطنة القاضي شهاب الدين

---

(١) في ط : شرف الدين وهو تحريف . وقد سبق ذكره عما قريب .
(٢) في ط : الطوسي وهو تحريف .
وهو : إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد الطّرَسوسي .
وترجمته في : الذيل للحسيني ص(٣١٦) والوفيات لابن رافع (٢/٢٠٢) والذيل التام (١/١٥٦) . ولم يورده ابن كثير في وفيات السنة الماضية في مكانه .
(٣) في ط : استدمر وهو تحريف .
(٤) في ط : خاص برك وهوتحريف . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٢/ ٨٩) .
(٥) في ط : الأقوس .
(٦) يعني : ثورة العربان في أرض حَوْران ، وقطع السُّبل ، إلى أن قتل مقدَّمُهم الشهاب أحمد بن البُسَريّة بزُرع . الذيل للحسيني ص(٣١٧ ـ ٣١٨) .
(٧) « الشاليش » : مقدمة العساكر .

قاضي العسكر ، فذهبَ إليه فأَوْصَىٰ لولدِهِ وأم ولده ولوالده نفسه ، وجعل الناظر على وصيته الأمير علاء الدين علي الماردِاني نائب السلطنة ، وللأمير صَرْغَتْمُش ، ورجع النائب من الثَّنيَّة عشيةَ يوم السبت بين العشاءين الرابع والعشرين منه وتضاعفت الأدعية له وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ودعَوْا إلى الأمير طاز بسبب إجابته إلى السمع والطاعة ، وعدم مقاتلته مع كثرة من كان معه من الجيوش ،وقوة من كان يحرِّضه على ذلك من أَخَوَيْه وذويه .

وقد اجتمعتُ بنائب السلطنة الأمير علاء الدين علي المارداني فأخبرني بملخص ما وقع منذ خرج إلى أن رجع ، ومضمون كلامه : أنَّ الله لطف بالمسلمين لطفاً عظيماً ، إذ لم يقع بينهم قتال . فإنه قال : لما وصل طاز إلى القُطَيْفة وقد نزلنا نحن بالقرب من خان لاجين أرسلتُ إليه مملوكاً من مماليكي أقول له . إنّ المرسوم الشريف قد ورد بذهابك إلى الديار المصرية في عشرة سروج فقط، فإذا جئت هكذا فأهلاً وسهلاً، وإن لم تفعل فأنت أصل الفتنة . وركبت ليلة الجمعة طول الليل في الجيش وهو ملبس ، فرجع مملوكي ومعه مملوكه سريعاً يقول : إنه يسأل أن يدخل بطلبه كما خرج بطلبه من مصر ، فقلت : لا سبيل إلى ذلك إلا في عشرة سروج كما رسم السلطان ، فرجع وجاءني الأمير الذي جاء من مصر بطلبه فقال : إنه يطلب منك أن يدخل في مماليكه فإذا جاوزَ دمشقَ إلى الكُسْوة نزل جيشه هناك وركب هو في عشرة سروج كما رسم . فقلت : لا سبيلَ إلى أن يدخلَ دمشقَ ويتجاوز بطلبه أصلاً ، وإن كان عنده خيل ورجال وعدَّة فعندي أضعاف ذلك ، فقال لي الأمير : يا خَوَنْدُ لا تَكونُ تُنْشِئ فِتْنةً ، فقلت : لا يقع إلا ما تسمع ، فرجع ،فما هو إلا أن ساق مقدار رمية سهم وجاء بعض الجواسيس الذين لنا عندهم فقال :يا خوندُ هاقد وصل جيش حماةَ وطرابُلُس ، ومن معهم من جيش دمشق الذين كانوا قد خرجوا بسببه ، وقد اتفقوا هم وهو . قال : فحينئذ ركبت في الجيش وأرسلت طليعتين أمامي وقلت تراؤوا للجيوش الذين جاؤوا حتى يرَوْكم فيعلموا أنا قد أحطنا بهم من كل جانب . فحينئذ جاء الردُّ من جهته بطلب الأمان ويجهرون بالإجابة إلى أن يركبَ في عشرة سروج ، ويترك طلبه بالقُطَيْفة ، وذلك يوم الجمعة ، فلما كان الليل ركبت أنا والجيش في السلاح طول الليل وخشيت أن تكون مكيدة وخديعة ، فجاءتنا الجواسيس فأخبرونا أنهم قد أوقدوا نشَّابهم ورماحهم وكثيراً من سلاحهم ، فتحقَّقنا عند ذلك طاعته وإجابته ، لكلِّ ما رُسم به ، فلما أصبح يوم السبت وَصَّى وركب في عشرة سروج وسار نحو الدِّيار المصرية ولله الحمد والمنة .

وفي يوم الإثنين الرابع والعشرين من صفر دخل حاجب الحجَّاب(١) الذي كان سجن في قلعة صرخد مع البريدي الذي قدم بسببه من الديار المصرية ، وتلقاه جماعة من الأمراء والكبراء ، وتصدّق بصدقات كثيرة في داره ، وفرحوا به فرحاً شديداً ، وهو والناس يقولون : إنه ذاهب إلى الديار المصرية معظَّماً

---

(١) طيدمر الإسماعيلي .

مكرماً على تقدمة ألف ووظائف هناك ، فلمّا كان يوم الخميس السابع والعشرين منه لم يفجأ النَّاسَ إلا وقد دخل القلعة المنصورة معتقلاً مضيّقاً عليه ، فتعجَّب الناس من هذه الترحة من تلك الفرحة فما شاء الله كان .

وفي يوم الأربعاء رابع ربيع الأول عقد مجلس بسبب الحاجب بالمشهد من الجامع .

وفي يوم الخميس أحضر الحاجب من القلعة إلى دار الحديث ، واجتمع القضاة هناك بسبب دعاوىٰ يطلبون منه حق بعضهم ، ثم لما كان يوم الإثنين تاسعه قدم الديار المصرية مقدم البريدية بطلب الحاجب المذكور ، فأخرج من القلعة السلطانية وجاء إلى نائب السلطنة فقبَّلَ قدمه ، ثم خرج إلى منزله وركب من يومه قاصداً إلى الديار المصرية مكرَّماً ، وخرج بين يديه خلق من العوام والحرافيش يدعون له ، وهذا أغرب ما أُرِّخَ ، فهذا الرجل نالته شدة عظيمة بسبب سجنه بصرخد ، ثم أُفرج عنه ثم حبس في قلعة دمشق ثم أفرج عنه ، وذلك كله في نحو شهر(١) .

ثم جاءت الأخبار في يوم الأحد ثاني عَشَرَ جُمادى الأولى بعزل نائب السلطنة عن دمشق فلم يركب في الموكب يوم الإثنين ، ولا حضر في دار العدل ، ثم تحقَّقت الأخبارُ بذلك وبذهابه إلى نيابة حلب ، ومجيء نائب حلب(٢) إلى دمشقَ ، فتأسَّفَ كثيرٌ من الناس عليه لديانته وجُودِهِ وحُسن معاملته لأهل العلم ، ولكنَّ حاشيته لا ينفِّذون أوامره ، فتولّد بسبب ذلك فسادٌ عريض ، وحموا كثيراً من البلاد ، فوقعت الحروب بين أهلها بسبب ذلك ، وهاجت العشيرات فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين خرج الأمير علي المارداني من دمشق في طلبه مستعجلاً في أُبّهة النيابة ، قاصداً إلى حلب المحروسة ، وقد ضربَ وطاقه بوَطْأة بَرْزَة ، فخرج الناس للتفرُّج على طلبه .

وفي هذا اليوم بعد خروج النائب بقليل دخل الأمير سيف الدين طَيْدَمُر الحاجب من الديار المصرية عائداً إلى وظيفة الحجوبية في أُبَّهة عظيمة ، وتلقَّاه الناس بالشموع ، ودعَوْا له ، ثم ركب من يومه إلى خدمة ملك الأمراء إلى وَطْأة بَرْزَة ، فقبَّل يدَهُ وخلع عليه الأمراء ، واصطلحا ، انتهى والله أعلم .

دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق

كان ذلك في صبيحة يوم الخميس الرابع والعشرين من جُمادى الآخرة من ناحية حلب وبين يديه الأمراء والجيش على العادة ، وأُوقدت الشموع وخرج الناس ومنهم من بات على الأسطحة وكان يوماً هائلاً(٣) .

---

(١) الذيل للحسيني ص(٣١٩) .
(٢) هو : مَنْجك اليوسفي .
(٣) الذيل للحسيني ص(٣١٩) وفيه : فدخلها يوم الخميس رابع عشر جمادى الآخرة .

وفي أواخر شهر رجب برز نائبُ السَّلطنة إلى الرَّبوة وأُحضِرَ القضاة وولاةُ الأمور ورُسم بإحضار المفتين ـ وكنت فيمن طلب يومئذ فركبتُ إليها[١] ـ وكان نائب السلطنة عزم يومئذ على تخريب المنازل المبنيّة بالرَّبوة وغَلْق الحمَّام من أجل هذه فيما ذكر أنها بنيت ليقضي فيها ، وهذا الحمام أوساخُه صائرةٌ إلى النهر الذي يشرب منه الناس ، فاتّفق الحال في آخر الأمر على إبقاء المساكن ورد المُرتفعات المسلطة على تُورَه وبانياس[٢] ويترك ما هو مسلَّط على بردى ، فانكفَّ الناس عن الذهاب إلى الرَّبوة بالكُلِّية ، ورُسم يومئذ بتضييق أكمام النساء وأن تزال الأجراس والركب عن الحمير التي للمكارية .

وفي أوائل شهر شعبانَ ركب نائبُ السلطنة يوم الجمعة بعد العصر ليقف على الحائط الرومي الذي بالرحبية ، فخاف أهل الأسواق وغلَّقوا دكاكينهم عن آخرهم ، واعتقدوا أن نائب السلطنة أمر بذلك فغضب من ذلك وتنصَّل منه ، ثم إنه أمر بهدم الحائط المذكور ، وأن ينقل إلى العمارة التي استجدَّها خارج باب النصر في دار الصِّناعة التي إلى جانب دار العدل ، أمر ببنائها خاناً ونقلت تلك الأحجار إليها[٣] ، انتهى والله أعلم .

عزل القضاة الثلاثة بدمشق

ولما كان يوم الثلاثاء تاسع شعبان قدم من الديار المصرية بريدي ومعه تذكرة ـ ورقة ـ فيها السلام على القضاة المستجدين ، وأخبر بعزل القاضي الشافعي[٤] والحنفي[٥] والمالكي[٦] ، وأنه ولي قضاء قضاة الشافعية القاضي بهاء الدين أبو البقاء السُّبكي، وقضاء الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج الحنفي، وذهب الناس إلى السلام عليهم والتهنئة لهم واحتفلوا بذلك ، وأخبروا أن القاضي المالكي سيقدم من الديار المصرية ، ولما كان يوم السبت السابع والعشرين من شعبان وصل البريد من الديار المصرية ومعه تقليدان وخلعتان للقاضي الشافعي والقاضي الحنفي ، فلبسا الخلعتين وجاءا من دار السعادة إلى الجامع الأموي ، وجلسا في محراب المقصورة ، وقرأ تقليد قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء الشَّافعي ، الشيخ نور الدين بن الصّارم المحدِّث على السُّدَّة تجاه المحراب ، وقرأ تقليد قاضي القضاة جمال الدين بن السرَّاج الحنفي الشيخ عماد الدين بن السرَّاج المحدث أيضاً على السدة ، ثم حكما هنالك ، ثم جاء أيضاً

(١) يعني ابن كثير نفسه .
(٢) في ط : نوره وناس وهوتحريف . وكلاهما فرعان معروفان من فروع بردى .
(٣) الدارس (٢/ ٤٤٥) .
(٤) تاج الدين السُّبكي الشافعي .
(٥) شرف الدين الكفري الحنفي .
(٦) جمال الدين المسلاّتي .

إلى الغزالية فدرَّس بها قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء ، وجلس الحنفي إلى جانبه عن يمينه ، وحضرتُ عنده فأخذ في صيام يوم الشك(١) ثم جاء معه إلى المدرسة النورية فدرَّس بها قاضي القضاة جمال الدين المذكور ، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ، وذكروا أنَّه أخذ في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [النساء : ١٣٥] الآية .

ثم انصرف بهاء الدين إلى المدرسة العادلية الكبيرة فدرَّس بها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨] الآية .

وفي صبيحة يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان دخل القاضي المالكي من الديار المصرية فلبس الخلعة يومئذ ودخل المقصورة من الجامع الأموي وقُرئ تقليدُه هنالك بحضرة القضاة والأعيان ، قرأه الشيخ نور الدين بن الصّارم المحدث ، وهو قاضي القضاة شرف الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن الشيخ شمس الدين محمد بن عسكر العراقي البغدادي ، قدم الشّام مراراً ، ثم استوطن الديار المصرية بعدما حكم ببغداد نيابةً عن قطب الدين الأخوي ، ودرَّس بالمُسْتَنْصريّة بعد أبيه ، وحكم بدمياط أيضاً ثم نُقل إلى قضاء بدمشقَ وهو شيخ حسن ، كثيرُ التودُّد ، ومسدّد العبارة ، حسن البشر عند اللقاء ، مشكور في مباشرته عفة ونزاهة ، وكرم [خلق] ، الله يوفقُّه ويسدِّدُه(٢) .

مسك الأمير صَرْغَتْمُش(٣) أَتَابك الأمراء بالديار المصرية

ورد الخبر إلينا بمسكه يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان هذا ، وأنّه قُبض عليه بحضرة السلطان يوم الإثنين العشرين منه ، ثم اختلفت الرواية عن قتله ، غير أنَّه احتيط على حواصله وأمواله ، وصُودر أصحابه وأتباعُه ، فكان فيمن ضُرب وعُصر تحت المصادرة القاضي ضياء الدين(٤) بن خطيب بيت الآبار ، واشتهر أنّه مات تحت العقوبة ، وقد كان مقصداً للواردين إلى الديار المصرية ، ولاسيَّما أهل بلدة دمشقَ ، وقد باشر عدَّة وظائف ، وكان في آخر عمره قد فوض إليه نظر جميع الأوقاف ببلاد السلطان ، وتكلَّم في أمر الجامع الأموي وغيره ، فحصل بسبب ذلك قطع أرزاق جماعات من الكتبة

(١) أي حديث « صيام يوم الشك » .
(٢) الدارس (١/ ١٦٨) و(٢/ ١٦) .
(٣) في ط : طرغتمش وهو تطبيع .
وترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٢٠٦) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٣٠٨) والذيل التام (١/ ١٦٠) .
(٤) هو : ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن خطيب بيت الآبار . مات سنة (٧٦١)هـ الدرر (٤/ ٤٨٢) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٣٣٧) والذيل التام (١/ ١٦٠) وفي الذيل للحسيني (٣٢١) هو : ضياءالدين محمد بن خطيب بيت الآبار .

وغيرهم ، ومالأ الأميرَ صَرْغَتْمُش في أمور كثيرة خاصة وعامة ، فهلك بسببه ، وقد قارب الثمانين[١] ، انتهى .

إعادة القضاة

وقد كان صَرْغَتْمُش عزل القضاة الثلاثة بدمشق ، وهم الشافعي والحنفي والمالكي كما تقدَّم ، وعزل قبلهم ابنَ جماعة ووَلّى ابن عقيل ، فلما مُسك صَرْغَتْمُش رسم السلطان بإعادة القضاة على ما كانوا عليه ، ولمّا ورد الخبرُ بذلك إلى دمشقَ امتنع القضاةُ الثلاثة من الحكم ، غير أنهم حضروا ليلة العيد لرؤية الهلال بالجامع الأموي ، وركبوا مع النائب صبيحة العيد إلى المُصَلّىٰ على عادة القضاة ، وهم على وَجَلٍ ، وقد انتقلوا من مدارس الحكم فرجع قاضي القضاة أبو البقاء الشافعي إلى بستانه بالزُّعَيْفَرنيّة[٢] ورجع قاضي القضاة ابن السرّاج إلى داره بالتّعديل ، وارتحل قاضي القضاة شرف الدين المالكي إلى الصَّالحية داخل الصَّمْصَاميَّة ، وتألَّم كثير من الناس بسببه ، لأنه قد قدم غريباً من الديار المصرية وهو فقير ومتديّن ، وقد باشر الحكم جيداً ، ثم تبيَّن بأخرة أنه لم يُعزل وأنه مستمرٌّ كما سنذكره ، ففرح أصحابه وأحبابه ، وكثير من الناس بذلك .

فلما كان يوم الأحد رابع شوال قدم البريد وصحبته تقليد الشافعي قاضي القضاة تاج الدين بن السُّبكي ، وتقليد الحنفي قاضي القضاة شرف الدين الكفري ، واستمر قاضي القضاة شرف الدين المالكي العراقي على قضاء ، لأنَّ السلطان تذكَّر أنه كان شافهه بولاية القضاء بالشام ، وسيّره بين يديه إلى دمشق ، فحُمدت سيرته كما حَسُنت سريرته ، إن شاء الله ، وفرح الناس له بذلك .

وفي ذي القعدة توفّي المحدّث شمس الدين محمد[٣] بن سعد الحنبلي يوم الإثنين ثالثه ، ودفن من الغد بالسفح ، وقد قارب الستين ، وكتب كثيراً وخرَّج ، وكانت له معرفة جيدة بأسماء الأجزاء[٤] ورواتها من الشيوخ المتأخِّرين ، وقد كتب للحافظ البِرْزالي قطعةً كبيرة من مشايخه ، وخرَّج له عن كلٍّ حديثاً أو أكثر ، وأثبت له ما سمعه عن كل منهم ، ولم يتمَّ حتى توفي البِرْزالي رحمه الله .

---

(١) يعني : الضياء .

(٢) في ط : الزعيفرية وأثبت ما في الوفيات لابن رافع (١/ ٢٥١) وفي التعليق (٤) بَسْطٌ لأوجه الخلاف في لفظها ، وهو كذلك في شذرات الذهب (٦/ ١٢٤) وهي قرية شمال برزة .
والذي في الدارس (٢/ ٤٢٠) الزعيزعية : وهي قرية من قرى غوطة دمشق ضمت إلى أرض زبدين .

(٣) ترجمته في الذيل ص(٣٢٣) والوفيات لابن رافع (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) والدرر الكامنة (٤/ ٢٨٣) والشذرات (٦/ ١٨٨) وفيها : محمد بن يحيى بن محمد بن سعد المقدسي ثم الصالحي .

(٤) في ط : الأحرار وهو تحريف .

وتوفي بهـاء الدين[١] بن المرجاني باني جامع الفَوْقاني[٢] ، وكان مسجداً في الأصل ، فبناه جامعاً ، وجعل فيه خطبة ، وكنتُ أوّل من خطب فيه سنة ثمان وأربعين وسبعمئة ، وسمع شيئاً من الحديث .

وبلغنا مقتلُ الأمير سيف[٣] بن فضل بن عيسى بن مُهنَّا أحد أمراء الأعراب الأجواد الأنجاد وقد ولي إمرة آل مُهَنَّا غير مرّة كما وليها أبوه من قبله ، عَدَا عليه بعضُ بني عمه فقتله عن غير قصد بقتله ، كما ذُكر ، لكن لمَّا حمل عليه السيف أراد أن يدفع عن نفسه وبنفسه فضربه بالسيف برأسه ففلقه فلم يعش بعدَهُ إلا أياماً قلائل ومات رحمه الله انتهى .

عزل مَنْجَك عن دمشقَ

ولما كان يوم الأحد ثاني ذي الحجة قدم أمير من الديار المصرية ومعه تقليد نائب دمشق ، وهو الأمير سيف الدين مَنْجَك بنيابة صفد المحروسة ، فأصبح من الغد ـ وهو يوم عرفة ـ وقد انتقل من دار السعادة إلى سطح المِزَّة قاصداً إلى صفد المحروسة فعَمِلَ العيد بسطح المِزَّة ، ثم ترحَّل نحو صفد ، وطمع كثير من المفسدين والخمّارين وغيرهم وفرحوا بزواله عنهم[٤] .

وفي يوم العيد قرىء كتاب السلطان بدار السعادة على الأمراء وفيه التصريح باستنابة أميره علي المارداني عليهم ، وعَوده إليهم والأمر بطاعته وتعظيمه واحترامه والشكر له والثناء عليه .

وقدم الأمير شهاب الدين بن صُبْح[٥] من نيابة صفد ونزل بداره بظاهر البلد بالقرب من الشامية البرانية .

ووصل البريد يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة بنفي حاجب الحجاب طيدمر الإسماعيلي إلى مدينة حماة بطالاً في سرجين لا غير والله أعلم .

---

(١) ترجمته في : الذيل ص(٣٢٣) والوفيات (٢/ ٢١٧) والدرر الكامنة (٣/ ٣٤٥) وهو : محمد بن أحمد بن عمر بن محمد الدمشقي المعروف بابن المرجاني الجُندي .

(٢) جامع المِزّة . وقد مضى في أحداث سنة (٧٤٨)هـ . الدارس (٢/ ٤٤٢) .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ١٨٣) وفيه : وفاته سنة (٧٦٠)هـ .
وذكر في النجوم (١٠/ ٣٣٠) وفاته سنة (٧٥٩)هـ ورجّح أن تكون سنة (٧٦٠)هـ . وابن خلدون (٥/ ٤٣٩) .

(٤) الذيل للحسيني ص(٣٢٢) وفيه : وفي صبيحة يوم عرفة صرف الأمير سيف الدين منجك من نيابة دمشق إلى نيابة صفد .

(٥) الذيل للحسيني ص(٣٢٢) وفيه : شهاب الدين أحمد بن صالح وهو تحريف والصواب ابن صُبْح . وقد مر كثيراً .

ثم دخلت سنة ستين وسبعمئة

استهلَّت هذه السنة وملك الديار المصرية والشامية وما يتبع ذلك من الممالك الإسلامية الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي .

وقضاته بمصر هم المذكورون في السنة التي قبلها .

ونائبه بدمشق الأمير علاء الدين علي المارداني ، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها غير المالكي ، فإنّه عُزل جمال الدين المسلاَّتي بشرف الدين العراقي ، وحاجب الحجّاب الأمير شهاب الدين ابن صُبْح ، وَخَطِيبُ الْبَلَدِ ، وكَاتِبُ سِرِّها المَذْكُورَانِ .

وفي صبيحة يوم الأربعاء ثالث المحرم دخل الأمير علاء الدين علي نائب السلطنة إلى دمشقَ من نيابة حلبَ ، ففرح الناس به وتلقَّوه إلى أثناء الطريق ، وحملت له العامَّةُ الشموع في طرقات البلد ، ولبس الأمير شهاب الدين بن صُبْح خلعة الحجابة الكبيرة بدمشق عوضاً عن نيابة صفد .

ووردت كتب الحجَّاج يوم السبت الثالثَ عشرَ منه مؤرّخة سابع عشري ذي الحجة من العُلا وذكروا أنّ صاحبَ المدينة النبوية عدا عليه فداويان عند لبسه خلعة السلطان ، وقت دخول المحمل إلى المدينة الشريفة فقتلاه ، فعدَتْ عبيده على الحجيج الذين هم داخل المدينة فنهبوا من أموالهم وقتلوا بعضهم وخرجوا ، وكانوا قد أغلقوا أبواب المدينة دون الجيش فأحرق بعضها ، ودخل الجيش السلطاني فاستنقذوا الناس من أيدي الظالمين .

ودخل المحمل السلطاني إلى دمشق يوم السبت العشرين من هذا الشهر على عادته ، وبين يدي المحمل الفَداويان اللذان قتلا صاحب المدينة ، وقد ذكرت عنه أمور شنيعة بشعة من غلوّه في الرّفض المفرط ، ومن قوله : إنه لو تمكّن لأخرج الشَّيخين[١] من الحُجْرة ، وغير ذلك من عبارات مؤدِّية لعدم إيمانه إن صح عنه والله أعلم .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء سادس صفر مُسك الأمير شهاب الدين بن صُبْح حاجب الحجاب وولداه الأميران وحُبسُوا في القلعة المنصورة ، ثم سافر به الأمير ناصر الدين بن خَاص[٢] ترك بعد أيام إلى الديار المصرية[٣] ، وفي رِجل ابن صبْح قيد ، وذُكر أنّه فُكَّ من رجله في أثناء الطريق .

---

(١) يعني : أبا بكر وعمر رضي الله عنهما .

(٢) في ط : خار بكَ والتصويب من الدليل الشافي .

(٣) الذيل للحسيني ص(٣٢٥) .

وفي يوم الإثنين ثالثَ عشرَ صفر قدم نائب طرابُلُس الأمير سيف الدين [بن] عبد الغني[١] فأدخل القلعة ، ثم سافر به الأمير علاء الدين بن أبي بكر إلى الديار المصرية محتفظاً به مضيقاً عليه .

وجاء الخبر بأن مَنْجك سافر من صفد على البريد مطلوباً إلى السُّلطان ، فلما كان بينه وبين غزة بريد واحد دخل بمن معه من خدمه التِّيْهَ فارّاً من السلطان ، وحين وصل الخبر إلى نائب غزة اجتهد في طلبه فأعجزه وتفارط[٢] الأمر ، انتهى والله أعلم .

مسك الأمير علي المارِدَاني نائبِ الشّام[٣] :

وأصل ذلك أنّه في صبيحة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رجب ، ركب الجيش إلى تحت القلعة ملبسين ، وضُربت البشائر في القلعة في ناحية الطّارمة ، وجاء الأمراء بالطبلخانات من كل جانب ، والقائم بأعباء الأمر الأمير سيف الدين بَيْدَمُر الحاجب ، ونائبُ السلطنة داخل دارالسعادة ، والرسل مردَّدة بينه وبين الجيش ، ثم خرج فحُمل على سروج يسيرة محتاطاً عليه إلى ناحية الديار المصرية ، واستوحش من أهل الشام عند باب النصر ، فتباكى النَّاسُ رحمةً له وأسفاً عليه ، لديانته ، وقلة أذيته وأذية الرعية وإحسانه إلى العلماء والفقراء والقضاة .

ثم في صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين منه احتيط على الأمراء الثلاثة ، وهم الأمير سيف الدين طَيْبُغا حاجي أحد مقدّمي الألوف ، والأمير سيف الدين قُطْلِيْجا[٤] الدوادار أحد المقدمين أيضاً والأمير علاء الدين أَيْدُغْمُش المارداني أحد أمراء الطبلخانات[٥] ، وكان هؤلاء ممن حضر نائب السلطنة المذكور وهم جلساؤه وسُمَّارُه ، والذين بسفارته أعطَوا الأجناد والطبلخانات والتَّقادم ، فرُفعوا إلى القلعة المنصورة معتقلين بها مع مَن بها من الأمراء .

ثم ورد الخبر بأن الأمير عليًا رُدَّ من الطريق بعد مجاوزته غزَّة وأُرسل إليه بتقليد نيابة صفد المحروسة ، فتماثل الحال وفرح بذلك أصحابه وأحبابه .

وقدم متسلّم دمشقَ الذي خلع عليه بنيابتها بالديار المصرية في يوم الخميس سادس عشر رجب بعد أن استعفى من ذلك مراراً ، وباس الأرض مراراً فلم يُعفِهِ السلطان ، وهو الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر[٦] أخو

---

(١) هو : سيف الدين آقْتَمُر بن عبد الله بن عبد الغني . الذيل ص(٣٢٥) النجوم الزاهرة (١١/ ٢١٩) والزيادة منهما .
(٢) الذيل ص(٣٢٥) النجوم (١٠/ ٣١٠) .
(٣) الذيل ص(٣٢٤) الدرر الكامنة (٣/ ٧٧) النجوم (١٠/ ٣١٠) .
(٤) في ط : فطليخا وهو تطبيع .
(٥) الذيل للحسيني ص(٣٢٧) .
(٦) في ط : استدمر وهو تحريف .

يَلْبُغَا اليَحْيَاوي[1] ، الذي كان نائب الشام ، وبنته اليوم زوجة السلطان ، قدم متسلِّمه إلى دمشق يوم الخميس سلخ الشهر فنزل في دار السعادة[2] ، وراح القضاة والأعيان للسلام عليه والتودُّد إليه ، وحملت إليه الضيافات والتقادم ، انتهى والله أعلم .

كائنة وقعت بقرية حوران فأوقع الله بهم بأساً شديداً في هذا الشهر الشريف

وذلك أنهم أشهر أهل قرية بحَوْران وهي خاص لنائب الشام وهم حلبية يمن ويقال لهم : بنو لبسة وبنو ناشي وهي حصينة منيعة يضوي إليها كل مفسد وقاطع ومارق ، ولجأ إليهم أحد شياطين رُوسِ الْعَشِيرِ وهو عمر المعروف بالدُّنَيْط[3] ، فأعدُّوا عدداً كثيرة ونهبوا ليغنموا العشير ، وفي هذا الحين بدرهم والي الولاة المعروف بشنكل منكل ، فجاء إليهم ليردَّهم ويهديهم ؛ وطلب منهم عمر الدنيط فأبَوْا عليه وراموا مقاتلته ، وهم جمعٌ كثير وجمٌّ غفير ، فتأخَّر عنهم وكتب إلى نائب السلطنة ليمدَّه بجيش عوناً له عليهم وعلى أمثالهم ، فجهز له جماعة من أمراء الطبلخانات والعشراوات ومئة من جند الحلقة الرماة ، فلما بغتهم في بلدهم تجمعوا لقتال العسكر ورمَوْه بالحجارة والمقاليع ، وحجزوا بينهم وبين البلد ، فعند ذلك رمتهم الأتراك بالنبال من كل جانب ، فقتلوا منهم فوق المئة ، ففروا على أعقابهم ، وأسر منهم والي الولاة نحواً من ستين رجلاً وأمر بقطع رؤوس القتلى وتعليقها في أعناق هؤلاء الأسارى ، ونُهبت بيوت الفلاحين كلِّهم ، وسُلِّمت إلى مماليك نائب السلطنة لم يفقد منها ما يساوي ثلاثمئة درهم . وكرَّ راجعاً إلى بُصرىٰ وشيوخ العشيرات معه ، فأخبر ابن الأمير صلاح الدين بن خاص ترك ، وكان من جملة أمراء الطبلخانات الذين قاتلوهم بمبسوط ما يخصُّه ، وأنه كان إذا أعيا بعض تلك الأسرى من الجرحى ، أمر المشاعلي بذبحه وتعليق رأسه على بقية الأسرى ، وفَعل هذا بهم غير مرة حتى أنَّه قطع رأس شاب منهم وعلق رأسه على أبيه ، شيخ كبير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، حتى قدم بهم بُصْرى ، فشنكل طائفة من أولئك المأسورين ، وشنكل آخرين ، ووسّط الآخرين وحبَس بعضهم في القلعة ، وعلّق الرؤوس على أخشاب نصبها حول قلعة بُصْرى ، فحصل بذلك تنكيل شديد لم يقع مثله في هذا الأوان بأهل حوران ، وهذا كله سُلّط عليهم بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد ، وكذلك نُوَلِّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . انتهى .

---

(١) في ط : البحناوي وهو تحريف . ويعرف : بأسَنْدَمر الزَّيني .

(٢) الذيل ص(٣٢٤) وفيه : دخلها يوم الإثنين حادي عشر شعبان .

(٣) الذيل التام للسخاوي (١/ ١٦١) .

دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر اليَحْيَاوِيّ

في صبيحة يوم الإثنين حادي عشر شعبان من هذه السنة كان دخول الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر اليحياوي نائباً على دمشق من جهة الديار المصرية ، وتلقّاه الناسُ واحتفلوا له احتفالاً زائداً ، وشاهدتُه حين ترجَّل لتقبيل العتبة ، وبعضده الأمير سيف الدين بَيْدَمُر الذي كان حاجب الحجاب وعُيّن لنيابة حلب المحروسة ، فاستقبل القبلة وسجد عند القبلة ، وقد بُسط له عندها مفارشُ وصَمْدةٌ هائلة ، ثم إنه ركب فتعضّده بَيْدَمُر أيضاً ، وسار نحو الموكب ، فأركب ثم عاد إلى دار السعادة على عادة من تقدمه من النواب .

وجاء تقليد الأمير سيف الدين بَيْدَمُر[١] من آخر النهار لنيابة حلب المحروسة .

وفي آخر نهار الثلاثاء بعد العصر ورد البريد البشيري وعلى يده مرسوم شريف بنفي القاضي بهاء الدين أبي البقاء وأولاده وأهله إلى طرابُلس بلا وظيفة[٢] ، فشقّ ذلك عليه وعلى أهليه ومن يليه ، وتغمَّم له كثير من الناس ، وسافر ليلة الجمعة وقد أذن له في الاستنابة في جهاته ، فاستناب ولده الكبير عز الدين .

واشتهر في شوال أن الأمير سيف الدين مَنْجَك الذي كان نائب السلطنة بالشام هرب ولم يطلُع له خبر ، فلما كان في هذا الوقت ذُكر أنّه مُسك ببلد بحرَّان من مقاطعة ماردين في زيٍّ فقير ، وأنه احتفظ عليه وأرسل السلطان قراره ، وعجب كثير من الناس من ذلك ، ثم لم يظهر لذلك حقيقة وكان الذين رأَوْه ظنُّوا أنه هو ، فإذا هو فقير من جملة الفقراء يشبهه من بعض الوجوه .

واشتهر في ذي القعدة أن الأمير عز الدين فياض بن مُهَنَّا ملك العرب ، خرج عن طاعة السلطان وتوجَّه نحو العراق ، فوردت المراسيم السلطانية لمن بأرض الرّحبة من العساكر الدمشقية وهم أربعة مقدمين في أربعة آلاف ، وكذلك جيش حلب وغيره بتطلُّبه وإحضاره إلى بين يدي السلطان ، فسعوا في ذلك بكل ما يقدرون عليه فعجزوا عن لحاقه والدخول وراءه إلى البراري ، وتفارط الحال وخلص إلى أرض العراق فضاق النطاق وتعذر اللحاق .

---

(١) هو : بَيْدَمُر الخوارزمي الدر رالكامنة (١/ ٥١٣) .
(٢) الذيل للحسيني ص(٣٢٨) .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وسبعمئة

استهلَّت وسلطان المسلمين الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها .

ونائب الشام الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر أخو يَلْبُغَا اليحياوي ، وكاتب السر القاضي أمين الدين بن القلانسي .

وفي مستهلِّ المُحرَّم جاء الخبر بموت الشيخ صلاح الدين(١) العلائي بالقدس الشريف ليلة الإثنين ثالث المحرم ، وصُلِّيَ عليه من الغد بالمسجد الأقصى بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقبرة نائب الرحبة ، وله من العمر ست وستون سنة ، وكان مدة مقامه بالقدس مدرّساً بالمدرسة الصّلاحية وشيخاً بدار الحديث التنكزيّة(٢) ثلاثين سنة ، وقد صنّف وألّف وجمع وخرج ، وكانت له يد طولى بمعرفة العالي والنازل ، وتخريج الأجزاء والفوائد ، وله مشاركة قوية في الفقه واللُّغة والعربية والأدب ، وفي كتابته ضعف لكن مع صحة وضبط لما يُشْكل ، وله عدَّةُ مصنَّفات(٣) ، وبلغني أنه وقفها على الخانقاه السُّمَيْسَاطيّة(٤) بدمشق ، وقد ولي بعده التّدريس بالصلاحيّة(٥) الخطيب برهان الدين بن جماعة(٦) والنظر بها ، وكان معه تفويض منه متقدّم التاريخ .

وفي يوم الخميس السادس من محرّم احتيط على متولي البرّ ابن بَهَادُر السّنجري(٧) ، ورُسم عليه

---

(١) ترجمته في : الذيل للحسيني ص(٣٣٥) والوفيات لابن رافع (٢/ ٢٢٦) وطبقات الشافعية (٦/ ١٠٤) والدرر الكامنة (٢/ ٩٠) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٣٣٧) والدارس (١/ ٥٩) .
وهو : صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كَيْكَلْدي العلائي الدمشقي المقدسي الشافعي .

(٢) في ط : السكّرية وهو تحريف .
وهي دار حديث بناها تنكز في القدس . انظر « الأنس الجليل » (٢/ ٣٨٧) .

(٣) منها القواعد المشهورة ، والوشي المعلم فيمن روى عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ ، عقيلة المطالب في ذكر أشراف الصفات والمناقب ، وجمع الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي ﷺ . الشذرات (٦/ ١٩١) .
قلت : وله جزء لطيف في تفسير الباقيات الصالحات . وما جاء من أثر في تفسيرها ، صدر عن دار ابن كثير العامرة بدمشق . بتحقيقي مشاركة مع الصديق الدكتور علي أبو زيد .

(٤) في ط : السمساطية وهو تطبيع . وأثبتنا ما في منادمة الأطلال للشيخ بدران (٢٧٦) .

(٥) في ط : الصرخصية وهو توهم .

(٦) هو : إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن سعد الله بن جماعة القاضي برهان الدين . مات سنة (٧٩٠)هـ . الدرر الكامنة (١/ ٣٩) .

(٧) في ط : الشيرجي وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٤٩٨) .

بالعذراوية بسب أنّه اتّهم بأخذ مطلب من نعمان البلقاء هو وكجكن[١] الحاجب ، وقاضي حسان ، والظاهر أن هذه مرافعة من خصم عدو لهم ، وأنه لم يكن من هذا شيء والله أعلم . ثم ظهر على رجل يزوّر المراسيم الشريفة وأُخذ بسببه مدرِّسُ الصَّارميَّة[٢] لأنَّه كان عنده في المدرسة المذكورة ، وضرب بين يدي ملك الأمراء ، وكذلك على الشيخ زين الدين زَيْد المغربي الشافعي ، وذكر عنه أنّه يطلب مرسوماً لمدرسة الأكزيّة[٣] ، وضرب أيضاً ورُسم عليه في حبس السد ، وكذلك حبس الأمير شهاب الدين الذي كان متولِّي البلد ، لأنه كان قد كتب له مرسوماً شريفاً بالولاية ، فلما فهم ذلك كاتب السر أطلع عليه نائب السلطنة فانفتح عليه الباب وحُبسوا كلُّهم بالسد .

وجاءت كتب الحجاج ليلة السبت الخامس عشر من المحرم ، وأخبرت بالخِصْب والرُّخص والأمن ولله الحمد والمنة .

ودخل المحمل بعد المغرب ليلة السبت الحادي والعشرين منه ، ثم دخل الحجيج بعده في الطين والرَّمَض[٤] وقد لقوا من ذلك من بلاد حوران عناءً وشدة ، ووقعت جمالات كثيرة وسبيت نساء[٥] كثيرة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحصل للنّاس تعبٌ شديد .

ولما كان يوم الإثنين الرابع والعشرين قُطعت يدُ الذي زوّر المراسيم واسمه السِّراج عمر القِفْطيّ[٦] المصري ، وهو شاب كاتب مطيق على ما ذكر ، وحمل في قفص على جمل وهو مقطوع اليد ، ولم يحسم بعد والدم ينصبُّ منها ، وأركب معه الشيخ زين الدين زيد على جمل وهو منكوس وجهه إلى ناحية دبر الجمل ، وهو عريان مكشوف الرأس ، وكذلك البدر الحِمْصيّ على جمل آخر ، وأركب الوالي شهاب الدين على جمل آخر وعليه تخفيفة صغيرة ، وخف وقباء ، وطيف بهم في محال البلد ، ونُودي عليهم : هذا جزاء من يزوِّر على السلطان ، ثم أُودعُوا حبس الباب الصغير وكانوا قبل هذا التعزير في حبس السد ، ومنه أخذوا وأُشهروا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . انتهى .

---

(١) في ط : كحلن . وأثبتنا ما في الدرر (٣/ ٢٦٥) وهو : كجكن بن لاقوش . مات سنة (٧٦٢)هـ .
(٢) مدرسة قبلي العذراوية داخل باب النصر وباب الجابية . الدارس (١/ ٣٢٦) .
(٣) في ط : الأكرية بالراء وهو تطبيع .
والأكزية مدرسة غربي الطيبة والتربة التنكزية ، وشرقي مدرسة أم الصالح . منادمة الأطلال ص(٨٢) .
(٤) « الرَّمَضُ » : المطر آخر الصَّيف وأول الخريف . القاموس المحيط .
(٥) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : وتلفت أشياء ، إذ لا معنى لسبي النساء هنا .
(٦) نسبة إلى قِفْط . وهي قرية من قرى الصعيد الأعلى . ياقوت .

مسك مَنْجَك وصفة الظهور عليه وكان مختفياً بدمشقَ حوالي سنة[(١)]

لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم جاء ناصحٌ إلى نائب السّلطنة الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر فأخبره بأن مَنْجَك في دارٍ بالشَّرف الأعلى ، فأرسل من فوره إلى ذلك المنزل الذي هو فيه بعض الحجبة ومن عنده من خواصه ، فأحضر إلى بين يديه محتفظاً عليه جداً ، بحيث إنَّ بعضهم رَزَفَهُ[(٢)] من ورائه واحتضنه ، فلمَّا واجهه نائب السّلطنة أكرمه وتلقّاه ، وأجلسه معه على مقعدته ، وتلطَّف به وسقاه وأضافه ، وقد قيل : إنَّه كان صائماً فأفطر عنده ، وأعطاه من ملابسه وقيَّدَه وأرسله إلى السلطان في ليلته ـ ليلة الجمعة ـ مع جماعة من الجند وبعض الأمراء ، منهم حسام الدين أمير حاجب ، وقد كان أرسل نائب السلطنة ولدَه بسيف مَنْجَك من أوائل النهار ، وتعجَّب النَّاسُ من هذه القضية جداً ، وما كان يظنُّ كثير من الناس إلا أنه قد عدم باعتبار أنه في بعض البلاد النائية ، ولم يشعر الناس أنّه في وسط دمشقَ وأنه يمشي بينهم متنكِّراً ، وقد ذكر أنه كان يحضر الجمعات بجامع دمشق ، ويمشي بين الناس متنكراً في لبسه وهيئته ، ومع هذا لن يغني حذر من قدر ، ولكل أجل كتاب ، وأرسل ملك الأمراء بالسيف وبملابسه التي كان يتنكر بها ، وبعث هو مع جماعة من الأمراء الحجبة وغيرهم وجيش كثيف إلى الديار المصرية مقيداً محتفظاً عليه ، ورجع ابن ملك الأمراء بالتُّحف والهدايا والخلع والإنعام لوالده ، ولحاجب الحجَّاب ، ولبس ذلك الأمراء يوم الجمعة واحتفل الناس بالشُّموع وغيرها ، ثم تواترت الأخبار بدخول مَنْجَك إلى السلطان وعفوه عنه وخلعته الكاملة عليه وإطلاقه له الحسام والخيول المسوّمة والألبسة المفتخرة ، والأموال والأمان ، وتقديم الأمراء والأكابر له من سائر صنوف التُّحف .

وقدم[(٣)] الأمير علي[(٤)] من صفد قاصداً إلى حماة لنيابتها ، فنزل القصر الأبلق ليلة الخميس رابع صفر وتوجَّه ليلة الأحد سابعه .

وفي يوم الخميس الثامن عشر من صفر قدم القاضي بهاء الدين أبو البقاء[(٥)] من طرابُلُس بمرسوم شريف أن يعودَ إلى دمشقَ على وظائفه المبقاة عليه ، وقد كان ولده ولي الدين ينوب عنه فيها ، فتلقَّاه كثير من الناس إلى أثناء الطريق ، وبرز إليه قاضي القضاة تاج الدين[(٦)] إلى حَرَسْتَا ، وراح النَّاس إلى تهنئته إلى داره ، وفرحوا برجوعه إلى وطنه .

---

(١) الذيل للحسيني ص(٣٣٠ ـ ٣٣١) الدرر الكامنة (٤/ ٣٦٠) النجوم (١٠/ ٣١٠) .

(٢) « رَزَفَهُ » : دفعه القاموس المحيط .

(٣) في ط : قدوم وهو تحريف .

(٤) هو : علي المارداني ، نائب دمشق كان .

(٥) هو : محمد بن عبد البر .

(٦) هو : عبد الوهاب بن علي .

ووقع مطر عظيم في أول هذا الشهر ، وهو أثناء شهر شباط ، وثلج عظيم ، فرويت البساتين التي كانت لها عن الماء عدّة شهور ، ولا يحصل لأحد من الناس سقي إلا بكلفة عظيمة ومشقَّة ، ومبلغ كبير ، حتَّىٰ كاد الناس يقتتلون عليه بالأيدي والدبابيس وغير ذلك من البذل الكثير ، وذلك في شهور كانون الأول والثاني ، وأول شباط ، وذلك لقلَّة مياه الأنهار وضَعْفها ، وكذلك بلاد حوران أكثرهم يروون من أماكن بعيدة في هذه الشهور ، ثم منّ الله تعالى فجرت الأودية وكثرت الأمطار والثلوج ، وغزرت الأنهار ولله الحمد والمنة . وتوالت الأمطار ، فكأنه حصل السَّيل في هذه السنة من كانون إلى شباط فكأن شباط هو كانون ، وكانون لم يسل فيه ميزاب واحد .

ووصل في هذا الشهر الأمير سيف الدين مَنْجَك إلى القدس الشريف ليبتني للسُّلطان مدرسةً وخانقاه غربيّ المسجد الشريف ، وأُحضر الفرمان الذي كُتبَ له بماء الذهب إلى دمشقَ وشاهده النّاس ، ووقَّعْتُ على نسخته ، وفيها تعظيم زائد ومدح وثناء له ، وشكر على متقدِّم خَدَمِهِ لهذه الدولة ، والعفو عمّا مضى من زلاته ، وذكر سيرته بعبارة حسنة .

وفي أوائل شهر ربيع الآخر رسم على المعلّم سَنْجَر[١] مملوك ابن هلال صاحب الأموال الجزيلة بمرسوم شريف قدم مع البريد وطلب منه ستمئة ألف درهم ، واحتيط على العمارة التي أنشأها عند باب الناطفانيين[٢] ليجعلها مدرسة ، ورُسم بأن يعمر مكانها مكتب للأيتام ، وأن يُوقف عليهم كتابتهم جارية عليهم ، وكذلك رُسم بأن يجعل في كل مدرسة من مدارس المملكة الكبار ، وهذا مقصد جيد . وسُلِّم المعلم سَنْجَر إلى شادّ الدواوين يستخلص منه المبلغ المذكور سريعاً ، فعاجل بحمل مئتي ألف ، وسُيِّرت مع أمير عشرة إلى الديارالمصرية[٣] .

الاحتياط على الكتبة والدواوين[٤]

وفي يوم الأربعاء خامسَ عشرَ ربيع الآخر ورد من الديار المصرية أميرٌ معه مرسوم بالاحتياط على دواوين السلطان ، بسبب ما أكلوا من الأموال المرتَّبة للناس من الصدقات السلطانية وغير ذلك فرسم عليهم بدار العدل البرّانية وأُلزموا بأموال جزيلة كثيرة ، بحيث احتاجوا إلى بيع أثاثهم وأقمشتهم وفرشهم وأمتعتهم وغيرها ، حتى ذكر أن منهم من لم يكن له شيء يعطيه فأحضر بناته إلى الدكَّة ليبيعهن ، فتباكىٰ

---

(١) هو : سَنْجَر بن عبد النجمي ، مولى نجم الدين بن هلال ، مات سنة (٧٦٩)هـ الدرر الكامنة (٢/ ١٧٤) الدارس (١/ ٤٨٩) .

(٢) في ط : النطافيين وهو تحريف .

(٣) الذيل للحسيني ص(٣٣٣ ـ ٣٣٤) .

(٤) الذيل ص(٣٣٢) .

النَّاسُ وانتحبوا رحمةً ورقَّةً لأبيهِنَّ ، ثم أطلق بعضهم وهم الضعفاء منهم والفقراء الذين لا شيء معهم ، وبقيت الغرامة على الكبراء منهم ، كالصَّاحب[1] والمستوفين ، ثم شدّدت عليهم المطالبة وضربوا ضرباً مُبْرحاً ، وألزموا الصَّاحب بمال كثير بحيث إنه احتاج إلى أن سأل من الأمراء والأكابر والتجار بنفسه وبأوراقه ، فأسعفوه بمبلغ كثير يقارب ما ألزم به ، بعد أن عُرِّي ليُضرب ، ولكن ترك واشتهر أنه قد عين عوضَهُ من الديار المصرية ، انتهى .

موت فيَّاض بن مُهَنَّا[2]

ورد الخبر بذلك يوم السبت الثامنَ عشرَ منه ، فاستبشر بذلك كثير من الناس ، وأرسل إلى السلطان مبشّرين بذلك ، لأنه كان قد خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ، فمات موتةً جاهلية بأرض الشِّقاق والنِّفاق ، وقد ذكرت عن هذا أشياء صدرت عنه من ظلم الناس ، والإفطار في شهر رمضان بلا عُذْر وأمره أصحابه وذويه بذلك في هذا الشهر الماضي ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، جاوزَ السَّبعين انتهى والله أعلم .

كائنة عجيبة جداً : هي المعلِّم سَنْجَر مملوك ابن هلال

في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الآخر أُطلق المعلِّم الهلالي بعد أن استوفوا منه تكميل ستمئة ألف درهم ، فبات في منزله عند باب الناطفانيين[3] سروراً بالخلاص ، ولما أصبح ذهب إلى الحمَّام وقد ورد البريد من جهة السلطان من الديار المصرية بالاحتياط على أمواله وحواصله ، فأقبلت الحَجَبَةُ ونُقَباء النقبة والأعوان من كل مكان ، فقصدوا داره فاحتاطوا بها وعليها بما فيها ، ورُسم عليه وعلى ولديه ، وأُخرجت نساؤه من المنزل في حالة صعبة ، وفتَّشوا النساء وانتزعوا عنهن الحُلِيّ والجواهر والنفائس ، واجتمعت العامة والغوغاء ، وحضر بعض القضاة ومعه الشهود بضبط الأموال والحُجَج والرهون ، وأحضروا المعلم ليستعلموا منه جلية ذلك ، فوجدوا من حاصل الفضة أول يوم ثلثمئة ألف وسبعين ألفاً ، ثم صناديق أخرى لم تفتح ، وحواصل لم يصلوا إليها لضيق الوقت ثم أصبحوا يوم الأحد في مثل ذلك ، وقد بات الحرس على الأبواب والأسطحة لئلا يُعْدَىٰ عليها في الليل ، وبات هو وأولاده بالقلعة المنصورة محتفظاً عليهم ، وقد رقَّ له كثير من الناس لما أصابه من المصيبة العظيمة بعد التي قبلها سريعاً[4] .

---

(١) هو شمس الدين موسى ناظر الدواوين بالشام .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٣٤) وابن خلدون (٥/ ٤٣٩) فيه : وفاته سنة (٧٦٢)هـ .

(٣) في ط : النطافيين . وقد مضىٰ .

(٤) الدرر الكامنة (٢/ ١٧٤) .

وفي أواخر هذا الشهر توفي الأمير ناصر الدّين محمد[١] بن الدوادار التَّنْكِزي، كان ذا مكانة عند أستاذه، ومنزلة عالية، ونال من السعادة في وظيفته أقصاها، ثم قَلَبَ الله قلب أستاذه عليه فضربه وصادره وعزله وسجنه، ونزل قدره عند الناس، وآل به الحال إلى أن كان يقف على أتباعه بفرسه ويشتري منهم ويحاككهم، ويحمل حاجته معه في سرجه، وصار مُثْلَةً بين الناس، بعد أن كان في غاية ما يكون فيه الدويدارية من العز والجاه والمال والرفعة في الدنيا، وحق على الله تعالى أن لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا إلا وضعه.

وفي صبيحة يوم الأحد سابع عشره أُفرج عن المعلِّم الهلالي وعن ولديه، وكانوا معتقلين بالقلعة المنصورة، وسلّمت إليهم دورهم وحواصلهم، ولكن أخذ ما كان حاصلاً في داره، وهو ثلاثمئة ألف وعشرون ألفاً، وختم على حُجَجه ليُعقد لذلك مجلسٌ، ليرجع رأس ماله منها عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩] ونُودي عليه في البلد إنما فعل به ذلك لأنه لا يؤدّي الزكاة ويعامل بالربا، وحاجب السُّلطان ومتولي البلد، وبقية المتعمِّمين والمشاعلية تُنادي عليه في أسواق البلد وأرجائها.

وفي اليوم الثامن والعشرين منه ورد المرسوم السلطاني الشريف بإطلاق الدواوين إلى ديارهم وأهاليهم، ففرح النّاسُ بسبب ذلك لخلاصهم مما كانوا فيه من العقوبة والمصادرة البليغة، ولكن لم يستمرّ بهم في مباشراتهم.

وفي أواخر الشهر تكلَّم الشيخ شهاب الدين المقدسي الواعظ، قدم من الديار المصرية تجاه محراب الصحابة. واجتمع الناس إليه وحضرَ من قضاة القضاة الشّافعيّ والمالكيّ، فتكلَّم على تفسير آيات من القرآن، وأشار إلى أشياء من إشارات الصوفية بعباراتٍ طلقةٍ مُعْربةٍ حلوة صادعة للقلوب فأفاد وأجاد، وودَّع الناس بعَوده إلى بلده، ولما دعا استنهض الناس للقيام، فقاموا في حال الدعاء، وقد اجتمعت به بالمجلس فرأيته حسن الهيئة والكلام والتأدُّب، فالله يصلحه وإيانا آمين.

وفي مستهل جمادى الآخرة ركب الأمير سيف الدين بَيْدَمُر نائب حلب لقصد غزو بلاد سيس في جيش، لقّاه الله النصر والتأييد[٢].

وفي مستهل هذا الشهر أصبح أهل القلعة وقد نزل جماعة من أمراء الأعراب من أعالي مجلسهم في عمائم وحبال إلى الخندق وخاضوه وخرجوا من عند جسر الزلابية[٣] فانطلق اثنان وأُمسك الثالث الذي

---

(١) لم أقع له على ترجمة فيما بين يديّ من المصادر.

(٢) الذيل للحسيني ص(٣٣٣).
وهو: بَيْدَمُر الخوارزمي.

(٣) في ط: الزلامية.

تبقى في السجن ، وكأنه كان يمسك لهم الحبال حتى تدلوا فيها ، فاشتد نكير نائب السلطنة على نائب القلعة ، وضربَ ابنيهِ النقيب وأخاه وسجنهما ، وكاتب في هذه الكائنة إلى السلطان ، فورد المرسوم بعزل نائب القلعة وإخراجه منها ، وطلبه لمحاسبة ما قبض من الأموال السلطانية في مدة ست سني مباشرته ، وعزل ابنه عن النقابة وابنه الآخر عن استدارية السلطان ، فنزلوا من عزِّهم إلى عزلهم .

وفي يوم الإثنين سابع عشره جاء الأمير تاج الدين جبريل من عند الأمير سيف الدين بَيْدَمر نائب حلب ، وقد فتح بلدين من بلاد سيس ، وهما طرَسوس وأَذنة ، وأرسل مفاتيحهما صحبة جبريل المذكور إلى السلطان أيده الله ، ثم افتتح حصوناً أُخر كثيرة في أسرع مدة ، وأيسر كلفة ، وخطب القاضي ناصر الدين كاتب السر خطبة بليغة حسنة ، وبلغني في كتاب أن أبواب كنيسة أذنة حملت إلى الديار المصرية في المراكب(١) .

قلت : وهذه هي أبواب الناصرية التي بالسفح ، أخذهاسيس عام قازان ، وذلك في سنة تسع وتسعين وستمئة ، فاستنقذت ولله الحمد في هذه السنة .

وفي أواخر هذا الشهر بلغنا أن الشيخ قطب الدين هرماس الذي كان شيخ السلطان طرد عن جناب مخدومه ، وضرب وصودر ، وخربت داره إلى الأساس ، ونفي إلى مصياف ، فاجتاز بدمشق ونزل بالمدرسة الجلالية(٢) ظاهر باب الفرج ، وزرتُه فيمن سلَّم عليه ، فإذا هو شيخ حسن عنده ما يقال ويتلفظ معرباً جيداً ، ولديه فضيلة ، وعنده تواضع وتصوف فالله يحسن عاقبته . ثم تحول إلى العَذْراوية .

وفي صبيحة يوم السبت سابع شهر رجب توجه الشيخ شرف الدين أحمد(٣) بن الحسن بن قاضي الجبل الحنبلي إلى الديار المصرية مطلوباً على البريد إلى السلطان لتدريس الطائفة الحنبلية بالمدرسة التي أنشأها السلطان بالقاهرة المُعزِّيّة ، وخرج لتوديعه القضاة والأعيان إلى أثناء الطريق كتب الله سلامته ، انتهى والله تعالى أعلم .

مسك نائب السلطنة أَسَنْدَمُر اليحياوي(٤)

وفي صبيحة يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب قبض على نائب السلطنة الأمير سيف الدين أَسَنْدَمر ، أخي يَلْبُغا اليحياوي ، عن كتاب ورد من السلطان صحبةَ الدَّوادار الصغير ، وكان يومئذ راكباً

(١) الدرر الكامنة (١/ ٥١٣) ابن خلدون (٥/ ٤٣٠) الدارس (١/ ١١٥) .
(٢) في ط : الجليلة . وأثبتنا ما في الدارس (١/ ٤٨٨) .
(٣) هو : أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي . مات سنة (٧٧١)هـ . الوفيات لابن رافع (٢/ ٣٥٤) .
(٤) الذيل للحسيني ص(٣٣٣) .

بناحية ميدان ابن بابك ، فلما رجع إلى عند مقابر اليهود والنصارى احتاط عليه الحاجب الكبير ومن معه من الجيش وألزموه بالذهاب إلى ناحية طرابُلُس ، فذهب من على طريق الشيخ رسلان ، ولم يمكَّن من المسير ، إلى دارالسعادة ، ورُسم عليه من الجند من أَوصله إلى طرابُلُس مقيماً بها بطالاً ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء ، يفعل ما يشاء ، وبقي البلد بلا نائب يحكم فيه الحاجب الكبير عن مرسوم السلطان ، وعُيِّن للنيابة الأمير سيف الدين بَيْدَمُر النائب بحلب .

وفي شعبان وصل تقليد الأمير سيف الدين بَيْدَمُر بنيابة دمشق(١) . ورُسم له أن يركب في طائفة من جيش حلب ويقصد الأمير حِيَار(٢) بن مُهَنا ليحضره إلى خدمة السلطان ، وكذلك رُسم لنائب حماة وحمص أن يكونا عوناً للأمير سيف الدين بَيْدَمُر في ذلك ، فلما كان يوم الجمعة رابعه التقوا مع حِيَار عند سلمية ، فكانت بينهم مناوشات ، فأخبرني الأمير تاج الدين الدوادار ـ وكان مشاهد الوقعة ـ أن الأعراب أحاطوا بهم من كل جانب ، وذلك لكثرة العرب وكانوا نحو الثمانمئة ، وكانت الترك من حماة وحمص وحلب مئة وخمسين ، فرموا الأعراب بالنشاب فقتلوا منهم طائفة كثيرة ، ولم يقتل من الترك سوى رجل واحد ، رماه بعض الترك ظاناً أنه من العرب بناشج فقتله ، ثم حجز بينهم الليل ، وخرجت الترك من الدائرة ونهبت أموال من الترك ومن العرب ، وجرت فتنةٌ وجردت أمراء عدة من دمشق لتدارك الحال ، وأقام نائب السلطنة هناك ينتظر ورودهم ، وقدم الأمير عمر الملقب بمصمع بن موسى بن مُهنًا من الديار المصرية أميراً على الأعراب وفي صحبته الأمير بدر الدين [رملة](٣) بن جماز أميران على الأعراب ، فنزل مَصْمَع بالقصر الأبلق ، ونزل الأمير رملة بالتُّوزية على عادته ، ثمّ توجها إلى ناحية حِيَار بمن معهما من عرب الطاعة ممن أضيف إليهم من تجريدة دمشق ومن يكون معهم من جيش حماة وحمص لتحصيل الأمير حيار ، وإحضاره إلى الخدمة الشريفة ، فالله تعالى يحسن العاقبة .

دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين بَيْدَمُر إلى دمشقَ

وذلك صبيحة يوم السبت التاسع عشر من شعبان ، أقبل بجيشه من ناحية حلب وقد بات بوطأة بَرْزة ليلة السبت ، وتلقّاه الناس إلى حماة ودونها ، وجرت له وقعة مع العرب كما ذكرنا ، فلما كان هذا اليوم دخل في أُبَّهة عظيمة ، وتجمُّل حافل ، فقبّل العتبة على العادة ، ومشى إلى دار السعادة ، ثم أقبلت جنائبه

---

(١) الذيل للحسيني ص(٣٣٤) .

(٢) في ط : خيار بالخاء . مصحف ، وما أثبتناه هو الصواب ، وهو جد عشائر الحيارات في البلقاء وغيرها ، وهو من أمراء آل فضل أمراء العرب ، وشيوخ العيساويين في الطرق وبلاد الشام ، وله ترجمة في الدرر الكامنة (٢/ ٨١) . (بشار) .

(٣) زيادة من الدرر الكامنة (٢/ ١١) .

في لبوس هائلة باهرة ، وعدد كثير ، وعدد ثمينة ، وفرح المسلمون به لشهامته وصرامته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، والله تعالى يؤيده ويسدده .

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضانَ خطبت الحنابلة بجامع القبيبات وعزل عنه القاضي شهاب الدين قاضي العسكر الحنبلي ، بمرسوم نائب السلطان لأنّه كان يعرف أنه كان مختصاً بالحنابلة منذ عين إلى هذا الحين .

وفي يوم الجمعة السادس عشر منه قُتل عثمان(١) بن محمد المعروف بابن دبادب الدقّاق بالحديد على ما شهد عليه به جماعةٌ لا يمكن تواطؤُهم على الكذب ، أنه كان يكثر من شتم الرسول ﷺ ، فرُفع إلى الحاكم المالكي وادُّعي عليه ، فأظهر التجابن ، ثم استقرَّ أمره على أن قتل قبَّحه الله وأبعده ولا رحمه .

وفي يوم الإثنين السادس والعشرين منه قتل محمد(٢) المدعو زبالة الذي انحاز(٣) لابن معبد على ما صدر منه من سب النبي ﷺ ودعواه أشياء كفرية ، وذُكر عنه أنّه كان يكثر الصَّلاة والصِّيام ، ومع هذا يصدر منه أحوال بشعة في حق أبي بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين ، وفي حق النبي ﷺ ، فضُربت عنقه أيضاً في هذا اليوم في سوق الخيل ولله الحمد والمنّة .

وفي ثالثَ عشرَ شوّال خرج المحمل السلطاني وأميره الأمير ناصر الدين بن قَرَاسُنْقُر وقاضي الحجيج الشيخ شمس الدين محمد بن سند المحدِّث ، أحد المفتين .

وفي أواخر شهر شوّال أُخذ رجل يقال له حسن ، كان خياطاً بمحلَّة الشَّاغور ، ومن شأنه أن ينتصر لفرعونَ لعنه الله ، ويزعمُ أنَّه مات على الإسلام ويحتجُّ بأنه في سورة يونس حين أدركه الغرق قال : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس : ٩٠] ولا يفهم معنى قوله : ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [يونس : ٩١] ولا معنى قوله : ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾ [النازعات : ٢٥] ولا معنى قوله : ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴾ [المزمل : ١٦] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على أنّ فرعون أكفرُ الكافرين ، كما هو مجمع عليه بين اليهود والنصارى والمسلمين .

وفي صبيحة يوم الجمعة سادس ذي القعدة قدم البريد بطلب نائب السلطنة(٤) إلى الديار المصرية في تكريم وتعظيم ، على عادة تَنكِز ، فتوجّه النائبُ إلى الديار المصرية وقد استصحب معه تحفاً سنيّة وهدايا

---

(١) لعلّه ممن انفرد به ابن كثير .

(٢) لعلّه ممن انفرد به ابن كثير .

(٣) في الأصل : مهتاز ، وفي م : بهتار .

(٤) بيدمر الخوارزمي .

معظَّمة تصلُح للإيوان الشريف ، في صبيحة السبت رابع عشره ، خرج ومعه القضاة والأعيان من الحجبة والأمراء لتوديعه .

وفي أوائل ذي الحجة ورد كتاب من نائب السلطنة بخطه إلى قاضي القضاة تاج الدين(١) الشافعي يستدعيه إلى القدس الشريف ، وزيارة قبر الخليل ، ويذكر فيه ما عامله به السلطان من الإحسان والإكرام والاحترام والإطلاق والإنعام من الخيل والتحف والمال والغلات ، فتوجه نحوه قاضي القضاة يوم الجمعة بعد الصلاة رابعه على ستة من خيل البريد ، ومعه تحف وما يناسب من الهدايا ، وعاد عشية يوم الجمعة ثامن عشره إلى بستانه(٢) .

ووقع في هذا الشهر والذي قبله سيول كثيرة جداً في أماكن متعددة ، من ذلك ما شاهدنا آثاره في مدينة بعلَبَك ، أتلف شيئاً كثيراً من الأشجار ، واخترق أماكن كثيرة متعددة عندهم وبقي آثار سيحه على أماكن كثيرة ، ومن ذلك سيل وقع بأرض جعلوص أتلف شيئاً كثيراً جداً ، وغرق فيه قاضي تلك الناحية ، ومعه بعض الأخيار ، كانوا وقوفاً على أكمة ، فدهمهم أمر عظيم ، ولم يستطيعوا دفعه ولا منعه ، فهلكوا .

ومن ذلك سيل وقع بناحية حسية(٣) جمال فهلك به شيء كثير من الأشجار والأغنام والأعناب وغيرها .

ومن ذلك سيل بأرض حلب هلك به خلق كثير من التركمان وغيرهم . رجالًا ونساءً وأطفالًا وغنماً وإبلاً . قرأته من كتاب من شاهد ذلك عياناً ، وذكر أنه سقط عليهم برَد وزنت الواحدة منه فبلغت زنتها سبعمئة درهم ، وفيه ما هو أكبر من ذلك وأصغر ، انتهى(٤) .

الأمر بإلزام القَلَنْدَرِيّة بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم وذلك محرم بالإجماع حسب ما حكاه ابن حَزْم(٥) وإنما ذكره بعض الفقهاء بالكراهية

ورد كتابٌ من السُّلطان أيده الله إلى دمشق في يوم الثلاثاء خامس عشر ذي الحجة ، بإلزامهم بزي

---

(١) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي السُّبكي . مرَّ ذكره .
(٢) بالزعيفرنية . وقد سبق ذكره .
(٣) في ط : حسة .
(٤) الذيل للحسيني ص(٣٣٤) الذيل التام للسخاوي (١/ ١٧٠) .
(٥) في ط : ابن حازم والتصويب من الذيل التام للسخاوي (١/ ١٧٠) .
وهو : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب ، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر . مات سنة (٤٥٦)هـ . وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٥) .

المسلمين وترك زي الأعاجم والمجوس ، فلا يمكن أحد منهم من الدخول إلى بلاد السلطان حتى يترك هذا الزي المبتدع ، واللباس المستشنع ، ومن لا يلتزم بذلك يعزَّر شرعاً ، ويقلع من قراره قلعاً ، وكان اللائق أن يؤمروا بترك أكل الحشيشة الخسيسة ، وإقامة الحد عليهم بأكلها أو السُّكر بها(١) ، كما أفتى بذلك بعض الفقهاء . والمقصود أنهم نودي عليهم بذلك في جميع أرجاء البلد ونواحيه في صبيحة يوم الأربعاء ولله الحمد والمنة(٢) .

وبلغنا في هذا الشهر وفاة :

الشيخ الصالح الشيخ أحمد(٣) **بن موسى الزُّرَعى** بمدينة حِبْرَاص(٤) يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة ، وكان من المبتلين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام في مصالح الناس عند السلطان والدولة ، وله وجاهة عند الخاص والعام ، رحمه الله .

والأمير سيف الدين كجكن بن لاقُوش(٥) ، الذي كان حاجباً بدمشق وأميراً ، ثم عزل عن ذلك كله ، ونفاه السلطان إلى طرابلس فمات هناك .

وقدم نائب السَّلطنة الأمير سيف الدين بَيْدَمُر عائداً من الديار المصرية ، وقد لقي من السلطان إكراماً وإحساناً زائداً فاجتاز في طريقه بالقدس الشريف فأقام به يوم عرفة والنحر ، ثم سلك على طريق غابة أَرْسُوف(٦) يصطاد بها فأصابه وَعْكٌ منعه عن ذلك ، فأسرع السير فدخل دمشق من صبيحة يوم الإثنين الحادي والعشرين منه في أُبَّهة هائلة ، ورياسة طائلة ، وتزايد ، وخرج العامة للتفرج عليه والنظر إليه في مجيئه هذا ، فدخل وعليه قباء معظَّم ومطرز ، وبين يديه ما جرت به العادة من الحوفية والشاليشية وغيرهم ، ومن نيته الإحسان إلى الرعية والنّظر في أحوال الأوقاف وإصلاحها على طريقة تَنْكِز رحمه الله انتهى والله أعلم .

---

(١) في ط : وسكرها ، والتصويب من الذيل التام (١/ ١٧١) .

(٢) الذيل التام (١/ ١٧٠ ـ ١٧١) . فقد نقل عن ابن كثير بالحروف ، دون الإشارة منه رحمه الله .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (١/ ٣٢٤) وفيه : وفاته في ذي الحجة ، وقيل : أول المحرم سنة (٧٦٢)هـ . وهو ما اعتمده الذيل ص(٢٤٥) . والنجوم الزاهرة (١١/ ١٢) وشذرات الذهب (٦/ ١٩٧) . ذكره في وفيات سنة (٧٦٢)هـ أيضاً .

(٤) في ط : جبراص بالجيم .

(٥) في ط : كحلن بن الأقوس وهو تحريف والتصويب من مصادر ترجمته . ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢٦٥) والذيل التام للسخاوي (١/ ١٧٥) .

(٦) في ط : أرصوف . « وأَرْسُوف » : مدينة على ساحل بحر الشام بين قَيْسارية ويافا . معجم البلدان .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسبعمئة

استهلت هذه السنة المباركة وسلطان الإسلام بالديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك ويلتحق به الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي ، ولا نائب له بالديار المصرية ، وقضاته بها هم المذكورون في العام الماضي ، ووزيره القاضي ابن الخطيب .

ونائب الشام بدمشقَ الأمير سيف الدين بَيْدَمُر الخُوَارزمي ، والقضاة والخطيب وبقية الأشراف وناظر الجيش والمحتسب هم المذكورون في العام الماضي ، والوزير ابن قَرَوينة(١) ، وكاتب السر القاضي أمين الدين بن القلانسي ، ووكيل بيت المال القاضي صلاح الدين الصَّفدي وهو أحد موقِّعي الدست الأربعة ، وشاد الأوقاف الأمير ناصر الدين بن فضل الله ، وحاجب الحجاب اليوسفي ، وقد توجه إلى الديار المصرية ليكون بها أمير جندار ، ومتولي البلد ناصر الدين ، ونقيب النقباء ابن الشجاعي .

وفي صبيحة يوم الإثنين سادس المحرم قدم الأمير علي(٢) نائب حماة منها ، فدخل دمشق مجتازاً إلى الديار المصرية فنزل في القصر الأبلق ثم تحول إلى دار دويدار يَلْبُغا الذي جدد فيها مساكن كثيرة بالقصاعين. وتردد الناس إليه للسلام عليه ، فأقام بها إلى صبيحة يوم الخميس تاسعه ، فسار إلى الديار المصرية .

وفي يوم الأحد تاسعَ عشرَ المحرم أحضر حسن بن الخيَّاط من محلَّة الشاغور إلى مجلس الحكم المالكي من السجن ، وناظر في إيمان فرعون ، وادُّعِيَ عليه بدعاوى لانتصاره لفرعون لعنه الله ، وصدَّق ذلك باعترافه أولاً ثم بمناظرته في ذلك ثانياً وثالثاً ، وهو شيخ كبير جاهل عامي دائص(٣) لا يُقيم دليلاً ولا يُحسنه، وإنما قام في مخيلته شبهة يحتج عليها بقوله [تعالى](٤) إخباراً عن فرعون حين أدركه الغرق، وأُحيط به ورأى بأس الله ، وعاين عذابه الأليم ، فقال حينئذ(٥) : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس : ٩٠] قال الله تعالى : ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ ﴾ [يونس : ٩١ - ٩٢] فاعتقد هذا العامي أن هذا الإيمان الذي صدر من فرعون والحالة هذه ينفعه ، وقد قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ۝٨٤ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٤ - ٨٥] . وقال تعالى :

---

(١) في ط : قزوينة .
وهو فخر الدين فخر الدولة بن قَرَوينة : قدم على نظر دواوين الشام في السنة الماضية كما تقدم .
(٢) علي المارداني : نائب دمشق سابقاً .
(٣) في ط : « ذائص » مصحفة ، والدائص : الأشر البطر ، فانظر وجيز الكلام (١/ ١١٧) .
(٤) زيادة من الذيل التام .
(٥) في ط : حين الغرق إذاً . وأثبتنا ما في الذيل التام .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٦ ـ ٩٧] وقد دعا موسىٰ على فرعون فقال : ﴿ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا ﴾ [يونس : ٨٨ ـ ٨٩] الآية][١] .

ثم حضر في يوم آخر وهو مصمّم على ضلاله فضُرب بالسّياط ، فأظهر التوبةَ ، ثم أعيد إلى السجن في زِنْجير ، ثم أحضر يوماً ثالثاً وهو يستهلُّ بالتوبة فيما يظهر ، فنودي عليه في البلد ثم أُطلق[٢] .

وفي ليلة الثُّلاثاء الرابعَ عشرَ طلع القمر خاسفاً كلُّه ، ولكن كان تحت السحاب ، فلما ظهر وقت العشاء وقد أخذ في الجلاء صلّى الخطيبُ صلاةَ الكُسوف قبل العشاء ، وقرأ في الأولى بسورة العنكبوت وفي الأخرى بسورة يٓس ، ثم صعد المنبر فخطب ، ثم نزل بعد العشاء .

وقدمت كتب الحجّاج يخبرون بالرُّخص والأمن ، واستمرت زيادة الماء من أول ذي الحجة وقبلها إلى هذه الأيام من آخر هذا الشهر والأمر على حاله ، وهذا شيء لم يعهد كما أخبر به عامة الشيوخ ، وسببه أنه جاء ماء من بعض الجبال انهال في طريق النهر .

ودخل المحمل السلطاني يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من المحرم قبل الظهر ، ومسك أمير الحاج جَركْتَمُر[٣] المارداني الذي كان مقيماً بمكّة شرّفها الله تعالى ، وحماها من الأوغاد ، فلما عادت التجريدة مع الحجاج إلى دمشقَ صحبة ابن قَرَاسُنْقُر[٤] من ساعة وصوله إلى دمشق ، فقُيّد وسُيّر إلى الديار المصرية على البريد ، وبلغنا أنَّ الأمير سند أميرَ مكّة غرّر بجند السلطان الذين ساروا صحبة ابن قَرَاسُنْقُر وكبسهم وقتل من حواشيهم وأخذ خيولهم ، وأنهم ساروا جرائد بغير شيء مسلوبين إلى الديار المصرية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي أوّل شوال اشتُهر فيه وتواتر خبر الفناء الذي بالديار المصرية بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل عندهم ، على خلاف المعتاد ، فبلغنا أنه يموت من أهلها كل يوم فوق الألفين ، فأما المرض فكثير جداً ، وغلت الأسعار لقلة من يتعاطى الأشغال ، وغلا السكر والمياه[٥] والفاكهة جداً ، وتبرز السلطان إلى ظاهر البلد وحصل له تشويش أيضاً ، ثم عوفي بحمد الله[٦] .

وفي ثالث ربيع الآخر قدم من الديار المصرية ابن الجحّاف رسول صاحب العراق لخِطبة بنت السلطان ،

---

(١) في ط : فاستجيبت دعوتكما . وفي العبارة خلل . والزيادة مستدركة من الذيل التام (١/ ١٨٠) نقلاً عن ابن كثير .
(٢) الخبر في الذيل التام (١/ ١٨٠) فقد نقله السخاوي عن ابن كثير بخلاف طفيف في بعض الألفاظ دون المعنى .
(٣) في ط : شركتمر . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (١/ ٥٣٤) . وفيه : كان أميراً بمكة منذ (٧٦٠)هـ .
(٤) في ط : القراسَنقر .
(٥) في ط : الأمياه .
(٦) النجوم الزاهرة (١٠/ ٣١١) .

فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يُصدِقَها مملكة بغداد، وأعطاهم مستحقاً سلطانياً، وأطلق لهم من التحف والخلع والأموال شيئاً كثيراً ، ورسم الرسول بمشترى قرية من بيت المال لتوقف على الخانقاه التي يريد أن يتخذها بدمشقَ قريباً من الطَّواويس، وقد خرج لتلقِّيه نائب الغيبة وهو حاجب الحجاب، والدولة والأعيان.

وقرأتُ في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر كتاباً ورد من حلب بخط الفقيه العدل شمس الدين العراقي من أهلها ، ذكر فيه أنه كان في حضرة نائب السلطنة في دار العدل يوم الإثنين السابعَ عشرَ من ربيع الأول ، وأنه أحضر رجل قد ولد له ولد عاش ساعة ومات ، وأحضره معه وشاهده الحاضرون ، وشاهده كاتب الكتاب ، فإذا هو شكلٌ سَوِيٌّ له على كل كتف رأس بوجه مستدير ، والوجهان إلى ناحية واحدة فسُبحان الخلاق العليم(١) .

وبلغنا أنه في هذا الشهر سقطت المنارة التي بنيت للمدرسة(٢) السلطانية بمصر ، وكانت مُتَّخذَة(٣) على صفة غريبة ، وذلك أنها منارتان على أصل واحد فوق قبو الباب الذي للمدرسة المذكورة ، فلما سقطت أهلكت خلقاً كثيراً من الصُّنَّاع بالمدرسة والمارة والصبيان الذين في مكتب المدرسة ، ولم ينجُ من الصبيان فيما ذكر شيء سوى ستَّة(٤) ، وكان جملة من هلك بسببها نحو ثلثمئة نفس ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقل ، فإنا لله وإنا إليه راجعون(٤) .

وخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين بَيْدَمُر إلى الغيضة لإصلاحها وإزالة ما فيها من الأشجار المؤذية والدّغل يوم الإثنين التاسع والعشرين من الشهر ، وكان سلخه ، وخرج معه جميع الجيش من الأمراء وأصحابه ، وأجناد الحلقة برمتهم لم يتأخر منهم أحد ، وكلهم يعملون فيها بأنفسهم وغلمانهم ، وأحضر إليهم خلق من فلاحي المرج والغوطة وغير ذلك ، ورجع يوم السبت خامس الشهر الداخل وقد نظفوها من الغل والدغل والغش .

واتفقت كائنة غريبة لبعض السؤّال ، وهو أنه اجتمع جماعة منهم قبل الفجر ليأخذوا خبزاً من صدقة تربة امرأة ملك الأمراء تَنْكز عند باب الخواصين ، فتضاربوا فيما بينهم فعمدوا إلى رجل منهم فخنقوه خنقاً شديداً ، وأخذوا منه جراباً فيه نحو من أربعة آلاف درهم . وشيء من الذهب وذهبوا على حمية ، وأفاق هو من الغشي فلم يجدهم ، واشتكى أمره إلى متولّي البلد فلم يظفر بهم إلى الآن ، وقد أخبرني الذي

---

(١) بدائع الزهور (١/ ٥٨٥) وفيه : الإثنين سادس عشري .
(٢) هي المدرسة الحسينية .
(٣) في ط : مستجدة والتصويب من الذيل التام (١/ ١٧٦) .
(٤) في الذيل التام : غير عشرة .

أخذوا منه أنهم أخذوا منه ثلاثة آلاف درهم معاملة ، وألف درهم بندقية ودينارين وزنهما ثلاثة دنانير . كذا قال لي إن كان صادقاً .

وفي صبيحة يوم السبت خامس جمادى الأولى طلب قاضي القضاة شهاب الدين[١] الحنفي للشيخ علي بن البناء ، وقد كان يتكلم في الجامع الأموي على العوام ، وهو جالس على الأرض بشيء من الوعظيات وما أشبهها من صدره ، فكأنه تعرض في غضون كلامه لأبي حنيفة رحمه الله ، فأُحضر فاستتيب من ذلك ، ومنعه قاضي القضاة شرف الدين الكفري من الكلام على الناس ، وسجنه ، وبلغني أنه حكم بإسلامه وأطلقه من يومه ، وهذا المذكور ابن البناء عنده زهادة وتعفف ، وهو مصري يسمع الحديث ويقرؤه ، ويتكلم بشيء من الوعظيات والرقائق ، وضرب أمثال ، وقد مال إليه كثير من العوام واستحلَوه ، وكلامه قريب إلى مفهومهم ، وربما أضحك في كلامه ، وحاضرتُه وهو مطبوع قريب إلى الفهم ، ولكنه أشار فيما ذكر عنه في شطحته إلى بعض الأشياء التي لا تنبغي أن تذكر ، والله الموفق ، ثم إنه جلس للناس في يوم الثلاثاء ثامنه فتكلم على عادته ، فتطلبه القاضي المذكور ، فيقال إن المذكور تعنَّت . انتهى والله أعلم .

سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد[٢] : ابن الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحي وزوال دولة عمه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون .

لما كثر طمعه وتزايدَ شرهه ، وساءت سيرته إلى رعيته ، وضيّق عليهم في معايشهم وأكسابهم ، وبنى البنايات الجبّارة التي لا يحتاج إلى كثير منها ، واستحوذ على كثير من أملاك بيت المال وأمواله ، واشترى منه قرايا كثيرة ومدناً ورساتيق[٣] ، وشقّ ذلك على الناس جداً ، ولم يتجاسر أحد من القضاة ولا الولاة ، ولا العلماء ولا الصلحاء على الإنكار عليه ، ولا الهجوم عليه ، ولا النصيحة له بما هو المصلحة له وللمسلمين ، انتقم الله منه فسلَّط عليه جنده وقلب قلوب رعيته من الخاصة والعامة عليه ، لما قطع من أرزاقهم ومعاليمهم وجوامكهم وأخبازهم ، وأضاف ذلك جميعه إلى خاصته ، فقلت الأمراء والأجناد والمقدمون[٤] والكتّاب والموقِّعون ، ومسَّ الناسَ الضررُ وتعدَّى على جوامكهم وأولادهم ومن يلوذ بهم ، فعند ذلك قدّر الله تعالى هلاكه على يد أحد خواصه وهو الأمير الكبير سيف الدين يَلْبُغَا الخَاصكي . وذلك أنه أراد السلطان مسكه فاعتدَّ لذلك ، وركب السلطان لمسكه فركب هو في جيش ،

---

(١) في ط : شرف الدين . وقد مضى ذكره .

(٢) الذيل للحسيني (٣٣٨ وما بعدها) . والدرر الكامنة (٢/ ٣٨) والذيل التام (١/ ١٧٧) .

(٣) في الذيل التام : وأكثر من سفك الدماء .

(٤) في الذيل التام : حتى قلَّ الأمراء من كبار المتقدمين .

وتلاقيا في ظاهر القاهرة حيث كانوا نزولاً في الوطاقات ، فهزم السلطان بعد كل حساب ، وقد قتل من الفريقين طائفة ، ولجأ السلطان إلى قلعة الجبل ، كلا ولا وزر ، ولن ينجي حذر من قدر ، فبات الجيش بكماله محدقاً بالقلعة ، فهمَّ بالهرب في الليل على هجن كان قد اعتدها ليهرب إلى الكَرَك ، فلما برز مُسك واعتُقل ودخل به إلى دار يَلْبُغَا الخاصكي المذكور ، وكان آخر العهد به ، وذلك في يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى من هذه السنة ، وصارت الدولة والمشورة متناهية إلى الأمير سيف الدين يَلْبُغَا الخاصكي ، فاتفقت الآراء واجتمعت الكلمة وانعقدت البيعة للملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي ، وخطب الخطباء وضُربت السكة ، وسارت البريدية للبيعة باسمه الشريف ، هذا وهو ابن ثنتي عشرة ، وقيل أربع عَشْرَةَ ، ومن الناس من قال ستَّ عَشْرَةَ ، ورُسم في عود الأمور إلى ما كانت عليه في أيام والده الناصر محمد بن قلاوون ، وأن يبطل جميع ما كان أخذه الملك الناصر حسن ، وأن تعاد المرتبات والجوامك التي كان قطعها ، وأمر بإحضار طاز(١) وطَشْتَمُر(٢) القاسمي من سجن الإسكندرية(٣) إلى بين يديه ليكونا أتابكا(٤) .

وجاء الخبر إلى دمشق صحبة الأمير سيف الدين بُزْلار شاد التربخاناة أحد أمراء الطبلخانات بمصر صبيحة يوم الأربعاء سادسَ عشر الشهر ، فضربت البشائر بالقلعة وطبلخانات الأمراء على أبوابهم ، وزُيّن البلد بكماله ، وأُخذت البيعة له صبيحة يومه بدار السعادة وخلع على نائب السلطنة تشريف هائل ، وفرح أكثر الأمراء والجند والعامة ، ولله الأمر ، وله الحكم . قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] الآية .

ووجد على حجر بالحميرية فقرئت للمأمون فإذا مكتوب .

ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ولا ... دارتْ نجومُ السماءِ في الفلكِ
إلا لنقلِ النعيم من ملكٍ ... قد زالَ سلطانهُ إلى ملكِ
ومُلكُ ذي العرشِ دائمٌ أبداً ... ليسَ بفانٍ ولا بمشتركِ(٥)

---

(١) في ط : طار وقد سبق ذكره .
(٢) في ط : طاشتمر .
(٣) في ط : اسنكدرية .
(٤) النجوم الزاهرة (١١/ ٤) .
(٥) منها بيتان في عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/ ٣٠٧) وفيه : حدثني أبي عن أبي العتاهية أنه قرئ له بيتان على جدار من جُدُر كنيسة القسطنطينية :

مـا اختلـف اللَّيـل والنَّهـارُ ولا ... دارت نجـوم السمـاء فـي الفلـك
إلا بنقـل السلطـان عـن ملـك ... كـان يحـبُّ الـدنيـا إلـى ملـك

ورُوي عن سليمان بن عبد الملك بن مروان أنّه خرج يوماً لصلاة الجمعة ، وكان سَوِيَّ الخلق حسنَهُ ، وقد لبس حُلة خضراء ، وهو شاب ممتلئ شباباً ، وينظر في أعطافه ولباسه ، فأعجبه ذلك من نفسه ، فلمّا بلغ إلى صرحة الدار تلقته جِنِّية في صورة جارية من حظاياه فأنشدته :

أنتَ نعمَ المتاع لو كنتَ تبقى غيــر أن لا حيــاةَ لــلإنســانِ
ليـسَ فيمـا علمـتُ فيـك عيـ ـب يـذكـرُ غيـرَ أنـكَ فـانِ[1]

فصعد المنبر الذي في جامع دمشقَ وخطب الناس ، وكان جهوري الصوت يسمع أهل الجامع وهو قائم على المنبـر ، فضعف صوته قليلاً قليلاً حتى لم يسمعه أهل المقصورة ، فلمَّا فرغ من الصلاة حمل إلى منزله فاستحضر تلك الجارية التي تبدَّت تلك الجِنِّية على صورتها ، وقال : كيف أنشدتيني تينك البيتين ؟ فقالت : ما أنشدتك شيئاً . فقال : الله أكبر نُعيت والله إليَّ نفسي . فأوْصى أن يكون الخليفة من بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمه الله[2] .

وقدم نائب طرابُلُس المعزول عليلاً والأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر[3] الذي كان نائب دمشق وكانا مقيمان بطرابُلُس جميعاً ، في صبيحة يوم السبت السادس والعشرين منه ، فدخلا دار السعادة فلم يحتفل بهما نائب السلطنة .

وتكامل في هذا الشهر تجديد الرِّواق غربي باب الناطفانيين إصلاحاً لدرابزيناته وتبييضاً لجدرانه ومحرابه ، وجُعل له شبابيك في الدّرابزينات ، ووقف فيه قراءة قرآن بعد المغرب ، وذكروا أن شخصاً رأى مناماً فقصَّه على نائب السلطنة فأمر بإصلاحه .

وفيه نهض بناء المدرسة التي إلى جانب هذا المكان من الشباك ، وقد كان أسسها أولاً علَم الدين بن هلال[4] ، فلمّا صودر أُخذت منه وجُعلت مضافة إلى السلطان ، فبنوا فوق الأساسات وجعلوا لها خمسة شبابيك من شرقها ، وباباً قبلياً ومحراباً ، وبركة عراقية ، وجعلوا حائطها بالحجارة البيض والسود ، وكمَّلوا عاليها بالآجر ، وجاءت في غاية الحسن ، وقد كان السلطان الناصر حسن قد رسم بأن تُجعل مكتباً للأيتام فلم يتم أمرها حتى قتل كما ذكرنا[5] .

---

(١) البيتان في عيون الأخبار (٢/ ١٧) وهي منسوبة فيه للشاعر موسى شَهَوات ولفظها :

ليـس فيمـا بـدا لنـا منـك عيـبٌ عـابـه النـاسُ غيـر أنـك فـانـي
أنت خير المتاع لو كنت تبقى غيــرأنْ لا بقــاء لــلإنســان

وأورد الحكاية ابن خلكان في وفيات الأعيان (٣/ ٤٢١) وذكر الأبيات بلفظها كما أوردتها هنا .

(٢) سليمان مات في دابق ، ولعلّ الحكاية من وضع الوعاظ . وفيات الأعيان (٣/ ٤٢٠) ابن خلدون (٣/ ٧٤) .

(٣) في ط : استدمر .

(٤) هو : سنجر بن عبد الله النجمي ، وهو مولى ابن هلال .

(٥) هي المدرسة الجقمقية الدارس (١/ ٤٨٩) ومنادمة الأطلال ص(١٦٠) . أسسها المعلم سنجر الهلالي ، وخربت في فتنة تيمورلنك ، فأعاد سيف الدين جقمق إعمارها أثناء نيابته على دمشق سنة (٨٢٢هـ) .

واشتهـر في هـذا الشهر أن بقـرة كانت تجيء من ناحية باب الجـابية تقصد جراءً لكلبةٍ قد ماتت أُمُّهم، وهي في ناحية كنيسة مَرْيم[(١)] في خرابة، فتجيء إليهم فتنسطح على شقها فترضع أولئك الجراء منها، تكرر هذا منها مراراً، وأخبرني المحدث المفيد التقي نور الدين أحمد بن المقصوص بمشاهدته ذلك .

وفي العشر الأوسط من جمادى الآخرة نادى منادٍ من جهة نائب السلطنة حرسه الله تعالى في البلد أن النساء يمشين في تستُّر ويلبسن أُزرَهُنّ إلى أسفل من سائر ثيابهن، ولا يظهرن زينة ولا يداً، فامتثلن ذلك ولله الحمد والمنة .

وقدم أمير العرب حِيَار[(٢)] بن مُهنَّا في أُبَّهة هائلة، وتلقّاه نائب السلطنة إلى أثناء الطريق، وهو قاصد إلى الأبواب الشريفة .

وفي أواخر رجب قدم الأمير سيف الدين تَمُر[(٣)] المهمندار من نيابة غزَّة حاجب الحجاب بدمشق، وعلى مقدمة رأس الميمنة .

وأطلق نائب السلطنة مكوسات كثيرة، مثل مَكس الحداية والخزل المرددن الحلب، والطبابي[(٤)]، وأبطل ما كان يؤخذ من المحتسبين زيادة على نصف درهم، وما يؤخذ من أجرة عدة الموتى كل ميت بثلاثة ونصف، وجعل العدة التي في القيسارية للحاجة مسبَّلة لا تنحجر على أحد في تغسيل ميت، وهذا حسن جداً، وكذلك منع التحجّر في بيع البلح المختص به، وبيع مثل بقية الناس من غير طرحان[(٥)] فرخص على الناس في هذه السنة جداً، حتى قيل إنه بيع القنطار بعشرة، وما حولها .

وفي شهر شعبان[(٦)] قدم الأمير حِيَار بن مُهَنَّا من الديار المصرية فنزل القصر الأبلق وتلقاه نائب السلطنة وأكرم كل منهما الآخر، ثم ترحل بعد أيام قلائل، وقدم الأمراء الذين كانوا بحبس الإسكندرية في صبيحة يوم الجمعة سابعه، وفيهم الأمير شهاب الدين بن صبح وسيف الدين طَيْدمُر الحاجب، وطُنَيْرق[(٧)] ومقدم ألف؛ وعمرشاه .

---

(١) قرب درب الحجر .

(٢) في ط : جبار، وهو تصحيف، وقد مضى ذكره .

(٣) مات في الثمانين من عمره في شوال سنة (٧٦٢)هـ الذيل للحسيني ص(٣٣٩) الدرر الكامنة (١/ ٥٢٠) .

(٤) هكذا وردت العبارة في ط، ولعل كل هذا يشير إلى مكس يؤخذ من النساء المختصات بعمل القراءات من قراءة وغيرها، والله أعلم .

(٥) لعله يريد : من غير نقص .

(٦) في بدائع الزهور (١/ ٥٨٤) : في ذي الحجة .

(٧) في ط : طيبرف . وأثبتنا ما في الذيل للحسيني ص(٣٣٩) .

هذا ونائب السلطنة الأمير سيف الدين بَيْدَمُر أعزه الله يبطل المكوسات شيئاً بعد شيء ممّا فيه مضرة بالمسلمين ، وبلغني عنه أن من عزمه أن يبطل جميع ذلك إن أمكنه الله من ذلك ، آمين انتهى .

تنبيه[١] على واقعة غريبة واتفاقٍ عجيب

نائب السلطنة الأمير سيف الدين بَيْدَمُر فيما بلغنا في نفسه عَتَب على أتابك الديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي مُدَبِّر الدولة بها ، وقد توسَّم وتوهَّم منه أنّه يسعى في صرفه عن الشام ، وفي نفس نائبنا قوة وصرامة شديدة، فتنسَّم منه ببعض الإباء عن طاعة يَلْبُغا ، مع استمراره على طاعة السلطان ، وأنه إن اتفق عُزْلٌ من قبل يَلْبُغَا أنه لا يسمع ولا يطيع ، فعمل أعمالاً واتفق في غضون هذا الحال موت نائب القلعة المنصورة بدمشق وهو الأمير سيف الدين بُرْناق[٢] الناصري فأرسل نائب السلطنة من أصحابه وحاشيته من يتسلّم القلعة برُمّتها ، ودخل هو بنفسه إليها ، وطلب الأمير زين الدين زبَالة الذي كان فقيهاً ثم نائبها وهو من أخبر الناس بها وبخطاتها[٣] وحواصلها ، فدار معه فيها وأراه حصونها وبروجها ومفاتحها وأغلاقها ودورها وقصورها وعددها وبركتها ، وما هو معدٌّ فيها ولها ، وتعجب الناس من هذا الاتفاق في هذا الحال ، حيث لم يتفق ذلك لأحد من النواب قبله قط ، وفتح الباب الذي هو تجاه دار السعادة وجعل نائب السلطنة يدخل منه إلى القلعة ويخرج بخدمه وحشمه وأُبَّهته يكشف أمرها وينظر في مصالحها أيده الله .

ولما كان يوم السبت خامس عشر شعبان ركب في الموكب على العادة واستدعى الأمير سيف الدين أسندَمُر الذي كان نائب الشام ، وهو في منزله كالمعتقل فيه ، لا يركب ولا يراه أحد ، فأحضره إليه وركب معه، وكذلك الأمراء الذين قدموا من الديار المصرية: طُنَيْرق[٤] ، وهو أحد أمراء الألوف وطَيْدَمُر الحاجب، كان ، وأما ابن صُبْح وعمر شاه فإنهما كانا قد سافرا يوم الجمعة عشية النهار ، والمقصود أنه سيَّرهم وجميع الأمراء بسوق الخيل ، ونزل بهم كلهم إلى دار السعادة فتعاهدوا وتعاقدوا واتفقوا على أن يكونوا كلّهم كتفاً واحداً ، وعصبة واحدة على مخالفة من أرادهم بسوءٍ وأنهم يد على من سواهم ممّن أراد عزل أحد منهم أو قتله، وأن من قاتلهم قاتلوه ، وأن السلطان هو ابن أستاذهم الملك المنصور بن حاجي بن الناصر بن المنصور قلاوون ، فطاوعوا كلهم لنائب السلطنة على ما أراد من ذلك ، وحلفوا له وخرجوا من عنده على هذا الحلف ، وقام نائب السلطنة على عادته في عظمة هائلة ، وأُبَّهة كثيرة ، والمسؤول من الله حسن العاقبة .

---

(١) في ط : تنبيع وهو تطبيع .
(٢) في الذيل للحسيني ص(٣٤٠) : برتاق بالتاء .
(٣) هكذا في ط ، ولعل الصواب : بخططها .
(٤) في ط : « طبترق » وقد ذكر قبل قليل .

وفي صبيحة يوم الأحد سادسَ عشرَ شعبان أبطل ملك الأمراء المكس الذي يؤخذ من الملح وأبطل مكس الأفراح ، وأبطل أن لا تغنِّي امرأة لرجال ، ولا رجل لنساء ، وهذا في غاية ما يكون من المصلحة العظيمة الشامل نفعها .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره شرع نائب السلطنة سيف الدين بَيْدَمُر في نصب مجانيق على أعالي بروج القلعة ، فنصبت أربعة مجانيق من جهاتها الأربع ، وبلغني أنه نصب آخر في أرضها عند البحرة ، ثم نصب آخر وآخر حتى شاهد الناس ستة مجانيق على ظهور الأبرجة ، وأخرج منها القلعية وأسكنها خلقاً من الأكراد والتركمان وغيرهم من الرجال الأنجاد ، ونقل إليها من الغلات والأطعمة والأمتعة وآلات الحرب شيئاً كثيراً ، واستعد للحصار إن حُوصر فيها بما يحتاج إليه من جميع ما يرصد من القلاع ، بما يفوت الحصر . ولما شاهد أهل البساتين المجانيق قد نصبت في القلعة انزعجوا وانتقل أكثرهم من البساتين إلى البلد ، ومنهم من أودع عند أهل البلد نفائس أموالهم وأمتعتهم ، والعاقبة إلى خير إن شاء الله تعالى .

وجاءتني فُتْيَا صورتها : ما تقول السادة العلماء في ملك اشترى غلاماً فأحسن إليه وأعطاه وقدَّمه ، ثم إنَّه وثَبَ على سيده فقتله وأخذ ماله ومنع ورثته منه ، وتصرف في المملكة ، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدَمَ عليه ليقتله ، فهل له الامتناع منه؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيداً أم لا ؟ وهل يُثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفتونا مأجورين[(١)] .

فقلت للذي جاءني بها من جهة الأمير : إن كان مرادُه خلاصَ ذمته فيما بينه وبين الله تعالى فهو أعلم بنيته في الذي يقصده ، ولا يسعى في تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة على ذلك ، فيؤخِّر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه ، وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدولة والأمراء عليه ، فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولاً ، ثم بعد ذلك بقية المفتين بطريقه ، والله الموفق للصواب .

هذا وقد اجتمع على الأمير نائب السلطنة جميع أمراء الشام ، حتى قيل : إن فيهم من نواب السلطنة سبعةَ عشرَ أميراً ، وكلهم يحضر معه المواكب الهائلة ، وينزلون معه إلى دار السعادة ، ويمدّ لهم الأسمطة ويأكل معهم ، وجاء الخبر بأن الأمير مَنْجَك الطرجاقسي المقيم ببيت المقدس قد أظهر الموافقة لنائب السلطنة ، فأرسل له جِبْريل ثم عاد فأخبر بالموافقة ، وأنه قد استحوذ على غزة ونائبه ، وقد جمع وحشد واستخدم طوائف ، ومسك على الجادة ، فلا يدع أحداً يمر إلا أن يفتش ما معه ، لاحتمال إيصال كتب من هاهنا إلى هاهنا ، ومع هذا كله فالمعدلة ثابتة جداً ، والأمن حاصل هناك ، فلا يخاف أحد ، وكذلك بدمشق وضواحيها ، لا يُهاج أحد ولا يَتَعدّىٰ أحد على أحد ، ولا ينهب أحد لأحد شيئاً ولله الحمد ، غير أن بعض أهل البساتين توهَّموا وركبوا إلى المدينة وتحوّلوا ، وأوْدع بعضهم نفائس ما عندهم ، وأقاموا بها

(١) بدائع الزهور (١/ ٥٨٢) .

على وجل ، ذلك لمَّا رأوا المجانيق الستة منصوبة على رؤوس قلال الأبراج التي للقلعة ، ثم أحضر نائب السلطنة القضاة الأربعة والأمراء كلهم وكتبوا مكتوباً سطَّره بينهم كاتب السر ، أنهم راضون بالسُّلطان كارهون لِيَلبُغا ، وأنهم لا يريدونه ولا يوافقون على تصرُّفه في المملكة ، وشهد عليهم القضاة بذلك ، وأرسلوا المكتوب مع مملوك للأمير طَيْبُغَا الطَّويل(١) ، نظير يَلْبُغَا بالديار المصرية ، وأرسل مَنْجك إلى نائب السلطنة يستحثه في الحضور إليه في الجيش ليناجزوا المصريين ، فعين نائب الشام من الجيش طائفة يبرزون بين يديه ، وخرجت التجريدة ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان صحبة أَسَنْدَمُر الذي كان نائب الشام مدداً للأمير مَنْجَك في ألفين ، ويذكر الناس أن نائب السلطنة بمن بقي من الجيش يذهبون على إثرهم ، ثم خرجت أخرى بعدها ثلاثة آلاف ، ليلة الثلاثاء الثامن من رمضان كما سيأتي .

وتوفي الشيخ الحافظ علاء الدين مُغْلَطاي(٢) المصري بها في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان من هذه السنة ، ودفن من الغد بالرَّيْدانية(٣) ، وقد كتب الكثير وصنَّف وجمع ، وكانت عنده كتب كثيرة رحمه الله .

وفي مستهل رمضان أحضر جماعة من التجار إلى دار العدل ظاهر باب النصر ليباع شيء عليهم من القند والفولاذ والزجاج مما هو في حواصل يَلْبُغَا(٤) ، فامتنعوا من ذلك خوفاً من استعادته منهم على تقدير ، فضرب بعضهم منهم شهاب الدين بن الصواف بين يدي الحاجب ، وشاد الدواوين ، ثم أُفرج عنهم في اليوم الثاني ، ففرَّج الله بذلك .

وخرجت التجريدة ليلة الثلاثاء بعد العشاء صحبة ثلاثة مقدمين منهم عراق(٥) ثم ابن صبح(٦) ثم ابن طرغية ، ودخل نائب طرابلس الأمير سيف الدين تُومان إلى دمشقَ صبيحة يوم الأربعاء ، عاشر رمضان ، فتلقاه ملك الأمراء سيف الدين بَيْدَمُر إلى الأقيصر(٧) ودخلا معاً في أُبَّهة عظيمة ، فنزل تُومان في القصر الأبلق ، وبرز من معه من الجيوش إلى عند قبة يَلْبُغا ، هذا والقلعة منصوب عليها المجانيق ، وقد ملئت حرساً شديداً ، ونائب السلطنة في غاية التحفُّظ .

---

(١) كان السلطان حسن أمّره مع يلبغا طبلخاناه مات في حلب سنة (٧٦٩)هـ .

(٢) ترجمته في : الدرر الكامنة (٤/ ٣٥٢) والدليل الشافي (٢/ ٧٣٧) وشذرات الذهب (٦/ ١٩٧) وفيها جميعاً : مُغلطاي بن قَليج بن عبد الله البَكْجُري .

(٣) في ط : « الزيدانية » بالزاي ، وهو تصحيف ، وهي مقبرة معروفة خارج باب الفتوح بالحسينية من القاهرة (خطط المقريزي ٢/ ١٣٩) (بشار) .

(٤) هو يَلبُغا اليحياوي صاحب الجامع المعروف .

(٥) أمير معمر ، ولي تقدمة ألف ثم أعطي طبلخاناه ، مات سنة (٧٧٣)هـ الدرر الكامنة (٢/ ٤٥٤) .

(٦) هو شهاب الدين .

(٧) في ط : « الأقصر » ، ولا يوجد مثل هذا الموضع في مشارف الشام ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب ، وهو موضع في مشارف الشام .

ولما أصبح يوم الخميس صمم تُوْمان تَمُر على ملك الأمراء في الرّحيل إلى غزَّة ليتوافى هو وبقية من تقدمه من الجيش الشامي ، ومَنْجك ومن معه هنالك ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فأجابه إلى ذلك وأمر بتقدُّم السبق بين يديه في هذا اليوم ، فخرج السبق وأغلقت القلعة بابها المسلوك الذي عند دار الحديث ، فاستوحش الناس من ذلك ، والله يحسن العاقبة .

خروج ملك الأمراء بَيْدَمُر من دمشقَ متوجهاً إلى غزَّة ليلحق العساكر هناك

صلى الجمعة بالمقصورة الثاني عشر من رمضان نائب السلطنة ، ونائب طرابلس ، ثم اجتمعا بالخطبة في مقصورة الخطابة ، ثم راح لدار السعادة ، ثم خرج طلبه في تجمُّل هائل على ما ذكر بعد العصر ، وخرج معهم فاستعرضهم ، ثم عاد إلى دار السعادة فبات إلى أن صلى الصبح ، ثم ركب خلف الجيش هو ونائب طرابُلُس ، وخرج عامة من بقي من الجيش من الأمراء وبقية الحلقة ، وسلمهم الله ، وكذلك خرج القضاة ، وكذا كاتب السر ووكيل بيت المال وغيرهم من كتاب الدست ، وأصبح الناس يوم السبت وليس أحد من الجند بدمشق ، سوى نائب الغيبة الأمير سيف الدين بن حمزة التُّركماني ، وقريبه والي البر ، ومتولِّي البلد الأمير بدر الدين صدقة بن أوحد ، ومحتسب البلد ونواب القضاة ، والقلعة على حالها ، والمجانيق منصوبة كما هي . ولما كان صبح يوم الأحد رجع القضاة بكرة ثم رجع ملك الأمراء في أثناء النهار هو وتُوْمان تَمُر ، وهم كلهم في لبس وأسلحة تامة ، وكل منهما خائف من الآخر أن يمسكه ، فدخل هذا دارالسعادة ، وراح الآخر إلى القصر الأبلق .

ولما كان بعد العصر قدم مَنْجَك وأسمنْدَر نائبا السلطنة بدمشق ، وهما مغلولان قد كسرهما من كان قدم على مَنْجك من العساكر التي جهزها بَيْدَمُر إلى مَنْجَك قوة له على المصريين ، وكان ذلك على يدي الأمير سيف الدين تَمُر حاجب الحجاب ويعرف بالمهمندار ، قال لمَنْجَك : كلنا في خدمة من بمصرَ ، ونحن لا نطيعك على نصرة بَيْدَمُر ، فتقاولا ثم تقاتلا ، فهزم مَنْجَك ، وذهب تَمُر ومَنْجَك ومن كان معهما كابن صبح وطَيْدَمُر .

ولما أصبح الصباح من يوم الإثنين خامس عشر لم يوجد لتُوْمان تمر وطُبَيْرق ولا أحد من أمراء دمشق عين ولا أثر ، قد ذهبوا كلهم إلى طاعة صاحب مصر ، ولم يبق بدمشق من أمرائها سوى ابن قَرَاسُنْقُر من الأمراء المتقدمين ، وسوى بَيْدَمُر ومَنْجَك وأَسَنْدَمُر ، والقلعة قد هيئت والمجانيق منصوبة على حالها ، والناس في خوف شديد من دخول بَيْدَمُر إلى القلعة ، فيحصل بعد ذلك عند قدوم الجيش المصري حصار وتعب ومشقة على الناس ، والله يحسن العاقبة[1] .

---

(١) الذيل التام للسخاوي (١/ ١٧٨ ـ ١٧٩) .

ولما كان في أثناء نهار الإثنين سادس عشره دُقَّت البشائر في القلعة وأظهر أن يَلْبُغا الخاصكي قد نفاه السلطان إلى الشام، ثم ضربت وقت المغرب ثم بعد العشاء في صبيحة يوم الثلاثاء أيضاً، وفي كل ذلك يركب الأمراء الثلاثة مَنْجَك وَبَيْدَمُر وأَسَنْدَمُر ملبسين، ويخرجون إلى خارج البلد، ثم يعودون، والناس فيما يقال: ما بين مصدق ومكذب، ولكن قد شُرع إلى تستير القلعة وتهيء الحصار فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم تبيّن أن هذه البشائر لا حقيقة لها، فاهتم في عمل ستائر القلعة وحمل الزلط والأحجار إليها، والأغنام والحواصل، وقد وردت الأخبار بأن الركاب الشريف السلطاني وصحبته يَلْبُغَا في جميع جيش مصر قد عدا غزّة، فعند ذلك خرج الصاحب وكاتب السر والقاضي الشافعي وناظر الجيش ونقباؤه ومتولّي البلد وتوجهوا تلقاء حماة لتلقي الأمير علي الذي قد جاءه تقليدُ دمشقَ، وبقي البلد شاغراً عن حاكم فيها سوى المحتسب وبعض القضاة، والناس كغنم لا راعي لهم، ومع هذا الأحوال صالحة والأمور ساكنة، لا يعدو أحد على أحد فيما بلغنا، هذا وبَيْدَمُر ومَنْجَك وأَسَنْدَمُر في تحصين القلعة وتحصيل العدد والأقوات فيها، والله غالب على أمره، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة، والستائر تعمل فوق الأبرجة، وصلَّى الأمير بَيْدَمُر صلاة الجمعة تاسع عشر الشهر في الشباك الكمالي، في مشهد عثمان، وصلَّى عنده مَنْجك إلى جانبه داخل موضع القضاة، وليس هناك أحدٌ من الحجبة ولا النقباء، وليس في البلد أحد من المباشرين بالكليّة، ولا من الجند إلا القليل، وكلهم قد سافروا إلى ناحية السلطان، والمباشرون إلى ناحية حماة لتلقي الأمير عليّ نائب الشام المحروس، ثم عاد إلى القلعة ولم يحضر الصلاة أَسَنْدَمُر، لأنه قيل: كان منقطعاً، أو قد صلّى في القلعة.

وفي يوم السبت العشرين من الشهر وصل البريد من جهة السلطان من أبناء الرسول إلى نائب دمشق يستعلم طاعته أو مخالفته، وتَعَتَّبَ عليه فيما اعتمده من استحواذه على القلعة وتحصينها، وادِّخار الآلات والأطعمات فيها، ونَصْبِ المَجَانِيْقِ والستائر عليها، وكيف تصرَّف في الأموال السلطانية تَصَرُّفَ الْمُلَّاكِ والملوك، فتنصل ملك الأمراء من ذلك، وذكر أنه إنما أرصد في القلعة جنادتها وأنه لم يدخلها، وأن أبوابها مفتوحة، وهي قلعة السلطان، وإنما له غريم بينه وبينه الشرع والقضاة الأربعة ـ يعني بذلك يَلْبُغا ـ وكتب بالجواب وأرسله صحبة البريدي وهو كيكلدي مملوك طُقْطاي[1] الدويدار، وأرسل في صحبته الأمير صارم الدين أحد أمراء العشرات مِنْ يومهِ ذَلِكَ.

وفي يوم الإثنين الثاني والعشرين من رمضان تصبح أبواب البلد مغلقة إلى قريب الظهر، وليس ثمّ مفتوح سوى باب النصر والفرج، والناس في حصر شديد وانزعاج، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولكن قد اقترب وصول السلطان والعساكر المنصورة.

---

(١) في ط: بقطبة وهو تحريف. وأثبتنا ما في الدليل الشافي (١/ ٣٦٧). وهو: طقطاي بن عبد الله دوادار الأمير يلبغا اليحياوي نائب دمشق مات بعد الستين والسبعمئة.

وفي صبيحة الأربعاء أصبح الحال كما كان وأزيد ، ونزل الأمير سيف الدين يَلْبُغَا الخاصكي بقبَّة يَلْبُغَا ، وامتد طلبه من سيْفِ داريًا إلى القبة المذكورة في أُبَّهة عظيمة ، وهيئة حسنة ، وتأخَّر الركاب الشريف بتأخُّره عن الصَّنَمَيْن[1] بعد ، ودخل بَيْدَمُر في هذا اليوم إلى القلعة وتحصَّن بها .

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين منه استمرت الأبواب كلها مغلقة سوى باب النصر والفرج ، وضاق النطاق وانحصر الناس جداً ، وقطع المصريون نهر بانياس ، والفرع الداخل إليها وإلى دار السعادة من القنوات ، واحتاجوا لذلك أن يقطعوا القنوات ليسدوا الفرع المذكور ، فانزعج أهل البلد لذلك ، وملؤوا ما في بيوتهم من برك المدارس ، وبيعت القربة بدرهم ، والحق بنصف ، ثم أرسلت القنوات وقت العصر من يومئذ ولله الحمد والمنة ، فانشرح الناس لذلك ، وأصبح الصَّبَاح يوم الجمعة والأبواب مغلقة ولم يفتح باب النصر والفرج إلى بعد طلوع الشمس بزمان ، فأرسل يَلْبُغا من جهته أربعة أمراء وهم الأمير زين الدين زبالة الذي كان نائب القلعة ، والملك صلاح الدين بن الكامل ، والشيخ علي الذي كان نائب الرّحبة من جهة بَيْدَمُر ، وأمير آخر ، فدخلوا البلد وكسروا أقفال أبواب البلد ، وفتحوا الأبواب ، فلما رأى بَيْدَمُر ذلك أرسل مفاتيح البلد إليهم انتهى .

وصول السُّلطان الملك المنصور إلى المصطبة غربي عقبة سجورا

كان ذلك في يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان في جحافل عظيمة كالجبال ، فنزل عند المصطبة المنسوبة إلى عم ابنته الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، وجاءت الأمراء ونواب البلاد لتقبيل يده والأرض بين يديه ، كنائب حلب ، ونائب حماة ، وهو الأمير علاء الدين المارداني ، وقد عُيِّن لنيابة دمشق ، وكتب بتقليده بذلك ، وأرسل إليه وهو بحماة ، فلما كان يوم السبت السابع والعشرين منه خلع على الأمير علاء الدين علي المارداني بنيابة دمشق ، وأُعيد إليها عَوداً على بدءٍ ، ثم هذه الكرة الثالثة ، وقبّل يد السلطان وركب عن يمينه ، وخرج أهل البلد لتهنئته ، هذا والقلعة محصَّنة بيد بَيْدَمُر ، وقد دخلها ليلة الجمعة واحتمى بها ، هو ومَنْجَك وأَسَنْدَمُر ومن معه من الأعوان بها ، ولسان حال القدر يقول : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] .

ولما كان يوم الأحد طلب قضاة القضاة وأرسلوا إلى بَيْدَمُر وذويه بالقلعة ليصالحوه على شيء مَيْسور يشترطونه[2] ، وكان ما سنذكره انتهى والله تعالى أعلم .

---

(١) في ط : الصنميين وهو تحريف ، وانظر معجم البلدان ، فهي قرية من أعمال دمشق من أوائل حوران .

(٢) الذيل للحسيني ص(٣٤٢) .

سبب خروج بَيْدَمُر من القلعة وصفة ذلك

لما كان يوم الأحد الثامن والعشرين منه أرسل قضاة القضاة ومعهم الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي ، والشيخ سراج الدين الهندي الحنفي قاضي العسكر المصري للحنفية ، إلى بَيْدَمُر ومن معه ليتكلّموا معهم في الصلح لينزلوا على ما يشترطون قبل أن يشرعوا في الحصار والمجانيق التي قد استدعيَ بها من صفد وبعلبك ، وأُحضر من رجال النقاعين نحو من ستة آلاف رام ، فلما اجتمع به القضاة ومن معهم وأخبروه عن السلطان وأعيان الأمراء بأنهم قد كتبوا له أماناً إن أناب إلى المصالحة ، فطلب أن يكون بأهله ببيت المقدس ، وطلب أن يعطي مَنْجَك كذا بناحية بلاد سيس ليسترزق هنالك ، وطلب أَسَنْدَمُر أن يكون بشمقداراً للأمير سيف الدين يَلْبُغَا الخاصكي .

فرجع القضاة إلى السلطان ومعهم الأمير زين الدين جبريل الحاجب ، كان ، فأخبروا السلطان والأمراء بذلك ، فأُجيبوا إليه ، وخلع السلطان والأمراء على جِبْريل خلعاً ، فرجع في خدمة القضاة ومعهم الأمير أسنْبُغَا بن [بَكْتَمُر][(١)] البوبكري ، فدخلوا القلعة وباتوا هنالك كلهم ، وانتقل الأمير بَيْدَمُر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطرِّزين ، فلما أصبح يوم الإثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلعة ومعهم جِبْريل ، فدخل القضاة وسلَّموا القلعة بما فيها من الحواصل إلى الأمير أَسَنْبُغَا بن البُوبَكري انتهى .

دخول السلطان المنصور محمد ابن الملك المظفر أمير حاجي ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون إلى دمشق في جيشه وجنوده وأمرائه وأُبَّهته

لما كان صبيحة يوم الإثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة ، رجع القضاة إلى الوطاق الشريف ، وفي صحبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلعة ، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم وذويهم ، فدخل القضاة ، وحجب الأمراء المذكورون ، فخلع على القضاة الأربعة وانصرفوا راجعين مجبورين ، وأما الأمراء المذكورون فإنهم أُركبوا على خيل ضعيفة ، وخلف كل واحد منهم وساقيٌ[(٢)] أخذ بوسطه قبل ، وفي يد كل واحد من الوِسَاقية خنجر كبير مسلول لئلا يستنقذه منه أحد فيقتله بها ، فدخل جهرة بين الناس ليُروهم ذلتهم التي قد لبستهم ، وقد أحدق الناس بالطريق من كل جانب ، فقام كثير من الناس ، الله أعلم بعدتهم ، إلا أنهم قد يقاربون المئة ألف أو يزيدون عليها ، فرأى الناس منظراً فظيعاً ، فدخل به الوساقية إلى الميدان الأخضر الذي فيه القصر ، فأُجلسوا هنالك وهم ستة نفر : الثلاثة النواب وجِبْريل وابن أَسَنْدَمُر ، وسادس ، وظن كل منهم أن يُفْعل بهم فاقرة[(٣)] ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) في ط : أستبغا الأبوبكري ، وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (١/ ٣٨٦) والنجوم الزاهرة (١١/ ٦) مات سنة (٧٧٧)هـ .

(٢) « الوساقي » : الحمّال .

(٣) « الفاقرة » : الدّاهية والمصيبة .

وأرسلت الجيوش داخلة إلى دمشق أطلاباً في تجمُّل عظيم ، ولُبس الحرب بنهر النصر وخيول وأسلحة ورماح ، ثم دخل السلطان في آخر ذلك كله بعد العصر بزمن ، وعليه من أنواع الملابس قَبَاءٌ[١] زِنْجَارَيٌّ ، والقبة والطير يحملهما على رأسه الأمير سيف الدين تُوْمَان تَمُر الذي كان نائب طرابُلس ، والأمراء مشاة بين يديه ، والبسط تحت قدمي فرسه ، والبشائر تضرب خلفه ، فدخل القلعة المنصورة المنصورية لا البدرية . ورأى ما قد أُرصد بها من المجانيق والأسلحة ، فاشتد حنقه على بَيْدَمُر وأصحابه كثيراً ، ونزل الطارمة ، وجلس على سرير المملكة ، ووقف الأمراء والنواب بين يديه ، ورجع الحق إلى نصابه ، وقد كان بين دخوله ودخول عمه الصالح صالح في أول يوم من رمضان ، وهذا في التاسع والعشرين منه ، وقد قيل إنه سلخه والله أعلم . وشرع الناس في الزينة .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء سلخ الشهر نقل الأمراء المغضوب عليهم الذين ضلّ سعيهم فيما كانوا أبرموه من ضمير سوءٍ للمسلمين إلى القلعة فأُنزلوا في أبراجها مهانين ، مفرقاً بينهم ، بعد ما كانوا بها آمنين حاكمين ، أصبحوا معتقلين مهانين خائفين ، فخاروا بعدما كانوا رؤساء ، وأصبحوا بعد عزهم أذلاء ، وَبَقِيتْ أَعْيانُ أَصْحَابِ هَؤُلاءِ الأُمَراءِ . ونودي عليهم في البلد ، ووعد من دل على أحد منهم بمال جزيل ، وولاية إمرة بحسب ذلك ، ورسم في هذا اليوم على الرئيس أمين الدين بن القلانسي كاتب السر[٢] ، وطلب منه ألف ألف درهم ، وسُلِّم إلى الأمير زين الدين زبَالة نائب القلعة ، وقد أُعيد إليها وأعطي تقدمة ابن قَرَاسُنْقُر ، وأمره أن يعاقبه إلى أن يزن هذا المبلغ ، وصلّى السلطان وأمراؤه بالميدان الأخضر صلاة العيد ، ضرب له خام عظيم وصلّى به خطيباً القاضي تاج الدين المُناوي[٣] الشافعي ، قاضي العسكر المنصورة للشافعية ، ودخل الأمراء مع السلطان للقلعة من باب المدرسة ، ومدَّ لهم سماطاً هائلاً أكلوا منه ثم رجعوا إلى دورهم وقصورهم، وحمل الطير في هذا اليوم على رأس السلطان الأمير علي نائب دمشق، وخلع عليه خلعة هائلة .

وفي هذا اليوم مُسك الأمير تُوْمان تَمُر الذي كان نائب طرابُلس ، ثم قدم على بَيْدَمُر ، فكان معه ، ثم قفل إلى المصريين واعتذر إليهم ، فعذروه فيما يبدو للناس ، ودخل وهو حامل القبة على رأس السلطان يوم الدخول ، ثم ولّوه نيابة حمص ، فصغّروه وحقّروه ، ثم لما استمر ذاهباً إليها فكان عند القابون أرسلوا إليه فأمسكوه وردوه ، وطلب منه المئة ألف التي كان قبضها من بَيْدَمُر ، ثم ردُّوه إلى نيابة حمصَ .

---

(١) في ط : قباز .

(٢) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله . مات سنة (٧٦٣)هـ كما سيأتي .

(٣) في ط : الساوي وهو تحريف .
هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن السّلمي المصري المُنَاوي مات سنة (٧٦٥)هـ كما سيأتي .

وفي يوم الخميس اشتهر الخبر بأن طائفة من الجيش بمصر من طواشية وخاصكية ملّكُوا عليهم حُسَيْن الناصر ثم اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا[١] ، وأن الأمر قد انفصل ورُدَّ حُسَيْن للمحلّ الذي كان معتقلاً فيه[٢] ، وأطفأ الله شر هذه الطائفة ولله الحمد .

وفي آخر هذا اليوم لبس القاضي ناصر الدين بن يعقوب[٣] خلعة كتابة السر الشريفية ، والمدرستين ، ومشيخة الشيوخ عوضاً عن الرئيس علاء الدين بن القلانسي ، عُزل وصُودر ، وراح الناس لتهنئته بالعَوْد إلى وظيفته كما كان[٤] .

وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث شوال مسك جماعة من الأمراء الشاميين منهم الحاجبان صلاح الدين وحسام الدين والمهمندار ابن أخي الحاجب الكبير ، تَمُر ، وناصر الدين ابن الملك صلاح الدين بن الكامل ، وابن حمزة والطرخاني واثنان أخوان وهما طَيْبُغا زفر وبلجاك[٥] ؛ كلهم طبلخانات ، وأخرجوا خير وتمر حاجب الحجاب ، وكذلك الحجوبية أيضاً لقاربي أحد أمراء مصر .

وفي يوم الثلاثاء سابع شوال مسك ستّةَ عشر أميراً من أمراء العرب بالقلعة المنصورة ، منهم عمر بن موسى بن مُهَنَّا الملقب بالمِصْمَع ، الذي كان أمير العرب في وقت ، ومُعَيْقل بن فضل بن مهنا وآخرون ، وذكروا أن سبب ذلك أن طائفة من آل فضل عرضوا للأمير سيف الدين الأحمدي الذي استاقوه على حلب ، وأخذوا منه شيئاً من بعض الأمتعة ، وكادت الحرب تقع بينهم . وفي ليلة الخميس بعد المغرب حمل تسعة عشر أميراً من الأتراك والعرب على البريد مقيدين في الأغلال أيضاً إلى الديار المصرية ، منهم بَيْدَمُر ومَنْجَك وأَسَنْدَمُر وجِبْريل وصلاح الدين الحاجب وحسام الدين أيضاً وبلجك وغيرهم ، ومعهم نحو من مئتي فارس ملبسين بالسلاح متوكلين بحفظهم ، وساروا بهم نحو الديار المصرية ، وأمَّروا جماعةً من البطالين منهم أولاد لاقوش ، وأطلق الرئيس أمين الدين بن القلانسي من المصادرة والترسيم بالقلعة ، بعد ما وَزَن بعضَ ما طلب منه ، وصار إلى منزله ، وهنَّأه الناس .

خروج السلطان من دمشقَ قاصداً مصرَ[٦]

ولما كان يوم الجمعة عاشر شهر شوال خرج طلب يَلْبُغا الخاصكي صبيحته في تجمُّل عظيم لم ير

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٧٠) . بدائع الزهور (١/ ٥٨٤) الذيل التام (١/ ١٨٠) .
(٢) في دور الحريم بقلعة الجبل .
(٣) هو : محمد بن يعقوب مات سنة (٧٦٣)هـ كما سيأتي .
(٤) الدرر الكامنة (٤/ ٢٨٧) .
(٥) في ط : بلجات . وسوف يأتي بالكاف .
(٦) النجوم الزاهرة (١١/ ٥) .

الناس في هذه المُدَد مثله ، من نجائب وجنائب ومماليك وعظمة هائلة ، وكانت عامة الأطلاب قد تقدّمت قبله بيوم ، وحضر السلطان إلى الجامع الأموي قبل أذان الظهر ، فصلَّى في مشهد عُثْمان هو ومن معه من أمراء المصريين ، ونائب الشام ، وخرج من فوره من باب النصر ذاهباً نحو الكُسْوة والناس في الطرقات والأسطحة على العادة ، وكانت الزينة قد بقي أكثرها في الصّاغة والخواصين وباب البريد إلى هذا اليوم ، فاستمرت نحو عشرة الأيّام[١] .

وفي يوم السبت حاديْ عشرَ شوال خُلع على الشيخ علاء الدين[٢] الأنصاري بإعادة الحِسْبة إليه وعزل عماد الدين بن الشيرجي[٣] .

وخرج المحمل يوم الخميس سادسَ عشر شوال على العادة ، والأمير مصطفى البيري .

وتوفي يوم الخميس ويوم الجمعة أربعة أمراء بدمشق ، وهم طَشْتَمُر زَفَر[٤] وَطَيْبُغَا الفيل[٥] ، ونَوْرُوز[٦] أحد مقدمي الألوف، وتَمُر المهمندار[٧] ، وقد كان مقدم ألف، وحاجب الحجاب، وعمل نيابةَ غزة في وقت ، ثم تعصَّب عليه المصريون فعزلوه عن الإمرة ، وكان مريضاً فاستمر مريضاً إلى أن توفي يوم الجمعة ، ودفن يوم السبت بتربته التي أنشأها بالصُّوفية ، لكنّه لم يُدفن فيها بل على بابها كأنه تورع أو ندم على بنائها فوق قبور المسلمين رحمه الله .

وتوفي الأمير ناصر الدين بن لاقُوش[٨] يوم الإثنين العشرين من شوال ودُفن بالقُبَيْبات ، وقد ناب ببعلبك وبحمصَ ، ثم قطع خبره هو وأخوه كُجْكُن[٩] ونفُوا عن البلد إلى بلدان شتى ، ثم رضي عنهم الأمير يَلْبُغا وأعاد عليهم أخبازاً[١٠] بطبلخانات ، فما لبث ناصر الدين إلا يسيراً حتى توفي إلى رحمة الله تعالى ، وقد أثر آثاراً حسنة كثيرة ، منها عند عقبة الرمانة خان مليح نافع ، وله ببعلبك جامع وحمام وخان وغير ذلك ، وله من العمر ست وخمسون سنة .

---

(١) في ط : العشرة أيام .

(٢) هو : علي بن محمد بن سعيد بن سالم بن يعقوب بن قمر . علاء الدين الأنصاري بن أمير المشهد . مات سنة (٧٦٣)هـ كما سيأتي .

(٣) في ط : السيرجي بالسين . وما أثبت موافق لما في الذيل للحسيني ص(٣٤٤) .

(٤) في ط : وفر والتصويب من الذيل التام للسخاوي (١/ ١٨٤) وترجمته فيه .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٢٣٠) .

(٦) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٣٩٨) . وهو نوروز الناصريّ .

(٧) ترجمته في : الذيل للحسيني ص(٣٣٩) والذيل التام للسخاوي (١/ ١٨٣) .

(٨) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٢٨٠) والذيل التام للسخاوي (١/ ١٨٤) وفيه : محمد بن آقوش .

(٩) في ط : كحلن . وقد سبق الكلام فيه .

(١٠) في ط : « أخباراً » بالراء ولا معنى لها ، والصواب ما أثبتناه ، وهو جمع « خبز » . (بشار) .

وفي يوم الأحد السادس والعشرين منه درّس القاضي بدر[١] الدين محمد ابن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء الشافعي بالمدرسة الأتابكية ، نزل له عنها والده بتوقيع سلطاني ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخذ في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

وفي هذا اليوم درّس القاضي نجم الدين أحمد بن عثمان النّابلسي الشّافعي المعروف بابن الجابي[٢] بالمدرسة العَصْرونية[٣] استنْزل له عنها القاضي أمين الدين بن القلانسي في مصادراته .

وفي صبيحة يوم الإثنين التاسع والعشرين من شوّال درّس القاضي ولي الدين عبد الله[٤] بن القاضي بهاء الدين أبي البقاء بالمدرستين الرَّواحية ثم القيْمريّة ، نزل له عنهما والده المذكور بتوقيع سلطاني ، وحضر عنده فيهما القضاة والأعيان .

وفي صبيحة يوم الخميس سلخ شوال شُهر الشيخ أسد بن الشيخ الكردي[٥] على جمل وطِيْفَ به في حواضر البلد ونُودي عليه : هذا جزاء من يخامر على السلطان ويفسد نواب السلطان ، ثم أُنزل عن الجمل وحمل على حمار ، وطيف به في البلد ونُودي عليه بذلك ، ثم ألزم السجن وطُلب منه مالٌ جزيل ، وقد كان المذكور من أعوان بَيْدَمُر المتقدم ذكره وأنصاره ، وكان هو المتسلِّم للقلعة في أيامه .

وفي صبيحة يوم الإثنين حادي عَشَرَ ذي القعدة خُلع على قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح بقضاء العسكر الذي كان متوفِّراً عن علاء الدين بن شَمَرْنُوخ[٦] ، وهنأه الناس بذلك وركب البغلة بالزناري مضافاً إلى ما بيده من نيابة الحكم والتدريس .

وفي يوم الإثنين ثامن عشره أُعيد تدريس الركنية بالصالحية إلى قاضي القضاة شرف الدين الكفري الحنفي ، استرجعها بمرسوم شريف سلطاني ، من يد القاضي عماد الدين بن العز ، وخُلع على الكفري ، وذهب الناس إليه للتهنئة بالمدرسة المذكورة[٧] .

وفي شهر ذي الحجة اشتهر وقوع فتن بين الفلاحين بناحية عَجْلون[٨] ، وأنهم اقتتلوا فقتل من الفريقين

---

(١) في ط : نور . وهو تحريف .

(٢) الياسوفي . مات سنة (٧٧٨)هـ . الدرر الكامنة (١/ ٢٠٠) الدارس (١/ ٢٤١) .

(٣) هي داخل باب الفرج والنصر شرقي القلعة . الدارس (١/ ٣٩٨) .

(٤) مات سنة (٧٨٥)هـ . الدرر الكامنة (٢/ ٢٩٢) الدارس (١/ ٢٧٣ و٤٤٥) .

(٥) هو : أسد بن أميري الكردي من أعوان بَيْدَمر ضد يَلْبُغَا . الدرر الكامنة (١/ ٣٥٩) .

(٦) هو : علي بن عثمان بن أحمد بن عمر بن أحمد بن هرماس البعلي الزُّرعي الدمشقي علاء الدين بن شمرنوخ مات سنة (٧٧٦)هـ . الدرر الكامنة (٣/ ٧٣) .

(٧) الدارس (١/ ٥١٩) وهي : الركنية البرانية .

(٨) مدينة معروفة من أعمال الأردن اليوم .

اليمني والقيسي طائفة، وأن عين حيتا التي هي شرقي عَجْلون دمِّرت وخربت، وقطع أشجارها ودمرت بالكلية.

وفي صبيحة يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة لم تفتح أبواب دمشق إلى ما بعد طلوع الشمس، فأنكر الناس ذلك، وكان سببه الاحتياط على أمير يقال له: كَتْبُغَا[١]، كان يريد الهرب إلى بلاد الشرق، فاحتيط عليه حتى أمسكوه.

وفي ليلة الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة قدم الأمير سيف الدين طاز[٢] من القدس فنزل بالقصر الأبلق، وقد عميَ من الكحل حين كان مسجوناً بالإسكندرية، فأُطلق كما ذكرنا، ونزل ببيت المقدس مدة، ثم جاءه تقليد بأنه يكون طرخاناً[٣] ينزل حيث شاء من بلاد السلطان، غير أنه لا يدخل ديار مصر، فجاء فنزل بالقصر الأبلق، وجاء الناس إليه على طبقاتهم ـ نائب السلطنة فمن دونه ـ يسلّمون عليه وهو لا يبصر شيئاً، وهو على عزم أن يشتري أو يستكري له داراً بدمشقَ يسكنها. انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين الشَّريفين وما والاهما من الممالك الإسلامية السّلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر أمير حاجي[٤] بن الملك المنصور قلاوون، وهو شاب دون العشرين.

ومدبّر الممالك بين يديه الأمير يَلْبُغا، ونائب الديار المصرية قَشْتَمُر[٥].

وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها.

والوزير سيف الدين قَرَوينة وهو مريضٌ مُدْنَفٌ.

ونائب الشام بدمشقَ الأمير علاء الدين المارداني، وقضاته هم المذكورون في التي قبلها، وكذلك

---

(١) في ط: كسبغا وهو تحريف.

(٢) هو: طاز بن قطغاج. ذكر كثيراً. وكان مدبِّر الدولة أيام الملك الصالح. مات سنة (٧٦٣)هـ الدرر الكامنة (٢/ ٢١٤).

(٣) له مرتب أمير، ولكنه بطّال.

(٤) في ط: حاج، والتصويب من ذيل العبر للحسيني ص(٣٤٧).

(٥) في ط: طشتمر والتصويب من الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٩) والدليل الشافي (٢/ ٥٤٣) وهو: قشتمر بن عبد الله المنصوري الأمير سيف الدين، قتل في واقعة بظاهر حلب سنة (٧٧٠)هـ.

الخطيب ، ووكيل بيت المال ، والمحتسب علاء الدين الأنصاري عاد إليها في السنة المنفصلة ، وحاجب الحجّاب قُماري[١] ، والذي يليه السليماني وآخر من مصر أيضاً ، وكاتب السر القاضي ناصر الدين محمد بن يعقوب الحلبي ، وناظر الجامع القاضي تقي الدين بن مراجل ، وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين الشافعي أنَّه جُدِّد في أول هذه السنة قاض حنفي بمدينة صفد المحروسة مع الشافعي ، فصار في كل من حماة وطرابُلُس وصفد قاضيان شافعي وحنفي .

وفي ثاني المحرّم قدم نائب السلطنة بعد غيبة نحو من خمسة عشر يوماً ، وقد أوطأ بلاد فرير بالرعب ، وأخذ من مقدميهم طائفة فأودعهم الحبس ، وكان قد اشتهر أنه قصد العشيرات المواسين ببلاد عجلون ، فسألتُه عن ذلك حين سلَّمتُ عليه فأخبرني أنه لم يتعد ناحية فرير ، وأن العشيرات قد اصطلحوا واتفقوا ، وأن التجريدة عندهم هناك . قال : وقد كبس الأعراب من حرم الترك ، فهزمهم الترك وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم ظهر للعرب كمين فلجأ الترك إلى وادي صرح فحصروهم هنالك ، ثم ولت الأعراب فراراً ولم يقتل من الترك أحد ، وإنما جرح منهم أمير واحد فقط ، وقتل من الأعراب فوق الخمسين نفساً .

وقدم الحجّاج يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرّم ، ودخل المحمل السلطاني ليلة الإثنين بعد العشاء ، ولم يحتفل لدخوله كما جرت به العادة ، وذلك لشدة ما نال الركب في الرجعة من بريز إلى هنا من البرد الشديد ، بحيث إنه قد قيل إنه مات منهم بسبب ذلك نحو المئة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولكن أُخبروا برخص كثير وأمن ، وبموت ثقبة[٢] أخي عَجْلان صاحب مكة ، وقد استبشر بموته أهل تلك البلاد لبغيه على أخيه عجلان العادل فيهم انتهى والله أعلم .

منام غريب جداً

ورأيتُ في ليلة الإثنين الثاني والعشرين من المحرَّم سنة ثلاث وستين وسبعمئة الشيخ محيي الدين النَّواوي[٣] رحمه الله ، فقلت له : يا سيدي الشيخ لم لا أدخلت في شرحك المهذب[٤] شيئاً من مصنّفات

---

(١) سيأتي ذكره بعد قليل عند الكلام على عزل تاج الدين السبكي .

(٢) في ط : نفسه والتصويب من الدرر الكامنة (١/ ٥٣١) وهو : ثقبة بن رميثة .

(٣) هو : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النّووي الدمشقي . مات سنة (٦٧٦)هـ فوات الوفيات (٤/ ٢٦٤) .

(٤) المهذّب لأبي إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي . مات سنة (٤٧٦)هـ في الفقه الشافعي الفوات (١/ ٢٩) والأعلام (١/ ٥١) .

قلت : شرحه النووي ووصل فيه إلى أبواب الرّبا ، ولم يتمّه ، وقد ذكره ابن كثير لدى حديثه عن النَّووي ـ رحمه الله ـ إذ قال : إنه لو كمل لم يكن له نظير في بابه ، فإنه أبْدع فيه وأجاد ، وأفاد وأحسن الانتقاد وحرّر الفقه في المذهب وغيره ، والحديث على ما ينبغي ، واللغة وأشياء مهمة لا أعرف في كتب الفقه أحسن منه . اهـ .

ابن حزم[١] ؟ فقال ما معناه : إنه لا يحبه ، فقلت له : أنت معذور فيه فإنه جمع بين طرفي النقيضين في أصوله وفروعه ، أما هو في الفروع فظاهري جامد يابس ، وفي الأصول تول مائع[٢] قرمطة القرامطة وهرس الهرائسة ، ورفعت بها صوتي حتى سمعت وأنا نائم ، ثم أشرت له إلى أرض خضراء تشبه النخيل بل هي أردأ شكلاً منه ، لا ينتفع بها في استغلال ولا رعي ، فقلت له : هذه أرض ابن حزم التي زرعها [قال] انظر هل ترى فيها شجراً مثمراً أو شيئاً ينتفع به ؟ فقلت : إنما تصلح للجلوس عليها في ضوء القمر . فهذا حاصل ما رأيته ، ووقع في خَلَدي أنّ ابنَ حزم كان حاضرنا عند ما أشرت للشَّيخ محيي الدين إلى الأرض المنسوبة لابن حزم ، وهو ساكت لا يتكلم .

وفي يـوم الخميس الثالث والعشرين من صفر خلع على القاضي عمـاد الديـن بن الشّيرجي بعَود الحسبة إليه بسبب ضعف علاء الدين الأنصاري عن القيام بها لشغله بالمرض المُدْنِف ، وهنَّأه الناس على العادة .

وفي يوم السبت السادس والعشرين من صفر توفي

الشيخ علاء الدين الأنصاري[٣] المذكور بالمدرسة الأمينيّة ، وصُلّي عليه الظهر بالجامع الأموي ، ودفن بمقابر باب الصغير خلف محراب جامع جراح[٤] ، في تربة هنالك ، وقد جاوز الأربعين سنة ، ودرَّس في الأمينيّة ، وفي الحسبة مرتين ، وترك أولاداً صغاراً وأموالاً جزيلة سامحه الله ورحمه ، وولي المدرسة بعده قاضي القضاة تاج الدين بن السُّبكي بمرسوم كريم شريف[٥] .

وفي العشر الأخير من صفر بلغنا وفاة :

قاضي القضاة المالكية الإخنائي[٦] بمصر وتولية أخيه برهان الدين ابن قاضي القضاة علم الدين الشافعي أبوه قاضياً مكان أخيه ، وقد كان على الحسبة بمصرَ مشكور السيرة فيها ، وأضيف إليه نظر الخزانة كما كان أخوه .

وفي صبيحة يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول كان ابتداء حضور قاضي القضاة تاج الدين أبي نصر

---

(١) هو : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري مات سنة (٤٥٦) الفوات (٣/ ٣٢٥)هـ .

(٢) هكذا في ط ، والتولة : الداهية .

(٣) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٤٨) والدرر الكامنة (٣/ ١٠٣) وفيه : علي بن محمد بن سعيد بن سالم . . . والدارس (١/ ٢٠٠) والذيل التام للسخاوي (١/ ١٨٨) .

(٤) خارج الباب الصغير بمحلة سوق الغنم . الدارس (٢/ ٤٢٠) .

(٥) الدارس (١/ ٢٠٠) .

(٦) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٤٨) والدرر الكامنة (٤/ ٢٤٥) والنجوم الزاهرة (١١/ ١٤) والذيل التام للسخاوي (١/ ١٨٩) .

عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين أبي[١] الحسن بن عبد الكافي السُّبكي الشافعي تدريس الأمينيّة عوضاً عن الشيخ علاء الدين المحتسب ، بحكم وفاته رحمه الله كما ذكرنا ، وحضر عنده خلق من العلماء والأمراء والفقهاء والعامة ، وكان درساً حافلاً ، أخذ في قوله تعالى : ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ ﴾ [النساء : ٥٤] الآية وما بعدها ، فاستنبط أشياء حسنة ، وذكر ضَرْباً من العلوم بعبارة طلقة جارية معسولة ، أخذ ذلك من غير تلعثُم ولا تلجلُج ولا تكلّف فأجاد وأفاد ، وشكره الخاصة والعامة من الحاضرين وغيرهم حتى قال بعض الأكابر : إنَّه لَم يسمع درساً مثله[٢] .

وفي يوم الإثنين الخامس والعشرين منه توفي :

الصدر برهان الدين بن لؤلؤ الحوضي[٣] ، في داره بالقَصَّاعين ولم يمرض إلا يوماً واحداً ، وصُلّي عليه من الغد بجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، وخرجوا به من باب النصر ، فخرج نائب السَّلطنة الأمير علي فصلَّى عليه إماماً خارج باب النصر ، ثم ذهبوا به فدفنوه بمقابرهم بباب الصغير ، فدفن عند أبيه رحمه الله ، وكان رحمه الله فيه مروءة وقيام مع الناس ، وله وجاهةٌ عند الدّولة ، وقبول عند نواب السلطنة وغيرهم ، ويحب العلماء وأهل الخير ، ويواظب على سماع مواعيد الحديث والخير ، وكان له مال وثروة ومعروف ، قارب الثمانين رحمه الله .

وجاء البريد من الديار المصرية فأخبر بموت :

الشيخ شمس الدين محمد[٤] **بن النَّقَّاش المصري** بها ،وكان واعظاً باهراً ، وفصيحاً ماهراً ، ونحويّاً شاعراً ، له يدٌ طولى في فنون متعددة ، وقدرة على نسج الكلام ، ودخول على الدَّولة ، وتحصيل الأموال ، وهو من أبناء الأربعين رحمه الله .

وأخبر البريد بولاية قاضي القضاة شرف الدين المالكي البغدادي ، الذي كان قاضياً بالشام للمالكية ، ثم عُزل بنظر الخزانة بمصر ، فإنَّه رُتِّب له معلوم وافر يكفيه ويفضل عنه ، ففرح بذلك من يحبُّه .

وفي يوم الأحد السابعَ عشرَ من ربيع الآخر توفي :

الرَّئيس أمين الدين محمد[٥] **بن الصدر جمال الدين أحمد بن الرئيس شرف الدين محمد بن**

---

(١) في ط : « بن » وهو تحريف بين فهو أبو الحسن علي بن عبد الكافي (بشار) .
(٢) الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٦) الدارس (١/ ٢٠٠) .
(٣) لم أقع له على ترجمة فيما بين يدي من المراجع .
(٤) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٤٩) والدرر الكامنة (٤/ ٧١) والنجوم الزاهرة (١١/ ١٣) والذيل التام (١/ ١٨٥) .
وهو : محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم الدكالي ثم المصري أبو أمامة بن النَّقَّاش .
(٥) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٤٩) والدرر الكامنة (٣/ ٣٦٢) والنجوم الزاهرة (١١/ ١٥) والدارس (١/ ٣٠٧) والذيل التام (١/ ١٨٧) .

القلانسي ، أحد من بقي من رؤساء البلد وكبرائها ، وقد كان باشر مباشرات كبار كأبيه وعمّه علاء الدين ، ولكن فاق هذا على أسلافه فإنّه باشر وكالة المال مدّة ، وولي قضاء العساكر أيضاً ، ثم ولي كتابة السر مع مشيخة الشيوخ وتدريس النَّاصريّة والشَّامية الجوّانية ، وكان قد درس في العَصْرونيّة[١] من قبل سنة ست وثلاثين ، ثم لما قدم السلطان في السنة الماضية عُزل عن مناصبه الكبار ، وصُودر بمبلغ كثير يقارب مئتي ألف ، فباع كثيراً من أملاكه ، وما بقي بيده من وظائفه شيء ، وبقي خاملاً مدَّة إلى يومه هذا ، فتوفي بغتة ، وكان قد تشوش قليلاً لم يشعر به أحد ، وصُلّي عليه العصر بجامع دمشق ، وخرجُوا به من باب الناطفانيين إلى تربتهم التي بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الإثنين ثامن عشره ، خلع على القاضي جمال الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين الكَفْري الحنفي[٢] ، وجعل مع أبيه شريكاً في القضاء ولُقِّب في التوقيع الوارد صحبة البريد من جهة السلطان « قاضي القضاة » فلبس الخلعة بدار السعادة ، وجاء ومعه قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي إلى النُّورية فقعد في المسجد ووضعت الربعة فقرئت وقرئ القرآن ولم يكن درساً ، وجاءت الناس للتهنئة بما حصل من الولاية له مع أبيه .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء توفّي :

الشيخ الصالح العابد الناسك الجامع فتح الدين[٣] بن الشيخ زين الدين الفَارقي ، إمام دار الحديث الأشرفية ، وخازن الأثر بها ، ومؤذن في الجامع ، وقد أتت عليه تسعون سنة في خير وصيانة وتلاوة وصلاة كثيرة وانجماع عن الناس ، صلّي عليه صبيحة يومئذ ، وخرج به من باب النصر إلى نحو الصالحية رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الإثنين عاشر جمادى الأولى ورد البريد وهو قَرَابُغَا دوادار نائب الشام الصغير ومعه تقليد بقضاء قضاة الحنفية للشيخ جمال الدين يوسف ابن قاضي القضاة شرف الدين الكَفْري ، بمقتضى نزول أبيه له عن ذلك ، ولبس الخلعة بدار السعادة وأجلس تحت المالكي ، ثم جاؤوا إلى المقصورة من الجامع وقرئ تقليده هنالك ، قرأه شمس الدين بن السُّبكي نائب الحسبة ، واستناب اثنين من أصحابهم

---

(١) الدارس (١/ ٣٠٨ و٤٠٤) .

(٢) هو : يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة مات سنة (٧٦٦)هـ . الدرر الكامنة (٤/ ٤٤٦) .

(٣) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٥٠) والدرر الكامنة (٤/ ٤٢٤) والنجوم الزاهرة (١١/ ١٧) والذيل التام للسخاوي (١/ ١٩٠) .

وهو : يحيى بن عبد الله بن مروان بن عبد الله بن قمر الفارقي ثم الدمشقي .

وهما شمس الدين بن منصور[١] ، وبدر الدين بن الجواشني[٢] ثم جاء معه إلى النورية فدرَّس بها ولم يحضره والده بشيء من ذلك انتهى والله أعلم .

موت الخليفة المُعْتضد بالله[٣] :

كان ذلك في العشر الأوسط من جُمادى الأولى بالقاهرة ، وصُلِّيَ عليه يوم الخميس ، أخبرني بذلك قاضي القضاة تاج الدين الشَّافعي ، عن كتاب أخيه الشيخ بهاء الدين رحمهما الله .

خلافة المتوكّل على الله

ثم بُويع بعده ولده المتوكل على الله[٤] أبو عبد الله محمد بن المعتضد أبي بكر أبي الفتح بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد رحم الله أسلافه .

وفي جمادى الأولى توجّه الرسول من الديار المصرية ومعه صناجق خليفية وسلطانية وتقاليد وخلع وتحف لصاحبي المَوْصل وسِنْجار من جهة صاحب مصر ليُخطب له فيهما .

وولي قاضي القضاة تاج الدين الشافعي السُّبكي الحاكم بدمشق لقاضيهما من جهته تقليدين ، حسب ما أخبرني بذلك ، وأرسلا مع ما أرسل به السلطان إلى البلدين ، وهذا أمر غريب لم يقع مثله فيما تقدم فيما أعلم والله أعلم .

وفي جُمادى الآخرة خرج نائب السلطنة إلى مرج الفسولة ومعه حجبته ونقباء النقباء ، وكاتب السرّ وذووه ، ومن عزمهم الإقامة مدة ، فقدم من الديار المصرية أمير على البريد فأسرعوا الأوبة فدخلوا في صبيحة الأحد الحادي والعشرين منه ، وأصبح نائب السلطنة فحضر الموكب على العادة .

وخلع على الأمير سيف الدين يَلْبُغا الصَّالحي ، وجاء النص من الديار المصرية بخلعة دوادار عوضاً عن سيف الدين كجكن[٥] .

وخلع في هذا اليوم على الصدر شمس الدين بن مرقي بتوقيع الدست ، وجهات أخر ، قدم بها من الديار المصرية ، فانتشر الخبر في هذا اليوم بإجلاس قاضي القضاة شمس الدين الكفري الحنفي ، فوق قاضي القضاة ، لكن لم يحضر في هذا اليوم ، وذلك بعد ما قد أُمر بإجلاس المالكي فوقه .

---

(١) الدارس (١/ ٦٢٤) .

(٢) في ط : الخراشي وأثبتنا ما في الذيل للحسيني ص (٣٥١) .

(٣) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٥٠) والدرر الكامنة(١/ ٤٤٣) والنجوم الزاهرة (١١/ ١٤) والذيل التام (١/ ١٨٥) .

(٤) بعد هذا في ط : علي ، ولا يصح .

(٥) في ط : كحلن . وقد مر الحديث فيه .

وفي ثاني رجب توفي :

القاضي الإمام العالم شمس الدين[١] بن مفلح المقدسي الحنبلي ، نائب مشيخة قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المقدسي الحنبلي ، وزوج ابنته ، وله منها سبعة أولاد ذكور وإناث ، وكان بارعاً فاضلاً متفنّناً في علوم كثيرة ، ولاسيما علم الفروع ، كان غاية في نقل مذهب الإمام أحمد ، وجمع مصنَّفات كثيرة منها كتاب « المقنع » نحواً من ثلاثين مجلداً كما أخبرني بذلك عنه قاضي القضاة جمال الدين ، وعلق على « محفوظة أحكام الشيخ مجد الدين بن تيمية »[٢] مجلدين ، وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات رحمه الله ، توفي عن نحو خمسين سنة ، وصُلّي عليه بعد الظهر من يوم الخميس ثاني الشهر بالجامع المظفّري ، ودُفن بمقبرة الشيخ الموفق ، وكانت له جنازة حافلة حضرها القضاة كلهم ، وخلق من الأعيان رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائبُ السلطنة جماعة من أهل قبر عاتكة[٣] أساؤوا الأدب على النائب ومماليكه ، بسبب جامع للخُطبة جُدِّدَ بناحيتهم ، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع ويجعله زاوية للرقَّاصين ، فحكم القاضي الحنبلي بجعله جامعاً قد نصب فيه منبر ، وقد قدم شيخ الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه ، فأنفت أنفس أهل تلك الناحية من عَوده زاوية بعد ما كان جامعاً ، وأعظموا ذلك ، فتكلم بعضهم بكلام سيئ ، فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم وضربهم بالمقارع بين يديه ، ونودي عليهم في البلد ، فأراد بعض العامة إنكاراً لذلك .

وحُدِّد ميعاد حديث يقرأ بعد المغرب تحت قبة النسر على الكرسي الذي يقرأ عليه المصحف ، رتَّبه أحد أولاد القاضي عماد الدين بن الشِّيرازي ، وحدّث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج ، واجتمع عنده خلق كثير وجم غفير ، وقرأ في « السِّيرة النبوّية »[٤] من خطِّي ، وذلك في العشر الأول من هذا الشهر .

أعجوبة من العجائب :

وحضر شاب عجمي من بلاد تِبْريز وخُرَاسان يزعم أنّه يحفظ « البخاري » و« مسلماً » و« جامع المسانيد » و« الكشاف » للزمخشري وغير ذلك من محاضيرها ، في فنون أُخر . فلما كان يوم الأربعاء سلخ شهر رجب قرأ في الجامع الأموي بالحائط الشمالي منه ، عند باب الكلاسة من أول « صحيح البخاري » إلى أثناء كتاب العلم منه ، من حفظه وأنا أقابل عليه من نسخة بيدي ، فأدَّى جيداً ، غير أنَّه

---

(١) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٥٢) وفيه : أبو عبد الله محمد بن مفلح . والدرر الكامنة (٤/ ٢٦١) والنجوم الزاهرة (١١/ ١٦) والدارس (٢/ ٨٥) والذيل التام (١/ ١٩٠) .

(٢) هو كتاب المنتقىٰ للمجد بن تيمية .

(٣) محلَّة معروفة إلى اليوم بدمشق .

(٤) يعني السيرة النبوية التي ألّفها ابن كثير رحمه الله وهي مطبوعة .

يصحِّفُ بعضاً من الكلمات لعُجْم فيه ، وربما لَحَن أيضاً في بعض الأحيان ، واجتمع خلقٌ كثير من العامّة والخاصّة وجماعةٌ من المحدّثين ، فأعجب ذلك جماعةً كثيرين ، وقال آخرون منهم : إن سردَ بقيَّة الكتاب على هذا المِنْوال لعظيمٌ جداً .

فاجتمعنا في اليوم الثاني وهو مستهلُّ شعبان في المكان المذكور، وحضر قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الفضلاء، واجتمع العامة مُحْدقين ، فقرأ على العادة غير أنَّه لم يطوِّل كأول يوم ، وسقط عليه بعض الأحاديث، وصحَّف ولحَن في بعض الألفاظ ، ثم جاء القاضيان الحنفي والمالكي فقرأ بحضرتهما أيضاً بعضَ الشيء ، هذا والعامة محتفُّون به متعجِّبون من أمره ، ومنهم من يتقرب بتقبيل يديه ، وفرح بكتابتي له بالسَّماع على الإجازة ، وقال : أنا ما خرجت من بلادي إلَّا إلى القصد إليك ، وأن تجيزني ، وذكرك في بلادنا مشهور، ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة وقد كارمه القضاة والأعيان بشيء من الدَّراهم يقارب الألف .

عزل الأمير علي عن نيابة دمشق المحروسة(١) :

في يوم الأحد حادي عَشَرَ شعبان ورد البريد من الدّيار المصرية وعلى يديه مرسوم شريف بعزل الأمير علي عن نيابة دمشقَ ، فأحضر الأمراء إلى دار السعادة وقُرئ المرسوم الشريف عليهم بحضوره ، وخُلع عليه خلعةٌ وردت مع البريد ، ورُسم له بقرية دومة وأُخرى في بلاد طَرابُلُس على سبيل الراتب ، وأن يكون في أي البلاد شاء من دمشقَ أو القدسِ أو الحجاز ، فانتقل من يومه من دار السَّعادة وبباقي أصحابه ومماليكه ، واستقرَّ نزوله في دَار الخليلي بالقصاعين التي جدَّدها وزاد فيها دويداره يَلْبُغا ، وهي دار هائلة ، وراح النَّاسُ للتَّأسُّف عليه والحُزن له انتهى .

سفر قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب(٢) بن السُّبكي الشافعيّ مطلوباً إلى الديار المصرية معزولاً عن قضاء دمشق :

ورد البريد بطلبه من آخر نهار الأحد بعد العصر الحاديْ عشر من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمئة ، فأرسل إليه حاجب الحجاب قُماري وهو نائب الغيبة أن يسافرَ من يومه ، فاستنظرهم إلى الغد فأمهل ، وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السبكي بقضاء الشام عوضاً عن أخيه تاج الدين ، وأرسل يستنيب ابن أختهما قاضي القضاة تاج الدين في التأهُّب والسير ، وجاء الناس إليه ليودِّعُوه ويستوحشون له ، وركب من بستانه بعد العصر يوم الإثنين ثاني عشر شعبان ، متوجهاً على البريد إلى الديار المصرية ، وبين يديه قضاة القضاة والأعيان ، حتى قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السُّبكي ، حتى ردهم قريباً من

(١) الذيل للحسيني ص(٣٥٢) الدرر الكامنة (٣/ ٧٧) الذيل التام (١/ ١٨٥) .
(٢) الذيل للحسيني ص(٣٥٢) الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٦) .

الجُسُورة ، ومنهم من جاوزها والله المسؤول في حسن الخاتمة في الدنيا والآخرة ، انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

أعجوبة أخرى غريبة :

لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دُعيت إلى بستان الشيخ العلامة كمال الدين بن الشَّرِيشي شيخ الشافعية ، وحضر جماعة من الأعيان منهم الشيخ العلامة شمس الدين بن الموصلي الشافعي[١] ، والشيخ الإمام العلامة صلاح الدين الصَّفدي[٢] ، وكيل بيت المال ، والشيخ الإمام العلامة شمس الدين الموصلي الشافعي ، والشيخ الإمام العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي من ذرية الشيخ أبي إسحاق الفيروزابادي[٣] ، من أئمة اللُّغويين ، والخطيب الإمام العلامـة صدر الدين بن العز الحنفي أحد البلغاء الفضلاء ، والشيخ الإمام العلامة نور الدين علي بن الصَّارم أحدُ القراء المحدِّثين البلغاء ، وأحضروا نيفاً وأربعين مجلداً من كتاب « المنتهى في اللغة »[٤] للتَّميمي البرمكي[٥]، وقف النَّاصريَّة[٦] وحضر ولد الشيخ كمال الدين بن الشَّرِيشي، وهو العلامة بدر الدين محمد، واجتمعنا كلُّنا عليه، وأخذ كل منّا مجلداً بيده من تلك المجلَّدات، ثم أخذنا نسألُه عن بيوت الشّعر المُسْتشهد عليها بهـا ، فينشر كُلاًّ منها ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد ، فجزم الحاضرون والسَّامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللُّغة ولا يشذُّ عنه منها إلا القليل الشاذ ، وهذا من أعجب العجائب ، وأبْلَغِ الإغْرَابِ[٧] .

دخول نائب السلطنة سيف الدين قَشْتَمُر[٨] :

وذلك في أوائل رمضان يوم السبت[٩] ضُحىً ، والحجبةُ بين يديه والجيش بكماله ، فتقدَّم إلى سوق الخيل فأُركب فيه، ثم جاء ونزل عند باب السر ، وقبّل العَتَبَة ، ثم مشىٰ إلى دار السعادة والناس بين يديه .

وكان أول شيء حكم فيه أن أمر بصلب الذي كان قتل بالأمس والي الصالحيَّة ، وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة، ثم هرب فتبعه الناس فقتل منهم آخر، وجرح آخرين، ثم تكاثروا عليه فمُسك، ولما صُلب طافوا

---

(١) هو : محمد بن محمد بن عبد الكريم البعلي ، مات سنة (٧٧٤)هـ الدرر الكامنة (٤/ ١٨٨) .
(٢) هو : خليل بن أيبك صاحب الوافي بالوفيات مات سنة (٧٦٤هـ) كما سيأتي .
(٣) صاحب القاموس المحيط .
(٤) هو : المنتهىٰ في الفرع ، منقول من الصحّاح وزاد عليه أشياء . كشف الظنون (١٨٥٨) .
(٥) هو : محمد بن تميم البرمكي مات سنة (٤١١)هـ الدارس (١/ ١٦٣) .
(٦) المدرسة الناصرية الدارس (١/ ٤٥٩) .
(٧) نقله السخاوي في الذيل التام (١/ ١٨٦) مع بعض التصرُّف في الألفاظ .
(٨) في ط : تشْتَمُر بالتاء ، وهو تحريف . وسبق الحديث فيه .
(٩) الذيل للحسيني ص(٣٥٢ـ٣٥٣) .

به على جملٍ إلى الصَّالحية فمات هناك بعد أيام ، وقاسى أمراً شديداً من العقوبات ، وقد ظهر بعد ذلك على أنه قتل خلقاً كثيراً من الناس قبّحه الله .

قدوم قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن تقي الدين عوضاً عن أخيه قاضي القضاة تاج الدين بن عبد الوهاب :

قدم يوم الثلاثاء قبل العصر فبدأ بملك الأمراء فسلَّم عليه ، ثم مشى إلى دار الحديث فصلّى هناك ، ثم مشى إلى المدرسة الرُّكنيّة[١] فنزل بها عند ابن أخيه قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح[٢] ، قاضي العساكر ، وذهب النَّاسُ للسَّلام عليه ، وهو يكره من يلقِّبه بقاضي القضاة ، وعليه تواضُعٌ وتقشُّف ، ويظهر عليه تأسُّف على مفارقة بلده ووطنه وولده وأهله ، والله المسؤول المأمول أن يحسن العاقبة[٣] .

وخرج المحملُ السّلطاني يوم الخميس ثامنَ عشرَ شوّال ، وأمير الحاج الملك صلاح الدين ابن الملك الكامل بن السعيد بن العادل الكبير ، وقاضيه الشيخ بهاء الدين بن سَبُع مدرس الأمينية[٤] ببعلبك ، وفي هذا الشهر وقع الحكم بما يخص المجاهدين من وقف المدرسة التَّقوية[٥] إليهم ، وأذن القضاة الأربعة إليهم بحضرة ملك الأمراء في ذلك .

وفي ليلة الأحد ثالث شهر ذي القعدة توفي

القاضي ناصر الدين محمد[٦] بن يعقوب كاتب السر ، وشيخ الشيوخ ومدرّس النّاصريّة الجوّانية[٧] والشَّامية الجوَّانية[٨] بدمشق ، ومدرِّس الأسديّة[٩] بحلب ، وقد باشر كتابة السر بحلب أيضاً ، وقضاء العساكر وأفتى بزمان ولاية الشيخ كمال الدين الزملكاني قضاء حلب ، أذن له هنالك في حدود سنة سبع وعشرين وسبعمئة ، ومولده سنة سبع وسبعمئة ، وقد قرأ « التنبيه » و « مختصر ابن الحاجب » في الأصول ، وفي العربية ، وكان عنده نباهةٌ وممارسةٌ للعلم ، وفيه جودة طباع وإحسان بحسب ما يقدر

---

(١) الركنية هي الجوانية .
(٢) هو محمد بن محمد بن عبد اللطيف مات سنة (٧٧١)هـ . الدرر الكامنة (٤/ ١٨٩) .
(٣) الذيل للحسيني ص(٣٥٣) .
(٤) واقفها : أمين الدولة غزال أبو الحسن وزير الصالح إسماعيل أبي الحبش ، كان يهودياً فأسلم في الظاهر ، مات سنة (٦٤٨)هـ . الدارس (٢/ ٢٨٥) .
(٥) من أجلِّ مدارس دمشق ، داخل باب الفراديس ، شمال الجامع . الدارس (١/ ٢١٦) .
(٦) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٥٥) والدرر الكامنة (٤/ ٢٨٧) والنجوم الزاهرة (١١/ ١٦) والدارس (١/ ٣٠٧) والذيل التام (١/ ١٨٩) .
(٧) الدارس (١/ ٣٠٧ و٤٦٢) .
(٨) الدارس (١/ ٣٠٧) .
(٩) الدرر الكامنة (٤/ ٢٨٨) .

عليه ، وليس يُتوسّم منه سوء ، وفيه ديانة وعفّة ، حلف لي في وقت بالأيمان المغلّظة أنه لم يكن[١] قطُّ منه فاحشة اللّواط ولا خطر له ذلك ، ولم يزن ولم يشرب مُسكراً ولا أكل حشيشة ، فرحمه الله وأكرم مثواه ، صُلِّي عليه بعد الظهر يومئذ ، وخُرج بالجنازة من باب النصر ، فخرج نائبُ السلطنة من دار السعادة فحضر الصلاة عليه هنالك ، ودُفن بمقبرة لهم بالصُّوفية وتأسَّفوا عليه وترحَّموا ، وتزاحم جماعةٌ من الفقهاء بطلب مدارسه انتهى .

ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان الإسلام بالديار المصرية والشامية والحجازية وما يتبعها من الأقاليم والرساتيق الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المنصور المظفّري حاجي بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي .

ومدبر الممالك بين يديه وأتابك العساكر سيف الدين يَلْبُغا .

وقضاة مصرهم المذكورون في التي قبلها ، غير أن ابن جماعة قاضي الشّافعية وموفق الدين قاضي الحنابلة في الحجاز الشريف ، ونائبُ دمشقَ الأمير سيف الدين قَشْتَمرُ المنصوري ، وقاضي قضاة الشافعية الشيخ بهاء الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي ، وأخوه قاضي القضاة تاج الدين مقيمٌ بمصرَ ، وقاضي قضاة الحنفية الشيخ جمال الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين الكَفْري ، آثره والده بالمنصب وأقام على تدريس الرُّكنيّة يتعبَّدُ ويتلو ويُجْمعُ على العبادة ، وقاضي قضاة المالكية جمال الدين المسلاّتي ، وقاضي قضاة الحنابلة الشيخ جمال الدين المرداوي [والخطيب][٢] محمود بن جَمْلة ، ومحتسب البلد الشيخ عماد الدين بن الشَّيرجي ، وكاتب السر جمال الدين عبد الله بن الأثير ، قدم من الديار المصرية عوضاً عن ناصر الدين بن يعقوب ، وكان قدومه يوم سلخ السنة الماضية[٣] ، وناظر الدواوين بدر الدين حسن بن النابلسي ، وناظر الخزانة القاضي تقي الدين بن مراجل .

ودخل المحمل السلطاني يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم بعد العصر خوفاً من المطر ، وكان

---

(١) في ط : يمكن وهو تحريف .

(٢) سقطت من ط . وقد تولّى الخطابة بعد الشيخ تاج الدين عبد الرحيم بن القاضي جلال الدين القزويني . وسيأتي في وفيات هذه السنة .

(٣) في بدائع الزهور (١/ ٥٨٩) : وفي شهر شوال أخلع على القاضي جمال الدين عبد الله بن محمد المعروف بابن الأثير ، واستقرّ في كتابة السرّ بدمشق عوضاً عن القاضي ناصر الدين .

وقع مطرٌ شديد قبل أيام ، فتلف منه غلاتٌ كثيرة بحَوْران وغيرها ، ومساطيح[١] وغير ذلك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي ليلة الأربعاء السابع والعشرين منه بعد عشاء الآخرة قبل دقة القلعة دخل فارس من ناحية باب الفرج إلى ناحية باب القلعة الجوانية ، ومن ناحية الباب المذكور سلسلة ، ومن ناحية باب النصر أخرى جددتا لئلا يمر راكب على باب القلعة المنصورة ، فساق هذا الفارس المذكور على السلسلة الواحدة فقطعها ، ثم مر على الأخرى فقطعها وخرج من باب النصر ولم يعرف لأنه ملثَّم .

وفي حادي عشرَ صفر وقبله بيوم قدم البريد من الديار المصرية بطلب الأمير سيف الدين زبالة أحد أمراء الألوف إلى الديار المصرية مكرَّماً ، وقد كان عزل عن نيابة القلعة بسبب ما تقدم ، وجاء البريد أيضاً ومعه التواقيع التي كانت بأيدي ناس كثير ، زيادات على الجامع ، رُدَّت إليهم وأُقِرُّوا على ما بأيديهم من ذلك ، وكان ناظر الجامع الصاحب تقي الدين بن مراجل قد سعى برفع ما زيد بعد التذكرة التي كانت في أيام صَرْغَتْمُش ، فلم يف ذلك .

وتوجَّه الشيخ بهاء الدين بن السبكي قاضي قضاة الشام الشافعي من دمشق إلى الديار المصرية يوم الأحد سادسَ عشرَ صفر من هذه السنة ، وخرج القضاة والأعيان لتوديعه ، وقد كان أخبرنا عند توديعه بأن أخاه قاضي القضاة تاج الدين قد لبس خلعة القضاء بالديار المصرية ، وهو متوجه إلى الشَّام عند وصوله إلى ديار مصر ، وذكر لنا أن أخاه كاره للشَّام . وأنشدني القاضي صلاح الدّين الصَّفدي ليلة الجمعة رابع عشره لنفسه فيما عكس عن المتنبي في يديه من قصيدته وهو قوله :

إذا اعتاد الفتى خوضَ المنايا ... فأيسرُ ما يمرُّ به الوحولُ[٢]

وقال :

دخولُ دمشقَ يُكسبُنا نُحُولاً ... كأنَّ لها دخولاً في البَرَايَا
إذا اعتادَ الغريبُ الخوض فيها ... فأيسرُ ما يمرُّ بهِ المنايا

وهذا شعر قوي ، وعكس جليّ ، لفظاً ومعنىً[٣] .

وفي ليلة الجمعة الحادي والعشرين من صفر عملت خيمة حافلة بالمارستان الدقاقي جوار الجامع ، بسبب تكامل تجديده قريب السقف مبنياً باللَّبِن ، حتى قناطره الأربع بالحجارة البلق ، وجعل في أعاليه

(١) في ط : مشاطيخ وهو تحريف .
والمساطيح : ج مِسْطح وهو مكان بسط التمر وغيره للتجفيف واللُّغة فيه : مساطح .
(٢) في ط : الوصول بالصاد وهو تحريف . والبيت من قصيدة يمدح بها المتنبي سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية . وهي في ديوانه (٣/ ٥) بشرح العُكْبَري .
(٣) نقله السخاوي في الذيل التام (١/ ١٩٣) .

قمريات كبار مضيئة ، وفتق في قبلته إيواناً حسناً زاد في أعماقه أضعاف ما كان ، وبَيَّضَه جميعه بالجصّ الحسن المليح ، وجُدّدت فيه خزائن ومصالح ، وفرش ولحف جدد ، وأشياء حسنة ، فأثابه الله وأحسن جزاءه آمين ، وحضر الخيمة جماعات من الناس من الخواص والعوام ، ولما كانت الجمعة الأخرى دخله نائب السلطنة بعد الصلاة فأعجبه ما شاهده من العمارات ، وأخبره بما كانت عليه حاله قبل هذه العمارة ، فاستجاد ذلك من صنيع النَّاظر .

وفي أول ربيع الآخر قدم قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي من الديار المصرية على قضاء الشام عَوداً على بدءٍ يوم الثلاثاء رابع عشره ، فبدأ بالسلام على نائب السلطنة بدار السعادة ، ثم ذهب إلى دار الأمير عليّ[١] بالقصَّاعين فسلَّم عليه ، ثم جاء إلى العادليَّة قبل الزوال ، ثم جاءه الناس من الخاص والعام يسلِّمون عليه ويهنئونه بالعَود ، وهو يتودَّد ويترحَّب بهم ، ثم لما كان صبح يوم الخميس سادس عشره لبس الخلعة بدار السعادة ثم جاء في أبَّهة هائلة لابسها إلى العادلية فقرئ تقليده بها بحضرة القضاة والأعيان وهنَّأه النَّاسُ والشُّعراء والمدَّاح[٢] .

وأخبر قاضي القضاة تاج الدين بموت

حسين[٣] بن الملك الناصر ، ولم يكن بقي من بنيه لصلبه سواه ، ففرح بذلك كثير من الأمراء وكبار الدولة ، لما كان فيه من حِدَّة وارتكاب أمور منكرة .

وأخبر بموت

القاضي فخر الدين سليمان[٤] بن القاضي عماد الدين بن الشَّيْرجيّ[٥] ، وقد كان اتفق له من الأمر أنه قُلد حِسبة دمشقَ عوضاً عن أبيه ، نزل له عنها باختياره لكبره وضعفه ، وخلع عليه بالديار المصرية ، ولم يبق إلا أن يركب على البريد فتمرَّض يوماً وثانياً وتوفِّي إلى رحمة الله تعالى ، فتألَّم والده بسبب ذلك تألُّماً عظيماً ، وعزّاه الناس فيه ، ووجدته صابراً محتسباً باكياً مسترجعاً موجعاً انتهى .

بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس الغنم :

مع ولاية سعد الدين ماجد[٦] بن التاج إسحاق من الديار المصرية على نظر الدواوين قبله ، ففرح

---

(١) هو : علي المارداني نائب الشام سابقاً .

(٢) الدارس (١/ ٣٦٧) .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٢/ ٧٠) والنجوم الزاهرة (١١/ ٢١) وقال : كان أمثل من أخوته ، ولكن وفاته قبل تولية ابنه الملك الأشرف شعبان بن حسين بخمسة أشهر .

(٤) لم أقع له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٥) في الدارس (٢/ ٧٤) : محتسب دمشق عماد الدين بن الشيرازي .

(٦) ماجد بن التاج أبي إسحاق القبطي ناظر الخاص بدمشق مات سنة (٧٧٥)هـ الدرر الكامنة (٣/ ٢٧٥) .

الناس بولاية هذا وقدومه ـ وبعزل الأوَّل وانصرافه عن البلد فرحاً شديداً ، ومعه مرسوم شريف بوضع نصف مكس الغنم ، وكان عبرته أربعة دراهم ونصف ، فصار إلى درهمين وربع درهم ، وقد نُودي بذلك في البلد يوم الإثنين العشرين من شهر ربيع الآخر ، ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ولله الحمد والمنّة ، وتضاعفت أدعيتُهم لمن كان السبب في ذلك ، وذلك أنه يكثر الجلب برخص اللَّحم على الناس ، ويأخذ الديوان نظير ما كان يأخذ قبل ذلك ، وقدّر الله تعالى قدوم وفود وقفول بتجائر متعدِّدة ، وأخذ منها الديوان السلطاني في الزّكاة والوكالة ، وقدم مراكب كثيرة فأخذ منها في العشر أضعاف ما أطلق من المكس ، ولله الحمد والمنة ، ثم قرئ على الناس في يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة قبل العصر .

وفي يوم الإثنين العشرين منه ضُرب الفقيه شمس الدين بن الصفدي بدار السعادة بسبب خانقاه الطواويس(١) ، فإنه جاء في جماعة منهم يتظلمون من كاتب السر الذي هو شيخ الشيوخ ، وقد تكلَّم معهم فيما يتعلق بشرط الواقف ممّا فيه مشقّة عليهم ، فتكلَّم الصفديُّ المذكور بكلام فيه غلظ ، فبُطح ليضرب فشفِّع فيه، ثم تكلَّم فشفع فيه، ثم بطح الثالثة فضرب ثم أمر به إلى السجن ، ثم أخرج بعد ليلتين أو ثلاث.

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين منه درس قاضي القضاة الشافعي(٢) بمدارسه(٣) ، وحضر درس النَّاصرية الجوانية بمقتضى شرط الواقف الذي أثبته أخوه بعد موت القاضي ناصر الدين كاتب السر ، وحضر عنده جماعة من الأعيان وبعض القضاة ، وأخذ في سورة الفتح ، قرئ عليه من تفسير والده في قوله ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] .

وفي مستهل جُمادى الأولى يوم الجمعة بعد صلاة الفجر مع الإمام الكبير صُلِّي على القاضي قطب الدين محمد(٤) بن [عبد] المُحْسن الحاكم بحمصَ ، جاء إلى دمشق لتلقِّي أخي زوجته قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي الشافعي، فتمرَّض مدة ثم كانت وفاته بدمشق ، فصلِّيَ عليه بالجامع كما ذكرنا ، وخارج باب الفرج، ثم صعدوا به إلى سفح قاسيون ، وقد جاوز الثمانين بسنتين(٥) ، وقد حدَّث وروى شيئاً يسيراً رحمه الله .

---

(١) هي الخانقاه الطواويسية ، وهي مسجد كبير فيه قبر الملك دقاق ، وفيه قبة معروفة بقبة الطواويس بالشرف الأعلى . الدارس (٢/ ١٦٤) .

(٢) هو القاضي بهاء الدين أحمد .

(٣) الدارس (١/ ٣٨) .

(٤) في ط : محمد بن الحسن وهو تحريف . ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٥٩) والدرر الكامنة (٤/ ٢٨) والذيل التام (١/ ١٩٥) .
وفيها جميعاً محمد بن عبد المحسن بن حمدان السُّبكي الشافعي .

(٥) في الذيل للحسيني : مولده سنة ست وثمانين وستمئة . فيكون مات قبل إتمام الثمانين بسنتين ، وفي الذيل التام للسخاوي عن دون السبعين ولعلّه وهم .

وفي يوم الأحد ثالثه قدم قاضيا الحنفية والحنابلة بحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الأذرعي ، والشيخ زين الدين الباريني وآخرون معهم ، فنزلوا بالمدرسة الإقبالية وهم وقاضي قضاتهم الشافعي ، وهو كمال الدين المصري مطلوبون إلى الديار المصرية ، فتحرَّر ما ذكروه عن قاضيهم وما نقموه عليه من السيرة السَّيئة فيما يذكرون في المواقف الشريفة بمصر ، وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشره .

وفي يوم الخميس قدم الأمير زين الدين زبالة[1] نائب القلعة من الديار المصرية على البريد في تجمُّل عظيم هائل ، وتلقَّاه الناس بالشموع في أثناء الطريق ، ونزل بدار الذَّهب ، وراح الناس للسّلام عليه وتهنئته بالعَود إلى نيابة القلعة ، على عادته ، وهذه ثالثُ مرَّة وليها لأنَّه مشكور السيرة فيها ، وله فيها سعيٌ محمود في أوقات متعدِّدة .

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين صلَّى نائبُ السلطنة والقاضيان الشافعي والحنفي وكاتب السرّ وجماعةٌ من الأمراء والأعيان بالمقصورة ، وقُرئ كتاب السلطان على السُّدَّة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين ، فتضاعفت الأدعية لوليّ الأمر ، ولمن كان السبب في ذلك .

غريبة من الغرائب وعجيبة من العجائب :

وقد كثرت المياه في هذا الشهر وزادت الأنهار زيادة كثيرة جداً ، بحيث إنه فاض الماء في سوق الخيل من نهر بردى حتى عمَّ جميع العرصة المعروفة بموقف المركب ، بحيث إنه أجريت فيه المراكب بالكلك ، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب ، واستمر ذلك جُمَعاً متعدّدة ، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك ، وربما وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت الطَّارمة تجاه باب الإسطبل السُّلطاني ، وهذا أمر لم يُعهد مثله ولا رأيته قطُّ في مدة عمري ، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة ، وتعطلت طواحين كثيرة غمرها الماء .

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفّي

الصدر شمس الدين عبد الرحمن[2] بن الشيخ عز الدين بن المُنَجَّا التَّنوخي بعد العشاء الآخرة ، وصُلِّيَ عليه بجامع دمشقَ بعد صلاة الظهر ودُفن بالسفح .

وفي صبيحة هذا اليوم توفي

---

(١) هو : زين الدين الفارقي . الدارس (٢/٤٤٣) .

(٢) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٧٠) والدرر الكامنة (٢/ ٣٤١) .

الشَّيخ ناصر الدين محمد[١] بن أحمد القُونوي الحنفي، خطيب جامع يَلْبُغَا، وصُلِّيَ عليه عُقيب صلاة الظهر أيضاً، ودُفن بالصُّوفية، وقد باشر عوضه الخطابة والإمامة قاضي القضاة جمال الدين الكَفْري الحنفي.

وفي عصر هذا اليوم توفي

القاضي علاء الدين[٢] بن القاضي شرف الدين بن القاضي شمس الدين بن الشهاب محمود الحلبي، أحد موقّعي الدست بدمشق، وصُلِّيَ عليه يوم الأربعاء ودفن بالسفح.

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين منه خطب قاضي القضاة جمال الدين الكفري الحنفي بجامع يَلْبُغَا عوضاً عن الشيخ ناصر الدين بن القُونوي رحمه الله تعالى، وحضر عنده نائب السلطنة الأمير سيف الدين قَشْتَمُر، وصلَّىٰ معه قاضي القضاة تاج الدين الشَّافعي بالشباك الغربي القبلي منه، وحضر خلق من الأمراء والأعيان، وكان يوماً مشهوداً، وخطب ابن نُبَاتَةَ[٣] بأداءٍ حسنٍ وفصاحة بليغة، هذا مع علم أنَّ كلَّ مركبٍ صعبٌ.

وفي يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة توجه الشيخ شرف الدين[٤] القاضي الحنبلي إلى الديار المصرية بطلب الأمير سيف الدين يَلْبُغَا في كتاب كتبه إليه يستدعيه ويستحثُّه في القدوم عليه.

وفي يوم الثلاثاء ثاني شهر رجب سقط اثنان سُكَارىٰ من سطحٍ بحارة اليهود، أحدهما مسلم والآخر يهودي، فمات المسلم من ساعته، وانقلعت عين اليهودي وانكسرت يده لعنه الله، وحُمل إلى نائب السَّلطنة فلم يحر جواباً.

ورجع الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل بعدما قارب غزَّة لما بلغه من الوباء بالديار المصرية[٥] فعاد إلى القدس الشريف، ثم رَجَع إلى وطنه فأصَاب السُّنَّةَ[٦]، وقد وردت كتب كثيرة تخبر بشدة الوباء

---

(١) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٦٩) والدرر الكامنة (٣/ ٣٢٧) وفيهما: الشهير بابن الرّبوة. والذيل التام (١/ ١٩٧).

(٢) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٧٠) والدرر الكامنة (٣/ ٣٣).
وهو: علي بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي.

(٣) لعلّه أراد ديوان خطب ابن نباتة، وهو محمد بن محمد بن محمد بن أبي الحسن بن صالح بن نباتة جمال الدين الشاعر المعروف المتوفَّى سنة (٧٦٨هـ) الدرر (٤/ ٢١٧) والنجوم الزاهرة (١١/ ٩٥).

(٤) هو: أحمد بن قاضي الجبل. مات سنة (٧٧١)هـ الدارس (٢/ ٤٤).

(٥) الذيل التام للسخاوي (١/ ١٩٣).

(٦) يريد بذلك قول رسول الله ﷺ: الطاعون رجزٌ أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه».
رواه البخاري رقم (٣٢٨٦) في الأنبياء باب (٥٢) ورواه مسلم أيضاً رقم (٢٢١٨) في السلام، باب: الطاعون والطّيرة والكهانة ونحوها، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

والطاعون بمصر، وأنه يضبط من أهلها في النهار نحو الألف، وأنّه مات جماعة ممَّن يُعرفون كولَدَيْ قاضي القضاة تاج الدين المُنَاوي، وكاتب الحكم ابن الفرات[١]، وأهل بيته أجمعين، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

وجاء الخبر في أواخر شهر رجب بموت جماعة بمصر، منهم

أبو حاتم[٢] ابن الشيخ بهاء الدين السُّبكي المصري بمصرَ، وهو شاب لم يستكمل العشرين، وقد درَّس بعدة جهات بمصر وخطب، ففقده والدُه وتأسَّف النَّاس عليه وعزَّوا فيه عمَّه قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي قاضي الشافعية بدمشق.

وجاء الخبر بموت

قاضي القضاة شهاب الدين أحمد[٣] الرباحي[٤] المالكي، وكان بحلب وليها مرتين، ثم عُزل فقصد مصر واستوطنها مدّة ليتمكن من السعي في العَودة، فأدركته منيته في هذه السنة من الفناء وولدان له معه أيضاً.

وفي يوم السبت سادس شعبان توجه نائب السلطنة في صحبة جمهور الأمراء إلى ناحية تَدْمُرَ لأجل الأعراب من أصحاب حيار[٥] بن مهنا، ومن التفّ عليه منهم، وقد دمّر بعضهم بلد تَدْمُرَ وحرّقوا كثيراً من أشجارها، ورعَوْها وانتهبوا شيئاً كثيراً، وخرجوا من الطّاعة، وذلك بسبب قطع إقطاعاتهم وتملُّك أملاكهم والحيلولة عليهم، فركب نائب السلطنة بمن معه كما ذكرنا، لطردهم عن تلك الناحية، وفي صحبتهم الأمير حمزة بن الخياط، أحد أمراء الطبلخانات، وقد كان حاجباً لحيار قبل ذلك، فرجع عنه وألَّب عليه عند الأمير الكبير يَلْبُغا الخاصكي، ووعدَه إن هو أمّرَه وكبّره أن يُظْفره بحيار وأن يأتيَه برأسه، ففعل معه ذلك، فقدم إلى دمشقَ ومعه مرسوم بركوب الجيش معه إلى حيار وأصحابه، فساروا كما ذكرنا، فوصلوا إلى تَدْمُر، وهربت الأعراب من بين يدي نائب الشام يميناً وشمالاً، ولم يواجهوه هيبة له، ولكنهم يتحرَّفون على حمزة بن الخيّاط، ثم بلغنا أنهم بيَّتوا الجيش فقتلوا منه طائفة وجرحوا آخرين وأسروا آخرين فإنا لله وإنا إليه راجعون[٦].

---

(١) هو: تقي الدين محمد بن أحمد بن الحسن بن محمد بن الفرات الحنفي، الذيل التام (١/ ١٩٧).

(٢) ترجمته في الذيل التام (١/ ١٩٥). وفيه: أبو حاتم محمد بن الإمام البهاء أبي حامد أحمد بن شيخ الإسلام التقي علي السُّبكي.

(٣) ترجمته في: الذيل للحسيني ص(٣٦٢) والدرر الكامنة (١/ ٣٢٧) والذيل التام (١/ ١٩٨).
وهو: أحمد بن ياسين بن محمد الرباحي، وهو أول من ولّي قضاء بحلب.

(٤) في ط: الرُّباجي بالجيم. وأثبتنا ما في مصادر ترجمته.

(٥) في ط: خيار ومضى الحديث فيه.

(٦) ابن خلدون (٥/ ٤٣٩).

سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين : شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان .

لما كان عشية السبت تاسعَ عشرَ شعبان من هذه السنة ـ أعني سنة أربع وستين وسبعمئة ـ قدم أمير من الديار المصرية فنزل بالقصر الأبلق ، وأخبر بزوال مملكة الملك المنصور بن المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، و[أنه][1] مسك واعتقل . وبُويع للملك الأشرف شعبان بن حسين الناصر بن المنصور قلاوون ، وله من العمر قريب العشرين ، فدُقَّت البشائر بالقلعة المنصورة ، وأصبح الناس يوم الأحد في الزينة . وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين والصاحب بدر الدين ماجد ناظر الدواوين ، أنه لما كان يوم الثلاثاء الخامسَ عشرَ من شعبان عُزل الملك المنصور وأُودع منزله وأُجلس الملك الأشرف ناصر الدين شعبان على سرير الملك ، وبُويع لذلك[2] .

وقد وقع رعد في هذا اليوم ومطر كثير ، وجرت المزاريب ، فصار غدراناً في الطرقات ، وذلك في خامس حزيران ، فتعجب الناس من ذلك .

هذا وقد وقع وباء في مصر في أول شعبان ، فتزايد وجمهوره في اليهود ، وقد وصلوا إلى الخمسين في كل يوم وبالله المستعان .

وفي يوم الإثنين سابعه اشتهر الخبر عن الجيش بأن الأعراب اعترضوا التجريدة القاصدين إلى الرّحبة وواقفوهم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا ، وقد سار البريد خلف النائب والأمراء ليقدموا إلى البلد لأجل البيعة للسلطان الجديد جعله الله مباركاً على المسلمين ، ثم قدم جماعة من الأمراء المنهزمين من الأعراب في أسوأ حال وذلّة ، ثم جاء البريد من الديار المصرية بردهم إلى العسكر الذي مع نائب السَّلطنة على تَدْمُرَ ، متوعدين بأنواع العقوبات ، وقطع الإقطاعات .

وفي شهر رمضان تفاقم الحال بسبب الطاعون فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وجمهوره في اليهود لعله قد فُقد منهم من مستهل شعبان إلى مستهل رمضان نحو الألف نسمة خبيثة ، كما أخبرني بذلك القاضي صلاح الدين الصفدي وكيل بيت المال ، ثم كثر ذلك فيهم في شهر رمضان جداً ، وعدة العدة من المسلمين والذّمة بالثمانين .

وفي يوم السبت حادي عشره صلَّينا بعد الظهر على

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) الذيل للحسيني ص(٣٥٨) والذيل التام (١/ ١٩٤) .

الشيخ المعمَّر الصَّدر بدر الدين محمد[١] بن [أحمد][٢] الزقّاق[٣] المعروف بابن الجوخي[٤] .

وعلى الشيخ صلاح الدّين محمد[٥] بن شاكر الكتبي[٦] ، تفرد في صناعته وجمع تاريخاً[٧] مفيداً نحواً من عشرة مجلدات ، وكان يحفظ ويذاكر ويفيد ـ رحمه الله وسامحه ـ انتهى .

وفاة الخطيب جمال الدين محمود[٨] بن جملة ومباشرة تاج الدّين بعده :

كانت وفاته يوم الإثنين بعد الظهر قريباً من العصر ، فصلّىٰ بالناس بالمحراب صلاة العصر قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي الشافعي عوضاً عنه ، وصلّى بالناس الصبح أيضاً ، وقرأ بآخر المائدة من قوله : ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ [المائدة : ١٠٩] ثم لمّا طلعت الشمس ، وزال وقت الكراهة صُلِّي على الخطيب جمال الدين عند باب الخطابة ، وكان الجمع في الجامع كثيراً ، وخرج بجنازته من باب البريد ، وخرج معه طائفةٌ من العوام وغيرهم ، وقد حضر جنازته بالصَّالحية على ما ذكر جمٌّ غفير وخلقٌ كثير ، ونال قاضي القضاة الشافعيَّ من بعض الجهلة إساءةُ أدبٍ ، فأُخذ منهم جماعة وأدِّبُوا ، وحضر هو بنفسه صلاة الظهر يومئذ ، وكذا باشر الظهر والعصر في بقية الأيام ، يأتي للجامع في محفل من الفقهاء والأعيان وغيرهم ، ذهاباً وإياباً ، وخطب عنه يوم الجمعة الشيخ جمال الدين ابن قاضي القضاة ، ومُنع تاج الدين من المباشرة ، حتى يأتي التشريف .

وفي يوم الإثنين بعد العصر صُلِّي على الشيخ شهاب الدين أحمد[٩] بن عبد الرحمن[١٠] البَعْلبكيّ ،

---

(١) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٦١) والدرر الكامنة (١/ ٢٥٠) .
(٢) زيادة من مصادر ترجمته .
(٣) في ط : الرّقاق .
(٤) في ط : الجوجي .
(٥) ترجمته في : الذيل للحسيني ص(٣٦٩) والوفيات لابن رافع (٢/ ٢٦٣) والدرر الكامنة (٣/ ٤٥١) والذيل التام (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) .
(٦) في ط : الليثي وهو تحريف .
(٧) سمّاه : عيون التواريخ ، يقع في ستة مجلدات . كشف الظنون (٢/ ١١٨٥) قلت : وهو يصدر اليوم عن وزارة الإعلام العراقية ، سلسلة كتب التراث . وهو صاحب الكتاب المفيد : فوات الوفيات استدرك فيه ما فات ابن خلكان في وفيات الأعيان وزاد عليه .
(٨) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٦٧) وطبقات الشافعية للسبكي (١٠/ ٣٨٥) والوفيات لابن رافع (٢/ ٢٦٥) والدرر الكامنة (٤/ ٣٢٢) والذيل التام (١/ ١٩٦) .
(٩) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٦٣) وطبقات الشافعية (٥/ ١٧٤) والوفيات لابن رافع (٢/ ٢٦٦) والدرر الكامنة (١/ ١١٥) .
(١٠) في ط : عبد الله . وأثبتنا ما في مصادر ترجمته .
واسم أبيه (بَلَبَان) كما في الذيل . ثم تسمّى بعبد الرحمن ، وتسمّى جده بعبد الرحيم تفادياً بذلك عن أسماء الموالي .

المعروف بابن النقيب ، ودُفن بالصوفية وقد قارب السبعين وجاوزها . وكان بارعاً في القراءات والنَّحو والتَّصريف والعربية ، وله يد في الفقه وغير ذلك ، ووَلّي مكانه مشيخة الإقراء بأمِّ الصَّالح شمس الدين محمد بن اللَّبَّان[١] ، وبالتُّربة الأشرفية الشيخ أمين الدين عبد الوهاب بن السلَّار[٢] .

وقدم نائب السلطنة من ناحية الرحبة وتدمر وفي صحبته الجيش الذين كانوا معه بسبب محاربته إلى أولاد مهنا وذويهم من الأعراب في يوم الأربعاء سادس شوال .

وفي ليلة الأحد عاشره توفي

الشيخ صلاح الدين خليل[٣] بن أَيْبَك ، وكيل بيت المال ، وموقع الدست ، وصُلّيَ عليه صبيحة الأحد بالجامع ، ودُفن بالصوفية ، وقد كتب الكثير من التاريخ واللغة والأدب ، وله الأشعار الفائقة ، والفنون المتنوعة ، وجمع وصنّف وألف ، وكتب ما يقارب مئتين من المجلدات .

وفي يوم السبت عاشره جُمع القضاة والأعيان بدار السعادة وكتبوا خطوطهم بالرِّضى بخطابة قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي بالجامع الأموي ، وكاتب نائب السلطنة في ذلك .

وفي يوم الأحد حادي عشره استقرّ عزل نائب السلطنة سيف الدين قَشْتَمُر عن نيابة دمشق وأمر بالمسير إلى نيابة صَفَد فأنزل أهله بدار طَيْبُغا حجي من الشّرف الأعلى ، وبرز هو إلى سطح المزّة ذاهباً إلى ناحية صفد[٤] .

وخرج المحمل صحبة الحجيج وهم جم غفير وخلق كثير يوم الخميس رابع عشر شوال .

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شوال توفي القاضي أمين الدين[٥] أبو حيّان ابن أخي قاضي القضاة تاج الدين المسلاَّتي المالكي وزوج ابنته ونائبه في الحكم مطلقاً وفي القضاء والتدريس في غيبته ، فعاجلته المنية .

ومن غريب ما وقع في أواخر هذا الشهر أنّه اشتُهر بين النّساء وكثير من العوام أنّ رجلاً رأى مناماً فيه :

---

(١) الدارس (١/ ٣٦٤) .

(٢) الدارس (٢/ ٢٩٨) .

(٣) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٦٤) وطبقات الشافعية (٦/ ٩٤) والوفيات لابن رافع (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) والدرر الكامنة (٢/ ٨٧) والنجوم الزاهرة (١١/ ١٩) والذيل التام (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩) وفيه : وهو صاحب الوافي بالوفيات وهو على حروف المعجم في نحو ثلاثين مجلدة . اهـ .

(٤) الذيل للحسيني (٣٦١) والذيل التام (١/ ١٩٤ ـ ١٩٥) .

(٥) ترجمته في : الذيل للحسيني ص(٣٦٦) والوفيات لابن رافع (٢/ ٢٧٣) والدرر الكامنة (٤/ ١٧) والذيل التام (١/ ١٩٧) .

وهو : أمين الدين أبو حيّان محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم السُّلمي المَسَلاَّتي الشافعي ثم المالكي .

أنه رأى النبي ﷺ عند شجرة توتة عند مسجد ضِرَار[١] خارج باب شرقي فتبادر النساء إلى تخليق[٢] تلك التوتة ، وأخذوا أوراقها للاستشفاء من الوباء ، ولكن لم يظهر صدق ذلك المنام ، ولا يصح عمن يرويه .

وفي يوم الجمعة سابع شهر ذي القعدة خطب بجامع دمشق قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي خطبة بليغة فصيحة أدَّاها أداءً حسناً ، وقد كان يُحسُّ من طائفة من العوام أن يشوشوا فلم يتكلم أحد منهم بل ضجوا عند الموعظة وغيرها ، وأعجبهم الخطيب وخطبته وأداؤه وتبليغه ومهابته ، واستمر يخطب هو بنفسه .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرة توفي

الصاحب تقي الدين سُليمان[٣] بن مَرَاجِل ناظر الجامع الأموي وغيره ، وقد باشر نظر الجامع في أيام تَنْكِز ، وعمر الجانب الغربي من الحائط القبلي ، وكمَّل رخامه كله ، وفتق محراباً للحنفيّة في الحائط القبلي ، ومحراباً للحنابلة فيه أيضاً في غربيه ، وأثر أشياء كثيرة فيه ، وكانت له همَّة ، ويُنسب إلى أمانةٍ وصرامةٍ ومباشرة مشكورة مشهورة، ودُفن بتربة أنشأها تجاه داره بالقُبَيْبَات رحمه الله ، وقد جاوز الثمانين .

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره توفّي

الشيخ بهاء الدّين عبد الوهاب[٤] الإخميمي المِصْري ، إمام مسجد دَرْب الحَجَر[٥] وصُلِّيَ عليه بعد العصر بالجامع الأموي ، ودُفن بزاوية ابن السَّرَّاج[٦] عند الطُّيوريين[٧] بزاوية لبعض الفقراء الخزنة هناك ، وقد كان له يد في أصول الفقه ، وصنَّف في الكلام كتاباً[٨] مشتملاً على أشياء مقبولة وغير مقبولة انتهى .

دخول نائب السلطنة مَنْكُلي بُغَا :

في يوم الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة دخل نائب السلطنة مَنْكَلي بُغا من حلب إلى دمشقَ

---

(١) هو : ضرار بن الأزور مالك بن أوس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي . مات سنة(١٣هـ) وقيل غير ذلك .
مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر لابن منظور (١١/ ١٥٣) .

(٢) « التَّخليق » : التَّطييب بالخلوق .

(٣) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٦٥) والوفيات لابن رافع (٢/ ٢٧٨) والدرر الكامنة (٢/ ١٥٩) والنجوم الزاهرة (١١/ ١٨) .
وهو : سليمان بن علي بن عبد الرحيم بن مراجل الدمشقي .

(٤) ترجمته في الذيل للحسيني ص(٣٦٥) والدرر الكامنة (٢/ ٤٢٥) والذيل التام (١/ ١٩٦) .

(٥) الدارس (٢/ ٣١٨) وهناك في درب الحجر أكثر من مسجد .

(٦) في ط : بقصر ابن الحلاج وأثبتنا ما في الذيل للحسيني والدارس (٢/ ٢٨٩) نقلاً عن الحسيني أيضاً .

(٧) عند الصَّاغة العتيقة .

(٨) هو : المنقذ من الزّلل في القول والعمل . الذيل للحسيني الذيل التام .

نائباً عليها في تجمُّل هائل ، ولكنَّه مستمرض في بدنه بسبب ما كان ناله من التَّعب في مصابرة الأعراب ، فنزل دارالسعادة على العادة[١] .

وفي يوم الإثنين مستهل ذي الحجّة خُلع على قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي الشافعي للخطابة بجامع دمشق ، واستمر على ما كان عليه يخطب بنفسه كل جمعة .

وفي يوم الثلاثاء ثانيه قدم القاضي فتح الدِّين[٢] بن الشهيد ولبس الخلعة وراح الناس لتهنئته وفي يوم الخميس حضر القاضي فتح الدين بن الشّهيد كاتب السر مشيخة السُّمَيْسَاطية ، وحضر عنده القضاة والأعيان بعد الظهر ، وخلع عليه لذلك أيضاً ، وحضر فيها من الغد على العادة .

وخُلع في هذا اليوم على وكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الرُّهاوي[٣] ، وعلى الشيخ شهاب الدين الزهري[٤] بفُتيا دار العدل ، انتهى .

ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين وما يتبع ذلك الملك الأشرف ناصر الدين شَعْبان بن حُسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحي ، وهو في عمر عشر سنين .

ومدبّر الممالك بين يديه الأمير الكبير نظام الملك سيف الدين يَلْبُغَا الخَاصْكي .

وقضاة مصرهم المذكورون في السنة التي قبلها ، ووزيرها فخر الدين بن قَرَوِيْنَة ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين مَنْكُلي بُغَا الشَّمسي ، وهو مشكور السيرة .

وقضاتها هم المذكورون في السنة التي قبلها ، وناظر الدواوين بها الصاحب سعد الدين ماجد ، وناظر الجيش علم الدين داود ، وكاتب السر القاضي فتح الدين بن الشهيد ، ووكيل بيت المال القاضي جمال الدين بن الرُّهاوي .

---

(١) الذيل للحسيني ص(٣٦١) الذيل التام (١/ ١٩٤) .

(٢) هو : محمد بن إبراهيم بن محمد النابلسي الأصل الشافعي الرئيس . فتح الدين أبو الفتح بن الشهيد قتل بسيف السلطان في مصر سنة (٧٩٣)هـ . الدرر الكامنة (٣/ ٢٩٦) الدارس (١/ ١٥٩) الذّيل التام (١/ ٣٦٢) وفيه : وكذا مات فيها كل من أخويه شمس الدين محمد ونجم الدين محمد ودفنوا في قبر واحد بعد الشَّتات الطويل .

(٣) هو القاضي جمال الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن إلياس بن الخضر الدمشقي المعروف بابن الرُّهاويّ الشافعي مات سنة (٧٧٧)هـ الدارس (١/ ٢٨٥) شذرات الذهب (٦/ ٢٥٠) .

(٤) هو : أحمد بن صالح بن أحمد بن خطاب البقاعي الأصل الدمشقي ، شهاب الدين الزّهري الفقيه الشافعي ، مات سنة (٧٩٥)هـ . الدارس (١/ ٣٧٠) شذرات الذهب (٦/ ٣٣٨) .

استهلَّت هذه السنة وداء الفناء موجود في الناس ، إلا أنه خفَّ وقلَّ ولله الحمد .

وفي يـوم السبت توجه قاضي القضاة ـ وكان بهاء الدين أبو البقاء السُّبكي ـ إلى الديار المصرية مطلوباً من جهة الأمير يَلْبُغَا وفي الكتاب إجابته له إلى مسائل ، وتوجّه بعده قاضي القضاة تاج الدين الحاكم بدمشق وخطيبُها يوم الإثنين الرابعَ عشرَ من المحرم ، على خيل البريد ، وتوجَّه بعدهما الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي ، مطلوباً إلى الديار المصرية ، وكذلك توجه الشيخ زين الدين المنفلوطي مطلوباً .

وتوفي في العشر الأوسط من المحرّم صاحبُنا

الشيخ شمس الدين[١] بن العطّار الشافعي ، كان لديه فضيلة واشتغال ، وله فهم ، وعلق بخطه فوائد جيدة ، وكان إماماً بالسّجن من مشهد علي بن الحسين بجامع دمشقَ ، ومصدّراً بالجامع ، وفقيهاً بالمدارس ، وله مدرسة الحديث الوادعية ، وجاوز الخمسين بسنوات ، ولم يتزوج قط .

وقدم الركب الشامي إلى دمشق في اليوم الرابع والعشرين من المحرم ، وهم شاكرون مثنون في كل خير بهذه السنة أمناً ورخصاً ولله الحمد .

وفي يوم الأحد حاديْ عشَرَ صفر درَّس بالمدرسة الفتحية[٢] صاحبنا الشيخ عماد الدين إسماعيل ابن خليفة الشافعي ، وحضر عنده جماعة من الأعيان والفضلاء ، وأخذ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ [التوبة : ٣٦] .

وفي يوم الخميس خامس عشره نودي في البلد على أهل الذمة بإلزامهم بالصَّغار وتصغير العمائم ، وأن لا يستخدموا في شيء من الأعمال ، وأن لا يركبوا الخيل ولا البغال ، ويركبون الحمير بالأكف بالعرض ، وأن يكون في رقابهم ورقاب نسائهم في الحمَّامات أجراس ، وأن يكون أحد النعلين أسود مخالفاً للون الأخرى ، ففرح بذلك المسلمون ودعَوا للآمر بذلك .

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول قدم قاضي القضاة تاج الدين من الديار المصرية مستمراً على القضاء والخطابة ، فتلقّاه الناس وهنؤوه بالعَود والسلامة .

وفي يوم الخميس سابعه لبس القاضي الصاحب البهنسي الخلعة لنظر الدواوين بدمشق ، وهنأه الناس ، وباشر بصرامته واستعمل في غالب الجهات من أبناء السبيل .

وفي يوم الإثنين حادي عشره ركب قاضي القضاة بدر الدين[٣] بن الفتح على خيل البريد إلى الديار

---

(١) لم أقع على ترجمته فيما بين يديّ من المصادر .

(٢) الدارس (١/ ٤٢٩) مدرسة للشافعية ، وهو : إسماعيل بن خليفة بن عبد الغالب الحسباني .

(٣) هو : محمد بن محمد بن عبد اللطيف السُّبكي ، مات سنة (٧٧١)هـ الذيل التام (١/ ٢٤٢) .

المصرية لتوليه قضاء قضاة الشافعية بدمشق، وعن رضى من خاله قاضي القضاة تاج الدين ونزوله عن ذلك .

وفي يوم الخميس خامس ربيع الأول احترقت الباسورة التي ظاهر باب الفرج على الجسر ، ونال حجارة الباب شيء من حريقها فاتسعت ، وقد حضر طفيها نائب السلطنة والحاجب الكبير ، ونائب القلعة والولاة وغيرهم .

وفي صبيحة هذا اليوم زاد النهر زيادة عظيمة بسبب كثرة الأمطار وذلك في أوائل كانون الثاني ، وركب الماء سوق الخيل بكماله ، ووصل إلى ظاهر باب الفراديس ، وتلك النواحي ، وكسر جسر الخشب الذي عند جامع يَلْبُغا ، وجاء فصدم به جسر الزلابية فكسره أيضاً .

وفي يوم الخميس ثاني عشره صُرف حاجب الحجَّاب قُمَاري[١] عن المباشرة بدار السعادة ، وأخذت القضاة من يده وانصرف إلى داره في أقل من الناس ، واستبشر بذلك كثير من الناس ، لكثرة ما كان يفتئت على الأحكام الشرعية .

وفي أواخره اشتهر موتُ

القاضي تاج الدين[٢] المُنَاوي بديار مصر وولاية قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البقاء السُّبكي مكانه بقضاء العساكر بها ، ووكالة السلطان أيضاً ، ورتَّب له مع ذلك كفايته .

وتولَّى في هذه الأيام الشيخ سراج الدين البُلْقيني إفتاء دار العدل مع الشيخ بهاء الدين أحمد ابن قاضي القضاة السُّبكي بالشام ، وقد ولِّي هو أيضاً القضاء بالشام كما تقدم ، ثم عاد إلى مصر موفَّراً مكرّماً وعاد أخوه تاج الدين إلى الشام ، وكذلك وَلَّوْا مع البُلْقيني إفتاء دار العدل الحنفي (شيخاً) يقال له الشيخ شمس الدين بن الصائغ ، وهو مفتٍ حنفي أيضاً[٣] .

وفي يوم الإثنين سابع ربيع الأول توفّي

الشيخ نور الدّين[٤] محمد بن الشيخ أبي بكر [بن محمد بن][٥] قوّام بزاويتهم[٦] بسفح جبل

---

(١) هو قماري الحموي .

(٢) ترجمته في الوفيات لابن رافع (٢/ ٢٨٣) والدرر الكامنة (٣/ ٣٨٠) والنجوم الزاهرة (١١/ ٨٥) والذيل التام (١/ ٢٠٢).
وهو : محمد بن إسحاق بن إبراهيم السُّلَمي المُنَاويّ الشافعي .

(٣) الذيل التام (١/ ٢٠١) .

(٤) ترجمته في الوفيات لابن رافع (٢/ ٢٨٥) وفيه : وفاته في ليلة الإثنين مستهل جمادى الأولى والدرر الكامنة (٣/ ٤٠٩) وفيه : البالسي ثم الصالحي .

(٥) ما بين الحاصرتين استدركناه من مصادر ترجمته .

(٦) الزاوية القوامية البالسية .

قاسيون ، وغدا الناس إلى جنازته ، وقد كان من العلماء الفضلاء الفقهاء بمذهب الشافعي ، درَّس بالناصرية البرّانية مدَّة سنين بعد أبيه ، وبالرّباط الدويداري[(١)] داخل باب الفرج ، وكان يحضر المدارس ، ونزل عندنا بالمدرسة النَّجيبية ، وكان يحبُّ السُّنَّة ويفهمها جيداً رحمه الله .

وفي مستهل جمادى الأولى وُلِّي قاضي القضاة تاج الدين[(٢)] الشافعي مشيخة دار الحديث بالمدرسة التي فُتحت بدرب القَلي[(٣)] ، وكانت داراً لواقفها جمال الدين عبد الله بن محمد بن عيسى التدمري ، الذي كان أستاذاً للأمير طاز ، وجعل فيها درساً للحنابلة ، وجعل المدرس لهم الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن قيّم الجَوْزية[(٤)] ، وحضر الدرس وحضر عنده بعض الحنابلة الدرس ، ثم جرت أمور يطول بسطها . واستحضر نائب السلطنة شهود الحنابلة بالدَّرس ، واستفرد كُلَّاً منهم وسألهم كيف شهد في أصل الكتاب ـ المحضر ـ الذي أثبتوا عليهم ، فاضطربوا في الشهادات فضُبط ذلك عليهم ، وفيه مخالفة كبيرة لما شهدوا له في أصل المحضر ، وشنَّع عليهم كثير من الناس ، ثم ظهرت ديون كثيرة لبيت طاز على جمال الدين التَّدمري الواقف ، وطلب من القاضي المالكي أن يحكم بإبطال ما حكم به الحنبلي ، فتوقف في ذلك . وفي يوم الإثنين الحادي والعشرين منه ، قرئ كتاب السلطان بصرف الوكلاء من أبواب القضاة الأربعة فصرفوا .

وفي شهر جمادى الآخرة توفي

الشيخ شمس الدين[(٥)] شيخ الحنابلة بالصالحية ويعرف بالتَّتريّ[(٦)] يوم الخميس ثامنه[(٧)] ، صليّ عليه بالجامع المظفَّري بعد العصر ودفن بالسفح وقد قارب الثمانين .

وفي الرابعَ عشرَ منه عُقد بدار السعادة مجلس حافل اجتمع فيه القضاة الأربعة وجماعة من المفتين ،

---

(١) الدارس (١/ ٧١ و١٢١) .

(٢) هو عبد الوهاب السُّبكي .

(٣) في ط : درب القبلي . وأثبتنا ما في الدارس (٢/ ٣٣٠) .

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية مات سنة (٧٦٧)هـ الدرر الكامنة(١/ ٥٨) والدارس (٢/ ٨٩) .

(٥) ترجمته في الوفيات لابن رافع (٢/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) والدرر الكامنة (٢/ ٣٣٦) والذيل التام (١/ ٢٠٤) وشذرات الذهب (٦/ ٢٠٦) .
وهو كما جاء في « الذيل التام » : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي الحنبلي .

(٦) في ط : البيري وهو تحريف ، وما أثبتناه هو الصواب ، وذلك أنه أسر سنة قازان (٦٩٩)هـ بيد التتار ، وعاد فيما بعد .

(٧) في الوفيات لابن رافع : ثانيه .

وطلبتُ فحضرتُ معهم بسبب المدرسة التَّدمرية ، وقرابة الواقف ودعواهم ، أنه وقف عليهم الثلث ، فوقف الحنبلي في أمْرهِمْ ، ودَافَعَهُمْ عَنْ ذلك أشد الدفاع .

وفي العشر الأول من رجب وُجد جراد كثير منتشر ، ثم تزايد وتراكم وتضاعف وتفاقم الأمر بسببه ، وسدَّ الأرض كثرةً وعاثَ يميناً وشمالاً ، وأفسد شيئاً كثيراً من الكروم والمقاثئ والزُّروعات النفيسة ، وأتْلف للناس شيئاً كثيراً[١] ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الإثنين ثالث شعبان توجه القضاة ووكيل بيت المال إلى باب كَيْسان فوقفوا عليه وعلى هيئته ومن نية نائب السلطنة فتحه ليتفرَّج النَّاسُ به . وعدم للناس غلات كثيرة وأشياء من أنواع الزروع بسبب كثرة الجراد ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فتح باب كَيْسَان[٢] بعد غلقه نحواً من مئتي سنة :

وفي يوم الأربعاء السادس والعشرين من شعبان اجتمع نائب السلطنة والقضاة عند باب كَيْسان ، وشرع الصُّنَّاع في فتحه عن مرسوم السلطان الوارد من الديار المصرية ، وأمر نائب السلطنة وإذن القضاة في ذلك واستُهلَّ رمضان وهم في العمل فيه .

وفي العشر الأخير من شعبان توفي

الشّريف شمس الدين محمد[٣] بن علي بن الحسن بن حمزة الحُسَيْني[٤] المحدِّث المحصِّل ، المؤلِّف لأشياء مهمّة في الحديث[٥] قرأ وسمع وجمع وكتب أسماء الرجال بـ« مسند » الإمام أحمد ، واختصر كتاباً[٦] في أسماء الرجال مفيداً ، وولي مشيخة الحديث التي وقفها في داره بهاء الدين القاسم بن عساكر[٧] ، داخل باب توما .

وخُتِمَت البُخاريَّات في آخر شهر رمضان .

---

(١) الذيل التام (١/ ٢٠٢) .

(٢) الذيل التام (١/ ٢٠١) .
وكَيْسان له صحبة ، وقيل : كان يتجّر في الخمر في زمن النبي ﷺ ، فلما حَرُمت الخمر نهاه النبي ﷺ عن ذلك ، وذكر فيمن نزل حمص من أصحاب رسول الله ﷺ وولده بدمشق وقيل : توفي بحمص ترجمته في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢١/ ٢٢٨) .
وباب كَيْسان مكان كنيسة بولس في دمشق .

(٣) ترجمته في الوفيات لابن رافع (٢/ ٢٩٠) والدرر الكامنة (٤/ ٦١) والذيل التام (١/ ٢٠٥) وفيه : صاحب الذيل على العبر ، وطبقات الحفاظ .

(٤) في ط : الحسني .

(٥) اختصر الأطراف ورتبها على الحروف .

(٦) اختصر تهذيب الكمال للمزِّي .

(٧) هي دار الحديث البهائيّة ، وقد كان الواقف طبيباً بارعاً ، كثير الصدقات . وقد سبق ذكره في وفيات سنة (٧٢٣)هـ .

ووقع بين الشيخ عماد الدين بن السراج قارئ البخاري عند محراب الصحابة ، وبين الشيخ بدر الدين بن الشيخ جمال الدين الشُّريشي ، وتهاترا على رؤوس الأشهاد بسبب لفظة « يبتز » بمعنى يدَّخر ، وفي نسخة يتير ، فحكى ابن السرّاج عن الحافظ المزي أن الصواب « يبتز » من قول العرب : عزَّ بزَّ[1] وصدق في ذلك ، فكأن منازعَه خطَّأ ابنَ المِزِّي ، فانتصر الآخر للحافظ المزِّي ، فقاد منه بالقول ، ثم قام والده الشيخ جمال الدين المشار إليه فكشف رأسه على طريقة الصوفية ، فكأن ابن السَّرَّاج لم يلتفت إليه ، وتدافعوا إلى القاضي الشافعي فانتصر للحافظ المزِّي ، وجرت أمور ثم اصطلحوا غير مرة ، وعزم أولئك على كتْبِ محضرٍ على ابن السراج ، ثم انطفأت تلك الشرور .

وكثر الموت في أثناء شهر رمضان وقاربت العدة مئة ، وربما جاوزت المئة ، وربما كانت أقل منها وهو الغالب ، ومات جماعة من الأصحاب والمعارف ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وكثر الجراد في البساتين ، وعظُم الخطب بسببه ، وأتلف شيئاً كثيراً من الغلات والثمار والخضراوات ، وغلت الأسعار وقلت الثمار ، وارتفعت قيم الأشياء فبيع الدبس بما فوق المئتين القنطار ، والرز بأزيد من ذلك ، وتكامل فتح باب كَيْسان وسموه الباب القبلي ، ووضع الجسر منه إلى الطريق السالكة ، وعرضه أزيد من عشرة أذرع بالنجاري لأجل عمل الباسورة جنبتيه ، ودخلت المارة عليه من المشاة والركبان ، وجاء في غاية الحسن ، وسلك الناس في حارات اليهود ، وانكشف دَخَلُهم وأَمِنَ النَّاسُ من دخنهم وغشهم ومكرهم وخبثهم ، وانفرج الناس بهذا الباب المبارك .

واستهل شوال والجراد قد أتلف شيئاً كثيراً من البلاد ، ورعى الخضراوات والأشجار ، وأوسع أهل الشام في الفساد ، وغلت الأسعار ، واستمرَّ الفناء وكثر الضجيج والبكاء ، وفقدنا كثيراً من الأصحاب والأصدقاء ، فلان مات . وقد تناقص الفناء في هذه المدة وقلَّ الوقع وتناقص للخمسين وفي شهر ذي القعدة تقاصر الفناء ولله الحمد ، ونزل العدد إلى العشرين فما حولها .

وفي رابعه دخل بالفيل والزُّرافة إلى مدينة دمشقَ من القاهرة ، فأنزل في الميدان الأخضر قريباً من القصر الأبلق ، وذهب الناس للنَّظر إليهما على العادة .

وفي يوم الجمعة تاسعه صُلِّي على

الشيخ جمال الدين عبد الصمد[2] بن خليل البغدادي ، المعروف بابن الخُضَري ، محدِّث بغدادَ وواعظها ، كان من أهل السُّنَّة والجماعة رحمه الله انتهى .

---

(١) في ط : يز ، وهو تحريف . وهو إشارة إلى المثل القائل : من عزَّ بزَّ ، أي من غلب سلب .

(٢) ترجمته في الوفيات لابن رافع (٢/ ٢٩٣) ووفاته فيه : في شهر رمضان والدرر الكامنة (٢/ ٣٦٧) وفيه : يعرف بابن الحصري ، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤١٣) والذيل التام (١/ ٢٠٤) وفيه أيضاً : وفي رمضان ببغداد .

تجديد خُطبة ثانية[١] داخل سورِ دمشقَ ولم يتَّفقْ ذلك فيما أعلمُ منذ فُتوحِ الشَّامِ إلى الآن :

اتّفق ذلك في يوم الجمعة الثالث ، ثم تبين أنه الرابع والعشرين من ذي القعدة من هذه السنة بالجامع الذي جَدَّد بناءه نائب الشام سيف الدين مَنْكُلي بُغَا ، بدرب البَلاغة[٢] قبلي مسجد درب الحجَر ، داخل باب كَيْسان المجدَّد فتحُه في هذا الحين كما تقدَّم ، وهو معروف عند العامة بمسجد الشَّاذوري ، وإنما هو في « تاريخ » ابن عساكر مسجد الشهرزوري[٣] ، وكان المسجد رثَّ الهيئة ، قد تقادم عهده مدة دهر ، وهُجر فلا يدخله أحد من الناس إلا قليل ، فوسّعه من قبليّه وسقفَه جديداً ، وجعل له صرحة شمالية مبلطة ، ورواقات على هيئة الجوامع ، والداخل بأبوابه على العادة ، وداخل ذلك رواق كبير له جناحان شرقي وغربي ، بأعمدة وقناطر ، وقد كان قديماً كنيسة فأخذت منهم قبل الخمسمئة ، وعُملت مسجداً ، فلم يزل كذلك إلى هذا الحين ، فلما كَمُل كما ذكرنا وسيق إليه الماء من القنوات ، ووضع فيه منبر مستعمل كذلك ، فيومئذ ركب نائب السلطنة ودخل البلد من باب كَيْسان وانعطف على حارة اليهود حتى انتهى إلى الجامع المذكور ، وقد استكف الناس عنده من قضاة وأعيان وخاصّة وعامّة ، وقد عين لخطابته الشيخ صدر الدين بن منصور الحنفي ، مدرس النَّجيبيَّة[٤] وإمام الحنفية بالجامع الأموي ، فلمَّا أذَّن الأذان الأول تعذر عليه الخروج من بيت الخطابة ، قيل لمرض عرض له ، وقيل لغير ذلك من حصر أو نحوه ، فخطب النَّاس يومئذ قاضي القضاة جمال الدين[٥] الحنفي الكفري ، خدمة لنائب السلطنة .

واستهل شهر ذي الحجَّة وقد رفع الله الوباء عن دمشقَ وله الحمد والمنة . وأهل البلد يموتون على العادة ولا يمرض أحد بتلك العلَّة ، ولكن المرض المعتاد ، انتهى .

ثم دخلت سنة ست وستين وسبعمئة

استهلَّت هذه السنة والسلطان الملك الأشرف ناصر الدين شعبان ، والدولة بمصر والشام هم هم .

ودخل المحمل السلطاني صبيحة يوم الإثنين الرابع والعشرين منه ، وذكروا أنهم نالهم في الرجعة شدة شديدة من الغلاء وموت الجمال وهرب الجمَّالين ، وقدم مع الركب ممَّن خرج من الديار المصرية

---

(١) الذيل التام (١/ ٢٠١) .
(٢) في ط : البياعة ، والتصويب من الدارس (٢/ ٣١٧) .
(٣) انظر « الدارس » (٢/ ٣١٧) . وفيه : هو مسجد كبير كان قديماً كنيسة لليهود ثم جُعل مسجداً .
(٤) في ط : الناجية وهو تحريف .
(٥) هو يوسف بن أحمد . مرَّ كثيراً ووفاته سنة (٧٦٦)هـ .

قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح[١] ، وقد سبقه التقليد بقضاء القضاة مع خالِهِ[٢] تاج الدين[٣] يحكم فيما يحكم فيه مستقلاً معه ومنفرداً بعده .

وفي شهر الله المحرم رسم نائب السلطنة بتخريب قريتين من وادي التيم وهما مَشْغَرا[٤] وتلفياثا[٥] ، وسبب ذلك أنهما عاصيتان وأهلهما مفسدون في الأرض ، والبلدان والأرض حصينة لا يصل إليهما إلا بكلفة كثيرة لا يرتقي إليهما إلا فارس فارس ، فخربتا وعُمر بدلهما في أسفل الوادي ، بحيث يصل إليهما حكم الحاكم والطلب بسهولة ، فأخبرني الملك صلاح الدين بن الكامل أن بلدة تلفياثا عمل فيها ألف فارس ، ونقل نقضها إلى أسفل الوادي خمسمئة حمار عدَّة أيام .

وفي يوم الجمعة سادس صفر بعد الصَّلاة صُلِّي على

قاضي القضاة جمال الدين يوسف[٦] ابن قاضي القضاة شرف الدين أحمد ابن أقضى القضاة ابن الحُسَين الكَفْري[٧] الحنفي ، وكانت وفاته ليلة الجمعة المذكورة بعد مرض قريب من شهر ، وقد جاوز الأربعين بثلاث من السنين ، وُلِّيَ قضاء قضاة الحنفية ، وخطب بجامع يَلْبُغَا ، وأحضر مشيخة النفيسيّة[٨] ، ودرَّس بأماكن من مدارس الحنفية ، وهو أول من خطب بالجامع المستجد داخل باب كَيْسَان بحضرة نائب السلطنة .

وفي صفر كانت وفاة

الشيخ جمال الدين عمر[٩] بن القاضي عبد المُحْسن[١٠] بن إدريس الحنبلي محتسب بغداد ، وقاضي الحنابلة بها ، فتعصَّبت عليه الرَّوافض حتى ضُرب بين يدي الوزارة ضرباً مبرحاً ، كان سبب موته سريعاً رحمه الله ، وكان من القائمين بالحق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، من أكبر المنكرين على الرّوافض وغيرهم من أهل البدع رحمه الله ، وبلَّ بالرحمة ثراه .

---

(١) هو : محمد بن محمد بن عبد اللطيف السُّبكي وذكر من قبل غير مرّة .
(٢) في ط : خالد وهو تحريف .
(٣) عبد الوهاب بن علي ، ذكر من قبل غير مرّة .
(٤) في ياقوت : مَشْغَرى .
(٥) في ط : تلبياثا . وأثبتنا ما في الدارس (٢/ ٣٦٨) وكذلك هي في ياقوت .
(٦) ترجمته في الوفيات لابن رافع (٢/ ٢٩٧) والدرر الكامنة (٤/ ٤٤٦) والنجوم الزاهرة (١١/ ٨٦) والذيل التام (١/ ٢٠٩) .
(٧) في ط : المزّي . وهو توهم .
(٨) هي دار حديث قبلي المارستان الدقاقي . الدارس (١/ ١١٤) .
(٩) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٧٣) .
(١٠) في ط : عبد الحي وأثبتنا ما في الدرر الكامنة .

وفي يوم الأربعاء تاسع صفر حضر مشيخة النَّفيسيَّة الشيخ شمس الدين بن سَنَد[١] ، وحضر عند قاضي القضاة تاج الدين[٢] وجماعة من الأعيان ، وأورد حديث عبادة بن الصامت « لا صلاة لِمَنْ لَمْ يَقْرأ بفاتحة الكِتَاب »[٣] أسنده عن قاضي القضاة المشار إليه .

وجاء البريد من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة تاج الدين إلى هناك ؛ فسيَّر أهله قبله على الجمال ، وخرجوا يوم الجمعة حادي عشر ربيع الأول جماعة من أهل بيتهم لزيارة أهاليهم هناك ، فأقام هو بعدهم إلى أن قدم نائب السلطنة من الرّحبة وركب على البريد . وفي يوم الإثنين خامس عشر جمادى الآخرة رجع قاضي القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على البريد وتلقَّاه الناس إلى أثناء الطريق ، واحتفلوا للسَّلام عليه وتهنئته بالسلامة انتهى . والله أعلم .

قتل الرافضي الخبيث :

وفي يوم الخميس سابع عشره أول النهار وجد رجل بالجامع الأموي اسمه محمود بن إبراهيم الشِّيرازي ، وهو يسبُّ الشيخين ويصرّح بلعنتهما ، فرُفع إلى القاضي المالكي قاضي القضاة جمال الدين المسلاَّتي فاستتابه عن ذلك ، وأُحضر الضُّرَّاب ، فأوَّل ضربة قال : لا إله إلا الله ، علي ولي الله ، ولما ضُرب الثَّانية لعن أبا بكر وعمر ، فالتهمه العامّة فأوسعوه ضرباً مبرحاً بحيث كاد يهلك ، فجعل القاضي يستكفُّهم عنه فلم يستطع ذلك ، فجعل الرَّافضي يسب ويلعن الصَّحابة ، وقال : كانوا على الضَّلال ؛ فعند ذلك حُمل إلى نائب السلطنة ، وشهد عليه قوله بأنَّهم كانوا على الضلالة ، فعند ذلك حكم عليه القاضي بإراقة دمه ، فأخذ إلى ظاهر البلد فضربت عنقه وأحرقته العامة قبَّحه الله ، وكان ممَّن يقرأ بمدرسة أبي عُمَر ، ثم ظهر عليه الرَّفض فسجنه الحنبلي أربعين يوماً ، فلم ينفع ذلك ، وما زال يصرِّحُ في كل موطن يمرُّ[٤] فيه بالسبِّ حتَّى كان يومه هذا ، أظهر مذهبه في الجامع ، وكان سببَ قتله قبّحه الله كما قبّح من كان قبله ، وقُتل كقتله في سنة خمسٍ وخمسين[٥] .

---

(١) هو : الحافظ الواعظ الشمس محمد بن موسى بن محمد بن سند اللخمي الدمشقي . مات سنة (٧٩٢)هـ . الذيل التام (١/٣٥٨) .

(٢) هو : عبد الوهاب السُّبكي .

(٣) رواه البخاري رقم (٧٥٦) في صفة الصلاة ، باب : وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلّها .
ورواه مسلم أيضاً رقم (٣٩٤) في الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة . من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٤) في ط : يأمر .

(٥) وهو : علي بن أبي الفضل بن محمد بن حسين ، قتل سنة (٧٥٥)هـ .

استنابة ولي الدين بن بهاء الدين أبي البقاء السُّبكي :

وفي آخر هذا اليوم ـ أعني يوم الخميس ثامن عشره ـ حكم أقضى القضاة ولي الدين[١] ابن قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البقاء بالمدرسة العادليَّة الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة تاج الدين مع استنابة أقضى القضاة شمس الدين[٢] الغزّي ، وأقضى القضاة بدر الدين بن وهبة[٣] ، وأما قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح فهو نائب أيضاً ، ولكنه بتوقيع شريف أنَّه يحكم مستقلاًّ مع قاضي القضاة تاج الدين .

وفي يوم الإثنين الثاني والعشرين منه استحضر نائب السلطنة الأمير ناصر الدين بن العاوي متولّي البلد ونقم عليه أشياء ، وأمر بضربه ، فضُرب بين يديه على أكتافه ضرباً ليس بمبرح ، ثم عزله واستدعى بالأمير علم الدين سُلَيْمان أحد الأمراء العشراوات ابن الأمير صفيّ الدين بن أبي القاسم البُصْراوي ، أحد أمراء الطبلخانات ، كان قد ولي شد الدواوين ونظر القدس والخليل وغير ذلك من الولايات الكبار ، وهو ابن الشيخ فخر الدين عثمان بن الشيخ صفي الدين أبي القاسم التميمي الحنفي . وبأيديهم تدريس الأمينيَّة التي ببُصْرىٰ والحكيمية أزيد من مئة سنة ، فولاه البلد على تكرُّه منه ، فألزمه بها وخلع عليه ، وقد كان وليها قبل ذلك فأحسن السيرة ، وشُكر سعيه لديانته وأمانته وعفَّته ، وفرح الناس ولله الحمد .

ولاية قاضي القضاة بهاء الدين السبكي قضاء مصر بعد عزل عز الدين بن جماعة نفسه[٤] :

ورد الخبر مع البريد من الدّيار المصرية بأن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة عزل نفسه عن القضاء يوم الإثنين السادسَ عشرَ من هذا الشهر ، وصمَّم على ذلك ، فبعث الأمير الكبير يَلْبُغا إليه الأمراء يسترضونه فلم يقبل ، فركب إليه بنفسه ومعه القضاة والأعيان فتلطَّفوا به فلم يقبل وصمَّم على الانعزال ، فقال له الأمير الكبير : فعيِّن لنا من يصلح بعدك . قال : ولا أقول لكم شيئاً غير أنه لا يتولَّى رجل واحد ، ثم ولُّوا من شئتم ، فأخبرني قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي أنه قال : لا تولُّوا ابنَ عقيل، فعين الأمير الكبير قاضي القضاة بهاء الدين أبا البقاء، فقيل: إنه أظهر الامتناع، ثم قبل ولبس الخلعة.

وباشر يوم الإثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، وتولَّى قاضي القضاة الشيخ بهاء الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي قضاء العساكر الذي كان بيد أبي البقاء .

وفي يوم الإثنين سابع رجب توفي

---

(١) هو : أبو ذر عبد الله بن محمد بن عبد البر . مات سنة (٧٨٥)هـ . الذيل التام (١/ ٣٢٨) .

(٢) هو : محمد بن خلف بن كامل بن عطاء الله الغزّي ثم الدمشقي الشافعي . مات سنة (٧٧٠)هـ الذيل التام (١/ ٢٣٥) .

(٣) في ط : وهيبة .

(٤) الدرر الكامنة (٢/ ٣٨١) النجوم الزاهرة (١١/ ٢٨) الذيل التام (١/ ٢٠٧) .

الشيخ علي[١] المراوحي خادم الشيخ أسد المراوحي البغدادي ، وكان فيه مروءة كثيرة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدخل على النواب ويرسل إلى الولاة فتقبل رسالته ، وله قبول عند الناس ، وفيه بر وصدقة وإحسان إلى المحاويج[٢] ، وبيده مال جيد يتَّجر له فيه ، تعلَّل مدة طويلة ثم كانت وفاته في هذا اليوم فصلِّيَ عليه الظهر بالجامع ، ثم حُمل إلى سفح قاسيون رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بَيْدَمُر الذي كان نائب الشام فنزل بداره عند مئذنة فيروز ، وذهب الناس للسّلام عليه بعد ما سلَّم على نائب السلطنة بدار السعادة ، وقد رُسم له بطبلخانتين وتقدمة ألف وولاية الولاة من غَزَّة إلى أقصى بلاد الشام ، وأكرمه ملك الأمراء إكراماً زائداً ، وفرحت العامة بذلك فرحاً شديداً بعَوده إلى الولاية[٣] .

وخُتمت « البخاريات » بالجامع الأموي وغيره في عدة أماكن من ذلك ستة مواعيد ، تقرأ على الشيخ عماد الدين ابن كثير في اليوم ، أولها بمسجد ابن هشام بكرةً قبل طلوع الشمس ، ثم تحت النَّسر ، ثم بالمدرسة النُّورية ، وبعد الظهر بجامع تَنْكِز ، ثم بالمدرسة العزِّيّة ، ثم بالكوشك لأم الزوجة الست أسماء بنت الوزير ابن السَّلْعوس ، إلى أذان العصر ، ثم من بعد العصر بدار ملك الأمراء أمير علي بمحلَّة القصَّاعين إلى قريب الغروب ، ويقرأ « صحيح مسلم » بمحراب الحنابلة داخل باب الزِّيادة بعد قبة النَّسر وقبل النورية ، والله المسؤول وهو المعين الميسِّر المسهِّل . وقد قرئ في هذه الهيئة في عدة أماكن أُخر من دور الأمراء وغيرهم ، ولم يعهد مثل هذا في السنين الماضية ، فلله الحمد والمنة .

وفي يوم الثلاثاء عاشر شوال توفي

الشيخ نور الدين علي[٤] بن أبي الهيجاء الكَرَكي الشَّوْبَكيّ ، ثم الدمشقي الشافعي ، كان معنا في المقرئ والكتَّاب ، وختمت أنا وهو في سنة إحدى عشرة ، ونشأ في صيانة وعفاف ، وقرأ على الشيخ بدر الدين بن سيحان للسبع ، ولم يكمل عليه ختمة ، واشتغل في « المنهاج » للنَّواوي فقرأ كثيراً منه أو أكثره ، وكان ينقل منه ويستحضر ، وكان خفيف الروح ، تحبُّه الناس لذلك ، ويرغبون في عشرته لذلك رحمه الله ، وكان يستحضر المتشابه في القرآن استحضاراً حسناً متقناً كثير التلاوة له ، حسنَ الصَّلاة يقومُ اللّيل ، وقرأ عليَّ « صحيح البخاري » بمشهد ابن هشام عدَّة سنين ، ومهر فيه ، وكان صوته جَهْورياً فصيح العبارة ، ثم وُلّي مشيخة الحلبيّة بالجامع ، وقرأ في عدة كراسي بالحائط الشمالي ، وكان مقبولاً

(١) ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ١٤٥) وفيه : البراوحي .
(٢) يعني : المحتاجين .
(٣) الدرر الكامنة (١/ ٥١٣) .
(٤) ترجمته في : الدرر الكامنة (٣/ ١٠) وفيه : علي بن إبراهيم بن أبي الهيجاء . . .

عند الخاصة والعامة ، وكان يداوم على قيام العشر الأخير في محراب الصّحابة مع عدة قرّاء يبيتون فيه ويُحيون الليل ، ولما كان في هذه السنة أحيا ليلة العيد وحده بالمحراب المذكور ثم مرض خمسة أيام ، ثم مات بعد الظهر يوم الثلاثاء عاشر شوال بدرب العميد ، وصُلِّيَ عليه العصر بالجامع الأموي ، ودُفن بمقابر الباب الصغير عند والده في تربة لهم ، وكانت جنازته حافلة وتأسَّف النَّاسُ عليه ، رحمه الله وبلّ بالرحمة ثراه ، وقد قارب خمساً وستين سنة ، وترك بنتاً سباعية اسمها عائشة ، وقد أقرأها شيئاً من القرآن إلى تبارك ، وحفَّظها « الأربعين » النواوية جبرها ربُّها ورحم أباها آمين .

وخرج المحمل الشّامي والحجيجُ يوم الخميس ثاني عشره ، وأميرهم الأمير علاء الدين علي بن علَم الدين الهلالي ، أحد أمراء الطبلخانات .

وتوفي

الشيخ عبد الله الملطي[١] يوم السبت رابع عشره ، وكان مشهوراً بالمجاورة بالكلاسة في الجامع الأموي ، له أشياء كثيرة من الطراريح والآلات الفقرية ، ويلبس على طريقة الحريرية ، وشكله مزعج ، ومن الناس من كان يعتقد فيه الصلاح ، وكنت ممن يكرهُهُ طبعاً وشرعاً أيضاً .

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة[٢] قدم البريد من ناحية المشرق ومعهم قماقم ماءٍ من عينٍ هناك من خاصيَّتِه أنَّه يتبعه طير يسمى السَّمَرْمَر أصفر الريش قريب من شكل الخطَّاف من شأنه إذا قدم الجراد إلى البلد الذي هو فيه أنه يفنيه ويأكله أكلاً سريعاً ، فلا يلبث الجراد إلا قليلاً حتى يرحل أو يؤكل على ما ذكر ، ولم أشاهد ذلك .

وفي المنتصف من ذي الحجة كمل بناء القيسارية التي كانت معملاً بالقرب من دار الحجارة ، قبلي سوق الدهشة الذي للرجال ، وفتحت وأُكريت دهشة لقماش النساء ، وذلك كله بمرسوم ملك الأمراء ناظر الجامع المعمور رحمه الله ، وأخبرني الصدر عز الدين الصَّيرفي المشارف بالجامع أنه غرم عليها من مال الجامع قريب ثلاثين ألف درهم انتهى .

طرح مكس القطن المغزول البلدي والمجلوب[٣] :

وفي أواخر هذا الشهر جاء المرسوم الشريف بطرح مكس القطن المغزول البلدي والجلب أيضاً، ونودي بذلك في البلد ، فكثرت الدعوات لمن أمر بذلك ، وفرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ولله الحمد والمنة .

---

(١) لم أقع له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر .
(٢) في ذي الحجة في بدائع الزهور (٢/ ١٩) .
(٣) الذيل التام (١/ ٢٠٨) .

ثم دخلت سنة سبع وستين وسبعمئة

استهلَّت وسلطان البلاد المصرية والشَّامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك من الأقاليم الملك الأشرف بن الحُسَين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعمره عشر سنين فما فوقها ، وأتابك العساكر ومدبر ممالكه الأمير سيف الدين يَلْبُغَا الخاصكي .

وقاضي قضاة الشافعية بمصر بهاء الدين أبو البقاء السُّبكي ، وبقية القضاة هم المذكورون في السنة الماضية .

ونائب دمشق الأمير سيف الدين مَنْكُلي بُغَا ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها سوى الحنفي فإنه الشيخ جمال الدين بن السرّاج شيخ الحنفية ، والخطابة بيد قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ، وكاتب السر وشيخ الشيوخ القاضي فتح الدِّين بن الشَّهيد ، ووكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الرُّهَاويّ .

ودخل المحمل السلطاني يوم الجمعة بعد العصر قريب الغروب ، ولم يشعر بذلك أكثر أهل البلد ، وذلك لغيبة النَّائب في السرحة ممَّا يلي ناحية الفرات ، ليكون كالرد للتَّجريدة التي تعيَّنت لتخريب الكبيسات التي هي إقطاع حيار بن مهنا من زمن السلطان أُوَيْس ملك العراق انتهى .

استيلاء الفرنج لعنهم الله على الإسكندرية[١] :

وفي العشر الأخير من شهر المحرم احتيط على الفرنج بمدينة دمشق ، وأُودعوا في الحبوس في القلعة المنصورة ، واشتُهر أنَّ سبب ذلك أن مدينة الإسكندرية محاصرة بعدة شواين ، وذكر أن صاحب قبرص معهم ، وأن الجيش المصري صمدوا إلى حراسة مدينة الإسكندرية حرسها الله تعالى وصانها وحماها ، وسيأتي تفصيل أمرها في الشهر الآتي ، فإنه وضح لنا فيه ، ومكث القوم بعد الإسكندرية بأيام فيما بلغنا ، بعد ذلك حاصرها أمير من التتار يقال له ماميه[٢] ، واستعان بطائفة من الفرنج ففتحوها قسراً ، وقتلوا من أهلها خلقاً وغنموا شيئاً كثيراً واستقرت عليها يد ماميه ملكاً عليها .

وفي يوم الجمعة سلخ هذا الشهر توفي

الشيخ برهان الدين إبراهيم[٣] بن الشيخ شمس الدين ابن قيّم الجوزية ببستانه بالمِزَّة ، ونقل إلى عند

---

(١) ابن خلدون (٥/ ٤٥٤) النجوم الزاهرة (١١/ ٢٩) الذيل التام (١/ ٢١٠) .

(٢) لم أقع له على ذكر فيما بين يديّ من المصادر .

(٣) ترجمته في الوفيات لابن رافع (٢/ ٣٠٣) والدرر الكامنة والذيل التام (١/ ٢١٤) و(١/ ٥٨) والسحب الوابلة لابن حميد ص(٣٠) .

والده بمقابر باب الصغير ، فصليّ عليه بعد صلاة العصر بجامع جرَّاح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان وخلق من التجار والعامة ، وكانت جنازته حافلة ، وقد بلغ من العمر ثمانياً وأربعين سنة ، وكان بارعاً فاضلاً في النَّحو والفقه وفنون أُخر على طريقة والده رحمهما الله تعالى ، وكان مدرِّساً بالصَّدرية والتَّدمرية ، وله تصدير بالجامع ، وخطابة بجامع ابن صلحان ، وترك مالاً جزيلاً يقارب المئة ألف درهم ، انتهى .

ثم دخل شهر صفر وأوله الجمعة ، أخبرني بعض علماء السير أنه اجتمع في هذا اليوم ـ يوم الجمعة مستهل هذا الشهر ـ الكواكب السبعة سوى المرِّيخ في برج العقرب ، ولم يتفق مثل هذا من سنين متطاولة ، فأما المرِّيخ فإنه كان قد سبق إلى برج القوس فيه ، ووردت الأخبار بما وقع من الأمر الفظيع بمدينة الإسكندرية من الفرنج لعنهم الله ، وذلك أنهم وصلوا إليها في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر الله المحرم ، فلم يجدوا بها نائباً[(١)] ولا جيشاً ، ولا حافظاً للبحر ولا ناصراً ، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار بعدما حرقوا أبواباً كبيرة منها ، وعاثوا في أهلها فساداً ، يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ويأسرون النّساء والأطفال ، فالحكم لله العلي الكبير المتعال . وأقاموا بها يوم الجمعة والسبت والأحد والإثنين والثلاثاء ، فلما كان صبيحة يوم الأربعاء قدم الشاليش المصري ، فأقلعت الفرنج لعنهم الله عنها ، وقد أسروا خلقاً كثيراً يقاومون أربعة الآلاف[(٢)] ، وأخذوا من الأموال ذهباً وحريراً وبهاراً وغير ذلك ما لا يُحدُّ ولا يوصف . وقدم السلطان والأمير الكبير يَلْبُغَا ظهر يومئذ ، وقد تفارط الحال وتحولت الغنائم كلها إلى الشَّوائن بالبحر ، فسمع للأسارى من العويل والبكاء والشكوى والجأر إلى الله والاستغاثة به وبالمسلمين ما قطع الأكباد ، وذرفت له العيون وأصم الأسماع ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما بلغت الأخبار إلى أهل دمشق شقَّ عليهم ذلك جداً ، وذكر ذلك الخطيبُ يوم الجمعة على المنبر فتباكى [الناس] كثيراً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى نائب السلطنة بمسك النَّصارى من الشام جملة واحدة ، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم لعمارة ما خرب من الإسكندرية ، ولعمارة مراكب تغزو الفرنج ، فأهانوا النصارى وطُلبوا من بيوتهم بعنف وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا ما يراد بهم ، فهربوا كل مهرب ، ولم تكن هذه الحركة شرعية ، ولا يجوز اعتمادها شرعاً .

وقد طلبتُ يوم السبت السادسَ عشرَ من صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة ، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ بعد الفراغ من لعب الكرة ، فرأيت منه أنساً كثيراً ، ورأيته كامل الرأي والفهم ، حسن العبارة كريم المجالسة ، فذكرت له أن هذا لا يجوز اعتماده في النَّصارىٰ ، فقال إن بعض فقهاء مصر

---

(١) نائبها خليل بن عرّام . كان يؤدّي الفريضة . ابن خلدون (٥/ ٤٥٤) .
(٢) في ط : الأربعة آلاف .

أفتى للأمير الكبير بذلك ، فقلت له : هذا ممَّا لا يسوَّغ شرعاً ، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا ، ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدُّون إلينا الجزية ملتزمين بالذِّلة والصَّغار ، وأحكامُ الملَّة قائمة ، لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم ـ الواحد ـ فوق ما يبذلونه من الجزية ، ومثل هذا لا يخفى على الأمير فقال : كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ولا يمكنني أن أخالفه ؟ وذكرت له أشياء كثيرة مما ينبغي اعتماده في حق أهل قبرص من الإرهاب ووعيد العقاب ، وأنه يجوز ذلك وإن لم يفعل ما يتوعدهم به ، كما قال سُليمان بن داود عليهما السَّلام : « ائتُوني بالسِّكِّين أَشُقُّه نصفَيْن »[١] كما هو الحديث مبسوط في « الصحيحين » ، فجعل يعجبه هذا جداً ، وذكر أن هذا كان في قلبه وأني كاشفتُه بهذا ، وأنه كتب به مطالعة إلى الديار المصرية ، وسيأتي جوابها بعد عشرة أيام ، فتجيء حتى تقف على الجواب ، وظهر منه إحسان وقبول وإكرام زائد رحمه الله : ثم اجتمعت به في دار السعادة في أوائل شهر ربيع الأول فبشَّرني أنَّه قد رُسم بعمل الشَّواني والمراكب لغزو الفرنج ولله الحمد والمنة .

ثم في صبيحة يوم الأحد طلب النصارى الذين اجتمعوا في كنيستهم إلى بين يديه وهم قريب من أربعمئة فحلَّفهم كم أموالهم، وألزمهم بأداء الربع من أموالهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقد أمروا إلى الولاة بإحضار من في معاملتهم ، ووالي البر قد خرج إلى القرايا بسبب ذلك ، وجرّدت أمراء إلى النواحي لاستخلاص الأموال من النَّصارى في القدس وغير ذلك .

وفي أول شهر ربيع الأول كان سفر قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي الشافعي إلى القاهرة . وفي يوم الأربعاء خامس ربيع الأول اجتمعت بنائب السلطنة بدار السعادة ، وسألتُه عن جواب المطالعة ، فذكر لي أنه جاء المرسوم الشريف السلطاني بعمل الشَّواني والمراكب لغزو قبرص ، وقتال الفرنج ولله الحمد والمنة .

وأمر نائب السلطنة بتجهيز القطَّاعين والنشَّارين من دمشق إلى الغابة التي بالقرب من بيروت[٢] ، وأن يُشرع في عمل الشَّواني في آخر يوم من هذا الشهر ، وهو يوم الجمعة .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٧٦٩) في الفرائض باب : إذا ادَّعت المرأة ابناً ورقم (٣٤٢٧) . ورواه مسلم أيضاً رقم (١٧٢٠) في الأقضية ، باب : بيان اختلاف المجتهدين . ولفظه في البخاري :
عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « كانت امرأتان معهما ابناهُمَا ، جاء الذئب ، فذهب بابن إحداهما ، فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك ، فتحاكمتا إلى داود عليه السّلام ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه ، فقال : ائتُوني بالسِّكين أشقُّه بينهما . فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها ، فقضى به للصّغرى » قال أبو هريرة : والله إن سمعتُ بالسكّين قطُّ إلا يومئذ ، وما كنّا نقول إلا المدية .

(٢) في النجوم الزاهرة (١١/ ٣٠) : إلى جبل شغلان بالقرب من مدينة أنطاكية .

وفتحت دار القرآن التي وقفها الشريف التعاداني إلى جانب حمَّام الكاس ، شمالي المدرسة البادرائية ، وعمل فيها وظيفة حديث وحضر واقفها يومية قاضي القضاة تاج الدين السبكي انتهى والله أعلم .

عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج الدين السُّبكي(١) :

ولما كان يوم الإثنين العشرين من ربيع الأول عقد مجلس حافل بدار السعادة بسبب ما رمي به قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ابن قاضي القضاة تقي السُّبكي ، وكنت ممّن طُلب إليه ، فحضرته فيمن حضر ، وقد اجتمع فيه القضاة الثلاثة ، وخلق من المذاهب الأربعة ، وآخرون من غيرهم ، بحضرة نائب الشام سيف الدين مُنْكلي بُغَا ، وكان قد سافر هو إلى الديار المصرية إلى الأبواب الشريفة ، واستنجز كتاباً إلى نائب السَّلطنة لجمع هذا المجلس ليسأل عنه الناس ، وكان قد كتب فيه محضران متعاكسان أحدهما له والآخر عليه ، وفي الذي عليه خط القاضيين المالكي والحنبلي ، وجماعة آخرين ، وفيه عظائم وأشياء منكرة جداً ينبو السَّمع عن استماعه . وفي الآخر خطوط جماعات من المذاهب بالثَّناء عليه ، وفيه خطي بأني ما رأيتُ فيه إلا خيراً . ولما اجتمعوا أمر نائب السلطنة بأن يمتاز هؤلاء عن هؤلاء في المجالس ، فصارت كل طائفة وحدها ، وتحاذوا فيما بينهم ، وتأصَّل عنه نائبه القاضي شمس الدين الغزي ، والنائب الآخر بدر الدين بن وهبة وغيرهما ، وصرح قاضي القضاة جمال الدين الحنبلي بأنه قد ثبت عنده ما كتب به خطه فيه ، وأجابه بعض الحاضرين منهم بدائم النفوذ ، فبادر القاضي الغزي فقال للحنبلي : أنت قد ثبتت عداوتك لقاضي القضاة تاج الدين ، فكثُر القول وارتفعت الأصوات وكثُر الجدال والمقال ، وتكلم قاضي القضاة جمال الدين المالكي أيضاً بنحو ما قال الحنبلي ، فأجيب بمثل ذلك أيضاً ، وطال المجلس فانفصلوا على مثل ذلك ، ولمَّا بلغتُ البابَ أمر نائب السلطنة برجوعي إليه ، فإذا بقية الناس من الطرفين والقضاة الثلاثة جلوس ، فأشار نائب السَّلطنة بالصلح بينهم وبين قاضي القضاة تاج الدين ـ يعني وأن يرجع القاضيان عما قالا ـ فأشار الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل وأشرت أنا أيضاً بذلك ، فلان المالكي وامتنع الحنبلي ، فقمنا والأمر باقٍ على ما تقدم ، ثم اجتمعنا يوم الجمعة بعد العصر عند نائب السلطنة عن طلبه ، فتراضوا كيف يكون جواب الكتابات مع مطالعة نائب السلطنة ، ففعل ذلك ، وسار البريد بذلك إلى الديار المصرية ، ثم اجتمعنا أيضاً يوم الجمعة بعد الصلاة التاسعَ عشرَ من ربيع الآخر بدار السعادة ، وحضر القضاة الثلاثة وجماعة آخرون ، واجتهد نائب السلطنة على الصُّلح بين القضاة وقاضي الشافعية وهو بمصرَ ، فحصل خلف وكلام طويل ، ثم كان الأمر أن سكنت أنفس جماعة منهم إلى ذلك على ما سنذكره في الشهر الآتي .

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٦) وفيه : وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة . والدارس (١/ ٣٧) .

وفي مستهل ربيع الآخر كانت وفاة المعلِّم داود[١] الذي كان مباشراً لنظارة الجيش ، وأُضيف إليه نظر الدواوين إلى آخر وقت ، فاجتمع له هاتان الوظيفتان ، ولم يجتمعا لأحد قبله كما في علمي ، وكان من أخبر النَّاس بنظر الجيش وأعلمهم بأسماء رجاله ، ومواضع الإقطاعات ، وقد كان والده نائباً لنظَّار الجيوش ، وكان يهودياً قرائياً ، فأسلم ولده هذا قبل وفاة نفسه بسنوات عشر أو نحوها ، وقد كان ظاهره جيداً والله أعلم بسرِّه وسريرته ، وقد تمرَّض قبل وفاته بشهر أو نحوه ، حتى كانت وفاته في هذا اليوم ، فصُلِّيَ عليه بالجامع الأموي تجاه النَّسر بعد العصر ، ثم حُمل إلى تربة له أعدها في بستانه بحوش ، وله من العمر قريب الخمسين .

وفي أوائل هذا الشهر ورد المرسوم الشريف السلطاني بالردّ على نساء النصارى ما كان أخذ منهنَّ مع الجباية التي كان تقدم أخذها منهن ، وإن كان الجميع ظلماً ، ولكن الأخذ من النساء أفحش وأبلغ في الظلم ، والله أعلم .

وفي يوم الإثنين الخامسَ عشرَ منه أمر نائب السلطنة أعزه الله بكبس بساتين أهل الذمة فوجد فيها من الخمر المعتصر في الخوابي والحُبَاب[٢] فأريقت عن آخرها ولله الحمد والمنة ، بحيث جرت في الأزقَّة والطرقات .

وفاض نهر تُورَا[٣] من ذلك ، وأمر بمصادرة أهل الذمة الذين وجد عندهم ذلك بمال جزيل ، وهم تحت الجباية ، وبعد أيام نودي في البلد بأن نساء أهل الذمة لا تدخل الحمَّامات مع المسلمات ، بل تدخل حمَّامات تختصُّ بهن ، ومن دخل من أهل الذمة الرجال مع الرجال المسلمين يكون في رقاب الكفار علامات يُعرفون بها من أجراس وخواتيم . ونحو ذلك ، وأمر نساء أهل الذمة بأن تلبس المرأة خفَّيها مخالفَين في اللَّون بأن يكون أحدهما أبيض والآخر أصفر أو نحو ذلك .

ولما كان يوم الجمعة التاسعَ عشرَ من الشهر ـ أعني ربيع الآخر ـ طلب القضاة الثلاثة وجماعة من المفتين : فمن ناحية الشافعي نائباه ، وهما القاضي شمس الدين الغَزِّي والقاضي بدر الدين بن وهبة ، والشيخ جمال الدين ابن قاضي الزَّبداني ، والمصنِّف الشيخ عماد الدين بن كثير والشيخ بدر الدين حسن الزُّرَعي ، والشيخ تقي الدين الفارقي . ومن الجانب الآخر قاضيا القضاة جمال الدين المالكي والحنبلي ، والشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي ، والشيخ جمال الدين بن الشُّرَيشي[٤] ، والشيخ عز الدين بن حمزة ابن شيخ السَّلامية الحنبلي ، وعماد الدين الحنائي ، فاجتمعت مع نائب السلطنة بالقاعة

---

(١) لم أقع له على ترجمة فيما بين يديّ من المصادر .

(٢) « الحُباب » : ج حُبّ وهو الجرَّة الضخمة القاموس المحيط (الحُبُ) .

(٣) في ط : توزا وهو تحريف .

(٤) في ط : الشريشني وهو تحريف ، وقد صححته كثيراً دونما إشارة لذلك .

التي في صدر إيوان دار السعادة ، وجلس نائب السلطنة في صدر المكان ، وجلسنا حوله ، فكان أول ما قال : كنَّا نحنُ التركَ وغيرنا إذا اختلفنا واختصمنا نجيء بالعلماء فيصلحون بيننا ، فصرنا نحن إذا اختلفت العلماء واختصموا فمن يُصلح بينهم؟ وشرع في تأنيب من شنَّع على الشافعي بما تقدم ذكرُه من تلك الأقوال والأفاعيل التي كتبت في تلك الأوراق وغيرها ، وأن هذا يشفي الأعداء بنا ، وأشار بالصُّلح بين القضاة بعضهم من بعض ، فصمَّم بعضهم وامتنع ، وجرت مناقشات من بعض الحاضرين فيما بينهم ، ثم حصل بحثٌ في مسائل ، ثم قال نائب السلطنة أخيراً : أما سمعتم قول الله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ ﴾ [المائدة : ٩٥] فلانت القلوب عند ذلك ، وأمر كاتب السر أن يكتبَ مضمون ذلك في مطالعة إلى الديار المصرية ، ثم خرجنا على ذلك انتهى والله أعلم[١] .

عودة قاضي القضاة السُّبكي إلى دمشقَ[٢] :

في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم من ناحية الكُسْوة وقد تلقّاه جماعة من الأعيان إلى الصّنمين[٣] وما فوقها ، فلما وصل إلى الكُسْوة كثر الناس جداً ، وقاربها قاضي قضاة الحنفية الشيخ جمال الدين بن السَّرَّاج ، فلما أشرف من عقبة شحورا تلقاه خلائق لا يحصوْن كثرةً ، وأُشعلت الشموع حتى مع النساء ، والناس في سرور عظيم ، فلما كان قريباً من الجسورة تلقته السناجق الخَلِيفَتِيَّةُ مع الجوامع والمؤذنون يكبِّرون ، والناس في سرور عظيم ، ولما قارب باب النصر وقع مطر عظيم والناس معه لا تسعهم الطرقات ، يدعون له ويفرحون بقدومه ، فدخل دار السعادة وسلَّم على نائب السلطنة ، ثم دخل الجامع بعد العصر ومعه شموع كثيرة ، والرؤساء أكثر من العامة .

ولما كان يوم الجمعة ثاني شهر جمادى الآخرة ركب قاضي القضاة السبكي إلى دار السعادة وقد استدعى نائبُ السَّلطنة بالقاضيين المالكي والحنبلي ، فأصلح بينهم ، وخرج من عنده ثلاثتهم يتماشوْن إلى الجامع ، فدخلوا دارالخطابة فاجتمعوا هناك ، وضيَّفَهُما الشافعي ، ثم حضرا خطبته الحافلة البليغة الفصيحة ، ثم خرجوا ثلاثتُهم من جوا إلى دار المالكي ، فاجتمعوا هنالك وضيَّفَهم المالكي هنالك ما تيسَّر . والله الموفق للصواب[٤] .

وفي أوائل هذا الشهر وردت المراسيم الشريفة السلطانية من الديار المصرية بأن يجعل للأمير من إقطاعه النصف خاصاً له ، وفي النصف الآخر يكون لأجناده ، فحصل بهذا رفق عظيم بالجند ، وعدلٌ كثير

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٦) .

(٢) بدائع الزهور (٢/ ٣٢) وفيه : في شهر رجب .

(٣) في ط : الصمين بغير نون .

(٤) البدائع (١/ ٣٧) .

ولله الحمد ، وأن يتجهز الأجناد ويحرصوا على السَّبق والرمي بالنشاب ، وأن يكونوا مستعدين ، متى استُنْفروا نَفَروا ، فاستعدُّوا لذلك وتأهَّبوا لقتال الفرنج ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] الآية . وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال على المِنْبر : « ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ »[١] .

وفي الحديث الآخر « ارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلي »[٢] .

وفي يوم الإثنين بعد الظهر عقد مجلس بدار السعادة للكشف على قاضي القضاة جمال الدين المَرْدَاوي الحنبلي بمقتضى مرسوم شريف ورد من الديار المصرية بذلك ، وذلك بسبب ما يعتمده كثير من شهود مجلسه من بيع أوقاف لم يستوف فيها شرائط المذهب ، وإثبات إعسارات أيضاً كذلك وغير ذلك انتهى .

الوقعة بين الأمراء بالديار المصرية[٣] :

وفي العشر الأخير من جمادى الآخرة ورد الخبر بأن الأمير الكبير يَلْبُغا الخاصكي خرج عليه جماعة من الأمراء مع الأمير سيف الدين طَيْبُغا الطَّويل ، فبرز إليهم إلى قبة القصر فالتقَوْا معه هنالك ، فقتل جماعة وجرح آخرين ، وانفصل الحال على مسك طَيْبُغا الطويل وهو جريح ، ومسك أرغُون الإسْعَرْدي[٤] الدّويدار ، وخلق من أمراء الألوف والطبلخانات ، وجرت خبطة عظيمة استمر فيها الأمير الكبير يَلْبُغا على عزِّه وتأييده ونصره ولله الحمد والمنة .

وفي ثاني رجب يوم السبت توجه الأمير سيف الدين بَيْدَمُر الذي كان نائب دمشق إلى الديار المصرية بطلب الأمير يَلْبُغا ليؤكد أمره في دخول البحر لقتال الفرنج وفتح قبرص إن شاء الله ، انتهى والله تعالى أعلم .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٩١٧) في الإمارة باب : فضل الرمي والحث عليه ، وذم من علمه ثم نسيه ولفظه فيه :
عن عقبة بن عامر يقول : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المِنبر ، يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة . ألا إنّ القوة الرمي ، ألا إنّ القوة الرّمي ، ألا إنّ القوة الرمي » .

(٢) وهو جزء من حديث طويل ، رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٤٤ و١٤٦) وأبو داود رقم (٢٥١٣) والترمذي رقم (١٦٣٧) وابن ماجه رقم (٢٨١١) من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ، وأوله : « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومُنْبِلَه ، وارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا . . . » الحديث ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٣) النجوم الزاهرة(١١/ ٣٠ ـ ٣٢) والذيل التام (٢١٠ ـ ٢١١) .

(٤) في ط : السّعردي ، وأثبتنا ما في النجوم (١١/ ٣١) .

مما يتعلّق بأمر بغداد[١] :

أخبرني الشيخ عبد الرحمن البغدادي أحد رؤساء بغداد وأصحاب التِّجارات ، والشيخ شهاب الدِّين العطار ـ السِّمْسار في الشرب بغدادي أيضاً ـ أن بغداد بعد أن استعادها أُوَيْس ملك العراق وخُراسان من يد الطَّواشي مَرْجان ، واستحضره فأكرمه وأطلق له ، فاتَّفقا أنَّ أصل الفتنة من الأمير أحمد أخي[٢] الوزير ، فأحضره السلطان إلى بين يديه وضربه بسكِّين في كرشه فشقه ، وأمر بعض الأمراء فقتله ، فانتصر أهلُ السُّنَّة لذلك نصرة عظيمة ، وأخذ خشبتَه أهلُ باب الأزج فأحرقوه ، وسكنت الأمور وتَشَفَّوْا بمقتل الشيخ جمال الدّين الأنباري[٣] الذي قتله الوزير الرافضي فأهلكه الله بعده سريعاً انتهى .

وفاة قاضي القضاة عز الدين[٤] عبد العزيز بن جماعة[٥] الشافعي :

وفي العشر الأول من شهر شعبان قدم كتاب من الديار المصرية بوفاة قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة بمكَّة شرّفها الله ، في العاشر من جُمادى الآخرة ودفن في الحادي عشر في باب المَعْلى[٦] ، وذكروا أنّه توفي وهو يقرأ القرآن ، وأخبرني صاحبه الشيخ محيي الدين الرحبي حفظه الله تعالى : أنه كان يقول كثيراً : أشتهي أن أموتَ وأنا معزولٌ ، وأن تكونَ وفاتي بأحد الحرمين . فأعطاه الله ما تمنَّاه . عزل نفسه في السَّنة الماضية ، وهاجر إلى مكَّة ، ثم قدم المدينة لزيارة رسول الله ﷺ ، ثم عاد إلى مكَّة ، وكانت وفاتُه بها في الوقت المذكور ، فرحمه الله وبلّ بالرحمة ثراه .

وقد كان مولده في سنة أربع وتسعين ، فتوفي عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد نال العزَّ ، عزّاً في الدنيا ورفعة هائلة ، ومناصب وتداريس كبارا ، ثم عزل نفسه وتفرغ للعبادة والمجاورة بالحرمين الشريفين ، فيقال له ما قلته في بعض المراثي :

فكأنَّك قد أُعلِمْتَ بالموت حتَّى ... قد تزوَّدْتَ من خيار الزَّادِ

وحضر عندي في يوم الثلاثاء تاسع شوال البَتْرك بشارةُ الملقَّب بميخائيل ، وأخبرني أن المطارنة بالشَّام بايعوه على أن جعلوه بَتْركاً بدمشقَ عوضاً عن البترك بأنطاكية ، فذكرت له أن هذا أمر مبتدع في دينهم ، فإنَّه لا تكون البَتاركة إلا أربعة بالإسكندرية وبالقدس وبأنطاكية وبروميَّة ، فنُقل بترك روميَّة إلى

(١) الذيل التام (١/ ٢١١) بدائع الزهور (٢/ ٣٩) .
(٢) في ط : أخو وهو غلط .
(٣) هو : جمال الدين أبو حفص عمر بن إدريس الأنباري ثم البغدادي الحنبلي الشهيد ، مات صابراً سنة (٧٦٥)هـ .
(٤) ترجمته في الوفيات لابن رافع (٢/ ٣٠٥) وطبقات الحفاظ (٥٣١) والنجوم الزاهرة (١١/ ٨٩) والعقد الثمين (٥/ ٤٦٠) والذيل التام (١/ ٢١١ ـ ٢١٢) .
(٥) في ط : حاتم وهو تحريف .
(٦) ويقال لها : المَعْلاة .

إسطنبول وهي القسطنطينية ، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك ، فهذا الذي ابتدعوه في هذا الوقت أعظم من ذلك . لكن اعتذر بأنَّه في الحقيقة هو عن أنطاكية ، وإنّما أذن له في المقام بالشام الشريف لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم إلى صاحب قبرص ، يذكر له ما حل بهم من الخزي والنّكال والجناية بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الإسكندرية ، وأحضر لي الكتب إليه وإلى ملك إسطنبول ، وقرأها علي من لفظه لعنه الله ولعن المكتوب إليهم أيضاً . وقد تكلمتُ معه في دينهم ونصوص ما يعتقده كل من الطوائف الثلاث ، وهم الملكية واليعقوبية ، ومنهم الافرنج والقبط ، والنسطورية ، فإذا هو يفهم بعض الشيء ، ولكن حاصله أنه حمار من أكفر الكفار لعنه الله .

وفي هذا الشهر بلغنا استعادة السُّلطان أُوَيْس ابن الشيخ حسن ملك العراق وخراسان لبغداد من يد الطواشي مَرْجان الذي كان نائبه عليهما ، وامتنع من طاعة أُوَيْس ، فجاء إليه في جحافل كثيرة فهرب مَرْجان ودخل أُوَيس إلى بغداد دخولاً هائلاً ، وكان يوماً مشهوداً[١] .

وفي يوم السبت السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بَيْدَمُر من الديار المصرية على البريد أمير مئة مقدم ألف ، وعلى نيابة يَلْبُغا في جميع دواوينه بدمشقَ وغيرها ، وعلى إمارة البحر وعمل المراكب ، فلمّا قدم أمر بجمع جميع النشَّارين والنجارين والحدادين وتجهيزهم لبَيْروتَ لقطع الأخشاب ، فسُيِّروا يوم الأربعاء ثاني رمضان وهو عازم على اللَّحاق بهم إلى هنالك وبالله المستعان . ثم أُتبعوا بآخرين من نجّارين وحدّادين وعتّالين وغير ذلك ، وجعلوا كل من وجدوه من ركَّاب الحمير ينزلونَهُ ويَرْكَبُونها إلى ناحية البقَاع ، وسخَّروا لهم من الصُّنَّاع وغيرهم ، وجرت خبطة عظيمة ، وتباكى عوائلُهم وأطفالُهم ، ولم يسلِّفوا شيئاً من أجورهم ، وكان من اللائق أن يسلِّفوه حتى يتركوه إلى أولادهم[٢] .

وخطب برهان الدين المقدسي الحنفي بجامع يَلْبُغا عن تقي الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين الكَفْري ، بمرسوم شريف ومرسوم نائب صفد أَسَنْدَمُر[٣] أخي يَلْبُغا ، وشقَّ ذلك عليه وعلى جده وجماعتهم ، وذلك يوم الجمعة الرابع من رمضان ، هذا وحضر عنده خلق كثير .

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه قُرئَ تقليد قاضي القضاة شرف الدين ابن قاضي الجبل لقضاء الحنابلة ، عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين المَرْدَاوي ، عزل هو والمالكي معه أيضاً ، بسبب أمور تقدَّم نسبتُها لهما ، وقُرئ التقليد بمحراب الحنابلة ، وحضر عنده الشافعي والحنفي ، وكان المالكي معتكفاً بالقاعة من المنارة الغربية ، فلم يخرج إليهم لأنَّه معزول أيضاً بسر الدين قاضي حماة ، وقد وقعت شرور وتخبيط بالصَّالحية وغيرها .

---

(١) الذيل التام (١/ ٢١١) .

(٢) النجوم الزاهرة (١١/ ٣٠) .

(٣) أَسَنْدَمُر اليحياوي أخو يلبغا .

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثلاثين من شهر رمضان خلع على قاضي القضاة سري الدين إسماعيل[١] المالكي ، قدم من حماة على قضاء المالكية ، عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين المسَلَّاتي ، عُزل عن المنصب ، وقُرئ تقليده بمقصورة المالكية من الجامع ، وحضر عنده القضاة والأعيان .

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع شوال قدم الأمير حيار بن مهنا إلى دمشق سامعاً مُطيعاً ، بعد أن جرت بينه وبين الجيوش حروب متطاولة ، كل ذلك ليطأ البساط ، فأبىٰ خوفاً من المسك والحبس أو القتل ، فبعد ذلك كله قدم هذا اليوم قاصداً الديار المصرية ليصطلح مع الأمير الكبير يَلْبُغا ، فتلقَّاه الحجَبة والمهمنداريّة والخلق ، وخرج الناس للفرجة ، فنزل القصر الأبلق ، وقدم معه نائب حماة عمر شاه فنزل معه . وخرج معه ثاني يوم إلى الديار المصرية[٢] .

وأقرأني القاضي ولي الدين عبد الله وكيل بيت المال كتاب والده قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية ، أن الأمير الكبير جدَّد درساً بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرِّسين للحنفية ، وجعل لكل فقيه منهم في الشهر أربعين درهماً ، وإردَبَّ قمح ، وذكر فيه أن جماعة من غير الحنفية انتقلوا إلى مذهب أبي حنيفة لينزلوا في هذا الدرس .

درس التفسير بالجامع الأموي :

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة سبع وستين وسبعمئة حضرتُ درس التَّفسير الذي أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الأمير سيف الدين مَنْكُلي بغا رحمه الله تعالى من أوقاف الجامع الذي جددها في حال نظره عليه أثابه الله ، وجعل من الطلبة من سائر المذاهب خمسةَ عشرَ طالباً لكل طالب في الشهر عشرة دراهم ، وللمعيد عشرون ولكاتب الغيبة عشرون ، وللمدِّرس ثمانون ، وتصدَّق حين دعوته لحضور الدرس ، فحضر واجتمع القضاة والأعيان ، وأخذتُ في أول تفسير الفاتحة ، وكان يوماً مشهوداً ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة . انتهى .

سنة ثمان وستين وسبعمئة

(استهلت وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك من الأقاليم الملك الأشرف بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأتابك العساكر ومدبر مملكته الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين منكلي بغا . . .)[٣] .

---

(١) هو : أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانئ اللّخمي الأندلسي . مات سنة (٧٧١)هـ الذيل التام (١/ ٢٤٢) .

(٢) بدائع الزهور (٢/ ٣٩) .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط كله من ط بما في ذلك عنوان السنة ، فاختلطت فيها هذه السنة بالتي قبلها ولا نعرف قدر =

وقاضي قضاة الحنابلة الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن ابن قاضي الجبل المقدسي ، وناظر الدواوين سعد الدين بن التاج إسحاق ؛ وكاتب السر فتح الدين بن الشهيد ، وهو شيخ الشيوخ أيضاً ، وناظر الجيوش الشامية برهان الدين بن الحِلِّي ، ووكيل بيت المال القاضي ولي الدين ابن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء . انتهى .

سفر نائب السَّلطنة إلى الديار المصرية :

لما كانت ليلة الحادي والعشرين[1] قدم طَشْتَمُر دويدار يَلْبُغا على البريد ، فنزل بدار السعادة ، ثم ركب هو ونائب السلطنة بعد العشاء الأخيرة في المشاعل ، والحجَبة بين أيديهما والخلائق يدعون لنائبهم ، واستمرُّوا كذلك ذاهبين إلى الديار المصرية ، فأكرمه يَلْبُغا وأنعم عليه ، وسأله أن يكون ببلاد حلبَ ، فأجابه إلى ذلك وعاد فنزل بدار سَنْجَر الإسماعيلي ، وارتحل منها إلى حلب ، وقد اجتمعتُ به هنالك وتأسَّف الناس عليه ، وناب في الغيبة الأمير سيف الدين زبالة ، إلى أن قدم النائب المعز السيفي آقْتَمُر[2] عبد الغني على ما سيأتي .

وتوفي القاضي شمس الدين[3] بن منصور الحنفي الذي كان نائب الحكم رحمه الله يوم السبت السادس والعشرين من المحرم ، ودفن بالباب الصغير ، وقد قارب الثمانين .

وفي هذا اليوم أو الذي بعده توفي :

القاضي شهاب الدين أحمد[4] بن الوَزْوَازَة ناظر الأوقاف بالصّالحية .

وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث صفر نُودي في البلد أن لا يتخلف أحد من أجناد الحلقة عن السفر إلى بيروت ، فاجتمع الناس لذلك فبادر الناس والجيش ملبسين إلى سطح المِزَّة ، وخرج ملك الأمراء أمير علي كان نائب الشام من داره داخل باب الجابية في جماعته ملبسين في هيئة حسنة وتجمُّل هائل ، وولده الأمير ناصر الدين محمد وطلبه معه ، وقد جاء نائب الغيبة والحجَبة إلى بين يديه إلى وطاقه وشاوروه في الأمر ، فقال : ليس لي هاهنا أمر ، ولكن إذا حضر الحرب والقتال فلي هناك أمر ، وخرج خلق من الناس متبرِّعين ، وخطب قاضي القضاة تاج الدين الشافعي بالناس يوم الجمعة على العادة ، وحرَّض النَّاسَ على الجهاد ، وقد ألبس جماعةً من غلمانه اللأمة والخُوَذ وهو على عزم المسير مع الناس إلى بيروت ولله الحمد والمنة .

= الساقط ، وما بين الحاصرتين من السنة السابقة .

(١) يعني من المحرم .

(٢) في ط : قشتمر . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (١/ ٣٩٢) والنجوم الزاهرة (١١/ ٣٤) .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٧) وفيه : محمد بن منصور .

(٤) لم أقع له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

ولما كان من آخر النهار رجع الناس إلى منازلهم وقد ورد الخبر بأن المراكب التي رؤيت في البحر إنما هي مراكب تجار لا مراكب قتال ، فطابت قلوب الناس ، ولكن ظهر منهم استعداد عظيم ولله الحمد .

وفي ليلة الأحد خامس صفر قُدِمَ بالأمير سيف الدين قَشْتَمُر[١] الذي كان إلى آخر وقت نائب حلب محتاطاً عليه بعد العشاء الآخرة إلى دار السعادة بدمشق ، فسُيِّر معزولاً عن حلب إلى طرابُلُس بطالاً ، وبعث في سرجين صحبة الأمير علاء الدين بن صُبْح .

وبلغنا وفاةُ الشيخ جمال الدين[٢] بن نُبَاتة حامل لواء شعراء زمانه بديار مصر بمارستان الملك المنصور قلاوون ، وذلك يوم الثلاثاء سابع صفر من هذه السنة رحمه الله تعالى .

وفي ليلة ثامنه هرب أهل حبس السَّدّ من سجنهم وخرج أكثرهم فأرسل الولاة صبيحة يومئذ في أثرهم فمسك كثير ممَّن هرب فضربوهم أشد الضرب ، وردوهم إلى شرِّ المنقلب .

وفي يوم الأربعاء خامس عشره نُودي بالبلدان أن لا يُعامل الفرنج البنادقة والجنوية والكيتلان واجتمعتُ في آخر هذا اليوم بالأمير زين الدين زبالة نائب الغيبة النازل بدار الذهب فأخبرني أن البريدي أخبره : أن صاحب قبرص رأى في النجوم أن قبرص مأخوذة ، فجهز مركبين من الأسرى الذين عنده من المسلمين إلى يَلْبُغا ؛ ونادى في بلاده أنَّ من كتم مسلماً صغيراً أو كبيراً قتل ، وكان من عزمه أن لا يُبقيَ أحداً من الأسارىٰ إلا أرسله .

وفي آخر نهار الأربعاء خامس عشره قدم من الديار المصرية قاضي القضاة جمال الدين المسلَّاتي المالكي الذي كان قاضي المالكية فعزل في أواخر رمضان من العام الماضي ، فحجَّ ثم قصد الديار المصرية فدخلها لعله يستغيث فلم يصادفه قبول ، فادّعى عليه بعضُ الحجّاب وحصل له ما يسوؤه ، ثم خرج إلى الشام فجاء فنزل في التُّربة الكاملية شمالي الجامع ، ثم انتقل إلى منزل ابنته متمِّرضاً ، والطلابات والدعاوى والمصالحات عنه كثيرة جداً[٣] ، فأحسن الله عاقبته .

وفي يوم الأحد بعد العصر دخل الأمير سيف الدين طَيْبُغا الطَّويل من القدس الشريف إلى دمشقَ فنزل بالقصر الأبلق ، ورحل بعد يومين أو ثلاثة إلى نيابة حماة حرسها الله بتقليد من الديار المصرية .

---

(١) في ط : شرشي وهو تحريف . وأثبتنا ما في الدرر الكامنة (٣/ ٢٤٩) والنجوم الزاهرة (١١/ ٣٢) وفيها : فسُيِّر إلى مصر .

(٢) ترجمته في : الوفيات لابن رافع (٢/ ٣١١ ـ ٣١٢) وطبقات الشافعية (٦/ ٣١) والدرر الكامنة (٤/ ٤٦٣) والنجوم الزاهرة (١١/ ٩٤) والذيل التام (١/ ٢٢١) .
وفي مصادر ترجمته جميعها وفاته في صفر سنة (٧٦٨)هـ فلعلّ الخبر من ورقة من الأوراق المفقودة من كتاب ابن كثير . وهو الأرجح .

(٣) لما وقع بينه وبين القاضي الشافعي السُّبكي .

وجاءت الأخبار بتولية الأمير سيف الدين مَنْكُلي بُغَا نيابة حلب عوضاً عن نيابة دمشق وأنه حصل له من التشريف والتكريم والتشاريف بديار مصر شيء كثير ومال جزيل وخيول وأقمشة وتحف يشقُّ حصرُها ، وأنه قد استقر بدمشق الأمير سيف الدين آقْتَمُر[١] عبد الغني ، الذي كان حاجب الحجَّاب بمصر ، وعوض عنه في الحجوبية الأمير علاء الدين طَيْبُغا أستاذ دار يَلْبُغا وخلع على الثلاثة في يوم واحد .

وفي يوم الأحد حادي عشر ربيع الأول اشتهر في البلد قضية الفرنج أيضاً بمدينة الإسكندرية وقدم بريدي من الديار المصرية بذلك ، واحتيط على من كان بدمشق من الفرنج وسجنوا بالقلعة وأُخذت حواصلهم ، وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين الشافعي يومئذ أن أصل ذلك أن سبعة مراكب من التجار من البنادقة من الفرنج قدموا إلى الإسكندرية فباعوا بها واشتروا ، وبلغ الخبر إلى الأمير الكبير يَلْبُغا أن مركباً من هذه السبعة إلى صاحب قبرص ، فأرسل إلى الفرنج يقول لهم : أن يسلِّموا هذه المراكب فامتنعوا من ذلك وبادروا إلى مراكبهم ، فأرسل في آثارهم ست شواني مشحونة بالمقاتلة ، فالتقَوا هم والفرنج في البحر ، فقتل من الفريقين خلق ، ولكن من الفرنج أكثر ، وهربوا فارِّين بما معهم من البضائع ، فجاء الأمير علي الذي كان نائب دمشق أيضاً في جيش مبارك ومعه ولده ومماليكه في تجمُّل هائل ، فرجع الأمير علي واستمر نائب السلطنة حتى وقف على بيروت ونظر في أمرها ، وعاد سريعاً .

وقد بلغني أن الفرنج جاؤوا طرابُلس غزاةً وأخذوا مركباً للمسلمين من الميناء وحرقوه ، والناس ينظرون ولا يستطيعون دفعهم ولا منعهم ؛ وأن الفرنج كرُّوا راجعين ، وقد أسروا ثلاثة من المسلمين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . انتهى والله أعلم .

مقتل يَلْبُغا الأمير الكبير[٢] :

جاء الخبر بقتله إلينا بدمشق في ليلة الإثنين السابع عشر من ربيع الآخر مع أسيرين جاءا على البريد من الديار المصرية ، فأخبرا بمقتله في يوم الأربعاء ثاني عشر هذا الشهر : تمالأ عليه مماليكه حتى قتلوه يومئذ ، وتغيَّرت الدولة ومُسك من أمراء الألوف والطبلخانات جماعة كثيرة ، واختبطت الأمور جداً ، وجرت أحوال صعبة ، وقام بأعباء القضية الأمير سيف الدين طَغَيْتَمُر[٣] النظامي وقوي جانب السُّلطان ورشد ، وفرح أكثر الأمراء بمصرَ بما وقع ، وقدم نائب السلطنة إلى دمشق من بيروت ، فأمر بدقِّ البشائر ،

---

(١) في ط : قشتمر .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة (٤/ ٤٣٨) والنجوم الزاهرة (١١/ ٣٥) والذيل التام (١/ ٢١٨) وبدائع الزهور (٢/ ٥٠) وقد وهم ابن إياس عندما قال : وهو صاحب الجامع المشهور بدمشق .
قلت : وفي جميع هذه المصادر كان مقتل يلبغا في ربيع الآخر من سنة (٧٦٨)هـ . وفيه دليل على أن الخبر أيضاً من السنة المقبلة ، التي ضاعت مع ما ضاع من تاريخ ابن كثير .

(٣) في ط : طيتمر وأثبتنا ما في الذيل التام (١/ ٢١٧) .

وزينت البلد ، ففعل ذلك ، وأطلقت الفرنج الذين كانوا بالقلعة المنصورة فلم يَهُن ذلك على الناس .

وهذا آخر ما وُجد من التاريخ والحمد لله وحده ، وصلواته على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

تم الجزء السادس عشر من تاريخ ابن كثير ـ بعون الله ـ .

وكان الفراغ من تحقيقه يوم الجمعة السادس من شهر رجب المعظم عام ١٤١٢هـ الموافق للعاشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٩٢م .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

حسن إسماعيل مَرْوة

وقد فرغ من مراجعته وتخريج أحاديثه (عبد القادر الأرناؤوط) بتاريخ (١) ربيع الأول (١٤٢٠)هـ الموافق (١٥) حزيران (١٩٩٩)م ونظرت فيه الآن ـ وانتهت المراجعة ٨ ربيع الأول ١٤٢٥هـ الموافق ٢٧ نيسان ٢٠٠٤م

•••

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف(١)

هو الإمام الحافظ المؤرِّخ المفسِّر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عُمَر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي البُصْروي ثم الدمشقي . ولد بـ(مُجَيدل القرية) من أعمال بُصرى سنة (٧٠١هـ) وكان أبوه خطيباً بها ، انتقل إلى دمشق سنة (٧٠٧هـ) مع أخيه كمال الدين عبد الوهَّاب بعد موت أبيه ، نشأ من نعومة أظفاره على مائدة العلم ، بدأ طلب العلم على يد أخيه كمال الدين ، ثم على يد كبار علماء دمشق ، حفظ القرآن الكريم وعمره (١٠) سنوات ، وقرأ بالقراءات ، وبرع في التفسير ، ودرس الفقه على كبار علماء دمشق ، منهم برهان الدين الفزاري ، وكمال الدين ابن قاضي شهبة ، ثم تزوج بنت الحافظ أبي الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكي المِزِّي ، ودرس عليه ، واستفاد منه ، وكان من كبار علماء الجرح والتعديل ، وهو صاحب كتاب (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) وصحب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقرأ عليه واستفاد منه ، كما قرأ على كبار العلماء في عصره ، وبرع في الفقه والتفسير والحديث ، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ ، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية الجوانية بعد موت السبكي . وكان كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة ، أثنى عليه الأئمة ، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير ، واستفاد منه جمع من طلاب العلم في عصره .

له مؤلفات كثيرة ، منها أحكام التنبيه في الفقه الشافعي ، والاجتهاد في طلب الجهاد ، واختصار علوم الحديث لابن الصلاح ، وجامع المسانيد ، وطبقات الشافعية ، والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ، والفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ ، والتفسير ، وهو من خيرة مصنّفاته ،

---

(١) ومظانها المصادر الآتية : « المعجم المختص » ص(٧٤ ـ ٧٥) و« ذيل العبر » لابن العراقي (٢/ ٣٥٨) و« ذيل تذكرة الحفاظ » ص(٥٧) و« طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة (٣/ ١١٣) و« الرّد الوافر » ص(٩٢) و« إنباء الغمر » (١/ ٤٥) و« الدرر الكامنة » (١/ ٣٧٣) و« النجوم الزاهرة » (١١/ ١٢٣) و« طبقات الحفاظ » ص(٥٢٩) و« الدارس في تاريخ المدارس » (١/ ٣٦) و« طبقات المفسِّرين » (١/ ١١٠) و« شذرات الذهب » (٨/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩) تحقيق ولدي وتلميذي العزيز الأستاذ محمود الأرناؤوط ، بإشرافي ، طبع دار ابن كثير بدمشق ، و« البدر الطالع » (١/ ١٥٣) و« هدية العارفين » (١/ ٢١٥) و« الأعلام » (١/ ٣٢٠) و« معجم المؤلفين » (١/ ٣٧٣) طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

وقد فسر فيه القرآن بالقرآن ثم بالحديث ثم بأقوال الصحابة والتابعين ، وهو من أحسن التفاسير لطلاب العلم . و(البداية والنهاية) وهو مرجع كبير في التاريخ والتراجم ، وهذا هو الجزء الأخير منه .

وقد عاش ـ رحمه الله ـ حياة حافلة بالعلم إلى آخر عمره ، وفقد بصره في آخر حياته ، وهو يؤلف كتاب (جامع المسانيد) فبارك الله في عمره إلى أن توفي رحمه الله يوم الخميس في السادس والعشرين من شعبان سنة (٧٧٤هـ) بدمشق ، ودفن قريباً من شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى رحمة واسعة ، وأسكنهما فسيح جنانه .

***

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وحسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد : فهذا كتاب الفتن والملاحم[١] الواقعة في آخر الزمان مما أخبر به رسول الله ﷺ وذِكر أشراط الساعة والأمور العظام التي تكون قبل يوم القيامة ، مما يجب الإيمان بها ، كما أخبر بها الصادق المصدوق ، الذي لا ينطق عن الهوى ، إنْ هُوَ إلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، وقد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا إخبارَه ﷺ عن الغيوب الماضية ، وبسطناه في بدء الخَلْق ، وقصص الأنْبياء ، وأيّام الناس إلى زماننا ، وأتْبعنا ذلك بذكر سيرته ﷺ ، وأيّامه ، وذِكر شمَائِله ، ودلائل نُبوته ، وذكرنا فيها ما أخبر به من الغيوب التي وقعت بعده ﷺ طِبْقَ إخْبارِه ، كما شوهد ذلك عِياناً قَبْل زمانِنا هذا ، وقد أوردنا جملة ذلك في آخر كتاب دلائل النبوّة من سيرته ﷺ وذكرنا عند كل زمان ما ورد فيه من الحديث الخاصّ به عند ذِكرنا حوادث الزمان ، ووفياتِ الأعيان ، كما بسطنا ذلك في كل سنة وما حدث فيها من الأمور الغريبة ، وترجمنا مَن تُوفي فيها ، من مشاهير الناس ، من الصحابة ، والخلفاء ، والملوك ، والوزراء ، والأمراء ، والفقهاء ، والصلحاء ، والشعراء ، والنحاة ، والأدباء ، والمتكلِّمين ذوي الآراء ، وغيرهم من النبلاء ، ولو أعدنا الأحاديث المذكورة فيما تقدم لطال ذلك ، ولكن نُشير إلى ذلك إشارة لطيفة ، ثم نعودُ لِما قَصَدنا له هاهنا ، وبالله المستعان .

فمن ذلك قوله ﷺ لتلك المرأة التي قال لها : « ارجعي إليّ » فقالت : « أرأيتَ إنْ لم أجِدْكَ ؟ » كَأنَّها تُعَرِّضُ بِالْمَوْتِ ، قال : « إنْ لَمْ تَجِديني فَأْتِي أبا بَكْر » . رواه البخاريّ[٢] فكان القائم بالأمر بعدَه أبو بكر ، وقوله ﷺ حين أراد أن يكتب للصدِّيق كتاباً بالخِلافة فتركه ، لِعلْمه أن أصحابه لا يَعْدِلُون عن أبي بكر إلى غيره ، لعلمهم بسابقته وأفضليته ـ رضي الله عنه ـ فقال : « يَأْبَى اللهُ والمؤمنون إلا أبا بكر » فوقع كذلك ، وهو في « الصحيح » أيضاً[٣] ، وقوله ﷺ: « اقتدُوا باللَّذين من بعدي : أبي بكر ، وعمر » . رواه أحمد ، وابن ماجه والترمذيّ ، وحسنه ، وصححه ابنُ حِبّان وهو من رواية حُذَيفَةَ بن

---

(١) يعني من كتاب « البداية والنهاية » .

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٩) ومسلم رقم (٢٣٨٦) (١٠) وأحمد في المسند (٤/ ٨٢) من حديث جبير بن مطعم .

(٣) أخرجه مسلم رقم (٢٣٨٧) .

اليَمَانِ[١] وقد رُوِيَ من طريق ابن مسعود[٢] وابن عمر[٣] وأبي الدرداء[٤]، رضي الله عنهم . وقد بسطنا القول في هذا في فضائل الشيخين ، والمقصود أنه وقع الأمر كذلك ، وَلِيَ أبو بكر الصديق بعد رسول الله ﷺ الخلافةَ ، ثُمّ وَلِيَها بعدَه عمرُ بن الخطاب ، كما أخبر ﷺ سواء بسواءٍ .

وروى مالك ، والليث عن الزهريّ ، عن ابنٍ لكعب بن مالك ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا افتَتَحْتُم مصر فاستوْصوا بالقبط » ، وفي رواية : « فاستوصوا بأهلها خَيْراً ، فإنّ لهم ذِمّة وَرَحِماً »[٥] وقد افتتحها عمرو بن العاص في سنة عشرين ، أيّامَ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وفي « صحيح مسلم » عن أبي ذرّ ، عن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذْكَرُ فيها القيراطُ ، فاستوصوا بأَهْلِها خَيْراً ، فإنّ لهم ذِمَّة ورَحِماً »[٦] .

وقد مُصِّر في أيام عمرَ بنِ الخطابِ المِصْرانِ ؛ البَصْرَةُ والكوفةُ . فروَى أبو داودَ : حدثنا عبدُ الله بنُ الصَّبَّاحِ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الصمد، ثنا موسى الحَنَّاطُ ـ لا أعلمُ إلاّ ذكَره ـ عن موسى بنِ أنسٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أنّ رسولَ الله ﷺ [قال : « يا أنسُ] ، إنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَاراً ، وَإِنَّ مِصْراً مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ ـ أو الْبُصَيْرَةُ ـ فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا أَوْ دَخَلْتَهَا فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا [وكَلاّءَها[٧]] وسُوقَهَا وَأَبْوَابَ أُمَرَائِهَا ، وعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا ؛ فإنَّه يكونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ ومَسْخٌ وَرَجْفٌ ، وَقَوْمٌ يُمْسَخُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ »[٨] .

خبرُ الأُبُلَّةِ[٩] : قال أبو داودَ : حدثنا ابنُ المُثَنَّى ، ثنا إبراهيمُ بنُ صالحِ بنِ دِرْهَمٍ ، سَمِعتُ أبي يقولُ : انطلقنا حاجِّين ، فإذا رجلٌ ، فقال لنا : مِن أينَ جِئْتُم ؟ فقلنا : من بلدِ كذا وكذا . فقال : إنَّ بجنبِكم قريةً يقالُ لها : الأُبُلَّةُ ؟ فقلنا : نعم . فقال : مَن يضمنُ أن يصلِّيَ لي في مسجدِ العَشَّارِ ركعتين أو أربعاً ، ويقولُ : هذه لأبي هريرةَ ؟ فإني سمعت رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ مِنْ مَسْجِدِ العَشَّارِ شُهَدَاءَ لاَ يَقُومُ مَعَ شُهَدَاءِ بَدْرٍ غَيْرُهُمْ »[١٠] .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢) والترمذي رقم (٣٦٦٢) و(٣٧٩٩) وابن ماجة (٩٧) وابن حبان رقم (٦٩٠٢) وهو حديث صحيح .
(٢) رواه الترمذي رقم (٣٨٠٥) وإسناده ضعيف ، ولكن يشهد له حديث حذيفة الذي قبله .
(٣) رواه ابن عساكر .
(٤) رواه الطبراني .
(٥) البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٢٢) .
(٦) رواه مسلم رقم (٢٨٤٣) .
(٧) السِّباخ: الأراضي التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر، والكَلاَّء: مرفأ السفن عند الساحل المعنى: ابتعد عن هذه الأماكن. يقال: من مشى على الكلاَّء أي على الساحل، وقع في النهر، والكلاَّء: موضع بالبصرة وسوق بها.
(٨) رواه أبو داود رقم (٤٣٠٧) وهو حديث حسن .
(٩) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة قرب البصرة .
(١٠) رواه أبو داود (٤٣٠٨) وهو حديث ضعيف .

وقال ﷺ فيما ثبت عنه في « الصحيحين » : « إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وإِذَا هَلَكَ كِسْرَىَ فَلاَ كِسْرى بَعْدَهُ ، والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كنوزهما في سَبِيل اللهِ »[١] وقد وقع ذلك كما أخبر به سواءً بسواءٍ ، في زمن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان انزاحت يدُ قيصر ذلك الوقت ـ واسم قيصر هرَقْل ـ عن بلاد الشام ، والجزيرة ، وثَبَت مُلكُه مقصوراً على بلاد الروم فقط ، والعرب إنما كانوا يُسَمُّونَ قيصرَ لِمَنْ ملك بلاد الروم ، مع الشام والجزيرة ، وفي هذا الحديث بشارة عظيمة لأهل الشام ، وهو أن يدَ ملك الروم لا تعودُ إليها أبد الآبدين ، ودهرَ الداهرين ، إلى يوم الدين ، وسنُورد هذا الحديث قريباً بإسناده ، ومتنه إن شاء الله تعالى .

وأما كسرى فإنه سُلِبَ عامَّةَ مُلكه في زمن عمر بن الخطاب ، ثم استُؤْصِل ما بقي في يده في زمن عثمان بن عفان ، ثم قُتل في سنة ثنتين وثلاثين ، ولله الحمدُ والمنَّة ، وقد بسطنا ذلك مُطولاً فيما سلف ، وقد دعا عليه رسول الله ﷺ حين بلغه أنه مَزَّق كتابَ رسول الله ﷺ بأن يُمَزَّق ملكهُ كلَّ مُمَزَّق ، فوقع الأمر كذلك[٢] . وثبت في « الصحيحين » من حديث الأعمش ، وجامع بن أبي راشد ، عن شقيق بن سلمة ، عن حُذَيْفة ، قال : كنا جُلُوساً عند عمر بن الخطاب ، فقال : أَيُّكم يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الفِتْنَة ؟ قلت : أنا ، قال : هَاتِ : إنّكَ لَجَرِيء ، فقلت : ذَكَر فِتْنة الرجل في أهله ، وماله ، وجاره ، وولده ، يُكفِّرها الصلاة ، والصدقة ، والأمرُ بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فقال : ليس هذا أعني ، إنما أعني التي تَموجُ مَوج البحر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنَّ بينَك وبَيْنَها باباً مُغلقاً ، فقال : وَيْحكَ ! أَيُفْتَحُ البابُ أمْ يُكْسَر ؟ قلت : بل يكسر ، قال : إذاً لا يغلَقُ أبداً ، قلت : أجَلْ ، فقلنا لحُذَيفة : أكان عمر يعلم مَن البابُ ؟ قال : نعم ، إني حَدَّثتهُ حديثاً ليس بالأغاليط ، قال : فهِبْنا أن نسأل حذيفة : مَن الباب ؟ فقلنا لمسروق : سله ، فسأله ، فقال : هو عمر[٣] ، وهكذا وقع الأمر سواءً بعد مقتل عمر في سنة ثلاث وعشرين ، وقعت الفتنُ بين الناس بعد مقتله ، وكان ذلك سبب انتشارها بينهم . وأخبر ﷺ عن عثمان بن عفان أنه من أهل الجنة ، على بلوى تُصيبهُ[٤] ، فوقع الأمر كذلك ، حُصِر في الدار كما بُسطَ ذلك في موضعه ، وقتل صابراً مُحتسباً شهيداً ـ رضي الله عنه ـ وقد ذكرنا عند مقتله ما ورد من الأحاديث بالإنذار بذلك ، والإعلام به قبل كَوْنِه ؛ فوقع طِبْقَ ذلك سواء بسواء . وذكرنا ما ورد من الأحاديث في يوم الجَمَل وصِفِّين ما ورد من الأحاديث المُؤذِنة بكَوْن ذلك ، وما وقع فيها من الفتنة والاختبار ، وبالله المستعان .

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣١٢١) ومسلم رقم (٢٩١٩) من حديث جابر بن سمرة .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٤) .

(٣) رواه البخاري رقم (٥٢٥) ومسلم رقم (١٤٤) من حديث الأعمش ، ورواه البخاري رقم (١٨٩٥) ومسلم رقم (١٤٤) (٢٧) الذي بعد (٢٨٩٢) من حديث جامع بن أبي راشد به .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٦٩٣) .

وكذلك الإخبار بمقتل عَمّار[١] . وأما ذِكر الخوارج الذين قتلهم عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وصفتِهم ، ونعتِ ذي الثُّديَّة منهم[٢] فالأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدّاً ، وقد حررنا ذلك فيما سلف ، ولله الحمد والمنّة . وذكرنا عند مقتل عليّ الحديثَ الوارد في ذلك بطرقه ، وألفاظه .

وتقدّم الحديث الذي رواه أحمدُ ، وأبو داود ، والنسائيّ ، والترمذيّ ، وحسّنه ، من طريق سعيد بن جُمْهَان ؛ عن سَفِينَة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « الخلافة بعدي ثَلاثونَ سنة ، ثم تكون مُلْكاً »[٣] ، وقد اشتملت هذه الثلاثون سنة على خلافة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان الشهيد ، وعليّ بن أبي طالب الشهيد أيضاً ، وكان ختامها وتمامها بِسِتَّةِ أشهر التي وَلِيهَا الحسنُ بن عليّ بعد أبيه ، وعند تمام الثلاثين نزل عن الإمرة لمعاوية بن أبي سفيان سنة أربعين ، وأَصْفَقت البيعة لمعاوية بن أبي سفيان ، وسُمِّي ذلك عامَ الجماعة ، وقد بسطنا ذلك فيما تقدم[٤] .

وروى البخاري عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول والحسنُ بنُ عليّ إلى جانبه على المنبر : « إن ابني هذا سيِّدٌ وسيُصلح اللهُ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[٥] وهكذا وقع سواء . وثبت في « الصحيحين » عن أم حَرَام بنت مِلْحَانَ ، ذكره ﷺ غَزْو أُمَّته في البحر مرَّتين ، وكون أم حَرَام مع الأولين ، وقد كان ذلك في سنة سبع وعشرين ، مع معاوية حين استأذن عثمانَ في غزو قبرص ، فأذِنَ له فركب مع المسلمين في المركب حتى وصلها ، وفتحها قَسْراً ، وتُوفِّيت أمّ حَرَام في هذه الغزوة في البحر ، وكانت أم حرام مع زوجها عبادة بن الصامت[٦] وكان مع معاوية في هذه الغزوة زوجته فَاختَةُ بنت قَرظَة ، وأما الثانية فكانت في سنة ثنتين وخمسين في أيام مُلك معاوية ، بعث ابنه يزيدَ بن معاوية ، ومعه الجنود إلى غزو القسطنطينية ، ومعه في الجيش جماعةٌ من سادات الصحابة ، منهم أبو أيُّوب الأنصاريّ ، خالد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ فمات هنالك ، وأوصى إلى يَزيد بن معاوية أن يدفنه تحت سنابك الخيل ، وأن يُوغل به إلى أقصى ما يُمكن أن ينتهى به إلى نحو جهة العدُوّ ، ففعل ذلك ، وتفرّد البخاري بما رواه من طريق ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان ، عن عُمير بن

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧) ومسلم (٢٩١٥) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٢) رواه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) وأبو داود رقم (٤٦٤٦) والنسائي في « الكبرى » (٨١٥٥) والترمذي رقم (٢٢٢٦) وهو حديث حسن .

(٤) يعني عند كلام المؤلف على أحداث سنة أربعين من قسم التأريخ من كتابه، وقد أطلق المؤلف على الكتاب اسم « البداية والنهاية » لأنه تحدث في أوله عن بدء الخليقة وفي آخره عن نهاية الخليقة، وأرّخ بينهما للأحداث من السنة الأولى للهجرة وإلى أواخر حياته رحمه الله .

(٥) رواه البخاري رقم (٢٧٠٤) .

(٦) رواه البخاري رقم (٢٧٨٨) ومسلم رقم (١٩١٢) .

الأسود العَنْسِيّ ، عن أمّ حَرَام : أنّها سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « أوّلُ جَيشٍ من أُمَّتي يغزون البحر قد أوجبوا » ، قالت أمّ حرام : فقلت : يا رسول الله ! أنا فيهم؟ قال: « أنتِ فيهم » ، ثم قال النبي ﷺ : « أولُّ جيش من أمّتي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيصْرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ » ، قلت : أَنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : «لا»[١] .

ذكر قتال الهند

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، أخبرنا البراء ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، حدثني خليلي الصادق رسول الله ﷺ أنه قال : « يكون في هذه الأمة بَعْثٌ إلى السِّنْد والهند » فإن أنا أدركتهُ فاستُشْهِدتُ فذاك ، وإن أنا . . . فذكر كلمة ، رجعتُ ، فأنا أبو هريرة المحرّر قد أعتقني من النار[٢] . ورواه أحمد أيضاً عن هُشَيم عن سيّار ، عن جبر بن عَبِيدَة ، عن أبي هريرة ، قال : وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند ، فإن استُشْهِدتُ كنتُ من خير الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرّر[٣] ، ورواه النّسائيّ من حديث هُشيم وزيد بن أبي أُنَيسَة عن سَيّار، عن جبر ـ ويقال جبير ـ عن أبي هريرة. . . فذكره[٤] . وقد غزا المسلمون الهند في سنة أربع وأربعين ، في إمارة معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ فجرت هناك أمور ، قد ذكرناها مبسوطة فيما تقدم ، وقد غزاها الملك الكبير السعيد المحمود ، محمود بن سُبُكْتِكين ، صاحب بلاد غَزْنَةَ ، وما والاهَا ، في حدود أربعمئة ، ففعل هنالك أفعالاً مشهورة ، وأموراً مشكورة ، كسرَ الصنمَ الأعظم ، المسمَّى بسومنات ، وأخذ قلائده وجواهره وذهبه وشُنُوفَه[٥] ، وأخذ من الأموال ما لا يحصى ، ورجع إلى بلاده سالماً غانماً ، وقد كان نُوّاب بني أمية يقاتلون الأتراك ، في أقصى بلاد السند ، والصين ، وقهروا ملكهم القان الأعظم ، ومزّقوا عساكره ، واستحوذوا على أمواله وحواصله ، وقد وردت الأحاديث بذِكر صفتهم ، ونعتهم ، ولنذكر شيئاً من ذلك على سبيل الإيجاز :

قال البخاري : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، أخبرنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعَر ، وحتى تقاتلوا التُّركَ ، صغارَ الأعين ، حُمر الوجوه ، ذُلْف الأنوف[٦] كأنّ وجوههم المَجَانُّ[٧] المُطْرَقَة ، وتجدون من خير الناس أشدّهم كراهية لهذا الأمر ، حتى يَدْخل فيه ، والناس معادن ، خيارهم في الجاهليّة

(١) رواه البخاري رقم (٢٩٢٤) .
(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٦٩) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه النسائي (٦/ ٤٢) وإسناده ضعيف .
(٥) الشنوف : جمع شنف وهو القرط الأعلى .
(٦) أي قصار الأنوف مع صغرها .
(٧) المجان جمع مِجَنّ ، وهو : الترس .

خيارُهم في الإسلام ، وليأتيَنّ على أحدكم زمان لأن يراني أحبُّ إليه من أن يكون له مثل أهله وماله » . تفردّ به البخاري[١] ، ثم قال : حدثنا يحيى ، ثنا عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن هَمّام بن مُنَبّه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « لَا تقومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقاتِلُوا خوزاً وكِرْمان ، من الأعاجم ، حُمْر الوجُوه ، فُطسَ الأنوف ، صغار الأعين ، كأنَّ وُجُوهَهُم المَجَانُّ المُطْرقَة ، نِعَالُهُمُ الشَّعَر »[٢] . ورواه أحمد عن عبد الرزاق[٣] . وقال أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، يَبْلُغ به النبيَّ ﷺ ، قال : « لا تقومُ الساعةُ حَتَّى تُقاتِلوا قوماً كأنَّ وُجُوهَهُم المَجَانُّ المُطْرقَة ، نِعَالهم الشَّعَر » . وأخرجه الجماعة سوى النسائي ، من حديث سُفْيان بن عُيَيْنَةَ به[٤] ، ورواه البخاريّ عن عليّ بن المدِينيّ ، عن سُفيان بن عُيَيْنَةَ به ، ورواه مسلم أيضاً ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، كلاهما عن قَيْس بن أبي حازم ، عن أبي هريرة . . . فذكر نحوَه[٥] ، قال سفيان بن عُيَينَةَ : وهم أهل البارَز ، كذا قال سفيان ، ولعلّه البازَر ، وهو سوق الفُسوق الذي لهم .

حديث عمرو بن تغلب :

وقال أحمد : حدثنا عفّان ، حدثنا جَرِير بنُ حازم ، سمعتُ الحسنَ ، حدثنا عمرو بن تغلب ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ من أَشْرَاطِ الساعةِ أن تُقاتِلُوا قوماً نعالهم الشعر » ـ أو « ينتعلون الشعر ـ وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً عِراضَ الوُجوه ، كأنّ وجوهَهمُ المَجَانُّ المُطْرقَة » . ورواه البخاريّ من حديث جَرير بن حازم[٦] .

وقد رُوِي من **حديثِ بُرَيْدَةَ بنِ الحُصَيْبِ الأَسْلَميِّ** . قال أحمد: ثنا أبو نُعَيْم، ثنا بشير بن المُهاجر، حدَّثني عبدُ الله بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه قال : كنت جالساً عند النبيِّ ﷺ فسمِعْتُه يقول : « إنَّ أُمَّتِي يَسُوقُهَا قَوْمٌ صِغَارُ الأَعْيُنِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الحَجَفُ ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، حَتَّى يُلْحِقُوهُمْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ؛ أَمَّا السِّيَاقَةُ الأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ[٧] ، وأَمَّا الثَّانِيَةُ فَيَنْجُو بَعْضٌ وَيَهْلِكُ بَعْضٌ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فيُصْطَلَمُون كُلُّهُمْ مَن بَقِيَ مِنْهُمْ » . قالوا : يا رسول اللهِ، مَن هم ؟ قال : « التُّرْكُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَرْبطُنَّ خُيُولَهُمْ بِسَوَارِي مَسْجِدِ المُسْلِمِينَ » . قال: فكان بُرَيْدَةُ لا يُفارِقُه بَعِيران أو ثلاثةٌ، ومَتاعٌ بعدَ ذلك للهربِ ؛ لمَا

(١) رواه البخاري رقم (٣٥٨٧ ـ ٣٥٨٩) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣٥٩٠) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٧١ و٢٧٢) وهو في « جامع معمر » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٧٨٢) .
(٤) رواه أحمد (٢/ ٢٣٩) والبخاري رقم (٢٩٢٩) ومسلم رقم (٢٩١٢) وأبو داود (٤٣٠٤) والترمذي رقم (٢٢١٥) وابن ماجه (٤٠٩٦) .
(٥) رواه البخاري (٣٥٩١) ومسلم (٢٩١٢) (٦٦) .
(٦) رواه أحمد (٥/ ٧٠) والبخاري رقم (٢٩٢٧) .
(٧) في الأصل : من يبردهم ، والمثبت من مسند أحمد .

سمع من رسول الله ﷺ مِن البلاءِ في التُّركِ. ورواه أبو داودَ في كتابِ المَلاحمِ مِن «سننِه» عن جعفرِ بنِ مُسافرٍ، عن خَلَّادِ بنِ يَحْيى، عن[١] بَشِيرِ بن المُهاجِرِ به. ورواه أبو يَعْلى عنه، به، وفيه: «قَوْمٌ صِغَارُ الْعُيُونِ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجوهَهمُ الحَجَفُ، يُلْحِقُونَ أَهْلَ الإسْلَامِ بِمَنَابِتِ الشِّيحِ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ؛ أَمَّا الْمَرَّةُ الأُولَى فَيَنْجُو منهم مَنْ هَرَبَ، وَأَمَّا الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ فَيَنْجُو بَعْضٌ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ، فَيَهْلِكُونَ جَمِيعاً، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَبَطُوا خُيُولَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ». قيل: مَن هم يا رسول الله؟ قال: «هُمُ التُّرْكُ»[٢].

حَدِيثُ أبي بَكْرَةَ الثَّقفيِّ في ذلك:

قال الإمامُ أحمد: ثنا أبو النَّضْرِ هاشمُ بنُ القاسمِ، ثنا الحَشْرَجُ[٣] بنُ نُباتةَ القَيْسيُّ الكوفيُّ، ثنا سعيدُ بنُ جُمْهانَ[٤]، ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرَةَ، حدَّثني أبي في هذا المسجدِ مسجدِ البصرةِ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَتنْزلَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي أَرْضاً يُقَالُ لَهَا: الْبَصْرَةُ. فَيَكْثُرُ بِهَا عَدَدُهُمْ وَنَخْلُهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ بَنُو قَنْطُورَاءَ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، حَتَّى يَنْزِلُوا على جِسْرٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: دِجْلَةُ. فَيَفْتَرِقُ المُسْلِمُونَ ثَلاثَ فِرَقٍ؛ فَأَمَّا فِرْقَةٌ فَتَأْخُذُ بِأَذْنَابِ الإبِلِ فَتَلْحَقُ بِالْبَادِيَةِ، فَهَلَكَتْ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَتَأْخُذُ على أَنْفُسِهَا، فكَفَرَتْ، فَهَذِهِ وَتِلْكَ سَوَاءٌ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَيَجْعَلُونَ عِيَالَهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ وَيُقَاتِلُونَ، فَقَتْلاهُمْ شُهَدَاءُ، وَيَفْتَحُ اللهُ على بَقِيَّتِهِمْ».

ورواه أبو داودَ في المَلاحمِ، عن محمدِ بنِ يحيى بنِ فارسٍ، عن عبدِ الصَّمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن سعيد بن جُمْهانَ[٥]، ثنا مُسْلمُ بنُ أبي بَكْرَةَ، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتي بِغَائِطٍ[٦] يُسَمُّونَهُ البَصْرَةَ عند نهر يقال له: دِجْلَةُ. يكون عليه لهم جسر، يكثر أهلها، وتكون من أمصار المُهَاجِرينَ» ـ وفي لفظٍ: «المُسْلِمِينَ ـ فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَان، جَاءَ بَنُو قَنْطُورَاءَ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الأَعْيُنِ، حتى يَنْزِلُوا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ، فَيَتَفَرَّقُ الْمُهَاجِرُونَ ثَلَاثَ فِرَقٍ؛ فِرْقَةٌ تَأْخُذُ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ وَالْبَرِّيَّةِ وَهَلَكُوا، وفرقَةٌ يَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ وَكَفَرُوا، وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُونَ ذَرَارِيَّهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، وَيُقَاتِلُونَهُمْ، وَهُمُ الشُّهَدَاءُ»[٧].

وتقدَّم حديثُ أنسٍ في ذكرِ البصرةِ، التي مُصِّرَت في زمانِ عمرَ بن الخطابِ[٨].

---

(١) تحرفت في الأصل إلى: بن.
(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٤٩) وأبو داود (٤٣٠٥) وهو حديث ضعيف.
(٣) في الأصل: الحسن.
(٤) في الأصل: جهمان، وهو خطأ.
(٥) في الأصل: جهمان، وهو خطأ.
(٦) الغائط: المطمئن من الأرض.
(٧) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٤ـ٤٥) وأبو داود (٤٣٠٦) وهو حديث حسن.
(٨) رواه أبو داود رقم (٤٣٠٧) وهو حديث حسن، وأُقحم في الأصل بعد هذا الكلام: ذكر قتالهم مع اليهود مع الدجال، جيشه سبعون ألفاً من الترك، ووزراؤه اليهود وهم سبعون ألفاً أيضاً».

وروَى مسلمٌ وأبو داودَ والنَّسائيُّ ، عن قتيبة ، عن يعقوبَ الإسْكَنْدرانيِّ ، عن سُهيل بنِ أبي صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ ، قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجانُّ المُطْرَقَةُ ، يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ » . وهذا لفظُ أبي داودَ[١] .

وقد رُوِيَ مِن حديث أبي سعيد ، فقال أحمد : ثنا عمّارُ[٢] بنُ محمدٍ ابن أختِ سُفْيانَ الثَّوريِّ ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْماً صِغَارَ الأَعْيُنِ ، عِرَاضَ الوُجُوهِ ، كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ حَدَقُ الْجَرادِ ، وَكَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ ، وَيَتَّخِذونَ الدَّرَقَ[٣] حَتّى يَرْبِطُوا خُيُولَهُمْ بِالنَّخْلِ » . تَفرَّد به أحمدُ[٤] .

حديث معاويةَ بنِ أبي سفيانَ في قِتالِ التركِ :

قال أبو يَعْلَى : ثنا محمدُ بنُ يحيى[٥] البَصْريُّ ، ثنا محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، حدثني إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ الغَمْرِ[٦] مولى سموك ، ثنا أبي ، عن جَدِّي ، سمِعْتُ مُعاويةَ بنَ حُدَيْجٍ يقولُ : كنتُ عندَ مُعاويةَ بن أبي سفيانَ ، إذ جاءه كتابُ عاملِه يُخبر أنه أوقع بالتركِ وهزمهم ، وبكثرة مَن قُتِل منهم ، وكثرةِ ما غنم منهم ، فغضب معاويةُ مِن ذلك ، ثم أمرَ أن يُكْتب إليه : قد فَهِمْتُ ما ذَكَرْتَ مما قتلتَ وغنِمت[٧] فلا أعْلَمَن أنك عُدْت لشيءٍ من ذلك ، ولا تُقاتلهم حتى يأْتِيَك أمْري . فقلتُ له : ولِمَ أميرَ المؤمنين ؟ فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : « إِنَّ التُّرْكَ تُحَارِبُ الْعَرَبَ حَتَّى تُلْحِقَهَا بِمَنَابِتِ الشِّيحِ والقَيْصُومِ » فأكرهُ قتالهم لذلك[٨] .

طريق أخرى عن معاويةَ :

قال الطَّبرانيُّ : ثنا يحيى بنُ أيوبَ العَلَّافُ ، حدَّثنا أبو صالحِ الحَرَّانيُّ ، ثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن كعب بن عَلْقمةَ التَّنوخيِّ ، ثنا حسانُ[٩] بنُ كُرَيْبٍ الحِمْيَريُّ ، سمِعْتُ ابنَ ذي الكَلاعِ[١٠] يقولُ :

---

(١) رواه مسلم (٤٩١٢) وأبو داود (٤٣٠٣) والنسائي (٦/ ٤٤ ـ ٤٥) .
(٢) في الأصل : عباد .
(٣) نوع من الترس .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣١) أقول : وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٤٠٩٩) وهو حديث صحيح .
(٥) في الأصل : محمد .
(٦) في الأصل : ابن أحمد .
(٧) في الأصل بدلها : غيمت .
(٨) رواه أبو يعلى في مسنده (٧٣٧٦) وإسناده ضعيف .
(٩) في الأصل : حماد .
(١٠) في الأصل بدلها : من ذي الأسماع .

سمِعْتُ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ يقولُ : سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ »[١] .

وروى الطَّبَرانيُّ ، عن إبراهيم بن أبي حاتم ، عن نُعَيْم بن حمادٍ في كتاب « المَلاحِم » ، ثنا يحيى ابنُ سعيد العَطَّارُ وأبو المُغيرةِ ، عن إسماعيلَ بن عَيَّاشٍ ، عن عبدِ الله بنِ دِينارٍ ، عن كعبِ الأحبارِ قال : يَنْزِلُ التُّركُ آمِدَ ، ويشرب مِن نهرِ الدِّجْلةِ والفُراتِ سبعون ألفاً ، ويَسْعَوْن في الجزيرةِ وأهل الإسلام ، في الحِيرة ، لا يَسْتطِيعون لهم شيئاً ، فيَبْعَثُ اللهُ عليهم ثلجاً بغيرِ كَيْلٍ فيه صِرٌّ مِن ريحٍ شديدةٍ وجَليدٍ ، فإذا هم خامِدون . وفي رواية عن كعب : فيبعث الله عليهم الطاعون ، فلا يفلت منهم إلا رجل واحد .

والمقصود أن التُّرك قاتلهم الصحابة ، فهزموهم ، وغَنِموهمْ وسَبَوا نساءَهم وأبناءهم ، وظاهرُ هذه الأحاديث يقتضي أن قتالهم يكون من أشراط الساعة ، وأشراطها لا تكون إلا بين يَديها قريباً منها ، فقد يكون هذا واقعاً مرة أخرى عظيمة بين المسلمين وبين الترك ، حتى يكون آخر ذلك خروجَ يأْجُوجَ ومأجُوجَ ، كما سيأتي ذِكرُ أمرهم ، وإن كان أشراطُ الساعة أعمَّ من أن يكون بين يَدَيها قريباً منها ، أو يكون مما يقع في الجُملة ، حتى ولو تقدّم قبلها بدهر طويل ، إلاّ أنه مما يقع بعد زمن النبي ﷺ وهذا هو الذي يظهرُ بعد تأملّ الأحاديث الواردة في هذا الباب ، كما ترى ذلك قريباً إن شاء الله تعالى . وقد ذكرنا ما ورد في مقتل الحُسَيْن بن عليّ بكَرْبلاءَ ، في أيام يزيد بن معاوية، كما سَلَف، وما ورد من الأحاديث في ذكر خلفاء بني أمَيّة أُغَيْلمة بني عبد المطلب . قال أحمد : حدثنا روح ، حدثنا أبو أمَيّة عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص ، أخبرني جَدِّي سعيد بن عمرو بن سعيد ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هَلَكَةُ أُمّتي عَلَى يَدَيْ غِلْمةٍ » فقال مروان ، وهو معنا في الحَلْقة قبل أن يَلِيَ شيئاً : فَلَعْنَةُ اللهِ عليهم غِلْمَةً ، قال : أما والله لو أَشَاء أن أقول بَنِي فلان ، وبني فلان لفعلتُ ، قال : فكنت أخرجُ مع أبي وجدّي إلى بني مروان بعد ما ملكوا ، فإذا هُم يبايعونَ الصِّبْيانَ ، ومنهم من يُبايَع له وهو في خِرْقَةٍ ، قال لنا : هل عَسَى أَصْحَابُكُمْ هؤلاء أنْ يَكُونوا الذين سمعتُ أبا هريرة يذكر أن هذه الملوك يُشبه بعضها بعضاً . ورواه البخاريّ بنحوه عن أبي هريرة[٢] . والأحاديثُ في هذا كثيرة جدًّا ، وقد حررّناها في دلائل النبوة . وتقدم الحديث في ذِكر الكذَّاب والمبير من ثقيف[٣] ، فالكذَّاب هو المختار بن أبي عُبَيْد الذي ظهر بالكوفة ، أيام عبد الله بن الزبير، وكان رافضياً خبيثاً، بل كان يُنْسَبُ إلى الزندقة ، وادعى أنه يُوحى إليه ، وقد قتله مصعب بن الزبير ، وأما المُبير ، فهو الحجاج بن يوسف الثقفيّ ، الذي قَتَلَ عبد الله بن الزبير ، وكان ناصبياً ، جَبَّاراً عنيداً ، عكس الأول في الرفض كما تقدم.

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (١٩/ ٨٨٢) وفي إسناده ضعف ، وله شواهد بهذا الاختصار ، فهو حسن لغيره .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٤) والبخاري رقم (٣٦٠٥) .

(٣) رواه مسلم (٢٥٤٥) .

وتقدم حديث الرايات السُّود[١] التي جاء بها بنو العباس ، حين استلموا الملك من أيدي بني أمية ، وذلك في سنة ثنتين وثلاثين ومئة ، أخذوا الخلافة من مروان بن محمد بن مَرْوان بن الحكم بن أبي العاص ، ويعرف بمروان الحمار ، ومروان الجعْدي ، لاشتغاله على الجعد بن درهم المعتزليّ ، وكان آخر خلفاء بني أمية ، وصارت الخلافة للسفاح بعده ، المُصرّح بذكره في حديثٍ رواه أحمد بن حنبل في «مُسنده»[٢] وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب، أول خلفاء بني العباس كما تقدّم ذلك .

وقال أبو داود الطيالسيّ : حدثنا جرير بن حازم ، عن ليث ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن أبي ثعلبة الخُشَنِيّ، عن أبي عُبَيْدة بن الجراح ومُعاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ الله بَدأَ هَذَا الأمرَ نبوةً ، ورحمةً ، وكَائناً خِلافةً ورحمةً ، وكائناً مُلكاً عَضُوضاً ، وكائناً عِزةً وجبْريةً وفَساداً في الأمة ، يستحلُّونَ الفروجَ، والخمورَ، والحرير، ويُنْصَرون على ذلك ويُرزقون أبداً، حتى يلْقَوا الله عزّ وَجلّ»[٣] . وروى البَيْهَقيّ من حديث عبد الله بن الحارث بن محمد بن حاطب الجمحي ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَكونُ بَعْدَ الأنبياء خُلَفاءُ يعملون بكتاب الله، ويعدلون في عباد الله ، ثم يكون من بعد الخلفاء ملوكٌ ، يأخذونَ بالثَّأْرِ ، وَيقْتُلوُنَ الرِّجَال، وَيصْطَفُونَ الأمْوالَ ، فَمُغيِّرٌ بيده ، ومُغيرٌ بلِسَانه ، ومُغيرٌ بقَلْبه ، ليس وَرَاء ذلكَ من الإيمان شيْءٌ »[٤]. وثبت في «صحيح البخاريّ» من حديث شعبة عن فُرات القزّاز، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «كانَتْ بَنُو إسرائِيلَ تَسُوسهُم الأنبِياءُ، كلّما هَلَك نبيٌّ خلَفَه نبيٌّ ، وإنه لا نبيّ بَعْدِي، وإنه سَيَكونُ خلفاءُ ، فيَكثُرُون » قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : «فُوا بِبيْعَة الأوّل، فالأوّل ، وأعْطُوهُمْ حَقَّهم ، فإن اللهَ سائلهُم عَمّا اسْتَرعاهم »[٥] وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي رافع ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ: « ما كانَ نَبِيٌّ إلاّ كانَ له حَوارِيُّونَ يَهْدُونَ بَهدْيهِ وَيَسْتَنُّونَ بسُنَّته، ثم يكونُ من بَعْدِهم خُلُوف يقولون ما لا يَفْعَلُون، ويعملُون ما يُنْكِرُون »[٦]. وثبت في «الصحيحين» من رواية عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سَمُرة، عن النبي ﷺ: «يكونُ اثنا عَشَر خليفةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيش»[٧]. ورواه أبو داود، من طريق أخرى، عن جابر بن سَمُرة قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٧٧) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أحمد (٣/ ٨٠) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أبو داود الطيالسي رقم (٢٢٨) وفي إسناده ضعف بطوله .
(٤) في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٤٥٥) ومسلم رقم (١٨٤٢) .
(٦) رواه مسلم رقم (٥٠) .
(٧) البخاري (٧٢٢٢) ومسلم رقم (١٨٢١).

يقول: « لَا يَزالُ هَذَا الدِّينُ قائماً حتَّى يكونَ اثنا عشر خليفة »[١]، وفي رواية : « لَا تزالُ هَذِه الأمّةُ مُسْتَقيماً أمرُها ، ظاهِرَةً على عدوّها ، حتى يَمْضِي منهُم اثنا عَشَر خليفةً كلُّهُمْ مِنْ قُرَيْش » قالوا : ثُمَّ يكُون ماذَا ؟ قال : « يكونُ الهَرْجُ »[٢]. فهؤلاء الخلفاء المبشّر بِهم في هذا الحديث ليسُوا بالاثني عَشَر الذينَ يَزْعُم فِيهِم الرَّوافضُ ما يَزْعُمُونَ ، من الكذب والبهتان ، وأنهم معصومون ، لأن أكثَرَ أولئك لم يلِ أحدٌ منهم شيئاً من أعمال هذه الأمة في خلافةٍ ، بل ، ولا في قطرٍ ولا بَلَدٍ من البلدان ، وإنما وَلِيَ منهم عليٌّ وابنه الحسن ، رضي الله عنهما ، وليس المرادُ من هؤلاء الاثني عشر الذين تتابعت ولايتهم سَرْداً إلى أثناء دولة بني أميّة ، لأن حديث سَفِينَة : « الخلافةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً »[٣] يمنع من هذا المسلك، وإن كان البيهقيّ قد رجَّحَهُ ، وقد بحثنا معه في كتاب دلائل النبوة من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته ، ولله الحمد ، ولكن هؤلاء الأئمة الاثني عشر وجد منهم الأئمة الأربعة ، أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليّ ، وابنه الحسن بن علي ، أيضاً ، ومنهم عمر بن عبد العزيز ، كما هو عند كثير من الأئمة ، وجمهور الأمّة ، ولله الحمد ، وكذلك وجد منهم طائفة من بني العباس ، وسيوجد بقيّتهم فيما يُستقبل من الزمان ، حتى يكون منهم المهديّ المبشَّر به في الأحاديث الواردة فيه ، كما سيأتي بيانها وبالله المستعان ، وعليه التُّكلان ، وقد نص على هذا الذي قلناه غيرُ واحدٍ ، كما قررنا ذلك .

حديثُ عبادةَ فيما يتعلَّق بما بعدَ المئةِ سنةٍ :

قال أحمدُ : ثنا الحكمُ بن نافع ، ثنا إسماعيلُ بنُ عياش ، عن يزيدَ بنِ سعيد ، عن أبي عطاءٍ يزيدَ ابنِ عطاءٍ السَّكْسَكِيِّ ، عن مُعاذِ بن سعد السَّكسكي[٤] ، عن جُنادةَ بن أبي أميَّةَ ، أنَّه سمِع عبادةَ بنَ الصامتِ يذكرُ أنَّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ما مدةُ أمتِكَ في الرخاءِ ؟ فلم يردَّ عليه شيئاً ، حتى سأله ثلاثَ مِرارٍ ، كلَّ ذلك لا يُجيبُه ، ثم انصرف الرجلُ ، ثم إنَّ النبيَّ ﷺ قال : « أينَ السَّائلُ » ؟ فَرَدُّوه عليه ، فقال : « سألْتني عَنْ شَيْءٍ [مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي] ؛ مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مئة سَنَةٍ » . قالها مرتين أو ثلاثاً ، فقال الرجل : يا رسول الله ، فهل لذلك من أمارةٍ أو علامةٍ أو آيةٍ ؟ فقال : « نَعَم ، الخَسْفُ ، وَالرَّجْفُ ، وَإرْسَالُ الشَّيَاطِينِ المُجْلِبَةِ عَلَى النَّاسِ »[٥] .

وفي « مسند أبي يعلى » ، والبزارِ من حديثِ مُصعبِ بنِ مُصعبٍ ، ولا أعرِفُه إلّا عن الزهريِّ ، عن أبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « تُرْفَعُ زِينَةُ الدُّنْيَا

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٧٩) .
(٢) رواه الطبراني في « الكبير » (٢/ ٢٨٢) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٥٢٠).
(٣) رواه أحمد والترمذي ، وقد تقدم صفحة (١٤) وهو حديث حسن .
(٤) في الأصل : معاذ بن شقراء ، وهو خطأ . والتصحيح من مسند أحمد ، وكتب الرجال .
(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٢٥) وإسناده ضعيف .

سَنَةَ خَمسٍ وعِشْرِينَ وَمِئَةٍ » . هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا[١] .

حديث فيما بعد المئتين من الهجرة

قال ابن ماجه : حدثنا الحسن بن عليّ الخلاّل ، حدثنا عون بن عُمارة ، حدثني عبد الله بن المُثنّى ابن ثُمَامة بن عبد الله بن أَنَس بن مالك ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أنس ، عن أبي قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : « الآيات بعد المئتين » . ثم أورده ابن ماجه ، من وجهين آخرين عن أنس عن النبي ﷺ بنحوه ، ولا يصح[٢] ، ولو صحّ فمحمول على ما وقع من الفتنة بسبب القول بخلْق القرآن ، والمحنة للإمام أحمد بن حنبل ، وأصحابه ، من أئمة الحديث ، كما بسطنا ذلك هنالك .

وروى روَّاد بن الجرّاح ، وهو مُنْكَر الرواية ، عن سفيان الثوريّ ، عن منصور ، عن رِبْعِيّ ، عن حُذَيفَة ، مرفوعاً : « خيرُكم بَعدَ المئتين خَفِيفُ الحَاذِ » قالوا : وما خَفِيفُ الحَاذِ[٣] يا رسول الله ، قال : « مَنْ لاَ أَهْلَ لَهُ ، ولا مالَ ولا ولد » . وهذا منكر[٤] .

وثبت في « الصحيحين » من حديث شُعْبَة عن أبي جمرة ، عن زهدم بن مُضَرِّب ، عن عمران بن حُصَيْن قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ أمّتي قَرْني ، ثم الذين يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الذينَ يلُونَهُمْ » قال عمران : فلا أدري ذكَرَ بعد قرنه قرنَيْن ، أو ثلاثةً « ثمّ إنّ بَعْدَكم قوماً يَشْهَدُونَ ، ولا يُسْتَشْهَدونَ ، ويَخُونُون ولا يُؤتمنون ، وينذرُون ، ولا يُوفُونَ ، ويظهر فيهم السِّمَنُ » . وهذا لفظ البخاري[٥] .

ذكر سنة خمسمئة

قال أبو داود : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو المُغيرة ، حدثني صَفْوان ، عن شُرَيح بن عُبَيْد ، عن سعد بن أبي وقاص ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إني لأرْجُو ألاّ تَعْجِز أُمَّتي عِنْدَ رَبِّها أَنْ يُؤَخِّرَهَا نِصْفَ يَوْمٍ » قِيلَ لِسَعْد : وكَمْ نِصْفُ يَوْم ؟ قال : خَمْسُمئة سنة . وقد تفرّد به أبو داود[٦] .

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل عن أبي ثعلبة الخُشَنيِّ من قوله مثلَ ذلك[٧] ، وهذا التحديد بهذه المدة لا ينفي ما يزيدُ عليها إن صحّ رفع الحديث ، والله أعلم .

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٨٥١) والبزار (١٠٢٣) .
(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٥٧) و(٤٠٥٨) .
(٣) أي : خفيف الظهر ، ليس على ظهره حمل ثقيل .
(٤) ورواه أبو يعلى في « المسند الكبير » رقم (٤٣٦٥ ـ المطالب العالية) وابن عدي في « الكامل » (٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧) أقول : وهو حديث موضوع .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٦٥٠) ومسلم رقم (٢٥٣٥) .
(٦) رواه أبو داود رقم (٤٣٥٠) وهو حديث صحيح .
(٧) رواه أحمد (٤/ ١٩٣) موقوفاً على أبي ثعلبة الخشني، ورواه أبو داود مرفوعاً رقم (٤٣٤٩) وهو حديث صحيح.

فأما ما يُوردُه كثير من العامّة أن النبي ﷺ قال : « لايؤلَّف تحت الأرض » . فهو من قولهم وكلامهم ، وليس له أصل ، ولا ذِكْر في كتب الحديث المعتمدة ، ولا سمعناه في شيء من المبسوطات ، والأجزاء المختصرات ، ولا ثَبتَ في حديث عن رسول الله ﷺ أنه حَدَّ الساعة بِمُدَّة محصورة ، وإنما ذكر شيئاً من أشراطها وأماراتها وعلاماتها على ما سنذكره إن شاء الله .

ذكر الخبر الوارد

في خروج نار من أرض الحجاز أضاءت لها أعناقُ الإبل بُبصْرَى من أرض الشام وذلك في سنة أربع وخمسين وستمئة

قال البخاري : حدّثنا أبو اليمان ، حدثنا شُعَيْبٌ ، عن الزهريّ ، قال : قال سعيد بن المُسيب ، أخبرني أبو هُرَيْرَة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم السَّاعَةُ حتّى تَخْرُجَ نارٌ مِنْ أرض الحِجَاز تُضيءُ أَعناقَ الإِبل بِبصرى » . ورواه مسلم من حديث الليث ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب به[١] .

وقد رواه أبو نُعَيْمٍ الأصْبَهانيُّ ، ومن خطِّه نقلْتُ ، مِن طريقِ أبي عاصمٍ النَّبيلِ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ جعفرٍ ، عن عيسى بن عليٍّ الأنصاريِّ ، عن رافعِ بن بشرٍ السَّلَمِيِّ[٢] ، عن أبيه ، قال رسولُ الله ﷺ : « تَخْرُجُ نَارٌ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى ، تَسِيرُ سَيْرَ مطية الإِبِلِ ، تَسِيرُ النَّهَارَ وَتُقِيمُ اللَّيْلَ ، تَغْدُو وَتَرُوحُ ، فَيُقَالُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ غَدَتِ النَّارُ فَاغْدُوا . أَوْ : قَالَتِ النَّارُ ، أَيُّهَا النَّاسُ فَقِيلُوا . غَدَتِ النَّارُ ، أَيُّهَا النَّاسُ فَرُوحُوا . مَنْ أَدْرَكَتْهُ أَكَلَتْهُ » . هكذا رواه أبو نُعَيْمٍ ، وهو في « مسند أحمدَ » مِن روايةِ رافعِ بن بشرٍ السَّلمِيِّ[٣] ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ بدونِ هذه الزيادة إلى : « تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى » . وهو الصوابُ ؛ فإن هذه النارَ التي ذكَر أبو نُعَيْمٍ هي النارُ التي تَسُوقُ الناسَ إلى أرضِ المَحْشَرِ ، كما سيأتي بيانُ ذلك قريباً[٤] .

وقال الإمامُ أحمدُ : ثنا وهبُ بنُ جريرٍ ، ثنا أبي ، سمِعْتُ الأعمشَ يُحَدِّثُ عن عمرو بن مُرَّةَ ، عن عبدِ الله بن الحارثِ ، عن حَبيبِ بنِ حِمَازٍ[٥] ، عن أبي ذرٍّ قال : أَقْبَلْنا مع رسولِ الله ﷺ ، فنَزَلْنا ذا الحُلَيْفَةِ فتعَجَّلَتْ رِجالٌ مِنَّا إلى المدينة ، وبات رسول الله ، فلما أصْبَح سأل عنهم ، فقيل : تعَجَّلوا

---

(١) رواه البخاري رقم (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢) .

(٢) في الأصل : الأسلمي .

(٣) في الأصل : الأسلمي .

(٤) وأخرجه الطبراني في « الكبير » رقم (١٢٢٩) وأحمد في المسند (٣/ ٤٤٣) .

(٥) في الأصل : جماز . وفي ضبطه خلاف يراجع في « تعجيل المنفعة » للحافظ ابن حجر .

إلى المدينةِ . فقال : « تَعَجَّلُوا إلى المَدِينَةِ وَالنِّسَاءِ ، أَمَا إِنَّهُمْ سَيَدَعُونَهَا أَحْسَنَ مَا كَانَتْ » . ثم قال : « لَيْتَ شِعْرِي ، مَتَى تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ جَبَلِ الوَرَاقِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ [الإبل] بُرُوكاً بِبُصرَى كَضَوْءِ النَّهَارِ » . وهذا الإسنادُ لا بأسَ به[١] ، وكأنه مما اشْتَبَه على بعضِ الرُّواةِ ، فإن النار التي تَخْرُجُ مِن قَعْر عَدَنَ مِن اليمن ، هي التي تَسُوقُ الناسَ الموجودين في آخرِ الزمانِ إلى المَحْشَرِ ، وأما النارُ التي تُضيءُ لها أعناقُ الإبلِ ، فتلك تَخْرُجُ مِن أرضِ المدينةِ النبويةِ ، كما تقدَّم بيانُ ذلك .

وقد ذكر الشيخ شهابُ الدين أبو شامة ، وكان شيخَ المحدِّثين في زمانه ، وأستاذَ المؤرخين في أوانه ، أن في سنة أربع وخمسين وستمئة في يوم الجمعة خامس جُمادَى الآخرة منها ظهرت نار بأرض المدينة النبوّية ، في بعض تلك الأوْدية طول أربعة فراسخ ، وعرض أربعة أميال ، تُسِيل الصخر ، حتى يبقى مثل الآنُك[٢] ثم يصِيرُ مثلَ الفحم الأسود ، وأن ضوءها كان الناسُ يسيرون عليه بالليل إلى تَيْمَاءَ[٣] ، وأنها استمرّت شهراً ، وقد ضبط ذلك أهلُ المدينة ، وعملوا فيها أشعاراً ، وقد ذكرناها فيما تقدّم ، وأخبرني قاضي القضاة ، صدر الدين عليّ بن أبي القاسم الحنفيّ ، قاضيهم بدمشق ، عن والده الشيخ صفيّ الدين مدرّس الحنفية بِبُصْرَى ، أنه أخبره غيرُ واحد من الأعراب صَبِيحةَ تلك الليلة ، ممّن كان بحَاضِرَة بلد بُصْرىٰ : أنهم شاهدُوا أعْنَاقَ الإبل في ضَوْء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز ، وقد تقدم بسط ذلك سنة أربع وخمسين وستمئة بما فيه كفاية عن إعادته هنا .

ذكر إخباره ﷺ بالغيوب المستقبلة ، بعد زماننا هذا

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : حدثنا أبو عاصم ، حدثنا عزْرة بن ثابت ، حدثنا عِلباء بن أحمر الْيَشْكُرِيّ ، حدثنا أبو زيد الأنصاريّ ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، ثم صَعِد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهرُ ، ثم نزل فصلى الظهر ، ثم صعِد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصرُ ، ثم نزل فصلى العصر ، ثم صعِد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس ، فحدثنا بما كان ، وما هو كائن ، فأعلمُنا أحفظنا .

وقد رواه مسلم مُنفرداً به في كتاب الفتن من « صحيحه » ، عن يعقوب بن إبراهيم الدّوْرَقِيّ ، وحجاج بن الشاعر ، عن أبي عاصم الضحاك بن مَخْلَد النبيل ، عن عزرة ، عن عِلْبَاء ، عن أبي زيد ، وهو عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصاريّ ، به[٤] .

وقال البخاريّ في كتاب بدء الخلق من « صحيحه » : رُوي عن عيسى بن موسى غُنْجار ، عن

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ١٤٤) .
(٢) الرصاص الخالص .
(٣) بين الشام ووداي القرى على طريق حاج الشام . « معجم البلدان » .
(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٤١) ومسلم رقم (٢٨٩٢) .

رَقَبَةَ ، عن قَيْس بن مُسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : سمعتُ عمر بن الخطاب يقول : قام فينا رسول الله ﷺ مَقاماً ، فأخبرنا عن بدء الخلق ، حتى دخل أهلُ الجنة منازلَهم ، وأهلُ النار منازلَهم ، حفظ ذلك مَنْ حَفِظَهُ ، ونَسِيَهُ من نسيه . هكذا ذكره البخاريّ مُعلَّقاً بصيغة التمريض عن [عيسى] غُنْجار ، عن رَقَبة [وهو ابن مصقلة . قال أبو مسعود الدمشقي في « الأطراف » : وإنما رواه عيسى غنجار عن أبي حمزة عن رَقَبَة][1] فالله أعلم .

وقال أبو داود في أول كتاب الفتن من « سُنَنِه » : حدثنا عثمانُ بن أبي شَيْبَة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حُذَيْفَة قال : قام فينا رسول الله ﷺ قائماً ، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك ، إلى قيام الساعة ، إلاّ حدّثه ، حفظه مَنْ حَفِظَهُ ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيءُ فأذكره ، كما يذكرُ الرجل وَجْهَ الرَّجُل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه . وهكذا رواه البخاريّ من حديث سُفيان الثوريّ ، ومسلم من حديث جرير ، كلاهما عن الأعمش به[2] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن عليّ بن زيد ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاةَ العصر ذاتَ يوم بنهارٍ ، ثم قام ، فخطبنا إلى أن غابت الشمس ، فلم يدَع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة إلاّ حدّثَناهُ ، حفظ ذلكَ من حَفِظَهُ ، ونسي ذلك من نَسِيهُ ، فكان مما قال : « يا أيُّها الناسُ ، إنّ الدُّنيا خَضِرَةٌ حُلْوَة ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها فناظرٌ كَيفَ تَعْمَلُونَ ، فاتقوا الدُّنْيَا ، واتقوا النِّساء » . وذكر تمامَها إلى أن قال وقد دنت الشمسُ أن تغرُب : « وإنّ ما بقيَ من الدُّنيا فيما مضَىٰ منها مثلُ ما بَقِي من يَومِكُمْ هذَا فِيمَا مَضىٰ منه » . وعلي بن زيد بن جُدْعَان التيميّ ، له غرائب ، ومنكرات ، ولكن لهذا الحديث شواهدُ من وجوه أُخرَ .

وفي « صحيح مسلم » ، من طريق أبي نَضْرة عن أبي سعيد بعضه[3] .

وفيه الدلالة على ما هو المقطوع به ، أن ما بقي من الدُّنيا بالنسبة إلى ما مضى منها شيء يسير جدّاً ، ومع هذا لا يَعلَمُ مقدار ما بقي على التعيين والتحديد إلاّ اللهُ تعالى ، كما لا يَعلَمُ مقدار ما مضى منها إلاّ اللهُ عَزَّ وجَلّ ، والذي في كتب الإسرائيليين ، وأهل الكتاب ، من تحديد ما سلف بألوف ومئين من السنين قد نَصّ غيرُ واحدٍ من العلماء على تخطئتهم فيه ، وتغليطهم ، وهم جديرون بذلك ،

---

(١) رواه البخاري معلقاً رقم (٣١٩٢) بصيغة الجزم لا بصيغة التمريض . وقال الحافظ في « الفتح » : ثبت في رواية حماد بن شاكر عن البخاري : روى عيسى عن أبي حمزة عن رقبة ، وكذا قال ابن رميح عن الفربري .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٢٤٠) والبخاري رقم (٦٦٠٤) ومسلم رقم (٢٨٩١) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٦١) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٧٢٠) وإسناده ضعيف كما قال المصنف، وله شواهد، انظر البخاري رقم (٦٦٠٤) ومسلم (٢٨٩١) من حديث حذيفة، ورقم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري، ورقم (٢٨٩٢) من حديث عمرو بن أخطب .

حقيقون به ، وقد ورد في حديث : « الدُّنيَا جُمُعَةٌ من جُمَع الآخِرَة » ولا يَصِحُّ إسناده[١] ، وكذا كل حديث ورد فيه تحديدٌ بوقتِ يوم القيامة على التعيين لا يثبت إسنادُه ، وقال الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات] ، وقال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف] والآيات في هذا ، والأحاديث كثيرة ، وقال الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ [القمر] [وثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره ، عن سهل بن سعد قال : سمعت النبي ﷺ يقول :] « بُعِثْتُ أَنا وَالسَّاعةُ كَهَاتَيْنِ »[٢] وفي رواية : « إنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي »[٣] وهذا يَدُلّ على اقْتِرَابها بالنسبة إلى ما مضى من الدنيا ، وقال تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنبياء] وقال تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ ﴾ [النحل : ١] وقال تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ ﴾ [الشورى : ١٨] .

وفي « الصحيح » أن رجلاً من الأعراب سأل رسول الله ﷺ عن الساعة ، فقال : « إنّها كائنة ، فما أعدَدْتَ لها ؟ » فقال الرجل : والله يا رسول الله لَمْ أُعِدَّ لها كَثِيرَ صَلاَةٍ ، وَلاَ عَملٍ ، ولكنّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ، فقال : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث[٤] .

وفي بعض الأحاديث : أنه ﷺ سُئِل عن السَّاعَةِ ، فنظَرَ إلى غُلاَم فقال : « لَن يُدْرِكَ هَذَا الْهَرَمُ ، حتَّى تَأْتِيَكُمْ ساعتُكُمْ »[٥] والمراد انْخِرامُ قَرْنِهِمْ ، ودُخولهم في عالم الآخرة ، فإنّ كُلَّ من مات ، فقد دخل في حكم الآخرة ، وبعضُ الناس يقول : من مات فقد قامت قيامته[٦] ، وهذا الكلامُ بهذا المعنى صحيح ، وقد يقول هذا بعضُ الملاَحِدَة ، ويُشيرُون به إلى شيء من الزندقة والباطل ، فأما الساعة العظمى وهو اجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فهذا مما استأثر الله تعالى بعلم وقته ، كما ثبت في الصحيح : « خمسٌ لا يَعْلَمُهُنّ إلاّ الله » ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان : ٣٤][٧] .

---

(١) رواه الديلمي في « مسند الفردوس » عن أنس ، وهو ضعيف . ورواه السهمي في « تاريخ جرجان » صفحة (١٤٠) وإسناده ضعيف .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٥٠٣) ومسلم رقم (٢٩٥٠) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/٣٤٨) من حديث بريدة ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/٢٢٦) والبخاري رقم (٣٦٨٨) ومسلم (٢٦٣٩) .

(٥) رواه أحمد في المسند (٣/٢٨٣) والبخاري رقم (٦١٦٧) ومسلم رقم (٢٩٥٣) من حديث أبي هريرة .

(٦) قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: أخرجه ابن أبي الدنيا، في كتاب «الموت» من حديث أنس بسند ضعيف.

(٧) رواه أحمد (٥/٣٥٣) والبخاري رقم (٥٠) ومسلم (٩) .

ولما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابيّ ، فسأل عن الإسلام ، ثم الإيمان ، ثم الإحسان ، أجابه ﷺ عن ذلك ، فلمّا سأله عن الساعة ، قال له : « ما المسؤولُ عنها بأعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ » ، قال : فأخْبِرْنِي عَنْ أَشْرَاطِهَا ، فأخْبَرهُ عن ذلك ، كما سيأتي إيرادهُ بسنده ، ومَتْنِه[١] مع أمثاله ، وأشكاله ، من الأحاديث .

باب ذكر الفتن جملة
ثم نفصل ذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى

قال البخاري : حدثنا يحيى بن موسى ، حدثنا الوليد ، حدثني ابن جابر ، حدثني بُسْرُ بن عُبَيْد الله الحَضْرميّ ، حدثني أبو إدريس الخَوْلَانيُّ ، أنّه سمع حُذَيْفَةَ بنَ اليَمانِ يقول : كان الناسُ يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسأله عن الشرّ مخافَةَ أن يُدْرِكني ، فقلت : يا رسول الله ، إنّا كُنّا في جَاهِلِيّة وشَرّ ، فجاءنا اللهُ بهذا الخير ، فهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرّ ؟ قال : « نَعَمْ » : قلت : وهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشرّ مِنْ خَيْر ؟ قال : « نعم ، وفيه دَخَنٌ[٢] » ، قلت : وما دَخَنُه ؟ قال : « قوم يَهْدُون بغير هديي تعرفُ منهُمْ وتُنْكِرُ » ، قلت : فهلْ بعد ذلك الخير من شَرّ ؟ قال : « نعم ، دُعَاةٌ على أبوابِ جهنم ، من أجابهُمْ إليها قَذَفُوهُ فيها » ، قلت : يا رسول الله ، صِفْهُم لنا ، قال : « هُمْ من جلدتنا ، ويتكَلَّمُونَ بألسنتِنَا » ، قلت : فما تأْمُرني إن أدْرَكَنِي ذلك ؟ قال : « تَلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهُمْ » ، قلت : فإن لم يكن لهم إمام ، ولا جماعةٌ ، قال : « فاعْتَزِل تلك الفِرَق كُلَّهَا ، ولو أن تَعَضَّ بأصْلِ شجرةٍ ، حتى يُدْركك الموتُ وأنتَ على ذلك » . ثم رواه البخاريّ أيضاً ، ومسلم ، عن محمد بن المثنَّى ، عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، به نحوه . وقد رُوي هذا الحديث من طُرُق كثيرةٍ ، عن حُذَيفَة ، فرواه أحمدُ ، وأبو داود ، والنسائيّ ، من طريق نصر بن عاصم ، عن خالد بن خالد اليَشْكُرِيّ الكوفيّ ، عنه مبسوطاً ، وفيه تفسير لما فيه من مُشْكِل ، ورواه النسائي وابن ماجه ، من رواية عبد الرحمن بن قُرْط عنه . وفي « صحيح البخاري » ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قَيْس بن أبي حازم ، عن حُذَيْفَة ، قال : تعلَّمَ أصحابي الخيرَ ، وتَعَلَّمْتُ الشَّرَّ[٣] .

وثبت في « الصحيح » من حديث الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحْوص ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الإسلام بدأ غَرِيباً ، وسيعُودُ غَرِيباً كما بدأ ، فطُوبَى

---

(١) رواه مسلم رقم (٨) من حديث عمر ، وقد تقدم من حديث أبي هريرة في الذي قبله .
(٢) أي خير مشوب بالشر .
(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٠٦) و(٧٠٨٤) و(٣٦٠٧) ومسلم رقم (١٨٤٧) وأحمد (٥/٣٨٦) وأبو داود رقم (٤٢٤٤) والنسائي في « الكبرى » (٨٠٣٢) و(٨٠٣٣) وابن ماجه رقم (٣٩٨١) .

لِلْغُرَبَاءِ » قيل : وَمَن الغُرَباء ؟ قال : « النُّزَّاعُ من القبائل »[١] ورواه ابنُ ماجه عن أنس، وأبي هريرة[٢] .

وقال أحمد : ثنا هارونُ بن معروف ، أنبأنا عبدُ الله بن وهبٍ ، أخبرني أبو صخر ، أنَّ أبا حازم حدَّثه ، عن ابنٍ لسعدِ بن أبي وقاص : سمِعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الإِيمَانَ بَدَأَ غَرِيباً ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلْغُرَبَاءِ ؛ إذَا فَسَدَ النَّاسُ ، وَالَّذِي نَفْسُ أبي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ لَيَأْرِزَنَّ الإِيمَانُ مِنْ هَذَيْنِ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا »[٣] .

وقال أحمد : ثنا حسن بن محمدِ بن موسى ، ثنا ابن لهيعةَ ، ثنا جميلٌ الأَسْلَمِيُّ ، عن سهل بن سعد الساعديِّ ، عن رسول الله ﷺ قال : « اللَّهُمَّ لاَ يُدْرِكْنِي زَمَانٌ » ـ أو قال : « لاَ تُدْرِكُوا زَمَاناً ـ لاَ يُتَّبَعُ فِيه الْعَلِيمُ ، وَلاَ يُسْتَحْيَا فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الأَعَاجِمِ ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ العَرَبِ » . تفرَّد [به] أحمد[٤] .

باب افتراق الأمم

وقال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن بِشر ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تفرَّقت اليَهُودُ عَلَى إحْدَى وَسَبْعِينَ فرقةً ، وتفرَّقَت أمَّتِي على ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فرقة » .

ورواه أبو داود ، عن وهب بن بَقِيَّة ، عن خالد ، عن محمد بن عمرو ، به[٥] .

وقال ابن ماجه : حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي ، حدثنا عبَّاد بن يوسف، حدثنا صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد ، عن عوف بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، والذي نفسي بيده لَتَفْتَرِقَنَّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، وثنتان وسبعون في النار » قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : « الجماعة » . تفرد به ، وإسنادُه لا بأس به[٦] .

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٩٨) وابن ماجه رقم (٣٩٨٨) وهو حديث حسن .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٣٩٨٧) و(٣٩٨٦) من حديثهما ، وهو عند مسلم رقم (١٤٥) من حديث أبي هريرة ، ومن حديث ابن عمر رقم (١٤٦) .

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ١٨٤) وهو حديث صحيح .

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٤٠) وإسناده ضعيف .

(٥) رواه ابن ماجه رقم (٣٩٩١) وأبو داود رقم (٤٥٩٦) وهو حديث حسن .

(٦) رواه ابن ماجه (٣٩٩٢) .

وقال ابن ماجه أيضاً : حدثنا هشام هو ابن عَمّار ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو عمرو ، حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة ، كلُّها في النار إلاّ واحدة ، وهي الجماعة » . وهذا إسناد قويّ على شرط الصحيح ، تفردّ به ابنُ ماجه أيضاً[(١)] .

وقد روى أبو داود، من حديث الأوزاعيّ عن قتادة، عن أنس ، وأبي سعيد ، قالا : قال رسول الله ﷺ : « سيكون في أمتي اختلافٌ وفُرْقة ، وقوم يُحسِنون القيل ، ويُسِيؤون الفعل . . . » الحديث[(٢)] .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل ، ومحمد بن يحيى بن فارس ، قالا : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوانُ، هو ابن عمرو، حدثنا أزهر هو ابن عبد الله الحَرازيّ، قال أحمدُ: عن أبي عامر الهوزنيّ، عن معاوية بن أبي سفيان ، أنه قام ، فقال : ألا إنّ رسول الله ﷺ قام فينا ، فقال : « ألا إنّ مَنْ كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة ، وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة » . تفرّد به أبو داود ، وإسناده حسن[(٣)] .

وفي « مُستدرك الحاكم » أن الصحابة لما سألوه عن الفرقة الناجية : من هم ؟ قال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي »[(٤)] .

وقال الإمام أحمد : ثنا يحيى بن إسحاق ، ثنا ابن لهيعة ، عن بكر بن سوادة ، عن سهل بن سعد الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم مِثلاً بمثل » . تفرد به أحمد من هذا الوجه[(٥)] .

وقد تقدم في حديث حُذَيْفة أنَّ المَخْلَصَ من الفِتَنِ عندَ وقُوعِها اتِّباعُ الجَماعةِ ولُزومُ الإمامِ بالطاعةِ إذا كانوا على حقٍّ واتِّباعِ الشرعِ ، وإذا فسَدوا فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ ، فإنّما الطاعةُ في المعروفِ . قال أبو بكرٍ الصديق : أطيعوني ما أطعتُ اللهَ عزَّ وجلَّ ، فإذا خالفتُ فلا طاعةَ لي عليكم .

وقد قال ابنُ ماجه : حدَّثنا العَبّاسُ بنُ عُثمان الدِّمَشقيُّ ، حدَّثنا الوليدُ بن مسلمٍ ، حدَّثنا مُعانُ بن رِفاعـةَ السَّلاَميُّ ، حدَّثنا أبو خَلَفٍ الأعمى ، أنه سمِع أنسَ بن مالكٍ يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : « إنَّ أُمَّتِي لا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلاَلةٍ ، فَإذَا رَأيْتُم الاخْتِلاَفَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ » . ولكن هذا

---

(١) ابن ماجه (٣٩٩٣) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٧٦٥) وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أبو داود رقم (٤٥٩٧) وأحمد في المسند (٤/ ١٠٢) .

(٤) رواه الحاكم (١/ ١٢٩) وهو حديث حسن بهذه الفقرة .

(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٤٠) وهو حديث حسن .

حديثٌ ضعيفٌ ؛ لأنَّ مُعانَ بن رفاعة السَّلاميَّ قد ضعَّفه غيرُ واحدٍ من الأئمةِ[١] . وفي بعضِ الرِّواياتِ : « عَلَيْكُمْ بالسَّوَادِ الأَعْظَمِ ؛ الْحَقِّ وأَهْلِه »[٢] .

وقد كان الإمامُ أحمدُ يقولُ : السوادُ الأعظم : محمدُ بن أسلم الطوسيُّ . وقد كان أهل الحقِّ في الصدرِ الأولِ هم أكثرَ الأُمةِ ؛ فكان لا يوجدُ فيهم مبتدعٌ لا في الأقوالِ ولا الأفعال ، وفي الأعصارِ المتأخِّرةِ قد يجتمعُ الجمُّ الغفيرُ على بدعةٍ ، وقد يخلو الحقُّ في بعْضِ الأزمانِ المتأخرةِ عن عِصَابةٍ يقومون به ، كما قال في حديثِ حُذيفةَ : فإنْ لم يكنْ لهم إمامٌ ولا جَمَاعةٌ ؟ قال له : « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ »[٣] . وكما تقدَّم الحديثُ الصحيحُ : « بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيباً ، وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ »[٤] . وسيأتي في الحديثِ : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ : اللهُ ، اللهُ »[٥] .

والمقصودُ أنَّه إذا ظَهرتِ الفتنُ ، فإنَّه يَسُوغُ اعتزالُ النَّاسِ حينئذٍ ، كما ثبَت عن النبيِّ ﷺ : « إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً ، وَهَوىً مُتَّبَعاً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بخُوَيْصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعْ أَمْرَ الْعَوامِّ »[٦] . وفي رواية : « إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً وَهَوىً مُتَّبَعاً ، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانَ الصَّبْرِ ، صَبْرٌ فِيهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ »[٧] .

وقد اعتزَل جماعةٌ مِن السلفِ الناسَ والجُمعةَ والجماعةَ ، وهم أئمةٌ كبارٌ ؛ كأبي ذرٍّ ، وسعدِ بنِ أبي وقاصٍ ، وسعيدِ بن زيْدٍ ، وسلمةَ بنِ الأكوعِ في جماعةٍ من الصحابة[٨] ، حتى اعتزلوا مسجدَ النبيِّ ﷺ الذي الصلاة فيه بألف صلاة ، واعتزل مالك الجمعة والجماعة في مسجد النبي ﷺ مع معرفته الحديثَ في فضلِ الصلاةِ فيه ، فكانَ لا يشهدُ جمعةً ولا جماعةً ، وكان إذا ليمَ في ذلك يقولُ : ما كلُّ ما يُعْلَمُ يُقَالُ . وقصتهُ معروفةٌ[٩] ، وكذلك اعتزل سفيانُ الثوريُّ وخلقٌ من التابعينَ وتابعيهم ؛ لِما شاهَدوه من الظلمِ والشرور والفتن خوفاً على إيمانهم أَنْ يُسْلَبَ منهم ،

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٣٩٥٠) وهو حديث ضعيف ، دون الجملة الأولى « إن أمتي لا تجتمع على ضلالة » ، فهي صحيحة .
(٢) رواه ابن أبي عاصم في « السنة » رقم (٨٤) وهو حديث ضعيف .
(٣) رواه البخاري رقم (٧٠٨٤) ومسلم (١٨٤٧) .
(٤) رواه مسلم (١٤٥) و(١٤٦) من حديث أبي هريرة ، وابن عمر .
(٥) رواه مسلم (١٤٨) وأحمد في المسند (٣/ ١٦٢) .
(٦) رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وإسناده ضعيف .
(٧) رواه ابن ماجه (٤٠١٤) وإسناده ضعيف ، لكن جملة أيام الصبر إلى آخره صحيحة بطرقها وشواهدها .
(٨) وذلك في أثناء الفتنة التي وقعت في خلافة أمير المؤمنين علي ، رضي الله عنه .
(٩) المشهور أن مالكاً كان لا يصلي في المسجد النبوي لسلس البول الذي أصابه ، أو لانفلات الريح .

وقد ذكَر الخطَّابيُّ في كتابِ « العُزلةِ » وكذلك ابنُ أبي الدنيا قبلَه من هذا جانباً كبيراً .

وقال البخاريُّ : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مَالِكٌ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله[١] بن أبي صَعْصَعةَ ، عن أبيه ، عن أبي سعيدٍ قال : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجِبَالِ ومواقعَ الْقَطْرِ ؛ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ » . لم يخرجْه مسلمٌ ، وقد روَاه أبو داودَ ، والنَّسائيُّ ، وابنُ ماجَه ، من طريقِ ابن أبي صَعْصَعةَ به[٢] . ويجوزُ حينئذٍ سؤالُ الموتِ وطلبُه من اللهِ عندَ ظهورِ الفتنِ والظلم وإن كان قد نُهِي عنه لغيرِ ذلك ، كما صحَّ به الحديثُ[٣] .

وقال الإمامُ أحمد : حدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا ابن لَهِيعةَ ، حدَّثنا أبو يونسَ ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ ، أنَّه قال : « لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ وَلاَ يَدْعُو بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَثِقَ بِعَمَلِهِ ، فَإِنَّهُ إذا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ، وَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُ الْمُؤمِنَ عُمُرُهُ إلاَّ خَيْراً »[٤] . والدليلُ على جوازِ سؤالِ الموتِ عندَ حلول الفتنِ : الحديثُ الذي رواه أحمد في « مسندِه » عن مُعَاذِ بنِ جَبلٍ ، وهو حديثُ المَنَام الطويلُ ، وفيه : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إلى حُبِّكَ »[٥] .

وهذه الأحاديثُ المتقدمة دالَّةٌ على أنَّه يأتي على النَّاسِ زَمَانٌ شَدِيدٌ لا يكُونُ فيه للمسلمين جَماعَةٌ قَائِمةٌ بالحقِّ ، إمَّا في جميعِ الأرضِ ، أو في بعضِهَا .

وقد ثبَت في « الصحيح » عن عبدِ الله بن عمرو ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوساً جُهَّالاً ، فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »[٦] . وفي الحديثِ الآخر : « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ »[٧] . وفي « صحيح البخاريِّ » : « وَهُمْ بِالشَّامِ »[٨] . قال عبد اللهِ بنُ المباركِ وغيرُ واحدٍ من الأئمَّةِ : وهم أهل الحديثِ .

---

(١) تحرفت في الأصل إلى عُبيد الله .

(٢) رواه البخاري (٧٠٨٨) وأبو داود (٤٢٦٧) والنسائي (٨/ ١٢٣ ـ ١٢٤) وابن ماجه (٣٩٨٠) .

(٣) رواه البخاري (٦٣٥١) ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٠) وهو حديث صحيح دون قوله : (إلا أن يكون قد وثق بعمله) فإنها ضعيفة .

(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٤٣) والترمذي (٣٢٣٥) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٦) رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) .

(٧) رواه مسلم رقم (١٩٢٠) من حديث ثوبان .

(٨) رواه البخاري رقم (٣٦٤١) وهو موقوف على معاذ بن جبل .

وقال أبو داودَ : حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ المَهْرِيُّ ، حدَّثنا ابنُ وهبٍ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبي أيوبَ ، عن شَراحيلَ بنِ يزيدَ المَعافِرِيِّ ، عن أبي عَلْقمةَ ، عن أبي هريرةَ ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ اللهَ تعالى يَبْعَثُ لِهَـٰذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا » . تفرَّد به أبو داودَ . ثم قال : عبد الرَّحمنِ بنُ شُرَيحٍ لم يَجُزْ به شَراحِيلَ . يعني أنَّه موْقُوفٌ عليه[1] .

وقد ادَّعى كلُّ قومٍ في إمامِهِم أنَّه المُرَادُ بهذا الحديثِ ، والظَّاهِرُ ، واللهُ أعلمُ ، أنَّه يَعُمُّ حمَلَةَ العِلْمِ العاملين به من كلِّ طائفةٍ ، ممن عملُه مأخوذٌ عن الشارعِ ، أو ممن هو موافقٌ للحق من كُلِّ طَائِفةٍ وكُلِّ صِنْفٍ من أصْنافِ العُلَماءِ ؛ من مفسِّرين ، ومُحَدِّثين ، وقُرَّاءَ ، وفُقَهاءَ ، ونُحَاةٍ ، ولُغَوِيِّين ، إلى غيرِ ذلك مِن أصنافِ العلومِ النافعةِ ، واللهُ أعلمُ .

قال سفيانُ بنُ عيينةَ : مَن فسَد من علمائِنا كان فيه شَبهٌ من اليهودِ ، ومَن فسَد مِن عُبَّادِنا ، كان فيه شبهٌ من النَّصارَى .

وقولُه في حديثِ عبدِ الله بنِ عمرو : « إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُه مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ بِقَبْضِ العُلَماءِ » : ظاهرٌ في أنَّ العلمَ لا يُنْتَزَعُ من صُدورِ العلماءِ بعدَ أنْ وهبَهُمُ اللهُ إيَّاه . وقد ورد في الحديثِ الآخرِ الذي رواه ابنُ ماجَه عن بُندارٍ ، ومحمَّدِ بنِ المُثَنَّى ، عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ : سمعتُ قتادةَ يُحدِّثُ عن أنسِ بن مالكٍ قال : ألاَ أحدِّثُكم حديثاً سمعتُه من رسول الله ﷺ لا يحدِّثُكم به أحدٌ بعدِي ، سمِعتُه يقول : « إن من أشراط الساعة أن يُرفَع العلم ، ويَظْهَر الجهل ، ويَفْشُوَ الزنى ، ويُشْرَب الخمر ، ويذهب الرجال ، ويبقى النساء ، حتى يكون لخمسين امرأةً قيِّمٌ واحد » . وأخرجاه في « الصحيحين » من حديث غُندر به[2] .

وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمَيْر ، حدثنا أبي ووكيع ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون بين يدي السَّاعة أيامٌ ، يرفع فيها العلم ، وينزل فيها الجهل ، ويكثر فيها الهَرْج ، والهرج القتل » . وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به[3] .

وقال ابن ماجه : حدثني علي بن محمد ، حدثنا أبو معاوية ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن رِبْعِيّ ابن حِرَاش ، عن حُذَيْفة بن اليمانِ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَدْرُس الإسلامُ كما يَدْرُس وشْيُ الثوب، حتى لا يُدرى ما صيامٌ ولا صلاة ولا صدقة ولا نُسُك، ويُسْرَى على الكتاب في ليلة ، فلا يبقى

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٩١) وهو حديث صحيح .
(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٥) والبخاري رقم (٨١) ومسلم (٢٦٧١) .
(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٥٠) والبخاري (٧٠٦٢) ومسلم (٢٦٧٢) .

في الأرض منه آية ، وتبقى طوائفُ من الناس : الشيخُ الكبير ، والعجوز ، يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا إلـه إلا الله ، فنحن نقولها » فقال له صلة : ما تغني عنهم « لا إلـه إلا الله » وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ، فأعرض عنه حُذَيْفة ، ثم ردّها عليه ثلاثاً ، كلُّ ذلك يُعرض عنه حذيفة ، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال : يا صلة ، تُنجيهم من النار ، ثلاثاً[١] ، وهذا دالٌّ على أن العلمَ قد يُرفع من صدور الناس في آخر الزمان ، حتى إن القرآن يُسرى عليه فيرفع من المصاحف ، والصدور ، ويبقي الناس بلا علم ولا قرآن ، وإنما الشيخ الكبير والعجوز المسنّة ، يخبران أنهم أدركوا الناس وهم يقولون : لا إلـه إلا الله ، فهم يقولونها أيضاً على وجه التقرُّب بها إلى الله ، فهي نافعة لهم ، وإن لم يكن عندهم من العمل الصالح ، والعلم النافع غيرُها ، وقوله : تنجيهم من النار ، يحتمل أن يكون المراد أنها تدفع عنهم دخول النار بالكلية ، ويكون فرضُهم في ذلك الزمان القول المجرد عن العمل لعدم تكليفهم بالأعمال التي لم يخاطَبوا بها ، والله أعلم ، ويحتمل أن يكون المعنى أنها تُنجيهم من النار بعد دخُولهم إليها ، وأن « لا إلـه إلا الله » تكون سبب نجاتهم من العذاب الدائم المستمر ، وعلى هذا يحتمل أن يكونوا من المرادين بقوله تعالى في الحديث : « وعزتي وجلالي لأُخرجنّ من النار من قال يوماً من الدهر : لا إلـه إلا الله » ، كما سيأتي بيانه في أحاديث الشفاعة[٢] ، ويحتمل أن يكون أولئك قوماً آخرين ، والله أعلم .

والمقصود : أن العلم يُرفع في آخر الزمان ، ويكثُر الجهل في رواية ، وفي رواية : « وينزلُ الجهلُ » أي : يُلْهَمُ أهلُ ذلك الزمان الجهل ، وذلك من قهر الله عليهم ، وخذلانه إياهم ، نعوذ بالله من ذلك ، ثم لا يزالون كذلك في تزايد من الجهالة ، والضلالة ، إلى منتهى الآجال ، كما جاء في الحديث الآخر : « لا تقومُ الساعة على أحد يقول : الله ، الله »[٣] و « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس »[٤] .

وفي الطَّبرانيِّ من حديثِ مُطَّرِحِ بن يزيدَ ، عن عليِّ بنِ يزيدَ ، عن القاسم ، عن أبي أُمامةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِهَذَا الدِّينِ إِقْبَالاً وَإِدبَاراً ، وَإِنَّ مِنْ إِقْبَالِهِ أَنْ تَفْقَهَ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا ، حَتَّى لاَ يَبْقَى فِيهَا إِلاَّ الْفَاسِقُ أَوِ الْفَاسِقَانِ ، فَهُمَا ذَلِيلاَنِ فِيهَا مُضْطَهَدَانِ ، إِنْ تَكَلَّمَا قُهِرَا وَذُلاَّ وَاضْطُهِدَا ، وَإِنَّ مِنْ إِدْبَارِ هَذَا الدِّينِ أَنْ تَجْفُوَ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا ، فَلاَ يَبْقَى فِيها إِلاَّ الْفَقِيهُ أَوِ الْفَقِيهَانِ ، فَهُمَا ذَلِيلاَنِ

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) وهو حديث صحيح .
(٢) البخاري (٧٥١٠) ومسلم رقم (١٩٣) .
(٣) رواه مسلم (١٤٨) .
(٤) رواه مسلم رقم (٢٩٤٩) .

مُضْطَهَدَانِ ، إِنْ تَكَلَّمَا قُهِرَا وَاضْطُهِدَا ، وَيَلْعَنُ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا ، أَلاَ وَعَلَيْهِمْ حَلَّتِ اللَّعْنَةُ ، حَتَّى يشربوا الْخَمْرَ عَلاَنِيَةً ، وَحَتَّى تَمُرَّ الْمَرْأَةُ بِالْقَوْمِ ، فَيَقُومَ إِلَيْهَا بَعْضُهُمْ ، فَيَرْفَعَ بِذَيْلِهَا كَمَا يُرْفَعُ بِذَنَبِ النَّعْجَةِ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : أَلاَ وَارَيْتَهَا وَرَاءَ حَائِطٍ . فَهُوَ يَوْمَئِذٍ فِيهِمْ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِيكُمْ ، وَمَنْ أَمَرَ يَوْمَئِذٍ بِمَعْرُوفٍ ، وَنَهَى عَنْ مُنْكَرٍ ، فَلَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِمَّنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي وَأَطَاعَنِي وَبَايَعَنِي »[(١)] .

ذكر شرور تحدث في هذه الأمة في آخر الزمان
وإن كان قد وجد بعضها في زماننا أيضاً

قال أبو عبد الله ابن ماجه رحمه الله في كتاب الفتن من « سننه » : حدَّثنا محمود بن خالد الدمشقي ، حدَّثنا سليمان بن عبد الرحمن ، أبو أيُّوب ، عن ابن أبي مالك ، عن أبيه ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا معشر المهاجرين ، خمسُ خصال إذا ابتُليتُمْ بهنّ ، وأعوذ بالله أن تدركوهُنّ : لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يُعلِنُوا بهَا إلاَّ فَشَا فيهم الطاعون ، والأوجاعُ الَّتي لَمْ تكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِم الَّذِينَ مَضَوْا ، ولم يَنْقصُوا المكيال والميزان إلاَّ أُخِذُوا بالسنين ، وشدة الْمَؤُونة ، وجَوْر السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلاَّ مُنعوا القَطْر من السماء ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَروا ، ولم يَنْقُضُوا عهد الله ، وعهدَ رسوله ، إلاَّ سَلَّطَ الله عليهم عَدُوّاً من غيرهم ، فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أَئِمَّتُهُمْ بكتاب الله ، ويتخيَّروا مما أنزل الله إلاَّ جعل الله بأسهم بينهم » . تفرّد به ابنُ ماجه ، وفيه غرابة[(٢)] .

وقال الترمذيّ : حدثنا صالح بن عبد الله ، حدثنا الفرَج بن فضَالة أبو فضالة الشامي ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن عمرو بن علي ، عن عليّ بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خَصلة حلَّ فيها البلاء » قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : « إذا كان المَغْنَم دُوَلاً ، والأمانة مَغْنَماً ، والزكاة مَغْرَماً ، وأطاع الرجلُ زَوْجَتَهُ ، وعَقَّ أُمَّهُ ، وبرَّ صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الأصواتُ في المساجد ، وكان زعيمُ القوم أرذَلهم ، وأُكْرِمَ الرجلُ مخافة شَرِّه ، وشُرِبت الخَمْر ، ولُبس الحرير ، واتُّخِذت القينات ، والمعازف ، ولَعَن آخِرُ هذه الأمة أَوَّلَهَا ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء ، أو خَسْفاً ومَسْخاً » . ثمَّ قال الترمذي : هذا حديث غريب ، لا نعرفه من حديث عليّ إلاّ من هذا الوجه ، ولا نعلم أحداً روى هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ غير الفرَج بن

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٧٨٠٧) و(٧٨٦٣) وقد لفق المصنف بين السندين ، وعند الطبراني في آخره : وتابعني ، بدل : بايعني ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٠١٩) أقول : وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

فضالة ، وقد تكلم فيه بعضُ أهل العلم من قِبَلِ حِفْظِهِ ، وقد رَوَى عنه وكيعٌ ، وغيرُ واحد من الأَئمّة[١] .

وقال الحافظ أبو بكر البزّار : حدثنا محمد بن الحسين القيسي ، حدثنا يُونُس بن أرقم ، حدثنا إبراهيمُ بن عبد الله بن حسن بن حسن ، عن زيد بن عليّ بن الحسين ، عن أبيه، عن جَدِّه ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، فلما صلى صلاته ناداه رجل : متى الساعة ؟ فزبره رسول الله ﷺ وانتهره ، وقال : « اسكت » ، حتى إذا أسفر رفع طرْفه إلى السماء ، فقال : « تبارك رافعُها ، ومُدبّرها » ثم رَمَى ببصره إلى الأرض ، فقال : « تبارك داحِيها ، وخالقُها » ثم قال رسول الله ﷺ : « أين السائلُ عن الساعة ؟ » فجثا الرجل على رُكبتيه ، فقال : أنا بأبي وأمي سألتك ، فقال: « ذلك عند حَيْفِ[٢] الأئمّة ، وتصديق بالنجوم ، وتكذيب بالقَدر ، وحتى تُتَّخَذَ الأمانةُ مَغْنماً ، والصَّدَقَةُ مَغْرَماً ، والفاحِشَةُ زيادةً ، فعند ذلك يَهْلِكُ قومُك » . ثم قال البزّار : لا نعرفُه إلا من هذا الوجه ، ويونُس بن أرقم كان صادقاً ، روى عنه الناس ، وفيه شِيعيّة شديدة[٣] .

ثم قال الترمذيّ : حدثنا عليّ بن حجر ، حدثنا محمد بن يزيد ، عن المستلم بن سعيد ، عن رميح الجُذاميّ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا اتُّخِذَ الفيْء دُولاً ، والأمانةُ مَغْنَماً ، والزكاةُ مَغْرَمَاً ، وتُعُلِّم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته ، وعقَّ أُمه ، وأدنى صديقه ، وأقصى أباه ، وظهرت الأصواتُ في المساجد ، وساد القبيلةَ فاسقُهم ، وكان زعيمُ القوم أرذَلهم ، وأُكْرِمَ الرجلُ مخافةَ شَرِّهِ ، وظهرت القَيْنَاتُ[٤] ، والمعازف ، وشُربت الخمور ، ولعن آخرُ هذه الأمة أوَّلَهَا ، فليرتقبُوا عند ذلك ريحاً حمراء ، وخَسْفاً ، ومَسْخاً ، وقذفاً ، وآياتٍ تَتَابع ، كنظام[٥] بالٍ قُطع سِلكُه فتتابع » . وقال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه[٦] .

حدّثنا عبّاد بن يعقوب الكوفيّ ، حدثنا عبد الله بن عبد القُدُّوس ، عن الأعمش ، عن هلال بن يِسَافٍ ، عن عمران بن حُصَيْن : أن رسول الله ﷺ قال : « في هذه الأمة خَسْفٌ ، ومَسْخٌ ، وقَذْفٌ » فقال رجل من المسلمين : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : « إذا ظهرت القِيَانُ ، والمعازف ، وشُرِبت الخمور » . ثم قال : هذا حديث غريب ، ورُوي هذا الحديث عن

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٢١٠) وهو ضعيف كما أومأ إليه الترمذي .
(٢) أي عند ظلم الأئمة .
(٣) رواه البزار في « مسنده » رقم (٥٠٧) وفي سنده مجاهيل .
(٤) أي المغنيات .
(٥) أي كعقد .
(٦) رواه الترمذي رقم (٢٢١١) وهو ضعيف .

الأعمش ، عن عبد الرحمن بن سابِط ، عن النبي ﷺ مرسلاً[١] .

وقال الترِّمذي : حدثنا موسى بن عبد الرحمن الكِنديّ ، حدثنا زيد بن الحُباب ، أخبرني موسى بن عُبَيْدَة ، أخبرني عبد الله بن دِينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مَشَتْ أمّتي المُطَيْطَاء[٢] ، وخدمها أبناءُ الملوك ، أبناءُ فارس ، والروم ، سُلِّطَ شرارُها على خِيَارِها » . وهذا حديث غريب ، وقد رواه أبو معاوية ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر ، فذكره ، ولا نعرف له أصلاً . وقد رواه مالك ، عن يحيى بن سعيد ، مُرْسَلاً[٣] .

ثم روىٰ من حديث صالح المُرّي ، عن سعيد الجُرَيريّ ، عن أبي عثمان النهديّ ، عن أبي هُرَيْرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا كَانَ أُمَرَاؤكُمْ خِيَارَكم ، وأغنياؤكم سمحاءَكُم ، وأموركُم شُورَىٰ بَيْنَكُم ، فظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لكُمْ مِنْ بَطْنِهَا ، وإذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بُخلاءَكم ، وأموركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلاَّ من حديث صالح المُرّي ، وله غرائب ، لا يُتابَع علَيْها ، وهو رجل صالح[٤] .

وروى الحافظ أبو بكرٍ الإسماعيليُّ من طريقِ مباركِ بن حسانَ ، عن عمر بن [قيس المكي عن] عاصم بن عُبيد الله بن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا طَغَى نِسَاؤُكُمْ ، وفَسَقَ شبابُكم[٥] ؟ » قالوا : يا رسول الله ، وإنَّ ذلك لَكَائنٌ ؟! قال : « وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ ؛ لاَ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلاَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » . قالوا : وإنَّ ذلك لكائنٌ ؟! قال : « وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ ؛ تَرَوْنَ المَعْرُوفَ مُنْكَراً ، وَالمُنْكَرَ مَعْروفاً » . قالوا : وإنَّ ذلك لكائنٌ ؟! قال : « وَأَشَدُّ مِنْهُ ؛ تَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ » . قالوا : وإنَّ ذلك لكائنٌ ؟ قال : « وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ » . ثم قال رسول الله ﷺ : « بِئْسَ أُولَئِكَ القَوْمُ ، وَبِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ يَقْتُلُونَ الَّذينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ، وَبِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ يَسْتَحِلُّونَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالشَّهَوَاتِ بِالشُّبُهَاتِ ، وَبِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ يَمْشِي المُؤْمِنُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمانِ »[٦] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خَلَف بن الوليد ، حدثنا عَبَّاد بن عَبَّاد ، عن مجالد بن سعيد ، عن أبي الودّاك ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَتَضْرِبَنَّ مُضَرُ عبادَ الله حتى لا يُعبَد الله

(١) رواه الترمذي رقم (٢٢١٢) وفي إسناده ضعف .
(٢) التبختر ومد اليدين في المشي .
(٣) رواه الترمذي (٢٢٦١) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .
(٤) رواه الترمذي رقم (٢٢٦٦) وإسناده ضعيف .
(٥) في الأصل : شأنكم .
(٦) وإسناده ضعيف .

اسم ، ولَيَضْرِبَنَّهُمُ المؤمنون حتى لا يَمْنعُوا ذَنَبَ تَلْعَةٍ[١] » . تفرّد به أحمد من هذا الوجه[٢] .

وقال أحمد : حدَّثنا عبدُ الصمد ، حدثنا حَمَّادٌ ، يعني ابن سلمة ، عن أَيُّوبَ ، عن أبي قِلابة ، عن أَنَسٍ ، عن النبي ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتَّى يَتَبَاهَى الناسُ في المَسَاجِدِ » . ورواه أبو داود ، والنسائيّ ، وابن ماجه ، من حديث حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن عبد الله بن زيد الجَرْميّ ، زاد أبو داود : وعن قتادة ، كلاهما عن أنس ، عن النبي ﷺ به[٣] .

وسيأتي في ذِكر أشراط الساعة حديثُ ابن مسعود، وفيه: « وَتُزَخْرَفُ المحَارِيبُ، وتَخْرَبُ القُلُوب ».

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيدُ بن هارون ، حدثنا شَرِيك بن عبد الله ، عن عثمان بن عُمَيْر ، عن زَاذَان أبي عمر ، عن عُلَيم ، قال : كُنّا جُلوساً على سطح ، مَعَنا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، قال يزيد : لا أعْلَمُهُ إلا عَبْساً الغِفَاريّ ، والناس يخرجون في الطاعون ، فقال عَبْس : يا طاعون ، خذني ، يقولها ثلاثاً ، فقال له عُلَيم : لم تقول هذا ؟ ألم يَقُلْ رسول الله ﷺ : « لا يَتَمَنَّىٰ أحدكم المَوْتَ ، فإنَّهُ عِنْدَ انْقِطاعِ عَملِه ، وَلاَ يُرَدُّ فَيستَعْتِبُ[٤] » ؟، فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بَادِرُوا بالمَوتِ ستّاً : إمْرَةَ السُّفَهاءِ ، وكثْرَةَ الشُّرَط ، وبَيْعَ الحُكْم ، واستِخْفَافاً بالدم ، وقطيعَةَ الرحم ، ونَشَواً يتخذون القرآن مزامير يقدِّمُونَه لِيُغنِّيهم ، وإن كان أَقَلَّ مِنْهُمْ فقهاً » . تفرَّد به أحمد[٥] .

وفي رواية أبي مُعَلَّى[٦] عن الحكم بن عمرو مثلُه أو نحوُه ، كما ذكَرْنا في الزياداتِ على « مسندِ أحمدَ »[٧] ، والله سبحانَه أحمدُ ، وقد قال الطَّبرانيُّ : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ التُّسْتَرِيُّ ، حدَّثنا عبدُ الله بن معاويةَ الجُمَحِيُّ ، حدَّثنا جَميلُ[٨] بنُ عُبيدٍ الطائيُّ ، حدَّثنا أبو مُعَلَّى[٦] ، قال : قال الحكمُ الغِفاريُّ : يا طاعونُ ، خُذْني إليك . فقال له رجلٌ مِن القوم : لمَ تقولُ هذا ، وقد سمعتَ رسول الله ﷺ يَقولُ : « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ » ؟ فقال : قد سمعتُ ما سمعتُم ، ولكني أُبادرُ ستّاً : بَيْعَ الحُكْمِ ، وكثرة

---

(١) « التلعة » : أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ، ثم يندفع منها إلى تلعة أسفل منها ، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض والجمع : التِّلاع و« ذنب التلعة » ما كان أسفلها . وقد رمى بذلك إلى بيان مدى ذلهم وضعفهم وانهيار مَنَعتهم . « لسان العرب » (تلع) .
(٢) رواه أحمد (٣/ ٨٦) وهو حديث حسن .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٣٤) وأبو داود (٤٤٩) والنسائي (٢/ ٣٢) وابن ماجه (٧٣٩) وهو حديث صحيح .
(٤) يستعتب : يترضى عما أصابه في الدنيا .
(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥) وهو حديث صحيح .
(٦) في الأصل : يعلى .
(٧) جامع المسانيد (٣/ ٢٢٥٢) .
(٨) في الأصل : حميد .

الشُّرَطِ ، وإمارةَ الصِّبيانِ ، وسفكَ الدماء ، وقطيعةَ الرَّحِمِ ، ونَشْواً يكونون في آخرِ الزمانِ يَتَّخِذون القُرآنَ مَزامِيرَ(١) .

وروى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلمَ ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعدٍ ، أن رسول الله ﷺ قال : « سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ » . قيل : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : « إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ وَالْقَيْنَاتُ ، وَاسْتُحِلَّتِ الْخَمْرُ » . له شاهدٌ في « صحيح البخاري » من حديث أبي مالك أو أبي عامرٍ ، كما جزمَ به البخاريُّ(٢) .

وقال الإمامُ أحمدُ : ثنا يحيى بن أبي بُكَير ، ثنا عُبَيد الله بن إيادِ بن لَقِيطٍ ، سمعتُ أبي يَذكُرُ عن حُذيفةَ ، قال : سُئِل رسولُ الله ﷺ عن الساعةِ ، فقال : « عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، وَلكِنْ أُخْبِرُكُمْ بِمَشَارِيطِهَا ، وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا فِتَناً وَهَرْجاً » . قالوا : يا رسول الله ، الفتنةُ قد عرَفْناها ، فالهَرْجُ ما هو ؟ قال : « هُوَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْقَتْلُ » . قال : « وَيُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَحَداً » . تفرَّد به أحمد(٣) .

وقال أحمدُ أيضاً : ثنا أبو المُغيرةِ ، ثنا صَفْوانُ ، حدَّثني السَّفْرُ بنُ نُسَيرٍ الأزْديُّ وغيرُه ، عن حذيفةَ بنِ اليَمانِ ، أنه قال : يا رسول الله ، إنا كنا في شرٍّ ، فذهبَ اللهُ بذلك الشرِّ ، وجاء بخيرٍ على يديك ، فهل بعدَ الخيرِ مِن شرٍّ ؟ قال : « نَعَمْ » . قلتُ : ما هو ؟ قال : « فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، تَأْتِيكُمْ مُشْتَبِهَةً(٤) كَوُجُوهِ الْبَقَرِ لَا تَدْرُونَ أَيّاً مِنْ أَيٍّ »(٥) .

وقال أحمدُ : ثنا سليمانُ ، ثنا إسماعيلُ ، حدَّثني عمرو ، عن عبد الله بن عبد الرحمنِ الأَشْهَلِيِّ ، عن حذيفةَ ، [أن النبيَّ ﷺ] قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ ، وَيَرِثَ(٦) دُنْيَاكُمْ شِرَارُكُمْ »(٧) .

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٣١٦٢) وأخرجه الحاكم من طريق التستري (٣/ ٤٤٣) وإسناده ضعيف .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » (٥٨١٠) وشاهده رواه البخاري (٥٥٩٠) تعليقاً ، وقد وصله ابن حبان (٦٧١٩) والطبراني ، والبيهقي (١٠/ ٢٢١) وابن عساكر ، وغيرهم من طرق عن هشام بن عمار ، وصححه جمع من الأئمة ، كابن الصلاح ، والنووي ، وابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، والمصنف ، وابن حجر العسقلاني ، والسخاوي ، وابن الوزير اليماني ، والصنعاني وغيرهم .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٩) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٤) في الأصل : شَبَهَةٌ .

(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٩١) وفي إسناده ضعف .

(٦) في المسند (ويرث) .

(٧) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٩) وإسناده ضعيف .

وبه : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعَ »[١] .

وقال الطَّبَرانيُّ : ثنا الحسينُ بنُ إسحاقَ التُّسْتَريُّ ، ثنا عمرو بن هشام أبو أمية[٢] الحَرَّانيُّ ، ثنا عثمان[٣] بن عبد الرحمن ، عن صَدَقَةَ ، عن زيدِ بنِ واقدٍ ، عن العَلاءِ بنِ الحارثِ ، عن حِزام بنِ حكيم بنِ حِزَامٍ ، عن أبيه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ فُقَهَاؤُهُ ، قَلِيلٍ خُطَبَاؤُهُ ، كَثِيرٍ مُعْطُوهُ ، قَلِيلٍ سَائِلُوهُ[٤] ، الْعَمَلُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعِلْم ، وَسَيَأْتِي زَمَانٌ قليلٌ فُقَهَاؤُهُ ، كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ ، كَثِيرٌ سُؤَّالُهُ ، قَلِيلٌ مُعْطُوهُ ، والْعِلْمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ العَمَلِ »[٥] .

وقال أحمد : ثنا حمادُ بن أسامةَ ، أَخْبَرَني مِسْعَرٌ ، عن عبدِ الملكِ بن ميسرة ، عن هِلالِ بن يِسافٍ ، عن عبدِ الله بن ظالمٍ ، عن سعيدِ بن زيدٍ قال : ذكَر رسولُ الله ﷺ فتناً كقطعِ الليلِ المظلم ، أُراه قال : « فَيَذْهَبُ النَّاسُ فيها أَسْرَعَ ذَهَابٍ » . قال : فقيل : يا رسول الله كُلُّهم هَالِكٌ أَوْ بَعْضُهُمْ ؟ قال : « حَسْبُهُم » ـ أو : « بِحَسْبِهِم ـ الْقَتْلُ » . تفرَّد به[٦] .

وقال أحمد أيضاً : ثنا عبد الرحمن ، ثنا حمادُ بن سَلَمةَ ، عن عليِّ بن زيدٍ ، عن أبي عثمانَ ، عن خالدِ بن عُرْفُطةَ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَا خَالِدُ ، إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَحْدَاثٌ وَفِتَنٌ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ[٧] اللهِ الْمَقْتُولَ لَا الْقَاتِلَ فَافْعَلْ »[٨] .

وروَى الطَّبَرانيُّ مِن حديثِ ثابتِ بنِ عَجْلانَ ، حدَّثني أبو كثيرٍ المُحاربيُّ ، سمعتُ خَرَشَةَ المُحاربيَّ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « سَتَكُونُ فِتَنٌ ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ ، والْجَالِسُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، [وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ] الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، أَلَا من أَتَتْ عَلَيْهِ فَلْيَمْشِ بِسَيْفِهِ إِلَى الصَّفَا فَلْيَضْرِبه حَتَّى يَنْكَسِرَ ، ثُمَّ لْيَضْطَجِعْ حَتَّى تَنْجَلِيَ عَمَّا انْجَلَتْ . . . » وذكر الحديثَ[٩] .

---

(١) رواه أحمد في المسند(٥/ ٣٨٩) وهو حديث حسن .
(٢) في الأصل : ابن أمية .
(٣) في الأصل : عفان .
(٤) وعلى هامش الأصل نسخة : سؤاله ، وهي موافقة لما في « مجمع الزوائد » (١/ ١٢٧) .
(٥) رواه الطبراني في « الكبير » رقم (٣١١١) من حديث حكيم بن حزام وفي سنده ضعف ، وقد رواه أحمد في المسند بنحوه (٥/ ١٥٥) من حديث أبي ذر ، وسنده ضعيف أيضاً .
(٦) رواه أحمد في المسند (١/ ١٨٩) وإسناده حسن .
(٧) في الأصل كتب عليها : معاً ، أي عند ، وعبد .
(٨) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٩٢) وهو حديث حسن .
(٩) رواه الطبراني في « الكبير » (٤١٨٠) وأحمد في المسند (٤/ ١٠٦) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان

وهو أحد الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، وليس هو بالمنتظر الذي تزعُمه الرافضة ، وتَرْتَجِي ظُهوره من سرداب سامرّا ، فإن ذلك ما لا حقيقة له ، ولا عين ، ولا أثر ، ويزعمون أنه محمد بن الحسن العسكريّ ، وأنه دخل السرداب وعمره خمسُ سنين ، وأما ما سنذكره ، فقد نطقت به الأحاديثُ المرويّة عن رسول الله ﷺ : أنه يكون في آخر الزمان ، وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم ، فإن هذا يملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، وهكذا نزول عيسى ابن مريم ، كما دلّت على ذلك الأحاديث .

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : حدثنا حجّاج ، وأبو نُعَيْم ، قالا : حدثنا فِطْر ، عن القاسم بن أبي بَزَّة ، عن أبي الطُّفَيْل ، قال حجّاج : سمعت علياً يقول : قال رسول الله ﷺ : « لو لم يَبْقَ من الدنيا إلا يومٌ لبَعَثَ اللهُ رجَلاً منّا يملؤها عَدْلاً ، كما مُلئت جَوْراً » قال أبو نُعَيم : رجلاً مني ، وقال مرّة : يذكره عن حَبيب ، عن أبي الطُّفيل ، عن عليّ ، عن النبي ﷺ ، ورواه أبو داود ، عن عثمان بن أبي شَيْبة ، عن أبي نُعَيْم الفَضْل بن دُكَيْن[1] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا فضل بن دُكَيْن ، حدثنا ياسين العِجْليّ ، عن إبراهيم بن محمد ابن الحنَفِيّة ، عن أبيه ، عن عليّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « المهديّ منّا أَهْلَ البَيْتِ يُصْلِحُه اللهُ في لَيْلةٍ » . ورواه ابن ماجه عن عثمان بن أبي شَيْبَة ، عن أبي داود الحَفَرِي ، عن ياسين العِجْليّ ، وليس هو ياسينَ بنَ معاذ الزيات ، الزّياتُ ضعيف ، وياسين العِجْليّ هذا أوثقُ منه[2] ، وقال أبو داود : حُدِّثت ، عن هارون بن المغيرة ، حدثنا عمرو بن أبي قَيْس ، عن شُعَيْب بن خالد ، عن أبي إسحاق ، قال : قال عليّ ، ونَظَر إلى ابنه الحسن ، فقال : إن ابني هذا سيّد ، كمَا سَمّاهُ رسول الله ﷺ ، وسيخرُج من صُلبه رجلٌ يُسَمَّىٰ باسم نبيكم ﷺ ، يُشْبِهُهُ في الخُلُق ، ولا يُشبِهه في الخَلْق ، ثم ذكر قصة يملأ الأرض عَدْلاً[3] .

وقد عقد أبو داود السجستانيّ رحمه الله : كتاب المهدي مُفرداً في « سُنَنِه » ، فأورد في صدره حديث جابر بن سَمُرة ، عن رسول الله ﷺ : « لا يزالُ هذا الدينُ قَائِماً حَتّى يَكُونَ عَلَيْكُم اثْنَا عَشَر خَلِيفَةً كُلُّهُمْ تَجْتَمع عَلَيه الأُمَّة » وفي رواية : « لَا يَزَالُ هذا الدِّينُ عزيزاً إلى اثنَيْ عَشَر خَلِيفةً » قال : فكبّر النّاسُ ، وضَجُّوا ، ثم قال كلمةً خَفِيّة ، قلت لأبي : ما قال ؟ قال : « كُلُّهم من قريش » ، وفي

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٩٩) وأبو داود (٤٢٨٣) وهو حديث حسن .
(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٨٤) وابن ماجه (٤٠٨٥) وهو حديث حسن .
(٣) رواه أبو داود (٤٢٩٠) وإسناده ضعيف .

رواية قال : فلمّا رجع إلى بيته أَتَتْهُ قريش ، فقالوا : ثُمَّ يكونُ ماذا ؟ قال : « ثم يكون الهَرْجُ »[١] .

ثم رَوى أبو داود من حديث سُفيان الثوريّ ، وأبي بكر بن عيّاش ، وزائدة ، وفِطْر ، ومحمد بن عُبَيْد ، كلهم عن عاصم بن أبي النَّجُود ، وهو ابن بَهْدَلَةَ ، عن زرّ بن حُبَيْش ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : « لو لم يَبْقَ من الدُّنيا إلاّ يومٌ » ، قال زائدة : « لطوَّل الله ذلك اليوم » ثم اتفقوا : « حتى يبعث فيه رجلاً مِنّي ، أو من أهل بيتي ، يُواطِئ[٢] اسمُه اسمِي ، واسم أبيه اسم أبي » زاد في حديث فِطر : « يملأ الأرضَ قِسْطاً وعَدْلاً ، كما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجوراً » ، وقال في حديث سفيان : « لا تذهبُ أو لا تَنْقَضي الدُّنْيا حَتَّى يَمْلِكَ العَربَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، يُواطئ اسمُه اسمي » . وهكذا رواه أحمد ، عن عمر بن عُبَيْد ، وعن سُفيانَ بن عُيَيْنَة ، ومن حديث سُفْيانَ الثوريّ ، كلُّهُمْ عن عاصم به ، ورواه الترمذيّ من حديث السفيانيْن به ، وقال : حسن صحيح ، قال الترمذيّ : وفي الباب عن عليّ ، وأبي سعيد ، وأمّ سَلَمة ، وأبي هريرة . ثم قال الترمذيّ : حدثنا عبد الجبّار بن العلاء العطار ، حدثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنة ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال : « يَلي رجلٌ مِن أَهْلِ بَيْتِي يُواطِئ اسمُه اسمِي » ، قال عاصم : وأخبرنا أبو صالح عن أبي هريرة ، قال : لَوْ لَمْ يَبْقَ مِن الدُّنيا إلا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذلكَ اليَوْمَ حَتَّى يلِيَ . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح[٣] .

وقال أبو داود : حدثنا سَهْل بن تمّام بن بزِيْع ، حدّثنا عِمران القطّان ، عن قتادة ، عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « المهديّ منّي ، أجلى الجَبْهَةِ ، أَقْنى الأنف ، يَملأُ الأَرْضَ قِسْطاً ، وعَدْلاً ، كما مُلئت ظلْماً وجَوْراً ، يملِكُ سَبْع سِنينَ »[٤] .

وقال أبو داود : حدثنا أحمدُ بن إبراهيم ، حدثنا عبد الله بن جعفر الرَّقِّي ، حدثنا أبو المليح الحسن بن عمر ، عن زياد بن بيان ، عن علي بن نُفَيل ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أمّ سَلَمة ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المهديُّ مِنْ عِترَتي ، مِنْ ولد فاطِمَة » ، قال عبد الله بن جعفر : سمعتُ أبا المَلِيح ، يُثْنِي على عليِّ بن نُفَيْل ، ويذكر عنه صَلاَحاً . ورواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ ، عن أحمد بن عبد الملك ، عن أبي المَلِيح الرَّقِّي ، عن زياد بن بيان ، به[٥] .

فأمّا الحديثُ الذي رواه ابنُ عساكرَ في ترجمة محمدِ بنِ عبد اللهِ بنِ محمدِ بن علي بن عبد الله بن

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٧٩ ـ ٤٢٨١) وهو حديث صحيح ، دون قوله : « ما يزال الدين قائماً » وقوله : « فكبر الناس وضجوا » .

(٢) يواطئ : يوافق ويشابه .

(٣) رواه أبو داود (٤٢٨٢) وأحمد (١/ ٣٧٦ و٣٧٧) والترمذي (٢٢٣٠) و (٢٢٣١) وهو حديث حسن .

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٢٨٥) وفي إسناده ضعف .

(٥) رواه أبو داود رقم (٤٢٨٤) وابن ماجه رقم (٤٠٨٦) وفي إسناده ضعف .

عبّاسٍ ، وهو المهديُّ بن المنصور ، من طريق الدارقطنيِّ : ثنا إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشميُّ ، ثنا محمد بن الوليدِ القرشيُّ ، ثنا أسباطُ بن محمد الضَّبِّيُّ ، وصِلةُ بن سليمانَ الواسطيُّ ، عن سليمان التيميِّ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّب ،عن عثمان بن عفَّانَ ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : « الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ الْعَبّاسِ عَمِّي » . فإنَّه حديثٌ غريب ، كما قال الدارقطنيُّ ، تفرّد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم ، قال : ولم يُكْتَبْ إلاّ عن شيخِنا أبي إسحاقَ .

وقال أبو داود : حدثنا محمدُ بن المُثنَّى ، حدثنا معاذُ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن صالح أبي الخليل ، عن صاحب له ، عن أمّ سلَمة زوج النبي ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « يكون اختلافٌ عِنْدَ مَوْتِ خليفةٍ ، فيخرُج رجلٌ من أَهْل المدينة هارباً إلى مَكَّة ، فيأتيه ناس من أهل مَكة ، فيُخْرِجُونَه وهو كارِهٌ ، فيُبَايِعُونَه بَيْنَ الرُّكن والمَقام ، ويُبَعثُ إليه بعث مِن الشام فيُخْسَفُ بِهِمْ بالبَيْدَاءِ ، بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدالُ الشام ، وعصائب أهل العراق ، فيبايعونه ، ثم ينشأ رجل من قريش ، أخواله كَلْب ، فيبعث إليهم بعثاً ، فيظهرون عليهم ، وذلك بَعْثُ كَلْب ، والخَيْبَةُ لمن لم يشهد غَنِيمةَ كَلْب ، فيقسم المال ، ويعمل في الناس بسُنّة نبيهم ﷺ ، ويُلْقي الإسلامُ بِجِرانِه[١] إلى الأرض ، فيلبثُ سبعَ سنين ، ثم يُتوفَّى ، ويصلّي عليه المسلمون »[٢] .

وقال أبو داود : قال هارون يعني ابنَ المُغيرة : حدّثنا عمرو بن أبي قيس ، عن مُطَرِّف بن طريف ، عن أبي الحسن ، عن هلال بن عمرو : سمعت علياً يقول : قال رسولُ الله ﷺ : « يخرجُ رجل من وراء النَّهْر ، يقال له : الحارث ، حرَّاث ، على مقدّمته رجل ، يقال له : منصور ، يُوطِئ أو يُمكِّنُ لآلِ محمد ، كما مَكّنت قريش لرسول الله ﷺ ، وجَبَتْ على كلِّ مُؤمن نُصْرتُه » أو قال : « إجابتهُ »[٣] .

وقال ابن ماجه : حدثنا حَرْمَلَةُ بن يحيى المِصريّ ، وإبراهيم بن سعيد الجوهريّ ؛ قالا : حدثنا أبو صالح عبد الغفار بن داود الحرّاني ، حدثنا ابن لَهِيعة عن أبي زُرعة ؛ عمرو بن جابر الحَضْرَمِيّ ، عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزُّبَيْديّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج ناسٌ من المشرق ، فيوطِّئون للمَهْدِيّ » ، يعني سلطانَه[٤] .

وقال ابن ماجه : حدثنا عثمان بن أبي شَيْبة ، حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا عليّ بن صالح ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن إبراهيم ، عن عَلْقَمة ، عن عبد الله ، قال : بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رسول الله ﷺ إذ

(١) يقال : ضرب كذا بجرانه ، أي قر قراره واستقام .
(٢) أخرجه أبو داود رقم (٤٢٨٦) وأحمد في « المسند » (٦/ ٣١٦) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أبو داود رقم (٤٢٩٠) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٨٨) وإسناده ضعيف .

أقْبلَ فِتْيَةٌ من بني هاشم ، فلما رآهم رسولُ الله ﷺ اغْرَوْرقتْ عَيْنَاهُ ، وَتغيّر لَوْنهُ ، قال : فقلت : ما نَزالُ نَرى في وجهك شيئاً تكرهُه ، فقال : « إنَّا أَهلُ بيتٍ اختار اللهُ لنا الآخِرَة على الدنيا ، وإنّ أَهْلَ بيتي سَيلْقَوْنَ بعدي بَلاءً وتشريداً ، وتَطْريداً ، حتى يأتيَ قوم من قبَل المشرق معهم رايات سُود فيَسألون الخَيْر فلا يُعْطَونَه ، فيقاتِلوُن فيُنْصَرون ، فيُعْطَوْنَ ما سألوا ، فلا يقبلونه ، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي ، فيملؤها قِسطاً كما ملؤوها جَوْراً ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حَبْواً على الثلج »(١) .

ففي هذا الحديث ، إشارة إلى مُلْك بني العباس ، كما تقدم التنبيه على ذلك عند ذكر ابتداء دولتهم في سنة ثنتين وثلاثين ومئة ، وفيه دلالة على أن المهدي يكون بعد دولة بني العباس ، وأنه يكون من أهل البيت من ذُرّية فاطمة بنتِ رسولِ الله ﷺ ثم مِنْ ولد الحسن ، لا الحُسَيْن كما تقدّم النص على ذلك في الحديث المرويّ ، عن عليّ بن أبي طالب والله أعلم .

وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى ، وأحمد بن يوسف ، قالا : حدثنا عبد الرزّاق ، عن سفيان الثوريّ ، عن خالد الحَذَّاء ، عن أبي قِلاَبة ، عن أبي أسماء الرحَبيّ ، عن ثَوْبَان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقتتل عند كنْزِكُمْ ثَلاَثَةٌ كُلُّهم ابن خليفة ، ثم لا يصيرُ إلى واحدٍ مِنْهُمْ ، ثم تَطْلعُ الرَّاياتُ السُّودُ من قِبَل المَشرِق ، فيقتلونكم قَتلاً لم يُقْتَلْه قوْم » ثم ذَكَرَ شيئاً لا أحْفظُه فقال : « فإذا رَأَيتمُوه ، فبَايِعُوهُ ، ولَوْ حَبْواً على الثَّلْج ، فإنّه خَلِيفةُ الله المهديّ » . تفرّد به ابنُ ماجه ، وإسناده قويّ صحيح(٢) .

والظاهر أن المراد بالكنز المذكور كنزُ الكعبة ، يَقْتتلُون عندَه ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء ، حتى إذا كان في آخر الزمان ، فيخرج المهديّ ، ويكون ظهوره من بلاد المشرق ، وقيل : من مكة ، لا من سِرداب سامرّا ، كما تَزْعُمهُ جَهَلَةُ الرافِضَة من أنّه محبوس فيه الآن ، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان ، فإنّ هذا نوع من الهَذَيانِ ، وقِسْطٌ كبير من الخِذْلان ، وهوَس شديد من الشيطان ، إذ لا دليل على ذلك ولا بُرهان ، لا من كتاب ولا سُنّة ولا معقول صحيح ولا بيان .

وقال الترمذيّ : حدثنا قُتَيْبَة ، حدّثنا رِشْدِينُ بن سعد ، عن يونس عن ابن شهاب الزهريّ ، عن قَبيصَةَ بن ذُؤَيْب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تخرُج من خُراسانَ راياتٌ سودٌ ، فلا يَردُّها شَيْءٌ حَتّى تُنْصَب بإيلِيَاء » . هذا حديث غريب(٣) . وهذه الرايات السُّود ليست هي التي أقبل بها أبو مُسْلِمٍ الخُراسَانيّ ، فاستَلَبَ بها دولة بني أميّة ، في سنة ثِنْتَيْن وثَلاَثِين ومئة ، بل هي راياتٌ سود

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٨٢) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٨٤) لكن في سنده : أبو قلابة الجَرمي عبد الله بن زيد ، وهو مدلس وقد عنعنه .
(٣) أخرجه الترمذي رقم (٢٢٦٩) وإسناده ضعيف .

أُخرى ، تأتي صُحْبَةَ المهديّ ، وهو محمد بن عبد الله العَلَوِيُّ الفاطِمِيّ ، الحَسَنِيّ ، والله أعلم ، يُصلحه الله في ليلة واحدةٍ ، أي يَتُوب عليه ، ويُوَفقّه ، ويُلهمه رُشْدَه ، بعد أن لم يكن كذلكَ ، ويؤيده بناسٍ من أهل المَشْرِق ، ينصرونه ، ويُقيمون سُلطانه ويُشيّدون أركانه ، وتكون راياتهم سُوداً أيضاً ، وهو زيٌّ عليه الوقار ، لأنّ رايةَ رسول الله ﷺ كانت سوداء ، يُقال لها : العُقَاب ، وقد ركزها[١] خالدُ بن الوليد على الثنيّة التي هي شرقيّ دِمشْق ،حين أقبل من العِراق ، فعُرِفَتْ بها الثنيّة ، فهي إلى الآن يقال لها ثَنِيّة العُقاب ، وقد كانت عِقاباً على الكفار ، من نَصارى الشام والرُّوم والعرب والفرس ، وأطّدت حُسْن العاقبة لعباد الله المؤمنين ، من المهاجرين والأنصار ، ولمن كان معهم ، وبعدهم ، إلى يوم الدين ، ولله الحمد . وكذلك دخل رسولُ الله ﷺ يوم الفتح إلى مكة ، وعلى رأسه المِغْفرُ ، وكان أسود ، وجاءَ في حديثٍ أنه كان مُعْتَمّاً بِعِمامةٍ سوداء ، فوق البيضة ، صلوات الله وسلامه عليه ، والمقصود أن المهديّ الموعود بوجوده في آخر الزمان يكونُ أصلُ ظهوره وخروجِه من ناحية المَشْرِق ، ثم يأتي مكة فَيُبايَع له عند البيت الحرام ، كما دلّ على ذلك بعضُ الأحاديث ، وقد أفردتُ في ذِكر المهديّ جُزءاً على حِدَة ، ولله الحمد .

وقال ابن ماجه أيضاً : حدثنا نصرُ بن علي الجَهْضَمِيّ ، حدثنا محمد بن مَرْوانَ العُقَيْلِيّ ، حدثنا عُمارةُ بن أبي حَفْصة ، عن زيد العَمِّيّ ، عن أبي الصدِّيق الناجي ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ : أن رسول الله ﷺ قال : « يكون في أمتي المهديّ إن قُصِرَ فسَبْع ، وإلا فَتِسْعٌ ، تنعم فيه أمتي نَعمةً لم ينعموا مثلها قط ، تؤتي الأرض أُكُلهَا ، ولا تدَّخِرُ منهم شيئاً ، والمالُ يومئذ كُدُوس[٢] ، يقوم الرجل فيقول : يا مهديّ ، أعطني ، فيقول : خذ »[٣] .

وقال الترمذيّ : حدثنا محمد بن بَشّار ، حدثنا محمد بن جَعفر ، حدثنا شُعبة ، سمعتُ زيداً العَمِّيّ ، سمعت أبا الصدّيق الناجي يحدث عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ، قال : خَشِينا أن يكون بعدَ نَبِيّنا حدَثٌ ، فسألنا نبيَّ الله ﷺ فقال : « إنّ في أمتي المهديّ ، يخرجُ يعيش خمساً أو سبعاً ، أو تِسْعاً » زيدٌ الشاكُّ ، قال : قلنا : وما ذاك ، قال : سنين ، قال : « فيجيء إليه الرجل فيقول : يا مهديّ أعطني ، أعطني » قال : « فيَحْثِي له في ثَوْبه ما استطاع أن يحمله » . هذا حديث حسن ، وقد رُوي من غير وجه ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ ، وأبو الصدّيق الناجي اسمُه بكر بن عمرو ، ويقال : بكر بن قَيس[٤] وهذا دليل على أن أكثر مُدّته تسعُ سنين ، وأقلّها خمس أو سبع ، ولعلّه هو الخليفة الذي يحثو

---

(١) أي غرزها .

(٢) مجموع بعضه إلى بعض .

(٣) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٨٣) وهو حديث حسن .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٢٣٢) وإسناده ضعيف .

المالَ حَثْياً ، ولا يَعُدُّه عَدّاً ، والله أعلم ، وفي زمانه تكون الثّمار كثيرةً ، والزروع غَزيرةً ، والمالُ وافر ، والسلطان قاهر ، والدينُ قائم ظاهر ، والعدوّ ملوم مخذول داخر ، والبلاد آمنة ، والأمر والنهي قائم ، والرزق دارٌّ دائم ، والخيرُ في أيامه دائم راغم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خَلَفُ بن الوليد ، حدثنا عَبّاد بن عبّاد ، حدثنا مُجالد بن سعيد ، عن أبي الودّاك ، عن أبي سعيد ، قال : قلت : والله ما يأتي علينا أميرٌ إلاّ وهو شَرٌّ من الماضي ، ولا عامٌ إلاّ وهو شرّ من الماضي ، قال : لولا شيء سمعتهُ من رسول الله ﷺ لقلت مثل ما يقول ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من أمرائكم أميراً يَحْثو المَالَ حَثْواً ، ولا يَعُدّه عَدّاً ، يأتيه الرجلُ يسألُه ، فيقول : خذ ، فيَبْسُط ثَوْبَه ، فيَحْثُو فيه » وبَسَط رسولُ الله ﷺ مِلْحَفَةً غَلِيظَةً ، كانت عليه ، يَحْكِي صُنْعَ الرجُلِ ، ثُمّ جمع إليه أكنافها ، قال : « فيأخذه ، ثم ينطلق » . تفرّد به أحمد ، من هذا الوجه[1] .

وقال ابن ماجه : حدثنا هَدِيّة بن عبد الوهاب ، حدثنا سعدُ بن عبد الحميد بن جعفر ، عن عليّ بن زياد اليَمَامِيّ ، عن عِكْرمة بنِ عمّار ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلْحة ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نحن وَلَدُ عَبْدِ المُطَّلِب سادةُ أهل الجنّة ، أنا ، وحمزة ، وعليّ ، وجعفرٌ ، والحسنُ ، والحسينُ ، والمهديُّ » ، قال شيخنا أبو الحجاج المِزّيّ : كذا وقع في « سنن ابن ماجه » ، وفي إسناده عليّ بن زياد اليماميّ ، والصواب عبد الله بن زياد السُّحَيْمِي ، قلت : وكذا أَورده البخاريّ في « التاريخ » ، وابن أبي حاتم في « الجَرْح والتعديل » ، وهو رجل مجهول ، وهذا الحديث مُنكر[2] .

وفي الطبرانيِّ مِن حديث حسين بن عليٍّ ، عن الأوزاعيِّ ، عن قيس بن جابر الصَّدَفيِّ ، عن أبيه ، [عن جدِّه] مرفوعاً : « سَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ ، ثُمَّ مُلُوكٌ ، ثُمَّ أُمَرَاءُ ، ثُمَّ جَبَابِرَةٌ ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً ، ثُمَّ يُؤَمَّرُ الْقَحْطَانِيُّ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا هُوَ بِدُونِهِ »[3] .

فأمّا الحديثُ الذي رواه ابن ماجه في « سننه » ، حيث قال رحمه الله : حدثنا يونُس بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن إدريس الشافعيّ ، حدثني محمد بن خالد الجَنَديّ ، عن أبان بن صالح ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزداد الأمرُ إلاّ شِدّةً ، ولا الدنيا إلا إدباراً ، ولا الناسُ إلاّ شُحّاً ، ولا تقوم الساعة إلا على شِرَار الناس ، ولا المهديّ إلا عيسى ابن مريم » فإنه حديث مشهور

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٩٨) وفي إسناده ضعف .
(٢) أخرجه ابن ماجه رقم (٤٠٨٧) .
(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (٢٢/ ٩٣٧) وإسناده ضعيف .

بمحمد بن خالد الجنديّ الصَّنْعاني المؤذّن ، شيخ الشافعي ، وروى عنه غيرُ واحد أيضاً ، وليس هو بمجهول ، كما زعمه الحاكم ، بل قد رُوي عن ابن مَعِين أنه وَثقه ، ولكن من الرُّواة من حَدّث به عَنْه ، عن أبان بن أبي عَيّاش ، عن الحسن البَصري ، مُرسلاً ، وذكر شيخنا في التهذيب ، عن بعضهم : أنه رأى الشافعيَّ في المنام وهو يقول : كذب عليَّ يونُس بنُ عبد الأعلى الصدفي ، ليس هذا من حديثي . قلت : يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفِيّ ، من الثقات ، لا يُطْعَنُ فيه بمجرد منَامٍ ، وهذا الحديث فيما يظهر في بادي الرأي ، مُخالفٌ للأحاديث التي أوردناها في إثبات مهديٍّ غير عيسى ابن مريم ، إما قبل نزوله كما هو الأظهر والله أعلم ، وإما بعد نزوله ، وعند التأمل يكون هذا الحديث لا ينافيها ، بل يكون المراد من ذلك أن المهدي حقَّ المهديّ هو عيسى ابنُ مريم ، ولا ينفي ذلك أن يكون غيرهُ مَهْديّاً أيضاً ، والله أعلم(١) .

ذكر أنواع من الفتن
وقعت وستكثر وتتفاقم في آخر الزمان

قال البخاري : حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا ابنُ عُيَيْنَة ، أنه سمع الزهري ، عن عُروة ، عن زينب بنت أم سَلَمة ، عن أم حَبِيبَة ، عن زينب بنتِ جَحْش ، أنها قالت : استيقظ رسول الله ﷺ من النوم مُحْمَرّاً وَجْهُهُ ، يقول: «لا إلـه إلا الله ، ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فُتحَ اليوم من رَدْم يأجوجَ ومأجُوجَ مثلُ هذه » وعقد سفيان تسعين أو مئةً ، قيل : أنَهلِكُ وفينَا الصالحُونَ ، قال : « نعم ، إذا كَثُر الخَبَثُ ». وهكذا رواه مسلم عن عمرو الناقد، عن سفيان بن عُيَيْنَة به، قال : وعقد سُفيانُ بيده عَشرة ، وكذلك رواه عن حَرْمَلة ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ؛ وقال : وحلّق بإصْبَعَيْه الإبهام والتي تليها ، ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة ، وسعيد بن عمرو ، وزُهَير بن حرب ، وابن أبي عمر ، عن سفيان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن زينب بنت جحش ، عن حَبِيبَةَ ، عن أم حَبِيبَة ، عن زينب ، فاجتمع فيه تابعيّان وربيبتان ، وزوجتان ، أربع صحابيات ، رضي الله عنهنّ(٢) .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وُهَيْب ، حدثنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « فُتحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجُوج ومأجوج مثلُ هذه » وعقد وُهَيْبٌ تِسْعِين . وهكذا رواه مسلم من حديث وُهَيْب مثله(٣) .

---

(١) ابن ماجه (٤٠٣٩) وقال الذهبي شيخ المصنف في « الميزان » : إنه خبر منكر ، أقول : وأما جملة : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » فصحيحة .

(٢) رواه البخاري رقم (٧٠٥٦) ومسلم رقم (٢٨٨٠) .

(٣) رواه البخاري رقم (٧١٣٦) ومسلم رقم (٢٨٨١) .

وروى البخاري من حديث الزهري ، عن هند بنت الحارث الفِرَاسِيّة ، أن أُم سَلَمة زوج النبي ﷺ قالت : استيقظ النبي ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ فزِعاً ، يقول : « سُبْحانَ اللهِ ، ماذا أُنزل الليلةَ من الخزائن ، وماذا أُنزل من الفتن ؟ مَنْ يُوقِظُ صَواحِبَ الحُجُراتِ » يُريد أزواجه « لكي يُصَلّين ، رُبَّ كاسِيَةٍ في الدنيا عَارِيةٌ في الآخرة »(١) .

ثم روى البخاري ، ومسلم ، من حديث الزهري عن عروة ، عن أسامة بن زيد ، قال : أشرف النبيُّ ﷺ على أُطُم من آطَامِ(٢) المدينة ، فقال : « هل تَرَوْنَ مَا أرَى ؟ » قالوا : لا ؛ قال : « فإني لأرى الفِتَن تقع خِلاَلَ بُيُوتِكم ، كوقع القَطْر »(٣) .

وروى البخاري من حديث الزهري عن سعيد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « يتقاربُ الزَّمَانُ ، وينْقُصُ العِلْم ، ويُلْقَى الشح ، وتظهر الفِتَن ، ويكْثُرُ الهَرْجُ » قالوا : يا رسول الله أيمّا هو ؟ قال : « القتل القتل » ، ورواه أيضاً عن الزهري ، عن حُمَيْد ، عن أبي هريرة(٤) ، ثم رواه من حديث الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله بن مسعود ، وأبي موسى(٥) .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سُفيانُ ، عن الزبير بن عدي ، قال : أتينا أنسَ بن مالك ، فشكونا إليه ما يلقَون من الحَجَّاج ، فقال : « اصبروا ، فإنه لا يأتي على الناس زمانٌ إلاّ الذي بعدَه شَرٌّ منه حتى تَلْقَوْا رَبّكم » سمعتهُ من نبيكم ﷺ ، ورواه الترمذيّ ، من حديث الثوريّ ، وقال: حسن صحيح(٦)، وهذا الحديث يعبّر عنه العوامّ فيما يوردونه بلفظ آخر: «كُلَّ عَامٍ تَرْذُلُون»(٧).

وروى البخاري ومسلم من حديث الزهريّ ، عن سعيد بن المسيّب ، وعن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ستكون فتن ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من يُشْرف لها ، تَسْتَشْرِفْهُ ، فمن وجد فيها ملجأً أو مَعاذاً فليَعُذْ به »(٨) .

---

(١) رواه البخاري رقم (١١٥) .
(٢) البناء المرتفع .
(٣) رواه البخاري (١٨٧٨) ومسلم رقم (٢٨٨٥) .
(٤) البخاري (٧٠٦١) و(٦٠٣٧) .
(٥) رواه البخاري (٧٠٦٢) مع (٧٠٦٣) .
(٦) رواه البخاري (٧٠٦٨) والترمذي رقم (٢٢٠٦) .
(٧) سبق للمصنف في أواخر ترجمة الحجاج قوله : هذا اللفظ لا أصل له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث وكذا قال ابن حجر : لا أصل له ، وقال السخاوي في « المقاصد » : هو من كلام الحسن البصري في رسالة .
(٨) رواه البخاري رقم (٣٦٠١) ومسلم (٢٨٨٦) .

ولمسلم عن أبي بكرة نحوُه . بأبسط منه[١] .

وقال البخاريّ : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سُفْيان ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، حدثنا حُذَيفة قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخرَ ، حدّثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم عَلِمُوا مِنَ القرآن ، ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رَفْعها قال : « ينام الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرُها ، مثل أثر الوَكْت[٢] ثم ينام النومة ، فتقبض ، فيبقى أثرها مثل أثرِ المَجْل[٣] ، كجمر دحرجته على رجلك فنَفِط فتراه مُنْتبِراً[٤] وليس فيه شيء ، فيُصبح الناس يتبايعون ، ولا يكاد أحد يُؤدي الأمانة ، فيقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً ، ويقال للرجل : ما أعقله ، وما أظرفه ، وما أجلده ، وما في قلبه مثقالُ حبة خردل من الإيمان ، ولقد أتى عليّ زمان ، وما أبالي أيّكم بايعتُ ، لئن كان مسلماً ردَّه عليّ الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده عليّ ساعيه[٥] ، وأما اليوم فما كنتُ أبايع إلاّ فلاناً ، وفلاناً » ورواه مسلم من حديث الأعمش به[٦] .

وروى البخاري من حديث الزهري عن سالم ، عن أبيه ، ومن حديث الليث عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قام إلى جَنْب المنبر ، وهو مُستقبلُ المَشرِق ، فقال : « ألا إن الفتنةَ هاهنا ، من حيث يطلعُ قرن الشيطان » أو قال : « قَرْنُ الشمس » . ورواه مسلم ، من حديث الزهريّ وغيره ، عن سالم عن أبيه به ، ومن حديث الليث ، عن نافع به ، ورواه أحمد ، من طريق عبد الله بن دينار ، والطبرانيّ من رواية عطية ، كلاهما عن عبد الله بن عمر ، به[٧] .

وقال البخاريّ : حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى يَمُرّ الرجلُ بقبر الرجل ، فيقول : يا ليتني مكانه »[٨] .

وقال الإمام أحمد : ثنا عفانُ ، ثنا حمادُ بن سَلَمَةَ ، أنا يونسُ ، عن الحسنِ ، عن سَمُرَةَ ، عن النبيِّ ﷺ، قال: « تُوشِكُونَ أَنْ يَمْلأَ اللهُ أَيْدِيَكُمْ مِنَ الْعَجَمِ » ـ وقال عفانُ مرةً : « مِنَ

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٨٧) .
(٢) الوكت : الأثر اليسير .
(٣) انتفاخ الجلد من كثرة العمل .
(٤) أي مرتفعاً .
(٥) المشرف على أمره .
(٦) رواه البخاري (٦٤٩٧) ومسلم (١٤٣) .
(٧) رواه البخاري (٧٠٩٢) و(٧٠٩٣) ومسلم (٢٩٠٥) وأحمد (٢/ ٢٣) .
(٨) رواه البخاري (٧١١٥) .

اَلأَعَاجِمِ ـ يكُونُونَ أُسْداً لاَ يَفِرُّونَ ، يَقْتُلُونَ مُقَاتِلَتَكُمْ ، وَيَأْكُلُونَ فَيْئَكُمْ »[١] .

وقال البخاريّ : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهريّ ، أخبرني سعيد بن المسيّب أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعةُ حتى تَضْطرِبَ أَلَيَاتُ نساء دَوْس على ذي الخَلَصة ، وذو الخَلَصة طاغِيَةُ دَوْس التي كانوا يعبدون في الجاهلية »[٢] .

وقال البخاريّ : حدثنا عبد الله بن سعيد الكنديّ ، عن عُقبة بن خالد ، حدثنا عُبيد الله ، عن خُبَيْب بن عبد الرحمن ، عن جده حفص بن عاصم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوشك الفُراتُ أن يَحْسِر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذْ منه شيئاً » ، قال عقبة : وحدثنا عُبَيد الله ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ مثله ، إلاّ أنه قال : « يَحْسِرُ عن جَبَلٍ مِنْ ذهب » وكذلك رواه مسلم ، من حديث عُقبة بن خالد ، من الوجهين ، ثم رواه عن قُتَيْبَة ، عن يعقوب بن عبد الرحمن ، عن سُهَيْل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يَحْسِر الفُراتُ عن جَبَلٍ مِنْ ذهب ، يَقْتَتِلُ الناس عليه ، فيُقتل من كل مئة تسعة وتسعون ، يقول كلّ رجل منهم : لَعَلِّي أكونُ أَنَا الذي أنجو »[٣] .

ثم روىٰ من حديث عبد الله بن الحارث بن نَوْفل ، قال : كنت واقفاً مع أبيّ بن كعب في ظل أجم[٤] حَسّان فقال : لا يزال الناس مُختلفةً أعناقُهم ، في طلب الدنيا ، قلت : أجل ، قال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يُوشِكُ الفُراتُ أَنْ يَحْسِرَ عن جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فإِذَا سَمِعَ بِهِ النَاسُ سَارُوا إليْه ، فيقولُ مَنْ عِنْدَهُ : لئنْ تَرَكْنَا الناس يأْخُذُونَ مِنْهُ ليَذْهَبُنَّ به كُلِّه » قال : « فَيَقْتَتلُونَ عليه فيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مئةٍ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ »[٥] .

وقال البخاري : حدثنا أبو اليَمان ، أخبرنا شُعَيْب ، حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ السَّاعَةُ حتى تقْتتلَ فِئَتَان عَظِيمتَان ، يكونُ بَيْنهمَا مقتلةٌ عظِيمَةٌ ، دعْوَاهُما واحدةٌ ، وحتى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ ، قرِيبٌ مِنْ ثَلاثين ، كلٌّ يزعمُ أنه رسولُ الله ، وحتى يُقْبَضَ العلمُ ، وتكثُرَ الزلازلُ ، ويَتقَارَبَ الزمَانُ ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ ، ويكْثُرَ الهَرْجُ ، وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المالُ ، فيفيضَ حتى يُهِمَّ ربَّ المالِ مَنْ يقبلُ صَدَقته ، وحتى يَعْرِضَه ، فيقولُ الذي يَعْرِضُه عليه ، لا أَرَب لي فيه ، وحتى يَتَطَاول الناسُ في البُنْيانِ ، وحَتّى يَمُرَّ الرجل بقبْرِ الرَّجُل ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٧) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه البخاري (٧١١٦) ورواه مسلم (٢٩٠٦) من طريق الزهري .
(٣) رواه البخاري رقم (٧١١٩) ومسلم (٢٨٩٤) .
(٤) الأجم : الحصن .
(٥) رواه مسلم رقم (٢٨٩٥) .

فيقول : يا لَيْتَنِي مَكانَه ، وحَتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغربها ، فإذا طلعتْ ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعةُ وقد انصرف الرجلُ بلبن لقحته[١] فلا يَطْعَمُهُ ، ولتقُومنَّ الساعةُ وهو يَليطُ حوضه فلا يسْقِي فيه ، ولتقُومن السَّاعةُ وقد رفع أُكْلَتَهُ إلى فيه ، فَلَا يَطْعَمُها »[٢] .

وقال الإمام أحمد : ثنا سُريجُ بن النعمان ، ثنا عبد العزيز ، يَعْنِي الدَّرَاوَرْديَّ ، عن زيدِ بن أسلمَ ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرُ بِأَلْسِنَتِهَا » . تفرَّد به أحمدُ[٣] .

وقال مسلم : حدثني حَرْمَلَةُ بن يحيى التُّجِيبيّ ، حدثنا ابنُ وهب ، حدثنا يونُس ، عن ابن شِهَاب : أن أبا إدريس الخَوْلَاني ، قال : قال حُذيفة بن اليمان : والله إني لأعلم الناسِ بكلّ فِتْنَة كائنَةٍ فيما بَيْنِي وبينَ الساعة ، وما بي إلاّ أن يكون رسُولُ الله ﷺ أسرّ إليَّ في ذلك شيئاً لم يُحَدِّثْه غيري ، ولكنّ رسولَ الله ﷺ قال ، وهو يُحدّث مَجْلساً أنا فيه عن الفتن ، فقال رسولُ الله ﷺ ، وهو يَعُدّ الفتن : « منهنّ ثلاث ، لا يَكَدْنَ يذَرْنَ شَيْئاً ، ومنهنّ فِتَنٌ كريَاح الصيف ، منها صِغَار ومنها كِبَار » قال حُذَيفة : فذهب أولئك الرَّهْطُ كلُّهم غيري[٤] .

وروى مسلم من حديث زهير ، عن سُهَيْل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا مَنَعَت العِرَاقُ دِرْهَمَها وقَفِيزها ، ومنَعَتِ الشامُ مُدْيَها[٥] ودِينَارَها ، ومنَعَتْ مصرُ إرْدَبَّها ، ودِينَارَها ، وعُدْتَمْ مِنْ حَيْثُ بَدأتُمْ ، وعدتم من حيث بدأتم ، [وعدتم من حيث بدأتم] » شهد على ذلك لَحم أبي هُريرَة ودمُه[٦] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا الجُرَيْريّ ، عن أبي نَضْرة ، قال : كُنَّا عِندَ جَابِرٍ ، فقال : يُوشِكُ أهْلُ العِرَاقِ ألاّ يُجْبى إليهم قفيزٌ ، ولا دِرْهَمٌ ، قلنا : مِنْ أينَ ذاك ؟ قال : من قِبَل العَجَم ، يمنعون ذَاكَ ، ثم قال : يوشك أهلُ الشام ألاّ يُجْبَى إليهم دِينَارٌ ولا مُدْي ، قُلنا : مِنْ أيْنَ ذاك ، قال : مِنْ قِبَلِ الرُّوم ، يمنعون ذَاكَ ، ثم سكتَ هُنيهَةً ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في

---

(١) اللقحة : الناقة الحلوب .
(٢) رواه البخاري رقم (٧١٢١) .
(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٨٤) وهو حديث حسن .
(٤) رواه مسلم (٢٨٩١) .
(٥) المدي : مكيال معروف لأهل الشام .
(٦) رواه مسلم (٢٨٩٦) .

آخر أمّتي خَلِيفَةٌ يحثو المال حَثْياً لا يَعُدّه عدّاً » قال الجُرَيْرِيّ : فقلت لأبي نضرة ، وأبي العلاء : أَتَرَيَانِ أَنّه عمرُ بن عبد العزيز ؟ فقالا : لا . ورواه مسلم من حديث الجُرَيْرِيّ ، بنحوِه(١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا أفلح بن سعيد الأنصاريّ ، شيخٌ من أهل قُبَاءَ من الأنصار ، وحدّثني عبد الله بن رافع ، مولى أمّ سَلمة ، قالت : سمعتُ أبا هريرة يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنْ طَالَتْ بكُمْ مُدّةٌ أوشَكَ أَنْ تَرى قوماً يَغْدُونَ في سَخَطِ اللهِ ، ويروحونَ في لَعْنتِه ، في أيديهم مثلُ أذْنَابِ البقر » . وأخرجه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نُمَير ، عن زيد بن الحُبَاب ، عن أفلح بن سعيد به(٢) .

ثم روىٰ عن زهير بن حَرْب ، عن جَرِير ، عن سُهَيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « صِنْفانِ من أهل النار لم أرَهُمَا بعدُ : قومٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كأذْنَابِ البَقَر يَضْرِبُونَ بِها النَّاسَ ، ونِساءٌ كاسِيَاتٌ عَارِياتٌ ، مائلات ، مُميلات ، رؤوسهنّ كأسنمة البُخْت المائلة ، لا يدخلن الجَنّة ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها ، وإنّ رِيحَها ليُوجَدُ مِنْ مَسِيرة كذا ، وكذا »(٣) .

وقال أحمد : حدّثنا زيدُ بن يحيى الدّمشقيّ ، حدثنا أبو مُعَيْدٍ ، حدثنا مكحول ، عن أنس بن مالك ، قال : قيل : يا رسول الله ! متَى نَدَعُ الائتمارَ بالمَعْرُوفِ ، والنَّهْيَ عَنِ المُنكر ؟ قال : « إذا ظَهَرَ فِيكُمْ مِثْلُ مَا ظَهَر فِي بَنِي إِسْرائيل ؛ إذَا كانَتِ الفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ ، والعِلْمُ في رُذَالِكم ، والملك في صِغَارِكم » ، ورواه ابن ماجه ، عن العباس بن الوليد الدِّمَشْقِيّ ، عن زيد بن يحيى بن عُبَيد ، عن الهَيْثَم بن حُمَيد ، عن أبي مُعَيْد حفص بن غَيْلان ، عن مكحول ، عن أنس . . . فذكره نحوه(٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن حمّاد ، حدثنا أبو عوانة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، أنّه حدّثهم عن النبيّ ﷺ قال : « ضاف رجلٌ رجلاً من بني إسرائيل ، وفي داره كَلْبة مُجِحٌّ(٥) ، فقالت الكلبة : والله لا أَنْبَحُ ضَيْفَ أهلي » قال : « فَعَوَى جِراؤها في بَطْنِها » قال : « قيل : ما هذا ؟ » قال : « فأوحَى الله عز وجل إلى رَجُلٍ منهم : هَذَا مَثَل أمّةٍ تكُونُ مِن بعدكم ، يقهرُ سُفَهاؤُهَا حُلماءَها »(٦) .

وقال أحمد : حَدّثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن الأوزاعيّ ، حدثني أبو عمّار ،

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣١٧) ومسلم رقم (٢٩١٣) .
(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٠٨) ومسلم (٢٨٥٧) .
(٣) رواه مسلم (٢١٢٨) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٨٧) وابن ماجه رقم (٤٠١٧) وفي إسناده ضعف .
(٥) المُجِح : الحامل القريبة الوضع .
(٦) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٠) وإسناده ضعيف .

حدثني جار لجابر بن عبد الله ، قال : قَدِمْتُ من سَفَر ، فجاءني جابر يُسَلِّم عليّ ، فجعلتُ أحدّثه ، عن افتراق الناس ، وما أحدثوا ، فجَعَل جابر يبكي ، ثم قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنّ النَّاسَ دَخلُوا في دين اللهِ أفواجاً ، وسَيَخْرُجُونَ مِنه أفواجاً »(١) .

وقال أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لَهِيعَةَ ، حدثنا أبو يونُس ، عن أبي هريرة ، وقال حسن : حدّثنا ابن لهِيعَةَ ، حدّثنا أبو يونُس ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ويلٌ للعرب من شَرّ قد اقْتَرَب ، فِتَناً كَقِطَع الليل المُظلم ، يُصبحُ الرجل مؤمناً ، ويُمسي كافراً يَبِيعُ قومٌ دينَهُمْ بعَرَضٍ من الدُّنْيا قَليلٍ ، المتمسِّكُ يَوْمئذٍ بدينِه كالقَابِض على الجَمْر » أو قال : « على الشوك » ، وقال حسن في حديثه : « بخَبط الشوك »(٢) .

وقال أحمد : حدثنا أبو جعفر المدائنيّ ، حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزديّ ، عن أبيه حبيب بن عبد الله ، عن شُبَيْلِ بن عوف ، عن أبي هريرة ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لثوْبَان : « كيف أنتَ يا ثَوْبَان ، إذا تداعتْ عليكمُ الأُمَمُ ، كتداعيهِمْ إلى قَصْعَةِ الطَّعَام ، يُصِيبُونَ مِنْه ؟ » قال ثوبان : بأبي وأمِّي يا رسول الله ؟ أمِنْ قلَّةٍ بنَا ؟ قال : « لا ، بل أَنْتُمْ يَوْمئذٍ كثير ، ولكنْ يُلقى في قلوبكم الوهَن » قالوا : وما الوهَن يا رسول الله ؟ قال : « حُبُّكم الدُّنيا ، وكرَاهِيَتكُم القِتالَ »(٣) .

وقال الإمامُ أحمد : حدثنا عبد الرزَّاق ، حدثنا مَعْمَر عن رجل ، عن عمرو بن وابصة الأسَدِيّ ، عن أبيه ، قال : إنِّي بالكوفة في داري ، إذ سمعتُ على باب الدار : السلامُ عليكم ، أألج ؟ فقلت : عليكمُ السلامُ ، فَلِجْ ، فلما دخل ، فإذا هو عبد الله بن مسعود ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أيَّةُ ساعة زيارَةٍ هذه ؟ وذلك في نحوِ الظَّهِيرة ، قال : طال عليّ النهار ، فذكرتُ منْ أتحدَّث إليه ، قال : فجَعَلَ يُحدِّثني عن رسول الله ﷺ وأحدّثه ، ثم أنشأ يُحدّثني ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فيها خيرٌ من المُضْطَجِع ، والمُضْطَجِعُ فِيها خَيْرٌ مِنَ القَاعِد ، والقاعدُ فِيها خَيْرٌ مِنَ القَائِم ، والقائمُ فِيها خَيْرٌ من الماشي ، والماشي خَيْرٌ مِنَ الرّاكب ، والراكبُ خَيْر من المُجري(٤) ، قتلاها كلّها في النار » قال : قلت : يا رسول الله متى ذلك ؟ قال : « ذلك أيامَ الهَرْج » قلتُ : ومتَى أيامُ الهَرْج ؟ قال : « حين لا يَأْمَنُ الرّجُلُ جَلِيسَهُ » قال : قلت : فما تَأْمُرُنِي إنْ أدرَكْتُ ذَلك ؟ قال : « اكْفُفْ نَفْسَك ، ويدكَ ، وادْخُل دَارَك » قال : قلت : يا رسول الله ! أرأيتَ إن دَخَل عليّ رجل داري ؟ قال :

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٤٣) وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) وهو حديث حسن . والخبط : ما يتساقط من الشجر إذا ضرب بالعصا .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٩) وهو حديث حسن .

(٤) المجري : الذي يجري فرسه .

فادخل بيتك » قال : قلت : أفرأيت إن دَخَل عَلَيَّ بيْتي ، قال : « فادْخُلْ مَسْجِدَكَ ، واصْنَعْ هَكَذا » وقَبَض بِيَمِينِه عَلَى الكُوع « وقُلْ : ربّيَ اللهُ ، حَتّى تَمُوتَ على ذلك »(١) .

وقال أبو داود : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبي ، حدثنا شهاب بن خِراش ، عن القاسم بن غَزْوان ، عن إسحاق بن راشد الجزري ، عن سالم ، حدثني عمرو بن وابصة ، عن أبيه ، عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، فذكر بعض حديث أبي بَكْرة ، قال : « قَتْلاَهَا كلهم في النَّار » قال فيه : قلتُ : متى ذلك يا ابن مسعود ؟ قال : تِلْك أيامُ الهَرْج ، حيث لا يأمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَه ، قلت : فما تأمرُني إنْ أدْرَكَني ذَلِكَ الزّمانُ ؟ قال : تكفُّ لِسَانكَ وَيدَك ، وتكونُ حِلْساً من أحْلاسِ بَيْتِكَ . قال يعني وابصة : فلما قُتِل عثمانُ طار قَلْبي مَطَارهُ ، فركبت حتى أتيتُ دِمَشْقَ فَلَقِيتُ خُرَيْمَ بن فَاتِك الأسَدِيّ ، فحلف بالله الذي لا إلـه إلا هُوَ لَسَمِعَهُ مِنْ رسول الله ﷺ ، كما حدّث به ابن مسعود(٢) .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبي شَيْبَة ، حدّثنا وَكِيع ، عن عثمانَ الشحّام ، حدثني مسلم بن أبي بَكْرةَ ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها ستكون فتنةٌ المضطجع فيها خيرٌ من الجالس ، والجالس فيها خيرٌ من القَائِم ، والقَائِمُ خَيْرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من الساعي » قال : يا رسول الله ! ما تأمرني ؟ قال : « مَنْ كانت له إبلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإبلِهِ ، ومَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بغَنَمِه ، ومَنْ كَانَتْ لَه أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بأَرضه » قال : فَمَنْ لمْ يكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِك ؟ قال :« فليَعْمِدْ إلى سَيْفِه فليَضْرِبْ بحدّه على حَرّةٍ ثم لينجُ ما اسْتَطَاع النَّجاء » . وقد رواه مسلم من حديث عثمان الشحّام بنحوه(٣) .

وقال أبو داود : [حدثنا يزيد بن خالد الرملي] ، حدثنا المفضل ، عن عيّاش ، عن بُكَير ، عن بُسْر بن سعيد ، عن حسين بن عبد الرحمن الأشجعيّ : أنه سمع سعد بن أبي وقّاص ، عن النبيّ ﷺ في هذا الحديث ، قال : فقلت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن دَخَلَ عليّ بَيْتي ، وبَسَطَ يَدَهُ لِيَقْتُلَني ، فقال رسول الله ﷺ : « كُنْ كابْنِ آدَمَ » وتلا [يزيد] : ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي ﴾ الآية [المائدة : ٢٨] . انفرد به أبو داود ، من هذا الوجه(٤) .

وقال أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ليث بن سعد ، عن عيّاش بن عبّاس ، عن بُكَير بن عبد الله ، عن بُسْر بن سعيد ، أن سعد بن أبي وقّاص قال عند فتنة عثمان بن عفّانَ : أشهد أنّ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أبو داود رقم (٤٢٥٨) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أبو داود رقم (٤٢٥٦) ومسلم (٢٨٨٧) .
(٤) رواه أبو داود (٤٢٥٧) وهو حديث صحيح .

رسول الله ﷺ قال : « إنّها سَتكُونُ فتنةٌ ، القاعدُ فيها خير من القائم ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي ، والماشي خَيْرٌ من السَّاعي » قال : أفرأيتَ إنْ دَخَل عَلَيّ بَيْتي فَبسَطَ يَدَه إليّ ليقْتُلَني ؟ قال : « كن كابن آدم » . وهكذا رواه الترمذيّ عن قتيبة ، عن الليث ، عن عيّاش بن عباس القِتْبانيّ ، عن بُكَير بن عبد الله بن الأشج ، عن بُسر بن سعيد الحَضرميّ ، عن سعد بن أبي وقّاص . . . فذكره ، وقال : هذا حديث حسن[1] ، ورواه بعضهم عن الليث ، فزاد في الإسناد رجلاً يعني الحُسَيْن ، وقيل : الحسيل بن عبد الرحمن ، ويقال : عبد الرحمن بن الحُسَين ، عن سعد ، كما رواه أبو داود آنفاً .

ثم قال أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيد ، عن محمد بن جُحَادة ، عن عبد الرحمن بن ثَروان ، عن هُزَيل ، عن أبي موسى الأشعريّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ بين يدَي الساعة فِتناً كقِطَع الليل المُظْلِم ، يُصْبِحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويُمْسِي كافراً ، ويُمْسِي مُؤْمِناً ويُصْبِحُ كافِراً ، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائم ، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعِي ، فكَسِّرُوا قِسِيَّكم وقطِّعُوا أوْتارَكُم واضْرِبُوا سيُوفَكُمْ بِالحِجَارَة ، فإنْ دُخِلَ [يعني] على أحَد مِنكمْ فلْيَكُنْ كخَيْر ابنَيْ آدمَ »[2] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مرحوم ، حدثني أبو عمران الجَونيّ ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذرّ قال : ركب رسول الله ﷺ حماراً ، وأرْدَفَني خَلْفَه ، فقال : « يا أبا ذرّ أرأيتَ إنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَديدٌ ، حتى لاَ تَسْتَطيعَ أنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشكَ إلي مَسْجِدِكَ كَيْفَ تَصْنَع ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « تعَفّفْ » قال : « يا أبا ذرّ ، أرأيْت إنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوتٌ شَدِيدٌ ، يكونُ البيت فِيهِ بالعَبْد » يَعْنِي القَبْرَ « كَيْفَ تَصْنَع ؟ » قلت : اللهُ ورسولهُ أعْلَمُ ، قال : « اصْبِرْ » قال : « يا أَبا ذرّ ، أرأيتَ إنْ قَتلَ النَّاسُ بَعْضُهمْ بَعْضاً » يعني حتى تغرق حِجَارة الزيت من الدماء « كيف تَصْنَع ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « اقْعُدْ في بَيْتِك ، وأغلِقْ عَلَيْكَ بَابَك » قال : فإنْ لَمْ أُتْرك ؟ قال : « فَأْتِ مَنْ أنْتَ مِنْهُمْ فكُنْ فيهِمْ » قلت : فآخُذُ سلاَحِي ، قال : « إذاً تُشارِكَهُم في ما هُمْ فِيه ، ولكن إنْ خَشِيتَ أن يَرْدَعك شُعاعُ السَّيْف ، فألقِ طَرَفَ رِدَائك عَلَى وَجْهك كَيْ يَبُوءَ بإِثْمِهِ وإثمك » . هكَذا رواه الإمام أحمد ، وقد رواه أبو داود عن مسدّد ، وابن ماجه عن أحمد بن عَبْدة ، كلاهما عن حمّاد بن زيد ، عن أبي عِمْران الجَوْنيّ ، عن المُشَعَّث بن طريف ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذرّ بنحوه ، ثم قال أبو داود : لم يذكر المشعث في هذا الحديث غيرُ حمّاد بن زيد[3] .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبد الواحد بن

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٨٥) والترمذي (٢١٩٤) وهو حديث صحيح .
(٢) رواه أبو داود رقم (٤٢٥٩) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٤٩) وأبو داود رقم (٤٢٦١) وابن ماجه (٣٩٥٨) وهو حديث صحيح .

زياد ، حدثنا عاصم الأحول ، عن أبي كَبشة قال : سمعت أبا موسى يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن بين أيديكم فِتناً كقِطع الليل ، يُصبحُ الرجل فيها مؤمناً ويُمْسي كافراً ، ويُمْسي مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والقائم فيها خيرٌ من الماشي ، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعِي » قالوا : فما تأمُرنا ؟ قال : « كونوا أحلاس بيوتكم »(١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيُّوب ، عن أبي قِلَابة ، عن أبي أسماء ، عن ثَوْبَان قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لي الأرض فرأيتُ مشارقها ، ومغاربها ، وإن مُلك أمّتي سيبلُغُ ما زُوِيَ لي منها ، وإني أُعطيتُ الكنزين ، الأحمر ، والأبيض ، وإني سأَلتُ ربّي لأمتي ألاّ يهلِكوا بسَنَةٍ بعامة ولا يُسلِّطَ عَلَيْهِمْ عدوّاً من سوى أنفسهم ، فَيَسْتَبِيح بَيْضَتهُم وإن ربي عز وجل قال : يا محمد ، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ، وإني أعطيت لأمتك ألاّ أُهلكهم بسنة بعامة ، ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَنْ بَيْنَ أقطارها » أو قال : « مَنْ بأقطارها ، حتَّى يَكُونَ بَعْضهُمْ يسبي بعضاً ، وإنما أخافُ على أمتي الأئِمة المضلِّين ، وإذا وُضع السيف في أمتي لم يُرفَعْ عَنْهُمْ إلى يوم القِيَامَة ، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تلحق قبائلُ مِنْ أمتي بالمشْركِينَ ، وحتى تعْبُد قبائلُ مِنْ أمتي الأوثانَ ، وإنه سيكونُ في أمتي كَذَّابُونَ ثَلاَثُون ، كلُّهُمْ يزعم أنه نبي ، وأنا خَاتَمُ النّبيين ، لا نبيَّ بعدي ، ولا تزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي ظَاهرين على الحق ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُم ، حتى يَأْتِيَ أمرُ الله عزّ وجلّ » . ورواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من طرق عن أبي قِلابة ، عبد الله بن زيد الجرمي ، عن أبي أسماء ، عمرو بن مَرْثد ، عن ثوبان بن بُجْدُد ، بنحوه ، وقال الترمذي : حسن صحيح(٢) .

وقال أبو داود : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا أبو داود الحَفَرِيّ ، عن بدر بن عُثمان ، عن عامر ، عن رجل ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال : « تَكُونُ في هَذِه الأُمة أربَعُ فِتَن ، آخرها الفَنَاءُ »(٣) .

ثمّ قال أبو داود : حدثنا يحيى بنُ عُثمان بن سعيد الحِمْصِي ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثني عبد الله بن سالم ، حدثني العلاء بن عُتْبَةَ ، عن عمير بن هانئ العنسي ، سمعتُ عبد الله بن عمر يقول : كُنَّا قُعوداً عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن ، فأكثرَ في ذِكْرها ، حتى ذكر فِتْنَة الأَحلَاس ، فقال

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٢٦٢) وهو حديث صحيح .

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٧٨) ومسلم رقم (٢٨٨٩) وأبو داود رقم (٤٢٥٢) والترمذي رقم (٢١٧٦) وابن ماجه (٣٩٥٢) .

(٣) رواه أبو داود (٤٢٤١) وإسناده ضعيف .

قائل : يا رسول الله ، وما فِتْنَة الأحْلاَس ؟ قال : « هي حَرَبٌ ، وهَرَبٌ[١] ثم فِتْنَةُ السراء ، دخنها مِنْ تحت قدمي رجل من أهل بيتي ، يَزْعُمُ أنه مِنِّي ، وليس مِنِّي ، وإنما أوليَائي المُتَّقُون ، ثم يَصْطَلِحُ النَّاسُ على رجل كورِكٍ على ضِلَعٍ[٢] ثم فتنة الدُّهَيْمَاءِ ، لا تَدَعُ أحَداً مِنْ هذه الأمة إلا لَطَمَتْهُ ، حتى إذا قيل : انْقَضَتْ ، عادَتْ ، يصبحُ الرَّجُلُ فيهَا مؤمناً ويُمْسِي كافراً ، حتى يصير الناسُ إلى فُسْطَاطَيْن ، فُسْطَاطِ إيمَانٍ لا نفَاق فيه ، وفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إيمان فيه ، فإذَا كَان ذَاكُمْ ، فانتظروا الدجال ، مِنْ يَوْمِه أوْ مِنْ غده » . تفرد به أبو داود ، وقد رواه أحمد في « مسنده » ، عن أبي المُغيرة ، بمثله[٣] .

وقال أبو داود : حدثنا القعنبي ، حدثنا عبد العزيز ، يعني ابن أبي حازم ، عن أبيه ، عن عُمَارَة بن عمرو ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن رسول الله ﷺ قال : « كيف بكم وزمان » ـ أو « أوشك أن يأتيَ زمانٌ ـ يُغَرْبلُ فيهِ النّاسُ غَرْبَلَةً ، تَبْقَى حُثالَةٌ مِن الناسِ ، قَدْ مَرِجت عُهُودُهم وأماناتهم ، واختلفُوا ، فكَانُوا هَكذَا » وشبك بين أصابعه ، فقالوا : كيفَ بنا يا رسول الله ؟ قال : « تأْخُذُونَ بما تَعْرِفُونَ ، وتَدَعُون ما تنكرون ، تُقْبلُونَ على أمر خَاصَّتِكُمْ وتَذَرونَ أمْرَ عَامّتكم » قال أبو داود : هكذا روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي ﷺ من غير وجه . وهكذا رواه ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، ومحمد بن الصباح ، عن عبد العزيز بن أبي حازم به ، ورواه أحمد في « مُسنده » ، عن سعيد بن منصور ، عن يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم به ، وقد رواه الإمام أحمد ، عن حُسَين بن محمد ، عن [محمد بن] مُطرِّف ، عن أبي حازم ، عن عمرو بن شُعَيْب ، عن أبيه ، عن جده . . . فذكر نحوه ، أو مثلَه[٤] .

ثم قال أبو داود : حدثنا هارونُ بن عبد الله ، حدثنا الفَضْلُ بن دُكَيْن ، حدثنا يُونس ، يعني ابن أبي إسحـاق ، عن هلال بن خَبَّاب ، أبي العلاء ، حدثنا عِكْرمة ، حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : بينما نحنُ حول رسول الله إذ ذكر الفتنة ، أو ذُكرت عنده ، فقال : « إذا رأيتم الناس قد مَرِجت عهودُهم ، وخَفَّت أمَانَاتُهُمْ ، وكانوا هكذا » وشبّك بَيْن أصابعه ، قال : فقمت إليه ، فقلت : كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداكَ ؟ قال : « الزم بَيْتَكَ ، وامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وخُذْ بما تعرفُ ، ودعْ ما تُنْكِرُ ، وعليك بأمْرِ خَاصَّةِ نفسك ، ودع عنك أمر العَامة » . وهكذا رواه أحمد ، عن أبي نُعيم الفضل بن دُكين به ، وأخرجه النسائي في « اليوم والليلة » ، عن أحمد بن

(١) الحَرَب : نهب مال الإنسان ، وتركه لا شيء .
(٢) أي يصطلحون على أمر واهٍ لا نظام له .
(٣) رواه أبو داود (٤٢٤٢) وأحمد (٢/ ١٣٣) وهو حديث حسن .
(٤) رواه أبو داود رقم (٤٣٤٢) وابن ماجه رقم (٣٩٥٧) وأحمد في المسند (٢/ ٢٢١) و(٢/ ٢٢٠) وهو حديث صحيح .

بكّار ، عن مخلد بن يزيد ، عن يونُس بن أبي إسحاق . . . فذكر بإسناده نحوه[١] .

قال أحمد : ثنا عبدُ القدوسِ بن الحجّاج ، ثنا حَريزٌ ، يَعْنِي ابن عثمانَ الرَّحَبيَّ ، ثنا راشدُ بنُ سعدٍ المَقرائيُّ ، عن أبي حَيٍّ ، عن ذي مِخْمَرٍ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « كانَ هَذَا الأمْرُ في حِمْيَرَ ، فَنَزَعَهُ اللهُ مِنهُمْ ، فَجَعَلَهُ فِي قُرَيْشٍ ، وَ سَ يَ عُ و دُ إِ لَ يْ هِـ مْ » . قال عبدُ الله بن أحمد : هكذا في كتابِ أبي مُقطَّعٌ ، وحيث حدَّثنا به تكلَّم به على الاستواء[٢][٣] .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن عُبَيد ، حدثنا حَماد بنُ زيد ، حدثنا اللّيْثُ عن طاوس ، عن رجل ، يقال له : زياد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنّه ستكونُ فِتْنَةٌ تَسْتَنْطِفُ العَربَ ، قتْلاَهَا فِي النَّارِ ، اللِّسَانُ فِيهَا أشدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيفِ » . وقد رواه أحمد ، عن أسود بن عامر ، عن حمّاد بن سَلَمة ، والترمذيّ ، وابن ماجه ، من حديثه عن اللّيث ، عن طاوس ، عن زياد ، وهو الأعجم ، ويقال له : زياد سيمين كوش[٤] .

وقد حكى الترمذيّ ، عن البخاريّ أنه ليس لزياد هذا حديث سواه ، وأن حمّاد بن زيد ، رواه عن الليث ، فوقفه ، وقد استدرك ابنُ عساكر على البخاري هذا الحديث ، فإنّ أبا داود رواه من طريق حمّاد بن زيد مرفوعاً ، فالله أعلم[٥] .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الملك بن شُعَيْب ، حدّثنا ابنُ وهب ، حدثني الليث ، عن يحيى بن سعيد ، قال : قال خالد بن أبي عمران ، عن عبد الرحمن بن البيلماني ، عن عبد الرحمن بن هُرْمز ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون فِتْنَةٌ صَمّاءُ بكماءُ ، عَمْياءُ ، من أشرفَ لهَا استَشْرَفَتْ له ، وإشرافُ اللِّسانِ فِيهَا كوقوع السيف »[٦] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيعٌ ، وحدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وَهْب ، عن عبد الرحمن بن عبد ربّ الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو ، وكنتُ جالساً معه في ظِلّ الكعبة ، وهو يُحدِّث الناسَ ، قال : كُنّا مع رسول الله ﷺ في سَفَرٍ ، فنَزلنا مَنزلاً ، فمِنّا من يضرب خباءه ، ومنّا

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤٣) وأحمد (٢/ ٢١٢) والنسائي في « الكبرى » رقم (١٠٠٣٣) وهو حديث صحيح .
(٢) أي قال : وسيعود إليهم .
(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٩١) وهو حديث صحيح .
(٤) يعني أن سيمين كوش والد زياد : أذنه من فضة ، وهي كلمة فارسية .
(٥) رواه أبو داود رقم (٤٢٦٥) وأحمد في المسند (٢/ ٤١١) والترمذي رقم (٢١٧٨) وابن ماجه (٣٩٦٧) وإسناده ضعيف .
(٦) رواه أبو داود رقم (٤٢٦٤) وإسناده ضعيف ، ولأوله شاهد من حديث حذيفة عند أحمد في المسند (٥/ ٣٨٦) وعند البغوي من حديث أنيس بن أبي مرثد ، كما ذكره الحافظ في الإصابة .

مَنْ هُو في جَشَرِه[١] ، ومِنّا من ينْتَضِلُ ، إذ نادى مُنادي رسول الله ﷺ : الصلاةُ جامعةٌ ، قال : فانتهيتُ إليه وهو يخطبُ الناس ، ويقول : « أيُّها الناسُ ، إنّه لَمْ يَكُنْ نبيٌّ قبْلِي إلاّ كَانَ حَقّاً عليْهِ أَنْ يَدُلّ أُمَّته على مَا يَعْلَمُه خَيْراً لهُمْ ، ويُنْذِرهُمْ ما يَعْلمُه شَرّاً لَهُمْ ، ألا وإنّ عَافيةَ هذه الأمّةِ في أَوّلِهَا ، وسَيُصيبُ آخِرهَا بَلاءٌ وفِتَنٌ ، يرقّق بعضها بعضاً ، تجيء الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه مُهْلِكَتي ، ثم تنكشف ، ثم تجيء فيقول : هذه ، هذه ، ثم تجيء فيقول : هذه ، هذه ، ثم تنكشف ، فمن أحبّ أن يُزَحْزَحَ عن النار ويُدْخَلَ الجَنةَ فلتُدْرِكْهُ مَنِيّتُهُ وهو يُؤْمنُ باللهِ واليَومِ الآخرِ ، ويأتي إلى النّاسِ ما يُحِبّ أَنْ يُؤتى إلَيْه ، ومَنْ بايع إماماً فأَعطْاهُ صَفْقَةَ يَدِه وثَمرةَ قَلْبِهِ فليطِعْهُ إن اسْتَطَاع » وقال مَرّةً : « ما اسْتَطاعَ » .

قال عبد الرحمن : فلمّا سَمعتُها أدْخَلْتُ رَأسي بَيْن رَجُلَيْنِ ، قلت : فإنّ ابنَ عَمِّكَ معاويةَ يأمُرنا أن نأكلَ أمْوالَنَا بَيْنَنا بِالباطِلِ ، وأَنْ نَقْتُلَ أنْفسنا ، وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ . . . وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ الآية [النساء : ٢٩] . قال : فجمع يديه ، فوضعهما على جبهته ، ثمَ نَكس هُنَيْهةً ثم رفَع رأسَه ، فقال : أَطِعْهُ في طَاعةِ اللهِ واعْصِهِ في مَعْصِيَةِ اللهِ ، قلت له : أنتَ سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، سمعتْهُ أُذُنايَ ، ووعاهُ قَلْبي . ورواه مسلم وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، من حديث الأعمش ، به ، وأخرجه مسلم أيضاً ، من حديث الشعبيّ ، عن عبد الرحمن بن عبد ربّ الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو بنحوه[٢] .

وقال أحمد : حدثنا ابن نُمير ، حدّثنا الحسن بن عمرو ، عن أبي الزبير ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا رأيتم أمّتي تَهابُ الظالمَ أَنْ تَقولَ لَهُ : إنّك لَظَالِمٌ ، فَقَدْ تُوُدِّعَ منْهُمْ » وقال رسول الله ﷺ : « يكون في أمتي قذف وخسف ومسخ »[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا يحيى بن أيوب ، حدثنا أبو قبيل ، قال : كنّا عند عبد الله بن عمرو ، وسُئل : أيُّ المَدينتَين تُفْتَحُ أوّلاً ، القُسْطنْطِينيّة أو رُومية ؟ قال : فدعا عبدُ الله بصندوقٍ له حِلَق ، قال : فأَخْرَج منْهُ كتاباً ، قال : فقال عبد الله : بيْنما نحنُ حَوْلَ رَسُول الله ﷺ نكتبُ ، إذ سئل رسول الله ﷺ : أيُّ المدِينَتَيْن تفتح أولاً : قسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : « مدينةُ هِرقْلَ تُفْتَحُ أوّلاً » يعني القسطنطينية[٤] .

---

(١) الجَشَر : الدواب التي ترعى وتبيت مكانها .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٩١ و١٦١) ومسلم رقم (١٨٤٤) وأبو داود رقم (٤٢٤٨) والنسائي (٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣) وابن ماجه (٣٩٥٦) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٦٣) وإسناده ضعيف ، والحديث الثاني منهما ، حسن .

(٤) أحمد في المسند (٢/ ١٧٦) وهو حديث حسن .

وقال القرطبيّ في « التذكرة » : ورُوِيَ من حديث حُذَيفة بن اليمان ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ويَبْدأُ الخَرَاب في أطرْافِ الأرْضِ حَتَّى تَخْرَبَ مِصْرُ ، ومِصْرُ آمِنَةٌ مِنَ الخَرابِ ، حَتّى تَخرَبَ البَصْرَةُ ، وخَرَابُ البَصْرَةِ مِنَ الغَرق ، وخراب مصْر من جَفاف النيل ، وخرابُ مكة مِنَ الحَبشة ، وخرابُ المدينة من الجُوعِ ، وخَرابُ اليَمَنِ مِنَ الجرَاد ، وخرابُ الأُبُلَّةِ من الحِصَار ، وخَرابُ فَارسَ مِنَ الصَّعَالِيك ، وخَرابُ التّرك من الدّيْلَم ، وخراب الديلم من الأرمن ، وخراب الأرمن من الخزر ، وخراب الخزر من الترك ، وخراب الترك من الصواعق ، وخرابُ السّند من الهنْد ، وخَرابُ الهنْدِ مِنَ الصّين ، وخَرابُ الصِّينِ مِنَ الرّمل ، وخَرابُ الحَبَشَةِ مِنَ الرَّجْفةِ ، وخَرابُ الزَّوراء من السّفيانيِّ ، وخَرابُ الرَّوْحاءِ من الخسف ، وخَرابُ العِراقِ مِنَ القَحْطِ » ثمّ قال : ذكره أبو الفرَج ابن الجَوْزِيّ ، قال : وسمعت أن خراب الأندلس بالرِّيح العَقِيم ، والله أعلم . وهذا الحديث لا يعرف في شيء من الكتب المعتمدة ، وأَخْلِق به ألاّ يكون صحيحاً ، بل أَخْلِقْ به أن يكون موضوعاً ، أو أن يكون موقوفاً على حذيفة ، ولا يصح عنه أيضاً ، والله أعلم .

فصل في تعداد الآيات والأشراط الواقعة

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا خَلَف ، يعني ابن خليفة ، عن أبي جناب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يتوَضّأُ وضُوءاً مَكيثاً[١] ، فرفع رأسه ، فنظر إليَّ فقَال : « ستٌّ فيكُمْ أيتها الأمَّةُ : موت نَبِيِّكُمْ » قال : فكأنَّمَا انْتَزَعَ قَلْبِي مِنْ مَكَانه ، قال رسول الله ﷺ: « واحدة » ، قال : ويفيضُ المَالُ فيكُمْ ، حتّى إنّ الرَّجُلَ لَيُعْطَى عشرة آلافٍ فيَظَلّ يَسْخَطُها » قال رسول الله ﷺ : «ثنتين» ، قال : وفتنة تدخل بيت كل رجل منكم » . قال رسول الله ﷺ : « ثلاث » ، قال : « وَمَوْتٌ كقُعَاص[٢] الغَنَم » قال رسول الله : « أرْبَعٌ ، وهدنة تكون بينكم ، وبين بني الأصفر ، يجمعون لَكُمْ تسعة أشهر كَقدْرِ حَمْل المَرأةِ ، ثمّ يكونون أولى بالغَدْرِ منكم » قال رسول الله ﷺ : « خَمْسٌ » ، قال : « وفتح مَدِينَة » ، قال رسول الله ﷺ : « سِتّ » ، قلت : يا رسول الله ! أي مدينة ؟ قال : « قُسْطَنْطِينيّة » . وهذا الإسناد فيه نَظَر من جهة رجاله ، ولكن له شاهد من وجه آخر صحيح[٣] .

فقال البخاري : حدثنا الْحُمَيْدي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الله بن العَلاَء بن زَبْر ، قال : سمعتُ بُسْرَ بن عبيد الله ، أنه سمع أبا إدريس ؛ قال : سمعت عوف بن مالك رضي الله عنه ، قال : أتيتُ رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوكَ ، وهو في قُبَّةٍ مِنْ أَدَم فقال : « اعْدُدْ سِتّاً بَيْن يدي السّاعَة :

---

(١) أي بطيئاً متأنياً غير مستعجل .

(٢) القعاص : داء يصيب الغنم فتموت به فوراً .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٤) وهو حديث حسن لغيره كما أومأ إليه المصنف .

مَوْتِي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثمَ مُوتَانٌ يأَخذُ فيكم كَقُعَاص الغنم ، ثم استفاضةُ المال حتى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئة دِينَارٍ فيظَل سَاخِطاً ، ثم فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بيْتٌ من العَرَب إلاَّ دَخَلَتْهُ ، ثم هُدْنَةٌ تكونُ بينكم وَبَينَ بَنِي الأَصْفَر فَيَغْدِرونَ ، فَيَأْتونَكمْ تَحتَ ثَمَانينَ رَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ رَايةٍ اثْنَا عَشَر أَلْفاً » . وروَاه أبو داود وابن ماجه والطبرانيّ من حديث الوليد بن مسلم ، ووقع في رواية الطبرانيّ : عن الوليد عن ابن زَبْر عن زيد بن واقد ، عن بُسْر بن عُبيْد الله ، وقد صرّح البخاريّ في روايته بسماع ابن زَبْر ، مِنْ بسْر بن عبيد الله . فاللهُ أَعْلمُ[١] .

وعند أبي داود : فقلت : أدخل يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . قلت : كُلِّي ؟ قال : « نعم » . وإنما قلت ذلك من صِغَر القُبَّة[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المُغِيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا عبد الرحمن بن جُبيْر بن نُفَيْر ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعيّ قال : أَتَيْتُ النبيّ ﷺ فسلَّمتُ عليه . فقال : « عوف ؟ » فقلت : نعم . فقال : « ادخل » . قال : قلت : كُلِّي أو بَعْضي ؟ قال : « بل كُلُّك » . قال : « اعدُدْ يا عوف سِتّاً بين يدي الساعة . أوَّلهُنّ موتي » . قال : فاستبكيتُ حتى جَعَل رسول الله ﷺ يُسْكِتُنِي . قال : « قل : إحدى » . قلت : إحدى . « والثانية : فتح بيت المقدس ، قُل : اثنتين » . فقلت « والثالثة : مُوتَان يكون في أمّتِي يأْخُذُهُم مثلَ قُعَاصِ الغَنَم ، قل : ثلاثاً » . فقلت « والرَّابعَةُ : فِتْنَة تَكونُ في أُمَّتِي » . وَعظَّمها . « قل : أربعاً . والخامسة : يَفِيضُ المال فيكُمْ ، حتى إن الرَّجُل ليُعْطَى المئةَ دينار ، فَيسْخَطُها ، قلْ : خَمساً ، والسادسة : هُدْنَةٌ تَكُونُ بينكم ، وبين بني الأصفر ، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ على ثمَانِين غايةً » قلت : وما الغاية ؟ قال : « الراية ، تحتَ كُلِّ غايةٍ اثنا عشَرَ أَلْفاً ، فُسطاط المُسلمين يَوْمَئذٍ في أرْضٍ يُقَال لَهَا : الغُوطَةُ ، في مدينة يقال لها : دِمَشْقُ » . تفردّ به أحمد من هذا الوجه[٣] .

وقال أبو داود : حدثنا هشام بن عمّار ، حدّثنا يحيى بن حَمْزة ، حدّثنا ابن جابر[٤] ، حدثني زيدُ بن أرْطَاة ، سمعتُ جُبَيْر بن نُفَيْرٍ ، يُحدّث عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : « إن فُسطاطَ المُسلمين يوم المَلْحَمة بالغُوطَةِ ، إلى جانب مدينة يقال لها : دمشق ، من خَيْر مَدائِن الشام »[٥] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن النهّاس بن قَهْمٍ ، حدّثني شدّاد أبو عمّار ، عن مُعاذ بن جَبَل ، قال : قال رسول الله ﷺ : « سِت من أشراط الساعة : مَوْتي ، وفتحُ بَيْتِ المقدس ، وموتٌ

---

(١) رواه البخاري رقم (٣١٧٦) وأبو داود رقم (٥٠٠٠) وابن ماجه (٤٠٤٢) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٧٠) .
(٢) رواه أبو داود رقم (٥٠٠٠) وهو حديث صحيح دون التفسير ، والتفسير عقبه (٥٠٠١) من قول عثمان بن أبي العاتكة .
(٣) رواه أحمد في المسند (٦/ ٢٥) وهو حديث صحيح .
(٤) في الأصول : أبو جابر ، وهو خطأ .
(٥) رواه أبو داود رقم (٤٢٩٨) وأحمد في المسند (٥/ ١٩٧) من طريق يحيى به ، وهو صحيح .

يأخُذُ في النّاس كقُعَاصِ الغنَم ، وفتْنةٌ يَدْخُلُ حربها بَيْت كُلِّ مُسْلِمٍ ، وأن يُعْطَى الرَّجُلُ ألف دِينَارٍ فَيَسْخَطُهَا ، وأَن تَغْدِرَ الرُّومُ فَيَسِيرُونَ بِثَمانِينَ بنداً ، تحت كل بَند اثنا عشر ألفاً »[١] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، وعفّان ، قالا : حدّثنا همّام ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن زياد بن ربَاح عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال : « بادرُوا بالأعمال سِتّاً ، طُلُوع الشَّمْسِ مِنْ مغربِهَا ، والدّجالَ ، والدُّخَانَ ، ودابّة الأرض ، وخُوَيْصَّة أحدِكُمْ ، وأُمَرَاء العَامّة » وكان قَتَادَةُ يقول : إذا قال : « وأمر العامّة » ، يعني أمر الساعة . وهكذا رواه مسلم من حديث شُعْبة ، وعبد الصمد ، كلاهما عن هَمَّام به ، ثم رواه أحمد مُنفرداً به ، عن أبي داود ، عن عمران القطّان ، عن قتادة ، عن عبد الله بن رَبَاح ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً مثله[٢] .

وقال أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا إسماعيل ، أخبرني العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمالِ سِتّاً : طُلوعَ الشمْس من مَغرِبِها ، والدّجّال ، والدُّخَان ، والدّابّة ، وخاصّة أحَدِكم ، وأمْرَ العامة » . ورواه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر المَدَني به[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن فُرَات ، عن أبي الطُّفَيْل ، عن حُذَيفة بن أسِيد ، قال : اطّلع النبيّ ﷺ علينا ، ونحن نتذاكر الساعة ، فقال : « ما تَذْكُرون ؟ » قالوا : نذكر الساعة ، فقال : « إنّها لَنْ تَقُومَ حَتّى تَروا عَشر آيات : الدُّخَان ، والدَّجّال ، والدّابة ، وطلوع الشمس من مَغْرِبها ، ونُزُولَ عِيسى ابنِ مَرْيم ، ويَأجُوجَ ومأجوج ، وثلاثة خُسُوفٍ : خَسْفٌ بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخَسْفٌ بجَزيرَةِ العَرَب ، وآخِرُ ذلك نارٌ تخرجُ من قِبَل عَدَن ، تطردُ الناس إلى مَحْشَرِهم » قال أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن الإمام أحمد : سقط كلمةٌ . ثمّ رواه أحمد من حديث سُفْيان الثوريّ ، وشُعْبَة ، كلاهما عن فُرات القَزّاز ، عن أبي الطُّفَيلِ ، عامر بن واثِلَة ، عن حُذَيْفة بن أسِيد ، أبي سَرِيحة الغِفَاريّ . . . فذكره ، وقال فيه : « ونارٌ تخرجُ من قَعْرِ عَدَن ، تسُوقُ أو تَحْشُر النَّاس ، تبيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وتَقِيلُ مَعَهُمْ حيث قَالوا » قال شعبة : وحدثني بهذا الحديث رجل عن أبي الطُّفَيْل عن أبي سَرِيحَة ، ولم يرفعهُ إلى النبيّ ﷺ ، فقال أحد هذين الرَّجُلَين : نزولَ عِيسَى ابن مَرْيم ، وقال الآخرُ : ريحٌ تُلْقِيهِمْ في البَحْر » . وقد رواه مسلم من حديثِ سفيان بن عُيَيْنَةَ ، وشُعْبَة ، عن فُرات القزاز ، عن أبي الطُّفَيلِ ، عن حُذَيفة بن أَسِيد به ، وفي رواية له عن شعبة ، عن عبد العزيز بن رُفَيع ، عن أبي الطُّفيل ، عن حُذَيفةَ بن أَسِيد موقوفاً ،

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٢٨) وهو حديث حسن .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٤ و٥١١) ومسلم رقم (٢٩٤٧) (١٢٩) .
(٣) أحمد في المسند (٢/ ٣٧٢) ومسلم (٢٩٤٧) (١٢٨) .

ورواه أهل السُّنن الأربعة ، مُن طُرق ، عن فرات القزّاز به ، وقال الترمذي : حسن صحيح[١] .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمةِ عبد الله بن زياد بن سليمان بن سِمْعانَ ، أبي عبد الرحمن القرشيِّ المدنيِّ من طريقهِ ، حدَّثني الزهريُّ[٢] ، حدثني عبيدُ الله بن عتبةَ ، عن أبي سريحةَ حذيفةَ بن أَسِيدٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ عَشْرُ آيَاتٍ كَالنَّظْمِ فِي الْخَيْطِ ، إِذَا سَقَطَ مِنْهَا وَاحِدَةٌ تَوَالَتْ : خروج الدَّجّالِ ، وَنُزُولُ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ، وَفَتْحُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَالدَّابَّةُ ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا . . . » وذكَر الحديثَ . هذا لفظُه .

وقال أبو يعلى : ثنا عقبةُ بن مُكْرَمٍ ، ثنا يونسُ ، ثنا عبدُ الغفارِ بنُ القاسمِ ، ثنا إيادُ بنُ لَقِيطٍ ، عن قَرَظَةَ بنِ حسَّانَ ، سمِعت أبا موسى في يوم جُمُعةٍ على مِنْبرِ البصرةِ يقول : سُئِل رسولُ الله ﷺ عن الساعةِ وأنا شاهدٌ ، فقال : « لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللهُ ، لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكُمْ بِمَشَارِيطِهَا ، وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا ؛ إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا رَدْماً مِنَ الْفِتَنِ ، وَهَرْجاً » . فقيل له : وما الهرجُ يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « هُوَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ : الْقَتْلُ . وَأَنْ تَجِفَ قُلُوبُ النَّاسِ ، وَيُلْقَى بَيْنَهُمُ التَّنَاكُرُ ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَحَداً ، [وَيُرْفَعُ ذَوُو الْحِجَا ، وَتَبْقَى رِجْرِجَةٌ] مِنَ النَّاسِ لاَ تَعْرِفُ مَعْرُوفاً ، وَلاَ تُنْكِرُ مُنْكَراً »[٣] .

ذكر قتال الملحمة مع الروم الذي يكون آخره فتح القسطنطينية

وعند ذلك يخرج الدّجال ، فينزل المسيح عيسى ابن مريم من السماء إلى الأرض ، على المَنارةِ البَيْضاء الشرقية ، بدِمَشْق ، وقتَ صلاة الفَجْر ، كما سيأتي بيانُ ذلك كله ، بالأحاديث الصحيحة .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن مُصْعَب ، هو القَرقَسانِيّ ، حدثنا الأوزاعيّ ، عن حسان بن عطيّة ، عن خالد بن مَعْدان ، عن جُبَيْر بن نُفَيرٍ ، عن ذي مِخْمَرٍ عن النبي ﷺ قال :

« تصالحون الروم صُلْحاً آمناً ، وتَغْزُون أَنتُم وهُمْ عَدُوّاً مِنْ وَرائهم ، فتَسْلَمُونَ وَتغْنَمُونَ ، ثمّ تنزلونَ بَمرْجٍ ذي تُلُول ، فيقوم رجل مِنَ الرّوم ، فيرفعُ الصَّلِيبَ ، ويقول : ألا غَلبَ الصليبُ ، فيقوم إليه رجل من المسلمين ، فيقتلهُ ، فعند ذلك تغدر الرُّوم ، وتكون الملاَحم ، فيجمَعُونَ لكم ، فيأتونكم في ثمانين غَايَة ، مع كلّ غَاية عَشَرةُ آلافٍ » .

---

(١) أحمد في المسند (٦/٤ و٧) ومسلم رقم (٢٩١١) وأبو داود (٤٣١١) والترمذي (٢١٨٣) والنسائي في « الكبرى » (١١٤٨٢) وابن ماجه (٤٠٤١) .

(٢) في الأصل : الزبيري .

(٣) رواه أبو يعلى في « مسنده » رقم (٧٢٢٨) وإسناده ضعيف ، وفي الصحيح طرف من أوله .

ثم رواه أحمد عن رَوح ، عن الأوزاعيّ به ، وقال فيه : « فعند ذلك تغدر الرُّوم ويجمعون للمَلْحَمةِ » ، وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث الأوزاعي به[١] .

وقد تقدم في حديث عوف بن مالك في « صحيح البخاريّ » : « فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كلّ غاية اثنا عَشَر ألفاً »[٢] وهكذا في حديث شدّاد أبي عمّار ، عن مُعاذٍ : « فيسيرونَ إليكُمْ بثمانِين بَنْداً ، تحت كلّ بَنْدٍ اثنَا عَشَر ألفاً »[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أبي قتادة ، عن أُسَير بن جابر ، قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة ، فجاء رجل ليس له هِجِّيرَى[٤] إلاّ يا عَبْد الله بن مسعود ، جاءت الساعة ، قال : وكان مُتّكئاً فجَلَس ، فقال : إنّ الساعة لا تقومُ حتى لا يُقْسَمَ مِيراثٌ ، ولا يُفْرَح بِغَنِيمة . قال : ومم ذاك ؟ قال : عدوٌّ يَجْمَعُونَ لأهلِ الإسلام ، ويجمعُ لهم أهلُ الإسلام ، ونحا بيده نحو الشام . قلت : الرومَ تعني ؟ قال : نعم ، وتكون عند ذاكم القتال رَدّةٌ شديدة ، قال : فيشترط المسلمون شُرْطَةً للموت، لا ترجع إلاّ غالبةً، فيقتتلون، حتى يَحْجِزَ بينهم الليل ، فيفيءُ هؤلاءِ وهؤلاء ، كلٌّ غيرُ غالب ، وتَفْنَى الشُّرطَةُ ، ثم يشترط المسلمون شُرْطة للموت ، لا ترجعُ إلاّ غالبةً ، فيقتتلون حتى يَحْجِزَ بينَهُمُ الليلُ ، فيفيءُ هؤلاء ، وهؤلاء ، كلٌّ غير غالب ، وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شُرْطَةً للموت، لا ترجع إلاّ غالبةً، فيقتتلون حتى يُمْسُوا، فيفيءُ هؤلاء، وهؤلاء ، كلٌّ غيرُ غالب ، وتفنى الشّرطة، فإذا كان اليومُ الرابع نَهَدَ إليهم [بقية] أهل الإسلام، فيجعلُ الله الدَّبْرة عليهم، فيقتتلون مَقْتَلَةً، إمّا قال: لا يُرى مثلُها ، وإمّا قال : لم يُرَ مِثْلُهَا ، حتىّ إنّ الطائر لَيَمُرُّ بِجَنَباتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتى يَخِرّ ميتاً، قال: فيتعادُّ بنو الأب، كانوا مئةً، فلاَ يجدُونَهُ بقي منهم إلا الرجل الواحدُ، فبأيّ غنيمة يُفْرَحُ ؟ أو أيّ ميراث يُقَاسَمُ ، فبَيْنما هم كذلك إذ سَمِعُوا بِبَأسٍ هو أكبرُ من ذلك ، قال: فَجَاءهم الصَّرِيخُ ، إنّ الدّجالَ قد خَلَفَهُمْ في ذَرَارِيهِمْ ، فيَرْفُضُونَ ما في أيديهِمْ ، ويُقْبِلُونَ فيبعثون عَشَرَةَ فَوارِسَ طَلِيعةً ، قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم أسماءهم ، وأسماء آبائهم ، وألوان خُيُولِهِمْ ، هُمْ خير فَوارِسَ على ظَهْر الأرض يومئذٍ » . تفرّد بإخراجه مسلم ، فرواه عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة وعليّ بن حُجر ، كلاهما عن إسماعيل بن عُلَيَّة ، ومن حديث حمّاد بن زيد ، كلاهما عن أيّوب ، ومن

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٩١) وأبو داود (٤٢٩٢) وابن ماجه (٤٠٨٩) . وهو حديث صحيح ، وليس في سند روح في مسند الإمام أحمد : جبير بن نفير ، وإنما هو من زيادة القرقساني كما صرح بذلك ابن حجر في « أطراف المسند » .

(٢) رواه البخاري رقم (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٢٨) وهو حديث حسن .

(٤) الهِجِّيرى : العادة المستمرة .

حديث سُلَيْمان بن المُغِيرة ، كلاهما عن حُمَيْد بن هلال العَدويّ ، عن أبي قتادة العَدويّ . وقد اختُلِف في اسمه ، والأشهرُ ما ذكره ابن مَعين : أنه تَمِيمُ بن نُذَيْر ، ووثّقه ، وقال ابن مَنْدَه وغيره : كانت له صُحْبَة ، فالله أعلم[١] .

وتقدّم من رواية جُبَيْر بن نُفَيْر ، عن عَوْفِ بن مالك في تَعْدَادِ الأشْراط بين يَدَي الساعة ، عن النبيّ ﷺ : « والسادسة هُدْنَةٌ تكونُ بَيْنَكُمْ وبين بَني الأصفر ، فَيَسِيرون إليكم في ثمانين غايةً ، تحتَ كلِّ غاية اثنا عشر ألفاً ، وفُسْطاطُ المسلمين يومئذ في أرضٍ يُقال لها : الغُوطَةَ ، في مدينةٍ يقال لها : دمشق » رواه أحمد[٢] . وروى أبو داود ، من حديث جُبَيْر بن نُفَيْر أيضاً ، عن أبي الدرداء : أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ فُسطاطَ المُسلمين يوم المَلْحَمَةِ بالغُوطَةِ إلى جانب مدينةٍ يقالُ لها : دِمَشْقُ ، مِنْ خَيْر مدائن الشام »[٣] .

وتقدّم حديثُ أبي حَيّة ، عن عبد الله بن عمرو ، في فتح القسطنطينية[٤] وكذا حديث أبي قبيل في فتح رومية بعدها أيضاً[٥] .

وقال مسلم بن الحجاج : حدثني زُهَيْر بن حَرْب ، حدثنا مُعَلَّى بن منصور ، حدثنا سُليمان بن بلال ، حدثني سُهَيْل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال :

« لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق[٦] أو بدابق، فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة ، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سُبُوْا مِنّا نُقَاتِلْهُمْ، فيقول المسلمون: لا والله، لا نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم ، فينهزمُ ثُلُثٌ ، لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقْتَلُ ثلثُهم ، أَفْضَلُ الشهداء عند الله ، وَيَفْتَتِحُ الثلث ، لا يُفْتَنُونَ أبداً فَيَفْتَتِحُون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد عَلَّقُوا سُيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إنّ المسيح قد خَلَفَكُمْ في أهليكم، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاؤوا الشام خرج الدجال ، فبينما هم يُعِدُّون للقتال ، يُسَوّون الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى ابنُ مريم ﷺ فأمّهم ، فإذا رآه عدوُّ الله ذابَ كما يذوب المِلْح في الماء ، فلو تركه لانذاب حتى يَهْلِكَ ، ولكن يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ ، فيريهمْ دَمه في حرْبته »[٧] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٣٥) ومسلم (٢٨٩٩) وابن أبي شيبة في « مصنفه » (١٥/ ١٣٨) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٢٥) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه أبو داود (٤٢٩٨) وهو حديث صحيح .
(٤) رواه أحمد (٢/ ١٧٤) وهو حديث حسن .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٦) وهو حديث حسن .
(٦) بلد بين حلب وأنطاكية .
(٧) رواه مسلم رقم (٢٨٩٧) .

وقال مسلم : حدثنا قُتَيبَةُ بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز ، يعني ابن محمد ، عن ثور ، وهو ابن زيد الدِّيليّ ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : « سمعتم بمدينةٍ جانبٌ منها في البرّ ، وجانبٌ منها في البحر ؟ » قالوا : نعم ، يا رسول الله ، قال : « لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق ، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاحٍ ، ولم يَرمُوا بسَهْم ، قالوا : لا إلـهَ إلاّ اللهُ ، والله أكبر ، فيسقط أحدُ جانبَيْها » قال ثور : لا أعلمه إلاّ قال : « الذي في البحر » « ثم يقولوا الثانية : لا إلـه إلا الله ، والله أكبر ، فيسقط جانبها الآخر ، ثم يقولوا الثالثة : لا إلـه إلاّ الله ، والله أكبر ، فيُفرَّجُ لهم ، فيدخلوها فيَغْنَمُوا ، فبينما هم يقتسمون المغانم ، إذ جاءهم الصريخ فقال : إنّ الدجّال قد خرج ، فيتركون كلّ شيء ويرجعون »[١] .

وقال ابن ماجه : حدثنا عليّ بن ميمون الرَّقّي ، حدثنا أبو يعقوب الحُنَيْنِيّ ، عن كَثِير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تكون أدنى مسالح[٢] المسلمين بِبَوْلاَءَ[٣] » ثم قال ﷺ : « يا عليّ ، يا عليّ ، يا عليّ » ، قال : بأبي وأمي ، قال : « إنّكم ستقاتلون بني الأصفر ، ويقاتلهم الذين مِنْ بعدكم ، حتى تَخرجَ إليهم رُوقَة[٤] الإسلام ، أهلُ الحجاز الذين لا يخافون في الله لَوْمةَ لائم ، فيفتتحون القُسطنطينية بالتسبيح والتكبير ، فيُصيبون غنائم لم يُصِيبُوا مثلَها ، حتّى يقتسموا بالأَتْرِسَة ، ويأتي آتٍ ، فيقول : إنّ المَسِيح قَدْ خَرَج في بِلادِكُمْ ، ألا وهي كِذْبة ، فالآخذُ نادم والتارك نادم »[٥] .

وقال مسلم : حدثنا قُتَيْبَةُ ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سَمُرة ، عن نافع ، عن عُتْبَة : أن رسول الله ﷺ قال : « تغزون جزيرة العرب ، فيفتحها الله ، ثم فارس ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجّال فيفتحه الله »[٦] .

وقد روى مسلم من حديث الليث بن سعد : حدثني موسى بن عُلَيّ ، عن أبيه ، قال : قال المُسْتَوْرِد القرشي عند عمرو بن العاص : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « تقوم الساعة والروم أكثرُ الناس » فقال له عمرو : أبْصِرْ ما تقول ، قال : أقول ما سمعتُ من رسول الله ﷺ ، قال : لئن قلت

---

(١) رواه مسلم (٢٩٢٠) .
(٢) المسالح : جمع مسلحة ، وهي القوم الذين يحفظون الثغور من العدو .
(٣) اسم موضع بالحجاز .
(٤) أي : خيارهم .
(٥) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٩٤) وكثير بن عبد الله كذبه الشافعي وأبو داود ، وقال ابن حبان : روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة .
(٦) رواه مسلم (٢٩٠٠) .

ذلك إن فيهم لَخِصالاً أربعاً ، إنهم لأحلم الناس عند فِتنةٍ ، وأسرعُهم إفَاقةً بعد مُصِيبة ، وأوشكهم كَرَّةً بعد فَرَّةٍ ، وخيرهم لمسكين ، ويتيم ، وضعيف ، وخامسة حسنة جميلة ، وأمنعُهم من ظُلْم الملوك[١] .

ثم قال مسلم : حدثني حرملة بن يحيى التُّجيبيّ ، حدثنا عبد الله بن وَهْب ، حدثني أبو شُرَيح : أن عبد الكريم بن الحارث حدّثه : أن المستورد القُرَشيَّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقوم الساعة والروم أكثرُ الناس » قال : فبلغ ذلك عمرو بن العاص ، فقال : ما هذه الأحاديث التي تُذْكر عنك أنك تقولها عن رسول الله ﷺ ؟ فقال له المستورد : قلت الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ . قال : فقال عمرو : لئن قلت ذلك إنّهم لأحلمُ الناس عند فِتْنةٍ ، وأصبرُ الناس عند مصيبة ، وخير الناس لمسَاكِينهم ، وضُعَفائهم[٢] .

وهذا يدلّ على أن الروم يُسْلِمُونَ في آخر الزمان ، ولعلّ فتح القُسطنطينية يكون على يدي طائفةٍ منهم ، كما نطق به الحديث المتقدّم أنّه يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق ، والروم من سُلالة العِيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فهم أولاد عمّ بني إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق ، فالروم يكونون في آخر الزمان خيراً من بني إسرائيل ، فإنّ الدجّال يتبعُه سبعون ألفاً من يهود أصْبهان ، فهم أنصار الدجّال ، وهؤلاء ـ أعني الروم ـ قد مُدِحُوا في هذا الحديث ، فلعلهم يُسلمون على يدي المسيح ابن مريم ، والله أعلم .

على أنه قد وقع في بعض الروايات : « من بني إسماعيل » ، وقوّى ذلك عياضٌ ، وغيره ، والله أعلم .

وقال إسماعيل بن أبي أُوَيس : حدثنا كَثِيرُ بن عبد الله بن عمرو بن عَوْف ، عن أبيه ، عن جدّه : أنّ رسول الله ﷺ قال : « ستقاتلون بني الأصفر ، ويقاتلهم مَنْ بعدكم من المؤمنين أهلُ الحجَاز ، حتى يفتح الله عليهم القُسطنطينية وروميةَ بالتسبيح والتكبير ، فَينهدم حِصْنُها فيصيبون مالاً لم يُصيبوا مثله قطّ ، حتى إنّهم يقتسمون بالأترسة ، ثم يصرخ صارخ : يا أهلَ الإسلام ، المسيحُ الدجال في بلادكم ، وذراريكم ، فينفَضّ الناس عن المال ، منهم الآخذ ، ومنهم التارك ، الآخذ نادم ، والتارك نادم ، فيقولون : من هذا الصارخ ؟ ولا يعلمون من هو ؟ فيقولون : ابعثوا طليعةً إلى إيلياءَ ، فإن يكن المسيحُ قد خرج فسيأتُونَكُمْ بِعلمه ، فيأتون ، فينظرون ، فلا يرون شيئاً ، ويرون الناس ساكتين فيقولون : ما صرخ الصارخ إلا لنبأٍ عظيم ، فاعْتَزِمُوا ، ثمّ ارتضوا ، فيعتزمون أن نخرج بأجمعنا إلى إيلياء ، فإن يكن الدجّال خرج نُقاتلْهُ بأجمعنا ، حتى يحكم اللهُ

(١) رواه مسلم (٢٨٩٨) (٣٥) .
(٢) رواه مسلم (٢٨٩٨) (٣٦) .

بيننا وبينه ، وإن تكن الأخرى فإنّها بلادُكم وعشائِرُكم إن رجعتم إليها »[١] .

وقد روى الحافظ بهاءُ الدين ابن عساكر في كتابه « المستقصَى في فضائل الأقصَى » بسندٍ له ، عن الأوزاعيّ ، عن خالد بن مَعْدَانَ ، عن كعب الأحبار أنّه قال : إنّ مدينة القسطنطينية شمتت بخراب بَيْت المقدس ، يعني زمن بُخْت نصر ، فتعزّزت ، وتجَبَّرت ، وشَمَخَتْ ، فسماها اللهُ تعالى العاتِيَة المُسْتكبرة ، وذلك أنّها قالت مع شماتتها ببَيْت المقدس : إن يكن عرشُ رَبِّي كان على الماء ، فقد بُنيتُ أنا على الماء ، فغضب الله عليها ، ووعدها العذابَ والخراب وقال لها : حلفتُ يا مُستكبرة ، لما قد عَتَيْتِ عن أمري وتجبَّرتِ ، لأبعثنّ عليكِ عباداً لي مؤمنين ، من مساكن سَبَأ ، ثمّ لأُشجِّعَنَّ قلوبهم حتى أدعها كقلوب الأُسْدِ الضارية ، ولأجعَلنّ صوتَ أحدهم عند البأس كصوت الأسد حين يخرُج من الغابة ، ثم لأُرْعبَنّ قلوبَ أهلك ، كرُعْبِ العُصفور ، ثم لأنْزعَنّ عَنكِ حَلْيَكِ ، ودِيباجَكِ ، ورِيَاشَكِ ، ثم لأتْرُكَنّكِ جَلْحَاءَ قرعاء صلْعَاءَ ، فإنّه طَال مَا أُشْرِكَ بي فيكِ ، وعُبدَ غَيْري ، وافْتُرِيَ عليّ ، وأمهَلْتُكِ إلى اليَوْمِ الذي فيه خِزْيُكِ ، فلا تستعجلي يا عاتية ، فإنّه لن يفوتني شيءٌ أريده .

وقال الإمام أحمد : ثنا أبو أحمد ، ثنا عبدُ الجبارِ بنُ العباس الشِّبامِي ، عن أبي قيسٍ ، قال عبدالجبار : أُراه عن هُزَيلٍ ، قال : قام حذيفةُ خطيباً في دارِ عامرٍ[٢] بن حنظلةَ فيها اليَمَنيُّ[٣] والمُضَريُّ ، فقال : « لَيَأْتِيَنَّ على مُضَرَ يَوْمٌ لَا يَدَعُونَ للهِ عَبْداً يَعْبُدُهُ إلَّا قَتَلُوهُ ، أَوْ لَيُضْرَبُنَّ ضَرْباً لَا يَمْنَعُونَ ذَنَبَ تَلْعَةٍ » . فقيل : يا أبا عبدِ اللهِ تقولُ هذا لقومِك ـ أو : لقومٍ أنت منهم ـ فقال : لا أقولُ إلا ما سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول[٤] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن جُبَيْرِ بن نُفَيْر ، عن مالك بن يُخَامِر ، عن معاذ بن جَبَل ، قال : قال رسول الله ﷺ : « عُمرانُ بَيْتِ المَقدسِ خرابُ يَثْرِبَ ، وخرابُ يَثْرِبَ خروج الْمَلحَمَة ، وخروجُ الملحمةِ فتحُ القُسْطَنطينيةِ ، وفتحُ القسطنطينية خروجُ الدّجّال » قال : ثم ضرب بيده على فخذِ الذي حدّثه أو مَنْكِبِه ، ثم قال : « إنّ هذا لَحقّ كما أنك هاهُنا » أو « كما أنك قاعد » يعني مُعاذَ بن جبل هكذا رواه أبو داود عن عباس العنبريّ ، عن أبي النضر ، هاشم بن القاسم به ، وهذا إسناد جيّدٌ ، وحديثٌ حَسَن ، وعليه نُور الصّدق ، وجلَالَةُ النبوّة[٥] .

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٢) وفيه كثير بن عبد الله، وقد تقدم الكلام عليه قبل قليل أنه ضعيف ص(٦٥).
(٢) كل من ترجمه سماه (عمرو بن حنظلة) .
(٣) في المسند (التميمي) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٠٤) ، وهو حديث صحيح
(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٤٥) وأبو داود (٤٢٩٤) .

وليس المرادُ أن المدينة تخربَ بالكليّة ، قبل خروج الدّجال ، وإنما ذلك يكون في آخر الزمان ، كما سيأتي بيانهُ في الأحاديث الصحيحة ، بل يكون عِمَارةُ بَيْت المقدس سبباً في خراب المدينة النبوية ، لأن الناس يرحلون منها إلى الشام لأجل الريف والرخص ، فإنهُ قد ثبت في الأحاديث الصحيحة : أن الدّجال لا يدخلها ، يمنعه من ذلك بما على أنقابها من الملائكة ، بأيديهم السُّيوفُ المُصْلَتَةُ .

وفي « صحيح البخاريّ » من حديث مالك ، عن نُعيم المُجْمِر ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « المدينة لا يدخلها الطّاعون ولا الدّجّال »[١] .

وفي « جامع الترمذيّ » : أن المسيح ابن مريم عليه الصلاةُ والسلامُ إذا مات يُدفَنُ في الحُجْرة النبويّة[٢] .

وقد قال مسلم : حدثني عمرو الناقد ، حدثنا الأسود بن عامر ، حدثنا زُهَيْرٌ ، عن سُهَيْل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تبلغ المساكنُ إهَابَ » أو « يِهَاب » قال زهير : قلت لسُهَيل : فكم ذلك من المدينة ؟ قال : كذا وكذا ميلاً[٣] .

فهذه العمارة إمّا أن تكون قبل عِمارة بيت المقدس ، وقد تكون بعد ذلك بدَهْر ، ثم تخرَب بالكلّية ، كما دلّت على ذلك الأحاديث ، التي سَنُوردها .

وقد روى القرطبيُّ ، من طريق الوليد بن مُسلم ، عن ابن لَهِيعَةَ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر : أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يخرُج أهلُ المدينة منها ، ثمّ يعودون إلَيْها فيَعْمُرونَها ، حتّى تَمتلئ ، ثم يخرجون منْها ، ثم لَا يعودُونَ إلَيْها أبداً »[٤] .

وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعاً مثلهُ : وزاد : « ولَيَدَعُنَّها وهي خير ما تكون مونِعة » قيل : فمن يأكُلها ؟ قال : « الطّيرُ ، والسِّباع »[٥] .

وفي « صحيح مسلم » ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « يَتْركُونَ المدينة على خَيْرِ ما كانَتْ ، لا يغشاها إلا العَوافي » يريد عَوافِيَ السِّباع والطير « ثم يخرجُ راعيانِ من مُزَيْنَة يُريدان

---

(١) رواه البخاري (٧١٣٣) .
(٢) الترمذي (٣٦١٧) وهو من نقل عبد الله بن سلام عن التوراة ، وإسناده إليه ضعيف .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٩٠٣) .
(٤) رواه عمر بن شَبَّة في « تاريخ المدينة » (١/ ٢٨٣) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه عمر بن شَبَّة في « تاريخ المدينة » (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) وفيه أبو هارون العبدي وهو متروك .

المدينةَ يَنْعِقانِ بغنمهما ، فيجدانها وحْشاً ، حتى إذا بلغا ثَنِيّةَ الوادع خَرّا على وجُوهِهِمَا »[١] .

وفي حديث حُذَيْفة : سألت رسول الله ﷺ عن أشياء ، إلاّ أنّي لم أسألْهُ : ما يُخرِجُ أهلَ المدينة منها[٢] ؟

وفي حديث آخر ، عن أبي هريرة : « يَخْرُجُونَ منها ونصفُ ثَمرِها زَهْوٌ ، ونصفها رُطَبٌ » قيل : ما يُخْرجهم منها يا أبا هريرة ؟ قال : أُمَراءُ السُّوءِ[٣] .

وقال أبو داود : حدثنا ابن نُفَيْل ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن الوليد بن سفْيان الغسّانيّ ، عن يزيد بن قطيب السَّكُونيّ ، عن أبي بحْرِيةَ ، عن مُعاذ بن جبل ، قال : قال رسول الله ﷺ : « المَلحمَةُ الكُبرىٰ ، وفتْحُ القُسطَنْطِينيّة ، وخروج الدجّال في سبعة أشهر » . ورواه الترمذيّ ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارميّ ، عن الحكم بن المبارك ، عن الوليد بن مسلم به ، وقال : حسن [غريب] لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه ، وفي الباب عن الصعب بن جَثّامة ، وعبد الله بن بُسْر ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي سعيد الخُدْريّ . ورواه ابن ماجه ، عن هشام بن عمّار ، عن الوليد بن مسلم ، وإسماعيل بن عيّاش ، عن أبي بكر بن أبي مَرْيَم به[٤] .

وقال الإمام أحمد ، وأبو داود ، واللفظ له : حدثنا حَيْوَةُ بنُ شُرَيْح الحِمْصيّ ، حدثنا بقيّة ، عن بَحيْر بن سعد ، عن خالد هو ابن مَعْدَان ، عن ابن أبي بلال ، عن عبد الله بن بسر : أن رسول الله ﷺ قال : « بين الملحمة وفتح المدينة ستُّ سنين ، ويخرجُ الدجّال في السابعة » .

وهكذا رواه ابن ماجه عن سُوَيد بن سعيد ، عن بَقِيّة بن الوليد به[٥] ، وهذا مشكل مع الذي قبله ، اللهمّ إلاّ أن يكون بين أول الملحمة وآخرها ستُّ سنين ، ويكون بين آخرها وفتح المدينة ، وهي القسطنطينية مدّة قريبة ، بحيث يكون ذلك مع خروج الدجّال في سبعة أشهر ، والله أعلم .

وقال الترمذيّ : حدثنا محمود بن غَيْلان ، حدثنا أبو داود ، عن شُعْبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس بن مالك ، قال : فتحُ القسطنطينية مع قيام الساعة ، قال محمود : هذا حديث غريب . والقسطنطينية هي مدينة الرُّوم تُفتحُ عند خروج الدجّال ، والقسطنطينية قد فُتِحَتْ في زمان بعض أصحاب النبيّ ﷺ[٦] . هكذا قال: إنّها فُتحت في زمن الصحابة ، وفي هذا نظر ، فإنّ مُعاويةَ بَعث إليها

---

(١) رواه مسلم (١٣٨٩) .

(٢) رواه مسلم (٢٨٩١) (٢٤) .

(٣) أخرجه عمر بن شبَّة في « تاريخ المدينة » (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) موقوفا على أبي هريرة ، وفي إسناده ضعف .

(٤) رواه أبو داود (٤٢٩٥) والترمذي (٢٢٣٨) وابن ماجه (٤٠٩٢) وإسناده ضعيف .

(٥) رواه أحمد (٤/ ١٨٩) وأبو داود (٤٢٩٦) وابن ماجه (٤٠٩٣) وإسناده ضعيف .

(٦) رواه الترمذي رقم (٢٢٣٩) كذا قال محمود بن غيلان، ولا يصح، بل فتحت القسطنطينية في عهد السلطان =

ابنَه يزيدَ في جيش فيهم أبو أيُّوبَ الأنصاريّ ، ولكن لم يتفق له فتحها ، وحاصرها مَسْلَمةُ بن عبد الملك بن مروان ، في زمان دولتهم ، ولم تُفتح أيضاً ، ولكنْ صالحهم على بناء مسجد بها ، كما قدمنا ذلك مبسوطاً ، والله تعالى أعلم .

ذكر خروج الدجال بعد وقوع الملحمة الرومية وفتح القسطنطينية

ولنذكر قبل ذلك مُقدِّمة فيما ورد في ذِكر الكذّابين الدجّالِيْن الذين هم كالمقدِّمة بين يَدَيْه ، ويكون المسيح الدجّال خاتَمُهمْ قبحه الله وإيّاهُمْ ، وجعل نار الجحيم مُنْقَلَبَهُمْ ومَثْواهُمْ .

روى مسلم في « صحيحه » من حديث شُعْبَة وغيره ، عن سِماك ، عن جابر بن سَمُرة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنّ بَيْنَ يدي الساعة كذّابين » قال جابر : فاحذروهم[١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا موسى ، حدثنا ابن لَهيعَة ، عن أبي الزبير ، عن جابر أنّه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ ، يقول : « بين يدي الساعة كذّابون ، منهم صاحب اليمامة ، ومنهم صاحب صنعاء العَنْسِيّ ، ومنهم صاحبُ حِمْير ، ومنهم الدجّال ، وهو أعظمهم فتنةً » قال جابر : وبعض أصحابي يقول : « قريبٌ من ثلاثين كذّاباً » . تفردّ به أحمد[٢] .

وثبت في « صحيح البخاريّ » ، عن أبي اليمان ، عن شُعَيْب ، عن أبي الزّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يُبْعَثَ دجّالون ، كذّابون ، قريب من ثلاثين ، كلٌّ يزعمُ أنّه رسول الله . . . » وذكر تمام الحديث بطوله[٣] .

وفي « صحيح مسلم » من حديث مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يُبْعَثَ دجّالون ، كذّابون قريب من ثلاثين ، كلٌّ يزعمُ أنّه رسول الله » . حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزّاق ، حدثنا مَعْمَرٌ ، عن هَمّام بن مُنبّه ، عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ بمثله ، غير أنّه قال : « ينبعث »[٤] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعبة ، سمعت العَلاَء بن عبد الرحمن ، يُحدّث ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنّه قال : « لا تقوم الساعة حتى يظهر ثلاثُونَ دَجّالونَ ، كلّهم يزعم أنه رسول الله ، ويَفِيضُ المالُ فيكثر ، وتظهَرُ الفِتَنُ ، ويكثرُ الهَرْجُ » قال : قيل :

= محمد الفاتح سنة (٨٥٧)هـ .

(١) رواه مسلم (٢٩٢٣) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٤٥) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه البخاري (٧١٢١) .

(٤) رواه مسلم (١٧٥) الذي بعد (٢٩٢٣) .

أيُّمَا الهَرْجُ ؟ قال : « القتلُ ، القتل » ثلاثاً . تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مُسلم ، وقد رواه أبو داود عن القَعْنَبيّ ، عن الدّرَاوَرْدِيّ ، عن العَلاَء به(١) .

ومن حديث محمد بن عمرو بن عَلْقَمَة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يَخْرُجَ ثلاثون دجّالاً كذَّاباً كلهم يكذبُ على الله ورسوله »(٢) .

وقال أحمد : حدثنا يحيى ، عن عوف ، حدثنا خِلاَس ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « بين يدي الساعة قريبٌ من ثلاثين دجّالين ، كذَّابين ، كلهم يقول : أنا نبيّ ، أنا نبيّ » . وهذا إسناد جيّد حسن ، تفرّد به أحمد أيضاً(٣) .

وقال أحمد : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا سَلاَمَانُ بن عامر ، عن أبي عُثْمانَ الأصْبَحِيّ : سمعتُ أَبا هريرة يقول : إنّ رسول الله ﷺ قال : « سيكون في أمتي دَجّالونَ كذَّابُون ، يأتونكم ببدْع من الحديث بما لم تَسْمَعُوا أنتُم ولاَ آباؤُكُمْ ، فإياكُمْ وإيّاهُمْ لا يَفْتِنُونكُمْ »(٤) .

وقال الحافظ أبو يَعْلَى الموصلي : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدّثنا محمد بن الحَسَن الأَسْدِيّ ، حدّثنا هارون بنُ صالح الهَمْدَانيّ ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن أبي الجُلاس ، قال : سمعتُ علياً يقول لعبد الله السَّبَئي : ويلك ، والله ما أفْضَى إليّ بشَيْءٍ كتمتهُ أحداً من الناس ، ولقد سمعتهُ يقول : « إنّ بين يدي الساعة ثلاثينَ كذَّاباً ، وإنك لأحدُهم » . ورواه أيضاً عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة عن محمد بن الحسن به(٥) .

وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي قِلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثَوْبانَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّه سيكونُ في أُمتي ثلاثون كذّابُونَ ، كلُّهم يزعمُ أنّه نبي ، وأنا خَاتمُ النبيين ، لا نبيّ بعدي . . . » الحديث بتمامه(٦) .

وقال الإمامُ أحمد : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا عُبيْدُ الله بن إياد بن لَقيط ، حدثنا إياد ، عن عبد الرحمن بن نُعْم أو نُعَيْم الأعرجيّ ، شَكَّ أبو الوليد ، قال : سأل رجل ابن عمر عن المُتْعَة ، وأنا عنده ، مُتْعَةِ النِّساءِ ، فقال : والله ما كُنّا على عهد رسول الله ﷺ زانِينَ ، ولا مُسَافِحينَ ، ثم قال : والله

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/٤٥٧) وأبو داود (٤٣٣٣) وهو حديث صحيح .

(٢) رواه أبو داود (٤٣٣٤) وهو حديث حسن .

(٣) رواه أحمد (٢/٤٢٩) أقول : وفي سنده انقطاع ، وهو حديث صحيح لغيره انظر مسند أحمد رقم (٧٢٢٨) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/٣٤٩) وهو حديث حسن .

(٥) رواه أبو يعلى رقم (٤٤٩) و(٤٥٠) وإسناده ضعيف .

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٧٨) وأبو داود رقم (٤٢٥٢) والترمذي (٢٢١٩) وابن ماجه (٣٩٥٢) وأخرج مسلم (٢٨٨٩) أصله مطولاً بغير هذا اللفظ .

لقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ليكونَنّ قبل يوم القيامة المسيحُ الدجال ، وكذّابُون ثلاثون ، أو أكثر » . ورواه الطبرانيّ من حديثِ مُوَرِّق العِجْليّ ، عن ابن عمر ، بنحوه ، تفرد به أحمد[١] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حَمّادٌ ، وهو ابن سَلَمة ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مِهران ، عن عبد الله بن عمر : أنه كان عنده رجل من أهل الكوفة ، فجعل يحدِّثه عن المختار ، فقال ابن عمر : إنْ كان كما تقول فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنّ بينَ يدي الساعة ثلاثين دجالاً كذاباً » . تفرّد به أحمد من هذا الوجه[٢] .

وقد رواه سعيد بن عامر ، عن ابن عمر ، ولكن قال : « سبعون » . قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن فضيل ، عن لَيْث ، عن سعيد بن عامر ، عن ابن عمر ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ ، يقول : « إن في أمتي لَنَيِّفاً وسبعين داعياً ، كلّهم دَاعٍ إلى النار ، لو أشاء لأنبأتُكُمْ بأسمائهم ، وقبائِلهم » . وهذا إسناد لا بأس به[٣] ، وقد روى ابن ماجه به حديثاً في الكَرْع والشُّرْب باليد[٤] .

وقال أبو يعلى : حدثنا زُهَيْر ، حَدّثنا جَرِير ، عن لَيْث ، عن بِشْر ، عن أَنَس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون قبل خروج الدجّال نيّف على سبعين دجالاً » . فيه غرابة ، والذي في الصحاح أثبت ، والله أعلم[٥] .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزّاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهريّ ، عن طلحة بن عبد الله بن عوف ، عن أبي بَكْرةَ ، قال : أكثَر الناسُ في مُسَيْلمةَ قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئاً ، فقام رسول الله ﷺ خطيباً ، فقال : « أمّا بعدُ ، ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتُمْ فيه ، وإنه كذاب من ثلاثين كذّاباً ، يخرجون بين يدي الساعة ، وإنه ليس بلد إلا يبلغها رُعْبُ المسيح ، إلا المدينة ، على كل نقب من نقابها ملكان يَذُبّانِ عنها رُعْبَ المسيح » .

وقد رواه أحمد أيضاً عن حجّاج ، عن الليث بن سعد ، عن عَقِيل، عن ابن شهاب ، عن طلحة بن عبد الله بن عوف ، أنّ عياض بن مُسافِع أخبره عن أبي بَكْرةَ . . . فَذَكره ، وقال فيه : « إنّه كذّاب ، من ثلاثين كذّاباً ، يخرجون قبل الدجّال ، وإنّه ليس بلدٌ إلاّ سَيَدْخُلها رُعْب المسيح الدجّال ، إلاّ المدينة ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٩٥) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ١١٧ ـ ١١٨) وإسناده ضعيف ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .
(٣) رواه أبو يعلى رقم (٥٧٠١) أقول : فيه ليث بن أبي سليم، وهو صدوق اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك .
(٤) رواه ابن ماجه رقم (٣٤٣٣) وإسناده ضعيف كسابقه .
(٥) رواه أبو يعلى رقم (٤٠٥٥) وإسناده ضعيف .

على كلّ نَقْب من نِقَابها[١] يومئذ مَلَكَان يَذُبّان عنها رُعْبَ المسيح » . تفرّد به أحمد من الوجهين[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو جعفر المدائنيّ ، وهو محمد بن جعفر ، حدثنا عبّاد بن العوّام ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن المُنْكَدِر ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أمام الدجّال سنينَ خدّاعة ، يُصَدَّقُ فيها الكاذِبُ ، ويُكذَّب فيها الصَّادِقُ ، ويُخَوَّنُ فيها الأمين ، ويُؤْتَمَنُ فيها الخَائِنُ ، ويَتكلَّمُ فيها الرُّوَيبِضةُ » قيل : وما الرويبضةُ ؟ قال : « الفُوَيْسِقُ ، يتكلم في أمر العامَّة » . وهذا إسناد جيّد ، قوي ، تفرّد به أحمد ، من هذا الوجه[٣] .

وقال الإمام أحمد : ثنا عليُّ بن عبد الله ، قال : ثنا معاذٌ ، يعني ابنَ هشام قال : وجَدْتُ في كتابِ أبي بخطِّ يده ، ولم أسمَعْه مِنه ، عن قتادةَ ، عن أبي مَعْشَرٍ ، عن إبراهيمَ النَّخَعيِّ ، عن هَمَّامٍ ، عن حُذَيفةَ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ دَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ ، مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، وإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لا نَبِيَّ بَعْدِي »[٤] .

الكلام على أحاديث الدجال

قال مسلم : حدثني حَرْمَلةُ بن يحيى بن عبد الله بن حَرْمَلة بن عِمْران التُّجِيبِي ، أخبرني ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أن سالم بن عبد الله أخبره : أن عبد الله بن عمر أخبره أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ في رَهْطٍ قِبَل ابن صيّاد حتى وجده يلعبُ مع الصِّبيانِ عند أُطُمِ بني مَغالة ، وقد قارب ابنُ صيَّاد يَوْمَئِذٍ الحُلُم ، فلم يَشْعُر حتى ضَرَبَ رسول الله ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ، ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد : « أَتَشْهدُ أَنِّي رسول الله ؟ » فنظر إليه ابن صَيّاد فقال : أشهدُ أنّك رسول الأميِّين ، فقال ابنُ صَيّاد لرسول الله ﷺ : أتشهدُ أنّي رسول الله ؟ فرفضه رسول الله ﷺ ، وقال : « آمنتُ بالله وبرُسُله » ثم قال له رسول الله ﷺ : « ماذا ترى ؟ » قال ابن صياد : يأتيني صادق ، وكاذب ، فقال له رسول الله ﷺ : « خُلِّطَ عليك الأمرُ » ثم قال له رسول الله ﷺ : « إنّي قد خَبَأْتُ لك خبيئاً » فقال ابنُ صيّاد : هو الدُّخُّ[٥] ، فقال له رسول الله ﷺ : « اخْسَأ فلن تَعْدُوَ قدرك » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ذَرْني يا رسول الله أضرِبْ عُنُقَهُ ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنْ يَكُنْهُ فلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْه ، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله » . وقال سالم بن عبد الله : سمعتُ عبد الله بن عمر يقول :

---

(١) النقاب : الطريق بين الجبلين .

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤١ و٤٦) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٤٣) وهو حديث ضعيف ، لكن جملة « لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجّال » صحيحة .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٢٠) أقول : فيه عنعنة ابن إسحاق ، وهو حديث حسن .

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٩٦) وهو حديث صحيح .

(٥) هو الدخان .

انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبَيُّ بنُ كعب الأنصاريّ إلى النخل التي فيها ابنُ صيّاد ؛ حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخلَ طَفِقَ يتَّقِي بجُذُوع النَّخْلِ وهو يَخْتِلُ[١] أن يسمع من ابن صيّاد شيئاً قبل أن يراه ابنُ صيّاد ، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش في قطيفة له ، فيها زمزمة[٢] ، فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل ، فقالت لابن صيّاد : يا صاف ، وهو اسم ابن صيّاد ، هذا محمد ، فثار ابنُ صيّاد ، فقال رسول الله ﷺ : « لو تَرَكَتْهُ بَيَّن »[٣]. قال سالم : قال عبد الله بن عمر : فقام رسول الله ﷺ في الناس ، فأثنَى على الله تعالى بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال ، فقال : « إني لأنذركموه ، ما من نبيّ إلا وقد أنذره قومه ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيّ لقومه : تَعَلَّمُوا أنّه أعْوَرُ ، وأن الله تبارك وتعالى ليس بأعور » وقال ابن شهاب : وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاريّ : أنه أخبره بعضُ أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم حذَّر الناس الدجّال : « إنّه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه من كَرِهَ عَمله ، أو يقرؤه كلّ مؤمن » وقال : « تَعَلَّمُوا أنّه لن يرى أحدٌ منكم رَبه عز وجل حتى يموت » . وأصل الحديث عند البخاريّ من حديث الزهريّ ، عن سالم ، عن أبيه ، بنحوه[٤] .

وروى مسلم أيضاً من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر : أنّ رسول الله ﷺ ذكر الدجّال بين ظَهراني الناس فقال : « إنّ الله تبارك وتعالى ليس بأعور ، ألا وإنّ المسيح الدجّال أعورُ العين اليُمْنَى ، كأنّ عَينه عِنَبَةٌ طافئة »[٥] .

ولمسلم من حديث شُعْبة ، عن قَتَادَة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبي إلا وقد أنذر أمّته الأعور الكذّاب ، ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه ك ف ر » . رواه البخاريّ من حديث شُعْبَة بنَحْوِه[٦] .

قال مسلم : وحدثني زُهَير بن حرب ، حدثنا عَفّان ، حدثنا عبد الوارث ، عن شُعيب بن الحَبْحَابِ ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « الدجّال مَمْسُوحُ العَيْنِ ، مكتوب بين عينيه : كافر » ثم تَهَجّاهَا : ك ف ر « يقرؤه كل مسلم »[٧] .

وقال أحمد : ثنا يزيدُ بن هارون ، ثنا محمد بن إسحاق ، عن داودَ بن عامر بن سعدِ بن مالكٍ ،

---

(١) أي يحاول في استخفاء أن يسمع شيئاً .
(٢) الزمزمة : الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم .
(٣) أي لو تركته أمه بين أمره .
(٤) رواه مسلم رقم (٢٩٣٠) مع (٢٩٣١) مع (١٦٩) الذي بعده . والبخاري رقم (٦١٧٣ ـ ٦١٧٤) و(٦١٧٥).
(٥) رواه مسلم رقم (١٦٩) الذي بعد (٢٩٣٢) .
(٦) رواه مسلم رقم (٢٩٣٣) والبخاري رقم (٧١٣١) .
(٧) رواه مسلم رقم (٢٩٣٣) (١٠٣) .

عن أبيه ، عن جدِّه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلاَّ وَصَفَ الدَّجَّالَ لأُمَّتِهِ ، وَلأَصِفَنَّهُ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي؛ إنه أَعْوَرُ ، واللهُ عَزَّ وجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ». لم يُخْرِجوه ، وإسناده جيِّدٌ[١] .

ولمسلم من حديث الأعمش عن شقيق عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « الدجَّال أعور العين اليسرى ، جُفال الشعر[٢] ، معه جنة ونار ، فناره جنة ، وجنته نار »[٣] .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « لأنا أعلم بما مع الدجّال منه ، معه نهران يَجْريان ، أحدهما رَأْيَ العَيْنِ ماءٌ أبيضُ ، والآخرُ رَأْيَ العَيْنِ نارٌ تأجَّجُ ، فإما أدركنَّ أحدٌ ، فلْيَأْتِ النهرَ الذي يراه ناراً ولْيُغْمِضْ ، ثم لْيُطأْطئ رَأْسَهُ فيَشْرب منه ، فإنه ماءٌ بارد ، وإنّ الدجّال مَمْسوح العَيْن ، عليها ظَفَرَةٌ[٤] غَلِيظَةٌ ، مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرؤه كل مؤمن ، كاتبٍ وغير كاتبٍ » .

ثم رواه من حديث شُعْبة ، عن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن ربعيّ ، عن حُذَيْفَةَ ، عن النبيّ ﷺ بنحوه ، قال ابن مسعود : وأنا سمعتُه من رسول الله ﷺ . ورواه البخاريّ من حديث شُعْبَة بنحوه[٥] .

وقال الإمام أحمد : ثنا محمدُ بن جعفر ، ثنا شعبةُ ، عن أبي التَّياح ، سمِعتُ صخراً يُحدِّثُ عن سُبَيْع[٦] قال : أرسَلوني من ماهَ[٧] إلى الكوفةِ أشتري الدوابَّ ، فأتينا الكُنَاسةَ ، فإذا رجلٌ عليه جَمْعٌ ، فأمَّا صاحبي فانطلقَ إلى الدوابِّ ، وأمَّا أنا فأتَيتُه ، فإذا حذيفةُ ، فسمِعتُه يقولُ : كان أصحابُ رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير ، وكنت أسأَلُه عن الشرِّ ، قلت : يا رسولَ الله ، هل بعد هذا الخيرِ من شرٍّ ؟ قال : « نَعَمْ » . قلت : فما العصمةُ مِنه ؟ قال : « السَّيْفُ » . قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : « ثُمَّ تكُونُ هُدْنَةٌ على دَخَنٍ » . قال : قلتُ : ثم ماذا ؟ قال : « ثُمَّ تَكُونُ دُعاةُ الضَّلاَلَةِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةً في الأرْضِ فَالْزَمْهُ ، وَإِنْ نَهَكَ جِسْمَكَ ، وَأَخَذَ مَالَكَ ، فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَاهْرُبْ فِي الأرْضِ ، ولَوْ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ » . قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : « ثمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ ». قال : قلت : فَبِمَ يجيءُ به معه ؟ قال : « بِنَهَرٍ » ـ أو قال: « ماءٍ ونارٍ ـ فَمَنْ دَخَلَ نَهَرَهُ حَبِطَ أَجْرُهُ ، وَوَجَبَ وِزْرُهُ ، وَمَنْ دَخَلَ نَارَهُ وَجَبَ أَجْرُهُ ، وَهَبَطَ وِزْرُهُ » .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٧٦) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٢) أي كثيره . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٢٨٠) .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٩٣٤) (١٠٤) .
(٤) الظفرة : جلدة تغشي البصر .
(٥) رواه مسلم رقم (٢٩٣٤) (١٠٥) و(١٠٦) والبخاري رقم (٧١٣٠) .
(٦) في الأصل : سبيعة ، وكتب فوقها : كذا . وفي الهامش : لعله ربيعة .
(٧) وهي مدينة في الدينور .

قال : قلتُ : ثم ماذا ؟ قال : « لَوْ أَنْتَجْتَ فَرَساً لَمْ تُرْكَبْ فُلُوُّهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ »[(١)] .

وروى البخاري ومسلم ، من حديث شيبان بن عبد الرحمن ، عن يحيى بن أبي كَثِير ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم عن الدجّال حديثاً ما حَدَّثه نبيّ قومَه ؟ إنه أعور ، وإنه يجيء معه مثلُ الجَنّة والنار ، فالتي يقول : إنها الجنة ، هي النار ، وإني أنذرْتُكُم به ، كما أنْذَرَ به نوح قَوْمه »[(٢)] .

وروى مسلم من حديث محمد بن المُنْكَدِر قال : رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أنّ ابن صياد الدجّال ، فقلت : أتحلف بالله تعالى ؟ قال : إني سمعتُ عمر يحلف على ذلك عند النبيّ ﷺ ، فلم ينكره النبي ﷺ[(٣)] .

وروى من حديث نافع ، أن ابن عمر لقي ابن صيّاد في بعض طرق المدينة ، فقال له ابن عمر قولاً أغضبه ، فانتفخ حتى ملأ السِّكّة . وفي رواية أن ابن صيّاد نَخَر كأشدّ نَخِيرِ حِمارٍ يكون ، وأن ابن عمر ضربه حتى تكسّرت عصاه ، ثم دخل على أخته حفصة ، فقالت له : ما أردتَ من ابن صياد ؟ أما علمتَ أن رسول الله ﷺ قال : « إنمّا يخرج من غضبةٍ يغضبُها »[(٤)] .

قال بعض العلماء : ابن صيّاد كان بعضُ الصحابة يظنّه الدجّال الأكبر ، وليس به ، إنما كان دجّالاً من الدجاجلة صغيراً ، وقد ثبت في « الصحيح » أنه صحب أبا سعيد فيما بين مكة والمدينة ، وأن ابن صيادٍ تَبرَّم إليه مما تقول الناس فيه : إنه الدجّال ، ثم قال لأبي سعيد : ألم يقل رسول الله ﷺ : « إنه لا يدخل المدينة » وقد وُلِدْتُ بها ، « وإنه لا يولد له » وقد وُلِدَ لي ، « وإنه كافر » وأنا قد أسلمت ؟ قال : ومع هذا إني لأعلم الناس به ، وأين مكانُه ؟ ولو عُرِضَ عليّ أن أكون إياه لما كَرِهْتُ ذلك[(٥)] .

وقال أحمد : حدثنا عبد المتعال بن عبد الوهّاب ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، حدثنا مجالد ، عن أبي الوَدّاك ، عن أبي سعيد ، قال : ذُكر ابن صياد عند رسول الله ﷺ ، فقال عمر : إنه يَزْعُمُ أنه لا يمر بشيء إلاّ كلّمه[(٦)] .

وقال أحمد : ثنا أبو سعيد مولى بني هاشمٍ ، حدَّثني مَهْدِيُّ بنُ عِمْرَانَ المازنِيُّ ، سمِعتُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٠٣) وهو حديث حسن دون قوله : (لو أنتجت فرساً لم تركب فلوها حتى تقوم الساعة) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٣٦) والبخاري (٣٣٣٨) .

(٣) رواه مسلم (٢٩٢٩) .

(٤) رواه مسلم رقم (٢٩٣٢) .

(٥) رواه مسلم رقم (٢٩٤٧) .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٧٩) وإسناده ضعيف .

أبا الطُّفَيْلِ ، وسُئِل هلْ رأيتَ رسولَ الله ﷺ ؟ قال : نعم . قيل : هل كلَّمته ؟ قال : لا ، ولكنِّي رأيتُه انطلقَ مكانَ كذَا وكذَا ، ومعَه عبدُ الله بنُ مسعودٍ وأُناسٌ مِن أصحابِه حتَّى أتَى داراً قَوْرَاءَ ، فقال : « افْتَحُوا هَـٰذَا الْبَابَ » . ففتحُوا ، ودخَل رسول الله ﷺ ودخَلتُ معَه ، فإذا قطيفةٌ في وسطِ البيتِ ، فقال : « ارْفَعُوا هَـٰذِهِ الْقَطِيفَةَ » . فرفَعوها ، فإذا غلامٌ أعوَرُ تحتَ القطيفَةِ ، فقال : « قُمْ يا غُلامُ » . فقام الغلامُ . فقال : « يَا غُلامُ ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ » . فقال الغلامُ : أشهَدُ أنِّي رسولُ الله . قال : « أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ » . فقال الغلام : أشهَدُ أنِّي رسولُ اللهِ . فقال رسول الله ﷺ : « تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَـٰذَا » مَرَّتَيْنِ[١] .

والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجّال الذي يخرجُ في آخر الزمان قطعاً ، لحديث فاطمة بنت قَيْس الفِهْرية ، فإنه فَيْصَلٌ في هذا المقام ، والله أعلم .

حديث فاطمة بنت قيس في الدجَّال :

قال مسلم : حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، وحجاج بن الشاعر ، كلاهما عن عبد الصمد ، واللفظ لعبد الوارث بن عبد الصمد ؛ حدثني أبي عن جدّي ؛ عن الحسين بن ذَكْوانَ ؛ حدثنا ابن بُرَيدة ؛ حدثني عامر بن شَراحِيل الشعبيّ ، شعب هَمْدان ، أنه سأل فاطمة بنت قيس أختَ الضحّاك بن قَيْس ؛ وكانت من المُهاجرات الأُول ؛ فقال : حدِّثيني حديثاً سمعتِيه من رسول الله ﷺ لا تُسْنِديه إلى أحدٍ غيرِه ، فقالت : لئن شِئْتَ لأَفْعلَنّ ، فقال لها : أَجَلْ ، حدّثيني ، فقالت : نَكَحْتُ ابنَ المُغِيرة ، وهو من خيار شباب قُرَيْش يومئذٍ ، فأُصيب في أولّ الجهاد مع رسول الله ﷺ ، فلما تأيَّمتُ[٢] خطبني عبد الرحمن بن عَوف ، في نفر من أصحاب محمد ﷺ ، وخطبني رسولُ الله ﷺ على مَوْلَاهُ أسامة بن زيد ، وكنتُ قد حُدِّثْتُ أنّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أسامة » فلمّا كلّمني رسول الله ﷺ قلت : أمري بيدك فأنكِحْنِي مَنْ شِئْتَ ، فقال : « انتقلي إلى أمّ شَرِيك » وأُمُّ شريك امرأةٌ غَنِيَّةٌ من الأنصار ، عظيمة النفقة في سبيل الله ، ينزل عليها الضِّيفَانُ ، فقلت : سأفعل ، فقال : « لا تفعلي ، إن أُمّ شَرِيك امرأة كثيرةُ الضِّيفَان ، وإني أكرهُ أن يَسْقُط عنكِ خِمارُك أو ينكشِفَ الثوبُ عن سَاقَيك ، فيرى القوم منك بعضَ ما تكرهين ، ولكن انتقلي إلى ابنِ عَمِّكِ عبد الله بن عمرو بن أم مَكْتومٍ » وهو رجل من بني فِهْر ، فهرِ قريش وهو من البطن الذي هي منه ، فانتقلتُ إليه ، فلَمّا انقضت عِدَّتي سمعتُ نِداء المنادي مُنَادي رسول الله ﷺ ، يُنادي : الصلاةُ جامعة ، فخرجتُ إلى المسجد ، فصلّيتُ مع رسول الله ﷺ ، وكنت في النساء اللاتي يلين ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٥٤) وإسناده ضعيف .

(٢) أي مكثتُ زماناً لم أتزوج بعد موته .

جلس على الْمِنبر وهو يَضْحَكُ ، فقال : « ليلْزم كلُّ إنسانٍ مُصلاه » ثم قال : « أتدرون لِمَ جمعتكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « إني والله ما جمعتُكم لرغبة ، ولا لِرَهْبَةٍ ، ولكن جمعتكم لأنّ تميماً الدارِيَّ كان رجلاً نصرانياً ، فجاء ، فبايَع ، وأسلم ، وحدَّثني حديثاً وافق الذي كنتُ أحدثكم عن مَسيح الدَّجَّال .

حدثني أنه ركب في سفينة بَحْرِيَّة مع ثلاثين رجلاً من لَخْمٍ ، وجُذامٍ ، فَلَعِبتْ بهم المَوْجُ شَهْراً في البحر ، ثم أرفؤوا[١] إلى جزيرة في البحر حين مَغْربِ الشمسِ ، فجلسوا في أقرُب السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فَلَقِيَتْهُمْ دابة أهلبُ كثير الشعر ، لا يدرون ما قُبله من دُبره ، من كثرة الشعر ، فقالوا : وَيلكِ ، ما أنت ؟ فقالت : أنا الجسَّاسَة ، قالوا : وما الجسَّاسَة ؟ قلت : أَيها القوم ، انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير ، فإنه إلى خَبَرِكم بالأَشْواق ، قال : لمّا سَمَّتْ لنا رَجُلاً فَرِقْنَا منها أنْ تكون شَيْطَانَةً ، قال : فانطلقنا سِرَاعاً حتى دَخَلْنا الدَّيْرَ ، فإذا فيه أعظمُ إنسان رَأَيْناهُ قَطُّ خَلْقاً ، وأشده وَثاقاً ، مجموعةٌ يداهُ إلى عنقِه ، ما بين رُكبتيهِ إلى كَعْبَيْهِ بالحديد ، قلنا : ويلك ، ما أنت ؟ قال : قد قَدَرْتُمْ على خبري ، فأخبروني ، ما أنتم ؟ قالوا : نحن أُناس من العَرَب ، ركبنا في سفينةٍ بَحْرِيّة ، فصادَفْنا البحرَ حِينَ اغتلم[٢] فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا[٣] إلى جَزيرَتِكِ هذه ، فجلسنا في أقرُبها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقِيتنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعْرِ ، لا ندري ما قُبُلُه من دُبُرِه ، من كثرة الشعر ، فقلنا : وَيْلكِ ، ما أنتِ ؟فقالت : أنا الجسّاسَة ، قلنا : وما الجساسة ؟ قالت : اعمِدُوا إلى هذا الرجل في الدَّيْر ، فإنّه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليكَ سِرَاعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانَة .

فقال : أخبروني عن نَخْل بَيْسَان ، قلنا : عن أي شأنها تَسْخَبِرُ ؟ قال : أسألكم عن نخلها ، هل يُثْمِرُ ؟ قلنا له : نعم ، قال : أما إنَّه يُوشك ألاّ يُثْمِرَ ، قال : أخبروني عن بُحَيْرة الطَّبَريّة ، قلنا : عن أي شأنها تَسْتَخْبِرُ ؟ قال : هل فيها ماءٌ ؟ قلنا : هي كثيرة الماء ، قال : أما إنّ ماءها يوشك أن يذهب . قال : أخبروني عن عين زُغَر[٤] قالوا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماءٌ ؟ وهل يَزْرَعُ أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم ، هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

قال : أخبروني عن نبيّ الأميّين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ، ونزل يَثْرِبَ ، قال : أَقَاتَلَهُ العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يَلِيه من العرب ، وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم ، قال : أما إن ذلك خيرٌ لهم أن يطيعوه ، وإني

---

(١) أرفأتُ السفينة : إذا قربتها من الشط .
(٢) هاج واضطربت أمواجه .
(٣) أي قربنا ودنونا .
(٤) زغر : قرية بالشام ، سميت بابنة لوط لأنها نزلت بها ، وبهذه القرية عين ماءٍ .

مخبركم عني : إني أنا المسيح ، وإني يوشكُ أنْ يُؤذنَ لي في الخروج ، فأخرجَ ، فأسير في الأرض ، فلا أدعَ قرْيةً إلاّ هَبَطْتُها، في أربعين ليلةً، غير مكة، وطَيْبَة، فهما مُحَرّمتان عليّ كِلْتاهُما ، كُلَّما أَرَدْتُ أن أدخل واحدةً أو واحداً منهما استقبلني مَلَك بيده السيفُ صَلْتاً ، يصدّني عنها ، وإن على كل نَقْبٍ منها ملائكة يَحْرُسُونهَا » قالت : قال رسول الله ﷺ وطعن بِمخْصرَتِهِ في المِنْبر : « هذه طَيْبَةُ ، هذه طَيْبَةُ ، هذه طَيْبَةُ » يعني المدينةَ « ألا هَلْ كنتُ حَدَّثتكُمْ عن ذلك ؟ » فقال الناس : نعم ، قال : « فإنه أعجبني حديثُ تميم ، أنّه وافق الذي كنتُ أحَدّثكم عنه ، وعن المدينة ، ومكة ، ألا إنّه في بحر الشام ، أو في بحر اليمن ، لا بل من قِبَلِ المشرق ما هو ، من قِبَلِ المشرقِ ما هو » وأومأ بيده إلى المشرق . قالت : فَحَفِظْتُ هذا من رسول الله ﷺ . ثم رواه مسلم من حديث سيّار عن الشعبي ، عن فاطمة ، قالت : فسمعتُ رسول الله ﷺ وهو على المنبر يخطبُ ، فقال : « إنّ بني عَمٍّ لتميمٍ الداريّ ركبوا في البحر . . . » وساق الحديث . ومن حديث غَيْلانَ بن جرير ، عن الشعبيّ ، عنها . . . فذكرتْهُ : أنّ تميماً الداريّ ركب في البحر فتاهت به السفينة ، فسقط إلى الجزيرة ، فخرج إليها يلتمسُ الماءَ ، فلَقِي إنسَاناً يَجُرّ شعرَهُ . . . واقتصَّ الحديث ، وفيه : فأخرجه رسول الله ﷺ إلى الناس ، فحدّثهم ، قال : « هذه طَيبةُ ، وذاكَ الدجّال » .

حدثني أبو بكر بن إسحاق ، حدثنا يحيى بنُ بُكير ، حدثنا المُغيرة ، يعني الحزاميّ ، عن أبي الزناد ، عن الشعبيّ ، عن فاطمة بنت قيس : أن رسول الله ﷺ قعد على المنبر ، فقال : « أيّها الناس ، حدثني تميم الداريّ : أن أُناساً من قومه كانوا في البحر ، في سفينةٍ لهم ، فانكسرت بهم ، فركب بعضهم على لَوْح من ألواح السفينة ، فخرجوا إلى جزيرة في البحر . . . » وساق الحديث .

وقد رواه أبو داود وابن ماجه من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عنها ، بنحوه . ورواه الترمذيّ من حديث قَتادةَ ، عن الشعبيّ ، عنها ، وقال : حسن صحيح غريب من حديث قتادة عن الشعبيّ . ورواه النّسائي من حديث حَمّاد بن سَلَمة ، عن داود بن أبي هِنْد ، عن الشعبيّ ، عنها ، بنحوه . وكذلك رواه الإمام أحمد عن عَفَّان ، وعن يونس بن محمد المؤدّب ، كلٌّ منهما عن حمّاد بن سَلَمة به[١] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا مجالد ، عن عامر ، قال : قدمتُ المدينةَ فأتيتُ فاطمةَ بنتَ قيس ، فحدّثتني أن زوجها طَلَّقَهَا على عهد رسول الله ﷺ ، فبعثه رسول الله ﷺ في سَرِيّةٍ ، فقال لي أخوه : اخرجِي من الدار ، فقلت : إنّ لي نَفَقَةً ، وسُكْنَى ، حتّى يَحِلّ الأجَلُ ، قال : لا ، قالت : فأتيتُ رسول الله ﷺ ، فقلت : إن فُلاناً طلقني وإنّ أخاه أخرجني ، ومنعني السكنى

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٤٢) وأبو داود رقم (٤٣٢٧) وابن ماجه رقم (٤٠٧٤) والترمذي رقم (٢٢٥٣) والنسائي في الكبرى رقم (٤٢٥٨) وأحمد في المسند (٦/ ٤١٢ ـ ٤١٣ و٤١٨) .

والنفقة ، فأرسَلَ إليه ، فقال : « ما لك ، ولابنةِ آلِ قَيس ؟ » قال : يا رسول الله إنّ أخي طَلَّقها ثلاثاً جميعاً ، قالت : فقال رسول الله ﷺ : « انظري يا ابنة آل قيس ، إنما النفقة والسُّكْنَى للمرأة على زوجها ، ما كانت له عليها رَجْعَة ، فإذا لم يكن له عليها رجعة ، فلا نفقة ، ولا سُكْنى ، اخرجي ، فانزلي على فُلانَة » ثم قال : « إنّه يُتحدّث إليها ، انزلي على ابن أم مَكْتوم فإنّه أعمَى لا يراك » ثم قال « لا تنكِحِي حتى أكونَ أنا أُنْكحكِ » . قالت : فخطبني رجل من قُريش ، فأتيتُ رسول الله ﷺ أسْتَأمِرهُ ، فقال : « ألا تَنكِحينَ مَنْ هُوَ أحبُّ إليّ منه ؟ » فقلت : بلى ، يا رسول الله ، فأنكِحْني مَنْ أحْبَبْتَ ، قالت : فأنكحَني مِنْ أسامةَ بنِ زَيْد[١] .

قال : فلمّا أردتُ أن أخرج ، قالت : اجلس حتى أحَدّثك حديثاً عن رسول الله ﷺ . قالت :

خرج رسول الله ﷺ يوماً من الأيام ، فصلّى صلاة الهَاجِرةِ ، ثم قَعَد ، ففزِع الناسُ ، فقال : « اجلسوا أيّها الناس ، فإنّي لم أقُم مَقَامِي هذا لِفزع ، ولكنّ تميماً الداريَّ أتاني ، فأخبرني خبراً منعني من القَيْلُولةِ من الفَرح ، وقُرّةِ العَيْن ، فأحببتُ أن أنْشُر عليكم فرح نبيكم ، أخبرني أن رهطاً من بني عمِّه ركبوا البحر ، فأصابتهم ريحٌ عاصفٌ فألجأتهم الريحُ إلى جزيرة لا يعرفونها ، فقعدوا في قُوَيْرب سفينة ، حتى خرجوا إلى الجزيرة ، فإذا هم بشيء أهْلَبَ كثيرِ الشعر ، لا يدرون ، أرجلٌ هو أو امرأة ؟ فسلّموا عليه ، فردّ عليهم السلام ، فقالوا : ألا تُخبرنا ؟ فقال : ما أنا بمُخبركم ، ولا بمُستخبركم ، ولكن هذا الدَّير الذي قد رَهِقْتمُوه[٢] فيه مَنْ هو إلى خبركم بالأشواق أن يخبركم ، ويستخبركم ، قالوا : قلنا : ما أنت ؟ قالت : أنا الجَسّاسة ، فانطلقوا حتى أتوا الدير ، فإذا هم برجل مُوثَقٍ شَدِيدِ الوَثاق ، مُظْهِرِ الحُزْن ، كثيرِ التّشكّي ، فسلّموا عليه ، فرّد عليهم ، فقال : ممن أنتم ؟ قالوا : من العرب ، قال : ما فعلت العرب ؟ أخرجَ نَبِيُّهُمْ بَعْدُ؟[٣] قالوا : نعم ، قال : فما فعلوا ؟ قالوا : خيراً ، آمنوا به ، وصدقوه ، قال : ذلك خير لهم ، قال : فكان له عدوّ فأظهره الله عليهم ؟ قال : فالعرب اليوم إلـٰهُهُمْ واحد ، ونَبِيّهُمْ واحد ، وكلمتهم واحدة ؟ قالوا : نعم ، قال : فما فعلت عين زغر ؟ قالوا : صالحة ، يشرب منها أهلها ، تسقيهم ويَسْقُونَ منها زَرْعَهُمْ . قال : فما فعل نخل بين عَمَّانَ وَبيْسان ؟ قالوا : صالح ، يُطْعِمُ جَنَاهُ كُلَّ عام ، قال : فما فعلت بُحَيْرة طَبرِية ؟ قالوا : ملأى ، قال : فزَفَر ، ثُمّ زفر ، ثم زفر ، ثم حلف : لو خَرَجْتُ من مكاني هذا ما تركتُ أرضاً من أرض الله إلاّ وطِئْتُها ، غيرَ طَيْبَةَ ، ليس لي عليها سُلْطان ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « إلى هذا انتهى فرحي »

---

(١) وإسناده ضعيف بهذا السياق ، صحيح المتن بالجملة بطرقه وشواهده ، دون قوله : « إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت عليه رجعة » .

(٢) أي دنوتم منه. انظر « تاج العروس » (رهق) .

(٣) كذا في هذه الرواية : « أَخرَجَ نبيُّهم بعد ؟ » وفي رواية أخرى عند أحمد في «المسند» (٤/٤١٣و٤١٨) : « هل بعث فيكم النبي ؟ » وهي توضح معنى رواية كتابنا .

ثلاثَ مرّات ، « إن طَيْبَةَ المَدينة ، إنّ الله عزّ وجَلّ حرّمَ حَرَمَها على الدجّال أن يدخلهَا » ثم حلف رسول الله ﷺ : « والله الذي لا إلـه إلاّ هو ما لها طريق ضَيّق ولا واسع ، في سهل ، ولا جَبَل ، إلاّ عليه ملَك ، شاهرٌ بالسيف ، إلى يوم القيامة ، ما يستطيع الدجّال أن يدخلها على أهلها » . قال عامر : فلقيتُ المحرَّر ابن أبي هُرَيرة ، فحدّثته بحديث فاطمةَ بنتِ قيس ، فقال : أشهد على أبي أنّه حدّثني كما حَدّثَتْكَ فاطمةُ ، غيرَ أنّه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّه في نحو المَشْرِق » قال : ثم لَقِيتُ القاسمَ بن محمد ، فذكرت له حديث فاطمـة ، فقال : أشهد على عائشةَ أنّها حدّثتني كما حَدَّثَتْكَ فَاطِمَةُ ، غير أنها قالت : الحَرَمان عليه حَـرَام ، مكة ، والمدينة . وقد رواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن مُجَالد ، عن عامر الشعبيّ ، عن فاطمةَ بنتِ قَيْس ، بَسَطَهُ ابن ماجه ، وأحاله أبو داود على الحديث الذي رواه قبله ، ولم يَذْكُر مُتابعةَ أبي هريرة ، وعائشة ، كما ذكر ذلك الإمامُ أحمد(١) .

وقال أبو داود : حدثنا النُّفَيْلِيّ ، حدثنا عُثمان بن عبد الرحمن ، حدثنا ابن أبي ذِئْب ، عن الزهـريّ ، عن أبي سَلَمـة ، عن فاطمـة بنت قيس : أن رسـول الله ﷺ أخّر العِشاء الآخرة ذات ليلة ، ثم خـرج فقال : « إنّه حبسني حديثٌ كان يُحَدِّثُنيهِ تَمِيمٌ الداريّ ، عن رجل في جزيرة من جزائر البحر ، فإذا أنا بامرأةٍ تَجُرّ شعرها ، قال : ما أنت ؟ قالت : أنا الجَسّاسَةُ ، اذهبْ إلى ذلك القصر ، فأَتَيْتهُ ، فإذا رجل يَجُـرّ شعره ، مُسَلْسَل في الأغلال ينزو فيما بين السماء والأرض ، فقلت : من أنتَ ؟ قال : أنا الدجّـال ؟ خـرج نبيّ الأميّين بعد ؟ قلت : نعم ، قـال : أطاعوه أم عَصَوْه ؟ قلت : بل أطاعوه ، قال : ذاك خـير لهم . فهذه متابعة للشعبي عن فاطمـة بنت قيس ببعضه ، ثم أورد أبو داود حديث عبد الله بن بريدة ، عن عامر الشعبيّ، عن فاطمة بنت قيس، بطوله، كنحوٍ مما تقدّم(٢) .

ثـم قـال أبـو داود : حـدثنـا واصـل بـن عبـد الأعلى ، حـدثنـا ابـن فضيـل ، عـن الـوليـد بـن عبد الله بن جُمَيع ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر : « إنه بينما أُناسٌ يسيرون في البحر ، فَنفِدَ طعامهم ، فرُفِعَتْ لهم جزيـرة ، فخرجوا يريدون الخُبْزَ ، فلقيتْهم الجَسّاسَةُ » قلت لأبي سلَمة : وما الجساسة ؟ قال : امرأة تجرّ شعر جلدها ورأسها « وقالت : في هذا القصر . . . » وذكر الحديث ، وسأل عن نخل بَيْسان ، وعين زغَر ، قال : هو المسيح ، فقال لي ابنُ أبي سَلَمة : إنّ في هذا الحديث شيئاً ما حفظتهُ ، قال : شهد جابر أنّه ابن صيّاد ، قلت : فإنه قد مات ، قال : وإن مات ، قلت : فإنه أسلم ، قال : وإن

(١) رواه أحمد في المسند (٦/٤١٦ ـ ٤١٨) وأبو داود رقم (٤٣٢٧) وابن ماجه رقم (٤٠٧٤) وإسناده ضعيف بهذا السياق صحيح المتن بالجملة ، بطرقه وشواهده .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٣٢٥) و(٤٣٢٦) وهما صحيحان .

أسلم ، قلت : فإنه قد دخل المدينة ، قال : وإن دخل المدينة . تفرد به أبو داود وهو غريب جداً[١] .

وقال الحافظ أبو يَعْلَى : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا أبو عاصم ، سعد بن زياد ، حدثني نافع مولاي ، عن أبي هريرة ، أنّ رسول الله ﷺ استوى على المنبر ، فقال : « حدثني تميم » فرأى تميماً في ناحية المسجد ، فقال : « يا تميم حدِّثِ الناس ما حَدَّثْتني » فقال : كنّا في جزيرة ، فإذا نحنُ بدابّةٍ لا يُدْرى قُبُلها مِنْ دُبُرِهَا ، فقالت : تعجبون من خَلْقي ، وفي الدَّيْر من يَشْتَهي كلامكم ، فدخلنا الدَّيْر ، فإذا نحنُ برجُلٍ مُوثَقٍ في الحديد ، من كعبه إلى أذنه ، فإذا أحدُ مَنْخِرَيْهِ مسدودٌ ، وإحدى عَيْنَيْهِ مَطْمُوسَةٌ ، قال : من أنتم ؟ فأخبرناه ، فقال : ما فَعَلَتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِيّة ؟ قلنا : كعهدها ، قال : فما فعل نَخْلُ بَيْسانَ ؟ قلنا : بعهده ، قال : لأطَأَنّ الأرضَ بِقَدميّ هاتين ، إلاّ بَلدةَ إبراهيم ، وطابة ، فقال رسول الله ﷺ : « طابة ، هي المدينة » . وهذا حديث غريب جدّاً . وقد قال أبو حاتم : أبو عاصم هذا ليس بالمتين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا إبراهيم بن طَهْمان ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : إن امرأةً من اليهود بالمدينة ، ولَدَتْ غُلاماً مَمسُوحَةً عينه طالعة ناتئة فأشفق رسول الله ﷺ أن يكون الدجال ، فوجده تحت قَطِيفَةٍ يُهَمْهِمُ ، فآذَنتهُ أمه ، فقالت : يا عبد الله ، هذا أبو القاسم قد جاء فاخْرج إلَيْه ، فخَرجَ مِن القَطيفة ، فقال رسول الله ﷺ : « ما لها قاتلها الله ؟ لو تركتْه لبَيَّن » . ثم قال : « يا ابن صياد ما ترى ؟ » قال : أرى حقاً ، وأرى باطلاً ، وأرى عَرْشاً على الماء ، قال : فَلُبِّسَ عليه[٢] ، قال : « أتشهد أني رسولُ الله ؟ » فقال هو : أَتَشْهَدُ أني رسولُ الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « آمنتُ بالله ، ورُسله » ثم خرج ، وتركه ، ثم أتاه مَرّةً أخرى فوجده في نَخْلٍ لهم ، يُهمهِمُ ، فآذنَته أمُّه ، فقالت : يا عبد الله ، هذا أبُو القاسم قد جاء ، فقال رسول الله ﷺ : « مالها قاتلها الله ؟ لو تَرَكَتْهُ لبَيَّنَ » قال : فكان رسول الله ﷺ يطمع أن يسمع من كلامه شيئاً ، ليعلم أهو هو أم لا ؟ قال : « يا ابن صياد ، ما ترى ؟ » قال : أرى حقاً ، وأرى باطلاً ، وأرى عَرْشاً على الماء ، قال : « أتشهد أنِّي رسولُ الله ؟ » قال هو : أتشهدُ أنِّي رسولُ الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « آمنتُ بالله ، ورسله » فلبّس عليه، ثم خرج وتركه . ثم جاء في الثالثة أو الرابعة ، ومعه أبو بكر ، وعمر بن الخطاب في نَفَرٍ من المهاجرين والأنصار ، وأنا معه ، قال : فبادر رسول الله ﷺ بَيْن أيدينا ، ورجا أن يسمع من كلامه شيئاً ، فسَبَقَتْهُ أمّه إلَيْه ، فقالت : يا عبد الله ، هذا أبو القاسم قد جاء ، فقال رسول الله ﷺ : « ما لها قاتلها الله ؟ لو تركته لبيَّن » فقال : « يا ابن صياد ما ترى ؟ » قال : أرى حقاً ، وأرى

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٣٢٨) .

(٢) في الأصل : فلبس ويحك عليك ، والتصحيح من مسند أحمد .

باطلاً ، وأرى عرشاً على الماء ، فقال : « أتشهد أني رسول الله ؟ » قال : أتشهد أنت أنّي رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « آمنت بالله ، ورسله » فلبّس عليه . فقال رسول الله ﷺ : « يا ابن صياد إنا قد خَبَأنا لك خبيئاً ، فما هو ؟ » قال : الدخّ ، الدخّ ، فقال له رسول الله ﷺ : « اخْسأْ ، اخْسَأْ » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ائذَنْ لي فأقتله يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « إنْ يكنْ هُوَ، فلستَ بصاحبه ، إنّما صاحبُه عِيسَى ابنُ مَرْيَم ، وإن لا يكنْ هُوَ ، فليس لك أن تَقْتُلَ رَجُلاً من أَهْلِ العَهْدِ » قال، يعني جابراً: فلم يزل رسول الله ﷺ مُشْفِقاً أنّه الدَّجال. وهذا سياق غريب جداً[١] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن سُلَيمان الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ نمشي إذ مرّ بصِبْيانٍ يلعبون ، فيهم ابنُ صَيّاد ، فقال رسول الله ﷺ : « تربت يداك . أتشهدُ أني رسولُ الله ؟ » فقال هو : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : دَعْنِي فلأضربْ عنقه ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « إن يكن الذي تخافُ فلن تَسْتطيعه »[٢] .

والأحاديث الواردة في ابن صيّاد كثيرة ، وفي بعضها التوقف في أمره ، هل هو الدجّال أم لا ، فالله أعلم ؟ ويحتمل أن يكون هذا قبل أن يوحى إلى النبيّ ﷺ في أمر الدجال ، وتعيينه ، وقد تقدّم حديثُ تميم الداريّ في ذلك ، وهو فاصل في هذا المقام ، وسنورد من الأحاديث ما يدل على أن الدجال ليس بابن صيّاد ، والله أعلم ، وأحكم .

فقال البخاري : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب ، عن سالم ، عن عبد الله بنِ عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدمُ سَبْطُ الشعر ، ينطفُ أو يُهرَاقُ رأسه ماءً ، قلت : من هذا ؟ قالوا : ابنُ مريم ، ثم ذهبتُ ألتفتُ ، فإذا رجل جَسيمٌ أَحمَرُ ، جَعْدُ الرأس ، أعْوَرُ العَيْن ، كأن عينه عِنَبةٌ طَافِيَةٌ ، قالوا : هذا الدجّال ، أقرب الناس به شبهاً ابنُ قَطَن رجل من خُزاعَةَ »[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا إبراهيم بن طَهْمَانَ ، عن أبي الزبير ، عن جابر ابن عبد الله، أنه قال: قال رسول الله ﷺ : « يخرُج الدجّال في خِفَّةٍ[٤] من الدِّين وإدبار من العلم ، فله أربعون ليلةً يسيحها في الأرض ، اليومُ منها كالسنة ، واليوم منها كالشهر ، واليوم منها كالجمعة ، ثم

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/٣٦٨) .
(٢) رواه أحمد في المسند (١/٤٥٧) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه البخاري رقم (٧١٢٨) .
(٤) كذا في أصول الكتاب : «في خِفَّة» وفي المسند : في «خَفْقَة» وهو الصواب. قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/٥٦): «أي في حالِ ضعف من الدِّين وقلّة أهله» .

سائر أيامه كأيّامكم هذه، وله حمار يركبه، عَرْضُ ما بين أُذُنَيْه أربعون ذِرَاعاً، فيقول للناس: أنا ربُّكم، وهو أعْوَرُ، وإنّ رَبّكم ليس بأعْور، ومكتوب بين عينيه كافر «ك ف ر» مُهَجَّاة يقرؤه كلُّ مؤمن، من كاتب، وغير كاتب، يَرِدُ كلَّ ماء ومَنْهَلٍ، إلا المدينة، ومكة، حرّمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابها، ومعه جبال من خبز، والناس في جَهْد إلا من اتبعه، ومعه نهران، أنا أعلم بهما منه، نهر يقول: الجنة. ونهر يقول: النار، فمن أُدْخِلَ الذي يُسَمّيه الجنّة فهو النار، ومن أُدْخِلَ الذي يُسَمّيه النار فهو الجنة» قال: «وتُبعثُ معه شياطين تُكلِّم الناس، ومعه فِتْنَةٌ عظيمة، يأمر السماء فتُمْطِرُ، فيما يرى الناس، ويقتل نَفْساً، ثم يحييها، فيما يرى الناس، لا يسلط على غيرها، ويقول للناس: هل يفعلُ مثلَ هذا إلا الربُّ؛ عز وجل؟» قال: «فيفرُّ المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم، فيحاصرهم، فيشتدّ حصارُهم، ويجهَدُهم جَهْداً شديداً، ثم ينزل عيسى ابنُ مريم، فينادي من السّحَرِ، فيقول: يا أيّها الناس، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذّاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جِنّي فينطلقون، فإذا هم بعيسى ابن مريم ﷺ فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم، يا رُوحَ الله، فيقول: ليتقدّم إمامُكم فَلْيُصَلِّ بكم، فإذا صلى صلاة الصبح، خرجوا إليه». قال: «فحين يراه الكذّاب يَنْماثُ[1] كما يَنْماثُ المِلْحُ في الماء، فيَمْشي إليه فيَقْتُلهُ، حتى إن الشَّجَرة والحَجَر ينادي: يا رُوحَ الله، هذا يَهُودِيّ، فلا يَتْرُك مِمَّنْ كان يَتْبَعُهُ أحداً إلاّ قَتله». تفرّد به أحمد أيضاً، وقد رواه غيرُ واحد عن إبراهيم بن طَهْمان، وهو ثقة[2].

حديث النوّاس بن سِمعان الكلابيّ في معناه، وأبسط منه:

قال مسلم: حدثني أبو خَيْثمة زهيرُ بن حرب، حدّثنا الوليد بن مُسلم، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني يحيى بن جابر الطائيّ، قاضي حِمْص، حدثني عبد الرحمن بن جُبَيْر، عن أبيه جُبَيْر بن نُفَيْر الحَضْرمي أنّه سمع النّواس بن سِمْعان الكلابيّ، «ح» وحدثني محمد بن مِهْرانَ الرازيّ، واللفظ له، حدّثنا الوليد بن مُسلم، حدثنا عبدُ الرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن أبيه جُبَيْر بن نُفَيْر، عن النّواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجّال ذات غَداةٍ، فخفَّض فيه، ورفَّع، حتى ظَنَنّاهُ في طائفة النخل، فلما رُحْنا إلَيْه، عرفَ ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله، ذكرتَ الدجّال غداةً فَخَفَّضت فيه، ورفَّعْتَ، حتى ظَنَنّاه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجّال أخْوَفُني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حَجيجه دونكم، وإنْ يخْرُجْ ولَسْتُ فيكم فامرؤٌ حَجِيجُ نَفْسِه، واللهُ خليفتي على كلّ مُسلم، إنّه شابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنّي أُشَبّهُهُ بعَبْد العُزّى بن قَطَن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة

---

(١) جاء في «لسان العرب» (ميث): ماث الملح في الماء أذابه وكذلك الطين. وقد انماث.. ووردت في (موث) ماث يموث.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/٣٦٧ ـ ٣٦٨) وقد قال المصنف عنه في أول باب صفة الدجال: إن فيه نظراً، لأنه من رواية أبي الزبير عن جابر ولم يصرح بسماعه من جابر.

الكهف، إنّه خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق، فعاثَ يَميناً وعاثَ شِمَالاً، يا عباد الله فاثْبُتُوا » قلنا: يا رسول الله، وما لُبْثُهُ في الأرض ؟ قال : « أربعون يوماً ، يومٌ كسَنَةٍ ، ويومٌ كشَهْرٍ ، ويومٌ كجُمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » قلنا: يا رسول الله فذلك اليومُ الذي كَسَنةٍ أتكفينا فيه صَلاَةُ يوم؟ قال: «لا، اقدُروا له قدرَه» قلنا: يا رسول الله وما إسراعهُ في الأرض ؟ قال : « كالغيث اسْتَدْبَرَتْه الرِّيحُ ، فيأتي على القوم ، فيدعوهم ، فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمرُ السماءَ فتُمطر ، والأرضَ فتُنْبِتُ ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرىً وأسبغَهُ ضُرُوعاً ، وأمدّه خَواصِرَ ، ثم يأتي القومَ، فيدعوهم، فيردّون عليه قولَه، فينصرف عنهم، فيُصبحون مُمْحِلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويمر بالخَربة فيقول لها: أخرِجي كنوزك ، فَتَتْبَعُهُ كنوزُها ، كيعَاسِيبِ النَّحْل، ثم يدعو رجلاً ممْتلئاً شباباً، فيَضْرِبه بالسيف، فيقْطَعُهُ جَزْلَتَيْن، رَمْيَةَ الغَرَض، ثم يدعوه فيُقبل ويتَهلل وجههُ، ويَضْحَك ، فبينما هو كذلك ، إذ بَعَثَ الله المسيحَ ابنَ مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء ، شرقيّ دِمشْق ، بين مَهرودتين[١] واضعاً كفيه على أجنحة مَلكَيْنِ ، إذا طَأْطأَ رأسَه قَطَر ، وإذا رفعه تحَدّر مِنْهُ جُمانٌ كاللؤلؤ ، فلا يحلّ لكافر يجد ريح نَفَسِه إلاّ مات ، ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طَرْفه ، فيطلُبه حتى يُدركه بباب لُدّ فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ويُحَدّثهم بدرجاتهم في الجنّة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إنّي قد أخرجت عباداً لي لا يَدانِ[٢] لأحدٍ بقتالهم ، فحرّزْ عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجُوجَ ومأجوج، وهم من كل حدَبٍ يَنْسلون، فيمرّ أوائلهم على بحيرة الطَبَريّة، فيشرَبُونَ ما فيها ، ويَمُرّ آخرُهم ، فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماءٌ ، ويُحصر نبيّ الله وأصحابُه ، حتى يكون رأسُ الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النغف[٣] في رقابهم ، فيصبحون فَرْسى[٤] كموْتِ نفس واحدة ، ثم يهبط الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شِبْر إلاّ ملأه زَهْمهُم[٥] ونَتْنهُم ، فيرغبُ نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البُخْتِ فتحملهم ، فتطرحُهم حيثُ شاء الله تعالى ، ثم يُرسل الله مطراً لا يَكُنّ[٦] منه بيت مدر ، ولا وبر ، فيغسل الله الأرض حتى يتركها كالزَّلَقَة[٧] ، ثم يقال للأرض: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وردّي بَرَكَتَكِ، فيومئذٍ

---

(١) أي بين قطعتين من الثياب مصبوغتين بالهرد ، بين الحمرة والصفرة .

(٢) قال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» (٥/ ٢٧٦٩) (طبعة دار العلوم بدمشق): فقوله [ﷺ]: «لا يدان» بكسر النون، تثنية يد. قال العلماء: معناه: لا قدرة ولا طاقة، يقال: مالي بهذا الأمر يد، ومالي به يدان، لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه» وقد وردت الجملة في الرواية الأخرى عند مسلم رقم (٢٩٣٧) (١١١) بلفظ «لا يَدَيْ» وفيها توجيه للنص .

(٣) دود في أنف الإبل والغنم .

(٤) فرسى : أي قتلى .

(٥) الزّهومة في اللحم: كراهية رائحته من غير تغيير ولا نتن، والزهومة أيضاً الريح المنتنة. «لسان العرب» (زهق) و(زهم).

(٦) قوله : لا يَكُنّ ، أي لا يستره . « لسان العرب » (كنن) .

(٧) الزلقة : الصخرة الملساء .

تأكل العصابة من الرمّانةِ، ويستظلّون بقِحْفِها[١] ويُبارَكُ في الرِّسل[٢] حتى إن اللِّقْحَةَ من الإبل لتكفي الفِئام من الناس، واللِّقْحَةَ من البقر لتكفي القَبِيلَةَ من الناس ، واللِّقْحَة من الغنم لتكفي الفَخْذ من الناس ، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحاً طيّبة ، فتأخذهم تحت آباطهم ، فتَقْبِضُ روحَ كلّ مؤمن ، وكلّ مسلم ، ويبْقَى شِرَارُ الناس ، يتَهارَجُونَ فيها ، تهارُج الحُمُر[٣] ، فعليهم تقوم الساعة » . حدثني عليّ بن حُجْر السعدي ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، والوليد بن مُسلم، قال ابن حُجر: دخل حديث أحدهما في حديث الآخر، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا، وزاد بعد قوله: « لقد كان بهذه مرة ماءٌ » : « ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَر[٤] وهو جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قَتلنا من في الأرض ، هلُمّ فلنقتل مَنْ في السماء ، فيرمون بنُشّابِهِمْ إلى السماء ، فيَرُدّ الله عليهم نُشّابَهم مَخْضُوبَةً دَماً » . وفي رواية ابن حُجر : « فإني قد أنزلتُ عباداً لي لا يَدَيْ لأحدٍ بقتالهم » انتهى ما رواه مسلم إسناداً ومَتْناً . وقد تفرَّدَ به عن البخاري .

ورواه الإمام أحمد بن حنبل في « مُسنده » عن الوليد بن مسلم ، بإسناده نحوه ، وزاد في سياقه بعد قوله : « فتطرحهم حيثُ شاء الله » . قال ابن جابر : فحدثني عطاء بن يزيد السَّكْسَكي ، عن كعب أوغيره ، قال : فتطرحهم بالمهبل[٥] ، قال ابن جابر : وأين المهبل ؟ قال : مطلع الشمس .

ورواه أبو داود عن صفوان بن عمرو[٦] عن الوليد بن مسلم ببعضه . ورواه الترمذي عن علي بن حُجر ، وساقه بطوله ، وقال : غريب حسن صحيح ، لا نعرفه إلاّ من حديث ابن جابر .

ورواه النّسائيّ في فضائل القرآن ، عن علي بن حُجر ، مختصراً .

ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمَّار ، عن يحيى بن حمزة ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بإسناده ، قال : « يستوقد الناس من قسيّ يأجوج ومأجوج ، ونُشّابِهم ، وأترستهم سبع سنين » ، وذكره قبل ذلك بتمامه ، عن هشام بن عمّار ، ولم يذكر فيه هذه القصة ، ولا ذكر في إسناده ، يحيى بن جابر الطائيّ[٧] .

حديث عن أبي أمامة الباهلي صدي بن عجْلَان في معنى حديث النوّاس بن سِمْعان

قال ابن ماجه : حدثنا علي بن محمد[٨] ، حدثنا عبد الرحمن المحاربيّ ، عن إسماعيل بن رافع

(١) أي بقشرها .
(٢) الرِّسل : اللبن .
(٣) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كجماع الحمير. وجاء في «لسان العرب» (هرج) و(سفد) في هذا المعنى: «يتهارجون تهارج البهائم، أي يتسافدون، والسفاد نزو الذكر على الأنثى». أي يكون ذلك جهاراً دون استتار أو خجل .
(٤) الخَمَر : الشجر الملتف .
(٥) المهبل : الهوة العميقة .
(٦) الصحيح أنه صفوان بن صالح ، كما عند أبي داود .
(٧) رواه مسلم رقم (٢٩٣٧) (١١٠) وأحمد في المسند (٤/ ١٨١ ـ ١٨٢) وأبو داود رقم (٤٣٢١) والترمذي (٢٢٤٠) والنسائي في « الكبرى » (٨٠٢٤) وابن ماجه (٤٠٧٦) و(٤٠٧٥) .
(٨) في الأصل : علي بن حجر ، وهو خطأ .

عن أبي رافع ، عن أبي زُرْعة السَّيْبانيّ[١] يحيى بن أبي عمرو ، عن أبي أمامَةَ الباهليّ ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فكان أكثرُ خطبته حديثاً حَدَّثنَاهُ عن الدجّال ، وحذّرناه ، فكان من قوله أنْ قال : « إنّه لم تكن فِتْنَةٌ في الأرض منذ ذَرأ الله ذُرّية آدم أعظمَ من فتنة الدجّال ، وإن الله لم يبعث نبيّاً إلا حَذَّر [أمته] من الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأُمم ، وهو خارج فيكم لا محالة ، فإنْ يخرج ، وأنا بين ظَهْرَانَيكم ، فأنا حجيج لكلّ مسلم ، وإن يخرج من بعدي فكلٌّ حجيجُ نَفْسه ، والله خليفتي على كلّ مسلم ، وإنه يخرج من خَلَّة بين الشام والعراق ، فَيعيثُ يميناً ، ويعيثُ شِمالاً . يا عباد الله أيّها الناس فاثبتوا ، وإني سأصفه لكم صفةً لم يصفها إيّاه نبيّ قبلي ، إنّه يبدأ فيقول : أنا نبيٌّ ، ولا نبي بعدي ، ثم يُثني فيقول : أنا ربُّكم الأعلى ، ولا ترونَ ربَّكُمْ حتى تَمُوتوا ، وإنه أعور ، وإن رَبّكم عز وجل ليس بأعور ، وإنه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، وإن من فتنته أنّ معه جَنّةً وناراً ، فنارُه جَنّة ، وجنّتُه نار ، فمن ابتليَ بناره ، فليستغث بالله ، وليقرأ فواتح سورة الكهف ، فتكونَ عليه برداً وسلاماً كما كانت النارُ على إبراهيم ، وإن من فتنته أن يقول لأعرابي : أرأيت إن بعثتُ لك أباك وأُمك ؟ أتشهدُ أني ربّك ؟ فيقول : نعم ، فيتَمَثّلُ له شيطانان في صورة أبيه ، وأمّه ، فيقولان : يا بُنّي اتّبعه ، فإنّه رَبُّك ، وإنّ من فتنته أن يُسَلَّط على نَفْسٍ واحدَةٍ فيقتُلهَا ، ويَنشُرَها بالمنشار ، حتى تُلقى شِقَّتين ، ثم يقول : انظروا إلى عبدي هذا ، فإنّي أبعثُهُ الآن ، ثم يزعُم أنّ له رَبّاً غَيْري ، فيبعَثه الله ، فيقول له الخبيثُ : من ربّك ؟ فيقول : ربي الله ، وأنت عدو الله ، أنت الدجال ، والله ما كنتُ بعدُ أشدّ بصيرة بك مني اليوم . وقال أبو الحسن [الطنافسيّ] يعني علي بن محمد : فحدثنا المحاربي ، حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصّافيّ[٢] عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة » . قال : قال أبو سعيد : والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب ، حتى مضى لسبيله . قال المحاربي : ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع ، قال : « وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تُنبت ، فتُنبت ، وإنّ من فتنته أن يَمُرّ بالحي فيكذّبونه ، فلا تبقى لهم سائمة إلاّ هلكت ، وإنّ من فتنته أن يمرّ بالحي فيصدّقونه فيأمرُ السماءَ أن تُمطر فتُمطر ، ويأمُرُ الأرض أن تُنْبت فتُنْبِتَ ، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمنَ ما كانت ، وأعظمه ، وأمدّه خَواصر وأدرّه ضُروعاً ، وإنه لا يَبْقَى شيء من الأرض إلاّ وَطِئَه ، وظهر عليه ، إلاّ مكة ، والمدينة ، فإنّه لا يأتيهما من نَقْبٍ من نِقَابِهمَا إلاّ لَقِيته الملائكة بالسيوف صَلْتةً حتى ينزل عند الظُّرَيْبِ الأحمرِ ، عند منقطع السَّبَخَة ، فتَرجُف المدينة بأهلها ، ثلاثَ رَجَفاتٍ ، فلا يبقى مُنافق ، ولا مُنافقة إلاّ خرج إليه ، فتَنْفِي الخَبَث منها ، كما يَنْفِي الكيرُ خبَثَ الحديد ، ويُدْعَى ذَلِكَ اليومُ يومَ الخلاصِ » فقالت أم شَرِيك بنتُ أبي العَكَر :

---

(١) في الأصل : الشيباني ، وهو خطأ .

(٢) في الأصول : « الرصافي » وهو خطأ . والتصحيح من «سنن ابن ماجه» وانظر «خلاصة تذهيب تهذيب الكمال» للخزرجي (٢/ ٢٠٠) بتحقيق الشيخ محمود عبد الوهاب فايد.

يا رسول الله ، فأين العربُ يومئذٍ ؟ قال : « هم يومئذ قليلٌ وجُلّهم ببيت المقدس ، وإمامُهم رجل صالح ، فبينما إمامُهم قد تقدّمَ يصلّي بهم الصُّبْحَ ، إذ نزل عليهم عيسى ابنُ مريم ، فيرجع ذلك الإمام فيمشي القهقرى ، ليتقدم بهم عيسى يُصلّي ، فيضع عيسى عليه الصلاة والسلام يده بين كتفيه ، ثم يقول له : تقدم ، فصلِّ ، فإنّها لك أُقيمت ، فيُصلّي بهم إمامُهم ، فإذا انصرف ، قال عيسى عليه السلام : أقيموا الباب ، فيفتح ووراءه الدجّال ، معه سبعون ألف يهوديّ ، كلّهم ذو سيف مُحَلّى وتاجٍ ، فإذا نظر إليه الدجّال ذاب كما يذوب الملح في الماء ، وينطلق هارباً ، ويقول عيسى عليه السلام : إن لي فيك ضربةً لن تَسْبقني بها ، فيُدركه عند باب اللُّدّ الشرقيّ ، فيقتله ، فيَهْزم الله اليهودَ ، فلا يبقى شيء ممّا خَلَق الله يتوارَى به يهودي إلاّ أنطق الله ذلك الشيء ، لا حَجَر ، ولا شَجَر ، ولا حائط ، ولا دَابّة - إلا الغَرْقدةَ ، فإنها من شَجَرِهم لاَ تَنْطِق - إلاّ قال : يا عبد الله المسلمَ ، هذا يهوديّ ، فتعال اقتلْهُ » . قال رسول الله ﷺ : « وإنّ أيّامه أربعون سنةً ، السنةُ كنصف السنة ، والسنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، وآخِرُ أيامه كالشَّرَرة ، يُصْبِحُ أَحَدُكم على باب المدينة ، فلا يبلغ بابها الآخر حتى يُمْسِي ، قيل له : يا رسول الله ، كيف نُصلّي في تلك الأيام القِصَار ؟ قال : تَقْدُرُون فيها الصلاة ، كما تَقْدُرونها في هذه الأيّام الطِّوال ، ثم صَلُّوا » قال رسول الله ﷺ : « فيكون عيسى ابنُ مريمَ في أمّتي حَكَماً عَدْلاً ، وإماماً مُقْسطاً ، يدقّ الصليبَ ، ويذبَحُ الخِنْزير ، ويضع الجزية ، ويترك الصدقة ، فلا يُسعَى على شاة ، ولا بعير ، وتُرْفَعُ الشَّحْناء والتباغُض ، وتُنْزعُ حُمَةُ كلّ ذي حُمَةٍ[1] ، حتى يُدْخِلَ الوليدُ يدَه في في الحَيّة ، فلا تضرّه ، ويُنفِر الوليدُ الأسدَ ، فلاَ يضرّه ، ويكون الذئبُ في الغَنم كأنّه كَلْبُها ، وتُملأ الأرض من السِّلْم ، كما يُملأُ الإناء من الماء ، وتكون الكلمة واحدةً ، فلا يُعْبد إلا الله ، وتضع الحرب أوزارها ، وتُسْلَبُ قُريشٌ ملكَها ، وتكون الأرض كفاثور[2] الفِضَّة ، تُنبت نبَاتَها كعَهْد آدم ، حتى يجتمع النَّفَرُ على القِطْفِ من العنب ، فيُشبِعهُمْ ، ويجتمع النَّفَرُ على الرُّمانة فتُشبعهم ، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ، ويكون الفرس بالدّريهمات » . قيل : يا رسول الله ، وما يُرْخِص الفرس ؟ قال : « لا يركب لحرب أبداً » . قيل له : فما يُغْلي الثور ؟ قال : « تحرث الأرض كلّها . وإنّ قبل خروج الدجّال ثلاثَ سنوات شِدادٍ ، يُصيب الناسَ فيها جوعٌ شديد ، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تَحْبِسَ ثُلُثَ مطرها ، ويأمر الأرض أن تحبس ثُلُثَ نباتها ، ثم يأمر السماء في السنة الثانية ، فتحبس ثُلُثَيْ مطرها ، ويأمر الأرض فتحبس ثُلُثَيْ نباتها ، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كلّه ، فلا تقطر قطرة ، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كلّه ، فلا تُنْبِت خضراء ، فلا تبقى ذاتُ ظِلْفٍ إلاّ هلكت ، إلاّ ما شاء الله » فقيل : ما يُعِيشُ الناسَ في ذلك الزمان ؟ قال : « التهليلُ ، والتكبيرُ ، والتسبيحُ ، والتحميدُ ، ويُجرى ذلك عليهم مُجْرَى الطعام » .

---

(١) أي السم .
(٢) الفاثور : الخِوان .

قال ابن ماجه : سمعت أبا الحسن الطَّنافِسيّ ، يقول : سمعت عبد الرحمن المحاربيّ يقول : ينبغي أن يُدفع هذا الحديث إلى المؤدّب حتى يُعَلّمه الصبيانَ في الكُتَّاب . انتهى سياق ابن ماجه .

وقد وقع تخبيط في إسناده لهذا الحديث ، فكما وجدته في نسخة كتبت إسناده ، وقد سقط التابعي منه ، وهو عمرو بن عبد الله الحَضْرمِي ، أبو عبد الجبار الشاميّ الرَّاوي له ، عن أبي أمامة . قال شيخنا الحافظ المِزِّيّ في « الأطراف » : ورواه ابن ماجه في الفتن ، عن عليّ بن محمد ، عن عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ ، عن أبي رافع إسماعيل بن رافع ، عن أبي زرعة السَّيبانيّ يحيى بن أبي عمرو[1] عن أبي أُمامة به بتمامه ، كذا قال . وكذا رواه سَهْل بن عثمان عن المحاربيّ ، وهو وَهم فاحش[2] .

قلت : وقد جوّد إسناده أبو داود ، فرواه عن عيسى بن محمد ، عن ضَمْرة ، عن يحيى بن أبي عمرو السَّيْبانيِّ ، عن عمرو بن عبد الله ، عن أبي أمامة ، نحو حديث النّواس بن سِمْعان[3] .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ بهذا الإسناد حديثاً واحداً في « مُسنده » ، فقال أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد : وجدتُ في كتاب أبي بخط يده : حدثني مهديّ بن جعفر الرمليّ ، حدثنا ضمرةُ عن السَّيْبانيِّ ، واسمه يحيى بن أبي عمرو ، عن عمرو بن عبد الله الحَضْرمي ، عن أبي أمامة ، قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لعدُوّهم قاهرين ، لا يضرّهم من خالفهم إلاّ ما أصابهم من لأواءَ حتى يأتِيَهُم أمرُ الله وهم كذلك » قالوا : يا رسول الله : وأينَ هُمْ ؟ قال : « بِبَيْت المَقْدِس ، وأَكْنَافِ بَيْتِ المَقْدِس »[4] .

وقال مسلم : حدثني عمرو الناقد ، والحسن الحُلْوانيّ ، وعبد بن حُمَيْد ، وألفاظهم متقاربة والسّياق لعَبْدٍ ، قال : حدثني ، وقال الآخران : حدّثنا يعقوب ، هو ابن إبراهيم بن سعد ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، أخبرني عُبَيْدُ الله بنُ عَبْد الله بن عُتْبة : أنّ أبا سعيد الخُدْرِيّ ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حَدِيثاً طويلاً عن الدجّال فكان فيما حدّثنا قال : « يأتي وهو مُحَرّمٌ عليه أنْ يدخل نِقَاب المدينة ، فينتهي إلى بعض السِّباخ التي تلي المدينة ، فيخرج إليه يومئذ رجلٌ هو خيرُ الناس ، أو مِنْ خَيْر الناس ، فيقول له : أشهدُ أنك الدجّال الذي حدّثنا رسول الله ﷺ حديثَه ، فيقول الدجّال : أرأيتُمْ إن قَتَلْتُ هذا ، ثم أحْيَيْتُه ، أتَشكُّونَ في الأمر ؟ فيقولون : لا » قال : « فيقتله ، ثم

(١) في الأصل : عن أبي عمرو السيباني ، واسمه زرعة ، وهو خطأ .
(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٧٧) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أبو داود رقم (٤٣٢٢) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٤) رواه أحمد (٥/ ٢٦٩) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده ، دون تعيين المكان . والسَّيباني ، بالسين المهملة .

يُحْيِيه ، فيقول حين يُحييه : والله ما كنتُ فيك قَطُّ أشدَّ بَصِيرةً مِنِّي الآن » . قال : « فيُريد الدجّال أنْ يَقْتُلَه ، فلا يُسَلَّطُ عليه » . قال أبو إسحاق : يقال : إنّ هذا الرجل هو الخَضِر . قال مُسلم : وحدّثني عبدُ الله بن عبد الرحمن الدّارمي ، أنا أبو اليمان ، أنا شُعَيْبٌ ، عن الزهريّ في هذا الإسناد بمثله[(١)] .

وقال مسلم : حدّثني محمد بن عبد الله بن قُهْزاذ من أهل مرو ، حدثنا عبد الله بن عثمان ، عن أبي حمزة ، عن قيس بن وهب ، عن أبي الوَدَّاك ، عن أبي سعيد الخُدريّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الدجّال فيتوجّه قِبَلَهُ رجل من المُؤمنين . فتلقاه مَسالِحُ الدجّال . فيقولون له : أين تَعْمِدُ ؟ فيقول : أعمد إلى هذا الذي خرج » . قال : « فيقولون له : أوَمَا تُؤْمِنُ بِربِّنا ؟ فيقول : ما بِرَبّنا خَفَاء ، فيقولون : اقتلوه . فيقول بعضُهم لبعض : أليس قد نهاكم رَبُّكُمْ أن تَقْتُلُوا أحداً دُونَه ؟ » قال : « فينطلقون به إلى الدجّـال . فإذا رآه المُؤمنُ قال : يا أيُّها الناسُ ، هذا الدجّال الذي ذكرَ رسول الله ﷺ » قال : « فيأمر الدجّال به فَيُشَبَّحُ ، فيقول : خذوه وشُجُّوه ، فيُوسَعُ ظَهْرهُ وبَطْنُهُ ضَرباً » قال : « فيقول : أما تُؤْمِنُ بي ؟ فيقول : أنت المسيحُ الكذّاب » . قال : « فيؤمر به فَيُؤْشَرُ بالمِئشار ، من مَفْرِقه حتّى يُفَرَّق بين رِجْليه » . قال : « ثم يمشي الدجّال بين القِطْعَتَيْنِ ، ثم يقول له : قُمْ ، فَيسْتوِي قائِماً » قال : « ثم يقولُ له : أتؤمنُ بي ؟ فيقول : ما ازددتُ فيك إلاّ بَصِيرةً » . قال : « ثم يقول : يا أيّها الناس ، إنّه لا يَفْعَلُ بَعْدِي بأحَدٍ من الناس » قال : فيأْخذه الدجّال ليذبحه ، فيُجْعَلُ ما بين رقبته إلى تَرْقُوَتِه نُحـاساً ، فلا يستطيع إليه سبيلاً » قال : « فيأخذُ بيديه ورجليه ، فيقذف به ، فيَحْسَبُ الناس أنّما قذف به في النار ، وإنما أُلقي في الجنة » قال رسول الله ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادةً عند ربّ العالمين »[(٢)] .

ذكر أحاديث منثورة في الدجال

حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا سعيدُ بن أبي عَرُوبَةَ ، عن أبي التيّاح ، عن المغيرة بن سُبَيْع ، عن عمرو بن حُرَيْث : أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفاق من مَرْضَةٍ له ، فخرج إلى الناس ، فاعتذر بشيء ، وقال : ما أردنا إلا الخير ، ثم قال : حدثنا رسول الله ﷺ أن الدجال يخرج في أرض بالمشرق يقال لها : خُراسانُ ، يتبعه أقوام كأنَّ وجُوهَهُم المَجَانُّ المُطْرقَة . ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث رَوح بن عُبادة به ، وقال الترمذيّ : حسن غريب . قلت : وقد رواه عُبَيدُ الله بن موسى العَبْسِيّ ، عن الحسن بن دينار ، عن أبي التيّاح ، فلم يتفرد به روحُ ، كما زعمه بعضُهم ، ولا سعيد بن

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٣٨) (١١٢) .
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٨) (١١٣) .

أبي عَرُوبَة ، فإنّ يعقوب بن شَيْبة قال : لم يسمعه ابن أبي عَرُوبَة من أبي التيّاح ، وإنّما سمعه من ابن شوذب عنه[١] .

حديث عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

قال أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الأشجعيُّ ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عبد الله بن نُجَيّ ، عن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ[٢] ، قال : ذكَرْنا الدجّال عند النبيّ ﷺ وهو نائم ، فاستيقظ مُحْمَراً لَوْنُه ، فقال : « غيرُ ذلك أخْوَفُ لي عليكم » ذكر كلمة . تفردّ به أحمد[٣] .

حديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن داود بن عامر بن سعد بن مالك ، عن أبيه ، عن جدّه سعد بن أبي وقاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّه لم يكن نبيّ إلاّ وصف الدجّال لأمّته ، ولأَصِفَنَّهُ صِفَةً لم يَصِفْهَا أحَدٌ كَانَ قَبْلِي : إنه أعْوَرُ ، وإن الله عَزّ وجَلّ ليس بأعْوَر » . تفرّد به أحمد[٤] .

حديثٌ عن الصَّعْبِ بنِ جَثَّامَةَ

قال عبد الله بن أحمدَ : حدَّثني أبو حُمَيدٍ الحمْصيُّ ، ثنا حَيْوَةُ ، ثنا بَقِيَّةُ ، عن صَفْوانَ بنِ عَمرو ، عن راشدِ بنِ سعدٍ قال : لَمَّا فُتِحَتْ إصْطَخْرُ إذا مُنادٍ يُنادي : ألاَ إنّ الدَّجَّالَ قد خرَج . قال : فلَقِيَهم الصَّعْبُ بنُ جَثّامَةَ فقال : لولا ما تقولون لأَخْبَرْتُكم أنِّي سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « لاَ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى يذْهلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ ، وحَتَّى يَتْرُكَ الأئِمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ » . إسنادُه حسنٌ ، ولم يُخْرِجوه[٥] .

حديث عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

قال الترمذيّ : حدثنا عبد الله بن مُعاوية الجُمَحِيّ ، حدثنا حماد بن سَلَمة ، عن خالد الحَذّاء ، عن عبد الله بن شَقِيق، عن عبد الله بن سُرَاقة، عن أبي عُبَيْدَة بن الجَرّاح، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٤) والترمذي رقم (٢٢٣٧) وابن ماجه (٤٠٧٢) وإسناده ضعيف .

(٢) كذا بهذه الزيادة « عن النبي ﷺ » في « المسند » والأصول ، وهي زيادة مقحمة .

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٩٨) وإسناده ضعيف .

(٤) رواه أحمد (١/ ١٧٦) وهو حديث صحيح .

(٥) رواه أحمد في المسند (٤/ ٧١ ـ ٧٢) وقد أعله الحافظ ابن حجر في « الإصابة » بالإرسال ، أقول : يعني بذلك أن راشد بن سعد لم يدرك الصعب بن جثامة .

يقول: « إنّه لم يكن نبي [بعد نوح] إلا قد أنذر قومه الدجال ، وأنا أُنذركموه ، فوصفه لنا رسول الله ﷺ فقال : « لعلّه سيُدركه بعضُ مَنْ رآني ، أو سمع كلامي » قالوا : يا رسول الله ، فكيف قلوبنا يومئذ ؟ قال : « مثلُها » يعني اليومَ « أو خيرٌ » ، ثم قال الترمذي : وفي الباب عن عبد الله بن بُسْر ، و[عبد الله بن الحارث بن جُزَيّ] ، وعبد الله بن مُغَفّل ، وأبي هريرة ، وهذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث خالد الحذاء . وقد رواه أحمد عن عفان وعبد الصمد ، وأخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل ، كلهم عن حماد بن سَلَمة ؛ به . وروى أحمد ، عن غُنْدَر ، عن شُعْبة ، عن خالد الحَذاء ببعضه(١) .

حديث عن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه

روى أحمد عن غُنْدَر ، ورَوْح ، وسُلَيْمانَ بن داود ، ووهب بن جرير ، كلهم عن شُعْبَةَ ، عن حبيب بن الزُّبَيْر ، سمعتُ عبد الله بن أبي الهُذَيْل ، سمع عبد الرحمن بن أَبْزَى ، سمع عبد الله بن خَبّاب ، سمع أُبي بن كعب يُحَدِّث أن رسول الله ﷺ ذُكِر عنده الدجال فقال : « إحدى عَيْنَيْه كأنها زُجَاجَةٌ خَضْرَاءُ ، وتَعوذُوا بالله من عذاب القبر » . تفرد به أحمد(٢) .

حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال عبد الله بن الإمام أَحمد : وجدتُ هذا الحديث في كتاب أَبي بخط يده :

حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدثنا مجالد، عن أبي الودَّاك، قال : قال لي أبو سعيد : هل تُقِرّ الخوارجُ بالدجال ؟ فقلت : لا ، فقال : قال رسول الله ﷺ: « إني خاتَمُ ألف نبي أو أَكثر ، وما بُعث نبيٌّ يتبع إلا وقد حذَّر أَمته الدجال ، وإني قد بُيِّن لي من أَمره ما لم يُبَيّنْ لأحد ، فإنه أعوَرُ ، وإن رَبّكُمْ ليس بأعْوَر ، وعينهُ اليُمْنَى عَورَاء جاحِظَةٌ لا تخفى ، كأنها نُخَامَةٌ في حائطٍ مُجَصَّص ، وعَيْنُه اليُسْرىٰ كأنها كوكب دُرّي ، معه من كل لسان ، ومعه صورة الجَنّة خضراء ، يجري فيها الماء ، وصورة النار سوداء ، تَدْخُن » . تفرد به أحمد ، وقد روى عَبْدُ بنُ حُمَيْد في « مُسنده » ، عن حماد بن سَلَمة ، عن الحجاج ، عن عطية ، عن أبي سعيد مرفوعاً نحوه(٣) .

حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال أحمد : حدثنا بَهْز ، وعفان ، قالا : حدثنا حماد بن سَلَمة ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٢٣٤) وأحمد في المسند (١/ ١٩٥) وأبو داود رقم (٤٧٥٦) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٢٣) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧٩) وعبد بن حميد في « المنتخب من المسند » (٨٩٥) وإسناده ضعيف .

أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يجيء الدجال فَيَطأُ الأرض إلا مكة ، والمدينة ، فيأتي المدينة فيَجِدُ بكل نَقْبٍ من أَنقابها صُفُوفاً من الملائكة ، فيأتي سبخَةَ الجُرُفِ[(١)] ، فيَضْرِبُ رِواقَه فَترجُفُ المدينة ثلاثَ رَجَفَاتٍ ، فيخرجُ إليه كل مُنافق ، ومُنافقة » . ورواه مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد المؤدِّب ، عن حماد بن سَلَمة به نحوه[(٢)] .

طريق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال أحمد : حدثني يحيى ، عن حُمَيد ، عن أنس ، عن النبي ﷺ ، قال : « إن الدجال أعْورُ العَيْنِ الشِّمالِ ، عليها ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ ، مكتوب بين عَيْنَيْه كفر أو كافر » . هذا حديث ثُلاثي الإسناد ، وهو على شرط « الصحيحين »[(٣)] .

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه

قال أحمد : حدثنا محمد بن مُصْعَب ، حدثنا الأوزاعي ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرجُ الدجال من يهودية أَصْبهان ، معه سبعون أَلفاً من اليهود ، عليهم السِّيجان » . تفرد به أحمد[(٤)] .

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه

قال أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثني أبي ، حدثنا شُعَيْبُ هو ابن الحبحاب ، عن أَنس أَن رسول الله ﷺ قال : « الدجال مَمْسُوح العَيْن ، بين عينيه مكتوب كافر ، ثم تَهَجاها ، يقرؤه كل مسلم ك ف ر » .

حدثنا يونس ، حدثنا حماد يعني ابن سلمة ، عن حُمَيْد ، وشُعَيْب بن الحبحاب ، عن أَنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال : « الدجال أعورُ ، وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتبٍ وغير كاتب » . ورواه مسلم عن زُهَيْر ، عن عَفان ، [عن عبد الوارث] ، عن شُعَيْب بنحوه[(٥)] .

---

(١) الجرف : موضع قرب المدينة .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٩١) ومسلم رقم (٢٩٤٣) ورواه البخاري (١٨٨١) من طريق إسحاق .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١١٥) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٢٤) ورواه مسلم رقم (٢٩٤٤) من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس .
(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢١١ و٢٢٨) ومسلم رقم (٢٩٣٣) (١٠٣) .

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه

قال أحمد: حدثنا عمرو بن الهَيْثَم ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن قَتَادة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ: « ما بُعِثَ نَبيٌّ إلا أَنذَرَ أُمته الأعْورَ الكذَّابَ ، ألاَ إنه أَعْوَرُ ، وإن رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْورَ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ » . ورواه البخاري ومسلم ، من حديث شُعْبَة به(١) .

حديث عن سفينة رضي الله عنه

قال أحمد : حدثنا أبو النَّضْر ، حدثنا حَشْرَجٌ ، حدثني سَعِيدُ بن جُمْهَان ، عن سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُول الله ﷺ ، قال : خَطَبنَا رسول الله ﷺ فقال : « ألاَ إنهُ لَمْ يكُنْ نَبيٌّ قبلي إلا قد حذَّر الدجال أُمَّتَهُ ، هو أعورُ عينه اليُسْرَى ، بعينه اليمنى ظَفَرَةٌ غَليظة ، مكتوب بين عينيه : كافر ، يخرجُ معه واديان ، أحدهما جَنَّةٌ ، والآخر نار ، فناره جنة ، وجنته نار ، معه مَلَكان من الملائكة ، يُشْبِهان نَبِيَّيْن من الأنبياء ، ولو شئتُ سَمَّيتُهما بأسمائهما ، وأسماء آبائهما ، أحدهما عن يمينه ، والآخرُ عن شِماله ، وذلك فتنة ، فيقول الدجال : أَلَسْتُ بربكم ؟ أَلَسْتُ أُحْيِي وأُميتُ ؟ فيقول له أحد الملَكين : كَذَبْت ، ما يَسْمَعهُ أَحد مِنَ الناس ، إلا صَاحِبُه ، فيقول له : صدقت ، فيسمعُه الناسُ فيَظنُّونَ أنما يُصَدِّق الدجال ، وذلك فتنة ، ثم يسير حتى يأتيَ المدينة ، فَلاَ يُؤذَنَ لَهُ فيها ، فيقول : هذه قريةُ ذلك الرجل ، ثم يسير حتى يأتي الشام ، فيُهلكه الله عز وجل عند عَقَبَة أفيق(٢) » . تفرّد به أحمد ، وإسنادُه لا بأس به ، ولكن في مَتنه غرابة ونَكَارَةٌ ، فالله أَعلم(٣) .

حديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

قال يعقوب بن سفيان الفَسَوي في « مُسنده » : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدّثني خُنَيس بن عامر بن يحيى المعَافِرِيّ ، عن أبي قَبِيْل ، عن جُنَادَةَ بن أبي أُمَيَّة : أنّ قوماً دخلوا على مُعاذ بن جَبَل وهو مريض ، فقالوا له : حدّثْنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم تَنْسَهُ ، فقال : أَجْلِسُونِي ، فَأَخَذَ بَعْضُ القَوم بِيَدِهِ ، وَجَلَسَ بَعْضُهُمْ خَلْفَهُ ، فقال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إلاّ وقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجّالَ . وإِني أَحَذِّرُكُمْ أمره ، إنه أعور ، وإنّ ربي ، عزّ وجلّ ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرؤه الكاتب وغيرُ الكاتب ، معه جنة ونار ، فناره جنة ، وجنته نار » . قال شيخُنا الحافظ الذهبيّ : تفرّد به خُنَيْس ، وما علمت فيه جَرْحاً ، وإسنادُه صالح .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٠٣) والبخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣) (١٠١) .
(٢) هي قرية فيق من قرى حوران بأرض الشام كما تعرف الآن . وانظر خبرها في « معجم البلدان » (١/ ٢٣٣) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) .

حديث عن سَمُرَة بن جندب رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدّثنا زُهَيْر ، عن الأسود بن قَيْس ، حدثني ثعلبة بن عِبَاد العَبْديّ ، من أهل البصرة ، قال : شَهِدْتُ يوماً خُطْبَةً لِسَمُرَةَ بن جُنْدُب ، فذكر في خطبته حديثاً في صلاة الكسوف ، وأنّ رسولَ الله ﷺ خَطَبَ بَعْد صَلاة الكُسوف ، فقال : « وإنه والله لا تَقُومُ الساعةُ حتى يَخْرُجَ ثَلاَثُونَ كَذّاباً ، آخرهم الأعْوَرُ الدجّال ، مَمْسوحُ العَيْن اليُسْرَى ، كأنّها عَيْنُ أبي تِحْيى[١] وإنه متى يخرُجْ » أو قال : « متى ما يخرج ، فإنَّه سوف يَزعُمُ أنّه اللهُ ، فمن آمن به وصدَّقه واتّبعه ، لم يَنْفَعْهُ صَالِحٌ منْ عَمَلِه سَلَفَ ، ومَنْ كَفَر به وكَذَّبَهُ لَمْ يُعَاقَبْ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِه » وقال الحسن : « بِسَيِّئٍ من عمله سَلَفَ ، وإنه سوف يظهر على الأرض كلِّها إلاَّ الحرم ، وبَيْتَ المَقْدِس ، وإنه يَحصر المؤمنين في بيت المقدس ، ويزلزلون زلزالاً شديداً ، ثم يهلكه الله ، حتى إن جِذْمَ الحائِط ، وأصلَ الشجرة ينادي : يا مؤمن ، هذا يهوديّ » أو قال : « هذا كافر ، تعال فاقتله ، وليس يكون ذلك كذلك حتى تروا أموراً يَتَفَاقَمُ شَأْنُها في العِلمِ ، فتسألون بينكم : هل كان نَبيُّكم ذكَر لكم منها ذِكْراً ، وحتى تَزولَ جِبَالٌ عن مراتبها » ثم شهد خطبة سمرة مرة أخرى ، فما قدَّم كلمة ولا أخَّرها عن موضعها ، وأصل هذا الحديث في صلاة الكسوف عند أهل « السنن الأربعة » وصححه الترمذي ، وابن حبان ، والحاكم في « مستدركه » أيضاً[٢] .

وقال شيخنا الذهبي في كتابه في « نبأ الدجال »[٣] : سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة مرفوعاً : « الدجالُ أعورُ عَيْنِ الشِّمال ، عليها ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ » . قلت : وليس هذا الحديث من هذا الوجه في « المسند » ، ولا في شيء من الكتب الستة ، وكان الأولى بشيخنا أن يُسنده ، أو يعزُوَه إلى كتاب مشهور ، والله الموفق .

حديث آخر عن سمرة

قال أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا سعيد ، وعبد الوهاب ، حدثنا سعيدٌ ، عن قَتَادَةَ ، عن الحسن ، عن سَمُرَة بن جُنْدُب ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : « إن الدجال خارجٌ ، وهو أعوَرُ عَيْنِ الشمال ، عليها ظَفَرَة غليظة ، وإنه يُبرئ الأكمه ، والأبرص ، ويُحيي الموتَى ، ويقولُ للناس : أنا ربُّكم . فمن قال : أنت رَبّي ، فقد فُتِنَ ، ومن قال : رَبِّي اللهُ حتى يَمُوتَ ، فقد عُصِم مِنْ فِتْنتِه ، ولا فتنة [بعده] عليه ، ولا عذاب ، فَيَلْبَث في الأرض ما شاء الله ، ثم يجيء عيسى ابن مريم عليهما السلام من قِبَل

---

(١) جاء تفسيره بعده في « المسند » : لشيخ حِينئذ من الأنصار بينه وبين حجرة عائشة .

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/١٦) وأخرج أصله أبو داود (١١٨٤) والنسائي (٣/ ١٤٠ ـ ١٤١) والترمذي رقم (٥٦٢) وابن ماجه (١٢٦٤) وابن حبان رقم (٢٨٥١) والحاكم (١/ ٣٢٩ـ٣٣١) وإسناده ضعيف، ولبعضه شواهد.

(٣) واسم الكتاب كاملاً : « الرَّوع والأَوْجَال في نبأ المسيح الدَّجَّال ، وهو مخطوط لم يطبع بعد فيما أعلم .

المَغْرب ، مُصدِّقاً بمحمّد ﷺ وعلى مِلّته ، فيقْتُلُ الدجّال ، ثم إنّما هو قيام الساعة »[١] .

وقال الطبرانيّ : حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا مروان بن جعفر السَّمُريّ ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن خبيب بن سليمان ، ثنا جعفر بن سعد بن سَمُرة ، عن خُبَيب[٢] ، عن أبيه ، عن جدِّه سَمُرة : أَن رسول الله ﷺ كان يقول : « إن المسيح الدجال أعْوَرُ عَيْن الشِّمَال ، عليها ظَفَرَةٌ غلِيظةٌ ، وإنّه يُبرئ الأكْمَهَ ، والأبْرصَ ، ويُحيي الموتى ، ويقول : أنا رَبكم . فمن اعتصم بالله ، فقال : رَبِّي الله ، ثم أبى إلّا ذلك حتى يموت ، فلا عذاب عليه ، ولا فِتْنَة ، ومن قال : أَنْتَ ربِّي ، فقد فُتِن ، وإنه يَلْبَثُ في الأرض ما شاء الله ، ثم يجيء عيسى ابن مريم من المشرق مُصَدِّقاً بمحمد ﷺ ، وعلى مِلّته ، ثم يقتُل الدجّال » . حديث غريب[٣] .

حديث عن جابر رضي الله عنه

قال الإمام أحمد بنُ حنبل: حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا زُهَيْرُ ، عن زيد ، يعني ابن أسلم، عن جابر بن عبد الله ، قال : أشرف رسول الله ﷺ على فَلَق من أفلاق الحَرّة[٤] ، ونحنُ معه ، فقال : « نِعْمَتِ الأرضُ المدينة ، إذا خرج الدجّال ، على كلّ نقب من أنقابها ملَكٌ ، لا يَدْخُلُها ، فإذا كان ذلك رَجَفتِ المدينةُ بأهلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ ، لا يَبْقَى مُنافِقٌ ، ولا مُنَافِقةٌ إلّا خرج إلَيْه ، وأَكثر يعني من يخرجُ إليه النِّساءُ ، وذلك يوم التخليص ، يوم تنفي المدينةُ الخَبَثَ كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحَديدِ ، يكون معه سبعون ألفاً من اليهود ، على كلّ رجل منهم تَاجٌ ، وسيف مُحَلّى ، فيَضْرِبُ رِواقَه بهذا الضرب الذي عند مجتمع السيول » ثم قال رسول الله ﷺ : « ما كانت فتنةٌ ، ولا تكون ، حتى تقومَ الساعةُ أكبرَ من فتنة الدجّال ، وما من نَبِيٍّ إلّا وقد حَذّره أمته ، ولأُخبرنكم بشيء ما أخبره نبيّ أُمته قبلي » ثم وضع يدَه على عينه[٥] ، ثم قال : « أشهد أنّ الله ليس بأعور » . تفرد به أحمد ، وإسناده جيّد ، وصححه الحاكم[٦] .

طريق أخرى عن جابر

قال الحافظ أبو بكر البزّار : حدّثنا عمرو بن عليّ ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا مُجالد ، عن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٣) وإسناده ضعيف .
(٢) في الأصول : « حبيب » والتصحيح من « المعجم الكبير » .
(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٧٠٨٢) و(٦٩١٨ و٦٩١٩) .
(٤) الفلق : المطمئن من الأرض بين ربوتين .
(٥) في الأصول : « عينيه » والمثبت من « مسند الإمام أحمد » .
(٦) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٩٢) والحاكم (١/ ٢٤) أقول : زيد بن أسلم لم يسمع من جابر ، فهو منقطع ، لكن الحديث صحيح بطرقه وشواهده .

الشعبيّ ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّي لخَاتمُ ألْفِ نبيّ أو أكثر ، وإنه ليس منهم نبيّ إلاّ قد أنذر قومه الدجّال ، وإنّه قد تَبيّن لي ما لم يَتَبيّن لأحدٍ منهم ، وإنّه أعورُ ، وإنّ ربكم لَيْس بأعْور » . تفرّد به البزّار ، وإسناده حسن ، ولفظه غريب جداً(١) .

وروى عبد الله بن أحمد في « السُّنَّة » ، من طريق مجالد ، عن الشعبيّ ، عن جابر : أنّ رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال : « إنّه أعور ، وإنّ ربكم ليس بأعور » . ورواه ابن أبي شَيْبَة ، عن عليّ بن مُسْهِر ، عن مجالد ، به أطولَ من هَذَا(٢) .

طريق أخرى عن جابر رضي الله عنه

قال أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزُّبَيْر ، أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول : قال النبي ﷺ : « الدجّال أعور ، وهو أشدُّ الكذّابين »(٣) .

وروى مسلم من حديث ابن جُرَيج ، عن أبي الزُّبَيْر ، عن جابر ، عن النبي ﷺ ، قال : « لا تزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي على الحق ظَاهِرِينَ حَتّى ينزل عيسى ابن مريَمَ »(٤) . وتقدمت الطريقُ الأخرى ، عن أبي الزُّبَيْر ، عنه ، وعن أبي سَلَمة ، عنه ، في الدجّال .

حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعْبةُ ، عن سِماك بن حَرْب ، عن عِكْرمَةَ ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما ، عن النبيّ ﷺ أنه قال في الدجال : « أعورُ هِجَانٌ(٥) ، أزْهرُ ، كأنّ رأسه أَصَلَةٌ(٦) أشبهُ النّاس بعَبْد العُزّى بن قَطَنٍ ، فإمّا هَلَك الهُلّكُ ، فإنّ رَبكم ليس بأعْور » وقال شُعْبة : فحدّثت به قَتَادَةَ ، فحدّثني بنحوٍ من هذا . تفرد به أحمد من هذا الوجه(٧) .

وروى أحمد ، والحارث بن أبي أسامة ، وأبو يعلى ، من طريق هلال عن عكرمة عن ابن عباس في حديث الإسراء ، قال : ورأى الدجالَ في صورته رؤيا عين ، ليس رؤيا منام ، وعيسى [وموسى] وإبراهيم ، فَسُئِل [النبي ﷺ] عن الدجال فقال : «رأيته فَيْلَمَانِيًّا(٨) أقمر هِجَاناً ،

---

(١) رواه البزار (٣٣٨٠) (كشف الأستار) . أقول : وفي سنده مجالد بن سعيد وهو ضعيف .
(٢) رواه عبد الله في « السنة » (١٠٠٦) وابن أبي شيبة رقم (١٥/١٩٣٠١) وفي سنده ضعف .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/٣٣٣) وهو حديث صحيح .
(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٥٦) .
(٥) الهجان : الأبيض .
(٦) الأفعى .
(٧) رواه أحمد في المسند (١/٢٤٠) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٨) الفيلم : العظيم الجثة .

إحدى عينيه قائمة ، كأنّها كوكب دُرِّيّ ، كأن شعره أغصانُ شجرة . . . » وذكر تمَام الحديث[١] .

حديث عن هشام بن عامر

قال أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد ، يعني ابن هلال ، عن هشام بن عامر الأنصاري قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما بينَ خلق آدم إلى أن تقوم الساعةُ فِتْنَةٌ أكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدجّال » .

وقال أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدّثنا أيوب ، عن حُمَيْد بن هِلاَل ، عن بعض أشياخهم ، قال : قال هشام بنُ عامر لجيرانه : إنكم لتخطُون إلى رجال ما كانوا بأحضر لرسول الله ﷺ، ولا أوعى لحديثه منّي ، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أَمْرٌ أكبرُ من الدجّال » .

ورواه الإمام أحمد أيضاً ، عن أحمد بن عبد الملك ، عن حمّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أبي الدهماءِ ، عن هشام بن عامر ، أنه قال : إنكم لتجاوزُون[٢] إلى رَهْط من أصحاب رسول الله ﷺ ما كانوا أحصى ولا أحفظ لحديثه مني ، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبرُ من الدجّال » .

وقد رواه مسلم من حديث أيوب ، عن حُمَيد بن هلال ، عن رَهْطٍ ، منهم أبو الدهماء ، وأبو قتادة ، عن هشام بن عامر ، فذكر نحوه[٣] .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزّاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن أيوب ، عن أبي قِلاَبة ، عن هشام بن عامر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن رأس الدجّال من ورائه حُبُك ، حُبُك[٤] فمن قال : أنت ربي افتتن ، ومن قال : كذبتَ ، ربي اللهُ ، عليه توكلّتُ ، فلا يَضُرّه » أو قال : « فلا فتنة عليه »[٥] .

حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن طلحة ، عن سالم ؛ عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ الدجّال في هذه

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٧٤) والحارث بن أبي أسامة رقم (٢٤ ـ بغية الباحث) وأبو يعلى رقم (٢٧٢٠) وهو حديث صحيح .

(٢) في (م) : « لتجاوزونّني » وفي (آ) : « لتجاوزوني » والمثبت من « مسند الإمام أحمد » رقم (١٦٢٦٧) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٠ و١٩ و٢١) ومسلم رقم (٢٩٤٦) .

(٤) الحبك : الطرق ، والمعنى أن شعره متكسر من الجعودة .

(٥) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٠) ومعمر في «جامعه» الملحق بمصنف عبد الرزاق رقم(٢٠٨٢٨) وإسناده منقطع .

السَّبَخَة ، بمَرِّ قناة[١] ، فيكون أكثر مَنْ يخرجُ إليه النساءُ ، حتّى إنّ الرجل ليرجع إلى حَميه ، وإلى أُمه ، وابنته ، وأخته ، وعمّته ، فيوثقها رباطاً ، مخافة أن تخرجَ إليه ، ثم يُسلّط الله المسلمين عليه ، فيقتلونه ، ويقتلون شيعته ، حتى إن اليَهُوديَّ لَيَخْتبئ تَحْتَ الشَّجَرةِ ، أو الحَجَرِ ، فيقول الحجر ، أو الشجرةُ للمُسلم : هذا يهوديّ تحتي فاقتله » . تفرد به أحمد من هذا الوجه[٢] .

طريق أخرى عن سالم

قال أحمد : حدثنا عبد الرزّاق ، حدثنا مَعْمَرُ ، عن الزهريّ ، عن سالم ، عن ابن عمر ، قال : قام رسول الله ﷺ في الناس ، فأثنى على الله تعالى بما هو أهله ثم ذكر الدجّال ، فقال : « إنِّي لأُنْذِركُموهُ ، وما من نبيّ إلاّ قد أنذره قومه ، لقد أنذره نوح ﷺ قومه ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيّ لقومه ؛ تَعْلمُون أنّه أعْورُ ، وأنّ الله تبارك وتعالى ليس بأعور » وقد تقدّم هذا في « الصحيح » مع حديث ابن صيّاد[٣] .

وبه عن ابن عمر: أنّ رسول الله ﷺ، قال: « تقاتلكم اليهودُ، فتُسلَّطون عليهم، حتّى يقولَ الحجرُ: يا مسلم ، هذا يهوديّ ورائي ، فاقتله » . وأصله في « الصحيحين » ، من حديث الزهريّ بنحوه[٤] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا عاصم بن محمد ، عن أخيه عمر بن محمد ، عن محمد بن زيد ، يعني أبا عمر بن محمد ، قال : قال عبدُ الله بن عمر : كُنّا نُحدَّث بحَجَّة الوداعِ ، ولا ندري أنّه الوداعُ من رسول الله ﷺ ، فلمّا كان في حَجّة الوداع ، خطب رسول الله ﷺ ، فذكر المسيح الدجّال ، فأطنَبَ في ذِكره ، ثم قال : « ما بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ إلاّ قد أنذره أمته ، لقد أنذر نوح أمته ، والنبيُّون من بعده ، ألاَ ما خفي عليكم من شأنه فلا يَخْفَيَنَّ عَليكُم أنّ رَبّكم ليس بأعْور ، ألا ما خفي عليكم من شأنه ، فلا يخفينَّ عليكم ، أن ربكم ليس بأعور » . تفردّ به أحمد من هذا الوجه[٥] .

---

(١) قناة : موضع بالمدينة .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٦٧) وفي إسناده ضعف ، ولآخره شاهد من حديث أبي هريرة عن مسلم رقم (٢٩٢٢) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٤٩) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق رقم (٢٠٨٢٠) وهو حديث صحيح انظر صفحة (٧٤) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٤٩) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٣٧) وأخرج أصله البخاري رقم (٣٥٩٣) ومسلم رقم (٢٩٢١) .

(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٣٥) وهو حديث صحيح .

طريق أخرى

قال أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « إنّه لم يكن نبيّ قبلي إلاّ وصفه لأمته ، وَلأَصِفَنَّه صِفَةً لم يَصِفْهَا مَنْ كَانَ قَبْلي ، إنّه أعْورُ ، وإن الله ليس بأعور ، عينه اليمنى كأنها عِنَبة طَافِيَة » . وهذا إسناد جيّد حسن[١] .

وقال الترمذيّ : حدّثنا محمد بن عبد الأعلَى الصنْعَانيّ ، حدثنا المعتمِرُ بن سُلَيْمانَ ، عن عُبَيْد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبيّ ﷺ أنّه سُئِل عن الدجّال ، فقال : « ألا إنّ ربّكم ليس بأعور ، ألا وإنه أعور ، عينُه اليمنى كأنّها عِنَبةٌ طافية » . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن سعد ، وحذيفة ، وأبي هريرة ، وأسماء ، وجابر بن عبد الله ، وأبي بكْرَةَ ، وعائشةَ ، وأنس ، وابن عباس ، والفَلَتَان بن عاصم[٢] .

حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

قال أحمد : حدّثنا عبد الرزّاق ، أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتَادَة ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، قال : لمّا جاءتنا بَيْعَةُ يزيدَ بن معاوية ، قدمْتُ الشامَ ، فأُخْبِرتُ بمقَامٍ يَقُومُه نَوْفٌ ، فجِئْتُه ، إذْ جاء رجل ، فاشتدّ الناس عليه خميصَة[٣] ، وإذا هو عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص ، فلمّا رآه نَوْفٌ أمْسكَ عن الكلام ، فقال عبد الله : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنها ستكون هجرةٌ بعدَ هجرةٍ ، ينحاز الناسُ إلى مُهَاجَرِ إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلاّ شرارُ أهْلِها ، تَلْفِظُهُمْ أرَضُوهمْ ، تَقْذَرُهُم نَفْسُ الرحمن ، تَحْشُرُهم النارُ مع القردَة ، والخنازير ، تبيتُ معَهُمْ إذَا بَاتُوا ، وتَقِيلُ معهم إذا قالوا ، وتأكلُ من تَخَلَّف » قال : وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « سيخرج أناسٌ من أمّتي ، مِنْ قِبَل المَشْرِق ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تَراقِيَهم ، كلّما خَرج مِنْهُم قَرْنٌ قُطِع ، [كلما خرج منهم قَرْنٌ قُطع] حتى عدَّها زيادة على عشر مرات ، « كلما خرج منهم قرن قطع ، حتّى يخرُج الدجّال في بَقيّتِهم » .

ورواه أبو داود ، من حديث قتادة ، عن شَهْرٍ ، عنه[٤] .

طريق أخرى عنه

قال أبو القاسم الطبرانيّ : حدّثنا جعفر بن أحمد الساماني ، حدثنا أبو كُرَيْب ، حدّثنا فِرْدَوْس

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٧) أقول : وفيه عنعنة ابن إسحاق ، لكن له شواهد يقوى بها .

(٢) رواه الترمذي (٢٢٤١) وهو حديث صحيح .

(٣) الخميصة : ثوب خز أو صوف معلم .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٩٨) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزق (٢٠٧٩٠) وأبو داود رقم (٢٤٨٢) وإسناده ضعيف .

الأشْعَرِيّ ، عن مسعود بن سُلَيْمان ، عن حَبِيبِ بن أبي ثابت ، عن مُجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبيّ ﷺ ، أنه قال في الدجال : « ما شُبِّه عليكم مِنْهُ ، فإنّ الله سبحانه ليس بأعور ، يخرُج ، فيكون في الأرض أربعين صباحاً ، يرِدُ كلَّ مَنْهَلٍ ، إلاّ الكَعْبَةَ ، وَبَيْتَ المَقْدِس ، والمَدِينَةَ . الشهرُ كالجُمعة ، والجمعةُ كاليوم ، ومعه جنّة ونار ، فنارُه جَنّة ، وجنّته نار ، معه جبل من خُبْز ، ونَهْرٌ مِنْ ماءٍ ، يدعُو برجل لا يُسَلِّطُه اللهُ إلاّ عَلَيْهِ ، فيَقُول : ما تقولُ فيّ ، فيقول : أنت عدو الله ، وأنت الدجّال الكذَّابُ ، فيدعو بمنشار ، [فيضعه حَذْوَ رأسه] فيَشُقّه ، ثم يُحْييه ، فيقول له : ما تقول فيَّ : فيقول : واللهِ ما كنتُ أشَدَّ بصِيرةً مِنّي فِيكَ الآن ، أنت عدوّ الله ، الدجّال الذي أخبرنا عنك رسولُ الله ﷺ ، فيَهْوِي إليه بسَيْفِه ، فلا يسْتطيعُه ، فيقول : أخّروه عنّي » . قال شيخنا الذهبيّ : هذا حديث غريب ، ومسعود لا يُعرف .

وسيأتي حديث يعقوب بن عاصم عنه في مُكْث الدجّال في الأرض ، ونزول عيسى ابن مريم .

حديث عن أسماء بنت يزيد بن السَّكَنِ الأنصارية

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن قتادة ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيدَ الأنصاريّة ، قالت : كان رسول الله ﷺ في بيتي ، فذكر الدجّال ، فقال : « إنّ بَيْنَ يَديهِ ثَلاثَ سِنِين ، سَنةً تُمْسِكُ السَّماءُ ثُلُثَ قَطْرها ، والأرضُ ثُلُثَ نَباتِها ، والثانيةُ تُمْسِكُ السَّماءُ ثُلُثيْ قَطْرِهَا والأرضُ ثُلُثيْ نَباتها ، والثالثة تُمسك السماء قَطْرَهَا كُلَّه ، والأرضُ نَباتها كلّه ولا يَبقَى ذاتُ ضرسٍ ، ولا ذات ظِلْفٍ من البهائم إلاّ هَلَكَتْ ، وإن من أشَدِّ فتنته أن يَأتِيَ الأعرابيَّ فيقول : أَرأيتَ إنْ أَحْيَيْتُ لك إبلَك ؟ ألسَت تَعْلَم أنّي رَبُّك ؟ » قال : « فيقول : بلَى ، فتمثَّلُ له الشياطينُ نحو إبله ، كأحسن ما تكون ضروعُها ، وأعظمه أسْنِمَة » قال : « ويأتي الرجلُ قد مات أخوه ، ومات أبوه ، فيقول: أرأيت إنْ أحْيَيْتُ لك أباك ، وأحييت لك أخاك ، أَلَسْتَ تَعلَمُ أنّي رَبُّكَ ؟ فيقول : بلى ، فتمثّلُ له الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه » قالت : ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجة ، ثم رجع والقومُ في اهتمام ، وَغمّ ، مما حَدّثهم به ، قالت : فأخذ بِلَجْفَتَي[1] الباب وقال : « مَهْيَمْ أسماءُ » قالتْ : قلتُ : يا رسول الله ، لقد خَلَعْتَ أفئدتَنا بذِكْرِ الدجّال ، قال : « فإن يخْرُجْ وأنا حَيّ فأنا حَجِيجُه ، وإلا فإنّ رَبيّ خلِيفَتي على كلّ مُؤْمن » قالت أسماء : يا رسول الله ، إنّا والله لنَعْجِنُ عَجِينَتَنا فمَا نخْتَبِزُها حَتّى نَجُوعَ ، فكيف بالمُؤمنين يَوْمئذٍ ؟ قال : « يجزئهم ما يُجزِئ أهْلَ السَّماءِ منَ التسبيح ، والتَّقْدِيسِ » . وكذلك رواه أحمد أيضاً ، عن يزيد بن هارون ، عن جرير بن حازم ، عن قتادة ، عن شَهْر عنها

(١) في (م) : « لحمتي » وفي (آ) : « لجفتي » والصواب ما أثبته . قال الفيروزابادي : ولجفتا الباب جنبتاه . « القاموس المحيط » (لجف) .

بنحوه ، وهذا إسناد لا بأس به ، وقد تفرد به أحمد ، وتقدم له شاهد في حديث أبي أمامةَ الطَّويلِ ، وفي حديث عائشة بعده شاهدٌ له من وجه آخر أيضاً ، والله أعلم[١] .

وقال أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شَهْر ، حدثتني أسماءُ : أنّ رسول الله ﷺ قال في حديث : « فَمنْ حَضَر مَجْلسي ، وسَمِع قَوْلِي ، فلْيُبَلِّغ الشاهدُ منكُم الغَائبَ ، واعلموا أن الله عز وجل صحيح ليس بأعور ، وأنّ الدجّال أعورُ ، ممسوحُ العَيْن ، مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرؤه كلّ مؤمن، كاتب وغير كاتب » . وسيأتي عن أسماء بنت عُمَيْسٍ نحوُه ، والمحفوظ هذا، والله أعلم[٢] .

حديث عائشة رضي الله عنها

قال الإمام أحمد: حدثنا عبدُ الصمد، حدّثنا حمّاد، حدّثنا عليّ بن زيد، عن الحسن، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ ذكر جَهْداً يكون بين يدي الدجّال، فقالوا : أيُّ المال خَيْرٌ يومئذ ؟ قال: « غلامٌ شديدٌ يَسْقِي أهْلَهُ الماءَ ، وأمّا الطعامُ فَلَيْسَ » قالوا : فما طعامُ المؤمنين يومئذ ؟ قال : « التسبيحُ والتكبير ، والتحميد ، والتهليل » قالت عائشة : فأينَ العربُ يومَئذ ؟ قال : « العربُ يومئذ قليل » . تفردّ بإسناده أحمد ، وإسناده صحيح ، فيه غرابة ، وتقدّم في حديث أسماء ، وأبي أمامة شاهدٌ له ، والله أعلم[٣] .

طريق أخرى عنها

قال أحمد : حدّثنا سُليمانُ بن داود ، حدّثنا حَرْب بن شدّاد ، عن يحيى بن أبي كَثِير ، حدّثني الحضرمي بن لاحق ، أن ذَكْوانَ أبا صالح أخبره أنّ عائشةَ أخبرَتْهُ ، قالت : دخَل عليّ رسولُ الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال : « ما يُبكيكِ ؟ » قلت : يا رسول الله ، ذكرتُ الدجّال ، فبكيت ، فقال رسول الله ﷺ : « إنْ يَخرج الدجّال وأنا حَيٌّ كفيْتُكُموهُ ، وإنْ يخْرُج الدجال بعدي فإنّ رَبّكم عز وجل ليس بأعور ، إنّه يخرج في يَهُودِيّةِ أصْبهانَ ، حتى يأتيَ المَدينَة ، فينزلَ ناحيتَها ، ولها يومئذ سَبْعَةُ أبواب ، على كلّ نَقْبٍ منها ملَكان ، فيخرُج إليه شِرارُ أهلها ، حتّى يأتيَ الشّام ، مدينةً بِفلسْطِينَ بباب لُدّ ، فينزلُ عيسى ابنُ مَرْيمَ عليه السلام فيقتله ، ثم يمكثُ عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنةً إماماً عادلاً وَحَكَماً مُقْسِطاً » . تفرّد به أحمد[٤] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ و٤٥٣) أقول : وفي سنده شهر بن حوشب ، وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام ، ولكن للحديث شواهد كما ذكر المصنف ، انظر صفحة (٨٦) و(١٠١) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٥٦) أقول : وفي إسناده ضعف .

(٣) رواه أحمد في المسند (٦/ ٧٦) أقول : وفيه علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف وفيه عنعنة الحسن ، لكن للحديث شواهد كما ذكر المصنف .

(٤) رواه أحمد في المسند (٦/ ٧٥) وإسناده حسن .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا ابنُ أبي عدِيّ ، عن داود ، عن عامر ، عن عائشة أنّ النبي ﷺ قال : « لا يدخلُ الدجّال مَكّةَ ، ولا المدينة » . ورواه النَّسائيّ ، عن قُتَيْبَةَ ، عن محمد بن عبد الله بن أبي عديّ به ، والمحفوظ روايةُ عامر الشعبيّ عن فاطمة بنت قَيْس ، كما تقدّم[١] .

وثبت في « الصحيح » من حديث هشام بن عُرْوة عن زوجته فاطمةَ بنت المُنذر ، عن أسماء بنت أبي بكر ، أنها قالت في حديث صلاة الكسوف : إنّ رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ : « وإنّه قد أُوحِيَ إليّ أنكُم تُفْتنون في القبور قَريباً » أوْ « مِثلَ فِتْنةِ المَسيح الدجّال » لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء . . . الحديث بطوله[٢] .

وثبت في « صحيح مسلم » من حديث ابن جُرَيْج ، عن أبي الزُّبَير ، عن جابر ، عن أم شَريك : أنّ رسُولَ الله ﷺ قال : « لَيفِرَّنَّ الناسُ منَ الدجّال حتى يلحقوا برؤوس الجبال » قلت : يا رسول الله ، أين العربُ يَومئذ ؟ قال : « هم قليل »[٣] .

حديث عن أم سلمة رضي الله عنها

قال ابنُ وَهْب : أخبرني مَخْرَمةُ بنُ بُكَيْر ، عن أبيه ، عن عُروة ، قال : قالت أمّ سَلَمة : ذكرتُ المسيحَ الدجّال لَيْلةً ، فَلم يأْتِني النّوْمُ ، فَلمّا أصْبَحْتُ دَخَلْتُ على رَسُولِ الله ﷺ فأخبرتهُ فقال : « لا تَفْعلِي ، فإنه إنْ يَخرجْ وأَنا فيكُم يَكْفِكُمُ اللهُ بي ، وإنْ يَخْرجْ بعد أن أموتَ يكْفِكُم اللهُ بالصالحين » ثم قام ، فقال : « ما مِنْ نَبيّ إلاّ حَذّر أمّته منهُ ، وإني أُحَذِّركُموهُ ، إنه أعور ، وإن الله ليس بأعور » . قال الذهبيّ : إسناده قويّ[٤] .

حديث رافع بن خَديج

رواه الطبراني ، من رواية عطية بن عطية ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عمرو بن شُعَيْب ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن رافع بن خديج عن النبي ﷺ في ذم القدريّة وأنهم زنادقةُ هذه الأمة ، وفي زمانهم يكون ظلْمُ السلطان ، وحَيْفٌ وأَثَرَةٌ ؛ ثم يَبْعَثُ اللهُ طاعُوناً ، فَيُفْني عامّتَهُم ، ثم يكون الخَسْفُ ، فما أقلّ من يَنْجو منهم ، المؤمنُ يَوْمئذٍ قليلٌ فَرَحُهُ ، شديد غَمُّهُ ، ثم يكون المسخ ، فيمسخُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٢٤٥) والنسائي في « الكبرى » (٤٢٥٧) ، وانظر صفحة (٧٧) .
(٢) رواه البخاري رقم (٨٦) ومسلم (٩٠٥) .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٩٤٥) .
(٤) رواه الطبراني في « الكبير » (٢٣/ ٥٦٩) قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ٣٥١) ورجاله ثقات ، إلا أن شيخ الطبراني أحمد بن محمد بن نافع لم أعرفه .

اللهُ عامَّتهم ، قردَةً ، وخنَازيرَ ، ثم يخرج الدجال على إثْرِ ذَلِكَ قريباً » ثم بكى رسول الله ﷺ ، حتّى بَكينا لبكائه ، وقلنا : ما يبكيك ؟ قال : « رحمةً لأولئك القوم الأشقياء ، لأن فيهم المُقتصد ، وفيهم المجْتَهِد . . . » الحديث[١] .

حديث عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه

قال أحمد : حدثنا يزيدُ بن هارون ، حدثنا حمّاد بن سَلَمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي نَضْرةَ ، قال : أتينا عُثْمانَ بن أبي العاص في يوم جمعة لنعرض عليه مُصْحَفاً لنا على مُصْحفِه ، فلّما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا ، ثم أُتينا بِطِيبٍ فَتطيّبْنا ، ثم جئْنَا المَسْجِدَ ، فجَلسنَا إلى رجل ، فحدَّثنا عن الدجال ، ثم جاء عثمانُ بن أبي العاص ، فقُمنا إليه فجلسنا ، فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يكون للمسلمين ثلاثة أمصار ، مصرٌ بمُلتَقى البَحْرين ، ومصر بالحِيرةِ ، ومصر بالشام ، فيفزع الناسُ ثلاثَ فَزعَاتٍ ، فيخرُج الدجال في أعراض الناس ، فيَهْزِمُ مَنْ قِبَلَ المشرق ، فأول مصر يرده المِصْرُ الذي بمُلْتَقَى البَحرَيْن ، فيصير أهله ثلاثَ فِرَق ، فرقة تقيم تقول : نُشَامُّه[٢] ، ننظر ما هو ؟ وفرقةٌ تلحقُ بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ، ومع الدجال سبعون ألفاً عليهم السِّيجان[٣] ، وأكثر تَبَعِهِ اليهود والنساء ، ثم يأتي المصر الذي يليه ، فيصير أهله ثلاث فرق ، فرقة تقول : نُشَامُّه ، ننظر ما هو ، وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم بغربي الشام ، وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق[٤] فيَبْعَثون سرحاً[٥] لهم ، فيصابُ سرحُهم فيشتد ذلك عليهم ، وتُصيبهم مَجاعَةٌ شَديدةٌ وجَهدٌ شديدٌ ، حتّى إنّ أحدهم ، لَيَحرقُ وَتَر قوْسِهِ فيأكلُه ، فبينما هم كذلك ، إذ نادى مُنادٍ من السَّحَر ، يا أيّها الناسُ أتاكم الْغَوْثُ ثلاثاً ، فيقول بعضُهم لبعض : إنّ هذا الصوتَ لصوتُ رجل شبعان ، وينزل عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام عند صلاة الصبح ، فيقول له أميرُهم : يا رُوحَ الله ، تقدّم صَلِّ فيقول : هذه الأمة أمراءُ بعضُهم على بعْض ، فيتقدم أميرُهم ، فَيُصَلِّي ، فإذا قضى صلاته ، أخذ عيسى عليه السلامُ حَرْبَتَهُ ، فَيذْهَبُ نحو الدجال ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص ، فيضع حَرْبَتَهُ بَيْن ثَنْدُوَتَيْهِ فيقتله ، وينهزم أصحابُه ، فليس يومئذ شيء يوارِي منهم أحداً ،

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » رقم (٤٢٧٠) ، قال الحافظ : عطية بن عطية لا يعرف ، وأتى بخبر موضوع طويل .
(٢) أي نختبره .
(٣) « السِّيجَان » : جمع ساج وهو الطّيلسان الأخضر ، وقيل : هو الطّيلسان المقوّر ينسج كذلك . انظر « النهاية » لابن الأثير (٢/ ٤٣٢) .
(٤) هي فيق في حوران من أرض الشام .
(٥) السرح : المال السائم من الإبل والبقر والغنم .

حتَّى إن الشجرةَ لتقولُ : يا مؤمنُ ، هذا كافر ، ويقول الحَجَر : يا مؤمن هذا كافر ». تفردّ به أحمد[١] .

ولعلّ هذين المصرين هما البصرة والكوفة، بدليل ما رواه الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، حدثنا الحشْرَجُ بن نُبَاتة القَيْسِيّ الكوفيّ، حدثني سعيدُ بن جُمْهَان، حدثنا عبد الله بن أبي بَكْرَة، حدّثني أبي في هذا المسجد ، يعني مسجد البصرة ، قال : قال رسول الله ﷺ: « لَتَنْزِلَنّ طائِفَةٌ من أمّتي أرضاً يُقال لها : البصرة ، يكثرُ بها عددهم ، ويكثرُ بها نَخْلُهم ، ثم يجيء بنو قَنْطُورَاء[٢] صغارالعيون حتى يَنْزِلُوا على جِسْرٍ لَهُمْ ، يقال له دِجْلة ، فيتفرق المسلمون ثلاثَ فِرَق ، فأمّا فرقةٌ فيأخذون بأذناب الإبل ، وتلحق بالبادية ، وهلكت ، وأما فرقة فتأخُذُ على أنفسها فكفرت ، فهذه وتلك سواء ، وأما فرقة فيجعلون عِيَالَهُم خَلْفَ ظُهورِهِمْ ، ويقاتلون ، فقتلاهم شهداء ، و يفتَح الله على بَقِيّتها » .

ثم رواه أحمد عن يزيد بن هارون ، وغيره ، عن العوّام بن حَوْشَب ، عن سعيد بن جُمْهَان ، عن ابن أبي بَكْرَةَ ، عن أبيه ، فذكره ، قال العوَّام : بنو قنطوراءَ هم الترك . ورواه أبو داود عن محمد بن يحيى بن فارس ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه ، عن سعيد بن جُمْهَان ، عن مسلم بن أبي بكرة ، عن أبيه . . . فذكر نحوه[٣] .

وروى أبو داود من حديث بشير بن المهاجر ، عن عبد الله بن بُرَيْدَة ، عن أبيه ، عن النبيّ ﷺ في حديث : « يُقاتلكم قومٌ صغار الأعين » يعني الترك ، قال : « تسوقونهم ثلاث مرات ، حتى تُلْحِقُوهم بجزيرة العرب ، فأمّا في السياقة الأولى فينْجُو مَنْ هرب منهم ، وأما في الثانية فينْجُو بعضٌ ويَهْلِك بعض ، وأما في الثالثة فَيُصطَلَمون[٤] » أو كما قال . لفظ أبي داود[٥] .

وروى الثوريّ ، عن سلمة بن كُهَيْل ، عن أبي الزَّعْراء ، عن ابن مسعود ، قال : يفترق الناسُ عند خروج الدجّال ثلاثَ فرق ، فرقةٌ تتبعه ، وفرقة تَلْحَقُ بأرض آبائها ، بمنابت الشيح ، وفرقة تأخذُ بِشَطّ الفُرات ، يقاتلهم ويقاتلونه ، حتى يجتمع المؤمنون بِقُرى الشام ، ويَبْعَثُون طَلِيعَةً فيهم فارس فرسه أشقر أو أبلق ، فيُقْتَلون فلا يرجعُ منهم بشر[٦] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/٢١٦ ـ ٢١٧) وإسناده ضعيف بطوله ، ولآخره شواهد

(٢) « بنو قنطوراء » : هم التُرك ، وذكرهم حذيفة فيما روي عنه في حديثه فقال : يوشك بنو قنطوراء أن يُخرجوا أهل العراق من عراقهم . . . كأني بهم خُزْر العيون ، خنس الأنوف ، عراض الوجوه ، قال : ويقال : إن قنطوراء كانت جارية لإبراهيم على نبينا وعليه السلام، فولدت له أولاداً، والترك والصين من نسلها . عن «لسان العرب» (قنطر) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٤ ـ ٤٥ و٤٠) وأبو داود رقم (٤٣٠٦) وإسناده ضعيف .

(٤) الصَّيلمْ : القطع المستأصل . انظر « النهاية » (٣/ ٤٩) .

(٥) رواه أبو داود رقم (٤٣٠٥) وإسناده ضعيف .

(٦) رواه الحاكم (٤/ ٤٩٦) وهو حديث صحيح موقوفاً .

حديث عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنهما

قال حنبل بن إسحاق : حدثنا دُحَيم ، حدثنا عبد الله بن يحيى المعَافِريّ ، هو البُرُلُّسِيُّ ، أحدُ الثقات ، عن معاوية بن صالح ، حدثني أبو الوازع : أنه سمع عبد الله بن بسر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَيُدرِكَنّ الدجّال مَن رآني » أو قال : « ليكُونَنّ قريباً مِنْ موتي » . قال شيخنا الذهبيّ : أبو الوازع لا يُعرف ، والحديث مُنكر ، وتقدم في حديث أبي عُبَيْدة شاهدٌ له(١) .

حديث عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه

قال الطبرانيّ : حدثنا العباس بن الفضل الأَسْفاطيّ ، حدثنا زيد بن الحَرِيش ، حدثنا أبو هَمَّام ، محمد بن الزِّبْرقان ، حدثنا موسى بن عُبَيدة ، حدثني زيد بن عبد الرحمن(٢) ، عن سَلمة بن الأَكوع ، قال : أقبلتُ مع رسول الله ﷺ من قِبل العَقِيق ، حتى إذا كُنّا مع الثَّنِيَّة ، قال : « إني لأَنْظر إلى مَواقع عَدُوّ الله المسيح ، إنّه يُقْبِلُ حتَّى يَنْزِلَ من كذا ، حتى يخرج إليه الغوغاء ، ما من نَقْبٍ من أنقاب المدينة إلا عليه مَلَكٌ أو مَلَكَان يَحْرُسانِه ، معه صُورَتان ، صورةُ الجَنَّة ، وصُورةُ النار ، خضراء ، ومعه شياطينُ يَتَشَبّهونَ بالأموات ، يقول للحيّ : تَعْرِفُني ؟ أنا أخوك ، أنا أبوك ، أنا ذو قرابةٍ منك ، ألستُ قَدْ مِتُّ ؟ هذا رَبُّنَا فاتَّبِعْهُ ، فيقضي الله ما شاء منه ، ويبعثُ الله له رجلاً من المسلمين ، فيُسكِتُه ، ويُبَكّته ويقول : هذا الكذّاب ، يا أيها الناس ، لا يغرّنّكم ، فإنه كذّاب ، ويقول باطلاً ، وليس ربُّكم بأعور ، فيقول : هل أنتَ مُتّبعي ؟ فيأبى ، فَيَشُقُّهُ شِقَّتين ، ويَفْصِلُ ذلك ، ويقول : أُعيده لكم ؟ فيَبعْثُهُ الله أَشَدَّ ما كان تَكْذيباً له ، وأشد شَتْماً ، فيقول : أيُّها الناسُ ، إن ما رأيْتم بلاءٌ ابتُلِيتُم به ، وفِتْنَة افْتُتِنْتم بها ، إنْ كانَ صَادقاً فلْيُعِدْني مَرَّةً أخْرَى ، ألاَ هُوَ كَذَّابٌ ، فيأمر به إلى هذه النار ، وهي صورة الجَنّة ، ثم يخرج قِبلَ الشام » .

موسى بن عُبَيدَة الرّبذي ضعيف ، وهذا السياق فيه غرابة ، والله أعلم(٣) .

حديث محجن بن الأدرع رضي الله عنه

قال أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا حماد ، يعني ابن سَلمة ، عن سعيد الجُرَيريّ ، عن عبد الله بن شَقيق ، عن محْجَن بن الأَدْرَع : أن رسول الله ﷺ خطب الناس ، فقال : « يومُ الخلاص وما يوم الخلاص ؟! » ثلاثاً . فقيل له : وما يومُ الخلاص ؟ قال : « يجيءُ الدجّال ، فيَصْعَدُ أُحُداً ، فيَنظُرُ إلى

(١) رواه حنبل بن إسحاق في كتاب « الفتن » رقم (٢١) .
(٢) في الأصول : يزيد بن عبد الرحمن ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (٦٣٠٥) .

المدينة ، فيقول لأصحابه : هل ترون هذا القصر الأبيض ، هذا مسجد أحمد ، ثم يأتي المدينة ، فيجدُ بكلِّ نَقْبٍ من أنْقابها مَلَكاً مُصْلِتاً ، فيأتي سبَخَةَ الجُرُف ، فيَضْرِبُ رِواقَه ، ثم ترْجُفُ المَدينَةُ ثلاثَ رَجَفَاتٍ ، فلا يبقى مُنافِقٌ ولا مُنَافِقَةٌ ، ولا فاسق ، ولا فاسقة ، إلا خرج إليه ، فذلك يومُ الخلاص » .
تفرد به أحمد .

ثم رواه أحمد عن غُنْدر ، عن شُعْبة ، عن أبي بِشْر ، عن عبد الله بن شَقيق ، عن رَجَاء بن رجاء ، عن مِحْجن بن الأَدْرع ، قال : أخذ رسول الله ﷺ بيَدي فصعِد على أُحُدٍ ، فأشرف على المدينة ، فقال : « ويلُ اَمِّها قريةً يَدَعُها أهلُها خير ما تكون » أو « كأخير ما تكون » فيأتيها الدجَّالُ ، فيجدُ على كلِّ بابٍ مِنْ أبوابها مَلَكاً مُصْلِتاً بجَنَاحِهِ فلا يدخلُها » قال : ثم نزل وهو آخذٌ بيدي ، فدَخل المسجدَ ، فإذا رجل يُصَلِّي ، فقال لي : « مَنْ هذا ؟ » فأثْنَيتُ عليه خَيْراً ، فقال : « اسكتْ ، لا تُسْمِعْهُ فتُهلِكَه » قال : ثم أتى حُجْرةَ امرأةٍ من نسائه ، فنفضَ يدَهُ مِنْ يدي ، وقال : « إنَّ خَيْر دينكم أيْسَرُهُ ، إنَّ خَيْرَ دِينكم أيسره »(١) .

حديث آخر

قال مَعْمَرٌ في « جامعه » ، عن الزهريّ : أخبرني عمرو بن [أبي] سُفْيانَ الثقفيّ ، أخبرني رجل من الأنصار ، عن بعض أصحاب محمد ﷺ ، قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجّال ، فقال : « يأتي سِباخَ المدينة ، وهو مُحَرّم عليه أن يَدْخُلَها ، فَتَنْتَفِضُ بأهلها نَفْضَةً ، أو نَفْضَتينِ ، وهي الزلزلةُ ، فيخرُج إليه منها كلُّ منافق ، ومنافقة ، ثم يُوَلِّي الدجّالُ قِبلَ الشام ، حتَّى يأْتِيَ بعضَ جبَال الشام ، وَبقيّةُ المسلمين يومَئِذ مُعتصمون بِذورة جَبَل ، فيُحاصرهم نازلاً بأصله ، حتى إذا طال عليهم البلاءُ ، قال رجل : حتى متى أنتُمْ هكذا وعدّو الله نازل بأصل جَبَلكم ؟ هل أنتم إلاّ بين إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ ، بَينَ أَنْ يسْتَشهدَكُم ، أو يظهركم الله عليه ، فيتبايعون على الموت بَيعْةً يَعْلَمُ الله أنها الصدق من أنْفسهم ، ثم تأخذهم ظُلْمَةٌ لَا يُبْصِرُ امرؤ كَفَّهُ ، فَيَنزِلُ ابنُ مريَم ، فَيَحْسِرُ عن أبصارهم وبين أظْهُرِهمْ رجلٌ عليه لأْمة فيقولون: من أنت ؟ فيقول : أنا عبدُ الله ، ورسوله ، ورُوحُه ، وكَلِمتُه عيسى ، اختارُوا إحدَى ثلاثٍ ، بين أن يَبْعَثَ الله على الدجّال وجُنوده عَذَاباً من السماء ، أو يَخْسِفَ بهِمُ الأرض ، أو يُسَلِّط عليهم سِلاَحَكُمْ ، ويكفَّ سلاحهم عنكم ، فيقولون : هذه يا رسول الله أشْفَى لِصُدُورنا ، فيومئذ يُرى اليهُودِيّ العظيمُ الطويل الأكُولَ الشَّرُوبَ ، لا تُقِلُّ يَدُه سَيْفَه من الرِّعْدَةِ ، فينزلون إليهم ، فيُسَلَّطُونَ عَلَيْهِم ، ويَذُوبُ الدجّالُ ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/٣٣٨) وهو حديث ضعيف ، دون جملة : « إن خير دينكم أيسره » فهي صحيحة .

حتّى يُدركه عيسى ابنُ مَريَم ، فَيْقتُلَه » . قال شيخنا الحافظ الذهبيّ : هذا حديث قويّ الإسناد[١] .

حديث نَهِيك بن صُرَيم رضي الله عنه

قال الحافظ أبو بكر البزّار : حدثنا أبو موسى الزَّمِن ، حدّثنا إبراهيم بن سليمان ، حدثنا محمد بن أَبَانَ ، عن يزيد بن يزيد بن جابر ، عن بسر بن عُبَيد الله ، عن أبي إدريس ، عن نَهِيك بن صُريم السَّكُونيّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَتُقَاتِلُنَّ المُشركين ، حتى يقاتل بَقِيّتكُم الدجّالَ على نهر الأُرْدُنّ ، أنتم شَرْقيَّهُ ، وهو غَرْبيّه » قال : وما أدري أيْنَ الأُرْدُنّ يومَئِذ من الأرض ؟ وكذا رواه سعيد بن سالم ، وعبد الحميد بن صالح[٢] .

حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قال أحمد : حدثنا قُتَيْبةُ ، حدثنا يعقوبُ ، عن سُهَيْل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ ، قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتل المسلمونَ اليَهُودَ ، فَيَقْتُلَهم المُسلِمُونَ ، حتَّى يختبئ اليهوديّ من وراء الحَجَر ، والشجر ، فيقول الحجر ، أو الشجر : يا مُسلم ، يا عبدالله ، هذا اليهوديّ من خلفي ، فتعال فاقتُلْه ، إلا الغَرْقد ، فإنّه من شجر اليهود »[٣] .

وقد روى مسلم عن قُتَيبة ، بهذا الإسناد : « لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا الترك . . . » الحديث[٤] ، وقد تقدّم الحديث بطرقه ، وألفاظه ، والظاهر والله أعلم أن المراد بهؤلاء الترك أنصار الدجّال ، كما تقدّم في حديث أبي بكر الصديق الذي رواه أحمد والترمذيّ وابن ماجه .

طريقٌ أخرى عن أبي هريرة

قال أحمد : حدَّثنا حُسين بن محمد ، حدَّثنا جَريرٌ ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيمَ التَّيْميِّ ، عن أبي سَلَمةَ ، عن أبي هريرة ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لَيَنْزِلَنَّ الدَّجَّالُ بِخُوزَ وَكِرْمَانَ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ »[٥] إسناده جيدٌ قويٌّ حسنٌ[٦] .

---

(١) رواه معمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٣٤) .
(٢) رواه البزار (٣٣٨٧ ـ كشف الأستار) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤١٧) ومسلم رقم (٢٩٢٢) .
(٤) رواه مسلم رقم (٢٩١٢) (٦٥) .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) .
(٦) أقول : لكن فيه عنعنة ابن إسحاق .

طريقٌ أخرى عن أبي هريرة

قال حنبلُ بن إسحاق : حدَّثنا سُريجُ بنُ النعمان ، حدَّثنا فُليحٌ ، عن الحارث بن فُضيلٍ ، عن زياد بن سعدٍ ، عن أبي هريرةَ ، أنَّ رسول الله ﷺ خطب الناس ، وذكَر الدَّجَّالَ ، فقال : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ [قبلي] إلاَّ [قد] حَذَّرَهُ أُمَّتَهُ ، وَسَأَصِفُهُ لَكُمْ مَا لَمْ يَصِفْهُ نَبِيٌّ قَبْلِي ؛ إِنَّهُ أَعْوَرُ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ . يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ يَكْتُبُ أَوْ لاَ يَكْتُبُ » . هذا إسنادٌ جيدٌ لَمْ يُخْرِجُوه(١) .

طريق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال أحمد : حدّثنا سُرَيْجٌ ، حدّثنا فُلَيْح ، عن عمر بن العلاء الثقفيّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال : « المدينةُ ومكة محفوفتان بالملائكة ، على كلِّ نَقْبٍ منهما مَلَك ، لا يدخلهما الدجّال ولا الطاعون » . هذا غريب جداً ، وذِكْر مَكَّةَ في هذا ليس بمحفوظ ، أو ذكر الطاعون(٢) ، والله أعلم ، والعلاء الثقفيّ هذا إن كان ابن زَيْدَلٍ فهو كذّاب .

طريق أخرى عنه

قال البخاري ومسلم : حدّثنا زُهَيْرٌ ، حدثنا جَرير ، عن عُمَارةَ ، عن أبي زُرعة ، عن أبي هريرة ، قال : ما زِلْتُ أُحِبُّ بني تَمِيم ، مُنذُ ثلاثٍ ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ ، يقول : « هم أَشَدُّ أمّتي على الدجّال » قال : وجاءت صَدَقَاتُهم ، فقال رسولُ الله ﷺ : « هذه صدقات قَومي » قال : وكانت سبِيّة منهم عند عائشة ، فقال رسول الله ﷺ : « أَعتقيها فإنّها من ولدِ إسماعيل »(٣) .

حديث عِمران بن حُصين رضي الله عنه

قال أبو داود : حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا جرير ، حدثنا حُمَيْدُ بنُ هلال ، عن أبي الدّهماء ، قال : سمعتُ عِمْرانَ بن حُصَيْن يُحَدّث قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَمِع بالدجّال فَلْينأ عَنْه ، فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يَحْسَبُ أنّه مؤمن فيَتَّبعه مما يُبْعث به من الشبهات ، أو

---

(١) رواه حنبل بن إسحاق في كتاب « الفتن » (٢٨) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٨٣) وعصمة مكة من الدجال ، رواه البخاري رقم (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣) من حديث أنس ، وعصمة المدينة من الطاعون أخرجه البخاري (١٨٨٠) ومسلم (١٣٧٩) من حديث المُجمر عن أبي هريرة ، وأما عصمة مكة من الطاعون ، فلا تصح ، كما أشار إليها المصنف ، وستأتي هذه الأحاديث قبيل ملخص سيرة الدجال .

(٣) أخرجه البخاري رقم (٢٥٤٣) ومسلم (٢٥٢٥) .

لما يُبْعثُ به من الشبهات » . هكذا قال . تفردّ به أبو داود[(١)] .

وقال أحمد : حدّثنا يحيى بن سعيد ، حدّثنا هشام بن حسّانَ ، حدثنا حُمَيد بنُ هلال ، عن أبي الدّهماء ، عن عمران بن حُصَيْن ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « مَنْ سمع بالدجّال فلينأ عنه ، فإنّ الرجل يأتيه يَحْسَبُ أنّه مؤمنٌ ، فما يزالُ به لما مَعَهُ من الشُّبَه حتّى يَتبعهُ » . وكذلك رواه عن يزيد بن هارون ، عن هشام بن حسّان ، وهذا إسناد جيد ، وأبو الدهماء واسمه قِرْفَةُ بن بُهَيْس العدَوِيّ ، ثِقَة[(٢)] .

وقال سُفيان بن عُيَيْنَة ، عن عليّ بن زَيْد ، عن الحسن ، عن عمْران بن الحُصَيْن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد أكلَ الطَّعامَ ، وَمشَى في الأسْواقِ » يعني الدجّال[(٣)] .

حديث عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه

قال أبو داود : حدّثنا حَيْوةُ بنُ شُرَيح ، حدّثنا بَقِيَّة ، حدّثنا بَحِير ، عن خالد ، عن عمرو بن الأسود ، عن جُنَادة بن أبي أميّة ، عن عُبادة بن الصامت : أنّه حدّثهم أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّي قد حدّثتكم عن الدجال ، حتى خَشيتُ ألاّ تَعقلُوا ، إنّ المسيح الدجّال رجل قصير ، أفحَجُ[(٤)] ، جعْدٌ ، أعورُ ، مطْمُوس العَيْن ، ليس بنَاتئةٍ ولا جَحْراءَ[(٥)] ، فإن لُبِّسَ عَليكم ، فاعلموا أنّ ربَّكُمْ ليس بأعور » . ورواه أحمد عن حَيْوة بن شُرَيح ، ويزيد بن عبد ربّه ، والنسائيُّ عن إسحاق بن إبراهيم ، كلّهم عن بَقِيّة بن الوليد به[(٦)] .

حديثٌ عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ

رواه الطبرانيُّ مِن طريق أنس بن عياضٍ ، عن عُبيدِ اللهِ[(٧)] بن عمرَ ، حدَّثني بعضُ أصحابِنا عن أسماءَ بنت عُمَيس ، أنها شكَتْ إلى رسولِ الله ﷺ الحاجةَ ، فقال : « كَيْفَ بِكُمْ إذَا ابْتُلِيتُمْ بِعَبْدٍ قَدْ سُخِّرَتْ لَهُ أَنْهَارُ الأَرْضِ وَثِمَارُهَا ، فَمَنِ اتَّبَعَهُ أَطْعَمَهُ وَأَكْفَرَهُ ، وَمَنْ عَصَاهُ حَرَمَهُ وَمَنَعَهُ ؟ » فقلتُ : يا رسول الله ، إنَّ الجارية لَتُخْلَفَنَّ[(٨)] على التَّنُّورِ ساعةَ تَخْبِزُهَا ، أكادُ أَفْتَتِنُ بِها في صلاتي ، فكيف بِنا إذا كان ذلك ؟ فقال : « إنَّ اللهَ لَيَعْصِمُ المُؤْمِنِينَ بِمَا يَعْصِمُ بِهِ الْمَلائِكَةَ

---

(١) رواه أبو داود (٤٣١٩) وهو حديث صحيح .
(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٤٣١) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٤٤٤) وإسناده ضعيف .
(٤) أي بعيد ما بين الفخذين . انظر « النهاية » (٣/ ٤١٥) .
(٥) أي غائرة .
(٦) رواه أبو داود رقم (٤٣٢٠) وأحمد في المسند (٥/ ٣٢٤) والنسائي في «الكبرى» رقم (٧٧٦٤) وهو حديث حسن بشواهده .
(٧) في (م) : عبد الله ، والتصحيح من كتب الرجال . .
(٨) في هامش (م) : لتحتبسن .

مِنَ التَّسْبيح ، مكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ »[١] .

حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه

قال مسلم : حدثنا شهابُ بنُ عَبّاد العَبْدِيّ ، حدثنا إبراهيم بن حُمَيْد الرؤاسي ، عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن المغيرة بن شُعْبة ، قال : ما سأل أحدٌ النبي ﷺ عن الدجّال أكثرَ مِمّا سألتُ ، قال : « وما يُنْصِبُكَ منه ، إنّه لا يضرك » قال : قلت : يا رسول الله إنّهم يقولون : إنّ معه الطعامَ ، والأنهار ، قال : « هو أهْوَنُ على الله من ذلك » .

حدثنا سُرَيْجُ بن يونس ، حدثنا هُشَيم ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن المغيرة بن شُعْبة ، قال : ما سأل أحدٌ النبيَّ ﷺ عن الدجّال أكثرَ ممّا سألته ، قال : « وما سُؤالك ؟ » قال : قلت : إنّهم يقولون : معه جبَالٌ من خُبْز ، وَلحْم ، ونَهْرٌ من ماءٍ ، قال : « هو أهْوَنُ على الله من ذلك » .

ورواه مسلم أيضاً في الاستئذان من طرق كثيرة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، وأخرجه البخاري عن مُسدَّد ، عن يحيى القَطّان ، عن إسماعيل به[٢] .

وقد تقدم في حديث حذيفة وغيره ، أنّ ماءه نار ، وناره ماء بارد ، وإنما يُخَيَّل ذلك في رأي العين .

وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء كابنِ حزم ، والطحاويّ ، وغيرهما ، في أن الدجّال مُمَخْرِقٌ مُمَوِّه ، لا حقيقة لما يُبْدِي للناس من الأمور التي تُشَاهَدُ في زَمانه ، بل كُلُّها خَيَالاَتٌ عندَ هؤلاء ، وقال الشيخ أبو عليّ الجُبّائي شيخُ المعتزلة : لَا يجُوز أن يكون لذلك حقيقة لئَلاّ يشتبه خَارِقُ السَّاحِرِ بخَارِق النبيّ ، وقد أجابه القاضي عياضٌ وغيرُه : بأنّ الدجّال إنّما يَدّعي الإلـٰهيّةَ ، وذلك منافٍ لبَشَرِيته ، فلا يَمْتنِعُ إجْراءُ الخَارق على يَدَيهِ والحالةُ هذه .

وقد أنكرت طوائفُ كثيرة من الخوارج ، والجَهْمِيّة ، وبعضُ المعتزلة ، خروجَ الدجّال بالكلّية ، وردّوا الأحاديث الواردة فيه ، فلم يصنعوا شيئاً ، وخرَجوا بذلك عن حيّز العلماء ، لردّهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة ، من غير وجهٍ ، عن رسول الله ﷺ ، كما تقدّم ذلك ، وإنما أوردنا بعض ما ورد في هذا الباب ، وإن كان فيه كفايةٌ ومَقْنَع ، وبالله المُستَعان .

والذي يظهر من الأحاديث المتقدّمة : أنّ الدجال يَمْتَحِنُ اللهُ بهِ عِبادَهُ ، بما يَخْلُقه مَعَهُ من الخَوَارق المُشَاهَدةِ في زمانه ، كما تقدّم أنّ من استجاب له يأمرُ السماءَ فتُمْطِرُهم ، والأرضَ فتُنبِتُ لهم زَرْعاً

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٤/ ٤٠٢) وفي سنده جهالة .
(٢) رواه مسلم (٢٩٣٩) و(٢١٥٢) والبخاري (٧١٢٢) .

تأكلُ مِنه أنْعامُهُمْ وأنْفُسُهمْ ، وَترجِعُ إليهم مواشيهم سِماناً لُبناً ، ومَنْ لاَ يستجِيبُ لَهُ ، وَيَردّ عليه أمْرَهُ تُصيبُهم السَّنَةُ والجَدْبُ ، والقَحْطُ ، والغُلَّةُ ، و[مَوْتُ] الأنعام ، وَنَقصُ الأموال والأنفس والثّمرات ، وأنّه يَتْبَعهُ كنُوز الأرض كيَعَاسِيب النّحْلِ ، وأنه يَقْتلُ ذَلِك الشَّابّ ، ثم يحييه ، وهذا كلُّه ليس بمَخْرقَةٍ ، بل له حقيقة امْتحَنَ اللهُ بِها عِبادَه ، في ذلك الزمان ، فيُضِلّ به كثيراً ، ويَهْدِي به كثيراً ، يَكْفر المرتابون ، ويزْدَادُ الذين آمنوا إيماناً ، وقد حمل القاضي عياضٌ وغيرُه على هذا المعنى معنى الحديث : « هو أهْوَنُ على الله من ذلك » ، أي هو أقلّ من أن يكون معه ما يُضِلّ به عباده المؤمنين ، وما ذاك إلا لأنه ناقص ، ظاهر النقص ، والفجور ، والظلم ، وإن كان معه ما معه من الخوارق ، فَبينَ عينيه مكتوب : كافر ، كتابةً ظاهرةً ، وقد حقق ذلك الشارع في خبره بقوله : ك ف ر ، فدلَّ ذلك على أنه كتابةٌ حِسية ، لا معنوية ، كما يقوله بعضُ الناس ، وعينهُ الواحدةُ عوراءُ ، شَنِيعَةُ المَنْظَرِ ، ناتئة ، وهو معنى قوله : « كأنّها عِنَبَةٌ طافِيَةٌ » أي على وجه الماء ، ومن روى ذلك « طافئة » : فمعناه لا ضوء فيها ، وفي الحديث الآخر : « كأنّها نُخَامةٌ على حائط مُجَصّص » ، أي بَشِعَةُ الشَّكْلِ .

وقد روي في بعض الأحاديث : أن عينه اليُمنى عوراء ، وجاء في بعضها : اليُسرى ، فإما أن تكون إحدى الروايتين غير محفوظة ، أو أنّ العَوَر حاصلٌ في كلٍّ من العَيْنَيْنِ ، ويكون معنى العَوَرِ النقصُ ، والعَيْبُ ، ويُقوي هذا الجواب ما رواه الطبرانيّ : حدّثنا محمد بن محمد بن التمار ، وأبو خليفة ، قالا : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا زائدة ، حدثنا سِمَاكٌ ، عن عكْرِمَة ، عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الدجّال جَعْدٌ ، هِجَانٌ ، أقْمَرُ ، كأن رأسه غُصْن شَجَرةٍ ، مَطْمُوسُ عَينه اليُسْرَى ، والأخرى كأنها عِنَبةٌ طَافِيَةٌ . . . » الحديث ، وكذلك رواه سُفيان الثوريّ ، عن سِماكٍ بنحوه[١] .

لكن قد جاء في الحديث المتقدّم : « وعينُه الأخرى كأنّها كوكب دُرّيّ » :

وعلى هذا فتكون الرواية الواحدة غَلَطاً ، ويحتمل أن يكون المرادُ : أن العين الواحدةَ عَوْراء في نفسها ، والأخرى : عوراءُ باعتبار انفرادها ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وقد سأل سائل سؤالاً ، فقال : ما الحكمة في أنّ الدجّال مع كثرة شَرّه وفجُوره ، وانتشار أمره ، ودعواه الربوبية ، وهو في ذلك ظاهر الكذب ، والافتراء ، وقد حذّر منه جميعُ الأنبياء ، كيف لم يُذكر في القرآن ويُحَذّر منه ، ويُصَرّح باسمه ، ويُنَوّه بكَذِبه ، وعِنَادِه ؟ فالجواب من وجوه :

أحدها : أنه قد أشير إلى ذِكره في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا . . . ﴾ الآية [الأنعام : ١٥٨] ، قال أبو عيسى الترمذيّ عند تفسيرها : حدّثنا عبدُ بنُ حُمَيْد ، حدثنا يَعْلَى بنُ عُبَيْد ، عن فُضَيْل بن غَزْوَانَ ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، عن

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١٧١٢) و(١١٧١٣) .

النبي ﷺ قال : « ثلاثٌ إذا خَرَجْنَ لا يَنْفَع نَفْساً إيمانُها لم تكُن آمنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْراً ، الدجّال ، والدابّة ، وطلوعُ الشمس من المغرب ، أو من مَغْربها » ثم قال : هذا حديث حسن صحيح[1] .

الثاني : أنّ عيسى ابنَ مريم يَنْزلُ مِنَ السماء الدُّنْيا ، فيَقْتلُ الدجّال ، كما تقدّم ، وكما سيأتي ، وقد ذُكر في القرآن نزولهُ في قوله تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء] .

وقد قرّرنا في التفسير أنّ الضمير في قوله تعالى : ﴿ قبل موته ﴾ عائدٌ على عيسىٰ ، أي سينزل إلى الأرض ، ويُؤمن به أهلُ الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافاً مُتبايِناً ، فمِن مُدَّعِي الإلـٰهية كالنصارىٰ ، ومِن قائلٍ فيه قولاً عظيماً ، وهو أنّه وَلَدُ زَنْيةٍ ، وهم اليهودُ ، ومِن قائل : إنه قتل وصلب ومات ، إلى غير ذلك ، فإذا نزل إلى الأرض قبل يوم القيامة تحقّق كلٌّ من الفريقين كذبَ نفسه فيما يدَّعيه فيه من الافتراء ، وسنقرر هذا قريباً ، وعلى هذا فيكون ذِكر نزول المسيح عيسى ابن مريم إشارَةً إلى ذكر المسيح الدجّال ، مسيح الضَّلالَةِ ، وهو ضِد مَسِيح الهُدَى ، ومن عادة العرب أنّها تكتفي بذِكر أحد الضدّين عن ذِكر الآخر ، كما هو مقررٌ في موضعه .

الثالث : أنّ الدجال لم يُذكر بصريح اسمه في القرآن احتقاراً له ، حيث إنه ادَّعى الإلـٰهيّةَ وهو بشر ، وهو مع بشريّته ، ناقص الخَلْق ، حقير ، وذلك يُنافي جَلال الربّ وعظمته وكبريائه ، وتَنْزيهه عن النَّقص ، فكان أمرُه عند الرَّب أحقر مِنْ أن يُذْكَرَ ، وأصغر ، وأَدْحَرَ مِنْ أن يُجَلَّى عَنْ أمْرِ دَعْواه ، ويُحَذَّرَ ، ولكن انتصر الرسلُ لجَناب الربّ عزّ وجلّ فَجلَّوْا لأممهم عن أمره ، وحذّروهم ما معه من الفتن المُضلّة ، والخوَارِق المنقضية المضمحلّة ، فاكتفى بإخبار الأنبياء ، وتواتُرِ ذلك عن سيّد ولد آدم إمام الأتقياء ، عن أن يُذكَر أمرهُ الحقير بالنسبة إلى جلال الله ، في القرآن العظيم ، ووَكل بيانَ أمره إلى كلّ نبيّ كريم .

فإن قلت : فقد ذُكِرَ فرعونُ في القرآن ، وقد ادّعى ما ادّعاه من الإلـٰهية والكذب ، والبُهتان ، حيثُ قال : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص : ٣٨] ، فالجواب أن أمر فرعون قد انقضى ، وتبيّن كَذِبُه لِكل مؤمن ، وعاقلٍ ، وأمر الدجّال سيأتي ، وهو كائن فيما يُستَقبَلُ فِتْنةً واختباراً للعباد ، فتُرك ذِكرُه في القرآن احتقاراً له ، وامتحاناً به ، إذْ أمرُه وكذبه أظهر من أن يُنبَّه عليه ، ويُحَذَّرَ منه ، وقد يُترك ذِكرُ الشيء لوضُوحه ، كما كان

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٧٢) .

رسولُ الله ﷺ في مرضِ موْتِه قد عزم على أنْ يَكْتُبَ كتاباً بخلافة أبي بكر الصدّيق مِن بعده ، ثم تركَ ذلك ، وقال : « يأبى اللهُ والمُؤمنُونَ إلاّ أبا بَكر »[١] فترك نَصَّهُ عَليه لوُضوح جلالته ، وعظيم قدره عند الصحابة ، وعلم عليه الصلاة والسلامُ أنّهم لا يَعْدلُون به أحداً بَعْدَهُ ، وكذلك وقع الأمرُ ، ولهذا يُذكر هذا الحديث في دلائل النبوّة ، كما تقدم ذِكْرُنَا له غيرَ مرة في مواضعَ من هذا الكتاب .

وهذا المقامُ الذي نحن فيه من هذا القَبيل ، وهو أن الشيء قد يكون ظهوره كافياً عن التنصيص عليه ، وأن الأمر أظهرُ وأوضح وأجْلى من أن يُحْتاجَ معه إلى زيادةِ إيضاح على ما في القلوب مستقر ، فالدجّال واضح الذمّ ، ظاهر النقص ، بالنسبة إلى المقام الذي يَدَّعيه ، من الربُوبيّة ، فتَركَ اللهُ ذِكْرهُ والنصَّ عَلَيه ، لما يَعْلَمُ تعالى من عباده المُؤمنين ، من أن مثلَ الدجال لا يخفى ضلاله عليهم ، ولا يَهيضُهُمْ ولا يزيدهم إلاّ إيماناً ، وتسليماً لله ، ولرسوله ، وتصديقاً للحق ، ورداً للباطل .

ولهذا يقول ذلك المؤمن الذي يُسَلَّطُ عليه الدجّال ، فيقتُلهُ ، ثم يُحْييه : واللهِ ما ازدَدْتُ فِيك إلا بصيرةً ، أنت الأعور الكذَّاب الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ ، ولا يلزم من هذا أنه سمع خبر الدجال من رسول الله ﷺ شِفاهاً .

وقد أخذ بظاهره إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الراوي للصحيح ، عن مسلم ، فحكى عن بعضهم أنه الخَضِرُ عليه السلام[٢] ، وحكاه القاضي عياض عن معْمر في « جامعه »[٣] .

وقد قال أحمد في « مسْنده » ، وأبو داود في « سننه » ، والترمذي في « جامعه » ، بإسنادهم إلى أبي عبيدة : أن رسول الله ﷺ قال : « لعله سيدركه من رآني ، وسمع كلامي » وهذا مما قد يَتقوّى به بعضُ من يقول بهذا ، ولكن في إسناده غرابة[٤] ، ولعل هذا كان قبل أن يُبيَّن له ﷺ من أمر الدجّال ما بُيِّن في ثاني الحال ، والله أعلم .

وقد ذكرنا في قصة الخضر كلام الناس في حياته ، ودلَّلنا على وفاته بأدلة أسلفناها هنالك ، فمن أراد الوقوف عليها فليتأمَّلها في قَصَص الأنبياء من كتابنا هذا والله أعلم بالصواب .

ذكر ما يعصم من الدجَّال

فمن ذلك الاستعاذة من فتنته ، فقد ثبت في الأحاديث الصحاح ، من غير وجه أن رسولَ الله ﷺ

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٨٧) .

(٢) ذكره في صحيح مسلم بعد الحديث (٢٩٣٨) .

(٣) « جامع معمر » الملحق بمصنف عبد الرزاق رقم (٢٠٨٢٤) .

(٤) رواه أحمد في المسند (١/ ١٩٥) وأبو داود رقم (٤٧٥٦) والترمذي (٢٢٣٤) وإسناده ضعيف ، كما أشار المؤلف إلى ذلك .

كان يتعوّذ من فتنة الدجال في الصلاة ، وأنه أمر أمته بذلك أيضاً : « اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن فتنة القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال » . وذلك من حديث أنس ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وابن عباس ، وسعد ، وعمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، وغيرهم[١] . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : والاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول الله ﷺ .

ومن ذلك حفظ آيات من سورة الكهف ، كما قال أبو داود : حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا هَمَّامٌ عن قتادة ، حدثنا سالم بن أبي الجَعْد ، عن معْدان ، عن أبي الدرداء ، يرويه عن رسول الله ﷺ : قال : « من حَفِظَ عَشْر آياتٍ من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » ، قال أبو داود : وكذا قال هشام الدَّسْتوائي عن قتادة ، إلا أنه قال : « من حفظ من خواتيم سورة الكهف » ، وقال شعبة ، عن قتَادة : « من آخر الكهف »[٢] .

وقد رواه مسلم ، من حديث هَمَّام ، وهِشَام ، وشُعْبَة ، عن قتادة به بألفاظٍ مُختلفةٍ ، وقال الترمذيّ : حسن صحيح ، وفي بعض رواياته : « الثلاث آيات من أوّل سورة الكهف » . ورواه أحمد عن يزيد بن هارون ، وعفّان ، وعبد الصمد ، عن هَمَّامٍ ، عن قَتادَةَ به : « مَنْ حَفِظَ عَشْر آياتٍ مِنْ أول سُورَةِ الكَهْفِ عُصمَ مِنَ الدجّال » ، وكذلك رواه عن رَوْح عن سعيد ، عن قتادة ، بمثله ، ورواه عن حُسَيْن ، عن شيبان ، عن قَتَادةَ كذلك ، وقد رواه عن غُنْدَر ، وحَجّاج عن شُعْبَةَ ، عن قتادة ، وقال : « مَنْ حفِظ عشر آيات من آخر سورة الكهف عصم من فتنة الدجّال »[٣] .

ومن ذلك الابتعادُ عنْهُ ، فلا يراه ، فإن من رآه افتتن ، كما تقدّم في حديث عمران بن حُصَيْن : « من سمع بالدجال فلْيَنْأَ عنه ، فوالله إن المؤمن ليَأْتِيه وهو يَحْسبُ أنّه مُؤمن فيتّبعه لما يبعث به مِنْ الشبهات »[٤] .

ومما يعصم من فتنة الدجال سكنى المدينة النبوية ومكة ، شرفهما الله تعالى .

فقد روى البخاريّ ، ومسلم ، من حديث الإمام مالك رضي الله عنه عن نُعَيمٍ الْمُجْمِر عن

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٠٧) وأصله في مسلم رقم (٢٧٠٦) من حديث أنس ، والبخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة ، والبخاري (٨٣٢) ومسلم (٥٨٧) من حديث عائشة ، ومسلم (٥٩٠) من حديث ابن عباس ، والبخاري (٦٣٦٥) من حديث سعد ، والنسائي (٨/ ٢٦٩) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وفي بعض ألفاظ حديث أبي هريرة عند مسلم الأمر بذلك .

(٢) هكذا في هذه الرواية : (من آخرها) وهي شاذة ، والصواب (من أولها) ، كما في صحيح مسلم (٨٠٩) .

(٣) رواه أبو داود (٤٣٢٣) ومسلم (٨٠٩) والترمذي (٢٨٨٦) وأحمد (٥/ ١٩٦) و(٦/ ٤٤٩ و٤٤٦) .

(٤) رواه أحمد (٤/ ٤٣١) و(٤٤١) وأبو داود (٤٣١٩) وهو حديث صحيح .

أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « على أنقاب المدينة ملائكةٌ لا يدخلُها الطاعُون ، ولا الدجال »[١] .

وقال البخاريّ : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثني إبراهيمُ بن سعد ، عن أبيه [عن جده] عن أبي بكرة ، عن النبيّ ﷺ قال : « لا يدخلُ المدينةَ رُعْبُ المسيح الدجّال ، لها يومئذ سَبْعَةُ أبواب ، على كلّ بابٍ مَلَكان »[٢] . وقد روى هذا جماعةٌ من الصحابة ، منهم : أبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وسلمةُ بنُ الأكْوَع ، ومِحْجَنُ بن الأدْرَع ، كما تقدم .

وقال الترمذيّ : حدّثنا عَبْدَةُ بنُ عبد الله الخُزَاعِيّ ، حدثنا يزيدُ بنُ هارون ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي الدجّالُ المدينةَ ، فيجدُ الملائكةَ يَحْرُسُونَها ، فلا يدخلُها الطاعون ، ولا الدجّال إن شاء الله تعالى » . وأخرجه البخاريّ عن يحيى بن موسى ، وإسحاق بن أبي عيسى ، عن يزيد بن هارون به ، ثم قال الترمذيّ : هذا حديث صحيح . وفي الباب عن أبي هريرة ، وفاطمةَ بنتِ قيس ، ومِحْجَن ، وأسامةَ ، وسَمُرةَ بن جُنْدُبٍ ، رضي الله عنهم أجمعين[٣] . وقد ثبت في « الصحيح » أنّه لا يدخُل مَكّةَ ولا المدينة ، تمنعه الملائكة لشرف هاتين البُقْعَتيْن ، فهما حَرَمانِ آمنانِ ، وإنما إذا نزل عند سبخَةِ المَدينة تَرْجُف بأهلها ثلاثَ رَجَفَاتٍ ، إمَّا حِسّاً وإما معنىً ، على القولين ، فيخرج إليه كلُّ منافق ومنافقة[٤] ، فيومئذ تنفي المدينةُ خَبَثَها وَينْصَعُ طِيبُها ، كما تقدّم .

ملخص سيرة الدَّجَّال لعنه الله تعالى

هو رجل من بني آدم ، خلقه الله تعالى ليكون مِحْنَةً واختباراً للناس ، في آخر الزمان ، فيُضِلُّ به كثيراً ، ويهدي به كثيراً ، وما يضِلُّ به إلاَّ الفاسقين .

وقد روى الحافظ أحمدُ بن عليّ الأبّار ، في « تاريخه » ، من طريق مُجَالِد ، عن الشعبيّ : أنّه قال : كُنْيَةُ الدجّال أبو يُوسف .

وقد رُوي عن عمر بن الخطّاب ، وأبي ذَرّ ، وجابر بن عبد الله ، وغيرهم من الصحابة ، كما تقدّم : أنّه : ابنُ صيّاد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدّثنا حَمّاد بنُ سلَمة ، عن عليّ بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكْرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يمكثُ أَبوا الدجّال ثلاثينَ عاماً لا يولَدُ لهما ، ثم

(١) رواه البخاري (١٨٨٠) ومسلم رقم (١٣٧٩) .
(٢) رواه البخاري (١٨٧٩) .
(٣) رواه الترمذي رقم (٢٢٤٢) والبخاري (٧١٣٤) .
(٤) رواه أحمد (٣/ ١٩١) والبخاري (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣) من حديث أنس ، وأحمد (٣/ ١٩٢) من حديث جابر .

يولد لهما غلام أعور أضرّ شيء ، وأقلُّه نَفْعاً ، تنام عيناه ، ولا ينام قلبه » ثم نعت أبويه ، فقال : « أبوه رجل طويلٌ ، مُضْطَرِبُ اللّحم ، طويلُ الأنفِ ، كأنّ أنْفَه مِنْقارٌ ، وأمّه امرأة فِرضاخية[1] عظيمة الثديين » قال : فبلغنا أن مولوداً من اليهود وُلِد بالمدينة ، فانطلقتُ أنا والزبيرُ بنُ العوّام ، حتى دخلنا على أبَويْه ، فوجدنا فيهما نَعْتَ رسول الله ﷺ وإذا هو مُنجَدِلٌ في الشَّمْسِ في قَطِيفَةٍ ، له هَمْهَمة ، فسألنا أبَوَيه ، فقالا : مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا ، ثم ولِدَ لنا غُلامٌ أعور ، أضَرّ شيء ، وأقلُّه نفْعاً ، فلما خرجنا مَرَرْنَا به ، فقال : ما كُنتما فيه ؟ قلنا : و سَمِعْتَ ؟ قال : نعم ، إنّه تَنامُ عَيْنَاي ، ولا يَنامُ قَلْبِي ، فإذا هو ابنُ صَيّاد . وأخرجه الترمذيّ من حديث حمّاد بن سلمة ، وقال : حسن[2] . قلت : بل هو منكر جدّاً[3] والله أعلم .

وقد كان ابنُ صيّاد من يهود المدينة ، وقيل : كان من الأنصار ، واسمه عبدُ الله ، ويقال : صاف ، وقد جاء هذا ، وهذا ، وقد يكون أصل اسمه صاف ، ثم تَسَمّى لَمّا أسْلَمَ بَعْبد الله ، وكان ابنهُ عُمَارةُ بنُ عبد الله من سادات التابعين ، رَوى عنه مالك ، وغيره ، وقد قدمنا أنّ الصحيح أن الدجّال غيرُ ابن صيّاد ، وأنّ ابن صيّاد كان دجّالاً من الدجَاجِلَة ، ثم تِيب عَلَيْه بعد ذلك ، فأظهرَ الإسلام ، والله أعلمُ بضميره ، وسريرته[4] .

وأما الدجال الأكبرُ ، فهو المذكور في حديث فاطمةَ بنت قيس ، الذي روته عن رسول الله ﷺ عن تميم الداريّ ، وفيه قصةُ الجَسّاسَةِ ، ثم يُؤذَنُ له في الخروج في آخر الزمان ، بعد فتح المسلمين مدينة الروم المسمّاة بقسطنطينية ، فيكون بُدُوُّ ظهوره من أصْبهانَ ، من حارة بها يقالُ لها : اليَهُودِيّة ، وَينْصُرهُ مِنْ أهلها سَبْعونَ ألف يَهُودِيّ ، عليهم الأسلحة ، والسِّيجان ، وهي الطيالسة الخُضْرُ ، وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار ، وخَلْقٌ من أهل خُراسَان ، ومِن أهل البوادي ، فَيظْهَرُ أولاً في صورة مَلِكٍ من الملوك الجبابرة ، ثم يَدّعي النبوّة ، ثم يدّعي الربُوبيّة ، فيتبعه على ذلك الجَهَلةُ من بني آدَم ، والطَّغَامُ[5] من الرّعاع والعوامّ ، ويخالفه ، ويرُد عليه من هداه الله من عباده الصالحين وحزب الله المتّقين ، وَيَتدَنّى ، فيأخذ البلاد بلداً بلداً ، وحِصْناً حِصْناً ، وإقليماً إقليماً ، وكُورةً كُورةً ، ولا يبقى بلدٌ من البُلدان إلا وَطئهُ بِخَيْلِه ، ورَجِلِهِ ، غير مكّة ، والمدينة ، ومدّة مُقامِه في الأرض أربعون يَوْماً ، يوم كسنَة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيام الناس هذه ، ومُعَدّل ذلك سنة وشهران ونصف ، وقد خلق الله على يديه خَوارق كثيرةً ، يُضلّ بها مَنْ يَشاءُ من خَلْقِه ، وَيثْبُتُ معها المُؤمنُونَ ،

---

(١) أي ضخمة . انظر « النهاية » لابن الأثير .

(٢) أقول : وفي بعض نسخ الترمذي : حسن غريب .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٠) والترمذي (٢٢٤٨) .

(٤) انظر تفاصيل خبر ابن صياد في « شذرات الذهب » (١/ ١٤٢ـ١٥٠) تحقيق ولدي وتلميذي الأستاذ محمود الأرناؤوط ، بإشرافي ، طبع دار ابن كثير .

(٥) « الطغام » : هم أوغاد الناس وأراذلهم . انظر « النهاية » (٣/ ١٢٨) .

فيزدَادونَ بها إيماناً مع إيمانهم ، وهُدىً إلى هُداهُمْ ، ويكونُ نزول عيسى ابن مَرْيم عليه الصلاة والسلام مسيح الهُدَى في أيام المسيح الدجّال مَسيح الضَّلالة ، على المنَارةِ الشَّرقِيّة بدمَشْق ، فيَجْتمع عليه المؤمنون ، ويلْتَفُّ معه عباد الله المتقون ، فيسير بهم قاصداً نحو الدجّال ، وقد توجّه نحو بيت المقدس ، فيدركه عند عَقَبَةِ أفيق فينهزم منه الدجّال ، فَيلحَقُه عند باب مدينة لُدّ فيقتُله بحربته وهو داخل إليْها ، ويقول له : إنّ لي فيك ضَرْبَةً لن تفوتني ، وإذا واجهه الدجّال انماع كما يَنْماعُ الملحُ في الماء فيقتله بالحربة ، بباب لُدّ ، فتكون وفاته هنالك ، لعنه الله ، كما دلّت على ذلك الأحاديث الصحاح من غير وجه ، كما تقدم وكما سيأتي .

وقد قال الترمذيّ : حدثنا قُتَيْبة بن سعيد ، حدثنا الليثُ ، عن ابن شهاب : أنّه سمع عبيد الله[١] بن عبد الله بن ثَعْلَبة الأنْصاريّ، يحدِّث عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري، من بني عمرو بن عوف يقول: سمعتُ عمِّي مُجمّعَ بن جارية الأنصاري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يَقْتُل ابنُ مريم الدجّال بباب لُدّ » . وقد رواه أحمد ، عن أبي النضر ، عن الليث عن الزهري به ، وعن سفْيان بن عيينة ، عن الزهريّ به ، وعن محمد بن مُصْعَبٍ عن الأوزَاعيّ ، عن الزهري به ، وعن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ، فهو محفوظ من حديثه ، وإسنادُه من بعده ثقات ، ولهذا قال الترمذي بعد روايته له : وهذا حديث صحيح . قال : وفي الباب عن عمران بن حُصَيْن ، ونافع بن عُتْبة ، وأبي بَرْزَةَ ، وحُذَيْفَة بن أَسِيد ، وأبي هُريرة ، وكَيْسانَ ، وعُثمان بن أبي العاص ، وجابر ، وأبي أُمَامَة ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمرو، وسَمُرة بن جُنْدُب، والنوّاس بن سِمْعان، وعمرو بن عَوْف ، وحُذَيفة بن اليمان[٢] .

وروى أبو بكر بنُ أبي شيبة ، عن سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن الزهريّ ، عن سالم ، عن أبيه ، أن عمر سأل يَهُودِيّاً عن الدجّال ، فقال : وإلـهِ يهوُدَ لَيَقْتُلَنَّه ابْنُ مَرْيَم بِفناءِ لُدٍّ[٣] .

صفة الدجَّال قبحه الله ، ولعنه ، وأخزاه ، وأخسأه

قد تقدم في الأحاديث أنه أعور ، وأنَّه أزْهَرُ هِجَانٌ فيْلَمانيّ ، وهو كثير الشعر ، وفي بعض الأحاديث أنّه قصير أفحج[٤] وفي حديث أنه طويل ، وجاء أنّ ما بين أذُنَيْ حِمَارِه أربعون ذراعاً كما تقدم في حديث جابر .

ويُروى في حديثٍ آخرَ : سبعونَ باعاً ، ولا يصحّ ، وفي الأول نظر .

(١) في (م) : عبد الله ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٢) رواه الترمذي (٢٢٤٤) وأحمد في المسند (٣/ ٤٢٠) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٥/ ١٩٣٣٩) وهو صحيح .
(٤) أي متباعد ما بين الرجلين . انظر « النهاية » (٣/ ٤١٥) .

وقال عَبْدانُ في كتاب « مَعْرفة الصَّحابة » : رَوى سُفْيان الثوريّ ، عن عبد الملك بن مَيْسَرة ، عن حَوْط العَبْدِيّ ، عن ابن مسعود ، قال : أُذُنُ حِمَار الدجال تُظلُّ سبعين ألفاً .

قال شيخنا الحافظ الذهبيّ : حَوْطٌ مجهول ، والخبرُ مُنْكَرٌ .

وأنّ بين عَيْنيه مكتوب : كافر ، يقرؤه كلّ مُؤمن ، وأن رأسه من ورائه كأنّه أَصَلَةٌ ، أي حَيّةٌ ؛ لعله طويل الرأس .

وقال حنبل بن إسحاق : حدثنا حجَّاج ، حدثنا حمَّاد ، عن أيوبَ ، عن أبي قِلَابَةَ ، قال : دخلتُ المسجد ، فإذا الناسُ قد تَكَابُّوا على رجل ، فسمعتُه يقول : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنّ بعدي الكذّابَ المُضِلَّ ، وإنَّ رأسَهُ مِنْ ورائه حُبُكٌ حُبُكٌ » . وتقدّم له شاهد من وجه آخر[١] .

ومعنى حُبُكٌ ، أي جَعْدٌ ، خَشِنٌ ، كقوله ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ ﴾ [الذاريات] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيدُ ، حدثنا المسعوديّ . وأبو النضر ، حدثنا المسعودي ، المعنى ، عن عاصم بن كُلَيْب ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيرَة قال : قال رسول الله ﷺ : « خرجتُ إلَيْكُمْ ، وقد بُيِّنَتْ لي ليلةُ القدر ، ومَسِيحُ الضَّلَالَةِ ، فكان تلاحٍ بين رجلين ، بسُدَّةِ المسجد ، فأتيتُهما لأَحْجزَ بَيْنَهُما ، فَأُنْسِيتُهما ، وسأشْدُو لكم منهما شَدْواً ، أما لَيلَةُ القَدْرِ ، فالتمسوها في العَشْر الأواخر وِتْراً ، وأما مسيحُ الضّلَالَةِ ، فإنه أَعْوَرُ العين ، أَجْلَى الجَبْهَةِ ، عريض النَّحْرِ ، فيه دفاً[٢] ، كأنه قَطَنُ بنُ عبد العُزَّى » قال : يا رسول الله ، هل يَضُرُّني شَبَهُهُ ؟ قال : « لا ، أنْتَ امرؤ مسْلِمٌ ، وهو امرؤ كَافِرٌ » . تفرّد به أحمد ، وإسناده حسن[٣] .

وقال الطبرانيّ : حدثنا أبو شُعَيْب الحرانيّ ، حدثنا إسحاق بنُ موسى ، [ح] وحدثنا محمد بنُ شُعَيْب الأصبهانيّ ، حدثنا سعيد بن عَنْبَسَة ، قالا : حدثنا سعيدُ بنُ محمد الثقفيّ ، حدثنا حَلَّام بنُ صالح ، أخبرني سُلَيمان بنُ شهاب العَبسي ، قال : نزل عليّ عبد الله بن مَغْنَم ، وكان من أصحاب النبي ﷺ ، فحدّثني عن النبيّ ﷺ أنه قال : « الدجّال ليس به خَفاءٌ ، إنه يجيءُ مِنْ قِبَل المَشْرق ، فيدعُو إلى حَقّ ؛ فيُتّبع ، ويَنْتَصِبُ للناس فيُقَاتِلُهُمْ ، فَيَظْهَرُ عَلَيهم ، فلا يزالُ على ذلك حتى يَقْدَمَ الكوفة ، فيُظْهِرُ دينَ الله ، ويعمل به ، فيُتّبع ، ويحبّ على ذلك ، ثم يقول بعد ذلك : إنّي نَبِي ، فَيَفْزَعُ مِنْ ذلك كلُّ ذي لُبّ ويُفَارقه ، فيمكثُ بعد ذلك ، حتى يقول : أنا اللهُ ، فتَعْمَشُ عَيْنُه اليُمْنى ،

(١) رواه حنبل بن إسحاق في كتاب « الفتن » رقم (٧) ، ورواه ابن عمه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٣٧٢) من طريق حماد به ، وهو حديث صحيح .
(٢) أي الانحناء .
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٩١). أقول: وفيه المسعودي وقد اختلط ، ولكن الحديث حسن بطرقه وشواهده.

وتُقْطَع أُذنه ، ويُكتَبُ بَيْن عَيْنَيْه : كافر ، فلا يَخْفَى على كلِّ مسْلم ، فيُفارقُه كلّ أحدٍ من الخَلْق في قَلْبه مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ ، ويكونُ أصحابُه وجنودُه المجوسَ واليهودَ والنصارى ، وهذه الأعاجمَ من المشركين . ثم يدعو برجل فيما يرون ، فَيُؤْمر به فَيُقتلُ ، ثمَ يُقَطِّع أعضاءه ، كلَّ عضُو علَى حِدَةٍ ، فيُفَرّق بينها ، حتّى يراه الناسُ ، ثم يَجْمَعُ بَيْنَها ، ثمَ يضربه بعصاهُ ، فإذا هو قائمٌ ، فيقول : أنا الله ، أُحْيي ، وأميتُ ، وذلك كُله سحْرٌ يسحر بِه أَعْيُنَ الناسِ ، لَيْس يَصنع من ذلك شيئاً » . قال شيخنا الذهبيّ : ورواه يحيى بنُ موسى خَتٌّ[١] ، عن سعيد بن محمد الثقفي[٢] ، وهو واهٍ .

وعن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنّه قال في الدجّال : هو صافي بنُ صائِد ، يخرجُ من يَهُودّية أَصْبهَانَ ، على حِمار أَبْتَرَ ، ما بين أُذُنَيْهِ أربعونَ ذِراعاً ، وما بين حافره إلى الحافر الآخر أربعُ لَيالٍ ، يتناولُ السماءَ بِيدِه ، أمامَهُ جَبَلٌ مِنْ دُخانٍ ، وخلْفَهُ جَبَلٌ آخَرُ ، مكتوب بين عَيْنَيْه : كافر ، يقول : أنا رَبُّكم الأعلىٰ ، أتْباعهُ أصحابُ الرِّبا ، وأَولادُ الزِّنى . رواه أبو عمرو الداني في كتاب « أخبار الدجال » ، ولا يصح إسنادُه .

خبر عجيب ونبأ غريب

قال نُعَيْمُ بنُ حَمّاد في كتاب « الفتن » : حدثنا أبو عمر ، عن عبد الله بن لَهِيعَةَ ، عن عبد الوهاب بن حُسَين ، عن محمد بن ثابت ، عن أبيه ، عن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « بين أُذُني الدجّال أربعون ذِراعاً وخُطْوَةُ حماره مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أيّام ، يخوض البحر ، كما يخوض أحدُكم الساقية ، ويقول : أنا ربّ العالمين ، وهذه الشمس تجري بإذْنِي ، أفتريدونَ أنْ أَحْبِسَها ، فَتُحْبَسُ الشمس ، حتى يُجْعَلَ اليومُ كالشَّهْرِ ، والجُمُعةِ ، ويقول : أتريدون أن أسَيِّرها ، فيقولون : نَعم ، فيجعل اليوم كالساعة .

وتأتيه المرأةُ فتقول : يا ربّ ، أحْيِ لي ابني ، وأحْيِ لي زوجي ، حتّى إنّها تُعاين شياطين على صورهم ، وبيوتُهم مملوءة شيَاطِينَ .

ويأتيه الأعرابُ فتقول : يا ربّنا أحْيِ لنَا إبِلَنَا ، وغَنَمنا ، فيعطِيهم شياطين أمثالَ إبِلِهم ، وغَنَمِهم ، سواءً بالسّن ، والسِّمَة ، فيقولون : لو لم يكن هذا ربَّنا لم يُحْيِ لنا مَوْتَانَا .

ومعه جبل من مَرَقٍ وعُراقِ[٣] اللّحم ، حارّ لا يَبْرُد ، ونهرٌ جارٍ ، وجَبلٌ من جِنَانٍ وخُضْرةٍ ، وَجَبَلٌ مِن نَارٍ ودُخَانٍ ، يقول : هذه جَنّتي ، وهذه ناري ، وهذا طعامي ، وهذا شرابي، واليَسَعُ، عليه الصلاة

(١) هو يحيى بن موسى بن عبد ربّه بن سالم الحُدَّاني أبو زكريا البلخي السَّختياني، المعروف بخَتّ. انظر « تهذيب الكمال » (٣٢/ ٦ ـ ٩) بتحقيق الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف، طبع مؤسسة الرسالة .

(٢) هو سعيد بن محمد الورَّاق الثقفي ، ضعيف .

(٣) عُرَاق: جمع عَرْق، وهو العظم إذا أخذ منه معظم اللحم، وهو جمع نادر. انظر «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٢٢٠) .

والسلام، معه، يُنْذِرُ الناسَ منه، يقول: هذا المسيح الكذّاب فاحذروه، لعنه الله، ويُعطيه الله من السرعة، والخِفّة ما لاَ يلحَقُه الدجّال، فإذا قال: أنا ربّ العالمين، قال له الناسُ: كذبتَ، ويقول اليَسَعُ: صدق الناسُ، فيَمُرّ بمكة، فإذا هو بخَلقٍ عظيم، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا ميكائيلُ، بعثني الله أن أمْنَعَهُ مِنْ حَرَمِه.

ويَمُرّ بالمدينة، فإذا هو بخَلْقٍ عظيمٍ، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريلُ، بعثني الله لأمْنَعَه مِنْ حَرمِ رَسُولِهِ، فيَمُرّ الدجّال بمَكة، فإذا رأى مِيكَائِيلَ ولّى هارباً، ويصيح، فيخرُج إليه من مكة منافقوها ومن المدينة كذلك.

ويأتي النذير إلى الذين فَتَحوا القسطنطينية، ومن تألّف من المسلمين ببيت المقدس أن الدجال قد خرج وخلَفكم في ذراريكم» قال: «فيتناول الدجّال ذلك الرجل، فيقول: هذا الذي يزعُم أني لا أقدِرُ عليه، فاقْتُلُوه، فيُنْشَرُ، ثمّ يقول: أنا أحْيِيه، قم بإذن الله، ولا يأذن بإحياء نَفْسٍ غيرِها، فيقول: أَلَيْسَ قَدْ أَمتُّكَ، ثم أحْيَيْتُكَ، فيقول: الآن قد ازددتُ فِيكَ يَقِيناً، بَشّرني رسولُ الله ﷺ أنّك تَقتلني، ثم أُحْيَا بإذن الله، لا بإذنك، فيُوضَعُ على جِلْدِه صَفائحُ من نُحَاسٍ، فلا يَحيكُ فيه سلاحُهم، فيقول: اطرحوه في ناري، فيحوّل اللهُ ذلك الجَبَل على النَّذِيرِ جناناً، فَيَشُكُّ الناسُ فيه، ويُبادر إلى بيت المَقدس، فإذا صَعِد على عَقبَةِ أفِيقَ وقع ظُلْمُه على المسلمين، فيوتِّرون قِسيَّهم لقتاله، فأقواهم من يوتّر وهو بارك أو جالس، من الجوع والضعف، ويسمعون النداء: جاءكم الغَوْثُ، فيقولون: هذا كلامُ رجلٍ شَبْعَان.

وتُشْرق الأرضُ بنُور رَبِّها، وَينْزلُ عِيسَى ابنُ مَرْيمَ، ويقول: يا معشر المسلمين، احمَدوا رَبَّكم وسَبِّحُوه، فيفعلون، ويُرِيدُون الفِرَارَ، فيُضَيّق اللهُ عليهم الأرض، فإذا أتوا بابَ لُدّ في نصف ساعةٍ، فيوافون عيسى ابنَ مريم، عليه الصلاة والسلام، فإذا نَظَرَ الدجال إلى عيسى قال: أقم الصلاَة، فيقول الدجّال: يا نَبيّ الله، قد أُقِيمت الصلاة، فيقول عيسى: يا عدوّ الله، زَعمتَ أنّك رَبُّ العَالمين فلِمَنْ تُصلّي؟ فيضرِبُه بمقْرعةٍ في يده فيَقتُلُه، فلاَ يبْقَى أَحدٌ من أنصاره خَلْف شَيءٍ إلاّ نادى: يا مؤمن هذا دجّالِيّ فاقْتُلْهُ...» إلى أن قال: «فتَمَتَّعُوا أربعين سَنَةً لا يموتُ أَحدٌ، ولا يمرَضَ أحدٌ.

ويقول الرجلُ لغنمه، ولدوابّه: اذهبُوا فارْعَوْا، وَتمُرّ الماشيةُ بين الزرعين لا تأكلُ منه سُنْبُلَةً والحياتُ والعقاربُ لا تُؤذي أحداً، والسبعُ على أبواب الدُّور لا يُؤذي أحداً، ويأخذ الرجلُ المُدَّ مِن القمح فيبذُره بلا حِراث، فيجيء منه سَبعمئة مُدّ، فيَمْكثُونَ في ذلك كذلك حتى يُكْسَرَ سدُّ يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ، فيخرجون وَيُفسدُون ما على الأرض، فيسْتغِيث الناسُ، فلا يُسْتجابُ لهم.

وأهْلُ طورِ سَيناء هُم الذين فَتحَ اللهُ عَلَيْهِم القُسْطَنْطِينيةَ، فيَدْعُونَ فَيَبْعَثُ اللهُ عليهم دَابّةً مِنَ الأَرْضِ ذاتَ قَوائِمَ، فتدْخُل في آذانِهمْ فيُصْبِحُون مَوْتى أجمعون، وتُنْتِنُ الأرضُ منهم، فيُؤْذُونَ الناس

بنَتْنِهِمْ ، أشَدّ من حَيَاتِهم ، فيستغيثون بالله تعالى ، فَيَبْعثُ اللهُ رِيحاً يمانية غَبْراء ، فتصيرُ على الناس غَمّاً ، ودُخاناً ، وتقع عليهم الزُّكْمة ويُكشَفُ ما بهم بعدَ ثلاث ، وقد قُذفت جِيَفُهُم في البَحْر ، ولا يَلْبَثُون إلاّ قَلِيلاً حتى تَطْلع الشمسُ مِنْ مَغْرِبها ، وجفَّت الأقلام ، وطُويَت الصحفُ ، ولا يُقْبَلُ من أَحدٍ تَوبةٌ ، ويَخِرّ إبليسُ ساجِداً يُنادي : إلـهي ، مُرْني أَنْ أسجُد لِمَنْ شِئْتَ ، ويجتمع إليه الشياطينُ تقول : يا سَيِّدنا ، إلى من تَفْزَعُ ؟ فيقول : سألتُ رَبّي أَنْ يُنْظِرني إلى يَوْم البَعْثِ ، وقَدْ طَلَعَت الشمسُ من مَغْربها ، وهذا الوقتُ المعلومُ ، وتصير الشياطينُ ظاهرةً في الأرض ، حتى يقول الرجلُ : هذا قَرِيني الذي كان يُغْوِيني ، فالحمد لله الذي أخزاه ، ولا يزالُ إبليس ساجداً باكياً ، حتى تَخْرُج الدابّة فَتَقْتله وهو ساجد ، ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنةً لا يتمَنَّوْنَ شيئاً إلا أُعْطوهُ ، وبرز المؤمنون لا يموت مؤمن حتى تتم أربعون سنةً بعد الدابّة ، ثم يعود فيهم الموتُ ، ويُسرع فلا يبقى مؤمن ، ويقول الكافر : قد كنا مَرْعُوبينَ من المُؤْمنين ، فلم يَبْقَ منهم أحد ، وليس يُقْبَلُ مِنَّا تَوْبَةٌ ، فيَتَهارَجُونَ في الطُرُقِ كالبهائم ، حتى يَنْكِحَ الرجلُ أمَّهُ في وَسط الطريق ، يقوم واحدٌ عنها ، وينزل عليها آخرُ ، وأفضلُهم من يقول : لو تَنَحَّيْتُم عن الطريق كان أحْسَنَ ، فيكونون على ذلك ، حتى لا يولد أحدٌ من نكاح ، ثم يُعْقِمُ الله النِّساءَ ثلاثين سَنَةً ، إلا الزواني والزانيات ، فإنهن يحبلن ويلدن من الزنى ، ويكونون كلُّهم أولادَ زِنىً ، شرارَ الناس ، فعليهم تقوم الساعة » : كذا رواه الطبرانيّ ، عن عبد الرحمن بن حاتم المراديّ ، عن نُعيم بن حَمَّاد . . . فذكره . قال شيخنا الحافظ الذهبي : وهذا الحديث شِبْهُ موضوع ، وأبو عمر مجهول ، وعبد الوهاب كذلك ، وشيخه يقال له : البُنَانِي(١) .

وقد أنبأني شيخنا الذهبي إجازةً ، إنْ لم يكن سَمَاعاً ، أخبرنا أبو الحسين اليُونينيّ ، أخبرنا البهاء عبد الرحمن حضوراً ، أنبأنا عتيق بن صيلا ، أنبأنا عبد الواحد بن عُلوان ، أنبأنا أبو عمرو بن دوست ، حدثنا أحمد بنُ سلمان النجّاد ، حدثنا محمد بن غالب ، حدثنا أبو سلمة التّبُوذَكيّ ، حدثنا حماد بن سَلَمة ، حدثنا علي بن زيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الدجّال يتناول السحاب ، ويخوض البحر إلى رُكْبَتَيْه ، ويسبق الشمس إلى مغربها ، وتسير معه الآكامُ طعاماً ، وفي جبهته قَرْنٌ مكسور الطَّرَفِ ، يخرج منه الحَيّات ، وقد صوّر في جسده السلاحُ كلُّه ، حتى الرمح والسيف والدَّرَقُ » قلت للحسن : يا أبا سعيد ما الدرق ؟ قال : الترس . ثم قال شيخنا : هذا من مراسيل الحسن ، وهي ضعيفة .

وقال ابن مَنْدَه في « كتاب الإيمان » : حدثنا محمد بن الحسين المديني ، حدثنا أحمد بن مهديّ ،

---

(١) ورواه نعيم بن حماد في « الفتن » رقم (١٥٢٧) ومن طريقه الحاكم في « المستدرك » مختصراً (٤/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) وقال الذهبي كما هنا : (ذا موضوع ، والسلام) .

حدثنا سعيد بن سليمان سَعْدُويه ، حدثنا خَلَفُ بن خَلِيفَة ، عن أبي مالك الأشجعيّ ، عن رِبْعِيّ ، عن حُذَيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أعلمُ بما مع الدجَّال منه ، معه نهران ، أحدهما نار تأجّج ، في عين من يراه ، والآخر ماءٌ أبيض ، فمن أدركه منكم فليُغْمِضْ عينيه ، وَلْيَشْرب من الذي يراه ناراً ، فإنه ماء بارد ، وإياكم والآخر ، فإنه فِتْنَة ، واعلموا أنه مكتوب بين عَيْنَيه كافر ، يقرؤه من كتب ، ومن لم يكتب ، وأن إحدى عينيه ممسوحة ، عليها ظَفَرَةٌ ، وأنه يطلع من آخر عُمره على بطن الأُرْدُن على ثَنيّة فيقَ ، وكلّ أحد يؤمن بالله واليوم الآخر بِبَطْن الأُرْدُنّ ، وأنه يقتُلُ من المسلمين ثُلُثاً ، ويَهْزِمُ ثلثاً ، ويبقى ثلث ، فيحجز بينهم الليل ، فيقول بعض المؤمنين لبعض : ما تنتظرون أن تَلحقوا بإخوانكم في مرضاة ربّكم ؟ من كان عنده فضل طعام فليعُدْ به على أخيه ، وصَلُّوا حتى يَنْفَجِر الفجرُ ، وعَجِّلُوا صَلاَتكم ، ثم أقبلوا على عَدوّكم . فلما قاموا يُصَلون ، نزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، وإمامهُم يُصَلي بهم . فلما انصرف ، قال : هكذا فرِّجوا بيني وبين عدوِّ الله » قال : « فيذوب كما يذوبُ المِلْحُ ، فيُسلّط اللهُ عليهم المسلمين ، فيقتلونهم ، حتى إنّ الحجرَ ، والشجرَ ليُنادي : يا عبد الله ، يا مسلم ، هـذا يهوديّ فاقتله ، ويظهـر المسلمون ، فيَكْسِرُ الصليبَ ، ويَقْتُل الخِنْزير ، ويضعُ الجزْية .

فبينما هم كذلك ، إذ أخرج الله يأجُوجَ ومأجُوجَ ، فيشرب أولهم البُحَيرة ، ويجيء آخرُهم وقد انكشفوا ، فما يَدَعُون فيها قَطْرَةً ، فيقولون : كان هاهنا أثرُ ماءٍ مَرّةً ، ونبيُّ الله وأصحابه وراءهم ، حتى يدخلوا مدينة مِن مدائنِ فلسطين ، يقال لها : باب لُدّ ، فيقولون : ظَهَرْنا على من في الأرض ، فتعالوا نُقاتل مَن في السماء ، فيدعو اللهَ نبيُّه عليه السلام عند ذلك ، فيبعثُ الله عليهم قُرحَةً في حلُوقهم ، فلا يبقى منهم بَشَرٌ ، وتُؤْذي رِيحُهم المسلمين ، فيدعو عيسى عليهم ، فيُرسل الله ريحاً عليهم تقذفهم في البحر أجمعين » . قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبيُّ : هذا إسناد صالح . قلت : وفيه سياقٌ غريب وأشياءُ مُنكرة ، والله أعلم[١] .

وقال ابن عساكر[٢] في ترجمة شيخٍ من أهل دمشق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « هَذَا الأمر فِي قُرَيْشٍ يَلِيهِ بَرُّهم بِبَرِّهِمْ ، وَفَاجِرُهُمْ بِفَاجِرِهِمْ ، حَتَّى يَدْفَعُوهُ إِلَى عِيسى ابنِ مَرْيَمَ » وفي لفظ : « بَرُّهُمْ بِبِرِّهِ ، وَفَاجِرُهُمْ بِفُجُورِهِ » . قال ابنُ عساكر : وهو الأصحُ .

---

(١) رواه ابن منده في « كتاب الإيمان » (٣/٩١٨ ـ ٩١٩) .
(٢) يعني في « تاريخ مدينة دمشق » .

ذكر نزول عيسى ابن مريم
من السماء الدنيا إلى الأرض في آخر الزمان

قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء] .

قال ابن جرير في « تفسيره » : حدّثنا ابن بشار ، حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا سُفيان ، عن أبي حَصِين ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عبّاس : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ قال : قبل موت عيسى ابن مريم . وهذا إسناد صحيح ، وكذا روى العَوفي ، عن ابن عبّاس .

وقال أبو مالك : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ ، ذلك عند نزول عيسى ابن مريم ، لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب إلاّ آمنَ به .

وقال الحسن البصريّ : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ قال : قبل موت عيسى ، والله إنّه الآن حيّ عند الله ، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون . رواه ابن جَرير .

وروى ابن أبي حاتم عنه : أن رجُلاً سأل الحسن عن قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ فقال : قبل موت عيسى ، إنّ الله تعالى رفع إليه عيسى ، وهو باعثهُ قبل يوم القيامة ، مقاماً : يؤمن به البَرُّ والفاجِرُ . وهكذا قال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد ، وهو ثابت في « الصحيحين » ، عن أبي هريرة ، كما سيأتي موقوفاً ، وفي رواية مرفوعاً ، والله أعلم .

وهذا هو المقصود من السياق : الإخبار بحياته الآن في السماء ، وليس الأمر كما يزعمُه أهلُ الكتاب الجهلة أنهم صَلَبُوه ، بل رفعه الله إليه ، ثم يَنزل من السماء قبل يوم القيامة ، كما دلت عليه الأحاديثُ المُتواترة كما سبق في أحاديث الدجّال ، وكما سيأتي أيضاً ، وبالله المستعان .

وقد رُوي عن ابن عباس وغيرِه أن الضمير في قوله : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ عائد على أهل الكتاب ، أي يؤمن بعيسى قبل الموت ، وذلك لو صحّ لما كان مخالفاً للأول ، ولكن الصحيح في المعنى والإسناد ما ذكرناه ، وقد قررناه في كتابنا « التفسير » بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة .

ذِكر الأحاديث الواردة في ذلك

قد تقدَّم في حديث النوَّاس بن سِمعان عند مسلم أنَّ عيسى ينزِلُ على المنارةِ البيضاءِ شرقيّ

دمشقَ[(١)] وفي غيرِ روايةِ مسلم : أنَّه ينزلُ على المنارةِ البيضاءِ الشرقيَّةِ بدمشقَ . وهذا أشبهُ ، فإنَّ في سياق الحديث : « فَيَنْزِلُ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ لِلصُّبْحِ ، فَيَقُولُ لَهُ إِمَامُ المُسْلِمِينَ : تَقَدَّمْ يَا رُوحَ الله . فَيَقُولُ : لاَ ، إِنَّهَا إِنَّما أُقِيمتْ لَكَ »[(٢)] ففيه من الدلالة الظاهرة أنَّه ينزِلُ على منارة المعبدِ الأعظمِ الذي يكون فيه إمام المسلمين إذ ذاك ، وإمامُ المسلمين يومئذٍ هو المهديُّ فيما قيل ، وهو جامعُ دمشقَ الأكبرُ ، واللهُ أعلمُ .

وقد تقدَّم في حديثِ أبي أُمامةَ أنَّه ينزِلُ في غيرِ دمشقَ ، وليس ذلك بمحفوظٍ .

وكذا الحديثُ الذي ساقَه ابنُ عساكرَ في « تاريخِه » من طريقِ محمدِ بن عائذٍ ، ثنا الوليدُ ، ثنا مَن سمِع عبدَ الرحمن بن ربيعة ، يُحدِّثُ عن عبد الرحمن بن أيُّوبَ بنِ نافع بن كَيْسانَ ، عن أبيه ، عن جدِّه نافعِ بن كَيْسانَ صاحب رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ عِنْدَ بَابِ دِمَشْقَ ـ قال نافعٌ : ولا أدري أيَّ بابِهَا يريدُ ـ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ ، لِسِتِّ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ فِي ثَوْبَيْنِ مُمَشَّقَيْنِ ، كَأَنَّمَا يَتَحَدَّرُ مِنْ رَأْسِهِ اللُّؤْلُؤُ » . ففيه مُبهَمٌ لم يُسَمَّ ، وهو منكرٌ ؛ إذ هو مخالفٌ لما ثبت في الصحاح من أن نزوله وقتَ السَّحَرِ عند إضاءةِ الفجرِ وقد أُقيمتِ الصلاةُ ، واللهُ أعلمُ .

قال مسلم : حدّثنا عُبَيْدُ الله بن مُعاذ العَنْبريّ ، حدثنا أبي ، حدّثنا شُعبَةُ عن النعمان بن سالم ، سمعتُ يعقوب بن عاصم بن عُرْوَة بن مسعود الثقفي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو ، وجاء رجلٌ فقال : ما هذا الحديث الذي تُحَدِّث به ؟ تقول : إنّ الساعة تقوم إلى كذا وكذا ؟ فقال : سبحان الله ! أو : لا إلـه إلاّ الله ، أو كلمةً نحوهما ، لقد هَممتُ ألاّ أحَدِّثَ أحَداً شيئاً أبداً ، إنما قلت : إنّكم سَتَرْوَن بَعْدَ قليل أمراً عَظِيماً ، يُحرَّقَ البَيْتُ ، ويكون ، ويكون ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرُج الدجّال في أمتي ، فيمكثُ أربعين ـ لا أدري أربعين يوماً ، أو أربعين شهراً ، أو أربعين عاماً ـ فيَبْعثُ الله تعالى عيسى ابن مَريم كأنّه عُرْوَة بنُ مَسْعُود ، فيَطْلبه فيُهْلكه ، ثم يمكث الناسُ سبع سنين ، ليس بين اثنين عَداوة ، ثم يُرسل الله ريحاً باردة من قِبَل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقالُ ذرّة من خير ، أو إيمان ، إلا قَبضَتْهُ ، حتى لو أنّ أحدكم دخل في كَبِد جَبلٍ لدخلتْه عليه ، حتى تَقْبِضَه ، قال : سَمِعْتُها من رسول الله ﷺ ، قال : « فيبقى شِرار الناس في خِفّةِ الطير ، وأحلام السِّباع لا يعرفون معروفاً ، ولا يُنكرونُ منكراً ، فيتمثّل لَهُمُ الشيطانُ فيقول : ألا تَستجيبُون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دارٌّ رزْقُهُم ، حَسَنٌ عَيشهُم ، ثم يُنْفَخُ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/٣٦٧ ـ ٣٦٨) من حديث جابر ، ورواه أحمد أيضاً (٤/٢١٦ ـ ٢١٧) من حديث عثمان بن أبي العاص ، وابن ماجه (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

أصغَى لِيتاً[١] وَرفع لِيتاً » قال : « وأول من يسمعه رجلٌ يلوط حَوْض إبله » قال : « فيَصْعَقُ ، ويَصعق الناس ، ثم يُرسل الله » ـ أو قال : « يُنزل الله ـ مَطراً ، كأنّه الطلُّ أو الظِّلّ » نعمان الشاكّ « فتَنْبت منه أجساد الناس ، ثم يُنْفَخُ فيه أُخْرَى ، فإذا هُمْ قيام يَنْظُرون ، ثم يقال : يا أيّها الناس ، هَلُمّوا إلى ربكم ﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات] ثم يقال : أخرجوا بعث النار ، فيقال : مِنْ كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين » قال : « وذلك يومَ ﴿ يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴾ و ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ﴾»[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُرَيجٌ ، حدّثنا فُلَيْحٌ ، عن الحارث بن فُضَيْل ، عن زياد بن سعد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزل ابنُ مريم إماماً عادلاً ، وحكَماً مُقْسِطاً ، فَيكْسِرُ الصليبَ ، ويقْتُل الخنزيْرَ ، ويرجع السِّلْمَ ، وتتخذ السيوف مَناجل ، وَتذْهَبُ حُمَةُ كلِّ ذات حُمة ، وتُنزل السماءُ رزقها ، وتُخْرِجُ الأرضُ بركتها ، حتّى يَلْعَبَ الصبيُّ بالثُّعْبان ولا يضرّه ، ويُراعي الغَنَمَ الذِّئبُ فلا يَضُرُّها ، ويراعي الأسدُ البَقَر ، فلا يَضُرّها » . تفرد به أحمد ، وإسناده جيّد قويّ صالح[٣] .

وقال البخاريّ : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لَيُوشِكَنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مَرْيم حكَماً عَدْلاً ، فَيَكْسِرَ الصليبَ ، ويقْتُلَ الخنزير ، ويَضَعَ الجزية ، ويَفِيضُ المالُ ، حتّى لا يَقْبله أحَدٌ ، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها » ثم يقول أبو هريرة : واقرؤوا إنْ شئتم : ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾ [النساء] .

وكذا رواه مسلم عن حسن الحُلْوانِيّ ، وعبد بن حُمَيْد ، كلاهما عن يعقوب بن إبراهيم به ، وأخرجاه أيضاً من حديث سُفيان بن عُيَيْنَةَ ، والليث بن سعد ، عن الزهريّ به[٤] .

وروى أبو بكر بن مَرْدَوَيْهِ ، عن طريق محمد بن أبي حَفْصةَ ، عن الزهريّ ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوشك أن يكون فيكم ابنُ مَرْيم حَكَماً عَدْلاً ، يَقْتُلُ الدجّال ، وَيقْتلُ الخنزير ، ويكْسِرُ الصليب ، ويَضَعُ الْجِزْيَة ، ويَفِيضُ المالُ ، وتكون السجدة واحدةً لله ربِّ العالمين » . قال أبو هريرة : واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ ﴾ مَوْتِ عيسى ابن مريم ، ثم يُعيدُه أبو هُرَيرة ثلاثَ مَرّات .

---

(١) اللّيت : صفحة العنق ، وهما ليتان ، وأصْغَى : أمال . « النهاية » (٤/ ٢٨٤) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٤٠) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣) أقول : فليح وزياد ، فيهما كلام ، لكن الحديث حسن بطرقه وشواهده .

(٤) رواه البخاري (٣٤٤٨) و(٢٤٧٦) و(٢٢٢٢) ومسلم رقم (١٥٥) (٢٤٢) .

وقال الإمامُ أحمد : حدثنا يزيدُ ، حدثنا سُفيان ، وهو ابن حسين ، عن الزهريّ ، عن حَنْظَلَة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ينْزل عيسى ابن مَريم ، فَيَقْتُل الخنزير ، ويمحو الصليب ، وتُجمعُ له الصلاة ، ويُعْطِي المَال حتى لا يُقْبلَ ، ويضعُ الخراج ، وينزل الرَّوْحاءَ فيحجّ منها ، أو يَعتَمِر ، أو يَجمَعُهُما » قال : وتلا أبو هريرة : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء] ، فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال : يؤمن به قَبْل موت عيسى ، فلا أدري ؟ هذا كلّه حديثُ النبيّ ﷺ ، أو شيءٌ قاله أبو هريرة[١] ؟

وروى أحمد ومسلم من حديث الزهريّ ، عن حنظلة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيُهِلَّنَّ عيسى ابن مَرْيم ، من فَجِّ الرَّوْحَاءِ بالحجّ والعُمْرة ، أو لَيُثَنِّيَنَّهما جميعاً »[٢] .

وقال البخاريّ : حدثنا ابن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاريّ : أن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنتُمْ إذا نزل فيكم ابنُ مَريم وإمامكم منكم ؟ » ثم قال البخاريّ : تَابَعه عُقَيلٌ ، والأوزاعي . وقد رواه الإمام أحمدُ عن عبد الرزّاق ، عن معمر ، وعن عثمان بن عمر ، عن ابن أبي ذئب ، كلاهما عن الزهريّ به . وأخرجه مسلم من حديث يونس والأوزاعي وابن أبي ذئب عن الزهري به[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفّان ، حدثنا هَمَّام ، أنبأنا قتادة ، عن عبد الرحمن ، وهو ابن آدم مولى أمّ بُرثن صاحب السِّقَاية ، عن أبي هُريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « الأنبياء إخوةٌ لِعَلَّاتٍ ، أُمّهاتُهمْ شَتىٰ ، ودينُهُم واحدٌ ، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنّه نازل ، فإذا رأيتموه ، فاعرفوه ، رجل مَرْبُوعٌ إلى الحُمْرَة والبَياضِ ، عليه ثوبان مُمَصّران[٤] ، كأنّ رأسه يَقْطرُ وإنْ لم يُصِبْهُ بَلَل ، فَيدُقّ الصليبَ ، ويقتلُ الخنْزِيرَ ، ويَضعُ الْجِزيَةَ ، ويدعو الناسَ إلى الإسلام ، ويُهلكُ اللهُ في زَمانهِ الأمم كلها إلا الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجّال ، ثم تَقَع الأَمَنَةُ على الأرض ، حتّى ترتع الأُسُودُ مع الإبل ، والنِّمارُ مع البقر ، والذئابُ مع الغنمَ ، وَيلَعَبَ الصِّبيان بالحيَّات لا تضرُّهم ، فَيمكُث أربعين سَنَةً ، ثم يُتَوفىٰ ، ويُصَلِّي عليه المسلمون » . وهكذا رواه أبو داود عن هُدْبَة بن خالد ، عن هَمَّام بن يَحْيى ، عن قتادة به . ورواه ابن جرير ، ولم يورد عند تفسيرها

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) وهو حديث صحيح .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٠) ومسلم (١٢٥٢) .
(٣) رواه البخاري رقم (٣٤٤٩) وأحمد في المسند (٢/ ٢٧٢ و٣٣٦) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق رقم (٢٠٨٤٢) ومسلم رقم (١٥٥) .
(٤) مصبوغان بحمرة خفيفة .

غيرَه ، عن بشر بن مُعاذ ، عن يزيد عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، بنحوه ، وهذا إسناد جَيّد ، قويّ[١] .

وروى البخاريّ عن أبي اليمان ، عن شُعَيْبٍ عن الزهريّ ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هُريرة : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « أنا أَوْلى الناس بابن مَرْيم ، والأنبياءُ أولاد عَلاّت ، ليس بيني وبينه نبي » . ثم روى عن محمد بن سِنان ، عن فُلَيْح بن سليمان ، عن هلال بن عليّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخْوَةٌ لِعَلاّتٍ ، أمّهاتُهم شَتىٰ ، ودينهم واحد » . ثم قال : وقال إبراهيم بن طَهمان ، عن موسى بن عُقْبَةَ ، عن صفوان بن سُلَيْم ، عن عطاء بن يَسار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ[٢] .

فهذه طُرق متعدّدة كالمتواترَة عن أبي هريرة ، رضي الله عنه .

حديث عن ابن مسعود

وقال الإمام أحمد : حدّثنا هُشَيْم ، عن العوّام بن حَوشَب ، عن جَبَلَة بن سُحيم ، عن مُؤثِر بن عَفَازةَ ، عن ابن مسعود ، عن رسول الله ﷺ قال : « لقيتُ ليلة أُسرِي بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام » قال : « فتذاكروا أمر الساعة ، فردُّوا أمرهم إلى إبراهيم ، فقال : لا عِلْمَ لي بها ، فردُّوا أمرهم إلى موسى ، فقال : لا علم لي بها ، فردّوا أمرهم إلى عيسى ، فقال : أمَّا وَجْبتُها[٣] فلا يعلم بها أحدٌ إلاّ الله ، ولكن فيما عَهِدَ إليّ رَبِّي عزَّ وَجلَّ : أنّ الدجّال خارج ، ومعي قضيبان ، فإذا رآني ذابَ كما يذوبُ الـرَّصَاصُ » قال : « فيُهلكه اللهُ [إذا رآني] حتى إن الشجر والحجر ليقول : يا مُسلم ، إن تَحْتي كافِراً ، فتعالَ فاقْتُلْه » قال : « فيُهْلِكهم الله ، ثم يَرْجِع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، فعند ذلك يخرجُ يأجُوجُ ومأْجُوجُ وهم مِنْ كلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَطَؤُونَ بلادهم لا يأتون على شيء إلا أكلوه ، ولا يَمُرُّون على ماءٍ إلاّ شَرِبُوه » قال : « ثُمّ يَرْجِع الناسُ إليّ فيشكونهم ، فأدعو اللهَ عليهم ، فيُهلكهم ويميتُهُمْ حتى تَجْوَى[٤] الأرضُ من نَتْنِ ريحهم ، ويُنزل الله

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/٤٠٦) وأبو داود رقم (٤٣٢٤) . أقول : إسناده فيه انقطاع ، فإن قتادة ، لم يسمع من عبد الرحمن بن آدم مولى أم برثن ، لكن الحديث صحيح بطرقه وشواهده ، وفي الحديث أن عيسى يمكث أربعين سنة ، وقد تقدم حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم (٢٩٤٠) أنه يمكث في الناس سبع سنين ، وسيذكره المصنف بعد قليل .

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٢) و(٣٤٤٣) .

(٣) أي وقوعها .

(٤) أي تنتن .

المطر ، فتجرُف أجسادَهم حتى يَقْذِفَهم في البحر ، ففيما عَهِدَ إليّ ربيّ عزّ وجل أن ذلك إذا كان كذلك ، فإنّ الساعة كالحامل المُتِمّ التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بِولَادَتها ليلاً أو نهاراً » . ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشّار ، عن يزيد بن هارون ، عن العوّام بن حَوْشَب ، به نحوَه[١] .

صفة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﷺ

ثبت في « الصحيحين » من حديث الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ليلَةَ أُسْرِيَ بي لقيتُ موسى » قال : فنعَتَه ، « فإذا رجل » حَسِبْتُه قال : « مضطربٌ » أي طويل ، « رَجِلُ الرأس ، كأنه من رجال شَنُوءة » قال : « ولقيتُ عيسى » فنعتَه النبي ﷺ فقال : « رَبْعَة ، أحْمَرُ ، كأنما خرج من ديماس » يعني الحمّام[٢] .

وللبخاريّ من حديث مُجاهد عن ابن عمر[٣] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت عيسى ، وموسى ، وإبراهيم ، فأمّا عيسى فأحْمَرُ جَعْدٌ عَريضُ الصدر ، وأما موسى فآدمُ جَسيمٌ سَبْطٌ ، كأنه من رجال الزُّطِّ »[٤] .

ولهما من طريق موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظَهْرَانَي الناس المسيح الدجّال ، فقال : « إنّ الله ليس بأعور ، ألا إنّ المسيح الدجّال أعورُ العَيْن اليُمْنَى ، كأن عيْنَه عِنَبة طافية ، وأَراني الليلة عند الكعبة في المنام ، وإذا رجلٌ آدم كأحسن ما يُرى من أُدْم الرِّجال ، تضرب لِمَّتُهُ بين مَنْكبَيْه ، رَجِل الشَّعْرِ ، يَقْطُر رَأسه ماءً ، واضعاً يَديه على مَنْكبَي رَجُلَيْنِ ، وهو يطوف بالبيت . فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا المسيح ابن مريم ، ثم رأيت رجلاً وراءه ، جعداً قَطَطاً ، أعورَ عين اليمنى ، كأشبه مَنْ رأيتُ بابن قطنٍ ، واضعاً يَدَيْه على مَنكبَيْ رجلٍ ، يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيحُ الدجّال » . تابعه عُبَيْد الله ، عن نافع[٥] .

ثم روى البخاريّ ، عن أحمد بن محمد المكيّ ، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهريّ ، عن سالم، عن أبيه ، قال : لا والله ما قال رسول الله ﷺ لعيسى: أحمر، ولكن قال: « بَينما أنَا نائمٌ أطوف بالكعبة فإذا رجُلٌ آدَمُ سَبْط الشعر ، يُهادَى بَيْن رَجُلَيْنِ يَنطُفُ رأسُه ماءً ، أو يُهرَاقُ رَأسُه ماءً ، فقلت : من

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٧٥) وابن ماجه رقم (٤٠٨١) وإسناده ضعيف .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٤٣٧) ومسلم رقم (١٦٨) .

(٣) قال القسطلاني : (قوله : من حديث مجاهد عن ابن عمر) هو هكذا عند كل من روى عن الفربري ، قال أبو ذر : والصواب ابن عباس بدل ابن عمر ، انظر القسطلاني باب نزول عيسى بن مريم ، وانظر « فتح الباري » .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٤٣٨) والزط : جنس من السودان أو من الهند ، هم طوال الأجسام مع نحافة فيها .

(٥) رواه البخاري رقم (٣٤٣٩) ومسلم رقم (١٦٩) .

هذا ؟ قالوا : ابنُ مَرْيمَ ، فذهبتُ ألتَفِتُ ، فإذا رجلٌ أحْمَرُ جسيم جَعْدُ الرأس ، أعْوَرُ عَيْنه اليُمنَى ، كأن عينه عِنَبَة طَافية ، قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا الدجال ، وأقرب الناس به شبَهاً ابنُ قَطَنٍ » قال الزهريّ : رجلٌ من خُزَاعةَ هَلَكَ في الجاهلية(١) .

وتقدّم في حديث النَّوّاس بن سِمْعان : « فَينزلُ عند المنارة البَيْضاء ، شَرقيَّ دِمشْقَ ، بين مَهْرُودَتين واضعاً كفيه على أجنحة مَلكَيْن ، إذا طَأطَأ رأسَهُ قَطرَ ، وإذا رَفعَه تحدّر منه مثل جُمَان اللؤلؤ . ولا يحلّ لكَافرٍ يجدُ رِيحَ نَفَسِه إلاّ مات ، ونَفَسهُ ينتهي حيث ينتهي طَرْفُهُ »(٢) .

هذا هو الأشهر في موضع نزوله ، أنه على المنارة البيضاء الشرقيّة بدمشق ، وقد رأيتُ في بعض الكتب أنّه ينزلُ على المنارة البيضاء شرقيّ جامع دمشق ، فلعل هذا هو المحفوظ ، وتكون الرواية : « فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق » فتصرّفَ الراوي في التعبير ، بحسب ما فهم ، وليس بدمشق منارة تُعرف بالشرقيّة سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بِدمشقَ مِن شَرقيّهِ ، وهذا هو الأنسبُ والأليق ، لأنه ينْزلُ وقد أقيمت الصلاةُ ، فيقول له إمامُ المسلمين : « يا رُوحَ الله تقدّمْ ، فيقول : تقدّمْ أنت ، فإنها إنما أُقيمت لَكَ »(٣) .

وفي روايةٍ : « بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ أمَراءُ، تكْرِمَةُ اللهِ هذه الأمّة »(٤) .

وقد جُدّد بناءُ منارةٍ في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمئة ، من حجارةٍ بيضٍ ، [وكان بناؤها] من أموال النصارى الذين حَرَقُوا المنارةَ التي كانت مَكانَها ، ولعلّ هذا يكونُ من دلائل النبوّة الظاهرة ، حيث قَيّضَ اللهُ بناءَ هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى ، لِيَنْزِلَ عيسى ابنُ مريَم عليها ، فيقتلَ الخنزيرَ ، ويَكْسرَ الصليبَ ، ولاَ يقْبَلُ مِنْهُم جِزيةً ، ومن لم يُسْلِمْ قَتَلَهُ ، وكذلك يكون حُكْمُه في سائر كفّار أهل الأرض يَوْمئذٍ ، فإنه لا يبقى حُكْمٌ في أهل الأرض إلا له ، وهذا من باب الإخبار عن المسيح بذلك ، فإن الله قد سوَّغ له ذلك وشرعه له ، فإنّه إنما يَحْكُم بمقْتَضَى هذهِ الشَّرِيعَة المُطَهَّرةِ .

وقد روي في بعض الأحاديث كما تقدّم أنه يَنْزِلُ بِبَيتِ المَقْدِس(٥) ، والأحاديث تقتضي أن الدجال يُقتَل بِلُدٍّ قبل أن يدخل بيت المقدس ، فتدل على أنه لا يدخله الدجال كمكَّة والمدينة حماية له منه . وفي روايةٍ أن عيسى ينزل بالأُرْدُنّ ، وفي رواية : بمُعَسكر المُسلمين ، وهذا في بعض روايات مُسلم كما تقدّم ، فالله أعلم .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٤٤١) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٣٧) .
(٣) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الباهلي وإسناده ضعيف بطوله ، ولكن لهذه الجملة شواهد .
(٤) رواه مسلم رقم (١٥٦) من حديث جابر .
(٥) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الطويل ، وإسناده ضعيف .

وتقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة : « وإنه نازلٌ ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجلٌ مَربُوعٌ ، إلى الحُمْرةِ والبياض ، عليه ثوبان مُمَصَّران ، كأنّ رأسه يَقْطُر ، وإنْ لم يُصِبْهُ بَلَلٌ ، فيدقُّ الصليبَ ، ويقْتُلُ الخِنْزيرَ ، ويضعُ الجِزْيَةَ ، ويدْعُو الناسَ إلى الإسلام ، ويُهلِكُ اللهُ تعالى في زمانه المِلَلَ كُلَّها إلاّ الإسْلامَ ، ويُهْلكُ اللهُ في زمانه المسيحَ الدجّال ، ثم تَقَعُ الأَمَنَةُ على الأرض ، حتّى تَرتَع الأسودُ مع الإبل ، والنِّمار مع البَقَر ، والذِّئابُ مع الغَنَم ، وَيلعَبُ الصبيانُ بالحَيّاتِ ، لاَ تضرّهم ، فَيمكثُ أربعِينَ سَنَةً . ثم يُتوفى ، ويُصلِّي عليهِ المُسلِمون » . رواه أحمد ، وأبو داود[١] . وهكذا وقع في هذا الحديث أنه يمْكثُ في الأرض أربعين سنةً .

وثبت في « صحيح مسلم » عن عبد الله بن عمرو أنه يمكث في الأرض سَبْعَ سنين[٢] . فهذا مع هذا مُشكِلٌ ، اللهمّ إلا أن تُحملَ هذه السبْعُ على مُدَّةِ إقامته بعد نزوله ، ويكون ذلك محمولاً على مُكْثه فيها قبلَ رَفْعِه ، مضافاً إليه ، وكان عمره قبل رفعه ثلاثاً وثلاثينَ سَنَةً على المشهور ، وهذه السبع تكملة الأربعين ، فيكون هذا مدة مقامه في الأرض قبل رفعه وبعد نزوله ، وأما مقامه في السماء قبل نزوله فهو مدة طويلة ، والله أعلم .

وقد ثبت في الصحيح أن يأجوجَ ومأجوجَ ، يخرجون في زمانه ويُهلكهم الله ببَركه دُعائِه في لَيْلةٍ واحدةٍ كما تقدّم ، وكما سيأتي ، وثبت أنه يَحُجّ في مُدّة إقامته في الأرض ، بعد نزوله .

وقال محمد بن كعب القُرَظيّ : في الكتب المُنزَلةِ أنّ أصحاب الكهف يكونون في حَوارِيِّهِ ، وأنهم يَحجّون معه ، ذكره القرطبيّ في الملاحم ، من آخر كتابه « التذكرة ، في أحوال الآخرة » ، وتكُون وفاته بالمدينة النبوية ، فيُصلَّى عليه هنالك ، ويُدفن بالحُجْرة النبوية .

وقد ذكر ذلك الحافظُ أبو القاسم ابنُ عساكر. ورواه أبو عيسى الترمذيّ في « جامعه » ، عن عبد الله ابن سَلاَم ، فقال في كتاب المناقب : حدثنا زيد بن أخزم الطائيّ البصريّ ، حدّثنا أبو قُتَيْبَة سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ، حدّثنا أبو مودود المدنيّ، حدّثنا عُثمانُ بن الضحّاك ، عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : مكتوب في التوراة صفةُ محمد ، وعيسى ابن مريم يُدفن معه . قال : فقال أبو مودود : وقد بقي في البيت موضع قبرٍ . ثم قال : هذا حديث حسن غريب ، هكذا قال : عثمان بن الضحاك ، والمعروف : الضحّاك بن عثمان المدني . انتهى ما ذكره الترمذي رحمه الله[٣] .

وروى الطبراني من حديث عبد الله بن نافع ، عن عثمان بن الضحاك ، عن محمد بن يوسف بن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/٤٠٦) وأبو داود رقم (٤٣٢٤) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٤٠) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٦١٧) وهو من نقل عبد الله بن سلام عن التوراة ، وهو ضعيف .

عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، عن جده ، قال : يُدفَنُ عيسى ابنُ مريمَ مع رسول الله ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر فيكون قبره رابعاً(١) .

وقال أبو داود الطيالسيُّ عن علي بن مَسْعَدة ، عن رِيَاح بن عَبِيدَة ، حدثني يوسف بنُ عبد الله بن سلامٍ ، عن أبيه ، قال : يمكثُ الناس بعد الدجّال يَعمُرون الأسواقَ ، ويَغرِسُونَ النَّخْلَ .

ذِكر خروج يأجوج ومأجوج ، وذلك في أيام عيسى ابن مريم
بعد قتله الدجال فيهلكهم الله أجمعين في ليلةٍ واحدةٍ ببركة دعائه عليهم

قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنبياء] ، وقال تعالى في قصة ذي القرنين : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الكهف] .

وقد ذكرنا في « التفسير » ، وفي قصة ذي القرنين ، خبر بنائِه للسدّ من حَدِيدٍ ونُحاسٍ بَيْن جبلين ، فصار رَدْماً واحداً ، و﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾ أي يَحْجُزُ به بين هؤلاء القوم المفسدين في الأرض ، وبين الناس ، ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ أي الوقت الذي قَدَّر انْهدامَه فيه ﴿ جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾ ، أي مساوياً للأرض ، ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ أي هـذا لا بدّ من كونه ووقوعه ، ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ﴾ أي إذا انهدم ، يخرجون على الناس فيموجون فيهم ، ويَنْسِلُون ، أي يُسرعون المَشْيَ من كُلِّ حَدَبٍ ، ثم يكون النفخُ في الصورِ للفزع قريباً من ذلك الوقت ، كما قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ . . . ﴾ الآية [الأنبياء] .

وقد ذكرنا في الأحاديث الواردة في خروج الدجّال ونزول المسيح طَرَفاً صالحاً من ذِكرهم ، من رواية النوّاس بن سِمْعَان ، وغيره .

وثبت في « الصحيحين » من حديث زينب بنتِ جَحْش أنّ رسول الله ﷺ نامَ عِنْدَها ثم استيقظ

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (١٣/ ٣٨٤) وإسناده ضعيف .

مُحْمَرّاً وَجْهُهُ ، وهو يقول : « لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، ويلٌ لِلعَرب مِنْ شَرٍّ قَد اقْتَرَبَ ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ مِثلُ هذِه » وحلّق بَيْن إصْبَعَيْهِ .

وفي رواية : وَعقَد سَبْعِينَ أوْ تِسْعِينَ ، قالت : قلت : يا رسول الله ، أَنَهْلِكُ وفِينَا الصالحُون ؟ قال : « نَعَمْ إِذَا كَثُر الخَبَثُ »[١] .

وفي « الصحيحين » أيضاً من حديث وُهَيْب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ مِثلُ هَذَا » وَعقَد تسعين[٢] .

وقال الإمامُ أحمد : حدثنا رَوْحٌ ، حدّثنا سَعِيدُ بنُ أبي عَروبَةَ ، عن قتَادة ، حدّثنا أبو رافع ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إنّ يأجُوجَ وَمأجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْم ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ ، قال الذي عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا ، فَسَتَحْفِرونَه غداً ، فيعودون إليه كأشدِّ مَا كانَ ، حتّى إذا بلغت مُدَّتُهم ، وأراد اللهُ أنْ يَبعَثَهُمْ على الناس ، حفروا ، حتى إذا كادوا يرون شُعاعَ الشمس قال الذي عليهم : اغدُوا فَسَتَحْفِرونَه غداً إن شاء الله ، ويَسْتَثْني ، فيعودون إليْه ، وهو على هَيْئَتِه حِينَ تركوه ، فيَحْفِرُونَه ، ويَخْرُجُونَ على الناس ، فيَنشُفُون[٣] المِيَاه ، ويتَحَصّنُ الناسُ مِنْهُمْ في حُصُونِهم ، فيَرْمُونَ بِسهامِهِمْ إلى السماء ، فترجعُ وعليها كَهَيْئَةِ الدَّم ، فيقولون : قَهرنَا أَهْلَ الأرض ، وعَلَوْنَا أَهْلَ السماء ، فيَبْعثُ اللهُ عليهم نَغَفاً[٤] في أقفائهم ، فيقتُلهم بها » قال رسول الله ﷺ : « والّذي نَفْس مُحَمَّدٍ بِيَدِه ، إنّ دَوَابَّ الأَرْض لَتَسْمَنُ ، وتَشْكَرُ[٥] شَكَراً مِنْ لحُومُهم ودِمَائِهِمْ » .

ثم رواه أحمد ، والترمذيّ ، وابن ماجه : مِنْ غير وجه ، عن قتادة به[٦] .

وقد روى ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن كعب الأحبار قريباً من هذا . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أَبي ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عُمَر بن قَتَادَة[٧] ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يُفْتَحُ يَأْجُوجُ ومأْجوجُ فَيَخْرُجُونَ على الناس ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنبياء] فيَغْشَوْنَ الناس ، ويَنْحَازُ الناسُ عنهم إلى مَدَائِنهم وحُصُونِهم ، ويَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَواشِيَهُمْ ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٤٦) ومسلم رقم (٢٨٨٠) .

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٧) ومسلم (٢٨٨١) .

(٣) في ابن ماجه (فَيُنْشِفُون) وفي الترمذي (فَيَسْتَقُون) .

(٤) دود يكون في أنوف الإبل والغنم .

(٥) أي تسمن وتمتلئ شحماً .

(٦) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥١١) والترمذي (٣١٥٣) وابن ماجه (٤٠٨٠) وهو حديث صحيح .

(٧) في الأصل : عن عاصم بن عمر عن قتادة .

فَيَشْرَبُونَ مِياه الأرْضِ ، حتّى إنّ بَعْضَهُم لَيَمُرّ بالنّهْرِ ، فَيَشْرَبُون مَا فيه ، حتى يتركوه يَبَساً ، حتى إنّ مَنْ بَعدَهُمْ لَيَمُرّ بذلك النهر ، فيقول : قَدْ كَانَ هاهنا ماءٌ مَرّةً ، حتّى إذَا لم يبق من الناس أحد إلاّ أحدٌ في حِصْنٍ ، أو مَدينةٍ ، قال قائلُهم : هؤلاء أهلُ الأرض ، قَدْ فَرَغنا مِنهُم ، بقي أهل السماء » قال : « ثُمّ يَهُزّ أحدُهم حَرْبَتَهُ ، ثم يَرْمِي بهَا إلى السَّماءِ ، فتَرْجِعُ إلَيْهِ مُخْتَضَبَةً دَماً للبَلاءِ والفتنة ، فبينما هم على ذلك بعثَ اللهُ دُوداً في أعناقهم كنغَفِ الجراد الذي يَخْرُج في أعناقه ، فيُصبحون موتَى ، لا يُسْمَعُ لَهُم حِسّ ، فَيَقول المسلمون : ألاَ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ فَيَنْظُرَ ما فَعَلَ هذا العدوّ ؟ » قال : « فيتجرَّد رجل منهم مُحْتَسِباً نفسه ، قد أوطنها على أنه مقتولٌ ، فينزل ، فيجدهم موتَى بعضهم على بعض ، فيُنادي : يا معشر المسلمين : ألا أبْشِرُوا ، إنّ اللهَ تعالى قد كفاكم عَدُوَّكم ، فيَخْرُجُون مِنَ مدائِنهم ، وحصُونهم ، ويُسَرّحُونَ مَواشِيَهم ، فما يكون لها رَعْيٌ إلاّ لحومُهم ، فتشكَرُ عنه كأحسنِ ما شكَرتْ عن شيء من النباتِ أصابَتْه قَطّ » . وهكذا أخرجه ابن ماجه من حديث يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق به ، وهو إسناد جيّد[١] .

وفي حديث النَّوّاس بن سِمْعان ، بعد ذِكر قتلِ عيسى الدجّال عند باب لُدٍّ الشرقيّ ، قال : « فبينما هم كذلك ، إذ أوحَى الله إلى عيسى ابن مَرْيَم عليه الصلاةُ والسلام : إني قَدْ أخْرَجْتُ عِباداً لي ، لاَ يَدانِ لأحدٍ بقِتالِهِمْ ، فحَرِّزْ عِبادِي إلى الطُّورِ ، فيَبْعَثُ اللهُ يأْجُوجَ وَمأجُوجَ وهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ فيَرْغَبُ عيسى وأصْحابُه إلى الله عَزّ وجلّ ، فيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِم نَغَفاً في رِقابهم ، فيُصْبِحُون فرسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، فيَهْبِطُ عِيسَى وأصحابهُ فلا يجدون في الأرض بَيْتاً إلاّ مَلأَهُ زَهَمُهم ونَتْنُهم ، فيرغَبُ عِيسَى وأصحابه إلى الله عزّ وجَلّ ، فيُرسل الله عليهم طَيْراً كأعناق البُخْتِ فتَحْمِلُهم فتَطْرحُهم حيثُ شاء الله تعالى »[٢] .

قال كعبُ الأحبار بمكانٍ يُقالُ له : المَهْبِل عِنْد مَطْلَع الشمس . . . الحديث ، إلى آخره ، وقد تقدم .

كذلك حديث مُؤْثِرِ بن عَفَازَة عن ابن مسعود ، في اجتماع الأنبياء لَيلَة الإسراء ، وتذاكُرِهم أمْرَ الساعةِ ، فرَدّوا أمرهم إلى عيسى . . . وذكر الحديث كما تقدم ، وفي آخره : « فيَرْجِعُ النّاس إلى أوطانهم ، فعند ذلك يخرُج يَأْجُوج ومأجوج وهم من كلّ حَدَبٍ يَنْسِلُون فَيَطَؤُونَ بِلاَدهم ، لا يمرُّون على شَيْءٍ ، إلاّ أهْلَكُوه ، ولا يَمُرونَ على مَاءٍ إلاّ شَرِبُوه » ثم قال : « ثم يَرْجِعُ الناسُ إليّ يشكونَهُمْ ، فَأَدْعُو اللهَ عَزّ وجلّ عليهم فيُهلكهم ، ويمِيتهُمْ حتى تَجْوَى الأرضُ من نَتْنِ رِيحِهم ، ويُنزل اللهُ المَطَر فَتَجْرُفُ أجْسَادَهم ، حتى يَقذفهم في البحر ، ففيما عهد إليَّ ربي أن ذلك إذا كان

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٧٧) وابن ماجه (٤٠٧٩) .

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧) وقد تقدم .

كذلك ، فإنّ الساعةَ كالحامل المُتِمّ لا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلادتها ، ليلاً أو نهاراً ؟ »[١] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا محمد بن بشر ، حدّثنا محمد بن عمرو ، عن ابن حَرْمَلَةَ ، عن خَالتِه ، قالت : خطب رسولُ الله ﷺ وهو عَاصِبٌ إصْبَعَهُ مِنْ لَدْغَةِ عَقْرَبِ ، فقال : « إنّكم تقولون : لا عَدُوّ لَكُم ، وإنّكم لاَ تَزالُونَ تُقاتِلُونَ عَدُوّاً حَتّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ ومأجُوجُ ، عِراضُ الوُجوه ، صِغارُ العُيون ، صُهْبُ الشّعاف[٢] ، من كلّ حَدَبٍ ينسِلُون ، كأن وُجُوهَهُم المَجَانُّ المُطْرَقَةُ »[٣] .

قلت : يَأجُوجُ ومأجوج ، طائفتان من التُّرْكِ كبيرتان لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه ، وهم مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ عليه الصلاة والسلام ، كما ثَبت في الصحيح : « يقول الله عَزّ وجَلّ يوم القيامة : يا آدمُ ، فيقول : لَبّيْكَ وسَعْدَيْكَ ، فيُنادي بِصَوتٍ : ابْعثْ بَعْثَ النار من ذريتك ، فيقول : مِنْ كم ؟ فيقول : من كُلّ ألفٍ تِسْعمئةٍ وتِسْعَةً وتسعين إلى النار ، وواحداً إلى الجَنّة ، فيومئِذٍ يَشِيبُ الصغير ، وتَضَعُ كلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، فيقال : أبْشِرُوا ، فإنّ في يَأجوجَ ومأجُوجَ لكم فداءً » ، وفي روايةٍ : « فيقال : إنّ فيكم أُمّتَيْنِ ما كَانتَا في شيءٍ إلاّ كَثَّرتَاهُ : يأجُوج ومأجُوج »[٤] وسيأتي هذا الحديث بطرقه وألفاظه .

ثم هم من حوَّاء ، وقد قال بعضهم : إنهم من آدم لا من حواء ، وذلك أنّ آدم احتلم ، فاختلط منِيّه بالتراب ، فخلق اللهُ من ذلك يأجوجَ ومأجوج ، وهذا مما لا دليل عليه ، ولم يرد عمن يجب قبول قوله في هذا ، والله أعلم .

وهم من ذرّية نُوح عليه السلام ، من سُلالةِ يافِث بن نوح ، وهو أبو التُّرك ، وقد كانوا يُفْسِدُون في الأرض ، ويُؤْذُونَ أهلها ، فأمر الله سبحانه ذا القرنين فحصرهم في مكانهم داخلَ السدِّ ، إلى أن يأذنَ الله تعالى في خروجهم على الناس ، فيكون من أمرهم ما ذكرنا في الأحاديث .

وهم كالناس يشبهونهم ، كأبناء جِنْسِهم من الترك الغُتْم[٥] المَغُول ، المُخَرْزَمةِ عُيُونُهم ، الذُّلْفِ أنوفُهم ، الصُّهْبِ شُعُورهم ، على أشكالهم وألوانهم ، ومن زعم أنّ منهم الطويل كالنخلة السَّحوق[٦] وأطول ، ومنهم القصير كالشيء الحقير ، ومنهم من له أُذنان يتَغَطَّى بإحداهما ، ويَتَوطَّأ بالأخرى ، فقد تكلّف ما لا علم له به ، وقال ما لا دليل عليه ، وقد ورد في حديثٍ أن أحدهم لا يموت حتى يرى مِن نَسْله ألف إنسان ، فالله أعلم بصحّته .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٧٥) وابن ماجه رقم (٤٠٨١) وإسناده ضعيف .

(٢) أي حمرة الشعر مع السواد .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٧١) وهو حديث صحيح .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٣٤٨) ومسلم رقم (٢٢٢) .

(٥) جمع أغتم ، وهو الأعجمي الذي لا يفصح .

(٦) أي الطويلة .

قال الطبرانيّ : حدّثنا عبدُ الله بن محمد بن العباس الأصفهاني ، حدّثنا أبو مسعود أحمد بن الفُراتِ ، حدّثنا أبو داود الطيالسيّ ، حدّثنا المُغيرة بن مُسلم ، عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « إنّ يأجوج ومأجوج مِنْ ولَد آدم ، ولو أُرْسِلُوا لأَفْسَدُوا على الناس مَعايِشَهم ، ولن يمُوتَ منهم رَجُلٌ إلا ترك مِنْ ذُرِّيتِهِ ألفاً فصاعِداً ، وإنّ مِنْ ورَائِهم ثلاثَ أُمَم : تاوِيل ، وتاريس ، ومَنْسك » . وهذا حديث غريب ، وقد يكون من كلام عبد الله بن عمرو من الزاملتين[١] ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدّثنا محمد بنُ المُثنَّى ، حدّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعْبَة ، عن عبد الله بن أبي يزيد ، قال : رأى ابنُ عبّاسٍ صِبْياناً يَنْزُو بَعْضُهم على بعض ، يلعبون ، فقال ابنُ عبّاس : هكذا تَخْرُجُ يأجوج وَمَأْجُوجُ .

ذكر تخريب الكعبة شرفها الله تعالى على يدي ذي السُّوَيْقَتَيْن[٢] الأفحج الحَبَشيّ ، قبّحه الله

ورَوَينا عن كعب الأحبار في التفسير عند قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ [الأنبياء : ٩٦] ، أنّ أولّ ظهور ذي السُّوَيْقَتينِ في أيّام عيسى ابن مَرْيمَ عليه الصلاة والسلام ، وذلك بعد هلاَك يأجوج ومأجوج ، فيَبْعَثُ الله عيسى ابنَ مَرْيم طليعةً ما بين السبعمئة إلى الثمانمئة ، فبينما هم يسيرون إليه ، إذ بعث اللهُ ريحاً يَمانِيَةً طيبةً ، فتُقْبضُ فيها روح كلِّ مؤمن ، ثم يبقى عَجَاجٌ[٣] من الناس ، يَتَسافَدُون كمَا تَتَسَافدُ البهَائِمُ[٤] ، ثم قال كعب : وتكون الساعةُ قَرِيبةً حِينَئذٍ . قلت : وقد تقدّم في الحديثِ الصحيح : أنّ عِيسَى عليه الصلاة والسلام يَحُجّ بعد نزوله إلى الأرض[٥] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سليمانُ بن داود الطيالسي ، حدثنا عِمْرانُ ، عن قتادةَ ، عن عبد الله بن

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » (٢٢٨٢) ورواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٨٥٩٣) من طريق أبي إسحاق بنحوه ، وقد أصاب عبد الله بن عمرو في وقعة اليرموك زاملتين محملتين بكتب من أهل الكتاب ، وكان يحدث بما فيهما .

(٢) ذو السويقتين : القائد الحبشي الذي يغزو الكعبة ويخربها ، وسمي ذا السويقتين لصغر ساقيه ، والأفحج : المتباعد عقباه عند المشي .

(٣) عجاج من الناس : غوغاؤهم .

(٤) ورد في حديث مرفوع رواه البزار في « مسنده » رقم (٣٤٠٨) وابن حبان في « صحيحه » (٦٧٦٨) بلفظ « لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمير » وهو حديث صحيح بطرقه شواهده ، وسبق في حديث النواس عند مسلم رقم (٢٩٣٧) بلفظ : « يتهارجون فيها تهارج الحمر » وهو بمعناه .

(٥) رواه مسلم رقم (١٢٥٢) .

أبي عُتْبَة ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيُحَجَّنَّ هذا البيتُ ، وَلَيُعْتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج » . انفرد بإخراجه البخاري ، فرواه عن أحمد بن حفص بن عبد الله ، عن أبيه ، عن إبراهيم بن طَهْمَانَ ، عن حَجّاج هو ابنُ حجاج[١] ، عن قتادَةَ بن دِعَامة به ، قال : تابعه أبانٌ ، وعِمْرانُ ، عن قتادَة ، وقال عبد الرحمن ، عن شعبة ، عن قتادةَ : « لا تَقُومُ الساعةُ حتّى لا يُحَجَّ البَيْتُ » قال أبو عبد الله : والأول أكثر . انتهى ما ذكره البخاري . وقد رواه البزّار ، عن محمد بن المُثَنّى ، عن عبد الرحمن بن مَهدي ، عن أبان بن يزيد العطّار ، عن قتادة ، كما ذكره البخاريّ ، ورواية عِمْران بن داود القطّان قد أوردها الإمامُ أحمد ، كما رَأَيْتَ[٢] .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن المُثَنَّى ، حدّثنا عبد العزيز ، حدّثنا شعبةُ ، عن قتادة ؛ سمعتُ عبد الله بن أبي عُتْبَةَ يُحَدّث ، عن أبي سعيد الخُدْريّ ، عن النبيّ ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى لا يُحَجَّ البَيْتُ » . ثم قال : وهذا الحديث لا نَعْلمُه يُرْوى عن أبي سعيد ، عن النبيّ ﷺ إلاّ بهذا الإسناد .

قلت : ولا مُنافَاة في المعنى بين الروايتين ، لأنّ الكعبة يَحُجُّها الناسُ ويَعْتَمِرون بها ، بعد خروج يأجوج ومأجوج ، وهلاكِهم ، وطُمأنينة الناس ، وكثرة أرزاقهم في زمان المسيح عليه الصلاة والسلام ، ثم يَبْعَثُ الله ريحاً طيِّبة فيقبْضُ بها رُوح كلِّ مُؤمن ، ومؤمنة ، ويُتَوَفَّى نَبي الله عيسَى ابنُ مَرْيمَ عليه الصلاة والسلام ، ويصلّي عليه المسلمونَ ، ويُدْفَنُ بالحُجْرةِ النبوية ، مع رسول الله ﷺ[٣] ، ثم يكون خَرَابُ الكَعْبةِ على يدي ذي السُّوَيْقتَين ، بعد هذا ، وإن كان ظهورُه في زمان المسيح ، كما قال كعبُ الأحبار .

صفة تخريبه إيَّاها قبحه الله وشرفها

قال الإمامُ أحمد : حدّثنا أحمد بن عبد الملك ، وهو الحَرَّانيّ ، حدّثنا محمد بن سَلَمة ، عن محمد ابن إسحاق ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مُجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْن منَ الحَبَشَة ، ويسْلُبُها حِلْيَتَهَا ، ويُجَرِّدُها من كُسْوتها ، ولكَأنِّي أنظرُ إلَيْه أُصَيْلعَ أُفَيْدعَ[٤] ، يضرب عليها بِمِسْحاته ، ومِعْوَله » . انفرد به أحمد ، وهذا إسنادٌ جَيّد قَويّ[٥] .

---

(١) في الأصل : ابن منهال ، والتصحيح من البخاري .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٧ ـ ٢٨) والبخاري (١٥٩٣) تعليقاً ، قال الحافظ في « الفتح » (٣/ ٤٥٥) وصله الحاكم (٤/ ٤٥٣) من طريق أحمد بن حنبل .

(٣) تقدم أن الترمذي رواه رقم (٣٦١٧) وهو من نقل عبد الله بن سلام عن التوراة ، وهو ضعيف .

(٤) الذي فيه زيغ في المفاصل حتى كأنها زالت عن مواضعها .

(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٢٠) أقول : فيه عنعنة بن إسحاق ، لكن قد توبع ، فالحديث حسن بطرقه وشواهده .

وقال أبو داود : (باب النهي عن تَهييج الحَبَشَةِ) : حدّثنا القاسم بن أحمد ، حدّثنا أبو عامر ، حدّثنا زُهَيرُ بن محمد ، عن موسى بن جُبَيْر ، عن أبي أمامةَ بن سَهْل بن حُنَيْف ، عن عبد الله بن عَمْرو ، عن النبيّ ﷺ قال : « اتركوا الحَبَشَةَ ما تَركُوكُمْ ، فإنّه لا يَسْتَخْرِجُ كنز الكعبة إلا ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبشة »[١] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا يحيى ، عن عبيد الله بن الأخْنَس ، قال : أخبرني ابنُ أبي مُلَيْكَةَ ، وهو عبد الله بن عُبَيْد الله بن أبي مُلَيْكَة : أنّ ابن عباس أخبره : أنّ النبيّ ﷺ قال : « كأنّي أنْظُر إليه أسْوَدَ أفْحَجَ ، يَنْقُضُها حَجَراً حَجَراً ، يعني الكَعْبَة » . انفرد به البخاري ، فرواه عن عمرو بن علي الفلاّس ، عن يحيى ، وهو ابن سعيد القَطّان به[٢] .

وقال الحافظ أبو بكر البزّار : حدّثنا محمد بن المُثَنَّى ، حدّثنا أبو عامر ، حدثنا عبدُ العزيز ، عن ثَوْر ، عن أبي الغَيْث ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « ذُو السُّوَيْقَتَيْن مِنْ الحَبَشَةِ ، يُخربُ بيْتَ الله » . ورواه مسلم ، عن قُتَيبةَ بن سعيد ، عن عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيّ به[٣] .

وبهذا الإسناد أنّ رسول الله ﷺ ، قال : « لا تَقومُ الساعةُ حتى يَخْرُج رَجُلٌ مِنْ قَحْطانَ يَسُوقُ الناسَ بعَصَاهُ » . ورواه البخاريّ ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن سُلَيمان بن بلال ، ومُسلمٌ عن قُتَيْبة ، عن عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِيّ ، كلاهما عن ثَوْر بن زَيْد الدِّيلي ، عن أبي الغَيْث ، سالم مولى ابن مُطِيع ، عن أبي هُرَيرةَ ، عن النبيّ ﷺ . . . فذكر مثلَه سواءً بسواءٍ[٤] .

وقد يكون هذا الرجلُ هو ذا السُّوَيْقَتَيْن ، ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ غَيْرَهُ ، فإن هذا من قَحْطانَ ، وذاك من الحَبَشة ، فالله أعلم .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا أبو بكر الحَنَفِيّ ، حدّثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن عُمَر بن الحَكَم الأنصاريّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَذْهَبُ الليلُ والنهارُ حتى يملك رَجلٌ مِن المَوالي يقال له : جهجاه » ، ورواه مسلم عن محمد بن بَشّار ، عن أبي بكر الحنفي به[٥] .

فيحتمل أن يكون هذا اسم ذي السُّوَيْقَتَيْنِ الحَبَشي ، والله أعلم .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٣٠٩) وهو حديث حسن بشواهده .
(٢) رواه أحمد في المسند (١/٢٢٨) والبخاري رقم (١٥٩٥) .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٩٠٩) وأخرجه البخاري (١٥٩١) من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .
(٤) رواه البخاري (٣٥١٧) ومسلم رقم (٢٩١٠) .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/٣٢٩) ومسلم رقم (٢٩١١) .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهِيعَةَ ، حدّثنا أبو الزُّبير ، عن جابر : أن عمر ابن الخطاب أخبره : أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول : « سيخْرُج أهل مَكَّة ثم لا يُعْبَرُ بها ، أو لا يَعْبُر بها إلّا قليل ، ثم تمتَلئ وتُبْنَى ، ثم يَخرجُون منها ، فلا يعودون فيها أبداً » . ورواه البزار(١) .

فصـــل

وأما المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فقد ثبت في الصحيح كما تقدّم : أن الدجّال لا يدخلها ولا مكة ، وأنّه يكون على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها منه .

وفي « صحيح البخاريّ » من حديث مالك ، عن نُعَيْمٍ المُجْمِرِ ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يدخُلُها المسيحُ الدجّال ، ولا الطاعون »(٢) .

وقد تقدّم أنه يُخَيِّم بظاهِرها ، وأنها تَرْجُفُ بأهلها ثَلاثَ رَجَفَاتٍ ، فيخرج إليه كلُّ منافق ومنافقةٍ ، وفاسق وفاسِقَةٍ ، ويثبتُ فِيهَا كلُّ مؤمن ومؤمنةٍ ، ومسلم ومسلمة ، ويُسَمَّى يومُئذٍ يَومَ الخَلاصِ ، وأكثرُ مَنْ يَخْرج إليه النِّساءُ ، وهي كما قال رسول الله ﷺ : « إنها طَيْبَةُ ، تَنْفي خَبَثَها وَيَنْصَعُ طِيبُها » .

وقال الله تعالى ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴾ [النور : ٢٦] والمقصود أن المدينةَ تكون عامرةً أيام الدجّال ، ثم تكون كذلك في زمان المسيح عيسى ابن مَرْيم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حتى تكون وفاتُه بها ، ودفْنُه بها ، ثم تَخْرَبُ بعد ذلك ، كما قال الإمامُ أحمد : حدّثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لَهِيعَة ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : أخبرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لَيسِيرَنَّ الرَّاكِبُ في جَنَباتِ المَدِينَةِ ، ثم لَيَقُول : لَقَدْ كَانَ في هذَا حاضرٌ مِنَ المُؤمنينَ كَثيرٌ » .

قال الإمام أحمد : ولم يَجُزْ به حسن الأشيب جابراً ، انفرد به أحمد(٣) .

خروج الدابة من الأرض تُكلِّم الناس

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ [النمل : ٨٢] ، وقد تكلّمنا على ما يتعلّق بهذه الآية الكريمة ، في كتابنا « التفسير » ، وأوردنا هنالك من الأحاديث المتعلّقة بذلك ما فيه كفاية ، ولو كتبت مجموعها هنا كان حسناً كافياً .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٣) والبزار رقم (٢٣٣) ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه البخاري رقم (١٨٨٠) ومسلم رقم (١٣٧٩) .

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٠) و (٣/ ٣٤١) وهو حديث حسن .

قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادةُ : تُكلِّمُهُمْ ، أي تخاطِبهُمْ مُخَاطَبةً ، ورجّح ابنُ جرير : تخاطبهم فتَقُولُ لَهُمْ : ﴿ إن[1] ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢] . وحكاه عن عليّ ، وعطاءٍ ، وفي هذا نظر . وعن ابن عبَّاس : تَكلِمُهم : تجرحهم ، يعني تكتبُ على جبين الكافر : (كافر) وعلى جبين المؤمن : (مؤمن) وعنه : تخاطبهم وتجرحهم . وهذا القول ينتظم المذهبَين ، وهو قويّ حسن ، جامع لهما ، والله أعلم .

وقد تقدّم الحديثُ الذي رواه أحمد ، ومسلم ، وأهل السنن ، عن أبي سَريحة ، حُذَيْفَةَ بن أَسِيد ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتَّى تَروا عَشْر آيات : طُلوعُ الشَّمْس مِنْ مَغْرِبها ، والدُّخَان ، والدَّابّة ، وخروج يأْجوجَ ومأْجُوجَ ، وخروج الدجّال ، وخروج عيسى ابن مريم ، وثلاثة خُسُوفٍ خَسْفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بالمشرق ، وخسفٌ بجزيرة العرب ، ونارٌ تَخْرُج من قَعْرِ عَدَن ، تَسُوقُ الناسَ أو تَحْشُر الناس ، تَبيتُ مَعَهُم حَيْث باتوا ، وتَقِيلُ مَعهُمْ حيْثُ قالُوا »[2] .

ولمسلم من حديث العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « بادِروا بالأعمال ستّاً : طُلوعَ الشَمْسِ من مَغَربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابّة ، أو خاصّة أحدكم ، أو أمر العامة »[3] .

وله أيضاً من حديث قتادةَ ، عن الحسن ، عن زياد بن رِياح ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ قال : « بادروا بالأعمال سِتّاً : الدجّال ، والدُّخَان ، ودابّة الأرض ، وطلوعَ الشَمس من مغربها ، وأمر العامة ، وخُوَيْصَّة أحدكم »[4] .

وروى ابنُ ماجة ، عن حرملة ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، وابن لَهيعَة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سَعْد ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال سِتّاً : طُلُوعَ الشّمْسِ مِنْ مَغْرِبها ، والدُّخَان ، ودابّة الأرض ، والدجّال ، وخُوَيْصَّة أحدكم ، وأمْرَ العامّة »[5] . تفرّد به ابن ماجه من هذا الوجه .

---

(١) وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وأبي جعفر ، وانظر توجيهها في كتاب « الحجة » لأبي علي الفارسي (٥/٤٠٦) ، ورواية حفص عن عاصم وغيره : (أن الناس) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/٦) ومسلم رقم (٢٩٠١) وأبو داود رقم (٤٣١١) والترمذي (٢١٨٣) والنسائي في الكبرى (١١٤٨٢) وابن ماجه (٤٠٤١) .

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٧) (١٢٨) .

(٤) رواه مسلم رقم (٢٩٤٧) (١٢٩) .

(٥) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٥٦) وهو حديث حسن .

وقال أبو داود الطَّيالِسيّ ، عن طلحة بن عمرو ، وجرير بن حازم ، فأما طلحة ، فقال : أخبرني عبد الله بن عُبَيْد بن عُمَيْر أن أبا الطُّفَيْلِ حدّثَهُ عن حُذَيْفَةَ بن أَسِيد الغِفَارِيّ ، أبي سريحة ، وأما جرير ، فقال : عن عبد الله بن عُبَيْد ، عن رجل من آل عبد الله بن مسعود ، وحَدِيثُ طَلْحة أَتَمُّ وأَحسَنُ .

قال : ذكر رسولُ الله ﷺ الدابّة ، فقال : « لها ثَلَاثُ خَرَجَاتٍ في الدَّهْرِ ، فَتَخْرُج خَرْجَةً مَنْ أَقْصى البَادية ، ولا يَدْخُلُ ذِكرُهَا القَرْيَةَ » يعني مَكَّة « ثم تَكْمُنُ زَماناً طَويلاً ، ثم تَخْرُج خرجةً أُخرى دون تِلْكَ ، فَيعْلو ذِكْرُها في أهل البادية ، وَيدْخُلُ ذِكرها القَرْيَةَ » يعني مَكَّة ، قال رسول الله ﷺ : « ثم بينما الناسُ في أعظم المساجد على الله حُرْمةً ، وأكرمِها : المسجد الحرام ، لم يَرُعْهُمْ إلاّ وَهي ترغو بين الرُّكن والمَقَامِ ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِها التُّرَابَ ، فارْفَضَّ الناسُ عَنْهَا شَتّى ، ومعاً ، وثَبَتَتْ عِصابَةٌ من المُؤْمنينَ ، وعرفوا أنّهم لَنْ يُعْجِزُوا اللهَ ، فبدأت بِهِمْ ، فجلت وجوهَهُمْ حتى جَعَلتها كالكوكب الدُّرّيِّ ، وولَّت في الأرض ، لا يُدركها طالب ، ولا يَنجُو منها هارب ، حتّى إنّ الرجل ليَتعَوَّذُ مِنْها في الصلاة فَتأتيهِ من خَلفِهِ ، فتقول : يا فُلانُ : آلآن تُصَلِّي ؟! فيُقْبِلُ عَلَيْها ، فَتسِمُه في وَجْهِهِ ، ثم تَنْطَلِقُ ، وَيَشْتَرِكُ الناسُ في الأموال ، وَيَصْطَحِبُونَ في الأمصار ، يُعْرَفُ المُؤْمنُ من الكافر ، حتى إنّ المُؤْمِنَ لَيقُولُ : يا كافر ، اقْضِنِي حَقّي ، وحَتى إنَّ الكافر لَيَقُولُ : يا مؤمن ، اقضِنِي حَقّي » . هكذا رواه مرفوعاً من هذا الوجه بهذا السياق ، وفيه غرابة . ورواه ابن جرير من طريقين ، عن حُذَيفةَ بن أَسِيد ، موقوفاً ، ورواه أيضاً عن حُذْيفَةَ بن اليمان مَرْفُوعاً ، وفيه أنّ ذلك في زمان عيسى ابن مريم ، وهو يطوف بالبَيْت ، ولكن في إسناده نظر ، فالله أعلم[١] .

وقال ابن ماجه : حدّثنا أبو غَسّان محمّد بن عمرو ، حدّثنا أبو تُمَيْلَة ، حدّثنا خالد بن عُبَيد ، حدثنا عبد الله بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه قال : ذهب بي رسولُ الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريبٍ من مكة ، فإذا أرضٌ يابِسَةٌ حولَها رَمْلٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « تخرجُ الدابّة من هذا الموضع ، فإذا فِترٌ في شِبْرٍ » قال ابن بُرَيْدَة : فحَجَجْتُ بعد ذلك بِسِنِينَ ، فأرانا عصاً له ، فإذا هو بعَصَاي هذا كذا وكذا ، يعني أنه كلما له يتسع حتى يكون وقت خروجها ، والله أعلم[٢] .

وقال عبد الرزّاق : عن مَعْمَر ، عن قَتادة ، أنّ ابن عباس قال : هي دابّةٌ ذاتُ زَغَبٍ ، لها أَرْبَعُ قَوائمَ ، ثم تخرجُ من بعض أَوْدِيَة تِهَامَة . ورواه سعيد بن منصور ، عن عثمان بن مَطَر ، عن قتادة ، عن ابن عباس بنحوه ، وقال ابنُ أبي حاتم : حدثني أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا فُضَيْلُ بن

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي رقم (١٠٦٩) .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٦٧) وهو ضعيف .

مَرْزُوق ، عن عَطِيّة ، قال : قال عبد الله : تخرجُ الدابّة من صَدْعٍ من الصَّفَا ، كجَرْيِ الفرس ، ثلاثةَ أيام ، لا يَخْرجُ ثُلُثُها .

وعن عبد الله بن عمرو أنّه قال : تخرجُ الدابّة من تحت صَخْرةٍ بِشِعب أجياد ، فتستقبل المَشْرقَ ، فتصرخُ صَرْخةً تُنْفِذُه ، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تستقبل اليمن فتصرُخ صرخةً تُنْفِذُه ، ثم تروح من مكةَ فتُصْبِحُ بعُسْفَانَ ، قيل له : ثمّ ماذا ؟ قال : ثم لا أعلم .

وعنه أنّه قال : تخرُج الدابّة ليلة جمع[١] .

وعن وهب بن منبه أنه حكى عن عُزَيرٍ النبيِّ أنه قال : تخرج الدابة من تحت سَدُومَ ، يعني مدينةَ قوم لوط .

فهذه أقوال متعارضة ، فالله أعلم .

وعن أبي الطفَيْلِ أنّه قال : تخرُج الدابّة من الصَّفَا ، أو المَرْوَةِ . رواه البَيْهَقِيّ ، ثم ساق من حديث يحيى بن مَعِين : حدَّثنا هِشَامُ بنُ يوسف ، حدثنا رَبَاحُ بن عُبَيْد الله بن عُمر ، عن سُهَيْل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ : « بِئْس الشِّعْبُ شِعْبُ جِيَادٍ » مرّتين ، أو ثلاثة ، قالوا : ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : « تخرجُ منه الدابّة ، فتصرخُ ثلاثَ صَرَخاتٍ ، فَيسْمَعُها مَنْ بَيْنَ الخَافِقينِ » .

ثم روى من حديث فَرْقَدِ بن الحجّاج : سمعتُ عُقْبَةَ بن أبي الحسناء ، سمعتُ أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « تخرُج دابّةُ الأرض من جِيَادٍ ، فيَبْلُغُ صَدْرها الرُّكْنَ ، ولمْ يخرُج ذَنَبُها بَعْدُ » . قال : « وهي دَابّةٌ ذات وبَرٍ وقَوائِمَ » .

وقد روى الإمامُ أحمد ، عن يزيد بن هارون ، وبَهْزِ بن أَسَدٍ ، وعَفّانَ بن مُسْلِم ، عن حمّاد بن سَلَمَةَ ، عن عليّ بن زيد بن جُدْعانَ ، عن أَوْسِ بن خَالِدٍ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تخرجُ دابّة الأرض ومعها عصا موسى ، وخاتمُ سُلَيْمان ، فَتَخْطِمُ أنْفَ الكافِرِ بالخاتَم ، وتجلو وجهَ المؤمن بالعصا ، حتى إن أهل الخِوَان الواحد ليجتمعون ، فيقول هذا : يا مؤمن ، ويقول هذا : يا كافر » . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ ، عن يونس بن محمد المُؤَدّب ، عن حمّاد بن سَلَمَةَ ، به . ورواه أبو داود الطَّيالسِيُّ عن حمّاد بن سَلَمة ، فذكره مِثْلَه ، إلّا أنه قال : « فَتَخْطِمُ أنْف الكافر بالعصا ، وتجلو وجه المؤمن بالخَاتَم » وهذا أنسَبُ ، والله أعلم[٢] .

---

(١) الجمع : عَلَمٌ للمزدلفة .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥) و(٤٩١) وابن ماجه (٤٠٦٦) وأبو داود الطيالسي في « مسنده » رقم (٢٥٦٤) وإسناده ضعيف .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، كاتبُ الليث ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي مَرْيَم : أنّه سمع أبا هريرة يقول : إنّ الدابة فيها من كُلِّ لَوْنٍ ، ما بين قرْنيها فرسخ للراكب .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال : إنها دَابَّةٌ لهَا رِيشٌ وزَغَبٌ ، وحافر ، وما لَها ذَنَبٌ ، ولَها لِحْيَةٌ ، وإنها لتَخرُجُ حُضْرَ[1] الفَرسِ الجَوادِ ثلاثاً ، وما خرج ثُلُثاها . رواه ابن أبي حَاتِم .

وقال ابن جُرَيْج ، عن أبي الزُّبَيْر : إنّه وصف الدابّة ، فقالَ : رأْسُها رَأْسُ ثَوْرٍ ، وعينها عينُ خِنْزِيرٍ ، وأذُنُها أُذنُ فِيلٍ ، وَقَرْنُها قَرْنُ أَيِّل ، وعُنقُها عُنُق نعامَةٍ ، وصدرها صَدْرُ أَسَدٍ ، ولونُها لَوْنُ نَمِرٍ ، وخاصِرَتُها خَاصِرَة هِرٍّ ، وذَنَبُها ذَنَبُ كَبْشٍ ، وقوائمُها قَوائمُ بَعِيرٍ ، بَيْنَ كلِّ مَفْصِلَين اثنا عشر ذِرَاعاً ، يَخْرُج مَعَها عَصا موسى ، وخاتَمُ سُلَيْمان ، ولا يبقى مؤمن إلاّ نكتَت في وجهه بعصا موسى نُكْتَةً بَيْضاءَ ، فَتفْشُو تِلكَ النُّكْتَةُ حتى يبيَضّ لها وَجْهُهُ ، ولا يبْقَى كافرٌ إلاّ نكتَتْ في وجهه نُكْتَةً سَوْداءَ بخاتم سُلَيمان ، فتفشو تلك النُّكْتَةُ ، حتى يَسْوَدّ لها وَجْهُه ، حتّى إنّ الناس يَتبايَعُونَ في الأسواق بكم ذا يا مؤمن ؟ بكم ذا يا كافر ؟ حتى إنّ أهل البيت ليَجْلِسُونَ على مَائِدَتِهم ، فيَعْرِفُونَ مُؤْمِنَهُمْ مِنْ كافرِهِم ، ثم تقول لهم الدابّة : يا فلان ، أبْشِر ، أنت من أهل الجنّة ، ويا فُلانُ ، أَنْت من أَهْل النَّار ، فذلك قوله تعالى : ﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل] .

وقد ذكرنا فيما تقدّم عن ابن مسعود أنّ الدابّة تَقْتُلُ إبليس الرَّجِيمَ ، وذلك فيما رواه نُعَيْمُ بنُ حمّاد في كتاب « الفِتَن والمَلاحم » ، تصنيفه ، والله أعلم[2] .

وقال مسلم : حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَة ، حدّثنا محمّد بن بِشْر ، عن أبي حَيّان ، عن أبي زُرْعَة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : حَفِظْتُ مِنْ رسول الله ﷺ حديثاً لم أَنْسَهُ بعدُ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنّ أوّلَ الآيات خروجاً ، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها ، وخروجُ الدابّة على الناس ضُحىً ، فأيتُهما ما كانت قبلَ صاحبتها ، فالأُخرى على إثْرِهَا قريباً »[3] .

أي أول الآيات التي ليست مألوفةً ، وإن كان الدجّالُ ، ونزولُ عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء، قبلَ ذلك ، وكذلك خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ ، فكلّ ذلك أمور مألوفة ، لأنّهم بَشَرٌ ، مشاهَدَتُهم وأمثالهم مَعْروفَةٌ مَأْلُوفَةٌ، فأما خروج الدابّة على شكلٍ غيرِ مألوف ، ومخاطبتُها الناسَ ، ووَسْمُها إيَّاهمْ

---

(١) الحضر : العدو .

(٢) وقد ذكرنا حكم الذهبي عليه بالوضع فيما سلف .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٩٤١) .

بالإيمان والكفر ، فأمر خارج عن مَجاري العاداتِ ، وذلك أوّل الآيات الأَرضِيَّةِ ، كما أنّ طلُوعَ الشمس من مَغْرِبها على خِلاف عَادتها المألوفة ، أَوّلُ الآياتِ السَّماوِيّة ، فإنها تطلع على خلاف عادتها المألوفة والله سبحانه أعلم .

حديث عن أبي أُمَامَةَ

قال الإمام أحمدُ : ثنا حُجَيْنُ بن المثنَّى ، ثنا عبد العزيز ـ يعني ابن أبي سلمة ـ الماجشونُ ، عن عمرَ بن عبد الرحمن بن عطية بن دِلافٍ[١] المزنيِّ ، لا أعلمُ إلاّ أنَّه حدَّثه عن أبي أمامة يرفعُه إلى النبيِّ ﷺ قال : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ على خَرَاطِيمِهم ، ثم يُغْمَرُون فيكم[٢] حتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ البَعيرَ فيقال ـ فيسأل[٣] ـ : مِمَّنِ اشْتَرَيْتَه ؟ فيقول : مِن أحد المُخَطَّمِينَ » وقال يونسُ يعني ابن محمدٍ : « ثم يُغَمَّرُون فيكم » ولم يَشُكَّ . قال : في رفعه . تفرّد به أحمد[٤] .

ذكر طلوع الشمس من مغربها

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال الإمامُ أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا ابنُ أبي لَيْلى ، عَنْ عطِيّة العَوْفيّ ، عن أبي سعيد الخُدْريّ ، عن النبي ﷺ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ قال : « طلوعُ الشَّمس مِنْ مَغْرِبها » . ورواه الترمذيّ ، عن سفيانَ بن وكيع ، عن أبيه به ، وقال : [حسن][٥] غريب ، وقد رواه بعضهم فلم يَرْفَعْهُ[٦] .

وقال البخاريّ عند تفسير هذه الآية : حدّثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، حدّثنا عبدُ الواحد ، حدثنا عُمَارَةُ ، حدثنا أبو زُرْعةَ ، حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مغْرِبها ، فإذا رآها الناسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْها ، فذاكَ حِينَ لا ينفعُ نَفْساً إيمانُهـا لم تكن آمَنتْ مِن قَبْلُ » . وقد أخرجه بَقِيّةُ الجَماعةِ ، إلاّ التّرمذيّ ، من طرق ، عن عُمارَة بن القَعْقَاع بن

---

(١) في الأصل : ابن كلاب .
(٢) في الأصل : فيه ، وهو كذلك في « مجمع الزوائد » .
(٣) كلمة : فيسأل ، ليست في المسند .
(٤) رواه أحمد في المسند (٥/٢٦٨) ، وهو حديث صحيح .
(٥) زيادة من بعض نسخ الترمذي .
(٦) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣١) والترمذي (٣٠٧١) وهو حديث صحيح بشواهده .

شُبْرُمَةَ ، عن أبي زُرْعةَ بن عمرو بن جَرير ، عن أبي هريرة مرفوعاً مثلَه[١] .

ثم قال البخاريّ : حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد الرزّاق ، حدثنا معمر ، عن هَمَّام بن منبه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتّى تطلُع الشمسُ من مغربها ، فإذا طلعت ، ورآها الناسُ آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفعُ نَفْساً إيمانُها » ثم قرأ هذه الآية . وكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزّاق بن هَمَّامٍ الصنعانيّ ، به . وانفرد مسلم بإخراجه من طريق العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة[٢] .

وقال أحمد : حدّثنا وكيعٌ ، عن فُضَيْلِ بن غَزْوانَ ، عن أبي حازم ، سَلْمان ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثٌ إذا خَرجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لم تَكُنْ آمنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إيمانها خَيْراً : طلوعُ الشمس من مغربها ، والدُّخَانُ ، ودابّةُ الأرْضِ » . ورواه مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ ، وزُهَيْر بنُ حَرْب ، عن وكيع به ، ورواه مسلم أيضاً ، والترمذيّ ، وابن جرير من غير وجه ، عن فُضَيْل بن غَزْوانَ ، به ، نحوَه[٣] .

وقد ورد هذا الحديث من طرق عن أبي هريرة ، وعن جماعة من الصحابة أيضاً ، فعن أبي سرِيحة حُذَيْفةَ بن أَسِيد ، عن رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تَرَوْا عَشْر آياتٍ : طُلوعَ الشمس من مغربها . . . » وذكر الحديث . رواه أحمد ، ومسلم ، وأهل السُّنَنِ ، كما تقدّم غيرَ مَرّةٍ[٤] .

ولمسلم من حديث العَلاءِ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، ومن حديث قتادةَ ، عن الحسن ، عن زياد بن رَبَاح ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ : « بادِرُوا بالأعمال سِتّاً . . . » فذكر مِنهُنّ طُلوع الشمس من مغربها . كما تقدّم[٥] .

وثبت في « الصحيحين » من حديث إبراهيم بن يزيد بن شَرِيك ، عن أبيه ، عن أبي ذَرّ قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أتدري أَين تَذْهَبُ هذه الشمسُ إذا غَرَبَتْ ؟ » قلت : لا أدري ، قال : « إنّها تَنْتَهِي ، فتَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ ، ثم تَسْتأذِنُ فيُوشِكُ أنْ يقَال لَهَا : ارْجِعِي من حَيْثُ جِئْتِ ،

---

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥) ومسلم رقم (١٥٧) وأبو داود رقم (٤٣١٢) والنسائي في « الكبرى » (١١١٧٧) وابن ماجه (٤٠٦٨) .
(٢) رواه البخاري (٤٦٣٦) ومسلم رقم (١٥٧) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦) ومسلم رقم (١٥٨) والترمذي (٣٠٧٢) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٦) ومسلم (٢٠٩١) وأبو داود (٤٣١١) والترمذي (٢١٨٣) والنسائي في « الكبرى » (١١٤٨٢) وابن ماجه (٤٠٤١) .
(٥) رواه مسلم رقم (٢٩٤٧) (١٢٨) .

وذلك حين لَا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لم تَكُنْ آمنَتْ مِنْ قَبلُ أوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خيراً »[١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أبو حيّان ، عن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير ، قال : جلس ثلاثةُ نَفرٍ من المسلمين إلى مَرْوانَ بالمدينة ، فسمعوه يقول وهو يُحدّث في الآيات : إن أوّلها خروجُ الدجال ، قال : فانصرف النَّفَرُ إلى عبد الله بن عمرو ، فحدّثوه بالذي سمعوه مِنْ مرْوانَ في الآيات ، فقال عبد الله : لم يَقُلْ مَرْوانُ شَيْئاً ، قد حَفِظْتُ مِنْ رسول الله ﷺ في مثل ذلكَ حديثاً لم أنسه بعدُ : سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : « إنّ أوّل الآياتِ طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروجُ الدابة ضُحىً ، فأيّتهُما ما كانت قبلَ صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً ، ثم قال عبد الله ، وكان يقرأ الكتب : وأظنُّ أُولاهمَا خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وذلك أنها كلما غَرَبَتْ أَتَتْ تَحْتَ العَرْشِ ، فسجَدَتْ ، واسْتَأْذَنت في الرُّجوع ، فَأُذِن لهَا في الرجوع ، حتّى إذا بَدا الله أنْ تَطْلُعَ مِنْ مَغْرِبهَا فَعَلَتْ كما كانت تفْعَلُ ، أَتَتْ تَحْتَ العرْشِ ، فسَجَدَت ، فاسْتَأْذَنَتْ في الرُّجُوعِ ، فلم يُرَدّ عليها شيء ، ثم تستأذن في الرجوع فلا يُرَدّ عليها شيء ، ثم تستأذن في الرجوع فلا يردّ عليها شيء ، حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب ، وعرفَتْ أنّه إن أُذن لها في الرجوع لم تُدْرِكِ المَشْرِقَ ، قالت : ربِّ ، ما أبْعَدَ المَشْرِقَ ، من لي بالناس ؟ حتّى إذَا صار الأُفق كأنّه طَوْقٌ ، استأذنَتْ في الرُّجوع ، فيقال لها : ارجعي من مكانك فاطلُعي ، فطلعت على الناس من مغربها ، ثم تلا عبد الله هذه الآية ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

وقد رواه مسلم في « صحيحه » ، وأبو داود ، وابن ماجه ، من حديث أبي حَيّان يحيى بن سعيد ابن حَيّان ، عن أبي زُرعة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : حَفِظتُ من رسول الله ﷺ حديثاً لم أَنْسَهُ بَعْدُ : . . . وذكره كما تقدم[٢] .

وقد ذكرنا أن المراد بالآيات هاهنا ، التي ليست مألوفةً ، بل هي مُخَالفَةٌ للعادَة ، فخروج الدابة مخالف للعادة ، لأنها تميز المؤمن من الكافر ، وتُكلّمُ الناس ، وهذا باهر مخالف للعادة ، وطلوعُ الشمس من مغربها أمر باهر جدّاً ، فالدابة أول الآيات الأرضِية ، وطلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية ، وقد ظَنّ عبدُ الله بن عمرو أنّ طلوع الشمس من مغربها مُتَقَدِّمٌ على خروج الدابّة ، وذلك مُحتمِل ومُناسب ، فالله أعلم .

وقد ورد في ذلك حديث غريب ، رواه الحافظ أبو القاسم الطَّبرانيّ في « مُعْجَمه » ، فقال : حدّثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرّقيّ ، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم [بن] زبريق الحمصي ، حدّثنا

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨٠٢) ومسلم (١٥٩) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/٢٠١) ومسلم (٢٩٤١) وأبو داود رقم (٤٣١٠) وابن ماجه رقم (٤٠٦٩) .

عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار ، حدثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن حُيَيِّ بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِيّ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا طلعت الشمسُ من مَغْربها خرّ إبليسُ ساجِداً يُنادي وَيجْهَرُ : إلـهي مُرني أنْ أسْجُد لِمَنْ شِئْت » قال : « فَتَجْتمِعُ إلَيْه زَبانيتهُ ، فيقولون : يا سَيِّدَهُمْ ، ما هذا التَضرُّع ؟ فيقول : إنما سألتُ رَبي أَنْ يُنظِرني إلى الوَقْتِ المعلوم » قال : « ثم تخرُج دَابّة الأرض مِنْ صَدْع في الصَّفَا » قال : « فأولّ خُطْوةٍ تَضعُها بأنطَاكِية ، فتأتى إبْليسَ فَتَلطِمُه » . وهذا حديث غريب جدّاً ، وَرفْعُه فيه نَكارة ، ولَعَله من الزاملتَين اللتين أصابهما عبدُ الله بن عمرو يوم اليَرْمُوك من كُتُب أهل الكتاب ، فكان يُحَدّث منهما أشياءَ غَرائِبَ[١] .

وقد تقدّم في خبر ابن مسعود الذي رواه نُعَيْمُ بنُ حماد في « الفتن » : أنّ الدابّة تَقْتُل إبليسَ ، وهذا من أغرب الأخبار[٢] والله أعلم .

وفي حديث طالوت بن عَبّاد ، عن فَضّال بن جُبَير ، عن أبي أُمامَةَ ، صدي بن عَجْلاَن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول الآيات طلوعُ الشمس من مَغْربها »[٣] .

وقال الحافظ أبو بكر بن مَرْدَوَيه في « تفسيره » : حَدّثنا محمّد بن عليّ بنِ دُحَيم ، حدّثنا أحمدُ بن حازم بن أبي غرَزة ، حدثنا ضِرَارُ بنُ صُرد ، حدثنا ابن فُضَيْل ، عن سُلَيمان بن يزيد ، عن عبد الله بن أبي أَوفَى ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ليأتيَنّ على الناس لَيْلَةٌ تَعْدل ثلاث لَيال من لَيالِيكم هذه ، فإذا كان ذَلِكَ يَعْرِفُهَا المُتَنَفِّلُون ، يَقُومُ أحدهم ، فيقرأ حِزْبَهُ ، ثم ينام ، ثم يقوم ، فيقرأ حزبه ، ثم ينام ، فبينما هُمْ كذلك ، صاحَ الناسُ بعضُهم في بَعْض ، فقالوا : ما هذا ؟ فيفزعون إلى المساجد ، فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها ، حتى إذا صارت في وسط السماء ، رجَعَتْ ، فطلعت من مَطْلِعِها » قال : « فحينئذ لا ينفع نَفْساً إيمانُها »[٤] .

ثم ساق ابنُ مَرْدَوَيْه من طريق سُفْيَان الثوريّ ، عن منصور ، عن رِبْعيّ ، عن حُذَيفَةَ ، قال : سألتُ رسول الله ﷺ : ما آيةُ طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال : « تَطُولُ تلك الليلةُ حَتّى تكونَ قَدْرَ لَيلَتين ، فيَنْتَبِهُ الذينَ كانوا يُصلُّون فيها فيعملون كما كانوا يعملون قبلها ، والنجومُ لا تُرَى ، قد باتَتْ مَكَانها ، ثمَ يرْقُدونَ ، ثم يقومون ، فيصلون ، ثم يرْقدون ، ثم يقومون ، فتَكِلُّ عليهم جنوبهم حين يَتَطَاول اللَّيْل ، فَيَفْزَعُ الناسُ ولا يُصْبِحون ، فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مَشْرِقها ، إذ طلعت من مَغْربها ، فإذا رآها الناسُ آمنوا ، ولا يَنْفَعُهم إيمانُهم » .

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٩٤) .
(٢) وقد تقدم حكم الحافظ الذهبي عليه بالوضع .
(٣) أقول : فيه فضال بن جبير . قال ابن حبان عنه : يروي أحاديث لا أصل لها .
(٤) قال المصنف في « تفسيره » : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وليس هو في شيء من الكتب الستة .

وقال الحافظ أبو بكر البَيْهَقِيّ في « البعث والنشور » : أنا أبو الحسن محمد بن الحُسَيْن بن داود العلوي ، أخبرنا أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل المروزي ، حدثنا عبد الله بن محمد الآمُلِيُّ ، حدّثنا محمد بن عمران ، حدّثني أبي ، حدّثني ابنُ أبي ليلى ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن سعد بن إياس ، عن عبد الله بن مسعود : أنّه قال ذات يوم لجلسائه : أرأيْتم قول الله تعالى : ﴿ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [الكهف : ٨٦] ماذا يَعني بها ؟ قالوا : الله ورسولُه أعلم ، قال : إنها إذا غَربت سَجَدتْ له ، وَسبَّحتْه ، وعظّمته ، ثم كانت تحت العرش ، فإذا حضر طلوعها سجدت له ، وسبَّحته ، وعظّمته ، ثم استأذنته ، فيؤذن لها ، فإذا كان اليوم الذي تحبس فيه سجدت له وسبَّحته وعظَّمته ثم استأذنته ، فيقال لها : اثْبُتي ، فإذا حضر طلوعها سجدت له ، وسبّحته وعظّمته ، ثم استأذنته فيقال لها : اثبتي فتُحْبَس مقدار ليلتَيْنِ . قال : ويَفْزَعُ المتهجّدون ، وينادي الرجلُ تلك الليلةَ جَارَه : يا فلان ، ما شَأْنُنا الليلةَ ؟ لقَدْ نِمتُ حَتَّى شَبِعْتُ وصَلَّيْتُ حَتى أعيَيْتُ ، ثم يقال لها : اطلُعي من حيث غَرَبْتِ ، فذلك يوم ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] [1] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا الحَكَم بنُ نافع ، حدّثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شُرَيْح بن عُبَيْد ، يَرُدُّه إلى مالك بن يُخَامِر ، عن ابن السعديّ : أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تنقطع الهِجْرَةُ ما دام العدُو يقاتل » ، فقال معاوية ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمرو بن العاص : إنّ رسول الله ﷺ قال : « إن الهجرة خَصْلَتان : إحداهما أنْ تَهْجُرَ السّيئات ، والأخرى أن تُهاجر إلى الله ورسوله ، ولا تنْقَطعُ [الهجرة] ما تُقُبِّلَتِ التَّوْبةُ ، ولا تزال التوبةُ مَقبُولة حتى تَطلُع الـشمسُ من المَغْرِبِ ، فإذا طلعت طُبِعَ على كلّ قلب بمَا فيه ، وكُفِيَ الناسُ العَمَلَ » وهذا إسنادٌ جيّد قويّ ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب[2] .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه ، والنسائي وابن ماجه ، من طريق عاصم بن أبي النّجودِ ، عن زِرّ بن حُبَيْشٍ ، عن صَفوانَ بن عَسَّال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنّ الله فتح باباً قِبَل المَغْرب عرْضه سَبْعونَ » ـ أو قال : « أرْبعون ـ عاماً للتَّوبة ، لا يُغْلَقُ حَتى تَطلُع الشمسُ منه »[3] .

فهذه الأحاديثُ المتواترة ، مع الآية الكريمة : دليل على أنّ مَنْ أحدث إيماناً ، أو تَوْبة بعد طلُوع الشمس من مَغْربها لا تُقْبَلُ مِنْهُ ، وإنّما كان كذلك والله أعلم ، لأنّ ذلك من أكبر أشراط الساعة ، وعلاماتِها

---

(١) في إسناده ضعف وما بين الحاصرتين تكملة منه .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ١٩٢) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٤٠) والترمذي رقم (٣٥٣٥) والنسائي في « الكبرى » (١١١٧٨) وابن ماجه (٤٠٧٠) وهو حديث حسن .

الدالّة على اقترابها ، ودُنُوِّها ، فعُومل ذلك الوقتُ مُعاملةَ يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٤ ـ ٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٨].

وقد حكى البَيْهَقِيُّ ، عن الحاكم أنه قال : أوّل الآيات ظُهوراً خروجُ الدجّال ، ثم نزول عيسى ابن مَرْيَم ، ثم فتحُ يَأْجُوجَ ومأجوج ، ثم خروجُ الدابّة ، ثم طلوعُ الشمس من مغربها ، قال : لأنها إذا طلعت من مغربها آمن مَنْ عَلَيْهَا ، فلو كان نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بعدَها ، لم يلق كافراً . وهذا الذي قاله فيه نظر ، لأنّ إيمانَ أهل الأرض يَوْمَئِذٍ لاَ يَنْفَعُهُمْ ، فإنه لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمنَتْ مِنْ قَبْلُ ، فمن أحدث إيماناً ، أو تَوْبةً يوْمئِذٍ ، لم تُقبل منه ، إلا أن يكونَ مؤمِناً ، أو تائباً قبلَ ذلك ، وكذلك قوله تعالى في قصة نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ [النساء : ١٥٩] أي قَبْل مَوْتِ عيسى ، وبعد نزوله يؤمِنُ جميعُ أهل الكتاب به إيماناً ضرورياً ، بمعنى أنهم يَتحقّقون أنّه عبدُ الله ورسوله ، فالنصرانيُّ يَعلَمُ كَذِبَ نَفْسِه في دَعْواه فيه الربُوبيةَ والبُنُوّة ، واليهوديّ يعلم أنه نَبِيّ رسول من الله ، لا وَلَدُ زَنية ، كما كان المُجرمون منهم يَزْعمونَ ذلك ، عليهم لعائن الله وغضبه المُتَدارِكُ .

ذكر الدُّخَان الذي يكون قبل يوم القيامة

قال الله تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٠ ـ ١٦] .

وقد تكلّمنا على تفسير هذه الآيات في سورة الدخان بما فيه كفاية ومَقْنَعٌ .

وقد نَقَل البخاريّ ، عن ابن مسعود ، أنه فسّر ذلك بما كان يَحْصُل لقُرَيْشٍ مِنْ شِدّةِ الجُوع ، بسبب القَحْط الذي دعا عليهم به رسولُ الله ﷺ ، فكان أحدُهم يَرَى فيما بينه وبين السماء دُخَاناً من شدّة الجوع . وهذا التفسير غريب جداً ، ولم يُنْقَلْ مِثلُه عن أَحَدٍ من الصحابة غيره(١) .

وقد حاول بعضُ العلماء المُتأخرين ردّ ذلك ، ومعارضَتَه بما ثَبَت في حديث أبي سَرِيحةَ ، حُذَيفةَ بن أَسِيدٍ: « لا تقومُ الساعةُ حتّى تَرَوْا عَشر آياتٍ . . . » فذكر فيهنّ الدخّان . وكذلك في حديث

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨٢١) .

أبي هريرة: «بادرُوا بالأعمال سِتّاً. . .» فذكر فيهنّ الدخان. والحديثان في «صحيح مسلم» مرفوعان[1]، والمرفوع مقدّم على كلّ موقوف، وفي ظاهر القرآن ما يدلّ على وجود دُخان من السماء يَغْشى الناسَ، وهذا أمر محقّق عامّ، وليس كما رُوِي عن ابن مسعود أنّه خَيالٌ في أعين قُرَيْش من شِدّة الجوع.

قال تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي ظاهر بيِّن واضح جَلِيّ، ليس خيالاً من شِدّة الجوع، ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ أي يُنادي أهلُ ذلك الزمان رَبّهم بهذا الدعاء يسألون كشْفَ هذه الشدّة عنهم، فإنّهم قد آمنوا، وأيقنوا بما وعِدُوا به من الأمور الغَيْبيّة الكائِنَة بعد ذلك يوم القيامة، وهذا دليل على أن هذا أمر يكون قبل يوم القيامة، حيث يمكن رفعه، ويُمكن استدراكُ التوبة والإنابة، والله أعلم.

وقد روى البخاريّ، عن محمّد بن كَثِير، عن سُفيانَ الثَّوْريّ، عن الأَعْمَشِ، ومنصور، عن أبي الضحَى، عن مَسرُوقٍ قال: بينما رجل يُحَدّث في كِنْدةَ قال: يجيء دخان يوم القيامة، فيأخُذُ بأسماع المُنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنَ كهَيْئةِ الزُّكَام، ففزِعْنا، فأَتينا ابن مسعود، قال: وكان مُتّكئاً، فغَضِبَ فَجَلس، فقال: يا أيُّها الناسُ، من عَلِم شَيْئاً فلْيَقُل، ومن لم يعلم فلْيَقُل: اللهُ أعلم، فإنّ مِنَ العلمِ أن يقول لما لا يعلم: اللهُ أعلم.

قال الله تعالى لنبيّه محمّد ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦] وإن قُريشاً أبطؤوا عن الإسلام، فدعا عليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «اللهم أعنِّي عليهم بِسَبعٍ كسَبْع يوسف» فأخذَتْهُمْ سَنَةٌ حتى هَلَكُوا فيها، وأكَلُوا المَيْتَةَ والعِظام، ويرَى الرجلُ ما بين السماء والأرض كَهَيْئَةِ الدُّخَان، فجاءه أبو سُفْيان، فقال: يا محمد، جِئْتَ تأمرُ بصِلةِ الرَّحم، وقَوْمُك قد هَلَكُوا، فادعُ الله، فقرأ هذه الآية ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ . . . ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾: أفَيُكْشَفُ عَنْهُم عذابُ الآخرة إذَا جاء؟! ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الدخان] فذاك يوم بدر، ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان] فذاك يومُ بدر، ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [الروم] والرُّوم قد مَضَى، فقد مضت الأرْبَعُ. وقد أخرجه البخاري أيضاً، ومُسلم من حديث الأعمش، ومنصور، به، نحوه، وفي روايةٍ: فقد مضى القمر، والدخان، والرُّوم، واللِّزامُ.

وقد ساقه البخاري من طرق كثيرةٍ بألفاظٍ مُتعددةٍ[2].

وقول هذا القاصّ: إن هذا الدخانَ يكونُ يومَ القيامة؛ ليس بِجيد، ومن هاهنا تَسلَّط عليه

---

(١) رواهما مسلم رقم (٢٩٤٧) (١٢٨) ورقم (٢٩٤٧) (١٢٩).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٧٧٤) و(٤٨٢٢) و(٤٨٢٤) ورواه مسلم رقم (٢٧٩٨).

ابنُ مسعود بالردّ ، بل قبل يوم القيامة يكون وجودُ هذا الدخان ، كما يكون وجودُ الآيات ، من الدابة والدجّال ، ويأجوج ومأجوج ، كما دلت عليه الأحاديثُ عن أبي سَرِيحةَ وأبي هريرة ، وغيرهما من الصحابة ، وكما جاء مُصرَّحاً به فيها ، وأما النار التي تكون قبل يوم القيامة ، فقد تقدم في الصحيح أنها : « تخرُج من قَعْر عدَن ، تسوق الناس إلى المَحْشر ، تبيتُ معهم حيثُ باتُوا ، وتَقيلُ معهم حيث قالُوا ، وتأكلُ مَنْ تَخلّف منهم »(١) .

ذكر الصواعق التي تكون عند اقتراب الساعة

قال الإمامُ أحمد : حدثنا محمد بن مُصْعَب ، حدثنا عُمَارَةُ ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سعيد ، الخُدري : أن رسول الله ﷺ قال : « تكثُر الصواعقُ عند اقتراب الساعة حتى يأتِيَ الرجلُ القومَ فيقول من صَعِق قِبَلكُم الغَدَاةَ ؟ فيقولون : صُعِقَ فلان ، وفلان »(٢) .

وقال الإمام أحمد : ثنا أبو المغيرة ، ثنا أرطاةُ ـ يعني ابنَ المنذر ـ : سمعت ضَمْرةَ بنَ حبيب ، سمعت سلمة بن نُفَيْلٍ السَّكُونيَّ قال : كُنَّا جُلُوساً عندَ رسول الله ﷺ إذْ قال قائلٌ : يا رسول الله ، هل أُتِيتَ بطعامٍ مِن السماء ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : وبماذا ؟ قال : « بِسَخِينَةٍ(٣) » قال : فهل كان فيها فضلٌ عنك ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : فما فُعِلَ به ؟ قال : « رُفِعَ ، وهو يُوحى إليَّ أنِّي مَكْفُوتٌ غيرُ لابثٍ فيكم ، ولَسْتُم لابِثِينَ بَعْدي إلاَّ قليلاً ، بلْ تَلْبَثُونَ حتَّى تَقُولُوا : متى ؟ وسَتَأْتُونَ أَفْنَاداً يُفْني بَعْضُكم بعضاً ، وبين يدي الساعةِ مُوتانٌ شَدِيدٌ ، وبَعْدَه سَنَواتُ الزَّلاَزِلِ »(٤) .

ذكر وقوع المطر الشديد قبل يوم القيامة

قال الحافظ أبو بكر البزّار في « مُسنده » : حدثنا إسحاقُ ، حدثنا خالدٌ ، عن سُهَيْل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى تُمْطِرَ السماءُ مَطَراً لا تُكِنُّ منه بُيُوتُ المَدَر ، ولا تُكِنُّ منه إلاّ بُيوت الشعر »(٥) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٠١) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٦٤ ـ ٦٥) وهو حديث صحيح .

(٣) كذا في الأصل ، وهو طعام حار يتخذ من دقيق وسمن ، وكانت قريش تكثر من أكلها . والذي في طبعة المسند : بِمِسْخَنَةٍ ، أي جاء حارّاً ، وقد ضبطها ابن الأثير في النهاية : بِمِسْخَنَةٍ ، ثم قال : وهي قِدر كالتور يسخن فيه الطعام ، أقول : وهي كذلك في « مجمع الزوائد » (٧/ ٣٠٦) والبزار رقم (٢٤٢٢ ـ كشف الأستار) وأبي يعلى (٦٨٦١) وغيرها من المصادر .

(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٠٤) وهو حديث حسن ، على غرابة في متنه ، ويشهد لآخره حديث واثلة بن الأسقع عند أحمد (٤/ ١٠٦) وأبي يعلى عن معاوية رقم (٧٣٦٦) .

(٥) وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٦٢) وابن حبان (٦٧٧٠) من طريق حماد به ، وهو حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مُؤَمَّل ، حدثنا حَمَّادٌ ، حدثنا عليّ بن زَيْد ، عن خالد بن الحُوَيْرث ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الآياتُ ، خرزَاتٌ مَنْظُوماتٌ في سِلْكٍ ، فإن يُقطعِ السلكُ يَتْبَعْ بَعْضُها بَعْضاً » . انفرد به أحمد[١] .

باب ذكر أمور لا تقوم الساعة حتى تكون منها ما قد وقع ومنها ما لم يقع بعدُ

قد تقدّم من ذلك شيء كثير ، ولنذكر أشياء أُخَرَ من ذلك ، وإيراد شيء من أشراط الساعة ، وما يدل على اقترابها ، وبالله المستعان .

تقدّم ما رواه البخاريّ عن أبي اليمان ، عن شُعَيْب ، عن أبي الزّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حَتّى يَتَطاولَ الناسُ في البُنْيانِ ، ولا تقومُ الساعةُ حتى تقتتِلَ فِئَتانِ عَظِيمتَانِ يكون بينهما مَقْتَلةٌ عظيمةٌ ، دعواهما واحدة ، ولا تقوم الساعة حتى يُقْبَضَ العِلْمُ ، وَتكْثر الزلازلُ ، وَيتَقارَبَ الزّمَانُ ، وتكثرَ الفِتَنُ ، ويكثُرَ الهَرْج ، ولا تقوم الساعةُ حتى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كذّابُون قَرِيبٌ مِن ثَلاثِين ، كلُّهمْ يزْعُم أنّه رسول الله ، ولا تقوم الساعة حتى يَمرّ الرجُلُ بقَبْرِ الرَّجُلِ فيقول : ليتني مكَانكَ ، ولا تقوم الساعةُ حتّى تطلُع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناسُ آمنوا أجمعون ، وذلك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ولا تقوم الساعة حتى يكثُر فيكم المالُ ، حتّى يُهِمّ رَبَّ المالِ مَنْ يقْبَلُه منه » . ورواه مسلم من وجه آخر عن أبي هريرة[٢] .

وتقدّم الحديث عن أبي هريرة ، وبُرَيْدةَ ، وأبي بَكْرَةَ ، رضي الله عنهم ، وغيرهم : « لا تقوم الساعةُ حَتّى تُقاتلُوا التُّرْكَ عِراضَ الوجُوه ، ذُلْفَ الأنُوف ، كأنّ وجُوهَهُمُ المَجانُّ المُطْرَقَةُ يَنْتَعِلُونَ الشّعَرَ . . . » الحديث[٣] وهم بنو قَنْطُوراء ، وهي جارية الخليل عليه الصلاة والسلام .

وفي « الصحيحين » من حديث شُعْبة ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ من أشراط الساعة ، أن يَقِلّ العِلْمُ ، ويظْهَرَ الجَهْلُ والزّنى ، وتُشرَبَ الخَمْرُ ، وتقِلَّ الرِّجالُ ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢١٩) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه البخاري رقم (٧١٢١) ومسلم (١٥٧) .
(٣) رواه البخاري (٣٥٨٧) ومسلم رقم (٢٩١٢) من حديث أبي هريرة ، وأحمد في المسند (٥/ ٣٤٨) وأبو داود رقم (٤٣٠٥) من حديث بريدة ، وأحمد في المسند (٥/ ٤٤) وأبو داود (٤٣٠٦) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

ويكْثُرَ النِّساءُ ، حَتّى يكونَ لخَمسِين امرأةً القَيِّمُ الوَاحِدُ »(١) .

وروى سفيان الثوري ، عن سُهَيْل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تذهبُ الأيّامُ والليالي حتى تعودَ أرضُ العَربِ مُرُوجاً وأنهاراً ، أو حتى يحسِر الفُراتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فيَقْتَتلُونَ عَلَيهِ ، فيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مئةٍ تِسعَةٌ وتِسْعون ، ويَنجُو واحد » . وأخرجه مسلم من وجه آخر عن سُهَيْل(٢) .

وروى البخاريّ ، عن أبي اليمان ، عن شُعَيْب ، وأخرج مسلم من حديث مَعْمَر ، كلاهما عن الزهريّ ، عن سعيد ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعةُ حتّى تضطرب أَلَيَاتُ نِساءِ دَوْسٍ حول ذِي الخَلَصَة طاغِيةِ دَوْس التي كانوا يَعْبُدونَ في الجاهلية »(٣) .

وفي « صحيح مسلم » ، من حديث الأسود بن العَلاء ، عن أبي سَلَمة ، عن عائشة ، قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا يذهب الليل والنهار ، حتّى تُعْبَد اللاتُ ، والعُزّى » فقلت : يا رسول الله ، إن كنتُ لأظنُّ حِين أنزل الله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة] أن ذَلك تامّاً ، فقال : « إنّه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يَبْعَثُ الله رِيحاً طيِّبةً ، فتوفّى كلَّ مَنْ كانَ في قلبه مثْقالُ حبة خردلٍ من إيمان ، فيَبقَى مَنْ لَا خَيْرَ فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم »(٤) .

وفي « جزء الأنصاري » ، عن حُمَيْد ، عن أنس : أن عبد الله بن سَلَام سأل رسول الله ﷺ : ما أوّلُ أشراطِ الساعة ؟ قال : « نارٌ تَحْشُر الناسَ من المشرق إلى المَغْرِب . . . » الحديث بتمامه ، ورواه البخاريّ من حديث حُمَيْد ، عن أنس(٥) .

وفي حديث أبي زُرْعة ، عن أبي هريرة : أنّ رسولَ الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس ، إذ أتاه أعرابيّ ، فسأله عن الإيمان . . . الحديث . إلى أن قال : يا رسول الله ، فمتى الساعة ؟ فقال : « ما المَسْؤولُ عَنْها بأعْلَمَ من السائل ، ولكن سأحدّثك عن أَشْرَاطها : إذا وَلَدتِ الأَمَةُ رَبَّتَها فذاك من أشراطها ، وإذا كان الحفاةُ العراة رؤوسَ الناس فذاك من أشراطها ، في خمس لا يَعْلَمُهن إلا الله » ثم قرأ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِى ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسُۢ بِأَىِّ أَرۡضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان] ثم انصرف الرجلُ ، فقال : « رُدُّوه عَليّ »

---

(١) رواه البخاري رقم (٨١) ومسلم رقم (٢٦٧١) (٩) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٤٧٧) ومسلم رقم (٢٨٩٤) (٢٩) .

(٣) رواه البخاري (٧١١٦) ومسلم رقم (٢٩٠٦) .

(٤) رواه مسلم (٢٩٠٧) .

(٥) رواه البخاري (٣٣٢٩) .

فلم يَرَوا شيئاً ، فقال : « هذا جبريلُ جاء ليُعَلِّم الناسَ دِينَهم » أخرجاه في « الصحيحين »[١] .

وعند مسلم عن عمر بن الخطاب نحو هذا بأبسط منه[٢] فقوله عليه السلام : « أن تلد الأمة رَبَّتها » يعني به أن الإماء يكنَّ في آخر الزمان هن المشَارُ إليهنّ بالحِشْمةِ ، تكون الأمة تحت الرجل الكبير دون غيرها مِنَ الحرائر ، ولذلك قَرَن ذلك بقوله : « وأَنْ ترى الحُفَاةَ العُراةَ العَالة يتطاولون في البُنْيانِ » يعني بذلك أنّهم يكونون رؤوس الناس ، قد كَثُرتْ أموالُهم ، وامتدّت وجَاهتُهم ، فليس لهم دَأب ولا هِمّة إلّا التطاول في البناء ، وهذا كما في الحديث المتقدّم : « لا تقومُ الساعةُ حتّى يكون أحظَى الناس بالدُّنيا لُكَعُ ابن لُكَع »[٣] . وفي الحديث الآخر : « لا تقوم الساعة حتى يَسُودَ كلَّ قبيلة رُذَالُها »[٤] وفي الحديث الآخر : « إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتـظر الساعة »[٥] ومَنْ فَسّر هذا بكثرة السراري لكثرةِ الفُتوحات، فقد كان هذا في صدر هذه الأمة كثيراً جِداً ، وليس هذا بهذه الصفة من أشراط الساعة المتاخمة لوقتها ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البَيْهَقيّ في كتابه « البعث والنشور » : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو زكريا بن أبي إسحاق قالا : حدّثنا عبد الباقي بن قانع الحافظ ، حدثنا عبد الوراث بن إبراهيم العسكريّ ، حدثنا سيف بن مِسكين ، حدّثنا المبارك بن فَضالة ، عن الحسن ، قال : قال عُتَيّ : خرجتُ في طَلَب العلم ، فقدمتُ الكوفة ، فإذا أنا بعبد الله بن مسعود ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، هل للساعة مِن عَلَم تُعرَفُ به ؟ فقال : سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك ، فقال : « إن من أشراط الساعة أن يكون الولدُ غَيْظاً والمطرُ قَيْظاً ، وتَفيض الأشرار فَيْضاً ، وتغيض الأخيار غيضاً ، ويُصَدَّق الكاذبُ ، ويكذَّب الصادق ، ويُؤتَمن الخَائن ، ويُخوّنُ الأمين ، ويَسودُ كلَّ قبيلة مُنافقُوها ، وكلّ سوق فُجَّارها ، وتُزخْرفُ المحاريبُ ، وتَخرَبُ القُلوبُ ، ويكْتفِي الرِّجالُ بالرجال ، والنِّساءُ بالنِّساء ، ويَخْرَبُ عُمرانُ الدُّنيا ، ويَعْمُرُ خَرابُها ، وتَظْهَرُ الْفِتنَةُ ، وأكلُ الرِّبا ، وتَظْهَرُ المَعازف ، والكُبور[٦] ، وشُرْب الخَمْرِ ، وتكثر الشُّرَط ، والغَمَّازُونَ والهمَّازون » . ثم قال البَيهَقِيّ : هذا إسناد فيه ضعف ، إلّا أنّ أكثر ألفاظه ، قد رُويت بأسانيد أُخَر مُتَفَرِّقَة .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٧٧) ومسلم (٩) .
(٢) رواه مسلم رقم (٨) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٩) والترمذي (٢٢٠٩) وهو حديث حسن .
(٤) رواه الطبراني في الكبير (٩٧٧١) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه البخاري رقم (٥٩) وسيأتي بعد قليل .
(٦) أي الطبول .

قلت : قد تقدّم في أولّ هذا الكتاب فصلٌ فيه ما يقع من الشرور في آخر الزمان ، وفيه شواهد كثيرة لهذا الحديث .

وفي « صحيح البخاريّ » من حديث عطاء بن يَسار ، عن أبي هريرة : أنّ أعرابياً سألَ رسولَ الله ﷺ فقال : متى الساعة ؟ فقال : « إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظر الساعة » قال : يا رسول الله ، كيف إضَاعتُها ؟ فقال : « إذا وُسِّد الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة »[(١)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعْبةُ ، عن واصل ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : وأحْسَبه رَفَعه إلى النبيّ ﷺ ، قال : « بين يَدَي الساعة أيّام الهَرْج ، أيامٌ يزولُ فيها العلم ، ويَظْهَرُ فيها الجَهْلُ » فقال أبو موسى : الهرج بلسان الحبش القتل[(٢)] .

ورَوى الإمام أحمد ، عن أبي اليَمانِ ، عن شُعَيْب ، عن عبد الله بن أبي حُسَيْن ، عن شَهْرٍ ، عن أبي سعيد : أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعةُ حتّى يَخْرُج الرجل من أهله ، فيخبره نعلُه ، أو سَوْطه ، أو عصاه، بما أحدث أهْلُه بَعْدَه »[(٣)] ، وروىٰ أيضاً عن يزيد بن هارون ، عن القاسم بن الفضل الحُدّانِيّ ، عن أبي نَضْرةَ ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ، لا تقومُ الساعةُ حتى يكلِّم السِّباعُ الإنسَ ، ويكلم الرَّجُلَ عَذَبةُ سَوْطِه وشِرَاك نَعْلِهِ ، ويُخْبِرَه فخذُه بما أحْدَثَ أهْلُه بعدَه »[(٤)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفّان ، حدثنا حمّاد ، هو ابن سَلَمَة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كنا نتحدّثُ : أنه لا تَقومُ الساعةُ حتّى تمطر السماءُ ولا تُنبتَ الأرض ، وحتّى يكُون لِخَمْسِينَ امرأةً القيِّمُ الواحِدُ ، وحتّى إنّ المرأةَ لَتَمُرّ بالبَعلِ فينظرُ إلَيْهَا ، فيقول : لَقَدْ كان لِهَذِهِ مَرَّة رجلٌ » ، قال أحمد : ذكرَه حمّادٌ مَرّة هكذا ، وقد ذكره عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي ﷺ لا يشكُّ فيه ، وقد قال أيضاً : عن أنس عن النبي ﷺ فيما يَحْسبُ . إسنادُه جيّد ولم يُخْرِجُوه من هذا الوجه[(٥)] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا هُشَيْم ، حدَّثنا شُعْبةُ ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك يرفع الحديث ، قال : « لا تقوم الساعةُ حتّى يُرْفَعَ العِلْمُ ، ويَظْهَرَ الجَهْلُ ، ويَقِلَّ الرِّجالُ ، ويَكْثُرَ النِّساء ، حتى يَكُونَ قَيِّمَ خَمْسِينَ امْرَأَةً رَجَلٌ واحد »[(٦)] . تقدّم له شاهد في الصحيح .

---

(١) رواه البخاري (٥٩) .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٣٩) ورواه البخاري رقم (٧٠٦٦) ورواه مسلم رقم (٢٦٧٢) من طريق أبي وائل به .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٨٨ ـ ٨٩) ورواه الترمذي رقم (٢١٨١) وهو حديث حسن .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٨٣ ـ ٨٤) وهو حديث صحيح .

(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٨٦) .

(٦) رواه أحمد في المسند (٣/ ٩٨) ورواه البخاري من طريق شعبة رقم (٨١) ومسلم رقم (٢٦٧١) من طريق شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزّاق ، حدّثنا مَعْمَر ، عن الزهريّ ، أخبرني أنس بن مالك : أنّ رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس ، فصلّى الظهر ، فلمّا سلّم قام على المِنْبر ، فذكر الساعة ، وذكر أنّ بَيْن يَدَيْها أموراً عِظَاماً . . . وذكر تمام الحديث(١) .

وقال الإمامُ أحمد : حدَّثنا هاشم ، وأبو كامل ، قالا : حدّثنَا زُهَيْر ، حدّثنا سُهَيْل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتّى يَتَقاربَ الزّمانُ ، فتكونَ السنَةُ كالشهْر ، ويكونَ الشهْرُ كالجُمعَةِ ، وتكون الجُمُعة كاليوم ، ويكونَ اليومُ كالساعة ، وتكون الساعة كإحرَاقِ السَّعفَة » . (والسَّعفَة الخوصة ، زعم سهيل) . وهذا الإسناد على شَرْط مُسْلِمٍ(٢) .

وقال أحمد : حدّثنا محمد بن عبد الله ، حدّثنا كامل ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لن تذهب الدنيا حتى تَصِير لِلُكَعَ بنِ لُكَع » . إسناد جيد قوي(٣) .

وقال أحمد : حدثنا يونس وسُرَيْجٌ قالا : حدثنا فُلَيْح ، عن سعيد بن عبيد بن السَّبَّاق ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قَبْلَ الساعة سِنُونَ خَدَّاعةٌ ، يُكَذَّبُ فيهَا الصَّادقُ ، ويُصَدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ ، ويُخَوَّنُ فيها الأمين ، ويُؤْتَمَنُ فيها الخَائن ، ويَنْطِقُ فيهَا الرُّوَيْبِضَةُ » قال سُرَيج : « ويُنظَر فيها للرُّويبضة »(٤) . وهذا إسناد جيّد ، ولم يخرجوه من هذا الوجه(٥) .

وقال أحمد : حدّثنا هَوْذَةُ ، حدّثنا عَوف ، عن شَهْر بن حَوْشَبٍ ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ من أشراط الساعةِ أنْ يُرَى رُعَاةُ الشاء رُؤوُسَ الناس ، وأن يُرى الحُفَاةُ العُراةُ الجُوَّعُ يتبَارَوْنَ في البناء ، وأَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبّتَهَا ، أو رَبَّهَا » . وهذا إسناد حسن ، ولم يخرجوه من هذا الوجه(٦) .

وقال أحمد : حدّثنا عمار بن محمد ، عن الصَّلت بن قُوَيْد ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقومُ الساعة حتى لا تَنْطَحَ ذَاتُ قَرْنٍ جَمّاءَ » تفرد به أحمد ، ولا بأس بإسناده(٧) .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٦٢) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق رقم (٢٠٧٩٦) ومن طريقه البخاري (٧٢٩٤) ومسلم (٢٣٥٩) إلا أنه لم يسق لفظه .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٨) أقول : وفي سنده أبو صالح مولى ضباعة وهو مجهول ، لكن له شاهد من حديث حذيفة رواه أحمد (٥/ ٣٨٩) والترمذي رقم (٢٢٠٩) فهو حديث حسن .

(٤) هكذا الرواية في « جامع المسانيد » ، وهو الصواب ، وفي الأصل وطبعة « المسند » (وينطق فيها الرويبضة) .

(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٨) ورواه ابن ماجه (٤٠٣٦) من وجه آخر عن أبي هريرة والحاكم (٤/ ٤٦٥) بزيادة (قيل وما الرويبضة ؟ قال : الرجل التافه يتكلم في أمر العامة) وهو حديث حسن .

(٦) رواه أحمد (٢/ ٣٩٤) أقول : وفيه شهر ، وهو ضعيف ، ولكن له شواهد ، فهو حديث حسن .

(٧) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٤٢) أقول : وفيه الصلت ، وهو مجهول ، وقال النسائي في حديثه هذا : حديث منكر .

وقال أحمد : حدَّثنا يحيى ، عن ابن عَجْلان ، قال : سمعت أبي يحدّث ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يُقْبَضَ العِلْمُ ، ويَظْهَر الجَهْلُ ، وَيكْثُرَ الهَرْجُ » قيل : وما الهَرْجُ ؟ قال : « القتل » . تفرد به أحمد ، وهو على شرط مسلم(١) .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزّاق ، أنا مَعْمَر ، عن هَمّامٍ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يَكْثُرَ فِيكُمُ المالُ فَيفِيضَ ، حتَّى يُهِمَّ رَبَّ المالِ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ صدقةَ ماله ، ويُقْبَضَ العِلْمُ ، ويقترب الزمان ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ » قالوا : الهرج أيّما هو يا رسول الله ؟ قال : « القتل ، القتل » . وقال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعةُ حتى تَقتَتِل فِئتَانِ عَظِيمتَان دعواهما واحدة ، وتكون بينهم مَقْتَلة عظيمة » . وقال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يُبعَث دَجَّالُونَ كذَّابُون قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثين كُلُّهم يَزْعُم أنه رسول الله » . وقال رسول الله ﷺ : لا تقُوم الساعةُ حتَّى تَطْلُع الشمسُ من مَغْرِبها ، فإذَا طَلَعت ورآها الناسُ آمنوا أجمعون ، وذلك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] » وهذا ثابت في الصحيح(٢) .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار : حدّثنا أحمد بن محمد ، حدّثنا القاسمُ بن الحَكَم ، عن سليمان بن داود اليماميّ ، عن يحيى بن أبي كَثِير ، عن أبي سَلَمةَ ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « والذي بَعَثَنِي بالحَقّ لاَ تنْقَضِي هَذِه الدُّنيا حَتّى يقعَ بهم الخَسفُ والقَذْفُ والمَسْخ » قالوا : ومتَى ذَلِكَ يا رسول الله ؟ قال : « إذَا رَأَيتَ النِّساءَ رَكِبْنَ السُّرُوجَ ، وكَثُرتِ القَينَاتُ ، وفَشَتْ شَهَادَاتُ الزُّور ، واستَغْنَى الرِّجَالُ بالرِّجَال ، والنِّساءُ بالنِّساءِ »(٣) .

وروى الطبرانيّ من حديث كثير بنِ مرّة ، عن عبد الله بن عمر : أنّ رسول الله ﷺ قال : « إن مِنْ أشراط الساعة أنْ تَعزُبَ العُقُولُ(٤) وتَنْقُصَ الأحلامُ »(٥) .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا أبو أحمد الزبيريُّ ، حدّثنا بَشِيرُ بن سَلْمان ، وهو أبو إسماعيل ، عن سَيّار أبي الحَكَم ، عن طارق بن شَهاب ، قال : كُنّا عِنْد عبد الله بن مسعود جُلُوساً ، فجاء رجل ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٢٨) .

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣١٣) وهو عند مسلم رقم (١٥٧) الذي بعد (٢٨٨٨) و(١٥٧) الذي بعد (٢٩٢٣) و(١٥٧) الذي بعد (٢٦٧٢) .

(٣) أخرجه البزار رقم (٣٤٠٥ ـ كشف الأستار) وإسناده ضعيف .

(٤) أي تغيب ، فلا يفكرون بها تفكيراً سليماً .

(٥) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ٣٢٩) وعزاه للطبراني من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ولفظه عنده : « إن من علامات البلاء وأشراط الساعة . . . » وقال : وفيه عافية بن أيوب وهو ضعيف .

فقال : قد أُقيمتِ الصلاة ، فقام ، وقُمنا معه ، فلما دخلنا المسجدَ رأينا الناسَ رُكوعاً في مقدَّم المسجد ، فكبّر وركَع ، وركَعْنا ، ثم مَشَيْنَا ، وصَنَعْنَا مِثْلَ الَّذي صَنَع ، فمرَّ رَجُل يُسْرِعُ ، فقال : عَلَيْكَ السلامُ يا أبا عبد الرحمن ، فقال : صدق الله ورسوله ، فلمّا صَلّينا ورَجعنَا دَخَل إلى أهله وجلَسْنَا ، فقال بعضُنا لبَعض : أما سمعتم رَدَّه على الرجل : صَدَق اللهُ ورسوله ، أو قال : وبلَّغَت رُسُلُه ؟ أيُّكمْ يَسْأَلُه ؟ فقال طارق : أنا أسأله ، فسأله حين خرج ، فذكر عن النبيّ ﷺ : « إنّ بَيْنَ يدي الساعة تَسْلِيمَ الخاصة ، وفشُوَّ التّجارة ، حتى تُعين المرأة زَوْجَها على التِّجَارَة ، وقَطْعَ الأرحام ، وشهادَةَ الزُّور ، وكتمانَ شَهَادة الحق ، وظهور القلم » . ثم روى أحمد عن عبد الرزاق عن سفيان عن بشير عن سيّار أبي حمزة ، قال أحمد : وهذا هو الصواب ، وسيَّار أبو الحَكَم لم يَرو عن طَارق شيئاً[١] .

صفة أهل آخر الزّمان

قال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الصمد ، حدّثنا هَمَّام ، حدّثنا قَتَادَةُ ، عن الحسن ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يأخُذَ الله شَرِيطته[٢] من أهل الأرض ، فيبقى فيها عَجَاجةٌ لا يعرفون معروفاً ، ولا يُنكِرون مُنكراً » ، وحدّثناه عفان ، حدّثنا هَمَّامٌ ، عن قتادَة ، عن الحسن ، عن عبد الله بن عمرو ، ولم يرفعه ، وقال : حتّى يأْخُذَ الله عَزّ وجَلّ شريطته من الناس[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عفان ، حدّثنا قيس ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عَبِيدَة السَّلْماني ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنّ من البيَان سِحْراً ، وشِرارُ الناس الذينَ تُدْرِكُهُمُ الساعة وهم أحياء ، والذينَ يَتَّخِذُون قُبورَهُم مساجدَ » . وهذا إسناد صحيح . ولم يخرجوه من هذا الوجه[٤] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا بَهْز ، حدثنا شُعْبَةُ ، حدثنا علي بن الأقمر ، سمعتُ أبا الأحوص يُحَدِّث عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعةُ إلاَّ على شِرَار الناس » . ورواه مسلم عن زُهَير بن حَرْب ، عن عبد الرحمن بن مَهدِيّ ، عن شعبة[٥] ، عن علي بن الأقمر به[٦] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) و(٤٤٢) وهو حديث صحيح بشواهده .
(٢) أي يأخذ الله أهل الخير والدِّين .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢١٠) وفيه عنعنة الحسن، وقد روي مرفوعاً وموقوفاً والأشبه وقفه .
(٤) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٥٤) أقول : في سنده قيس بن الربيع وهو ضعيف ، ولكن هو حديث حسن بشواهده .
(٥) في الأصول : سفيان الثوري ، وهو خطأ .
(٦) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٩٤) ومسلم رقم (٢٩٤٩) .

وقد تقدّم في الأحاديث السابقة : أنّه يَقِلُّ الرجالُ ، وتكْثُرُ النِّساءُ ، حَتّى يكونَ لِخَمْسِينَ امرأةً القَيِّمُ الواحدُ ، يَلُذْنَ به ، وأنّهم يَتَسَافَدُونَ في الطُّرقات ، كما تتسافد البهائم . وقد أوردناها بأسانيدها ، وألفاظها بما أغنى عن إعادتها ، ولله الحمد .

وقال أحمد : حدّثنا عفان ، حدّثنا حمّاد ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، عن النبي ﷺ ، قال : « لا تقوم الساعةُ حتى لا يُقال في الأرض : لا إلـه إلاّ الله » . ورواه مُسْلم ، عن زُهَير بن حَرْب ، عن عفّان ، به ، ولفظه : « لا تقومُ الساعةُ حتى لا يقَال في الأرض : الله ، الله »[١] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا عبد الرزّاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ على أحد يقولُ : الله ، الله » ورواه مسلم عن عَبْدِ بن حُمَيْد ، عن عبد الرزاق ، به[٢] .

وقال أحمد : حدثنا ابن أبي عديّ ، عن حُمَيْد ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى لا يُقَالَ في الأَرْض : الله ، الله » وهذا الإسناد ثلاثي على شرط « الصحيحين » ، وإنّما رواه الترمذيّ ، عن بُنْدار ، عن محمد بن عبد الله بن أبي عديّ ، عن حميد ، عن أنس مرفوعاً ، وقال : حسن ، ثم رواه عن محمد بن المُثَنَّى ، عن خالد بن الحارث عن حُمَيْد عن أنس موقوفاً ، ثم قال : وهذا أصحّ مِنَ الأول[٣] .

وفي معنى قوله ﷺ: « حتى لا يقال في الأرض: الله، الله » قولان ؛ أحدهما : أنّ معناه : أنّ أحداً لا يُنكرُ مُنكراً ، ولا يَزْجُر أحدٌ أحداً إذا رآهُ قَدْ تعاطَى مُنكراً ، وعبر عن ذلك بقوله : « حتى لا يقالَ : الله، الله »، كما تقدّم في حديث عبد الله بن عمرو: « فيبقى فِيهَا عَجَاجَةٌ لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً، ولا يُنكرُونَ مُنْكراً »[٤] والقول الثاني : حتى لا يُذْكَرَ الله في الأرض ، ولا يُعْرَفَ اسمه فيها ، وذلك عند فساد الزمان ، ودَمَار نوع الإنسان ، وكثرة الكفْر والفسوق والعِصْيان ، يتواكلون الخير بينهم ، حتى لا يقول أحد لأحد : اتق الله ، خف الله ، وهذا كما في الحديث الآخر : « لا تَقُومُ السَّاعة حتى لا يقال في الأرض : لا إلـه إلاّ الله » ، وكما تقدم في الحديث الآخر أنّ الشَّيخَ الكَبِيرَ والعجوز الكبيرة يَقُولان : أَدرَكْنا الناس وَهُمْ يقولون : لَا إلـه إلاّ الله[٥] ثم يَتفَاقمُ الأمْرُ وَيتزَايَدُ الحالُ ، حتى يُتْرَكَ ذِكْرُ الله جُملةً

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٦٨) ومسلم رقم (١٤٨) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٦٢) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٤٧) ومسلم (١٤٨) وعبد بن حميد في « المنتخب من مسنده » (١٢٤٧) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٠٧) والترمذي (٢٢٠٧) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢١٠) وفيه عنعنة الحسن ، وقد روي مرفوعاً وموقوفاً ، والأشبه وقفه .

(٥) رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) وهو حديث صحيح .

في الأرض ، ويُنْسَى بالكُلِّية ، فلا يُعْرَفُ فيها ، وأولئك هم شرارُ الناس ، وعَلَيْهِم تَقُومُ الساعة ، كما تقدم في الحديث : « وَلا تَقومُ السَّاعَةُ إلاّ على شِرار النَّاس »[١] وفي لفظ : « شِرارُ الناس : الذين تُدْرِكُهُمُ الساعةُ وهم أحياءٌ »[٢] .

وفي حديث عبد العزيز بن صُهَيْب ، عن أنس ، عن النبيّ ﷺ : « لا يَزدَادُ الناسُ إلاّ شُحّاً ولا يزداد الزّمانُ إلاّ شِدَّةً ، ولا تقومُ السَّاعةُ إلاّ على شِرَار الناس »[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : دخلَ علـيَّ رسولُ الله ﷺ وهـو يقول : « يا عائشة ، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أُمتي لَحَاقاً بي » ، قالت : فَلمـا جلَس قلت : يا رسول الله ، جَعَلني الله فِدَاكَ ، لَقَدْ دخلتَ وأنتَ تقول كلاماً أذعرني ، قال : « وما هو ؟ » قالت : تزعم أنَّ قومي أسرع أمَّتِكَ بِكَ لَحَاقاً ، قال : « نعم » قالت : وعمَّ ذاك ؟ قال : « تَسْتحلُّهم المنايا ، فَتَنفِس[٤] عَلَيْهم أُمَّتُهُم » قالت : فقلت : وكيف الناس بعد ذلك ؟ قال : « دَبىً ، يأكلُ شِدَادُه ضِعَافَه ، حتى تَقُوم عليهم الساعة » ، والدَّبى : الجنادب التي لم تَنبُتْ أَجْنحَتُها . تفرد به أحمد[٥] .

وقال أحمد : حدّثنا علي بن ثابت ، حدّثني عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، عن علباء السُّلَمِيِّ ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تقومُ الساعةُ إلاّ على حُثَالَةٍ مِن النَّاسِ » . تفرّد به ، وقد رواه أبو خَيْثمة ، عن عليّ بن ثابت به[٦] .

ولأبي نُعَيْم من طريقه ، بإسناده : « لا تقومُ الساعةُ حتى يَمْلِك رَجُلٌ مِنَ المَوالي يُقالُ لَهُ : جَهْجَاهُ »[٧] .

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٩) .
(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٥٤) وهو حديث حسن .
(٣) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) وإسناده ضعيف ، والجملة الأخيرة منه : « ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » صحيحة .
(٤) أي يحسدونهم .
(٥) رواه أحمد في المسند (٦/ ٨١) وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٩) ورواه الطبراني في « الكبير » (١٨/ ١٥٦) من طريق أبي خيثمة به ، وهو حديث صحيح .
(٧) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥/ ٢٤٦) وقال : رواه الطبراني ، وفيه من لم أعرفه . أقول : لكن أخرجه مسلم بمعناه رقم (٢٩١١) من حديث أبي هريرة ، فهو به حسن .

ذكر طرق الحديث

الذي روي عن رسول الله ﷺ

كلَّ طرفة عين ، أنه قال ﷺ : « بُعِثْتُ أنَا والساعةَ كهَاتيْنِ »

رواية أنسِ بنِ مالك ، رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدّثنا أبو المغيرة ، حدثنا الأوزاعيّ ، حدثنا إسماعيل بن عُبَيْد الله ، يعني ابن أبي المهاجر الدمشقي ، قال : قدم أنس بن مالك رضي الله عنه على الوليد بن عبد الملك ، فسأله : ماذا سَمِعْتَ من رسول الله ﷺ يَذْكُر به الساعة ؟ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أنْتُمْ والساعةُ كتَيْنِ »[١] ، تفرد به أحمد من هذا الوجه[٢] .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبي التّيّاح ، وقَتَادَةَ ، وحَمْزةَ ، وهو ابن عمرو الضَّبيُّ : أنّهم سَمِعُوا أنس بنَ مالكٍ يقول عن النبي ﷺ : « بُعِثْتُ أنا والساعة هكذا » وأشارَ بالسبابةِ والوُسْطَى ، وكان قتادة يقول : كفَضْلِ إِحداهما على الأخرى . وأخرجه مسلم من حديث شُعْبَةَ عن حمزة الضبيّ هذا ، وأبي التياح ، كلاهما عن أنس ، به[٣] .

طريق أخرى عنه

قال الإمامُ أحمد : حدّثنا يَزيدُ ، حدّثنا شُعْبةُ ، عن قتادةَ ، عن أنس بن مالك ، عن النبيّ ﷺ قال : « بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين » ، وأشار بالسبّابة والوسْطَى . وأخرجه البخاريّ ، ومُسلم ، والترمذيّ من حديث شُعْبة به ، وفي رواية لمسلم عن شُعْبَة ، عن قتادة ، وأبي التيّاح ، كلاهمَا عن أنس به ، وقال الترمذيّ : حسن صحيح[٤] .

طريق أخرى عنه

روَى الإمامُ أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، عن زياد بن أبي زياد المدني ، عن أنس بن مالك قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « بُعثتُ

---

(١) وفي بعض النسخ : كهاتين ، وهما بمعنى واحد ، وأراد بهما الإصبعين ، كما في الحديث المشهور .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٢٣) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٢٢) ومسلم رقم (٢٩٥١) (١٣٤) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٢٤) والبخاري (٦٥٠٤) ومسلم (٢٩٥١) (١٣٣) (١٣٤) والترمذي (٢٢١٤).

وَالساعة كهَاتين » ومدَّ إصبَعَيه السبّابة والوُسْطَى . تفرّد به أحمد ، وإسناده لا بأس به[١] .

طريق أخرى عنه

قال مسلم في « صحيحه » : حدّثنا أبو غَسّانَ ، مالك بن عبد الواحد ، حدّثنا مُعْتَمِرُ بنُ سُلَيْمانَ ، عن أبيه ، عن مَعْبد بن هِلَال العَنَزِيّ ، عن أنس بن مالك أنّ رَسولَ الله ﷺ قال : « بُعثتُ أنا والساعة كهَاتينِ » . تفرد به مُسلم[٢] .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبي التياح ، سمعت أنس بن مالك يقول : إن رسول الله ﷺ قال : « بُعِثْتُ أنا والساعة كهَاتينِ » وبَسطَ إصْبَعَيْهِ السبّابةَ والوُسطَى . وأخرجاه في « الصحيحين » من حديث شُعْبَةَ ، عن أبي التياح يَزيدَ بن حُميد ـ وزاد مسلم : وحمزةَ الضبي ـ عن أنسٍ ، به[٣] .

رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا مُصْعَب بن سَلَّام ، حدّثنا جعفر ، هو ابن محمد بن علي بن الحُسَيْن ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خَطَبنا رسولُ الله ﷺ ، فَحمِدَ الله وَأثْنَى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أما بَعْدُ ، فإنّ أصْدَق الحَديث كتابُ الله ، وإنّ أَفْضَل الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدثَاتُها ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » ثُمَّ يَرْفَعُ صَوْتهُ وَتَحْمَرُّ وَجْنَتاهُ ، وَيَشْتَدُّ غَضَبُه إذَا ذَكَرَ الساعةَ كأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ ، ثم يقول : « أَتَتْكُم الساعةُ ، بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَة هكَذَا » وأشار بأصْبَعَيْهِ السَّبَابةِ وَالوُسطَى ، « صَبَّحَتْكُمُ السَّاعَةُ ومسَّتْكم ، من ترك مالاً فَلأَهْلِهِ ، وَمَنْ تَركَ دَيناً أو ضَياعاً فإليَّ ، وعليّ » وَالضَّيَاعُ : وَلَدُه المسَاكِينُ . وقد رواه مُسلم ، والنَّسائي ، وابن ماجه ، من طرق ، عن جعفر بن محمد ، به ، وعند مسلم قال : « بُعِثْتُ أنا والساعة كهَاتين »[٤] .

رواية سهل بن سعد ، رضي الله عنه

قال مسلم : حدّثنا سعيد بن منصور ، قال : وحدّثنا قُتَيْبَةُ بنُ سعيد ، واللفظ له ، حدّثنا يعقوب ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٣٧) .
(٢) رواه مسلم (٢٩٥١) (١٣٥) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٣١) والبخاري (٦٥٠٤) ومسلم (٢٩٥١) (١٣٤) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١) ومسلم رقم (٨٦٧) والنسائي في «الكبرى» (١٧٨٦) وابن ماجه (٤٥).

هو ابن عبد الرحمن ، عن أبي حازم : أنّه سَمعَ سَهْلاً يقول : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُشِيرُ بإصْبَعهِ التي تَلِي الإبْهامَ ، والوُسْطَى ، وهو يقول : « بُعِثْتُ أنا والساعة هكذا » . تفرّد به مسلم[١] .

رواية أبي هريرة رضي الله عنه

قال الحافظ أبو يَعْلَى الموصلي : حدثنا أبو هشام ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو حَصِينٍ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتَيْنِ » وضَمَّ إِصْبَعَيْه . وقد رواه البخاري ، عن يحيى بن يوسف ، عن أبي بكر بن عَيّاش ، عن أبي حَصِين ، عُثْمانَ بن عَاصِم ، عن أبي صالح ، ذَكْوَان ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « بُعِثْتُ أنا والساعة كَهَاتَيْن » . ثم قال البخاري : وتابعه إسرائيل . ورواه ابن ماجه ، عن هَنّاد بن السَّرِيِّ ، وأبي هشام الرفاعي ، عن أبي بكر بن عَيّاش به ، وقال : وجمع بين إصبعيه[٢] .

[رواية أبي جبيرة بن الضحاك]

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنْيَا : حَدثنا أبو مسلم ، عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا سُفْيانُ ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قَيْس بن أبي حازم ، عن أبي جَبِيرةَ بن الضّحّاك ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « بُعِثْتُ في نسمِ الساعة » يقول : حين بَدَتْ في أوّل وَقْتِها . وهذا إسنادٌ جَيّد ، وليس هو في شيء من الكتُب ، ولا رواه أحمد بن حَنْبَل[٣] وإنّما رَوى لأبي جَبِيرةَ حَديثاً آخر في النهي عن التَّنابُز بالألقاب[٤] .

حديث في تقريب يوم القيامة بالنسبة إلى ما سلف من الأزمنة

قال الإمامُ أحمد : حدّثنا أبو اليَمانِ ، حدّثنا شُعَيْبٌ ، عن الزهريّ ، أخبرني سالم بن عبد الله ، أنّ عبد الله بن عَمُرَ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو قائم على المِنبَر ، يقول : « إنما بقاؤكم فيما سَلَفَ قَبْلَكُمْ من الأُمم ، كما بَيْنَ صلاَةِ العَصرِ إلى غُرُوبِ الشَّمْس ، أُعطِيَ أَهْلُ التَّورَاةِ التَّورَاةَ فعملوا بها ، حتَّى إذا انْتَصَفَ النَّهارُ عَجَزُوا ، فأُعْطُوا قِيراطاً قِيرَاطاً ، ثم أُعْطِي أهْلُ الإنْجِيل الإنْجِيلَ فعَمِلُوا به حَتّى صَلاةِ العَصْرِ [ثم عجزوا] ، فأُعْطُوا قِيراطاً قِيرَاطاً ، ثُمّ أُعْطِيتُم القرْآنَ فعَمِلتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَت الشَّمْسُ

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٠) .

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٥) وابن ماجه (٤٠٤٠) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٥) والدولابي في « الكنى » (١/ ٢٣) وهو حديث صحيح ، ونسم الساعة من النسيم ، وهو أول هبوب الريح الضعيفة ، أي بعثت في أول أشراط الساعة وضعف مجيئها .

(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٠) والحاكم (٢/ ٤٦٣) والترمذي رقم (٣٢٦٨) وهو حديث صحيح .

فأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْن قِيرَاطَيْن ، فقال أهْلُ التَّوْراةِ والإنْجِيل : رَبّنا ، هَؤُلاَءِ أَقَلُّ عَمَلاً ، وأَكْثَرُ أَجْراً ؟ فقال : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ قالوا : لا ، فقال : فذاكَ فضلي أوتِيه مَنْ أَشاءُ » . وهكذا رواه البخاريّ عن أبي اليمانِ[١] .

وللبخاريّ من حديث سُفْيانَ الثوريّ ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّما أَجَلُكُمْ في أَجَلِ مَنْ خَلاَ مِنَ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ ، كمَا بَيْن صَلاَةِ العَصْرِ ومَغْرِبِ الشّمْسِ ، ومَثَلُكُمْ ومَثَلُ اليَهُودِ والنّصَارَى . . . » فذكر الحديث بتمامه ، وطوله[٢] .

طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال الإمامُ أحمد : حدّثنا الْفَضلُ بنُ دُكَيْنٍ ، حدّثنا شَرِيكٌ ، سمعتُ سلَمَةَ بنَ كُهَيلٍ ، يُحَدّث عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : كُنَّا جُلُوساً عند النبيِّ ﷺ ، والشمسُ على قُعَيْقِعانَ[٣] ، بعدَ العَصْرِ ، فقال : « ما أعمارُكُمْ في أعْمارِ مَنْ مَضَى إلاّ كمَا بَقِيَ مِنَ النَّهارِ ، فيما مَضَى مِنْهُ » . تفرّد به أحمد . وهذا إسناد حسن ، لا بأس به[٤] .

طريق أخرى عنه

قال أحمد : حدّثنا إسماعيل بن عمر ، حدّثني كَثِير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر : أنّه كان واقفاً بعَرَفاتٍ ، فنظر إلى الشمس ، حين تدلَّت مثلَ التُّرْس للغُروب ، فَبَكَى ، واشتدّ بكاؤه ، فقال له رجل عنده : يا أبا عبد الرحمن ، قد وقفتَ معي مراراً فلم تصنع هذا ؟! فقال : ذَكَرْتُ رسول الله ﷺ ، وهو واقف بمكاني هذا ، فقال : « أيُّها الناس إنّه لم يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى مِنْهَا إلاّ كمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فيما مضى منه » . تفرّد به أحمدُ[٥] .

طريق أخرى عنه

قال الإمامُ أحمد : حَدّثنا يُونُس ، حدثنا حماد ، يعني ابن زَيْد[٦] ، عن أيوبَ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألاَ إنّ مَثل آجالكم في آجال الأُممِ قَبْلَكُمْ ، كما بَيْنَ صلاة

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٢١) والبخاري (٧٤٦٧) .
(٢) رواه البخاري (٥٠٢١) .
(٣) قعيقعان : جبل بمكة .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ١١٥ ـ ١١٦) أقول : شريك النخعي ضعيف ، ولكن الحديث صحيح بطرقه .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٣٣) وإسناده ضعيف ، وهو حسن لغيره .
(٦) في الأصول : يعني ابن عمر ، وهو خطأ .

العصر إلى مُغَيربان[١] الشَّمْس ». ورواه البخاريّ عن سُلَيمانَ بن حَرْب عن حمّاد بن زَيْد ، به ، نحوَه ، بأبْسَط مِنْهُ[٢] .

وروى الحافظ أبو القاسم الطَّبَرانيُّ ، من حديث عَطِيّة العَوْفِيّ ، ووَهْب بن كيسان ، عن ابن عمر ، عن النبيّ ﷺ بنحو ذلك[٣] .

وهذا كلُّه يَدُلّ على أنّ ما بقي من الدنيا بالنِّسْبةِ إلى ما مَضَى منها شيءٌ يَسِيرٌ ، لكن لا يَعْلَمُ مِقْدَارَ ما مَضَى منها إلّا اللهُ تعالى ، ولا ما بقي إلا الله تعالى ، ولكن لها أشراط إذا وُجدت كانت قريبة والله أعلم ، ولَمْ يَجِئ في حديث تَحْدِيدٌ يَصِحّ سَنَدُه عن المعصوم ، حتى يُصَارَ إليه ، ويُعْلَمَ نِسْبَةُ ما بَقِي بالنِّسْبة إليه ، ولكنَّه قلِيلٌ جِداً بالنِّسْبةِ إلى الماضي ، وتعيينُ وقت الساعة ، لم يأت به حديث صَحِيح ، بل الآياتُ والأحاديثُ دالَّةٌ على أنّ عِلْمَ ذَلِك ممّا استأثَر اللهُ تعالى به ، دون خَلْقه ، كما سيأتي تقريرُه في أول الجزء الآتي بعد هذا ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكْلانُ .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حَنْبَل ، رحمه الله في « مُسْنَدِه » قائلاً : حدثنا أبو اليمـان ، أنبأنا شُعَيبٌ ، عن الزهريّ ، حدّثني سالم بن عبد الله ، وأبو بكر بن أبي حَثْمة[٤] أن عبد الله بن عمر قال : صلى رسول الله ﷺ صلاة العِشَاءِ في آخرِ حَياتِه ، فلَمّا سلم قام ، فقال : « أرَأيتكُمْ لَيْلتَكُمْ هَذِه ؟ فإنّ على رأسِ مئةِ سنةٍ منها لا يبقَى مِمَّنْ هو اليومَ على ظَهْرِ الأرض أَحَدٌ » قال عبد الله : فَوَهَلَ[٥] الناسُ في مَقالةِ رسول الله ﷺ تِلْك ، إلى ما يُحَدِّثُون مِنْ هَذِه الأحاديث ، عن مئةِ سَنَةٍ . وَإِنّما قال النبيُّ ﷺ : « لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ اليَومَ على ظَهْرِ الأرْضِ أحَدٌ » يريد بذلك أنه يَنْخَرِمُ ذَلِكَ القَرْنُ . وهكذا رواه البخاريّ عن أبي اليَمَانِ بسنده ولفظه سواء . ورواه مسلم عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن أبي اليمان الحَكَم بن نَافع عن شُعَيْبٍ ، به[٦] . فقد فسّر الصحابيُّ المرادَ من هذا الحديث بما فَهِمَهُ ، وهو أولى بالفَهْم من كُلِّ أَحَدٍ ، مِنْ أنّه يُريدُ علَيْهِ الصلاَةُ والسلامُ بذلك أنْ يَنْخَرِم قَرْنُه ذَلِكَ ، فلا يَبْقَى أحد مِمَّنْ هُوَ كَائِنٌ على وَجْهِ الأرض مِنْ أهْلِ ذلك الزَّمانِ من حين قال هذه المقالة إلى مِئَةِ سَنَةٍ . وقد اختلف العلماءُ ، هل ذلك خاصٌّ بذلك القرن ، أو عامّ في كلّ قَرْنٍ أنه لا يبقى أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ مئةِ سَنَةٍ ؟ على قولين ، والتخصيص بذلك القرن المُعَيّن الأوّلِ أوْلَى ، فإنّه قد

---

(١) وقت غروبها .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٢٤) والبخاري (٢٢٦٨) .
(٣) أخرجه الطبراني في « الأوسط » رقم (٤٩٨) من طريق وهب به ، وهو حديث حسن .
(٤) في الأصول : أبو بكر بن أبي خيثمة ، وهو خطأ ، والتصحيح من مصادر التخريج .
(٥) أي غلطوا .
(٦) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٢١) والبخاري رقم (٦٠١) ومسلم (٢٥٣٧) .

شُوهِدَ أن بعضَ الناس قد جاوز مئةَ سَنَةٍ ، وذلك طائفة كثيرة من الناس ، كما قد ذكرنا هذا في كتابنا هذا في وفيات الأعيان ، فالله أعلم . ولهذا الحديث طرق أخرى عن النبي ﷺ .

رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

قال أحمد : حدثنا أبو النّضر ، حدثنا المباركُ ، حدّثنا الحَسَن ، عن جابر بن عبد الله : أنّ رسول الله ﷺ سُئِل عن الساعة قَبْلَ أن يَمُوتَ بِشَهْرٍ ، فقال : « تَسْأَلُوني عن الساعة ، وإنّما عِلْمُها عند الله ، فوالّذِي نَفْسِي بِيَدِه ، ما أعْلَمُ اليومَ نَفْساً يَأْتِي عَلَيْها مئَةُ سَنَةٍ » . تفرّد به أحمدُ ، وهو إسناد جيّد حسن ، رجالُه ثقات ، أبو النّضْر هاشمُ بن القاسم ، من رجال « الصحيحين » ، ومبارَكُ بن فَضَالَةَ ، حديثُه عند أهل السُّنَن ، والحسنُ بن أبي الحَسن البَصْرِيّ من الأئمّة الثِّقَاتِ الكِبارِ ، وروايتُه مُخَرَّجَةٌ في الصِّحاح كُلِّها ، وَغيرِها[١] .

طريق أخرى عن جابر رضي الله عنه

قال الإمامُ أحمد : حدّثنا حَجّاج ، قال ابن جريج ، أخبرني أبو الزُّبَيْر : أنّه سمع جابرَ بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول قَبْلَ أنْ يَمُوتَ بشَهْرٍ : « تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعةِ وإنّما عِلْمُها عِنْدَ الله ، وأُقْسِمُ باللهِ ما على الأرض نفسٌ منفوسةٌ اليوم يأتي عليها مئةُ سنةٍ » .

وكذا رواه مسلم ، عن هارون بن عبد الله ، وحجّاج بن الشاعر ، عن حَجّاج بن محمد الأعور ، وعن محمد بن حاتم ، عن محمد بن بكر ، كلاهما عن ابن جُرَيْج ، به[٢] .

وقال مسلم في « الصحيح » : باب تقريب قيام الساعةِ . حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ وأبو كُرَيبٍ ، قالا : حَدّثنا أبو أسامَةَ ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : كان الأعرابُ إذَا قَدِمُوا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة ، فنَظَر إلى أحْدَث إنسانٍ مِنْهُم ، فقال : « إنْ يعشْ هذا لم يُدْرِكه الهَرَمُ ، قامت عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ » . تفرّد به الإمام مُسلم رحمه الله[٣] .

ثم قال مسلم : حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبة ، حدّثنا يونس بن محمد ، عن حمّادِ بن سَلَمة ، عن ثابت ، عن أنس : أنّ رَجُلاً سأل رَسُولَ الله ﷺ : متى تقومُ الساعة ؟ وعنده غُلَامٌ من الأنصار ، يقال له : محمد ، فقال رسول الله ﷺ : « إنْ يَعِشْ هذا الغلامُ ، فعسىٰ ألّا يُدْرِكَهُ الهَرَمُ حتّى تَقُومَ الساعة » . تفرّد به مسلم من هذا الوجه .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٦) أقول : في سنده ضعف ، وهو حديث صحيح بطرقه .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) ومسلم (٢٥٣٨) .
(٣) رواه مسلم (٢٩٥٢) .

ثم قال مسلم : وحدّثني حَجّاجُ بنُ الشاعر ، حدّثنا سُلَيْمانُ بنُ حَرْب ، حدثنا حمّادٌ ، يعني ابنَ زَيْدٍ ، حدثنا مَعْبَدُ بنُ هِلَالٍ العنَزي ، عن أنس بن مالك : أنّ رَجُلاً سأل النبيَّ ﷺ ، قال : متى تقُومُ الساعة ؟ قال : فسكت النبيُّ ﷺ هُنَيهَةً ، ثمّ نظرَ إلى غُلَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أزْدِ شَنُوءَةَ ، فقال : « إنْ عُمِّرَ هذَا ، لَمْ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ ، حتَّى تَقُومَ السَّاعةُ » قال أنس : ذَاكَ الغُلَامُ من أتْرابِي يومئذ . تفرّد به مسلم أيضاً ، من هذا الوجه .

ثم قال مسلم : حدّثنا هارونُ بنُ عبد الله ، حدثنا عَفَّانُ بنُ مُسْلم ، حدّثنا هَمَّامٌ ، حدّثنا قَتَادَةُ ، عن أنس قال : مَرَّ غُلامٌ لِلمُغيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَكَان مِنْ أَقْراني ، فقالَ رَسولُ الله ﷺ : « إِنْ يُؤَخَّرْ هذَا فَلَنْ يُدرِكَهُ الهَرَمُ ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » . ورواه البخاري ، عن عمرو بن عاصم ، عن هَمَّام ، به[1] .

وهذه الرواياتُ تدلّ على تَعْدادِ هذا السؤال ، وهذا الجواب ، وليس المراد بذلك تحديدَ وَقْتِ الساعة العُظْمَى إلى وَقْتِ هَرَمِ هذا الغلام المُشارِ إلَيه ، وإنّما المراد سَاعَتَهُمْ ، وهو انْقِراضُ قَرْنِهِمْ ، وَعصْرِهِم ، وأن قُصَارَاهُ تتناهَى في مُدَّةِ عُمُرِ ذَلك الغُلام ، كما تقدّم في الحديث : « تَسْأَلوني عَنِ السَّاعَةِ وإنّما عِلْمُها عِنْدَ الله ، وأُقْسِمُ بالله ما على ٱلأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ اليَوْمَ يَأتي عَلَيْها مِئَةُ سنةٍ » وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ رِوايةُ عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنها : قَامَتْ عَلَيْكُمْ ساعتكم ؛ وذلك أنَّهُ مَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخلَ في حُكْمِ القِيامَةِ ، فإنَّ عَالَم البَرْزَخ قَرِيبٌ مِنْ عَالَم يَوم القِيامَةِ ، وفيه شَبَهٌ مِنَ الدُّنيا أيضاً ، ولكنْ هُوَ أَشْبَهُ بِالآخِرة ، ثُمَّ إذا تَنَاهَتِ المُدَّةُ المَضْرُوبَةُ لِلدُّنْيَا ، أَمَر اللهُ بِقِيام السَّاعَةِ ، فَجُمِعَ ٱلأَوَّلُونَ والآخِرُونَ لِميقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ، كما سيأتي بيانُ ذلك من الكتاب والسنّة ، والله سبحانه المستعانُ[2] .

ذِكر دُنوِّ الساعة واقترابها

وأَنها آتيةٌ لا ريب فيها ، وأنها لَا تأتي إلّا بَغْتَةً ، ولا يعْلَم وقتها على التعيين إلّا اللهُ تعالى

قال الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ ﴾ [الأنبياء] . وقال تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] . وقال تعالى ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣ ﴾ [الأحزاب] . وقال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ [المعارج] . وقال تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ [القمر] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٥٣) والبخاري رقم (٦١٦٧) .

(٢) في النسخة (م) في هذا الموضع : آخر الجزء الأول من خط المصنف ، أول الثاني .

قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يونس]. وقال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات]. وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [الشورى]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [طه]. وقال تعالى ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النازعات]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النمل]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان].

ولهذا لمّا سَأَلَ جبريلُ عليه السلامُ رسولَ الله ﷺ عن الساعة، قال له: « مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ » ـ يعني قد استوى فيها عِلْمُ كُلّ مسؤولٍ وسائلٍ بطريق الأولى والأحْرَى، لأنّه إنْ كانت الألف واللاّمُ في المَسْؤول والسائل للعَهْدِ عائدةً عليه وعلى جبريل، فكلّ أحدٍ ممّن سواهُما لا يَعْلَمُ ذَلِكَ بطريق الأَوْلَى والأَحْرَى، وإنْ كانت للجِنْسِ عَمّتْ بطريق اللفْظِ واللهُ أعلم ـ. ثم ذكر النبيُّ ﷺ شيئاً مِنْ أشراط الساعة، ثم قال: « في خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إلاّ اللهُ »، ثُمَّ قرأ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾ الآية [لقمان: ٣٤][1]. وقال تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يونس]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [سبأ]. وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن].

فهذه ثلاثُ آياتٍ، أمر اللهُ سبحانه رسولَه أن يُقْسِمَ به فيهن على إتيان المَعادِ، وإعادة الخلق،

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٠) ومسلم رقم (٩).

وجمعهم ليوم لا ريب فيه ، ولا رابع لهن مِثْلهنَّ ، ولكن في مَعناهُنّ كثير ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل] .

وقال تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [غافر] . وقال تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ ﴾ إلى آخر السورة [النازعات : ٢٧ ـ ٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الإسراء] . وقال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الإسراء] . وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ . . . ﴾ إلى آخر السورة [يس : ٧٧ ـ ٨٣] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم] .

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون] .

فيَسْتَدِلّ تعالىٰ بإحياء الأرض الميتة على إحياء الأجساد بعد موتها وفنائها ، وتمزّقها ، وصيرورتها

تُراباً وعظاماً ، ورُفاتاً ، وكذلك يَسْتَدِلّ بِبَدْأَة الخلق على إعادة النشأة الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت] . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزخرف] . وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر] وفي الأعراف : ﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف] .

وكذلك سورة ﴿ ق ﴾ من أولها إلى آخرها ، فيها ذِكر بعث ونشور ، وكذلك سورة الواقعة ، والقرآن كُلُّه طافح بهذا ، ولا تبديل لكلمات الله .

وقال تعالى : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الإنسان] وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [المعارج] . وقال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ [النازعات] .

وسورة الصافات فيها آيات كثيرة تدل على المعاد ، وكذلك سورة الكهف وغيرها .

وقد ذكر الله سبحانه إحياء الموتى وأنه أحيا قوماً بعد موتهم في هذه الحياة الدنيا في سورة البقرة في خمسة مواضع منها : في قصّة بني إسرائيل ، حين قَتل بعضُهم بعضاً لمّا عبدُوا العجل ، في أول السورة فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [البقرة] وفي قصة البقرة : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة] فإنه أحيا ذلك الميت لما ضربوه ببعضها ، وفي قصة : ﴿ ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٤٣] وفي قصة الذي ﴿ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ ثم أحيا حماره ، والقصة معروفة ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة] والخامسة قصة إبراهيم عليه السلام والطير ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة] .

وذكر تعالى قصة أصحاب الكهف ، وكيف أبقاهم في نومهم ثلاثمئة سنة شمسية ، وهي ثلاثمئة وتسعُ سنين قمرية ، وقال فيها : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف : ٢١] .

فجعل سبحانه ذلك دلالة على إحياء الموتى ، وإتيان الساعة لا ريب فيها ، والله سبحانه أعلم .

ذِكر زوال الدنيا وإقبال الآخرة

أوّل شيء يطرق أهلَ الدنيا بعد وقوع أشراط الساعة نَفْخَةُ الفَزَع ، وذلك أن اللهَ سبحانه وتعالى يأمر إسرافيلَ فينفُخ في الصور نفخةَ الفَزع ، فُيطَوّلها ، فلا يبقى أحد من أهل الأرض ولا السموات إلاّ فزع ، إلاّ مَنْ شاء الله ، ولا يَسمعُها أحدٌ من أهل الأرض إلاّ أصْغَى لِيتاً ورَفَع لِيتاً ، أي رفع صَفْحَةَ عُنقِه ، وأمالَ الأخرى ، يستمع هذا الأمر العظيم الذي قد هال الناس ، وأزعجهم عما كانوا فيه من أمرِ الدنيا ، وشغلِهم بها ، ووقوع هذا الأمر العظيم .

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا يفعلون(1) ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [ص] . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [المدثر] . وقال تعالى : ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام] . ثم بعد ذلك بمدَّة يأمرُ الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق ، فيَصْعَقُ مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض ، إلاّ مَنْ شاء الله ، ثم يأْمرُهُ فيَنْفخ فيه أخرى فيقومُ الناسُ لربّ العالمين . كما قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزمر] . وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ الآيات ، إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يس : ٤٨ ـ ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ [النازعات] وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر] وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون] وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحاقة] .

---

(١) هي بالياء على قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وشعبة ـ بِخُلْفٍ عنهما ـ ويعقوب . ورواية حفص عن عاصم : تفعلون بالتاء .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ الآية [النبأ : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [طه : ١٠٢] الآيات .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا إسماعيلُ ، حدثنا سُلَيمان التيمي عن أسْلم العِجْليّ ، عن بِشر بن شَغَاف ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال أعرابيّ : يا رسول الله ، ما الصُّور ؟ قال : « قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه » . ثمّ رواه عن يَحْيى بن سَعِيد القَطّان ، عن سُلَيْمانَ بن طَرْخَانَ التَّيميّ ، به ، وأخرجه أبو داود ، والترمذيّ ، والنَّسائيّ ، من طُرق ، عن سُلَيْمانَ التيمي ، عن أَسْلمَ العِجلي به ، وقال الترمذيّ : حسن ، ولا نعرفه إلاّ من حديث أَسَلم العجلي(١) (٢) .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا أَسْبَاط ، حدثنا مُطَرِّف ، عن عَطِيَّة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ [المدثر : ٨] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كَيْفَ أنعم وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ ، وحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتى يُؤْمَرُ فَيْنفُخُ ؟! » فقال أصحاب رسول الله ﷺ : يا رسول الله ، كيف نَقُول ؟ قال : « قُولُوا : حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيلُ ، على الله تَوكلْنا » . انفرد به أحمد ، وقد رواه أبو كُدَيْنَةَ ، يحيى بن المُهَلَّب ، عن مُطَرِّف به(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سُفْيانُ ، عن مُطرِّف ، عن عَطِية ، عن أبي سَعيد ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « كيف أَنْعَمُ وقد التقم صاحبُ القَرنِ القَرْنَ ، وحنى جَبْهَتَه ، وأصْغَى سَمْعَهُ ينظر متى يؤمر ؟! » قال المسلمون : يا رسول الله ، فما نقول ؟ قال : « قولُوا : حَسْبُنا الله ونعْمَ الوكيلُ ، على الله تَوَكّلنا » . وأخرجه الترمذيّ ، عن ابن أبي عمر ، عن سُفْيان بن عُيَيْنَةَ ، وقال : حسن ، ثم رواه من حديث خالد بن طَهْمَانَ ، عن عَطِيّة ، عن أبي سعيد به ، وحَسَّنه أيضاً .

وقال شيخنا أبو الحجاج المِزِّيّ في « الأطراف » : ورواه إسماعيل بن إبراهيم أبو يَحْيَى التيمي ، عن الأعمش، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد. هكذا قال رحمه الله ، وكذا رواه أبو بكر بن أبي الدُّنيا ، في كتاب « الأهوال » ، فقال : حدثنا عُثمانُ بن أبي شَيْبَةَ ، حدّثنا جريرٌ ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدريّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحِبُ الصُّورِ قد الْتَقَم الصُّورَ ، وحَنَى جَبْهَتَهُ ينتظر مَتَى يؤمر أنْ يَنْفُخَ فينفخ ؟! » قلنا :

---

(١) كذا قال المصنف هنا ، وفي « جامع المسانيد » له . والذي في نسخ الترمذي المطبوعة : لا نعرفه إلا من حديث سليمان التيمي .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٦٢ و١٩٢) وأبو داود (٤٧٤٢) والترمذي (٢٤٣٠) و(٣٢٤٤) والنسائي في الكبرى (١١٤٥٦) وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٢٦) وهو حديث حسن .

يا رسول الله ، ما نقول ؟ قال : « قولوا : حَسْبُنا الله ، ونِعْمَ الوَكِيلُ »[١] .

وقد قال أبو يَعْلَى الموْصِليّ في مُسْنَدِ أبي هريرة ـ أبو صالح عن أبي هريرة ـ: حدثنا أبو طالب ، عبد الجبار بن عاصم[٢] ، حدّثني موسى بن أعْيَنَ الحرّانيّ ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، وعن عمران عن عَطِية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم ، أو كيف أَنْتُمْ ، (شَكّ أبو طالب) ، وصاحبُ الصُّورِ قَد الْتَقَم القَرْنَ بفيه وأصْغَى سَمْعَهُ ، وَحَنَى جبينه ينتظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَينفخُ ؟! » قالوا : يا رسول الله ، كيف نقول ؟ قال : « قولوا : حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ ، على اللهِ تَوكلنا » .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش ، عن سعد الطائيّ ، عن عَطِيّة العَوْفيّ ، عن أبي سَعِيد الخُدْرِيّ ، قال : ذكر رسول الله ﷺ صاحبَ الصُّور ، فقال : « عَنْ يَمِينه جِبريل ، وعن يساره مِيكَائِيلُ ، عليهم السلام »[٣] .

وقال ابنُ ماجه : حَدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، حدّثنا عَبّاد بن العوّام ، عن حجّاج ، عن عَطِية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله : « إنّ صاحِبَي الصُّورِ بأيْدِيهِمَا » ـ أَوْ « في أيْدِيهِما ـ قَرْنَانِ ، يُلاَحِظان النَّظَر : مَتَى يُؤْمرانِ »[٤] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا يحيى بنُ سعيد ، عن التيميّ ، عن أسلم عن أبي مُرَيَّة[٥] عن النبي ﷺ أو عن عبد الله بن عمرو ، عن النبيّ ﷺ قال : « النّفاخان في السماء الثانية ، رأسُ أحدهما بالمَشْرِق ورِجلاَهُ بالمَغْرب » ـ أو قال : « رأسُ أحدهما بالمغرب، ورجلاه بالمشرق ـ ينْتَظِران مَتَى يُؤْمران يَنْفُخَانِ في الصُّورِ فَيْنفخان » . تفرّد به أحمد ، وأبو مُرَيَّةَ هذا اسمه عبدُ الله بن عمرو العِجْلِيّ ، وليس بالمشهور[٦] ولعل هذين الملَكين ، أحدهما إسرافيل وهو الذي ينفخ في الصّور كما سيأتي بيانه في حديث الصُّور بطوله، والآخر هو الذي يَنْقُرُ فِي النَّاقُورِ، وقد يكونُ الصُّور والنّاقُور اسم جِنْسٍ يَعُمُّ أفراداً كثيرةً، أو الألف واللام فيهما للعَهْد، ويكون لكلِّ واحدٍ منهما أَتْباعٌ يفعلون كفِعْلِه، والله أعلم بالصواب .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧) والترمذي (٣٢٤٣) و(٢٤٣١) وابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٥٠) وهو حديث صحيح .

(٢) في الأصول : عبد الجبار بن صالح .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٩) وإسناده ضعيف .

(٤) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٧٣) وهو منكر ، والمحفوظ بلفظ « صاحب القرن » .

(٥) ويقال : أبو مراية ، وهو الأكثر .

(٦) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٩٢) وهو ضعيف للشك في إرساله واتصاله ، ولجهالة أبي مرية ، كما أومأ إليه المصنف .

وقال ابن أبي الدُّنيا : أخبرنا عُبَيدُ الله بنُ جرير ، حدّثنا موسى بن إسماعيل ، حدّثنا عبد الواحد بن زياد ، حدّثنا عبيد الله بن عبد الله بن الأصمّ[١] عن يزيد بن الأصَمّ ، قال : قال ابنُ عبّاس : إنّ صاحِبَ الصورِ لَمْ يَطْرِفْ مُنْذُ وُكِّل به ، كَأنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيّانِ يَنْظُر تُجَاهَ العَرْشِ مَخَافة أَنْ يُؤْمَر أَنْ يَنْفُخَ فيه ، قَبْلَ أَنْ يَرْتَدّ إلَيْه طَرْفُه[٢] .

وحَدّثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر مُشْكُدانة[٣] حدثنا مروانُ بنُ معاوية ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن الأصَمّ ، عن يَزِيدَ بن الأصَمّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أطْرَفَ صاحبُ الصُّورِ مُنذُ وُكِّلِ به ، مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحوَ العَرْشِ مَخَافة أنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْه طَرْفُه ، كأنّ عَيْنيه كوكَبانِ دُرِّيّانِ »[٤] .

حديث الصور بطوله

قال الحافظ أبو يَعْلَى المَوْصِليّ في « مُسْنِده » : حدّثنا عمرو [بن] الضحّاك بن مَخْلَد ، حدّثنا أبو عاصم الضحّاك بن مَخْلد، حدّثنا أبو رافع، إسماعيلُ بن رافع ، عن محمد بن [يزيد بن أبي] زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، قال : حدّثنا رسولُ الله ﷺ وهو في طائفةٍ من أصحابه ، قال : « إنّ اللهَ تعالَى لَمّا فرغَ مِنْ خَلْق السّموات وَالأَرض خَلقَ الصُّورَ ، فأعطاهُ إسْرَافيل ، فَهُو واضِعُه على فيه شَاخصاً إلى العَرْشِ بِبَصرِه ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فينفخ » ، قال : قلتُ : يا رسول الله ، ما الصُّور ؟ قال : « قَرْنٌ » ، قلت : كيفَ هُوَ ؟ قال : « عَظِيمٌ » ، قال : « والذي بعثني بالحقّ ، إنَّ عِظَم دَائرَةٍ فيه كعَرْض السّمواتِ والأرضِ ، يُنْفَخُ فيه ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ ، الأولى نَفْخَةُ الفَزَع ، والثَّانيَةُ نَفْخَةُ الصّعْقِ ، والثالثةُ نَفْخَةُ القِيام لربّ العالمين ، يأمرُ اللهُ إسرافِيلَ بالنّفْخة الأولى ، فيقول : انفُخ نَفْخَةَ الفَزَعَ ، فَينفُخُ نَفْخَةَ الفَزَع ، فيفْزَعُ أَهْلُ السّمواتِ والأَرضِ إلاّ مَنْ شَاءَ اللهُ ، ويأمره تعالى ، فَيمُدُّها ويُطيلها، ولا يَفْتُرُ، وهِيَ التي يقول اللهُ: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [ص]، فتَسِيرُ الجبالُ سَيْر السَّحَابِ، فتكونُ سَراباً، وَترتَجُّ الأرْضُ بأهْلِها رَجّاً، فتكونُ كالسَّفِينةِ المُوبَقَةِ[٥] في البَحْر ، تضرِبُها الأمواجُ تُكْفَأُ بأهلِها ، كالقِنْديل المُعَلَّق بالعَرْش تُرجِّحُه الأرواحُ ، ألاَ وهو الذي

(١) اختلفت الأصول في اسمه ، والصواب ما أثبتنا .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٥١) وهو حديث حسن .

(٣) هو لقب عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي ، وهي كلمة فارسية معناها : وعاء المسك .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٤٦) وهو حديث حسن .

(٥) الموبقة : أي المحبوسة .

يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝ ﴾ [النازعات] .

فَتَميدُ بالناس على وجهها ، وَتَذْهَلُ المَراضِعُ ، وَتضَعُ الحَوامِلُ ، وَيَشِيبُ الوِلْدانُ ، وتَطيرُ الشَّياطِينُ هَارِبةً مِنَ الفزَع ، حتّى تَأْتِيَ الأَقْطارَ ، فتلقاهَا الملائكة تَضْرِبُ وُجوهَهَا ، فتَرْجِعُ ، ثم تولُّونَ مُدبِرِينَ : مَالَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصمٍ ، ينادي بعضهم بعضاً ، وهو الذي يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝ ﴾ [غافر] فبينما هم على ذلك ، إذ تصدّعت الأرضُ تَصَدُّعَيْنِ من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ ، فرأَوْا أمراً عَظِيماً لم يَروا مِثْلَهُ ، وأَخَذهمْ لِذَلِك من الكَرْبِ والهَوْلِ ما اللهُ بِه عَلِيمٌ ، ثم تُطْوَى السَّماءُ ، فإذا هِيَ كالمُهْلِ ، ثم انْشَقَّتِ السَّماءُ فانْتَثَرتْ نُجُومُها ، وخَسَفَتْ شَمْسُها ، وقَمرُهَا .

قال رسول الله ﷺ : « الأمواتُ لا يَعْلَمونَ بشَيْءٍ مِنْ ذلك » قال أبو هريرة : يا رسول الله ، مَنِ استَثْنى اللهُ حِينَ يقول : ﴿ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل : ٨٧] قال : « أولئِكَ الشُّهَداءُ ، إنّما يَصِلُ الفَزَع إلى الأحياء وهم أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهم يُرْزَقُونَ ، فوقاهُمُ اللهُ فَزَع ذلك اليوم ، وأمنهم منه ، وهو عذاب الله يَبْعثُه على شِرار خَلْقه ، وهو الذي يقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝ ﴾ [الحج : ١ ـ ٢] .

فيمكثون في ذلك العذاب ما شاء الله سبحانه ، إلا أنه يطولُ ، ثم يأمر الله إسرافيلَ ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الصَّعْقِ ، فيَصعق أهل السموات ، والأرض ، إلا مَنْ شاء الله ، فإذا هم خَمَدُوا ، جاء ملكُ الموت إلى الجبّار تعالى ، فيقول : يا رَبّ ، مات أهلُ السموات ، والأرض ، إلا مَنْ شِئْتَ ، فيقول الله تعالى له ، وهو أعلم بمن بقي : مَن بقي ؟ فيقول : يا رَبّ ، بقيتَ أنْتَ الحَيُّ الّذِي لاَ يموت ، وبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشك ، وبقي جِبْرِيلُ ، ومِيكَائِيلُ ، وبَقِيتُ أنا ، فيقول اللهُ عَزَّ وجلّ : لِيَمُتْ جبريلُ ، وميكائيلُ ، فيُنْطِقُ سبحانه العرشَ فيقول : يا رب يموتُ جبريلُ ، وميكائيل ؟! ، فيقول الله سبحانه للعرش : اسكتْ ، إني كتبْتُ الموتَ عَلَى كُلِّ مَنْ كان تَحْتَ عَرْشي ، فيموتان ، ثم يأتي مَلَكُ الموت إلى الجبّار عَزّ وجَلّ فيقول : يا رَبّ ، قد مات جبريلُ ، وميكائيلُ ، فيقول ، وهو أعلم بمن بقي : فَمَن بقي ؟ ، فَيَقُولُ : يَا رَبّ ، بَقِيتَ أنت الحَيُّ الذي لا يمُوتُ ، وبقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وبقَيتُ أنا ، فيقول اللهُ تعالى : فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ عَرْشي ، فيَمُوتُونَ ، ثم يأمرُ اللهُ سبحانه العَرْشَ فَيَقْبِضُ الصُّورَ مِنْ إسرافيلَ ، وإسرافيل من جملة حملة العرش ، ثم يأتي ملَكُ الموت إلى الجَبّار عَزّ وجَلّ ، فيقول : يا رب قد مات حمَلةُ عَرشِك ، فيقول تبارك وتعالى وهو أعلمُ بِمَن بقِي : فمن بقي ؟ فيقول : يا ربّ ، بقيتَ أَنْتَ الحيّ الذي لا يموت ، وبقيتُ أنا ، فيقول الله له : أنْتَ خَلْق مِنْ خَلْقِي ، خَلَقْتُكَ لِمَا رَأَيْتَ ، فَمتْ ، فيموتُ ، فإذَا لم يبْقَ إلا اللهُ ـ

قال ابن أبي الدنيا : ثنا محمدُ بن الحسين ، ثنا يونس بن يحيى الأمويُّ أبو نباتة ، ثنا إسماعيلُ بن

رافع ، عن محمد بن كعبٍ القُرَظيِّ قال : بَلغني أنَّ آخرَ مَن يموتُ مِنَ الخلقِ ملَكُ [الموتِ] ، يقال له : يا ملَك الموت ، مُتْ مَوْتاً لا تَحْيا بعدَه أبداً . قال : فيَصْرُخُ عندَ ذلك صرخةً لو سمِعها أهل السموات والأرض ، لماتوا فزعاً ، ثم يقول تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦ ﴾ [غافر][1] .

وقد رواه ابنُ أبي الدنيا أيضاً عن إسحاقَ بن إسماعيل ، عن إبراهيم بن عُيَينَةَ ، عن إسماعيلَ بن رافع ، [عن محمد بن يزيدَ بن أبي زيادٍ ، عن محمد بن كعب القُرَظِيِّ] ، عن رجلٍ ، عن أبي هريرةَ ، مرفوعاً بهذا[2] .

ورواه الحافظ أبو موسى المدينيُّ من طريق محمد بن شعيب بن شَابُورَ ، عن إسماعيلَ بن رافع ، عن محمد بن كعب ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ نحو هذا الحديث ، وفيه : « يَا مَلَكُ ، أَنْتَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِي ، خَلَقْتُكَ لِمَا رَأَيْتَ ، فَمُتْ ، ثُمَّ لا تَحْيَا أَبَداً » . قال أبو موسى : لم يُتَابَعْ إسماعيلُ على هذه اللفظةِ ، ولم يقلْها أكثر الرواةِ ـ

قال : « فَإِذَا مَاتَ مَلَكُ الْمَوْتِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ اللهُ الواحدُ الأحدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ الذي لم يَلِدْ وَلَمْ يُولدْ ولم يكن له كفواً أحد ، كان آخراً كما كَانَ أَوّلاً ، طَوَى السمواتِ والأرضَ ، كطَيِّ السِّجلّ للكتاب ، ثم دَحَاهُمَا ، ثم تَلَقَّفَهُمَا ثَلاثَ مَرّاتٍ ، وقال : أَنَا الجَبّار ، ثلاثاً ، ثم يَهتِفُ بصَوْته : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ؟ ثلاثَ مَرّاتٍ ، فلاَ يُجِيبُهُ أَحَدٌ ، ثم يقول لنفسه تعالى : ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ ، ويُبَدِّلُ اللهُ الأَرْضَ غَيْرَ الأرضِ والسَّمواتِ ، فَيَبْسُطها ، ويَسْطَحُهَا ، ويَمُدُّها مَدَّ الأديم العُكَاظِيِّ ، لا تَرى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً ، ثم يَزْجُرُ اللهُ الخَلْقَ زَجْرَةً وَاحِدَةً ، فإذا هُم في مثل هذه المُبدَّلَةِ في مثل ما كانوا فيه من الأولى ، مَنْ كان في بطنها كان في بطنها ، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ، ثم يُنزل الله عليهم ماءً من تحت العرش ، ثم يأمر الله السَّمَاء أن تُمطرَ ، فتُمْطر أربعين يوماً ، حتّى يكون الماءُ فوقهم اثني عشر ذراعاً ، ثم يأمرُ الله الأجْسَاد أن تنبُت كَنبات الطَراثيث[3] ، أو كَنبات البَقْل ، حتّى إذا تكاملت أجسادهم ، فكانت كما كانت قبل الموت ، قال الله تعالى : لِتَحْيَ حَمَلَةُ عَرشي ، فَيَحْيَون ويأمر الله إسرافيلَ فَيأخذ الصُّورَ ، فَيَضَعُه على فيه ، ثم يقول : لِيَحْيَ جبريل ، وميكَائيل ، فيحيَيَان ، ثم يدْعو الله بالأرْواح فيؤْتى بها تَتَوَهَّجُ أرواحُ المسلمين نُوراً ، والأخرى ظُلمَةً ، فَيقْبضُها جَميعاً ، ثم يُلقيها في الصُّور ، ثم يأمر الله إسرافيلَ أن ينْفُخ فيه نفخَةَ البَعْثِ ، فينفخ نفخة البعث فَتخْرُج الأرواحُ من الصور كأنها النَّحْلُ ، قد مَلأَتْ ما بَيْنَ السماءِ والأرض . فيقول الله تعالى : وعِزَّتي وجَلالي لَتَرْجِعَنَّ كُلُّ روح

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٥٨) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٥٥) وإسناده ضعيف .

(٣) الطراثيث : جمع طرثوث ، وهو نبت طري ضعيف كأول ما ينبت من الأرض .

إلى جَسدها . فتدخُل الأرواحُ في الأرض إلى الأجساد . فتدخُل في الخَيَاشيم ، ثم تمْشِي في الأجساد مَشْيَ السُّمِّ في اللَّدِيغ ، ثم تنشَقّ الأرض عنكم ، وأنا أوّل مَنْ تَنْشَق الأرض عنه ، فتَخْرُجُون منها سراعاً إلى رَبكم تَنْسلون ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ﴾ [القمر : ٨] حُفاةً عراة غُلفاً غُرلاً ، ثم تقفون مَوْقفاً واحداً مقدار سَبْعِينَ عاماً ، لا يُنظر إليكم ولا يُقْضَىٰ بينكم ، فتبكون حتّى تَنْقَطع الدموع ، ثم تدمَعُون دماً ، وتعْرَقُون حتى يَبْلُغَ ذلك منكم أن يُلْجمكُمْ أو يبلغ الأذْقان ، فتَضِجُّون وتقولون : مَنْ يَشْفَعُ لنَا إلى رَبِّنا ليَقْضي بَيْننَا ؟

فيقولون : مَنْ أَحَقُّ بِذَلك من أَبيكم آدم ؟ خَلَقه الله بِيَدِه ، وَنفَخ فيهِ مِنْ رُوحه ، وكلَّمَهُ قِبَلاً[١] ، فيأتون آدم ، فيطلبون ذلك إليه ، فيأبى ، فيقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ثم يَستَقْرُونَ الأنبياءَ نبيّاً نبيّاً ، كلما جاؤوا نبيّاً أبى عليهم » قال رسول الله ﷺ : « حتّى يأتوني ، فأنْطلِقُ ، حتّى آتيَ الفَحْصَ ، فأخرُّ ساجداً » قال أبو هريرة : يا رسول الله ، ما الفحص ؟ قال : « قُدّام العَرْش ، حتّى يَبْعَثَ الله إليّ مَلكاً ، فيَأخُذَ بِعَضُدي فَيَرْفعُني ، فيقول لي : يا محمد ، فأقول : نعم ، لبَّيْكَ يا رب ، فقال : ما شأنك ؟ وهو أعلم ، فأقول : يا ربِّ ، وَعدتني الشَّفَاعة ، فشَفِّعني في خَلْقِك ، فاقْضِ بَيْنهُمْ ، فيقول : شَفَّعتكَ ، أنا آتيكم فأقضي بينكم » قال رسول الله ﷺ : « فأرْجع ، فأقفُ مع الناس ، فبينما نحنُ وقوف ، إذْ سَمِعْنَا حِسّاً من السماء شديداً ، فنزل أهْلُ السماء الدنيا مِثلَ مَنْ في الأرض من الجنّ والإنس ، حتّى إذا دَنَوْا من الأرض أَشرَقَتِ الأرضُ بِنُورهم ، وأخَذُوا مَصافَّهم ، قلنا لهم : أفيكم ربُّنا ؟ قالوا : لا ، وهو آتٍ ، ثم ينزل أهل السماء الثانية ، بمثل مَنْ نَزل من الملائكة ، من أهل السماء الدنيا ، ومِثْلِ مَنْ فيها من الجنّ ، والإنس ، حتى إذا دَنَوْا مِنَ الأرض أَشْرَقتِ الأرض بنورهم ، وأخذوا مَصافَّهم ، وقلنا لهم : أفيكُمْ رَبُّنا ؟ قالوا : لا ، وهو آتٍ ، ثم ينزل أهل كل سماءٍ على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزلَ الجبّار تبارك وتعالى في ظُلَل من الغَمام والملائكة ، وَيَحْمِلُ عَرْشَه يومئذ ثمانية ، وهم اليوم أربعة ، أقدامهم على تُخوم الأرض السُّفْلَى ، والسمواتُ إلى حُجَزِهم ، والعَرْش على مَنَاكبهم ، لهم زَجَلٌ[٢] من تَسْبِيحهم ، يقولون : سُبْحانَ ذي العِزَّة والجَبَروت ، سُبْحَان ذي المُلك والمَلكُوت ، سبحان الحيّ الذي لا يموت ، سبحان الذي يميتُ الخلائقَ ، ولا يموتُ ، سبُّوح قُدُّوس ، سبحان ربنا الأعلى ، رب الملائكة والروح ، الذي يميت الخلائق ولا يموت ، فيضع الله تعالى كُرْسيَّهُ حَيْثُ يشاءُ من أرضِه ، ثم يَهتِف بِصَوْتِه فيقول تعالى : يا مَعْشَر الجنِّ والإنس ، إني قَدْ أنْصَتُّ لكُمْ مِنْ يوم خلقتكم إلى يومكم هذا ، أَسْمَعُ قولكم ، وأرى أعمالكم ، فأَنْصتُوا لي اليوم ، إنّما هي أعْمالُكُم وصُحُفكم تُقرأ عليكم ، فمن وجد خَيْراً فليحمد الله ، ومَنْ وجَدَ غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلاّ

(١) أي مقابلة .
(٢) أي صوت رفيع عال .

نَفْسه ، ثم يأمر الله جَهَنَّم فيخرج مِنها عُنق سَاطِعٌ ، مُظْلِمٌ ، ثم يقول : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يس] أو بها تكذبون (شك أبو عاصم) ﴿ وَٱمْتَـٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يس] فيَميزُ اللهُ النّاسَ وتَجثُو الأمم ، يقول الله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجاثية] فيقضي اللهُ بين خلقه ، إلاّ الثَّقَلَيْن ـ الإنس ، والجنّ ـ فيقضي بين الوحوش ، والبهائم ، حتّى إنّه لَيُقِيدُ الجَمّاءَ من ذَاتِ القَرْن ، فإذا فرغ اللهُ من ذلك ، فلم تَبْقَ تَبِعةٌ عِنْدَ واحدةٍ لأُخرىٰ ، قال اللهُ لهَا : كُوني تُراباً ، فعند ذلك يقول الكافرُ : ﴿ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبأ] ثم يَقْضِي اللهُ تعالى بَيْنَ العِبادِ ، فيكونُ أوّلَ ما يَقْضي فيهِ الدِّماءُ ، ويَأتِي كُلُّ قَتِيلٍ قُتل في سَبيلِ اللهِ ، فيأمر اللهُ مَنْ قُتِلَ فَيَحملُ رَأْسَهُ تَشْخُبُ أَوْدَاجُه دماً ، فيقول : يا ربّ سَلْ هذا فِيمَ قَتَلَنِي ؟ فيقول تعالى وهو أعلم : فِيمَ قَتَلْتَهُ ؟ فيقول : يا رَبّ قَتلْتُه لِتكُونَ العِزَّةُ لَكَ ، فيقول الله : صَدَقْتَ ، فَيَجْعَلُ اللهُ تعالى وَجْهَهُ مِثْلَ نُورِ السَّمواتِ ، ثمّ تَسوقه المَلائِكَةُ إلى الجَنَّةِ ، ثم يَأْتِي كُلُّ مَنْ كَانَ قُتل عَلَى غَيْرِ ذَلِك ، فيأْمُرُ مَنْ قَتِلَ فَيَحْمِلُ رَأْسَهُ تَشْخُبُ أَوْدَاجُه دماً ، فيقول : يا رَبّ ، سل هذا فِيمَ قَتَلَنِي ؟ فيقول وهو أعلم : فِيمَ قَتَلْتَهُ ، فيقول : يا رَبّ ، قَتَلْتُه لِتكُون العِزَّةُ لِي ، فيقول له : تَعِسْتَ ، ثم ما تَبْقَى نَفْسٌ قَتَلَهَا إلاّ قُتِلَ بِهَا ، ولا مَظْلِمَةٌ إلاّ أُخِذَ بِهَا ، وكان في مَشيئةِ الله ، إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وإنْ شَاءَ رَحِمهُ ، ثُمَّ يَقْضِي اللهُ بَيْنَ مَنْ بَقِيَ مِنْ خَلْقِهِ حتّى لاَ تَبْقَى مَظلِمَةٌ لِأَحدٍ عِنْدَ أَحدٍ إلاّ أَخَذَها اللهُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ ، حتَّى إنَّهُ لَيُكَلِّفُ شَائِبَ اللَّبَنِ بالمَاءِ ثُمَّ يَبِيعُه أَنْ يُخلِّصَ اللبَن مِنَ المَاءِ ، فَإذَا فَرَغَ اللهُ مِن ذَلِكَ ، نادَى مُنَادٍ يُسْمِعُ الخَلائِقَ كُلَّهُمْ : لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بآلِهَتِهِمْ وَما كَانُوا يَعْبُدُونَ من دون اللهِ ، فَلاَ يبْقَى أَحَدٌ عَبد شيئاً مِنْ دَونِ اللهِ ، إلاّ مُثِّلَتْ لَهُ آلِهَتُه بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيُجْعَلُ يومئذٍ ملك مِنَ المَلائِكَةِ على صورَةِ عُزَيرٍ ، ومَلَكٌ على صورةِ المسيح عِيسَى ابن مريم ، فَيتْبَعُ هَذَا اليَهُودُ ، وَيتْبَعُ هذَا النَّصارى ، ثم تقودهم آلِهَتُهُمْ إلى النَّارِ ، فهذا الذي يقولُ اللهُ تَعَالى : ﴿ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنبياء] فإذَا لم يَبْقَ إلاّ المُؤْمنون فيهمُ المُنافِقُونَ ، جاءَهُمْ اللهُ فيمَا شَاءَ مِنْ هيئته ، فقال : يا أيُّها النَّاسُ ، ذَهَب النَّاسُ فَالْحَقُوا بآلِهتِكُمْ ، وما كُنْتُم تَعْبدُونَ ، فيقولون : واللهِ مالَنَا إلـٰه إلاّ اللهُ ، ما كُنَّا نَعْبُد غَيْرَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ وهو اللهُ الذي يَأْتِيهِمْ ، فيمكثُ عنهم ما شَاءَ اللهُ أَنْ يمْكُثَ ثمّ يَأْتِيهِمْ ، فيَقُولُ : يا أيها الناس ذَهَبَ الناسُ ، فالحَقُوا بآلِهتِكُمْ ، وما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، فيقولون : والله مالَنا إلـٰه إلاّ اللهُ ، وَما كُنّا نَعْبُدَ غَيْرَهُ ، فينصرف عنهم ، وهو الله الذي يأتيهم ، فيمكث عنهم ما شاء الله أن يمكث ، ثم يأتيهم فيقول : يـا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وماكنتم تعبدون ، فيقولون : والله ما لنا إلـٰه إلا الله وما كنا نعبد غيره ، فَيكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ وَيتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمتِه مَا يَعْرِفُونَ أَنّه رَبُّهُمْ ، فَيَخِرُّونَ سُجَّداً له على وجُوهِهِمْ ، وَيخِرُّ كُلُّ مُنَافِقٍ على قَفَاهُ ، وَيجعَلُ اللهُ سبحانه أَصْلاَبَ المنافقين

كَصَياصي(١) البَقَر ، ثم يَأذنُ اللهُ لَهُمْ فَيرفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ ، وَيَضْرِبُ اللهُ بالصِّرَاطِ بَيْنَ ظَهْرانَيْ جَهَنَّمَ كَقدِّ الشَّعر ، أو كعقْدِ الشَّعْرِ ، وكحَدِّ السَّيْف ، عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ وخَطَاطِيفُ ، وحسكٌ كحسك السعدان ، دُونَهُ جِسْرٌ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، فيمُرّونَ كَطَرْف البَصَر ، أَو كَلَمْحِ البَرْقِ ، أو كَمرّ الرِّيح ، أَوْ كَجِيَادِ الْخَيلِ ، أَوْ كَجِيادِ الرِّكَابِ ، أَوْ كَجِيَادِ الرِّجَالِ ، فَنَاجٍ سَالِمٌ ، ونَاجٍ مَخْدُوشٌ ، وَمَكْدُوسٌ(٢) على وَجْهِهِ في جَهَنَّم ، فَإِذَا أَفْضَى أَهْلُ الجَنَّةِ إلى الجنَّةِ ، حُبسوا دونها ، قالوا : مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَندْخُلَ الجَنَّةَ ؟ فيقولون : مَنْ أَحَقّ بِذَلِك مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ ، خَلَقه اللهُ بِيدِهِ ، وَنَفَخ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَكَلَّمَهُ قِبَلاً ، فيأْتُونَ آدمَ ، فيُطلَبُ ذَلِك إليه ، فَيَذْكُرُ ذَنْباً وَيقُولُ : ما أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِنُوحٍ ، فإِنه أول رُسُلِ اللهِ ، فَيُؤتَى نُوحٌ ، فيُطْلَبُ ذَلِكَ إلَيْهِ ، فيذْكرُ ذَنْباً ، ويقول : ما أنا بِصَاحِب ذَلِك ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبرَاهِيمَ ، فيأتون إبراهيم فَيَطْلُبونَ ذَلِك إلَيْه ، فيَذْكر ذَنْباً ، ويقول : ما أنا بِصَاحِبِكُمْ ، ولكن عَلَيْكُمْ بِمُوسَى ، فيأتون موسى فَيذْكُرُ ذَنْباً ، وَيقُول : ما أنا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ عليكُمْ بِرُوحِ اللهِ وَكَلِمتهِ عيسَى ابْن مَرْيَم ، فيأتون عيسى فيطلبون ذلك إلَيْهِ ، فيقول : ما أنا بِصَاحِبِ ذَلِك ، وَلَكِنْ عَلَيكُمْ بِمُحَمّدٍ ﷺ » قال رسول الله ﷺ : « فَيأْتُونِي وَلي عِنْد رَبيِّ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ وَعَدنِيهِنَّ ، فأنطَلِقُ فآتي الجَنَّةَ ، فآخُذُ بَحلْقَةِ الباب ، فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيُفْتَحُ لِي ، فأُحَيَّا ، وَيُرَحَّبُ بِي ، فإذا دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَنَظَرْتُ إلى رَبِّي عَزّ وَجَلَّ خَرَرْتُ لَهُ سَاجِداً ، فَيأْذَنُ اللهُ لي مِنْ حَمْدِهِ وَتَمْجيدِهِ بشَيْءٍ ما أَذِنَ به لأَحدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، ثُمَّ يقول الله لي : ارْفَعْ رأسَك يا مُحَمّد ، وَاشْفَعْ تُشفَّع ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، فإذا رَفَعْتُ رَأْسي قال الله وهو أعلم : مَا شَأْنُكَ ؟ فأقول : يا ربِّ ، وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ ، فشَفِّعني في أهل الجَنَّةِ يَدْخُلون الجَنَّةَ ، فيقول الله عز وجل : قَدْ شَفَّعْتُك ، وَأَذِنْتُ لَهُم في دخول الجنة » فكان رسول الله ﷺ يقول : « والذي بعثني بالحَقّ ما أَنْتُمْ في الدُّنيَا بأَعْرَفَ بأَزْواجِكُمْ وَمساكِنكُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ بِأَزْوَاجِهِمْ وَمسَاكِنِهِمْ ، فَيدْخُلُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ علـى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً ، سبعين مِمَّا يُنْشِئُ اللهُ ، وَثِنْتَيْنِ آدَمِيَّتَيْنِ مِنْ بَنَاتِ آدَم ، لَهُمَا فَضْلٌ على مَنْ أَنْشأ اللهُ ، بِعِبَادَتِهما اللهَ في الدُّنْيَا ، يَدْخُلُ على الأولى منهما في غُرْفَةٍ مِنْ ياقُوتَةٍ ، على سَرِير مِنْ ذَهَب مُكَلَّلٍ باللُّؤْلُؤ ، عَلَيْهِ سَبْعُونَ زَوْجاً من سُنْدُسٍ ، وَإِسْتَبْرقٍ ، وَإِنَّه لَيَضَع يَدَهُ بَيْن كَتفيها ، ثُمّ يَنْظُرُ إلى يده مِنْ صَدْرِهَا مِنْ وَراءِ ثِيَابِهَا ، وَجِلْدِهَا ، ولَحمِها ، وَإِنّه لَيَنْظُرُ إلى مُخّ ساقها كما يَنْظُر أَحدُكُمْ إلى السِّلْكِ في قَصَبَةِ اليَاقُوتَةِ ، كَبِدُه لَهَا مِرْآةٌ ، وَكَبِدُهَا لَهُ مِرْآةٌ ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهَا لاَ يَملُّهَا وَلاَ تَملُّه ، لاَ يَأْتِيهَا مَرَّةً إلاَّ وَجَدَهَا عَذْرَاءَ مَا يَفْتُرُ ذَكَرُهُ ، وَلا يَشْتَكِي قُبُلُهَا ، إلاّ أَنَّهُ لاَ مَنِيّ وَلا مَنِيَّة ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِك إِذْ نُودِي : إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لا تَملُّ ، وَلاَ تُملّ ، إلاّ أَنّ لَكَ أَزْواجاً غَيْرَها ، فَيَخْرُجُ فَيأْتِيهِنَّ وَاحِدَةً ، وَاحِدَةً ، كلّما جَاءَ

---

(١) صياصي البقر ، أي قرونها واحدتها صيصِيَة . « النهاية » (٣/ ٦٧) .
(٢) أي مدفوع .

وَاحِدَةً قالت : واللهِ ما في الجَنَّةِ شيء أَحْسَنُ مِنْكَ ، وَما في الجَنَّةِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ » .

قال : « وإذا وَقَعَ أَهْلُ النَّار في النار ، وقد وقَعَ فِيهَا خَلْقٌ كثير مِنْ خَلْقِ رَبِّكَ أَوْبَقَتْهم أعْمالُهُمْ ، فمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذه النار إلى قَدَمَيْهِ لاَ تُجَاوِزُ ذَلِكَ ، ومِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إلَى حَقْوَيْهِ ، ومِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ جَسَدَهُ كُلَّهُ إلاّ وَجْهَهُ ، وحَرَّمَ اللهُ صُورَتَهُ على النار » قال رسول الله ﷺ : فأقول : يا رَبِّ ، شَفِّعنِي فِي مَنْ وَقَعَ فِي النَّارِ مِنْ أُمَّتِي ، فيقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلّ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَيَخْرُجُ أولئَكَ حَتى لاَ يَبْقَى مِنْهُمْ أحد ، ثم يَأْذَنُ اللهُ في الشَّفاعة ، فلا يَبْقَى نَبِيٌّ ، ولا شَهِيدٌ ، إلاّ شُفِّعَ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزّ وَجلّ : أَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ زِنَةَ الدِّينَارِ إيمَاناً ، فَيَخْرُجُ أولئِكَ حَتّى لاَ يَبْقَى مِنْهُمْ أحَدٌ ، ثُمَّ يَشْفَعُ من شاء اللهُ فيقول : أَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبِه إيماناً ثُلُثَيْ دِينَارٍ ، ونصف دينار ، وثُلُثَ دِينَارٍ ، وربع دينار ، ثم يقول : وَسُدُسَ دينَارٍ ، ثمّ يقولُ : وقيراطاً . ثم يقول : حَبّةً مِنْ خردَل ، فَيَخْرُجُ أولئكَ حَتّى لا يَبْقى مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وحَتّى لا يَبْقى فِي النَّارِ مَنْ عَملِ لله خَيْراً قَطّ ، وحَتَّى لاَ يَبْقَى أحَدٌ لَهُ شَفَاعَةٌ إلاّ شُفِّعَ ، حَتّى إنّ إبليس لَيَتَطَاوَلُ لِمَا يَرَى مِنْ رَحْمَةِ اللهِ سبحانه ، رجاء أَنْ يُشْفَعَ لَه ، ثمّ يقول الله عَزَّ وجَلّ : بَقِيتُ أنا ، وأَنَا أَرْحَمُ الرّاحِمين ، فَيُدْخلُ اللهُ يَدَهُ فِي جَهَنّمَ ، فَيُخْرِجُ مِنْها مَا لاَ يُحْصِيهِ غَيْرُهُ ، كأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُحْتَرِقٌ ، فَيَبُثُّهم اللهُ على نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ : نَهْرُ الحَيَوان ، فَيَنْبُتُونَ كمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ[1] فِي حَمِيلِ[2] السَّيْلِ ، فمَا يَلِي الشمس مِنْها أُخَيْضِرٌ ، ومَا يلي الظِّل مِنها أُصَيْفِرٌ ، فيَنْبُتون نَباتَ الطَّرَاثِيثِ ، حَتّى يكُونوا أمْثالَ الدَّرْمَكِ[3] ، مكْتوبٌ فِي رِقَابِهِمْ : الجَهَنَّمِيُّونَ ، عُتَقاءُ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجلّ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنّة بذلك الكتاب ، ما عملوا خَيْراً قط ، فيبقون في الجَنَّة » .

فذِكره إلى هُنَا كانَ في أصْل أبي بَكْر بن المقرئ ، عن أبي يَعْلَى ، رحمه الله تعالى ، هذا حديث مشهور ، رواه جماعة من الأئمة في كتبهم ، كابن جرير في « تفسيره » ، والطبرانيّ في « الطِّوالات » ، وغيرها ، والبيهقيّ في كتاب « البَعْث والنشور » ، والحافظ أبي موسى المدينيّ في « الطِّوالات » أيضاً ، من طرق متعدّدة ، عن إسماعيل بن رافع قاصّ أَهْلِ المدينَةِ ، وقد تُكلِّم فيه بسببه ، وفي بعض سياقاته نَكَارَةٌ ، واختلاف ، وقد بَيَّنتُ طُرقَه في جُزْءٍ مُفْرَدٍ .

قلت : وإسماعيل بن رافع المديني ليس من الوضّاعين ، وكأنّه جمع هذا الحديث من طرق ، وأماكن متفرّقة ، وساقه سياقةً واحدةً ، فكان يقصُّ به على أَهْلِ المدينة ، وقد حضره جماعةٌ من أعيان الناس في عصره ، ورواه عنه جماعة من الكبار ، كأبي عاصم النّبيل ، والوليد بن مُسلم ، ومكي بن

(١) الحِبَّة ، بكسر الحاء : بزر ما لا يقتات ، مثل بزور الرياحين .
(٢) الحميل : ما يحمله السيل من الطين ونحوه .
(٣) الدرمك : الدقيق الأبيض ، وهو لباب الدقيق . وكل ما بُيِّض من طعام .

إبراهيم ، ومحمد بن شُعَيب بن شابور ، وعَبْدَةَ بنِ سلَيْمانَ ، وغيرِهم ، واختلف عليه فيه قتادَةُ ، يقول : عن محمّد بن [يزيد بن أبي] زياد ، عن محمد بن كعب ، عن رجلٍ ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، وتارة يُسْقِطُ الرَّجُل .

وقد رواه إسحاق بن رَاهَوَيهِ ، عن عَبْدَةَ بنِ سُلَيْمانَ ، عن إسماعيل بن رافع ، عن محمد بن يزيد ابن أبي زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ . ومنهم من أسقط الرجُلَ الأول .

قال شيخنا الحافظُ المِزِّيّ : وهذا أقربُ ، قال : وقد رواه عن إسماعيل بن رافع الوليدُ بنُ مسلم ، وله عليه مُصَنَّف بَيّن شَواهِدَه من الأحاديث الصحيحة ، وقال الحافظ أبو موسى المدينيّ بعد إيراده له بتمامه : وهذا الحديثُ وإن كان في إسناده من تُكُلِّمَ فيه ، فعامّة ما فيه يُرْوَى مُفَرَّقاً بأسانيد ثَابتة ، ثم تَكَلَّم على غَرِيبه ، قلت : ونحنُ نَتكلّم عليه فصْلا فَصْلاً ، وبالله المُسْتَعانُ[١] :

فصل

فأما النَّفَخَاتُ في الصُّور ، فثلاث : نفخةُ الفزَع ، ثم نفخة الصَّعْقِ ، ثم نَفْخَة البَعْث ، كما تقدّم بيانُ ذلك في حديث الصُّور بطوله .

وقد قال مسلم في « صحيحه » : حدّثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بَيْن النَّفْخَتَيْن أربعون » قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال : أَبيتُ[٢] ، قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أَبَيْتُ ، قالوا : أربعون سَنَةً ؟ قال : أَبَيْتُ ، قال : « ثُمَّ يُنْزِلُ الله مِنَ السَّماءِ ماءً ، فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبتُ البَقْلُ » . قال : « وليس مِنَ الإنسان شَيْءٌ إلا يَبْلَى إلاّ عظماً واحداً ، وهو عَجْبُ الذنَبِ[٣] ومنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيامة » . ورواه البخاري من حديث الأعمش[٤] .

وحديثُ عجب الذَّنَب وأَنَّهُ لاَ يَبْلَى وأنّ الخَلق يَبْدَأ منه ، ومنه يركَّب يوم القيامة ، ثابتٌ من رواية أحمد ، عن عبد الرزّاق ، عن مَعْمَر ، عن هَمَّام ، عن أبي هريرة ، ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزّاق ، ورواه أحمد أيضاً عن يحيى القَطّان ، عن محمد بن عَجْلان ، [عن أبي الزِّناد] عن عبد الرحمن بن هُرْمُز الأعرج ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « كُلّ ابن آدَمَ يَبْلَى وَيَأْكُلُهُ

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأحاديث الطوال » (٤٨) والبيهقي في « البعث والنشور » (٦٦٩) وإسحاق بن راهويه في « مسنده » (٣٠٢٩ ـ المطالب العالية من النسخة المسندة) .

(٢) هي على تقدير محذوف : أي أَبَيْتُ أن أجزم أن المراد أربعون يوماً أو شهراً أو سنة .

(٣) وهو العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز . انظر « النهاية » (٣/ ١٨٤) .

(٤) رواه مسلم (٢٩٥٥) والبخاري (٤٨١٤) .

التُّرَابُ إلاّ عَجْبَ الذَّنَبِ ، منه خُلِقَ ، ومِنْهُ يُرَكَّب » . انفرد به أحمد ، وهو على شرط مسلم ، ورواه أحمد أيضاً ، من حديث إبراهيم[١] الهَجَرِيّ ، عن أبي عياض ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، بنحوه[٢] .

وقال أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لَهِيعَةَ ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي الهَيْثَم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ قال : « يأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الإنسان إلاّ عَجْبَ ذنبه » قيل : ومثلُ ما هو يا رسول الله ؟ قال : « مِثْلُ حَبَّة خَرْدَلٍ ، منه تَنْبتون »[٣] ، والمقصود هنا إنما هو ذِكر النَّفْخَتَيْنِ ، وأنّ بينهما أربعينَ : إمّا أربعين يوْماً ، أو شَهْراً ، أو سَنَةً ، وهاتان النفختان هما والله أعلمُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، ونَفْخَةُ القِيام للبَعْثِ والنشور ، بدليل إنزال الماء بينهما ، وذِكر عَجْبِ الذّنب الذي منه يُخْلَقُ الإنسان ، وفيه يُرَكّب عند بعثه يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون المراد منهما ما بين نفخة الفزع ونفخة الصَّعق ، وهو الذي يريد ذِكره في هذا المقام ، وعلى كلّ تقدير فلا بد من مدة بين نفختي الفزع ، والصعق .

وقد ذُكِر في حديث الصور أنه يكون فيها أمور عظام ، من ذلك زلزلة الأرض ، وارتجاجها ، ومَيَدَانِها بأهلها ، وتكفِّيها يميناً وشِمالاً ، قال الله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾ [الزلزلة : ١ ـ ٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ [الحج] .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ ﴾ الآيات كلها إلى قوله : ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦ ﴾ [الواقعة : ١ ـ ٥٦] .

ولما كانت هذه النفخة ـ أعني نفخة الفزَع ـ أولَ مبادئ القيامة ، كان اسم يوم القيامة صادقاً على ذلك كُلِّه ، كما ثبت في « صحيح البُخاري » عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُما فَلاَ يَتَبَايَعَانِه ، وَلاَ يَطْوِيَانِه ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقد انْصَرَف الرَّجُلَ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ ، فلاَ يَطْعَمُه ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقدْ رَفَع أُكْلَتَه إلى فيه فَلاَ يَطْعَمُها »[٤] ، وهذا إنما يتجه على ما قبل نفخة الفزع ، وعبَّر عن نفخة الفزع بأنها الساعة لمَّا كانت أول مبادئِها ، وتقدم في الحديث في صفة أهل آخر الزمان : أنهم شِرَارُ الناس ، وعليهم تقوم الساعة[٥] .

---

(١) في (م) : « بن هشيم » وفي (آ) : « أبي هشيم » وهما خطأ ، والصواب ما أثبته ، وهو إبراهيم بن مسلم الهجري ، لين الحديث ، لكن الحديث صحيح بطرقه .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٥ و٤٢٨ و٤٩٩) ومسلم رقم (٢٩٥٥) (١٤٣) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٨) وهو حديث حسن .
(٤) رواه البخاري (٦٥٠٦) .
(٥) رواه مسلم رقم (٢٩٤٩) .

وقد ذُكِر في حديث إسماعيل بن رافع في حديث الصُّور المتقدم : أن السماء تَنْشَقُّ فيما بين نفختي الفزع ، والصَّعْقِ ، وأن نُجُومَها تتناثرُ ، ويَخْسِفُ شَمْسُها وقَمَرُها ، والظاهر والله أعلم أن هذا إنما يكون بعد نفخة الصَّعْق حين ﴿ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم] وقال تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾ الآيات [الإنشقاق] وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة] .

وسيأتي تقرير هذا كُلِّه ، وأنه إنما يكون بعد نفخة الصَّعْق ، وأما زلزال الأرض وانشقاقها بسبب تلك الزلزلة وفِرارُ الناس إلى أقطارها وأرجائها ، فمُناسِبٌ أنه بَعْدَ نفخة الفزع ، وقبل الصَّعْق ، قال الله تعالى إخباراً عن مُؤمن آل فرعون أنه قال : ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ [غافر : ٣٢ ـ ٣٣] . وقال تعالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٣٣ ـ ٣٦] .

وقد تقدم الحديث في « مُسند أحمد » و« صحيح مُسلم » والسنن الأربعة ، عن أبي سَريحَةَ حُذَيْفَة بن أَسِيد أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ السَّاعةَ لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا عشر آياتٍ . . . » فذكرهُنَّ ، إلى أن قال : « وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُج من قعر عَدَن ، تسوقُ الناس إلى المَحْشر »[١] وهذه النار تسوق الموجودين في آخر الزمان في سائر أقطار الأرض إلى أرض الشام منها ، وهي بقعة المحشر والمنشر .

ذِكر أمر هذه النار وحشرها الناس إلى أرض الشام

ثبت في « الصحيحين » من حديث وهيب ، عن عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُحْشَر الناس على ثلاثِ طرائقَ : راغبينَ ، ورَاهبينَ ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير [وأربعةٌ على بعيرٍ] وعشرةٌ على بعير ، وتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قالوا ، وتبيتُ مَعَهمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْث أَصْبَحُوا ، وتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا »[٢] .

وروى أحمد عن عفان، عن حماد، عن ثابت، عن أنس : أن عبد الله بن سَلَام سأل رسولَ الله ﷺ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/٤) ومسلم (٢٩٠١) وأبو داود (٤٣١١) والترمذي (٢١٨٣) والنسائي في « الكبرى » (١١٤٨٢) وابن ماجه (٤٠٤١) .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٥٢٢) ومسلم رقم (٢٨٦١) .

عن أول أشراط السَّاعَةِ ؟ فقال : « نارٌ تَحْشُرُ النَّاس منَ الْمشرِق إلى المَغْرِب . . . » الحديث بطوله ، وهو في « الصحيح »[١] .

وروى الإمامُ أحمد ، عن حسن ، وعفّان ، عن حمّاد بن سَلَمة ، عن علي بن زيد ، عن أوس بن خالد ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْم القِيَامةِ ثلاثة أصنافٍ ، صِنْفٌ مُشَاةٌ ، وصِنْفٌ رُكْبَانٌ ، وصِنْفٌ على وُجُوهِهِمْ » قالوا : يا رسول الله ، وَكَيْفَ يَمْشُون على وجُوهِهم ؟ قال : « إنّ الذي أَمْشاهُمْ على أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ على أَنْ يُمْشِيَهُمْ على وُجُوهِهِمْ ، أَمَا إنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهم كُلَّ حَدَبٍ وشوكٍ » .

وقد رواه أبو داود الطَّيالِسيّ في « مُسنده » ، عن حماد بن سَلمةَ ، بنحوٍ من هذا السياق[٢] .

وقال الإمامُ أحمد : حدثنا عبد الرَّزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن قَتَادةَ ، عن شَهْرِ بن حَوْشَب ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّها ستكُونُ هِجْرَةٌ بعد هجرة ، يَنْحَازُ النَّاس إلى مُهَاجَرِ إبراهيم ، لَا يَبْقَى في الأرض إلاّ شِرَارُ أَهْلِهَا ، تَلفظُهُم أَرَضُوهُمْ ، وتَقْذَرُهُم نَفْسُ الرحمن ، تَحْشُرُهُم النَّارُ مَعَ القِردَةِ والخَنازِيرِ ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إذَا باتوا ، وتَقيل معهم إذا قَالُوا ، وتَأْكُلُ مَنْ تخلّف » ورواه الطبرانيّ من حديث المُهَلّب بن أبي صُفْرَةَ ، عن عبد الله بن عمرو ، بنحوه[٣] .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقيّ في كتابه « البعث والنُّشور » : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عُبَيد الله الحُـرْفي بِبَغْدَادَ ، حدّثنا أبو الحسن علي بن محمد بن الزبير القُرَشِيّ ، حدثنا الحسن بن علي بن عفان ، حدثنا زيد بن الحباب ، أخبرني الوليد بن جُمَيع القرشي . ح وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العبّاس محمد بن أحمد المحبوبيّ ، حدّثنا سعيد بن مسعود ، حدّثنا يزيدُ بن هارون ، أخبرنا الوليدُ بن عبد الله بن جُمَيْع ، عن أبي الطُّفَيْل ، عامر بن واثِلَةَ ، عن أبي سريحَةَ حُذَيْفَةَ بن أَسِيد الغفـاريّ ، سمعت أبا ذر الغفـاري رضي الله عنه وتلا هذه الآية ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء : ٩٧] فقال أبو ذرّ : حدّثني الصادق المصدوق ﷺ : « إنّ الناسَ يُحْشَرُون يوم القيامة على ثلاثة أَفْواجٍ ، فوج طاعِمِين كاسِين راكبِين ، وفوج يَمْشُونَ وَيسْعَوْن ، وفوج تَسْحَبُهُم الملائكةُ على وُجوههم » قلنا : قد عرفنا هذين ، فما بال الذين يمشون وَيسْعَوْن ؟ قال : « يُلْقِي اللهُ الآفَـةَ على الظَّهْر[٤] حَتّى لاَ يَبْقَى ذَاتُ ظَهْرٍ ، حتّى إن الرَّجُلَ

(١) رواه أحمد في المسند ٣/ ٢٧١) والبخاري (٣٣٢٩) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٤) وأبو داود الطيالسي في « مسنده » (٢٥٦٦) وهو حديث حسن .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/١٩٨ ـ ١٩٩) ، وهو في « جامع معمر » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٧٩٠) وإسناده ضعيف ، ولبعضه شواهد .
(٤) أي الإبل التي يحمل عليها وتركب .

لِيُعْطِي الحديقَةَ المُعْجِبَةَ بالشارف[١] ذاتِ القَتَبِ » لفظ الحاكم .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون ، ولم يذكر تلاوة أبي ذرّ للآية ، وزاد في آخره : « فلا يقدر عليها »[٢] .

وفي « مسند الإمام أحمد » من حديث بَهْز ، وغيره ، عن أبيه حكيم بن معاوية ، عن جدّه معاوية بن حَيْدة القُشَيْرِيّ ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تُحْشَرُونَ هاهُنَا » وأومأ بِيَده إلى نَحْو الشام « مشاةً ورُكْبَاناً ، وتُجَرّونَ على وجوهكم ، وتُعْرَضُون على الله تعالى وعلى أفواهكم الفِدَام[٣] فأوّلُ ما يُعْرِبُ عن أحدكم فَخِذهُ وكفُّه » . وقد رواه الترمذي ، عن أحمد بن مَنِيع ، عن يزيد بن هارون ، عن بَهْزِ بن حَكِيم ، عن أبيه ، عن جدّه بنحوه ، وقال : حسن صحيح[٤] .

وقال أحمد : ثنا عثمانُ بن عمرَ ، ثنا عبد الحميد بن جعفر ، قال : ثنا أبو جعفر محمد بن عليٍّ ، عن رافع بن بِشْرٍ السَّلَمِيِّ ، عن أبيهِ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ حِبْسِ سَيَلٍ[٥] تَسِيرُ سَيْرَ مَطِيَّةِ الإبلِ[٦] ، تَسِيرُ النَّهارَ وتُقِيمُ اللَّيْلَ ، تَغْدُو وَتَرُوحُ ، يُقَالُ : غَدَتِ النَّارُ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَاغْدُوا ، قَالَتِ النَّارُ ، يا أَيُّهَا النَّاسُ فَقِيلُوا ، رَاحَتِ النَّارُ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَرُوحُوا ، مَنْ أَدْرَكَتْهُ أَكَلَتْهُ » . تفرد به . ورواه أبو نُعَيْمٍ في ترجمةِ بِشْرٍ أبي رافعٍ السَّلَمِيِّ ، وفيه : « تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الإبلِ بِبُصْرَى »[٧] .

فهذه السياقاتُ تدلّ على أن هذا الحشر هو حشرُ الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى مَحلّة المَحْشر ، وهي أرضُ الشام ، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة ، فقسمٌ طاعمين كاسين راكبين ، وقسم يمشون تارةً ويركبون أخرى ، وهم يَعْتَقِبُون[٨] على البعير الواحد ، كما تقدّم في « الصحيحين » : « اثنانِ على بعير ، وثلاثةٌ على بعير » إلى أن قال : « وعَشَرةٌ على بعير ، يَعْتَقِبُونَه مِن قِلّة الظَّهر » كما تقدّم في الحديث ، وكما جاء مفسّراً في الحديث الآخر : « وتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النارُ » . وهي التي تخرج من قَعْرِ عدَنَ ، فتُحيط بالناس من ورائهم ، تسوقهم من كلّ جانب ، إلى أرض المحشر ، ومن تخلّف منهم أَكَلَتْهُ النار .

---

(١) أي الناقة المسنة .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣٦٧) وأحمد في المسند (٥/ ١٦٤ ـ ١٦٥) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٣) أي تسكت ألسنتهم ، وتنطق أعضاؤهم .

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣) والترمذي رقم (٢٤٢٤) وهو حديث حسن .

(٥) في الأصل : حبشي سيل ، وهو خطأ . وحِبْس سيل ، اسم موضع .

(٦) في مسند أحمد : تسير سَيْرَ بطيئة الإبل .

(٧) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٤٣) وهو حديث حسن .

(٨) أي يركبونه بالتعاقب ، هذا يعقب هذا ، وهذا يعقب هذا ، أي بعده .

وهذا كلّه مما يدل على أن هذا إنما يكون في آخر الزمان آخرِ الدنيا ، حيثُ يكون الأكلُ والشربُ والركوبُ موجوداً والمشترى وغيرُه ، وحيثُ تُهْلِكُ المُتخلّفين منهم النارُ ، ولو كان هذا بعد نفخة البعث ، لم يبق موتٌ ، ولا ظَهْرٌ يُشْتَرى ، ولا أكلٌ ، ولا شُرْبٌ ، ولا لُبْس في العَرَصَاتِ ، والعجبُ كلُّ العجَبِ أن الحافظ أبا بكر البيهقيّ بعدَ روايته لأكثر هذه الأحاديث ، حمَلَ هذا الركوب على أنّه يوم القيامة ، وصحّح ذلك ، وضعّف ما قلناه ، واستدلّ على ما قاله بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم] .

وكيف يصحّ ما ادّعاه في تفسير الآية بالحديث ، وفيه أنّ : منهم اثنان على بعير ، وثلاثةٌ على بعير ، وعشرة على بعير ، وقد جاء التصريح بأن ذلك من قلة الظهر ، هذا لا يلتئم مع هذا ، والله أعلم ، فإنَّ نَجائِبَ المتقين من الجنَّةِ يركَبُها المتقون إذا خرجوا من قبورهم إلى العَرَصات ، ومن العرصات إلى الجَنّات ، على غير هذه الصفة ، كما سيأتي تقريرُ ذلك في موضعه .

فأما الحديث الآخر الوارد من طرق أُخَر ، عن جماعة من الصحابة ، منهم ابن عباس وابن مسعود وعائشة ، وغيرهم : « إنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إلى الله حُفَاةً عُراةً غُرْلاً ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] »[١] فذلك حَشْرٌ غيرُ هذا ، ذاك في يوم القيامة بَعْد نَفْخَة البَعْث ، يوم يقوم الناسُ من قبورهم حُفَاةً عُراةً غُرْلاً ، أي غير مُخْتَتَنينَ ، وكذلك حَشْرُ الكافِرين إلَى جهنَّم وِرْداً ، أي عِطَاشاً .

وقوله تعـالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء] ، فذلك يحصل لهم حين يُؤمر بهم إلى النار من مقام المَحْشَرِ ، كما سيأتي بيان ذلك كلِّه في مواضعه ، إن شاء الله تعالى .

وقد ذُكِر في حديث الصُّور : أنّ الأَمْواتَ لا يَشْعُرونُ بشيْءٍ مِمّا يقَعَ من ذلك بسبب نَفْخةِ الفَزَع ، وأنّ الذين استثنى اللهُ تعالى ، إنما هُم الشهداء ، لأنّهم أحياءٌ عِند رَبّهم يُرزَقُون ، فهم يشعرون بذلك ولاَ يفْزَعُون منها ، وكذلك لا يصْعَقُون بسبب نَفْخَة الصَّعْق .

وقد اختلف المفسرون في المستثْنَيْنَ منها على أقوال : أحدها هذا كما جاء مُصَرّحاً به فيه ، وقيل : بل هم جبريلُ ، وميكائيلُ ، وإسرافيل ، وَمَلَكُ الموت ، وقيل : وحَمَلةُ العَرْش أيضاً ، وقيل غير ذلك ، فالله أعلم .

وقد ذكر في حديث الصُّورِ ، أنّه يَطُولُ على أهل الدنيا مُدَّةُ ما بين نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، وهم يشاهدون تلك الأهوال ، والأمور العظام .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٢٦) ومسلم رقم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس . والبخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩) من حديث عائشة .

نفخة الصَّعق

يموت بسببها جميع الموجودين من أهل السموات والأرض ، من الإنس ، والجِنّ ، والملائكة ، إلاّ مَنْ شاء الله ، فقيل : هم حَمَلةُ العرش ، وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملَك الموت ، وقيل : هم الشهداء ، وقيل غير ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر : ٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة : ١٣ ـ ١٨] وتقدّم في حديث الصُّور أنّ الله تعالى يأمر إسرافيل فيقول له : انفُخْ نَفْخَةَ الصَّعْقِ ، فينفُخ ، فيَصْعَقُ من في السموات والأرض إلاّ من شاء اللهُ ، فيقول الله تعالى لملَك الموت ، وهو أعلم بمن بَقِيَ : فمن بقي ؟ فيقول : بقيتَ أنتَ الحَيّ الذي لا يموت ، وبَقِيَتْ حَملةُ عَرْشِك ، وبقي جبريلُ وميكائيل ، فيأمره الله بقبض روح جبريل وميكائيل ، ثم يأمره بقبض أرواح حملة العرش ، ثم يأمره أن يموت ، وهو آخِرُ من يموت من الخلائق .

وقد تقدم ما رواه ابنُ أبي الدُّنْيا من طريق إسماعيل بن رافع ، عن محمد بن كعب ، من قوله فيما بلغه ، وعنه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن الله تعالى يقول لملَك الموت : أنتَ خَلْقٌ من خلقي ، خلقتك لِمَا رأيتَ ، فمُتْ ، ثم لا تَحْيَا . وقال محمد بن كعب فيما بلغه : فيقول له : مُتْ مَوْتاً لا تَحيا بعده أبداً ، فيَصْرُخ عند ذلك صَرْخَةً لَوْ سَمِعَها أَهْلُ السموات والأرض لمَاتُوا فزَعاً . قال الحافظ أبو موسى المديني : لم يُتابَع إسماعيل بن رافع على هذه اللفظة ، ولم يَقُلْها أكثر الرواة .

قلت : وقد قال بعضُهم في معنى هذا : مُت موتاً لا تحيا بعده أبداً ، يعني : لا تكون بعد هذا مَلَكَ مَوْتٍ أبداً ، لأنّه لا موتَ بَعد هذا اليوم ، كما ثبت في « الصحيح » : « يُؤْتَى بالْمَوْتِ يَوم القِيامة في صورة كَبْشٍ أَمْلَحَ ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الجَنّةِ والنّارِ ، ثم يقال : يا أَهْل النّارِ خُلُودٌ ولاَ مَوْت ، ويا أَهْلَ الْجَنّة خُلُودٌ وَلاَ موت »[(١)] ، فمَلَك الموت وإن حَيِيَ بعد ذلك لا يكون مَلَكَ موْتٍ بعدَها أبداً ، والله أعلم ، بل ينشئه الله خلقاً آخر غير ذلك كالملائكة .

وبتقدير صحة هذا اللفظ عن النبيّ ﷺ فظاهر ذلك أنه لا يَحْيا بعدَ موته أبداً ، فيكون التأويل المتقدم بعيدَ الصحة ، والله أعلم .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٤٨) ومسلم (٢٨٥٠) .

فصــل

قال في حديث الصور : فإذَا لم يبقَ إلا اللهُ الواحد الأحدُ الفردُ الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحَدٌ ، كان آخِراً كما كان أوّلاً ، طَوَى السموات والأرض ، كَطَّي السِّجِلِّ لِلْكتاب ، ثم دَحَاهُما ، ثم تَلَقَّفَهُمَا ثلاثَ مَرّاتٍ ، وقال : أنا الجبّار ، ثلاثاً ، ثم يُنادِي : لِمَن المُلكُ اليَوْمَ ؟ ثلاث مرات ، فلا يُجيبه أحد ، ثم يقول تعالى مُجيباً لِنَفْسِه : لله الواحدِ القَهّار .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ للكتاب[1] كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء] وقال تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر] .

وثَبت في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « يَقْبِضُ اللهُ تعالى الأرْضَ ، ويطْوِي السَّماءَ بيمينِه ، ثم يقول : أنا المَلِكُ ، أنَا الجَبّار ، أيْنَ مُلُوكُ الأرض ؟ أيْنَ الجَبّارُونَ ؟ أيْنَ المُتكَبِّرُونَ »[2] .

وفيهما ، عن ابن عمر : أنّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « إنّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيامةِ الأرَضِينَ ، وَتكُونُ السَّمواتُ بِيَمينِه ثُمَّ يَقُولُ : أنَا المَلِكُ »[3] .

وفي « مُسند الإمام أحمد » ، و« صحيح مسلم » ، من حديث عُبَيْد الله بن مِقْسَم ، عن ابن عمر : أنّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذاتَ يَوْم على المِنْبر : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر] . ورسول الله ﷺ يقول هكذا بِيَدِهِ ، يُحَرِّكُها ، يُقْبِلُ بِها وَيُدْبِرُ : « يُمَجِّدُ الرَّبُّ سُبحانَه نَفْسَه : أنَا الجَبّارُ ، أنا المُتَكَبِّرُ أنا الملك ، أنا العزيزُ ، أنا الكريم » فرجف برسول الله ﷺ المنبرُ حتى قُلْنَا : لَيَخِرَّنَّ به . وهذا لفظ أحمد[4] وقد ذكرنا الأحاديث المتعلّقة بهذا المقام عند تفسير هذه الآية من كتابنا « التفسير » ، بأسانيدها وألفاظها بما فيه كفاية ولله الحمد .

---

(١) قرأها « للكتب » أي بالجمع ، حفص وحمزة والكسائي وخلف . وقرأها بقية العشرة بالإفراد « للكتاب » .
(٢) رواه البخاري (٦٥١٩) ومسلم (٢٧٨٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٧٤١٢) وسيأتي من رواية مسلم في الحديث التالي .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٧٢) ومسلم (٢٧٨٨) .

فصل

قال في حديث الصُّور : « وَيُبدِّلُ اللهُ الأَرْضَ غَيْرَ الأَرْضِ فَيَبْسُطُها ، وَيسْطَحُها ، وَيمُدُّها مدّ الأديم العُكَاظِيّ . . . » إلى آخر الكلام كما تقدم . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم] .

وفي « صحيح مسلم » عن عائشة رضي الله عنها قالت : إنّ رسول الله سُئِل : أينَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْم تُبَدَّلُ الأَرْضُ والسموات ؟ فقال : « هم في الظُّلْمةِ دون الجسر »[١] ، وقد يكون المراد بذلك تبديلٌ آخرُ غيرُ هذا المذكور في هذا الحديث ، وهو أن تُبدَّلَ مَعَالمُ الأرض فيما بين النفختين ، نفخةِ الصَّعْقِ ، وَنفْخةِ البَعْث ، فتسِيرُ الجبال وتُمَدُّ الأَرْضُ ، وَيبْقى الجميعُ صَعِيداً واحِداً لا اعْوجَاج فِيهِ ولا روَابِيَ ولا أوْدِيَة ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه] أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع . وقال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] وقال تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النبأ] وقال تعالى : ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ [القارعة] وقال تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ ﴾ [الحاقة] وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الكهف] .

فصل

قال في حديث الصور : « ثم يُنْزِلُ اللهُ مِنْ تَحتِ العَرْشِ ماءً ، فتُمْطِر السَّماءُ أربعينَ يَوْماً حَتّى يكون الماءُ فَوْقَكُمْ اثْنَي عَشَر ذِرَاعاً ، ثمّ يأمر الله الأجسادَ أنْ تَنْبُتَ كَنبَاتِ الطَّرَاثيثِ ، وهي صِغَارُ القِثّاء ، أو كَنبَاتِ البَقْل » .

وتقدّم في الحديث الذي رواه الإمامُ أحمدُ ومسلم : « ثم يُرسل مطراً كأنَّه الطَّلُّ ، أو الظِّلّ ، فتنبتُ مِنْهُ أجساد الناسِ ، ثم يُنْفَخُ فيه أخرى ، فإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُون ، ثم يقال : يا أيُّها الناسُ هَلُمُّوا إلى ربكم . . . » إلى آخر الحديث ، وقد تقدم بطوله من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص[٢] .

وروى مسلم عن أَبي كُرَيْب ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . . . وذكر الحديث ، ثم قال في الثالثة بعد قوله : أبيتُ ، قال : « ثمّ يُنْزِلُ الله مِنَ السَّماءِ مَاءً

---

(١) هذا اللفظ في مسلم (٣١٥) من حديث ثوبان ، ورواه مسلم (٢٧٩١) بنحوه من حديث عائشة بلفظ « على الصراط » .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/١٦٦) ومسلم رقم (٢٩٤٠) .

فَتَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ » قال : « وليس من الإنسان شيءٌ إلاّ يَبْلَى ، إلاّ عَظْماً واحِداً ، وهو عَجْب الذَّنَبِ ، ومنه يُرَكَّب الخَلْق يَوم القيامة » . وقد تقدم هذا الحديث من رواية البخاري ومسلم ، وليس عند البخاري ما ذكرنا من هذه الزيادة ، وهي ذكر نزول الماء . . . إلى آخره[١] .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنْيا في كتاب « أهوال يوم القيامة » : حدّثنا أبو عمّار الحسين بن حُرَيْث المَرْوَزِيّ ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، حدّثني أُبيّ بن كَعْبٍ قال : سِتُّ آياتٍ قَبْل يَوْمِ القيامةِ : بينَما الناسُ في أَسْوَاقِهِمْ إذ ذهب ضوءُ الشمس ، فبينما هم كذلك إذْ وقعت الجبالُ على وَجْه الأرض ، فتحرَّكَتْ ، واضْطَرَبَتْ ، واختلطت ، وفَزِعَتِ الجِنّ إلى الإِنْس ، والإنس إلى الجِنّ ، واخْتَلَطَتِ الدّوابُّ والطير والوَحْشُ ، فماجوا بعضُهم في بعض ، ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ ﴾ [التكوير] قال : انْطَلَقَتْ ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ ﴾ [التكوير] قال : أهملها أهْلُها ، ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾ [التكوير] قال الجنُّ للإنس : نحنُ نأتيكم بالخَبر ، فانطلقوا إلى البَحْر ، فإذَا هو نَارٌ تَأَجَّجُ ، فبينما هُمْ كذلك إذ تَصَدَّعَتِ الأَرْضُ صَدْعَةً وَاحِدةً ، إلى الأرْض السابعة السُّفْلَى ، وإلى السَّماءِ السابعة العُلْيَا ، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم رِيحٌ فأمَاتَتْهُمْ[٢] .

وقال ابن أبي الدّنيا : حدّثنا هارون بن عُمَر القُرَشِيّ ، حدثنا الوليد بن مُسْلم ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن عطاء بن يزيد السَّكْسَكِيّ ، قال : يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً بَعْدَ قَبْض عِيسَى ابن مَرْيم ، عليه الصلاة والسلام ، وعند دُنُوٍّ من الساعة ، فتَقْبضُ روح كُلّ مُؤْمِن وَمُؤْمِنَةٍ ، ويَبقى شِرارُ النَّاسِ يَتهَارَجُونَ تَهَارُجَ الحُمُر ، عليهم تقوم الساعة ، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله على أهل الأرض الخوف ، فتَرْجُفُ بهم أقدامُهم ومساكنُهم ، فتخرجُ الجِنّ والإنس والشياطينُ إلى سِيفِ[٣] البَحْرِ ، فيمكثون كذلك ما شاء اللهُ ، ثم تقول الجِنُّ والشياطين : هَلُمَّ نلتمس المَخْرَج ، فيأتون خَافِقَ المَغْرِب[٤] ، فيَجِدُونَه قَدْ سُدَّ ، وعليه الحَفَظَةُ ، ثم يرجعون إلى الناس ، فبينما هُمْ على ذلك ، إذ أَشْرَفَتْ عليهم الساعةُ ، ويسمعون مُنادِياً يُنادِي : يا أيُّها الناسُ ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] قال : فما المرأةُ بأشَدّ استماعاً من الوليد في حَجْرِها ، ثمّ يُنْفَخُ في الصُّورِ فيَصْعَقُ مَنْ فِي السّموات ، ومن في الأرض ، إلاّ من شاء الله[٥] .

وقال أيضاً : حدّثنا هارون بن سفيان ، حدّثنا محمد بن عمر ، حدّثنا معاوية بن صالح ، عن

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥) .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٣) وفي إسناده ضعف .
(٣) أي ساحِله .
(٤) أي منتهى جهته .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٦) .

عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَير ، عن أبيه ، عن فضالة بن عُبَيد ، عن النبيّ ﷺ . ح وحدّثنا هِشامُ بن سَعْد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن ابن حُجَيْرَة ، عن عُقْبَة بن عامر ، عن النبيّ ﷺ قال : « تَطْلُعُ الساعةُ عليكم سحابةً سوداءَ مثلَ التُّرْسِ من قِبَل المَغْرِب ، فما تزال ترتفع وترتفع ، حتى تملأ السمـاء ، ويُنادي منادٍ : أيُّها الناسُ ، إنّ أَمْرَ اللهِ قد أتى ، فوالذي نفسي بيَدِه ، إنّ الرجلين لَيَنْشُرانِ الثَّوْبَ فَمَا يَطْوِيانه ، وإنّ الرَّجلَ لَيَلُوطُ حَوْضَه فما يَشْرَب منه ، وإنّ الرَّجُلَ ليَحْلِبُ لِقْحَتَهُ ، فما يَشْرَبُ مِنْها شَيْئاً »(١) .

وقال محارب بن دِثَار : وإنَّ الطَّيْر يَوْمَ القِيامَةِ لَتَضْرِبُ بأَذْنَابِها ، وتَرْمِي بما في حَواصِلها من هول ما تَرى ، ليس عندها طَلِبَةٌ . رواه ابن أبي الدُّنْيَا في « الأهوال »(٢) .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا الحسن بن يحيى العَبْدِيّ ، حدّثنا عبد الرزّاق ، حدّثنا عبد الله بن بَحِير ، سمعت عبد الرحمن بن يزيد الصَّنْعانِيّ ، سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَرّه أَنْ يَنْظُرَ إلى يَوْم القيامة رأي العين فلْيقْرأْ : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ » . ورواه أحمدُ ، والترمذيّ ، من حديث عبد الله بن بَحير(٣) .

نفخة البعث

قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزمر : ٦٨ ـ ٧٠] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النبأ : ١٨ ـ ٢٠] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الإسراء : ٥٢] . وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ [النازعات : ١٣ ـ ١٤] . وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يس : ٥١ ـ ٥٤] .

وذُكِرَ في حديث الصُّورِ بعد نَفْخَةِ الصَّعق ، وفناء الخلق، وبقاء الحَيّ القَيّوم الذي لا يموتُ، الذي

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٥) وفي سنده ضعف ، ولبعضه شواهد .
(٢) هو في « الأهوال » (٣٩) .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٩) وأحمد في المسند (٢/ ٢٧) والترمذي رقم (٣٣٣٣) وهو حديث حسن .

كان قبل كلِّ شيء ، وهو الآخِرُ بَعْدَ كلّ شيء ، وأنّهُ يُبَدِّل السموات والأرضَ بين النفختين ، ثم يأمر بإنزال الماء على الأرض ، الذي تُخْلَق منه الأجساد في قبورها ، وتتركب في أجداثها ، كما كانت في حياتها ، في هذه الدنيا ، ثم يدعو اللهُ بالأَرْواحِ فيُؤْتَى بِهَا ، تَتَوَهَّجُ أرواحُ المُؤْمنين نُوراً ، والأُخْرى ظُلْمةً ، فتوضع في الصُّور ، ويَأْمُرُ الله تعالى إسرافيلَ أَنْ يَنْفُخَ نَفْخَةَ البَعْثِ ، فَتَخْرجُ الأَرْواحُ كأنّها النَّحْلُ ، قد مَلأَتْ ما بَيْن السَّماءِ وَالأَرضِ ، فتدخل كل روح على جسدها التي كانت فيه في هذه الدار ، فتمشي الأرواح في الأجساد مَشْيَ السُّم في اللَّدِيغ ، ثمّ تنشق الأرضُ عنهم ، كما تنشق عن نباتها ، فيخْرجُونَ مِنها سِراعاً إِلَى رَبِّهِمْ ينْسِلُون ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [القمر] حُفاةً عُراةً غُرْلاً .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ . . . ﴾ إلى آخر السورة [المعارج] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ . . . ﴾ إلى آخر السورة [ق : ٤١ ـ ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [القمر] وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [المدثر] وقال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه] وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [نوح] .

إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على البعث والنشور .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدثنا [حمزة بن العباس] ، حدّثنا عبد الله بن عثمان ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا سفيان ، عن سَلمةَ بن كُهَيْل ، عن أبي الزَّعْراء ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : يُرْسِلُ الله قبل يوم القيامة ريحاً فِيهَا صِرٌّ[1] بارِدَةً وزَمْهَرِيراً بارداً ، فلا تذَرُ على الأرض مُؤْمِناً إلاّ كُفِتَ بتلْكَ الريح ، ثم تقوم الساعةُ على الناس ، فيقوم ملَكٌ بَيْن السَّماء والأَرضِ بالصُّور ، فينفخُ فيه ، فلا يبقى خلق في السماء والأرض إلاّ مات ، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون ، فيُرسل الله ماءً من تحت العَرْش فَتنبُتُ جُسْمَانُهم ولُحْمانُهمْ من ذلك الماء ، كما تَنْبُت الأرض من الثَّرَى ، ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر] ثم يقوم ملَك بين السماء والأرض بالصُّور ، فينفخُ فيه ، فَتنْطَلِقُ كُلُّ نَفْس إلى جَسَدها ، فتَدْخُل فِيهِ ، وَيقُومُونَ ، فيجيئون قياماً لربّ العَالمِينَ[2] .

وعن وهب بن منبه ، قال : يَبْلَوْنَ في القُبور ، فإذَا سَمِعُوا الصَّرْخَةَ عادتِ الأرواحُ في الأبدان ،

---

(١) الصِّرُّ : البرد .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٨٢) .

والمفاصلُ بعضها إلى بعض ، فإذا سمعوا الصرخة الثانية وثب القومُ قياماً على أرْجُلِهِم ، يَنْفُضُون التُّرابَ عن رؤوسهم ، يقول المؤمنون : سُبْحَانَك ما عَبَدْناك حَقَّ عِبَادَتِكَ(١) .

ذكر أحاديث في البعث

قال سفيان الثوريّ ، عن سلمة بن كُهَيْل ، عن أبي الزَّعْراء ، عن عبد الله قال : يُرْسِلُ الله رِيحاً فِيهَا صِرٌّ باردةً ، وزمهَرِيراً بَارِدَةً ، فلا يبقى على الأرض مُؤْمِنٌ إلاّ كُفِتَ(٢) بِتلكَ الرِّيح ، ثم تقوم الساعة . . . وذكر الحديث كما تقدم في المقال قبله .

وقال ابن أبي الدُّنيا : أخبرنا أبو خيثمة ، حدثنا يزيدُ بن هارون ، حدثنا حمّاد بنُ سَلمة ، عن يعلى ابن عطاء ، عن وَكِيع بن عُدُس ، عن عمه أبي رَزِين ، قال : قلت : يا رسول الله ، كيف يُحْيي اللهُ المَوْتى ؟ وما آيةُ ذلك في خَلْقه ؟ قال : « يا أبا رَزِين ، أَمَا مَرَرتَ ، بِوَادِي أَهْلِكَ مَحْلاً(٣) ثُمّ مَرَرْتَ بِهِ يهْتَزّ خَضِراً ؟» قلت : بَلَى ، قال : « فكذلك يُحْيي اللهُ المَوْتَى ، وذلك آيتُه في خَلْقِه » .

وقد رواه أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، وغُنْدَر ، كلاهما عن شُعْبَةَ ، عن يعلى بن عطاء ، به نحوه ، أو مثْلَه(٤) .

وقد رواه أحمد من وجه آخر ، فقال : حَدّثنا عليّ بن إسحاق ، حدثنا عبد الله بن المُبارك ، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن سليمان بن موسى ، عن أبي رَزِين العُقَيْلِيّ ، قال : أَتَيْتُ رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، كَيْفَ يُحْيِي الله المَوْتَى ؟ قال : « أَمَرَرْتَ بأَرْضٍ مِنْ أرْضِكَ مُجْدِبَةً ، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهَا مُخْصِبةً ؟ » قال : قلت : نعم ، قال : « كذلك النُّشُور » ، وقال : قلت : يا رسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : « أَنْ تَشْهَد أنْ لاَ إلـه إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، وأن يكون اللهُ ورسولُه أحَبَّ إلَيْكَ مما سِواهُمَا ، وَأَنْ تُحْرَق بالنار أحَبُّ إلَيْكَ مِنْ أَنْ تُشْرِكَ باللهِ ، وأنْ تُحِبَّ غَيْر ذِي نَسَب لا تُحِبُّه إلا لله عزّ وجَلّ ، فإذا كنتَ كذَلِك ، فَقْد دَخَل حُبُّ الإيمانِ في قَلْبِك ، كما دَخَل حُبُّ المَاءِ قلبَ الظمآن في الْيَوْمِ القَائِظِ » . قلت : يا رسول الله ، كيف لي بأن أعلمَ أَنِّي مُؤمن ؟ قال : « ما من أَمّتي أو هذه الأمة عبدٌ يَعْمَلُ حَسَنَةً ، فيَعْلَمُ أنّها حَسَنةٌ ، وأن الله عز وجل جازيه بها خيراً ، ولاَ يعْمَلُ سَيِّئَةً فَيعْلَم أنّها سَيِّئة ، ويستغفر الله عز وجل منها ، وَيعلَم أنّه لاَ يغْفِرُ إلاّ هُوَ ، إلا وَهُوَ مؤْمِن » تفرّد به أحمد(٥) .

---

(١) « الأهوال » (٨٥) .

(٢) أي ضُم في بطن الأرض بتلك الريح . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ أي ضامة ، تضم الأحياء على ظهورها ، والأموات في بطنها .

(٣) أي جَدْباً .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٨٣) وأحمد في المسند (٤/ ١٢) وإسناده ضعيف .

(٥) رواه أحمد في المسند (٤/ ١١ ـ ١٢) وإسناده ضعيف .

حديث أبي رزين في البعث والنشور

أخبرني شيخُنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المِزّيّ، تغمّده الله برحمته ، وغيرُ واحدٍ من المشايخ ، قراءةً عليهم وأنا أسمع ، قالوا : أخبرنا فخرُ الدين عليّ بن عبد الواحد ، ابن البخاريّ ، وغيرُ واحدٍ ، قالوا : أخبرنا حنبل بن عبد الله المكبِّر ، أخبرنا أبو القاسم هبةُ الله بن الحُصَين الشيبانيّ ، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي ابن المُذْهِب التميميّ ، أخبرنا أبو بكر ، أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعيّ ، أخبرنا عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في « مُسند أبيه » ، قال : كتب إليّ إبراهيمُ بنُ حمزة بن محمد بن حمزة بن مُصْعَب بن الزُّبَيْر الزُّبَيْرِيّ : كتبتُ إلَيكَ بهذا الحديث ، وقد عَرَضْتُهُ ، وسمعته على ما كتبتُ به إليكَ ، فحدِّث بذلك عنِّي ، قال : حدثني عبد الرحمن بن المُغيرة الحِزامي ، قال : حدّثني عبد الرحمن بن عيّاش السَّمعي الأنصارِيّ القُبَائِيّ ، من بني عمرو بن عَوف ، عن دَلْهَم بنِ الأَسْوَدِ بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المُنْتَفِق العُقَيْلِيّ ، عن أبيه ، عن عمّه لَقِيطِ بن عامر ، قال دَلْهَم : وحدّثنيه أبي الأسودُ ، عن عاصم بن لَقِيط ، أنّ لَقِيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحبٌ له ، يقال له : نَهِيك بن عاصم بن مالك بن المُنْتَفِق ، قال لقيط : فخرجتُ أنا وصاحبي حتّى قَدِمْنا على رسول الله ﷺ [لانسلاخ رجب ، فأتينا رسول الله ﷺ فوافيناه][1] حين انصرف من صلاة الغَدَاةِ ، فقام في الناس خطيباً فقال : « أيُّها الناس ، ألاَ إني قَدْ خَبأْتُ لَكُمْ صَوْتِي منذ أَرْبعَةِ أيام ، ألاَ لأُسمِعَنَّكُمْ ، ألاَ فَهَلْ مِن امْرِئٍ بعَثَهُ قَوْمُه ؟ » فقالوا : اعلمْ لَنَا ما يَقُولُ رسول الله ﷺ ، « ألاَ ثُمَّ لعلّه أن يُلْهِيَهُ حَدِيثُ نَفْسِه ، أو حديث صَاحِبه ، أو يُلْهيه الضّلال ، ألاَ إني مسؤول : هلْ بَلَّغْتَ ؟ ألا اسْمَعُوا تعيشوا ، ألاَ اجْلِسُوا ، ألاَ اجْلسُوا » ، قال : فجلس الناس ، وقُمْتُ أنا وصاحبي ، حتّى إذَا فَرَغ لنَا فُؤادُه وبَصَرُه . قلت : يا رسول الله ، ما عِنْدَكَ مِنْ عِلْم الغَيْبِ ؟ فضحك لَعَمْرُ الله ، وهَزّ رَأْسَهُ ، وعلم أني أبْتَغي لِسَقْطِهِ ، فقال : « ضَنَّ رَبُّك عز وجل بمفاتيح خَمْسٍ مِنَ الغَيْب ، لاَ يَعْلَمُها إلاّ اللهُ » ، وأشار بيَدِهِ ، قلت : وما هن ؟ قال : « عِلْمُ المَنيَّةِ ، قد علم متى مَنِيَّةُ أحدكم ، ولا تعلمونه ، وعِلمُ المنيّ حِينَ يكونُ في الرَّحِم قَدْ علِمَه ولا تعلمون ، وعِلمُ ما في غد وما أنت طَاعِمٌ غداً ، ولا تعلمه ، وعِلْمُ يومِ الغَيْثِ يُشْرِفُ عليكم آزِلِينَ[2] مُسنتين ، فَيَظَلُّ يَضْحَك قد علم أنّ غَيْرَكُم[3] إلى قَرِيبٍ » .

قال لقيط : قلت : لن نَعْدَمَ من ربٍّ يَضْحَكُ خيراً ، « وعِلْمُ يَوْم الساعة » . قلت : يا رسول الله ، عَلِّمْنَا مِمّا تُعَلِّم الناسَ ، وَمَا تَعْلَم ، فإنّا مِنْ قَبِيلٍ لاَ يُصَدِّقُونَ تصديقنا أَحَدٌ مِنْ مَذْحِجٍ التي

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من « مسند الإمام أحمد » .

(٢) آزلين ، أي في شدةٍ وضيق . ومُسنتين : أي أصابتهم السنة وهو القحط .

(٣) أي غيثكم وسقياكم بالمطر .

تربو[(١)] عَلَيْنَا ، وَخَثْعَم التي تُوالينا[(٢)] ، وَعَشِيرَتِنا التي نَحْنُ منها ، قال : « تَلْبَثُونَ ما لَبِثْتُمْ ثم يُتوفى نَبِيّكم ، ثم تَلْبَثُونَ ما لَبِثْتُم ، ثم تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ ، لَعَمْرُ إلـٰهِكَ ما تَدَعُ على ظَهْرِهَا مِنْ شَيْءٍ إلاّ ماتَ ، والملائكةُ الذين مع ربك عز وجل ، فأصبَحَ رَبُّكَ عز وجل يطوف في البلاد وخَلَتْ عَلَيْه البلاد ، فأرسلَ ربُّك عز وجل السماءَ ، تَهْضِبُ[(٣)] مِنْ عِنْد العرش ، فلَعَمْرُ إلـٰهك ما تدعُ على ظهرها من مَصْرَعِ قتيل ، ولا مَدْفَنِ مَيِّت إلاّ شَقَّت القَبْر عنهُ حَتّى تُخْلِفَه[(٤)] مِنْ عند رأسه ، فيستوي جالساً ، يقول ربك : مَهْيَمْ[(٥)] لما كان فيه ، فيقول : يا رب ، أمسِ ، اليومَ ، فلِعهده بالحياة يَحْسَبُه حَدِيثاً بأهْلِه » ، فقلت : يا رسول الله كيف يَجْمَعُنا بعد ما تُمَزِّقُنا الرياحُ ، والبِلَى ، والسِّباعُ ؟ قال : « أُنبِّئُك بمثل ذلك في آلاء الله ، الأَرْضُ أَشْرَفْتَ عَلَيْها وهي مَدَرةٌ[(٦)] باليةٌ ، فقلت : لا تحيا أبداً ، ثم أرسل ربك عز وجل عليها السماء ، فلم تَلْبَثْ عليك إلاّ أياماً حَتّى أَشْرَفْتَ عَلْيها ، وهي شَربة واحدة ، ولعمر إلـٰهك لَهُو أَقْدَرُ على أَنْ يَجْمَعكُمْ من الماء ، على أن يجمع نبات الأرض ، فتخرجون من الأَصْوَاءِ[(٧)] ومِن مصارعكم ، فتنظرون إليه ، ويَنْظُرُ إليكم » .

قال : قلت : يا رسول الله ، كيف ونحن مِلْءُ الأرض ، وهو شخص واحد يَنْظُر إلينا ، ونَنْظُر إلَيْه ؟ قال : « أنبّئك بمثل ذلك في آلاء الله عز وجل ؟ الشمس ، والقمر ، آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعةً واحدةً ، لا تضامون[(٨)] في رؤيتهما ، ولعمر إلـٰهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما » ، قال : قلت : يا رسول الله ، فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه ؟ قال : « تُعْرَضُون عليه باديةً له صَفَحَاتكُمْ ، لا تَخْفَى عليه منكم خافية ، فيأْخُذُ ربُّك عز وجل بيده غَرْفةً من الماءِ ، فيَنْضَحُ قَبِيلَكُمْ بها ، فلعَمْرُ إلـٰهك ما تُخطئ وَجْهَ أحدكم منها قطرة ، فأما المؤمن فتَدَعُ وَجْهَهُ ، مِثْل الرَّيْطَةِ[(٩)] البَيْضاءِ ، وأما الكافِرُ فتَخْطِمُه[(١٠)] بمثل الحُمَم[(١١)] الأسود ، أَلا ثُمَّ ينصرف نَبِيُّكم ، وينصرف الصالحون على أَثَرِه ، فتسلكون جِسْراً من النار ، فيَطَأُ أَحَدُكُم الجَمْرَ ويقول : حَسّ[(١٢)] فيقول ربك عز وجل : أَوَانُهُ .

---

(١) أي ترتفع .
(٢) أي تجاورنا .
(٣) أي تمطر .
(٤) أي تحييه .
(٥) كلمة استفهام ، معناها : ما حالك وما شأنك .
(٦) المدرة : قطعة الحجر .
(٧) أي القبور .
(٨) أي لا يحصل لكم ضيم .
(٩) كل ملاءة غير ذات لِفقَيْنِ .
(١٠) أي تصيب أنفه .
(١١) في « مسند الإمام أحمد » : « بمثل الحميم » والحمم : مفردها الحممة ، وهي الفحمة . « النهاية » (١/ ٤٤٤) .
(١٢) حَسّ : صوت التوجع من ألم الجمرة حين وطئها .

[ألا] فتَطَّلِعُون(١) على حَوْض الرسول على أظمإٍ - والله - ناهِلةٍ(٢) قطُّ رأيتها ، فلعَمْرُ إلـهك ما يَبْسطُ واحدٌ مِنْكُم يَدَه إلا وقع عليها قَدَحٌ يُطهِّرُهُ مِنَ الطَّوْف(٣) والبَوْل والأذى ، وتُحْبَسُ الشَّمْسُ والقَمَرُ ولا ترون منهما واحداً » ، قال : قلت : يا رسول الله ، فبم نُبْصِر ؟ قال : « بمثلِ بصركَ ساعتَك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقَتْ فِيه الأرْضُ وواجَهَتْه الجبَالُ » .

قال : قلت : يا رسول الله ، فبم نُجْزَى مِنْ سيئاتِنا ، وحَسنَاتِنا ؟ قال : « الحَسَنَةُ بعَشر أمثالها ، والسيئةُ بمثلها ، إلا أنْ يَعْفُوَ » قال : قلت : يا رسول الله ، ما الجنة ؟ وما النار ؟ قال : « لَعَمْرُ إلـهك إن للنار لَسَبْعَةَ أبواب ، ما مِنْهن بابان إلا يَسِيرُ الراكب بينهما سبعين عاماً ، وإن للجنة لثمانية أبواب ، ما مِنْهُنَّ بَابَان إلا يسيرُ الراكب بينهما سبْعين عاماً » ، قال : قلت : يا رسول الله ، فعلامَ نطَّلِع من الجَنّة ؟ قال : « على أنْهارٍ منْ عَسَلٍ مُصَفّى ، وَأَنْهارٍ مِنْ كَأْسٍ ما بِهَا مِنْ صُدَاعٍ ، وَلا نَدامَةٍ ، وأنهارٍ من لَبَن لم يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وفاكهةٍ لَعَمْرُ إلـهك ما تَعْلَمُون ، وَخَيْرٍ مِنْ مِثْلِهِ مَعَه ، وَأَزْوَاجٍ مُطَهَّرَةٍ » قلت : يا رسول الله ، ولنا فيها أزواج ؟ أوَ مِنْهُنّ مُصْلِحَاتٌ ، قال : « الصالحاتُ للصالحين ، تَلَذُّونَهُن مِثْل لَذَّاتِكُمْ في الدُّنيا وَيَلْذَذْن بكم ، غير أنْ لا توالُدَ » .

قال لقيط : فقلت : يا رسول الله أقصى ما نحنُ بالغونَ ومُنْتهون إليه ؟ فلم يجبه النبيُّ ﷺ قلت : يا رسول الله ، علامَ أُبَايِعُكَ ؟ فبسط رسول الله ﷺ يده ، وقال : « على إقام الصَّلاة ، وإيتاءِ الزَّكاة ، وزِيالِ المشْرِكِ(٤) ، وألاّ تُشْرِك بالله غيرَه » .

قال : قالت : وإنَّ لَنَا مَا بَيْنَ المشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ؟ فقبض النبي ﷺ يده وبسط أصابعه ، وظَنّ أنِّي مُشْترط شيئاً لا يُعْطِينِيهِ ، قال : قلت : نَحِلُّ مِنْها حَيْثُ شِئْنا ، ولا يجْني على امْرِئٍ إلا نَفْسُهُ ، فبسط يده وقال : « ذلك لك ، تَحِلّ حَيْثُ شِئْتَ ، ولا يَجْنِي عَليكَ إلاَّ نَفْسُك » ، قال : فانصرفنا ، فقال : « إنَّ هذين لَعَمْرُ إلـهك مِنْ أتقى الناس في الأولى والأخرى » ، فقال له كعبُ بنُ الخُداريَّة ، أحدُ بني بَكْر بن كِلاب : مَنْ هم يا رسول الله ؟ قال : « بنو المنتفق أهل ذلك » قال : فانصرفنا ، وأقبلتُ عليه ، فقلت : « يا رسول الله ، هل لأحَدٍ مِمَّن مضى خيرٌ في جَاهِلِيَّتِهمْ ؟ » .

قال : فقال رجل من عُرْضِ(٥) قرَيْشٍ : والله إن أباك المنتفق لفِي النارِ ، قال : فلكأنَّهُ وقع حَرٌّ بَيْن جِلْدِي وَوَجْهِي ولَحْمِي مما قال لأبي على رؤوس الناس ، فهَمَمْتُ أن أقول : وأبوك يا رسول الله ، ثم إذا الأخرى أجْمَلُ ، فقلت : يا رسول الله ، وأهلك ؟ قال : « وأهلي ، لَعَمْرُ الله ما أَتَيْتَ عليه من قَبْر

---

(١) ما بين الحاصرتين مستدرك من « مسند الإمام أحمد » لإكمال معنى الكلام .
(٢) الناهلة : الذاهبة إلى المنهل للشرب .
(٣) أي من الخائط .
(٤) أي مفارقته .
(٥) أي من عامة قريش ، وليس من خاصتهم .

عامِريّ ، أو قُرَشيّ من مُشركٍ ، فَقُلْ : أرْسَلنِي إلَيْك مُحَمد فأُبَشِّرُك بما يَسُوءُك : تُجَرّ على وجهك وبَطْنِك في النّار » .

قال : قلت : يا رسول الله ، ما فَعل بهم ذلك ؟ وقد كانوا على عَمَلٍ لا يُحْسِنُون إلاّ إيّاه ، وقد كانوا يحسَبون أنهم مصلِحون ؟ قال : « ذلك بأن الله بعث في آخر كل سَبْع أممٍ » يعني نبيّاً « فمن عصى نَبِيَّه كان من الضالِّين ، ومن أطاع نبيَّه كان من الْمُهتدين » .

وقد رواه أبو داود في رواية أبي سعيد بن الأعرابي ، عن أبي داود ، عن الحسن بن علي ، عن إبراهيم بن حمزة ، به ، قال شيخنا : لعله من زيادات ابن الأعرابي[1] .

وقال الوليد بن مسلم وقد جمع أحاديثَ وآثاراً في مجلد تشهد لحديث الصور في مُتَفَرّقاته : أخبرنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ ﴾ [ق] قال : ملَك قائم على صخرة بيت المقدس ، ينادي : أيّتُها العظامُ البالية ، والأوصال المُتَقَطِّعة ، إنّ الله يَأْمُرُكُنَّ أن تَجْتَمعن لفَصْل القَضاءِ .

وبه عن قتادة قال : لا يُفَتَّرُ عن أهل القبور عَذابُ القَبْر إلا فيما بَيْنَ نفخة الصعق ، ونفخة البعث ، فلذلك يقول الكافر حين يُبعثُ : ﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾ يعني تلك الفترة ، فيقول له المؤمن : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس][2] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني علي بن الحسين بن أبي مريم ، عن محمد بن الحسين ، حدثني صَدَقةُ بن بكر السعدي ، حدثني معدي بن سُلَيمان ، قال : كان أبو مُحَلِّم[3] الجَسْري يجتمع إليه إخوانُه ، وكان حكيماً ، وكان إذا تلا هذه الآية : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس] بكى ، ثم قال : إن في القيامة لمعاريض ، صفة ذهبت فظاعَتُها بأوهام العقول ، أما والله لَئِن كان القومُ في رَقْدَةٍ مثل ظاهرِ قولهم ، لمَا دَعَوْا بالوَيْل عند أول وَهْلَةٍ مِنْ بَعْثِهِم ، ولم يُوقَفوا بَعْدُ مَوْقِف عَرْضٍ ، ولا مُسَاءَلَةٍ ، إلاّ وَقَدْ عَايَنُوا خَطراً عَظِيماً ، وحُقِّقت عليهم القيامة بالجلائل من أمرها ، ولَئِنْ كانُوا في طُوْل الإقامةِ في البَرْزَخ كانوا يَألَمُونَ وَيُعَذَّبون في قبورهم ، فما دَعَوْا بالويل عند انقطاع ذلك عنهم إلا وقد نُقِلُوا إلى طَامَّةٍ هي أعظمُ مِنْه ، ولولا أن الأمر على ذلك ، لما استصغر القوم ما كانوا فيه فسَمَّوهُ رُقاداً ، بالنسبة

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/١٣ ـ ١٤) وأبو داود رقم (٦٢٦٦) وهو حديث ضعيف مسلسل بالمجاهيل بطوله، ولبعضه شواهد .

(٢) « الأهوال » (٨٩) .

(٣) في الأصول : أبو محكم ، وهو خطأ .

إلى ما يستقبلون من أهوال يوم القيامة ، كما يقال : هذا الشيء عند هذا الشيء رقاداً ، وإن كان في الأول شدائد وأهوال ، لكنَّه بالنسبة إلى ما هو أشد منه وأدهى وأمرُّ كأنه رقاد ، وإن في القرآن لَدلِيلاً على ذلك ، حين يقول : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النازعات] قال : ثم يَبْكي حتى يَبلّ لِحْيَتَه[١] .

وقال الوليد بن مسلم : حدثني عبد الله بن العلاء ، حدثني بُسر بن عُبيد الله الحَضْرمي : سمعت أبا إدريس الْخَولَانِيَّ يقول : اجتمع الناسُ إلى سائحٍ بينَ العراق والشام في الجاهِلِيَّة ، فقام فيهم ، فقال : أيُّها الناسُ ، إنكم مَيّتون ثم مَبْعوثون إلى الإدانة والحساب ، فقام رجل ، فقال : والله لقد رأيتُ رجُلاً لا يَبْعَثُه اللهُ أبداً ، رأيته وقع عن راحِلَتِه في مَوْسمٍ من مواسم العرب ، فَوطِئَتْهُ الإبلُ بأَخْفَافها ، والدَّوابُّ بحوَافرِها ، والرجّالَةُ بأرْجُلِها ، حتى رمَّ فلم يبق منه أُنْمُلَةٌ ، فقال السائح : بَيْد أنّك من قوم سَخِيفةٍ أحلامُهم ، ضعيفٍ يقينُهم ، قليلٍ عِلْمُهُمْ ، لو أَنَّ الضَّبُعَ بَيَّتت[٢] تلك الرِّمةَ فأكلتها ، ثم ثلطتْهَا[٣] ثم غدت عليه الناب[٤] فأَكَلَتْهُ وَبَعَرَتْهُ ، ثم غدت عليه الجَلَّالَةُ فالْتَقطته ، ثم أَوقَدَتْه تَحتَ قِدْرِ أَهْلِهَا ، ثم نَسَفَتِ الرِّياحُ رَمَادَهُ ، لأَمرَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً أَنْ يَرُدَّهُ فَرَدَّهُ ، ثم بعثه الله للإدانة والثواب[٥] .

وقال الوليد بن مسلم : حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ؛ أن شيخاً من شيوخ الجاهلية القُسَاةِ قال : يا محمد ، ثَلَاثٌ بَلَغني أَنَّكَ تَقُولُهنّ ، لا يَنْبغي لذي عَقل أنْ يُصَدِّقك فِيهِنَّ ؛ بلغني أنك تقولُ : إن العربَ تاركةٌ ما كانت تَعْبُدُ هي وآباؤها ، وإنا سنظهر على كُنوز كِسْرَى وقَيْصَرَ ، وإنَّا سَنُبْعَثُ بَعْدَ أَنْ نَرِمَّ ، فقال رسول الله ﷺ : « أَجَل ، والذي نَفْسي بيده ، لَتَترُكَنَّ العربُ ما كانت تَعْبُد هي وآباؤُهَا ، وَلَتَظهَرنّ على كُنُوزِ كِسْرَى وَقَيْصَر ، وَلَتَموُتنّ ثم لتُبْعثَنّ ، ثُمّ لآخُذَنَّ بِيَدِكَ يَوْمَ القِيَامة فلأذَكِّرَنَّكَ مَقَالَتكَ هَذه » قال : وَلا تَضِلَّنِي في الْمَوتَى ، وَلاَ تَنْسَانِي ؟ قال : « ولا أَضِلُّكَ في الْمَوتَى ، ولا أَنْساكَ » قال : فبقي ذلك الشيخُ حتى قُبِضَ رسولُ الله ﷺ ، ورأى ظهور المسلمين على كنوز كِسْرى وقَيْصر ، فأسْلم ، وحَسُن إسلامُه ، وكان كثيـراً ما يسمع عُمَـرُ بنُ الخَطَّاب رضي الله عنه نحيبه وبكاءه في مسجدِ رسول الله ﷺ ، لإعظامه ما كان واجهَ به رسول الله ﷺ ، وكان عُمر يأتيه ، وَيُسَكِّن منه ،ويقول له : قد أسلمتَ، ووعدكَ رسول الله ﷺ أن يأخذ بيدك ، ولا يأخذ رسول الله ﷺ بيد أحدٍ إلا أفْلَح وسعد إن شاءَ الله[٦] .

---

(١) رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في « الأهوال » (٨٨) .
(٢) أي أتت عليها ليلاً .
(٣) أي أخرجتها غائطاً بعد هضمها .
(٤) الناقة الهرمة التي طال نابها .
(٥) « الأهوال » (٩٢) .
(٦) « الأهوال » (٩١) وهو مرسل .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدثنا فُضَيْل بن عبد الوهاب ، أخبرنا هُشَيم ، عن أبي بِشْر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : جاء العاصُ بنُ وائلٍ إلى رسول الله ﷺ بِعَظْمٍ حَائِلٍ[١] ، ففتَّهُ ، وقال : يا محمد ، أيبْعَثُ اللهُ هذا ؟ قال : « نعم ، يُمِيتُك اللهُ ، ثُمَّ يُحْيِيك ، ثُمَّ يُدْخِلُك نار جهَنَّمَ » فنزلَتْ : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس][٢] .

وقال الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الواقعة : ٦٢] قال : خَلْقُ آدمَ وخَلْقكم ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الواقعة] قال : فهلاَّ تُصَدِّقون[٣] ؟

وعن أبي جعفر الباقر ، قال : كان يقال : عجباً لمن يكذِّب بالنشأة الآخرة ، وهو يرى النشأة الأولى ، يا عجباً كل العجب لِمَنْ يُكَذِّبُ بالنّشر بعد الموت ، وَهُو يُنشر في كل يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . رواه ابن أبي الدنيا[٤] .

وقال أبو العالية في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم : ٢٧] قال : إعادته أهْوَنُ عليه من ابتدائه ، وكُلٌّ عليه يسيرٌ . رواه ابن أبي الدُّنيا[٥] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزّاق ، حدّثنا مَعْمَر ، عن هَمّام بن مُنبِّه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : كَذَّبَنِي عَبْدِي ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمنِي ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِك ، أَمّا تَكْذِيبُه إيّايَ فَقولُه : لن يُعيدني كمَا بَدَأَني . وَأَمّا شَتْمُهُ إيّاي فقوله : اتَّخَذَ اللهُ وَلداً ، وأنا الأحَدُ الصَّمَدُ الّذِي لَم يلِد ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أَحَدٌ » وهو ثابت في « الصحيحين »[٦] .

وفيهما قصة الذي عهد إلى بنيه إذا مات أن يَحْرِقُوه ، ثم يَذْرُوا يوم ريح نِصْفَ رَمَادِهِ في البَرِّ ، وَنِصْفَهُ في البَحْرِ ، وقال : وَاللهِ لَئِن قَدَرَ اللهُ عَلَي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَاباً لاَ يُعَذِّبُه أحداً مِن العَالَمِين . وذلك أنه لم يَدَّخر له عند الله حَسَنةً واحدةً . فلَمّا مات فَعل به بَنُوهُ ما أمرهم به ، فأمر الله البَرَّ ، فجَمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، فإذا هو رجلٌ قائمٌ بين يدي ربِّه . فقال له : مَا حَملك

---

(١) بال رميم .

(٢) « الأهوال » (٩٠) والطبري مرسلاً ، ورواه الحاكم في المستدرك (٤٢٩/٢) من طريق هشيم به مسنداً وصححه.

(٣) « الأهوال » (٩٥) .

(٤) « الأهوال » (٩٦) .

(٥) « الأهوال » (٩٧) .

(٦) رواه أحمد في المسند (٣١٧/٢) والبخاري رقم (٤٩٧٥) .

على هذا ؟ قال : خشْيَتُك وَأَنْتَ أعْلَمُ . قال رسول الله ﷺ : « فما تَلَافاهُ أَنْ غَفَرَ لَه[١] »[٢] .

وعن صالح المُرِّي قال : دَخَلتُ المقابرَ نِصْفَ النهار ، فنظرتُ إلى القبور كأنَّهُمْ قوم صُمُوتٌ . فقلت : سُبحانَ مَنْ يُحْيِيكُم وَيَنْشُركُمْ مِنْ بَعْد طُول البِلَى ، فهَتفَ بي هاتفٌ من بَعْضِ تِلكَ الحُفَرِ : يا صالح ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الروم] قال : فخَرَرْتُ وَاللهِ مَغْشِيّاً عَلَيّ .

ذكر أسماء يوم القيامة

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي في كتاب « العاقبة » : يوم القيامة ، وما أدراك ما يومُ القيامة ؟ يَومُ الحَسْرةِ والندامة ، يوم يَجد كُل عَاملٍ عَمَلَهُ أمامهُ ، يوم الدَّمْدَمةِ ، يوم الزّلزلة ، يَوْمُ الصاعقة ، يوم الواقعة ، يوم الرَّاجفة ، يوم الواجفة ، يوم الرَّادفة ، يوم الغاشية ، يوم الدَّاهية ، يوم الآزفة ، يوم الحاقة ، يوم الطامة ، يَوْمُ الصاخّة ، يوم التَّلاق ، يوم الفراق ، يوم المساق ، يوم الإشفاق ، يوم الإشتاق ، يوم القِصَاص ، يوم لاتَ حينَ مَناصٍ ، يوم التَّنادِ ، يوم الأَشْهاد ، يوم المَعادِ ، يوم المِرْصادِ ، يوم المساءلة ، يومُ المناقشة ، يوم الحساب ، يوم المآب ، يوم العذاب ، يوم الثواب ، يوم الفرار لو وُجِدَ الفرار ، يوم القَرارِ إمّا في الجنة وإما في النار ، يومُ القضاء ، يوم الجزاء ، يوم البُكَاء ، يوم البَلاَء ، يوم تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً وتَسِيرُ الجِبَالُ سَيْراً ، يَومُ الحَشْرِ ، يومُ النّشر ، يوم الجَمْع ، يوم البَعْث ، يوم العَرْض ، يوم الوَزْن ، يومُ الحَقّ ، يومُ الحُكْم ، يوم الفَصْل ، يَومٌ عَقِيمٌ ، يوم عَسِيرٌ ، يَوْم قَمْطَرِير[٣] ، يَوْمٌ عَصِيبٌ ، يومُ النُّشور ، يومُ المَصِير ، يومُ الدِّين ، يومُ اليَقِين ، يومُ النَّفْخَةِ ، يومُ الصَّيْحَةِ ، يوم الرَّجْفَةِ ، يوم السَّكْرةِ ، يوم الرَّجَّة ، يَومُ الفَزَعِ ، يومُ الجَزَع ، يومُ القَلَق ، يومُ الفَرَق ، يوم العَرَق ، يَوْمُ الميقَاتِ ، يَوْم تَخْرُج الأمواتُ وَتَظْهَرُ العَوْرَاتُ ، يومُ الانْشِقَاقِ ، يومُ الانْكِدَارِ ، يومُ الانْفِطَار ، يومُ الانتشار ، يومُ الافْتِقار ، يوم الوقوف ، يومُ الخُروج ، يومُ الانْصِدَاع ، يومُ الانقطاع ، يومٌ معلومٌ ، يومٌ مَوْعُودٌ ، يَوْمٌ مَشْهُودٌ ، يَوْم تُبْلَى السرائر ، يوم يظهر ما في الضَّمائِر ، ﴿ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ [البقرة : ١٢٣] ، ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ [الانفطار : ١٩] يومٌ يُدْعَى فيه إلى النار ، يوم لا سجن إلا النار ، يَوْمٌ تَتَقَلَّبُ فيه القلوب والأبصار ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر] ، يوم تُقَلّب فيه الوجوهُ في النار ، يوم البُرُوزِ ، يومُ الورود ، يومُ الصُّدُور من القبور إلى الله ، يومُ لا يَنفَعُ مال ولا بنون ، يوم لا تنفع المعذرة ، يومٌ لا يُرتَجَى فِيه إلاَّ المَغْفرة .

---

(١) انظر ما قاله الحافظ ابن حجر حول معناه في « الفتح » (١١/ ٣١٥) .
(٢) رواه البخاري (٣٤٥٢) ومسلم (٢٧٥٦) .
(٣) القمطرير : الشديد .

قال : وأهولُ أسمائه ، وأبشع ألقابه : يومُ الخلود ، وما أدراك ما يومُ الخلود ، يوم لا انقطاع لِعقَابِه ، ولا يُكْشَفُ فيه عن كَافرٍ ما بِهِ ، فنعوذُ بالله ، ثم نعوذ بالله من غضبه وعقابه وبلائه ، وسوء قضائه ، برحمته وكرمه وجوده وإحسانه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ذكر أن يوم القيامة ، هو يوم النفخ في الصور

لبعث الأجساد من قبورها ، وأن ذلك يكون في يوم الجمعة

وقد ورد في ذلك أحاديث . قال الإمام مالك بن أنس ، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سَلَمَة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيه الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، فِيه خُلِقَ آدَمُ ، وفِيهِ أُهْبِطَ ، وفيه تِيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقومُ الساعة ، وما من دابّة إلاّ وهي مُصِيخَةٌ[١] يوم الجمعة من حين تُصبِحُ حتّى تَطْلُعَ الشمس ، شَفقاً مِنَ السَّاعَةِ ، إلاّ الجنّ ، والإنس ، وفيها ساعة لا يُصَادِفُها عَبْدٌ مسلم ، وهو يصَلّي يَسْألُ الله شيئاً إلاّ أعطاه إياه » . ورواه أبو داود واللفظ له ، والترمذيّ من حديث مالك ، وأخرجه النسائيّ عن قُتَيْبَةَ ، عن بكر بن مُضر ، عن ابن الهاد ، به نَحوه وهو أتمّ[٢] .

وقد روى الطبرانيُّ في « مُعْجَمه الكبير » من طريق آدم بن عليّ ، عن ابن عمر مرفوعاً : « ولا تَقُومُ الساعَةُ إلاّ في الأذانِ » قال الطبراني : يعني أذانَ الفَجْرِ يوم الجمعة .

وقال الإمام محمد بن إدريسَ الشافعيّ في « مُسْنَدِه » : حدّثنا إبراهيمُ بن محمد ، حدثني موسى بن عُبَيْدة ، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة ، عن عبيد الله بن عُمَيْر : أنّه سمع أنس بن مالك يقول: أتى جبريلُ بمرآةٍ بَيْضَاءَ فيها نُكْتَةٌ سوداء إلى النبيّ ﷺ، قال النبي: «ما هذه؟» قال: «هذه الجُمُعَة فُضِّلْتَ بِهَا أنْتَ وأُمَّتُكَ ، فالنَّاسُ لَكُمْ فِيهَا تَبَعٌ ، اليَهُودُ ، والنصارىٰ ، ولكم فيها خَيْرٌ ، وفيها ساعةٌ لا يُوافقُها عَبْدٌ مُؤْمِن يدعو الله بخَيرٍ إلا استُجيبَ له ، وهو عندنا يومُ المَزيد » . فقال النبي ﷺ : « يا جبريل وما يومُ المَزيد ؟ » فقال : « إنّ رَبَّك اتَّخذَ في الفِرْدَوْسِ وَادِياً أفْيَحَ[٣] فيه كثُبُ المِسْك ، فإذا كانَ يومُ الجُمعة أنْزَل اللهُ ما شَاءَ مِنْ الملائكة ، ونزل على كرسيِّه وحفَّ حَوْلَهُ مَنابرَ مِنْ نُورٍ ، عَليهَا مَقاعِدُ النّبيِّينَ ، وحَفَّ تِلْكَ المَنابِرَ بمَنابِرَ منْ ذهبٍ مُكَلَّلةٍ بالياقوتِ والزبرجد ، عليها الشُّهَدَاءُ ،

---

(١) أي مصغية مستمعة .

(٢) «الموطأ» (١٠٨/١) وأبو داود رقم (١٠٤٦) والترمذي (٤٩١) والنسائي (١١٣/٣ ـ ١١٥) وهو حديث صحيح .

(٣) أَفْيَح ، أي واسع .

والصِّدِّيقُونَ ، فجَلَسُوا مِنْ ورائهم ، على تلك الكُتُب ، فيقول الله تعالى : أنا رَبُّكُمْ ، قد صَدَقْتُكم وعدي ، فَسَلُوني أُعْطِكُمْ ، فيقولون : رَبّنا ، نسألك رِضوَانك ، فيقول : قد رَضيتُ عنكم ولكم عليّ ما تَمنَّيْتُمْ ، ولدَيَّ مَزِيدٌ ، فهمْ يُحِبُّونَ يومَ الجُمُعة لما يُعْطِيهِمْ فِيهِ رَبُّهُمْ من الخير ، وهو اليومُ الذي استوى فيه رَبُّكُم على العرْشِ ، وفيه خَلَقَ اللهُ آدمَ ، وفيه تقوم الساعة .

ثم رواه الشافعيّ عن إبراهيم بن محمد أيضاً : حدّثني أبو عِمْران إبراهيم بن الجَعْد ، عن أنس شبيهاً به ، قال : وزاد فيه أشياءَ ، قلت : وسيأتي ذِكرُ هذا الحديث إن شاء اللهُ تعالى في صِفَة الجَنَّةِ بِشَواهِده وأسانِيدِه ، وبالله المُسْتعَان(١) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدّثنا حُسَيْنُ بن علي الجُعْفِيّ ، عن عبد الرحمن بن يزيدَ بن جابر ، عن أبي الأشعث الصَّنْعانيّ ، عن أوس بن أوس الثّقَفيّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مِن أفضل أيّامكم يومُ الجمعة ، فيه خُلِقَ آدَمُ ، وفيه قُبِضَ ، وفيه النَّفْخَةُ ، وفيه الصَّعْقَةُ ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فإنّ صلاتكم مَعْروضَةٌ عليّ » فقالوا : يا رسول الله ، وكيف تُعْرَض عليك صلاتنا وقد أرَمْتَ ـ يعني بَليتَ ـ؟ قال : « إنَّ الله حَرّمَ على الأرض أنْ تَأْكُلَ أجْسادَ الأَنْبياءِ » . ورواه أبو داود ، والنّسائيّ ، وابن ماجه ، من حديث الحسين بن علي الجُعْفِيّ مثله ، وفي رواية لابن ماجه : عن شدّاد بن أوس ، بدل « أوس بن أوس » قال شيخنا : وذلك وَهْم(٢) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا زُهيْر ، يعني ابن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل ، عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصاريّ ، عن أبي لُبَابة(٣) بن عبد المُنْذِر : أنّ رسول الله ﷺ قال : « سَيِّدُ الأيّامِ يوم الجُمُعةِ ، وأعظمُها عِنْدَهُ ، وأعظمُ عِنْدَ اللهِ عز وجل مِنْ يَوْم الفِطْر ، ويَوْم الأَضْحَى ، وفيه خمسُ خِلَال : خَلَقَ اللهُ فيه آدَم ، وأهْبَطَ الله فيه آدَم إلى الأرض ، وفيه توفّى اللهُ آدَمَ ، وفيه سَاعة لا يَسْأل العَبْدُ فِيهَا شيئاً إلاّ آتاه اللهُ إيّاه ، ما لم يَسْأَل حَراماً ، وفيه تقومُ الساعةُ ، ما مِنْ ملَكٍ مُقَرَّبٍ ، ولا سَماءٍ ، ولا أرْضٍ ، ولا رياح ، ولاَ جِبَال ، ولا بحر ، إلا وهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ » . ورواه بن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة ، عن يحيى بن أبي بُكَيْرٍ ، عن زهير ، به(٤) .

---

(١) رواه الشافعي في مسنده (٣٧٤ و٣٧٥) ـ « ترتيب مسند الإمام الشافعي » ، ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا ، والطبراني في « الأوسط » رقم (٦٧١٧) والبزار (٣٥١٩) ، وإسناده ضعيف ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٨) وأبو داود (١٠٤٧) والنسائي (٣/ ٩١ ـ ٩٢) وابن ماجه (١٦٣٦) و (١٠٨٥) وهو حديث صحيح .

(٣) في الأصول : عن أبي أمامة ، وهو خطأ .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٣٠) وابن ماجه (١٠٨٤) وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠) وهو حديث حسن .

وقد روى الطبرانيّ، عن ابن عمر مرفوعاً: « إنّ الساعةَ تَقُوم وَقْتَ الأذانِ لِلْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ».

وقد حكى أبو عبد الله القُرْطبيُّ في « التذكرة »: أن قيام الساعة يوم جمعةٍ للنصف من شهر رمضانَ. وهذا غريبٌ يحتاجُ إلى دليل.

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا: حدثنا أحمد بن كثير، حدّثنا قُرْط بن حُرَيْث؛ أبو سَهْل، عن رجلٍ من أصحاب الحسن، قال: قال الحسنُ: يومان وَلَيْلَتانِ لم يَسْمَعِ الخَلائِقُ بِمِثْلِهِنّ قطُّ، لَيْلَةٌ تبيتُ مع أهل القبور، ولم تَبِتْ لَيلةً قَبْلَها مثلها، وَلَيْلةٌ صَبِيحَتُها تُسْفِرُ عن يَوم القِيامة، وَيوم يَأْتِيك البَشِيرُ من الله تعالى: إمّا بالجَنَّةِ وإمّا بالنار، ويومُ تُعْطىٰ كِتَابك إمّا بِيَمينك، وإمّا بِشمالِك. وكذا رُوي عن عامر بن قَيْس، وهَرِم بن حَيّان، وغيرهما: أنّهم كانوا يستعظمون الليلة التي يُسْفِرُ صبيحتُها عَنْ يَوْم القِيَامةِ.

وقال ابن أبي الدُّنْيا: حدّثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير العَبْدِيّ، حدّثني محمد بن سابق، حدثنا مالك بن مِغْوَل، عن جُنَيد، قال: بينما الحسن في يوم من رجبٍ في المسجد، وفي يده قُلَيْلَةٌ، وهُوَ يَمَصُّ ماءَها؛ ثمّ يَمُجُّه في الحصا، إذ تَنَفّس تَنَفُّساً شَديداً، ثم بكى، حتّى أُرْعِدَ مَنْكِباهُ، ثمّ قال: لو أن بالقلوب حياة؟ لو أنّ بالقلوب صَلاحاً؟ لأبكيتكم من ليلةٍ صَبِيحَتُها يومُ القيامة، أي ليلة تمخَّضُ عَنْ صَبِيحَة يوم القيامة، ما سمع الخلائقُ بِيومٍ قَطُّ أكثرَ حزناً ولا أكثر نادماً ولا أكثر باكياً، ولا أكثر متحسِّراً من يوم القيامة.

ذِكر أن أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة رسول الله ﷺ

قال مُسلم بن الحجّاج: حدثني الحكَمُ بن موسى، أبو صالح، حدثنا هِقْلٌ، يعني ابن زياد، عن الأوزاعيِّ، حدثني أبو عمّار، حدثني عبد الله بن فَرُّوخ، حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأول مَنْ يَنشقّ عَنْهُ القَبْر، وأول شافعٍ، وأول مُشَفَّع »[١].

وقال هُشَيْم، عن علي بن زَيْد، عن أبي نَضْرَة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا سَيِّد ولد آدَم يومَ القيامة ولا فَخْر، وأنا أَوّلُ مَنْ تَنْشَقّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْم القِيَامة ولا فَخْر، وأنَا أول شَافع يَوْمَ القِيامة ولا فَخْر »[٢].

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » رقم (٢٢٧٨).

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٣٠٨) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، ولكنه حديث صحيح بطرقه وشواهده.

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا حُجَيْن بن المُثنَّى ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سَلمة ، عن عبد الله بن الفَضْل الهاشمي ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُنْفَخُ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم يُنفخ فيه أخرى ، فأكونُ أَول مَنْ بُعِثَ ، فإذا موسَى آخِذٌ بالعَرْش ، فلا أدْرِي أَحُوسِبَ بصَعْقَتِهِ يَوْم الطُّورِ ، أو بُعِثَ قَبْلِي ؟ » . وهو في « الصحيح » بقريب من هذا السياق[1] .

والحديث في « صحيح مسلم » : « أنا أوّل مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشاً[2] بِقَائِمَةِ العَرْشِ ، فلا أَدْرِي أَفاقَ قبلي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّور ؟ »[3] . فذِكْرُ مُوسى في هذا السياق فيه نظر ، ولعله من بعض الرواة ، دَخَل عليه حديثٌ في حديث . فإن الترديد هاهنا فيه لا يظهر . لا سِيَّما قوله : « أم جُوزِي بَصَعْقة الطُّور » .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا سُفْيانُ ، هو ابن عُيَيْنَةَ ، عن عمرو ، هو ابن دينار ، عن عطاءٍ وابنِ جُدْعَانَ ، عن سعيد بن المُسَيَّب ، قال : كَانَ بين أبي بكر ، وبين يَهُودِيّ مُنَازَعةٌ ، فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على البَشَر ، فَلَطَمَه أبو بكر ، فأتى اليهوديُّ رسولَ الله ﷺ ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « يا يَهُوديّ ، أنا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، فأجِدُ مُوسَى مُتَعلِّقاً بِالْعَرْشِ ، فلا أَدْرِي هَلْ كَانَ قَبْلِي ، أَوْ جُوزِي بالصَّعْقَة » . وهذا مرسل من هذا الوجه ، والحديث في « الصحيحين »[4] من غير وجه ، بألفاظ مختلفة ، وفي بعضها[5] : أن اللاطم لهذا اليَهُودي إنما هو رجلٌ من الأنصار ، لا الصدِّيقُ ، فالله أعلم .

ومن أحسنها سياقاً : « إذا كان يَوْمُ القِيَامة فإن النَّاس يَصْعَقُونَ ، فأكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ ، فأجِدُ مُوسى بَاطِشاً بِقَائِمةٍ مِنْ قَوائِم العَرْشِ ، فلا أدْرِي أَصَعِقَ فأفَاقَ قَبْلِي ، أَمْ جُوزِي بَصعقة الطُّور »[6] ، وهذا كما سيأتي بيانه يقتضي أن هذا الصَّعْقَ يكونُ في عَرَصَات القِيامةِ ، وهو صَعْقٌ آخرُ غيرُ المذكور في القرآن ، وكأنّ سَبَبَ هذا الصعق في هذا الحديث ، يعني تَجَلِّي الرب

---

(١) رواه بنحوه البخاري رقم (٢٤١١) من حديث أبي هريرة ، وبنحوه رقم (٢٤١٢) و(٣٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٢) أي متعلقاً بقوة .

(٣) انظر « صحيح مسلم » رقم (٢٢٧٨) ورقم (٢٣٧٣) (١٦٠) وانظر البخاري رقم (٢٤١١) و(٣٤٠٨) ورقم (٦٥١٧) فالحديث ملفق من حديثين كما ذكر المؤلف رحمه الله .

(٤) انظر تخريج الحديث الذي قبله .

(٥) انظر « صحيح مسلم » رقم (٢٣٧٣) (١٥٩) .

(٦) هو بمعنى الأحاديث التي قبله .

تعالى ، إذا جاء لفَصْل القَضَاءِ فَيَصْعَقُ النَّاسُ كما خرَّ موسى صَعِقاً يوم الطُّور ، والله أعلم .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كأنّي أَراني أَنْفُضُ رأسي من التُّرابِ ، فألتَفِتُ ، فلا أرى أحداً إلا مُوسى مُتَعَلِّقاً بالْعَرْش ، فلا أدري أممن استَثْنى اللهُ أَلاّ تُصيبهُ النَّفْخَةُ ، أم بُعِثَ قبلي ؟ » . وهذا مرسل أيضاً ، وهو أضعف .

وقال الحافظ أبو بكر البَيهَقِي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغَانيُّ ، حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا موسى بن أعْين ، عن مَعْمَر بن راشد ، عن محمد بن عبد الله ابن أبي يعقوب ، عن بشر بن شَغَاف ، عن عبد الله بن سَلَام ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سَيِّدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع ومشفَّع ، بيدي لواء الحمد ، تحتي آدم ، فمن دُونَه » . لم يخرجوه ، وإسناده لا بأس به .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا أبو سلمةَ المَخْزُومي ، حدثنا عبد الله بن نافع ، عن عاصم بن عمر ، عن أبي بكر بن عمر بن عبد الرحمن ، عن سالم بن عبد الله . وقال غير أبي سلمة : عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أولُ مَنْ تَنْشَق عنه الأرضُ ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم أذْهَبُ إلى أهل البَقِيع ، فَيُحْشَرونُ مَعِي ثم أنْتظرُ أهْلَ مكَّةَ فَيُحْشَرون معي ، فأُحْشَرُ بين الحَرَمَيْن »[١] .

وقال أيضاً : حدثنا الحكمُ بن موسى ، حدثنا سعيدُ بن مَسْلَمة ، عن إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد ، وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وهو مُتَّكِئٌ عليهما ، قال : « هكذا نُبعَثُ يَوْمَ القيامةِ »[٢] .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدثني محمد بنُ الحُسَيْن ، حدثنا قُتَيْبَةُ بن سعيد ، حدثنا الليثُ بن سَعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن نُبيه بنِ وَهْب : أن كَعْب الأحبار قال : مَا مِنْ فَجْرٍ يطْلُعُ إلا نَزَل سَبْعُون ألْفاً من الملائكة ، حتى يحفُّوا بالقَبْر ، يضْربون بأجنِحَتهمْ ، ويُصَلُّون على النبي ﷺ ، حتى إذا أمسوا عَرَجُوا ، وَهَبَط مِثْلُهُمْ فصَنَعُوا مِثْل ذلك ، حتى إذا انشقت الأرضُ خرج ﷺ في سبعين ألفاً من الملائكة يُوقِّرونه ﷺ .

وأخبرنا هارون بن عمر القرشي ، حدثنا الوليد بنُ مسلم ، حدثنا مروان بن سالم ، عن

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » رقم (١٥٢٧) من طريق ابن نافع ، وضعفه بابن نافع وعاصم بن عمر .

(٢) ورواه الترمذي (٣٦٦٩) وابن ماجه (٩٩) من طريق ابن مسلمة به ، وهو حديث ضعيف .

يونس[١] بن سيف ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُحْشر الناس رِجالاً ، وأُحشرُ راكباً على البُراقِ ، وبلال بَيْن يَدَيَّ على نَاقةٍ حمراءَ ، فإذا بَلَغْنَا مَجْمَع الناس ، نَادَى بلال بالأذان ، فإذا قال : أشهدُ أن لا إلـه إلا اللهُ ، أشهدُ أن محمداً رسول الله ، صدّقه الأولُون والآخرون » . وهذا مرسل من هذا الوجه .

ذكر بعث الناس

حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً[٢] ، وذكر أول من يُكْسَى يومئذ من الناس

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بَقِيَّةُ ، حدثنا الزبيدي ، عن الزهري ، عن عُروة ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ قال : « يُبْعَثُ الناس يوم القِيامة حُفَاةً عُراةً غُرْلاً » قال : فقالت عائشة : يا رسول الله ، فكيف بالعَوْرَات ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس] » .

وأخرجاه في « الصحيحين » من حديث حاتم بن أبي صغيرة ، عن عبد الله بن أبي مُلَيْكة ، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة بنحوه[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا شُعْبةُ ، حدثنا المُغيرةُ بن النُّعْمان شَيْخٌ من النَّخَع ، قال : سمعتُ سعيد بن جُبَير يحدِّث ، قال : سمعتُ ابنَ عباس ، قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ بموعظة ، فقال : « يا أيُّها الناس ، إنكم محشورون إلى الله حُفَاةً عُراةً غُرْلاً ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء] ألا وإنّ أَوّلَ الخَلْق يُكْسَى يَوْم القِيامة إبراهيمُ ، وإنه سَيُجَاءَ بأُناسٍ مِنْ أُمَّتي ، فيؤخذ بِهِمْ ذات الشمال فلأَقُولَنّ : أصحابي ، فَلَيُقالنَّ لي : إنك لا تَدْرِي ما أَحْدَثوا بَعْدَك ، فلأقُولَنّ كما قال العَبْدُ الصالح : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة] ، فيقال : إن هؤُلاءِ لم يزالوا مُرْتَدين على أعقابهم مُنْذُ فارقتَهُم » أخرجاه في « الصحيحين » من حديث شُعْبَةَ .

ورواه أحمد ، عن سفيان بن عيينةَ ـ وهو في « الصحيحين » من حديثه ـ عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، مرفوعاً : « إنكم محشورون إلى الله عز وجلّ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً » .

ورواه البيهقي من حديث هلال بن خبّاب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « تُحْشَرُون حُفَاةً عُراةً غُرلاً » فقالت زوجته : أَيَنْظُر بَعْضُنَا إلى عَوْرَة بعْضٍ ؟ فقال :

(١) في الأصول : يوسف .
(٢) جمع أغرل ، وهو الأقلف الذي لم يختتن .
(٣) رواه أحمد في المسند (٦/٨٩ ـ ٩٠) والبخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩) .

« يا فُلانةُ ، لكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمئِذٍ شأنٌ يُغنيه »(١) .

وقال الحافظ أبو بكر البَيْهقِيّ : حدّثنا أبو بكر أحمد بن الحَسن القاضي ، وأبو سعيد محمد بن موسى ، قالا : حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد الدُّوريّ ، حدثنا مالك بنُ إسماعيل ، حدّثنا عبد السلام بن حرب ، عن أبي خالد الدّالانِيّ ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أبي هريرة ، قال : يُحْشَرُ الناسُ حُفَاةً عُراةً غُرلاً قياماً أربعين سَنَة شاخِصةً أبصارُهُمْ إلى السماء ، قال : فيُلْجِمُهم العَرَقُ مِنْ شِدَّةِ الكَربِ ، ثم يقال : اكسوا إبراهيمَ ، فيُكْسى قُبْطِيّتَيْنِ(٢) مِن قَباطِيِّ الجَنَّةِ ، قال : ثم ينادى لمُحمّد ﷺ فيفجرُ له الحوض ، وهو ما بين أيلة إلى مكة . قال : فيشربُ وَيغتَسِلُ ، وقد تقطّعت أعناقُ الخلائق يَوْمئذٍ من العَطَش ، قال : ثم قال رسول الله ﷺ : « فأُكْسَىٰ من حُلَلِ الجَنَّةِ فأَقُوم عن » ـ أو « على ـ يَمِين الكُرْسِيِّ ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الخَلائِق يَقُومُ ذَلِك المَقَامَ يَوْمئذٍ غيري ، فيُقال : سَلْ تُعْطَ ، واشفع تشفع » ، فقام رجل ، فقال : أتَرْجُو لِوَالدَيْك شيئاً ؟ فقال : « إني شافع لهما ، أُعْطِيتُ أو مُنِعتُ ، ولا أرجو لهما شيئاً » . قال البَيْهقِيّ : قد يكون هذا قبل نزول النهي عن الاستغفار للمشركين ، والصلاة على المنافقين(٣) .

وقال القُرطبيّ : وروى ابن المبارك ، عن سُفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عليّ قال : أوّلُ مَنْ يُكْسَى الخَليل قُبطيتين ، ثم محمد حُلّةَ حِبَرَةٍ ، عن يمين العرش(٤) .

وقال أبو عبد الله القُرطبيّ في كتاب « التذكرة » : وروى أبو نُعَيْم الحافظ ، يعني الأصبهانيّ ، من حديث الأسود ، وعَلْقَمةَ ، وأبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « أَوّلُ مَنْ يُكْسَى إبراهيم عليه السلام ، يقول الله تعالى : اكسُوا خَلِيلي ، فيُؤتَى بِرَيْطَتَيْنِ(٥) بَيْضَاوَيْن ، فَيلبَسُهمَا ، ثم يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ العَرْش ، ثم أُوتَى بكُسْوَتِي ، فأَلْبَسُها فأقومُ عن يمينه قياماً لَا يقُومُه أَحَدٌ غَيْرِي يَغْبِطُني فيه الأولون والآخِرون »(٦) .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٥٣ و٢٢٣) والبخاري رقم (٤٦٢٥) و(٦٥٢٤) ومسلم (٢٨٦٠) .

(٢) قبطيتين : تثنية قبطية : بضم القاف ، نسبة إلى قبط مصر على غير قياس وقد تكسر ، وهي ثياب مصرية ، كانت مشهورة بجودتها وحسنها عند العرب ، والمراد يلبس على هيئة القبطيّتين من ثياب الجنة ، أو يلبس ثوبين جميلين من ثياب الجنة .

(٣) وفي إسناده ضعف .

(٤) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٣٦٤ ـ زوائد نعيم) .

(٥) الريطة : الملاءة .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) .

قال القرطبيّ : وقال الحَلِيْمِي في « منهاج الدين » له : ورَوى عبّاد بن كَثِيرٍ عن أبي الزُّبَيْرِ عن جابر قال : إنّ المؤذِّنِينَ والملبِّين يخرجون يوم القيامة من قبورهم ، يُؤَذِّنُ المُؤَذِّنُ ، ويلَبِّي المُلَبِّي ، وأوّل مَنْ يُكْسَى مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ إبراهيمُ ، ثم محمد ، ثم النَّبِيُّونَ ، ثم المُؤَذِّنُونَ . . . » وذكَر تمامه(١) .

ثم شرع القُرْطُبيّ يذكر المناسبة في تقديم إبراهيمَ الخليل عليه السلام في الكسوة يومئذ : من ذلك أنه أوّل من لَبِس السَّرَاوِيلَ مُبَالَغَةً في شدة الحياء والسِّتر ، وأنّه جُرِّد يَوْم أُلْقِيَ في النَّارِ ، والله أعلم .

وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن أبي أُوَيْس : حدّثني أبي ، عن محمد بن أبي عَيّاش ، عن عطاء بن يَسارٍ ، عن سَوْدَةَ زَوْج النبيِّ ﷺ قالت : قال النبي ﷺ : « يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ العَرَقُ ، فبَلَغ شُحُومَ الآذان » ، قلت : يا رسول الله واسوءتاه ينَظُر بَعْضُنا إلى بَعْض ؟! قال : « يُشْغَلُ الناسُ عَنْ ذَلِك ، لكلِّ امرىءٍ مِنْهُمْ يَوْمئذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » . إسناده جَيّد ، وليس هو في « المُسنَد » ولا في الكتب(٢) .

وقد قال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا سَعِيدُ بنُ سليْمان ، عن عبد الحميد بن سليمان ، حدّثني محمد بن أبي موسى ، عن عطاء بن يسار ، عن أُمّ سَلَمة ، قالت : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يُحْشَر النَّاسُ حُفَاةً عُراةً ، كما بدؤوا » قالت أمّ سلَمة : يا رسول الله ، هل ينظُرُ بعضُنَا إلى بَعْض ؟! قال : « شُغِلَ النَّاسُ » ، قلت : وما شَغَلَهُمْ ؟ قال : « نَشْرُ الصُّحُفِ فِيها مَثَاقِيلُ الذَّرّ ، وَمَثَاقِيلُ الخردَلِ »(٣) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدّثنا عمر بن شبَّة ، حدّثنا الحُسين بن حَفْص ، حدثنا سفيان ، يعني الثوريّ ، عن زُبَيدٍ ، عن مُرَّةَ ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم محشورون حُفَاةً عُراةً غُرلاً » ، قال البزار : أَحْسَبُ أن عمر بن شبة غَلِط فيه ، فدخل عليه متن حديث في إسناد حديث ، وإنما هذا الحديث عن سفيان الثَّوْرِيِّ ، عن مُغِيرة بن النُّعمان ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : وليس لسفيان الثوري عن زُبَيدٍ ، عن مرَّةَ ، عن عبد الله بن مسعود حديث مُسْنَدٌ ، وهكذا رواه ابن أبي الدُّنيا ، عن عمر بن شبَّة به ، مثله ، وزاد : « وأول مَنْ يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام »(٤) .

---

(١) وإسناده ضعيف .

(٢) ورواه الحاكم من طريق إسماعيل بن أبي أويس به في « المستدرك » (٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١١٩) ورواه الطبراني في « الأوسط » (٨٣٧) عن طريق سعيد بن سليمان به ، وإسناده ضعيف .

(٤) رواه البزار رقم (٣٤٢٨ ـ كشف الأستار) وابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١١٨) .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا أبو عمارٍ الحُسينُ بن حُرَيْث ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن عائذ بن شُرَيْح ، عن أنس قال : سألتْ عائشةُ رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، كيف يُحْشَرُ الرِّجالُ ؟ فقال : « حُفَاةً عُراةً » ثم انتظرت سَاعَةً ، ثمّ قالت : يا رسول الله ، كيف يُحْشَرُ النِّسَاءُ ؟ قال : « كذلك حُفَاةً عُراةً » . قالت : واسوأتاه من يوم القيامة ، قال : « وعن أيِّ ذلك تسألين ؟ إنه قد نزلت عليَّ آيةٌ لا يضرُّكِ كَانَ عَلَيْكِ ثيابٌ أَمْ لا » ، قالت : أي آيةٍ يا رسول الله ؟ قال : « ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ ﴾ [عبس : ٣٧] »[1] .

وقال الحافظ أبو يَعْلَى الموْصِليّ : حدثنا رَوْحُ بن حاتم ، حدثنا هُشَيْم ، عن الكوثر ، وهو ابن حكيم ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « يُحْشَرُ الناسُ كما وَلَدَتْهُمْ أُمَّهاتُهُمْ حُفَاةً عُراةً غُرلاً » فقالت عائشة : والنساءُ بأَبِي أنْتَ وأُمِّي ؟ فقال : « نعم » فقالت : واسوأتاه ! فقال رسول الله ﷺ : « وَمِنْ أيِّ شيْء عَجِبْت يا بِنْتَ أَبِي بكر » ؟ فقالت : عَجِبْتُ من حديثك : يُحْشَرُ الرِّجالُ والنِّساءُ حُفَاةً عُراة غُرلاً يَنْظُر بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ ، قال : فَضربَ على منكبها ، فقال : « يا بِنْتَ أبي قُحَافَةَ ، شُغِلَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّظر ، وسمَوا بأبصارهم إلى السماء موقوفون أربعينَ سَنَةً لا يأكلون ، ولا يشربون ، شاخصين بأبصارهم إلى السماء أَرْبعينَ سنةً ، فمنهم من يبلغ العرقُ قَدَمَيْه ، ومنهم من يبلغ ساقيه ، ومنهم من يبلغ بَطْنَه ، ومنهم من يُلْجِمُه العَرَقُ من طُول الوقوف ، ثم يترحم الله من بعد ذلك على العباد ، فيأمر الملائكة المقرَّبين ، فيحملون عرشه من السموات إلى الأرض حتى يوضع عرشه في أرض بَيْضاءَ لم يُسْفَكْ عليها دم ، ولم تُعمل فيها خطيئة ، كأنها الفِضَّةُ البَيْضاءُ ، ثم تقوم الملائكة حافِّين مِنْ حَوْل العَرْش ، وذلك أوّل يوم نظَرتْ فيه عين إلى الله تعالى ، فيأمرُ منادِياً فينادِي بِصَوْتٍ يسمعُه الثَّقَلان الجِنُّ والإنس : أيْنَ فُلاَنُ ابنُ فُلانٍ ، أين فُلاَنُ ابنُ فُلانٍ ، فَيشْرَئِبُّ النَّاسُ لذلك الصوت ، ويخرج ذلك المنادى من الموقف ، فَيُعرِّفُه اللهُ النَّاسَ ، ثمّ يقال : تُخْرجُ مَعَهُ حَسناته ، فيُعرِّفُ اللهُ أهلَ الموقف تلْكَ الحَسَنَاتِ ، فإذا وقف بين يدي ربّ العالمين ، قيل : أيْنَ أصحابُ المظالم ؟ فيجيؤون رَجُلاً رَجُلاً ، فيقال له : أظَلَمْتَ فُلاناً كذَا وكذَا ، فيقول : نعم ، يا رَبّ ، فذلك اليومُ الذي تَشْهَدُ عليهم أَلْسِنَتُهُمْ وأَيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون ، فتؤخَذُ حَسَناتُه ، فَتُدْفَعُ إلى مَنْ ظلمه ، يوم لا دِينارٌ وَلا دِرْهَمٌ ، إلاّ أَخْذٌ مِنَ الحَسَنَاتِ ، وردٌّ من السَّيئات ، فلا يزالُ أهل المظالم يَسْتَوْفُونَ مِنْ حَسَنَاتِه حَتّى لا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ ، ثم يقومُ مَنْ بقي ، مِمَّنْ لم يأْخُذْ شَيْئاً ، فيقولون : ما بَالُ غَيْرِنا استوفَى ، وبَقِينَا ؟ فيقال لهم : لا تَعْجَلُوا ، فيؤخذُ من سَيِّئاتهم فُترَدّ عليه ، حتّى لا يبقى أحد ظَلَمَهُ بِمَظلِمَةٍ ، فيُعَرِّفُ اللهُ أهلَ الموقف أجمعين ذلك ، فإذا فرغ من حسابه قيل : ارجع إلى أُمِّكَ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١١٦) ، وإسناده ضعيف .

الهَاوِيةِ ، فإنّه لا ظُلْمَ اليوم ، إنّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَاب ، ولا يَبقى يومئذ مَلَكٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، ولاَ صِدِّيقٌ ، ولا شَهيدٌ ، ولاَ بَشرٌ ، إلاّ ظَنَّ بما رَأى من شِدّة الحساب أنّه لا يَنْجُو ، إلاّ منَ عَصمهُ اللهُ تعالى .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولبعضه شاهد في « الصحيح » ، كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى .

وقال الطبرانيُّ : ثنا الحسينُ بن إسحاقَ التُّستَريُّ ، ثنا محمد بن أبانٍ الواسطيُّ ، ثنا محمدُ بن الحسنِ المُزَنيُّ ، عن سعيدِ بنِ المَرْزُبان أبي سعدٍ ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن الحسن بنِ عليٍّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيامَةِ حُفَاةً عُرَاةً » . فقالت امرأةٌ : يا رسول الله ، فكيفَ يرَى بعضُنا بعضاً ؟ قال : « إِنَّ الأَبْصَارَ شَاخِصَةٌ » . ورفع رأسَه إلى السماءِ ، فقالتْ : يا رسولَ اللهِ ، ادْعُ اللهَ أَنْ يستُرَ عَوْرَتِي . [قال] : « اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتَهَا »[١] .

قال البيهقي : فأما الحديث الذي حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إسحاق ابن الخراسانيّ العَدْلُ ، حدّثنا محمدُ بن الهيثَم القاضي ، حدّثنا ابن أبي مَرْيم ، حدّثنا يحيى بن أيُّوبَ ، عن ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سَلَمَة ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ : أنّه لما حضره الموت دعا بثِيابٍ جُدُدٍ ، فَلبِسَها ، ثم قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنّ المسلمَ يُبْعَثُ في ثيابه التي يَمُوت فيها». فهذا حديث رواه أبو داود في كتاب «السنن»، عن الحسن بن عليّ، عن ابن أبي مريم[٢] .

ثم شرع البيهقيّ يُجيب عن هذا الحديث لمعارضته الأحاديثَ المتقدّمة في بعث الناس حُفَاةً عُراةً غُرْلاً ، بثلاثةِ أجْوبةٍ :

أحدها : أنّها تَبْلى بعد قيامهم من قبورهم ، فإذا وافَوْا الموقف يكونون عُرَاةً ، ثم يُكْسَوْنَ منِ ثيَاب الجنّة .

الثاني : أنّه إذا كُسِيَ الأنبياءُ ثم الصدِّيقُونَ ، ثم مَنْ بعدهم على مراتبهم ، فتكونُ كُسْوَةُ كُلِّ إنسانٍ من جِنْس ما يَمُوتُ فيه ، ثم إذا دَخَلُوا الجَنَّة أُلْبِسُوا من ثِيَابِ الجَنّة .

الثالثُ : أن المراد بالثياب هاهنا الأعمال ، أي يُبْعَثُ في أعماله التي مات فيها من خير أو شَرٍّ .

قال الله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] وقال : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ [المدثر] قال قتادة : عَمَلَكَ فَأَخْلِصْهُ .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٧٥٥) وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أبو داود (٣١١٤) بنفس سند البيهقي، وليس عن الحسن بن علي عن ابن أبي مريم كما ذكر المصنف والحاكم (١/ ٣٤٠) وهو حديث حسن ، ولفظه في أوله : « إن الميت يبعث . . . » .

ثم اسْتَشْهَدَ البَيهَقِيّ على هذا الجواب الأخير بما رواه مسلم ، من حديث الأعمش ، عن أبي سُفْيانَ ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ على مَا مَاتَ عَلَيهِ »[١] .

قال : وروينا عن فَضالةَ بنِ عُبَيْد عن رَسُول اللهِ ﷺ : أنّه قال : « مَنْ مات على مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِه المراتِب بعثَ عَلَيْهَا يَوم القِيامَة »[٢] .

وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا : أخبرنا أحمدُ بنُ إبراهيم بن كثير ، حدثنا زيدُ بن الحُبَابِ ، عن معاوية بن صالح ، أخبرني سعيد بن هانئ ، عن عمرو بن الأسود ، قال : أوصاني مُعاذ بامرأته ، وخرج ، فماتت ، فدفَنّاها ، فجاءنا وقد رفَعْنَا أَيْدِيَنا مِن دَفْنِها ، فقال : في أيّ شَيْءٍ كَفَّنْتُموها ؟ قلنا : في ثيابِها ، فأمر بها فَنُبِشَتْ ، وكَفَّنَهَا في ثِيابٍ جُدُدٍ ، وقال : أَحْسِنُوا أَكْفَانَ مَوْتاكُمْ فإنّهم يُحْشَرُون فِيهَا[٣] .

وقال أيضاً : حدّثني محمد بن الحُسَيْن ، حدّثنا يحيى بن إسحاق ، [أخبرنا إسحاق] بنُ سيّار بن نصر ، عن الوليد بن أبي مروان[٤] ، عن ابن عباس ، قال : يُحْشَرُ الموتَى في أكفانهم[٥] .

وكذا روي عن أبي العَالية[٦] .

وعن صالح المُرِّيّ ، قال : بلغني أنّهم يخرجون من قبورهم في أكفانٍ دَسِمَةٍ ، وأبدَانٍ بَالِيَةٍ ، مُتَغَيِّرَةٌ وجوهُهم ، شعَثَةٌ رؤوسُهُم ، نَهِكَةٌ أجْسامُهُمْ ، طائرة قلوبهم من صدورهم وحناجرهم ، لا يَدْرِي القوم ما مَوْئِلُهُمْ إلا عِنْد انصرافهم من الموقف ، فمُنْصَرَفٌ بِه إلى الجنة ، ومنصرَف به إلى النَّارِ ، ثم صاح بأعلى صوته : يا سوء مُنْصَرَفَاهُ إنْ أنْتَ لَمْ تَغَمَّدْنَا مِنْك بِرَحْمَةٍ واسعةٍ ، لِما قَدْ ضاقَتْ صدُورنا من الذُّنُوب العِظام ، والجرائم التي لا غافر لها غَيْرُك .

ذكر شيء من أهوال يوم القيامة

قال الله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٧٨) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٩) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٠٩) ويغني عن هذا الحديث قوله ﷺ : « إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه إن استطاع » رواه مسلم رقم (٩٤٣) .
(٤) في الأصول : ابن أبي ثروان .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١١٠) .
(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١١١) .

فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة : ١٥ ـ ١٨] . وقال تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ق] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ [المزمل] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يونس : ٤٥] قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف : ٤٧ ـ ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزمر : ٦٧ ـ ٧٠] . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون : ١٠١ ـ ١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [المعارج : ٨ ـ ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [عبس : ٣٣ ـ ٤٢] . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات : ٣٤ ـ ٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾

يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر : ٢١ ـ ٣٠] . وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية : ١ ـ ١٦] . وقال تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الواقعة : ١ ـ ٥٦] . ثُمَّ ذَكر فيها سبحانه جزاء كلٍّ من هذه الأصناف الثلاثة ، كما ذكر ما يُبَشَّرُون به عند موتهم واحتضارهم في آخرها ، كأن الإنسان يشاهد ذلك مشاهدة .

وقال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ... ﴾ الآيات ، وقال في آخرها ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ... ﴾ إلى آخر السورة [القمر : ٦ ـ ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم : ٤٨ ـ ٥١] .

وقال تعالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ﴾ [غافر : ١٥ ـ ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ... ﴾ الآيات إلى قوله ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [طه : ٩٩ ـ ١١٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٠٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٦١] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [القصص : ٦٥ ـ ٦٦] .

وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المرسلات : ٣٥ ـ ٣٧] . قال ابن عباس : أي لا ينطقون بحجة تنفعهم .

فأما قوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنعام : ٢٣ ـ ٢٤] .

وكذا قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المجادلة : ١٨] .

فهذا يكون في حال آخر ، كما قال ابن عباس في جواب من سأله عن ذلك ، كما ذكره البخاري عنه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ... ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الصافات : ٢٧ ـ ٧٥] .

والآيات في ذكر يوم القيامة وأهواله كثيرة جداً ، مثل الآيات التي في آخر سورة هود: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٣ ـ ١٠٨] أي غير مقطوع ، وكذلك سورة ﴿ عم يتساءلون ﴾ وسورة ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ وسورة ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ وسورة ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وسورة ﴿ المطففين ﴾ بكمالها ، وسورة ﴿ المرسلات ﴾ و﴿ النازعات ﴾ وسورة ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ وسورة ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ و﴿ إذا زلزلت ﴾ وآخر ﴿ العاديات ﴾ و﴿ القارعة ﴾ وآخر ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ و﴿ الهمزة ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا عبد الله بن بَحير(١) الصنعاني القاصُّ: أن عبد الرحمن ابن يزيد الصنعاني أخبره أنه سَمِع ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ سَرَّه أَنْ يَنْظُرَ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ [كأنه] رأي عين ، فليَقْرأْ : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾

(١) في الأصول : يحيى .

وأحْسَبُه قال : وسورة هود ، وكذا رواه الترمذي عن عباس العنبري عن عبد الرزاق ، به .

ورواه أحمد ، عن إبراهيم بن خالد ، عن عبد الله بن بحير ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، من أهل صنعاء ، وكان أعلم بالحلال والحرام من وهب بن مُنَبِّه ، عن ابن عمر . . . فذكر نحوه[(١)] .

وفي الحديث الآخر : « شَيَّبَتْني هُودُ وَأَخَوَاتُها »[(٢)] .

والآيات في هذا كثيرة جداً في أكثر سور القرآن العظيم ، وقد ذكرنا في كتابنا « التفسير » ما يتعلق بكُلِّ آيةٍ مِنْ هَذِه الآيات الدّالّةِ على صِفَةِ يَوْمِ القِيامَةِ مِنَ الأَحادِيثِ والآثارِ المُفَسِّرةِ لِذَلك .

ذكر الأحاديث والآثار الدَّالَّة على أهوال يوم القيامة وما يكون في ذلك اليوم من الأمور الكبار والشدائد وما فيه من المغفرة والرحمة والرضوان والجِنان والنِّيران

قال الإمام أحمد : حدّثنا أحمد بن عبد الملك ، حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء ، حدّثنا نافع أبو غالب الباهليّ ، حدّثني أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُبعثُ الناسُ يوْمَ القيامة والسماء تَطِشُّ عليهم » . تفرّد به أحمد ، وإسناده لا بأس به[(٣)] .

وفي معنى قوله ﷺ : « تَطِشُّ عليهم » احتمالان : أحدهما أن يكون ذلك من المطر ، أي : تمطر عليهم ، كما يقال : أصابهم طَشٌّ من مَطَر ، وهو الخفيف منه ، والثاني : أن يكون ذلك من شدّة الحرّ ، وهو الأقرب ، والله أعلم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ [المطففين : ٤ ـ ٦] ، وقد ثبت في « الصحيح » « أنهم يقومون في الرشح ، أي في العَرَق إلى أنصاف آذانهم »[(٤)] . وفي الحديث الآخر أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم ، كما تقدم ، وفي حديث الشفاعة كما سيأتي : أن الشّمس تُدْنَى من العباد يوم القيامة ، فتكون منهم على مسافة ميل ، فعند ذلك يَعْرَقُونَ بحسب أعمالهم .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا قُتَيْبةُ ، حدّثنا عبد العزيز بن محمد ، عن ثور ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ العَرَقَ يَوْمَ القيامة لَيَذْهبُ في الأرض سبعين باعاً ، وإنّه لَيَبْلغ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٧) و(٣٧) والترمذي رقم (٣٣٣٣) وهو حديث حسن .

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبراني (١٧/ ٧٩٠) من حديث عقبة بن عامر ، ورواه الترمذي في « الشمائل » (٤٢) والبغوي في « شرح السنة » رقم (٤١٧٦) من حديث أبي جحيفة وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده ، ورواه الترمذي رقم (٣٢٩٧) بلفظ : « شيبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كُوِّرت » والبغوي في « شرح السنة » رقم (٤١٧٥) من حديث ابن عباس ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٤) رواه البخاري رقم (٦٥٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

إلى أفواه الناس ، أو إلى آذانهم » شكّ ثَوْرٌ أيَّهما قال ، وكذا رواه مسلم عن قُتَيبة ، وأخرجه البخاري عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن سليمان بن بلال ، عن ثور بن زيد ، عن سالم أبي الغَيْث ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ مثله[١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا الضحّاك بن مَخْلد ، عن عبد الحميد بن جعفر ، حدثني أبي ، عن سعيد بن عُمَير الأنصاريّ ، قال : جلستُ إلى عبد الله بن عمر ، وأبي سعيد الخدريّ ، فقال أحدهما لصاحبه : أيَّ شَيءٍ سَمِعْتَ من رسول الله ﷺ يذكرُ أنّه يبلُغ العَرقُ من الناس يَوْمَ القيامة ؟ فقال أحدهما : إلى شَحْمَتِه ، وقال الآخر : يُلْجِمُه ، فخَطّ ابنُ عُمَر ، وأشار أبو عاصم بإصْبَعِه من [أسفل] شَحْمَةِ أذنيه إلى فيه ، فقال : ما أرى ذلك إلا سواء ؛ تفرَّد به أحمد ، وإسناده جيّد قويّ[٢] .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا الحسنُ بن عيسى ، حدّثنا ابن المبارك ، حدّثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدّثني سُلَيْم بن عامر ، حدّثني المِقْدَادُ بن الأسْوَدِ : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة أُدنِيَتِ الشمسُ من العِبَادِ ، حتّى تكونَ قِيد مِيل ، أو مِيلَيْن » قال سُليم : لا أدري أيَّ الميلين أراد ، أمسافة الأرض ، أم الميل الذي تُكْحلُ به العين ؟ قال : « فتَصْهَرُهم الشمسُ ، فيكونون في العرق بقدر أعمالهم ، فمنهم من يأخذُه العرق إلى عَقِبَيْه ، ومنهم من يأخذه إلى رُكْبَتَيْهِ ، ومنهم من يأخذه إلى حَقْوَيْهِ[٣] ومنهم من يُلْجِمُه إلْجاماً » ، قال : فرأيتُ رسولَ الله ﷺ يُشيرُ إلى فيه ، قال : « يُلْجِمُه إلجاماً » ، وكذا رواه الترمذي عن سُوَيْد بن نصر عن ابن المبارك وقال : حسن صحيح ، وأخرجه مسلم عن الْحَكَم بن موسى ، عن يحيى بن حمزة ، عن ابن جابر ، به ، نحوه[٤] .

وقال ابن المبارك عن مالك بن مِغْوَل عن عُبَيْدِ الله بن العَيْزَارِ ، قال : إنّ الأقْدَامَ يوم القيامة مثل النَّبلِ في القَرَنِ ، والسعيدُ الذي يجد لِقَدَمَيْهِ موضعاً يَضَعُهُما فيه ، وإنَّ الشَّمْسَ لَتُدْنَى من رؤوسهم ، حتى يكون بينها وبين رؤوسهم إمَّا قال : مِيلاً ، أو مِيلَيْن ، ويُزَادُ في حَرّها تِسْعَةً وستين ضِعْفاً[٥] .

وقال الوليد بن مُسلم ، عن أبي بكر بن سعيد ، عن مُغيث بن سُمَيّ ، قال : تَرْكُد[٦] الشّمْسُ فوقَ رؤوسهم على أذْرعٍ ، وتُفْتح أبوابُ جهنم فتهُبّ عليهم رياحُها ، وسَمُومُها ، ويخرج عليهم نَفَحَاتُها

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤١٨/٢) ومسلم رقم (٢٨٦٣) والبخاري رقم (٦٥٣٢) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٩٠/٣) .
(٣) الحقو : الخاصرة .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٩١) وأحمد في المسند (٣/٦) والترمذي رقم (٢٤٢١) ومسلم (٢٨٦٤) .
(٥) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٧٢ ـ زوائد نعيم) .
(٦) أي : تثبت .

حتّى تَجْري الأنْهَارُ مِنْ عَرَقِهم ، أنْتَنَ من الجِيَفِ ، والصائمون في جنَّاتِهم في ظِلِّ العَرْش[١] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدّثنا محمد بن منصور الطُّوسي ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدّثنا الفضل بن عيسى الرَّقَاشيُّ ، حدّثنا محمد بن المُنْكَدر ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ العرَق ليَلْزَمُ المَرْءَ في المَوْقِفِ حتّى يقولَ : يا رَبِّ إرسالك بي إلى النار أهْون عليّ ممّا أجدُ ، وهو يَعْلمُ مَا فِيها من شِدّة العذاب » إسناده ضعيف[٢] .

وقد ثبت في « الصحيح » عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « سَبْعَةٌ يُظلُّهُمُ اللهُ في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلاّ ظِلُّه » ـ وفي رواية : « إلاّ ظلّ عَرْشه ـ : إمامٌ عادل ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله ، ورجلٌ قلبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسْجد إذا خرج منهُ حتى يَعودَ إليه ، ورجل دعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنْصبٍ وجمالٍ ، فقال : إنّي أخافُ اللهَ ، ورجلان تَحابّا في الله اجْتَمعا عليه ، وتَفَرَّقا عليه ، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تَعْلَمَ شِمَالُه ما أنْفقتْ يَمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه »[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا حسن ، ويحيى بن إسحاق ، قالا : حدّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، قال : حدّثنا خالد[٤] بن أبي عِمران ، عن القاسم [بن محمد] ، عن عائشة ، عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « أتَدْرُونَ من السابقون إلى ظلّ الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « الذين إذا أُعْطُوا الحَقَّ قَبلُوه ، وإذا سُئلوهُ بذلوه ، وحَكَمُوا للنّاس كحُكْمِهمْ لأنفسهم » . تفرّد به أحمد ، وإسناده مقارب ، فيه ابن لَهِيعَة ، وقد تكلّموا فيه ، وشيخهُ ليس بالمشهور[٥] .

هذا كلّه والناس موقوفون في مقام ضَنْكٍ ضَيِّق ، حَرِجٍ شديدٍ صعب إلا على من يَسَّرَهُ اللهُ عليه ، فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يُهَوِّن علينا ذلك المقام ، وأن يجعله علينا يسيراً ، برداً وسلاماً ، ونعوذ بالله من ضيق يوم القيامة . اللهم اجعل لنا مخرجاً من ذلك، ونسألك أن توسِّع علينا في الدنيا والآخرة ، اللهم اجعلنا مع الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يزيد ، أخبرنا الأصْبَغُ هو ابن زيد ، عن ثَوْر بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدانَ، حدثني ربيعة هو ابن عمرو الجُرَشِيّ الشاميّ، قال : سألتُ عائشة فقلت : ما كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام من الليل ؟ وَبِمَ كان يَسْتَفْتِحُ الصلاة ؟ قالت : كان يُكبِّر عَشراً ، ويحمد عشراً ، ويهللُ عشراً ، ويستغفر عشراً ، ويقول : « اللهُمّ اغفر لي ، واهدني وارْزُقْني » عشراً ، ويقول : « اللهُمّ إني

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٩٠) .
(٢) رواه البزار رقم (٣٤٢٣ ـ كشف الأستار) .
(٣) رواه البخاري رقم (٦٦٠) ومسلم (١٣١) بقلب في لفظ الشمال .
(٤) في الأصل : قال حسن حدثنا خالد ، وهو خطأ .
(٥) رواه أحمد في المسند (٦/ ٦٧) ، وإسناده ضعيف .

أعوذُ بك من الضيق يوم الحساب » عشراً . وكذا رواه النسائيُّ في « اليوم والليلة » عن أبي داود الحَرَّانيّ ، عن يزيد بن هارون بإسناده مثله ، وعنده : « من ضيق المَقَام يوم القيامة »[(١)] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثني محمد بنُ قدَامة ، حدّثني يعقوب بن سَلمَةَ الأحمرُ ، سمعتُ ابنَ السَّمَّاك يقول : سَمِعْتُ أبا واعظٍ الزاهدَ يقول : يخرجون من قبورهم يتسكَّعونَ[(٢)] في الظلمات ألفَ عام ، والأرض يومئذٍ نار كلُّها[(٣)] ، إن أسْعَدَ الناسِ يَومَئذٍ منْ وَجَد لِقَدَمَيْه مَوْضِعاً[(٤)] .

وقال أيضاً : حدثني هارون بن سُفْيَان ، حدّثنا ابنُ نُفَيْلٍ ، عن النَّضْر بن عَرَبيّ قال : بلغني أنّ الناس إذا خَرجوا من قبورهم كان شعارُهم لا إلٰه إلا اللهُ ، وكانت أوّل كلمةٍ يقولها برُّهم ، وفاجرُهم : ربَّنا ارْحمْنا[(٥)] .

وحدثني حمزة بن العباس ، أخبرنا عبد الله بن عثمان ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا سفيان ، عن سليمان ، عن أبي صالح ، قال : بلغني أن الناس يُحشرون هكذا ، ونكس رأسه ووضع يده اليمنى على كوعه اليسرى[(٦)] .

وحدثني عصمة بن الفضل ، حدّثني يحيى بن يحيى ، عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : سمعتُ سيَّاراً[(٧)] الشاميَّ قال : يخرجون من قبورهم وكلُّهم مذعورون ، فيناديهم مُنادٍ : ﴿ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الزخرف : ٦٨] فيطمعُ فيها الخلق فيُتْبِعُها : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٩] فَييأسُ منها الخلقُ غيرُ أهلِ الإسلام[(٨)] .

ورَوى من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس على أهل لا إلٰه إلا الله وَحْشةٌ في قبورهم ، ولا يَوْمَ نُشُورِهم ، وكأنّي بأهْل لا إلٰه إلا الله يَنْفُضُون التُّرَاب عن رؤوسهم » ويقولون : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ [فاطر : ٣٤][(٩)] . قلت : وله شاهد من القرآن العظيم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٤٣) والنسائي في « الكبرى » (١٠٧٠٦) وهو حديث صحيح .
(٢) في هامش (آ) : فيتمعكون .
(٣) في (آ) ماء كلها .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١١٤) .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٠٣) .
(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٠٤) .
(٧) في (آ) يسار .
(٨) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٠٥) .
(٩) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٧٠) ورواه الطبراني في « الأوسط » (٩٤٧٨) وإسناده ضعيف .

وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[1] [الأنبياء] .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : أخبرنا أبو حفص الصفّار ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا إبراهيم بن عيسى اليشكري : بلغنا أنّ المؤمن إذا بُعث من قبره تَلَقّاه ملكان ، مع أحدهما دِيباجَةٌ ، فيها بَرَدٌ ومِسْك ، ومع الآخر كوبٌ من أكواب الجنَّةِ فيه شراب ، فإذا خرج من قبره خَلَط المَلَك ذلك البَرَدَ بالمِسْكِ فرَشَّهُ علَيْهِ وصَبَّ لهُ الآخرُ شَرْبَةً ، فيناوله إيّاها ، فيَشْرَبُها ، فلا يَظْمأ بَعْدَها أبداً ، حتّى يَدخل الجَنَّةَ ، فأما الأشقياءُ ، والعياذ بالله ، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف] .

وذكرنا في « التفسير » : أنّ الكافر إذا قام من قبره أخذ بيده شيطانُه ، ويلزمَهُ فلا يفارقه ، حتى يُرْمى بهما في النّار ، وهكذا كل فاجر وفاسق غافل عن ذِكر الله مضيِّع لأمره ، وقال تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٢١] أي مَلَكٌ يَسُوقُه إلى الْمَحْشَرِ ، وآخَرُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بأعمالِه ، وهذا عامّ في الأبرار والفُجّار ، وكلٌّ بِحَسَبَه ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ أي : أيها الإنسان الغافل عما خلق له ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ٢٢] أي : نافذٌ قويّ حادٌّ ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ٢٣] أي : هذا الذي جئتُ به هو الذي وُكِّلْتُ به ، فيقول الله تعالى عند ذلك للسائق والشهيد : ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴾ [ق : ٢٤ ـ ٢٥] أي : ليس فيه خير ويمنع غيره من الخير ، ومع ذلك هو مُريب ، أي : هو في شك ورَيْب . ثم انتقل إلى من هو متلبِّس بأعظم من ذلك ، وقد تجتمع في العبد هذه الأربعة المذمومة المقبوحة التي هي أقبح الخصال ، وأعظمها وأقبحها الشرك بالله ، فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ . . . ﴾ الآيات ، إلى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ . . . ﴾ الآيات [ق : ٢٦ ـ ٣١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يحيى هو ابن سعيد القَطّان ، عن ابن عَجْلان ، عن عمرو بن شُعَيْب ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن النبيّ ﷺ قال : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القيامةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَر الناس ، يعلوهم كلُّ شيءٍ مِن الصَّغَارِ ، حَتَّى يَدْخُلوا سِجْناً في جَهَنَّمَ ، يقال له : بُولَس فتعلوهم نار الأنْيارِ[2] ، فيُسْقَونَ من طينةِ الْخَبَالِ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ » . ورواه الترمذي والنسائي جميعاً ، عن سُوَيْد بن

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٠٧) ورواه الطبراني في « الأوسط (٩٤٧٨) وإسناده ضعيف » .
(٢) أي نار النيران .

نصر ، عن عبد الله بن المُبَارَك ، عن محمد بن عَجْلان ، به ، وقال الترمذيّ : حسن[(١)] .

وقال الحافظ أبو بكر البزّار : حدّثنا محمد بن عُثْمان العُقَيْليّ ، حدّثنا محمد بن راشد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ في صُور الذَّرّ ، يوْمَ القيامَةِ » ثم قال : تفرّد به محمد بن عثمان ، عن شيخه[(٢)] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب « أهوال القيامة » : حدّثنا عبدُ الله بن عمر الجُشَمِيُّ ، حدّثنا يحيى بن سعيد ، عن هشام ، أبنا قَتَادةُ ، عن الحسن ، عن عمران بن الحُصَيْن : أنّ رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره ، وقد تفاوت[(٣)] بين أصحابه السيرُ ، فرفع بهاتين الآيتين صوته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾ [الحج] فلما سمع ذلك أصحابُه حَثُّوا[(٤)] المَطيَّ ، وعلموا أنّه عند قولٍ يقولُه ، فلمّا تَأَشَّبُوا[(٥)] حَوْلَه ، قال : « أتدرُونَ أيَّ يوْم ذاك ؟ يومَ يُنادَى آدم ، يُنَاديهِ رَبُّه ، يقولُ : يا آدمُ ، ابْعَثْ بَعْثَ النَّار ، قال : يا رَبِّ ، ومَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قال : منْ كلِّ ألف تِسْعُمئةٍ وتِسْعةٌ وتِسْعُونَ إلى النار ، وواحدٌ إلى الجَنَّة » قال : فأُبلس[(٦)] أصحابه ، حتى ما أوضحُوا بِضَاحِكةٍ ، فلما رأى ذلك قال : « اعملوا ، وأبشروا ، فوَالذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه إنّكم لَمَع خَلِيقَتَيْن ما كانتَا مع شيء إلاّ كَثَّرَتاهُ : يأجُوجَ ومأجوجَ ، ومن هلَك من بني آدم ، ومنْ بَني إبليس » قال : فَسُرِّي عنهم ، ثم قال : « اعملوا ، وأبشروا ، فوالذي نفسُ محمد بيده ما أنْتُم في الناس إلاّ كالشامَةِ في جَنْبِ البَعير ، أو كالرَّقْمَةِ في ذراع الدَّابة » وقد رواه الترمذيّ والنسائيّ جميعاً ، عن محمد بن بَشّار (بُنْدار) ، عن يحيى بن سعيد القطّان ، به ، وقال الترمذي : هذا حسن صحيح[(٧)] .

فصــل

فإذا قام الناس من قبورهم وجدوا الأرض غير صِفَةِ الأرض التي كانوا فيها وفارقوها ، قد دُكَّتْ جبالُها ، وزالت تِلالُها ، وتغيّرتْ أحوالها ، وانقطعت أنْهارها ، وبادتْ أشجارُها ومساكنها ومدنها

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/١٧٩) والترمذي رقم (٢٤٩٢) وهو حديث حسن .

(٢) رواه البزار (٣٤٣٠ ـ كشف الأستار) وهو حديث حسن .

(٣) في الأصل : تقارب .

(٤) حثوا المطي ، حملوها على الإسراع في السير .

(٥) أي تجمعوا واختلطوا .

(٦) أي : أُسكتوا ، والمُبْلس : الساكت من الحزن أو الخوف ، والإبلاس : الحيرة .

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٢) والترمذي (٣١٦٩) والنسائي في « الكبرى » (١١٣٤٠) وهو حديث صحيح .

وبلادها ، وسُجِّرَت بحارُها ، وتساوَتْ وهادها ورُبَاها ، وخَرِبَتْ مدائنُها وقُرَاها ، وزالت قصورها وبيوتها وأسواقها ، وزُلْزِلتْ زِلْزالَها ، وأخْرَجَتْ أثْقَالها ، وقال الإنسانُ : ما لَها ؟ يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها . وكذلك يجدون السموات قد بُدِّلَتْ ، ونُجُومُها قد انْكَدَرَت وانتثرَتْ ، ونواحيها قد تشقّقَتْ ، وأرجَاؤُها قد تَفَطّرَتْ ، والملائكة على أرجائها قد أحدَقت . وشمسها وقمرها مكسوفان ، بل مخسوفان ، وفي مكان واحدٍ مجموعان ، ثم يُكوَّرَان بعد ذلك ثم يُلْقَيان في النار . كما في الحديث الذي سَنُورده في « النَّيِّران » يُكوَّران كأنهما ثَوْرانِ عَقِيرانِ .

قال أبو بكر بن عيَّاش : قال ابن عبَّاس : يخرجون من قبورهم فينظرون إلى الأرض غيرَ الأرض التي عَهِدُوها . وإلى الناس غيرَ الناس الذين كانوا يعرفون ويعهدون . قال : ثم تمثَّل ابنُ عبَّاس :

فمَا النَّاسُ بالنَّاس الّذِين عَهِدْتَهُمْ   وَلا الدَّارُ بِالدَّار التي كُنْتَ تَعْرِفُ

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الطور : ٩ - ١٠] . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرحمن] ، وقال تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ . . . ﴾ الآيات [الحاقة : ١٤] . وقال الله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ . . . ﴾ الآيات [التكوير : ١ - ٤] .

وثبت في « الصحيحين » من حديث أبي حازم ، عن سَهْل بن سعد ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « يُحْشرُ الناسُ يوم القيامة على أرضٍ بيْضَاءَ عَفْراءَ[1] كقُرْصَةِ النَّقِيِّ[2] ليس فيها مَعْلَم لأحَدٍ »[3] .

وقال محمد بن قيس ، وسعيد بن جُبَيْرٍ : تُبَدَّلُ الأرْضُ خُبْزَةً بَيْضَاءَ ، يَأْكُلُ مِنْها الْمُؤْمنُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ .

وقال الأعمش ، عن خَيْثمة ، عن ابن مسعود ، قال : الأرْضُ كُلُّها يومَ القيامة نار ، والْجَنَّةُ مِنْ ورائها يُرَى كواعبُها ، وأكوابُها ، ويُلْجمُهُم العَرَقُ ، ويبلغ منهم كل مبلغ ، ولم يَبْلُغُوا الحِسَابَ . وكذا رواه الأعمش ، عن الْمِنْهالِ ، عنْ قَيْس بن السَّكَن ، عن ابن مسعود . . . فذكره .

وقال إسرائيل وشعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود قال: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] قال : أرض بيضاء كالفضة البيضاء ، نقية ، لم يسفك فيها دم ، ولم يعمل فيها خطيئة ، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ، حفاة عراة كما خلقوا ، أراه قال : قياماً حتى يلجمهم العرق .

---

(١) العفراء : البيضاء إلى حمرة .

(٢) النقي : خبز الدقيق الأبيض .

(٣) رواه البخاري رقم (٦٥٢١) ومسلم (٢٧٩٠) .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا القاسم بن الفضل ، قال : قال الحسن : قالت عائشة : يا رسول الله ، أرأيت قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ أين يكون النَّاسُ يومئذ ؟ قال : « إنَّ هذا لشيء ما سألني عنه أحدٌ منْ أُمَّتي قبلَكِ ، النَّاسُ على الصراط » ، تفرَّد به أحمد . ورواه أبو بكر بن أبي الدّنيا ، حدّثنا علي بن الجَعد ، حدّثنا القاسم بن الفضل ، سمعتُ الحسن قال : قالت عائشة : . . . فذكره ، ورواه قتادةُ ، عن حَسّان بن بلال المزني ، عن عائشة بمثل هذا سواءً[1] .

وقال ابن أبي الدنيا : أبنا عُبَيْد بن جرير العَتكيّ ، حدّثنا محمد بن بكّار الصَّيْرَفيّ ، حدّثنا الفضل بن معروف القُطَعيّ ، حدثنا بشرُ بن حرب ، عن أبي سعيد ، عن عائشة ، قالت : بينما النبيُّ ﷺ واضعٌ رأسه في حِجْري بَكيْتُ ، فرفع رأْسهُ ، فقال : « ما أبكاكِ ؟ » قلت : بأبي أنتَ وأُمِّي ، ذكرْتُ قولَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ أين الناس يومئذ ؟ قال رسول الله ﷺ : « الناس يومئذ على جسر جهنم . والملائكة وقوف تقول : رب سلم ، سلم ؛ فمن بَيْنِ زَالّ وزَالةٍ » . هذا حديث غريب من هذا الوجه ، لم يخرجه أحمد ولا أحد من أصحاب الكتب الستة[2] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا محمد بن أبي عديّ ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة أنّها قالت : أنا أوّلُ النّاسِ سألَ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ قالت : قلت : أين النّاسُ يومئذٍ يا رسول الله ؟ قال : « على الصراط » . وأخرجه مسلم بن الحجاج في « صحيحه » والترمذي وابن ماجه من حديث داود بن أبي هِنْد . وقال الترمذيّ : حسن صحيح . ورواه أحمد أيضاً ، عن عفّان ، عن وُهَيْب ، عن داود ، عن الشعبيّ ، عنها ، ولم يذكر مسروقاً[3] .

وروى أحمد أيضاً من حديث حبيب بن أبي عَمْرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن عائشة : أنّها سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ، ثمّ قالت : أين الناسُ يومئذ يا رسول الله ؟ قال : « هم على مَتْن جهنّم »[4] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٠١) وابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٦٩) وهو حديث حسن .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٧٢) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٦/ ٣٥ و١٣٤) ومسلم رقم (٢٧٩١) والترمذي رقم (٣١٢١) وابن ماجه (٤٢٧٩) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٦/ ١١٦ ، ١١٧) لكن فيه أنها سألت عن آية ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ .

وروى مسلم من حديث أبي سَلَّام ، عن أبي أسْمَاءَ الرحَبيّ ، عن ثَوْبَان أن حَبْراً من اليهود سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : أينَ يكونُ الناسُ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم في الظلْمَةِ دون الجِسْر »[١] .

وقال ابن جرير : حدثني ابن عوف ، حدّثنا أبو المُغيرة ، حدّثنا ابنُ أبي مَرْيم ، حدّثنا سعيد بن ثَوْبان الكَلاعيّ ، عن أبي أيُّوبَ الأنصاريّ قال : أتى النبيَّ ﷺ حَبْرٌ منَ اليهود ، قال : أرأيتَ إذْ يقولُ الله في كتابه : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فأيْنَ الخَلْقُ عِنْدَ ذلكَ ؟ فقال : « أضْيافُ الله ، فلن يُعْجزَهُمْ مَا لَدَيْهِ » ، وكذا رواه ابن أبي حاتم ، من حديث أبي بكر بن أبي مَرْيَم .

وقد يكون هذا التبديل بعد المَحْشر ، ويكون تبديلاً ثانياً إلى صِفَةٍ أُخْرى غير الأولى وبعدها ، والله أعلم ، كما قال ابن أبي الدنيا : حدّثنا يوسف بن موسى ، حدّثنا وَكيع ، حدّثنا شُعْبَة ، عن المُغيرة بن مالك ، عن رجل من بني مُجَاشع ، يقال له : عبد الكريم ، أو يكنى بأبي عبد الكريم ، قال : أقامني على رجل بخراسان ، فقال : حدّثني هذا أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ قال : ذُكر لنا أنّ الأرض تُبدّل فِضّةً والسَّموات ذهباً[٢] ، وكذا رُوي عن ابن عباس ، وأنس بن مالك ، ومجاهد بن جبر ، وغيرهم ، والله سبحانه أعلم .

ذكر طول يوم القيامة وما ورد في مقداره

قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحج] قال بعض المفسرين : هو يوم القيامة . وقال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المعارج : ١ ـ ٥] .

وقد ذكرنا في « التفسير » اختلاف السلف ، والخلف ، في معنى هذه الآية ، فروى ليث بن أبي سُليم وغيرُه ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : ذلك هو مقدارُ ما بين العرش إلى الأرض السابعة .

وقال ابن عبّاس في قوله : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥] يعني بذلك : أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى

---

(١) رواه مسلم رقم (٣١٥) .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الأهوال (٦٨) .

السماء ، لأنّ ما بين السماء والأرْض مَسِيرةُ خَمْسمئةِ عام ، ومن كل أرض إلى التي تحتها خمسمئة عام . رواه ابن أبي حاتم .

ورواه ابن جرير عن مجاهد أيضاً ، وذهب إليه الفَرّاء ، وقاله أبو عبد الله الحَلِيميُّ ، فيما حكاه عنه الحافظ أبو بكر البَيْهقيّ ، في كتاب « البعث والنشور » ، قال الْحَلِيميّ : فالمَلَكُ يَقطع هذه المسافة في بعض يوم ، ولو أنها مسافة يمكن البشر قطعها ، لم يتمكّن أحدٌ من قطعها ، إلا في مقدار خمسين ألف سنة ، قال : وليس هذا مقدار يوم القيامة بسبيل ، بل هذا مقدار ما بين العرش إلى الأرض السابعة ، ورجّح الحَلِيمي هذا بقوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج] ، وذو المعارج ، أي : العلو والعظمة . كما قال تعالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [غافر : ١٥] ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ ﴾ أي : مَسافةٍ كان مقدارُها ﴿ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ أي بُعْدها ، واتِّسَاعها هذه المدة . فعلى هذا القول المراد بذلك مسافةُ المكان ، هذا قول ، وقد حاول البيهقي الجمع بين هذه الآية ، وبين قوله : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ بأن الملائكة تقطع هذه المسافة في الدنيا في ألف سنة ، فإذا كان يوم القيامة لا تقطعها إلا في خمسين ألف سنة ، لما يشاهدون من هول ذلك اليوم وعظمته وغضب الرب عزَّ وجل ، والله أعلم(١) .

والقول الثاني : إن المراد بذلك مُدّة عمر الدُّنيا ، قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في « تفسيره » : حدّثنا أبو زُرْعَة ، حدّثنا إبراهيم بن موسى ، حدّثنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد ، في قوله تعالى : ﴿ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : الدنيا عُمرها خمسون ألف سنة ، ذلك عمرها يوم سَمَّاها اللهُ تعالى يوماً ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قال : اليومُ الدُّنيا .

وقال عبد الرزّاق : حدّثنا مَعْمرٌ ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، وعن الحكم بن أبانَ ، عن عِكْرمةَ ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ، قالا(٢) : الدُّنيا من أوّلها إلى آخرها خمسون ألف سنةً ، لا يَدْري أحدٌ كمْ مَضَى ، ولا كم بَقي ؟ ولا يدري ذلك إلاَّ الله عزَّ وجلَّ ، وذكره البَيْهَقيّ من طريق محمد بن ثَوْر ، عن مَعْمرٍ ، به ، وهذا قول غريب جدّاً ، لا يوجد في كثير من الكتب المشهورة ، والله أعلم .

القول الثالث : أن المراد بذلك فصل ما بين الدنيا ويوم القيامة ، وهو مدة المقام في البرزخ ، رواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، وهو غريب أيضاً .

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (٢١/ ٩١) .
(٢) في الأصول : قال .

القول الرابع : إن المراد بذلك مقدار الفصل بين العباد يوم القيامة ، قال ابن أبي حاتم : حدّثنا أحمد بن سِنَان الواسطيّ ، حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن سِمَاكٍ ، عن عِكْرمةَ ، عن ابن عبَّاس ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قال : يوم القيامة . إسناده صحيح ، ورواه الثوريُّ عن سمَاكٍ ، عن عِكْرِمة من قوله ، وبه قال الضحَّاك ، والحسن ، وابن زيد .

وقال ابن أبي الدّنيا : حدّثنا محمد بن إدريس ، حدّثنا الحسن بن واقع ، حدّثنا ضَمْرَة ، عن ابن شَوْذَب ، عن يزيد الرِّشْك قال : يقوم الناس يوم القيامة أربعين ألف سنة ، ويُقْضَى بينهم في مقدار عَشَرةِ آلاف سنةٍ .

وقال علي بن أبي طَلْحة عن ابن عباس قال : يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة .

وقال الكَلْبيّ في « تفسيره » وهو يرويه عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لو وَلِيَ مُحاسبَةَ العباد غيرُ اللهِ تعالى لم يَفْرُغ في خمسين ألف سنة .

قال البيهقيّ : وفيما ذكر حَمّاد بن زَيْد ، عن أيُّوب ، قال : قال الحسن : ما ظنُّك بيَوْمٍ قام العباد فيه على أقدامهم مقدارَ خمسين ألف سنة ، لم يأكلُوا فيها أكْلَةً ، ولم يشربوا فيها شَرْبةً ، حتى تَقَطَّعَتْ أعْنَاقُهُمْ عَطَشاً ، واحتَرَقَتْ أجوافهم جُوعاً ، ثم انْصُرِفَ بهم إلى النار فسُقُوا من عَيْن آنيةٍ ، قد أنى حَرُّها[(١)] ، واشتدّ نُضْجُها ؟ وقد ورد هذا في أحاديث متعدّدة ، فالله أعلم .

قال الإمام أحمد : حدّثنا الحسن بن موسى ، حدّثنا ابن لَهيعة ، حدّثنا دَرَّاج ، عن أبي الهَيْثَم ، عن أبي سعيد ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ، ما أطول هذا اليوم ! فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، إنّه لَيُخَفَّفُ على المؤمن ، حتّى يكون أخَفَّ عليه من صلاة مكتوبةٍ يُصلِّيها في الدُّنيا » .

ورواه ابن جرير في « تفسيره » عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وَهْب ، عن عمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، به . ودرّاج أبو السمح ، وشيخه أبو الهَيْثم ، سليمان بن عمرو العُتْوَاريّ ، ضعيفان . على أنّه قد رواه البيهقي بلفظ آخر فقال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : حدثنا أبو العبَّاس محمد بن يعقوب ، حدّثنا محمد بن إسحاق الصَّغاني ، حدّثنا أبو سَلمةَ الخُزَاعيّ ، حدّثنا خلاّد بن سُلَيْمَان الحَضْرَميُّ ، وكان رجلاً من الخائفين ، قال : سمعتُ دَرَّاجاً أبا السمح يُخبِرُ عمّنْ حَدّثه ، عن أبي سعيد الخدري : أنّه أتى رسول الله ﷺ ،

---

(١) يعني أن هذه العين قد بلغ حرها غاية في الشدة .

فقال: أخبرني بمنْ يَقْوى على القيام يوم القيامة ، الذي قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المطففين] فقال : « يخَفَّف على المُؤمن حَتّى يكونَ عليه كالصلاة المكتوبة »(١) .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : إنَّ للمؤمنين يوم القيامة كراسيَّ من نور ، يجْلسون عليها ، ويُظَلِّلُ عليهم الغَمامُ ، ويكون يومُ القيامة عليهم كساعةٍ من نهار ، أو كأحد طَرفيه . رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو كامل ، حدّثنا حمّاد ، عن سهيل بن أبي صالح ، [عن أبيه] ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب كَنْزٍ لا يُؤَدِّي حَقّه إلاّ جُعل كنُزه صَفَائحَ يُحْمى عَلَيها في نارِ جهنَّم ، فتُكوى بها جَبْهَتُه ، وجَنبُه ، وظَهْرُه ، حتّى يَحْكُم الله (عزَّ وجلَّ) بين عباده ، في يوم كان مقدارُه خمسينَ ألف سنة ممّا تَعُدُّون ، ثم يُرى سبيله إمَّا إلى الجنَّة ، وإمَّا إلى النار . . . » وذكر بقية الحديث في مانع زكاة الغنم ، والبقر ، والإبل ، أنّه يُبْطحُ لها بقاعٍ قَرْقرٍ تَطؤُهُ بأخفْافِها ، وأظلافها ، وتَنْطَحُه بقرونها ، كلّما مرّت عليه أُخْرَاها أُعيدتَ علَيْهِ أولاها ، حتى يُقضى بَيْنَ العباد ، في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة مما تعدُّون ، ثم يَرى سبيلَه إمَّا إلى الجنَّة ، وإما إلى النار(٢) .

وهكذا رواه أبو داود الطَّيالسي ، في « مسنده » : أخبرنا وهيب بن خالد ، وكان ثقةً ، حدّثنا سُهَيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ . . . فذكر نحوَه . وأخرجه مسلم من حديث رَوْح بن القاسم ، وعبد العزيز بن المختار ، كلاهما عن سُهَيْل به مثلَه . وأخرجه مسلم أيضاً من حديث زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعاً في الذهب والفضة ، والإبل ، والبقر ، والغنم(٣) .

وقد رواه الإمامُ أحمد وأبو داود من حديث شُعبة ، والنسائي من حديث سعيد بن أبي عَرُوبة ، كلاهما عن قَتادَةَ ، عن أبي عمر الغُدَانِيّ ، عن أبي هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « منْ كانت له إبل ، لا يُعْطي حَقَّها في نَجْدَتِها وَرِسْلها » ـ يعني في عُسْرِها ويُسْرِها ـ « فإنها تأتي يوم القيامة كأغَذِّ ما كانت وأسْمَنِه ، وأكبره ، وآشره(٤) ، حتَّى يُبْطحَ لها ، بقاعٍ قَرْقرٍ ، فتطؤه بأخفافها ، فإذا جاوزته أُخْرَاها أُعيدَتْ عليه أُولاها ، في يوم كان مقدارُه خمسين ألفَ سنة ، حتى يُقْضَى بين الناس ، فيُرَى سبيلَه . وإذا كانت له بقر ، لا يُعطي حَقّها في نَجْدتها ورِسْلها ، فإنّها تَأتي يومَ القيامة كَأَغذّ ما كانت ، وأكبره وأَسمَنِه وآشَرِه ، ثم يُبطحُ لها بقاع قَرْقرٍ ، فتطؤه كلُّ ذاتِ ظِلْفٍ بِظِلْفها ، وتَنْطَحُه كلُّ ذات قَرْنٍ

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧٥) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٢) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه أبو داود الطيالسي رقم (٢٤٤٠) ومسلم رقم (٩٨٧) .
(٤) أي : أبطره وأنشطه .

بقرْنها ، ليس فيها عَقْصَاءُ ، ولا عَضْباء[١] ، إذا جاوَزَتْه أُخْرَاهَا أعِيدتْ عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يُقْضَى بين الناس ، فيُرى سَبيله . وإذا كانتْ له غنمٌ لا يُعْطي حَقّها في نَجدتها وَرِسْلها ، فإنّها تأتي يوم القيامة كأغَذّ ما كانتْ ، وأكبره ، وأسْمَنِه ، وآشرِه ، حتى يُبْطَحَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ فتطؤه كلُّ ذاتِ ظِلْفٍ بِظِلْفها ، وتَنْطحُه كلُّ ذاتِ قرنٍ بقرنها ، [ليس فيها عقصاء ولا عضباء] ، إذا جاوَزَتْهُ أُخراها أعيدتْ عليه أُولاها ، في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة ، حتّى يُقْضى بين الناس ، فَيَرى سبيلَهُ »[٢] .

قال البيهقيّ : وهذا لا يحتمل إلا تقدير ذلك اليوم بخمسين ألف سنة مما تَعدُّون ، والله أعلم ، ثم لا يكون ذلك كذلك إلا على الهالك الذي لا يُغْفَرُ له [ذَنْبُه] فأمّا من غُفِر له ذنبه من المؤمنين ، فقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا الحسن بن محمد بن حَلِيم ، حدّثنا أبو الموجِّه ، حدّثنا عَبْدان ، حدّثنا عبد الله هو ابن المبارك ، عن مَعْمر ، عن قتادةَ ، عن زُرارةَ بن أوْفَى ، عن أبي هريرة ، قال : يوم القيامة على المؤمنين كقَدْرِ ما بين الظهر والعصر . ثم قال : هذا هو المحفوظ .

وقد رُوي مرفوعاً ، أخبرناه أبو عبد الله الحافظ ، حدّثني عبد الله بن عمرَ بن عليّ الجوهريّ بمَرْوَ ، حدّثنا يحيى بن ساسُويه بن عبد الكريم ، حدّثنا سُوَيد بن نصر ، حدّثنا ابن المبارك . . . ، فذكره بإسناده مرفوعاً[٣] .

قال يعقوب بن سفيان : حدّثنا حرملة بن يحيى ، حدّثنا ابن وهب ، حدّثني عبد الرحمن بن مَيْسَرة ، عن أبي هانئ ، عن أبي عبد الرحمن الْحُبُليِّ ، عن عبد الله بن عمرو ، تلا رسولُ الله ﷺ ، هذه الآية : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [المطففين : ٦] قال : « كيف بكم إذا جمعكم الله كما يُجْمَعُ النَّبلُ في الكِنَانة ، خمسينَ ألف سنةٍ لا ينظر إليكم ؟ »[٤] .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا حمزة بن العباس ، حدّثنا عبد الله بن عثمان ، حدّثنا ابن المبارك ، حدّثنا سُفيان ، عن مَيْسَرة ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن أبي عُبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتّى يقيلَ هؤلاءِ وَهؤلاء » ثم قرأ : (إنَّ مَقيلَهمْ لإلىٰ الْجَحيم) قال ابن المبارك : هكذا في قراءة ابن مسعود . ثم قال : حدّثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدّثنا وَكيع ، حدّثنا سُفيانُ ، عن مَيْسرةَ النَّهْدي ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي عُبَيدة ، عن عبد الله بن

---

(١) العقصاء : الملتوية القرن ، والعضباء : المكسورة القرن .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٩٠) وأبو داود رقم (١٦٦٠) والنسائي (٥/ ١٢ و١٣) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٣) أخرجهما الحاكم في المستدرك (١/ ٨٤) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٢) من طريق ابن وهب ، به ، وهو صحيح .

مسعود ، في قوله: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٤] قال : لا ينتصفُ النهارُ يوم القيامة حتى يَقيلَ هؤلاء وهؤلاء .

ذكر المقام المحمود الذي خص به رسول الله ﷺ ، من بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ومن ذلك الشفاعة العُظْمى في أهل الموقف ، ليَجيءَ الربُّ عزَّ وجلَّ فيَفْصِلَ بينهم ويُريحَ المؤمنين من ذلك الحال إلى حسن المآب والمآل

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

قال البخاريّ : حدّثنا علي بن عيَّاش ، حدّثنا شُعَيْبُ بن أبي حَمزة ، عن محمد بن المُنْكَدِر ، عن جابر بن عبد الله ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « منْ قالَ حينَ يَسْمعُ النِّدَاءَ : اللهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوةِ التامَّة ، والصلاة القائمة ، آتِ محمَّداً الوسيلةَ ، والفضيلةَ ، وابْعَثْهُ مَقاماً مَحْموداً الَّذي وَعَدْتَهُ ، حَلّتْ لهُ شفاعَتي يوم القيامة » انفرد به دون مسلم(١) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا وكيع ، حدّثنا داود ، وهو [ابن] يزيد بن عبد الرحمن الزعافري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] قال : « الشفاعة » إسناده حسن(٢) .

وثبت في « الصحيحين » وغيرهما من حديث جابر وغيره ، عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « أُعطيتُ خَمْساً لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ من الأنبياء قَبْلي : نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسيرة شَهْرٍ ، وأُحِلّتْ لي الغَنائمُ ، ولمْ تحلّ لأَحَدٍ قَبْلي ، وَجُعلتْ لي الأَرْضُ مَسْجداً ، وطَهُوراً ، فأيُّما رَجُلٍ منْ أُمتي أَدْرَكتْهُ الصَّلاة فَلْيُصَلِّ ، وأُعْطيتُ الشَّفاعةَ ، [وكان النبيُّ يُبْعثُ إلى قومه خاصة ، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كافَّةً »(٣) .

فقوله : « وأعطيتُ الشفاعة »] يعني بذلك الشفاعةَ التي تُطلب من آدم ، فيقول : لستُ بصاحب ذاكُمْ ، اذهبوا إلى نوح ، فيقول لهم كذلك ويُرشدهم إلى إبراهيم ، فيُرشدهم إلى موسى ، ويرشدهم موسى إلى عيسى ، فيرشدهم عيسى إلى محمد ﷺ وعليهم أجمعين ، فيقول : « أنا لها . أنا لها » ، وسيأتي ذلك مبسوطاً في أحاديث الشفاعة ، في إخراج العصاة من النار ، وقد ذكرنا طرق هذا الحديث بطوله عن جماعة من الصحابة عند تفسير هذه الآية الكريمة من كتابنا « التفسير » بما فيه كفاية .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦١٤) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٤٤) أقول : داود الزعافري ، ضعيف ، ولكن للحديث شواهد يقوى بها .
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٥) ومسلم رقم (٥٢١) من حديث جابر .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يَوْمَ القِيامةِ ، وَأوّلُ منْ يَنْشَق عنه القبْرُ ، وأولُ شافعٍ ، وأوّلُ مُشفّع »(١) .

ولمسلم أيضاً ، عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه ؛ في حديث قراءة القرآن على سبعة أحرف ؛ قال رسول الله ﷺ : « فقلت : اللهمَّ اغفر لأمّتي . اللهمَّ اغفر لأمّتي . وأخّرتُ الثالثة ليوم يَرغب إليّ فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام »(٢) .

وقال أحمد : حدّثنا أبو عامر الأزديُّ ، حدّثنا زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطُّفيل بن أبيّ بن كعب ، عن أبيه ، عن النبيّ ﷺ قال : « إذا كانَ يَوْم القيامَةِ كنتُ إمامَ الأنبياء ، وخَطيبَهم ، وصاحبَ شفاعَتِهم غَيْرَ فَخْر » . ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل ، وقال الترمذيّ : حسن صحيح(٣) .

وقال أحمد : حدّثنا يزيد بن عبد ربّه ، حدّثني محمد بن حرب ، حدّثنا الزبيديّ ، عن الزهريّ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ عن كعب بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال : « يُبْعثُ الناسُ يَومَ القيامةِ فأكون أنا وأمّتي على تلٍّ . ويَكْسُوني ربّي عزَّ وجلَّ حُلّةً خَضْرَاءَ . ثم يُؤْذَنُ لي فأقولُ ما شاء الله أن أقول ، فذلك المقامُ المحمود »(٤) .

وقال أحمد : حدّثنا حسن ، حدّثنا ابن لهيعة ، حدّثنا يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر ، عن أبي الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « أنا أوّلُ منْ يُؤْذَنُ له بالسجود يوم القيامة ، وأنا أوّل من يُؤذن له برفع رأسِه . فأنظر إلى بين يَدَيَّ ، فأعرِفُ أمّتي من بين الأمم ؛ ومِنْ خَلْفي مثل ذلك ، وعن يميني مثل ذلك ، وعن شمالي مثل ذلك » فقال رجل : يا رسولَ الله ، كيف تعرفُ أمّتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك ؟ قال : « هم غُرٌّ مُحَجّلُون منْ أثَرِ الوضوء ؛ ليس أحدٌ كذلك غيرُهم ، وأعرفهم أنهُمْ يُؤتَونَ كُتُبَهُمْ بأيْمَانِهِمْ(٥) ، وأعْرِفُهُمْ يَسْعَى بَيْن أيْدِيهم ذُرِّيّتُهُمْ »(٦) .

وقال أحمد : حدّثنا يونس بن محمد ؛ حدّثنا حرب بن ميمون ، أبو الخطّاب الأنصاريّ ، عن

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٧٨) .
(٢) رواه مسلم رقم (٨٢٠) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٣٧) والترمذي رقم (٣٦١٣) وابن ماجه رقم (٤٣١٤) وهو حديث حسن .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٥٦) وهو حديث صحيح .
(٥) كذا الرواية هنا عن ابن لهيعة . وهي من أغاليطه ، رقم (٢١٧٣٧) والصحيح عنه بلفظ « وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم » رقم (٢١٧٣٩) ويؤيده ظاهر الآية (١٢) من سورة الحديد .
(٦) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٩٩) وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف . ولكن للحديث شواهد بمعناه ، فهو حديث حسن بشواهده .

النَّضر بن أنسَ ، عن أنس ، قال : حدّثني نبيّ الله ﷺ قال : « إنِّي لقائمٌ أنتظِرُ أُمَّتي حتى تَعْبُرَ الصِّراطَ ، إذ جاءني عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فقال : هذه الأنبياء قد جاءتْكَ يا محمد ، يسألونك ، أو قال : يجتمعون إليك ، يدعون الله عزَّ وجلَّ أن يفرِّق بين جميع الأمم إلى حيثُ يشاء الله ، لِغَمٍّ ما هُمْ فيه ، فالخلقُ مُلْجَمُونَ بالعرق ، فأمَّا المؤمن فهو عليه كالزُّكمة ، وأما الكافر فيغشاه الموت ، فقال : انتظر حتى أَرْجِعَ إليك ، فذهب نبيُّ الله ﷺ فقام تحت العرش . فَيلْقى ما لم يَلْقَ ملَكٌ مُقرَّب[١] ، ولا نبيٌّ مُرْسلٌ . فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى جبريل : أن اذْهَبْ إلى محمد ، وقل له : ارفع رأسَك ، وسَلْ تُعْطَ ، واشْفَعْ تُشَفَّع . فشفعت في أمّتي ، فقال : أخرِجْ من كلِّ تسعةٍ وتسعينَ إنساناً واحداً ، فما زلت أتردَّد إلى ربِّي عزَّ وجلَّ فما أقوم منه مقاماً إلاّ شفِّعْتُ ، حتى أعطاني الله عزَّ وجلَّ من ذلك أن قال : يا محمَّد ، أدْخِلْ من خلق الله منْ أُمَّتك من قال : لا إلـه إلاَّ اللهُ يوماً واحداً مُخْلصاً ، ومات على ذلك »[٢] .

وروى الإمام أحمد من حديث عليّ بن الحكم البناني ، عن عثمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود . . . ، فذكر حديثاً طويلاً وفيه أن رسول الله ﷺ قال : « وإنّي لأقُومُ المقامَ المَحْمُودَ يوم القيامة » ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، وما ذلك المقامُ المحمودُ ؟ قال : « ذاك إذا جيءَ بِكُمْ حُفاةً عُراةً غُرْلاً ، فيكون أوّل من يُكْسَى إبراهيم ، يقول الله عزَّ وجلَّ : اكْسُوا خليلي ، فيُؤْتَى برَيْطَتَيْن بَيْضاوَيْن ، فيلبَسُهما ثم يَقْعُد مسْتقبلَ العَرْش ، ثم أُوتى بكسْوتي ، فألْبَسُها ، فأقومُ عن يمينه مقاماً لا يقومُه أحدٌ ، فيَغْبطُني به الأوَّلون والآخِرُونَ » قال : « ويُفْتَح لهم من الكوثر إلى الحوض . . . » وذكر تمام الحديث في صفة الحوض ، كما سيأتي قريباً[٣] .

وذكرنا في « المسند الكبير » عن حيدة الصحابي عن رسول الله ﷺ قال : « تحشرون يوم القيامة حُفَاةً عُراةً غُرلاً ، وأول من يُكسى إبراهيم الخليل ، يقول الله تعالى : اكسوا خليلي ليعلم الناس فضله ثم يُكسى الناس على قدر الأعمال »[٤] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عَفَّان ، حدّثنا حمَّاد بن سَلمة ، حدّثنا ثابت ، عن أنس بن مالك : أنّ رسول الله ﷺ قال : « يَطُولُ على الناس يومُ القيامة ، فيقول بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشَر ، فليشفع لنا إلى رَبّنا عزَّ وجلَّ فلْيَقضِ بَيْننا ، [فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدمُ ، أنتَ الذي خلقك الله بيده ، وأسكنك جنته ، فاشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا ، فيقول :] إنّي لستُ هُناكم ،

(١) وفي بعض نسخ الكتاب : « ملك مصطفى » .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٧٨) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) وفي إسناده ضعف .
(٤) رواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » بإسناد ضعيف . « جامع المسانيد » للمصنف (٣/ ٢٣٤٥) .

ولكِن ائتُوا نُوحاً رَأْسَ النبيِّين ، فيأتونه ، فيقولون : يا نوح ، اشفعْ لنا إلى ربّك فليقض بيننا ، فيقول : إني لَسْتُ هُناكُمْ ، ولكن ائتوا إبراهيمَ خليلَ الله عزَّ وجلَّ » قال : « فيأتونه ، فيقولون : يا إبراهيم اشفع لنا إلى رَبّك ، فليقض بيننا ، فيقول : إنّي لست هناكم ، ولكن ائتوا موسى الذي اصطفاه الله عزَّ وجلَّ برسالاته ، وبكلامه » قال : « فيأتونه ، فيقولون : يا موسى ، اشفع لنا إلى ربك عزَّ وجلَّ فليقض بيننا ، فيقول : إني لست هناكم ، ولكن ائتوا عيسى رُوحَ اللهِ وكَلِمَتَه ، فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى ، اشفع لنا إلى ربّك فليقض بيننا ، فيقول : إنّي لست هناكم ولكن ائتوا محمَّداً ﷺ فإنَّه خاتم النبيين وإنّه قد حضر اليوم وهو قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ، ويقول عيسى : أرأيتُمْ لو كان متاعٌ في وِعَاءٍ قد خُتِمَ عليه ، هل كان يُقْدَرُ على ما في ذلك الوعاء حتى يُفَضَّ الخاتم ؟ فيقولون : لا ، قال : فإنّ محمَّداً ﷺ خاتمُ النبيين » . قال رسول الله ﷺ : « فيأتوني ، فيقولون : يا محمد ، اشفعْ لنا إلى رَبِّك ، فلْيَقْضِ بيننا ، فأقول : نعم ، فآتي باب الْجنَّة ، فآخذُ بحَلْقَةِ الباب ، فأَسْتَفْتِح ، فيقال : منْ أنْتَ ؟ فأقولُ : محمد ، فيُفْتَحُ لي ، فأخِرُّ ساجداً ، فأحمد رَبّي عزَّ وجلَّ بمَحامِدَ لم يَحْمَدْهُ بها أحد كان قبْلي ، ولا يَحْمدُه بها أحدٌ كان بعدي ، فيقول : ارفع رأْسَك ، وقُلْ يُسْمعْ منْكَ ، وسَلْ تُعْطَهْ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فأقول : أيْ رَبِّ أمَّتي ، أمَّتي ، فيقال : أخْرِجْ منْ كان في قلبه مثقالُ شعيرةٍ من إيمان » قال : « [فأُخرجُهم ، ثم أخِرُّ ساجداً . . . » فذكر مثل ذلك « فيقال : أخرج من كان في قلبه مثقال بُرَّةٍ من إيمان ، قال : « فأخرجهم ، ثم أخِرُّ ساجداً . . . » فذكر مثل ذلك « فيقال : أخرج من كان في قلبه مِثقالُ ذرَّةٍ من إيمان » قال :] « فأخرجهم » . وقد رواه البخاري ومسلم ، من حديث سعيد بن أبي عَرُوبَة ، عن قتادة ، عن أنس ، نحوَه(١) .

رواية أبي هريرة رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدّثنا يحيى بن سعيد ، حدّثنا أبو حيّان ، حدّثنا أبو زُرْعَة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ، قال : أُتيَ رسولُ الله ﷺ بلحم ، فرُفع إليه الذراع ، وكانت تُعْجبُه ، فنَهَسَ منْهَا نَهْسَة ، ثم قال : « أنا سيّد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون ممَّ ذلك ؟ يجمع الله الأوَّلين والآخرين في صعيد واحدٍ ، يُسْمِعُهم الداعي ، ويَنفُذُهم البَصَر ، وتدنو الشمس ، فيَبْلُغ الناسَ من الغَمِّ ، والكرب ما لا يطيقون ، ولا يحتملون ، فيقول بعضُ الناس لبعض : ألا تَرونَ ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تَنظرون من يشفع لكم إلى ربِّكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدمُ ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدمُ ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيكَ من رُوحه ، وأمر الملائكة فسَجَدُوا

(١) رواه أحمد في المسند (٣/٢٤٧ ـ ٢٤٨) والبخاري رقم (٤٤٧٦) ومسلم رقم (١٩٣) .

لك ، فاشفع لنا إلى رَبّك ، ألا ترى ما نحنُ فيه ؟ ألا ترى ما قد بَلَغَنا ؟ فيقول آدم : إنّ رَبّي قد غضب اليوم غضباً لم يَغْضَبْ قبلَه مثلَه ولن يغضب بعده مثلَه ، وإنّه نهاني عن الشجرة ، فعصيْتُ ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، [اذهبوا إلى غيري] ، اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أوّلُ الرسل إلى أهل الأرض ، وسمّاك اللهُ عبداً شكوراً ، فاشفع لنا إلى ربّك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بَلَغنا ؟ فيقول نوح : إنَّ رَبِّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضبَ بعده مثله ، وإنّه كانت لي دَعْوةٌ على قومي ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم ، فيقولون : يا إبراهيمُ ، أنت نبيّ الله وخليله من أهل الأرض ، [اشفع لنا إلى ربك] ألا ترى ما نحنُ فيه ؟ ألا تـرى ما قد بَلَغَنا ؟ فيقول : إن رَبِّي قد غضب اليوم غضباً لم يَغْضبْ قبله مثلهُ ولن يغضبَ بعده مثله ، وذكر كَذَباتِه ، نفسي ، نفسي ، نفسي [اذهبوا إلى غيري] ، اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله ، اصطفاك الله برسالاته وبتَكْلِيمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربِّكَ ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بَلَغنا ؟ فيقول لهم موسى : إنَّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثلَه ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلتُ نفساً لم أُومَرْ بقتْلِها ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى . فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسىٰ ، أنت رسولُ الله ، وكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مَرْيم ورُوحٌ منْه » قال : هكذا هو « وكلّمتَ الناس في المهد ، فاشفع لنا إلى ربّك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بلَغنا ؟ فيقول لهم عيسىٰ : إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثله ، ولن يغضبَ بعده مثله ـ ولم يذكر ذنباً ـ اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد . فيأتوني ، فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله ، وخاتمُ الأنبياء ، وقد غَفر اللهُ لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخّر ، فاشفع لنا إلى ربّك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ ألا ترىٰ ما قد بَلَغنا ؟ فأقوم فآتي تحتَ العرش ، فأَقَعُ ساجداً لربّي عزَّ وجلَّ ، ثم يَفْتَحُ اللهُ عليَّ ويُلْهِمُني من مَحامِدِه ، وحُسْن الثناء عليه ما لم يَفْتَحهُ على أحدٍ قبلي ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسَك ، وسَلْ تُعْطَهْ ، واشفع تَشفّعْ ، فأقول : ربِّ أمّتي أمّتي ، يا ربِّ أمّتي أمّتي ، يا رب أمّتي أمّتي ، فيقال : يا محمد ، أدْخِلْ من أُمّتِكَ منْ لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنَّة ، وهم شُركاءُ الناس فيما سِوَاه من الأبواب » ثم قال : « والذي نفس محمد بيده لَما بَيْن مِصْرَاعَيْنِ من مصاريع الجَنَّة لكما بين مكة ، وهَجَر ، أو كما بَيْنَ مكَّة وبُصْرى » أخرجاه في « الصحيحين » من حديث أبي حيان يحيى بن سعيد بن حيان ، به[١] .

ورواه أبو بكر بن أبي الدُّنيا في « الأهوال » عن أبي خَيْثَمَة ، عن جَرير عن عُمَارَةَ بن القَعْقَاع ، عن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٣٥) والبخاري رقم (٤٧١٢) ومسلم رقم (١٩٤) .

أبي زُرْعَة ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ . . . فذكر الحديث بطوله ، وزاد في السياق : « وإنّي أخافُ أن يَطْرَحني في النار ، انطلقوا إلى غيري » في قصة آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى . وهي زيادة غريبة جدّاً ، ليست في « الصحيحين » ، ولا في أحدهما ، بل ولا في شيء من بقيّة « السنن » وهي منكَرةٌ جدّاً ، فالله أعلم[١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن أبي نَضْرة المنذر بن مالك بن قِطْعة قال : خَطَبنا ابنُ عبّاس على منبر البَصرة ، فقال : قال رسول الله ﷺ : « إنه لم يكن نبيٌّ إلاّ له دعوةٌ قد تَنَجَّزها في الدُّنيا وإنّي قد اختبأْتُ دعوتي شفاعةً لأمّتي ، وأنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ، ولا فَخْر ، وأنا أوّلُ من تَنْشَقُّ عنه الأرض ، ولا فَخْر ، وبيدي لواءُ الْحَمْد ، ولا فخر ، آدمُ فمن دونَهُ تحتَ لوائي ولا فخر ، ويطولُ يومُ القيامة على الناس ، فيقول بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبينا فليشفعْ لنا إلى ربّنا عزَّ وجلَّ فليَقْض بَيْننا . فيأتون آدم ﷺ فيقولون : يا آدمُ ، أنت الذي خلقك الله بيده ، وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكته ؛ اشفع لنا إلى ربّنا فليقض بيننا ، فيقول : إنّي لستُ هناكم ، إنّي قد أُخرِجْتُ من الجنة [بخطيئتي] وإنه لا يُهمُّني اليوم إلاّ نفسي ، ولكن ائتوا نُوحاً رأس النبيّين . . . » فذكر الحديث ، كنحو ما تقدّم إلى أن قال : « فيأتوني ، فيقولون : يا محمد ، اشفع لنا إلى ربك ، فليقض بيننا ، فأقول : أنا لها ، حتى يأذن الله لمن يشاءُ ويَرْضَى ، فإذا أراد الله تبارك وتعالى أن يصدع بين خلقه ، نادى مُنادٍ : أين أحمد وأمته ؟ فنحن الآخِرون الأوّلون ، آخرُ الأمم ، وأوّلُ من يُحاسب ، فتُفْرج لنا الأممُ طريقاً فنمضي غرّاً مُحَجَّلينَ من أثر الوضوء ، فتقول الأمم : كادت هذه الأمّة أن تكون أنبياء كلُّها ، فآتي بابَ الْجَنَّةِ . . . » وذكر تمام الحديث في الشفاعة ، في عُصاةِ هذه الأمّة[٢] .

وقد ورد هذا الحديث هكذا عن جماعة من الصحابة ، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه من رواية حذيفة بن اليمامة عنه ، وسيأتي في أحاديث الشفاعة . والعجب كلُّ العجب من إيراد الأئمّة لهذا الحديث في أكثر طرقه ، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى ، في إتيانِ الرب لفَصْل القضاء ، كما ورد هذا في حديث الصُّور ، كما تقدَّم ، وهو المقصود في هذا المقام ، ومقتضى سياق أوّل الحديث ، فإنَّ الناس إنَّما يستشفعون إلى آدم فمنْ بعده من الأنبياء في أنْ يفْصل بين الناس ، ليستريحوا من مَقامِهم ذلك ، كما دلَّت عليه سياقاتُه من سائر طرقه ، فإذا وصلُوا إلى المَحَزّ إنَّما يذكرون الشفاعة في عُصاة

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٩٧) .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٨١ ، ٢٨٢) . أقول : في سنده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، ولكن الحديث حسن بطرقه وشواهده .

الأمّة ، وإخراجهم من النار ، وكأن مقصود السلف في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث ، هو الردّ على الخوارج ومنْ تابعهم من المُعتزلة ؛ الذين يُنكرون خروج أحدٍ من النار ؛ بعد أن يدخلها ؛ فيذكرون هذا القَدْر من الحديث الذي فيه النصّ الصريح في الردّ عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث ؛ وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصُّور كما تقدَّم أنَّ الناس يذهبون إلى آدم ، ثمّ إلى نوح ، ثم إلى إبراهيم ، ثم إلى موسى ، ثم إلى عيسى . ثم يأتون رسول الله ﷺ فيذهبُ فيسجدُ لله تحت العرش ، في مكان يُقالُ له : الفَحْص ، فيقول الله عزَّ وجلَّ : ما شأنك ؟ « فأقول : يا ربِّ ، وعدتني الشفاعةَ فشفّعني في خَلْقِك ، فاقْض بينهُمْ ، فيقول : شَفَّعْتُك ، أنا آتيكم فأقضي بينكم » قال : « فأرجع ، فأقفُ مع الناس . . . » إلى أن قال : « فيضع الله كرسيَّه حيث شاء من أرضه . . . » وذكر الحديث كما تقدم .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن علي بن الحسين زين العابدين ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يومُ القيامة مَدّ اللهُ الأرضَ مَدّ الأديم حتى لا يكون لبشرٍ من الناس إلا موضع قَدَمَيْهِ » قال رسول الله ﷺ : « فأكونُ أوّلَ من يُدْعَى ، وجبريلُ عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ ، والله ما رآه قبلها ، فأقول : أيْ ربِّ ، إنّ هذا أخْبَرَني أنَّكَ أرْسَلْتَهُ إليّ ؛ فيقول الله : صدق . ثم أشْفعُ ، فأقول : يا ربِّ ، عبادُك عبدوك في أطراف الأرض » قال : « فهو المَقامُ المحمود » . هذا مرسل من هذا الوجه[١] .

وعندي أن معنى قوله : « عبادُك عبدُوك في أطراف الأرض » ، أي وقوف في أطراف الأرض ، أي الناس مجتمعون في صعيد واحد ، مؤمنهم وكافرهم ، فيشفع فيهم عند الله ليأتي لِفَصْل القضاء بين عباده ، ويميزَ مؤمنهم من كافرهم في الموقف والمصير في الحال والمآل ، ولهذا قال ابن جرير : قال أكثرُ أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] هو المقامُ الذي يقومه رسول الله ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ، ليُريحهم ربُّهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم .

وقال البخاريّ : حدّثنا إسماعيل بن أبان ، حدّثنا أبو الأحْوص ، عن آدم بن عليّ قال : سمعتُ ابن عمر قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً[٢] كل أمّةٍ تَتْبعُ نَبيَّها ، يقولون : يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبيّ ﷺ ، فذلك يومَ يبعثُه اللهُ مقاماً محموداً . قال : ورواه

(١) رواه عبد الرزاق عند تفسير الآية (٧٩) من سورة الإسراء ، والآية (٣) من سورة الانشقاق ، وهو مرسل كما قال المصنف .
(٢) جُثاً : جالسين على ركبهم .

حمزة بن عبد الله ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ . وقد أسند ما علقه هاهنا في موضع آخر من « الصحيح » فقال في كتاب الزكاة : حدّثنا يحيى بن بكير ، حدّثنا الليث ، عن عُبيد الله بن أبي جعفر ، سمعتُ حمزةَ بن عبد الله بن عمر ، سمعتُ عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزالُ العبدُ يَسْأل الناس حتى يأتيَ يوْم القِيَامة لَيْسَ في وَجْهه مُزْعةُ لَحْمٍ » ، وقال : « إن الشمس تدنُو يومَ القيامة حتى يَبْلُغَ العرقُ نِصْفَ الأذن ، فبينما هم كذلك إذِ استغاثوا بآدم ، ثم بموسىٰ ، ثم بمحمّد ﷺ » زاد عبد الله بن يوسف[١] : حدّثني الليثُ ، عن ابن أبي جعفر : « فَيَشْفع ليقضي بين الخلق ؛ فيَمْشي حتّى يأخُذَ بحلْقة الباب ؛ فيومئذٍ يَبْعَثُه الله مقاماً محموداً يحمَدُه فيه أهلُ الجمع كلُّهم » .

وكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن شُعَيْب بن الليث ، عن أبيه ، به بنحوه[٢] .

ذكر ما ورد في الحوض النبويّ المحمديّ

سقانا الله منه يوم القيامة

من الأحاديث المتواترة المتعدّدة من الطرق الكثيرة المتضافرة ، وإن رَغِمَتْ أنوف [كثير من المُبْتَدِعَة النافرة ، المُكابرة] القائلين بجُحوده ، المُنكرين لوجوده ، وأخلِقْ بهم أن يحال بينهم وبين وروده ، كما قال بعض السلف : من كَذَّبَ بكرامة لم يَنَلْها . ولو اطّلع المُنكِرُ للحوض على ما سنُورده من الأحاديث قبلَ مَقالَتِهِ لم يَقُلْها .

روى أحاديث الحوض جماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم ، منهم أُبيُّ بنُ كعب ، وأنس بن مالك ، والحسن بن عليّ ، وحمزة بن عبد المطَّلب ، والبراءُ بن عازب ، وبُريدة بن الحُصيب ، وثَوْبانُ مولى رسول الله ﷺ ، وجابرُ بن سَمُرة ، وجابر بنُ عبد الله ، وجرير بن عبد الله البَجَليّ ، وحارثةُ بن وَهْب ، وحُذَيفةُ بن أسيد ، وحُذيفة بن اليمان ، وزيدُ بن أرقم ، وعبدُ الله بن عبَّاس ، وعبدُ الله بن عمر ، وعبدُ الله بن عمرو بن العاص ، وعبدُ الله بن مسعود ، وعُتْبةُ بن عَبْدٍ السّلميّ ، وعثمانُ بن مظعون ، والمسْتَوْرِدُ ، وعُقْبةُ بن عامر الجُهَنيّ ، والنّوّاسُ بنُ سِمعان ، وأبو أُمامةَ الباهِليّ ، وأبو بَرْزَةَ الأسْلَميّ ، وأبو بَكْرَةَ ، وأبو ذرٍّ الغِفَاريّ ، وأبو سعيد الخُدْريّ ، وخَوْلة بنتُ قَيس ، وأبو هريرة الدّوْسيّ ، وأسماءُ بنتُ أبي بكر ، وعائشةُ ، وأُمُّ سلمةَ ، وامرأةُ حمزة عمِّ رسول الله ﷺ ، وهي من بني النجّار رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) كذا في النسخ : عبد الله بن يوسف ، والصحيح : عبد الله بن صالح .
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٧١٨) وبعد (٤٧١٩) معلقاً و(١٤٧٥) مسنداً .

رواية أُبي بن كعب الأنصاري

قال أبو القاسم الطبرانيّ : حدّثنا أبو زُرْعة الدمشقيّ ، حدّثنا محمد بن الصّلت ، حدّثنا عبدُ الغفّار ابن القاسم، عن عديّ بن ثابت، عن زِرّ بن حُبَيْشٍ، عن أُبيّ بن كعب: أنَّ رسول الله ﷺ ذكر الحوض، فقالوا : يا رسول الله ، وما الحوض ؟ فقال : « ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأبردُ من الثلج ، وأحْلى منَ العَسَل ، وأطْيَبُ رِيحاً منَ المِسْكِ ، منْ شَرِبَ منه شَرْبَة لَم يَظْمأ أبداً ، ومن صُرف عنه لم يَرْوَ أبداً » . ورواه أبو بكر بن أبي عاصم ، في كتاب « السنة » : حدّثنا عُقْبَةُ بن مُكْرَم ، حدّثنا يونس بن بُكَيْر ، حدّثنا عبد الغفار بن القاسم . . . ، فذكره بإسناده ، نحوَه ، ولفظُه : قيل : يا رسول الله ، وما الحوض ؟ قال : « والذي نفسي بيده ، إنَّ شَرَابَهُ أبيضُ من اللبن ، وأحلى من العَسل ، وأبرَدُ من الثّلْجِ ، وأطيَبُ ريحاً من المِسْك ، وآنيَتُه أكثرُ عدداً من النجوم ، لا يَشْرَب منْهُ إنسان فيَظْمأ أبداً ، ولا يُصرف عنه إنسان فيَرْوَى أبداً » . لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب ولا الإمام أحمد[١] .

رواية أنس بن مالك الأنصاري

خادم رسول الله ﷺ رضي الله عنه

قال البخاري : حدّثنا سعيد بن عُفَير ، حدّثنا ابنُ وهب ، عن يونس ، قال ابن شهاب : حدّثني أنس بن مالك : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ قَدْرَ حَوْضي كما بين أيْلَةَ[٢] وصنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نُجُوم السماء » . وكذا رواه مسلم ، عن حرْملة ، عن ابن وهب ، به[٣] .

طريق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال البخاري : حدّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا وُهَيْب ، حدّثنا عبد العزيز ، عن أنس ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « لَيردَنَّ عليَّ ناسٌ منْ أصحابي الحوض حتى إذا عَرَفْتُهم اخْتُلِجُوا[٤] دُوني ، فأقول : أصحابي ، فيقول : لا تَدْري ما أحْدثُوا بَعْدك » . ورواه مسلم ، عن محمد بن حاتم ، عن عفّان ، عن وهيب بن خالد ، عن عبد العزيز بن صُهَيْب ، به[٥] .

---

(١) مدار الحديث على عبد الغفار بن القاسم ، وكان يضع الحديث ، وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » رقم (٧١٧) وأبو يعلى في « الكبير » رقم (٤٥٥٧ ـ المطالب العالية) ولكن له شواهد يقوى بها ، منها في السنة لابن أبي عاصم (٧١٦) و(٧١٨) وعند أحمد (١/ ٣٩٩) .

(٢) تُسامِتُ الآن مدينة العقبة في الأردن .

(٣) رواه البخاري رقم (٦٥٨٠) ومسلم (٢٣٠٣) (٣٩) .

(٤) أي انتزعوا وأُبعدوا .

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٦٥٨٢) ومسلم (٢٣٠٤) (٤٠) .

طريق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدّثنا محمدُ بن فُضَيْل ، عن المختار بن فُلْفُل ، عن أنس بن مالك ، قال : أغفى رسولُ الله ﷺ إغفاءةً ، فرفع رأسه مُتَبَسِّماً ، إمَّا قال لهُمْ ، وإمّا قالوا له : لِمَ ضَحِكْتَ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أُنزلتْ عليَّ آنِفاً سورةٌ » فقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ [الكوثر] ، ثمّ قال : « هل تدرون ما الكوثرُ ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « هو نهر أعْطانِيه رَبِّي عزَّ وجلَّ في الْجَنَّة ، عليه خَيْرٌ كَثيرٌ ، تَرِدُ عليه أمّتي يومَ القيامة ، آنيتُه عَدَدُ الكَواكِب ، يُخْتَلجُ العَبْدُ منهم ، فأقول : يا ربِّ ، إنّه من أمّتي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بَعْدَكَ » . هذا ثلاثيّ الإسناد . ورواه مسلم ، وأبو داود ، والنّسائي ، من حديث ابن فُضَيْل ، وعليّ بن مُسْهِر ، كلاهما عن المختار بن فُلْفُل ، عن أنس ، به ، ولفظ مسلم : « هو نهر وَعدنيه رَبِّي عزَّ وجلَّ ، عليه خيْرٌ كثير ، هو حوضٌ ، تَرِدُ عليه أُمّتي يومَ القيامةِ » والباقي مثله[1] ومعنى ذلك أنّه يَشْخُبُ من الكوثر[2] ميزابانِ إلى الحَوْضِ ، والحوض موقف القيامة قبل الصراط ، لأنّه يُخْتلج منه ، ويُمْنَعُ منه أقوامٌ قد ارتدُّوا على أعقابهم ومثلُ هؤلاء لا يُجاوزون الصراط ، كما سَيَردُ هذا من طرق متعدّدة ، وجاء مُصرَّحاً به أنه في العَرَصاتِ كما سَتَراهُ قريباً إن شاء الله تعالى .

طريق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال أحمد : حدّثنا أبو عامر ، وأزهر بن القاسم ، حدّثنا هشام ، عن قتادةَ ، عن أنس : أنّ رسول الله ﷺ قال : « مَثَلُ ما بَيْنَ نَاحِيَتيْ حَوْضي ، مَثَلُ ما بَيْنَ المَدينةِ وَصَنْعاءَ ، أو مَثَلُ ما بَيْنَ المَدِينة وعمَّانَ » . وقد رواه مسلم ، عن هارون الحمَّال ، عن أبي عامر ، عبد الملك بن عمرو[3] . وأخرجه مسلم أيضاً عن عاصم بن النَّضْر الأحول ، عن المُعْتمر بن سُلَيْمان ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، عن أنس بنحوِه[4] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٠٢) ومسلم رقم (٤٠٠) وأبو داود رقم (٤٧٤٧) والنسائي في « الكبرى » (١١٧٠٢) .

(٢) وهو في الجنة .

(٣) كذا في النسخ هارون عن أبي عامر ، والصواب هارون عن عبد الصمد ، كما عند مسلم .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٣٣) ومسلم رقم (٢٣٠٣) (٤٢) و(٤١) .

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه

قال أحمد : حدّثنا يونُس ، وحسن بن موسى ، قالا : أنبأنا حمّادُ بن سلَمة . ورواه أحمد أيضاً عن عفّان ، عن حمّاد بن سَلَمة ، عن عليّ بن زيد ، عن الحسن ، عن أنس ، أنّ قوماً ذَكَروا عند عُبيد الله بن زياد الْحَوضَ ، فأنكره [وقال : ما الحوض ؟ فبلغ ذلك أنس بن مالك ، فقال : لا جرم ، والله لأفعلنَّ ، فأتاه فقال : ذكرتم الحوض ؟] فقال عُبَيْدُ الله : هل سمعتَ رسول الله ﷺ يذكره ؟ فقال : نعم ، أكثر من كذا وكذا مرَّة يقول : « إنّ ما بَيْنَ طَرَفيْهِ كما بَيْنَ أيْلة إلى مكّة ، أو بَيْن صَنْعاء ومكَّةَ ، وإن آنيته أكثر من عدد نجوم السماء . . . » انفرد به أحمد(١) .

وقد رواه يحيى بن محمد بن صاعِد ، عن سوَّار بن عبد الله القاضي العَنْبريّ ، عن مُعاذِ بن مُعاذٍ العَنْبريّ ، عن أشعثَ بن عبد الملك الحُمْرانيّ ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « حَوْضي ما بَيْنَ كذَا إلى كذا ، فيه من الآنيةِ عددُ نجُوم السماء ، أحْلَى من العَسل ، وأبْـرَدُ منَ الثَّلْجِ ، وأبيضُ من اللَّبن ، منْ شَربَ منه لم يظمأ أبداً ، ومن لم يشربْ منه لم يَرْوَ أبداً »(٢) .

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه

قال أبو يَعْلى : حدّثنا عبد الرحمن ، هو ابن سَلَّامٍ ، حدّثنا حمّاد بن سَلَمة ، عن ثابت ، عن أنس : أنّ عُبَيْدَ الله بن زياد قال : يا أبا حمزة ، هل سمعتَ رسول الله ﷺ يذكُر الحوض ؟ فقال : لقد تركتُ بالمدينة عَجَائزَ يُكْثِرْنَ أنْ يَسْألْنَ اللهَ أن يُوردَهنَّ حَوْضَ رسول الله ﷺ(٣) .

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه

قال أبو يعلى أيضاً : حدّثنا أبو خيثَمة ، حدّثنا عمر بن يونس الحنفيّ ، حدّثنا عِكْرمةُ ، هو ابنَ عمار ، عن يزيد الرَّقَاشيّ ، قال : قلت : يا أبا حمزة ، إنّ قوماً يشهدون علينا بالكُفْر ، والشِّرْك . فقال أنس : أولئك شرُّ الخَلْق ، والخَليقةِ ، قلت : ويُكَذِّبُون بالحَوْض ، فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٣٠) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، وفيه عنعنة الحسن أيضاً ولكن للحديث شواهد يقوى بها .

(٢) فيه عنعنة الحسن ، ولكن له شواهد يقوى بها .

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده رقم (٣٣٥٥) وهو موقوف صحيح .

يقول : « إنّ لي حوضاً عرضهُ كما بيْن أيلة إلى الكَعْبَةِ ـ » أو قال : « صنعاءَ ـ أشَدَّ بياضاً من اللبن ، وأحلَى من العَسَل ، فيه آنيةٌ عَدَدُ نجوم السماء ، يَمُدُّه مِيزَابانِ منَ الجنَّةِ ، منْ كذَّبَ بهِ لم يُصِبْ منه الشُّرْبَ »[١] .

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه

قال الحافظ أبو بكر ، أحمدُ بن عبد الخالق البزّار في « مسنده » : حدّثنا محمد بن معمر ، حدّثنا أبو داود ، حدّثنا المسعوديّ ، عن عديّ بن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « حوضي من كذا إلى كذا ، فيه من الآنِيَة عددُ النُّجومِ ، أطْيبُ ريحاً من المِسْك ، وأحلَى من العَسل ، وأبردُ من الثَّلْجِ ، وأبْيضُ من اللّبَنِ ، منْ شَرِب منه شَرْبةً لم يَظْمأْ أبداً ، ومَنْ لم يَشْرَبْ منه لم يَرْوَ أبداً » ثم قال : لا نعلمُه يُروى بهذا اللفظ إلاّ عن أنس بهذا الإسناد ، ولم يَـرْوِ عديّ بنُ ثابت عن أنس سواه ، ولا رواه عنه إلاّ المسعوديّ . وهذا إسناد جيِّد ، ولم يَرْوِه أحدٌ من أصحاب الكتب ، ولا أحمد بنُ حَنْبل[٢] .

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه

قال ابن أبي الدنيا : حدّثني الحسن بن الصبّاح ، حدّثني مكي بن إبراهيم ، حدّثنا موسى بن عُبَيْدَةَ ، عن أبي بكر بن عُبَيْد الله بن أنس ، عن جَدّه أنس بن مالك : أنّ رسول الله ﷺ قال : « أُريت حوضي ، فإذا على حافَتيه آنيةٌ مثلُ نجوم السماء ، فأدْخَلْتُ يدي ، فإذا عَنْبر أذفرُ »[٣] .

رواية بريدة بن الحُصيب الأسلمي

قال أبو يعلى الموصلي : حدّثنا يحيى بن مَعين ، حدّثنا يحيى بن يمانٍ ، عن عائذ بن نُسَيْر[٤] العِجْليّ ، عن علقمة بن مَرْثَد ، عن ابن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « حوضي كما بين عَمّانَ إلى اليمن ، فيه آنية عدد نجوم السماء ، من شرب منه شَرْبةً لم يظمأ بعدها أبداً » . وهكذا رواه ابن صاعد ، وابن أبي الدنيا ، عن عبد الله بن الوَضّاح الأزديّ اللؤلؤيّ ، عن يحيى بن يَمانٍ ، به ،

---

(١) رواه أبو يعلى رقم (٤٠٩٩) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه البزار رقم (٣٤٨٤ ـ كشف الأستار) أقول : وفي إسناده المسعودي وقد اختلط ، لكن للحديث شواهد يقوى بها .
(٣) وإسناده ضعيف .
(٤) في (آ) : عائذ بن بشير . والتصحيح من كتب المشتبه .

ولفظه : « حوضي ما بين عمّان واليمن ، فيه آنيةٌ عددُ نجوم السماء ، أحلى من العسل ، وأبيضُ من اللبن ، وأَلْيَنُ من الزُّبْد ، منْ شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً » . لم يخرجوه[١] .

رواية ثوبان رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا همَّامٌ ، حدّثنا قَتادةُ ، عن سالم ، عن مَعْدان ، عن ثَوْبان : أنّ رسول الله ﷺ قال : « أنا بعُقْرِ[٢] حَوْضي يوم القيامة ، أَذُودُ عنه الناسَ لأهل اليمن وأَضْرِبُهم بعَصَاي ، حتى يَرْفَضّ عنهم » قال : قيل : يا رسول الله ، ما سَعَتُه ؟ قال : « من مَقامي إلى عمّان ، يَغُتُّ[٣] ، فيه ميزابان يمُدّانِه » . ورواه أحمد أيضاً عن عبد الصمد ، عن هشام ، عن قتادة ، وعن عبد الوهاب ، عن سعيد بن أبي عَرُوبةَ ، عن قتادةَ ، وعن عبد الرزّاق ، عن مَعْمَر ، عن قَتادة ، به ، فسئل رسولُ الله ﷺ عن عَرْضه ، فقال : « من مَقامِي إلى عَمّان » . وقال عبد الرزاق : « ما بين بُصْرَى وَصَنْعاء ، أو مَا بَيْن أيْلَة ومكّة » أو قال : « من مقامي هذا إلى عَمّان » وسُئل عن شرابه ، فقال : « أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، يَغُتُّ ، فيه مِيزابانِ ، يَمُدّانه من الجنّة ، أحدهما من ذَهَبٍ ، والآخَرُ منْ وَرِق » .

وقال أبو يعلى : حدّثنا أبو بكر ، هو ابن أبي شَيْبَة ، حدّثنا محمد بن بِشْر العبديّ ، حدّثنا سعيدُ بن أبي عَرُوبة ، عن قتادةَ ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن مَعْدان بن أبي طَلْحة ، عن ثَوْبان أنَّ نَبيّ الله ﷺ قال : « أنا عِنْدَ عُقْرِ حَوْضي أذودُ عنْهُ الناسَ لأهْلِ اليَمن ، إنّي لأضْرِبُهُمْ بعَصايَ حتّى يَرْفضَّ الناس » قال : وسُئلَ ﷺ عن سَعَةِ الحوض ، قال : « مثلُ مَقامي هذا إلى عمّان ، ما بينهما شهر ، أو نحو ذلك » فسئل رسولُ الله ﷺ عن شرابه ، فقال : « أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، يَغُتُّ فيه ميزابان ، مِدَادُه أو مِدادُهما من الجَنّة ، أحدهما وَرِقٌ ، والآخرُ ذَهبٌ » .

وهكذا رواه مسلم ، عن أبي غَسّان مالك بن إسماعيل ، ومحمد بن المُثنّى ، ومحمد بن بَشّار ، ثلاثتهم عن مُعاذِ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، بنحوه[٤] .

---

(١) ورواه البزار بنحوه مختصراً من حديث بريدة رقم (٣٤٨٧ ـ كشف الأستار) ، ونسبه المصنف في « جامع المسانيد » (٢/٨٢٦) وابن حجر في « إتحاف المهرة » رقم (٢٣٥٦) إلى أبي يعلى ، وفي سندهم عائذ بن نسير ، وهو ضعيف .

(٢) العُقْر : موضع الشاربة منه .

(٣) يَغُتّ : قال ابن الأثير في النهاية : يدفق فيه الماء دفقاً دائماً متتابعاً .

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٨٠ و٢٨١ و٢٨٣) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٥٣) وابن أبي شيبة رقم (١١٧١٨) ومسلم رقم (٢٣٠١) .

طريق أخرى عن ثوبان

قال أحمد : حدّثنا حُسَيْن بن محمد ، حدّثنا ابن عَيَّاش ، عن محمد بن المُهاجِر ، عن العبَّاس بن سالم اللَّخْميّ ، قال : بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي سَلاَّم الْحَبَشيّ ، فَحُملَ إليه على البريد ليسأله عن الحوض ، فقُدِمَ به عليه ، فسأله فقال : سمعتُ ثوبانَ يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنّ حوضي من عَدَنَ إلى عَمّانَ البَلْقَاء ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكاويبه عدد النجوم ، من شرب منه شَرْبةً لم يظمأ بعدها أبداً ، أوّل الناس وروداً عليه فُقراءُ المهاجرين » فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : من هم يا رسول الله ؟ قال : « هم الشُّعْثُ رُؤوساً ، الدُّنْسُ ثِياباً ، الذين لا يَنْكِحُون المُتنعِّماتِ ، ولا تُفْتَح لهم أبواب السُّدَدِ » . فقال عمر بن عبد العزيز : لقد نَكَحْتُ المُتنَعِّماتِ ، وفُتِحتْ لي أبواب السُّدَد ، إلاّ أنْ يَرْحَمني اللهُ ، والله لا أدْهُنُ رَأْسي حتى يشْعثَ ، ولا أغْسِلُ ثوبي الذي يَلي جَسَدي حتّى يَتَّسِخَ . ورواه الترمذي في الزُّهد عن محمد بن إسماعيل ، عن يحيى بن صالح . وابنُ ماجه فيه ، عن محمود بن خالد الدمشقيّ ، عن مروان بن محمد الطَّاطريّ ، كلاهما عن محمد بن المُهاجِر ، عن العبَّاس بن سالم ، عن أبي سلاّم ، به . قال شيخنا المزِّيّ في « أطرافه » : ورواه الوليد بن مسلم ، عن يحيى بن الحارث ، وشيبة بن الأحنف ، وغيرهما ، عن أبي سلاّم .

وقال أبو بكر بن أبي عاصم : حدّثنا هشام بن عمّار ، حدّثنا صَدَقةُ ، حدّثنا زيد بن واقد ، حدّثني بُسْر بن عُبَيْد الله ، حدّثنا أبو سلاّم الأسود ، عن ثَوْبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « حوضي كما بَيْنَ عَدَن إلى عَمّان ، أشَدُّ بيَاضاً من اللبن ، وأحْلَى من العسل ، وأطيبُ رائحةً من المسك ، أكاوِيبُهُ كنُجوم السَّماء ، منْ شرب منه شَرْبةً لم يظمأ بعدها أبداً ، وأكثرُ الناسِ عليَّ وَاردةً فقراءُ المهاجرين » قلنا : ومنْ هُم يا رسول الله ؟ قال : « الشُّعْثُ رُؤوساً ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المُتَنَعِّمات ، ولا تُفتح لهم أبواب السُّدد ، الذين يُعْطُونَ الذي عليهم ، ولا يُعْطَون الذي لهم » . وهذه طريق جيِّدة ، ولله الحمد والمِنّة[١] .

رواية جابر بن سمرة رضي الله عنهما

قال أبو يعلى [الموصلي] : حدّثنا أبو هَمَّامٍ ، الوليدُ بن شَجاع ، [حدّثنا أبي] ، حدّثنا زياد بنُ

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٧٥) والترمذي رقم (٢٤٤٤) وابن ماجه (٤٣٠٣) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٧٠٦) مع (٧٤٩) والمرفوع منه صحيح .

خَيْثَمة ، عن سِمَاك بن حَرْب ، عن جابر بن سَمُرَة ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنّي فَرَطُكُم على الحَوْض ، وإنّ بُعْدَ ما بَيْنَ طَرَفَيْه كما بَيْنَ صَنْعاء وأيْلةَ ، كَأنَّ الأباريقَ فيه النجوم » . وهكذا رواه مسلم ، عن أبي همَّامٍ ، به ، وقال : « أنا فَرَط لكم . . . » والباقي مِثْلُه[١] .

طريق أخرى عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما

قال مسلم : وحدّثنا قُتَيْبة بنُ سَعيد ، وأبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، قالا : حدّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن المهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص ، قال : كتبتُ إلى جابر بن سَمُرة مع غُلامي نافع : أخْبِرني بشيء سَمِعْتَه مِنْ رسول الله ﷺ ، فكتب إليّ : إنّي سمعتُه يقول : « أنا الفَرَطُ على الحوض »[٢] .

رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدّثنا رَوْحٌ ، حدّثنا زكريّا بن إسحاق ، حدّثنا أبو الزُّبير : أنّه سمع جابرَ بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ : « أنا على الحوض أنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَليّ » قال : « فيؤخذُ ناسٌ دوني ، فأقول : يا ربّ ، منّي ، ومنْ أمّتي ، فيقال : وما يُدريك ما عَمِلوا بعدك ؟ ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » قال جابر : قال رسول الله ﷺ : « الحوضُ مَسيرةُ شَهْرٍ ، وزواياه سواءٌ » يعني عَرْضُه مثلُ طوله « وكيزانُه مثلُ نُجوم السماء ، وهو أطيبُ ريحاً من المسك ، وأشدّ بياضاً من اللبن ، منْ شرب منه لم يظمأ أبداً » . هذا إسناد صحيح على شرط مسلم ، ولم يروه[٣] ، وقد رَوَىٰ من طريق زكريّا عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، ستة أحاديث ، ليس هذا منها[٤] .

طريق أخرى عن جابر رضي الله عنهما

قال أبو بكر البزّار : حدّثنا محمد بن عمر بن هَيّاج ، حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن الأرْحَبيّ ، حدّثنا عُبَيْدةُ بن الأسود ، عن مُجالد ، عن عامر ، هو الشعبيّ ، عن جابر بن عبد الله : أنّ رسول الله ﷺ قال : « إني فَرَطُكُمْ على الحوض ؛ وإنّي مُكاثرٌ بكُمُ الأممَ ، فلا تَرْجِعُوا بَعْدي كُفَّاراً يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً » فقال رجل : يا رسول الله ، ما عَرْضُه ؟ قال : « ما بين أيْلَة » ـ أحْسِبُه قال : ـ

---

(١) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده رقم (٧٤٧٨) ومسلم رقم (٢٣٠٥) (٤٤) .
(٢) رواه مسلم (٢٣٠٥) (٤٥) وابن أبي شيبة (١١/ ٤٣٨) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٨٤) .
(٤) انظرها في تكملة « جامع المسانيد » (٢٥/ ١٢٤ ـ ١٣٠) .

« إلى مكّة ، فيه مكاكي[١] أكثرُ من عدد النجوم ، لا يتناول مؤمن منها واحداً فيضعه من يده حتّى يتناوله آخر » ثم قال : لا يُروى عن جابر إلاّ من هذا الوجه ، ورواه ابن أبي الدّنيا عن أبي عبد الرحمن القُرَشيّ ، عن عُبَيْدَةَ بنِ الأسود ، به[٢] .

رواية جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه

قال البخاريّ : حدّثنا عَبْدانُ ، أخبرني أبي ، عن شُعبة ، عن عبد الملك ، سمعتُ جُنْدُباً ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أنا فَرَطُكُمْ على الحوض » . ورواه مسلم ، من حديث شُعبة وزائدة ومِسْعَر ، ثلاثتهم عن عبد الملك بن عُمَيْر ، به . ورواه الإمام أحمد ، من حديث هؤلاء ، عنه ، وعن سُفيان بن عُيَيْنة ، عنه ، ثمَّ قال سفيانُ : الفَرَطُ الذي يسبق[٣] .

رواية حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه

قال البخاريّ : حدّثنا علي بن عبد الله ، حدّثنا حَرَميُّ بنُ عُمارة ، حدّثنا شُعْبةُ ، عن معبد بن خالد : سمع حارثةَ بنَ وَهْب ، يقول : سمعت رسول الله ﷺ ، وذكر الحوضَ ، فقال : « كما بَيْنَ المَدِينةِ وصَنْعاء » وزاد ابنُ أبي عَديّ ، عن شُعْبة ، عن معبد بن خالد ، عن حارثةَ بنِ وَهْب ، سمع النبيّ ﷺ قال : « حوضُه ما بَيْن صنْعاءَ والمَدينة » فقال له المُسْتَورِدُ : ألم تسمعه قال الأواني ؟ قال : لا ، قال المستورد : تُرَى فيه الآنيةُ مثلَ الكواكب . وقد رواه مسلم ، عن [إبراهيم بن] محمد بن عَرْعَرة ، عن حَرَمِيّ بن عُمَارَة ، عن شُعْبَة ، كما ساقه البُخاريّ . ورواه ، عن محمد بن عبد الله بن بَزِيْع ، عن محمد بن عبد الله ، وهو ابن أبي عديّ ، عن شُعْبة ، كما ذكره البخاريّ سواءً[٤] . والمستورد هذا هو ابن شَدّاد بن عمرو الفِهْريّ ، صَحَابيٌّ جليل ، عَلّق له البخاريّ ، وأسند ذلك مسلم . وروى له أهل السنن الأربعة ، وله أحاديث[٥] .

---

(١) مكاكي ، جمع مكوك ، وهو المُد .

(٢) رواه البزار قم (٣٤٨٢ ـ كشف الأستار) وفي إسناده ضعف ، ولأكثره شواهد .

(٣) رواه البخاري رقم (٦٥٨٩) ومسلم رقم (٢٢٨٩) وأحمد في المسند (٤/ ٣١٣) وانظر « إتحاف المهرة » رقم (٣٩٨١) و« جامع المسانيد » للمصنف (٣/ ١٦٨٦) .

(٤) رواه البخاري رقم (٦٥٩١) ومسلم رقم (٢٢٩٨) .

(٥) انظرها في « جامع المسانيد » للمصنف (١١/ ٨٣٨٨ ـ ٨٤٠٥) .

رواية حذيفة بن أسيد أبي سريحة الغفاري

أُنبئنا عن الحافظ الضِّياء، محمد بن عبد الواحد المقدِسيّ، رحمه الله أنه قال في الجزء الذي جمعه في أحـاديث الحَوْض : أخبرنا محمد بن أحمد بن نَصْر الأصفهانيّ بها ، أنّ الحسن بن أحمد الحدَّاد أخبرهم قراءةً عليه وهو حاضر ، حدثنا أحمد بن عبد الله ، يعني أبا نُعَيْم الأصبهانيّ ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن سَمُّوْيَهْ ، حدّثنا سعيدُ بن سُلَيْمانَ ، حدّثنا زيد بن الحسن ، حدّثنا معروف بنُ خرَّبُوذَ ، حدّثنا أبو الطُّفَيْل ، عن حُذَيْفَةَ بنِ أسيدٍ رضي الله عنه ، قال : لمّا صدَر النبيُّ ﷺ عن حَجَّة الوداع قال : « أيُّها الناس ، إنِّي فَرَطُكُمْ على الْحَوْض ، وإنَّكُمْ وارِدُونَ على حوضٍ عرضُه ما بين بُصْرَى وصَنْعاءَ، فيه آنية عدد النجوم ». لم يروه من أصحاب الكتب أحد ، ولا أحمد[1] .

رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدّثنا حسن ، حدّثنا ابن لَهِيعَةَ ، حدّثنا ابن هُبَيْرَةَ : أنّه سمع أبا تَميم الْجَيْشانيّ ، يقول : أخبرني سعيد : أنّه سمع حُذَيْفة يقول : غاب عنّا رسولُ الله ﷺ يوماً ، فلم يخرج إلينا ، حتّى ظَنَنَّا أنّه لن يخرج ، فلمّا خرج سَجد سَجْدةً فَظَنَنَّا أن نفسه قد قُبضتْ فيها ، فلما رفع رأسه قال : « إنّ ربّي تبارك وتعالى استشارني في أمّتي : ماذا أفعلُ بهم ؟ فقلت : ما شئت أيْ ربِّ ، هم خَلْقُك وعِبادُك ، فاستشارني الثانيةَ ، فقلت له كذلك ، فقال : لن أُخْزيَكَ في أمّتك يا محمد ، وبَشَّرني أنّ أوّل منْ يدخُلُ من أمتي سبعون ألفاً ، مع كلّ ألف سبعون ألفاً ، ليس عليهم حساب ، ثم أرسلَ إليّ ، فقال : ادعُ تُجبْ ، وسل تعطَ ، فقلت لرسوله : أوَمُعْطيَّ [ربِّي] سُؤْلي ؟ فقال : ما أرسلني إليكَ إلاّ لِيُعْطيك ، ولقد أعطاني رَبّي عزَّ وجلَّ ولا فخر ، وغَفَر لي ما تقدَّم من ذنبي وما تأخّر ، وأنا أمشي حَيّاً صحيحاً ، وأعطاني ألاّ تَجُوعَ أمّتي ، ولا تُغلَب ، وأعطاني الكوثر ، وهو نهر في الجنة ، يسيلُ في حوضي ، وأعطاني العِزّ والنصر ، والرُّعْبَ يسعى بين يَدَيْ أمَّتي شهراً ، وأعطاني أنِّي أوَّلُ الأنبياء أدْخُلُ الْجَنَّة ، وطَيَّب لي ولأُمَّتي الغنيمةَ ، وَأحلَّ لنا كثيراً ممَّا شدَّد على منْ قَبْلنا ، ولم يَجعلْ علينا من حرَج » . هذا حديث حسن الإسناد والمتن[2] .

رواه الطبراني من حديث مُبارك بن فَضَالةَ ، عن خالد بن أبي الصَّلْت ، عن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن رِبعيّ ، عن حُذيفة ، مرفوعاً : « ستكونُ أمراءُ يَكْذبُونَ ، ويَظْلمُونَ ، فمن صدَّقَهُمْ بِكَذِبهم ، وأعانَهُمْ على ظُلْمهم ، فليس منِّي ، ولَسْتُ منه ، (ولن يرد عليَّ الحوض) ومن لم يُصَدّقهم

(١) ورواه الطبراني في « الكبير » رقم (٢٦٨٣) و(٣٠٥٢) وفي سنده : زيد بن الحسن صاحب الأنماط ، وهو ضعيف .

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/٣٩٣) . أقول : وإسناده ضعيف ، ولكن لبعض فقراته شواهد .

بكَذِبهم ، ولم يُعِنْهُمْ على ظُلْمهم ، فهو منّي وأنا منه ، وسَيردُ عليَّ الْحَوْضَ غداً إن شاء اللهُ »(١) .

قال أبو القاسم البَغَوِيّ : حدّثنا عثمان بن أبي شَيْبَةَ ، حدّثنا عليّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن سعد بن طارق ، عن ربْعِيّ بن خِرَاش ، عن حُذَيْفَة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ حوضي لأبعدُ منْ أيْلةَ وَعَدنَ ، والذي نفسي بيده لآنيته أكثرُ من عدد النجوم ، ولَهُوَ أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، والذي نفسي بيده ، إنّي لأذود عَنْهُ الرِّجالَ كما يذودُ الراعي الإبلَ الغَريبةَ عنْ حَوْضِهِ » قال : قيل يا رسول الله ، تَعْرِفُنا يَوْمئذٍ ؟ قال : « نَعَمْ ، تردُونَ عليّ غُرّاً مُحَجَّلينَ من آثار الوضوء ، ولَيْستْ لأحَدٍ غيركم » . [ورواه مسلم عن عثمان بن أبي شيبة ، بنحوه . وعلقه البخاريّ ، فقال : وقال حُصَيْنٌ ، عن أبي وائلٍ ، عن حُذَيْفة ، عن النبي ﷺ](٢) .

حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

قال الطبرانيّ : حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حَنْبل ، وعبدُ الرحمن بن سلْم الرازي ، قالا : حدّثنا عبَّاد بن يعقوب الأسديُّ ، حدّثنا علي بن عابس(٣) ، عن بدر بن الخليل أبي الخليل ، عن أبي كَثير ، قال : كنتُ جالساً عند الحسن بن عليّ ، فجاءه رجل فقال : لقد سبَّ عِنْدَ مُعاوية عَليّاً سَبّاً قَبِيحاً رَجُلٌ يقال له : مُعاويةُ بنُ حُدَيْجٍ ، فقال : تعرفه ؟ [قال : نعم] ، قال : فإذَا رَأَيْتَهُ فَأْتِني به . قال : فرآه عند عمرو بن حُرَيْث ؛ فأراه إيّاه ؛ فقال : أنت معاويةُ بن حُدَيْج ؟ فسكت ؛ فلم يُجِبْه ثلاثاً ، ثم قال : أنتَ الساتُّ عليّاً عِنْد ابن آكِلَةِ الأكْباد(٤) ؟ أمَا إنَّك إنْ وردت عَلَيْهِ الْحَوْضَ ، وما أراك تَرِدُه ، لَتجدَنَّهُ مُشمِّراً حَاسراً عن ذِراعَيْه ، يذودُ الكفّارَ والمُنافقينَ عن حوض رسولِ الله ﷺ كما تُذادُ غَريبةُ الإبل عنْ صاحبها ؛ قولَ الصادق المصدوق أبي القاسم ﷺ . ورواه من طريق أخرى عن علي بن أبي طَلْحة ، عن الحسن مرفوعاً(٥) .

حديث أبي عُمارة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال الطبرانيّ : حدّثنا يحيى بن أيُّوبَ العَلاَّف المصريّ ، حدّثنا سعيدُ بن أبي مَرْيَم ، حدّثنا

---

(١) رواه الطبراني في الكبير رقم (٣٠٢٠) وفي إسناده ضعف ، ولكن رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٤) بإسناد آخر ، فهو حديث صحيح وله شواهد .

(٢) ورواه ابن ماجه (٤٣٠٢) عن عثمان بن أبي شيبة به ، ورواه مسلم رقم (٢٤٨) وعلقه البخاري بعد (٦٥٧٦) ووصله مسلم رقم (٢٢٩٧) (٣٢) .

(٣) في الأصل علي بن عباس ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٤) يشير بذلك إلى ما حدث من هند أم معاوية من أكلها كبد حمزة رضي الله عنه بعد قتله .

(٥) الطبراني في الكبير (٢٧٢٧) و(٢٧٥٨) وإسناده ضعيف .

محمد بن جعفر بن أبي كثير ، أخبرني حَرَامُ بنُ عثمان ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أُسَامَةَ بنِ زَيْد : أنَّ رسول الله ﷺ أتى حَمْزَةَ بنَ عبد المطلب يوماً ، فلم يَجده ، فسأل امرأته عنه ، وكانت من بني النجّار ، فقالت : خرج بأبي أنتَ وأمي آنفاً عامداً نَحْوَكَ ، فأظُنُّه أخْطأكَ في بعضِ أزِقَّةِ بَني النَّجار ، أفلا تَدْخل يا رسول الله ؟ فدخل ، فقدَّمَتْ إليه حَيْساً فأكل منه ، فقالت : يا رسول الله هَنيئاً لَكَ ، ومَريئاً ، فقد جئتَ وأنا أُريدُ أنْ آتيكَ أُهَنئك وأُمَرِّئُكَ ، أخبرني أبو عُمارة أنّك أُعْطيتَ نَهراً في الْجنَّةَ يُدْعَى الكوثَرَ ؟ فقال : « أجَلْ ، وعرصَتُهُ ياقوتٌ ومَرْجانٌ ، وزَبَرْجَد ، ولؤلؤ » قالت : أحْبَبْتُ أن تَصِفَ لي حوضكَ بِصِفَةٍ أسمَعُها منك ، فقال : « هو ما بين أيْلَةَ وَصَنْعاء ، فيه أباريقُ مثلُ عدد النجوم ، وأحبُّ وَارِدِه عَلَيَّ قَوْمُكِ ، يا بنتَ قَهْدٍ[١] الأنْصاريّ » .

هذا حديث عزيز جدّاً ، من رواية حمزة بن عبد المطلب ، عمِّ رسول الله ﷺ ، ثم من رواية زَوْجَتِه هذه رضي الله عنه ، وعنها ، وروايةُ عبد الرحمن بن هُرْمُز الأعرج ، عن أُسَامَةَ بن زيد مُنْقَطِعةٌ ، وذَكَرَ أبو بَكر الشافعيّ في « فوائده » : أنّ بينهما المِسْوَرَ بن مَخْرَمةَ[٢] .

رواية زيد بن أرقم رضي الله عنه

قال أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا شُعْبةُ ، قال : عمرو بن مُرَّة أخبرني ، قال : سمعتُ أبا حمزة أنّه سمع زيدَ بنَ أرقم ، قال : كُنّا مع رسول الله ﷺ ، في سفَرٍ ، فنزل مَنْزلاً ، فسمعْتُه يقول : « ما أنتم بجزءٍ من مئةِ ألفِ جُزْءٍ ممَّن يَرِدُ عليَّ الحوضَ من أُمَّتي » قلت لزيد : كم كنتم يَوْمئذٍ ؟ قال : سبعمئةٍ ، أو ثمانمئة . وكذا رواه عن هاشم[٣] ، عن شُعْبَةَ ، ورواه أبو داود الطيالسيّ ، عن شُعْبَةَ ، ورواه أحمد ، عن أبي معاويةَ عن الأعمش ، كلاهما عن عمرو بن مُرَّة ، به ، ورواه أبو داود ، عن حفص بن عمر ، عن شُعْبة[٤] .

قلت : وأبو حمزة هذا طَلْحة بن يَزيد الأنصاريّ ، الكوفيّ مولى قَرَظة بن كَعْب .

طريق أخرى عن زيد بن أرقم رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدّثنا [إسماعيل بن] إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو حيَّان التَّيْميُّ ، وقال الحافظ البيهقيُّ ، رحمه الله : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا الحسن بن يعقوب العدل ، حدّثنا محمد بن

(١) في (آ) و(م) : فهد . والتصحيح من كتب الرجال .
(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٩٥٩) أقول : وفي سنده أيضاً حرام بن عثمان ، وهو متروك .
(٣) في الأصل : عن أبي هاشم ، وهو خطأ .
(٤) أحمد في المسند (٤/ ٣٧١) و(٣٦٩) و(٣٦٧) والطيالسي رقم (٦٧٧) وأبو داود رقم (٤٧٤٦) وإسناده ضعيف .

عبد الوهاب ، أخبرنا جعفر بن عَوْن ، أخبرنا أبو حيَّان يحيى بنُ سعيد التيميّ تَيم الرِّباب ، حدّثنا يزيدُ ابن حَيَّان التيميّ ، قال : شهدتُ زيدَ بن أرقم ، وبَعَثَ إليه عُبَيْدُ الله بنُ زياد ، فقال : ما أحاديثُ بلَغني عنك تُحدِّثُ بها عن رسولِ الله ﷺ ؟ تَزْعُمُ أنَّ لَه حَوْضاً في الجنة ؟ فقال : حدّثنا ذاك رسولُ الله ﷺ ووعَدَناه ، فقال : كذبتَ ، ولكنّك شيخٌ قد خَرِفْتَ ، قال : أمَا إنّه سَمِعَتْهُ أُذنايَ منْ رسول الله ﷺ ، وسَمِعْتُه يقول : « منْ كَذَبَ عليَّ مُتعمِّداً فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعده من النار » ، وما كَذَبْتُ على رسول الله ﷺ[1] .

وستأتي روايته عن أخٍ له .

وأمَّا رواية سلمان الفارسي رضي الله عنه

فروى الإمام أبو بكر بن خُزَيْمةَ رحمه الله ، من حديث عليّ بن زيد بن جُدْعان ، عن سعيد بن المُسَيَّب ، عن سَلْمَانَ رضي الله عنه ، قال : خَطَبَنا رسولُ الله ﷺ في آخر يومٍ من شعبان ، فقال : « أيُّها الناسُ ، قد أظلّكمْ شهرٌ عظيمٌ مُبارك . . . » وذَكَرَ تَمامَ الحديث بطوله في فَضْلِ شهر رَمَضان ، إلى أن قال : « ومَنْ أشْبَع فيهِ صائماً ، سقاهُ اللهُ من حوضي شَرْبَةً لا يَظْمأُ حتّى يدْخُل الجَنّة »[2] .

رواية سمرة بن جندب الفزاري رضي الله عنه

قال أبو بكر بن أبي عاصم : حدّثنا إبراهيم بن المستمرّ ، حدّثنا محمد بن بَكّار بن بلال ، حدّثنا سَعيد هو ابن بَشير ، عن قتادةَ ، عن الحسن ، عن سمُرة بنِ جُنْدُب ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ لِكُلِّ نَبيٍّ حَوْضاً يتباهون أيُّهمْ أكْثَر وارِدةً ، وإنّي لأرجُو أنْ أكونَ أكثرَهم وارِدَةً » . وكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن نَيْزَك ، عن محمد بن بَكّار بن بلال ، عن سعيد بن بَشير ، وقال : هذا حديث غريب . قال : ورواه أشعث بن عبد الملك عن الحسن مرسلاً ، وهو أصح[3] .

رواية سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه

قال البخاريّ : حدّثنا سعيد بن أبي مَرْيم ، حدّثنا محمد بن مُطَرِّف ، حدّثنا أبو حازم ، عن سهل بن سَعْد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّي فَرَطُكُمْ على الحَوْض ، من مرَّ عليّ شرِب ، ومَنْ شرِب لم يظْمأ أبداً ، لَيرِدَنّ عليَّ أقوامٌ أعرفُهم ويَعْرِفُوني ، ثم يُحالُ بيني وبينهم » قال أبو حازم : فسمعني النعمانُ بن أبي عياش ، فقال : هكذا سمعتَ من سَهْل ؟ فقلت : نعم ، فقال : أشْهَدُ على

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٦٧) رقم (١٩٢٦٦) والبيهقي في « البعث والنشور » صفحة (١٧٠) وهو حديث صحيح.
(٢) رواه ابن خزيمة رقم (١٨٨٧) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٧٣٤) والترمذي رقم (٢٤٤٣) وهو حديث حسن بشواهده .

أبي سعيد الخُدْريّ لَسَمِعْتُهُ وهو يزيد فيها : « فأقول : إنّهم منّي ، فيُقال : إنّك لا تدري ما أَحْدَثوا بعدك ، فأقول : سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ غَيّر بَعْدي » فقال ابن عباس : سُحْقاً : بُعْداً . ويقال : سحيق بعيد ، سَحَقهُ ، وأَسْحَقَهُ : أبْعَدَه . تفرّد به منْ هذا الوجه[١] .

وأما رواية عبد الله الصُّنابحي كما ذكره عياض أيضاً وكذلك رواية سويد بن جبلة [فـ]ـذكرها القاضي عياض أيضاً .

رواية عبد الله بن زيد بن عاصم المازني رضي الله عنه

ثبت في « الصحيحين » عنه ، أنّ رسول الله ﷺ لما قَسَم غنائم حُنَيْن ، فأعطَى منْ أعْطَى من صناديد قُريش ، والعرب ، فتَغَضَّبَ بعضُ الأنصار ، فخَطبهُمْ فقال لهم فيما قال : « إنَّكُمْ سَتجدُونَ بَعْدي أَثرَةً فاصْبِرُوا حتى تلقوني على الحوض »[٢] .

رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنها

قال أبو بكر البزار : حدّثنا يوسف بن موسى ، حدّثنا جرير ، حدّثنا ليْث ، هو ابن أبي سُلَيم ، عن عبد الملك بن سَعِيد بن جُبَيْر ، عن أبيه ، عن ابن عبَّاس : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنِّي آخذٌ بِحُجَزِكُمْ أقولُ : إيّاكمْ وَجهنَّم ، إيّاكُمْ والحُدودَ ، إيّاكُمْ وَجهنم ، إيّاكُمْ والْحُدودَ ، ثلاثَ مرَّات ، وإذا أنا متُّ تَرْكتكُمْ على البيضاء ، وأنا فَرَطُكُمْ عَلى الحَوْضِ ، فمنْ وَرَدَ أفْلَحَ ، ويُؤْتى بأقوامٍ فيُؤْخَذُ بهم ذاتَ الشِّمالِ ، فأقول : يا ربّ ـ » أحسبُه قال : أصحابي . ـ فيقال : ما زَالُوا بَعْدَكَ يَرْتَدّونَ على أعْقَابهمْ » ثمَّ قال : تفرّد به لَيْثٌ عن عبد الملك بن سعيد بن جُبَير[٣] .

وقال البخاري في باب الحوض من « صحيحه » : حدّثنا عمرو بن محمد ، حدّثنا هُشَيْم ، حدّثنا أبو بِشْر ، وعطاء بن السَّائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عبَّاس ، قال : « الكوثرُ : الخَيْرُ الكثير ، الذي أعطاه اللهُ إيّاه » ، قال أبو بِشْر : قلت لسعيد بن جُبَيْر : إنّ أناساً يَزْعمُون أنّه نَهرٌ في الْجَنَّة ، فقال سعيد : النهرُ الذي في الْجنَّة من الخير الذي أعطاه الله إياه[٤] .

قلت : وقد تقدَّم أنه يَشْخُبُ من الكوثر الذي في الجنة إلى الحوض الذي في الموقف مِيزَابَانِ منْ ذَهَب وفِضَّةٍ .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٨٣ و ٦٥٨٤) أقول : ورواه مسلم رقم (٢٢٩٠ و٢٢٩١) من طريق أبي حازم ، به .

(٢) رواه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم رقم (١٠٦١) .

(٣) ورواه البزار رقم (٣٤٨٠ ـ كشف الأستار) من طريق ليث عن طاوس عن ابن عباس نحوه ، وهو ضعيف ، ولبعضه شواهد .

(٤) رواه البخاري (٦٥٧٨) .

طريق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال الطبرانيّ : حدّثنا إبراهيم بن هاشم البَغَويّ ، حدّثنا محمد بن عبد الوهّاب الحارثيّ ، حدّثنا عبد الله بن عُبَيْد بن عُمَيْر ، عن ابن أبي مُلَيكةَ ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « حوضي مَسيرةُ شَهْرٍ زواياه سواء ، أكوابُه عددُ نجوم السماء ، ماؤه أبيضُ من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيبُ ـ» يعني ريحاً « من المسك ، من شرب منه شَرْبةً لم يَظْمأ بعدَها أبداً »[١] .

طريق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال ابن أبي الدنيا : حدّثنا العبَّاس بن محمد ، حدّثنا حسين بن محمد المرُّوذي ، حدّثنا مِحْصَن بن عُقْبَة اليَمانيّ ، عن الزُّبَيْر بن شَبيب ، عن عُثْمان بن حاضر ، عن ابن عباس قال : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الوقوف بين يدي ربّ العالمين ، هل فيه ماءٌ ؟ قال : « إي ، والذي نفسي بيده ، إنَّ فيه لماءً ، إنَّ أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ، ويَبْعَثُ اللهُ سبعين ألف ملَك في أيديهم عصيٌّ من نارٍ يَذُودونَ الكفّارَ عن حياض الأنبياء »[٢] .

رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

قال البخاريّ : حدّثنا مُسدَّد ، حدّثنا يحيى ، عن عُبَيْد الله ، حدّثني نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ ، قال : « أمامكم حوضٌ ، كما بَيْنَ جَرْباء ، وأذْرُح » .

ورواه أحمد عن يحيى القطَّان ، ورواه مسلم من حديث عُبَيْد الله ، وأيُّوب ، وموسى بن عُقْبَة ، وغيرهم ، عن نافع .

وفي بعض الروايات : « أمامَكمْ حوض كما بين جَرْباء وأذْرُح ، وهما قريتان بالشام ، فيه أباريقُ عددُ نجوم السماء ، من وَرَدهُ فشرب منه لم يَظْمأ بعدها أبداً »[٣] .

طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدّثنا أبو المغيرة ، حدّثنا عمر بن عمرو ، أبو عثمان بن عمرو الأُحموسِيّ[٤] ،

---

(١) رواه الطبراني (١١٢٤٩) وهو حديث صحيح .

(٢) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه البخاري رقم (٦٥٧٧) وأحمد في المسند (٢/ ٢١) ومسلم (٢٢٩٩) .

(٤) في (آ) : أو عثمان بن عمرو .

حدّثني المخارق [بن أبي المخارق] ، عن عبد الله بن عمر : أنَّه سمعه يقول : إنَّ النبي ﷺ قال : « حوضي كما بين عَدَن وعمَّان ، أبردُ من الثلج ، وأحلى من العَسَل ، وأطيبُ ريحاً من المسك ، أكوابُه مثلُ نجُوم السماء ، منْ شَرِب منه شَرْبةً لم يظمأ بعدَها أبداً ، أوَّلُ الناس عليه ورُوداً صَعالِيكُ المُهاجرينَ » قال قائل : ومَنْ هُمْ يا رسول الله ؟ قال : « الشَّعِثَةُ رؤوسُهم ، الشَّحِبَةُ وجوهُهُمْ ، الدَّنِسَةُ ثيَابُهُم ، لا يُفْتح لهم أبواب السُّدد ولا ينكحون المُتَنعِّمات ، الذين يُعْطونَ كلَّ الذي عليهم ؛ ولا يأخذون الذي لهم » . تفرَّد به أحمد[١] .

طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال أبو داود الطَّيالسيّ : حدّثنا أبو عَوانةَ ، حدّثنا عطاء بن السائب ، قال : قال لي محارب بن دِثَار : ما كان سعيد بنُ جُبَيْر يقول في الكَوْثر ؟ قلت : كان سعيدُ بن جُبَيْر يُحدّث عن ابن عباس ، قال : هو الخيرُ الكثير ، فقال محارب : أين يَقَع رأيُ ابن عباس ؟ ثم قال محارب : حدّثنا عبد الله بن عمر ، قال : لمَّا نزلت ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ قال لنا رسول الله ﷺ : « هُوَ نَهْرٌ في الجَنَّة ، حافتَاهُ منْ ذَهَبٍ ، يَجْري على الدُّرّ ، والياقوت ، تُرْبَتُه أطْيَبُ رِيحاً منَ المِسْكِ ، وطَعْمُهُ أحْلَى منَ العَسَل ، وماؤُه أشدُّ بَيَاضاً من الثلج» . ورواه البيهقي من حديث حماد بن زيد عن عطاء بن السائب ، بنحوه ، وأخرجه الترمذي وابن ماجه من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب ، به ، وقال الترمذيّ : حسن صحيح[٢] .

رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

قال البخاري : حدّثنا سعيد بن أبي مَرْيم ، حدّثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبي مُليكة ، قال : قال عبدُ الله بنُ عمرو : قال رسول الله ﷺ : « حَوْضي مَسيرةُ شَهْرٍ ، ماؤه أبْيضُ من اللبن ، وريحُه أطيب من المسك ، وكيزانُهُ كنجوم السماء ، من شرب منه فلا يَظْمأ أبداً » . ورواه مسلم عن داود بن عمرو ، عن نافع بن عمر ، به[٣] .

طريق أخرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدّثنا يحيى ، حدّثنا حُسَيْن المُعلِّم ، حدّثنا عبد الله بن بُريدَة ، عن أبي سَبْرَة ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٣٢) وإسناده ضعيف ، ولكن للحديث شواهد يقوى بها .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي رقم (١٩٣٣) والبيهقي في « البعث والنشور » (١٤٠) والترمذي (٣٣٦١) وابن ماجه (٤٣٣٤) وهو حديث حسن .

(٣) رواه البخاري رقم (٦٥٧٩) ومسلم رقم (٢٢٩٢) .

واسمه سالم بن سَبْرَة ، قال : كان عُبَيْدُ الله بنُ زياد يسألُ عن الحوض ، حَوْضِ محمّد ﷺ ، وكان يُكذِّبُ به بَعْدَ ما سَأل أبا بَرْزَة ، والبَرَاء بن عازب ، وعائِذَ بن عمرو ، ورجلاً آخر ، وكان يُكذِّب به .

فقال أبو سبرة لِعُبَيْد الله بن زياد : أنا أحدِّثك بحديثٍ فيه شفاءٌ مِنْ هذا ، إنّ أباك بَعَثَ معي بمالٍ إلى معاوية ، فلقيت عبد الله بن عمرو ، فحدّثني بما سمع مِنْ رسول الله ﷺ ، وأملى عليَّ ، فكتبتُ بيَدي ، فلم أزِدْ حَرْفاً ، ولم أنْقُصْ حَرْفاً . حدّثني أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ اللهَ لا يُحبّ الفُحْشَ ، ـأوْ يُبْغضُ ـ الفَاحشَ والمُتَفَحِّشَ » . قال : « ولا تقوم الساعة حتى يَظْهَر الفحش ، والتفاحشُ ، وقطيعةُ الرحم ، وسوء المُجاوَرة ، وحتى يؤتمن الخائن ، ويُخوَّن الأمينُ » وقال : « ألا إنّ موعدَكم حَوْضي ، عَرْضُه وطوله واحد ، وهو كما بين أيْلَة ومكة ، وهو مَسيرَةُ شَهْر ، فيه مثلُ النجوم أباريقُ ، شرابُه أشدُّ بياضاً من الفِضَّة ، من شَرِبَ منه مَشْرباً لم يظمأ بَعْدهُ أبداً » فقال عُبَيْدُ الله : ما سَمِعتُ في الحوض حديثاً أثْبَتَ من هذا ، وصدّق به ، وأخذ الصحيفة ، فحبسها عنده(١) .

طريق أخرى عنه

قال أبو بكر البزار في « مسنده » : حدّثنا محمود بن بَكْر بن عبد الرحمن ، حدّثنا أبي ، حدّثنا عيسى بن المختار ، عن محمد بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عُبَيْد الله بن أبي مُلَيْكة ، عن عُبَيْد بن عُمَيْر الليثيّ ، عن عبد الله بن عمرو : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنّ لي حَوْضاً في الجَنَّةِ ، مَسيرَتُهُ شهر ، وزواياه سواءٌ ، ريحُهُ أطْيبُ منَ المِسْك ، ماؤه كالوَرِقِ ، أقداحُه كنجوم السماء ، من شرب منه شَرْبَةً لم يَظْمأ بعدها أبداً » ثم قال : لا نَعْلمُ روَى عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ عن عبد الله بن عمرو غيرَ هذا الحديث(٢) .

طريق أخرى عنه

رواها الطبرانيُّ من حديث مُسلم بن رئاب(٣) عن عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما .

رواية عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه

قال البخاريّ : حدّثنا يحيى بن حَمَّاد ، حدّثنا أبو عَوانة ، عن سُلَيْمانَ ، عن شَقيقٍ ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، قال : « أنا فَرَطُكُمْ على الحوض » قال البخاريّ : وحدّثنا عمرو بن عليّ ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٦٢) وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد وطرق يقوى بها .
(٢) ورواه البزار في مسنده رقم (٢٤٦٢) من طريق نافع بن عمر كالطريق الأولى .
(٣) في (آ) : رباب .

حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شُعْبَةُ ، عن المغيرةِ : سمعتُ أبا وائل ، عن عبد الله ، عن النبيّ ﷺ قال : « أنا فَرَطكُمْ على الحوض ، ولَيُرْفَعنَّ رجالٌ منكم ، ثم لَيُخْتَلَجُنَّ دوني ، فأقول : يا ربّ ، أصحابي ، فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بَعْدَكَ » تابعه عاصم ، عن أبي وائل ، وقال حصين : عن أبي وائل ، عن حُذيفة ، عن النبيّ ﷺ[١] .

طريق أخرى عنه

في الحوض وغيره

قال الإمام أحمد : حدّثنا عارمُ بن الفَضْل ، حدّثنا سعيد بن زيد[٢] ، حدّثنا عليُّ بن الحكَمِ البُنَانيُّ ، عن عثمان ، عن إبراهيم ، عن عَلْقَمة والأسْود ، عن ابن مسعود ، قال : جاء ابنا مُلَيْكَةَ إلى النبيّ ﷺ ، فقالا : إنّ أُمَّنا ماتت وكانت تُكْرِمُ الزوج ، وَتَعْطِفُ على الولد ـ قال : وَذَكَر الضَّيْفَ ـ غير أنها كانت وأَدَتْ في الجاهليَّة ، فقال : « أُمُّكما في النار » قال : فأدْبرَا والسُّوءُ يُرىٰ في وجوههما ، فأمر بهما فرُدَّا ، فرجَعَا والسرور يُرَىٰ في وجوههما رجاءَ أن يكون قد حدث شيء ، فقال : « أُمِّي معَ أُمِّكما » فقال رجل من المنافقين : وما يُغني هذا عن أمِّه شيئاً ، ونحن نطأ عَقِبَيْه ؟ فقال رجل من الأنصار ـ ولم أرَ رَجُلاً أكثر سؤالاً منه ـ: يا رسول الله ، هل وعدك ربك [فيها أو] فيهما . قال : فظنَّ أنّه من شيءٍ قدْ سَمِعَهُ ، فقال : « ما شاء الله ربِّي[٣] ، وما أطعمني فيه ، وإنّي لأقوم المقامَ المحمودَ يومَ القيامة » فقال الأنصاريّ : وما ذلكَ المقامُ المحمودُ ؟ قال: « ذاك إذا جيء بكمْ حُفاةً عُراةً غُرْلاً ، فيكون أوَّل من يُكْسى إبراهيمُ عليه الصلاةُ والسلام فيقول : اكْسُوا خَليلي ، فيُؤْتى بِرِيْطَتَيْنِ بيضاوَيْن ، فيَلْبَسُهما ، ثم يَقْعُد مُسْتَقْبل العَرْش ، ثم أُوتىٰ بكسوتي ، فألبَسُها ، فأقومُ عن يَمينه ، مَقاماً لا يقومُه أحد [غيري] يَغْبِطُني به الأولون ، والآخِرُونَ ، ويُفْتَحُ نهرٌ من الكوثر إلى الحوض » فقال المنافق : إنّه ما جرى ماءٌ قطُّ إلاّ على حالٍ أو رَضْراضٍ . فقال الأنصاريّ : يا رسول الله ، هل له حالٌ أو رَضْراضٌ[٤]؟ فقال رسول الله ﷺ: « حالُه المِسْكُ وَرَضْرَاضُه التُّوم[٥] » فقال المنافق: لم أسمع كاليوم، قلَّما جرىٰ ماء قطّ على حالٍ أو رَضْراضٍ إلاّ كان له نَبْتٌ ، فقال الأنصاريّ : يا رسول الله ، هل له نَبْتٌ ؟ فقال : « نعم ، قُضبان الذهب » قال [المنافق] : لم أسمع كاليوم ، فإنه قلَّما نبت قضيب

(١) رواه البخاري (٦٥٧٥ ـ ٦٥٧٦) وأخرجه مسلم رقم (٢٢٩٧) من طريق الأعمش ، ومحمد بن جعفر ، به .
(٢) في (آ) : حدثنا عارم بن الفضل ، حدّثنا سعيد بن الفضل ، حدّثنا سعيد بن زيد ، وهو خطأ .
(٣) في المسند : ما سألته ربي .
(٤) « الحال » : الطين الأسود كالحمأة ، والرضراض : الحصى الصغار .
(٥) « التُّوم » : اللؤلؤ .

إلا أورق ، وإلا كان له ثمر . فقال الأنصاري : يا رسول الله ، هل له ثمر ؟ فقال : « نعم ، ألوان الجوهر ، وماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، من شرب منه مَشْرباً لم يظمأ بعده ، ومن حُرِمَه لم يَرْوَ بعدَهُ » . تفرَّد به أحمد ، وهو غريب جداً[(١)] .

رواية عتبة بن عَبْدٍ السُّلَمي رضي الله عنه

قال الطبرانيّ : حدّثنا أحمد بن خُلَيْد الحلبيُّ ، حدّثنا أبو تَوْبَةَ الرَّبيع بن نافع ، حدّثنا معاوية بن سَلاّم ، عن زيد بن سلاّم ، أنّه سمع أبا سلاّم يقول : حدّثني عامر بنُ زَيْد البكاليُّ ، أنّه سمع عُتْبَة بن عُبْدٍ السُّلَميَّ ، يقول : جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ ، فقال : ما حَوْضُكَ هذا الذي تُحَدِّثُ عَنْه ؟ فقال : « كما بَيْنَ البَيْضاء[(٢)] إلى بُصْرَى ، يَمُدّني الله فيه بكُراعٍ لا يَدْري إنسانٌ ممّن خَلَق الله أين طَرَفاه »[(٣)] .

قال أبو عبد الله القُرطبيّ : وخرّج الحكيم الترمذيّ ، في « نوادر الأصول » من حديث عُثْمان بن مظعون ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « يا عثمان ، لا تَرْغَبْ عن سنَّتي ، فإنّه مَن رَغِبَ عن سنَّتي ، ثمَّ مات قبل أن يَتُوبَ ، ضرَبتِ الملائكة وَجْهَهُ عن حَوْضي يومَ القيامة »[(٤)] .

رواية عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه

قال البخاريّ : حدّثنا عمرو بن خالد ، حدّثنا الليثُ ، عن يزيد ، عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامر : أن رسول الله ﷺ خرج يوماً ، فصلَّى على أهل أُحُدٍ صَلاته على المَيِّت ، ثم انصرف فقعد على المِنْبر ، فقال : « إنّي فَرَطُكُمْ على الحوض ، وأنا شَهيدٌ عليكم ، وإنّي والله لأنظُرُ إلى حوضي الآن ، وإنّي أُعْطيتُ مَفاتيح خَزائن [الأرض] أو مفاتيح الأرض ، وإنّي والله ما أخافُ عليكم أن تُشْرِكُوا بَعْدي ولكن أخافُ عليكم أن تَنافسُوا فيها » .

ورواه مسلم ، عن قُتَيْبَةَ ، عن الليث ، به ، ومن حديث يحيى بن أيُّوب ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، به ، وعنده : « إنّي فَرَطُكمْ على الحوض ، وإنّ عَرْضَهُ كما بَيْنَ أيْلَةَ إلى الجُحْفَة ، وإنِّي لَستُ أخشىٰ عليكم أن تُشْركُوا بَعْدي ، ولكنِّي أخْشَى عليكم الدُّنيا أنْ تَنافسُوا فيها وتَقْتَتِلُوا فتَهْلِكُوا ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/٣٩٨ ـ ٣٩٩) .
(٢) البيضاء : ثنية التنعيم بمكة .
(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ٣١٢) .
(٤) أخرجه ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » في الرد على الصوفية ، فصل في ذكر أحاديث تبين خطأهم في أفعالهم ، عن سعيد بن المسيب مرسلاً ، وهو ضعيف .

كَما هلَكَ منْ كانَ قبلكم » قال عُقْبَةُ : فكانت آخِرَ ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ [على المنْبر][١] .

ذكر ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك

أسند البيهقيُّ من طريق عليّ بن المدينيِّ ، حدّثنا عفّان ، حدّثنا حمّاد بنُ سلمَةَ ، عن علي بن زيد ، عن يُوسُفَ بنِ مِهْران ، عن ابن عبَّاس ، قال : سمعتُ عمر [بن الخطاب] رضي الله عنه يقول : إنَّ رسولَ الله ﷺ رجَمَ ، ورَجمَ أبو بكر ، ورَجمْتُ ، وسيكونُ قومٌ يُكذِّبونَ بالرَّجْم ، والدَّجال ، والحوض ، والشفاعة ، وبعذاب القَبْر ، وبِقَوْمٍ يَخْرجُون منَ النَّارِ .

وأما رواية المستورد [فـ]ـذكرها القاضي عياض[٢] .

رواية النواس بن سِمعان الكلابي رضي الله عنه

قال عمر بن محمد بن بجير البجيري[٣] : حدّثنا سليمان بن سلمةَ ، حدّثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم ، حدّثنا ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، عن النواس بن سِمْعان ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ حوْضي عَرْضُه وطولُه كما بَيْنَ أيْلةَ إلى عمّان ، فيه أقداحٌ كنُجوم السماء ، أوّلُ منْ يَرِدُه من أُمّتي منْ يَسْقي كلَّ عَطْشانٍ » .

أورده الضياء من هذا الوجه ، ثم قال : أرى أن هذا الحديث من صحيح البجيري ، والله أعلم[٤] .

رواية أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

قال أبو بكر بن أبي عاصم : حدّثنا دُحَيم ، حدّثنا الوليدُ بن مسلم ، حدّثنا صفوان ، عن سُلَيم بن عامر ، عن أبي اليمان الهَوْزَنيِّ ، عن أبي أُمامة أنّ يزيد بن الأخنس[٥] قال : يا رسول الله ﷺ ، ما سَعَةُ

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٩٠) ومسلم (٢٢٩٦) .

(٢) ذكرها القاضي عياض في الشفاء (١/١٩١ ـ بتحقيقي) وهي جزء من رواية حارثة بن وهب المتقدمة وهي في الصحيحين انظر صفحة (٢٤٣) .

(٣) في (آ) : عمر بن محمد بن بحر البحرّي ، وهو خطأ . والبجيري هذا . هو حافظ ثبت جوال ، مصنف المسند أبو حفص توفي (٣١١هـ) .

(٤) أقول : فيه عنعنة ابن جريج .

(٥) في (آ) : صفوان بن مسلم عن عامر أبي اليمان الهوزني عن أبي أمامة أن زيد بن أرقم ، وهو خطأ ، والتصحيح من السنة لابن أبي عاصم .

حَوْضِك ؟ قال : « كما بين عَدَن إلى عمَّان ، فأَوْسَع ، وأوسَع » يُشير بيَدِه « فيه مثعبان[١] منْ ذَهَبٍ ، وفِضة » قال : فما [ماءُ] حوضك ؟ فقال : « أشدُّ بياضاً من اللّبن ، وأحلى من العَسَل ، وأطيبُ رائحةً من المسك ، منْ شَرِب منه لم يظمأ بعده أبداً ، ولم يَسْوَدَّ وجهُه أبداً »[٢] .

طريق أخرى عنه

قال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا محمد بن يوسف بن الصبَّاح ، حدّثنا عبد الله بن وَهْب ، عن معاوية بن صالح ، عن أبي يحيى ، عن أبي أُمامةَ الباهليِّ ، قال : قيل : يا رسول الله ، ما سَعَةُ حَوْضِكَ ؟ قال : « ما بَيْنَ عَدَنَ ، وعَمّان » وأشار بيده ، وأوسع ، وأَوْسَع « وفيه مثعبان من ذَهَبٍ ، وفِضَّةٍ » قيل : يا رسول الله ، فما شَرَابُه ؟ قال : « أبيضُ من اللبن ، وأحلى مَذاقاً من العسل ، وأطْيبُ رِيحاً من المِسْك ، من شرب منه شَرْبةً لم يَظْمأ بعدها ، ولم يَسْوَدَّ وجهه بَعْدَها أبداً »[٣] .

رواية أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه

قال أبو داود : حدّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا عبد السلام بن أبي حازم ، أبو طالوت ، قال : شهدتُ أبا بَرْزة الأسلمي دخَل على عُبَيْد الله بن زياد ، فحدّثني فلانٌ ـ سمّاه مسلم ـ وكان في السِّماط ، فلمّا رآه عُبَيْدُ الله ، قال : إن مُحمَّدِيَّكمُ هذا لدَّحْداح[٤] ففهمها الشيخ فقال : ما كنتُ أحسبُ أني أبقى في قوم يُعيِّروني بصُحْبَةِ محمَّد ﷺ ، فقال له عُبَيْدُ الله : إنَّ صُحْبَة محمد لك زَيْنٌ غَيْرُ شَيْن ، ثم قال : إنَّما بَعَثْتُ إلَيْك لأسألكَ عن الحوض ، هل سَمِعْتَ رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً ؟ فقال أبو برزة : نعم ، لا مَرَّةً ، ولا ثِنْتَيْنِ ، ولا ثلاثاً ، ولا أربعاً ، ولا خمساً : « فمن كذَّب به فلا سقاهُ اللهُ مِنْهُ » ثمَّ خرجَ عنه مُغْضباً .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا أبو خَيْثمة ، حدّثنا يزيدُ بن هارون ، حدّثنا محمد بن مِهْزم[٥] العبديّ ، عن أبي طالوت العبدي ، سمعتُ أبا برزة يقول [: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول] في الحوض : « فمن كذَّب به فلا سقاهُ اللهُ مِنْهُ » .

---

(١) المثعب : مجرى الماء من الحوض .
(٢) رواه ابن عاصم في السنة (٧٢٩) وأحمد في المسند (٥/ ٢٥١) وهو حديث حسن .
(٣) ورواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥١) . وهو حديث حسن .
(٤) الدحداح : القصير السمين .
(٥) في (آ) : بهرام ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .

وقد رواه البيهقيّ من طريق أخرى عن محمد بن يحيى[١] الذُّهْليّ ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن قُرَّة بن خالد ، عن أبي حمزة ، طلحة بن يزيد مولى الأنصار ، عن أبي بَرْزَةَ ، في دخوله على عُبَيْد الله بن زياد بنحو ما تقدَّم[٢] .

وقال أبو بكر بن أبي عاصم : حدثنا عَبْدَةُ بن عبد الرحيم ، حدّثنا النضر بن شُمَيْل ، حدّثنا شدَّادُ بن سعيد ، سمعتُ أبا الوَازِع ، وهو جابر بن عمرو ، سمع أبا بَرْزَةَ الأسلميَّ يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما بَين نَاحِيَتيْ حَوضي كما بين أيْلَةَ إلى صنعاء ، مَسيرةُ شَهْر ، عَرْضُه كَطُولِه ، فيه ميزابان يَغُتّانِ[٣] من الجنَّة من وَرِق وذَهب ، أبيضُ من اللبن ، وأحلى من العَسَل ، فيه أباريقُ عددُ نجوم السماء »[٤] .

طريق أخرى

قال ابن أبي عاصم : حدّثنا عُقْبَةُ بن مُكْرَمُ ، حدّثنا محمد بن موسى الشَّيْبانيّ ، عن صالح ، عن سيَّار بن سلامةَ الرِّياحيّ ، عن أبيه ، عن أبي بَرْزَةَ ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ لي حَوْضاً يوم القيامة عرضُه ما بَيْنَ أيْلَةَ إلى صنعاء ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلَى من العسل ، فيه من الأباريق عدَدُ نجوم السمـاء ، من شرب منه شَرْبَةً لم يَظْمأْ بعدها أبداً ، ومن كذَّبَ به فلا سَقاهُ الله » يعني منه[٥] .

رواية أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه[٦]

قال أبو بكر بن أبي الدُّنيا في « الأهوال » : حدّثنا أحمد بن إبراهيم ، حدّثنا رَوْحٌ ، حدّثنا حمَّاد بن زَيْد ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن أبي بَكْرَة : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « أنا فَرَطكُمْ على الحَوْض »[٧] .

---

(١) في (آ) : بجير ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٢) رواه أبو داود رقم (٤٧٤٩) والبيهقي في « البعث والنشور » (١٧١) وهو حديث صحيح .
(٣) أي يدفقان فيه الماء دفقاً .
(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٧٢٢) وهو حديث حسن .
(٥) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٧٢٠) وهو حديث حسن .
(٦) في الفاسية : رواية أبي بكرة من طريق حذيفة عنه ، تأتي في أحاديث الشفاعة .
(٧) في إسناده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، ولكن الحديث حسن بشواهده وطرقه .

رواية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

قال مسلم بن الْحَجَّاج في « صحيحه » : حدّثنا أبو بَكْرِ بن أبي شَيْبَةَ ، وإسحاقُ بن إبراهيم ، وابن أبي عمر المَكيّ ، واللفظ لأبي بكْر بن أبي شَيْبَة ، (قال إسحاق : أنبأنا وقال الآخران : حدّثنا) عبدُ العزيز بن عبد الصمد ، عن أبي عِمْرَان الْجَونيّ ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذرّ ، قال : قلت : يا رسول الله ، ما آنيةُ الحَوْض ؟ قال : « والذي نفسُ محمدٍ بِيَدِهِ ، لآنيتهُ أكْثَرُ من عدد نجوم السماء وكواكبها ، ألا في الليلة المُظْلمةِ المُصْحية ، آنِيَةُ الْجنَّة من شَرِبَ منها لم يَظْمأْ آخِرَ ما عليه ، يَشْخُبُ فيه مِيزَابان من الْجنَّة ، من شرب منه ، لم يظمأ ، عَرْضه مثلُ طُولِه ، ما بين عَمَّان إلى أيْلَةَ ، ماؤه أشدُّ بَياضاً من اللّبن ، وأحْلَى من العسل » . هذا لفظه إسناداً ، ومَتْناً[١] .

رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال ابن أبي عاصم : حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، حدّثنا محمد بن بِشْر ، حدّثنا زكريّا ، عن عَطيَّة العَوْفيّ ، عن أبي سعيد الخُدْريّ ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « إنّ لي حَوْضاً ، طولُه ما بَيْنَ الكَعْبةِ إلى بيت المقدِس ، أبيضَ مثلَ اللبن ، آنيتُه عددُ النجوم ، وإنّي لأكْثَرُ الأنبياء تَبَعاً يوم القيامة » . ورواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة[٢] .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا محمد بن سُلَيْمان الأسَديّ ، حدّثنا عيسى بن يونس ، عن زكَريّا ، عن عَطيَّة ، عن أبي سعيد : أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ لي حوضاً طولُه من الكَعْبَة إلى بَيْت المَقْدِس ، أشدّ بياضاً من اللبن ، آنِيَته عددُ النجوم ، وكلّ نبيٍّ يدعُو أُمّته إلى حوضه ، ولكلّ نبيٍّ حوضٌ ، فمنهم من يأتيه الفِئَام ، ومنهم من يَأْتيه العصبة ، ومنهم من يأتيه النَّفَرُ ، ومنهم من يأتيه الرجل والرَّجُلان ، ومنهم من لا يأتيه أحد ، فيقال : قد بلّغت ، وإني لأكثرُ الأنبياء تبعاً يوم القيامة »[٣] .

وروى البَيْهقيُّ من طريق رَوْح بن عُبَادة ، عن مالك ، عن خُبيب[٤] بن عبد الرحمن ، عن حَفْص بن عاصم ، عن أبي هريرة ، وأبي سعيد : أنّ رسول الله ﷺ قال : « ما بين بَيْتي ومِنْبري رَوْضةٌ مِنْ رِيَاضِ الجنّة » ثم قال : ورواه البخاريّ من وجهٍ آخر ، عن مالك ، وأخرجاه

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٠٠) وابن أبي شيبة (١١/١١٧١٧) و(١٣/١٥٩٤٩) .

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٧٢٣) وابن ماجه (٤٣٠١) وابن أبي شيبة (١٣/١٥٩٥١) وفي إسناده عطية العوفي ، وهو ضعيف . ولكن للحديث شواهد يقوى بها .

(٣) وفي إسناده عطية العوفي ، وهو ضعيف ، ولبعضه شواهد .

(٤) في (آ) : حبيب ، والتصحيح من كتب الرجال .

مُن حديث عبَيْد الله بن عمر ، عن خُبيب ، بدون ذكر أبي سعيد ، والله أعلم[١] .

رواية أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه

قال البخاريّ : حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر ، حدّثنا أنس بن عِياض ، عن عُبَيْد الله ، عن خُبَيْبٍ ، عن حَفْص بن عاصم ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « ما بَين بَيْتي ومِنْبَري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حَوْضي » . ورواه البخاري أيضاً ، ومسلم من طرق عن عبيد الله بن عمر . وأخرجه البخاري أيضاً من حديث مالك ، كلاهما عن خبيب بن عبد الرحمن ، به[٢] .

طريق أخرى عنه رضي الله عنه

قال البخـاريّ : حدّثنا إبراهيم بن المُنذر ، حدّثنا محمد بن فُلَيْح ، حدّثنا أبي ، حدّثني هلال ، عن عطاء بن يَسـارٍ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « بَيْنا أنا قائم على الحوض إذا زُمْرَةٌ ، حتّى إذَا عَرَفْتُهم خَرج رجلٌ من بَيْني وَبينِهمْ ، فقال : هَلُمّ ، فقلت : أيْنَ ؟ قال : إلى النار واللهِ ، قلت : ما شأنهم ؟ قال : إنَّهم ارتدُّوا بعدك على أدبارهم القَهْقَرَى ، ثم إذا [زُمْرة] حتّى إذا عَرَفتُهُمْ خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هلُمّ ، قلت : أين ؟ قال : إلى النارِ واللهِ . قلت : ما شأْنهم ؟ قال : إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القَهْقَرَى ، فلا أُراه يَخْلُصُ منهم إلاّ مثل هَمَلِ النَّعَم[٣] » . انفرد به البخاري[٤] .

طريق أخرى عنه رضي الله عنه

قال مسلم : حدّثنا عبد الرحمن بن سَلاّم الجُمَحيّ ، حدّثنا الربيعُ يعني ابنَ مسلم ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة : أنّ النبيّ ﷺ قال : « لأذُودَنَّ عنْ حَوْضي رجالاً كما تُذادُ الغَريبةُ من الإبل » وحدّثنيهِ عُبَيْدُ [الله] بنُ معاذٍ ، حدّثنا أبي ، حدّثنا شُعْبةُ ، عن محمد بن زياد ، سمع أبا هريرة ، يقول : قال رسول الله ﷺ . . . بمثله[٥] .

---

(١) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (١٧٧) والبخاري رقم (٧٣٣٥) و(٦٥٨٨) ومسلم رقم (١٣٩١) وهو الآتي بعده .

(٢) رواه البخاري (٦٥٨٨) و(٧٣٣٥) ومسلم (١٣٩١) .

(٣) همل النعم : ضوال الإبل .

(٤) رواه البخاري (٦٥٨٧) .

(٥) رواه مسلم (٢٣٠٢) (٣٨) .

طريق أخرى عنه رضي الله عنه

قال مسلم : حدّثنا سُوَيْدُ بن سعيد ، وابن أبي عمر جميعاً ، عن مَرْوانَ الفَزَاريّ [قال ابنُ أبي عمر : حدّثنا مَرْوانُ الفَزاريّ] عن أبي مالك الأشْجَعيّ ، سعد بن طارق ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ حوضي أبعدُ من أيلة منْ عَدَن ، لهو أشدُّ بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل باللبن ، ولآنيتهُ أكْثَرُ من عدد النجوم ، وإنّي لأصُدُّ الناس عنه ، كما يَصد الرَّجُلُ إبل الناس عن حَوْضِه » قالوا : يا رسول الله ، أتَعْرِفُنا يَومئذٍ ؟ قال : « نعم ، لكم سيما لَيْسَت لأحَدٍ من الأمم ، تَرِدُون عليَّ غُرّاً مُحجَّلينَ من أثرِ الوُضوء » هذا لفظه[١] .

طريق أخرى عنه رضي الله عنه

أخرجه مسلم ، من حديث إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، به[٢] .

طريق أخرى عنه رضي الله عنه

روى الحافظ الضياء من حديث يحيى بن صالح ، حدّثنا سُليمان بنُ بلال ، حدّثنا إبراهيمُ بن أبي أَسيد ، عن جَدّه ، عن أبي هُرَيْرَةَ : أنّ رسول الله ﷺ قال : « إذا أنا هَلَكْتُ فإنّي فَرَطُكُمْ على الحوض » قيل : يا رسول الله ، [وما الحوض ؟] قال : « عَرْضُه مِثْلُ ما بَيْنكم وبيْنَ جَرْباء وأذْرُح ، بياضُه بياضُ اللبن ، وهو أحلى من العسل والسُّكَّرِ[٣] آنيتُهُ مثل نجوم [السماء] ، من ورد عليّ شرب ، ومن شرب منه لم يَظْمأ أبداً ، وإياكُمْ أن ترِد عليّ أقوامٌ أعْرِفُهم ويعرفوني ، فيُحالُ بيني وبينهم ، فأقول : إنَّهُمْ من أمّتي ، فيقال : إنّك لا تَدْري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : بُعْداً ، وسُحْقاً لمنْ بدّل بعدي »[٤] .

ثم قال الحافظ الضياء : لا أعلم أنِّي سمعتُ بلفظ السّكّر عن رسول الله ﷺ إلا في هذا الحديث . قلت : [بلى] ، قد ورد لفظُ السكَّر في حديث رواه البيهقي في باب الوليمة والنِّثارِ : أنّ رسول الله ﷺ حضر عَقْداً ، فأُتي بأطْباقِ اللَّوْز ، والسّكّر ، فنُثر ، فجَعَل يُخَاطِفهم ، ويُخاطِفُونهُ . . . الحديث بتمامه ، وهو غريب جدّاً[٥] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٧) (٣٦) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٩) (٣٩) .

(٣) الأغلب المقصود من السكر في الحديث أنه رطب طيب .

(٤) وخبر إبراهيم بن أبي أَسيد هو عن جده ، وجده لا يعرف اسمه .

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨٨) وقال البيهقي : وفي إسناده مجاهيل وانقطاع .

طريق أخرى عنه

قال البخاريّ : وقال أحمد بن شَبيب بن سعيد الحَبطيّ[(١)] : حدّثنا أبي ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المُسيَّب ، عن أبي هريرة : أنّه كان يُحَدّث أنّ رسول الله ﷺ قال : « يَرِدُ عليَّ يومَ القيامة رَهْطٌ منْ أصحابي ، فَيُحلَّؤونَ[(٢)] عن الحوض ، فأقول : يا ربّ ، أصحابي ، فيُقال : إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدُّوا على أدبارهم القَهْقَرى »[(٣)] . قال : وقال شُعَيْبٌ عن الزهريّ : كان أبو هريرة يُحدّث عن النبيّ ﷺ : « فيُجلَون » وقال عُقيل : « فَيُحلَّؤون »[(٤)] .

وقال الزُّبَيْديّ ، عن الزهريّ ، عن محمد بن عليّ ، عن عُبَيد الله بن أبي رافع[(٥)] ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ[(٦)] .

وهذا كله تعْليق ، ولم أر أحداً أسنده في شيء من هذه الوجوه عن أبي هريرة إلا أن البخاري قال بعد هذا : حدّثنا أحمد بن صالح ، حدّثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن ابن المُسيب : أنه كان يُحدّث عن أصحاب النبيّ ﷺ : أنّ النبيّ ﷺ قال : « يَرِدُ عليّ الحوضَ رجالٌ من أصحابي ، فَيُحَلَّؤون عنه ، فأقول : يا ربّ أصحابي ، فيقول : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدُّوا على أدبارهم القهقرى »[(٧)] .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثني يعقوب بن عُبَيْد ، وغيرُه ، عن سُلَيمان بن حرب[(٨)] ، عن حماد بن زَيد ، عن كلثومٍ إمام مَسْجد بني قشَيْر[(٩)] ، عن الفضل بن عيسى ، عن محمد بن المُنْكَدِر ، عن أبي هريرة : قال : كأني بكم صادرين على الحوض ، يلْقَى الرجلُ الرَّجلَ ، فيقول : أشَربْتَ ؟ فيقول : نعم ، ويَلْقَى الرجُلُ الرَّجلَ ، فيقول : أشَرِبْتَ ؟ فيقول : لا ، واعَطَشاه[(١٠)] .

---

(١) في (آ) : الحنظلي .

(٢) في (آ) : فيختلسون ، وهو خطأ .

(٣) رواه البخاري معلقاً (٦٥٨٥) ووصله أبو عوانة .

(٤) رواه البخاري معلقاً بعد الحديث (٦٥٨٦) وقد وصله الذهلي في الزهريات .

(٥) في (آ) : عبد الله بن رافع ، والتصحيح من البخاري .

(٦) وضعفه الدارقطني في الأفراد .

(٧) رواه البخاري (٦٥٨٦) .

(٨) في (آ) : سليمان بن زيد ، وهو خطأ .

(٩) في (آ) : إمام مسجد بني بشير .

(١٠) وفي إسناده ضعف .

رواية أسماء بنت الصِّدِّيق رضي الله عنهما

قال البخاريُّ : حدّثنا سعيدُ بن أبي مَرْيم ، عن نافع بن عمر ، حدّثني ابن أبي مُلَيْكة ، عن أسماء بنتِ أبي بكر ، قالت : قال النبيُّ ﷺ : « إني على الحوض حتّى أنْظُر منْ يَرِدُ عليَّ منكم ، وسَيُؤْخَذُ أُناسٌ دُونِي ، فأقول : يا ربّ ، منِّي ومن أمَّتِي ، فيُقال : هَلْ شَعَرتَ ما عَمِلُوا بعدك ؟ والله ما بَرِحوا يَرْجِعُون على أعقابهم » فكان ابنُ أبي مُلَيْكَةَ يقول : اللّهم إنا نعوذُ بك أن نَرْجِعَ على أعقابنا ، أو نُفْتَن عن دِيننا . ورواه مسلم عن داود بن عمرو ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن أسماء ، مثلَه(١) .

رواية أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما

قال البيهقي : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا عبد الرحمن بن الْحَسَن القاضي ، حدّثنا إبراهيمُ بن الْحُسَيْن ، حدّثنا آدمُ ، حدّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبَيْدَةَ ، قال : سألتُ عائشةَ أمّ المؤمنين عن الكوثر ، فقالت : هو نَهْرٌ أُعْطيهُ نَبيّكمْ ﷺ في الجنَّة ، حافتاه دُرّ مُجَوَّف ، عليه من الآنية عددُ النجوم » . ورواه البخاري عن خالد بن يَزِيْد الكاهِليّ عن إسرائيل ، واستشهد برواية مُطَرّف(٢) .

وقال مسلم : حدّثنا ابن أبي عُمر ، حدّثنا يحيى بن سُلَيْم ، عن ابن خُثَيْم ، عن عبد الله بن عُبَيْد الله بن أبي مُلَيْكة أنه سمع عائشةَ تقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظَهْرَانَيْ أصحابه : « إنّي على الحوض أَنْتَظرُ منْ يَرِدُ عليَّ منكم ، فوالله لَيُقتطعنَّ دوني رجالٌ ، فَلأقولَنّ : أيْ رَبّ ، مني ، ومِنْ أمّتي ، فيقول : إنّك لا تدري ما عَمِلوا بَعْدَك ، ما زالوا يَرْجعُون على أعقابِهم » . انفرد به مسلم(٣) .

رواية أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها

قال مسلم : حدّثني يونُس بن عَبْدِ الأعلى الصَّدَفيّ ، حدّثنا عبدُ الله بنُ وَهْب ، أخبرني عمرو ، وهو ابن الحارث ، أن بُكَيْراً حَدَّثه ، عن القاسم بن عبّاس الهاشميّ ، عن عبد الله بن رافع ، مولى

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٣) ومسلم (٢٢٩٣) .
(٢) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (١٣٦) والبخاري (٤٩٦٥) .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٢٩٤) (٢٨) .

أمّ سَلَمة، عن أمّ سَلَمة زَوْجِ النبيّ ﷺ أنها قالت: كنتُ أسمعُ الناسَ يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلمّا كان يوماً من ذلك، والجاريَةُ تَمْشُطني، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أيُّها النّاسُ» فقلت للجارية: اسْتأْخري عنِّي، فقالت: إنَّما دعا الرجالَ، ولم يدعُ النِّساءَ، فقلت: إنّي من الناس، فقال رسول الله ﷺ: «إنّي لكُمْ فَرَطٌ عَلَى الحَوْض، فإياي لا يَأْتِين أحدُكم، فَيُذَبّ عنّي كما يذَبُّ البَعيرُ الضَّالُّ، فأقول: فبم هذا؟ فيُقال: إنّك لا تدري ما أحْدَثُوا بعدك، فأقول: سُحْقاً».

ثم رواه مسلم والنسائيّ من حديث أفلح بن سعيد، عن عبد الله بن رافع، عنها[1].

رواية أخٍ لزيد بن أرقم

قال الإمام أحمد: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن مطر، عن عبد الله بن بُريدة، قال: شكَّ عبيد الله بن زياد في الحوض، فأرسل إلى زيد بن أرقم، فسأله عن الحوض، فحدثه به حديثاً مُونِقاً، فأعجبه، فقال له: سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟ [قال: لا] ولكن حدثنيه أخي[2].

فقد تلخّص من مجموع هذه الأحاديث المُتواتِرَة صِفَةُ هذا الحوض العظيم، والمَوْرِد الكريم، المُمَدّ من شراب الْجَنّة، من نهر الكوثر، الذي هو أشدُّ بياضاً من اللبن، وأبردُ من الثلج، وأحلى من العسل، وأطْيَبُ ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتّساع، عَرْضُه وطوله سَواءٌ، كل زاوية من زواياه مَسيرَةُ شَهْرٍ.

وفي بعض الأحاديث المتقدِّمة أنّ كل ما لهُ في زيادةٍ واتّساع، وأنه ينبت في حاله أي في طينه من المسك، وأن رضراضه، من اللؤلؤ، وأنه ينبت على جوانبه قُضْبانُ الذّهب، ويُثْمرُ ألوان الجواهر، فسبحان الله الخالق الذي لا يُعْجزُه شيء، و [أشهد أن] لا إله إلاّ الله [وأن] محمَّداً عبده ورسوله.

ذكر أن لكل نبي حوضاً

وأن حوض نبينا محمد ﷺ وعليهم أجمعين أعظمها وأجلها، وأكثرها وارداً

جعلنا الله تعالى من وُرَّاده، وسقانا منه شربة لا نظمأ بعدها، ونعوذ بالله سبحانه أن نذاد عنه

قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب «الأهوال»: حدّثنا محمد بن سُلَيْمانَ الأسَديّ، حدّثنا

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٩٥) (٢٩) والنسائي في الكبرى (١١٤٦٠).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٧٤) ومعمر في «جامعه» الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٥٢)، وفي إسناده ضعف.

عيسى بن يونس ، عن زكريّا ، عن عطيّة ، عن أبي سعيد الخدري : أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ لي حوضاً طوله ما بين الكَعْبَةِ إلى بَيْت المَقْدِس ، أشدّ بياضاً من اللبن ، آنيتُه عددُ النجوم ، وكلُّ نبيٍّ يدعُو أمّتَه ؛ ولِكُلّ نبيّ حوض ، فمنهم من يأتيه الفِئَامُ ، ومنهم من يأتيه العُصْبةُ ، ومنهم من يأتيه النَّفَر ، ومنهم من يأتيه الرجلان والرجل ، ومنهم من لا يأتيه أحد ، فيقال : لقد بلّغتَ ، وإنّي لأكثرُ الأنبياء تبعاً يوم القيامة » .

ورواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة ، عن محمد بن بِشْر ، عن زكريّا بن أبي زائدة ، عن عَطِيّة بن سعد العَوْفيّ ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ بنحوه[١] .

حديث آخر

قال ابن أبي الدنيا : حدّثنا العبّاس بن محمد ، حدّثنا الْحُسَينُ بن محمد المَرُّوذي ، حدّثنا مِحْصنُ بن عُقْبَة اليَمَاميّ ، عن الزُّبَيْر بن شَبيب ، عن عثمان بن حاضر ، عن ابن عباس ، قال : سُئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي ربّ العالمين : هل فيه ماء ؟ فقال : « [إيْ] والذي نَفْسي بِيَدِه ، إنَّ فيه لَماءً ، إنّ أولياء الله لَيَرِدُون حِيَاضَ الأنبياء ، ويَبْعثُ الله سبعين ألف ملَكٍ ، في أيديهم عِصيٌّ من نار ، يذُودونَ الكُفَّارَ عن حياض الأنبياء » . هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وتقدم .

وتقدَّم ما رواه الترمذيّ ، والطبرانيّ ، وغيرُهما ، من حديث سعيد بن بَشِير ، عن قتادةَ ، عن الحسن ، عن سَمُرة أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ لِكلّ نبيّ حَوْضاً [وإنهم] يتباهَوْنَ أيُّهم أكْثرُ وَارِدةً ، وإنّي لأرْجو أن أكون أكثرَهم وارِدةً » ثم قال الترمذيّ : هذا حديث غريب .

وقد رواه أشْعَثُ بن عبد الملك ، عن الحسن مُرْسلاً ، وهو أصحّ ، ورواه الطبرانيّ أيضاً من طريق خُبَيب بن سُلَيْمان ، عن سَمُرَة بن جُنْدُب : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن الأنبياء يَتَباهَوْنَ يوم القيامة أيُّهم أكْثَرُ أصحاباً ، وإنّي أرجو أن أكون [يومئذ] أكثرَهم كُلِّهم وَارِدةً ، وإنَّ كلّ رجل منهم [يومئذ] قائمٌ على حَوْضٍ ، ملآنَ ، معه عَصاً يدعو منْ عَرَف من أمته ، ولكلّ أمّةٍ سِيمَا يَعْرِفُهُمْ بها نَبيُّهم »[٢] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا خالد بن خِدَاش ، حدّثنا حَزْمُ بن أبي حَزْم ، سمعتُ الحسن البَصْريّ يقول : قال رسول الله ﷺ : « إذا فَقَدْتُموني فأنا فَرَطُكم على الحوض ، إنّ لِكُلّ نبيّ حوضاً ، قائمٌ على

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٠١) أقول : في إسناده عطية العوفي ، وهو ضعيف ، ولكن لبعضه شواهد .

(٢) رواه الترمذي (٢٤٤٣) والطبراني في الكبير (٦٨٨١) و(٧٠٥٣) وإسناده ضعيف .

حوضه ، بيَدِهِ عَصاً ، يدعو من عرف من أمّته ، ألا وإنّهم يَتباهَوْنَ أيُهم أكثرُ تبَعاً ، والذي نفسي بيده إنّي لأرْجُو أنْ أكونَ أكثرَهُم تبَعاً . . . » وذكر تمام الحديث ، وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسن صَحَّحهُ يحيى بن سعيد القَطّان ، وغيرُهم ، وقد أفتى شيخُنا الحافظ المِزيُّ بصِحَّةِ هذا الحديث ، بهذه الطُّرق .

فصْل

إن قال قائل : فهل يكون الحوضُ قبلَ الجَواز على الصراط أو بعده ؟ فالجواب أنّ ظاهر ما تقدّم من الأحاديث يقتضي كونَه قبلَ الصِّراط ، لأنه يُذادُ عنه أقوامٌ ، يقال عنهم : إنهم لم يَزالُوا يَرْتَدُّون على أدبارهم وأعقابهم ، منذ فارقْتَهُمْ ، فإنْ كان هؤلاء كفّاراً ، فالكافرُ لا يُجَاوِزُ الصِّرَاطَ ، بل يُكَبُّ على وجهه في النار قبلَ أن يُجَاوِزَه ، وقيل : إن الصراط طريق ومَعْبَر إلى الجنة ، فهو إنما ينصب للمؤمن والعصاة والفُسَّاق والظلمة ، تحفظهم عليه الكلاليب ، فمنهم المخدوش المسلَّم ، ومنهم من يأخذ الكَلُّوب ، فيهوى في النار على وجهه ، وإن كان المشار إليهم بالردة عُصاةً من المسلمين فيَبعُدُ حَجبُهمْ عن الحوض ، لا سيَّما وعليهم سِيمَا الوضوء ، وقد قال رسول الله ﷺ : « أعرفكم غُرّاً مُحَجّلينَ من آثارِ الوُضوء » ثم من جاوز الصراط لا يكون إلاّ ناجياً مُسْلِماً ، فمثل هذا لا يُحْجَبُ عن الحوض ، فالأشبَهُ والله أعلم أنّ الحوضَ قبلَ الصراط .

فأمّا الحديثُ الذي قال الإمامُ أحمد : حدّثنا يونُس ، حدّثنا حَرْب بنُ مَيْمونٍ ، عن النَّضْر بن أنس ، عن أنس قال : سألت رسول الله ﷺ أنْ يَشْفَع لي يومَ القيامة، قال : « أنا فاعل » قال : فأين أطلُبك يوم القيامة يا نبيَّ اللهِ ؟ قال : « اطْلُبْني أوّلَ ما تَطْلُبني على الصراط » قلت : فإنْ لم ألْقكَ [على الصراط ؟] قال: « فأنا عند الميزان »، قال: قلت: فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : « فأنا عند الحوض لا أخطئ هذه الثّلاثة مَواطِنَ يوم القيامة » . ورواه الترمذيّ من حديث بَدَل بن المُحَبَّر ، وابن ماجه في « تفسيره » من حديث عبد الصمد ، كلاهما عن حَرْب بن مَيْمُون أبي الخَطَّاب الأنصاريّ البصريّ من رجال مُسْلم ، وقد وَثّقه عليّ بنُ المَدينيّ ، وعمرو بن عليّ الفَلاّس ، وفرّقا بينه وبين حَرْب بن [ميمون] أبي عبد الرحمن العَبْديّ [البصري] أيضاً صاحب الأغميَة ، وضعّفا هذا ، وأمّا البُخاريّ فجعلهما واحداً ، وحَكَى عن سُلَيمان بن حرب أنّه قال : كان هذا أكْذَبَ الخلق ، وأنكر الدارقطنيّ على البخاريّ ومسلم في جعلهما هذين واحداً ، وقال شيخنا الحافظ المِزّيّ : جَمَعَهُما غيرُ واحدٍ ، وفرق بينهما غيرُ واحدٍ ، وهو الصحيح ، إن شاء الله تعالى . قلت : وقد حرَّرت هذا في « التكميل » بما فيه كفاية .

وقال الترمذيّ : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه[١] .

والمقصود أنّ ظاهر هذا الحديث يقتضي أنّ الحوض بعد الصراط ، وكذلك الميزان أيضاً ، وهذا لا أعلم به قائلاً ، اللهمَّ إلاّ أن يكون المراد به حوضاً آخرَ ، يكون بعد قطع الصراط ، كما جاء في بعض الأحاديث ، ويكون ذلك حوضاً ثانياً لا يذادُ عنه أحد ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

فصل

وإذا كان الظاهر كونَه قبلَ الصراط ، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسيّ لفصل القضاء ، أو بعد ذلك . هذا ممّا يحتمل كُلاًّ من الأمرين ، ولم أر في ذلك شيئاً فاصلاً ، فالله أعلم أيّ ذلك يكون .

وقال القُرْطبيّ في « التَّذكرة » : واختُلف في الميزان ، والحوض : أيُّهما يكون قبلَ الآخر ؟ فقيل : الميزانُ قبلُ [وقيل : الحوض] ، قال أبو الحسن القابسيّ : والصحيح أن الحوض قبلُ . قال القرطبيّ : والمعنى يقتضيه ، فإنّ الناس يَخرجون عِطاشاً من قبورهم ، كما تقدَّم ، فيُقدَّم قبل الميزان والصراط . قال أبو حامد الغزاليّ في كتاب « كشْفِ علوم الآخرة » : حَكى بعضُ السَّلف من أهل التصنيف : أنّ الحوض يُوردُ بعد الصراط ، وهو غلَطٌ من قائله . قال القرطبيّ : هو كما قال ، ثم أورد حديثَ منع المُرْتدِّينَ على أعقابهم عن الحوض ، ثم قال : وهذا الحديث مع صحّته أدَلّ دليل على أنَّ الحوض يكون في الموقف قبلَ الصراط ، لأن الصراط منْ جاز عليه سَلِمَ ، كما سيأتي . قلت : وهذا التوجيه قد أسلفناه ولله الحمد .

قال القُرْطبيّ : وقد ظنّ بعضُ الناس أنّ في تحديد الحوض تارةً بجَربَاءَ وأذرُح ، وتارةً كما بَيْن الكَعْبَةِ إلى كذا ، وتارةً بغير ذلك اضطراباً ، قال : وليس الأمر كذلك ، فإنّه ﷺ حدَّث أصحابه به مَرَّاتٍ مُتعدِّدَةً ، فخاطب في كلّ مرّةٍ لكل قوم بما يعرفون من الأماكن ، وقد جاء في الصحيح تحديدُه بشَهْرٍ في شَهْرٍ ، قال : ولا يخطُر ببالِك أنَّه في هذه الأرض ، بل في الأرض المُبَدَّلةِ ، وهي أرضٌ بيضاءُ كالفِضَّةِ ، لم يُسْفَك فيها دم ، ولم يُظْلَمْ على ظهرها أحد قطّ ، تُطهَّرُ لِنُزول الْجَبَّار جلَّ جلالُه لِفَصْل القضاء .

قال : وقد روي أنّ على كلِّ زاوية من زوايا الحوض واحداً من الخلفاء الأربعة ، فعلى الركن الأوَّل أبو بكر ، وعلى الثاني عمر ، وعلى الثالث عثمان ، وعلى الرابع عليّ ، رضي الله عنهم ، قلت: وقد رَوَيْناه في « الغَيْلانِيَّات »، ولا يصح إسناده ، لضعف بعض رجاله[٢]، والله أعلم بالصواب .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٧٨) والترمذي (٢٤٣٣) وهو حديث حسن .

(٢) هو في « الغيلانيات » برقم (٦٤ ـ الزهراني) .

فصل

في مجيء الرَّبِّ سبحانه وتعالى كما يشاء يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه

ذُكر في حديث الصور المتقدّم أنّه إذا ذهب رسولُ الله ﷺ فشفع عند الله ليَفْصِل بَيْن العباد ، فيقول الرب تعالى : أنا آتيكم فأقضي بينكم ، ثم يَرْجِعُ رسول الله ﷺ فيقف مع الناس في مقامِه الأوّل ، فحينئذ تَنْشقُّ السَّماوتُ بغَمامِ النُّور وتَتنزَّلُ المَلائكةُ تَنْزيلاً ، فيَنْزِلُ أَهْلُ السَّماءِ الدُّنْيَا ، وهم قَدْرُ أهل الأرض من الجن والإنس ، فيُحيطونَ بهم دَائرةً ، ثمَّ تنشق السماءُ الثانية ، فتنزل ملائكتها وهم قدر الجن والإنس ، وقدر ملائكة سماء الدنيا ، فيحيطون بمن هناك من الملائكة والجن والإنس دائرة ، ثم كذلك أهل السماء الثالثة ، والرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ، فكلّ أهل سماءٍ يُحيط بمنْ قبلهم دائرةً ، ثم تنْزلُ الملائكة الكَرُوبيُّونَ وحَمَلةُ العَرْش ، ومن حولهم من المُقرَّبين ، ولهم زَجَلٌ بالتسبيح ، والتقديس ، والتعظيم ، يقولون : سبحانَ ذي العِزَّة والجَبَرُوت ، سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان الْحَيّ الذي لا يموت ، سُبْحانَ الذي يُميتُ الْخَلائق ولا يَمُوت ، ثم يأتيهم الله لفصل القضاء .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في « الأهوال » : حدّثنا حمزة بن العبَّاس ، حدّثنا عبد الله بن عُثمانَ ، حدّثنا ابن المبارك، حدّثنا عَوْفٌ، عن أبي المِنْهال ، سيَّار بن سَلامة الرِّياحيِّ ، حدّثنا شَهْرُ بن حَوْشَب، حدّثني ابنُ عبَّاس ، قال : إذا كان يومُ القيامة مُدَّتِ الأرضُ مَدَّ الأدِيم ، وزِيدَ في سَعتها كذا وكذا وجُمِعَ الخَلائقُ بصعيدٍ واحدٍ ، جِنُّهم وإنْسُهُمْ ، فإذا كان كذلك قِيضَت[1] هذه السماء الدنيا عن أهلها ، فنُثِر مَنْ فيها على وجْهِ الأرْضِ ، وأَهْلُ هَذِهِ السَّماءِ الدُّنْيا وَحْدَهُمْ أَكْثَرُ منْ جَميع أهلِ الأرض ، جنِّهم ، وإنْسهم بالضِّعْفِ ، فإذا رآهم أهلُ الأرض فَزِعُوا إلَيْهم ، ويقولون : أفيكُمْ رَبنا ؟ فيفْزَعُون منْ قولهم ، ويقولون : سُبْحانَ رَبِّنا ، [لَيس فينا] ، وهو آتٍ ، [ثم تُقاضُ السَّماءُ الثانية ، ولأهْلُ السماء الثانية أَكْثَرُ من أهْلِ هذه السماء الدُّنيا ، ومنْ جميع أهل الأرض بالضِّعْف ، فإذا نُثرُوا على وجْه الأرض فَزِعَ إليهم أهْلُ الأرض ، ويقولون : أفيكمُ رَبُّنا ؟ فيفزعون من قولهم ، ويقولون : سُبْحان رَبِّنا [ليس فينا] وهو آتٍ ، ثم تُقَاضُ السموات ، سماءً ، سماءً ، كلّما قِيضت سماءٌ كانت أكثَرَ منْ أهل السموات التي تَحْتَها ، ومن جميع أهل الأرض بالضِّعْف ، جنِّهم ، وإنْسِهم ، كلّما نُثرُوا على وجْه الأرض فَزِع إليهم أهْلُ الأرض ، ويقولون لهم مثل ذلك ويرجعون إليهم مثل ذلك ، حتى تُقاضَ السَّماءُ السَّابعةُ ، ولأهلُها وحدَهم أكْثرُ منْ أهلِ ستِّ سمواتٍ ، ومن أهل الأرض من الجن والإنس بالضِّعْف ، ويجيء اللهُ فيهم ،

---

(١) أي شقت .

والأمم جثاً صُفُوف ، فينادي منادٍ : سَتَعْلَمون اليومَ منْ أصحابُ الكَرم ، ليَقُم الْحَمَّادُون لله على كلّ حال ، فيقومون ، فيُسَرَّحُون إلى الجنَّة ، ثم ينادي ثانية : ستعلمون منْ أصحاب الكرم اليوم ، ليَقُم الذين كانتْ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٦] ، فيقومون ، فيُسَرَّحُونَ إلى الْجنَّة ، ثم ينادي ثالثة : ستعلمون منْ أصحابُ الكرم اليوم ، ليَقُم الذين كانُوا ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور : ٣٧] فيقومون، فيسَرَّحُونَ إلى الجنَّة ، فإذا لمْ يبق أحد من هؤلاء الثلاثة خَرج عُنقٌ من النار ، فأشْرَف على الخلائق ، له عَيْنانِ بصيرتان ، ولسانٌ فصيح ، فيقول : إنِّي وكِّلْتُ بثلاثة ، وكلت بكُلِّ جبَّارٍ عنيد ، فيَلْقُطُهم منَ الصُّفوفِ لَقطَ الطَّيْر حَبَّ السِّمْسِم ، فَيَخْنسُ بهم في جهنَّم ثم يَخْرجُ الثانية ، فيقول : إنِّي وُكِّلتُ بمن آذى اللهَ ورَسُولَه ، فيَلْقُطُهم من الصفوف لَقْط الطَّيْر حَبَّ السِّمْسِم فيخنسُ بهم في جَهَنّم ثم يخرج الثالثة، فيقول : إنِّي وُكِّلْتُ بأصحاب التَّصاوير ، فيلقُطُهم مِنَ الصفوف لَقْطَ الطَّيرِ حَبَّ السِّمْسِم فيخنسُ بهم في جهنَّم ، قال : فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثةً ، ومن هؤلاء ثلاثة ، نُشِرَت الصُّحف ، ووضِعَت الموازين ، ودُعيتِ الْخَلائِقُ للحساب[(١)] وقد قال الله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر : ٢١ ـ ٢٣] . وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة : ٢١٠] . وقال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزمر : ٦٩ ـ ٧٠] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان : ٢٥ ـ ٢٦] .

وقال في حديث الصور : فيضَعُ اللهُ كُرْسيَّهُ حَيْثُ شاء من أرضه ، يعني بذلك كُرْسيَّ فَصْل القَضاء ، وليس هذا بالكرسيّ المذكور في آية الكرسي ، ولا المذكور في « صحيح ابن حِبَّان » : « ما السمواتُ السبعُ والأرَضونَ السَّبْعُ وما فِيهنَّ ، وما بَيْنَهُنّ في الكُرْسيّ إلاّ كَحلْقَةٍ مُلْقاةٍ بأرْضٍ فَلاةٍ ، وما الكُرْسيُّ في العَرْش إلا كتِلك الْحَلْقةِ بتلكَ الفَلاةِ ، والعَرْشُ لا يَقْدُرُ قدره إلاّ اللهُ عزَّ وجلَّ »[(٢)] . وقد يُطلق على هذا الكرسيّ اسمُ العرش ، فقد ورد ذلك في بعض الأحاديث ، كما في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة : « سَبْعَةٌ يُظلُّهم اللهُ في ظله » ـ وفي رواية[(٣)] : « في ظل عرشه ـ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلُّه . . . » الحديث بتمامه[(٤)] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢١٥) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه ابن حبان في حديث أبي ذر الطويل مختصراً رقم (٣٦١) وهو صحيح بطرقه وشواهده .
(٣) ذكرها الحافظ في « الفتح » (٢/ ١٤٤) وعزاها إلى سعيد بن منصور من حديث سلمان بإسناد حسن .
(٤) رواه البخاري رقم (٦٦٠) ومسلم رقم (١٠٣١) .

وثبت في « صحيح البخاريّ » من حديث الزهريّ ، عن أبي سلَمَةَ ، وعبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا كانَ يومُ القيامة فإنّ الناس يَصْعَقُونَ ، فأكونُ أوّلَ مَنْ يُفيقُ ، فأجِدُ مُوسى باطِشاً بقائمةٍ من قوائم العَرْش، فلا أدري أَصَعِق فأفاقَ قَبْلِي، أم جُوزي بصَعْقَةِ الطُّور؟»[١] فقوله : « أم جُوزي بصَعْقة الطور » : يَدُلُّ على أن هذا الصَّعْق الذي يَحْصُل للناس يوم القيامة سَبَبُه تَجَلِّي الربّ تعالى لعباده ، لفَصْل القضاء ، فيَصْعَقُ الناسُ من تجلي العَظَمة ، والجلال ، كما صَعِقَ موسى يَوْم الطُّورِ حينَ سَأله الرُّؤْيَة ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فموسى عليه الصلاة والسلام إذا صَعِقَ الناسُ يوم القيامة، إمَّا أن يكون جُوزي بصعقة الطور، فلا يصعق يومئذ ، وإما أن يكون صعق فأفاق ، أي صعق صعقة خفيفة ، فأفاقَ قبلَ الناس كُلّهِمْ ، والله أعلم .

وقد ورد في بعض الأحاديث: أنَ المؤمنينَ يَرون اللهَ في عَرَصاتِ القيامة، كما ثَبتَ في «الصحيحين» ـ واللفظ للبُخَاريّ ـ من طريق قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : خَرَج عَلَيْنا رسولُ الله ﷺ ليلة البدْر ، فقال : « إنّكم سَتَرونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ كما تَرَوْنَ هذا لا تُضامُونَ في رُؤْيتهِ » .

وفي رواية للبخاريّ : « إنّكم سترون ربكم عِياناً »[٢] .

وجاء : أنّهم يسجدون له تعالى ، كما قال ابن ماجه : حدّثنا جبَارة بن المغلِّس الْحِمَّانيّ ، حدّثنا عبد الأعلى بن أبي المُسَاور ، عن أبي بُرْدَةَ ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا جمع الله الخلائقَ يوم القيامة أُذِنَ لأُمَّةِ محمّد ﷺ في السجود ، فَيَسْجدون له طويلاً ثم يقال : ارفعوا رُؤوسكم ، فقد جَعْلنا عدَّتكم فداءكم من النار » . وله شواهد من وجوه أُخر ، كما سيأتي[٣] .

وقال البزّار : حدّثنا محمد بن المُثَنّى ، حدّثنا يحيى بن حماد ، حدّثنا أبو عَوَانَةَ ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « حتَّى إنَّ أحدهُمْ لَيَلْتَفتُ فَيُكْشَفُ عن ساقٍ ، فيَقَعونَ سُجوداً ، وتَرْجِعُ أصلابُ المنافقين حتى تكون عَظْماً ، كأنها صَياصي البَقَر » ثم قال : لا نعلم حَدَّث به عن الأعمش إلاّ أبا عَوانةَ . قلت : وسيأتي له شاهد من وجه آخر .

وذكر في حديث الصُّور : « إنّ الله يُنادي العِبَاد يوم القيامة فيقول : إنّي قد أَنْصَتُّ لكم مُنْذُ خَلَقْتُكُمْ إلى يومكم هذا ، أرى أعمالَكم ، وأسمع أقوالكم ، فأنصتوا لي ، فإنما هي أعمالُكم ،

---

(١) رواه بنحوه البخاري رقم (٦٥١٧) .
(٢) رواه البخاري (٧٤٣٦ و٧٤٣٥) ومسلم رقم (٦٣٣) .
(٣) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٩١) وإسناده ضعيف .

وصُحُفكم تُقْرأ عليكم ، فمنْ وَجَدَ خَيْراً فليحمد الله ، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنّ إلاّ نفسه » .

وروى الإمام أحمد ، من حديث عبد الله بن محمد بن عَقيل ، عن جابر بن عبد الله : أنّه اشترى رَاحِلَةً ، وسار إلى عبد الله بن أُنَيس شهراً ليَسْمع منه حديثاً بلَغَهُ عَنْهُ ، فلمّا سأله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يُحْشَرُ الناسُ يَوْمَ القيامةِ » ـ أو قال : « العِبادُ ـ حُفاةً عُراةً غُرْلاً [بهماً] » قلنا : وما بُهماً ؟ قال : « ليس معهم شيء ، ثم يُناديهم بصوت يسمعُه منْ [بَعُد كما يسمعه] من قَرُبَ : أنا المَلِكُ ، أنَا الديّانُ ، لا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أنْ يدخُل النار ، وله عند أحَدٍ من أهل الْجَنّة حقّ حتّى أُقِصَّهُ مِنْهُ ، ولا يَنْبغي لأحَدٍ من أهل الْجَنَّةِ أن يدخلُ الْجَنَّةَ ولأحدٍ من أهل النَّار عِندهُ حقّ حَتَّى أُقصّه منه ، حتى اللطْمة » قال: قلنا: وكيف ، وإنّا إنّما نأتي اللهَ بُهْماً ؟ قال : « بالْحَسَناتِ ، والسّيئات »[١] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي ذَرّ عن النبيّ ﷺ في الحديث الإلـهي الطويل : « يا عبادي إنّما هي أعمالكم أُحْصيها لكم ثم أوفّيكم إيّاها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومنَّ إلاّ نفسه »[٢] .

وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [هود : ١٠٣ ـ ١٠٥] .

ثم ذكر سبحانه ما أعدَّه للأشقياء ، وما أعدَّهُ للسُّعداء ، فقال تعالى : ﴿ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النبأ : ٣٧ ـ ٣٨] .

وثبت في « الصحيحين » : « ولا يتكلم يَوْمئذ إلاّ الرُّسُل »[٣] .

وقد عقد البخاريّ رحمه الله باباً في ذلك ، فقال في باب التوحيد من « صحيحه » : بابُ كلام الرَّبّ سبحانه وتعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، ثم أورد فيه حديث أنس في الشفاعة بتمامه .

[وحديث عدي : « ما منكم من أحد إلا سيكلّمه ربه . . . »] الحديث ، وحديث ابن عمر في النَّجْوَى[٤] .

ونحن نورد في هذه الترجمة أحاديث أُخر ، مناسبةً لهذا الباب . وقد قال الله تعالى :

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥) وإسناده حسن . وجملة « بَعُد كما يسمعه » ليست في نسخ المسند وهي مثبتة في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٣٤٥) وجامع المسانيد للمصنف (٧/ ٥٠٧٦) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) (٥٥) .

(٣) رواه البخاري رقم (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) (٢٩٩) .

(٤) البخاري (٧٥١٠) و(٧٥١٤) .

﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة : ١٠٩] . وقال تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعراف : ٦ ـ ٧] . وقال تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف : ٨ ـ ٩] . وقال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر : ٩٢ ـ ٩٣] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا حمزةُ بن العبّاس، حدّثنا عبد الله بن عُثْمانَ ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا رِشْدين بنُ سعد ، أخبرني ابن أنْعُم المَعَافِريّ ، عن حبان بن أبي جَبَلَة ، يُسنده إلى النبيّ ﷺ قال : « إذا جَمَعَ اللهُ عِبادَهُ يَوْمَ القيامةِ كان أوّلُ منْ يُدْعَى إسرافيل ؛ فيقول له رَبُّه : ما فعلتَ في عهدي ؟ هل بَلَّغْتَ عَهْدي ؟ فيقول : نعم ، يا ربّ ، قد بلّغته جبريلَ ، فيُدعى جبريل ، فيقال له : هل بلّغك إسرافيلُ عَهْدي ؟ فيقول : نعم ، قد بلَّغني ، فيخلّى عن إسرافيل ، ويقال لجبريل : هل بلّغت عهدي ، فيقول : نعم قد بَلغْت الرُّسُل ، فيُدْعَى الرسل فيقولُ لهم : هل بَلّغكم جِبْريلُ عَهْدي ؟ فيقولون : نعم ، فيخلّى عنْ جِبْريل ، ويقال للرسل : ما فعلتم بعهدي ؟ فيقولون : بَلّغْنا أُمَمنا ، فتُدْعى الأُممُ ، فيُقال لهم : هل بلّغكمُ الرُّسُل عهدي ؟ فمنهم المُكَذّب ، ومنهم المُصَدِّق ، فيقول الرُّسُل : إنّ لنا عليهم شهداء يَشْهَدُون لنا أنا قدْ بَلّغْنا عهدَك ، فيقول : منْ يشهدُ لكم ؟ فيقولون : أُمّةُ أحمد ﷺ ، فيقول : أتشهدون أنّ رُسُلي هؤلاءِ قدْ بَلّغُوا عَهْدي إلى منْ أُرْسِلُوا إلَيْه ؟ فيقولون : نعم رَبِّ شَهِدْنَا أنْ قَدْ بَلّغُوا ، فتقولُ تلك الأمم : كيفَ يَشْهدُ عَلَيْنا منْ لمْ يُدرِكْنا ؟ فيقول لهمُ الربُّ تعالى : كيف تَشْهَدُونَ على منْ لم تُدْرِكُوا ؟ فيقولون : رَبّنا ، بَعَثْتَ إلينا رَسُولاً ، وأنْزلتَ إلَيْنا عَهْدَكَ وكِتابَك ، وقصصت عَلينا فيه أنّهم قد بَلّغوا ، فشَهِدْنا بما عَهِدت إلَيْنا ، فيقول الربُّ : صَدَقُوا ، فذلكَ قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] » . قال ابن أنْعُم : فبلغني أن أمة محمد تشهد ، إلاّ منْ كانَ في قلبه حِنَةٌ(١) على أخيه(٢) .

ذكر كلام الرب تعالى مع آدم عليه السلام

قال الإمام أحمد : حدّثنا قُتَيْبةُ بن سعيد ، حدّثنا عبد العزيز بن محمد ، عن ثَوْر ، عن أبي الغَيْث ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « أوّل من يُدْعى يومَ القيامة آدمُ ، فيقال : هذا أبوكم آدم ، فيقول : يا رَبِّ لَبّيْكَ وَسَعْديكَ ، فيقول له ربُّنا تعالى : أخْرِجْ نَصيبَ جَهَنّم منْ ذُرِّيتكَ ، فيقول : يا رَبِّ وكم ؟ فيقول : من كلّ مئةٍ تِسْعة وتسعين » فقلنا : يا رسول الله ، أرأيتَ إذا أخَذَ منّا من

---

(١) أي عداوة . انظر « النهاية » (١/ ٤٥٣) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٣٧) وابن المبارك في « الزهد » (١٥٩٨) وفي إسناده ضعف .

كلّ مئةٍ تسعةً وتسعين ، فماذا يَبْقَى مِنَّا ؟ قال : « إن أُمتي في الأمم ، كالشعْرَةِ البَيْضاءِ في الثَّوْرِ الأسود » .

ورواه البخاريّ ، عن إسماعيل بن عبد الله ، عن أخيه ، عن سُلَيْمانَ بن بلال ، عن ثور بن زيد الدِّيليّ ، عن سالم أبي الغَيْث ، مولى ابن مُطيع ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : « أوَّل من يُدْعَى يومَ القيامة آدم ، فتتراءى ذُريتُه ، فيقال : هذا أبوكم آدمُ ، فيقول : لَبَّيْكَ ، وَسَعْدَيْكَ ، فيقول : أخْرج بَعْثَ جَهنَّم من ذُرِّيتك . . . وذكر تمامه كما تقدم[١] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقولُ الله يوم القيامة : يا آدم ، قُمْ فابْعَثْ بَعْثَ النار ، فيقول : لَبَّيْكَ وَسَعْديكَ ، وَالْخَيْرُ في يَدَيْك ، يا رَبِّ ، وما بَعْثُ النَّار ؟ فيقول : من كلِّ ألفٍ تِسْعَمئةٍ وتِسْعةً وتسعين » قال : « فيَوْمئذٍ يَشيبُ المَوْلُود ، ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج : ٢] » قال : فيقولون : أيُّنا ذلك الواحد . فقال رسول الله ﷺ : « تِسْعُمئة وتِسْعةٌ وتسعون منْ يأْجُوج ومأْجُوجَ ، ومنكم واحد » قال : فقال الناس : الله أكبر ، فقال رسول الله ﷺ : « والله إني لأرْجُو أنْ تَكُونوا رُبُعَ أهلِ الجَنّة ، واللهِ إنِّي لأرْجُو أنْ تكونوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّة ، واللهِ إنِّي لأرْجُو أنْ تكونوا نِصْفَ أهْلِ الجَنَّة » قال : فكَبَّرَ الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أنْتُمْ في النّاسِ إلا كالشَّعْرةِ البَيْضاءِ في الثَّوْرِ الأسْوَدِ ؛ أو كالشَّعْرَةِ السَّوْداءِ في الثّوْرِ الأبيض » . ورواه البخاريّ ، عن عمر بن حَفْص بن غِياث ، عن أبيه ، عن الأعمش ، به . ورواه مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة ، عن وَكيع ، به ، وأخرجاه من طرق أُخَر ، عن الأعمش ، به[٢] .

وفي « صحيح البخاريّ » عن بُنْدار ، عن غُنْدَر ، عن شُعْبة ، عن أبي إسحاقَ ، عن عمرو بن مَيْمون ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كُنَّا مع رسول الله ﷺ في قُبَّةٍ من أدم ، فقال : « أتَرْضَوْنَ أنْ تكُونوا رُبُع أهْل الجَنّة ؟ » قلنا : نعم ، فقال : « والذي نفس محمد بِيَده ، إنّي لأرجُو أن تكونوا نِصْفَ أهْلِ الجنّة ، وذلك أنَّ الجنّة لا يدخُلها إلا نفسٌ مُسْلِمة ، وما أنتم في أهل الشِّرْكِ إلَّا كالشَّعرة البيضاء في جِلْد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر »[٣] .

(١) رواه أحمد في المسند (٢/٣٧٨) والبخاري (٦٥٢٩) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/٣٢) والبخاري (٤٧٤١ و٣٣٤٨) ومسلم رقم (٢٢٢) (٣٨٠) .
(٣) رواه البخاري (٦٥٢٨) ومسلم (٢٢١) (٣٧٧) .

كلام الرَّبِّ تعالى مع نوح عليه السلام وسؤاله إياه عن البلاغ

كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ ﴾ [الأعراف : ٦] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُدْعَى نوح يومَ القيامة ، فيُقال له : هل بَلّغْتَ ؟ فيقول : نعم ، فيُدْعى قَومُه ، فيُقال : هل بَلّغكُمْ ؟ فيقولون : ما أتانا مِنْ نذير ، أو ما أتانا من أحدٍ ، قال : فيُقال لنوح : منْ يشهدُ لَكَ ؟ فيقول : محمد ، وأُمَّتُه ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] » قال : « والوَسَطُ : العَدل الخيار » ، قال : « فيُدْعَوْن ، فيشْهدُون له بالبلاغ » قال : « ثم أشْهدُ عليكم » . وهكذا رواه البخاري ، والترمذيّ ، والنّسائيّ ، من طرق عن الأعمش ، به ، وقال الترمذيّ : حسن صحيح[(١)] .

وقد رواه الإمام أحمد ، بلفظ أعمَّ من هذا ، فقال : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَجيءُ النبيُّ يوم القيامة ومعه الرجل ، والنبيُّ ومعه الرجلان ، وأكثرُ من ذلك ، فيدعى قومُه ، فيقول لهم : هل بَلّغكم هذا ؟ فيقولون : [لا] ، فيُقال له : هل بَلّغْتَ قَوْمَك ؟ فيقول : نعم ، فيُقال له : منْ يَشْهدُ لك ؟ فيقول : محمد ، وأمّته ، فيُدْعى محمد ، وأمته ، فيُقال لهم : هل بَلّغ هذا قَوْمَه ؟ فيقولون : نعم ، فيُقال : وما عِلْمُكُم ؟ فيقولون : جاءنا نَبيُّنا ، وأخبرنا : أنّ الرُّسُل قد بَلّغُوا » قال : «فذلك قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾» قال : «يقول : عَدْلاً ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] » وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي كُرَيْب ، وأحمد بن سِنَان ، كلاهما عن أبي معاوية[(٢)] .

قلت : ومضمون هذا أنّ هذه الأمّة يوم القيامة تكون عدولاً عند سائر الأمم والأنبياء ، ولهذا يَسْتَشهدُ بهم سائر الأنبياء على أُمَمِهم ، ولولا اعترافُ أممهم بشرف هذه الأمة لما حصل إلزامُهم بشهادتهم .

وفي حديث بَهْز بن حَكِيم ، عن أبيه ، عن جَدّه معاوية بن حَيْدَةَ ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « أنتم تُوَفُّونَ سبْعين أمَّةً أنتم خَيْرُها ، وأكرمُها على الله سبحانه وتعالى »[(٣)] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢) والبخاري (٤٤٨٧) والترمذي (٢٩٦١) والنسائي في « الكبرى » (١١٠٠٧).
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٥٨) وابن ماجه رقم (٤٢٨٤) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣) وإسناده حسن .

ذِكر تشريف إبراهيم الخليل عليه السلام
يوم القيامة على رؤوس الأشهاد

قال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

وقال البخاريّ : حدّثنا محمد بن بَشّار ، حدّثنا غُنْدَر ، حدّثنا شُعْبةُ ، عن المغيرة بن النُّعمان ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عبّاس ، قال : قام فينا النبيُّ ﷺ يخطبُ ، فقال : « إنّكم محشورون إلى الله حُفاة عُراةً ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وإنه سيجاء برجال من أمّتي فيُؤْخذُ بهم ذاتَ الشِّمال ، فأقول : يا ربّ ، أصحابي ، فيقول : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك » قال : « فأقول كما قال العبدُ الصالح : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى . . . ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٧ ـ ١١٨] » قال : « [فيقال] : إنهم لم يزالوا مُرْتَدِّينَ على أعقابهم »(١) .

ذكر موسى عليه السلام وظهور شرفه وجلالته [وكرامته] يوم القيامة
ووجاهته [عند الله] وكثرة أتباعه وانتشار أمته

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب : ٦٩]. وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥١ ـ ٥٣]. وقال تعالى : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف : ١٤٤]. وقال : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه : ٣٩ ـ ٤١] والقرآن مملوء بذكر موسى والثناء عليه من الله عزَّ وجلَّ حتى كاد القرآن أن يكون كُلُّه فيه . وقال النبي ﷺ : « لا تفضِّلوني على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بالعرش »(٢) وقال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] . وثبت في الصحيح في الإسراء أن النبي ﷺ مرَّ بموسى ليلة الإسراء وهو قائم يصلي في قبره ، ورآه في السماء السابعة [وفي رواية] في السادسة ليلة الإسراء ، وكانت شريعة موسى عظيمة جداً ، وأمته كثيرة جداً ، وكان فيهم الأنبياء والعلماء والربانيون والأحبار والعبَّاد والزُّهاد ، والصالحون والمؤمنون والمسلمون والملوك والسادات والكبراء . وطالت أيامهم في أرغد

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٢٦) ومسلم رقم (٢٨٦٠) (٥٨) بالسند نفسه .

(٢) رواه بنحوه البخاري رقم (٢٤١١) و(٦٥١٧) .

عيش وأطيبه ، مع القهر والغلبة لأهل الأرض قاطبة ، ولا سيما في زمن داود وسليمان عليهما السلام . وقد مدح الله بعضهم ، وأثنى عليه في القرآن . فقال تعالى : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف] وقال : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الأعراف : ١٦٨] وقال : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ [مريم : ٥٨] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ [الجاثية : ١٦ ـ ١٧] وقد ذكرهم الله كثيراً في القرآن .

وقد رأى النبي ﷺ سواداً عظيماً قد سدَّ الأفق ، فظنها أمته ، فقيل : هذا موسى وقومه . والآيات والأحاديث في فضل موسى في الدنيا والآخرة كثيرة جداً .

ذكر عيسى ابن مريم عليه السلام
وكلام الرَّبِّ معه يوم القيامة

[قال الله تعالى] : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٦ ـ ١١٨] وهذا السؤال من الله تعالى يوم القيامة لعيسى ابن مَرْيم مع علمه تعالى أنّه لم يَقُلْ شيئاً من ذلك ولا خطر ذلك بنفسه قط ، ولا حدثته به نفسه ، إنّما هو على سبيل التَّقْريع ، والتَّوْبيخ لمن اعتقد فيه ذلك ، من ضُلّالِ النَّصارى ، وكَفَرَةِ أهْلِ الكِتابِ ، فيَتبرَّأُ إلى الله تعالى من هذه المقالة ، وممن قالها فيه وفي أمه ، كما تتبرأ الملائكة ممَّن اعتقد فيهم شيئاً من ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نحشرهم[1] جَمِيعًا ثُمَّ تقول[1] لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠ـ ٤١]. وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نحشرهم[2] وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ . . . ﴾ إلى قوله ﴿ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ١٧ ـ ١٩]. وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس : ٢٨ ـ ٣٠] .

---

(١) هي قراءة ما سوى حفص ويعقوب .

(٢) هي بالنون قراءة نافع ، وأبي عمرو ، وشعبة عن عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف .

وأما المقام المحمود المحمَّدي يوم القيامة ، فلا يساويه بل ولا يدانيه أحد فيه ، ويحصل له من التشريفات ما يغبطه بها الخلائق كلهم

وقد تقدّم ما ورد من الأحاديث في المقام المحمود ، وأنه ﷺ أول من يسجُد بين يدي الله تعالى يوم القيامة ، وأوّل من يَشْفَعُ [فيُشفَّعُ] ، وأوّل من يُكْسَى بَعْد الخليل ﷺ حُلَّتين خَضْرَاوَيْنِ ، وَيَجلسُ الْخَليلُ [عليه الصلاة والسلام] بين يدي العرش ، ومحمَّد [ﷺ] عن يَمِين العرش ، فيقول : يا ربّ ، إنّ هذا - ويُشير إلى جبريلَ [عليه السلام] - أخبرني عَنْكَ أنّك أرْسَلْتَه إليّ ، فيقول الله تعالى : صدق جبريلُ .

وقد روى لَيْثُ بن أبي سُلَيْم ، وأبو يحيى القَتات ، وعطاء بن السائب ، وجابر الجُعْفيّ ، عن مجاهد ، أنّه قال في تفسير المقام المحمود : إنّه يُجْلِسُه معه على العَرْش . ورُوي نحوه عن عبد الله بن سَلام ، وجمع فيه أبو بكر المَرُّوذي جُزءاً كبيراً ، وحكاه هو وغيرُه عن غير واحد من السلف ، وأهل الحديث ، كأحمدَ ، وإسحاقَ بن راهَوَيْه ، وخَلْقٍ ، وقال ابنُ جرير : وهذا شيء لا يُنكرهُ مثْبتٌ ولا نافٍ ، وقد نَظمَه الْحَافِظُ [أبو الحسن] الدارقُطْنيّ في قصيدةٍ له .

قلت : ومثلُ هذا لا ينبغي قَبُولُه إلاّ عن معصوم ، ولم يَثْبُتْ في هذا حديثٌ يُعَوَّلُ عليه ، ولا يُصارُ بسببهِ إليه ، وقولُ مجاهدٍ وغيره في هذا : (إنَّه المقام المحمود) ليس بحُجَّة بمُجَرَّدِهِ ، وكذلك ما روي عن عبد الله بن سلام لا يصح . ولكن قد تلقاه جماعة من أهل الحديث بالقبول ، ولم يصحّ إسنادُه إلى ابن سلام ، والله سبحانه أعلم بالصواب .

وقال [أبو بكر] بن أبي الدُّنيا : حدّثنا سُرَيْج(١) بن يونس، حدّثنا أبو سُفْيانَ المَعْمَريّ ، عن مَعْمَر، عن الزّهريّ ، عن عليّ بن الحُسَيْن : أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إذا كان يومُ القيامة مُدَّت الأرضُ مَدَّ الأديم ، حتى لا يكون للإنسان إلاّ مَوْضِعُ قَدَمَيْه » ، قال النبيُّ ﷺ : « فأكونُ أوّلَ من يُدْعى ، وجبريلُ عن يَمين الرحمن ، واللهِ ما رآه قَبْلَها ، فأقول : يا ربّ ، إنّ هذا أخبرني أنّك أرسلته إليّ ، فيقول الله تعالى: صدق ، ثم أشْفَعُ فأقول : يا رَبّ عبادُك عبدوك في أطراف الأرض ، فهو المقام المحمود » .

قلت : قد ورد في المقام المحمود أنه الشفاعة العظمى في الخلق ليقضى بينهم حين يأتون آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى فإذا جاؤوا إلى النبي ﷺ، قال: « أنا لها، أنا لها » فهذا هو المقام المحمود الذي يحمده به الأولون والآخرون، كما روي في الأحاديث الصحيحة .

---

(١) في آ) : شريح ، وهو خطأ .

ذكر ما ورد في كلام الرَّبِّ تعالى مع العلماء يوم فصل القضاء

قال الطبرانيّ : حدّثنا أحمد بن زُهَيْرٍ ، حدّثنا العلاء بن مسلمة[١] ، حدّثنا إبراهيم الطَّالقانيّ ، حدّثنا ابنُ المبارك ، عن سُفْيانَ ، عن سِمَاك بن حَرْبٍ ، عن ثَعْلبةَ بن الحكم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى للعلماء إذا جَلَس على كُرْسيِّه لِفَصْل القَضاءِ : إنِّي لم أجْعَل[٢] عِلْمي وحِكْمتي فيكُمْ إلاّ وأنا أريدُ أنْ أغْفِرَ لَكُمْ على ما كانَ مِنْكُمْ ، ولا أبالي » . [قلت] : ولا يصح ، ولو صح كان المراد به العلماء العاملون ، والله أعلم[٣] .

ذِكْر أولِ كلامه عزَّ وجلَّ مع المؤمنين

قال أبو داود الطَّيالسيّ : حدّثنا عبد الله بن المُبارك ، حدّثني يحيى بن أيوب ، عن عُبيد الله بن زَحْر ، عن خالد بن أبي عِمْران ، عن أبي عياش[٤] ، عن مُعاذ بن جَبَل ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنْ شِئْتم أنْبأتكُمْ بأوّل ما يقول الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين يوم القيامة ، وبأوّل ما يقولون له » قالوا : نعم ، يا رسول الله ، قال : « فإنّ اللهَ تعالى يقول للمؤمنين يوم القيامة : هل أحْببتُم لقائي ؟ فيقولون : نعم ، يا رَبَّنا ، فيقول : ما حملكم على ذلك ؟ فيقولون : عَفْوك وَرَحْمتُك ، وَرِضْوانُك ، فيقول : إنّي قد أوْجَبْتُ لكم رحمتي »[٥] .

فصــل

وأما الكفّار فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [آل عمران : ٧٧] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٧٤ ـ ١٧٥]. والمراد من هذا أنه لا يكلّمهم، ولا ينظر إليهم؛

---

(١) في الأصول : العلاء بن سالم .
(٢) وفي نسخة على حاشية الفاسية : لم أضع .
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم (١٣٨١) .
(٤) في (آ) : ابن عباس ، وفي الفاسية ابن عياش ، والتصحيح من « تهذيب الكمال » .
(٥) رواه أبو داود الطيالسي رقم (٥٦٤) وإسناده ضعيف .

كلاماً ينتفعون به ، ونظراً يَرْحَمُهم به ، كما أنهم عن رَبّهم يومئذٍ لَمَحْجُوبُونَ ، لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ[1] جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨]. [وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات: ٣٨ـ٤٠]. وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة: ١٨]. وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [القصص : ٦٢ ـ ٦٦] وقال : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [القصص: ٧٥]] ، والآيات في هذا كثيرة جداً .

وثبت في « الصحيحين » [كما سيأتي] من حديث [خَيثمة ، عن] عَدِيِّ بن حاتم ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال : « ما منكم من أحد إلاّ سَيُكلِّمُهُ رَبُّه لَيْسَ بينه وبينَه تَرْجُمان »[2] ، « فَيلْقَى الرَّجُلَ فيقول : أَلَمْ أُكْرِمْك ؟ ألم أزوِّجْكَ ، ألم أسَخِّر لكَ الخَيْلَ والإبل ، وأذَرْكَ تَرْأسُ وَتَربعُ ؟ فيقول : بلَى ، فيقول : أظننْتَ أنّكَ مُلاقيَّ ؟ فيقول : لا ، فيقول : الْيَوم أنساكَ كما نَسيتني »[3] ، فهذا فيه التصريح العظيم في تكليم الله تعالى ، ومخاطبته لعَبْده الكافر .

وأما العُصاةُ ، ففي حديث ابن عمر [الذي في « الصحيحين »] حديث النجوى كما سيأتي عن رسول الله ﷺ قال : « يُدْني اللهُ العَبْد يوم القيامة حتّى يَضع عليهِ كَنَفهُ ، ثم يُقرِّرُه بذُنُوبه ، فيقول : عَمِلْتَ في يوم كذا كذا وكذا [وفي يوم كذا كذا وكذا] ، فيقول : نعم ، يا ربّ ، حتى إذا ظَنَّ أنه قد هلك ، قال الله تعالى : إني قد سَتَرْتُها عَلَيْكَ في الدُّنْيا ، وأنا أغْفرُها لَكَ اليوم »[4] .

فصل

في إبراز النِّيران ، [والجنَان] ، ونصب الميزان ، ومحاسبة الدَّيَّان

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠ـ٩١] . وقال :

---

(١) هي قراءة ما سوى حفص عن عاصم ، وروح عن يعقوب .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة .

(٣) رواه البخاري (٦٥٣٩) ومسلم (١٠١٦) (٦٧) .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٤٤١) ومسلم رقم (٢٧٦٨) .

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير : ١٢ ـ ١٤] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ . . . ﴾ الآية [ق : ٣٠ـ٣١] . وقال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ . . . ﴾ الآية [الأنبياء : ٤٧] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ . . . ﴾ الآية [النساء : ٤٠] . وقال لُقْمان لابنه فيما أخبر الله عنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ١٦] والآيات في هذا كثيرة جداً .

ذِكْر إبداء عنق من النار إلى المحشر فيطّلع على الناس

قال الله تعالى : ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر : ٢٣] .

وقال مسلم في « صحيحه » : حدّثنا عمر بن حفص بن غِياث ، حدّثنا أبي ، عن العلاء بن خالد الكاهِليّ ، عن شَقيق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتى بِجَهنَّم يومئذ لها سبعون ألف زِمام ، مع كلّ زمام سبعون ألفَ مَلَك ، يَجُرُّونها » . وهكذا رواه الترمذي مرفوعاً ، ومن وجه آخر هو وابن جرير مَوْقوفاً[(١)] .

وقال الإمام أحمد: حدّثنا معاوية، حدّثنا شيبانُ، عن فِراس ، عن عَطيّة ، عن أبي سعيد الخُدْريّ، عن نبيّ الله ﷺ أنه قال : « يَخرُجُ عُنُقٌ منَ النار فيتكلّم يقولُ : وُكِّلْتُ اليومَ بِثلاثةٍ : بكُلّ جَبَّارٍ ، ومن جَعَل مع الله إلٰهاً آخر ، ومن قتل نَفْساً بغير نفس ، فيَنْطوي عليهم ، فيقذِفُهم في غَمَراتِ جَهنّم » . تفرّد به من هذا الوجه[(٢)] . وسيأتي في باب الميزان عن خالد ، عن القاسم ، عن عائشةَ ، نحوُه[(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الفرقان : ١٢ ـ ١٤] .

قال السُّدِّيّ : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ ، قال : من مسيرة مئةِ عام ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا ﴾ أي عليهم ﴿ وَزَفِيرًا ﴾ أي من شِدّة حَنَقِها وبُغْضِها لمن أشرك بالله ، واتَّخذ معه إلٰهاً آخر .

وفي الحديث : « من كَذَب عليّ ، أو ادّعى إلى غير أبيه ، أو انتمَى إلى غير مَواليه ، فَلْيَتَبَوّأْ بَيْن عَيْني جَهَنَّم مَقْعَداً » قالوا : يا رسول الله ، وهَلْ لَها مِنْ عَيْنَيْن ؟ قال : « أَمَا سَمِعْتُم اللهَ

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) والترمذي (٢٥٧٣) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٠) وفي إسناده عطية العوفي ، وهو ضعيف ، وللحديث دون قوله : « ومن قتل نفساً بغير نفس » شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٣٣٦) والترمذي رقم (٢٥٧٤) وآخر من حديث عائشة الآتي بعده .

(٣) رواه أحمد في المسند (٦/ ١١٠) وبعضه صحيح لغيره .

يقول : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفرقان] » رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : حدّثنا أحمد بنُ إبراهيم الدّوْرقيّ ، حدّثنا عُبَيْدُ الله بنُ موسى ، حدّثنا إسرائيلُ ، عن أبي يحيى ، عن مُجاهد ، عن ابن عبّاس ، قال : إنّ الرَّجُلَ ليُجَرُّ إلى النار ، فتَنْزَوي ويَنْقَبضُ بَعْضُها إلى بَعْض ، فيقول الرحمنُ : مالكِ ؟ فتقول : إنّه يَسْتَجيرُ بك منِّي ، فيقول : أرْسلُوا عَبْدي ، وإنّ الرَّجُل لَيُجرُّ إلى النار فيقول : يا رَبّ ، ما كان هذا الظنّ بِكَ ، فيقول : فما كانَ ظنُّك ؟ فيقول : أنْ تَسعَني رَحمتُك ، فيقول : أرسلُوا عَبدي ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيُجرُّ إلى النّار ، فتَشْهقُ إلَيْهِ النّارُ شُهُوقَ البَغْلَةِ إلى الشَّعير ، وتَزْفِرُ زَفْرَةً لا يَبْقَى أحَدٌ إلاّ خافَ . إسناده صحيح .

وقال عبد الرزاق : حدّثنا مَعْمرٌ ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عُبَيْد بن عُمَيْر ، قال : إنّ جهنَّمَ تَزْفِرُ زَفْرَةً لا يَبْقَى مَلَكٌ ، ولا نَبيٌّ إلا خرَّ ، تُرْعَدُ فَرائصه ، حتَّى إنّ إبراهيم لَيَجْثُو على رُكْبَتَيْهِ ، ويقول : يا رَبّ ، لا أسْألُكَ اليومَ إلاّ نَفْسي .

وقال في حديث الصُّور : ثم يأمر اللهُ جهنَّم فيَخْرُج مِنْها عُنُقٌ ساطعٌ مُظْلم ، ثم يقول تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [يس : ٦٠-٦٤] . وقال : ﴿ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس : ٥٩] فيميزُ اللهُ بين الخلائق ، وتجثُو الأمم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨ - ٢٩] .

ذكر الميزان

قال الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧]. وقال تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٢-١٠٣] . وقال تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٨ - ٩] . وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة : ٦ - ١١]. وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٥] .

قال أبو عبد الله القرطبيّ : قال العلماء : إذا انقضى الحسابُ يوم القيامة كان بعده وَزْنُ الأعمال ، لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار

مقاديرها ، ليكون الجَزاءُ بِحَسبها ، قال : وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ يحتمل أن يكون ثَمَّ مَوَازينُ مُتعدّدة ، توزنُ فيها الأعمال ، ويحتمل أن يكون المراد المَوْزونات ، فجُمع باعتبار تَنوّع الأعمال الموزونة ، والله أعلم .

بيان كون الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان

قال الإمام أحمد : حدّثنا إبراهيم بن إسحاق الطَّالقَانيّ ، حدّثنا ابنُ المبارك ، عن لَيْث بن سَعْد ، حدّثني عامر بن يحيى ، عن أبي عبد الرحمن الْحُبُليّ ، واسمه عبد الله بن يَزيد ، سمعتُ عبد الله بن عمرو ، يقول : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله تعالى يستخلص رجلاً من أُمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فيَنْشُر اللهُ عليه تِسعةً وتسعين سِجلاً ، كلُّ سِجلٍّ مَدُّ البَصرِ ، ثم يقول له : أتنكرُ مِنْ هذا شَيْئاً ؟ أظلمكَ كَتَبتي الحافظون ؟ قال : لا ، يا رَبّ ، فيقول الله : أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ ؟ فيُبْهتُ الرَّجُل ، فيقول : لا ، يا رَبّ ، فيقول : بلى ، إنَّ لك عندنا حسنة واحدة ، إنك لا تظلم ، أو قال : لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إلـه إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : أَحْضِرُوه ، فيقول : يا رَبّ ، ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلات ؟ فيقول : إنّك لا تُظْلم » قال : « فتوضع السِّجلاتُ في كِفّةٍ ، والبطاقةُ في كِفّةٍ » قال : « فَطَاشَت السِّجلاّتُ ، وَثَقُلَتْ البطاقة ، ولا يَثْقُلُ شَيْءٌ [مع] اسم اللهِ الرّحْمنِ الرَّحيم » وهكذا رواه الترمذيّ وابن ماجه وابن أبي الدنيا ، من حديث الليثِ ، زاد الترمذي : وابن لهيعة ـ كلاهما ـ عن عامر بن يحيى ، به ، وقال الترمذيّ : حسن غريب(١) .

سياق آخر [لهذا الحديث]

قال أحمد : حدّثنا قُتيبةُ ، حدّثنا ابنُ لهيعة ، عن عمرو بن يحيى(٢) ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : « توضع الموازينُ يوم القيامة ، فيُؤْتى بالرَّجُلِ فيُوضَع في كِفّةٍ ، فيوضع ما أُحصي عليه من أعماله فيَتَمايل به الميزان » قال :

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢١٣) والترمذي رقم (٢٦٣٩) وابن ماجه رقم (٤٣٠٠) وهو حديث صحيح .
أقول : وفي هذا الحديث الشريف بشارة عظمىٰ وفائدة كبرى ، وهي أن البطاقة التي فيها (لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) ثقلت في الميزان ، ورجحت على سائر السجلات ، وهذا يدل على مدى قيمة هذه الكلمة الطيبة ، وأنها تنجي قائلها من الخلود في النار يوم القيامة ، وأن توحيد الله عزَّ وجلَّ والاعتراف له بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة ، هو الأصل الذي عليه تبنى جميع الأعمال ، نسأل الله تعالى أن يختم حياتنا بهذه الكلمة الطيبة والإيمان بها والعمل بمدلولها .

(٢) كذا في الأصول : عمرو بن يحيى ، والصواب عامر بن يحيى .

« فيَبْعثُ الله به إلى النار » قال : « فإذا أُدبرَ بِه إذا صائحٌ منْ عِنْد الرحمن (تبارك وتعالى) يقول : لا تَعْجَلُوا ، لا تَعْجَلُوا ، لا تَعْجَلُوا ، فإنه قد بَقِي له ، فيُؤْتى ببطَاقةٍ فيها : لا إله إلا اللهُ ، فتوضعُ مع الرجل في كِفّةٍ ، حتّى يَميل به الميزانُ » . وهذا السياق فيه غرابة[١] فيه فائدة جليلة ، وهي أن العامل يوزن مع عمله .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا أحمد بن محمد بن البَراءِ المُقْرئ ، حدّثنا يَعْلَى بن عُبَيْد ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو ، رفعه ، قال : « يُؤْتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ، فيُخْرَج لَهُ تسعةٌ وتسعون سِجلاًّ ، كلُّ سِجلّ منها مدُّ البَصرِ ، فيها ذُنُوبه ، وخَطَاياهُ ، فتُوضَعُ في كِفةٍ ، ثم يُخرَجُ لَهُ قِرْطاس مثل الأُنْملةِ ، فيها شهادةُ أنْ لا إلَـه إلا اللهُ ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُهُ ، فتوضَعُ في الكِفّةِ الأخرى ، فتَرْجحُ بخطاياه » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أبو عُبَيْدٍ القاسمُ بن سَلاّم ، حدّثنا حجّاجٌ ، عن فِطْرِ بن خَليفَةَ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط ، قال : لمّا حضر أبا بكر الموتُ أرْسَل إلى عمر ، فقال : إنّما ثَقُلتْ مَوازينُ منْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُه يَوْمَ القيامةِ باتِّباعِهمُ الْحَقَّ في الدُّنيا ، وثِقله عليهم ، وحُقّ لِميزانٍ إذا وُضِعَ فيه الحَقُّ غداً أنْ يكونَ ثَقيلاً ، وإنَّما خَفّتْ موازينُ مَنْ خَفّت مَوازينهُ يَوم القيامةِ باتّباعهم البَاطِل [في الدنيا] ، وخِفّته علَيْهم ، وحُقَّ لِميزانٍ إذا وُضع فيه الباطلُ غَداً أنْ يَكُونَ خَفيفاً .

وقال أحمد : عن سفيان بن عُيَيْنةَ ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن يعلى بن مَمْلَك ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن النبيِّ ﷺ قال : « أثْقَلُ شيء يوضع في الميزان خُلُقٌ حسن »[٢] .

وقد وردت الأحاديثُ بوزن الأعمال أنفسها كما في « صحيح مسلم » ، من طريق أبي سَلاّم ، عن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهور شَطْرُ الإيمان ، والحَمدُ لله تَملأ الميزان ، وسُبْحان الله ، والحمدُ لله تملآن [أو تملأ] ما بَيْن السمواتِ والأرض ، والصلاةُ نور ، والصدقة بُرْهانٌ ، والصبر ضياء ، والقرآن حُجّةٌ لَكَ أو عَلَيْك ، كلُّ الناسِ يَغْدو فبائعٌ نَفْسَهُ فمُعْتِقُها ، أو مُوبقُها »[٣] .

فقوله : « والحمد لله تملأ الميزان » ، فيه دلالةٌ على أن العمل نفسه يوزن ، وذلك بأحد شيئين ، إما أن العمل نفسه ، وإن كان عَرَضاً قد قام بالفاعل ، يُحيلُه الله يوم القيامة فيجعلُه ذاتاً ، تُوضعُ في

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) وهو حديث حسن .
(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) ، ورواه من طريق سفيان الترمذي (٢٠٠٢) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٢٣) .

الميزان ، كما ورد في الحديث الذي رواه ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا أبو خيثمَةَ ، ومحمَّد بن سُلَيمان ، وغيرُهما ، قالوا : حدّثنا سُفْيانُ بن عُيَيْنةَ ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مُلَيْكةَ ، عن يَعْلى بن مَمْلكٍ ، عن أمّ الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن النبيّ ﷺ قال : « أثْقَلُ شيء يُوضَعُ في الميزان خُلُقٌ حَسن » .

وكذا رواه أحمد عن سُفيان بن عُيَيْنةَ ، به ، ورواه أحمد ، عن غُنْدَر ، ويحيى بن سعيد ، عن شُعْبة ، عن القاسم بن أبي بَزَّة ، عن عَطاء الكَيخارانيّ ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء : أن رسول الله ﷺ قال : « ما من شيء أثْقَلَ في الميزان من خُلُقٍ حسن » . وقد رواه أحمد أيضاً ، من حديث الحسن بن مُسلم ، عن عطاء ، وأخرجه أبو داود من حديث شُعبَةَ ، به ، والترمذيّ من حديث مُطَرِّف ، عن عطاء الكَيخارانيّ ، به[1] .

وقال أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا أبانٌ ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن زيد ، عن أبي سَلّام ، [عن] مولى لرسول الله ﷺ : أن رسولَ الله ﷺ قال : « بَخٍ بَخٍ لخمْس ، ما أثقلهُنَّ في الميزان : لا إله إلا الله ، والله أكبرُ ، وسُبْحانَ الله ، والحمدُ لله ، والوَلدُ الصّالحُ يُتَوفّى فيَحْتَسبُه وَالِدُه » وقال : « بَخٍ بَخٍ لخَمْسٍ : من لَقيَ الله مُسْتَيْقناً بهنَّ دَخلَ الْجنَّة : يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، وبالْجنّة ، والنار ، وبالبعث بعد الموت ، والحساب » . انفرد به أحمد[2] .

وكما ثبت في الحديث الآخر : « تأتي البقرةُ وآلُ عمرانَ يوم القيامة كأنّهما غَمَامَتانِ ، أو غيايتان ، أو فِرقان من طَيْر صَوافَّ ، يُحَاجّانِ عن صاحبهما »[3] .

والمراد من ذلك ثوابُ تِلاوتهما ، يَصيرُ يوم القيامة كذلك ، وقيل : إنهما بذاتهما يحاجان عنه لا ثوابهما . الأمر الثاني : أنّه يوزنُ العمل نفسه يوزن بوضع الصحيفة التي كُتبَ فيها العمل فيوزن العمل بالصحيفة كما في حديث البِطَاقة ، والله أعلم .

وقد جاء أنّ العاملَ نفسه يوزن ، كما قال البخاريّ : حدّثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا سعيدُ بن أبي مَرْيم ، حدّثنا المُغيرة ، حدّثني أبو الزّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنّه ليأتي الرجُل العَظيمُ السمين يوم القيامة لا يزنُ عند اللهَ جَناح بعوضَةٍ » وقال : « اقرؤوا إنْ شِئْتُمْ ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥] » .

قال البخاريّ : وعن يحيى بن بُكَيْر ، عن المُغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد ، مثله . وقد

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤٤٦/٦ و٤٤٢ و٤٤٨) وأبو داود رقم (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٣) وهو حديث صحيح .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤٤٣/٣) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٣) رواه مسلم رقم (٨٠٤) .

أسند مسلم ما علّقه البخاريّ عن أبي بكر محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن بُكَيْر . . . فذكره[١] .

وقد رُوي من وجهٍ آخر عن أبي هريرة ، فقال ابنُ أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدّثنا أبو الوليد ، حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، عن صالح ، مَوْلى التَّوأمَة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤتى بالرَّجُل الأَكُولِ الشَّرُوبِ العَظيم ، فَيُوزنُ بحَبَّةٍ فلا يَزِنُها » قال : « وقرأ : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥] » . ورواه ابن جرير ، عن أبي كُريب ، عن ابن الصّلت[٢] ، عن ابن أبي الزّناد ، [عن صالح] ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، بلفظ البُخاريّ سواءً .

وقد قال البزّار : حدّثنا العباس بن محمد ، حدثنا عَوْنُ بن عُمارة ، حدّثنا هشامُ بن حَسّان ، عن واصل ، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : كُنَّا عند رسول الله ﷺ ، فأقبل رجلٌ من قُرَيْش يَخْطِرُ في حُلّةٍ له ، فلمّا قام على النبيِّ ﷺ قال : « يا بُريدةُ ؟ هذا ممَّنْ لا يُقيمُ الله لهُ يومَ القِيامةِ وَزْناً » ثم قال : تفرَّد به عون بن عُمَارة ، وليس بالحافظ ، ولم يُتابعْ عليه[٣] .

قال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الصمد ، وحسن بن موسى ، قالا : حدّثنا حمّاد ، عن عاصم ، عن زرّ بن حُبَيْشٍ ، عن ابن مسعود : أنّه كان يَجْتَني سِوَاكاً من الأراك ، وكان دَقيق الساقين ، فجعلت الريح تَكْفَؤُه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله ﷺ : « مِمَّ تَضْحكون ؟ » قالوا : يا رسول الله من دِقّةِ سَاقَيه ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لَهُمَا أثْقَلُ في الميزان من أُحدٍ » . تفرّد به أحمد ، وإسنادُه جيِّد قويّ ، فقد جاءت الروايات بهذه الصفات[٤] .

وفي « مسند الإمام أحمد » في بعض طرق حديث البطاقة ـ من طريق ابن لهيعة ـ : أن العامل يوزنُ مع عمله وصحيفته ، والله تعالى أعلم بالصواب[٥] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا القاسم بن الفَضْل ، قال : قال الحسنُ : قالت عائشةُ : يا رسول الله هل تذكرون أهليكم يومَ القيامة ؟ قال : « أمَّا في مَوَاطنَ ثلاثةٍ فلا : الكتاب ، والميزان ، والصراط »[٦] فقوله : « الكتاب » يحتمل أن يكون كتابَ الأعمال ليَشْهَد على الأنفس بأعمالها ، ويحتمل أن يكون ذلك عند تَطاير الصحف في أيدي الناس فآخذ بيمينه وآخذ بشمالِهِ ، كما قال

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٢٩) ومسلم رقم (٢٧٨٥) .

(٢) في الأصول : ابن أبي الصلت ، وهو خطأ .

(٣) رواه البزار رقم (٢٩٥٦) كشف الأستار ، وإسناده ضعيف .

(٤) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) .

(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) . أقول : وإسناده حسن ، لأن الراوي عن ابن لهيعة قتيبة بن سعيد .

(٦) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٠١) وهو مرسل ، ولكن للحديث شاهد من حديث أنس بمعناه ، فهو به حسن ، وقد تقدم صفحة (٢٦٤) وسيأتي صفحة (٢٨٤) .

البيهقي : حدّثنا أبو الحسن علي بن محمد بن عليّ المُقْرئ ، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، حدّثنا يوسف بن يعقوب القاضي ، حدّثنا محمد بن مِنْهال ، حدّثنا يَزيدُ بنُ زُرَيع ، حدّثنا يونُس بن عُبَيْد ، عن الحسن ، أنَّ عائشةَ ذكرت النار فبكَتْ ، فقال لها رسول الله ﷺ : « ما يُبْكيك يا عائشة ؟ » قالت : ذَكَرْتُ النارَ فبَكَيْتُ ، هل تذكُرون أهليكم يوم القيامة ؟ قال : « أما في ثلاثةِ مواطنَ فلا يذكُر أحدٌ أحداً ؛ حَيثُ يُوضعُ العمل في الميزان ، حتى يعلم أيثْقُلُ ميزانه أمْ يَخِفّ ، وحيثُ يقول : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ حيث تَطَايَرُ الصُّحُفُ ، حتى يَعْلمَ كِتابَهُ في يَمينه ، أو في شِمالِهِ ، أو من وراء ظَهْرِه ، وحيثُ يوضَعُ الصِّراطُ على جِسْرِ جَهنَّم » قال يونس : أشُكُّ هل قال الحسن : حافتاه كَلاليب ، وحَسَكٌ يَحْبسُ اللهُ بِهِ منْ يشاءُ من خَلْقِه ، حتّى يَعلمَ أينجو أمْ لا يَنْجُو ، ثم قال البيهقي : حدّثنا الرُّوذَبَاريّ : حدّثنا ابن دَاسةَ ، حدّثنا أبو داود ، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم ، وحُمَيْدُ بن مَسْعدةَ ، أنّ إسماعيل بن إبراهيم حدّثهم ، قال : حدّثنا يونُس ، عن الحسن ، عن عائشة : أنّها ذكرت النارَ فبَكَتْ . . . وذكر الحديث بنحوه ، إلاّ أنّه قال : « وعند الكتاب ، حين يقال ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ حتى يَعْلَم أيْنَ يَقعُ كتابُه ، أفي يَمينه أمْ في شِمالِه ، أمْ منْ وَراءِ ظَهْرِه ، وعنْدَ الصراط ، إذا وُضعَ بَيْنَ ظَهْرانَي جَهَنّم » قال يعقوب عن يونس : وهذا لفظ حديثه(١) .

طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها

قال الإمام أحمد : حدّثنا يحيى بن إسحاق ، أخبرنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن خالد بن أبي عِمْران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله ، هل يذكر الْحَبيبُ حَبيبهُ يَومَ القيامةَ ؟ قال : « يا عائشة ، أمَّا عند ثلاثٍ ، فلا ، [أما] عِنْدَ الميزان حتّى يَثْقُلَ ، أو يَخفّ فلا ، وأمّا عند تَطاير الكُتب ، فإمَّا أنْ يُعْطَى بِيَمينه ، أو يُعْطَى بِشمَالِه ، فلا ، ثمَّ حين يَخرج عُنُقٌ من النار فيَنْطَوي عليهم ، ويَتغيَّظُ عليهم ، ويقول ذلك العُنق : وُكِّلْتُ بثلاثة ، وكلت بمن ادَّعَى مع الله إلـٰهاً آخَر ، ووُكِّلْتُ بمن لا يؤمِنُ بيَوْمِ الحِساب ، ووكِّلْتُ بكلِّ جبَّارٍ عَنيدٍ » قال : « فيَنْطَوي عليهم ، ويَرْمي بهم في غَمراتٍ ، ولجَهَنّم جسر أدقُّ من الشعر ، وأحدُّ من السيف ، عليه كَلاليب ، وحَسَك ، تأخذ منْ شاء الله ، والناسُ عليه كالطرْف ، وكالبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخَيْل والرِّكابِ ، والملائكةُ يقولون : ربِّ سلّم ، ربّ سلّم ، فناجٍ مُسلَّم ، ومَخْدُوش مُسلَّم ، ومُكوَّرٌ في النار على وجهه »(٢) .

وتقدم من رواية حرب بن ميمون ، عن النضر بن أنس ، عن أنس ، أنّه قال : اشفعْ لي يا رسول الله ، قال : « أنا فاعل » قال : فأيْنَ أطْلُبُكَ ؟ قال : « اطلبني أوّلَ ما تَطْلُبُني عند الصراط »

---

(١) ورواه أيضاً البيهقي في « الاعتقاد » (٢٧٤) وأبو داود (٤٧٥٥) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ١١٠) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

قال : فإنْ لم أَلْقَكَ ؟ قال : « فعند الحوض » ، قال : فإن لم ألقك ؟ قال : « فعند الميزانِ ، فإنّي لا أخطئ هذه الثّلاثةَ مَواطن يَوْمَ القيامة » . رواه أحمد والترمذيّ(١) .

وقال الحافظ [أبو بكر] البَيْهقيّ : أخبرنا أبو سَهْل ، أحمد بن محمد بن إبراهيم المِهْرَانيّ ، حدّثنا أحمد بنُ سَلْمان الفقيهُ بِبَغْدادَ ، حدّثنا الحارث بن محمَّد ، حدّثنا داود بن المُحَبَّر ، حدّثنا صالح المُرِّيّ ، عن جعفر بن زيد ، عن أنس بن مالك ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « يُؤتَى بابن آدمَ يومَ القيامة ، فيُوقفُ بين كِفَّتي المِيزانِ ، ويُوكَّل به مَلَك ، فإنْ ثَقُل ميزانُهُ نادى المَلَكُ بصوتٍ يُسْمعُ الخلائقَ : ألا إن فلاناً سَعد سعادةً لا يَشْقَى بَعْدَها أبداً ، وإنْ خف ميزانُه نادَى المَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمعُ الْخَلائقَ : شَقيَ فُلانٌ شقاوة لا يَسْعد بعدَها أبداً » ثم قال البيهقي : إسنادُه ضعيف بمرة .

وقد رواه الحافظان البزار ، وابن أبي الدنيا ، عن إسماعيل بن أبي الحارث ، عن داود بن المُحَبَّر ، حدّثنا صالح المُرِّيّ ، عن ثابت البُنانيّ ، وجعفر بن زَيْد ـ زاد البزّار : ومنصور بن زاذان ـ ، عن أنس بن مالك ، يرفعه ، بنَحْوه(٢) .

وقال عبد الله بن المُبارك : حدّثنا مالك بن مِغْوَل ، عن عُبَيْد الله بن العَيْزَار(٣) ، قال : عند الميزان ملَكٌ إذا وُزِنَ العَبدُ نادى : ألا إنَّ فلانَ ابنَ فُلانٍ ثَقُلَتْ موازينه ، وسَعِدَ سَعادَةً لا يَشْقَى بَعْدها أبداً ، ألا إنَّ فُلان ابنَ فلانٍ خَفَّتْ مَوازينُه ، وشَقيَ شَقاوةً لا يَسْعدُ بَعْدها أبداً(٤) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا يوسفُ بن موسى ، حدّثنا الفَضْل بن دُكَيْن ، حدّثنا يوسُف بن صُهَيْبٍ ، حدّثنا موسى بن أبي المُخْتارِ ، عن بلالٍ العَبْسيّ ، عن حُذَيْفَةَ ، قال : صاحبُ الميزان يوم القيامة جبريلُ يَرُدُّ بعضُهم على بعض ، ولا ذَهَب يَوْمئذٍ ولا فِضّة ، قال : فيُؤخذُ من حَسَنات الظّالِم ، فإنْ لم يكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئَاتِ المظلوم ، فرُدّت على الظالم .

وقال أبو بكر بن أبي الدّنيا : حدّثنا محمد بن العبّاس بن محمد ، حدّثنا عبد الله بن صالح العِجْليّ ، حدّثنا أبو الأحوص ، قال : افتخَرتْ قريشٌ عند سَلْمان ، فقال سلمان : لكنّي خُلِقْتُ منْ نُطْفَةٍ قذرَةٍ ، ثم أعود جيفةً مُنْتنةً ، ثم يُؤتى بي إلى الميزان ، فإن ثَقُلَتْ فأنا كريم ، وإن خَفَّتْ فأنا لَئيمٌ ، وقال أبو الأحوص : تدري من أيِّ شيء يُخافُ ؟ إذا ثَقُلتْ ميزانُ عَبْدٍ نُودي في مَجْمع فيه الأولون والآخرُون : ألاّ إنّ فلانَ ابن فلان قد سَعِد سعادةً لا يَشْقَى بعدها أبداً ، وإذا خَفَّت ميزانُه نودي على رؤوس الخلائق : ألا إنّ فلانَ ابن فلانٍ قد شَقيَ شقاوة لا يَسْعدُ بَعْدها أبداً .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٧٨) والترمذي رقم (٢٤٣٣) وهو حديث حسن .

(٢) رواه البزار (٣٤٤٥ ـ كشف الأستار) وإسناده ضعيف .

(٣) في الأصول : عبيد الله بن أبي العيزار ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٧٢ ـ زوائد نعيم) .

وقال البيهقيّ : حدّثنا أبو الحسن عليّ بن أبي علي [السَّقاء] ، حدّثنا أبو العبَّاس محمد بن يعقوب ، حدّثنا محمد بن عبيد الله المنادي ، حدّثنا يونس بن محمد ، حدّثنا المُعْتمرُ بنُ سُلَيْمانَ ، عن أبيه ، عن يحيى بن يَعْمر ، عن ابن عمر ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في حديث الإيمان ، قال : يا محمَّد ، ما الإيمان ؟ قال : « الإيمانُ أن تُؤمنَ بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسُله ، وتؤمن بالجَنَّةِ والنار ، والميزان ، وتُؤمن بالبَعْثِ بعد الموت ، وتؤمن بالقدر خَيْرِه وشَرّه » قال : فإذا فعلتُ هذا فأنا مؤمن ؟ قال : « نعم » ، قال : صدَقْتَ .

وقال شُعبة : عن الأعمش ، عن شَمِر بن عَطيَّة : عن أبي الأحْوَص ، عن عبد الله ، هو ابن مسعود ، قال : للناس عند الميزان تَجادُلٌ وزِحامٌ .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا أبو نصر التَّمّارُ ، حدّثنا حمَّاد بن سَلَمة ، عن ثابتٍ البُنَانيّ ، عن أبي عثمان النَّهْديّ ، عن سَلْمانَ الفَارسيّ ، قال : يوضع الميزانُ وله كِفَّتانِ ، لو وُضع في إحداهما السمواتُ والأرضُ ، وما فيهنَّ لوَسعَتْها ، فتقول الملائكة : يا رَبَّنا ، من يزن بهذا ، فيقول تعالى : مَن شئتُ من خلقي ، فيقولون : ربنا مَا عَبَدنَاكَ حقّ عِبادَتِكَ .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا يوسف بن موسى ، حدّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا حمَّاد بنُ زيد ، حدّثنا أبو حنيفة ، [عن حمَّاد] ، عن إبراهيم ، في قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] قال : يجاء بعملِ الرجل فيوضَعُ في كِفَّةِ ميزانه ، ويُجاءُ بشَيْءٍ مثلِ الغَمامةِ ، أو مِثْلِ السحاب كَثرةً فيوضَعُ في كِفَّةٍ أخرى في ميزانه ، فيَرْجحُ ، فيقال : أتدري ما هذا ؟ فيقال : هذا العلمُ الذي تَعَلَّمْتَه ، وعلَّمْتَهُ الناسَ ، فعلِموه ، وعَمِلُوا به بَعْدَكَ .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أحمد بن محمَّد ، حدّثنا علي بن إسحاق ، حدّثنا ابن المبارك ، عن أبي بَكْر الهُذلي ، قال : قال سعيد بن جُبير ، وهو يُحدّث ذاك عن ابن مسعود ، قال : يُحاسبُ الناسُ يوم القيامة ، فمن كانت حسناتُه أكثر من سَيئاتهِ بوَاحدةٍ دخلَ الجنَّة ، ومن كانت سيئاتُه أكثر من حسنَاتِه بواحدةٍ دَخلَ النار ، ثم قرأ : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ [المؤمنون : ١٠٢ ـ ١٠٣] ، ثم قال : إنّ الميزانَ يَخفُّ بمثقالِ حَبَّةٍ من خردل أوْ يَرْجَحُ[١] .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا هارون بن سفيَان ، [حدّثنا] السهميّ ، حدّثنا عبّاد بن شَيْبَة[٢] ، عن سعيد بن أنس ، عن الحسن قال : يعتذر الله يوم القيامة إلى آدم ثلاثَ معاذيرَ ، يقول : يا آدم ، لولا أنّي لَعَنْتُ الكاذبينَ ، وأُبغضُ الكذب والْخُلْفَ ، لرحمتُ ذُرِّيتكَ اليومَ من شدَّةِ ما أعددْتُ لهم من

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤١١ ـ زوائد نعيم) .
(٢) في جميع النسخ : عمار بن شيبة ، وهو خطأ ، والمثبت في الميزان (عباد بن شيبة) .

العذاب ، ولكنْ حَقّ القولُ مِنِّي لمن كَذَّب رُسُلي ، وعَصَى أمري ، لأمْلأنَّ جهنَّم منهم أجمعين ، ويا آدم ، اعلم أنّي لا أُعذّب بالنار أحداً من ذرِّيَّتك وأدخل النار أحداً منهم إلا من قد عَلِمْتُ في علمي أنّه لو رددتُه إلى الدُّنيا لعادَ إلى شرّ مما كان عليه ، ولم يرجع ، ويا آدم ، أنت اليومَ عَدْلٌ بَيْني وبين ذُرِّيَّتك ، قم عند الميزان ، فانظر ما يَرْجِعُ إليكَ من أعمالهم ، فمن رَجَحَ خيرُه على شرِّه مِثْقَال ذرَّةٍ فله الْجنَّة ، حتَّى تَعْلمَ أنّي لا أُعذّب إلاّ كلّ ظالم[(١)] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا محمد بن يوسف بن الصبَّاح ، حدّثنا عبد الله بن وَهْب ، عن معاوية بن صالح ، عن أبي عبد الرحمن ، عن أبي أُمامة : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا كان يومُ القيامة قامت ثُلَّة من الناس ، يَسُدُّون الأفق ، نورُهم كنور الشمس ، فيقال : لمن هذه ؟ فيقال : للنبيّ الأمي ، فيتحسَّس لها أُمَّةُ كلِّ نبيّ ، فيقال : هذا محمد وأُمَّته ، ثم تقوم ثُلَّة أخرى تَسُدّ ما بين الأفق ، نورهم كنور القمر ليلة البَدْر ، فيقال : للنبيّ الأميّ ، فيتحسَّس لها كل نبيّ ، فيقال : محمَّد وأمَّته . ثم تقوم ثُلَّةٌ أخرى ، نورهم مثلُ كُلِّ كوكب في السماء ، فيقال : للنبيّ الأميّ ، فيتحسَّس لها كلُّ نبيّ ، فيقال : محمد وأمّته ، ثم يَجيءُ الربُّ تعالى ، فيقول : هذا لكَ منِّي يا محمد ، وهذا لك منِّي يا محمد ، ثم يوضعُ الميزانُ ، ويُؤخذُ في الحساب »[(٢)] .

فصل

وقد نقل الطبري عن بعضهم : أنَّ الميزان له كِفَّتان عَظِيمتانِ ، لو وضعت السمواتُ والأرضُ في كلِّ واحدةٍ منهما لَوَسِعَتْها ، فأمَّا كِفَّةُ الْحَسَناتِ فنور ، وأمَّا الأخرى فظُلْمةٌ ، وهو منصوب بَيْن يدي العَرْش ، وعن يمينه الْجنَّةُ ، وكِفَّةُ [النور] من ناحيتها ، وعن يساره جَهَنَّمُ ، وكِفَّةُ الظلمة من ناحيتها ، قال : وقد أنكرت المُعْتزلةُ الميزانَ ، وقالوا : الأعمال أعراض ، لا جِرم لها ، فكيف تُوزن ؟ قال : وقد رُوي عن ابن عبَّاس : أنَّ الله يَخْلُق الأعراض أجساماً ، فتوزنُ ، قال : والصحيح أنّه توزنُ كُتُبُ الأعمال . قلت : قد تقدَّم ما يَدُلّ على الأوّل ، وعلى الثاني ، وعلى أن العامل نفسه يُوزنُ مع عمله . قال القرطبيّ : وقد رُوي عن مجاهد ، والضحَّاك ، والأعمش : أنَّ الميزان هُنا بمعنى العَدْل ، والقضاء ، وذِكْرُ الوزن والميزان ضَرْب مثلٍ كما يُقال : هذا الكلام في وزن هذا . قلت : لعلَّ هؤلاء إنّما فسروا هذا عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾ [الرحمن] ، فهاهنا المراد بالميزان أنه تعالى وضع العدل بين عباده ، وأمر عبادَه ، أنْ يَتعاملُوا به فيما بينهم ، فأما الميزانُ الموضوع يوم القيامة ، فقد تواترت بذكره

---

(١) وإسناده ضعيف .

(٢) وأخرجه الطبراني في الكبير (٧٧٨٠) من طريق ابن وهب .

الأحاديثُ كما رأيتَ ، وهو ظاهر القرآن العظيم ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ . . . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [الأعراف : ٨ ـ ٩] ، وهذا إنما يكون لشيء محْسُوس .

قال القرطبيّ : فالميزانُ حَقّ ، وليس هو في حق كلِّ أحدٍ ، بدليل قوله تعالى : ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرحمن] .

وقوله ﷺ : « فيقول الله : يا محمد ، أدْخِلْ منْ أُمّتِك منْ لا حِسَابَ عليه من الباب الأيْمن ، وهم شركاءُ الناس فيما سواه من الأبواب »[١] . قلت : وقد تواترت الأخبارُ في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنَّةَ بغير حساب ، لكن يلزمُ من هذا ألاّ تُوزن أعمالهم ، وفي هذا نظر ، والله أعلم .

وقد توزن أعمال السعداء ، وإن كانت رَاجحةً ، لإظْهار شَرَفِهم وفضلهم على رؤوس الأشهاد ، والتنويه بسعادتهم ، ونجاتهم وإن كانوا لا حساب عليهم ، وأما الكفَّار فتُوزنُ أعمالهم ، وإن لم يكن لهم حَسناتٌ تنفعهم ، يُقابل بها كفرُهم ، فإن حسناتهم ولو بلغت ما بلغت لا تقابل كفرهم ولا توازنه ، وهي غير نافعة لهم . فتوزن لإظهار شَقائهم ، وفَضيحتهم على رؤوس الأشهاد .

وقد جاء في الحديث : « إنَّ الله لا يظلمُ أحَداً حَسَنَةً ، أما الكافِر فيُطْعمُه بحسَناتِه في الدُّنيا حتى يُوافي اللهَ ، وليس له حَسنةٌ يَجزيه بها »[٢] .

وقد ذكر القرطبيّ في « التذكرة » أنّ الكافر قد يوافَى يوم القيامة بصدَقةٍ ، وصِلة رحم ، وعِتْقٍ ، فيُخَفِّفُ الله عنه بذلك من عذابه ، واستشهد بقَضيةِ أبي طالب حين جعله الله في ضَحْضاح من نارٍ يَغْلي منهُ دِمَاغُه[٣] . وفي هذا نظر ، إذ قد يكون هذا خاصّاً به ، لأجل حياطةِ رسول الله ﷺ ونُصْرته له ، أو لأجل شفاعة فيه ، أن يجعل في ذلك المكان ، وكما سُقي أبو لهب في النُّقرة التي هي في ظهر الإبهام ، بسبَبِ عتاقته ثُوَيْبَةَ التي أرضعَتْ رسول الله ﷺ[٤] ، واستدلَّ القُرطبيّ على ذلك بعموم قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء] . قلت: وقُصارى هذه الآية العمومُ ، فيُخصُّ من ذلك الكافرون ؛ وقد سئل رسول الله ﷺ عن عبد الله بن جُدْعانَ ، وذُكرَ له أنَّه كان يَقْري الضَّيْفَ ، ويطعم الجائع ، ويَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيُعْتِقُ ، فهل نفعه ذلك ؟ قال : « لا ، إنَّه لم يَقُلْ يوماً من الدَّهر : لا إله إلا الله » [وفي

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) .

(٢) رواه بمعناه مسلم رقم (٢٨٠٨) .

(٣) رواه مسلم رقم (٢١٠) .

(٤) هو في البخاري رقم (٥١٠١) مرسل ، أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به . قال الحافظ في « الفتح » : وعلى تقدير أن يكون موصولاً ، فالذي في الخبر رؤيا منام ، فلا حجة فيه ، ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يحتج به .

رواية : « لم يقل : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين »](١) وقال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان]، وقال تعالى عن أعمال الكفار : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النور : ٣٩].

فصـــل

قال القرْطبيّ وغيره : من ثَقُلَتْ حَسَناتُه على سَيِّئاته ولو بِصُؤابةٍ دخل الجنَّة ، ومن كانت سيئاتُه أثْقلَ ولو بصؤابة(٢) دخل النار ، إلاَّ أنْ يَعْفُو الله عنه ، ومن استوت حسناتُه وسيّئاته فهو من أهل الأعْرَافِ . وروي مثل هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه. قلت : يشهدُ له قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء] لكن ما الحكم في من ثَقُلت حسناتُه على سيِّئاته بحَسَنةٍ أو بحسناتٍ ؟ هل يدخل الجنَّة ، فيرتفع في درجَاتها بجميع حَسَناتِه ، وتكون قد أحبطت السيئات التي وازنتها وقابلَتها ؟ أو يرتفع بما بقي له من الحسنات الراجحة على السّيئات ، وتكون السيئاتُ قد أسقطت ما وازنها من الحسنات فأبطلتها ، وكذا إذا رجحت سيئاته على حسناته بسيئة أو بسيئات ، هل يُعذَّب في النار بجميع سيئاته ، أو بما رجح على حسناته من سيئاته .

ذكر العرض على الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ، وتطاير الصحف ومحاسبة الربّ عزَّ وجلَّ عباده

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٧ ـ ٤٩] . وقال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ . . . ﴾ إلى آخر السورة [الزمر : ٦٩ـ٧٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢١٤) .

(٢) الصؤابة : بيضة القمل والبرغوث .

ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس : ٢٨ ـ ٣٠] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نحشرهم[1] جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ . . . ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا . . . ﴾ الآية [الأنعام : ١٢٨ ـ ١٣٠] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٨] ، والآيات في هذا كثيرة جدّاً ، وسيأتي في كلّ موطن ما يتعلّق به من آيات القرآن .

وتقدَّم في « صحيح البخاري » ، عن ابن عباس ، عن النبيّ ﷺ أنه قال : « إنّكم مُلاقُو الله حُفَاةً عُراةً غُرْلاً ، كما بَدَأْنا أوّل خَلْقٍ نُعيده »[2] ، وعن عائشة[3] وأُمّ سلمةَ[4] وغيرهما نحو ما تقدم[5] .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا أبو نصر التمّار ، حدّثنا عُقبةُ الأصَمُّ ، عن الحسن ، قال : سمعتُ أبا موسى الأشعريّ ، يقول : قال رسول الله ﷺ : « يُعْرَضُ الناسُ يوم القيامة ثَلاثَ عَرَضَاتٍ ، فعَرْضَتانِ جِدالٌ ومَعاذيرُ ، وعَرْضَةٌ تَطَايُرُ الصُّحُفُ ، فمن أُوتي كتابَهُ بيمينه ، وحُوسب حساباً يسيراً دخل الجنَّة ، ومن أوتي كتابه بشِمَالِه دخَل النار »[6] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا وكيعٌ ، حدّثنا علي بن علي بن رِفَاعةَ ، عن الحسن ، عن أبي موسى الأشعريّ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُعرض الناسُ يوم القيامة ثَلاثَ عَرَضَاتٍ ، فأمَّا عَرْضَتانِ فجِدَالٌ ومعاذيرُ ، وأمَّا الثالثة فعندَها تَطيرُ الصُّحُف في الأَيْدي ، فآخِذٌ بيَمينهِ وآخذٌ بشِماله » . وكذا رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة ، عن وَكيع ، به[7] . والعجب أن الترمذي روى هذا الحديث عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن عليّ بن عليّ ، عن الحسن ، عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ . . . ، فذكر مثله[8] . ثمَّ قال الترمذيّ : ولا يصحّ هذا من قِبَل أن الحسن لم يَسْمَعْ من أبي هريرة ، قال : وقد رواه بعضُهم عن عليّ بن عليّ ، عن الحسن ، عن أبي موسى ، عن النبيّ ﷺ .

قلت : الحسن قد روى له البخاري عن أبي هريرة مقروناً بغيره .

---

(١) هي بالنون قراءة ما سوى حفص عن عاصم ، وروح عن يعقوب .
(٢) رواه البخاري رقم (٦٥٢٤) ومسلم (٢٨٦٠) .
(٣) رواه البخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩) .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » ١١٩ .
(٥) رواه البخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩) .
(٦) وإسناده ضعيف .
(٧) رواه أحمد في المسند (٤/ ٤١٤) وابن ماجه (٤٢٧٧) وإسناده ضعيف .
(٨) رواه الترمذي (٢٤٢٥) وإسناده ضعيف .

وقد وقع في « مسند الإمام أحمد » التصريحُ بسمَاعِه منه ، فالله أعلم[١] . وقد يكون الحديث عنده عن أبي موسى ، وأبي هريرة ، والله أعلم .

وأما الحافظُ البَيْهقيّ ، فرواه من طريق مَرْوانَ الأصفر ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود من قوله ، مثله سواءً .

وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك : أنَّه أنشد في ذلك شعراً :

وَطَارَتِ الصُّحفُ في الأَيْدِي مُنَشَّرَةً ... فِيهَا السَّرَائرُ والجبَّارُ مُطَّلِعُ
فكَيْفَ سَهْوُكَ والأنْباءُ واقِعةٌ ... عَمَّا قَليلٍ ، ولا تَدْري بما تَقَعُ
إمَّا الجِنَانُ وفَوْزٌ لا انْقِطاعَ لَهُ ... أو الجَحِيمُ فَلا تُبْقي ولا تَدَعُ
تَهْوي بِساكِنِها طَوْراً وتَرْفَعُهُمْ ... إذا رَجَوْا مَخْرَجاً مِنْ غَمِّها قُمِعُوا
طَالَ البُكَاءُ فَلَمْ يُرحمْ تَضَرُّعُهُمْ ... فِيها ، ولا رِقَّةٌ تُغْني ولا جَزَعُ
لَيَنْفعُ العِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمَهُ ... قَدْ سَالَ قَوْمٌ بِها الرُّجْعَى فَما رَجَعُوا

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٦ ـ ١٥] .

قال البخاريّ في « صحيحه » : حدّثنا إسحاق بن منصور ، حدّثنا رَوحُ بن عُبادةَ ، حدّثنا حاتم بن أبي صَغيرة ، حدّثنا عبد الله بن أبي مُلَيْكةَ ، حدّثني القاسمُ بن محمّد ، حدّثتني عائشةُ رضي الله عنها : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ليس أحدٌ يُحاسبُ يَوْمَ القِيامةِ إلاَّ هَلَكَ » فقلت : يا رسول الله ، أَلَيْسَ قَدْ قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٧ ـ ٨] فقال رسول الله ﷺ : « إنّما ذلك العرض ، وليس أحَدٌ يُناقَشُ الْحِسابَ يومَ القِيامَةِ إلاّ عُذِّب »[٢] . أشار إلى أن الله تعالى لو ناقش في حسابه لهم لعذّبهم كلهم وهو غيرُ ظالم لهم ، ولكنَّه تعالى يعفو ، ويصفح ، ويغفِر ، ويستر في الدُّنيا والآخرة ، كما في حديث ابن عمر في النجوى : « يُدْني اللهُ العَبْدَ يوم القيامة حتّى يَضَع عليه كَنفهُ ، ثُمَّ يُقرِّره بذنُوبِهِ ، حتّى إذا ظَنَّ أنه قد هلَك ، قال الله تعالى : إنّي قد سَتَرْتُها عَلَيْك في الدُّنيا ، وأنا أغْفِرُها لك اليوم »[٣] .

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٦٢) رقم (٨٧٤٢) وإسنادها ضعيف .
(٢) رواه البخاري رقم (٦٥٣٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨) .

فصل

قال الله تعالى : ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ . . . ﴾ الآيات [الواقعة : ٦ ـ ١٢] فإذا نُصِب كرسيُّ فَصْل القضاء ، انْمازَ الكافرُون عن المُؤْمنين في المَوْقفِ إلى ناحية الشِّمال ، وبقي المؤمنون عن يمين العرش ، ومنهم من يكون بين يديه . قال الله تعالى : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس : ٥٩] . وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ . . . ﴾ الآية [يونس : ٢٨] . وقال تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨] فالخلق كلهم قيامٌ لربِّ العالمين بين يديه ، والعرَقُ قد غمَر أكثرهم ، وبلغ الجهد منهم كلَّ مَبْلَغ ، والناسُ فيه بحَسب الأعمال كما تقدّم في الأحاديث ، خاضعينَ صامتين ، لا يتكلّم أحدٌ إلا بإذنه تعالى ، ولا يتكلّم يومئذٍ إلاّ الأنبياءُ والرُّسل ، حولهم أُمَمهُم ، وكِتابُ الأعمال قد اشتمل على عمل الأوّلين ، والآخرين ، موضوعٌ لا يغادر صغيرةً ، ولا كبيرةً إلاّ أحصاها ، مما كان يعمل الخلق ، وأحصاه الله ونَسُوه ، وكتبته عليهم الحَفظةُ كما قال الله تعالى : ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٣ ـ ١٥] . وقال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٣ ـ ١٤] .

قال الحسن البصريّ : لقد أنصفك يا ابن آدم من جعلك حسيب نفسك ، والميزانُ منصوب لوزْن أعمال الخير والشرّ ، والصراط قد مُدَّ على متن جهنم ، والملائكة مُحْدقونَ ببني آدم وبالجنِّ ، وقد بُرِّزَت الجحيمُ ، وأزلفت دارُ النعيم ، وتجلى الربُّ تعالى لفصل القضاء [بين عباده] ، وأشرقت الأرضُ بنُور ربِّها ، وقرئت الصحف ، وشَهِدَت على بني آدم الملائكةُ بما فعلوا ، والأرضُ بما عملوا على ظهرها ، فمن اعترف منهم ، وإلا خُتِمَ على فِيهِ ، ونَطَقَتْ جوارِحُه بما عَمِل بها في أوقات عمله ، من لَيْلٍ أو نَهار ، وقال الله تعالى عن الأرض : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة : ٤ ـ ٥] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصّلت : ١٩ ـ ٢٣] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور : ٢٤ ـ ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس : ٦٥ ـ ٦٧] . وقال تعالى : ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ

ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه : ١١١ - ١١٢] أي لا ينقص من حسناته شيء ، وهو الهَضْمُ ، ولا يُحمل عليه من سيِّئات غيره ، وهو الظُّلم .

فصـــل

فأول ما يقضي الله تعالى بينهم من المخلوقات الحيواناتُ ، قبل الْجِنّ ، والإنس ، وهما الثَّقَلانِ ، فالإنس ثَقَل ، والجن ثقل . والدليل على حَشْر بقيّة الحيوانات يوم القيامة قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام : ٣٨] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير : ٥] .

وقال عبدُ الله بن أحمد : حدّثنا عباسُ بن محمد ، وأبو يحيى البزاز ، قالا : حدّثنا حجّاجُ بن نُصير ، حدّثنا شُعبَةُ ، عن العوّام بن مراجم[١] ، من بني قيس بن ثَعْلبةَ ، عن أبي عُثْمانَ النَّهْديّ ، عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الْجَمَّاءَ لَتُقَصُّ من القَرْنَاءِ يَوْم القِيامَةِ »[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا ابنُ أبي عدِيّ ، ومحمد بن جعفر ، عن شُعبَةَ : سمعتُ العَلاء يُحَدِّثُ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لَتُؤدَنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقَصَّ للشاة الْجَمَّاءِ من الشاةِ القَرْناءِ تنطَحُها » . وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجوه[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الصمد ، حدّثنا حمّاد ، عن واصل ، عن يحيى بن عُقَيل ، عن أبي هريرة : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « يُقْتصُّ للْخَلْقِ بعضِهم من بعْضٍ ، حتّى للْجَمَّاءِ من القرْناء ، وحتّى للذرَّةِ من الذَّرَّة » . تفرد به أحمد[٤] .

وقال عبد الله بن أحمد : وجدتُ هذا الحديث في كتاب أبي بخَطّ يده : حدّثنا عُبيد الله[٥] بن محمد ، حدّثنا حمّاد بن سَلَمة ، حدّثنا لَيْثٌ ، عن عبد الرحمن بن ثَرْوانَ ، عن الهُزَيْل بن شُرَحْبيل ، عن أبي ذرّ أنَّ رسول الله ﷺ كان جالساً وشاتان تعْتلِفان فنطَحتْ إحداهما الأخرى ، فأجْهَضتْها ، قال : فضحِك رسول الله ﷺ ، فقيل له : ما يُضحِكُكَ يا رسول الله ؟ قال : « عَجِبْتُ لها ، والذي نفسي بيده لَيُقادَنَّ لها يوم القيامة »[٦] .

---

(١) في الأصول : مزاحم .
(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٧٢) وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد يقوى بها .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٣٥) وأخرجه مسلم من طريق أخرى عن العلاء به رقم (٢٥٥٢) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٣) وإسناده حسن .
(٥) في النسخ : عبد الله .
(٦) رواه عبد الله عن أحمد في المسند (٥/ ١٧٢ - ١٧٣) وفي إسناده ليث بن أبي سليم ، وهو ضعيف ، ولكن لبعضه شواهد يقوى بها .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شُعْبَةُ ، عن سُلَيْمان ، هو الأعمش ، عن مُنْذِرٍ الثَّوْريّ ، عن أشياخٍ لهم ، عن أبي ذَرٍّ : أنّ رسول الله ﷺ قال (ح) . وأبو معاويةَ ، حدّثنا الأعمش ، عن منذر بن يعلى ، عن أشياخه ، عن أبي ذرٍّ ، فذكر معناه : أنَّ رسول الله ﷺ رأى شاتين تَنْتَطِحَانِ ، فقال : « يا أبا ذرّ ، هل تدري فيم تَنْتَطحان ؟ » قال : لا ، قال : « لكنَّ اللهَ يَدْري ، وسيقضي بَيْنَهُما » وهذا إسناد جيد حسن[1] قال القرطبيّ : رواه شُعْبَةُ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيميّ ، عن أبيه ، عن أبي ذرّ ، عن النبيِّ ﷺ ، بمثله .

قال القرطبيُّ : وروى لَيْثُ بن أبي سُلَيْم ، عن عبد الرحمن بن ثَرْوان ، عن الهُزَيْل ، عن أبي ذَرّ : أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ بشاتَيْن تَنْتَطِحان ، فقال : « لَيَقْتصنَّ اللهُ يوم القيامة لهذه الْجَلْحاء من هذه القَرْناء »[2] قال : وذكر ابنُ وَهْبٍ عن ابن لَهِيعَةَ ، وعمرو بن الحارث ، عن بكر بن سَوادة : أن أبا سالم الْجَيْشانيّ حدّثه أنَّ ثابت بن طَرِيف استأذن على أبي ذَرّ فسمعه رافعاً صوتَه ، فقال : أما والله لولا يوم الخصومة لَسوَّأتكِ . فدخلتُ ، فقلت : ما شأنُك يا أبا ذَرّ ؟ فقال : هذه ، قلت : وما عليك ألاّ تَضْربها ؟ فقال : أما والذي نفسي بيده ـ أو قال : والذي نفس محمّدٍ بيَدِهِ ـ : لَتُسْأَلَنَّ الشاةُ فيمَ نطحَتْ صاحبتها ، ولَيُسْأَلَنَّ الْجمادُ فيمَ نَكَبَ إصْبع الرَّجُل .

وقال أحمد : حدّثنا حسن ، حدّثنا ابن لَهيعةَ ، حدّثنا دَرَّاج ، عن أبي الهَيْثم ، عن أبي سعيد : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ، إنّه لَيَخْتَصِمُ الخلق يوم القيامة حتَّى الشّاتانِ فيما انْتَطَحتا »[3] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إسماعيل بن عُلَيَّةَ ، حدّثنا أبو حيَّان ، عن أبي زُرْعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ، قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ يوماً ، فذكر الغُلُولَ ، فعَظَّمَه ، وعَظَّمَ أمره ، ثمّ قال : « لا أُلفِيَنَّ أحَدَكُمْ يَجيءُ يَوْمَ القِيَامةِ على رَقَبته بَعيرٌ له رُغاءٌ ، فيقول : يا رسول الله أغِثْني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبْلَغْتُكَ . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغاءٌ ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك . لا ألفِيَنَّ أحدكم يجيءُ يوم القيامة على رَقَبته فَرسٌ لها حَمْحَمةٌ ، فيقول : يا رسول الله أغِثْني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبْلَغتكَ . لا أُلفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رَقَبتهِ نَفْسٌ لَها صِياحٌ فيقول : يا رسول الله ، أغِثْني ، فأقول :

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٦٢) أقول : وفي إسناده جهالة الأشياخ ، لكن له شواهد يقوى بها .
(٢) وإسناده ضعيف ، ولبعضه شواهد .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٩) وإسناده ضعيف ، وله شواهد .

لا أملك لك شيئاً ، قد أبلَغْتُك . [لا أُلْفينَّ أحدكم يَجيءُ يَوْم القيامة على رَقبته رقاع تخفِق ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك] . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صَامتٌ[١] ، فيقول : يا رسول الله ، أغِثْني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبْلَغتكَ » . وأخرجاه في « الصحيحين » من حديث أبي حيَّان ، واسمه يحيى بن سعيد بن حيَّان التيْميّ ، به[٢] .

وتقدَّم في حديث أبي هريرة : « ما مِنْ صاحب إبلٍ لا يُؤدّي زَكاتَها إلا بُطِحَ لها يوم القيامة بِقاعٍ قَرْقَرٍ ، فَتطَؤُهُ بأخْفافِهَا ، كلّما مرَّت عليه أُخْراها رُدَّتْ عليه أُولاها . . . » وذَكَرَ تمام الحديث في البقر ، والغنم[٣] . فهذه الأحاديثُ مع الآيات فيها دلالة على حَشْر الْحَيوانات كُلّها .

وتقدَّم في حديث الصُّور : [فيقضي الله تعالى بين خلقه إلاّ الثَّقَلَيْن ، الإنسِ ، والجِنّ] فيقضي بين البهائم والوحوش ، حتَّى إنَّه ليُقيدُ الْجَمَّاءَ من ذات القرن ، حتَّى إذا فرغ الله من ذلك ، فلم يبق لواحدة تَبِعَةٌ عند أخرى ، قال لها الله : كوني تُراباً ، فعند ذلك يقول ﴿ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبأ] .

وقد قال ابن أبي الدنيا : حدّثنا هـارون بن عبد الله ، أنبأنا سيَّار ، أنبأنا جعفر بنُ سليمـان : سمعت أبا عِمْرَانَ الْجَوْني يقول : حُدِّثْتُ أن البهائمَ إذا رأت بني آدم يوم القيامة وقد تَصَدّعُوا من بينِ يديِ الله عزَّ وجلَّ ، صِنْفاً إلى الجنَّةِ ، وصِنْفاً إلى النار ؛ أَنَّ البهائم تُناديهم : الْحَمْدُ لله يا بني آدم ، الذي لم يَجْعلنا اليوم مِثْلَكُمْ ، فلا جَنَّةَ نرجُو ، ولا عِقابَ نخافُ[٤] .

وذكر القرطبيّ عن أبي القاسم القُشَيْريّ في « شرح الأسماء الْحُسْنى » عند قوله : المُقْسطُ الجامِعُ ، قال : وفي خبر : أن الوحوش ، والبهائم ، تُحْشرُ يوم القيامة فتَسْجُد لله سجدةً فتقول الملائكة : ليس هذا يوم سجود ، هذا يوم الثواب والعقاب ، فتقول البهائم : هذا سجود شكر لله ، حيث لم يجعلنا اللهُ من بني آدم ، قال : ويقال : إنَّ الملائكةَ تقول للبهائم : إنّ الله لم يحشركم لثوابٍ ولا لعقابٍ ، وإنّما حشركم لتَشْهَدُوا فضَائِحَ بني آدم .

وحكى القرطبي أنّ البهائم إذا حُوسِبَتْ وحُشِرْت تعود تُراباً ، ثم يَحْثي بها الله في وجوه فَجَرَةِ بني آدم ، قال : وذلك قوله ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ [عبس : ٤٠] .

والله سبحانه أعلم ، وفيما ذكره نظر .

---

(١) هو الذهب والفضة .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/٤٢٦) والبخاري رقم (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/٢٦٢) ومسلم (٦٨٧) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الأهوال (٢٢٧) .

فصل

قال في حديث الصور : ثم يَقْضي اللهُ بين العباد ، فيكون أوّلَ ما يقضي فيه الدماءُ . وهذا هو الواقع يوم القيامة ، وهو أنّه بعد أن يَفرُغ الله سبحانه من الفصل بين البهائم ، يَشْرَعُ في القضاء بين العباد ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [يونس : ٤٧] ويكون أولَ الأمم يُقْضى بينهم هذه الأمّة ، لشرف نبيّها ﷺ وفضلها ، كما أنّهم أولُ من يجوز على الصِّراط ، وأول من يدخلُ الجنّة ، كما ثبت في « الصحيحين » من حديث عبد الرزّاق ، عن مَعْمر ، عن هَمَّامٍ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نحنُ الآخرُونَ السَّابقُونَ يوم القيامة »[١] ، وفي رواية : « المقْضيُّ لهم قبلَ الخلائق »[٢] .

وقال ابن ماجه : حدّثنا محمد بن يحيى ، حدّثنا أبو سَلَمة ، حدّثنا حماد بن سَلَمة[٣] ، عن سعيد بن إياس الْجُرَيري ، عن أبي نَضْرَة ، عن ابن عبّاس : أنّ النبيّ ﷺ قال : « نَحْنُ آخرُ الأمم ، وأوّلُ منْ يُحاسَب ، يقال : أين الأمّة الأمّيةُ ونَبيُّها ؟ فنحن الآخِرُون الأولون »[٤] .

ذكر أول ما يُقضى بين الناس فيه يوم القيامة ومن يناقَش في الحساب ، ومن يُسامَح فيه

قد تقدَّم في الحديث : « لَتُؤدَّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقْتصَّ للشاةِ الْجَمَّاءِ من الشاة القَرْناءِ »[٥] . وفي حديث [يحيى بن عقيل ، عن] أبي هريرة : « وحتّى للذَّرَّةِ من الذَّرَّةِ »[٦] والمراد بالذرَّة هنا النملةُ ، والله أعلم .

وإذا كان هذا حكم الحيوانات التي ليست مُكلَّفةً ، فلَتَخليصُ الْحُقوقِ من الآدميّين والجانّ بعضِهم من بعضٍ يوم القيامة أولى وأحْرى ، وقد ثبت في « الصحيحين » ، و« مُسند أحمد » ، و« سنن

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٦٢٤) ومسلم (٨٥٥) .
(٢) رواه مسلم رقم (٨٥٦) من طريق أبي حازم عن أبي هريرة .
(٣) في الأصول : عمار بن سلمة ، والتصحيح من ابن ماجه .
(٤) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٩٠) وهو حديث صحيح .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٣٥) ومسلم رقم (٢٥٥٢) .
(٦) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٣) وإسناده حسن .

التِّرْمذيّ » ، و« النَّسائيّ » ، « وابن ماجه » ، من حديث سليمان بن مِهْرانَ الأعْمَش ، عن أبي وائل ، شَقيقِ بن سَلَمةَ ، عن عبد الله بن مسعود : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « أوَّلُ ما يُقْضى فيه بين الناس يوم القيامة في الدِّماء »(١) .

وقد تقدَّم في حديث الصُّور؛ أنَّ المقتول يأتي يوم القيامة تَشْخُبُ أوْدَاجُه دَماً ـ وفي بعض الأحاديث: ورأسهُ في يَدِه(٢) ـ فيتعلّق بالقاتل، حتّى ولو كان قَتَلهُ في سبيل الله ، فيقول : يا رَبّ ، سَلْ هذا فِيمَ قَتلني ؟ فيقول الله تعالى : لم قتلته ؟ فيقول: يا ربّ قتلته لتكونَ العِزَّةُ لك ، فيقول الله تعالى : صدقت ، ويقول المقتول ظُلْماً : يا رب سَلْ هذا : فِيمَ قتلني ؟ فيقول الله : فيم قتلته ؟ فيقول : لِتكونَ العِزَّةُ لي ـ وفي رواية : [لتكون العزة] لفلانٍ(٣) ـ فيقول الله تعالى : تَعِسْتَ ، ثم يَقْتَصُّ مِنه لِكُلّ منْ قتله ظُلْماً ، ثمّ يَبْقَى في مشيئة الله تعالى ، إن شاء عذّبه ، وإن شاء رحمه . وهذا دليل على أن القاتل لا يَتَعيَّن عَذابهُ في نار جَهنّم ، [فضلاً عن خلوده فيها أبداً] كما يُنْقَلُ عن ابن عباس ، وغيرِه من السلف ، حتّى نَقلَ بعضهم عنه : أنَّ القاتل لا تَوْبَةَ له(٤) ، وهذا إذا حُمل على أن القتل من حقوق الآدميّين ، ـ وهي لا تَسْقُط بالتوبة ـ صحيح ، وإن حُمل على أنّه لا بدّ من عِقابِه ، فليس بلازمٍ ، بدليل حديث الذي قتل تِسعةً وتسعِين ، ثم أكمل المئةَ ، ثم سأل عالِماً منْ بني إسرائيل : هل له من توبة ؟ فقال : ومنْ يَحُول بَيْنَك وبين التوبة ، ائتِ بَلَد كذا وكذا ، فإنه يُعْبدُ اللهُ بها ، فاعبد الله معهم ، فلمَّا توجّه نحوها ، وتوسّطَ بَيْنها وبين التي خرج منها أدركه الموت ، فنأى بصَدْرِه نحو التي هاجر إليها ، فتوفَّتْهُ ملائكة الرحمة . . . الحديث بطوله(٥) . وفي سورة الفرقان نصّ على قبول تَوْبَةِ القاتل ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ . . . ﴾ الآية والتي بعدها [الفرقان]. وموضع تقرير هذا في كتاب « الأحكام » ، وبالله المستعان .

وقال الأعمش : عن شَمِر بن عَطيّة ، عن شَهْر بن حَوْشَبٍ ، [عن أم الدرداء] ، عن أبي الدّرداء ، قال : يَجيءُ المَقتولُ يوم القيامة ، فيجلسُ على الجادةِ ، فإذا مَرَّ به القاتلُ قام إليه ،

---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٣) ومسلم (١٦٧٨) وأحمد (١/ ٣٨٨) والترمذي (١٣٩٦) والنسائي (٧/ ٨٣) وابن ماجه (٢٦١٥) .

(٢) رواه الترمذي (٣٠٢٩) من حديث ابن عباس ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه النسائي (٧/ ٨٤) من حديث ابن مسعود ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواه مسلم (٣٠٢٣) (١٩) ، وهذا محمول على التغليظ والتحذير من القتل .

(٥) رواه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) .

فأخذ بتَلابيبه فقال : يا ربّ ، سلْ هذا : فيم قتلني ؟ فيقول : أمرني فلان ، فيؤخذ الآمِرُ ، والقاتل ، فيُلْقيانِ في النار(١) .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لخراب السموات والأرض ـ » وفي رواية : « لزوال الدنيا ـ أهون على الله من قتل مؤمن »(٢) .

وقال في حديث الصور : ثم يقضي اللهُ بين خلقه ، [حتى لا يبْقى مَظْلِمةٌ لأحدٍ عند أحدٍ إلا أخذها منه] ، حتَّى إنّه ليُكَلِّفُ شَائب اللَّبَنِ بالماء ثُمَّ يَبيعُه ، أنْ يُخَلِّصَ اللبنَ من الماء ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

وفي « الصحيحين » عن سعيد بن زيد ، وغيره ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من ظلم قِيدَ شِبْر من أرض طُوِّقَه منْ سَبْعِ أرضين يوم القيامة »(٣) .

وفي « الصحيحين » : مَنْ صَوَّرَ صُورةً [في الدنيا] كُلِّفَ يوم القيامة أنْ يَنْفُخَ فيها الرُّوح ، وليس بنافِخٍ(٤) ، وفي روايةٍ : إن أصحاب هذه الصور يعذَّبون ، ويُقالُ لهم : أَحْيُوا ما خلَقْتُم(٥) .

وفي الصحيح : « منْ تحلّـم بحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ ، كُلِّفَ يومَ القيامة أن يَعْقِدَ بَيْنَ شَعيرَتَيْنِ ، وليس بفاعل »(٦) . وتقدَّم حديثُ أبي زُرْعةَ عن أبي هريرة في أمر الغُلول ، وقوله ﷺ : « لا أُلْفينَّ أحدَكم يجيءُ يوم القيامة ، وعلى رقبته بعيرٌ له رُغاء ، أو بقرةٌ لها خُوارٌ ، أو شاةٌ تَيْعرُ ، أو فرس له حَمْحمةٌ ، فيقول : يا محمد ، أغثني ، فأقول : لا أملكُ لك شيئاً ، قد أبْلَغْتُك » . وهو في « الصحيحين » بطوله(٧) .

وقال الحافظ أبو يَعْلَى : حدّثنا محمد بن بَكَّار البَصْريّ ، حدّثنا أبو مِحْصن ، حُصَيْن بن نُمَيْر ، عن حُسَيْن بن قَيْس ، عن عطاءٍ ، عن ابن عمر ، عن ابن مسعود ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « إنَّه لا تزولُ قدما ابنِ آدمَ يوم القيامة حتى يُسْألَ عن خَمْس : عن عُمُرِكَ فيما أفْنَيْتَ ؟ وعن شَبابِك

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٢٩) وفي سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف يعتبر به .
(٢) روى الرواية الثانية « لزوال الدنيا . . » الترمذي (١٣٩٥) والنسائي (٧/ ٨٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٣) رواه البخاري (٢٤٥٢) ومسلم (١٦١٠) .
(٤) رواه البخاري (٥٩٦٣) ومسلم (٢١١٠) .
(٥) رواه البخاري (٥١٨١) ومسلم (٢١٠٧) (٩٦) من حديث عائشة ، والبخاري (٧٥٥٨) ومسلم (٢١٠٨) من حديث ابن عمر .
(٦) رواه البخاري (٧٠٤٢) .
(٧) رواه البخاري رقم (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١) .

فيما أبْلَيْتَ ؟ وعن مالك من أين اكتسبته ؟ وفيما أنفقته ؟ وما عملتَ فيما علمت ؟ »(١) .

وروى البيهقيّ من طريق عبد الله بن المُبارك ، عن شريك بن عبد الله ، عن هلال ، عن عبد الله بن عُكَيم ، قال : كان عبد الله بن مسعود إذا حدّث بهذا الحديث قال : ما منكم من أحدٍ إلاّ سيخلو الله به ، كما يَخْلُو أحدُكم بالقمر ليلةَ البَدْر ، فيقول الربُّ تعالى : يا عبدي ما غَرَّكَ بي ؟ يا عبدي ماذا عمِلْتَ فيما علمت ؟ ماذا أجَبْتَ المُرْسلين ؟

هكذا أورده البيهقي بعد الحديث الذي رواه من طريق مُحلِّ بن خَلِيفةَ ، عن عديّ بن حاتم ، عن رسول الله ﷺ : أنّه قال : « وَلَيقفَنَّ أحدُكم بين يدَي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب يحجبُ ، ولا تَرْجمانٌ يُتَرْجِمُ له ، فيقول : ألم أُوتِكَ مالاً ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أُرسل إليك رسولاً ؟ فيقول : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلاّ النار ، وينظُر عن شِماله فلا يرى إلا النار ، فليتّقِ أحدُكم النارَ ولو بشقِّ تَمرةٍ . فإنْ لم يجد فبِكلمةٍ طيِّبَةٍ » . وقد رواه البخاريّ في « صحيحه »(٢) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا بَهْزٌ ، وعفّان ، قالا : حدّثنا هَمّامٌ ، عن قَتادةَ ، عن صفْوانَ بن مُحْرِزٍ ، قال : كنت آخذاً بيد ابن عمر ، فجاء رجلٌ ، فقال : كيف سمعتَ رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يُدْني المُؤْمنَ ، فيَضَعُ عليه كنَفه ، ويَسْتُرهُ من الناس ، ويُقَرِّره بذُنُوبه ، فيقول له : أتعرفُ ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتّى إذا قرّره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه قد هلك ، قال : فإنّي سَتَرْتُها عليكَ في الدُّنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يُعْطَى كتاب حَسَناته بيَمينهِ . وأمّا الكفّار ، والمُنافقون ، فيقول الأشهادُ : ﴿ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] . وأخرجاه في « الصحيحين » من حديث قَتادةَ(٣) .

وقال أحمد : حدّثنا بَهْزٌ وعَفّان ، حدّثنا حمّاد ، حدّثنا إسحاق بن عبد الله ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « يقول الله يوم القيامة : يا ابن آدمَ حَمَلْتُكَ على الْخَيْل ، والإبل ، وزوّجْتُك النِّساء ، وجعلتُك تَرْبَعُ وَتَرْأس فأين شكرُ ذلك ؟ »(٤) .

وروى مسلم من حديث سُهَيْل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ في حديث

---

(١) رواه أبو يعلى في « مسنده » رقم (٥٢٧٥) وأخرجه الترمذي رقم (٢٤١٨) من حديث ابن مسعود ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٢) ورواه البيهقي في « الأسماء والصفات » رقم (٤٧٠) وهو في البخاري بغير هذا الإسناد رقم (١٤١٣) من حديث عدي بن حاتم .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٧٤) والبخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٩٢) وهو حديث صحيح .

طويل قال فيه : « فيَلْقَى اللهُ العبدَ فيقول : أيْ فُلُ[١] ألم أُكرمْكَ ، وأُسَوِّدْكَ ، وأُزَوِّجْكَ ، وأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ ، والإبل ، وأذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَع ؟ فيقول : بلى ، أيْ رَبّ ، فيقول : أَفَظَنَنْتَ أنّك مُلاقيَّ ؟ فيقول : لا ، فيقول : فإنّي أنساكَ ، كما نسيتني ، ثم يَلْقَى الثانيَ ، فيقول : أيْ فُلُ أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وأُزَوِّجْكَ ، وأسَوِّدْكَ ، وأسَخِّرْ لكَ الْخَيْلَ ، والإبلَ ، وأَذَرْكَ تَرْأس وَتَرْبع ؟ فيقول : بلى ، أيْ رَبّ ، فيقول : أفظننتَ أنّك مُلاقيَّ ؟ فيقول : لا ، فيقول : فإنِّي أنْساكَ ، كما نَسِيتنيَ ، ثم يَلْقَى الثالثَ ، فيقول له مثلَ ذلك ، فيقول : [يا ربّ] آمنتُ بكَ ، وبِكتابِك ، وبرسولك ، وصلَّيْتُ ، وصُمْتُ ، وَتَصدَّقْتُ ، ويُثْني بخيْرٍ ما استطاع ، فيقول : فهاهُنا إذاً » قال : « ثُمَّ يُقال : الآن نَبْعثُ عليك شاهداً ، فيذكر في نفسه : من الذي يشهد عليّ ؟ فيُخْتمُ على فيهِ ، ويقال لِفَخذِه ولَحْمهِ وعِظامه : انطقي ، فتنطِق فَخِذُه ، ولحمه ، وعظامه ، بعَمَلِه كائناً ما كان ، ذلك لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسه ، وذلك المُنافِقُ ، وذلك [الذي] يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ . ثم ينادي منادٍ : تتبع كُلُّ أُمَّة ما كانتْ تَعْبُدُ »[٢] وسيأتي الحديث بطوله .

وقد روى البزّار عن عبد الله بن محمد الزّهريّ ، عن مالك بن سُعَيْرِ بن الخِمْس ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، وأبي سعيد ، رفعاه إلى رسول الله ﷺ . . . ، فذكرا مثله إلى قوله : « فاليومَ أنساكَ كما نَسيتني » .

وروى مسلم ، والبيهقيّ واللفظ له ، من حديث سُفْيان الثوريّ ، عن عُبَيْدٍ المُكْتِب ، عن فُضَيْل بن عمرو ، عن عامر الشعبيّ ، عن أنس بن مالك ، قال : كُنّا مع رسول الله ﷺ ، فضَحِكَ ، وقال : « هل تدرون ممَّ أضْحَك ؟ » قال : قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « من مُخَاطبَة العبد ربه » ـ يعني يوم القيامة ـ « يقول : يا ربّ ، ألم تُجِرْني من الظلم ، قال : يقول : بلى » قال : « فيقول : فإني لا أُجيزُ على نَفْسي إلاّ شاهداً منِّي » قال : « فيقول : كَفَى بِنَفْسِكَ اليوْمَ عليك حَسيباً ، وبالكِرام الكاتبين شُهوداً » قال : « فيُختمُ على فِيه ، ويُقال لأرْكانِه : انطقي » قال : « فتنطق بأعماله ، ثم يُخلَّى بينَه وبين الكلام » قال : « فيقول : بُعْداً لَكُنَّ ، وسُحْقاً ، فعَنْكُنَّ كُنْتُ أُناضِلُ »[٣] .

وقال أبو يَعْلى : حدّثنا زُهير ، حدّثنا الحسن ، حدّثنا ابن لَهيعَة ، عن دَرّاج ، عن أبي الهَيْثَم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان يومُ القيامة عُرِّف الكافرُ بعَملِه ، فجَحَد ، وخاصم ، فيقال : هَؤلاء جِيرانُك يَشْهَدُون عَليك ، فيقول : كَذَبُوا ، فيقول : أَهْلُكَ وعشيرتُكَ ، فيقول : كَذَبُوا ، فيقول : احلِفُوا ، فيحلفون ، ثم يُصْمِتُهُم اللهُ وَتَشْهَدُ أَلسِنتُهم ، ويُدخلهم النارَ »[٤] .

---

(١) أي فلان .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٦٨) .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٩٦٩) ورواه البيهقي في « الأسماء والصفات » (٤٦٧) .

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده رقم (١٣٩٢) وإسناده ضعيف .

وروى أحمد ، والبيهقيّ ، من حديث يَزيدَ بن هارون ، عن الجُريري ، عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « تَجيئونَ يوم القيامة على أفواهكم الفِدَامُ[١] فأوّل ما يَتكلّم من ابن آدم فَخِذُه ، وكفُّه »[٢] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أحمد بن الوليد بن أبَان ، حدّثنا محمَّد بن الحسن المخزوميّ ، حدّثنا عبد الله بن عبد العزيز اللّيْثيّ ، عن ابن شهاب ، عن عطاء بن يزيد الليثيِّ ، عن أبي أيّوب ، رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « أوّل ما يَخْتِصمُ يوم القيامةِ الرجلُ وامرأته ، والله ما يَتكلّمُ لسانُها ، ولكن يَدَاهَا ، ورِجْلاها ، يَشْهَدانِ عليها بما كانت تُغيِّبُ لِزَوْجها ، وتشهد يداه ورجلاه بما كان يُوليها ، ثم يُدْعى بالرجل وخَدَمِهِ مثلَ ذلك ، ثم يُدعىٰ بأهل الأسواق ، فما يُؤخذُ منهم دَوانيقُ ، ولا قَراريطُ ، ولكن حَسَناتُ هذا تُدْفع إلى هذا الذي ظُلِمَ ، وتُدْفعُ سَيِّئاتُ هذا إلى الذي ظَلَمهُ ، ثم يُؤْتى بالجبَّارين في مَقَامِعَ من حديد ، فيقال : سوقوهم إلى النار ، فو الله ماأدري أيدخلونها ، أم كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم] »[٣] .

ثم قال البَيْهقيّ : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا محمد بن صالح ، والحسن بن يعقوب ، حدّثنا السَّريّ بنُ خُزَيمة ، حدّثنا عبد الله بن يَزيد المُقرئ ، حدّثنا سعيد بن أبي أيّوب ، حدّثنا يحيى بن أبي سُلَيْمان ، عن سعيد المَقْبُريّ ، عن أبي هريرة ، قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ [الزلزلة] قال : « أتدرون ما أخبارُها ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُه أعلم ، قال : « فإنَّ أخبارَها أنْ تَشهَدَ على كُلِّ عبد وأمة بكل ما عمل على ظهرها ، أن تقول : عَمِل كذا وكذا ، في يوم كَذا وكَذا ، فذلك أخبارُها » . وقد رواه الترمذي والنّسائيّ ، من حديث عبد الله بن المُبارك ، عن سعيد بن أبي أيّوب ، به ، وقال الترمذيّ : حسن غريب صحيح[٤] .

وروى البَيْهقيُّ من حديث الحسن البصريّ ، حدّثنا صعصعة عمّ الفرزدق ، أنّه قال : قدمتُ على رسول الله ﷺ فسمعتُه يقرأ هذه الآية : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة] فقال : والله لا أبالي ألاّ أسمع غيرَها ، حَسْبي حَسْبي[٥] .

---

(١) الفدام : ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه ، أي أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم ، شبه ذلك بالفدام . « النهاية » (٣/ ٤٢١) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣) وإسناده حسن .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٣٩) وفي إسناده عبد الله بن عبد العزيز الليثي وهو ضعيف .

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٣٢) والترمذي رقم (٢٤٢٩) و(٣٣٥٣) والنسائي في « الكبرى » (١١٦٩٣) وفي إسناده ضعف .

(٥) وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٥٩) والنسائي في «الكبرى» (١١٦٩٤) من طريق الحسن ، وهو حديث صحيح .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا الحسن بن عيسى ، حدّثنا عبدُ الله بن المُبارك ، حدّثنا حَيْوةُ بن شُرَيْح ، حدّثنا الوليد بن أبي الوليد ، أبو عثمان المَدينيّ : أنَّ عقبةَ بن مُسلم حدّثه : أنَّ شُفَيّاً[١] حدّثه : أنّه دخل المدينة ، فإذا هو برَجُل قد اجتمع عليه الناس . فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة ، قال : فدنوتُ منه ، حتى قَعَدْتُ بين يَديْه ، وهو يُحدّث الناس ، فلما سكت وَخَلا قلت له : أنْشُدُكَ بحَقّ وحَقّ لما حَدّثْتني حديثاً سَمِعْتَهُ من رسول الله ﷺ ، فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدِّثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ عَقَلْتُهُ وعَلِمْتُهُ ، ثم نَشَغَ[٢] أبو هريرة نَشْغةً ، فمكث طويلاً ، ثم أفاق ، ثم قال : لأحَدِّثَنّكَ حديثاً حَدَّثَنيه رسولُ الله ﷺ في هذا البَيْت ، ما مَعَنا أحدٌ غيري ، وغيرُه ، ثم نَشَغ أبو هريرة نَشْغةً أخرى ، فمكث طويلاً كذلك ، ثم أفاق ، ثم مسح وجهه ، ثم قال : أفعلُ ، لأُحَدِّثَنّكَ حَديثاً حَدَّثَنيه رسولُ الله ﷺ في هذا البيت ، ما معنا أحدٌ غيري وغيرُه ، ثم نَشَغ أبو هريرة نَشْغةً شَديدةً ، ثم مال خارّاً على وجهه ، وأسندته طويلاً ، ثم أفاق ، فقال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله تعالى إذا كانَ يَوْمُ القيامة نَزَل إلى العباد لِيَقْضِيَ بينهم ، وكلُّ أمّةٍ جَاثيةٌ ، فأوّل من يُدْعَى رجلٌ جمع القرآن ، ورجلٌ قُتِلَ في سبيل الله ، ورجلٌ كثيرُ المال ، فيقول الله تعالى للقارئ : ألَمْ أُعَلِّمْك ما أَنْزَلْتُ على رسولي ؟ قال : بلى ، يا رب ، قال : فماذا عملتَ فيما عَلِمتَ ؟ قال : كنتُ أقوم به آناء الليل ، وآناء النهار ، فيقول الله له : كذبْتَ ، وتقول الملائكةُ : كذَبْتَ ، ويقول الله تعالى : إنّما أردْتَ أنْ يُقالَ : فلانٌ قارىء ، فقد قيل ذلك ، ويُؤتى بصاحب المال ، فيقول الله تعالى له : ألم أوَسِّعْ عَلَيكَ حتّى لم أدعْكَ تَحتاجُ إلى أحدٍ ، قال : بلى ، يا رَبّ ، قال : فماذا عملت فيما آتَيْتُكَ ؟ قال : كنتُ أصلُ الرَّحِم ، وأتَصدَّق ، فيقول الله له : كذَبْتَ ، وتقول الملائكة : كذبتَ ، ويقول اللهُ تعالى له : بل أردتَ أن يقال : فلان جَوادٌ ، فقد قيل ذلك ، ويؤتى بالذي قُتِلَ في سبيل الله ، فيقال له : فيما قُتِلْتَ ؟ فيقول : يا رب أَمرتَ بالجهاد في سبيلك ، فقاتلتُ حتى قُتِلت ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة : كذَبْتَ ، ويقول الله تعالى : بَلْ أردت أن يُقال : فلان جريء ، فقد قيل ذلك » قال أبو هريرة : ثم ضربَ رسول الله ﷺ على منكبي فقال : « يا أبا هريرة ! أولئك الثلاثة أوّلُ خلق الله تُسعَّرُ بهم النارُ يومَ القيامة » . قال الوليد أبو عثمان : فأخبرني عُقْبةُ أن شُفَيّاً وكان سيّافاً لمُعاوية دخل على معاوية فأخبره بحديث أبي هريرة هذا ، فقال معاوية : قد فعل بهؤلاء هذا ، فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاويةُ بكاءً شديداً ، حتى ظَنَنّا أنّه هالك ، ثم أفاق ، ومسح عن وجهه ، وقال : صدق الله ورسوله ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود] .

---

(١) في النسخ : سيفاً ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٢) أي شهق وغُشيَ عليه .

وهذا الحديث له شاهد صحيح في « صحيح مسلم » من طريق أخرى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « أول ما تُسعَّر النار يوم القيامة بثلاثة ، بالعالم ، والمتصدق ، والمجاهد ، الذين أرادوا بأعمالهم الدنيا »(١) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا [محمد بن] عثمان بن معبد ، حدّثنا محمد بن بكّار بن بلال ، قاضي دمشق ، حدّثنا سعيدُ بن بشير ، عن قتادةَ ، عن الحسن ، عن حريث بن قبيصة ، عن أبي هريرة ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ ، يقول : « أول ما يُحاسب به الرجل صلاتُه ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائرُ عمله ، ثم يقول الله عزَّ وجلَّ : انظروا هل لعبدي نافلة ، فإن كانت له نافلة ، أُتِمَّت بها الفريضةُ ، ثم الفرائض كذلك » . ورواه الترمذي ، والنسائي ، من حديث همَّامٍ ، عن قتادة ، وقال الترمذي : حسن غريب . ورواه النسائيّ أيضاً ، من حديث عِمْران بن داود أبي العوَّام ، عن قتادةَ ، عن الحسن ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة(٢) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا المبارك ، هو ابن فضالة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، أُراه ذكره عن النبيّ ﷺ : « إنَّ العبد المملوك لَيُحَاسبُ بصَلاتهِ ، فإذا نَقصَ منها قيل : لم نَقَصْتَ منها ؟ فيقول : يا ربِّ سلّطتَ عليَّ مَليكاً شغلني عن صلاتي ، فيقول له : قد رأيتُك تسرق من مالِهِ لِنَفْسِك ، فهَلاَّ سَرَقْتَ لِنَفْسِك من عَمِلك ، أو عمله ؟ قال : فَيَتَّخذُ اللهُ عليه الحُجَّةَ »(٣) .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا [عليّ بن الْجَعْد ، أنبأنا] مُبَارك بن فَضَالَة ، حدّثنا الحسنُ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أوَّل ما تُسْأَلُ عنه المرأةُ يومَ القيامةِ ، عن صلاتِها ، ثم عن بَعْلِها كيف فعلت إليه ؟ » . وهذا مرسل جَيّد .

وقال أحمد : حدّثنا أبو سعيد ، مولى بني هاشم ، حدّثنا عبّاد بن راشد ، قال : حدّثنا الحسن ، حدّثنا أبو هريرة إذ ذاك ونحن بالمدينة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تَجيءُ الأعمالُ يومَ القيامة ، فتَجِيءُ الصلاةُ فتقول : يا ربِّ ، أنا الصلاةُ ، فيقول : إنّكِ على خير ، ثم تَجِيءُ الصدقةُ ، فتقول : يا رَبِّ ، أنا الصدقةُ ، فيقول : إنّكِ على خَيْر ، ثم يجيءُ الصيامُ ، فيقول : يا رَبِّ ، أنا الصيامُ ، فيقول : إنّكَ على خير ، ثم تجيء الأعمال ، كل ذلك يقول : إنك على خير ، ثم يَجيء الإسلامُ فيقول : يا رَب ، أنتَ السَّلامُ ، وأنا الإسلام ، فيقول الله : إنّكَ على خير ، بكَ اليومَ آخُذ ، وبِكَ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٣٥) والشاهد في صحيح مسلم (١٩٠٥) .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٣٨) والترمذي (٤١٣) والنسائي (١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٨) وإسناده ضعيف .

أُعطي ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] »(١) .

وقال ابنُ أبي الدنيا : حدّثنا عَبْدةُ بن عبد الرحيم المَرْوزيّ ، أنبأنا بَقيَّةُ بن الوليد الكَلاَعِيّ ، حدّثنا سَلَمةُ بن كُلْثوم ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يُؤتى بالْحُكَّام يوم القيامة ، بمنْ قَصَّر ، وبِمَنْ تَعَدَّى ، فيقول الله تعالى : أنتم خُزَّان أرْضي ، ورُعاةُ غَنَمي ، وعندكم بُغْيَتي ، فيقول للذي قصّر : ما حملك على ما صنعتَ(٢) ؟ فيقول : الرحمةُ ، فيقول الله جلّ جلالهُ : أنت أرْحَمُ بعبادي مني ؟ ويقول للذي تَعَدّى : ما حَملك على ما صنعت ؟ فيقول : غَضِبْتُ لك ، فيقول الله : أنْتَ أشدُّ غَضَباً مِنّي ؟! فيقول : انطلقوا بهم ، فسُدُّوا بهم رُكْناً من أركان جَهنّم »(٣) .

وقال ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى : حدّثنا إسحاقُ بن إبراهيم ، حدّثنا يحيى بن سُلَيم ، عن ابن خُثيم ، عن أبي الزبير ، عن جَابر ، قال : لمَّا رجعَتْ مُهاجِرَةُ الْحَبشة إلى رسول الله ﷺ قال : « ألا تُخبروني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة ؟ » فقال فتْيَةٌ منهم : [بلى] يا رسول الله ، بينما نحنُ جلوسٌ إذ مرَّت بنا عجوز من عجائزهم ، تحمل على رأسها قُلَّةً من ماءٍ ، فمَرّت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كَتفيْها ، ثم دفعها ، فخَرَّتْ على رُكْبَتَيْها ، وانْكسَرت قُلَّتها ، فلمَّا ارتفعت التفتتْ إليه ، وقالت : سوف تعلم يا غُدَر ، إذا وَضَع اللهُ الكرسِيَّ لفصل القضاء ، وجمعَ الأولين ، والآخِرين ، وتكلَّمَت الأيْدِي والأرجُل بما كانوا يَكْسِبُونَ ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرُك عنده غداً ، قال : يقول رسول الله ﷺ : « صَدَقَتْ ، كيف يُقَدِّسُ اللهُ قوماً لا يُؤْخذُ من شَديدهم لِضَعِيفهم »(٤) .

وقد تقدّم في حديث عبد الله بن أُنَيس : أن الله تعالى يُنادي العبادَ يوم القيامة ، فيقول : أنا المَلِكُ ، أنا الدّيّان ، لا ينبغي لأحَدٍ من أهل الْجَنَّة أن يَدْخُل الْجَنَّةَ ، وَلأحَدٍ من أهل النار عنده مَظْلِمةٌ ، [ولا لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار ولأحدٍ من أهل الجنة عنده مَظْلمةٌ حتّى أقْضيها مِنْهُ ، حتّى اللّطمةَ »] . رواه أحمد ، وعلّقه البخاريّ في « صحيحه »(٥) .

وقال الإمامُ مالك عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُريّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٢) وفي إسناده ضعف .

(٢) في (آ) : ضيعتَ .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٤١) وهو حديث حسن .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٤٣) ورواه ابن ماجه رقم (٤٠١٠) وابن حبان في صحيحه رقم (٥٠٥٨) وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند ابن ماجه رقم (٢٤٢٦) وشاهد من حديث بريدة في السنة لابن أبي عاصم رقم (٥٨٢) وهو حديث حسن .

(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥) ـ والبخاري قبل الحديث (٧٤٨١) معلقاً ـ وهو حديث حسن .

قال : « من كانتْ لأخيه عنده مظْلِمةٌ فلْيَتَحَلَّلْهُ منها ، فإنّه ليس ثَمَّ دينارٌ ، ولا دِرْهمٌ ، منْ قَبْلِ أن يُؤْخَذَ من حَسَناتِه ، فإن لم تكن له حسناتٌ ، أُخِذَ من سَيِّئاتِ أخيه فطُرِحَتْ عليه » . ورواه البخاري ومسلم(١) .

وروى ابن أبي الدُّنيا من حديث العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « أتدرونَ مَنِ المُفلس ؟ » قالوا : منْ لا دِرْهَم له ولا دينار ، فقال : « بل المفلسُ من أمَّتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ ، وصيام ، وزكاةٍ ، ويأتي قد شَتم هذا ، وقذف هذا ، وأكلَ مالَ هذا ، وسَفَك دَمَ هذَا ، وضربَ هذا ، فيُقضى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإنْ فَنيتْ حسناتُه قَبْلَ أن يُقْضى ما عليه ، أُخذَ من خطاياهم ، فطُرِحتْ عليه ، ثم طُرِح في النار »(٢) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا الوليد بن شُجاع السَّكوني(٣) ، أنبأنا القاسم بن مالك المُزَنِيّ ، عن ليْث ، عن مُجاهد ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَموتَنَّ وعليك دَيْنٌ ، فإنّه ليس ثَمَّ دِينارٌ ، ولا درهم ، إنَّما هي الحسناتُ جَزاءً بِجَزاءٍ ، ولا يَظْلم رَبُّك أحداً » . ورُوي من وجهين آخرين ، عن ابن عمر مرفوعاً مثله(٤) .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا ابن أبي شَيْبَةَ ، حدّثنا بكر بن يونس بن بُكَير ، عن موسى بن عُلَيّ بن رباح ، عن محمد بن المُنْكدر ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّه ليأتي العبدُ يوم القيامة ، وقد سَرَّتْهُ حسناتُه ، فيجيء الرجُل فيقول : يا رَب ، ظلمني هذا ، فيُؤْخذ من حَسَناتِه ، فتُجْعَلُ في حسنات الذي ظلمه ، فما يزال كذلك حتى ما يَبْقى له حسناتٌ ، فإذا جاء من يسأله ، نُظر إلى سَيِّئاتِه فجُعِلَتْ مع سيئات الرجل ، فلا يزال يُسْتَوفى من حسناته ، وتردُّ عليه سيئات من ظلمه ، فما زال يُستوفى منه حتى يَدْخُلَ النار »(٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدّثنا صَدَقةُ بن موسى ، حدّثنا أبو عمران الجَوْني ، عن يزيد بن بابَنُوس ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « الدواوينُ عند الله ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به شيئاً ، وديوان لا يترك الله منه شيئاً ، وديوان لا يغفره اللهُ ، فأما الديوانُ الذي لا يغفره الله ، فالشرك. قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [المائدة : ٧٢] وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً ، فظُلْم العَبْدِ نَفسَهُ ، فيما بَينه وبين رَبّه ، من صوم يومٍ تَركه ، أو صلاةٍ تركَها ، فإن

---

(١) رواه ابن حبان رقم (٧٣٦٢) من طريق مالك ، ورواه البخاري رقم (٦٥٣٤) من طريق مالك ، إلا أنه لم يذكر أبا سعيد ، وليس الحديث عند مسلم .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٥١) ورواه مسلم رقم (٢٥٨١) من طريق العلاء ، به ، بلفظ « ما المفلس » .
(٣) في الأصول : اليشكري ، وهو خطأ .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٥٦) .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا « الأهوال » (٢٥٠) وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد بمعناه .

الله عزَّ وجلَّ يغفر ذلك ويتجاوز عنه إن شاء ، وأما الديوان الذي لا يَتْرُكَ اللهُ منه شيئاً ، فظُلْم العِبادِ بَعْضِهم بَعْضاً ، فيه القصاصُ لا محالة »(١) .

وروى البيهقيّ من طريق زائدة بن أبي الرُّقاد(٢) ، عن زياد النُّميريّ ، عن أنس ، مرفوعاً : « الظلمُ ثلاثة : فظلمٌ لا يغفره الله ، وهو الشِّرك ، وظلم يغفره الله ، وهو ظُلْمُ العِباد أنْفُسهم فيما بينهم وبين رَبّهم ، وظلم لا يَتْرُكَ الله منهُ شيئاً وهو ظُلْمُ العِباد بعضهم بَعْضاً ، حتى يَدِين بعضهم من بعض » ثم ساقه من طريق يزيد الرَّقاشيّ ، عن أنس ، مرفوعاً ، بنحوه ، وكلا الطريقين ضعيف(٣) .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا أبو عبد الله ، تميمُ بن المنتصر ، حدّثنا إسحاق بن يوسف ، عن شَريك ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن زَاذَان ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « القتلُ في سبيل الله يكفِّرُ كُلَّ شيء ـ » أو قال : « يكفِّر الذنوبَ كُلها ـ إلاّ الأمانة » قال : « يُؤتى بصاحب الأمانة ، فيقال له : أدِّ أمانتَك ، فيقول : أنّى لي ، وقد ذهبت الدُّنيا ؟ فيقال : اذهبوا به إلى الهاوية ، فيُذْهَبُ به إليها ، فيهْوي فيها ، حتى ينتهيَ إلى قَعْرها ، فيجدُها هناك كَهَيئتها ، فيَحْمِلُها فيضَعُها على عاتِقه ، فيَصْعدُ بها في نار جهنّم ، حتى إذا رأى أنّه قد خرج زَلّتْ فهوت ، وهوى في إثْرها فهو كذلك أبدَ الآبدين » قال : « والأمانةُ في الصلاة ، والأمانةُ في الصيام ، والأمانةُ في الوضوء ، والأمانةُ في الحديث ، وأشدّ ذلك الودائعُ » قال : فلَقيتُ البَراءَ ، فقلت : ألا تَسْمعُ إلى ما يقول أخوك عبدُ الله ؟ قال : صدق . قال شَريكٌ : وحدّثنا عبّاس العامِريّ ، عن زَاذَان ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، بمثله ، ولم يذكر الأمانة في الصلاة ، والأمانةَ في كلّ شيء . إسناده جيِّد ولم يروه أحمد ، ولا أحد من الكتب الستة(٤) ، وله شاهد من الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد : أنَّ رجلاً قال : يا رسول الله ، أرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيل الله صابراً مُحْتَسباً مُقْبلاً غيرَ مُدْبر يُكفِّر اللهُ عنِّي خَطاياي ؟ قال : « نعم ، إلاَّ الدَّيْنَ »(٥) .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثنا يوسف بن موسى ، حدّثنا محمد بن عبيد ، حدّثنا محمد بن عمرو ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن عبد الله بن الزُّبَيْر ، قال : لمّا نزلت : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١ ﴾ [الزمر] قال الزُّبَيْر : يا رسول الله ، أيكرّر

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٢٤٠) وإسناده ضعيف .
(٢) في الأصول : زائدة عن أبي الرقاد .
(٣) ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢١٠٩) وإسناده ضعيف ، ولكن يشهد لمعناه بعض الذي قبله .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٦١) أقول : وفي سنده شريك بن عبد الله النخعيّ ، وهو ضعيف .
(٥) رواه مسلم رقم (١٨٨٥) ولكن من حديث سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن قتادة عن أبي قتادة رضي الله عنه .

علينا ما يكونُ بَيْننا في الدنيا مع خواصّ الذنوب ؟ قال : « نعم ليُكرَّرن عليكم ، حتَّى تُؤدُّوا إلى كلِّ ذي حَقٍّ حَقّه » فقال الزُّبير : والله إن الأمر لشَديد[١] .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا محمد بن موسى، حدّثنا إسحاق بن سُلَيْمانَ ، حدّثنا أبو سنان[٢] ، عن عبد الله بن السَّائب، عن زَاذَان، عن عبد الله بن مسعود، قال: الأممُ جاثُونَ للحساب ، فلَهُمْ يَومئذٍ أشدُّ تَعلُّقاً بعضُهم ببَعْض منهم في الدُّنيا، الأبُ بابنه، والابنُ بأبيه، والأختُ بأخيها، والأخ بأخته، والزوجُ بامرأته، والمرأةُ بزَوْجها ، ثم تلا عبدُ الله : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١][٣].

وقال الحافظ أبو بكر البزّار : حدّثنا الفضل بن يعقوب ، حدّثنا سعيد بن مَسْلَمة ، عن لَيْث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « يُؤتَى بالمَليكِ والمَمْلوك ، والزوج والزوجة ، فيحاسَبُ المليك والمملوك ، والزوج والزوجة ، حتى يُقال للرجل : شَرِبْتَ يومَ كذا وكذا على لَذَّةٍ ، ويقال للزوج : خَطَبْتَ فلانةً مع خُطَّابٍ فَزَوَّجْتُكهَا وتركتُهم »[٤] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا عمرو بن حِبَّان ، مولى بني تَميم ، حدثنا عَبْدُ بن حُمَيد ، عن إبراهيم بن مسلم ، عن أبي الأحْوصِ ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يَدْعو العبدَ ، يوم القيامة ، فيذكِّره ويَعُدُّ عليه : دَعَوْتني يوم كذا وكذا ، فأجبتك ، حتَّى يَعُدَّ عليه فيما يُعَدّ : وقلتَ : يا ربّ زَوّجْني فُلانةً ، ويُسمِّيها باسمها ، فزوّجناكها »[٥]. ورُوي من حديث لَيْث بن أبي سُلَيْم ، عن أبي بُرْدَةَ ، عن عبد الله بن سَلام ، موقوفاً[٦] ، بنحوه[٧] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا إبراهيمُ بن سعيد ، حدّثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدّثنا الفَضْلُ بن عيسى ، حدّثنا محمد بن المُنْكَدِر ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العار ليلزمُ العَبْدَ يوم القيامة ، حتَّى يقول : يا رَبّ ، لإرْسالُك بي إلى النار أيْسرُ عليَّ ممَّا ألْقَى من العار ، وإنَّه ليَعْلمُ ما فيها من شدَّةِ العذاب ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ [التكاثر] »[٨] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٧٣) وأخرجه أحمد في المسند (١/١٦٧) من طريق محمد بن عمرو به إلا أنه جعله من مسند الزبير ، وإسناده حسن .
(٢) في الأصول : أبو سيَّار ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٩٥) .
(٤) رواه البزار رقم (٣٤٤٣) كشف الأستار ، وإسناده ضعيف .
(٥) وإسناده ضعيف .
(٦) في الأصول : مرفوعاً .
(٧) وإسناده ضعيف أيضاً .
(٨) وأخرجه الحاكم (٤/٥٧٧) من طريق عطاء ، به ، وإسناده ضعيف .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ لمَّا أكلَ هو وأصحابُه في حديقة أبي الهَيْثَم بن التَّيِّهان من تلك الشَّاة التي ذُبِحَتْ له ، وأكلُوا من الرُّطَبِ ، وشَرِبُوا من ذلك الماء قال : « هذا من النعيم الذي تُسْألُونَ عنه »[١] أي عن القيام بشُكْرِه ، وماذا عمِلتُم في مقابلة ذلك ؟ كما ورد في الحديث : « أذيبُوا طعامكم بذكر الله ، وبالصلاة ، ولا تناموا عليه ، فتَقسُوَ قلوبكم »[٢] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا يوسف بن موسى ، حدّثنا وَكيعٌ ، حدّثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ثابت ، أو أبي ثابت ، أن رَجُلاً دخل مسجد دمشق ، فقال : اللَّهمَّ آنِسْ وَحْشَتي ، وارْحَمْ غُرْبتي ، وارْزُقْني جَلِيساً صَالِحاً ، فسمعه أبو الدَّرْداءِ ، قال : لئنْ كنتَ صادِقاً لأنا أسعدُ بما قلتَ منك ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ قال : « الظالمُ الذي يُؤخَذُ منه في مقامه ذلك ، وذلك الحزَن والغَمّ الذي يصيبه في مقامه يوم القيامة » ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ قال : « يُحاسَبُ حِسَاباً يَسيراً » ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [فاطر : ٣٢] قال : « يَدخُل الْجَنَّة بغير حساب »[٣] .

وستأتي الأحاديثُ في من يدخلُ الْجَنّة بغير حساب ، وكم عِدّتُهم ؟

حديث فيه أن الله تعالى يصالح عن عبده
الذي له به عنايةٌ من ظلمه بما يريه من قصور الجنة ونعيمها

قال أبو يعلى : حدّثنا مُجاهد بن موسى ، حدّثنا عبد الله بن بكر[٤] ، حدّثنا عبّاد بن شَيْبَةَ الحبَطيّ ، عن سعيد بن أنس ، عن أنس ، قال : بينا رسولُ الله ﷺ جالسٌ إذ رأيناهُ ضَحِكَ حتَّى بدتْ ثَنَاياهُ ، فقال عمر : ما أضحكك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمّي ؟ قال : « رجلان من أمّتي جَثَيَا بين يدي الله تعالى ، فقال أحدهما : يا رَبّ خُذْ لي مظلِمتي من أخي ، قال الله تعالى : أعْطِ أخاكَ مظلِمته ، قال : يا ربّ ، لم يَبْقَ من حَسناتي شيء ، قال الله تعالى للطالب : كيف تصنَعُ بأخيك ؟ لم يبق من حسناته شيء ، قال : يا رَبّ فليحمل عنّي من أوْزاري » قال : وفاضَتْ عينا رسولِ الله ﷺ بالبُكاء ، ثم قال : « إنّ ذلك ليَوْمٌ عظيم ، يومٌ يَحتاجُ فيه الناس إلى أن يُحْمَلَ عنهم من أوزارهم ، فقال الله تعالى للطالب : ارفع بصرك ، فانظرْ في الْجِنان ، فرفع رأسه ، فقال : يا رَبّ ، أرى مَدَائنَ من فِضّة ، وقصوراً من ذهب مُكلّلَةً باللؤلؤ ، لأيِّ نبيّ هذا ؟ لأيّ صدِّيق هذا ؟ لأيّ شهيدٍ هذا ؟ قال : هذا لمن أعطَى الثَّمَنَ ،

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٨) .
(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » رقم (٦٠٤٤) ، وهو ضعيف جداً .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٧٦) .
(٤) في (آ) : بكير ، وهو خطأ .

قال : يا رَبِّ ، ومنْ يَملِكُ ذلك . قال : أنتَ تملكه ، قال : بماذا يا رَبّ ؟ قال : بعَفْوك عن أخيك ، قال : يا رَبّ ، فإنّي قد عَفَوتُ عنه ، قال الله تعالى : خُذْ بيدِ أخيك ، فأدخلْه الْجنَّة » قال رسول الله ﷺ عند ذلك : « ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال : ١] فإنّ الله يُصْلِحُ بَيْن المُؤْمنينَ يوم القيامة » . إسناد غريب ، وسياق غريب ، ومعنى حسنٌ عجيب . وقد رواه البَيْهَقيّ من حديث عبد الله بن بكر ، به ، وحَكَى عن البخاريّ أنه قال : سعيدُ بن أنس عن أبيه في المظالم لا يُتابَع عليه[١] ، ثم أورده البيهقي من طريق زياد بن مَيْمون البَصْريّ ، عن أنس مرفوعاً ، بنحوه ، وفيه نظر أيضاً .

وقد يُسْتَشْهَدُ له بما رواه البخاريّ في « صحيحه » أن رسول الله ﷺ قال : « من أخَذَ أموال الناس يُريد أداءها أدّاها الله عنه ، ومن أخذها يريد إتْلافَها أتلفه الله »[٢] .

وقد روى أبو الوليد[٣] الطَّيالسيُّ عن عبد القاهر بن السَّرِيّ ، ورواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي من حديثه ، عن ابنٍ لكنانة بن عباس بن مرداس السلمي ـ وفي رواية ابن ماجه : عن عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس ـ عن أبيه ، عن جَدّه عباس بن مِرْداس : أنّ رسول الله ﷺ : دعا لأُمّته عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بالمغفرة والرَّحمة ، فأكثرَ الدّعاءَ ، فأجابه الله تعالى : إنّي قد فعلتُ ، إلاّ ظُلْمَ بعضهم بعضاً ، قال : « يا رب إنك قادر على أن تُثيبَ هذا المظلوم خيراً من مَظْلِمَتِهِ ، وتَغْفرَ لهذا الظالم » فلم يجبه تلك العَشيَّةَ ، فلمَّا كان غداةَ المُزْدَلفةِ أعاد الدُّعاءَ ، فأجابه الله : إني قد غفرتُ لهم ، فتَبَسَّم الرسولُ ﷺ ، فقال بعضُ أصحابه : يا رسول الله ، تَبَسَّمْتَ في ساعة لم تكن تَبسَّمُ فيها ؟! فقال : « تَبَسَّمْتُ من عدوّ الله إبليس ، إنّه لمَّا علم أن اللهَ قد استجابَ لي في أمّتي أهْوَى يدعو بالويْلِ والثُّبُور ، ويَحْثُو الترابَ على رأسه » . قال البيهقيّ : وهذا العفو يحتمل أن يكون بعد عذاب يَمَسّهم ، ويحتمل أن يكون خاصّاً ببعض الناس ، ويحتمل أن يكون عامّاً في كلّ أحدٍ[٤] .

وقال أبو داود الطيالسيُّ : حدّثنا صدقةُ بن موسى ، حدّثنا أبو عِمْران الْجَوْني ، عن زيد بن قَيْس ، أو قيس بن زيد ، عن قاضي المصرَين شُريح ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ؛ أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله يدعو صاحبَ الدَّينِ يوم القيامة ، فيقول : يا ابن آدم ، فيمَ أَضعْتَ حقوق الناس ؟ فيم أذْهَبْتَ أموالهم ؟ فيقول : يا رَبّ ، لم أُفسد ، ولكنّي أُصِبْتُ ، إمَّا غَرَقاً ، وإما سَرَقاً ،

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٤٥٨٠ ـ المطالب العالية) وهو ضعيف جداً .
(٢) رواه البخاري رقم (٢٣٨٧) .
(٣) في الأصول : أبو داود الطيالسي ، والتصحيح من تهذيب الكمال (١٤/ ٢٥١) .
(٤) رواه أبو داود رقم (٥٢٣٤) وابن ماجه (٣٠١٣) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٥/ ١١٨) وإسناده ضعيف .

فيقول : أنا أَحَقُّ منْ قَضى عنك اليوم ، فَتَرْجَحُ حَسَناته على سَيّئاته ، فيؤمَرُ به إلى الجَنَّة ؟ »[(١)] .

وثبت في « صحيح مسلم » ، عن أبي ذرّ ، عن النبيّ ﷺ في الرجل الذي يقول الله تعالى : اعْرِضُوا عليه صغارَ ذُنُوبه ، واتركوا كبارها ، فيقال له : هل تنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا ، وهو مُشفِق من كبار ذُنوبه أن تُعْرض عليه ، فيقول الله تعالى : إنَّا قَدْ أبدلناك مكانَ كلِّ سَيّئةٍ حَسَنةً ، فيقول : يا رَبِّ إنّي قد عَمِلْتُ ذُنوباً لا أَراها هُنا ؟ قال : وضَحِكَ رسولُ الله ﷺ حتى بدَتْ نَواجِذهُ[(٢)] .

وتقدم في حديث عبد الله بن عمر في حديث النجوى : يُدْني اللهُ العَبْد يوم القيامة ، حتَّى يضع عليه كنَفَهُ ويقرّره بذنوبه ، حتّى إذا ظنَّ أنّه قد هلك ، قال : سَتَرْتُها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، ويُعْطَى كِتاب حَسَنَاتِهِ بِيَمينه[(٣)] .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا هارون بن عبد الله ، حدّثنا سيَّار بن حاتم ، حدّثنا جعفر بن سُلَيْمان ، حدّثنا أبو عِمْران الْجَوْنيّ ، عن أبي هريرة ، قال : يُدْني اللهُ العبد يوم القيامة ، فيَضعُ عليه كنفه لِيَسْتُرَهُ من الخلائق كُلِّها ، ويدفعُ إليه كتابه في ذلك السِّتر ، فيقول تعالى : اقرأ يا ابن آدم كتابك ، فيَمُرّ بالحسنة فيَبيضُّ لها وجهُه ، ويُسَرُّ بها قلبه ، قال : فيقول الله تعالى : أتعرفُ يا عبدي ؟ فيقول : نعم يا رَبِّ أعرف ، فيقول : إنِّي قد تَقَبَّلْتُها مِنْك ، قال : فيَخِرُّ ساجداً ، قال : فيقول الله تعالى : ارفع رأسك ، وخذ في قراءة كتابك ، فيَمُرُّ بالسَّيّئة ، فتسوؤه ويسودُّ لها وَجْهُه ، ويَوْجلُ منها قَلْبُه ، وتُرْعَدُ منها فَرائصُه ، ويأخذُه من الحياء من رَبّه ما لا يعلمه غيرُه ، فيقول الله تعالى له : أتعرف يا عبدي ؟ فيقول : نعم يا رَبِّ أعرف ، فيقول الله سبحانه : فإنّي قد غفرتها لك ، فيخرُّ ساجداً فيقول الله عزَّ وجلَّ : ارفع رأسك فلا يزال في حَسَنةٍ تُقبَل ، وسيئة تُغْفرُ ، وسجود عند كل حسنة وسيئة لا يرى الخلائقُ منه إلاّ ذاك السجود ، حتى يُنادي الخلائقُ بعضها بعضاً : طوبَى لِهَذا العبد ، الذي لم يعصِ الله قطّ ، ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين الله تعالى ، مما قد وَقَفه عليه .

وقال ابن أبي الدّنيا : وقال أبو ياسر ، عمّار بن نصر : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا عُثمان بن أبي العاتكة ، أو غيرُه ، قال : من أُوتي كتابَه بيمينه ، أُتي بكتاب في باطنه سَيِّئاتُه ، وفي ظاهره حَسَناتُه ، فيقال له : اقرأ كتابك ، فيقرأ باطِنَهُ ، فَيُساء بما فيه من سَيّئاته ، حتّى إذا أتى على آخرها قرأ فيه : هذه سَيِّئاتُك ، وقد سترتها عليك في الدنيا ، وغفرتها لك اليوم ، ويَغْبطُه بها الأشْهادُ ، أو قال : أهل الجمع ، بما يقرؤون في ظاهر كتابه من حَسَناته ، ويقولون : سَعِد هذا ، ثم يُؤمرُ بتحويله ،

(١) رواه أبو داود الطيالسي رقم (١٣٢٦) وأخرجه أحمد (١٩٧/١) من طريق صدقة به ، وإسناده ضعيف .
(٢) رواه مسلم رقم (١٩٠) .
(٣) رواه البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨) .

وقراءة ما في ظاهره ، فيُحَوِّلُه ، ويُبدِّلُ الله ما كان في باطنه من سَيِّئاته ، فيجعلُها اللهُ له حَسَناتٍ ، ويقرأ حسناته حتى يأتيَ على آخرها ، ثم يقول : هذه حَسَناتُك ، قد قَبِلْتُها منك ، فعند ذلك يقول لأهل الجمع : ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴾ [الحاقة : ١٩ ـ ٢٠] قال : وأمَّا من أوتي كتابه وراء ظهره يأخذه بشماله ، ثم يقال له : اقرأ كتابك ، فيقرأ كتابه ، في باطنه حسناته ، وفي ظاهره سيِّئاتُه ، فيقرؤها أهل الموقف أو قال أهل الجمع ، ويقولون : هلك هذا ، فإذا أتى على آخر حسناته ، قيل : هذه حَسَناتُك ، وقد رَدَدْتُها عليك ، ويُؤمَرُ بتحويله ، ويقرأ سَيِّئاته ، حتى يأتيَ على آخرها ، فعند ذلك يقول لأهل الجمع : ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩ ﴾ [الحاقة] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا عليّ بن الْجَعْد ، حدّثنا المُبارك بن فَضالة ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنّه بَذَجٌ ، والبَذَجُ وَلَدُ الشاة ، فيقول له رَبُّه : أيْنَ ما خَوَّلْتُك ؟ أين ما ملَّكْتُك ؟ أيْنَ ما أعطيتك ؟ فيقول : يا رَبِّ جمعتُه وثَمَّرْتُه ، وتَرَكْتُه أكثر ماكان فيقول : ما قدَّمْتَ منه ؟ فلا يَرَى قدَّم شيئاً ، فيطلب من الله الرجعة إلى الدنيا ، وليس براجعٍ إلى الدنيا أبداً » .

وحدثني حمزة بن العبَّاس ، أنبأنا عبد الله بن عُثْمان ، حدّثنا ابن المبارك ، حدّثنا إسماعيل بنُ مسلم ، عن الحسن ، وقتادةَ ، عن أنس بن مالك ، عن النبيّ ﷺ ، نحوه ، وزاد فيه فيقول : يا رَبِّ ارْجِعْني آتِكَ به كُلِّه ، فإذا أُعيد لَم يُقدّم شيئاً ، فيُمْضىٰ به إلى النار . ثم ساقه من طريق يزيد الرَّقاشيّ ، عن أنس عن النبيّ ﷺ بنحوه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ ﴾ [الأنعام : ٩٤][1] .

وفي « صحيح مسلم » : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « يقول ابن آدم : مالي ، مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفْنَيْتَ ، أو لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ ، أو تَصَدَّقْتَ فأمْضَيْتَ ، وما سِوَى ذلك فذاهبٌ وتَارِكُه للناس »[2] . وقال الله تعالى : ﴿ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [البلد : ٦ ـ ٧] .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا سُرَيْج بن يونس ، حدّثنا سيف بن محمد ابن أخت سُفْيان الثَّوْريّ ، عن لَيْث بن أبي سُلَيم ، عن عديّ بن عديّ ، عن الصُّنابِحيّ ، عن مُعاذ بن جَبَل ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَزُولُ قَدَما العَبْد يوم القيامة حتَّى يُسْأل عن أربع : عن عُمره فيمَ أفناه ؟ وعن

(١) وهو حديث ضعيف .
(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨) .

جسده فيمَ أبلاه ؟ وعن عِلمه ماذا عمل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ »[١] وقد تقدّم عن ابن مسعود نحوُه[٢] . ورُوي عن أبي ذرّ[٣] قريب منه ، والله أعلم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا سُرَيْج بن يُونس ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، عن الغَضَوَّر بن عُتَيق[٤] ، عن مكحول ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عويمر يا أبا الدَّرْداء ، كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة : عَلِمْتَ أو جَهِلت ؟ فإنْ قلتَ : علمتُ ، قيل لك : فماذا عَمِلْتَ فيما عَلِمْت ؟ وإن قلت : جَهِلْتُ ، قيل : فماذا كان عُذْرَكَ فيما جَهِلْتَ ؟ ألا تَعَلّمتَ ؟ » . وقد رويَ من وجهٍ آخر موقوف على أبي الدرداء[٥] ، فالله أعلم .

فصل

قال البخاري رحمه الله : باب : يدعى الناس يوم القيامة بآبائهم ، ثمّ أورد حديث عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُرْفعُ لِكُلّ غادِرٍ لواءٌ يوم القيامة عند اسْتِه فيقال : هذه غَدْرةُ فُلان ابنِ فُلان »[٦] .

قال بعض أهل العلم : إذا رفع للغادر لواء يعرف به ليفتضح ، فكيف حال منِ هو متلبِّس بأمور هي أعظم من الغدر ، كيف لا ترفع لهم ألوية ، ولكن الرب عز وجل يستر ولا يفضح كما تقدم في الأحاديث . وكذا روي عن أحمد عن هشيم عن أبي الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « امرؤ القيس حامل لواء شعراء الجاهلية إلى النار يوم القيامة »[٧] قالوا : فإذا كان هذا لهؤلاء ، فلأن ترفع الألوية لأئمة الهدى والدعاء إلى الخير من الأنبياء وأتباعهم بطريق الأولى والأحرى ، وهذا كلام حسن ، وكذاك أئمة الجَوْر والظلم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا علي بن الْجَعْد ، ومحمد بن بكَّار ، قالا : حدّثنا هُشَيْم ، عن داود بن عمرو ، وعن عبد الله بن أبي زكريّا ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١١١) وهو حديث صحيح بشواهده .
(٢) رواه الترمذي رقم (٢٤١٦) عن ابن مسعود وهو حديث حسن .
(٣) لعله عن أبي بَرزة ، وهو عند الترمذي رقم (٢٤١٧) وهو حديث صحيح .
(٤) انظر « الإكمال » لابن نقطة في ضبط اسمه (٦/ ١١٣) و« توضيح المشتبه » (٦/ ١٧٨) .
(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٨٣) موقوفاً .
(٦) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦١٧٧) عن ابن عمر ، ورواه مسلم بلفظ « عند استه » رقم (١٧٣٨) (١٥) من حديث أبي سعيد الخدري .
(٧) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٢٨) والبزار (٢٠٩١ ـ كشف الأستار) وهو حديث ضعيف .

« إنّكم تدْعَون يوم القيامة بأسمائكم ، وأسماء آبائكم ، فحَسِّنوا أسماءكم »(١) .

وقال البزّار : حدّثنا علي بن المُنذر ، حدّثنا [محمد بن] فُضَيْل ، حدّثني أبي ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبيّ ﷺ : « تقيء الأرْضُ أفلاذ كَبِدها ، فيَمُرّ السارق ، فيقول : في هذا قُطِعَتْ يَدي ، ويَجِيءُ القاتِلُ ، فيقول : في هذا قَتَلْتُ ، ويجيءُ قاطع الرَّحم ، فيقول : في هذا قَطَعْتُ رَحِمي ، ثُمَّ يَدعُونَهُ فلا يَأْخُذونَ منه شَيْئاً »(٢) .

فصل

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦ ـ ١٠٧] . وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس : ٣٨ ـ ٤٢] . وقال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٦ ـ ٢٧] .

وقال الحافظ أبو بكر البزّار : حدّثنا محمد بن مَعْمر ، ومحمد بن عُثْمان بن كَرامة ، قالا : قال عُبَيْدُ الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السُّدِّيّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء] قال : « يُدْعى أحدهم فيُعطى كتابَه بيمينه ، ويُمَدُّ له في جسمه ، ويُبَيَّضُ وَجْهُهُ ، ويُجْعلُ على رأسه تاجٌ من لؤلؤة تتلألأ ، فينْطَلِقُ إلى أصحابه ، فيَرَوْنَهُ ، من بعيد ، فيقولون : اللهمَّ ائتنا بهذا ، وبارك لنا في هذا ، فَيأتيهمْ ، فيقول : أبشِرُوا ، فإنَّ لكلّ رجل منكم مثل هذا ، وأمّا الكافر فيَسْودّ وَجْهه ، ويُمَدّ له في جِسْمِه ، فيراه أصحابهُ ، فيقولون : نَعُوذ بالله من هذا ، ومن شرّ هذا ، اللّهمَّ لا تأتنا به ، فيأتيهم ، فيقولون : اللّهم أخْزِه ، فيقول : أبْعَدَكم الله ، فإنَّ لكُلِّ رجل منكم مثلَ هذا » ثم قال : لا نعرفه إلاَّ بهذا الإسناد ، ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا ، عن العبَّاس بن محمد بن عُبَيد الله بن موسى العَبْسِيّ ، به(٣) .

---

(١) ورواه أحمد في المسند (٥/ ١٩٤) وأبو داود رقم (٤٩٤٨) وإسناده ضعيف .

(٢) وأخرجه مسلم رقم (١٠١٣) من طريق ابن فضيل به .

(٣) ورواه الترمذي رقم (٣١٣٦) من طريق عبيد الله بن موسى ، به ، وإسناده ضعيف .

وروى أبو داود من طريق أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن من عباد الله لأُناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » قالوا : يا رسول الله ، فخبِّرنا من هم ؟ قال : « هم قوم تحابُّوا بِرَوْح الله سبحانه على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن لوجوههم لَنُوراً ، وإنهم لعلى كراسيَّ من نُور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس] »(١) .

وروى ابن أبي الدُّنيا عن بعض السلف ، وهو الحسن البصريّ : أنَّهُ قال : إذا قال الله تعالى للملائكة : خُذُوه فَغُلُّوه ، ابتدره سبعونَ ألف ملَكٍ ، فتسلك السِّلْسلةُ منْ فيهِ ، فَتَخرجُ منْ دُبُرِهِ ، وَيُنْظم في السلْسلةِ كما يُنْظَمُ الخَرَزُ في الْخَيْط ، ويُغْمسُ في النَّارِ غَمْسةً ، فَيَخْرُج عِظاماً تقعقعُ ، ثمَّ تُسْجَرُ تِلْكَ العِظامُ في النَّارِ ، ثم يُعادُ غَضّاً طَرياً .

وقال بعضهم : إذا قال الله : خُذُوه ، ابتدره أكثرُ من رَبيعةَ ومُضر .

وعن مُعْتَمر بن سُلَيْمانَ ، عن أبيه : أنّه قال : لا يَبْقَى شيء إلاّ ذَمَّه ، فيقول : أما تَرْحَمني ؟ فيقول : كيف أرحمك ، ولم يَرْحَمْكَ أرْحَمُ الراحمين ؟!

فصل

قال ابن ماجه في كتاب الرقائق [من « سننه »] :

باب ما يرجى من رحمة الله تعالى يوم القيامة .

حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا يزيدُ بن هارون ، حدّثنا عبد الملك ، عن عطاءٍ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « إن للهِ مئةَ رَحْمةٍ ، قَسَم منها رحْمَةً بين جميع الخلائق ، فَبِها يَتَراحمُون ، وبها يَتَعاطفُون ، وبها تَعْطِفُ الوَحْشُ على أولادها ، وأخَّر تسعاً وتسعين رحمةً يَرْحم بها عباده يوم القيامة » . ورواه مسلم ، عن محمد بن عبد الله بن نُمير ، عن أبيه ، عن عبد الملك بن أبي سُلَيْمانَ ، عن عطاء بن أبي رَبَاح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، بنحوه(٢) .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٥٢٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ورواه ابن حبان في « صحيحه » رقم (٥٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٩٣) ومسلم (٢٧٥٢) (١٩) بنحوه مختصراً .

وقال البخاريُّ : حدّثنا قُتَيْبَةُ بنُ سعيد ، حدّثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الله خَلقَ الرَّحْمةَ يَوْمَ خَلَقَها مئة رحمة ، فأمسك عِنْدَه تِسْعاً وتسعين رَحْمةً ، وأرسل في خلقه كُلِّهِمْ رَحْمةً واحِدَةً ، فلو يعلمُ الكافرُ بكُلِّ الذي عند الله من الرحمة لم يَيْأسْ من الْجَنَّة ، ولو يعلم المُؤْمنُ بكلّ الذي عند الله من العذاب لم يأْمَنْ من النار » . انفرد به البخاريّ من هذا الوجه(١) .

ثم قال ابن ماجه : حدّثنا أبو كُرَيْبٍ ، وأحمد بن سِنَان ، قالا : حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله يوم خلق السموات والأرض مئةَ رحمةٍ ، فجعل في الأرض منها رحمةً ، فبها تَعْطِفُ الوالدةُ على وَلَدها ، والبهائمُ بعضُها على بعضٍ ، والطيرُ ، وأخّر تسعاً وتسعين إلى يوم القيامة ، فإذا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أكملَها الله بهذه الرحمة » . انفرد به ، وهو على شرط « الصحيحين »(٢) .

ثم أورد ابن ماجه ما أخرجاه في « الصحيحين » من طرق عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « إنَّ الله كَتَبَ كِتاباً يَوْمَ خَلق السموات ، والأرض : إنَّ رَحْمَتي تَغْلِبُ غَضبي » وفي رواية : « سبقت غضبي » ، وفي رواية : « فهو موضوع عنده على العرش » وفي رواية : « فوق العرش »(٣) وكلُّها روايات صحيحة .

وقد قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ١٢] وقال تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] وقال : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] هذا إخبار من الملائكة عن الله سبحانه أنه وسع كل [شيء] رحمة وعلماً . وقال : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأنعام] .

ثم أورد ابن ماجه حديث [ابن أبي ليلى ، عن] مُعاذ [بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال له : « يا معاذ] : أتدري ما حقُّ الله على عباده ؟» قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شَيْئاً » ثم قال : « أتدري ما حَقّ العِبادِ على الله إذا هُمْ فعلوا ذلك ؟ ألاّ يُعَذِّبهم » . وهو ثابت في « صحيح البخاري » ، من طريق الأسود بن هلال ، وأنس بن مالك ، عن مُعاذٍ(٤) .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٦٩) .
(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٩٤) .
(٣) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٩٥) و(١٨٩) والبخاري رقم (٧٤٠٤) و(٧٤٥٣) ومسلم رقم (٢٧٥١) .
(٤) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٩٦) والبخاري رقم (٧٣٧٣) و(٥٩٦٧) .

وقال ابن ماجه : حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، حدّثنا زيد بن الْحُبَاب ، حدّثنا سُهَيْل[١] بن عبد الله ، أخو حَزْمِ القُطَعيّ ، حدّثنا ثابت البُنَانيّ ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسول الله ﷺ قرأ أو تلا هذه الآية : ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر : ٥٦] قال : « قال الله تعالى : أنا أهلٌ أن أُتَّقى فلا يُجْعَلَ معي إلٰهٌ آخر ، فَمنِ اتَّقى أنْ يَجْعل مَعي إلٰهاً آخَرَ فأنا أهلٌ أنْ أغفر له »[٢] .

وقال ابن ماجه : حدّثنا هشامُ بنُ عمّار ، حدّثنا إبراهيمُ بن أعْيَن ، حدّثنا إسماعيلُ بن يحيى الشَّيْبَانيّ ، عن عبد الله بن عمر بن حفص ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كُنَّا مع النبي ﷺ في بعض غَزَواته ، فمرَّ بقوم فقال : « مَنِ القومُ ؟ » فقالوا : نحنُ المسلمون ، وامرأةٌ تَحْصبُ تَنُّورَها ، ومعها ابنٌ لها ، فإذا ارتفع وَهَجُ التَّنُّور تَنَحَّتْ به ، فأتت النبيَّ ﷺ ، فقالت : أنت رسولُ الله ؟ فقال : « نعم » فقالت : بأبي أنْتَ وأمِّي ، ألَيْسَ [اللهُ بأرْحَمِ الراحمين ؟ قال : « بَلَى » قالت : أوَ لَيْس] اللهُ بأرْحَمَ بعبادِهِ من الأمّ بوَلَدِها ؟ قال : « بَلَى » قالت : إن الأمّ لا تُلْقي وَلَدَها في النار ، فأكبَّ رسولُ الله ﷺ يَبْكي ، ثمَّ رفع رأسه إليها ، فقال : « إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يُعذِّبُ من عباده إلاَّ المارِد المُتمَرِّد الذي يَتمَرَّدُ على الله ، ويأْبى أنْ يقولَ : لا إلٰه إلا الله » . إسناده فيه ضعف وسياقُه فيه غرابة[٣] . وقد قال تعالى : ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل : ١٥ ـ ١٦] وقال تعالى : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [القيامة : ٣١ ـ ٣٤] .

وقال البخاريّ : حدّثنا سعيد بن أبي مَرْيم ، حدّثنا أبو غَسَّان ، حدّثنا زيد بن أسْلَم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب ، قال : قدم على رسول الله ﷺ سَبْيٌ ، فإذا امرأةٌ من السَّبْي قد تَحَلَّب ثَدْيُها ، تَسْعَى ، وإذا وَجَدَتْ صَبِيّاً في السبي أخذته فألصَقَتْه بِبَطْنها ، فأرْضَعَتْهُ ، فقال لنا النبيُّ ﷺ : « أتَرَوْنَ هذه طارِحةً وَلَدها في النار ؟ » قلنا : لا ، وهي تقدر على ألاّ تطرحه ، فقال : « لَلّهُ أرحمُ بعباده من هذه بوَلِدها » . ورواه مسلم عن حسن الحُلْوانيّ ومحمد بن سهل بن عَسْكَر ، كلاهما عن سعيد بن أبي مَرْيم ، عن أبي غَسَّان ، محمد بن مُطَرِّف به[٤] . وفي روايةٍ : « واللهِ لَلّهُ أرحمُ بعباده من هذه بولدها »[٥] .

ثم قال ابن ماجه : حدّثنا العبَّاس بنُ الوليد الدِّمَشْقيّ ، حدّثنا عمرو بن هاشم ، حدّثنا ابنُ لَهيعَةَ ،

---

(١) في الأصول : سهل .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٩٩) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٩٧) . أقول : وفي إسناده إسماعيل بن يحيى الشيباني ، قال فيه يزيد بن هارون : كان كذاباً .

(٤) رواه البخاري رقم (٥٩٩٩) ومسلم رقم (٢٧٥٤) .

(٥) أخرج هذه الرواية ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » رقم (١٨) .

عن عبد ربِّه بن سعيد(١) ، عن سعيد الْمَقْبُرِيّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَدْخُلُ النَّار إلاّ شَقِيّ » قيل : يا رسول الله ، ومَنِ الشقيّ ؟ قال : « من لم يعملْ لله بطاعةٍ ، ولم يَتْرُكْ له مَعْصية » . وفي إسناده هذا ضعف أيضاً(٢) .

وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي بُرْدة بن أبي موسى ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا كان يومُ القيامة دَفَع الله عزَّ وجلَّ ، إلى كلِّ مُسلم يَهُودِيّاً ، أو نَصْرانيّاً ، فيقول : هذا فَكَاكُكَ من النار » ، وفي روايةٍ : « لا يموتُ رجل مُسْلم إلاّ أدْخلَ الله مكانَهَ إلى النار يَهُودِيّاً أو نصْرانيّاً » قال : فاستحْلف عمرُ بنُ عبد العزيز أبا بُرْدة بالله الذي لا إله إلاّ هو ثلاثَ مرَّاتٍ أنَّ أباه حدَّثه عن رسول الله ﷺ بهذا ، قال : فحلف له . وفي رواية لمسلم أيضاً : قال رسول الله ﷺ : « يجيء ناس من المسلمين يوم القيامة بذنوب أمثالِ الجِبَال ، فيغفرُها الله لهم ، ويَضعُها على اليهود ، والنصارى »(٣) .

وقال ابن ماجه : حدّثنا جُبَارَةُ بن المُغلِّس ، حدّثنا عبد الأعلى بن أبي المُساور ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا جمع اللهُ الخَلائِقَ يوم القيامة أُذِنَ لأمّة محمد ﷺ في السجود ، فيسجدون له طويلاً(٤) . ثم يُقال : ارفعوا رُؤوسكم ، فقد جعلنا عِدّتكم فداءكم من النار »(٥) .

وقال الطبرانيّ : حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَة ، حدّثنا أحمدُ بن يونس ، حدثنا سعد أبو غيلان الشيباني ، عن حمَّاد بن أبي سُليمان ، عن إبراهيم ، عن صِلَة بن زُفَر ، عن حُذَيْفَةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لَيَدْخُلَنَّ الْجنَّةَ الفاجرُ في دِينه ، الأحمقُ في مَعيشَتِه ، والذي نفسي بيده لَيَدْخُلَنّ الْجَنَّةَ الذي قد مَحَشَتْه النار بذَنْبه] ، والذي نفسي بيده لَيَغْفرنَّ اللهُ يوم القيامة مَغْفرةً يَتطاوَلُ لها إبْليسُ رَجاءَ أن تُصيبَهُ »(٦) .

ذكر من يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب

قال البخاريّ : حدّثنا عِمرانُ بن مَيْسَرة ، حدّثنا ابن فُضَيْل ، حدّثنا حُصَيْن (ح) وحدّثنا أَسيد بن زيد ، حدّثنا هُشَيْمٌ ، عن حُصَيْن قال : كنتُ عند سعيد بن جُبَيْر ، فقال : حدثني ابن عباس قال : قال

(١) في (آ) : عبد الله بن سعيد ، والتصحيح من ابن ماجه .
(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٩٨) .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٧٦٧) .
(٤) في الأصل : فسجدوا طويلاً .
(٥) رواه ابن ماجه (٤٢٩١) وإسناده ضعيف .
(٦) رواه الطبراني في الكبير (٣٠٢٢) وفي إسناده ضعف .

رسول الله ﷺ : « عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ فأجد النبيّ يَمرُّ معه الأُمَّةُ ، والنبيَّ يَمُرُّ معه النَّفَر ، والنبيَّ يمرُّ معه العَشَرةُ ، والنبيَّ يَمُرّ معه الْخَمسةُ ، والنبيَّ يَمُرّ وحده ، فنظرتُ ، فإذا سوَادٌ كَثيرٌ ، قلت : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ أمّتي ؟ قال : لا ، ولكن انْظُرْ إلى الأُفق ، فنظرتُ فإذا سوادٌ كثير ، فقال : هؤلاء أُمَّتُكَ ، وهؤلاء سبعون ألفاً قُدَّامَهم لا حِسَابَ عَلَيْهم ، ولا عذاب ، قلت : ولـمَ ؟ قال : كانوا لا يَكْتَوون ، ولا يَسْتَرْقُونَ ، ولا يَتَطَيَّرونَ ، وعلى رَبِّهِمْ يَتوكَّلُون » فقام إليه عُكَّاشةُ بن مِحْصَن ، فقال : ادع الله أن يجْعلني منهم ، فقال : « اللهمّ اجعلْه منهم » ثم قام إليه رجل آخر ، فقال : ادعُ الله أنْ يجعلني منهم ، قال : « سَبَقكَ بها عُكَّاشة » . ورواه مسلم ، عن سعيد بن منصور ، عن هُشَيْم ، [به] بنحوه ، وهو أطولُ من هذا . ثم أورد البخاريّ ومسلم أيضاً من طريق يونس ، عن الزهريّ ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، بنحوه ، وقال فيه : ثمّ قام رجل من الأنصار ، فقال : ادع اللهَ أن يجعلني منهم ، فقال : « سَبَقكَ بها عُكَّاشة »(١) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يحيى بن أبي بُكَيْر ، حدّثنا زُهَيْر بن محمد ، عن سُهَيْل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : « سألتُ رَبِّي عزَّ وجلَّ ، فوعدني أن يُدْخِل من أُمّتي الجنة سبعين ألفاً على صورةِ القَمر ليلة البدر ، فاستزدتُ ، فزادني مع كلّ ألفٍ سبعين ألفاً ، فقلت : أي رب ، إن لم يك هؤلاء مُهاجري أمّتي ؟ قال : إذاً أُكْمِلَهُمْ لك من الأعراب »(٢) .

وقال أحمد : حدّثنا يزيدُ ، أخبرنا إسماعيلُ ، عن زياد المَخْزومي ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نحنُ الآخِرُونَ السَّابقُونَ يوم القيامة ، أوّلُ زُمْرةٍ من أمّتي تدخل الجنة سَبْعُون ألفاً لا حِساب عليهم ، صُورة كل رجل منهم على صورة القمر ليلةَ البدر ، ثمَّ الذين يَلُونهم على أشدّ ضَوْءِ كوكب في السماء ، ثم هم بعد ذلك منازل » . ثم رواه أحمد عن حسن ، عن ابن لَهيعَةَ ، عن أبي يونس ، سُليم بن جُبَير ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيّ ﷺ ، بنحو ما تقدَّم .

وكذا رواه أحمدُ عن ابن مهديّ ، عن حمّاد بن سَلَمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، وفيه ذِكر عُكَّاشة(٣) .

ورواه الطبراني من حديث إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد ، عن أبي أُمامة ، كما سيأتي(٤) .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٤١) و(٦٥٤٢) ومسلم رقم (٢٢٠) و(٢١٦) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٩) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٠٤) و(٣٥١) و(٣٠٢) وإسناده ضعيف . ولكن للحديث شواهد يقوى بها .
(٤) رواه الطبراني في الكبير (٧٥٢٠) وهو حديث حسن .

حديث آخر

قال البخاريّ : حدّثنا سعيدُ بن أبي مَرْيم ، حدّثنا أبو غَسّان قال : حدّثني أبو حازم ، عن سهل بن سَعْد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمّتي سَبْعُونَ ألفاً ، أو سَبْعُمِئةِ ألف » شكّ في أحدهما « مُتماسكينَ آخذٌ بَعْضُهم بِبعْضٍ ، حتّى يدخُل أوَّلُهم وآخِرُهم الجنّة ، وجوههم على ضوء القمر ليلة البدر » . وقد رواه البخاريّ ومسلم عن قُتَيْبة ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، به[١] .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا المسعوديّ ، حدّثني بُكَيْر بن الأخْنَس ، عن رجل ، عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أُعْطيت سبْعين ألفاً يدْخُلونَ الجَنَّة بِغَيْرِ حساب ، وُجُوههم كالقَمر لَيْلةَ البدر ، وقلوبهم على قَلْبِ رجلٍ واحدٍ ، فاستزَدْتُ رَبِّي عزَّ وجلَّ ، فزادني مع كلِّ واحدٍ سبعينَ ألفاً » . قال أبو بكر : [فرأيتُ] أنّ ذلك آتٍ على أهل القُرَى ، ومُصيبٌ من حَافَاتِ البوادي[٢] .

حديث آخر

وقال أحمد : حدّثنا عبد الصمد ، حدّثنا حمّاد ، عن عاصم ، عن زِرٍّ ، عن ابن مسعود ، أنّ رسول الله ﷺ أُرِيَ الأُمَمَ في الموسم ، فراثَتْ[٣] عليه أُمّته ، قال : « فأُرِيتُ أمَّتي ، فأعجبني كَثْرَتُهم ، قد ملَؤوا السَّهْل ، والجَبَل ، فقيل لي : إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، هم الذين لا يكتوُون ، ولا يَسْتَرْقُون ، ولا يَتَطيَّرون ، وعلى رَبِّهم يتوكَّلون » فقال عكَّاشة : يا رسول الله ، ادعُ الله أن يجعلني منهم ، فدعا له ، ثمّ قام يَعْني آخَرَ فقال : يا رسول الله ، ادعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال : « سَبَقك بها عُكَّاشة »[٤] . قال الحافظ أيضاً : هذا عندي على شرط [مسلم][٥] .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٤٣) و(٦٥٥٤) ومسلم رقم (٢١٩) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٦/١) وإسناده ضعيف ، ولكن لأكثره شواهد .
(٣) أي أبطأت ، وفي الفاسية : فمرّت .
(٤) رواه أحمد في المسند (٤٠٣/١) وهو حديث صحيح .
(٥) أقول : عاصم ، أخرج له مسلم مقروناً .

طريق أخرى عنه

قال أحمد : حدّثنا عبد الرزّاق ، حدّثنا مَعْمَرُ ، عن قَتَادةَ ، عن الحسن ، عنِ عمران بن حُصَيْن ، عن ابن مسعود ، قال : أكْثَرْنا الحديثَ عند رسول الله ﷺ ذاتَ لَيْلةٍ ، ثم غَدَوْنا عليه ، فقال : « عُرِضَتْ عليّ الأنبياءُ اللَّيْلةَ بأُمَمِها ، فجَعل النبيُّ يَمُرُّ ومعه الثلاثةُ ، والنبيُّ ومعه العِصَابة ، والنبي ومعه النفَرُ ، والنبيُّ ليس معه أحد ، حتّى مرّ عليَّ موسى معه كُبكُبة[١] من بني إسرائيل ، فأعجبوني ، فقلت : منْ هؤلاء ؟ فقيل لي : هذا أخوك موسى ، معه بنو إسرائيل » قال : « فقلت : فأيْنَ أُمّتي ؟ فقيل لي : انظر عن يمينك ، فنظَرْتُ ، فإذا الظِّراب[٢] قد سُدّت بوجوه الرجال [ثم قيل لي : انظر عن يسارك ، فنظرت ، فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال] فقيل لي : أرضيتَ ؟ فقلت : رَضِيتُ يا رَبّ ، رضيتُ يا رب » قال : « فقيل لي : إنّ مع هؤلاء سبعينَ ألفاً يدخلون الجَنَّة بغير حساب » فقال النبيُّ ﷺ : « فِدًى لكم أبي وأُمّي ، إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفاً فافعلوا ، فإنْ قَصَّرتُمْ فكونوا من أهل الظِّراب ، فإنْ قَصَّرْتُمْ فكُونوا من أهْل الأفُق ، فإنّي قد رأيتُ ثَمَّ ناساً يتهاوشون » فقام عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ ، فقال : ادعُ لي يا رسول الله أن يجعلني من السبعين ألفاً ، فدعا له ، فقام رجل آخَرُ ، فقال : ادعُ الله لي يا رسول الله أنْ يجعلني منهم ، فقال : « قد سبقك بها عُكّاشَة » قال : ثم تحدّثنا ، فقلنا : منْ ترَوْنَ هؤلاء السَّبعين ؟ قالوا : قوم وُلِدُوا في الإسلام ، لم يُشركوا بالله شيئاً ، حتّى ماتُوا ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : « همُ الذين لا يَكْتَوُون ، ولا يَسْتَرْقُونَ ، ولا يَتطَيَّرونَ ، وعلى ربّهم يتوكّلون »[٣] .

حديث آخر

قال الطبرانيّ : حدّثنا محمد بن محمَّد الجذوعي ، حدّثنا عُقْبةُ بن مكْرَم ، حدثنا محمد بن أبي عَديّ ، عن هشام بن حَسَّان ، عن محمد بن سيرين ، عن عمران بن حُصَيْن ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « يدْخُلُ الْجنَّة منْ أمّتي سبعون ألفاً بغير حساب ، ولا عذاب » قيل : ومنْ هم يا رسول الله ؟ قال : « همُ الذين لا يكتوون ، ولا يَسْتَرْقُون ، ولا يَتطيَّرون ، وعلى ربِّهم يَتَوكَّلون » . ورواه مسلم عن يحيى بن خَلَف ، عن المُعْتمر ، عن هشام بن حَسّان، به، وعنده ذِكْرُ عُكَّاشة ، وليس

(١) الكبكبة : الجماعة المتضامة من الناس .

(٢) الظراب : الجبال الصغار .

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٠١) ومعمر في جامعه الملحق بمصنّف عبد الرزاق (١٩٥١٩) وهو حديث صحيح .

عنده في هذه الرواية : « يتطيَّرون » . وقال الحافظ الضياءُ : وقد رُوي عن عمرانَ من غير طريق[(١)] .

حديث آخر

قال أحمد : حدّثنا رَوْحُ بنُ عبادة ، حدّثنا ابن جُرَيْج ، أخبرني أبو الزُّبَيْر : أنّه سمع جابر بن عبد الله قال : سمعْتُ رسول الله ﷺ . . . فذكر حديثاً ، وفيه : « فتنجو أوّل زُمْرةٍ ، وُجوههم كالقمر لَيْلَةَ البَدْر ، سبعون ألفاً لا يُحاسبُونَ ، ثم الذين يَلُونهم كأضْوأ نجْمٍ في السماء » كذلك ، وذكر بَقيَّته .

ورواه مسلم ، من حديث رَوْح ، ولم يَرْفَعْهُ ، وقد روَى البزَّار عن عمر بن إسماعيل بن مُجَالدٍ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الشَّعْبي ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبيِّ ﷺ ، نحو الذي قبله سواءً[(٢)] .

حديث آخر

قال البـزّارُ : حدّثنـا محمد بن مِرْداس ، حدّثنا مبارك ، عن عبد العزيز بن صُهَيْبٍ ، عن أنس ، عن النبيِّ ﷺ ، أنّه قال : « سبعون ألفاً من أمّتي يَدْخُلون الْجنَّةَ بغير حساب ، هُمُ الّذين لا يَكْتَوون ، ولا يَسْتَرقُون ، ولا يَتَطيَّرُونَ ، وعلى ربِّهم يتوكلون »[(٣)] .

حديث آخر

قال البزّار : حدّثنا محمد بن عبد الملك ، حدّثنا أبو عاصم العبَّاداني ، حدّثنا حُمَيْدٌ ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل الْجنَّة من أمّتي سبعون ألفاً ، مع كلِّ واحدٍ من السبعين ألفاً سبعون ألفاً »[(٤)] وهذا يحتمل أن يكون مع كلّ واحدٍ من الألوف ، ويَحْتملُ أنْ يكونَ مع كُلِّ واحدٍ من الآحاد ، وهو أشمل ، وأكثر .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا مَعْمر ، عن قَتادَةَ ، عن أنس ، أو عن النضر بن أنس ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله عزَّ وجلَّ ، وعدني أنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ من أمَّتي أربعمئة ألف » فقال أبو بكر رضي الله عنه : زِدْنا يا رسول الله ، قال : « وهكذا » وجمع كفَّيه ، فقال : زدنا يا رسول الله ، قال : « وهكذا » فقال عمر : حَسْبُك يا أبا بكر ، فقال أبو بكر : دَعْني يا عُمر ،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨/٤٢٧) ومسلم رقم (٢١٨) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/٣٨٣) ومسلم رقم (١٩١) والبزار رقم (٣٥٤١) « كشف الأستار » .
(٣) رواه البزار رقم (٣٥٤٥ ـ كشف الأستار) وفيه مبارك أبو سحيم ، وهو متروك ، ولكن للحديث شواهد بمعناه ، فهو بها حسن .
(٤) رواه البزار (٣٥٤٧ ـ كشف الأستار) وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد منها رواية أبي يعلى الآتية .

وما عَليك أن يُدْخِلنا اللهُ عزَّ وجلَّ الْجَنَّة كُلَّنا ؟ فقال عمر : إنّ الله عزَّ وجلَّ إن شاء أدخَل خلْقَه الْجنَّة بكفٍّ واحدٍ . فقال النبيُّ ﷺ : « صَدَقَ عُمر »[١] .

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه

قال الحافظ أبو يَعْلى : حدّثنا محمد بن أبي بكر ، حدّثنا عبد القاهر بن السرِيّ السُّلمِيّ ، حدّثنا حُمَيْدٌ ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « يدخُل الْجنَّة من أمّتي سبعون ألفاً » ، قالوا : زِدْنا يا رسول الله ، قال : « لِكُلِّ رَجُلٍ سبعون ألفاً » ، قالوا : زِدْنا [يا رسول الله] ، وكان على كَثيبٍ فحَثَى بِيَديْهِ ، قالوا : زِدْنا يا رسول الله ، فقال : وهكذا ، وحَثى بِيَدِهِ ، قالوا : يا نبيَّ اللهِ ، أَبْعَدَ اللهُ منْ دَخلَ النَّارَ بَعْد هذا » . قال الحافظ الضياء : لا أعْلَمهُ رُوي عن أنس إلاّ بهذا الإسناد . وقد سُئِلَ ابنُ مَعين عن عبد القاهر ، فقال : صالح[٢] .

حديث آخر غريب

قال الطبرانيّ : حدّثنا محمد بن صالح بن الوليد النَّرْسِيّ ، ومحمد بن يحيى بن مَنْدَةَ الأصْبَهاني ، قالا : حدّثنا أبو حفص عمرو بن عليّ ، حدّثنا مُعاذُ بن هشام ، حدّثني أبي ، عن قتادة ، عن أبي بكر بن أنس ، عن أبي بكر بن عُمَير ، عن أبيه ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « إنَّ الله تعالى وَعَدني أنْ يُدْخِلَ من أمّتي ثلثمئة ألفٍ الجَنَّةَ » فقال عُمَيْر : يا رسول الله ، زِدْنا ، فقال : وهكذا بِيَدِه ، فقال عُمَير : يا رسول الله ، زِدْنا ، فقال عُمر : حَسْبُك يا عُمَيْر ، فقال : ما لنا ولك يا ابن الخطاب ، وما عليك أن يُدْخِلَنا اللهُ الجَنّة ؟ فقال عمر : إنَّ اللهَ إنْ شاء أدْخَل النَّاسَ الْجَنّةَ بحَفْنةٍ أو بحَثْيةٍ واحدةٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « صدق عُمر » . قال الحافظ الضِّياءُ : لا أعرف لعُمَيْر حدِيثاً غيرَه[٣] .

حديث آخر

قال أبو بكر بن أبي شَيْبَة : حدّثنا إسماعيلُ بن عَيَّاش ، سمعت محمد بن زياد ، يُحدِّثُ عن أبي أُمَامَةَ الباهليّ ، عن النبيّ ﷺ (ح) وقال الطبرانيّ : حدّثنا أحمدُ بن المُعلَّى الدِّمَشْقيّ ، والحُسَيْنُ بن إسحاق التُّسْتَرِيّ ، قالا : قال هِشَامُ بن عَمَّار : حدّثنا إسماعيلُ بن عَيَّاش ، أخبرني محمد بن زياد ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٦٥) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٥٥٦) وهو حديث صحيح .

(٢) رواه أبو يعلى رقم (٣٧٨٣) وهو حديث حسن .

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٢٣) وفي إسناده ضعف .

قال : سمعت أبا أُمَامةَ ، يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « وعدني ربِّي أن يُدْخِلَ الْجَنَّةَ من أُمَّتي سبعينَ ألفاً ، مع كلّ ألف سبعين ألفاً لا حساب عليهم ، ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حَثَياتِ رَبّي عزَّ وجلَّ » . واللفظ لابن أبي شَيْبَةَ ، وليس عند الطبرانيّ : « مع كل ألف سبعين ألفاً »(١) .

طريق أخرى عنه

قال أبو بكر بن أبي عاصم : حدّثنا دُحَيْم ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا صَفْوانُ بن عمرو ، عن سُلَيْم بن عامر ، وأبي(٢) اليَمانِ الهَوْزَنيّ ، عن أبي أمامة ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « إنَّ اللهَ وَعدَني أن يُدْخِلَ الْجنَّةَ من أمَّتي سبعين ألفاً بغير حساب » قال يزيد بن الأخنس : والله ما أولئك في أمّتك يا رسول الله إلاَّ مثلَ الذُّبَابِ الأصْهَبِ في الذِّبّان ، فقال رسول الله ﷺ : « فإنَّ اللهَ قد وَعدني سَبْعينَ ألفاً مع كُلِّ ألف سبعينَ ألفاً ، وزادني ثلاثَ حَثَياتٍ » . قال الضياء : رِجَالُه رِجالُ الصحيح ، إلاّ الهوْزَنيّ ، واسمه عامر بن عبد الله بن لُحَيّ ، وما علمتُ فيه جَرْحاً(٣) .

حديث آخر

قال الطبرانيّ : حدّثنا أحمد بن خُلَيْد ، حدّثنا أبو تَوْبَة ، حدّثنا معاوية بن سَلّام ، عن زيد بن سَلّام : أنّه سمع أبا سلّام ، يقول : حدّثني عامر بن زيد البِكَاليّ : أنّه سمع عُتْبَةَ بن عَبْدٍ السُّلميّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ رَبّي وعدني أن يُدْخِلَ الْجَنَّةَ من أُمتي سَبْعِينَ ألفاً بغير حساب ، ثم [يَشْفَع] كلُّ ألف لسبعين ألفاً ، ثم يَحْثي رَبِّي تعالى بكفَّيْهِ ثَلاثَ حَثيات » فكبّر عمر ، وقال : إنّ السبعين الأُولى ، يُشَفِّعُهم [اللهُ] في آبائهم ، وأبْنائهم ، وعَشائرِهم ، وأرجو أن يَجْعَلني اللهُ في أحدِ الحَثَياتِ الأوَاخر . قال الحافظ الضياء : لا أعلمُ لِهذَا الإسناد عِلَّة ، والله أعلم(٤) .

حديث آخر

قال الإمامُ أحمد : حدّثنا يحيى بن سَعِيد ، حدّثنا هِشامٌ يعني الدَّسْتُوائيّ ، حدّثنا يحيى بن أبي كَثير ، عن هِلَال بن أبي مَيْمونةَ ، عن عطاء بن يسار ، أنَّ رِفاعَةَ الْجُهَنيّ حَدّثه ، قال : أقبلنا مع

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ١١٧٦٠) والطبراني في الكبير (٧٥٢٠) وأخرجه ابن ماجه (٤٢٨٦) عن هشام بن عمار ، وهو حديث صحيح .

(٢) في الأصول : عن أبي اليمان .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٥٨٨) وهو حديث صحيح .

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٣١٢/١٧) وهو حديث حسن .

رسول الله ﷺ ، حتّى إذا كُنّا بالكَديد أو قال : بقُدَيْدٍ ، فذكر حديثاً فيه : ثم قال : « وعدني رَبِّي عزَّ وجلَّ أن يُدْخِلَ الجنّةَ من أُمَّتي سبعين ألفاً ، بغير حساب ، وإني لأرْجُو ألاّ يدخلوها حتى تبوؤوا أنتم ، ومن صَلَح من أزْواجِكُم وذَرَارِيكم مَساكِنَ في الْجنَّة » . ورواه يعقوبُ بن سفيان ، عن آدم بن أبي إياس ، عن شَيْبانَ ، عن يحيى بن أبي كَثير ، به ، قال الحافظ الضياء : هذا عندي على شرط الصحيح ، والله أعلم(١) .

حديث آخر

قال الطبرانيّ: حدّثنا عمرو بن إسحاق بن زِبْريق(٢) الحِمْصي ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدّثني أبي ، عن ضَمْضَم بن زُرْعة ، عن شُرَيح بن عُبَيد ، عن أبي أسماء الرَّحَبيّ ، عن ثَوْبان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنَّ رَبّي وعدني من أُمَّتي سبعين ألفاً لا يحاسَبُونَ ، مع كُلِّ ألف سبعونَ ألفاً »(٣) .

حديث آخر

قال الطبرانيّ : حدّثنا أحمد بن خُلَيْد ، حدّثنا أبو تَوْبَة ، حدّثنا معاوية بن سَلاّم ، عن زيد بن سَلاّم : أنه سمع أبا سَلاَّم ، يقول : حدّثني عبد الله بن عامر : أن قَيْساً الكِنْديّ حدَّثه : أن أبا سعيد الأنماريّ(٤) حَدّثه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ رَبِّي عزَّ وجلَّ وعدني أن يُدْخِلَ الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، ويَشْفَعَ كُلُّ ألفٍ لسبعين ألفاً ، ثم يَحْثي رَبِّي ثَلاثَ حَثَياتٍ بكَفَّيْه » قال قيس : فقلت لأبي سعيد : أنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ قال : نعم بأُذُنَيَّ ، ووعاه قلبي . قال أبو سعيد : فقال رسول الله ﷺ : « وذلك إن شاء الله يَسْتَوْعِبُ مُهَاجِري أمّتي ، ويُوفِّي اللهُ بَقِيَّته من أعْرَابنا » قال الطبرانيّ : لم يُرْوَ عن أبي سعيد الأنماريّ إلاّ بهذا الإسناد ، تفرَّد به معاوية بن سَلاّم .

وقال الحافظ الضياء : وقد رواه محمد بن سَهْل بن عسكر ، عن أبي تَوْبَة الرَّبيع بن نافع ، بإسناده ، قال أبو سعيد : فحُسِبَ [ذلكَ] عند رسول الله ﷺ ، فبلغ أرْبَعَةَ آلافِ ألفِ ألفٍ وتسعمئةِ(٥)

(١) رواه أحمد في المسند (٤/١٦) وابن ماجه رقم (٤٢٨٦) وهو حديث صحيح .

(٢) في (آ) : زريق ، وفي الفاسية : زبزيق ، وهما خطأ .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٤١٣) وفي إسناده ضعف ، ولكن للحديث شواهد بمعناه يقوى بها .

(٤) في المعجم الكبير : أبا سعد الأنصاري ، وأورده عنه الهيثمي وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، إلا أنه قال في الأوسط : أبو سعيد الأنماري ، ويقال له : أبو سعيد الخير الأنماري ، قال الحافظ في « الإصابة » فمن هذا الاختلاف يتوقف في الجزم بصحة هذا السند .

(٥) في بعض النسخ : سبعمئة .

ألف ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « إنّ ذلك يَسْتَوْعبُ إن شاء الله مُهَاجري أمَّتي »[١] .

حديث آخر

قال البزّار : حدّثنا محمود بن بكر ، حدّثنا أبي ، عن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن عَطِيَّة ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَدْخُلُ الْجَنَّة من أمّتي سبعونَ ألفاً لا حسابَ عليهم » فقام عُكَّاشةُ فقال يا رسول الله ، ادعُ اللهَ أن يَجْعَلني منهم ، فقال : « اللهم اجعله منهم » فقال رجل آخر : ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم ، قال : « اللهمّ اجعلْهُ منهم » فسكت القوم ، ثم قال بعضهم لِبَعْضٍ : لو قُلْنا : يا رسول الله ، ادعُ اللهَ أن يَجْعَلَنا منهم ، قال : « سَبقكمْ بها عُكَّاشةُ وصاحِبُه ، أما إنّكُمْ لو قلتم لقلتُ ، ولو قلتُ لوَجَبَتْ »[٢] .

حديث آخر

رواه البيهقي في كتاب « البعث والنشور » من حديث الضَّحاك بن نبراس

حدّثني ثابتُ بنُ أسلم البُنَانيّ ، عن أبي يَزيد المَدينيّ ، عن عمرو بن حزم الأنْصاريّ ، قال : تَغَيّب عَنَّا رسولُ الله ﷺ ثلاثاً ، لا يخرُج إلاّ لِصَلاةِ مكتوبة ، ثم يَرْجِعُ . فلمَّا كان يوم الرابع خرج إلَيْنا ، فقلنا : يا رسول الله احْتَبسْتَ عنّا ، حتَّى ظَنَنَّا أنّه قد حدث حدَثٌ ؟ فقال : « إنّه لم يَحْدُث إلاّ خير ، إنّ ربِّي عزَّ وجلَّ وعدني أنْ يُدْخلَ الْجنَّة من أمَّتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ، وإنّي سألتُ ربّي في هذه الثلاثة الأيام المزيد فوجدتُ رَبِّي واجداً ماجداً كَريماً ، فأعطاني مع كلّ واحدٍ من السبعين ألفاً سَبْعينَ ألفاً » قال : « قلت : يا رَبّ ، وتبلُغ أُمَّتي هذا ؟ قال : أُكْمِلُ لكَ العَدَدَ من الأعراب » . الضحّاك هذا قد تَكَلَّموا فيه ، وقال النسائي : متروك .

وتقدّم في أحاديث الحوض من حديث سعيد ، عن حُذَيْفَة ، عن النبيّ ﷺ في حديث طويل كما تقدّم ، وفيه : « وَبَشَّرَني أنّ مَعي سبعينَ ألفاً ، مع كُلِّ ألفٍ سبعون ألفاً ليس عليهم حِساب » . رواه أحمد[٣] .

وذكر ابن الأثير في ترجمة عامر بن عُمَيْر ، وكان قد شهد حَجَّةَ الوداع ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنِّي وَجَدْت رَبِّي ماجِداً أعْطَاني سَبْعينَ ألفاً يَدْخُلونَ الْجنَّة بغير حساب ، مع كلّ واحدٍ سبعونَ

(١) رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » رقم (٤٠٦) .
(٢) رواه البزار (٣٥٥٠ ـ كشف الأستار) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أحمد في المسند (٥/٣٩٣) وإسناده ضعيف بطوله ، لكن هذه الجملة لها شواهد كما تقدّم .

ألفاً ، فقلت : إنّ أُمّتي لا تبلغ هذا ؟ فقال : أُكْمِلُهم لك من الأعراب » قال : رواه ثابتُ البُنَانيّ ، عن أبي يزيد المَدنيّ ، عنه[١] .

حديث آخر

قال الطبرانيّ : حدّثنا هاشمُ بن مَرْثَد الطبرانيّ ، حدّثنا محمد بن إسماعيل بن عيَّاش ، حدّثنا أبي ، حدّثني ضَمْضَمُ بن زُرْعةَ ، عن شُرَيْح بن عُبَيْد ، عن أبي مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أما والّذي نفس محمَّد بيده لَيَبْعَثَنَّ اللهُ منكم يومَ القيامة إلى الْجنّة مِثلَ اللّيْلِ الأسْود زُمْرةً جميعها يَخبطُونَ الأرْضَ ، تقول الملائكةُ : لَمَا جاء مع محمدٍ أكثر مِمَّا جاء مع الأنبياء »[٢] .

ذكر كيفية تفرق العباد عن موقف الحساب ، وما إليه أمرهم يصير ففريق في الجنة ، وفريق في السعير

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم : ٣٩] وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم : ١٤ ـ ١٦] . وقال تعالى : [﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [الروم : ٤٣]] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية : ٢٧ ـ ٣٧] . وقال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ

---

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٤١٠) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني . أقول : وشيخه هاشم بن مرثد الطبراني ، ضعيف .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣٤٥٥) وإسناده ضعيف ، وفي حاشية الفاسية : آخر الجزء الثاني من خط المؤلف .

رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر : ٦٩ ـ ٧٥] .

وذكر أن هؤلاءِ سيقوا إلى الجنة ، وهؤلاء [سيقوا] إلى جهنم بعد [موقف] الحساب [وانصرافهم عنه] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٥ ـ ١٠٨] . وقال تعالى : ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى : ٧]. وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن : ٩ ـ ١٠] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٨٥ ـ ٨٧] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦ ـ ١٠٧] .

والآيات في هذا كثيرة جداً ، ولنذكر من الأحاديث ما يُناسب هذا المقام ، وهي مشتملة على مقاصدَ كثيرةٍ غيرِ هذا الفصل ، وسَنُشير إليها .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا محمد بن عُثمان العِجْليّ ، حدّثنا أبو أُسامةَ ، عن مالك بن مِغْوَل ، عن القاسم بن الوليد في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٤] . قال : حين سيق أهلُ الجنّة إلى الْجَنَّة ، وأهلُ النَّار إلى النار .

إيراد الأحاديث في ذلك

قال البخاريّ : حدّثنا أبو اليمان ، أخبرنا شُعَيْبٌ ، عن الزهريّ ، أخبرني سَعيد ، وعطاء بنُ يَزيد، أنّ أبا هريرة أخبرهما، عن النبيِّ ﷺ (ح) وحدّثني محمود ، حدّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمر ، عن الزهريّ ، عن عَطاءِ بن يزيد اللَّيْثيّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال أُناس : يا رسول الله ، هَلْ نَرَى رَبّنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تُضارُّون في رؤية الشمس ليس دُونها سَحابٌ ؟ » قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : « هل تُضارُّونَ في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال :

« فإنّكم تَرَوْنَهُ يَوْمَ القيامة كذلك ، يجمعُ اللهُ الناسَ فيقول : من كان يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ ، فَيَتبَعُ من كان يَعْبُد الشمس الشمس ، ويتبعُ منْ كانَ يَعْبُدُ القَمرَ القَمَر ، ويَتبعُ منْ كان يعبُدُ الطواغيت الطّواغيتَ ، وتبقى هذه الأمّة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون ، فيقول : أنا رَبّكم ، فيقولون : نعوذُ بالله منك ، هذا مكانُنا حتّى يَأْتينا رَبُّنا ، فإذا جاء رَبّنا عرفناه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون ، فيقول : أنا رَبُّكم ، فيقولون : أنْتَ رَبُّنا ، فيتبَعُونه ويُضْرَبُ جِسْرُ جهنَّم » قال رسول الله ﷺ : « فأكونُ أنا وأمتي أوّلَ منْ يُجيزُ ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودُعاءُ الرُّسُل يومئذٍ : اللهمّ سَلِّم سَلِّم ، وفيه كلاليبُ مثل شَوْك السَّعْدان ، أما رأيتم شَوْك السّعْدان ؟ » قالوا : نعم ، يا رسول الله ، قال : « فإنَّها مثلُ شَوْك السّعْدانِ ، غيرَ أنّها لا يَعْلمُ قَدْر عِظَمها إلا الله تعالى ، فتخْطَفُ النَّاسَ بأعمالهم ، فمِنْهُم المُوبَقُ بعَمله ، ومنهمُ الْمُخَردل[1] ، ثم ينجو ، حتّى إذا فرغ اللهُ من القضاء بَيْن عباده ، وأراد أن يُخْرِجَ من النار منْ أراد أن يُخرجه ، ممَّنْ كانَ يَشْهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله ، أمر الملائكة أنْ يُخْرِجُوهم ، فيَعْرِفُونَهم بعَلامَةِ آثارِ السّجود ، وحرَّم الله على النار أن تَأْكُلَ منِ ابن آدمَ أثَر السجود ، فيُخْرِجُونهم قد امْتَحَشُوا ، فَيُصَبُّ عليهم ماءٌ ، يُقال له : ماءُ الحياة ، فيَنْبُتُونَ نباتَ الحِبَّةِ في حَميل السَّيْل ، ويَبْقَى رَجُلٌ مُقْبلٌ بوجْهه على النار ، فيقول : يا رَبِّ ، قد قشَبَني[2] ريحُها ، وأحرقني ذكاؤها[3] ، فاصرف وَجْهي عن النار ، فلا يزالُ يدعُو اللهَ فيقول : لعلّك إنْ أعْطيتُك ذلك تَسْألني غَيْرَه ؟ فيقول : لا ، وعِزّتِكَ لا أسألُكَ غيرَه ، فَيَصْرِفُ وَجْههُ عنِ النار ، ثم يقول بعد ذلك : يا رَبّ ، قرِّبْني إلى بَابِ الْجنَّة ، فيقول : أَلَيْسَ قد زَعَمْتَ ألاّ تَسْألَني غيرَه ؟ ويْلَكَ يا ابن آدم ، ما أغْدَرَكَ ، فلا يزال يَدْعو ، فيقول : لَعليّ إن أعطيتُك ذلك تسألني غيرَه ؟ فيقول : لا ، وعِزَّتِكِ ، لا أسألُكَ غيرَه ، فيُعْطي اللهَ من عُهودٍ ومَواثيقَ ألاّ يسألَهُ غيرَه ، فيُقَرّبه إلى باب الجنّة ، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أنْ يَسكُتَ ، ثمَّ يقول : رَبِّ أدْخلْني الْجنّة ، فيقول : أولَيْسَ قد زَعَمْتَ ألاّ تَسألني غيرَه ؟ وَيْلَكَ يا ابن آدم ، ما أغْدرَك ! فيقول : يا رَبِّ ، لا تَجْعَلني أشْقَى خَلْقِكَ ، فلا يزال يدعو اللهَ حتى يضْحَكَ الله منه ، فإذا ضَحِك منه أَذِنَ له بالدخول فيها ، فإذا دَخَلَ فيها قيل له : تَمَنَّ [منْ كذا] ، فيتمنّى ، ثم يقالُ له : تمنَّ من كذا ، فيتمَنّى ، حتّى تَنقطع به الأماني ، فيقول : هذا لك ، ومثلُه معه » ، قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخرُ أهْلِ الْجَنَّة دُخُولاً الْجنّة . قال : وأبو سعيد الخُدْريُّ جالسٌ مع أبي هريرة لا يُغَيِّر عليه شيئاً من حديثه ، حتى إذا انتهى إلى قوله : « هذا لك ومثله معه » ، قال أبو سعيد : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « هذا لك وعَشَرةُ أمثاله » ، قال أبو هريرة : ما حفظت إلا : « ومثله معه » . وهكذا رواه

---

(١) المخردل : المصروع المطروح في النار .
(٢) أي آذاني .
(٣) أي التهابها .

البخاريّ من حديث إبراهيم بن سَعْدٍ ، عن الزهريّ ، به ، وزاد : فقال أبو سعيد : أَشْهَدُ أَنّي حَفِظتُ من رسول الله ﷺ قوله : « ذَلِكَ لكَ وعَشَرةُ أمثاله »[١] . وهذا الإثباتُ من أبي سعيد مُقدَّمٌ على ما لم يَحْفَظه أبو هريرة ، حتى ولو نفاه أبو هريرة قدَّمنا إثباتَ أبي سعيد ، لمَا معه من زيادة الثِّقَةِ المقبولةِ ، لا سيَّما وقد تابعه غيرُه من الصحابة ، كابن مسعود ، كما سيأتي قريباً إنْ شاء الله تعالى .

وقال البخاريّ: حدّثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدّثنا اللَّيثُ ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هِلال ، عن زيد ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخُدْريّ ، قال : قلنا : يا رسول الله ، هل نرى رَبَّنا ؟ قال : « هل تضارُّونَ في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر إذا كانت صَحْواً ؟ » قلنا : لا ، قال : « فإنكم لا تُضارُّونَ في رؤية ربكم إلا كما تُضارُّونَ في رؤيتهما » قال : « ثم ينادي مُنادٍ : لِيَذْهبْ كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحابُ الصليب مع صليبهم، وأصحابُ الأوثان مع أوثانهم ، وأصحابُ كُلِّ آلهةٍ مع آلهَتِهِمْ، حتّى لا يَبْقَى إلا منْ كان يَعْبُد اللهَ مِنْ بَرٍّ أوْ فاجِرٍ، وغُبَّراتٌ[٢] من أهل الكتاب، ثم يُؤتى بجهنم تُعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون ؟ قالوا: كنا نعبد عُزَيراً ابنَ الله، فيقال لهم: كَذَبْتُمْ، لم يكن لله صاحِبَةٌ ، ولا وَلَد ، فما تريدون ؟ قالوا : نُريد أن تَسْقيَنا » قال : « فيقال : اشْرَبُوا، فيَتَساقطُونَ في جهنَّم ، ثم يقال للنّصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كُنَّا نَعْبُدُ المسيحَ ابنَ الله ، فيُقال لهم : كذبتم ، لم يكن لله صَاحِبَةٌ ولا وَلَدٌ ، فيقال : ما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تسْقيَنا ، فيُقال: اشربوا ، فيَتَساقطُونَ فيها حَتَّى لا يَبْقَى إلا من كان يَعْبُدُ اللهَ تعالى منْ بَرٍّ أو فَاجِرٍ ، فيقال لهم : ما يُجلسكم وقد ذهب الناس ، فيقولون : إن لنا إلٰهاً كنا نعبده فارقنا الناس ونحن أحوجُ منّا إليه اليوم ، وإنَّا سَمعنا مُنادياً يُنادي : لِيَلْحقْ كُلُّ قَوْم بما كانوا يعبدون ، وإنّنا نَنْتَظِرُ رَبَّنا عزَّ وجلَّ ، قال : فيأتيهم الجَبّارُ عزَّ وجلَّ في صورةٍ غيرِ صورته التي رَأوْهُ فيها أوَّل مَرَّة ، فيقول : أنا رَبُّكُمْ ، فيقولون : أَنْتَ رَبُّنا، ولا يُكَلِّمُه [يومئذ] إلاّ الأنبياء ، فيقال : هل بينكم وبينه علامة تعرفونها بها ، فيقولون: الساقُ، فيَكْشِفُ عن ساقِهِ فَيَسْجُد لَهُ كُلُّ مُؤْمن ، وَيَبْقى منْ كان يَسْجُد للهِ رِياءً وَسُمْعةً ، فَيَذْهَبُ كَيْما يَسْجُدَ ، فيعودُ ظَهْرُه طَبَقاً وَاحِداً، ثم يُؤْتى بالجِسْر فيُجعل بَيْنَ ظَهْريْ جَهنَّم » قلنا : يا رسول الله ، وما الجِسْر ؟ قال : « مَدْحضةٌ مَزِلَّة ، عليه خَطَاطيفُ وكَلاليبُ ، وحَسَكةٌ مُفْلطَحةٌ لها شَوْكةٌ عَقيفةٌ[٣] تكونُ بِنَجْدٍ، يُقالُ لهَا: السَّعْدانُ، المؤمنُ عليها كالطَّرْف، وكالبرق، وكالرّيح ، وكأجاويدِ الْخَيْلِ ، والرِّكاب ، فناج مُسَلّم، وناج مَخْدُوش، ومكدوس[٤] في نار جهنم ، حتى يَمُرّ آخِرُهم ، يُسْحَبُ سَحْباً ، فما أنتم بأشدَّ

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧٣) و(٧٤٣٧) .
(٢) غُبَّرات ، جمع غُبَّر ، وغُبَّر ، جمع غابر ، وهو الباقي .
(٣) أي معقوفة وملويّة .
(٤) أي مدفوع .

لي مُناشدةً في الْحَقِّ ، قد تَبيَّن لكم من المؤمنين يَوْمئذٍ للجَبَّار ، إذا رأوا أَنَّهم قد نَجَوْا ، في إخوانهم ، يقولون : رَبّنا إخوانُنا كانوا يُصلُّون مَعَنا ، ويَصُومُون مَعَنا ، ويَعْمَلونَ مَعَنا ؟ فيقول الله تعالى : اذهبوا ، فمن وجدتُمْ في قلبه مِثْقال دينار من إيمان فأخرجُوهم ، ويُحَرِّمُ الله صُوَرَهم على النار ، [فيأتونهم] وبعضهم قد غاب في النار إلى قدميه ، وإلى أنصاف ساقيه ، فيُخْرِجُونَ منْ عَرفُوا ، ثم يعودون ، فيقول : اذْهَبُوا فمنْ وجدْتُمْ في قلبه مِثْقالَ نِصْف دينارٍ ، فأخْرِجُوه ، فيُخْرِجُون منْ عَرفُوا . ثم يَعُودون ، فيقول : اذْهبُوا فمنْ وَجَدْتُم في قلبه مِثْقال ذَرَّةٍ من إيمان فأخرجوه، فيُخْرِجُونَ منْ عَرفُوا ، قال أبو سعيد : فإن لم تُصَدّقوني ، فاقرؤوا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء : ٤٠] فَيَشْفعُ النَّبيُّون ، والملائكة ، والمؤمنون ، فيقول الجبَّارُ عزَّ وجلَّ : بقِيَتْ شَفَاعَتي ، فيَقْبضُ قَبْضةً ، فيُخْرِجُ أقواماً قد امْتَحشُوا فيُلْقَوْنَ في نَهْرٍ بأفواهِ الجنَّة ، يقال له : نهر الحياة ، فيَنْبُتُونَ في حافَتيه كما تنبت الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيْلِ ، قد رَأيْتُموها إلى جانب الصَّخْرَةِ ، وإلى جانب الشَّجَرَةِ ، فما كانَ إلى الشمس منها كان أخضرَ ، وما كان منها إلى الظِلِّ كانَ أبيضَ ، فيَخرجُون كأنَّهم اللؤلؤُ ، فيُجْعلُ في رقابهم الخواتيمُ ، فيَدْخُلونَ الجنَّة ، فيقول أهلُ الجَنَّة : هؤلاء عُتقاءُ الرَّحْمـٰنِ ، أدخَلهُم الجنة بِغَيْرِ عملٍ عَمِلُوه ، ولا خَيْرٍ قَدّموه ، فيقال لهم : لكُمْ ما رأيتُم ومِثْلُه معه »[1] .

وقال مسلم : حدّثنا عُبَيد الله بن سعيد ، وإسحاق بن منصور ، كلاهما عن رَوْح ، قال عُبَيْدُ الله : حدّثنا رَوْح بنُ عُبادَةَ القَيْسيّ ، حدّثنا ابن جُرَيْج ، أخبرني أبو الزُّبَيْر : أنّه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود ، فقال : نجيءُ نحنُ يوم القيامة عن كذا وكذا ـ انظر : أيْ ذلك فوق الناس[2] ـ قال : فتُدْعى الأمم بأوثانها ، وما كانت تَعْبُد ، الأول فالأول ، ثمَّ يأتينا رَبُّنا بعد ذلك فيقول : من تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر رَبّنا ، فيقول : أنا رَبُّكم ، فيقولون : حتَّى نَنْظُرَ إليكَ ، فيَتَجلَّى لهم ، يَضْحَكُ » قال : « فينطلق بهم ، ويَتَّبعُونه ، ويُعْطى كلّ إنسان منهم منافقٍ ، أو مؤمنٍ نُوراً ، ثم يتَّبعونه . وعلى جسر جَهنَّم كَلاليبُ ، وحَسَكٌ ، تَأْخُذُ منْ شاءَ اللهُ ، [ثم] يُطْفأ نور المُنافقين ، ثم يَنْجو المؤمنون ، فَتَنْجو أَوَّلُ زُمْرةٍ ، وجوهُهُم كالقمر ليلة البدر ، سَبْعُونَ ألفاً لا يُحاسَبُونَ ، ثُمَّ الذين يَلُونَهُمْ ، كأضْوأ نَجْم في السماء ، ثم

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٤٣٩) .

(٢) جاء في « شرح صحيح مسلم » للإمام النووي (١/٣٦٩) طبع دار العلوم الإنسانية بدمشق ما نصه : « هكذا وقع هذا اللفظ في جميع الأصول من « صحيح مسلم » واتفق المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيف وتغيير واختلاط في اللفظ. قال الحافظ عبد الحق في كتابه : هذا الذي وقع في « كتاب مسلم » تخليط من أحد الناسخين، أو كيف كان. قال القاضي عياض : هذه صورة الحديث في جميع النسخ، وفيه تغيير كثير وتصحيف، قال: وصوابه: نجيء يوم القيامة على كوم، هكذا رواه بعض أهل الحديث، وفي كتاب ابن أبي خيثمة من طريق كعب بن مالك : « يحشر الناس يوم القيامة على وتلٍّ وأُمتي على وتلٍّ ». وذكر الطبري من حديث ابن عمر : فيرقى هو ـ يعني محمداً ﷺ ـ وأمته على كوم فوق الناس. وانظر بقية كلامه عليه هناك .

كذلك ، ثم تَحلّ الشَّفَاعةُ ، فيشفعون ، حتَّى يخرُج من النار منْ قال : لا إله إلا اللهُ ، وكان في قلبه من الْخَيْر ما يَزِنُ شَعيرةً ، فيُجْعَلُونَ بِفِناءِ الْجنَّة ، ويَجعَلُ أهْلُ الْجنَّةِ يَرُشُّونَ عليهم الماءَ ، حتَّى يَنْبُتوا نبات الشَّيْءِ في السَّيْل ، وَيَذْهبُ حُراقُه ثم يَسألُ حتَّى تُجْعلَ لَهُ الدُّنيا ، وعَشَرةُ أمثالها معها[١] .

وقال مسلم : حدّثنا محمد بن طَريف بن خَلِيفَة البَجَليّ ، حدّثنا محمد بن فُضَيْل ، حدّثنا أبو مالك الأشْجَعيّ ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، وأبو مالك ، عن رِبْعيٍّ ، عن حُذَيْفَةَ ، قالا : قال رسول الله ﷺ : « يَجْمَعُ اللهُ تعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حين تُزْلَفُ لَهمُ الْجنّة ، فيأتون آدمَ ، فيقولون : يا أبانا ، استفتحْ لنا الْجنَّة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنَّةِ إلاّ خطيئةُ أبيكم آدم ؟ لستُ بصاحب ذلك ، اذْهَبُوا إلى ابني إبراهيم ، خليلِ اللهِ» قال : « فيقول إبراهيم عليه السلام : لست بصاحب ذلك ، إنّما كنتُ خَليلاً من وراءَ وراءَ ، اعْمِدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً ، فيأتون موسى عليه السلام فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى عيسى ، كلمة الله ورُوحه ، فيقولُ عيسى ﷺ : لستُ بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويُؤذَن له ، وتُرْسلُ الأمانةُ والرَّحِمُ ، فيَقُومانِ جَنَبَتي الصِّراطِ يَميناً وشمالاً ، فيَمرُّ أوَّلُكم كالْبَرْقِ » قال : قلت : بأبي أنْتَ وأمِّي ، أيُّ شيءٍ كمَرِّ البرق ؟ فقال : « ألم تَرَوْا إلى البرق ، كيفَ يَمُرّ ، ويَرْجعُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ ؟ ثُمّ كَمَرِّ الريح ، ثم كمَرِّ الطَّيْر ، وشَدِّ الرجال[٢] ، تجري بهمْ أعمالُهم ، ونبيكم قائم على الصراط ، يقول : رَبِّ سلِّمْ سلِّمْ ، حتّى تَعْجزَ أعمالُ العِباد ، حتى يَجِيء الرَّجُلُ فلا يستطيع السَّيْر إلاّ زَحْفاً » ، قال : « وفي حافَتي الصِّراط كَلاليبُ مُعلَّقةٌ مأْمورةٌ تأخُذُ منْ أُمِرَتْ به ، فمَخْدوشٌ نَاجٍ ، ومكدوس في النار » والذي نَفْسُ أبي هريرة بيده ، إنَّ قَعْرَ جَهنَّم لَسَبعُونَ خريفاً[٣] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أبو خَيْثمة ، حدّثنا عفَّانُ بن مسلم ، حدّثنا حمَّادُ بن سَلَمة ، عن عليّ بن زيد ، عن عُمَارة القرشيّ ، عن أبي بُرْدةَ ، عن أبي موسى الأشْعَريّ ، قال : قال رسول الله ﷺ: « يَحْشُرُ اللهُ الأممَ في صعيدٍ واحدٍ ، فإذا أراد أن يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ مَثَّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ ما كانُوا يَعْبُدُون ، فَيَتَّبعُونَهُمْ حتى يُقْحمُونهم النار ، ثم يأتينا ربُّنا ، ونَحْنُ في مكان رفيعٍ ، فيقول : ما أنتم ؟ فنقول : نحنُ المسلمون ، فيقول : ما تَنْتَظرون ؟ فنقول : ننتظر رَبَّنا ، فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فنقول : نعم ، فيقول : وكيف تعرفونه ولمْ تَرَوْهُ ؟ فنقول : إنه لا عَدْل لهُ ، فيتَجَلَّى لَنا ضاحِكاً ، فيقول : أبْشرُوا مَعْشَرَ المُسلمين ، فإنَّه ليس منكم أحدٌ إلا قد جَعَلْتُ مكانَهُ في النّار يَهُودياً ، أو نَصْرانيّاً » .

---

(١) رواه مسلم رقم(١٩١) .

(٢) شد الرجال : أي جريهم وسرعتهم في العدو .

(٣) رواه مسلم رقم (١٩٥) .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عبد الصمد ، وعفّان ، عن حمّاد بن سَلَمة ، به مثله ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه[١] ولكن روى مسلم من حديث سعيد بن أبي بُرْدةَ وعونِ بن عبد الله بن عُتْبة ، عن أبي بُرْدة ، عن أبيه أبي موسى الأشعريّ ، عن رسول الله ﷺ : أنّه قال : « لا يموتُ رجلٌ مُسلم إلا أدخَلَ اللهُ مكانَه النّارَ يَهُوديّاً أو نَصْرانيّاً »[٢] .

فصل

في ذكر الصراط ، غير ما ذكر آنفاً من الأحاديث الصحيحة

ثم ينتهي الناس بعد مُفارقتهم مكانَ الموقف إلى الظُّلمة التي دُونَ الصِّراط ، وهو جسر على جهنّمَ كما تقدّم عن عائشة : أن رسولَ الله ﷺ سُئل : أين يكون الناسُ يوم تُبَدَّلُ الأرْضُ غيرَ الأرض والسموات ؟ فقال : « هم في الظُّلْمةِ دون الْجِسر »[٣] .

وفي هذا الموضع يميز المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلّفون عنهم ، ويَسْبقُهم المؤمنون ، ويُحالَ بينهم وبينهم بسُورٍ يَمْنَعُهُمْ منَ الوصول إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحديد : ١٢ـ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨] .

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطنيّ رحمه الله ، في كتاب « الأفراد » : حدّثنا محمد بن مخلد بن حفْص ، ومحمد بن أحمد المَطِيري[٤] ، قالا : حدثنا محمد بن حمزة بن زياد الطُّوسيّ ، حدّثنا أبي ، حدّثنا قَيس بن الرَّبيع ، عن عُبَيْدٍ المُكتِب ، عن مُجاهد ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « جهنَّم مُحيطةٌ بالدُّنيا [والجنة من ورائها] ، ولذلك صار الصراط على جهنم طريقاً إلى الجنة » . ثم قال : غريب من حديث مُجاهد عن ابن عمر ، لم يَرْوه عن عُبَيْد المُكْتب ، غيرُ قَيْس وتفرَّد به حمزة بن زياد ، عنه .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/٤٠٧ ـ ٤٠٨) عن حسن بن موسى وعفان ، وإسناده ضعيف .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٦٧) .
(٣) رواه مسلم رقم (٣١٥) من حديث ثوبان بلفظه ، وروي عن عائشة بمعناه .
(٤) في (آ) : المطري .

وقال البيهقيّ : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا محمد بن صالح بن هانئ ، والحسن بن يعقوب ، وإبراهيمُ بن عِصْمة ، قالوا : حدثنا السَّريُّ بنُ خُزَيْمةَ ، حدّثنا أبو غَسَّان مالك بن إسماعيل النَّهْديُّ ، حدّثنا عبد السلام بنُ حَرْب ، حدّثنا يزيدُ بن عبد الرحمن ، أبو خالد الدّالانِيُّ ، حدّثنا المِنْهالُ بن عَمْرو ، عن أبي عُبَيْدة ، عن مسروق ، عن عبد الله [بن مسعود] قال : « يَجْمعُ اللهُ الناسَ يوم القيامة فينادي مُنادٍ : يا أيُّها الناس ، أَلَمْ تَرْضَوْا من رَبِّكم الذي خلقكم ، وصَوّركم ، ورزَقكم أن يُوَلِّيَ كلَّ إنسانٍ منكم منْ كانَ يَتولّى في الدنيا ؟ » قال : « فَيُمثَّل لِمَنْ كان يَعْبُد عُزيراً شَيْطانُ عُزَيْرٍ ، حتَّى تُمَثَّل لَهُمُ الشَّجرةُ والعُودُ والْحجَرُ وغير ذلك ، ويَبْقَى أهْل الإسلام جُثوماً ، فيقال لهم : ما لكم لم تَنْطلقوا ، كما انطلق الناس ؟ فيقولون : إنّ لنَا رَبّاً ما رأيناه بَعْدُ » قال : « فيقال : فبِمَ تعرفون رَبَّكم إنْ رأيتموه ؟ قالوا : بَيْننا وَبَيْنَهُ عَلامةٌ [إنْ رَأيْناهُ عَرَفناهُ] قيل : وما هي ؟ قالوا : يَكْشفُ عن سَاقٍ » [قال : « فيكشف عند ذلك عن ساق] » قال : « فَيَخرُّ منْ كانَ يَعْبُدُهُ ساجداً ويبقَى قومٌ ظهورهم كصَياصي البَقَر ، يُريدون السجود فلا يستطيعون ، ثم يُؤْمَرُونَ فَيَرفَعُون رؤوسهم ، فيُعْطَوْنَ نُورَهم على قَدْر أعمالهم » قال : « فمِنهم منْ يُعْطَى نُوره مثل الْجَبَل بَيْن يَدَيْه ، ومنهم منْ يُعْطى نورَه فوقَ ذَلك ، ومنهم من يُعْطَى نُورَه مثلَ النّخْلةِ بِيَمينِه ، ومنهم يُعْطى [نوره] دُونَ ذلك بيَمينه ، حتّى يكُونَ آخِرُ من يُعْطى نورَه على إبهام قَدَمِهِ ، يُضيءُ مَرَّةً وَيَطفأُ مَرَّةً ، إذا أضاء له قدَّم قدَمه ، وإذا طَفِئ قامَ » قال : « فيَمُرُّونَ على الصِّراط ، والصراط كحَدِّ السيف ، دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، فيقال لهم : امضُوا عليه على قدر نوركم ، فمنهم من يَمُرّ كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يَمُرّ كالريح ، ومنهم من يَمُرّ كالطَّرْف ، ومنهم من يمُرّ كشَدِّ الرَّجُل ، ومنهم مَنْ يَرْمُلُ رَمَلاً ، فيَمرّون على قدر أعمالهم ، حتّى يَمُرّ الذي نورُه على إبهام قدمه ، تَخرُّ [يَد] وَتَعْلَقُ يَدٌ ، وتَخرُّ رِجْلٌ ، [وتعلَق ، رِجْلٌ وتُصيبُ جَوانبهُ النَّارُ » قال : « فيَخلُصُون ، فإذا خَلَصُوا قالوا : الحمدُ للهِ الذي نَجّانا مِنكِ بَعْد الّذي أراناكِ ، لقد أعطانا اللهُ ما لمْ يُعْطِ أحداً » .

قال مسروق : فما بلغ عبدُ الله هذا المكان من هذا الحديث إلّا ضحك ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، لقدْ حَدّثْتَ بهذا الحديث مِراراً ، كُلَّما بَلَغْتَ هذا المكانَ مِنْ هذا الحديث ضَحِكْتَ ؟ فقال عبد الله : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يُحدِّثُه مِرَاراً ، فما بَلَغ هذَا المكانَ منْ هَذا الحديث إلّا ضحكَ ، حتى تَبْدُوَ لَهواته ، ويَبْدُو آخِر ضِرْس منْ أضْرَاسِهِ ، لقول الإنسان : أتهزأ بي وأنْتَ رَبُّ العالمين ؟ فيقول : « لا ، ولكنِّي على ذَلِك قادِرٌ » .

قال البيهقيّ : هكذا وجدتُه في كتابي .

وقد رواه غيرُه ، فذكر آخِرَ من يَدْخُل الْجَنَّة ، وقوله [تعالى له] : يا ابن آدم ، أيُرْضيكَ أنْ

أُعْطيكَ الدُّنْيا ومِثْلَها مَعَها ؟ فيقول : أتهزأ بي وأنْتَ رَبُّ العالمين [قال ابن مسعود : فيقول الله سبحانه : لا ، ولكني على ذلك قادر][(١)] .

وقد أورده البَيْهقيُّ بعد هذا من حديث حمّاد بن سَلَمَةَ ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود . . . فذكره موقوفاً .

وقال البيهقيّ : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس ، محمد بن يعقوب ، حدّثنا محمد ابن إسحاق ، حدّثنا منصور بن أبي مُزاحم ، حدّثنا أبو سعيد المُؤَدِّب ، عن زياد النُّمَيريّ ، عن أنس بن مالك : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « الصِّراطُ كحَدِّ الشَّعْرَةِ ، أو كَحدِّ السَّيْف ، وإنَّ الملائكةَ يُنَجُّونَ المُؤْمنينَ والمُؤْمنات ، وإنّ جِبْريلَ عليه السلام لآخذٌ بحُجْزَتي ، وإنّي لأقول : يا رَبِّ سلِّم ، سَلِّم ، فالزالُّونَ ، والزالَّاتُ يَوْمئذٍ كَثيرٌ » ، ثمّ روى البيهقيّ من حديث سعيد بن زَرْبيّ ، عن يزيد الرَّقاشيّ ، عن أنس ، مرفوعاً ، نحو ما تقدّم بأبْسط منه ، وإسناده ضعيف ، ولكن يَتقَوّى بما قبله ، والله أعلم .

وقال الثوري : عن حُصين ، عن مجاهد ، عن جُنادَةَ بن أبي أُمَيَّة ، قال : إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم ، وسِيماكُمْ ، وحُلاكُمْ ، ونَجْواكُمْ ، ومَجالِسكُمْ ، فإذا كان يومُ القيامة قيل : يا فلان ، هذا نُورُك ، يا فلان ، لا نورَ لك ، وقرأ : ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ [الحديد : ١٢] وقال الضحّاك : ليس أحدٌ إلّا يُعْطَى يومَ القِيَامةِ نُوراً ، فإذَا انْتَهَوْا إلى الصِّراطِ طَفِئ نُورُ المُنافقين ، فلمّا رأى ذلك المؤمنون أشْفَقُوا أنْ يَطْفَأ نُورُهم ، كما طَفِئ نورُ المُنافقين فقالوا : ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨] .

وقال إسحاق بن بِشْر أبو حُذَيْفَةَ : حدّثنا ابنُ جُرَيْج ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله يَدْعو الناسَ يوم القيامة بأسمائهم سَتْراً منه على عِباده ، فأمّا عند الصراط فإنَّ اللهَ يُعْطي كُلَّ مؤمنٍ نُوراً ، وكُلَّ مُنافقٍ نُوراً ، فإذا اسْتَوَوْا على الصراط سَلَب اللهُ نورَ المُنافقين ، والمنافقات ، فقال المنافقون والمنافقات للمؤمنين : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد : ١٣] وقال المؤمنون : ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم : ٨] ولا يذكر عند ذلك أحدٌ أحداً »[(٢)] .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو عُبَيْد الله ابن أخي ابن وهب ، أخبرنا عمّي ، أنبأنا يزيد بن أبي حَبيب[(٣)] ، عن سعد بن مسعود : أنّه سمع عبد الرحمن بن جُبَيْر ، يُحدّث أنّه سمع أبا الدّرْداء ، وأبا ذَرّ يُخْبران، عن النبيّ ﷺ قال: « أنا أوّلُ منْ يُؤذَنُ لهُ يوم القيامة في السجود، وأوّلُ منْ يُؤذَنُ له في

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٧) .
(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١٢٤٢) ، وإسحاق بن بشر أبو حذيفة ، متروك .
(٣) في هذا الإسناد تخليط ، فإن الحافظ عبد الله بن وهب لم يدرك يزيد بن أبي حبيب .

رفع رأسه ، فأنْظُر مِنْ بين يديّ ، ومنْ خَلْفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، فأعرف أمّتي من بين الأمم » فقال له رجل : يا رسول الله كيف تَعْرفُ أمَّتَكَ من بين الأمم ما بَيْنَ نوح إلى أمَّتك ؟ قال : « أعرفهم ، مُحجَّلون من أثر الوُضوء ، ولا يكون لأحدٍ من الأمم غيرِهم ، وأعرفهم يُؤْتَون كُتُبَهمُ بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم ، ووجُوهم ، وأعرفُهم بنُورِهم يَسْعَى بين أيْديهمْ وذُرِّيّتهمْ » .

وقال ابن أبي حاتم : [حدّثنا أبي] ، حدّثنا عَبْدةُ بن سُلَيمانَ ، حدّثنا ابن المبارك ، حدّثنا صفوان بن عمرو ، حدّثني سُلَيم بن عامر ، قال : خرجنا على جنازةٍ في باب دِمَشْقَ ، ومعنا أبو أُمامةَ البَاهليّ ، فلمّا صُلِّيَ على الجنازة ، وأخذُوا في دَفْنها ، قال أبو أُمَامة : أيُّها الناس ، إنّكم قد أصْبَحْتُمْ وأمْسَيتُم في منزلٍ ، تَقتسمون فيه الْحَسَناتِ والسَّيئاتِ ، وتُوشكونَ أن تَظعَنُوا منه إلى مَنْزِلٍ [آخر] ، وهو هذا ، يُشيرُ إلى القبر ، بَيْت الوحدة ، وبَيْت الظُّلْمة ، وبيْت الدُّودِ ، وَبيت الضِّيق ، إلا ما وسَّع الله سبحانه ، ثم تَنتقِلُون منه إلى مَواطِنِ يَوْم القيامة ، فإنكم لفي بعض تلك المواطن حتى يَغْشَى الناسَ أمرٌ من أمر الله ، فَتبيضُّ وُجُوه ، وتَسْودّ وجوه ، ثم تَنْتقلُونَ منه إلى منزل آخر ، فيَغْشَى الناسَ ظُلْمةٌ شَديدةٌ، ثم يُقْسَمُ النور ، فيُعْطَى المؤمن نُوراً ، ويُتْركُ الكافر ، والمنافق ، لا يُعْطَيانِ شيئاً ، وهو المثَلُ الذي ضَرَبهُ اللهُ في كتابه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] ولا يَسْتضيءُ الكافرُ ، والمنافق ، بنور المؤمن كما لا يَسْتَضيءُ الأعمَى بِبَصَرِ البَصِير ، ويقول المنافقون ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ [الحديد: ١٣] وهي خُدْعةُ الله التي خَدَع بها المُنافقين، حيث قال: ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] فيرجعون إلى المكان الذي قُسم فيه النُّور ، فلا يجدون شيئاً ، فيَنْصرفون إليهم ، وقد ضرب ﴿ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ . . . ﴾ الآية [الحديد : ١٣] يقول سُلَيم بن عامر : فما يزال المنافق مُغْترّاً حتى يُقْسم النور ، ويَمِيزَ اللهُ بين المؤمن والمنافق[١] .

وقال ابن أبي حاتم : [حدّثنا أبي] ، حدّثنا يحيى بنُ عُثْمان ، حدّثنا أبو حَيْوةَ ، حدّثنا أرْطَاةُ بنُ الْمُنْذر ، حدّثنا يوسف بن الْحجّاج ، عن أبي أُمامة ، قال : تبعث ظُلْمةٌ يوم القيامة ، فما منْ مؤمن ، ولا كافر ، يرى كفّه حتى يَبْعَثَ اللهُ النُّورَ إلى المؤمنين ، على قدر أعمالهم ، فيَتْبَعُهُم المنافقون ، فيقولون للمؤمنين : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾[٢] .

وقال الحسن ، وقتادة ، في قوله تعالى : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد : ١٣] قالا : هو حائط بين الجنّة والنار ، وقال ابن أسْلَم : هو الذي قال الله :

---

(١) وهو حديث صحيح .
(٢) وإسناده ضعيف .

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ [الأعراف : ٤٦] . وهذا هو الصحيح ، وما رُوي عن عبد الله بن عمرو ، وكَعْب الأحبار : عن كُتب الإسرائيليِّين ، أنّه سورُ بَيْتِ المقدس ، فضعيف جدّاً ، فإنْ كان أراد المُتكلّم بهذا ضَرْب مِثَالٍ وَتَقْريباً للمُغيَّبِ بالشاهد ، فقَريبٌ ، ولعله مرادهما ، والله أعلم .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدّثني الرَّبيعُ بن ثعلب ، حدّثنا إسماعيل بن عَيّاش ، عن مُطْعِم بن المِقْدام الصَّنْعانيّ ، وغيره ، عن محمَّد بن واسع ، قال : كتب أبو الدَّرْداء إلى سَلْمان : يا أخي ، إيّاكَ أن تَجمع من الدُّنيا مالا تُؤدِّي شُكْرَه ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يُجاء بصاحب الدُّنيا أطاعَ اللهَ فيها ، ومالُهُ بَيْن يَدَيْه كلّما تكفّأ بِهِ الصراط قال له مالُهُ : امْضِ ، فقدْ أدّيْتَ حَقَّ اللهِ فيَّ » قال : « ثم يُجاءُ بصَاحب الدُّنيا الذي لم يُطع اللهَ فيها ، ومالهُ بَينَ كَتِفَيْه كُلَّما تكفَّأ بِهِ الصِّراطُ ، قال له ماله : ألا أدّيْتَ حَقَّ اللهِ فيّ ؟ فلا يزال كذلك حتى يَدْعو بالوَيْل والثُّبور »(١) .

وعن عُبَيْد بن عُمَيْر أنّه كان يقول : أيُّها الناس ، إنّه جسرٌ مَجْسُور أعلاه دَحْض مَزَلّة ، مرَّ الأولُ فنجا ، ومرَّ الآخِرُ ، فناجٍ ومخدوشٌ ، والملائكةُ على جَنَباتِ الْجِسْر يقولون : رَبِّ سلّم سَلِّم ، قال : وإنَّ الصّراط مثلُ السَّيْف ، على جِسر جَهنّم . وإنَّ عليه كَلالِيبَ وحَسَكاً ، والذي نفسي بيده إن تلك الكلاليب والحسك لأعرف بالمارِّين عليها ومن تأخذه منهم ومن تخدشه من الرجل بصاحبه وصديقه . والذي نفسي بيده إنّه لَيُؤخذُ بالكَلُّوب الواحدِ أكْثَرُ من ربيعةَ ، ومُضَر . رواه ابن أبي الدنيا .

وعن سعيد بن أبي هلال ، قال : بلغنا أنّ الصِّراط يومَ القيامة وهو الجِسْرُ يكون على بَعْضِ الناس أدقّ من الشّعر ، وبَعْضِ الناس مِثْلَ الوادي الواسع . رواه ابن أبي الدُّنيا . وهذا الكلام صحيح إن شاء الله .

وقال غيره : بلغني أن الصراط إنما يراه أدقّ من الشَّعْرة ، وأحدَّ من السيف ، الهالك الذي ليس بناجٍ ، ويكون على بعض الناس أوسع من القاع والميدان المتَّسع ، يمضي عليه كيف شاء .

وقال ابن أبي الدنيا أيضاً : حدّثنا الخليلُ بن عمرو ، حدّثنا ابن السَّمّاك الواعظ الزاهد ، قال : بلغني أنّ الصِّراط ثلاثةُ آلاف سنةٍ ، ألفُ سنةٍ يصعد الناس عليه ، وألفُ سنة يَسْتوي الناسُ على ظهره ، وألف سنة يَهْبطُ الناس .

وقال آخر : مَنْ وسَّع على نفسه الصراط في الدنيا ، ضاق عليه صراط الآخرة ، ومن ضيَّق على نفسه الصراط في الدنيا ، وسّع له الصراط في الآخرة .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا علي بن الْجَعْد ، حدّثنا شَريكٌ ، عن أبي قتادةَ ، عن سالم بن

---

(١) وفي إسناده ضعف .

أبي الْجَعْد ، قال : إن لِجَهنّم ثَلاثَ قَناطرَ ، قنطرة عليها الأمانة ، وقنطرة عليها الرَّحِم ، وقنطرة اللهُ عليها ، وهي المِرْصادُ ، فمن نجا من هاتين لم ينجُ من هذه ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] .

وقال عبيد [الله] بن العَيْزارِ : يُمَدُّ الصِّراطُ يوم القيامة بين الأمانة ، والرَّحِمِ ، ويُنادي مُنادٍ : ألا من أدَّى الأمانةَ ، ووَصَل الرَّحِمَ ، فَلْيَمضِ آمناً غيرَ خائف . رواه ابن أبي الدنيا .

وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة الفضيل بن عياض قال : بلغني أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة ، خمسة آلاف صعود ، وخمسة آلاف استواء على ظهره ، وخمسة نزول ، وهو أدقُّ من الشَّعَر ، وأحدُّ من السيف ، على متن جهنم ، لا يجوزه إلا كل ضامر مهزول من خشية الله سبحانه ، ثم يبكي الفضيل رحمه الله .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا محمد بن إدريس ، حدّثنا أبو تَوْبة الرَّبيعُ بن نافع الْحَلبيّ ، حدّثنا مُعاويةُ بن سَلَّام ، عن أخيه زيد بن سَلّام : أنه سمع أبا سَلّام ، حدّثني عبدُ الرحمن ، حدّثني رجل من كِنْدَة ، قال : دخلتُ على عائشةَ ، وبيني وبينها حجابٌ ، فقلت : إنّ في نفسي حاجةً لم أجد أحداً يشفيني منها ، قالت : ممّنْ أنت ؟ قلت : من كِنْدة ، قالت : منْ أيِّ الأجناد أنت ؟ قلت : من أهل حِمْص ، قالت : ماذا حَاجَتُك ؟ قلت : أَحَدَّثَكِ رسولُ الله ﷺ : أنّه سيأتي عليه ساعةٌ يوم القيامة لا يَملكُ فيها لأحدٍ شَفاعةً ؟ قالت : نعم ، لقد سألتُه عن هذا ، وأنا وهو في شِعارٍ واحد ، فقال : « نعم ، حين يُوضَعُ الصِّراطُ لا أَمْلِكُ لأحدٍ شيْئاً حتّى أعلمَ أيْنَ يُسْلَكُ بي ، وحين تَبْيَضُّ وجوهٌ وتَسْوَدّ وُجوهٌ ، حتَّى أنْظُرَ ما يُفعلُ بي ، وعند الجسر حتى يَسْتَحدَّ وَيَسْتَحرَّ » قلت : وما يستحدُّ ويستحرُّ ؟ قال : « يَسْتحدّ حتى يكونَ مثلَ شَفْرَةِ السَّيْفِ ، ويستحرُّ حَتّى يكون مثل الْجَمْرة ، فأمّا المؤمن ، فيُجيزُ لا يَضُرّه ، وأما المنافق فيتعلّقُ حتى إذا بلغ أوْسَطه حَزَّ في قَدَمَيْهِ ، فيهوي بيديه إلى قدميه » قال : « هل رأيتِ من يَسْعى حَافياً فتأخذُه شَوْكةٌ حتى تكاد تُنْفِذُ قَدَمَيْهِ ؟ فإنّه كذلك يهوي بيده ورأسه إلى قدميه ، فتَضْرِبهُ الزَّبانيَةُ بخُطّافٍ في نَاصِيَته ، وقدَمَيْه ، فيقْذَفُ به في جهَنّم يَهْوي فيها مِقْدارَ خَمسينَ عاماً » فقلت : ما يَثْقُلُ الرَّجُلُ ، قالت : بل يثقل ثِقَلَ عَشْر خَلِفاتٍ[1] سِمَانٍ ، فيَوْمئذٍ ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن : ٤١] . غريب .

فصل

قال الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ

---

(١) الخَلِفات ، جمع خَلِفة ، وهي الناقة الحامل .

شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٦٨ ـ ٧٢] أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أنّه سيجمعُ بني آدم مما كان يطيع الشياطين ويعبدها مع الله عزَّ وجلَّ ، ويطيعها فيما تأمره به من معاصي الله عزَّ وجلَّ ، فإن طاعة الشياطين هي عبادتها ، فإذا كان يوم القيامة جمع الشياطين ومن أطاعهم ، وأحضرهم حَوْل جهنَّم جثياً ، أي جُلوساً على الرُّكَب ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ [الجاثية : ٢٨] وعن ابن مسعود : قِياماً ، وهمْ يُعاينُون هَوْلها ، وبَشاعة منظرها ، وقد جَزموا أنّهم دَاخلُوها لا محالةَ ، كما قال تعالى : ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [الكهف : ٥٣] وقال تعالى : ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ [الشورى : ٢٢] وقال تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ [الفرقان : ١٢ ـ ١٦] . قال تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٦ ـ ٨] .

ثم أقسم تعالى أنَّ الخَلْق كُلَّهم سَيردُون جَهنّم ، فقال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] قال ابن مسعود : قَسَماً وَاجباً .

وفي « الصحيحين » من حديث الزهريّ ، عن سعيد بنِ المُسيّب ، عن أبي هريرة ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « منْ ماتَ لَه ثلاثةٌ منَ الولدِ لم تمسّه النار إلا تحلّةَ القَسَم »[1] .

وروى الإمامُ أحمد ، عن حسن ، عن ابن لَهيعة ، عن زَبّان بن فائد ، عن سهل بن مُعاذ بن أنس ، عن أبيه : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « منْ حَرَسَ منْ وراءِ المُسْلمين مُتطوعاً لا بِأجْرِ سُلْطانٍ ، لم يرَ النارَ بعَيْنيه إلاّ تحِلَّة القَسَم » قال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ . . . وذكر تمام الحديث[2] .

وقد اختلف المفسّرون في المراد بالورود ما هو ؟ والأظهرُ كما قررّناه في «التفسير » أنّه المرور على الصراط ، والله أعلم ، كما قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢].

وقال مجاهد : الحُمّى حظُّ كلِّ مؤمنٍ منَ النار ، ثم قرأ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] .

وقد روى ابن جرير في « تفسيره » حديثاً يُشبه هذا ، فقال : حدّثني عِمْرانُ بنُ بكّار الكَلاعيّ ، حدّثنا أبو المُغيرة ، حدّثنا عبد الرحمن بنُ يزيد بن تميم ، حدّثنا إسماعيلُ بن عبيد الله ، عن

(١) رواه البخاري رقم (٦٦٥٦) ومسلم (٢٦٣٢) بلفظ : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسّه النار إلا تحلّة القسم » .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٣٧ و٤٣٨) وإسناده ضعيف .

أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : خرج رسول الله ﷺ يعودُ رَجُلاً من أصْحابِه وَعِكاً ، وأنا معه ، ثم قال : « إنَّ الله تعالى يقول : هي ناري أُسَلِّطُها على عبدي المُؤمن لتكون حَظَّهُ من النَّارِ في الآخرة » . وهذا إسناد حسن[١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرحمن ، عن إسرائيل ، عن السُّدِّيّ ، عن مُرة ، عن عبد الله بن مسعود ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ ﴾ [مريم : ٧١] قال رسول الله ﷺ : « يَرِدُ الناسُ [النارَ] ، كلُّهم ، ثُمَّ يَصْدُرونَ عنها بأعمالهم » . وهكذا رواه الترمذي من حديث إسرائيل ، عن السُّدّيّ ، به ، مرفوعاً ، ثم رواه من حديث شُعْبَة ، عن السُّديّ ، به ، فوقَفَهُ[٢] .

وهكذا رواه أسْباطٌ عن السُّدِّيّ ، عن مُرَّةَ ، عن ابن مسعود ، قال : يرد الناس جميعاً الصراط ، ورُودهم قيامُهم حَوْلَ النار ، ثم يَصْدُرون عن الصِّراطِ بأعْمالِهِمْ ، فمنهم منْ يَمُرّ كمَرّ البرْقِ ، ومنْهُمْ منْ يَمُرُّ مِثْلَ الرِّيح ، ومنهم من يَمُرُّ مثل الطير ، ومنهم من يمُرُّ كأجْوَدِ الخَيْل ، ومنهم من يَمُر كأجْودِ الإبل ، ومنهم من يمُرّ كعَدْوِ الرَّجُلِ ، حتَّى إنَّ آخِرَهُم مَرّاً رَجُلٌ نورُه على موضع إبهامَيْ قَدَميه ، يَمُرّ يَتَكفَّأُ به الصِّراطُ ، والصراط دَحْضٌ مَزِلَّةٌ عليه حَسَكٌ كحَسَكِ القَتاد ، حافتاه ملائكةٌ معهم كلاليبُ من نارٍ يَخْتطفُون بها الناس . . . » وذكر تمام الحديث . وله شواهد مما مضى ، ومما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وقال سفيان الثوريّ ، عن سلمةَ بن كُهَيْل ، عن أبي الزّعْراء ، عن ابن مسعود ، قال : يأمُرُ اللهُ بالصِّراط فَيُضْرَبُ على جهنّم ، فيَمُرّ الناس عليه على قَدْرِ أعمالهم ، أوّلُهمْ كلَمحِ البَرْقِ ، ثم كمَرِّ الرّيح ، ثم كأسرع البهائم ، ثم كذلك ، حتى يَمُرّ الرَّجُلُ سَعْياً ، حتى يمُرّ الرَّجل ماشياً ، ثم يكون آخرُهُمْ يَتَلبَّطُ على بَطنه ، ثم يقول : يا رَبّ ، لِمَ أبْطأتَ بي ؟ فيقول : لم أُبْطئ بك ، إنما أبْطأ بكَ عملُك .

ورُوي نحوهُ من وجهٍ آخرَ عن ابن مسعود مرفوعاً[٣] والموقوف أصحّ ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو نَصْر الوائليُّ في كتاب « الإبانة » : أخبرنا محمد بن محمد بن الْحَجَّاج ، أنبأنا محمد بن عبد الرحمن الرَّبَعيّ ، حدّثنا عليّ بنُ الحُسَيْن ، أبو عُبَيْد[٤] ، حدثنا زكريّا بنُ يحيى أبو السُّكَين ، حدّثنا عبدُ الله بنُ صالح ، حدّثنا أبو هَمَّامٍ القُرَشيّ ، عن سُليمان بن المُغيرة ، عن

(١) أقول : في سنده عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » .
(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٣٥) والترمذي (٣١٥٩) و(٣١٦٠) وهو حديث حسن .
(٣) رواه الطبراني في الكبير (٩٧٦٣) مرفوعاً .
(٤) في (آ) : أبو عبيد الله ، والتصحيح من كتب الرجال .

قَيْس بن مُسْلم ، عن طاوس ، عن أبي هريرة ، قال : قال [لي] رسول الله ﷺ : « علِّم الناسَ سُنَّتي وإن كرهوا ذلك ، وإنْ أحببتَ ألاّ تُوقَف على الصراط طَرْفة عين حتى تَدْخُل الْجنّة فلا تُحْدِثَنَّ في ذاتِ الله تعالى حَدَثاً برَأْيك » ثم قال : وهذا غريب الإسناد ، والمَتْن حسن[١] أورده القرطبيّ .

ورواه الضياء في تعاليقه بزيادة في متنه على ما ذكره القرطبي .

وقال الحسن بن عرفة : حدّثنا مَرْوانُ بن معاوية ، عن بكّار بن أبي مَرْوانَ ، عن خالد بن مَعْدَانَ ، قال : قال أهل الْجنّة بعدما دخلوا الجنّة : ألم يَعِدْنا رَبُّنا الورُود على النار ؟ فيقال : قد مَرَرْتُمْ عليها وهي خامِدَةٌ .

وقد ذهب آخرون إلى أن المُراد بالورُود الدّخول فيها ، قاله ابنُ عباس ، وعبدُ الله بن رَوَاحة ، وأبو مَيْسَرة ، وغيرُ واحد .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا سُليمانُ بن حَرْب ، حدّثنا غالبُ بن سُليمانَ ، عن كثير بن زياد البُرْساني ، عن أبي سُميَّة ، قال : اختلفنا في الورود ، فقال بعضُنا : لا يدخُلها مؤمن ، وقال بَعْضُنا : يدخلونها جَميعاً ، ثم يُنَجِّي اللهُ الّذين اتّقوا ، فلقيتُ جابرَ بن عبد الله ، فقلت له : إنّا اختلفنا في الورود ، فقال : يردونها جميعاً ، وقال سليمان مرة : يدخلونها جميعاً ، فأهوى بإصبعيه إلى أذنيه وقال : صُمَّتا ، إن لم أكُنْ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يَبْقَى بَرّ ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمن بَرْداً وسَلاماً كما كانت على إبراهيم ، حتى إنَّ للنار ضجيجاً من بَرْدِهم ، ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] » . لم يخرجوه في كتبهم ، وهو حسن[٢] .

وقال أبو بكر أحمد بن سَلْمان[٣] النجّاد : حدّثنا أبو الحسن ، محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدة السَّليطي ، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد ، البُوشَنْجيّ ، حدّثنا سُلَيم[٤] بن منصور بن عمّار ، حدّثنا أبي منصور بن عمّار ، حدّثني بشير[٥] بن طَلْحة الجذامي[٦] ، عن خالد بن دُرَيْك ، عن يَعْلى بن مُنْيَةَ ، عن رسول الله ﷺ قال : « تقول النار للمؤمن يوم القيامة : جُزْ يا مؤمن ، فقد أطفأ نُورُك لَهَبي » . وهذا حديث غريب جداً .

---

(١) أقول : في سنده أبو همّام القرشي ، قال يحيى : كذاب ، وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات رقم (٥١٣) .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٢٩) أقول : وفي إسناده أبو سمية ، وهو مجهول .

(٣) في (آ) : سليمان ، وهو خطأ .

(٤) في (آ) : سليمان .

(٥) في الأصول : بشر .

(٦) في الأصل : الحرامي .

وقال ابن المبارك ، عن سفيان ، عن رجل ، عن خالد بن مَعْدَان ، قال : قالوا : أَلَمْ يَعِدنا رَبُّنا أنّا نَرِدُ النّار ؟ فيقول : إنّكم مَرَرْتُمْ عليها وهي خامدة .

وفي رواية عن خالد بن مَعْدان ، قال : إذا دخل أهل الجنّة الجنّة قالوا : ألم يَقُلْ رَبُّنا : إنّا نَرِدُ النار ؟ فيقال : إنّكم وَرَدْتُموها ، فألْفَيْتُموها رَماداً .

وقال ابن جرير : حدّثنا يعقوب ، حدّثنا ابن عُلَيّة ، عن الجُرَيْريّ ، عن أبي السَّليل ، عن غُنَيْم بن قَيْس ، قال : ذكروا ورود النار ، فقال [كعب] : تُمثّل النارُ للناسِ كأنّها مَتْنُ إهالة[1] ، حتى يَسْتَوي عليها أقْدامُ الخَلائِق ، بَرِّهِم وفاجِرِهم ، ثُمَّ يناديها مُنادٍ : أن أمْسكي أصْحَابك ، وَدَعي أصْحابي ، قال : فتَخسِف بهم بكُلّ وَليٍّ لها ، فلَهِيَ أعْلَم بهم من الرَّجُل بِوَلَده ، ويَخْرُج المؤمنون منها نديَّةً ثيابُهُم . ورُوي مثلهُ عنه أيضاً .

وقال أحمد : حدّثنا محمد بن إدريس ، حدّثنا الأعمش ، عن أبي سُفْيَان ، عن جابر ، عن أم مُبَشّر ، امرأةِ زيد بن حَارِثَةَ ، قالت : كان رسول الله ﷺ في بيت حَفصَةَ ، فقال : « لا يَدْخُلُ النارَ أحدٌ شَهدَ بَدْراً والحُدَيبية » قالت حفصة : أليْسَ اللهُ تعالى ، يقول : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] قالت : قال رسول الله ﷺ : « فمَه ؟ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] » .

ورواه أحمد أيضاً ، عن أبي مُعاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سُفْيان ، عن جابر ، عن أمِّ مُبَشّر ، عن حَفْصة ، عن النبيّ ﷺ . . . فذكر مثله . ورواه مسلم من حديث ابن جُرَيْج ، عن أبي الزُّبَيْر ، سمع جابراً عن أمِّ مُبَشِّر . . . فذكر نحوه ، وقد تقدَّم[2] .

وسيأتي في أحاديث الشفاعة كيفيَّةُ جَوازِ المؤمنين على الصراط ، وتفاوُتُ سَيْرِهم عليه ، بحسب أعمالهم ، وقد تقدم من ذلك جانب ، وتقدّم عنه ﷺ أنه أوّلُ الأنبياء إجازةً بأمَّته على الصراط .

وعن عبد الله بن سَلامٍ قال : محمَّدٌ أَوَّلُ الرُّسُلِ إجازةً على الصراط ، ثم عيسى ، ثم موسى ، ثم إبراهيم ، حتى يكون آخرهم إجازةً نوحٌ عليه الصلاة والسلام ، قال : فإذا خَلَص المؤمنون من الصراط تلقّتهم الخَزَنَةُ يَهدونَهُمْ إلى الْجنَّة .

ثم إذا خلصوا من الصراط ، وأتوا على آخره ، فليس بعد ذلك إلا دخول الجنة ، كما سيأتي .
وثبت في الصحيح : « من أنفق زَوْجين في سَبيل الله دَعَتْهُ خَزَنةُ الْجَنَّةِ : يا عبد الله ، هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دُعيَ من بَابِ الصلاة ، ومنْ كانَ من أهْلِ الزكاة دُعيَ من باب الزكاة ، ومن كان من أهل الصِّيام دُعيَ من باب الرَّيَّانِ » فقال أبو بكر : والله يا رسول الله ، ما على أحدٍ يُدْعى من أيِّها

(١) المتن : الظهر . والإهالة : ما يؤتدم به من الأدهان .
(٢) رواه أحمد في المسند (٦/٣٦٢) و(٢٨٥) ومسلم رقم (٢٤٩٦) .

شاءَ من ضرورة ، فهل يُدْعَى أحدٌ منها كُلّها ؟ قال : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر ، فإذا دَخلُوا الْجنَّة هُدُوا إلى مَنازِلهم ، فَلَهُمْ أعْرَفُ بها من منازلهم التي كانت في الدنيا » . كما سيأتي بيانه في الصحيح عند البخاريّ(١) .

وقد قال الطبرانيّ : حدّثنا إسحاقُ بن إبراهيم الدَّبَريّ ، عن عبد الرزاق ، عن سُفْيانَ الثَّوريّ ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنْعُم ، عن عطاء بن يَسار ، عن سَلْمانَ الفَارسيّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أحد إلاّ بجَوازٍ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـٰنِ الرَّحيم ، هذا كتابٌ من الله لفلان ابن فلان ، أدخِلوه جَنَّةً عَاليَةً قُطُوفُها دَانيةٌ » .

وقد رواه الحافظُ الضِّياءُ ، من طريق سُلَيْمانَ التَّيْميّ ، عن أبي عثمان النَّهْدي ، عن سَلْمانَ الفَارسيّ : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « يُعْطى المُؤْمنُ جَوازاً على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيزِ الحكيم لِفُلان ابن فلان ، أدْخِلُوهُ جنَّةً عاليَةً قُطوفُها دَانيةٌ »(٢) .

وقد روى الترمذيُّ في « جامعه » عن المُغيرة بن شُعْبَةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « شِعارُ المؤمن على الصِّراط : رَبِّ سَلِّم رَبِّ سَلِّمْ » ، ثم قال : غريب(٣) .

وفي « صحيح مسلم » : « ونَبيُّكُمْ يَقُول : رَبِّ سَلِّمْ رَبِّ سَلِّمْ »(٤) .

وتقدَّم أن الأنبياء كلَّهُم يقولون ذلك ، وكذلك الملائكة كلهم يقولون ذلك ، وثبت في « صحيح البخاري » من طريق قَتادَةَ ، عن أبي المُتَوكِّلِ الناجيّ ، عن أبي سعيد الخُدْريِّ : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا خَلَص المُؤمنون من النار حُبسُوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فاقتُص لهم مظالم كانَتْ بَيْنهُم في الدّنيا ، حتّى إذا نُقُّوا وهُذِّبُوا أُذن لَهُمْ بدخول الجنة ، فلأَحدُهُمْ أهْدَى بمنزله في الْجنَّة منه بمنزله كانَ في الدنيا »(٥) .

وقد تكلّم القرطبيُّ في « التذكرة » على هذا الحديث ، وجعل هذه القنطرة صِراطاً ثانياً للمؤمنين خاصةً ، ولَيْسَ يسْقُط أحدٌ منه في النار . قلت : هذه بَعْدَ مُجَاوزةِ النَّارِ ، فقد تكون هذه القنطرةُ مَنْصُوبةً على هَوْلٍ آخَرَ ممّا يَعْلمُهُ اللهُ ، ولا نَعلمه نحنُ ، والله أعلم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا سُوَيْد بن سعيد ، حدّثنا صالحُ بن مُوسى ، عن لَيْثٍ ، عن عُثْمانَ ،

---

(١) رواه البخاري رقم (١٨٩٧) ومسلم رقم (١٠٢٧) .
(٢) رواه الطبراني في « الكبير » رقم (٦١٩١) وابن عدي في « الكامل » (١/٣٣٨) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه الترمذي رقم (٢٤٣٢) .
(٤) رواه مسلم رقم (١٩٥) .
(٥) رواه البخاري رقم (٢٤٤٠) .

عن محمَّد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى يوم القيامة للمؤمنين : جُوزُوا النَّارَ بِعفْوي ، وادْخُلُوا الْجَنَّة بِرَحْمتي ، فاقْتَسِمُوها بفَضائل أعْمالكم » . وهذا حديث غريب ، وقد رواه أبو معاوية ، عن إسماعيل بن مُسْلِم ، عن قتادةَ ، عن عبد الله ، من قوله [مثله] وهو مُنْقطعٌ ، بل مُعْضلٌ .

وقد قال بعضُ الوعَّاظ فيما حكاه القُرْطبيّ ، في « التذكرة » : فتوَهَّمْ [نفسك] يا أخي إذا صِرْتَ على الصِّراط ، ونَظَرْتَ إلى جهنّم تَحْتَكَ سَوْداءَ مظلمة مُدْلَهِمَّة ، وقد تلظى سعيرُها ، وعلا لَهيبُها ، وأنت تمشي أحياناً ، وتَزْحفُ أخْرى ، ثم أنشد :

أَبَـتْ نَفْسي تَتُوبُ فما احْتيالي ... إذا بَرَزَ العِبَادُ لِذي الْجَلالِ
وقامُوا مِنْ قُبُورِهِمُ حَيارَى ... بِأَوْزارٍ كَأَمْثَالِ الْجِبالِ
وقَدْ نُصِبَ الصِّراطُ لِكَيْ يَجُوزوا ... فمِنْهُمْ مَنْ يُكَبُّ على الشِّمَال
ومِنْهُمْ مَنْ يَسيرُ لِدَارِ عَدْنٍ ... تَلَقَّاهُ العَرائِسُ بالْغَوالي(١)
يقُولُ لَهُ الْمُهَيْمِنُ : يا وَلِيِّي ... غَفَرْتُ لَكَ الذُّنُوبَ فلا تُبَالي

فصل

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٨٥ ـ ٨٧] ورد في حديث كما سيأتي أنَّهم يُؤْتون بِنَجائِبَ من الْجَنَّةِ يَرْكَبُونها ، وأنّهم يُؤْتَونَ بِهَا عِنْد قيامهم من قُبورهم . وفي صِحَّته نظر ، إذْ قد تقدّم في الحديث أنّ الناس كُلّهم يُحْشَرُون مُشاةً حُفاةً عُراةً ، ورسول الله ﷺ يحشر وحده راكباً ناقةً حمراء ، وبلالٌ يُنادي بالأذان بين يَدَيْه ، فإذا قال : أشْهدُ أنَّ محمَّداً رسول الله ، صدَّقه الأوّلون ، والآخِرُون(٢) . فإذا كان هذا من خصائص رسول الله ﷺ ، فإنّما يكون إتيانُهم بالنجائب بعد الْجَوازِ على الصراط ، وهو الأشبه ، والله أعلم .

وقد روي في حديث الصُّور : أن المتقين يُضْربُ لهم حِيَاضٌ يَردونها بعد مُجاوزة الصراط ، وأنّهم إذا وَصلُوا إلى باب الْجنّة ، يستشفعون بآدم ، ثم بنوح ، ثمّ بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، ثم بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فيكون رسولُ الله ﷺ هو الذي يشفع لهم في دخول الجنة ، والله أعلم . كما ثبت في « صحيح مسلم » ، من حديث أبي النّضر ، هاشم بن القاسم .

---

(١) أي بالطيب .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا من حديث يونس بن سيف مرسلاً .

ورواه أحمدُ ، عنه ، عن سُليمانَ بن المُغيرَةِ ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « آتي بابَ الْجنّة يوم القيامة فأستفتحُ ، فيقول الخازن : منْ أنْت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بكَ أُمِرْتُ ألاّ أفْتَحَ لأحدٍ قَبْلَك »[١] .

وقال مسلم : حدّثنا أبو كُرَيْب ، محمَّد بن العلاء ، حدّثنا معاويةُ بن هشام ، عن سُفيانَ ، عن المختار بن فُلْفُل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أكثرُ الأنبياءِ تَبَعاً يومَ القيامة ، وأنا أوَّلُ منْ يَقْرَعُ بابَ الْجنّة »[٢] .

وفي « صحيح مسلم » : « يجمع الله تعالى الناس ، فيقومُ المؤمنون حين تُزْلَفُ لهم الْجنَّةُ فيأتونَ آدم عليه السلام فيقولون : يا أبانا ، استفتحْ لنا الْجنَّة ، فيقول لهم : وهل أخرجكم من الجنة إلاَّ خَطيئةُ أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك . . . » وذكر تمام الحديث كما تقدم[٣] ، وهو شاهدٌ قويّ لِمَا ذُكر في حديث الصُّور : من ذهابهم إلى الأنبياء مَرَّة ثانيةً ، يستشفعون إلى الله بهم في دخولهم الْجنّة ، فتَنْحَصرُ القِسْمة أيضاً ، ويَتَعيّن لها رسولُ الله ﷺ ، كما تَعَيَّن للشفاعة الأولى العُظْمَى في الفصل بين الخلائق ، كما تقدَّم .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدّثنا سُوَيْد بن سعيد ، أنبأنا علي بن مُسْهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، حدّثنا النُّعْمانُ بن سعد ، قال : كُنَّا جُلوساً عند عليّ ، فقرأ هذه الآية : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم : ٨٥ ـ ٨٦] قال : لا والله ما على أرجُلِهم يُحْشَرُون ، ولا يُحْشَرُ الوَفْدُ على أرجُلِهم ، ولكن يُؤْتَون بنُوقٍ لم يَرَ الخَلائقُ مثْلَها ، عليها رَحَائلُ منْ ذَهَب ، فيركبُون عليها ، حتَّى يَضْربُوا أبْوابَ الْجنَّة .

ورواه ابن جَرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث عبد الرحمن بن إسحاق ، وزاد : وفداً يفدون عليها رحائل منْ ذَهَب ، وأزِمَّتُها الزَّبَرْجَدُ ، والباقي مثلُه[٤] .

وقال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبي ، حدّثنا أبو غَسَّان ، مالك بن إسماعيل النهْدِيّ ، حدّثنا مَسْلَمةُ بن جَعْفر البَجَلي ، سمعتُ أبا مُعاذٍ البَصْريّ ، قال : كان علي بن أبي طالب يوماً عندَ رسول الله ﷺ ، فقرأ عليّ هذه الآية ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم : ٨٥] فقال : ما أظُنُّ الوَفْد إلاّ الرَّكْبَ يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، إنّهم إذا خَرجُوا من قُبورهم يُسْتَقْبلُونَ » ـ أو

---

(١) رواه مسلم رقم (١٩٧) وأحمد في المسند (٣/ ١٣٦) .
(٢) رواه مسلم (١٩٦) .
(٣) رواه مسلم (١٩٥) .
(٤) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١/ ١٥٥) وإسناده ضعيف .

قال: « يُؤتَونَ ـ بنُوقٍ بيض لها أجْنحةٌ، وعلَيْها رِحَالُ الذَّهب ، شِرَاكُ نِعَالِهِمْ نُورٌ يَتلألأُ ، كلُّ خُطوةٍ منها مَدُّ البَصَر ، فيَنْتهُون إلى شَجَرةٍ يَنْبُع من أصْلِها عَيْنانِ ، فيَشربُون من إحداهما ، فتَغْسلُ ما في بُطونِهم من دَنَسٍ ، ويَغْتسلُونَ منَ الأخرى ، فلا تَشْعثُ أبشارُهم ، ولا أشعارهم بَعْدَها أبداً ، وتَجْري عليْهمْ نَضْرَة النَّعيم ، فينْتَهونَ ـ» أو قال : « فيأتون ـ باب الْجنَّة ، فإذا حَلْقةٌ منْ ياقُوتةٍ حَمْراءَ ، على صَفَائح الذّهب ، فيَضْربُونَ بالْحَلْقَةِ على الصفيحة فيُسْمعُ لها طنين ، يا عليّ ، لم يسمع الخلائق مثله ، فيبلغ كُلَّ حَوْرَاءَ أنّ زَوْجَها قَدْ أقْبَل ، فتَبْعَثُ قَيِّمَها فيفْتَحُ له، فإذا رآه خَرَّ لَهُ » قال مسلمة: أُراه قال: ساجداً، « فيقول له: ارفع رأسَكَ، إنّما أنا قيِّمُك وُكِّلْتُ بأمْرِك، فيَتْبَعُه، ويقفو أثَرهُ ، فَتَسْتَخِفُّ الْحَوْراءَ العَجَلَةُ، فتخرُج من خِيام الدُّرّ ، والياقوت ، حتى تَعْتَنقَهُ ، ثم تقول : أنت حِبِّي وأنا حِبُّك ، وأنا الخالدةُ التي لا أموت ، وأنا الناعمةُ التي لا أبأس ، وأنا الراضيةُ التي لا أسْخطُ ، وأنا المُقيمةُ التي لا أظْعَن ، فيَدْخُل بَيْتاً من أُسِّه إلى سَقْفه مئةُ ألفِ ذراعٍ، بناؤه على جَنْدلِ اللؤلؤ [والياقوت]، قد بني على طرائق، أحمر ، وأصْفر ، وأخْضر ، ليس منها طريقةٌ تُشاكِلُ صَاحبتَها ، وفي البيت سبعون سريراً ، على كُلّ سرير سبعون حَشِيَّة[1] ، على كُلِّ حَشيَّةٍ سبعون زَوْجَةً ، على كُلِّ زَوجةٍ سبعون حُلَّة ، يُرَى مُخُّ ساقِهَا من وَراءِ الْحُلَلِ ، يَقْضي جِماعَهن في مقدار لَيْلَةٍ من لَيالِيكُمْ هذه ، الأنْهارُ من تَحْتِهِمْ تَطَّرِدُ ، أنهارٌ ﴿ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ قال: «صافٍ لا كَدَر فيه، ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾ لم يَخْرُج من ضُروع الماشية، ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ لم تَعْصِرْها الرجالُ بأقْدامِها ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥] لم يَخْرُجْ من بُطون النَّحْل ، فيَسْتَحلي الثِّمار ، فإن شاء أكل قائماً ، وإن شاءَ قَاعِداً ، وإن شَاءَ مُتّكِئاً » ثم تلا : « ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٤] فيَشْتَهي الطَّعَام ، فيأتيه طَيْرٌ أبيض ـ » قال : وَرُبَّما قال: « أخْضر ـ فتَرْفَع أجنحتَها ، فيأكُلُ من جُنُوبِهَا أيَّ الألوان شاءَ، ثم يَطيرُ، فيَذْهبُ، فيدْخُل المَلَكُ، فيقول : سَلامٌ عليكم ، تِلْكمُ الْجنَّة التي ﴿ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف] ولو أنّ شَعرةً من شَعْرِ الْحَوراءِ وقَعتْ إلى الأرض لأضاءت الأرض منها ، ولكانت الشَّمْسُ مَعها سَواداً في نُورٍ »[2] .

وقد رَوَيناهُ في « الْجَعْديّات » من كلام عليّ بن أبي طالب موقوفاً عليه ، وهو أشْبهُ بالصحة ، والله أعلم .

فقال أبو القاسم البَغَويّ : حدّثنا عليّ بن الجعد ، أنبأنا زُهَيْر، عن أبي إسحاق ، عن عاصم ، عن عليّ قال : ذَكَرَ النارَ فعظّم أمرها ، ذِكْراً لا أحْفظُه ، قال : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر : ٧٣] حَتَّى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدُوا عنده شَجْرةً يَخرُج من تَحتِ ساقِها عَيْنانِ

---

(١) الحشية : الفراش المحشو .

(٢) وإسناده في المرفوع ضعيف .

تَجْريان ، فعَمَدُوا إلى إحداهما ، فكأنّما أُمروا بها ، فَشربُوا منها ، فأذهبت ما في بطونهم من قَذى أو أذى ، أو بأس، أو غِلٍّ، ثم عَمدُوا إلى الأخرى، فتَطَهَّرُوا منها ، فجَرتْ عليهم نَضْرةُ النَّعيم ، ولم تَغبَرَّ أشعارُهم بعدَها أبداً ، ولا أبشارهم ، ولم تَشْعَثْ رُؤوسهم ، كأنّما دُهنُوا بالدِّهان ، ثم انتهوا إلى الْجنَّةِ ، فقالوا : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] ثم تَلْقاهُمُ الوِلْدانُ فيُطيفُونَ بهم كما يُطيفُ وِلْدانُ أهل الدُّنيا بالحَميم يَقْدَمُ عليهم ، يقولون : أبْشرُوا بما أعَدَّ الله لكم من الكرامة ، ثمّ يَنطلق غلامٌ من أولئك الوِلْدانِ إلى بَعْضِ أزواجه من الْحُورِ العين ، فيقول : جاء فُلانٌ باسمه الذي كان يُدْعَى به في الدُّنيا ، قالت : أنْتَ رأيْته ؟ قال : نعم أنا رَأَيْتُهُ ، وَهُوَ بإِثْرِي ، فيَسْتخفُّ إحداهُنَّ الفَرَحُ ، حتّى تَقُومَ على أُسْكُفَّةِ بَابِها ، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بُنْيانِه فإذا جَنْدَلُ اللُّؤلؤ ، فوقه صَرْحٌ أحْمرُ وَأخْضرُ وأصْفرُ من كلِّ لون ، ثم رفع رأسه ، فنظر إلى سقفه ، فإذا مثلُ البَرْق ، ولولا أنَّ الله قَدَّر ألاّ يذهب بصره لألَمَّ أن يَذْهب ببصره ، ثم طَأْطَأَ رَأْسَهُ ، فإذا أزواجُه ، ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية : ١٤ ـ ١٦] ثم اتّكؤوا : فقالوا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٣] ثم ينادي مُنادٍ : تَحْيَوْنَ فلا تَمُوتون أبداً ، وتُقيمُونَ فلا تَظْعَنُونَ أبداً ، وتَصِحُّونَ فَلا تَمْرَضُونَ أبداً[١] .

وهذا الأثرُ يقتضي أنَّ تغيير الشّكْل من الحال الذي كان الناسُ عليه في الدُّنيا إلى طول ستين ذِراعاً ، وعَرْض سَبْعَة أذْرُع ، كما هي صفة كُلِّ منْ دَخل الجنة ، من صغير وكبير كما ورد به الحديث ، يكون عند هاتين العينين اللّتَيْن يَغْتسلُون من إحداهما ، فتجري عليهم نضرة النعيم ، ويشربون من الأخرى فتَغْسلُ ما في بُطونهم من الأذَى ، فيتجدد لهم الطول والعرض ، وذهاب الأذى وجريان نَضْرة النَّعيم ، بعد الغسل والشرب ، وهذا أنسب وأقرب ممَّا جاء في الحديث المتقدّم ، أنّ ذلك يكون في عَرَصاتِ القيامة ، وهو ضعيف الإسناد ، وأبْعَد من هذا مَنْ زَعَمَ أنّ ذلك يكون عند الخروج من القبور ، لما يُعارضه من الأدلة الدالة على خلاف ذلك ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك : حدّثنا سُلَيْمان بن المُغيرة ، عن حُمَيْد بن هلال ، قال : ذُكرَ لنا أن الرجل إذا دَخَل الجَنّة صُوِّر صُورَة أهْلِ الْجنّة ، وأُلْبسَ لباسَهُمْ ، وحُلّي حِلْيَتَهُمْ ، وأُرِيَ أزواجه وخَدَمه ، يأخذه سُوَارُ فَرَحٍ[٢] ، لو كان ينبغي له أن يَمُوتَ لماتَ من شدة سُوَارِ فَرَحِه ، فيقال له : أرأيتَ سُوارَ فَرَحك هذا ، فإنّه قائم لك وباقٍ أبداً .

وقال ابن المبارك : حدّثنا رِشْدِينُ بن سَعْد ، عن زُهْرة بن معبد القُرَشيّ ، عن أبي عبد الرحمن

(١) « الجعديات » (٢٥٨٠) وفي إسناده ضعف .
(٢) أي دب فيه الفرح دبيب الشراب .

الْحُبليّ ، قال : إنّ العبد أوّلَ ما يَدْخُل الْجنّةَ يتلقّاهُ سبعون ألف خادم ، كأنهم اللؤلؤ .

قال ابن المبارك : وحدّثنا يحيى بن أيُّوب ، حدّثني عُبَيد الله بن زَحْر ، عن محمد بن أيُّوب[1] ، عن أبي عبد الرحمن المعافري ، قال : إنّه ليُصَفُّ للرَّجُل من أهْلِ الْجنّةِ سِماطَانِ ، لا يُرَى طَرفَاهُما من غِلمانِه ، حتّى إذا مَرَّ مَشَوْا وَراءه .

ورَوى أبو نُعَيْم ، عن سَلمة ، عن الضحّاك بن مُزاحم ، قال : إذا دخلَ الْمُؤْمنُ الْجنّةَ دخل أمامَه مَلَك فيأْخُذُ به في سِكَكِها ، فيقول له : انظر ما ترى ؟ قال : أرى أكثرَ قُصورٍ رأيْتُها من ذهب ، وفِضّةٍ، وأكثرَ أَنيس ، فيقول الملَك : إنّ هذا أجْمعَ لك ، فإذا رُفع لهم استقبلوه : نحنُ لك ، نحنُ لَك .

وقال أحمد بن أبي الْحَواريّ ، عن أبي سُليمانَ الدّارانيّ : أنّه قال في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] قال : المُلْك الكبير ، أنّ المَلَك يأتي بالتُّحْفَةِ إلى وَليّ الله عزَّ وجلَّ ، فما يَصلُ إليه إلاّ بإذْنٍ بعد إذن ، يقول الملَك لحاجبه : استأذِنْ لي على وَليّ الله ، فيُعْلِمُ ذلك الحاجبُ حَاجباً آخَرَ ، وحَاجِباً بَعْد حاجِبٍ ، ومنْ دَارٍ إلى دار حتى ينتهيَ إلى ولي الله عزَّ وجلَّ بما أُمر به ، ومن داره إلى دار السَّلامِ ، باب يَدْخُلُ منه الوليُّ على رَبّه ، متى شاء بلا إذْنٍ ، ورسولُ ربِّ العِزّةِ لا يَدْخُلُ عليه إلا بإذْنٍ .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا خالدُ بن خِدَاشٍ ، حدّثنا مَهْديُّ بن ميمون ، عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب ، عن بِشْر بن شَغَاف : قال : كُنَّا جُلُوساً إلى عبد الله بن سَلامٍ ، فقال : إنَّ أكرم خَليقَةٍ على الله أبو القاسم ﷺ ، وإنّ الْجَنّةَ في السماء ، وإنّ النّار في الأرض ، فإذا كان يومُ القيامة بَعثَ اللهُ الْخليقَةَ أُمّةً أمّةً ونَبيّاً نَبيّاً ، ثم يُوضعُ جِسْرٌ على جهنّم ، ثم يُنادي مُنادٍ : أيْنَ أحْمدُ وأُمّتُهُ ؟ فيقوم ، وتَتْبَعُهُ أمّته ، برُّها وفَاجِرُها ، فيأخذون على الْجِسْر ، ويَطْمِسُ اللهُ أبْصارَ أعدائه ، فيتَهافَتُونَ فيها من شِمَالٍ ويَمين ، ويَنْجُو النبيُّ ﷺ ، والصالحون معه ، وتَتَلقاهم الملائكةُ ، ويُبوِّئُونهم منازِلَهُمْ من الْجَنّة على يَمينك ، على يَسارِك ، حتى يَنْتَهي إلى رَبّه ، فيُلْقَى له كرسيّ على يَمينِ الله ، ثم يُنادي منادٍ : أين عيسى وأُمّتُه ، فذكر نحو ما تقدّم إلى أن قال : فيُلقى له كرسي من الجانب الآخر ، ثم يَتْبَعُهم الأنْبياءُ والأمم ، حتى يكون آخِرَهم نوحٌ عليه الصلاة والسلام . وهذا موقوف على ابن سَلام ، رضي الله عنه . وتقدم في حديث سلمان الفارسي ، الذي رواه ابن أبي الدُّنيا ، عن أبي نَصْر التَّمّار ، حدّثنا حَمّادُ بنُ سَلمَةَ ، عن ثابت البُنانيّ ، عن أبي عثمان النَّهْديّ ، عن سَلْمانَ الفَارسيّ ، قال : يُوضعُ الصِّراطُ يوم القيامة ، وله حَدٌّ كَحدّ المُوسى ، فتقول الملائكة : رَبّنا ، منْ يطيق أن يجوز على هذا ؟ فيقول الله عزَّ وجلَّ : من شِئْتُ منْ خَلْقي ، فيقولون : رَبّنا ما عبدناك حَقَّ عِبَادتِك .

(١) في الأصول : محمد بن أبي أيوب ، والتصحيح من كتب الرجال .

فصـــل

قال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزّاق ، حدّثنا مَعْمرٌ ، عن همّامٍ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أوَّلُ زُمْرةٍ تَلجُ الْجنّة صورهم على صورة القمر ليلةَ البَدْر ، لا يَبْصُقون فيها ولا يَمْتَخِطُونَ فيها ، ولا يَتَغوَّطُونَ فيها ، آنِيَتُهُمْ وأمْشاطُهُم الذهب والفِضّة ، ومَجَامِرُهم من الألُوّة[1] ، ورَشحُهُم المِسْكُ ، ولكُلّ واحدٍ منهم زوجتان يُرى مُخُّ ساقهما من وَراء اللّحْم من الحُسْنِ ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغُضَ ، قلوبُهم على قلب واحدٍ ، يُسبِّحونَ الله تعالى ، بُكْرَةً وعشيّاً » . وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، به ، وأخرجه البخاريّ ، عن محمد بن مُقاتِل ، عن ابن المبارك ، كلاهما عن معْمَرٍ ، عن هَمَّام ، به[2] .

وقال أبو يَعْلى : حدّثنا أبو خَيْثمة ، حدّثنا جَريرٌ ، عن عُمَارَة بن القَعْقَاعِ ، عن أبي زُرْعَة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أوَّلُ زُمْرةٍ يَدْخُلونَ الْجنَّةَ على صُورَةِ القمر ليلةَ البَدْر ، والذين يَلُونَهُمْ على ضوءِ أشدِّ كَوْكبٍ دُرِّيّ في السماء إضاءةً ، لا يبولون ، ولا يَتَغوَّطُونَ ، ولا يَتْفُلُونَ ، ولا يمتخطون ، أمْشاطُهُم الذهب ، ورَشْحُهُم الْمسْكُ ، ومَجامِرُهم الألُوَّةُ ، وأزواجهم الْحور العينُ ، أخلاقُهُمْ على خُلُقِ رَجُلٍ واحدٍ ، على صُورةِ أبيهم آدم ، سِتُّونَ ذِراعاً في السماء » . ورواه مسلم عن أبي خَيْثمة ، واتفقا عليه ، من حديث جَرير[3] .

وروى الإمامُ أحمد ، والطبرانيّ ، واللفظُ له ، من حديث حمَّاد بن سَلَمةَ ، عن عليّ بن زيد بن جُدْعانَ ، عن سَعيد بن المُسَيّب ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَدْخُلُ أهْلُ الْجنّةِ الْجَنّةَ جُرْداً مُرْداً ، بِيضاً جِعَاداً ، مُكَحَّلين ، أبْناءَ ثلاثٍ وثلاثين ، وهم على خَلْقِ آدم ، سِتُّونَ ذِراعاً ، في عَرْض سَبْعةِ أذْرُع »[4] .

وقال الطبرانيّ : حدّثنا أحمد بن إسماعيل العدويّ ، حدّثنا عمرو بن مرزوق ، حدّثنا عِمْرانُ القَطّان ، عن قتادةَ ، عن شَهْرِ بن حَوْشَب ، عن عبد الرحمن بن غَنْم ، عن مُعاذِ بن جَبَل ، أنّ

(١) هو العود الذي يتبخر به .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/٣١٦) وهو في « جامع معمر » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٦٦) ومسلم رقم (٢٨٣٤) والبخاري (٣٢٤٥) .
(٣) رواه أبو يعلى رقم (٦٠٨٤) ومسلم رقم (٢٨٣٤) والبخاري (٣٣٢٧) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩٥) والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٤٢٢) وإسناده ضعيف ، ولكن للحديث شواهد يقوى بها ، دون قوله : « في عرض سبعة أذرع » .

رسول الله ﷺ قال : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجنةِ الجَنَّةَ جُرْداً ، مُرْداً ، مُكَحّلين ، بَني ثلاثٍ وثلاثين » . ورواه الترمذي من حديث عِمْرَان بن داود القَطَّان ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب[١] .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنْيا : حدّثنا القاسمُ بن هاشم ، حدّثنا صَفْوانُ بن صالح ، حدّثني رَوَّاد بنُ جَرّاح العسقلاني ، حدّثنا الأوزاعيّ ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَدْخل أَهْلُ الْجنّة الجنّة على طول آدَمَ ، سِتّين ذِراعاً بذِراعِ المَلَك ، على حُسْن يُوسف ، وعلى ميلاد عيسى ، ثلاثٍ وثَلاثينَ سَنةً ، وعلى لسان محمّد ، جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلُونَ » . وقد رواه أبو بكر بن أبي داود ، حدّثنا محمود بن خالد ، وعبَّاس بن الوليد ، قالا : حدّثنا عمر ، عن الأوزاعيّ ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُبعثُ أَهْلُ الْجَنّةِ على صُورةِ آدم في ميلاد ثَلاثٍ وثلاثين سنةً ، جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلينَ ، ثم يُذْهبُ بهم إلى شَجَرةٍ في الْجنَّة ، فيُكْسَوْن مِنها ، لا تَبْلى ثِيابُهُمْ ولا يَفْنى شَبابُهُمْ »[٢] .

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدّثنا سُلَيْمانُ بن داود ، حدّثنا ابنُ وَهْب ، حدّثنا عمرو بن الحارث ، أنّ دَرَّاجاً أبا السَّمْح حدَّثه ، عن أبي الهَيْثَم ، عن أبي سعيد الخُدْريّ : أنّ رسول الله ﷺ قال : « منْ ماتَ من أهل الْجنَّة منْ صَغيرٍ أو كَبيرٍ يُردُّونَ بني ثلاثٍ وثلاثين سنةً في الجنّة ، لا يَزيدُون عليها أبداً ، وكذلك أهل النار » . ورواه الترمذي عن سُوَيْد بن نَصْر ، عن ابن المبارك ، عن رِشْدينَ بن سَعْد ، عن عمرو بن الحارث . . . فذكره ، والله أعلم[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخَفَّاف العجلي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن معاذ قال : قال نبيُّ الله ﷺ : « يُبْعثُ المؤمنون يوم القيامة ، جُرْداً ، مُرْداً ، مُكَحَّلِين بني ثلاث وثلاثين » . وهذا منقطع بين شهر ومعاذ ، انقطاعاً لو كان ساقه ، لكانت أبعدَ من شهْر ، وهو يُفْهِمُ بَعْثَهم من قبورهم كذلك[٤] .

وقد تقدَّم[٥] أن كل أَحَدٍ يُبْعثُ على ما مات عليه ، ثم تُغَيَّر حُلاهم إلى الطول والعرض ، كل أَحَدٍ بحسبه بعد ذلك عند دخول الجنة والنار ، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/١١٨) والترمذي (٢٥٤٥) وهو حديث حسن .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٢٠) وابن أبي داود في « البعث والنشور » (٦٤) وهو حديث حسن ، دون قوله : « وعلى لسان محمد » .
(٣) رواه ابن أبي داود في « البعث » (٧٨) والترمذي (٢٥٦٢) وإسناده ضعيف ، وفيهما : « أنهم يُردُّون أبناء ثلاثين » .
(٤) رواه أحمد في المسند (٥/٢٣٩) .
(٥) انظر صفحة (٣٤٦) .

كتاب صفة النَّار وما فيها من العذاب الأليم

أجارنا الله منها

قال الله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤] . وقال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٧٥] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٩١]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٥٦] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ١٦٨ ـ ١٦٩] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٦ ـ ٣٧] . وقال تعالى : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ . . . ﴾ الآيات [الأعراف : ٣٨]. وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة : ٨١ ـ ٨٢] . وقال تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٦ ـ ١٠٧]. وقال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩٧]. وقال تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ١٩ ـ ٢٢]. وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ . . . ﴾ الآيات [المؤمنون : ١٠٣ ـ ١٠٨]. وقال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) قُلْ أَذَٰلِكَ ﴾ [الفرقان : ١١ ـ ١٥]. وقال تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ . . . ﴾ الآيات [الشعراء : ٩١]. وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة : ٢٠ ـ ٢١]. وقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٤ ـ ٦٨] . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٦ ـ ٣٧] . وقال تعالى : ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس : ٦٣ ـ ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ [الصافات : ٢٢ ـ ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ [ص : ٥٥ ـ ٦٤] . وقال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١ـ ٧٢] . وقال تعالى : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [غافر : ٤٥ ـ ٥٢] . وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر : ٧٠ـ٧٦] . وقال تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا

لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت : ٢٣ ـ ٢٩]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤ ـ ٧٨]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ [الدخان : ٤٣ ـ ٥٠]. وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥]. وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠]. وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور : ١٣ ـ ١٦]. وقال تعالى : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٤٦ ـ ٥١]. وقال تعالى : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ٤١ ـ ٤٢]. وقال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ ﴾ [الواقعة : ٤١ ـ ٤٧]. وقال تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الحديد : ١٥]. وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]. وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التحريم : ٩]. وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ٦ ـ ١١]. وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٣٣]. وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا

يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة : ٢٥ ـ ٣٧] .
وقال تعالى : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ [المعارج : ١١ ـ ١٨] . وقال
تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴾
[المزمل : ١٢ ـ ١٤] . وقال تعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ
عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا
وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا
يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٢٦ ـ ٣١] . [وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ
يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر : ٣٨ ـ ٤٨] . وقال تعالى :
﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان : ٤] . وقال تعالى : ﴿ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ
صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات : ٢٩ ـ ٣٤] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢)
لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧)
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ : ٢١ ـ ٣٠] . وقال تعالى :
﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل : ١٤ ـ ١٦] . كما قال تعالى :
﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه : ٧٤] . وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢)
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾
[الغاشية : ٢ ـ ٧] . وقال تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ
وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ [الفجر : ٢١ ـ ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾
[البلد : ١٩ ـ ٢٠] . وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣)
كَلَّا ۖ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨)
فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة : ١ ـ ٩] .

وقال ابن المبارك[1] عن خالد بن أبي عِمْران بسَندِهِ ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنّ النار لَتأكُلُ أهْلها ، حتّى إذا اطّلعتْ على أفئدتهم انتهت ، ثم يَعُودُ كما كان ، ثم تستقبله أيضاً فتأكله حتى تطّلع

(١) « الزهد » لابن المبارك (٣٠٦ ـ زوائد نعيم) .

على فؤاده ، فهو كذلك أبداً ، فذلك قوله : ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ [الهمزة : ٦ ـ ٧] » وقد تركنا إيراد آياتٍ كثيرةٍ خوفَ الإطالة ، وفيما ذكرنا إرشادٌ إلى ما تركنا ، وبالله المستعان ، وستأتي الأحاديثُ الوَاردةُ في صفة جَهنَّم ، أجارنا الله منها آمين ، مرتّبة على ترتيبٍ حسن ، وبالله التوفيق .

وقال ابن المبارك : أنبأنا مَعْمرٌ ، عن محمد بن المُنْكَدِرِ ، قال : لمّا خُلِقت النّارُ فَزِعت الملائكة ، وطارت أفئدتها ، فلمّا خَلقَ الله آدمَ سكن ذلك عنهم ، وذهب ما كانوا يجدون .

وقال ابنُ المُبارك : حدّثنا محمد بنُ مُطَرِّف ، عن الثِّقة : أنّ فَتى من الأنْصارِ داخَلَتْهُ خَشْيةٌ من النَّارِ ، فكان يبكي عند ذكر النار ، حتّى حَبَسهُ ذلك في البيت عن شهود المسجد ، فذُكِرَ ذلك للنبيّ ﷺ ، فجاءه إلى البيت ، فلمّا دخلَ نَبيُّ الله ﷺ اعْتَنقهُ الفَتَى ، وخَرَّ مَيّتاً ، فقال رسول الله ﷺ : « جَهِّزوا صَاحِبَكُمْ ، فإنَّ الفَرَقَ من النّار فَلَقَ كبِدَه »[١] .

قال القرطبيّ : رُويَ أنَّ عيسى عليه الصلاة والسلام مَرَّ بأربعةِ آلافِ امرأةٍ مُتغَيِّرات الألوان ، وعليهنَّ مَدارعُ الشَّعْرِ والصُّوفِ ، فقال لَهُنَّ عيسى عليه الصلاة والسلام : ما الذي غَيّر ألْوانكُنَّ معاشِرَ النِّسْوَةِ ؟ قلن : ذِكْرُ النَّارِ هو الذي غَيَّر ألواننا يا ابن مريم ، إنّ مَنْ دَخَلَ النار لا يذوق فيها بَرْداً ولا شَرَاباً . ذكره الخرائطي في كتاب « القبور »[٢] .

ورُوي أنّ سَلْمان الفَارسيَّ لمّا سَمِعَ قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٣ ـ ٤٤] فرَّ ثَلاثَةَ أيامٍ هارباً من الخوف ، لا يَعْقِلُ ، فجيء به إلى النبيّ ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، أُنزلتْ هذه الآيةُ ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فوالذي بعثك بالحقّ لقد قَطَّعَتْ قَلبي ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ . . . ﴾ الآية [الحجر : ٤٥ ـ ٤٦] . ذكره الثعلبيّ .

ذكر جهنم وشدة سوادها أجارنا الله منها

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨١] وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة : ٨ ـ ١١]. وقال تعالى : ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ [الغاشية : ٥] . وقال تعالى : ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ . . . يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن : ٤٣ ـ ٤٤] أي حارّ قد تناهَى حَرُّه ، وبَلَغَ الغايَةَ في الحرارة . وقال تعالى : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٢٠ ـ زوائد نعيم) وإسناده ضعيف .
(٢) في (آ) : النشور .

﴿ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم : ١٥ ـ ١٧] .

وقال مالك بن أنس رحمه الله في « مُوطَّئِهِ » : عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « نارُ بني آدمَ التي تُوقدُون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » فقالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية ، فقال : « إنّها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » . ورواه البخاريّ عن إسماعيل بن أبي أُوَيس ، عن مالك ، به ، وأخرجه مسلم ، عن قُتَيْبة ، عن المُغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ، عن أبي الزِّناد ، به ، نحوَه[١] .

وقال أحمد : حدّثنا سُفْيَان ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ : « إنّ ناركم هذه جُزْءٌ من سبعين جُزْءاً من نارِ جَهنَّم ، وضُرِبَتْ بالبَحْرِ مَرَّتَيْن ، ولولا ذلك ما جعلَ الله فيها مَنْفعةً لأحدٍ » . على شرط « الصحيحين »[٢] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا حمّاد ، عن محمد بن زياد ، سمعتُ أبا هريرة يقول : سمعتُ أبا القاسم ﷺ يقول : « نارُ بني آدمَ التي يُوقدُونَ جزءٌ من سَبْعينَ جُزْءاً من نارِ جَهنّم » فقال رجل : إنْ كانتْ لكافيَةً ، فقال : « لقد فُضلتْ عليها بِتِسْعَةٍ وستّينَ جُزْءاً »[٣] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا عبدُ الرزاق ، حدّثنا مَعْمرٌ ، عن همّام ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نارُكمْ هذه ، ما يُوقِدُ بنو آدم ، جُزءٌ واحدٌ من سبعين جُزْءاً من حَرّ نار جَهنّم » قالوا : واللهِ إن كانتْ لكافيةً يا رسول الله ، قال : « فإنّها فُضِّلتْ عَلَيْها بِتِسْعةٍ وستين جزءاً ، كُلُّهنّ مِثْلُ حَرِّها »[٤] .

طريق أخرى

قال أبو بكر البزار: حدّثنا بِشْرُ بن خالد العَسْكريّ ، حدّثنا سعيدُ بن مَسْلَمة ، عن عاصم بن كُلَيْب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ناركم هذه ، وكلَّ نارٍ

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٤) والبخاري رقم (٣٢٦٥) ومسلم رقم (٢٨٤٣) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٤) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٣) وهو حديث صحيح .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٣) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٩٧) ومسلم رقم (٢٨٤٣).

أُوقِدَتْ ، أَوْ هُمْ يُوقِدونها ، جزءٌ من سَبْعينَ جُزْءاً من نارِ جهنَّم »[١] .

طريق أخرى بلفظ آخر

قال أحمد : حدّثنا قُتَيْبةُ ، حدّثنا عبد العزيز ، عن سُهَيْل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « هَذِهِ النارُ جُزْءٌ من مئةِ جُزْءٍ من جَهنَّم » . وهذا الإسناد على شرط مسلم . وفي لفظه غَرابةٌ[٢] وأكثرُ الرّوايات عن أبي هريرة « [جزء] مِنْ سَبْعينَ جُزْءاً » وقد ورد الحديث عن غيره كذلك ، من طريق عبد الله بن مسعود .

وقد ورد الحديث عن غيره كذلك من طريق ابن مسعود كما قال البزّار : حدّثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدّثنا عُبَيْد بن إسحاق العطار ، حدّثنا زُهَيرٌ ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله [بن مسعود] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الرُّؤيا الصَّالِحةُ بُشْرَى ، وهي جُزْءٌ من سَبْعينَ جُزْءاً من النُّبُوةِ ، وإنّ نارَكم هذهِ جُزء مِنْ سَبْعينَ جزءاً من سَموم جَهنّم ، وما دام العَبْدُ يَنْتَظِرُ الصلاةَ فهو في صلاةٍ ما لم يُحْدِثْ » .

قال البزّار : وقد رُوي موقوفاً[٣] .

ومن طريق أبي سعيد ، كما قال البزّار أيضاً : حدّثنا محمد بن الليث ، حدّثنا عُبَيْدُ الله بن موسى ، حدّثنا شَيْبانُ ، عن فِرَاسٍ[٤] ، عن عَطيّةَ ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ ناركم هذه جُزْءٌ من سَبْعين جُزْءاً من نار جَهنّم ، لِكُلِّ جزء منها حَرُّها »[٥] .

وقال الطبرانيّ : حدّثنا أحمد بن عمرو الخلاّل ، حدّثنا إبراهيمُ بن المُنذر الحزامي ، حدّثنا مَعْنُ بن عيسى القَزّاز ، عن مالك [بن أنس] ، عن عَمّه أبي سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أَتَدْرُونَ ما مَثَلُ نارِكم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشدُّ سواداً من دُخانِ نارِكم هذه بسَبْعين ضِعْفاً » قال الحافظ الضِّياءُ : وقد رواه أبو مُصْعَب ، عن مالك ، فرفعه ، وهو عندي على شرط الصحيح[٦] .

وروى الترمذيّ وابن ماجه ، [كلاهما] عن عبّاس الدُّوريّ ، عن يحيى بن أبي بُكَيْر ، عن

---

(١) وإسناده ضعيف ، ولمعناه شواهد .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/٣٧٨) بلفظ (مئة) وهو شاذ كما أومأ إليه المصنف، وقد صح بلفظ « سبعين جزءاً » .

(٣) رواه البزار (٣٤٩٠ ـ كشف الأستار) وفيه عبيد بن إسحاق العطار ، وهو متروك .

(٤) في (آ) : فراش ، وهو خطأ .

(٥) وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد بمعناه .

(٦) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٤٨٩) .

شَرِيك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أُوقدَ على النّارِ ألْفَ سنةٍ حتى احمرت ، ثم أوقِدَ عليها ألْفَ سنةٍ حتّى ابيَضتْ ، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى اسْودَّت ، فهي سوداء مظلمة » ، قال الترمذي : ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى ، [يعني] ابنَ أبي بُكَيْر عن شَرِيك . كذا قال الترمذيّ ، وقد رواه أبو بكر بن مَرْدَوَيْه الحافظُ ، عن إبراهيمَ بن محمد ، عن محمد بن الْحُسَين بن مُكْرَم ، عن عُبَيْد الله بن سَعْد ، عن عمّه ، عن شَرِيك ، به مثله(١) .

وقال الحافظ البَيْهقيّ : حدّثنا أبو عبد الله الحافظُ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدّثنا أبو العبّاس الأصَمُّ ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن [أبي] ظَبْيانَ ، عن سَلْمانَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « النّارُ لا يُطْفَأُ جمرُها ، ولا يُضيءُ لَهَبُها » قال : ثم قرأ : ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال : ٥٠] . قال البيهقيّ : ورفعه ضعيف ، ثم رواه من وجهٍ آخر موقوفاً(٢) .

وقال ابن مَرْدَويه : حدّثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، حدّثنا محمد بن يونس ، حدّثنا أبو عَتّاب الدلاّل ، حدّثنا مبارك بن فَضالة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : تلا رسول الله ﷺ : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] قال : « أُوقد عليها ألفَ سنةٍ حتى ابيضّت ، وألفَ عامٍ حتّى احمرّت ، وألف عام حتى اسودّت ، فهي سوداء لا يُضيءُ لَهَبُها »(٣) .

وقال ابن مَرْدَوَيْه : حدّثنا دَعْلَج بن أحمد ، حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ، حدّثنا الحكم بن مَرْوان، حدّثنا سَلاّمٌ الطويل، عن الأجلح بن عبد الله الكِنْديّ ، عن عديّ بن عَديّ ، قال : قال عمر بن الخَطاب : أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ في حينٍ لم يكُنْ يأتي فيه ، فقال : « يا جبريلُ ، ما لي أراك مُتغيِّرَ اللون ؟ » فقال : إنِّي لم آتِكَ حتّى أمَرَ اللهُ عز وجل بفَتْحِ أبواب النار ، فقال رسول الله ﷺ : « يا جِبريلُ ، صف لي النارَ ، وَانْعَتْ لي جَهَنّم » فقال : إنّ الله أمر بها فأُوقِدَ عليها ألفَ عامٍ حتّى ابْيَضَّتْ ، ثم أُوقدَ عليها ألف عامٍ حتى احمَرّتْ ، ثم أُوقد عليها ألف عام حتى اسْوَدَّت ، فهي سوداء مُظْلمةٌ لا يُضيء شَرَرُها ولا يُطْفَأُ لَهَبُها » وقال : والذي بَعَثَك بالحقّ لو أنّ حَلْقَةً من حلق السِّلْسلة التي نَعَتَ اللهُ عز وجل في كتابه ، وُضِعَتْ على جِبَال الدُّنيا لأذابَتْهَا ، فقال النبي ﷺ : « حَسْبي يا جبريلُ لا يَنصدعُ قلبي » فنظر النبيُّ ﷺ إلى جبريل ، فإذا هو يَبْكي ، فقال له : « يا جبريل ، أتَبْكي وأنْتَ منَ اللهِ بالمكان الذي أنْتَ به منه ؟ » قال : وما يَمْنَعني ألاّ أبْكي وأنا لا أدري لَعَلِّي أنْ أكُونَ في عِلْم الله

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥٩١) وابن ماجه (٤٣٢٠) وإسناده ضعيف .

(٢) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٦٣٢) و(٦٣١) .

(٣) وإسناده ضعيف .

على غير هذه الحال ، فقد كان إبليسُ مع الملائكة ، وقد كان هاروتُ وماروتُ من الملائكة ، فلم يزل النبيّ ﷺ يبكي ، وجبريلُ ، حتى نُوديا : يا محمَّد ، ويا جبريل ، إنّ اللهَ قد أمّنكُما أنْ تَعْصياهُ ، قال : فارتفع جبريل ، وخرج النبيّ ﷺ فمرّ بقوم من أصحابه يتحدَّثون ، ويَضْحكُونَ ، فقال : « أتضحكون وجهَنَّمُ من ورائكم ، لو تعلمون ما أعلمُ لَضَحِكْتُمْ قَليلاً ، ولبكَيْتُمْ كثيراً ، ولخرجْتُمْ إلى الصُّعداتِ تَجأرُونَ إلى الله تعالى » فأوحى اللهُ إليه : يا محمد ، إنّي قد بَعثْتُكَ مُبَشِّراً ، فقال رسول الله ﷺ : « أبْشرُوا ، وسَدِّدوا ، وقاربُوا » قال الضياء : قال الحافظُ أبو القاسم ، يعني إسماعيل بن محمد بن الفَضْل : هذا حديث حسن ، وإسناده جَيِّد[١] .

وقال البخاريّ : حدّثنا إبراهيم بن حمزة ، حدّثنا ابن أبي حازم ، والدرَاوَرْديّ ، عن يَزيدَ ، عن عبد الله بن خَبَّاب ، عن أبي سَعيد الْخُدْري أنَّ رسول الله ﷺ ذُكِرَ عنده عمُّه أبو طالب ، فقال : « لعلّه تَنفَعه شفاعتي يوم القيامة ، فيُجْعَلَ في ضَحْضَاح من نار يَبْلُغُ كعْبَيْه ، يغلي منه أمُّ دماغه » . ورواه مسلم من حديث يزيد بن الهاد[٢] ، به[٣] .

وقال مسلم : حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَة ، حدّثنا يحيى بن أبي بُكَيْر[٤] ، حدثنا زُهَيْرُ بن محمد ، عن سُهَيْل بن أبي صالح ، عن النُّعْمان بن أبي عَيّاش ، عن أبي سعيد : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إن أدنى أهْل النارِ عذاباً ، يَنْتَعلُ بِنَعْلَيْن[٥] منْ نارٍ يَغْلي دِماغُه من حَرارةِ نَعلَيْه »[٦] .

وقال أحمد : حدّثنا حسن وعفّان ، قالا : حدّثنا حمّادُ بن سَلَمَةَ ، عن سعيدٍ الْجُرَيْريّ ، عن أبي نضْرَةَ ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « أهْونُ أهْلِ النَّارِ عَذاباً رَجُلٌ في رِجلَيْه نَعْلانِ ، يَغْلي منْهما دِماغه . . . » وساق أحمد تمام الحديث[٧] .

وقال البخاريّ : حدّثنا محمد بن بَشّار ، حدّثنا غُنْدَر ، حدّثنا شُعْبَةُ ، سمعت أبا إسحاق ، سمعت النُّعْمانَ ، سمعتُ النبيَّ ﷺ ، يقول : « إنَّ أهْوَنَ أهْلِ النَّار عذَاباً يوم القيامةِ لَرَجُلٌ يُوضعُ في أخْمَصِ قدَمَيْه جَمْرة يغلي منها دماغه » ، ورواه مسلم من حديث شُعْبَة[٨] .

---

(١) رواه ابن مردويه ، ومن طريقه أبو القاسم الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » رقم (١٠٠٢) أقول : وفيه سلاَّم الطويل ، مجمع على ضعفه ، وقد اتهمه غير واحد بالكذب والوضع .
(٢) في الأصول : يزيد بن أبي حبيب ، وهو خطأ .
(٣) رواه البخاري (٦٥٦٤) ومسلم (٢١٠) .
(٤) في (آ) : محمد بن أبي بكر .
(٥) في الأصول : بنعل .
(٦) رواه مسلم (٢١١) .
(٧) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٣) وهو حديث صحيح .
(٨) رواه البخاري (٦٥٦١) ومسلم (٢١٣) .

وقال البخاريّ : حدّثنا عبد الله بن رَجاء ، حدّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاق ، عن النعْمان بن بَشِير : سمعت النبي ﷺ يقول : « إنَّ أهْونَ أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخْمَصِ قدميه جَمْرَتان يَغْلي منهما دِماغُه ، كما يَغْلي المِرْجل أو يغلي القُمْقُم »[١] .

وقال مسلم : حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَة ، حدّثنا عفّان ، حدّثنا حماد بن سَلَمة ، أخبرنا ثابتٌ ، عن أبي عثمانَ النَّهْديّ ، عن ابن عباس : أنّ رسول الله ﷺ قال : « أهونُ أهْلِ النار عَذاباً أبو طالب وهو ينتعل بنَعْلينِ يَغْلي منهما دِماغُه »[٢] .

وقال أحمد : حدّثنا يحيى ، عن ابن عَجْلانَ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « إنَّ أهْونَ أهْلِ النَّار عَذاباً ، عَلَيْه نَعْلان يَغْلي منْهُما دِماغُهُ »[٣] .

وبهذا الإسناد : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لَوْ تَعْلَمون ما أعْلَم لَضَحِكْتُمْ قَليلاً ، ولَبَكَيْتُمْ كَثيراً »[٤] .

وقال أحمد : حدّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي ، أخبرنا زائدةُ ، عن المُخْتارِ بن فُلْفلٍ ، عن أنس ، قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسُ محمّد بيده لو رأيتمُ ما رأيتُ لبكيتُمْ كثيراً ولضحكتم قليلاً » قالوا : يا رسول الله وما رأيتَ ؟ قال : « رأيت الْجنَّةَ والنار » . ورواه أحمد من حديث شُعْبَةَ ، عن موسى بن أنس ، عن أبيه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »[٥] .

وقال أحمد : حدّثنا أبو اليَمانِ ، حدّثنا ابن عيّاش ، عن عُمارةَ بن غَزيّة[٦] الأنصاريّ : أنه سمع حُمَيْد بن عُبَيْد مولى بني المُعلّى ، يقول : سمِعْتُ ثابتاً البُنانيَّ ، يُحدِّثُ عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ ، أنه قال لجبريل : « ما لي لم أر ميكائيلَ ضاحكاً قَطّ ؟ » قال : ما ضحك ميكائيلُ مُنذُ خُلِقَتِ النارُ[٧] وقال الله تعالى : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات : ٢٩ ـ ٣٤] .

قال الطبرانيّ : حدّثنا أحمد بن يحيى الحُلْوانيّ ، حدّثنا سعيدُ بن سُلَيْمان ، عن حُدَيْج[٨] بن

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٦٢) .
(٢) رواه مسلم (٢١٢) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٣٢) وهو حديث صحيح .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٣٢) وهو حديث صحيح .
(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢١٧ ، ٢١٠) وهو حديث صحيح .
(٦) في (آ) : غربة ، وهو خطأ .
(٧) رواه أحمد (٣/ ٢٢٤) وفي سنده حميد بن عبيد، وهو مجهول، ولكن الحديث حسن بطريق أخرى وشاهد مرسل.
(٨) في (آ) : خديج ، وهو خطأ .

مُعَاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عَلقمة بن قَيْس : سمعتُ ابنَ مسعود يقول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴾ قال : أما إنّها ليست مثلَ الشجر ، والجَبَل ، ولكنّها مثلُ المدائن ، والحُصُون[(١)] .

وقال الطبرانيّ : حدّثنا طالبُ بنُ قرّةَ ، حدّثنا محمد بن عيسى بن الطبّاع ، حدّثنا مبشر[(٢)] بن إسماعيل ، عن تمّام بن نَجيح ، عن الحسن ، عن أنس ، قال رسول الله ﷺ : « لو أنّ شَررةً من شرر جهنم بالمَشْرق لَوَجد حَرَّها مَن بالمغرب »[(٣)] .

وقال أحمد : حدّثنا سُفيان ، عن الزهريّ ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « اشْتكتِ النارُ إلى رَبّها ، فقالت : أكَلَ بَعْضي بَعْضاً ، فأذِنَ لها بَنفَسينِ ، نَفسٍ في الشتاء ، ونَفَسٍ في الصَّيْفِ ، فأشدُّ ما يكونُ من الْحَرّ ، وأشد ما يكون من البرد ، من فَيْح جهنم » .

وبهذا الإسناد أن رسول الله ﷺ قال : « إذا اشتد الحَرُّ فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحرِّ من فيح جهنم »[(٤)] .

وقال أحمد : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا مَعْمرٌ ، عن الزهري ، أخبرني أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : قال : « اشتكت النار إلى ربّها ، فقالت : ربِّ أكلَ بَعْضي بعضاً فنَفِّسْني ، فأذن لها في كُلِّ عامٍ بِنفسَيْنِ ، فأشدُّ ما تَجدُونَ من البَرْدِ من زَمْهرير جهنّم ، وأشدُّ ما تجدُون من الحرِّ من حَرّ جَهنّم » . وأخرجه البخاريّ ، ومسلم من حديث الزهري[(٥)] .

وقال أحمد : حدّثنا يَزيد ، حدّثنا حَمَّادُ بن سَلَمة ، عن ثابتٍ البُنَانيّ ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُؤتى بأنعَم أهْلِ الدُّنيا من أهْلِ النار يوم القيامة ، فيُصْبَغُ في النار صِبْغةً ، ثم يقال له : يا ابن آدم ، هل رأيتَ خَيْراً قَطّ ؟ [هل مَرَّ بكَ نعيمٌ قطّ ؟ فيقول : لا والله يا رَبّ] . ويُؤتى بأشدِّ الناسِ بُؤساً في الدُّنيا من أهْلِ الْجنَّةِ ، فيُصْبغُ في الجَنّة صِبْغَةً ، فيقال له : يا ابن آدم ، هل رأيْتَ بُؤساً قطُّ ؟ هل مرَّ بكَ شدَّةٌ قطّ ؟ فيقول : لا والله يا رَبّ ، ما مرّ بي بُؤْسٌ قطّ ، ولا رأيتُ شدَّةً قطُّ »[(٦)] .

وقال أحمد : حدّثنا رَوْحٌ ، حدّثنا سعيد بن أبي عَرُوبةَ ، عن قتادةَ ، حدّثنا أنس بن مالك : أنّ نَبيّ الله ﷺ قال : « يُجاءُ بالكافر يوم القيامة ، فيقال له : أرأيتَ لَو كَانَ لكَ مِلءُ الأرضِ ذهباً أكنتَ مُفتدياً به ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : لقد سُئلتَ أيْسَر منْ ذَلِك . فذلك قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٩١٦) .
(٢) في الأصول : حسن .
(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٣٦٨١) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٣٨) ورواه البخاري (٥٣٧) و(٥٣٦) من طريق سفيان ، به .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) والبخاري (٦٢٦٠) ومسلم (٦١٧) .
(٦) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٠٣) وأخرجه مسلم رقم (٢٨٠٧) من طريق زيد ، به .

كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ [آل عمران : ٩١] »[١] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا حجّاج ، حدّثنا شُعْبةُ ، عن أبي عِمْران الجَوْنيّ ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : « يُقال للرَّجُلِ من أهل النار يوم القيامة : أرأيتَ لو كان لك ما على الأرض من شَيْءٍ أكنت تفتدي به ؟ قال : نعم ، قال له : قد أردتُ منك أَيْسَرَ من ذلك ، قد أَخَذْت عليك الميثاق في ظَهْر آدَم ألاّ تُشْرِكَ بي شَيْئاً ، فأَبَيْتَ إلاّ أن تشرك [بي] »[٢] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا رَوْحٌ وعفّان ، قالا : حدّثنا حمّادُ ، حدّثنا ثابتٌ ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتى بالرَّجُل من أهل الجَنَّة فيقال له : يا ابن آدم ، كيف وجدْتَ منزلك ؟ فيقول : أيْ رَبِّ ، خَيْرَ مَنْزِلٍ ، فيقول : سَلْ وتمنَّ ، فيقول : ما أسألُ وأتمنى إلاّ أنْ تَرُدَّني إلى الدُّنْيا ، فأُقْتَلَ في سبيلك عَشْرَ مَرَّاتٍ ، لما يَرَى من فَضْلِ الشَّهادة . ويُؤْتى بالرجل من أهل النار ، فيقول له : يا ابن آدم ، كيف وجدتَ منزلك ؟ فيقول : أيْ رَبِّ شَرَّ منزل ، فيقول له : أتَفْتدي مِنْهُ بِطلاعِ[٣] الأرض ذَهباً ؟ فيقول : أيْ رَبِّ ، نعم ، فيقول : كذَبْتَ ، قد سألتك أَقَلَّ منْ ذَلِك وأَيْسَر فلم تَفْعَلْ ، فيُرَدُّ إلى النار »[٤] .

وقال البزّار : حدّثنا أبو شَيْبَةَ إبراهيمُ بن عبد الله ، ومحمد بن اللَّيْثِ ، قالا : حدّثنا عبد الرحمن بن شَريك ، عن أبيه ، عن السّدِّيّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، [قال : قال رسول الله ﷺ] : « لم يُرَ مِثْلُ النار نام هاربُها ، ولم يُرَ مِثْلُ الْجنَّةِ نامَ طَالبُها »[٥] .

وروى الحافظ أبو يَعْلى ، وغيرُه ، من طريق محمد بن شَبيب ، عن جعفر بن أبي وَحْشيَّة ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « لو كان في هذا المسجد مئة ألف أو

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢١٨) ورواه البخاري رقم (٦٥٣٨) ومسلم (٢٨٠٥) من طريق روح به ، دون ذكر الآية .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٢٧) وأخرجه البخاري رقم (٣٣٣٤) من طريق شعبة به .

(٣) طلاع الأرض : ملؤها .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٠٨) وهو حديث صحيح .

(٥) ورواه البيهقي في « الشعب » (٣٨٩) من طريق عبد الرحمن بن شريك به ، وإسناده ضعيف .

يزيدون ، وفيهم رجلٌ من أهل النار ، فتنَفَّس فأصابَهُم نَفَسُه لأحْرَق المسجدَ ومن فيه » . وهذا حديث غريب جداً(١) .

ذكر بُعد قعر جهنم ، واتساعها وضخامة أهلها أجارنا الله منها

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥] وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة : ٨ - ١١] [وقال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤١] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [الطور : ١٣ - ١٤] وقال تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق : ٢٤ - ٣٠]] .

وقد ثبت في « الصحيحين » من غير وجهٍ عن رسول الله ﷺ : أنه قال : « لا تزالُ جَهنَّمُ يُلْقى فيها ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ حتى يَضع عليها رَبُّ العزّةِ ، قدَمه ، فيَنْزوي بَعْضُها إلى بَعْض ، وتقول : قطْ قَطْ(٢) وعزتك »(٣) .

وقال مسلم : حدّثنا محمد بن [أبي] عمر المَكّي ، حدّثنا عبد العزيز الدّرَاوَرْديّ ، عن يزيد بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عيسى بن طَلْحةَ ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « إن العَبْد لَيتكلَّم بالكلمة ما يتبيّن [ما] فيها ، يَهْوي بها في النار أبعَدَ ما بين المَشْرق والمَغرب » . ورواه البخاريّ عن إبراهيم بن حمزة ، عن عبد العزيز ، بنحوه ، ولفظُه : « يَزِلُّ بها في النار ، أبْعَدَ ما بين المَشرِق » و[لم يذكر] المغرب(٤) .

وقال عبد الله بن المبارك : حدّثنا الزُّبَيْر بن سعيد ، عن صَفْوان بن سُلَيم ، عن عطاء بن يَسار ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ قال : « إنَّ الرجل ليَتكلّم بالكلمة يُضْحكُ بها جُلسَاءَه يَهْوي بها أبْعَد من الثُّريا » . غريب ، والزُّبَيْرُ فيه لينٌ(٥) .

---

(١) رواه أبو يعلى رقم (٦٦٧٠) .
(٢) أي حسبي .
(٣) رواه البخاري (٤٨٤٩) ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة ، والبخاري (٤٨٤٨) ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس .
(٤) رواه مسلم رقم (٢٩٨٨) والبخاري (٦٤٧٧) .
(٥) أخرجه عبد الله بن المبارك في « الزهد » رقم (٩٤٨) .

وقال أحمد : حدّثنا حُسَيْنُ بن محمد ، حدّثنا خَلَفُ بن خَليفةَ ، عن يزيد بن كَيْسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : كُنَّا عند رسول الله ﷺ يوماً فسَمِعْنا وَجْبةً[١] فقال النبيُّ ﷺ : « أتدْرُونَ ما هذا ؟ » قلنا : اللهُ ورسولُه أعلم ، قال : « هذا حَجَرٌ أُلْقِيَ في جهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعين خَريفاً ، فالآنَ انْتَهى إلى قَعْرِها » . ورواه مسلم عن محمد بن عبَّاد [و] ابن أبي عمر ، عن مَرْوانَ ، عن يَزيد بن كَيْسانَ ، به ، نحوه[٢] .

حديث آخر

وقال الحافظ أبو نُعيم الأصْبهانيّ : حدّثنا عبدُ الملك بن الحسن بن يوسف السَّقَطيّ ، حدّثنا أحمدُ بن يحيى ، حدّثنا أبو أيُّوب الأنصاريّ ، أحمد بن عَبْد الصمد ، حدّثنا إسماعيلُ بن قَيْس ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي الحُباب سعيد بن يَسارٍ ، عن أبي سعيد الخُدْريّ : أنَّهُ قال : سمِعَ رسولُ الله ﷺ صوتاً هاله ذلك ، فأتاه جبريلُ فقال : « ما هذا الصوتُ يا جبريل ؟ » قال : هذه صَخْرةٌ هَوَتْ من شَفير جَهنَّم ، منذ سبعين عاماً ، فهذا حين بلغت قَعْرَها ، أحَبَّ اللهُ أن يُسْمعك صَوْتَها ، قال : فما رُئي رسول الله ﷺ بَعْد ذلك اليومِ ضاحِكاً مِلْءَ فيه حتَّى قَبضَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ[٣] .

وقد روى البيهقيُّ من طريق أبي مُعاوِيةَ ، عن الأعمش ، عن يَزيد الرَّقاشيّ ، عن أنس ، عن النبيّ ﷺ نحواً من هذا السِّياق[٤] .

وثبت في « صحيح مسلم » عن عُتْبَةَ بن غَزْوانَ : أنّه قال في خطْبتِهِ : وقد ذُكِرَ لنا أنَّ الحَجَر يُلْقَى من شَفير جَهنَّم فيَهْوي فيها سَبْعين عاماً، لا يُدْرك لها قعراً ، واللهِ لَتُمْلأنَّ ، أفعجبتُمْ ؟ وقد ذُكر لنا أنّ ما بين مِصْرَاعينِ من مصاريع الجنَّة مَسيرةُ أربعين سنة، ولَيَأتِينَّ عليه يومٌ وهو كَظيظٌ من الزِّحامِ[٥] .

حديث آخر

قال الحافظ أبو يَعْلَى : حدّثنا عُثْمانُ بن أبي شَيْبَةَ ، حدّثنا جَريرٌ ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي بَكْر[٦] ، عن أبيه أبي موسى [الأشعَري] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أنَّ حَجَراً

(١) الوجبة : صوت السقوط .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٧١) ومسلم رقم (٢٨٤٤) .
(٣) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٥٣٣) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه مسلم رقم (٢٩٦٧) .
(٦) في الأصول : عن أبي بردة .

قُذِفَ به في جَهنم لَهَوى سَبْعينَ خَريفاً قَبْلَ أنْ يَبْلُغَ قَعْرَها »(١) .

حديث آخر

روى الترمذيّ ، والنّسائيّ ، والبَيْهقيّ ، والحافظ أبو نُعَيم الأصْبَهاني ، واللفظُ له ، من حديث عبد الله بن المُبارك : حدّثنا عَنْبسةُ ، عن حبيب بن أبي عَمْرةَ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابن عبَّاس ، قال : أتَدْرُونَ ما سَعةُ جهنَّم ؟ فقلنا : لا ، فقال : أجَلْ ، والله ما تدرون ، إنَّ ما بين شَحْمَةِ أُذُنِ أحَدِهم ، و[بَيْنَ] عَاتِقِهِ مَسيرةُ سَبْعينَ خَريفاً ، تَجْري فيه أوْدِيَةُ القيح والدَّمِ ، قال : قلنا : أنهارٌ ؟ قال : بل أوْديَةٌ ، ثم قال : أتدرون ما سَعةُ جَهنَّم ؟ قلنا : لا ، قال : أجلْ ، والله ما تدرون ، حدَّثَتْني عائِشَةُ : أنّها سألتِ النبيَّ ﷺ عن قوله : ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر : ٦٧] أيْنَ النَّاسُ يَوْمئذٍ ؟ قال : « على جِسْر جَهنَّم » . [و] إنما روى منه الترمذيّ ، والنسائيّ المرفوعَ فقط ، وقال الترمذيّ : صحيح غريب ، من هذا الوجه(٢) .

وثبت في « صحيح مسلم » ، من حديث العلاء بن خالد ، عن أبي وائل ، شَقيق بن سَلمة ، عن ابن مسعود مرفوعاً : « يُجاء بجَهنَّم تُقادُ بسَبْعين ألْف زِمامٍ ، مع كلِّ زِمامٍ سبعون ألفَ مَلك يَجُرُّونَها »(٣) . وروي موقوفاً على ابن مسعود ، رضي الله عنه ، فالله أعلم(٤) .

وروي في حديثٍ عن عليّ بن موسى الرِّضا ، عن آبائِه ، [عن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ،] مرفوعاً : « هل تدرون ما تفسيرُ هذه الآية : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ [الفجر : ٢١ ـ ٢٣] » قال : « إذا كان يومُ القيامة تقادُ جَهنَّم بسَبْعين ألف زِمامٍ ، كُلُّ زمام بِيَدِ سَبْعينَ ألف مَلكٍ » قال : « فتشرد شردةً لَوْلا أنَّ اللهَ حبسها لأحْرَقَتِ السَّمواتِ وَالأَرْضَ »(٥) .

وقال أحمد : حدّثنا عليّ بن إسحاق ، حدّثنا عبد الله ، حدّثنا سعيدُ بن يَزيد ، حدّثنا أبو السَّمْح ، عن عيسى بن هلال الصَّدَفيّ ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أنَّ رَصاصةً مِثْلَ هَذِهِ » ـ وأشارَ إلى جُمْجُمةٍ ـ « أُرْسلتْ من السماء إلى الأرض ، وهي مَسيرةُ خَمسمئة سَنَة لَبَلَغتِ

---

(١) رواه أبو يعلى رقم (٧٢٤٣) وإسناده ضعيف ، ولكن للحديث شواهد بمعناه يقوى بها .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٢٤١) والنسائي في الكبرى رقم (١١٤٥٣) والبيهقي في « البعث » (٦٢٩) وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٨٣) وهو حديث صحيح .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٥٧٣) .

(٥) وإسناده ضعيف .

الأرْضَ قبل الليل ، ولو أنها أُرْسلتْ من رَأسِ السِّلْسلةِ[١] لسارَتْ أرْبَعينَ سَنة الليلَ والنهار ، قَبْلَ أنْ تَبْلُغَ أصلها أو قعْرَها » . ورواه الترمذيّ[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو عاصم ، حدّثنا عبد الله بن أميّة[٣] ، حدّثني محمد بن حُيَيّ ، حدّثني صَفْوانُ بنُ يَعْلَى ، عن أبيه ، أن النبيَّ ﷺ ، قال : « البحرُ هو جَهنّم »[٤] .

ذكر تعظيم خَلقهم في النار [أعاذنا الله من النار]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٥٦] .

وقال أحمد : حدّثنا وَكيعٌ ، حدّثني أبو يَحْيى الطَّويلُ ، عن أبي يَحْيى القَتَّات ، عن مُجَاهد ، عن ابن عمر ، عن النبيِّ ﷺ قال : « يَعْظُمُ أهل النّارِ في النار حَتَّى إنَّ بَيْن شحْمة أُذُنِ أحَدِهمْ إلى عَاتِقه مَسيرةُ سَبْعمئة عامٍ ، وإن غلَظَ جِلْده سبْعُونَ ذِراعاً ، وإنَّ ضرسه مثلُ أُحُدٍ » . كذا رواه أحمد في « مسنده » عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وهو الصحيح .

وكذا رواه البيهقيّ ، ثم رواه من طريق عِمْران بن زيد ، عن أبي يحيى القتّات ، عن مُجاهد ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً ، فذكر مثله ، ثم صحح البيهقيّ الأوّل كما ذكرنا ، والله أعلم . وهذا الحديث غريب من هذا الوجه .

ولبعضه شاهدٌ من وُجُوهٍ أُخرى عن أبي هريرة ، فالله أعلم[٥] . فقال الإمام أحمد : حدّثنا رِبْعيُّ بن إبراهيم ، حدّثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سَعيدٍ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ضِرْسُ الكَافِرِ يَوْمَ القِيَامة مِثْلُ أُحُدٍ ، وعَرْضُ جلدِه سبْعُونَ ذِراعاً ، وفَخذُه مِثْلُ وَرِقان[٦] ، ومَقْعدُه في النار مِثْلُ ما بَيْني وبَيْن الرَّبَذَةِ » . ورواه البَيْهقيّ من طريق بِشر بن المُفَضَّل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، وزاد فيه : « وعَضُدُهُ ، مِثْلُ البَيْضاءِ[٧] »[٨] .

---

(١) المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٢] .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/١٩٧) والترمذي رقم (٢٥٨٨) وهو حديث حسن .
(٣) في الأصول : ابن أبي أمية ، وهو خطأ .
(٤) رواه أحمد في المسند (٤/٢٢٣) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/٢٦) والبيهقي في « البعث والنشور » رقم (٦٢٧) و(٦٢٦) وإسناده ضعيف .
(٦) ورقان : جبل أسود بين العرج والرويثة ، على يمين الذاهب من المدينة إلى مكة .
(٧) البيضاء : ثنية التنعيم بمكة .
(٨) رواه أحمد في المسند (٢/٣٢٨) والبيهقي في « البعث » (٦٢٤) وهو حديث حسن .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا أبو النَّضْر ، حدّثنا عبد الرحمن ، يعني ابن عبد الله بن دينار ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ضِرْسُ الكافر مثلُ أحُدٍ ، وفَخِذُه مثلُ البَيْضاء ، ومقعَدهُ من النَّارِ كما بَيْن قُدَيد ومكة ، وكثافة جلدِهِ اثنان وأربْعون ذِرَاعاً بذِراعِ الْجَبّار[١] »[٢] .

طريق أخرى

قال البزّار : حدّثنا محمد بن اللَّيْث الهَدَاديّ ، وأحْمدُ بنُ عثمانَ بن حكيم[٣] ، قالا : حدّثنا عُبَيْد الله بن موسى ، حدّثنا شَيْبانُ ، يعني ابنَ عبد الرحمن ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ قال : « ضِرْسُ الكافر مِثْلُ أُحُدٍ ، وغلَظُ جِلْدِه أرْبعُونَ ذِراعاً »[٤] .

طريق أخرى

قال البزّار : حدّثنا محمد بن المُثَنَّى ، حدّثنا أبو عامر ، حدّثنا محمد بن عمّار ، عن صالح مولى التَّوأَمةِ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ضِرْسُ الكافر مِثْلُ أُحدٍ ، ومَقْعَدُه من النارِ مَسيرةُ ثلاثٍ »[٥] .

طريق أخرى عنه

قال الحسن بن سُفْيَان : حدّثنا يوسفُ بن عيسى ، حدّثنا الفَضْل بن موسى ، عن الفضيل[٦] بن غَزْوان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما بَيْن مَنْكبي الكافر ، مَسيرةُ خَمْسةِ أيّام للرّاكِب المُسْرِع »[٧] .

قال الحسن : وحدّثنا محمد بن طَرِيف البَجَليّ ، حدّثنا ابن فُضَيْل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن

---

(١) قال الذهبي : ليس ذا من الصفات في شيء . وهو مثل قولك : ذراع الخياط ، وذراع النجار . والجبار : الملك العظيم .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٤) وإسناده حسن .

(٣) في (آ) : أحمد بن عفان بن حكيم ، وفي الفاسية : أحمد بن عثمان بن حليم .

(٤) وهو حديث حسن .

(٥) رواه ابن عدي في « الكامل » (٦/ ٢٢٣٤) وفيه ضعف .

(٦) في الأصول : الفضل ، وهو خطأ .

(٧) أخرجه البيهقي في « البعث » (٦١٨) من طريق الحسن بن سفيان ، به .

أبي هريرة ، رفعه ، قال : « ما بَيْنَ مَنْكِبي الكافِرِ في النار مَسيرةُ ثَلاثةِ أيّام للراكب المسرع » . قال البيهقيّ : ورواه البخاريّ عن معاذ بن أَسَد ، عن الفضل بن موسى ، ورواه مُسلم عن أبي كُرَيب ، وغيره ، عن ابن فُضَيْل ولم يَقُلْ : رفعه[١] .

طريق أخرى عنه

قال البزّار : حدّثنا الحسينُ[٢] بن الأسود ، حدّثنا محمد بن فُضَيْل ، حدّثنا عاصم بن كُلَيْب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ضِرْسُ الكافر مثلُ أُحُدٍ ، وفَخذُه مثل الوَرِقَانِ ، وغِلَظُ جِلْدِهِ أربعون ذِرَاعاً » . ثم قال البزّار : لا يُرْوَى عن أبي هريرة بأحسن من هذا الإسناد ، ولم نسمعه إلاّ من الحسين بن الأسود[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، ثنا حماد بن سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن عبد الله بن قيس ، قال : سمعت الحارث بن أُقَيْش يحدّث [أنَّ] أبا بَرْزَةَ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن مِنْ أُمتي لَمَنْ يَشْفَعُ لأكثر من ربيعةَ ومضر ، وإن من أُمتي لمن يعظَّم للنار حتى يكون أحد زواياها » . ورواه أحمد أيضاً عن محمد بن أبي عدي عن داود بن أبي هند، به[٤] .

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أبو حَيَّان [حدثني يزيد بن حَيَّان التيمي] قال: وحدثنا زيد بن أرقم قال: إن الرَّجُل من أهل النار ليعظَّم للنار، حتى يكون الضِّرْس من أضراسه كأحد »[٥] .

فأما الحديثُ الذي رواه الإمامُ أحمد : حدّثنا يحيى، عن ابن عَجْلان ، عن عَمْرو بن شُعَيْب ، عن أبيه ، عن جَدّه ، عن النبيّ ﷺ قال : « يُحْشرُ المُتَكبِّرُونَ يوم القيامة أمثال الذّرّ في صُوَرِ الناس يعلوهم كُلُّ شَيْءٍ من الصَّغارِ حتى يَدْخُلوا سجناً في جَهنَّم ، يقال لهُ: بُولَس ، فتعلوهم نارالأنيار ، يُسْقَون من طينة الخَبالِ عُصارة أَهْلِ النار » . وكذا رواه الترمذيّ ، والنسائيُّ ، عن سُوَيْد بن نَصْر ، عن ابن المبارك ، عن ابن عَجْلان ، به ، وقال الترمذيّ : حسن[٦] . فالمراد أن المتكبّرين يُحْشَرُونَ إلى الموقف هكذا ، ويكونون فيه بين الخلق كذلك ، فإذا سيقُوا إلى النار ودخلوها ، عظُم خلقهم فيها كما دَلَّتْ عليه الأحاديثُ التي أوردناها ، ليكون ذلك أنكى وأشد

---

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦١٩) من طريق الحسن بن سفيان، ورواه البخاري (٦٥٥١) ومسلم (٢٨٥٢).

(٢) في (آ) : حدّثنا يحيى ، حدّثنا الحسن .

(٣) وهو حديث حسن .

(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢١٢) وإسنادهما ضعيف .

(٥) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٦٦) وهو حديث صحيح .

(٦) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٩) والترمذي (٢٤٩٢) .

في تَعْذيبهم ، وأعْظَم في خزيهم ، كما قال : ﴿ لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] ، والله سبحانه أعلم .

ذكر أن البحر يُسجر يوم القيامة ويكون من جُملة جَهَنّم

قال الإمام أحمد : حدّثنا أبو عاصم ، حدّثنا عبدُ الله بن أميّة ، حدّثنا محمد بن حُيَيّ ، حدّثنا صَفْوان بن يعلى بن أميّة ، عن أبيه ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « البَحْرُ هوَ جهنّم » قالوا لِيَعْلى . فقال : ألا ترون أنّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف : ٢٩] ؟ قال : لا والذي نفسُ يَعْلى بيده ، لا أدْخُلُها أبداً حتّى أُعْرِض على الله عزَّ وجلَّ ، ولا يُصيبُني منها قَطْرَةٌ حتّى ألقَى الله عزَّ وجلَّ .
وقد رواه البَيْهقيُّ ، من طريق يعقوب بن سُفْيَان : حدّثنا أبو عاصم ، حدّثنا محمد بن حُيَيّ ، عن صَفْوانَ بن يَعْلَى ، عن يَعْلى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « البَحْرُ هو جَهنّم » ثم تلا : ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف : ٢٩] . وهكذا رأيتُه بخطّ الحافظ ابن عساكر : حدّثنا أبو عاصم ، حدّثني محمد بن حُيَيّ . وفي « المسند » كما تقدّم بينهما عبد الله بن أمَيّة ، وكذلك رواه أبو مسلم الكجّي ، عن أبي عاصم ، عن عبد الله بن أمية[(١)] : حدّثني رجل ، عن صفوانَ بن يعلى ، عن يَعْلَى قال : قال رسول الله ﷺ : « البَحْرُ هو جَهنَّم »[(٢)] .

وقال أبو داود : حدّثنا سَعيدُ بن منصور ، حدّثنا إسماعيل بن زَكريّا ، عن مُطرِّف ، عن بشر [أبي عبد الله ، عن بشير] بن مُسلم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يركب البَحْرَ إلا حاجٌ أو مُعْتَمر ، أو غَازٍ في سبيل الله ، فإنَّ تَحْتَ البَحْر ناراً ، وتَحْتَ النارِ بَحْراً »[(٣)] .

ذكر أبواب جهنم ، وصفة خزنتها ، وزبانيتها

أعاذنا الله من ذلك بما شاء

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١ ـ ٧٢] .

---

(١) في الأصول : عبد الله بن أبي أمية ، وهو خطأ .
(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٢٣) وأخرجه البيهقي أيضاً في « السنن الكبرى » (٤/ ٣٣٤) وأخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (٤٩٦) من طريق أبي مسلم الكجي ؛ وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أبو داود رقم (٢٤٨٩) وإسناده ضعيف .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٣ ـ ٤٤] .

وقال البَيْهقيّ : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العبّاس الأصَمّ ، حدّثنا سعيد بنُ عُثْمانَ ، حدّثنا بِشْرُ بن بكر ، حدّثني عبد الرحمن بن يزيد ، حدّثني أبو سعيد ، سمعتُ أبا هريرة ، يقول : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الصِّراطَ بَيْن ظَهْرَي جهنَّم ، دَحْضٌ مَزِلَّةٌ ، فالأنْبياءُ يَقُولونَ عليه : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، والناسُ عليه كَلَمْحِ البَرْقِ ، وكَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وكأجَاويدِ الْخَيْلِ والبغالِ ، والرِّكابِ ، وشدّاً على الأقدام . فناجٍ مسلَّم ، ومَخْدُوشٌ مُرْسلٌ ، ومَطْروحٌ فيها ، ولها سَبْعةُ أبواب ، لِكُلِّ بابٍ منهُمْ جزءٌ مقسوم »[١] .

وقال البيهقيّ : أخبرنا أبو الحُسَيْن بن بِشْران ، حدّثنا إسماعيلُ بن محمد الصفّار ، حدّثنا سَعْدانُ بنُ نَصْر ، حدّثنا مَعْمر ، عن الخليل بن مُرّة : أنَّ رسول الله ﷺ كانَ لا ينامُ حتّى يقرأ (تَبارك) و(حمٓ) السجدة ، وقال : « الحَواميمُ سَبْعٌ ، وأبوابُ جهنَّم سَبْعٌ : جَهَنَّمُ ، والْحُطمةُ ، ولَظى ، وسَعيرٌ ، وسَقَرُ ، وَالهَاويةُ ، والجَحيمُ » وقال : « تَجيءُ كُلُّ (حمٓ) منها يومَ القيامة » أحْسَبُه قال : « تقفُ على بابٍ من هذه الأبواب ، فتقول : اللهمّ لا تُدْخِلْ هذه الأبوابَ مَنْ كانَ يُؤْمن بي ويقرؤني » ثم قال البيهقيّ : وهذا مُنقطع ، والخليلُ بنُ مُرَّةَ فيه نظر[٢] .

وروى الترمذيّ من حديث مالك بن مِغْوَل ، عن جُنيد ، عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لِجهنّم سَبْعةُ أبوابٍ ، باب منها لِمَنْ سَلَّ السَّيْفَ على أمّتي » [أو قال : « على أمة محمد] ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مِغْول[٣] .

وقال كعب[٤] : لِجَهنَّم سَبْعةُ أبواب ، بابٌ منها لِلْحَرُوريَّةِ[٥] .

وقال وهب بن مُنبّه : بَيْنَ كلِّ بَابَيْنِ من أبواب جهنم مَسيرَة سَبْعينَ سَنةً ، كلُّ بابٍ أشدُّ من الذي فوقه بسبعين ضِعْفاً .

وقال أبو بكر بن أبي الدّنيا : حدّثنا خَلَفُ بن هِشام ، حدّثنا أبو شِهابٍ الحنَّاط[٦] ، عن عمرو بن قَيْس المُلائيّ ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضَمْرة ، عن عليّ ، قال : إنّ أبوابَ جَهنَّم

---

(١) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٥٠٥) .

(٢) رواه البيهقي في « البعث والنشور » رقم (٥٠٨). أقول: لكن صح أوله «كان لا ينام حتى يقرأ تبارك، وحمٓ السجدة» من حديث جابر عند أحمد (٣/ ٣٤٠) والترمذي رقم (٣٤٠٤) والنسائي في الكبرى رقم (١٠٥٤٤) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣١٢٣) وإسناده ضعيف .

(٤) في الأصول : أُبي بن كعب ، وهو خطأ ، والتصحيح من « الدر المنثور » (٤/ ١٠٠) .

(٥) الحرورية : الخوارج ، وسموا بذلك ، نسبة إلى حروراء قرية قرب الكوفة .

(٦) في (آ) : الخياط ، وهو خطأ .

بَعْضُها فوق بَعْض ، وأشار أبو شهاب بأصابعه ، فيُمْلأُ هذا ، ثم هذا ، ثم هذا[١] .

حدّثني إبراهيمُ بن سعيد الجَوْهريّ ، حدّثنا حجّاجٌ ، حدّثنا ابنُ جُرَيْج ، في قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ قال : أوّلُها جهنّم ، ثم لَظى ، ثم الحُطَمة ، ثمّ السَّعيرُ ، ثم سَقَر ، ثم الجَحيم ، وفيها أبو جَهل ، ثم الهاوية ، وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ أي غلاظ الأخلاق ، شداد الأبدان ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ أي : بَعزمهم ونيّتِهمْ ، فهم لا يريدون أن يخالفوه في شيء أبداً ، لا بالعزم ، ولا بالنية لا ظاهراً ولا باطناً ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] أي : إن فعلهم ليس بإرادتهم ولا باختيارهم ، بل إنما هو صادر عن أمر الله لهم بما أُمروا به ، بل لهم قوةٌ على إبراز ما أُمروا به من العَزْمِ إلى الفِعْل ، فلهم عزمٌ صادق ، وأفعالٌ عظيمة ، وقوى بليغةٌ ، وشدَّةٌ باهرة ، وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ﴾ أي لكمال طاعتهم وقوتهم ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [المدثر : ٣٠ ـ ٣١] أي اخْتباراً ، وامتحاناً ، وكأنَّ هؤلاء التسعةَ عشَرَ ، كالمُقدَّمين الذين لهم أعوانٌ ، وأتباعٌ . وقد رَوينا عند قوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٠] أن الربَّ تعالى إذا قال ذلك وأمر به ابتدره سبعون ألفاً من الزَّبانية ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [الفجر : ٢٥ ـ ٢٦] .

وروى الحافظ الضياءُ من حديث محمد بن سُلَيمان بن أبي داود ، عن أبيه ، عن يزيد البَصْريّ ، عن الحسن البصريّ ، عن أنس مرفوعاً : « والذي نفسي بيده : لقد خُلقت مَلائكةُ جهنّم قبل أن تُخْلَق جهنَّم بألف عام ، فهم كلَّ يوم يَزْدادُون قُوَّةً إلى قُوَّتهمْ حتى يَقْبِضُوا على من قَبَضُوا عليه بالنواصي والأَقْدامِ »[٢] .

ذكر سرادق النار وهو سورها المحيط بها وما فيها من المقامع والأغلال والسلاسل والأنكال أجارنا الله تعالى من ذلك جميعه

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٩] وقال تعالى : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة : ٨ ـ ٩] مُؤْصَدَة ، أي مُطبَقَةٌ .

وقد رواه ابن مَرْدَويْهِ في « تفسيره » من حديث شَريك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » رقم (٧) .

(٢) وإسناده ضعيف .

أبي هريرة[١] مرفوعاً ، ورواه أبو بكر بن أبي شَيْبَة ، عن عبد الله بن أَسِيد الأخنسي[٢] ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح قوله .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل : ١٢ ـ ١٣] وقال تعالى : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر : ٧١ ـ ٧٢] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر : ٤٨ ـ ٥٠] ، وقال الله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر : ١٦] وقال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤١] وقال تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج : ١٩ ـ ٢١] .

وقال الحافظ أبو يَعْلَى : حدّثنا زُهَيْرٌ ، حدّثنا حسن ، عن ابن لَهيعَةَ ، حدّثنا دَرَّاج ، عن أبي الهَيْثَم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « لِسُرادق أهل النار أربع جُدُرٍ كُثُفٍ ، كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة » . ورواه الترمذي عن سويد ، عن ابن المبارك ، عن رِشْدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج ، به نحوه[٣] .

وقال أحمد : حدّثنا حسن ، حدّثنا ابن لهيعة ، حدّثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ قال : « لو أنَّ مِقْمَعاً منْ حَدِيد جهنم وُضِعَ في الأرْضِ فاجْتمعَ له الثقلانِ ما أقلُّوه[٤] من الأرض »[٥] .

وقال ابن وَهْب : عن عمرو بن الحارث ، عن درّاج أبي السَّمْح[٦] ، عن أبي الهَيْثم ، عن أبي سعيد : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لَوْ ضُرِبَ بِمقْمعٍ منْ حَديدِ جهنم الجَبلُ لَفَتَّتَهُ فعادَ غُباراً »[٧] .

وروى الحافظ أبو بكر بن مَرْدَوَيْهِ في « تفسيره » من طريق بشير[٨] بن طَلْحَةَ ، عن خالد بن دُرَيْك ، عن يَعْلَى بن مُنْية ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « يُنْشئ اللهُ لأهْلِ النارِ سَحابةً مظلمة ، فإذا أشْرَفَتْ

(١) في (آ) : عن عاصم عن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، وهو خطأ .
(٢) في (آ) : عبيد الله بن أسيد الأخنسي ، وهو خطأ .
(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (١٣٨٩) والترمذي (٢٥٨٤) وإسناده ضعيف .
(٤) أي ما حملوه .
(٥) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٩) وإسناده ضعيف .
(٦) في الأصول : عن دراج عن أبي السمح وهو خطأ .
(٧) أخرجه الحاكم (٤/ ٦٠١) من طريق ابن وهب ، به ، وإسناده ضعيف .
(٨) في الأصول : بشر ، وهو خطأ .

عليهم نادتهم : يا أَهْلَ النار ، أيَّ شَيءٍ تَطْلُبونَ ؟ وماالذي تَسألُون ؟ فيذكرون بها سَحَائبَ الدنيا ، والماءَ الذي كان يَنزلُ عليهم ، فيقولون : نسأل يا ربّ الشرابَ ، فتُمْطِرُهم أغلالاً تُزَادُ في أغلالهم ، وسَلاسِلَ تُزادُ في سَلاسِلِهم ، وجَمْراً يُلْهِبُ النَّارَ عَلَيْهم »[١] .

وقال الحافظ أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا بشْرُ بنُ الوليد الكِنْديّ ، حدّثنا سعيد بن زَرْبيّ ، عن حُمَيْد بن هلال ، عن أبي الأحْوص ، قال : قال ابن مسعود لأصحابه : أيّ أهل النار أشدُّ عذاباً ؟ فقال رجل : المنافقون ، قال : صَدَقْتْ ، فهَلْ تدري كيف يُعذّبون ، قال : لا ، قال : يُجْعَلونَ في تَوابيتَ من حَديدٍ فتُصْمدُ عليهم ، ثم يُجعلُونَ في الدَّرْكِ الأسْفلِ من النار في تَنانيرَ أَضْيقَ مِنَ الزُّجّ[٢] ، يقالُ له : جُبُّ الحَزَن ، فيُطبق على أقوام بأعمالهم آخِرَ الأبَدِ[٣] .

وقال ابن أبي الدنيا: حدّثني علي بنُ حسن، عن محمد بن جَعْفر المَدائنيّ، حدّثني بَكْرُ بن خُنَيْس، عن أبي سلمة الثَّقفيّ ، عن وَهْب بن مُنَبِّه ، قال : إن أهل النار الذين هم أهلُها ، فهم في النار ، لا يَهْدَؤونَ ، ولا ينامون ، ولا يَموتُونَ ، يَمْشُونَ على النار ، ويَجْلسونَ ويَشْربُونَ من صَديدِ أَهْلِ النارِ، ويأكلون من زَقُّوم النارِ ، لُحُفهم نار ، وفرشهم نار ، وقُمُصُهم نارٌ وقَطِرَانٌ وتَغْشَى وُجُوهَهمُ النارُ ، وجَميعُ أهل النار في سَلاسِل ، بأيْدي الخَزنَةِ ، وأطْواقُها في أعناقهم ، يَجْذبُونَهُمْ مُقْبلينَ ومُدْبرين ، فيَسيلُ صَديدُهم إلى حُفَرٍ في النار ، فذلك شَرَابُهُمْ، قال : ثم بكى وَهْبٌ حتى سَقَط مَغْشياً عليه ، قال: وغَلَبَ بَكْرَ بن خُنَيْسٍ البكاءُ ، حتّى قام ، فلم يَقْدِر أن يَتكلَّم ، وبَكى محمدُ بن جعفرٍ بكاءً شَديداً .

وهذا الكلام عن وهب بن مُنَبِّه اليَمانيّ ، وقد كان يَنْظُر في كُتب الأوائل ، وينقُل من صُحف أهل الكتاب الغَثّ والسَّمينَ ، ولكن لهذا الكلام شواهد من القرآن العظيم ، وغيرِه من الأحاديث ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤ ـ ٧٧] . وقال تعالى : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٩ ـ ٤٠] . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٦ ـ ٣٧] . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ

---

(١) وإسناده ضعيف .
(٢) والزج : الحديدة التي تركب في أسفل الرمح ويركز بها الرمح في الأرض . « تاج العروس » (زجج) .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (١٠٠) وإسناده ضعيف .

ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر : ٤٩ _ ٥٠] . وقال تعالى : ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [الأعلى : ١١ _ ١٣] ، وتقدم في الصحيح : « أما أهلُ النار الذين هم أهلها فإنّهم لا يموتُونَ فيها ، ولا يَحْيَوْنَ »[١] .

وفي الحديث المتقدّم في ذبح الموت بين الجنَّةِ والنار : ثُمَّ يُنادي المنادي : « يا أَهْلَ الجَنَّة خُلُود فلا مَوْتَ ، ويا أهل النار خلود فلا موت »[٢] . وكيف ينامُ من هو في عذابٍ مُتَواصلٍ لا يُفتَّرُ[٣] عنه ساعةً واحدة ، ولا لَحْظةً ، بل كلّما خَبَتْ[٤] نارُهم ، زادهم اللهُ سَعيراً ، [وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٢٢]] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا إبراهيم ، حدّثنا ابنُ المبارك ، عن سعيد بن يزيد ، عن أبي السَّمح ، عن ابن حُجَيْرة ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ قال : « إنّ الحميم لَيُصَبّ على رؤوسهم ، فينفُذُ الْجُمجمةَ حتى يخْلُصَ إلى جَوْفِهِ ، فيَسْلُتَ[٥] ما في جوفه حتَّى يَمرُق[٦] من قدَمَيْه »[٧] .

وروى الترمذيُّ ، والطبرانيّ واللفظ له ، من حديث قُطْبة بن عبد العزيز ، عن الأعمش ، عن شِمْر بن عَطِيّة ، عن شَهْر بنِ حَوْشَبٍ ، عن أُمِّ الدَّرْداءِ ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « يُلْقَى على أهْلِ النار الجوع ، فيعدل ما هُمْ فيه منَ العَذابِ ، فيستغيثون بالطعام ، فيُؤْتَوْنَ بطعام ذي غُصَّةٍ ، فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا إذا غصوا يسيغونه بالشراب ، فيَسْتَغيثُونَ بالشراب ، فيؤتون بالْحَميم في قِلال من نار ، فإذا أُدْنيتْ من وُجوههم قَشَرتْ وُجُوهَهُمْ ، فإذا دَخلتْ بطونَهم قَطَّعَتْ أمعاءهم وما في بطونهم، فيستغيثون عند ذلك فيُقال لهم : ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر : ٥٠] فيقولون : ادْعُوا لنا مالكاً ، فيقولون : ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ . . . ﴾ الآية [الزخرف: ٧٧]، فيقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦] فيقال لهم : ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. ورواه الترمذيّ

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٥) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري .
(٣) أي : لا يخفف .
(٤) أي : هدأت وضعفت .
(٥) أي : يقطعه ويستأصله .
(٦) أي : ينفذ .
(٧) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٤) وفي إسناده ضعف .

عن الدارميّ ، وحكَى عنه أنه قال : الناسُ لا يرفعون هذا الحديث . قال الترمذيّ : إنّما يُرْوَى عن أبي الدرداء قولَه[١] .

ذكر طعام أهل النَّار [وشرابهم]

قال الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ [الغاشية : ٦ ـ ٧] ، والضريعُ : شوكٌ بأرض الحِجَاز ، يقال له : الشِّبْرِق .

وفي حديث الضحَّاك ، عن ابن عبَّاس مرفوعاً : « الضَّريعُ شيءٌ يكون في النار ، يقالُ : يُشْبِهُ الشَّوْكَ ، أمَرُّ من الصَّبر ، وأنْتن من الْجيفَةِ ، وأشدُّ حرّاً من النار ، إذا طَعِمهُ صاحِبُه لا يَدْخُلُ البَطْنَ ، ولا يَرْتَفعُ إلى الفم ، فيَبْقَى بَيْن ذلك ، لا يُسمن ولا يُغْني من جُوعٍ » وهذا حديث غريب جدّاً .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل : ١٢ ـ ١٣] . وقال تعالى : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٥ ـ ١٧] . وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة : ٥١ ـ ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ [الصافات : ٦٢ ـ ٦٧] .

وقال عبد الله بن المبارك : حدّثنا صَفوانُ بنُ عَمْرٍو ، عن عبد الله بن بُسْر اليَحْصُبيّ ، عن أبي أُمامَةَ ، عن رسول الله ﷺ ، في قول الله تعالى : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ قال : « يُقرَّبُ إليه فيتكرَّهُهُ ، فإذا أُدْني منه شَوَى وَجْهَهُ ، ووقعت فَرْوَةُ رأسه فيه ، فإذا شَرِبهُ قَطَّعَ أمعاءه ، حتَّى يخرجَ من دُبُرِهِ ، قال الله تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ ويقول الله تعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٩] » . ورواه الترمذي عن سُوَيْد بن نَصْر ، عن المبارك ، به نحوه ، وقال : غريب[٢] .

وفي حديث أبي داود الطَّيالسيّ ، عن شُعْبَة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] قال : « لوْ أنَّ قطْرةً من

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٦) وإسناده ضعيف في المرفوع .

(٢) أخرجه عبد الله بن المبارك في « الزهد » (٣١٤ ـ زوائد نعيم) والترمذي رقم (٢٥٨٣) .

الزَّقُّومِ قطِرَتْ في بحارِ الدُّنيا لأفسَدتْ عليهم مَعَايشُهم ، فكيف بمن يكون طعَامَه ؟ » .

رواه الترمذي ، عن محمود بن غَيْلان ، عن أبي داود ، وقال : حسن صحيح ، ورواه النسائيّ وابن ماجه ، من حديث شُعْبة ، به(١) .

وقال أبو يَعْلى الموصلي : حدّثنا زُهَيْرٌ ، حدّثنا الحسنُ بن موسى الأشْيَبُ ، حدّثنا ابنُ لَهيعةَ ، حدّثنا دَرَّاج أبو السَّمح ، أنَّ أبا الهَيْثَم حدَّثه ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ قال : « لَو أنَّ دَلْواً من غسَّاقٍ يُهَرَاق في الدُّنيا ، لأنتن أهلُ الدنيا » ، ورواه الترمذي من حديث درَّاج(٢) .

وعن كعب الأحبار أنّه قال : إنّ اللهَ لَيَنْظُر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبانُ ، فيقول : خُذُوه ، فيأخذُه مئةُ ألف مَلَك ، أو يزيدون ، فيَجْمعون بين ناصِيَته وقَدَمَيْهِ غَضباً منهم لغضَبِ الله تعالى ، فيَسْحَبُونه على وجهه إلى النار ، فالنار عليه أشدُّ غَضباً منهم بسبعين ضِعْفاً ، فيستغيثُ بشَرْبة ماءٍ ، فَيُسْقى شَرْبةً يسقُطُ منها لَحْمُهُ وعَصَبهُ ، ثم يُكَرْدسُ في النار ، فويلٌ له من النار .

وعنه أيضاً أنّه قال : هل تدرون ما غسَّاقُ ؟ قالوا : لا ، قال : إنَّها عَيْنٌ في جَهنَّم يَسيلُ إلَيْها حُمةُ كُلِّ ذات حُمةٍ ، من حَيَّةٍ أوْ عَقْرب أو غير ذلك ، فيَسْتنْقعُ ، ويؤتىٰ بالآدميّ ، فَيُغْمسُ فيه غَمْسةً وَاحِدةً ، فيَخْرُج وقد سَقَط جِلْدُهُ عن عظامه ، ويُعَلَّقُ جِلْده ولَحْمُه في كَعْبَيْه ، فَيَجُرُّ لحمَهُ وجلده ، كما يَجُرُّ الرجُلُ ثَوْبَه .

ذكر أماكن في النار وردت بأسمائها أحاديث ، وبيان صحيح ذلك وسقيمه

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة : ٨ ـ ٩] ، قيل : فأُمُّ رأسه هاوية ، أي ساقطةٌ ، من الهُويّ في النار ، قال ابن جُرَيج : الهاوية : هي أسفل دَرْك في النار ، كما ورد في الحديث : « إنَّ الرَّجلَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ منْ سَخَطِ الله يَهْوي بها في النار أبْعَدَ ما بَيْنَ المشرق والمغرب »(٣) وفي رواية : « سبعين خريفاً »(٤) ، وقيل المراد بقوله : فأمُّه هاويةٌ ، أي : الدَّرْكُ الأسْفلُ من النار ، أو هي صفةُ النار من حيث هي .

(١) رواه أبو داود الطيالسي (٢٦٤٣) وأحمد في المسند (١/ ٣٠١) والترمذي رقم (٢٥٨٥) والنسائي في « الكبرى » (١١٠٧٠) وابن ماجه (٤٣٢٥) وهو حديث حسن .

(٢) رواه أبو يعلى الموصلي في « مسنده » (١٣٨١) والترمذي بعد (٢٥٨٤) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه مسلم (٢٩٨٨) .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٩٧٠) وهو حديث صحيح .

وقد ورد الحديثُ بما يُقَوِّي هذا المعنى ، والله أعلم .

قال أبو بكر أحمد بن موسى بن مَرْدَوَيهِ : حدّثنا عبد الله بن خالد بن محمد بن رستم ، حدّثنا محمد بن طاهر بن أبي الدُّمَيْك[١] ، حدّثنا إبراهيم بن زياد ، سبلان ، حدّثنا عبّاد بن عباد ، حدّثنا روْح بن المسيب : أنّه سمع ثابتاً البُنَانيّ يُحدّث ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات المُؤمنُ [تلقته أرواح المؤمنين] يَسْألونَه : ما فعلَ فلان ؟ ما فعلتْ فلانةُ ؟ فإن كان قد مات ولم يأتهم ، قالوا : خُولِفَ به إلى أُمِّهِ الهاوية ؟ فبئستِ الأمّ ، وبئسَتِ المرَبِّية ، حتى يقولوا : ما فعل فلان ؟ هل تزوّج ؟ ما فعلت فلانةُ ؟ هل تزوجت ؟ فيقولون : دعوه يستريح ، فقد خرج من كرب عظيم »[٢] .

وقال ابن جرير : حدّثنا ابن عبد الأعلى ، حدّثنا ابن ثَوْر[٣] ، عن مَعْمَر ، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى ، قال : إذا مات المؤمنُ ذُهِبَ برُوحِه إلى أرواح المؤمنين ، فيقولون : رَوّحوا أخاكم ، فإنَّه كان في غمِّ الدُّنيا ، قال : ثم يسألونه : ما فعل فلان ، فيقول : مات ، أوَ ما جاءكم ؟ فيقولون : ذُهِبَ به إلى أُمّه الهاوية .

وروى الحافظُ الضِّياءُ من طريق شَرِيك القاضي ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن زَاذَانَ ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « القتلُ في سبيل الله يُكَفِّر الذُّنوبَ كُلَّها ـ » أو قال : « يُكَفِّرُ كُلّ ذَنْبٍ ـ إلا الأمانة ، يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له : أَدِّ أمانَتَك ، فيقول : أنّى يا رَبّ وقد ذَهبتِ الدّنيا ، ثلاثَ مَرّاتٍ ، فيقال : اذهَبُوا به إلى الهاوية ، فيُذْهبُ به إلَيها ، فيْهوي فيها حتّى يَنْتَهيَ إلى قَعْرها ، فيَجِدَهَا هناك كَهَيْئتها ، فيَحْمِلُها فيضَعُها على عاتِقِه ، ثُمَّ يَصْعدُ بها في نار جهنَّم حتّى إذا رأى أنّه قد خرج منها زَلّت ، فَهَوى في أثَرِها كذلك أبد الآبدين » قال : « والأمانةُ في الصلاة ، والأمانةُ في الصوم ، والأمانةُ في الوضوء ، والأمانةُ في الحديث ، وأشدُّ ذلك الودائعُ » قال يعني زَاذَان : فلقيتُ البَرَاءَ ، فقلت : ألا تسمعُ ما يقول أخوك عبد الله ؟ فقال : صدق . وهذا الحديث ليس هو في « المسند » ولا في شيء من الكتب الستة[٤] .

---

(١) في (آ) : الرشك ، وهو خطأ .

(٢) في سنده : روح بن المسيب الكلبي البصري ، قال ابن عدي : أحاديثه غير محفوظة ، وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الثقات لا تحل الرواية عنه .

(٣) في الأصول : أبو ثور ، وهو خطأ .

(٤) وفي إسناده ضعف .

سجن في جهنم يقال له : بولس

تقدّم ذكره في حديثٍ رواه الإمام أحمد ، من حديث عمرو بن شُعَيْب ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن النبيّ ﷺ[١] .

جب الحزن

قال عليّ بن حرب : حدّثنا عبد الرحمن بن محمد ، حدّثنا عمّار بن سيف ، عن أبي مُعاذ ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « استعيذوا بالله من جُبّ الحَزَن » قالوا : وما جُبُّ الْحَزن ؟ قال : « وادٍ في جَهنّم تستعيذ جهنم منه كلّ يوم أرْبعمئة مرّة ، أعدَّه الله للقرَّاء المرائين بأعمالهم ، وإنَّ من أبغَض القرّاءِ إلى الله الذين يُؤازرُون الأمراءَ الْجَورَة » . ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث عمّار بن سيف ، عن أبي مُعان ـ وهو الصواب ـ به ، اختصره الترمذيّ ، وقال : غريب ، وعنده : « مئة مرة » وبسطه ابن ماجه ، وعنده : « يزورون الأمراء الْجوَرة »[٢] .

جب الفلق

قال هُشَيم ، عن العوَّام بن حوشب[٣] ، عن عبد الجبَّار الخَوْلاني ، قال : قَدِم علينا رجل من أصحاب النبيّ ﷺ [دمشق] فرأى ما فيه الناس من الحِرْص على الدنيا والشهوات ، وما هم فيه من زينتها ، فقال : وما يُغني عنهم ذلك ؟ أوليس من ورائهم الفلَق ، قيل له : وما الفَلَق ؟ قال : جُبٌّ في النار ، إذا فُتح ، هَرَّ منه أهل النار . كذا ، ولم يقل : فرَّ منه أهل النار ، بل هَرَّ منه ، كذا ذكر ابن عساكر في ترجمة رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ .

ذكر وادي لملم

قال الحسن بن سُفْيَان : حدّثنا حِبَّان بن موسى ، حدّثنا ابن المبارك ، حدّثنا يحيى بن عُبَيْد الله[٤] : سمعتُ أبي يقول : سمعتُ أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « إنّ في جهنّم لَواديًا يُقالُ له : لَمْلَمُ ، إن أوْديةَ جهَنَّم لَتَسْتَعيذُ بالله من حَرّه » . هذا حديث غريب .

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٧٩) وإسناده حسن .
(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٣) وابن ماجه (٢٥٦) وإسناده ضعيف .
(٣) في الفاسية : العوام بن حرب .
(٤) في (آ) : يحيى بن عبد الله ، وهو خطأ .

ذكر نهر فيها هو منها بمنزلة نهر القلوط(١) من أنهار الدنيا

وهو مجتمع الأوساخ ، والأقذار ، والنَّتْن ، أعاذنا الله منه .

قال الإمام أحمد : حدّثنا عليّ بن عبد الله ، حدّثنا المُعْتَمر بن سُلَيْمان ، قال : قرأت على الفُضَيْل بن مَيْسرة ، عن حديث أبي حَريزٍ(٢) ، أنَّ أبا بُرْدةَ حدَّثه ، عن حديث أبي موسى ، أن النبيّ ﷺ قال : « ثَلاثةٌ لا يدخلون الجَنّة : مُدْمنُ خَمْرٍ ، وقَاطعُ الرحم ، ومُصَدِّق بالسِّحر ، ومن مات مُدْمنَ خمر ، سقاهُ اللهَ من نَهْر الغُوْطةِ » قيل : وما نهرُ الغُوْطَةِ ؟ قال : « نهر يَجْري من فُروج المُومِسَاتِ ، يُؤذي أهْلَ النارِ ريحُ فُروجهنّ »(٣) .

ذكر وادٍ أو بئر فيها يقال له : هبهب

قال أبو بكر بن أبي الدّنيا : حدّثنا أبو خَيْثمةَ ، حدّثنا يَزيدُ بن هارون ، حدّثنا الأزْهَرُ بن سِنان ، حدّثنا محمد بن واسع ، قال : دخلتُ على بلال بن أبي بُرْدَةَ ، فقلت له : يا بلال ، إن أباك حدّثني عن أبيه ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « إنَّ في جَهَنَّم لَوادِياً يقال لهُ : هَبْهب ، حَقّاً على الله أن يُسْكنه كُلّ جَبَّارٍ عَنِيد ، فإيَّاكَ يا بلال ، أن تَكُونَ ممن يَسْكُنُه » . وقد رواه الطبرانيّ من حديث سعيد بن سُلَيْمانَ ، عن أزهر بن سِنانٍ ، عن محمد بن واسع ، أنه دخل على بلال بن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى ، فقال له : إنَّ أباكَ حدّثني ، عن جَدّكَ ، عن رسول الله ﷺ : أنّه قال : « إنَّ في جهنَّم وَادياً ، وفي الوادي بئر يقالُ له : هَبْهب ، حق على الله أن يُسْكنَهُ كلَّ جَبَّارٍ عنيد » . تفرَّد به أزهر بنُ سنان ، وقد تكلم بعضُ الحفّاظ فيه وليَّنه(٤) .

ذكر ويل وصعود

قال الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات : ١٥] وقال تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر : ١٧] .

---

(١) يطلق على النهر القذر بلغة أهل دمشق ، وبلغة غيرهم ، يقال له : القلوص .

(٢) في الفاسية : جوير ، وفي (آ) جرير ، وهو خطأ .

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٩٩) وإسناده ضعيف ، ولكن لأوله « ثلاثة لا يدخلون الجنة ، مدمن خمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر » شواهد يقوى بها .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٣٥) والطبراني في المعجم « الأوسط » (٣٥٤٨) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا حسن ، حدّثنا ابن لَهيعة ؛ عن دَرّاج ، عن أبي الهَيْثَم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « وَيْلٌ وادٍ في جَهنّم ، يَهْوي فيه الكافر أربعين خَرِيفاً قَبْلَ أنْ يَبْلُغ قَعْرَهُ ، والصَّعُودُ جَبلٌ منْ نارٍ يَتصَعَّدُ فيه سَبْعين خَريفاً ، ثم يَهْوي به كذلك فيه أبداً » . وكذا رواه الترمذيّ عن عبدِ بن حُمَيْدٍ ، عن الحسن بن موسى الأشْيَب ، عن ابن لَهيعَةَ ، عن دَرَّاج ، ثم قال : غريب لا نعرفه [مرفوعاً] إلا من طريق ابن لَهيعَةَ . كذا قال ، وقد رواه ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وَهْب ، عن عمرو بن الحارث ، عن دَرَّاج به ، وبكلِّ حال فهو حديث غريب ، بل مُنْكَرٌ[1] والأظْهرُ في تفسير « ويل » أنّه ضِدّ السلامة والنجاة ، كما تقول العرب : ويلٌ لهُ ، ويا وَيْلهُ ، ووَيْلهُ .

وقد روى البزّار ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابنُ مَرْدويْه ، من حديث شَريك القاضي ، عن عمَّار الدُّهْني ، عن عَطيّةَ ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ قال : « هو جَبَلٌ في النار ، من نارٍ ، يُكَلَّف أن يَصْعده ، فإذا وضع يده عليه ذابتْ ، فإذا رفعها عادت ، وإذا وضع رِجْلَه عليه ذابَتْ ، فإذا رفعها عادتْ »[2] .

وقال قتادة : قال ابن عبَّاس : صَعُودٌ : صَخْرةٌ في جهنَّم يُسْحَبُ عَلَيْها الكافرُ على وَجْهه .

وكذلك قال السُّدّيّ : صَخْرةٌ مَلْساءُ في جَهنَّم ، يُكَلَّفُ أن يَصْعَدها .

وقال مجاهد : ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ ، أي مَشَقَّةً من العذاب ، وقال قتادة : عذاباً لا راحةَ فيه ، واختاره ابن جَرير .

ذكر حيَّاتها وعقاربها
أعاذنا الله منها برحمته

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] وثبت في « صحيح البخاريّ » من طريق عبد الله بن دِينار ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صَاحب كَنْزٍ لا يُؤدِّي زكاته إلا مُثِّلَ له كنزُه يوم القيامة شُجاعاً[3] أقْرَعَ[4] له زَبيبَتانِ[5] يَأْخُذُ بَلِهْزِمَتَيْه[6] فيقول : أنا مالكُ ، أنا كنزكُ » ، وفي

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٧٥) والترمذي (٢٥٧٦) و(٣١٦٤) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٩٢٤) .
(٢) وإسناده ضعيف .
(٣) الشجاع : الحية الذكر .
(٤) الأقرع : الذي لا شعر على رأسه ، وهذا يكون أكثر سماً من غيره .
(٥) أي نكتتان سوداوان فوق عينيه .
(٦) أي بشدقيه .

رواية : « يَفرُّ منه ، وهو يَتْبعُه ويتّقي منه ، فيُلْقمُه يَدَه ، ثم يُطَوِّقُه » وقرأ هذه الآية[١] وقد روي مثلُه عن ابن مسعود مرفوعاً[٢] .

وقال الأعمش ، عن عبد الله بن مُرَّة ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ، في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل : ٨٨] قال : زيدوا عَقَاربَ ، لها أذْناب كالنَّخْل الطِّوال .

وروى البَيْهقيّ عن الحاكم ، عن الأصَمّ ، عن محمد بن إسحاق ، عن أصْبَغ بن الفرَج ، عن ابن وَهْب ، عن عمرو بن الحارث : أنّ دَرّاجاً أبا السَّمْح حدَّثه : أنه سمع عبد الله بن الحارث بن جَزْءٍ الزُّبَيْديّ ، عن النبيّ ﷺ : « إنَّ في النَّارِ لَحيَّاتٍ أمْثالَ أعناق البُخْت ، يَلْسَعْن اللَّسْعة ، فيجدُ حُمُوَّتَها أربعينَ خَريفاً ، وإنَّ فيها لَعقاربَ كالبِغَالِ المُؤكَّفةِ[٣] يَلْسَعْن اللسعةَ فيجدُ حُموَّتَها أربعين خريفاً »[٤] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني محمد بن إدريس الْحَنْظليّ ، حدّثنا محمد بن عُثْمانَ أبو الجُماهر ، عن إسماعيلَ بن عيَّاش ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سَلاَّم ، حدّثني الحجَّاج بن عبد الله الثُّماليّ ، وكان قد رأى النبيَّ ﷺ ، وحجَّ معه حجَّة الوداع : أنَّ نُفَير بنَ مُجيبٍ ، وكان من أصحاب النبيّ ﷺ وقُدَمائِهم قال : إنَّ في جهَنَّم سَبْعين ألف وادٍ ، في كُلِّ وادٍ سبعون ألف شِعْبٍ ، في كلّ شِعْبٍ سبعونَ ألفَ دَارٍ ، في كلِّ دارٍ سبعون ألف بَيْتٍ ، في كُلّ بَيْتٍ سبعون ألف شَقٍّ ، في كل شَقٍّ سبعونَ ألْف ثُعْبانٍ ، في شِدْقِ كُلّ ثُعْبان سبعون ألف عَقْربٍ ، لا ينتهي الكافرُ والمنافق حتّى يواقع ذلك كُلَّه . وهذا موقوف ، وغريب جداً ، بل منكر نكارةً شديدةً ، وسعيد بن يوسف هذا الذي حدَّث عنه به إسماعيل بن عيَّاش مجهول ، والله أعلم ، وبتقدير رواية إسماعيل بن عيَّاش له عن يحيى بن أبي كثير ، وهو حِجازيّ ، وإسماعيلُ في غير الشاميّين غيرُ مقبول ، وقد ذكر هذا الأثر البُخاريّ في « تاريخه الكبير » بنحوٍ من هذا السياقِ ، فالله أعلم[٥] .

وقد ذكر بعضُ المفسرين في تفسير غَيٍّ ، وأثامٍ ، أنهما واديانِ من أودية جَهنّم أجارنا الله منها .

وقال بعضهم في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ [الكهف : ٥٢] هو نهر من قَيْحٍ ودم .

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٣) و(٦٩٥٧) .

(٢) رواه الترمذي (٣٠١٢) والنسائي (٥/ ١١ـ١٢) وابن ماجه (١٧٨٤) وهو حديث صحيح .

(٣) أي : الموضوع عليها الإكاف ، وهو البرذعة .

(٤) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٦١٦) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٩٧) والبخاري في « التاريخ الكبير » (٨/ ١٢٤) .

وقال عبد الله بن عمرو ، ومجاهد : هو وادٍ من أودية جهنم ، زاد عبد الله بن عمرو : عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهُدَى وأهل الضلالة .

وروى البيهقيُّ عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن العبَّاس الدُّوريّ ، عن ابن مَعين ، عن هُشَيم ، عن العوَّام بن حَوْشَب ، عن عبد الجبَّار الخَوْلانيّ ، قال : قدم علينا رجُلٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ دِمَشْقَ فرأى ما فيه الناسُ ، يعني من الدُّنيا ، فقال : وما يغني عنهم ما هم فيه من الدنيا ؟ أَلَيْسَ من ورائهم الفَلَقُ [قيل : وما الفلق ؟ قال : جُبٌّ في النار ، إذا فُتِحَ ، هَرَّ منهُ أَهْلُ النَّارِ . هكذا قال يحيى : هرَّ منه أَهْلُ النارِ ، ولم يَقُلْ : فَرَّ مِنْه ولا هرب منه][1] .

وروى البَيْهقيُّ عن الحاكم ، وغيره ، عن الأصمِّ ، عن إبراهيم بن مرزوق[2] ، بِمِصْر ، عن سعيد بن عامر ، عن شُعْبَة ، قال : كتب إليَّ منصور وقرأته عليه : عن مجاهد ، عن يزيد بن شَجَرَة ، وكان يزيد بن شجرة من الزُّهادِ ، وكان مُعاويةُ يستعملُهُ على الجُيُوش ، فخطبنا يوماً ، فحَمدَ الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيُّها الناسُ ، اذكروا نعمة الله عليكم ، ما أحسن أثر نِعْمةِ الله عليكم ! لو ترون ما أرى من بين أحمر ، وأصفر ، ومن كلّ لون ، وفي الرِّحال ما فيها ، إنه إذا أقيمت الصلاةُ فُتحت أبوابُ السماء ، وأبوابُ الْجنَّة ، وأبواب النار ، وإذا التقى الصَّفَّان ، فتحت أبواب الجنة ، وأبواب النار ، وزُيِّنَ الْحُورُ العِينُ فيَطَّلِعْنَ ، فإذا أقبل أحدكم بوجهه على القتال وعلى الصلاة ، قلن : اللهمَّ ثَبِّتْهُ ، اللهمَّ انْصُرْه ، وإذا أَدْبَر احْتَجَبْنَ عنه ، وقلن : اللهمَّ اغفر له ، فانهكوا بوجوه القوم[3] ، فِداكُمْ أبي وأمِّي ، فإنَّ أوَّل قَطرةٍ تَقْطُر من دمِ أحدكم يَحُطُّ اللهُ بها عنه خَطَاياه ، كما يَحُطّ الغُصْنُ ورَقَ الشجر ، وتَبْتَدِرُه اثنتانِ من الحور العِين وتَمْسحانِ التُّراب عن وَجْهِه ، وتقولان : فِدانا لَكَ ، ويقول : فدانا لَكُما ، فيُكْسَى مئةَ حُلَّةٍ ، لو وُضِعَتْ بين إصبَعيَّ هاتينِ لَوَسعَتَاهُنَّ ، لَيستْ من نَسْج بَني آدم ، ولكنها من ثياب الْجنّة ، إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم ، وبسيماكمْ ونَجْواكم ، وحُلاكُمْ ومَجالسِكُمْ ، فإذا كان يومُ القيامة قيل : يا فلان ، هذا نُورُكَ ، يا فلانُ ، لا نورَ لك ، وإنَّ لجهنَّم جِباباً[4] من سَاحِلٍ كساحل البحر ، فيه هوامٌّ وحَيَّاتٌ كالبَخاتيّ ، وعقاربُ كالبغال الدُّلْم أو كالدَّلَم البغال[5] ، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل : اخْرجُوا إلى الساحل، فتأخذُهم تلك الهَوامُّ بشِفاهِهِمْ وجُنُوبِهِم، وبمَا شاءَ اللهُ من ذلك فتكشطها[6] فيرجعون هرباً فيبادرون إلى مُعْظم النار ، ويُسلَّطُ عليهم

(١) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٥٢٩) وإسناده ضعيف .
(٢) في (آ) : إبراهيم بن مروان ، وهو خطأ .
(٣) أي ابلغوا جهدكم في قتالهم .
(٤) في الأصول : حيات .
(٥) في الأصول : كالبغال الدل ، أو كالدل البغال .
(٦) في الأصل : فتسترطها .

الْجَرَبُ ، حتَّى إنَّ أحدهم لَيَحُكُّ جلده حتَّى يَبْدُوَ العَظْمُ ، فيقال : يا فلان ، هل يُؤذيك هذا ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : ذلك بما كنتَ تُؤْذي المؤمنين(١) .

وقال الترمذيّ ، عن أبي سعيد ، قال: قال رسول الله ﷺ: « من سأل الله الْجنَّةَ ثَلاثَ مرَّاتٍ ، قالت الجنةُ : اللهمَّ أدْخلْهُ الْجنَّة ، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالتِ النارُ : اللهمَّ أجِرْهُ من النار »(٢) .

وروى البيهقيّ عن أبي سعيد ، أو عن ابن حُجَيْرة(٣) الأكبر ، عن أبي هريرة ، أنَّ أحدَهما حدثه عن رسول الله ﷺ ، قال : « إذا كان يومٌ حارٌّ ألقى اللهُ سمعَه وبصرَه إلى أهْل السماء ، وإلى أهل الأرض ، فإذا قال العبدُ : لا إلٰه إلا اللهُ ، ما أشدَّ حَرَّ هذا اليوم ! اللهمَّ أجِرْني من حَرِّ نارِ جهنّم ، قال الله لجهنّم : إنّ عَبْداً من عبادي قد استجار بي منك ، وإنّي أُشْهِدُكِ أنّي قدْ أجَرْتُه منكِ ، وإذا كان يومٌ شديدُ البرد ألقى الله سَمعَه وبصره إلى أهل السماء وإلى أهل الأرض ، فإذا قال العبدُ : لا إلٰه إلا الله ، ما أشدّ بَرْد هذا اليوم ! اللهمَّ أجِرْني من زَمْهَرير جَهنَّم ، قال الله تعالى لجهنم : إنَّ عَبْداً من عبادِي قد اسْتَجارَ بي من زَمْهَريركِ ، وإنّي أُشْهِدُكِ أنّي قد أجَرتُه » قالوا : وما زَمْهَريرُ جَهنَّم ؟ قال : « جُبٌّ يُلْقَى بهِ الكافرُ فيتميَّز(٤) من شدَّة البَرْد بعضُه عنْ بَعْضٍ »(٥) .

فصل

قال القرطبي : قال العلماء : أعْلَى الدّرَكاتِ جهنَّمُ ، وهي مُخْتَصَّةٌ بالعُصاة من أمّة محمد ﷺ ، وهي التي تخلو منْ أهلها فتصفق الرِّياحُ أبوابَها فلا يبقى فيها أحد من أمة محمد ، ويشاركهم بعض عصاة الأمم قبلهم ممن كان في التوحيد ، قال : ثم لَظى ، ثم الحُطمةُ ، ثم السَّعيرُ ، ثم سَقَر ، ثم الْجَحيمُ ، ثم الهاويةُ .

وقال الضحاك : في الدَّرْك الأعلى المحمديُّون ، وفي الثاني النصارى ، وفي الثالث اليهود ، وفي الرابع الصابئون ، وفي الخامس المَجُوسُ ، وفي السادس مشركو العرب ، وفي السابع المنافقون ، قلت : هذه المراتب والمنازل وتخصيصها بهؤلاء مما يحتاج إثباته إلى سند صحيح إلى المعصوم الذي

---

(١) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٦١٧) وفي إسناده ضعف .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٥٧٢) وابن ماجه رقم (٤٣٤٠) والنسائي (٨/٢٧٩) وابن حبان رقم (١٠٣٤) والحاكم (١/٥٣٥) وأحمد (٣/٢٠٨) كلهم من حديث أنس بن مالك ، لامن حديث أبي سعيد الخدري ، وهو حديث صحيح .

(٣) في الأصول : أبي حجيرة ، وهو خطأ .

(٤) أي : يفترق بعضه عن بعض .

(٥) وأخرجه البيهقي أيضاً في « الأسماء والصفات » (٣٨٧) وإسناده ضعيف .

لا ينطق عن الهوى، أو قرآن ناطق بذلك، ولكن معلوم أنَّ هؤلاء كلّهم يدخلون النار، وكونهم يكونون على هذه الصفة والأخبار، وعلى هذا الترتيب فالله أعلم بذلك، فأما المنافقون ففي الدَّرْك الأسفل من النار بنصّ القرآن لا محالة، قال القرطبيّ: فمن هذه الأسماء ما هو علَمٌ لِلنَّار كُلِّها بجُمْلتها، نحو جَهنَّم، وسعير، ولَظى، فهذه الأعلام، ليستْ لبابٍ دون بابٍ، وصدق رحمهُ اللهُ فيما قال.

وقال حَرْملةُ، عن ابن وَهْب: أخبرني عمرو: أنَّ دَرَّاجاً أبا السَّمْح حدَّثه: أنَّه سمع عبد الله بن الحارث بن جَزْءٍ الزُّبَيْديّ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنّ في النار لَحَياتٍ أمثالَ أعناقِ البُخْتِ، يَلْسَعْن أحدَهُم اللسعةَ فيجدُ حُموَّتها أربعين خَريفاً»[1].

وقال الطبرانيّ: حدّثنا أبو يزيد القَراطيسيّ، حدّثنا أسد بن موسى، حدّثنا إسماعيلُ بن عَيَّاش، عن الربيع، عن البَرَاءِ بن عازب: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عن قول الله تعالى: ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل: ٨٨]، قال: «عقاربُ أمْثالُ النَّخْلِ الطِّوالِ، تَنْهَشُهُمْ في جهنّم»[2].

وقد رواه الثوريّ عن الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن ابن مسعود قولَه، وتقدم[3].

وقال أبو بكر بن أبي الدّنيا: [حدّثنا شُجاعُ بن الأشْرَس، حدّثنا إسماعيلُ بن عيَّاشٍ، عن محمَّد بن عَجْلان، عن زَيْد بن أسْلَم، عن عطاء بن يَسارٍ]، عن كعْب الأحبار، قال: حَيَّاتُ جهنَّم أمْثالُ الأوْدية، وعَقارِبُها كأمْثالِ القلال، وإنَّ لها لأذْناباً كأمثال الرِّماح، تلْقَى إحداهُنَّ الكافرَ، فتَلْسَعُه فيَتناثرُ لَحْمُهُ على قدَمَيْه[4].

ذكر بكاء أهل النار فيها

قال أبو يَعْلَى الموصلي: حدّثنا عبد الله بن عبد الصمد بن أبي خِداش، حدّثنا محمد بن حُمَيْد[5]، عن ابن المبارك، عن عمران بن زيد، حدّثنا يزيدُ الرَّقاشيّ، عن أنس بن مالك قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يا أيُّها الناسُ ابْكُوا، فإنْ لم تبكوا فتَباكَوا، فإنَّ أهل النار يَبْكُونَ في النار حتى تَسيلَ دُموعُهُم في وجُوههم كأنها جَداوِلُ، حتّى تَنْقطع الدموع، فتَسيلَ فتقرّحَ العُيونَ، فلو أن سُفُناً أُرْسلتْ فيها لَجَرَتْ»، ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش، عن يزيد الرَّقاشيّ، عن أنس، بنحوه[6].

---

(١) رواه ابن حبان (٧٤٧١) والبيهقي في «البعث والنشور» (٦١٦) وإسناده حسن.
(٢) وفي إسناده ضعف.
(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٩١٠٥).
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٩٥).
(٥) في الأصول: حِمْير.
(٦) رواه أبو يعلى الموصلي (٤١٣٤) من حديث أنس وابن ماجه رقم (٤١٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص وإسناده=

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا محمد بن العباس ، حدّثنا حمَّاد الجَزَريّ ، عن زيد بن رُفَيْع[١] ، رفعه ، قال : « إنّ أهل النار إذا دخلوا النار بَكَوا الدُّموعَ زماناً ، ثم بكَوا القَيْحَ زَماناً ، فيقول لهم الخَزَنةُ : يا معشر الأشقياء ، تركتُم البكاء في الدار المرحومِ فيها أهلها وتبكون في الدار التي لا يُرحم أهلها ، هل تجدون اليومَ من تَسْتغيثون به ؟ » قال : « فيرفعون أصواتهم : يا أهل الجنّة ؛ يا معشر الآباء والأمَّهاتِ والأولاد والقُربات ، خرجنا من القبور عِطاشاً ، وكُنَّا طول الموقف عِطاشاً ، ونحنُ اليومَ في النار عطاشٌ ، فـ ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ » قال : « فيَدْعُونَ أربعين سنةً لا يجيبهُم أحد ، ثم يجيبهم مالك : ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ قال : « فَيَيْأسونَ من كلّ خيْر »[٢] .

قوله تعالى : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾

قال الإمامُ أحمد : حدّثنا عليُّ بن إسحاق ، حدّثنا عبد الله هو ابن المبارك ، أخبرنا سعيدُ بن يزيد ، أبو شُجاع ، عن أبي السَّمْح ، عن أبي الهَيْثم ، عن أبي سعيد ، [عن النبيّ ﷺ] قال : ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] قال : « تَشْويهِ النارُ ، فتَقلِصُ شَفتهُ [العُلْيا] حتَّى تبْلُغَ وَسط رَأْسِه ، وتَسْتَرْخي شَفَتهُ السُّفْلى حتَّى تبلغ سرته » . ورواه الترمذي عن سُوَيْد ، عن ابن المبارك ، به ، وقال : حسن صحيح غريب[٣] .

وقال ابن مَرْدَوَيْهِ : حدّثنا أحمدُ بن محمد بن يحيى القَزّاز ، حدّثنا الخضر[٤] بن عليّ بن يوسف القَطَّان ، حدّثنا عمُّ الحارث بن الخضر[٥] القَطَّان ، حدّثنا سعيدُ بن أبي سَعيد المَقْبُريّ ، عن أخيه ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ قال : « تلفحهم لَفْحةً ، فتَسيلُ لحومهم على أعقابهم »[٦] . أجارنا الله منها .

أحاديث شتى في صفة النار وأهلها

قال أبو القاسم الطبرانيّ : حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدّثنا أبو الشَّعْثاء علي بن الحسن

= ضعيف. ولكن صح من طريق الحاكم (٤/ ٦٠٥) وصححه الذهبي ، وهو كما قالا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل النار ليبكون ، حتى لو أُجريت السُّفن في دموعهم لجرت ، وإنهم يبكون الدم » يعني مكان الدمع .

(١) في (آ) : يزيد بن رفيع ، وهو خطأ ، وزيد بن رفيع ، ضعفه الدارقطني . وقال النسائي : ليس بالقوي .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (٢١١) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٨٨) والترمذي (٢٥٨٧) وإسناده ضعيف .

(٤) في (آ) : الحسن بن علي .

(٥) في الأصل : عم أبي الحارث الخضر .

(٦) وإسناده ضعيف .

الواسطيّ ، حدّثنا خالدُ بن نافعِ الأشعري ، عن سعيد بن أبي بُرْدةَ ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا اجتمع أهلُ النار في النار ، ومعهم من شاء الله من أهل القِبْلَةِ ، قال الكفّار للمسلمين : ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوبٌ فأُخذْنا بها » قال : « فسَمِعَ اللهُ ما قالوا ، فأمر بمن كان في النار من أهل القِبْلَةِ فأُخْرِجُوا ؟ فلمّا رأى ذلك من بقي في النار من الكفّار قالوا : يا ليتنا كُنّا مسلمين ، فنَخْرُجَ كما خَرَجُوا » قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر : ١ ـ ٢] (١) .

وقال الطبرانيّ : حدّثنا موسى بن هارون ، حدّثنا إسحاق بن رَاهَوَيْه ، قال : قلتُ لأبي أُسامة : أحدَّثكم أبو رَوقٍ عَطيّةُ بن الحارث، حدّثني صالحُ بن [أبي] طَريف ، سألتُ أبا سعيد الخُدْريّ ، فقلت له : هل سمعتَ رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ ؟ قال : نعم ، سمعتُه يقول : « يُخْرِجُ الله ناساً من المؤمنين من النار بَعْدَما يَأخُذُ نِقْمته منهم » وقال : « لَمَّا أدخلهم النار مع المشركين قال لهم المشركون : تَزعمُون أنكم كنتم أولياء الله في الدنيا ، فما بالكم معنا في النار ؟ فإذا سمع الله ذلك منهم ، أذِنَ في الشَّفَاعةِ لهم ، فيشفع الملائكةُ والنبيُّون ، ويَشْفَعُ المؤمنون، حتّى يَخرجُوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا لَيْتَنا كُنّا مثلَهم، فتُدركنا الشفاعةُ، فنخرُجَ معهم » قال : « فذلك قول الله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ فيُسمَّون في الجنة الجهنميون(٢) ، من أجل سوادٍ في وجوههم ، فيقولون : يا رَبَّنا أذهب عنّا هذا الاسم ، فيأمرهم ، فيَغْتسلون في نهر الجنّة ، فيذهبُ ذلك الاسم عنهم » ؟ فأقرَّ به أبو أُسامة ، وقال : نعم(٣) .

وقال الطبرانيّ: حدّثنا محمد بن العباس، هو الأَخْرَمُ، حدثنا محمد بن منصور هو الطُّوسيّ، حدّثنا صالح بن إسحاق الجِهْبذُ، وأثنى عليه يحيى بن مَعين، حدّثنا مُعَرّف بن واصل، عن يعقوب بن أبي نُباتة، عن عبد الرحمن الأغرّ ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ: « إنَّ ناساً منْ أهْلِ لا إله إلا الله يَدْخُلونَ النارَ بذنُوبهم، فيقول لهم أهل اللاتِ والعُزّى: ما أغنَى عنكم قولُكم: لا إله إلا اللهُ، وأنتم مَعَنا في النَّارِ ؟ فيَغْضَبُ اللهُ لَهُمْ فيُخْرِجُهُمْ، فيُلْقيهمْ في نَهْرِ الْحَياةِ ، فيبرؤونَ من حَرَقهم ، كما يَبرأ القَمَرُ منْ كُسُوفِهِ ، فيدْخُلُون الْجنَّةَ ، ويُسمَّوْن فيها الْجَهَنميين » فقال رجل : يا أنس ، أنتَ سمعتَ هذا من رَسُولِ الله ﷺ ؟ فقال أنس : سمعتُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) وإسناده ضعيف ، خالد بن نافع الأشعري فيه كلام ، ولكن للحديث شواهد يقوى بها ، انظر السنة لابن أبي عاصم رقم (٨٤٣) .

(٢) كذا الأصول . وفي صحيح ابن حبان رقم (٧٤٣٢) : الجهنميين .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » (٨١١٠) وفي سنده صالح بن أبي طريف ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده ، انظر صحيح ابن حبان رقم (٧٤٣٢) .

يقول : « مَنْ كَذَبَ عليَّ مُتعمِّداً ، فَلْيَتَبوأْ مَقْعدهُ منَ النارِ » نَعَمْ أنا سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول هذا .

قال الطبرانيّ : لم يروه عن مُعَرّف بن واصل إلّا صالحُ بن إسحاقَ الجِهْبذ[١] .

أثر غريب وسياق عجيب

قال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا أبو عبد الرحمن القُرَشيّ ، حدّثنا طَلْحةُ بنُ سنان ، حدّثنا عبدُ الملك بن أبْجر[٢] ، عن الشعبيّ ، عن أبي هريرة ، قال : يُؤتى بجهنَّم يَوْمَ القيامَةِ تُقادُ بسَبْعينَ ألْفَ زِمامٍ ، آخِذ بكُلِّ زِمَام سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ ، وَهيَ تَمايلُ عَلَيْهِمْ حتّى تُوقفَ عَنْ يَمينِ العَرْشِ ، وَيُلْقي اللهُ عليْها الذُّلَّ يَوْمئذٍ ، فَيُوحي اللهُ إلَيْها : ما هذا الذُّلُّ ؟ فتقولُ : يا رَبِّ ، أخَافُ أنْ تَكُونَ لَكَ فيَّ نِقْمةٌ فيُوحي اللهُ إليْها : إنَّما خَلَقْتُكِ نِقْمةً ، وَلَيْسَ لِي فيكِ نِقْمةٌ ، فَيُوحي اللهُ إلَيْها ، فتَزْفِرُ زفرةً لا تَبْقى دَمْعةٌ في عَيْنٍ إلاَّ جَرتْ ، قال : ثُمَّ تَزْفِرُ أُخرى ، فلا يَبْقى مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيّ مُرسلٌ إلّا صعِقَ ، إلاّ نبيُّكمْ نَبيُّ الرَّحْمةِ ، يقول : يا رَبِّ أُمَّتي أُمَّتي[٣] .

أثر آخر من أغرب الآثار عن كعب الأحبار

قال الحافظُ أبو نُعَيْم الأصبهانيّ : حدّثنا أبي ، حدّثنا أحمد بن محمَّد بن الحُسَيْن البَغْداديّ ، حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن الجُنَيْد، حدّثنا عُبَيد الله بنُ محمَّد بن عائشة، حدّثنا سَلْم الخوَّاصُ[٤]، عن فُراتٍ بن السَّائبِ ، عن زَاذانَ ، قال : سمعتُ كَعْبَ الأحبار يقول : إذا كانَ يومُ القيامةِ جَمَعَ اللهُ الأوّلينَ والآخِرينَ في صَعيدٍ واحدٍ ، فَنَزلتِ المَلائكةُ فَصارُوا صُفُوفاً ، فيقول الله تعالى : يا جبريل ائتني بجهنَّم ، فيَأْتي بها جِبْريلُ تُقادُ بسَبْعينَ ألفَ زِمامٍ ، حتَّى إذا كانت منَ الْخَلائقِ على قَدْرِ مئةِ عام زَفرتْ زَفْرةً طَارَتْ لَها أفئدةُ الْخَلائقِ ، ثمَّ زَفَرَتْ ثانيةً ، فلا يَبْقَى مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيّ مُرسلٌ إلا جَثا لِرُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ زَفَرَت الثَّالِثَةَ ، فتَبْلُغ القُلُوبُ الْحناجِرَ وتَذْهلُ العُقُولُ ، فَيَفْزَعُ كُلُّ امْرِئٍ إلى عَمَلِهِ حتَّى إنَّ إبْراهيمَ الْخليلَ عليه السلام يَقُولُ : بخُلَّتي لا أسْأَلُكَ الْيَوْمَ إلاَّ نَفْسي ، ويقول موسَى عليه السلام : بمُناجاتي لا أسألُكَ إلاَّ نَفْسي ، وإنَّ عيسى عليه السلام لَيَقُولُ : بما أكْرَمْتني لا أسألُكَ إلاَّ نَفْسي ، لا أسْأَلُكَ مَرْيمَ الَّتي وَلَدَتْني ، ومحمَّدٌ ﷺ يقول : أمَّتي أُمَّتي لا أسْأَلُكَ الْيَوْمَ نَفْسي ، إنَّما أسْأَلُكَ أُمَّتي ، قال : فَيُجيبُهُ الْجَليلُ جل جلاله : أوليائي منْ أُمَّتِكَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزنُونَ ، فَوَعِزَّتي وَجَلالي

---

(١) إسناده ضعيف ، ولكن لبعضه طرق وشواهد بمعناه يقوى بها .
(٢) في (آ) ابن الجز ، وهو خطأ .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (١٨٢) .
(٤) في الأصل : حدّثنا مسلم ، والتصحيح من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .

لأُقِرَّنَّ عينَك في أمَّتِكَ ، ثُمَّ تقفُ المَلائكةُ بَيْنَ يَدي اللهِ عزَّ وجلَّ يَنْتظِرُونَ ما يُؤمَرُونَ به ، فيقول لهم الربُّ تعالى وتَقَدَّسَ : معاشر الزبانية انطلقوا بالمصرِّين على الكَبَائر منْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ إلى النَّارِ ، فَقَدِ اشْتَدَّ غَضبي عَليهمْ بتَهاونِهِمْ بأمْري في دَارِ الدُّنيا ، واسْتِخْفَافِهِمْ بِحَقِّي ، وانْتِهاكِهِم حُرْمتي ، يَسْتَخفون مِنَ النَّاسِ وَيُبارِزُوني بالمعاصي مَعَ كَرامتي لهم ، وتَفْضيلي إيَّاهُمْ على الأُمَمِ ، ولَمْ يَعْرفُوا فَضْلي ، وعِظَمَ نِعْمتي ، فَعِنْد ذلك تأخُذُ الزَّبَانية بلِحى الرِّجَالِ ، وذَوائبِ النِّساء ، فينْطَلِقُون بهم إلى النَّار ، وما مِنْ عَبْدٍ يُساقُ إلى النَّارِ منْ غَيْرِ هَذِهِ الأمَّةِ إلاَّ مُسْوداً وَجْهُهُ ، وقَدْ وُضِعَتِ الأنْكالُ[1] في قَدَمَيهِ ، والأغْلالُ في عُنُقه إلاَّ ما كانَ من أهل النار مِنْ هَذِهِ الأمَّةِ ، فإنَّهُمْ يُساقُونَ إلى النار بِألْوَانِهِمْ ، فإذا وَرَدوا على مَالِكٍ قال لهم : معَاشِرَ الأشْقِيَاءِ ، مِنْ أيِّ أمَّةٍ أنتم ؟ فمَا وَرَدَ عَليَّ أحْسَنُ وجُوهاً مِنْكُم ، فيقُولُون : يا مَالِكُ ، نَحْنُ منْ أُمَّةِ القُرْآنِ ، فيقولُ لَهُمْ : معَاشرَ الأشْقياء أو لَيْسَ القُرْآنُ أُنْزلَ عَلى محمَّد ﷺ ؟ قال : فَيَرْفَعُونَ أصْوَاتَهُمْ بالنَّحيب ، والبُكاء : وامُحمَّدَاه ، يا مُحمَّدُ اشْفَعْ لِمَنْ آمن بك ممن أُمرَ بهِ إلى النَّارِ مِنْ أُمَّتِكَ ، قال : فَيُنادى مالك بتهدُّدٍ ، وانْتهارٍ : يا مَالِكُ ، منْ أمَرَكَ بمعاتبة الأشْقِيَاء ، وَمُحادَثَتهمْ ، والتَوَقُّفِ عنْ إدْخالِهم العذاب ؟ يا مَالِكُ ، لا تُسوِّدْ وُجُوههمْ ، فقد كانوا يَسْجُدُونَ لي بها في دار الدنيا ، يا مالكُ لا تَغُلَّهُم بالأغْلالِ ، فقدْ كانُوا يَغْتسلُونَ منَ الْجَنابةِ ، يا مَالِكُ ، لا تُقيِّدْهُمْ بالأنْكالِ ، فقدْ طافُوا حَوْلَ بَيْتِيَ الحَرَامِ ، يا مالِك لا تُلْبسهُم القَطِرَانَ ، فقد خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ لِلإحْرَامِ ، يا مَالِكُ ، [مُرِ النار لا تحرق ألسنتهم ، فقد كانوا يقرؤون القرآن ، يا مالك] قُلْ للنَّارِ تَأْخُذْهُمْ على قَدْرِ أعْمَالِهِمْ ، فَالنَّارُ أعْرَفُ بهمْ وبمقاديرِ اسْتِحْقَاقهمْ من العذاب منَ الوَالِدَة بوَلَدِها ، فمِنْهُمْ منْ تَأْخذُهُ النَّارُ إلى كَعْبَيْهِ ، ومنْهُمْ منْ تأخذُهُ النَّارُ إلى رُكْبَتَيْهِ ، ومِنْهُمْ من تأخُذُهُ النَّارُ إلى سُرَّتهِ ، ومنْهُمْ منْ تأخذُهُ النَّارُ إلى صَدْرِهِ ، قال : فإذا انْتَقَم اللهُ منْهُمْ على قَدْرِ كَبائرِهِمْ وعُتُوِّهِمْ وإصْرَارِهم ، فتح بينهم وبين المشركين باباً وهم في الطَّبَقِ الأعْلَى من النار ، لا يذوقُونَ بَرْداً ولا شَراباً ، يبكون ، ويقولون : يا مُحمَّداهُ ، ارحم من أُمَّتك الأشْقياءَ ، واشْفَعْ لَهُمْ ، فقد أكلت النارُ لُحُومَهُمْ ، وعِظامهمْ وَدِماءهم ، ثم ينادُون : يا رَبّاه ، يا سيّداه ، ارحم من لم يُشركْ بك شيئاً في دار الدُّنيا ، وإن كان قد أساء وأخْطأ ، وتَعدَّى ، فعِنْدها يقولُ المُشْركُون لهم : ما أغنى عَنْكُمْ إيمانُكُمْ باللهِ ، وبمحمّد ، فيَغْضبُ اللهُ لذلكَ ، فيقول : يا جبريلُ ، انْطَلِقْ ، فَأخرِجْ منْ في النَّارِ منْ أُمَّةِ محمَّد ﷺ ، فيُخْرجُهُم ضَبائرَ[2] ، قد امْتَحشُوا[3] ، فيُلْقيهمْ على نَهْرٍ على بابِ الْجَنَّةِ ، يُقالُ لَهُ : نَهْرُ الحياة ، فيَمْكُثونَ حتَّى يَعُودُوا أنْضر ما كانوا ، ثمَّ يأمرُ الله عز وجل بإدخالهم الْجنَّةَ ، مكتوبٌ على جِباهِهِمْ : هَؤُلاءِ الْجَهنَّمِيُّونَ ، عُتَقاءُ

(١) الأنكال : جمع نِكل ، وهو القيد .
(٢) ضبائر : جماعة في تفرق .
(٣) أي : احترقوا .

الرَّحْمَنِ منْ أمَّةِ محمَّد ﷺ ، فيُعْرفُونَ من بَيْنِ أَهْلِ الْجنَّةِ بذلك ، فيتَضرَّعُونَ إلى الله تعالى أنْ يَمْحُوَ عَنْهُمْ تلك السِّمَةَ ، فيَمْحُوها اللهُ عنهم ، فلا يُعْرفونَ بها بَعْدَ ذلك منْ بَيْن أهْلِ الجَنّةِ .

لبَعْض هذا الأثر ، شواهدُ من الأحاديث ، والله أعلم .

وسيأتي بعد ذكر أحاديث الشفاعة ذِكر آخِر منْ يخْرُجُ منَ النار ويَدْخُلُ الْجنّةَ إنْ شاءَ اللهُ تعالى .

ذكر الأحاديث الواردة في شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة وبيان أنواعها وتعدادها

النوع الأول منها شفاعته الأولى ، وهي العظمى الخاصة به من بين سائر إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وهي التي يرغب إليه فيها الخلق كلّهم حتى إبراهيم الخليل ، وموسى [الكليم] ، [ويتوسَّل الناسُ إلى آدم ، فمنْ بعده من المُرسلين ، فكلٌّ يَحيدُ عنها ، ويقولُ : لَسْتُ بِصَاحِبها] ، حتّى يَنْتهيَ الأمْرُ إلى سيِّد وَلَد آدمَ في الدُّنيا والآخِرَةِ محمّدٍ ﷺ ، فيقول : [أنا لها] ، أنا لها ، فيذهبُ فيَشْفَعُ عند الله تعالى في أنْ يَأْتي لفصل القضاء بَيْنَ الخلق ويُريحَهُمْ مما هم فيه ، ويَميز بَيْنَ مُؤمنهم وكافِرهِمْ ، بمُجازاةِ المؤمنين بالجنّةِ ، والكافرين بالنار .

وقد ذكرنا ذلك عند تفسير قوله تعالى : في سورة (سُبْحانَ) ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، وقد قدَّمنا في هذا الكتاب من الأحاديث الدالّةِ على هذا المقام المحمود ما فيه كفايةٌ ، ولله الحمد والمِنّة .

وثبت في « الصحيحين » من طريق هُشَيْم ، عن سَيَّار ، عن يَزيدَ الفَقيرِ ، عن جَابر بن عبد الله قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أُعطيتُ خَمساً لَمْ يُعْطَهنَّ أحَدٌ منَ الأنْبياءِ قَبْلي : نُصرْتُ بالرُّعْبِ مَسيرَةَ شهْرٍ ، وَجُعِلَتْ ليَ الأرْضُ مَسْجداً وطَهُوراً ، وأُحِلَّتْ ليَ الغَنائمُ ، ولمْ تَحِلَّ لأحدٍ قَبْلي ، وَأُعْطيتُ الشَّفَاعَةَ ، وكان النَّبيُّ يُبْعثُ إلى قَوْمِهِ [خاصَّةً] وَبُعثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً »[(١)] .

وقد رواه أبو داود الطَّيالسيُّ ، عن شُعْبَةَ ، عن وَاصلٍ ، عن مُجاهدٍ ، عن أبي ذَرٍّ ، عن النبيِّ ﷺ ، بنحوه ، ورواه الأعْمشُ ، عن مُجاهدٍ ، عن عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ ، عن أبي ذَرٍّ[(٢)] .

فقوله : « وأُعْطيتُ الشَّفَاعَةَ » يعني [بذلك] الشَّفَاعَةَ العُظْمى ، وهي الأُولى الَّتي يَشْفعُ فيها [عِنْدَ اللهِ عزَّ وجلَّ] لِفَصْلِ القَضاءِ بين العباد ، ويغبطه بها الأولون والآخرون .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » رقم (٤٧٢) وعبد الله بن المبارك في « الزهد » (١٠٦٩) وهو حديث حسن .

فهذه هي الشّفاعة الّتي اخْتصَّ بها دُونَ غَيْرِه من الرسل ، وأما الشفاعة في العُصَاةِ ، فيشركه فيها غَيْره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين حتى القرآن والأعمال الصالحة ، كما سيأتي بيان ذلك فيما نورده من الأحاديث الصحيحة وغيرها فقد ثبتت له ولغيره .

وقال الأوزاعيّ ، عن أبي عمّار ، عن عبد الله بن فرُّوخ ، عن أبي هُريرةَ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « أنَا أوَّلُ منْ تَنْشقُّ عَنْهُ [الأرْضُ] ، وأوَّلُ شَافِعٍ ، وأوّلُ مُشَفَّعٍ »(١) .

ورواه البيهقيُّ عن مَعْمر بن راشد ، عن محمد بن عبد الله بن أبي يَعْقوبَ ، عن بِشْرِ بن شَغَافٍ ، عن عبد الله بن سَلامٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدم ولا فَخْرَ ، وأنَا أوَّلُ منْ تَنْشق عَنْهُ الأرضُ ، وأنَا أوَّلُ شَافِعٍ ومُشَفَّعٍ ، بِيَدي لِواءُ الْحَمْدِ ، تحتي آدَم ، فمنْ دُونَهُ »(٢) .

وفي « صحيح مسلم » من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أُبيِّ بن كَعْبٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ رَبِّي أرْسَلَ إليَّ أنِ اقْرإِ القُرْآنَ على حَرْفٍ ، فَرَددتُ عَلَيْهِ : يا رَبِّ ، هَوِّنْ على أُمَّتي ، فَرَدَّ عليَّ الثّانيةَ : أنِ اقْرَأهُ على حرفين(٣) » قال : « قلت : يا رَبِّ ، هَوِّنْ على أمَّتي ، فَرَدَّ عَليَّ الثّالِثَةَ : أنِ اقْرأهُ على سَبْعةِ أحْرُفٍ ، ولَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رُدِدْتَها مَسْألةٌ تَسْألنيها ، فقلتُ : يا رب اللّهُمَّ اغْفرْ لأُمَّتي ، اللّهُمَّ اغفرْ لأمَّتي ، وأخَّرْتُ الثَّالِثَةَ إلى يومٍ يَرْغبُ إليَّ فيهِ الْخَلْقُ [كُلُّهُمْ] حتى إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ »(٤) .

النوع الثاني والثالث من الشفاعة

شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم ، وسيِّئاتُهُمْ ، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ، وفي أقوام قد أُمر بهم إلى النَّارِ ألاّ يَدْخُلوهَا .

قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدُّنيا في كتاب « الأهوال » : حدّثنا سعيدُ بن محمد الجَرْميُّ ، حدّثنا أبو عُبَيْدةَ الْحَدّاد ، حدّثنا محمد بنُ ثابتٍ البُنَانيُّ ، عن عُبَيْدِ الله بن عَبْدِ الله بن الحارث بن نَوْفلٍ ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُنْصبُ لِلأنْبياءِ يَوْمَ القِيامَةِ مَنابرُ منْ ذهبٍ ، فيَجْلسُون علَيْها » قال : « وَيَبْقى مِنبري لا أجْلسُ عَلَيْهِ قَائماً بَيْنَ يَدي الله عزَّ وجلَّ مُنْتصباً بِأُمَّتي مَخافَةَ أنْ يُبْعَثَ بي إلى الْجنَّةِ وَتَبْقى أمَّتي بَعْدي ، فأقول : يا رَبِّ أُمَّتي ، فيقولُ [اللهُ] : يا محمد ، وما تُريدُ أنْ أصْنَعَ بِأُمَّتِكَ ؟ فأقولُ : يا رَبِّ ، عَجِّلْ حِسَابَهُمْ . فَيُدْعى بِهِمْ ، فَيُحاسبُونَ ، فمِنْهُمْ منْ يَدْخُلُ الْجنَّةَ

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٧٨) .
(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٧٩٣) من طريق معمر ، به ، وهو حديث صحيح .
(٣) في الأصول : على حرف ، وما أثبتناه من صحيح مسلم .
(٤) رواه مسلم رقم (٨٢٠) .

بِرَحْمةِ اللهِ ، ومِنْهُمْ منْ يَدْخُلُ الْجَنَّة بِشَفاعتي ، وما أزَالُ أشْفَعُ حتى أُعْطَى صِكاكاً بِرجَالٍ قَدْ بُعِثَ بِهِمْ إلى النَّارِ ، حتّى إنَّ مَالِكاً خَازنَ النار لِيَقُولُ : يا مُحمَّدُ ، ما تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ لأُمَّتِكَ منْ نِقْمةٍ »[١] .

وحدّثنا إسماعيلُ بنُ عُبَيْدِ بنِ عُمَرَ[٢] بن أبي كريمة ، حدّثني محمد بنُ سَلَمةَ[٣] ، عن أبي عبد الرحيم ، حدّثني زيدُ بنُ أبي أُنَيسة ، عن المِنْهالِ بنِ عَمْرٍو ، عن عبدِ اللهِ بن الْحَارِث ، عن أبي هريرة ، قال : يُحْشرُ النَّاسُ عُراةً ، فَيَجْتمعونَ شَاخِصةً أبْصَارُهُمْ إلى السَّماءِ ، يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ القَضاءِ ، قِياماً أرْبَعينَ سَنَةً ، فَيَنْزِلُ اللهُ عزَّ وجلَّ منَ الْعَرْشِ إلى الكُرْسيِّ ، فيكونُ أوّلَ منْ يُدْعى إبراهيمُ الْخَليلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فيُكْسَى قُبْطِيَّتَيْنِ من الْجنَّةِ ، ثم يقول : ادعوا لِيَ النبيَّ الأمِّيَّ محمَّداً ، قال : « فأقُومُ ، فَأُكْسى حُلّةً من ثِيَاب الجنة » قال : « وَيُفَجَّرُ لِيَ الْحَوْضُ ، وَعَرْضُهُ كما بَيْنَ أيْلَة إلى الكَعْبةِ » قال : « فَأشْرَبُ ، وَأغْتسِلُ ، وَقدْ تَقطَّعَتْ أعْناقُ الخَلائقِ منَ العَطَشِ ، ثمَّ أقومُ عنْ يَمين الكُرْسيِّ ، لَيْسَ أحَدٌ يومئذٍ قَائماً ذَلِكَ المَقَامَ غَيْري ، ثمَّ يُقالُ : سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » قال : فقال رَجُلٌ : أتَرْجُو لِوَالِدَيْكَ شَيْئاً يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « إنِّي لَشافِعٌ لَهُما أُعْطيتُ أوْ مُنِعْتُ ، وما أرْجُو لَهُما شَيْئاً » .

ثمَّ قال المِنْهالُ : حدّثني عبدُ الله بن الحارث أيضاً : أنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ قال : « أمُرُّ بِقَوْمٍ منْ أُمَّتي قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إلى النَّارِ ، فَيَقُولونَ : يا محمَّد ، نَنْشُدُكَ الشّفاعة » قال : « فآمرُ الملائكةَ أنْ يَقِفُوا بِهِمْ » قال : « فَأنطلقُ فأسْتأذِنُ على الرَّبِّ عزَّ وجلَّ ، فيؤذن لي فَأسْجدُ وأقولُ : يا رَبِّ قَوْمٌ منْ أمَّتي قَدْ أمَرْتَ بهِمْ إلى النَّارِ » قال : « فيقول : انْطَلِقْ فَأخْرِجْ منْهُمْ » قال : « فأنْطَلِقُ ، فَأُخْرِج منْهُمْ منْ شَاءَ اللهُ أنْ أُخْرِجَ ، ثمَّ يُنَادي البَاقُونَ : يا محمد ، نَنْشُدُكَ الشَّفَاعَةَ ، فأرْجعُ إلى الرَّبِّ عز وجل ، فَأسْتأذِنُ ، فَيُؤذنُ لي ، فأسْجُدُ ، فَيُقَالُ لي : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » قال : « فأقوم فَأُثْني على اللهِ ثَنَاءً لم يُثْنِ عَلَيْهِ أحدٌ مثله ، ثم أقولُ : يا رب قوم من أُمَّتي قَدْ أُمِرَ بهِمْ إلى النَّارِ ، فيقول : انْطَلِقْ ، فَأخْرِجْ منْهُمْ » قال : « فأقولُ : يا رَبِّ أُخْرِجُ منْهُمْ منْ قال : لا إلٰه إلا اللهُ ، ومَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ منْ إيمانٍ ؟ » قال : « فيَقُولُ : يا مُحمَّدُ ، لَيستْ تِلْكَ لَكَ ، تِلْكَ لي » قال : « فأنْطلقُ فَأُخْرِجُ منْ شَاءَ اللهُ أنْ أُخرج » قال : « وَيَبْقى قَوْمٌ فيَدْخُلونَ النَّارَ ، فَيُعَيِّرُهُمْ أهْلُ النَّارِ فيقُولُونَ : أنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللهَ ، ولا تُشْرِكُونَ بِهِ شيئاً ، فما الذي أدْخَلَكُم النَّارَ » ، قالَ : « فَيَحرجونَ ويحزنون من ذَلِك » ، قال : « فَيَبْعثُ اللهُ مَلَكاً بكَفٍّ منْ مَاءٍ فَيَنْضحُ بها في النَّارِ التي فيها الموحِّدون ، فلا يبقى أحد من أهل لا إلٰه إلا الله ، إلا وقعت في وجهه منها قطرة ، قال : فيُعرفون بها ، ويغبطهم أهلُ النَّارِ ، ثمَّ يَخْرُجُونَ فَيَدخُلونَ الْجنَّةَ ، فيُقالُ لهمْ : انطلقُوا ، فَتَضيَّفُوا النَّاسَ ، فلوْ أنَّ جَميعَهُمْ نَـزلُوا بِرَجُلٍ واحدٍ كانَ لَهُمْ

(١) وأخرجه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٦١) وإسناده ضعيف .

(٢) في الأصول : عمير ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٣) في الأصول : محمد بن مسلمة ، والتصحيح من كتب الرجال .

عندَهُ سَعةٌ وَيُسمَّوْنَ المُحرَّرينَ »[١] . وهذا السِّياقُ يَقْتَضي تَعْدادَ هَذِهِ الشَّفَاعة فِي مَنْ أُمِرَ بِهِمْ إلى النَّارِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ألاّ يَدْخُلُوها ، ويَكُونُ مَعْنى قَوْله : فأخْرِجْ ، أيْ أنْقِذْ ، بدَليلِ قَوْلِه بَعْدَ ذَلِكَ : « وَيَبْقَى قَوْمٌ فَيَدْخُلونَ النَّارَ » ، واللهُ سُبحانَهُ وتعالى أعلم بالصَّوابِ .

النوع الرابع من الشفاعة ، شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم .

وقَدْ وافَقتِ المُعْتَزلةُ على هذهِ الشفَاعةِ خَاصَّةً ، وخَالفُوا فِيما عَدَاهَا مِنَ الشفاعاتِ ، مع تَواتُرِ الأحَاديث فيها ، على ما سَتَراهُ قَريباً إنْ شاء الله تعالى .

فأما دليل هذه الشفاعة ، فهو ما ثبت في « الصحيحين » وغيرهما من رواية أبي موسى الأشْعريّ لمَّا أُصيبَ عَمُّهُ أبو عَامِرٍ في غَزْوَةِ أوطَاس ، فلمَّا أخْبَرَ أبو مُوسى رسولَ الله ﷺ بذَلِكَ ، قال : فتوضأ رسولُ الله ، وَرَفعَ يَدَيْهِ ، وقال : « اللَّهُمَّ اغْفرْ لِعُبَيْدٍ أبي عَامِرٍ ، وَاجْعَلْهُ يَوْمَ القِيامةِ فَوْقَ كَثيرٍ مِنْ خَلْقك »[٢] .

وهكذا حديث أمِّ سَلَمةَ : أنَّ رسولَ الله ﷺ دَعَا لأبي سَلَمةَ بَعْدَما تُوفِّيَ ، فقال : « اللّهُمَّ اغْفِرْ لأبي سَلَمةَ ، وَارْفَعْ دَرَجَتهُ في المَهْدِيِّين ، وَاخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الْغَابرينَ ، وَاغْفرْ لَنا ولَهُ يا رَبَّ العَالمينَ ، وَافْسَحْ لهُ في قَبْرِهِ ، ونَوِّرْ لَهُ فيهِ » . وهو في « صحيح مسلم »[٣] .

وقد ذكر القاضي عياضٌ وغيرُه ، نوعاً آخر من الشفاعة وهو خامسٌ ، وهي في أقوام يدخلون الْجنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَلَمْ أرَ لِهَذا شاهداً فيمَا عَلِمْتُ ، ولم يذكر القاضي عياضٌ له مستنداً فيمَا رَأيْتُ ، ثمَّ تَذَكَّرْتُ حَديثَ عُكَّاشَةَ بنِ مِحْصنٍ حينَ دَعا لَهُ رسولُ الله ﷺ أنْ يَجْعَلَهُ منَ السَّبعينَ ألْفاً الَّذينَ يَدْخُلونَ الْجنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ ، والحديث مُخَرَّج في « الصحيحين » ، كما تقدَّم[٤] وهو يُناسبُ هذَا المقام .

وذكر أبو عبد الله القرطبيّ في « التذكرة » نوعاً سادِساً منَ الشَّفاعةِ ، وهو شَفَاعتُه في عمِّه أبي طالبٍ أنْ يُخَفَّفَ عَذَابُهُ ، واستشهدَ بحدِيثِ أبي سَعيدٍ في « صحيح مُسْلمٍ » أنَّ رسولَ الله ﷺ ذُكِرَ

---

(١) وهو مرسل .
(٢) رواه البخاري (٢٨٨٤) ومسلم (٢٤٩٨) .
(٣) رواه مسلم (٩٢٠) .
(٤) رواه البخاري (٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس والبخاري (٦٥٤٢) ومسلم (٢١٦) من حديث أبي هريرة .

عِنْدهُ عَمُّهُ أبو طَالِبٍ فقال : « لَعلَّهُ تَنْفَعُه شَفَاعَتي يَوْمَ القِيَامةِ ، فَيُجْعل في ضَحْضَاحٍ مِنْ نارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلي مِنْهُ دِمَاغُه »[١] .

ثم قال : فإنْ قِيلَ : فَقدْ قال الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨] قيل : لا تنفعُهُ في الخُروج مِنَ النَّارِ ، كما تَنْفعُ عُصَاةَ المُوحِّدينَ الَّذينَ يَخرُجُون منها ، ويَدْخلون الْجنَّةَ .

النوع السابع من الشفاعة ، شفاعتُه ﷺ لِجَميعِ المُؤمنينَ قَاطِبَةً في أنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ في دُخُولِ الْجَنَّة ، كما ثبت في « صحيح مسلم » عن أنس بن مالك : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ . قال : « أَنَا أَوَّلُ شَفيع في الْجَنَّة »[٢] .

وقال في حديث الصُّور [بعد ذِكر مرور الناس على الصِّرَاط][٣] : فإذا خلص المؤمنون من الصراط ، وأفْضَى أهْلُ الْجنَّةِ إلى الجَنةِ قالوا : منْ يَشْفعُ لَنا إلى رَبِّنَا فَنَدْخُلَ الجَنَّةَ ؟ ثم ذكر مجيء المؤمنين من نبي إلى نبي ، حتى جاؤوا إلى النبي ﷺ ، قال النبي ﷺ : « فيأْتُوني ولي عند رَبِّي عزَّ وجلَّ ثَلاثُ شَفَاعاتٍ ، يعني والله أعلم خاصة به دون غيره ، قال : فأنْطلِقُ فآتي الجَنَّةَ فآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِها ، ثم أَسْتَفْتِحُ ، فيقول الخازن : مَنْ أنت ؟ فأقول : محمد ، فيفتح لي ، فأُحَيَّا ، ويُرحَّبُ بي فإذا دخلت ونظرت إلى ربي سبحانه ، خررت له ساجداً ، فيأذن الله تعالى لي من حمده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد ، ثم يقول لي : ارفع رأسك يا محمد ، واشفع تُشفَّع ، وسل تُعْطَه ، فإذا رفعت رأسي قال الله وهو أعلم : ما شأنك ؟ فأقُولُ : يا رَبِّ وَعَدْتَني الشَّفَاعَة ، فَشَفِّعْني في أهْلِ الْجنَّةِ ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : قدْ شَفَّعْتُكَ ، وَأذِنْتُ لَهُمْ في دخول الْجنَّةِ . . . وذكر الحديث كما تقدَّم في حديث الصور .

ثم ذكر بعد هذا الشفاعةَ في أهْلِ الكَبائِرِ ، وهُوَ :

النوع الثامن من الشفاعة وهو شَفاعته في أهْلِ الكبائر مِنْ أُمَّتِه ممَّنْ دَخَلَ النَّارَ بذنوبه وكبائر إثمه ، فَيَخْرُجُونَ مِنْها .

وَقَدْ تواترت بهذا النوع الأحاديثُ ، وقد خَفيَ علم ذلك على الخوارج ، والمُعتزلِةِ ، فخالفوا في ذلك جَهْلاً منهم بصحّة الأحاديث ، وعِناداً ممَّنْ عَلِمَ ذلك واستَمرّ على بِدْعتِهِ .

وهذه الشفاعة يشاركه فيها الملائكةُ والنبيُّون والمؤمنون ، وهذه الشفاعة تتكَرَّر منه صلواتُ الله وسلامه عليه [أرْبَعَ] مرَّاتٍ .

---

(١) رواه مسلم (٢١٠) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٩٦) .
(٣) ما بين الحاصرتين من (ط) .

باب طرق الأحاديث وألفاظها

رواية أُبي بن كعب

قال ابن أبي الدنيا : حدّثنا عبدُ الله بن وَضَّاحٍ ، حدّثنا يحيى بنُ يَمانٍ ، عن شَريك ، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيلٍ ، عن الطُّفيلِ بن أُبَيِّ بن كَعْبٍ ، عن أبَيِّ بنِ كَعْبٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا خَطيبُ الأنْبياء يَوْمَ القِيامةِ وَإمَامُهُمْ ، وَصَاحبُ شَفَاعَتِهِمْ »[١] .

رواية أنس بن مالك رضي الله عنه

قال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا سعيدُ بنُ سُلَيْمانَ ، عن منصور بن أبي الأسْودِ ، عن لَيْثٍ ، عن الرَّبيعِ بن أنس ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنَا أوَّلُهُمْ خُرُوجاً ، وأنا قَائِدُهُمْ إذا وَفَدُوا ، وأنا خَطيبُهُمْ إذا أنْصَتُوا ، وَأنَا شَفيعُهُمْ إذا حُبِسُوا ، وأنا مُبَشِّرُهُمْ إذا يئسوا ، لواءُ الكَرامةِ ، والمفاتيحُ يَوْمئذٍ بِيَدي ، ولواءُ الْحَمْدِ يَوْمئذٍ بِيَدي ، وأنا أكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ على رَبِّي ، يَطُوفُ [عَليَّ] ألفُ خادِمِ ، كأنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ، أوْ كأنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ » .

ثم رواه عن خَلَف بن هِشَام ، عن حِبَّان[٢] بنِ عَليٍّ العَنزيّ ، عن ليثِ بن أبي سُلَيْم ، عن عُبَيْد اللهِ بن زَحْر ، عن الرَّبيع بن أنس . . . فذكره مرفوعاً كما تقدَّم[٣] .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدّثنا سُلَيْمانُ بنُ حَرْبٍ ، حدّثنا بِسْطامُ بنُ حُرَيْثٍ ، عن أشْعث الحُدَّاني ، عنْ أنس بن مالك ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « شَفاعتي لأهْلِ الكبائر من أمتي » . وهكذا رواه أبو داود ، عن سليمان ، عن بِسْطامٍ ، عن أشْعَثَ بن عبد الله بن جابر الحُدَّاني ، عن أنس[٤] .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو بكر البزّار في « مُسنده » : حدّثنا عمرو بن عليّ ، حدّثنا أبو داود ، حدّثنا

---

(١) ورواه أحمد في المسند (٥/ ١٣٧) والترمذي (٣٦١٣) وابن ماجه (٤٣١٤) وهو حديث حسن .

(٢) في الأصول : جبر .

(٣) وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٨٣) من طريق سعيد بن سليمان ، و(٥/ ٤٨٤) من طريق خلف بن هشام ، وأخرجه الترمذي (٣٦١٠) من طريق ليث عن الربيع ، وإسناده ضعيف .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢١٣) وأبو داود رقم (٤٧٣٩) وهو حديث صحيح .

الخَزْرَج بن عُثْمان ، عن ثابت ، عن أنس ، [قال : قال رسول الله ﷺ] : « شَفَاعتي لأهْلِ الكَبَائر منْ أمَّتي » ثم قال : لم يَرْوِه عن ثابت إلاّ الْخَزْرجُ بنُ عُثْمانَ[١] . وهكذا روى أبو يَعْلَى مِنْ طَرِيق يَزِيدَ الرَّقاشِيّ ، عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، عن النَّبيّ ﷺ أنه قال : « شَفَاعتي لأهْلِ الكَبائِر منْ أمَّتي »[٢] .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدّثنا عارم ، حدّثنا مُعْتمرٌ ، سمعتُ أبي يُحدِّثُ ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ قال : « كُلّ نَبيٍّ قد سَألَ سُؤَالاً ـ » أو قال : « لِكُلِّ نبيٍّ دَعْوةٌ قَدْ دَعَاهَا ـ فَاسْتَخْبَأْت دَعْوتي شَفَاعةً لأُمَّتي يَوْمَ القِيَامةِ » أو كما قال . ورواه البخاريُّ تَعْليقاً ، فقال : وقال مُعْتمرٌ[٣] عن أبيه ، وأسنده مسلم ، فرواه عن محمد بن عبد الأعْلَى ، عن مُعْتمرٍ ، عن أبيه سُلَيْمانَ بن طَرْخَانَ التيميّ ، عن أنس ، به نحوه[٤] .

طريق أخرى

قال ابن أبي الدنيا : حدَّثنا محمد بن يزيد العِجْليّ ، حدّثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، حدّثنا حُمَيْدٌ ، عن أنس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا كان يَوْمُ القِيَامةِ أُنِلْتُ الشَّفَاعةَ ، فأَشْفَعُ لِمَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ منْ إيمانٍ ، حتى لا يَبْقَى أحدٌ في قَلْبِهِ منَ الإيمانِ مِثْلُ هَذَا » وَحرَّكَ الإبْهامَ ، والمُسَبِّحةَ[٥] .

طريق أخرى عنه

وقال أحمد : حدّثنا بَهْزٌ ، وعَفَّانُ ، قالا : حدّثنا هَمَّامٌ ، حدّثنا قَتَادةُ ، عن أنس : أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قال : « إنَّ لكُلِّ نَبيّ دَعْوةً قَدْ دعا بها ، فاستجيبت له ، وإني استخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » . وهذا الحديث على شرطهما . ولم يُخَرِّجُوه منْ حَديثِ هَمَّامٍ[٦] وإنَّما أخرجه الشَّيْخانِ منْ حَديثِ أبي عَوَانَةَ الوَضَّاحِ بن عبد الله اليَشْكُريّ ، عن قتادَةَ . ثم رواه مسلم من حديث

(١) رواه البزار (٣٤٦٩ ـ كشف الأستار) وفي إسناده ضعف ، ولكن يشهد له الذي قبله .

(٢) رواه أبو يعلى رقم (٤١١٥) وإسناده ضعيف أيضاً ، ولكن يشهد له حديث أحمد وأبي داود الذي قبله .

(٣) في بعض نسخ البخاري : وقال لي خليفة : حدثنا معتمر ، فعلى هذا هو متصل .

(٤) رواه أحمد (٣/ ٢١٩) والبخاري تعليقاً في حكم المتصل في بعض النسخ رقم (٦٣٠٥) ووصله مسلم (٢٠١) (٣٤٤) .

(٥) ورواه الآجري في « الشريعة » من طريق أبي بكر بن عياش رقم (٨٥٠) وهو حديث حسن .

(٦) رواه أحمد (٣/ ١٣٤) .

سعيد ، عن قتادةَ ، عن أنس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَجْتمعُ المؤمنُونَ يومَ القِيامةِ ، فيُهمّون بذلك ، أو يُلهمُونَ ذَلِكَ . . . » بمثل حديث أبي عَوانةَ ، وقال في الحديث : « ثمَّ آتيهِ الرَّابعةَ ، أو أعود الرَّابعَةَ ، فأقُولُ : يا رَبِّ ، ما بَقِيَ إلاَّ منْ حَبَسَهُ القُرآنُ »(١) .

طريق أخرى عنه

قال أحمد : حدّثنا عفَّانُ ، حدّثنا همّام ، حدّثنا قَتادةُ ، عن أنسٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قال : « يُحبسُ المُؤمنونَ يَوْمَ القِيامةِ فيُهمُّون لِذلك ، فيقولُونَ : لو استَشْفَعْنا على رَبِّنا فيُريحَنا منْ مَكانِنا هَذَا ؟» قال : « فيأتون آدمَ ، فيقُولُونَ : أنتَ أبُونَا ، خَلقَكَ اللهُ بيَدِهِ ، وأسْجدَ لكَ مَلائكتَهُ ، وعَلَّمَكَ أسْماءَ كلِّ شَيْءٍ ، فَاشْفَعْ لَنا عِنْدَ رَبِّكَ » قال : « فَيَقُولُ : لَسْتُ هُناكُم ، ويَذْكُرُ خَطيئتَهُ الّتي أصابَ : أكْلَهُ منَ الشّجَرَةِ ، وقدْ نُهيَ عَنْها ، وَلَكن ائتُوا نُوحاً أوّلَ نَبيٍّ بَعثَهُ اللهُ إلى أهْلِ الأرْض » قال : « فَيأْتُونَ نُوحاً ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُناكُمْ ، ويذكُرُ خطيئته ، سُؤاله رَبَّهُ ما ليس له به عِلْم ، ولكن ائتُوا إبْراهيمَ خَليلَ الرَّحمن . فيأْتُونَ إبراهيمَ ، فيقولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، ويَذْكُرُ خَطيئَتَهُ الّتي أَصَابَ : ثَلاثَ كَذَباتٍ كَذَبَهُنَّ : قولَهُ : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ وقولَه : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ وأتى على جَبَّارٍ مُتْرفٍ ، ومَعهُ امْرَأتهُ ، فقال : أخبريهِ أنّي أخُوكِ ، فإنّي مُخْبرُهُ أنّكِ أُخْتي ، ولكن ائتُوا مُوسى عبداً كَلَّمَهُ اللهُ تكْليماً ، وأعْطاهُ التَّوْراة » قال : « فيأتُونَ مُوسى فيقول : لَسْتُ هُناكُمْ ، وَيَذْكُرُ خَطيئته الّتي أصابَ : وهي قَتْلهُ الرَّجُلَ ، وَلكن ائتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ ، وكَلِمة اللهِ وَرُوحَهُ » قالَ : « فَيأتُونَ عِيسَى ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُناكُمْ ، وَلَكن ائتُوا مُحمَّداً عبداً غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ منْ ذَنْبِهِ وما تأخّرَ » قال : « فيأْتُوني ، فأسْتأذنُ على رَبّي عزَّ وجلَّ في دارِهِ فَيُؤذَنُ لي عَلَيْهِ ، فإذا رَأيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً ، فَيَدَعُني ما شَاءَ اللهُ أنْ يَدَعَني ، ثمَّ يَقُولُ : ارفع رأسك يا محمد ، وَقُلْ تُسمعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعطَ ، فَأحْمَدُ رَبّي عزَّ وجلَّ بِثَناءٍ ، وتَحْميدٍ يُعَلِّمُنيهِ ، ثمَّ أشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لِي حَدّاً ، فأُخرِجُهُمْ ، فأُدْخِلُهُم الجَنَّةَ » وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : « فأُخرِجُهُمْ منَ النَّارِ وَأُدخِلهُم الجَنَّةَ » قالَ : « ثمَّ أَسَتأْذنُ على رَبّي عزَّ وجلَّ الثَّانيَةَ ، فَيُؤذَنُ [لي] عَلَيْهِ ، فإذا رَأيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً ، فَيَدَعُني ما شَاءَ اللهُ أنْ يَدَعَني ، ثمَّ يَقُولُ : [ارفع رأسَك] يا محمد ، وقلْ تُسمع ، واشْفَعْ تُشفّعْ ، [وسَلْ تُعطَ » قال : « فأرْفَعُ رَأسي ، وأحمد رَبّي بِثَناءٍ ، وتَحْميدٍ يُعَلِّمُنيهِ ، ثمَّ أشْفَعُ] فَيَحُدُّ لي حَدّاً ، [فأُخرِجُهُمْ] ، فأُدْخِلُهُم الْجَنَّةَ » .

قال هَمَّامٌ : وَسَمعْتُهُ يَقُولُ : « فأُخرِجُهُمْ منَ النَّارِ ، فأُدْخِلُهُم الْجَنَّةَ » قال : « ثُمَّ أَسْتَأذِنُ على رَبّي عزَّ وجلَّ الثالثةَ ، فإذا رَأيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً ، فيَدَعُني ما شاءَ اللهُ أنْ يَدَعني ، ثُمَّ يَقُولُ : ارفَعْ مُحمَّدُ

(١) رواه البخاري (٦٥٦٥) ومسلم (١٩٣) .

وقُلْ تُسْمَعْ ، وسَلْ تُعْطَ ، واشفعْ تُشفَّع ، فأَرْفع [رَأْسِي] ، فأَحْمدُ رَبِّي بمحامد وثناءٍ وتَحْميدٍ يُعَلِّمُنيه ، ثُمَّ أشفَع فيحُدُّ لي حَدّاً فأخرجهم ، فأُدْخِلُهم الجنّةَ ـ قال هَمَّامٌ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : « فأُخرِجُهُمْ منَ النَّارِ فأُدْخِلُهُم الْجنّةَ ـ فما يبقى في النار إلاَّ منْ حَبَسهُ القُرآنُ » أيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ ، ثمَّ تَلا قَتادَةُ ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] قال : هو المقامُ المحْمودُ الّذي وَعَدَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّه ﷺ .

وقد رواه البخاريّ في كتاب التوحيد مُعلّقاً ، فقال : وقال حجَّاجُ بنُ مِنْهالٍ ، عنْ هَمامٍ . . . ، فذكره بنحوه[1] .

طرق أُخْرى متعدِّدة عنه

قال البخاريُّ في كتاب التوحيد : حدّثنا سُلَيْمانُ بنُ حَرْبٍ ، حدّثنا حمَّادُ بنُ زَيْدٍ ، حدّثنا مَعْبَد بنُ هِلال[2] العَنَزيّ ، قال : اجْتَمَعْنا نَاسٌ من أهْلِ البَصْرَةِ ، فَذَهَبْنا إلى أنسِ بنِ مَالِكٍ ، وذهبنا مَعَنا ثَابتٌ البُنَانيّ يَسألُهُ لَنا عنْ حَديثِ الشَّفَاعةِ ، فإذا هُوَ في قَصْرِهِ ، فَوافقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى ، فاسْتأذنَّا ، فأذِنَ لَنا وهُوَ قَاعدٌ على فِرَاشِهِ ، فَقُلْنا لِثَابتٍ : لا تَسْألْهُ عنْ شَيْءٍ أوَّلَ مِن حَديث الشَّفَاعةِ ، فقال : يا أبا حَمْزةَ ، هَؤلاء إخْوانُكَ منْ أهْلِ البَصْرَةِ جَاؤوا يَسْألُونكَ عنْ حَديثِ الشَّفَاعَةِ .

فقال : حدّثنا محمد ﷺ ، قال : « إذا كَانَ يَوْمُ القِيامةِ مَاجَ الناسُ بَعْضُهُمْ في بَعْضٍ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ ، فيَقولُ : لَسْتُ لَها ، وَلَكنْ [عَلَيْكُم] بإبرَاهيمَ ، [فإنَّهُ خليلُ الرَّحمَنِ] ، فيَأْتُونَ إبرَاهيمَ ، فيَقُولُ : لَسْتُ لها ، وَلَكنْ عَلَيْكُم بمُوسَى ، [فإنَّهُ كَليمُ اللهِ] ، فيَأْتُونَ مُوسَى ، فيَقُولُ : لَسْتُ لَها ، ولَكنْ عَلَيْكمْ بِعِيسَى ، [فإنَّهُ رُوحُ اللهِ وكَلِمتُه] ، فيَأْتُونَ عِيسى ، فيقُولُ : لَسْتُ لَها ، ولَكنْ عَلَيْكُمْ بمُحمَّدٍ ﷺ فيأتوني ، فأقول : أنا لها ، فأَسْتأذنُ على رَبِّي فيُؤْذنُ لي ، ويُلْهِمُني مَحامِد أحْمدُهُ بها ، لا تَحْضُرني الآنَ ، فأحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِد ، وَأخِرُّ لَهُ سَاجداً ، فيُقَالُ : يا مُحمَّد ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وقُلْ يُسمَعْ [لك] ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، فأقول : يا رَبِّ ، أُمَّتي أُمَّتي ، فيُقالُ : انْطَلِقْ فأخرِجْ مِنْها منْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرةٍ منْ إيمانٍ ، فأنْطَلِقُ ، فأفعل ، ثُمَّ أعُودُ فأحْمَدُهُ بِتِلْكَ المحَامِدِ ، ثُمَّ أخِرُّ لَهُ سَاجداً ، فيُقالُ : يا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَك ، وَقُلْ يُسمع لك ، وَاشْفَعْ تُشفَّعْ ، وسَلْ تُعْطَهْ ، فأقول : يا رَبِّ ، أُمَّتي أُمَّتي ، فيُقالُ : انْطلِقْ ، فأخْرِجْ منها من كانَ في قَلْبهِ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٤٤) والبخاري معلقاً رقم (٧٤٤٠) وهو حديث صحيح .
(٢) في (آ) حدثنا حماد بن زيد ، حدّثنا سعيد بن هلال ، وهو خطأ .

مِثْقالُ ذرَّةٍ أو خَرْدلةٍ منْ إيمانٍ ، فأنْطلقُ ، فأفعلُ ، ثُمَّ أعودُ ، فَأحْمدُهُ بِتِلْك المَحامِدِ ، ثُمَّ أخِر له ساجداً ، فيَقُولُ : يا مُحمَّد ، ارْفعْ رَأْسَكَ ، سل تُعْطه ، وَقُلْ يُسْمعْ لَكَ ، وَاشْفعْ تُشَفَّعْ ، فأقولُ : يا رَبِّ ، أُمَّتي أُمَّتي ، فيُقالُ : انْطلقْ ، فأخْرِجْ مِنْها منْ كانَ في قَلْبِهِ أدْنى أدْنى أدْنى مِثْقَالِ حَبَّة خَرْدَل منْ إيمانٍ ، فأخْرِجْهُ منَ النَّارِ ، فأنْطلقُ فَأفْعلُ » .

قال : فلمَّا خَرَجْنا منْ عِنْد أنَسٍ ، قُلت لِبَعْضِ أصْحابي : لوْ مَرَرْنا بِالْحَسنِ وَهُوَ مُتَوارٍ في مَنزلِ أبي خَليفةَ ، فَحدَّثْناه بما حَدَّثَنا بهِ أنسُ بنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ، قال : فأتَيْناهُ فَسلَّمْنا عَلَيْهِ ، فأذِنَ لَنا ، فَقُلْنا لَهُ : يا أَبَا سَعيدٍ ، جِئْناكَ منْ عِنْدِ أخيكَ أنسِ بنِ مَالِك ، فلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنا في الشَّفاعَةِ ، فقالَ : هيه ، فَحَدَّثْناهُ [بالحديث] فانْتَهَيْنا إلى هَذَا المَوْضِعِ فقال : هِيه . فقلنا : لم يَزِدْنا على هذا .

فقال : لَقَدْ حَدّثَني وهُوَ جَميعٌ مُنْذُ عِشْرينَ سَنةً ، فما أدْري أنسِيَ أمْ كَرِهَ أنْ تَتَّكلُوا ؟ فقلْنا : يا أبا سَعيد ، فحدِّثنا ، فضَحِكَ ، وقال : خُلِقَ الإنْسانُ عَجُولاً ، ما ذَكَرْتُه إلاَّ وأنا أريدُ أنْ أُحدِّثَكُمْ ، حدّثني أنس كما حدَّثَكُمْ ، ثم قال : « ثمَّ أعُودُ الرَّابعَةَ ، فَأحْمدُه بِتِلْكَ المحَامِدِ ، ثمَّ أخِرُّ له ساجِداً ، فيقالُ : يا مُحمّد ، ارْفعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فأقُولُ : يا رَبِّ ائذَنْ لي في مَنْ قالَ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ ، فيقولُ : وعِزَّتي ، وجَلالي وكِبْرِيَائي ، وعَظمَتي ، لأُخْرِجَنَّ مِنْها مَنْ قالَ لا إلَهَ إلا اللهُ » .

وهكذا رواه مسلم ، عن أبي الرَّبيعِ الزَّهْراني ، وسَعيد بن منصور ، كلاهما عن حمَّاد بن زَيْدٍ ، بِهِ نَحْوَه[١] .

وقد رواه أحمد ، [عنْ عَفّانَ] ، عنْ حمَّادِ بن سَلَمة ، عن ثابتٍ ، عنْ أنسٍ ، عن النبيِّ ﷺ . . . ، فذكَرَ الْحَديثَ بِطُولِه ، وقالَ فيه : « فَأَحْمَدُ رَبِّي بمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بها أحدٌ كان قبلي ، ولا يحمده بها أحد كان بَعْدي » . وفيه : فأَخرِجْ منْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ شَعيرَةٍ ، ثمَّ يعُودُ فيُقالُ : مِثْقالُ بُرَّةٍ ، ثمَّ يَعُودُ ، فيقال : مِثْقالُ ذَرَّةٍ ، ولم يذكر الرّابعةَ[٢] .

وكذا رواه البزّار ، عن محمد بن بَشَّار ، ومحمد بن مَعْمر ، كلاهُما عن حمَّادِ بن مسعدة[٣] ، عن محمّد بن عَجْلان ، عن جُوثة[٤] بن عُبَيْدٍ المَدَنيّ ، عن أنس بن مالك . . . ، فذكر الحديثَ بطوله[٥] . وكذا رواه أبو يعلى من حديث الأعمش ، عن يزيدَ الرَّقاشيِّ ، عن أنس . . . ، فذكر الحديث بطوله ، وذكر فيه

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٥١٠) ومسلم رقم (١٩٣) وما بين الحاصرتين في الحديث تكملة من (ط) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) بإسناد صحيح .
(٣) في (آ) : حماد بن زيد .
(٤) في (آ) : حيوة .
(٥) وإسناده ضعيف .

ثلاث شَفَاعَات ، وقال في آخِرِهنَّ : « فأقُولُ : أُمَّتي ، فيُقالُ [لي] : لَكَ مَنْ قالَ : لا إِلٰه إلاّ اللهُ مُخْلصاً »(١) .

طريق أخرى

قال البزّار : حدّثنا عمرو بن عليّ ، حدّثنا حماد بن مسعدة ، عن عمران(٢) العَمِّيّ ، عن الحسن ، عن أنس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا أزالُ أشْفعُ ، وأُشَفَّعُ ـ » أوْ قالَ: « وَيُشَفِّعُني رَبِّي عزَّ وجلَّ ـ حتَّى أقولَ : أيْ رَبِّ ، شَفِّعني في منْ قالَ : لا إِلٰهَ إلاَّ اللهُ . فيُقالُ : يا مُحمَّد ، هَذِهِ لَيْسَتْ لَكَ ، ولا لأحَدٍ ، هذهِ لي ، وعِزّتي ورَحْمتي لا أَدَعُ في النَّارِ أحداً يَقُولُ : لا إِلٰهَ إلا اللهُ » ثمَّ قال : لا نَعْلَمُهُ يُرْوى إلا بهَذَا الإسنادِ . ورواه ابنُ أبي الدُّنيا عن أبي حَفْصٍ الصَّيْرَفيِّ ، عن حمَّادِ بن مَسْعَدَةَ ، به(٣) .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا يونُس بن مُحمَّد ، حدّثنا حَرْبُ بن مَيْمُون ، أبو الخَطَّابِ الأنْصاريّ ، عن النّضر بن أنس ، عن أنس قال : حدّثنا نَبيُّ اللهِ ﷺ : « إنِّي لَقَائمٌ أنْتظرُ أُمَّتي تَعْبُرُ الصِّراط ، إذْ جَاءني عيسى فقال : هَذِهِ الأنْبياء قدْ جَاءَتْكَ يا مُحمَّد يسألونك ـ » أو قال : « يَجْتَمعُونَ إلَيْكَ ـ وَيَدْعُونَ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يفرِّق بَيْنَ جَميع الأُمَمِ إلى حَيْثُ يَشَاء اللهُ [لِغَمِّ ما هُمْ فِيهِ] ، فَالخَلْقُ مُلْجَمُونَ في العَرَق ، فأمَّا المؤمنُ فَهُوَ عَلَيْهِ كالزُّكْمةِ ، وأمَّا الكافِر فيغشاه المَوْتُ » قال : « يا عيسى ، انْتَظِرْ حتَّى أرْجِعَ إلَيْكَ » قال : « فذهب نَبيُّ اللهِ ﷺ فقامَ تَحْتَ العَرْشِ فَلَقيَ ما لَمْ يَلْقَ(٤) مَلَكٌ مُقرَّبٌ مُصطَفى ، ولا نَبيٌّ مُرْسلٌ ، فأوْحى اللهُ إلى جبْريلَ : أنِ اذْهَبْ إلى مُحمَّدٍ ، فقُل : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » قال : « فَشَفَعْتُ في أُمَّتي : أنْ أخرِجْ مِنْ كُلِّ تِسْعةٍ وَتِسعينَ إنْساناً وَاحداً » قال : « فمَا زِلْتُ أتَرَدَّدُ علَى رَبِّي عزَّ وجلَّ فلا أقوم مَقاماً إلا شُفِّعْتُ ، حتى أعطاني الله عزَّ وجلَّ منْ ذلِكَ أنْ قالَ : يا مُحمَّدُ أدْخِلْ منْ أمَّتِكَ منْ خَلْقِ اللهِ عزَّ وجلَّ منْ شَهِدَ أنْ لا إِلٰهَ إلاَّ اللهُ يَوْماً وَاحداً مُخْلصاً ، ومَاتَ على ذَلِكَ » تفرَّدَ به أحمدُ ، وقد حَكمَ التِّرْمذيُّ بالحُسْنِ لِهَذَا الإسْناد(٥) .

وقال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا أبو يُوسف القُلُوسيّ ، حدّثنا عبدُ الله بن رَجَاء ، أنبأنا حَرْب بن

---

(١) ورواه أبو يعلى في مسنده (٤١٣٠) و(٤١٣٧) وفي سنده يزيد الرقاشي وهو ضعيف .

(٢) هو عمران بن أبي قدامة العَمِّي .

(٣) وفي إسناده ضعف .

(٤) في (آ) : فيلقن ما لم يلقن .

(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٧٨) وهو حديث حسن، وقد حسن الترمذي هذا الإسناد عند حديث آخر رقم (٢٤٣٣).

مَيْمُونٍ ، حدّثني النَّضْرُ بن أنس ، عن أنس ، قال : جاءَ جِبْريلُ إلى النَّبيِّ ﷺ وَقَدْ حَضرَ منْ أمْرِ العِبَادِ ما حَضَرَ ، فقال : ادْنُ إلى رَبِّكَ فَسَلْ لأُمَّتِكَ الشَّفَاعةَ ، قالَ : « فَدَنَوْتُ منْ العَرْشِ ، فَقُمْتُ عند العَرْشِ ، فَلقيتُ ما لمْ يَلْقَ(١) نبيٌّ ولا مَلَكٌ مُقرَّبٌ ، فقال : سَلْ تُعْطهْ ، واشْفَعْ تُشفَّعْ ، قال : أُمَّتي . . . » وذكر تمَامَ الحَديثِ ، كَنَحْوِ ما ساقه الإمام أحمد(٢) .

رواية بريدة بن الحُصَيب

قال ابن أبي الدُّنْيا : حدّثنا عليُّ بن معبد(٣) ، حدّثنا الأسْوَدُ بنُ عَامِرٍ ، حدّثنا أبو إسرائيل ، عن الحَارِث بنِ حَصيرة ، عن ابن بُرَيْدةَ ، عن أبيه ، قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : « إنّي لأرْجُو أنْ أُشفَّعَ عِدَّة كلِّ حَجَرٍ ومَدَرٍ لأُمَّتي »(٤) .

رواية جابر بن عبد الله

قال الإمامُ أحمد : حدّثنا يَعْمَر(٥) ، حدّثنا عبدُ الله(٦) ، حدّثنا هِشَامٌ قال : سمعتُ الْحسنَ يَذْكُرُ عن جَابر بنِ عَبْدِ اللهِ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن لِكُلِّ نَبيٍّ دَعْوةً مُستجابةً قَدْ دَعا بها ، وإنِّي اسْتَخْبَأتُ دَعْوتي شَفَاعة لأمّتي يَوْمَ القِيَامةِ » . تفرَّد به أحمدُ منْ هذا الوجه(٧) .

طريق أخرى

قال الحافظ البَيْهقيُّ : حدّثنا أبو الحسنِ مُحمَّدُ بنُ الْحُسَيْنِ بن داود العَلَويّ ، حدّثنا محمدُ بنُ حَمْدَويهِ بنِ سَهْلٍ المَرْوزيّ ، أبو نَصْر الغازيُّ ، حدّثنا عبدُ اللهِ بن حمَّادٍ الآملي(٨) ، حدّثنا صَفْوانُ بنُ صَالِحٍ ، حدّثنا الوَليدُ ، حدّثنا زُهَيْرُ بن مُحمَّد ، [حدّثنا جَعْفرُ بن مُحَمَّد] ، عن أبيه ، عن جَابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « شَفَاعتي يَوْمَ القيَامَةِ لأهْلِ الْكَبَائر منْ أُمَّتي » فَقُلْتُ : [ما هَذا] يا جابرُ ؟ قالَ : نَعَمْ ، يا مُحمَّد ، إنَّهُ منْ زَادتْ حَسَناتُهُ على سَيئاتِهِ فَذَلِك الَّذي يَدْخَلُ الْجنَّةَ بِغيْرِ

(١) في الأصل : فلقنت ما لم يلقن .
(٢) وهو حديث حسن .
(٣) في (آ) : سعيد .
(٤) ورواه أحمد في المسند (٥/٣٤٧) عن الأسود بن عامر به ، وإسناده ضعيف لضعف أبي إسرائيل .
(٥) في الأصول : معمر .
(٦) هو عبد الله بن المبارك .
(٧) رواه أحمد في المسند (٣/٣٩٦) وإسناده ضعيف، لأن الحسن لم يسمع من جابر ، ولكن الحديث صحيح بشواهده.
(٨) في الأصول : الأيلي ، وهو خطأ .

حِسابٍ ، ومنِ اسْتَوَتْ حَسَناتُهُ وَسَيِّئاتُهُ ، فَذاكَ الَّذي يُحاسبُ حِساباً يَسيراً ، ثُمَّ يَدْخُلُ الجنَّةَ ، وإنَّما شَفَاعةُ رسول الله ﷺ : لِمَنْ أوْبقَ[١] نَفْسهُ ، وأغلَقَ ظَهْرَهُ[٢] .

وقد رواه البيهقيُّ أيْضاً عنِ الْحاكِمِ ، عن أبي بَكْر مُحمَّد بن جَعْفر بن أحمد المزكي ، عن محمّد بن إبراهيم العَبْديّ ، عن يعقوب بن كَعْب الحَلَبيّ ، عن الوليد بن مُسْلم ، عن زُهَيْر بن محمد ، عن جَعْفر بن مُحمّد ، عن أبيه ، عن جابر : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تلا : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ثم قال رسول الله ﷺ : « شَفَاعتي لأهْلِ الكَبَائرِ منْ أُمَّتي » قال الحاكمُ : هذا حديثٌ صحيحٌ[٣] . قال البَيْهقيُّ : وظاهرُهُ يُوجبُ أنْ تكُونَ الشَّفاعةُ في أهْلِ الكَبَائِرِ مُخْتصَّةً برسولِ اللهِ ﷺ ، والمَلائكةُ إنَّما يَشْفعُونَ في أهْلِ الصَّغَائر وَزيادةِ الدَّرَجاتِ ، وَقَدْ يَكُونُ المُرادُ منَ الآيةِ بَيانَ كَوْنِ المَشْفُوعِ [فيه] مُرتضىً بإيمانِهِ ، وإنْ كانتْ لهُ كَبائرُ وذُنُوبٌ دُونَ الشِّرْك ، فيكونُ المرادُ بالآية نفي[٤] الشَّفَاعة لِلكفَّارِ ، لأنَّ اللهَ لم يأذن فيها ، ولمْ يَرْضَ اعْتِقَادَهُم .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا رَوْحٌ ، حدّثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أخْبَرَني أبو الزُّبَيْر : أنَّهُ سَمِعَ جَابرَ بن عَبْدِ اللهِ يقول : « لِكُلِّ نَبيٍّ دَعوةٌ مُستجابةٌ قدْ دَعَا بِها في أمَّتِه ، وخَبَأْتُ دَعْوَتي شَفَاعةً لأُمَّتي يَوْمَ القِيامةِ » يَعْني النبيّ ﷺ . ورواه مسلم عن مُحمّد بن أحْمَد بن أبي خَلَف ، عن رَوْح بنِ عُبادةَ ، به[٥] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا أبو النَّضْر ، حدّثنا زُهَيْرٌ ، حدّثنا أبو الزُّبَيْر ، عن جَابرٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مُيِّزَ أَهْلُ الجنّةِ وَأهْلُ النَّارِ ، فَدَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجنّة ، وأهْلُ النَّارِ النَّارَ ، قَامَت الرُّسُلُ ، فَشَفعُوا ، فيَقُولُ : انْطَلِقُوا أو اذهبوا ، فَمنْ عَرَفْتُمْ فأخرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتَحشُوا فَيُلْقُونَهُمْ في نَهْرٍ ، أوْ على نَهْرٍ ، يُقالُ لَهُ : نهر الْحَياة » قالَ : « فَيسْقُطُ مُحَاشُهُمْ على حَافتَي النَّهْرِ ، وَيَخْرُجُونَ بِيضاً كالثَّعَارير[٦] ، ثمَّ يَشْفَعُونَ فَيَقُولُ : اذْهَبُوا أوِ انْطَلِقُوا فمنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقالَ قِيراطٍ

(١) في (آ) : لمن أونق .
(٢) أي : أثقله بالذنوب .
(٣) ورواه البيهقي في « البعث والنشور » (١) عن الحاكم ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٤) في (آ) : هي ، وهو خطأ .
(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٨٤) ومسلم (٢٠١) .
(٦) في (آ) : كالثغارير ، وهو خطأ ، والثعارير ، جمع ثعرور ، وهو القِثَّاء الصغار .

مِنْ إيمانٍ فأخرِجُوه » قال : « فَيُخْرِجونَ بَشَراً ، وَيَشْفعونَ ، فيَقُولُ : اذْهَبُوا أو انْطَلِقُوا ، فمنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مثقال حَبةٍ منْ خَرْدَلٍ منْ إيمان فأخرجوه » قال : « فيخرجون بشراً ثمَّ يَقُولُ اللهُ تعالى : أنا الآنَ أخرِجُ بِعِلْمي وَرَحْمتي ، فيُخْرِجُ أضْعَافَ ما أخرَجُوا ، وَأضْعَافَهُ ، فيُكْتَبُ في رِقَابِهِمْ : عُتَقاءُ اللهِ عزَّ وجلَّ ثمَّ يَدْخُلونَ الْجنَّةَ فَيُسَمَّوْنَ فِيها الْجَهنَّمِيِّين » . تفرَّد به أحمدُ[١] .

طريق أخرى

قال ابن أبي الدُّنْيا : حدّثنا عليُّ بنُ الْجَعْدِ ، حدّثنا القاسمُ بنُ الفَضْلِ الحُدَّاني[٢] ، حدّثني سعيدُ بنُ المُهلَّب ، قال : قال طَلْقُ بنُ حَبيبٍ : كُنْتُ منْ أشَدِّ النَّاسِ تَكْذِيباً بالشَّفَاعَةِ ، حتَّى لَقِيتُ جَابرَ بن عَبْدِ اللهِ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كلَّ آيةٍ أقْدِرُ عَلَيْها في الشفاعة ، وكل آية فيهَا ذِكْرُ خُلودِ أهْلِ النَّارِ ، فقالَ لي : يا طَلْقُ[٣] أتُرَاكَ أقْرَأَ لِكتابِ اللهِ وَأعْلَم بِسُنَّة نَبيِّه منِّي ؟ قُلْتُ : لا ، قال : إنَّ الَّذي قَرَأْته هُمُ المُشْرِكُونَ ، وَلَكن هَؤلاءِ قَوْمٌ أصَابُوا ذُنوباً عُذِّبُوا بها ، ثُمَّ أخْرِجُوا منَ النَّارِ ، ثمَّ أوْمأ بِيَديه إلى أُذُنَيْه ، ثُمَّ قالَ : صَمَّتا ، إنْ لمْ أكُنْ سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ وَنَحْنُ نَقْرأُ الَّذي تَقْرأ[٤] .

حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه

قال أحمد : حدّثنا الحَكَم بنُ نافعٍ[٥] ، حدّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن رَاشدِ بن دَاودَ الصَّنْعَانيّ ، عن عَبْدِ الرَّحْمنِ بن حَسَّانَ ، عن رَوْحِ بنِ زِنْباعٍ ، عن عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ ، قالَ : فَقَدَ النبيَّ ﷺ لَيْلَةً أصْحَابُهُ ، وكانُوا إذا نَزَلوا أنْزَلوهُ وسْطَهُمْ ، فَفَزِعُوا وَظنُّوا أنَّ الله تبارك وتعالى اختار له أصحاباً غيْرَهُمْ ، فإذا هُمْ بِخَيالِ النبيِّ ﷺ ، فكَبَّرُوا حينَ رَأَوْهُ ، وَقالُوا : يا رَسُولَ اللهِ ، أشْفَقْنا أنْ يَكُونَ اللهُ تبارك وتعالى اخْتارَ لَكَ أصحاباً غيْرنا ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : « لا ، بَلْ أنْتُمْ أصْحَابي في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، إنَّ اللهَ تعالى أيْقَظَني ، فقال : يا مُحَمَّدُ ، إنِّي لمْ أبْعثْ نَبيّاً ، ولا رَسُولاً إلاَّ وقدْ سَألَني مَسْألةً أعْطَيْتُها إيَّاهُ ، فَسَلْ يا مُحمَّدُ تُعْطهْ ، فَقُلْتُ : مَسْألَتي شفاعة لأمَّتي [يوم القيامة] » فقال أبو بَكْرٍ : يا رَسُولَ اللهِ ، ومَا الشَّفَاعةُ ؟ قال : « أقولُ : يا رَبِّ شَفَاعَتي الَّتي اخْتَبَأْتُ عِنْدَكَ ، فيَقُولُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) وهو حديث صحيح .

(٢) في (آ) : الحراني ، وهو خطأ .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٨١٨) باب من دعا آخر بتصغير اسمه بلفظ (يا طُلَيق) .

(٤) وأخرجه أحمد (٣/ ٣٣٠) من طريق القاسم ، به ، والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (٨١٨) وهو حديث صحيح لغيره .

(٥) في الأصول : إبراهيم بن نافع ، وهو خطأ .

الرَّبُّ تبارك وتعالى : نَعَمْ ، فيخرج الله بقية أمتي فينبذُهم في الجنة » . تفرد به أحمد[١] .

رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدّثنا عفّانُ ، حدّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن عَليّ بنِ زَيْدٍ ، عن أبي نَضْرَةَ ، قال : خَطَبَنا ابنُ عَبَّاسٍ على مِنْبَرِ البَصْرَةِ ، فقالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبيٌّ إلاَّ لَهُ دَعْوةٌ وَقَدْ تَنجَّزَها في الدُّنيا ، وَإنِّي قَدِ اخْتبأْتُ دَعْوتي شَفَاعةً لأُمَّتي ، وأنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدم يَوْمَ القِيامةِ ، ولا فَخْرَ ، وَأنَا أوّلُ منْ تَنشَقُّ عَنْهُ الأرْضُ ، ولا فَخْرَ ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ ولا فخر ، آدَمُ ، فَمنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائي ، ولا فَخْرَ ، ويَطولُ يَوْمُ القِيَامةِ على النَّاسِ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْطَلِقُوا بِنَا إلى آدمَ أبي البَشَرِ فَيَشْفع لَنَا إلى رَبّنَا عزَّ وجلَّ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا ، فَيَأْتُونَ آدمَ فيَقُولُونَ : يا آدَمُ ، أنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ ، وأسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ ، اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّنا ، فَلْيَقْضِ بَيْننا ، فَيَقُولُ : إني لَسْتُ هُنَاكُمْ ، إنِّي قَدْ أُخْرِجْتُ منَ الْجَنَّةِ بِخَطِيئتي وَإنَّهُ لا يُهمُّني اليَوْمَ إلاّ نَفْسي ، وَلَكن ائْتُوا نُوحاً رَأْسَ النَّبِيِّينَ ، فَيَأْتُونَ نُوحاً فيَقُولون : يَا نُوحُ ، اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّنا فَلْيَقْضِ بَيْننا ، فَيَقُولُ : إنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ إنِّي دَعَوْتُ بدَعْوةٍ أغْرَقَت أهْلَ الأرْضِ ، وإنَّه لا يُهمُّني اليَوْمَ إلاَّ نَفْسي ، وَلَكِن ائتُوا إبْرَاهيمَ خَليلَ اللهِ ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهيمَ ، فيَقُولونَ : يا إبْرَاهيمُ اشْفَعْ لَنَا إلَى رَبِّنا فَلْيَقْضِ بَيْننا ، فيقُولُ : إنِّي لَسْتُ هُناكُمْ ، إنِّي كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذَبَاتٍ في الإسلام ، واللهِ إن حَاوَلَ بهنَّ إلاَّ عنْ دِينِ اللهِ[٢] قولُه : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٩] وقولُهُ : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٣] وقوله لامرأته حَيْن أتى على الْمَلِكِ : إنها أُخْتي ، وإنَّهُ لا يُهمُّني الْيَوْمَ إلاَّ نَفْسي ، ولكن ائتُوا مُوسى الذي اصْطَفاهُ اللهُ بِرِسالاتِه ، وَبِكلامِه ، فيَأْتونهُ فَيَقُولونَ : يا موسَى ، أنْتَ الَّذِي اصْطَفاكَ اللهُ برسالاته وبكلامه ، فاشْفَعْ لَنا إلى رَبِّك فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، إنِّي قَتَلْتُ نَفْساً بغَيْرِ نَفْسٍ ، وَإنِّي لا يُهمُّني اليَوْمَ إلاَّ نَفْسي ، ولَكِن ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ ، فَيَأْتونَ عِيسَى فيقُولون : يا عِيسَى ، اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنا ، فيَقُولُ : إنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ ، إنِّي اتُّخِذْتُ وأُمِّيَ إلٰهين منْ دُونِ اللهِ ، وإنَّهُ لا يُهمُّني الْيَوْمَ إلاَّ نَفْسي ، وَلَكنْ أرَأيْتُمْ لَوْ كانَ مَتاعٌ في وِعَاءٍ مَخْتُوم عَلَيْهِ أكانَ يُقْدَرُ على ما في جَوْفِ الوعاء حتّى يُفَضَّ الْخَاتَمُ ؟ » قال : « فَيقُولُون : لا ، فيقولُ : إنَّ مُحمَّداً خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَقَدْ حَضَرَ اليَوْمَ ، وَقَدْ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ منْ ذنْبِهِ ، ومَا تَأَخَّرَ » قال رسول الله ﷺ : « فَيَأْتوني ، فيقُولُونَ : يا مُحمّدُ ، اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّك ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنا ، فأقُولُ : أنَا لَها ، حتَّى يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرضى ، فإذا أراد أنْ يَصْدعَ بَيْنَ خَلْقِهِ نَادَى مُنادٍ : أيْنَ أحْمدُ ، وَأُمَّتُه ؟ فنَحْنُ الآخِرُونَ الأوَّلُونَ ، [نَحْنُ] آخِرُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) وفي إسناده راشد بن داود الصنعاني ، لين الحديث .

(٢) يعني ما قصد غير دين الله .

الأُمَمِ ، وَأَوَّلُ منْ يُحاسَبُ ، فَتُفرجُ لَنا الأُمَمُ طَرِيقاً فَنَمْضي غُرّاً مُحَجَّلينَ ، منْ أَثَرِ الطُّهُورِ ، فتَقُولُ الأمَمُ : كَادَتْ هَذِهِ الأمَّةُ أَنْ تَكُونَ أنْبياءَ كُلُّها ، فَآتِي بَابَ الْجنَّة ، فَآخُذُ بِحلْقَةِ البَابِ فأَقْرَعُ البَابَ ، فيُقالُ : منْ أنْتَ ؟ فأَقُولُ : أنا مُحمّدٌ ، فَيُفْتَحُ [لي] ، فآتي رَبِّي عزَّ وجلَّ وهو على كُرْسيِّهِ ، أَوْ سَريرِهِ » شَكَّ حَمَّاد ، « فأَخِرُّ لَهُ سَاجداً ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بها أحدٌ كانَ قَبْلي ، وَلَيْسَ يَحْمَدُهُ بهَا أحدٌ بَعْدي ، فيُقالُ : يا محمّد ، ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَه [وَقُلْ يُسْمعْ لك] وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » قال : « [فَأَرْفَعُ رَأْسِي] فأقُولُ : أيْ رَبِّ أُمَّتي ، أُمَّتي ، فيَقُولُ : أَخْرِجْ من النار مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ كذا ، وكذا » لم يَحْفظْ حَمَّادٌ « ثمَّ أعُودُ فأَسْجُدُ ، فأَقُولُ ما قُلْتُ ، فيُقالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ تُسْمعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشفّعْ ، فأقُولُ : أيْ رَبِّ أُمَّتي أُمَّتي ، فيقُولُ : أخْرِجْ منْ كان في قَلْبِهِ [مثقال] كذا ، وكذا ، دُونَ الأول ، ثم أعُودُ ، فَأَسْجُدُ ، وَأَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فيُقالُ لي : ارْفعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ تُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فأقُولُ : أيْ رَبِّ ، أُمَّتي أُمَّتي ، فيقول : أَخْرِجْ منْ كانَ في قلْبِهِ كذا وكذا دون ذلك » . وقد روى ابنُ ماجه بَعْضَه ، من رواية حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ عن سَعيد بن إيَاسٍ الجُرَيْريّ ، عن أبي نَضْرَةَ المُنْذِرِ بن مَالِكٍ بن قِطْعَةَ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، به .

وتقدّم في الصِّنْفِ الثاني ، والثالث ، من أنواع الشَّفَاعةِ في أقْوَامٍ قَدْ أُمِرَ بهمْ إلى النّارِ ألاّ يَدْخُلوهَا(١) .

طريق أخرى عنه

وَقَدْ رَوَى الطَّبرانيُّ في « مُعْجَمِهِ الكَبيرِ » ، عنْ عَطاء بنِ أبي رَبَاحٍ ، عن ابن عبَّاسٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « شَفَاعتي لأَهْلِ الكَبَائِرِ منْ أُمَّتي »(٢) .

رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

قال الحافظ أبو بكر البَزّارُ : حدّثنا . . . (٣) .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) وابن ماجه رقم (٤٢٩٠) وهو حديث صحيح دون قول عيسى : إني اتخذت إلـهاً من دون الله ، فإنه لم يذكر في « الصحيحين » .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١٤٥٤) من حديث ابن عباس ، ورواه أبو داود رقم (٤٧٣٩) والترمذي رقم (٢٤٣٥) من حديث أنس ، وابن ماجه وابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٦٧) من حديث جابر ، وهو حديث صحيح .

(٣) هنا بياض في الأصول .

طريق أخرى

قال الطبرانيُّ : حدّثنا . . .(١) .

طريق أخرى

قال الإمامُ أحمدُ : حدّثنا مُعمَّر بن سُلَيْمانَ الرَّقِّيُّ أبو عبد الله ، حدّثنا زيادُ بنُ خَيْثمةَ ، عن عليّ بن النُّعْمانَ بن قُرَادٍ ، عن رَجُلٍ ، عن عَبْدِ الله بن عُمَر ، عن النبيّ ﷺ قال : « خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ ، أَوْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ ، لأنَّها أعمُّ وَأَكْفَى ، أَتُرَوْنَها لِلْمُنَقَّينَ ؟ لا ، وَلَكنَّها لِلْمُتَلوِّثين الْخَطَّاؤونَ »(٢) قال زِيَادٌ : أما إنَّها لَحْنٌ ، لَكِنْ هَكَذا حدّثنا الذي حدّثنا(٣) .

ورواه ابنُ أبي الدُّنيا عنِ الْحَسَنِ بنِ عَرَفَةَ ، عن عبد السلام بن حَرْبٍ ، عن نُعْمانَ بن قُرَاد ، عن عبد الله بن عُمَر . . . فذكره بنحوه . هكذا رأيتُه في كتابِ « الأَهْوَالِ » ، وكذا رواه البيهقيُّ في « البَعْثِ والنُّشورِ » ، من طريق الحسن بن عَرَفَة(٤) .

رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

قال مسلم : حدّثنا يونُس بن عبد الأعْلَى الصَّدَفيّ ، أخبرنا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرني عمرو بنُ الحارث ، أنَّ بكر بن سَوَادَةَ حدَّثه ، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر ، عن عَبْدِ الله بنِ عَمْرو بن العاصِ : أنَّ رسولَ الله ﷺ تَلا قَوْل الله تعالى في إبراهيم ﷺ ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ . . . ﴾ الآية [إبراهيم : ٣٦] ، وقول عِيسى ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] فرفع يَدَيْهِ ، وقال : « اللّهُمَّ أُمَّتي أُمَّتي » وبكى ، فقالَ الله تعالى : يا جبريلُ اذْهَبْ إلى مُحمّدٍ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ، فَسَلْهُ : ما يُبْكيكَ ؟ فَأَتاهُ جِبْريلُ عليه السلام فسأله ، فأخبره رسولُ الله ﷺ بما قال ، وهُوَ أَعْلَمُ ، فقال اللهُ : يا جِبْريلُ ، اذْهَبْ إلى مُحمَّد ، فَقُلْ له : إنا سَنُرْضيكَ في أُمَّتِكَ ، ولا نَسُوؤك(٥) .

---

(١) هنا بياض في الأصول .

(٢) في الأصول : الخطائين ، والمثبت من المسند ، أي هم الخطاؤون ، وليس بلحن .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٧٥) وإسناده ضعيف .

(٤) ورواه الحسن بن عرفة في « جزئه » (٩٣) ومن طريقه البيهقي في « الاعتقاد » صفحة (٢٩٣) وهو ضعيف .

(٥) رواه مسلم رقم (٢٠٢) .

رواية عبد الله بن مسعود

وقد تقدم روايةُ عَلْقمةَ عنه في الحَوْضِ وَالمَقامِ المحمودِ ، وفيه ذكر الشفاعة[(١)] .

رواية عبد الرحمن بن أبي عقيل

قال البيهقيّ : حدّثنا أبو الحُسَيْن بن الفَضْلِ القَطّان ، حدّثنا عبدُ الله بنُ جَعْفر ، حدّثنا يَعقوبُ بنُ سفيان[(٢)] ، حدّثنا أحمدُ بنُ يُونس ، حدّثنا زُهَيْر ، حدّثنا أبو خالِدٍ ، يزيد الأَسَديُّ ، حدّثنا عَوْنُ بنُ أبي جُحَيفَةَ السُّوَائيُّ ، حدّثنا عبدُ الرحمن بنُ عَلْقَمةَ الثقفيُّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عَقيل ، قال : انْطَلَقْتُ إلى النبيِّ ﷺ في وَفْدٍ فأتَيْناهُ فأنَخْنا بالْبابِ ، وما فِي النَّاسِ أَبْغَضُ إلَيْنا منْ رَجُلٍ نَلِجُ عَلَيْهِ منه ، فلمّا خَرَجْنا وما في النَّاسِ أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ رَجُلٍ دَخَلْنا عَلَيْهِ منه ، قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ : يا رسول الله ، ألاَ سَأَلْتَ رَبَّكَ مُلْكاً كمُلْكِ سُلَيْمان ؟ فَضحِكَ رسول الله ﷺ ، ثم قالَ : « فَلَعلَّ لصاحِبكُمْ عِنْدَ اللهِ أفْضلَ منْ مُلْكِ سُلَيْمانَ ، إنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبيّاً إلاَّ أعْطاهُ دَعْوةً ، فَمِنْهمْ من اتَّخَذَها دُنْيا فَأُعْطِيَهَا ، ومِنْهُمْ منْ دَعا بها على قَوْمِهِ إذْ عَصَوْهُ ، فَأُهْلِكُوا بهَا ، وإنَّ الله تعالى أعْطَاني دَعْوةً فَاخْتَبأْتُهَا عند ربي شَفَاعةً لأمتي يَوْمَ القيامَةِ » . قلتُ : إسناده غريبٌ قويٌّ ، وحديثٌ غريبٌ[(٣)] .

رواية أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال الحافظُ أبو يَعْلَى : حدّثنا إسحاقُ ، حدّثنا أحمدُ بنُ يونس ، حدّثنا عَنْبَسَة بنُ عَبْد الرَّحمن بنِ عَنْبسة القُرَشيّ ، عن عَلاَّقِ بن أبي مُسْلم ، عن أبَانِ بن عُثْمانَ ، عن عثمان رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَشْفعُ يَوْمَ القِيَامةِ ثَلاثةٌ : الأنبياءُ ، ثمَّ العُلَماءُ ، ثمَّ الشُّهَداءُ » .

وقالَ البَزّارُ : حدّثنا عَبْدُ الوَاحِدِ بن غِيَاثٍ ، حدّثنا عَنبسةُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ ، عن عَلاَّقِ بن أبي مُسْلم ، قالَ : وَرَأَيْتُهُ في مَوْضِعِ آخر عِنْدي : عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بنِ عَلاَّق ، عن أبانٍ ، عن عُثْمانَ ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « أَوّلُ منْ يَشْفعُ يَوْمَ القِيامَةِ الأنْبياءُ ، ثمَّ الشُّهَدَاءُ ، ثمَّ المُؤْمِنُونَ » قال البزارُ : عَنْبَسةُ هذا لَيِّن الْحَديث ، وَعَبْدُ الْملك بنُ عَلاَّقٍ لا نَعْلَمُ رَوَى عَنْهُ غَيْرُ عَنْبسة[(٤)] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٩٨ و٣٩٩) وإسناده ضعيف وانظر طريقاً أخرى في الحوض وغيره ، الحديث الأول .

(٢) في (آ) : يعقوب بن سَقَر ، وهو خطأ .

(٣) ورواه ابن أبي عاصم في « السنة » من طريق أحمد بن يونس رقم (٨٢٤) أقول : وفي إسناده أبو خالد الأسدي الدالاني ، وهو صدوق يخطئ كثيراً ويدلس ، وقد توبع ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٤) رواه البزار (٣٤٧١ ـ كشف الأستار) ورواه ابن ماجه رقم (٤٣١٣) من طريق أحمد بن يونس به ، وفي سنده عنبسة بن عبد الرحمن ، قال أبو حاتم : كان يضع الحديث .

رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال أبو بكر البزّار : حدّثنا محمَّدُ بنُ زبدا المذاريّ[١] ، حدّثنا عمرو بنُ عاصم ، حدّثنا حَرْبُ بنُ سُرَيْج[٢] البزّارُ ، قال : قلتُ لأبي جَعْفرٍ مُحمّد بن عَليّ : أرَأيْتَ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ التي يَتَحدَّثُ بها أَهْلُ العِرَاقِ ، أحَقٌّ هِيَ ؟ قال : شَفَاعةُ مَاذا ؟ قلتُ : شَفَاعةُ محمّدٍ ﷺ ، قال : حَقٌّ إي وَاللهِ ، وَاللهِ لَحدّثني عمّي مُحمَّدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ الْحَنفيَّةِ ، عن عَليٍّ رضي الله عنه : أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « إني أشْفَعُ لأمَّتي حَتَّى يُنَادِيني رَبِّي عزَّ وجلَّ ، فيَقُولُ : أرَضيتَ يا مُحمّدُ ؟ فأقولُ : رَبِّ ، رَضيتُ » ثمَّ قالَ : لا نَعْلَمُهُ يُرْوى إلَّا بهذَا الإسْنَادِ[٣] .

رواية عوف بن مالك رضي الله عنه

قال ابن أبي الدُّنيا : حدّثنا خالدُ بن خِدَاشٍ ، وَخَلفُ بنُ هِشَامٍ ، قالا : حدثنا أبو عَوَانة ، عن قَتَادةَ ، عنْ أبي المَلِيح ، عن عَوْفِ بن مَالِكٍ الأشْجعيِّ : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « أتاني اللَّيْلَةَ آتٍ منْ رَبِّي ، فَخَيَّرَني بَيْنَ أنْ يَدْخُلَ نِصفُ أمَّتي الْجَنَّةَ ، وَبَيْنَ الشَّفاعَةِ ، فاخترتُ الشَّفاعَةَ » قالوا : يا رَسُولَ اللهِ ، نَنْشُدُكَ اللهَ وَالصُّحبَةَ لَمَا جَعلْتَنا مِنْ أهْلِ شَفَاعَتِكَ ، قال : « فإنِّي أُشْهِدُ منْ حَضرَ أنَّ شَفَاعَتي لِمَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً منْ أُمَّتي » . وقد رواه يَعْقُوبُ بنُ سُفْيَانَ ، عن يحيى بن صَالِحٍ الوُحَاظيّ ، عن جابر بن غانم[٤] ، عن سُلَيْم بن عامر ، عن مَعْديكَرِبَ بنِ عَبْدِ كُلالٍ ، عن عَوْفِ بن مَالِكٍ ، [عن النبي ﷺ قال] : أتَاني جِبْريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بأنَّ رَبِّي خَيَّرَني بَيْنَ خَصْلَتينِ : أنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمّتي الْجَنَّةَ ، وَبَيْنَ الشَّفَاعةِ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعةَ » . وقد رواه البَيْهَقيُّ عن الحاكم ، عن الأصَمِّ ، عنْ بَحْر بن نَصْر ، عن بِشْرِ بنِ بَكْرٍ ، عن [ابن] جَابِرٍ ، عن سُلَيْم بن عامِرٍ : سَمِعْتُ عَوْفَ بنَ مَالِكٍ . . . فذَكَرَ الْحَديثِ ، وَفيه قِصَّةٌ . ورواه حَمّادُ بنُ زَيْدٍ ، عن أيُّوبَ ، عن أبي قِلابَةَ ، رَدَّ الْحَديثَ إلى عَوْفِ بنِ مَالِكٍ[٥] .

---

(١) في (آ) : محمد بن يزيد المرادي ، وهو خطأ .

(٢) في الأصول : شريح .

(٣) رواه البزار رقم (٣٤٦٦ ـ كشف الأستار) وإسناده ضعيف .

(٤) في (آ) : جعفر بن غانم ، وهو خطأ .

(٥) ورواه أحمد في المسند (٦/٢٨ ـ ٢٩) والترمذي رقم (٢٤٤١) من طريق أبي عوانة ، ويعقوب بن سفيان في « المعرفة والتاريخ » (٢/٣٣٧) والحاكم في المستدرك (١/٦٦) والطبراني في « المعجم الكبير » (١٨/١٣٨) من طريق حماد بن زيد ، به ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

رواية كعب بن عجرة

قال البَيْهقيّ : حدّثنا مُحمّد بنُ مُوسى بنِ الفَضْل ، حدّثنا محمّدُ بن عَبْدِ اللهِ الصَّفَّار ، حدّثنا جَعْفرُ بنُ أبي عَمَّار الطيالسي ، حدّثنا محمّد بنُ بَكّار ، حدّثنا عَنْبَسَةُ بنُ عَبْدِ الواحدِ ، عن واصلٍ مَوْلَى أبي عُيَيْنَةَ ، عن [أُمَيٍّ] أبي عَبْد الرَّحْمَن[١] ، عن الشعبي ، عن كعب بن عُجْرَة ، قال : قلت : يا رسولَ اللهِ ، الشّفَاعة ، الشّفاعَةَ ، قال : « شَفَاعتي لأهْلِ الكَبائرِ منْ أُمّتي »[٢] .

رواية أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه

قال الإمام أحمدُ : حدّثنا إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الطَّالقَانيّ ، حدّثني النَّضْرُ بن شُمَيْل المَازِنيّ ، حدّثنا أبو نَعَامة ، حدّثنا أبو هُنَيْدة ، البَراءُ بنُ نَوْفَل ، عن والان العدَويّ ، عن حُذَيْفة ، عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ، قال : أصبحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ ، فَصَلَّى الغَدَاةَ ثم جَلَسَ حَتَّى إذَا كانَ منَ الضُّحَى ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ثمَّ جَلَسَ مَكانَهُ حتى صَلَّى الأُولَى ، وَالعَصْر والمَغْرِبَ ، كلَّ ذَلِكَ لا يَتكلَّم حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ الآخِرَة ثم قام إلى أهْلِه ، فَقَالَ النَّاسُ لأبي بَكْرٍ : ألا تَسْأَلُ رَسُولَ الله ﷺ : ما شَأْنُهُ صَنَعَ الْيَوْمَ شَيْئاً لَمْ يَصْنَعْهُ قَطّ ؟ فَسَأَلَهُ ، فقالَ : « نَعَمْ ، عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كائنٌ منْ أمْرِ الدُّنْيا ، وَأمْرِ الآخرَة ، يُجْمعُ الأوَّلُونَ وَالآخِرُونَ بِصَعيدٍ وَاحدٍ ، ففَظِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ ، حتَّى انْطَلَقُوا إلى آدَمَ وَالعَرَقُ يَكادُ يُلْجِمُهُمْ ، فَقالوا : يا آدَمُ أنْتَ أبُو البَشَرِ ، أنْتَ اصْطَفَاكَ اللهُ فاشْفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ ، فقالَ آدم : لقَدْ لَقيتُ مِثْلَ الَّذي لَقيتُمْ ، انْطَلِقُوا إلى أبيكُمْ بَعْدَ أبيكُمْ إلى نُوحٍ عليْهِ السَّلامُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] » قال : « فَيَنْطلِقُونَ إلى نوح عليه السلام فيقُولُونَ : اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ فأنْتَ اصْطَفَاكَ اللهُ وَاسْتَجابَ لَكَ في دُعائِكَ ، وَلَمْ يَدَعْ على الأرْضِ منَ الكافرينَ دَيَّاراً ، فيَقُولُ : ليْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، انْطَلِقُوا إلى إبراهيم فإن الله اتَّخذَهُ خليلاً ، فَيَنْطلقونَ إلى إبْراهيمَ ، فيقُولُ : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِن انْطَلقُوا إلى مُوسَى فإنَّ اللهَ كَلَّمَهُ تكْليماً ، فيقُولُ موسى : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِن انْطَلقُوا إلى عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ، فَإنَّهُ يُبْرِىءُ الأكْمَه وَالأبْرَصَ ، وَيُحْيِي المَوتى ، فيقُولُ عِيسَى : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدي ، وَلَكِن انْطَلِقُوا إلى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ، فإنّه أوَّلُ مَنْ تَنْشَقّ عَنْهُ الأرْضُ يَوْمَ القِيامةِ ، انْطَلِقُوا إلى مُحمّد ﷺ فَيَشْفَعَ لَكُمْ إلى ربِّكُمْ » قال : « فيَنْطَلِقُونَ ، فيَأْتِي جِبْريلُ رَبَّهُ ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : ائْذن لَهُ وَبَشِّرْهُ بالْجَنَّةِ » قال : « فَيَنْطَلِقُ بِهِ جِبْريلُ ، فَيَخِرُّ ساجداً قَدْرَ جُمُعةٍ ، فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » قال : « فَيَرْفعُ رَأْسَهُ ، فإذا نَظَرَ إلى رَبِّهِ عزَّ وجلَّ

---

(١) هو أُميّ بن ربيعة المرادي الصيرفي ، كوفي يكنى أبا عبد الرحمن ، ثقة .

(٢) ورواه الآجري في « الشريعة » رقم (٨٣٢) من طريق ابن بكار ، به ، وهو حديث حسن .

خَرَّ ساجداً قَدْرَ جُمُعَة أُخرى ، فيقولُ اللهُ : ارْفعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشفَّعْ » قالَ : « فيَذْهبُ لِيَقَعَ سَاجداً ، فَيَأْخذُ جِبْريلُ بِضَبْعَيْهِ[١] ، وَيُفْتحُ عليْهِ مِنَ الدُّعاءِ بشَيْءٍ لَمْ يُفْتحْ على بَشَرٍ قطُّ ، فيقولُ : أيْ رَبِّ ، خَلقْتني سَيِّدَ وَلَدِ آدم ، ولا فَخْرَ ، وأَوَّلَ منْ تَنْشقُّ عَنْهُ الأرْضُ يَوْمَ القِيَامةِ ، ولا فَخْرَ ، حتَّى إنَّهُ لَيَرِدُ عَليَّ الْحَوْضَ أكْثَرُ ممَّا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ ، ثُمَّ يُقالُ : ادْعُوا الأنْبياء ، قال : فَيَجيءُ النَّبيُّ ومَعَهُ العِصَابةُ ، والنَّبيُّ ومَعَهُ الْخَمْسةُ وَالسِّتَّةُ ، وَالنبيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أحدٌ ، ثُمَّ يُقالُ : ادْعُوا الصِّدِّيقينَ ، فيشفعون ، ثُمّ يُقالُ : ادْعُوا الشُّهَداء ، فَيَشْفعُونَ لِمنْ أرادُوا » قال : « فإذا فَعَلَتِ الشُّهَداءُ ذَلِكَ » قال : « يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : أنَا أرْحمُ الرَّاحمينَ ، أدخِلُوا جَنَّتي منْ كانَ لا يُشْرِكُ بي شَيْئاً » قال : « فَيَدْخُلونَ الْجنَّة ، ثُمّ يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : انْظُرُوا في النَّارِ هَلْ تَلقَوْنَ منْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْراً قَطُّ » قالَ : « فَيَجدُونَ في النَّارِ رَجُلاً ، فيُقالُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خيْراً قَطُّ ؟ فَيَقولُ : لا ، غَيْرَ أنِّي كُنْتُ أُسَامحُ النَّاسَ في الْبَيْعِ ، فيقُولُ الله عزَّ وجلَّ : أَسْمِحُوا[٢] لِعَبْدي كَإسْمَاحِهِ إلى عَبِيدي ، ثمَّ يُخْرِجُونَ منَ النَّارِ رَجُلاً ، فيقال لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خيْراً قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لا ، غَيْرَ أنِّي قد أمَرْتُ وَلَدي : إذَا مِتُّ فَأحْرِقُوني بالنَّارِ ، ثُمَّ اطْحَنُوني ، حتَّى إذَا كنتُ مِثْلَ الكُحْلِ ، فاذْهَبُوا بي إلى البَحْرِ فَاذْرُوني في الرِّيح ، فَوَ اللهِ لا يَقْدرُ عليَّ[٣] رَبُّ العَالَمينَ أبَداً ، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قالَ : منْ مَخَافَتِكَ » قال : « فَيَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : انْظُرْ إلى مُلْكِ أعْظَم مَلِكٍ ، فَإنَّ لَكَ مِثْلَهُ ، وَعَشْرَةَ أمْثَالِهِ » قالَ : « فَيَقُولُ : لِمَ تَسْخر بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ » قال رَسُولُ الله ﷺ : « فذلك الَّذي ضَحِكْتُ مِنْهُ منَ الضُّحَى » ، وقدْ تكَلَّمْنَا على هَذا الْحَديثِ في آخرِ مُسْنَدِ الصِّديقِ رضي الله عنه[٤] .

رواية أبي سعيد الخدري

قال الإمامُ أحمدُ : حدّثنا إسماعيلُ بن إبراهيمَ ، حدّثنا محمّدُ بنُ إسحاق ، حدّثنا عُبيد[٥] اللهِ بن

---

(١) تثنية ضبع ، وهو وسط العضد .

(٢) يقال : سمح وأسمح : إذا جاء وأعطى عن كرم وسخاءٍ .

(٣) لم يقل ذلك تكذيباً للقدرة ، بل لما لحقه من شدة الحال ما غيّر عقله ، وصيره كالمجنون .

(٤) زاد ناسخ (م) مايلي : قال المؤلف في آخر (مسند الصديق) في « جامع المسانيد » : وقد رواه أبو يعلى والهيثم بن كليب وأبو عوانة الإسفراييني في « صحيحه » ، وابن خزيمة وابن حبان في حديثهما (كذا) [ولعله في صحيحيهما] في حديث النضر بن شميل ، وكان إسحاق بن راهويه يمدح هذا الحديث ، ورواه عن النضر بن شميل ، واختاره الضياء المقدسي في كتابه « المستخرج على الصحيحين » وقد بسطت القول فيه في المسند المنفرد عنه . وقد رواه البزار عن خلاد بن أسلم عن النضر بن شميل ، به ، وقال : تفرّد به البراء بن نوفل عن والان ، ولا يعرف لهما غيره ، على أنه قد رواه جماعة من العلماء واحتملوه والله سبحانه أعلم اهـ . أقول : أخرجه أحمد (١/ ٤ ـ ٥) والبزار (٧٦) وأبو يعلى (٥٦) و(٥٧) وأبو عوانة (١/ ١٧٥) وابن حبان (٦٤٧٦) .

(٥) في الأصول : عبد .

المُغيرةِ بنِ مُعَيْقيب ، عنْ سُلَيمانَ بنِ عَمْرو بنِ عَبْدٍ العُتْوَاريّ ، قال أحمدُ : وهو أبو الهَيْثم ، قال : حدّثني لَيْثٌ[١] وكان [يتيماً] في حِجْرِ أبي سَعيدٍ الخُدْريّ ، قال : سَمِعْتُ أبا سَعيدٍ يَقُولُ :[سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ] : « يُوضعُ الصِّراطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جهَنَّمَ ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ ، ثمَّ يَسْتَجيزُ النَّاسُ ، فناجٍ مُسلَّمٌ ومجروح به ، ثم ناجٍ وَمُحْتبسٌ به فمكْدُوسٌ فِيها ، فإذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءَ بَيْنَ العِبَادِ ، يَفقِدُ الْمُؤمنُونَ رِجَالاً كانُوا مَعَهُمْ في الدُّنْيا ، يُصلُّونَ بِصَلاتِهِمْ ، ويُزَكُّونَ بزكاتِهِمْ ، وَيَصُومُونَ صِيامَهُمْ ، وَيَحُجُّونَ حجَّهُمْ ، وَيَغزون غَزْوهُمْ ، فَيَقُولُونَ : أيْ رَبَّنا ، عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كانُوا مَعَنا في الدُّنْيا ، يُصلُّونَ صَلاتَنَا ، ويُزكُّونَ زَكاتَنا ، ويصُومُونَ صِيامنَا ، ويَحُجُّونَ حَجَّنا ، ويَغْزُونَ غَزْونا ، لا نَرَاهُمْ معنا ؟ فيَقُولُ : اذْهَبُوا إلى النَّارِ ، فَمَنْ وَجَدْتُم فِيهَا مِنْهُمْ فأخرِجُوهُ » قالَ : « فيَجدُونَهُمْ وَقَدْ أخذَتْهُم النَّارُ على قَدْرِ أعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى قَدمَيْهِ ، وَمِنْهُمْ منْ أخَذَتْهُ إلى نِصْفِ سَاقَيْهِ ، ومنْهُمْ منْ أخذتْهُ إلى رُكْبَتَيْهِ ، ومنْهُمْ منْ أخذتهُ إلى أُزْرَتِهِ ، ومنْهُمْ منْ أخذتهُ إلى ثَدْيَيْهِ ، ومنْهُمْ منْ أخذَتْهُ إلى عُنُقِهِ ولَمْ تَغْشَ الوُجُوهَ ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ منْهَا ، فَيَطْرَحُونَهُمْ في مَاءِ الْحَيَاةِ » قالوا : يا رَسُولَ اللهِ : ومَا ماءُ الحَيَاة ؟ قالَ : « غُسْلُ أهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَنْبُتُونَ نباتَ الزَّرْعَةِ » وَقَالَ مَرَّةً : « كما تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ في غُثاء السَّيْلِ . ثمَّ يَشْفَعُ الأنْبياءُ في كلِّ منْ كانَ يَشْهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ مُخْلصاً ، فَيَخْرِجُونَهُمْ منْها » قال : « ثمَّ يَتحنَّنُ اللهُ برحْمَتِهِ على منْ فيها ، فَمـا يَتْرُكُ فيها عبداً في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذرَّةٍ منْ إيمـانٍ إلاَّ أخرجَهُ منها » . تفرَّد به أحمد[٢] ، ورواه ابنُ أبي الدُّنيا ، من حديث ابن إسحاق ، به ، قال : « يُوضعُ الصِّراطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جهنَّمَ » قال مُحمَّدٌ : فَلا أعلمه قال : « إلاَّ كَحَرْفَةِ السَّيْفِ . . . » وذكر تمام الْحَديث .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا ابنُ أبي عَدِيّ ، عن سُلَيْمان ، يَعْني التَّيْميَّ ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سَعيدٍ ، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أمّا أهْلُ النَّارِ الَّذينَ هُمْ أهْلُها لا يَمُوتُونَ ، ولا يَحْيَوْنَ ، وأمَّا أُناسٌ يُريدُ اللهُ بِهمُ الرَّحْمةَ فَيُميتُهُمْ في النَّارِ ، فيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الشُّفَعاءُ ، فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الضِّبارة[٣] فيَبُثُّهمْ ـ » أوْ قال : « فَيُبَثُّونَ ـ على نَهْرِ الْحَيا ـ » أوْ قال: « الْحَياةِ » أو قال : « الْحَيوانِ » أو قال : « نَهْرِ الْجنَّةِ ـ فَيَنْبُتُونَ نَباتَ الْحِبَّةِ في حَميلِ السَّيْلِ » قال : فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « أما تَرَوْنَ الشَّجَرَةَ تَكُونُ خَضْراءَ ، ثم تَكونُ صَفْرَاءَ »

---

(١) كذا في الأصل والمطبوع من المسند ، والصواب (أحد بني ليث) لأن أبا الهيثم ليثي ، وهو الذي كان في حجر أبي سعيد ، وهو كذلك على الصواب في ابن ماجه (٤٢٨٠) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ١١) وإسناده حسن .

(٣) الضبارة ، مفرد ضبائر ، وهم الجماعات في تفرقة .

أوْ قالَ : « تكونُ صَفْرَاءَ ، ثمَّ تكونُ خَضْراءَ » قال : فَقالَ بَعْضُهُمْ : كأنَّ النبيَّ ﷺ خُلِقَ بالْبَادِيةِ[١] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا إسماعيلُ ، حدّثنا سَعيدُ بنُ يَزِيدَ ، عن أبي نَضْرَة ، عن أبي سَعيدٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أمَّا أهْلُ النَّارِ الَّذينَ هُمْ أهْلُهَا ، فإنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيها ولا يَحْيَوْنَ ، وَلَكنْ أُناسٌ » أوْ كما قال ، « تُصيبُهُم النَّارُ بِذُنوبِهِمْ » أوْ قالَ : « بِخَطايَاهُمْ ، فَيُميتُهُمْ إماتَةً ، حتَّى إذَا صارُوا فَحْماً أُذِنَ في الشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بهمْ ضَبائِرَ ضَبائِرَ فَبثُّوا على أنْهارِ الْجنَّةِ ، فيُقالُ : يا أهْلَ الْجنَّةِ ، أفيضُوا عَلَيْهِمْ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ في حَمِيل السَّيْلِ » فقال رجل من القوم : كأنَّ رسول الله ﷺ كان بالبادية . وهذا إسناد صحيح على شَرْط « الصحيحين »[٢] ، ولم يُخَرِّجاه منْ هذا الوَجْهِ[٣] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا يَحْيَى بنُ سَعيدٍ ، حدّثنا عُثْمانُ بنُ غِيَاثٍ ، حدّثني أبو نَضْرَةَ ، عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيّ ، قال : يُعْرضُ النَّاسُ على جِسْرِ جهنَّمَ ، عَلَيْهِ حَسَكٌ ، وكَلاليبُ ، وَخَطَاطيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ ، قال : فَيَمُرُّ النَّاسُ مِثْلَ البَرْقِ ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الرِّيحِ ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الفَرَسِ المُجْرَى ، وآخَرُونَ يَسْعونَ سَعْياً ، [وآخَرُونَ يَمْشُوْنَ مَشْياً ، وَآخَرُونَ يَحْبُونَ حَبْواً] وآخرُونَ يَزْحَفُونَ زَحْفاً ، فأمَّا أهْلُ النَّارِ ، فلا يَمُوتُونَ ، وَلا يَحْيَوْنَ ، وأمَّا أُناسٌ فَيُؤْخذُونَ بِذُنوبِهِمْ فَيُحْرَقُونَ ، فَيَكونُونَ فَحْماً ، ثمَّ يَأْذَنُ اللهُ في الشَّفَاعَةِ ، فَيُؤْخذُونَ ضِبَارَاتٍ ، ضِبَاراتٍ ، فَيُقْذفونَ على نَهْرٍ فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في حَميلِ السَّيْلِ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « هل رأيتم الصَّبْغَاءَ[٤] ؟ » قال : وعلى النارِ ثَلاثُ شَجَرَاتٍ ، فَيُخْرَجُ ، أوْ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنَ النَّارِ ، فَيَكُونُ على شَفَتِها ، فيقول : يا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهي عَنْها ، قال : فَيَقُولُ اللهُ سبحانه : وَعَهْدِكَ وَذِمَّتِكَ لا تَسْأَلُني غَيْرَها . قال : فَيَرَى شَجَرَةً ، فيقولُ : يا رَبِّ أدْنِني منْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَسْتَظِلَّ بِظِلِّها ، وَآكُلْ منْ ثمرتِها ، قالَ : فيقولُ : وَعَهْدِكَ وَذِمَّتِكَ لا تَسْأَلُني غَيْرَها . قال : فَيَرَى شَجَرَةً ، أُخْرَى أحْسَنَ مِنْهَا ، فيقول : يا رَبِّ حَوِّلْني إلى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَسْتَظِلَّ بِظِلِّها ، وآكُلْ منْ ثَمَرَتِهَا ، قال : فيقولُ : وَعَهْدِكَ وَذِمَّتِكَ لا تَسْأَلُني غَيْرَها . قال : فَيَرَى الثَّالِثَةَ ، فيقول : يا رَبِّ ،

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٥) وإسناده صحيح .

(٢) الحديث على شرط مسلم فقط ، لأن أبا نضرة ليس من رجال البخاري .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١١) .

(٤) الصبغاء : نبت معروف ، شبّه نبات لحومهم بعد احتراقها بنبات الطاقة من النبت حين تطلع تكون صبغاء ، فما يلي الشمس من أعاليها أخضر ، وما يلي الظل أبيض .

حَوِّلْني إلى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَسْتَظِلَّ بِظِلِّها ، وآكُلْ منْ ثَمَرتها . قال : فيقول : وَعَهْدِكَ وذِمَّتِكَ لا تَسْأَلْني غَيْرَها . قال : فَيَرى سَوَادَ النَّاسِ ، وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ ، فيقولُ : يا رَبِّ ، أَدْخِلْني الْجَنَّةَ ، قال أبو سعيد وَرَجُلٌ آخرُ منْ أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ اخْتَلَفَا ، فقال أحدُهما : فَيَدْخُلُ الْجنّة ويُعْطى الدُّنْيا ، ومِثْلَها ، وقال الآخرُ : فيدخل الجنَّة ويُعْطى الدُّنيا وَعَشَرَةَ أمثالها .

وقد رواه النّسائيّ من حديث عُثْمانَ بن غِياث ، به ، نحوَه[١] .

رواية أبي هريرة

قال الإمام أحمد : حدّثنا سُليمانُ ، يعني ابن داود ، أنبأنا إسْماعيلُ ، حدّثنا عمرو ، عن سَعيد ، عن أبي هريرة ، قال : قلتُ للنبيِّ ﷺ : منْ أَسْعدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامةِ ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « لَقَدْ ظَنَنْتُ يا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلاّ يَسْأَلَني عنْ هَذَا الْحَديثِ أحدٌ أَوَّلَ مِنْكَ ، لِمَا رَأيتُ مِنْ حِرْصِكَ على الْحَديثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتي يَوْمَ القِيَامةِ ، منْ قالَ : لا إلَهَ إلاَّ اللهُ ، خَالِصَةً منْ قِبَلِ نَفْسِهِ » .

هذا إسناد صحيح ، على شرطهما[٢] ولم يُخرّجاه من هذا الوجه[٣] .

طريق أخرى

قال الإمامُ أحمد : حدّثنا أبو مُعَاويةَ ، وَيَعْلى بنُ عُبَيْدٍ ، قالا : حدّثنا الأعْمشُ ، عن أبي صَالِحٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال رَسُولُ الله ﷺ: « إنَّ لِكُلِّ نَبيٍّ دَعْوةً مُسْتَجابةً ، فَتَعَجَّلَ كلُّ نبيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اختبأتُ دَعْوَتي ـ يعني شَفَاعَةً لأمَّتي ـ فَهيَ نَائلَةٌ إنْ شَاءَ اللهُ منْ مَاتَ لا يُشْرِك باللهِ شَيْئاً » قالَ يَعْلَى : « شفاعته »[٤] .

ورواه مسلم من حديث أبي مُعاويةَ محمّد بن خازم الضَّريرِ ، عن الأعمش [به][٥] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا هاشم ، والخُزاعيّ ، يعني أبا سَلَمةَ ، قالا : حدّثنا لَيْثٌ ، حدّثني يزيدُ بنُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٥) والنسائي في « الكبرى » (١١٣٢٧) وهو حديث صحيح .
(٢) أقول : سليمان بن داود الهاشمي . ليس من رجال الشيخين ، وهو ثقة ، فالحديث ليس على شرطهما .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٣) .
(٤) في (آ) : شفاعة .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٢٦) ومسلم رقم (١٩٩) (٣٣٨) .

أبي حَبيبٍ ، عن سالم بنِ أبي سَالِم ، عن مُعَاوِيةَ بْنِ مُعتِّب[١] الْهُذليِّ ، عن أبي هُريرة : أنّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ : ماذَا رَدَّ إلَيْكَ رَبُّكَ في الشَّفَاعَةِ ؟ فقال : « وَالّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أنَّك أوَّلُ منْ يَسْأَلني عَنْ ذَلِكَ منْ أُمَّتي ، لِمَا رَأَيْتُ منْ حِرْصِكَ على العِلْمِ ، وَالّذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَا يُهِمُّني من انقصافهم[٢] على أبوابِ الْجَنَّةِ أهمُّ عِنْدي منْ تَمَامِ شَفَاعَتي ، وشَفَاعَتي لِمَنْ شَهِدَ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ مُخلصاً يُصدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه[٣] .

طريق أخرى

قال أحمد: قرأتُ على عَبْدِ الرَّحْمَنِ : عن مالك . وحدثنا إسحاق ، حدّثنا مالك ، عن أبي الزِّناد، عنِ الأعْرَجِ ، عن أبي هُرَيرة : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قال : « لِكُلِّ نبيٍّ دَعْوةٌ [يَدْعُو بِهَا] ، وَأُرِيدُ أنْ أخْتَبِئَ دَعْوَتي شَفَاعَةً لأُمَّتي في الآخِرَةِ » قال إسحاق : « فأَرَدْتُ أنْ أخْتَبِئَ . . . » .

وقد رواه البخاريّ من حديث مالك ، به[٤] .

طريق أخرى

قال مسلم : حدّثني حَرْمَلَةُ بنُ يَحْيَى ، أخبرنا ابْنُ وَهْبٍ ، حدّثني يونُس ، عن ابن شِهَابٍ ، أنَّ عَمْرَو بنَ أبي سُفْيَان بنِ أَسيدٍ[٥] بنِ جَارِيَةَ[٦] الثَّقفيّ ، أخبَرَهُ : أنَّ أبَا هُرَيْرَةَ قال لِكَعْب الأحْبَارِ : إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوةٌ يَدْعُوها ، فأنا أُريدُ إنْ شاءَ الله تعالى أنْ أخْتَبِئَ دَعْوتي شَفَاعةً لأُمَّتي يَوْمَ القيامةِ » فقال كَعْب لأبي هُرَيْرَةَ : أنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قال أبو هُرَيْرَةَ : نَعَمْ . تفرّد به مسلم[٧] .

---

(١) في (آ) : مغيث .

(٢) في الأصل : انقصامهم وانعصافهم ، وقصفة القوم : تدافعهم وازدحامهم .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٧) وهو حديث حسن ، دون قوله : « والذي نفس محمد بيده لما يُهمني . . . من تمام شفاعتي » .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٨٦) والبخاري رقم (٦٣٠٤) .

(٥) في (آ) : سفيان بن أبي أسيد ، وهو خطأ .

(٦) في الأصول : حارثة .

(٧) رواه مسلم رقم (١٩٨) (٣٣٧) .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا عَبْدُ الرزّاق ، حدّثنا مَعْمرٌ ، عن الزُّهْريّ ، أخْبَرَني القَاسمُ بنُ مُحمَّد ، قال : اجْتَمعَ أبُو هُرَيْرَةَ ، [وكَعْبٌ] ، فَجَعلَ أبو هريرة يُحدِّثُ كَعْباً عن النبيِّ ﷺ ، وكَعْبٌ يُحدِّثُ أبَا هُرَيْرَةَ عن الكُتُبِ ، قال : فقال أبو هُرَيْرَةَ : قال النَّبيُّ ﷺ : « لِكُلِّ نَبيٍّ دَعْوةٌ مُسْتَجابةٌ ، وَإنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوتي شَفَاعةً [لأُمَّتي يَوْمَ القِيَامةِ] » .

انفرد به أحمد ، وإسناده صحيح على شرطهما ، ولم يُخرّجه أحدٌ من أصحاب الكُتُبِ السّتّة من هذا الوجه[١] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا يحيى ، عن شُعْبَةَ . ومحمد بن جعفر ، حدّثنا شُعْبةُ عن مُحمّد بن زياد ، عن أبي هريرة ، قال غُنْدر في حديثه : قال : سمعت أبا هُريرةَ عن النبيّ ﷺ قال : « إنَّ لِكُلِّ نبيٍّ دَعْوةً دَعا بِها ، وإنِّي أُريدُ أن أدَّخِرَ دَعْوتي إنْ شَاءَ اللهُ شَفَاعةً لأُمَّتي يَوْمَ القيامة » ، قال ابن جعفر : « في أمتي » .

وقد رواه مسلم من حديث شُعْبَةَ ، به[٢] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا مَعْمرٌ ، عن هَمَّام بنِ مُنَبِّهٍ ، حدّثنا أبو هُرَيْرة ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لِكُلِّ نَبي دَعْوة تُسْتجاب لَهُ ، فَأُريد إنْ شَاءَ اللهُ أنْ أدَّخِرَ دَعْوتي شَفَاعةً لأُمَّتي يَوْمَ القِيَامةِ » .

وهذا إسنادٌ صحيح على شرطهما ، ولم يُخرّجاه[٣] .

طريق أخرى

قال مسلم : حدّثنا قُتَيْبةُ بنُ سَعيدٍ ، حدّثنا جَريرٌ عنْ عُمَارةَ ، وهو ابْنُ الْقَعْقَاع ، عن أبي زُرْعةَ ، عن أبي هُرَيْرَةَ [قال : قال رسول الله ﷺ] : « لِكُلِّ نَبيٍّ دَعْوةٌ مُستَجابةٌ يَدْعُو بهَا ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٧٥) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٣٠) ومسلم رقم (١٩٩) (٣٤٠) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٣) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٦٤) .

فَيُسْتَجابُ لَهُ ، فيُؤْتَاهَا ، وإني اخْتَبَأْتُ دَعْوتي شَفَاعةً لأمّتي يَوْم القِيَامةِ » . انفرد به مسلم أيضاً[١] .

طريق أخرى

قال أحمد : حدّثنا إبراهيمُ بن أبي العَبَّاس ، حدّثنا أبو أُوَيْس قال : قال الزهريُّ : أخبرني أبو سَلَمة بن عبدِ الرحمن؛ أنَّ أبا هُرَيْرَةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ نَبيٍّ دَعْوةٌ ، فأريد إنْ شَاءَ اللهُ أنْ أَخْتبِئَ دَعْوَتي لِيَوْمِ القِيَامةِ شَفَاعةً لأمّتي » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه ، ورواه عبد الرزّاق عن مَعْمرٍ ، عن الزهريّ ، وقد رواه البخاريّ من حديث شُعَيْب بن أبي حَمْزةَ ، ومسلمٌ من طريق مالك ، كِلاهما عن الزهريّ ، به[٢] .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد : حدّثنا محمّدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، حدّثنا داود الأوْديُّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، [عن رسولِ الله ﷺ] في قوله : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء : ٧٩] قال : « هُوَ المَقَامُ المحمود الَّذي أشفعُ لأمّتي فيهِ » .

ورواه الترمذيّ عن أبي كُرَيْبٍ ، عن وَكيعٍ ، عن داود ، وقال : حسن[٣] .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد : حدّثنا حَجّاجٌ ، حدّثنا ابْنُ جُرَيْج ، حدّثني العَلاءُ بن عبد الرحمن بن يَعْقُوبَ ، عن ابن دارة مَوْلَى عُثْمانَ ، قال : إنَّا بِالْبَقيع مَعَ أبي هُرَيْرَةَ ، إذْ سَمِعْناهُ يَقُولُ : أنَا أعْلَمُ [النَّاسِ] بِشَفَاعةِ مُحمّدٍ ﷺ يَوْمَ القِيَامَةِ ، قال : فَتَداكَّ النَّاسُ[٤] عَلَيْهِ ، فقالوا : إيهِ يَرْحَمُكَ اللهُ ، قال : يَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفرْ لِكُلِّ عَبْدٍ لقيكَ يُؤمنُ بي لا يُشْركُ بِكَ » .

تفرّد به أحمد من هذا الوجه[٥] .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٩٩) (٣٣٩) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٩٦) والبخاري رقم (٧٤٧٤) ومسلم (١٩٨) (٣٣٤) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٤١) والترمذي رقم (٣١٣٧) وهو حديث حسن .
(٤) أي ازدحموا .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٥٤) وإسناده حسن .

رواية أم حبيبة

قال البيهقيّ : حدّثنا أبو زَكَرِيَّا يَحْيى بنُ إبراهيم المزكي ، أخبرنا أبو الحسين[١] أحمدُ بنُ عُثْمانَ بن يحيى الأدمي ، حدّثنا عبدُ الكريم بن الهَيْثَم ، [عن أبي اليمان][٢] ، حدّثنا شُعَيْبٌ ، عن الزهريّ ، عن أنسٍ ، عن أمّ حَبِيبَةَ ، عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « أُرِيتُ ما تَلْقَى أُمَّتي منْ بَعْدي ، وسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِماءَ بَعْضٍ ، فأحْزَنني ذلك ، وسَبَقَ ذلكَ منَ اللهِ ، كما سَبَقَ في الأُمَم قَبْلَهُمْ ، فَسَأَلْتُهُ أنْ يُوَلِّيَني فيهم شَفَاعةً ، فَفَعل » قال البيهقيّ : هذا إسنادٌ صحيح .

ذِكْر شفاعة المؤمنين لأهاليهم

قد تقدَّم حديث عُثْمانَ بن عفَّان رَضِيَ اللهُ عنهُ ، عن النبيِّ ﷺ : « أَوَّلُ منْ يَشْفعُ يَوْمَ القِيَامةِ الأنْبياءُ ، ثمَّ الشُّهَداءُ ، ثمَّ المُؤْمنُونَ » . رواه البزّار ، وَابْنُ مَاجَهْ ، وَلَفْظُهُ : « يَشْفعُ يَوْمَ القِيامَةِ ثَلاثةٌ : الأنْبياءُ ، ثمَّ العُلَماءُ ، ثمَّ الشُّهَداءُ »[٣] .

فأمَّا ما أوردَهُ القُرْطبيُّ في « التذْكِرَةِ » ، منْ طَرِيق أبي عَمْرو السَّمَّاك : حدّثنا يحيى بنُ جَعْفرِ بنِ الزِّبْرِقَانِ ، قالَ : حدّثنا عليُّ بنُ عاصم ، حدّثنا خالدٌ الحذّاءُ ، عن سَلَمة بنِ كُهَيْلٍ ، عن أبيه ، عن أبي الزَّعْراءِ ، قال ابنُ مسعود : يَشْفعُ نبيُّكمْ ﷺ رَابعَ أرْبعَةٍ : جِبْريلُ ، ثمَّ إبراهيمُ ، ثم مُوسى ، أو عيسى[٤] ، ثمَّ نَبيُّكم ، ثمَّ المَلائِكةُ ، ثمَّ الصِّدِّيقُونَ ، ثمَّ الشُّهَداءُ . وقد رواه أبو داود الطَّيالسيُّ ، عن يحيى بنِ سَلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن أبيه ، به ، وزاد أبو داود في روايته : لا يَشْفعُ أحدٌ بعده أكْثَرَ منْه ، وهو المَقامُ المَحْمُودُ الّذي قال اللهُ تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] ؛ فإنّه حديثٌ غريبٌ جدّاً ، ويحيى بنُ سَلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ ضَعيفٌ[٥] .

وفي الصحيح من طريق عَطاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عن أبي سَعيدٍ مَرْفوعاً : « إذا خَلَص المُؤْمنُونَ منَ الصِّراطِ وَرَأَوْا أنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا ، فمَا أنْتُمْ بأشَدَّ مُنَاشَدةً في الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبيَّنَ مِنْهُمْ لِرَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ في إخْوَانِهِم الّذين في النَّارِ ، فيقولُونَ : رَبَّنا إخْوانُنا كانُوا يُصَلُّونَ مَعَنا ، ويصومون معنا ، وَيَحُجُّونَ مَعَنا ، وَيَغْزون

(١) في (آ) : أبو الحسن ، وهو خطأ .
(٢) زيادة يقتضيها السياق، فقد أخرجه من طريقه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٨٠٠) والحاكم (١/ ٦٨) وغيرهما.
(٣) رواه البزار رقم (٣٤٧١ ـ كشف الأستار) وابن ماجه رقم (٤٣١٣) وفي سنده عنبسة بن عبد الرحمن . قال أبو حاتم : كان يضع الحديث .
(٤) في (آ) : وموسى وعيسى .
(٥) رواه أبو داود الطيالسي رقم (٣٨٩) .

مَعَنا ، فيُقالُ [لهم] : اذْهبُوا فمنْ وَجدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقالَ دِينارٍ من إيمانٍ فَأَخرجُوهُ منَ النَّارِ ، ثمَّ يَقُولُ : [نِصفَ دينار] ، ثُمَّ يَقُولُ : مِثْقالَ ذَرَّةٍ منْ إيمانٍ فَأخْرجُوهُ منَ النَّار » قالَ أبو سَعيدٍ : اقْرَؤوا إنْ شِئتُمْ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٠] قال : « فيقولُ الله تعالى : شَفعَتِ المَلائكةُ ، وَشَفَع النَّبيُّونَ ، وَشَفعَ المُؤْمنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ أرْحَمُ الرَّاحمينَ ، فَيَقْبضُ قَبْضةً منَ النَّارِ فيُخْرجُ منْها قَوْماً لمْ يَعْملُوا خيْراً قطُّ ، قدْ عادُوا حُمماً ، فَيُلْقيهمْ في نَهْرٍ في أفْواهِ الجنَّةِ ، يُقالُ لهُ : نَهْرُ الْحَياةِ ، فيَخْرُجُونَ كما تَخْرُجُ الْحِبَّة في حَميل السَّيْلِ ، فيَخْرُجُونَ كاللُّؤلُؤ في رِقَابِهمُ الْخَواتيمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ . فيقولون : هَؤُلاءِ عُتقاءُ اللهِ أَدْخلَهُمُ الله الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَملٍ عَمِلُوه ، ولا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ، ثمَّ يَقُولُ : ادْخُلُوا الجنَّةَ ، فمَا رَأيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ ، فيَقُولُونَ : رَبَّنا أعْطَيْتَنا مَا لَمْ تُعْطِ أحْداً منَ العَالَمينَ ، فيقال لهم : عِنْدي لكم أفْضلُ منْ هَذَا ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنا أيُّ شَيءٍ أفْضلُ منْ هَذَا ؟ فيقُولُ : رِضايَ فَلا أسْخطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبداً »[1] .

وفي حديث إسماعيلَ بن رَافِعٍ ، [عن محمد بن يزيد بن أبي زياد] ، عنْ مُحمّد بن كَعْبٍ ، عن رَجُلٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، عن النبيِّ ﷺ بعد ذكر دُخولِ أهْلِ الْجنَّةِ الجَنَّةَ : « فأقول : يا رَبِّ شَفِّعْني في منْ وَقَعَ في النَّارِ منْ أُمَّتي ، فيقولُ : نَعَمْ ، أخْرِجُوا منَ النَّارِ منْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ دينار[2] منْ إيمانٍ ، منْ كانَ في قَلْبهِ ثُلُثا دِينارٍ ، نِصْفُ دينارٍ ، ثلثُ دينارٍ ، رُبُعُ دينارٍ ، حتَّى بَلَغَ قِيراطَيْنِ ، أخْرجُوا منْ لَمْ يَعْملْ خَيْراً قطُّ » قال : « ثُمَّ يُؤْذَنُ في الشَّفَاعةِ ، فَلا يَبْقَى أحدٌ إلاَّ شَفَعَ ، إلاّ اللعَّان فإنّهُ لا يَشْفعُ ، حتَّى إنَّ إبْليسَ لَيَتطاولُ يَوْمئذٍ في النّارِ رَجَاءَ أن يُشفَعَ لهُ ممَّا يَرَى منْ رَحْمةِ اللهِ تعالى ، حتَّى إذا لَمْ يَبْقَ أحدٌ إلاَّ شَفَعَ » قال : « فيقول الله تعالى : بَقِيتُ أنا وأنَا أرْحمُ الرَّاحمينَ ، فيُخْرجُ منْهَا ما لا يُحْصي عِدَّتَهُمْ غَيْرهُ سبحانه ، كأنَّهُمُ الْخُشُبُ الْمُحْترِقَةُ ، فَيُطْرحُونَ على شَطِّ نَهْر على بَابِ الْجَنَّةِ ، يُقالُ لَهُ : الْحَيْوان ، فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيْلِ » . رواه ابن أبي الدنيا[3] .

وقد قال الحافظُ أبو يَعْلى الموصلي : حدّثنا العبّاسُ بنُ الوَليد النَّرْسي ، حدّثنا يُوسفُ بنُ خالِدٍ هوَ السَّمتي[4] ، عنِ الأعْمشِ ، عن أنسٍ : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « يُعْرضُ أهْلُ النَّارِ صُفُوفاً فَيَمُرُّ بهمُ المُؤْمنُونَ ، فَيرى الرَّجُلُ منْ أهْلِ النَّارِ الرَّجُلَ منَ الْمُؤْمنينَ قَدْ عَرَفهُ في الدُّنْيا[5] فيَقُولُ : يا فُلانُ ، أمَا تَذْكُرُ يَوْمَ استسقيتني فسقيتك ، ويقول الآخر لآخر : يا فلان أما تذكر يوم اسْتعنتني على حَاجةٍ كذا وكذا

(١) رواه البخاري رقم (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) (٣٠٢) كلاهما بنحوه ، وأحمد في المسند (٣/ ٩٤) .
(٢) في (آ) : ذرة .
(٣) وإسناده ضعيف ، وهو قطعة من حديث الصور المتقدم .
(٤) في (آ) : السمين .
(٥) في (آ) : فيرى الرجل من أهل النار من أهل الجنة من المؤمنين قد كان يعرفه في الدنيا .

فأعنتك ، ويقول الآخر : يا فلان ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ أَعْطَيْتُكَ » قالَ : أُراهُ قال : « كذا وكذا ، فيَذْكُرُ ذلِكَ المُؤْمنُ ، [فيَعْرِفُه] ، فيَشْفَعُ لهُ إلى رَبِّهِ ، فَيُشفِّعهُ فيهِ » . وفي إسناده ضعف[١] .

طريق أخرى عن أنس

قال ابنُ ماجه : حدّثنا محمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بن نُمَيْرٍ ، وعليُّ بنُ محمّد ، قالا : حدّثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن يزيد الرَّقَاشيِّ ، عن أنسِ بنِ مالِكٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُصَفُّ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامةِ صُفُوفاً » وقال ابنُ نُمَيْرٍ : « أهْلُ الْجنَّةِ وأهل النار ، فَيَمُرُّ الرَّجُلُ منْ أهْلِ النَّارِ على الرَّجُلِ من أهل الجنة ، فيَقُولُ : يا فُلانُ ، أما تذكر يوم ناولتك طهوراً ، فيشفع [له] . ويمر الرجل على الرجل فيقول : أمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتني فَسَقَيْتُكَ شَرْبَةً ؟ » قال : « فيَشْفَعُ لَهُ . وَيَمُرُّ الرَّجُلُ على الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ : يا فُلان ، أما تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتني لحاجة كذا وكذا ؟ فَذَهَبْتُ لَكَ ؟ فيَشْفَعُ له » .

ورواه الطحاوي بلفظٍ آخرَ قريبٍ منْ هذا المعنى[٢] .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثني عليُّ بنُ عَبْدِ الله بن موسى ، حدّثنا حَفْصُ بنُ عُمر ، حدّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ ، عن الْحَسنِ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقولُ الرَّجُلُ منْ أهْلِ الْجنَّةِ يَوْمَ القِيَامةِ: يا رَبِّ إنَّ فُلاناً سَقَاني شَرْبةً منْ ماءٍ في الدُّنيا ، فَشَفِّعْني فيهِ ، فيقولُ اللهُ : اذْهَبْ ، فَأخْرِجْهُ منَ النَّارِ، فَيَذْهبُ فَيَتحَسَّسُ عليه في النَّارِ حتَّى يُخرِجَهُ منْهَا» . وهذا مُرْسلٌ منْ مراسيل الْحَسَنِ الحِسَانِ.

ومن الأحاديث الواردة في شفاعة المؤمنين لأهاليهم

وَقَدْ حَكَى بَعْضُهُمْ عنْ زَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام أن فيه مَكْتُوباً : يَقولُ اللهُ : إنَّ عبادي الزَّاهدينَ أقُولُ لهمْ يوم القيامة : إنِّي لم أزْوِ عَنْكُمُ الدُّنْيا لِهَوانِكُمْ عَليَّ ، ولا لِعزَّة الدنيا عندي ، ولَكنْ أرَدْتُ ذلك بكم لتَسْتَوفُوا نَصيبَكُم اليوم مَوْفُوراً كاملاً عندي ، لم تَكْلِمه الدنيا ، ولم تشعثه الشهوات ، فَتَخَلَّلُوا الصُّفُوفَ ، فمنْ أحْبَبْتُمُوهُ في الدُّنيا أوْ قَضَى لَكُمْ حَاجةً ، أوْ رَدَّ عَنْكُمْ غِيبةً ، أو كساكم خِرْقَةً ، أوْ أطْعَمَكُمْ لُقمة ، أو سقاكم شربة ابْتِغاءَ وَجْهي ، وطَلَبَ مَرْضَاتي ، فَخُذُوا بِيَده ، وأدْخِلُوهُ الْجنّةَ .

وروى الترمذيُّ ، وَالبَيْهقيُّ منْ طَريقِ مَالِكِ بن مِغْوَلٍ ، عنْ عَطيَّة ، عن أبي سَعيدٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ: « إن منْ أُمَّتي رِجَالاً يَشْفعُ الرَّجُلُ منْهُم في الفِئَامِ منَ النَّاسِ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعتِهِ ،

---

(١) رواه أبو يعلى في « مسنده » رقم (٤٠٠٦) أقول : وفي سنده يوسف بن خالد السمتي ؛ تركوه ، وكذبه ابن معين .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٣٦٨٥) وإسناده ضعيف .

وَيَشْفَعُ الرَّجُلُ لِلْقبيلَةِ ، فَيَدْخلُونَ الْجَنَّة بِشَفَاعَتِهِ ، ويشفعُ الرَّجُلُ منهم للرجُلِ وَأهْلِهِ ، فيَدْخُلونَ الْجنَّة بشفاعته »[١] .

وروى البزّار بسنده ، عن أنس بن مالك ، مرفوعاً : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَشفَعُ للرَّجُلَيْنِ والثَّلاثة »[٢] .

وله من حديث سُفيانَ الثوريّ ، عن آدم بن عليّ ، عن ابن عمر ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُقالُ للرَّجُل : قم يا فُلانُ فاشْفَعْ ، فيقومُ الرجل فَيَشْفَعُ للقبيلَةِ ، وَلأهْلِ البَيْتِ ، وللرَّجُلِ ، وللرَّجُلَيْنِ ، على قَدْرِ عَمَلِهِ »[٣] .

ومن حديث الحسين بن واقد ، عن أبي غالب : أنَّ أبا أُمَامَةَ حَدَّثَهُ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعةِ رَجُلٍ منْ أُمَّتي أكْثرُ منْ عَدَد مُضَرَ ، وَيَشْفَعُ الرَّجُلُ في أهْلِ بَيْتِهِ ، وَيَشْفعُ على قَدْرِ عَمَلِهِ »[٤] .

وروى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن الحسن بن مُكْرَم ، عن يَزيد بن هَارُونَ : أنبأنا حَريز[٥] ، عن عبد الرحمن ، أو عبد الله بن مَيْسَرة ، عن أبي أُمَامَةَ : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ بِشَفَاعةِ رَجُلٍ من أمتي لَيْسَ بِنَبيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ ، أو مثل أحَدِ الحيَّيْنِ : رَبيعةَ ، وَمُضَرَ » فقال رَجُلٌ : يا رَسُولَ الله ، أوما رَبيعةُ منْ مُضَر[٦] ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنّما أقولُ ما أُقَوَّلُ »[٧] .

وقال الإمامُ أحْمَدُ : حدّثنا إسماعيلُ بن إبراهيم ، حدّثنا خَالِدٌ الحَذَّاء ، عن عبد الله بن شَقيقٍ ، قال : جَلَسْتُ إلى رَهْطٍ أنا رَابعُهُمْ بإيلياءَ ، فقال أحدهم : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لَيَدْخُلَنَّ الْجنَّةَ بِشَفَاعةِ رَجُلٍ منْ أُمَّتي أكْثَرُ منْ بَني تَميم » قُلْنَا : سِوَاكَ يا رَسُولَ الله ؟ قال : « سواي » قلتُ : أنْتَ سَمِعْتَهُ ؟ قال : نعم . فلمَّا قام ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قالوا : ابنُ أبي الجَدْعَاء[٨] .

ثم رواه أحمد عن غنْدَر ، عن شُعْبَةَ ، وعن عَفّانَ ، عن وُهَيْبٍ ، كلاهما عن خالد الْحَذّاءِ ، به نحوه[٩] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤٤٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة . لا من طريق مالك بن مغول ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه البزار (٣٤٧٣ ـ كشف الأستار) وهو حديث صحيح .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠٥) .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٠٥٩) .

(٥) في الأصول : جرير ، وهو خطأ .

(٦) في الأصل : وما ربيعة ومضر ؟ وربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان ، وليس أحدهما من الآخر .

(٧) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧) عن يزيد بن هارون به ، وهو حديث حسن بشواهده ، دون قوله: «يا رسول الله أوما ربيعة من مضر » فهي شاذة .

(٨) ضبطها الحافظ ابن حجر في « التقريب » بالذال المعجمة ، لكن صنيعه في « الإصابة » يدل أنه بالدال المهملة ، وكذا قيدها ابن الأثير في جامع الأصول في الأسماء والكنى بالمهملة .

(٩) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠) و(٥/ ٣٦٦) و(٣/ ٤٧٠) وأخرجه الترمذي رقم (٢٤٣٨) من طريق=

ورواه أبو عمرو بن السَّمَّاك ، عن يحيى بن جعفر ، عن شَبَابَةَ ، عن حريز بن عُثمان ، عن عبد الرحمن بن مَيْسَرَة[١] ، وحَبيب بن عُبَيد[٢] الرَّحَبِيِّ ، عن أبي أُمَامَةَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَدْخُلُ بِشَفَاعةِ رَجُلٍ منْ أُمَّتي الْجَنَّةَ مِثْلُ أحَدِ الحَيَّيْنِ رَبيعةَ وَمُضَرَ » قيل : يا رسول الله ، وما رَبيعَةُ ومُضَر ؟ قال : « إنَّما أقُولُ ما أُقَوَّلُ » قال : فَكانَ المَشْيَخَةُ يَرَوْنَ أنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ عُثْمانُ بنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٣] .

وقال محمد بن يُوسف الفِرْيابيُّ : حدّثنا سُفيانُ الثَّوْريّ ، عن خالدٍ الْحَذَّاءِ ، عن عبد الله بن شَقيق العُقَيْليّ[٤] ، قال : جَلَسْتُ إلى نَفَرٍ مِنْ أصْحابِ النبيِّ ﷺ فيهم عبد الله بن أبي الجدعاء ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعةِ رَجُلٍ منْ أُمَّتي أكْثَرُ منْ بَني تَميم » قالوا : سِواكَ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قال : « سِوَايَ » ، قال الفِرْيَابيّ : يقال : إنّه عُثْمان بنُ عَفّان ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . ورواه البيهقيّ ، والترمذيّ ، وابن ماجه ، وغيرهم ، من طرق متعدّدة ، عن خالد الحَذّاءِ ، به . وقال الترمذيّ : حسن صحيح ، وليس لابن أبي الْجَدْعاءِ حديثٌ سِواهُ[٥] .

وله من حديث أبي مُعاوية ، عن داود بن أبي هِنْد ، عن عبد الله بن قَيْسٍ الأسَديّ ، عن الحارث ابن أُقَيْشٍ[٦] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ من أُمَّتي من يَدْخُلُ الْجنَّةَ بِشفَاعَتِهِ أكْثَرُ من مُضَرَ ، وَإنَّ مِنْ أُمَّتي لَمَنْ سَيَعْظُمُ للنَّارِ حتّى يَكُونَ أحدَ زَوَايَاهَا » . وكذا رواه أحمد وابن ماجه ، من غير وَجْهٍ عن داودَ بن أبي هِنْدٍ ، وفي لفظٍ لأحْمَد : « إنَّ منْ أُمَّتي لَمَنْ يَشْفَعُ لأكْثَرَ منْ رَبيعَةَ ومُضَر ، وَإنَّ منْ أُمَّتي لَمَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّى [يَكُون] رُكْناً منْ أرْكَانِها »[٧] .

وروى البيهقيّ من حديث أبي بكر بن عيَّاش ، عن هشام ، عن الحسن، قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخُلُ بِشَفَاعةِ رَجُلٍ منْ أُمَّتي الجنَّة أكْثَرُ مِنْ رَبيعَةَ وَمُضَر » قال هشام : أخْبَرَني حَوْشَبٌ ، عن الحَسَـن : أنَّهُ أُوَيْسٌ القَرَنيُّ ، قالَ أبو بَكْرِ بنُ عَيَّاش : قلتُ لِرَجُلٍ منْ قَوْمِهِ : أُوَيْسٌ بأيِّ شَيْءٍ بلغ

= إسماعيل ، وهو حديث صحيح .

(١) في (آ) : عبد الله بن ميسرة ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٢) في الأصول : عدي .

(٣) وهو حديث حسن .

(٤) في (آ) : العتكي ، وهو خطأ .

(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/٣٧٨) والترمذي (٢٤٣٨) وابن ماجه (٤٣١٦) وهو حديث صحيح .

(٦) في (آ) : قيس ، وفي الفاسية : أقيس ، وهو خطأ .

(٧) رواه الحاكم (١/٧١) من طريق أبي معاذ ، وأحمد في المسند (٥/٣١٢ ـ ٣١٣) و(٤/٢١٢) وابن ماجه (٤٣٢٣) وهو حديث صحيح .

هَذَا ؟ قال : فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ[١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عَفّان ، حدّثنا سَعِيدُ بنُ زَيْد ، حدّثنا أبو سليمان العَصَري[٢] ، حدّثني عُقْبَةُ بنُ صُهْبان ، سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَة ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال : « يُحملُ[٣] النَّاسُ على الصِّراطِ يَوْمَ القِيامةِ فَتتقَادَعُ[٤] بهم جَنَبتا الصِّراطِ ، تقادُعَ الفَراشِ في النّار ، فيُنَجِّي اللهُ تبارك وتعالى بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ ثم يُؤْذَنُ للملائِكَة ، وَالنَّبِيِّينَ ، وَالشُّهَداءِ ، أَنْ يَشْفَعُوا ، فَيَشفَعُونَ ، وَيُخرِجُونَ ، وَيَشفعون ، ويُخرجُونَ ، وَيَشْفعُون ويُخرجون ـ » زَادَ عَفّانُ مَرَّةً فقال : « وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرجُونَ ـ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ ما يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إيمانٍ »[٥] .

وقال البيهقيّ : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدّثنا أبو العبّاس ، محمد بن يعقوب ، حدّثنا الخضر بن أبان ، حدّثنا سَيّارٌ ، حدّثنا جعْفرٌ ، يعني ابن سُلَيْمانَ ، حدّثنا أبو ظِلال ، حدّثنا أَنسُ بنُ مالكٍ ، حدّثنا رسول الله ﷺ ، قال : « سَلَكَ رَجلانِ مَفازةً ، أَحَدُهُما عَابدٌ ، وَالآخَرُ بِهِ رَهَقٌ[٦] ، ومع الذي به رهق إداوة فيها ماءٌ ، وليس مع العابد ماءٌ ، فعَطِشَ العَابدُ ، فقال : أيْ فُلانُ ، اسْقِني فهو ذا أموت ، فقال : إنّما مَعِي إدَاوةٌ وَنَحْنُ في مَفَازةٍ ، فإنْ سَقَيْتُكَ هَلَكْتُ ، فَسَلَكا ، ثُمَّ إنَّ العَابدَ اشتد به العطش ، فقال : أيْ فُلانُ اسقني فهو ذا أموت ، فقال : إنما معي إداوة ونحن في مفازة ، فإن سقيتك هلكت ، فسلكا ، ثم إن العابد سقط ، فقال : أي فلان اسقني ، فهو ذا أموت ، قال الذي به رَهَقٌ : وَاللهِ إنَّ هَذَا العَبْدَ الصَّالِحَ يَمُوتُ ضَياعاً إن تركته ولم أسقه ، لا تُبلِّني عِنْد اللهِ بَالَّة أبداً ، فرشَّ عَلَيْهِ منَ المَاءِ وسَقَاهُ ثمَّ سَلَكا إلى المَفازةِ ، فَقَطعاها » قال : « فيُوقفَان لِلْحِسَابِ يَوْمَ القِيامةِ، فَيُؤْمرُ بالعَابدِ إلى الجنَّةِ، وَيُؤْمرُ بالّذي بهِ رَهَقٌ إلى النارِ » قال: « فَيَعْرفُ الّذِي بِهِ رَهَقٌ الْعَابِدَ ، ولا يَعْرِفُ العَابدُ الذِي بهِ رَهَقٌ ، فيناديه : أيْ فُلانُ ، أنَا الَّذي آثَرْتُك على نَفْسي يَوْمَ المَفَازةِ ، وَقَدْ أُمِرَ بي إلى النَّارِ ، فَاشْفَعْ لي إلى رَبِّكَ ، فَيَقُولُ العابد : أيْ رَبِّ ، إنَّهُ قَدْ آثرني على نَفْسِهِ ، أيْ رَبِّ هَبْهُ ليَ الْيَوْمَ ، فَيَهبُه لَهُ ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فينْطلقُ بهِ إلى الجنَّةِ » زاد فيه : « فيَقُولُ : يا فلان ، ما أشدَّ ما غيَّرتْك نِعْمةُ رَبِّي عزَّ وجلَّ » . ثم قال البيهقيّ : وهذا الإسنادُ وَإنْ كانَ غَيْرَ قَويٍّ فَلَهُ شَاهدٌ منْ حَديث أنس بن مالك : حدّثنا أبو سعد[٧] الزاهد ، إمْلاءً ، حدّثنا أبو الحسن محمّد بنُ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٠٥) من طريق ابن عياش ، به ، مرسلاً ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .
(٢) في (آ) : القصري ، وهو خطأ .
(٣) في الأصول : يحصل ، والمثبت من المسند .
(٤) أي تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض .
(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٣) وإسناده حسن .
(٦) الرهق ، يطلق على السفه وغشيان المحارم .
(٧) في (آ) : أبو سعيد وهو خطأ .

الحَسنِ بن الحُسَيْن بن منصور ، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد البُوشَنْجيّ ، حدّثنا محمد بن أبي بكر المُقَدّمِيّ ، حدّثنا عليّ بن أبي سَارَةَ ، عن ثَابتٍ البُنَانيِّ ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ رَجُلاً منْ أهْلِ الْجنَّةِ يُشْرفُ يَوْمَ القِيامةِ على النّارِ ، فَيُناديهِ رَجل منْ أهْلِ النار ، فيقول : يا فلان ، هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، والله ما أعرفك ، منْ أنْتَ ؟ فيقول : أنا الذي مَرَرْتَ بي في الدُّنيا فاسْتَسْقَيْتَني شَرْبَةً منْ مَاءٍ فَسَقَيْتُكَ ، قال : قَدْ عَرَفْتُ ، قال : فاشْفَعْ لي بهَا عِنْد رَبِّكَ » قال : « فَيَسْأَلُ اللهَ عزَّ وجلَّ ، فَيَقُولُ : يا رب إنِّي أشْرَفْتُ على النَّارِ فَنَادَاني رَجُلٌ منْ أهْلِها ، فقال : هَلْ تَعْرفُني ؟ قُلْتُ : لا والله ، ما أعرفك ، منْ أنْتَ ؟ قال : أنا الّذي مَرَرْتَ بي في الدُّنيا فاسْتَسْقَيْتني شَرْبةً منْ ماءٍ ، فَسَقَيْتُكَ فاشفَعْ لي عِنْدَ ربِّكَ ، فَشَفِّعْني فيه ، فَيُشَفِّعه اللهُ ، فَيأمُرُ اللهُ بهِ فيُخْرجُ منَ النَّارِ »[(١)] .

أنبأنا أبو طالب طاهرٌ الفقيه ، أنبأنا أبو عبد الله الصفّار الأصْبَهَانيّ ، حدّثنا أبو قَبِيصَةَ ، محمّد بن عبد الرحمن بن عُمارَة بن القَعْقَاعِ الضَّبِّيُّ الأصْبَهانيُّ البَغْدَاديّ ، حدّثنا أحمدُ بن عِمْرَان الأخنسيُّ ، سمعتُ أبا بكر بن عيَّاشٍ [جار ابن هارون يُحدِّثُ]، عن سُلَيْمانَ التَّيْميِّ[(٢)]، عن أنس بن مالك، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَجْمعُ اللهُ أهْلَ الْجنَّةِ صُفُوفاً ، وَأهْلَ النارِ صُفُوفاً ، فَيَنْظُرُ الرَّجُلُ منْ صُفُوفِ أهْلِ النَّارِ إلى رَجُلٍ منْ صُفُوفِ أهْلِ الْجنّةِ ، فيَقُولُ : يا فُلانُ ، مَا تَذكُرُ يَوْمَ اصْطَنَعْتُ إلَيْكَ في الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ؟ فيَقُولُ : يا رَبِّ إنَّ هَذَا اصْطَنَعَ إليَّ في الدُّنْيا مَعْرُوفاً ، فيُقالُ : خُذْ بيَدِهِ ، وَأدْخِلْهُ الْجنَّةَ » قال أنس : أشْهدُ لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُهُ . قال : وكذا رواه السَّمعاني ، عن أحمد بن عِمْران ، والله أعلم[(٣)] .

حديث فيه شفاعة الأعمال لصاحبها عند الله يوم القيامة

قال عبدُ الله بن المبارك : حدّثنا رِشدِينُ بنُ سَعْد ، عن حُيَيّ ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُليِّ ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « إنَّ الصِّيامَ والقُرآن لَيَشْفعَانِ لِلْعَبْدِ » قال : « يقول الصِّيامُ : رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعامَ ، وَالشَّرابَ ، وَالشَّهوَاتِ بالنَّهارِ ، فشَفِّعْني [فِيه] ، ويَقُولُ القرآن : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ باللّيْلِ فَشَفِّعْني فِيهِ »[(٤)] .

---

(١) ورواه أبو يعلى في مسنده (٤٢١٢) من طريق جعفر ، به ، و(٣٤٩٠) من طريق ابن أبي سارة ، وهو متروك .

(٢) في الأصول : يحدث صالحاً خازن (بياض) عن سليمان ، والتصحيح من « تاريخ بغداد » (٤/ ٣٣٢) .

(٣) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٤/ ٣٣٢) وإسناده ضعيف .

(٤) وإسناده ضعيف . ولكن أخرجه أحمد في مسنده مرفوعاً (٢/ ١٧٤) والطبراني في الكبير (١٣/ ٨٨) والحاكم (١/ ٥٥٤) وهو حديث صحيح .

وروى نُعَيْمُ بنُ حمَّاد ، عن إبراهيم بن الحَكم بن أبان ، عن أبيه ، عن أبي قِلابةَ ، قال : كان ابنُ أخي يَتَعاطَى الشَّرابَ ، فمَرِضَ ، فبَعثَ إليَّ ليْلاً أنِ الْحَقْ بي ، فأتَيْتُهُ ، فَرأَيْتُ أسْوَدَيْنِ قَدْ دنوا مِنْهُ ، فقلتُ : إنَّا للهِ وإنا إليه راجعون ، هَلَكَ ابنُ أخي ، فاطَّلَع أبْيَضانِ مِن الكُوَّةِ الّتي في البَيْتِ ، فقال أحَدُهُما لِصَاحِبِهِ : انزِلْ إليْهِ ، فلمَّا نَزَلَ تَنَحَّى عَنْهُ الأسْوَدَانِ ، فَشَمَّ فَاهُ ، فقال : ما أرى فيه ذِكْراً ، ثمَّ شَمَّ بَطْنَهُ ، فقال : ما أرى فيه صياماً ، ثُمَّ شَمَّ رِجْلَيْهِ فقال : ما أرى فيهما صَلاةً ، فقال له صاحبه : إنَّا للهِ وَإنَّا إليْهِ رَاجِعُونَ ، رَجُلٌ منْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ لَيْسَ لَهُ منَ الْخَيْرِ شَيْءٌ ؟ وَيْحَكَ ، عُدْ فَانْظُرْ ، فَعادَ فنظر فلَمْ يَجِدْ شَيْئاً . فنزلَ الآخَرُ ، فشَمَّ ، فلَمْ يَجِدْ شَيْئاً ، ثُمَّ عادَ ، فإذَا في طَرَفِ لِسَانِه تَكْبيرةٌ في سَبيلِ اللهِ ، قَالَها ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ بأنْطاكيةَ ، فَقَبضُوا رُوحَهُ ، فَشَمُّوا في البَيْتِ رَائحة المِسْكِ ، وَشَهِدَ النَّاسُ جَنَازَتَهُ . حديثٌ غريبٌ جدّاً .

قال العلاّمة أبو [عبد الله] محمد القُرْطبيّ في « التذْكِرَة » : وخرَّج أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن محمّد الخُتَّليّ في كتاب « الدِّيباج » ، له : حدّثنا أحمد بن أبي الحارث ، حدّثنا عبد المجيد بن أبي روّاد ، عن معمر بن راشد ، عن الْحكم بن أبانٍ ، عن عِكرَمَةَ ، عن ابن عبَّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا فرغ اللهُ منَ القضاء بَيْنَ خَلْقِهِ ، أخْرَجَ كِتاباً منْ تَحْتِ العَرْشِ : إن رَحْمتي سَبَقتْ غَضَبي ، وأنا أرْحمُ الرَّاحِمينَ » قال : « فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مثلَ أهْلِ الْجنَّةِ ـ » أو [قال] : « مِثْلي أهْلِ الْجَنَّة » قال : وأكثر ظنِّي أنَّهُ قال : « مِثْلَ أهل الْجنَّة ـ مكتوب بَيْنَ أعْيُنِهِمْ : عُتَقَاءُ اللهِ »(١) .

وروى الترمذيُّ ، عن أنس ، مرفوعاً : « يقول الله تعالى : أخْرِجُوا منَ النَّارِ منْ ذَكَرَني يَوْماً ، أوْ خَافَني في مَقامٍ » وقال : حسن غريب(٢) .

وله عن أبي هريرة : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهمَا ، فقال الرَّبُّ تَعالَى : أخْرِجُوهما ، فلمَّا أُخْرِجَا قالَ لَهُمَا : لأيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِياحُكُمَا ؟ فقالا : فَعَلْنا ذَلِكَ لِتَرْحمَنا ، قالَ : إنَّ رَحْمَتي لَكُمَا أنْ تَنْطَلِقَا ، فَتُلْقِيَا أنْفُسَكُما حَيْثُ كُنْتُما مِنَ النَّارِ ، فيَنْطَلِقَانِ فَيُلْقي أحَدُهُما نَفْسَهُ فَيَجْعَلُها عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلاماً ، وَيقُومُ الآخَرُ ، فَلا يُلْقي نَفْسَهُ ، فيَقُولُ الرَّبُّ تَعالى : ما مَنَعَكَ أنْ تُلْقيَ بِنَفْسِكَ ، كما ألْقَى صَاحِبُكَ ؟ فيقول : رَبِّ إنِّي لأرْجُو ألاّ تُعيدني فيهَا بَعْدَ ما أخْرَجْتني منها ، فيقُولُ الرّب : لَكَ رَجاؤُكَ ، فَيَدْخُلانِ الْجَنَّةَ جَميعاً برحْمَةِ اللهِ »(٣) .

---

(١) وفي إسناده ضعف .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٥٩٤) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٥٩٩) ، وهو ضعيف أقول : يغتفر رواية الحديث في فضائل الأعمال عند البعض بشروط ، كما قال الحافظ ابن حجر : ١ ـ ألاّ يشتد ضعفه . ٢ ـ أن يندرج تحت أصل معمول به . ٣ ـ ألاّ يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط .

في إسناده ضَعْفٌ لِحَال رِشْدينَ بْنِ سَعْدٍ ، عن ابنِ أَنْعُم ، وَهُمَا ضَعيفَانِ ، وَلكنْ يُغْتَفرُ رِوَايَةُ هَذَا في هَذَا الْبَابِ لأنه مِنَ التَّرْغيبِ وَالتَّرْهِيبِ ، واللهُ أَعْلَمُ .

وقال عبدُ الله بن المبارك : حدّثنا رِشْدينُ بنُ سَعْدٍ ، حدّثنا أبو هانىءٍ الْخَوْلانيُّ ، عن عَمْرِو بن مَالِكِ الجَنْبيِّ : أنَّ فضالةَ بن عبيد ، وعُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ حَدَّثَاهُ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذَا كانَ يَوْمُ القِيَامةِ ، وَفَرَغَ اللهُ منْ قَضَاءِ الْخَلْقِ فيَبْقَى رَجُلان ، فيُؤْمَرُ بِهمَا إلى النّارِ ، فيَلْتَفِتُ أَحَدُهُما ، فيقولُ الْجَبَّارُ : رُدُّوهُ ، فيَرُدُّونَهُ ، فيقولُ له : لِمَ الْتَفتَّ ؟ فيَقُولُ : كُنْتُ أَرْجُو أنْ تُدْخِلَني الجَنَّةَ ، فيُؤْمَرُ بهِ إلى الْجَنَّةِ ، فيَقُولُ : لَقَدْ أَعْطَاني رَبِّي حتّى لوْ أَنِّي أَطْعَمْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَا نَقَصَ ذَلِكَ ممَّا عِنْدي شَيْئاً » وَكانَ رسولُ الله ﷺ إذا ذَكَرَهُ يُرَى السُّرُورُ في وَجْهِهِ[1] .

فصل

في أصحاب الأعراف

قال الله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ . . . ﴾ الآيات [الأعراف : ٤٦ ـ ٤٧] قال ابن عباس وغيره : الأعْرافُ : سورٌ بين الجَنّةِ وَالنّارِ وعليه رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار . وقال الشعبيّ ، عن صِلَة بن زُفَر ، عن حُذيفَةَ ، قال : أَصْحَابُ الأعْرَافِ قَوْمٌ تَجَاوَزَتْ بِهِمْ حَسَناتُهُمْ عن دخول النّار ، وَقصُرَتْ بهِمْ سَيِّئَاتُهُمْ عَنِ الجَنّةِ ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فبَيْنما هُمْ كَذَلك ، إذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ عزَّ وجلَّ ، فقال : قومُوا فادْخُلوا الجَنَّةَ ، فإنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . رواه البيهقيّ[2] من وجه آخر عن الشعبيّ ، عن حُذيفةَ مرفوعاً ، وفيه نظر .

وقال سُفْيانُ الثَّوْريّ ، عن حَبيبِ بن أبي ثَابتٍ ، [عن مجاهد] ، عن عبد الله بن الحارث بن نَوْفَل ، قال : أَصْحابُ الأعْرَافِ رِجالٌ تَسْتَوِي حَسَناتُهُمْ ، وسَيِّئاتُهُمْ ، فيُذْهَبُ بهمْ إلى نَهْرٍ يُقالُ لَهُ : الْحَيَاةُ ، تُرْبتُه وَرْدٌ وَزَعْفرانٌ ، وحَافتَاهُ قَصَبٌ منْ ذَهَبٍ ، مُكَلَّل باللُّؤْلُؤ ، فيَغْتَسِلُونَ فيه [فَيَبْدُو في نُحُورِهِمْ شَامَةٌ بيضاء ، ثُمَّ يَغْتَسلُونَ] فيَزْدَادُونَ بَياضاً ، ثُمَّ يقال لَهُمْ : تَمَنَّوْا مَا شِئْتُمْ ، فيَتَمَنّونَ ما شاؤوا ، فيُقَالُ لَهُمْ : لَكُمْ ما تَمَنَّيْتُمْ سَبْعينَ مَرَّةً ، فأُولَئكَ مَسَاكينُ أهل الْجنّةِ[3] .

---

(١) رواه ابن المبارك في « مسنده » رقم (١١٠) وفي « الزهد » (٤٠٩ـ زوائد نعيم) وإسناده ضعيف .

(٢) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (١٠٩ و١١١) ومن وجه آخر عن الشعبيّ ، عن حُذَيْفَةَ مرفوعاً .

(٣) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (١٢٠) .

وقد وَرَدَتْ أحاديثُ فِيهَا غَرَابَةٌ في شَأنِ أصْحَابِ الأعْرَافِ ، وَصِفَاتِهِمْ ، تَرَكْنَاهَا لِضَعْفِهَا ، والله أعلم .

ذكر آخر من يخرج من النار

ثبت في « صحيح مسلم » من حديث أبي هُرَيْرَةَ أنَّ نَاساً قالُوا لِرسولِ الله ﷺ : يا رسولَ الله ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ : « هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ القمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ؟ » قالوا : لا ، يا رسولَ الله ، قال : « هَلْ تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ لَيسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ » قالوا : لا ، قال : « فإنَّكُم تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ . يَجْمعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامةِ ، فيَقُولُ : منْ كانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ، وَيَتَّبِعُ منْ كانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ ، وَيَتَّبِعُ منْ كان يَعْبُدُ الطَّوَاغيتَ الطَّوَاغيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافقُوها ، فَيَأتِيهم اللهُ تبارك وتعالى في صُورَةٍ غَير صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُون ، فيقُولُ : أنَا رَبُّكُمْ ، فيقُولُونَ : نَعُوذُ باللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حتّى يأْتينا رَبُّنَا ، فإذا جَاءَ رَبُّنا عَرَفْناهُ ، فَيَأتِيهمُ اللهُ في صُورتِهِ التي يَعْرِفُونَ ، فيقُولُ : أنا رَبُّكُمْ ، فيقُولُونَ : أنْتَ رَبُّنا ، فيَتبِعُونَهُ ، وَيُضرَبُ الصِّراطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، فأكُون أنا وأمتي أوَّلَ منْ يُجيزُ ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إلاَّ الرُّسُلُ ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمئِذٍ : اللّهُمَّ سَلِّم ، سَلِّمْ ، وفي جَهنّمَ كَلاليبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعدَانِ ، هَلْ رَأيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ » قالوا : نَعَمْ ، يا رسول الله ، قال : « فإنَّها مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أنَّهُ لا يَعْلم قَدْرَ عِظَمِهَا إلاَّ الله تَعالَى ، تَخْطَفُ النّاسَ بأعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ المُجازَى حتّى يَنْجُو ، حَتّى إذَا فَرَغَ اللهُ منَ الْقَضاءِ بَيْنَ العِبَادِ ، وأرَادَ أنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ منْ أرَادَ منْ أهْلِ النّارِ ، أمَرَ الْمَلائكةَ أنْ يُخرِجُوا منَ النّارِ منْ كَانَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً مِمَّنْ أرَادَ اللهُ أنْ يَرْحمهُ مِمّنْ يَقُولُ : لا إلَهَ إلاَّ اللهُ ، فَيَعْرِفونَهُم في النّارِ ، يَعْرِفُونَهُم بِأثَرِ السُّجُودِ ، تَأكُلُ النّارُ مِن ابْنِ آدَمَ إلاَّ أثَرَ السُّجُودِ ، حَرَّمَ اللهُ على النّارِ أنْ تَأْكُلَ أثَر السُّجُودِ ، فَيُخْرَجُونَ منَ النَّارِ قَدِ امْتَحشُوا ، فيُصَبُّ عَلَيْهِمْ منْ مَاءِ الْحَيَاةِ فَيَنْبتُونَ [مِنْهُ] كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ ، ويَفْرُغُ اللهُ منَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ على النّارِ ، وَهُوَ آخِرُ أهْلِ النّار دُخُولاً إلى الْجنّةِ ، فيَقُولُ : أيْ رَبِّ ، اصرفْ وَجْهي عنِ النَّارِ ، فإنَّهُ قد قَشَبني[1] رِيحُهَا ، وأحْرَقني ذَكاؤُهَا[2] فيَدْعُو اللهَ ما شاء أنْ يَدعُوَه ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ : هَلْ عَسَيْتَ إنْ أعطيتك ذَلِكَ [أنْ] تَسْألَني غَيْرَهُ ؟ فيقُولُ : لا أسْألُك غيْرَهُ ، وَيُعْطي رَبَّهُ منْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ما شَاء ، فَيَصْرفُ وَجْهَهُ عنِ النّارِ ، فإذا أقْبَلَ على الْجَنَّةِ ورآها سكَتَ ما شَاءَ اللهُ أنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أيْ رَبِّ قَدِّمْني إلى بَابِ الْجنَّةِ ، فيقُولُ اللهُ : ألَيسَ قدْ أعْطَيْتَ عُهُودَكَ ومَوَاثيقَكَ ألاّ تسْألَني غَيْرَ الّذِي أُعْطِيتَ ؟ وَيْلَكَ يا ابْنَ آدَمَ ، مَا أغْدَرَكَ !

---

(١) آذاني .

(٢) شدة لهبها .

فيقولُ : أيْ رَبِّ ، وَيَدْعُو اللهَ حتَّى يَقُولَ لهُ : فهَلْ عَسَيْتَ إنْ أعطيتك ذلك أنْ تَسْألَني غيرَه ؟ فيقول : لا ، وَعِزَّتِكَ ، فيُعْطِي رَبَّهُ ما شَاءَ مِنْ عُهُودٍ ومَوَاثيقَ ، فيُقَدِّمُهُ إلى بابِ الْجنَّةِ ، فإذا قامَ على بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ[1] لهُ الجَنَّةُ فَرَأى ما فيها منَ الخَيْرِ ، وَالسُّرُور ، فيَسْكُتُ ما شاءَ اللهُ أنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أيْ رَبِّ أدْخِلْني الجَنَّةَ ، فيقولُ اللهُ تعالى : أَلَيْسَ قدْ أعْطَيْتَ عُهُودكَ ومَوَاثيقَكَ ألاّ تَسْألَني غيْرَ ما أُعْطيتَ ، وَيْلَكَ يا ابْنَ آدمَ ، ما أغْدَرَكَ! فيقول : يا رَبِّ لا أكُونُ أشْقَى خَلْقِكَ ، فلا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ تَعالى ، حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ منه ، فإذا ضَحِكَ [اللهُ] مِنْهُ قال : ادْخُلِ الجَنَّةَ . فإذا دَخَلَها قال اللهُ له : تَمنَّهْ . فيَسْألُ اللهَ وَيتمنَّى ، حتَّى إنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ منْ كذا وكذا ، حتَّى إذا انْقَطَعتْ بِهِ الأمَانيّ ، قال الله : لكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » .

قال عطاء بنُ يَزيدَ : وأبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ مَعَ أبي هُرَيْرَةَ لا يَرُدُّ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنْ حَديثِهِ ، حتَّى إذا حدَّثَ أبُو هُرَيْرَةَ : أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قالَ لِذَلِكِ الرَّجُلِ : « وَمِثْلُهُ مَعَهُ » قالَ أبُو سَعِيدٍ : « وَعَشرةُ أمْثَالِهِ معه » يا أبا هُرَيْرَةَ .

قالَ أبُو هُرَيْرَةَ : مَا حَفِظْتُ إلاَّ قولَهُ : « ذلكَ لك ومِثْلُهُ مَعَهُ » فقال أبو سعيدٍ : أشْهَدُ أنِّي حَفِظْتُ منْ رسولِ الله ﷺ قولَهُ : « ذلكَ لكَ وَعَشرةُ أمْثَالِهِ » .

قالَ أبو هُرَيْرَةَ : « وذلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أهْلِ الْجنَّةِ دُخُولاً الجَنَّة » .

هذا لفظُ مسلم .

ثم ساقه من طريق عبد الرزّاق ، عن مَعْمر ، عن هَمَّامٍ ، عن أبي هريرة[2] . ثم أورد الحديث من رواية عطاءِ بن يَسَارٍ ، وغيره ، عن أبي سَعيدٍ ، فساقه بطولِه نحوه ، وفيه : أنَّهُ يُعْطى ذلك وعَشَرَة أمثالِهِ ، وفي بعض سياقاته : أنَّهُ ينتقل منَ النَّارِ إلى بَابِ الجَنَّةِ في ثَلاثِ مَرَاحِلَ ، كلُّ مَرْحلةٍ يَجْلسُ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، كلُّ وَاحدَةٍ هي أحْسَنُ منْ أُخْتِهَا الَّتي قَبْلَها[3] .

وكذلك رواه مسلم أيضاً ، من حديث ابن مسعود ، وفيه : « وعَشَرَةُ أمْثالِهِ » كما حَفِظَهِ أبو سَعيدٍ ، والله سبحانه وتعالى أعظم وأكرم وأرأف وأرحم .

وهكذا رواه البخاريّ ، عن ابن مسعود ، فقال : حدّثنا عُثْمَانُ بنُ أبي شَيْبَةَ ، حدّثنا جَريرٌ ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عَبيدَةَ ، عن عَبْدِ الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إنِّي لأعْلَمُ آخرَ أهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْها ، وَآخِرِ أهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً ، رَجُل يَخْرُجُ منَ النَّارِ حَبْواً ، فيَقول اللهُ له : اذْهَبْ

(١) أي انفتحت واتسعت .

(٢) رواه مسلم رقم (١٨٢) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٥٦) .

(٣) رواه مسلم رقم (١٨٣ و١٨٨) .

فادْخُلِ الجنَّةِ ، فيأْتيها ، فيُخَيَّلُ إليْهِ أنَّها مَلأَىْ ، فيَرْجِعُ ، فيقُولُ : يا رَبِّ ، وَجَدْتُها مَلأى ، فيقولُ : اذْهَبْ ، فَادْخُلِ الْجنَّةَ ، فيأتيها فيُخَيَّلُ إليْهِ أنها مَلأى ، فيَرْجِعُ ، فيقُولُ : يا رَبِّ ، وَجدْتُها مَلأى ، فيقُولُ : اذْهَبْ ، فَادْخُلِ الْجنَّةِ ، فإنّ لك مِثْلَ الدُّنْيا وَعَشَرَةَ أمْثالِهَا ، أوْ إنَّ لك مِثْل عَشَرَةِ أمْثالِ الدُّنْيا ، فيَقُولُ : أتَسْخرُ بي أوْ تَضْحكُ منِّي ، وأنْتَ الْمَلِكُ ؟ » فَلَقَدْ رَأيْتُ رسول الله ﷺ ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، وكانَ يُقالُ : ذَلِكَ أدْنى أهْلِ الْجنَّةِ مَنْزِلةً[١] .

فصل

روى الدّارقطنيّ في كتابه «الرّواة عن مالك» والخطيب البغداديّ، من طريقٍ غَريبةٍ، عن عبد الملك ابن الْحَكَم : حدّثنا مالكٌ ، عن نافع ، عن ابن عُمَر ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن آخِرَ منْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ منْ جُهَيْنة، يُقَالُ لَهُ: جُهَيْنة ، فيَقُولُ أهْلُ الْجَنَّةِ : عِنْدَ جُهيْنَةَ الْخَبرُ اليَقينُ ، سَلُوهُ : هَلْ بَقيَ في النار أحدٌ من الخلائق ؟ » . وَهَذا الْحَديثُ لا تَصِحّ [نِسْبَتُهُ] إلى الإمام مالِكٍ ، لِجَهَالةِ رُوَاتِه عنه ، وَلَوْ كانَ مَحْفُوظاً منْ حَديثِهِ لَكانَ في كُتُبِهِ الْمَشْهُورةِ عَنْهُ ، كـ« الموَطَّأ » وَغَيْرِهِ ممّا رواه عنه الثِّقَاتُ . والْعَجَبُ أنَّ القُرْطبيّ ذكره في « التَّذكرة »، وجزم به، فقال: قال ابنُ عمر : قال رسولُ الله ﷺ : « آخرُ منْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ منْ جُهَيْنَةَ ، يُقالُ لَهُ: جَهَينةُ، فيقُولُ أهْلُ الْجنَّةِ: وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبرُ الْيَقينُ »[٢] .

وكذلك ذكره السُّهَيْليّ ، وَلَمْ يُضَعِّفْهُ ، وحَكى السُّهَيْليّ قولاً آخر : أنّ اسْمَه هَنَّاد ، فالله أعلم .

وقال مُسلم : حدّثنا مُحمّدُ بنُ عبد الله بن نُمَيْر ، حدّثنا أَبي ، حدّثنا الأعْمَشُ ، عن المَعْرُورِ بن سُوَيْدٍ ، عن أبي ذَرّ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنِّي لأعْلَمُ آخِرَ أهْلِ الجنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ ، وَآخِرَ أهْلِ النَّارِ خُرُوجاً منْهَا : رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القيَامَةِ ، فيُقَالُ : اعرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَها ، فتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ ، فيُقالُ : عَمِلْتَ يَوْمَ كذا وكذا ، كذا وكذا ، وعَمِلْتَ يَوْمَ كذا وكذا ، كذا وكذا ، فيقول : نَعَمْ ، لا يَسْتَطيعُ أنْ يُنْكِرَ ، وَهُوَ مُشْفقٌ منْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أنْ تُعْرضَ عَلَيْهِ ، فيُقالُ لهُ : فإنَّ لك مَكانَ كلِّ سَيِّئةٍ حَسَنَةً ، فيقولُ : رَبِّ ، قَدْ عَمِلْتُ أشْياءَ لا أراهَا هَاهُنا ! » فَلَقدْ رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُه[٣] .

وقال الطبرانيّ : حدّثنا عبدُ الله بنُ سعد[٤] بن يحْيَى الرَّقِّيُّ ، حدّثنا أبو فَرْوَةَ يَزيدُ بنُ محمّد بن

(١) رواه مسلم رقم (١٨٦) والبخاري (٦٥٧١) .

(٢) قال الدارقطني بعدما رواه : هذا الحديث باطل .

(٣) رواه مسلم رقم (١٩٠) .

(٤) في الأصول : عبد الله بن سعيد ، والتصحيح من كتب الرجال .

سِنَانِ الرُّهاويُّ ، حدّثني أبي ، عن أبيه ، حدّثني أبو يَحْيَى الكَلاعِيّ ، عن أبي أُمَامَةَ ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إنَّ آخِرَ رَجُلٍ يَدخلُ الْجنَّةَ رَجُلٌ يَتَقلَّبُ على الصِّراطِ ظهْراً لِبَطْنٍ ، كالْغُلامِ يَضْرِبُهُ أَبُوهُ ، وهُوَ يَفِرُّ منْهُ ، يَعْجِزُ عَنْهُ عَمَلُهُ أنْ يَسْعَى ، فيَقُولُ : يا رَبِّ بَلِّغْ بي الْجَنَّةَ وَنَجِّني مِنَ النَّارِ ، فيُوحي اللهُ إلَيْهِ : عَبْدي ، إنْ أنا نَجَّيْتكَ مِنَ النَّارِ ، وَأَدْخَلْتُكَ الجَنَّةَ ، أَتَعْتَرِفُ لي بِذُنُوبكَ وَخَطاياكَ ؟ فيَقُولُ العَبْدُ : نَعَمْ يا رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ وَجلالِكَ ، إنْ نَجَّيْتَني من النَّارِ لأعْتَرِفَنَّ لكَ بِذُنُوبي وَخطاياي ، فيَجُوزُ الجِسْرَ ، وَيَقُولُ الْعَبْدُ فيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ : لئنِ اعْتَرَفْتُ لهُ بِذُنُوبي وَخطاياي لَيَرُدَّني في النَّارِ ، فيُوحي اللهُ إليْهِ : عَبْدي ، اعْتَرِفْ لي بِذُنُوبكَ وَخَطاياكَ أَغْفِرْها لك ، وَأُدْخِلْكَ الجَنَّةَ ، فيَقُولُ الْعَبْدُ : لا وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ ، ما أَذْنَبْتُ ذَنْباً قطُّ ، ولا أخطأْتُ خَطِيئَةً قطُّ ، فيُوحِي اللهُ إلَيْهِ : إنَّ لي عَلَيْكَ بَيِّنةً ، فيَلْتَفِتُ يَميناً وشِمَالاً ، فلا يَرَى أحداً ، فيَقُولُ : يا رَبِّ ، أَرِني بَيِّنَتَكَ ، فيَسْتَنْطِقُ اللهُ جِلْدَهُ بالمُحقَّرَاتِ ، فإذا رَأى ذلِكَ العَبْدُ يَقُولُ : يا رَبِّ ، عِنْدي وَعِزَّتِكَ العَظائِمُ ، فيُوحي اللهُ إليْهِ ، عَبْدي أنا أعْرَفُ بها منْكَ ، اعْتَرِفْ لي بهَا أَغْفِرْها لك وَأُدْخلكَ الجنَّةَ ، فيَعْتَرفُ العَبْدُ بِذُنُوبِهِ ، فيُدْخلُه الجَنَّةَ » ثمَّ ضَحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ حتَّى بَدَتْ نَوَاجذُهُ ، يقُولُ : « هَذا أدْنى أهْلِ الْجنَّةِ مَنْزلةً ، فكَيْفَ بِالَّذي فَوْقَهُ »[١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا حسن بن موسى ، حدّثنا سلاّمٌ ، يعني ابنَ مِسكين ، عن أبي ظِلال ، عن أنس بن مالك ، عن النبيّ ﷺ قال : « إنَّ عَبْداً في جهنَّمَ لَيُنادي أَلْفَ سنةٍ : يا حَنَّانُ ، يا مَنَّانُ » قال : « فيقُولُ الله لِجبْريلَ : اذْهَبْ فَأتني بِعَبْدي هذا ، فيَنْطَلقُ جبْريلُ فيَجدُ أَهْلَ النَّارِ مُنْكبِّينَ يَبْكونَ ، فَيَرْجِعُ إلى رَبهِ ، فيُخْبِرُهُ ، فَيَقُولُ : اذهب فأْتِني بهِ ، فإنَّهُ في مَكَانِ كذا وكذا ، فَيَجيءُ بِهِ ، فيُوقِفُهُ على رَبِّه فيقُولُ لهُ : يا عَبْدي ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَكانَكَ ومَقيلَكَ ؟ فيقول : يا ربِّ ، شَرَّ مَكانٍ ، وشَرَّ مَقيلٍ ، فيقُولُ : رُدُّوا عَبْدي ، فيقُولُ : يا رَبِّ ، ما كُنْتُ أرْجُو إذْ أخْرَجْتني مِنْها أنْ تَرُدَّني فيهَا ، فيَقُولُ : دَعُوا عَبْدي » . انفرد به أحمد[٢] .

وقال الإمامُ أحمدُ : [حدّثنا عفان] ، حدّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمة ، حدّثنا ثابتٌ وأبو عِمْرَان الجَوْنيّ ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « يَخرُجُ أَرْبَعةٌ منَ النَّارِ ـ » قال أبو عِمْرانَ : « أرْبعةٌ » وقال ثابت : « رَجُلانِ ـ فيُعْرَضُونَ على اللهِ عزَّ وجلَّ ثمَّ يُؤْمرُ بهم إلى النَّارِ ، فَيَلْتفتُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ : أيْ رَبِّ ، قَدْ كُنْتُ أرْجُو إذْ أَخْرَجْتني مِنْها ألاّ تُعيدَني فِيها ، فيُنَجِّيهِ اللهُ منها » . وهكذا رواه مسلم من حديث حمَّاد بن سَلَمة ، به[٣] .

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (٧٦٦٩) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٣٠) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٨٥) ومسلم (١٩٢) .

وقال عبد الله بن المبارك : حدّثني رِشْدينُ بنُ سَعْدٍ ، حدّثني ابنُ أنعُم ، عن أبي عُثْمانَ : أنّهُ حَدّثَه عن أبي هُرَيرةَ ، عن رسولِ الله ﷺ ، قال : « إنّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخلَ النَّارَ يَشْتدُّ صِيَاحُهُمَا ، فقال الربّ جلَّ جَلالُهُ : أخْرِجُوهُما ، فَأُخْرِجَا ، فقال لهما : لأيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُما ؟ قالا : فعَلْنا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنا ، قالَ : رَحْمتي لَكُما أنْ تَنْطِلقا فتُلْقيا أنْفُسكُما حَيْثُ كُنْتما منَ النَّار » قال : « فيَنْطَلِقانِ ، فَيُلْقي أحَدُهما نَفْسَهُ ، فيجْعَلُها اللهُ عليه بَرْداً وسَلاماً ، ويَقُومُ الآخَرُ ، فلا يُلْقي نَفْسَهُ ، فيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ تَعالى : ما منَعَكَ أنْ تُلْقيَ نَفْسكَ ، كما ألْقَى صَاحِبُك ؟ فيقول : رَبِّ إنِّي أرْجوكَ ألاّ تُعيدَني فِيها بعدَ ما أخْرَجتني مِنْها ، فيقُولُ الرَّبُّ : لكَ رَجاؤُكَ ، فَيَدْخُلانِ جَميعاً الجَنَّة برحْمَةِ الله عزَّ وجلَّ »[1] .

وذكر بِلالُ بْنُ سَعْدٍ في خُطبته : أنَّ الله تعالى إذا أمَرَهُما بالرُّجُوعِ إلى النَّارِ يَنْطَلقُ أحَدُهما في أغْلالهِ وَسَلاسِلِه حتّى يَقْتَحمَهَا ، ويتلكَّأ الآخَرُ ، فيَقُولُ اللهُ تَعالى للأوَّلِ : ما حَمَلكَ على ما صَنَعْتَ ؟ فيقول : إنِّي خبَرت منْ وَبَالِ مَعْصيتك ما لَمْ أكُنْ أتَعرَّضُ لِسَخطِكَ ثَانياً ، ويَقُولُ لِلآخَرِ : ما حملك على أن تلكّأت ؟ فيقول : حُسْنُ ظَنِّي بكَ إذْ أخْرَجتني منْها ألاّ تُعيدَني إلَيْهَا ، فيَرْحَمهُما اللهُ تَعالى ، وَيُدْخِلُهُمَا الجَنَّةَ .

فصل

إذا خرج أهْلُ المَعاصي من النار ، فَلَمْ يَبْقَ فيهَا غَيْرُ الكافرين ، فإنهم لا يَمُوتُونَ فِيها ولا يَحْيَوْنَ ، ولا خُرُوجَ لَهُمْ منْها ، ولا مَحيدَ لَهُمْ عنها ، بلْ هُمْ خَالِدُونَ فيها أبداً ، وَهُم الَّذينَ حَبَسهُمُ القُرآنُ ، وَحُكِمَ عَلَيْهِمْ بالْخُلُودِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٤ ـ ٦٥] وقال تعالى في سورة النساء : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ١٦٨ ـ ١٦٩] .

فهذه ثلاثُ آياتٍ ، فيهنّ الحكمُ عَلَيْهِمْ بالخُلودِ في النار أبداً ، ليس لَهُنَّ رَابعةٌ مِثْلُهنَّ في ذلك ، وأما قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] وقوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٧] .

فقد تكلّم ابنُ جرير وَغَيْرُه منَ المُفسّرين على هذه الآية بكلام يطول بَسْطه ، وجَاءَتْ آثارٌ عن

(١) رواه ابن المبارك في « مسنده » رقم (١١١) و« الزهد » (٤١٠ ـ زوائد نعيم) ومن طريقه خرجه الترمذي رقم (٢٥٩٩) وهو ضعيف . وقد تقدم .

الصّحابة غَريبةٌ ، ووردَتْ أخبارٌ عَجيبةٌ ، وللكلام على ذلك مَوْضِع آخرُ لَيْسَ هذا مَوْضعُه ، والله أعلم ، وأحكم وأكرم .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا إبراهيمُ بنُ إسحاق ، حدّثنا ابنُ المبارك ، عن عمر بن محمّد بن زيد ، حدّثني أبي ، عن ابن عمر ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ في الْجَنَّةِ ، وأَهْلُ النَّارِ في النَّارِ ، جيءَ بالمَوْتِ حتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّار ، ثمَّ يُذْبَحُ ، ثمَّ يُنادي مُنَادٍ : يا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ ولا مَوْتَ ، ويا أَهْلَ النَّارِ خُلودٌ ولا مَوْتَ ، فَازْدَادَ أَهْلُ الجنَّةِ فَرَحاً إلى فَرَحِهِمْ ، وَازْدَادَ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إلى حُزْنِهِمْ » .

وهكذا رواه البخاريّ ، عن مُعاذ بن أسَدٍ ، عن عبد الله بن المُبارك ، به ، مثلَه[١] .

وقال أحمدُ : حدّثنا غَسّان بنُ الرّبيعِ ؛ موصلي ، حدّثنا حمّاد بنُ سَلَمة، عن عاصم بن بَهْدَلَةَ ، عن أبي صَالِحِ ، عنْ أبي هُرَيْرَةَ : أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « يُؤْتى بالمَوْتِ كَبْشاً أغبر[٢] ، فيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فيُقالُ : يا أَهْلَ الْجنَّةِ ، فَيَشْرَئبُّونَ ، وَيَنْظُرُونَ ، ويُقالُ : يا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَشْرَئبُّونَ ، ويَنْظرُونَ ، ويُرَوْنَ أن قدْ جَاءَ الفَرَجُ ، فيُذْبحُ ، فيُقالُ : خُلودٌ ولا مَوْتَ » . وهذا إسناد غريب من هذا الوجه[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يزيدُ وابن نُمَيْرٍ ، قالا : حدّثنا محمد بنُ عمرو ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: « يُؤْتى بالمَوْتِ يَوْم الْقِيامَةِ فَيُوقَفُ على الصِّرَاطِ ، فيُقالُ : يا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فيطَّلِعُون خَائِفينَ وَجِلينَ أنْ يُخرجوا ـ» وقال يزيد : « أَنْ يَخْرُجُوا ـ منْ مَكَانِهِم الَّذي هُمْ فِيهِ ، فيُقالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قالوا: نعم ، رَبَّنا ، هذا الموتُ ، ثمَّ يُقالُ : يا أَهْلَ النَّارِ ، فيطَّلِعُونَ فَرحينَ، مُسْتَبْشرينَ أنْ يُخْرَجُوا منْ مَكانِهِمُ الَّذي هُمْ فيهِ ، فيُقالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذا ؟ قالوا : نعم ، هذا المَوْتُ، فيُؤْمر به فيُذْبح على الصِّراطِ ، ثمَّ يُقالُ لِلفَريقين كِلَيْهما : خُلُودٌ فيما تَجِدُونَ ، لا مَوْتَ فيه أبداً » .

إسناده جيِّد قَويّ على شرط الصحيح ، ولم يُخرِجْهُ أحدٌ منْ هذا الوجه[٤] .

وقال البزّار : حدّثنا بِشْرُ بن آدم ، حدّثنا نافعُ بنُ خالدٍ الطّاحي ، حدّثنا نُوحُ بنُ قَيْس الطَّاحِي ، عن أخيه خالد بن قيس ، عن قتادةَ ، عن أنس ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « يُؤتَى بالمَوْتِ يَوْمَ القِيامَةِ فيُوقفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنّارِ ، فَيُذْبحُ ، فيُقالُ : يا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، خُلودٌ ولا مَوْتَ ، ويا أَهْلَ النَّارِ خُلودٌ ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١١٨) وابن المبارك في « الزهد » (٢٨٠ ـ زوائد نعيم) والبخاري (٦٥٤٨) .
(٢) في نسخة « مسند الإمام أحمد » طبع مؤسسة الرسالة : كبشاً أغثر ، في لسان العرب (٧/٥) أي ليس بأحمر ولا أسود ولا أبيض . وفي النهاية (٣/ ٣٤٢) هو الكدر اللون كالأغبر والأربد .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٢٠) ، وهو حديث صحيح ، يشهد له الذي بعده .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٦١) .

ولا مَوْتَ » ثمَّ قالَ البزّارُ : لا نعلَمُه يُرْوَى عن أنسٍ إلاّ منْ هذا الوجه ، والله سبحانه أعلم[١] .

ذكر صفة الجنة وما فيها من النعيم المقيم الدائم على الأبد لا يفنى ولا يضمحل ولا يبيد أبداً ، بل كلما له في ازدياد وبهاءٍ وحُسنٍ نسأل الله سبحانه الجنة ، ونعوذ به من النار

قال تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ ﴾ [الرعد : ٣٥] والمنقطع ولو بعد ألوف من السنين ليس بدائم .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص : ٥٤] والمنقطع ينفد .

وقال تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ ﴾ [النحل : ٩٦] .

فأخبر أن الدنيا وما فيها ينفد ، وما عند الله باقٍ لا ينفد ، فلو كان له آخِر ، لكان ينفَد ، كما ينفَد نعيم الدنيا .

وقال تعالى : ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [الانشقاق : ٢٥] أي غير مقطوع ، قاله طائفة من المفسرين ، غير مقطوع ، ولا منقوص ، ومنه المنون ، وهو قطع عمر الإنسان . وعن مجاهد : غير محسوب ، وهو مثل الأول ، لأن ما ينقطع محسوب مقدَّر ، بخلاف ما لا نهاية له .

ذكر ما ورد في عدد أبواب الجنَّة واتساعها وعظمة جنَّاتها

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣ ـ ٧٤] . وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٣ ـ ٢٤] .

وقد تقدّم أنّ المؤمنين إذا انتهوا إلى باب الْجنَّةِ وَجَدُوهُ مُغْلقاً ، فَيَسْتشفعُونَ اللهَ تَعالى لِيُفتح لهم بمحمد ، فيأتي باب الجنة ، ثم يُقعقع حلْقة الباب ، فيقُولُ الْخَازِنُ : منْ أنت ؟ فيقولُ : محمّد ، فيَقُولُ : بكَ أُمِرْتُ ألاّ أفْتحَ لأحَدٍ قَبْلَكَ .

وثبت في الصحيح أنَّهُ أوَّلُ شَافِعٍ في الجَنَّةِ[٢] وأوَّلُ منْ يُقَعْقِعُ بَابَ الْجَنَّةِ[٣]

---

(١) رواه البزار (٣٥٥٧ ـ كشف الأستار) وهو حديث حسن .
(٢) رواه مسلم (١٩٦) .
(٣) رواه الترمذي (٣١٤٨) وهو حديث صحيح .

وسيأتي في الحديث أيضاً : « مِفْتاحُ الْجنّةِ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ »[١] .

وروى الإمامُ أحمدُ ، ومسلم ، وأهل السنن ، من رواية عُقْبَةَ بنِ عامِر ، وغيره ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « منْ تَوَضّأ فأَحْسَنَ الوُضوءَ ، ثمَّ رَفَعَ بَصَرهُ إلى السَّماءِ فقالَ : أشْهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وَحْدهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولهُ ، فُتِحتْ لَهُ أبوابُ الْجنَّةِ الثَّمانيَة يَدْخُلُ منْ أيِّها شَاءَ »[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا بِشرُ بن المفضّل[٣] ، حدّثنا عبدُ الرَّحمن بنُ إسحاق ، عن أبي حازم ، عن سَهْل بن سَعْد ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ في الْجنَّةِ بَاباً يُدْعى الرَّيّانَ ، يُقالُ يَوْمَ القِيامةِ : أيْنَ الصَّائمُونَ ؟ فإذَا دَخلوهُ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ غَيْرُهُمْ » قال بِشْرٌ : فَلَقيتُ أبا حَازمٍ فَسأَلْتُهُ ، فَحدّثني بهِ ، غَيْرَ أنِّي لِحَديث عَبْدِ الرَّحمن أحْفَظُ[٤] .

وقال الطبرانيّ : حدّثنا يحيى بنُ عُثْمانَ ، حدّثنا سعيدُ بنُ أبي مَرْيم ، حدّثنا أبو غَسَّان ، عن أبي حازم ، عن سَهل بنِ سَعْدٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « في الجنَّةِ ثَمانيةُ أبْوابٍ ، بَابٌ منْهَا يُسمَّى الرَّيَّانَ ، لا يَدْخُلُهُ إلاَّ الصَّائمُونَ » . وقد رواه البخاريّ ، عن سعيد بن أبي مَريم ، به ، ورواه أيضاً مسلم ، من حديث سُلَيْمان بن بِلالٍ ، عن أبي حازم ، سَلَمة بن دِينارٍ ، عن سَهْلٍ ، به[٥] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا عبدُ الرزّاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهريّ ، عن حُمَيْد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « منْ أنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ في سَبيلِ اللهِ دُعيَ من أبواب الجنة ، وللجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعي منْ بَابِ الصَّلاة ، ومَنْ كانَ منْ أهْلِ الصِّيَامِ دُعي منْ بابِ الرَّيَّان ، ومنْ كانَ منْ أهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ منْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، ومنْ كَانَ منْ أهْلِ الجِهَادِ دُعيَ منْ بابِ الجِهَادِ » فقال أبو بكر : يا رسولَ اللهِ ما على أحَدٍ منْ ضَرُورةٍ دُعيَ منْ أيِّها دُعيَ ؟ فَهَلْ يُدْعى منها كُلِّها أحدٌ ، يا رسولَ الله ؟ قال : « نَعم ، وأرجُو أنْ تَكُونَ منْهُمْ » . وأخرجَاهُ في « الصَّحيحيْن » من حَدِيث الزهريّ ، به ، ولهما من حديث شَيْبَانَ ، عن يَحْيَى بن أبي كَثيرٍ ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، مثله[٦] .

---

(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٤/١٣٥٦) وأحمد في المسند (٥/٢٤٢) وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد بمعناه ، فهو حسن .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/١٤٥) ومسلم رقم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩) والنسائي (١/١٩٢ ـ ١٩٣) والترمذي (٥٥) وابن ماجه (٤٧٠) .

(٣) في الأصول : الفضل ، وهو خطأ .

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/٣٣٣) وهو حديث صحيح .

(٥) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٥٧٩٥) والبخاري (١٨٩٦) ومسلم (١١٥٢) .

(٦) رواه أحمد في المسند (٢/٢٦٨) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٠٥٢) والبخاري (١٨٩٧) و(٢٨٤١) ومسلم (١٠٢٧) (٨٥ و٨٦) وابن أبي عاصم في الجهاد (٩٦) .

وقالَ عبد الله بن الإمام أحمد : حدّثنا مُحمّد بنُ عبد الله بن نُمَيْر ، حدّثنا إسحاق بن سُلَيْمان ، حدّثنا حَريزُ[١] بن عُثْمانَ ، عن شُرحبيلَ بن شُفْعَةَ ، قال : لَقيني عُتْبَةُ بنُ عَبْدٍ السُّلَميُّ قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ : « ما مِنْ مُسْلِمٍ يُتوفَّى لَهُ ثَلاثَة منَ الوَلَدِ لمْ يبْلُغُوا الحِنْثَ إلا تَلَقَّوْهُ من أبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ مِنْ أيِّها شاءَ دخل » . ورواه ابن ماجه ، عن ابن نُمَيْر أيضاً[٢] .

وروى البيهقيّ من حديث الوليد بن مُسلم ، عن صَفْوَان بن عمرو ، عن أبي المُثَنَّى المليكي[٣] : أنَّهُ سمع عُتْبَةَ بن عَبْدٍ السُّلَميّ ، عن النبيّ ﷺ في حديثٍ ذكره في قِتَال المُخْلِص ، والمُذْنِب ، والمُنَافِقِ ، قال فيه : « وَللجَنَّةِ ثَمانية أبوابٍ ، وإنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ للذُّنُوبِ ، ولا يمحو النّفاق . . . » الحديث بطوله[٤] .

وتقدّم الحديث المتفق عليه ، [من حديث أبي زُرْعَةَ] ، عن أبي هريرة ، في حديث الشفاعة ، قال فيه : فيقولُ اللهُ : يا مُحمّد ، أدْخِلْ منْ لا حِسَابَ عَلَيْهِ منْ أُمَّتِكَ منَ البَابِ الأيْمَنِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ في سائر الأبْوَابِ « وَالَّذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّ ما بَيْن المِصْرَاعينِ منْ مَصَاريعِ الْجَنَّةِ وما بين عِضَادَتي البَابِ ، لَكَما بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَر ، أو كما بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى »[٥] .

وفي « صحيح مسلم » ، عن خالد بن عُمَيْر العَدَوِيّ : أنَّ عُتْبَة بن غَزْوان خَطَبَهُمْ ، فقال بَعْد حَمْدِ الله ، وَالثَّناء عليه : أمَّا بَعْدُ ، فإنَّ الدُّنْيا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ[٦] ، وولَّتْ حَذَّاءَ[٧] وإنما بقي منها صُبَابة كصُبَابَـة الإنَـاءِ يَتَصـابُّها صـاحِبُهـا ، وإنَّكُـمْ مُنْتَقِلُـونَ منهـا إلـى دارٍ لا زَوالَ لَهَـا ، فَـانتَقِلُـوا بِخَيْـرِ ما بِحَضْرَتِكُمْ ، فإنّه قدْ ذُكِرَ لَنا أنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى منْ شفير جَهَنَّمَ ، فَيَهْوِي فيهَا سَبْعينَ عَاماً لا يُدْرِكُ لَها قَعْراً ، وَوَالله لَتُمْلأنَّ ، أفَعَجِبْتُمْ ؟ ولَقَدْ ذُكِرَ لَنا أنّ ما بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ منْ مَصَاريعِ الْجَنَّةِ مَسيرَةُ أرْبَعينَ سَنَةً ، وَلَيَأْتِينَّ عَلَيْها يَوْمٌ وهو كَظيظٌ منَ الزِّحَامِ ، ولقد رأيْتُني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى قَرِحت أشداقنا ، فالتقطتُ بُردةً فشققتُها بيني وبين سعد بن مالك ، فاتزرتُ بنصفها ، واتَّزر سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار ، وإني

---

(١) في الأصول : جرير ، وهو خطأ .

(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زياداته على أبيه (٤/ ١٨٣ ، ١٨٤) وابن ماجه (١٦٠٤) وهو حديث حسن .

(٣) وهو الأملوكي .

(٤) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٥٧) ورواه أحمد في المسند (٤/ ١٨٥ ـ ١٨٦) من طريق صفوان بن عمرو ، به ، وهو حديث حسن .

(٥) رواه البخاري رقم (٤٧١٢) ومسلم رقم (١٩٤) .

(٦) الصرم : الانقطاع والانقضاء .

(٧) أي خفيفة سريعة .

أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً ، وعند الله صغيراً ، وإنها لم تكن نبوة قط ، إلا تناسخت حتى يكون آخر عاقبتها مُلكاً ، فستخبُرُون وتجرِّبون الأمراء بعدي[١] .

وفي « المسند » من حديث حمّاد بن سَلَمَةَ ، عن الجُرَيْريّ ، عن حَكيم بن مُعَاوِيَةَ ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أنتُمْ آخر الأمم ، وأكْرَمُها على اللهِ ، وما بَيْنَ مِصْرَاعينِ منْ مَصَاريعِ الْجَنَّةِ مَسِيرةُ أَرْبَعينَ عَاماً ، وَلَيأتِينَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَإنَّه لكَظيظٌ » .

ورواه البيهقيّ من طريق عليّ بن عاصم[٢] ، عن سَعيدٍ الجُرَيْريّ ، عن حَكيم بن مُعَاويَةَ ، به ، وقال : « مَسيرةُ سَبْعِ سِنينَ »[٣] .

وقال يعقوب بن سُفْيَانَ : حدّثنا الفضل بنُ الصَّبَّاح ، أبو العبَّاس ، حدّثنا مَعْنُ بنُ عِيسى ، حدّثنا خالدُ بن أبي بَكْر بن عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْد اللهِ بْنِ عمر ، عنْ سالِم بْن عَبْدِ اللهِ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بابُ أُمَّتي التي تَدْخُلُ منْهُ الجَنَّةَ عَرْضُه مَسيرةُ الرَّاكِب المُجوِّدِ ثَلاثاً ، ثمّ إنَّهُمْ لَيُضغَطُونَ[٤] عَلَيْهِ حتّى تَكَادَ مَناكِبُهمْ تزُولُ » . وقد رواه الترمذي من حديث خالد هذا ، ثم قال : وسألتُ مُحمّدَ بن إسماعيل البخاريّ عن هذا الحديث ، فلم يَعْرفْه ، وقال : لخالد بن أبي بكر مَناكيرُ عن سالم[٥] . قال البيهقيّ : وحديثُ عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ : « أَرْبَعينَ سَنةً » أصحُّ .

وروى عبد بن حُمَيد في « مسنده » عن الحسن بن موسى الأشيب ، عن ابن لهيعة ، عن دَرَّاجٍ ، عنْ أبي الهَيْثَمِ ، عنْ أبي سَعيدٍ ، عن رسولِ الله ﷺ ، قال : « إنَّ ما بَيْنَ مِصْرَاعينِ في الْجَنَّةِ لَمسيرةُ أرْبَعينَ سنةً »[٦] .

فأمّا حَديثُ لَقيطِ بنِ عَامِرٍ : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ لِلنَّارِ سَبْعةَ أبْوَابٍ ما منهن بَابانِ إلاّ يَسيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُما سَبْعينَ عاماً » وكذلك قال في بُعد ما بين أبواب الجنة ، فهو حديثٌ مَشْهُورٌ[٧] وحَمَلَهُ بَعْضُ العُلْمَاءِ على بُعد ما بين الباب إلى الباب الآخر ، لا على ما بين المصراعين اللذَين في باب

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٦٧) .
(٢) في الفاسية : علي بن أبي عاصم .
(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣) والبيهقي في « البعث والنشور » (٢٦٣) وإسناده حسن .
(٤) في الأصول : ليضطغطون .
(٥) رواه الترمذي رقم (٢٥٤٨) وإسناده ضعيف .
(٦) رواه عبد بن حميد في « المنتخب من المسند » رقم (٩٢٤) وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٩) من طريق الحسن ابن موسى به ، وإسناده ضعيف ، ولكن للحديث شاهد من حديث معاوية بن حيدة السابق يقوى به .
(٧) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٣ ـ ١٤) قال المصنف عنه فيما سبق : حديث غريب جداً ، وألفاظه في بعضها نكارة .

واحد ، بل الباب يدور في طول الجدار ، كما يدور حول صدور البلد إلى الباب الآخر ، لئلا يعارض ما تقدم ، [والله أعلم] .

وقد ذكر القرطبي وادّعى : أنَّ لِلْجنَّةِ ثَلاثةَ عشر باباً ، ولَكنْ لم يُقمْ على ذلِكَ دَليلاً قوياً أكْثَرَ منْ أنَّهُ قال : وممَّا يَدُلُّ عَلى أنَّها أكْثَرُ منْ ثَمانيةٍ، حَديثُ عُمر : « منْ تَوضَّأ فقالَ : أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ » وفي آخِرِهِ قال : «فُتحَ لَهُ منْ أبوابِ الجَنَّةِ ثَمانيةُ أبوابٍ يَدْخُلُ منْ أيِّها شاءَ». أخرجه الترمذيّ، وغيره[١] .

قال : وروى الآجُرِّيُّ في كتاب « النصيحة » عن أبي هُرَيْرة مرفوعاً : « إن في الجنَّةِ باباً يُقالُ لهُ : بابُ الضُّحَى ، يُنادي منادٍ : أيْنَ الَّذين كانوا يداومُونَ على صلاة الضُّحى ، هَذا بَابُكُمْ فادْخُلُوا »[٢]

قال : وقالَ الترمذي الحكيم[٣] أبو عبد الله : أبوابُ الجَنَّةِ منْها بابُ مُحمَّد ﷺ ، وهو بابُ التَّوبةِ ، وبابُ الصَّلاةِ ، وبَابُ الصَّوْمِ ، وبابُ الزَّكاةِ ، وبابُ الصَّدقةِ ، وبَابُ الْحجِّ ، وبابُ العُمْرَةِ ، وبابُ الجهادِ ، وبابُ الصِّلَةِ ، وزاد غيرُه : بابَ الكاظمينَ ، وبابَ الراضينَ ، والبابَ الأيمن الذي يَدْخُل منْهُ الَّذين لا حِسَابَ عَلَيْهمْ ، وجَعَلَ القُرْطبيُّ البَابَ الّذي عرضه مَسيرَةُ ثَلاثَةِ أيّامٍ ، للرَّاكِب المُجوِّد ، كما وَقَعَ عِنْدَ الترمذيّ[٤] باباً ثالثَ عَشر ، فالله أعلم .

وقالَ الحَسَنُ بنُ عَرَفَةَ: حدّثنا إسماعيلُ بن عَيَّاشٍ، عن عبد اللهِ بن عَبْد الرَّحْمن بن أبي حُسَيْن، عن شَهْربنِ حَوْشَب، عن مُعاذِبن جَبَلٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مِفْتاحُ الجَنَّةِ شَهادةُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ»[٥] .

وفي « صحيح البُخاريّ » قالَ : وَقيل لِوَهبِ بن مُنَبِّه : ألَيْسَ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ مِفْتاحُ الجَنَّةِ ؟ قال : بلى ، وَلَكن إنْ جِئْتَ بِمفْتَاحٍ لَهُ أسنانٌ فُتحَ لَكَ ، وإلاَّ لَمْ يُفْتحْ لكَ[٦] يَعْني : لا بُدَّ أنْ يَكُونَ مَعَ التَّوْحيد أعمالٌ صَالِحةٌ منْ فِعْلِ الطَّاعاتِ ، وَتَرْكِ المُحَرَّماتِ ، والله أعلم .

وتقدم في حديث علي قال : يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا انتهوا إلى أول باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة . . . وذكر الحديث[٧] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٥٥) بلفظ : « فتحت له ثمانية أبواب الجنة ، يدخل من أيِّها شاء » ورواه مسلم رقم (٢٣٤) .
(٢) ورواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٥٠٦٠) وإسناده ضعيف .
(٣) في (آ) : الحلبي ، وفي الفاسية : الحليمي .
(٤) رواه الترمذي رقم (٢٥٤٨) وإسناده ضعيف .
(٥) وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٤٢) من طريق ابن عياش به ، وإسناده ضعيف .
(٦) علقه البخاري قبل الحديث (١٢٣٧) ووصله البخاري في التاريخ ، وأبو نعيم في « الحلية » من طريق محمد بن سعيد بن رُمَّانة عن أبيه ، قيل لوهب . . . فذكره .
(٧) رواه أبو القاسم البغوي في « الجعديات » رقم (٢٥٠٨) وإسناده ضعيف .

ذكر تعداد محالّ الجنة وارتفاعها واتّساعها

قال الله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٤٦ ـ ٧٨] .

وَثَبتَ في « الصحيحين » منْ حَديثِ عَبْدِ الْعَزيزِ بن عَبْدِ الصَّمَدِ ، عن أبي عِمْرَان الجَوْنيّ ، عن أبي بَكْرِ بنِ أبي مُوسى الأشْعَريّ ، عن أبيه : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « جَنَّتَانِ منْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا ، ومَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ منْ فِضَّة آنِيَتُهُمَا ، ومَا فيهما ، وما بَيْن الْقَوْمِ ، وَبَيْنَ أنْ يَنْظُرُوا إلى ربِّهِمْ عزَّ وجلَّ إلاَّ رِداءُ الْكِبْرياءِ على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ »(١) .

وروى البَيْهقيُّ من حديث مؤمَّلِ بن إسماعيلَ ، عنْ حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ ، عن أبي بَكْر بن أبي موسى ، عن أبيه : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « جَنَّتَانِ منْ ذَهَبٍ للسَّابِقِينَ ، وَجَنَّتَانِ منْ وَرِقٍ لأَصْحَابِ اليَمِين »(٢) .

وقال البُخاريّ : حدّثنا قُتَيْبةُ ، حدّثنا إسماعيلُ بنُ جَعْفرٍ ، [عن حميد] ، عن أنس بن مالك : أنَّ أُمَّ حارثة ، أتَتْ رسولَ الله ﷺ ، وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ(٣) ، فقالت : يا رسول الله ، قدْ عَلِمْتَ موقع حَارِثَةَ مِنْ قَلْبي ، فإنْ كانَ في الجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عليه ، وإلاَّ سَوْفَ تَرَى ما أَصْنَعُ ، فقال لها : « أَهَبِلْتِ ؟ أَجَنَّةٌ وَاحِدةٌ هي ؟! أم جَنَّات كثيرة ، وَإنّه في الْفِرْدَوْسِ الأعْلَى » ، وَقالَ : « غُدْوةٌ(٤) في سَبِيلِ اللهِ أوْ رَوْحةٌ خَيْرٌ منَ الدُّنْيا وما فيها ، وَلَقابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أوْ مَوْضعُ قَدَمٍ

(١) رواه البخاري رقم (٤٨٧٨) ومسلم (١٨٠) .
(٢) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٤٢) وإسناده ضعيف ، فيه مؤمل بن إسماعيل : صدوق سيِّء الحفظ .
(٣) أي لا يعرف راميه .
(٤) في (آ) : غزوة .

منَ الجنَّةِ خيرٌ منَ الدُّنيا وما فيهَا ، وَلَوْ أنَّ امْرأةً منْ نِساءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إلى[1] الأرْضِ لأضاءَ لها ما بَيْنَهُما ، وَلَمَلأَتْ ما بَيْنَهُما رِيحاً ، وَلَنصيفُها ـ يعني خِمَارَها ـ خيرٌ منَ الدُّنيا وما فيها »[2] .

وفي رواية عن قَتَادة أنّه قال : « الفِرْدَوْسُ رَبْوةُ الْجَنَّةِ ، وَأَوْسَطُهَا وأفْضَلُها »[3] .

وقد رواه الطبرانيّ من حديث سَعيدِ بن بَشيرٍ ، عن قتادة ، عن الحَسَنِ ، عن سمرةَ مَرْفوعاً[4] .

قال الله تعالى : ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الغاشية : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ [طه : ٧٥] وقال تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] . وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [الحديد : ٢١] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أبو عامر ، حدّثنا فُلَيْح ، عن هِلالِ بن عَليّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرةَ ، عن أبي هُرَيرةَ ، عن النبيِّ ﷺ : « منْ آمَنَ باللهِ وَرَسُولِهِ ، وأقامَ الصَّلاةَ ، وَصامَ رمَضانَ ، فَإنَّ حَقّاً على اللهِ أنْ يُدْخِلَهُ الْجنَّةَ ، هاجَرَ في سَبيلِ الله ، أوْ جَلَسَ في أرْضِهِ الَّتي وُلِدَ فيهَا » قالوا : يا رسول الله ، أفلا نُخبرُ النّاسَ ؟ قال : « إنَّ في الجنَّةِ مئةَ دَرَجةٍ أعَدّها اللهُ عزَّ وجلَّ لِلْمُجاهدينَ في سَبيلِهِ ، بَيْنَ كلِّ دَرَجَتَيْنِ كما بَيْنَ السَّماءِ وَالأرْضِ ، فإذا سَأَلتُمُ اللهَ فاسألوه الفِرْدَوْسَ ، فإنَّهُ وَسَط الْجَنّةِ ، وَأعلَى الجَنَّةِ ، [وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ] ، ومنه تُفَجَّرُ [أو تَفجّر أنْهارُ الْجَنّة] » ، [شكَّ أبو عامر] .

ورواه البخاريّ عن إبراهيم بن المُنذرِ ، عن مُحمّد بن فُلَيْح ، عن أبيه ، بمعناه[5] .

وقال أبو القاسم الطبرانيّ : حدّثنا عليّ بنُ عبد العزيز ، حدّثنا [أبو] هَمَّامٍ الدلّال ، حدّثنا هِشَامُ بنُ سَعْدٍ ، عن زَيْدِ بن أسلَمَ ، عن عطاء بنِ يَسارٍ ، عن مُعاذِ بن جَبَل ، قال : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ صَلّى هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ الْخمس ، وَصَامَ رَمَضَانَ » لا أدْري أذكَرَ زَكاةً ، أمْ لا ؟ « كانَ حَقّاً على اللهِ أنْ يَغْفِرَ لَهُ ، هاجر أوْ قَعَدَ حَيْثُ وَلَدتهُ أمُّهُ » قلت : يا رسول الله ، ألا أَخْرُجُ فأُوذِنُ[6] النَّاسَ ؟ فقال : « لا ، ذَرِ النَّاسَ يَعْملُونَ ، فإنَّ الجَنّةَ مِئَةُ دَرَجةٍ ، بَيْنَ كلّ دَرَجَتَيْنِ مِنْها مِثل

---

(١) في (آ) : في .
(٢) رواه البخاري رقم (٦٥٦٧) و(٦٥٦٨) .
(٣) رواه الترمذي رقم (٣١٧٤) وهو حديث صحيح .
(٤) رواه الطبراني في الكبير (٦٨٨٦) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٥) والبخاري رقم (٧٤٢٣) .
(٦) في الأصول : فآذن .

ما بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ ، وأعْلَى دَرَجةٍ مِنْهَا الفِرْدَوْسُ ، وَعَلَيْها يَكونُ العَرْشُ ، وَهيَ أَوْسَطُ شَيْءٍ في الْجَنَّةِ ، وَمِنْها تَفَجَّرُ أنْهارُ الْجنَّةِ ، فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ فاسألوه الفِرْدَوْسَ » . وهكذا رواه الترمذِيّ عن قُتَيْبَةَ ، وأحمد بن عَبْدة[١] ، عن الدَّرَاوَرْدي ، عن زَيْدِ بنِ أسْلَم ، به ، وأخرجه ابن ماجه عن سويد ، عن حفص بن ميسرة ، عن زيد ، مختصراً[٢] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا عفَّان ، حدّثنا هَمَّامٌ ، حدّثنا زَيْدُ بْنُ أسْلَم ، عن عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ ، عن عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « الْجنَّةُ مِئةُ دَرَجةٍ ، ما بَيْنَ كلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسيرة مئةِ عامٍ » وقال عفَّان : « كما بَيْنَ السماء والأرض ، والفردوس أعلاها دَرَجةً ، ومنها تَخْرُج الأنْهارُ الأرْبَعَةُ ، والعَرْشُ منْ فَوْقِها ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفِرْدَوْسَ » . ورواه الترمذيُّ ، عن أحمد بن مَنِيع ، عن يزيد بن هارون ، عن همَّامِ بن يَحْيَى ، به[٣] .

قلت : ولا تكون هذه الصفة إلاَّ في المُقَبَّب ، فإنَّ أعلى القُبَّةِ هو أوْسَطُها ، فالْجَنَّة والله أعلمُ كذلك .

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدّثنا أحمد بنُ سِنَانٍ ، حدّثنا يَزيدُ بنُ هَارُون ، حدّثنا شَرِيكٌ ، عن محمّد بن جُحَادةَ ، عن عَطاءٍ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الجنّةُ مئةُ دَرَجةٍ ، ما بَيْنَ كلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسيرَةُ خَمْسِمِئةِ عامٍ »[٤] .

ورواه الترمذيّ ، عن عبَّاس العَنْبريّ ، عن يزيد بن هارون . . . فذكره ، وعنده : « ما بَيْنَ كلِّ دَرَجَتَيْنِ مئةُ عامٍ » وقال : هذا حديث حسن صحيح[٥] .

وقال الحافظ أبو يَعْلَى : حدّثنا زُهَيْرٌ ، حدّثنا حسن ، عن ابن لَهيعَةَ ، حدّثنا دَرَّاجٌ ، عن أبي الهَيْثم ، عن أبي سَعيدٍ : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « الْجَنَّة مِئَةُ دَرَجةٍ ، لَوْ أنَّ الْعَالَمينَ اجْتَمَعُوا في إحْداهُنَّ لَوَسِعتهمْ » . رواه الترمذيّ عَنْ قُتَيْبَةَ ، عن ابن لَهيعَةَ . ورواه أحمد أيضاً[٦] .

---

(١) في (آ) : عبد الله ، وهو خطأ .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/٣٢٧) والترمذي رقم (٢٥٢٩) وابن ماجه (٤٣٣١) وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/٣١٦) والترمذي بعد الحديث (٢٥٣١) وهو حديث صحيح .

(٤) رواه أبو بكر بن أبي داود في « البعث والنشور » (٦١) وإسناده ضعيف .

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٥٢٨) وهو حديث صحيح بلفظ « ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » .

(٦) رواه أبو يعلى رقم (١٣٩٨) والترمذي (٢٥٣١) وأحمد في المسند (٣/٢٩) وإسناده ضعيف .

ذكر ما يكون لأدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم من اتساع المُلك العظيم ، والنعيم المقيم

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] .

وقد تقدّم في حديث ابن مسعود ، في آخرِ منْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ : أنَّ اللهَ يقول له : « أمَا تَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ الدُّنْيَا ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا »(١) وكذلك في غيره من الأحاديث الصحيحة .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا حُسَيْنُ بنُ مُحمَّدٍ ، حدّثنا إسْرَائيلُ ، عن ثُوَيْر هو ابن أبي فَاخِتَةَ ، عن ابن عمر ، رفعه إلى النبيِّ ﷺ قال : « إنَّ أدْنَى أهْلِ الجنّةِ مَنْزِلَةً الّذي يَنْظُرُ إلى جِنانِهِ وَنَعيمِهِ ، وَخدَمِهِ ، وَسُرُرِهِ ، مَسيرَةَ ألْفِ سَنَةٍ ، وَإنَّ أكْرَمَهُمْ على اللهِ مَنْ يَنْظُر إلى وَجْهِهِ(٢) غُدْوةً وَعَشِيَّةً » ثُمَّ تلا هذه الآية : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ و٢٣](٣) .

وقال أيضاً : حدّثنا أبو مُعاويةَ ، حدّثنا عَبْدُ المَلِك بن أبْجر(٤) ، عن ثُوَيْرِ بن أبي فَاخِتَةَ ، عن ابن عمر ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أدْنَى أهْلِ الجنَّةِ مَنْزِلةً لَيَنْظُرُ في مُلْكهِ ألْفَيْ سنةٍ يرى أقصاه كما يرى أدْناهُ ، يَنْظُر أزْوَاجه ، وَخدَمَهُ ، وَإنَّ أفْضَلَهُمْ مَنْزِلةً لَيَنْظُرُ في وَجْهِ اللهِ تَعالى كلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ » . ورواه التِّرْمذيُّ ، عن عَبْدِ بن حُمَيْد ، عن شَبابَة(٥) ، عن إسرائيل ، عن ثُوَيْرٍ ، به ، قال : وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْر وَجْهٍ ، عن إسرائيل ، عن ثُويْرٍ ، عن ابن عمر ، مرفوعاً ، قال : ورواه الثَّوْريّ ، عن ثُوَيْرٍ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابن عمر قَوْلَه . قال : ورواه عَبْدُ المَلِكِ بنُ أبْجَر ، عن ثُوَيْرٍ ، عن ابن عمر موقوفاً ، كذا قال(٦) .

وقد تقدّم رواية أحمد لهذه الطريق مرفوعاً .

وروى مسلم ، والطبرانيّ ـ وَهَذَا لَفْظُهُ ـ مِنْ حَدِيث سُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ ، حدّثنا مُطَرِّفُ بن طريف ، وعبدُ المَلِكِ بنُ سَعِيدِ بن أبْجَر ، عن الشعبيّ ، عن المُغيرة بن شُعْبَةَ ، رَفَعه ابن أبجَرَ ، ولَمْ يَرْفَعْهُ مُطَرِّف ، قال : وقال موسى : يا رَبِّ ، أخْبِرْني عنْ أدْنَى أهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلةً ، قال : نعم ، هُوَ رَجُلٌ

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٧١) ومسلم رقم (١٨٦) .
(٢) أي إلى وجه الله تعالى .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٦٤) وإسناده ضعيف .
(٤) في (آ) : ابن الحر ، وهو خطأ .
(٥) في (آ) : عبد الله بن شبابة .
(٦) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٣) والترمذي (٢٥٥٣) وإسناده ضعيف ، في الموقوف والمرفوع .

يَجيءُ بَعْدَما نزلَ النّاسُ مَنازِلَهُمْ ، وأخذُوا أخذَاتِهِمْ ، فيقال له : ادْخُل الْجنَّةَ ، فيقول : يا رَبِّ ، وكَيْفَ أدْخُلُها وقدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ ، وأخذُوا أخذَاتِهِمْ ؟ فيقولُ : أمَا تَرْضَى أنْ يَكُونَ لكَ مِثْلُ ما كانَ لِمَلِكٍ منْ مُلُوكِ الدُّنيا ؟ فيقولُ : رضيت ربِّ ، فيقول : إنَّ لَكَ مِثْلَهُ وَمِثْلَهُ ، وعقد سفيان أصابعَهُ الخَمْسَ ، فيقولُ : رَضيتُ رَبِّ ، فيقولُ : فإنَّ هَذا لَكَ ومَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ، فيقولُ : رَضيتُ رَبِّ ، قالَ موسى : يا رَبِّ ، فأخبرني عن أعْلَى أهْلِ الْجنَّةِ مَنْزلةً ، قال : نعم ، أولَئِكَ الَّذينَ أرَدْتُ ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْهُمْ ، غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْها ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ ، وَمِصْداقُ ذلك في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧][1] .

وثبت في « الصحيحين » ، واللفظ لمسلم ، من حديث الأعْرَج ، عن أبي هُريرة ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « قال اللهُ عزَّ وجلَّ : أعْدَدْتُ لِعِبادي الصَّالحينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ ، مِصْداقُ ذَلِكَ في كتابِ الله تَعالى : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] »[2] .

وقال الإمامُ أحْمَدُ : حدّثنا هارون بنُ مَعْرُوفٍ ، حدّثنا ابنُ وَهْبٍ ، حدّثني أبو صَخْرٍ[3] : أنَّ أبا حَازِمٍ حَدَّثَهُ ، قال : سَمِعْتُ سَهْلَ بن سَعْدٍ يَقُولُ : شَهِدْتُ منْ رسولِ اللهِ ﷺ مَجْلساً وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ ، حَتَّى انْتَهى ، ثمَّ قالَ في آخرِ حَديثِهِ : « فيها مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بشَر » ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٦ و١٧] . ورواه مسلم عَنْ هارون بن مَعْرُوفٍ[4] .

ذكر غرف الجنَّة ، وارتفاعها ، وعظمها

نسأل الله من فضله المبسوط على خلقه في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [الزمر : ٢٠]. وقال تعالى : ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧]. وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٩) والطبراني في « الكبير » (٢٠/ ٩٨٩) .

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٤) و(٤٧٧٩) ومسلم رقم (٢٨٢٤) .

(٣) في الأصول : ابن صخر ، وهو خطأ .

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٣٤) ومسلم رقم(٢٨٢٥) .

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [العنكبوت : ٥٨] .
وقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٧٥] .

وثبت في « الصحيحين » واللفظ لمسلم ، من حديث مالك ، عن صَفْوانَ بن سُلَيْم ، عن عطاء بن يَسارٍ ، عن أبي سَعيدٍ الْخُدْريّ : أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « إنَّ أهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كما يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ ، [أو] المَغْرِب ، لِتَفَاضُلِ ما بَيْنَهُمْ » قالوا : يا رَسُولَ اللهِ ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأنْبِياءِ لا يَبلُغُها غَيْرُهُمْ ؟ قال : « بَلَى ، وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلينَ »[١] .

وفي « الصحيحين » أيضاً من حديث أبي حَازِمٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ : أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ : « إنَّ أهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الغُرْفَةَ في الجَنَّةِ كما تَتَرَاءَوْنَ الكَوكَبَ في أُفُقِ السَّمَاءِ »[٢] .

وقال أحمد : حدّثنا فَزَارَةُ ، أخْبَرَني فُلَيْح ، عَنْ هِلالٍ ، يَعْني ابْنَ عليّ ، عن عَطاءٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ في الجنّةِ كما تَرَاءَوْنَ أوْ تَرَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغابر في الأفُقِ الطَّالِع في تَفَاضُلِ الدَّرَجَاتِ » قالوا : يا رَسُولَ اللهِ ، أُولَئِكَ النَّبِيُّونَ ؟ قال : « بَلى ، وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، وَأَقْوامٌ آمَنُوا باللهِ ، وَصَدَّقُوا المُرْسَلينَ » . قالَ الحَافظُ الضِّيَاءُ : وَهَذَا على شَرْطِ البُخَاريّ[٣] .

وقال أحمد : حدّثنا عليّ بنُ عَيَّاشٍ ، حدّثنا محمدُ بنُ مُطَرِّفٍ ، حدّثنا أبو حَازِمٍ ، عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيّ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ المُتَحابِّينَ في الله لَتُرَى غُرَفُهُمْ في الجنّةِ كالكَوْكَبِ الطَّالِعِ الشرقيِّ أو الغربيِّ ، فَيُقَالُ : مَنْ هَؤُلاءِ ؟ فيُقَالُ : هَؤُلاءِ المُتَحابُّونَ في اللهِ عزَّ وجلَّ »[٤] .

وفي حَديثِ عَطِيَّة ، عَنْ أبي سَعيدٍ مَرْفُوعاً : « إنَّ أهْلَ عِلِّيِّين لَيَرَاهُمْ مَنْ سِوَاهُمْ كما تَرونَ الكَوْكَبَ في أُفُقِ السَّمَاءِ ، وَإنْ أبَا بَكْرٍ وعمر منهم ، وأنْعَما[٥] »[٦] .

---

(١) رواه البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١) .
(٢) رواه البخاري (٦٥٥٥) ومسلم (٢٨٣٠) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٩) أقول : فزارة ، فيه نظر ، ولكنه توبع ، وفليح ، فيه كلام ، والحديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٨٧) وإسناده ضعيف ، أبو حازم لم يسمع من أبي سعيد الخدري .
(٥) أي زادا وفضلا .
(٦) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٧) وأبو داود رقم (٣٩٨٧) والترمذي (٣٦٥٨) وابن ماجه (٩٦) وإسناده ضعيف وقد صح بلفظ « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم . . . » رواه البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١) .

ذِكر أعلى منزلة في الجنة
وهي الوسيلة مَقامُ الرسول ﷺ

ثبت في « صحيح البخاريّ » ، عن عليّ بن عيّاش ، عن شُعَيْبِ بن أبي حَمْزةَ ، عن محمّد بن المُنْكَدِرِ ، عن جابِرِ بن عَبْدِ اللهِ ، عن رَسُولِ اللهِ ﷺ ، أنَّهُ قالَ : « منْ قالَ حِينَ يَسْمعُ النِّداءَ : اللّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلاةِ القَائِمَةِ ، آتِ مُحمَّداً الوَسيلةَ وَالْفضيلة ، وابْعَثْهُ مَقاماً مَحْموداً الّذي وَعَدْتَهُ ، حَلَّتْ لهُ الشفاعة يَوْمَ القِيامة »[١] .

وفي « صحيح مسلم » عن محمّد بن سَلَمة ، عن ابن وَهْبٍ ، عن حَيْوةَ ، وَسَعيدِ بن أبي أيُّوبَ ، عن كَعْبِ بنِ عَلْقَمةَ ، عنْ عَبْدِ الرَّحْمـٰنِ بن جُبَيْر ، عن عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ : أنَّهُ سَمِعَ النبيَّ ﷺ ، يَقُولُ : « إذَا سَمِعْتُمُ المُؤذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ ، ثمَّ صَلُّوا عليَّ ، فإنَّهُ منْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ علَيْهِ [بها] عَشْراً ، ثمَّ سَلُوا [الله] لي الوَسِيلَةَ ، فَإنَّها مَنْزِلةٌ في الجَنَّةِ لا تَنْبَغي إلاَّ لِعَبْدٍ من عِبَادِ اللهِ ، وأرْجُو أنْ أكُونَ أنا هُوَ ، فمنْ سَأَلَ [الله] لِيَ الوَسِيلةَ ، حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعة »[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عبد الرزّاق ، أخبرنا سُفْيَانُ ، عن لَيْثٍ ، عَنْ كَعْبٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ ، فاسْأَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ » قيل : يا رسول الله ، وما الوسيلة؟ قال : « أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو »[٣] .

وقال أحمد : حدّثنا موسى بن داود ، حدّثنا ابن لهيعة ، عن موسى بن وردان ، سمعت أبا سعيد الخدري يقول : قال رسول الله ﷺ : « الوسيلة ، درجة عند الله ليس فوقها درجة ، فاسألوا الله أن يؤتيَني الوسيلة »[٤] .

وقال الطَّبَرَانيّ : حدّثنا أحمدُ بنُ عَلِيّ الأبَّارُ ، حدّثني الوَليدُ بن عَبْدِ المَلِكِ الحَرَّانيّ ، حدّثنا موسى بنُ أعْيَنَ ، عن ابن أبي ذئب ، عن محمّدِ بنِ عَمْرِو بن عَطاءٍ ، عن ابن عباس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « سَلُوا اللهَ لي الوَسِيلةَ ، فإنّه لَمْ يَسْألْهَا لِي عَبْدٌ في الدُّنْيا إلاَّ كُنْتُ له شَفيعاً ، أوْ شَهيداً يَوْمَ القِيامَةِ » قال الطبرانيّ : لم يَرْوِه عن ابن أبي ذِئْبٍ إلاّ مُوسى بنُ أعْيَنَ[٥] .

---

(١) رواه البخاري (٦١٤) .
(٢) رواه مسلم رقم (٣٨٤) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٦٥) وإسناده ضعيف ، ويغني عنه الذي قبله .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٨٣) وإسناده ضعيف ، ويغني عنه حديث مسلم الذي قبله .
(٥) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٦٣٧) وهو حديث حسن .

ذكر بنيان الجنة وممَّ قصورها ؟

قال أحمد : حدّثنا أبو النَّضر ، وأبو كامِلٍ ، قالا : حدّثنا زُهَيْرٌ ، حدّثنا سَعْد[١] ، أبو مُجَاهِد الطَّائِيّ ، حدّثنا أبو المُدِلّةِ ، مَوْلَى أُمِّ الْمُؤْمنين : سَمِع أبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قُلْنَا : يا رَسُولَ اللهِ [إنَّا] إذَا رَأَيْنَاكَ رَقَّتْ قُلُوبُنا ، وكُنَّا مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أعْجَبَتْنَا الدُّنْيا وَشَمِمْنا النِّسَاءَ ، وَالأوْلادَ ، فقال : « لَوْ تَكُونُونَ ـ » أوْ قالَ : « لَوْ أنَّكُمْ تكُونُونَ ـ على كلِّ حَالٍ على الْحَالِ الّتي أنْتُمْ عَلَيْها عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ بأكُفِّهِمْ ، وَلَزَارَتْكُمْ في بُيُوتِكُمْ ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفرَ لَهُمْ » قال : قُلْنا : يا رَسُول اللهِ ، حدّثنا عن الجنّةِ ما بِنَاؤُها ؟ قال : « الجنة لَبِنَةٌ من فِضَّة وَلَبِنَةٌ من ذَهَب ، وَمِلاطها المسك [الأذفر] وَحَصْباؤها اللُّؤلُؤ وَالْيَاقُوت ، وَتُرَابُها الزَّعْفَرَانُ ، مَنْ يَدْخُلْهَا يَنْعَمْ لا يَبْأَسُ ، وَيَخْلُدُ لا يمُوتُ ، لا تَبْلَى ثِيابُه ، ولا يَفْنَى شَبَابُه »[٢] .

رواه التِّرمذيُّ مِنْ حَدِيث عَبْد اللهِ بن نُمَيْر ، عن سَعْدَانَ القُبِّيِّ ، وكان ثِقَةً ، عن سَعْد أبي مُجَاهِدٍ الطَّائيِّ ، وكانَ ثِقةً ، به ، وقال : حَسنٌ . ووقع توثيقُ هذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ في رواية ابن ماجه ، وهما من رجال البُخاريّ[٣] .

وقال أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا محمّد بن المُثَنَّى البَزّارُ ، حدّثنا مُحمّدُ بن زياد الكَلْبيّ ، حدّثنا بشر[٤] بنُ حُسَيْنٍ ، عن سَعيدِ بن أبي عَرُوبَةَ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ [لَبِنَة] مِنْ دُرَّةٍ بَيْضاءَ ، وَلَبنة منْ ياقُوتَة حَمْرَاءَ ، وَلَبِنَةٌ منْ زبرجدة خَضْراء ، مِلاطُها المِسْكُ ، وحَصْباؤُها اللُّؤلُؤ ، وَحَشيشُها الزَّعْفَرانُ ، ثم قال لها : انْطقي ، فقالت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ فقال الله تعالى : وَعِزَّتي وَجَلالي لا يُجاورني فيك بَخِيلٌ » ثم تَلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩][٥] .

وقال أبو بَكْر بن مَرْدويه : حدّثنا عَبْد اللهِ بنُ إسْحَاقَ بنِ إبْرَاهيم ، حدّثنا القاسم بْنُ المُغيرَةِ الجَوْهرِيّ ، حدّثنا عُثْمَانُ بنُ سَعيدٍ المُرِّي[٦] ، حدّثنا عليّ بنُ صَالِحٍ ، عن أبي رَبيعَةَ ، يعني عمر[٧] بن

(١) في الأصول : سعيد .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٤) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٣) الحديث الذي ذكره المصنف بهذا السند ، هو حديث : « ثلاثة لا ترد دعوتهم . . . » في الترمذي رقم (٣٥٩٨) وابن ماجه (١٧٥٢) وليس فيه موضع الشاهد .
(٤) في الأصول : يعيش ، وهو خطأ .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٠) وإسناده ضعيف .
(٦) في الأصول : المدني ، وهو خطأ .
(٧) في الأصول : عمرو ، وهو خطأ .

ربيعَةَ ، عنِ الْحَسَن ، عن ابن عُمر ، قال : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنِ الجَنَّةِ ، فقالَ : « منْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَحْيا ولا يَمُوتُ ، وَيَنْعَمُ لا يَبْأس ، لا تَبْلَى ثيابُهُ ، ولا يَفْنى شَبَابُهُ » قِيلَ : يا رسولَ الله ، كَيْفَ بِناؤُهَا ؟ قال : « لَبِنَةٌ منْ ذَهَبٍ ، وَلبنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، ومِلاطُها مِسْك أذفرُ ، وَحَصْباؤُهَا اللُّؤلُؤُ وَالْيَاقُوتُ ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفرانُ »[١] .

وقال البزّار : حدّثنا بِشْرُ بنُ آدَمَ ، حدّثنا يُونُسُ بنُ عُبَيْدِ الله العُمَيْريّ[٢] ، حدّثنا عَديُّ بنُ الفَضْلِ ، حدّثنا الجُرَيْريّ ، عن أبي نضرة ، عن أبي سَعيدٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ لَبِنةً من ذَهَبٍ ، وَلَبِنَةً منْ فِضَّةٍ ، وَمِلاطُها المِسْكُ ، فقالَ لها : تكَلَّمي ، فقالتْ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ فقالتْ لَها المَلائكَةُ : طَوبَاكِ مَنزلَ الْمُلُوكِ » .

وقد رواه البيْهقيّ ، وعنده : « فقالَ اللهُ : طُوبَى لكِ مَنْزِلَ الْمُلُوكِ » . وقد رواه وُهَيْب عنِ الجُرَيْريّ ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سَعيدٍ مَرْفُوعاً[٣] .

وفي حديث داود بن أبي هِنْدٍ ، عن أنسٍ مَرْفُوعاً : « إنَّ اللهَ بَنى الفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ ، وَحَظرها على كلِّ مُشْرِكٍ ، وَعلى كلِّ مُدمنِ خَمْرٍ سِكِّير[٤] »[٥] .

وقال أبو بَكْرِ بنُ أبي شَيْبَةَ : حدّثنا مُعاويةُ بنُ هِشَامٍ ، حدّثنا عليُّ بنُ صالح[٦] ، عنْ عُمَر بنِ رَبيعة ، عنِ الحَسَنِ ، عن ابْنِ عُمر ، قال : قيل : يا رَسُولَ الله كَيْفَ بِنَاءُ الْجَنَّةِ ؟ قال : « لَبِنةٌ منْ فِضّةٍ ، وَلَبِنةٌ منْ ذَهَبٍ ، مِلاطُها مِسْكٌ أذْفَرُ ، وَحَصْباؤُها اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ ، وَتُرابُها الزَّعْفرانُ »[٧] .

وقال الطبرانيّ : قال أحْمَدُ بنُ خُلَيد : حدّثنا أبو الْيَمَانِ ، الْحَكَمُ بنُ نافعٍ ، حدّثنا صَفْوانُ بنُ عَمْرٍو ، عنْ مُهاجِر بن مَيْمُون ، عنْ فاطِمَةَ بنت رسول الله أنها قَالَتْ للنبيِّ ﷺ : أيْنَ أُمُّنا خَديجةُ ؟ قال : « في بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لا لَغْوٌ فِيهِ ولا نَصَبٌ ، بَيْنَ مَرْيَمَ بنت عمران ، وَآسيةَ امْرأةِ فِرْعَوْنَ » قَالَتْ : أمِنْ هَذَا القَصَب ؟ قال : « لا ، من القَصَبِ المَنْظُومِ بالدُّرّ ، وَاللُّؤلُؤ ، وَالْيَاقُوتِ » .

قالَ الطّبَرانيّ : لا يُرْوَى عَنْ فَاطِمَةَ إلاّ بهذَا الإسْنادِ ، تَفرَّدَ بهِ صَفْوانُ بنُ عَمْرٍو . قلت : وَهُوَ حَديثٌ غَريبٌ ، ولأوّلِهِ شَاهِد في الصَّحِيح : « إنَّ اللهَ أمَرني انْ أُبَشِّرَ خَدِيجةَ بِبَيْتٍ في الْجَنَّةِ منْ قَصَبٍ ، لا صَخَب فِيه ، ولا نَصَب »[٨] .

---

(١) وإسناده ضعيف ، وله شواهد يقوى بها .
(٢) في الأصول : العمري ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٣) رواه البزار (٣٥٠٨ ـ كشف الأستار) والبيهقي في « البعث والنشور » (٢٣٦) وإسناده ضعيف .
(٤) في الفاسية : متكبِّر .
(٥) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٣٣) وإسناده ضعيف .
(٦) في الأصول : علي بن عاصم ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٧) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ١٥٨٠٢) وإسناده ضعيف ، وله شواهد يقوى بها .
(٨) رواه الطبراني في « الأوسط » (٤٤٣) وشاهده رواه مسلم رقم (٢٤٣٢) من حديث أبي هريرة و(٢٤٣٣) من=

قالَ بعضُ العُلَماء : إنّما كانَ بَيْتُها منْ قَصَبِ اللُّؤلُؤ ، لأنَّهَا حَازَتْ قَصَب السَّبْقِ في التَّصْديقِ برسولِ الله ﷺ حينَ بَعَثَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، كما يَدُلُّ عَلَيْهِ حَديثُ أوَّلِ البِعْثَةِ : أنَّها أوَّلُ منْ آمنَ ، حَيْثُ قَالَتْ لَمَّا أخْبَرها بما رَأَى ، [وقال : « لَقَدْ خَشِيْتُ على نفسي »] ، قالَتْ : كلاَّ واللهِ لا يُخْزيكَ اللهُ أبداً ، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصدُقُ الْحديثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتُعينُ على نَوائب الدَّهْر[١] .

وأمَّا ذِكْرُ مَرْيَمَ ، وَآسِيَةَ ، في هَذَا الْحَديثِ ، فَفيهِ إشْعارٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ يَتزوَّجُ بهِمَا في الدَّارِ الآخِرَةِ ، وَقَدْ حَاوَلَ بَعْضُهُمْ أنْ يَأخُذَ ذلك منَ القُرْآنِ ، منْ قَوْلِهِ [تَعَالى] في سُورَةِ التَّحْريم : ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ [التحريم : ٥] ، ثمَّ ذُكِرَتْ آسيَةُ ومَرْيمُ في آخِرِ السُّورَة .

يُرْوى مِثْلُ هَذا عَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ ، أوْ غَيْرِه منَ السَّلفِ ، واللهُ أعْلمُ .

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدّثنا عليّ بنُ المُنْذِرِ الطَّريقيّ[٢]، حدّثنا ابنُ فُضَيْلٍ، حدّثنا عبد الرحمن ابنُ إسْحَاقَ ، عن النُّعْمانِ بنِ سَعْدٍ ، عنْ عَليّ بن أبي طالبٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ في الجَنَّةِ لَغُرَفاً يُرَى ظُهُورها منْ بُطُونها ، وبُطونُها منْ ظُهورِهَا» فقام أعرابيٌّ ، فقال : يا رسول اللهِ، لِمَنْ هيَ ؟ فقال : « لمن طَيَّبَ الكلامَ ، وأطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأدَامَ الصيامَ ، وَصَلَّى باللَّيْلِ والنَّاسُ نيامٌ » . ورواه الترمذيّ عن عليّ بن حُجْر ، عن عليّ بن مُسْهِرٍ ، عن عَبْدِ الرَّحْمن بن إسحاق ، وقال : غريبٌ ، لا نَعْرِفُهُ إلاَّ منْ حَدِيثه[٣] .

وروى الطبرانيُّ منْ حَديث الوليدِ بن مُسْلِمٍ ، حدّثنا مُعَاوية بنُ سَلاَّم ، عن زَيْدِ بنِ سَلاَّمٍ ، حدّثني أبو سَلاَّم ، حدّثني أبو مُعانِق الأشعريّ ، حدّثني أبو مالِك الأشْعَريّ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ في الجَنَّةِ غُرَفاً يُرى ظاهِرُها منْ باطِنها ، وباطِنُها منْ ظاهِرِها ، أعدَّها اللهُ لِمَنْ أطْعَمَ الطَّعَامَ ، وأدَام الصِّيَامَ ، وَصَلَّى باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ »[٤] .

وروى الطبرانيّ أيضاً منْ حَديثِ ابن وَهْبٍ ، حدّثني حُيَيّ ، عن أبي عَبْدِ الرَّحْمَن ، عن عَبْدِ اللهِ بن عَمْرٍو ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « إنَّ في الجنَّةِ غُرَفاً يُرَى ظاهِرُها منْ بَاطِنها ، وَبَاطنُها منْ ظاهِرِهَا » قال أبو مَالِك الأشْعريّ : لِمَنْ هيَ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قال : « لِمَنْ أطابَ الكلامَ ، وَأطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَبَاتَ قَائماً وَالنَّاسُ نِيَامٌ » . قالَ الحافِظُ الضِّيَاءُ : هَذا عِنْدي إسْنادٌ حَسَنٌ .

= حديث ابن أبي أوفى .

(١) رواه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) .

(٢) في الأصول : الطرائفي ، وهو خطأ .

(٣) رواه أبو بكر بن أبي داود في « البعث والنشور » (٧٤) والترمذي (٢٥٢٧) وهو حديث حسن .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » (٣٤٦٧) وهو حديث حسن .

قلت : وقد رواه الإمامُ أحمدُ عنِ الْحَسَنِ ، عن ابْنِ لَهيعَةَ ، حدّثني حُيَيّ بنُ عَبْدِ اللهِ المعافريُّ ، . . . ، فذكَرَ بإسْنادِهِ مِثْلَهُ ، غَيْرَ أنَّهُ قالَ : فقالَ أبُو مُوسى الأشْعَريّ : لِمَنْ هيَ يا رسول الله ؟ . . . فذكره ، والله أعلم[١] .

وَقَدْ وَرَدَ في بَعْضِ الأحَاديثِ أن القَصْرَ يَكُونُ منْ لُؤلُؤةٍ وَاحِدةٍ ، أبْوَابُهُ ، وَمَصَارِيعُهُ ، وسُقُفُهُ[٢] .

وفي حَديثٍ آخَر : أنَّ بَعْضَ سُقوف الجَنَّةِ نُورٌ يَتلألأُ كَالْبَرْقِ اللامِع ، لَوْلا أنَّ اللهَ ثَبَّتَ أبْصَارَهُمْ لأوشَكَ أنْ يَخْطَفَها[٣] .

وقال البَيْهقيّ : حدّثنا أبو الحُسَيْنِ بنُ بِشْرَانَ ، حدّثنا أبو عَمرو عُثمانُ بنُ أحمد المَعْرُوف بابن السَّمَّاك ، حدّثنا عَبْدُ الرَّحمن بنُ مُحمد[٤] بن منصور ، حدّثنا أبي ، حدّثنا عَبْدُ الرَّحْمن بنُ عَبْد الْمُؤمنِ ، سَمِعْتُ مُحمد بن وَاسِعٍ يذكر ، [عن الحسن] ، عنْ جَابِر بن عَبْدِ الله قال : قال لنا رسولُ الله ﷺ : « ألا أُحَدِّثُكم بِغُرَفِ الْجَنَّةِ ؟ » قال : قُلْنا : بَلى يا رسول اللهِ ، بِأبِينا أنْتَ وَأُمِّنَا ، قال : « إنَّ في الجَنَّةِ غُرَفاً منْ أصْنافِ الجَوْهرِ كُلِّهِ ، يُرَى ظاهرُها منْ باطِنها ، وبَاطِنها منْ ظاهِرِهَا ، فيها منَ النَّعيمِ وَاللَّذَّاتِ والشَّرَفِ ما لا عَيْنٌ رَأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ » قال : قُلْتُ : يا رسول اللهِ ، وَلِمنْ هَذِهِ الغُرَفُ ؟ قال : « لِمَنْ أفْشَى السَّلامَ ، وأطْعَمَ الطَّعَامَ ، وأدَامَ الصِّيَامَ ، وَصَلّى باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » قال : قُلْنا : يا رسولَ الله ، ومنْ يُطيقُ ذلك ؟ قال : « أُمّتي تُطيقُ ذلك ، وَسأُخبرُكم عَنْ ذلك : منْ لَقيَ أخاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، أوْ رَدّ عَلَيْهِ ، فَقَدْ أفْشَى السّلام ، ومنْ أطْعَمَ أهْلَهُ وَعِيَالَهُ حتّى يُشْبِعَهُمْ فَقَدْ أطْعَمَ الطَّعَامَ ، ومنْ صَامَ رمَضان ومنْ كلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أيَّامٍ ، فَقَدْ أدَامَ الصّيام ، ومنْ صَلّى العِشَاءَ الآخِرَةَ ، وَصَلّى الغَدَاةَ في جَماعَةٍ ، فقدْ صَلّى باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، اليهُودُ ، وَالنَّصارى ، والمَجُوسُ ». ثم قال البَيْهَقيّ: وهَذا الإسْنادُ غَيْرُ قَويٍّ، إلاَّ أنَّهُ بالإسْنادَيْنِ الأوَّلَيْنِ يُقَوِّي بَعْضُهُ بَعْضاً. والله أعلم. قال : وقد رُوي بإسنادٍ آخَرَ عَنْ جَابرٍ[٥]. ثم أورد من طريق عليّ بن حَرْب ، عن حَفْص بن [عمر ، عن] عَمْرو بن قَيْسٍ المُلائيِّ ، عن عَطاء ، عن ابن عباس مرفوعاً ، بنحوه[٦].

وروى البَيْهقيُّ منْ حَديثِ جَسْر[٧] بن فَرْقَدٍ ، عن الحَسَنِ البَصريّ ، عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ ،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٣/١٠٣) وأحمد في المسند (٢/ ١٧٣) وهو حديث حسن .
(٢) روى بعضه : البخاري (٤٨٧٩) ومسلم (٢٨٣٨) .
(٣) رواه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٥٨٥١) وفي إسناده ضعف .
(٤) في الأصول : حدّثنا عبد الرحمن ، أبو محمد ، وهو خطأ .
(٥) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٧٩) .
(٦) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٨٠) .
(٧) في الأصل : جعفر ، وهو خطأ .

وأبي هريرة ، قالا : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ هذه الآيَةِ : ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [الصف : ١٢] قال : « قَصْرٌ من لُؤلؤةٍ ، في ذلك القَصْرِ سَبْعُونَ دَاراً مِنْ يَاقوتَةٍ حمراء ، في كلِّ دارٍ سبْعُونَ بَيْتاً مِنْ زُمُرّدةٍ خَضْراءَ ، في كلِّ بَيْتٍ سَبْعون سَريراً ، على كلِّ سَريرٍ سبْعُونَ فِرَاشاً مِنْ كلِّ لوْنٍ ، على كلِّ فِراشٍ زَوْجةٌ مِنَ الحُورِ الْعِينِ ، في كلِّ بَيْت سبْعُونَ مائِدَة ، على كلِّ مائِدَةٍ سبْعُونَ لَوْناً مِنَ الطَّعَام ، في كلِّ بَيْتٍ سبْعُونَ وصيفاً ووصيفَةً ، ويُعْطَى المُؤْمنُ في كلِّ غَدَاةٍ مِنَ القُوَّة ما يَأتي على ذلك كُلِّه أجْمَعَ » .

قُلْتُ : وهذا الْحَديثُ غَريبٌ ، بلْ الأشْبَهُ أنَّهُ مَوْضُوع ، وإذا كانَ الخَبرُ ضَعيفاً لا يُمْكنُ اتصاله ، فإن جَسْراً هذا ضعيف جداً ، والله سبحانه أعلم(١) .

وقال ابنُ وَهْبٍ : حدّثنا عَبْدُ الرحمن بنُ زَيْدِ بن أسْلَمَ ، عنْ أبِيهِ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّهُ لَيُجاءُ للرّجُلِ الوَاحِدِ بالْقَصْرِ منَ اللُّؤلؤةِ الْوَاحِدةِ ، في ذلك القَصْرِ سبعُونَ غُرْفَةً ، في كل غُرْفَةٍ زَوْجةٌ مِنَ الحُورِ الْعِينِ ، في كلِّ غُرْفةٍ سبْعُونَ باباً ، يَدْخُلُ عَليْهِ مِنْ كلِّ بَابٍ رَائحَة مِنْ رَائحَةِ الجَنَّةِ ، سِوَى الرّائحةِ الّتي تَدْخُلُ عَلَيْهِ منَ البَابِ الآخَرِ » ثمَّ تلا : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾(٢) [السجدة : ١٧]

وذكَر القرْطبي من طريق أبي هُدْبَةَ ، إبْرَاهيم بن هُدْبَة ، وهُو ذُو نسْخةٍ مَكْذُوبةٍ ، عن أنس بن مالكٍ مَرْفوعاً : « إنَّ في الجَنَّةِ غُرفاً لَيسَ فيها مَعَاليق منْ فَوْقِها ، ولا عِمادٌ منْ تَحْتِها » قيلَ : يا رسولَ الله ، وكَيْفَ يَدْخُلُها أهْلُهَا ؟ قالَ : « يَدْخلونَها أشْبَاهَ الطَّيْرِ » قِيلَ : يا رسول الله ، لِمَنْ هيَ ؟ قالَ : « لأهْلِ الأسْقَامِ ، وَالأوْجاعِ ، وَالْبَلْوى »(٣) .

ذكر الخيام في الجنة

قال اللهُ تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ٧٢ و٧٣] .

وثبت في « الصحيحين » ـ واللفظُ لمسلم ـ من حديث أبي عِمْران الْجَوْنيّ ، عن أبي بكر بن

---

(١) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٨١) .

(٢) وهو مرسل ضعيف .

(٣) أبو هدبة إبراهيم بن هدبة ، قال الحافظ في « ميزان الاعتدال » (١/ ٧١) : حدَّث ببغداد وغيرها بالأباطيل ، وقد نظم السِّلَفيُّ أسماء الكذابين الوضاعين على رسول الله ﷺ فقال :

حديثُ ابنِ نُسْطورٍ ويُسْرٍ وَيَغْنَمٍ ... وإفْكِ أشَجِّ الغَرب ثم خِراشِ
ونُسْخَةُ دينار ونُسخةُ تِربِهِ ... أبي هُدْبَةَ القَيْسيِّ شِبْهُ فَراشِ

وزاد الوادي آشي بيتاً ثالثاً فقال :

رَتَنٌ ثامن والماردينيّ تاسعٌ ... ربيعُ بن محمود وذلك فاشي

أبي مُوسى [الأشعريّ] ، عن أبيه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنّ للْمُؤْمنِ في الجَنَّةِ لَخَيْمةً منْ لُؤْلُؤةٍ وَاحدةٍ مُجوَّفةٍ ، طُولُها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلُوْنَ يَطُوفُ عَلَيْهم المُؤمِنُ ، فلا يَرَى بَعْضُهُم بَعْضاً » ، وفي روايةٍ للْبُخاريّ : « ثَلاثونَ مِيلاً » وصُحِّحَ : ستُّونَ ميلاً[١] .

وقال أبو بكْرِ بنُ أبي الدُّنْيَا : حدّثنا محمَّد بن جعفر[٢] ، حدّثنا منصور ، حدّثنا يُوسف بنُ الصبّاح ، عن أبي صَالحٍ ، عن ابن عبَّاسٍ ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] قال : الْخَيْمةُ منْ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها فَرْسخٌ وعَرْضُها فَرسخٌ ، ولَها ألْفُ بابٍ منْ ذَهبٍ ، حوله سُرَادق دَوْرُه خَمْسُونَ فَرْسخاً ، يَدْخُلُ عَلَيْه منْ كلِّ بَاب مَلَكٌ بِهَدِيَّةٍ منْ عِنْدِ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ ، وذَلِكَ قولُه تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد : ٢٣][٣] .

وقال ابنُ المُبَارك : حدّثنا هَمَّامٌ ، [عن قتادة] ، عنْ عِكْرِمةَ ، عن ابن عبَّاسٍ ، قال : الخَيْمةُ دُرَّةٌ مُجوَّفَةٌ ، فَرْسخٌ في فَرْسخٍ ، لَها أرْبَعةُ آلافِ مِصْراعٍ منْ ذَهَبٍ[٤] .

وقال قَتَادة ، عن خُلَيْدِ العَصريّ ، عنْ أبي الدَّرْداءِ ، قال : الْخَيْمةُ لُؤلُؤةٌ وَاحِدَةٌ ، لَها سَبْعُونَ بَاباً كُلُّها منْ دُرٍّ[٥] .

ذكر تربة الجنة

ثبت في « الصحيحين » من حديث الزهريّ ، عن أنس بن مالك ، عن أبي ذرٍّ في حديث المِعْراج ، قال رسولُ الله ﷺ : « أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ ، فإذا فيها جَنَابذُ[٦] اللُّؤلُؤِ ، وإذا تُرابُهَا المِسْكُ »[٧] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا رَوْحٌ ، حدّثنا حَمَّادٌ ، حدّثنا الْجُرَيْري ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سَعيدٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ : سَأَلَ ابْنَ صَائدٍ عنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ ، فقال : دَرْمكةٌ بَيْضاءُ ، مِسْكٌ خَالصٌ ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : « صَدَقَ » . هكذا رواه الإمام أحمد .

ورواه مسلم ، من حديث أبي مسلمة ، عن أبي نَضْرَةَ ، بنحوه ، وقد رواه مسلم أيضاً ، عن

(١) رواه البخاري (٤٨٧٩) و(٣٢٤٣) ومسلم (٢٨٣٨) .
(٢) في الأصول : محمد بن حفص ، وهو خطأ .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٣٣٢) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (٢٤٩ ـ زوائد نعيم) .
(٥) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (٢٥٠ ـ زوائد نعيم) .
(٦) الجنابذ : جمع جُنبذة ، وهي القُبة .
(٧) رواه البخاري (٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣) .

أبي بَكْر بن أبي شَيْبَةَ ، عن أبي أُسامة[١] ، عن الجُرَيْرِيّ ، عنْ أبي نضْرَةَ ، عن أبي سَعيدٍ : أَنَّ ابْنَ صَائِدٍ سَأَلَ النبيَّ ﷺ عَنْ تُرْبَةِ الجَنَّةِ فقال : « دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ ، مِسْكٌ خَالِصٌ »[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا عليّ بنُ عَبْد الله ، حدّثنا سُفْيَانُ ، عنْ مُجَالِدٍ ، عن الشَّعْبيِّ ، عَنْ جَابر بن عَبْدِ الله ، قال : قال رسولُ الله ﷺ لِلْيَهُودِ : « إِنِّي سَائِلُهُمْ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ ، وَهِيَ دَرْمكةٌ بَيْضاءُ » فَسَأَلَهُمْ ، فَقَالُوا : هِيَ خُبْزةٌ يا أبا القَاسِم ، فقال رسولُ الله ﷺ : « الخُبْزةُ منَ الدَّرْمَكِ »[٣] .

وتقدم في حديث أبي هُرَيْرَةَ وَابْن عُمَر ، وغَيرهما في بنيان الجَنَّةِ أَنَّ مِلاطَها المِسْكُ ، وَحَصْباءَها اللُّؤلؤ ، والْيَاقُوتُ ، وَتُرَابُها الزَّعْفَران[٤] .

والمِلاطُ في اللُّغَة : عِبَارةٌ عنِ الطِّينِ الَّذي يُجْعلُ بَيْن الحَجَرَيْن بين سافي[٥] البناء ، يُمْلطُ بِهِ الحَائطُ ، ولعلَّ بَعْضَ بِقَاعها مِسْك ، وَبَعْضَها زعفران ، طرائق طرائق .

وهي مع هَذِهِ العَظَمةِ وَالاتِّساعِ [كلها كذلك ، والله سبحانه أعلم] .

[و] قدْ تَقَدَّمَ في « صحيح البُخَاريّ » ، عن أنسٍ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكم ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمِهِ [من الجنة] خيْر منَ الدُّنْيا وما فيهَا »[٦] .

وقال أحمد : حدّثنا عَبْدُ الرزّاق ، حدّثنا مَعْمرٌ ، حدّثنا هَمّامٌ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لَقِيدُ سَوْطِ أَحدِكم منَ الجَنَّةِ خَيْرٌ ممَّا بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ » . إسناده على شرط الشيخين[٧] .

وقال ابنُ وَهْبٍ : حدّثنا عَمْرو بن الحَارثِ : أَنَّ سليمان بن حميد حدَّثه : أن عامر بن سعد بن أبي وَقَّاص ـ قال سليمان : لا أَعْلَمُ إلاّ أنّهُ ـ حدّثني ، عنْ أبيهِ ، عنْ رسولِ الله ﷺ قال : « لَوْ أَنَّ ما أَقَلَّ ظُفُرٌ منَ الجَنَّةِ بَرَزَ إلى الدُّنْيا لَتزَخرَفَ لَهُ ما بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ »[٨] .

---

(١) في (آ) : عن أبي أمامة ، وهو تصحيف .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤) ومسلم (٢٩٢٨) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٦١) وفي سنده مجالد بن سعيد وهو ضعيف ، ولكن يشهد لآخره الذي قبله .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٤) من حديث أبي هريرة ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٣/ ١٥٨٠٢) من حديث ابن عمر ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٥) الساف في البناء ، كل صف من اللَّبِنِ .
(٦) رواه البخاري (٦٥٦٧) .
(٧) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٥) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٨٥) .
(٨) ورواه الترمذي رقم (٢٥٣٨) من طريق عامر بن سعد به ، وهو حديث حسن .

ذكر أنهار الجنة وأشجارها وثمارها

قال الله تعالى : ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [البينة : ٨] وقال : ﴿ مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [الكهف : ٣١] وقال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ [محمد : ١٥] وقال تعالى : ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد : ٣٥] .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يَزيدُ بنُ هارُونَ ، أنبأنا الجُرَيْريّ ، عن حَكيم بنِ مُعاوية أبي بَهْزٍ ، عن أبيه ، قال : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقولُ : « في الجنَّةِ بَحْرُ اللّبنِ ، وبَحْرُ الْماء ، وَبَحْرُ الْعَسلِ ، وَبَحْرُ الْخَمْرِ ، ثمَّ تَشقَّقُ الأنهارُ منْها بَعدُ » .

ورواه التِّرمذيّ ، عن بُنْدار ، عنْ يَزيدَ بنِ هَارُونَ ، به ، وقال : حسن صحيح . ورواه ابن أبي الدنيا ، عن أبي خيثمة ، عن يزيد بن هارون ، به[١] .

وقال أبو بكر بن مَرْدويه : حدّثنا أحمدُ بنُ مُحمّد بن عاصم ، حدّثنا عَبْدُ اللهِ بنُ محمد بن النُّعْمَانِ ، حدّثنا مُسْلِمُ بنُ إبْرَاهيمَ ، حدّثنا الْحَارِثُ بنُ عُبيْدٍ أبو قُدامةَ الإيادِيُّ ، حدّثنا أبو عِمْرَانَ الجَوْنيّ ، عن أبي بَكْرِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ قَيْسٍ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « هَذِهِ الأنْهارُ تَشْخُبُ في جنَّةِ عَدْنٍ ، في جَوبةٍ[٢] ثم تَصَدَّعُ بعْدُ أنهاراً »[٣] .

وقال ابنُ مَرْدويه : حدّثنا مُحمَّدُ بنُ أحمد ، حدّثنا محمد بنُ أحمد بن أبي [محمد] يحْيَى ، حدّثنا مَهْديّ بنُ حَكيم ، حدّثنا يَزيدُ بن هَارُونَ ، أخبرني الجُرَيْريّ ، عن مُعَاويةَ بنِ قرَّةَ ، عنْ أنسِ بنِ مَالكٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لَعلّكُمْ تَظُنُّونَ أنّ أنْهَارَ الْجنَّةِ أُخدُود في الأرْضِ ، لا واللهِ ، إنَّهَا لسائِحةٌ على وَجْهِ الأرْضِ ، حَافَتاهَا قِبابُ اللُّؤلُؤ ، وَطِينُها المِسْكُ الأذْفَرُ » ، قِيلَ : يا رسول الله ، وما الأذْفَرُ ؟ قالَ : « الّذي لا خِلْطَ لَهُ » .

وقد رواه ابنُ أبي الدُّنْيا ، عنْ يَعْقُوبَ بن عُبَيْدٍ ، عن يزيدَ بن هارُونَ ، به مَوْقوفاً[٤] .

وروى البَيْهقيُّ ، [عن الحاكم ، وغيره ، عن الأصمّ ، عن الرَّبيع بن سُلَيْمانَ] ، عن أسَد بن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٥) والترمذي رقم (٢٥٦٦) وابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٨٣) وهو حديث حسن .

(٢) الجَوبة : الحفرة المستديرة الواسعة .

(٣) ورواه أحمد في المسند (٤/٤١٦) من طريق الحارث بن عبيد ، وإسناده ضعيف .

(٤) رواه ابن مردويه مرفوعاً ، وابن أبي الدنيا موقوفاً في « صفة الجنة » (٦٩) وهو في حكم المرفوع ، وكل منهما صحيح ، ولا يعل بالموقوف ، لأنه في حكم المرفوع .

مُوسى ، عن ابنِ ثَوْبَانَ ، عن عَطاء بن قُرَّةَ[١] ، عنْ عَبْدِ اللهِ بن ضَمْرَةَ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « منْ سَرَّهُ أنْ يَسْقيه اللهُ الْخَمْر في الآخِرَةِ فَلْيَتْرُكْهَا في الدُّنْيا ، ومن سرَّه أن يكسوَه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا ، أنْهارُ الْجَنَّة تَفَجَّرُ منْ تَحْتِ تِلال ، أوْ جِبَالِ المِسْكِ ، وَلَوْ كانَ أدْنى أهْلِ الجَنَّةِ حلْيةً عُدِلَتْ بِحِلْيَةِ أهْلِ الدُّنيا جميعاً لكان ما يحلِّيه الله عز وجل في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً » .

وَرَوى منْ طَرِيقِ أبي مُعَاوِيَةَ ، عن الأعْمشِ ، عن عَمْرو بن مُرَّةَ ، عنْ مَسْرُوقٍ ، عنْ عَبْدِ اللهِ ، قال : أنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفَجَّرُ منْ جَبَلِ مِسْكٍ . قُلْتُ : وَهذا المَوْقوفُ أصحُّ[٢] .

صفة الكوثر ، وهو أشهر أنهار الجنة

[سقانا الله منه بمنه وكرمه]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ١ ـ ٣] .

وثَبتَ في « صَحيح مُسْلم » من حَدِيث محمَّد بن فضَيْل ، وَعَليّ بن مُسْهِر ، كِلاهُما عنِ المُخْتارِ بنِ فُلْفُلٍ ، عن أنَسٍ : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حِينَ أُنزلتْ عَلَيْهِ هَذِهِ [السُّورَة] قال : « أتَدْرُونَ ما الكَوْثرُ ؟ » قالوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ ، قال : « هُوَ نَهْرٌ وَعَدنيه رَبِّي عزَّ وجلَّ ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثيرٌ »[٣] .

وفي « الصحيحين » من حديث شيبان ، عن قَتادةَ ، عن أنس ، في حَدِيثِ المِعْرَاج ، قال النبي ﷺ : « أَتَيْتُ على نَهْرٍ حَافتَاهُ قِبابُ اللؤلؤ المُجَوَّفِ ، فَقُلْتُ : ما هذا يا جبريلُ ؟ قال : هَذَا الكَوْثرُ الّذي أعْطَاكهُ اللهُ عزَّ وجلَّ » .

ورواه أحمد ، عن ابن أبي عدِيّ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ ، به ، وفي روايةٍ : « فَضَرَبْتُ بِيَدي إلى ما يَجْري فيهِ المَاءُ ، فإذا مِسْكٌ أذْفَرُ »[٤] .

ولهذا الْحَديث طرقٌ كَثيرة ، عن أنس ، وغيره من الصحابة ، وَألْفاظٌ مُتعدّدةٌ .

فقال أحمدُ : حدّثنا محمد بنُ فُضَيْل ، عن المُخْتارِ بنِ فُلفلٍ ، عنْ أنَسٍ ، عنِ النَّبيِّ ﷺ ،

---

(١) في (آ) : مرة ، وهو خطأ .

(٢) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٩٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، و (٢٩٣) من حديث ابن مسعود موقوفاً ، وهو حديث حسن .

(٣) رواه مسلم رقم (٤٠٠) .

(٤) رواه البخاري (٤٩٦٤) وأحمد في المسند (١٠٣/٣) وليس عند مسلم .

قال : « الْكَوْثَرُ نَهْرٌ في الْجَنَّةِ يجري على وجه الأرض وَعَدَنيهِ رَبِّي عزَّ وجلَّ »[١] .

ورواه مسلم ، عن أبي كُرَيْب ، عن ابن فُضَيْل ، به[٢] .

قال أحمد : حدّثنا عَبْدُ الصَّمَدِ ، حدّثنا حمَّاد ، عن ثَابتٍ ، عن أنس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أُعْطيتُ الْكَوْثَر ، فإذا هُوَ نَهْرٌ يَجْري على وَجْهِ الأرْض ، حَافتَاهُ قِبابُ اللُّؤلؤِ ، لَيْسَ مَشقُوقاً ، فَضَرَبْتُ بِيَدي إلى تُرْبَتِهِ ، فإذا مِسْكَةٌ ذفِرَةٌ ، وَإذا حَصْباؤُهُ اللُّؤلؤ »[٣] .

وقال أحمد : حدّثنا سُلَيْمانُ بنُ داوُدَ الهَاشميّ ، أخبرنا إبراهيمُ بن سَعْدِ ، حدّثنا محمّد بنُ عَبْدِ الله بن مُسْلِمٍ[٤] ابنِ أخي ابنِ شِهَابٍ ، عنْ أبيهِ ، عن أنس بن مالِك ، قال : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ : عنِ الكَوْثَرِ ، فقالَ : « هُوَ نَهْرٌ أعْطَانيهِ الله في الْجَنَّةِ ، تُرابُه مِسْكٌ ، مَاؤُهُ أبْيَضُ منَ اللَّبَنِ وَأحْلَى منَ العَسَل ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أعْنَاقُها مِثْلُ أعْنَاقِ الجُزُرِ[٥] » قال : فقال أبو بَكْرٍ : يا رسول الله ، إنَّها لَنَاعِمَةٌ فقال : « آكِلُها أنْعَمُ منها[٦] » .

وقال الْحَاكِمُ : أنبأنا الأصَمُّ ، حدّثنا إبراهيم بنُ مُنْقِذٍ ، حدّثنا إدْريسُ بنُ يَحْيَى ، حدّثني الفضل بن المُخْتارِ ، عنْ عُبَيْدِ الله بنِ مَوْهَب ، عنْ عِصْمَةَ بنِ مَالِكٍ الْخَطميِّ ، عن حُذَيْفَةَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ في الْجَنَّةِ طَيْراً أمْثَال البَخاتيّ[٧] » فقال أبو بَكْرٍ : إنَّهَا لَنَاعِمَةٌ يا رسولَ الله ، قال : « أنْعَم منْهَا من يأكلها ، وأنْتَ ممَّنْ يأكُلُها يا أبا بَكْرٍ » .

ثمَّ رواه من طريق سعيدِ بن أبي عَرُوبَةَ ، عنْ قَتَادَةَ مُرْسلاً[٨] .

وقال الإمام أحمدُ أيضاً : حدّثنا أبو سَلَمَةَ الخُزَاعيّ ، حدّثنا لَيْثٌ ، عنْ يَزِيدَ ، يَعْني ابْنَ الْهَاد ، عنْ عَبْدِ الوَهَّابِ بن أبي بَكْرٍ ، عنْ عَبْد اللهِ بن مُسلِمٍ ، عنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عنْ أنس بنِ مالِكٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئلَ عَنِ الكَوْثَرِ ، فقال : « نَهْرٌ أعْطانيهِ رَبِّي عزَّ وجلَّ ، أشدُّ بَيَاضاً منَ اللبنِ ، وأحْلَى منَ الْعَسَلِ ، وفيهِ طَيْرٌ كأعْناقِ الجُزُرِ » فقالَ عُمَر : يا رسول الله ، إنَّ تِلْكَ [الطَّيْرَ] نَاعِمَةٌ ، فقال : « آكلها أنْعَمُ منْها يا عُمَر » .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٠٢) .
(٢) رواه مسلم رقم (٤٠٠) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٥٢) وإسناده صحيح .
(٤) في الأصول : « عبد الله بن شهاب » .
(٥) جمع جزور ، وهو البعير .
(٦) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٣٦) وإسناده حسن ، وهو حديث صحيح .
(٧) البخاتي ، جمع بختية ، وهي الناقة طويلة العنق .
(٨) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٣٥٤) عن الحاكم موصولاً و(٣٥٥) مرسلاً ، وهو حديث ضعيف .

وكذلك رواه الدّرَاوَرْديّ ، عن ابن أخي ابن شِهَابٍ ، عن أبيه ، عن أنسٍ ، به[١] .

رواية ابن عمر رضي الله عنهما

قال أحمد : حدّثنا عَليُّ بن حَفْصٍ ، أَخْبَرَنا وَرْقَاءُ ، قال : وقال عَطاءٌ ، عنْ مُحارِب بن دِثَارٍ ، عنِ ابْن عُمَر قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الْكَوْثرُ نَهْرٌ في الْجَنَّةِ ، حَافَتَاهُ منْ ذَهَبٍ ، وَالْمَاءُ يَجْري على اللُّؤلؤِ ، مَاؤُهُ أشدُّ بَيَاضاً منَ اللّبنِ ، وأَحْلَى منَ العَسَل » . وقد رواه إسماعيل بن علية ومحمد بن فُضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن محارب ، عن ابن عمر مرفوعاً : « الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه الذهب ، مَجراه على الدُّرِّ والياقوت ، تربته أطيب من [المسك] ، وأشدُّ بياضاً من الثلج » . وفي رواية : « أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد » . ورواه التِّرْمذيّ وابنُ مَاجَهْ ، منْ حَديث محمّد بن فُضَيْل ، وقال التِّرْمذيّ : حَسَنٌ صحيحٌ[٢] .

رواية ابن عباس رضي الله عنهما

قال البُخاريّ : حدّثنا يَعْقُوبُ بنُ إبراهيمَ ، حدّثنا هُشَيْمٌ ، حدّثنا أبو بِشْر ، عنْ سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ : أَنَّهُ قالَ في الْكَوْثَرِ : هُوَ الخَيْرُ الكثير الّذي أعْطاهُ اللهُ إيّاهُ ، قال أبو بِشْرٍ : قُلتُ لِسَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ : إنَّ ناساً يَزْعمُونَ أنَّهُ نَهرٌ في الجَنَّةِ ، فقالَ سَعيدٌ : النَّهْرُ الَّذي في الْجنَّةِ منَ الخَيْرِ الّذي أعْطاهُ اللهُ إيَّاهُ[٣] .

وقدْ رَوَى ابنُ جَريرٍ ، عنْ أبي كُرَيْبٍ ، حدّثنا عُمَرُ بنُ عُبَيْدٍ ، عن عَطاءٍ ، عنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قال : الْكَوْثرُ نَهْرٌ في الْجنَّةِ ، حَافَتاهُ ذَهبٌ وفِضَّةٌ ، يَجْري على اليَاقُوتِ والدُّرِّ ، ماؤه أبْيَض منَ الثَّلْجِ ، وَأَحْلَى منَ الْعَسَلِ . وكَذا رَوى العَوْفيُّ عن ابْنِ عبَّاسٍ .

رواية عائشة رضي الله عنها

قال البُخاريّ : حدّثنا خَالِدُ بنُ يزيدَ الكاهليُّ ، حدّثنا إسْرَائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عُبَيْدَةَ عن عائشة رضي الله عنها قال : سَأَلْتُها عَنْ قَوْلِهِ تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ قَالَتْ : نَهْرٌ أُعطيهُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٢٠) والبيهقي في « البعث والنشور » (٢٩١) ورواه الترمذي (٢٥٤٢) من طريق ابن أخي ابن شهاب ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٦٧) والطبري في تفسيره ، والترمذي رقم (٣٣٦١) وابن ماجه (٤٣٣٤) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٩٦٦) .

نَبيُّكُمْ ﷺ ، شاطئاه عَلَيْهِ دُرٌّ[١] مُجوَّف ، آنيتُهُ كَعَددِ النُّجُومِ ، ثم قال البُخاريّ : وقد رواه زَكريَّا ، وأبو الأحْوصِ ، ومُطَرِّف ، عنْ أبي إسْحَاقَ[٢] .

وقال أبو نُعيم الْفَضلُ بنُ دُكَيْنٍ : حدّثنا أبُو جَعْفر الرَّازِي ، حدّثنا ابْنُ أبي نَجيحٍ ، عن مُجَاهدٍ : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ قال : الْخَيْرُ الْكَثيرُ .

وقال أنس بنُ مَالِكٍ : نَهْرٌ في الْجَنَّةِ .

وقالت عَائِشَةُ : هُوَ نَهْرٌ في الجَنَّةِ لَيْسَ أَحَدٌ يُدْخِلُ إصْبَعَيْهِ في أُذُنيهِ إلا سمع خرير ذَلِكَ النَّهْر .

وروى ابنُ جَريرٍ ، عن أبي كُرَيْبٍ ، عنْ وَكيعٍ ، عن أبي جَعْفرِ الرَّازي ، عن ابن أبي نَجيح ، عن عائشَة ، قالتْ : منْ أحَبَّ أنْ يَسْمعَ خَريرَ الْكَوْثر ، فَلْيَجْعلْ إصْبَعَيْهِ في أُذُنيْهِ . وهَذَا مُنْقطع .

وقدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَن ابْنِ أبي نَجِيح ، [عن مجاهد] ، عنْ رَجُلٍ ، عنْهَا .

قال السُّهَيْليّ : وَقَدْ رَوَاهُ الدَّارَقُطْنيّ ، منْ طريق مَالِك بن مِغْوَلٍ ، عن الشَّعْبيّ ، عنْ مَسْرُوقٍ ، عن عَائِشَةَ ، عنْ النَّبيّ ﷺ[٣] .

ومَعْنَى هَذا : منْ أحَبَّ أنْ يَسْمع خَريرَ الْكَوْثر ، أي نَظيرَهُ ، وما يُشْبِهُهُ ، لا أنَّهُ يَسْمَعُهُ بِعَيْنه ، بَلْ شَبَّهَتْ دَويَّهُ كَدَويّ ما يَسْمعُ الإنسان إذا وَضَعَ إصْبَعَيْهِ في أُذُنيهِ ، والله أعلم أي شيء أرادت .

ذكر نهر البيذخ في الجنة

قال الإمام أحمد : حدّثنا بَهْزٌ ، حدّثنا سُلَيْمانُ بنُ الْمُغيرَةِ ، عن ثَابتٍ ، عن أنسٍ ، قال : كانَ رسولُ الله ﷺ تُعْجِبُهُ الرُّؤيَا الْحَسَنةُ ، فَرُبَّما قال : « هلْ رَأى أحَد مِنكُم الليلة رُؤْيا ؟ » قال : فإذا رَأى الرَّجُلُ رُؤْيا سأل عنْهُ ، فإنْ كانَ لَيسَ بهِ بَأسٌ كانَ أعْجَبَ لِرُؤْياهُ إلَيْهِ ، قال : فَجَاءَت امْرأةٌ فَقَالَتْ : يا رسولَ اللهِ ، رَأَيْتُ كَأنِّي دَخَلْتُ الجَنَّةَ ، فَسَمِعْتُ وَجْبَةً ارْتَجَّتْ لَها الجَنَّةُ ، فَنَظَرْتُ ، فإذَا قدْ جِيءَ بِفُلان ابن فُلان ، وفلان ابن فلان ، حتَّى عَدَّت اثنَيْ عَشَرَ رَجُلاً ـ وَقَدْ بَعَثَ رسول الله ﷺ سَرِيَّةً قَبْلَ ذَلِكَ ـ قَالَتْ : فَجِيءَ بهِمْ عَلَيْهمْ ثِيَاب طُلْسٌ[٤] تَشْخُبُ أوْدَاجُهُمْ ، قالَ : فَقِيلَ : اذْهَبُوا بهِمْ إلى نَهْرِ الْبَيْذَخ أو قال : إلى نَهْر الْبَيْدَح ، قال : فَغُمسُوا فِيهِ ، فَخَرجُوا منْهُ وَجُوهُهُمْ كالقَمَر لَيْلَة الْبَدْرِ . قالت : ثمَّ أُتُوا بكَرَاسيّ منْ ذَهَبٍ ، فَقَعدُوا عَلَيْهَا ، فَأُتي بِصَحْفَةٍ ، أوْ كَلِمةً نَحْوَها ، فِيهَا بُسْرةٌ ، فأكَلُوا مِنها ، فَمَا

(١) في الأصول : شاطئاه على در .
(٢) رواه البخاري (٤٩٦٥) .
(٣) وهو حديث ضعيف .
(٤) جمع أطلس ، وهو الأسود والوسخ .

يَقْلِبُونَها لِشِقٍّ إلاَّ أكَلُوا منْ فَاكِهَةٍ ما أرادُوا ، وأكَلْتُ مَعَهُمْ . قال : فَجَاءَ البَشيرُ منْ تِلْكَ السَّريةِ ، فقال : يا رسول الله ، كانَ منْ أمْرِنا كذا وكذا ، وأُصيبَ فُلانٌ وَفُلانٌ ، حتَّى عَدَّ الاثْنَيْ عَشَر الَّذِينَ عَدَّتْهُمُ المَرأةُ ، فقال رسول الله ﷺ : « عَليَّ بالمَرْأةِ » فَجَاءَتْ ، فقال : « قُصِّي على هذا رُؤْياكِ » فَقَصَّتْ ، فقال : هُوَ كما قَالَتْ يا رسول الله[١] .

نهر بارقٍ على باب الجنة

قال أحمد : حدّثنا يَعْقُوبُ ، حدّثنا أبي ، عَنِ ابْنِ إسْحَاقَ ، عن الحارث بن فُضَيْلٍ الأنْصَاريّ ، عَنْ مَحْمُودِ بنِ لَبيد ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الشُّهَداءُ على بَارِقٍ ، نَهْرٍ على بَابِ الْجَنَّةِ ، في قُبَّةٍ خَضْرَاءَ ، يَخْرُجُ إلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ منَ الجَنَّة بُكْرَةً وَعَشِيّاً »[٢] .

ذكر ما في الدنيا من أنهار الجنة

في حديث الإسراء ، في ذكر سِدْرَةِ الْمُنْتَهى ، قال : « فإذا يَخْرُجُ منْ أصْلِها نَهْرَانِ باطنانِ ، ونَهْرَانِ ظاهِرَانِ ، فَالبَاطِنانِ في الْجَنَّةِ ، وَالظَّاهِرَانِ : النِّيلُ ، وَالْفُراتُ ، عنصرهما »[٣] .

وفي « مسند أحمد » و « صحيح مُسلم » ، واللَّفْظُ لهُ منْ حَديثِ عُبَيْدِ الله بن عُمرَ ، عنْ خُبيبِ بنِ عَبد الرَّحْمَن ، عَنْ حَفْصِ بنِ عَاصِم ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « سَيْحانُ ، وجَيْحانُ ، وَالفُراتُ وَالنِّيلُ ، كلٌّ منْ أنْهارِ الجَنَّةِ »[٤] .

وروَى الحافِظُ الضِّياءُ منْ طَريق عُثْمانَ بن سَعيدٍ ، عنْ سَعيدِ بنِ سَابِقٍ ، عنْ مَسْلَمَةَ بنِ عُلَيٍّ الخُشَنيّ ، عنْ مُقَاتِلِ بن حَيَّانَ ، عنْ عِكْرِمَةَ ، عن ابن عبَّاسٍ ، عنِ النَّبيّ ﷺ ، قال : « أنْزَلَ اللهُ منَ الجَنَّةِ خَمْسَةَ أنْهارٍ : سَيْحُونَ ، وهُوَ نَهْرُ الْهِنْدِ ، وجَيْحونَ ، وهُوَ نَهْرُ بَلْخ ، وَدِجْلَةَ وَالفرات ، وهُما نَهْرا الْعِرَاقِ ، وَالنِّيلَ ، وَهُوَ نَهْرُ مِصْرَ ، أنْزَلَها اللهُ منْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ منْ عيون الْجَنَّةِ ، منْ أسْفَلِ دَرَجةٍ منْ دَرَجَاتِهَا عَلى جَناحي جِبْريلَ ، فاسْتَوْدَعها الجِبَالَ ، وأجْرَاها في الأرْضِ ، وجعل فيها مَنافِعَ للنَّاسِ ، منْ أصْنافِ مَعايشهمْ ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ . . . ﴾ الآية [المؤمنون : ١٨] فإذا كانَ عِنْدَ خُرُوجِ يَأجوجَ ومَأجُوجَ ، أرْسلَ جِبْريلَ ، فَرفَعَ منَ الأرْضِ القُرْآنَ ، وَالعِلْمَ كُلَّهُ ، وَالحَجَرَ الأسْوَدَ منْ رُكْنِ البَيْتِ ، ومَقَامَ إبْرَاهيمَ ، وتَابُوتَ مُوسى بمَا فيهِ ، وهَذِهِ الأنْهَارَ

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٣٥) وإسناده صحيح .
(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٦٦) وإسناده حسن .
(٣) رواه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) والبخاري رقم (٧٥١٧) وفيه : عنصرهما .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٨٩) ومسلم (٢٨٣٩) .

الْخَمْسَة ، فرفَعَ كلَّ ذَلِك إلى السَّماءِ ، فذَلِك قولُه : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨] ، فإذا رُفِعَتْ هَذِهِ الأشْياءُ منَ الأرْضِ ، فَقَدْ حُرِمَ أَهْلُها خيرَ الدُّنْيا والآخِرَةِ » . وهذا حديثٌ غَريبٌ جدّاً ، بلْ مُنْكرٌ ، ومَسْلَمَةُ بنُ عُلَيٍّ ضَعيفُ الْحَديث عِنْدَ الأئمَّةِ(١) .

وَقَدْ وَصَفَ اللهُ سُبْحانهُ عُيونَ الجَنَّةِ بِكَثْرَةِ الْجَريانِ ، وأنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاؤوا فَجَّرُوها ، أي اسْتَنْبَطُوها ، في أيِّ مكان شاؤوا ، وفي أيِّ المحلات أرادوا ، وفي أيِّ المساكن أحبُّوا ، نَبَعتْ لهُمُ العُيونُ بِفُنونِ المَشَارِبِ ، وَلذيذ المياهِ ، وَقَدْ قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : ما في الْجَنَّةِ عَيْنٌ إلَّا تَنْبُعُ من تَحْتِ جَبَلٍ [منْ مِسْكٍ] .

وروى الأعْمشُ عَنْ عَمْرِو بن مُرَّةَ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عن ابْنِ مَسْعُودٍ أنَّهُ قالَ : أنْهارُ الجَنَّةِ تَفَجَّرُ منْ جَبَلِ مِسْكٍ . وَقَدْ [جاءَ] هَذَا في حَديثٍ مَرْفُوعٍ ، رواهُ الحَاكمُ في « مُسْتَدْرَكِه » فقال : أنبأنا الأصمُّ ، أنبأنا الرَّبيع بنُ سُلَيْمانَ ، حدّثنا أسد بن موسى ، حدّثنا ابنُ ثَوْبانَ ، عنْ عَطاء بنِ قُرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ضَمْرَةَ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « منْ سَرَّهُ أنْ يَسْقِيَهُ اللهُ منَ الْخَمْرِ في الآخِرَةِ فَلْيَتْرُكْها في الدُّنيا ، ومنْ سَرَّهُ أنْ يَكْسُوَه اللهُ الحَريرَ في الآخِرَةِ فَلْيَتْرُكْهُ في الدُّنيا . أنهار الجنة تفجَّر من [تحت] تلال أو جبال المسك ، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية ، عدلت بحلية أهل الدنيا جميعاً ، لكان ما يحلِّيه الله تعالى به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعاً »(٢) .

فصل
في أشجار الجنة

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء : ٥٧] وقال تعالى : ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ [الرحمن : ٤٨] والأفْنانُ الأغْصانُ ، وقوله : ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٤] أي منْ كَثْرَةِ رِيِّهما ، واشْتِبَاكِ أشْجارِهما ، وقال تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] أي قَريبٌ منَ التَّناوُلِ [يتناولونه] وهُمْ على فُرُشهمْ كيف شاؤوا ، كما قال تعالى : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٤] وقال تعالى : ﴿ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة : ٢٧ ـ ٣٤] ،

(١) ابن عدي في « الكامل » (٦/٤٣١٦) والخطيب في « تاريخ بغداد » (١/٥٧ ـ ٥٨) .
(٢) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٩٢) عن الحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، و(٢٥٩٣) من حديث ابن مسعود موقوفاً ، وهو حديث حسن .

وقال تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] .

قال [أبو بكر] بن أبي الدُّنيا : حدّثنا عَبْدُ الله بنُ سَعيدٍ ، حدّثنا زِيَادُ بنُ الْحَسَنِ بن الفُرَاتِ القَزَّازُ ، عن أبيه ، عن جَدِّهِ ، عن أبي حَازِمٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما في الجَنَّةِ شَجَرة إلاَّ سَاقُها منْ ذَهَبٍ » . وكذا رواه الترمذيّ ، عن أبي سعيدٍ ، عبد الله بن سَعيدٍ الكِنْديّ الأشجّ ، وقال : حسن صحيح[1] .

وقال أبو بكرٍ بن أبي الدُّنْيا : حدّثني حَمزةُ بنُ العَبَّاسِ ، حدّثنا عَبْدُ الله بْنُ عُثْمانَ ، حدّثنا ابْنُ المُبَارَكِ ، حدّثنا سُفْيَان ، عنْ حَمَّاد ، عنْ سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قال : نَخْلُ الجَنَّةِ جُذُوعُها منْ زُمُرُّدٍ أخْضَرَ ، وكَرَبُها[2] ذَهَبٌ أحْمرُ ، وَسَعَفُها كُسْوة لأهْلِ الْجَنَّةِ ، مِنْها مُقَطَّعَاتُهُمْ[3] وحُلَلُهُمْ ، وَثَمَرُها أمْثَالُ القِلالِ وَالدِّلاءِ ، أشدُّ بَياضاً منَ اللَّبنِ ، وَأحْلَى منَ العَسَلِ ، وألْيَنُ منَ الزُّبْدِ ، لَيْسَ فِيهِ عَجَمٌ »[4] .

وقال ابن أبي الدُّنْيَا : حدّثني إبراهيمُ بنُ سَعيدٍ الْجَوْهريّ ، حدّثنا أبو عامر العَقَديّ[5] ، حدّثنا زَمْعةُ بنُ صَالحٍ ، عن سَلَمةَ بن وَهرام ، عن عِكْرِمَة ، عن ابنِ عَبَّاس ، قال : الظِّلُّ المَمدُودُ شَجَرةٌ في الْجَنَّةِ على سَاقٍ واحد ، قَدرُ ما يسيرُ الرَّاكِبُ المُجدُّ في ظِلِّها مِئة عامٍ ، في كلِّ نَوَاحيهَا ، قال : فَيَخْرُجُ إلَيْها أهلُ الجَنَّةِ [من أهلِ الغُرفِ ، وَغَيْرِهِمْ] فَيَتحدَّثونَ في ظِلِّها ، قال : فَيَشْتَهي بَعْضُهُمْ ، وَيَذْكُرُ لَهْوَ الدُّنْيا ، فَيُرْسلُ اللهُ تَعالى رِيحاً منَ الْجَنَّةِ ، فَتُحَرِّكُ تِلك الشَّجَرةَ بِكُلِّ لَهْوٍ كانَ في الدُّنْيا[6] .

وثبت في « الصحيحين » منْ رِوَايَةِ وُهَيْبٍ ، عَنْ أبي حَازمٍ ، عنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ في الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُها[7] » قال : فَحَدَّثْتُ به النُّعْمانَ بنَ أبي عَيَّاشٍ الزُّرَقيّ ، فقال : حدّثني أبو سَعيدٍ الخُدْريّ ، عن النبيِّ ﷺ :« إنَّ في الجَنَّةِ شَجرةً يَسيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادُ المُضَمَّرُ السَّريعُ مِئَةَ عامٍ ، لا يَقْطَعُها »[8] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٤٨) والترمذي (٢٥٢٤) وهو حديث حسن .
(٢) أي أصل سعف النخل .
(٣) أي القصار من الثياب .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٥١) .
(٥) في (آ) : الغفاري .
(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٤٥) وفي إسناده ضعف .
(٧) رواه البخاري رقم (٦٥٥٢) ومسلم (٢٨٢٧) .
(٨) رواه البخاري (٦٥٥٣) ومسلم (٢٨٢٨) .

وفي « صحيح البُخاريّ » من حديث سعيد بن أبي عَرُوبةَ ، عَنْ قَتادَةَ ، عنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ ، عنِ النَّبيّ ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة : ٣٠] قال : « [إن] في الجنَّةِ شَجَرةً يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مئة عام لا يقطعها »(١) .

وقال أحمد : حدّثنا سُرَيْجٌ ، حدّثنا فُلَيْحٌ ، عنْ هلال بن عَليٍّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمنِ بن أبي عَمْرة ، عنْ أبي هُرَيْرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ في الجَنَّةِ شَجَرةً يَسيرُ الرَّاكبُ في ظِلِّها مئة سنة لا يقطعها ، اقْرَؤوا إنْ شِئْتُمْ : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة : ٣٠] » قال رسولُ الله ﷺ : « لَقَابُ قَوْسِ أحدكم أو موضع سوطه في الجَنَّةِ ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغرُبُ » . ورواه البُخاريّ عَنْ محمّد بْنِ سِنانٍ ، عن فُلَيح(٢) .

ولمسلمٍ منْ طريقِ الأعْرج ، عن أبي هريرة ، عن النَّبيّ ﷺ ، قال : « إنّ في الجَنَّةِ شَجَرةً يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئةَ سَنةٍ لا يقطعها »(٣) .

طريق أخرى عن أبي هريرة

قال الإمام أحمد : حدّثنا مُوسى بنُ دَاود ، حدّثنا ابنُ لَهيعَةَ ، عن أبي يونُس ، سُلَيْم بنُ جُبَير ، عَنْ أبي هُرَيرة ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « إنَّ في الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسيرُ الرَّاكب الجَوَادُ في ظلِّها مِئةَ سَنَةٍ ، وَإنَّ وَرَقَها لَيُخَمِّرُ الجَنَّةَ »(٤) .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد : حدّثنا حَجَّاجٌ ، حدّثنا لَيْثُ بنُ سَعْدٍ ، حدّثنا سَعيدُ بنُ أبي سَعيدٍ المَقْبُرِيّ ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيرةَ ، عنْ رَسُولِ الله ﷺ ، قالَ : « إنَّ في الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسيرُ الرَّاكبُ في ظِلِّها مِئَةَ سَنَةٍ »(٥) .

طريق أخرى

وقال أحمد : حدّثنا عَبْدُ الرَّحمـنِ ، عَنْ حَمَّادٍ ، عَنْ محمّد بن زِيَادٍ : سَمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ قال :

---

(١) رواه البخاري (٣٢٥١) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٨٢) والبخاري (٣٢٥٢) و(٣٢٥٣) .
(٣) رواه مسلم (٢٨٢٦) (٧) والبخاري أيضاً (٤٨٨١) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٠٤) وهو حديث صحيح دون قوله « وإن ورقها ليخمِّر الجنة » فهي ضعيفة .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٥٢) وأخرجه مسلم (٢٨٢٦) (٦) من طريق الليث .

سَمِعْتُ أبَا القَاسِمِ ﷺ يَقُولُ : « في الجَنَّةِ شَجَرةٌ يَسيرُ الرَّاكبُ في ظِلِّها مِئَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا »(١) .

شجرة الخلد

قال الإمام أحمد : حدّثنا محمّدُ بنُ جَعْفرٍ ، وَحَجَّاجٌ ، قالا : حدّثنا شُعْبَة ، سَمِعْتُ أبَا الضَّحَّاكِ يُحَدِّثُ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ، عن النبيّ ﷺ أنَّهُ قال : « إنَّ في الْجَنَّةِ شَجَرةً يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها سَبْعينَ ، أوْ مِئَةَ سَنَةٍ ، هيَ شَجَرةُ الخُلْدِ »(٢) .

شجرة طوبى

قال الإمام أحمد : حدّثنا عَليُّ بنُ بَحْر ، حدّثنا هِشَامُ بنُ يُوسُفَ ، حدّثنا مَعْمرٌ ، عَنْ يَحْيَى بن أبي كَثيرٍ، عنْ عامِرِ بن زَيْدٍ البِكَاليِّ: أنَّهُ سَمِعَ عُتْبَةَ بن عَبْدٍ السُّلَميّ ، يَقُولُ : جَاءَ أعْرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ، فَسَأَلَهُ عنِ الْحَوْضِ ، وذَكَرَ الجَنَّةَ ، فقالَ الأعْرابيُّ : فيها فَاكِهَةٌ ؟ قال : « نَعَمْ ، وَفيهَا شَجَرةٌ تُدْعى طُوبى » فذَكَرَ شَيْئاً لا أدْرِي مَا هُوَ ؟ قال : أيَّ شَجَرِ أرْضِنا تُشْبِهُ ؟ قال : « لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئاً منْ شَجَرِ أرْضِكَ » ثم قال النَّبيُّ ﷺ : « أتَيْتَ الشَّام ؟ » قال : لا ، قال : « تُشْبِهُ شَجَرَةً بالشَّام تُدْعى الْجَوْزَةَ ، تَنْبتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِد ، وينفرش أعْلاهَا » قال : ما عِظَمُ أصْلِها ؟ قال : « لَوِ ارْتَحَلْتَ جَذَعةً منْ إبِلِ أهْلكَ ما أحَطْتَ بأصْلِهَا ، حتَّى تَنْكَسِر تَرْقُوتُها هَرَماً » قال : فِيهَا عِنَبٌ ؟ قال : « نَعَمْ » قال : فَما عِظَمُ العُنْقُودِ ؟ قال : « مَسيرةُ شَهرٍ للْغُرابِ الأبْقَع يطير ، ولا يَفْتُرُ » قال : فَمَا عِظَمُ الحَبَّةِ ؟ قال : « هَلْ ذَبَحَ أبُوكَ تَيْساً منْ غَنَمِه قَطُّ عَظيماً ؟ » قال : نَعَمْ ، قال : « فَسَلَخَ إهَابَهُ فأعْطَاهُ أُمَّكَ قال : اتّخِذي لَنا مِنْهُ دَلْواً ؟ » قالَ : نَعَمْ ، قال الأعْرَابيّ : فإنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ لَتُشْبِعُني وَأهْلَ بَيْتي ؟ قالَ : « نَعَمْ ، وعَامَّةَ عَشِيرتِكَ »(٣) .

وقالَ حَرْملةُ : عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ وَهَبٍ ، أخْبرَني عَمْرٌو : أنَّ دَرَّاجاً حَدَّثَهُ : أنَّ أبَا الهَيْثَم حَدَّثَهُ ، عَنْ أبي سَعيدٍ ، عن النَّبيِّ ﷺ : أنَّ رَجُلاً قالَ : يا رسولَ الله ، طُوبى لِمَنْ رَآكَ وآمَنَ بكَ ، قال : « طُوبى لِمَنْ رَآني وآمَنَ بي ، وطُوبَى ثمَّ طُوبى لِمَنْ آمنَ بي ولمْ يَرَني » قال رَجُلٌ : يا رسولَ اللهِ ، وما طُوبى ؟ قالَ : « شَجرةٌ في الجَنَّةِ مَسيرةُ مِئَةِ سَنةٍ ، ثِيابُ أهْلِ الجَنةِ تَخْرُجُ منْ أكْمامِهَا »(٤) .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٦٩) وإسناده صحيح .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٥٥) وإسناده ضعيف ، وله شواهد يقوى بها ، دون قوله : (شجرة الخلد) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٨٣ ـ ١٨٤) وهو حديث حسن .

(٤) ورواه أحمد في المسند (٣/ ٧١) من طريق دراج به ، وإسناده ضعيف ، ولكن جملة « طوبى لمن رآني وآمن بي ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » فهي صحيحة لها شواهد يقوى بها .

سدرة المنتهى

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٣-١٨] وذكَرْنا في « التَّفْسيرِ » أنَّهُ غَشِيها نورُ الرَّبِّ جَلَّ جلالُهُ ، وأنَّهُ غَشِيتها المَلائكةُ مِثْلَ الغِرْبانِ ، يَعْني كَثْرَةً ، وأنَّهُ غَشِيَها فَراشٌ منْ ذَهَبٍ ، وغَشيها ألْوانٌ مُتَعدِّدَةٌ ، كما قالَ رسولُ الله ﷺ : « فَغَشِيَها ألْوانٌ لا أدْري مَا هيَ؟ »[١] « مَا يَسْتَطِيعُ أحَدٌ أنْ يَنْعَتها »[٢] .

وفي « الصحيحين » عنه ﷺ أنَّهُ قال في حَديثِ المِعْرَاج : « ثمَّ رُفِعتْ لي سِدْرَةُ المُنْتهى في السَّماءِ السَّابعةِ ، فإذا نَبِقُها مِثْلُ قِلالِ هَجَر ، وورقُها مِثْلُ آذانِ الفِيَلَة ، وإذا يَخْرُجُ منْ سَاقِهَا نَهْرَانِ ظاهِرانِ ، وَنَهْرَانِ بَاطِنانِ ، فقلْتُ : يا جِبْريلُ : ما هَذَا ؟ فقال : أمَّا البَاطِنَانِ ، ففي الجَنَّةِ ، وأمَّا الظَّاهران فالنِّيلُ وَالفُرَاتُ »[٣] .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى : حدّثنا عَبْدُ الرَّحمنِ بنُ صَالِحٍ ، حدّثنا يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عنْ محمّدِ بنِ إسْحَاقَ ، عنْ يَحْيَى بنِ عَبَّاد بن عَبْدِ اللهِ بن الزُّبَيْرِ ، عن أبيهِ ، عن أسْماءَ بِنْتِ أبي بكْر ، قالتْ : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ وَذكَرَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهى ، فقال : « يَسيرُ في ظلّ الفَنَنِ مِنْها الرَّاكِبُ مئةَ سَنَةٍ ـ » أوْ قال : « يَسْتَظِلُّ في ظِلِّ الفَنَنِ منْهَا مِئَةُ رَاكبٍ ـ فيها فَرَاشُ الذَّهَبِ ، كأنَّ ثَمَرَهَا القِلَالُ »[٤] .

وقال أبو بكْر بنُ أبي الدُّنْيا : حدّثني حَمْزَةُ بنُ العَبَّاسِ ، حدّثنا عَبْدُ اللهِ بنُ عُثْمانَ ، حدّثنا عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ ، حدّثنا صَفْوَانُ بن عمرٍو ، عن سُلَيْمِ بنِ عامِرٍ ، قال : كانَ أصْحابُ رسولِ الله ﷺ يَقُولونَ : إنَّ الله تعالى ليَنْفَعُنا بالأعْرابِ ومَسَائِلِهم ، قال : أقْبَلَ أعْرابيٌّ يَوْماً ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، ذَكَرَ اللهُ تعالى أن في الجَنَّةِ شَجَرَةً مُؤْذيةً ، وما كُنْتُ أَرَى في الجَنَّةِ شَجَرةً تُؤذي صَاحِبَها ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « وما هِيَ » ؟ قالَ : السِّدْرُ ، فإنَّ لهُ شَوْكاً مُؤذِياً ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أَلَيْسَ اللهُ تعالى يقُولُ : ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ [الواقعة : ٢٨] ؟ خَضَدَ اللهُ شَوْكَهُ ، فجعل مَكانَ كلِّ شَوْكةٍ ثَمَرَةً ، فإنَّهَا لَتُنْبِتُ ثَمَراً تَفَتَّقُ الثَّمَرَةُ منْها عن اثْنَيْنِ وَسَبْعين لَوْناً ، ما فيهِ لونٌ يُشْبهُ الآخَرَ » .

وقد رُويَ هذا الْحَديثُ بِلَفْظٍ آخَرَ منْ وَجْهٍ آخَر ، فقال أبو بكْرِ بن أبي داود : حدثنا محمّدُ بنُ مُصَفّى ، حدّثنا محمّدُ بنُ المُبَارَكَ ، حدّثنا يَحْيَى بنُ حَمْزَةَ ، حدّثنا ثَوْرُ بن يَزِيدَ ، حدّثنا حَبيبُ بنُ عُبَيْدٍ ، عنْ عُتْبَةَ بن عَبْدٍ السُّلَميّ ، قال : كُنْتُ جَالساً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فجاء أعْرَابيّ فَقال :

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣) .
(٢) رواه مسلم (١٦٢) .
(٣) رواه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) .
(٤) وأخرجه الترمذي (٢٥٤١) من طريق ابن بكير به ، وإسناده ضعيف .

يا رسولَ الله ، أَسْمَعُكَ تَذْكُرُ شَجَرَةً في الْجَنَّةِ لا أَعْلَمُ شَجَرةً أَكْثَرَ شَوْكاً منْها ، يعني الطلح ، فَقالَ الرَّسُول ﷺ : « خُضِدَ شوكُه ، فجعل الله مكان كل شوكة منها ، ثَمرةً مِثْلَ خُصْوَةِ التَّيْسِ الْمَلْبُودِ ، فِيها سَبْعُونَ لَوْناً منَ الطَّعَامِ ، لا يُشْبِهُهُ لَوْنُ آخر »[١] المَلْبُودُ : الَّذي قدْ تَلَبَّدَ صُوفُهُ بَعْضُهُ على بَعْضٍ .

فصل

رَوَى التِّرْمَذِيّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قال : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَقيتُ إبْرَاهيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بي ، فقال : يا محمّد ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ منِّي السَّلامَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ الْماء ، وأَنَّها قِيعانٌ ، وأَنَّ غِرَاسَها سُبْحانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ ولا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبرُ » ثم قال : حسن غريب ، وفي الباب عن أبي أيوب[٢] .

وقد روى ابن ماجه عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه وهو يغرس غرساً ، فقال : « ألا أدلك على غِراسٍ خيرٍ من هذا ؟ سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، يُغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة »[٣] .

وروَى التِّرْمذيُّ عن جَابرٍ ، قال رسول الله ﷺ : « منْ قَالَ : سُبْحانَ اللهِ العَظِيم وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلةٌ في الجنة » ثمَّ قال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ[٤] .

فصل
في ثمار الجنة

قال الله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] وقال تعالى : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] وقال تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] أيْ قَريبٌ منَ المُتناوَلِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٤] وقال تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة : ٢٧ ـ ٣٣] أي لا تَنْقَطِعُ أبداً في زمنٍ مِنَ الأزْمَانِ ، بَلْ هِيَ مَوْجُودةٌ في كلِّ أوَانٍ وزمان . كما قال تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] أي لا يسقط ورق أشجارها ، أيْ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (١٠٩) وابن أبي داود في « البعث والنشور » رقم (٦٩) وهو حديث صحيح .
(٢) رواه الترمذي (٣٤٦٢) وهو حديث حسن .
(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٠٧) وهو حديث صحيح .
(٤) رواه الترمذي (٣٤٦٤) وهو حديث صحيح .

لَيسَت كالدُّنْيا الَّتي تأتي ثِمَارُها في بعض الأزمان دون بعض ، ويسقط أوراق أشجارها في بَعْضِ الفصول وتُفْقَدُ ثمارها في وَقْتٍ آخر ، وتَكْتَسي أشْجَارُها الأورَاقَ في وقت وتعرى في آخرَ ، بل الثمر والظل دائم مستمر ، سهل التناول ، قريب المجتنى ، كما قال ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ أيْ لا تمتنع ممَّنْ أرَادَها كَيف شاء ، ولَيْسَ دُونَها حِجَابٌ ، ولا مانِعٌ ، بلْ منْ أرادَها فَهيَ مَوْجُودةٌ سَهْلَةٌ ، قَريبةٌ حتَّى وَلَوْ كانَتِ الثَّمرَةُ في أعْلَى الشَّجَرَةِ ، فأرَادَها المؤمن ، تدلَّت إليه فأخَذَهَا وَاقْتَرَبَتْ إليْهِ ، وَتَذَلَّلَتْ لَدَيْهِ .

قال أبو إسحاق : عن البراء : ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا ﴾ [الإنسان : ١٤] أي : أُدْنيتْ حتَّى يَتناوَلَها المؤمن وَهو نائمٌ ، وقال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المرسلات : ٤١ ـ ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الدخان : ٥٥] .

وَقَدْ سَبَقَ فيما أوْرَدْناه منَ الأحَاديثِ أنَّ تُرْبَةَ الْجَنَّةِ مِسْكٌ وَزَعْفَران ، وأنَّ ما في الجنَّة شجرةٌ إلاَّ ساقُها منْ ذَهَبٍ ، فإذا كانت التُّرْبَةُ بهذه المثابة ، والأصُولُ الثابتة فيها من الذهب ، فما الظن بما يَتولَّدُ بينهما منَ الثمار الرَّائِقَةِ النَّضِيجَةِ الأنيقَةِ ، الَّتي ليس فيها عجَم ، ولَيْسَ في الدُّنيا منْها إلاَّ الأسْمَاءُ ، وإذا كانَ السِّدْرُ الَّذي في الدُّنيا وَهُوَ لا يُثْمرُ إلاَّ ثمرةً ضعيفَةً ، وَهِيَ النَّبَقُ ، وَفيهِ شَوْكٌ كثيرٌ ، وَالطَّلحُ الَّذي لا يُرادُ منْهُ إلا الظِّلّ في الدُّنيا ، يكونَانِ في الْجَنَّةِ في غَايَةِ كثْرَةِ الثِّمَارِ ، وَحُسْنها ، حتَّى إنَّ الثَّمرَةَ الواحِدةَ منْهَا تَتفتَّقُ عَنْ سَبْعينَ نَوْعاً منَ الطُّعومِ وَالألْوانِ التي لا يُشْبِهُ بَعْضُها بَعْضاً ، فمَا الظَّنُّ بِثمار الأشْجارِ الّتي تَكُونُ في الدُّنْيا حَسَنَةَ الثِّمَارِ طيبة الرائحة ، سهلة التناول ، كالتُّفَّاحِ ، والمِشمش ، والدُّرَّاقِن ، والنَّخْلِ ، والعِنَبِ ؟ وَغَيْرِ ذَلِك ، بل ما الظن بأنواعِ الرَّيَاحينِ ، والأزاهيرِ ؟ وبالجملَةِ فيها ما لا عَيْنٌ رَأتْ ، وَلا أُذُنٌ سمعَتْ ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ ، نسأل الله من فضله .

وفي « الصحيحين » منْ حَديثِ مَالكٍ ، عَنْ زَيْدِ بن أسْلَم ، عنْ عَطاء بن يَسارٍ ، عن ابن عَبَّاسٍ في حديثِ صَلاةِ الكُسُوفِ ، قالوا : يا رسولَ الله ، رَأيْناكَ تَناوَلْتَ شَيْئاً في مَقَامِكَ هَذا ، ثمَّ رَأيْناكَ تَكَعْكَعْتَ[١] ، فقال : « إني رَأيْتُ ـ » أوْ « أُريتُ ـ الْجَنَّةَ ، فَتناوَلْتُ منها عُنْقوداً ، ولو أخذتُه لأكَلْتمْ منْهُ ما بَقيتِ الدُّنْيا »[٢] .

وفي « المُسْنَدِ » مِنْ حَديثِ عَبْدِ الله بن مُحمّد بن عَقِيلٍ ، عن جابرٍ ، فقال : « إنَّهُ عُرِضَتْ عَليَّ

---

(١) أي تأخرت .

(٢) رواه مسلم (٩٠٧) والبخاري (١٠٥٢) .

الْجَنَّةُ وما فِيها مِنَ الزَّهْرَةِ وَالنُّضْرَةِ ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْها قِطْفاً منْ عِنَبٍ لآتِيَكُمْ بهِ ، فحيلَ بَيْني وَبَيْنهُ ، ولَوْ أَتيْتُكم بِهِ لأكلَ منْهُ مَنْ بينَ السَّماءِ والأرْضِ لا يَنْقُصُونَهُ » .

وفي « صحيح مسلم » منْ رِوَايةِ أبي الزُّبَيْر ، عن جَابرٍ شاهدٌ لِذلِك[١] .

وتقدَّمَ في « المَسْنَدِ » عنْ عُتْبَةَ بن عَبْدِ السُّلَميِّ : أَنَّ أَعْرَابيًّا سَأل رسولَ الله ﷺ عنِ الْجنَّةِ : هل فيهَا عِنَبٌ ؟ قال : « نَعَمْ » قال : فما عِظَمُ الْعُنْقودِ ؟ قال : « مَسيرةُ شَهرٍ لِلْغُرَابِ الأبْقعِ يطير ولا يَفْتُرُ »[٢] .

وقال [أبو القاسم] الطَّبرانيّ : حدّثنا مُعاذُ بنُ المُثنَّى ، حدّثنا عليّ بنُ المَدينيّ ، حدّثنا رَيحانُ بنُ سَعيدٍ ، عنْ عبَّادِ بنِ مَنْصُور ، عن أيُّوبَ ، عن أبي قِلابةَ ، عنْ أبي أسْماءَ ، عنْ ثَوْبانَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الرَّجُلَ إذا نزَعَ ثمرةً منَ الْجنَّةِ عَادَتْ مَكانَها أُخْرَى » . قال الحافظُ الضِّياءُ : عَبَّادٌ تكَلَّمَ فيهِ بَعْضُ العُلَماء[٣] .

وقال الطَّبرانيّ : حدّثنا عَبْدُ اللهِ بنُ أحْمَد بن حَنْبَلٍ ، حدّثنا عُقْبَةُ بن مُكْرَمٍ العَمِّيُّ ، حدّثنا رِبْعيُّ بنُ إبراهِيمَ بن عُلَيَّةَ ، حدّثنا عَوْفٌ ، عن قَسَامَةَ بنِ زُهَيْرٍ ، عنْ أبي مُوسى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَمَّا أَهْبَطَ اللهُ آدمَ منَ الْجنَّةِ عَلّمهُ صَنْعةَ كلِّ شَيْءٍ ، وزَوَّدَهُ منْ ثِمَارِ الجَنَّةِ ، فَثِمارُكُمْ هَذِهِ منْ ثِمارِ الْجَنَّةِ ، غَيرَ أنَّها تَغيَّرُ ، وتِلْكَ لا تَغيَّرُ »[٤] .

فصل

قال الله تعالى : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة : ٢٠ ـ ٢١] .

قال الحسنُ بنُ عَرَفةَ : حدّثنا خَلَفُ بنُ خليفةَ ، عن حُمَيْدٍ الأعْرَجِ ، عن عَبْدِ اللهِ بن الْحَارِثِ ، عن ابنِ مَسْعُودٍ ، قال : قال لي رسولُ اللهِ ﷺ : « إنّكَ لَتَنْظُرُ إلى الطَّيْرِ في الجنة فتَشْتَهيهِ فيخرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوِيّاً »[٥] .

وفي الترْمِذي وحَسَّنَهُ ، عنْ أنس قال : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عنِ الكَوثرِ ، فقالَ : « نَهْرٌ أعْطَانيهِ رَبِّي عزَّ وجلَّ، مَاؤُهُ أشدُّ بَيَاضاً منَ اللّبنِ، وأحْلَى منَ الْعَسَلِ، فِيهِ طَيْرٌ أعْنَاقُها كأعْناقِ الجُزُرِ »[٦] وقد تقدَّم.
وفي « تَفْسير الثَّعْلبيّ » عنْ أبي الدَّرْدَاء مَرْفُوعاً : « إنّ في الجَنَّةِ طيْراً كأعْناقِ البُخْتِ ، تَصْطَفُّ بينَ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) ولبعضه شاهد عند مسلم رقم (٩٠٤) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٨٣ و١٨٤) وهو حديث حسن .
(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٤٤٩) .
(٤) وهو حديث حسن .
(٥) أخرجه الحسن بن عرفة في « جزئه » (٢٢) وإسناده ضعيف .
(٦) رواه الترمذي رقم (٢٥٤٢) وهو حديث حسن .

يَدِ وَليِّ اللهِ ، فيقُولُ أحدها : يا وَلِيَّ اللهِ رَعَيْتُ في مُرُوجٍ تَحْتَ الْعَرْشِ ، وَشَرِبْتُ منْ عُيُونِ التسنيم ، فَكُلْ منِّي ، فلا يزَالُ يَفْتخرُ بَيْنَ يَدَيْهِ حتَّى يَخْطِرَ على قَلْبِهِ أكْلُ أحدها ، فَتَخِرُّ بينَ يَدَيْهِ ، على أَلْوانٍ مُخْتلفةٍ ، فيأكُلُ مِنْها ما أرَادَ ، فإذا شَبعَ منها ، تجتمع عِظامُ ذلك الطَّائرِ الذي أكله ، ثم يطير يَرْعَى في الجنَّةِ حَيْثُ شَاء » فقالَ عُمرُ : يا نبيَّ اللهِ ، إنّها لَنَاعِمَةٌ ، فقالَ : « آكلها أنْعَمُ منْها » . غريبٌ من روايةِ أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه ، والله أعلم .

ذِكْر طعام أهل الجنة ، وأكلهم فيها وشربهم
نسأل الله من فضله

قال تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ٦٢] وقال تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] وقال تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة : ٢٠ ـ ٢١] وقال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تشتهي[1] الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف : ٧١] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان : ٥ ـ ٦] وقال تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٥ ـ ١٦] أيْ هي في صَفاء الزُّجَاج ، وهيَ منَ فِضَّةٍ ، وهذا ما لا نَظيرَ لهُ في الدُّنيا ، وهيَ مُقدَّرة على قَدْرِ كفَايةِ وليِّ اللهِ [في مَشْربهِ] ، لا تزيد ولا تنقُصُ ، وهَذا يَدُلُّ على الاعتِناء والشَّرَفِ ، وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] أي كُلَّما جاءَهمُ الخدمُ بِشَيْءٍ من ثمر الجنة وغَيْره ظَنُّوهُ الَّذي أُتُوا بهِ قبْل ذلك ، لمشابَهتِهِ لهُ في الظَّاهرِ ، وهو في الْحقيقةِ خِلافُه ، فتشابهت الأشْكالُ ، واخْتلفتِ الْحقائقُ ، والطُّعُوم والرَّوائحُ .

قال الإمامُ أحمد : حدّثنا حسنٌ ، حدّثنا سُكَيْنُ[2] بنُ عبد العزيز ، حدّثنا الأشعَثُ الضريرُ ، عَنْ شَهْر بنِ حَوْشَبٍ ، عنْ أبي هريرة قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أدْنَى أهْل الجنَّةِ مَنْزلةً ، إنَّ لهُ لَسَبْعَ دَرَجاتٍ وهُوَ على السَّادسَة ، وفوْقَه السَّابعَةُ ، وإنَّ لهُ لثَلثمئةِ خادمٍ ، ويُغدَى عَلَيْهِ ويُراحُ كلَّ يَوْم بثَلثمئةِ صَحْفَةٍ » ولا أعلمهُ إلاّ قال : « منْ ذهَب ، في كلِّ صَحْفةٍ لَوْنٌ ليس في الأُخْرَى ، وإنَّه لَيَلذُّ أوَّلَهُ كما يلذُّ آخرَهُ ، ومن الأشربة ثلاثمئة إناءٍ ، في كل إناءٍ لون ليس في الآخر ، وإنه ليلذُّ أوله كما [يلذُّ] آخره ،

(١) كذا قرأها ما سوى نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر .
(٢) في (آ) : مسكين ، وهو خطأ .

وإنَّهُ ليقُولُ : يا رَبِّ ، لوْ أذِنْتَ لي لأطعمتُ أهْلَ الجنَّةِ ، وَسَقيْتُهمْ لَمْ يَنقُصْ ممَّا عندي شيئاً ، وإنَّ لهُ منَ الْحُورِ الْعين لاثْنَتين وَسَبْعينَ [زَوْجَةً] سِوَى أزْواجِهِ منَ الدُّنيا ، وإنَّ الْوَاحدَة منْهُنَّ ليأخُذُ مَقعَدُها قَدْرَ ميلٍ منَ الأرْضِ ». تفرّد به أحمد، وهو غريب، وفيه انقطاع[١]؛ وله شاهد عن عبادة بن الصامت :

قال الإمام أحمد : ثنا يَعْمر بن بشر ، ثنا عبد الله بن المبارك ، ثنا رشدين[٢] بن سعد ، حدثني أبو هانئ الخَوْلاني ، عن عمرو بن مالك الجَنْبي ، أن فضالة بن عُبَيد ، وعبادةَ بن الصامت ، حدَّثاه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة ، وفرَغ عز وجل من القضاء بين الخلق ، فيبقى رجلان ، فيأمر الله بهما إلى النار ، فيلتفت أحدُهما ، فيقول الجبَّار تعالى : ردُّوه ، فيردُّونه فيقول : لِمَ التفتَّ ، فقال : كنت أرجو أن تدخلني الجنة » قال : « فيؤمر به إلى الجنة ، فيقول : لقد أعطاني الله عز وجل ، حتى لو أطعمتُ أهل الجنة ، ما نقص ذلك مما عندي شيئاً » قال : فكان رسول الله ﷺ يُرى السُّرور في وجهه . تفرَّد به أحمد[٣] .

قال الإمامُ أحمدُ : حدّثنا أبو مُعاويةَ ، حدّثنا الأعْمشُ ، عنْ ثُمامَةَ بنِ عُقْبة ، عن زيد بن أرقمَ ، قال : أتى النَّبيَّ ﷺ رَجُلٌ من اليهودِ ، فقال : يا أبا القاسم ، ألسْتَ تزعمُ أنَّ أهلَ الجنةِ يَأكلُونَ فيها ، ويشربُونَ ؟ قال اليهوديُّ لأصحابه : إنْ أقَرَّ لي بهذا خَصَمْتُه ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : « بلَى والذِي نَفْسي بيَدِهِ ، إنّ أحَدَهُمْ ليُعْطى قُوَّةَ مِئة رَجُلٍ في المطعم والمشربِ ، والشَّهْوَة والجماع » قال : فقال اليهوديُّ : فإنَّ الذي يَأكُل ، ويَشْرَبُ ، تكونُ لهُ الحاجةُ ، قال : فقال النبيُّ ﷺ : « حاجةُ أحَدِهمْ عَرَقٌ ، يَفيضُ منْ جُلُودِهمْ مِثْل رِيح المسكِ ، فإذا البطنُ [قدْ] ضَمُرَ » ثم رواه أحمد ، عنْ وكيعٍ ، عن الأعمشِ ، [عنْ] ثُمامةَ : سَمِعْتُ زيدَ بن أرقمَ . . . فذكره .

وقد رواه النسائيُّ عنْ عليِّ بن حُجْرٍ ، عنْ عليّ بن مُسهرٍ ، عنِ الأعمش ، به ، ورواه أبو جعفر الرازي عن الأعمش . . . فذكره ، [وعنده] : قال اليهوديُّ : فإنَّ الذي يَأكلُ ويشْرَبُ تكونُ لهُ الحاجةُ ، وَليسْ في الْجنَّةِ أذى ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : « تكونُ حاجةُ أحدهمْ رَشْحاً يَفيضُ منْ جُلودهمْ كَرَشْح المسكِ ، فيضمُر بَطْنهُ » .

قال الحافظُ الضِّياء : وهَذَا عِنْدي على شرط مُسلم ، لأنَّ ثُمامة ثِقَةٌ ، وقدْ صَرَّحَ بسَماعهِ منْ زَيدِ بن أرْقَمَ[٤] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٣٧) .
(٢) في الفاسية : راشد .
(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) وفي إسناده رشدين بن سعد ، وهو ضعيف .
(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٦٧) و(٣٧١) والنسائي في الكبرى ((١١٤٧٨)) أقول : ثمامة ، ليس من رجال مسلم ، وفيه عنعنة الأعمش ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

حديث آخر في ذلك عن جابر

قال الإمام أحمد : حدّثنا أبُو مُعاويةَ ، حدّثنا الأعمش ، عنْ أبي سُفيَانَ ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أهْل الجنَّةِ يأكلونَ فيه ويَشْربُونَ ولا يتغوَّطُون ، ولا يَبُولونَ ، ولا يتمخَّطونَ ، ولايَبْزُقُون ، طعامُهم جُشاءٌ ورَشْحٌ كرَشْح المسْكِ » .

وقد رواه مسلم منْ حديث أبي سُفيانَ طلحةَ بن نافع ، عنْ جابرٍ . . . فذكرهُ : قالُوا : فما بَالُ الطعام ؟ قالَ : « جُشاءٌ ورَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ ، يُلْهَمُونَ التسْبيحَ والتحميد » . وكذا أخرجهُ منْ حدِيث ابْنِ جُرَيْجٍ ، عن أبي الزُّبَيْرِ ، عنْ جابرٍ . . . فذكَره ، وقال : « طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشاء كريح[1] المسْكِ ، ويُلْهَمُونَ التسبيحَ ، والتَّكبِيرَ ، كما يُلْهمُونَ النَّفَسَ »[2] .

طريق ثالثة عن جابر رضي الله عنه

قال أحمد : حدّثنا الْحَكَمُ بنُ نَافِع ، حدّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عنْ[3] صفْوانَ بن عَمْرو ، عنْ ماعِزٍ التَّميمي ، عنْ جابرِ بنِ عبْدِ الله ، قالَ : سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ : أيأكلُ أهْلُ الْجَنَّةِ ؟ قالَ : « نعمْ ، وَيَشْرَبُونَ ، ولا يَبُولُونَ فيها ، ولا يتغوَّطُونَ ، ولا يتَنَخَّمُون ، إنما يكونُ ذلكَ جُشاءً ورَشحاً ، كرَشحِ المِسْكِ ، ويُلْهَمُونَ التَّسْبيحَ وَالتَّحْميدَ كما تُلْهمون النَّفَس »[4] .

طريق رابعة عن جابر رضي الله عنه

قالَ الْحَافظ أبو بَكْرٍ البزّار في « مُسْنَدِه » : حدّثنا القَاسمُ بنُ مُحمَّدِ بنِ يَحْيَى المروزي ، حدّثنا عَبْدُ الله بنُ عُثْمانَ بنِ جَبلةَ ، وهُوَ يُعْرفُ بِعَبْدان ، حدّثنا أبو حَمْزةَ السُّكّريّ[5] ، عنِ الأعْمَشِ ، عنْ أبي صَالِحٍ ، عنْ جابر [بنِ عَبْدِ الله] ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أهْلَ الْجَنَّةِ لَيَأكلُونَ ويَشْرَبُونَ ، ولا يتغوَّطُونَ ولا يمتخطون ، يُلْهمُون التَّسبيحَ والحمْدَ ، كما يُلْهمونَ النَّفَسَ ، يكُونُ طَعامُهُمْ وَشَرَابُهُمْ

(١) في مسلم : كرشح .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/٣١٦) ومسلم رقم (٢٨٣٥) (١٨) و(٢٠) .

(٣) هذه الزيادة مقحمة ، ليست في المسند ، وهي في مسند الشاميين للطبراني من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن إسماعيل بن عياش .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٥٤) وليس في سنده ابن عياش ، وإسناده ضعيف لجهالة ماعز التميمي ، ولكن للحديث شواهد وطرق يقوى بها .

(٥) في (آ) : اليشكري ، وهو خطأ .

جُشاءً كَرشْح الْمِسْكِ » قال البزّارُ : وَيُروى هَذَا عنِ الأعْمشِ ، عن أبي سُفْيَانَ ، ولمْ يصحّ سَمَاعُه منْهُ ، وسَمَاعُه من أبي صَالِح صحيحٌ .

أحاديث أُخر شتى

قال الحَسَنُ بنُ عَرَفةَ : حدّثنا خَلَفُ بنُ خليفَةَ ، عن حُمَيْدٍ الأعْرَج ، عن عبد الله بن الحارث ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « إنَّكَ لَتَنْظُر إلى الطَّيرِ فَتَشْتَهيه ، فَيَخِرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوياً »[١] .

وقال [الإمام أحمد] : حدّثنا عَبْدُ الْمَلك بنُ عَمْرو ، عَنْ فُلَيْحٍ ، عنْ هِلال بْنِ عَليّ ، عنْ عَطاء بن يَسَار ، عنْ أبي هُرَيْرَةَ : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قال يوماً وَهُوَ يُحَدِّثُ وعِنْدَهُ رَجُلٌ منْ أهْلِ البادية : « إن رجلاً من أهل الجَنَّةِ اسْتَأذَنَ رَبَّهُ عزَّ وجلَّ في الزَّرْع ، فقالَ له رَبُّه سبحانه : ألَسْتَ فيما شِئْتَ ؟ قال : بَلَى ، ولكني أحبُّ أنْ أزرعَ » قال : « فبَذَر ، فبَادَرَ الطَّرْفَ نَباتُه ، وَاسْتوَاؤهُ ، واستِحْصَادُهُ ، فكَانَ أمْثَالَ الْجبَالِ » قال : « فيَقُولُ [لَهُ] رَبُّهُ عزَّ وجلَّ : دُونكَ يا ابْنَ آدَمَ ، فإنَّهُ لا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ » قال : فقالَ الأعْرابي : واللهِ ما تَجِدُ هذا إلا قُرَشِيًّا أوْ أنْصاريًّا ، فإنَّهُمْ أصْحابُ زَرْعٍ ، فأمّا نَحْنُ فَلَسْنا بِأصحابِ زرع . قال : فَضَحِكَ رسولُ الله ﷺ . ورواه البُخاريّ منْ حديث أبي عَامِرٍ العَقَديّ عبدِ الملكِ بن عَمْرٍو ، بهِ[٢] .

ذكر أول طعام يأكله أهل الجنة بعد دخولهم الجنة

رَوَى الإمام أحمدُ عن إسماعِيلَ بن عُلَيَّةَ ، عنْ حُمَيْدٍ ، وأخْرَجهُ البُخاريُّ منْ حَديثِه ، عنْ أنَسٍ : أنَّ عَبْد اللهِ بنَ سَلام سَألَ رسول الله ﷺ لمَّا قَدِمَ الْمَدينَةَ عن أشياء ، منها : وما أوَّلُ طَعام يَأكُلُهُ أهْلُ الْجنَّةِ ؟ فقال : « زيَادةُ كَبِد حُوتٍ »[٣] .

وفي « صَحيح مُسْلِم » منْ رِوَايةِ أبي أسمَاءَ ، عَنْ ثَوْبانَ : أنَّ يَهُودِيًّا سَألَ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : فَمَا تُحْفَتُهُمْ حينَ يدخُلُونَ الْجنَّةَ ؟ قالَ : « زيَادَةُ كبِدِ الْحُوتِ » قالَ : فمَا غِذَاؤُهُمْ على إثْرِها ؟ قال : « يُنْحَر لَهُمْ ثَوْرُ الْجنَّةِ الذي يَأكلُ منْ أطْرَافِها » قال : فما شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ ؟ قالَ : « منْ عَيْن ﴿ تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ قال : صَدَقْتَ[٤] .

---

(١) رواه الحسن بن عرفة في « جزئه » رقم (٢٢) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥١١) والبخاري (٢٣٤٨) .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٨٩) والبخاري (٣٣٢٩) .
(٤) رواه مسلم رقم (٣١٥) .

وفي « الصَّحيحينِ » ، منْ حَديث عَطاء بنِ يَسَارٍ ، عنْ أبي سَعيدٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تَكونُ الأرْضُ يَوْمَ القِيَامةِ خُبزةً واحِدَةً ، يَتكفؤُها [الْجَبَّارُ] بيدِهِ ، كما يَتكَفَّأُ أحَدُكُمْ خُبزَتَهُ في السَّفَرِ ، نُزلاً لأهْلِ الْجَنَّةِ » فأتى رَجُلٌ منَ اليَهُودِ فقالَ : بَارَكَ الرَّحْمنُ عَلَيْكَ يا أبا القَاسم ، ألا أُخْبرِكَ بنزُلِ أهْلِ الْجَنَّةِ يومَ القيَامةِ ؟ قالَ : « بلى » قالَ : تكُونُ الأرْضُ خُبزةً واحدَةً يَومَ القِيَامةِ ، ثمَّ قالَ : ألا أُخْبرُكَ بإدَامهِمْ ؟ قالَ : « بَلى » قالَ : إدَامُهُمْ بالامُ ، ونُونٌ ، قالَ : « ومَا هَذَا ؟ » قالَ : ثَوْرٌ ونُون ، يَأكلُ منْ زَائدةِ كَبِدِهِما سَبْعُونَ ألفاً[1] .

وقال الأعمشُ ، عنْ عَبْد اللهِ بن مُرّة ، عن مَسْرُوقٍ ، عنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، في قوله تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾ [المطففين : ٢٥ ـ ٢٦] ، قال : الرَّحيقُ : الْخَمْرُ ، ﴿ مَّخْتُومٍ ﴾ يَجِدُونَ عَاقبتَها رِيحَ المِسْكِ[2] .

وقال سُفْيَانُ ، عنْ عَطاء بنِ السَّائب ، عن سَعيدِ بن جُبَيْرٍ ، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في قوله ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ [المطففين : ٢٧] قال : التسنيم : أشْرَفُ شَرَابِ أهْلِ الْجَنَّةِ ، يَشْرَبُهُ الْمُقَرَّبُونَ صِرْفاً ، ويُمْزَجُ منه لأصحاب اليمين .

قلت : وقدْ وصَفَ اللهُ خَمْر الْجَنَّةِ بصفاتٍ جَميلةٍ حَسَنةٍ لَيْسَتْ في خُمُور الدُّنيا القَذِرة ، فذَكَر أنَّها أنْهارٌ جَاريةٌ كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد : ١٥] فهي أنْهارٌ جَاريَةٌ مُسْتَمدَّةٌ منْ عُيُونٍ تَنْبُعُ منْ تَحتِ جبال المِسْكِ ، ولَيْسَتْ مُعْتَصرةً بأرْجل الرِّجَالِ الأراذِل في أسْوَأ الأحْوالِ ، وَذَكرَ أنَّها لَذّةٌ لِلشَّاربينَ ، وليست كخَمْر الدُّنْيَا منْ كراهَةِ الطَّعم ، وَسُوء الفِعْلِ في العَقْلِ ، ومَغْصِ البَطْنِ ، وَصُداعِ الرَّأسِ ، فقَدْ نزَّه الله تعالى أهل الجَنَّةِ عنْ ذلِكَ كُلِّهِ ، ونزَّه خمرها أن يكون فيه شيء من ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات : ٤٥ ـ ٤٧] ﴿ بَيْضَآءَ ﴾ أيْ حَسَنةِ الْمَنْظَر ﴿ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ ، طَيِّبة الطَّعْم ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ والغَوْل وَجعُ البَطْنِ ، ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ أي لا تُذْهِبُ عُقُولَهُمْ ، وذَلِكَ أنَّ الْمَقْصُودَ منَ الخَمْر إنّما هُوَ اللّذّةُ المُطْرِبةُ ، وَهيَ الْحالةُ المُبْهجةُ الّتي يَحْصُل بهَا سرُورُ النَّفْسِ ، وهَذَا حَاصلٌ في خَمر الجَنَّةِ ، فأمَّا ذَهابُ العَقْلِ بحَيْثُ يَبْقى شَاربُهَا كالحَيْوانِ والمجنون ، فهَذا نَقْصٌ ، إنّمَا يَنْشأُ عنْ خَمْرِ الدُّنْيا ، فأمَّا خَمْرُ الْجَنّةِ ، فَلا تُحْدِثُ لشاربها شيئاً من هذا وإنّمَا تُحدث السُّرُور وَالابْتِهاج ، ولهذا قال تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ أيْ تُنْزَفُ عُقُولهُمْ ، فتَذْهَبُ بالكُلّيةِ بسبب شُرْبها .

وقال في الآية الأخرى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٢٠) ومسلم رقم (٢٧٩٢) .

(٢) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٣٦١) .

يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة : ١٧ - ١٩] أيْ لا تُورِثُ لهُمْ صُداعاً في رؤوسهم ، ولا تُنْزِفُ عُقُولَهُمْ .

[وقال في الآية الأخرى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ٢٥ - ٢٨]] .

وَقَدْ ذَكَرْنا في « التَّفْسِيرِ » عن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ : إنَّ الْجَماعَةَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيَجْتَمعُونَ على شَرَابِهِمْ كما يَجْتَمِعُ أَهْلُ الدُّنْيا ، فتَمرُّ بهم السَّحابةُ ، فتقول : ما تريدون أن أُمطركم ، فلا يَشاؤونَ شَيْئاً إلاّ أمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ ، حتَّى إنَّ مِنْهُمْ منْ يَقُولُ : أمْطِرينا كَواعِبَ أتْراباً ، فتُمْطِرُهُمْ كَوَاعِبَ أتْرَاباً(١) .

وتقدَّمَ أنَّهُمْ يَجْتَمعُونَ عِنْدَ شَجَرَةِ طُوبى ، فيَذْكُرُونَ لَهْوَ الدُّنْيا ، [وهُوَ الطَّرَبُ] ، فيَبْعَثُ اللهُ ريحاً منَ الجَنَّةِ فتُحَرِّكُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بكلِّ لَهْوٍ كانَ في الدُّنْيا .

وفي بَعْضِ الآثَارِ : إنَّ الْجَماعةَ منْ أهْلِ الْجَنَّةِ لَيَجْتَازُونَ وهُمْ رُكْبانٌ [سائرون] صفّاً واحداً ، فلا يمرُّون بشجرة من أشجار الجنة ، إلا تنحَّت عن طريقهم [لئلا تثلم صفهم وتُفرِّقَ بَيْنَهُمْ] ، وتتحفهم من ثمرها ، وهَذا كُلُّهُ منْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وَرَحْمَتِهِ بهِمْ ، فلَهُ الْحَمْدُ والمِنَّةُ ، وذلك قوله : ﴿ رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] .

والأكْوابُ هيَ الكِيزانُ الَّتي لا عُرَى لها ولا خَرَاطيمَ ، والأباريقُ [بخلافِها] لها عُرى وخراطيم ، والكأسُ هُوَ الْقَدَحُ فيهِ الشَّرابُ ، وقال الله تعالى : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ [النبأ : ٣٤] أيْ ملأى مُتْرَعةً ، لَيْسَ فيها نَقْصٌ ، ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴾ [النبأ : ٣٥] أيْ لا يَصْدُرُ منْهُمْ على شَرَابهِمْ شَيْءٌ منَ اللَّغْوِ ، وهُوَ الكلامُ السَّاقطُ التَّافِهُ ، ولا تكْذيبُ لِبَعْضِهِمْ بَعْضاً ، كما يَصْدُرُ منْ شَرَبةِ الدُّنيا ، كما قال تعالى : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ [مريم : ٦٢] وقال : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ [الواقعة : ٢٥ - ٢٦] ، وقال : ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴾ [الغاشية : ١١] .

وثبت في « الصَّحيحين » عن حُذَيْفةَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تَشربُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، ولا تَأكُلُوا في صِحَافها ، فإنّها لهم في الدُّنْيا ولكم في الآخرة »(٢) .

ذِكْر لباس أهل الجنة فيها وحِلْيتهم وصفات ثيابهم
نسأل الله من فضله

قال الله تعالى : ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝ إِنَّ هَٰذَا كَانَ

(١) ذكره المؤلف في سورة النبأ عند قوله تعالى : ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ [النبأ : ٣٣] عن أبي أمامة ، لا عن ابن مسعود .
(٢) رواه البخاري رقم (٥٤٢٦) ومسلم (٢٠٦٧) .

لَكُمْ جَزَآءً ﴾ [الإنسان : ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر : ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٣٠ ـ ٣١] .

وَقَدْ ثَبتَ في « الصَّحيحين » عنْ رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قال : « تَبلُغُ الْحِليَةُ منَ الْمُؤمنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضوءُ »(١) .

وقال الحسَنُ البَصْريُّ : الْحُلِيُّ في الْجَنَّةِ على الرِّجالِ أحْسنُ منْهُ على النِّساءِ .

وقال ابنُ وَهْبٍ : حدَّثني ابْنُ لَهيعَةَ ، عنْ عُقَيلِ بنِ خَالِدٍ ، عن الحَسَنِ ، عن أبي هُرَيرةَ : أَنَّ أَبَا أُمامَةَ حَدَّثَهُ : أَنَّ رسولَ الله ﷺ حَدَّثَهُمْ ، وَذَكَرَ حَلْيَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، قالَ : « مُسَوَّرُونَ بالذهبِ والفِضَّةِ ، مُكَلَّلُونَ بالدُّرِّ ، عَلَيْهِمْ أكاليلُ منْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ مُتَواصِلَةٌ ، وَعَلَيْهِمْ تاجٌ كَتاجِ الْمُلُوكِ ، شَبَابٌ جُرْدٌ مُكَحَّلُونَ »(٢) .

وقال ابنُ أبي الدُّنْيا : حدّثنا أحمدُ بنُ مَنيعٍ ، حدّثنا الْحسنُ بنُ مُوسى ، [حدّثنا ابن لهيعة] ، حدّثنا يزيدُ بنُ أبي حَبيبٍ ، عن دَاوُدَ بنِ عَامِرِ بن سَعْدِ بن أبي وقّاصٍ ، عن أبيهِ ، عن جَدِّهِ ، عنِ النبيِّ ﷺ قال : « لَوْ أَنَّ رَجُلاً منْ أهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فبدَا سِوَارُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ ، كما تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ »(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يَحيَى بنُ إسْحاقَ ، أنبأنا حَمَّادُ بنُ سَلمَةَ ، عنْ ثابتٍ ، عنْ أبي رَافِعٍ ، عنْ أبي هُرَيرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « منْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمْ ، لا يَبْأسُ ، ولا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، ولا يَفْنَى شَبَابُه ، في الْجَنَّةِ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ » . وأخرجهُ مُسْلِمٌ منْ حديثِ زُهَيرِ بن حَرْبٍ ، عن عَبْدِ الرَّحمنِ بن مَهْديّ ، عن حَمَّادِ بن سَلَمة ، إلى قوله : « لا تَبْلَى ثِيابُه ، ولا يَفْنى شَبَابُه »(٤) .

وقال أحمد : حدّثنا عليّ بنُ عَبْدِ الله ، حدّثنا مُعاذُ بن هِشَامٍ ، حدّثنا أبي ، عن قَتَادَةَ ، عن

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٠) وليس عند البخاري .

(٢) رواه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٢٦٧) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٢٥) وأخرجه أحمد في المسند (١/ ١٧١) والترمذي رقم (٢٥٣٨) من طريق ابن المبارك عن ابن لهيعة به ، وهو حديث حسن .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٩) ، ومسلم رقم (٢٨٣٦) .

خِلَاسٍ ، عن أبي رَافِعٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ : أَنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ قال : « لِلْمُؤْمِنِ زَوْجتانِ ، يُرَى مُخّ سُوقهمَا منْ وَرَاء ثيابهما »(١) .

وقال الطبرانيّ : حدّثنا أحمدُ بنُ عَليّ(٢) ، والْحَسنُ بنُ عَليّ الفَسَوِي ، قالا : حدّثنا سَعيدُ بنُ سُليمانَ ، حدّثنا فُضَيْلُ بنُ مَرْزُوقٍ ، عن أبي إسْحاقَ ، عن عَمْرو بن مَيْمُونٍ ، عن عَبْدِ الله ، عن النبيِّ ﷺ قال : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ كأن وُجُوهَهُمْ ضَوْءُ القَمَر لَيْلَةَ البَدْرِ ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانيةُ على لَوْنِ أحْسَنِ كَوْكَب دُرِّيٍّ في السَّمَاء ، لِكُلِّ وَاحِد منْهُمْ زَوْجَتانِ منَ الْحُورِ الْعينِ ، على كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً ، يُرى مُخّ سوقِهما منْ وَراءِ لُحُومِهما وحُلَلِهما ، كما يُرَى الشَّرَابُ الأحْمَرُ في الزُّجَاجةِ الْبَيْضاء » . قال الضياء : هَذا عِنْدي على شَرْطِ الصَّحيح(٣) .

وقال أحمدُ : حدّثنا يُونسُ بنُ محمَّدٍ ، حدّثنا الْخَزْرجُ بنُ عُثْمانَ السَّعْديّ ، حدّثنا أبو أيُّوبَ مَوْلَى لِعُثْمان بنِ عَفَّانَ ، عن أبي هُرَيرةَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « قِيد سَوْطِ أحدِكُمْ منَ الْجَنّةِ خَيْرٌ منَ الدُّنْيَا ، ومِثْلِهَا مَعَها ، وَلَقَابُ قَوْسِ أحدِكم منَ الجَنّةِ خيْرٌ منَ الدُّنيا وَمِثْلِها مَعَها ، وَلَنصيفُ امْرأةٍ منَ الْجَنَّةِ خيرٌ منَ الدُّنيا ومِثْلِها مَعَها » قال : قُلْتُ : يا أبا هُرَيْرَةَ ، وما النَّصيفُ ؟ قال : الخِمَارُ . قُلْتُ : الخَزْرَجُ بنُ عُثْمان البَصْريُّ تَكلَّموا فيهِ ، وَلكِن لهُ شاهدٌ في الصَّحيح ، كما تقدَّمَ في « صحيح البخاريّ » عنْ أنَسٍ ، عنِ النبيِّ ﷺ ، وَفيهِ : « وَلَنصيفُهَا » يَعْني خِمَارهَا « خَيْرٌ منَ الدُّنْيَا ومَا فيها »(٤) .

وقال حَرْملةُ ، عنِ ابْنِ وَهْبٍ : حدّثنا عَمْرٌو : أنَّ دَرَّاجاً أبَا السَّمْحِ حدَّثَهُ ، عن أبي الْهَيْثمِ ، عن أبي سَعيدٍ الْخُدْريّ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الرَّجُلَ في الْجَنَّةِ لَيَتَّكِئ سبْعينَ سنةً قبْلَ أنْ يَتحَوَّلَ ، ثمَّ تَأتيهِ امْرأةٌ فَتَضْرِبُ على مَنْكِبَيْهِ ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ في خَدِّها أصْفَى منَ المِرآةِ ، وإنَّ أدْنَى لُؤْلُؤةٍ عَلَيْها لَتُضيءُ ما بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيَرُدُّ عليها السّلامَ وَيَسألُها : منْ أنْتِ ؟ فتقُولُ : أنا المَزيدُ ، وإنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْها سَبْعُونَ ثَوْباً أدْناهَا مِثْلُ النُّعْمان(٥) مِنْ طُوبَى ، فَيُنْفِذُهَا بَصَرهُ حتّى يَرَى مُخّ ساقِها منْ وَرَاءِ ذَلِك ، وإن عَلَيْهم التِّيجانَ ، وإنَّ أدْنَى لُؤْلُؤةٍ عَلَيْها لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » . ورواه أحمدُ عنْ حسنٍ ، عن ابْنِ لَهِيعَةَ ، عن دَرَّاجٍ ، به بطُوله(٦) .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٨٥) وإسناده صحيح .

(٢) كذا في (آ) : أحمد بن علي ، والذي في « معجم الطبراني الكبير » : أحمد بن يحيى .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (١٠٣٢١) أقول : فيه عنعنة أبي إسحاق ، وفضيل بن مرزوق صدوق يهم ، ولكن للحديث شواهد يقوى بها .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٨٣) وشاهده في البخاري رقم (٦٥٦٣) .

(٥) أي مثل شقائق النعمان .

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٧٥) وإسناده ضعيف .

وقال ابنُ وَهْبٍ : أخبرني عَمْرو بنُ الحارث ، عن أبي السَّمْح ، عن أبي الْهَيْثَم ، عن أبي سَعيدٍ : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَلا قوله : ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ [فاطر : ٣٣] فقال : « إنَّ عَليهم التِّيجَانَ ، إنَّ أدْنى لُؤلُؤةٍ منْها لتُضيءُ ما بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » . وقد روى الترمذي منه ذكر التيجان ، من حديث عمرو بن الحارث[١] .

وروى الإمامُ أحمد عن عَبْد الرَّحْمن بنِ مَهْدِيّ ، عنْ محمّدِ بن أبي الوَضَّاح ، عن الْعَلاءِ بنِ عبْدِ اللهِ بنِ رَافِعٍ ، عنْ حَنانِ بنِ خارجة السُّلمِيّ ، عن عبْد اللهِ بن عَمْرو ، قال : جَاءَ رجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال : يا رسولَ اللهِ ، أخبِرْنا عَنْ ثِيابِ أهْلِ الْجَنَّةِ : خَلقاً تُخْلَقُ ، أمْ نَسْجاً تُنْسجُ ؟ فَضَحِك بَعْضُ الْقَوْمِ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ممَّ تَضْحكُون ؟ منْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِماً ؟ » ثمَّ أكَبَّ رسولُ الله ﷺ ، ثمَّ قال : « أيْنَ السَّائلُ ؟ » قال: ها هُو ذا أنا يا رسولَ الله، قال : « لا ، بلْ تَشَقَّقُ عَنْها ثَمَرُ الْجَنَّةِ » ثلاث مَرَّاتٍ .

ورواهُ أحمدُ أيضاً عن أبي كامِلٍ ، عنْ زيَاد بن عَبْدِ الله بن عُلاثَةَ القَاصِّ أبي سَهْلٍ ، عن العَلاء بن رَافِعٍ ، عنِ الفَرَزدقِ بنِ حَنانٍ[٢] ، عنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرو بن العَاصِ . . . فذكر نحوه[٣] .

وفي حديث دَرَّاج ، عن أبي الْهَيْثم ، عن أبي سعيدٍ ، أن رجلاً قال : يا رسولَ الله ، وما طُوبى ؟ قال : « شَجرةٌ في الْجَنَّةِ مَسيرةُ مِئَةِ سَنَةٍ ، ثِيابُ أهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ منْ أكْمَامِها »[٤] .

وقال أبُو بَكْر ابن أبي الدُّنْيا : حدّثني محمّد بنُ إدْريسَ الْحَنْظَليّ ، حدّثنا أبو عُتْبَة ، حدّثنا إسْمَاعيلُ بنُ عَيَّاش ، عن سَعيدِ بن يُوسُفَ ، عن يَحْيَى بن أبي كثيرٍ ، عنْ أبي سَلَّام الأسْوَدِ ، سَمِعْتُ أبَا أُمَامَةَ ، عنْ رسولِ الله ﷺ قال : « ما منْكُمْ منْ أحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةِ إلاَّ انْطُلِقَ به إلى طُوبَى ، فَتفتَّحُ لهُ أكْمامُهَا عن ألوان الثياب ، يَأْخُذُ منْ أيِّ ذلِكَ شاء ، [إن شاءَ] أبْيَضَ ، وإن شاء أحمر ، وإن شاءَ أخْضَرَ ، وإنْ شاءَ أصْفَرَ ، وإنْ شاءَ أسْودَ ، مِثْلَ شَقَائقِ النُّعْمانِ ، وَأرَقُّ، وأحسن ». غريبٌ حسنٌ[٥] .

وقال ابنُ أبي الدُّنْيا : حدّثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، حدّثنا عَبْدُ رَبِّه بنُ بَارِقٍ الْحَنفيُّ ، عن خَالِهِ الزُّمَيْلِ : أنَّهُ سمِعَ أباه ، قال : قُلتُ لابْن عبَّاسٍ : ما حُللُ أهْلِ[٦] الْجَنَّةِ ؟ قال : فيْهَا شَجرةٌ فيها ثمر كأنَّهُ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥٦٢) وإسناده ضعيف .
(٢) في الأصول : حيَّان ، والصواب : حنان بن خارجة ، كما سبق في السند قبله ، أخطأ في تسميته ابن علاثة .
(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٢٤) و(٢٠٣) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧١) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (١٤٩) أقول : سعيد بن يوسف الرحبي ، ضعيف .
(٦) في (آ) : ما أرض الجنة .

الرُّمَّانُ ، فإذا أرَادَ وَليُّ الله كِسْوةً انْحدَرتْ إليْهِ منْ غُصْنِها ، فَانْفَلَقَتْ عَنْ سَبْعينَ حُلّةً ، ألْواناً بَعْدَ ألْوَان ، ثمَّ تنطبق ، فتَرْجِعُ كما كانَتْ .

وتَقَدَّمَ عنِ الثَّوْرِيّ ، عن حمَّادٍ ، عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابن عبَّاسٍ أنَّهُ قالَ : نَخلُ الجنة جُذوعُها منْ زُمُرُّدٍ أخْضَرَ ، وكرَبها منْ ذَهَبٍ أحمرَ ، وسَعَفُهَا كُسْوةٌ لأهْلِ الجَنَّةِ ، منْها مُقَطَّعَاتُهُمْ وحُلَلُهُمْ .

صفة فرش أهل الجنَّة

قال الله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٤] .

فإذا كانت البَطائنُ منْ إسْتبَرقٍ ، فمَا الظن بالظَّهَائر ، قاله ابن مسعود . وقال تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة : ٣٤] .

وَرَوى أحمدُ والتِّرْمذيُّ منْ حديثِ دَرَّاجٍ ، عن أبي الهَيْثَم ، عن أبي سَعيدٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قال : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : « وَالّذي نَفْسِي بِيَدِه ، إنَّ ارْتِفَاعَها لكمَا بَيْنَ السَّمَاء وَالأرْضِ ، وإنَّ ما بَيْن السَّماء وَالأرْضِ مَسيرَةُ خَمْسِمئَةِ عَامٍ » ثم قال : غريبٌ ، لا نعْرِفُهُ إلاّ منْ حديثِ رِشدينَ ، يَعْني عنْ عَمْرو بن الْحَارث ، عنْ دَرَّاج .

قلتُ : وقد رواه حَرْملةُ ، عن ابن وَهْبٍ ، ثمَّ قال التِّرْمِذيّ : وقالَ بَعْضُ أهْلِ الْعِلْمِ في تفسيرِ هذا الحديثِ : إنَّ مَعْناهُ : الفُرُشُ في الدَّرَجَاتِ ، وَبَيْنَ الدَّرجاتِ كما بَيْنَ السَّماءِ وَالأرْضِ .

قلت : وممَّا يُقوِّي هذا ما رواهُ عَبْدُ الله بنُ وَهْبٍ ، عن عَمْرٍو ، عن دَرَّاجٍ ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سَعيدٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ في قوله : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : « ما بَيْنَ الفِرَاشَيْنِ كما بَيْنَ السَّماء والأرْضِ » . وهَذَا أشْبَهُ أنْ يكُونَ مَحْفُوظاً[1] .

وقال حمَّادُ بنُ سَلمةَ ، عن عليّ بنِ زَيْدٍ ، عن مُطَرِّفِ بن عَبْدِ الله بن الشِّخِّيرِ ، عن كعْبِ الأحْبَارِ ، في قوله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : مَسيرةُ أربَعينَ سَنَةً ، يَعْني أنَّ الفُرُشَ في كل مَحلٍّ ومَوْطنٍ مَوْجُودةٌ مُهَيَّأةٌ لاحْتِمَالِ الاحْتِيَاجِ إليْها في ذلك المَوْضع ، كما قال تعالى : ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية : ١٢ ـ ١٦] أي النَّمارِقُ وَهِيَ المَخادُّ مَصْفُوفةٌ في كلِّ مَكانٍ يَليقُ بها ، لاحْتمالِ الاحْتِيَاجِ إلَيْها في ذلك المكان ، وكذا الزَّرَابيُّ ـ وَهِيَ البُسُط الْجِيَادُ المفتخرة ـ مَبْثُوثةٌ هاهُنا وهَاهُنا ، في أماكِنِ المتنزَّهات منَ الْجَنَّةِ ، كما قال تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ

(١) رواه أحمد في المسند (٣/٧٥) والترمذي رقم (٢٥٤٠) ورواه ابن حبان (٧٤٠٥) من طريق حرملة ، والبيهقي في « البعث والنشور » (٣٤٢) من طريق ابن وهب ، وهو حديث ضعيف .

رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن : ٧٦] والعَبَاقريُّ هي عِتاقُ البُسُطِ ، أيْ جِيادُهَا وَخِيارُها وحِسَانُها ، وهي بسط الجنة ، لا الدنيا ، وَقَدْ خُوطِبَ العَرَبُ بما هُوَ معروف عِنْدَهُمْ ، وفي الجنة ما هو أَحْسَنُ وأجمل وأبهى وأعْظَمُ ممَّا في النُّفُوسِ وَأجلُّ ، منْ كلِّ صِنْفٍ ونَوْعٍ منْ أصناف المَلاذِّ ، وأجناس الأشياء كلها ، وألَذُّ في المَناظِرِ والنفوس .

وَالنَّمارِقُ : جَمْعُ نُمْرُقةٍ بضمِّ النُّونِ ، وحُكيَ كسْرُها ، وهي الوَسَائدُ ، وَقيلَ : الْمَسانِدُ ، وَقَدْ يَعُمُّها اللَّفْظُ . وَالزَّرَابيُّ : البُسُطُ . وَالرَّفْرَفُ : قيلَ : رياضُ الجَنَّةِ ، وما يكون على شاطئ الأنهار من النبات والأزهار ، وقيلَ : ضَرْبٌ منَ الثِّيابِ . والعَبْقَرِيُّ : جِيادُ البُسُطِ ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

صفة الحور العين ، وبنات آدم وشرفهن وفضلهن عليهن وكم لكل واحد منهن

قال الله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٤ ـ ٥٧] وقال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ٧٠ ـ ٧٥] وقال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٥] أيْ منَ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ ، وَالبَوْلِ ، وَالْغَائِطِ ، وَالْبُصَاقِ ، والمخاط ، فلا يَصْدُرُ مِنْهُنَّ أذىً أبداً ، وكذلك طَهُرَتْ أخلاقهن وألفاظهن وقلوبهن .

وقال عَبْدُ الله بنُ المُبَارَكِ : حدّثنا شُعْبَةُ ، حدّثنا قَتادةُ ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سَعيدٍ ، عن النَّبيِّ ﷺ : ﴿ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ قال : « منَ الْحَيْضِ وَالنِّفاسِ ، وَالنَّجاسَةِ ، وَالبُصاقِ »(١) .

وقال أبو الأحْوَصِ عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ قال : بَلَغنا في الرِّوَايَةِ أنّ سَحابَةً مَطَرَتْ منَ العَرْشِ ، فَخُلِقْنَ منْ قَطَراتِ الرَّحْمةِ ، ثمَّ ضُرِبَ على كلِّ وَاحِدَة منهن خَيْمةٌ على شاطىء الأنْهارِ ، وسَعَةُ الخيمة أرْبَعُونَ ميلاً ، وَلَيْسَ لها بَابٌ ، حتَّى إذا حَلَّ وَليُّ الله بالْخَيْمةِ انْصَدَعَتِ الْخَيْمةُ عن باب لِيَعْلَمَ وَليُّ الله أنَّ أبْصارَ الْمَخْلوقينَ منَ الملائكةِ وَالخَدم لم تنظر إليها ، فهُنَّ مقصورات عن إبْصَارِ المخلوقين .

وقال تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الواقعة : ٢٢ ـ ٢٤] وقال في الآية الأخرى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصافات : ٤٩] قيل : إنَّهُ بَيْضُ النَّعامِ الْمَكْنُون في الرملِ ، وهُوَ

---

(١) رواه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٣٦٣) من طريق ابن المبارك .

عِنْد العَرَبِ أحْسَنُ أنواع البيض ، وقيلَ : المرادُ بِهِ اللُّؤلؤ قَبْلَ أنْ يَبْرُزَ مِنْ صَدَفِهِ ، وقال تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٣٥ ـ ٣٨] أي ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ ﴾ بعْدَ الكِبَرِ وَالعَجْزِ وَالضَّعْفِ في الدُّنْيا ، فَصِرْنَ في الجَنَّةِ شَباباً ﴿ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا ﴾ أيْ مُتَحَبِّبَاتٍ إلى أزواجهن ، وقيل المراد به : الغَنِجة ، وقيل : الشَّكِلة . والآية تعمُّ هذا كله وأضعافه ﴿ أَتْرَابًا ﴾ أي في عمُر واحد ، لا يزدن ولا ينقصن بل هن في سن واحدة .

وقال الطَّبرانيُّ : حدّثنا بكرُ بنُ سَهْلٍ الدِّمْياطيّ ، حدّثنا عَمْرُو بنُ هاشِمٍ البَيْرُوتيّ ، حدّثنا سُلَيْمانُ بنُ أبي كريمةَ ، عن هِشَامِ بنِ حَسَّان ، عن الحسن ، عنْ أُمِّهِ ، عن أُمِّ سَلَمةَ قالت : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، أخْبِرْني عنْ قَوْلِ اللهِ تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ قال : « ﴿ وَحُورٌ ﴾ بيضٌ ﴿ عِينٌ ﴾ ضِخام العُيُونِ شُفْرُ[١] الْحَوْراء ، بمنزلة جَنَاحِ النّسْرِ » قلتُ : يا رسول الله أخْبِرْني عنْ قوله تعالى : ﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ قال : « صَفاؤُهُنّ صَفاءُ الدُّرِّ الّذي في الأصْدَافِ الّذي لم تَمسَّهُ الأيْدِي » .

قلتُ : يا رسول الله أخبرني عن قوله : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ قال : « خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه » قلتُ : يا رسولَ الله ، أخْبرْني عن قوله : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ قال : « رِقّتُهُنّ كرِقّةِ الجِلْدِ الذي يكون في دَاخِلِ البَيْضَةِ ممّا يلي القِشْرَةَ ، وَهُوَ الْغِرْقِئ » .

قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْني عن قَوْلِه ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ ، قال : « هُنَّ اللَّواتي قُبِضْنَ في دَارِ الدُّنْيا عَجائِزَ رُمْصاً[٢] شُمْطاً ، خَلَقَهُنَّ الله بَعْدَ الكِبَرِ ، فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى ﴿ عُرُبًا ﴾ مُتَعشِّقَات مُحَبَّباتٍ إلى أزواجهن ﴿ أَتْرَابًا ﴾ على مِيلادٍ وَاحِدٍ » .

قلت : يا رسولَ اللهِ ، نِسَاءُ الدُّنْيَا أفْضلُ ، أم الْحُورُ العِينُ ؟ قالَ : « بَلْ نِساءُ الدُّنيا أفضلُ مِنَ الحُورِ العينِ ، كفَضْلِ الظِّهارةِ على البِطَانَةِ » .

قلت : يا رسولَ الله ، بماذا ؟ قال : « بِصَلاتِهِنَّ وَصِيامِهِنَّ ، وعِبَادَتِهِنَّ اللهَ ، ألْبسَ اللهُ وجُوهَهُنَّ النُّورَ ، وَأجْسَادَهُنَّ الْحرير ، بِيضُ الألْوانِ ، خُضْرُ الثِّيابِ ، صُفْرُ الْحَلْي ، مَجَامِرُهُنَّ الدُّرُّ ، وَأَمْشَاطُهُنَّ الذَّهَبُ ، يَقُلْنَ : نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فلا نَمُوتُ ، ونَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلا نَبْأس ، ونَحْنُ المُقيمَاتُ فَلا نَظْعَنُ أبداً ، ألا ونَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلا نَسْخَطُ أبداً ، طُوبى لِمَنْ كُنَّا لَهُ ، وكانَ لَنا » .

قلتُ : يا رَسُول اللهِ ، المَرْأةُ مِنَّا تَتَزَوَّجُ الزَّوْجَيْنِ ، وَالثَّلاثَةَ ، وَالأرْبَعَةَ ، ثمَّ تَمُوتُ ، فتدخُلُ الْجنَّةَ ، ويدْخُلُونَ مَعَها ، منْ يَكُونُ زَوْجُها ؟ قال : « يا أُمّ سَلَمة ، إنَّها تُخيَّرُ فتخْتارُ أحْسَنَهُمْ خُلُقاً ،

---

(١) الشُّفر : المراد به حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر .

(٢) جمع رمضة ، وهي المرأة التي تحك فخذها بفخذها الأخرى .

تقُولُ : يا رَبِّ ، إنَّ هَذا كانَ أحْسَنَهُمْ مَعي خُلُقاً في دَارِ الدُّنْيَا ، فَزوِّجنيهِ . يا أُمَّ سَلَمَةَ ، ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بخَيْرِ الدُّنْيا وَالآخِرةِ »[١] .

وقالَ (محمد بن عثمان)[٢] بنِ أبي شَيْبَةَ : حدّثنا أحمدُ بنُ طارقٍ ، حدّثنا مَسْعدةُ بنُ الْيَسَعِ ، حدّثنا سَعيدُ بنُ أبي عَرُوبةَ ، عنْ قَتادةَ ، عنْ سَعيدِ بْنِ المُسَيَّبِ ، عنْ عَائِشَةَ : أنَّ رسولَ الله ﷺ أتَتْهُ عَجُوزٌ منَ الأنْصارِ ، فقالت : يا رسولَ الله ادْعُ الله أنْ يُدْخِلني الْجَنَّةَ ، فقال : « إنَّ الْجَنَّةَ لا يَدْخُلُها عَجُوزٌ » ، فذَهَبَ رسولُ الله ﷺ فَصَلَّى ، ثمَّ رَجعَ إلى عائشةَ ، فقَالت : لَقَد لَقِيتْ منْ كلَمتك مَشقَّةً وشِدَّةً ، فقالَ : « إنَّ ذَلِكَ كَذلكَ ، إنَّ الله إذا أَدْخلهنَّ الْجنَّة حوَّلَهُنَّ أبْكاراً »[٣] .

وتقدّم في حَديثِ الصُّورِ في صِفَةِ دُخُولِ الْمُؤْمنينَ الْجَنَّة ، قال : فَيَدْخُلُ الرَّجُلُ منْهُمْ على ثِنْتَيْنِ وَسَبْعينَ زَوْجةً ، سبعين ممَّا يُنْشِىءُ اللهُ عزَّ وجلَّ ، وثِنْتين منْ وَلَدِ آدَمَ ، لَهُما فَضلٌ علَى منْ أنْشأ الله ؛ بِعَبادتِهمَا اللهَ في الدُّنْيا ، يَدْخُلُ على الأولى مِنْهُما في غُرْفةٍ منْ يَاقُوتَة ، على سَريرٍ منْ ذَهَبٍ ، مُكَلَّلٍ بِاللُّؤلؤِ ، علَيْهِ سَبْعُونَ زَوْجاً منْ سُنْدُسٍ وإسْتَبرَق ، وإنَّهُ لَيَضعُ يَدَهُ بين كَتِفَيْها ، ثمّ يَنْظُرُ إلى يَدِهِ مِنْ صَدْرِهَا ، مِنْ وَراءِ ثِيَابِهَا وَجِلْدِهَا وَلَحمِها ، وإنَّهُ لَيَنْظُرُ إلى مُخِّ سَاقِها كما يَنْظُرُ أحَدكُمْ إلى السِّلْكِ في قَصَبةِ الْيَاقُوتِ ، كَبِدُهُ لها مرآةٌ ، وكَبِدُها لهُ مرآةٌ ، فبَيْنما هُوَ عِنْدها لا يَمَلُّها ولا تَمَلُّهُ ، ولا يأتِيهَا مَرَّةً إلاَّ وجَدَها عَذْراء ما يَفْتُرُ ذَكَرُهُ ، ولا يَشْتكي قُبُلَهَا ، إلاَّ أنَّه لا مَنيَّ ولا مَنِيَّةً ، فَبينما هُوَ عندها إذْ نُودي : إنَّا قَدْ عَرَفْنا أنَّكَ لا تَمَلُّ ، ولا تُمَلُّ ، إلاَّ أنَّ لَكَ أزْواجاً غيْرَها ، فَيَخْرُجُ فَيأتِيهنَّ وَاحدةً ، واحدةً ، كُلَّما جَاءَ وَاحِدةً ، قالت : واللهِ ما في الْجَنَّةِ أحْسَنُ مِنْكَ ، وما في الْجَنَّةِ شيء أحَبُّ إليَّ مِنْكَ » . وَلهذا الْحَديث شَوَاهِدُ منْ وُجوهٍ كَثيرةٍ ، تَقَدَّمَتْ ، وسيأتي إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وتَقَدَمَ الْحَديثُ الَّذي رَواه الإمامُ أحْمدُ منْ حَديثِ أشعث الضرير ، عنْ شَهْرِ بن حَوْشبٍ ، عنْ أبي هُرَيْرةَ ، عن النبيِّ ﷺ وفيه : « وإنَّ لهُ منَ الْحُورِ الْعِينِ لاثْنَتَيْنِ وَسَبْعينَ زوْجةً سِوَى أزْواجِه من الدُّنْيا ، وإنَّ الْواحدة منْهُنَّ ليَأخُذُ مَقْعَدُها قَدْرَ ميلٍ منَ الأرْضِ »[٤] .

وقالَ حَرْملةُ ، عن ابن وَهْبٍ : حَدَّثَنا عَمْرٌو : أنَّ دَرَّاجاً أبا السَّمح حَدَّثَهُ ، عَنْ أبي الْهَيْثمِ ، عَنْ أبي سَعيدٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « أدْنَى أهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزلةً الَّذي لهُ ثَمانُونَ ألفَ خادِمٍ ، وَاثْنتانِ وَسَبْعُونَ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/ ٨٧٠) وفي سنده سليمان بن أبي كريمة ، ضعفه أبو حاتم . وقال ابن عدي : عامة أحاديثه منكرة . ولا يعرف إلا بهذا السند .

(٢) في الأصول : أبو بكر .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٥٥٤٥) عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة ـ لا عن أبي بكر بن أبي شيبة ـ عن أحمد بن طارق به ، وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد يقوى بها .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٣٧) وإسناده ضعيف .

زَوْجةً ، وتُنْصبُ له قُبَّةٌ منْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدٍ وياقُوتٍ ، كما بَيْنَ الْجَابِيَة وَصَنْعَاءَ » . وَأَسْندهُ أَحْمَدُ عَنْ حَسَنٍ ، عَنْ ابن لَهِيعَةَ ، عنْ دَرَّاج ، به ، ورواه الترمذيُّ عَنْ سُوَيْدِ بن نَصْرٍ ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، عَنْ رِشْدِينَ ، عَنْ عَمْرِو بن الحَارِث . . . ، فذكره بإسناده نَحْوَهُ[١] .

وقال محمدُ بن جَعْفر الفريابيُّ : حدّثنا أبو أَيُّوبَ سُلَيمانُ بنُ عبد الرَّحْمنِ ، حدّثنا خالدُ بنُ يزيدَ بن أبي مالِكٍ ، عنْ أبيه ، عَنْ خالِدِ بن مَعْدانَ ، عَنْ أبي أُمامَةَ ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ، قال : « ما مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلاَّ وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعينَ زَوْجةً ، ثنتين منَ الحورِ العِينِ ، وسبعين منْ أَهْلِ مِيرَاثِه منْ أَهْلِ الدُّنْيا ، لَيْسَ منهنَّ امرأةٌ إلا ولَها قُبُلٌ شَهيٌّ ، ولَهُ ذكَرٌ لا يَنْثني » . وهذا حَديثٌ غَريبٌ جدّاً ، والْمَحْفوظُ ـ كما تقدَّم ـ خِلافُه ، وهو اثنتان من بنَاتِ آدَمَ ، وسَبْعونَ منَ الْحُورِ الْعِين ، فالله أعلم .

وخَالِد بن يَزيد بن أبي مَالِكٍ هَذَا تكلَّم فيه الإمام أحمدُ ، وَيَحْيَى بنُ مَعين ، وغيْرُهُما ، وضعَّفُوه ، ومِثْلُه قَدْ يَغْلَطُ ، ولا يُتْقِنُ .

ورَوَى أحمدُ ، والتِّرْمذيُّ ، وصحَّحَهُ ، وابنُ مَاجَهْ ، منْ حديثِ بَحِير بن سَعْدٍ ، عن خالد بن مَعْدَانَ ، عن المِقْدَام بن مَعْديكرِبَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ للشَّهيدِ عند الله لَستَّ خِصالٍ ، يُغْفرُ لهُ عِنْدَ أَوَّلِ دُفعة من دمه ، ويَرَى مَقْعدَهُ في الجَنَّةِ ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإيمانِ ، ويُجارُ منْ عذابِ القَبْرِ ، وَيأْمنُ منَ الفَزَعِ الأكْبَرِ ، وَيُوضَعُ على رأْسه تَاجُ الوَقَارِ ، اليَاقُوتةُ منْهُ خيْرٌ منَ الدُّنْيا وما فِيها ، ويُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعينَ زوْجةً منَ الحُورِ العِين ، ويَشْفعُ في سبْعينَ إنساناً منْ أَقَارِبهِ »[٢] .

فأمَّا الحديثُ الَّذِي رواهُ مُسْلمٌ في « صحيحِهِ » : حدّثني عَمرو النَّاقدُ ، وَيَعْقُوبُ بنُ إبْرَاهيمَ الدَّوْرقيُّ جَميعاً ، عن ابنِ عُلَيَّةَ ، واللَّفْظُ ليَعْقُوبَ ، قال : حدّثنا ابنُ عُلَيَّة ، حدّثنا أَيُّوبُ ، عن محمّدٍ ، قال : إمَّا تَفاخَرُوا ، وإمَّا تَذَاكَرُوا : الرِّجَالُ أكْثرُ في الْجَنَّةِ أم النِّساءُ ؟ فقال أبو هُرَيرةَ : أَلَمْ يَقُلْ أَبُو القَاسم ﷺ : « إن أَوَّلَ زُمْرَةٍ تدخل الْجَنَّةَ على صُورةِ القمَرِ لَيْلةَ البَدْرِ ، وَالَّتي تَليها على أَضْوَإِ كَوْكبٍ دُرِّيٍّ في السَّماءِ ، لِكلِّ امْرِئٍ منْهُمْ زوْجَتانِ اثْنَتَانِ ، يُرى مُخُّ سُوقِهما منْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، وما في الْجَنَّة أَعْزَبُ » .

وفي « الصَّحيحين » منْ رِوايةِ همَّامٍ ، عن أبي هُرَيرَةَ ، نَحْوُهُ[٣] .

فالمرادُ منْ هذا أنَّ هَاتَيْنِ منْ بناتِ آدَمَ ، وله غيرهما منَ الحُورِ العِينِ ما شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ ، كما تَقَدَّمَ تفصيلُ ذلك آنِفاً ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧٦) والترمذي رقم (٢٥٦٢) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٣١) والترمذي (١٦٦٣) وابن ماجه (٢٧٩٩) وهو حديث حسن .
(٣) رواه مسلم (٢٨٣٤) والبخاري (٣٢٤٥) .

[وهذه الأحاديثُ لا تُعارضُ ما ثبتَ في « الصّحيحينِ » : « وَاطّلَعْتُ في النَّارِ فرَأيْتُ أكْثرَ أهْلِها النِّساء »[١]] إذْ قَدْ يكُنَّ أكْثرَ أهْلِ الْجنَّةِ ، وأكْثرَ أهْلِ النَّارِ ، [أو قد يكن أكثر أهل النار] ثمَّ يَخْرُجُ منْ يَخْرُجُ منْهُنَّ من النَّار بالشَّفَاعَاتِ ، فيَصِرْنَ إلى الجنَّةِ ، حتَّى يكُنَّ أكْثرَ أهْلِها ، والله أعلم .

وتقدَّمَ ما رَواهُ أحمدُ منْ طريقِ خِلاسٍ ، عنْ أبي رَافعٍ ، عنْ أبي هُريرةَ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لِلْمُؤمنِ زوْجتانِ ، يُرى مُخّ سُوقِهما منْ وَراءِ ثيابهما »[٢] .

وفي حديثِ دَرَّاجٍ ، عن أبي الهَيْثَمِ ، عن أبي سَعيدٍ مَرْفُوعاً : « إنَّ الرّجُلَ من أهل الجنَّةِ لَيَتَّكِئُ سبْعينَ سنةً قبلَ أنْ يَتحَوَّلَ ، ثمّ تأتيهِ امْرأةٌ فتضْرِبُ على مَنْكِبَيْهِ ، فينظر وَجْهَهُ في خدِّهَا أصْفَى منَ المِرآةِ ، وإنّ أدْنى لُؤلُؤةٍ عَلَيْها لَتُضِيءُ ما بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فيرُدّ السَّلامَ ويسألها : منْ أنْتِ ؟ فتقولُ : أنا المَزيدُ ، وَإِنَّهُ لَيكُونُ عَلَيْها سبْعُون ثَوْباً ، [أدْناها] مثْلُ النُّعْمَانِ منْ طُوبَى ، فيُنْفِذُها بَصَرهُ ، حتّى يَرَى مُخَّ ساقِهَا منْ وَرَاءِ ذلك » . ورواه أحمد في « المسند »[٣] .

وقال الإمامُ أحمد : حدّثنا أبو النَّضْرِ ، حدّثنا محمدُ بنُ طَلْحَة ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لَغَدْوةٌ في سبيلِ الله أوْ رَوْحةٌ ، خيْرٌ منَ الدُّنْيَا وما فيهَا ، ولَقَابُ قَوْسِ أحَدِكم ، أوْ مَوْضِعُ قِدِّهِ » يَعْني سَوْطَهُ « منَ الجنَّةِ خَيْرٌ منَ الدُّنيا وَمَا فِيهَا ، ولَوِ اطَّلَعَتِ امْرأةٌ منْ نساء أهْلِ الجَنَّةِ إلى الأرْضِ لَمَلأتْ ما بَيْنَهُمَا ريحاً ، ولَطَاب ما بَيْنَهُما ، وَلَنَصيفُها على رَأْسِها خيْرٌ منَ الدُّنيا وما فيها » . رواهُ البُخاريُّ منْ حديث إسماعيل بنِ جَعْفرٍ ، وأبي إسْحاقَ ، كِلاهُما عن حُمَيْد ، عنْ أنس ، بمثْلِهِ . وقد تقدَّمَ بتمامِهِ في أوّلِ صِفةِ الجنّةِ ، وَعِنْد البُخاريّ : « ولوْ أنَّ امْرَأةً منْ نِساء أهْل الجَنَّةِ اطّلعَتْ إلى الأرْضِ لأضاءَتْ ما بَيْنهُما ، وَلَمَلأتْ ما بَيْنَهُما ريحاً ، وَلَنَصِيفُها على رأْسِها خيْرٌ منَ الدُّنيا وما فيها »[٤] .

وقال أبو بَكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا بِشْرُ بنُ الوليد ، حدّثنا سَعيدُ بنُ زَرْبيٍّ ، عن عَبْدِ الْمَلِكِ الْجَوْنيّ ، عن سعيدِ بن جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : لوْ أنَّ حَوْراءَ أخْرجَتْ كَفَّها بَيْنَ السَّماء وَالأرْضِ لافْتَتَنَ الخلائقُ بِحُسْنِها ، ولو أخْرَجَتْ نَصِيفَها لكانَتِ الشَّمْسُ عِنْدَ حُسْنِها مِثْل الفَتيلةِ في الشَّمْسِ لا ضَوْءَ لها ، ولوْ أبْرزَتْ وَجْهها لأضاءَ حُسْنُها ما بَيْنَ السَّماء وَالأرْضِ[٥] .

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤٩) ومسلم (٢٧٣٧) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٨٥) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه أحمد (٣/ ٧٥) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٤١) والبخاري (٢٧٩٦) و(٦٥٦٨) .
(٥) إسناده ضعيف ، سعيد بن زربي منكر الحديث .

وذكر ابْنُ وَهْبٍ ، عن محمدِ بن كَعْب القُرَظِيّ : أنَّهُ قال : وَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ ، لوْ أنَّ امْرأةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ أطْلَعتْ سِوَارَها منَ العَرْش لأطْفَأَ نُورُ سِوارها نُورَ الشَّمْسِ وَالقَمرِ ، فكَيْفَ المُسَوَّرَةُ به ؟ وإن أخْلَقَ ثوب تَلْبَسُه لخير من الدنيا وما فيها ، وإن زوجها عليه مِثْلُ ما عَلَيْها منْ ثِيابٍ وَحُلِيّ .

وقال أبو هُريرة : إنَّ في الجَنَّةِ حُوراً يُقالُ لها : العيناء ، إذا مَشَتْ مَشَى حَوْلها سبْعُونَ ألف وَصيفٍ ، وهي تَقول : أيْنُ الآمِرُونَ بالْمعْرُوفِ ، وَالنّاهُونَ عنِ المُنْكَر . أوْرَدَهُما القُرطبيُّ .

وقال الطبرانيُّ : حدّثنا أحمدُ بنُ رِشْدينَ ، حدّثنا علي بن الحسن بن هارُونَ الأنْصاريّ ، حدّثني اللّيْثُ ابنُ بِنتِ اللّيْثِ بن أبي سُلَيْم ، حدّثتني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سُلَيم ، عن ليث بن أبي سُلَيم ، عن مُجاهدٍ ، عن أبي أمامة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « خُلِقَ الْحُورُ العينُ منَ الزّعْفَرانِ » . وهذا حديثٌ غريبٌ[١] .

وقد رُوِي مثل هذا عن ابن عبّاسٍ وَغَيْرِهِ منَ الصَّحابَةِ وَالتّابعينَ من قولهم .

وفي مَراسيل عِكْرَمَةَ : إنَّ الْحُورَ العِينَ ليدعون لأزْوَاجِهِنَّ وَهُمْ في الدُّنيا ، يَقُلْنَ : اللّهمَّ أعِنْهُ على دِينكَ ، وَأقْبِلْ بقَلْبِه إلى طاعَتِك[٢] ، وبَلِّغْهُ إلينا بِعِزّتِكَ ، يا أرْحَمَ الرَّاحمين[٣] .

وفي « مُسْنَد الإمام أحمد » من حديث كثير بن مُرَّة ، عن معاذ مرفوعاً : « لا تُؤْذي امْرأةٌ زوْجَها في الدُّنيا إلاّ قَالت زَوْجَتُه منَ الْحَورِ العِين : لا تُؤذِيهِ قاتَلَكِ اللهُ ، فإنّما هوَ عِنْدَكِ دَخيلٌ يُوشكُ أنْ يُفارِقَكِ إلينا » .

ورواه ابن أبي الدنيا عن داود بن عمرو الضبي ، عن إسماعيل بن عياش ، عن بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة ، عن معاذ بن جبل ، عن النبي ﷺ . . . فذكر الحديث[٤] .

وفي « معجم الطبراني » من طريق موسى الصغير ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن سعيد بن عامر بن حِذْيَمٍ ، أنه تصدَّق بعشرة آلاف دِرهم في يوم ، فعاتبتْهُ امرأتُه في ذلك ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أن حوراء أطلعت إصبعاً من أصابعها ، لوجَدَ ريحها كُلّ ذي رُوحٍ » ثم قال : فأنا أَدعُهنَّ لَكُنَّ ؟ لا واللهِ ، لأَنتُنَّ أحقُّ أن أدعكُنَّ لَهُنَّ[٥] .

ومن حديث مالك بن دينار ، عن شَهْرٍ ، عن سعيد بن عامر مرفوعاً : « لو أن امرأةً من نساءِ أهل

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٢٩٠) .
(٢) في (آ) : واقبل تقلُّبه إلى طاعتك .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٣١١) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٤٢) وابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٣١٠) وهو حديث صحيح .
(٥) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » رقم (٥٥١١) .

الجنةِ ، أشرفت على أهل الأرض ، لملأتِ الأرضَ ريح مسك ، ولأذهبتْ ضوءَ الشمسِ والقمر »[١] .

ما ورد من غناء الحور العين في الجنة

روَى التِّرْمذيُّ وغيرهُ منْ حديث عَبْدِ الرَّحمن بن إسْحَاقَ ، عنِ النُّعْمانِ بن سعْدٍ ، عن علي ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ في الجنَّةِ لمُجْتمعاً لِلحُورِ العينِ ، يُرفِّعْنَ أصْواتاً لم يَسْمع الخلائقُ بِمثْلِها ؛ يَقُلنَ : نحنُ الخالدَاتُ فلا نَبيد ، ونَحْنُ النَّاعماتُ فلا نَبْأس ، ونحنُ الرَّاضِيَاتُ فلا نَسْخَط ، طُوبى لِمَنْ كانَ لنا وكُنَّا لهُ » . قال التِّرْمذيّ : وفي البابِ عن أبي هُرَيرةَ ، وأبي سعيدٍ ، وأنس ، وحديثُ عليٍّ غريبٌ[٢] .

ورَوى ابن أبي ذِئْبٍ ، عن عَوْنِ بن الخَطَّابِ بن عَبْدِ الله بن رافع[٣] ، عن ابنٍ لأنسِ بن مالكٍ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الْحورَ يُغنِّينَ في الجَنّةِ : نحْنُ الجَوارِي الْحِسَان ، خُلِقْنا لأزْواجٍ كرام »[٤] .

وقال الطَّبرانيّ : حدّثنا أبو رِفَاعة ، عُمارةُ بنُ وَثيمةَ بن مُوسى بن الفُراتِ المِصْريّ ، حدّثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ ، حدّثنا محمدُ بنُ جَعْفرِ بنِ أبي كثيرٍ ، عنْ زَيْدِ بن أسْلَمَ ، عن ابن عُمَر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أزْوَاجَ أهلِ الجنّةِ ليُغَنِّينَ أزْوَاجَهُنَّ بأحْسَنِ أصْوَاتٍ سَمِعَها أحدٌ قطُّ ، إنَّ ممّا يُغَنِّينَ به : نحْنُ الْخَيْراتُ الْحِسَان ، أزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَام ، يَنْظُرْنَ بِقُرَّة أعيان . وإنّ ممّا يُغنِّينَ به : نحنُ الخالِداتُ فلا نَمُتْنَهْ ، نحن الآمناتُ فلا نَخَفْنَهْ ، نحنُ المُقيماتُ فلا نَظْعَنَّهْ »[٥] .

وقال اللَّيْثُ بنُ سعْدٍ ، عن يزيدَ بن أبي حَبيبٍ[٦] ، عن الوليدِ بن عَبْدَةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ لِجبْريلَ : « قِفْ بي على الْحُورِ العينِ » فأوْقَفَهُ عَلَيْهِنَّ ، فقالَ : « منْ أنْتُنّ ؟ » قُلْنَ : نحنُ جَوارِي قَوْمٍ حَلُّوا فلَمْ يَظْعَنُوا ، وشَبُّوا فلَمْ يَهْرَمُوا ، ونُقُّوا فلمْ يَدْرَنُوا[٧] .

وقال القُرْطبيّ بَعدَ ما أوْرَدَ الحديثَ المُتَقدِّم في غِناءِ الْحُورِ العِينِ : وقالت عائشةُ : إنّ الْحُورَ العِين

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » رقم (٥٥١٢) وفي إسناده ضعف .
(٢) رواه الترمذي رقم (٢٥٦٤) وإسناده ضعيف .
(٣) في (آ) : نافع ، وهو خطأ .
(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٦٤٩٧) وهو حديث حسن .
(٥) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٤٩١٧) والصغير (٧٣٤) وهو حديث حسن . أقول : وفي الأصول بعده : ونحن الشابات فلا يهرمنه ، ونحن الشاكرات فلا يكفرنه ، ولم نرها في مصادر التخريج .
(٦) في (آ) : زيد بن أبي حبيب ، وهو خطأ .
(٧) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٣٠١) وإسناده ضعيف .

إذا قُلْنَ هذهِ المَقالةَ ، أجابَهُنَّ المُؤْمِناتُ منْ نِساءِ أهْلِ الدُّنيا : نحنُ المصلِّياتُ وما صَلَّيْتُن ، ونحنُ الصَّائماتُ وما صُمْتُن ، ونحنُ المتَوَضِّئاتُ وما تَوَضّأتُن ، ونحنُ المتَصدِّقاتُ وما تصدَّقْتنّ . قالت عائشةُ : فغلبنهنَّ ، واللهُ أعلمُ .

هكذا ذكره في « التذكرة » ، ولم يعْزُه إلى كتاب ، والله أعلمُ .

وروى ابن أبي الدنيا عن الزهري : إن في الجنة لشجراً[١] حملُه اللؤلؤ والزبرجد ، تحته جوارٍ ناهدات ، يتغنَّين بالقرآن ، يقلن : نحن الناعمات فلا نبؤُس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، ونحن المقيمات فلا نظعن ، فإذا سمع ذلك الشجر ، صفق بعضه بعضاً ، فأجبْنَ الجواري ، فلا يُدرى أأصوات الجواري أحسن ، أم أصوات تصفيق الشجر[٢] .

وفي حديث خالد بن يزيد : في صدر إحداهن مكتوب : أنتَ حِبِّي وأنا حِبُّكَ ، انتهت نفسي عندك ، فلا ترى عيناي مثلك[٣] .

وعن يحيى بن أبي كثير قال : إن الحور العين يتلقَّين[٤] أزواجهن عند أبواب الجنة ، فيقلن : طالما انتظرناكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن ، والخالدت فلا نموت . بأحسن أصوات[٥] .

ذكر جماع أهل الجنة لنسائهم من غير مني ولا أولاد إلا إن شاء أحدهم الولد

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس : ٥٥ ـ ٥٨] .

قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، وابنُ عَبّاس ، وغيرُ واحدٍ ، (شغلهم) افْتِضاض الأبْكارِ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الدخان : ٥٤ ـ ٥٥] .

---

(١) في (آ) : لشجرة .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٦١) .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٦٢) .
(٤) في (آ) : يتقلبن .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٦٨) .

وقال أبو دَاوُدَ الطّيَالسيُّ : حدّثنا عِمْرَانُ هُوَ ابْنُ دَاوَر[١] القَطَّانُ ، عنْ قَتادةَ ، عنْ أنس : أنَّ رسول الله ﷺ ، قال : « يُعْطَى الرَّجُلُ في الجنةِ قُوَّةَ كذا وكذا منَ النِّساءِ » .

قلت : يا رسولَ اللهِ ، وَيُطيقُ ذلك ؟ قال : « يُعْطَى قُوَّةَ مِئةٍ » . ورواه الترمذيُّ من حديثِ أبي دَاودَ ، وقال : صحيح غريب[٢] .

وروى الطَّبرانيُّ من حديثِ الْحُسَين بن عَليٍّ الْجُعْفيِّ ، عن زائدة ، عن هِشَامِ بن حَسَّانَ ، عن محمّد بن سيرينَ ، عن أبي هُرَيرةَ ، قال : قِيلَ : يا رسولَ اللهِ هل نَصِلُ ؟ وفي رِوَايةٍ : هل نُفْضي في الجنة إلى نِسَائنا ؟ فقال : « وَالّذِي نَفْسِي بيَدِهِ ، إنَّ الرَّجُلَ لَيُفْضي في الغَداةِ الواحدِةِ إلى مِئةِ عَذْرَاءَ » . قال الحافظُ الضياءُ : هذا عندي على شرطِ الصَّحيح[٣] .

وقال البَزّارُ : حدّثنا محمّدُ بنُ مَعْمرٍ ، حدّثنا أبو عَبْدِ الرَّحْمنِ ، عَبْد اللهِ بنُ يزيدَ ، عن عَبْدِ الرَّحْمنِ بنِ زِيَادٍ ، عن عُمارَة بن راشِدٍ ، عن أبي هُرَيرةَ ، قال : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ : هَلْ يَمَسُّ أهْلُ الجَنَّةِ أزْوَاجَهُمْ ؟ فقال : « نَعَمْ ، بِذكَرٍ لا يَمَلُّ ، وَشَهْوةٍ لا تَنْقَطِعُ » . ثم قال البزّارُ : لا نَعْلَمُ رَواه عن عُمارَةَ بن راشدٍ سوى عبدِ الرَّحمنِ بن زِيَادٍ ، وَقَدْ كان عبدُ الرَّحمنِ هذا حَسَنَ العَقْلِ ، ولكنْ وَقَعَ على شيوخ مَجَاهِيلَ ، فَحَدَّثَ عنهم بأحادِيثَ مَنَاكيرَ ، فَضَعُفَ حديثُه ، وهذا ممّا أُنْكرَ عَليهِ[٤] .

وقال حَرْملةُ ، عن ابن وَهْبٍ : أخبَرَني عَمْرُو بنُ الحَارِثِ ، عن دَرَّاجٍ ، عن عبد الرَّحمن بنِ حُجَيْرة ، عن أبي هريرةَ ، عن رَسُولِ اللهِ ﷺ : أنَّهُ قيل له : أنطَأُ في الْجَنَّةِ ؟ قال : « نَعَمْ ، وَالّذي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْماً دَحْماً[٥] ، فإذا قَامَ عَنْها رَجَعَتْ مُطَهَّرَة بِكْراً »[٦] .

وقال الطَّبرانيّ : حدّثنا إبراهيمُ بنُ جَابر الفقيهُ البَغداديّ ، حدّثنا محمّدُ بنُ عَبْدِ المَلِك الدَّقِيقي الواسِطيّ ، [حدّثنا مُعَلّى بن عبدِ الرَّحْمن الواسطيّ] ، حدّثنا شَرِيكٌ ، عن عَاصِمِ بن سُلَيْمانَ الأحْوَلِ ، عن أبي المُتَوكِّل ، عن أبي سعيدٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أهْلَ الْجَنَّةِ إذا جَامَعُوا نِسَاءَهُمْ عُدْنَ أبْكاراً » ثم قال : تفرَّد به مُعَلّى[٧] .

وقال الطَّبراني : حدّثنا أحمدُ بنُ يَحيَى الْحُلْوَاني ، حدّثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، حدّثنا خالدُ بنُ يزيد بنِ

(١) في (آ) : داود ، والتصحيح من كتب الرجال .
(٢) رواه أبو داود الطيالسي (٢٠١٢) والترمذي (٢٥٣٦) وهو حديث حسن صحيح .
(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٥٢٦٧) و (٧٢٢) .
(٤) رواه البزار (٣٥٢٤ ـ كشف الأستار) .
(٥) وهو النكاح والوطءُ بدفع وإزعاج . « النهاية » لابن الأثير (١٠٦/٢) .
(٦) أخرجه من طريق حرملة : ابن حبان (٧٤٠٢) وإسناده حسن .
(٧) رواه الطبراني في «الصغير» (٢٤٩) ومعلى بن عبد الرحمن الواسطي، قال الحافظ في « التقريب » متهم بالوضع .

أبي مالكٍ ، عن أبيهِ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن أبي أُمامةَ : أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ : أيُجَامِعُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ قال : « دَحْماً دَحْماً ، ولكن لا مَنِيَّ ولا منية »[١] . ولما كان المنيُّ يقطع لَذَّة الجماع ، والمنيَّة تقطع لذَّة الحياة ، كانا منفيين عن أهل الجنة .

وقال الطبراني: حدّثنا عبدان بن أحمد، حدّثنا محمد بن عبد الرحيم البَرْقي[٢]، حدّثنا عمرو بن أبي سلمة، حدّثنا صدقة ، عن هاشم بن زيد ، عن سُلَيم أبي يحيى[٣]: أنه سمع أبا أمامة يحدِّث : أنه سمع رسول الله ﷺ وسُئل : هل يتناكح أهل الجنة ؟ قال : « نعم بذَكَر لا يَمَلُّ ، وشهوة لا تنقطع ، دحماً دحماً »[٤] .

فأمَّا إذا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يُولَدَ لهُ كما كان في الدُّنيا وأحبَّ الأَوْلاد :

فقدْ قال الإمامُ أحمدُ : حدّثنا عليُّ بنُ عَبْدِ اللهِ ، حدّثنا مُعاذُ بن هِشامٍ ، حدّثني أبي ، [عن] عامرٍ الأحْولِ ، عن أبي الصِّدِّيقِ ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريّ : أنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ قالَ : « إذا اشْتَهى المُؤْمنُ الْوَلَد في الْجَنَّةِ ، كان حَمْلُهُ وَوَضْعهُ وَسِنّهُ في ساعةٍ وَاحدةٍ ، كما يَشْتَهي » . وكذا رواهُ التِّرْمذيّ وابْنُ ماجَهْ جميعاً ، عن مُحمد بن بشَّارٍ ، عن مُعاذِ بن هشام ، به . وقال التِّرمِذيّ : حسن غريب . وقال الحافظُ الضِّيَاءُ الْمَقْدسيّ : وهذا عِنْدي على شَرْطِ مُسْلِمٍ ، واللهُ أعلمُ .

وقد رواهُ الحاكِمُ عنِ الأَصَمِّ ، عن محمّدِ بن عِيسَى ، عن سَلاَّمِ بنِ سُلَيْمَانَ ، [عن سلاَّم الطويل] ، عن زيْد العَمِّيِّ ، عن أبي الصِّدِّيق النَّاجي ، عن أبي سعيدٍ ، قال : قيل : يا رسولَ الله ، أيولَدُ لأهْلِ الْجَنَّةِ فإنَّ الوَلَدَ منْ تَمام السُّرورِ ؟ فقال : « نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ ، ما هُوَ إلاَّ كَقَدْرِ ما يَتَمنَّى أحدُكُمْ ، فيكُونُ حَمْلُهُ ، وَرَضَاعُهُ ، وَشَبَابُهُ »[٥].

وهذا السِّياقُ يَدُلُّ على أنَّ هذا [أمْرٌ] يقَعُ لأهل الجنة ، خِلافاً لِمَا حَكاهُ البُخاريّ ، والتِّرمِذيّ ، عن إسحاق بن رَاهَوَيْهِ : أنَّ ذلك محمُولٌ على أَنَّهُ لوْ أرادَ ذلك كان ، ولكنه لا يُريدُهُ .

ونُقِلَ عن جماعة منَ التَّابعينَ ، كَطَاوسٍ ، ومُجَاهِدٍ ، وإبراهيمَ النَّخَعيّ ، وَغَيْرِهم أنّ الْجَنَّةَ لا توالد فيها ، وهذا صحيحٌ ، وذلك أن جِماعَهُمْ لا يَقْتضي وَلَداً كما هو الواقعُ لأهل الدُّنيا ، فإنّ الدُّنيا دَارٌ يُرَادُ منْهَا بَقاءُ النَّسْلِ لِتَعْمُرَ ، وأمَّا الْجَنَّةُ ، فالمرادُ بها بقاءُ اللَّذَّةِ ، ولهذا لا يكونُ في جِمَاعِهِمْ مَنِيٌّ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٤٧٩) وفي إسناده ضعف .

(٢) في (آ) : الرقي ، وهو خطأ .

(٣) في (آ) : أن يحيى .

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٧٧٢١) وإسناده ضعيف .

(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٩) والترمذي (٢٥٦٣) وابن ماجه (٤٣٣٨) والبيهقي في « البعث والنشور » عن الحاكم (٤٤٠) ورواه عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٣٧) من طريق سفيان عن أبان عن أبي الصِّدِّيق الناجي ، به ، وهو حديث صحيح .

يَقْطَعُ لَذَّةَ جِمَاعِهِمْ ، وَلَكِنْ إذا أَحَبَّ أَحَدُهُم الْولدَ كان ذلك كما يُريد ، لقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾ [النحل : ٣١] وقال : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف : ٧١] .

ذكر أن أهل الجنة لا يموتون فيها لكمال حياتهم ، بل كل مالهم في ازدياد من قوة الشباب ، ونضرة الوجوه ، وحسن الهيئة ، وطيب العيش

ولهذا جاء في بعض الأحاديث أَنَّهُمْ لا يَنَامُونَ لئلا يَنْشَغِلُوا بهِ عَنِ الْمَلاذّ والمسرَّات والْعيش الهَنيء الطيب ، ولئلا يشتغل بالنوم عن أَلَذِّ ما في الجنة من ذِكر الرَّبِّ وحمده ، والثناء عليه سبحانه ، لا نحصي ثناءً عليه ، نسأل الله الدرجات العلى من الجنة .

قال الله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان : ٥٦ - ٥٧] وقال تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف : ١٠٧ - ١٠٨] أي لا يَخْتَارُون غيرَهَا ، بَلْ هُمْ أرغبُ شَيْءٍ فيهَا ، فلا يختارون بها بدلاً ولا عنها تحوُّلاً ، وَلَيْسَ يَعْتَريهم فيها مَلَلٌ ولا ضَجَرٌ ، كما قد يَسْأَمُ أَهْلُ الدُّنيا بَعْضَ أحْوَالِهم اللذيذة ، ومساكنهم الأنيقة ، وأزواجهم الحِسان ، بل أهل الجنة كما قيل :

فَحلَّتْ سَوادَ القَلْبِ لا أنا بَاغياً سِـوَاهَـا ولا عَـنْ حُبِّهَـا أتحَـوَّلُ

وقد تقدَّم حديثُ ذَبح الموْتِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وأنَّهُ يُنادي مُنادٍ : يا أَهْلَ الْجَنّةِ ، خُلودٌ فلا مَوْتَ ، ويا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فلا مَوْتَ ، كلٌّ خالدٌ فيما هو فيهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ : حدّثنا يَحْيَى بنُ آدَمَ ، حدّثنا حَمْزةُ ، حدّثنا أبو إسْحَاقَ ، عن الأغرّ أبي مُسْلِم ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، وأبي سعيدٍ ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « فيُنادى مع ذلك : إنَّ لكم أنْ تَحيَوْا فلا تمُوتُوا أبداً ، وإنَّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبَداً ، وإنّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهرمُوا أبداً ، وإنّ لكم أن تَنْعَمُوا فلا تَبْأسُوا أبداً » قال : فيُنادَى بهذه الأربعِ(١) .

وقال أحمد : حدّثنا عَبْدُ الرَّزّاقِ قال : قال الثّوريّ : فحدّثني أبو إسْحَاقَ : أنَّ الأغرَّ حَدَّثهُ ، عن أبي سعيدٍ ، وأبي هريرة : أن النّبيَّ ﷺ قال : « فيُنادي مُنادٍ : إنّ لكم أنْ تَحيَوا فلا تمُوتوا أبداً ، وإنّ لكم

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/٣١٩) وهو حديث صحيح .

أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً ، وإنّ لكم أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً ، وإنَّ لكم أن تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبداً » قال : فَذَلِك قَوْلُهُ تعالى : ﴿ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٣] . ورواه مسلم ، عن إسْحَاق بن رَاهَوَيْهِ ، وَعَبْدِ بن حُمَيْدٍ ، كِلاهُما عن عبد الرزاق ، بنحْوِه[١] .

وقال [الحافظُ أبو بكرٍ] البزّارُ : حدّثنا الفَضْلُ بنُ يَعْقُوبَ ، حدّثنا محمد بن يُوسفَ الفِرِيَابيُّ ، عن سُفْيَانَ هُوَ الثَّوْرِيُّ ، عن محمد بن الْمُنْكَدِرِ ، عن جابر ، قال : قيلَ : يا رسولَ اللهِ ، هَلْ يَنامُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ قال : « لا ، النَّوْمُ أخُو المَوْتِ » ثمَّ قال البزّارُ : لا نَعْلَمُ أحداً أسْندَهُ عن محمد بن المُنْكَدِرِ ، عن جابر ، إلا الثَّوْريّ ، ولا وصله سِوَى الفِرْيَابيِّ . كذا قال .

وقد قال الحافظُ أبو بكْرِ بن مردويه : حدّثنا أحمد بن القاسِم بن صَدَقَةَ المِصْريّ ، حدّثنا المِقْدَامُ بنُ دَاوُدَ ، حدّثنا عبدُ اللهِ بنُ المُغيرَةِ ، حدّثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عن محمدِ بنِ المنْكَدِرِ ، عن جابر ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « النَّوْمُ أخُو المَوْتِ ، وأَهْلُ الْجَنَّةِ لا يَنامُونَ » .

ورواه الطَّبرانيُّ ، من حديثِ مُصْعَبِ بن إبراهيم ، عن عِمْرَانَ بن رَبيعِ الكُوفيّ ، عن يَحْيَى بن سعيدٍ الأنْصَاريّ ، عن محمدِ بن الْمُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ : قال : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ : أَينامُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ فقال : « النَّوْمُ أخُو المَوْتِ ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لا يَنامُونَ » .

وَرَوَاهُ البَيْهَقيُّ من حديثِ عبدِ الله بن جَبَلَةَ[٢] بن أبي رَوَّادٍ ، عن سُفْيَانَ الثَّوْريّ ، عن محمدِ بن الْمُنْكَدِرِ ، عن جابر . . . فذكره[٣] .

ثمَّ رَوَى البَيْهَقيُّ عنِ الْحَاكِم ، عنِ الأصَمِّ ، عن عبَّاسٍ الدُّوري ، عن يُونسَ بن محمد ، عن سعيدِ بن زَرْبي ، عن نُفَيْع بنِ الحَارِثِ ، عن عبد اللهِ بن أبي أوْفَى ، قال : سَأل رَجُلٌ رسولَ الله ﷺ ، فقال : النَّوْمُ ممَّا يُقِرُّ اللهُ به أعْيُننا في الدُّنْيا ، أننام في الجنة ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « إن الموت شريك النوم ، ولَيْسَ في الجَنّةِ مَوْتٌ » قالُوا : يا رسولَ اللهِ ، فما رَاحَتُهُمْ ؟ قال : « إنَّهُ لَيْسَ فيها لُغُوبٌ ، كلُّ أمْرِهِم رَاحةٌ » فأنزل الله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر : ٣٥] . ضعيف الإسناد[٤] .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٩٥) ومسلم (٢٨٣٧) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٩٤٢) .

(٢) في (آ) : عبد الله بن خيلة ، وهو خطأ .

(٣) رواه البزار رقم (٣٥١٧ ـ كشف الأستار) والطبراني في « الأوسط » رقم (٨٨١٦) عن المقدام به ، و(٩٢٣) من حديث مصعب ، والبيهقي في « البعث والنشور » (٤٨٧) وهو حديث صحيح .

(٤) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٤٨٩) .

ذكر إحلال الرّضوان عليهم وذلك أفضل ما لديهم(١)

قال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ١٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

وروى مالكُ بنُ أنسٍ ، عن زَيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن عَطاء بنِ يَسارٍ ، عنْ أبي سَعيدٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ اللهَ يَقُولُ لأهْلِ الجَنّةِ : يا أهْلَ الجَنَّةِ ، فيقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبّنا وَسَعْدَيْكَ ، فيقُولُ : هَلْ رَضيْتم ؟ فيقُولُونَ : وما لَنَا لا نَرْضَى ، وَقَدْ أعْطَيْتنا مَا لَمْ تُعْطِ أحداً منْ خَلْقِكَ ؟ فيقُولُ : أنا أُعْطِيكم أفْضَل منْ ذَلِكَ ؟ فقالوا : يا رَبّنا وأيُّ شَيْءٍ أفْضلُ منْ ذَلِكَ ؟ فقال : أُحِلُّ عَلَيْكم رِضْوَاني فلا أسْخَطُ عَلَيْكم بَعْدَهُ أبداً » . وأخرجاهُ في « الصَّحيحين » منْ حديث مالك ، به(٢) .

وقال [أبو بكْرٍ] البَزَّارُ : حدّثنا سلمة بن شَبِيبٍ ، وَالفَضْلُ بنُ يَعْقُوبَ ، قالا : حدّثنا الفريابي ، عن سُفْيَانَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابر ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الْجَنَّة ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ألا أُعْطِيكُمْ » قال : أحْسَبُهُ قال : « أفْضَلَ من ذلك ؟ قالُوا : يا رَبَّنَا ، هَلْ شَيْءٌ أفضلُ ممَّا أعْطَيْتنا ؟ قال : رِضْوَاني أكْبَرُ » . وهذا الحديث على شرْطِ البُخاريّ ، ولم يُخْرِجْهُ أحدٌ منْ أصْحابِ الكُتُبِ منْ هذا الوجه(٣) .

ذكر نظر الرب تعالى إلى أهل الجنة وتَسْلِيمه عَلَيْهم

قال الله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس : ٥٨] .

وقال أبو عَبْدِ الله محمد بنُ يزيدَ بن مَاجَهْ في كتابِ السُّنَّةِ منْ « سُنَنِهِ » : حدّثنا محمدُ بنُ عَبْدِ الْمَلِك بن أبي الشَّوَارِبِ ، حدّثنا أبو عاصم العَبَّادَانيُّ ، حدّثنا الفَضْلُ الرَّقَاشيُّ ، عن محمدِ بنِ الْمُنْكَدِرِ ، عن جابرِ بن عَبْدِ الله ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بَيْنَا أهلُ الْجَنَّةِ في نَعِيمهمْ ، إذ سَطَع لَهُمْ

---

(١) في (آ) : مما لديهم .
(٢) رواه البخاري رقم (٦٥٤٩) ومسلم (٢٨٢٩) .
(٣) وأخرجه ابن حبان (٧٤٣٩) من طريق الفريابي عن سفيان .

نُورٌ ، فَرَفعُوا رُؤوسَهُمْ ، فإذَا الرَّبُّ عزَّ وجلَّ قَدْ أشْرَفَ عَلَيْهِمْ منْ فَوْقِهِمْ ، فقال : السَّلامُ عَلَيْكم يا أهْلَ الْجَنَّةِ » قال : « وذلك قولُهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يس : ٥٨] » قال : « فينظر إليهم ، وينظرون إليْهِ ، ولا يلتفتون إلى شَيْءٍ منَ النَّعيمِ ما دَامُوا يَنْظُرُون إليْهِ ، حتَّى يَحْتَجبَ عَنْهُمْ ، وَيبْقَى نُورُهُ ، وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ في دِيَارِهِمْ » .

وقد رواهُ البَيْهقيُّ مُطَوَّلاً منْ هذا الوجْهِ ، فقال : حدَّثنا عليّ بنُ أحمد بن عَبْدَانَ(١) ، حدَّثنا أحْمَد بن عُبَيْدٍ ، حدَّثنا الكُديمي ، حدَّثنا يَعْقُوبُ بنُ إسماعيل أبُو يُوسُفَ السَّلَّالُ ، حدَّثنا أبو عاصِمٍ العَبَّادَانيُّ ، عن الفَضْلِ بن عيسى الرَّقَاشيّ ، عن محمدِ بنِ الْمُنْكَدِرِ ، عن جابر ، قال رسولُ اللهِ ﷺ : « بَيْنَمَا أهْلُ الْجَنَّةِ في مَجْلِسٍ لَهُمْ ، إذْ سَطَعَ لَهُمْ نُور على بابِ الْجَنَّةِ ، فَرَفعُوا رُؤوسَهُمْ ، فإذا الرَّبُّ تعالى قد أشْرَفَ عليهم ، فقال : يا أهلَ الْجَنَّةِ ، سَلُوني ، قالوا : نَسْألُكَ الرِّضَا عَنَّا ، قال : رضاي عنكم أحَلَّكم دَاري ، وأنالَكم كَرَامتي ، هذا أوَانُها ، فَسَلُوني ، قالوا : نَسْألُكَ الزِّيادةَ ، قال : فيُؤتَوْنَ بِنَجائبَ من ياقُوتٍ أحمر ، أزِمَّتُها زُمُرُّدٌ أخضرُ ، ويَاقُوتٌ أحْمَرُ » قال : « فحملوا عليْهَا ، تَضَعُ حَوافِرَهَا عِنْد مُنْتَهى طَرَفِها ، فيَأمُرُ اللهُ بأشْجارٍ عليْها الثِّمارُ ، فتُتْحِفُهم من ثمارها ، فتَجيءُ حَوَارٍ من الحُورِ العِينِ ، وَهنَّ يَقُلْنَ : نَحْنُ النَّاعماتُ فَلا نَبْأس ، وَنَحْنُ الخالِدَاتُ فلا نمُوت ، أزْواجُ قَوْمٍ مُؤْمنينَ كِرام . وَيَأمُرُ اللهُ بكُثْبانٍ منْ مِسْكٍ أذْفَرَ ، فتُثيرُه عَلَيْهِمْ ريح يُقالُ لها : الْمُثيرَةُ ، حتَّى تنْتهي بهِمْ إلى جَنَّةِ عَدْنٍ ، وَهِيَ قَصَبةُ الْجَنَّةِ ، فتَقُولُ الملائكةُ : يا رَبَّنا قَدْ جَاءَ أهل النِّعْمةِ وهمُ القوم ، فيَقُولُ : مَرْحباً بالصَّادقين ، مَرْحباً بالطَّائعينَ ، مرحباً بالمتقين » قال : « فيُكْشَفُ لَهُم الحِجابُ ، فيَنْظُرُونَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ فيَتَمتَّعُون بِنُورِ الرَّحْمنِ ، لا يُبْصرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، ثمَّ يَقولُ : أرْجِعُوهُم إلى قُصُورِهِمْ بالتُّحَفِ ، فيَرْجِعُونَ وَقَدْ أبْصَرَ بَعْضُهُمْ بعْضاً » قال رسولُ اللهِ ﷺ : « وذلك قَوْلُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴾ [فصلت : ٣٢] » . ثمَّ قال البَيْهقيّ : وقدْ مَضَى في هذا الكتابِ في كِتابِ الرُّؤْيَةِ ما يُؤيِّدُ ما رُوي في هذَا الْحَديثِ ، والله أعلم .

وذكر أبو المَعَالِي الجُوَيْنيّ في « الرَّدِّ على السِّجزيّ » أنّ الرَّبَّ تبارَكَ وتعالى : إذا كَشَفَ الْحِجَابَ ، وَتَجلَّى لأهْلِ الْجَنَّةِ ، تَدفَّقَتِ الأنْهارُ ، وَاصْطَفَقَتِ الأشْجارُ ، وَتَجاوَبَتِ الأطيار والسُّرُرُ والغُرفات وما فيها بالصَّرير والتعظيم ، والتسبيحات ، والأعْيُنُ الْمُتَدفِّقَاتُ بالْخرير ، وَاسْتَرْسَلَتِ الرِّيحُ المُثيرةُ وَبثَّتْ في الدُّورِ والقُصُورِ المِسْكَ الأذْفَرَ ، وَالكافُورَ ، وَغرَّدَتِ الطُّيُورُ ، وَأشْرَفَتِ الْحُورُ .

والفَضْلُ بنُ عيسى ضعيفٌ ، ولكنْ رَوَى الضِّيَاءُ منْ حديثِ عبدِ اللهِ بن عبيد اللهِ ، عن

(١) في (آ) : محمد بن عبد الله بن عبدان ، وهو خطأ .

محمد بن المُنكَدِرِ ، عن جَابِرٍ ، مرفوعاً ، مثلَهُ[(١)] .

ذِكر رؤية أهل الجنَّة ربهم عزَّ وجلَّ في مثل أيام الجمع في مجتمع لهم معدٍّ لذلك هنالك

قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [المطففين : ١٥ ـ ٢٤] . وقال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] فذكر عن الفجار أنهم محجوبون ، وأن الأبرار إليه ينظرون .

وقدْ تَقدَّمَ في حديثِ أبي مُوسى الأشْعَريّ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « جَنَّتانِ منْ ذَهَبٍ آنيَتهُما وما فِيهما ، وجَنَّتانِ منْ فِضَّةٍ آنيَتهُمَا ومَا فيهما ، وليس بَيْن القَوْمِ وَبَيْنَ أنْ يَنْظُرُوا إلى ربِّهِم عزَّ وجلَّ إلاَّ رداء الكِبْريَاء على وَجْههِ في جنَّة عَدْنٍ » . أخرجاه في « الصحيحين »[(٢)] .

وفي حديث ابن عُمَرَ : « وَأعْلاهُمْ منْ يَنْظُرُ إلى وجه الله تعالى في اليومِ مَرَّتَيْنِ »[(٣)] .

وله شاهدٌ في « الصَّحيحين » عن جَرير بن عبد الله مرفوعاً عِنْدَ ذِكْرِ رُؤيَةِ المؤمنينَ رَبَّهُمْ عزَّ وجلَّ يومَ القِيامةِ ، كما يَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالقمَر ، قال : « فإنِ اسْتَطَعْتمْ ألاّ تُغلبُوا على صلاةٍ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ غُرُوبها فافْعَلُوا » ثمَّ قَرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق : ٣٩][(٤)] .

وفي « صحيح البُخاريّ » عن النبي ﷺ قال : « إنكُمْ سَتَروْنَ رَبَّكم عِياناً »[(٥)] . فأرْشَدَ هذا السياق على أن رؤية الله عزَّ وجلَّ تقع لأهل الجنة في مثل أوْقاتِ العِبَادات ، فكأنَّ المُبَرَّزين منَ المقرَّبين الأخْيَار يَرَوْنَ الله عزَّ وجلَّ في مِثْلِ طَرَفي النَّهارِ غُدْوةً وَعَشيّاً ، وهذا مقام عالٍ ، فيرونه تعالى على أرَائِكِهِمْ وَسُرُرِهم كما يرون القَمر ليلة البدر ، فيرونه أيضاً غير رؤيتهم إياه في منازلهم في الجنة ، حيثُ يَجتمعُ أهلُ الجَنَّةِ في وَادٍ أفْيَحَ ـ [أيْ مُتَّسع] ـ منْ مِسْكٍ أبْيَضَ ، فيَجْلِسُونَ فيهِ على قَدْرِ منازِلِهِمْ ، فمنْهُمْ منْ يجلس على منابر منْ نُورٍ ، ومنهم من يجلس على مَنابرَ منْ ذَهبٍ ، وغيرِ ذلكَ منْ أنواعِ الجَواهِر وغيرِها ، ثمَّ تُفَاضُ عَليهمُ النِّعمُ [والْخِلَعُ] ، وتوضع على رؤوسهم التيجان ، وبين أيْدِيهم

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤) والبيهقي في « البعث والنشور » (٤٩٣) .
(٢) رواه البخاري (٤٨٣٨) ومسلم (١٨٠) .
(٣) رواه أحمد (٢/ ١٣) والترمذي (٢٥٥٣) .
(٤) رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣) .
(٥) رواه البخاري (٧٤٣٥) .

الموائدُ بأنواعِ الأطْعِمَةِ وَالأشْرِبَةِ ممَّا لا عَيْنٌ رَأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَر على قَلْبِ بشَرٍ ، ثُمَّ يُطَيَّبُونَ بأنْوَاعِ الطِّيبِ ، ويُخصُّون بأنْواعِ الكرامات والتحف ممَّا لم يَخْطُرُ على بَالِ أحَدٍ منهم قبْل ذلك ، ثُمَّ يَتَجلَّى لَهُمُ الحَقُّ سُبْحانه وتعالى ، وَيُخَاطِبُهُمْ واحداً واحداً ، كما دلت على ذلك الآيات ، والأحاديثُ ، كما سيأتي إيرادُها قريباً . على رغم أنوف المعتزلة وغيرهم ممن ينكر رؤيته سبحانه في الدار الآخرة .

وقَدْ حكَى بَعْضُ العُلماء خِلافاً في النِّسَاء : هَلْ يَرَيْن الله عزَّ وجلَّ في الجَنَّةِ كما يَراهُ الرِّجالُ ؟ فقيل : لا يرونه ، لأنَّهنّ مَقْصُوراتٌ في الخِيَامِ ، لا يبرزن منها ، وقيل : لنقص عقولهن ودينهن ورغبتهن في الدنيا . وقيل : بل يرونه سبحانه ، لأنَّهُ لا مَانِعَ منْ رُؤْيَتِهِ تعالى في الخيَامِ والقصور ، وغَيْرِها ، والنساء إذا دخلن الجنة ذهب عنهن ما كان يعتريهن من النَّقص في الدنيا ، وصرن أزواجاً مطهرة من كل أذى ، وطبن أخلاقاً وخَلْقاً ، فلا مانع لهنَّ من رؤيتهن لربهن عز وجل ، والله أعلم . وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين : ٢٢ ـ ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يس : ٥٦] .

وقال رسول الله ﷺ : « إنكُمْ سَتروْنَ رَبَّكُمْ عزَّ وجلَّ ، كما تَرَوْنَ [هَذا] القَمَر [ليلة البدر] لا تُضامُونَ في رُؤْيتِهِ ، فإن اسْتطعْتُمْ ألاّ تُغْلبُوا على صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقبْلَ غُروبها فافعَلُوا »(١) . وهذا عامٌّ في الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، والله أعلم .

وقالَ بَعْضُ العُلَماءِ قَوْلاً ثَالثاً ، وَهُوَ أنَّهُنَّ يَرَيْنَ الله في مِثْلِ أوقات الأعْيَادِ ، فإنَّهُ تعالى يَتَجلَّى لأهل الجنة في مِثْل أيّام الأعْيَادِ تجلِّياً عامّاً ، فيَرَيْنَهُ في مِثْل هِذِه الحالِ في جملة أهل الجنة ، وهَذا القَوْلُ يَحْتَاجُ إلى دَليلٍ خاصٍّ ، واللهُ أعْلَمُ .

وقد قال الله تعالى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] وَقدْ رُوي عَنْ جَماعةٍ منَ الصَّحابَةِ وَالتَّابعِينَ أنهم فسَّروا الزِّيَادَة بالنَّظَرِ إلى وَجْهِ الله تعالى ، مِنْهُمْ : أبُو بكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وأُبيُّ بن كَعْب ، وكَعْب بنُ عُجْرةَ ، وَحُذَيْفةُ بنُ اليَمانِ ، وأبو مُوسى الأشْعَريّ ، وَعَبْدُ الله بن عَبَّاسٍ ، رضي اللهُ عنهمْ . ومن التابعين : سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ ، ومُجاهِدٌ ، وعِكْرِمَةُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ أبي لَيْلَى ، وَعبدُ الرَّحْمنِ بنُ سابط ، والْحَسَنُ ، وَقَتادة ، والضحَّاكُ ، والسُّدِّيُّ ، وغيرهمْ منَ السَّلفِ ، والخَلَفِ .

وقدْ رُوي حديثُ رُؤْيةِ المُؤْمنينَ لربِّهمْ عزَّ وجلَّ في الدار الآخِرَةِ عنْ جماعةٍ منَ الصَّحابةِ ، منْهُمْ :

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٤٣٤) ومسلم (٦٣٣) .

أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، وقدْ تَقدَّمَ حَدِيثُهُ مطولاً[١] ، وعليّ بن أبي طالب ، وقدْ روَى حدِيثَهُ يَعْقُوبُ بنُ سُفْيَانَ ، فقالَ : حدّثنا مُحمَّدُ بنُ مُصفّى ، حدّثنا سُوَيْدُ بنُ عبد العزيز ، حدّثنا عَمْرو بنُ خَالدٍ ، عنْ زيْدِ بن عَليٍّ ، عنْ أبيهِ ، عنْ جَدِّهِ ، عنْ علي بن أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَرَى أهْلُ الْجَنَّةِ الرَّبَّ تعالى في كلِّ جُمُعةٍ . . . » وذَكر تمَامَ الْحَديثِ ، وفيهِ : « فإذَا كَشفَ الْحِجَابَ كأنّهُمْ لم يروْا نِعْمةً قبْلَ ذَلِكَ ، وهُوَ قولهُ تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥] »[٢] . ومنهمْ أُبيّ بن كعبٍ ، وَأنَسُ بنُ مَالِكٍ ، وبُرَيْدةُ بنُ الحُصَيْب ، وجَابرُ بنُ عبد الله ، وجريرُ بنُ عبد الله ، وَحُذَيْفةُ ، وزَيْدُ بنُ ثَابتٍ ، وسَلْمانُ الفَارسيُّ ، وأبو سَعيدٍ سَعْدُ بنُ مالك بن سنانٍ الْخُدريّ ، وَصُهَيْبُ بن سِنَان الرُّومي وَعُبادةُ بنُ الصَّامِتِ ، وأبو أُمَامةَ صُدَيّ بنُ عَجْلانَ البَاهليُّ ، وعبد الله بن عَبَّاسٍ ، وابنُ عمر و[عبد الله] بنُ عمرو ، وأبو مُوسَى عبد الله بنُ قَيْس ، وعبد الله بن مَسْعُودٍ ، وعَدِيُّ بن حَاتِمٍ ، وعَمّارُ بنُ يَاسِرٍ ، وَعُمارة بنُ رُويبَةَ ، وأبو رَزِين العُقَيْليّ ، وأبو هُرَيْرَةَ ، ورجلٌ منَ الصَّحابَةِ ، وعائشةُ أمُّ المُؤْمنين ، رَضِي اللهُ عَنْهُمْ أجمعينَ .

وقدْ تَقدَّم كثيرٌ منْهَا ، وَسَيأتي بقيتها ممَّا يَليق بهذَا المَقَام إنْ شاء اللهُ تعالى .

وقالَ الإمامُ أحمد : حدّثنا عفانُ ، حدّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، عنْ ثَابتٍ البُنَانيِّ ، عَنْ عبْدِ الرحمن بنِ أبي لَيْلَى ، عنْ صُهَيْبٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ تَلا هَذه الآية : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] فقالَ : « إذَا دَخَل أهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّة ، وَأهْلُ النَّار النَّار ، نَادَى مُنَاد : يا أهْلَ الْجَنَّةِ إنَّ لكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعداً يريدُ أنْ يُنجزكمُوهُ ، فيقولُونَ : ومَا هُوَ ؟ ألم يثقلْ مَوازِيننا ويُبَيِّضْ وجوهَنا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، ويزحزحنا عَن النَّارِ ؟ » قالَ : « فيَكْشفُ لَهُم الحِجَابَ ، فيَنْظرُونَ إلَيْهِ » قال : « فوالله ما أعْطَاهُم اللهُ شَيْئاً أحَبَّ إليْهِمْ منَ النَّظرِ إليهِ ، ولا أقرَّ لأعْينهِم » . وهكذا رواه مسلم من حَدِيثِ حمَّادِ بن سَلَمة[٣] .

وقالَ عبد الله بن المبارَكِ : حدّثنا أبو بَكْر الهذلي[٤] ، أخْبَرني أبو تَميمَةَ الْهُجَيْميّ ، قال : سمعْتُ أبَا مُوسى الأشْعريّ يَخْطُبُ على مِنْبر البَصْرَةِ ويَقولُ : إنّ اللهَ يَبْعَثُ يومَ الْقِيامةِ مَلَكاً إلى أهْلِ الْجَنَّةِ ، فيَقُولُ : يا أهْلَ الْجَنَّةِ ، هلْ أنْجزَ لكم الله ما وَعَدكُمْ ؟ فيَنْظُرون ، فيَروْنَ الْحُليَّ والحُلَلَ ، والثمار ، والأنهارَ ، والأزْوَاجَ المُطَهَّرَة ، فيقولون : نَعَمْ ، قَدْ أنْجزَ اللهُ لنا ما وَعَدَنَا ، قالوا ذلك ثلاث مرّاتٍ ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٤ ـ ٥) وقواه المصنف في آخر مسند الصديق .
(٢) ذكره محمد بن إبراهيم الوزير اليماني في « العواصم والقواصم » (٥/ ١٥٠) عن يعقوب بن سفيان ، حدّثنا محمد بن المصفَّى ، حدّثنا سويد بن عبد العزيز ، حدّثنا عمرو بن خالد ، عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب مرفوعاً ، وإسناده ضعيف جداً .
(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٣٣) ومسلم (١٨١) .
(٤) في الأصل (ج) : الألهاني وفي (ص) الألقاني . والتصحيح من كتب الرجال .

فيقول : قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ ، وإن الله تعالى يقول : ﴿ ۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ [يونس : ٢٦] ألا إنّ الحُسْنَى الْجنّةُ ، وَالزِّيَادَةَ النَّظَرُ إلى وجهِ اللهِ عزَّ وجلَّ . هكذا ذكره موقوفاً . وقدْ رَوَى ابنُ جَريرٍ وَابنُ أبي حَاتِمٍ حديثَ أبي تَميمَةَ الْهُجَيْميّ ، عن أبي مُوسى الأشْعَريِّ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنّ الله يَبْعَثُ يَوْمَ القِيَامةِ مُنَادياً ينادي أهل الجنة بصوت يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ وآخرهم : إنَّ اللهَ وَعَدَكُمُ الْحُسْنَى وزِيَادةً ، الْحُسْنَى الْجنّةُ ، والزِّيَادَةُ النّظَرُ إلى وجْهِ الرَّحْمَنِ » .

ورواه ابن جرير من حديثِ زُهَيْرٍ ، عمّنْ سَمِعَ أبَا العَالِيَةِ ، حدّثنا أُبَيُّ بنُ كَعبٍ : أنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ ۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ [يونس : ٢٦] . قال : « الحُسْنَى الجنّةُ ، والزِّيَادَةُ النَّظَرُ إلى وجهِ الله عزَّ وجلَّ »[١] .

ورواهُ ابنُ جَريرٍ أيضاً عن ابنِ حُمَيْدٍ ، عن إبراهيمَ بنِ المخْتَارِ ، عنِ ابن جُرَيْجٍ ، عن عَطاء ، عن كَعْبِ بن عُجْرَةَ ، عن النَّبيِّ ﷺ في قولِهِ : ﴿ ۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ [يونس : ٢٦] قال : « النّظَرُ إلى وجه الرَّحْمَن عزَّ وجلَّ »[٢] .

وقال الحسنُ بن عَرفةَ : حدّثنا سَلْم بنُ سَالِمٍ[٣] ، عن نوح بن أبي مريمَ ، عن ثَابتٍ ، عن أنسِ بن مالكٍ ، قال : سُئلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن هذه الآية : ﴿ ۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ [يونس : ٢٦] قال : « ﴿ ۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ﴾ العَمَلَ في الدُّنيا ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ هيَ الجَنّةُ ، وَ(الزِّيَادةُ) النّظر إلى وجهِ الله عزَّ وجلَّ » . سَلْم وشَيخُهُ نُوحٌ مُتكَلَّمٌ فيهما ، والله أعلم[٤] .

وقال الإمامُ أبو عَبدِ اللهِ محمد بن إدْريسَ الشّافعيّ في كتاب الجُمُعَةِ منْ « مُسْنَدِهِ » : حدّثنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ ، حدّثني مُوسى بنُ عُبَيْدَةَ ، حدّثني أبو الأزهرِ مُعَاويةُ بن إسْحَاقَ بن طَلْحَة ، عن [عبد الله بن] عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ : أنّهُ سَمِعَ أنس بن مالكٍ يقولُ : أتي جِبْريلُ بمِرْآةٍ بَيْضاءَ فيهَا نُكْتَة إلى النبيِّ ﷺ ، فقال النّبيُّ ﷺ : « ما هَذِهِ ؟ » فقال : هذه الجُمُعةُ فُضِّلْتَ بها أنتَ وَأُمَّتُكَ ، والنّاسُ لَكم فِيهَا تَبَعٌ ، اليَهُودُ والنّصارَى ، ولَكم فيهَا خيرٌ ، وفيهَا ساعةٌ لا يُوافقُها مُؤمنٌ يَدْعُو اللهَ بِخَيْرٍ ، إلاّ اسْتُجيبَ لهُ ، وهُوَ عِنْدَنا يَوْم المَزيدِ ، قال النبيُّ ﷺ : « يا جبريل ما يَوْمُ الْمَزيدِ ؟ » قال : إنّ رَبَّكَ اتّخَذَ في الْفِرْدَوْس وَادِياً أفْيَحَ ، فيهِ كثُبُ مِسْكٍ ، فإذا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، أنْزَلَ اللهُ ما شاءَ منْ مَلائكَتِهِ ، وَحَوْلَهُ

(١) وإسناده ضعيف .

(٢) وإسناده ضعيف .

(٣) في الأصول : مسلم بن سالم ، وهو خطأ .

(٤) رواه الحسن بن عرفة في « جزئه » (٢٣) بإسناده ، وقال الخطيب البغدادي (٩/ ١٤٠) وهو خطأ ، والصواب عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ﷺ .

منابرُ منْ نُورٍ ، عَلَيْهَا مَقاعِدُ النَّبيِّين ، وحَفَّ تِلْكَ الْمَنابِرَ بِمَنابِرَ منْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ باليَاقوتِ والزَّبَرْجَدِ ، عَلَيْهَا الشُّهَدَاءُ والصِّدِّيقُونَ ، فَجَلسُوا منْ ورَائِهِمْ على تِلْكَ الكُثُبِ ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : أنَا رَبُّكم قَدْ صَدَقْتُكم وَعْدي ، فَسَلُوني أُعْطِكم ، فيقولون : ربَّنا نَسْأَلُكَ رِضْوَانَكَ ، فيقولُ : قَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ ، ولَكُمْ عِنْدي ما تَمَنَّيْتُمْ ، وَلَديَّ مَزيدٌ ، فَهُمْ يُحِبُّونَ يَومَ الجُمُعَةِ لمَا يُعْطِيهمْ فيهِ رَبُّهُمْ مِنَ الْخَيْرِ ، وهُوَ اليومُ الَّذي اسْتَوَى فيهِ ربُّكُمْ على الْعَرْشِ ، وفيه خلقَ آدَم ، وفيه تقُومُ السَّاعةُ(١) .

وقد رواهُ البزّارُ منْ حديثِ جَهْضم بنِ عَبْدِ اللهِ ، عن أبي طَيْبَة ، عن عُثْمانَ بن عُمَيْرٍ ، عنْ أنس بن مالك ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أتاني جِبْريلُ وفي يَدِهِ مِرآةٌ بَيضاءُ فيهَا نُكْتةٌ سَوداء ، فقلت : ما هذه يا جبريل ؟ فقال : هذه الجمعةُ يَعْرِضُها عليك ربُّكَ لِتَكُون لكَ عِيداً ، ولأمتك منْ بَعْدِك ، تكُونُ أنتَ الأوَّلَ ، وتكُـونُ الْيَهُودُ والنَّصارَى منْ بَعْدِكَ ، قال : ما لَنا فِيهَا ؟ قالَ : لكُمْ فيهَا خَيْرٌ ، لكُمْ فيها سَاعَةٌ منْ دَعَا رَبَّهُ فِيها بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قِسْمٌ إلا أعْطاهُ إياهُ ، أوْ لَيْسَ لهُ بقسمْ ، إلا ادَّخر لهُ ما هو أعْظَمُ منْهُ ، أو تعوَّذ فيها منْ شر ما هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ ، إلا أعاذَهُ مما هو أعظم منْهُ » قال : « قُلْتُ : ما هَذِهِ النُّكْتةُ السَّوْداءُ ؟ قال : هيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَـوْمَ الجمعة ، وهُـوَ سَيِّد الأيام عِنْدنا ، ونَحْن نَدْعُوهُ في الآخِرةِ يَوْمَ الْمَزيدِ ، قلت : وما يَوْمُ الْمَزيدِ ؟ قال : إنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ وَادِياً في الْجَنَّةِ أفْيَح ، منْ مِسكٍ أبيضَ ، فإذَا كانَ يَوْمُ الجمُعَةِ نَزَل تعـالى منْ عِلِّيِّين على كُرْسِيِّهِ ، ثمَّ حُفَّ الْكُرْسيُّ بمنابرَ منْ نُور ، وجَـاءَ النَّبيُّون حتَّى يَجْلسُوا عَلَيْهـا ، ثمَّ حُـفَّ المَنابرُ بكَراسِيَّ منْ ذَهَبٍ ، ثمَّ جَاءَ الصِّدِّيقُونَ ، والشُّهداءُ حتَّى يجلسُوا علَيْها ، ثمَّ يَجِيءُ أهْلُ الْجَنَّةِ حتَّى يجْلِسُوا على الكُثُبِ ، فيَتَجَلَّى لهُمْ رَبُّهُمْ عزَّ وجلَّ حتَّى يَنْظرُوا إلى وَجْهِهِ ، وهُوَ يَقُولُ : أنَا الَّذي صَدَقْتُكُمْ وَعْدي ، وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي ، هذا مَحَلُّ كَرَامَتي ، فَسَلُوني ، فيسألُونَهُ الرِّضَا ، فيَقُولُ : رِضَايَ أحلَّكُمْ داري ، وأنالَكمْ كَرامتي ، فَاسْألُوني ، فَيسألُونهُ ، حتَّى تَنْتَهي رَغْبَتُهُمْ ، فيُفْتَحُ لهم عِنْدَ ذَلِكَ من إنعامه مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَـر على قَلْبِ بَشَرٍ ، وذلك إلى مِقْدار منصرف النَّاسِ من الجمعةِ ، ثمَّ يَصْعَدُ تعالى على كُرْسيِّهِ وَيَصْعد مَعهُ الشُّهَداءُ ، والصِّدِّيقُون » وأحْسَبُهُ قالَ : « وَيرْجِعُ أهْلُ الغُرَفِ إلى غُرَفِهِمْ دُرَّةً بَيْضـاء لا قَصْم فِيهَـا ولا وَصْم ، أوْ يَاقُوتةً حَمْـراءَ ، أوْ زَبرْجَـدةً خَضْراءَ ، منهـا غُرفُهَا وأبْوابُها ، مُطَّرِدةً فِيهَا أنْهَارُهَا ، مُتَدَلِّيَةً فيها ثمارُها ، فِيهَا أزْوَاجُها وَخَدَمُها ، فَلَيْسُوا إلى شَيْءٍ أحْوجَ مِنْهُمْ ولا أشوق إلى يَوْمِ الجمعةِ ليزدَادُوا فيهِ كرَامةً ، ويَزدادُوا نَظراً إلى وَجْهِهِ تعالَى ، ولِذلكَ سُمِّيَ يَوْمَ المَزيدِ » .

ثمَّ قال البزّار : لا نعْلمُ أحداً رواهُ عنْ أنسٍ غيْر عُثمان بن عُمَيْرٍ أبي اليَقْظانِ ، وعُثْمان بن صالحٍ .

---

(١) رواه الشافعي في « مسنده » (١/ ٣٧٤ ـ بترتيب السندي) وإسناده ضعيف .

هكذَا قال ، وَقدْ رَوَيناهُ منْ طَريقِ زيادِ بن خَيْثمةَ ، عنْ عُثْمانَ بن [أبي] مُسلِم ، عنْ أنس . . . ، فذَكَر الحَديثَ بِطُولهِ مِثْلَ هَذا السِّياقِ ، أوْ نَحْوَه .

وتقدّمَ في روَايةِ الشَّافعيِّ ، عَنْ [عَبْدِ اللهِ بن] عبيد بن عُمَيْر عنه ، فَقَدْ اختَلَفَ الرُّوَاةُ فيه عنه ، وكانَ بَعْضُهُمْ يُدَلِّسُهُ لِئَلاَّ يُعْلَمَ أمْرُهُ ، وذلكَ لما يُتوهَّمُ منْ ضَعْفِهِ . والله أعلم .

وقدْ رَواهُ [الْحَافِظُ] أبُو يَعْلَى المَوْصليّ في « مُسْنَدِهِ » عن شَيْبان بن فرُّوخ ، عنِ الصَّعِقِ بن حَزْنٍ ، عنْ عَلي بن الْحَكَم البُنَاني ، عنْ أنسٍ . . . فذكرَ الْحَديث ، فَهَذِهِ طُرُقٌ جَيِّدَةٌ عَنْ أنَسٍ ، وهي شاهدة لِروَايةِ عُثْمانَ بن عُمَيْر .

وقد اعْتَنى بهَذَا الْحَديثِ [الحَافِظُ أبو الْحَسنِ] الدّارَقُطْنيّ ، فأوْرَدَهُ منْ طُرُقٍ ، قال الْحَافظُ الضياء : وقد رُوِيَ منْ طَرِيق جَيِّدة ـ [وهي شاهدة لرواية عثمان بن عمير] ـ عنْ أنَسٍ بن مالِكٍ ، رَوَاهُ الطَّبَرانيُّ ، عنْ أحمد بن زُهَيْر ، عنْ مُحمَّد بن عُثْمان بن كرامة ، عَنْ خَالِد بن مَخْلدٍ القَطَوَانيّ ، عنْ عبدِ السَّلام بن حَفْصٍ ، عَنْ أبي عِمرانَ الجوْنيّ ، عنْ أنَسٍ . . . فذكرهُ[1] .

وقدْ رواهُ غيرُ أنَس مِنَ الصَّحابةِ .

قال البزَّارُ : حدّثنا مُحمَّدُ بن معمّر ، وَأحْمَدُ بنُ عمرو[2] العُصْفُريُّ ، قالا : حدّثنا يحيى بن كثير العَنْبَريّ ، حدّثنا إبراهيمُ بنُ الْمَبارَكِ ، عَنِ القَاسم بن مُطَيّبٍ ، عن الأعمشِ ، عَنْ أبي وائل ، عنْ حُذيْفَة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أتَانِي جبْرِيلُ ، فَذَكَر يَوْمَ الْمَزِيدِ » قال : « فَيُوحِي الله عز وجل إلى حَمَلةِ العَرشِ أنْ يَرفعوا الْحُجُبَ فيما بَيْنَهُمْ وَبيْنَهُ ، فيكُونُ أوَّلَ ما يَسْمعُون مِنهُ : أيْن عَبَادِي الذَّينَ أطَاعُوني بالغَيْبِ ولم يرَوْنِي ، وصَدَّقُوا رُسُلِي ، وَاتَّبعُوا أمْري ، سلوني ، فهذَا يوْم المَزِيدِ ، فَيَجْتَمِعُونَ على كلمةٍ وَاحدةٍ : أن رَضِينا عنك ، فَارْضَ عنَّا ، فيُرَجِّعُ في قوله : يا أهْلَ الْجنَّةِ ، إنِّي لوْ لم أرْضَ عَنْكمْ لم أُسكنكم جَنَّتي ، هَذَا يَوْم المزيدِ ، فَسَلُوني ، فيَجْتَمعُونَ على كلمَةٍ واحدةٍ : أرِنا وَجْهَك يا رَبِّ نَنْظُرْ إليهِ » قال : « فيَكْشِفُ الْحُجُبَ ، فيَتَجَلَّى لهُمْ ، فيَغْشَاهُمْ منْ نُورِهِ ما لولا أنَّ الله قَضَى ألاّ يَمُوتُوا لاحترقُوا ، ثمَّ يقالُ لهمْ : ارْجِعُوا إلى مَنَازِلكُمْ ، فيرجعون إلى منازلهم ولهُمْ في كلِّ سَبْعَةِ أيام يوْمٌ يتجلى لهم فيه ، وذلكَ يَوْم الجُمُعة »[3] .

---

(١) رواه البزار رقم (٣٥١٩ ـ كشف الأستار) وأبو يعلى (١٤٧٣) والطبراني في « الأوسط » (٢١٠٥) وهو حديث حسن .

(٢) في الأصول : أحمد بن حفص ، وهو خطأ .

(٣) رواه البزار (٣٥١٨ ـ كشف الأستار) وإسناده ضعيف .

ذِكر سوق الجنَّة

قال الحافِظ أبو بَكْرِ بنُ أبي عَاصِم : حدّثنا هِشَامُ بنُ عَمّارٍ ، حدّثنا عَبْدُ الْحَميدِ بنُ حبيب بن أبي العِشْرِينَ ، عن الأوْزَاعيّ ، عن حَسَّانَ بن عطيَّةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ : أنَّهُ لَقِيَ أبا هُريرةَ ، فقال أبو هُرَيرةَ : أسْألُ اللهَ أنْ يَجْمَعَ بَيْني وَبَيْنَكَ في سُوقِ الْجنّةِ ، فقال سعيدٌ : أوَ فيهَا سُوقٌ ؟ قال : نَعَمْ ، أخْبَرني رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أهْلَ الْجَنَّة إذا دَخلُوها نزلُوها بفَضْلِ أعْمالِهِمْ ، فيُؤْذَنُ لهمْ في مِقْدارِ يوم الْجُمُعةِ منْ أيّام الدُّنْيا ، فيَزُورُونَ اللهَ عز وجل في رَوْضَةٍ منْ رِياضِ الجَنّةِ ، فتُوضَعُ لهم مُنابرُ منْ نُورٍ ، ومَنابر من لُؤلُؤ ، ومَنابرُ منْ زَبرْجدٍ ، ومنابرُ منْ ياقُوتٍ ، ومنابرُ منْ ذهبٍ ، ومنابرُ منْ فضَّةٍ ، ويَجْلسُ أدْناهُمْ ـ وما فيهمْ دَنيٌّ ـ على كُثْبانِ المِسْكِ وَالكافُور ، ما يرَوْن أنَّ أصْحاب الكَراسيّ أفْضَلُ مِنْهُمْ مَجْلساً » قال أبو هريرةَ : فقلتُ : يا رسول الله ، هلْ نرى رَبَّنا ؟ قال : « نَعَمْ ، هَلْ تَمارَوْنَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ والقمَر لَيْلَة البَدْرِ ؟ » قلنا : لا ، قال : « فكَذلك لا تَمارَوْنَ في رُؤْيةِ رَبِّكُمْ تبارك وتعالى ، فإنه لا يَبْقَى في ذلك الْمَجْلِسِ أحدٌ إلاَّ حاضَرَه ربُّه مُحاضَرَةً حتّى يقول : يا فُلانَ ابن فلانٍ ، أتَذْكُرُ يومَ فعلْتَ كذا ، وكذا ؟ فيُذَكِّرُهُ بَعْضَ غدَرَاته ، فيقولُ : بلَى ، أفَلَمْ تَغْفِرْ لي ؟ فيقول : بلَى ، فبمغْفِرتي بَلَغْتَ منزلَتكَ هذه » قال : « فبَيْنما هُمْ على ذاك غَشِيَتْهُمْ سَحابَةٌ منْ فَوْقِهِمْ فأمْطرَتْ عَلَيْهِمْ طِيباً لم يَجِدُوا شيئاً مثْلَ ريحِه قطُّ » قال : « ثمَّ يقولُ ربُّنا عزَّ وجلَّ : قُومُوا إلى ما أعْدَدْتُ لكم منَ الكَرَامَةِ ، فخُذوا ما اشْتَهَيْتُمْ » قال : « فيَجدُون سُوقاً قد حَفَّتْ بها الملائكةُ ، فيهِ ما لم تَنْظُرِ العُيُونُ إلى مِثْلِهِ ، ولم تَسْمَع الآذانُ ، ولم يَخطر على القُلوب » قال : « فنأخذ منها ما اشتهينا ، فيُحْمَلُ لنا ، لَيْسَ يُبَاعُ فيها ولا يُشْترى ، وفي ذلك السُّوقِ يَلْقَى أهلُ الجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً » قال : « فيُقْبِلُ ذُو البِزَّة المُرْتفِعَةِ ، فيَلْقَى منْ هُوَ دُونَهُ ـ وما فيهِمْ دَنِيٌّ ـ فيَرُوعُهُ ما يَرَى عَلَيْهِ منَ اللِّبَاسِ وَالْهيْئَةِ ، فمَا يَنْقَضِي آخِرُ حديثهِ حتَّى يتمثَّلَ عَلَيْهِ أحْسَنُ مِنهُ ، وذلك أنَّهُ لا يَنْبَغي لأحدٍ أنْ يَحْزَنَ فيها » قال : « ثمَّ نَنْصَرفُ إلى مَنازلنا ، فَتلقانا أزواجُنا ، فيقُلْنَ : مَرْحباً وأهْلاً بِحِبِّنا ، لقد جئت وإنَّ بكَ منَ الجمالِ وَالطِّيبِ أفْضَلَ ممّا فارَقْتَنا عَلَيْهِ ، فنقولُ : إنّا قد جَالَسْنا رَبَّنا الجبَّارَ وَيَحقُّ لنا أنْ نَنْقَلِبَ بمثْلِ ما انقلَبْنَا » .

وهكذا رَوَاهُ ابنُ ماجهْ ، عن هِشَام بن عَمَّارٍ ، ورَوَاهُ التِّرْمذيُّ عن محمدِ بنِ إسماعيلَ ، عن هشام ابن عمّارٍ ، ثمَّ قال : غريبٌ لا نعرفهُ إلاّ منْ هذا الوجهِ . وقد رَوَاهُ أبو بَكْرِ بن أبي الدُّنْيا عنِ الْحَكَمِ بن مُوسى ، عن هِقْل بن زياد ، عن الأوْزَاعيّ ، قال : نُبِّئْتُ أنَّ سَعيدَ بنَ المُسَيَّبِ لَقِيَ أبا هُريرةَ . . . فذكره[١] .

(١) رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (٥٨٥) وابن ماجه (٤٣٣٦) والترمذي (٢٥٤٩) وابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٥٦) وإسناده ضعيف .

وقال مُسْلِم : حدّثنا أبو عُثْمانَ سعيدُ بنُ عَبْد الجَبَّارِ البَصْريّ ، حدّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، عنْ ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ : أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقاً يأْتُونها كلَّ جُمُعةٍ ، فتَهبُّ عليهم رِيحُ الشَّمالِ ، فتَحْثُو في وجُوهِهمْ وَثيَابِهم المِسْك ، فيزدادُون حُسْناً وجَمَالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقولُ لهم أهْلُوهُمْ : واللهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدنا حُسْناً وجَمَالاً ، فيقولونَ : وأنتمْ والله لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنا حُسْناً وجَمالاً » . وهكذا رَواهُ أحمدُ عَنْ عفّانَ ، عن حَمَّادٍ ، وَعِنْدهُ : « إنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقاً فيها كُثْبانُ المِسْكِ ، فإذا خَرَجُوا إليْها هبَّت الرِّيحُ . . . » وذَكَرَ تمامَهُ[١] .

وَرَوى أبو بَكْرِ بن أبي سَبْرة[٢] ، عن عُمرَ بن عطاءِ بن وَرَازٍ[٣] ، عن سالم أبي الغَيْثِ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « أرْضُ الْجَنَّةِ بَيضاءُ ، عَرْصَتُها صُخُور الكافورِ ، وقَدْ أحاطَ به المِسْكُ مثل كُثْبانِ الرَّمْلِ ، فيه أنْهارٌ مُطَّرِدَةٌ ، فَيَجْتَمِعُ فيها أهْلُ الْجَنَّةِ فَيَتَعارفونَ ، فيبعث الله تعالى ريحَ الرحمة ، فتَهيِّجُ عَلَيْهِمْ ريحَ المِسْكِ ، فيَرْجِعُ الرَّجُلُ إلى زَوْجتِه ، وَقَد ازْدادَ حُسْناً وطِيباً ، فتقولُ : لَقَدْ خرَجْتَ منْ عِنْدِي وأنا بكَ مُعْجَبةٌ ، وأنا الآنَ أشدُّ بك إعجاباً »[٤] .

فأمَّا الحديثُ الّذي رَوَاهُ الحافظُ أبو عيسى التِرْمِذِيّ ، قائلاً : حدّثنا أحمدُ بنُ مَنيعٍ ، وهنَّاد[٥] ، قالا : حدّثنا أبو مُعاويةَ ، حدّثنا عَبْدُ الرَّحمن بن إسْحاقَ ، عن النُّعْمانِ بن سعْدٍ ، عن عَليٍّ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ في الجنّةِ لَسُوقاً ما فيها شراءٌ ولا بَيْعٌ ، إلَّا الصُّورَ منَ الرِّجالِ وَالنِّسَاءِ ، فإذا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورةً دَخَلَ فيها » ؛ فإنّه حديثٌ غريبٌ كما ذكرهُ التِّرْمذيّ[٦] .

وَيُحملُ مَعْناهُ على أنَّ الرِّجالَ إنّما يَشْتَهونَ الدُّخولَ في مِثْلِ صُورِ الرِّجالِ ، وكذلك النِّسَاءُ ، ويَكُونُ مُفسَّراً بالحديثِ المتقدِّم ، وهُوَ الشَّكْلُ ، وَالْهَيْئةُ ، وَالبَشَرَةُ ، واللِّبَاسُ ـ كما ذَكرناه في حديثِ أبي هريرةَ في سُوقِ الجنّةِ : فيُقْبلُ ذُو البِزَّة المُرْتَفِعَةِ ، فيَلْقَى منْ هو دُونَهُ فيَرُوعُهُ ما عَلَيْهِ منَ اللِّبَاسِ ، وَالْهَيْئةِ ، فمَا يَنْقَضِي آخر حديثه حتّى يَتَمثَّلَ عَلَيْهِ أحْسَنُ منْهُ ، وذلك أنَّهُ لا يَنْبَغي لأحدٍ أنْ يَحْزَنَ فيها[٧] ـ هذا إنْ كان قدْ حُفِظَ لَفْظُ الحديثِ ، وَالظّاهرُ أنّهُ لم يُحْفظْ ، فإنّهُ قدْ تفرد بِهِ عَبْدُ الرَّحمنِ بنُ إسْحاقَ بنِ الْحَارثِ ، وَهُوَ أبو شَيْبَةَ الواسطي ، ويُقالُ : الكُوفي ، رَوَى عن أبيهِ وَخالِهِ النُّعْمانِ بن

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٣) وأحمد في المسند (٣/ ٢٨٤) .

(٢) في الأصول : أبو بكر بن أبي شيبة ، وهو خطأ .

(٣) في (آ) : عن عمر عن عطاء بن زرارة ، وهو خطأ .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٨) وإسناده ضعيف .

(٥) في (آ) : حماد ، وهو خطأ .

(٦) رواه الترمذي (٢٥٥٠) .

(٧) رواه الترمذي (٢٥٤٩) وابن ماجه (٤٣٣٦) وإسناده ضعيف ، كما سيذكره المصنف مطولاً .

سَعْدٍ ، وَالشَّعْبيّ ، وغَيْرِهمْ . وعنه جَماعة ، منْهُمْ حَفْصُ بنُ غياث ، وعبدُ اللهِ بنُ إدْريسَ ، وهُشَيْمٌ . قال الإمامُ أحمدُ : ليْسَ بشيءٍ ، مُنْكرُ الحديثِ ، وكَذَّبهُ في رِوَايتِهِ عنِ النُّعْمانِ بنِ سَعْدٍ ، عن المُغيرَةِ بن شُعْبَةَ في أحَاديثَ رَفَعَها . وكذلك ضَعَّفَهُ يَحْيَى بنُ مَعينٍ ، ومحمد بنُ سعْدٍ ، ويعقوب بن سفْيانَ ، وَالبُخاريّ ، وأبو دَاود ، وأبو حاتِمٍ ، وأبو زُرْعَةَ ، وَالنّسَائيُّ ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ ، وَابنُ عَديّ وغيرُهُمْ ، وَقَدِ اسْتَقْصيتُ كلامَهُمْ فيه مفصلاً في « التَّكميلِ » ، وللهِ الْحمدُ وَالمِنَّةُ .

ومِثْلُ هذا الرَّجُلِ لا يُقْبَلُ مِنْهُ ما تفَرَّدَ به ، ولا سيَّمَا هذا الحديثُ ، فإنَّهُ مُنْكرٌ جداً ، وأحْسَنُ أحْوَالِهِ أنْ يكُونَ سَمِعَ شيئاً ولم يَفْهَمْهُ جَيِّداً ، فعبَّر عنْهُ بعبارةٍ ناقصةٍ ، ويكُونُ أصْلُ الحديث كما ذكرنا في رِوَايةِ ابنِ أبي العِشْرين الدِّمَشْقيّ ، عن الأوْزَاعيّ ، عن حسَّانَ بنِ عطيَّةَ ، عنْ سَعيد بنِ المُسَيَّبِ ، عنْ أبي هُرَيْرَةَ ؛ في سُوقِ الجَنَّةِ ، والله أعلم .

وقد رُويَ من وجهٍ آخَرَ غريبٍ ، فقال محمد بنُ عبدِ اللهِ الحضْرَميُّ ، الحافظُ المَعْرُوفُ بِمُطَيَّن : حدّثنا أحمدُ بن محمدِ بن طَريفٍ البَجَليّ ، حدّثنا أبي ، حدّثنا محمَّدُ بنُ كثيرٍ ، حدّثني جابرٌ الْجُعفيُّ ، عن أبي جَعْفرٍ ، عن علي بن الحُسينِ ، عن جابر بن عبدِ اللهِ ، قال : خَرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ ونحنُ مُجْتَمِعُونَ ، فقال : « يا مَعْشرَ المُسْلمينَ ، إنَّ في الجَنَّة لسُوقاً ما يُباعُ فيها ولا يُشْتَرى إلاّ الصُّور ، فمنْ أحبَّ صُورةً منْ رَجُلٍ أوِ امْرأةٍ دَخَلَ فيها » .

جابرُ بنُ يزيدَ الجُعْفيّ ضعيفُ الحديثِ ، والله تعالى أعلمُ .

ذكر ريح الجنَّة وطيبه وانتشاره حتى إنه يُشَمُّ من سنين عديدة ، ومسافة بعيدة

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد : ٤ ـ ٦] قال بَعْضُهُمْ : أيْ طَيَّبَها لهم ؛ من العَرْف ، وهُو الريح الطيبة .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ : حدّثنا شُعْبَةُ ، عن الحَكَمِ ، عن مُجَاهِدٍ ، عن عبدِ الله بنِ عَمْرِو بن العَاصِ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « من ادَّعَى إلى غيرِ أبيهِ ، لم يَرَحْ رَائحةَ الجَنةِ ، وإنَّ رِيحَها لَيُوجدُ منْ مَسِيرَةِ خمسين عاماً » . وَروَاهُ أحمدُ ، عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ ، وقالَ : « سبعين عاماً »[1] .

وقال أحمد : حدّثنا وَهْبُ بنُ جَريرٍ ، حدّثنا شُعْبَة ، عن الحَكَمِ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : أراد فُلانٌ أنْ يُدْعى جُنادَةَ بن أبي أُمَيَّةَ ، فقال عبدُ اللهِ بن عَمْرٍو ، قال رسولُ الله ﷺ : « من ادَّعَى إلى غيرِ أبيهِ لم يَرَحْ رائحةَ الجَنَّةِ ، وإنَّ ريحَها لَيُوجدُ منْ قَدْرِ سبعين عاماً ، أو مسيرة سبعين عاماً »

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٢٧٤) وأحمد في المسند (٢/ ١٩٤) وإسناده صحيح .

قَال : « ومنْ كَذَبَ عليَّ مُتعمِّداً ، فلْيَتبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النار »[(١)] .

وقال البُخاريّ : حدّثنا قَيْسُ بنُ حَفْصٍ ، حدّثنا عبدُ الوَاحدِ بنُ زِيَادٍ ، عنِ الحَسَنِ بن عَمْرٍو الفُقَيْميّ ، عن مجاهد ، عن عبدِ الله بن عَمْرٍو ، عن النبيّ ﷺ قال : « منْ قَتَلَ مُعَاهَداً ، لم يَرَحْ رائحةَ الجنّةِ ، وإنَّ رِيحَها لَيُوجد منْ مَسيرةِ أربعين عاماً » . وهكذا رواهُ ابنُ ماجهْ ، عنْ أبي كُرَيْبٍ ، عن أبي مُعاوية ، عنِ الحَسنِ بن عَمْرٍو ، به[(٢)] .

وقد قال الإمامُ أحمدُ : حدّثنا إسماعيلُ بنُ محمدٍ ، يَعْني أبا إبْراهيمَ المُعَقِّب ، حدّثنا مَرْوانُ ، وهُوَ ابْنُ مُعَاويةَ الفَزاريّ ، عنِ الحَسَنِ بنِ عَمْرٍو الفُقَيْميّ ، [عن مُجاهدٍ] ، عن جُنادَةَ بن أبي أُمَيَّةَ ، عن عبدِ الله بنِ عمرٍو ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « منْ قَتَلَ قتيلاً منْ أهْلِ الذِّمَّةِ ، لم يَرَحْ رائحة الجنَّةِ ، وإنَّ ريحَها لَيُوجدُ منْ مَسيرَةِ أربعين عاماً » .

ورواهُ النَّسَائيُّ عن عبدِ الرَّحمن بن إبراهيمَ دُحَيْمٍ ، عن مَرْوانَ بنِ مُعاوِيَةَ الفَزاريّ ، به . ورواهُ الطَّبَرانيّ ، عن مُوسى بن خَازمٍ[(٣)] الأصْبهانيّ ، عنْ محمدِ بن بُكَيْرٍ[(٤)] الحَضْرميّ ، عن مَرْوانَ الفَزاريّ ، عن الحَسَنِ ، عنْ مُجاهِدٍ ، عن جُنادَةَ ، عن عبدِ الله بن عَمْرٍو ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « منْ قَتَلَ قتيلاً منْ أهْلِ الذِّمَّةِ ، لم يَرَحْ رَائحةَ الجنَّة ، وإنَّ ريحَها لَيُوجدُ منْ مَسِيرَةِ مئةِ عام » . هذا لفظُهُ[(٥)] .

وقال الطَّبرانيُّ : حدّثنا أحمدُ بنُ عليٍّ الأبّارُ ، حدّثنا معلَّل بنُ نُفَيْلٍ[(٦)] ، حدّثنا عيسى بنُ يونُسَ ، عن عَوْف الأعْرابيّ ، عن محمّد بن سِيرينَ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « منْ قَتَلَ نَفْساً مُعَاهَدةً بغيْرِ حقِّها ، لم يَرَحْ رائحةَ الجنَّةِ ، وإنَّ ريحَها يُوجَدُ منْ مَسيرةِ مِئَةِ عام » . وقد رواهُ أبو داوُدَ ، والتِّرْمذيّ من حديثِ محمدِ بن عَجْلانَ ، عن أبيهِ ، عن أبي هريرةَ ، مرفوعاً ، وقال : « سبعين خَريفاً » ، وقال : حسنٌ صحيح ، وقال : وفي الباب عن أبي بَكْرَةَ .

قال الحافظُ الضِّيَاء : هو عِندي على شرطِ الصَّحيحِ ، يَعْني حديثَ أبي هريرة[(٧)] .

وقال عبد الرَّزّاقِ عن مَعْمَرٍ ، عن قَتادَةَ ، عنِ الحَسَنِ ، أو غيرِهِ ، عنْ أبي بَكْرَةَ ، قال : سمعتُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧١) وإسناده صحيح .
(٢) رواه البخاري (٣١٦٦) وابن ماجه (٢٦٨٦) .
(٣) في (آ) : موسى بن أبي حازم ، وهو خطأ .
(٤) في الأصول : بكر ، وهو خطأ .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٨٦) والنسائي (٨/ ٢٥) وهو حديث صحيح .
(٦) في الأصول : معلل بن فضيل ، وهو خطأ .
(٧) رواه الطبراني في الأوسط (٦٦٧) والترمذي رقم (١٤٠٣) وهو حديث صحيح ، ولم يروه أبو داود من هذا الطريق ، وإنما رواه من غير هذا الطريق عن أبي بكرة رقم (٢٧٦٠) .

رسولَ الله ﷺ يقول : « رِيحُ الجنَّةِ يُوجدُ منْ مَسيرةِ مئةِ عام »[١] . وقال سعيدُ بن أبي عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ : « خَمْسمئة عامٍ » . وكذلك رواهُ حَمّادُ بنُ سَلَمةَ عن يونُسَ بن عُبَيْدٍ ، عنِ الحَسنِ[٢] .

ورَوَى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ [الأصْبَهانيّ] في كتابِ « صِفَةِ الجنّةِ » ، منْ طريقِ الرَّبيع بنِ بَدْرٍ ، عُلَيْلَة ـ وهو ضعيفٌ ـ عن هارُونَ بن رئابٍ ، عن مُجاهدٍ ، عن أبي هريرةَ مرفوعاً : « رائحةُ الجنَّةِ تُوجدُ منْ مَسِيرةِ خَمْسمئةِ سنة »[٣] .

وقال مالكٌ ، عن مُسْلِمِ بن أبي مرْيَم ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ : أنّهُ قال : « نِسَاءٌ كاسِيَاتٌ عَاريَاتٌ ، مَائِلاتٌ مُميلاتٌ ، لا يَدْخُلْنَ الجَنّةَ ولا يَجِدْنَ ريحَها ، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ منْ مَسيرَةِ خَمْسمئة عامٍ » .

قال الحافظُ أبو عُمَرَ بن عبد البَرِّ : وقد رواهُ عبدُ اللهِ بن نافعِ الصَّائِغُ ، عن مالكٍ ، فَرَفعَهُ إلى النبيِّ ﷺ[٤] .

قال الطَّبرانيّ : حدّثنا محمد بن عبدِ الله الحَضْرَميُّ ، حدّثنا أحمد بن محمد[٥] بن طَريفٍ ، حدّثنا أبي ، حدّثنا محمدُ بنُ كَثيرٍ ، حدّثني جابر الجُعْفيُّ ، عن أبي جَعْفرٍ محمدِ بن عَليّ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ: « رِيحُ الجنّةِ يُوجدُ منْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عام، واللهِ لا يَجِدُها عَاقٌّ ، ولا قاطِعُ رَحِمٍ »[٦] .

وَثبَتَ في « الصَّحيحين » ، عن أنس [بن مالكٍ] ، أن سعْد بن مُعَاذٍ : مَرَّ بأنَسِ بن النَّضْرِ يَوْمَ أُحُدٍ ، فقال : يا سَعدُ ، وَاهاً لريحِ الجنّةِ ، واللهِ إنّي لأجدُ ريحَها دُونَ أُحُدٍ ، فقاتَلَ يَوْمئِذٍ حتّى قُتِلَ ، ولم يُعْرَفْ منْ كَثرَةِ الجِرَاحِ ، وما عَرَفَهُ إلاّ أختُه الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ بِبنَانِهِ ، وَوُجِد بهِ بِضعٌ وثمانونَ منْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ ، وَطَعْنةٍ ، وَرَمْيةٍ[٧] . رَضِيَ اللهُ عنهُ ، فَقَدْ وَجَدَ أنسٌ[٨] رِيحَ الجنَّةِ في الأرْضِ ، وهِيَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ، ومسيرة ذلك ألوف من السنين، اللّهُمَّ إلاّ أنْ تكُونَ قَد اقْتَرَبَتْ يَوْمَئِذٍ منَ الْمُؤْمنينَ، والله أعلم .

---

(١) رواه معمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (١٩٧١٢) وعنه الإمام أحمد في مسنده (٥/٤٦) وهو حديث حسن يشهد له ما قبله .

(٢) رواه النسائي في « الكبرى » (٨٧٤٤) من طريق حماد به ، وضعفه .

(٣) رواه أبو نعيم في « صفة الجنة » (١٩٤) .

(٤) رواه مالك في الموطأ (٢/٩١٣) وهو صحيح موقوفاً ، وهو في حكم المرفوع ، لأنه ليس للرأي فيه مجال .

(٥) في الأصول : محمد بن أحمد .

(٦) رواه الطبراني في « الأوسط » رقم (٥٦٦٤) وإسناده ضعيف جداً .

(٧) رواه البخاري (٢٨٠٥) ومسلم (١٩٠٣) .

(٨) هو أنس بن النضر .

ذكر نور الجنة وبهائها وطيب فنائها وحسن منظرها في وقتي صباحها ومسائها

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] وقال تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٦] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه : ١١٨ ـ ١١٩] وقال تعالى : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٣] .

قالَ أبو بكر بن أبي الدُّنيا : حدّثنا سُوَيْدُ بن سَعيدٍ ، حدّثنا عبْدُ رَبِّهِ الْحَنَفيُّ ، عنْ خالهِ الزُّمَيْلِ بن سِمَاكٍ ، سمع أباهُ يُحدِّث : أنَّهُ لَقيَ عبد الله بن عبَّاسٍ بالمدينَةِ بَعْدما كُفَّ بَصَرُهُ ، فقال : يا ابن عبَّاس ، ما أرْضُ الْجَنَّةِ ؟ قال : هيَ مَرْمرةٌ بَيْضاءُ من فِضَّةٍ ، كأنَّها مِرآةٌ ، قلت : ما نورُها ؟ قال : أما رَأيْتَ السَّاعَةَ الَّتِي تكُونُ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ ؟ فذلك نورها ،[إلا] أنهُ ليْسَ فيهَا شَمْسٌ ولا زَمهرير . . . وذَكَرَ باقي الْحديثِ ، كما تقدم(١) .

وتَقدمَ في سُؤالِ ابن صيَّاد عنْ ترْبةِ الْجَنَّةِ أنّها دَرْمكة بَيْضاءُ ، مِسْكٌ أذْفرُ(٢) .

وقال أحمدُ بن مَنْصُور الرَّمَادِي(٣) : حدّثنا كثيرُ بن هِشامٍ ، حدّثنا هِشَام بن زِيَاد أبو المِقْدام ، عنْ حَبيبِ بن الشَّهيدِ ، عنْ عَطاء بن أبي رَباح ، عن ابن عبَّاس : أنَّ رسول الله ﷺ قالَ : « خَلقَ اللهُ الجَنَّةَ بَيْضاءَ ، وَأحبُّ الزِّيِّ إلى اللهِ الْبياضُ ، فَلْيَلْبَسْهُ أحْياؤكم ، وكَفِّنُوا فيهِ موْتاكمْ » قال : ثم أمَرَ بِرعَاءِ الشَّاءِ فَجُمِعُوا ، فقال : « منْ كانَ ذَا غَنَم سُود فلْيَخْلِطْ بها بِيْضاً » فَجاءَتْهُ امْرأةٌ فقالت : يا رسول الله إني اتَّخَذْتُ غَنماً سُوداً ، فلا أراهَا تنمو ، فقال : « عَفِّري »(٤) أيْ بَيِّضي ، مَعْناهُ : اخْلِطي فيهَا بِيضاً .

وقال أبو بكر البزَّارُ : حدّثنا أحمد بنُ الفرَج الْحِمْصيّ ، حدّثنا عُثْمانُ بن سَعيدِ بن كثير الْحِمْصي ، حدّثنا مُحمَّدُ بن مُهَاجِر ، عنِ الضَّحَّاكِ المعَافِريّ ، عَنْ سُليْمان بن مُوسى ، حدّثنا كُرَيْبٌ : أنَّهُ سمع أُسَامَةَ بن زيدٍ يَقُولُ : قال رسولُ الله ﷺ : « ألا مُشَمِّر إلى الْجَنَّةِ ؟ فإنَّ الْجَنَّةَ لا خطَرَ لهَا ، هِيَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ نُورٌ يتلألأ ، وَرَيْحانةٌ تَهْتزُّ ، وَقَصْرٌ مشيدٌ ، ونَهْرٌ مُطَّرِدٌ ، وثمرةٌ نَضِيجةٌ ، وزوجَةٌ حَسْناءُ جَميلةٌ ، وحُلَلٌ كَثيرةٌ في مقام آبدٍ ، في دَارٍ سَليمةٍ ، وفاكهةٌ ، وخُضرَةٌ ، وحَبْرةٌ ، ونَعْمةٌ ، في محلَّةٍ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (١٤٧) .
(٢) رواه مسلم (٢٩٢٨) .
(٣) في الأصول : الزيادي ، وهو خطأ .
(٤) وأخرجه ابن أبي عدي في « الكامل » (٧/ ٢٥٦٥) وإسناده ضعيف جداً .

عاليَةٍ بَهِيَّةٍ » قالوا : يا رسولَ اللهِ ، نَعَمْ ، نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لها ، فقال : « قولوا : إنْ شَاءَ اللهُ » فقال الْقَومُ : إنْ شاء الله . ثم قال البَزَّار : لا نعْلَمُ لَهُ طريقاً إلا هذا .

وقد رَواه ابن ماجه منْ حدَيث الْوَليِدِ بن مُسْلم ، عَنْ مُحمَّد بن مُهاجر ، بنَحوه ، ورَواهُ أبو بكر بن أبي دَاودَ عَنْ عَمْرو بن عُثْمانَ ، عنْ أبيه ، عَنْ مُحمَّدِ بن مُهاجر ، به ، ورواه ابن أبي الدنيا ، من طريق مهاجر[١] .

وتقدَّم في الحَديث الّذِي رواه أبو بكر بن أبي سبرة[٢] ، عن عُمَر بن عَطاء بن وَرَازٍ[٣] ، عن سَالِم أبي الغَيْثِ ، عنْ أبي هريرَةَ ، مَرْفُوعاً : « أرْضُ الْجنَّةِ بيضَاءُ ، عَرْصَتُها صُخُورُ الكافور ، وقد أحَاطَ به المسكُ مِثْلَ كُثْبانِ الرَّمل ، فِيهَا أنهارٌ مُطَّرِدَة ، فيَجْتَمِعُ فيهَا أهْلُ الْجنَّةِ ، فيتَعَارفُونَ ، فَيَبْعثُ اللهُ رِيحَ الرَّحْمَةِ ، فتهيِّجُ عَلَيْهِمْ رِيحَ الْمِسْكِ ، فيَرْجع كل واحد إلى زَوْجَتِه وقد ازْدادَ حُسْناً وجمالاً . . . » وذكر الحديث[٤] .

وروى الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص ، عن النبي ﷺ ـ وقد تقدم ـ : « لو أن ما يُقلّ ظُفُرٌ مما في الجنة بدا ، لتزخرف له ما بين خوافق السموات والأرض »[٥] .

ذكر الأمر بطلب الجنة وترغيب الله عباده فيها وأمرهم بالمبادرة إليها

قالَ الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [يونس : ٢٥] وقال : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] . وقال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾ [التوبة : ١١١] . وقال تعالى : ﴿ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٥ ـ ٢٦] .

وقدْ رَوَى البخاري وغيرهُ منْ حَديث سَعيد بن مِيناءَ ، عَنْ جابر ، أنَّ مَلائكةً جَاؤوا إلى رسولِ الله ﷺ ، وهُوَ نَائمٌ ، فقالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ نَائمٌ ، وقال بَعْضُهُمْ : إنَّ الْعَين نَائمةٌ والقَلْبَ يَقْظَانُ ، فقالوا : اضربوا له مثلاً ، فقالوا : مَثَلُهُ كمَثَلِ رَجُلٍ بنى داراً واتَّخَذَ فيها مأْدُبةً وبَعث دَاعياً ، فمنْ أجَابَ

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤٣٣٢) وابن أبي داود في « البعث والنشور » رقم (٧١) وابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (١) وهو حديث ضعيف .
(٢) في الأصول : أبو بكر بن أبي شيبة ، وهو خطأ .
(٣) في الأصول : عن عمر عن عطاء بن عرادة بن وراز ، وهو خطأ .
(٤) رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٨) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه أحمد في المسند (١/ ١٦٩) وهو حديث حسن .

الدَّاعيَ دَخَل الدار وأكل منَ الْمَأْدُبةِ ، ومنْ لم يُجب الداعي لم يَدْخُلِ الدَّارَ ولم يأكلْ من المأدُبةِ ، قالوا : فأوِّلُوهَا لهُ يعقلْها ، فقال بَعْضُهُمْ : إنَّهُ نائمٌ ، وقال بَعْضُهُمْ : إنَّ العَيْنَ نائمةٌ وَالقَلْبَ يقْظانُ ، فقالوا : الدَّارُ الْجَنَّةُ ، وَالدَّاعي مُحمَّدٌ ﷺ ، فمنْ أطاعَ مُحمَّداً فقدْ أطاع الله ، ومنْ عَصى مُحمَّداً فقدْ عَصَى الله ، ومُحمَّد فَرْق بيْنَ النَّاسِ[١] .

وروَى الترمذيّ هذا الحَديثَ ، ولفْظُهُ : خَرجَ عَلَيْنا رسول الله ﷺ يوماً ، فقالَ : « إنِّي رَأَيْتُ في المَنام كأنَّ جِبْريلَ عِنْدَ رَأْسي ، ومَيكائيلَ عِنْدَ رِجْليَّ ، يَقُولُ أَحَدُهُما لصَاحِبِهِ : اضْرِبْ لهُ مَثَلاً ، فقال : اسْمع سمعتْ أُذُنكَ ، واعْقلْ عَقَلَ قلبُك ، إنَّما مَثَلُكَ ومَثَلُ أُمَّتِك كمثل مَلِكٍ اتَّخَذَ داراً ، ثمَّ بَنى فيها بَيْتاً ، ثمَّ صنع مأْدُبةً ، ثمَّ بَعثَ رسُولاً يَدْعُو النَّاسَ إلى طَعَامِهِ ، فمنْهمْ منْ أجَابَ الرَّسُولَ ، ومنْهم منْ تركهُ ، فالله هُو الملِكُ ، والدَّارُ الإسْلامُ ، والْبَيْتُ الْجَنَّةُ ، وأنْتَ يا محمدُ رسول الله ، فمن أجابكَ دَخَلَ الإسلامَ ، ومن دَخَلَ الإسلام دَخَلَ الْجَنَّةَ ، ومن دَخل الجَنَّة أكل مما فيها »[٢] .

وروى الترمذي عن ابن مَسْعُودٍ نَحْوه ، وصحَّحه أيضاً[٣] .

وقال حمادُ بن سَلَمةَ ، عن ثابت ، عنْ أنَسٍ : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ سَيِّداً بنَى داراً ، واتَّخذ مَأْدُبةً ، وبعثَ دَاعياً ، فمن أجَاب الدَّاعيَ دَخل الدَّارَ ، وأكل من المَأدُبةِ ، ورَضِيَ عنهُ السَّيِّد ، ألا وإنَّ السَّيِّد الله ، والدَّار الإسلامُ ، والْمأْدُبةَ الْجنَّةُ ، والدَّاعي مُحمَّدٌ ﷺ »[٤] .

وقال أبو يعلى : حدّثنا أبو خَيثمة ، حدّثنا جَرير ، عنْ يُونُسَ ، هُوَ ابن خَبَّاب[٥] ، عنْ أبي حازم ، عنْ أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما استجَارَ عبد من النَّارِ سبع مرات إلا قالتِ النَّار : يا رَبِّ إنَّ عبدك فلاناً قد اسْتَجَارَ منِّي فأجِرْهُ ، ولا سألَ عبدٌ الْجَنّةَ سَبْعَ مرَّاتٍ إلاّ قالتِ الْجَنَّة : يا رَبِّ إنّ عَبْدَكَ فُلاناً سألني فأَدْخِلْهُ الْجَنةَ » . إسناده على شَرْطِ مُسْلم[٦] .

ورَوَى التّرمذيّ ، وَالنَّسائي ، وابْنُ ماجَهْ ، عن هنَّادٍ ، عن أبي الأحْوَصِ ، عن أبي إسْحاق ، عن بُريد[٧] بن أبي مَرْيم ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « منْ سَألَ الله الجَنَّةَ ثلاثَ مَرَّاتٍ ، قالتِ

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٢٨١) .
(٢) رواه الترمذي رقم (٢٨٦٠) وهو حديث حسن .
(٣) رواه الترمذي (٢٨٦١) .
(٤) رواه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٢) .
(٥) الصواب أن يونس هذا ، هو ابن يزيد الأيلي ، لأن جرير بن حازم ، يروي عن يونس بن يزيد الأيلي ، لا عن يونس بن خباب . أقول : ويونس بن خباب ، ليس من رجال مسلم .
(٦) رواه أبو يعلى في مسنده رقم (٦١٩٢) أقول : وإسناده على شرط الشيخين .
(٧) في (آ) : يزيد ، وهو خطأ .

الجَنَّةُ : اللّهُمَّ أدْخِلْهُ الْجَنّةَ ، ومنِ اسْتَجَارَ منَ النّارِ ثلاث مرات قالتِ النّارُ : اللّهُمَّ أَجِرْهُ منَ النّارِ »[١] .

وقال الحسنُ بنُ سُفْيَانَ : حدّثنا المُقَدَّمي ، حدّثنا عُمَرُ بنُ عَليٍّ ، عن يَحْيَى بنِ عَبْدِ اللهِ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أَكْثِرُوا مَسْأَلَةَ اللهِ الْجَنّةَ ، وَاسْتَعيذُوا بهِ منَ النّارِ ، فإنَّهُما شَافِعَتانِ مُشَفَّعَتانِ ، فإنَّ الْعَبْدَ إذا أكثرَ مَسْأَلةَ الْجنَّةِ قالتِ الْجنَّةُ : يا رَبِّ ، عبدُكَ هذا الّذي سأَلَنيك فأسْكِنْهُ إيّايَ ، وتقولُ النّارُ : يا ربِّ عبدكَ هذا الّذِي استَعاذ بك منِّي فأعِذْهُ مِنِّي »[٢] .

وقال البزّارُ : حدّثنا أحمدُ بنُ عَمْرِو بنِ عُبَيْدَةَ العُصْفُريّ ، حدّثنا يَعْقُوبُ بنُ إسْحَاقَ ، حدّثنا سُلَيْمانُ بنُ مُعاذٍ ، عن محمدِ بن الْمُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يُسْأَلُ بوجه اللهِ إلاّ الْجَنَّةُ » . ورواهُ أبو داودَ من حَديثِ محمّدِ بنِ الْمُنْكَدِرِ[٣] .

وفي التِّرْمذيّ ، عن أبي هريرةَ مرفوعاً : « منْ خَافَ أدْلَجَ ، ومنْ أدْلَجَ بلَغَ الْمَنْزِل ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَاليةٌ ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجنَّة »[٤] .

وقال أبو بكْرٍ الشّافعيّ ، عن كُلَيْبِ بنِ حَزْن : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « اطْلُبُوا الْجنّةَ جُهْدَكُمْ ، واهْرُبُوا منَ النّارِ جُهْدَكُمْ ، فإنَّ الْجنَّةَ لا ينامُ طالِبُها ، وإنَّ النّارَ لا ينامُ هارِبُها ، وإنَّ الآخِرَةَ اليَوْمَ محفُوفةٌ بالمَكارِهِ ، وَإنَّ الدُّنْيا محفُوفةٌ باللّذّاتِ والشّهَواتِ ، فلا تُلْهِيَنّكم عنِ الآخرةِ »[٥] .

وقال أبو يَعْلَى المَوْصليّ : حدّثنا إسحاقُ بنُ أبي إسرائيلَ ، حدّثنا أيُّوبُ بنُ شَبيبٍ الصَّنْعاني ، قال : كان ـ فيما عَرَضْنا على رَبَاحِ بن زيد ـ حديثُ عبدِ اللهِ بنِ بَحير[٦] : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بن يزيد[٧] ، سمعْتُ عَبْدَ اللهِ بن عُمَر ، يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا تَنْسوا العَظِيمَتَيْنِ » قلنا : وما العَظِيمتَانِ يا رسول اللهِ ؟ قالَ : « الْجنّةُ وَالنّارُ »[٨] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥٦٧) والنسائي في المجتبى (٨/ ٢٧٩) وابن ماجه رقم (٤٣٤٠) وهناد في الزهد (١٧٣) وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٧٠) من طريق الحسن بن سفيان به .

(٣) رواه أبو داود (١٦٧١) وإسناده ضعيف .

(٤) رواه الترمذي (٢٤٥٠) وهو حديث حسن .

(٥) وأخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٤٤٩) والأوسط (٣٦٤٣) والبغوي ، وابن قانع (٩٣٢) وابن شاهين ، وابن مندة من طريق يعلى بن الأشدق عن كليب به . ويعلى بن الأشدق العقيلي ضعيف جداً ، ولبعضه شواهد .

(٦) في الأصول : ابن نمير ، وهو خطأ .

(٧) في (م) : ابن زيد ، وهو خطأ .

(٨) رواه أبو يعلى في الكبير (٣٣٣٥ ـ المطالب العالية ـ النسخة المسندة) وفي سنده أيوب بن شبيب الصنعاني ، وهو مجهول العين .

وقال كُلْثُومُ بنُ عِيَاضٍ القُشَيْرِيّ ، على مِنبَرِ دِمَشْقَ أيَّامَ هِشَامِ بن عبدِ المَلِك : من آثرَ اللهَ آثَرَهُ [اللهُ] ومن أبرَّ الله أبرّه الله ، فرَحِمَ اللهُ عبداً اسْتَعانَ بِنعْمَتِهِ على طاعتِهِ ، ولم يَسْتَعِنْ بِنِعْمته على مَعْصِيتِهِ ، فإنّهُ لا يأتي على صاحبِ الجَنَّةِ ساعةٌ إلاّ وهو يزداد فيها صنعاً حسناً بما أعطاه الله منَ النِّعْمَةِ ، وفتح عليه علماً نافعاً له في معادِه ، لم يكن يَعرِفُهُ ، ولا يأتي على صاحبِ العذابِ ساعةٌ إلاّ وهو يعمل فيها ما يُسْتَنْكَرُ ويُستكره من أعمال أهل العذاب ، ويُفتح عليه شيء لم يكن يعرفه قبل ذلك من المخازي في الدنيا والآخرة . كان هذا الرَّجُلُ رحمه الله مُتَوَلِّياً على دِمَشْقَ أيَّامَ هِشَامِ بن عبدِ الملِكِ ، ثمَّ بَعَثَهُ إلى غزْوِ بلاد الْمَغْرِبِ فقُتِلَ هناك رِحمَهُ اللهُ . أوْرَدهُ ابنُ عَساكِرَ رحمه الله .

ذكر أن الجنة حفت بالمكاره وهي الأعمال الشاقة على الأنفس من فعل الواجبات والمستحبات ، وترك المحرمات ، والصبر على المكروهات ، كقوله : « إسباغ الوضوءِ على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة »[١] ، وأن النار حفت بالشهوات

قال الإمامُ أحمدُ : حدّثنا حَسَنٌ ، حدّثنا حَمّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ البُنَانيّ ، عن أنسِ بن مالكٍ : أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكَارِهِ ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ » . وهكذا رواهُ مُسْلِم وَالتِّرمذيّ ، منْ حديثِ حمَّادِ بن سَلَمةَ ، عنْ ثابتٍ ـ زادَ مُسْلِم[٢] : وحميدٍ ـ كلاهُما عن أنسٍ ، وقال الترمِذيّ : [صحيحٌ] غريبٌ[٣] .

وقال أحمدُ : حدّثنا قُتَيْبةُ ، حدّثنا ابنُ لَهيعَةَ ، عن أبي الأسْوَدِ ، عن يَحْيَى بنِ النَّضْرِ ، عن أبي هريرةَ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « حُفّتِ الْجنَّةُ بالمَكارِهِ ، وَحُفّتِ النّارُ بالشّهَواتِ » . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُهُ جيِّدٌ حسنٌ لما له من الشّواهدِ[٤] .

وقال أحمد : حدّثنا محمّدُ بن بِشْرٍ ، حدّثنا محمدُ بنُ عَمْرٍو ، حدّثنا أبو سَلَمةَ ، عن أبي هريرة ، عن رسولِ الله ﷺ ، قال : « لمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ والنار ، أرْسَلَ جبْرِيلَ فقال : اذهب فانْظُرْ إليها وإلى ما أعددت فيها لأهلها ، فجاء فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، فرَجعَ إليه ، فقال : وعِزّتكَ لا يَسْمَعُ بها أحدٌ إلاّ دخلَها ، فأمَرَ بها فَحُجِبَتْ بالمَكارِهِ ، قال : ارْجعْ إليها ، فانْظُرْ إليها وإلى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥١) .
(٢) وكذا الترمذي .
(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٥٣) ومسلم (٢٨٢٢) والترمذي (٢٥٥٩) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٨٠) .

مَا أعْدَدْتُ لأهلِها فيها » قال : « فرَجَعَ [إليها] فإذا هي قد حُجِبَتْ بالمَكارِهِ ، فرَجَعَ إليه ، فقال : وعِزَّتكَ لقد خَشيتُ ألاّ يَدْخُلَها أحدٌ . قال : اذْهَبْ إلى النّارِ فانْظُرْ إليها وإلى ما أعْدَدْتُ لأهلِها فيها ، فجاء فَنظرَ إليها وإلى ما أعدّ لأهْلِها فيها ، فإذا هي يَرْكَبُ بَعْضُها بَعْضاً ، فَرَجع ، فقال : وعِزَّتِكَ لا يَسْمعُ بها أحدٌ فيَدْخُلَها ، فأمرَ بها فَحُفَّتْ بالشّهَواتِ فرجع فقال : وعِزَّتِكَ لقد خَشيتُ ألاّ يَنْجُوَ منها أحد إلا دَخَلها » . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادهُ صحيحٌ[1] .

وقال أحمدُ : حدّثنا حُسَيْنٌ ، حدّثنا المَسْعُوديّ ، عن دَاوُدَ بن يزيدَ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « أكثرُ ما يَلِجُ به الإنْسانُ النّارَ الأجْوَفَانِ : الفَرْجُ والفَمُ ، وأكْثَرُ ما يَلِجُ بهِ الإنسانُ الْجنَّةَ : تَقْوَى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وحُسْنُ الخُلُقِ »[2] .

فصــل

النَّارُ حُفَّتْ بالشّهَواتِ ، ودَاخِلُها كُلُّهُ مَضَرَّاتٌ وعقوبات وحَسَراتٌ ، والجَنَّةُ حُفَّت وحجبت بالمكارِهِ ، وداخلها أنواع المسرَّات مما لا عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَرٍ منْ أصناف اللّذّاتِ ، كما أوردناهُ في الآياتِ المُحْكماتِ والأحاديث الثابتات .

فمنْ نَعِيمهم المُقيم ، وَلَذّتِهم المستمِرَّةِ ، الطَّرَبُ الَّذي لم تَسْمَع الآذانُ بمثلِه ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٥] قال الأوزاعيّ ، عن يَحْيَى بن أبي كثير : هو السَّماعُ في الجَنّةِ .

وقد ذكرنا ما رواهُ التِّرْمذيّ من حديثِ عبدِ الرّحمن بنِ إسْحَاق ، عن النُّعْمانِ بن سَعدٍ ، عن عَليٍّ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ في الْجَنّةِ لَمُجْتَمعاً لِلْحُورِ العِينِ ، يُرَفِّعْنَ بأصْواتٍ لم تَسْمع الخلائقُ بمثلِهَا » .

قال : وفي البابِ عن أبي هريرة ، وأبي سعيدٍ ، وأنسٍ[3] .

قلتُ : وكذا رُوي من حديثِ عبدِ الله بن أبي أوْفَى ، وابن عُمَر ، وأبي أُمَامة .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) أقول : محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني ، صدوق له أوهام ، فإسناده حسن ، وقد رواه أصحاب السنن ، أبو داود (٤٧٤٤) والترمذي (٢٥٦٠) والنسائي (٧/ ٤ ـ ٥) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٩٢) وهو حديث حسن بطرقه .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٥٦٤) وإسناده ضعيف .

حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قال جَعْفر الفِرْيابيّ: حدّثنا سعيد [بن حفص] ، حدّثنا محمدُ بنُ سلمة[١] ، عن أبي عبدِ الرَّحيم، عن زيد بنِ أبي أُنَيْسَةَ ، عنِ المِنْهَالِ بن عَمْرٍو ، عن أبي صالِحٍ ، عن أبي هريرة ، قال : إنَّ في الْجَنَّةِ نَهْراً طُولَ الْجَنَّةِ ، حَافَتاهُ العَذَارَى ، قِيَامٌ مُتَقابلاتٌ ، يُغَنِّينَ بأَصْواتٍ يَسْمَعها الخلائقُ ، حتى ما يَرَوْنَ في الجنّةِ لَذَّةً مِثْلَها ، قلنا : يا أبا هريرةَ ، وما ذاكَ الغِناءُ ؟ قال : إن شاء اللهُ ثناء بالتَّسْبيح ، وَالتَّحْميدِ ، وَالتَّقْديسِ ، وثَناء على الرَّبِّ عزَّ وجلَّ[٢] .

وَرَوَى أبو نُعَيمٍ في « صَفَةِ الجنَّةِ » منْ طريقِ مسلمة[٣] بن علي ، عن زَيْدِ بنِ وَاقِدٍ ، عن رَجُلٍ ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « إنّ في الْجَنَّةِ شَجَرةً جُذُوعُها من ذهبٍ ، وفُرُوعُها منْ زَبَرْجَدٍ وَلُؤْلُؤ ، فتَهُبُّ لها ريحٌ فَتَصْطَفِقُ ، فما يَسْمعُ السَّامِعُونَ بِصَوْتِ شيءٍ قطُّ ألذَّ مِنْهُ »[٤] .

وقد تقدَّم عن ابن عبَّاسٍ أنَّها تُحَرِّكُها الرِّياحُ ، فتتحرَّكُ بصَوْتِ كل لَهْوٍ كان في الدُّنْيا[٥] .

حديث أبي سعيد

قال ابن أبي الدنيا : حدّثني إبراهيم بن سعيد ، حدّثنا علي بن عاصم ، حدّثنا سعيد بن أبي سعيد الخدري[٦]، عن أبيه قال: حُدِّثت أن في الجنة آجاماً[٧] من قصب من ذهب، حملها اللؤلؤ، فإذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتاً حسناً، بعث الله عزَّ وجلَّ على تلك الآجام ريحاً فتأتيهم بكل صوت يشتهونه »[٨].

حديث أنس رضي الله عنه

قال ابنُ أبي الدُّنيا : حدّثنا أبو خَيْثمةَ ، حدّثنا إسماعيلُ بنُ عُمَرَ ، حدّثنا ابن أبي ذِئبٍ[٩] ، عن عبدِ اللهِ بن رافعٍ ، عن أنسٍ[١٠]، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الحُورَ العِينَ ليغنِّين في

---

(١) في (آ) : محمد بن مسلمة ، وهو خطأ .
(٢) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٤٢٥) .
(٣) في الأصول : سليم ، وهو خطأ .
(٤) رواه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٤٣٣) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٤٥) وفي إسناده ضعف .
(٦) في « صفة الجنة » : الحارثي، وهو الصواب، وسيأتي كذلك صفحة (٥٠٦).
(٧) جمع أجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف .
(٨) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٦٧) وفي إسناده ضعف ، كما أومأ إليه المصنف في آخر هذا الباب .
(٩) أقحم في الأصول بعده : عن أبي ذئب .
(١٠) في « صفة الجنة » : ابن عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك عن أنس .

الْجنَّةِ يقلن : نحنُ الْحُورُ الحِسَان ، خُلِقْنا لأزواجٍ كرام »[١] .

حديث عبد الله بن أبي أوْفَى ، وهو حديث غريب

قال الحافظُ أبو نُعَيْم : حدّثنا محمدُ بن جَعْفرٍ منْ أصلِهِ ، حدّثنا مُوسى بن هارُون ، حدّثنا حامد بن يَحْيَى الْبَلْخيُّ ، حدّثنا يُونسُ بن محمّدٍ المُؤَدِّبُ ، حدّثنا الوليدُ بن أبي ثَوْر ، حدّثني سعدٌ الطّائيُّ ، عن عبد الرَّحمن بن سابِط ، عن ابن أبي أوْفَى ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُزَوَّجُ إلى كلِّ رَجُلٍ منْ أهْلِ الجنّةِ أربعةُ آلاف بِكْرٍ ، وثمانيةُ آلافِ أيِّمٍ ، ومَئةُ حَوْرَاءَ ، فَيَجْتَمعنَ في كلِّ سَبْعَةِ أيّامٍ ، فيَقُلْنَ بأصْواتٍ حِسانٍ لم تَسْمع الخلائقُ بِمِثْلها : نَحْنُ الخالِدَاتُ فلا نَبِيد ، ونَحْنُ النَّاعماتُ فلا نَبْأس ، ونَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فلا نَسْخط ، ونحنُ المُقيماتُ فلا نَظْعَن ، طوبى لمنْ كان لنا ، وكُنّا له »[٢] .

حديث ابن عمر رضي الله عنهما

قال الطَّبراني : حدّثنا أبو رِفَاعةَ عُمَارَةُ بنُ وَثِيمَةَ بن مُوسى بن الفُراتِ المِصريُّ[٣] ، حدّثنا سَعيدُ بن أبي مريمَ ، حدّثنا محمدُ بنُ جَعْفر بن أبي كَثِيرٍ ، عن زَيْدِ بن أسْلَمَ ، عن ابن عُمر ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ أزْوَاجَ أهْلِ الْجنَّةِ لَيُغَنِّينَ أزْوَاجَهُنَّ بأحْسن أصْواتٍ سمِعَها أحدٌ قطُّ ، إنَّ مما يُغَنِّينَ بهِ : نحنُ الخيْراتُ الحِسَان ، أزْوَاجُ قَوْمٍ كِرام ، يَنْظُرْن بقُرَّةِ أعْيَان . وإنَّ ممَّا يُغَنِّينَ بهِ : نحنُ الخالداتُ ، فلا نمُتْنهْ ، ونحنُ الآمنات فلا نخفْنهْ ، ونحنُ المُقيماتُ فلا نَظْعنَّهْ »[٤] .

حديث أبي أمامة رضي الله عنه

قال جعْفرٌ الفِرْيابيّ : حدّثنا سُليمان بنُ عبدِ الرَّحمنِ ، حدّثنا خَالدُ بنُ يزيدَ بنِ أبي مَالكٍ ، عن أبيه ، عن خالدِ بن مَعْدان ، عن أبي أُمَامَةَ ، عن رسولِ الله ﷺ ، قال : « ما منْ عَبد يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاَّ وَيَجْلسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَرجْليْهِ ثِنْتانِ منَ الْحُورِ العِينِ تُغَنِّيَانه بأحْسنِ صَوْتٍ سَمِعَهُ الإنْسُ والْجنُّ ، ولَيْسَ بمزامير الشَّيْطانِ »[٥] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٦٠) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٢) رواه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٣٧٨) ، وهو حديث حسن .

(٣) في الأصول : البصري ، وهو خطأ .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » (٤٩١٧) والصغير (٧٣٤) وهو حديث صحيح .

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٧٤٧٨) عن الفريابي بنحوه ، قال الهيثمي (٤١٩/١٠) رواه الطبراني ، وفيه من لم أعرفهم .

وقال ابنُ وَهْبٍ : حدّثني سعيد[1] بنُ أبي أيُّوبَ ، قال : قال رَجُل منْ قريشٍ لابن شِهابٍ : هلْ في الجنَّةِ سَماعٌ فإنهُ حُبِّبَ إليَّ السَّماعُ ؟ فقال : إي وَالَّذي نَفْسُ ابن شِهَابٍ بِيَدِهِ ، إنَّ في الجَنَّةِ لَشَجراً حَمْلُهُ اللُّؤلُؤ وَالزَّبَرْجدُ ، تَحْتهُ جوَارٍ ناهدات يُغنِّينَ بالْقُرْآنِ ، وَيَقُلْنَ : نحنُ النَّاعِماتُ فلا نَبْأس ، ونحنُ الخَالِدَاتُ فلا نمُوت ، فإذا سَمِع ذلك الشَّجَرُ صَفقَ بَعْضُهُ بَعْضاً ، فأَجَبْنَ الْجَواري ، فلا يُدْرى : أصْواتُ الجَواري أحْسنُ ، أمْ أصْواتُ الشَّجَرِ ؟[2] .

قال ابنُ وَهْبٍ : وحدّثنا اللَّيثُ [بن سعد] ، عن خالدِ بن يزيدَ : أنَّ الحُور يُغنِّينَ أزْوَاجهُنْ ، يَقُلْنَ : نحنُ الْخَيْراتُ الحِسَان ، أزْوَاجُ شَبَابٍ كِرام ، ونحنُ الخَالِدَاتُ فلا نموت ، ونحنُ النَّاعِمَاتُ فلا نَبْأس ، ونحنُ الرَّاضياتُ فلا نَسْخط ، ونحنُ المُقيماتُ فلا نَظْعن ، في صَدْر إحداهُنَّ مَكْتُوبٌ : أنْتَ حِبِّي ، وأنا حِبُّكَ ، انْتهَتْ نَفْسي عِنْدَكَ ، لَمْ تَرَ عَيْنايَ مِثْلَك[3] .

وقال ابنُ المُبَاركِ : حدّثنا الأوْزَاعيُّ ، حدّثنا يَحْيى بنُ أبي كَثيرٍ : أنَّ الحُورَ العِينَ يَتَلَقَّيْنَ أزْوَاجهُنّ عِنْدَ أبوَابِ الْجنّة ، فيقُلْنَ : طَالَما انْتَظَرْناكم ، نحنُ الرَّاضياتُ فلا نَسْخَط ، وَالمُقيماتُ فلا نَظْعَن ، والْخَالِداتُ فلا نموت ، كأحسن أصوات سُمِعَتْ ، وتَقُولُ : أنتَ حِبِّي وأنَا حِبُّكَ ، لَيْسَ دُونكَ مَقْصِدٌ ، ولا عنك معدِل ، ولا وَرَاءَكَ مطلب[4] .

وهذه الآثار كلها رواها ابن أبي الدنيا وغيره ، وفيها نظر .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا : حدّثني إبراهيمُ بنُ سعيد[5] ، حدّثنا علي بن عاصم ، حدّثني سعيد بن أبي سعيدٍ الْحَارثيّ ، قال : حُدِّثْتُ أنَّ في الجَنَّةِ آجاماً منْ قَصَبٍ منْ ذَهَبٍ حَمْلُها اللُّؤلُؤُ ، فإذا اشْتَهى أهلُ الجَنَّة أنْ يَسْمَعُوا صَوْتاً حَسناً بَعَثَ اللهُ على تِلْك الآجَامِ رِيحاً فتَأْتِيهمْ بكُلِّ صَوْتٍ حَسَنٍ يَشْتَهُونَهُ . وقد تقدم هذا عن أبي سعيد الخدري ، وهو وهم ، والله أعلم .

نوع آخر من السماع أعلى من الذي قبله

ذكَرَ حمَّادُ بن سَلَمة ، عن ثابتٍ البُنانيِّ ، وحَجّاجِ بن الأسْودِ ، عن شَهْرِ بن حَوْشبٍ ، قال : إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ لملائكةِ يوم القيامة : إنَّ عِبادي كانوا يُحبُّونَ الصَّوْتَ الْحسنَ في الدنيا ويَدعونَه من

(١) في الأصول : سعد ، وهو خطأ .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٦١) .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٦٢) .
(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (٤٣٥ ـ زوائد نعيم) .
(٥) في الأصول : إبراهيم بن سعد ، وهو خطأ .

أجلي ، فأسْمِعُوا عِبَادي . فيَأخذُونَ بأصْواتٍ منْ تَهْليلٍ ، وتسْبيحٍ ، وتَكْبيرٍ ، لم يَسْمعُوا بمثلها قطُّ .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا : حدّثني دَاوُدُ بنُ عَمْرٍو الضَّبِّيّ : حدّثنا عَبْدُ اللهِ بنُ المبارَكِ ، عن مالِك بنِ أنَسٍ ، عن محمدِ بنِ الْمُنْكَدِرِ ، قال : إذا كانَ يومُ القِيَامَةِ نَادَى مُنادٍ : أيْنَ الَّذينَ كانُوا يُنزِّهون أسْمَاعَهُمْ وأنْفُسَهُمْ عن مَجالس اللَّهْوِ ومَزَاميرِ الشَّيْطانِ في الدنيا ، أسْكِنُوهُمْ رِيَاضَ المِسْكِ . ثم يقولُ للملائكةِ : أسْمِعُوهُمْ تَمْجيدي وتَحْميدي ، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون(١) .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا : حدّثنا دهثَم(٢) بنُ الفَضْلِ القُرشيّ ، حدّثنا روَّادُ(٣) بنُ الجرَّاحِ ، عن الأوْزاعيّ قال : بَلَغني أنَّهُ لَيْسَ منْ خَلْقِ اللهِ أحْسنُ صوْتاً منْ إسْرَافيلَ ، فيَأمُرُهُ اللهُ فيَأخُذُ في السَّماعِ ، فما يَبْقَى مَلَكٌ مقرب في السموات إلاّ قَطَعَ عَلَيْهِ صَلاتَهُ ، فَيَمْكُثُ بذلك ما شَاءَ اللهُ أنْ يَمْكُثَ ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : وَعِزَّتي وجلالي لوْ يَعْلَمُ العِبَادُ قَدْرَ عَظَمتي ما عَبَدُوا غَيْري(٤) .

وحدّثني محمدُ بنُ الحُسَيْنِ ، حدّثنا عبد الله بن أبي بَكْرٍ ، حدّثنا جَعْفرُ بن سُلَيْمانَ ، عن مَالِكِ بن دِينارٍ في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٢٥] ، قال : إذا كانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُمِرَ بمنْبَرٍ رَفيعٍ فَوُضعَ في الْجَنَّةِ ، ثمَّ نُوديَ : يا دَاوُد ، مَجِّدْني بذلك الصَّوْتِ الْحَسنِ الرَّخيمِ الَّذي كُنْتَ تُمَجِّدُني بهِ في دَارِ الدُّنْيا ، قال : فَيَسْتَفرِغُ صَوْتُ دَاوُدَ نَعيمَ أهلِ الْجَنَّةِ ، فذلك قوْلُهُ : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٢٥](٥) .

نوع آخر أعلى مما عداه

وهُوَ سَمَاعُهُمْ كلامَ الرَّبِّ سبحانه ، إذَا خَاطَبَهُمْ في المَجَامِعِ الّتي يَجْتَمِعُونَ فيها بَيْنَ يَدَيْهِ تعالى ، فيُخاطِبُ كلَّ واحِدٍ منهم ، ويُذكِّرهم بأعمالِهِ الّتي سَلَفَتْ منْهُ في الدُّنيا ، وكَذلك إذا تَجَلَّى لَهُمْ جَهْرَةً ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنا ذلك عند قولِهِ تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس : ٥٨] وقد سَبَقَ حديثُ جابرٍ في ذلك وهو في « سُننِ ابن مَاجَهْ » وغَيْرِه(٦) .

وقدْ ذكر أبو الشَّيخ الأصْبَهَانيّ ، منْ طَريق صَالح بن حَيَّانَ ، عَنْ عبدِ الله بن بُرَيدة ، قال : إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَدْخُلُونَ كلَّ يوم على الجَبّار جَلَّ جَلالهُ ، فيَقرأُ عَلَيْهم الْقُرآنَ ، وقدْ جَلسَ كلٌّ منهم مَجْلِسَهُ الَّذي

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٦٩) .
(٢) في الفاسية : دهيم .
(٣) في الأصل : داود بن الجراح ، وهو خطأ .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٦٤) .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٣٤٣) .
(٦) رواه ابن ماجه (١٨٤) وإسناده ضعيف .

هـوَ مَجْلِسُهُ على مَنابر الدُّرِّ ، والْيَاقُوتِ ، والزَّبرْجَدِ ، والذَّهَب ، والزُّمُرُّدِ ، فلمْ تَقرَّ أعيُنُهُمْ بشيءٍ ، ولمْ يَسْمَعُوا شيئاً قطُّ أعْظَمَ ولا أحْسَنَ مِنْهُ ، ثمَّ يَنْصرفونَ إلى رِحَالِهِمْ بأعْيُنٍ قَريرةٍ ، وأعيُنُهمْ إلى مِثْلِها منَ الغَدِ متطلعة .

وروى أبُو نُعيم ، منْ حَديث شُبَّان بن جَسر بن فرقد السَّبَخي[١] ، عن أبيه ، عن الحسن ، عنْ أبي بَرْزَةَ الأسْلَميّ مَرْفُوعاً : « إنَّ أهلَ الْجَنَّة ليَغْدُونَ في حُلَّةٍ ، ويَرُوحُونَ في حُلَّةٍ أخرى كَغُدُوِّ أحَدِكم وَرواحِه إلى مَلِكٍ منْ مُلوكِ الدُّنْيا ، كذلكَ يَغْدُونَ وَيروحُونَ إلى ربِّهمْ عزَّ وجلَّ ، وذلك لَهُمْ بمَقادير ومَعالم يَعْلَمُونَ تلكَ السَّاعةَ الَّتي يأتُونَ فيها ربَّهُمْ عزَّ وجلَّ »[٢] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا داود بن عمر ، حدثنا عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبي كثير قال : لكل رجل من أهل الجنة سمَّاعتان يسمعانه من تقديس الله وتحميده وتكبيره بصوت لم يسمع الخلائق بمثله : نحن خيرات حسان ، أزواج قوم كرام . . . وذكره كما تقدم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن الحارث الخرَّاز ، ثنا سيَّار بن حاتم ، ثنا عبد الله بن عرادة الشيباني ، عن القاسم بن المطلب العجلي ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : إن في الجنة حواريَّ يقرأن القرآن على شاطىء أنهار الجنة بالعربية ، ينعم الله عز وجل بهن أهل الجنة من أمة محمد ﷺ .

وذكر ابن أبي الدنيا عن يحيى بن أبي كثير أنه يُرفع عن أهل الجنة قراءة القرآن إلا ﴿طه﴾ و﴿يس﴾ .

ذكر خيل الجنة

قال التِّرمذيّ : حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمنِ ، حدّثنا عَاصم بن عَلِيٍّ ، حدّثنا المسْعُودي ، عنْ عَلْقمةَ بن مَرثَد[٣] ، عن سُلَيْمان بن بُريدَةَ ، عنْ أبيهِ : أنَّ رَجُلاً سَأل النَّبيَّ ﷺ ، فقال : يا رسولَ الله ، هل في الجَنَّةِ منْ خَيْلٍ ؟ فقال : « إنِ اللهُ أدْخَلَكَ الْجنةَ فلا تَشَاءُ أنْ تُحْملَ فيها على فَرَسٍ من ياقُوتة حَمْراء تطير بك في الْجنَّةِ حَيْثُ شئْتَ » قالَ : وسألهُ رَجُلٌ فقال : يا رَسُولَ الله ، هلْ في الْجنَّةِ منْ إبلٍ ؟ قال : فلم يقُلْ له مثل ما قال لصَاحِبِهِ ، قال : « إنْ يُدْخِلكَ اللهُ الْجنَّةَ ، يكُنْ لكَ فيها ما اشتَهَتْ نَفْسُكَ ، ولذَّتْ عَيْنُكَ » . ثمَّ رواه عن سوَيْدٍ ، عن ابن المُباركِ ، عنْ سُفْيَان ، عَنْ عَلْقمة ، عن عبدِ الرحمن بن سابِطٍ ، مُرْسلاً ، قال : وهذا أصحُّ[٤] .

---

(١) في الأصل : حسن بن فرقد السبخي ، وهو خطأ . والصواب : جعفر بن جسر بن فرقد السَّبَخي الملقب شُبَّان .
(٢) رواه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٣٩٤) وفي إسناده ضعف .
(٣) في الأصول : علقمة بن حريث ، وهو خطأ .
(٤) رواه الترمذي (٢٥٤٣) وهو حديث ضعيف .

وقَدْ رَوى أبُو نُعَيْم في « صِفةِ الجنَّةِ » منْ طَريقِ عَلْقمةَ بنِ مرثد[١] ، عن يَحْيى بن إسْحاق ، عنْ عَطاء بن يَسارٍ ، عنْ أبي هُرَيرة ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « وَالفِرْدوس أعْلاهَا سُمُوّاً ، وأوْسعُها مَحلاً ، وفيها تَفَجَّرُ أنْهارُ الْجنَّةِ ، وَعَلَيْها يوضعُ العَرشُ يومَ القيَامة » فقامَ إليْهِ رَجُلٌ ، فقالَ : يا رسولَ الله ، إنِّي حُبِّبَ إليَّ الْخَيْلُ ، فهلْ في الْجنَّةِ خَيْل ؟ قالَ : « إي والَّذي نَفْسي بيَدِهِ ، إنَّ في الجنَّةِ لَخيلاً ، وإبلاً هَفَّافَةً[٢] ، تَزِفُّ بَين خِلاَلِ وَرَقِ الْجنَّةِ ، يَتزاورُونَ عَليْها حيْث شاؤوا »[٣] .

وقال الترمذي : حدّثنا محمدُ بن إسماعيل بن سَمُرَة الأحمسيُّ ، حدّثنا أبو مُعاوية ، عنْ وَاصِلِ بن السَّائبِ ، عنْ أبي سَوْرَةَ ، عنْ أبي أيُّوبَ ، قال : أتَى النبيَّ ﷺ أعْرابيٌّ ، فقالَ : يا رسولَ الله إنِّي أُحبُّ الْخَيْلَ ، أفي الْجنَّةِ خَيْلٌ ؟ قال رسولُ الله ﷺ : « إنْ أُدْخلتَ الْجنَّة أُتيتَ بفَرَس منْ ياقُوتةٍ لهُ جَنَاحانِ ، فحُملتَ عَليهِ ، ثمَّ طَارَ بكَ حَيْثُ شِئتَ » . ثم ضعّف الترمذيُّ هذا الإسناد من جهة أبي سَوْرةَ ابن أخي أبي أيوب ، فإنَّهُ قدْ ضَعَّفَهُ غَيْرُ واحِدٍ ، واسْتَنْكَرَ البُخاريّ حديثه هذا ، والله أعلم[٤] .

وقال القُرطُبيُّ : وذَكَر ابنُ وَهبٍ : حدّثنا ابن زيدٍ ، قال الْحَسَنُ البَصريّ : يُذْكَرُ عَنْ رسولِ الله ﷺ : « إنَّ أدْنى أهْلِ الْجنّةِ مَنزلةً الذي يركبُ في ألفِ ألف منْ خَدَمهِ من الْوِلْدَانِ المُخَلَّدِينَ ، على خَيْل منْ يَاقوتٍ أحْمَر ، لهَا أجْنحَةٌ منْ ذَهبٍ » ثم قرأ : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] . قلت : فيه انقطَاع بَيْنَ عَبْدِ الرَّحمٰنِ بن زيدٍ ـ وَهُو ضَعيفٌ ـ وَبينَ الْحَسَنِ ، ثمّ هُوَ مُرسلٌ .

وروى أبو نُعيم ، عنْ أبي أيُّوب مرفُوعاً : « إنَّ أهْلَ الْجنّةِ لَيَتزَاوَرُونَ على نجائب بيضٍ ، كأنَّها اليَاقُوتُ ، وليسَ في الْجنّةِ منَ البهائم إلا الخَيْلُ والإبلُ »[٥] .

وقال عبد الله بن الْمُبارَكَ : حدّثنا هَمَّامٌ ، عنْ قتَادَة ، [عن أبي أيوب] ، عن عبد الله بن عَمْرو ، قال : « في الْجَنّةِ عِتَاق الْخَيْلِ وكرائم النّجائب ، يركبُها أهْلُها »[٦] . وهذه الصيغَةُ لا تدُل على حَصْر كما دَلَّ عليْهِ رِوَايةُ أبي نُعيم في حَديث أبي أيُّوب ، ثُمَّ هُوَ مُعَارَضٌ بما رواه ابن ماجهْ في « سُنَنِهِ » عن [عبد الله] بن عُمَر ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « الشَّاةُ منْ دَوابِّ الجَنةِ » . وهذا مُنْكرٌ أيضاً[٧] .

---

(١) في (آ) : حريث ، وهو خطأ .
(٢) أي سريعة السير .
(٣) رواه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٤٢٧) .
(٤) رواه الترمذي (٢٥٤٤) .
(٥) رواه أبو نعيم في « صفة الجنة » (٤٢٠) وإسناده ضعيف .
(٦) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٣١ ـ زوائد نعيم) .
(٧) رواه ابن ماجه رقم (٢٣٠٦) .

وفي « مُسْنَدِ البَزَّارِ » عن النَّبيِّ ﷺ قال : « أحْسِنُوا إلى المِعْزى ، وَأمِيطُوا عَنْهَا الأذى ، فإنَّها من دَوَابِّ الجنَّةِ »[١] .

وقال أبو الشَّيْخِ الأصْبَهَانيّ : حدّثنا القاسمُ بن زكريَّا ، حدّثنا سُوَيْدُ بنُ سَعيدٍ ، حدّثنا مَرْوَانُ بنُ مُعَاوية ، عن الحَكَم بن أبي خالدٍ ، عن الحَسَنِ البَصْريّ ، عن جابر بن عبد الله ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « إذا دَخَلَ أهْلُ الْجنَّةِ الجَنَّةَ ، جاءَتْهُمْ خُيُولٌ منْ يَاقُوتٍ أحمر ، لها أجْنِحَةٌ ، لا تَبُولُ ولا تَرُوثُ ، فقَعدُوا عليها ، ثمَّ طَارَتْ بهم في الجَنَّةِ ، إلى حيث شاء الله من سلطانه ، فيَتَجَلّى لهُمُ الجَبَّارُ تعالى ، فإذا رَأوْهُ خَرُّوا لهُ سُجَّداً ، فيقولُ لهم الجبّارُ تعالى : ارْفعُوا رؤُوسَكم ، فإنَّ هذا ليسَ بيَوْمِ عَمَلٍ ، إنّما هو يَوْمُ نَعيمٍ وكَرامةٍ ، فيَرْفَعُون رؤوسَهُمْ ، فيُمْطِرُ اللهُ عَلَيْهِمْ طِيباً ، فيَمُرُّون بكُثْبَانِ المِسْكِ ، فيَبْعَثُ الله على تِلْك الكُثْبانِ ريحاً ، فَتَهيجُها عَلَيْهِمْ حتّى إنَّهُمْ ليَرْجِعُون إلى أهْلِيهمْ وَإنَّهُمْ لشُعْثٌ غُبْرٌ »[٢] .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا: حدّثني الفَضْلُ بن جعْفَرٍ ، حدَّثنا جعْفرُ بنُ جِسْر[٣] ، حدّثنا أبي ، عن الْحَسنِ بنِ عَلِيّ ، عن عليّ رضي الله عنهما قال : سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إنَّ في الْجنَّةِ لَشَجرةً يَخْرُجُ منْ أعْلاها حُلل ، ومن أسْفَلِها خَيْلٌ منْ ذهبٍ ، مُسْرَجَةٌ مُلْجمةٌ بلجم منْ دُرٍّ ويَاقوتٍ ، لا تَرُوثُ ولا تَبُولُ ، لها أجْنِحةٌ ، خَطْوُها مَدُّ بَصَرِها ، فيركبها أهْلُ الْجنَّةِ فتَطيرُ بهمْ حَيْثُ شَاؤوا ، فيقولُ الَّذين أسْفَلَ مِنْهُمْ دَرَجةً : يا رَبِّ ، بم بَلَغَ عِبادُكَ هذه الكَرامةَ كُلَّها ؟ فيقال لهمْ : كانُوا يُصلُّون اللَّيْلَ وكُنْتُمْ تنَامُونَ ، وكانوا يَصُومُونَ وكُنْتم تأكُلُونَ ، وكانوا يُنْفِقُونَ وَكُنْتم تَبْخَلون ، وكانوا يُقاتِلُون وكُنْتم تَجْبُنُون »[٤] .

ذِكر تزاور أهل الجنَّة بعضهم بعضاً وتذاكرهم أموراً كانت بينهم في الدنيا من طاعات وزلّات

قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور : ٢٥ ـ ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ . . . ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الصافات : ٥٠ ـ ٦٢] .

(١) رواه البزار في مسنده (١٣٢٩ ـ كشف الأستار) وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٤٢٩) من طريق سويد به ، وإسناده ضعيف .
(٣) في الأصول : جعفر بن بشر ، وهو خطأ .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٤٩) وإسناده ضعيف .

قال أبو بكرِ بنُ أبي الدُّنْيا[١] : حدّثنا سَلَمةُ بنُ شَبيبٍ ، حدّثنا سعيدُ بنُ دِينارٍ ، عن الربيع بن صَبيحٍ ، عن الْحَسَنِ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا دَخَلَ أَهْلُ الْجنّةِ الْجَنَّةَ ، فَيَشْتاقُ الإخْوَانُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ ، فَيَسيرُ سَريرُ هذا إلى سَريرِ هذا ، حتَّى يَجْتَمِعَا جميعاً ، فيقُولُ أحدُهما لِصَاحِبِهِ : تَعْلَمُ مَتى غَفَرَ اللهُ لنا ؟ فيقُولُ صَاحِبُهُ : كُنَّا في مَوْضِعِ كذا [وكذا] ، فَدَعَوْنا اللهَ فغفر لَنا »[٢] .

وأما قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ ﴾ [الصافات] وهذا القرينُ يَشْملُ الجِنِّيَّ وَالإنْسِيَّ ، يقُولُ : كانَ يُوَسْوِسُ لي بالْكُفْرِ والمعاصي واسْتِبْعادِ أمْرِ المَعَادِ ، فبرحمة الله [ونعمته] نجوتُ منْهُ ، ثم أمرَ أصْحابَهُ أن يطلعوا معه على النَّارِ ، لينظر ما حالُ قرينه ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥ ﴾ أي في غَمَراتِها يعذب ، فحَمِدَ اللهَ على نَجاته مما قرينه فيه من العذاب .

ثم قال : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ أي معك فيما أنت فيه من العذاب ، ثمّ ذكرَ الغِبْطَةَ الّتي هو فيها ، وَشَكَرَ الله [عَلَيْها] ، فقال : ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ أي أما قد نَجَوْنا منَ الموْتِ والعَذابِ بدُخُولنا الجنَّة ؟ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ . وقولهُ : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ يَحْتملُ أن يكونَ منْ تمامِ مقالةِ المؤمن ، ويَحْتملُ أن يكونَ منْ كلام اللهِ عزَّ وجلَّ ، حثّاً لعباده على مثل هذا الفوز ، وليتنافس المتنافسون في الفوز عنده من النار ، ودخول الجنة ، لا موت فيها . وَلِهذا نَظائرُ كثيرةٌ ، قد ذكرناها في « التَّفسيرِ » .

وذكرنا في أوّلِ « شرحِ البُخاريّ » في كتابِ الإيمانِ حديثَ حَارِثَةَ حينَ قالَ لهُ رسولُ الله ﷺ : « كيفَ أصْبَحْتَ يا حارثة ؟ » فقال : أصْبَحْتُ مُؤْمناً حَقّاً ، قال : « فما حقيقةُ إيمانِكَ ؟ » قال : عَزَفَتْ نَفْسي عنِ الدُّنيا ، فأسْهَرْتُ ليلي ، وَأظْمَأْتُ نهاري ، وكأنِّي أنْظُرُ إلى عَرْشِ ربِّي بَارِزاً ، وإلى أهْلِ الجَنَّةِ يَتزاورُونَ فيهَا ، وإلى أهلِ النَّارِ يُعذَّبُونَ فيها ، فقال ﷺ : « عَبْدٌ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ »[٣] .

وقال سُليمانُ بنُ المُغيرَةِ ، عن حُمَيْدِ بنِ هِلالٍ قال : بَلغنا أنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَزُورُ الأعْلى الأسْفَلَ ، ولا يزُورُ الأسْفَلُ الأعْلى . قُلتُ : وهذا يَحْتملُ مَعْنَيَيْنِ :

أحدُهما : أنَّ صاحبَ المرتبة السَّافِلةِ لا يَصْلُحُ لهُ أنْ يَتعدّاها ، لأنه لَيْسَ فيهِ أهْلِيَّةٌ لذلك .

الثاني : لِئَلا يَرَى منَ النَّعيمِ فَوْقَ ما هُو فيهِ ، فَيَحْزنَ لذلك ، وَذلك أنه لَيْسَ في الْجَنَّةِ حُزْنٌ ، والله أعلم .

---

(١) في الأصول : أقحم هنا (حدّثنا عبد الله) .

(٢) رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٤٥) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ١٠٤٧٤) وغيره بأسانيد مختلفة ، وهو حديث ضعيف .

وقد وَرَد ما قالَهُ حُمَيْدُ بنُ هلالٍ في حديثٍ مرفوعٍ ، وفيه زيادة على ما قالَ .

فقال الطَّبرانيّ : حدّثنا الحسين[١] بن إسْحاقَ ، حدّثنا سهل[٢] بن عُثْمانَ ، حدّثنا المُسَيَّبُ بن شَريكٍ ، عن بِشْرِ بن نُمَيْرٍ ، عن القاسم ، عن أبي أُمامَةَ ، قال : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ : أيَتزَاوَرُ أهْلُ الْجنَّةِ ؟ قال : « يَزُورُ الأعْلَى الأسْفَلَ ، ولا يَزُورُ الأسْفلُ الأعْلى ، إلاّ الّذين يَتحابُّونَ في اللهِ تعالى ، فإنهم يأتُونَ منْها حَيْثُ شَاؤوا ، على النُّوقِ ، مُحتَقبينَ[٣] الْحَشَايا »[٤] .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا : حدّثنا حَمْزةُ بنُ العَبّاسِ ، حدّثنا عَبْدُ اللهِ بنُ عُثْمانَ ، حدّثنا عبدُ اللهِ بن المُبارك ، حدّثنا إسْماعيلُ بنُ عَيّاشٍ ، حدّثني ثَعْلَبةُ بن مسلم ، عن أيُّوبَ بنِ بشيرٍ[٥] العِجْليِّ ، عن شُفَيِّ بن ماتعٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ منْ نعيم أهْلِ الجَنَّةِ أنَّهُمْ يَتزاورُونَ على الْمَطَايَا وَالنُّجُبِ ، وأنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ في الْجَنَّةِ بِخَيْلٍ مُسْرَجةٍ مُلْجَمَةٍ ، لا تَرُوثُ ، ولا تَبُولُ ، فيَرْكَبُونها حتَّى يَنْتَهوا حيثُ شاء اللهُ عزَّ وجلَّ ، فَتأتِيَهمْ مِثْلَ السَّحابةِ ، فيها ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، فيقولُون : أمْطِري علَيْنا ، فما يزالُ المَطرُ علَيْهمْ حتَّى يَنْتَهيَ ذلك فوق أَمَانِيهمْ ، ثمَّ يَبْعثُ اللهُ ريحاً غَيْرَ مُؤذيةٍ ، فتنسف كُثباناً منْ مِسْكٍ عنْ أيْمانِهِمْ وعنْ شَمائِلهِمْ ، فيَأخُذُ ذلك المِسْكُ في نَواصي خُيُولهمْ ، وفي معارِفها ، وفي رُؤُوسِهِمْ ، وثيابهم ، ولكلِّ رَجُلٍ منْهُمْ جُمَّةٌ على ما اشتَهَتْ نَفْسُهُ ، فَيَتعلَّقُ ذلك المِسْكُ في تِلْكَ الجِمَامِ ، وفي الخَيْلِ ، وفيما سِوَى ذلك منَ الثِّيَابِ ، ثمَّ يَنْقَلِبُونَ حتَّى يَنْتَهوا إلى ما شاء الله عزَّ وجلَّ ، فإذَا المَرْأَةُ تُنَادي بَعْضَ أولئكَ : يا عبد اللهِ ، أمَا لكَ فينا حَاجةٌ ؟ فيقولُ : ما أنْتِ ؟ ومنْ أنْتِ ؟ فتقول : أنا زَوْجَتُكَ وحِبُّكَ ، فيقُولُ : ما كنْتُ عَلِمْتُ بمكانِكِ ، فتقولُ : أما تَعْلَمُ أنّ الله تعالى قال : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] فيقُولُ : بلى وَرَبِّي ، فلعلّهُ يشتغل عنْها بعد ذلك الوقتِ أرْبعينَ خَريفاً لا يَلْتَفتُ ، ولا يَعُودُ ، ما يَشْغَلُه عنها إلاّ ما هو فيهِ منَ النَّعيمِ ، وَالكرَامَة » . وهذا حديثٌ مُرسل غريب جدّاً ، والله أعلم[٦] .

وقال ابن المُباركِ : حدّثنا رِشْدينُ بنُ سَعْدٍ ، حدّثني ابنُ أنْعُم[٧] ، عن أبي هُريرةَ ، قال : إنّ أهْلَ

---

(١) في الأصول : الحسن ، وهو خطأ .
(٢) في الأصول : شريك ، وهو خطأ .
(٣) أي يجعلون الفرش وراءهم حقيبة .
(٤) رواه الطبراني في الكبير (٧٩٣٦) وإسناده ضعيف .
(٥) في الأصول : بشر ، وهو خطأ .
(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٤٦) .
(٧) في الأصول : أبو نعيم ، وهو خطأ .

الجَنَّةِ لَيَتَزاوَرُونَ على العيسِ الخُورِ(١) ، عَلَيْها رِحال المَيْس(٢) ، تُثيرُ مناسِمُها(٣) غُبَارَ المِسْكِ ، خِطامُ أوْ زِمَامُ أحدِهَا خيرٌ منَ الدُّنيا ومَا فيها(٤) .

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا منْ طريقِ إسماعيل بن عَيّاشٍ، عن عُمَر بن محمدٍ، عن زَيْدِ بنِ أسْلَم، [عن أبيه]، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ أنّهُ سألَ جِبْريلَ عن هذه الآية: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨] قال: هُم الشُّهَدَاءُ يَبْعَثُهُم اللهُ مُتقَلّدين أسْيَافَهُمْ حَوْلَ عَرْشِهِ، فأتاهُمْ مَلائكَةٌ من المَحْشَرِ بِنَجائب منْ يَاقُوتٍ أزِمَّتُها الدُّرُّ الأبْيَضُ، بِرِحَال الذَّهَبِ، أعِنّتُها السُّنْدُس وَالإسْتَبْرق، ونَمَارِقُها مِنَ الحرير، تَمُدُّ خُطاها مَدَّ أبْصَارِ الرِّجَالِ، يسيرُونَ في الجنّةِ على خُيُولٍ، يقولُون عِنْدَ طُولِ النزهةِ: انْطَلِقُوا بنا نَنْظُرْ كيفَ يَقْضي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، يَضْحكُ اللهُ إليهم، وإذا ضَحِكَ الله إلى عَبْدٍ فلا حِسَابَ عليه(٥) .

وقال أبو بكْرِ بن أبي الدُّنيا: حدّثنا أبو مُوسى، إسْحاقُ بن إبراهيمَ الهَرَويّ، حدّثنا القاسمُ بن يزيدَ الْمَوْصليّ، حدّثني أبو إلياسَ، حدّثني مُحمدُ بنُ عَليِّ بن الْحُسَين [ح] ورَوى أبو نُعيم منْ حَديثِ الْمُعَافَى بنِ عمران : حدّثنا إدريسُ بن سِنَانٍ، عن وَهْب بنِ مُنَبِّهٍ، عن محمد بنِ عليٍّ، قال إدريسُ: ثمَّ لَقِيتُهُ، فَحدّثني ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنّ في الجنّةِ شَجَرَةً يُقال لها: طُوبَى. لوْ سخَّرَ الجوادَ الرَّاكِبُ أنْ يسيرَ في ظِلِّها لَسَارَ فيه مِئةَ عام، وَرَقُها بُرُودٌ خُضْرٌ ، وزَهْرُها رِياطٌ(٦) صُفْرٌ ، وأقْناؤُها(٧) سُنْدُسٌ وَإسْتَبْرقٌ ، وَثمرُها حُلَلٌ ، وصَمْغُها زَنْجَبيلٌ وعَسَلٌ ، وبَطْحَاؤُها ياقُوتٌ أحمَرُ وزُمُرُّدٌ أخْضر ، وَتُرَابُها مِسْكٌ ، وحَشيشُها زَعْفرانٌ مُونِعٌ(٨)، والألَنْجُوجُ(٩) يفوح منْ غير وَقُودٍ ، ويتفجر منْ أصْلِها السَّلْسَبيل وَالرَّحيق ، وظِلُّها مَجْلسٌ منْ مَجَالس أهْلِ الجنَّة يَألَفُونَهُ ، ومُتَحدَّثٌ لِجميعِهِمْ ، فبَيْنما هُمْ يَوْماً يَتَحدَّثونَ في ظِلِّها ، إذْ جَاءَتْهُم الملائكةُ يَقُودُون نَجَائبَ مِنَ اليَاقُوتِ قد نُفِخَ فيهَا الروح مزمومة بسلاسِلَ منْ ذَهَبٍ ، كأنّ وُجُوهَها المصابيحُ نَضَارةً وحُسْناً ، وبَرها خَزٌّ أحمرُ ، ومِرْعِزّى(١٠) أبْيَضُ ، مختلطان لم يَنْظرِ النَّاظِرُونَ إلى مِثْلِها ، عَلَيْها رحائل ألواحها مِنَ الدُّرِّ والياقُوتِ ، مُفَضَّضَةٌ باللُّؤْلُؤ ، والمَرْجَانِ ، صفائحها من الذهب الأحمرِ ، مُلَبَّسٌ بالعَبْقريّ وَالأُرْجوانِ ، فأناخُوا لهم تِلْكَ النُّجُب ثمَّ

---

(١) العيس الخُور : النوقِ الكثيرة الألبان ، وفيه أقوال أخرى ، انظرها في « التاج » .

(٢) أي شجر صلب تعمل منه أكوار الإبل ورحالها ، وفي الأصول : الذهب ، وهو خطأ .

(٣) أي أخفافها .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٤٧) ، وإسناده ضعيف .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٤٨) وإسناده ضعيف .

(٦) جمع ريطة ، وهي الملاءة . وفي الفاسية وأبي نعيم : رياض .

(٧) جمع قِنو ، وهو العَذق ، وهو النخلة بحملها .

(٨) في الفاسية : متنوع ، وفي (آ) منوع .

(٩) « الألنجوج » : عود يتبخر به . « لسان العرب » .

(١٠) الزغب الذي تحت شعر العنز .

قالوا لهم: إنّ ربَّكم عزَّ وجلَّ يُقرِئُكم السَّلام، ويَسْتَزيركم لِيَنْظُرَ إليكم وتَنْظُرُوا إليْهِ، وتُحيُّونهُ ويُحَيِّيكم، ويُكَلِّمَكُمْ وتُكَلِّمُونهُ، ويَزيدكم منْ فَضْلهِ، إنّهُ ذُو رَحْمةٍ وَاسعَةٍ، وفَضْلٍ عَظيم. فيَتحَوَّلُ كلُّ رجُلٍ منْهُمْ على رَاحِلتِهِ، ثمَّ انْطَلَقُوا صفًّا وَاحداً مُعْتَدلاً، لا يَفُوت منْهُ شيءٌ شَيئاً، ولاَ يفُوتُ أذُنُ ناقةٍ [أُذُنَ] صَاحِبَتِها، ولا يَمُرُّونَ بِشَجَرَةٍ منْ أشْجَارِ الجنّةِ إلاّ أتْحَفَتْهُمْ من ثمرها، ورحلَتْ لهمْ عنْ طَرِيقِهِمْ كَرَاهيَةَ أنْ تثلم صَفَّهُمْ، أوْ تفرّقَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَرَفِيقهِ، فلمَّا رُفِعُوا إلى الجبَّارِ تعالى، أسفر لهم عن وجْههِ الكريمِ، وتجلَّى لهم في عَظَمَتِهِ العظيمُ، فحيَّاهم بالسلام فقالوا: رَبّنا أنتَ السَّلامُ، ومِنْكَ السَّلامُ، ولكَ حَقُّ الجلالِ وَالإكرام، فقال لهم ربُّهمْ عزَّ وجلَّ: إنِّي أنا السَّلامُ، ومِنِّي السَّلامُ، ولي حقُّ الجلالِ والإكرامِ، مَرْحباً بِعِبادي الَّذين حَفِظُوا وَصِيتي، ورعَوْا حَقّي، وخَافُوني بالْغَيْبِ، وكانوا منِّي على كلِّ حَالٍ مُشْفِقين، قالوا: وعِزَّتِكَ وجَلالِك وَعُلُوِّ مَكانِكَ ما قدَرْنَاكَ حَقَّ قَدْرِكَ، وما أدَّيْنا إليْكَ كلَّ حَقّكَ، فأْذَنْ لنا بالسُّجُودِ لك، فقال لهم ربُّهُمْ: إنِّي قد وَضَعْتُ عنْكم مُؤْنَةَ العِبَادَةِ، وأرَحْتُ لكم أبْدانكم، فطَالَما أنصبتم لي الأبْدَانَ، وأعْنَيْتُم لي الوُجُوه، فالآن أفضيْتُمْ إلى رَوْحِي وَرحْمَتي وكَرامَتي، فَسَلُوني ما شِئْتُمْ، وتَمَنَّوْا عليّ أعظمَ أمَانِيِّكم، فإني لَنْ أجْزِيَكم اليوْمَ بقَدْرِ أعمالِكم، ولكنْ بِقَدرِ رحمتي وفضلي، وكرامتي، وطَوْلي، [وعُلُوِّ مكاني، وعَظَمةِ شأني]، فما يَزَالُونَ في المسألة والأماني، والعَطايا، والمواهبِ، حتَّى إنَّ الْمُقَصِّر في أُمْنِيتِهِ لَيَتَمنَّى مِثْل جميعِ الدُّنيا مُنْذُ خلقها الله تعالى إلى يومِ أفْناها، فقال لهم ربُّهمْ: لقدْ قَصَّرْتُمْ في أمانيكم، ورَضِيتُمْ بدُونِ ما يَحِقُّ لكم، فقد أوْجَبْتُ لكم ما تَمَنيْتُمْ وسَألْتُمْ، وألْحَقْتُ بكم ذُرِّيتكم، وزِدْتُكم أضعاف ما قَصَّرَتْ عَنْهُ أمَانيكم». وهذا مُرسَلٌ ضعيفٌ، غريبٌ جداً، وفيه ألفاظ منكرة[١] وأحسنُ أحوالِهِ أن يكونَ منْ كلام بعض التابعين، أو منْ كلام بَعْضِ السَّلَفِ، فوَهمَ بعضُ رُواتِه، فجَعلهُ مَرْفوعاً، ولَيْسَ كذلك، والله أعلم.

ذكر أول من يدخل الجنة

وهو رسول الله ﷺ قبل الأنبياء كلِّهم ثم أمته قبل الأمم.

كما ثَبَتَ ذلك في «صَحيح مُسْلِمٍ» [منْ حَديثِ المختارِ بن فُلْفُلٍ] عنْ أنَسٍ، قال رسولُ الله ﷺ: «أنَا أوَّلُ منْ يَقْرَعُ بابَ الْجَنَّةِ»[٢].

وعندهُ أيضاً عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إني آتي بَابَ الْجَنَّةِ فأسْتَفْتِحُ، فيقُولُ الخَازِنُ: منْ أنتَ؟ فأقولُ: أنا مُحمَّدٌ، فيقُولُ: بكَ أُمِرْتُ ألاّ أفْتَحَ لأحَدٍ قبْلك»[٣].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٥٤) وأبو نعيم في الحلية في «صفة الجنة» أيضاً (٤١١).
(٢) رواه مسلم رقم (١٩٦) (٣٣١).
(٣) رواه مسلم رقم (١٩٧) (٣٣٣).

وقال أحمدُ : حدّثنا عَبدُ الله بن مُحمَّدٍ ، حدّثنا شَريكٌ ، عنْ أبي إسْحاقَ ، عن السَّائبِ بن مَالكٍ ، عنْ عبْدِ الله بن عمْرٍو قال : قَال رسولُ الله ﷺ : « اطَّلَعْتُ في الجَنّةِ فَرَأَيْتُ أكثر أهلِها الفُقَراءَ ، واطَّلَعْتُ في النَّار فرأيتُ أكْثَر أهْلِهَا الأغْنِيَاءَ ، وَالنِّسَاءَ »(١) .

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ : حدّثنا يَزيدُ بنُ هارُونَ ، حدّثنا هِشَامٌ الدَّسْتُوائيُّ ، عن يحيى بن أبي كَثيرٍ ، عنْ عامر العُقَيليّ ، عنْ أبيهِ ، عن أبي هُريرةَ ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « عُرِضَ عليَّ أوّلُ ثلاثةٍ منْ أُمّتي يدْخُلُونَ الْجَنّةَ ، وأولُ ثلاثةٍ يدْخُلُونَ النّار ، فأمّا أولُ ثلاثةٍ يدْخلُونَ الجَنةَ : فالشَّهيدُ ، وعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لم يَشْغَلهُ رِقُّ الدُّنيا عنْ طاعةِ ربِّه ، وفقيرٌ مُتعفِّفٌ ذُو عِيَال ، وأما أولُ ثَلاثةٍ يدْخلُونَ النَّار : فأميرٌ مُسَلَّطٌ ، وذُو ثرْوةٍ من المَال لا يؤدِّي حقَّ الله منْ مالهِ ، وفَقيرٌ فَخُورٌ » .

وكذا رواه أحمد ، عنْ إسماعيل بن عُلَيَّةَ ، عنْ هشَام . وأخْرَجهُ التِّرمذيُّ منْ حَديثِ علي بن المباركِ ، عنْ يَحْيَى بن أبي كثيرٍ ، وقال : هذا حَديثٌ حَسن(٢) .

وفي حديث غالبِ القَطّانِ ، عن الْحسن ، عنْ أنَسٍ : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا وَقفَ العِبَادُ للْحِسَاب جَاء قوْمٌ واضِعُو سُيُوفِهِم على رِقَابهمْ تَقْطُرُ دَماً ، فازْدَحَمُوا على بَابِ الجَنةِ ، فقيل : من هؤلاء ؟ قالوا : الشُّهَداءُ ، كانوا أحْياءً يُرْزقُونَ ، ثمَّ نَادَى مُنادٍ : لِيَقُمْ منْ أجْرُه على الله فليَدْخُلِ الْجنة ، ثمَّ نادَى الثانية : لِيَقُمْ منْ أجْرهُ على الله فَلْيَدخُل الْجَنّةَ ، قالوا : ومن الذي أجره على الله ؟ قال : العافون عن الناس ، ثم نادى الثالثة : ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة ، فقام كذا وكذا ألْفاً ، فدخلوا بغَيْر حِسَاب »(٣) .

وفي حديثِ حبيبِ بن أبي ثابتٍ ، عنْ سَعيد بن جُبَيْرٍ ، عن ابن عباس ، قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « أولُ منْ يُدْعى إلى الْجنَّةِ يوم القِيامةِ الْحمَّادُونَ الّذين يَحْمَدُونَ الله في السرَّاء والضَّرَّاء »(٤) .

وثبت في « الصحيحين » ، و « سنن النسائي » واللفظ له ، من طريق عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « نحن الآخرون الأوّلون يوم القيامة ، نحن أول الناس دُخولاً الجنة . . . » الحديث بطوله(٥) .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٣) وإسناده ضعيف ، وهو حديث صحيح دون قوله : « الأغنياء » . فقد ثبت عن جمع من الصحابة دونها ، وهو منكر بهذه الزيادة .

(٢) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في « مصنفه » (١٤/ ١٧٨١٨) وأحمد في المسند (٢/ ٤٢٥) والترمذي رقم (١٦٤١) أقول : وإسناده ضعيف .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » (٢٠١٩) وفي إسناده ضعف .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » (١٢٣٤٥) وفي « الأوسط » رقم (٣٠٥٧) وفي « الصغير » (٢٨٨) وإسناده ضعيف .

(٥) رواه البخاري رقم (٨٩٦) ومسلم رقم (٨٥٥) والنسائي في « الكبرى » (١٦٥٣) .

وفي « صحيح مسلم » عنه ، عن النبي ﷺ قال : « نحن الآخرون الأوّلون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة »[١] .

وروى الحافظ الضياء من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن عمر بن الخطاب ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن الجنة حُرِّمت على الأنبياء كُلِّهم حتى أدخلها ، وحُرِّمت على الأمم حتى تدخل أمتي »[٢] .

وفي « سنن أبي داود » ، من حديث أبي خالد الدالاني ، عن أبي خالد مولى [آل] جَعْدة ، عن أبي هريرة قال : « أتاني جبريل [فأخذ بيدي] فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي » فقال أبو بكر : يا رسول الله وَدِدتُ أني كنتُ معك حتى أنظرَ إليه ، فقال رسول الله ﷺ : « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي »[٣] .

وتقدَّم في « الصحيح » : « أدخِل من لا حساب عليه من أمتك ، من الباب الأيمن [من أبواب الجنة] وهم شركاء الناس [في] سائر الأبواب »[٤] .

وقد تقدم في الحديث الصحيح : « مَنْ أنفق زوجين من ماله في سبيل الله ، دُعِي من أبواب الجنة ، وللجنة ثمانية أبواب . . . » الحديث بطوله[٥] .

وفي « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد قال : « للجنة ثمانية أبواب ، منها باب يُسَمَّى الرَّيَّان ، لا يدخله إلا الصائمون ، فإذا دخلوا منه أُغلق فلم يدخل منه أحد غيرهم »[٦] .

باب
جامع لأحكام تتعلق بالجنة وأحاديث شتى وردت فيها

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وأتبعناهم ذرياتهم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذرياتهم وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن

---

(١) رواه مسلم (٨٥٥) (٢٠) .
(٢) وأخرجه أيضاً ابن عدي في « الكامل في الضعفاء » (٤/١٤٤٨) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أبو داود رقم (٤٦٥٢) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٧١٢) ومسلم رقم (١٩٤) .
(٥) رواه أحمد في المسند (٢/٢٦٨) والبخاري (١٨٩٧) ومسلم (١٠٢٧) وابن أبي عاصم في الجهاد (٩٦) . .
(٦) رواه البخاري رقم (٣٢٥٧) و(١٨٩٦) ومسلم (١١٥٢) .

شَيْءٍ ﴾ [الطور : ٢١][١] أي أنَّ الله تعالى يرفعُ دَرَجةَ الأولاد في الجَنّةِ إلى دَرَجةِ الآباء ، وإنْ لم يعْمَلوا بعَملهِمْ ، ولا يَنْقصُ الآباءَ منْ أعمالِهِمْ ، حتَّى يَجْمعَ بينهمْ في الدَّرجةِ العالية لِيُقرَّ أعينهم باجتماعهم هم وذرياتهم .

قال الثّوريّ ، عن عمرو بن مُرَّة ، عنْ سَعيدِ بن جُبَيْر ، عن ابن عبَّاس ، قال : إنَّ الله ليرفعُ ذُرِّية الْمُؤْمنِ في دَرَجتهِ ، وإنْ كانُوا دُونهُ في العَمل ليُقرّ بهم عَيْنهُ ، ثمّ قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وأتبعناهم ذُرِّيَّاتهم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذرياتهم وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الطور : ٢١][١] . هكذا رواهُ ابن جرير ، وابنُ أبي حَاتم ، في « تَفْسِيريهما » عن الثَّوْري مَوقُوفاً ، وكذا رواهُ ابن جَرير ، عنْ شُعْبَةَ ، عنْ عَمْرو بن مرة ، عن سعيدٍ ، عنِ ابْن عَبَّاس مَوقوفاً ، ورواه البزَّار في « مُسْنَدِه » وابن مَرْدَويهِ في « تفسيره » منْ حدِيثِ قَيْسِ بن الرَّبيع ، عن عَمرو ، عنْ سعيد ، عن ابْن عَبَّاسٍ ، عنِ النَّبيِّ ﷺ ، وروايةُ الثوري وشُعْبة في الوقف أثْبَتُ ، والله أعلم[٢] .

وروى ابن أبي حاتم من حديثِ اللَيْثِ ، عنْ حَبيب بن أبي ثابتٍ ، عنْ سَعيد بن جُبَيْر ، عنِ ابن عبَّاس في هذهِ الآية ، قال : هم ذُرِّيةُ المُؤمن يمُوتُونَ على الإيمان ، فإنْ كانتْ منازلُ آبائهمْ أرْفَعَ منْ منَازِلهمْ أُلْحقُوا بآبائهم ، ولمْ يُنْقَصُوا منْ أعمالهم التي عملوا شيئاً .

وقال الطَّبرانيّ : حدّثنا الحسين بنُ إسحَاقَ التُّسْتَريّ[٣] ، حدّثنا مُحمَّد بن عبد الرَّحمن بن غَزْوَانَ ، حدّثنا شَريكٌ ، عنْ سَالم الأفْطَسِ ، عنْ سَعيد بن جُبَيْر ، عنِ ابْن عباس ، أظُنُّه عن النَّبيِّ ﷺ قال : « إذا دَخل الرَّجُلُ الْجنَّةَ سَأل عنْ أبويْه وزَوْجَتِهِ وولَدهِ ، فيقالُ : إنهمْ لم يَبْلُغوا درجَتك ، فَيَقُولُ : يا ربِّ ، قدْ عملتُ لي ولهمْ ، فيُؤْمَر بإلحَاقهمْ بهِ » وقَرَأ ابن عبَّاسٍ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وأتبعناهم ذرياتهم بِإِيمَٰنٍ . . . ﴾ الآية[١] »[٤] .

وقال العَوفيّ ، عنِ ابن عبَّاس في هَذِه الآية : وَالذين أدْرَكَ ذُرِّيَّتُهم الإيمانَ فَعملوا بطاعتي ألْحَقْتُهُم بإيمانهم إلى الجنّةِ ، وأولادُهُم الصِّغارُ تُلْحقُ بهمْ . وهذا التَّفسيرُ هوَ أحدُ أقوالِ العُلَماء في مَعْنى الذُّرِّيةِ هنا : أهُمُ الصِّغارُ فَقط ، أو يشملُ الصِّغارَ وَالْكِبارَ أيضاً ، كقَوله : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ . . ﴾ الآية [الأنعام : ٨٤]، وقال : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ [الإسراء : ٣] وقال : ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ٣٤]

---

(١) كذا النسخ على قراءة أبي عمرو ، وعلى رواية حفص ، عن عاصم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ .

(٢) رواه البزار (١٢٦٠ ـ كشف الأستار) .

(٣) كذا في الأصول : والذي في المعجم الكبير للطبراني (١٢٢٤٨) محمد بن عبد الله الحضرمي .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢٢٤٨) وفي « المعجم الصغير » رقم (٦٤٠) وفي سنده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان ، قال غير واحد : كان يضع الحديث .

فأَطْلَقَ الذُّرِّيَةَ على الكِبَار ، كما أَطْلَقَها على الصِّغارِ ، وتَفْسيرُ العَوْفيّ عنِ ابْنِ عبَّاس يَشْمَلُهُما ، وهو اختيارُ الْوَاحديّ وغيره .

وهذا إنما هو إلى الله عزَّ وجلَّ ، فإن الخير في يديه ، والخَلْق له والأمر له ، وهذا القول مَحْكيّ عن الشَّعْبيّ ، وأبي مِجْلَزٍ ، وسَعيد بن جُبَيْر ، وإبراهيم النَّخَعي ، وقتادةَ ، وأبي صالح ، والرَّبيع بن أنسٍ ، وهذَا من فضل الله ورَحْمته على الأبْنَاء بِبَرَكَةِ عَملِ الآباء ، فأما فَضْلُهُ على الآباء بِبَرَكَةِ دُعاء الأبناء ، فَقدَ قالَ الإمامُ أحمدُ : حدّثنا يَزيدُ ، حدّثنا حمادُ بن سَلَمة ، عنْ عَاصِم بن أبي النَّجُودِ ، عنْ أبي صَالح ، عنْ أبي هريرةَ ، قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَيَرْفعُ الدَّرَجةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِح في الْجنَّة ، فيَقُولُ : يا رَبِّ ، أنّى لي هذه ؟ فيَقُولُ : بِاسْتِغْفـارِ وَلدِكَ لكَ » . وهذا إسنادٌ صحيحٌ ، ولم يُخَرِّجْهُ أحدٌ منْ أصْحابِ الكُتب[1] وَلكِنْ لهُ شاهِد في « صحيح مسلم » ، عنْ أبي هُرَيرَةَ ، قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « إذا مات ابنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَملُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَاريةٍ ، أو عِلْمٍ يُنْتَفعُ بهِ ، أو وَلدٍ صَالح يَدْعُو لهُ »[2] .

ذكر دخول الفقراء الجنَّة قبل الأغنياء

قال أحمد : حدّثنا عفّان ، حدّثنا حمّاد بن سَلَمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « يدخلُ فُقراءُ الْمُسْلمينَ الْجَنَّةَ قَبْل أغْنِيَائهم بِنِصْفِ يَوْمٍ ، وهُوَ خَمْسمئةِ عام » . وأخرجه الترمذيّ ، [وابن ماجه] ، من حديث محمد بن عمرو ، وقال [الترمذيّ] : حسن صحيح . وله طرق عن أبي هريرة ، [فمن ذلك ما رواه الثوريّ ، عن محمد بن زيد ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة] ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ فُقَراءَ الْمُؤْمنينَ يَدْخُلُونَ الْجنَّةَ قَبلَ أغْنِيائهمْ بِنِصْفِ يوم ، وذلك خمسمئة عام . . . » [الحديث بطوله][3] .

وقال أحمد : حدّثنا أبو عبد الرحمن ، حدّثنا حَيْوة هو ابن شُرَيْح ، أخبرني أبو هانئ ؛ أنّه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلِيّ ، يقول : سمعت عبد الله بن عمرٍو يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ فُقَراءَ المُهاجرينَ يَسْبقُونَ الأغْنياءَ يَوْم القيامة » يعني إلى الجنّة « بأرْبَعِين خَرِيفاً » .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/٥٠٩) أقول : وفيه عاصم بن أبي النجود ، قال ابن حجر : صدوق له أوهام ، فإسناده حسن .

(٢) رواه مسلم (١٦٣١) .

(٣) رواه أحمد (٢/٣٤٣) والترمذي (٢٣٥٣ و٢٣٥٤) وابن ماجه (٤١٢٢) وأبو نعيم في « الحلية » (٧/٩٩ ـ ١٠٠) وهو حديث صحيح .

وكذا رواه مُسلم ، من حديث أبي هانئ حُمَيْد بن هانئ ، به(١) .

وقال أحمد : حدّثنا حسين ، هو ابن محمد ، حدّثنا داود ، هو ابن نافع(٢) ، عن سلم بن بشير(٣) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : [قال رسول الله ﷺ] : « الْتَقَى مُؤْمنانِ على بابِ الجَنّة ، مؤْمن غَنيٌّ ، ومُؤْمنٌ فَقير ، كانا في الدُّنيا ، فأُدْخِلَ الفَقيرُ الجَنَّةَ ، وحُبِسَ الغَنيّ ما شاء الله أنْ يُحْبَس ، ثم أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، فَلَقيهُ الفَقيرُ ، فقال : يا أخي ، ماذا حبسك ؟ والله لَقَدِ احْتبسْتَ حتَّى خِفْتُ عَلَيْكَ ، فيقول : أيْ أخي ، إني حُبِسْتُ بَعْدَكَ مَحْبِسًا فَظيعًا كريهًا ، ما وَصلْتُ إلَيْكَ حتَّى سال منِّي منَ العَرق ما لوْ وَرَدهُ ألْفُ بعيرٍ كُلُّها أكلَت حَمْضاً لصَدَرَتْ عنْهُ رِواءً »(٤) .

وثبت في « الصحيحين » من حديث أبي عثمان النَّهديّ ، عن أسامة بن زيد ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « قمتُ على باب الجنَّة ؛ فإذا عَامَّةُ منْ دَخَلها المَساكينُ ، وقمتُ على باب النار ، فإذا عامَّةُ منْ دخَلَها النِّساء »(٥) .

وفي « صحيح البخاريّ » من حديث سَلْم(٦) بن زَرِيْر ، عن أبي رجاء ، عن عمران بن حُصَيْن . . ، مِثْله . ورواه عبدُ الرزّاق ، عن معْمَر ، عن قتادة ، عن أبي رجاء ؛ عِمْران بن مِلْحَان ، عن عمران بن حُصَيْن ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نَظَرْت في الجنَّة فرأيْتُ أكْثَرَ أهْلِهَا الفُقَراءَ ، ونظرتُ في النار فرأيْتُ أكْثرَ أهْلِهَا النساء »(٧) .

وروى مسلم عن شيبان بن فَرّوخ ، عن أبي الأشهب ، عن أبي رجاء ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ اطّلع في النار فرأى أكثر أهْلِها النّساءَ ، واطلع في الجنة فرأى أكثر أهلها الفقراء(٨) .

وقال [أحمد : ثنا] عبد الله بن محمد ، ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن السائب بن مالك ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « اطلعت في الجنة ، فرأيت أكثر

(١) رواه أحمد (٢/ ١٦٩) ومسلم (٢٩٧٩) .
(٢) كذا في الأصول ، والذي أومأ إليه ابن حجر أنه ابن سليمان النصيبي الملقب بـ « دويد » .
(٣) في (آ) : مسلم بن بشر .
(٤) رواه أحمد (١/ ٣٠٤) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه البخاري (٦٥٤٧) ومسلم (٢٧٣٦) .
(٦) في نسخ الكتاب التي بين يدي : « سلمة » والتصحيح من « صحيح البخاري » وكتب الرجال .
(٧) رواه البخاري (٣٢٤١) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٦١٠) قال القرطبي : إنما كان النساء أقلّ ساكني الجنة ، لما يغلب عليهن من الهوى ، والميل إلى عاجل زينة الدنيا ، والإعراض عن الآخرة ؛ لنقص عقلهنّ وسرعة انخداعهن . فتح الباري (١١/ ٤٢٠) .
(٨) رواه مسلم (٢٧٣٧) .

أهلها الفقراء ، واطلعت في النار ، فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء »[١] .

وتقدم باقيه ، من حديث ابن أبي شيبة : « عُرِض عليَّ أول ثلاثة يدخلون الجنة . . . » إلى آخره ، وهو [في] الذين يحمدون الله في السَّرَّاء والضَّرَّاء[٢] . . . الجامع لأحكام الجنة .

فصل

والجنةُ وَالنّارُ مَوْجُودتانِ الآنَ ، فالْجَنَّةُ مُعدَّةٌ لِلْمُتَّقينَ ، والنّارُ مُعَدَّةٌ لِلْكافِرينَ ، كما نَطَقَ بذَلكَ الْقُرآنُ العَظيمُ ، وَتَواتَرت بذلِك الأخْبَارُ عن رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمينَ ، وهذَا اعتِقَادُ أَهْلِ السُّنةِ وَالْجَماعةِ رحمهم الله أجمعين ، الْمُتَمسِّكينَ بالعُرْوةِ الْوُثْقَى ، وهيَ السُّنةُ الْمُثْلَى إلى قيَام السَّاعة ، خِلافاً لمن زَعَم أنَّهما لم يُخلقا بَعدُ وإنَّما يُخلقانِ يوم القيامَةِ ، وهذا القوْلُ قاله منْ لمْ يَطَّلعْ على الأحَادِيث الصحيحة المتَّفقِ على صحتها وإخراجها ، والْحَسَنةِ ، ممَّا لا يُمْكنُ دَفْعُهُ ولا رَدُّهُ ، لِتَواتُرهِ واشْتِهَارِهِ ، وقد ثبت في « الصَّحيحين » ، وغَيْرِهما منْ كُتُب الإسْلامِ الْمُعْتَمدَةِ الْمَشهُورة بالأسانيدِ الصَّحيحةِ .

قال الله تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

وقال : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤] .

وقال : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] .

وقال : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] .

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، دُخْراً ، بَلْهَ ما أطلعكم عليه »[٣].

وفي « الصحيحين » من حديث مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات ، عُرِض عليه مقعده بالغداة والعَشيِّ ، إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة »[٤] .

وفي « صحيح مسلم » عن ابن مسعود قال : « أرواح الشهداء في حواصل طَيْرٍ خُضْرٍ ، لها قناديل

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٧٣) وإسناده ضعيف ، وهو حديث صحيح دون قوله « الأغنياء » فقد ثبت عن جمع من الصحابة دون هذه الزيادة ، وهو منكر بهذه الزيادة .

(٢) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في « مصنفه » (١٤/ ١٧١٨) وأحمد في « المسند » (٢/ ٤٢٥) والترمذي رقم (١٦٤٢) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٨٢٤) والبخاري رقم (٤٧٨٠) ، وانظر الفتح (٨/ ٥١٦) .

(٤) رواه البخاري (١٣٧٩) ومسلم (٢٨٦٦) .

معلقة بالعرش ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل . . . » وذكر الحديث(١) .

وروينا في « مسند أحمد بن حنبل » : ثنا محمد بن إدريس الشافعي ، عن مالك ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنما نسمة المؤمن ، طائر يَعْلَقُ في شجر الجنة ، حتى يُرْجِعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه »(٢) .

وتقدم الحديث المتفق على صحته ، من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « حُفَّت الجنة بالمكاره ، وحُفَّتِ النار بالشهوات »(٣) .

وذكرنا الحديث المرويَّ من طريق حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « لما خلق الله تعالى الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها » وكذلك قال في النار(٤) .

وكذلك في الحديث الآخر : « لما خلق الله تعالى الجنة ، قال لها : تكلمي ، فقالت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ »(٥) .

وقال ﷺ : « اشْتَكَتِ النَّارُ إلى ربِّها ، فقالت : يا ربِّ أكَلَ بَعْضي بَعْضاً ، فأذِنَ لها بنَفَسَيْنِ : نَفسٍ في الشِّتَاءِ ، ونفسٍ في الصَّيْفِ ، فأشَدُّ ما تَجِدُون منَ الزَّمْهرير منْ بَرْدِهَا ، وجميع ما تجِدُون منَ الْحَرِّ من فَيْحِها ، فإذا كانَ الحَرُّ فأبْرِدُوا عن الصَّلاةِ »(٦) .

وثبت في « الصَّحيحين » عن أبي هريرة ، وعند مسلم عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « تَحاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فقالت النّارُ : أوثِرْتُ بالْمُتكبِّرين وَالْمُتجَبِّرين ، وقالتِ الْجَنّة : مَا لي لا يَدْخلني إلاَّ ضُعَفاءُ النّاسِ وَسَقَطُهُمْ وغِرَّتُهُمْ ؟ فقال الله تعالى للجنَّةِ : أنتِ رحْمَتي أرْحمُ بكِ منْ أشاءُ منْ عِبَادي ، وقال للنار : أنت عذابي أُعَذِّب بك من أشاء من عبادي ، ولِكلِّ واحدةٍ منْكُما مِلْؤُها ، فأمّا النَّارُ فلا تَمْتَلئُ حتَّى يَضَع قدمه عليها فتقول : قطْ قَطْ ، فهُنالكَ تَمْتَلئُ وَيَنْزوي بعْضُها إلى بعضٍ ، ولا يَظْلِمُ اللهُ منْ خَلْقِهِ أحَداً ، وأمَّا الجَنَّةُ فإنَّ اللهَ يُنْشئُ لها خَلْقاً » . لفظُ مُسْلِمٍ(٧) .

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٧) .
(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٥٥) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه البخاري (٦٤٨٧) ومسلم (٢٨٢٣) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٤) وإسناده حسن .
(٥) رواه البزار (٣٥٠٨ ـ كشف الأستار) وهو حديث حسن .
(٦) رواه البخاري (٥٣٧) ومسلم (٦١٧) .
(٧) رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦) ومعمر في « جامعه » الملحق بمصنف عبد الرزاق (٢٠٨٩٣) من حديث أبي هريرة ، ورواه مسلم (٢٨٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري .

وفي « الصَّحيحين » منْ طريقِ سعيد ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لا تَزَالُ جهنَّمُ يُلْقَى فيها ، ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ حتَّى يَضعَ رَبُّ العِزَّةِ فيهَا قَدَمَهُ ، فيَنْزَوي بعْضُها إلى بَعْضٍ ، وتقول : قَطْ قَطْ ، بعِزَّتِكَ وكرمِك ، ولا يزالُ في الجَنَّةِ فَضْلٌ حتَّى يُنْشئَ اللهُ لها خَلْقاً فيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ »[١] .

وقد ثبت في « الصَّحيحين » عن رسولِ الله ﷺ : أنَّه رأى الْجنّةَ والنارَ لَيْلَةَ أُسْري به[٢] .

فأما ما وَقَعَ في « صحيح البُخاري » ، عن أبي هريرةَ ، عن النَّبيِّ ﷺ ، وأنَّهُ تعالى يُنْشئُ للنَّارِ منْ يشاءُ ، فيُلْقَى فيها ، فتقول : ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ فقد قال بعضُ الحُفَّاظِ : هذا غلطٌ منْ بعضِ الرُّواةِ ، وكأنَّهُ اشْتبَهَ عَلَيْهِ ، ودَخلَ علَيْهِ لَفْظٌ في لَفْظٍ ، فنَقَلَ هذا الْحُكْمَ منْ أهلِ الْجَنَّةِ إلى النَّارِ .

قلتُ : فإنْ كان مَحْفُوظاً ، فيَحْتملُ أنَّهُ تعَالى يَمْتَحِنُهُمْ في العَرَصَاتِ ، كما يَمْتَحِنُ غيرَهُمْ ممَّن لم تَقُمْ علَيْهِ الحُجّةُ في الدُّنيا ، فمنْ عَصَى مِنْهُمْ أدْخَلَهُ النّارَ ، ومنِ اسْتَجابَ أدْخلهُ الجَنَّة ، لقولِهِ تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] وقال تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٥] .

فصــل

وقد ذكرنا فيما سَلَفَ صِفَةَ أهْلِ الْجَنَّةِ حَالَ دُخُولهمْ إليها ، وقُدُومِهِمْ عليها ، وأنَّهُمْ يُحَوَّلُ خَلْقهُمْ إلى طُولِ سِتِّين ذِراعاً في عَرْضِ سبْعَةِ أذْرُعٍ ، وأنَّهُمْ يكُونُون جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلين في سنِّ أبْناءِ ثَلاثٍ وَثلاثين ، [وأنَّهُمْ يُعرِبُون][٣] .

قال أبو بكْرِ بن أبي الدُّنيا : حدّثني القاسمُ بنُ هاشِمٍ ، حدّثنا صَفْوانُ بنُ صالحٍ ، حدّثني رَوّادُ بنُ الجَرّاحِ العَسْقَلانيّ ، حدّثنا الأوْزاعيُّ ، عن هارُونَ بنِ رِئابٍ ، عن أنس بنِ مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَدْخُلُ أهْلُ الجَنَّةِ الْجَنَّةَ على طُولِ آدَمَ ؛ سِتِّينَ ذِراعاً بِذِراعِ الْمَلَك ، على حُسْنِ يُوسُفَ ، وعلى مِيلادِ عِيسى ، أبناءَ ثلاثٍ وثلاثين ، وعلى لِسَانِ محمدٍ ﷺ »[٤] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٤٨) واللفظ له ، والبخاري (٧٣٨٤) موصولاً بصيغة التعليق ، فقال : وقال لي خليفة . . . .

(٢) رواه البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣) وفيهما أنه رأى الجنة ، وأما رؤيته النار ، فقد رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٧) والترمذي رقم (٣١٤٧) وإسناده حسن .

(٣) أي أنهم يتكلمون بالعربية .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٢٠) وفي إسناده ضعف .

وَرَوى دَاوُد بنُ الحُصَيْنِ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابن عبَّاسٍ ، قال : « لِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرِبيّ »[١] .

وقال عقيل ، عن الزهري قال : لسان أهل الجنة عربي[٢] .

وَرَوَى البَيْهَقيُّ من طريقَيْنِ فيهِمَا ضَعْفٌ عن أبي كَريمَةَ المِقْدامِ بن مَعْدِيكرِبَ رضي الله عنه : [أنَّ رسولَ الله ﷺ] قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ يموتُ سِقْطاً ولا هَرِماً ، وغالب الناس يموتون فيما بين ذلك ، إلاَّ بُعِثَ ابنَ ثلاثين سنة ـ » وفي روايةٍ : « ابن ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً ـ فإنْ كانَ منْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، كان على مَسْحةِ آدمَ ، وَصُورَةِ يُوسُفَ ، وَقَلْبِ أَيُّوبَ ، جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلينَ ، أولي أفانين ، ومنْ كان من أَهْلِ النَّارِ عُظِّمُوا وَفُخِّمُوا كالْجِبَالِ » .

وفي روايةٍ : « حتَّى يَصِيرَ جِلْدُهُ أربْعينَ باعاً[٣] ، وحتَّى يصيرَ نابٌ من أَنْيَابِهِ مِثْلَ أُحُدٍ »[٤] .

وثبت أَنّهُمْ يَأْكُلونَ ، وَيشْرَبونَ ، ولا يَبُولُون ، ولا يَتَغَوَّطُونَ ، وإِنَّما يكون منصرف طَعَامِهِمْ ، أَنَّهُمْ يَعْرَقون مثل ريح المسك ، وَيَتَجَشَّؤونَ مثل رائحة المِسْكِ ، ونَفَسُهُمْ تَحْميدٌ ، وتكبيرٌ ، وتَسْبيحٌ .

وأَوّل زُمْرةٍ منهم تدخل الجنة منهم على صُورةِ القَمَرِ ، ثمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ في البَهَاء كأَضْوَأ كوكَبٍ دُرِّيّ في السَّمَاءِ ، وَأَنَّهُمْ يُجَامِعُونَ ، ولا يُولَدُ لهم ، إلا من شاء منهم ، وأنّهُمْ لا يموتون ولا ينامُون ، لِكَمالِ حَيَاتِهِمْ ، وكَثْرَةِ لَذَّاتِهِمْ ، وتَوَالي نَعيمهمْ ، ومَسَرَّاتِهِمْ ، وكلّمَا ازْدَادُوا خُلوداً ازْدَادُوا حُسْناً وجَمَالاً ، وشَبَاباً وَقُوَّةً ، وَازْدَادَتْ لهمُ الْجنَّةُ حُسْناً ، وبَهاءً ، وَطِيباً ، وَضِياءً ، وبهجة ونوراً ، وكانوا أَرْغَبَ شَيْءٍ فيهَا ، وَأَحْرَصَ عَلَيْها ، وكانَتْ عِنْدَهم أعزَّ وَأغْلى ، وألَذَّ ، وَأحْلى ، كما قال تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف : ١٠٨] وهذا عكس حال أهل الدنيا ، ولو كان أحدهم في ألذِّ عيش .

فصــل

وأعلى الخلق في الجنة منزلة رسولُ الله ﷺ ، وأوَّلُ منْ يَدْخُلُها ، وأُمَّتُهُ أوّل الأمم دخولاً إليها ، وأوّلُ منْ يَدْخُلُها من هذه الأمة أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ، وَتقدَّمَ أَنَّ هذهِ الأمَّة يكونون في الجنة أكْثر أهل الأمم ، وأنَّهُم يكونون ثُلُثَيْ[٥] أَهْلِ الجَنَّةِ أو شطرهم[٦] ، كما

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢١٨) موقوفاً وهو حديث حسن ، دون قوله : « وعلى لسان محمد ﷺ » .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » (٢٢١) .
(٣) في (آ) : أربعين عاماً .
(٤) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٤٦٥ و٤٦٦) .
(٥) تقدم أنهم الثلث .
(٦) رواه البخاري (٤٧٤١) ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد ، والبخاري (٦٥٢٢) ومسلم (٢٢١) من حديث ابن مسعود .

تقدَّم : « أهلُ الْجنَّةِ مِئَةٌ وَعِشْرُونَ صَفّاً ، هذهِ الأمَّة ثمانُونَ صَفّاً منها »[(١)] .

وفي « المُسْنِدِ » و« جامعِ التِّرْمذيّ » و« سُنن ابنِ ماجهْ » منْ حديثِ محمدِ بن عَمْرٍو ، عن أبي سَلَمةَ ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « يَدْخُلُ فُقَرَاءُ المسلمين الْجَنَّةَ قَبْلَ أغْنِيَائهم بِنِصْفِ يوم ، وهُوَ خَمْسمئةِ عَامٍ » . وإسْنادُهُ على شرطِ مُسْلمٍ . وقال التِّرْمذي : حسنٌ صحيحٌ[(٢)] .

وَرَواهُ الطَّبراني من حديث الثَّوْريّ ، عن محمدِ بن زَيْدٍ ، عن أبي حازِم ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، مثلهُ[(٣)] .

وروى التِّرْمذيّ من طريق الأعمشِ ، عن عطيَّةَ ، عن أبي سعيدٍ مرفوعاً ، مثلهُ ، وحَسَّنَهُ[(٤)] .

والَّذي رواهُ مُسْلِمٌ من طريقِ أبي عبد الرحمن الحُبُليِّ ، عن عبدِ اللهِ بن عَمْرٍو : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ فُقَرَاءَ المُهاجرين يَسْبقُونَ الأغْنياءَ يوْمَ القِيَامةِ إلى الجنة بأرْبعين خَرِيفاً »[(٥)] .

وللتِّرْمذيّ عن جابرِ بن عبدِ اللهِ مرفوعاً ، مثلُهُ ، وصحَّحَهُ[(٦)] ، ولهُ عن أنسٍ أيضاً نحوُه ، واسْتَغْرَبهُ[(٧)] .

قلتُ : فإنْ كانَ الأوَّلُ محفُوظاً ، فيكُونُ باعْتِبَارِ دُخولِ أوَّلِ الفُقَرَاء ، وآخِرِ الأغْنياء ، فتكُونُ الأرْبعُونَ خَريفاً باعْتِبَارِ دُخولِ آخِرِ الفُقَراء وأوَّلِ الأغْنياء ، والله أعلم .

وقد رَوى الإمامُ أحمدُ ، عن إسماعيل بن عُلَيَّةَ ، وأبو[(٨)] بَكْر بن أبي شَيْبَةَ ، عن يَزيدَ بن هارُونَ ، كِلاهُما عن هِشَام الدَّسْتُوائيِّ ، عن يَحْيَى بن أبي كثِيرٍ ، عن عامِرٍ الْعُقَيليِّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « عُرِضَ عليَّ أوَّلُ ثلاثةٍ يَدْخُلون الْجنَّةَ منْ أُمَّتي ، وأوَّلُ ثلاثةٍ يَدخُلون النَّارَ . . . » وذكر الحديث كما تقدم قريباً .

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٣٤٧) والترمذي (٢٥٤٦) وابن ماجه (٤٢٨٩) من حديث بريدة ، وهو حديث صحيح .
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/٢٩٦) والترمذي (٢٣٥٣) وابن ماجه (٤١٢٢) وهو حديث صحيح .
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/٩٩) عن الطبراني ، به .
(٤) رواه الترمذي رقم (٢٣٥١) .
(٥) رواه مسلم (٢٩٧٩) (٣٧) .
(٦) رواه الترمذي رقم (٢٣٥٥) .
(٧) رواه الترمذي رقم (٢٣٥٢) .
(٨) في (آ) : وأبي بكر ، وهو خطأ ، فإنه قد رواه أبو بكر بن أبي شيبة .

ورواهُ التِّرْمذيُّ من طريقِ ابن المُبارَكِ ، عن يَحْيَى بنِ أبي كثيرٍ ، وقال : حَسَنٌ ، ولم يَذكُرِ الثلاثةَ الذين منْ أهْلِ النّارِ[١] .

وثبت في « صحيحِ مُسْلِمٍ » ، من حديث عِيَاضِ بن حِمَارٍ[٢] المُجَاشعيِّ ، عن النَّبيِّ ﷺ ، قال : « أهْلُ الْجَنَّةِ ثلاثةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصدِّقٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحيمُ القَلْبِ بكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ ، وعَفيفٌ مُتعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ . وأهلُ النار خمسةٌ : الضّعيفُ الّذي لا زَبْرَ[٣] له ، الَّذين هُمْ فيكمْ تَبَعاً ، لا يَبْغُونَ أهْلاً ولا مالاً ، وَالْخائنُ الّذي لا يَخْفَى لهُ طَمَعٌ وإنْ دَقَّ إلاّ خانَهُ ، ورَجلٌ لا يُصْبحُ ولا يُمْسي إلاّ وهُوَ يُخادِعُكَ عنْ أهْلِكَ ومَالِكَ ، وذَكرَ البُخْلَ والكَذِبَ . والشِّنْظيرُ الفَحّاشُ »[٤] .

وتقدَّمتِ الأحاديثُ عن رسولِ الله ﷺ أنَّهُ قال : « اطَّلَعْتُ في الْجنَّةِ فَرَأَيْتُ أكْثرَ أهْلِها الفُقَراءَ ، وَاطَّلَعْتُ في النّار فَرَأَيْتُ أكْثرَ أهْلِهَا النِّسَاءَ وَالأغْنياءَ »[٥] .

وتقدَّمَ الحديثُ الواردُ منْ طريقِ حبيبِ بن أبي ثابتٍ ، عن سعيدٍ ، عن ابن عبَّاسٍ مرفوعاً : « أوَّلُ منْ يُدْعَى إلى الجنة يَوْمَ القِيَامةِ الْحَمَّادُونَ الَّذينَ يَحْمدُونَ اللهَ في السَّرَّاءِ وَالضَّراءِ »[٦] .

وثبت في « الصَّحيحين » منْ حديثِ سُفيانَ الثَّوْريّ ، وشُعْبَةَ ، عن مَعْبَدِ بن خالدٍ ، عن حارثةَ بن وَهْبٍ ، عن النّبيِّ ﷺ أنَّهُ قال : « ألا أُخبِرُكم بأهلِ الجنّةِ ؟ كلُّ ضعيف مُتَضعَّف لوْ أقْسَمَ على اللهِ لأبَرَّه ، ألا أُخبِرُكم بأهلِ النّارِ ؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مستكبر »[٧] .

وقال أحمدُ : حدّثنا عليُّ بن إسْحاقَ ، أخبرنا عبدُ اللهِ ، أخبرنا مُوسى بن عُلَيّ بن رَباحٍ ، سَمِعْتُ أبي يُحدِّثُ ، عن عبدِ اللهِ بن عَمْرٍو ، عن رَسُولِ الله ﷺ قال : « أهْلُ النّارِ كلُّ جَعْظَريٍّ جَوَّاظٍ[٨] مُسْتَكبِرٍ جَمَّاعٍ منّاعٍ ، وأهْلُ الجنّةِ الضُّعَفاءُ المَغْلُوبونَ »[٩] .

وقال الطَّبرانيُّ : حدّثنا عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ ، حدّثنا مُسْلِمُ بن إبراهيمَ ، حدّثنا أبو هلالٍ الرَّاسبيُّ ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٢٥) وابن أبي شيبة في « مصنفه » (١٤/ ١٧٨١٨) والترمذي من طريق علي بن المبارك ، به رقم (١٦٤٢) وإسناده ضعيف .

(٢) في (آ) : حماد ، وهو خطأ .

(٣) أي لا عقل له ينهاه عن الإقدام على ما لا ينبغي .

(٤) رواه مسلم رقم (٢٨٦٥) (٦٣) والشنظير : السيئ الخلق .

(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٣) وإسناده ضعيف ، ولكن له طرق وشواهد يقوى بها ، دون قوله : « الأغنياء » فقد ثبت عن جمع من الصحابة دون هذه الزيادة ، وهو منكر بهذه الزيادة .

(٦) رواه الطبراني في « الكبير » رقم (١٢٣٤٥) وفي « الأوسط » رقم (٣٠٥٧) وفي « الصغير » رقم (٢٨٨) وإسناده ضعيف .

(٧) رواه البخاري (٤٩١٨) و(٦٦٥٧) ومسلم (٢٨٥٣) .

(٨) الجعظري : الفظ الغليظ ، والجواظ : الجموع المنوع .

(٩) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢١٤) وهو حديث صحيح .

[حدّثنا عُقْبةُ بن أبي ثُبَيْتٍ الرَّاسبيُّ] ، عن أبي الجَوْزَاءِ ، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « أَهْلُ الجنّةِ منْ مَلأَ أُذُنَيْهِ منْ ثناءِ النَّاسِ خيراً وهو يَسْمعُ ، وأهلُ النَّارِ منْ مَلأَ أُذُنَيْهِ منْ ثَناء النَّاسِ شَرّاً وهُو يَسْمعُ » . وكذا رواهُ ابنُ ماجه من حديثِ مُسْلِمِ بنِ إبراهيم(١) .

وقال القاضي أبو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بنُ الْحُسينِ بنِ حَرْبَويه : حدّثنا محمدُ بن صالحٍ ، حدّثنا خَلَفُ بن خَليفَةَ ، عن أبي هاشمٍ ، عن سعيد بنِ جُبَيرٍ ، عن ابن عبَّاسٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ألا أُخْبِرُكم بِرجالِكم منْ أهْلِ الجنَّةِ ؟ النَّبيُّ في الْجنَّةِ ، وَالصِّدِّيقُ في الجَنَّةِ ، والشَّهيدُ في الجنّةِ ، وَالرّجلُ يَزُورُ [أخاه] في ناحيةِ المِصْرِ لا يَزُورهُ إلاَّ للهِ في الجنَّة ، ونِسَاؤُكم من [أهل] الجنَّةِ العَؤود الوَدُودُ الولود الّتي إذا غَضِبَ أوْ غَضِبَتْ جاءَتْ حتّى تَضعَ يدَها في يَدِ زَوْجها ثم تقولُ : لا أذُوقُ غُمْضاً حتَّى تَرْضى » . وَرَوى النّسائيُّ بعضهُ منْ حديث خَلَفِ بنِ خَلِيفةَ ، عن أبي هاشمٍ ، يَحْيَى بنِ دينارٍ ، بهِ(٢) .

فصـــل

هذه الأمَّةُ أكثرُ أهلِ الجنّةِ ، وأعلاهُم منازل ، وأوَّلُ من يدخل الجنة صَدْرُها ، كما قال تعالى في صفة المقرَّبين : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ١٣ و١٤] وقال في صِفَةِ أهْلِ اليَمين : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ٣٩ ـ ٤٠] .

وثبت في « الصَّحيحين » : « خيْرُ القُرُونِ(٣) قَرْني ، ثمَّ الَّذين يَلُونَهُمْ ، ثمَّ الَّذين يلونَهُمْ ، ثمَّ يَكُونُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السِّمَنَ أوِ السَّمَانَةَ ، يَنْذِرُونَ ولا يَفُونَ ، وَيَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ ولا يُؤْتَمنُونَ »(٤) .

وخيار الصَّدْرِ الأوّلِ الصَّحابةُ ، كما قال ابنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : من كان منكم مُسْتَنّاً ، فليستنَّ بمن قد مات ، فإن الحيَّ لا تُؤْمَنُ عليه الفتنة ، أولئِكَ أصحابُ مُحمَّد ﷺ أبرُّ هذه الأمَّةِ قُلوباً وأصدقها ألسنةً ، وأعْمَقُها عِلْماً ، وأقلُّها تَكلُّفاً ، قوْمٌ اخْتارَهُمُ الله تعالى لِصُحْبَةِ رسوله ﷺ ، وإقامةِ دِينهِ ، فَاعْرِفُوا لهمْ حقَّهم ، واقْتَدُوا بهمْ ، فإنَّهُمْ كانوا على الهُدَى المُسْتقيمِ(٥) .

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » (١٢٧٨٧) وابن ماجه رقم (٤٢٢٤) وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه تمام في « فوائده » (٧٤٧ ـ الروض البسام) والنسائي في « الكبرى » (٩١٣٩) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٣) الذي في الصحيحين : (خير الناس) .

(٤) رواه البخاري (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٥) رواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٨١٠) موقوفاً على ابن مسعود .

وتقدَّم أنَّ هذه الأمَّةَ يَدخُلُ منهم إلى الجنَّةِ سبعُون ألْفاً بغيرِ حِساب[١] .

وفي « صحيحِ مُسْلِمٍ » : « مع كلِّ ألفٍ سبعُونَ ألفاً »[٢] . وفي رواية أحمدَ : « مع كلِّ واحدٍ سبعُونَ ألْفاً »[٣] . وهذا ذِكْرُ أطرافِ الحديثِ ، وإشارةٌ إلى طُرُقهِ وألفاظِهِ .

وفي « الصحيحين » منْ روايةِ حصين بنِ عبدِ الرَّحمن ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابن عبَّاسٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « عُرِضَتْ عليَّ الأُممُ ، فرأيتُ النَّبيَّ ومعهُ الرَّهْطُ ، والنَّبيَّ ومعهُ الرَّجلُ والرَّجُلانِ ، والنَّبيَّ وليس معهُ أحدٌ ، إذْ رُفع لي سوادٌ عظيمٌ ، فظننت أنَّهُمْ أمَّتي ، فقيل لي : هذا مُوسى وقومُهُ ، ولَكنِ انظرْ إلى الأُفُقِ الآخر ، فنظَرْتُ فإذَا سوادٌ عظيمٌ ، فقيل لي : هذه أمَّتُكَ ، ومعهُم سبعُونَ ألْفاً يدخلُونَ الْجنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ، ولا عذابٍ » وفيهِ : « هُمُ الّذين لا يَكتَوُون ، ولا يَسْتَرْقُونَ ، ولا يَتطَيَّرُون ، وعلى ربِّهِمْ يَتوكَّلُون » فقام عُكَّاشةُ بن محصَن . وقد تقدم هذا الحديث وغيره في ذلك[٤] .

وقال هِشَامُ بنُ عمّارٍ خَطِيبُ دِمَشْقَ ، وأبو بكْرِ بن أبي شَيْبَةَ ، وَاللّفْظُ له : حدّثنا إسماعيلُ بنُ عيَّاشٍ ، أخبرني محمدُ بنُ زيادٍ الألْهَانيّ ، سَمِعْتُ أبَا أُمامَةَ ، سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ : « وَعَدني رَبِّي أنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ منْ أُمَّتي سبعينَ ألْفاً، مع كلِّ ألْفٍ سبعين ألْفاً ، لا حِسَابَ عَليهمْ ولا عذابَ ، وَثَلاثَ حَثَياتٍ منْ حَثَياتِ رَبِّي عزَّ وجلَّ » . وكذا رواهُ أبو بكْرِ بن أبي عاصمٍ ، عن دُحَيْم ، عن الوَليدِ بن مُسْلِمٍ ، عن صَفْوانَ بن عَمْرٍو ، عن سُلَيْمِ بن عامرٍ ، وأبي اليَمَانِ[٥] عامرِ بن عبدِ الله بن لُحَيّ الْهَوْزَنيِّ ، عن أبي أُمَامةَ . . . فذكر مِثْلَه[٦] .

[ورَوى الطَّبراني من حديث عامر بنِ زَيْدِ البِكاليّ ، عن عُتْبة بن عَبْدٍ السُّلَميّ ، عن النبيِّ ﷺ مِثْلهُ[٧]] . ورَواه أيضاً من طريقِ أبي أسماءَ الرَّحَبيِّ ، عن ثَوْبانَ ، مِثْلهُ ، ولم يَذْكرْ : ثلاثَ حَثَياتٍ[٨] .

وله من حديث قَيْسٍ الكِنْديِّ ، عن أبي سعيدٍ الأنْمَاريِّ، مثلَهُ ، وذكر فيه ثلاث حثيات[٩] .

وقد قدَّمْنا بقيَّة طُرُقِهِ بألْفَاظِهَا ، والله سبحانه أعلم .

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤١) و(٦٥٤٢) ومسلم (٢٢٠) و(٢١٦) وغيرهما .
(٢) ليس الحديث في مسلم ، وقد رواه أحمد (٢/ ٣٥٩) وغيره ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده ، وسبق بيانه .
(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٦) وهو حديث صحيح بشواهده .
(٤) رواه البخاري (٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠) .
(٥) في الأصول : عن أبي اليمان .
(٦) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في « مصنفه » (١١/ ١١٧٦) وابن ماجه رقم (٤٢٨٦) وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١٢٤٧) وهو حديث صحيح بشواهده .
(٧) رواه الطبراني في « الكبير » (١٧/ ٣١٢) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٨) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٤١٣) وفي إسناده ضعف ، ولكن للحديث شواهد بمعناه يقوى بها .
(٩) رواه الطبراني في « الأوسط » (٤٠٦) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

فصل
في بيان وجود الجنَّة والنَّار
وأنهما مخلوقتان موجودتان ، خلافاً لمن زعم خلاف ذلك

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٤] . وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] . وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣١] . وقال تعالى في حقِّ آلِ فِرْعونَ : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] . وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قال : « يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، دُخْراً[١] بَلْهَ كل ما أطلعكم عليهِ » ثمَّ قرأ : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧][٢] .

وفي « الصَّحيحين » منْ حديثِ مالكٍ ، عن نافعٍ ، عن ابن عُمَر : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ أحَدَكم إذا مات عُرِضَ عليهِ مَقْعدُهُ بالغَداةِ والعَشِيِّ ، إن كانَ منْ أهلِ الجَنَّةِ فمِنْ أهلِ الجنَّةِ ، وإنْ كانَ منْ أهلِ النّار فمنْ أهلِ النّار ، يُقالُ : هذا مَقْعدُكَ حتّى يَبْعثَكَ اللهُ إليهِ يومَ القيامةِ »[٣] .

وفي « صحيح مُسْلِمٍ » عن ابنِ مَسْعُودٍ : « أرْوَاحُ الشُّهداء في حَوَاصلِ طير خُضر تَسْرَحُ في الجنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثمَّ تأوِي إلى قَنَاديلَ مُعلَّقة في العرشِ . . . » الحديث[٤] .

وَرَوَيْنا في « مُسندِ الإمام أحمدَ » : حدّثنا محمد بنُ إدْريسَ الشّافعيُّ ، عن مالكٍ ، عن الزُّهْري ، عن عبدِ الرَّحمن بنِ كعْبِ بن مالكٍ ، عن أبيه : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنّما نَسَمةُ المؤمنِ طائرٌ يَعْلَقُ في شَجَرِ الجنّةِ حتى يَرْجِعَه الله تبارك وتعالى إلى جسدِهِ يومَ يبعثُهُ »[٥] .

---

(١) قال الحافظ في « الفتح » (دُخراً) بضم الدال المهملة وسكون المعجمة ، أي جعلت ذلك لهم مدخوراً .
(٢) رواه البخاري (٤٧٨٠) ومسلم (٢٨٢٤) .
(٣) رواه البخاري (١٣٧٩) ومسلم (٢٨٦٦) .
(٤) رواه مسلم (١٨٨٧) .
(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٥٥) ومالك في « الموطإ » (١/ ٢٤٠) وإسناده صحيح .

وتقدَّمَ الحديثُ المتّفقُ على صِحَّتِهِ من طريقِ أبي الزِّنادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبي هريرةَ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « حُفّتِ الجنّةُ بالمَكارِهِ ، وحُفّتِ النّارُ بالشّهَواتِ »(١) .

وذكرنا الحديثَ المَرْوِيَّ منْ طريق حمَّاد بن سَلَمةَ ، عنْ محمدِ بن عَمْرٍو ، عن أبي سَلَمةَ ، عن أبي هريرةَ مرفوعاً : « لمَّا خَلَقَ اللهُ الجنّةَ قال لِجِبْريلَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إليها » وكذلك قال في النار»(٢) .

وكذلك الحديثُ الآخرُ : « لمَّا خَلَقَ اللهُ الجنّةَ قال لها : تكلّمي ، فقالت : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾»(٣) .

وفي « الصَّحيحين » عن أبي هريرةَ ـ وعندَ مُسْلم عن أبي سعيدٍ ـ عن النبي ﷺ قال : « تَحَاجَّتِ الجنّةُ وَالنَّارُ . . . » الحديث(٤) . وفيهما عن ابن عمرَ مرفوعاً : « الحُمَّى منْ فَيْحِ جَهنّمَ »(٥) .

وفيهما عن أبي ذر مرفوعاً : « إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم »(٦) .

وفي « الصَّحيحين » عن أبي هريرة : « إذا جاء شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحتْ أبْوابُ الجنَّةِ ، وغُلِّقَتْ أبْوابُ النّارِ ، وصُفِّدت الشياطين »(٧) .

وقد ذكرنا في أحاديثِ الإسراء أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى الجنّةَ والنّارَ لَيْلَتئذٍ(٨) ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٣ ـ ١٥] وقال في صِفةِ سدرَةِ المُنْتَهى : إنّهُ يَخْرُجُ منْ أصْلِها نَهْرانِ ظاهِرانِ ونَهْرانِ بَاطِنانِ ، وذكر أنَّ البَاطِنَيْنِ في الجنَّةِ(٩) .

وفي « الصَّحيحين » : « ثم أدْخِلْتُ الجَنَّةَ فإذا فيها جَنَابذُ(١٠) اللُّؤلؤ ، وإذا تُرَابُها المِسْكُ »(١١) .

وفي « صحيحِ البُخاريِّ » من حديثِ قَتَادةَ ، عن أنسٍ ، عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ : « بَيْنما أنا أسيرُ في الجنَّةِ ، إذا أنا بنَهْرٍ حافتَاهُ قِبَابُ اللؤلؤِ الْمُجَوَّفِ ، فقلتُ : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّك »(١٢) .

---

(١) رواه البخاري (٦٤٨٧) ومسلم (٢٨٢٣) واللفظ لمسلم .
(٢) رواه أبو داود رقم (٤٧٤٤) وإسناده حسن .
(٣) رواه البزار (٣٥٠٨ ـ كشف الأستار) وهو حديث حسن .
(٤) رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة ، ومسلم (٢٨٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري .
(٥) رواه البخاري (٥٧٢٣) ومسلم (٢٢٠٩) .
(٦) رواه بنحوه البخاري (٦٢٩) ومسلم (٦١٦).
(٧) رواه البخاري (١٨٩٨) ومسلم (١٠٧٩) .
(٨) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٧) والترمذي رقم (٣١٤٧) وإسناده حسن .
(٩) رواه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) .
(١٠) الجنابذ : جمع جُنْبُذَة وهي القُبَّةُ . « النهاية » (١/ ٣٠٥) .
(١١) رواه البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣) .
(١٢) رواه البخاري (٦٥٨١) .

وفي مَنَاقِبِ عُمرَ رضي الله عنه أنّه ﷺ قال : « دَخَلْتُ الْجَنّةَ فرأيتُ جاريَةً تَوَضّأُ عندَ قَصْر ، فقلتُ : لمن أنتِ ؟ فقالتْ : لعُمر بن الخطّابِ ، فأردْتُ أنْ أدخلهُ فذكرتُ غَيْرَتَكَ» فبَكى عُمَرُ رضي الله عنه ، وقال : « أوَ عليكَ أغارُ يا رسولَ اللهِ ؟ » والحديثُ في « الصَّحيحين » عن جابرٍ[١] .

وقال عليه السلام لبلالٍ : « أُدْخِلتُ الجنّة فسمِعْتُ خَشْفَ نَعْلَيْكَ أمامي ، فأخْبِرني بأرْجى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسلام » فقال : ما تَوَضّأْتُ إلا وَصَلّيْتُ ركعتين . . . الحديث[٢] . وأخبَر عن الرُّمَيْصاء[٣] أنّهُ رَآها في الجنةِ . أخْرَجاهُ عنْ جابرٍ[٤] .

وأخْبرَ في يَوْمِ صَلاةِ الكسوفِ أنّهُ عُرِضَتْ عليهِ الْجَنَّةُ وَالنّارُ ، وفي رواية : دَنَتْ منهُ الجَنّةُ وَالنّارُ ، وأنّهُ هَمَّ أنْ يَأخُذَ مِنَ الجنّةِ قِطْفاً منْ عِنَب ، وقال : « لو أخَذتُهُ لأكَلْتُم منهُ مَا بَقيَتِ الدُّنيا »[٥] .

وفي « الصَّحيحَيْن » منْ طَريقِ الزُّهْري ، عنْ سَعيدٍ ، عنْ أبي هُرَيرةَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « رأيْتُ عَمْرو بن لُحَيّ يَجُرُّ قُصْبَه في النّارِ »[٦] .

وقال في الْحَديثِ الآخرِ : « وَرأيْتُ فيهَا صَاحِب المِحْجَن »[٧] .

وقال : « دَخَلَتِ امْرأةٌ النَّارَ في هِرَّة حبستْها حتى ماتت ، لا هيَ أطْعَمَتْها ولا هي تَرَكَتْها تأكلُ منْ خَشَاش الأرْضِ »[٨] « فلَقَدْ رأيْتُها تَخْمُشُها »[٩] .

وأخبرَ عن الرَّجُلِ الَّذي نَحّى غُصْن شَوْكٍ عنْ طَريقِ النّاس ، قال : « فَلَقَدْ رَأيْتُهُ يَسْتَظِلُّ به في الْجنَّةِ » . وهو في « صَحيح مُسْلمٍ » عنْ أبي هُرَيْرَةَ بِلَفْظٍ آخر[١٠] .

وفي « الصَّحيحَيْنِ » عنْ عِمْرانَ بن حصين أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قالَ : « اطَّلَعْتُ في الجنَّةِ فرأيْتُ أكْثَرَ أهْلهَا الْفُقرَاءَ ، واطَّلَعْتُ في النَّار ، فَرَأيْتُ أكْثرَ أهْلها النِّساءَ »[١١] .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٩) ومسلم (٢٣٩٤) (٢٠) .
(٢) رواه البخاري (١١٤٩) ومسلم (٢٤٥٨) (١٠٨) .
(٣) الرميصاء : هي أم سليم أم أنس بن مالك ، سميت بذلك ، لرمص كان بعينيها ، والرمص : وسخ يجتمع في الموق ، فإن سال فهو غمص ، وإن جمد فهو رمص .
(٤) رواه البخاري (٣٦٧٩) ومسلم (٢٤٥٦) .
(٥) رواه البخاري (١٠٥٢) ومسلم (٩٠٧) .
(٦) رواه البخاري (٤٦٢٣) ومسلم (٢٨٥٦) .
(٧) رواه مسلم (٩٠٤) .
(٨) رواه البخاري (٣٣١٨) ومسلم (٢٢٤٢) .
(٩) هذه الزيادة في حديث آخر رواه البخاري (٢٦٤) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما .
(١٠) رواه مسلم (١٩١٤) (١٢٩) الذي بعد الحديث (٢٦١٧) .
(١١) رواه البخاري (٣٢٤١) ورواه مسلم مختصراً (٢٧٣٨) .

وفي « صحيح مُسْلم » منْ طريقِ المُخْتار بن فُلْفُل ، عنْ أنسٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « وَالّذي نَفْسي بيَدِهِ لوْ رَأَيْتُمْ ما رأيْتُ لَضَحِكتُمْ قَليلاً ولبَكَيْتُمْ كثيراً » قالُوا : يا رسولَ الله ، وما رأيْتَ ؟ قالَ : « رأيْتُ الْجَنَّةَ والنَّار »(١) .

وأخبرَ أنَّ الْمُتوضئ إذا قال بَعْدَ وضُوئِه : أشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فُتحت لهُ أبوابُ الجنَّةِ الثَّمانية ، يَدْخُلُ منْ أيِّها شاءَ(٢) .

وفي « صحيح البُخاريّ » منْ حَديثِ شُعْبَةَ ، عن عَديٍّ ، عن البراءِ بن عَازبٍ قال : لمَّا توفي إبراهيمُ ابنُ رسولِ الله ﷺ قالَ : « إنَّ لهُ مُرْضعاً في الجنَّةِ »(٣) .

وقالَ الله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] والْجُمْهُورُ على أنَّ هذهِ الْجنَّةَ جَنَّةُ الْمَأْوَى ، وذَهبتْ طائفَةٌ آخرُونَ إلى أنَّها جنَّةٌ في الأرض خلقَها الله لهُ ثمَّ أخْرَجَهُ منْها . وقدْ تقدم ذلكَ مَبْسُوطاً في هذا الكتاب في أوله في قصَّةِ آدَم .

وقالَ البَيْهَقي : حدّثنا الْحَاكم ، حدّثنا الأصمُّ ، حدّثنا حُمَيْدُ بن عياش الرَّمْليّ ، حدّثنا مُؤَمَّلُ بن إسماعيلَ ، حدّثنا سُفْيَانُ ، عنْ عَبْدِ الرَّحمن الأصْبَهانيّ ، عنْ أبي حَازمٍ ، عنْ أبي هُرَيرةَ ، قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « أولادُ الْمُؤْمنينَ في جَبلٍ في الجَنَّةِ يكفُلُهُمْ إبراهيمُ وسارة حتَّى يَرُدَّهمْ إلى آبائهمْ يَوْمَ القيَامةِ » . وكذا رَواهُ وكيعٌ ، عنْ سُفْيَانَ ، وهُوَ الثَّوْري(٤) .

والأحاديث في هَذا كثيرةٌ جِداً ، وقدْ أوْرَدنا كثيراً مِنْها بأسَانيدِها ومُتُونِها فيما تقدَّمَ .

فصــل

وَثَبتَ في « صحيح مسلم » عنْ عبْدِ الله بنِ عَمْرٍو : أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قالَ : « فُقراء المُهَاجرينَ يَسْبقُونَ الأغْنياءَ يوْمَ القيَامَةِ إلى الجنّةِ بأرْبَعينَ خَريفاً »(٥). وكذا روَى التِّرمذي منْ حديث جابرٍ وصحَّحَهُ(٦)، وأنسٍ واسْتَغربهُ(٧) .

---

(١) رواه مسلم (٤٢٦) .
(٢) رواه مسلم (٢٣٤) .
(٣) رواه البخاري (١٣٨٢) .
(٤) رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٢٣١) والحاكم (٣/ ٢٨٤) وهو حديث حسن .
(٥) رواه مسلم (٢٩٧٩) .
(٦) رواه الترمذي (٢٣٥٥) .
(٧) رواه الترمذي (٢٣٥٢) .

وللتِّرْمذي منْ حديثِ أبي هُرَيرةَ وصحَّحه[١] وأبي سَعيدِ وحَسَّنهُ[٢] : بنصْفِ يوم خَمْسمئة عامٍ . وقد تقدم هذا كُلُّه . قلتُ : فإنْ كانَ هذا مَحْفُوظاً كما صَحَّحهُ التِّرْمذي ، فَيَحْتملُ أنَّ يكون ذلك باعتبارِ دُخول أوَّل الفُقراء ، وآخِرِ الأغْنياء ، وتكونُ الأربعون خَريفاً باعْتبارِ ما بَيْنَ دُخُولِ آخرِ الفُقراء وأولِ الأغْنياء ، والله أعلم .

وقد أشارَ إلى ذلك القُرْطبيُّ في « التَّذكرة » حَيْثُ قال : وقدْ يَكُونُ ذلك باخْتلاف أحْوال الفقرَاء ، والأغنياء . يُشيرُ إلى ما ذَكَرناهُ .

فصــل

قال الزُّهْريّ : كلامُ أهْلِ الجنَّةِ عَربيٌّ .

وقالَ سفيانُ الثوري : بلغَنا أنَّ النَّاس يتكلَّمون يومَ القيامَةِ بالسُّرْيَانيَّةِ ، فإذا دَخلُوا الجنّةَ تكلَّموا بالعربيةِ .

فصــل

في الْمَرأةِ تَتزَوَّجُ في الدُّنيا بأزْواجٍ ثم تدخل الجنة فلِمَنْ تكُونُ منْهمْ ؟

فذكرَ القُرْطبيُّ في « التّذكرةِ » منْ طَرِيقِ ابن وَهْبٍ ، عنْ مالكٍ : أنَّ أسمـاءَ بِنْتَ أبي بكرٍ شَكَتْ زوجَها الزُّبَيْر إلى أبيها، فقالَ: يا بُنَيَّةُ، اصبري، فإنَّ الزُّبَيْر رَجُلٌ صَالح، ولعلّهُ يكُونُ زَوْجَكِ في الجنّةِ.

قالَ : ولقدْ بَلَغَني أنَّ الرَّجُلَ إذا ابتكرَ الْمرأةَ تزَوَّجَها في الجنَّةِ . قالَ أبُو بكر بن العَربيِّ : هذا حديثٌ غَريبٌ .

وقد رُويَ عنْ أبي الدَّرْداء ، وحُذَيفةَ بن اليَمانِ : أنَّ المَرْأةَ تكونَ لآخرِ أزْواجها في الدُّنيا[٣] .

وجاء أنَّها تكونُ لأحْسَنهمْ خُلُقاً .

قالَ أبُو بكر النّجَّادُ : حدّثنا جَعْفرُ بن محمدِ بن شاكرٍ ، حدّثنا عُبَيْدُ بنُ إسحَاق العَطَّارُ ، حدّثنا سِنَانُ بن هَارونَ ، عن حُمَيْدٍ ، عنْ أنسٍ : أنَّ أُمَّ حَبيبَةَ قالتْ : يا رسول الله ، الْمَرأةُ يكونُ لها الزَّوجانِ

(١) رواه الترمذي (٢٣٥٣) .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٥١) .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » (٣١٥١) من حديث أبي الدرداء مرفوعاً ، ومن حديث حذيفة موقوفاً عند البيهقي في « السنن » (٧/ ٦٩ ـ ٧٠) وله حكم الرفع ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

في الدُّنيا ، فأيُّهما يكون في الآخرة ؟ فقال : « لأحْسَنهما خُلُقاً كانَ مَعها في الدُّنيا » ثمّ قالَ : « يا أُمَّ حَبيبةَ ، ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنيا والآخرةِ »[١] .

وقدْ رُويَ عنْ أُم سلمَةَ نَحْوُ هذا[٢] ، والله سبحانه أعلم .

انتهى الكتاب بعون الملك الوهاب

والحمد لله رب العالمين

•••

---

(١) ورواه البزار (١٩٨٠ ـ كشف الأستار) من طريق عبيد بن إسحاق ، وعبيد ضعيف .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/ ٨٧٠) وفي سنده سليمان بن أبي كريمة ، ضعفه أبو حاتم ، وقال ابن عدي : عامة أحاديثه مناكير ، ولا يعرف إلا بهذا السند.

وبه انتهى ما يسّره الله تعالى من التحقيق والتعليق على هذا الجزء من كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير المتعلق بعلامات الساعة ، وذلك في آخر شهر الله المحرم من سنة ١٤٢٣هـ والله تعالى الموفق للصواب .

البداية والنهاية

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

راجعه

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط — الدكتور بشار عواد معروف

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
إدارة الشؤون الإسلامية
دولة قطر

البداية والنهاية